موسوعة

العلامة المحدث المتفنن

سيدي الشريف عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري الحسني

(١٣٢٨ - ١٤١٣هـ) رحمه الله تعالى

قدم لها

الشريف الدكتور

عبد المنعم بن عبد العزيز بن الصديق

إشراف

الدكتور محمود سعيد بن محمد ممدوح

المجلد الأول

المقدمات - سبيل التوفيق

موسوعة

العلامة المحدث المتفنن

سيدي الشريف عبد الله بن محمد الصديق الغماري الحسيني

(١٣٢٨ - ١٤١٣هـ) رحمه الله تعالى

١

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية
عام / ١٤٣٨

قام بطباعتها وإخراجها: مركز البحوث والدِّراسات
بكُليَّة الصَّفا الإسلاميَّة بماليزيا

يطلب من:

دار السَّلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

جمهورية مصر العربية: القاهرة - الإسكندرية.
الإدارة: القاهرة ٤٠ شارع أحمد أبو العلا - المتفرِّع من شارع نور الدين بهجت - الموازي لامتداد شارع مكرم عبيد - مدينة نصر.
هاتف: ٢٢٨٧٣٢٤٦ - ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ (٢٠٢+)
فاكس: ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢+)
البريد الإلكتروني: info@dar-alsalam.com
موقعنا على الإنترنت: www.dar-alsalam.com

المجلد الأول

المقدِّمات – سبيل التوفيق

ويحتوي على:

١- مقدِّمة الشَّريف الدكتور عبدالمُنعم بن الصِّدِّيق الغُماريِّ الحسنيِّ.

٢- استهلال بقلم فضيلة الشيخ محمَّد فؤاد بن كمال الدِّين، المشرف العام على مؤسَّسة الصَّفا بولاية نجري سمبيلان بماليزيا.

٣- مقدِّمة «مشرف العمل» الدكتور محمود سعيد بن محمَّد ممدوح.

٤- ترجمة العلَّامة السيِّد عبدالله بن الصِّدِّيق الغُماريِّ، بقلم شقيقه الحافظ السيِّد أحمد بن الصِّدِّيق الغُماريِّ.

٥- رسائل مُتبادَلة بين السيِّد عبدالله بن الصِّدِّيق وشَقِيقَيه العلَّامة السيِّد أحمد، و العلَّامة السيِّد عبدالعزيز.

٦- صور لمستندات خاصَّة بالمسيرة العِلْمية للسيِّد عبدالله بن الصِّدِّيق الغماريِّ.

٧- سبيل التوفيق في ترجمة عبدالله بن الصِّدِّيق.

مقدمة الشريف الدكتور
عبدالمنعم بن عبدالعزيز بن الصديق
تمهيد

الحمد لله حقَّ حمده، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدِ المرسلين سيِّدِنا ومولانا محمدٍ النبيِّ الأمين، وعلى آله نُجومِ الهُدى ومصابِيح الدُّجَى، والرِّضا عن الصحابةِ الكِرام والتابعين ومَن تبِعهُم بِإحسانٍ إلى يوم الدِّين.

وبعد: لقد شرَّفني فضيلة العلَّامة المحدِّث المحقِّق الناقِد، شيخُ الحديثِ في هذا العصر، وأحد أَعلامِه البارزين والمحقِّقينَ في علومِه وفنونِه، الدكتور محمود سعيد ممدوح حفظه الله ورعاه، بِطلَبِه أنْ أكتبَ تقديمًا لهذه الموسوعة التي حَرِص على جمْعِها وإخراجِها لأهل العلمِ، وتَضمُّ مؤلَّفاتِ وفتاوى ومقالاتِ شيخِه العلَّامة المجتهد العَلَم، الجامع بين المعقول والمنقول والرواية والدراية، المحدِّث الجِهْبذ، الأصولي البارع، والنحوي النَّظَّار، الصوفيّ الزاهد، صاحب الأخلاق المحمدية والشِّيمِ المُنِيفة العاليةِ، السيد عبدالله بن محمد بن الصِّدِّيق، الحَسنِي، الغُماري، الطنجي، رضي الله تعالى عنه.

اعترافًا منه بفضلِ شيخه وعِلْمِه، ومكانتِه العِلْميَّة السَّامِقة التي لم يُدانيها أحدٌ مِنْ عُلماء عصره، وحِفاظًا على تراث شيخِه الفِكريِّ المفيد، الذي لا زال الطلب يَكثر عليه لِيومِنا هذا مِنْ أهل العلم وطلبتِه، مِنْ مختلف بلاد الإسلام، لِنَفاسَته العِلْمِيَّة، ولِما عُرِف عن صاحِبِه رحمه الله مِنَ الإتقان والتحقيق والاجتهادِ، والاطِّلاعِ العِلميِّ الواسعِ في مختلف الفُنون العَقليَّةِ والنقليَّةِ، كما يتجَلَّى واضِحًا مِنْ خِلال هذه الموسوعة الجامعة لأعماله.

وهذه مَبرَّةٌ حميدَةٌ مِنْ فضيلةِ الشيخِ الدكتور محمود سعيد ممدوح حفظه الله، تدلُّ على حُسن الصنيعة منه لشيخِه، وتَنمُّ على ترسُّخِ أخلاقِ علماءِ السلف الصَّالحِ وأدبِهِم مع شيوخهم في خُلقِه هو وأدبِه مع شيوخه، وذلك في الاعتراف بفضلِهِم وجميل صنيعِهِم، وشُكرهم قولًا وعملًا على ما قدَّموه للعلم الشريف من جهودٍ وبذلِهِم الوقتَ الكثير في نشرِه وتعليمِه، ومَنْ لم يَشْكُرِ الناسَ لَمْ يَشكُرِ الله، كما جاء في الحديث الشريف.

هذا في وقتٍ ماتت فيه جلُّ القِيَمِ والأخلاق في كثيرٍ ممَّن ينتَسِبُون للعِلم والأدب، ويشتغلون كما يدَّعون زورًا وكذبًا بخدمة كُتب العِلم ونشْرِها، وقد عشَّشَتْ في حنايا صدورهم مقاصد لا عِفَّة فيها، يُقحِمونها إقحامًا في الحواشي وعلى الهوامش، ويدافعون عنها بسلاح النبز والشتم والسِّباب. فيَلفاهُم المرءُ فيما يكتبون في بُعدٍ تامٍّ عن أبسط قواعد الأدب الذي يَجِبُ أن يتأدَّبَ به طالبُ العلمِ في صغره مع أهل العلم والفضل والصلاح، فباتوا بذلك في درجةٍ سواء مع عامَّةِ الناس بل والسَّفلة، والأمر لله وحده.

وإنِّي مهما أفَضتُ في الكلام عن المؤلِّف رحمه الله، صاحب هذه الموسوعة، وعن علومه، ومنهجه العلمي في التصنيف الفقهي والحديثي، وفتاويه، وعن جلائل أعماله العِلمية، فإني لن أوَفِّي الكلام حقَّه، في ذِكر أخبار ومناقب عالمٍ وهبَ حياتَه للعلم، تدريسًا، وتعليمًا، وتصنيفًا، وتحقيقًا، منذ أن بدأ يَطلبه في سِنِّ الصِّبا إلى أنْ أدْنَفه المرضُ وأنهَكه.

فلم ينَل بعِلمه في يومٍ من أيام حياته حظوةً أو دنيا، أو تزلَّف به على أبواب الأمراء والرؤساء، أو سعى بعِلمِه لاهِثًا يبحث عن أسباب ومطايا الظُّهور

والوجاهة والتصدر في المجتمعات، كما هو حال الكثيرين، بل كان رحمه الله كلَّما اقتربت منه الدنيا ونضارتُها ولَّى لها ظهْرَه، وفرَّ مِنْ زخرفها وبهرجِها الزائف، قانِعًا بما وهَبه الله تعالىٰ، مُكرِّسًا حياته للعِلم والتَّدريس والتأليف والتحقيق، حتىٰ لقِيَ ربَّه.

ولن أستطيع في عجالة يسيرة، وصفَ حالته العلمية الكبيرة واطلاعه الواسع الذي كان عليه في مختلف الفنون العقلية والنقلية، وعلوم الرواية والدراية؛ وخيرُ دليلٍ علىٰ وصف عِلمه واطلاعه، هذه الموسوعة الجامعة لأعماله رحمه الله، والتي ضمَّت كُتبًا وأجزاءًا جليلة ألَّفها رحمه الله كما سبق الذِّكرُ في مختلف الفنون والعلوم؛ في التفسير، وعلوم القرآن، وفضائِله، والحديث الشريف وعلومه، وفنِّ التخريج، والسيرة، والخصائص النبوية، والشمائل، وسِيَرِ الأنبياء، والفِقه في أبواب شتَّىٰ منه، والأصول، والتصوف، والمنطق، والعقيدة، والنحو، وعلم التعبير أيضًا، ومواضيع علمية أخرىٰ.

موسوعةٌ علميةٌ تُنبئ عن الشخصية العلمية الموسوعية للسيد عبدالله بن الصديق رحمه الله، والتي تركت أثَرها القَويَّ والمؤثِّرَ في الميدان العلمي في العصر الحديث، شخصية علمية فذةٌ تخرَّج بها عددٌ لا يُحصىٰ مِنْ أهل العلم في المشرق كما في المغرب؛ فهو شيخُ شيوخ العَصر، رحمه الله تعالىٰ.

وآثـــارُ الرِّجـــالِ إذا تَناهَـــتْ ... إلىٰ التـــاريخ خـــيرِ الحَاكِمِينـــا
وأخْـذُكَ مِـنْ فـم الـدنيا ثنـاءً ... وتَرْكُـــكَ في مســـامِعِها طَنِينَـــا

التعريف بالأسرة الصديقية

تُعتبر الأسرة الصِّدِّيقيَّة المشهورة بِالغُمارية مِنَ الأُسر العلمية التي شارك أفرادُها مشاركةً عظيمةً في إحياء علوم الدين في العصر الحديث، حيث أثْرَوا المكتبة الإسلامية بمصنَّفاتٍ في مختلف الفنون والعلوم الإسلامية، منها ما هو غيرُ مسبوقٍ في بابه، فردٌ في موضوعِه.

بجهودهِم العلمية العظيمة أنْشأوا حركةً علميةً وحديثيةً رائدةً بشموليَّتِها لِفنون الرواية والدراية، شبيهةً بنظيراتِها في عصور العِلم السالفة الزاهرة؛ ومتميزةً بالاجتهاد والتجديد في عصر الجمودِ والتقليد، واطِّلاع أعلامِها على مذاهب الفقه الإسلامي المتنوعة، في حين اكتفى علماءُ عصرهم بمعرفة المذهب الواحدِ، مع التعصب له تعصُّبًا مقيتًا.

تعودُ جُذور هذه الأسرة الشريفة العالِمة الصوفية المبارَكَة، إلى أواخر القرن الخامس الهجري، ويتَّصِل نسبُها الشريف بابنِ داود بنِ إدريسَ الأزهرِ بنِ إدريسَ الأكبرِ بنِ عبدالله الكاملِ بنِ الحَسَنِ المُثَنَّى بنِ الحَسَنِ السِّبطِ بنِ سيِّدِنا عليٍّ وسيدتِنا فاطمة الزهراء بنتِ خيرِ الخَلقِ مولانا رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم.

كان لأسلافها عَبرَ أيام التاريخ شأوٌ عريقٌ مع الجهاد والعِلم، والفضل والتقوى. قدِمَ مِنَ الأندلس أحدُ أجدادها، وهو السيد عبدالمؤمن الكبير، فأقام بأحواز تلمسان، بمنطقة تُعرَف ببيدَرْ، شرق المغرب، واستوطن بِها وانتشر عقِبُه في أرجائِها. واشتهر مِنْ هذا العَقِب المبارَكِ في القرنِ التاسعِ الهجريِّ، الوليُّ الشهيرُ ذُو الكَراماتِ السيد عبدالمؤمِن، المعروف بأبِي قَبْرَيْنِ؛ الذي لا

زال عقِبُه فيها لِيومِنا هذا يتوارثون أخبارَه وكراماتِه المستفِيضة.

وفي أواسط القرن العاشر، رحل حفيدُه السيد عبدالمؤمن الصغير إلى منطقة غُمارة (وهي مجموعة من القبائِل في شمال المغرب)، فحطَّ عصَا ترحاله بِقريةِ تُجْكان، وهي مِنْ قُرى قبيلة بنِي مَنْصُور إحدى القبائل الغمارية، فتَبوَّأها مستقَرًّا ومُقامًا. وسببُ ترحاله بيَّنه الحافظ السيد أحمد بن الصديق رحمه الله في ترجمته له، وهو بحثُه عن شيخٍ للتربية يَسلكُ على يديه طريقَ أهلِ التحقيق والعِرفان.

فاشتهر فضلُه وذاع خَبرُه فيها وفي البلاد المجاورة، وله بها عقِبٌ عُرِفوا بالولاية والصلاح والعِلم والجهاد.

ومِنْ بين منِ اشتهَر فضلُه منهم وتواترت أخبارُه المُنِيفة عند الخاص والعام، فضيلة الإمام الكبير العارف بالله القُطبُ الكامل السيد محمد بن الصِّدِّيق، الذي ولد يوم ٥ رجب ١٢٩٥هـ، الموافق ١٨٧٨م، بِتُجْكان المذكورةِ آنفًا.

فنَشأ بها تحت رعاية والده العارف بالله صاحب الأحوال والكرامات السيد الحاجّ الصِّدِّيق رضي الله عنه، فحفظ القرآن الكريم وحصَّل العِلمَ في بلدِه، قبل أن يرحلَ إلى مدينة فاس حيث جامِعُ القرويين، لِينهلَ مِنْ جهابذة العِلمِ الذين يعُجُّ بهم هذا الجامعُ التَّلِيد، كأمثال: شيخ الجماعة الشيخ أحمدَ بن الخياط، وخليلِ بنِ صالح الخالدي الملقَّب بِسِيبَوَيْه زمانِه، والكامِل الأمْرانِي، والنوازليِّ المشهور المهدي الوزاني، والمأمون العراقي، والسيد محمد بنِ جعفرِ الكتاني، وغير هؤلاء من الأكابر رحمهم الله جميعًا ورضي عنهم، ثم رجع إلى

بلده تُجكان، وعاد إلى فاس في رحلةٍ علمية ثانيةٍ، أقصرَ مِنَ الأولَى.

وقد ترجم له غيرُ واحدٍ ترجمةً وافيةً ومستفيضة، وفي مقدِّمتِهم نجلُه الأكبر أبو الفيضِ الحافظ السيد أحمد بن الصديق، في مجلدٍ ضخمٍ سمَّاه "سُبحةُ العقِيقِ بِذِكر مناقب الشيخ محمد بن الصديق"، طُبع مختصرُه "التصور والتصديق".

هذا الإمامُ الجهبذُ حلَّ بمدينة طنجة سنة ١٣١٨هـ الموافق ١٩٠٠م، حيث قَصَدَ بيتَ خالِه الوليِّ العارفِ السيد عبدالحفيظ بنِ العلَّامةِ الوليِّ الكبير السيد أحمدَ بنِ الإمام المفسِّرِ العارفِ بالله السيد أحمدَ بنِ عَجِيبة، صاحب التفسير الإشاري المسمَّى "البحر المديد في تفسير القرآن المجيد"، و"إيقاظ الهِمم بِشرح الحِكَم" وغيرهما من الكتب والرسائل في التصوف وغيره.

فتزوَّج بِنتَ خالِه، السيدة الجليلة القانِتة الذاكرة الوليَّة، فاطمة الزهراء، واستقرَّ بمدينة طنجة بطلَبٍ مِنْ خالِه رضي الله عنهما، فأحْيَى بها مجالسَ العِلم، وقَصده الطلبة من آفاقٍ بعيدةٍ، فَدرَّس لهم في الجامع الكبير بطنجة "مختصر خليل" في فقه المالكية، و"صحيح البخاري"، و"ألفيةَ ابنِ مالكٍ" في علوم العربية، و"همزيةَ البوصيري" في السِّيرة؛ و"شمائل الترمذي"، وغير هذا من فنون العلم كالبلاغة والمنطق، وتراجم الأولياء والعلماء والصالحين، ودرَّس كُتب القَوم المبيِّنَةِ لأصول مذهبِهم وطريقتِهم.

وقصَدَه غيرَ مرةٍ غيرُ واحدٍ مِنْ علماءِ فاس للتبرك به والاستفسار منه، مذعِنينَ لعِلمِه وفضلِه، لأنَّ صيتَه في تمكُّنِه مِنَ العِلم وتقدُّمِه فيه على علماء أهل العصر ذاع واشتهر في البلاد.

أخبر عن بعضٍ مِنْ ذلك نجلُه العلَّامة السيد عبدالله بن الصديق في ترجمته لنفسه في آخر كتابه "بدع التفاسير"، إذْ قال متحدِّثًا عن شيخه العلامة المحقق القاضي العباس بن أبي بكر بَنَّاني: «وذكَرَ مرةً في درس الأصول حديثًا لم يَعْرِفْ رُتبتَه، فبيَّنتُها له. فسألني: مَنْ أنت؟ فانتسبْتُ له، فقال: تبارك الله، الدرُّ مِنْ معدنِه لا يُستغرب. وطلبتُ منه مرةً فتوىٰ فقهية في خصومة كانت بين بعض الإخوان، فسألني: هل يطَّلِع عليها والدُكَ؟ قلتُ: نعم. قال: إذًا يَجِبُ التدقيقُ فيها، لأنَّ والدَكَ في العِلم مخيفٌ». ونظيرُ هذا الخبر في ذِكر ووصْفِ عِلمِه كثيرٌ.

كما أحيَىٰ بمدينة طنجة طريق أهل التصوف، فكثُر حولَه المريدون، وأصبحت حلقتُه في التدريس يَحضرُها العلماء، وطلبةُ العِلم، والعامَّة، فأقام رضي الله عنه بهذا الثغر مِنْ ثُغُور المغرب سوقًا رائجةً للعلم والتصوف، وتخرَّج به علماء كان منهم مدرِّسون وقُضاة وغيرهم، وانتشر بسببه في أرجاء البلدةِ ذِكرُ الله تعالىٰ.

فصارت طنجةُ بِسعْيِه الحثيثِ المبارَكِ في الدعوة إلىٰ الله، ونشْرِ العِلم، والإفتاء في النوازل والقضايا المرفوعة إليه من مختلف مدن وقرىٰ المغرب، حاضرةً علميةً متميزةً، سيزداد إشعاعُها سطوعًا ونجمُها ظهورًا، مع أبنائِه السادة العلماء الكبار، الذين ذاعَت شهرتُهم في العِلم ذيوعًا كبيرًا في المغرب والمشرق.

وهم السادة العُلماء الأعلام: الإمام المجتهد الحافظ الكبير أبو الفيض أحمد بن الصِّدِّيق، المتوفَّىٰ سنة ١٣٨٠ بالقاهرة، والإمام العلامة المحدِّث الأصولي أبو الفضل عبدالله المتوفَّىٰ سنة ١٤١٣، والعلامة الشيخ محمد الزمزمي، المتوفىٰ سنة

١٤٠٨، والإمام العلامة الأصولي المحقق البارع عبدالحي المتوفَّى سنة ١٤١٥، والإمام العلامة المحدِّث الناقد العارف أبو اليسر عبدالعزيز، المتوفى سنة ١٤١٨هـ؛ وهؤلاء أشِقّاءٌ؛ ثم العلَّامة النحويُّ الأديب، فقيه المغرب في وقته الحَسن بن الصديق المتوفَّى سنة١٤٣١، وأصغرُهم سنًّا محدِّث المغرب في أوانِه العلَّامة الدكتور إبراهيم بن الصديق، المتوفى سنة ١٤٢٤؛ رحمهم الله جميعًا، وجزاهم عما قدَّموه للإسلام والمسلمين خيرَ الجَزاء.

لكن امتاز الأشقاء منهم، وأقصد بهم السيد أحمد، والسيد عبدَالله، والسيد عبدَالحي، ووالدي السيد عبدَالعزيز، بكثرة التأليف وجودة التصنيف في مختلف الفنون، ولَهَجَ أهلُ العِلم بتحقيقاتهم وأبحاثِهم واجتهاداتِهم في كلِّ مِصرٍ.

هؤلاء هم أبناء الإمام العارف بالله السيد محمد بن الصديق، الذين يُعدُّون شامةً حسناء في دهرنا الحديث في الأخلاق والمكارم، والبذل والجود، فأخبارهم وسِيرتُهم مِن «سِيَرِ أعلام النبلاء»، بل منهم مَنْ كان «تذكرةً للحفَّاظ» السالِفين.

وإنَّ الواقف على بعض تراجم أهل العلم عند الإمام الذهبي في "سيره" أو في "تذكرته"، أو عند غير الذهبي ممن اعتَنى بذكر طبقات العلماء والتراجم عمومًا، يجد تراجم علماء لم يصِلوا في مرتبتهم العلمية إلى ما وصل إليه الحافظ أحمد بن الصَّدِّيق في الحفظ والاطلاع، والتحقيق والإتقان، والكلام في الرواة والرجال جرحًا وتعديلًا.

ويجِد أيضًا الذهبي رحمه الله أو غيره ممن صنَّف في طبقات الأعيان ترجم لمن لا يُتقِن إلا فنًّا من الفنون برع فيه فاستوجب ذِكرُه عنده بين فقهاء ونبلاء

عصره، أو لكونه كان شافعيًّا فذُكر في طبقاتهم، أو حنفيًّا فسُطِّرت ترجمته فيهم، أو صوفيًّا فأُدْرِجَت أخبارُ زهده وتصوفِه مع أخبارهم؛ فكيف وهؤلاء الأشقاء أتقن الفردُ الواحدُ منهم فنونًا وعلومًا، لم يبلغ مَنْ سبقَه ولا مَن عاصره عُلوَّ كعبه فيها.

وهذه المؤلفات والأبحاث العلمية لهم شواهد صارخة على السموق العلمي الكبير الذي كان الفردُ الواحدُ منهم عليه، فكيف بمؤلفاتهم مجموعة، تُمثل بحقٍّ مدرسةً علميةً رصينةً، مكتملة الأركان والمعالم والمنهج.

أعودُ فأقول: عُرِف هؤلاء الإخوة بإحياء علوم الدين، وبالتحقيق العلمي والاجتهاد، وعدم التقليد والتسليم للأقوال المجرَّدة أو التقيد بِقول والتعصُّب له مهما كانَ صاحبُه في التقديم والتبريز، فلم يكن تعصبُّهم إلَّا لكتاب الله تعالى، وسنَّةِ الرسول الأكرم عليه الصلاة والسلام، وما قواعد العِلم إلا أدواتٌ طيِّعةٌ وُضِعت خدمةً للكتاب الكريم والسنة المطهرة.

فبِإطلالة على مؤلفاتِ هؤلاء العلماء، نستشفُّ بسطةً آتاها الله لهم في علومٍ شتَّى، ومَدارِكَ معرفيَّةً مختلفةً، أثْرَوا بها المكتبةَ الإسلامية الحديثة بعطاءٍ زخَّارٍ، ينهلُ منه روَّاد التحقيق العلمي، والباحِثين عن المعرفة وفرائد الاطلاع الواسع الذي امتاز به هؤلاء الأعلام، والذي أصبح اليوم عزيزًا ونادرًا، إن لم يكن قد انعدم، لانصراف الهِمم عن التحصيل والقراءة والاطلاع، واكتفاء المناهج التعليمية في المعاهد العليا والجامعات على النزر القليل الذي لا يصل لحد الإحاطة بقواعد فنٍّ واحدٍ من فنون العِلم العقلية والنقلية.

عطاءُ هؤلاء الأعلام، أبناء الإمام السيد محمد بن الصِّدِّيق عطاء متميِّزٌ في

المنهج والمضمون، هو ليس كعَطاءِ مَنْ يعتمد التقليد في منهجِه، ويَقصُرُ العلمَ ومعرفة الدرايةِ في النقلِ مِنْ ذا الكتابِ وذاك، ويَسردُ الأقوال والآراء، وما ذهب إليه زيدٌ، وقال به عَمرٌو، سردًا عقيمًا دون تمحيصٍ ولا تحقيق، ثم يَنسِبُ كلَّ ذلك لِقَلَمِه وعِلمه وبناتِ فِكره... هيهاتَ هيهاتَ أنْ يَصيرَ النقلُ والتقليد عِلمًا، فالفضل فيه محصورٌ للمنقول عنه وللمقلَّد وحده، والناقِلُ والمقلِّد مجرد تابعٍ ومردِّدٍ للصدَىٰ كما يقال.

العطاء العلمي لأعلام الأسرة الصديقية الغمارية في مضمونه أيضًا ليس كعطاء أولئك الذين يَحصرُون عِلمَهم ويفنون جهدهم في العنايةِ بالمروياتِ والمسموعاتِ والإجازاتِ والفهارس، وسَرْدِ مؤلفاتِ غيرِهم ومصنفاتِ السابقين وكُتبِ أسلافِهم حسب الفنون، وبشكلٍ عقيمٍ مُمِلٍّ، دون عنايةٍ وتحقيقٍ فيما يَروُونَه، بل ولا حتىٰ معرفةٍ أحيانًا بما يَرْوُونه؛ وإنما هو الافتخار بكثرة المروياتِ والمسموعاتِ كما هو معروفٌ في بابه.

إنتاج أعلام الأسرة الصدِّيقِيَّةِ عِلميٌّ رصينٌ، جامِعٌ بين علوم الرواية والدراية، والعقل والنقلِ، متميِّزٌ بمنهجٍ صدِّيقِيٍّ فذٍّ بعيد عن التَّزمُّت والتعصب، باعثٌ لِروح التجديد بالإبداع فيما قصَّر فيه كثير من العلماء، سهْوًا منهم أو غفلةً، أو بسبب المناهج التي مشوا عليها، ناقدٌ لهفواتِهم العلمية المناقِضة لأصول العِلم وقواعده، فيه استدراكاتٌ وفوائد وتعقباتٌ غاية في النفاسة والإفادة.

في مصنَّفاتهم الكثيرة والمتنوِّعة، نلمسُ اجتهادًا في بعْثِ منهجِ السلف في زمنٍ طُبع أهلُ العلمِ فيه علىٰ التسليم لِكلِّ قولٍ والتهيُّبِ مِنْ نقْدِ الأدلة

والآراء؛ هذا المنهج منهجُ علماء السلف وأهل التحقيق منهم الذي يُرشد إلىٰ المنهجية الصحيحة في النقد، بناءً علىٰ مسارِ استقلالية الفكر والبحثِ بموضوعيةٍ وعدمِ تعسُّفٍ وميلٍ، بل تحَرٍّ للحقِّ بعقلٍ راجحٍ مع الأخذ بالقواعد العلمية المعتبَرَةِ وتنزيلِها تنزيلًا سليمًا، لا موضعَ للتمحُّلِ فيه ولا لِلهوَىٰ والمذهبية أدْنَىٰ نصيبٍ في مرجعِيتِه.

لهذا كثر الثناء والمديح علىٰ علمهم مِنَ القاصي والدَّانِي، والمؤيِّد والمخالِف، لأنهم بزُّوا أقرانهم وفاقوا شيوخهم بل كانوا مرجع شيوخهم في المغرب كما في المشرق، في معرفة درجات الأحاديث النبوية الشريفة من الصحة والضعف، وفي الاستعانة بهم في التصحيح والتضعيف، وفي معرفة كثير مِنَ المسائل العلمية في فنون مختلفة، كما يتبيَّنُ ذلك مِنْ تراجمهم، أو مِنْ تراجِم غيرهِم لهم.

كان عِلمُهم رحمهم الله حاضرًا، إذا سُئِلوا أجابوا وبإطنابٍ وإطرابٍ، مع إقناعٍ، وهذا عاينتُه ممَّن عاصرتُه ولازمتُه منهم، وهم مولاي الوالد السيد عبدالعزيز، وعمَّاي السيدعبدالله، والسيدعبدالحي، رحمهم الله جميعًا.

فطالِبُ العِلم في دروسهم له الحرية في أنْ يَسأل في أيِّ فنٍّ، ولو خارجَ موضوع الدرسِ، فإنه يَجِد الجوابَ كافيًا شافيًا، مع الصدر الرحْبِ، بدونِ أيِّ تحريج أو تضييق علىٰ الطالب السائل.

والمستفتِي يأخذ فتواه منهم مدعومةً بدليلِها، وكأنه لحظة يسمعها مِنْ أحدهِم يَرىٰ نفسه كأنَّه يقرأها في كِتابٍ مبيِّنٍ لأمرها، فينصرف جَذلانَ مرتاح الخاطر، متمسكًا بما أُفْتِيَ به، ولا يَعْدِل عنهم أبدًا في الاستفتاء، وقد جُمِعت لهؤلاء الأعلام كثيرٌ مِنَ الفتاوىٰ التي أفتَوا بِها، في مختلَفِ المواضيعِ الفقهية

والمسائل العِلمية، وفيها من الفوائد والعلوم ما لا يوجد في غيرِها، حتىٰ أنَّ العدد الكبير من الفتاوىٰ كانت تأتي مِنْ بلاد المهجر في أمور مستحدثة تقع للمسلمين هناك، لم يقصدوا في معرفة حكمها إلا أعلام هذا البيت الصديقِيِّ؛ سخر الله تعالىٰ في إخراجها مجموعة للفائدة العلمية والفقهية التي فيها.

شذرات من حياة الشيخ سيدي أبي الفضل عبدالله بن الصديق

هو العلامة المحدِّث المطلِّع السيِّد عبدالله بنُ محمَّدِ بنِ الصِّدِّيق الغُماريُّ أصلًا، الطَّنجيُّ مولِدًا ونشأةً وقرارًا، الإدريسيُّ الحسنيُّ، أحدُ أعلامِ هذه الأسرة الحسِيبة، وبدرٌ ساطعٌ مِنْ بُدورِها العِلميةِ المُنِيرَةِ.

اختار له شيخُه وشقيقه الأكبر السيد أحمد رحمه الله مِنَ الكُنىٰ أبا المجْدِ، علىٰ عادة أهل العِلم في اتخاذ الكنىٰ، لكنه اتَّخذ "أبا الفضل" كنيةً له، تعلُّقًا ومحبةً في الحافظ ابنِ حَجر رحمه الله، المكنَّىٰ بها، فكان له نصيبٌ من هذه الكنية حقًا، لِفضله علىٰ أهلِ العِلم في وقتِه.

طودُ عِلمٍ شامخٍ، وبحرٌ زخَّار بالفوائد والعلوم، مع تواضعٍ كبيرٍ وزهدٍ بيِّنٍ، وأخلاق مصطفوية عظيمةٍ، عَلمٌ دالٌّ علىٰ عِلمه بِحالِه ومَقالِه رحمه الله.

وُلِد بِثغر طنجة، بأقصىٰ شمالِ غربِ المغرب، غُرة شهر رجب الفرد، مِنْ سنة ١٣٢٨ للهجرة، الموافق ١٩١٠م، في بيتٍ ضمَّ بين جنباته المكارمَ والشَّرفَ الأثِيلَ، والعِلم والولاية، والتصوف؛ فوالدُه هو الإمام الكبير العارف بالله الشهير القطبُ السيد محمد بن الصدِّيق المتوفىٰ سنة ١٣٥٤، وهو مَنْ هُو في العِلم والمعرفة والفضلِ والوِلايةِ، كما تقدَّم ذِكرُه.

ووالدتُه هي السيِّدة الشريفة، الوليَّة العابدة الذاكرةُ، فاطمة الزهراء بنتُ أحمدَ بنِ أحمدَ بن عُجِيبَة، توفيت شهيدة بجمعٍ ليلة الاثنين السابع والعشرين مِن رمضان سنة ١٣٤٠.

نَشأ صاحبُ الترجمة رحمه الله، في كنَف والده الإمام، يَرعاه ويَسقِيه لِبانَ الأخلاق والعِلم، فَأدخَلَه الكُتَّاب لحفظ القرآن الكريم، وهو ابنُ خمْسِ سِنين، فقرأه علَىٰ الفقِيه أبِي حامدٍ العَرْبِي بودره، ثم بعدُ علَىٰ الفقيه عبدالكريم البَرَّاق، ثم بعد علىٰ الفقيه محمد الأندلسي، وعلىٰ هذا الأخير حفِظَ القرآن الكريم وأتْقَن عِلم رسْمِه إتقانًا كبيرًا، صار كبارُ القُرّاء يرجعون إليه لمعرفة رسمه.

ثم شرع كسائر طلبة العلم، في بدايتهم، يحفظ المتون العلمية، كـ"ألفية ابنِ مالكٍ" في النحو، و"مختصر خليل" في فقه مالك، و"الأربعين النووية" و"بلوغ المرام" في الحديث الشريف.

وقرأ "مقدمة ابن آجرُّوم" بـ"شرح الأزهري" علىٰ شقيقه الحافظ السيد أحمد، وعلىٰ ابن عمتِّه السيد محمد بنِ عبدالصمد.

كذلك، فإنَّ نشأتَه في بيت عِلمٍ ساعدته علىٰ بناء تكوينِه العِلميّ، فقد كان والدُه الإمام رضي الله عنه يذاكره في مسائل علمية شتَّىٰ، غيرَ ما كان يُدرِّسُه له، وينهجُ معه نفس النهج الذي سلكه رضي الله عنه مع أبنائه الآخرين، يُذاكرهم في كلِّ الفنون، ويوجِّههم للعِلم توجيهًا سديدًا، ويرشدهم لمصادر كلِّ فنٍّ وعِلم، ويفتح لهم صدره للنقاش والسؤال، واستثارة المعرفة الكامنة في حنايا صدره، فيَرتَوُون منه ولا يلْوُون علىٰ أحدٍ آخر.

قال عنه شيخُه، شقيقُه الأكبرالسيد أحمد بنُ الصِّدِّيق، عندما ترجَم له في

"سبحة العقيق" «وكان في صِغرِه -يقصد شقيقَه السيد عبدالله- كثيرَ البحثِ والسؤال للوالد عن المسائل العلمية، في شتَّىٰ الفنون، وكذلك كان يَسألني، ولمَّا توجهتُ إلىٰ القاهرةِ كان يُراسِلني بالأسئلةِ، وبِسبَبِ سؤاله أَلَّفْتُ عدَّةَ مؤلفاتٍ، كجُزءِ المَمْسوخِينَ، ورسالة نُبوَّةِ خالدِ بنِ سِنَان والخَضِر والنِّساء، و"تخريج أحاديث الشهاب"، وغيرها، مع أجوبةٍ مطولَةٍ في مسائل متعدِّدة».

كانت بدايتُه مشرقةً بِنورِ المعرفةِ وشغَفِ الاطِّلاع، وهذه البدايةُ دليلٌ علىٰ عُمرٍ فيَّاضٍ بالعطاء والإنتاج العلمي النافع، وكذلك كان هو وإخوانُه رحمهم الله، الذين ساروا علىٰ نفس النهج التعليمي والتربوي، ويَصدُق هُنا قولُ الشاعر:

وإذا رأيــتَ مِــنَ الهــلالِ نُمُــوَّهُ أيقَنْــتَ أنْ سَــيكُون بَــدرًا كــاملًا

وفي شهر شوال من سنة ١٣٤٤ توجَّه إلىٰ فاس لِتلقِّي العِلم بجامع القرويِّين، أقدمِ جامعٍ في العالمِ الإسلامي إطلاقًا، ومنه تخرَّج عُلماء المغرب وغيره، فَقضَىٰ فيه ثلاث سنواتٍ من التحصيلِ العلمي والتَّلقي علىٰ كبار أئِمة القَرويِّين، فأخذ عن جماعةٍ مِن الشيوخ المَرمُوقِين.

فأخَذَ الفِقهَ علىٰ الشيخ عبدالسلام العلوي، والأصول علىٰ الشيخ الحسين العِراقي، والسيد عبدالله الفضيلي وغيرهما، وكذلك أخذ عن الشيخ الحَبِيب المَهَاجِي، والعباس بنَّانِي، والرَّضي السناني الشهير بِالحِنْش، وغيرهم مِنَ الشيوخ الأجلَّة المشهورين بعلوِّ الكعب في العلم والتحقيق.

وصادف أثناء وجوده بفاس رجوع الشيخ المحدِّث السيد محمد بن جعفر الكتاني من الشام، فحضر عليه في بيتِه واستفاد منه.

ثم عاد إلىٰ طنجةَ، مكتفيًا بما حصَّله علىٰ شيوخ القرويين، فَشرَع في

التدريس لنجباء الطلبة ولإخوانه في الزاوية الصِّدِّيقية، فدرَّس لهم "المقدمة الآجرومية"، و"رسالة ابن أبي زيدٍ القيرواني" بشرح أبِي الحسن.

وفي أول نشأته العلمية شُهِد له بالبَراعَةِ في النحو والصرفِ، وعُلومِ العربية عامة، فَحصل منه إقبالٌ وإكبابٌ عليها، فأتْقَنها إتْقانًا كبيرًا؛ إذْ ألَّف شرْحًا حافلًا على "متْن الأجرُوميَّة" في النَّحو، جاء في مجلَّدٍ حافِلٍ، سمَّاه له شقِيقُه الأكبرُ السيد أحمد: "تَشْيِيد المَبانِي لِتَوضِيحِ ما حَوَتْه المقدِّمةُ الأجْرُومِيَّةُ مِنَ الحقائق والمعاني"، وهو باكورةُ مؤلَّفاتِه، وقد صنَّفه بعد عودتِه مِنْ رحلته العلمية الأولى إلى مدينة فاس، وكان عُمره آنذاك يُناهِز العِشرين، فعرَضَه على والده الإمام فأصلحَ فيه مواضع بخطِّهِ وأقرَّه.

وقام أيضًا في هذه الفترة باختصارِ "إرشاد الفحول إلى تحقيق الحقِّ مِن علم الأصول" للعلامة الشوكاني، بأسلوبٍ غيرِ أسلوبِ "حصول المأمول" لِلقنَّوجي.

وخلل هذه الفترة، بحضوره دروس والده الإمام في "رسالة ابن أبي زيدٍ" بـ"شرح أبي الحسن"، وفي شرح العارف ابن أبي جمرة لـ"مختصره للبخاري"، قبل أن يطبع، وكتبًا أخرى في البلاغة والنحو أيضًا.

وقد أخبر عن هذا رحمه الله في ترجمته لنفسه في آخر كتابه "بدع التفاسير"، ومدَى استفادته من والده الإمام رضي الله عنه فقال: «وكنتُ أرجع إليه في مواضع مِن كتاب "مغْنِي اللبِيب" كانت تُشْكل عليَّ، فيشرحها لي... وكتبت بحوثًا أخرى في مسائل نحوية عويصةٍ، بإشارة سيدنا الإمام الوالد رضي الله عنه، الذي كان يشجعني على البحث والكتابة، ويُدرِّبني على معرفة المَظانِّ.

واتخذني كاتِبَه، أكتبُ له الفتاوىٰ التي يحرِّرها إلىٰ الجهات المختلفة مِن أنحاء المغرب، وتارةً يأمرني فأمضيها بِاسمي، وكان مع أصدقائه يُثني علىٰ معرفتي وفهمي».

وقال فيها أيضًا: «وكان يتحدَّثُ إليَّ ساعاتٍ طويلة عن الكتب العلمية في مختلف العلوم، فيعطيني فكرةً عن كلِّ كتابٍ وما يمتاز به عن غيره، المطبوع منها والمخطوط، وكانت حافظته قوية جدًا، إذا أفاض في موضوعٍ أتىٰ فيه بما يدهش السامع. كنتُ أتكلَّمُ معه مرةً في مسائل نحوية، وجاء ذِكر لفظ (البتَّة)، وهل هو بهمزة وصلٍ أو قطعٍ؟ فقال لي: تكلَّمَ عليه الحافظ ابنُ حَجر في "الفتح" وحكَىٰ فيه الوجهين، واختار الوصل. كما حكاهما الأزهري في "التصريح" واختار القطع، وعيَّن لي الموضع في الكتابين، فوجدتهما كما قال».

إلىٰ غير هذا من أمثلة الرعاية العلمية التي حظيَ بها السيد عبدالله بن الصدِّيق مِن والده الإمام رضي الله عنهما، ومثل هذه الشواهدِ مبثوثة في ترجمته، بل كان والده الإمام لِثِقَتِه في علمِ نَجلِه ومعرفته بقدرته علىٰ الجواب في المسائل العلمية، يُحيل إليه مَنْ قَصده مِن أهلِ العِلم للاستفسار عن أمرٍ علميٍّ، وكذلك يسلِّمُه الأسئلة الواردة عليه ليجيب عنها بَدَلَه.

وهذا كما لا يَخفَىٰ فيه تشجيعٌ عظيمٌ يُكسِب الطالبَ ثِقةً في النفس، وتشجيعًا علىٰ الخوض في العِلم والنقاش فيه، واكتساب الفَقاهَةِ في سنٍّ مبكرةٍ؛ فأعْظِم به والدًا وشيخًا ومربِّيًا، وما أجلَّه من نهجٍ خرَّج مثل هؤلاء الأعلام الكبار.

كذلك أكسَبَه والدُه الإمام قدس الله سره الأدبَ مع أهل العِلم وحُسنَ

التخاطبِ معهم، وخصوصًا أهل الاعتقاد منهم، فتَجِدُ صِبغةَ التوقير لأهل العلم والفضل مِنْ معالمِ منهجه في الكتابة والتأليف، وخصوصًا عند المناقشة والنقد، فكان هذا الأدب الأبوي مما تلَقَّاه من والده الإمام في أُولَىٰ خطواته في التصنيف والتأليف.

قال رحمه الله في ترجمته "سبيل التوفيق" (ص٢١): «كنتُ أُطْلِع مولانا الإمام الوالد رضي الله عنه علىٰ ما أكتبه، فيُصلِحُ لي ما أخطِيءُ فيه، ورأىٰ لهجتي في ردِّ رأي بعض النحويِّين فيها شِدَّةٌ فقال: لا تَردّ علىٰ العلماء بهذا الأسلوب، ولكن قُل: هذا سهوٌ، أو سبْقُ قلمٍ، أو اشتباهٌ، أو نحوُ هذا من العبارات الخفيفة».

هكذا يتلقَّىٰ الأكابر التربية وهكذا يُلقَّنون تعظيمَ العلماء والشيوخ في بدايتِهم، فطالبُ العِلم والمنتسِبُ لأهل العلم إذا افتقد أدبَ التلقِّي من الشيوخ وأدبَ التخاطب مع الأكابر، ولم يُوقِّر الشيوخ والفضلاء صار يزاحم السوقة في منزلتهم الدونية، ولا عاد يُرجىٰ منه نفعٌ أبدًا، فسوء الأدب جالبٌ للحرمان والعطبِ، كما قال بعض أهل التربية والسلوك.

وفي سنة ١٣٤٩هـ رحل إلىٰ مصر، والتحَقَ بالأزهر فحضر علىٰ جماعةٍ مِنَ الشيوخ الأعلام، الذين كان لهم صيتٌ علميٌّ كبيرٌ، كالعلامة الشيخ الإمام محمد بخيت المطيعي، مفتي الديار المصرية وشيخ علمائها، والعلامة المحقق الشيخ محمد حَسنِين مخلوف العدوي، والعلامة البارع الشيخ محمود الإمام المنصوري، والشيخ الإمام عبدالمجيد الشرقاوي، والشيخ محمد عزَّت، وغير هؤلاء رحِمهم الله جميعًا.

وأجازه ثُلةٌ مِنَ الشيوخ وفي مقدِّمتهِم مُسنِد الديار المصرية السيد أحمد رافع الطهطاوي، أجازه بما حواه ثبته "المسعَى الحميد إلى بيان وتحرير الأسانيد"، قال عنه السيد عبدالله رحمه الله: «وهو كتابٌ نفيسٌ، نبَّه فيه على أوهامٍ وقعتْ في كثيرٍ مِنَ الأثباتِ، خصوصًا "فهرس الفهارس" للشيخ عبدالحي الكتاني».

كما أجازه الشيخ محمد إمام السَّقا، والشيخ محمد السَّمالُوطي، والشيخ أبو النصر القَاوقْجِي، والشيخ محمد الخضر حسين، وجماعة غيرهم مِنَ الأئمة والأعلام.

وبعد سنةٍ واحدةٍ فقط مِنْ قدومه إلى مصر، أي في سنة ١٣٥٠هـ تقدَّمَ لامتِحانِ شهادة العالمِيَّة الخاصة بالغرباء، والامتحان فيها يكون في اثني عشر عِلمًا: النحو، والصرف، والمعاني، والبيان، والبديع، والأصول، والمنطق، والتوحيد، والفقه، والتفسير، والحديث، والمصطلح، فنجح في الامتحان ونال شهادة العالمية بتفوُّقٍ.

وللتذكير، فالسيد عبدالله رحمه الله قبل أنْ يتقدَّم لامتحان العالمِية، كان قد حضَر على مَنْ قرأ عليهم في الأزهر في مدةٍ قصيرة لا تَبلُغ السَّنة، والتحصيل العلمي في مثل هذه المدة يكون غيرَ كافٍ لِلإحاطة بقواعِد ومسائل فنٍّ من هذه الفنون المذكورة، فكيف بجميعِ هذه الفنون الاثني عشر في هذه المدة الزمنية القصيرة؟!

هذا مع العلم أنه رحمه الله لم يكن وقتئذٍ يَصرِفُ جلَّ وقتِه قاعدًا في الأزهر، ينتظر هذا الشيخ أو ذاكَ ليجلس في حلقتِه ويأخذ عنه، بل ما كان يحضر إلا

عند الخاصة منهم، ويَصرف الوقت الباقي في مكتبة الأزهر، أو في المكتبات مطَّلِعًا على الإصدارات الجديدة، أو لزيارة العلماء في بيوتهم وشدِّ الرحلة إليهم لاستجازتِهم والسماع منهم، أو في غيرِ هذا مما يَقضي فيه الغريبُ وقتَه في بلاد الغُربة مِنَ التجوال والفُسحةِ.

بل كان بعضُ الشيوخ العلماء يحضرون لبيته للاستفسار والمذاكرة في العلوم التي لا يتقِنونها.

وهنا يظهرُ تصديقُ كرامة والده السيد الإمام رضي الله عنه، الذي قال له عندما رأى منه إلحاحه وحِرصه على الالتحاق بالأزهر: «أحبُّ أنْ تذهَبَ إلى الأزهرِ عالِمًا يحتاجُ إليكَ علماءُ مِصر». وكان الأمرُ كذلك.

أخبر عن أمثلة ذلك في ترجمته الملحقة بكتابه "بِدَع التّفاسير"، حيث قال في معرض ذِكر شيوخه: «والشيخ محمد الخضر حسين، شيخ جامع الأزهر، ورئيس جمعية الهداية الإسلامية، وكان يزورني بالبيتِ، ويسألُنِي عن أحاديث يحتاجُ إليها في مواضع يكتبُ فيها». وغير هذا من الأخبار الدالة على الاعتراف بعلمه واطلاعه الكبير.

ثم نال شهادة العالِمية الأزهرية بتفوُّقٍ، حيث كان المتقدِّمون للامتحان ستة وثمانين ومائتين، لم ينجح منهم إلا سِتة، كان شيخُنا السيد عبدالله أحدَهم، وحصل على الشهادة وهي ممضاةٌ باسمِ الملك فاروق.

والامتحان لنيل هذه الشهادة يكون في العلوم السابقة التي نال بها شهادة الغرباء، يُضاف إليها عِلم الوضعِ، وعِلمَ العَروض والقَوافي، وعِلم الأخلاق.

وكان نجاحُه باستحقاقٍ، خاطبه على إثره رئيس لجنة الامتحان الشيخ

محمد زغلول، وقد أبهرته أجوبته وصِغر سنِّه: «مبروك يا علَّامة».

وكان أول مَنْ هنَّأه بنَيلِه هذه الشهادة، شيخه فضيلة العلَّامة المطلِّع محمد زاهد الكوثري رحمه الله، قال السيد عبدالله: «ورأىٰ المرحومُ الكوثري اسمي في جريدة الأهرام، فأسرع إلىٰ بيتي بِسُوقِ السِّلاح، وكان أولَ مَنْ هنَّأني بالنجاح».

كذلك هنّأه وكيل كلية الشريعة الشيخ محمود شلتوت وقال له وللحاضرين في بيته: «نحن نهنِّيء الأزهر والشهادة الأزهرية بحصول الشيخ عبدالله عليها».

وهذا الإطراء المنصف والثناء الجميل من الشيوخ عليه لم يكن للمجاملة والمصانعة، بل اعترافًا وإذعانًا للحقيقة التي لمسها أهل العِلم بمصر في الشيخ رحمه الله، وأنه جاء إليهم من المغرب عالمًا مبرِّزًا في العلوم.

وإليك أيها القارىء الكريم صورًا من هذا التبجيل الذي حظيَ به السيد عبدالله بن الصديق رحمه الله من كبار علماء العصر وقتئذٍ، يخبرنا عن ذلك في ترجمته لنفسه فيقول:

«تعرَّفتُ بالأستاذ العلامة المطَّلع البارع الشيخ محمد زاهد الكوثري رحمه الله، فتوطدت بيننا أواصر المودة والصداقة، وكان يسألني عن بعض الأحاديث التي يُسأل هو عنها، وكنَّا مرةً عند فضيلة المرحوم الشيخ يوسف الدّجوي بِعِزْبة النخلِ، وكان المجلس غاصًّا بالعلماء وغيرِهم، وهو يتكلم في مسائل علمية متنوعةٍ، فوجه إليه أحد الحاضرين سؤالًا عن حديثٍ، فوجَّه السؤالَ إليَّ، وقال: لا يُفتىٰ ومالك في المدينة؛ واستجازني وألحَّ عليَّ أنْ أُجِيزَ له، بل بلغ

مِنْ وثوقِه بِعلمي أنه نشر مقالًا بمجلة الإسلام يُقرِّظ فيه كتابي "إقامة البرهان على نزول عيسى آخر الزمان" الذي رددت به على الشيخ محمود شلتوت قبل أن يراه؛ مع أنه كان ضنينًا جدًا بالتقريظ».

وبعد حصوله على شهادة العالمية، مرَّ بمصر في طريقه إلى الحجاز العلامة المسند السيد عبدالحي الكتاني رحمه الله، فزاره شيخنا السيد عبدالله قال: «وهنَّأني بالحصول على شهادة العالمية، وأبدَى اعجابَه ببحوثي، وقال: نحنُ نَفخَرُ بما تكتُبه».

وقد كانت مقالاتُه على صفحات "مجلة الإسلام" تلقَى صدىً واسِعًا بين الأوساطِ العلميةِ، وإقبالًا لا نظيرَ له من أهل العِلمِ وشيوخ الأزهر، وقد كانت مقالاته بطلبٍ من إدارتها، وكانت جلُّها بحوثًا حديثيةً نفيسةً، أُعْجِبَ بها من قرأها إعجابًا كبيرًا، بل طلب قراؤها من الشام والبحرين، والسودان، والمغرب والجزائر، الاستزادة منها.

أخبرني سيدي الوالد رحمه الله تعالى ورضي عنه، أنَّ الأهالي في مدينة طنجة كانوا يتطلعون إلى هذه المجلة التي كانت تصل بأعداد قليلةٍ، وكان السيد الوالد الإمام رضي الله عنه من المتَتبِّعِين لِما يكتبه نجلُه السيد عبدالله، فيَفخرُ بكتاباته، ويكتبُ له مهنِّئًا إياه على إتقانِه وحسنِ رصفِه الجواب في المسائل الحديثية والفقهية، وإن كان أحيانًا لا يوافِقه في مسائل.

وثناء شيوخ مصر وغيرهم على علمه، سبَقَه مديحُ شيوخه في المغرب، فكانوا يُثنون على عِلمه وعلمِ والده الإمام، فعِندما تقدَّم لنيل الشهادة العالمية الأزهرية، علَّق شيخ الأزهر محمد مصطفى المراغي قَبولَ ترشيحه على الإتيان

بشهادة من معهد رسميٍّ، تُثْبِت أنَّه تابَع فيه دراستَه مِنْ عدةِ سنواتٍ، لِتكتمِلَ بها المدة القانونية التي تُخَوِّلُ للطالب حق اجتياز امتحان العالمِية، فراسلَ الشيخُ رحمه الله في هذا الصدد شيخَ الجماعة بالقرويين بفاس، الذي تردَّد أول وهلةٍ ثم وافق لمَّا قال له العلامة المفتي، القاضي، الشيخ العباس بناني: «أجِبْ طلَبَ سيدي عبدالله، فليس عندك أعلم منه ولا مِثله».

كان ظهوره العلمي البارز في بلاد مصر دافعًا لكثيرٍ مِنَ الطلبةِ من مختلف البلاد، من الشام والحجاز، واليمن والحبشة، والسودان، وشمال إفريقيا، وغيرها من بلاد العرب والعجم، لأنْ يَطلبُوا منه تدريسَ بعض العُلوم لهم، فدرَّس لهم "المَكودي على الألفية"، وذكر رحمه الله أنه أول مَنْ درَّسه بالأزهر، ودرَّس لهم "الجوهر المكنون" في البلاغةِ، و"السلَّم" في المنطق بشرح البناني، و"سلم الوصول إلى علم الأصول" لابن أبي حجابٍ، و"جمع الجوامع"، بالرواق العباسي بين العشائين، فختمه في أربعَ سنواتٍ.

وأخبر رحمه الله أنَّ كلَّ من قرأ معه مواد الامتحان أو ذاكَرَ له مِنْ طلبة القسم العالي المصريِّين وغيرهِم نجحوا، وتولوا في بلادهم وظائف كبيرة.

مذهبه الفقهي:

كان السيِّد عبدالله رضي الله عنه مالِكيَّ المذهبِ، أوَّل نشأتِه العِلمية، وذلك لأنَّه نشأ في مجتمعٍ مالِكيٍّ، وكان والدُه الإمام سيدي محمد بن الصديق رضي الله عنه إمامًا بارعًا في الفقه المالكي، يُحيط بقواعده ومسائله الخفية والجليَّةِ، والقوانين التي قنَّنها المالكية في هذا الباب واختصَّ بها الفقهاء المغاربة دون غيرهم، وتوسَّع فِيها المتأخرون، وتخرَّج به جماعةٌ مِنْ أهل العِلم، مُدرِّسِين

وقُضاة، ذَكَر هذا غيرُ واحدٍ ممَّن تَرجم له.

فدَرَسَ السيد عبدالله على والِده رضي الله عنه في الفقه المالكي "رسالةَ ابنِ أبي زيدٍ القيرواني"، الملَقَّب بِمالِكٍ الصغير، بشرْحِ أبي الحَسنِ عليٍّ بن محمد المَنُوفِي المصري المعروف بالشاذلي، وأيضًا "مختَصَر الشيخ خليل".

وعندما رحل إلى فاس، دَرَس في جامع القرويين "مختصر خليل" على العلامة الحَسِيب السيد الحَبِيب المُهاجِي بِشرح الخرْشي، وبِنَفس الشرح أيضًا على العلامة الشيخ محمد بن الحاج، وكذلك قرأ باب الجنايات والقصاص من "المختصر" وبنفس الشرح على العلامة المحقِّق السيد أحمد القادِري، وحضره أيضًا على إمام جامع القرويِّين العلامة السيد إدريس المراكشي، والعلامة الشيخ محمد الصنهاجي؛ وقرأ مواضع من هذا الشرح على الشيخ البركة السيد أحمد بن الجِيلانِي الأمْغَاري؛ وحضره بشرح العلامة الدَّردِير مِنْ باب الإجارة إلى الآخر على العلامة القاضي الشيخ عبدالرحمن القُرشِي؛ ومواضعَ منه بِشرْحِ الشيخ عبدالباقي الزُّرقاني على شيخ الجماعة العلامة الأصولي المحقِّق السيد عبدالله الفضيلِي؛ وقرأ فرائض "المختَصَر" بشرح الخرْشِي وحاشية شيخ الجماعة السيد أحمد بن الخياط على العلامة الشيخ أبِي الشتاء الصِّنهاجي؛ وقرأ قِسم التوحيد من منظومة ابن عاشر، على العلامة المحقق القاضي العبّاس بن أبِي بكر بنَّانِي.

فكانت دراسته الفقهية في هذه المرحلة مقتصرةً على فِقه المالكيةِ، لكون مذهب مالك هو مذهب أهل المغرب، ولكونِه هو الفقه المدرَّس في القرويِّين لا يدَرَّس فقهُ مذهبٍ آخر غيره؛ فأتقَنه رحمه الله وأحاطَ بهِ، بِشهادة شيوخه

الذين درَّسوه.

وعندما رجع مِن فاس إلى مسقِط رأسه، شرع في تدريس الفقه المالكي لِبعضِ نجباء طلبة العلم وإخوانه في الزاوية الصديقية، فدرَّس لهم "رسالة ابنِ أبي زيدٍ القيرواني" بشرح أبي الحسن.

وبهذا يتَجلَّى مدَى تعمُّقه في الفقه المالِكي، بدأ بتدريسه وهو لا زال شابًا لم يَبلغْ عقْدَه الثاني، يقرِّر ويستذكر ما رسخ في ذهنه مما تلقاه عن شيوخه رحمهم الله جميعًا.

غيرَ أنه رحمه الله تعالى لم يكن في تصنيفِه الفِقهي وفي فتاويه مقلِّدًا فِيما يَذهبُ إليه ويُرجِّحه، أو مجرَّد مستظهرٍ للنصوص ساردٍ لِلمتُون يُسوِّد بِذِكرِها الأوراق، ويأخذ منها لِتأييدِ المسألة التي يُؤلِّف فِيها أو فَتاويه، كأن يقول: قال فلان، وحكى فلانٌ، وهذا ما ذهب إليه فلان..كما هو الحال في تآليف جلِّ الفقهاء المالكية قديمًا، أو مَنْ نحا منحاهم في عصرِه، بل يقِف على أدلة المسائل الفقهية، وأصولها، ويناقش الآراء، ويَردُّ ويُصوِّب، ويُعمِل القواعدَ الأصولية.

وقد عاب هو نفسُه رحمه الله تعالى على أهلِ هذا المنهج في بعضِ المواضع مِنْ كِتاباتِه، منها ما سطَّره في ما قدَّمَ به لِكتاب شقِيقِه الأصغر، العلامة المحدِّث، سيدي الوالد، السيد عبدالعزيز بن الصدِّيق رحمه الله، الذي شرَح فيه "متن العشماوية"، والمسمَّى: "إتحافُ ذوِي الهِمَمِ العالية بِشرْحِ العَشماوية" قال رحمه الله منتقِدًا مسلَكَ المالكية في تناولهم لمصنفاتهم ومتونهم الفقهية بالشرح:

«لكن مع ذلك لم نجِدْ واحِدًا مِنهم اتَّجه إلَى تدليل أحكامه، وتعليلِ مسائله، بل ساروا على نهجهم الذي انفردوا به دون سائر المذاهب مِنْ ذِكر

الأحكام مجرَّدة عن دليلها، والاقتصار على استظهار ابنِ رشدٍ، وترجيحِ ابن يونس، وتَشهِير ابنِ أبِي زَمَنين، فإنْ ذَكر أحدُهُم في مسألةٍ قولَ ابنِ القاسمِ، أو تَرقَّى إلى نقْلِ قولِ الإمام، رأى أنه أتَى بما لم يأتِ به غيرُه مِنَ الأنام!! وهذا - كما ترى- لا يكفي في ميدان الحِجاج والاستدلال، لأنَّ الإمامَ وإنْ كان عالِمَ الحِجاز وشيخ السُّنة بدون منازعٍ لا تكون أقواله واجتهاداتُه حُجَّةً إلَّا إذا عُرِف دليلُها، وصحَّ في النظر تعليلُها، والإمام نفسُه رضي الله عنه كان يقول وهو يشير إلى الحُجرة الشريفة : كلُّ كلامٍ يؤخذُ منه ويُردُّ إلا كلام صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم ».

ثم قال مادحًا شرْحَ السيد الوالدِ: «وهذا الشرح الذي نقدِّمه اليوم وافٍ بهذا المقصد، زعيمٌ بتحقيقه، كتبه شقيقنا الأصغر العلامة السيد عبدالعزيز بن الصديق.. وهو ثاني كتابٍ في هذا الباب بعد كتاب "مسالك الدلالة في شرح متن الرسالة" لِشقِيقِنا الأكبر الحافظ أبِي الفَيض، ولعَلَّنا نكون نحن آل الصدِّيق خدَمْنا مذهبَ الإمام مالكٍ خدمةً لا تجد لها نظيرًا إلا في كتب المتقدمين، كابن عبدالبرِّ، والباجي، وابنِ رشدٍ، والقاضي عبدالوهاب. ولعلَّ في عملِنا هذا ما يُحَفِّزُ مالكيةَ العصر إلى نفْضِ غُبار التقليدِ البحْتِ عن آذانِهم، والمشيِ في رَكبِ العلماءِ أهلِ الاستدلال والاحتجاج».

غير أنَّه رحمه الله تعالى لَمَّا رحل إلى مصر، أوصاه والدُه الإمام أنْ يَقرأ فِقهَ الإمام الشافعي رضي الله عنه، فقرأ شرح الخطيب لِمتن أبِي شُجاع، على الشيخ عبدالمجيد الشرقاوي، وكان يُتقِن فقه الشافعية إتقانًا ما عليه مزيدٌ، كما وصفه بذلك السيد عبدالله رحمه الله.

وقرأ الربع الأول من "المنهاج" بشرح الشيخ زكريا الأنصاري، و"حاشية البجيرمي" على الشيخ محمد عِزَّت، قال عنه رحمه الله: «وهو متينٌ في الفِقه الشافعي جدًّا».

وحضر دروسًا مِنْ شَرْحِ "الهداية" في الفقه الحَنَفِي على مفتي الديار المصرية وشيخ علمائها الشيخ محمد بَخِيت المُطِيعِي الحنَفِي.

وفي هذه الموسوعة التي بين يديك، يوجد مِنَ الأجزاء الفقهية التي صنَّفها رحمه الله، ما يَبرُزُ فيها بوضوحٍ منهجه في التأليف الفقهي، وفي تحريره للفتاوى، نائِيًا فيه تمامًا عن التقليد والتعصُّبِ لِلأقوال بِدون أدلَّتِها الأصلية.

أما في الحديث الشريف، فله فيه باعٌ عميقٌ، والفضلُ في وصوله لهذا الباع يعود لشيخه وشقيقه الحافظ السيد أحمد بن الصديق، وذلك أنه رأى منه ميلًا كبيرًا للعلوم العقلية، ذكر ذلك حين ترجم له في "سبحة العقيق" فقال في (ل:٣٨٣) منه:

«وكان ميّالًا بطبعِه إلى المعقولاتِ غير ملتفتٍ إلى الحديث وفنونه، وكنتُ أدعوه إلى الاشتغال به المدَّة بعد الأخرى، وأقول له: إنَّ النحوَ وغيره من الآلاتُ لم تُقْصد لذاتِها، وإنما وُضعت للتوصل بها إلى المقصود الأهم وهو علم الكتاب والسنة؛ ثم المشتغلون بها في الدنيا لا يحصون بل لا يوجد غالبًا إلا من يشتغل بهذه العلوم، وأما السنة النبوية فعلماؤها أقل من القليل.. إلى أن سافر معي إلى القاهرة ولازمني تلك المدة الطويلة، فكانت سببَ إقبالِه على الحديث وصرْفِ وجهتِه إليه.. وصار يكتب فيه المقالات المتعددة في "مجلة الإسلام" وغيرها، وتدرَّب بكتبي وأجوبتي وملازمتي في معرفة رجال الحديث

وصناعته، مع ذكائه وسرعة إدراكه...» إلخ.

أصبح مقصد أهل العلم في معرفة الحديث وفنونه لخبرتِه التامة بها، فألَّف رحمه الله في فنون حديثية مهمة، فصنَّف في التخريج، وفي الأحاديث الشاذة، وفي التصحيح والتضعيف، وصحَّح اصطلاحَ بعض أهل الاصطلاح في معنىٰ علم الحديث رواية ودرايةً، إلىٰ غير هذا.

كما له مقالات حديثية كثيرة، مهمة ونفيسة أغلبها نُشر علىٰ صفحات "مجلة الإسلام"، كما ساهَم مساهمة علمية في التحقيق والتعليق علىٰ بعض المصنفات الحديثية: ككتاب "أخلاق النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم" لأبي الشيخ، وكتاب "إعجاز القرآن" للخطابي، و"المقاصد الحسنة" للحافظ السخاوي، و"تنزيه الشريعة المرفوعة" لابن عراق، و"شرح الأمير علىٰ مختصر خليل" في فقه المالكية، وغير هذا من التحقيقات العلمية.

ولا ننْسَىٰ أيضًا تحقيقه للجزء السابع من "التمهيد" لابن عبدالبرِّ رحمه الله، تحقيقًا علميًا قدم به خدمة جليلة تليق بمقام الإمام مالك رحمه الله.

وقد طُبِعت هذه التحقيقات مختصرة، مع الأسف، وضيَّعت الجهة الناشرة علىٰ القراء فوائد جمَّة.

ثم وقف رحمه الله علىٰ أخطاء علمية كثيرة، في الأجزاء الثلاثة الأولىٰ المطبوعة، فاستدرك تصويبها في جزء مستقلٍ هو "تنبيه الباحث المستفيد إلىٰ ما في الأجزاء المطبوعة من التمهيد"، مع مقدمة جليلة.

وله منهج في التحقيق والتعليق علىٰ الكتب يختلف عن تحقيقات المعاصرين، فهو لا يزيد علىٰ ضبط النصِّ وبيان موضع التصحيف، مع ذِكره

للتصويب، وإذا احتاج شيْء للبيان والتوضيح، فإنه يقف موجزًا الكلام في ذلك إكمالًا للفائدة العلمية، وحتىٰ لا يقع القارىء في التشويش خصوصًا إذا كان التعليق أو التحقيق طويلًا، يأخذ الصفحة والصفحتين والثلاث، كما يفعل الكثيرون ممن يشتغل في هذا المجال.

ولا ننسىٰ ما قام به رحمه الله تعالىٰ من عنايةٍ علميةٍ جليلة للفقه الزيدي، إذ قام بالإشراف علىٰ إخراج كتابٍ مهمٍّ في الفقه الزيدي، وهو كتاب "البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار" للإمام أحمد بن يحيىٰ بن المرتضىٰ المتوفىٰ سنة ٨٤٠ ومعه كتاب "جواهر الأخبار والآثار المستخرجة من لُجَّة البحر الزخار" للعلامة محمد بن يحيىٰ بَهْران الصَّعدي المتوفىٰ سنة ٩٥٧ فقدَّم لهذا الكتاب النفيس بمعية أحدهم بمقدمة جامعةٍ في بابها.

كانت حياة العلامة السيد عبدالله بن الصديق رحمه الله شُعلة نشاطٍ، لا همَّ له في هذه الدنيا إلا الكتابة والقراءة، والتحقيق، بل جعل مورد عيشه ما يأخذه من أجرٍ زهيدٍ علىٰ تحقيقاته وتعليقاته للكتب، ولا زلتُ أحتفظ بمذكرته الخاصة التي كان يسجل فيها ما يأخذه من أجرٍ زهيدٍ يستعين به علىٰ لأواء العيش في الغربة، ويتقوىٰ به علىٰ الحاجة والخصاصة.

وكان المنزل الذي يقيم فيه لا تهدأ الحركة منه أبدًا، حدثني عمِّي العلامة الأصولي السيد عبدالحي وكذلك سيدي الوالد رحمهما الله، أن محلَّ إقامتهم في القاهرة كان معروفًا لأهل الأزهر طلبة وشيوخًا، فالطلبة كانوا يأتون عند السيد عبدالله ليقرأ لهم، أو يستفسرونه في أمور العلم، وكذلك الشيوخ والعلماء كانوا يفِدون في ساعةٍ خاصة بعد صلاة العشاء للسمر العلمي،

والاستفادة وتثوير العِلم منه ويستمر هذا السمر أحيانًا إلى قُبيل الفجر.

هذا ويشهد للسيد عبدالله مشاركات في جمعيات مختلفة، يلقي لهم محاضرات ودروس علمية، ويستشيرونه في قضايا علمية وفقهية.

فقد كان الشيخ حسن البنا رحمه الله مؤسس حركة الإخوان المسلمين يفِد عليه للاستفادة، وقَبله والده الشيخ أحمد البنا الذي استعان بالسيد عبدالله رحمه الله في الترتيب الذي وضعه لـ"مسنَدِ الإمام أحمد بن حنبل".

عمومًا عرفت هذه الفترة من عمر السيد عبدالله رحمه الله في مصر ازدهارًا علميًا وفكريًا كبيرًا، بلغ صيته لبلدان بعيدةٍ، وأصبح مقصدًا للعلم في مصر، وأمسى بيتُه مع حاجتِه مأوىً للطلبة يستفيدون من كرمه ومن علمه، كما فعل بعض المغاربة عندما قصدوا مصر للقراءة.

لكن شاءت الأقدار الإلهية أنْ يكون ظلمُ وطغيان الحاكم جمال عبدالناصر، حاجزًا عن استمرار هذا النشاط العلمي أو حادًّا لقوته، حيث سُجن ظلمًا وافتروا عليه كما افتروا على الدعاةِ الكثيرين الذين زُجَّ بهم في السجون الناصرية، فقضوا رحمهم الله تعالى شهداء مغيبين في ظلماتها.

غير أن قدر شيخنا رحمه الله تعالى كان أخف، إذ حكم عليه قاضٍ قبطيٌّ بالإعدام شنقًا لتهمةٍ باطلةٍ ملفَّقةٍ فكانت الألطاف الإلهية مُدركةً له حيث لم ينفذ حكمِ الإعدام، بل تحقق ما نطق به شيخنا السيد عبدالله رحمه الله من كلام وجَّهه للقاضي في محكمته الجائرة الغاشمة: «أنا لن أموت، بل أنت الذي ستموت»، وفعلًا بعد أشهر أربعة أو ستة انتحر ذلك القاضي الظالم بأن ألقى نفسه من الطابق الرابع من العمارة التي كان يسكنها!!

وهذا أيضًا تصديق لكرامة وفراسة والده الإمام القطب رضي الله عنه، حيثُ شكَت إليه زوجته على مائدة الطعام علَّة ولدها السيد عبدالله، وكان كثير العلل في صباه، فتطلع إليه وقال لها: «لا تخافي سيكون بخير وسيكون له شأنٌ، وستَقع له مِحنة سينجو منها بفضل الله»وكأنه يطمئنها، فتحققت فراسته رضي الله عنها، ولعل السيد عبدالله رحمه الله كان ذاكرها يوم واجه بها القاضي، لأنه كان مؤمنًا بصدق كرامة والده وولايته رضي الله عنه.

وبقي في السجن سنين طويلة نافت على إحدى عشر سنةً، حتى جاءه الفرجُ بعد وفاة الطاغية جمال، بشفاعة ملك المغرب جلالة الحسن الثاني رحمه الله، وهذه مِنْ أعظم مكرماته على العلم والعلماء، ونسألُ اللهَ تعالى أن يجعل هذه المكرمة العظيمة من جلائل الأعمال التي يلقى بها وجه الله تعالى، ومن نفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفَّس الله عنه كربةً مِنْ كُربِ الآخرة، كما أخبر بذلك مولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وبعد الإفراج عنه عاد إلى مسقط رأسه بعد أن غاب عنه مدة تزيد على الأربعين سنة، فاستقبلته طنجة استقبالًا عظيمًا وهبَّ الأهالي للقائه والتبرك به وتقبيل يده، لكثرة ما سمعوا عنه، وغصت الزاوية الصديقية بالحضور من كل المدن والقرى للترحيب بعودته الميمونة.

فاستقر بالزاوية واستأنف نشاط التدرَيس فدرس للطلبة "نيل الأوطار" و"تفسير النسفي" و"سنن الترمذي" وغيرها من الكتب والمصنفات، ورحل للحج والعمرة، ورحل لبلدانٍ كثيرة بطلبٍ من أهالي العلم فيها.

وبقي على حاله هذا حتى سقط مريضًا، ودخل في غيبوبة لزمته شهرًا،

ليلاقي وجه ربه الكريم عصر يوم الخميس ١٩ شعبان ١٤١٣هـ بإحدىٰ مصحات طنجة، وصُلِّي عليه ظهر الجمعة ٢٠ شعبان، وقد أمَّ الصلاة عليه شقيقه الأصغر والدي السيد عبدالعزيز وكبَّر عليه سبعًا في المسجد الأعظم لينقل جثمانه الطاهر لجوار والديه رضي الله عنهم جميعًا، في موكبٍ مهيبٍ خاشع، ذرفت فيه العيون، وعمته الكآبة والحزن والأسىٰ، لفراق هذا العلم الشامخ، والطود الكبير في العلم والمعرفة والزهد، فجزاه الله عما بذله في خدمة الدين والمسلمين خير الجزاء.

وهذا غيضٌ من فيضٍ في أخبار شيخنا ومولانا السيد عبدالله بن الصديق، ومناقبه وعلمه. أسأل الله تعالىٰ أن ينفعنا بما علمنا، آمين.

ولتكن هذه الطبعة هي الوحيدة الشرعية بعدما أغار البعض علىٰ مصنفات عمنا العلامة المحقق السيد عبدالله بن الصديق الغماري الحسني رحمه الله، فقاموا بالتصرف في النص حينًا، أو علَّقوا علىٰ الكتاب تعليقات لا توافق الكتاب حينًا أخرىٰ، أو طبعوا طبعات متدنية تفتقر إلىٰ التصحيح والترقيم، فيخرج الكتاب في صورة مشوهة، فارتأينا أنَّ هذا الجمع في صعيدٍ واحدٍ له مزايا مُتعدِّدة، والله مِن وراء القصد.

وكتبه الراجي عفو ربه:

عبدالمنعم بن عبدالعزيز بن الصِّدِّيق

استِهلالٌ بقَلم فَضِيلة الشَّيخِ
مُحمَّد فؤاد بن كَمَالِ الدِّين الشافعي

الحمدُ لله ربِّ العَالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ سيدِّنا محمَّدٍ وعلىٰ آله، والَّلهم ارضَ عن سادتِنا الصَّحابةِ والتَّابعين لهم بإحسانٍ. وبعدُ:

فإنَّ اللهَ تَعالىٰ قد قال في كتابهِ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]. والعلماءُ مراتبٌ ودرجاتٌ، ومن أجلِّهم في عصرِنا العَلَّامة الكَبير السَّيد عبدالله بن الصِّدِّيق الغُماري الحَسَني الأزهري المولود سنة ١٣٢٨ والمتوفَّىٰ سنة ١٤٢٣ رحمه الله رحمة واسعة. وهو من الأشراف الصِّدِّيقيين بالمغربِ الذين عُرِفوا بالعِلْمِ والانتصار للتَّصوُّفِ، وانتَشرتْ مُصنَّفَاتهم شرقًا وغربًا، واستفادَ أهلُ العلمِ منها .

وجمعُ مصنَّفات السَّيد العلَّامة عبدالله بن الصِّدِّيق الحسني رحمه الله تعالىٰ غايةٌ في الحُسنِ، فَتُفْرَدُ في مكانٍ واحدٍ بعد أنْ تُصَحَّحَ تصحيحًا جيِّدًا، فإنَّ بعضَ النَّاس تهافتوا عليها وطبعوها طبعاتٍ غير لائقةٍ.

فبينَ يدي أهل العَلمِ والبَاحثين «موسوعة» الإمام المُفَسِّرِ الفَقيه الحَافظ السَّيد عبدالله بن الصِّدِّيق الغُماريِّ الحَسَنيِّ رحمه الله تعالىٰ، وهي «موسوعةٌ» علميةٌ لأنَّها تجوَّلت في شتَّىٰ الفنونِ ما بين القرآن الكَريمِ وعلومه، والحديث الشَّريف روايةً ودرايةً، والفقه وأصوله، والعَقَائد الإسلامية، والتَّصوف السُّني البَعيد عما يشوبه من مخالفاتٍ، والنَّحو، والمَنْطق، ومتنوِّعات من المقالاتِ والفتاوىٰ والمُبَاحثات العلميَّة.

وتتميَّزُ هذه «الموسوعة» بمميِّزاتٍ كثيرة منها: قوة التَّقعيد العلميِّ، وتوفر

مادَّتها بدون إسهابٍ أو خروج عن المقصود، وتفاعلها مع عصرها، لذلك تجد فيها مناقشات كثيرة، مع المُتَشَدِّدين من التَّكفيرين الَّذين ابْتُلِيت بهم الأمَّة الإسلامية أخيرًا، وقد تعقَّبَهم إمامُنا، وبيَّن أخطاءهم، وصحَّة أعمال أهل السُّنَّة والجَماعة .

وفي "الموسوعة" مطارحاتٌ ومساجلاتٌ علميةٌ لا يقومُ بها إلا أعيان العلماء المُتَضَلِّعين من علوم الشَّريعة الإسلامية وآلاتها.

وصاحبُ «الموسوعة» قويُّ العَرْضِ، واضحُ الحُجَّةِ، سهلُ الأخذِ، متفنِّنٌ مُحقِّقٌ في عِدَّةِ فُنونٍ، فهو ينقلُك من جنَّةٍ إلى أخرى، ومن بحثٍ إلى تحقيقٍ، ومن فنٍّ إلى آخر، عاشَ للعلمِ وخَدَمَهُ سبعينَ سنةً مُتعلِّمًا ومُعلِّمًا ومُصنِّفًا.

وقد كان للعلَّامة السيِّد عبدالله بن الصِّدِّيق رحمه الله تعالى صلات وثيقة بعلمائنا وطلبة العلم من الشرق (إندونيسيا، ماليزيا، بلاد الفاطان) فكثير منهم درسوا عليه بالأزهر الشريف، وقد استجازه مسند العصر شيخ مشايخنا العلامة محمد يا سين بن محمد عيسى الفاداني المكي رحمه الله، فأجازه السيِّد عبدالله، وطبع العلامة الفاداني هذه الإجازة ضمن كتابه "الروض النضير" المطبوع. وفي سنة ١٤٠١ حجَّ واعتمر السيِّد عبدالله وشقيقه المحدِّث الصوفي السيِّد عبدالعزيز، ونَزَلا في مدرسة دار العلوم الدِّينية بمكَّة المكرَّمة، وكان مديرها العلامة الفاداني، وعُقدت مجالس عِلميَّة وأقيمت مجالس الذِّكر والتذكير، ويمكن أن يقال: إنه ما من عالمٍ أو طالب علمٍ إلَّا استجاز في المسلسلات من العالِـمَين الجليلين، ثُمَّ حَجَّ ثانية سنة ١٤٠٤ وتكرَّر النزول والاحتفال، وفي سنة ١٤٠٩، قرأ الطلبة "سنن أبي داود" على العلامة الفاداني،

وعمل العلامة محمد ياسين الفاداني مجلسًا كبيرًا في الختم حضره جمعٌ كبيرٌ في مقدِّمتهم العلَّامة السيِّد عبدالله بن الصِّدِّيق الغُماريُّ، ومعه كثيرون من العلماء في مقدِّمتهم: العلامة الشيخ زكريا بن عبدالله بيلا، والشيخ العلامة عبدالفتَّاح أبو غدَّة، والمفتي العلامة النفَّاعة إسماعيل عثمان زين، ومفيد الطالبين الشيخ مختار فلمبان، والمسند الحبيب حامد بن علوي الكاف، والفرضي الشيخ عبدالفتاح راوة، والشيخ عبدالسبحان البرماوي، والسيِّد العلامة حسن بن علي السقَّاف، والسيِّد العلامة إبراهيم آل خليفة الإحسائي وغيرهم، وكان القاريء الدكتور أيمن سويد، والقاريء يحيىٰ غوثاني قرَّاء هذا المجلس المشهور، رحم الله من سبق، وبارك فيمن بقي.

وما من طالب علمٍ من بلادنا وسائر الشرق كان في مكة المكرَّمة في هذا العام إلَّا وحضر بعض هذه المجالس، وتشرَّف بالإجازة أو القراءة، أو سماع بعض المسلسلات.

هذا وقد رأت مؤسَّسة الصَّفا أنَّ العنايةَ بهذه «الموسوعة» وتقديمها للأمَّة الإسلامية في هذه الأوقات التي تمرُّ بها من سُبلِ نشر العلم، والرأي السديد البَعيد عن الشذوذ والتَّشدد، ونحن نميل إلىٰ مذهبنا الشافعي، وما خالف المذهب نقدِّره فهو اجتهاد له قيمته، ونظل علىٰ مذهبنا الشافعي.

فهذه «الموسوعة» جديرةٌ بالطبعِ والاقتناءِ والتَّداول وأتوقَّع ألا تخلو منها مكتبة إسلامية عامَّة أو خاصَّة، فرَحِمَ الله عالمنا السَّيد العلَّامة عبدالله بن الصِّدِّيق الغُماريَّ الحسنيَّ وجزاه الله كلَّ خيرٍ.

محمد فؤاد بن كمال الدِّين

مؤسسة الصَّفا - نجري سمبيلان - ماليزيا

مقدمة مشرف العمل

الدكتور محمود سعيد بن محمد ممدوح

الحمدُ لله ربِّ العالمينَ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على سيِّدِنا ومولانا محمَّدٍ وعلى آله الأكرَمِينَ الطَّاهرينَ، ورضي الله عن أصحابه والتابعين وبعد:

فهذا مشروعٌ تاقَتْ نفْسِي له، وتطلَّعتُ إليه وعزَمتُ عليه، ودعوتُ اللهَ تعالى أن يُيسِّرَه، فكانتِ الإجابةُ وحصلَ المقصودُ، فالحمدُ لله الذي بنعمَتِه تَتِمُّ الصَّالحاتُ.

بينَ يدي القارئِ الكريمِ «موسوعة» شيْخِنا وشيخِ مشايخِنا العلَّامةِ المُحقِّقِ المعقُوليِّ المنقُوليِّ المُتفنِّن سيِّدي الشَّريفِ أبي الفضْل عبدِالله بن محمَّدِ بنِ الصِّدِّيق الغُماريِّ الحسنيِّ رحمهُ الله تعالى، ورضِي عنه، وما كانَ لهذا العملِ أنْ يخرجَ إلَّا بالتعاون مع عددٍ من الأفاضل ينبغي أن نخصَّهُم بالشُّكرِ.

يتقدَّمُهم سيِّدي الشَّريف الدكتور عبدُالمنعم ابن شيخِنا العلَّامةِ المُحدِّثِ الصوفيِّ السيِّد عبدِالعزيز بن الصِّدِّيق الغُماريِّ، وشقيقُه الشَّريفُ الأجلّ الصَّادِعُ بالحقِّ الغَيورُ سيِّدي عبدُالمغيثِ بنُ عبدِالعزيزِ بنِ الصِّدِّيق.

ثُمَّ المؤزارةُ والمعاونةُ منْ مُسنِد الشَّرقِ الداعيةِ الإسلاميِّ الأستاذِ الشيخِ محمَّد فؤاد بنِ كمالِ الدِّين الشَّافعيِّ من ولايةِ نجري سمبيلانَ بماليزيا، القائمِ على مؤسَّسة الصَّفا بكليَّاتها ومعاهدِها الشَّرعيةِ بأجنحَتِها العالميَّةِ، والتي تُعتبرُ ركنًا مِنْ أركانِ الدعوةِ الإسلاميَةِ ليسَ في ماليزيا فقطْ بل في الشَّرقِ كلِّه.

وكذا كلّ مَنْ ساعدَ في الصفِّ والتنْضِيد والمراجعةِ والمقابلةِ، وفَّق الله الجميعَ لكلِّ خَيرٍ.

وهذه فوائدُ بينَ يدَي العملِ استَحْسَنْتُ إثباتَها، وبالله تعالى التَّوفيقُ.

الفائدة الأولى

صاحبُ هذه الأعمال هو العلَّامةُ المُتفنِّنُ الجامعُ بينَ المعقولِ والمنقول الشَّريفُ سيِّدي عبدُالله بنُ محمَّدِ بنِ الصِّدِّيقِ بنِ أحمدَ بنِ عبدِالمؤمنِ المؤمنيُّ الغُمَاريُّ الحسنيُّ الإدريسيُّ رحمه الله ورضي عنه.

سَلْ عَنْهُ وانْطِقْ بِهِ وانْظُرْ إليهِ تَجِدْ مِلءَ المَسَامِعِ والأَفْواهِ والمُقَلِ

و«المؤمنيُّ» نسبةً إلى العلَّامةِ الوليِّ الفردِ الشَّريف سيِّدي أحمدَ بنِ عبدِالمؤمنِ الغُمَاريِّ الحسنيِّ توفِّي سنة (١٢٦٢) كان منْ أفرادِ عَصْرِه في العِلمِ والمعرفةِ، علَّامةً في القراءاتِ، وكان وِرْدُه منَ القرآنِ ختمةً، أفردَه حفيدُه الحافظُ السيِّدُ أحمدُ بنُ الصِّديقِ في "المؤْذِنُ بأخبارِ الشيخِ سيدي أحمدِ بنِ عبدالمؤْمِن "، وانظر "سُبْحةُ العَقيق" (ص١٢-٢٥)، و"التصوُّرُ والتَّصدِيق" (ص ١٠-١٥).

وابنُه سيِّدي الصِّدِّيق وُلد سنة (١٢٤٦)، وكان قائمًا على الزَّاويةِ صُوفيًّا ذا كراماتٍ، وذا جاهٍ عظيمٍ بينَ القبائلِ الغُماريَّة، تُوفِّي سنة (١٣٣١).

أمَّا والدُه فهو العارفُ بالله فردُ وقتِه القابضُ على دينِه الإمامُ سيِّدي محمَّدُ ابنُ الصِّدِّيقِ وُلد سنةَ (١٢٩٥) جَدَّدَ اللهُ به وبأبنائِه العلم، وتُوفِّي سنة (١٣٥٤) رضي الله عنه، كانَ علَّامةً مُحقِّقًا وصاحبَ مقاماتٍ وأذواقٍ ومعارفَ وكراماتٍ.

ووالدتُه القانتةُ الذاكرةُ التاليةُ فاطمةُ الزَّهراءُ توفيتْ شهيدةً بجَمْعٍ سنةَ (١٣٤١)، وهي ابنةُ الوليِّ الصَّالحِ الذاكرِ مفيدِ الطَّالبينَ سيِّدي عبدِالحفيظ بنِ العارفِ بالله سيِّدي أحمدَ منْ علماءِ القَرَوِيِّينَ ذي التَّصانيفِ (ت١٢٧٥) ابنِ الإمامِ العارفِ الكبيرِ والمصنِّفِ الشَّهيرِ بركةِ المغربِ مُقَدَّمِ أهلِ الشَّريعَةِ

والحقيقةِ سيِّدي أحمدَ بنِ عَجِيبةَ الحسنيِّ (ت ١٢٢٤) صاحبِ المصنَّفاتِ العديدةِ "التفسير" و" شرحُ الحِكَم" وغيرهما منَ المصنَّفاتِ التي سارتْ بها الرُّكبانُ وتربَّىٰ عليها أهلُ العِرفان.

في هذا البيتِ وُلدَ العلَّامةُ السيِّدُ عبدُالله بنُ الصِّدِّيق في سَلْخِ جُمادىٰ الآخرةِ سنةَ (١٣٢٨)، وهوالابنُ الثاني مِنَ الذكورِ لوالدِه، والذُّكور ثمانيةٌ كان منهُم سبعةٌ منَ العلماءِ، كُلّ فردٍ منهم آيةٌ في نفسِه، وفردٌ في علمِه وحالِه وتقدُّمِه.

فشقيقُه الأكبرُ هو: المجدِّدُ الإمامُ الحافظُ سيِّدي أحمدُ بنُ الصِّدِّيقِ الغُماريُّ، والثالثُ: سيِّدي العلَّامةُ محمَّدُ الزَّمزميُّ (ت ١٤٠٨)، والرابعُ: سيِّدي العلَّامةُ الفقيهُ الأصوليُّ عبدُالحيِّ (ت ١٤١٥)، والخامسُ: سيِّدي العلَّامةُ المُحدِّثُ المفيدُ الصوفيُّ عبدُالعزيز (ت ١٤١٨)، ثُمَّ العلَّامةُ سيِّدي الفقيهُ المفتي الأديبُ الحسنُ (ت١٤٣١)، ثُمَّ السابعُ أصغرُهم سيِّدي العلَّامةُ صدرُ المُحدِّثينَ بالمغربِ بعد إخوانِه الأستاذُ الدكتور إبراهيمُ (ت١٤٢٤).

تجمعُهم أمورٌ كثيرةٌ، لكنْ لكلٍّ منْهم توجُّهُه، واهتمامَاتُه، بحيثُ لا يعدُّ صورةً مكرَّرةً لأحدٍ منْ إخوانِه أو مشايخِه، وتحتاجُ لوقتٍ طويلٍ لاستيعابِ فكرِه وأعمالِه وتميُّزِه .

وكان لهم نشاطٌ عِلميٌّ كبيرٌ امتدَّ إلىٰ جميعِ المراكزِ العلميَّة في العالمِ الإسلاميِّ، وجاءتْ لهم الصَّدارةُ العلميَّةُ بدونَ سعيٍ أو طلبٍ أو مناصبَ، وتركوا أثرًا كبيرًا علىٰ الحياةِ العِلميَّة؛ لأنَّهم كانوا منْ أهلِ الإقبالِ علىٰ الله تعالىٰ والإخلاصِ لدينِه، وكانوا مجدِّدِينَ، سعَوْا إلىٰ الاجتهادِ الذي يُجدِّدُ حياةَ الأُمَّة،

ولم يكونوا نُسخةً منْ أهلِ العلمِ الذين سبقُوهم؛ يُقرِّرُونَ ما في المتنِ وينقلُون وجوهَ المذهبِ ويُعيِّنُون المعتمَدَ، بل كانَ لهم معَ العلمِ شأنٌ آخَرُ، فانظرْ أيَّ مُصنَّفٍ لهم تجدْ فيه الجديدَ، والرأيَ والرأيَ الآخَرَ، والنَّقدَ والاستدلالَ، والاختلافَ وأسبابَه، والاختيارَ والتَّرجيحَ، والجُرْأةَ وعدمَ تهيُّبِ الغَيْرِ، وكلّ ذلك معَ الدَّعوةِ إلى الشَّريعةِ والاستمساكِ بها، وعدمِ الرُّكُونِ للظالمينَ أو الأخْذِ بأسبابِ المَيْلِ لهم، بل الابتعادِ والاستقلال والاكتفاءِ بما أغناهم الله مِنْ فضْلِه، وتركِ النظرِ لحطامِ الدُّنيا أو المغالبةِ عليها، شملَهُم الله جميعًا برحمتِه ومغْفرتِه.

الفائدة الثانية

تلقَّى سيِّدي العلَّامةُ عبدُالله الصِّديق العِلمَ في الزاويةِ الصِّدِّيقيَّة بطنْجَةَ، ثُمَّ رَحَلَ إلى فاس فكَرَعَ وتَضَلَّعَ وفاقَ الأقْرانَ، ثُمَّ رَحَلَ إلى القاهرةَ فالتحقَ بالأزهرِ، وهوَ عالِمٌ من علماءِ القَرَوِيِّينَ، فكان تحصيلُه بالأزهرِ تحصيلَ زيادةِ إتْقانٍ، وإضافةَ معارفَ، فضمَّ لمعرفتِه بالفقهِ المالكيِّ دراستَه لنفسِ المذهبِ وللفقهِ الشَّافعيِّ على علماءِ الأزهر، وحصلَ على عالميةِ الغُرباء مِنَ الأزهر، ثُمَّ حصلَ على الشَّهادةِ العالمية، واشتغلَ بتدريسِ علومِ الآلةِ والمعقولاتِ في الكتبِ الكبارِ حِسْبةً لله تعالى، وكانتْ له عَلاقاتٌ جيِّدةٌ مع الجمعياتِ الإسلاميَّة، وكَتَبَ مقالاتٍ، وألقى محاضراتٍ، وحضر ندواتٍ، وتصدَّرَ للإفتاءِ في حياةِ كبارِ شيوخِه وأقرانِهم منْ علماءِ الأزهرِ وهو دونَ الثلاثين.

ويُعجبُني قولُ الدكتور فاروق حمادة في مقدِّمة كتابه عن السيِّدِ عبدِالله بنِ الصِّدِّيق (ص٥): « لقد تقلَّبَ في أرجاءِ المغربِ طالبًا ثُمَّ ارتحلَ إلى مصرَ، فرسَخَ حتَّى صار حَبْرًا شامخًا، ومثابةً للعلماءِ وطلابِ العلمِ، ومنارًا للحديثِ

والسُّنة عاليًا، ثُمَّ انقلبَ إلى المغربِ إمامًا ناصحًا، مُعلِّمًا هاديًا ومرْجعًا مكينًا، تطيرُ أفكارُه في الأرجاءِ كلَّ مَطارٍ، وتتسابقُ إليه العلماءُ في الأنحاءِ والأقطارِ، فكانت حياته المديدة -أعلى الله مقامه- مَعْلَمًا مِن معالمِ الدِّين وسِجِّلًا حافلًا سَجَّلَ فيه ما تعرضَتْ له الشريعةُ الإسلاميةُ من مواقفِ المؤيِّدينَ، وشبُهاتِ المعارضِينَ والمُتسَلِّلينَ والمُعتَدِينَ الآثِمينَ، وإنَّ أفكارَه وكتبَه كانتْ ولا تزالُ غَضَّةً طَرِيَّةً، في الأجيال ساريةً، وفي حلقاتِ الدُّروسِ حاضرةً مؤثِّرةً».

ومسْردُ حياتِه رضي الله عنه في كتابِه "سبيلُ التوفيقِ"، وكانَ قد انتهى منه سنة (١٤٠٤) وعاشَ بعده أحدَ عشرَ عامًا.

ومِن أهمِّ الأحداثِ في حياتِه بعد "سبيل التوفيق" المرضُ الذي أصابَه في عرفاتٍ منْ نفسِ العامِ، ومن أعراضِه ارتعاشٌ في يده اليُسرى وعدمُ سيطرتِه عليها، وضعْفٌ وهزالٌ، وتطوَّرتْ حالتُه، ولكنَّه لم يكفَّ عنِ استقبالِ ضيوفِه وإجابتِهم على أسئلتِهم، واشتدَّ المرضُ عليه، وصعِدَ إلى الطائرةِ -عند عودتِه- محمولًا على (نقَّالة)، ومِنَ المطارِ أُخِذَ بسيارةِ الإسعافِ إلى المستشفى، وتأثَّر إخوتُه ومُحِبُّوه لمرضِه الشَّديدِ، وظنَّ الكثيرونَ أنَّه مرضُ الموتِ، وكنتُ دائمَ السُّؤال عنه بالهاتِفِ، وكانتْ أيامَ حزنٍ وكرْبٍ، ولم يخامِرْ قلبي شَكٌّ أنَّ هذا مرضَ الوفاةِ، ولكنْ أراد الله أنْ يَشْفيَ شيخَنا منْ مرضِه، وكانتِ المفاجأةُ عند اتِّصالي بالهاتِفِ للاطمئنانِ عليه فردَّ هوَ عليَّ ولله الحمدُ، وكانتْ فرحةً كبيرةً لي، والله يخلقُ ما يشاءُ ويختارُ.

وأقبلَ على نشاطِه العلميِّ بقوَّةٍ، فلم يمْضِ على شفائِه إلَّا أسبوعانِ، وإذا به يخبرُني منِ انتهائِه منْ كتابِ "فتحُ المعينِ بنقْدِ كتابِ الأربعين" نقَدَ فيه كتابَ

"الأربعين في أصول الدين" لأبي إسماعيل الهروِيِّ الحنبليِّ (ت٤٨١)، وكنتُ أعرفُ أنَّه لم يكنْ بدأ الكتابةَ فيه قطّ؛ لأنَّه ما رآه إلَّا في مَوْسِم الحجِّ الذي مرضَ فيه، فلما انتهى شيخُنا منْ نقْدِ الأربعين تولَّى طبعَه صديقُنا العلَّامةُ السيِّد حسن بن عليٍّ السَّقَّاف باعلوي، وهو من تلاميذِ شيخِنا المُحبِّينَ الدَّاعينَ له، ويعجبُني قول المتنبِّي:

كُلُّ يومٍ لكَ احْتِمالٌ جديدٌ ... ومَسِيرٌ للمَجْدِ فيهِ مُقَامُ
وإذا كانتِ النُّفُوسُ كِبارًا ... تَعِبَتْ في مُرادِهَا الأَجْسَامُ

(فائدة): كانتْ للسيِّد عبدِالله عاداتٌ في القراءةِ، فبالإضافةِ إلى أنه كانَ واسعَ الاطِّلاع فقد أخبرَني أنَّه استفادَ جدًّا منَ العملِ في كتابيْه "المهدي" و"نزول عيسى"، وبسببِهما كان يعتكفُ وقتًا طويلًا بدارِ الكتبِ بالقاهرةِ يقرأ في متونِ الأحاديثِ النبويَّةِ الشَّريفةِ، وسألتُه عنْ محفوظاتِه فقالَ منها "الجامعُ الصغيرُ" وقد عزمْتُ على حفظِه فمررْتُ عليه ثلاثَ مرَّاتٍ فحفظتُه.

وكان يقولُ: الحِفظُ نوعان: لفظيٌّ، ومعنويٌّ. ولا يغيبُ عنِّي حديثٌ في الأصولِ الستَّةِ، لفظيٌّ أو معنويٌّ.

الفائدة الثالثة

تميَّز العلَّامة الكبير السيِّد عبدالله بن الصِّدِّيق رحمه الله تعالىٰ بمُمَيِّزاتٍ علميَّةٍ انفردَ بها عن أهلِ عصرِه منها:

١- هو العالِمُ الأوحدُ الذي جمعَ بين الدِّراسةِ في القروِيِّينَ والأزهرِ ونال الشهادةَ العالميةَ الأزهريةَ.

٢- انفرد بالجمعِ بين المعْقُول والمنْقُول فكانَ مُفسِّرًا مُحدِّثًا فقيهًا، واستدعىٰ هذا أن يكون متمكِّنا مُحقِّقًا في علومِ الآلاتِ التي تفوَّق فيها، وكان مُسدَّدًا ومشهورًا بها، فشاركَ كبارَ المُحقِّقين منْ معاصرِيه، وما كانَ عندَه ليسَ عندَهم.

وكان مُقدِّرًا لقيمةِ العلومِ، فلم يتوسَّعْ فيما لا كبيرَ فائدةٍ منْ ورائِه، كالتوسُّعِ في الأسانيدِ والإجازاتِ، أو تتابُعِ القراءةِ في كتبِ الاصْطلاحِ بعيدًا عنِ التَّطبيقِ.

وكان لا يحبُّ المُحدِّثَ الجامدَ، فكانَ داعيةً للمشاركةِ في علومِ الآلةِ والفقْهِ وتدبُّرِ القرآنِ الكريمِ، وتركِ الاقتصارِ علىٰ فنٍّ واحدٍ، ولما كنتُ أسألُه عنْ أهلِ العلمِ كان يقولُ: فلانٌ علَّامةٌ في النَّحوِ والمنْطقِ ،أوالكلامِ، وفلانٌ أصوليٌّ، وفلانٌ مُحدِّثٌ، وآخرُ بحَّاثة، وهذا أديبٌ له مشاركةٌ في التَّاريخِ، فقلتُ لهُ ومَن هو العالِمُ؟ قال لي: هو المجتهدُ أو العالِمُ المتمكِّن منْ آلاتِ العلُومِ، والمشاركُ مشاركةً قويَّةً في أحدِ الفُنونِ الشَّرعيةِ وهي: التفسيرُ أو الفقهُ أو الحديثُ.

وكان له رأيٌ في مُحقِّقي الكتبِ الذينَ يتعرَّضُون لتوثيقِ النُّصوصِ وترجمةِ بعضِ الأعلامِ في الحواشي: فكانَ يقولُ وسمعتُه منه مرَّاتٍ: «فلان كُتُبي نظيفٌ»، وعملُ العالِمِ شيءٌ آخَرُ.

وقال لي غير مرَّةٍ متأثِّرا بما أصابَ المراكزَ العلميَّةَ في العالمِ الاسلامي بعد

سقوطِ الخلافةِ كالقرويين والزَّيتونةِ والأزهرِ وغيرِها: «سُبُل العلمِ انقطَعتْ».

٣- صَنَّفَ حَوَالَيْ مائةِ مُصنَّفٍ في العلومِ الشَّرعيَّةِ وآلاتِها، ومِنْ خصائصِ مُصنَّفاتِه الآتي:

أ- اعتادَ أن يكتبَ كتبَه بأسْلوبٍ عِلْميٍّ، بعيدٍ عنِ اللغْوِ والتَّكرارِ، فيظنُّ القارئُ أنه متنٌ علميٌّ أو أنَّهُ يقرأُ لأحدِ علماءِ القرنِ الثامنِ أو التاسعِ، فيحاولُ شيخُنا دائمًا الوصولَ للمطلوبِ منْ أقصرِ طريقٍ.

وكان لا يحبُّ إثقالَ الحواشي، وإذا كتبَ تعليقًا كانَ كالمسمارِ في السَّاجِ، فما صنَّفه مِن مُصنَّفاته اقتصرَ فيها علىٰ المطلوبِ فحسْبُ، ولا يحبُّ الخروجَ عنِ الموضوعِ.

ولما كتبَ جزءَ "الإحسان في التَّعْقيبِ علىٰ الإتْقان" قلتُ له: يا سيِّدي عبدالله لماذا لم تتوسَّعْ فيه؟ قال: «المهمُّ إثباتُ الرَّدِّ، وقد وضعتُ الأساسَ، ومنْ أراد البناءَ عليه فليفعَلْ». حتىٰ في خطاباتِه كان يميلُ إلىٰ الاختصارِ فيقولُ بعد الدِّيباجةِ «وصَلني خطابُك وعُلِمَ ما به».

ولأنَّ شقيقَه الحافظُ السيِّد أحمدُ كان يحبُّ الإسهابَ فكانَ يطلبُ منْ شقيقِه السيِّد عبدالله الإسهاب ويقولُ إذا كتبَ له -كما حدَّثني شيخُنا مفيدُ المغربِ سيدي عبدالعزيز -: «أرْسِلْ معَ الرَّدِّ الشارِحَ والمُحَشِّي».

ب- تتعدَّد مُصنَّفاتُ العلَّامة السيِّد عبدالله بن الصِّدِّيق في الفنونِ المختلفةِ كالعقائدِ، والتصوُّفِ والنحوِ، والمنطقِ، والأصولِ، والتفسيرِ، والفقهِ، والحديثِ، وكان عرْضُ أفكارِه في كتبِه سهلًا عليه، لكنْ كانتْ الكتابةُ تُتْعِبُه جدًّا، وكانتْ يدُه -كما رأيتُ بنفسي- بطيئةً جدًّا في الكتابةِ.

ج- لم يُصنِّفْ شيخُنا إلَّا لغرَضٍ عارضٍ احتاجَ للتَّصنيفِ في نظرِه،

ولذلك لم يتَّجه للأعمال التَّجميعيَّة، أو البيبوغرافية أو تَكرار ما سبقَ، أو صناعةِ ماعُرِفَ بالمدخلِ لكتابٍ أو فنٍّ، فهذه أعمالٌ يكتبُها المتوسِّطون، وعندما كان يرىٰ أعمالا علميَّةً غيرَ لائقةٍ كان أحيانا يقصُّ حادثةً عرضتْ لعالمٍ كبيرٍ في مصرَ هو العلامةُ اللُّغويُّ محمد محمود بن التلاميد الشنقيطيُّ (ت١٣٢٢) فإنَّ أحدَ المشايخِ الأزهريين أعطاه تصنيفًا ليُقرِّظَه له –وكان ابنُ التلاميد مشهورًا بشدَّتِه وقوتِه في العلمِ– ولم يُعْجبِ ابنَ التلاميدِ هذا التصنيفُ، وأراد أن يعتذرَ اعتذارًا لافِتًا، ففي صباحِ يومٍ صحبَ الشيخُ المُصنِّفُ ابنَ التلاميد إلىٰ دار الكتبِ ببابِ الخلْقِ، وعلىٰ البابِ استدعىٰ ابنُ التلاميدِ الحارسَ وقال له ابنُ التلاميد: ألم تُصنِّف كتابًا؟ قال الحارسُ: لا يامولانا، فقال ابنُ التلاميد: إذا كان الشيخُ طلبَ منِّي تقريظَ كتابِه، فاكتبْ أنتَ كتابًا حتىٰ أقرِّظه لكَ، فانتبَه المُصنِّفُ طالبُ التَّقْريظِ وراجعَ نفسَه واعتذرَ.

(فائدة): قال لي فضيلةُ الأستاذ الشيخُ وهبي سليمان غاوجي الألبانيُّ الحنفيُّ الأزهريُّ رحمه الله تعالىٰ (ت ١٤٣٤): أنتم (قصدني والمعاصرينَ منْ تلاميذِ السيِّدِ عبدالله منَ الذين لم يشهدُوه في الأزهرِ) لا تعرفونَ المكانةَ العلميَّةَ للشيخِ عبدِالله بنِ الصِّدِّيق، فقلتُ له: كيفَ ذلك؟ قال لي: الاختبارُ الشَّفهيُّ في الأزهرِ كان صَعْبًا جدًّا، ويعتمدُ علىٰ طريقةِ التَّعيينِ، فكان الشيخُ يُعيِّنُ لكلِّ طالبٍ أربعةَ أو خمسةَ أسْطرٍ، ويختبرُ الطالبَ فيها في كلِّ علومِ الأزهر من نحوٍ وصرفٍ ووضعٍ ومنطقٍ ومقولاتٍ، وبلاغةٍ بفنونِها الثلاثةِ، وفقهٍ وقواعدَ وأصولٍ، وتفسيرٍ وحديثٍ، فيكونُ الطالبُ مستعدًّا للاجابةِ علىٰ أيِّ فنٍّ في التَّعيينِ، فالاختبارُ لا يقتصرُ علىٰ فنٍّ واحدٍ فقط، وهكذا في كلِّ مادةٍ، وكان الاختبارُ صعبًا جدًّا، وأكثرُ الطلاب يرسُبون فيه إلَّا المتمكِّنَ منَ الآلاتِ

والعلومِ الشرعيةِ، وأكثرُ الشُّيوخِ لا يتمكَّنونَ من مساعدةِ الطلبة؛ لأنَّ هذه المساعدةَ تستلزمُ استحضارَ وفهمَ كلِّ مناهجِ الأزهرِ في مختلفِ المراحل، وكان الشيخُ عبدُالله بنُ الصِّدِّيق أشهرُ عالمٍ في الأزهرِ يحلّ التَّعيينَ في كلِّ الفنونِ، فكان الطلبةُ يلجئُون إليه، لا سيَّما عند توقُّفِ الدِّراسةِ في الصَّيفِ، فكثيرٌ من الطلبةِ يجلسونَ لحل تعيينِ كلِّ المواد على السيد عبدالله بنِ الصِّدِّيقِ رحمه الله تعالى، ومن هنا كان على التَّحقيقِ يكادُ أنْ يكونَ فردًا مُطلقًا في الأزهرِ.

□الفائدة الرابعة

كان شيخُنا -عليه الرحمةُ والرِّضوانُ- زاهِدًا مُتقلِّلًا مُقبِلًا على الله، لا ينظرُ إلى حُطامِ الدنيا ولا يتعلَّقُ أو يُعْجَبُ بها، ولم تَتُقْ نفسُه إلى محاسنِها، بل كان طارحًا للتكلُّف يميلُ إلى اليُسرِ حتَّى في لباسِه، ولم يُزاحِمِ النَّاسَ في دنياهم، فعندما رَجعَ إلى المغربِ كان مُقدم العلماءِ، وتجاوزَهم في جمعِه للعلومِ وتحقيقِه، ومُصنَّفاتِه، وشهاداتِه الأزهريةِ، فكان فرْدًا في المغربِ، ولا نعرفُ أحدًا من أقرانِه فمَنْ فوقَهم جمعَ جمْعَه، وكان يُمكنُ له أن يُدَرِّسَ في أيِّ مكانٍ بجامعاتِ المغربِ وتُفتحُ عليه أبوابُ المحاضراتِ والمؤتمراتِ والمشاركة في المجالسِ العلميَّة، ولكنَّه لم يزاحمْ غيرَه، ولم يسْعَ لوظيفةٍ تُقيِّده وتجعلُه تابعًا لغيره، وكان يحبُّ أنْ يكونَ مستقلًّا غيرَ تابعٍ لأحدٍ.

وهو هنا مُقْتدٍ بأئمَّة الإسلامِ ومنهم: والدُه العارفُ الإمامُ السيِّدُ محمَّدُ بنُ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه، ففي "التَّصَوُّرُ والتَّصدِيقُ" (ص ١٢٢): «وكان يكرَه الوظائفَ الحكوميَّةَ، وينهى عنْها كلَّ مَنْ يُحبُّه، ويأمرُه بالتَّباعدِ منها، والتكسُّب بالحِرفةِ والتِّجارةِ، لا سيِّما خطةُ القضاءِ والشَّهادة».

ولم يكنْ يحبُّ المدحَ الزائدَ -خاصَّةً منَ المتأخِّرينَ- الذي قد يجاوزُ الحدَّ، فكانَ يذكرُ مدحَ التَّاجِ السُّبكيِّ لأبيه التقيِّ السُّبكيِّ ويبتسمُ تعجُّبًا منَ الإفراطِ، وقرأتُ عليه قائمةَ مَن عُدُّوا مِن حُفَّاظٍ ومُحدِّثي الحنفيَّة في مقدِّمة "نَصْبُ الرَّاية" ونبَّهني على المبالغاتِ في المدحِ، ونبَّهني على ألفاظٍ سائدةٍ في بعضِ البلاد: كفقيهِ العصرِ، وإمامِ العصْرِ.

اتخذَ سيِّدي عبدُالله بعد عودته منْ مصرَ مسكنًا له بالدَّورِ العُلويِّ بالزَّاويةِ الصِّدِّيقيةِ، وهو مكانٌ بسيطٌ، وسِعَه معَ زوجتِه المصريَّةِ -رحمها الله تعالى- وكتبِه، وكان ينزلُ للصَّلواتِ الخمسِ ويجلس للتدريس بعد صلاة الصبح، وفي مجلسه بالزاوية يقوم باستقبال الضُّيوفِ ،وعملِ العمارةِ وقراءةِ الحزبِ، ويخطُبُ الجُمُعةَ.

وكانَ منْ عادتِه رضي الله عنه أنْ يكونَ درسُه لخواصِّ طلبةِ العِلمِ بعد صلاةِ الصُّبحِ بالزَّاويةِ، فدرَّس كتبًا منها: "مفتاحُ الوصولِ إلى علمِ الأصُول" و "علومُ البلاغة " للمراغي، و"تفسيرُ النَّسَفيِّ" و"نَيْلُ الأوْطارِ"، و"جمعُ الجوامِع"، و"جامعُ التِّرمذيِّ"، و"البناني على السُّلَّم" في المنطقِ وهذا في الدرسِ العامِّ بعد صلاةِ الصُّبحِ، أمَّا الدُّروسُ الخاصَّةُ، واستقبالُ المستَفْتِين والعلماءِ وطلبةِ العلمِ منَ المغربِ وغيره فكانَ يستغرقُ يومَه.

و إذا سافرَ خارجَ طنْجَة وتنقَّلَ في مُدُنها بينَ تلاميذِه ومُريدِيه كانَ مجلسُه مجلسَ علمٍ، يتصدَّر للتَّدريسِ وإجابةِ المسْتفتينَ والدعوةِ إلى الله، وفي هذه الأثناءِ سافر إلى الحجازِ ومصرَ عدَّةَ مرَّاتٍ ولم تتغيَّرْ سيرتُه، فخُتمَ عليه بالقاهرةِ "صحيحُ البُخاريِّ" كاملًا، ودرَّسَ "الموطأ"، و"الشَّمائلَ المحمَّديةَ" و"اللمع" للشِّيرازيِّ،

وحضرتُ درسيْه في "الموطأ" و"الشَّمائل"، وأتممتُ "الشَّمائل" عليه.

ودعاه علماءُ بكليةِ أصول الدِّين بالأزهرِ فألقىٰ محاضرةً حولَ «الحديثِ الشَّاذِّ عندَ المحدِّثينَ والأصُوليِّين»، ودعانا عقبَ المحاضرةِ لمنزلِه فضيلةُ الأستاذ الشيخُ إسماعيلُ الدِّفْتار في جمْعٍ من علماءِ الكلِّية يتقدَّمهم شيخُ الكلِّية.

ومِنْ زهدِه وعدمِ التفاتِه لمظاهرِ الدنيا أنَّ بعضَ الفقراءِ من المحبِّين لما رأوا كثرة الزائرين للسيِّد عبدالله اقترحَ شراءَ بيْتٍ يجلسُ فيه السيِّدُ عبدُالله ويتولَّوْن خِدْمتَه، ولكنْ رَفَضَ فنزلُوا إلىٰ عرضِ كِراءِ بيتٍ له فرَفَضَ كذلك، وآثرَ سُكْنىٰ الزَّاوية.

الفائدة الخامسة

١ - كانَ للسَّيدِ عبدِالله رغبةٌ في إتمامِ بَعضِ الأعمالِ العِلميَّة، التي بدأها، ثُمَّ انْشَغلَ بغيرها عنها، أو بالتي تَشوَّفَ إليها ولم يبدأ الكتابةَ فيها.

فمِنَ النَّوعِ الأوَّلِ: الكلامُ علىٰ الرُّواةِ الذينَ قال عنهم الحافظُ الهيثميُّ في "مجْمَع الزَّوائد": «لا أعرفُه» أو «لم أجدْه»، أو «لا يُعرَفُ» ونحو ذلك، شَرَع فيه ولم يُكمِلْه.

وذكرَ شقيقُه السيِّد أحمدُ في ترجمتِه للسيِّد عبدالله من "سبْحَةُ العَقِيق" (ل٣٨٤) أنَّ مِنْ مُصنَّفاتِ السيِّدِ عبدالله: "القولُ الواضحُ المبينُ في عللِ الأحاديثِ الواردةِ في فضلِ التَّسْميةِ بمُحمَّد".

و"تهْذِيبُ الخصائصِ الكبرىٰ" للحافظِ السُّيوطيِّ وصلَ فيه إلىٰ ثلثِ الكتابِ، وشرع في تهذيب كتاب "الزَّواجِر بالنَّهيِ عنِ اقْترافِ الكبَائر" للفقيهِ ابنِ حجَرٍ الهيتميِّ.

وكتبَ جزءًا فيما تفرَّد به منْ مسائلَ علميَّةٍ، ودوَّن مقاصدَه في "سبيلُ

التَّوفيقِ"، وكتب جزءًا اسمُه "الأخطاءُ الجِسَام الواقعةُ في تحقيقاتِ شفاءِ الغَرام"، انظر "قصَّة آدم" (ص٧٣)، ولا أعلمُ أينَ ذهبَ هذا الكتابُ.

ولما كتبَ "فتحُ المعينِ بنقدِ كتابِ الأرْبعين" ردَّ عليه مُحقِّق كتاب "الأربعين"، وقد شرعَ السيِّدُ عبدُالله في الرَّدِّ عليه في كتابٍ سمَّاه "النقدُ المتين" لكنْ لم يتمُّه، واختصرَ كتابَ العلَّامةِ الشَّوكانيِّ "إرشادُ الفحُول إلى تحقيقِ الحقِّ منْ علمِ الأصُول"، ولا أعرفُ أينَ هو.

وكتبَ لأحدِ التَّطْوانِيِّينَ يخبرُه أنَّه شرَعَ في شرحِ "سننِ ابنِ ماجَه"، وكان قد اتَّفق معَ الشَّيْخِ عبدالشَّكورِ فدا رحمه الله تعالى الكُتُبيِّ المشهورِ بمكةَ المكرَّمةَ على جمْعِ مسْندِ عليِّ بن أبي طالبٍ عليه السَّلامُ وشرعَ فيه بعدَ شِفائِه منْ مرَضِه الكبير سنة (١٤٠٤) ولم يتمَّه، وكانَ الشيخُ عبدالشَّكور فدا يُلِحُّ عليه في إتمامِه.

وشرع في عمل محاكمة بين الأشموني شارح الألفية، ومحشيه العلامة الصبان، لأن الصبان كان يتحامل على الأشموني فأراد أن ينتصف للأشموني، لكنه انصرف بعد فترة لاشتغاله بالتدريس .

ومِنَ النَّوعِ الثَّاني: أنَّه كانتْ له عنايةٌ بالمناسبةِ بينَ آياتِ القرآنِ الكريمِ، وقال في كتابِه "جواهرُ البيَانِ في تناسُبِ القرآنِ" (ص١٦): «وأرجُو أنْ يوفِّقَني الله إلى تأليفِ كتابٍ واسعٍ في الموضوع»، وكانَ كلَّما طُبعَ مجلَّدٌ منْ كتابِ "نظمُ الدُّرَرِ في تناسُبِ الآياتِ والسُّوَر" للعلامةِ إبراهيمَ بنِ عمرَ البقاعيِّ (ت ٨٨٥) حرصَ على اقتنائِه.

(تنبيه): كنتُ أتشرَّفُ بمصاحبةِ سيِّدي عبدالله في السَّيارةِ وقتَ تواجُدِه في

الحجِّ أو العُمْرةِ، وكنتُ أديرُ المذْياعَ في السَّيارةِ على القرآنِ الكريمِ، وكانَ السيِّدُ عبدُالله تُعجِبُه طريقةُ الشُّيوخِ المصريِّين في الأداءِ، فكانَ يصْمتُ تمامًا ويُنصِتُ عندَ سَماعِ القرآنِ ويغيبُ عنِ الحضورِ إلى أنْ ينْتهيَ الشيخُ منَ القراءةِ فيقولُ: «أحسنْتَ ياسِي الشّيخ».

فقلتُ له مرَّةً: يا سيِّدي أراكَ تَصمُتُ تمامًا وتُنصِتُ عندَ سَماعِ القرآنِ الكريمِ، قالَ القُرآنُ مُعجِزٌ، وأَتَتَبَّعُ الوجُوهَ والمناسبةَ فليسَ لي إلَّا الإنْصاتُ.

٢- وكانت له عنايةٌ خاصَّةٌ بكتبِ الأصولِ، وسألتُه عنِ الكتابِ الأصُوليِّ الذي يحبُّ القراءةَ فيه قال: "المسْتَصْفَى"، وكانَ يقْتَنِي النُّسْخَةَ البُولاقيَّة التي معَها "فواتحُ الرَّحَمُوتِ" فقدْ كانَ يعتَني بالفواتحِ، فقلتُ له: و"جمعُ الجوامعِ"؟ فقال لي: الجلالُ المحلِّيُّ كان يحبُّ تعقيدَ العبارةِ كالسَّعدِ التَّفْتَازانيِّ، و"جمع الجوامع" جامع، ودرسته أكثر من مرة بالأزهر، وقال لي -بعد أن صحبته في زيارة الشيخ صالح الجعفري بخلوته بالأزهر-: الشيخ صالح حضر علي جمع الجوامع مرتين في ثماني سنوات .

وقال لي: كنتُ أريدُ أنْ أعملَ شرْحًا ممزوجًا على "جمع الجوامع"، لحاجتِه إلى شرْحٍ ممزُوجٍ سهْلٍ يُقَرِّبُ الكتابَ لطلبَة العلمِ ويُسَهِّله عليهمْ، فلمَّا رأيتُ شرحَ الشَّيخِ حلولو الزِّليطنيِّ (ت٨٩٨) على "جمع الجوامع" قلتُ: قام بالمطلوبِ.

ولما كنت أقرأ عليه شرح السلم للمصنف في المنطق، وكان الأخضري يحيل إلى شرحه الكبير، قال لي سيدي عبدالله : كانت عندي رغبة في اتمام هذه الإحالات، وأغرضت لأن كتب المنطق كثيرة .

٣- وكانَ رحمه الله تعالىٰ مُتقنًا جدًّا للفقهِ المالكيِّ ومستَحضِرًا لدقائقِه، وقد شاهدتُ مجالسَ حسَنةً تدلّ علىٰ براعتِه، منها في سنةِ (١٤٠١) بمدرسةِ دار العلومِ الدِّينيَّةِ بمكةَ المكرَّمَةِ معَ علَّامةِ تُونسَ الشيخ محمَّد الشاذلي النيفر التونسيِّ المالكيِّ، الذي جاء للسَّلامِ عليه وعلىٰ شقيقِه السيِّد عبدِالعزيز، ودارَ الحديثُ حولَ مسائلَ في عدَّةِ علومٍ منْها الفقهُ المالكيُّ -الذي هو تخصُّصُ سيدي الشيخِ الشاذليِّ النيفر- وانتقل إلىٰ "تُحفَة الحكَّام في نُكَتِ العقُود والأحْكام" وهي منظومةٌ لقاضي الجماعةِ محمَّدِ بنِ عاصمٍ الغرناطيِّ المتوفَّىٰ سنة (٨٢٩) رحمه الله تعالىٰ، وهنا سأل الشيخُ الشاذليُّ النيفر شيخَنا الغُماريَّ عنْ منظومةٍ منْ ثلاثةٍ وتسعين بيتًا تتعلَّق بـ"التحفة" لابنِ عاصمٍ الغرناطِّي، فتبيَّن أنَّ السيِّدَ عبدالله كان حافظًا للمنظومةِ وأملىٰ أبياتًا منْها، ثُمَّ طلبَ مكانَ كتبِ الفقْهِ المالكيِّ، وأخرجَ المنظومةَ وسلَّمَها للشيخِ النيفر، وكانَ شيخُنا الفاداني حاضرًا لهذا المجلسِ فبُهرَ منْ حِفْظِ واطِّلاع السيِّدِ عبدِالله، وتفوُّقِه.

وثَمَّ مجلسٌ ثانٍ سنة (١٤٠٤) كانَ في منزل العلَّامةِ الشَّيخِ محمَّد مختار الشِّنْقِيطيِّ المدنيِّ المالكيِّ شارحِ "سُنَنِ النَّسائيِّ" المتوفَّىٰ سنة (١٤٠٥) رحمَه الله تعالىٰ، وثالثٌ بمنزل العلَّامةِ القاضي محمَّد عطية سالم المدنيِّ المالكيِّ، وكان مُعْتنيًا بالفقهِ المالكيِّ بحُكْمِ عملِه وتدريسِه له و"للموطأ" في المسْجدِ النَّبويِّ الشَّريفِ، واعترضتْه مسائلُ واسشكلاتٌ في الفقهِ المالكيِّ لم يجدْ حلًّا لها، واستضافَ شيخَنا واستمرَّ المجلسُ لساعةٍ متأخِّرةٍ منَ اللَّيل، وكانَ القاضي يُلْقي علىٰ شيخِنا المسألةَ فيذكرُ الجوابَ، ويرفعُ الإشْكالَ، ويذكرُ منْ صنَّف فيها منْ مشايخِه ومشايخِهم، لا سيَّما الفاسيِّين منهُم، وقد سُرَّ القاضي جدًّا،

وصرَّح بأنْ لم يكنْ يظنُّ وجودَ هذا الاسْتحضارِ والمعرفةِ في المعاصرين -مع معرفتِه بكثيرينَ منْ علماءِ المالكيَّةِ بحُكْم جوارِه بالمدينةِ المنوَّرةِ- إلىٰ أنِ التَقَىٰ بشيخِنا رحِمَ اللهُ الجميعَ.

٤- في موْسِمِ الحجِّ سنةَ (١٤٠٤) حضرَ سيِّدي عبدُالله بنُ الصِّدِّيقِ لمكةَ المكرمَةَ وسَلَّمني ترجمةً له سمَّاها "سبِيلُ التَّوفِيقِ" وكانتْ في خمسَ عشرةَ صفحةً فقطْ، فقلتُ له: يا سيِّدي عبدالله هذه التَّرجمةُ قصيرةٌ، ولا تليقُ بعلومِكَ ومصنَّفاتِكَ وحياتِكَ العِلميَّةِ، واقترحْتُ عليه أمورًا يمْكنُ أنْ تضافَ لترجمتِه، فقال: يكْفي ما كتبتُه، وبعدَ إلحاحِي عليه وافقَ علىٰ إضافاتٍ علىٰ الأصْل، وقالَ: عندما نذهبُ إلىٰ المدينةِ المنوَّرةِ وَجِّه إليَّ ما شئتَ منْ أسئلةٍ وسأمْلي عليكَ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ الإجابةَ، فسَكنَّا في فُندُقِ التُّونسيِّ بالمدينةِ المنوَّرةِ وأملىٰ عليَّ ما أرادَ.

وفي هذه السنة التقىٰ سيدي عبدالله في المسجد النبوي الشريف بعدد من تلاميذه المقيمين بالمدينة المنورة في مقدمتهم العلامة الأبر سيدي الشيخ محمد علي المراد الحموي رحمه الله تعالىٰ، وعملوا عدة مجالس للاحتفاء بشيخهم، وزاره جمع منهم في مقره في الفندق، وكان الشيخ محمد عوامة حريصا علىٰ الحضور في الفندق والمجالس للاستفادة من شيخه الغماري في حل بعض اشكالات علمية ومما سأله عنه إسناد مسند أحمد، ومتعلقات بكتاب " الجرح والتعديل " للرازي، وقد لاحظت علىٰ الشيخ محمد عوامة الأدب والاحترام لشيخه، وقال لي الشيخ محمد عوامة : "أنا ما أقف في المواجهة الشريفة إلا وأستحضر السيد عبدالله بن الصديق "، روح الله هذه الأرواح .

ثُمَّ لما رجَعْنا لمدرسةِ دارِ العلومِ الدينيَّةِ بمكَّةَ المكرَّمةَ اسْتكمَل إملاءَه عليَّ، وأثناءَ ذلكَ أُصِيبَ بمرَضٍ شديدٍ، وفي مرة استيقظ منْ قيلولتِه وأمْلىٰ عليَّ أبياتًا قال لي: «اجعَلْها في مقدِّمة "سَبيل التَّوفيق"».

وممَّا أملاهُ علي في مكةَ المكرَّمةِ: مَنْ عاصرَهم مِنَ المشْتَغِلينَ بالحديثِ، وأسماءَ تلاميذِه، وطلبَ أنْ أكتُبَ اسمي لكنَّني كنتُ أرىٰ أنَّني أقلّ منْ ذلك فطلبت العفو منه، ولما قابلتُه في القاهرةِ بعدَ عاميْنِ وكانتِ الطبْعةُ الأولىٰ منْ"سَبِيلُ التَّوفِيقِ" قد نفدتْ قال: سأطبَعُ الكتابَ في المغربِ وسأُضيفُ اسمَك في تلاميذِي، واسكُتْ لا رأيَ لكَ.

٥- كانَ رضيَ الله عنْه في إحدىٰ مناسِكهِ بمكةَ المكرَّمةِ، ودارَ البحْثُ حولَ مسألةِ التَّركِ، وأنَّهُ لا يفيدُ إلَّا الجوازَ فقطْ، قلتُ له رضي الله عنه: يا سيِّدي كلَّمْتُ الشَّيخَ عبدَالعزيزِ بنَ بازٍ مرَّتَينِ في أنَّ التَّركَ لا يفيدُ التَّحريمَ أو الكراهةَ لذاتِه فقالَ لي في المرَّتَيْنِ : «ما عندي بحثٌ الآنَ» وانْقطعَ، وطلبتُ منه رضي الله عنه تحريرَ جُزءٍ في هذه المسألةِ التي أخطأَ فيها كثيرُونَ، وغفَلَ عنْها آخرُون، فكتبَ رضي الله عنه: "حسْنُ التفهُّمِ والدَّركِ لمسألةِالتَّركِ" ذكَرني في أوَّلها.

٦ - وكان يعجبُه في النَّحوِ النَّظرُ في "المفَصَّل" لا بنِ يَعِيشَ، و"الدَّمامِينيّ علىٰ مُغْني اللبيب" و"الخضري علىٰ ابنِ عَقيل".

وقال لي: بعد عودتي منَ الدِّراسةِ بفاس طَلَبَ منِّي والدي رضي الله عنه تحريرَ بعضِ مسائلَ في النَّحو، وكلَّفَني شيخُنا بعملِ ثلاثةِ بُحوثٍ في النَّحوِ هي: مفعولُ قال، وأحوالُ لا النَّافيةِ للجِنْسِ، وأحوالُ الاستثناءِ، وقال: لا أحتاجُ للمُراجَعةِ في كتبِ المنْطقِ والبلاغةِ.

وسألتُه عنْ كتابِ التَّفسيرِ الذي يحبُّه ويأنَسُ له فقالَ لي:"تفسيرُ الخازِنِ".

وكان يطيلُ النَّظرَ في "طرْح التَّثْريب"، و"فتْح البَاري".

وسألتُه عنْ "تيْسِيرُ الوصُولِ إلىٰ جامِعِ الأصُولِ" لابنِ الدَّيْبَعِ فقال لي: لا تَشتغِلْ به أبدًا ولا تضيِّعْ وقتَكَ معهُ وانظرْ في الأصول، وقال لي: منْ بابه "جمعُ الفوائدِ مِنْ جامعِ الأصولِ ومجْمَعِ الزَّوائِدِ" لمحمَّدِ بنِ سُلَيمانَ الرودانيِّ.

وسمعتُه مرَّاتٍ يُرْشِدُ إلىٰ حضورِ "جمْع الجوامِع" الأصوليِّ بعدَ الوَرَقاتِ مباشرةً بدونِ المرورِ علىٰ "لبّ الأصُول" وشرحه، وكان له رأي حول لب الأصول وشرحه.

٧- وكانَ يقولُ: عُدَّةُ الفقِيهِ ستَّةٌ: الفروعُ، والأصولُ، والقواعدُ، والفروقُ، والمقاصدُ، وتاريخُ التَّشريعِ.

لذلك كانَ معْجبًا جدًّا بكتابِ "الفروق" للقَرافيِّ وحاشيتِه "إدْرارُ الشُّرُوقِ" لابنِ الشَّاط السَّبْتيِّ (ت٧٢٣) وكان يذكرُ قولَ ابنِ رَشيدٍ: «ليس بالمغربِ عالمٌ إلَّا ابن البنَّاءِ بمرَّاكُش، وابن الشَّاط بسَبْتَةَ، والقاضي اللَّخمي».

وكذلك كان ينظرُ في كتابِ "قواعدُ الأحكامِ في مصالحِ الأنَام" للعزِّ بنِ عبدِالسَّلام، وكان يقولُ: يراعي الخلافَ كثيرًا.

وسألتُه: سيِّدي في جمعِكَ للعلومِ، وتحقيقِكَ في بعْضِها، فمَنْ الذي تشبِهُه من أهلِ القرنَينِ الثامِنِ والتاسِعِ؟ فقال: الزَّرْكشيُّ.

الفائدة السادسة

منَ الكتبِ التي صنَّفها السيِّدُ عبدُالله بنُ الصِّدِّيق رحمَه الله تعالىٰ في محنتِه كتابُ "الكنزُ الثَّمينُ في أحاديثِ النبيِّ الأمِين" ولم يكنْ شيخُنا راضيًا عنه، وقدْ تعقَّبَه الألبانيُّ بهِمَّةٍ وفَرحٍ وسُرورٍ، وابتدأَ كلامَه في مقدِّمةٍ مطوَّلةٍ للمجلَّدِ الثالثِ منْ "ضعيفته"، وخذ الآتي:

بادئَ ذي بَدْءٍ، هناكَ ملاحظاتٌ في عباراتِ الألبانيِّ تدلُّ علىٰ نفسِه وعلمِه اخترتُ منْها ثلاثةَ:

١- وصْفُ الألبانيِّ السيِّدَ عبدَالله بنَ الصِّدِّيقِ (٣/ ١٠) بالجهْلِ، وفي (٣/ ٧٢) وصفه بالغُماريِّ المغْمُور.

وهذا الوصفُ يبيِّنُ منه أنَّ الألبانيَّ لا يعرفُ علماءَ عصرِه، فما عند السيِّدِ عبدِالله منْ عُلومٍ يُتْقِنُها ودرسَّها لا يشارِكُه فيها الألبانيُّ بل لا يعرف بعضها أصلا، وما عندَ الألبانيِّ يشاركُه فيه السيِّدُ عبدُالله.

فلم يُعرفْ للألبانيِّ اشتغالٌ بالنَّحوِ أو الصَّرفِ أو البلاغةِ بفنونِها الثلاثةِ، أو المنطقِ والمقولاتِ وآدابِ البحثِ والمناظرةِ، ولم يُعرفْ له اشتغالٌ بالأصول أو القواعِدِ أو الفروقِ والمقاصدِ، وليس هوَ مِنْ علماءِ التفسير أو طلبَتِه.

وهذه فنونٌ أتقَنَها شيخُنا وتفوَّقَ فيها، ودرَّس كتبَها الكبارَ، وصنَّفَ فيها قبلَ أنْ يكتُبَ الألبانيُّ في مجلَّة التمدُّن الإسلاميِّ، وكان شيخُنا متصدِّرًا للإفتاءِ في وجودِ كبارِ أعيانِ الأزهرِ الشَّريفِ منْ معاصِريه، وهو دونَ الثَّلاثينَ، فأينَ كان الألبانيُّ في ذلك الوقْتِ؟!

وعهدي بالألبانيِّ أنَّه لا يعرفُ علماءَ عصرِه كما ينبغِي، فلقدْ رأيتُ منْه

الثناءَ المتتابعَ على السيِّدِ محمَّد رشيد رضا، وأنَّه تأثَّر به معَ أنَّ رشيد رضا كانتْ له مواقفُ سيِّئةٌ منَ الحديثِ النبويِّ الشَّريفِ لا سيَّما الأحاديثَ القوليَّة، ولا يعتبرُها شرعًا مُلزِمًا، واتكأَ على آراءِه معارضُون كمحمود أبو رية في كتابه "أضواء على السُّنة" باعترافِ محمَّد عبدالرَّزاق حمزة كما شرحتُه في "تشْنِيفُ الأسْماعِ" الطبعة الثانية، و"الاتجاهات الحديثيَّةفي القرنِ الرَّابعَ عشرَ" الطبعة الثانية.

٢- ووصفُ الألبانيِّ في (٣/ ٢٦) السيِّد عبدالله بأنَّه «المفتري على الأئمَّة».

يصفُ السيِّدَ عبدَالله بذلك بسببِ تصْريحِه بأنَّ الأئمَّةَ يعمَلون بالضَّعيفِ في الأحكامِ، وأخطأَ الألبانيُّ؛ لأنَّه لم يمارسْ الفقهَ على طريقةِ أهلِه، ولم يعرفْ مذاهبَ الأئمَّةِ في العملِ بالحديثِ الضعيفِ في الأحكامِ، وهذا بحثٌ مبسوطٌ في مقدمةِ كتابي "التَّعريفُ بأوْهامِ مَنْ قَسَّم السُّنَّن " (١/ ٧٤-٩٣).

وقفاتٌ معَ كتابِ "الكنزُ الثَّمينُ":

أمَّا عنْ كتابِ "الكنز الثمين" فهذه وقفات:

الأولى: قال السيِّد عبدالله بن الصِّديق في "سبيل التوفيق" (ص: ٩٦): «غير أنَّ كتاب "الكنز الثمين" لستُ راضيًا عنه؛ لأنَّني كتبتُه في حالة تضْييقٍ وتشديدٍ كما سبقَ، وعدم وجودِ مراجعَ، فجاءتْ فيه أحاديثُ ضعيفةٌ كثيرةٌ، ولو وجدتُ فراغًا لنقَّحْتُه وهذَّبتُه وحذفتُ ما فيه منَ الضَّعيفِ».

فهذا الكلام يُبيِّن أنَّ صاحبَه يرجِعُ إلى الصَّوابِ، ولا يجمُدُ على الخطأ.

الثانية: وأحبُّ أن أوجِّهَ النَّظرَ إلى أنَّني عندما أعيدُ طبْعَ "الكنز الثمين" فهوَ من باب إثباتِ الأعمالِ العلميَّة كاملةً، وأوجِّه النَّظرَ إلى وجوب التَّأنِّي في

الأخذِ بأحاديثِه لوجودِ ما يخالفُ شرْطَ الكتاب، نعمْ أكثرُه موافقٌ لشرطِ مصنِّفِه، لكنْ فيه ما يوجبُ التوقُّفَ والبحْثَ.

ومعَ وجودِ الضَّعيفِ الذي في الكتابِ فيمكنُ الاستفادةُ منَ القسْمِ الأكبرِ منه بواسطةِ المتخَصِّصِ، فهو أحسنُ حالًا من "الجامع الصغير" و"كنوز الحقائق" و"راموز الأحاديث".

الثالثة: انتقاداتُ الألبانيِّ على "الكنز الثمين" غيرُ مسلَّمَةٍ منْ حيثُ الجُملةِ؛ لاختلافِ المنهجيَّة التفصيليَّة في الحكمِ على الأحاديثِ، وهذا ما سبقَ لي ذكره في كتابي "الاتجاهاتُ الحديثية" بما يغْني عن إعادتِه هنا، وكمْ من حديثٍ ضعَّفه الألبانيُّ، وهو صحيحٌ في "الكنز الثمين".

فليراجِعْ مريدُ الفائدةِ ما كتبتُه في "الاتجاهات الحديثية" (ص ٤٥٨- ٤٦٨)، ثُمَّ ما كتبتُه في الطبعةِ الثانية منَ "الاتجاهاتِ الحديثيَّة"، ونقدَ شيخِنا المحدِّثِ السيِّدِ عبدالعزيز بنِ الصِّدِّيقِ للكنزِ الثَّمين، ومنهجِه في كتابه "ضَوْءُ الشُّمُوع".

الفائدة السابعة

سيجد القاريء الكريم في هذه "الموسوعة" بعض مُصنَّفات للعلَّامة السيِّد عبدالله بن الصديق رحمه الله تعالى، لم تطبع من قبل، وهي مُصنَّفات غير تامَّة، وهي :

١- أحاديث التفسير، وهي رسالة في الأحاديث التي يمكن أن يعوَّل عليها في التفسير، وصل فيها إلى (سورة الحج) .

٢- تعليقات على كتاب "المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح" للحافظ الدمياطي (ت ٧٠٥)، وهي في مائة صفحة بخطِّ السيد عبدالله بن الصِّدِّيق

رحمه الله تعالىٰ، وصل فيها إلىٰ الحديث رقم (٩٦) من كتاب البر والصِّلة.

٣- "الفتح المبين شرح الكنز الثمين"، شرح فيه ستًا وسبعين حديثًا من كتابه "الكنز الثمين" فقط، وقال في أوله: «هذا شرح علىٰ كتاب "الكنز الثمين في أحاديث النبيِّ الأمين" يحلُّ ألفاظ أحاديثه، ويوضح مشكلها، ويفتح مغلقها، ويجمع بين متعارضها مع استنباط ما فيها من أحكام فقهية، وآداب مرضيَّة وفوائد لطيفة ومسائل نفيسة، بأسلوبٍ سهلٍ مبسوطٍ ليس فيه تطويل ممل ولا اختصار مخل، بل وسط بين طرفين».

٤- "النقد المتين لكتاب الفتح المبين"، ذلك أنَّ السيِّد عبدالله لما نقد كتاب الأربعين في أصول الدين لأبي إسماعيل الهروي، انتصر الدكتور علي بن ناصر الفقيهي للهروي باعتباره محقِّقًا له، فعاجله السيِّد عبدالله بالنقد المتين، ولم يتمه .

٥- رِسَالةٌ في معنىٰ الحَديثِ الشَّاذِ ،تعقيبًا علىٰ الألبانيِّ، وهي غير تامَّة .

بالإضافة إلىٰ عددٍ من الرسائل، والإجابات والفتاوىٰ .

وقد أمدَّنا بصور هذه الأصول الشريف الماجد سيدي عبدالمغيث بن الصِّدِّيق، أكرمه الله برضاه وزاده توفيقًا .

الفائدة الثامنة

ومِن دواعي جمْعِ هذه الأعمالِ في صعيدٍ واحدٍ ما لحقَها منْ تحريفاتٍ وتصحيفاتٍ من بعضِ الذين تعرَّضوا لإعادةِ طبعِ مصنَّفات السيِّد عبدالله بن الصِّدِّيقِ رحمه الله تعالىٰ، فإنَّ الأصولَ التي قام عليها رحمَه الله تعالىٰ كانتْ جيِّدةً، ومُطمئِنةً، بَيْدَ أنَّ الأمرَ تغيَّر؛ لا سيِّما بعد وفاتِه، فأعاد بعضُهم طبْعَ هذه المصنَّفات عِدَّة مراتٍ بدون عنايةٍ، سواءٌ في التَّصحيحِ أو الورَقِ أو الطَّبْعِ، فتلاحقتِ الأخطاءُ المتعدِّدةُ المطبعيَّة وغيرُها.

وبعضُها كان شنِيعًا، مع مخالفَة الأصل، بل رأيت بعضُهم اعتدىٰ علىٰ نصِّ كتابِ "دلالة القرآن المبين علىٰ أن النبي أفضل العالمين" ليروجَ في ديارِ التَّيميِّينَ، فيقومُ بالحذفِ والتعديلِ والتزويرِ، وكان النَّاشرُ والمُزوِّرُ في غنىٰ عن الكتابِ، والكتابُ في غنىٰ عنْهُما.

وزاد بعضُهم فأثبتَ تعليقاتٍ تعارضُ بعضَ الكتبِ من قومٍ ليسوا منْ أهلِ العلمِ أو المعرفةِ، وذكَّرني هذا بما ذكرَه التَّاجُ السُّبكيُّ في "طبقات الشافعية" (٢/ ١٩) في ترجمة أحمدَ بنِ صالحٍ المصريِّ: أنَّ بعضَهُم تعرَّضَ لـ"شرح صحيحِ مسلمٍ" للنوويِّ فحذفَ منْ كلامِ النوويِّ ما تكلَّم به علىٰ أحاديثِ الصِّفاتِ، وقد كانَ كتابُ شيخِنا في غنْيةٍ عنْ هذا المُعلِّقِ وكان المُعلِّق في غنيةٍ عن الكتابِ.

ويزيدُني حسرةً أنَّ خدمةَ الكتُبِ تحتاجُ لمتأهِّلٍ يراعي فيها الأصولَ والضوابطَ في كلِّ مرحلةٍ من مراحلِ خدمةِ الكتابِ، وهذا ما لم أجِدْه في الأعمالِ التِّجاريَّة التي قامتْ بها بعضُ المكتباتِ فنشرتْ تراثَ السيِّدَ عبدَالله بنَ الصِّدِّيقِ الغُماريِّ رحمَه الله تعالىٰ، بل وتراثَ بعضِ إخوانِه فجاءَ مُشوَّهًا خاليًا منَ العنايةِ اللائقةِ، فعلىٰ هذه الطَّبعاتِ التجاريَّةِ مآخذُ حِفالٌ تدلّ علىٰ التسرُّعِ

والجهلِ والإهمالِ.

وكنتُ هذا الأسبوعِ في جوارِ الأزهرِ الشَّريفِ فالتقَطتُ منْ إحدىٰ المكتباتِ طبعةً حديثةً من كتابِ "إحياءُ المقبورِمنْ أدلَّةِ جوازِ بناءِ المساجِدِ علىٰ القبورِ" وكتبَ الناشر اسمَ المؤلِّف هكذا : «تأليف أحمد عبدالله الصِّديق الغماري» وفي داخلِ الكتابِ كتب بعد المقدِّمة ما نصُّه: «تقديم أحمد الغماري» وكتبَ في نهاية الكتاب ما نصُّه: «المؤلف أحمد عبدالله الصِّدِّيق الغُماريُّ»

ورأيت نسخة من كتاب "الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة" للحافظ السيوطي، وبالحاشية "اتحاف ذوي الفضائل المشتهرة" للسيد المحدث عبدالعزيز بن الصديق، وقد حذف الناشر الجاهل اسمي السيوطي والسيد عبدالعزيز، وكتب اسم السيد عبدالله بن الصديق مع أنه ليس مؤلفًا لأحد الكتابين، هو مصحِّحٌ فقط .. !!

هذه شنائعُ وجهلٌ وقلَّة مبالاةِ وتركٌ للمراجعةِ، وتصدُّرُ منْ لا يعرفُ.

وملاحقةُ هذه الأخطاءِ يحتاجُ لعملٍ مفْردٍ يخرجُ في مجلَّدٍ، وأكتفِي هنا بالإحالة إلىٰ نماذجَ لبعضِ الأخطاء والتَّحريفاتِ التي وقعتْ من النَّاشرينَ في كتبِ سيِّدي عبدالله بنِ الصِّدِّيقِ المطبوعَة.

١ - بعض الأخطاء الواقعة في طبعة كتاب "الإحسان في تعقيب الإتقان" المطبوع بمكتبة القاهرة - بدون تاريخ:

م	الخطأ	الصوابُ	ص	سطر
١	مطاعهم	مطاعنهم	٤	٣
٢	الآخر	المؤخَّر	١٣	١٥

م	الخطأ	الصوابُ	ص	سطر
٣	يقتضِ	يقتضي	٢٢	١١
٤	تقتُله	فقتَله	٢٦	١٢
٥	والمرسلات	المرسلات	٢٦	١٢
٦	الحاية «قرآن»	﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾	٢٩	٥
٧	العنىٰ	المعنىٰ	٣٠	١٣
٨	قراءة	قرأت	٣٢	٥
٩	أفعدك	أقعدك	٣٣	٧
١٠	أولهما	أولاها	٣٧	١٥
١١	رعمسيس	رمسيس	٥٣	٨
١٢	من جيدها علي	من جيدها طريق علي	٥٣	١٣

٢- بعض الأخطاء الواقعة في طبعة كتاب "أولياء وكرامات"بمكتبة القاهرة سنة ١٤١٩:

م	الخطأ	الصواب	ص	سطر
١	جبة عال	جبة عسال	١٥	١
٢	قبة	قبلة	١٥	١٤
٣	الغيب	الغيث	٥١	١٤
٤	بيض	بيضي	٥٦	٣

٣- بعض الأخطاء الواقعة في طبعة كتاب "توجيه العناية" المطبوع بمكتبة القاهرة سنة٢٠٠٨ م:

م	الخطأ	الصواب	ص	سطر
١	العلمية	العِلْمَين	١٥	١
٢	الفاضل	الفاصل	٢٥	٦
٣	نوابعن	نواب عن	٤٠	٥
٤	محمد بن عبدالكريم	محمد بن إسماعيل	٤٠	٥
٥	كالسُّنة	كالسُّنن	٤٨	١
٦	تحريمُ المتواتِر	عِزَّة المتواتر	٤٩	١٩
٧	والمطرَح	والمطرُوح	٤٩	٨
٨	أشبهما	أشبههما	٤٩	١٦
٩	العلابي	العلائي	٥١	١

* حصلَ تَكرَارٌ خطأ لسَطرينِ ونصفٍ في (ص١٧ سطر ٧، ٨، ٩).

* حصل تَكرارُ سطرٍ ونصفٍ (ص ١٤، ١٥).

٤- بعض الأخطاء الواقعة في طبعة كتاب "الحاوي للفتاوي" الجزء الثالث – طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٠:

م	الخطأ	الصواب	ص	سطر
١	أحكام	آكام	٣٨	١٨
٢	إلى	إليه	٣٨	١٧
٣	على	إلى	٤٠	٢٥

م	الخطأ	الصواب	ص	سطر
٤	تذهبُ الرزُخ	تذهبُ إلى البرزَح	٥٣	١٨
٥	المستغني بالله	المستغني بأمر بالله	٥٥	١٣
٦	لما	إنَّما	٥٦	٥
٧	ذلك	بذلك	٥٦	١٤
٨	هو البدع	هو مِنَ البدعِ	٥٨	١٢
٩	الحرام	الحُرُم	٦٠	٢

* وقعَ سقْطٌ (ص ٥٨ سطر ١٣): «قدرُ النبيِّ».

* وهذا الجزءَ منَ المفترضِ أنْ يجمعَ فتاوىٰ مجلَّة الشرقِ العربي، ولكنْ بقيتْ أسئلةٌ كثيرةٌ غابت عنه.

٥- بعض الأخطاء الواقعة في طبعة كتاب "الإعلام بأن التصوف من شريعة الإسلام" مكتبة القاهرة سنة ١٤٢٤ هـ تحقيق عصام محمد الصاوي:

م	الخطأ	الصواب	ص	سطر
١	قذما	قدما	٩	٣
٢	حلهم	جَلِّهم	٤٣	١
٣	بعثتَ الخشبة	بعثتَ في الخشبة	٤٩	١٨

* حصل تصحيفٌ وسقْطٌ في نقلٍ منْ كتابِ منازلِ السَّائرينَ (ص٢٦ سطر ٢)

الخطأ: حقيقةُ التوبةِ ثلاثةُ أشياء: تميز الثقة من الغرة.

والصواب: وسرائرُ حقيقةِ التوبةِ ثلاثةُ أشياءَ: تَمييزُ التقية منَ العِزَّةِ .

* حصل سقْطٌ ثلاثةِ أسْطُرٍ (ص ٤٥ سطر ١٨): والأهواءُ .... وإنَّما العجبُ. مِنْ نقلٍ منْ "شرح المقاصد" للسَّعد.

(تنبيه): ردَّ المحققُ المتمسلف كثيرًا من الأحاديثِ التي استدلَّ بها السيدُ عبدُالله وناقشَه في عدَّة مسائلَ، وإليكَ أمثلةً علىٰ ذلك:

* هامش (ص ٤٤)

قال المحقِّقُ المتمسلف : الأحاديثُ المذكورةُ تحتَ هذا العنوانِ واهيةٌ وموضوعةٌ، لا يجوزُ عند أهلِ الحديثِ روايتُها إلا لبيانِ وضْعِها، فكيفَ بالمؤلِّفِ رحمه الله يذكرُها محتجًّا بها؟!

* ردَّ المحقِّق المتمسلف كلامَ السيِّد عبدالله بخصوصِ الذِّكر بالاسْمِ المفرَد.فقال بعدَ أنْ قسَّم الكلامَ إلىٰ دعْوَيَيْنِ:

«والحق أنَّ كلًّا منْهما بدعةٌ في الدِّينِ لا تجوزُ، وأدلةُ المؤلِّفِ علىٰ ذلك لا تثبُتُ بحالٍ»، وهذا المتمسلف انتصر لمذهبه المعروف وما أراد إلا نسف كلام سيدي عبدالله بن الصِّدِّيق .

٦- بعض الأخطاء في طبعة كتاب "أفضل مقول" بمطبعة القاهرة سنة ١٤٢٦ هـ:

م	الخطأ	الصواب	ص	ملاحظات
١	العَجْرد	الفَجْر	٦	
٢	قو-له	قوله	تكرر	
٣	مرَّةَ بنِ لُؤَىٰ	مُرَّةَ بنِ كَعْبِ بن لُؤَيٍ	١٠	

م	الخطأ	الصواب	ص	ملاحظات
4	غالبِ بنِ فهد	غالِبِ بن فِهْرِ	10	
5	مُدْركة بن اليأس	مُدْرِكَة بن إلياسِ	10	
6	أولا؟	أو لا؟	10	
7	ضرورة.	لضرورة	11	
8	غنيم	غُنم	13	هامش
9	في كتاب الغرائب والوجدان	في كتاب "الغرائبُ والوحْدان"	13	هامش
١٠	ولم أجد نبي أب	ولم أجدْ بني أبٍ	15	
11	علىٰ آثر زماني	علىٰ أثرِ زماني	16	
12	مع تأييده بقوله	معَ تأيُّدِه بقولِه	19	
13	شائع ببينهم	شائع بينَهم	20	هامش
14	الأذدي	الأزديّ	21	
15	المختصر	لمختصر	21	
16	لمخالفي الملة	المخالفي الملَّة	22	
17	نقل: من يتفكَّر	فَقَلَّ منْ يتفكَّر	22	
18	من رواية مسعود	منْ روايةِ ابنِ مسْعودٍ	23	
19	منهم	متَّهم	25	هامش

م	الخطأ	الصواب	ص	ملاحظات
20	بالتأليف الكثيرة	بالتآليفِ الكثيرةِ	27	
21	بن عمروا ابن العاص	بن عمرو بنِ العَاص	28	هامش
22	حشاش الأرض	خِشاش الأرضِ	30	هامش
23	أعلام النبيل	إعلام النَّبِيل	30	هامش
24	وأبىٰ كعب	وأُبَيّ بن كعبٍ	31	
25	لنحترز من سوسته	لنحترز منْ وَسْوسَتِه	51	
26	نهاية الأمل في صحة	نهاية الأمال	52	هامش
27	ذخائر القصبىٰ	ذخائرُ العُقْبىٰ	53	هامش
28	في صورة حية	في صورةِ دِحْيَة	54	
29	الأخذ	الآخذ	55	
30	وكانت صداقته	وكانتْ صدَقاتُه	55	
31	الجار من غير محترم	الجار منه غير مُحترَم	55	
32	وأجب	واجب	56	هامش
33	وأنا له فضلاً	وأناله فضلًا	58	هامش
34	فسال علىٰ عن عرقه	فسال عليّ من عَرَقِه	62	
35	دخ النار	دخل النَّار	65	
36	يستنفدها	يستنقذها	66	
37	رافضي ذنديق	زِنْدِيق	67	

م	الخطأ	الصواب	ص	ملاحظات
38	إلا بالأحكام إليها	إلا بالاحْتِكام إليها	67	
39	عن أبي لهيعة	عن ابنِ لَهِيعةَ	68	هامش
40	جليل المشاش والكثد	جليل المشَاشِ والكَتَدِ	86	
٤١	ششن الكفين	شَثْن الكفَّينِ	86	
٤٢	خالطه فعرفه	خالطهُ معرفةً	86	
٤٣	مشىٰ الفلعة	مشي القَلَعَة	88	
٤٤	الحدو	الحدور	88	
٤٥	الهتم الذي بين كتفىٰ	الختم الذي بيْنَ كتِفَي	89	
٤٦	قدرة إذا اقلل	قدره إذا قلل	89	
٤٧	وإذا أكبر	وإذا كبَّر	89	
٤٨	سعيد بن أحمد الغراء	سعيد بن أحمد الفرَّاء	91	
٤٩	الواد آشئ	الواديآشي	91	
٥٠	تامتيث اللواتي	تامتيت اللواتي	91	
٥١	الحسن بم علىٰ	الحسن بن علي	92	
٥٢	سالت	سألت	92	
٥٣	ابن خذاداد الكرجىٰ	ابن خذاداذ الكرجي	92	
٥٤	فأقربه	فأقر به	92	
٥٥	في صف الفضة	في صفاء الفضة	92	

م	الخطأ	الصواب	ص	ملاحظات
٥٦	بادئا متماسكاً	بادنًا متماسكًا	92	
٥٧	مشج الصدر	مشبح الصدر	92	
٥٨	ششن الكفين	شَثْن الكفَّين	92	
٥٩	بنبوعنهما الماء	ينبُو عنْهما الماء	93	
٦٠	لا فصول فيه	لا فضولَ فيه	93	
٦١	منز-له جزَأ دخو-له	منزله جزَّأ دخوله	93	
	روح الشمائل	شروح الشَّمائِل	95	

٧- بعض الأخطاء في طبعة كتاب "خواطر دينية" ج١، ج٢ المطبوع بمكتبة القاهرة سنة ١٩٩٨م:

م	الخطأ	الصواب	ص	
1	بفضل إلَهيةٌ	بفضل إلهيَ	3	
2	أنبطنُها	استنبطها	3	
3	جواهر عالية	جواهر غاليه	3	
4	أنالة	إنالة	5	
5	حو-له، قو-له	حوله، قوله	تكرر	
6	وأقع	واقع	9	
7	ذئبا يدخل الجنة لأنه أكل.	ذئبًا يدخلُ الجنَّة، لأنَّه أكلَ ابنَ شرطي	9	هامش

م	الخطأ	الصواب	ص	
8	فنصحح إيمانك	فصحح إيمانك	10	
9	وبأنهم يدينون في دين	وبأنَّهم لا يدِينُونَ دين	12	
١٠	تحريصا على قتالهم	تحريضًا على قتالهم	12	
11	وهما مدينتان	وهما مدنيَّتان	13	
12	منهم مؤبدون في النار	فهم مؤبدون في النار	13	
13	تأييد لهم	تأبيدٌ لهم	14	
14	فالأعتناق	فالاعتاق	14	
15	في هذذا الموضع	في هذا الموضع	15	
16	إسماعيل و إسحاق	إسماعيل أو إسحاق	17	
17	فرسانا أجمعوه	فرْسَانًا أجمعُونَ	29	
18	فأضعوها وحرفوها	فأضاعُوها وحرَّفوها	44	
19	قصة الأفك	قصة الإفْكِ	44	
20	ولم يذكر في شأنه (المحصنات ثم لم يتوبوا...	ولم يذكرْ في شأنِه توبةً. أمَّا قاذفُ غيرِهنَّ فقدْ ذكر الله حكمِه في أوَّلِ السُّورةِ، حيثُ قال تعالى: (والذينَ يرمُونَ المحصناتِ ثُمَّ لم يتُوبُوا	44	سقط

م	الخطأ	الصواب	ص	
21	فأبو بكر صحابي	فأبو بَكْرةَ صحَابيٌّ	45	
22	أدرج القدماء	درجَ القدماءُ	45	
23	ما دامت	مادَت	45	
24	والرابع: (وأرسلنا الرياح لواقح) تلقح النبات، تجمع بين ذكره	سَطرٌ مكرَّرٌ والصَّوابُ حذْفُه	45	
25	ومنهاها	ومنتَهاها	47	
26	ويزيد عنهما	ويزيل عنْهما	48	
27	فى اعتداد	فلا اعتِدَادَ	48	
28	بأن مزية	بأنَّه مزِيَّةٌ	52	
29	ينبىٰ	ينبَنِي	52	
30	علىٰ الاستذادة	علىٰ الاسْتِزَادةِ	53	
31	علىٰ القوْمِ	علىٰ القولِ	54	
32	ولا يشربه	ولا يشُوبُه	56	
33	لا تقضىٰ الوقوع	لا تقتضِي الوقوعَ	58	هامش
34	وبالضرور لم	وبالضَّرُورةِ لم	59	
35	جهادا في سبيل الله	جهادًا في الله	66	
36	اسْتِهْلالٌ قويٌّ	اسْتدلالٌ قويٌّ	70	

م	الخطأ	الصواب	ص	
37	ثم يهود	ثمَّ يَعُود	71	
38	الربابين	الرَّبا بيْنَ	74	
39	على حب	على حسْبِ	75	
40	الإصْرار على الغيرَةِ	الإصْرَار على الصَّغيرةِ	75	
٤١	حلى في جِسْم	حلَّ في جِسْم	٧٨	
٤٢	أتَى	أُتِيَ	٧٨	
٤٣	أثنى على آدابِه	أُثْنِيَ على أدَبِهم	٨٢	
٤٤	من الأدب المأخوذة	مِنَ الآدابِ المأخُوذَةِ	٨٢	
٤٥	مثلهم في الآثم	مثلهُمْ في الإثْمِ	٨٦	
٤٦	مثله في الآثم	مثْله في الإثْمِ	٨٧	
٤٧	أسباب معايشتهم	أسْبَاب معايِشِهِمْ	٨٧	
٤٨	يبيع الخمير	يبيعُ الخمْرَ	٨٨	
٤٩	أمن الوجوب	أنَّ الوُجُوبَ	١٢٤	
٥٠	لاتنبث	لا تثبُتُ	١٢٤	
٥١	في الاجتماع	في الإجْماعِ	١٢٤	
٥٢	عقائد زائفة	عَقَائِد زَائِغَة	١٢٤	
٥٣	أمام أهل الشام	إمام أهل الشام	١٢٤	
٥٤	الإمام الشافي	الإمام الشَّافِعيّ	١٢٤	

م	الخطأ	الصواب	ص	
٥٥	لاحترقت سبحات	لأحرَقَتْ سُبُحَاتُ	١٢٥	
٥٦	وقاوم عددين	وقاوَم عدوَّيْنِ	١٢٦	
٥٧	مما أرجع فيه	مما لمْ أرجِعْ فِيهِ	١٢٦	
٥٨	أنشأ	أنشَأَه	١٢٧	
٥٩	المفكرات	المكفِّرَات	١٢٧	
٦٠	فإذا اعتراضهم	فإذا اعترضَهُم	١٢٧	
٦١	جماعة الصحابة	جمَاعَة منَ الصَّحابةِ	١٥٠	
٦٢	شخصية	شَخْصَيْنِ	١٥٠	
٦٣	محاربة وعدوه	مُحارِبه وَعَدُوّه	١٥٠	
٦٤	مرتد الغنوىٰ	مرْتَد الغَنَوِيّ	١٥٤	
٦٥	أحداهما	إحداهُما	٣	
٦٦	وعز لها	وعزلها	٣	
٦٧	تأسسًا وتأكيدًا	تأسِيسًا وتأكيدًا	٥	هامش
٦٨	اعتناء بهاء	اعتِناءً بها	٥	هامش
٦٩	مواعد الصوم	مواعِيد الصَّوْمِ	٧	
٧٠	وجه إلىٰ الاستاذ	وجَّهَ إليَّ الأشتاذُ	١٠	
٧١	وله مثقفيهم	بَلْهَ مثقَّفِيهِم	١٤	
٧٢	فطن في الحجاب	فطَعَنَ في الحِجَابِ	١٦	

م	الخطأ	الصواب	ص	
٧٣	جدته قال عن	جدته قالتْ عنْ	١٦	
٧٤	مبارزه بصفح	مبارزه بصَفْحِ سيفِه	١٦	
٧٥	يفسح في مجال	يفسَح لي مجال	٨٥	
٧٦	ال الإسكندر	لا الإسكنْدر	٩٠	
٧٧	مشركو	مشْركُوا	٩١	
٧٨	أن يفعل مافعله ما فعله	أنْ يفْعَلَ مافعَله	٩٥	
٧٩	وقام رجاله باعتصاب	وقامَ رجَالُه باعتِصَامٍ	٩٨	
٨٠	وحش كأسر	وَحْش كاسِر	١٠٦	
٨١	الآفا من أهلها	آلافًا منْ أهلِها	١٠٧	
٨٢	واحة سبوة	وَاحَة سِيوَة	١٠٨	
٨٣	ورد ما	ورَدْمًا	١١١	
٨٤	جيجون وسيحون	جيحُون وسيحُون	١١٢	
٨٥	من الإمام	من الأمَامِ	١١٤	
٨٦	إنشأ الله	إنْ شاءَ الله	١١٧	
٨٧	الاتصل بالعالم	الاتِّصالُ بالعالمِ	١١٧	
٨٨	قدرة لسنانهم	قدرة أسْنَانِهم	١٢٠	

٨- بعض الأخطاء الواقعة في طبعة كتاب "إقامة البرهان" بمكتبة عالم الكتب ببيروت سنة ١٤٠٥:

م	الخطأ	الصواب	ص	سطر
١	أقرؤه	أقرِئْه	٣١	١٧
٢	منه	منِّي	٣١	١٨
٣	نابه	ناتِئَة	٤٦	٤
٤	صياد	صائِد	٤٦	٥
٥	هرون	هارُون	٥١	١٥
٦	كفيتموه	كفَيْتكمُوه	٦٠	٩
٧	الحرام	الحرم	٦٢	١٢
٨	قلادة	قلابة	١٨	٦٣
٩	ثهج	ثبَج	٧٢	١٨
١٠	الخبر	الخير	٧٣	٨
١١	قصوا	نصوا	٧٧	١٣
١٢	إلى	إليه	٨١	١٧
١٣	الأفكار	الأحكام	٨٣	٥
١٤	ظرف لغو	ظرفًا لغوًا	٨٨	٧
١٥	المضلين	المصلين	١١٦	٦

٩- بعض الأخطاء الواقعة في طبعة كتاب "قصة آدم عليه السلام" بمكتبة عالم الكتب سنة ١٤٠٥:

م	الخطأ	الصواب	ص	سطر
١	واهي	واهٍ	١٣	١١
٢	بال	بل	١٤	١ هامش
٣	فالمؤنثون	المخَنَّثونَ	١٩	٩
٤	سوَّاه	كلَّمه	٦٩	١٢
٥	كذبت	كلمةٌ مكررةٌ	٧٤	١٢
٦	فاستقبلهم	فاستقبلتهم	٨٤	١٢
٧	ساكنها	ساكنيها	٨٩	٢

١٠- بعض الأخطاء الواقعة في كتاب "قصة إدريس عليه السلام" المطبوع بمكتبة عالم الكتب ١٤٠٦:

م	الخطأ	الصواب	ص	سطر
١	العجمية	العُجْمَة	٤	٣
٢	يزداد	تزْدَاد	٧	٩
٣	حال	كلمةٌ زائدةٌ	١٣	٢
٤	الصائبين	الصَّابِئين	٢٠	١٩
٥	كان إدريس أبيض	كان إدريسُ رجلًا أبيضَ	٢٢	١هامش
٦	ابن حيان	ابن حِبَّان	٣٧	٥

١١- بعض الأخطاء الواقعة في طبعة كتاب "قصة داود " بمكتبة عالم الكتب سنة ١٤٠٦:

م	الخطأ	الصواب	ص	سطر
١	بيه	بن	١٠	٤
٢	الثالث	الثالثة	٢٨	١٨

١٢- بعض الأخطاء الواقعة في طبعة كتاب"النفحة الإلهية" بمكتبة عالم الكتب سنة ١٤١٠:

م	الخطأ	الصواب	ص	سطر
١	حفواتهم	حَفّوا بهم	٧	٧
٢	بزائدهم	برائدِهِم	٧	٨
٣	اغتبقهم	اعتنقهم	٧	١٢
٤	اغتباقا	اعتِناقًا	٧	١٢
٥	يحد	يجد	٨	٨
٦	فيشرني	فبشَّرني	١٠	١٦

١٣- بعض الأخطاء الواقعة في طبعة كتاب "إتحاف النبلاء بفضل الشهادة وأنواع الشهداء" بمكتبة عالم الكتب ١٤٠٥:

م	الخطأ	الصواب	ص	سطر
١	دقي	ذِمِّي	٦٣	٢٠
٢	تعرف	نعرف	٦٦	١٤
٣	المتشمط	المتشحِّط	٦٧	١٦

م	الخطأ	الصواب	ص	سطر
٤	المتشطط	المتشحِّط	٦٧	١٩
٥	رواثق	رواةٌ ثقاتٌ	٦٨	٢

١٤- بعض الأخطاء الواقعة في طبعة كتاب "تنوير البصيرة" بمكتبة عالم الكتب سنة ١٤٠٦:

م	الخطأ	الصواب	ص	سطر
١	قتل	فتَل	٤٨	٣
٢	فيتلغ	فيثلغ	٤٨	١٤
٣	فجعل	فعُجِّل	٥٨	١٢
٤	أرأيت قتلت	أرأيتَ إنْ قتلت	٦٠	١٩
٥	البصيري	البَصريّ	٦٢	٢٠
٦	كبارة	كفَّارة	٦٣	٢

* معَ الأخذِ في الاعْتبارِ أنَّ هذه الرسائلَ المطبوعةَ خاليةٌ -تقريبًا- مِنَ الهمزاتِ، ولا تفرِّقُ بينَ الألفِ اللَّيِّنَة والياءِ، وبها بعضُ العباراتِ المكرَّرَةِ خطأ.

* هناكَ خطأٌ شائعٌ في ضبْطِ نِسْبةِ المؤلِّفِ رحمه الله : «الغماري» فضبطها المحرف بفتحِ الغَينِ أو بكسرِها، والصوابُ: بضمِّ العينِ نِسْبةً إلى «غُمارةَ».

١٥- بعض الأخطاء الواقعة في طبعة كتاب "دلالة القرآن المبين" بالمكتبة المكية سنة ١٤١٨:

نظرًا لأهميَّة الكتاب، وتفرُّده، وقوَّة مادَّته العِلْميَّة، أحب الناشر أن يقدِّمه للمستفيدين، ولكن بعد تغيير بعض معالمه التي لا تتوافق مع التيميين المتشدِّدين، فأجرىٰ تغيرات علىٰ الكتاب كان بعضها كالآتي:

١- تحريفٌ في كلامِ المؤلِّف في المقدِّمةِ الشِّعْريَّةِ (ص٣):

الخطأ المقصود:

واللهَ أرجُو سائلًا بصفاته وبعزِّه أجرًا بلا حُسْبانِ

والصواب:

واللهَ أرجُو سائِلًا بكتابه ونبيِّه أجْرًا بلا حُسْبانِ

٢- أسقط عمدًا عشرة أسْطرٍ (ص ١١، سطر ١٤) بسبب أنه نقْلٌ عنِ العارفِ عبدالوهاب الشَّعَرانيِّ، وهكذا مشىٰ الناشر علىٰ تغيير معالم الكتاب مع مصحِّح الكتاب من أجل موافقة التيميين!!.

الفائدة التاسعة

فإن سألتَ كيفَ تمَّ العمَلُ، وما هوَ التَّرتيبُ الذي مشيْتُ عليه؟

فالجوابُ: إنَّ مَسَيرةَ العمَلِ في هذا المجموعِ كانَت كالآتي:

١- إنَّ العمَلَ اعتَمدَ على النُّسَخ التي طُبِعتْ في حياةِ سيِّدي عبدِالله بنِ الصِّدِّيق وقامَ هو بتصحيحِها، وثَمَّ كتبٌ طُبِعتْ في حياتِه ولمْ يقُمْ بتصحيحِها، كالتي طُبِعَتْ بمطبَعةِ الأنْصارِ بالقاهرةِ، وقتَ تَواجُدِ شَيخِنا بالمغْربِ، فهي وإنْ وقعَ فيها أخْطاءٌ مطبعيَّةٌ لكنَّها قَليلةٌ بالنِّسْبةِ لغيرِها، وقدِ اعتمدتُها كأصْلٍ لعدمِ وجُودِ غيرِها وقُمْنا بتَصْويبِ ما يحتاجُ لتصويبٍ.

٢-تجنَّبْتُ أيَّ تعليقاتٍ على الكتُبِ أو إبْداءِ رأيٍ، فالَّذي أعلمُه وسمِعْتُه منْ شيخِنا وشقيقِه شيخِنا السيِّدِعبدالعزيزِ رحمهما الله تعالى مرَّات أنَّه لا يحبُّ أنْ يعلِّق أحدٌ على كتبِه أو كتبِ أشقَّائِه، نعمْ احتَفى أستاذُنا العلَّامةُ عبدُالفتَّاح أبو غُدَّة بشيخِه العلَّامةِ السيِّد عبدِالله بنِ الصِّدِّيقِ الغُماريِّ رحمهما الله تعالى، ولكنْ أينَ الجاهلُ مِنَ العالِمِ؟ وأينَ معاوية من عليٍّ؟.

٣- تمَّ ترتيبُ العملِ كالآتي:

- كتابُ الإيمانِ
- القرآنُ الكريمُ وعلومُه
- قَصَصُ الأنبياءِ عليهمُ السَّلامُ
- الحديثُ النَّبويُّ الشَّريفُ وعلومُه
- فضائلُ النَّبيِّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم
- أصُولُ الفِقْهِ
- الفقْهُ الإسْلاميُّ

- التَّصَوُّفُ الإسْلاميُّ
- كتابُ الأدبِ والمتفرِّقاتِ
- مباحَثَاتٌ معَ المعاصِرينَ المخالِفينَ
- النَّحْوُ
- المَنْطِقُ
- كتابُ الفَتاوَىٰ
- كتابُ المقالاتِ

ثمَّ الفتاوَىٰ، وقد جعلْناها علىٰ أبوابِ الفقْه ليَسْهُل الاطِّلاعِ عليها في أبوابِها، وأفردْنا بابًا للفتاوَىٰ الحديثيَّة، وإذا كانَ المُخاطَب مِن الشَّيْخِ يحتاجُ إلىٰ بيانٍ ذكرناه في الحاشيةِ.

وخُتِمَ العملُ المبارك بالمقالاتِ وجعلت مرتَّبةً كترتيبِ الجوامعِ.

وكانَ ترتيبُ العملِ على المجلَّداتِ كما يلي:

المجلَّدُ الأول «المقَدِّماتِ وسبيل التوفيق »:

١- مقدِّمةُ الشَّريفِ الدكتور عبدالمُنعمِ بنِ الصِّدِّيق.

٢- استهلال لفضيلة الشيخ محمد فؤاد بن كمال الدِّين الماليزي.

٣- مقدِّمةُ «مُشْرفِ العملِ»العبدالضعيف خادم العِلْم والعلماء .

٤- ترجمةُ الحافظِ السَّيِّدِ أحمدَ بنِ الصِّدِّيقِ لسَيِّدي عبدالله بنِ الصِّدِّيق.

٥- رسائل مُتبادَلة بين السيِّد عبدالله بن الصِّدِّيق وشَقِيقَيه العلَّامة السيِّد أحمد، و العلَّامة السيِّد عبدالعزيز.

٦- صُورٌ لبعض الأصول الخطيَّة.

٧- سبيلُ التَّوْفيقِ في ترجمةِ عبدالله بنِ الصِّدِّيقِ.

المجلَّد الثاني: (كتابُ الإيمانِ)

١- فَتحُ المُعِين بنَقْدِ كِتابِ الأَرْبَعِين.

٢- النَّقدُ المَتِّين لكتابِ الفَتحِ المُبين.

٣- التَّحْقِيقُ البَاهِر في مَعْنَىٰ الإيمانِ بالله واليومِ الآخِر.

٤- اسْتِمْدادُ العَوْن لإثباتِ كُفْرِ فِرْعَون.

٥- قُرَّةُ العَيْنِ في أدلة إرسالِ النبيِّ ﷺ للثَّقَلَين.

٦- إرشادُ الجاهِلِ الغَويِّ إلىٰ وجوبِ اعتقادِ أنَّ آدمَ نبيٌّ.

٧- إعلام النَّبيهِ بسبب براءة إبراهيمَ مِن أبيهِ.

٨- إثمد العينين ببَيانِ نُبُوةِ الخَضر واسم ذي القرنين.

٩- تَنْوِيرُ البَصِيرةِ ببيانِ عَلامات الكَبيرةِ.

١٠- الحُجَجُ البيِّنات في إثباتِ الكَرَامَات.

المجلد الثالث: (كتاب الإيمان)

١- أولياء وكَرَامَات «النَّـقْدُ المُبرَم لِرسالَةِ الشَّرَفِ المُحَتَّم».

٢- إقَامَةُ البُرهانِ علىٰ نُزول عيسىٰ عليه السَّلام آخِرِ الزَّمانِ.

٣- عَقيدَةُ أهْلِ الإسْلامِ في نُزول عيسىٰ عليه السَّلام آخِرِ الزَّمانِ.

٤- المَـهْديُّ المُنتَظَر.

المجلَّد الرَّابعُ: (القرآنُ الكريمُ وعلومُه)

١- فَضَائِلُ القُرْآنِ الكَرِيمِ (جـ١ - جـ٢).

٢- الإحْسَانُ في تَعْقِيبِ الإتْقَانِ.

٣- جَواهِرُ البَيانِ في تناسُبِ سُورِ القُرآنِ.

٤- مِنْحَةُ الرَّؤوفِ المُعْطِي ببيان ضَعْفِ وقُوفِ الشَّيخِ الهِبْطِي.

٥- أحاديثُ التفسير.

٦- بَيان صَحِيحِ الأَقَاوِيل في تَفْسِيرِ آيةِ بَني إِسْرَائِيل.

٧- تَوْضِيحُ البَيَانِ لوصُولِ ثَوابِ القُرآنِ.

٨- كمالُ الإيمان في التَّداوي بالقُرآنِ.

المجلَّد الخامسُ: (القرآنُ الكريمُ وعلومُه - قصص الأنبياء)

١- بِدَعُ التَّفاسِير.

٢- قِصَّةُ آدمَ عليه السَّلام.

٣- قِصَّةُ إدريسَ عليه السَّلام.

٤- قِصَّةُ داودَ عليه السَّلام.

٥- قِصَّةُ سُلَيمانَ عليه السَّلام.

٦- قِصَّةُ هَارُوتَ ومَارُوتَ.

المجلَّدُ السَّادسُ: (الكَنْزُ الثَّمِينُ)

المجلَّد السَّابعُ: (الحديثُ الشريف وعلومه)

١- تَوْجِيهُ العِنايَةِ لتَعْرِيفِ عِلْمِ الحَدِيثِ رِوَايةً و دِرايةً

٢- الأربَعُونَ الغُماريَّةِ في شُكْرِ النِّعَم

٣- الأربَعُونَ حديثًا الصِّدِّيقيَّة

٤- تمامُ المنَّةِ بِبَيانِ الخِصال المُوجِبَةِ للجَنَّةِ

٥- الغرائبُ والوحدانُ في الحديثِ الشَّريفِ

٦- أسانيدُ السَّيِّدِ عبدالله للكتُبِ السَّبْعَة

٧- أسماءُ شُيُوخي

٨- إجازاتُ السَّيِّد عبدِالله لبَعْضِ معاصِريه

المجلَّدُ الثامنُ: (الحَديثُ الشريف وعلومه)

١- نِهايَةُ الآمَالِ في صِحَّةِ وشَرْحِ حَدِيثِ عَرْضِ الأَعْمال.

٢- سَميرُ الصَّالِحِين.

٣- الفَتْحُ المُبين شَرْح الكَنْزِ الثَّمِين في أحاديث النَّبيِّ الأمين ﷺ.

٤- تعليقاتٌ على كتابِ "المَتْجَرِ الرَّابحِ في ثَوَابِ العَمَلِ الصَّالِحِ» للحافِظ الدِّمْياطيِّ.

٥- تَخْريجُ أحاديث كتابِ "اللُّمَع" في الأصول لأبي إسحاق الشِّيرازيِّ.

٦- الابْتهاجُ في تَخريجِ أحاديث كتابِ "المِنهاجِ" في الأصول لناصر الدِّين البَيْضَاويِّ

٧- تنبيهُ الباحِثِ المُستَفيدِ للأَخْطاء الواقِعَةِ في الثَّلاثَةِ أجزاء الأول المطبوعة مِن كتاب "التمهيد" للحافظ أبي عمر بن عبدالبر.

٨- أخطاء للشَّيخِ محمد أبي زَهْرَةِ.

المجَلَّدُ التاسعُ: (فضائلُ النبي ﷺ)

١- دَلَالَةُ القُرْآنِ المُبين على أنَّ النَّبيَّ ﷺ أَفْضَلُ العَالَمين.

٢- الأحاديث المُنْتَقاةُ في فَضَائِلِ رسولِ الله

٣- السَّيْفُ البَتَّار لِمن سَبَّ النَّبيَّ المُخْتار.

٤- النَّفْحَةُ الإلهيَّة في الصَّلاةِ على خَيْرِ البَرِيَّة.

٥- نَقْدُ قَصِيدَةِ البُرْدَةِ.

٦- إرشادُ الطَّالبِ النَّجِيبِ إلي ما في المَوْلد النبويِّ مِن الأكاذيب.

المجلَّدُ العاشِرُ: (الأصولُ، والفقهُ الإسلاميُّ)

أولًا الأصولُ:

١- ذَوْقُ الحَلاوَةِ في امْتِناعِ نَسْخِ التِّلاوَةِ.

٢- فَتْحُ الغَنيِّ الماجِدِ في حُجِّيَّةِ خَبَرِ الواحِدِ.

٣- القَوْلُ الجَزْل فيما لايُعْذَرُ فيه بالجهْلِ.

٤- إتقانُ الصِّنعةِ في تحقيق معنىٰ البِدْعَةِ.

٥- حُسْنُ التفهُّمِ والدَّرْكِ لمسئلةِ التَّرْكِ.

ثانيا الفقهُ الإسْلاميِّ:

٦- الأدلَّةُ الرَّاجِحَةُ في فرْضِيَّة قِراءَةِ الفاتحةِ.

٧- الحُجَّةُ المُبَيِّنةِ لعبارة المُدَوَّنَةِ.

٨- كَشْفُ أنواعِ الجهلِ فيما قيل في نُصْرَةِ السَّدْل.

٩- الرَّأيُ القَويمُ في وجُوبِ إتمامِ المُسافِرِ خَلْفَ المُقِيمِ.

١٠- الصُّبْحُ السَّافِر في تحرير صَلاة المُسَافِر.

١١- إزالةُ الالتباسِ عمَّا أخطأ فيه كثيرٌ مِن النَّاسِ.

١٢- القولُ السَّديدُ في حُكْمِ اجْتماعِ الجُمُعَةِ والعيدِ.

١٣- إسماعُ الصُّمِّ لاثباتِ تحريمِ غُسْلِ الإبن للأمِّ.

المجلَّدُ الحَادِي عشرَ: (الفقهُ الإسْلاميُّ، والتصوُّفُ الإسْلاميُّ)

أولا: الفقهُ الإسْلاميُّ:

١- الإنارة في أدلَّة زكاة التجارة.

٢- القول المُشرِق لسبب صومِ المغربِ برؤية المَشْرِق.

٣- دفعُ الشَّكِّ والارتيابِ في تحريم نصارىٰ أهلِ الكتابِ.

٤- الاسْتِقْصَاء لأدلَّةِ تَحْريمِ الاسْتِمْناء.

٥- التنصيص علىٰ أنَّ حَلْقَ اللحية ليس بتَنْمِيص.

٦- تعريفُ أهلِ الإسلام بـأنَّ نقلَ العُضوِ حرام.

٧- أمنية المُتمَنِّي في تحريم التبنِّي.

٨- واضِحُ البُرهانِ علىٰ تَحْريمِ الخَمْرِ والحَشِيشِ في القُرْآنِ.

ثانيا : التَّصوُّفُ الإسْلاميِّ:

٩- الإعلامُ بأنَّ التصوُّفَ مِن شريعةِ الإسلامِ.

١٠- حُسْنُ التلطُّفِ في بيانِ وجوبِ سلوكِ التصوُّفِ.

١١- سِلْسِلَةُ الطَّريقةِ الصِّدِّيقية.

١٢- الدُّرَرُ النَّقية في أذكارِ وأدابِ الطَّريقةِ الصِّدِّيقية.

١٣- إرْشَادُ الأَنامِ إلىٰ ما يُتْلَىٰ مِنَ السُّورِ والأذْكَارِ في الأيَّامِ.

المجلَّدُ الثاني عشرَ: (الأدَبُ والمتفرِّقاتُ)

١- حُسْنُ البَيانِ في ليلة النِّصْفِ مِن شَعْبانَ.

٢- غايةُ الإحْسانِ في فَضْلِ زكاةِ الفِطْرِ وفَضْلِ رَمَضانَ.

٣- إتحافُ النُّبَلاء في فَضْلِ الشَّهادَةِ وأنواعِ الشُّهداء.

٤- القَوْلُ المَسْمُوعُ في بيان الهَجْرِ المَشْرُوعِ.

٥- النَّفْحَةُ الذَّكِيةُ في أنَّ الهَجْرَ بِدْعَةٌ شِرْكِيَّةٌ.

٦- قَمْعُ الأَشْرَارِ عن جَريمَةِ الانْتحَارِ.

٧- الرُّؤيا في الكِتابِ والسُّنَّةِ.

المجلدُ الثالثُ عشْرَ: (خواطرُ دِينيَّة)

١- خواطرُ دينيَّة- الجزءُ الأوَّلُ.

٢- خواطرُ دينيَّة- الجزءُ الثَّاني.

المجلَّدُ الرَّابعُ عشْرَ: (مُباحثات مع المعاصرين المخالفين)

١- الرَّدُّ المُحْكَمُ المَتينُ علىٰ كتاب "القول المبين".

٢- إرغامُ المُبتدِعِ الغَبيِّ بجواز التوسُّلِ بالنَّبيِّ.

٣- إعلام الرَّاكِعِ السَّاجِد بمعنىٰ اتِّخاذِ القُبورِ مَساجِد.

٤- إعْلامُ النَّبيلِ بجَوازِ التَّقْبيلِ.

٥- بيني وبين الشَّيخ بكر.

٦- إتْحَافُ الأذْكِياءِ بجَوازِ التَّوَسُّلِ بالأنبياءِ والأولياءِ.

٧- مِصْباحُ الزُّجَاجَةِ في صَلاةِ الحَاجَةِ «حديث توسُّل الضَّرير».

٨- أسبابُ الخَلاصِ مِن الأَخْطَاءِ الوَاقِعَةِ في كتاب "تَحْقِيقِ كَلِمَةِ الإخْلَاصِ".

٩- القَوْلُ المُقْنِع في الرَّدِّ علىٰ الألبانيِّ المُبتَدِع.

١٠- بيانُ الكَذبِ والبُهْتَانِ في دعوىٰ الظُّلمِ والعُدْوانِ.

المجلَّدُ الخامسُ عشرَ: (النحو والمنطق)

١- تَشْييدُ المَباني لتَوْضِيحِ ما حَوَتْهُ المُقدِّمةُ الآجُرُّومِيَّةُ مِن الحَقائِقِ والمَعَاني.

٢- التَّوَقِّي والاسْتِنْزَاه عن خطأ البُناني في مَعْنَىٰ الإله.

٣- رَفْعُ الإشْكَال عن مَسْأَلَةِ المُحَال.

٤- التَّنَصُّل والانْفِصال مِن فَضِيحَةِ الإشْكِال.

المجلَّدُ السَّادِسُ عشْرَ: الفتاوَى الشرعيَّة مُرتَّبة على الفنون ، وكلُّ فتوى لها رقمٌ خاصٌّ بها:

١- عِلْم الكلام.

٢- القرآن الكريم وقصص الأنبياء.

٣- الحديث النبوي الشريف.

٤- الفقه وأصوله.

٥- التصوُّف والأدب.

٦- مسائل خلافية.

٧- السِّير والشمائل والمناقب والتراجم.

٨- فتاوىٰ عامَّة ومُتفرِّقات.

المجلَّدُ السَّابعُ عشْرَ: المقالات:

١- مقالات في عِلْمِ الكَلامِ والمنطق.

٢- مقالات في القُرآنِ الكريمِ وعلومه.

٣- مقالات في الحديثِ الشَّريفِ وعلومه.

٤- مقالات في الفِقْهِ الإسلامي.

٥- مقالات في التصَوُّفِ الإسلامي.

٦- مقالات في فضائل النبيِّ ﷺ.

٧- مقالات حول مُباحثاتٍ مع المعاصِرين.

٨- مقالات مُتنوِّعَةٌ.

٩- مُقدِّمات لبعضِ الكُتُبِ العِلْمِيَّةِ.

المجلد الثامن عشر: الفهارس وتشتمل على:

١- فهرس الآيات القرآنية.

٢- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة والآثار.

٣- فهارس موضوعات الموسوعة.

وقد ألحقتُ بالعملِ في مقدِّمتِهِ:

١- ترجمةَ السيِّدِ عبدِالله بنِ الصِّدِّيقِ، بقلمِ السيِّد أحمدَ بنِ الصِّدِّيق، وهي مُسْتلَّة منْ كتابِه "سُبْحَةُ العَقيقِ لذكرِ مناقبِ الشيخ سيدي محمد بنِ الصِّدِّيق".

٢- عشرين رسالةً منَ الرَّسائلِ الغُمارِيَّة المتبادَلة بينَ الأشقَّاء الثلاثةِ سيِّدي أحمدَ وسيِّدي عبدِالله وسيِّدي عبدالعزيزِ حيثُ كانَ السيِّد عبدالله بالقاهرة، رَحِمَ اللهُ الجميعَ.

وقدْ أمدَّني بهذهِ الرَّسائلِ سيِّدي الشريفُ الأجَلّ عبدُالمغيثِ بنُ الصِّدِّيقِ وفَّقهُ اللهُ تعالى.

٣- إجازةَ الحافظِ السيِّد أحمدَ بنِ الصِّدِّيقِ لشقيقه السيِّدِ عبدِالله بنِ الصِّدِّيق.

٤- صورةَ شهادةِ العالميةِ منَ الأزْهرِ الشَّريفِ.

٥- صورًا لبعضِ الرسائلِ بخطِّ السَّيدِ عبدِالله، ومنها ما يطبعُ لأوَّلِ مرَّةٍ.

٦- صورا لبعض الإجازات المخطوطة التي أجيز بها السيد عبدالله من مشايخه.

(تنبيه): قد يسألُ سائلٌ بما صورتُه: هل استوعبتْ هذه الموسوعةُ كلَّ أعمال العلَّامةِ السيِّدِ عبدِالله بنِ الصِّدِّيق؟

فإجابتُه: نعَم، أرجُو أنْ يكونَ ذلك بشأنِ المطبُوعاتِ والمخْطوطاتِ التي

في تناوُلِ اليدِ.

وبقي ممَّا لم يُلحقْ هنا؛ الآتي:

أولًا: أجوبتُه الخطيَّةُ على تلاميذِه في العالمِ الإسلاميِّ وإجازاتُه لهم، وهُم كثيرونَ، وعهْدي به رحمَه الله تعالى أنَّه كانَ يردُّ على كلِّ منْ كانَ يراسِلُه.

ثانيًا: دروسُه التي كانَ يلْقِيها في الزَّاويةِ الصِّدِّيقيةِ لحوالَيْ ثلاثَ عشرةَ سنةً، وختَمَ فيها كتبًا منها "نيلُ الأوْطارِ" كاملًا، وهذه الدُّروسُ سجَّلها بعضُ تلاميذِه، وتفريغُها وإخراجُها يحتاجُ لعمَلٍ مفْردٍ، والميسورُ لا يسقُطُ بالمعْسُور.

ثالثًا: تحقيقاتُه العلميَّةُ على الكتبِ، وتعليقاتُه عليها بقلمِ الأصوليِّ الفاقِه، المحدِّثِ المتكلِّمِ، وهي كثيرةٌ ذكرَها شيخُنا في كتابِه "سبيلُ التوفيقِ"، وتعليقاتُ شيخِنا بحرٌ منَ العلْمِ والتَّحقيقِ والإفاداتِ، يمكنُ توجيهُ النَّظرِ إليها في مُصنَّفٍ خاصٍّ، بشرطِ نباهَةِ الباحثِ الذي يتمكَّنُ منِ استخراجِ اللآليءِ المنثُورةِ على طروسِ حواشي الكاغِد، وناهيكَ بما كتبَه شيخُنا في تحقيقِه للمجلَّد السَّابعِ منِ كتابِ "التَّمْهيد" للحافظِ ابنِ عبدالبرِّ الأندلسيِّ، فلم يَفْرِ أحدٌ ممَّن تقدَّموا لتحقيقِ الكتابِ فَرِيَّهُ، فلِلَّهِ درُّه .

وفي الخاتمةِ أقولُ: إنَّ الذينَ ترجموا للسيِّد العلَّامةِ عبدِالله بنِ الصِّدِّيقِ كثيرونَ، وتناولتْه بعضُ الأطرُوحاتِ العلميَّة التي كُتبتْ بإشرافِ وتوجيهِ تلاميذِ السَّيِّد عبدِالله في مقدِّمتِهم الأستاذُ الدكتورفاروق حمادة، والمؤرِّخُ الأستاذُ الدكتور محمَّد المغراوي، والأستاذ الدكتور محمَّد ابنُ الأخ المحبِّ الحاجِّ الصادقِ بنكيران، وأعمال آل الجباري بالقصر الكبير وفقَهم الله جميعًا.

ولابد أنْ أسجِّل ثَنائي على كتاب "عبدالله بنِ الصِّدِّيقِ الغُماريِّ الحافظِ النَّاقد"

لفضيلةِ أستاذنا الدكتور فاروق حمادة، وهو منْ تلاميذِ شيخِنا المتأثِّرينَ به العارِفينَ بالكثيرِ منْ أحوالِه.

وقدْ جَعلَ كتابَه فصلَيْنِ الأوَّل: لمحَاتٌ منْ حياتِه، والثاني: تعريفٌ بمؤلَّفاتِه، فعرَّفَ بطائفةٍ كبيرةٍ منْ مؤلَّفاتِه تعريفًا جيِّدًا، واختصرَ حياةَ شيخِه السيِّدِ عبدِالله بنِ الصِّدِّيقِ في قَولِه (ص: ٢٩): «وكانَ سيرتُه -أعلىٰ الله مقامَه- سيرةَ العلماءِ العامِلينَ، والزهَّادِ السَّالكينَ، والمربِّينَ النَّاصحِينَ، والغيُورِينَ المجاهدينَ، والهداةِ الذابِّينَ عن حِمىٰ الشَّريعةِ ولم تكنْ حياتُه لتخرجَ عنْ مسالكِ التَّصنيفِ والتَّأليفِ والإجابةِ عنِ الأسئلةِ الورادة والتَّعليمِ لمنْ يتحلَّقُونَ حولَه، ويكتُبونَ إفاداتِه وتعليقاتِه، وهُناكَ أجوبةٌ لم يدوِّنْها بنفسِه ودوَّنها بعضُ تلاميذِه. وكنتُ أقولُ لإخواني الذينَ يعرفُونَه والذينَ لا يعرفُونه: إنَّ السيِّد عبدَالله بنَ الصِّدِّيقَ الغُماريَّ جبلٌ شامخٌ ولكنَّه سَهْلُ المُرتقَىٰ».

خاتمةُ المقدمة

وبعدُ فقد كنتُ أستَمِعُ لخطبةِ سيِّدي عبدِالعزيزِ بنِ الصِّدِّيق بالزَّاويةِ الصِّدِّيقيَّة سنةَ (١٤١٥)، فأخذتْني غفْوةٌ أثناءَ الخطبةِ فرأيتُ قبرَ السيِّدِ عبدِالله بنِ الصِّدِّيقِ رحمه اللهُ تعالىٰ، مغطًّىٰ برُخَامةٍ بيضاءَ نقيَّة جدًّا، واقتُطعَ منْ أحَدِ أركانِ القَبرِالأربَعةِ قِطْعةٌ منَّ (الرُّخامِ) فجئتُ بقطعةٍ مثلِها وفي حجْمِها ووضعتُها في الرُّكنِ الخالي فجاءتْ عليه تمامًا.

وبعدَ الصَّلاة أخبرتُ سيِّدي العارفَ بالله عبدَالعزيزِ رحمَه الله تعالىٰ بما رأيتُ فقال لي مباشرةً بدونِ تأمُّلٍ أو توقُّفٍ: ستعملُ عملًا تستُر بهِ السيِّدَ عبدَالله.

وأرجُو أنْ تكونَ مُشاركتي في هذا العملِ وإشرافي عليه، ومنافَحَتي عنه رضيَ الله عنه تصديقَ ما رأيتُ.

وختَامُه مِسْكٌ بالدُّعاءِ لوالِدِينا ولمشايخِنا، ولكلِّ ساداتِنا العلماءِ العاملينَ، ولسادتِنا الأشرافِ آلِ الصِّدِّيقِ الغُماريِّ الأعلامِ جزاءَ ما قدَّمُوه منْ خيرٍ للأُمَّةِ الإسلاميَّةِ، واللهَ أسألُ أنْ يباركَ في أبنائِهِمْ، وأخصُّ بالذِّكرِ منْهم مَن أذِنَا في هذا الجمعِ المباركِ، وشرفتُ بتوجِيهِهما وإرشادِهما: سيِّدي الشَّريفَ الأجَلّ السَّائرَ علىٰ طريقِ آلِه الدكتور عبدَالمنعِمِ بنَ سيِّدي المحدث المفيد الصوفي عبدِالعزيز بنِ الصِّدِّيقِ، وشقيقَه الدَّاعي للخَيرِ بالخيرِ والقائمَ علىٰ تراثِ آلِ الصِّدِّيق سيِّدي عبدَالمغيثِ بنَ سيِّدي عبدِالعزيز بنِ الصِّدِّيقِ، وفيهما شبَهٌ بعَمَّيْهِما أحمدَ وعبدِالله فالأوَّلُ يَميلُ للثاني، والثاني يميلُ للأوَّل باركَ الله فيهما وفي ابنِ عمِّهِما سيِّدي الأستاذ الدكتور محمَّد علي بنِ شيخ الجماعة سيِّدي الحسنِ بنِ الصِّدِّيق الأستاذ

بجامعةِ القَروِيِّين بتَطْوان.

وأتوجَّه بالشكر الجزيل إلى إخواني الذين توجَّهوا لهذا العمل بالصفِّ والتنسيق والضبط والإخراج بحيث ظهر بالصورة التي تسرُّ الناظرين، وأخصُّ بالذِّكر منهم فضيلة الشيخ محمد بن العلامة الشيخ عبداللطيف بن العلامة الشيخ محمد الطيب القنائي، نفعنا الله بهذا البيت الطاهر، وأجزل له ولإخوانه عظيم المثوبة.

وأسألُ اللهَ تعالى أنْ يباركَ في تلاميذِ السيِّد عبدِالله ومحبِّيهِ وعارفي فضلِه وهمْ كثيرُونَ بالمغرب والمشرق.

ورَحِمَ اللهُ شيخَنا وإمامَنا الشَّريفَ العلَّامةَ المجْتهدَ عبدَالله بنَ محمَّدِ بنِ الصِّدِّيقِ الغُماريَّ الحسَنيَّ، وجمعَنا الله وإيَّاهُ في مَقْعَدِ صِدْقٍ عندَ مَليكٍ مُقْتَدِر، والحمد لله في البدء والختام.

وكتب

محمود سعيد بن محمَّد ممدوح الشافعيُّ

القاهرة، في الخامس عشر من صفر الخير سنة ١٤٣٧

ملحقات المقدمة

١- ترجمة العلَّامة السيِّد عبدالله بن الصِّدِّيق الغُماريِّ، بقلم شقيقه الحافظ السيِّد أحمد بن الصِّدِّيق الغُماريِّ.

٢- رسائل مُتبادَلة بين السيِّد عبدالله بن الصِّدِّيق وشَقِيقَيه العلَّامة السيِّد أحمد و العلَّامة السيِّد عبدالعزيز.

٣- بعض نصوص إجازات العلماء للسيد عبدالله بن الصِّدِّيق الغُماريِّ.

٤- صور لمستندات خاصَّة بالمسيرة العِلْمية للسيِّد عبدالله بن الصِّدِّيق الغماريِّ.

ترجمة العلّامة السيِّد عبدالله بن الصِّدِّيق الغُماريِّ
بقلم شقيقه الحافظ السيِّد أحمد بن الصِّدِّيق الغُماريِّ[١]

فصل

(وِلادتُه وبدايةُ نشأتِه):

وأمَّا السَّيدُ عبدالله، فَوُلِد في أحَد الجُمادَيْنِ، سنةَ ثمانٍ وعشرينَ، ثمَّ دخلَ المكتبَ فَحفظَ القرآنَ وهو ابنُ خمسِ سِنينَ، على الفقِيه أبِي حامِد العَرْبِي بُودْرَهْ، ثمَّ بعدُ على الفقِيهِ عبدالكريمِ البَرَّاق، ثمَّ بعدَه على الفقِيهِ محمَّدٍ الأندَلسيِّ، وعليه جمعَ القُرْآنَ وحفِظَه، وأتقَنَ عِلمَ رسْمِ القُرْآنِ. وكانَ في صِغَرِهِ كثيرَ البحْثِ والسُّؤال للوالدِ عَنِ المسائلِ العلميَّة في شَتَّى الفُنونِ، وكذلك كانَ يسألني. ولَمَّا توجَّهتُ إلى القاهرةِ، كان يُراسِلُني بالأسئلةِ، وبِسبَبِ سُؤالِه أَلَّفْتُ عِدَّةَ مؤلفاتٍ، "كجُزءِ المَمْسُوخِين"، و"رسالة نُبُوَّة خالِدِ بنِ سِنان والخَضِر والنِّساء"، و"تخريج أحاديث الشِّهاب"، وغيرها مع أجوبةٍ مُطوَّلةٍ في مسائلَ متعدِّدةٍ. ثمَّ لَمَّا قدِمْتُ، حضَرَ عليَّ في "الآجُرُوميَّةِ" و"مُنتَقَى الأخبارِ"، و"الشمائل" وغيرِها.

(القراءة بالقرويين):

ثمَّ توجَّه إلى فاس في شَوَّال سنةَ أربعٍ وأربعينَ، فأخَذَ بها الفِقهَ على عبدِالسلام العَلَويِّ، والأصولَ على الحُسين العِراقيِّ وغيرِه، وكذلك أخذَ عن

---

(١) مأخوذة من كتاب "سبحة العقيق بمناقب الشيخ سيِّدي محمد بن الصِّدِّيق" رضي الله عنه (ل٣٨٣-٣٨٩)، وقد أثبتنا الترجمة بنصِّها، وما بين المعقوفتين عناوين تعريفية.

الحَبِيب المَهاجِي، والعَبَّاس البِنَّانِي، والرَّضِي الحِنْش، وغيرهِم.

وبَرَع في النَّحوِ والصَّرفِ، وعلوم العربيَّة، وحصلَ مِنه إقبالٌ وإكبابٌ عليهما، وألَّفَ شرْحًا حافلًا على "الآجرُّومية" في مجلَّدٍ سمَّيتُه له: "تَشْيِيد المَبانِي لِما حَوَتْه المقدِّمة الآجروميَّة مِنَ الحقائق والمعاني".

(توجُّهه للقاهرة وقراءتُه بالأزْهر):

ثمَّ توجَّه معِي إلى القاهرة في سنةِ تِسعٍ وأربعين، فأخذَ بها الفقْه المالكيَّ عن الشيخِ عِمرانَ، قرأ عليه "شرْح الدرْدِير"، والفقهَ الشَّافعيَّ علَى عبدالمجيد الشَّرقاوي، أخذ عنه "شرْح الخطيب علَى أبِي شُجَاع"، وعن الشَّيخ عِزَّت الشَّافعِيِّ، أخذ عنه "شرْحَ المنهج" لِشيخ الإسلام بحاشيةِ البجيرميِّ، والفرائضَ علَى عبدالمجيد المتقدِّم، والأصولَ على محمَّد بن حَسَنين بنِ مخلوف العدويِّ، وكذلك آدابُ البحثِ والمناظرةِ والمنطق، على محمود الإمام، وعلى الطرابلسيِّ. قرأ على الأول "تهذيب الخبيصي"، وعلى الثاني "السُّلَّم" للأخْضري.

وأجازَ له أبو الفضل أحمدُ رافِع الطهْطَاوي، وعبدالحيِّ الكتَّاني، ومحمَّد راغِب الطَّبَّاخ، وخَليل الخالِدي.

ولَمَّا كُنتُ بِالشَّام اِستجزْتُ له بَدرَ الدِّين البيبَاني، ومحمَّد سعيد الفرا. وأجزتُ له إجازة مطوَّلة في سنة تِسعٍ وخمسين بطلبٍ منه مِنَ القاهرة.

(اهتمامُه بالمعقولاتِ ثم توجُّهُه للحديثِ):

وله ذكاءٌ وفِطنةٌ وإدراكٌ مع غفْلَةٍ تَلحقُه في بعضِ الأحيانِ، وكانَ ميَّالًا بطبْعِه إلى المعقولاتِ، غير مُلتفِتٍ إلى الحديثِ وفنونِه، وكنتُ أدعُوه إلى الاشتِغال به المرَّةَ بعد الأخرى، وأقولُ له: «إنَّ النَّحْوَ وغيرَه مِنَ الآلاتِ لم

ترجمة بقلم السيد أحمد بن الصديق ـــــــ

(مختصرُ رسالتِه في تضعيفِ ونكارةِ حديثِ الأوْعالِ):

وقد كتبَ إليَّ يخبرُني أنَّه ألَّفَ رِسالةً في إبْطال حديثِ الأوْعَال، فكتبتُ إليه أُحَذِّرُه الإقدامَ على إبطال الأحاديثِ بِدُون تَثَبُّتٍ، وأُوعِدُهُ بالرَّدِّ عليه وإبْطال ما كتبَ، خوفًا مِنْ أنْ يستهْويَه عُلماء الأزهر فَيَسِيرَ نحوَ أهوائِهم، لِما أعْلَمُه مِنْ مُرورِ الغفْلة عليه في بعضِ الأحيانِ.

فكتب إليَّ يقول: «أمَّا حديثُ الأوعال فلَمْ أضَعِّفْه تَبعًا لِهَوىٰ السنديوني ولا لغيره، فإنِّي شحيحٌ بعقِيدتي ولله الحمدُ، وإنْ كان علمي ليس بذاك.

ولكنَّ سرَّ المسألةِ هو أنَّ حامِدًا الفقي طبَع ردَّ الدَّارِمِي على بِشْرِ المريسِي، وفي هذا الردِّ تجسِيمٌ صريحٌ، كإثْباتِ المَكانِ لله تعالىٰ، والحدِّ، والقعودِ، والحركة، والثِّقْلِ والخِفَّةِ، وغيرِ ذلك مِنْ صِفاتِ المُحْدَثاتِ.

فقام ضِدَّه جماعةٌ وكتبوا يُفَنِّدون الكِتابَ وما فِيه، ويَذُمُّونَ طابِعَه، مِنهم الشَّيخ الكوثري والشَّيخ الدِّجْوي، وعبدالرحمن خَليفة، وغيرهم.

وكتبَ الشَّيخ اللبَّانُ سؤالًا إلىٰ مشْيخةِ الأزهرِ يتعلَّقُ بأشياء مِنْ ذلك الردِّ، فكانَ منها حديثُ الأوْعال، وكان غرضُ الشَّيخ اللبَّان مِنْ سؤاله إلْفاتَ نظَرِ المشيخة إلىٰ ما فَعَله حامِدُ الفقي لِتُعاقِبه علىٰ ذلك، فأحالت المشيخةُ سؤالَه إلىٰ لجنةٍ مكوَّنةٍ مِنَ الشَّيخ أبي دقيقه، وعِيسىٰ منون، والجبالي، والصغاني، فأجابوا بجوابٍ فيه تخاليطُ وأغاليطُ.

وكان مِمَّا قالوه في هذا الحديثِ: «إنَّه حسنٌ علىٰ رأي التِّرمذيِّ، وصحيحٌ عند الحاكمِ، وضعيفٌ عند آخرينَ، فمَنِ اعتقدَ ضعفَه فله وجْهٌ، ومَنِ اعتقدَ صحَّتَه فله وجهٌ»، في كلامٍ مِنْ هذا القَبيل، وغرَضُهُم أنْ يُبَرِّءُوا جانِبَ الفقي

حتَّىٰ لا تَقعَ عليه مسؤليَّةٌ، مع عدَم فهْمِهِم لهذهِ الأشياءِ.

فلمَّا وصل الجوابُ إلىٰ الشَّيخِ اللبَّانِ أرادَ أنْ يَردَّ ولكنَّه لم يَدْرِ ما يُقدِّمُ ولا ما يؤخِّرُ، وكلَّم صاحِبَنا أحمد خيري لِيُكلِّمَ الكَوْثَريَّ، فقالَ له: عندي مَنْ يقومُ بهذا غيرُ الكَوْثَريِّ، وأحالَه عليَّ. فكتبتُ ردًّا عليهم بيَّنتُ فيه خطأهُم كلمةً كلمةً، وضعَّفْتُ الحديثَ، وهوَ الواقعُ مِنْ عدَّة وجوهٍ أذكُرها لكَ مُلخَّصَةً:

أوَّلها: أنَّ الحديثَ تفرَّدَ به سِماكُ بنُ حَرْبٍ، وقد قال النَّسائيُّ: إذا انفرد بأصلٍ لم يَكن حُجَّة، لأنَّه كان يُلَقَّنُ فيتَلقَّنُ. وذكرتُ قول شُعْبة في قبولِه لِلتَّلقينِ، وأنَّ التَّلقينَ مِنْ أشدِّ ما يُضعَّفُ به الرَّاوي.

ثانيها: أنَّ سِمَاك مختلَفٌ فيه، فَوَثَّقَه جماعةٌ وضعَّفه آخَرون، وذكَرْتُ مَنْ وثَّقه وضعَّفه.

ثم قُلتُ: إنَّ تضْعيفَ من ضعَّفه مقدَّمٌ علَىٰ توثيق مَنْ وثَّقَه، لا لأنَّ الجَرحَ مقدَّمٌ علىٰ التَّعديلِ، بل لأنَّ مَنْ ضعَّفُوه بيَّنوا سبَبَ ضعْفِه، وذلكَ مُوجبٌ تقديمَ كلامِهِم. ونقَلْتُ من "التدريب" و"النخبة" ما يؤيِّد ذلك. وذكرتُ أنَّ احتجاجَ مُسلِمٍ بِسِمَاك لا يُصَيِّرُ حديثَه حُجَّة علىٰ الإطلاقِ؛ لأنَّه إنَّما احتجَّ به في أحاديثِ انتقاها مِنْ صحيحِ مسموعاتِه، وذكرتُ جوابًا عامًّا منَ الأجوبةِ التي أجابُوا بها عَنِ الشَّيخَيْن.

ثالثها: ولو سلَّمنا أنَّ سِماكًا ثِقةٌ وألْغيْنا النَّظرَ عن تضعيفِ مَنْ ضعَّفه لوجَبَ ردُّ حديثِه هذا؛ لأنَّه اختُلِف عليه فيه كما قال الحافظ في "التهذيب". وذكرتُ ذلك الاختلافَ حسبَما بهامشِه.

رابعها: أنَّ شيخَ سِماكٍ وهو عبدالله بنُ عُميرة، فيه جَهالةٌ كما قال الذَّهبيُّ،

وقال إبراهيمُ الحَربيُّ: لا أعرفُه. وذكرتُ أنَّ إيرادَ ابنِ حبَّان له في "الثِّقَات" لا يرفعُ عنه الجَهالةِ؛ لأنَّ عادة اِبنِ حبَّان في ذلك معروفةٌ، ونقلتُ كلامَ ابنِ عبدالهادي والسَّخاويِّ في هذا المعنىٰ.

خامسها: أنَّ سندَ الحديثِ منقطعٌ؛ لأنَّ عبدالله بنَ عُميرة لم يَسمَعْ مِنَ الأحْنَفِ بنِ قَيْسٍ، ونقلْتُ عبارةَ البُخاريِّ في ذلك.

سادسها: أنَّ ابنَ عَديٍّ ذكرَ هذا الحديثَ معَ أحاديثَ أُخرىٰ في ترجمةِ يحْيَىٰ بنِ العَلاءِ مِنَ "الكامل"، وقال: كلُّها غيرُ محفوظةٍ.

سابعها: أنَّ الحديثَ يخالفُ القرآنَ والأحاديثَ الصَّحيحةَ في صِفاتِ الملائكةِ؛ لأنَّ القرآنَ وصفَ الملائكةَ بأنَّهم ذَوُو أجنحةٍ، وفي بعضَ الآياتِ أطْلَقَ، ومُطلَقُها محمولٌ علىٰ مقيَّدِها. وكذلك الأحاديثُ الصَّحيحة جاءتْ علىٰ غِرَارِ القُرآنِ، فبعضُها وصَفَ الملائكةَ بالأجْنِحَةِ، وبعضُها أطْلَق، ومُطلقُها محمولٌ علىٰ مقيَّدِها.

وهذا الحديثُ أفاد أنَّ حَمَلَةَ العرشِ منْهم علىٰ صورةِ الأوْعال، ولو صحَّ لجاز أنْ يُخصَّ به عمومُ القرآنِ والسُّنَّةِ الصَّحيحةِ علىٰ قول الجمهورِ بجوازِ تخصيصِ القرآنِ بخبرِ الآحادِ، ولكِنْ في سنَدِه ما تقدَّم.

ثامنها: أنَّ الحديثَ يخالفُ القرآنَ أيضًا مِنْ ناحيةٍ أُخرىٰ؛ لأنَّه يُفيدُ أنَّ حَمَلَةَ العرشِ الآنَ ثمانيةٌ، والقرآنُ يُفيدُ أنَّهم ثمانيةٌ يومَ القيامةِ لا الآنَ، قال تعالىٰ: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧]ومفهومُ الظرف حُجَّةٌ عند الجمهور، لا سيَّما وقد ورَدَ في الحديثِ ما يؤيِّد ذلكَ. وذكرتُ مُرْسَلَيْ اِبنِ إسحاق واِبنِ زيد، وهُما مُصرِّحان بأنَّ حملةَ العرشِ اليومَ أربعةٌ، ويؤيِّدُهم الله

يومَ القيامةِ بأربعةٍ فيَصيرُون ثمانيةً.

تاسعها: أنَّ الحديثَ مُنْكَرُ المعنىٰ، وبيانُ نكارتِه مِنْ وجهين:

أحدهما: أنَّ الله ذمَّ المشركين علىٰ وصْفِهِم الملائكةَ الذين هُم عبادُ الرَّحمن بأنَّهم إناثٌ، وقال: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩]ولم يكنْ لِيَذُمَّهم علىٰ وصفِهم الملائكةَ بصفةٍ هي أشرفُ مِنَ الصِّفة التي هُم عليها، كما يفِيده حديثُ الأوعال، إذ مما لا شك فيه أنَّ الأنثىٰ أشرفُ مِنَ الوَعْل.

وثانيهما: أنَّ الوعلَ هو التَّيسُ الجَبَلِيُّ، والتَّيسُ ليسَ مما يُستَحسنُ الوصفُ به عند العربِ وغيرِهم، بل هو مَذمَّةٌ وعارٌ كما يُعلَمُ مِنْ كُتبِ الأمثال، وقد استَعملَ الشَّارعُ نفسُه وصْفَ التَّيسِ في الذمِّ، فسمَّىٰ المُحَلِّل بالتَّيسِ المُستَعارِ، وقال عنِ الذي يتخلَّفُ في نساءِ الغازِين: «**إنَّ له نَبِيبًا كَنَبِيب التَّيْسِ**». فكيف تكونُ حَمَلةُ العرشِ وهمْ أشْرَفُ الملائكةِ يحمِلُون أعظمَ مخلوقٍ وأشرَفَه في العالمِ العلويِّ علىٰ أشكال تُيُوسٍ، مع أنَّه لو وُصِف أحدٌ مِنَ النَّاسِ بأنَّه تَيسٌ لكانَ ذلك في غايةِ الذَّمِّ له؛ فالحديثُ في غايةِ النَّكارةِ.

وقلتُ: فلو سلَّمْنا سلامتَه مِنْ وجُوه الضَّعفِ السَّابقةِ، لوجَبَ ردُّه لنكارتِه، بل لا يَبعدُ أنْ يُحكمَ عليه بالوضْعِ، كما فعلَ المحدِّثُون فيما هو أقلُّ نكارةٍ مِنْ هذا. وذكرتُ بعضَ الأحاديثِ التي حَكَم الذَّهبيُّ بوضْعِها للنَّكارَة مع صِحَّة سنَدِها.

هذا ملَّخَّصُ الوُجُوه التي ضَعَّفْتُ بها الحديثَ، وهي صحيحةٌ مفيدةٌ إلا الوجهَ السَّادسَ فإنِّي ذكرتُه مع علْمِي بأنَّه لا يفيدُ أصلًا؛ لأنَّ المردودَ عليهم لا يفهمونَ، ولأنَّهم اسْتَعْملوا المغالَطةَ فغالطتُهم.

فإنْ كنتَ ترىٰ في هذه الوجوهِ شيئًا فأخبِرْني به؛ معَ الجوابِ عن حديثِ الرّشْوةِ والصَّريح، فإنَّه إلىٰ الآنَ لم يَصِلْني هذا.

وأرجو أنْ تكتبُوا لي إجازةً موسَّعة تَذْكرونَ فيها مشايخَكم بإستقْصاءٍ، ومشايخَهم كذلك إلىٰ أنْ تصِلَ إلىٰ الأثباتِ المعروفةِ...» إلخ ما في كتابِه المؤرَّخِ في خامس وعشري ربيع الثاني سنةَ تسعٍ وخمسينَ.

(جوابه عن مفعولي «قال» وأحوالها):

وكان الشَّيخ الوالد قُدِّس سِرُّه يُذاكرُه في المسائل النحويَّة، وإذا وقع ما يقتضي الكتابةَ في شيءٍ منه أمرَه بذلك، ووجدْتُ في مِحْفَظتِه جوابًا بِخطِّ المترجَمِ، نصُّه: «حضرةُ الشَّريف الجليل الأستاذ الفاضل، سيدي عبدالحفيظ حفِظَك الله، وسَلامٌ عليكَ ورحمةُ الله تعالىٰ وبركاتُه.

أمَّا بعد: ذكرتَ في كتابك أمَّنَك الله، أنَّ البحَّاثة الأديبَ السَّيدَ محمَّدَ بنَ الأزرقِ سألَ عن «قال»: هل هي متعدِّيةٌ؟ وذكرتَ أنَّ كلَّ مَنْ وصلَه السُّؤالُ توقَّفَ في ذلك بعدَ جوابِه بأنْ تنصِبَ الجُملَ، وأنَّ الفقيه السَّيد محمَّد بنَ عبدِالصَّمد أجابَ بأنَّها لازمةٌ، وطلبْتَ مِنِّي تفصيلَ القول في ذلكَ.

فاعْلَمْ أنَّ للفعلِ المتعدِّي علامتَيْنِ:

إحداهما: أنْ تتَّصلَ به هاءُ غيرِ المَصْدرِ علىٰ وجْهٍ لا يكونُ خبرًا، كما قالَ ابنُ مالك:

عَلامــةُ الفِعْــلِ المُعَــدَّىٰ أَنْ تَصِــلْ «ها» غَيْرِ مَصدَرٍ بِـهِ نَحْـوُ «عَمِـلْ»

ثانيتهما: أنْ يُبنَىٰ منه اسمُ مفعولٍ تامّ، أي: غير مفتَقِرٍ إلىٰ صِلَتِه بحرفِ جرٍّ.

وغيرُ خافٍ أنَّ العلامتَيْنِ موجودتان في «قال»، إذ يصِحُّ أنْ يقال: «هذه

كلمة قُلتُها»، و«هذا كلامٌ مَقُولٌ»، ووجودُ إحدىٰ العلامَتَيْنِ في الفعلِ كافٍ في ثُبوتِ تعدِّيه كما يفيدُه اقتِصارُ اِبنُ مالكٍ علىٰ أوَّلِها، وتفريعُه عليها قوله: فإنْصِبْ به مفعولَه؛ فكيفَ بوجودِ العلامتَينِ؟! فـ«قال» إذنْ متعدِّيةٌ كما قال المُراديُّ والأشْمُونيُّ، وإنْ لم يُبيِّنا وجهَ التَّعدِّي، ولعلَّهما لوضُوحِه تركاه.

وبهذا تَعلمُ أنَّ توقُّفَ مَنْ توقَّفَ في تعدِّيها بعد اِعترافِه أنَّها تَنصِبُ الجُملَ، غلطٌ نشأ مِنَ الغفْلةِ عَمَّا قدَّمْناه. وأفحَشُ منه قولُ سيدي محمَّدِ بنِ عبدالصَّمد أنَّها لازمةٌ؛ إذْ لا قائلَ بهِ غيرُه فيما أعلَمُ، ثمَّ المشهورُ عند الجُمهورِ أنَّها متعدِّيةٌ إلىٰ مفعولٍ واحدٍ. وذَكَر الأعلمُ وابنُ خَروفٍ وصاحِبُ "البسيط": أنَّ سُلَيمًا مِنَ العَربِ تُعدِّيها إلىٰ مفعولَيْنِ تشبيهًا لها بِظَنَّ في العمَلِ، وإنْ لم تُضَمِّنْها معنَاها مِنْ إفادة الظَّنِّ، واستدلُّوا بقول الشَّاعر:

قالــتْ وكنــتُ رَجُــلًا فَطِينــا هــذا ورَبِّ البيــتِ إسْرائِينــا

فنصبَ هنا «قالت» مفعولَيْنِ، أحدُهما: «هذا»، والثَّاني: «إسْرائِينا»، وليس معناه ظنَّتْ، وتأوَّله ابنُ عُصفورٍ: بأنَّ «هذا» مبتدأٌ و«إسْرائِين» علىٰ حذفِ المضافِ هو الخبرُ، أي: مسْخُ «إسْرائِينَ»، فحُذِفَ المضافُ وبقِي المضافُ إليه علىٰ جرِّه؛ لأنَّه غيرُ منْصَرفٍ للعَلميَّة والعُجْمةِ، قال الخُضريُّ: «وهوَ تأويلٌ بعيدٌ».

قُلتُ: وجْهُ بُعدِه فَقْدُ شرْطِ بَقاءِ المضافِ إليه علىٰ جرِّه بعد حذْفِ المضافِ، لكنْ قال: ليس إنْ كانَ المشارُ إليه بهذا النَّصْب فالتقديرُ واجبٌ أعمل القول أو لا، وإنْ كان الشَّاعر فلا يصح التقدير، وعلىٰ المشهور فمفعولها قسمان:

الأول: المفردُ وهو نوعانِ، أحدُهما: المفردُ المؤدِّي معنَىٰ الجملة، وذلك

كقريضٍ وخطبة، وقد اتَّفقُوا على أنَّها تَنصِبُه.

ثانيهما: المفردُ المرادُ بِهِ اللَّفظُ الذي لا يكونُ اسمًا للجملَةِ، وذلك ككَلِمةٍ ولفظةٍ، واختلفوا فيه، فذَكَر الرَّضِيُّ أنَّها تَنصِبُه، وردَّه ابنُ هِشام بأنَّه خلافُ الإجْماعِ.

قلتُ: هذا الإجماعُ مردودٌ، فإنَّ ما ذكَره الرَّضيُّ ذهبَ إليه الزَّجَّاجيُّ والزَّمخشريُّ، وابنُ خَرُوفٍ، وابنُ مالكٍ، وجعلُوا منه قولَه تعالى: ﴿يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٦٠]وتبِعَهُم الأشْمُونيُّ قال: ولو كانَ يُقالُ: مَبنيًّا للفاعلِ لَنَصَب ﴿إبراهيمَ﴾.

قلتُ: وهو ظاهرٌ؛ لأنَّ بناءَه للمفعول، ورفعَ ﴿إِبْرَٰهِيمُ﴾ به فرعٌ عن صحَّةِ نصبِه له مفعولًا.

زاد الرَّضي نوعًا ثالثًا ينصَبُ بـ«قال»؛ وهو ما يصِحُّ أنْ يُعَبَّر به عنِ الجملةِ وعنِ المفردِ، نحو « قُلتُ لفظًا »، فإنَّ اللَّفظَ يَقعُ عليها.

الثاني: الجملةُ، وذلك إذا حُكِيَت بـ«قالَ»، فإنَّها تَكونُ في موضِع مفعولِها المفرد المتَقدِّم. ذَكَره -كما قال- غيرُ واحدٍ.

وحكَى الصَّبَّانُ عن بعضِ النَّحْويين: أنَّها تكونُ في موضعِ مفعولٍ مُطلَقٍ نوعِيٍّ، وهذا ـ وإنْ لم يردُّه هو ولا الأخْضريُّ ـ باطلٌ؛ لأنَّه لا تُعرَف نيابةُ الجملةِ عن المفعول المطلقِ، والمرادُ بالجملةِ ما يعُمُّ الصَّريحةَ والمقدَّرةَ، فإنَّ المفردَ الواقعَ بعد «قال»، مِنْ غير الأنواعِ الثلاثةِ المتقدِّمةِ، يُحكى كما قال الرضيُّ والسُّيوطيُّ على تقديرِ متم الجملة، وذلك نحوُ قوله تعالى: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٥]، أي: سلامٌ عليكُم .

وقول امرؤ القيس:

إِذا ذُقْتَ فَاهَا قلتَ: طَعمُ مُدامَةٍ مُعَتَّقَةٍ مِمَّا يَجِيءُ بِهِ التُّجْرُ

وقد ذكروا هنا كيفيَّةَ حكايةِ الجُملة الصَّريحةِ، وأنَّه يجوزُ أن تُحكىٰ بلفظِها وبمعناها، إلَّا إذا كان فيها لحنٌ، فاختلفُوا هل يجوزُ أن تحكىٰ به، أو يجبُ أنْ تحكىٰ بالمعنىٰ؟ ذهب إلىٰ الثاني ابنُ عصفور، والصَّواب التفصيلُ بين أن تُقصدَ حكايةُ اللَّحن فتجوزُ أو لا.

فهذا ما يتعلَّق بـ«قال» من تأصيلٍ وتفصيلٍ، وقد تكلَّم عليها الصبَّان والخضريُّ فلم يُحصِّلا فيها هذا التحصيل، وإنما أكْثرا علىٰ عادتهما من تشفِّي الغليل، ولا تجْدِي كبيرَ نفْعٍ لَدَىٰ الاعتماد عليها والتعويل.

فاِعْرِضْ هذا علىٰ السَّائل وتأمَّلْ أنت وهو فيه، فإنَّه إنْ شاء الله حسَنٌ جميلٌ وافٍ بالمقصود، خالٍ من التَّطويل. فالحمدُ لله علىٰ جميع نِعَمه، الصَّغيرِ منها والجليلِ، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ سيِّدنا محمَّدٍ وآله وصحبِه، ومَنْ اقتفىٰ أثَرهُم ونهَجَ سواءَ السَّبيل. وحُرِّر في سادسٍ وعِشرين ربيع الثاني منْ سنةِ خمسينَ وثلاثمائةٍ وألفٍ.

ولما رأىٰ بعضُهم قولي في بعض مؤلَّفاتي: «وجماعةٌ كثيرون» علىٰ تعبيرِ المحدِّثين في ذلك، وقال: «الصَّوابُ: جماعةٌ كثيرةٌ»، وبلَّغَ ذلك لمولانا الشَّيخِ الوالدِ قُدِّس سِرُّه، كتبَ إليه يأمرُه بالردِّ علىٰ هذا فكتبَ في ذلك ردًّا حسنًا.

(تدريسُه في الأزهرِ وحصولُه على العالمية):

وكانَ أيامَ حضورِه بالأزهرِ يقرأُ معَ الطَّلبة النَّحْوَ والمنْطقَ والأصولَ والبَيانَ، وانتفعَ به جماعةٌ منهم، ودخلَ للامتحانِ وأخذَ شهادةَ العالميَّة من

الأزهر، في حين أنَّه أعلمُ وأذكىٰ بكثيرٍ ممن امتحنَه وشهدَ له.

(تدريسُه "جمع الجوامع" الأصولي ثُمَّ استقرارُه بالقاهرة):

ولما تُوفِّي الشَّيخُ قُدِّس سرُّه، رجعْنا منَ القاهرةِ ثمَّ شرعَ في قراءة "جمع الجوامع" بالجامعِ الأعظمِ منْ طنْجةَ، وأُعجبَ بقراءتِه أكثرُ الطَّلبةِ، بل اعترفُوا بعدم فهْمِهم لكلامِه لعلوِّ نفَسِه في الإلقاءِ، وكثْرةِ بحْثِه وتعمُّقِه في الغوْصِ علىٰ المعاني، إلَّا أنَّ ذلكَ لم يطلْ لعدَم مُكْثِه بطنْجةَ، فإنَّه لم يُقِمْ بها إلَّا ستَّةَ أشهرٍ، ثُمَّ رجعَ إلىٰ القاهرة في جُمادىٰ الأولىٰ سنةَ خمسٍ وخمسين، وأقبلَ بها علىٰ التَّدريسِ والإفادةِ، ولا يزالُ بها كذلك أعانَه الله ووفَّقه». انتهىٰ.

رسائل وخِطابات بين السَّادة العُلماء
عبدالله؛ وشَقِيقَيْه أحمد وعبدالعزيز
رحمهم الله تعالى

الرسالة الأولى[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

سيِّدي أمَّنكُم الله، وسَلامٌ عليكم ورحمةُ الله.

وبعد تقبِيلِ أيديكم والسُّؤال عنْ أحوالِكُم التي نرجُو أنْ تكونَ بخيرٍ، وَصَلَني كتابُكم الأخيرُ وتأخَّرْتُ عنْ جوابِهِ لأنِّي كنتُ انتظرُ الانتهاءَ معَ سُلَيمانَ في مسألةِ الكتابِ، وقد انتهَيْنا واستلمْتُ (٢٥٠ نسخةً) منَ الكتابِ، سأبعثُ منها (١٠٠ نسخةً) ومعها نسخةٌ من "البحْرِ الزَّخَّار"، ومجموعة "الرَّمْي بالسِّهام" التي ساوتْ هنا عشرَ جنيهاتٍ، وكتاب "إزالة الخطر" أُعجِبَ به كلّ من رآه هنا، فالشَّيخُ أحمد مرسي -وهو يسلِّم عليكم كثيرًا- قال لي: إنَّ أخاك مجتهدٌ مطلقٌ؛ لأنَّ له ثلاثةَ كتبٍ لم يُسبَقْ إليها، تدلُّ على اجتِهَادِهِ، وهي: "تشْنِيفُ الآذَان"، و"إحياءُ المقبور"، و"إزالة الخطر".

وهو لذلك يحرِّضُ أصحابَه على اقتناءِ هذه الكتُبِ ويدعُو إليها في مجالسِه، بل قال لي منذُ أيامٍ: أنا أعتقد أنَّ أخاك وليٌّ منفوحٌ، وأنَّه في رعاية النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ويَصِفُكم عندَ أصحابِه بالحفْظِ الواسِعِ والاطِّلاع التَّامِّ.

وكذلكَ صديقٌ لنا اسمُه حمدُالله بليغٌ وهو رجلٌ صوفيٌّ صالحٌ ومحبٌّ للسُّنَّة، لا يقدِّمُ عليها مذهبًا ولا إمامًا، لمَّا رأى الكتابَ أخذَ منه عِشرينَ نسخةً ليوزِّعَها على أصحابِه، وقال لي: إنَّ أخاكَ عالمٌ من طرازٍ آخرَ وهؤلاءِ العلماءُ الذينَ نراهُم لا يَصْلُحون أنْ يكونُوا تلامذةً له.

---

(١) من السيِّد عبدالله للسيِّد أحمد.

وكذلك صديقٌ لنا آخرُ دِمَشْقِيٌّ وهو وهَّابيٌّ معتدلٌ، أخذَ عشرَ نُسخٍ من الكتاب ليبْعَثَهَا إلىٰ دِمَشْقَ، وأثنىٰ عليكم ثناءً عاطرًا.

والمقصودُ أنَّ كلَّ منْ رأىٰ الكتابَ أطْراه وأبْدىٰ إعجابَهُ بسَعَةِ علمِكُم وقوَّة حُجَّتِكم ودِقَّةِ استنباطِكُم، وبالأمسِ جاءني خِطابٌ من شخْصٍ لا أعرفُه ببلدة بِيَلا، يطلبُ كشْفًا بأسْماءِ كتبِكُم؛ لأنَّه رأىٰ "التَّشْنيفَ"، و"إحياء المقبور"، فأُعْجِبَ بهما أيَّما إعْجابٍ.

واقتراحُ شرحِ "الرسالة" أو"ابن عاشر"حسنٌ جدًّا، وأرجو أنْ أُوَفَّق إلىٰ شرحِ "ابنِ عاشر" أولًا؛ لأنَّه أصْغرُ ويُطلبُ كثيرًا في مصْرَ والسُّودانِ.

والأزهرُ مُقْفلٌ بكلِّيَّاته ومعاهدِه والشَّيخُ قاعدٌ في بيتِهِ؛ لأنَّ للأزهريِّين جميعًا مطالبُ لم تُجبْها الحكومةُ، فتركوا الدِّراسةَ واستقالُوا منْ وظائفِهم بالإجْماعِ.

يُسلِّمُ عليكُم سائرُ الأصدقاءِ، وكثيرٌ منهمْ يدعونَ لكُم في كلِّ مُناسبةٍ، حقَّقَ الله الآمالَ وفرَّجَ الكربَ قريبًا بمنِّه وفضْلِه، والسَّلامُ عليكُمْ ورحمةُ الله.

١٧ ربيع الآخر سنة (١٣٧٠).

الرسالة الثانية[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

سيِّدي عبدَالعزيزِ سلامٌ عليكمْ ورحمةُ الله.

وبعدُ: وَصَلَني كتابُك الشَّريفُ وعرفْتُ ما فيه وأخَّرَني عَنِ الجَوابِ اشْتِغالي بتصْحيحِ "البحْر الزَّخَّار"، وبتصْحيحِ "شرحِ الأمير على خليل" الذي يطبعُه صاحبُ مكتَبةِ القاهرةِ، وطلب منِّي تصْحيحَه والتَّعليقَ عليه إلى جانبِ اشتغالي بتصحيحِ كتابي "الأحاديثُ المنتقاة" الذي تمَّ وبعثْتُ بنسخةٍ منه مع نُسَخِ "إحياء المقبور" وسأبعثُ لكَ بنُسْخةٍ منْهُ مع باقي مُؤلَّفاتي بحول الله.

وكتاب "قطعُ الوَتِين" لابدَّ من طبْعِه إنْ شاءَ الله، وسيِّدي عبدُالحميد لا يردُّ عليه ولا يستطيعُ الرَّدَّ، بل هو في نظَري وفي الواقعِ لم يتعلَّقْ من العلمِ بكثيرٍ ولا قليلٍ، وأحسنُ ما يوصفُ به الآنَ أنَّه مسخِّن، كما يقال عندنا في الجبل: فلانٌ مسخِّنٌ، يَعْنُون: ليس بعالِمٍ، ولكنَّه فوقَ العامِّي، فكذلك سيدي عبدالحميدُ هو مسخِّنٌ لا غير.

والكتبُ المخطوطةُ التي أشرت إليها، ربما نصوِّرها بالفوتوغراف عنْ طريقِ الجامعةِ العربيَّة، فقد بلغني أنَّ التَّصوير عندهم رخيصٌ ربَّما يعادلُ ثمنَ النَّسْخِ، وقد صوَّرتِ الجامعةُ العربيَّة عدَّةَ مخطوطاتٍ من مكتبةِ الأزهرِ ودارِ الكتبِ المصريَّة ومكتبةِ الإسكندرية ودارِ الكتبِ الظاهريَّة، وأرسلتْ بعْثةً إلى اصطنبول فيها ابن تاويت الطَّنْجِيُّ ورشاد صاحبُك -وهو يسلِّم عليكَ-

---

(١) من السيد عبدالله للسيد عبدالعزيز.

لتصويرِ مخطوطاتِ بعضِ المكاتبِ هناك، ورُبما أُرسلُ لك الملزمةَ الأولى مِنَ فهرس "الحلية" مَعَ الكتبِ لتطَّلِعَ عليها.

أبلِغْ سلامي إلى أهلِ الدِّيار جميعًا، وأخبِرِ الأخَ أنَّه وصَلَني كتابُ "الزُّهد" و"القرطاس"،ومن طرفِنا يُسَلِّمُ عليكُم سائرُ الأصدِقاءِ خُصوصًا المحمَّدي والشَّيخ محمودًا.

والأحوالُ هنا مضطربةٌ، وقد ظهرَ بعدَ قتلِ النَّقراشِي أشياءُ كثيرةٌ عن الإخوانِ وغيرِهم، ولولا لُطفُ الله لأصبَحَتِ القاهرةُ في الأُسبوعِ الماضي ميدانَ حربٍ بينَ البيوتِ والشَّوارعِ، ولكنَّ اللهَ سلَّمَ وكشَفَ الأمرَ في آخرِ لحظةٍ، والأمرُ لله يفعَلُ ما يشاءُ.

وأحبُّ أنْ تخبرَني ماذا تمَّ في زواجِك؟ وهل دخلتَ أوَّلًا؟ والسَّلام.

١٠ ربيع الآخر سنة (١٣٦٨).

الرسالة الثالثة[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي أمَّنكم الله وسلامٌ عليكم ورحمةُ الله وبركاتُهُ.

وبعد: وصَلَني كتابُكم الشَّريفُ ومعَهُ القَصِيدتانِ، ففرِحْتُ لا سيَّما حينَ رأيتُ عليه ختمًا بواسطةِ أزمور إذ يمكنُ بعدَ هذا مُكاتَبتكم رأسًا والحمد لله.

أمَّا بخصوصِ "شرح الرِّسالة" فلابُدَّ من طبْعِهِ إنْ شاءَ الله تعالىٰ؛ لأنَّ الاتِّفاقَ تمَّ بشأنِهِ، وإنَّما نحنُ في انتظارِ هُبُوطِ سِعْرِ الوَرَقِ، فلا يأسَ من طبْعِهِ بفضْلِ الله، ومنذُ أربعةِ أيَّامٍ أرسلْتُ لسيدي عبدِالعزيز (٩٩) نسخةً منْ "إزالة الخطر "في (١١) طردًا مسجَّلًا كلّ طرْدٍ (٢ كيلو)، نرجُو أنْ تصِلَ سريعًا بحولِ الله، وإذا أردتُم بعدها نُسَخا أُخْرىٰ أبعثُ بها إنْ شاءَ الله.

وفي يومِ السَّبْت الآتي ١٠ جُمادىٰ الأولىٰ سأذهبُ بمشيئة الله إلىٰ الصَّعيد لزيارةِ أبي الحسن الشَّاذليِّ وسيدي عبدِالرَّحيم القِنائيِّ، وسيكونُ معي في هذه الزِّيارة الشَّيخُ مصطفىٰ بوعشرين وعبدُالواحد التَّازيُّ والشكارة، وعالمٌ تونسيٌّ اسمُه علي خميس، وربُّما يكونُ معي أيضًا شيخُ طريقةٍ بالشَّرقيَّة اسمُه علي سالم عمَّار، وسندعو لكُم هناك لعلَّ اللهَ يتقبَّلُ ويفرِّجُ الكرْبَ عاجِلًا.

أمَّا زِيارَتي لكُم فقد كنتُ عازمًا عليها في شَعْبانَ، واتفقتُ مع عبدِالواحد التازيِّ أنْ يكونَ سفَرُنا فيها عن طريقِ البرِّ، لكنْ حيثُ أبديتُم ذلك الاقتراحَ فسأؤجِّل الزِّيارةَ إلىٰ أنْ يفرِّجَ الله عنكُم، ولعلَّ ذلك يكونُ قريبًا، ولا شيءَ من

---

(١) من السيد عبدالله للسيد أحمد.

الأخبارِ هنا يستحِقُّ الذِّكرَ، والأصحابُ كلّهم يُسِلِّمُون عليكُم ويدعُونَ لكُم.

أبلِغُوا سلامِي إلىٰ المقدَّمِ بوغابة وكلِّ مَنْ يزورُكم من الإخوانِ والسَّلامُ.

٥ جمادىٰ الأولىٰ سنة (١٣٧٠).

الرسالة الرابعة[١]

بسم الله الرحمن الرحيم

سيِّدي أمَّنكم اللهُ، وسلامٌ عليكُم ورحمةُ الله.

وبعدُ:

وصَلَتْني منكُم عدَّةُ خِطاباتٍ وما بها عُلِم وصارَ بالبال، وزيارةُ أبي الحسن الشَّاذليِّ كانتْ بحمدِ الله زيارةً موفَّقةً، رغْم صُعُوبةِ الطَّريقِ ومشَقَّةِ سلُوكِها، وقدْ دعَوْنا لكمْ في ذلكَ المكانِ الطَّاهرِ، وفي ضَرِيحِ أبي الحجَّاجِ الأَقصُريِّ، وسيِّدي عبدالرَّحيم القِنائيِّ، والشَّيخِ أحمد الفرغَل، ونرجُو مِنَ الله أنْ يقبَلَ الدُّعاءَ، والشُّيوخُ الذين طلبتُم تاريخَ وفاتِهم وُفِّقْنا إلىٰ مُعظمِهم، ولم نَهتدِ إلىٰ بقيَّتِهم مثلَ الشَّيخ يونُس العطافي، والشَّيخ عويد نصر، والشَّيخ يوسف الشبرابخومي، ومحمَّد بن ناصر شيخ روَاق اليمَن، والشَّيخ أحمد الدلبشاني؛ لأنَّ ابنَه أبا الفتوح توفِّي منذ ثلاثِ سنواتٍ، وسأُوَالي البحثَ عنهُم لعَلِّي أعْثرُ علىٰ شيءٍ يتَّصلُ بهم ولو كانَ يسيرًا.

إلَّا أنَّ الشَّيخ يونُس العطافي لم أجدْ أحدًا سمعَ به أو عرفَ جنسيَّته، وكُتب الشَّيخِ عبدالرحيمِ الأسيوطيِّ الجِرْجاويِّ أبحثُ عنها كلَّ يومٍ، وأوصيتُ عليها بعضَ الكُتُبيَّة.

وطبعُ ترجمةِ سيدي أحمد ابنِ عَجِيبة فكرةٌ جيِّدةٌ، والكتابُ يرُوجُ؛ لأنَّه مشهورٌ في هذه البلادِ فعجِّلُوا به، وقد سألتُ الشَّيخَ طه عن الشَّخص الذي

---

(١) من السيد عبدالله للسيد أحمد.

يرْوِي عنه فلم يعرفْه ولم يذكرْ شيئًا عن هذا الموضوعِ إطلاقًا، والمؤذِّن أخذتُه إلى دار الكتبِ لكنْ لم أنْتَهِ فيه إلى شيءٍ، هل يكون هديةً أو بيْعًا؟ والغالبُ الأوَّل.

وترجَمتي سأبْعثُ بها إليكُم بحول الله مَعَ ما لم يتيسَّرِ الجوابُ عنه الآنَ، و"دليل مؤرخ المغرب" لم أسمعْ به وهوَ يلزَمُني جدًّا، فلو كلَّفتُم سيِّدي الحسنَ بإرسال نسخةٍ إليَّ، ونحبُّ أنْ نرى إذا أمكَنَ كتابُ "التَّوبيخ الإعلاني" وما ألَّفتُمُوه حديثًا، كما يهمُّنا كثيرًا أنْ نُوفَّقَ إلى طبْعِ ما يتَّصلُ بأجدادِنا وعائلتِنا، فهو مِنْ أوجَبِ الواجباتِ في هذا العصرِ.

والأصدقاءُ هنا كلُّهم يسلِّمُونَ عليكُم ويسألونَ عنكم كثيرًا، وليس هنا من خبرٍ جديدٍ، والأحوالُ هادئةٌ نوعًا ما، والمقدَّمُ بوغابة وصَلنِي منْه خطابٌ بعد الزِّيارة فإذا زارَكم فأبلغُوه سَلامي، والسَّلام عليكُم ورحمةُ الله وبركاتُه.

المبارك الغزَّاوي يُسلِّمُ عليكُم ويقولُ: إنَّه كتبَ لكُم كتابًا منذُ أيامٍ.

٢٢ رجب سنة (١٣٧٠).

الرسالة الخامسة

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي عبدَالعزيزِ سلامٌ عليكُمْ ورحمةُ الله.

وبعد:

وصَلَني كتابُك الشَّريفُ وما به عُلِم، وكنتُ أودُّ كثيرًا أنْ يُمْكِنكُم شراءُ "كنز العمَّال" منْ مكتبةِ العمراني؛ لأنِّي في حاجةٍ شديدةٍ إليه، إلَّا أنَّ الأخ أخبرني أنَّه أوقفَ مكتبتَه علىٰ أولادِ أولادِه، و"كنز العمال" ثمنُه مرتفعٌ هنا، وقد اشتَريتُ نُسْخةً منه في السَّنةِ الماضية بثمانيةِ جُنَيهاتٍ، وهي منْ كتُبِ الكوثَريِّ فوجدتُ الرُّطُوبةَ قد أضرَّتْ بها وأعدمَتْ الانتفاعَ منها فبِعتُها.

وسائرُ مطبوعاتِ الهندِ هنا غاليةٌ، وكتابُ زكي مجاهد أرسلتُه بالبريد المسجَّل، فلا أدري كيفَ ضَاعَ!، وأنا في انتظارِ "شرح ابن الحاجب"، وقد سرَّني كثيرًا ما أُخبرتُ به عن حُسنِ معاملةِ الأخ، وأنَّها لم تتغيَّر؛ لأنَّ الوزَّانيَّ ذكر في إحدىٰ زياراته للرِّيفيِّ: أنَّ الفرنسيِّين غيَّروا معامَلةَ الأخ وضغَطُوا عليه، وزاد: أنَّ الملِكَ أصدر العفوَ عنه وأنَّ الفرنسيين أوقفوا تنفيذَه؛ لأنَّهم يعارضُون في إطلاقِ سَراحِهِ، وصدَّقَ الرِّيفيُّ كلامَه وقال: إنَّه واثقٌ من أنَّ الملِكَ أصْدَر العفْوَ عن الأخ، ولكنَّ الفرنسيِّين عارضُوا فيه ،شأنُهم في معارضَةِ كلِّ ما يتَّصلُ بالحرِّياتِ الفرديَّةِ والجماعيَّةِ، ويعارضُون في كلِّ خيرٍ وإصْلاحٍ، فآلمَني هذا الخبرُ حتَّىٰ جاء كتابُكَ، فأزالَ ما عندي مِنَ الألمِ.

أبلغْ سَلامي إلىٰ أهلِ الدَّارِ جميعًا، وسائرِ الإخْوانِ، ومِنْ طَرَفِنا يُسَلِّمُ عليكُم سائرُ الأصْدقَاءِ.

وقد طُبع ترتيبُ "مسند الشَّافعي" لعابدٍ السِّنديِّ في جزءَيْنِ صغِيرَيْنِ، وألَّفْنا لجنةً مِنَ العلماءِ لطبْعِ مُؤلَّفاتِ أعضائِها ومؤلَّفاتِ أخرىٰ وجعلْنا الاشتراكَ فيها عشرةَ جُنيهاتٍ وربَّما نبْدأُ العملَ في الشَّهْرِ القادمِ بحولِ الله.

وبعضُ النَّتائجِ هنا تنبَّأتْ بوقُوعِ حرْبٍ وأحداثٍ وبنَتْ ذلكَ علىٰ أنَّ مُفْتَتَحَ السنتَيْنِ الهجريَّة والميلاديَّة يوافقُ يومَ الثُّلاثاءِ وهو يومُ المكروهِ، فنسألُ الله السَّلامةَ والعافيةَ، ونرجُو أنْ يُخلِفَ اللهُ ظنَّهم ويكذِّبَ نبأَهُم والسَّلام.

وسامي النشَّار في الإسكندريَّة، وحينَ أقابلُهُ بالقاهرةِ أبلِّغُه الرِّسالة بمشيئةِ الله تعالىٰ.

٢٧ من ذي الحجة سنة (١٣٧٠) - ٢٩ سبتمبر سنة (١٩٥١).

الرسالة السادسة

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي عبدَالعزيزِ سَلامٌ عليكُم ورحمةُ الله.

وبعد: وصَلَني كتابُك الشَّريفُ وعلمْتُ ما فيه، وفرِحْتُ كثيرًا بما ذكرتُه عن الأخِ، وسجَدْتُ شُكْرًا لله على ذلكَ، وهي خُطْوةٌ طيِّبةٌ سيَعقُبُها إنْ شاء الله الفرجُ التَّامُّ، والتِّلِّغراف أرسلتُه من هنا يوم ١٧ نوفمبر باسمِ مشيخةِ الطُّرُقِ الصُّوفيَّةِ وجماعةِ عُلماءِ الوعْظِ بالأزْهَرِ، وثمانِ جمعيَّاتٍ دينيَّةٍ.

وزيارتي لكُم لا أكرهُهَا بل لي رغبةٌ فيها ولكنَّها تحتاجُ إلى شيءٍ من المالِ، وهو غيرُ متيَسِّرٍ، وفي عزْمي ـ إنْ يسَّرَ الله وسهَّلَ ـ أنْ أصومَ رمضانَ معكُم، والزَّواجُ صرفْتُ النَّظرَ عنه؛ لأنِّي لا أميلُ إليه الآنَ، و"البحرُ الزَّخَّار" عندي منه نُسْخةٌ معدَّةٌ لإرْسالها إلى الأخ، و"تفسيرُ القرطبيِّ" تمَّ طبعُه، فانظر الأجزاءَ التي تنقُصُ المكتبةُ منه ولوْنَ تجليدِها، وأخبرْني لأبْعثَ بها، ومجموعةَ "الرَّمْيِ بالسِّهَامِ" لم تساوِ أكثرَ من عشرةِ جنيهاتٍ، فلمْ أبِعْها وسأرسِلُها بحولِ الله ولا زلتُ أنتظرُ الكتُبَ التي ذكرها الأخ ووعدتُ بإرسالها، و"الأُبي" يساوي ما بين ثلاثةِ جُنَيهاتٍ أو ثلاثةٍ ونصفٍ وعندي منه نسخةٌ، ومسألةُ تقييدِ الطُّرودِ المرسَلَةِ بالبريد واحدة، فهنا أيضًا لا يقبلُ البريد أكثرَ من طرْدِ اثنين كيلو، وهنا علَّة أخرى وهي أنَّه لا يمكنُ إرسالُ أيِّ طرْدٍ حتى يُستَخْرجَ تصريحٌ من إدارةِ الجُمْرُكِ والإدارةُ تقعُ في السَّبْتيَّة بعد بُولاق، أيْ: في آخرِ مصْرَ، ولهذا تراني أتحيَّنُ وجودَ الموظَّفِ الذي يعرفُني بالبريدِ، حتَّى لا يكلِّفني الذَّهَابَ إلى الجُمْركِ واستخراجَ التَّصْريحِ.

أبلغْ سلامي إلى أهلِ الدَّارِ جميعًا وسأُرسِلُ الصُّورَ في الخِطَابِ الآتي بمشيئةِ الله تعالى، ومِنْ هنا يسَلِّمُ عليكم سائرُ الأصدقاءِ وأهلُ الإسكندريَّة بخيرٍ، وسأخبِرُهم بما ذكرتَه عن قرابيهم والسَّلام.

الثلاثاء ٢ ربيع النبويّ سنة (١٣٧٠).

الرسالة السابعة

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي عبدَالعزيزِ سلامٌ عليكَ ورحمةُ الله.

وبعد: فقد وصَلَني كتابُكَ الشَّريفُ منذ مدةٍ وتأخَّرتُ عن الجوابِ منتظرًا وصولَ "شرح ابن الحاجب"، فلمَّا طالَ الانتظارُ عجَّلْتُ إليك بهذا الخطاب، وقد كتبتُ إلى الأخ وأخبرتُه بأنَّ المجموعةَ لا زالتْ عندي، وأنِّي سأبعثُ به إنْ شاء الله.

وبلغَني عن الوزَّاني الموجودِ هنا الآنَ أنَّ الفرنسيِّين ضيَّقُوا على الأخ هناك فهل هذا صحيحٌ؟ أحبُّ أنْ تفيدَني بالتفصيلِ، ثمَّ متى يحصُلُ الإفراجُ عنه؟

والأحوالُ هنا مضطربةٌ، والأزمةُ شديدةٌ والنَّاسُ كلُّهم يشكُونَ، وشيخُ الأزهر في خلافٍ كبيرٍ معَ الحكومةِ، وأُشيعَ أمسِ أنَّه أُقِيلَ، وعُيِّن بدلَه الشَّيخُ حمروشٌ، والشَّيخُ محمد راغب الطبَّاخ تُوفِّي في أواخرِ رمضانَ عن (٧٨ سنة)، أخبر الأخُ بذلك ليثبتَه في "معْجَم شُيوخِه".

أبلغْ سلامي إلى أهلِ الدَّار جميعًا وإلى الإخوانِ، ومن طرفِنا يُسلِّمُ عليكم سائرُ الأصدقاءِ والسَّلامُ.

يوم الثلاثاء ٢ من ذي الحجة سنة (١٣٧٠).

الرسالة الثامنة

بسم الله الرحمن الرحيم

سيِّدي عبدَالعزيزِ سلامٌ عليكُم ورحمةُ الله وبركاتُه.

وبعد: وصَلَني كتابُكَ الأول ثمَّ الثَّاني معَ كتابِ الأخِ، ثمَّ كتابُ الأخ الثَّاني، فاطمأننتُ على أخبارِكم وعلى وُصُول "إزالة الخطر" والحمدُ لله.

أمَّا رِحلتُنا إلى الصَّعيدِ فكانتْ موفَّقةً بفضلِ الله، والطَّريقُ إلى أبي الحسن الشَّاذليِّ صعْبٌ شاقّ جدًّا أكثرَ من صعوبةِ الطريقِ إلى شيخِهِ بجبلِ العلم، ويلزم مَنْ يزورُه أنْ يأخذ جميع ما يلزَمُه حتَّى ماءَ الشُّرْبِ ويستعمِلُها بتحفُّظٍ، ولو أسرفَ فيها بعضَ الشَّيء لهلكَ في الصَّحراءِ عَطشًا.

وبالجُملةِ فقد كانتْ الزِّيارةُ لذيذةً جميلةً، ودعونا لكُم هنالك كما دعونا لكم في مقام أبي الحجَّاج الأقصُريِّ بالأقْصُر، وسيدي عبدِالرَّحيم القنائيِّ، والشَّيخ فرغل بأبي تِيج، نسألُ الله أنْ يقبلَ الدُّعاءَ ويحقِّق الرَّجاءَ.

ومن الكُتُبِ المكرَّرةِ التي كان الأخُ يريد أنْ يبعثَ بها إليَّ، كتابَ "تنقيح الفُهُوم في صيغ العموم" للعلائي، و"رفع الحاجب شرح مختصر ابن الحاجب" للسُّبكي، فعجِّل بهما مع تكرُّرٍ من غيرهما.

وابعثْ أيضًا ما ألَّفته في آل البيت كـ"التدمير" فإننا بفضل الله لا نعدم مَن يطبَعُه، والضَّجَّة التي قامت هنا عن المغربِ علِمتُ أنَّ أكثرَها كَذِبٌ لا أصلَ له، والذي أثارَها أصحابُ مكتبِ المغْربِ لا بمجهودِهم الشَّخصيِّ، بل بسببِ أنَّ عبدَالكريم زكَّى كلامَهم في الدوائرِ العربيَّة وأكَّده بأنَّ الأخبارَ التي وصَلَته تُصدِّقُ ما يقولونَ، وأهلُ مصرَ كما تعلمُ تغرُّهُم المظاهرُ، فحيثُ علِمُوا أنَّ الأمير

تكلَّم وقال قامُوا وقعَدوا وعملوا مظاهراتٍ في مصرَ والإسكندريَّة، وقد فهمتُ كثيرًا من أصحابي سِرَّ المسْألةِ وأنَّ هذه حمْلةٌ ظالمةٌ، حتَّى قال لي بعضُ أصحابي مِنَ العُلماءِ: لو كانَ أخُوكَ السَّيد أحمد هنا لاستطاعَ أنْ يكشفَ الحقيقةَ؛ لأنَّه لطُول مُكْثِه بمصرَ عرفَ المصريِّين واختلطَ بهِم، وله أصدقاءُ من جميعِ الطَّبقاتِ، فوجودُه هنا في هذه الفترة نافعٌ جدًّا مِنْ هذه الجهة، فقلتُ: هذا صحيحٌ، ولكنْ:

أَهــمُّ بــأمرِ الحــزْمِ لــو أســتطِيعُه ... وقد حِيــلَ بــينَ العَــيْرِ والنَّــزَوَانِ

أبلغْ سلامِي إلى الأخِ وأخبره أنِّي ذاهبٌ اليومَ لزيارةِ الكوثريِّ ثمَّ بعد ذلك أجيبُه بحول الله، وقلْ له: إنَّ ابنَ الشَّيخِ الد لبشاني تُوفِّي منذُ أكثرَ من سنتيْنِ، أبلغْ سلامي إلى أهلِ الدَّارِ جميعًا وسائرِ الإخوانِ، ومن طرَفِنا يُسلِّمُ عليكَ سائرُ الأصْدقاءِ والسَّلامُ.

يوم الاثنين٣ من رجب سنة (١٣٧٠).

الرسالة التاسعة

بسم الله الرحمن الرحيم

سيِّدي عبدَالعزيزِ سلامٌ عليكُم ورحمةُ الله وبركاتُه.

وبعد: وصَلَني كتابُكَ الكريمُ بعد غيبةٍ طويلةٍ، فحمدتُ الله على ما أفاده من سلامةِ الأحوال، وقد اقتنَعتُ بما ذكرتَه.

و"تهذيبُ سُنَنِ أبي داودَ" اشتريتُه غاليًا، فإنَّه يُباعُ هنا بأربعةِ جنيهاتٍ فقَطْ،على حسَابِ الجزءِ بخمْسينَ قرشًا، أمَّا "الردُّ على المنْطِقِيِّين" فهو يُساوي ذلك الثَّمنَ تقريبًا، وممَّا طُبعَ هنا حديثًا "جامع الأصول" لابنِ الأثير، وكتابُ "الشريعة" للآجُري، كما طُبعَ بالشَّام المجلَّد الأول من "تاريخ ابن عساكر" وثمنُه (٣٥٠ قرشًا)، والجزءُ الأول من "ذيل طبقات الحنابلة" لابنِ رجب وثمنُه (٢٥٠قرشًا)، وجُزْءانِ من "تاريخ حَلَب" لابنِ العديم وثمنُ الجزْء (٢٥٠ قرشًا) أيضًا، وطُبعَ بالهند أربعةُ أجزاءٍ من "الطيبي على المشكاة" ومعَه "التوربشتي" عليها وثمنُ الجزءِ (جنيهٌ مصريٌّ).

والمطبوعاتُ كثيرةٌ ولكنَّ الفُلوسَ قليلةٌ، والقدسي ماضٍ في طبعِ "تاريخ الإسلام" للذَّهبيِّ، لكنَّه يبيعُ الجزءَ بثمنٍ مرتفعٍ بالنِّسْبةِ لحجْمِ الجزْءِ، وطُبعَ جُزءٌ من "فهرس مكتبة الإسكندريَّة"، وأنا ذاهبٌ اليومَ إلى كَفْرِ الدَّوَّارِ ثمَّ الإسكندريَّة إنْ شاء الله، فإذا قابلتُ الأستاذَ سامي النشَّار -وهو بجامعةِ فاروق- أبلغتُه سلامَك، وذكَّرتُه بديوان الششتري، وإنْ كانَ لم يُشْرَعْ في طبْعِه على ما أظنُّ.

ومسألةُ الأخ لا يوجدُ هنا أحدٌ نكلِّمه فيها الآن؛ لأنَّ أغلبَ رجالِ الجامعةِ

-ومنهم عزَّام- لا يزالونَ في باريسَ، فإذا حضرَ عزَّام أمكنَ أنْ نكلِّمه عنْ طريقِ سامي النشَّار بحول الله.

و"تاريخ جُرْجان" سأُرسِلُه لكَ لكنْ بعد إتمامِ قراءتِه، فإنِّي قرأتُ أكثرَ مِنْ ثلُثِه، وبعد تجلِّيدِه عندَ سعد إنْ أحببتَ تجليدَه.

والشَّيخُ محمود كانَ عندي أمْسِ وهو يُسلِّمُ عليكَ، وكذلكَ أخوه المعلِّمُ حُسَين، ويسلِّمُ عليكَ الشَّيخُ عبدُالغنيِّ عبدالخالق فإنِّي زرتُه أمسِ بالسِّيدة نفيسة حيثُ استعرْتُ منه رسالةَ "وجوب الحمية عن مضار الرقية" لأنسخَها للأخ، ويسلِّمُ عليك سائرُ الأصدقاءِ، والأحوالُ هنا مضطربة والأحكام العُرفيَّة قائمةٌ، والخروجُ ممنوعٌ بعد العاشرة مساءً بأمرٍ عسكريٍّ، والجيشُ يطوفُ بشوارعِ القاهرةِ بدبَّاباتِه وسيَّاراتِه، وأُقيلتْ وَزَارة النَّحَّاس وجاءتْ وزارةُ علي ماهر، وهدأَ الحالُ بعد مجيئِها نوعًا ما، وأُقيلَ الشَّيخُ إبراهيمُ حمروش وجاء بدله عبدُالمجيد سليم شيخًا للأزهر، ومنذ أيام تُوفي زكي مبارك.

هذا ما لدينا منَ الأخبارِ وأبلغْ سَلامي إلىٰ أهلِ الدَّار جميعًا والسَّلام.

ومنه أخبرني الأخ بوصول مجموعةِ "الرَّمي بالنشاب" فاطمأننتُ.

يومَ الإثنين ١٥ جُمادىٰ الأولىٰ سنة (١٣٧١).

الرسالة العاشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

سيِّدي عبدَالعزيزِ سلامٌ عليكُم ورحمةُ الله.

وبعد: وصَلَني كتابُكَ الكريمُ بعد غيبةٍ طويلةٍ وما به عُلِم، ووَصَل بالأمسِ كتابُ "التشوف" -فيما يظهر- لأنِّي لم أستلِمْه؛ إذ وصَل آخرَ النَّهارِ، و"مختصر العلل الواهية" شُحِنَ معَ صندوقِ الكتبِ الذي أُرسِلَ إلى إدريسَ مزور بالدار البيضاء، ومعه عدَّة نُسَخ من كتاب "الباحث".

و"شرح العشماوية" سيبدأُ الحلبيُّ فيه أولَ الأسبوعِ الآتي بحول الله، لأنَّه لم يأتِ مِنَ السَّفَرِ إلَّا منذُ أيامٍ قلائلٍ، وهو سيطبَعُ أيضًا كتابَ سامي النشَّار عَنِ الششتري، والأخُ سافرَ إلى الصَّعيدِ منذُ عشرةِ أيامٍ ومعه الشَّيخ أحمد مرسي، لأنَّ بعضَ أصحابِنا هناكَ دعوه لزيارتِهم، وسيزُورُ أولياءَ الصَّعيد، لكنْ لا يزورُ أبا الحسنِ الشَّاذليَّ؛ لأنَّ زيارتَه تحتاجُ إلى تصْريحٍ واستعدادٍ خاصٍّ.

والشَّيخ الخضر حسين استقالَ من مشيخة الأزهر، وولِّي بعده الشَّيخُ عبدُالرحمن تاج متخرِّجٌ من السُّورْبُون بفرنسا، ومن هيئةِ كبارِ العُلماء، والشَّيخ طه الشَّعبيني تُوفِّي منذ أسبوعَين رحمهُ الله رحمةً واسعةً.

أبلغْ سلامي إلى أهلِ الدَّار جميعًا وإلى الإخوانِ؛ خُصوصًا السَّيد المكِّي الزيلاشي، وأنا في انتظار "أصول الفتوى" لابن الحارث فعجِّلْ به، وأرجُو مراعاةِ الدِّقَّة في النَّسْخِ، والسَّلام.

٧ جُمادى الآخرة سنة (١٣٧٣) - ١٢ يناير (١٩٥٤).

الرسالة الحادية عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

أسماء الكتب المرسلة في الصندوق:

مع ربطتَين مِنَ "المعجم"، وربْطةٍ مِنَ "الباحث"، والكتب الكبيرة هي غالبًا، وفيما أذكره الآن:

١ - "تاريخ الخطيب".

٢ - "أجزاء القرطبي" من ١٦ إلى ٢٠.

٣ - "طبقات السلمي" نسختان.

٤ - "طبقات الحنابلة" لأبي يعلى.

٥ - ذيل "طبقات الحنابلة" لابن رجب.

٦ - "صحيح" ابن حِبَّان الأول.

٧ - "تعطيرُ الأنام" للنابلسي.

٨ - "روضات الجنات" مجلَّد ضخم طبْع إيران، أخذتُه بسبعةِ جنيهاتٍ.

٩ - "الكافي من الانتباه في أخبار النُّحاه".

١٠ -"فهرست تيمور" مجلَّدان.

١١ - "حاشية الأمير على الزرقاني" خط.

١٢ - "تاريخ الأندلس" للحُمَيدي.

وهذا ذكرته من الكتب الكبار.

ومِنَ الرَّسائلِ أوراقٌ مِنَ "المعرفة" للبيهقيِّ، و"الرِّسالة المستطرَفة"، وردُودٌ على الكوثريِّ ونحوُ ذلك، واختصار "علل ابن الجوزي" للذهبي، وكراريس

بخطِّك في الذَّيل على "اللآلئ المصنُوعة".

أما "إحياء المقبور" فسأشتري منه نُسَخًا إنْ شاء الله وأبعثُ لك بها.

ومما في الصُّندوق بعضُ نُسخ من "التصوُّر والتصديق" أيضًا.

الرسالة الثانية عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

سيِّدي عبدَالعزيزِ سَلامٌ عليكُم ورحمةُ الله وبركاتُه.

وبعد: وصَلَني أمْسِ كتابٌ مِنَ الأخ وليتَهُ لمْ يصِلْ، فإنَّه فاجأني بخَبرٍ محزِنٍ أسِفتُ لقراءتِه غايةَ الأسَفِ، بل ظللْتُ طولَ يومي حزينًا كئيبًا لهذه المصيبةِ الجديدةِ، فإنَّ النَّفيَ أشدُّ مِنَ الاعتقالِ، ولكنْ لمْ تَسكتُونَ؟ بل اسعَوْا واجتهِدُوا وأقيمُوا محاميًا إذا اقتضىٰ الأمرُ، والقوانينُ الماشية في الدُّنيا كلّها أنَّ الشَّخصَ لا يُعاقَبُ علىٰ جريمةٍ مرَّتينِ، وقد عُوقبَ الأخُ بالسَّجنِ والغرامةِ، فكيفَ يُعاقبُ ثانيًا؟! هذا كلامٌ فارغٌ، وأظنُّه تَهوِيشًا مِنَ الإدارةِ الدَّوليَّةِ بطنْجةَ لتَخْتبَركم، فلا تُظهرُوا ضعْفًا أبدًا، وعلىٰ كلٍّ فلا يتعَجَّلِ الأخُ بالسَّفرِ فلَعلَّ اللهَ يغيِّرُ الحالَ، وإنْ عزمَ علىٰ السَّفرِ إلىٰ مصرَ كما في كتابِه عنْ طريقِ البرِّ، فإذا وصَل بَنْغازي فليكتبْ إليَّ منها لنُسهِّلَ له طريقةَ الدُّخولِ بواسطةِ قنْصُل ليبيا في مِصرَ، فإنَّه صديقٌ لنا وعنده مُرُوءةٌ، ونسْألُ الله أنْ يسهِّلَ لهُ كلَّ خيرٍ، ويُستحْسَن أنْ تبعثَ كتابَ تَهْنِئةٍ إلىٰ الأستاذِ علي سامي النشَّار؛ لأنَّه عُيِّن مُستشارًا لمجلسِ قيادةِ الثَّورةِ، فلربَّما تحتاجُ إليه فيما يتَّصلُ بالأخِ.

أبلغْ سلامي إلىٰ أهلِ الدَّار جميعًا والإخوانِ، وأبلغْ سلامي إلىٰ أبي الفيضِ بصفةٍ خاصَّةٍوقُل له: لا يتَعَجَّل بالسَّفرِ والسَّلامُ.

٥صفر سنة (١٣٧٣).

الرسالة الثالثة عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

سيِّدي أمَّنكم الله وسلامٌ عليكم ورحمةُ الله وبركاتُه.

وبعدُ: فأهنِّيكُم بالعامِ الهجريِّ الجديدِ، جعلَه الله عامَ فرَجٍ وخيرٍ وسعادةٍ وكلّ عامٍ وأنتُم بخيرٍ.

ومنْ عجائبِ ما حَصَل هنا أنَّ الشَّيخَ الخضر التونسيِّ تولَّى مشيخةَ الجامعِ الأزهرِ، وكانَ تولِّيهِ هذا المنصب مفاجأةً لم تخْطرْ على بال أحدٍ، وقد زُرتُه أوَّل أمسٍ وهنَّأتُه، وهوَ وإنْ كانَ عديمَ الفائدةِ خيرٌ منْ عبدِالمجيد سليم الذي قرَّبَ أمثال الزيَّات صاحبَ "مجلة الرِّسالة"، وشلتوت ومحمَّد المدني ورقَّاهم.

والشَّيخ أحمد شاكر يسلِّم عليكم وقد أشرفَ على الانتهاءِ منَ الجزءِ الأول من "صحيح ابن حبَّان"، وأخشى ما أخشاه أنْ تفوتَنا نسخةٌ منه لغلائِه وعدمِ النُّقودِ، وعندي الجزءُ الأول من كتاب "تصحيح الأغلاط الكتابية الواقعة في النسخ الطحاوية" لمؤلِّفه محمَّد أيُّوب بن محمَّد يعقوب المظاهريِّ السهارنفوريِّ طُبع سنة (١٣٦٩)، صحَّحَ فيه الأغْلاطَ الإسناديَّة وغيرَها الواقعةَ في كتابِ "معاني الآثار"، وهو مفيدٌ في بابِهِ فإنْ لم يكنْ عندكُم جلَّدتُه وبعثْتُ بهِ إليكُم.

والحاجُّ محمَّد رمضان المدني الكتبي تُوفِّي يومَ الخميس رحمه الله وغفرَ لنا وله، وسامي الخانجي يَطبَعُ "إعجاز القرآن" لأبي عُبَيْدَةَ، كما أنَّ الشَّيخَ سُليمانَ يطبَعُ "إعجاز القرآن" للخَطَّابيِّ بتعْلِيقاتي، والأحْوالُ هادِئةٌ.

يسلِّمُ عليكم سائرُ الأصدقاءِ خصوصًا الشَّيخ محمود وقريبه مصطفى سنبل، وأبلغُوا سلامي إلى أهلِ الدَّار جميعًا والسَّلام.

يوم الأحد غرة محرم سنة (١٣٧٢).

الرسالة الرابعة عشر[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

سيِّدي أمَّنكم الله وسلامٌ عليكُم ورحمةُ الله.

وبعدُ:

وَصَلَني كتاباكُم الكريمانِ وما بهما عُلِم، وأخَّرَني عنِ الجوابِ اشتِغالي بالتَّعليقِ على أربَعِ رسائلَ للمَقْريزي، **إحداها**: حصولُ الإنْعام والمير بالدُّعاء بخاتمةِ الخيرِ، **والثانية**: صلاةُ الليلِ مثْنى مثْنى، **والثالثة**: ذمُّ بني أُميَّة ومدحُ العبَّاسيِّين، **والرابعة**: ضوءُ السَّاري على خبرِ تميمِ الدَّاري.

وهذه الرسائلُ بَعثَ بها إليَّ منْ لندن الأستاذُ أحمد الغوابي الذي قدَّم لجامعة كمبرج بحثًا عن المقريزي، وكتبَه ليأخذ به الدكتوراة، وسألَ أعضاءَ البعثاتِ المصريَّة بلندن عمَّن يعرفُ الحديثَ ويتخصَّصُ فيه فأحالوه عليَّ.

ومسألةُ علي الخواص أميلُ إلى ترْجِيحها، وقد سَألتُ الشيمي فقال: إنَّه لم يجدْ أحدًا نوَّه عنه أو نقلَ كلامَه إلَّا بواسِطةِ الشَّعرانيِّ، على كثرةِ ما قرأ من كُتبِ التَّصوُّف، لكنْ ذكر أنَّ عنده رسالةً مخطوطةً من تآليف أفضلِ الدين، وسأطَّلع عليها وأتحقَّق من أمرِها، وقد ظهر تأليفٌ في ترجمة الشَّعرانيِّ ورأي المستشرقين فيه لطه عبدالباقي سرور، أفاضَ في مدحِ الشَّعراني وتصوُّفِه، وهاروني لم يصِلْ منه شيءٌ بعد خطابِه الأول الذي أجبتُه عنه، ولعلَّ الله يوفِّقُنا لإجابةِ مطالبِه، والأمرُ لله يفعلُ ما يشاء.

---

(١) من السيد عبدالله للسيد أحمد.

جاءني خطابٌ منْ عبدِالحيِّ الزيلاشي ورفقَتُه بدِمَشْقَ يطلبونَ اسْتِخراجَ الإذنِ لهم بدُخُولِ مِصْرَ لحضورِ العِلْم.

أبلغُوا سلامي لأهلِ الدَّار خصوصًا مَلَكَة، ومنَّا يسلِّمُ عليكم سائرُ الأصدقاءِ خصوصًا الشَّيخ أحمد مرسي والتبر والسَّلام.

يوم الأحد ٢ جمادىٰ الأولىٰ سنة (١٣٧٢).

الرسالة الخامسة عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

سيِّدي أمَّنكم الله وسلامٌ عليكُم ورحمةُ الله وبركاتُه.

وبعد: فقدغابَ عنِّي كتابُكم مدةً ثمَّ جاءني خطابٌ من سيِّدي عبدِالعزيز علمتُ منه بمرضِكُم، فتألمتُ كثيرًا ودعوتُ لكم بالشِّفاء العاجلِ، كما طلبتُ مِنَ الشَّيخِ محمود فدعا لكم عند الشَّيخِ الحنفيِّ والسَّيدةِ زينبَ وغيرِهما، ونسألُ الله أنْ يَقبلَ الدُّعاء ويُعجِّلَ بالشِّفَاءِ.

و"العقد الفاخر" بعثْتُ به يومَ الإثنين ٢٩ رجب فلعلَّه وصَلَ، والجوابُ عنه بالطَّريقِ، وليس لدينا جديدٌ في الأخبارِ، ولعلَّ الله يُسهِّل مجيئكم إلينا بعد انتهاءِ فترةِ الاعتقال.

كما أرجُو إرسالَ نسخةٍ من "أزهار البستان في طبقات الأعيان" إذا أمْكنَ، فإنَّه سيُطبع إذا حَصل الاتِّفاقُ بحول الله، لكنْ لا يحصلُ الاتِّفاقُ إلَّا بعد رؤيةِ الكتابِ.

أبلغُوا سلامي إلى سيِّدي إبراهيمَ ومَنْ بطرفِكُم من أهل الدَّار، ومن عندنا يسلِّمُ عليكم، جميعُ الأصدقاءِ، خصوصًا الشَّيخ أحمد مرسي الذي يسألني عنكم كلَّ مرَّةٍ، ويُثني عليكم الثَّناءَ العاطِرَ في كلِّ مناسبةٍ، ولمناسبةِ رمضانَ أهنِّيكم بحلولِه وكلّ عامٍ وأنتم بخيرٍ،وفي الختامِ أكرِّر الدُّعاءَ لكم بالشِّفاء التَّامِّ العاجلِ والسَّلام.

٢٥ شعبان سنة (١٣٧٢).

العتابي قابَلَني أمْسِ وألَحَّ عليَّ أنْ أبلِّغَكم سلامَهُ.

الرسالة السادسة عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

سيِّدي أمَّنكم الله وسلامٌ عليكُم ورحمة الله، وكلُّ عامٍ وأنتم بخيرٍ.

وبعد: فقد غابتْ عني كتبكم غَيْبةً طويلةً لم أعهَدْها منكم، فتشوَّشَ فكري وتبَلْبَل خاطِري، وهمَمْتُ أنْ أبعَثَ بتلغراف أستفْهِمُ به عنِ الأحوال، وزاد في قَلَقِي ما نسْمَعُه منْ أخبارٍ مُزعجةٍ عنِ المغربِ، كما صادفَ أنَّ سيِّدي عبدَالعزيز لم يكتبْ إليَّ منذ مدَّةٍ طويلةٍ أيضًا، فأنا في غايةِ القَلَقِ والانزعاجِ، ونرجُو الله أنْ يكونَ المانعُ خيرًا.

ثمَّ إنَّ الجزءَ الأول مِنَ ابنِ حِبَّان ظهرَ، وثمنُه كما أخبرتُكم أربعةُ جنيهاتٍ، ومولاي أحمد التبر موجُودٌ هنا سيسافرُ إلى السُّودانِ ثمَّ المغربِ، وهو يسلِّمُ عليكم ويقولُ: إنَّ خروجَكم يوافقُ مجيءَ الفرَجِ العامِّ.

والأحوالُ هنا مستقرَّةٌ، والشَّيخُ الخضر صدَقَ ظنِّي فيه فلم يفعلْ في مسألتي شيئًا ولا يريدُ أنْ يفعلَ، والشَّيخ محمود ماتتْ أمُّه، وهو يسلِّمُ عليكم كما يسلِّمُ عليكم سائرُ الأصدقاء خصوصًا الشَّيخ أحمد مرسي والشَّيخ القباني.

أبلغُوا سلامي لمنْ بطرَفِكم منْ أهلِ الدَّارِ والإخوانِ، وأنا في انتظار الجوابِ العاجِل ليطمَئنَّ قلبي والسَّلام.

يوم الاثنين ٢٠ من ربيع النبوي سنة (١٣٧٢).

الرسالة السابعة عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

سيِّدي عبدَالله السَّلامُ عليكُم ورحمةُ الله تعالىٰ وبركاتُه[١].

أمَّا بعدُ: فساعتَه قرأتُ جزءَك المسمَّىٰ "نهاية الآمال حديث عرض الأعمال" ويعدُّ جزءًا مفيدًا حسنًا، وقلمُك فيه قلمُ محدِّثٍ محقِّقٍ منذ وقتٍ للفنِّ يدلُّ علىٰ أنَّك قد وجَّهْتَ عنايتَك للحديثِ الشَّريفِ أكثرَ من ذي قبل؛ لأنَّ كتابتَك فيه أعلىٰ من كلِّ كتابةٍ رأيتُها لك في الحديثِ، وكنتُ أودُّ لو وقفتَ علىٰ كتابتي فيه، فإنِّي كنتُ كتبتُ فيه كتابةً مطوَّلةً للشَّيخ يوسف الدِّجوي رحمه الله، وأظنُّها عندك؛ لأنَّ فيه من الكلامِ علىٰ توجيه صحَّته وأنتَ لم تتعرَّض له، والأمرُ سهْلٌ، وليس في الجزءِ ما يلاحظُ إلَّا نقلُك عن المناويِّ.

قوله: «**تُحدِّثون ويُحدَّث لكم**» بتشديد الدَّال فيهما، فإنَّ هذا من أخطاءِ المناويِّ المضْحِكةِ، فإنَّ الرَّجُلَ لفرْطِ بلادَتِه، كان لم يدرِ ما يخرُجُ من رأسِهِ في المتْنِ والإسْنادِ، كما بينَّا في الثاني فقط في "المداوي"البالغِ ستةَ مجلَّداتٍ، فقولُه الذي نقلتَه لا يُوافَقُ عليه لغةً ولا معنىٰ، أمَّا اللغة فلا يُقال: «يحدَّث لكم»، بل يقال: «**تُحدِّثون وتحدَّثون**» بفتح الدال في الثاني، أو «**تُحدِّثُون وأحدِّثُكم**» أمَّا «يحدَّثُ لكم»، فلا تساعدُه اللغةُ، وأمَّا المعنىٰ ففاسدٌ من وجوهٍ، يطولُ ذكرُها، ويكفي في تعيين المرادِ قوله في الوفاة: «**تُعرَضُ عليَّ أعْمالُكُم**» فهذا صريحٌ في بيانِ الشَّطرِ الأول، وهو ما ذكرتَه أنتَ احتمالًا بعدَ كلامِ المناويِّ، مع أنَّه لا

---

(١) من السيد أحمد للسيد عبدالله.

معنىٰ للحديثِ إلَّا ما ذكرت، فكان الواجبُ أنْ يتصَدَّر بكلامِك، ثمَّ تنبِّهَ بعدَه علىٰ خطأ المناويِّ في فهمِه، ولعلَّك تعيدُ طبْعَ الكتابِ فتفعلُ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ، وتشيرُ إلىٰ كونِ المناوي أخطأ كما في "المداوي".

ولما ذكرتَ الوجوهَ في الجوابِ عن الإشكالِ الواردِ علىٰ حديثِ الحوْضِ لم تنتَبِهْ لجوابِنا، وهوَ قاطعٌ لكلِّ إشكالٍ، مانعٌ له من عُروقِه، فإنَّ جوابَنا عن هذا الإشكال أنَّ قوله: «**إنَّك لا تدري ما أحْدَثُوا بعدك**» تقريرٌ أو خبرٌ في معنىٰ الاستفهام، كأنَّه قيل له: «ألستَ تدْري ما أحدثُوا بعدَك؟»، وذلك أنَّه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وإنْ كان عالمًا بما أحدثُوه، فإنَّه لشفَقتِه وحقيقتِه التي رُكِّبَ عليها وهيَ الرَّحمةُ العامَّةُ للخلْقِ كافَّةً أرادَ أنْ يتغاضى عنْ ذلك، ويذكِّرهم لعلَّ الله يجيبُه إلىٰ طلبِه كما فعلَ معَ بعضِ أهلِ الجاهليةِ، ومعَ عبدِالله بن أُبيٍّ سَلُول، فإنَّ عُمَر لما ذكَّره بنفاقِه لم يرْجِعْ عنْ ذلكَ طمَعاً في رحمةِ الله تعالىٰ حتَّىٰ نهاهُ ربُّه، وكذلكَ هؤلاءِ حتَّىٰ قِيلَ: «ألستَ تدْري ما أحدَثُوا بعدَكَ؟» فعند ذلك علم أنَّ مرادَ الله منهم هو الطَّردُ مِنَ الحوْضِ، إذ لو أرادَ سِواه لغفَر لهم ذلك الإحداثَ ولم يذكرْه.

ثمَّ إنِّي استغربْتُ منكَ جدًّا عدَّكَ الحديثَ مِنَ المتشابِهِ الذي لا يُعلَمُ معناه مع أنَّنا نَجْزِمُ بأنَّه في مُعاويةَ وأصحابِه ممنْ حَارَبَ الإمامَ الحقَّ وخَرَجَ عليه، وفعلَ الأفاعيلَ ولذلك كانَ الشَّافعيُّ يقول: لا ألومُ أستاذَنا مالكًا علىٰ شيءٍ إلَّا علىٰ ذكره حديثَ الحوْضِ في "الموطأ"، وهذه منْ هَنَّات الأئمةِ الأكابر رضي الله عنهم، فإنَّ ما حدَّثَ بهِ رسولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لا يُلامُ أحدٌ علىٰ روايتِه بل يلامُ علىٰ ترْكِه وتضْييعِه، والمقصودُ أنَّ الشَّافعي فهِمَ أنَّ الحديثَ في

مُعاويةَ وأصحابِهِ لا في المرْتدِّينَ، ولو كنتَ تعرضُ علينا هذهِ الرَّسائلَ قبلَ طبعِها لذكرنا لك في مثلِ هذه المسائلِ فوائدَ وآراء تستفيدُ منها.

وسامي النشار كتبَ إليَّ من لندن يخبِرُني أنَّه أخذَ صورَ الكتبِ من لندن بأربعةِ مِلِّيماتٍ للصحيفة، ولكنْ بالشريط فقط، وبعد ذلك ننقلُه عند أيِّ مصوِّر هنا من الشَّريط، أي الورق الآخر، وهذا فيه تسهيلٌ قانع يسَّر الله لنا أخذَ ما هنالك من النَّفَائِسِ الحديثيَّة والأصولِ المسنَدةِ، إلا أنِّي كنتُ طلبتُه أنْ يبحثَ لي عنْ فهرست المتحفِ البريطانيِّ فقال: إنَّه نادرٌ جدًّا لأنَّه طبع منذُ ٩٥ سنةً ويمكنُ الاستغناءُ عنه ببركلمان وذيلِه، وسننظرُ من يقرأُ لنا بركلمان وننتخِب بعضَ النَّفائسِ بحول الله.

الرسالة الثامنة عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي عبدالعزيز سلام عليكم ورحمة الله وبعد وصلني كتابك الشريف وعرفت ما فيه، وحمدت الله على سلامة أحوالكم، واطمأن قلبي بعد قلقه والحمد لله .

أما اختياري لشرح الأمير على خليل فبسبب أمور أن كثيرا من السودانيين طلبوا من صاحب المكتبة أن يطبع لهم كتابا صغيرا في مذهب مالك ،ومنها أن شرح الأمير طلبه طلبة الكلية بالأزهر ليستعينوا به في المذاكرة للامتحان ولولا ذلك لما أشرت بطبعه ولا بطبع شرح من شروح خليل لأنه يشتمل على آراء محضة وفقه ناشف لا يشوبه دليل، وقد كان الشيخ محمد ابراهيم الببلاوي المالكي رحمه الله يقول : فضحتنا المدونة وكسفتنا مع الناس، أما ما أشرت إليه من مثل موضوعات ابن الجوزي فإني أتحين الفرصة لتحقيقه ولابد من القيام بذلك إن شاء الله .

وترتيب الحلية قامت في طريقه عقبات آخرها عدم وجود حروف وأرقام كافية في المطبعة مما جعلنا نقسم الملزمة نصفين، يطبع قسم ثم يجمع بحروفه نصفه الآخر، وعندي الآن النصف الأول من الملزمة الرابعة، ونسأل الله التيسير، وقد اقترح نجيب أن أكتب مقدمة للترتيب تشتمل على كلمة في فضل الحلية، وما قيل في مدحها وترجمة لك وترجمة لوالده، ولكني مشغول بتصحيح البحر الزخار، وتصحيح شرح الأمير وتصحيح البغية وغير ذلك .

فاكتب كلمة في فضل الحلية، وترجمة مختصرة لك، وابعثهما لنضمهما إلى

ترجمة والده، ويجعل الجميع مقدمة للبغية، وكتبي سأرسلها لك غدا بحول الله، ما عدا إقامة البرهان فإنه نفد.

والحاج الشكارة توفي يوم الخميس ٨ رجب وهو في محطة كفر الزيات بعد عودته من مولد سيدي إبراهيم الدسوقي، أغمي عليه وهو قاعد فكان في الإغماء وفاته، ودفن هناك يوم الجمعة، بعد أن اتصلت الحكومة بي في شأن دفنه رحمه الله، وكل أصحابه بكوا عليه وتأثروا كثيرا .

أبلغ سلامي إلى أهل البيت جميعا وسائر الإخوان، ومن طرفنا يسلم عليكم سائر الأصدقاء خصوصا الشيخ محمودا والشيخ المحمدي والسلام .

يوم الأثنين ١٢ رجب سنة ١٣٧١ .

الرسالة التاسعة عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله، والصَّلاةُ والسَّلامُ على سيِّدنا محمَّدٍ وآله.

إلى حضرةِ الأخِ الشريفِ الذكيِّ الفطِنِ النَّبيلِ سيدي عبدِالعزيز، سلامٌ الله عليك ورحمةُ الله وبركاتُه، وبعدُ:

وصلَنا كتابُكَ وفرحْنا به كثيرًا حيثُ أنه أتى بعد غيبةٍ أوجبتِ الاشتياقَ إليه مع ما أفادَه من سلامتِكم وعافيتِكم ولله الحمدُ.

وما ذكرتَ من إعجابِ الناسِ بكتابي في سماعِ الحسنِ البصريِّ من عليٍّ عليه السَّلامُ وتعجُّبِهم من معرفتي بالرِّجال واطِّلاعي إلى ذلكَ الحدِّ إنَّما نشأ من اعتقادِهم قلَّةَ علمي أو ضعفِه، وإلَّا فلا وجْهَ لتعجُّبِهم مع معرفتِهم باشتغالنا بالعلمِ وتفرُّغِنا له ولله الحمدُ والمنةُ.

وقد كتبتُ مقالًا في آخرِ الموضوعِ وسيصلكُم في «مجلة الإسلامِ» فلابدَّ أنْ تطَّلعوا عليه وتخبروني بما سيقولُه عبدالقادر الجزائريُّ وغيرُه في شأنه.

هذا وقد بعثتُ لك يومَه بكتابِ "الفتح الكبير" وأمَّا الكرةُ الأرضيةُ فسأرسلها لكَ بعدُ إنْ شاء الله تعالى وسببُ تأخُّرنا عنكَ هذه المدةَ هو عدمُ الدراهيمِ لأنَّ الليرة التي بعثتَها أخذَها الشكارةُ وقضى بها قطرةً من بحرِ الدَّينِ الذي عليه ولم يتيسَّرْ له بعد قضاؤُها فلذلكَ تأخَّرنا.

سلِّمْ منَّا على أهل الدَّارِ جميعًا وعلى الإخوانِ كافةً، ومنا يسلِّمُ عليكم جميعًا الأخوانِ والشكارةُ والمنتصرُ الكتانيُّ، وهو ينامُ معنا بالبيتِ ويأكلُ معنا وأنا أُدرِّسُ له "الألفية" بشرحِ ابنِ عقيلٍ، والأخ سيدي أحمد يدرِّسُ له "نخبة

الفِكَر" ويسمعه "سُنن أبي داود" وسيسمِعُه بعدَها بقيةَ الكتبِ السِّتة.

وأحبُّكَ أنْ تخبرني عن الكَرْطُفَ هل اسمٌ آخرُ عندكم أو لا والسلامُ .

يوم الثلاثاء ٢٤ من شوال سنة ١٣٠٣، أخوك عبدالله، عفى الله عنه.

الرسالة العشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله، والصلاةُ والسلامُ على سيِّدنا محمَّدٍ وآله.

إلى أخينا الشريفِ الجليل الأستاذِ الذكيِّ النَّابهِ سيِّدي عبدِالعزيز سلامٌ عليم ورحمةُ الله وبركاتُه أمَّا بعدُ:

وصلني كتابُك منذُ أيامٍ فقرأتُه بتلهفٍ شديدٍ لما كان بي من الاشتياقِ إلى كتبِك وأخبارِك وسُررتُ كثيرًا بما حواه من تلك الأسئلةِ العظيمةِ .... وكم كان بودِّي أنْ أسرعَ لك بالجوابِ عنها تلبيةً لرغبتِك ولكنْ حالَ دونَ ذلك كثرةُ من عندي من الشَّواغِل فبينَ يديَّ الآنَ من الأسئلةِ الواردةِ عليَّ ما يزيدُ على أربعينَ سؤلًا غير الأسئلةِ التي رأيت جوابَها بمجلةِ الإسلامِ ، أضفْ إلى ذلك ما أقومُ به في هذه الأيامِ من تدريسِ العلومِ الاثني عشرَ للطلبةِ الذين يريدونَ امتحانَ شهادةَ العالميةِ فتراني لذلكَ في تعبٍ شديدٍ ابتدئ الدَّرسَ السَّاعةَ السَّابعةَ صباحًا فلا انتهي إلا السَّاعةَ الواحدةَ، ثم ابتدئ ايضًا بعد صلاةِ العصرِ إلى صلاةِ العشاءِ وما بين هذه الوقتين لا يسعُ أنْ أطالعَ وأجيبَ، فأرجوك أنْ تنتظرَ قليلًا ريثَما تنتهي أيامُ الامتحانِ وعن قريبٍ ستنتهي ثمَّ أُجيبكَ وِفقَ ما طلبتَ بل وفوقَه إنْ شاء الله تعالى، وسلِّم على سيدي عبدِالحيِّ وأخبرْه أنِّي سأجيبُه عن سؤالِه أيضًا وما تأخَّرتُ عنه طولَ هذه المدة لتهاونٍ أو كسلٍ كلَّا ولكنْ لعذرٍ هامٍّ فلا يظنُّ الظنونَ ولا يقطع كتابَه عنا وسلِّم على مولانا الوالدِ كثيرًا وعلى أهلِ الدَّار جميعًا كبيرًا وصغيرًا وعلى الإخوانِ كافةً خصوصًا من يسأل عنا وعن سيدي العربي بو عياد في صَبيّته وهَنِّ خدود بنتَ

يحيىٰ في مولودِها وأخبرنا بها جدَّ وحدثَ عندكم فإننا كما تعلمُ نحبُّ استطلاعَ الأخبارِ، وقد سرَّنا كثيرًا إنشاءُ العمارةِ لذلك الوليِّ الكبيرِ سيدي أحمد بن عجيبة رضي الله عنه فإنَّه يستحقُّ الذكرَ والتَّقديرَ والعجبُ العجابُ أنَّ الناس يعتقدون ابنَه سيدي الحاج عبدالقادر ويعظِّمُونه أكثرَ مما يعتقدون أباهُ ويعظِّمونه مع أنَّه لم يبلغْ عُشرَ رتبتِه لا في علمٍ ولا في ولايةٍ والأمرُ لله، هذا ويسلِّم عليكم جميعًا الأخوان والشكارةُ وسيدي المنتصرُ وقد عزَمَ علىٰ الالتحاقِ بدارِ العلومِ معَ ابنِ خالتِه الشريفِ العلمي هذا ما عندنا منَ الأخبارِ الخاصة أمَّا العامَّةُ فتجدُها في الجرائدِ والمجلاتِ ولا تغبُّ عنَّا كتاباتُك والسَّلامُ

يومَ الجمعةِ ٢٠ رجب سنة ١٣٥٤ أخوك عبدالله عفىٰ الله عنه.

صور

لبعض الأصول الخَطيَّة

لمسيرة سيِّدي عبدالله بن الصِّدِّيق العِلمِيَّة

صور لبعض الأصول الخطية

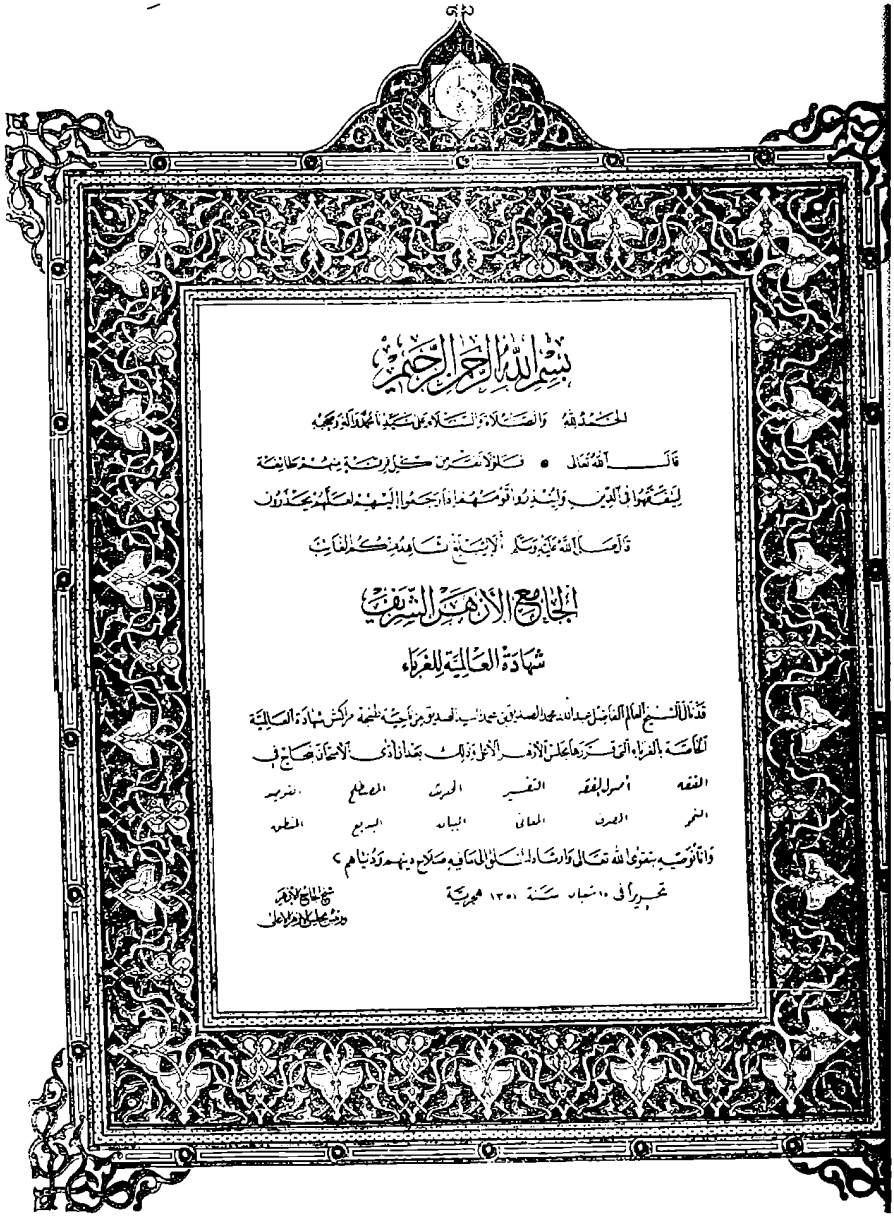

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه

قال الله تعالى • فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون

وصلى الله عليه وسلم الإيمان نافع من كل الغايات

الجامع الأزهر الشريف

شهادة العالمية للغرباء

قد نال الشيخ العالم الفاضل عبد الله محمد الصديق بن محمد السيد الفيدو من أهل تلمسان شهادة العالمية الخاصة بالغرباء التي قررها علماء الأزهر الأخيار وذلك بعد أن أدى الامتحان بنجاح في

الفقه أصول الفقه التفسير الحديث المصطلح التوحيد

النحو الصرف المعاني البيان البديع المنطق

وأنا أوصيه بتقوى الله تعالى وإرشاد الناس لما فيه صلاح دينهم ودنياهم

تحريرا في ١٠ شعبان سنة ١٣٠١ هجرية

شيخ الجامع الأزهر
ومدرس بحلقة الإمام الأعظم

شهادة العالمية الأولى المعروفة بشهادة العالمية للغرباء باسم العلَّامة السيِّد عبدالله بن الصِّدِّيق الغُماري

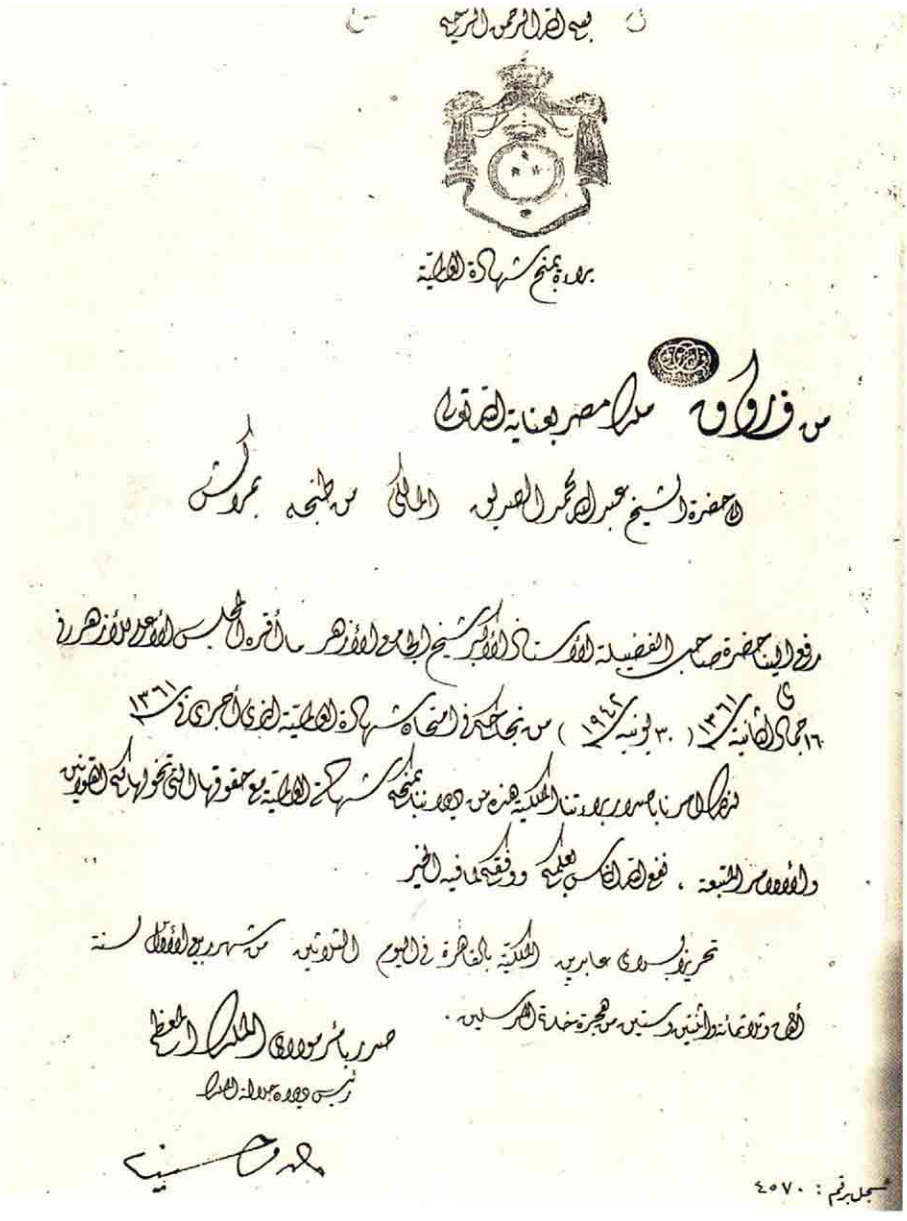

بسم الله الرحمن الرحيم

براءة بمنح شهادة العالمية

من فاروق ملك مصر بعناية الله تعالى

لحضرة الشيخ عبد الله بن الصديق المالكي من طنجة بمراكش

رفع إلينا حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر رئيس المجلس الأعلى للأزهر في ١٦ جمادى الثانية ١٣٦١ (٣٠ يونيه ١٩٤٢) من نجاحكم في امتحان شهادة العالمية الذي أجري في ١٣٦١ فنظرا لما صدر بعد تلك المكانة هذه من جلالتنا بمنحكم شهادة العالمية مع حقوقها التي تخولها لكم القوانين واللوائح المتبعة . فنود أن نكتب بعلمكم ووقعنا فيه الخير

تحريرا بسراي عابدين الملكية بالقاهرة في اليوم الثاني من شهر ربيع الأول سنة ألف وثلاثمائة واثنين وستين من هجرة خاتم المرسلين .

صدر بأمر سمو الملك المعظم

رئيس مجلس وزراء الملك

محمد حسنين

مسجل برقم : ٤٥٧٠

شهادة العالمية الثانية، وهي براءة مَلَكيَّة بمنح شهاة العالميَّة الأزهرية للعلامة السيد عبدالله بن الصِّدِّيق الغُماري

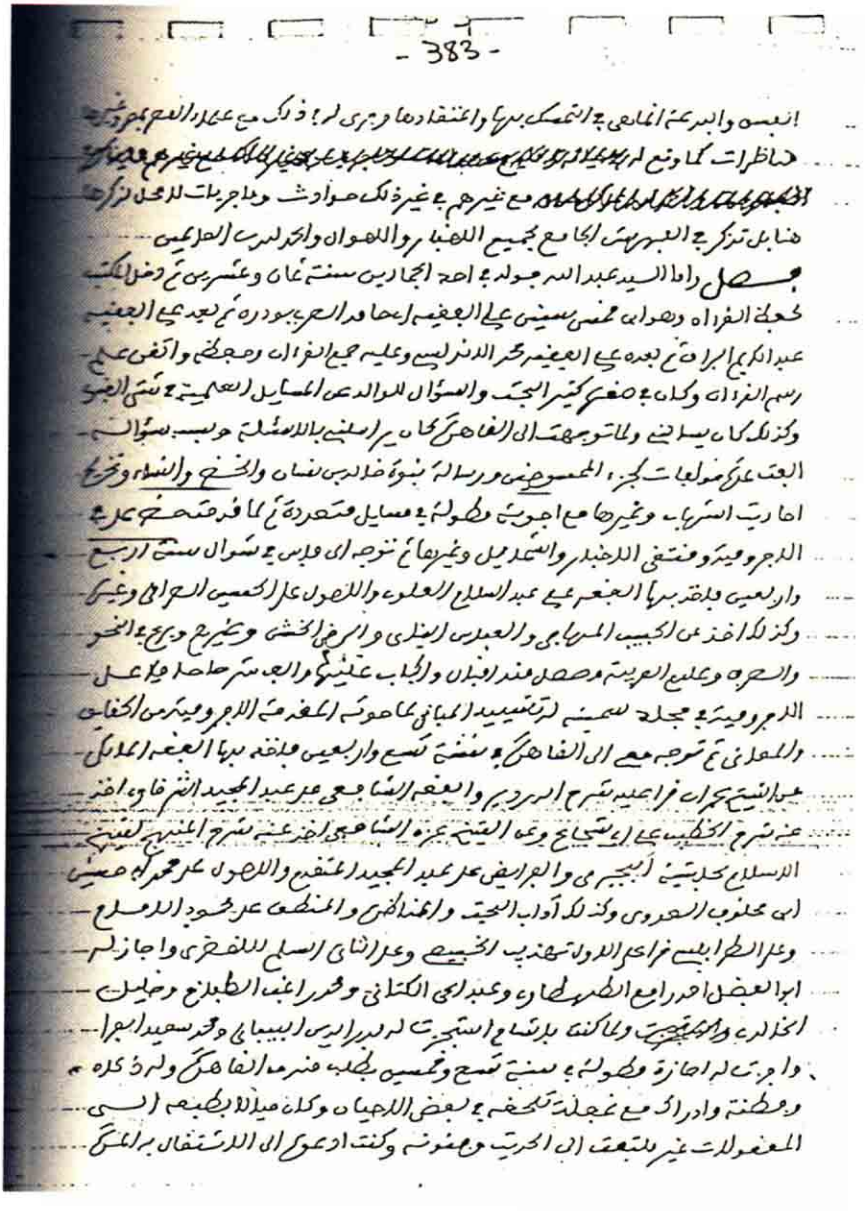

ترجمة السيِّد عبدالله بن الصِّدِّيق بقلم شقيقه السيِّد أحمد بن الصِّدِّيق

صفحة (١) - الأولى

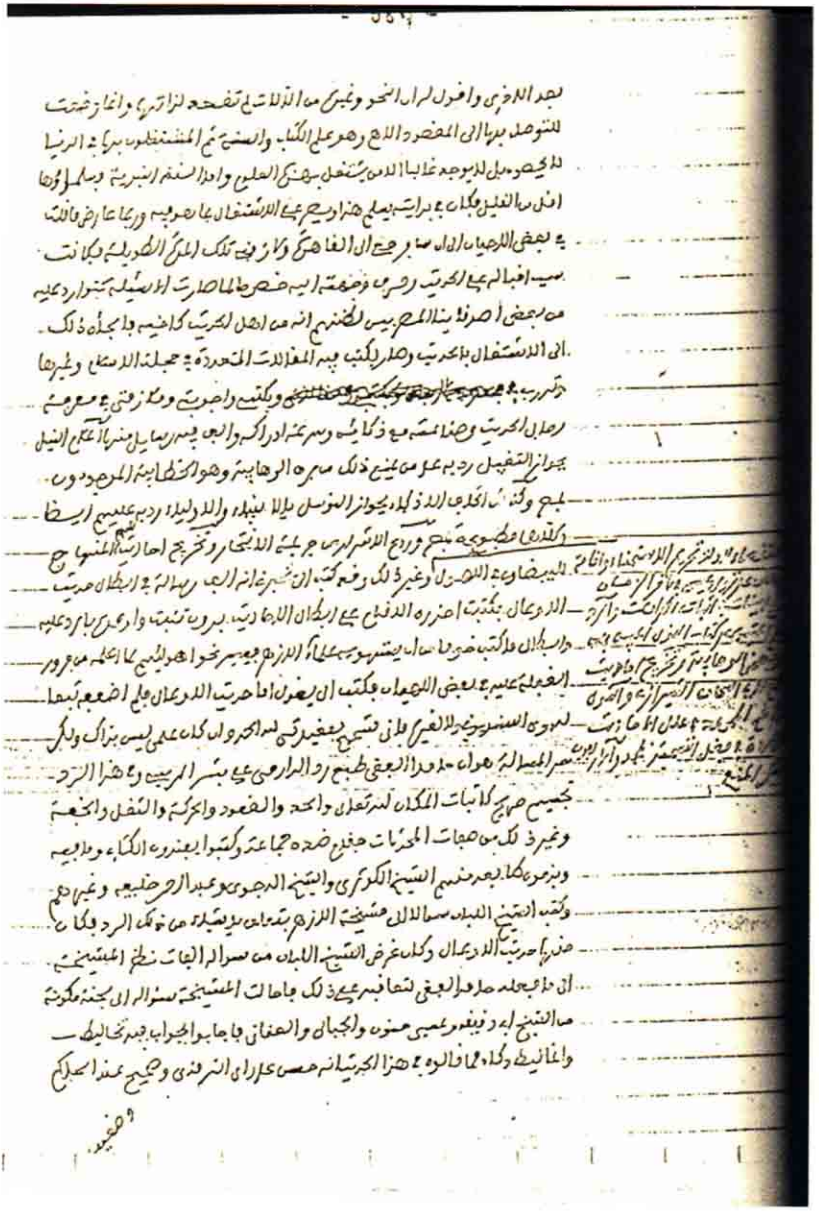

ترجمة السيِّد عبدالله بن الصِّدِّيق بقلم شقيقه السيِّد أحمد بن الصِّدِّيق

صفحة (٢)

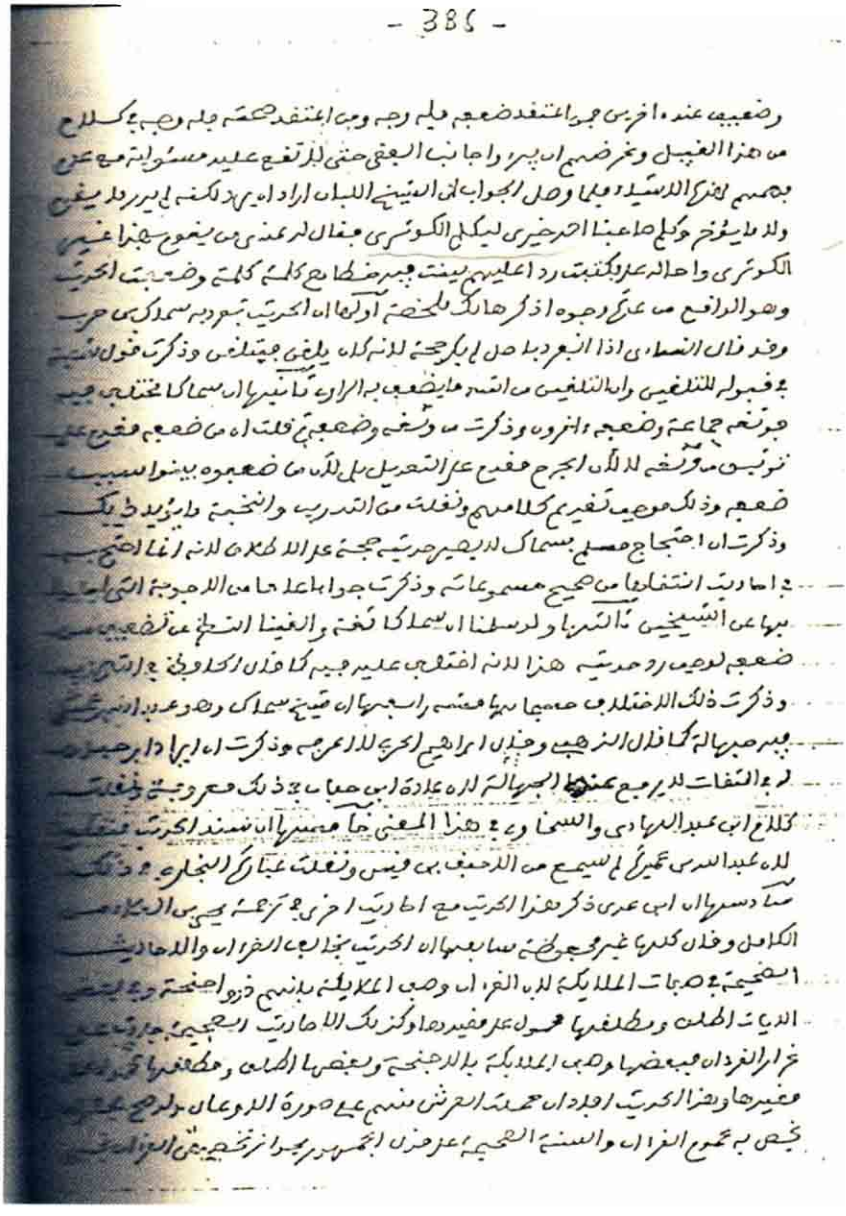

ترجمة السيِّد عبدالله بن الصِّدِّيق بقلم شقيقه السيِّد أحمد بن الصِّدِّيق

صفحة (٣)

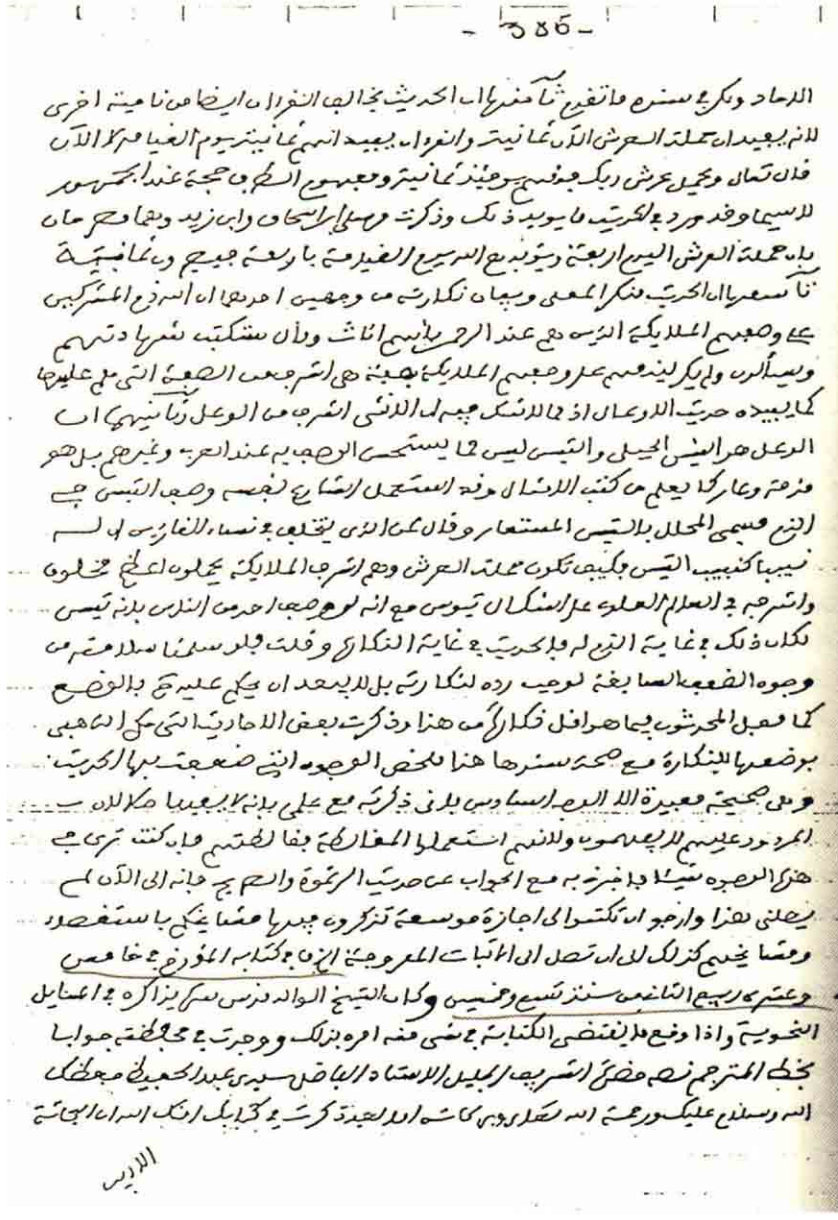

ترجمة السيِّد عبدالله بن الصِّدِّيق بقلم شقيقه السيِّد أحمد بن الصِّدِّيق

صفحة (٤)

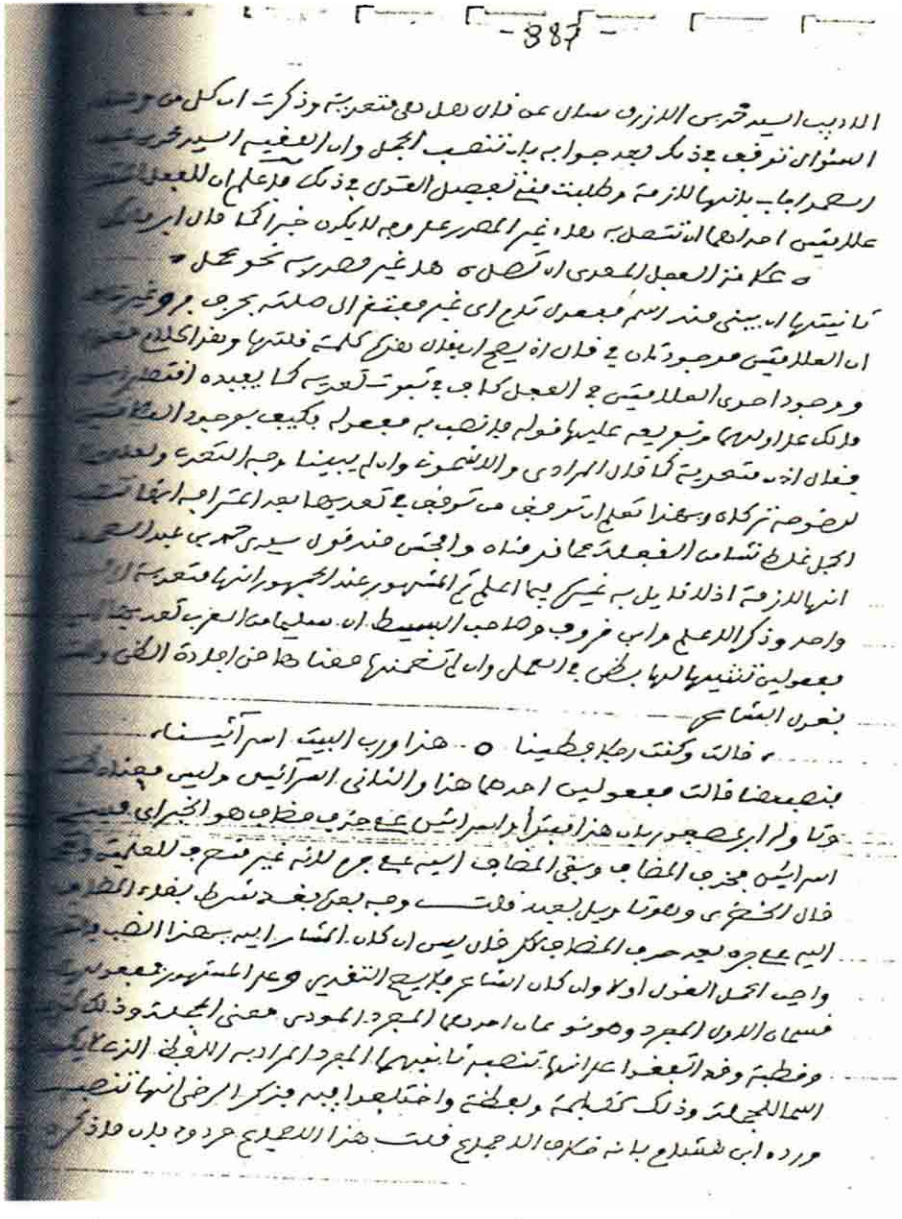

ترجمة السيِّد عبدالله بن الصِّدِّيق بقلم شقيقه السيِّد أحمد بن الصِّدِّيق

صفحة (٥)

الرضي ذهب اليه الزجاج والزمخشري وابن خروف وابن مالك وجعلوا منه قوله تعالى
يقال لابراهيم وتبعهم الاشموني قال ولو كان يقال فينبغي للفاعل لنصب ابراهيم
قلت وهو كلام لان بناءه للمفعول ورفع ابراهيم به خرج عن صحة نصبه لو جعل
زاد الرضي نوعا ثالثا ينصب بنحاة وهو ما يصح ان يعبر به عن الجملة وعن المفرد
نحو قلت لعمرو فان اللفظ يقع عليه الكلام الذي الجملة وذلك اذا حكيت بقال
فانها تكون في موضع مفعولها المفرد المنتفع ذكره لها فالتعبير واحد وحكى الصفار
عن بعض النحويين انها تكون في موضع مفعول مطلق نوعي وهذا وان لم يرده هو
والاخفش بالحمل لانه لا تجوز نيابة الجملة عن المفعول المطلق والمراد بالجملة
ما يصح التصريح بها والمفردة فان المفرد الواقع بعد قال من غير الانواع الثلاثة المتقدمة
يحكى كما قال الرضي والسيوطي في تفسير هذه الجملة وذلك نحو قوله تعالى قال سلام قوم
منكرون وقول امرئ القيس

٥ اذا قلت ها قلت طيب قرافة ٥ معتقة مما يجيء به التجر ٥

وقد ذكر هنا كيف يعتبر حكاية الجملة الصريحة وانه يجوز ان تحكى بالمعنى ولفظها
الا اذا كان فيها لحن فلا هل يجوز ان تحكى به او يجب ان تحكى بالمعنى ذهب
الى الثاني ابن عصفور والصواب التفصيل بين ان تقصد حكاية اللحن فيجوز او لا
فلا هذا ما يتعلق بقال من تفاصيل وتفصيل وقد تكلم عليها الصبان والخضري
يحصلا بعد هذا التحصيل وانما اكثر اعلى عادتهم من تشبيع القليل والاجترار كبير نفع
لدى الاعتماد عليه والتعويل فلنعرض هذا على اسائل وتامل انت وهو فيه فانه ان شاء
الله حسن جميل واجب بالمقصود عاد من التطويل فلنحمد الله على جميع نعمه الصغير منها
والجليل والصلاة والسلام على سيدنا محمد والصحب [illegible] سواء السبيل
وحرره في سادس عشر ربيع الثاني من سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة وألف هو لما رأى بعض
فضلاء بعض مولاتي وجماعة كثيرون على تعبير المحرر [illegible] في ذلك وتلاه
الصواب مما عند كثير وبلغ ذلك لمولانا القيم الوالد قدس سره كتب اليه يأمره بالرد على
هذا الناشئ فكتب في ذلك ورد لمصنفنا وكان ابدع حضوره بالازهر يراجع الطلبة [illegible]
والفقه والاصول والبيان وانتفع به جماعة منهم ودخل للامتحان واخذ شهادة
العالمية من الازهر في حين انه اعلم واذكى بكثير من المتحنين وشهد له وكما نوه في القيم
عند سره [illegible] من الشاهد [illegible] في فرادة جمع الجوامع بالجامع الاعظم من طنجة

ولا تجد

ترجمة السيِّد عبدالله بن الصِّدِّيق بقلم شقيقه السيِّد أحمد بن الصِّدِّيق

صفحة (٦) - الأخيرة

«أسماء شيوخي» بخط سيدي عبد الله بن الصديق

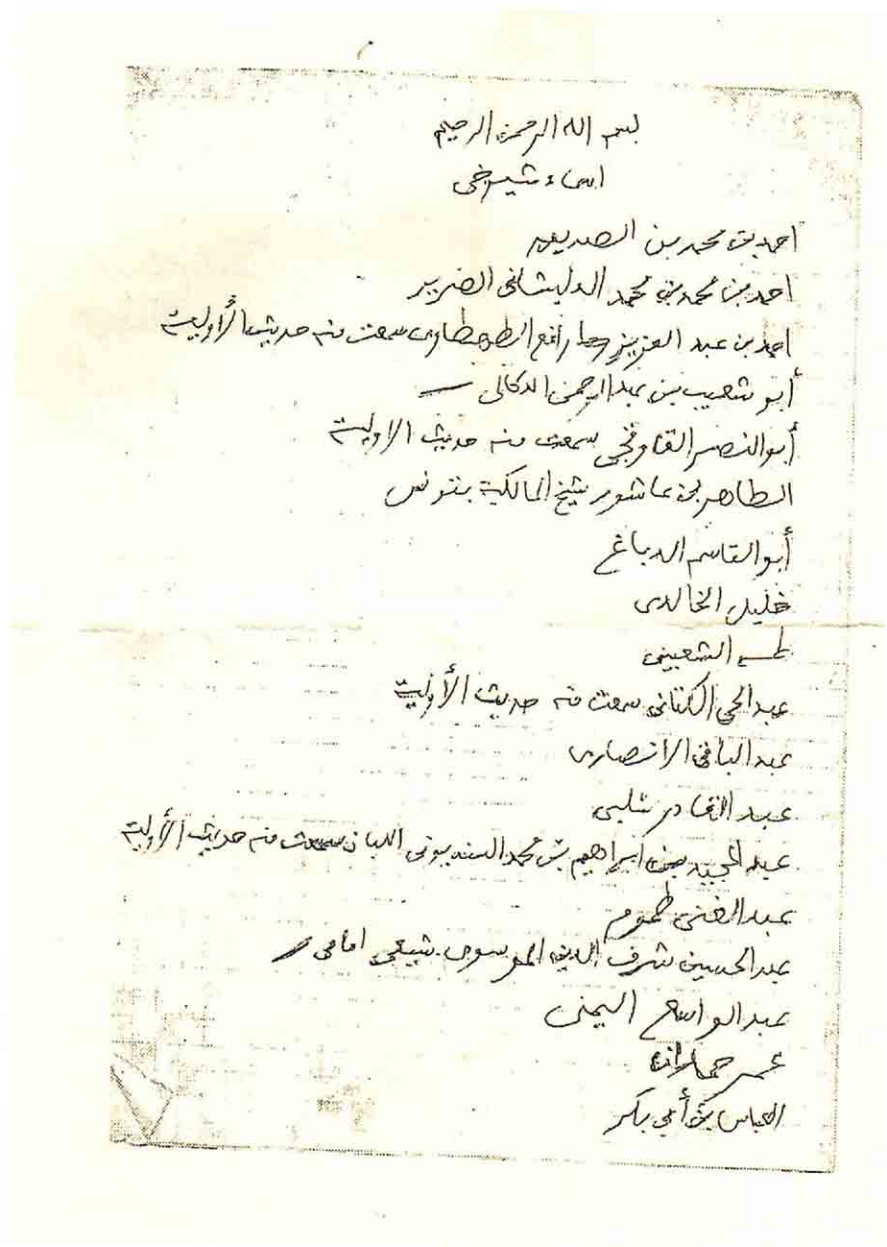

بسم الله الرحمن الرحيم
اسماء شيوخي
احمد بن محمد بن الصديق
احمد بن محمد بن محمد الدلبشاني الضرير
احمد بن عبد العزيز رضا رافع الطوطاوي سمعت من حديث الأولية
أبو شعيب بن عبد الرحمن الدكالي
أبو النصر القاوقجي سمعت من حديث الأولية
الطاهر بن عاشور شيخ المالكية بتونس
أبو القاسم الدباغ
خليل الخالدي
طه الشعيني
عبد الحي الكتاني سمعت من حديث الأولية
عبد الباقي الأنصاري
عبد القادر شلبي
عبد المجيد بن ابراهيم بن محمد السنديوني اللبان سمعت من حديث الأولية
عبد الغني طموم
عبد الحسين شرف الدين الموسوي شيعي امامي
عبد الواسع اليمني
عمر حمدان
العباس بن أبي بكر

«أسماء شيوخي» صفحة (١) – الأولى

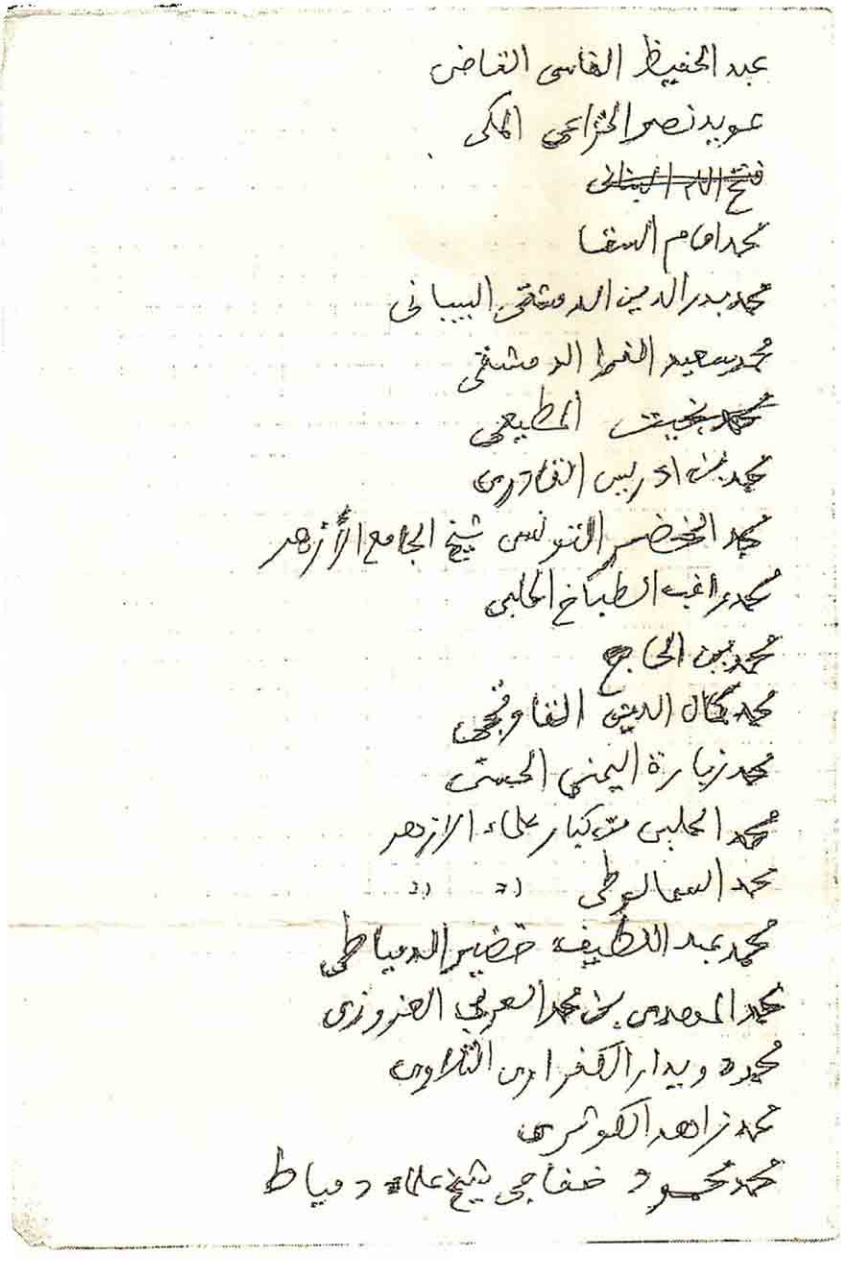

عبد الحفيظ الفاسي القاضي
عويد نصر الخزاعي المكي
~~فتح الله البنان~~
محمد امام السقا
محمد بدر الدين الدمشقي البيباني
محمد سعيد الغرا الدمشقي
~~محمد بخيت~~ المطيعي
محمد بن ادريس القادري
محمد الخضر التونسي شيخ الجامع الأزهر
محمد راغب الطباخ الحلبي
محمد بن الحاج
محمد كمال الدين الفاوقجي
محمد زبارة اليمني الحسني
محمد الحلبي متكبار علماء الازهر
محمد السمالوطي
محمد عبد اللطيف خضير الدمياطي
محمد المهدي بن محمد العربي الفروزي
محمود وبدار الكفراوي الشاذلي
محمد زاهد الكوثري
محمد محمود خفاجي شيخ علماء دمياط

«أسماء شيوخي» صفحة (٢)

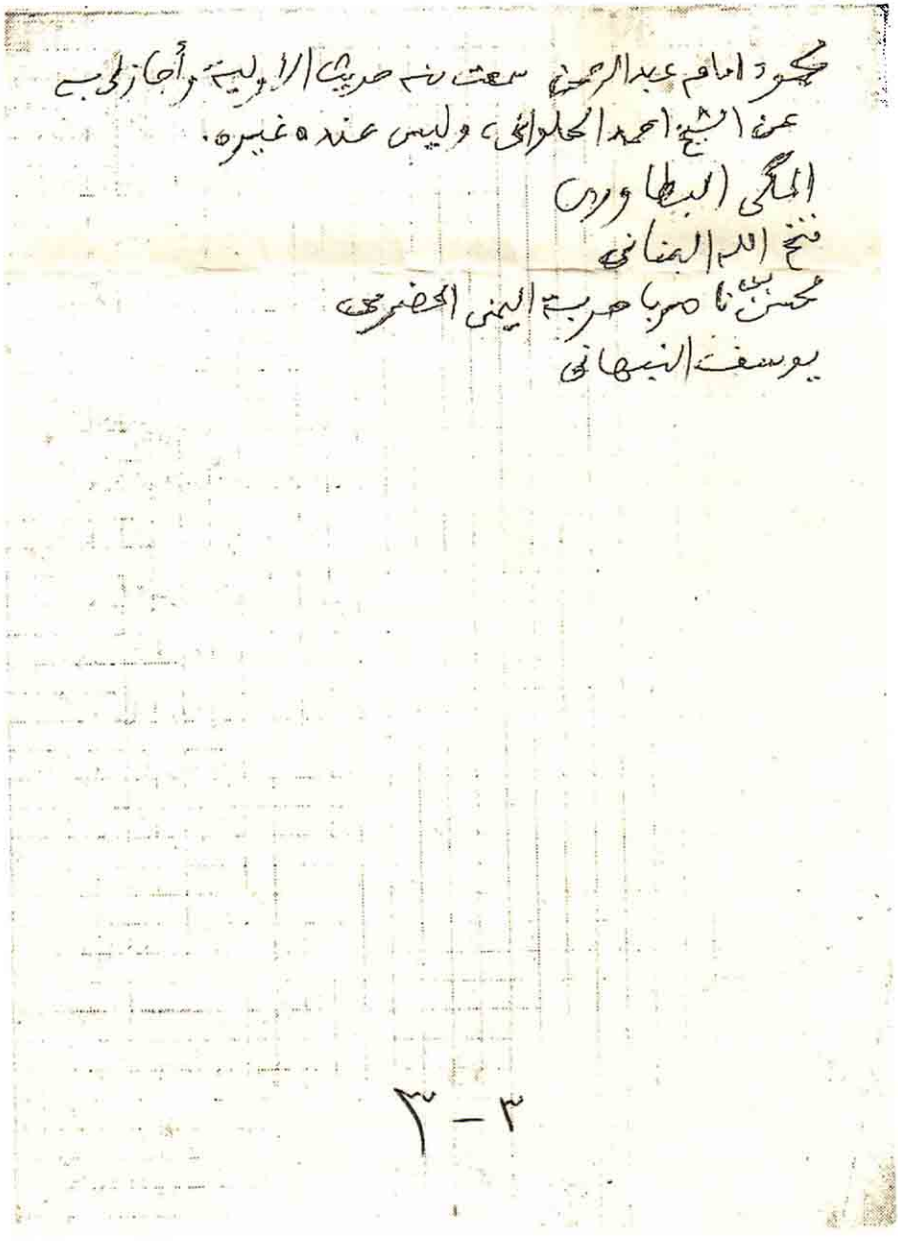
محمود امام عبد الرحمن سمعت من حديث الأولية وأجازني به
عن الشيخ احمد الحلواني وليس عنده غيره.
المالكي البطاوري
فتح الله البناني
محسن بن ناصر حربة اليمني الحضرمي
يوسف النبهاني

٣ - ٣

«أسماء شيوخي» صفحة (٣) - الأخيرة

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن رفع أقدار أهل الحديث بين سائر الأنام، وجعلهم خلفاء رسوله الكريم فكانوا
ملجأ للخاص والعام، ونفع بهم حملة شريعته الإسلام، وطوق بمنتهم رقبة كل عالم
وأعلام، وحفظ بما خصهم به من الإسناد دينه الحنيف فكانوا أمناء الله الكرام.
وحملة العرش الناجين عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجهلة
اللئام والصلاة والسلام على خاتم الرسل الكرام، ومسك ختام بنفحة التمام.
سيدنا محمد المخبر بأن خزنة سقر الغافلين بها ينفطعون لا يوم الفيام. ولا يزال
ظاهرين على الحق وقائمين به حتى قيام، وعلى آله الغادة الأعلام، وصحابته الأماجد
الكرام أما بعد فإن الإسناد من الدين بالمنزلة التي لا يبلغ جهلها العلماء وتشريف
بها أعناق العظماء وتسمو إليها همم الكاملين من حملة العلم النبلاء وتفطم جيها
رغبة المحققين الكملاء ولا يفعل غيرها إلا الفاخرون النجباء. والجاهلون الأدنياء
سمت همة الأدلاء الكرام، والبحر البحر العباب، المشارك في المنقول والمعقول
والمحقق لعلوم الفروع والأصول، المسند الأديب، المحدث الواعي، خادم الحديث
الشريف، والذاب عن حوزة حرمه المنيف، ذو التأليف العديدة النافعة، والتصانيف
المفيدة الجامعة، المدرس النفاعة، ومن هو لكل الفضائل واعية، جماعة شيخنا
أبو المجد السيد عبد الله بن الشيخ الأدلاء علم الأعلام، بحر العلوم والمعارف، ونور
الأسرار والطرائق، المجتهد المطلق، ومن أمره وآيته مقطوع به محقق، القطب
الكامل، والبدر المحدث الواصل، خاتمة أئمة الإسلام، مولانا الوالد المقدس أبي
عبد الله سيدنا محمد بن الصديق الشريف الحسني رضي الله عنه وأرضاه ونفعنا به آمين
فطلب منا أن نجيز له سائر مروياتنا فما تلقيناه عن شيوخنا فأجبناه إلى ذلك
محققين رغبته بالانخراط في تلك المسالك. وإن كنا لسنا هنالك. ولا هو من
من حملة أولئك. فقلنا أجزناك للعلامة المذكور، والحبر الشهير، أجازة عامة في كل ما أجازه لنا الشيوخ إلى أن أزيد عدد ربع على الماية فما عدى

ذلك

إجازة السيِّد أحمد بن الصِّديق لسيِّدي عبدالله بن الصِّدِّيق (الصفحة الأولى)

ذكرهم واسانيدهم مشيختنا ومهارسنا ومعاجمنا كالمعجم الصغير والمعجم الكبير للمستجير
والمشيخة في مجلد وحلية الرعاة بالمرويات والرواة في مجلدين ضخمين واختصار
العبيد المسمى ركوب العجلة للاتصال بالنقلة والعقد الباهر بما للاولين الصدر من
من الجواهر في اربعة اجزاء وما اسندناه عنهم في كثير من مولفاتنا المطبوعة
وغيرها واجزنا له ان يجيز نيابة عنا من احب الرواية عنا وبالله تعالى كما اجازنا
ذلك بعض اشياخنا ويشيوخهم الجمة في علو الاسناد ونضر علم الرواية والله
سبحانه وتعالى المسؤل ان ينفعنا واياه بما علمنا ويعلمنا ما ينفعنا ويزيدنا علما
والحمد لله على كل حال ونعوذ بالله من حال اهل النار واعداء السنة الاشرار واحب
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه قاله الفقير الى الله تعالى خادم الحديث احمد بن
ابن الصديق في يوم السبت ثالث عشر جمادى الاولى سنة احدى وسبعين وثلاثمائة
والف

إجازة السيِّد أحمد بن الصِّدِّيق لسيِّدي عبدالله بن الصِّدِّيق (الصفحة الأخيرة)

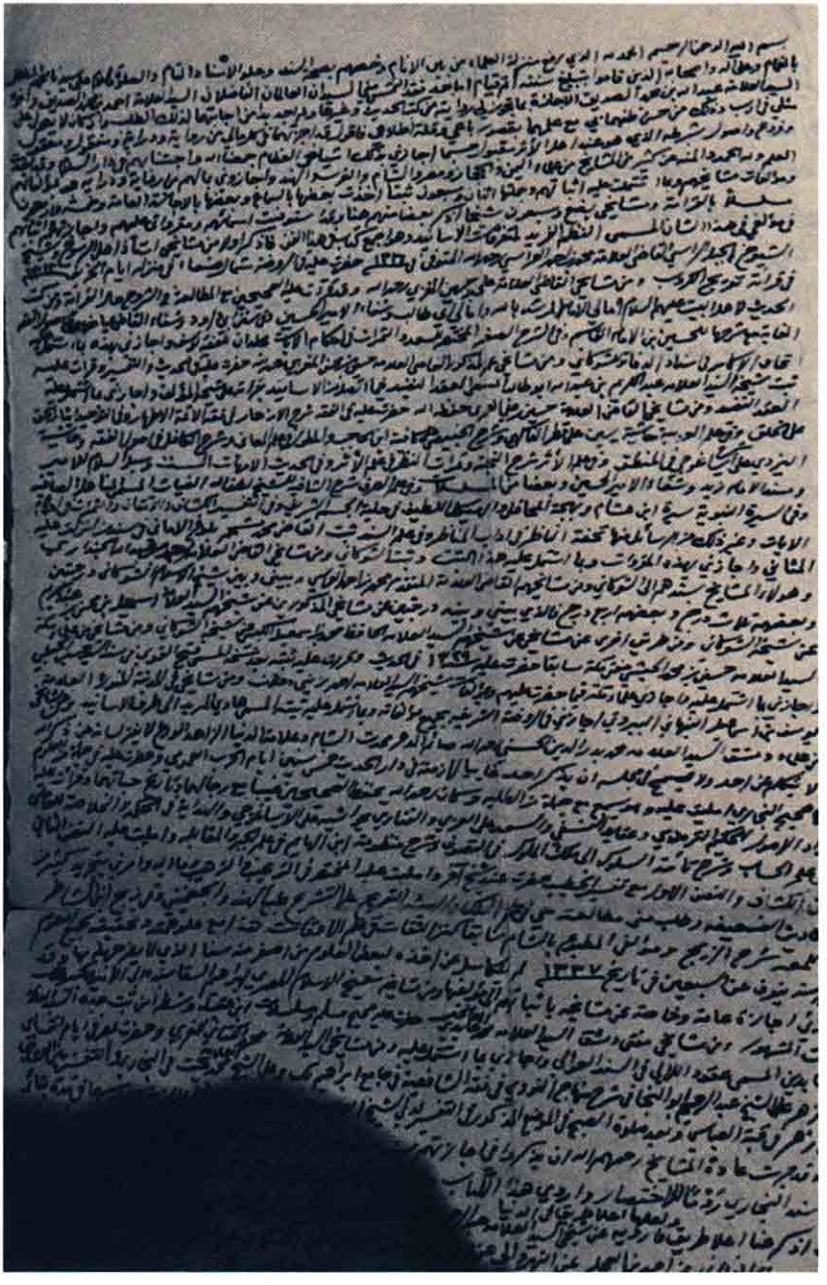

إجازة العلامة عبد الواسع اليماني (الصفحة الأولى)

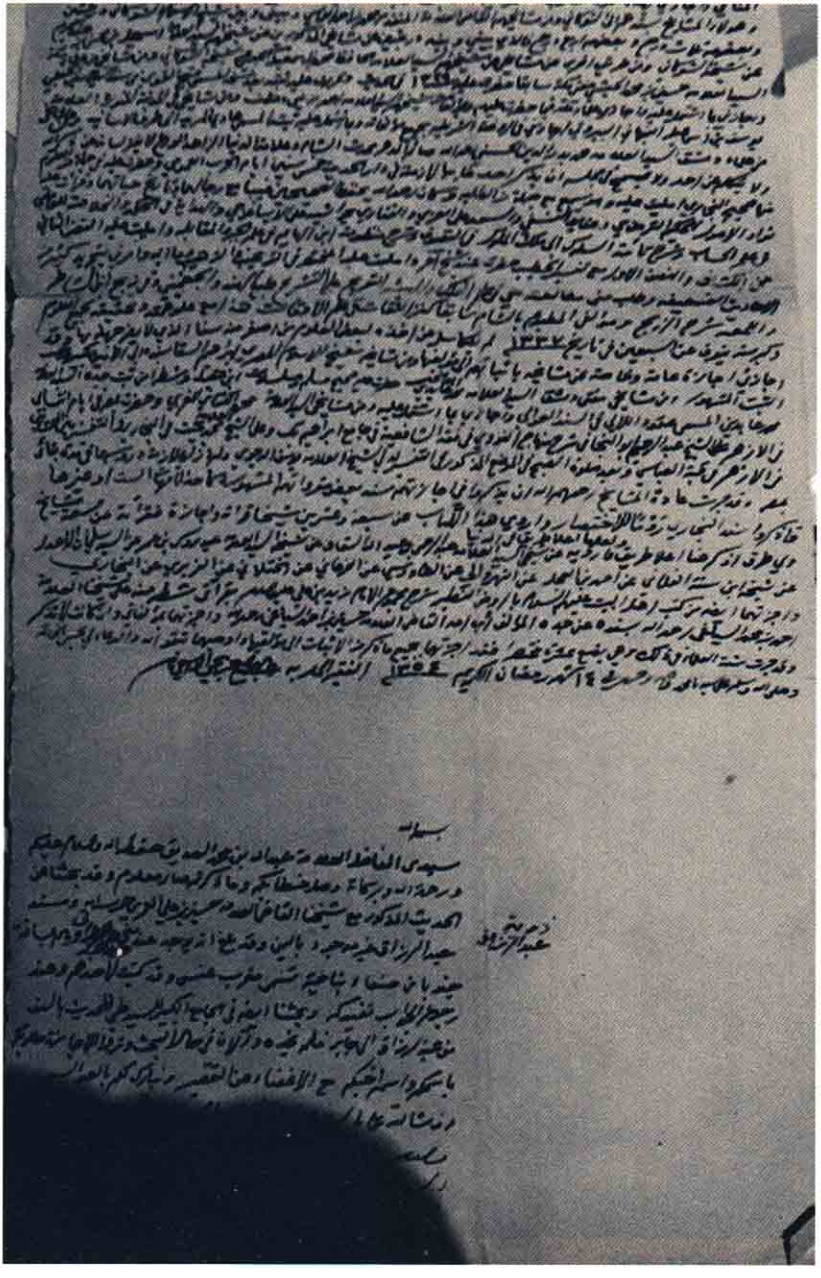

إجازة العلامة عبد الواسع اليماني (الصفحة الأخيرة)

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن جعل مقام المتوجهين اليه اللائذين بجنابه الأقدس هو المرفوع .
والمعرضين عن ذكره الملتفتين الى هذه الأغيار هو الموضوع . وصلاة وسلاماً
على من اوتى جوامع الكلم واللسان الفصيح . وجاءنا بالملة السمحة والدين الصحيح .
وعلى آله واصحابه الذين سمعوا مقالته فوعوها وادوها الينا كما سمعوها .
وصلتنا شريعته الغراء مسلسلة الاسناد بديعة النظام . خالصة من شوائب
الانقطاع والأوهام . فنالوا بجملتهم الحسنى المنازل العوالى فى دار القرار .
ورتعوا فى رياض الجنة مع الأنبياء الأخيار . وفازوا بالنعيم الدائم المقيم
ورضوان الله العظيم

(وبعد) فان الاستاذ الفاضل والاديب الكامل الشيخ عبد الله بن محمد بن الصديق الغمارى
الحسنى المغربى نزيل مصر ارسل الى منا كتاباً مؤرخاً فى التاسع عشر من شهر شوال سنة سبع
وخمسين وثلاثمائة والف وهو معرب من فضله العجم وادبه الغزير . ومما جاء فيه .
وانى لأرجو فى فاتحة هذا التعرف المبارك منتهزاً الفرصة ان تتحفونى واخى الأكبر
السيد احمد بن محمد الصديق باجازة منكم لنا بما لكم من مرويات وتذكرون مشايخكم
وما لكم من الأسانيد العالية منا على وجه الاستيفاء لذلك الخ ما جاء فيه .
وهذا منه ومن اخيه حفظهما الله تعالى واكثر بهما النفع مبنى على حسن الظن
بهذا العاجز وانى من اهل هذا الشان وفرسان ذلك الميدان فى حين انى لست
اهلاً لذلك ولا من جابوا تلك المسالك ويصدق على قول من قال

نزلوا بمكة فى منازل هاشم ونزلت بالبيداء ابعد منزل

إجازة العلَّامة المؤرِّخ محمد راغب الطَّباخ (الصفحة الأولى)

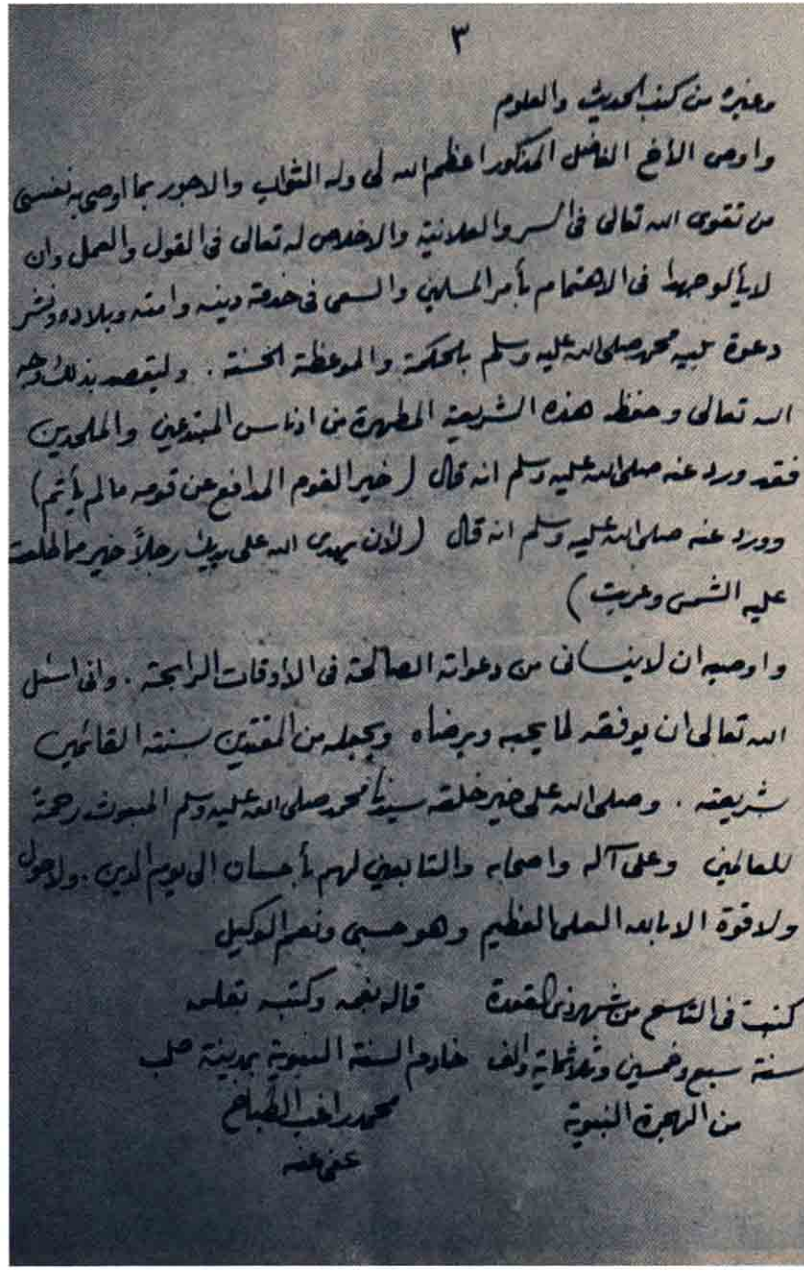

٣

وغيره من كتب الحديث والعلوم

واوصي الاخ الفاضل المذكور اعظم الله لي وله الثواب والاجور بما اوصى به نفسي من تقوى الله تعالى في السر والعلانية والاخلاص له تعالى في القول والعمل وان لا يألو جهدا في الاهتمام بأمر المسلمين والسعي في خدمة دينه وامته وبلاده ونشر دعوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بالحكمة والموعظة الحسنة . وليتقصد بذلك وجه الله تعالى وحفظ هذه الشريعة المطهرة من اوساس المبتدعين والملحدين فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم انه قال (خير القوم المدافع عن قومه مالم يأثم) وورد عنه صلى الله عليه وسلم انه قال (لأن يهدي الله على يديك رجلاً خير مما طلعت عليه الشمس وغربت)

واوصيه ان لا ينساني من دعواته الصالحة في الاوقات الراجحة . واني اسأل الله تعالى ان يوفقه لما يحب ويرضاه ويجعله من المتمسكين بسنته القائمين بشريعته . وصلى الله على خير خلقه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله واصحابه والتابعين لهم بإحسان الى يوم الدين . ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وهو حسبي ونعم الوكيل

كتب في التاسع من شهر ذي القعدة سنة سبع وخمسين وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية

قاله بفمه وكتبه بقلمه خادم السنة النبوية بمدينة حلب محمد راغب الطباخ عفي عنه

إجازة العلامة المؤرخ محمد راغب الطباخ (الصفحة الأخيرة)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل مجالس اهل السنة روضة من رياض اهل الجنة وجعل اسم الحديث
في القديم والحديث انفاس حضرة ذي الرسالة والصلاة والسلام على صاحب الحضرة وساقة
ندماء المحبة من تلك الحضرة سيدنا محمد الذي ارتقى اوج المعالي واعتلى باخمصه
الشرف العالي وعلى آله واصحابه ما اتصلت سلسلة الاسناد واعتنى بحفظها الجهابذة
النقاد وبعد فقد اجزت العالم الفاضل والالمعي الكامل سليل الافاضل السيد عبد الله
ابن محمد بن الصديق بن احمد بن عبد المؤمن الغماري بكافة مروياتي وسموعاتي من منقول
ومعقول ومنشود ومنظوم عن مشايخي في الشام ومصر والروم وبكافة من اجازني بمروياته
من سائر المشايخ في الشرق والغرب اجازة شاملة عامة راجيا ان لا ينساني من دعواته
اوقات دروسه وعقب صلاته موصيا اياه بمزيد عنايته بهذه الكتب وهي شرح
البخاري للخطابي وشرحه لابن بطال الاندلسي فانهما اصل لكافة شروح البخاري والشرح
المسمى بالمعلم على صحيح مسلم للمازري واكمال المعلم للقاضي عياض وشرح النووي على مسلم
وكذا شرح ابن الصلاح عليه وشرح سنن ابي داود للخطابي المسمى بالمعالم وشرح سنن
الترمذي المسمى بعارضة الاحوذي لابن العربي وشرح الترمذي للحافظ العراقي وشرحه
لابن سيد الناس وسنن النسائي لا سيما الكبرى وسنن ابن ماجه وسنن الدارمي وسنن
الدارقطني ومجمع الزوائد للحافظ الهيثمي والموطأ وشروحه الثلاثة وهي التمهيد والاستذكار
كلاهما لابن عبد البر وشرح القاضي ابي الوليد الباجي المسمى بالمنتقى والسيرة الكلاعية
وسيرة ابن هشام وسيرة ابن سيد الناس وكتاب فتح الباري على البخاري لابن حجر العسقلاني في
ومشارق الانوار للقاضي عياض وشرح الحافظ العجلوني على الغنية الحديث المسمى كشف الخفا
هذا ما اجبنا ان نوصيكم به والله ولي انجادكم على ما يكون لكم ذكرا في الدارين وكتبه بخطه
الفقير الاعز الله ورحمته خليل بن بدر بن مصطفى بن خليل بن محمد بن خليل بن صنع الله
ابن خليل الخالدي المقدسي في تاسع عشر شوال سنة سبع وخمسين وثلاثمائة والف
مصليا على النبي وآله وصحبه

إجازة العلامة خليل الخالدي لسيدي عبدالله بن الصِّدِّيق

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي أفنكم الله وسلامه عليكم ورحمة الله وبعد تقبيل أيديكم والسؤال عن
أحوالكم التي نرجو أن تكون بخير وصلني كتابكم الأخير وتأخرت عن جوابه لأني
كنت أنتظر الانتهاء مع سليمان في مسألة الكتاب وقد انتهينا واستلمت
نسخة ٢٥٠ من الكتاب. سأبعث منها ١٠٠ نسخة ومعها نسخة من البحر الزخار
ومجموعة الرمي بالسهام التي ساوت هنا عشرة جنيهات ففضلت عدم
بيعها. وكتاب إزالة الخطر أعجب به كل من رآه هنا فالشيخ أحمد مرسي
وهو يسلم عليكم كثيرا. قال لي: إن أخاك مجتهد مطلع لأن له ثلاثة كتب
لم يسبقه إليها تدل على اجتهاده وهي تشنيف الآذان وإحياء المقبور
وإزالة الخطر. وهو لذلك يحرض أصحابه على اقتناء هذه الكتب
ويدعو إليها في مجالسه، بل قال لي منذ أيام: أنا أعتقد أن أخاك ولي مفتوح
وأنه في رعاية النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويصفكم عند أصحابه بالحفظ
الواسع والاطلاع التام. وكذلك صديقه لنا اسمه محمد الله بليغ وهو
رجل غني وصوفي صالح ومحب للسنة لا يقدم عليها مذهبا ولا إماما لما
رأى الكتاب أخذ منه عشرين نسخة ليوزعها على أصحابه وقال لي: إن
أخاك عالم من طراز آخر وهؤلاء العلماء الذين نراهم لا يصلحون أن يكونوا
تلامذة له، وكذلك صديقه لنا آخر دمشقي وهو وهابي معتدل أخذ عشر
نسخ من الكتاب ليبعثها إلى دمشق وأثنى عليكم ثناء عاطرا. والمقصود أن
كل من رأى الكتاب أطراه وأبدى إعجابه بسعة علمكم وقوة حجتكم ودقة
استنباطكم. وبالأمس جاءني خطاب من شخص لا أعرفه ببلدة تيلا
يطلب كشفا باسماء كتبكم لأن رأى التشنيف وإحياء المقبور فأعجب بهما
أيما إعجاب. واقتراح شرح الرسالة أو ابن عاشر حسن جدا وأرجو أن
أدفعه إلى شرح ابن عاشر أولا لأنه أصغر ويطلب كثيرا في مصر
والسودان، والأزهر مقفل بكليات ومعاهده والشيخ قاعد في بيته
لأن للأزهريين جميعا مطالب لم تجبها الحكومة فتركوا الدراسة واستقالوا
من وظائفهم بالإجماع

رسالة بين سيدي عبد الله بن الصِّديق وشقيقه الحافظ السيِّد أحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي عبد العزيز سلام عليكم ورحمة الله وبعد وصلني كتابك الشريف وما به علم
وكنت أود كثيرا أن يمكنكم شراء كنز العمال من مكتبة العمراني لأني في حاجة شديدة
إليه إلا أن الأخ أخبرني أنه أوقف مكتبته على أولاد أولاده، وكنز العمال ثمنه
مرتفع هنا وقد اشتريت نسخة منه في السنة الماضية بثمانية جنيهات وهي من
كتب الكوثر من فوجدت الرطوبة قد أضرت بها وأعدمت الانتفاع منها فبعتها.
وسائر مطبوعات الهند هنا غالية، وكتاب زكي مجاهد أرسلته بالبريد المسجل فلا أدري كيف
ضاع، وأنا في انتظار شرح ابن الحاجب. وقد سرني كثيرا ما أخبرت به عن حسن معاملة
الأخ وأنها لم تتغير لأن الوزاني ذكر في احدى زيارات للريفي أن الفرنسيين غيروا
معاملة الأخ وضغطوا عليه، وزاد أن الملك أصدر العفو عنه وأن الفرنسيين أوقفوا
تنفيذه لأنهم يعارضون في إطلاقه سراحه، وصدقه الريفي كلامه وقال إنه وإنه من
أن الملك أصدر العفو عن الأخ ولكن الفرنسيين عارضوا في شأنهم في معارضة كل ما
يتصل بالحريات الفردية والجماعية ويعارضون في كل خير وإصلاح، فأتى هذا الخبر
حتى جاء كتابك فأزال ما عندي من الألم، أبلغ سلامي إلى أهل الدار جميعا
وسائر الإخوان ومن طرفنا يسلم عليكم سائر الأصدقاء، وقد طبع ترتيب مسند الشافعي
لعابد السندي في جزءين صغيرين، وألفنا لجنة من العلماء لطبع مؤلفات أعضائها
ومؤلفات أخرى وجعلنا الاشتراك فيها عشرة جنيهات وربما نبدأ العمل في الشهر
القادم بحول الله، وبعض النتائج هنا تنبأت بوقوع حرب وأحداث وبنت ذلك
على أن مفتتح السنتين الهجرية والميلادية يوافقه يوم الثلاثاء وهو يوم المكروه
فنسأل الله السلامة والعافية ونرجو أن يخلف الله ظنهم ويكذب نبأهم والسلام؟

٢٧ من ذي الحجة ١٣٧٠
٢٩ سبتمبر ١٩٥١

وسامي النشار في الإسكندرية وحين أتابع بالقاهرة أبلغ الرسالة بحيثية الله تعالى

رسالة بين سيِّدي عبد الله بن الصِّدِّيق وشقيقه العلامة سيدي عبد العزيز

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وءاله

حضرة الاخ الجليل الشريف الماجد الاصيل سيدي عبد العزيز سلام عليك ورحمة الله وبركاته
اما بعد فالغرض بهذا السؤال عن احوالك الزكية نرجو الله ان تكون وجميع الاحبة
ثم تكليفك بابلاغ سلامي لمولانا الوالد وتقبيل يده وبابلاغ سلامي للاخوة والاخوات
وأهل الدار كافة لا أخص منهم أحدا ولاهل الزاوية ومنا يسلم عليكم الاخوان والحاج
الشكارة ويقول لك ماذا عملت في الحوايج التي طلبت منك ان تطلبها من مولانا
الوالد
هذا وقد بعثت بكتابي اعلام النبيل بجواز التقبيل فاخبرني على رايته وهل أثنى عليه
مولانا الوالد وغيره ممن رءاه والسلام
وكتب عن عجل اخوك عبد الله

ومعه كتاب لسيدي عبد السلام بوعياد
وصله له

رسالة أخرى بين سيِّدي عبد الله وشقيقه العلامة سيدي عبد العزيز

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله

الى حضرة الأخ الشريف الذكي الفطن النبيل سيدي عبد العزيز
سلام عليك ورحمة الله وبركاته وبعد وصلنا كتابك وفرحنا به
كثيرا حيث انه أتى بعد غيبة أوجبت الاشتياق اليه مع ما أفاده من
سلامتكم وعافيتكم لله الحمد وما ذكرت من اعجاب الناس بكتابتي في سماع
الحسن البصري من علي عليه السلام وتعجبهم من معرفتي بالرجال
والطلاعي الى ذلك الحد انما نشأ من اعتقادهم قلة علمي أو ضعفه
والا فلا وجه لتعجبهم مع معرفتهم باشتغالنا بالعلم وتفرغنا له
ولله الحمد والمنة وقد كتبت ● مقالا آخر في الموضوع وسيصلكم
في مجلة الاسلام فلا بد أن تطلعوا عليه وتخبرني بما سيقوله عبد
القادر الجزائري وغيره في شأنه
هذا وقد بعثت لك يومه بكتاب الفتح الكبير وأما الكرة الأرضية
● فسأرسلها لك بعد ان شاء الله تعالى وسبب تأخرنا عنك هذه
المدة هو عدم الدراهيم لأن الليرة التي بعثتها أخذها الشكارة
وقضى بها قطرة من بحر الدين الذي عليه ولم يتيسر له بعد
قضاؤها فلذلك تأخرنا سلم منا على أهل الدار جميعا وعلى
الاخوان كافة ومنا يسلم عليكم جميعا الأخوان والشكارة والمنتصر
الكتاني وهو ينام معنا بالبيت ويأكل معنا وأنا أدرس له الألفية
بشرح ابن عقيل والأخ سيدي أحمد يدرس له نخبة الفكر ويسمعه
سنن أبي داود وسيسمعه بعدها بقية الكتب الستة
وأحبك أن تخبرني عن الكرطف هل اسم آخر عندكم أولا
والسلام
أخوك
عبد الله
عفي عنه
يوم الثلاثاء ٢٤ من شوال ١٣٥٢

لها

رسالة أخرىٰ بين سيِّدي عبد الله وشقيقه العلامة سيدي عبد العزيز

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله

الى أخينا الشريف الجليل الفهامة الذكي النبيل سيدي عبد العزيز سلام عليك ورحمة
الله وبعد وصلني كتابك وفرحت به كثيراً لما اشتمل عليه من أخباركم السارة
والأسئلة التي وجهتها إلي لم يتيسر لي الى الآن أن أجيبك عنها لأشياء عرضت لي
منعتني من الجواب فارجو أن تنتظر ريثما يروق بالي وعسى أن يكون ذلك قريبا ان شاء
الله وأمس تاريخه وصل كتاب من سيدي العربي بوعياد ومعه رده على الشيخ
الدجوه وهو رد حسن جداً غير أنه شديد اللهجة وفيه عبارات قاسية فلذلك
اشتغلت بتلخيصه وتحريره وأبدلت ما فيه من القساوة والشدة بلهجة خفيفة
لا يتألم منها المردود عليه وسأنشره في مجلة الاسلام بامضائه
هذا ونهنئكم بشهر رمضان المعظم جعله الله شهر خير وهناء وكل عام وأنتم
بخير ونرجو أن تبلغ سلامنا لولاة الوالد ولأهل الدار جميعاً كبيراً وصغيراً
وللاخوان كافة ومنا يسلم عليكم الأخوان وسيدي المنتصر والحاج الشكاري
ويطلب منك أن تبعث له دراهم رسالة ملوه اللحية ان تيسرت لك ليرسل اليك
بها نسخا من المثنوي وفتح الملك العلي والسلام

يوم السبت ٤ رمضان

عبد الله
عفي عنه

رسالة أخرى بين سيِّدي عبد الله وشقيقه العلامة سيدي عبد العزيز

الحمد لله وحده

الى أخينا الشريف الجليل الماجد الذكي الأصيل سيدي عبد العزيز سلام عليك ورحمة الله
وبعد فساعته وصلني كتابك مخبرا فيه بوصول الفتح الكبير وبما جرى بينك وبين سيدي عروة
وسيدي عبد الحي من الكلام في مجاعة المدينة وخبر المجاعة صحيح لا كذب فيه وقد أنعمت
الحكومة المصرية بألفي جنيه وعشرين ألف أردب من القمح لإعانة فقراء المدينة وجمع
أهل مصر من مسلمين وأقباط - 7000 جنيه كلها لأجل الإعانة غير أنهم لم يرسلوا شيئا
من ذلك حتى تتفاهم الحكومة المصرية مع ابن السعود كيف يكون توزيع تلك الدراهم وذلك
القمح على أهل المدينة لأن أهل مصر يريدون أن يتولوا توزيع ذلك بأنفسهم وابن السعود
يريد أن يدفعوه اليه وهو يتولى توزيعه وليس في وقوع المجاعة بالمدينة ما يخالف الحديث
فلست أدري كيف يحتجون عليك ويقولون انك مغلوب ولو عرفت دليلهم لنقضته وعلى كل أنت
غالبهم وهم مغلوبون هذا وقد وصلني منك قبل كتابان طلبت مني في أولهما أن أشرح لك بيتي
ابن العربي اللذين رأيتهما في مجلة الإسلام وسأشرحهما لك بعد ان شاء الله تعالى وذكرت في ثانيهما
ما رأيته في الطائف المصورة من ذلك التعسير الغريب وسأذهب الى ادارة الطائف وأرى
ذلك العدد وأتفاهم مع صاحب المجلة ثم آتيك بالخبر سلم على مولانا الوالد وقبل يديه نيابة
عني واطلب منه الدعاء وسلم على أهل الدار أم كلثوم وكنزة بنت بن عجيبة وخديجة بنت بن
يحيى وفاطمة وحبيبة وآسية ومسعودة وأختها والبلالية وأمها والحاجة فرّوفه وودّ
فاطمة وعلي بالفيهم من لم أتذكر اسمه وسلم على الاخوان جميعا خصوصا الزرهوني وسيدي العربي
بوعياد ومنا يسلم عليكم جميعا الأخوان وسيدي المنتصر الكتاني والحاج الشكارة وقد بعث
مائة نسخة من حلق اللحية يريد أن تقف على بيعها هناك ● وتعجل بارسال ثمنها لأنه في
حاجة وثمن كل نسخة فرنك

وكانت هنا منذ أيام فتنة قائمة بالأزهر ترجع الى عدم قبول طلبة الأزهر الشيخ الأحمدي
شيخا عليهم فذهبوا الى الوزارات يطلبون ذلك وأضربوا عن القراءة مدة ثلاثة أشهر وكانت الوزارة
أول الأمر مع الطلبة لكن لما عرضت طلبهم على الملك من ازالة الشيخ الأحمدي رفض الملك الطلب
وقال انه لا يزيله فلما رأت الوزارة ذلك استعملت الشدة مع الطلبة فأمرت بدخول العسكر
الى الجامع الأزهر فدخلوا اليه وضربوا الطلبة ثم أخذوهم الى السجن والآن أطلقوا
سراحهم ورجعوا الى الدروس مع طلبهم من الوزارة أن تنظر في مصلحتهم ولا زال الأمر متداولا
بينهم لم يتم حتى الآن هذا ما به اعلامك والسلام

ومنه طلب من صاحب مجلة الإسلام أن أكتب في المهدي لأن
كثيرا من الناس وألح على فيه هو والشيخ محمود خليفة
ووعدتهما بأني سأفعل

يوم الثلاثاء ٢١ من ذي الحجة ١٣٥٢

أخوك
عبد الله
عفي عنه

رسالة أخرى بين سيِّدي عبد الله وشقيقه العلامة سيدي عبد العزيز

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الفتاح العليم. فتح لقصّاد فضله أبواب. وحمى من التجأ إلى حماه وأمّ رحـ
الوهاب الكريم. وهب من وفقه علما نفعا يعرف به سداد القول وصوابه. وأعطى خواص ا
الهامات يتميزون بها كتاب. والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله إلى العالمين. وحجته على
العالمين، أوتي جوامع الكلم. وتفجرت من لسانه ينابيع الحكم. ألزم الناس اتباعه. وأرجب
الجنة لمن أطاعه. ورضي الله عن آله الأطهار. وصحابته الأبرار. وشمل بواسع رحمته
نقلة حديثه وخدام سنته. أما بعد. فهذا شرح على كتاب «الكنز الثمين في أحاديث
النبي الأمين» يحل ألفاظ أحاديثه، ويوضح مشكلها، ويفتح مغلقها، ويجمع بين متعارضها.
مع استنباط ما فيها من أحكام فقهية، وآداب مرضية، وفوائد لطيفة، ومسائل نفيسة.
بأسلوب سهل مبسوط، ليس فيه تطويل ممل، ولا اختصار مخل. بل وسط بين الطرفين،
جعله الله خالصا لوجهه الكريم، ورزقنا التوفيق والقبول، إنه أكرم مسئول.

١ - (إنما الأعمال بالنيات) إنما أداة حصر، تفيد انحصار المبتدأ في الخبر. وفي الكلام مضاف محذوف
اقتضاه أسلوب الحصر والتقدير: إنما صحة الأعمال بالنيات. ولفظ الأعمال عام يشمل الوسائل
والمقاصد، والعبادات والمعاملات. فلا يصح وضوء ولا غسل ولا تيمم ولا صلاة ولا زكاة ولا حج
ولا صيام إلا بالنية، وهي العزم المصمم على فعل الشيء. وكذلك الفاظ الكناية لا يقع بها الطلاق
إلا بالنية. ومحلها القلب، فلا داعي للنطق بها، ولم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تلفظ بها
في طهارة أو صلاة أو في شيء من عباداته. وهذا الحديث عظيم، يعد من جوامع الكلم، ويدخل في
كثير من الأبواب الفقهية. وهو مع عظم قدره، وضخامة معناه، حديث غريب، لم يروه عن
النبي صلى الله عليه وسلم إلا عمر رضي الله عنه. ولم يصح من رواية غيره. وادعى بعض العلماء أنه
حديث متواتر، وليس كذلك. بل هو حديث آحاد، أما معناه فمتواتر. (وإنما لكل امرئ ما نوى)
هذه الجملة دليل القاعدة الفقهية المعروفة: الأمور بمقاصدها. ويؤخذ منها أن الإنسان لو نوى
بعمله التوصل إلى عبادة، كان له ما نواه وقصده. فلو نوى بأكله تقوية نفسه للعبادة والقيام
بما يطلب منه، كان له ثواب ما نواه. ولو جامع زوجه ناويا إعفاف نفسه، كان له ثواب
في جماعه. ولو باشر تجارة أو زراعة أو صناعة ما، قاصدا الإنفاق على نفسه أو أهله، كان
مثابا في ذلك. ولو صنع سلاحا قاصدا به الاستعداد لقتال الكفار، كان عمله طاعة. ولو خرج من
بيته ناويا أن يساعد مسكينا إذا وجده في طريقه، أو يغيث ملهوفا أو يرشد ضالا لا يهتدي أو نحو
ذلك في ذلك كله. فتكون أعماله كلها طاعة، بخلاف ما لم ينو شيئا من الخير، فلن أعماله تكون
خالية من الثواب. وقد قال العلماء: لو ترك الإنسان الخير اعتيادا، فإنه لا يثاب على تركها
(إلا إذا نوى أن يتركها امتثالا لأمر الله تعالى (فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله)
فهجرته وقصده (فهجرته إلى الله ورسوله) مثوبة وأجرا (ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها)
بتجارة ونحوها (أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه) من الدنيا أو الزوجة ولا ثواب
له فيها لأنها لمجرد حظ نفسه. روى الطبراني عن ابن مسعود قال: [illegible]

الفتح المبين شرح الكنز الثمين (الصفحة الأولى)

أحد بما يثلم عرضه (ومن ارتع فيه) أي استرعى الحلال [illegible]
كالمرتع) كالشخص المرتع غنمه (الى جنب الحمى) بكسر الحاء وهو المكان المحظور الذي حظره أحد
(يوشك) يقرب (أن يقع فيه) بأن ترعى غنمه داخله (وان لكل ملك) من ملوك الدنيا (حمى)
مكانا يحميه ويمنع من أفراد الرعية (وان حمى الله في الأرض محارمه) معاصيه التي حظرها ونهى
عباده عن قربانها. شبه المحرمات بالأرض التي يحميها الملك، وشبه المستحب الحلال
بالمرتع حول الحمى القريب من الوقوع فيه، وهو تشبيه بليغ، يفيد الحض على ترك
بعض الحلال، اتقاء للوقوع في الحرام. وهذا المعنى يفيده أيضا الحديث رقم ٤٤٣٣

٧٣ (أجلوا) بتشديد اللام أي عظموا (الله) باستعظام ارتكاب معاصيه (يغفر لكم) ما
اقترفتموه من الصغائر. أخذ بعض العلماء من هذا الحديث كالتقي السبكي أن الذنوب كلها
كبائر، ليس فيها صغائر، لأن مقتضى اجلال الله ألا تكون معصية صغيرة. لكن ثبتت
التفرقة بين الذنوب في مثل قوله تعالى (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم.
الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم) قال الجمهور: ويتحقق اجلال الله مع ارتكاب
الكبيرة، بالندم عليها وسرعة الرجوع عنها، وصدق الالتجاء اليه في غفرانها.

٧٤ (أجيبوا هذه الدعوة اذا دعيتم لها) يعني وليمة العرس كما يأتي في الحديث رقم ٢١٦:
اذا دعي أحدكم الى الوليمة فليأتها، وفي الحديث رقم ٢١٧: اذا دعي أحدكم الى وليمة عرس
فليجب. وهذه الأحاديث تفيد وجوب اجابة دعوة الوليمة، وحكمة ذلك مشاركة
أهل العرس في فرحهم، وتكثير شهود الزواج.

٧٥ (أجيبوا الداعي) الى وليمة أو غيرها، لأن اجابة الدعوة حق المسلم على أخيه، كما في الحديث
رقم ١٦٢١ وفي الحديث رقم ٢٢٢: اذا دعيتم الى كراع فأجيبوا، وهو يفيد تأكيد
وجوب اجابة الدعوة ولو كان الطعام قليلا، بل ولو لم يأكل، للحديث رقم ٢٢١: اذا دعي أحدكم
الى طعام فليجب، فان شاء طعم وان شاء لم يطعم (ولا ترد والهدية) لأن ردها يكسر خاطر
مهديها، وربما يحدث عنده حقدا على من ردها عليه (ولا تضربوا المسلمين) أي لا يجوز لكم
المفروضة وضرب المسلمين الا في حد شرعي، وانظر الحديث رقم ٢٤٥٨

٧٦ (أحب الأعمال الى الله الصلاة لوقتها) أي في وقتها المقدر لها شرعا، (أنها تشتمل على عدة
عبادات: تلاوة القرآن وركوع وسجود وتكبير وتسبيح وتهليل وتحميد وشهادة وصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم ودعاء (ثم بر الوالدين) وهذا اعراق للقرآن (وقضى بأن
لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا) لأنهما ربيا ولدهما وتوليا شئونه، حتى ميز
بين يمينه من شماله، وعرف قبيله من دبيره (ثم الجهاد في سبيل الله) لأنه بر دعاية
الكفار، ويؤمن دار الاسلام، ويبلغ دعوته لبعض العقول التي لا تفقه الحجة
ولا تعرف البرهان.

الفتح المبين شرح الكنز الثمين (الصفحة الأخيرة)

٢

وهو ضعيف جدًا؟ ثم رواه موقوفا على معاذ، والموقوف أشبه، وإن كان لا يصح مرفوعا ولا موقوفا.

(٦) تفرد به ابن ماجه عن الستة، وإسناده ضعيف. علي بن يزيد هو الألهاني، ضعيف.

(٨) أول الحسد في الحديث بالغبطة لوجهين، الأول: لحديث «إنما الدنيا لأربعة نفر عبد رزقه الله مالا وعلما فهو يتقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقا، فهذا بأفضل المنازل. وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا، فهو صادق النية يقول: لو أن لي مالا لعملت بعمل فلان، فهو بنيته فأجرهما سواء» الحديث، صححه الترمذي من حديث أبي كبشة، وهو صريح في الغبطة. الثاني: أن الحسد تمني زوال النعمة عن المحسود، وهذا لا يجوز أبدا بحال.

(٩) المراد بالعلماء في هذا الحديث ونحوه، المجتهدون. لأن بهم تقوم الحجة بعد الأنبياء، ولهذا كانوا ورثتهم. ولأن الأنبياء ورثوا العلم الذي هو الوحي، وهو الحجة. فالتقليد ليس بعلم، والمقلدون ليسوا بعلماء.

(١١) قوله «وما والاه» إما من الموالاة بمعنى المحبة، أي الا ذكر الله، وما أحب الله من الأعمال غير الذكر. أو من الموالاة بمعنى المجانسة، أي الا ذكر الله وما والاه أي جانسه من كل كلام طيب، كمخاطبة الناس بالحسنى، المأمور بها في قوله تعالى «وقولوا للناس حسنا»، أو من الموالاة بمعنى المتابعة، أي إلا ذكر الله وما والاه أي تابعه في كونه يستجلب رضا الله، وهو سائر الطاعات.

(١٥) قوله «إذا قعد على كرسيه لفصل عباده» هذه اللفظة ليست في جميع طرق الحديث، وإسناد هذا الطريق فيه رجال تكلم فيهم، وإن وثقوا. ولهذا قال الحافظ الهيثمي: رجاله موثقون. فإطلاق المؤلف على هذا الطريق: إنه جيد، فيه تساهل. ثم إن صحت هذه اللفظة، فتجرى على ظاهرها مع اعتقاد تنزيه الله عن مشابهة المخلوقات

(١٨) المراد بالفقيه العالم بالكتاب والسنة، وهو المجتهد كما سبق. وروح بن جناح متكلم فيه، واستنكر الساجي وابن عبان حديثه هذا.

تعليقات السيِّد عبدالله على كتاب "المتجر الرابح" للحافظ الدمياطي (صفحة ٢)

٩٨

وجود نفسه، والصالح ربما لا يعرف أن الذي كلمه ملك، وإن عرف فلا يجزم به بل يجوز عنده أن يكون جنيا صالحا أو شيطانا أراد إغواءه وتضليله. ثانيهما: أن يكون ما يلقيه الملك إلى الإنسان، تشريعا خاصا يعمل به في نفسه، أو عاما يأمره بتبليغه إلى غيره. أما ما يكلم به الملك الرجل الصالح أو المرأة الصالحة فلا يتجاوز البشارة فقط،

(٨٤) «زار في» أي زار أخاه حبا في، لا لغرض آخر.

(٨٦) قوله: في حديث، قلت: بقيته «ألا أخبركم بنسائكم في الجنة؟» قلنا: بلى يا رسول الله. قال «كل ودود ولود إذا غضبت أو أسيء إليها أو غضب زوجها، قالت: هذه يدي في يدك لا أكتحل بغمض حتى ترضى» وفي إسناده ابراهيم بن زياد القرشي، مجهول قال المنذري: لم أقف فيه على جرح ولا تعديل. قلت: قال البخاري فيه: لا يصح حديثه، وقال العقيلي: يحدث عن الزهري، وعن هشام بن عروة، فيجعل حديث الزهري على هشام، وحديث هشام على الزهري، ويأتي أيضا عنهما بما لا يحفظ. اهـ وللحديث طريقان عن كعب بن عجرة عند الطبراني باسناد فيه متروك. وعن ابن عباس عند الطبراني أيضا باسناد فيه كذاب.

(٨٧) قوله: أسندوه إليه، أي رجعوا إليه فيه، وصدروا عنه أي إذا قال شيئا وقفوا عند رأيه، ولم يتجاوزوه. ذلك لأن معاذا جبل علم رضي الله عنه، بنص قوله عليه الصلاة والسلام «أعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل» قوله: قد سبقني بالتهجير، أي التبكير إلى الصلاة «وللمتجالسين في» أي يتجالسون في محبتي بذكري «وللمتزاورين في» أي يزور بعضهم بعضا لأجلي، لا لغرض آخر، زاد الطبراني «والمتصادقين في» أي تكون بينهم صداقة لأجلي، «وللمتباذلين في» أي يبذل كل واحد منهم لصاحبه نفسه وماله في مهمات في جميع حالاته في الله. وهذا الحديث صححه الحاكم على شرط الشيخين، وفيه ثبوت لقاء أبي ادريس لمعاذ، خلافا لمن نفاه،

(٨٨) في صحيح ابن حبان عن أبي مسلم الخولاني قال: قلت لمعاذ: والله اني لأحبك لغير دنيا أرجو أن أصيبها منك، ولا قرابة بيني وبينك، قال: فلأي شيء؟ قلت: لله. قال: فجذب حبوتي، ثم قال: أبشر إن كنت صادقا، فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «المتحابون في الله في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله، يغبطهم بمكانهم النبيون

تعليقات السيد عبدالله على كتاب "المتجر الرابح" للحافظ الدمياطي (صفحة ٩٨)

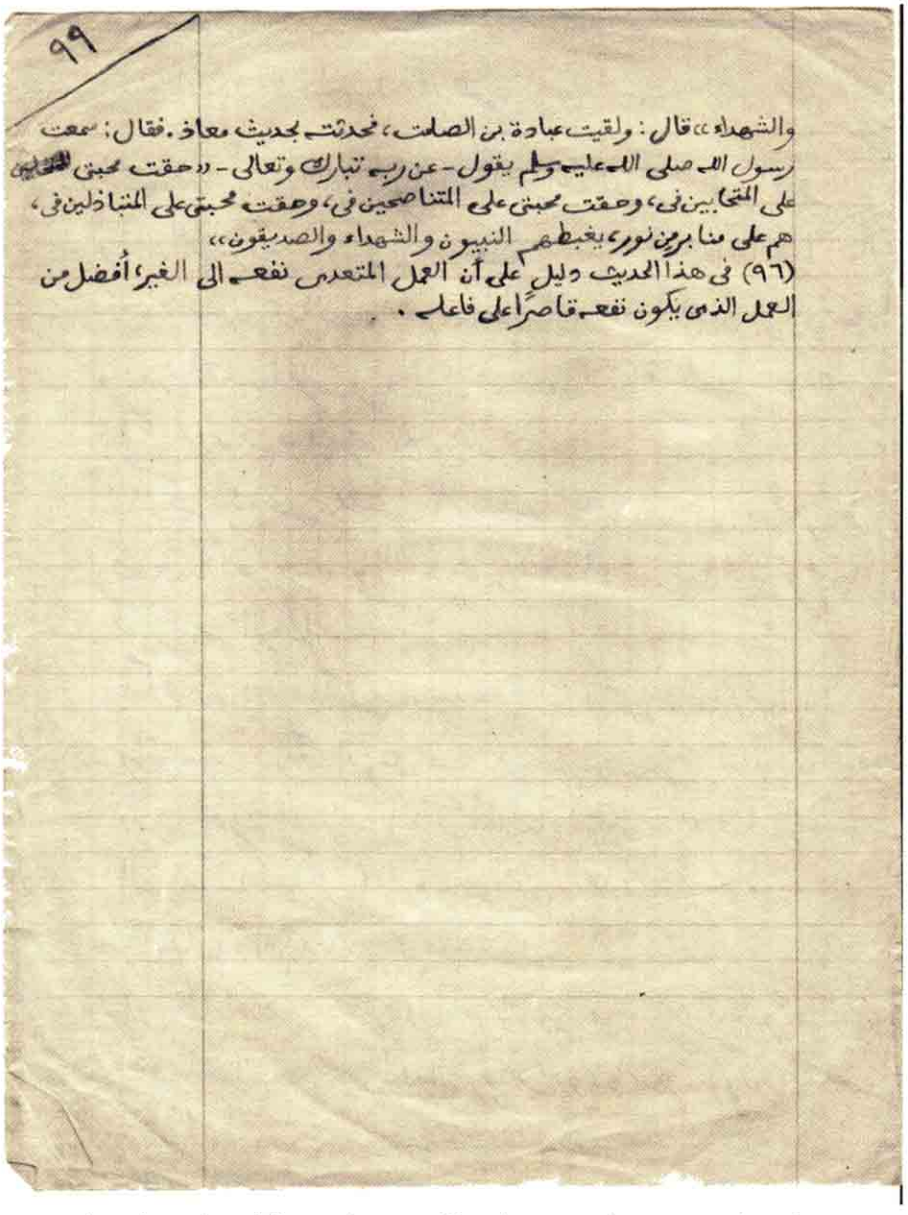

٩٩

والشهداء»، قال: ولقيت عبادة بن الصامت، فحدثت بحديث معاذ. فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول - عن ربه تبارك وتعالى - «حقت محبتي للمتحابين على المتحابين فيّ، وحقت محبتي على المتناصحين فيّ، وحقت محبتي على المتباذلين فيّ، هم على منابر من نور، يغبطهم النبيون والشهداء والصديقون»

(٩٦) في هذا الحديث دليل على أن العمل المتعدي نفعه الى الغير، أفضل من العمل الذي يكون نفعه قاصراً على فاعله.

تعليقات السيد عبدالله على كتاب "المتجر الرابح" للحافظ الدمياطي

(صفحة ٩٩) – الأخيرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد
وآله الأكرمين. وبعد: فإني لما كتب تلميذنا الفاضل الأستاذ
محمد سعيد كتاب «تنبيه المسلم إلى عدم الألباني على صحيح مسلم»
وبين صحة الأسانيد التي ضعفها الألباني لجهله، وتطاوله
على الإمام مسلم رحمه الله ورضي عنه،
قامت قائمة بعض تلامذته المغرورين به، وزعموا أننا
ضعفنا أحاديث في الصحيحين، فسكتوا عنا تحيزا ومحاباة
في زعمهم الباطل.
فكتبت هذه الكلمة، بينت فيها وهمهم فيما زعموا.
وإن سبب ذلك الوهم: جهلهم قلة شيخهم الألباني بالفرق
بين شذوذ الحديث الذي أثبتناه، وبين تضعيف السند
الذي سلك الألباني. وهو الذي نعيب عليه.
وبيان ذلك
أن علماء الحديث صرحوا بأنه لا تلازم بين صحة السند وصحة المتن،
فقد يكون السند صحيحا لثقة رجاله وعدالتهم، ويكون المتن
شاذا.
والحديث الشاذ نوعان:
١- أن يروي الراوي الثقة حديثا يخالف فيه من هو أولى منه

التعليق على معنى الحديث الشاذ (الصفحة الاولى)

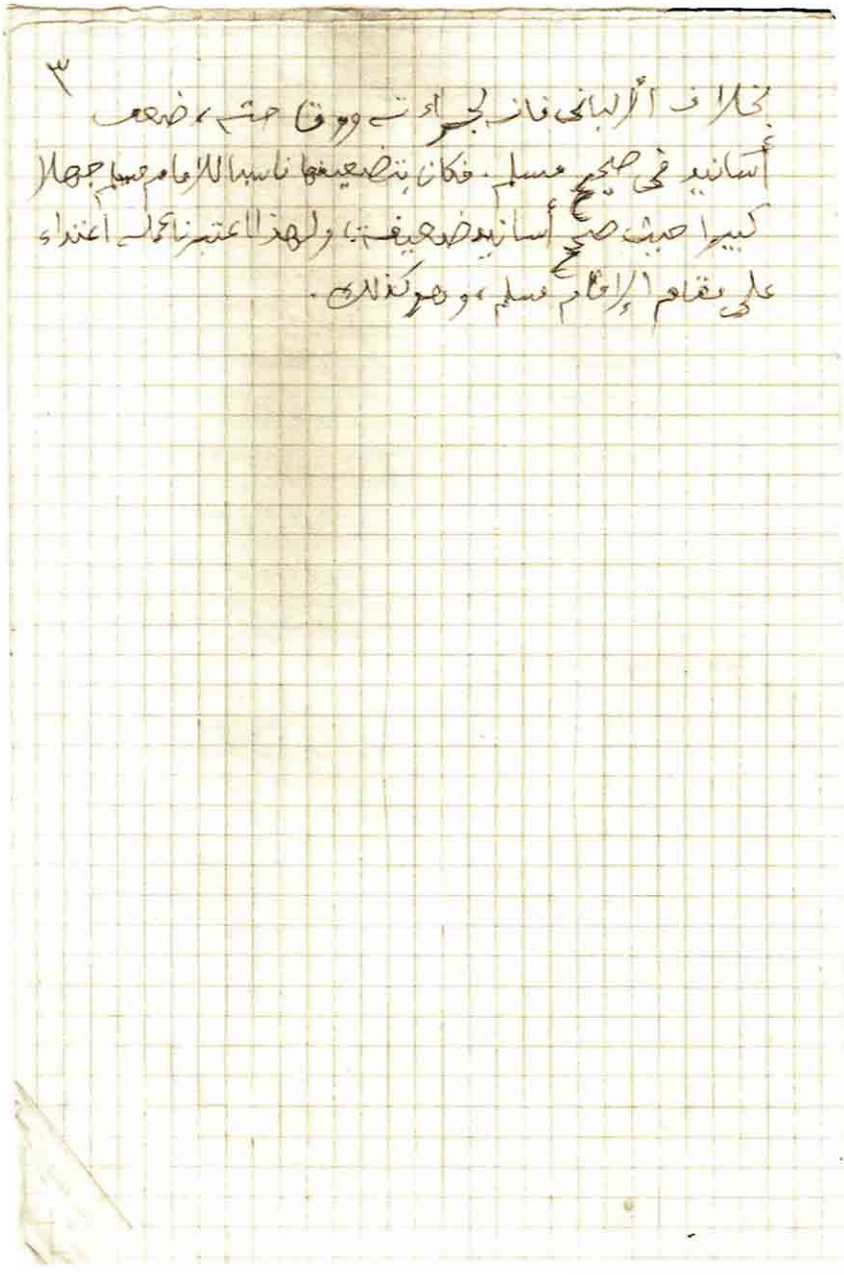

٣

بخلاف الألباني فإن الجرأة وصلت حتى ضعف
أسانيد في صحيح مسلم. فكان بتضعيفها ناسبا للإمام مسلم جهلا
كبيرا حيث صحح أسانيد ضعيفة، ولهذا اعتبرنا عمله اعتداء
على مقام الإمام مسلم، وهو كذلك.

التعليق على معنى الحديث الشاذ (الصفحة الأخيرة)

بسم الله الرحمن الرحيم

أروي مسند الإمام أحمد، عن الشيخ محمد امام السقا
خطيب الجامع الأزهر عن أبيه الشيخ ابراهيم السقا
شيخ الشافعية بمصر عن الشيخ ثعيلب عن الشيخ احمد الجوهري
عن الشيخ عبد الله بن سالم البصري عن شمس الدين البابلي عن
أبي النجا سالم بن محمد السنهوري عن نجم الدين الغيطي عن
شيخ الإسلام زكريا الانصاري ح ويرويه البابلي عن
شهاب الدين الرملي عن زكريا الانصاري عن الحافظ ابن
حجر العسقلاني عن الفخر علي بن احمد البخاري عن أبي علي
حنبل بن عبد الله بن الفرج عن أبي القاسم عبد الله بن محمد
ابن عبد الواحد بن الحصين عن أبي علي الحسن بن علي
التميمي الواعظ عن أبي بكر احمد بن جعفر القطيعي عن
عبد الله بن احمد بن حنبل عن أبيه.

وقد أجزت للاخ محمود سعيد ممدوح أن يرويه عني اجازة
خاصة، يرويه متى شاء وأين شاء، وأسأل الله لنا وله
التوفيق والاستقامة

وكتب ابو الفضل
عبد الله بن محمد بن الصديق
عفي عنه

في غرة شعبان ١٣٩٩

إسناد السيد عبد الله بن الصِّدِّيق إلى مسند أحمد من طريق المصريين، وإجازته به لتلميذه محمود سعيد ممدوح.

إسناد السيد عبد الله بن الصِّدِّيق إلى مسند أحمد من طريق المصريين، وإجازته به لتلميذه الشيخ محمود سعيد بن محمد ممدوح

سبيلُ التَّوْفِيقِ
في تَرْجَمَةِ عبدالله بن الصِّدِّيق

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّدٍ سيِّد المرسلين، ورضي الله عن آله الطاهرين، وصحابته من الأنصار والمهاجرين.

وبعد: فهذا تاريخ حياتي كتبته إجابة لطلب بعض تلامذتي وإقتداء بمن فعل ذلك من العلماء الأعلام، وقد كنت كتبت ترجمة لي في آخر كتاب "بِدَع التفاسير"(١) لكنها مختصرة، فأردت بسْطها وذكر ما حصل في دراستي العلمية بتفصيل، وأسأل الله الهداية والتوفيق.

---

(١) وقد ترجم لي جماعةٌ من الأفاضل:

١- منهم مُسنِد العصر العلامة محمد ياسين الفادانيُّ المكيُّ في ثبته الكبير المسمَّى: "بُغية المريد من علوم الأسانيد"، ونقل إجازتي له في آخِر "ثبت الأمير" الذي طبعه.

ومنهم العلامة الفقية الشيخ إسماعيل عثمان زين اليماني المكي في ثبته، ونقل كذلك إجازتي له.

٢- ومنهم أخي العلامة المحدِّث السيد عبدالعزيز بن الصِّدِّيق في: "تعريف المؤتسي بترجمة نفسي" وفي: "السفينة".

٣- ومنهم أخي الكبير الحافظ السيِّد أحمد الصِّدِّيق في: "سُبحة العقيق في ذكر مناقب الشيخ سيدي محمد بن الصِّدِّيق".

٤- ومنهم صديقنا الشيخ زكي مجاهد رحمه الله في الجزء الرابع من: "الأعلام الشرقية".

٥- ومنهم الأستاذ عبدالحكيم هندي المصري في ذيله على كتاب: "الجوهر فيمن له خمسون كتابا أو أكثر" للعظم.

٦- ومنهم ولدنا الفاضل الأستاذ محمود سعيد في: "ارتشاف الرحيق من أسانيد عبدالله بن الصِّدِّيق"، وفي: "تشنيف الأسماع بشيوخ الإجازة والسماع".

مقدمة

يستدل كثيرٌ من العلماء بقول الله تعالىٰ: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحىٰ:١١] علىٰ استحباب تحدُّث الشخص بما أنعم الله عليه من علمٍ وصلاحٍ وفضلٍ، وللحافظ السيوطيِّ كتاب "التحدُّث بالنِّعمة"، وللعارف الشعرانيِّ كتاب "المِنن الكُبرىٰ".

وروىٰ ابن جريرٍ في "تفسيره": حدَّثني يعقوب بن إبراهيم قال: ثنا سعيد بن إياس الجريريُّ، عن أبي نضرة قال: «كان المسلمون يرون أنَّ مِن شكر النِّعم التحدُّث بها».

وعندي في ذلك نظر لوجوه:

الأول: أنَّ السِّياق يقتضي تخصيصها بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم؛ لأنها في (سورة الضحىٰ) وهي مخصوصةٌ به، ومراعاة السِّياق واجبةٌ، وقد غَفَلَ عنها مُعظم المفسِّرين.

الثاني: أنَّ تحدُّث النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بنعمة الله من التبليغ الواجب عليه لتعرِف الأُمَّة فضائله وخصائصه، وذلك من تمام الإيمان به.

الثالث: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم معصومٌ، فإذا تحدَّث بنعمة الله عليه لا يكون في حديثه كذبٌ ولا مبالغةٌ ولا رياءٌ ولا افتخارٌ، وغيره ليس مثله.

الرابع: أنَّ الخطاب الخاص بنا معشر الأمَّة قول الله تعالىٰ: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ [النجم: ٣٢] هذه الآية تنهانا أن نُزكِّي أنفسنا بأن

نتحدَّث بما أوتينا من علمٍ وصلاحٍ وعبادةٍ.

قال ابن كثيرٍ: «وقوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ﴾ أي لا تمدحوها وتشكروها وتمنُّوا بأعمالكم ﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ كما قال تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٤٩].

وروىٰ مسلمٌ في "صحيحه"، عن محمد بن عمرو بن عطاء قال: سمَّيت ابنتي برة، فقالت لي زينب بنت أبي سلمة: إنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله سلم نهىٰ عن هذا الاسم، وسُمِّيتُ برة، فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لا تُزَكُّوا أنْفُسَكُم إنَّ الله أعلمُ بأهلِ البِرِّ منكم**» فقالوا: بمَ نسمِّيها؟ قال: «**سموها زينب**».

قال القرطبي: «وتغير برة لما فيه من تزكيه النفس، والله تعالىٰ يقول: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ﴾، ويجري مجرىٰ هذا في المنع ما كثر في الديار المصرية من نعتهم أنفسهم النعوت التي تقتضي التزكية نحو: زكي الدين، ومحي الدين، لكن لما كثرت قبائح المسلمين بها ظهر تخلف هذه النعوت عن أصلها فصارت لا تُفيد شيئًا من معناها الأصلي، بل ربما يسبق منها في بعض المواضع وفي بعض الأشخاص نقيض مدلولها لغة، حتىٰ صار الحال فيها كالحال في تسمية العرب «المُهْلِكَة»: مَفَازَة».

قلت: النعوت التي أشار إليها عادة أعجمية، فإنَّ العجم هم الذين يستعملون الألقاب المقتضية للتزكية ومنهم سرت في مصر والشام، والعرب لم يكن عندهم إلا الكُنىٰ، غير أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لقَّب حمزة:

أسد الله، ولقَّب خالد بن الوليد: سيف الله.

وقال القرطبيُّ في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ﴾: «هذه الآية وقوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ يقتضي الغض عن المزكِّي لنفسه بلسانه، والإعلام بأن الزاكي المُزكَّىٰ من حسُنَت أفعاله وزكَّاه الله عزَّ وجلَّ، فلا عِبرة بتزكية الإنسان نفسه، وإنما العبرة بتزكية الله له»، وذكر حديث مسلمٍ الذي مرَّ، وقال: «فقد دلَّ الكتاب والسُّنَّة علىٰ المنع من تزكية الإنسان نفسه».اهـ

لكنه خالف هذا في (سورة الضحىٰ) فاستحب التحدُّث بالنِّعمة وغفل عن سياق الآية، كما غفل غيره ونسي ما قاله هنا، وجلَّ من لا يغفل ولا ينسي.

وحديث النعمان بن بشير، قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ المنبر: «**مَنْ لم يَشكُرِ القَليل لم يَشكُرِ الكَثيرَ، ومن لم يَشكُر الناسَ لم يَشكُر الله، والتحدُّث بِنعْمَةِ الله شُكْرٌ وتركُهَا كُفْرٌ، والجماعة رَحْمةٌ والفُرْقَة عَذَابٌ**». رواه أحمد، وإسناده ضعيفٌ.

وهو الحديث الثامن عشر في "الأربعين الغمارية"، وذكرت له هناك طُرُقًا تُقوِّيه، لكن ليس فيها عبارة التحدُّث بالنِّعمة، وقلت تعليقًا عليه: «يؤخذ منه الحضُّ علىٰ أمور: الأول: التحدُّث بالنِّعم وإذاعتها، وأنَّ ذلك من الشكر المطلوب، وذلك مقيَّد بما إذا لم يكن في التحدُّث مفاخرة أو مكاثرة أو رياء، وإلا فهو مذمومٌ».اهـ

وما قيَّدت به التحدُّث بالنِّعمة قرَّره العلماء أيضًا، ولم أشر إلىٰ أنَّ التحدُّث بالنِّعمة مأخوذٌ من الآية، بل اقتصرت علىٰ الحديث مع ضعفه؛ لأن الآية خاصَّةٌ بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كما قلنا.

لكن يَرِد هنا إشكال وهو: كيف يجوز التحدث بالنِّعم وقول الله تعالىٰ: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ﴾ يمنع منه؟ ونقول في الجواب عن ذلك:

النِّعَم نوعان: نِعَم مادية: كالمال والأكل واللبس، ونِعَم معنوية: كالعلم والصلاح والهداية، فالنعم المادية شكرها إظهار أثرها.

روىٰ ابن حِبَّان، والحاكم، عن أبي الأحوص، عن أبيه قال: أتيت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وأنا قَشِف الهيئة فقال: «**هل لَكَ مِنَ مَال؟**» قلت: نعم، قال: «**مِن أيِّ المال؟**» قلت: من كل المال، قد أتاني الله من الإبل والخيل والرقيق والنعم، قال: «**فإذا آتاكَ اللهُ مالًا فليُرَ عليكَ**».

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص، عن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**كُلُوا واشربوا وتَصَدَّقوا في غيرِ سَرَفٍ ولا مَخِيلَةٍ، فإنَّ الله يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ**». رواه أبن أبي الدنيا في كتاب "الشكر"، ورجال إسناده ثقاتٌ.

وروىٰ أبو يعلىٰ، والبيهقيُّ، عن عطية العوفي، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ اللهَ جميلٌ يُحِبُّ الجَمالَ، ويُحِبُّ أنْ يَرَى نِعْمَتَهُ عَلَى عَبْدِهِ وَيُبْغِضُ الْبُؤْسَ وَالتَّبَاؤُسَ**». والأحاديث في هذا المعني كثيرة.

وشكر النعم المعنوية: العمل، قال الله تعالىٰ: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾ [سبأ: ١٣]، قال أبو عبدالرحمن السلمي: «الصلاة شكر، والصيام شكر، وكل خيرٍ تعمله لله عزَّ وجلَّ شكر». وقال محمد بن كعب القرظيُّ: «الشكر: تقوىٰ الله والعمل الصالح».

وفي "صحيح مسلم"، عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلَّىٰ الله

عليه وآله وسلَّم كان يقوم من الليل حتَّىٰ تَفَطَّرَ قَدَماهُ، فَقُلتُ له: أتصنع هذا وقد غَفَرَ اللهُ لَكَ ما تَقَدَّم من ذَنْبِك وما تَأَخَّر؟! فقال: «**أفلا أكونُ عبدًا شَكورًا**».

قال القرطبيُّ في "تفسيره": «إن الشكر بعمل الأبدان دون الاقتصار علىٰ عمل اللسان، فالشكر بالأفعال: عمل الأركان، والشكر بالأقوال: عمل اللسان».اهـ

قلت: معنىٰ الشكر باللسان: أن يُظهر الشخص حمد الله علىٰ نعمه بأن يقول: الحمد لله علىٰ توفيقه، وعلىٰ هدايته، وعلىٰ إلهامه، ونحو ذلك. وليس بلازم أن يعدد أنواع النعم بأن يقول صليت كذا ركعة، أو أني أقوم الليل أو أفعل كذا من أنواع الخير.

نعم يجوز للشخص أن يتحدث عن نفسه في حالتين:

الأولى: أن يقصد تحريض بعض أصحابه ومحبيه علىٰ فعل طاعة، كأن يتصدق أمامهم ليحثهم بذلك علىٰ للصدقة.

والأخرى: أن يقصد التعريف بنفسه ليعرف غيره حاله ويعملوا بنقله وفتواه إذا ثبت عندهم صدقه في نقله وتحريه في فتواه، وقد يحتاج إليه في شهادة ونحوها وهذا لا خلاف في جوازه.

بل استدُل بقول يوسف عليه السلام: ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥] على طلب الولاية.

قال الحافظ السيوطي في "الإكليل": «استُدِل به علىٰ جواز طلب الولاية، كالقضاء ونحوه لمن وثق من نفسه بالقيام بحقوقه، بصفة مدح للمصلحة،

خصوصًا لمن لا يُعلم مقامه».اهـ

وقال ابن جزي في "تفسيره": «ويستدل بذلك أنه يجوز للرجل أن يُعرِّف بنفسه، ويمدح نفسه بالحق إذا جُهِل أمره، وإذا كان في ذلك فائدة».اهـ

وحديث النهي عن طلب الإمارة، محمول على ما إذا كان الطالب ليس أهلًا لها، بدليل أن أبا ذر رضي الله عنه طلب من النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أن يولِّيَه الزكاة، فقال له: «**إنَّك رَجُلٌ ضَعِيفٌ وإنِّي أحبُّ لَكَ ما أُحِبُّ لِنَفْسِي**». فَصَرَفَه عن الولاية لضعفه عن القيام بحقوقها.

وبعد انتهاء هذه المقدمة، نشْرع في المقصود بحَوْل الله وقُوَّتِه فنقول:

فصل: نَسَبي

أنا الفقير إلى الله تعالى: عبدالله ابن الشيخ الإمام العالم العلَّامة الهمام شيخ المسلمين والإسلام قدوة العلماء الأعلام أبي عبدالله شمس الدين سيدي محمد ابن الولي الكبير والعارف الشهير صاحب الأحوال والكرامات سيدي محمد الصِّدِّيق ابن الإمام العلامة النحوي شيخ الإقراء والمقرئين القطب الفرد الجامع سيدي أحمد بن محمد بن قاسم بن محمد بن محمد -مرتين- ابن الولي الشهير سيدي عبدالمؤمن بن محمد بن الولي الكبير صاحب الكرامات الظاهرة سيدي عبدالمؤمن بن علي بن الحسن بن محمد بن عبدالله بن أحمد بن عبدالله بن عيسي بن سعيد بن مسعود بن الفضيل بن علي بن عمر بن العربي علال -وهو علي باللغة المغربية- بن موسى بن أحمد بن داود بن تاج المغرب مولانا إدريس بن فاتح المغرب وناشر الإسلام برُبُوعِه مولانا إدريس الأكبر بن الإمام عبدالله الكامل بن الحسن المثنى بن سيِّدنا الحسن بن سيِّدنا عليٍّ وسيِّدتنا فاطمة الزهراء بنت مولانا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

هذا هو نسبنا المعروف الشائع بين أفراد عائلتنا بغُمارة وغيرها، وهو ثابت محقَّق بطريق الشهادة والشهرة والتواتر بين الناس.

ولكن العلامة أبا العلاء إدريس بن محمد الفضيلي العلوي -والد شيخنا مولاي عبدالله الفضيلي- ذكر في كتابه "الدرر البهية والجواهر النبوية في الفروع الحسنية والحسينية" (ج ٢ صَ ١٨٣ طبع فاس سنة ١٣١٤هـ) في الكلام على أبناء الفرع الثالث من فروع مولانا عبدالله الكامل، وهو السيد سليمان، ما نصه: «وفرقة بغُمارة وهم أولاد عبدالمؤمن، ورجع بعضهم

لتلمسان وجميعهم أولاد السيد عمر الشريف بن أحمد بن محمد العابد بن إدريس بن محمد بن سليمان بن عبدالله الكامل».اهـ

فجَعَلَنا من أولاد سليمان أخي إدريس الأكبر، والثابت لدينا ما تقدَّم، وهو المسجَّل في ظهائر ملوك دولة الشرفاء السعديِّين ودولة الشرفاء العلويِّين الحاضرين إلى عهد السلطان عبدالعزيز المؤرخ ظهيره بذلك سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة وألف هجرية [١٣١٢هـ]، فلعل ذهنه انتقل من السيد عمر بن العربي الموجود في سلسلة نسبنا، فظنه السيد عمر الشريف.

وعلى كلِّ حال فإن هذا الخلاف لا يضر في صحَّة النسب ولا يؤثِّر فيه شيئًا؛ لأن سليمان أخو إدريس وفروعهما منتشرة في المغرب، فإذا نسب فرع من فروع أحدهما إلى الآخر على سبيل الوهم أو الغلط لم يكن ذلك داعيًا إلى الشك في النسب من أصله، كما هو المعروف.

ونظير هذا ذكره المحدِّثون في مبحث المضطرب، حيث قالوا: إن الاضطراب قد يجتمع مع الصحة، وذلك بأن يحصل الاختلاف في اسم رجل وأبيه ونسبه -ويكون ثقة- فيُحكم للحديث بالصحة مع تسميته مضطربًا، وكذلك إذا اختُلِف في الحديث هل هو من رواية فلان أو فلان؟، ويكون كل منهما ثقة، فيكون الحديث صحيحًا مع تسميته مضطربًا.

قال الزركشي: «قد يدخل القلب والاضطراب والشذوذ في قسم الصحيح والحسن».اهـ

وإنما نبَّهتُ على هذا مع وضوحه، لأن بعض الناس لما اطَّلَع على كتاب "التصور والتصديق بأخبار الشيخ سيدي محمد بن الصديق"، ورأى الخلاف

المشار إليه آنفًا قال: «إن أخاك شكَّك في صحَّة نسبكم بذكر الخلاف فيه»، فلم أرُدُّ عليه لأنه عامِّيٌّ لا يعرف قواعد العلم، رحمه الله.

فصل: نسبي من جهة الأم

والدتي هي التقية الصالحة الطاهرة النقية فاطمة الزهراء، كانت منقطعة النظير في البذل والكرم، فريدة في البشاشة وحسن الخلق واحتمال الأذىٰ من النساء الجاهلات، تغُضُّ عن كثير مما يقع منهنَّ، سواء أكان عن قصدٍ أم عن غير قصدٍ، شديدة العطف علىٰ الفقراء والمساكين، تبالغ في إكرامهم وتبذل لهم ما يحتاجون إليه من ثياب أو مال أو غير ذلك.

كان النساء يقصدنها في كثير من حاجاتهنَّ فتقضي لهنَّ ما تستطيع قضاءه وتعدهنَّ بالباقي أو تعتذر بإسلوبٍ لا يجرح إحساسهنَّ فيخرجن مسرورات داعيات لها، وكانت لها أراء صائبة وفراسة حادَّة، إذا تكلَّمت فكأنما تستشف حجب الغيب وتنظر ما وراءه، وكم حصل ما توقَّعته أو تفرَّست فيه بعد وفاتها.

وكان مولانا الشيخ الإمام الوالد رضي الله عنه إذا ذكر ذلك يترضَّى عنها ويقول: «كانت عاقلة حكيمة». وأخبرني أنها أدركت الولاية في آخر حياتها.

تُوفِّيَت شهيدة النِّفاس ليلة القدر سنة ١٣٤١هـ وهي دون الأربعين، وفي سنة ١٣٥٤هـ أردنا نقلها إلىٰ مكان أخر بجانب قبر مولانا الإمام الوالد، فوجدناها سليمة كأنها دفنت في تلك الساعة، وكان الحاضرون لنقلها أكثر من عشرين نفرًا شاهدوا ذلك، رضي الله عنها وأرضاها وألحَقَنا بها علىٰ الإيمان.

ووالدها هو الناسك، الخاشع، الذاكر، التالي لكتاب الله، سيدي

عبدالحفيظ بن عجيبة خال مولانا الإمام الوالد، كان مديد القامة، مليح الوجه، ظاهر البركة، منوَّر الشيبة، معتَقَدًا عند الخاصة والعامة، إذا مشىٰ في الطريق تسارع الناس إلىٰ تقبيل يده والتماس بركة دعائه، وكثيرًا ما كان يرفع صوته بالهيْلَلَة في الطريق بصوت جهوري جميل، يَذْكُر الناس له كرامات، عاش أكثر من ثمانين سنة، ولم تَفُتْه صلاة الصبح في المسجد الذي كان يَؤم فيه بِضعًا وثلاثين سنة، لا يُثنيه عن الحضور إلىٰ المسجد ما يلقاه أيام الشتاء من كثرة المطر، ووحل الطريق، وظلمة الليل، وشدة البرد، حتىٰ ذهب إلىٰ مولاه راضيًا مرضيًّا سنة ١٣٥٣هـ.

ووالده هو الإمام العلامة، الفقيه، الصوفي، المشارك في المعقول والمنقول، سيدي أحمد بن عجيبة، كان فصيح العبارة قوي الذاكرة، كثير الحفظ، بارعًا في العلوم العقلية، توفي سنة١٢٧٥هـ وله ضريح بطنجة يزار.

ووالده هو الإمام العلامة، الفقيه، الصوفي، المفسِّر، الولي الكبير، سيدي أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني صاحب "إيقاظ الهمم في شرح الحكم"، و"البحر المديد في تفسير القرآن المجيد" وغير ذلك من المؤلفات، وله فهرس ترجم فيه لنفسه، وله كرامات كثيرة توفي سنة ١٢٢٤هـ رضي الله عنه ونفعني ببركته.

الولادة والنشأة

كانت ولادتي آخر يوم من جمادىٰ الآخرة، أو غرة رجب سنة ١٣٢٨هـ بثغر طنجة وعقَّ عني مولانا الإمام الوالد رضي الله عنه بكبشين، عملًا بالسُّنَّة.

ففي "المسند" و"سنن الترمذي"، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلم: «**عَنِ الغُلامِ شَاتَانِ مُكَافِئَتَانِ وعن الجارِيَةِ شَاةٌ**».

وفي "المسنَد" و"سنن الترمذي" أيضًا، عن أُمِّ كُرز الكَعْبيَّة: أنها سألت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن العقيقة، فقال: «**نعم، عَنِ الغلام شَاتانِ، وعن الأُنثى واحِدَةٌ، لا يَضُرُّكُم ذُكْرَانًا كُنَّ أو إنَاثًا**». صحَّحه الترمذيُّ وابن حِبَّان، وفي الباب غير هذا من الحديث.

وفي سنة تسع وعشرين رحل مولانا الإمام الوالد بالعائلة ومعه جماعة الإخوان والأتباع إلىٰ الحجاز لأداء فريضة الحج، وكلَّف أحد الإخوان أن يفعل بي شعائر الحج، وذلك للسُّنَّة الثابتة فيه.

ففي "صحيح مسلم"، عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لَقِيَ رَكْبًا بالرَّوْحاءِ فقال: «**مَنِ القومُ؟**» قالوا: المسلمون، قالوا: مَن أنتَ؟ قال: «**رسولُ الله**» فرفعتِ امرأةٌ صَبِيًّا فقالت: أَلهذا حَجٌّ؟ قال: «**نَعَمْ، ولك أجرٌ**».

وحين كان لي خمس سنين تقريبًا دخلت الجامع وهو الكتَّاب أو المكتب، فقرأت علىٰ الفقيه عبدالكريم البَرَّاق -بفتح الموحدة وتشديد الراء- الأنجري جزء (عم يتساءلون) وما فوقه، حتىٰ وصلتُ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ

وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾ [الصافات: ١٤٥] ثم حَصَلت أشياء اقتضت انفصاله عن الجامع.

وجاء بعده الفقيه السيد محمد الأندلسي المصوَّري -بفتح الواو المشددة- نسبة إلى قبيلة بني مصوَّر، وهي قريبة من طنجة، فقرأت عليه بقية الختمة ونسميها: السُلْكة -بضم السين وسكون اللام- وأربع ختمات أخرى، حفظت فيها القرآن جيدًا بقراءة «ورش» وهي القراءة المتبعة عندنا بالمغرب، ثم قرأت ختمة سادسة تأكيد الحفظ.

وكانت لي عناية كبيرة بمعرفة أَلِفات القرآن الثابتة والمحذوفة، ومُدوداتِه الطويلة والمتوسطة، وتاءاته المسرَّحة والمربوطة، وإمالاته -ونسميها تعويضات- ومنفرداته التي لم يأت من نوعها في الختمة إلا كلمة واحدة، وغير ذلك مما يتعلق برسم القرآن حتى بُرِّزتُ فيه على كثير من كبار الفقهاء الذين يعملون في المكاتب، بَلْه مَن دونهم من التلاميذ ممن هم في سني أو أكبر مني بيسير.

ولشغفي بهذا الفن حفظت معظم منظومة الخرَّاز المسماة "مورد الظمآن" والتي شرحها العلامة الفقية أبو محمد عبدالواحد بن عاشر بشرح سماه "فتح المنان" رأيته في مكتبة مولانا الشيخ الإمام الوالد رحمه الله ورضى عنه.

ولم يكن لي اعتناء بالتجويد، ولم نكن نسمع به لأنه انقرض منذ أكثر من مائة سنه، لا يعرفه كبار العلماء بالمغرب فضلًا عمن دونهم، مع أنَّ ابن الجزريِّ الحافظ وإمام القرَّاء يحكي الإجماع على تحريم قراءة القران بدون تجويد.

ولذلك لما عزمنا على السفر إلى القاهرة، أمرني مولانا الإمام الوالد رضي الله عنه أن أتعلَّم التجويد لأنه موجود في مصر، وهو لا يزال شائعًا معمولًا به بين القراء حفَّاظ القرآن يُمتحن القارئ في تلاوته، فإذا أحسن القراءة بالتجويد

وأتقن مخارج الحروف، وراعىٰ المد والغنة والإخفاء والإقلاب والإبدال أُجيز، وإلَّا فلا، ولا تجد في مصر إمامًا في مسجد، ولا خطيب جمعة، ولا قارئًا في الإذاعة إلا وهو يجود.

وحصل مرة قبل أن أعرف التجويد أن قدَّموني لصلاة المغرب بالمسجد الحسيني لعدم حضور الإمام، فلما انتهينا من الصلاة استنكر كثير من المصلين صلاتي لأني لم أجود في التلاوة، ومرة أخرىٰ صليت المغرب بقرية أويش الحجر وقرأت (سورة النصر)، وبعد الصلاة نبَّهني بعض المصلين إلىٰ أني لم أمد ﴿جَآءَ﴾ المد الواجب -وهو ست حركات- وكنت مددت حركتين فقط، وكلمة ﴿جَآءَ﴾ فيها مد لازم بإجماع القراء.

وفي المغرب اليوم بدأ الطلبة يعتنون بتجويد التلاوة في نطاق ضيق نرجو أن ينتشر حتىٰ يعم أنحاء البلاد، ويصير القراء كلهم مجوِّدين كما في مصر، وما ذلك علىٰ الله بعزيز.

ثم شرعْتُ في حفظ بعض المتون، فحفظت متن "الأربعين النووية" و"الأجرومية"، وجملة كبيرة من "الألفية"، وقطعة من "بلوغ المرام"، ومن "مختصر الشيخ خليل"، ولم أستمر لأنه لم تكن لي رغبه في الحفظ.

وزاولت لعب كرة القدم مدة ثلاث سنوات، وكنت أصطاد السمك في بعض الأحيان، لكن غرامي بالكرة أكثر.

ولم أقرأ في هذه المدة شيئًا من العلم، إلا أني قرأت "الأجرومية" بشرح الأزهري علىٰ أخي أبي الفيض بزاويتنا الصديقية، وحللت قبل ذلك عباراتها تحليلًا موجزًا علىٰ خالنا السيد أحمد بن عبدالحفيظ بن عجيبة.

فصل: الرحلة إلى فاس

ثُمَّ أمرني مولانا الإمام الوالد رضي الله عنه بالسفر إلى فاس لطلب العلم بجامعة القرويين حيث تعلَّم آباؤنا وأجدادنا، وفيه يتعلَّم أهل المغرب كافَّةً، وكانت الدراسة فيها على الطريقة القديمة، يجلس الأستاذ والطلبة حوله يتلقون عنه، وشرعت في حضور الدروس فصعب علي النحو جدًّا، فاقترح الشريف سيدي العباس بن حربيط أن يكلِّم الأستاذ محمد الكردودي العدل يحل معي أبيات "الألفية" حلًا موجزًا يُسَهِّل لي فهمها.

فكتبت إليَّ مولانا الإمام أستشيره فكتب إلى يقول: «لا تستعن بأحدٍ، واحضر الدروس سواء فهمت أم لم تفهم وعن قريبٍ ستفهم، والعلم لنا مضمون، وإنما نسلك سنَّة الله في الأخذ والتلقِّي».

كان هذا جوابه لي فنفَّذْتُ كلامه، وفي مدَّةٍ وجيزةٍ لم تبلغ ستة أشهر فتح الله عليَّ بالفهم والحمد لله.

وكان غرضي أن أدرس بالتدرُّج، أدرس النحو أولًا، فإذا فهمتُ درستُ الفقه وهكذا، فقال لي مولانا الإمام الوالد رضي الله عنه: «العمر قصيرٌ لا يتسع لقراءة كل علمٍ على حِدَته، فاحضر الدروس في علومٍ مختلفةٍ ومتي حصلت مَلَكَة الفهم في علمٍ سهل عليك بقيَّته».

وبعد ستة أشهر رجعت إلى طنجة فمكثت بها سنة أو أكثر عملت أثناءها رحلة إلى قبيلة أنجرة لزيارة جدنا بمدشر الزميج سيدي أحمد بن عجيبة وزيارة الإخوان الصِّدِّيقيين هناك، عدتُ بعدها إلى فاس حيث اجتهدتُ في التحصيل، فقرأت "الألفية" بـ"شرح المكُّودي" على شيخنا العلامة الشريف

سيدي الحبيب المهاجي، وبـ"شرح المكُّودي" أيضًا مع "حاشية ابن الحاج" على شيخنا الشيخ محمد بن الحاج بن المُحَشِّي، وهو الشيخ حمدون بن الحاج، له حاشية على "شرح المكودي" وله ولوع بالاعتراض عليه، حتى إن مولانا الإمام الوالد رضي الله عنه ذكر لي أنه رأى الشيخ المكودي في المنام يشتكي إليه من اعتراضات المُحَشِّي، ويطلب منه أن ينتصر له.

وحضَرْتُ "الألفية" أيضًا بـ"شرح ابن عقيل" و"حاشية السجاعي" على الشيخ مَحمد -بفتح الميم الأولي- ابن الحاج، ابن عم المذكور قبله.

وحضَرْتُ في أول "مختصر الشيخ خليل" على شيخنا سيدي الحبيب المهاجي بـ"شرح الخَرْشي".

وحضرت "كتاب الجنايات" وما إليها على شيخنا العلامة المحقِّق مولاي أحمد القادري.

وحضرت "باب البيع" وما يتبعه على شيخنا العلامة الشيخ محمد الصنهاجي.

حضرت أبوابًا أخرى من "المختصر بشرح الخرشي" -وهو المقرَّرُ- على شيخنا الشيخ محمد بن الحاج السابق ذكره، والعلامة مولاي أحمد ابن الجيلاني شيخ الجماعة.

وقطعة من "المختصر" بـ"شرح الزرقاني" على العلامة مولاي عبدالله الفضيلي شيخ الجماعة بعد وفاة الشيخ السابق.

وحضرت من "باب الإجارة" إلى آخر "المختصر" بـ"شرح الدردير"، على العلامة مولاي عبدالرحمن ابن القرشي.

وحضرت "فرائض المختصر" بـ"شرح الخرشي" و"حاشية سيدي أحمد بن الخياط" على العلامة الفقية أبي الشتاه الصنهاجي.

وحضرت في "صحيح البخاري" بـ"شرح القسطلَّاني" على الشيخ محمد بن الحاج بجامع مولاي إدريس.

فلما وصل إلى «كتاب الجهاد» بعث إليه الحاكم الفرنسي لمدينة فاس ألا يقرأ هذا الكتاب ويقرأ ما بعده، فانقطع عن الدرس أيامًا، حتى ذهب بعض الأعيان إلى الحاكم وأفهموه أنه لا يجوز بتر الكتاب بتخطي بعض أبوابه، فسمح بقراءته على ألا يتوسع في الشرح.

وكان باب الجهاد لا يُقرأ في كتب الفقه بالمغرب لأن فرنسا منعته، إلا في طنجة، فإن مولانا الإمام الوالد رضي الله عنه كان يقرأه في "المختصر" وفي "صحيح البخاري"، ويبالغ في شرح أحكامه، ويتعرَّض لذم المستعمر ويحض على مقاومته، ولم تستطع فرنسا أن تمنعه من ذلك.

وحضرْتُ "تفسير الجلالين" بـ"حاشية الصاوي" على شيخنا العلامة سيدي الحسين العراقي بجامع سيدي عبدالرحمن المليلي، والتفسير لا يقرأه أحد في القرويين ولا الحديث إلا في رمضان، وكان العلامة المحدث سيدي عبدالحي الكتاني يقرأ في جامع القرويين "حاشية الشنواني على ابن أبي جمرة" بعد العصر، حضرْتُها عليه.

وحضرت "جمع الجوامع بشرح المَحلِّي" من أوله إلى «كتاب السنة» على سيدي الحسين العراقي. وحضرت «مبحث الأداء والقضاء» منه على العلامة المحقق الشيخ الراضي السناني.

وحضرت «المقدمات» منه على العلامة مولاي عبدالله الفضيلي.

وحضرت قطعة كبيرة منه على شيخنا العلامة المحقق الشيخ العباس بناني، كما حضرت عليه "المقولات العشر"، وحضرت عليه أيضًا "توحيد ابن عاشر".

وكان بعض الإخوان الصدِّيقيِّين ينهوني عن حضور دروسه لأنه يشرب الدخان ويتهمونه بترك الصلاة، فكتبت إلى مولانا الوالد أخبره بذلك، فأجابني بقوله: «أحضر دروسه ولا شأن لك بحاله».

وكان هذا الشيخ يحبني ويقدرني وكنت أتردد عليه في بيته، زرته مرة وطلبت منه كتابة فتوى تتعلق بزاويتنا في فاس، فوافق أن يكتبها ثم سألني: «هل يراها والدك؟» قلت: «نعم» قال: «يجب أن نحتاط فيها؛ لأن والدك في العلم مخيف».

وبلغ من تقديره لي أني لما كنت بمصر وأردت أن أدخل امتحان شهادة العالمية الأزهرية طلب مني شيخ الأزهر، وهو الشيخ المراغي، أن أُقدِّم شهادة من معهد مغربي رسمي بعدَّة السنوات التي قضيتها في التعلم بها لتُضَم إلى سِنيّ الأزهر، فكتبتُ أطلب شهادة من القرويين، فتوقف شيخ الجماعة في إجابة طلبي فقال له الشيخ عباس: «ليس عندك أعلم منه ولا مثله».

وحضرت "رسالة الوضع" على مولاي عبدالله الفضيلي.

وحضرت "شرح القويسني على السلم" على الشيخ سيدي الحبيب المهاجي.

وشرعت في قراءة "القلصادي في الحساب" ولم أُتمه لأني لم ينشرح قلبي له.

ولم أقرأ "تحفة ابن عاصم" لأنها في علم القضاء، وكان مولانا الإمام الوالد رضي الله عنه يكره القضاء ويحذرني من توليه، وولي بعض تلاميذه القضاء فعنَّفه تعنيفًا بالغًا حتى قال له: «لأن تبيع الفحم خير لك ولدينك من وظيفة القضاء»، وكان يكره وظيفة العدالة وينهى عنها.

ورجع إلى فاس بعد غيبة طويلة العلامة المحدث الولي الصالح سيدي محمد بن جعفر الكتاني، فاستقبله أهل فاس استقبالًا شعبيًّا حافِلًا وأقبلوا على زيارته وتهنئته بسلامة الوصول وكان يومًا مشهودًا، فزرتُه، وكنت أزوره في بيته فيُجلسني معه على سريره، وإذا حضرت في وقت أكل يجلسني إلى جنبه ويواكلني وقد يناولني لقمة بيده الكريمة، وكان بينه وبين الإمام الوالد مودَّة كبيرة، حتى أنه لما تُوفِّي في رمضان سنة ١٣٤٥ -وكنت في طنجة- رأيت مولانا الإمام رضي الله عنه بكى عليه بكاءًا شديدًا وحَزِن لفقده حزنًا كبيرًا، بقي عليه أثره مدة طويلة.

وأنا أعتبر من أعظم حسناتي تَشَرُّفِي بهذين الإمامين العظيمين اللذين لم يكن في عصرنا ولا قبله بكثير نظير لهما في علمهما وورعهما وولايتهما وهديهما رضي الله عنهما ونفعني برضاهما.

ثم سافرت إلى فاس أيضًا فكنت أزور العلامة سيدي الزمزمي بن سيدي محمد بن جعفر، وكان يُطْلِعُني على مؤلَّفات والده ومنها كتاب "العلم النبوي" وهو في جزءين بخطه الدقيق الواضح، وكلفني مولانا الإمام الوالد بنسخ بعض مؤلفاته، فقمت بنسخها عند نَسَّاخ جيد الخط منها: "الإعلام بما في المجانات"، "الساعات"، "المحلاة من الأحكام"، ومنها كتاب في تحريم

الدخان، ومنها كتاب في البسملة، ومنها كتاب "سلوك السبيل الواضح إلى أن القبض في الصلوات كلها على مذهب مالك مشهور وراجح".

ثم رجعت إلى طنجة وذهبت إلى قبيلة بني منصور من قبائل غُمارة، وكان معي أخي الزمزمي فزرنا ضوارح أجدادنا سيدي الحاج أحمد وسيدي الحاج الصديق وسيدي عبدالمؤمن وسيدي محمد المؤذن، كما زرنا ضريح سيدي أحمد الفلالي وضريح سيدي محمد البوزيدي.

ورجعت إلى طنجة فشرعت في شرح "الأجرومية" وهو شرح كبير يقع في (٢١٣ صفحة) وكنت أُطلع مولانا الإمام الوالد رضي الله عنه على ما أكتبه منه، فيُصلح لي ما أخطئ فيه، ورأى لهجتي في رد رأي بعض النحويين فيها شدة فقال: «لا ترد على العلماء بهذا الأسلوب ولكن قل: هذا سهو أو سبق قلم أو اشتباه، أو نحو هذا من العبارات الخفيفة».

وهذا أول كتاب ألفته في حياتي، وكان مولانا الإمام الوالد يُدرِّبني على البحث ومعرفة المَظان فيأمرني بكتابة أبحاث تستدعي المراجعة.

أمرني مرة أن أكتب بحثًا في لفظ «أول»، ما أصله؟ وهل هو معرفة أم لا؟، ومرة أخرى أمرني أن أكتب بحثًا في «أي» متى تعرب؟ ومتي تُبْنَى؟

وهكذا كان يتعاهدني الفينة بعد الفينة بمثل هذه المسائل، وحضرت عليه في "شرح ابن أبي جمرة" لـ"مختصره" من "صحيح البخاري".

وكان يُنَوِّه بعلمه ودقة استنباطه، فقد استنبط من حديث بدء الوحي نحو سبعين وجهًا من الآداب والأخلاق، ولا ينقل فيه عن شخص معين، وكل ما يقوله من بنات فكره، ويقول لي: «إن الحافظ ينقل عنه في "فتح الباري" ويُحلِّيه

بـ«العارف» اعترافًا بفضله، مع أنه منحرف عن الصوفية».

وحضرت عليه في "شرح الرسالة" لأبي الحسن، وحلَّ مشكلات عرضت لي في "مغني اللبيب" وشروح "التخليص"، وكنت أسأله عن أشياء في الفقه والحديث فيُجيبني، وتارة يُحيلني على كتاب لأعرف منه الجواب ببحثي فيه.

وكان يُثني علي مع أصدقائه الذين يجالسونه ويصفني بحُسن الفهم وجودة المعرفة، أخبرني بذلك غير واحد، منهم الفقية الأمين المهدي، وزارني مرة الفقية الأديب الأستاذ العياشي سكرج وبيده كتاب فقلت له: «ما هذا؟» قال: «هذا كتاب شرحت فيه أبيات ابن مالك في فعل الأمر المعتل الذي يأتي على حرف وأولها:

إِنِّي أَقُولُ لِمَنْ تُرَجِّي وِقَايَتُهُ ... قِ الْمُسْتَجِيرَ قِيَاهُ قُوهُ قِي قِينِ

وقد كنت قرأتها في "حاشية الخضري على ابن عقيل"»، قلت له: «وما علاقتي بهذا؟» قال: «أتيت به إلى السيد والدك لينظر فيه فأحالني عليك وأثنى على معرفتك وإتقانك لهذا العلم». فأخذته منه وقرأته وكتبت عليه ما ظهر لي.

وكان رضي الله عنه يحدثني عن الكتب العلمية في مختلف العلوم ويعطيني فكرة عن كل كتاب وقيمته، وكنت أكلمه في السفر إلى مصر فيقول لي: «ستذهب إلى مصر إن شاء الله، ولكن أحبك أن تذهب عالمًا يحتاج إليك علماء الأزهر». وكنت أظن أنه يقول هذا لي على سبيل التبصير والتشجيع وظهر فيما بعد أنه كان يقول الحقيقة فقد احتاج إليَّ علماء في الأزهر كما سيأتي بيان ذلك بحول الله.

وكان إذا جاءه استفتاء من أي جهة من المغرب يُملي علي الفتوى وأنا

أكتبها ثم يمضيها، وتارة يأمرني أن أمضيها باسمي.

وكنت أزوره كل صباح في المكتبة أو في البيت الذي يجلس فيه فإن تأخرت يومًا يبعث إلي ويسألني: «لم تأخرت عني؟»، وكنت أناقشه كثيرًا وأُلح في مناقشتة فيتسع صدره ولا يضيق بي.

وبالجملة استفدت كثيرًا من إفاداته وإرشاداته وتوجيهاته رضي الله عنه وجزاه عني أفضل ما جزىٰ والدًا عن ولده.

ولازمت مطالعة "مقامات الحريري" حتىٰ كدت أحفظها، وفهمت ما فيها من أنواع البلاغة وأفادتني كثيرا في هذا المجال.

فصل: السفر إلى مصر

وفي أواخر شهر شعبان سنة ١٢٤٩هـ ركبنا باخرة يابانية متوجِّهة من إنجلترا إلىٰ الإسكندرية أنا والأخ الأكبر والزمزمي ورفيق معنا اسمه الحاج أحمد عبدالسلام القرشي -بالقاف المعقودة- وشهرته الشكارة.

وقبل الذهاب إلىٰ الميناء طلعت الدور الفوقي -أي العلوي- حيث يجلس مولانا الإمام الوالد رضي الله عنه فلقنني وِرْد الطريقة الشاذلية وأوصاني بالاستقامة ولزوم الجادَّة، فقبَّلت يده ورجليه وانصرفت، وكان قبل ذلك قد حدَّثني عن الأزهر وعن مصر بوجهٍ عام وأمرني بتعلُّم التجويد وعلم التوقيت.

أقلعت بنا الباخرة متجهة إلىٰ المشرق وليس فيها مسلمون غيرنا، وكان البحر هادئًا والجو صافيًا مع أنه كان فصل الشتاء، وكان الزمزمي لم يتقدَّم له قراءة شيء من العلم إطلاقًا فشرعت أُدَرِّس له "الأجرومية"، نطلع بعد صلاة

العصر إلى ظَهر الباخرة ونأخذ درسًا فيها.

واستمر الحال على ذلك ثمانية أيام لم يحصل فيها ما يُكَدِّر البال حتى كان اليوم الثامن وأخبر ربان الباخرة أننا سنصل الإسكندرية عند الفجر، طلعنا لنأخذ درسنا المعتاد وكان موضوعه ظرف الزمان فقلت موضحًا لأخي كيف يُنصب الظرف: «نصل إلى الإسكندرية غدًا»، فقال الأخ الأكبر: «قل: إن شاء الله»، فقلت: «لم أقولها وقد تحدد موعد الوصول؟ وهذه الإسكندرية بدت مبانيها تظهر من بعد».

وانتهى اليوم وصلَّينا العشاء ونمنا في وقتنا المعتاد، وفي الساعة الثانية عشرة ليلًا أو بعدها بقليل هاج البحر هيجانًا عظيما قال الربان: «لم يُر مثله منذ خمس وثلاثين سنة».

وكانت الموجة لعِظَمِها تُغطِّي المركب تَغْطِيةً تامة والمركب تتأرجح بنا كالقشرة، ونحن لا نملك أنفسنا من شدة دوار البحر ودوخته، والأواني التي معنا قلبها البحر رأسا على عقب وانكسر بعضها، واعترانا خوف شديد.

وزاد في خوفنا أن الربان أخبرنا أن باخرة أمامنا وجهتها كوجهتنا بعثت إشارة إلى الإسكندرية تطلب النجدة لكنها غرقت قبل وصولها، فأيْقَنَّا أنَّا لاحقون بها ويَئسنا من الحياة، وكلما غطتنا موجة ظننا أنها مُغْرِقَتنا واستمر الحال كذلك نحو سبع ساعات رأينا الموت فيها عيانًا.

ثم لطف الله بنا وخَفَّ هَيَجَان البحر بعض الشيء ولم نصل الإسكندرية إلا في الظهر بعد مشقة كبيرة، فحمدنا الله وعلمنا أن هذه عقوبة على ترك المشيئة.

والله تعالى حين قال: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ

ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ [الفتح: ٢٧] لم يكن في حاجة إلى تعليق بالمشيئة لأنه غالب على أمره لا تعترضه عوائق ولا شواغل، وإنما علق بالمشيئة تعليما لعباده لئلَّا يغفلوا عنها.

وفي الصحيحين، عن أبي هريرة، عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**قال سُليمانُ بنُ داودَ عليهما السلام: لأَطُوفَنَّ اللَّيلةَ على مائةِ امرأةٍ تَلِدُ كُلُّ امرأةٍ مِنهنَّ غُلامًا يُقاتِلُ في سبيلِ الله، فقال له المَلَك: «قُلْ إنْ شَاءَ اللهُ». فلم يَقُلْ، فطَافَ بِهِنَّ فلم يَلِد مِنهنَّ إلَّا امرأةٌ واحدةٌ؛ نِصْفُ إنسانٍ**».

فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**والذي نَفْسِي بِيَدِه لو قال: إنْ شَاءَ اللهُ لَمْ يَحْنَثْ، ولقَاتَلُوا في سَبيلِ الله فُرْسَانًا أَجْمَعِين**». ولم يستثن سليمان عليه السلام لقوة رجائه في الله أن يُجيب طلبه.

وفي "سيرة ابن اسحق" عن ابن عبَّاسٍ: أنَّ اليهود أشاروا على قريش أن يسألوا النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن أصحاب الكهف، والروح، وذي القرنين. فسألوه: فقال: «**أُجِيبُكُم غدًا**». ولم يستثن، فاحتبس الوحي عنه خمسة عشر يومًا، ثم نزل عليه جبريل بقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الكهف: ٢٣ – ٢٤].

والاستثناء يجري على لسان المصريين كثيرًا تسأل أحدهم: «ستفعل كذا؟» فيقول: «بمشيئة الله»، أو «بإذن الواحد الأحد»، أو «بإذن الله»، وإذا اتفق اثنان أو أكثر على عمل شيء توَّجوا اتفاقهم بالاستثناء، وأهل المغرب لا يستعملون الاستثناء إلَّا في القليل النادر.

ونزلنا في الإسكندرية في بيت الحاج محمد أجزناي الطنجي الذي كان

مفتشًا بشركة ترام الإسكندرية لأنها شركة فرنسية وزرنا معهد الإسكندرية الديني التابع للأزهر وكان رئيسه الشيخ عبدالمجيد اللبان واستجزته فأجازني، ثم زرنا ضريح أبي العباس المرسي وبعض معالم الإسكندرية.

وبعد أسبوع ذهبنا إلى القاهرة واستأجرنا بيتا بالكحكيين قرب ضريح الشيخ الدردير وانتظمنا في الدراسة بالأزهر، وأردت أن أدرس "المختصر" فوجدتهم يدرسونه بشرح الدردير فقط ويسمونه "الشرح الكبير" فحضرته على شيخ أزهري اسمه الشيخ عمران ولم يكن في التحقيق بذلك.

وحضرت "السلم في المنطق" بـ"شرح الملَّوي" و"حاشية الصبان" على الشيخ عبدالقادر الزنتاني الطرابلسي

وحضرت "جمع الجوامع" بـ"شرح المحَلِّي" من «باب القياس» إلى أخره على العلامة محمد حسنين مخلوف العدوي المالكي، ولما وصل إلى «القوادح» شرع يقرأ معنا "الرسالة السمرقندية" في آداب البحث والمناظرة حتى ختمها.

وحضرت في "منهاج الأصول" للبيضاوي بـ"شرح الإسنوي" على الشيخ حامد جاد.

وحضرت في "تهذيب السعد" بـ"شرح الخبيصي" في المنطق على العلامة المحقق العديم النظير الشيخ محمود إمام عبدالرحمن المنصوري الحنفي، لم أر له نظير في التحقيق والبحث وشدة الاطلاع.

مكث في شرح قول السعد: «العلم إن كان إذعانًا للنسبة فتصديق وإلا فتصور» أربعة أشهر وكان يكتب ما يقرره على المتن والشرح ويناقش الرازي والدواني والزاهدي وأضرابهم من علماء المنطق، وعنده مكتبة قيمة لا توجد

عند أزهري.

أجازني بحديث الأولية كما سمعه من الشيخ أحمد الحلواني صاحب "مواكب ربيع" وليس يروي غيره كما أخبرني عن نفسه.

واتجهت رغبتي في قراءة فقه الشافعية تنفيذًا لأمر مولانا الإمام الوالد رضي الله عنه فحضرت في "المنهج" للشيخ زكريا الأنصاري على الشيخ محمد عزت وهو يفهمه فهما متقنًا، و"المنهج" عند الشافعية مثل "المختصر" عند المالكية.

وقرأت "شرح الخطيب" على "أبي شجاع" على الفقيه الشيخ عبدالمجيد الشرقاوي حفيد الشيخ عبدالله الشرقاوي، وهو يتقن الفقه إتقانًا تامًا.

ووجدت الشافعية يذكرون في مصنفاتهم الدليل لفروع فقههم فلا يخلو فرع لهم من دليل بخلاف المالكية، فأنهم لا يذكرون في كتبهم دليلًا.

ولما كنت أحضر "شرح الخرشي" على الشيخ محمد الصنهاجي بجامع القرويين مر على حضورنا أربعة أشهر، وإذا بالشيخ الخرشي يذكر حديثًا، فتعجبنا كلنا -الشيخ والطلبة- لذكره هذا الحديث.

وهذا إهمال غير لائق، بل الواجب ذكر الدليل كما يفعل الشافعية والحنفية ليعرف الطالب الحكم بدليله.

وبعد سنتين من وصولنا للقاهرة شجعني الطلبة الذين تعرَّفوا بي على التقدم لامتحان شهادة العالمية الخاصة بالغرباء عن مصر، والامتحان يكون في اثني عشر علمًا، وهي: الأصول، والمعاني، والبيان، والبديع، والنحو، والصرف، والتوحيد، والمنطق، والحديث، والمصطلح، والفقه، والتفسير.

فتقدمت للامتحان ونلت الشهادة، وعلم مولانا الوالد رضي الله عنه بنجاحي ففرح وكتب يهنيني ويأمرني أن أكتب له بما جرىٰ في الامتحان من سؤالات وجوابها، فكتبت له جوابًا مطولًا بتفصيل ذلك حسب أمره.

وصادف في ذلك العام أن مرَّ العلامة المحدث سيدي عبدالحي الكتاني بالقاهرة في طريقه إلىٰ الحجاز، وذهبت لزيارته فهنأني وأظهر سروره بنجاحي لأنه رآه في "جريدة الأهرام".

وفي هذه المدة تعرف بي الأستاذ حسن قاسم، وأخبرني أنه من ذرية الشيخ عبدالقادر الكوهن، وكان محررًا في "مجلة الإسلام"، فكتبت بعض المقالات حررت فيها الكلام علىٰ الأحاديث التي تعرضت لها من حيث الإسناد والصحة، فأُعجِب العلماء كُتَّاب المجلة بما كتبته إذ لم يكن لهم عهد به، وعملوا حفلة شاي استدعوني وكان فيهم الشيخ محمود خليفة وأخوه الشيخ عبدالرحمن والشيخ سيد حسن الشقرا وغيرهم من كُتَّاب المجلة، وأبدوا إعجابهم ببحوثي وبما فيها من تحقيق.

وكانت "مجلة الإسلام" شائعة الذيوع في البلاد الإسلامية، ومنها المغرب فاشتهرت مقالاتي في أنحاء البلاد عندنا وأُعجب الناس بها، وكتب إليَّ مولانا الإمام الوالد رضي الله عنه يبدي سروره بذلك ويحضني علىٰ المزيد من تلك المقالات.

وخصَّصَت إدارة "مجلة الإسلام" صندوقًا للخطابات التي ترد باسمي يسألني أصحابها في الحديث وغيره، وهي كثيرة تأتي من أنحاء القُطْر المصري، ومن سوريا، والأحساء، والجزائر، وتونس، والمغرب، وأندونيسيا وغيرها.

وكتب إليَّ الأستاذ محمود شويل إمام المسجد النبوي بالمدينة المنورة كتابًا طويلًا يُعتَبر رسالة، تكلم فيها عن مسائل سألني عنها ومما قال:

«كنا نظن أنه لم يبق في مصر والشرق محدِّثون إلا الشيخ رشيد رضا والشيخ أحمد شاكر، فلما قرأنا بحوثك وتحقيقاتك في الحديث اعتبرناك ثالثهما». وهو مع كونه وهابيًا ينصفني ولا يتعصب عليَّ، وكتبت مقالًا في نقد أذكار الوضوء، بينت فيه أن الحديث الوارد في ذلك موضوع فنشأ عن هذا المقال بحثان:

أحدهما: أن الشيخ البشير الرابحي بالجزائر كتب يعقب عليَّ في نفي سماع الحسن البصري من علي عليه السلام ويسألني رأيي، فأجبته في عدة مقالات بعنوان: «حول سماع الحسن البصري من علي».

كما ناقشني في هذا الموضوع أيضًا على صفحات المجلة الشيخ عبدالوهاب عبداللطيف، الذي صار بعدُ من تلامذتي.

واطَّلع على تلك المقالات مولانا الوالد رضي الله عنه، فكتب إليَّ يبدي سروره بها ويقول: «استمر عليها، وإن كنَّا نرى أن الحسن سمع من علي». وهذا منه اعتراف بحرية الرأي وبحرية البحث ما دام في حدود القواعد المقررة.

والآخر: أن الشيخ عبدالغني عوض -من علماء الأزهر- كتب إليَّ ليبدي حيرته بين ما قررته من وضع الحديث وبين ما قرره فقهاء الشافعية من استحباب تلك الأذكار، فأجبته بمقال بينت له فيه أنه لا حيرة في الموضوع لأن الفقهاء معذورون لم يعلموا بوضع الحديث، وأن الإمام النووي الذي كان

حافظًا صرح بالوضع أيضًا، وهو شافعي، فلم يبقى إشكال.

فأنصف واتبع الدليل، وصار بعد يوجه إليَّ أسئلة فيما يعنُّ له من المسائل، ويطلب نشر الجواب بـ"مجلة الإسلام".

وهذا أول عالم أزهري احتاج إلى علمي، وتحقق به قول مولانا الإمام الوالد رضي الله عنه: «أحب أن تذهب إلى مصر عالمًا، يحتاج إليك علماء الأزهر»؛ وقد تقدَّم.

وفي مساء يوم الأربعاء، لعله سادس شوال سنة ١٣٥٤ جاءت برقية تخبر بوفاة مولانا الإمام الوالد رحمه الله ورضي عنه، فرجعنا إلى المغرب واستقبلَنا الإخوان بميناء طنجة استقبالًا حافلًا حزينًا، كثر فيه البكاء والعويل، وكان يومًا مشهودًا ومكثْتُ مدة ثمانية أشهر تمَّ فيها الاتفاق على أن يتولَّى الأخ الأكبر شئون العائلة والزاوية والإخوان.

ثم عدت إلى مصر وواليت الكتابة في "مجلة الإسلام" بصفة مستمرة، وأنشأ أئمة المساجد وخطباؤها بالقاهرة مجلة سموها: "مجلة الإرشاد"، وطلبوا مني أن أكتب فيها، فكتبت لهم باب الأحاديث الضعيفة والموضوعة.

وكتبت في "مجلة هدى الإسلام"، وفي "مجلة الرابطة الإسلامية"، وفي "مجلة الشرق العربي"، وفي "مجلة نشر الفضائل والآداب الإسلامية"، وفي "مجلة الوسيلة"، وفي "مجلة المسلم" وهي مجلة العشيرة المحمدية.

وما من مجلة دينية إلا كتبت فيها مقالًا أو مقالين أو أكثر، وكانت صلتي حسنة بالجماعات الإسلامية:

فجماعة الإخوان المسلمين لي صداقة متينة مع رئيسها الأستاذ حسن البنا،

ووالده الأستاذ أحمد عبدالرحمن صاحب ترتيب "المسند"، وكان بيننا تواصل وتزاور.

وجمعية الهداية الإسلامية التي يرأسها فضيلة الأستاذ الشيخ محمد الخضر حسين، كنت أزورها وألقيت فيها عدة محاضرات.

والعشيرة المحمدية كنت عضوًا فيها ومفتيا في مجلتها، وأخبرني رئيسها الأستاذ الشيخ محمد زكي إبراهيم أنه من ذرية الشيخ محمد بن ناصر، والعشيرة جماعة صوفية مباركة.

وكنت وكيل جماعة أنصار الحج، ورئيسها الدكتور الحاج محمد وصفي.

وكنت رئيسًا لجماعة أنصار السلف الصالح.

وأسلم مسيحي اسمه عوض، فأنشأ جمعية لبيان فضائل الإسلام، سماها: جمعية نشر الفضائل والآداب الإسلامية، واتصل بي فحاضرت في دارها وكتبت في مجلتها.

وعلاقتي كبيرة بجماعة الرابطة الإسلامية، وكنت أكتب في مجلتها التفسير.

وأمتد نشاطي إلى الجمعيات النسائية، فقد اتصلت بي الدكتورة زينب جبارة رئيس جماعة السيدات المسلمات، وهي سيدة فاضلة أصلها من الساقية الحمراء كما أخبرتني، وطلبت مني أن ألقي دروسًا للسيدات في التوعية الدينية، وكانت الدروس في الجمعية أسبوعية يتناوبها جماعة من العلماء كنت أحدهم.

ثم أنشأت زينب الغزالي جمعية نسائية أيضًا، واتصلت بي، فكنت ألقي درسًا أسبوعيًا في جمعيتها.

واستعانت بي سيدة اسمها أم محمد في إنشاء جمعية نسائية، وتم إنشاؤها في

حي روض الفرج، وألقيت فيها محاضرات أيضًا.

وإلى جانب هذا كنت مواظبًا على التدريس للطلبة بالرواق العباسي بالأزهر حسبة لله، إذ لم أكن موظفًا عند الحكومة، وحضر عليَّ الطلبة من المغرب، والجزائر، وتونس، وليبيا، والحجاز، وسوريا، وفلسطين، والحبشة، والصومال، وأندونيسيا، وتركيا، وألبانيا، ورومانيا، ويوغوسلافيا، ومن مصر أيضًا.

وكنت أدرِّس للطلبة علوم الامتحان للحصول على شهادة العالمية، وكان الطالب إذا نجح وذهب إلى بلاده يوصي أصحابه الوافدين إلى الأزهر بالاتصال بي والحضور عليّ، ومن فضل الله عليَّ أن كل من درَّست له علوم الامتحان، نجح فيها لم يسقط واحد منهم سواء أكان من الغرباء أو من المصريين.

بعض ما درَّسته للطلبة

درَّستُ "جمع الجوامع" بـ"شرح المحلي" مِن أوَّله إلى آخره دراسة بحثٍ وتحقيقٍ، وممن حضره عليَّ أخَوَاي السيد عبدالحي والسيد عبدالعزيز ولم يحضراه على غيري، وحضره عليَّ أيضًا الشيخ صالح الجعفري رحمه الله وهو صالحٌ كاسمه.

ودرست "السلم" بـ"شرح الملوي" حضره عليَّ الأخَوَان أيضًا، لكن لم ينتفع به السيد عبدالعزيز لأنه لم يعتن به، كأنه كان يعتقد تحريمه تبعًا للسيوطي.

ودرست "سلم الوصول إلى علم الأصول" لابن أبي حجاب وهو مختصر من "جمع الجوامع".

ودرست "الجوهر المكنون" في البلاغة للأخضري.

ودرست "شرح المكُّودي للألفية" ولم يقرأه بالأزهر أحد غيري.

ودرست لأخي الزمزمي المقدمات لـ"جمع الجوامع" بـ"شرح المحلي".

ولم يقرأ الزمزمي مدَّة مقامه بمصر غير المقدِّمات، ونصف "الألفية" بـ"شرح ابن عقيل" على العلامة الشيخ عبدالسلام غنيم رحمه الله، وقطعة من "دليل الطالب" في فقه الحنابلة لا تبلغ الربع على فقيه حنبليٍّ.

وفي أول سنة وصلنا إلى القاهرة حصل عندي ضيق وقنوط كتبت إلى مولانا الإمام الوالد رضي الله عنه أذكر له ذلك فقال لي: «كيف تقنط في مصر أم الدنيا؟! بل اصبر وسوف تكون عالمًا كبيرًا ومحقِّقًا شهيرًا».

وعكفت على مطالعة شرح المحلي لـ"جمع الجوامع" لأني لم أكن درسته كله بجامع القرويين، وأتممت مطالعته في مدة ثلاثة أشهر وفهمته جميعه والحمد لله، إلا مسألة واحدة فهمتها بعد ذلك، وحصل لي بمطالعته مع تدرسيه للطلبة أنس بعبارة المحلي وصارت سهلة عندي لا يصعب عليَّ شيءٌ منها.

والذي أقرِّره بعد ممارسة عباراته أنه كان يقصد تصعيب العبارة، وتعقيد الضمائر، منتهجًا نهج السعد التفتازاني في كتبه وكان معجبًا بأسلوبه، وليس هذا خاصًّا بشرحه لـ"جمع الجوامع" بل يشمل بقية كتبه، كـ"تفسير القرآن الكريم" و"شرح الورقات" و"شرح المنهاج" في فقه الشافعية، فمن تتبَّعها وجدها على نمطٍ واحدٍ في اختصار العبارة وتصعيبها وتعقيد الضمائر، وهو محقِّقٌ بلا شك، لكن ليس بالمنزلة التي اشتهرت عنه، رحمه الله تعالى.

وفي شهر رمضان سنه ١٣٥٤ بدأت مناقشة بيني وبين كاتب اسمه سيد علي الطوبجي وهو كاتب متوسط، إلا أنه جرئ سليط اللسان، وكانت فيه

دعوىٰ عريضة، كتب ينتقد ما يُذكر في المولد النبوي من أحاديث ضعيفة وموضوعة ومنها حديث: «**أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ نُورُ نبيِّك**» ذكر أنه موضوع فرد عليه أستاذ بمدرسة ثانوية صحَّح الحديث من حيث المعنىٰ وأما من حيث لفظه وإسناده، فأحال تحقيق ذلك عليَّ.

فغضب ذلك الكاتب، وكتب في مجلة "هدىٰ الإسلام" ينتقدني وسمَّاني «محدث مجلة الإسلام» من غير أن يسبق مني إليه شيء، فكتبت مقالًا هادئًا رجعت فيه السؤال عليه، وقلت له: «بما أنك صاحب البحث فأنت أحق بالجواب عنه»، وذكرت له أهم المراجع التي يرجع إليها في جوابه وأمهلته شهرًا كاملًا، فما كتب شيئًا، لكنه استمر في انتقاده لي ووصم أهل الحديث بأنهم لا يفهمون، فتصديت للرد عليه وكتبت عشر مقالات في "مجلة الإسلام" بعنوان «حول أوَّلية النور المحمدي»، بينت سقطاته، حتىٰ سكت عجزًا.

وبعد مدة من انتهاء هذه المناقشة بانتصاري، كنت مارًّا ببعض شوارع القاهرة، وإذا بشخص يُقْبِل عليَّ ويسلِّم بحرارة ويقول لي قبل أن أساله: «أنا سيد الطوبجي، ويردف قائلًا: نحن مثل المحامين يتخاصمون في المحكمة وإذا خرجوا منها عادوا إلىٰ صحبتهم» فرحبت به، ووافقته علىٰ كلامه.

وأقرر الآن أن حديث: «**أولُ ما خَلَقَ اللهُ نورُ نبيِّك يا جابرُ**» عزاه السيوطي في "الخصائص الكبرىٰ" إلىٰ "مصنف عبدالرزاق"، وليس هو فيه، ولا في "تفسيره"، ولا في "جامعه".

وجوَّزت أن يكون في "دلائل النبوة" للبيهقيِّ، فلم أجده فيها ورأيت السيوطيَّ قال في الفتاوىٰ القرآنية من "الحاوي" عن الحديث المذكور: «ليس

له إسناد يُعتمد عليه» قال هذا في (سورة المدثر).

ثم وجدت الحديث بطوله في ثلاث صفحات، ذكره ابن العربي الحاتمي في كتاب "تلقيح الأذهان ومفتاح معرفة الإنسان" فإذا هو حديث موضوع لا يشك في وضعه من له خبرة بعلم الحديث الشريف.

وكذلك ما في معناه مثل: «**كنتُ نورًا بين يَدَي ربِّي قَبْلَ أنْ يَخْلُق آدم بأربعةِ عَشرَ ألفِ عامٍ**»، ومثل: «**لَوْلَاكَ لَوْلَاكَ لما خَلَقْتُ الأفْلَاكَ**».

ووجدت بعض المعاصرين من أهل شنقيط ذكر لحديث أولية النور المحمدي إسنادًا موصولًا من عبدالرزاق إلى جابر، وهو إسناد موضوع لحديث موضوع فلا قيمة له، وصانع الإسناد آثم مثل واضع الحديث.

وقد كتبت جزءًا في بيان وضع هذا الحديث، أُثبته هنا تتميمًا للفائدة.

مرشد الحائر لبيان وضع حديث جابر

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّدٍ وآله الأكرمين، ورضي الله عن صحابته والتابعين.

وبعد: فهذا جزءٌ سمَّيته: "مُرشِدُ الحائِر لبيان وَضْعِ حديث جابر" أردت به تنزيه النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عما نُسِب إليه مما لم يصح عنه ويعد من قبيل الغلو المذموم، ومع ذلك صار عند العامَّة وكثير من الخاصة معدودًا من الفضائل النبوية التي يكون إنكارها طعنًا في الجناب النبوي عندهم، ولا يدركون ما في رأيهم وقولهم من الإثم العظيم الثابت في قول النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَنْ كَذَبَ عليَّ فلْيَتَبَوَّأ مَقْعَدَهُ مِن النَّارِ**».

والذي يصفه بما لم يثبت عنه كاذب عليه واقعٌ في المحذور إلَّا أن يتوب، ولا يكون مدحه عليه الصلاة والسلام شفيعًا له في الكذب عليه.

وإن كانت الفضائل يُتسامح فيها فإن فضائل النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إنما تكون بالثابت المعروف حذرًا من الكذب المتوعَّد عليه بالنار، نسأل الله العافية.

وقد وردت أحاديث في هذا الموضوع باطلة، وجاءت آراء شاذة عن التحقيق عاطلة، أبينها في هذا الجزء بحول الله.

روى عبدالرزاق -فيما قيل- عن جابر رضي الله عنه قال: قلت: «يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، أخبرني عن أول شئ خلقه الله تعالى قبل الأشياء». قال: «**يا جابرُ، إنَّ الله خَلَقَ قبلَ الأشياءِ نُورُ نَبِيِّكَ مِن نُورِهِ، فجَعَلَ ذلكَ النُّور يَدُورُ بالقُدْرَةِ حيثُ شاءَ اللهُ، ولم يكن في ذلك الوقتِ لَوْحٌ ولا قَلَمٌ، ولا جَنَّةٌ ولا نارٌ،**

ولا مُلْكٌ، ولا سماءٌ ولا أرضٌ، ولا شمسٌ ولا قمرٌ، ولا جِنِّيٌّ وَلا إنْسيٌّ.

فلمَّا أرادَ اللهُ أن يَخْلُقَ الخَلْقَ قَسَّمَ ذلك النور أربعة أجزاء فخَلَقَ مِن الجزءِ الأول القَلَم، ومن الثاني اللوح، ومن الثالث العرش.

ثُمَّ قسَّم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخَلَقَ مِن الجزء الأول حَمَلَةَ العَرْشِ، ومِن الثاني الكرسيَّ، ومن الثالث باقي الملائكة.

ثُمَّ قسَّم الرابع أربعة أجزاء فخَلَقَ مِن الأول السماواتِ، ومن الثاني الأرضين، ومن الثالث الجنَّة والنَّار.

ثُمَّ قسَّم الرابع أربعة أجزاء فخَلَقَ مِن الأول نور أبصار المؤمنين، ومِن الثاني نورَ قُلُوبهم وهي المعرفة بالله، ومِن الثالث نورَ أُنسهم وهو التوحيد لا إله إلَّا الله محمدٌ رسول الله...» الحديث.

وله بقيةٌ طويلةٌ وقد ذكره بتمامه ابن العربي الحاتمي في كتاب "تلقيح الأذهان ومفتاح معرفة الإنسان"، والديار بكري في كتاب "الخميس في تاريخ أنفس نفيس".

وعَزْوُه إلى رواية عبدالرزاق خطأ؛ لأنه لا يوجد في "مصنَّفه" ولا "جامعه" ولا "تفسيره"، وقال الحافظ السيوطيُّ في "الحاوي": «ليس له إسنادٌ يُعتمَد عليه».

وهو حديثٌ موضوعٌ جزمًا، وفيه نَفَسٌ صوفيٌّ واصطلاحاتٌ صوفية، وبعض الشناقطة المعاصرين ركَّب له إسنادًا فذكر أن عبدالرزاق رواه من طريق ابن المنكدر عن جابر وهذا كذبٌ يأثم عليه.

وبالجملة فالحديث مُنكَرٌ موضوعٌ لا أصل له في شيءٍ من كتب السُّنَّة.

ومثله في النكارة ما روي عن عليِّ بن الحسين، عن أبيه، عن جدِّه عليهم السلام أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**كُنْتُ نُورًا بين يَدَيْ رَبِّي قَبْلَ أنْ يَخْلُقَ آدمَ بأربَعَةَ عَشرَ ألْفَ عَامٍ**» وهو كذبٌ أيضًا.

ومن الكذب السخيف ما يقال أن إحدىٰ أمهات المؤمنين أرادت أن تلف إزارًا علىٰ جسد النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فسقط الإزار، أي لأنه نور. وهذا لا أصل له، فقد كان النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يستعمل الإزار ولم يسقط عنه.

وكونه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم نورًا أمر معنوي، مثل تسمية القرآن نورًا ونحو ذلك؛ لأنه نوَّر العقول والقلوب.

ومن الكذب المكشوف قولهم: «لولاك لولاك ما خلقت الأفلاك».

وكذلك ما روي عن عليٍّ عليه السلام، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**هَبَطَ عليَّ جبريل فقال: إنَّ اللهَ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ ويَقولُ: إنِّي حَرَّمْتُ النَّارَ على صُلْبٍ أنْزَلَكَ وبَطْنٍ حَمَلَكَ وحِجْرٍ كَفَلَكَ**». وهو حديثٌ موضوعٌ.

وروي في بعض كتب المولد النبوي عن أبي هريرة قال: سأل النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم جبريل عليه السلام فقال: «**يا جبريلُ كم عَمَّرْتَ مِن السِّنِين؟**» فقال: يا رسول الله، لستُ أعلمُ، غير أنَّ في الحِجَابِ الرابع نَجْمًا يَطْلُعُ في كلِّ سبعين ألف سنةٍ مرةٍ، رأيتُهُ اثنتين وسبعين ألف مرةٍ، فقال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**وعِزَّةُ ربِّي أنا ذلك الكَوْكَب**».

وهذا كذبٌ قبيحٌ، قبَّح الله مَن وَضَعَهُ وافتراه.

وذكر بعض غلاة المتصوفة أن جبريل عليه السلام كان يتلَقَّىٰ الوحي من

وراء حجاب، وكشف له الحجاب مرة فوجد النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يوحي إليه فقال جبريل: «مِنْكَ وإلَيْكَ».

قلت: لعن الله من افترىٰ هذا الهراء المخالف للقرآن فإن الله تعالىٰ يقول لنبيه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورىٰ: ٥٢]. ويقول: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٣ – ١٩٥].

أخرج أحمد، والحاكم، والبيهقي في "الدلائل"، عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**إنِّي عند الله في أمِّ الكِتابِ لَخاتَمُ النبيِّينَ، وإنَّ آدمَ لَمُنْجَدِلٌ في طِينَتِهِ، وسأنبِّئكم بتأْويلِ ذلك، دعوةِ أبي إبراهيمَ، وبِشَارةِ عيسى قومَهُ، ورُؤْيَا أُمِّي التي رَأَتْ أَنَّهُ خَرَجَ مِنها نُورٌ أضَاءَتْ له قُصُورُ الشَّامِ، وكذلك تَرَىٰ أمّهاتُ الأنبياء**».

وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد": «رواه أحمد بأسانيد، والبزار والطبراني بنحوه، وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن سويد، وقد وثقه بن حبان».اهـ

قلت: رواه الحاكم من طريق أبي بكر بن أبي مريم، عن سويد بن سعيد، عن العرباض بن سارية، وقال: «صحيح الإسناد».

وتعقَّبه الذهبيُّ بأن أبا بكرٍ ضعيف، وغلط الدكتور قلعجي محقق كتاب "دلائل النبوة" فذكر أن الذهبي وافقه علىٰ تصحيحه.

وروىٰ أحمد من طريق بديل، عن عبدالله بن شقيق، عن ميسرة الفجر قال: قلت: «يارسول الله، متىٰ كنت نبيًّا؟» قال: «**وآدَمُ عليه السلام بَيْنَ الرُوحِ والجَسَدِ**».

وهكذا رواه البغوي وابن السكن في "الصحابة". قال الحافظ: «وهذا سند قوي». **قلت**: وذكره البخاري في "التاريخ" معلقًا.

روىٰ الحاكم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل للنبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلم: «متىٰ وجبت لك النبوة؟» قال: «**بين خَلْقِ آدمَ ونَفْخِ الرُوحِ فِيهِ**».

وروىٰ أحمد، من طريق عبدالله بن شقيق، عن رجل قال: قلت: «يا رسول الله متىٰ جعلت نبيًّا؟» قال: «**وآدمُ بين الرُّوحِ والجَسَدِ**». قال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح». **قلت**: هو أحد طرق حديث ميسرة الفجر.

وقال ابن سعد في "الطبقات": أخبرنا عفان بن مسلم، وعمرو بن عاصم الكلابي قالا: حدثنا حماد بن سلمة، عن خالد الحذاء، عن عبدالله بن شقيق، عن عبدالله بن أبي الجدعاء قال: قلت: «يارسول الله متىٰ كنت نبيًا؟» قال: «**إذْ آدَمُ بَيْنَ الرُوحِ والجَسَدِ**». رجاله رجال الصحيح.

وروىٰ البزَّار، والطبرانيُّ بإسنادٍ ضعيفٍ عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: «قيل: يا رسول الله متىٰ كنت نبيا؟» قال: «**وآدمُ بينَ الرُّوحِ والجَسَدِ**».

قال البيهقيُّ: «قوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلم: « **إنِّي عند الله في أُمِّ الكتابِ لَخَاتَمُ النبيِّينَ، وإنَّ آدمَ لَمُنْجَدِلٌ في طِينَتِهِ**». يريد أنه كان كذلك في قضاء الله وتقديره قبل أن يكون أبو البشر وأول الأنبياء صلوات الله عليهم».اهـ

وقال أبو الحسين بن بشران: حدَّثنا أبوجعفر محمد بن عمرو: حدَّثنا أحمد بن إسحاق بن صالح: ثنا محمد بن صالح: ثنا محمد بن سنان العوفي: ثنا إبراهيم بن طهمان، عن بديل بن ميسرة، وعن عبدالله بن شقيق، عن ميسرة قال: قلت: «يا رسول الله، متىٰ كنت نبيًّا؟» قال: «**لَمَّا خَلَقَ اللهُ الأرضَ واسْتَوَى إلى السَّمَاءِ**

فسَوَّاهُنَّ سبع سمواتٍ وخَلَقَ العَرْشَ كَتَبَ عَلَى سَاقِ العَرْشِ: محمدٌ رسولُ الله خاتمُ الأنبياء، وخَلَقَ اللهُ الجنَّة التي أسكنها آدمَ وحَوَّاءَ فكتبَ اسمي على الأبوابِ والأوراقِ والقِبابِ والخِيامِ، وآدمُ بين الرُّوحِ والجَسَدِ، فلمَّا أحياهُ اللهُ تعالى نَظَرَ إلى العرشِ فرأى اسمي فأخبرَ أنَّه سيِّدُ ولْدِكَ، فلمَّا غَرَّهُمَا الشيطان تابا واسْتَشْفَعَا باسمي إليه». إسناده جيد قوي.

وهو يفيد أن معنى كونه نبيًّا: إظهار ذلك في العالم العلوي قبل نفخ الروح في آدم عليه السلام.

وقد كنت أظن تبعًا للتقيِّ السبكيِّ أن روحه أو حقيقته أفيض عليها النبوة في ذلك الوقت، ثم ظهر لي أن ذلك خطأ لأن النبوة لا تقوم بالروح فقط ولا بالحقيقة وحدها، وإنما تقوم النبوة بالشخص المركَّب من الجسم والروح، هذا هو المعروف في اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم.

وقد بيَّن الحديث أيضًا سرَّ إعلان نبوته في ذلك العهد وأنه يرجع إلى أمرين اختصَّ بهما صلَّى الله عليه وآله وسلَّم:

أحدهما: أنه سيِّد ولد آدم.

والآخر: أنه خاتم الانبياء، وأيد ذلك بما ذكره من بشارة إبراهيم وعيسى به، عليهم الصلاة والسلام.

والأنبياء جميعًا نبوتهم ثابتة في تقدير الله وقضائه، لكن لم يرد في خبر أن الله تعالى أظهر نبوة أحد منهم بالتعين قبل خلق آدم، فلم يكن ذلك إلا لنبينا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وهذا سر قوله: «**كُنْتُ نبيًّا وآدَمُ بَيْنَ الرُوحِ والجَسَدِ**»، أي: أن حملة العرش والملائكة عرفوا اسمه ونبوته قبل خلق آدم عليه السلام، وهم لم

يعرفوا آدم إلا بعد خلقه.

وحديث: «**كُنْتُ نَبِيًّا وآدَمُ بَيْنَ الماءِ والطِّينِ**». لا أصل له، وكذلك حديث: «**كُنْتُ نَبِيًّا ولا آدَمَ ولا ماءَ ولا طِين**». لا أصل له أيضًا.

وما يوجد في كتب المولد النبوي من أحاديث لا خطام له ولا زمام هي من الغلو الذي نهىٰ الله ورسوله عنه، فتحرم قراءة تلك الكتب ولا يقبل الاعتذار عنها بأنها في الفضائل، لأن الفضائل يتساهل فيها برواية الضعيف، أما الحديث المكذوب فلا يقبل في الفضائل إجماعًا، بل تحرم قراءته وروايته.

والنبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**مَنْ حَدَّثَ عنِّي بحَدِيثٍ يُرَىٰ أَنَّه كَذِبٌ فهو أحَدُ الكاذِبين**». يُرىٰ -بضم الياء-: معناه يظن.

ويقول: «**مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَبَوَّأ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**».

وفضل النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ثابت في القرآن الكريم، والأحاديث الصحيحة، وهو في غنىٰ عما يقال فيه من الكذب والغلو، وقال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلم: «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ فَقُولُوا: عبدالله وَرَسُولُهُ**».

تَمَّ تحرير هذه العُجالة يوم الأحد ٢٥من ذي القعدة سنة ١٤٠٨

والحمد لله أوَّلًا وآخرًا، وصلَّىٰ الله علىٰ سيِّدنا محمَّد وآله وسلَّم.

وحصل مرة أخرى أن الشيخ محمد حامد الفقي طبع "رد الدارمي على بشر المريسي"، وهو غالٍ في الإثبات حتى أنه أثبت المكان لله تعالى والحركة والنزول، وكان الشيخ عبدالمجيد اللبان عميد كلية أصول الدين، فكتب مذكرة إلى مشيخة الأزهر يطلب فيها منع تداول الكتاب لخطره على عقائد العامة، وذكر من الأدلة على خطورته حديث الأوعال.

فحول الشيخ المراغي وهو شيخ الأزهر تلك المذكرة على لجنة من العلماء لبحثها، وهم أربعة منهم الشيخ الجبالي والشيخ محمود أبو دقيقة والشيخ عيسى منون ونسيت الرابع، فانتهت اللجنة في بحثها إلى أن الحديث رواه أبو داود في "سننه" وصححه ابن القيم، وعلى هذا فلا خطر من الكتاب على العقيدة، ولا يجوز منعه.

فسقط في يد الشيخ اللبان ولم يدر ما يفعل، وصادف أن زاره أحمد خيري فوجده مغمومًا فسأله عما غمه، فأخبره بالقصة وأردف قائلًا: لو كان الشيخ الكوثري معافى لرد على اللجنة لكنه مريض، ولو كلفت الشيخ حبيب الله الشنقيطي بالرد لفضحني عند الناس بكلامه وهو كثير الكلام والفخر بعلمه.

قلت: الشيخ اللبان واهم في هذا فإن الشيخ الشنقيطي لا يستطيع أن يرد على اللجنة لأنه لم يكن يعرف الحديث، وإن اشتهر بذلك في الأزهر، والذي يستطيع أن يرد هو الكوثري.

قال أحمد خيري للشيخ اللبان: أعرف عالمًا شابًا يقدر أن يرد كلام اللجنة وينقذك من هذه الورطة. قال: أدركني به.

فجاءني أحمد خيري وقال لي: إن الشيخ اللبان يريدك في مسألة مهمة سرية

فتعال معي لزيارته. فزرناه، ووجدته متجهمًا عابسًا، وناولني مذكرة اللجنة وهي في ثمان صفحات فقرأتها وقلت له: الرد عليها سهل، فانفرجت أسارير وجهه، وأعاد السؤال مستثبتا، فأكدت له سهولة الرد، فسأل: كم يأخذ من الوقت؟ قلت: أربعة أيام. فسلمني المذكرة مسرورًا لأرد عليها.

ولفظ حديث الأوعال عند أبي داود، والترمذيِّ، عن العباس بن عبدالمطلب قال: كنت في البطحاء في عصابة فيهم رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فمرَّت بهم سحابة فنظر إليها فقال: «**ما تسمُّون هذه؟**» قالوا: السَّحابَ قال: «**والمُزْنَ؟**» قالوا: والمزن، قال: «**والعَنَانَ؟**» قالوا: والعنان، قال: «**هل تدرون ما بُعد ما بين السماء الأرض؟**» قالوا: لا ندري، قال: «**إنَّ بُعدَ ما بينهما إما واحدٌ أو ثِنْتانِ أو ثلاثٌ وسبعونَ سنةً، ثُمَّ السماء فوقها كذلك**»، حتىٰ عدَّ سبع سموات، «**ثم فوق السابعةِ بحرٌ بين أسفلهِ وأعلاه مثلُ ما بين سماءٍ إلى سماء، ثُمَّ فوق ذلك ثمانية أَوْعَالٍ بين أظلافِهم ورُكَبهم مثل ما بين سماء إلى سماء، ثُمَّ على ظهورهم العرش بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك**». قال الترمذيُّ: «حسنٌ غريبٌ».

فرددت علىٰ مذكرة اللجنة ردًّا واسعًا في خمس وعشرين صفحة، وبينت بطلان حديث الأوعال بأن إسناده ضعيف ومعناه منكر من وجوه:

١- أن القرآن يفيد أن حملة العرش يوم القيامة ثمانية لا اليوم.

٢- أن القرآن نعىٰ علىٰ الكفار تسميتهم الملائكة إناثًا، والحديث يفيد أنهم أوعال، والإناث أشرف من الوعل.

٣- أن الوعل هو التيس الجبلي، والوصف به يدل علىٰ الذم، فقد سمىٰ

النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم المحلل «تيسًا مستعارًا»، ووصف الذين يتخلفون في نساء المجاهدين بالفاحشة بأنهم «ينبون نبيب التيس».

٤- أن القرآن والسنة يصفان الملائكة بأنهم ذوو أجنحة، وهذا الحديث جعلهم أوعالًا.

هذا ما حضرني من ذلك الرد فسلمته إلى الشيخ اللبان فطبعه وقدمه إلى اللجنة، فرجعت عن قرارها الأول وقررت أن الكتاب يصح منعه.

وهذا لايعني أننا ننكر استواء الله على عرشه استواء يليق به مع تنزيهه عن مشابهة الحوادث وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ولا ريب أن الفوقية وما يقابلها من الجهات من خواص المحدثات.

وقد حصل بسبب طبع رد الدارمي مساجلة كبيرة دامت شهورًا، كنت أنا، والشيخ الكوثري، والشيخ محمد إسماعيل عبد رب النبي، والشيخ عبدالرحمن خليفة رحمهم الله نتقدم طائفة المنزهين فكتبنا عدة مقالات في "مجلة الإسلام" بينَّا فيها ما يشتمل عليه ذلك الكتاب من تشبيه صريح.

وكان في طائفة المشبِّهين محمد حامد الفقي الذي طبع الكتاب، وعبدالله القصيمي النجدي وجماعة الوهابيين كانوا يكتبون في "مجلة أنصار السنة" يؤيدون التشبيه، وكان حامد الفقي يمضي مقالاته بقوله: كتبه عبد ربه المستوي بذاته على عرشه محمد حامد الفقي.

فصل: ما حصلتُ عليه من الشهادات

حين حضرنا إلى مصر سنة ١٣٤٩ تعرف بي بعض الطلبة منهم الشيخ علي عثمان اليمني رحمه الله وطلبوا مني أن أقرأ لهم "الألفية"، فشرعت في قراءتها "بشرح المكودي"، وأنا أول واحد درس المكودي بالأزهر، فلما حضروا دروسي أعجبوا بها فقالوا لي: تقدم لنيل شهادة العالمية لأنك أحق بها من كثير ممن أخذها.

فتقدمت للامتحان وكان في اثني عشر علمًا هي: النحو، الصرف، المعاني، البيان، البديع، المنطق، الأصول، التوحيد، الفقه، التفسير، الحديث، المصطلح.

فنجحت في الامتحان وأخذت الشهادة وهي ممضاة باسم الشيخ محمد الأحمدي الظواهري إذ ذاك، وأخبرت مولانا الإمام الوالد رضي الله عنه بذلك ففرح كثيرًا وهنأني وأمرني أن اكتب له بما دار في الامتحان من أسئلة وأجوبة فكتبت ما طلب.

وصادف في تلك الأيام أن حضر إلى مصر عبدالحي الكتاني في طريقه للحجاز وزرته في فندق كلوب العصري بسيدنا الحسين فهنَّأني أيضًا وفرح بنجاحي، وكان رأى خبر نجاحي في "الأهرام".

ولم يكن عندي عزم أن أتقدم بامتحان آخر غير أن بعد نحو تسع سنوات كتبت ردًّا على الشيخ محمود شلتوت الذي أنكر نزول عيسى عليه السلام.

وكان ردي أولًا بضع مقالات نشرتها في "مجلة الإسلام" وكانت أشهر مجلة إسلامية في ذلك الوقت، ثم جمعت تلك المقالات وزدت عليها في كتاب سميته: "إقامة البرهان على نزول عيسى في آخر الزمان"، وأتبعته بكتاب آخر

سميته: "عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه السلام".

عند ذلك قال لي أحد علماء الأزهر: ردك على شلتوت لا ينفع ولا عبرة به عندنا. قلت: لم؟ قال: لأنه ليس عندك شهادة العالمية الأزهرية. فقلت له: إذن آخذها إن شاء الله.

وذهبت إلى الشيخ المراغي في بيته بحلوان وكان شيخًا للأزهر وذكرت له طلبي فقال لي: إن مدة دراستك لا تكفي لامتحان الشهادة العالمية فأت بشهادة رسمية من المغرب لتكمل بها المدة المطلوبة.

فبعثت إلى أخي الأكبر رحمه الله فبعث لي شهادة رسمية بإمضاء قاضي طنجة، فيها أنني حضرت في العلوم الدينية خمس سنوات وأن لي مؤلفات، فسلمتها للشيخ المراغي فوافق على دخولي الامتحان.

وكان الامتحان في العلوم السابقة، مضافًا إليها: علم الوضع، وعلم العروض والقوافي، وعلم الأخلاق، أي التصوف.

فبلغت جملة العلوم خمسة عشر علمًا، وكان رئيس اللجنة التي اختبرتني الشيخ محمد زغلول شيخ معهد الزقازيق، وكان من جملة أعضاء اللجنة الشيخ عبدالمتعال الصعيدي، وعندما دخلت على اللجنة وسلمت عليهم قال لي الشيخ الصعيدي: كيف حالك يا فلان؟ فقال رئيس اللجنة: إذن بينكما معرفة؟ فأجابه: لا أعرفه، لأنه سني وأنا ملحد.

فتشاءمت من هذه العبارة لأنه كان قبل ذلك بأيام كتب مقالًا أجاز فيه التصوير ورددنا عليه، فظننت أنه سيكون ضدي في الامتحان، ولكنه والحق يقال كان كريمًا معي في المعاملة وكان رئيس اللجنة شديدًا علي حتى أن الذين

دخلوا عليه في الامتحان سقطوا لشدته، وكان الشيخ عبدالمتعال يكتفي من جوابي بكلمة يعرف منها أنني أفهم الموضوع.

فكان يقول لرئيس اللجنة: ننتقل إلى بحث آخر لأن الشيخ فاهم. ولكن الرئيس يقول: لابد أن يكمل الدرس إلى آخره.

وأجبت والحمد لله في جميع الأسئلة حتى أنه لما تم الامتحان وأردت القيام لأنصرف قال لي رئيس اللجنة: مبروك يا علامة، وظننت أنه قال لي هذه العبارة مُتهكِّمًا، ولكنه قابل صديقه الشيخ عبدالسلام غنيم وأخبره بنجاحي بتفوُّق.

ونشر خبر نجاحي "بجريدة الأهرام" وصادف أنني كنت في زيارة الشيخ شلتوت في بيته ومعه جماعة من العلماء لأنه كان وكيلًا لكلية الشريعة، ودخل أحد الزائرين فهنأني، فقال له الشيخ شلتوت: علام تهنئه؟ فقال: لأنه نال الشهادة العالمية الأزهرية واسمه في "جريدة الأهرام".

فقال له الشيخ شلتوت: نحن نهنيء الشهادة الأزهرية بأخذ الشيخ عبدالله لها الذي جاء من بلاده عالمًا. فكان هذا انصافًا من الشيخ رحمه الله تعالى غير متوقع لردي عليه في عدة مقالات وكتب.

فصل ما أعرفه من العلوم

عرفت بفضل الله عدَّة علوم، منها ما تلقَّيته عن شيوخي بالقرويين والأزهر، وهي:

علم العربية، والفقه المالكي، والشافعي، والأصول، والمنطق، والتفسير، والحديث والمصطلح، والتوحيد والمقولات، وعلم الوضع، وآداب البحث والمناظرة، والفرائض.

ومنها ما لم أتلقَّه من أحدٍ وهي: علوم البلاغة، والتجويد، والترقيم.

ومعرفتي لهذه العلوم ليست بدرجةٍ متساويةٍ، بل منها ما أنا قوي فيه، كالنحو والأصول، والمنطق، والحديث، والتفسير. ومنها ما أنا فيه متوسِّط كالفقه، والمقولات، والوضع، وآداب المناظرة. ومنها ما أنا فيه دون المتوسط وهو علم الفرائض.

ما هو الترقيم؟

هو فنٌّ مستحدثٌ مبنيٌّ على باب الفصل والوصل من علم المعاني، يعرف منه الجمل المفصولة والموصولة ومتى يحسن أحدهما، ومعرفة الجملة المعترضة أثناء الكلام وغير ذلك بأرقام تقوم مقام الحروف، مثل:(،؛ : ؟!). ومن العلوم التي عرفتها بدون أستاذ: علم الإملاء.

وكانت عنايتي بالنحو شديدة فقد أقبلت عليه إقبالًا عظيما فاقتنيت من كتبه شيئًا كثيرًا، فمن شروح الألفية: "شرح المرادي" و"ابن هشام" و"المكودي" و"التصريح على التوضيح"، و"حاشية ابن الحاج على المكودي"، و"حاشية المهدي الوزاني على المكودي" أيضًا، و"حاشية الشيخ الطيب بن

كيران على التوضيح"، و"حاشية الشيخ مسعود الطرنباطي على الألفية"، و"حاشية الشيخ ياسين على الألفية"، و"شرح ابن ذكري على الفريدة" وهي "ألفية السيوطي في النحو" و"شرح التسهيل لابن عقيل"، وكان عندي من شروح الأجرومية: "شرح الراعي"، و"علي بركة التطواني" و"شرح ابن عجيبة" و"شرح أحمد بابا السوداني" بـ"حاشية المهدي الوزاني" عليه.

و"حاشية ابن الحاج" و"الفيشي" على "الأزهري على الأجرومية"، و"شرح القطر" و"شرح شذور الذهب"، و"همع الهوامع" و"شرح جمع الجوامع" للسيوطي و"المغني" بـ"شرح الدماميني" و"حاشية الشيخ الأمير"، و"الأشباه والنظائر النحوية" للسيوطي، و"الاقتراح في أصول النحو" له وغير ذلك.

وأتقنت علم النحو إتقانًا جيدًا حتى كان أخي الأكبر رحمه الله تعالى يرجع إلي في كثير من مسائله، وعنيت بـ"مقامات الحريري" فقرأتها مرات حتى كدت أحفظها، وبإتقاني لها مع إتقان علم النحو عرفت علم البلاغة الذي لم أقرأه على أحد، إلا مسائل من شروح "التلخيص" حللتها مع والدي، رحمه الله ورضي عنه.

أما الحديث فسبب اشتغالي به أني حين ذهبت إلى فاس للمرة الثانية شرعت أقرأ "صحيح البخاري" بـ"شرح القسطلاني" كما سبق واشتغلت بـ"الموطأ" فاتخذته هجيرًا، أي: أطالع فيه يوميًا، ومن ثم حصل لي تعلق بعلم الحديث، مع أن أخي الأكبر كان يحضني على الاشتغال به.

ولما ذهبنا إلى مصر وجدتهم يقرأون في القسم العالي بالأزهر "المنهاج

للبيضاوي" بـ"شرح الإسنوي" وحضرت فيه على الشيخ حامد جاد، وكانت تأتي في الدرس أحاديث يأتي بها المصنف أو الشارح فأبين لهم رتبتها، ولما تكرر ذلك في الدروس ظهر لي أن أخرج أحاديثه، فاشتغلت به.

وكنت أذهب إلى دار الكتب المصرية لمراجعة المخطوطات في علم الحديث من أجل هذا التخريج، ومن أجل مقالات كنت أكتبها في "مجلة الإسلام" بعنوان: «ظهور المهدي حق».

ثم شرعت في الرد على الشيخ شلتوت الذي أنكر نزول عيسى عليه السلام فاستدعى ذلك مني أن أراجع كتبًا كثيرة في علم الحديث.

فكنت كل يوم أذهب إلى دار الكتب المصرية بباب الخلق فراجعت فيها كتبا كثيرة، منها "ترتيب صحيح ابن حِبَّان"، و"دلائل النبوة" للبيهقي، و"الوهم والإيهام" لابن القطان، وغير ذلك، وأجزاء حديثيه عديدة، هذا سوى المطبوعات مثل: "كنز العمال" و"مجمع الزوائد" و"نصب الراية" و"التلخيص الكبير".

ويمكنني أن أقول أني قرأت بفضل الله تعالى من الأحاديث النبوية ما ينيف عن خمسين ألف حديث، وحصلت عندي ملكة أعرف بها إذا سمعت حديثًا أين يوجد وما هي رتبته، ولا أكاد أخطئ في ذلك والحمد لله، ولا أعرف الآن من شارك في عدة علوم مثل مشاركتي فيها ولله الحمد والمنة، مع تحقيق بحوث في كثير منها بطريقة لم أسبق إليها بفضل الله.

ولهذا أرجو من الله تعالى أن أكون مجدد هذا القرن، فالواقع أنني لا أرى من يماثلني أو يشاركني في هذا، فإذا وجدت عالمًا بالحديث تجده لا يحسن غيره

وإذا وجدت فقيهًا وجدته لا يحسن غير الفقه، وإذا وجدت نحويًا أو مشتغلًا بالبلاغة وجدته بعيدًا عن علم الأصول وما يتبعه، وإذا وجدت أصوليًّا عالمًا بالعربية وجدته لا يعرف الحديث، نعم قد يوجد من يشارك في بعض العلوم كالقدماء من علماء الأزهر وعلماء القرويين.

ولا أقول هذا افتخارًا ولكن أقوله لإظهار الحقيقة ولبيان كرامة مولانا الإمام الوالد رضي الله عنه حيث وعدني بهذا فتحقق لي كما وعد، وكان من بعض بشارته لي قوله: ولا بد أن تكون عالمًا كبيرًا ومحققًا شهيرًا.

فالحمد لله على ما أنعم بالعلم والمعرفة، وعلى ما ألهمنا من البحوث التي حقَّقناها، فهو جلَّ جلاله صاحب الفضل والطول ونرجو أن يعمنا بمغفرته ورحمته.

جمعتُ علومًا عِدَّةً وفوائدًا ... أتَيْتُ بها من فيضِ بارِي الخلائقِ
وأرجو بها تجديدَ دينِ محمَّدٍ ... فحقِّقْ رجائي يا إلهي ووفِّقِ

أنشأها له بعض أتباعه.

ومنهم أخي السيد أحمد بن محمد بن الصديق كان يعرف الحديث معرفة تامة وله فيه بحوث مهمة وتآليف مفيدة، وكان كثير القراءة لا يمل منها، وله اطلاع واسع على كتب الحديث المطبوع منها والمخطوط، ولو تيسر له من الكتب ما تيسر للحافظ ابن حجر، أو السخاوي ما كان يقل عنهما.

ومن كتبه الدالة على علو كعبه في علم الحديث: "تخريج أحاديث بداية المجتهد"، وكتاب "المداوي لعلل الجامع وشرحي المناوي" في ستة مجلدات، من قرأه يدرك منه إتقانه لعلم العلل، والبحث في الأسانيد بطريقة المحدثين الكبار، وله مستخرج على "الشمائل"، ومستخرج على "الشهاب"، والمستخرجات انقطعت من ثمانية قرون، وأملى مجالس حديثية بالمسجد الحسين وجامع الكخيا وبطنجة بالزاوية الصديقية فأحيا سنة الإملاء بموت السيد مرتضى الزبيدي.

ومنهم أخي الأصغر السيد عبدالعزيز، لازم الأخ الأكبر وتعلم منه علم الحديث، وعرف منه كيف يبحث في الأسانيد، وكيف يصحح أو يحسن أو يضعف وله مؤلفات تدل على معرفته بعلم الحديث.

ومنهم الشيخ أحمد بن محمد شاكر، كان يعرف علوم الحديث معرفة جيدة تدل عليها تحقيقاته للكتب التي حققها، غير أنه كان يعرف العلل وكان لا يهتم بها، فكان يصحح حديث عبدالله بن لهيعة مع معرفته بما قيل فيه، وله رأيه في ذلك، وتحقيقاته لـ"مسند الإمام أحمد" مفيدة.

ومنهم محمد ناصر الدين الألباني، يعرف الحديث معرفة جيدة، إلا أنه

مبتدع زائغ، في عقيدته تشبيه وتجسيم، وفيه من النفاق: الفجور في الخصومة، وهو غير مؤتمن في نقله ولا في تصحيحه أو تضعيفه، فهو يصحح ويضعف حسب الهوىٰ والمزاج.

ففي تعليقاته علىٰ كتاب "السنة" لابن أبي عاصم صحَّحَ وحَسَّنَ أحاديث واهية الإسناد باعتبار ما لها من الشواهد، وذكر حديث: «**حياتي خيرٌ لَكُمْ**» في الأحاديث الضعيفة، وذكر بجانبه مرسل بكر بن عبدالله المزني من طريقين ثابتين ولم يجعل هذين المرسلين يؤيدان الحديث المرفوع كما هي القاعدة عند المحدثين والأصوليين وكما فعلها في كتاب "السنة" لأن هذا الحديث لا يوافق مزاجه. ولما رأيت فعله هذا سقط من عيني.

يضاف إلىٰ ذلك زيادة علىٰ بذاءة لسانه أنه يصحح الحديث الذي يوافقه ولا يدرك ما فيه من الشذوذ الذي يجعله من قبيل الضعيف، ويدعي النسخ في أحاديث محكمة، أما سقطاته في استنباطاته فحدث ولا حرج ويمكن أن تفرد في جزء مستقل.

ومنهم الشيخ محمد الخانجي البوسنوي اليوغوسلافي، كان له خبرة بعلم الحديث، وطبع جزء "حياة الأنبياء" للبيهقي بتعليقاته.

أما الشيخ رشيد رضا فقد زرته في مطبعة المنار وتعرفت عليه وحضرت مرة أخرىٰ محاضرة له، وهو في محاضرته ضعيف، لكن قلمه يدل علىٰ أنه كاتب وله بحوث فقهية مفيدة، ولم يكن يعرف من الحديث إلا أن يبحث عنه في "الجامع الصغير" أو أحد الكتب الستة وإن كان كثيرٌ من الناس يعتقدون أنه مُحدِّثٌ وهو اعتقادٌ خطأ.

ومن عيوبه أنه كان يحابي شيخه الشيخ محمد عبده في مسائل تخالف السُّنَّة مع عِلمه بمخالفتها، غفر الله لنا وله.

أما الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي فلم يكن يعرف من الحديث كثيرًا ولا قليلًا وسبب شهرته بمصر في الحديث أمران:

أحدهما: أنه جاء بعد العلامة المحدِّث الشيخ محمد محمود التركزي الشنقيطي، أستاذ الشيخ محمد عبده فظن الناس أنه مثله.

والآخر: أنه كتب كتاب "زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم" مع أن هذا الكتاب أشار على تلميذين له أن يمسك أحدهما الجزء الأول من "الجامع الصغير" والآخر يمسك الجزء الثاني، وكل حديث عليه رمز (ق) ينقلانه إلى المسودَّة.

ويدل على هذا أني زرته مع أخي الأكبر في بيته فوجدنا عنده بروفة "زاد المسلم" في حرف الألف، فأخذ أخي الملزمة فوجد فيها: «**إنَّ الماءَ طهورٌ لا ينجِّسه شيء**»، فقال له: يا أستاذ ليس هذا الحديث في الصحيحين. فأخذ الشيخ الملزمة ونظر فيها واعتذر بأن هذا خطأ من الناسخ فتعجَّبنا كيف يخطيء الناسخ بإدخال حديث في الكتاب؟!

ثم بعد مدة أخبرنا السيد محمد الأهدل شيخ رواق اليمن أن الشيخ حبيب الله كلفه هو والشيخ محمد كردي الخطاط بأن يلتقطا من "الجامع الصغير" الحديث الذي عليه (ق)، وحديث الماء المذكور كان بجوار حديث عليه (ق) فالناسخ أدخله خطأ.

أما العلامة الشيخ محمد زاهد الكوثري صديقنا ومجيزنا، هو عالم بالفقه

والأصول وعلم الكلام ومتخصِّص في علم الرجال، دعاه إلى ذلك الذب عن أبي حنيفة وأصحابه، وإذا أراد البحث عن حديث يعرف كيف يبحث عنه ويعرف ما في رجاله من الجرح والتعديل بحكم تخصُّصه.

أما تلميذه الأستاذ الفاضل الشيخ عبدالفتاح أبو غدة فهو يعرف الحديث جيدًا، وله بحوث طيبة في علم الحديث، نرجو له المزيد من ذلك.

أما في الهند فقد عرفنا فيها محدثين بالسماع عنهم وطالعنا بعض مؤلفاتهم وهم قسمان:

قسم انتحى الناحية الفقهية: أمثال الشيخ محمد أنور الكشميري، والشيخ محمد زكريا الكاندهلوي، والسيد محمد يوسف البنوري.

قسم انتحى الناحية الحديثية: من غير تعصب، مثل الشيخ شمس الحق العظيم آبادي، وصديقنا الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، حقق كتبًا حديثية تحقيقًا يدل على معرفته بعلم الحديث، مثل "المصنف" لعبدالرزاق، "سنن سعيد بن منصور"، و"زوائد البزار"، "المطالب العالية" وغير ذلك حفظه الله وأدام توفيقه.

أما الشيخ بدر الدين الحسني، عالم دمشق ومحدثها، فقد اشتهر عند الشاميين بأنه محدث حافظ، لكن أخبرني أخي الحافظ السيد أحمد أنه زاره في دار الحديث فوجده يعرف العلوم العقلية معرفة جيدة، وحضر مجلس إملائه يوم الجمعة في الجامع الأموي، فوجد مجلسه مملوءًا بالأحاديث الضعيفة والموضوعة وهذا يدل على أنه لم يكن يعرف الحديث، وإن اشتهر به.

أما الشيخ أحمد عبدالرحمن البنا والد حسن البنا رئيس «الإخوان

المسلمين» فكان صديقي هو وولده حسن، وقد خدم بعض الكتب الحديثية خدمة قيمة، ورتب "مسند الإمام أحمد" على الأبواب الفقهية، و"مسند الشافعي" و"مسند أبي داود الطيالسي"، وهي خدمة قيمة قدمها لأهل الحديث، لكنه لم يكن محدثًا، رحمه الله.

وإني أرى اليوم حركة طيبة ونشاطًا كبيرًا في تحقيق كتب الحديث والرجال وطبع المخطوط منها، وهي تبشر بإحياء علم الحديث ورواجه بين أهل هذا العصر.

إلا أن بعض المحققين لكتب الحديث يخرجون عن المقصود من التحقيق ويكثرون من ترجمة الأعلام الموجودة في الكتاب ويحيلون على كتب معروفة في التراجم وإثقال هوامش الكتاب بكتابة لا معنى لها ولا فائدة فيها، ونرجو أن يتنبهوا لذلك ويقتصروا في التحقيق على المقصود منه، وهو أشياء معدودة:

١- تحقيق نص الكتاب.

٢- التنبيه على خطأ وقع فيه من المؤلف أو الناسخ.

٣- إيضاح لفظ غامض، أو بيان مشكل أو نحو ذلك مما يساعد على فهم نص الكتاب.

وما زاد على هذا فهو عبث لا فائدة فيه.

فصل: في ذكر شيوخي

رحمهم الله وأثابهم رضاه وجزاهم جميعًا عني خيرًا

أولًا: شيوخي من المغرب:

١- أولهم وأولاهم بالتقديم والدي الإمام القُدوة الوَرِع الحافظ الحُجَّة بحر العلوم والمعارف سيِّدي محمد بن الصّدِّيق رضي الله عنه:

كان غزير العلم واسع الإطلاع، إذا تكلم في علم ظن السامع أنه لا يحسن غيره، وإذا سئل في موضوع أجاب بديهة بما يدهش السائل لكثرة ما يذكر من النقول والشواهد والنظائر.

ذكر الأستاذ العابد الفاسي مدير خزانة القرويين رحمه الله: أنه زاره مرة فرحب به وفرح بلقائه، ودار بينهما حديث في شئون شتى، حتى جاء الحديث عن المهدي المنتظر، فرأى مني ميلًا إلى إنكاره فقال لي: كيف تنكره وأجدادك الفاسيون يقرون به؟! قال: فمكث ساعة يملي عليَّ من حفظه أقوال الفاسيين الذين يقولون بالمهدي كأنه أعد ذلك لأجل لقائنا، فأدهشني منه ما رأيته.

وهكذا كان حاله في كل موضوع يتناوله، افتتح مرة درس التفسير بزاويته التي أنشأها بطنجة، وكانت بداية الدرس أول رمضان، ومكث أسبوعًا في تفسير قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] أتى فيه بما أدهش ألباب السامعين، وانتهى الشهر ولم ينته من تفسير الفاتحة.

وفضائله كثيرة وأخباره مشهورة مسطورة، جمع بعضها أخي الأكبر السيد أحمد في "نبذة التحقيق"، وهو في مجلد ضخم، ثم اختصره في "التصور والتصديق بأخبار الشيخ سيدي محمد بن الصديق".

رباني وعلمني، ووالى إرشادي وتهذيبي، وكان في مكاتبته لي بفاس ومصر يخاطبني بقوله: «ولدنا البار»، جزاه الله عني أفضل ما جزى والدًا عن ولده.

٢- أخي أبو الفيض السيد أحمد بن الصديق العلامة الحافظ:

كان يعرف الحديث معرفة جيدة، وصنف فيه التصانيف العديدة وانقطع له فأخرج لنا مصنفات ذكرتنا بالحفاظ المتقنين كـ"المداوي لعلل الجامع وشرح المناوي" في ستة مجلدات ضخام، و"هداية الرشد في تخريج أحاديث ابن رشد" في مجلدين، واستخرج على "مسند الشهاب" وعلى "الشمائل المحمدية" وكتب أكثر من خمسين جزءًا حديثيًّا لا يعرف أن يكتبها أحد في عصرنا، خاصة "فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي" و"درء الضعف عن حديث من عشق فعف" وله غير ذلك من المصنفات في الحديث والفقه وغيرهما.

توفي رحمة الله تعالى بالقاهرة سنة (١٣٨٠) وترجمته مستوفاة في كتابه "البحر العميق في مرويات ابن الصديق". قرأت عليه "نخبة الفكر" و"سنن أبي داود".

٣ - العلامة الشيخ محمد بن الحاج السلمي:

قرأت عليه "الألفية" بـ"شرح المكودي"، وبـ"شرح الموضح" مع "التصريح"، و"حاشية الشيخ الطيب بن كيران" عليه، وحضرت عليه في "الخرشي على مختصر خليل"، وحضرت عليه في "شرح القسطلاني على البخاري"، وكان قوي الحافظة، يبدي إعجابه بالحافظ ابن حجر ويتورك على العلامة العيني في اعتراضاته عليه، ويقول عنه بعد حكاية اعتراضه: «كأني به لم يفهم كلام الحافظ» ثم يجيب عنه.

ولما وصل في قراءة "البخاري" إلى كتاب الجهاد والمغازي، بعث إليه حاكم فاس الفرنسي وطلب منه أن يتخطى هذا الباب إلى غيره ويقرأ ما بعده، فامتنع عن الدرس أيامًا، وبعد مراجعة وكلام حصل الاتفاق على أن يقرأ كتاب الجهاد، على ألا يتوسع في الشرح.

وهذا نوع من الضغط الذي كان يمارسه الاستعمار الفرنسي في المغرب.

أجازني رحمه الله، وشيخه السعيد محمد بن عبدالكبير الكتاني.

وطريقة المغاربة في الدرس عمومًا أن الشيخ يطالع الدرس في بيته ويجمع ما قيل فيه من أقوال وشروح وحواش في ذهنه، فإذا جاء إلى الدرس ألقى على الطلبة من حفظه جميع ما طالعه وحفظه في بيته، وبعد الانتهاء من ذلك يأمر طالبًا يكون أمامه بيده الملزمة أن يقرأ في الملزمة ما قرره الشيخ، والطلبة كلهم بيدهم الملزمة كذلك، والشيخ يسمع فيوضح لهم ما في العبارة من غموض أو يبين ما فيها من تصحيف أو نحو ذلك.

وقد درست لطلبتي في الأزهر على هذه الطريقة، وهكذا درس الطلبة "جمع الجوامع" و"تفسير النسفي" و"نيل الأوطار" في زاويتنا الصديقية.

وكان الامتحان في جامع القرويين على هذه الطريقة، يدخل الشخص الممتحن على لجنة من العلماء فيلقي عليهم درسًا من حفظه في العلم الذي يمتحن فيه وهم يناقشونه كطلبة، فإذا نجح منحوه إجازة التدريس، وتكون الدروس أربعة في أربعة علوم.

٤- العلامة الشيخ المحقق القاضي العباس بن أبى بكر بناني -بفتح الباء-:

حضرت عليه في مقدمة "جمع الجوامع" و"شرح الشيخ الطيب بن كيران"

على "توحيد ابن عاشر" كما أخذت عنه المقولات.

وكان يقدرني ويحترمني كثيرًا، وذكر مرة في درس الأصول حديثًا لم يعرف رتبته فبينتها له، فسألني من أنت؟ فانتسبت له، فقال: تبارك الله، الدر من معدنه لا يستغرب.

وطلبت منه مرة فتوى فقهية في خصومة كانت بين بعض الإخوان، فسألني: هل يطلع عليها والدك؟ قلت: نعم، قال إذا يجب التدقيق فيها لأن والدك في العلم مخيف.

وكنت أزوره في بيته مرات، ولما أردت الرجوع إلى طنجة كتب لي إجازة روى فيها عن شيخ الجماعة أحمد بن الخياط الزكاري رحمه الله.

٥ - العلامة المحقق الفقيه السيد أحمد بن الجيلانى الأمغارى شيخ الجماعة:

حضرت عليه في "شرح الخرشي للمختصر" في الفقه المالكي.

وحصل في عهده أن شخصًا اسمه محمد بن سليمان تقدم للامتحان ونجح فيه وأذن بالتدريس في القرويين فشرع في تدريس "جمع الجوامع"، فبعث إليه الشيخ وقال له: أول ما تدرس "جمع الجوامع"؟! وقال له: إذا أنا أدرس "الأجرومية"، وأصبح يدرسها، فحضرنا عليه فيها وحضر معنا معظم علماء القرويين.

٦ - الشيخ فتح الله البناني الرباطي:

عالم فاضل وشيخ الطريقة الشاذلية وله عدة مصنفات منها "المجد الشامخ فيمن اجتمعت به من الأعيان والمشايخ" في أربعة مجلدات، كتبه بعد عودته من الحج، و"تحفة أهل الفتوحات والأذواق في اتخاذ السبحة وجعلها

في الأعناق"، يروي عن إبراهيم بن محمد التادلي وعن آخرين ذكرهم في معجمه.

ولد سنة (١٢٨١هـ) بالرباط وتوفي سنة (١٣٥٣هـ). استجزته بالرباط أنا وأخي الأكبر السيد أحمد رحمه الله فأجازنا وأحالنا على كتابه "المجد الشامخ".

٧ - العلامة المحقق الشيخ الراضي السنانى الشهير بالحنش:

كان منقطع النظير في التحقيق، حضرت عليه في مقدمة "جمع الجوامع" وكان محققًا يحل دقائق كلام المحلي كأنه كان قاعدًا معه ساعة كتابته، وكان فقيهًا، وفي علوم الآلة محققًا، له كتاب "الشذرات" فيه مسائل وفوائد طيبة، وكان صوفيًّا يحب الصالحين ويزورهم أحياءًا وأمواتًا، رحمه الله تعالى.

٨ - العلامة أبو الشتاء بن الحسن الصنهاجي:

المتواضع المتخشن في ملبسه، كان مختصًّا بعلم الفرائض، درسته عليه، وكان يدرس للطلبة علوم القضاء مثل: "التحفة" لابن عاصم و"الزقاقية" للزقاق، وله مؤلفات في هذا الفن، وكان الناس يعتقدون صلاحه لانعزاله عن الناس واشتغاله بنفسه وبعمله.

٩ - العلامة الشيخ محمد الصنهاجي:

وهو أخو السابق كان عالمًا محققًا، ويتأنق في ملبسه، قرأت عليه "شرح الخرشي على المختصر" في «كتاب البيوع» وما بعده، رحمه الله.

١٠ - العلامة المحقق مولاي السيد أحمد بن الطيب القادري:

أبوه كان شيخا لوالدي رحمهما الله، وهو شيخي، قرأت عليه "شرح

الخرشي" في «كتاب الجنايات والقصاص»، وكان محققًا يرجع إليه في الفتوىٰ، وكان مولاي عبدالله الفضيلي يرجع إليه لتحقيقه، وكان فقيرًا ضعيف الحال، يأتي إلىٰ الدرس وعليه كساء فيه ترقيعات، وكان خاملًا لا يعرف حق قدره إلا من حضر دروسه، رحمه الله.

وحكىٰ له والدي رضي الله عنه أنه كان يحضر علىٰ والده رحمه الله، وكان في بعض الأحيان بعد انتهاء الدرس يطلب منه قرشًا ليشتري به فطورًا للأولاد.

ومن هذا يعلم كيف كان العلماء يعيشون علىٰ الكفاف والتقشف وهم راضون قانعون يخدمون العلم والطلبة، فأفادوا ونفعوا وتخرج بهم جمع من الطلبة، رحمهم الله وأثابهم رضاه.

وفي وقتنا هذا كثرت الدعاوىٰ مع الجهل والجرأة علىٰ القول في أحكام الدين بدون علم ولا دليل، واتسعت عليهم الدنيا جدًّا وكثر المال لديهم.

١١ - العلامة مولاي عبدالله الفضيلي:

شيخ الجماعة، من العائلة المالكة بالمغرب، كان علامة في الأصول والمعقول وكان ذا ثراء واسع، وكان يوزع مرتبه من القرويين علىٰ عالمين فقيرين، أحدهما مولاي أحمد القادري، والآخر سيدي إدريس المراكشي إمام جامع القرويين والمدرس به.

كان يدرس "جمع الجوامع" حضرت فيه عليه، كما حضرت عليه رسالة "الوضع" و"شرح الزرقاني علىٰ المختصر".

وكان في درسه محققًا يعتني بتحقيق لفظ المصنف وشرحه وما كتب عليه، ووالده صاحب كتاب "الدرر البهية في أشراف المغرب".

١٢ - العلامة السيد عبدالرحمن بن القرشي العلوي:

من العائلة المالكة بالمغرب، كان قاضيًا ثم أحيل إلى المعاش فالتزم التدريس بجامع القرويين، كان في قضائه نزيها لا يحيد عن الحق، حضرت عليه "شرح الدردير على مختصر خليل" من «باب الإجارة» إلى الآخر هو الجزء الرابع، وكان في خلقه بعض الشدة، قد عمر حتى جاوز الثمانين، يروي عن والده ومحمد الخضر المهاجي، وأحمد بناني، وعبدالملك الضرير العلوي.

١٣ - الشريف العلامة الحبيب المهاجي:

هو أول شيخ قرأت عليه في القرويين "الألفية بشرح المكودي"، وحضرت عليه "السلم بشرح القويسني" في المنطق، وافتتح معنا "شرح الخرشي على المختصر" من أوله، وكانت له مكتبة طيبة فيها نوادر المخطوطات، وكان يحبني ويقدرني رحمه الله ولم تكن له رواية.

١٤ - العلامة الشيخ محمد (بفتح الميم الأولى) بن الحاج السلمي:

حضرت عليه "شرح بن عقيل على الألفية" عليه بـ"حاشية السجاعي" وكان يعرف النحو معرف جيدة، ويتعاطى الأدب الشعر.

١٥ - العلامة القاضي الحسين العراقي:

طلبت منه أن يقرأ معنا "جمع الجوامع"، فقرأه معنا، كنت أنا أسرد له ووصلنا فيه إلى «كتاب السنة»، ثم سافرت إلى طنجة، وكنت قد حضرت عليه "تفسير الجلالين" بـ"حاشية الصاوي" وكان محققًا، استفدت منه كثيرًا، وكان فيه دعابة، وابنه كان القيم على خزانة القرويين، هو الذي حقق شرح المؤلف وشرح زكريا الأنصاري على ألفية الحديث، رحمهم الله تعالى.

١٦ - العلامة السيد محمد المكي بن محمد البطاورى:

تلقىٰ عن شيخ الجماعة إبراهيم التادلي، وعمه السيد التهامي البطاوري، من أجل شيوخه علي بن سليمان البوجمعوي صاحب الحواشي علىٰ الكتب الستة وله ثبت مطبوع.

له بعض المصنفات منها شرح علىٰ "لامية الأفعال"، و"التنصيص شرح شواهد التلخيص" و"شرح المقصور والممدود" لابن دريد، و"ظهر الفنون من الجوهر المكنون".

ذهبت إليه أنا وأخي الأكبر في بيته واستجزناه فأجازنا.

ولد سنة (١٢٧٤هـ) برباط الفتح، توفي سنة (١٣٥٥هـ).

١٧ - السيد المهدي بن العربي بن الهاشمي الزرهونى:

كان معروفا بالصلاح ووالده كان شيخًا للجماعة بفاس له ترجمة في "شجرة النور الزكية في طبقات المالكية" والسيد المهدي المذكور يروي عن أبيه عن جده عن السيد مرتضىٰ الزبيدي، لذلك استجزته. وهو والد أمين الفتوىٰ بلبنان الشيخ محمد العربي الزرهوني الشهير بالعزوزي المتوفي سنة (١٣٨٢هـ).

١٨ - الملك إدريس بن محمد المهدي بن العلامة محمد بن على السنوسى الشريف الحسني:

ذهبت إلىٰ منزله بالقاهرة بعد خروجه من ليبيا فرحب بي كثيرًا، وطلبت منه الإجازة فأجازني، وله مشايخ كثيرون ولكني رغبت في روايته عن جده لأنها عالية، فهو يروي عن أبيه عن جده مباشرة.

وجده علّامة وله أثبات متعددة طبع بعضها. وتوفي سنة (١٢٧٦هـ)

بجغبوب وهي واحة في جنوب صحراء ليبيا.

أما السيد إدريس السنوسي فتوفي سنة (١٤٠٤هـ) بالقاهرة و كان قد قارب المائة، دفن بالمدينة المنورة حسب وصيته.

١٩- القاضي المسند الكبير عبدالحفيظ بن محمد الطاهر بن عبدالكبير الفاسى الفهرى:

كان يعرف أسرتنا كثيرًا ويقدرنا، ويثني علي في غيابي كثيرًا، استجزته فأجازني، هو يروي عن مشايخ كثيرون، له "معجم للشيوخ"، "أربعين بلدانية" وغير ذلك.

ومن أعلىٰ أسانيده روايته عن يوسف السويدي العراقي عن السيد مرتضىٰ الزبيدي المتوفىٰ سنة (١٢٠٥هـ)، هو أعلىٰ سند يوجد في الدنيا، ومن عواليه أيضًا روايته عن والده عن عبدالغني الدهلوي المدني، ولد سنة (١٣٠٣هـ) وتوفي سنة (١٣٥٣هـ).

٢٠ - العالم الأثرى الصوفي الشريف أبو القاسم بن مسعود الدباغ:

كان أثريًّا لا يقلد أحدًا يعمل بما صح له عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، كان كتابه الذي يعتمد عليه كثيرا كتاب "الهدي النبوي" لابن القيم، ورغم أنه كان لا يتقيَّد بمذهب لم يكن ينكر علىٰ المقلدين، لا يرميهم بالجهل ولا بالخصومة ولا شيء.

كان هادئ الطبع، حسن الخلق، شديد الحياء، يروي عن مشايخ المدينة كالسيد علي بن ظاهر الوتري، الشيخ فالح بن محمد الظاهري، توفي بمراكش سنة (١٣٥٧هـ) رحمه الله تعالىٰ.

٢١- العلامة المحدث الفقيه السيد محمد بن إدريس القادري الحسني الفاسي:

ولد بفاس وأخذ عن شيوخ عدة، ورحل إلى الحجاز ودخل مصر والشام وحلب وأخذ عن أهلها، واعتنى بعلم الحديث واشتهر به وألف فيه وفي غيره، إلا أن مؤلفاته ناسبت أهل عصره، فهي على طريقة المتأخرين لا على طريقة أهل التحقيق من المحدثين.

له شرح على "الترمذي" وعلى "المدونة" لم يكملا، وله من المؤلفات غير ذلك: "إزالة الدهش والوله عن المتحير في حديث ماء زمزم لما شرب له"، و"الأحاديث المستطابة بما ورد في فضل الدعاء وشروط الإجابة"، و"الخير المدرار على حديث: «**مَن كَذَبَ عليَّ فليَتَبوَّأ مَقْعَدَهُ مِن النَّارِ**»"، و"أقوم المراقي على شرح ألفية العراقي" و"الدلائل في معرفة رجال الشمائل"، و"قول الحق في بطلان حديث: «**إذا حدَّثتم عنِّي بحديث يوافق الحق**»"، و"الكواكب المنتشرة في الأحاديث المشتهرة"، و"مراقي الوصول إلى شرح منظومة الكواكبي في الأصول"، و"النعم المسدلة في حديث البسملة والصلاة والحمدلة"، وغير ذلك، ومصنفاته تنيف على الخمسين.

كان رحمه الله رجلًا صالحًا ذاكرًا، ارتحل في أواخر عمره إلى مدينة الجديدة واتخذها قرارًا له، زرته فيها وسمعت منه حديث الرحمة بشرطه وأجاز لي إجازة عامة، وتوفي سنة(١٣٥٠هـ) رحمه الله وأثابه رضاه.

ثانيًا: شيوخي بتونس:

٢٢- العلامة المحقق في الفنون شيخ جامع الزيتونة الشيخ الطاهر بن

عاشور التونسي المالكي، كتبت إليه من مصر أطلب منه الإجازة فبعث إلي الإجازة مع بعض مؤلفاته، وهو عالم محقق في علوم الآلة وله دراية واسعة بالفقه المالكي، وله تفسير طبع، وهو تفسير جيد، إلا أن له فيه رأيًا في الجن لا يوافق ما عليه المسلمون يراجع في (سورة الرحمن). وستأتي إجازته إن شاء الله.

ثالثًا: شيوخي بمصر:

٢٣- علامة الديار المصرية بلا منازع وشيخ شيوخها بلا مدافع الفقيه المفسر المعقولى الأصولى المتكلم المنطقي الفيلسوفي المحقق المدقق الشيخ محمد بخيت بن حسين المطيعي الحنفي:

ولد في نحو السبعين والمائتين والألف بالقطيعة التي هو غير اسمها بعد ذلك بالمطيعة بالميم، وعائلته مالكية، وهو أول من تحنف منهم، إذ كان مالكيًّا يجيد الفقه المالكي، ولكن عندما جاء الامتحان دخله حنفيًّا من أجل القضاء، برع في العلوم معقولها ومنقولها وتقدم على الأقران، واشتهر ذكره وطار صيته، ووقع عليه الإقبال حتى صار شيخ العلوم بالديار المصرية بل بالشرق أجمعه فكأنه من علماء القرن الرابع أو الخامس.

حضرت دروسه في "الهداية" بالمسجد الحسيني، وفي التفسير بالرواق العباسي بالأزهر، كان يأتي ومعه المصحف وإذا قرأ الآية يستفيض في التفسير، وكان واسع الإطلاع يتكلم على الآية من جهات متعددة، وكان واسع الصدر لا يغضب ممن يسأله، كثير التنكيت، وكان كريمًا يواسي الفقراء، زرته في بيته بحلمية الزيتون مرات، وكان إذا عرض له حديث يسألني في المجلس فأجيبه، استجزته فأجازني وطال عمره حتى كان مدرسو الأزهر جميعًا إما تلامذته أو

تلامذة تلاميذه.

تولى الإفتاء في مصر لفترة، وعرض له حادثة، حاصلها أن شخصا اسمه الأستاذ إبراهيم الورداني قتل رئيس الوزراء في مصر بطرس باشا غالي، وبعد محاكمته حكمت المحكمة بإعدامه، وأحالت أوراقه إلى المفتي -الذي هو الشيخ بخيت- فأبى أن يوافق على إعدامه رغم أنه حنفي، وقال: «لا يجوز قتل مسلم بقبطي»، فاستصدرت الحكومة مرسومًا بإحالته إلى المعاش، وهو أول مُفْتٍ في مصر يُحال إلى المعاش، وكانت العادة أن المفتي وشيخ الأزهر لا يحالان إلى المعاش إلا إذا استقالا، وهذه الحادثة تدل على قوة إيمانه، وأنه لا يراعي الحكومة فيما يناسب شئون الدين.

وتولى عدد من تلاميذه مشيخة الأزهر، ولم يتول هو المشيخة لمعاداته للحكومة، حتى قال مرة بعض العوام بمصر: الشيخ بخيت عالم ولكنه كافر لأنه كان لا يؤمن بحزب الوفد، وكذا كل الأحزاب السياسية، بل كان ضدها فأجمعت على عداوته، له عدة مصنفات مشهورة، توفي في منتصف شعبان سنة (١٣٥٤هـ).

٢٤ - مسند العصر العلامة المعقولى المحقق السيد أحمد بن محمد بن عبدالعزيز بن رافع الحسيني القاسمي الطهطاوي الحنفي:

ولد بطهطا سنة (١٢٧٥هـ) وتلقى علومه عن أكابر علماء مصر كالشيخ محمد عليش، وابنه عبدالله، والشيخ محمد الخضري الدمياطي، والشمس محمد الإنبابي، والشيخ عبدالهادي نجا الإبياري، وكان أكثر ملازمته للشيخ محمد الإنبابي.

اشتغل بالعلوم العقلية اشتغالًا قويًا، وأكب على الاشتغال بالتدريس والتأليف وصنف المصنفات التي تدل على كمال تحقيقه كـ"رفع الغواشي عن معضلات المطول والحواشي" في خمسة مجلدات ضخام طبع المجلد الأول منها، و"كمال العناية بتوجيه ما في قوله تعالى: لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ من أنواع الكناية" في مجلد مطبوع، و"بلوغ المأمول في تفسير: لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ "، وغير ذلك، ولما ذهب إلى الحج اجتمع بالشيخ عبدالستار الصديقي الهندي مسند مكة المكرمة، وتدبج معه، عند ذلك طلب منه أن يكتب له الإجازة، فوعده ولكن بعد عودته لمصر، فلما رجع وشرع في كتابتها مع ذكر الأسانيد، دعاه تحقيقه إلى مطالعة العديد من الأثبات، وعثر على أوهام في أثبات المتأخرين وانقطاعات في الأسانيد، ثم كتب بعد ذلك ثبتا في مجلدين سماه "المسعى الحميد في بيان وتحرير الأسانيد"، ثم حول اسمه إلى "إرشاد المستفيد"، أتى فيه بغرر التحقيقات ونبه على أوهام وقعت لمجيزنا السيد عبدالحي الكتاني في "فهرس الفهارس"، توفي رحمه الله سنة (١٣٥٥هـ).

٢٥- العلامة محمد إمام بن برهان الدين أبي المعالي إبراهيم بن على بن حسن الشبراخومي الشهير بالسقا الشافعي:

ولد سنة (١٢٨٣هـ) وحضر على والده، وعلى الشمس الإنبابي، ومحمد البحيري وابن أخته حسن بن رجب السقا، ومحمد الأشموني، وجماعة.

دخل الامتحان بالأزهر على يد شيخنا الشيخ بخيت، وهو الذي أعطاه شهادة العالمية، ثم ولي التدريس بالأزهر مع الخطابة بمسجد السيدة نفسية، ثم نقل إلى خطابة الجامع الأزهر، ثم لما صدر نظام الأزهر بعدم الجمع بين

وظيفتين اختار التدريس وتنازل عن الخطابة.

كان طويلًا، جميل الصورة، متواضعًا، مقبلًا على شأنه، من درسه إلى بيته، لا يخالط الناس كثيرًا، وكانت له يد طولى في فقه مذهب الشافعي بالإضافة إلى علوم الأزهر، وكان لا يتدخل في السياسة ولا يقرأ الجرائد، توفي في منتصف شعبان سنة (١٣٥٤هـ) في يوم واحد هو وشيخنا الشيخ بخيت رحمهما الله تعالى وصلينا على جنازتهما بالأزهر بعد العصر في وقت واحد، لقيته بعد ما تحول إلى المعاش، وزرته ببيته بالحلمية وأجازني، وأحيانا كان يأتي لزيارتنا.

٢٦- العلامة الفقيه محمد بن إبراهيم الحميدي السمالوطي المالكي:

ولد بصعيد مصر، وحضر للقاهرة لطلب العلم فأخذ عن محمد الخضري، والشمس الإنبابي، والشيخ عليش، وهو عمدته.

كان علّامة في مذهب مالك، متضلعًا من علوم العربية والبلاغة، استمر يدرس بالأزهر ثم بالمسجد الحسيني، وكان مواظبًا على الدرس لا يبطله طول السنة حتى في أيام العطلة الرسمية، حضرت عليه في "سنن الترمذي" بمسجد الحسين عليه السلام، واستجزته بزاوية صغيرة بشارع الصنادقية بالأزهر، وكان منقبضًا منكمشًا عن الناس، وكان من جماعة كبار العلماء بالأزهر، وتوفي رحمه الله سنة (١٣٥٣هـ).

- العلامة محمد بن محمد خليفة الأزهري الشافعي:

ولد سنة (١٢٧٠هـ) في بلدة الصنافين بالشرقية، ولما قدم القاهرة قرأ على أكابر علماء الأزهر، وبعد أن نال الشهادة عين في وظيفة مدرس بالأزهر، كان شيخ الشافعية بالديار المصرية، حافظًا لفروعه مستحضرًا لنصوصه، وكان

صديقًا للعلامة أحمد بك الحسيني واشترك معه في طبع "الأم" للإمام الشافعي، توفي رحمه الله في شوال سنة (١٣٥٩هـ).

استجزته في مسجد الحسين فأجازني، وهو يروي عن محمد الخضري الدمياطي، والشهاب أحمد الرفاعي، والشهاب أحمد المرصفي، وهذا الأخير عن أخيه شمس الدين المرصفي، عن داود القلعي، عن السيد مرتضى الزبيدي.

٢٨ - العلامة أحمد بن محمد بن محمد الدلبشاني الموصلي القاهري الحنفي الضرير: كان من كبار العلماء الأعيان بالأزهر، أخذ عن كثيرين منهم الشيخ أحمد الرفاعي، وأخذ أيضًا عن أبي المحاسن القاوقجي، استجزته بواسطة ابنه لأنه كان لا يخرج لمقابلة أحد لمرضه، توفي رحمه الله في نحو الستين تقريبًا.

٢٩- السيد بهاء الدين أبو النصر بن أبى المحاسن القاوقجى الطرابلسي:

اجتمعت به في بيت أخيه بشارع الصنادقية بقرب الأزهر، واستجزته وأجازني، كان شيخًا لأتباع والده ويسكن مدينة شبين الكوم، وكان لا يقدم للقاهرة إلا في شهر ربيع الثاني لحضور موسم والده، وكان عنده شيء من العلم مع التواضع ودماثة خلقه، توفي بشبين الكوم، رحمه الله تعالى.

٣٠- السيد كمال الدين بن أبى المحاسن القاوقجى:

مات قبل حضوري الأزهر، ولكن أخي السيد أحمد رحمه الله أدركه واستجازه لنفسه ولي، وكان يدرس بالأزهر.

٣١ - العلامة محمد الخضر بن حسين التونسي:

فقيه لغوي متين، ذو خلق حسن وتؤدة، مجاهد في سبيل الله، ولد بتونس سنة (١٢٩٢هـ) وبها نشأ وطلب العلم، ثم درس بجامع الزيتونة، ثم هاجر

إلى المدينة النبوية، فأقام بها مدة ثم ارتحل إلى الشام ثم قدم القاهرة.

تعرفت به في جمعية الهداية الإسلامية بالقاهرة، وكنت أتردد عليها كل يوم جمعة حيث اجتماعهم في ذلك اليوم، وألقيت فيها عدة محاضرات.

وكان يحترمني ويقدرني، ولما كان يرد على الشيخ شلتوت في شخصيات الرسول الأربع التي سرقها من القرافي وادعى فيها أن الرسول تجوز مخالفته فيما حكم به أو أفتى للمصلحة، فرد عليه الشيخ الخضر حسين ردًّا علميًّا، وكان يزورني في بيتي أمده بالأحاديث في موضوع رده.

وعندما جاء إلى مصر بعد الحرب الأولى كان غير معروف لأحد، وحصل أن الملك فؤاد عمل مؤتمر للخلافة بالقاهرة، فكتب الشيخ علي عبدالرازق كتابه "الإسلام وأصول الحكم"، نفى فيه الخلافة وأنها ليست من الدين، فرد عليه الشيخ الخضر حسين، وعلم الملك فؤاد برده فأمر بطبعه وأمر بإعطائه شهادة العالمية، وعين مدرسًا بالأزهر، وفي سنة (١٣٧٠هـ) أصبح عضوًا في هيئة كبار العلماء.

وبعد انقلاب جمال عبدالناصر أرشد الباقوري إلى تعيينه شيخًا للأزهر فعينوه في هذا المنصب وكان من رأيهم أن تتخذ البرنيطة شعارًا للمصريين مثل تركيا وإيران، واستشاروه في ذلك فقال: «هذا لا يجوز»، لكن "مجلة الإرشاد الرسمية" نشرت أنه وافق على اتخاذ البرنيطة شعارًا وقال: «لا بأس بذلك».

فاتصل بهم منكرًا عليهم هذا الكذب، فأفهموه أن الخبر أوحي لهم به، ولا يستطيعون إنكارًا، فاستقال من عمله وذهب إلى بيته، توفي رحمه الله في ١٣ رجب سنة ١٣٧٧.

٣٢- العلامة أبو الوفاء خليل بن بدر بن مصطفى الخالدي المقدسي الحنفي:

وهو من ذرية خالد بن الوليد رضي الله عنه ولد بالقدس سنة ١٢٨٢هـ وطلب العلم في القدس واستانبول ومصر، رأيته بمصر وكنت اجتمع به كثيرًا بمكتبة الخصوصي بالصنادقية، وأخبرني أنه ذهب إلى فاس وأخذ عن كبار علمائها مثل السيد جعفر الكتاني، وشيخ الجماعة أحمد بن الخياط الزكاري، وغيرهم، وأخذ بفاس أيضًا عن السيد علي بن ظاهر الوتري المدني حيث لقيه بفاس.

ورحل كثيرًا إلى البلاد الأوربية فضلًا عن الإسلامية ولكنه كان معجبًا بالمغرب، وأخبرني أن طنجة أعجبته كثيرًا وخصوصًا حي مرشان لإشرافه على البحر، وكان في نيته أن يبيع أملاكه ويذهب إلى طنجة ويقيم بها ولكنه مات في مصر فجأة.

تولى قضاء ديار بكر ثم قضاء حلب سنة ١٣١٩هـ، ثم اختير عضوًا في مجلس تدقيق المصاحف والمؤلفات، وفي أواخر الحرب الأولي أسندت إليه رياسة محكمة الاستئناف الشرعية، ثم انتخب عضوًا بالمجلس العلمي العربي بدمشق.

وفي آخر حياته انتقل إلى القاهرة حيث توفي بها في رمضان سنة ١٣٠٦هـ ورغم علمه وفضله ورحلاته كان غريبًا في مصر، لا يُعرف، حتى إنه لما مات لم يحضر جنازته أكثر من أربعة أو خمسة رجال، ولهذا جاء في الحديث: «**موت الغريب شهادة**». استجزته وأجازني، وكتب لي إجازة بخطه وذكر في إجازته بعض الكتب التي ينصحني بقراءتها، رحمه الله تعالى.

٣٣ – العلَّامة الشيخ محمد دويدار الكفراوي التَّلاوي الشَّافعي:

زرته في بيته بتلا، وأخبرني أنه حضر على الشيخ محمد الأشموني، والشيخ عبدالرحمن الشربيني والشيخ إسماعيل الحامدي محشي "الكفراوي"، والشيخ عيسى القلعاوي، وغيرهم، وكان ينسخ الكتب التي يحضرها على الشيوخ بخطه.

ناولني ثبت العلامة عبدالله الشبراوي بخطه وفيه إجازات أعيان علماء الأزهر بهذا الثبت وبغيره، وأجازني بما فيه وبغيره، وأخبرني أنه يروي بالإجازة العامة عن الشيخ إبراهيم الباجوري الذي أجاز أهل العصر في درس العصر بجامع الأزهر، عندما زرته كان عمره تسعًا وتسعين سنة وكانت صحته طيبة لا يظهر عليه أثر المرض، ثم مات بعدها بثلاث سنوات عن مائة واثنين عامًا.

واستجزته لأخي السيد أحمد، وللسيد الباقر الكتاني رحمهما الله تعالى، توفي سنة ١٣٦١ هـ

٣٤ – العلامة الشيخ طه بن يوسف الشَّعْبِيني الشَّافعي:

أصله مغربي، وهو شيخ الطريقة الشاذلية، أخذ عن أحمد بن محجوب الرفاعي، والشمس الإنبابي. ومن شيوخ الشَّعْبِيني الشيخ عبدالقادر الورديغي الشفشاواني صاحب كتاب "سعد الشموس والأقمار"، وكان إذا جاء مصر ينزل عنده في بيته.

كان رحمه الله متواضعًا حسن الخلق، ويخاطب كل واحد من الناس بـ«سيدي»، زرته مرات وحضرت معه مجالس طيبة في حوش قدم، واستجزته فأجازني.

ولم أر مثله في تواضعه وحسن خلقه في مصر، يزوره العلماء في بيته، ويطعم

الفقراء ثلاث مرات في السنة أو أربعة، وذلك يوم عيد الفطر، ويوم سابع وعشرين رجب، وفي موسم سيدنا الحسين، وفي موسم والده، ويدعو كافة أصحابه من العلماء والأعيان. وله تآليف، منها رسالة في الكلام على رجال أسانيده، وآخر في آداب الذكر، توفي رحمه الله سنة ١٣٧٣هـ.

٣٦ - العلامة الشيخ عبدالمجيد بن إبراهيم بن محمد اللبان:

عالم أزهري متين جدًّا في علوم الأزهر، زُرتُه بمعهد الإسكندرية وكان شيخًا له، وذلك بعد ما نزلنا من الباخرة بيومين، فهو أول شيخ بمصر أجازني، ثم لما عين شيخًا لكلية أصول الدين حصل حادث علمي هام يدل على غيرته وانتباهه ذكرته عند الكلام على مؤلفاتي، وقد خدمته فيه خدمة طيبة فتوطدت أواصر المودة بيننا فكنت أزوره وكان يسر بوجودي ويطمئن لتحقيقاتي، ولما علم حالي في العلم خاصة الحديث اجتهد أن يعينني مدرسًا للحديث عنده في الكلية فلم يستطع لشدة معارضة الشيخ المراغي شيخ الأزهر إذ ذاك.

يروي عن الشيخ سليم بن أحمد فراج البشري شيخ الأزهر، عن محمد الخناني، عن الأمير الكبير بما في ثبته، سمعت منه حديث الرحمة المسلسل بالأولية.

٣٧ - العلامة المؤرخ عبدالواسع بن يحيى الواسعي الصَّنعاني اليمني:

ولد بصنعاء سنة ١٢٩٥هـ وأخذ عن أكابر شيوخها وله شيوخ آخرون بالحجاز والشام ومصر ذكرهم في ثبته المطبوع المسمى: "الدُّر الفريد الجامع لمتفرقات الأسانيد"، اشتغل بالتاريخ وصنف عدة كتب منها: "فضل اليمن ومحاسن صنعاء ذات المنن"، ومنها: "تاريخ حوادث اليمن"، تولى التدريس بصنعاء وكذا الخطابة، وكانت عنده مكتبة مشهورة باليمن، حضر إلى القاهرة

مرارًا، واستجزته بها فكتب لي الإجازة، وشيوخه يزيدون على السبعين، توفي بصنعاء سنة ١٣٧٩هـ رحمه الله.

٣٧ - الأستاذ الفاضل الأديب العالم عويد بن نصر الخزاعي المكي، ثم المصري الشافعي الضرير:

كان رحمه الله يزورنا في بيتنا بالقاهرة ويتردد علينا مرات، وهو مكي الأصل أتى إلى القاهرة للتعليم واستقر بها إلى الممات، وكان رحمه الله لطيف العشرة جميل المذاكرة جم الفوائد يحفظ كثيرًا من النوادر والأشعار والحكايات الأدبية، وكان فقير الحال يتعيش من ريع أوقاف رواق الحرمين بالأزهر وهو شئ ضئيل للغاية، وكان ضرير البصر عالي الهمة لا يشكو الفقر.

يروي عن الشيخ عبدالهادي الإبياري، والشيخ أحمد شرف الدين المرصفي، والشيخ أحمد بناني كلا الفاسي، أخذ عنه لما قدم القاهرة في طريقة إلى الحج، عاش نحو الثمانين أو أزيد وتوفي سنة ١٣٥٢هـ.

٣٨ - الشيخ محسن بن ناصر باحربة اليمني الحضرمي الفقيه الشافعي:

طلب العلم ببلده وبالحجاز ثم قدم القاهرة قبل سنة ١٣٢٠هـ، وانتسب إلى الأزهر ثم أصبح شيخ رواق اليمن بالأزهر، وكان وهو في مصر يقف على تصحيح بعض كتب السادة العلوية الحضارمة، فصحح لهم "عقد اليواقيت الجوهرية" للسيد عيدروس الحبشي وغيره.

زرته أنا وأخي الأكبر السيد أحمد رحمه الله واستجزناه فأجازنا، وذكر أن من شيوخه السيد عيدروس بن عمر الحبشي، والسيد أحمد بن حسن العطاس، كان يعرف الفقه الشافعي معرفة جيدة.

٣٩- محمد بن محمود خفاجة الدمياطي الشافعي شيخ علماء دمياط:

زرته في بيته بدمياط فوجدته قد كف بصره وعليه أمارات الصلاح قاعدًا على سريره وحوله جماعة من أهل العلم يقرأ معهم "تفسير البيضاوي" بحاشية الشهاب الخفاجي.

يروي عن أبي المحاسن القاوقجي، والسيد أحمد بن زيني دحلان، ومحمد أبي خضير الدمياطي، سمعت منه حديث الرحمة المسلسل بالأولية، وكتب لي الإجازة على أوائل شيخه أبي المحاسن القاوقجي، رحمه الله تعالى.

٤٠ - الشيخ عبدالغني طموم الحنفي:

كان صالحًا مشتغلًا بنفسه، يؤم الناس في الصلوات الخمس بالمسجد الحسيني، وكان منعزلًا لا يخرج من بيته إلا للصلاة ثم يعود إليه ولا يتصل بأحد، استجزته فأجازني، وهو يروي عن الشيخين محمد الإنبابي شيخ الجامع الأزهر، والشيخ أحمد الرفاعي شيخ المالكية، رحمه الله تعالى.

٤١ - السيد محمد بن إبراهيم الببلاوي المالكي الفيلسوف:

وهو ابن عم نقيب الأشراف شيخه السيد علي بن محمد الببلاوي، درس بالأزهر "رسالة الزوراء" للجلال الدواني، وهو الوحيد الذي درسها في الأزهر، وكان فليسوفًا، زرته مرات وكانت بيننا مودة كبيرة وكان يحتفي بي كثيرًا حينما أزوره، وكنت أقابله كثيرًا في زاوية الشيخ محمد الحافظ التيجاني بالمغربلين، استجزته فأجازني، وهو يروي عن ابن عمه المذكور، وعن شيخ المالكية الشيخ محمد عليش، والشيخ محمد الخضري، والشيخ محمد الصاوي، رحم الله الجميع.

٤٢ - العلامة الشيخ محمد بن عبداللطيف خضير الدمياطي الشافعي:

ذهبت إليه في دمياط وأجازني لفظًا، وهو يروي عن الشيخ عطية القماش، عن الشيخ إبراهيم الباجوري، ويروي أيضًا عن الشيخ محمد عوض الشريف، عن أبي المحاسن محمد بن خليل القاوقجي بما في أثباته.

٤٣ - العلامة المؤرخ السيد محمد بن محمد زبارة الصنعاني الحسني:

ولد بصنعاء سنة ١٣٠١هـ وقرأ على علمائها ورحل إلى عدة بلاد، وفي مصر كان وكيل الإمام يحيى بالقاهرة.

اعتنى بالتاريخ عناية خاصة وكتب عدة مصنفات في تاريخ اليمن منها "نيل الوطر في تراجم علماء اليمن في القرن الثالث عشر"، و"أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر"، وذيل "للبدر الطالع" للشوكاني وطبع له أخيرًا "نزهة النظر في أعيان القرن الرابع عشر" اقتصر فيه على علماء اليمن.

وطبع وهو في القاهرة كتبا لعلماء اليمن منها "تحفة الذاكرين" و"فتح القدير" و"البدر الطالع" للشوكاني كنا نتقابل كثيرًا بالقاهرة، واستجزته فأجازني، وهو واسع الرواية فيروي عن شيخ الإسلام باليمن الحسين العمري، والقاضي يحيى بن محمد الإرياني، والإمام يحيى بن حميد الدين، والسيد عبدالله الزواوي، ومفتي الشافعية بمكة الشيخ عمر بن أبي بكر باجنيد، وغالب شيوخ الإمام يحيى شيوخ له، توفي بصنعاء في ١٦ محرم سنة ١٣٨٠هـ.

٤٤- العلامة المحقق البارع الشيخ محمود الإمام عبدالرحمن المنصوري الحنفيّ الأزهريّ:

عالم متين جدًّا قلَّ أن تجد نظيره، واسع الإطلاع، أعجبت بشدة تحقيقه

وسعة إطلاعه في علوم المعقول والفقه الحنفي، فتعرفت به وكنت أزوره في بيته بشبرا وأطلعني على مكتبته وهي مكتبة جيدة لم أرها عند أزهري وقلما تجد كتابًا من كتبه إلا وعليه بعض تقريرات نفيسة له، وكان يعيش على مرتبه ومع ذلك فكان شديد الاعتناء بشراء الكتب، فاتفق مع السيد محمد أمين الخانجي رحمه الله أن يمده بالكتب التي يريدها، وفي كل شهر يعطيه جزءًا من مرتبه، وهو الذي صحح "تاريخ ابن كثير" الذي طبعه الخانجي.

ولشدة اعتناءه بالكتب لما علم أن عندنا "تخريج أحاديث الكشاف" للزيلعي طلب مني إعارته إياه لينسخه، كما طلب مني أن أبحث له عن "حاشية ابن سعيد التونسي على الأشموني"، لأنه كان معجبًا بها غاية الإعجاب، فاستحضرتها له من تونس، وكان من عادته أنه إذا أتى للدرس يأتي بالملزمة معه وعليها تقريرات له مهمة جدًّا فلا يدع مسألة إلا ويقرر عليها ويعطي الدرس حقه من البحث والإطلاع على الكتب المتصلة به بحيث يعطي الطالب ملكة الفهم ويعلمه كيفية البحث في كتب العلم وقواعده.

حضرت عليه "تهذيب السعد بشرح الخبيصي" في المنطق فاستفدت جدًّا، فكان لا يدع شيئًا يتصل بالكتاب وشروحه وحواشيه وبالعلم وقواعده إلا أتى به وناقشه وقرره، سمعت منه حديث الرحمة المسلسل بالأولية كما سمعه من الشيخ أحمد الحلواني وكتب لي سنده فيه بخطة وقال: «ليس عندي غيره». رحمه الله وأكرم مثواه.

٤٥- العلامة المتضلع الشيخ محمد زاهد بن الحسن الكوثري:

تعرفت به بالقاهرة وكنا نتقابل يوم الجمعة بمسجد محمد بك أبي الذهب ويوم الاثنين بمكتبة الخانجي وتوطدت بيننا أواصر المودة والصداقة، وكان

يسألني عن بعض الأحاديث التي يُسأل عنها، وكنا مرة عند فضيلة المرحوم الشيخ يوسف الدجوي بعزبة النخل وكان المجلس غاصًّا بالعلماء وغيرهم، وهو يتكلَّم في مسائل علمية متنوِّعة، فوجَّه إليه أحد الحاضرين سؤالًا عن حديثٍ، فوجَّه السؤال إليَّ وقال: «لا يُفتَىٰ ومالك في المدينة» وإذا زرته في بيته بالعباسية وحضرت الصلاة قدَّمني للصلاة بالحاضرين، ولم يتقدَّم قط رغم إلحاحي عليه ولما استجزته ببيته بالعباسية أجاز لي، واستجازني وألح علي أن أجيز له بل بلغ من وثوقه بعلمي أن نشر مقالًا بـ"مجلة الإسلام" يقرظ فيه كتابي: "إقامة البرهان علىٰ نزول عيسىٰ عليه السلام في آخر الزمان"، ولما جمع مقالاته أحد تلامذته الذين استفادوا مني لم ينشر المقال المشار إليه حسدًا منه.

كان الشيخ الكوثري رحمه الله عالمًا بالفقه والأصول وعلم الكلام ومتخصِّصًا في علم الرجال من ناحية معينة، وقرأ في الرجال كثيرًا، خذ مثلًا "الكامل" لابن عدي، قرأه بكامله من أوله لآخره.

وكان له معرفة بالمخطوطات النادرة وأماكن وجودها، واطلع علىٰ الكثير منها، وكنا نعجب بالكوثري لعلمه وسعة إطلاعه وتواضعه، كما كنا نكره منه التعصُّب الشديد للحنفية، حتىٰ كان يقول عنه شقيقنا الحافظ أبو الفيض: «هو مجنون أبي حنيفة».

ولما أهداني رسالته: "إحقاق الحق" في الرد علىٰ إمام الحرمين وقرأتها، وجدته غمز نسب الإمام الشافعي، فلمته علىٰ ذلك الغمز وقلت له: «إن الطعن في الأنساب ليس برد علمي» فاعترف بتعصُّبه.

ولد في ٢٨ شوال سنة ١٢٩٦هـ في قرية قريب استانبول وتوفي بالقاهرة سنة ١٣٧١هـ، رحمه الله وأكرم مثواه.

٤٦- العلامة المحقق محمد بن حسنين بن محمد مخلوف العدوى المالكي:

حضرت عليه "جمع الجوامع" من «باب القياس» إلى أخره، و"الرسالة السمرقندية" في آداب البحث والمناظرة، وسورة الفاتحة بـ"تفسير البيضاوي" بجامع محمد بك أبي الذهب الذي كان يدرس فيه بعد أن ترك الوظائف الإدارية، وكان درسه يحضره عدد من العلماء.

كان عالمًا محققًا في العلوم العقلية ويعرفها جيدًا، وكان على خلق كريم وهو صوفي، اشتغل بعدة مناصب بالأزهر وتدرج إلى أن صار وكيلًا للأزهر، وله مصنفات جيدة في الأصول والمعقولات والتفسير والفقه والتصوف، منها حاشيته المشهورة على "شرح السجاعي" على نظم المقولات، و"بلوغ السول في مدخل علم الأصول" و"التبيان في زكاة الأثمان"، ورسالة في حكم ترجمة القرآن ورسالة في التوسل، وكلها مطبوعة، وكذلك "القول الوثيق في الرد على أدعياء الطريق" ألفها بسؤال بعض المغاربة من أصدقائه، ورسالة أخرى في خصوص مسألة الفاتحة وادعاء كونها من كلام الله القديم.

ولد ببلدة بني عدي في الصعيد سنة ١٢٧٧هـ وأخذ عن الشهاب أحمد الرفاعي والشيخ حسن الطويل، والشيخ محمد الإنبابي، والشيخ محمد السروجي، والشيخ حسن العدوي الحمزاوي،وتوفي رحمه الله تعالى سنة ١٣٥٥هـ.

وكان عضوًا في هيئة كبار العلماء، وهيئة كبار العلماء كانت مكونة من أربعين عالمًا، يختارون من كبار علماء الأزهر وتكون مهمتهم بحث المسائل العامة وتحرير مؤلفات فيما يخص العالم الإسلامي من رد على شبه أو تحقيق بحوث فقهيه أو غير ذلك، وكانت تسمى هيئة كبار العلماء ثم أسماها المراغي

جماعة كبار العلماء.

ومن هذه الجماعة الذين لهم مؤلفات كثيرة الشيخ بخيت، والشيخ مخلوف، والشيخ الدجوي، وكان المعتاد أن ينتخب شيخ الأزهر من أحدهم ويبعث باسمه إلى قصر عابدين فيخرج المرسوم بتعيينه شيخًا للأزهر، وبعد انقلاب جمال قضي على هذا النظام مع الأزهر جميعًا.

٤٧ - الشيخ العلامة عبدالمجيد الشرقاوي وهو من ذرية الشيخ العلامة عبدالله بن حجازي الشرقاوي: صاحب المؤلفات العديدة، ومنها شرحه على "مختصر الزبيدي" قرأت عليه "شرح الخطيب الشربيني لمتن أبي شجاع" من أوله إلى أخره، وذلك بعد صلاة العصر بجامع الأزهر لمدة سنتين كان يتقن فقه الشافعية إتقانًا ما عليه مزيد، ويتوسع في الشرح تمامًا، حتى يفهم جميع الطلبة الدرس، وكان صالحًا ضعيف الحال.

٤٨ - العلامة الشيخ محمد عزت:

كان مأذونًا، وفي نفس الوقت محققًا في الفقه الشافعي، بالإضافة إلى معرفته بعلوم الأزهر معرفة جيدة، وكان يدرس "المنهج" في الفقه الشافعي لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري في القسم العالي بالأزهر، حضرت عليه شرحه للمصنف -الربع الأول- المسمى "فتح الوهاب".

٤٩ - العلامة يوسف بن إسماعيل بن يوسف النبهانى الشافعي:

رئيس المحكمة الشرعية العليا في بيروت، تعلم في الأزهر فأخذ كما في ثبته "هادي المريد بطرق الأسانيد" عن البرهان السقا، والشمس الإنبابي، وعبدالهادي نجا الإبياري. وله مشايخ من خارج الأزهر، ومنهم محمد بن

محمد الخاني، وعبدالله السكري، وغيرهما. وله مصنفات معروفة توفي رحمه الله سنة ١٣٥٠هـ.

ثالثًا: شيوخي بالحجاز:

٥٠- الشيخ العلامة المسند الرحلة عمر حَمْدان بن عمر بن حَمْدان المحرسي التونسي ثم المدني:

ولد بمحرس في تونس سنة ١٢٩٢هـ، ثم هاجر به والده إلى المدينة المنورة، فأخذ عن شيوخها، منهم سيدي محمد بن جعفر الكتاني، والسيد علي بن ظاهر الوتري، والشيخ فالح بن محمد الظاهري، والسيد أحمد بن إسماعيل البرزنجي وغيرهم.

رحل كثيرًا فدخل الشام ومصر وتونس والجزائر والمغرب واليمن، وله مشايخ في كل هذه البلاد، كانت له عناية بإقراء الحديث النبوي وكان يعني بالدليل رغم أنه مالكي، وكان يعرف علوم العربية كلها معرفة جيدة جدًّا، ومع علمه كان طارحًا للتكلف مقبلًا على الذكر والدعاء وتلاوة القرآن، ذا بذاذة في ملابسه، يحب العلماء كثيرًا ويحث الطلاب على الاجتهاد، وكانت له مكتبة كبيرة فيها نوادر المخطوطات، وأحيانًا كان يبيع ويشتري الكتب، توفي رحمه الله في المدينة المنورة سنة ١٣٦٨هـ.

٥١- العلامة الشيخ عبدالقادر توفيق الشلبي الطرابلسي ثمَّ المدني الحنفي:

ولد بطرابلس الشام سنة ١٢٩٥هـ وبها نشأ، وفي سنة ١٣١٧هـ انتقل إلى المدينة، ومن شيوخه الشيخ حسين الجسر الطرابلسي صاحب "الرسالة الحميدية"، والشيخ خليل صادق، والشيخ عبدالرحمن الرافعي، والسيد محمد بن

جعفر الكتاني، والشيخ محمد بن سليمان المكي، وغيرهم.

كان ورعًا متواضعًا كثير الإنصاف، يساعد الطلاب بالمال والنصائح، وكان مرجع العلماء في الفقه الحنفي في المدينةو توفي رحمه الله بالمدينة سنة ١٣٦٩

٥٢- العلامة المعمر السيد محمد المرزوقي بن عبدالرحمن أبو حسين المكي الحنفي:

ولد بمكة المكرمة سنة ١٢٨٤هـ وأخذ عن علمائها، منهم الشيخ محمد صالح كمال، والشيخ محمد عبدالحق الهندي محشي "النسفي" والشيخ عثمان بن عبدالسلام الداغستاني، وغيرهم.

كان يدرس بالحرم المكي، وكانت له عناية خاصة بالفقه الحنفي والأصول وله معرفة جيدة بالأدب، وتولى القضاء لفترة، توفي بمكة المكرمة ١٣٦٥هـ.

٥٣- الشيخ صالح بن الفضيل التونسي ثم المدني الحنفي:

استجاز لي منه صديقنا الشريف الجليل محمد الباقر الكتاني.

٥٤- العلامة المسند الراوية المعقولي عبدالباقي بن ملا علي بن ملا محمد معين اللكنوي الأنصاري المدني الحنفي:

ولد بلكنو في الهند سنة ١٢٨٦هـ، وطلب العلم عن شيوخ بلده، وبرع صغيرًا في فنون المعقول، واعتنى بإجازة بعض الشيوخ بالهند، ثم رحل إلى الحجاز واستجاز أيضًا جماعة، وهاجر إلى المدينة فاستوطنها سنة ١٣٢٢هـ.

ودرس بالحرم النبوي، ولما أعلنت الحرب العظمى انتقل مع جملة الخارجين منها إلى دمشق وبقي بها ثلاث سنوات، ولما رجع إلى المدينة لزم بيته

لا يخرج إلا للصلوات الخمس في المسجد النبوي، وأخذ يدرس العلوم في منزله.

له عدة تصانيف منها "المناهل السلسلة في الأحاديث المسلسلة"، و"الإسعاد بالإسناد"، و"تحفة الأماجد بحكم صلاة الجمعة في المساجد"، و"الحقيقة في العقيقة" وغير ذلك.

وهو يروي عن شيوخ كثيرين من أجلهم ابن خالته علامة الهند عبدالحي اللكنوي، وعبدالرزاق بن أحمد بن علاء الدين الأنصاري اللكنوي، وعباس بن جعفر صديق المكي، وتحمّل المسلسلات بأعمالها القولية والفعلية عن المسند صالح بن عبدالله السناري، ومن مشايخة بدمشق أبو الخير أحمد بن عابدين الدمشقي الحنفي، توفي رحمه الله سنة ١٣٦٤هـ بالمدينة المنورة.

٥٥- الشريف أحمد التِّبر المغربي الفَاسي:

أجازني وصافحني وألبسني الطاقية كما فعل معه الشيخ عبدالقادر بن سودة.

٥٦- مُسْنِد العَصرِ العلَّامة الشيخ محمد ياسين الفاداني المكي:

أجزته وأجازني، فتدبجنا.

رابعًا: شيوخي بالشام:

٥٧- العلامة الفاضل الشيخ محمد سعيد بن أحمد الفرا الدمشقي الحنفي:

هو سبط العلامة ابن عابدين الفقيه الحنفي المشهور، كان له سند عال في الاتصال بجده المذكور، وهو أحد من أخذ عنه سيدي محمد بن جعفر الكتاني، وهو يروي عن جده لأمه المذكور علاء الدين عابدين عن والده محمد أمين بن عمر عابدين بما في ثبته ولما وقعت الفتن بين الدروز وأهل الشام والفرنسيين

نزل إلى بيروت، وكانت وفاته بها سنة ١٣٤٥هـ.

٥٨- العلامة الزاهد الورع بدر الدين بن يوسف بن بدر الدين بن علي بن شاهين البيباني الدمشقي:

شيخ دار الحديث بدمشق، ولد بدمشق، وطلب العلم بالأزهر على الشيخ إبراهيم السقا وطبقته، إلا أنه لم يستجز أحدًا من علماء الأزهر إلا شيخه السقا الذي كان يسند من طريقه في إجازته لمستجيزيه، كان علَّامة فقيهًا شافعيًّا، علومه التي له اليد الطولى فيها المعقولات غير أنه اشتهر بالمحدث الأكبر وليس كذلك، وسبب اشتهاره هو مجلس إملائه الذي يمليه يوم الجمعة تحت قبة النسر نحو أربعين سنة فاشتهر لذلك بالمحدث، وهو عن الحديث بعيد، إنما كان يستحضر لمجلس إملائه يوم الجمعة أحاديث يمليها بأسانيدها وفيها الضعيف والواهي والموضوع.

وقد حضر أخي أبو الفيض مجالسه فوجده كذلك، فاستغرب لذلك جدًّا، وسأل شيخه سيدي محمد بن جعفر الكتاني فقال له: سيدي بدر الدين علومه هي علوم الآلة والفقه الشافعي، كان يخرج من منزله قبيل الفجر إلى دار الحديث فيصلي بها الصبح ثم يدخل غرفته ويستمر ويدرس بها إلى الغروب، وكان يصوم الدهر ولا يفطر إلا العيدين وكان ورعًا وزاهدًا كثير الذكر والصلاة على النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لا يفتر لسانه عن ذلك، ولا يخوض في أمور الدنيا ولا أخبارها، وعمر طويلًا حتى صار علماء الشام كلهم تقريبًا تلامذته، وله كرامات، ولد بدمشق سنة ١٢٦٧هـ وتوفي سنة ١٣٥٤هـ، رحمه الله وجعل الجنة مثواه.

٥٩- الأستاذ الشيخ عبدالجليل بن سليم الذرا الدمشقي:

أخذ عن سيدي محمد بن جعفر الكتاني، وعن بعض علماء الحجاز، منهم السيد أحمد بن إسماعيل البرزنجي، والشيخ أبو الخير أحمد بن عثمان المكي، ومجيزنا عبدالباقي اللكنوي، وآخرون.

٦٠- العلامة المؤرخ محمد راغب بن محمود الطباخ الحلبي الحنفي:

عالم فاضل له عناية بالتاريخ وصنف في ذلك كتبا منها "إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء" وهو مطبوع، استجزته لي ولأخي السيد أحمد فأرسل لنا الإجازة، وهو يروي عن شيوخ كثيرين ذكرهم في ترجمته التي كتبها في نهاية كتابه "مختصر الأثبات الحلبية"، منهم محمد شرف الحق الهندي، والسيد كامل الهبراوي، والشيخ محمد رضا الزعيم، والشيخ طاهر الجزائري، توفي رحمه الله في رمضان سنة ١٣٧٠هـ.

٦١- العلامة الشيخ عطاء بن إبراهيم بن ياسين الكسم الدمشقي الحنفي:

وهو يروي عن شيوخ كثيرين منهم عبدالله بن درويش السكري، وحسن العدوي الحمزاوي وسليم العطار، رحمهم الله جميعًا.

٦٢- ومن النجف شيخي هبة الدين الحسيني الشيعي.

خامسًا: شيوخي من النساء:

أم البنين آمنة بنت عبدالجليل بن سليم الذرا الدمشقية:

سيدة فاضلة، لها رواية واسعة، وأجازت لي باستدعاء أخي السيد أحمد، وهي ابنة مجيزنا عبدالجليل الذرا المذكور، تروي عن السيد أحمد البرزنجي، والشيخ عبدالجليل بن عبدالسلام برادة، والشيخ أحمد بن عثمان المكي وغيرهم.

فصل: تلامذتي

لي تلاميذ كثيرة في مصر وغيرها من البلاد الإسلامية، منهم قضاة ومفتون وأئمة وخطباء وأذكر من أعيانهم عدة، منهم إخوتي:

١- السيد الزمزمي.

٢- والسيد عبدالحي.

٣- والسيد عبدالعزيز.

٤-والسيد الحسن.

٥- والسيد إبراهيم .

ومن غيرهم:

٦- السيد المنتصر الكتاني، وهو تلميذ عاق، عفا الله عنه وشفاه.

٧- والشيخ علي جمعه المصري، عالم فاضل، كريم الخلق، حصل على الدكتوراة بتفوق.

٨- والشيخ صالح الجعفري رحمه الله، حجَّ اثنتين وخمسين مرة، وكان من الصالحين، له كرامات ومكاشفات.

٩- الشيخ محمد الحامد الحموي رحمه الله كان من العلماء العاملين بعلمهم، شديد الاتباع للسنة، وَرِعًا طاهر السريرة، وأنا أفتخر به.

١٠- الشيخ عبدالفتاح أبوغدة، الأستاذ بجامعة الرياض، والمعروف بتحقيقاته القيمة، وله اطلاع كبير.

١١- الشيخ محمد عوامة، له أيضًا تحقيقات قيمة.

١٢- الشيخ محمد علي مراد الحموي، عالم فاضل.

١٣- الشيخ عبدالعزيز عيون السود رحمه الله كان أمين الإفتاء بحمص.

١٤- الدكتور فاروق حمادة، الأستاذ بكلية الشريعة بفاس، له مؤلفات وتحقيقات مهمة، وله بحوث في الحديث قيمة، نسأل الله له المزيد من فضله.

١٥- الشيخ حمدي أصلان جافا الألباني، تخرج من الأزهر، وهو مقيم بمصر لأن بلده صارت شيوعية، وأخوه نهاه عن العودة إليها.

١٦- والشيخ محمود حسن الشيخ إمام وخطيب بالكوم الأحمر من قرىٰ الجيزة بمصر.

١٧- والدكتور حنفي حسنين، مدرس بالأزهر.

١٨- والشيخ حسين البتانوني مدرس بالأزهر.

١٩- والشيخ عبدالوهاب عبداللطيف، وكيل كلية الشريعة لازمني كثيرًا واستفاد مني، وقد وضعت اسمه علىٰ كتاب "تنزيه الشريعة"، مع أنه لم يكتب في تحقيقه كلمة بل كان يكتب ما أملي عليه فوضعت اسمه مجاملة له لأنه كان صديقًا ومحبًّا ومستفيدًا، رحمه الله تعالىٰ.

٢٠- والشيخ محمود سعيد؛ تلميذ نابه له تحقيقات في علم الحديث تدل علىٰ قوة فهمه وشفوف نظره.

فصل: كنيتي

لي عدة كنىٰ، ذلك أني كنيت نفسي بأبي الفضل لأنها كنية ثلاث حفاظ أحبهم، العراقي وابن حجر والسيوطي، وكنَّاني أخي في إجازته لي بأبي المجد، وكنَّاني القاضي عبدالحفيظ الفاسي بأبي سالم، وكنَّاني صديقي العالم الفاضل سيدي محمد الباقر الكتاني رحمه الله بأبي السَّنَاء.

فصل: مؤلفاتي

أول ما كتبت من المؤلفات "شرح الآجرومية"، كتبته في سن الطلب، وسماه أخي "تشييد المباني لتوضيح ما حوته الآجرومية من الحقائق والمعاني" غير أنه ذكر في "البحر العميق"، أنه كتب شرحًا للآجرومية لم يتم، وأن شرحي إكمال له، وهذا غير صحيح، فإني لم أر له شرحًا علىٰ "الآجرومية"، ولا ذكره لي فكيف أكمل شرحًا ما عرفته ولا رأيته؟!.

وفي مصر سئلت عن تقبيل اليد، وسمعت من يقول: «أنه سجدة صغرىٰ»، فكتبت جزء "إعلام النبيل بجواز التقبيل" طُبع مرتين.

ووجدت "منهاج البيضاوي" يدرس بالأزهر، فخرجت أحاديثه في كتاب سميته: "الابتهاج بتخريج أحاديث المنهاج ".

وسئلت عن التوسل، فكتبت فيه جزءًا سميته "إتحاف الأذكياء بجواز التوسل بالأنبياء والأولياء".

وفي سنة ١٩٥٣م كثر الانتحار بمصر في الشبان والفتيات وبعض الرجال يلقون أنفسهم في النيل بسبب السقوط في الامتحان، أو فشل في الحب أو

الزواج أو مشاكل عائلية، فكتبت جزءًا سميته "قمع الأشرار عن جريمة الانتحار" وبعثت به إلى مولانا الإمام الوالد رضي الله عنه، فاستحسنه وقال لي: فاتك نصوص كثيرة في الموضوع، لكن ما ذكرته مفيد.

وجرَّدت الأحاديث المرفوعة من كتاب "الشكر" لابن أبي الدنيا، فجاءت ستة وأربعين حديثًا، شرحتها وسمَّيتها "الأربعين الغمارية في شكر النعم" طبعت مع "قمع الأشرار" في جزء واحد.

واطلعت على كتاب يسمى: "القول المبين في حكم دعاء ونداء الموتى من الأنبياء والصالحين" لواعظ اسمه الشيخ محمد مخيمر، فوجدت فيه أغلاطًا كثيرة وتحريفًا في النقول، وجرأة على الكلام في التفسير بغير علم، فكتبت ردًّا عليه سميته "الرد المحكم المتين على كتاب القول المبين" طبع، ورآه المردود عليه ولم يستطع أن ينقضه، ولما رآه صديقي الشيخ عبدالوهاب عبداللطيف، قال: هذا كتاب ممتلئ بالقواعد والفوائد. وهكذا أعجب به كل من رآه.

وعزم الشيخ سليمان الوكيل صاحب مطبعة دار التأليف على إنشاء مشروع كتاب الشهر، وطلب مني أن أسهم معه بكتب شهرية فكتبت له: "سمير الصالحين" جزءين، و"فضائل القرآن" جزءين.

وكان شعبان فكتبت "حسن البيان في ليلة النصف من شعبان"، ثم كتبت "غاية الإحسان في فضل شهر رمضان".

وسمعت الشيخ محمود شلتوت يلقي محاضرة في الراديو ذكر فيها أن التداوي بالأذكار والآيات يعتبر من قبيل الدجل، فكتبت جزءًا سميته "كمال الإيمان في التداوي بالقرآن" طبع مرتين.

وبعث قادياني إلى الأزهر، يسأل: هل سينزل عيسى؟ وما حكم من ينكر نزوله؟، والقاديانيون ينكرون نزول عيسي، وغرضه بهذا السؤال أن ينتزع من الأزهر ما يرد به على المسلمين الذين يعارضون القاديانية في الهند، فحوَّل الشيخ المراغي سؤال القادياني على الشيخ محمود شلتوت، فكتب الجواب على وفق مراد السائل؛ أنكر نزول عيسى وزعم دعاوى أبطلْتُها في كتاب "إقامة البرهان على نزول عيسى في آخر الزمان" طبع.

وقدَّمْتُه إليه في بيته ثم أصر على الإنكار في مقالات نشرها بـ"مجلة الرسالة"، فأردفته بكتاب "عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه السلام" طبع، وقدمته إليه في بيته أيضًا.

وأخبرني صديقي الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي أنه رأى في "مجلة صوت أمريكا" مقالًا للشيخ محمود شلتوت، ذكر فيه أن الإيمان بالله واليوم الآخر ينجي صاحبه يوم القيامة، ولا حاجة إلى الإيمان بالنبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وبنى على ذلك أن أهل الكتاب ناجون يوم القيامة، فكتبت ردًّا عليه جزءًا سميته "التحقيق الباهر في معنى الإيمان بالله واليوم الآخر".

وسمعت محاضرة ألقاها الدكتور محمد البهي في الراديو، زعم فيها أن إرسال النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى الجن دليله ظني، فكتبت في الرد عليه جزءًا سميته "قرة العين في أدلة إرسال النبي إلى الثقلين" بينت فيه قطعية إرساله إلى الجن بالقرآن، والسنة المتواترة، وإجماع الأمة.

وظهر بين أساتذة الجامعة وطلبتها مقالة أن الخمر لم يحرمها القرآن كما حرم الخنزير بقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ﴾ [المائدة: ٣]

وإنما قال: ﴿فَٱجۡتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩٠]، فكتبت ردًّا عليهم جزءًا سميته "واضح البرهان على تحريم الخمر في القرآن" بيَّنتُ فيه دلالة القرآن على حرمة الخمر من عدة وجوه في عدة آيات، وتعرضت لحرمة المخدرات، طبع مريتن.

وكان الشيخ محمد مخيمر زعم في كتابه أن حديث: «حياتي خير لكم» لا أصل له فكتبت جزءا في تصحيحه، سميته "نهاية الآمال في صحة حديث عرض الأعمال"، طبع.

وأرسلته لأخي فأثنى عليه كثيرًا، ورأيت الألباني ذكره في الأحاديث الضعيفة، وأخطأ، وانحرف عن القواعد التي استعملها في تصحيح أحاديث توافق هواه، وهو صاحب هوى وابتداع وزيغ.

وطلب مني صديقي الأستاذ الفاضل الشيخ محمد عمارة أن أكتب مؤلفًا في الكرامات، فكتبت "الحجج البينات في إثبات الكرمات".

وسألني شاب من بورسعيد اسمه طاهر محمد مخاريطة عن الاستمناء، فأجبته بمقال في "مجلة الإسلام"، ثم كتبت جزءًا سميته: "الاستقصاء لأدلة تحريم الاستمناء".

وكتبت "نهاية التحرير في حديث توسل الضرير".

وفي إحدى زياراتي للإسكندرية، طلب مني الشيخ مصطفي الجعفري رحمه الله أن أكتب مزجًا للصلاة المشيشية، فكتبته، وسميته: "المعارف الذوقية في أذكار الطريقة الصديقية" وجعلته وظيفة للصديقيين هناك، وهو مطبوع.

وكتبت جزء "الأحاديث المنتقاة في فضائل رسول الله" اخترت ثلاثة وأربعين حديثًا في فضائله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وشرحتها.

لكن وقع لي فيه خطأ كبير، ما كنت أحب أن يقع؛ نقلت حديثًا من "الخصائص الكبرىٰ"، ولم أبحث في رتبته ثقة بالسيوطي الذي زعم أنه صان ذلك الكتاب عن الأخبار الموضوعة، ثم وجدته في الموضوعات منصوصًا علىٰ وضعه من السيوطي نفسه، فغضبت غضبًا شديدًا، وكرهت من السيوطي هذا التساهل القبيح الذي يوقع من يقلده في أسوأ الأثر، وأظنه يأثم علىٰ ذلك لا محالة، والحديث المذكور هو الحديث السادس من "الأحاديث المنتقاة"، فليضرب عليه من كان عنده ذلك الكتاب.

وكتبت جزء "الأربعين الصِّدِّيقية في مسائل عامَّة اجتماعية".

وطلب مني صاحب مطبعة دار التأليف أن أكتب له قصص الأنبياء، بأسلوب واضح، فكتبت "قصة آدم"، و"قصة إدريس"، و"هاروت وماروت"، ثم عرض ما منع الاستمرار فيها، وخرجت أحاديث "اللمع في الأصول".

فصل: مؤلفاتي في السجن

أدركني ظلم جمال عبدالناصر كما أدرك كثيرًا من العلماء فمكثت في السجن أحد عشر عامًا كاملة من ١٥ ديسمبر سنة ١٩٥٩ إلىٰ ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٦٩، فكتبت في السجن مع التشديد والتضييق عدة كتب هي: " فضائل النبي في القرآن"، "النفحة الإلهيَّة في الصلاة علىٰ خير البرية"، "سمير الصالحين"، "القول المسموع في الهجر المشروع"، "جواهر البيان في تناسب سور القرآن"، "بدع التفاسير"، "تمام المنَّة في بيان الخصال الموجبة للجنة"، "خواطر دينية"، "الأحاديث المختارة"، "الكنز الثمين في أحاديث النبي الأمين"، وهذه الكتب طبعت كلها ولقيت إقبالًا من القراء والحمد لله.

غير أن كتاب "الكنز الثمين"، لست راضيًا عنه، لأني كتبته في حال تضييق وتشديد كما سبق، وعدم وجود مراجع، فجاءت فيه أحاديث ضعيفة كثيرة، ورد الألباني عليه لم يأت فيه بجديد، وإنما حمله عليه محبة أن يقال رَدَّ على الغماري، وحب الظهور قاسم للظهور كما قال السادة الصوفية، ولو وجدت فراغًا لنقحته وهذبته، وحذفت منه ما فيه من الضعيف.

وكتبتُ "إتحاف النبلاء بفضل الشهادة وأنواع الشهداء" في السجن أيضًا وكانت مدة السجن محنة فيها منحة بتأليف هذه الكتب، هذا ما كتبته في مصر سوى ما علقته على بعض الكتب، وبيانه فيما يأتي:

١- تعليق على "المقاصد الحسنة".

٢- تعليق على كتاب "أخلاق النبي" لأبي الشيخ ابن حيان.

٣- تعليق على كتاب "الحبائك في أخبار الملائك" للسيوطي.

٤- تعليق على "تنزيه الشريعة"، وكتبت اسم الشيخ عبدالوهاب عبداللطيف مجاملة، مع أنه لم يكتب فيه حرفًا ولا كلمة، بل كان يكتب ما أملي عليه من تعليقات.

٥- تعليق على كتاب "الإرشاد" لابن عساكر في الفقه المالكي، وهذا التعليق راج كثيرًا في إفريقيا، وطبع مرات.

٦- تعليق على "شرح الأمير لمختصر خليل"، وهذا الشرح على نمط المحلي في شرح "جمع الجوامع".

٧- تعليق على "بداية السول في تفضيل الرسول" لعز الدين بن عبدالسلام.

٨- تعليق على "بشارة المحبوب بتكفير الذنوب" للقابوني.

٩- تعليق على رسالة ابن الصلاح في وصل البلاغات الأربعة.

١٠- تعليق على كتاب "النصيحة في الأدعية الصحيحة" للمقدسي، لقي رواجًا وطبع مرات.

١١ - تعليق على "مسند أبي بكر" للسيوطي.

١٢- تعليق على "مسند عمر"، له.

١٣- تعليق على "مسند عثمان"، له أيضًا.

١٤- وطبع بمصر رسالة الحافظ ابن رجب في "تحقيق كلمة الإخلاص"، بتعليق الشيخ محمود خليفة والشيخ أحمد الشرباصي، ووقع في تعليقيهما أوهام نبَّهْتُ عليها في رسالة سميتها "أسباب الخلاص من الأوهام الواقعة في تحقيق كلمة الإخلاص"، طُبِعَت بمطبعة دار التأليف.

١٥- تعليق على "فيض الجود على حديث شيبتني هود" للشيخ عبدالعزيز الزمزمي المكي، طبعة الشيخ منير الدمشقي.

١٦- تعليق على كتاب "الباهر في حكم النبي بالباطن والظاهر" للسيوطيِّ.

١٧ - تعليق على كتاب "نتيجة الفكر في الجهر بالذكر" للسيوطي أيضًا.

١٨- تعليق على "تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية" للسيوطيِّ أيضًا.

١٩- تعليق على كتاب "الخبر الدال على وجود الأقطاب والأبدال" للسيوطيِّ أيضًا.

٢٠- تعليق على كتاب "قوة الحِجَاج في عموم المغفرة للحُجَّاج" للحافظ

ابن حجر، وكتبت اسم الشيخ عبدالوهاب عبداللطيف مجاملة له أيضًا.

٢١- تعليق على كتاب "الاستخراج لأحكام الخراج" للحافظ ابن رجب.

ونشرت كتبًا أخرى لم أعلق عليها منها:

- كتاب "الإكليل في استنباط التنزيل" للسيوطي.

- وكتاب "تبيين العجب فيما ورد في رجب" للحافظ ابن حجر.

ووضعت بعض المطابع اسمي على كتاب "الشرح الكبير" في فقه المالكية بغير علمي.

وكذا وضع اسمي على كتاب "الأذكياء" لابن الجوزي بغير علمي أيضًا لضمان رواجه، ووضع اسمي أيضًا على كتاب "آكام المرجان في أحكام الجان".

فصل: مؤلفاتي بالمغرب

لما رجعت من مصر سنة ١٣٨٩هـ، كتبت مؤلفات لمناسبات اقتضيت كتابتها، فألفت كتاب "الرؤيا في القرآن والسنة".

وكتبت جزء "البيان المشرق لوجوب صيام المغرب برؤية المشرق".

والمغاربة لا يعملون برؤية مصر وغيرها مع أنهم مالكية، ومذهب مالك أن ثبوت الرؤية في بلد يعم البلاد كلها إلا البعيدة جدًّا، قال ابن عبدالبر: «كالأندلس وخراسان»، وإنما يتمسكون بمذهب مالك في ترك القبض، مع أنهم لم يفهموا كلام مالك كما بينته في جزء "الحجة المبينة لصحة فهم عبارة المدونة".

ووجدت أخي الزمزمي يطبع ورقة ويوزعها في آخر شعبان، يعترض فيها على الذين يصومون مع مصر ويورد عليهم إشكالًا يزعم أنه لا حل له،

فكتبت جزءا سميته "التنصل والانفصال من فضيحة الإشكال" فلم يعد إلى توزيع تلك الورقة، وطبعته بطنجة.

و"البيان المشرق" ردٌّ عليه أيضًا كتبته بالسجن في مصر، وأرسلته إليه، فكتب ردًّا عليه سماه: "الرد المقلق".

وأسجل هنا مع الأسف أن أخي شديد العقوق.

ولابد أن أسجل هنا ملاحظة هامة، وهي أن المشارقة يقبلون كلام من يرد عليهم برحابة صدر؛ رددت على الشيخ محمود شلتوت، ورد عليّ، وكنا نتقابل كأن لم يكن بيننا شيء، وكان يقول لي: «العلم صلة بين أهله، والخلاف بيننا في الرأي لا يفسد الصلة».

وكان بيني وبين عبدالله القصيمي النجدي معركة حامية في المجلات، وكنا مع ذلك نلتقي ونتجاذب أطراف الحديث، حتى أنه عرض علي مرة أن أنضم إليهم وقال لي: «أنت محدث ومطلع، وانضمامك إلينا ينفعنا، فانضم وأنا أضمن لك ثلاث حاجات:

١- الحج على نفقة الحكومة السعودية.

٢- مرتب شهري.

٣- إقامة حفلة في الكونتيننتال تكريمًا لك، يُدعى لها العلماء والأعيان.

فرفضت هذا العرض.

وكان بيني وبين الشيخ سيد على الطوبجي معركة دامت أكثر من سنة، وبعدها تعرف عليَّ وسلَّم علي بحرارة كما سبق.

وهكذا كان الحال في مصر يختلف العلماء والأدباء والكتاب، وتشتد لهجة

الرد أحيانا، ولا يحصل بينهم تقاطع ولا عداء ومن الأمثال الشائعة عندهم: «اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية».

فلما رجعت إلى المغرب وجدت الأمر يختلف تمام الاختلاف، إذا رددت على شخص اعتبرك عدوه وقذفك بسيل من الشتائم وقاطعك وحقد عليك، لأن المغاربة عندهم نقص في التفكير، ولهذا يعتقد الواحد منهم ولو بلغ في العلم أو الأدب درجة كبرى أن من يرد عليه فقد أسقط منزلته وسجل عليه الجهل، ولا يخطر بباله أن الإنسان عرضة للخطأ وأن مخالفة غيره لرأيه لا تسقط منزلته ولا تثبت له جهلًا.

فالعالم أو الأديب إذا أخطأ في مسألة أو مسائل لا ينقص ذلك من قدره، ونحن نجد كثيرًا من الأئمة أخطأوا ورتبتهم محفوظة ومقامهم عظيم لكن هذا كله غير معروف في المغرب وغير معمول به.

ولما كنا بمصر كتب أخي الزمزمي رسالة في تحريم حلق اللحية، وكان يعرض عليَّ ما يكتبه منها فأصحح له بعض العبارات، وحين أتمها سميتها له: "تنبيه أولي البصائر على أن حلق اللحية من الكبائر"، وكنت أفهم إذ ذاك أن كل محرم كبيرة، ولا أعرف الفرق بين الصغيرة والكبيرة.

ثم تمكنت في علم الأصول ومعرفة القواعد فعلمت الفرق بينهما بأن مجرد التحريم لشيء يقتضي أنه معصية صغيرة وإذا اقترن التحريم بحد أو وعيد كانت المعصية كبيرة، وأدركت غلطي في تسمية تلك الرسالة لأن اللحية ثبت الأمر بإعفائها ولم يثبت في حلقها وعيد، فيكون صغيرة.

ولما رجعت إلى المغرب وجدت أخي مصرًّا على أن حلق اللحية كبيرة وزاد

على ذلك -تقليدًا للألباني- أن فيه تشبهًا بالنساء وتغييرًا لخلق الله.

وقرأت في "مجلة الكلمة" سؤالًا موجهًا للعلماء في هذا الموضوع بسبب بلبلة أحدثتها رسالة أخي في حي بالدار البيضاء، فكتبت جوابًا في المجلة بيَّنت فيه أن الحلق صغيرة وأنه ليس فيه تشبه بالنساء ولا تغيير لخلق الله، فغضب وطبع رسالة سماها "كشف الحجاب عن المتهور الكذاب" -يقصدني- أفحش فيها وأقذع وناقضني فيما ذكرته من علامة الكبيرة بأن الأمن من مكر الله كبيرة، وليس فيه وعيد، فكتبت جزء أسميته "تنوير البصيرة ببيان علامات الكبيرة" ذكرت فيه (٤٤) علامة للكبيرة.

ووجدت في طنجة جماعة يقلدون ابن حزمٍ في آرائه الشاذة، ومنها قصر المسافر للصلاة ولو صلَّى خلف مقيم، وسألني الطلبة أن أكتب في هذا الموضوع بحثًا، فكتبت جزءًا سميته: "الرأي القويم في وجوب إتمام المسافر خلف المقيم" فردَّ عليه الزمزمي ردًّا سفيهًا كعادته.

وكان شخص آخر من مقلدة ابن حزمٍ كتب رسالة يؤيد فيها هذا الرأي الشاذ أيضًا، ووجدته أخطأ فيها، فنبهت على خطأه في الرأي القويم ولم أسمه، فغضب أيضًا، ومنع أصحابه الذين يحضرون دروسي من الحضور فامتنعوا مُكْرَهين وبعد شهرين أو أكثر جاء يعتذر عما مضى منه.

ثم كتبت جزء "الصبح السافر في تحرير صلاة المسافر" طبع مرتين، وفي الطبعة الأخيرة زيادات مهمة منها تحديد مسافة السفر الذي يجوز فيه القصر، لأن مقلدة ابن حزمٍ يقصرون في مسافات قريبة مثل مطار طنجة وبعض قرى الفحص التي هي من الضواحي، مع أن قول النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم:

«**السفر قطعة من العذاب**» يرد عليهم، رواه مالك والشيخان، وبقيته: «**يمنع أحدَكم نومَه وطعامه وشرابَه فإذا قَضَى أحدُكم مُهمَّته فليعجِّل إلى أهلِه**»، وإذا جاء السفر مطلقًا في القرآن -كما قال بن حزم- فهذا الحديث قيده بكونه قطعة من العذاب، فـ«أل» فيه إما للعهد أي السفر المذكور في القرآن، وأما للعموم أي كل سفر، وعلى كلا الاحتمالين فالحديث مبين للسفر الذي يجوز فيه القصر والفطر، وبيان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مقدَّم على بيان غيره، ويؤخذ منه أن السفر الذي لا يكون قطعة من العذاب أو مظنة لذلك، لا يصح الترخص فيه برخص السفر.

ومن اللطائف: أن إمام الحرمين لما جلس مكان أبيه سئل: لِمَ كان السفر قطعة من العذاب؟ قال على الفور: «لأن فيه فراق الأحباب وهذا أهم ما فيه من العذاب».

وقد ذهبنا مرة إلى سيدي قاسم -وهو أبعد من المطار- على البهائم، ومنا من مشى على رجليه، وكان المطر شديدًا فوصلنا مبتلين تقطر ثيابنا ماء وأوقدنا النار واستدفأنا بها وأيبسنا عليها الثياب، وكانت فسحة جميلة رجعنا منها آخر النهار إلى بيوتنا لم نشعر بالعذاب ولا فارقنا الأحباب ولا منع منا طعام ولا شراب، لكن مقلدة بن حزم لا يدركون الحِكَم التي شرع الترخيص لأجلها في السفر الذي عينه الشارع، وإنما همهم ترديد كلام ابن حزمٍ والجمود عليه.

وبعث إليَّ أحد القضاة يسألني أن أحرر له بحثًا في (الفاتحة)، هل تجب على المأموم؟ فكتبت جزء أسميته "الأدلة الراجحة على فرضية قراءة الفاتحة" طبع بالإسكندرية.

وسمعت من يزعم أن التصوف مأخوذ من عبَّاد النصارىٰ وغيرهم، فكتبت جزءًا سميته "الإعلام بأن التصوف من شريعة الإسلام" طبع بالإسكندرية أيضًا.

وكتبت جزءًا سميته "إعلام النبيه بسبب براءة إبراهيم من أبيه"، طبع بالرباط.

وقد تجرأ عامل طنجة -وكان قبيحًا- فحبسنا أسبوعين لأننا أفطرنا مع مصر قبل المغرب مع أنه لا يصوم ولا يصلي، فلامه الناس علىٰ هذا العمل الذي لا مسوِّغ له، إلا الزمزمي فإنه أعلن سروره بحبسنا في خطبة الجمعة، وقال عنَّا: إننا عاصون فتانون آثمون، وبعث بتسجيل خطبته إلىٰ العامل تأييدًا له، ولم يمر أكثر من شهرين حتىٰ حبس أكبر أولاده بالدار البيضاء، فسافر ليطمئن عليه فلم يعرف أين هو ومكث مدة كالمجنون يتردد بين الرباط والبيضاء ولم يصل إلىٰ شيء، حتىٰ سخر الله له من أخذ بيده وأوصله إلىٰ ولده الذي مكث في السجن شهرين.

وفي هذا عبرة بالغة لكنه لا يعتبر، قلبه كالحجارة أو أشد قسوة، أما العامل فقد أوقعه الله في شر أعماله، نكب نكبة كبيرة وعُزل من عمله ومن كل وظيفة وهو الآن في حكم الموتىٰ، وإن الله يمهل ولا يهمل، وفي الحديث الصحيح: **«إنَّ اللهَ تعالى ليُمْلي للظالم حتَّى إذا أخذَه لم يُفْلِتْه»**. رواه الشيخان.

ووصلني بالسجن في مصر ثلاثة أجزاء من "التمهيد"، قرأتها فوجدت فيها أخطاء علمية كثيرة، جمعتها وبعثت بها إلىٰ أخي السيد إبراهيم فسلَّمها إلىٰ الأستاذ عبدالرحمن الدكالي المشرف علىٰ طبع التمهيد لينبه عليها فلم يفعل.

ولما رجعت إلى المغرب وسافرت إلى سلا لزيارة بعض الإخوان والتقيت بصديقنا العزيز العلامة سيدي عبدالرحمن الكتاني رحمه الله، جرى بيننا الحديث في مسائل علمية، فأعلمته بقصة الأخطاء، فقال لي: «انشرها في "مجلة دعوة الحق"»، فدفعتها إلى إدارة المجلة، ومضت مدة فلم تنشر، وسألت فقيل لي منع نشرها وزير الأوقاف المكي الناصري.

فعملت لها خطبة، وسميتها "تنبيه الباحث المستفيد إلى ما في الأجزاء المطبوعة من التمهيد" وطبعتها وبعثت بها إلى الديوان الملكي ووزير الأوقاف والأستاذ علال الفاسي، ورأتها اللجنة التي حققت الأجزاء فغضبت وتكلمت كثيرًا، حتى قال لهم بعض الأفاضل: «لم هذا الكلام الكثير؟ إن كان مخطئًا فردوا عليه»، فلم يفعلوا[1].

ورأيت أهل طنجة، إذا أكلوا يقولون: «اللهم أدِّ عنا شكر النعم»، فكتبت جزءا أسميته "كيف تشكر النعمة" أثبته هنا وهو هذا:

---

(١) وتركت تعقب أجزاء "التمهيد" حتى أردت بحث موضوع القبض في الجزء العشرين فوجدت فيه أغلاطًا علمية مثل ما وقع في الأجزاء الثلاثة الأولى، ولابد أن الأجزاء قبل العشرين وقع فيها أغلاط علمية كثيرة لأن المشرف على تصحيحها ضعيف العلم بعيد عن صناعة التصحيح، و"التمهيد" مع نفاسته لم يلق من يصححه من أهل العلم تصحيحًا يليق بمقامه.

كيف تشكر النعمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، سيدنا محمد وآله الأكرمين، ورضي الله عن صحابته والتابعين.

أما بعد: فقد سمعت كثيرًا من الناس بطنجة إذا أكل أحدهم وشبع يقول: اللهم أدِّ عنَّا شُكْرَ النِّعمة.

وهذا دعاءٌ قبيحٌ فيه إساءة أدبٍ مع الله تعالى؛ فلا يجوز أن يُدعَى به.

وبيان ذلك: أنَّ الله تعالى أمرنا بالشُّكْر على نِعَمِهِ علينا قال سبحانه: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢] وقال: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٣].

وفي "جمع الجوامع": «وشُكْرُ المُنعِم واجبٌ بالشرع».

فالشُّكْر عند حدوث نِعْمَتِهِ عبادةٌ أمرنا الله بها كما أمرنا بالصَّلاة والصِّيام وغيرهما مِن العبادات.

وقد بيَّن النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كيف تؤدَّى عبادة الشُّكْر بفعله وقوله.

أمَّا فعله: ففي "سنن أبي داود" و"الترمذي" عن أبي سعيدٍ الخدريِّ أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان إذا فرغ مِن طعامه قال: «**الحمدُ لله الذي أَطْعَمَنا وسَقَانا وجَعَلَنا مُسْلِمين**». وللحديث ألفاظٌ في "الصحيحين"، وطرقٌ مُتعدِّدةٌ.

وأمَّا قوله: ففي "معجم الطبراني" و"صحيح ابن حِبَّان" عن ابن عبَّاسٍ أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ذهب إلى أبي أيوب ومعه أبو بكرٍ وعمر

فقدَّم لهم تمرًا وشواءً فلما أكلوا وشبعوا، قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**خُبْزٌ ولَحْمٌ وتَمْرٌ وبُسْرٌ ورُطَبٌ -ودَمَعَتْ عَيْناهُ- والذي نَفْسي بيدِهِ، إنَّ هذا لهو النَّعِيمُ الذي تُسألون عنه، قال الله جلَّ وعَلَا: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾** [التكاثر: ٨] **فهذا النَّعِيمُ الذي تُسألون عنه يومَ القِيامَةِ**». فكَبُرَ ذلك على أصحابه فقال: «**إذا أَصَبْتُمْ مِثْلَ هذا، فضَرَبْتُمْ بأيدِيكُمْ، فقولوا: بسمِ الله، وإذا شَبِعْتُمْ فقولوا: الحمدُ لله الذي هو أَشْبَعَنَا وأَنْعَمَ علينا وأفضل، فإنَّ هذا كَفَافٌ بها**».

وروى الحاكم والبيهقيُّ عن عائشة قالت: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ما أَنْعَمَ الله على عبدٍ نِعْمَةً فعَلِمَ أنَّها مِن عند الله إلَّا كَتَبَ الله له شُكْرَها قبل أن يَحْمَدَهُ عليها، وما أَذْنَبَ عبدٌ ذَنْبًا فنَدِمَ عليه إلَّا كَتَبَ اللهُ له مَغْفِرَةً قبل أن يَسْتَغْفِرَهُ، وما اشْتَرَى عبدٌ ثَوْبًا بدينارٍ، أو نِصْفِ دينارٍ، فلَبِسَهُ فحَمِدَ اللهَ عليه إلَّا لم يَبْلُغْ ركبتيهِ حتَّى يَغفرَ اللهُ له**».

وفي "صحيح مسلم" عن أنسٍ أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ اللهَ لَيَرْضَى عن العَبْدِ أن يأكلَ الأَكْلَةَ فيَحْمَدهُ عليها ويَشْرَبُ الشَّرْبَةَ فيَحْمَدَهُ عليها**».

نِعَمُ الله علينا كثيرةٌ لا نستطيع إحصاءها، ولا نطيق أداء شكرها، ولكن الله كلَّفنا مِن ذلك بقَدْر طاقتنا.

قال سليمان التيميُّ: «إنَّ اللهَ أنعمَ على العباد على قَدْرِهِ، وكلَّفهم الشُّكْر على قَدْرهم». رواه البيهقيُّ في "الشعب".

فإذا حدَثت للمسلم نعمة فشُكْرها أن يقول: «الحمد لله» فإنَّ الله يرضى بهذا ويُثيبه عليه، فإن لاحظ مع هذا تقصيره في الشكر فله في علاج هذا

التقصير إحدىٰ طريقتين:

١- أن يقول: اللهمَّ اغْفِر لي تقصيري في شكرك، أو: اللهمَّ اعفُ عن تقصيري، أو: اللهمَّ لا تؤاخذني بما قصَّرت، أو نحو هذا مِن الدعاء المشروع.

٢- أن يقول: اللهمَّ ألهمني أداء شكرك، أو اللهمَّ وفِّقني لأداء شكرك، أو اللهمَّ أعنِّي عليه، أو نحو هذا مما يفيد طلب المعونة والتوفيق.

وفي القرآن الكريم: ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ [الأحقاف: ١٥]، معنىٰ «أوزعني»: ألهمني.

هذا دعاءٌ قرآنيٌّ يرشدنا أن نطلب الإلهام لشكر الله علىٰ نعمه.

ولا يجوز أن يقول: اللهم أدِّ عنِّي شكر النِّعم لقبحه مِن وجوهٍ:

١- أنه يتضمَّن ردَّ الأمر علىٰ الآمِر به، وهو ممنوعٌ عادةً وشرعًا.

أمَّا العادة: فلأنك لو قلت لولدك أو لمن لك عليه واجب الطاعة: افعل الشيء الفلاني، وقال لك: افعله أنت عنِّي، عدَّ مخالفًا للأمر حيث ردَّه عليك واستحقَّ اللوم والتأديب، ولا يعفيني أن يبدي تأويلًا لقوله بأنه أراد كذا وكذا لأن كلامي صريحٌ في ردِّ الأمر، والصريح لا يقبل التأويل.

وأمَّا الشرع: فإنَّ مِن المعلوم بالضرورة وجوب تنفيذ أمر الشارع، وهذا لا يحتاج إلىٰ دليلٍ.

٢- أنه يتضمَّن أنَّ اللهَ كلَّفك مِن شكره ما لا تطيق حتىٰ طلبت منه أن يؤدِّيه عنك، وهذا يخالف القرآن حيث قال الله تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] والدعاء المخالف للقرآن يحرم الدعاء به كما نصَّ عليه العلماء، فلا يجوز أن يدعي بالمغفرة لكافرٍ بعد موته، ولا أن يدعي بطلب رؤية الله

في الدنيا ونحو ذلك مما يخالف القرآن والسُّنَّة.

٣- أنَّ الشكر عبادةٌ أُمرنا بها، والعبادة لا يفعلها الله عن عبده، بل لا يجوز عقلًا أن يفعلها؛ لأنه معبودٌ وليس بعابد، وإنما يطلب منه التوفيق للعبادة والإعانة عليها.

٤- أنَّ الشارع بيَّن أنَّ حقَّ الله على عباده أن يعبدوه، وحقَّ العباد عليه إذا عبدوه أن يُثيبهم، وهذا حقٌّ تفضُّلي، وذلك الدعاء يستلزم أن يصير المعبود عابدًا، وهذا المعنى باطلٌ عقلًا وشرعًا فالدعاء به حرامٌ.

٥- أنَّ الداعي يطلب بدعائه حصول خيرٍ أو دفع ضرٍّ، وذلك الدعاء ليس فيه شيءٌ من ذلك، إذ لو فرض وقوع المحال وشكر الله ذاته نيابة عن عبده فالعبد لا يناله مِن ذلك الشكر ثواب له، ولا دفع ضر عنه لأنه فعل فعله الله لا علاقة للعبد به فيكون ذلك الدعاء عبثًا فهو حرامٌ.

٦- أنَّ حمد الله ذاته وثناءه عليها واجبٌ عقلًا، اقتضاه كماله المطلق وعظمة ربوبيته مع إنعامه على مخلوقاته بجليل النِّعم ودقيقها ظاهرها وخفيِّها، وقد نصَّ العلماء على أنَّ الدعاء يجوز بالممكن سواء كان واجبًا بالشرع أو جائزًا، ولا يجوز الدعاء بالواجب العقليِّ ولا بالمحال العقليِّ، وذلك الدعاء يطلب واجبًا عقليًّا فهو غير جائزٍ شرعًا.

٧- أنَّ علماء الكلام وغيرهم قالوا: إذا كان للفظ معنيان؛ أحدهما يليق بجانب الله والآخر لا يليق؛ فلا يجوز إطلاقه على الله منعًا لإلصاق معنى لا يليق به.

مثلًا العلم الضروري له معنيان: أحدهما ما لا يحتاج إلى نظر واستدلال وهذا صحيحٌ بالنسبة إلى علم الله، والآخر ما يضطر الشخص إليه كعلمه

بحياته ووجوده. قالوا: فلا يجوز وصف علم الله بأنه ضروريٌّ؛ لأنه يوهم هذا المعنىٰ الذي لا يليق به.

وكذلك قول القائل: اللهمَّ أَدِّ عنِّي شُكْرَ النِّعم. لا يجوز إطلاقه في جانب الله حتىٰ لو فرض أنَّ له معنًىٰ صحيحًا بضربٍ مِن التأويل والتجوُّز؛ لأنه يوهم معنىٰ قبيحًا لا يليق بالله تعالىٰ.

شبهات تعرض في هذا المقام والجواب عنها:

١- ثبت في الحديث أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان يقول: «**سُبْحَانَكَ لا أُحْصِي ثَناءً عليك أنتَ كما أَثْنَيْتَ على نَفْسِكَ**».

فيجوز علىٰ هذا أن يقال: اللهمَّ أدِّ عنِّي شُكْر النِّعم، باعتبار أنَّ الإنسان لا يُطيق شكر النِّعم ولا يُحصِيها.

وهذه شبهةٌ ضعيفةٌ جدًّا لوجوهٍ:

أولها: أنَّ الحديث أخبر بحقيقتين لا شك فيهما ولا مراء، وهما أنَّ الإنسان لا يُحصِي الثناء علىٰ الله ولا يستطيعه؛ لأنه يقتضي الإحاطه بكمال الله وهي في حقِّنا محالٌ عقلًا، وأنَّ الله هو الذي يُحيط بكماله ويثني علىٰ نفسه كما يليق به.

ثانيها: أنَّ الثناء المطلق -وهو الذكر- عبادةٌ مطلوبةٌ أيضًا قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١ - ٤٢] وقال في معرض المدح: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وبيَّنت السُّنَّة أنواعًا مِن الذِّكْر وما فيها من الثواب مثل: «لا إله إلا الله، لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ، لا

حول ولا قوة إلَّا بالله، حسبُنا الله ونعمَ الوكيلُ، اللهُ أكبرُ، سبحانَ الله وبحمدِهِ، سبحان الله العظيمِ، أستغفرُ الله العظيمَ الذي لا إله إلَّا هو الحيُّ القيومُ وأتوبُ إليه».

وهذه أنواعٌ مِن الذِّكر وغيرها كلها ثناء على الله تعالى، وكان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أكثر الناس ذكرًا لله كما ثبت في "صحيح مسلم" عن عائشة قالت: «كان يذكر الله على كلِّ أحيانه» ومع ذلك اعترف أنه لا يُحصي ثناءً على الله، لكن لم يقل: اللهمَّ أثنِ على نفسك؛ لأن هذا الدعاء لا يجوز لما سبق بيانه بل قال: «**أنتَ كما أَثْنَيْتَ على نَفْسِكَ**» وهذا خبرٌ صحيحٌ عقلًا وشرعًا.

ثالثها: حيث إنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نفَّذ الأمر بذكر الله، واعترف بالعجز عن إحصاء الثناء عليه، ولم يقل: اللهمَّ أثن على نفسك، أو اللهمَّ اذكر نفسك عنَّا، فيسعنا في هذا المقام ما وسعه عليه الصلاة والسلام وذلك بأن نشكر الله كما علمنا وإذا شعرنا بالتقصير والعجز دعونا الله بالمغفرة أو التوفيق، ولا نقول: اللهمَّ أدِّ عنَّا شُكْر النِّعم.

رابعها: أنه سبق في حديث عائشة أنَّ العبد إذا علم أنَّ النعمة من الله بمعنى أنه اعتقد ذلك وتيقَّنه تصديقًا لقوله تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣] كتب الله له شكرها قبل أن يحمدها عليها، وهذا فضلٌ مِن الله كبيرٌ يُغنينا عن ذلك الدعاء القبيح الخطير.

٢- من أسماء الله الحسني اسم «الشكور» وهذا الاسم يُومِئ إلى جواز أن يقال: اللهمَّ أدِّ عنَّا شكر النعمة.

وهذه الشبهة أضعف من سابقتها؛ لأن الشكر معناه ثناء الشاكر على

إحسانٍ وصل إليه مِن المشكور، والله تعالىٰ لا يصل إليه إحسان محسنٍ؛ لأنه الغنيُّ الحميد المُنعِم المُتفضِّل، وإذن فمعنىٰ اسمه الشكور إمَّا أن يظهر أعمال عباده الصالحين وينوِّه عنها ويمدحهم عليها، وهذا مجازٌ حقيقته إظهار الشاكر للنِّعمة وثناؤه عليها.

وإمَّا أنه يثيب الثواب الكثير علىٰ الطاعة القليلة، وهذا أيضًا مجازٌ حقيقته قولهم: شكرت الشجرة إذا كثرت أغصانها، وليس في هذا إشعارٌ بجواز ذلك الدعاء القبيح.

٣- أنَّ الله تعالىٰ أمرنا بالصلاة علىٰ نبيِّه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، ونحن نقول: اللهمَّ صلِّ علىٰ سيِّدنا محمدٍ، فنطلب منه أن يصلِّي علىٰ نبيِّه فكذلك يجوز أن يقال: اللهمَّ أدِّ عنَّا شُكْر النِّعم.

وهذه شبهةٌ واهيةٌ والقياس الذي يبنىٰ عليها ظاهر الفساد؛ لأن الصَّلاة معناها العطف كما حقَّقه ابن هشام في "المغني".

ثُمَّ العطف يختلف باختلاف فاعله حسب ما يليق به، فصلاة الله علىٰ المؤمنين :عطفه عليهم برحمته ومغفرته وهدايته، وصلاته علىٰ نبيِّه: عطفه عليه بإعلاء شأنه ورفعة قدره، وصلاة الملائكة علينا :عطفهم بالدعاء لنا كما قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧].

وصلاتنا نحن معشر المسلمين علىٰ نبيِّنا :عطفنا بالدعاء له برفعة قدره

وإعلاء شأنه فقولنا: «اللهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ» هو امتثالٌ لقول الله تعالى: ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] أمرنا بالدعاء له فدعونا، ولم نرد الأمر على الآمر به كما في قول القائل: اللهمَّ أدِّ عنَّا شُكْر النِّعم.

فظهر فساد القياس المذكور، وبطلت الشبهة من أصلها، وبالله التوفيق.

وكتبت المؤلفات الآتية:

١- "رفع الإشكال عن مسألة المحال".

٢- "القول السديد في حكم اجتماع الجمعة والعيد"، رد على الشوكاني.

٣- "أمنية المتمني في تحريم التبنِّي"، جواب عن سؤال.

٤- "التنصيص على أن الحلق ليس بتنميص"، جواب عن سؤال من بلجيكا.

٥- "ذوق الحلاوة في بيان امتناع نسخ التلاوة".

٦- "الحُجَّة المُبيِّنة لصحَّة فهم عبارة المُدوَّنة".

٧- "إتقان الصِّنعة في تحقيق معنى البدعة".

٨- "الإحسان في تعقُّب الإتقان".

٩- "حسن التفهُّم والدَرْك لمسألة الترك".

١٠- "المهدي المنتظر".

١١- "حسن التلطُّف في بيان وجوب سلوك التصوف".

١٢- "القول الجزل فيما لا يُعذر فيه بالجهل".

١٣- "إعلام الراكع الساجد بمعنى اتخاذ القبور مساجد".

١٤- "استمداد العون لإثبات كفر فرعون".

١٥- "فتح الغَنيِّ الماجِد بحُجِّيَّة خبر الواحد".

١٦- "قصة داود عليه السلام".

١٧- "إرشاد الأنام إلى ما يتلى من الآيات والصلوات في الأيام".

١٨- "توجيه العناية لتعريف علم الحديث رواية ودراية".

١٩- "مِنحة الرؤف المُعطي ببيان ضعف وقوف الشيخ الهبطي".

٢٠- "أجوبة هامَّة في الطب"، عن أسئلة طلبة طب الإسكندرية.

تعليق على: "إعلام الأريب بحدوث بدعة المحاريب"، للسيوطي.

٢١- "التوقِّي والاستنزاه عن خطأ البناني في معنى الإله"، وهو هذا.

التوقي والاستنزاه عن خطأ البناني في معنى الإله

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدِنا محمد أشرف المرسلين، ورضي الله عن آله الأكرمين، وصحابته، والتابعين.

أما بعد: فهذا جزء سميته: "التوقِّي والاستنزاه عن خطأ البناني في معنى الإله"، وأرجو من الله أن يوفِّقني للصواب، إنه الكريم الوهَّاب.

قال صاحبُ "السُّلَّم":

فمُفهِمُ اشتراكِ الكُلِّيُّ كأسَدٍ وعَكْسُهُ الجُزْئِيُّ

قال العلَّامة البناني في "شرحه": «يعني أنَّ الكلِّيَّ هو الذي يُفهِم الشركةَ في معناه، أي :لا يمنع نفس تصوُّر معناه من صدقه على مُتعدِّدٍ، كإنسانٍ وأسدٍ، فدخل في تعريف الكلِّيِّ أنواع».

فذكر النوع الأول ثم قال: «وثانيها ما وُجد منه فردٌ واحدٌ إمَّا مع استحالة وجود غيرِه بدليلٍ خارجٍ عن تصوُّره، كالإله؛ أي :المعبود بحقٍّ فإنَّ مجرَّد تصوُّر معناه لا يمنع من صدقه على متعدِّدٍ، لكنْ قام الدليل القاطع على وجوب انفراد الله تبارك وتعالى بالألوهيَّة واستحالة ثبوتها لغيره، وتفسير الإله بالمستغني عن كلِّ ما سواه المُفتقِر إليه كلُّ ما عداه لا يمنعُ كونه كليًّا؛ إذ لا يوجب تشخُّصَه؛ لأنَّه بهذا المعنى يحتمل أن يَصْدُق على كثيرٍ على سبيل البدليَّة».اهـ

وقال مُحشِّيه العلَّامة علي قصارة: «كان ينبغي إسقاطُ هذا القسم من أقسام الكلِّيِّ لأنَّه موهمٌ في مقام الألوهيَّة ما لا يصحُّ في حقِّه تعالى مِن التعدُّد والجِسْميَّةِ والتَّركيبِ فلا ينبغي إطلاقُه كما صرَّح به القرافيُّ في شرح "التَّنقيح"

ونصُّه: «إطلاق لفظ الكُلِّيِّ على واجبِ الوجودِ فيه إيهامٌ، تمنع من إطلاقه الشَّريعةُ فلذلك تركتُه أدبًا».اهـ

قال سيِّدي عيسى السّكتاني: «وكذا الجزئيُّ يوهم النِّسبة إلى جزء الشيء الموضوع للمجموع فذلك مستحيلٌ في حقِّه تعالى».اهـ

عُلِم مِن هذا أنَّ إطلاق لفظ الكُلِّيِّ على الإله لا يجوز شرعًا للإيهام المذكور(١).

وهذا **أول خطأ** مِن البُناني رحمه الله تعالى.

الثاني: ويشاركه فيه القرافيُّ وأهلُ المنطق؛ أنَّ الإله ليس بكلِّيٍّ بل هو خاصٌّ بالله تعالى كالرحمن وفي النَّاس كثيرون اسمهم عبدالإله.

قال الفيُّوميُّ في "المصباح المنير": «الإلهُ المعبودُ وهو الله سبحانه وتعالى، ثُمَّ استعارهُ المشركون لما عبدوه من دون الله تعالى».اهـ

وقال الراغبُ في "مفردات القرءان": «وإله حقُّه ألَّا يُجمعَ إذْ لا معبودَ سواه لكنَّ العربَ لاعتقادهم أنَّ ههُنا معبوداتٍ جمعوه فقالوا الآلهة».اهـ

وفي القرآن الكريم: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾ [يوسف: ٤٠]، وهذه الآية مِن أدلَّة القائلين بأنَّ اللُّغة توقيفيَّةٌ.

تبيَّن مِن هذا أنَّ الإله علمٌ خاصٌّ كما قلنا، وأنَّه لتضمُّنه معنى العبادة أطلقه العرب على معبوداتهم على سبيل الاستعارة، وتوهَّم أهل المنطق أنَّ

---

(١) صرَّح العلماء أيضًا بأنَّه لا يجوز وصفُ عِلم الله بأنَّه ضروريٌّ وإن كان له معنى صحيحٌ، لإيهامه معنى لا يليق بالله تعالى.

هذا إطلاقٌ حقيقيٌّ، زعموه كليًّا مع أنه عَلَمٌ خاصٌّ، ونظير هذا إطلاقُهم لفظَ حاتمٍ على الكريم اشتقاقًا مِن معنى الكرم الذي اشتهر به حاتم الطائي المعروف، ولم يُخرجه ذلك الإطلاق عن عَلَمِيَّته الشخصيَّة.

كذلك لفظ «الإله» لا يخرجه إطلاقه على المعبودات اشتقاقًا من معنى العبادة عن عَلَمِيَّته الخاصة بالله تعالى.

الثالث: أنَّ الكليَّ إنما يتأتَّى في الممكنات كالنبيِّ والملَك والعرش والكرسيِّ واللوح والقلم والسماء والشمس والقمر والفلك والكواكب والروح والنفس والإنسان والحيوان والنبات وما إلى ذلك مما يتركَّب من أجناس وفصول ويدخل في دائرة المقولات[1] العشر المجموعة في قول القائل:

زيد الطويلُ الأبيضُ ابنُ مالكِ ... ببيتِه بالأمسِ كان متَّكي

بيده غُصنٌ لواه فالتوى ... فهذه عشْرُ مقولاتٍ سَوى

أما واجب الوجود سبحانه فهو منزَّهٌ عن ذلك، ليس شيء من أسمائه

---

(١) أخذت هذا العلم عن شيخنا العلامة المُحقِّق الشيخ العباس بناني بجامعة القرويين أعاد الله لها مجدها، وهو أحد أربعة علماء عرفوا بالتحقيق.

وثانيهم: العلامة مولاي عبدالله الفضيلي، أخذت عنه "رسالة الوضع" ومقدِّمات "جمع الجوامع".

وثالثهم: العلامة الشيخ الراضي السناني صاحب "الشذرات" أخذت عنه بعض "جمع الجوامع".

ورابعهم: العلامة مولاي أحمد القادري أخذت عنه باب الجنايات من "المختصر" بـ"شرح الخرشي"، وأجازني أولهم بما يرويه عن سيدي أحمد بن الخياط رحمهم الله جميعًا وأثابهم رضاه.

وصفاته كليًّا يتركَّب مِن جنسٍ يشترك به مع غيره، ولا من فصل يميزه عنه بل أسماؤه وصفاته خاصَّةٌ به لخصوص العلَم الشَّخصي بمسمَّاه.

الرابع: أنَّ الكلِّيَّ لا يُتصوَّر كونه محالًا؛ إذ هو ما له جزئياتٌ موجودةٌ كالحيوان، أو ممكنةُ الوجود كجبلِ ياقوتٍ.

والمحالُ عدمٌ محضٌ ليست له صورة في الذِّهن ولا يمكن أن تكون له صورةٌ، بل لا يُدرَك إلَّا بطريق التَّشبيه كأن يعقل اجتماعُ السَّواد والحلاوة في العنب مثلًا ثُمَّ يقال: مثل هذا الاجتماع لا يكون بين السواد والبياض، وأحيانًا لا يمكن تقريبه بطريق التشبيه لكون الشيء موجودًا معدومًا في آنٍ واحدٍ فكيف يُتصوَّر كونه كليًّا له جزئيَّات؟!!.

والذين اعتبروا «الإله» و«شريك الباري» كلِّيَّين مخطئون واهمون لم يعرفوا معنى المحال على حقيقته، أو اشتبه عليهم الأمر حين وجدوا كليًّا جزئياتُه معدومةٌ كجبل ياقوت وبحر زِئْبق فاعتبروا المحال كليًّا مثلَه، لكن بينهما بونٌ شاسعٌ؛ لأنَّ الممكنَ المعدومَ قابلٌ للوجود وقد أخبر الله أنَّ في الجنَّة أنهارٌ ﴿مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد: ١٥] وهذه أمورٌ ممكنةٌ غير موجودةٍ في الدنيا وهي موجودةٌ في الآخِرة.

أمَّا المحال فإنه مُغرقٌ في العدَم لا يقبل الوجود بحالٍ، لا في الخارج ولا في الذِّهن، ووجود جزئيَّات الكلِّيِّ مترتبٌ على وجود صورة له في الذِّهن والمحال لا صورةَ له ولا يُذكر إلَّا منفيًّا.

والخلاصة: أنَّ الكليَّ لا يكون إلَّا في الممكنات فقط دون الواجب والمحال.

الخامس: قول البناني في بيان كلِّية الإله: «مجرَّد تصور معناه لا يمنع من

تعدُّد مصدوقِهِ لكنَّ الدليلَ القاطع على وجوب انفراد الله تبارك وتعالى بالإلوهية» يشتمل على تناقضٍ؛ إذ حاصله أنَّ الإله مصدوقُه جائزُ التعدُّد عقلًا، والإله واجبُ الإنفراد في واحدٍ عقلًا، وهذا تناقضٌ واضحٌ لا خفاء فيه.

السادس: وهو مبنيٌّ على ما قبله، أنَّ جواز تعدُّد الإله ثابتٌ وقيام الدليل القاطع على وجوب تفرُّد الله بالألوهيَّة لا يمنع منه؛ لأن جواز التعدُّد مفهومٌ ذاتيٌّ، وما بالذَّات لا يتخلَّف، وفي هذا من الخطر ما لا يخفى بل هو هدم للتوحيد.

السابع: أنَّ زيادة لفظ: «بحقٍّ» في معنى الإله لا أصلَ لها في اللغة ولا علاقة للعقل بها؛ فالإله هو المعبود وكونه معبودًا بحقٍّ حكمٌ شرعيٌّ والحكم لا يدخل في الحدِّ. قال صاحب "السُّلَّم":

وعندهُمْ مِنْ جُملةِ المَرْدودِ أنْ تدخلَ الأحكامُ في الحُدودِ

الثامن: قوله أيضًا: «تفسير الإله بالمستغني عن كلِّ ما سواه المفتقر إليه كلُّ ما عداه لا يمنع كونه كليًّا؛ إذ لا يوجب تشخيصه؛ لأنه بهذا المعنى يحتمل أن يصدق على كثير على سبيل البدليَّة».اهـ

إغراقٌ في الخطأ وتشبُّثٌ به إلى حدِّ التزمُّت حتى أنه لم يفرِّق بين ما يُعيِّن المسمَّى ويُخصِّصه وبين ما ليس كذلك، ومن البدهيات في علم المنطق أنَّ التشخُّص في الجزئي يمنع الاشتراك فيه فـ«إنسان» كليٌّ يقبل الاشتراك، و«زيد» جزؤه لا يقبل الشركة لتشخُّصه وتعيُّنه.

فلو فرضنا أنَّ الإله بمعنى المعبود كليٌّ كما قال فإنَّ تفسيره بالمستغني عن

كلِّ ما سواه المُفتقِر إليه كلُّ ما عداه تخصيص له بما لا يشاركه فيه غيره من المعبودات، فهو بمنزلة التشخُّص في «زيد»؛ ذلك أنَّ المعبوداتِ بجميعِ أنواعها من ملائكةٍ وإنسٍ وجنٍّ وحيوانٍ وأصنامٍ؛ لا يُجيز العقل في شيءٍ منها أن يكون مستغنيًا عن كلِّ ما سواه مفتقرًا إليه كلُّ ما عداه؛ لأنها ممكنةٌ والممكن لا يستغني عن المحلِّ والمُخصِّص.

التاسع: قوله: «إذ لا يوجب تشخصه» والصواب أن يقول: إذ لا يوجب تعينه؛ لأن التشخص لا يجوز أن يضاف إلى الله سبحانه وتعالى.

يرد في هذا المقال ثلاثة إيرادات نذكرها مع الجواب عنها:

الأول: دعوى أن المحال ليس بكليٍّ يخالفُ ما أطبق عليه أهل المنطق من اعتبار شريك الباري كليًّا وكذا الإله وأن لم يذكره بعضهم تأدبًا كما مر، وتعريفُ المحال يقتضي كلِّيتَه أيضًا.

والجواب: مسائلُ المنطق يُعمَل فيها بما يقضي به العقلُ والفكر السليم لا بالإجماع أو قولِ الأكثر، والمنطق الحديث أبطل نظريَّاتٍ أطبق عليها القدماءُ في المنطق القديم.

ومما لا يخفى على دارس أنَّ الكلِّياتِ مبادئ التصوُّرات التي هي حدودٌ ورسومٌ لماهيَّاتِ الموجودات الممكنة، فالحدود والرُّسوم تتركب من أجناسٍ وفصولٍ وخواصٍّ كما هو معلوم.

والموجوداتُ نوعان: موجوداتٌ بالفعل كالإنسان والشمس، وموجودات بالقوَّة كنهر لبنٍ وبحر زئبقٍ وجبل ياقوتٍ، فإنَّ هذه الأشياء ممكنة الوجود وإمكان الشيء كوقوعه فهي موجودة بالقوة.

والكلِّيات التي تدخل في التعريف تقع على أشياء موجودة في الذهن أو الخارج أو فيهما، والمحال لا يتصور في العقل وجوده ويسميه الحكماء منفيًّا وحكى شارحُ "العقيدة الطَّحاوية" إجماعَ العقلاء على أن المحال ليس بشيء والخلاف الذي حكاه صاحب "جمع الجوامع" بقوله: «فعلى الأصحِّ المعدومُ ليس بشيءٍ ولا ذاتٍ ولا ثابتٍ» إنَّما هو في المعدوم الممكن كما قيَّده به شارحه الجلال المحلِّي فثبت أنَّ المحال لا يكون كليًّا والعقل لا يمكنه أن يتصور شخصًا قائما قاعدًا ولا ثوباً أبيضَ أسودَ، وبالضرورة لا يمكن تصور أفرادٍ لما لا يمكن تصوره في نفسه.

الثاني: قال الشيخ سعيد قدوره في بيان أفراد الكلِّي الممتنع: «فإنَّ الجمع بين البياضِ والسوادِ جمعٌ بين الضِّدين، والجمع بين القيام والقعود جمع بين الضدين، والجمع بين الترقِّي والتدلِّي جمع بين الضِّدين، فتبيَّن أنَّ الجمع بين الضِّدين واقعٌ على كثيرين وأفراده كلُّها ممتنعةُ الوجود في الخارج».اهـ

وهذا الكلام يشتمل على أوهام:

١- أنَّ الجمع بين الضِّدين مثالٌ لمحاولة فِعل المحال الذي هو اجتماع الضِّدين.

٢- أنَّ أفراد الكلِّي ما يتحقَّق فيها مفهومُه كالإنسان يتحقَّق في جزئيَّاته مفهومه الذي هو حيوان ناطق، وهذا إنَّما يتأتَّى في الماهيَّات الممكنة التي يتمايز أفرادُها بالتَّشخيص وغيرِه في الوجود الذِّهنيِّ أو الخارجيِّ.

وماهيَّة المحال عدمٌ بحتٌ لا تَقبَل الوجودَ في الخارج ولا في الذِّهن، والعدم لا تمايز فيه بين المُعدَمات.

٣- أنَّ الكلِّي إنَّما يطلق على شيءٍ موجود بالفعل أو بالقوَّة والمحال ليس بشيءٍ كما مرَّ بيانُه.

٤- أنَّ تعدُّد الأفراد في الأمثلة التي ذكرها الشيخ سعيد إنَّما هي أمثلة لمتعلق المحال أعني: الضِّدين فإنَّه لفظ عامٌّ يشمل الأبيض والأسود والقيامَ والقُعود وغير ذلك من الأضداد الموجودة.

فالتعدُّد واقعٌ فيها، والتَّرقي والتدلِّي، والليل والنهار، والحياة والموت، لا في المحال الذي هو اجتماعها وهو المحكوم بنفيه وقد اشتبه الأمر على الشيخ سعيد رحمه الله تعالى، يوضح ذلك أنَّ المحالَ الذي لا يتعلَّق بضدَّين مثلًا كشريك الباري لا يُتصوَّر له أفراد أبدًا.

الثالث: من الإيرادات، دخول النَّفي العامُّ على «إله» في قولنا: «لا إله إلَّا الله» يؤيِّد القول بكلِّيته، لأنَّه لا يجوز أن يقال: لازيدَ في الدار وإنما يقال: لا إنسانَ في الدار.

والجواب: أنَّ النَّفي توجَّه باعتبار الإطلاق المجازيِّ أي: لا معبودَ إلا الله، وهذا كما يقال: لا حاتمَ إلا فلانٌ، أي: لا كريمَ، أو لاقُسَّ إلا فلانٌ، أي: لا فصيحَ، وهكذا.

فإله في الكلمة المشرَّفة كلِّيٌّ في المعنى المجازيِّ كما أنَّ لفظ حاتم كلِّيٌّ لاستعماله في الكريم مجازًا، مع أنَّه في الحقيقة علمٌ شخصيٌّ وكذلك قُسٌّ كلِّيٌّ لاستعماله في الفصيح مجازًا وهو في الحقيقة علمٌ شخصيٌّ لقُسِّ بنِ ساعدة.

الرابع: اختار السنوسيُّ أنَّ معنى «إله» في كلمة التوحيد لا مستغنيًا عن كل ما سواه ومفتقرًا إليه كل ما عداه إلا الله، فهو على هذا كلِّيٌّ.

والجواب: أنَّ اختيار السنوسيِّ لهذا المعنىٰ هو الذي غرَّ البُنانيَّ وأوقعه في ذلك الخطأ الذي مرَّ بيانُه، والسنوسيُّ إنَّما اختاره ليدَّعي أنَّ كلمة التوحيد شاملةٌ للصِّفاتِ الواجبة لله تعالىٰ لكنَّ اختيارَه غيرُ صحيحٍ لأمور:

أحدها: أنَّه تكلَّف في إدخال تلك الصِّفات بما لا دليل عليه ولا حاجة تدعو إليه.

ثانيها: أنَّ الإله لم يستعملْه العرب إلا بمعنىٰ المعبود، كذلك جاء في القرآن الكريم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ﴾ [الصافات: ٣٥ – ٣٦]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤]، ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]، ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٦٠]، ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [النحل: ٥١].

فالإله في هذه الآياتِ وغيرها مفردًا ومثنىٰ ومجموعًا معناه: المعبود، ونفي المعبودات في الكلمة المشرفة يكفي في إثبات التَّوحيد ونبْذِ الشرك ولذلك جعلها الشارع دليلًا علىٰ الإسلام وعنوانًا له لأنَّه يلزم بالضَّرورة من نفي المعبودات نفيُ لخصائص الألوهيَّة عنها وهي منتفية بضرورة العقل والمشاهدة كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣].

فلا حاجة إلىٰ ما تكلفه السنوسي وغيره في شرح الكلمة المشرفة.

وهذا آخر ما رأيت كتابته في هذا الموضوع الذي لم يتنبه له أحد فيما

علمت، والحمد لله على توفيقه وإلهامه، وأسأله القبول بفضله.

والدَّاعي إلى تحرير هذا البحث: أني درست للطلبة بزاويتنا الصديقية شرح بناني على السلم، ولما وصلت إلى هذا الموضوع، وبينت لهم خطأ ما قرره بناني كغيره من المنطقيين، طلب مني بعضهم كتابة ذلك البحث، فأجبت طلبهم، لما فيه من عموم الفائدة، وكان أنس رضى الله عنه يقول لبنيه: يا بني قيدوا العلم بالكتابة.

أما مسألة تعلق القدرة بالمحال، فلي فيها رسالة اسمها: "رفع الإشكال عن مسألة المحال" أتيت فيها بما لم يسبقني إليه أحد والحمد لله.

تتمة: علم مما حرَّرناه: أنَّ الكليَّ والجزئيَّ لا يكونان إلا ممكنين، أما واجب الوجود والمحال، فلا شيء منهما يكون كليًّا لما مرَّ بيانه بتفصيل.

فصل: تآليف لم تكمل

١- تفسير القرآن الكريم بالأحاديث المرفوعة الثابتة، وصلت فيه إلى (سورة هود).

٢- الأحاديث الشاذَّة التي يصير الحديث الصحيح به ضعيفًا تم وطبع.

٣- إرشاد الأنام إلى ما يتلى من الصلوات والأدعية في الأيام.

٤- كنت بدأت أسماء الرجال الذين يقول عنهم الحافظ الهيثمي في "مجمع الزوائد": «لم أعرفه»، أو «لم أجد له ترجمة».

فصل: مؤلفات ضاعت

١- كتبت في السجن الجزء الثاني من "خواطر دينية".

٢- وكتاب "أولياء وكرامات"، أبطلت فيه كثيرًا من الكرامات المكذوبة وغير المعقولة، مثل ما يقال: أن يد النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم خرجت من القبر الشريف للرفاعي فقبَّلها والناس ينظرون.

٣- وكتاب "أفضل مقول في مناقب أفضل رسول".

بعثت بهذه الكتب إلى صاحب «مكتبة القاهرة» ليقوم بطبعها، فأمهل، ثم مرض مرضًا أنساه أشياء كثيرة، ولما سألناه عنها لم يتذكر أين وضعها وكلفنا ابنه أن يبحث عنها في مخزن الكتب فلم يجدها، والأمر لله.

فصل: مؤلفات لم أسبق إليها

قال المقري في "أزهار الرياض": «رأيت بخط بعض الأكابر ما نصه: المقصود من التأليف سبعة: شيء لم يسبق إليه فيؤلف، أو شيء ألف ناقصًا فيكمل، أو خطأ فيصحح، أو مشكل فيشرح، أو مطول فيختصر، أو مفترق فيجمع، أو منثور فيرتب».اهـ

ومما لم أسبق إليه بفضل الله، الكتب الآتية:

١- "أمنية المتمنِّي في تحريم التبني": لأنه شاع في المغرب -خصوصًا طنجة- تبني الأطفال الذين يؤخذون من ملجأ أو مستشفى، ومع ذلك لم ينبه عليه أحد حتى سئلت عنه فكتبت هذا الجزء، ثم وصلتني رسالة في الموضوع أيضًا لصديقنا السيد محمد حسين الجلالي، فوجدته يوافقني في التحريم.

٢- "بدع التفاسير": أنشأت به علمًا لم يسبقني إليه أحد، وهو علم يعرف به التفاسير المبتدعة، وهو علمٌ مهمٌّ من علوم القرآن.

٣- "تمام المِنَّة ببيان الخِصال الموجبة للجنَّة": ثبت في "صحيح البخاري" عن ابن عمرو، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**أربعون خَصْلَةً أعْلاهنَّ مَنيحَةُ العَنْزِ لا يَعْمَلُ عَبْدٌ بخَصْلَةٍ مِنها رَجَاءَ ثَوَابِها وتَصْدِيقَ مَوْعُودِها إلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ تعالى بها الجَنَّةَ**».

لم أجد أحدًا من شرَّاح الصحيح بيَّنها باستيفاء، وغاية ما ذكروا منها خمس عشرة خصلة، فبينتها في هذا الجزء وضممت إليها ما في معناها.

٤- "التوقِّي والاستنزاه عن خطأ البناني في معنى الإله": وهو في الحقيقة ردٌّ على أهل المنطق جميعًا، وإنما خصَّصت البناني لأني كنت أدرس شرحه على

"السلم" بزاويتنا الصِّدِّيقية، وخطؤه أنه مثل بالإله للكلِّي الذي وجد منه فرد، وامتنع غيره، وبينت في هذا الجزء، أن الإله عام خاص بالله، وليس بكليٍّ.

٥- "ذوق الحلاوة ببيان امتناع نسخ التلاوة": بينت فيه خطأ الأصوليين الذين جوَّزوا نسخ تلاوة آيات من القرآن.

٦- "حسن التفهُّم والدرك لمسألة الترك": بينت فيه خطأ من يستدل على حرمة شيء أو كراهته، بترك النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم له.

٧- "رفع الإشكال عن مسألة المحال": شرحت فيه مسألة تعلق القدرة بالمحال بطريقة لم أسبق إليها، والحمد لله(١).

٨- "إعلام الراكع الساجد بمعني اتخاذ القبور مساجد": تكلمت فيه على حديث: «**لعنَ اللهُ اليهودَ اتخذُوا قبورَ أنبيائِهم مساجدَ**»، وأوردت عليه إشكالًا ما سبقني إليه أحد.

---

(١) وهذه إحدى ثلاث مسائل استغلقت عليَّ ثم فهمتها بإلهام من الله تعالى. قرأت في كتب الكلام مسألة تعلق القدرة بالمحال، والخلاف فيها بين الأشعرية والمعتزلة، وابن حزم، واستغلق عليَّ فهمها فتركتها مدة، وفي بعض الأيام كنت مسافرًا لتطوان وأثناء الطريق خطرت هذه المسألة فجأة على بالي مع حلها، فكتبت "رفع الإشكال".
المسألة الثانية: سُئلت ببلدة أويش الحجر عن السر في أن القرآن ذكر قصة يوسف كاملة في سورة واحدة ولم يكررها ولا جزَّأها؟ فلم يفتح عليَّ بجواب، وراجعت كتب التفسير فلم تتعرض لهذا الموضوع، فتركتها وبعد شهور بينما أنا راجع إلى بيتي سمعت قارئًا يقرأ في الإذاعة قول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [يوسف: ٧] فألهمت جواب السائل المذكور وبينته في كتاب "كمالالإيمان".

٩- "كيف تشكر النعم"، لم أسبق إليه أيضًا.

ومعظم مؤلفاتي، لا تخلو من بحوث فيها ابتكرتها بما علمنيه الله وألهمني إياه.

ففي "الرد المحكم المتين" بيَّنت أنَّ ترك الشيء لا يدل على منعه ولا كراهته ثم بعد مدة وجدته في "سنن المهتدين" للمواق، منقولًا عن أبي سعيد بن لب.

وفي "فضائل النبي في القرآن" أشياء ابتكرتها، منها الجواب عن الإشكال في التشبيه في الصلاة الإبراهيمية، حتى إن بعض معاصري العارف الشعراني زعم أن ذلك التشبيه يقتضي أفضلية إبراهيم، وهو خطأ.

وفي "واضح البرهان" بينت أن دلالة الاقتران نوعان؛ نوع ليس بحُجَّةٍ ونوعٌ هو حُجَّةٌ باتفاقٍ.

وفي كتاب "الإحسان" نبَّهت على أغلاط وقعت في "الإتقان" بعضها قبيحٌ، ولم يُنبِّه عليها غيري، وأرى السيوطيُّ تساهل فيها، سامحه الله.

وفي "الصبح السافر" نبَّهت على أشياء لم أسبق إليها.

وكتاب "جواهر البيان" مع أني كتبته في السجن ولم يكن لديَّ مراجع، وقع موقع القبول من أهل العلم والحمد لله.

فقد ذكره الدكتور محمد أحمد يوسف القاسم في كتابه: "الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره"، ونقل نماذج منه مثنيًا عليها، ثم قال: «وبعد فإن هذا الكتاب قد خدم القرآن كثيرًا، وخرج إلينا في أحسن صورة، خاصة وأن هذا النوع من المناسبات عسير المنال، اللهم إلا عند الخواص، وكم من الناس يتيسر له هذا؟ فجزاه الله عن المسلمين خيرًا».

وقال أيضًا: «فإنه قد جمع القديم وصاغه في أسلوب يناسب العصر الحاضر، فوق ما فيه من ابتكارات ستظهر بحول الله في عرض الأمثلة».

(ص١٧٣-١٧٧) من كتاب "الإعجاز البياني"، طبع بمصر سنة (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

وهذا حال أغلب مؤلَّفاتي والحمد لله.

وكتاب "الرد المحكم المتين" صوبت فيه خطأ الشيخ محمد مخيمر ومن على شاكلته، وقد وقع عليه الطلب وطبع ثلاث مرات ولا زال مطلوبًا.

أما "الحاوي" فقد جمع فيه تلميذي الفاضل الحاج إبراهيم أحمد شحاتة، ما كتبته من الفتاوى بـ"مجلة الشرق العربي"، وضم إليها تلميذي الفاضل الأستاذ محمود سعيد ما أفتيت به في "مجلة الإسلام"، ولي فتاوى أخرى ستطبع بحول الله تعالى.

والكتابة تتعبني كثيرًا، ولا أجد من يساعدني فيها ولولا ذلك لكتبت أضعاف ما كتبته من المؤلفات، والحمد لله على فضله وإحسانه.

فصل

في ذكر بعض ما حررته من الفوائد ومنها ما لم أسبق إليها

- منها أني فرقت بين دلالة الاقتران، التي اشتهر بين العلماء أنها ليست بحُجَّةٍ، وجعلتها نوعين:

نوع ليس بحُجَّةٍ باتفاقٍ وهو أن تقترن أفعال متعاطفة أو تكون داخلة تحت أمر عام أو بالواو أيضًا مثل «**خمس من الفطرة**...» الحديث. فلا يدل ذكر الختان فيها على أن غيره واجب كالختان ولا يدل ذكر السواك فيها على أن غيره ليس بواجب كالختان، فهذه الدلالة ضعيفة باتفاق.

النوع الآخر: أن يقترن أمران في نهي، نحو نهي عن كلِّ مُسكِرٍ ومفتر، فهذه الدلالة حُجَّةٌ في تحريم المفتر مثل الخمر لأنهما اندرجا تحت نهي يخصهما، وانظر توضيح هذه الفائدة في آخر كتابي "واضح البرهان".

- ومنها أنني بينت ما ينسخ من الأحكام وما لا ينسخ منها فقلت: الذي ينسخ من الأحكام هو الواجب والحرام والمباح وأن المندوب لا ينسخ، ورددت على بعض المالكية الذي زعم أن الركعتين بعد آذان المغرب وقبل الصلاة كانت مشروعة ثم نسخت، فبينت أن هذا القول غلط لأنه فضيلة والفضائل لا تنسخ، والمكروه أيضًا لا ينسخ لأنه تابع المندوب.

- ومنها أنني ذكرت أن الشيء قد يحرم ويباح مرتين وأكثر، مثل نكاح المتعة، قد نسخ تحريمه مرتين أو ثلاثة ثم نسخت إباحته إلى الأبد، أما الواجب فإنه إذا نسخ لا يعود واجبا أبدًا، وهذا لم يقله أحد قبلي، وهاتان الفائدتان مذكورتان في كتابي "الصبح السافر في تحرير صلاة المسافر".

- ومنها أن ابن حزمٍ أكثر في كتابه "المحلَّى" من إلزام خصومه بالقياس، مع أنه لا يقول به، وتبعه مقلِّدوه في المغرب، فقرَّرت أنَّ المعلوم عند علماء الجدل أنَّ العالِم لا يلزم خصمه في المناظرة إلا بما يعتقده ويذهب إليه، ولا يجوز أن يلزمه بما لا يذهب إليه؛ لأن الغرض من المناظرة عند علماء الجدل الوصول إلى الحقِّ من أحد الطرفين، وليس الغرض الإلزام للمخاصم فقط وهذه الفائدة نبَّهتُ عليها في "الرأي القويم".

- ومنها أنني نبَّهت على أنَّ نسخ التلاوة الذي أجمع عليه الأصوليون ليس بجائزٍ، بل هو مستحيلٌ عقلًا، وكتبتُ فيه رسالة "ذوق الحلاوة" وهي مطبوعة، وقد خالفني في رأيي هذا بعض العلماء تقليدًا لما عرف عند الأصوليين، وإني مستعد لموافقتهم بشروط:

١- أن يثبتوا أن تلك الآيات ثبتت قرآنيتها بالتواتر وهذا غير موجودٍ قطعًا.

٢- أن يُبيِّنوا الحِكْمة من نسخ التلاوة بعد وجودها في القرآن.

٣- أن يجيبوا عن قول الله تعالى: ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ٣٤].

وأجبت عن بعض الأسئلة الحديثية بما يأتي:

«وزيادات عبدالله بن أحمد في "المسند" ننسبها له لأنه يرويها عن غير أبيه وكذلك روايات القطيعي، ولم يكن ابن تيمية يفضل "المسند" على الصحيحين من جهة الصحة ولكن من جهة الجمع والكثرة مع اعترافه بأن في "المسند" أحاديث ضعيفة».

- «والعلامة قاسم بن قطلوبغا لم يبلغ درجة الحافظ، وإن كان محدِّثًا ناقدًا

وليس كلُّ محدِّثٍ حافظًا».

- «ما تفرَّد به حماد بن شاكر يعزىٰ إلىٰ البخاري مقيدًا برواية حماد بن شاكر لا مطلقًا».

- «"مسند أحمد" كتاب عظيم، وفيه أحاديث ضعيفة رواها أحمد نفسه وسبب ذلك فيه أنه روىٰ عن رجال يرىٰ توثيقهم وضعَّفهم الجمهور، أو أنه كان يرىٰ العمل بالضعيف إذا لم يجد غيره، ويراه خيرًا من رأي الرجال، وهذا رأي تلميذه أبي داود أيضًا».

- «والنبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حين سئل عن صوم يوم الاثنين قال: «**ذاك يوم وُلِدتُ فيه**»، فلمَّح إلىٰ الاحتفال به لكونه وُلد فيه، وصام يوم عاشوراء وأمر بصيامه احتفالًا بنجاة موسىٰ، والله تعالىٰ شرع لنا العقيقة فرحًا بوجود الولد، أنفرح بوجود مولود ونذبح عنه ولا نفرح بوجود النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم؟!.

وعدم الاحتفال به في عهد السلف لا يدل علىٰ منعه وإنما يدل علىٰ جواز تركه، وهذه قاعدة أصولية لا يعرفها كثيرٌ من الناس، وهي داخلةٌ في العبادات أيضًا، ودليلها عدة أحاديث مذكورةٌ في كتابي "إتقان الصِّنعة" والذي سألك لم يتنبَّه لها، لأنه متشبع بفكرة كل ما لم يحدث في عهد السلف فهو بدعةٌ لا تجوز، ولو جرَّد نفسه من هذه الفكرة لانتفع بقراءة "إتقان الصِّنعة" واستفاد منه ولكن التقليد يمنع من ذلك».

- «وقول العلامة المقري التلمساني: «والأحاديث المسندة في "الشفا" جميعها ستون» صحيح».

- وحول إنكار العمل بالضعيف في الفضائل أجبت:

«وإنكار العمل بالضعيف في الفضائل سبق إليه ابن العربي المعافري، وقلَّده القنوجي في "نزل الأبرار" ثُمَّ جاء الألبانيُّ في مؤخِّرة القطار يُردِّد الصدَىٰ، ولم يعلم أنَّ أحد الحفَّاظ الكبار -ولعله ابن الملقِّن- ألَّف كتابًا اسمه "المعيار"، ذكر فيه الأحاديث الضعيفة التي عمل الأئمَّة الأربعة بها في الأحكام مجتمعين أو منفردين ورتبه علىٰ الأبواب الفقهية، وأنَّ المحدِّثين الذين اتفقوا علىٰ العمل بالحديث الضعيف في الفضائل اتبعوا الشارع فيما فعل، فإن الشارع تسامح في الفضائل ما لم يتسامح في الفرائض.

خذ مثلًا: صلاة النفل تصح من قعودٍ مع القُدرة علىٰ القيام، وتصح ركعة منها بالقعود وركعة بالقيام، ولا يصح ذلك في الفرض ابتداءًا، وكان النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في سفره لا يُصلِّي الفريضة إلَّا علىٰ الأرض فإذا ركب الراحلة وجهها إلىٰ القبلة ثم كبَّر لصلاة النافلة وتركها تمشي حيث شاءت لا يردها إلىٰ القبلة، وصوم التطوع يصح بنية من النهار ما لم يطعم، ومن أصبح صائمًا ثم ظهر له أن يفطر فلا إثم عليه».

- «والمقرَّر عند القرَّاء كما قال ابن الجزري: أنَّ القراءة التي يصح اعتمادها والقراءة بها لها شروط ثلاثة:

١ - أن يصح سندها.

٢- أن تصح بوجهٍ من الوجوه في النحو.

٣- أن توافق رسم مصحف الإمام.

فإذا اختلَّ شرطٌ من هذه الشروط كانت القراءة شاذَّة لا تجوز، وقراءة ترك

البسملة مخالفة لرسم المصحف الإمام التي فيه البسملة مكتوبة في كل سورة عدا التوبة فترك قراءتها شذوذ غير مقبول».

- وسئلت عن قول ابن تيمية وابن القيم: «إنَّ الحسن عند الترمذيِّ ضعيفٌ عند أحمد».

فقلت: «ليس ذلك بقاعدة منصوص عليها في المصطلح، وإنما أخذاه من أن المتقدِّمين قسموا الحديث إلى صحيح وضعيف، وأن الترمذي أول من قسم إلى صحيح وحسن وضعيف فاستنبطا من هذا أن الحسن عند الترمذي ضعيف عند أحمد.

وهذا خطأ من وجهين:

١- أن الحسن جاء في كلام علي بن المديني وأحمد نفسه وبعض القدماء.

٢- أنَّ الترمذيَّ حسَّن أحاديث في "صحيح مسلم" أو "البخاري".

وأيضًا فإن تعريف الحسن عند الترمذيِّ يخالف تعريف الضعيف عند الجمهور، نعم قد يكون حديث حسن عند الترمذيِّ ضعيفًا عند أحمد، لكن ليس دائما ولا مطردًا».

-وسئلت: لماذا لم يرو البخاريِّ للشافعيِّ؟:

فأجبت بالآتي: «لسببين غير علوِّ السند:

أنَّ الشافعيَّ كثيرًا ما يقول: أخبرنا الثقة أو أخبرني من لا أتهم.

أنَّ الرِّجال الذين روى لهم الشافعي فيهم ضعفاء ومجاهيل، والشافعي نفسه ينبِّه على بعضهم.

وسبب ثالث وهو أنَّ الشافعيَّ لم يكن واسع الراوية، والأحاديث التي

رواها صحيحة قليلة، معظمها ليس على شرط البخاريِّ، والذي منها على شرطه هي عند البخاريِّ بطريقٍ أعلى.

وقد نقل البخاريُّ عن الشافعيِّ مرتين في صحيحه، مرة في كتاب الزكاة تحت عنوان: باب في الركاز الخمس، ومرة في كتاب البيوع تحت عنوان: باب تفسير العرايا»

- وسئلت عن تسوية بعضهم بين "الموطأ" والصحيحين، فقلت: «الأحاديث الموصولة في "الموطأ" ليست كلها على شرط البخاري منها حديث البحر: **هو الطهورُ ماؤه الحلُّ ميتتهُ**».

- ومنها لفظ «الإله» اتفق المناطقة على أنه كلي وجد منه فرد واحد وهو الله تعالى، واستحال وجود غيره فبينت أن هذا خطأ وأن «الإله» علم خاص بالله تعالى وأن الكلية تدخلت فيه من معناه المجازي لأن العرب استعملته مجازًا في آلهتهم وظن المناطقة غلطًا أنه كلي فأخطأوا، ونظير هذا أن حاتمًا علم على شخص معين ثم استعمل في كل كريم مجازًا، فليس جعله في الكريم مجازًا يجعل العلم الخاص كليًا. وبينت ذلك في رسالتي: "التوقي والاستنزاه عن خطأ البناني في معنى الإله".

- ومنها أنه شاع في كتب الأصول والبلاغة والمنطق أن الخبر: ما احتمل الصدق والكذب لذاته وقد يكون صادقًا كخبر الله ورسوله، وقد يكون كاذبًا كقولنا الواحد نصف العشرة. لكنه نظرًا لذاته بصرف النظر عن كونه قرآنًا أو غير قرآن يحتمل الصدق والكذب لذاته.

ورأيت القرافي عرف الخبر بهذا التعريف واعترضه العلامة ابن الشاط بأن

خبر الله ورسوله لا يجوز أن يحتمل الكذب واختار أن يعرفه بقوله: الخبر ما أفاد الصدق أو الكذب، فالخبر الصادق كخبر الله ورسوله لا يحتمل الكذب وخبر الكاذب كخبر مسيلمة لا يحتمل الصدق أبدًا وقد وجدت هذا التعريف صحيحا وبينته في آخر "ذوق الحلاوة" بما زاده توضيحًا.

- ومنها حل إشكال التشبيه الواقع في الصلاة الإبراهيمية التي تقال في التشهد في الصلاة، فقد عمي حله على كثير من الناس، حتى زعم بعضهم أن هذا التشبيه يفيد أفضلية إبراهيم على النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وهو غلط واضح وهذا الإشكال حله سهل وهو أن التشبيه في علم البيان يأتي لأحد معنيين:

١- إلحاق فاضل بأفضل نحو أبو يوسف كأبي حنيفة، أو زيد كالبدر.

٢- إلحاق متأخر بمتقدم من غير نظر إلى ما بينهما من فوارق مثل قول الله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [النور: ٥٥]

فالآية ألحقت استخلاف المسلمين باستخلاف اليهود مع أن استخلاف المسلمين أعم وأكثر من استخلاف اليهود.

فكذلك الصلاة الإبراهيمية شبهت فيها الصلاة على النبي باعتباره متأخرًا بالصلاة على إبراهيم المتقدم من غير نظر إلى ما بينهما من المزايا والفضائل.

- واستدركت على الحفاظ صحابيًّا اسمه الحارث بن سعيد، لم يذكره الحافظ ولا ابن عبدالبر ولا ابن الأثير، وحديثه في "المستدرك"، كما استدركت على الحافظ ابن حجرٍ صحابيًّا من الجن لم يذكره في "الإصابة".

- ومنها أن قراءة ورش التي يقرأ بها أهل المغرب فيها روايتان رواية بقراءة البسملة في كل سورة، ورواية بترك قراءتها، والحافظ السيوطي ذكر في "الإتقان" أن كلتا الروايتين متواترتان في قراءة البسملة وتركها، وهذا خطأ لأنه لا يجوز أن يتواتر الشيء وضده، والصواب الذي ذهبت إليه ولم أره لأحد غيري أن قراءة ترك البسملة شاذة لأنها تخالف رسم المصحف الإمام.

- ومنها أنني أصنف الآن بحول الله تعالى جزءًا في الأحاديث الشاذة التي لا يعمل بها، وبيان سبب ذلك: قال الحافظ عند الكلام على الحديث الشاذ: «هذا أدق من المعلل بكثير، فلا يتمكن من الحكم به إلا من مارس الفن غاية الممارسة، وكان في الذروة من الفهم الثاقب ورسوخ القدم في الصناعة»، وعقب عليه السيوطي في التدريب فقال: «ولعسره لم يفرده أحد بالتصنيف».

فصل: ثناء العلماء عليَّ

١- منهم والدي الإمام القدوة رحمه الله ورضي الله عنه أثنى عليَّ كثيرًا كما سبق، وسأله بعض الإخوان عني فقال: «هو تحفة».

٢- ومنهم أخي أبو الفيض، أثنى عليَّ كثيرا في مناسبات مختلفة، وفي إجازته لي.

٣- ومنهم شيخي العلامة المحقِّق الشيخ عباس بناني، كان يثني عليَّ ويقدرني، وقال مرة عني لشيخ الجماعة مولاي عبدالله الفضيلي: «ليس عندك في القرويين مثله».

٤- ومنهم العلامة الشيخ سلامة العزامي رحمه الله كان يثني عليَّ في غيبتي وإذا التقينا، ونقل عني في كتاب "فرقان القرآن" الذي قدم به لكتاب "الأسماء

والصفات" وفي كتاب "البراهين الساطعة".

٥- ومنهم العلامة الشيخ محمد زاهد الكوثري، كان يثني علي، وقرظ كتابي "إقامة البرهان"، في مقالة بـ"مجلة الإسلام" قبل أن يراه، لوثوقه بعلمي[١]، وأخبرني أن علماء الهند طلبوا الإذن بترجمة "إقامة البرهان" إلى اللغة الأردية -لغة الهند- وأنه أذن لهم نيابة عني، وقد ترجم وطبع.

٦- ومنهم الشيخ محمود شويل إمام المسجد النبوي، كتب إليّ يقول: «كنت أظن أن الحديث انقرض في مصر بعد الشيخ رشيد رضا والشيخ أحمد شاكر، فلما تتبعت مقالاتك بـ"مجلة الإسلام" علمت أن الحديث لم ينقرض فأنت ثالث الشيخين في نظري».

٧- ومنهم العلامة الشيخ محمد إسماعيل عبد رب النبي، وكان يقول عني: نابغة.

٨- ومنهم العلامة الشيخ يس الشيشيني إمام وخطيب مسجد الإسماعيلي بالقاهرة، رغب أن يقرظ كتاب "الحجج البينات"، فقرظه وأنشأ قصيدة مدحني فيها كثيرًا.

وما طلبت من أحد أن يقرظ لي مؤلفًا من مؤلفاتي، حتى إني لما كتبت "نهاية الآمال" وبعثته مطبوعًا إلى أخي أبي الفيض وأثنى عليه، عتب علي إذ لم أبعثه إليه قبل طبعه ليقرِّظه.

---

(١) غير أن ذلك المقال لم ينشر في "مقالات الكوثري" لأن أحمد خيري الذي أشرف على جمع المقالات كان يحقد عليَّ وعلى أخي أبي الفيض حقدًا شديدًا، فلذلك حذف ذلك المقال من مقالات الكوثري، سامحه الله.

٩- ومنهم الشيخ محمد الحافظ التجاني، كان يثني عليَّ كثيرًا، ويلقبني: كنز السُّنَّة -رحمه الله- وهو لم يتخرَّج من الأزهر، لكنه كان ذكيًّا نبيهًا، واشتغل بالحديث حين تعرف بنا، وله بحوث طيبة، ولم يكن متطرِّفًا على عادة التجانيين، وكان واسع الصدر حليمًا لا يغضب أبدًا، وهذا خلقٌ ما رأيته في غيره.

١٠- ومنهم العلامة الشيخ عبدالغني عوض كان يثني عليَّ ويصفني بالتحقيق.

١١- ومنهم الشيخ محمد حسين الذهبي رحمه الله أثنى عليَّ عند أخي السيد إبراهيم وقال إنني ساعدته في كتاب "التفسير والمفسرون" من الناحية الحديثية.

١٢- وكان الأستاذ البهي الخولي يقول عني: السيد عبدالله علمه حاضر، إذا سألته أجاب، والعالم المصري إذا سألته، يقول: «حتى أراجع».

١٣- ولما اطلع صديقنا الشيخ أحمد مرسي على جزء "حسن التفهم والدرك" قال لجليسة: «كنت أقول عن السيد عبدالله أنه تيمم بالنسبة لأخيه السيد أحمد، على سبيل المزاح، والآن أقول على سبيل الحقيقة: أن السيد عبدالله أعلم أهل الأرض، وأن السيد أحمد لا يقدر على تأليف هذا الكتاب». وهذه مبالغة بلا شك.

ومن احتياج العلماء إليَّ أنني حين زرت المدينة المنورة في أحد المرات، ذهبت إلى الشيخ الفاضل حمَّاد الأنصاري في بيته، فقال لي: «كلمة أشكلت عليّ في حديث لم أهتدِ لحلها»، قلت: «ما هي؟» قال: «في حديث ابن عبَّاسٍ أن

النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «كأنِّي بنساءِ بني فِهْر يطُفنَ بالخَزرجِ»، قال حمَّاد: «لم أفهم معنى: الخزرج، فرجعت إلى "المسند" الذي حققه الشيخ أحمد شاكر فوجدته يقول: كذا بالأصل. ورجعت إلى "مجمع الزوائد" فوجدت فيه كلمة الخزرج كما هي، ولم أعرف معناها».

قلت: «هذا تصحيف والصواب: بالحزورة، كان سوقًا بمكة»، فقال: «هذا هو الصواب».

وهذا الشيخ تربطني به علاقة طيبة وكلما زرت المدينة يحتفل بي ويقابلني مقابلة جيدة ويساعدني في الحصول على بعض المخطوطات في الجامعة الإسلامية.

إلا أنه رد علي مرة في "مجلة الجامعة الإسلامية" في مسألة التوسل، ولما وجدت رده ضعيفًا لم أشأ أن أشغل نفسي بالرد عليه، وهو قد أخطأ في رده هذا خطأ حديثيًّا لا يعرفه.

١٤- ولما اطلع العلامة الشيخ محمد نور سيف المكي رحمه الله تعالى على كتابي "إعلام النبيل بجواز التقبيل" سُرَّ به وأثنى عليه كثيرًا ونسخ لنفسه نسخة بخطه ونظم في مدح هذا الجزء أبياتًا رحمه الله وأكرم مثواه وبارك في أنجاله.

ولم أذكر كثيرًا من العلماء الذين أثنوا علي وسألوني عن مسائل في الحديث، مثل العلامة الشيخ يوسف الدجوي عضو هيئة كبار العلماء، والعلامة الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الأزهر، رحم الله الجميع.

فصل: ذكر بعض المبشِّرات

١- رأى الأستاذ الفاضل الحاج عبدالسلام بوعياد مبشرة حاصلها كما قال: «رأيت مولاي أحمد بن الصديق عليه حلة رائعة وهو يتحدَّث مع والدي -يعني والده الفقيه العربي بوعياد خطيب الزاوية الصِّدِّيقية رحمه الله- ومع غيره في شأن السيد عبدالله أخيه، يقول له -أي السيد أحمد-: «كل عالم يقصد زيارة سيدي عبدالله إلا ويستقبله ورائحة العطر تعبق منه أصالة وبدون انقطاع من غير أن يتسبب في استعمالها»، ثم قال مولاي أحمد: «لو حصلت على هذه المزية لأدركت بها مقام المشاهدة».

قال الرائي: «ثم خرجت قاصدًا دار سيدي محمد، فوجدت مولاي عبدالحي وأخاه سيدي عبدالعزيز وأخي أحمد وآخرين لم أعرفهم فشرعت أقص عليهم ما سمعته من سيدي أحمد في شأن سيدي عبدالله وأثناء القصة أقْبَل سيدي عبدالله وعليه جِلَّابة وَزَّانية أنيقة وفي كفيه قنينتان عامرتان بالعطر الفاخر وأشياء من الطيب، فصار الكل يتعجب من هذه الرؤيا».

٢- وقال الدكتور أحمد علاء دعبس مدرس الفقه الحنفي بالأزهر الشريف: «إنه في عام ١٩٧٩م رأيت أنني بمسجد سيدنا الحسين رضي الله عنه ورسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يجلس على يسار القبلة على أريكة وهو يلقي درسًا، وبعد أن فرغ منه سألته الشفاعة فأخبرني بأنه إذا أردت رجلًا من أهل الشفاعة فانظر خلفك فنظرت فإذا بالشيخ عبدالله آت من الباب المقابل للقبلة في جماعة من أحبابه.

٣- وقال الأستاذ محمود سعيد: «صليت الصبح ذات يوم وقرأت حزب

الفتح -الذي أنشأته أنا- ثم نمت فرأيت النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في صورة سيدي عبدالله بن الصِّدِّيق».

٤- ومنها أني زرت مرة قرية أويش الحجر من جملة زياراتي لها، وألقيت درسًا حديثيًّا كعادتي مع أهل البلدة، وانجر الكلام إلىٰ موضوعات متنوعة حتىٰ انتهىٰ إلىٰ أشراف المغاربة وهل هم ينتمون إلىٰ الحسين؟ فأخبرتهم أن معظم الأشراف عندنا ينتمون إلىٰ الحسن بن علي عليهما السلام وقليل منهم ينتمي إلىٰ أخيه الحسين عليه السلام وسألوني أن أملي عليهم نسبي فأمليته عليهم، لأني حفظته وأنا في الكتاب.

فقال لي الشيخ الحسيني، وكان إمام مسجد وسط البلد ومعلم القرآن، ويتبرك به أهل البلد لصلاحه وعزوفه عن الدنيا رحمه الله: «أشهد أنك شريف منسب حقًا»، فقلت: «وما ذاك؟» قال: «رأيت الليلة الماضية النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وقبلت يده، ووجدت شخصًا يقعد بجانبه فسألت عنه فقال: «هذا ولدي وسيتلو عليك نسبه» فأصبحت بيننا علىٰ غير ميعاد، وتلوت علينا نسبك.

ورأيت النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ومعه الشيخان وغيرهما، ورأيت جبريل عليه السلام، وأخبرني أنه جاء من الأبواء، ورأيت عليًّا عليه السلام، ورأيت الحافظ ابن حزمٍ مرات، وابن العربي المعافري، وعز الدين بن عبدالسلام، وحصلت بيننا مذاكرة في قاعدة علمية، والسيد أحمد البدوي رأيته مرتين، ورأيت أبا الحسن الشاذلي شارح "الرسالة"، والجمل مُحَشِّي "الجلالين"، وجدنا أبا العباس بن عجيبة.

ولم أزاول الشعر إلا قليلًا في بعض المناسبات.

وكنت في صغري كثير الأمراض، حتىٰ قالت مرة والدتي لوالدي رحمهما الله ورضي عنهما ونحن علىٰ مائدة الطعام: «أظن أن هذا الولد لا يعيش»، فقال لها: «بل سيعيش، وتمر عليه أزمة كبيرة»، فكان مصداق كلامه دخول السجن في عهد جمال عبدالناصر، بتدبير مجرم مغربي أكرمته غاية الإكرام فدبَّر لي مع المباحث المصرية تهمة التجسُّس لحساب فرنسا علىٰ الجزائر وهي تهمة باطلة وحكم عليَّ بالإعدام، وبعد الحكم حلفت للصحفيين الذين كانوا ملتفين حولي إني لن أعدم، فتعجَّبوا، ومما عدَّه المصريون من كراماتي أن القاضي المسيحي الذي حكم عليَّ، لم يمر عليه شهران حتىٰ ألقىٰ بنفسه من سطح بيته فمات منتحرًا.

ثم مات جمال ميتة غير سليمة، وهو الآن عند الله تعالىٰ يلقىٰ جزاء ظلمه وغشمه، فقد أملىٰ الله له ثم أخذه أخذ عزيز مقتدر، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، والحمد لله رب العالمين.

فصل: في ذكر ما رحلت إليه من البلاد

١- رحلت إلىٰ الحج سنة ١٣٧٨هـ وهي أول حجة لي، وإن كنت قد حج بي وأنا صغير حين حج مولانا الوالد رحمه الله مع العائلة سنة ١٣٣٠هـ.

٢- ورحلت إلىٰ الإمارات العربية المتحدة، -أبو ظبي، دبي، الشارقة، قطر- سنة ١٣٩٩هـ، وفي هذه الرحلة فتح علي بأفكار نسخ التلاوة، وكتبت فيها مقالًا نشر في "مجلة منار الإسلام"، ولقيت في قطر الأستاذ عبدالله إبراهيم الأنصاري وكان طيب الخلق محبًّا للعلم.

٣- ورحلت إلىٰ الأردن -عمان- وقعدت فيها ثلاثة أيام ولم تعجبني لشدة بردها، ثم ذهبت هذه السنة إلىٰ الأردن باستدعاء السيد حسن السقاف،

ومكثت عشرة أيام في ضيافته، وأعجبني كثيرًا جو الأردن ومناظره الطبيعية وأهله الكرماء، وفيهم محبة للعلماء وتقديرهم، ويكرهون الألباني لابتداعه، كما يكرهون المبتدعة عمومًا، ويقيم هناك مسلم أمريكي اسمه نوح، وزوجته وأولاده مسلمون، وهو شافعي يفهم فقه الشافعية لأنه درس على بعض العلماء الشافعية، زارني مرات وحضر دروسي وطلب مني أن أعطيه إذنًا بترجمة مؤلفاتي إلى الإنجليزية، وسيبدأ بترجمة "إتقان الصنعة في تحقيق معنى البدعة" ويعتبر السيد حسن السقاف جوهرة الأردن، لقيامه بنسف سيئات ابن تيمية وابن القيم، وذيلهما الألباني.

٤- ثم ذهبت إلى السودان في العام نفسه، ونزلت في أم درمان عند السادة الأدارسة أولاد السيد أحمد إدريس شيخ السيد محمد بن علي السنوسي.

٥- ورحلت إلى أمريكا مرتين، مرة على سبيل الفسحة سنة ١٤٠١هـ باستدعاء ولدنا أحمد درويش وأقمت فيها عشرة أيام، ومرة أخرى سنة ١٤٠٢هـ ذهبت لإجراء عملية في عيني، وأقمت هناك ثلاثة أشهر في شيكاغو في منزل محمد علي كلاي وأقمت هذه الفترة في البيت المذكور، وتضايقت كثيرًا لأني لم أسمع طول هذه المدة أذانًا للصلاة، ولم أر شخصًا يقول: لا إله إلا الله، والمسلمون هناك ليس عندهم من مظاهر الإسلام إلا الذهاب إلى صلاة الجمعة في المسجد.

وحججت أيضًا حجتين أُخريين سنة ١٣٩٦هـ- ١٤٠١هـ واعتمرت سنة ١٤٠٤هـ في شعبان.

وفي حج سنة ١٣٩٦هـ التقيت في المدينة المنورة بالشيخ بكر بن عبدالله أبو

زيد وكان قاضيًا ورئيس الحرم النبوي، وكان كريم الخلق، استجازني فأجزته وذهب بي إلى بيته وأراني في مكتبته ركنًا خاصًّا بمؤلفاتي ومؤلفات أخي واستمرت المودة بيننا، وكان يستفيد مني ويتصل بي هاتفيًا يسألني عما يشكل عليه فأجيبه، كما كان يستفيد من تلميذي الشيخ محمود سعيد، وكان يقول له عني أني من علماء القرن الثامن أو التاسع.

لكنه لما اطلع على نقضي لكتاب أبي إسماعيل الهروي المشبه، غضب وطار صوابه وهذى كثيرًا وأظهر عداوة شديدة، وهكذا المشبهة يكرهون التنزيه ويسمون المنزهين معطلة وجهمية.

والأنصاري يقول في "الأربعين" أن الله يقال له «شخص»، وأن له عينين ويدين لهما أصابع فيها خنصر وبنان، وله رجل يطأ بها الكرسي ويضعها على النار فتنطفئ، وله حد وجهات.

فإنكاري لهذه المخازي أحفظ الشيخ بكرًا وأغضبه، مع أن إثبات الحد لله كفر، لأنه من سمات المحدثات، والله ينفي الحد عن ذاته بقوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ ١٩ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾ [البروج: ١٩ - ٢٠] أي أنه بكل شيء محيط، ومن أسمائه الحسنى: «الكبير»، ولو كان له حدٌّ لم يكن كبيرًا.

والمشبهة يزعمون أنهم أثبتوا الحد لإبطال وحدة الوجود، وهذا غسل دم بدم، أو غسل نجاسة بأنجس منها، فبطلان وحدة الوجود معلوم بالضرورة العقلية القاضية باستحالة اتحاد الخالق بالمخلوق أو حلوله فيه، وليس في قواعد العلم ما يجيز إبطال عقيدة كفرية بمثلها أو أشد منها فسادًا وكفرًا.

والتقيت بالشيخ حماد الأنصاري وكنت قد لقيته قبل ذلك بالمغرب حين

جاء لتصوير بعض المخطوطات، ولما عزمت على الذهاب إلى مكة اتصل الشيخ بكر هاتفيًّا بالقاضي محمد الرفاعي ليقابلني فاستقبلني عند مكتبة الأمدادية بباب العمرة وذهب بي وأخذني إلى بيته.

وقعدت في بيته شهرًا كاملًا وكان يجتمع الطلبة عندي في بيته بعد صلاة العشاء في كل ليلة، وكانوا يسألونني عن أشياء تتعلق برسائلهم الجامعية وأفدتهم فوائد جليلة شكروني عليها ومنهم صهر الألباني.

وأخذني القاضي محمد الرفاعي إلى الشيخ عبدالعزيز بن باز في دار الدعوة والإفتاء فاستقبلني استقبالًا طيبًا واحتفى بي ودعاني للغداء عنده في اليوم التالي، وأخذني القاضي أيضًا إلى الشيخ عبدالله بن حميد رئيس المحاكم الشرعية رحمه الله، فتعشينا عنده وجرى بيني وبينه كلام حول البناء على القبور.

أما في حج سنة ١٤٠١ فنزلت في دار العلوم الدينية بجرول عند العلامة الشيخ ياسين الفاداني.

والتقيت بكثير من العلماء من اليمن وسوريا وأندونيسيا وغيرها فضلًا عن علماء مكة وطبعت إجازة لأجيز بها السادة العلماء والطلبة الذين استجازوني وقد بلغوا أكثر من ألف وهذا نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وأصحابه وبعد:

فقد طلب مني/ ..... أن أجيز له بمرويَّاتي عن مشايخي الذين رويت عنهم وتلقَّيت، فأجبته إلى رغبته راجيًا أن تنالني دعوة صالحة منه، فقلت متوكِّلًا على الله ومعتمدًا في كل أموري عليه، أجزت الأستاذ الفاضل المذكور بجميع ما أجازني به مشايخي من مسموعات ومرويات، وهم كثيرون:

منهم والدي العارف بـالله تعالى، القدوة، سيدي محمد بن الصديق الغماري، يروي عن شيخ الجماعة أحمد بن الخياط الزكاري، والمهدي الوزاني، وأبو سالم الامرائي، وغيرهم كما في "التصور والتصديق" المطبوع.

ومنهم شيخنا خطيب الجامع الأزهر المعمور سابقًا أبو عبدالله محمد إمام بن إبراهيم السقا ابن الشيخ علي ابن الشيخ حسن شلبي الشبرابخومي الشهير بالسقا، وهو يروي عن والده الشيخ إبراهيم السقا شيخ الشافعية في وقته، عن شيخه العلامة الشيخ ثعيلب، عن الشيخ الشهاب الملوي والشيخ الشهاب الجوهري، عن شيخهما الشيخ عبدالله بن سالم البصري صاحب الثبت المشهور.

(ح) ويروي الشيخ إبراهيم السقا عن الشيخ محمد الأمير الصغير المالكي، عن والده الشيخ محمد الأمير الكبير صاحب الثبت المشهور.

ومنهم شيخنا عالم الشام محمد بدر الدين الدمشقي، وهو يروي عن الشيخ إبراهيم السقا بأسانيده السابقة.

ومنهم شيخنا العلامة شيخ علماء مصر الشيخ محمد بخيت المطيعي

الحنفي، وهو يروي عن مشايخ عدة منهم شيخ المالكية في وقته الشيخ محمد عليش، عن الأمير الصغير، عن والده.

ويروي أيضًا عن الشيخ عبدالرحمن الشربيني، عن الشيخ إبراهيم السقا المذكور.

ويروي أيضًا عن ضياء الدين أحمد بن مصطفى الخالدي الكمشخانوي صاحب كتاب "راموز الأحاديث" وشرحه المطبوعين، عن شهاب الدين أحمد ابن سليمان الإروادي، عن عبدالرحمن الكزبري وابن عابدين والباجوري، وللأولين ثبتان معروفان.

ومنهم الأخوان الفاضلان محمد كمال الدين وأخوه أبو النصر ولدا أبي المحاسن محمد بن خليل القاوقجي المشهور، وهما عن والدهما، عن الشيخ عابد السندي بما في ثبته المشهور.

ومنهم شيخ علماء دمياط محمد محمود خفاجة الدمياطي عن القاوقجي.

ومنهم الشيخ عويد المكي الخزاعي الضرير، وهو عن العلامة الأديب الشيخ عبدالهادي نجا الإبياري بما في كتبه.

ومنهم المعمر محمد دويدار الكفراوي التلاوي، وهو يروي بالعامة عن إبراهيم الباجوري، عن الأمير الكبير.

ومنهم الشيخ محمد بن إبراهيم السمالوطي -العلامة المشهور- وهو يروي عن إبراهيم السقا والشمس الإنبابي وغيرهما.

ومنهم شيخنا مسند الديار المصرية السيد أحمد بن عبدالعزيز بن رافع الطهطاوي الحسيني صاحب "المسعى الحميد"، يروي عن الشيخ شمس الدين الإنبابي الذي أفرد له ترجمة خاصة في كتاب خاص اسمه "القول

الإيجابي في ترجمة شمس الدين الإنبابي" استوفى ذكر شيوخ الإنبابي وأسانيده، وهو مطبوع، وللسيد أحمد رافع شيوخ آخرون.

ومنهم شيخنا السيد محمد بن إدريس القادري صاحب "إزالة الدهش والوله عن المتحير في حديث: زمزم لما شرب له"، وشرح "جامع الترمذي"، يروي عن السيد محمد بن قاسم القادري والسيد محمد بن جعفر الكتاني.

ومنهم شيخنا أبو حامد المكي البسطاوي الرباطي، يروي عن أبي الحسن علي بن سليمان البوجمعوي محشي الكتب الستة وصاحب الثبت المعروف.

وأروي عن شقيقنا الحافظ السيد أحمد بن محمد بن الصديق، والعلامة عبدالمجيد اللبان، والمؤرخ السيد محمد زبارة الحسني، والأصولي أبي حسنين محمد بن حسنين مخلوف العدوي، رحمهم الله وأثابهم رضاه.

وأروي الحديث المسلسل بالأولية عن عدة من السادة العلماء من أجلهم السيد أحمد رافع الطهطاوي وهو أول، قال: حدثنا الشمس محمد الأشموني وهو أول، قال: حدثنا علي بن عيسى النجاري وهو أول، قال: حدثنا محمد بن محمد الأمير المالكي الكبير وهو أول، وبقية السند في ثبته المطبوع.

هذا ما رأينا أن نذكره من مشايخنا إجابة لرغبة السائل الفاضل وتعجيلًا للفائدة المرجوة من الإجازة.

أوصي الأستاذ المجاز أن لا ينساني من صالح دعواته وفَّقني الله وإياه إلى ما فيه رضاه.

عبدالله بن محمد بن الصِّدِّيق، عفي عنه

التاريخ ٢٩ / ١١ / ١٤٠١ هـ

وممن التقيت به في هذا الموسم من العلماء الأفاضل، الشيخ زكريا بن عبدالله بيلا، والشيخ محمد الشاذلي النيفر شيخ علماء تونس، وتلميذنا الشيخ عبدالفتاح أبو غدة الذي حضر إلي من الرياض ففرحت به بعد غيبة طويلة، وقرأ علي في مجلس واحد مقدمة "صحيح مسلم".

والشيخ إسماعيل الزين اليمني المكي، والشيخ أحمد جابر جبران، والشيخ محمد عوض الزبيدي، والسيد محمد علوي المالكي، والشيخ الدكتور أحمد نور سيف، وغيرهم من علماء مكة المكرمة واليمن والشام وأندونيسيا.

وقد أكرم وفادتنا الشيخ محمد ياسين الفاداني غاية الإكرام وسر بوجودنا جدًّا، وأنا أعده مسندًا للعصر بلا منازع بعد شيخنا السيد أحمد رافع الطهطاوي وفقه الله وكان معي في هذه الحجة أخي السيد عبدالعزيز بن الصديق.

وفي عمرة شعبان سنة ١٤٠٤هـ التقيت بجماعة من تلامذتي وغيرهم بالمدينة المنورة منهم الشيخ محمد علي المراد الحموي الحنفي الذي تعرفت به في مصر بواسطة شيخه وتلميذي في نفس الوقت الشيخ محمد الحامد الحموي رحمه الله تعالى.

والشيخ المراد المذكور من أسرة علم كبيرة بحماة وهو رئيس رابطة العلماء بها، وهو يقدرني كثيراً ويحترمني وقد أكرم وفادتي غاية الإكرام.

ومنهم الشيخ محمد عوامة وهو عالم فاضل جميل الخلق.

والتقيت بالشيخ خليل إبراهيم ملا خاطر، والشيخ وهبي سليمان الألباني، والشيخ عبدالرحمن الكعكي الذي يعشق كتبي ويقتني منها مجموعات وفّقه الله.

والتقيت بالشيخ حماد الأنصاري، وبالشيخ عطية سالم المدرس بالحرم النبوي وقد سألني أسئلة أبانت عن فقهه، وهو كريم الخلق.

والشيخ المختار الشنقيطي وهو عالم فاضل يحب الأشراف وكان يود أن يراني من فترة وقد سررت بلقائه وأطلعني على شرح له لـ"سنن النسائي" وفقه الله لإتمامه وطبعه ثم الانتفاع به.

وممن التقيت بهم بالمدينة أيضًا السيد أحمد عبدالجواد الذي يشتغل بطبع "الجامع الكبير" وقد أهداني نسخة من الكتاب.

ورحلت إلى مصر مرات عديدة ودرست في آخر مرة "الشمائل" و"الموطأ "و"اللمع" لأبي إسحاق الشيرازي، ولي في مصر تلاميذ كثيرون من الشباب المثقف فتح الله عليهم.

وأختم هذا المؤلف بإثبات بحثًا لي في رتب الحفظ عند أهل الحديث، كتبته مقالًا في "مجلة دعوة الحق".

رتب الحفظ عند المحدِّثين

نقل المناويُّ في أوائل "شرح الشمائل" عن المُطَرِّزيِّ، قال: «لأهل الحديث مراتب، أولها: الطالب: وهو المبتدئ. ثُمَّ المُحدِّث: وهو مَن تحمَّل روايته، واعتنى بدرايته. ثُمَّ الحافظ: وهو من حَفِظ مائة ألف حديثٍ متنًا وإسنادًا. ثُمَّ الحُجَّة وهو من أحاط بثلاثمائة ألف حديثٍ. ثُمَّ الحاكم وهو مَن أحاط بجميع الأحاديث المرويَّة».اهـ

وأهل الحديث لا يعرفون هذه المراتب، ولا يعترفون بها؛ لأنَّها تخالف ما اصطلحوا عليه.

فالطالب هو المبتدئ في كلِّ عِلْمٍ، وليس خاصًّا بأهل الحديث، وفي حديثٍ رواه الطبرانيُّ بإسنادٍ ضعيفٍ عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَنْهُومَانِ لا يَشْبَعانِ طَالِبُها: طَالِبُ عِلْمٍ وطَالبُ دُنْيا**»، والحجَّة من مراتب التعديل لا الحفظ، وهي فوق الثِّقة كما نصَّ عليه الذَّهبيُّ في "تذكرة الحفاظ"، وستأتي عبارته بحول الله، أمَّا الحاكم فلا علاقة له بالحفظ ولا التعديل، بل هو لَقَبٌ عائليٌّ لبعض الحُفَّاظ والمُحدِّثين.

منهم: أبو أحمد محمَّد بن محمَّد بن أحمد بن إسحاق النيسابوريُّ الكرابيسيُّ الحافظ صاحب كتاب "الكنى" وغيره من المؤلَّفات، توفِّي سنة (٣٧٨)، قال الذَّهبي: وهو الحاكم الكبير.

ومنهم: أبو عبدالله محمَّد بن عبدالله بن محمَّد بن حمدويه بن نُعيم النيسابوريُّ الحافظ، صاحب كتاب "المستدرك" وغيره يعرف بابن البيع، توفِّي سنة (٤٠٥)، وهو تلميذ الحاكم الكبير.

ومنهم: أبو القاسم عبيد الله بن عبدالله بن أحمد بن محمَّد بن حسكان القرشيُّ العامريُّ النيسابوريُّ الحنفيُّ الحافظ، يعرف بابن الحذاء، و بالحسكاني، أخذ عن الحاكم صاحب "المستدرك" وتوفِّي بعد سبعين وأربعمائة.

ومنهم: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمَّد بن الحسن الاستراباذي المحدِّث، حدَّث سنة (٤٣٢) ترجم له التاج السبكيُّ في "طبقات الشافعية"، ولم يذكر سنة وفاته.

والعجيب أنَّ المتأخِّرين تمالئوا على نقل كلام المُطرِّزيِّ تقليدًا بدون تمحيصٍ.

والواقع أنَّ مراتب الحفظ عند أهل الحديث على الوجه الآتي: مُسنِد، ثمَّ

مُحدِّث، ثُمَّ مُفيد، ثُمَّ حافظ، ثُمَّ أمير المؤمنين في الحديث.

فالمسنِد -بكسر النون-: من يعنىٰ بالإسناد من حيث اتصاله أو انقطاعه أو تسلسله بصفةٍ مُعيَّنة وإنْ لم يكن له خبرة بالمتون.

وكان شيخنا العلَّامة المرحوم السيِّد أحمد رافع الحسينيُّ الطهطاويُّ الحنفيُّ مُسند العصر بدون منازعٍ، له كتاب "المسعىٰ الحميد إلىٰ بيان وتحرير الأسانيد"، حرَّر الكلام فيه علىٰ الأسانيد الموجودة في نحو أربعمائة ثبت، ونبَّه علىٰ أوهام وقعت في كتاب "فهرس الفهارس"، وكان لا يعرف في المتون كثيرًا ولا قليلًا.

والمحدِّث: من سمع الكتب الستة و"الموطأ" و"سنن الدَّارمي" و"الدَّارقطني" و"البيهقي" و"مستدرك الحاكم" و"مسند أحمد"، وسمع إلىٰ جانب هذه الكتب ألف جزءٍ حديثي وحفظ جملة مستكثرة من المتون.

ويكفي عن الحفظ في هذا الوقت أن يراجع أحاديث "الجامع الصغير" مرَّاتٍ حتىٰ تعلق أحاديثه بذهنه بحيث يستحضر حديثًا منها إذا شاء، ويشتمل "الجامع الصغير" علىٰ نحو عشرة آلاف حديثٍ فيها الصَّحيح والحسن والضعيف والموضوع، فمن أحاط بها واستحضر معانيها، وعرف مظانها، مع بقيَّة الشُّروط السَّابقة كان مُحدِّثًا.

والمُفيد: رتبةٌ اسُتحدِثت في القرن الثالث الهجريِّ، قال الحافظ الخطيب: حدَّثني محمَّد بن عبدالله عن أبي بكر محمَّد بن أحمد بن محمَّد بن يعقوب، قال: موسىٰ بن هرون -يعني الحمال الحافظ- سمَّاني المُفيد.

قال الحافظ الذَّهبي: فهذه العبارة أول ما استعملت لقبًا في هذا الوقت،

قبل الثلاثمائة، والحافظ أعلىٰ من المُفيد في العرف، كما أنَّ الحجَّة فوق الثِّقة».اهـ

وممن لُقِّب بالمُفيد سوىٰ أبي بكرٍ المذكور، أبو بكر وأبو عبدالله محمد بن يوسف بن يعقوب الرقي المؤرِّخ، روىٰ عن الطبرانيِّ وغيره، توفِّي سنة (٣٨٢)، اتهمه الخطيب بوضع حديثٍ في فضل أهل الحديث.

قلت: لفظ الحديث المشار إليه: «**إذا كان يوم القيامة، جاء أصحاب الحديث بأيديهم المَحابِرُ، فيأمر الله جبريل أن يأتيهم فيسألهم، وهو أعلم بهم فيقول: مَن أنتم؟ فيقولون: نحن أصحاب الحديث، فيقول الله عزَّ وجلَّ: ادخلوا الجنَّة على ما كان منكم، طالما كنتم تصلُّون على النبيِّ في دار الدُّنيا**».

رواه الخطيب في "التاريخ" من طريق محمد بن يوسف الرقي المذكور، حدَّثنا الطبرانيُّ: ثنا الدبريُّ: ثنا عبدالرازَّق عن مَعْمَرٍ، عن الزُّهريِّ، عن أنسٍ رفعه به.

ورواه أبو المحاسن الرُّوياني في "فوائده"، عن عبدالله بن جعفر الجبائريِّ عن محمَّد بن يوسف الرقي به، لكن قال: عن مَعْمَرٍ، عن قتادة عن أنسٍ.

ورواه ابن الجوزيِّ في "الموضوعات" من طريق الخطيب وقال: الحمل فيه علىٰ الرقي، وقال الذَّهبي: وضع علىٰ الطبرانيِّ هذا الحديث.

ورواه الديلميُّ في "مسند الفردوس"، والنميريُّ في "الأعلام" من طريق آخَر، فيه محمَّد بن أحمد بن مالك الإسكندراني وهو مجهولٌ، واقتصر الحافظ السَّخاويُّ في "القول البديع"، علىٰ تضعيفه من الطريقين، وهو تساهلٌ منه رحمه الله، فالحديث موضوعٌ كما قال الخطيب وابن الجوزيِّ والذَّهبيُّ، وممَّا يؤيِّد وضعه نكارة معناه، وروايته من طريق أئمَّة أجلاء عبدالرازَّق، عن مَعْمَرٍ عن الزُّهريِّ عن أنسٍ.

وممَّن لُقِّب بالمفيد:

أبو سليمان حمد بن محمَّد بن إبراهيم بن خطَّاب الخطابي البستيُّ، صاحب "معالم السنن" وغيره من المصنَّفات، وهو أحد شيوخ الحاكم، صاحب "المستدرك" توفي سنة (٣٨٨) ببلدة بست، في أفغانستان.

وأبو سعد عمر بن علي بن عمر النيسابوريُّ الخشَّاب المتوفَّىٰ سنة (٤٥٦).

وأبو منصور عبدالمحسن بن محمَّد بن علي الشيميُّ السفار المتوفَّىٰ سنة (٤٨٩).

وأبو الفرج عبدالخالق بن أحمد بن عبدالقادر بن محمَّد بن يوسف اليوسفيُّ البغداديُّ المتوفَّىٰ سنة (٥٤٨).

وأبو عليٍّ صدر الدين الحسن التيميُّ البكريُّ الصُّوفيُّ المتوفَّىٰ سنة (٦٥٦).

وشمس الدين عليُّ بن المظفَّر بن القاسم الربعيُّ الدِّمشقيُّ المتوفَّىٰ سنة (٦٥٦).

ثُمَّ المفيد من جمع شروط المُحدِّث، و تأهَل لأن يُفيد الطبلة الذين يحضرون مجالس إملاء الحفَّاظ، فيبلغهم مالم يسمعوه، ويفهمهم ما لم يفهموه، وذلك بأن يعرف العالي والنَّازل والبدل والمصافحة والموافقة، مع مشاركةٍ في معرفة العِلل.

والأصل فيه ما رواه أبو داود والنَّسائيُّ عن رافعٍ بن عمرو قال: رأيت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يخطب النَّاس بمنىٰ حين ارتفع الضُّحىٰ، علىٰ بغلةٍ شهباء، وعليٌّ يعبِّر عنه، وفي "الصحيحين" عن أبي جمرة قال: كنت أترجم بين ابن عباسٍ وبين النَّاس.

الحافظ: اختلف في تعريفه بين مُشدِّدٍ ومُخفِّفٍ، وأعدل التعريفات فيه أنَّه

من جمع شروطًا ثلاثة:

١ - حفظ المتون، ولا يقلّ محفوظه عن عشرين ألف حديثٍ.

٢ - حفظ أسانيدها وتمييز صحيحها من سقيمها.

٣ - معرفة طبقات الرُّواة وأحوالهم، طبقة بعد طبقة، بحيث يكون من لا يعرفه أقل ممن يعرفه، حتىٰ إذا قال في راوٍ: لا أعرفه، اعتبر ذلك الرَّاوي من المجهولين.

ويتفاوت الحُفَّاظ بتفاوت كثرة محفوظاتهم وقلَّتها، وهذه أمثلة من ذلك:

قال يعقوب الدورقيُّ: كان عند هشيم عشرين ألف حديثٍ، وقال يحيىٰ بن معينٍ: كانت كتب ابن المبارك التي حدَّث بها نحو عشرين ألف حديثٍ.

وقال يزيد بن هارون: أحفظُ أربعة وعشرين ألف حديث بالإسناد ولا فخر، وأحفظ للشَّاميين عشرين ألفًا لا أسأل عنها. وقال أيضًا: سمعت حديث الفتون مرَّة واحدة فحفظته، وأحفظ عشرين ألفًا، فمن شاء فليدخل فيها حرفًا.

وحديث الفتون طويل، يقع في نحو كرَّاسة، رواه النَّسائيُّ في "السنن الكبرىٰ" و ابن أبي حاتمٍ، و الطبري في تفسيريهما، وأبو يعلىٰ في "معجمه" من طريق يزيد بن هرون، عن أصبغ بن يزيد، عن القاسم بن أبي أيوب، عن سعيد بن جُبيرٍ، عن ابن عباسٍ به.

قال ابن كثيرٍ: «وهو موقوفٌ من كلام ابن عباسٍ، وليس فيه مرفوعٌ إلَّا قليل منه، وكأنَّه تلقَّاه ممَّا أبيح له نقله عن الإسرائيليات عن كعب الأحبار أو غيره، وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المِزِّي يقول ذلك».اهـ

قال الحافظ الهيثمي في "مجمع الزوائد" بعد أن عزاه لأبي يعلىٰ: «رجاله رجال الصَّحيح غير أصبغ بن زيد والقاسم بن أبي أيوب وهما ثقتان».اهـ

قلت: وقع في ترجمة أصبغ، في "الميزان": راوي حديث القنوت، وكذلك وقع في ترجمة القاسم في "تهذيب التهذيب"، وهو تصحيفٌ من المطبعة.

وقال داود بن عمرو الضبيُّ: كان إسماعيل بن عيَّاشٍ، يحدِّثنا من حفظه، ما رأيت معه كتابًا قَطُّ، فقال له عبدالله بن أحمد بن حنبلٍ: أكان يحفظ عشرة آلاف حديثٍ؟ قال: وعشرة آلاف وعشرة آلاف، فقال له أبي أحمد: هذا مثل وكيعٍ.

وقال حرب الكرمانيُّ: أَمْلَىٰ علينا سعيد بن منصور نحوًا من عشرة آلاف حديثٍ من حفظه، وقال الحافظ أبو بكر بن أبي داود صاحب "السنن": حدَّثت من حفظي بأصبهان ستة وثلاثين ألف حديثٍ، ألزموني الوَهْم في سبعة أحاديث منها، فلما انصرفت وجدت في كتابي خمسة منها علىٰ ما كنت حدَّثتهم به، وقال الحافظ أبو حفص بن شاهين: أَمْلَىٰ علينا ابن أبي داود، ما رأيت في يده كتابًا قَطُّ، إنَّما كان يُمْلِي حفظًا، وكان يقعد علىٰ المنبر بعدما عمي، ويقعد دونه بدرجة ابنه أبو معمرٍ، بيده كتاب، فيقول له: حديث كذا فيسرده من حفظه، فقال أبو تمام الزينيُّ، فقال: لله درُّك، ما رأيت أحفظ منك إلَّا أن يكون إبراهيم الحربي، فقال: كلُّ ما يحفظه إبراهيم فأنا أحفظه، وأنا أعرف بالنجوم وما كان يعرفها.

وقال البخاريُّ: أحفظ مائة ألف حديثٍ صحيحٍ، ومائتي ألف حديثٍ غير صحيحٍ.

وسأل رجلٌ أبا زرعة أنَّه حلف بالطلاق: أنَّك تحفظ مائة ألف حديثٍ؟

فقال: تمسَّك بامرأتك. وقال أبو زرعة أيضًا: أحفظ في القراءات عشرة آلاف حديثٍ.

وقال الحافظ أبو بكر العبَّاس بن عُقْدَة: أحفظ مائة ألف حديثٍ بأسانيدها. وقال أيضًا: دخلت الرَّقَّة، وكان لي ثَمَّ قِمَطْر من كتبٍ، فجاء غلامي مُغتمًّا وقال: ضاعت الكتب، فقلت: يابني لا تَغْتَمَّ، فإنَّ فيها مائتي ألف حديثٍ، لا يُشْكِلُ عليَّ حديثٌ منها، لا مَتْنُه ولا إسناده.

الحافظ نوعان:

١ - حافظٌ على طريقة الفقهاء كالطحاويِّ، والبيهقيِّ، والباجيِّ، وابن العربي المعافريِّ، والقاضي عياض، والنوويِّ، وابن تيمية، وابن كثيرٍ.

٢ -حافظٌ على طريقة المحدِّثين، وهم معظم الحفَّاظ.

والحافظ على طريقة المحدِّثين أكثر حِفْظًا وأوسع رواية، وأعرف بأحوال الرِّجال وطبقاتهم، وأدرى بقواعد التصحيح والتضعيف لتمكُّنِه في معرفة العِلل وغرائب الأحاديث.

وأمير المؤمنين في الحديث هي الرُّتبة العُليا في الحفظ، لا رتبة فوقها، واستُحدثت هذه الرتبة في المائة الثانية للهجرة، قال الحافظ السُّيوطيُّ في "التدريب": «كأنَّ هذا اللَّقب مأخوذٌ من قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**اللهمَّ ارْحَمْ خُلَفَائي**» قيل: ومَن خُلَفَاؤك؟ قال: «**الذين يأتون مِن بعدي يَرْوُون أحادِيثي وسُنَّتي**» رواه الطبرانيُّ وغيره».

قلت: هذا الحديث رواه الرَّامَهُرْمُزِيُّ في "المحدِّث الفاصل" والطبرانيُّ في "المعجم الأوسط" وأبو نُعيم في "تاريخ أصبهان" والخطيب في "شرف

أصحاب الحديث"، كلهم من طريق أحمد بن عيسىٰ العلوي: أخبرنا ابن أبي فُدَيْكٍ، عن هشام بن سعدٍ، عن زيد بن أسلمَ، عن عطاء بن يَسارٍ، عن عبدالله بن عبَّاسٍ قال: سمعت عليَّ بن أبي طالبٍ يقول: خرج علينا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**اللهمَّ ارْحَمْ خُلَفَائي**»، قلنا: يا رسول الله ومَن هم؟ قال: «**الذين يأتون مِن بعدي يَرْوُون أحاديثي وسُنَّتي ويُعَلِّمونها النَّاسَ**».

أحمد بن عيسىٰ العلويُّ نقل الذَّهبيُّ في ترجمته من "الميزان" عن الدَّارقطني أنَّه قال فيه: كذَّابٌ، وحكم الذَّهبيُّ ببطلان هذا الحديث، بعد أن ساقه بإسناد الرَّامَهُرْمُزيِّ، وقال الحافظ الزيلعيُّ في "نصب الرَّاية": «وقد روىٰ الحافظ أبو محمَّد الرَّامَهُرْمُزيُّ في أول كتاب "المحدِّث الفاصل" حديثًا موضوعًا لأحمد بن عيسىٰ هو المتهم به»، وذَكَرَ هذا الحديث.

ورواه الخطيب في "شرف أصحاب الحديث" من طريق عبدالسَّلام بن عبيد: حدَّثنا ابن أبي فُدَيْكٍ عن هشام بن سعدٍ به.

عبدالسَّلام بن عبيد، قال ابن حِبَّان: «يسرق الحديث، ويروي الموضوعات».

وسرقة الحديث: أن يعمد الرَّاوي إلىٰ حديثٍ معروفٍ من طريقٍ معيَّنٍ، فيرويه من طريقٍ آخَر.

مثاله: روىٰ الليث ويونس عن الزُّهريِّ عن أنسٍ حديث: «**مَن كَذَبَ عَليَّ مُتَعَمِّدًا...**» الحديث. رواه عبدالسَّلام هذا، عن سفيان بن عُيَيْنَة عن الزُّهري، فحوَّله من رواية الليث و يونس إلىٰ رواية ابن عُيَيْنَة، وهذه سرقة.

وروىٰ ابن عُيَيْنَة عن الزُّهري عن سعيد بن المسيِّب عن أبي هريرة حديث: «**لا يُلْدَغُ المؤمِنُ مِن جُحْرٍ واحدٍ مرَّتين**». سرقه عبدالسَّلام فرواه ابن عُيَيْنه عن

الزُّهريِّ، عن أبي الزِّناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة.

وعبدالسلام هذا، روىٰ عنه أبو عوانة في "صحيحه"، كأنَّه لم يعرف حاله، وهذا كما روىٰ مالكٌ في "الموطأ" عن عبدالكريم بن أبي المخارق مع ضعفه؛ لأنَّه لم يعرف حاله.

ولحديث الخلفاء طريقٌ آخَر، أخرجه الخطيب في "شرف أصحاب الحديث" من طريق أبي الصباح عبدالغفور عن أبي هاشم الرمانيِّ، عن عليٍّ، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ألَا أدلُّكم على آية الخُلَفاء مِنِّي، ومِن أصحابي، ومِن الأنبياء قبلي؟ هم حَمَلَةُ القُرآنِ والأحاديث عَنِّي وعنهم في الله ولله عزَّ وجلَّ**». عبدالغفور، قال ابن حِبَّان: «كان ممَّن يضع الحديث»، وقال ابن عديٍّ: «ضعيفٌ منكر الحديث».

ولا شكَّ أنَّ أهل الحديث نُوَّابٌ عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في تبليغ أحاديثه ونشر سُنَّته، فهم خلفاؤه، ولهذا سُمِّي بعضهم: أمير المؤمنين في الحديث، كما أنَّ الخلفاء الحكَّام، سُمُّوا أمراء المؤمنين، لنيابتهم عنه في تنفيذ الأحكام، وإقامة الحدود، وحماية بيضة الإسلام، وليس كلُّ عالمٍ أو فاضلٍ أو صاحب رأيٍ، يصلح لخلافة الحكم بل يشترط فيمن يتولَّىٰ هذا المنصب الخطير شروطٌ مفصَّلةٌ في كتب الفقه الإسلامي، كذلك ليس كلُّ حافظٍ يستحق لقب أميرِ المؤمنين في الحديث، إنَّما يستحقُّه من توفَّرت فيه الشُّروط الآتية:

١ - شدَّة الإتقان والضَّبط بنوعيه، ضبط صدر، وضبط كتاب.

٢ - التبريز في العلل أو الرِّجال.

٣ - أنْ يؤلِّف كتابًا له قيمته العلميَّة، كبير الأمر في موضوعه، أو يتخرَّج

عليه حُفَّاظٌ مهرة.

ولعِزَّة اجتماع هذه الشُّروط في شخصٍ، لم ينل هذا اللَّقب من الحفَّاظ على كثرتهم إلَّا نفرٌ قليل منهم لا يتجاوز عددهم عشرين شخصًا.

منهم الإمام مالك بن أنسٍ، قال يحيى بن سعيد القطَّان، ويحيى بن معينٍ: مالك أمير المؤمنين في الحديث، على أنَّه لم يكن واسع الحفظ؛ لأنَّه لم يرحل إلى البلدان والأقطار، كما رحل غيره من الحفَّاظ، ولم يبارح المدينة المنوَّرة إلَّا للحجِّ، ثُمَّ رجع، وبسبب ذلك فاته حديثٌ كثيرٌ، لكنَّه كان شديدَ الإتقان، بالغ التحرِّي، مبرزًا في نَقْد الرِّجال.

قال الترمذيُّ في "العلل": سمعت إسحاق بن موسى الأنصاريَّ قال: سمعت معن بن عيسى يقول: «كان مالك بن أنسٍ يُشدِّد في حديث رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في الياء والتاء ونحو هذا».

وروى أيضًا عن عليِّ بن المديني، قال: قال يحيى بن سعيد القطَّان: «ما في القوم أصح حديثًا من مالك بن أنسٍ، كان مالكٌ إمامًا في الحديث».

وقال عليُّ بن المَدينيِّ عن سفيان بن عُيَيْنَة: «ما كان أشد انتقاد مالكٍ للرِّجال، وأعلمه بشأنهم». وقال يحيى بن معين: «كلُّ من روى عنه مالك، فهو ثقةٌ إلَّا عبدالكريم».

قلت: عبدالكريم هذا هو ابن أبي المُخارق -بضمِّ الميم- أبو أميَّة البصري المعلِّم، قال ابن عبدالبر: «لا يختلفون في ضعفه، غرَّ مالكًا منه سمته، ولم يكن من أهل بلده فيعرفه، ولم يخرج عنه حكمًا بل ترغيبًا وفضلًا».اهـ

وقال الحافظ ابن سيِّد النَّاس في "شرح الترمذي": لكن لم يخرج عنه مالكٌ

إلَّا الثَّابت من غير طريقه: «**إذا لم تَسْتَحِ فاصْنَعْ ما شِئْتَ**»، ووضع اليُمنىٰ علىٰ اليسرىٰ في الصَّلاة، وقد اعتذر لَمَّا تبيَّن له أمره، وقال: غرَّني بكثرة بُكائه في المسجد.

وكتابه "الموطأ" من كتب السُّنَّة النافعة مدحه الإمام الشافعيُّ بكلمته المعروفة: «ما علىٰ ظهر الأرض بعد كتاب الله أكثر صوابًا من "موطأ مالكٍ"».

وأثنىٰ عليه غيره من العلماء ثناءً كثيرًا لا حاجة إلىٰ الإطالة به؛ لشُهرته وانتشاره في "شروح الموطأ" وغيرها من كتب السُّنَّة، ولولا ما فيه من المرسلات والبلاغات، ما تقدَّم عليه الصحيحان ولا غيرهما.

ولم يُقَدِّره المالكيَّة حَقَّ قَدْرِهِ، حيث قدَّموا عليه "المدوَّنة"، مع أنَّ القواعد الأصوليَّة والحديثيَّة، توجب تقديمه لأمور:

١ - أنَّ "الموطأ" كتبه الإمام بيده، ونقَّحه في مدىٰ أربعين سنة، و"المدوَّنة" ليست كذلك؛ لأنَّه لم يكتبها ولا نقَّحها.

٢ - أنَّ "الموطأ" رواه عن الإمام عِدَّة فئات من العلماء، فهو منقولٌ بالتواتر، و"المدوَّنة" ليست كذلك.

٣ - أنَّ جملة رواة "الموطأ" أصحاب مالك المَدنيين، وهم الذين لازموه إلىٰ وفاته، وابن القاسم الذي بُنيت "المدوَّنة" علىٰ روايته، فارق مالكًا قبل وفاته بعشرين سنة، والمُلازم للشَّيخ مُقَدَّم علىٰ المُفارق له.

٤ - أنَّ أقوال الإمام في "الموطأ" مصحوبةٌ بدليلها من آيةٍ أو حديثٍ أو أثرٍ، والأقوال المنسوبة إليه في "المدونة" عاريةٌ عن الدليل، ولكن غلط المالكيَّة أنَّهم يعتبرون الآراء المجرَّدة فقهًا، ويسمُّون "المدونة" كتاب فقه، و"الموطأ"

كتاب حديثٍ، ولتفصيل هذا البحث موضعٌ غير هذا.

ومنهم إمام الحُفَّاظ، جبل العِلْم أبو عبدالله محمَّد بن إسماعيل البخاريُّ صاحب "الصحيح"، قال عنه شيخه عليُّ بن المديني: «ما رأى مثل نَفْسِهِ».

وقال ابن خزيمة: «ما تحت أديم السَّماء أعلم بالحديث من البخاريِّ».

وقال الحافظ أحمد بن نصر الخفَّاف: «محمَّد بن إسماعيل أعلم في الحديث من أحمَّد بن حنبلٍ واسحق بن راهويه بعشرين درجة».

وقال الترمذيُّ: «لم أرَ أحدًا بالعراق ولا بخراسان في معنى العلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد أعلم من محمَّد بن إسماعيل، أجمعت الأمَّة على تلقِّيه بالقبول، وأجله العلماء الفحول. له عند الحفَّاظ هيبة، وفي قلوبهم رهبة».

ومنهم الإمام الحافظ المُتقِن أبو الحسن عليُّ بن عمر الدَّارقطني، قال الحاكم: «صار الدارقطني أوحد عصره في الحفظ والفهم والوَرَع، وإمامًا في القرَّاء والنحويين. أقمت ببغداد أربعة أشهر، وكثر اجتماعنا، فصادفته فوق ما وصف لي، وسألته عن العلل والشيوخ، فأشهد أنَّه لم يخلف على أديم الأرض مثله».

وقال الخطيب: «كان الدارقطني فريد عصره، وقريع دهره، ونسيج وحده، وإمام وقته، انتهى إليه علم الأثر والمعرفة بعلل الحديث وأسماء الرِّجال وأحوال الرُّواة، مع الصِّدق والثِّقة وصحَّة الاعتقاد، وسلامة المذهب».

قال الحافظ الذَّهبي: «وإذا شئت أن تعرف براعة هذا الإمام الفرد، فطالع كتاب "العلل"؛ فإنَّك تندهش ويطول تعجُّبك!!».اهـ

قلت: كتاب "العلل" له في سبعة مجلَّدات، رأيته، وهو يدلُّ على براعته حقًّا، والعجيب أنَّه أملاه على تلميذه الحافظ البرقاني، فإنَّه قال: كان الدَّارقطني

يملي عليَّ "العلل" من حفظه، وأنا الذي جمعتها، وقرأها النَّاس من نسختي.

ومنهم شعبة ومحمَّد بن إسحق وعبدالله بن المبارك ومحمَّد بن يحيىٰ الذهلي وإسحق بن راهويه والحافظ ابن حجرٍ، وهو خاتمتهم، ولم يأتِ بعده من نال هذه الرتبة بحقٍّ.

وإن كان في تلامذته حُفَّاظٌ كالسَّخاويِّ ثم الدِّيَميِّ والسُّيوطيِّ لكنَّهما لم يدركاه، وإنَّما تتلمذا علىٰ كتبه، وانتفعا بها كثيرًا، وهو يعتبر خاتمة الحفَّاظ بالمعنىٰ المصطلح عليه عند أهل الحديث، ومن وصف بعده بالحافظ كالسيِّد مرتضىٰ الزَّبيدي شارح "الإحياء"، فذلك علىٰ سبيل التوسع في العبارة، نظرًا لكثرة اطلاعه.

وكان مُجيزنا العلَّامة الشيخ محمَّد زاهد الكوثريُّ الحنفيُّ -رحمه الله- يصف ابن طولون الحنفيَّ بالحافظ، وناقشته في ذلك، فقال: إنَّ مروياته كثيرة، وهذه مغالطةٌ؛ لأنَّ كثرة المرويات إنَّما تعتبر في الحافظ بشرط أن تكون مسموعة له، ومرويَّات المتأخِّرين كابن طولون، إنَّما هي بالإجازة، والغرض منها بقاء سلسلة الإسناد والتبرُّك برجال السلسلة، كما قال الحافظ السَّخاويُّ: «إنَّه لبس الخرقة الصوفيَّة تجاه الكعبة المشرَّفة تبركًا برجالها الصَّالحين، وإن كان يعتقد أنَّ سندها منقطعٌ».اهـ

وأنا لبست الخرقة تبركًا من الشَّريف أحمد التبر، ألبسنيها بالقاهرة.

ولما كنت أُدرِّس العلم بجامعة القرويين، أعاد الله مجدها، علمت أنَّ رجلًا عامِّيًّا -هو سيِّدي المهدي العزوزي- يروي بالإجازة عن أبيه عن جدِّه عن السيِّد مرتضىٰ الزَّبيديِّ، فذهبت إليه واستجزته فأجاز لي، مع أنَّ لي رواية عن السيِّد

مرتضىٰ بواسطة شيوخ كثيرين منهم بالمغرب شقيقي أبو الفيض، وسيدي عبدالحي الكتانيُّ، والقاضى عبدالحفيظ الفاسي، والشَّيخ المكِّي البطاوري والشَّيخ فتح الله البناني وسيدي محمَّد بن إدريس القادري، رحمهم الله وأكرم مثواهم.

تنبيهات هامة

المُطَـرِّزيُّ الذي نقل عنه رتب الحفظ، لم نقف له علىٰ ترجمةٍ، ولم نعرف اسمه، غير أني وجدت في ترجمة ابن دقيق العيد أنَّ له شرحًا علىٰ "مقدمة المُطَرِّزي" في علم الأصول، ورأيت في كتاب "المساقاة من نيل الأوطار"، كلمة في اشتقاق لفظ المزارعة، نقلها الشوكاني عن المُطَرِّزيِّ.

قال الحافظ أبو شامة: «علوم الحديث الآن ثلاثة:

أشرفها حفظ متونه، ومعرفة غريبها وفقهها.

والثاني: حفظ أسانيده ومعرفة رجالها، وتمييز صحيحها من سقيمها.

وهذا كان مهمًّا، وقد كُفيه المشتغل بالعلم، بما صُنِّف فيه من الكتب، فلا فائدة في تحصيل ما هو حاصل.

والثالث: جمعه وكتابته وسماعه وتطريقه، وطلب العلم فيه، والرحلة إلىٰ البلدان، والمشتغل بهذا مشتغلٌ عمَّا هو الأهم من العلوم النَّافعة، فضلًا عن العمل به الذي هو المطلوب الأصلي، إلَّا أنه لا بأس به لأهل البطالة، لما فيه من بقاء سلسلة الإسناد المتصلة بأشرف البشر».اهـ

قال الحافظ: «وفي بعض كلامه نظر؛ لأنَّ قوله: وهذا قد كُفيه المشتغل بما صُنِّف فيه، قد أنكره العلَّامة أبو جعفر بن الزبير، وغيره، ويقال عليه: إن كان التصنيف في الفنِّ يوجب الاتكال علىٰ ذلك، وعدم الاشتغال به، فالقول

كذلك في الفنِّ الأوَّل، فإن فقه الحديث وغريبه لا يُحصَىٰ كم صُنِّف فيه، بل لو ادَّعىٰ مُدَّعٍ أنَّ التصانيف فيه أكثر من التصانيف في تمييز الرِّجال والصَّحيح من السقيم لما أبعد، بل هو الواقع، فإن كان الاشتغال بالأول مهمًّا، فالاشتغال بالثَّاني أهم؛ لأنَّه المرقاة إلىٰ الأوَّل، فمن أضلَّ به خلط السَّقيم بالصَّحيح، والمعدَّل بالمجرح وهو لا يشعر، فالحقُّ أنَّ كلًّا منهما في علم الحديث مهم.

ولا شكَّ أنَّ من جمعهما حاز القدم العليَّ مع قصور فيه إن أخلَّ بالثالث، ومَن أخلَّ بهما فلا حظَّ له في اسم الحافظ، ومن أحرز الأول وأخلَّ بالثاني كان بعيدًا من اسم المحدِّث عرفًا، ومن يحرز الثاني وأخلَّ بالأوَّل لم يبعد عنه اسم المحدِّث، ولكن فيه نقص بالنسبة إلىٰ الأول.

وبقي الكلام في الفنِّ الثالث، ولا شكَّ أنَّ من جمع ذلك مع الأوَّلين كان أوفر سهمًا وقسمًا، ومن اقتصر عليه كان أحسن حظًّا وأبعد حفظًا، ومن جمع الثلاث كان فقيهًا مُحدِّثًا كاملًا، ومن انفرد باثنين منهما كان دونه، إلَّا أنَّ من اقتصر علىٰ الثاني والثالث، فهو مُحدِّثٌ صِرْفٌ لا حظَّ له في اسم الفقيه، كما أنَّ من انفرد بالأوَّل فلا حظ له في اسم المحدِّث، ومن انفرد بالأول والثَّاني فهل يُسمَّىٰ محدِّثًا؟ فيه بحثٌ».اهـ

قلت: الظَّاهر أنَّه محدِّثٌ، بل هو الواقع، وقول أبي شامة: وقد كفيه المشتغل... إلخ، يظهر منه أنَّه يوافق ابن الصلاح في امتناع التصحيح والتحسين من المتأخِّرين.

وبهذا ينتهي ما أردناه من تحرير الفرق بين علم الحديث رِوايةً، وعلم الحديث دِرايةً، والحمد لله ربِّ العالمين.

نصوص بعض الإجازات

إجازة للعلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور شيخ الإسلام المالكي بالقطر التونسي.

الحمد لله الذي رفع لهذا الدين دعائم وعمادًا، وخصَّه بصحيح السَّند فكان لحفظه سببًا وسنادًا، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّدٍ الذي أحكم بشرعه للأمَّة عُرَى شِدادا، وعلى آله وصحبه الذين أعدُّوا لنفي الريب عن الرواية عتادًا.

أما بعد: فقد التمس مِنِّي الفاضل العالِم الصفوة الشيخ عبدالله محمد الصِّدِّيق الحَسنيَّ السيد الشريف الأزهريُّ، أن أجيز له الرواية عني فيما ثبتت لي روايته في كتب السُّنَّة النبوية وفي كتب العلوم الشرعية والأدبية.

ولَمَّا رأيت هذه أمانة قد ائتمنني مشايخي إياها، ورجوت أن أكون في عِداد من سمع المقالة فأدَّاها، ورأيت الإجازة نسبة شريفة زكية وبقية مما ترك صدر الأمَّة من الخصيصية، أجبتُه لمهم التماسه وأمددت من صفوة الشجرة المباركة نيِّر نبراسه. فها أنذا أجزت للسيد المذكور فيما صحَّت لي الرواية من الأسانيد التي تلقَّيتها من مشايخي جزاهم الله عني حسن صنيعهم أحسن الجزاء ولي أربعة أسانيد:

أولاها: أجاز لي العلامة المقتفي أثر الشريعة في فعله وقوله جدي والد أمي وأبي في تربية نفسي وتقويم فهمي، الوزير الأكبر بتونس الشيخ محمد العزيز بوعتور الأموي من ذرية سيدنا عثمان بن عفان المولود في رجب سنة ١٢٤٠ المتوفى في محرم سنة ١٣٢٥ ثابت الحفظ محكم الفهم وكانت إجازته لي في ٣

جمادىٰ الأولىٰ سنة ١٣٢١.

ثانيها: ما أجازني العلامة الضليع شيخ الإسلام بتونس الشيخ محمود بن الخوجه كبير أهل الشورىٰ للمذهب الحنفيِّ المولود سنة ١٢٠٥ والمتوفَّىٰ سنة ١٣٢٩ وكانت إجازته لي في ١٥ جمادىٰ الأولي سنة ١٣٢٦.

ثالثها: ما أجازني الأستاذ العلامة النحرير شيخ الإسلام سيدي سالم بوحاجب كبير أهل الشورىٰ للمذهب المالكيِّ بتونس المولود سنة ١٢٤٤ والمتوفىٰ سنة ١٣٤٢ وكانت إجازته لي في ٢٥ رمضان سنة ١٣٢٨.

رابعها: ما أجازني العلامة الأستاذ المفتي الشيخ سيدي عمر المعروف بابن الشيخ مفتي المالكية بتونس المتوفي سنة ١٣٢٩ وقد ناهز التسعين وكانت إجازته لي في ربيع الأول سنة ١٣٢٥.

وهذه المناهل بعضها يلاقي بعضها، حتىٰ يخالها الناظر جداول تخللت روضًا، وهي وإن كان جميعها صراطًا مستقيمًا، يقول مختبرها: قد بلونا أبا سعيد حديثًا وقديمًا، فأنا مقتصر علىٰ سَوْق سند أولها لأنه يتصل بثلاثة أثبات مشهورة تمكن الإحالة عليها، ولأن إجازته لي معضودة بالرواية بالقراءة والضبط والفهم في جميع "موطأ مالك" رحمه الله وفي معظم "صحيح البخاري" من أوله إلىٰ كتاب الرقاق، وفي "صحيح مسلم" من أوله إلىٰ الترغيب في سكنىٰ المدينة وهو يناهز نصف "صحيح مسلم"، وفي جميع "الشفاء" لعياض وفي كتاب "الشمائل" للترمذيِّ، وفي جملة من "سنن أبي داود"، وفي نحو النصف من "المواهب اللدنية" وبالمناولة أيضًا في "الموطأ"، و"صحيح البخاري"، وكتاب "الشمائل" وإن إجازته لي كانت تامَّة عامَّة فيما

صحَّت له روايته وذلك بما أجاز له بخطِّه الحافظ الشيخ محمد صالح الرضوي البخاري حين حلوله بتونس في جمادىٰ الثاني سنة ١٢٦٢ اثنتين وستين ومائتين وألف، عن رفيع الدين، عن محمد بن عبدالله الشريف، عن عبدالله بن سالم البصري بما تضمنه كتابه المسمَّىٰ بـ"الإمداد" وسنده الغريب القريب من غير طريق الإمداد إلىٰ الإمامين البخاريِّ ومسلمٍ الذي سأذكره.

وأيضًا بما أجاز له بخطِّه الشيخ يوسف بدر الدين المدني حين حلوله بتونس سنة ١٢٦١هـ إحدي وستين ومائتين وألف، عن حسن القويسني الشافعي الأزهري ومحمد فتح الإله، وعبدالرحمن الكزبري، عن الشيخ محمد الأمير المصري بما تضمنه ثبته المعروف، وبسنده الغريب القريب إلىٰ الإمام البخاري الذي سأذكره.

ومما أجاز له بخطِّه الشيخ محمد الشاذلي بن صالح كبير أهل الشورىٰ المالكية بتونس سنة ١٢٨٩هـ تسع وثمانين ومائتين وألف، عن الشيخ محمد بيرم الملقب بالثالث عن جده الشيخ محمد بيرم الموصوف بالأول، عن الشيخ أحمد المكودي، عن الشيخ أحمد بن المبارك السجلماسي، عن الشيخ عبدالقادر الفاسي بما تضمنه ثبته.

وأما ما أجازني الشيخ محمود بن الخوجه، فعن أبيه الشيخ محمد بن الخوجه شيخ الإسلام للمذهب الحنفي، عن الشيخ إبراهيم الرياحي كبير أهل الشورىٰ للمذهب المالكي، عن محمد الأمير المغربي السلاوي، عن عمر بن عبدالصادق، عن أحمد الصباغ، عن عبدالله بن سالم البصري بما تضمنه كتاب الإمداد.

وأمَّا ما أجازني الشيخ سيدي سالم بوحاجب فهو عن عم ابن الطالب المعروف بابن سودة الفاسي حين حلوله بتونس، عن عبدالسلام الأزمي، عن محمد التاودي بن سودة الفاسي، عن أحمد بن المبارك السجلماسي، عن علي الحريشي، عن الشيخ عبدالقادر الفاسي بما تضمنه ثبته.

وأمَّا ما أجازني الشيخ سيدي عمر بن الشيخ، فعن الشيخ محمد الشاذلي بن صالح كبير أهل الشورى للمذهب المالكي، عن الشيخ إبراهيم الرياحي بما تضمنه السند أعلاه، وعن الشيخ محمد بيرم الثالث بما تضمنه سنده المذكور في أسانيد إجازة جدي التي ذكرتها آنفا.

وها أنا ذا أسرد السند إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في "موطأ مالك" وفي صحيحي "البخاري" و"مسلم" التي هي أصح الكتب المصنفة باتفاق أئمة الأثر، بخصوص طريق جدي المذكور:

فأمَّا "موطأ مالك" فأحدث به قراءة وإجازة مع المناولة عن جدي الوزير الشيخ محمد العزيز بوعتور، عن الشيخ محمد صالح الرضوي البخاريِّ، عن رفيع الدين، عن محمد بن عبدالله، عن عبدالله بن سالم البصريِّ، عن والده سالم، عن محمد بن علاء الدين البابليِّ، عن سالم السنهوريِّ، عن محمد الغيطيِّ، عن عبدالحق السنباطيِّ، عن الحسن بن محمد الحسينيِّ، عن الحسن النسَّابة، عن محمدِ بن جابر الوادياشي ثم التونسيِّ، عن عبدالله بن محمد بن هارون القرطبي الذي له طريقة عالية في "الموطأ"، عن أحمد بن يزيد القرطبي، عن محمد بن عبدالرحمن الخزرجي القرطبي، عن محمد بن فرج مولى بن الطلاع، عن يونس بن مغيث المعروف بالصفار، عن أبي عيسى يحيى بن عبدالله بن

يحيىٰ بن يحيىٰ الليثي، عن عم أبيه عبيد الله بن يحيىٰ، عن أبيه يحيىٰ بن يحيىٰ الليثي، عن الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه، فيما عدا ثلاثة أبواب من آخر كتاب الاعتكاف لم يسمعها يحيىٰ بن يحيىٰ من مالك فرواها يحيىٰ عن زياد بن عبدالرحمن الملقب بشبطون -بشين معجمة مفتوحة ثم باء موحدة- القرطبي، عن مالك وباعتبار الأحاديث الثنائية عن مالك رحمه الله، يكون بيني وبين رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أربعة وعشرون واسطة، نفعنا الله بهذه النسبة المباركة وألهمنا دوام الشكر علىٰ المنة بها.

وأمَّا صحيحا "البخاري" و"مسلم"، فلنا فيهما سندٌ واحدٌ عزيزٌ غريبٌ قريبٌ وهو من طريق الفِرَبْريِّ، حدَّثني جدي الوزير المذكور، عن الشيخ محمد صالح الرضوي، عن عمر بن عبدالكريم، عن محمد بن سِنة -ضبط بكسر السين في سند الشيخ صالح الرضوي-، عن أحمد بن موسي بن عجيل اليماني، عن محمد النهراواني، عن محمد بن عبدالله الطاوسي، عن المعمر بابا يوسف الهراوي، عن محمد بن شاذ بخت الفرغاني، عن يحيىٰ الختلاني، عن محمد بن يوسف الفربري، عن الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، وعن الإمام مسلم ابن الحجاج القشيري، بما في صحيحيهما.

وبهذا السند يكون بيني وبين رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في الأحاديث الثلاثية من "صحيح البخاري" خمسة عشر راويًا.

نفع الله السيد المجاز بهذا السند، وأشرق عليه من أنواره ما يضيء إلىٰ أقصىٰ أمد، موصيًا إياه بالاحتياط في رواية الحديث إسنادًا وتفهيمًا، محذِّرًا إياه من المساهلة في ذلك فإني رأيت خطرها علىٰ الدين عظيمًا، وأسأل الله أن

يوفقني وإياه لما فيه رضاه وأن يجنبنا الميل إلى ما ينكره الدين ويأباه.

وكتب في شهر صفر سنة أربع وخمسين وثلاثمائة وألف من الهجرة، محمد الطاهر بن عاشور الشريف شيخ الإسلام المالكي، بالقطر التونسي.

إجازة أخي المحدِّث العلامة الشيخ
أبي الفيض أحمد بن الصِّدِّيق

حمدًا لمن رفع أقدار أهل الحديث بين سائر الأنام، وجعلهم خلفاء رسوله الكريم فكانوا ملجأ للخاصِّ والعامِّ، ونفع بهم حملة شريعة الإسلام، وطوق بمنتهم رقبة كل عالم وإمام، وحفظ بما خصهم به من الإسناد دينه الحنيف فكانوا حماته الكرام وحملته العدول النافين عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجهلة اللِّئام.

والصَّلاة والسَّلام على خاتمة الرسل الكرام، ومسك ختام لبنة التمام، سيدنا محمد المخبر بأن خدمة سُنَّته العاملين بها لا ينقطعون إلى يوم القيام، ولا يزالون ظاهرين على الحقِّ وقائمين به حقَّ قيام، وعلى آله القادة الأعلام، وصحابته الأماجد الكرام.

أما بعد: فلما كان الإسناد من الدين بالمنزلة التي يعرفها العلماء وتشرئب لها أعناق الفضلاء، وتسمو إليها همم الكاملين من حملة العلم النبلاء، وتعظم فيها رغبة المحققين الكملاء، ولا يغفل عنها إلا القاصرون الأغبياء والجاهلون الأدنياء، سمت همة الإمام العلامة والحبر البحر الفهامة، المشارك في المنقول والمعقول والمحقِّق لعلوم الفروع والأصول، المسند الراوية والمحدِّث الواعية، خادم الحديث الشريف والذاب عن حوزة حرمه المنيف، ذو التآليف العديدة النافعة والتصانيف المفيدة الجامعة المدرس النفاعة ومن هو لكل الفضائل واعية جماعة، شقيقنا أبو المجد السيد عبدالله ابن الشيخ الإمام علم الأعلام، بحر العلوم والمعارف ومعدن الأسرار واللطائف، المجتهد المطلق ومن أمر

ولايته مقطوع به محقق، القطب الكامل والفرد المحمدي الواصل، خاتمة أئمة الإسلام، مولانا الوالد المقدس أبي عبدالله سيدنا محمد بن الصِّدِّيق الشريف الحسنيِّ رضي الله عنه وأرضاه ونفعنا به، آمين.

فطلب منا أن نجيز له سائر مروياتنا وما تلقيناه عن شيوخنا فأجبناه إلى ذلك محققين رغبته بالانخراط في تلك المسالك، وإن كنا لسنا هنالك ولا معدودين من جملة أولئك.

فقلنا: أجزنا للعلامة المذكور، والفهامة الذي صيته ذايع مشهور، إجازة عامة في كل ما أجازه لنا أشياخنا الزائد عددهم على المائة مما حوى ذكرهم وأسانيدهم مشيختنا وفهارسنا ومعاجمنا كـ"المعجم الصغير"، و"المعجم الوجيز للمستجيز"، و"المشيخة" في مجلد و"صلة الوعاة بالمرويات والرواة" في مجلدين ضخمين، واختصاره المفيد المسمى: "ركوب العجلة للاتصال بالنقلة" و"العقد الفاخر بما لأحمد بن الصديق من المفاخر" في أربعة أجزاء.

وما أسندناه عنهم في كثير من مؤلفاتنا المطبوعة وغيرها، وأجزنا له أن يجيز نيابة عنا من أحب الرواية عنا مباشرة، كما أجاز لنا ذلك بعض أشياخنا وشيوخهم رغبة في علو الإسناد ونشر علم الرواية.

والله المسئول أن ينفعنا وإياه بما علمنا ويعلمنا ما ينفعنا ويزيدنا علما، والحمد لله على كل حال، ونعوذ بالله من حال أهل النار وأعداء السنة الأشرار، آمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

كتبه الفقير إلى الله تعالى خادم الحديث أحمد بن الصديق في يوم السبت ثالث عشر جمادى الأولى من سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة وألف.

إجازة السيد هبة الدين الحسيني
أحد علماء الشيعة بالنجف

بسم الله وله الحمد.

مولانا الأجل الأمثل، سيد الأجلة وشريف الملة فضيلة السيد عبدالله الصِّدِّيق الحسني الإدريسي أحسن الله حاله ومآله وكثر في المسلمين أمثاله.

سلام عليكم طبتم كما طابت السلالة من آبائكم الميامين، فأرجو أن يوافيكم هذا الكتاب وأنتم كما تحبون كما أحبه لكم من صحةٍ كاملةٍ وعافيةٍ شاملةٍ، وقد شرفنا تحريركم المنيف قبل أسبوع، تطلبون فيه إجازة الرواية عن مشايخي البررة وإجازة مؤلفاتي ومؤلفاتهم المعتبرة، فقدمت الميسور اكتفاءًا به عن غيره المعسور معتمدًا على مكارم أخلاقكم في قبول العذر «والعذر عند كرام الناس مقبول»، وربما سنحت فرصة أخرى تمكنت فيها من تحرير إجازة أخرى وأخرى، وذلك بدعواتكم الذاكية لإدراك التوفيق والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

١١ رجب سنة ١٣٥٤

المخلص، هبة الدين الحسيني.

إجازة العلامة المؤرخ محمد راغب الطباخ

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدًا لمن جعل مقام المتوجِّهين إليه اللائذين بجنابة الأقدس هو المرفوع، والمعرضين عن ذكره الملتفتين إلى هذه الأغيار هو الموضوع، وصلاة وسلامًا على من أوتي جوامع الكَلِم واللسان الفصيح، وجاءنا بالملة السمحة والدين الصحيح، وعلى آله وأصحابه الذين سمعوا مقالته فوعوها وأدوها إلينا كما سمعوها، فوصلتنا شريعته الغرَّاء مسلسلة الإسناد بديعة النظام خالصة من شوائب الانقطاع والأوهام، فنالوا بعملهم الحسن المنازل العوالي في دار القرار، ورتعوا في رياض الجنة مع الأنبياء الأخيار وفازوا بالنعيم الدائم المقيم، ورضوان الله العظيم.

وبعد: فإن الأستاذ الفاضل والأديب الكامل: الشيخ عبدالله بن محمد بن الصِّدِّيق الغُماريَّ الحسنيَّ المغربيَّ نزيل مصر، أرسل لي منها كتابًا مؤرَّخًا في التاسع عشر من شهر شوال سنة سبع وخمسين وثلاثمائة وألف، وهو معرب عن فضله الجم وأدبه الغزير ومما جاء فيه: «وإني لأرجو في فاتحة هذا التعرف المبارك منتهزًا الفرصة أن تتحفوني وأخي الأكبر السيِّد أحمد بن محمد الصِّدِّيق بإجازةٍ منكم لنا بما لكم من مرويات وتذكرون مشايخكم وما لكم من الأسانيد العالية منها على وجه الاستيفاء لذلك».

إلى آخرما جاء فيه وهذا منه ومن أخيه حفظهما الله تعالى وأكثر بهما النفع مبنيٌّ على حسن الظنِّ بهذا العاجز، وأني من أهل هذا الشأن وفرسان ذلك الميدان، في حين أني لست أهلًا لذلك ولا ممن جابوا تلك المسالك، ويصدق

عليَّ قول من قال:

نزلُــوا بمكــةَ في منــازلِ هاشــمٍ ونزلــتُ بالبيــداءِ أبعــد مَنْــزلِ

ولكني حفظًا لسلسلة الإسناد في هذه الأمَّة المحمدية الذي هو من خصائصها السَّنية، وجدت أن لا مندوحة لي عن إجابة الطلب وتلبيته بما أحب.

فأقول وعلى الله الاتكال في الحال والمآل أني أجزت الأخ الفاضل الشيخ عبدالله بن محمد المتقدم الذكر بجميع ما يجوز لي روايته من مقروء ومسموع وبما أجزت به إجازة عامة، وذلك بالشرط المعتبر عند أهل الحديث والأثر، وأسانيدي في الكتب الحديثية وغيرها من العلوم والفنون مبسوطة في أجازاتي من مشايخي التي ذكرتها في ذيل كتابي "الأنوار الجليلة في مختصر الإثبات الحلبية" الذي اختصرت فيه ثلاثة أثبات لثلاثة من أعلام الشهباء في القرن الثاني عشر، وقد طبعته في مطبعتي العلمية بحلب، وقد جمع هذا الثبت فأوعى لأسانيد الصحاح الستة وغيرها من كتب الحديث والعلوم، وحوي الأثبات ومعاجم ومسلسلات لا تحصى.

وإني أروي "صحيح الإمام البخاري" رضي الله عنه عاليًا عن شيخي الشيخ كامل الهبراوي الحلبي عن مشايخه السيد أحمد دحلان المكي، والشيخ أبي الخير أحمد المكي، والشيخ محمد سعيد الفرا الدمشقي، والشيخ داود البغدادي، والشيخ إبراهيم السقا المصري، وسند كل واحد من هؤلاء مثبت في الشجرة المثبتة بعد صحيفة ٤ من كتابي المتقدم التي سماها شيخنا المذكور: "الشجرة الغالية في الأسانيد العالية".

وأرويه أيضًا عاليًا مسلسلًا أوله بالحلبيين عن شيخي الشيخ كامل المؤقت الحلبي، عن والده الشيخ أحمد، عن والده الشيخ عبدالرحمن، عن والده الشيخ عبدالله، عن والده الشيخ عبدالرحمن الحنبلي الشامي مولدًا الحلبي إقامة، عن الشيخ محمد عقيلة المكي، إلى آخر سنده المثبت في صحيفة ٣٥٩ من كتابي المتقدم وتجدون بتتبع كتابي المذكور أسانيد عالية لـ"صحيح الإمام البخاري" وغيره من كتب الحديث والعلوم.

وأوصي الأخ الفاضل المذكور أعظم الله لي وله الثواب والأجور بما أوصي به نفسي من تقوى الله تعالى في السر والعلانية، والإخلاص له تعالى في القول والعمل، وأن لا يألو جهدًا في الاهتمام بأمر المسلمين والسعي في خدمة دينه وأمته وبلاده، ونشر دعوة نبيه محمدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالحِكمة والموعظة الحسنة، وليقصد بذلك وجه الله تعالى وحفظ هذه الشريعة المطهرة من أدناس المبتدعين والملحدين، فقد ورد عنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنه قال: «**خيرُ القومِ المدافعُ عن قومه ما لم يأْثَمْ**»، وورد عنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنه قال: «**لأن يهديَ اللهُ على يديكَ رجلًا خيرٌ ممَّا طلعتْ عليه الشمسُ وغربتْ**».

وأوصيه أن لا ينساني من دعواته الصالحة في الأوقات الرابحة، وإني أسأل الله تعالى أن يوفقه لما يحبه ويرضاه ويجعله من المقتدين بسنته القائمين بشريعته.

وصلى الله على خير خلقه سيدنا محمد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ولا حول

ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وهو حسبي ونعم الوكيل.

كتبت في التاسع من شهر ذي القعدة سنة سبع وخمسين وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية، قاله بفمه وكتبه بقلمه خادم السنة النبوية بمدينة حلب محمد راغب الطباخ عفى الله عنه.

إجازة العلامة عبدالباقي الأنصاري المدني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي رفع أهل الحديث بما تواتر من صدقهم مكانًا عليًّا، ووضع بمشهور نقدهم ضعيفًا انتبذ بعلته عن مسند الصحيح، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أتخذها لسفر الآخرة زادًا، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله أصل النجاح وقطب دائرة الفلاح هدىٰ ورشادًا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وعلىٰ آله الأطهار، وأصحابه رواة ما صح من الأخبار.

وبعد: فلما كان العلم أفضل صفة بها اللبيب يتحلَّىٰ، وأكمل خلة بها الأريب يتجلَّىٰ، وأبهىٰ فرض تقصده الأفاضل، وأبهىٰ عرض ترصده الأماثل، وكان الإسناد منه بمنزلة الإنسان للعين والعين للإنسان، وكيف لا وهو الطريق الموصلة إلىٰ سيد الإنس والجان، وقد حث عليه السلف الصالح والخلف الناجح، وبذلوا في ذلك الهمم العلية والأفكار الألمعية، فبلغوا بذلك المراتب العلية، ونالوا بذا المنازل السنية. قال عبدالله بن المبارك: «طلب الإسناد من الدِّين»، وقال أحمد بن حنبلٍ: «طلب الإسناد العالي سُنَّةٌ عمن سلف» وقال الثوريُّ: «الإسناد سلاح المؤمن»، قال النوويُّ: «فإن لم يكن معك سلاح فبم تقاتل؟!».

طلب مني بطريق الرسالة الإجازة في جميع العلوم منطوقها والمفهوم، العلامة الفاضل والفهَّامة الحُلاحِل الشيخ السيد عبدالله بن محمد الصِّدِّيق متَّع الله المسلمين بعلومه، وتقبَّل منه ما يذب عن دينه بحرمة رسوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

ولما كان طلب الإجازة من بلد إلىٰ بلد بين العلماء قديمًا وحديثًا مشهورًا، وألفيت العلامة المذكور بإفاداته في العلوم ممدوحًا مذكورًا، أجبته لذلك

وأسعفته بما هنالك، على سُنَّة الأكابر وان كنت بين أهل العلم من الأصاغر.

فأقول مُتبرِّأ من القوة والحول: أجزت الفاضل العلامة بجميع ما تصح لي روايته من منقول ومعقول، فروع وأصول، إجازةً تامَّةً مطلقةً عامَّةً بشرطها المعتبر لدى أهل الحديث والأثر، كما أجازني مشائخي الأعلام وأساتذي الفخام فإني بحمد الله قد أخذت عن عدة مشايخ أجِلَّة، هم في سماء العلوم بُدورٌ وأهِلَّة، كما ذكرته في رسالتي: "الإسعاد في الإسناد"، وفصلت أسانيدهم في "عقود اللآلىء المتلألئة من الأسانيد العالية"، وفيما ذكرته في "نشر الغوالي من الأسانيد العوالي" كفاية لأهل الرواية.

وقد أجزت العلامة المذكور بجميع ما احتوت عليه هذه الأثبات، وسائر ما أرويه من الثقات أن يروي عني لمن رآه أهلًا لذلك مع التقوى والتحرِّي، وأن يقول فيما لا يدريه: لا أدريه، موصيًا لي وله باتباع السُّنَّة البيضاء، والذبِّ عن الشريعة الغرَّاء، سائلا منه دوام تذكري في خلواته وجلواته بصالح دعواته، نفع الله به الخواص والعوام، وختم لي وله بأحسن الختام، وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وآل كل وصحبه والتابعين، وعلينا معهم برحمة الله، آمين.

قاله بفمه وأمر برقمه العبدالحقير المعترف بالتقصير، محمد عبدالباقي حفيد ملا مبين الأنصاري الأيوبي المدني حشره الله في زمرة الصالحين، ورزقه في الجنان جوار سيد المرسلين صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وذلك في الثالث عشر من ذي الحجَّة الحرام سنة اثنين وستين وثلاثمائة وألف من هجرة سيد الأنام، عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأكمل السلام.

إجازة العلامة خليل الخالدي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل مجالس أهل السُّنَّة روضة من رياض الجنة، وجعل اسم الحديث في القديم والحديث أنفاس حضرة ذي الرسالة، والصلاة والسلام على صاحب الحضرة وساقي ندماء المحبة من تلك الخمرة سيدنا محمد الذي ارتقى أوج المعالي، واعتلى بأخمصه الشرف العالي، وعلى آله وأصحابه ما اتصلت سلسلة الإسناد، واعتني بحفظها الجهابذة النقَّاد.

وبعد: فقد أجزت العالِم الفاضل والألمعيَّ الكامل سليل الأفاضل السيد عبدالله بن محمد بن الصِّدِّيق بن أحمد بن عبدالمؤمن الغُماريَّ بكافَّة مرويَّاتي ومسموعاتي من منقول ومعقول ومنشور ومنظوم، عن مشايخي في الشام ومصر والروم، وبكافَّة من أجازني بمرويَّاته من سائر المشايخ في الشرق والغرب، إجازةً شاملةً عامَّةً راجيًا أن لا ينساني من دعواته أوقات دروسه وعقب صلاته، موصيًا إياه بمزيد عنايته بهذه الكتب.

وهي "شرح البخاري" للخطابي، وشرحه لابن بطال الأندلسي فإنهما أصل لكافة شروح البخاري، والشرح المسمى بـ"المعلم على صحيح مسلم" للمازري، و"إكمال المعلم" للقاضي عياض، و"شرح النووي على مسلم"، وكذا "شرح ابن الصلاح" عليه، و"شرح سنن أبي داود" للخطابي المسمى بـ"المعالِم"، و"شرح سنن الترمذي" المسمى بـ"عارضة الأحوذي" لابن العربي، و"شرح الترمذي" للحافظ العراقيِّ، وشرحه لابن سيد الناس، و"سنن النسائي" لا سيما "الكبرى"، و"سنن ابن ماجه"، و"سنن الدرامي"،

و"سنن الدارقطني"، و"مجمع الزوائد" للحافظ الهيثمي، و"الموطأ" وشروحه الثلاثة هي: "التمهيد"، و"الاستذكار" كلاهما لابن عبدالبر، وشرح القاضي أبي الوليد الباجي المسمىٰ بـ"المنتقىٰ"، و"السيرة الكلاعية"، و"سيرة ابن سيد الناس"، وكتاب "فتح الباري علىٰ البخاري" لابن حجر العسقلاني، و"مشارق الأنوار" للقاضي عياض، وشرح الحافظ السخاويِّ علىٰ ألفية الحديث المسمَّىٰ بـ"فتح المغيث"، هذا ما أحببنا أن نوصيكم به، والله وليُّ أنجادكم علىٰ ما يكون لكم ذكرًا في الدارين.

وكتبه بخط يده الفقير إلىٰ عفو الله ورحمته خليل بن بدر بن مصطفي بن خليل بن محمد بن خليل بن صنع الله بن خليل الخالدي المقدسي في تاسع عشر شوال سنة سبع وخمسين وثلاثمائة وألف مصلِّيًا علىٰ النبي وآله وصحبه.

إجازة الملك إدريس السنوسي

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمدٍ النبيِّ الأمين، ورضي الله عن آله الأكرمين وصحابته والتابعين.

وبعد: فقد أجزت الأستاذ السيِّد عبدالله بن الصِّدِّيق بما تجوز لي روايته إجازةً عامَّةً خصوصًا مؤلَّفات جدنا الإمام السيد محمد بن علي السنوسي رضي الله عنه كما أجازني مشايخي العِظام وأساتذتي الفخام.

وأسأل الله لي وله الهداية والتوفيق، كتبت في ٣ صفر سنة ١٣٨٩هـ.

محمد إدريس المهدي السنوسي

إجازة العلامة عبدالحفيظ الفاسي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أجاز أولياءه بجوائز عوارفه، وخصَّ أصفياءه بخصائص لطائفه، وبعث سيدنا محمدًا مُبيِّنًا لتعاليم الشرع ومقاصده، وفتح باب العلم لقاصده صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وعلى آله وصحبه الواصلين طارف المجد بتالِده.

هذا، وإن فضيلة العالم الكبير والعلامة الشهير، صاحب المؤلَّفات العديدة والمباحث المفيدة، الراوي للحسب والنسب من أعذب الموارد، الوارث الفضل والمجد عن الجد والوالد، أبا سالم السيد عبدالله بن الشيخ الأشهر، القدوة الأكبر، أبي المكارم سيدي محمد الغُماريِّ الحسنيِّ الشهير بابن الصِّدِّيق، أبان الله لي وله معالم الطريق، ورحم السلف وبارك في الخلف، رغما عن تعلقه بالعلوم، وتفنُّنه رواية ودراية في المنطوق والمفهوم، فإنه لم يكتف بما لديه بل هو دائم البحث والتنقيب لضم ما عند غيره إليه، كما كان عليه علماء هذا الشان وفي الأثر: «**مَنْهُومَانِ لا يشْبَعانِ**».

ولما كانت الإجازة من أصح أنواع التحمُّل التي يحصل بها في الرواية التجمُّل، طلب مني في الديار المصرية، وذلك دلالة على همته العلية، أن أمكن معه عرى الوداد، بإجازته بما لنا من رواية وإسناد، فأسعفته بزفه إليه ونفعه به في مطلوبه وساعدته في مرغوبه، حرصًا على بقاء سلسلة الإسناد الممتازة بها هذه الأمة من بين سائر العباد، ورجاء دعوة لي بالسلامة والتوفيق وحسن الختام، والموت على الإيمان والإسلام.

فأقول مستعينًا بذي الطول، متبرئًا من الحول والقول:

أجزتُ السيِّد المومأ إليه، الحَريَّ بكلِّ خيرٍ لديه، بحديث الرحمة المسلسل بالأوَّلية، وهو قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وعلى آله: «**الرَّاحِمون يرحمُهمْ الرحمنُ تَباركَ وتَعالى، ارحمُوا مَنْ في الأرض يرحمَكمْ مَن في السَّماء**».

وبجميع ما صحَّ وتصحُّ لي روايته، وثبتت لي درايته من منقول ومعقول، وفروعٍ وأصول، ومقروءٍ ومسموعٍ، ومُفرَّقٍ ومجموعٍ، وإجازةٍ ووِجادةٍ، ورحلةٍ وإفادةٍ، ومرويٍّ ومتناول، وغريبٍ ومتداول، خصوصًا كتب السُّنَّة النبوية، وما أُلِّف فيها من كتب الصحاح، والسُّنن، والمسانيد، والجوامع، والمستخرجات، والمستدركات، والمعاجم، والأجزاء، والأطراف، والطبقات، والفهارس والأثبات، والمشيخات والإفادات، والإرشادات والمسلسلات، بأنواعها على كثرتها وتباين طرقها، وبما ألَّفناه وتطفَّلنا بجمعه وصنَّفناه حسبما حصلت لنا رواية كل ذلك عن أئمة أعلام، روح الله تعالى أرواحهم في دار السلام.

إجازة خاصة وعامة، وشاملة مطلقة تامة، له ولأبنائه ولمن له ذلك من غيرهم.

إجـــازةً تَعَمُّـــه ونَسْـــلَهُ ... حاويـةً معنـى الـذي سِيقت لـه

ومَـن يـرَى مِـن نسـله مـذ تبعـه ... كـالأول اجعلـه بـلا مُنازَعَـه

بالشرط المعتبر عند أهل الحديث والأثر، موصيًا له ولنفسي بما أوصى الله به عباده في كتابه الكريم وهو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟﴾ [النساء: ١٣١].

وألا ينساني من صالح دعائه في خَلَواته وجَلَواته، بما نرجوه من سلامتنا

وعافيتنا في دنيانا، ونتمنَّاه من التوفيق في ديننا والنجاة في أُخرانا.

قاله وكتبه: عبدالحفيظ بن محمد الطاهر الفهري نسبًا، الفاسي أصلًا ولقبًا، الرباطي وقته استيطانًا.

مصليًا ومسلمًا وحامدًا وشاكرًا ومختتمًا بما رويناه من طريق الحافظين: صلاح الدين العلائي وأبي طاهر السلفي، بسندهما المسلسل بالدعاء عند ختم القرآن، إلى أمير المؤمنين سيدنا عليٍّ بن أبي طالبٍ كرَّم الله وجهه وعليه السلام، قال: قرأت على حبيبي رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فلما بلغت رأس العشرين من ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ [الشورى: ١ - ٢]، من قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [الشورى: ٢٢].

فاضت عيناه بالدموع، وقال لي: «**يا عليُّ أَمِّن على دعائي فإن جبريلَ أتاني بهذا الدُّعاء وأمَرَني أنْ أدعوَ به عندَ ختم القرآن: اللهم إني أسألك إخْباتَ المُخْبتينَ، وإخلاصَ الموفَّقِينَ، ومرافقةَ الأبرارِ واستحقَاقَ حقائقِ الإيمانِ، والغنيمةَ من كلِّ برٍّ، والسلامةَ من كل إثمٍ، ووجوبَ رحمتك، وعزائِمَ مغفرتِك، والفوزَ بالجنَّةِ، والنجاةَ من النَّارِ**».اهـ

وقُيِّد في يوم الاثنين لأربع خلون من ذي القعدة الحرام عام ستة وسبعين وثلاثمائة وألف هجرية، الموافق لثلاث خلون من يونية عام سبعة وخمسين وتسعمائة وألف ميلادية، رزقنا الله خيرهما وأعاذنا من شرهما بمنه، آمين.

إجازة العلامة عبدالقادر توفيق الشِّلَبي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أجازنا بجوائز فضل تبتهج بها الأنفس وتقر العيون، وشرح صدورنا بتحقيق حقائق سر ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧]، ورقى بنا على معارج التفهام إلى سدرة عوارف المعارف، وأسبغ علينا نعمه وأظلَّنا بظلِّ ظليل فضله الوارف، وأطلق ألسنتنا بالتحدُّث بجميل نعمه إجمالًا وتفصيلًا، ومنحنا التشرُّف بجوارالذي فاق العوالم جمالًا وتفضيلًا، وأحيا القلوب بنور حياة قلبه الواسع لكلِّ شيءٍ رحمة وعلمًا وهدى وبشرى للمؤمنين، واختصَّه بخصوص خصائص ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] وأشهد أن لا إله إلا الله الذي ختم بفاتحة النبوة مظهر دور دائرة الرسالة ونظام عقد دره المكنون، فكان ختامًا مسكًا وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، وأشهد أنَّ سيِّدنا ومولانا محمدًا عبده المرسل للعالمين بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، لوح نقوش المعارف الجامع، ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ [الأنعام: ٣٨]، ﴿ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٩٧]، ولسان الغيب المُفصِح بجوامِع كلمه عن مكنون علوم ﴿ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [يس: ١٢]، صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه نجوم الهدى وبدور الاقتدا الفائزين بسره المخصوص ببلوغ المرام، في المبدأ والختام.

أما بعد: فإن العلم من أجل المقاصد وأجملها، وأتم الوسائل وأكملها،

وأسنى المناقب ذخرًا، وأسمى المراتب عزًّا وفخرًا، وأرفع فضل تزدان به المعالي، وتزدهي بجلال المناصب مدى الأيام والليالي، وأنفس نفيس يتنافس فيه المتنافسون، وأحلى حلي يتحلى به النبلاء الراغبون، بل هو النور تستنير به آراء الفضلاء في توضيح المشكلات، وتستكشف به الأفكار غياهب التعقيد في حل المعضلات، والروضة التي جنت ثمارها أيدي ذوي الجد والاجتهاد، والدر الذي نظمت منثور فوائده ببنات اليراعة البلغاء الأمجاد.

هذا، ولما كان الإسناد من الدِّين والآخذ به مُتمسِّكٌ بحبلِ الله المتين، وهو من خصائص هذه الأُمَّة وقد تشرَّفت به من قبلنا السادة الأئمَّة، وأمرني من تجب طاعته ولا تسعني مخالفته، حُجَّة الإسلام والمسلمين وصدر صدور العلماء المحقِّقين، مولاي العارف الربَّاني الشريف السيد محمد ابن الشيخ الإمام العالم الفاضل والمرشد الكامل سيدي عبدالكبير الكتاني أن أجيز أنجاله الكرام وأخواته الفخام، بجميع ما تجوز لي روايته من معقول ومنقول، وفروع وأصول، فامتثلت أمره ولبيته لذلك، وإن لم أكن من رجال هاتيك المسالك، وقلت:

قد أجزت أنجاله الأماثل وإخوته الأفاضل، لا سيما العلامة النحرير والمحدِّث الشهير، معدن المفاخر وارث العلم كابرًا عن كابر، مولاي عبدالحي، بجميع ما تجوز لي روايته من منطوق ومفهوم، وتثبت لي درايته من سائر العلوم، بالشروط عند أولي الأثر، حسبما أجازني بذلك مشايخي الأئمة العارفون وأساتذتي العلماء الراسخون.

منهم: العلامة الإمام الشيخ حبيب الرحمن الهندي الكاظمي نزيل المدينة المنورة، وهو عن السيد أحمد دحلان، والشيخ جمال مفتي الحنفية بمكة،

والشيخ عبدالغني المجددي، والشيخ عبدالغني الميداني تلميذ المحقق ابن عابدين، وعن عبدالرحمن باقربتي الهندي، والشيخ منة الله اللكوني.

ومنهم: الفقيه المحدث العلامة الشيخ بدر الدين المغربي الجزائري الدمشقي، ومنهم: الفقيه الشيخ العلامة السيد حسين الحبشي المكي، ومنهم: الفقيه العلامة الحنبلي الشيخ عبدالله القدومي النابلسي ثم المدني، ومنهم: الفقيه المحدث العلامة الشيخ بكري العطار الدمشقي وقد أجازني بالكتب الستة.

ومنهم: الفقيه الإمام ناصر الملة والدين مولانا الشيخ حسين أفندي الجسر الطرابلسي مؤلف "الرسالة الحميدية"، وقد أجازني بسائر مؤلفاته ومروياته، ومنهم الفقيه الجليل الشيخ عبد الحميد الخطيب الطرابلسي، والفقيه الفاضل الشيخ خليل صادق الطرابلسي، عن شيخه الشيخ محمد الإنبابي، والفقيه الكامل الشيخ محمد ابن مولانا العلامة الشيخ عبدالغني الرافعي، وهو عن والده، وعن نعمان أفندي الألوسي نجل الإمام المفسر السيد محمود الألوسي البغدادي.

ومنهم: عمدة العلماء الأبرار الفقيه الشيخ محيي الدين الخطيب الطرابلسي الشهير بالحفار، وأسانيده مشهورة عَلِيَّة رواها عن أئمة هدىٰ ودراية ورواية، منهم عمه العلامة الفقيه الشيخ عبدالقادر الخطيب الطرابلسي المدني، وأخوه الشيخ عبدالحميد المتقدم ذكره، وابن خالته الشيخ محمود منقاره، وأستاذه خاتمة المحدثين العارف بالله تعالىٰ الشيخ محمد القاوقجي، وشيخه الإمام الشيخ محمود نشابه تلميذ الشيخ الباجوري، وشيخه الفقيه العلامة الشيخ عبدالغني الرافعي السابق الذكر، وغيرهم من العلماء الأعلام وكلهم من علماء طرابلس الشام.

ومن أشياخي العلامة الكبير، والمعمَّر الشهير مولانا السيد عبدالله السكري الدمشقي، ومن أشياخي الأماثل الشيخ الفقيه الشريف أبو النصر الخطيب الدمشقي عن أشياخه المصريين: كالباجوري، والسقا، والدمنهوري.

والشاميين: كوالده، وعمر الغزي، والشيخ هاشم التاجي، والشيخ حسن البيطار، والشيخ حسن الحفار، والفقيه المحدث الإمام الشيخ عبدالرحمن بن محمد الكزبري، والفقيه الشيخ حامد بن أحمد العطار، والشيخ أحمد الداودي الطرابلسي الشامي.

والمدنيين: كالشيخ يوسف الغزي، والشيخ محمد العزب، والشيخ عبدالكريم النخلي، والفقيه العلامة الشريف السيد إسماعيل بن زين العابدين البرزنجي، عن الشيخ صالح الفلاني.

والحلبيين: كالشيخ أحمد شنونا الشهير بالحجار، والشيخ أحمد التزمانيني وغيرهم.

ومن مشايخي الأفاضل: الشيخ حسب الله المكي عن أشياخه، كالشيخ الباجوري، والشيخ عبدالحميد الداغستاني.

ومن أشياخه الشيخ أحمد الدمياطي عن أشياخه، كالشيخ حسن القويسني، والشيخ الباجوري السابقين.

وكالشيخ عبدالغني الدمياطي عن أشياخه، الشيخ أحمد النحراوي، عن شيخه الجمال الفضالي، والشيخ أحمد الدمهوجي، كلاهما عن الشيخ عبدالله الشرقاوي.

ومن أشياخه الشيخ عبدالغني الدمياطي المتقدم الذكر، عن أشياخه

كالشيخ الشرقاوي، والشيخ الأمير الكبير، ومن أشياخه الشيخ عبدالغني الدِّهْلوي الهندي، ومن أشياخه: الشيخ مصطفي المبلط، عن أشياخه كالشيخ محمد الشنواني مُحَشِّي "مختصر ابن أبي جمرة".

ومن أشياخه: الشيخ إبراهيم السقا عن أشياخه، كالشيخ ثعيلب، عن شيخه الملوي، والشهاب الجوهري، وكالشيخ الأمير الصغير، عن والده الأمير الكبير، وكالشيخ محمد الفضالي، وكالشيخ حسن القويسني، عن شيخه: أحمد جمعة البجيرمي الحافظ، وكالشيخ محمد بن محمود الجزائري، عن الشهاب الجوهري.

ومن مشايخه: الشيخ أحمد منةالله، عن الشيخ الأمير الكبير، وابنه الصغير، وعن الشيخ شافعي الفيومي، والشيخ عبدالرحمن بن محمد الكزبري.

ومن أشياخه: الشيخ محمد القاوقجي المتقدم الذكر، عن الشيخ عابد السندي، وعن الشيخ الباجوري، وعن الشيخ العارف محمد المصري قدَّس الله سِرَّه وأفاض علينا أنوارهم.

وأوصي المجازين بتقوىٰ الله تعالىٰ، وأن لا ينسوني من صالح دعواتهم، في خلواتهم وجلواتهم، وسلام علىٰ المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

حرَّره العبد الضعيف المفتقِر إليه عزَّ شأنه عبدالقادر توفيق الشلبيُّ عفي عنه».اهـ

وإني أجزتُ أيضًا جميع أولاد الأستاذ المجاز المفضال: سيدي السيد محمد الباقِر وأحفاده، وأحبَّاءه الفُضلاء، علىٰ الأخص الفاضل الجليل والعلَّامة النَّبيل السيِّد عبدالله بن الصِّدِّيق، وكل من رأىٰ فيه الأهلية.

خادم العلم الشريف في الحرم الشريف عبدالقادر توفيق الشلبي.

إجازة العلامة عبدالواسع اليماني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي رفع منزلة العلماء من بين الأنام، وخصَّهم بصحة السند وعلو الإسناد التام، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ المظلَّل بالغمام، وعلى آله وأصحابه الذين قاموا بتبليغ سُنَّته أتم قيام.

أما بعد: فقد التمس مني السيدان العالمان الفاضلان: السيد العلامة أحمد بن محمدٍ الصِّدِّيق، وأخوه السيد العلامة عبدالله بن محمدٍ الصِّدِّيق الإجازة بما تجوز لي روايته من كتب الحديث وغيرها، ولم أجد بُدًّا من إجابتهما لذلك الطلب، وإن كان لا يعول على مثلي في أرب، وذلك من حسن ظنهما بي مع علمهما بقصور باعي وقلة اطلاعي.

فأقول: قد أجزتهما في كل مالي من رواية ودراية ومنقول ومعقول وفروع وأصول بشرطه الذي هو عند أهل الأثر مقبول، حسبما أجازني بذلك أشياخي العظام، جمعنا الله وأحبتنا بهم في دار السلام.

وقد أخذت العلم ولله الحمد والمنة عن كثير من المشايخ، من علماء اليمن، والحجاز، ومصر، والشام، والمغرب، والهند، وأجازوني بما لهم من رواية ودراية، وبمؤلفاتهم ومؤلفات مشايخهم، وبما اشتملت عليه أثباتهم، وجملتها اثنان وسبعون ثبتًا، أخذت بعضها بالسماع، وبعضها بالإجازة العامة، وخمسة وأربعون مسلسلًا بالقراءة، ومشايخي بضع وسبعون شيخًا، أذكر بعضًا منهم هنا، وقد استوفيت أسماءهم ومقروءاتي عليهم، وإجازاتهم وأثباتهم، في مؤلفي في هذا الشأن، المسمى: "النظم الفريد لمتفرقات الأسانيد" وهو أجمع كتاب في هذا الفن.

فأذكر أولًا من مشايخي أستاذ أهل الرسوخ، وشيخ الشيوخ، الجبل الراسي القاضي العلامة محمد بن أحمد العراسي، رحمه الله المتوفى سنة ١٣١٦هـ، حضرت عليه في الروضة شمال صنعاء في منزله أيام الخريف سنة ١٣١٢هـ في قراءة تفريج الكروب.

ومن مشايخي: القاضي العلامة علي بن حسين المغربي رحمه الله وقد قرأت عليه الصحيحين مع المطالعة في الشروح حال القراءة، ومن كتب الحديث لأهل البيت عليهم السلام: "أمالي الإمام المرشد بالله" و"أمالي أبي طالب" و"شفاء" الأمير الحسين وفي "سنن أبي داود"، و"شفاء" القاضي عياض، وفي أصول الفقه: "الغاية"، مع شرحها للحسين ابن الإمام القاسم وفي "الشرح الصغير" المختصر للسعد، و"الثمرات في أحكام الآيات" مجلدان، للفقيه يوسف، وأجازني بهذا بما أشتمل عليه "إتحاف الأكابر في إسناد الدفاتر" للشوكاني.

ومن مشايخي عم المذكور القاضي العلامة حسين بن محسن المغربي رحمه الله، حضرت عليه في الحديث والتفسير، قرأت عليه ثبت شيخه السيد العلامة عبدالكريم بن عبدالله أبي طالب، المسمَّى: "العقد النضيد فيما اتصل من الأسانيد" بقراءته على شيخه المؤلِّف أجازني بما اشتمل عليه العقد النضيد.

ومن مشايخي القاضي العلامة حسين بن علي العمري حفظه الله، حضرت عليه في الفقه "شرح الأزهار في فقه الأئمة الأطهار"، وفي التوحيد: "إيثار الحق على الخلق"، وفي علم العربية: "حاشية يسين على قطر الفاكهي"، "شرح الخبيصي على كافية ابن الحاجب"، "المطول في علم المعاني"، "شرح الكامل في

أصول الفقه"، "حاشية اليزدي على شرح إيساغوجي في المنطق".

وفي علم الأثر: "شرح النخبة" و"ثمرات النظر في علم الأثر"، وفي الحديث: الأمهات الست، "سبل السلام" للأمير، و"مسند الإمام زيد"، و"شفاء" الأمير الحسين، وبعضًا من المسلسلات.

وفي علم الصرف: "شرح الشافية" للشيخ لطف الله الغياث المسمى: "المناهل الصافية"، وفي السيرة النبوية: "سيرة ابن هشام"، "بهجة المحافل"، "الهيكل اللطيف في حلية الجسم الشريف".

وفي التفسير: "الكشاف" و"الإتقان" و"الثمرات في أحكام الآيات".

وغير ذلك من الرسائل، منها: "تحفة الناظر في آداب المناظر"، وفي علم السند: ثبت القاضي محمد مشجم: "بلوغ الأماني في سند من أنزلت عليه المثاني" وأجازني بهذه المقروءات، وبما اشتمل عليه هذا الثبت، وثبت الشوكاني.

ومن مشايخي، القاضي العلامة: أحمد بن عبدالله الجنداري.

وهؤلاء المشايخ سندهم إلى الشوكاني، ومن مشايخهم القاضي العلامة المتقدم: محمد بن أحمد العراسي، وبيني وبين شيخ الإسلام الشوكاني درجتين، وبعضهم ثلاث درجات وبعضهم أربع درجات، فالذي بيني وبينه درجتين عن مشايخي المذكورين عن شيخهم السيد العلامة إسماعيل بن محسن بن عبدالكريم عن شيخه الشوكاني وفي طريق أخرى عن مشايخي عن شيخهم السيد العلامة الحافظ محمد بن إسماعيل الكبسي عن شيخه الشوكاني.

ومن مشايخي من علماء مكة: السيد العلامة: حسين بن محمد الحبشي مفتي

مكة سابقا، حضرت عليه سنة ١٣٢٩هـ في الحديث، وقرأت عليه ثبته بعد نسخه المسمى: "فتح القوي في سند السيد حسين الحبشي" وأجازني بما اشتمل عليه.

وأجازني علماء مكة فيما حضرت عليهم وبمؤلفات شيخهم السيد العلامة: أحمد زيني دحلان.

ومن مشايخي في المدينة المنورة العلامة: يوسف بن إسماعيل النبهاني البيروتي أجازني في الروضة الشريفة بجميع مؤلفاته، وبما اشتمل عليه ثبته المسمى: "هادي المريد إلى طريق الأسانيد".

ومن مشايخي من علماء دمشق السيد العلامة: محمد بدر الدين الحسني رحمه الله، صائم الدهر، محدِّث الشَّام وعلامة الدُّنيا، الزَّاهد الورع، لا يفتر لسانه عن ذكر الله، ولا يتكلم عن أحد، ولا يسمح في مجلسه أن يذكر أحد غائب لازمته في دار الحديث خمس سنين أيام الحرب العمومي، وحضرت عليه في جملة من العلوم، منها "صحيح البخاري"، أمليت عليه وهو يسمع مع جملة من الطلبة، وكان رحمه الله يحفظ الصحيحين غيبًا مع رجالهما وتاريخ حياتهما، وقرأت عليه "نوادر الأصول" للحكيم الترمذي، و"عقائد النسفي"، والسعد على العزي، والفناري بحواشيه على الإيساغوجي، و"الهداية" في الحكمة، و"الخلاصة" للعاملي في علم الحساب، و"شرح تائية السلوك إلى ملك الملوك" في التصوف، و"شرح منظومة ابن الهايم" في علم الجبر والمقابلة وأمليت عليه النصف الثاني من "الكشاف"، والنصف الأول مع تفسير الخطيب وحضرت عند شيخ آخر وأمليت عليه المختصر في "الترغيب والترهيب" وما إليه،

وأمرني بتجريد كثير من الأحاديث الضعيفة، وطلب من مطالعته معي في علم الفلك والهيئة، "التصريح على التشريح" طبع الهند، والجغميني، وفي زيج ابن الشاطر، واللمعة شرح الزيج، ومؤلفي المطبوع بالشام سابقا: "كنز الثقات في علم الأوقات" هذا مع علو همته، وتحقيقه لجميع العلوم، وكبر سنه ونيف عن السبعين في تاريخ سنة ١٣٢٧هـ لم يتكاسل عن أخذه لبعض العلوم من أصغر منه سنا، الذي لا يضر جهله بها وقد أجازني إجازة عامة وخاصة عن مشايخه بأثباتهم إلى مؤلفيها.

ومن مشايخي: شيخ الإسلام المصري إبراهيم السقا بسنده إلى الأمير الكبير صاحب الثبت المشهور.

ومن مشايخي: مفتي دمشق السيد العلامة محمد عابدين أبو الخير، حضرت عليه "صحيح مسلم" ومسلسلات ابن عقيلة، وشطرا من ثبت جده السيد العلامة: محمد عابدين المسمى: "عقود اللآلي في السند العوالي"، وأجازني بما اشتمل عليه.

ومن مشايخي السيد العلامة: محمد الكتاني المغربي.

وحضرت بمصر في أيام انتسابي في الأزهر على الشيخ عبدالرحيم أبو النجا، في شرح "منهاج النووي" في فقه الشافعية، في جامع إبراهيم بك وعلى الشيخ العلامة محمد بخيت في "البخاري" والتفسير بين العشائين في الأزهر في قبة العباسي، وبعد صلاة الصبح في الموضع المذكور في التفسير، لدى الشيخ العلامة يوسف الدجوي ولم أزل ملازما دروسهما في مدة بقائي بمصر.

وقد جرت عادة المشايخ رحمهم الله أن يذكروا في إجازاتهم سند بعض

مقروءاتهم المشهورة، كأحد الأمهات الست، أو غيرها، فأذكر سند "البخاري" رومًا للاختصار، وأروي هذا الكتاب عن سبعة وعشرين شيخًا، قراءة وإجازة فقرأته على تسعة مشايخ، ولي طرق، أذكر هنا أعلى طريق ولعلها أعلى طريق في الدنيا:

فأرويه عن شيخي السيد العلامة: عبدالرحمن بن عبدالله السقاف، عن شيخه السيد العلامة: عيدروس بن عمر، عن السيد: سليمان الأهدل، عن شيخه ابن سنة الفلاني، عن أحمد بن العجل، عن النهروالي، عن الطاووسي، عن الفرغاني، عن الختلاني، عن الفربري، عن البخاري.

وأجزتهما أيضًا من كتب أهل البيت عليهم السَّلام: بـ"الروض النضير شرح مجموع الإمام زيد بن علي عليهما السَّلام"، بقراءتي شطرًا منه على شيخنا العلامة: أحمد بن محمد السياغي رحمه الله بسنده عن جدِّه المؤلف أبي أمه القاضي العلامة: حسين بن أحمد السياغي رحمه الله.

وأجزتهما بمؤلفاتي وإن كانت لا تذكر، وقد جرت سنة العلماء في ذلك، وهي بضع عشرة مختصرًا فقد أجزتهما بجميع ما ذكر من الأثبات إلى مؤلفيها وأوصيهما بتقوى الله والدعاء لي بحسن الخاتمة وصلى الله وسلَّم على سيدنا محمد وصحبه.

وحرَّره في ١٤ شهر رمضان الكريم سنة ١٣٥٤هـ الفقير إلى ربه عبدالواسع بن يحيى الواسعي.

خاتمة

وكان الفراغ من كتابة هذه الترجمة ظُهر الأحد السابع عشر من شهر رمضان المعظم سنة أربع وأربعمائة وألف، أحسن الله ختامها.

ثُمَّ زدتُ بعض الزيادت التي اقتضتها الحاجة، وذلك في مكة المكرمة والمدينة المنورة أثناء موسم حج سنة أربع وأربعمائة وألف، تقبَّل الله مِنَّا بمَنِّه وكرمه، وعفا عنَّا.

كتبه: أبو الفضل عبدالله بن محمد بن الصِّدِّيق
الحسنيُّ الغماريُّ

إلى الإمام عبد الله الغُمَاري:

زالت المحنة عنكم

أيُّهـــا الشـــيخُ ســـلامًا ... يـــا سَـــلِيلَ الأتقيـــاءِ
يـــا وليًّـــا مـــن وليٍّ ... يـــا علـــيمَ العلـــماء
أنـــت في الكـــون إمـــامٌ ... يرتجيـــك الأصـــفِياء
أنـــت للمَـــرْضَى طبيـــبٌ ... يـــا شِـــفاء للعيـــاء
فيـــك نـــور يـــتلالا ... في المُحيَّـــا واللـــماء
شـــاهِدٌ قـــد صـــاحَ هـــذا ... نجـــلُ خـــيرِ الأنبيـــاء
قـــد مـــلأتَ الأرضَ عِلْـــمًا ... قـــد تجـــاوزتَ العـــلاء
كـــلُّ أقطـــابِ البرايـــا ... نـــالَهم منـــك الثَّنـــاء
هـــذه المِحْنَـــةُ كانت ... سُـــلَّما في الارتقـــاء
إنَّهـــا كانـــت دلـــيلًا ... أنـــك ابـــنُ الشُّرفـــاء
كـــلُّ أهـــل العلـــم لاقَـــوا ... مثـــل هـــذا الابـــتلاء
شرَّفـــوا الســـجنَ وكـــانوا ... فيـــه خـــيرُ النُّـــزلاء
لم يكـــن هـــذا غريبًـــا ... بـــل لأحكـــام القضـــاء
وابـــن (يعقـــوب) مثـــالٌ ... فيـــه هَـــدْيٌ واهتـــداء
يـــا إمـــامَ العصـــرِ عشـــتُم ... في عُلُـــوٍّ وارتقـــاء
إننـــي أزجـــي التهـــاني ... حلـــوة مثـــل الرَّجـــاء
زالـــت المِحْنَـــةُ عـــنكم ... صـــانكم ربُّ الســـماء

كتبها فضيلة الشيخ عبدالقادر عوض شيخ الطريقة القاوقجية الشاذلية بأويش الحجر مركز المنصورة بمصر.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

١ - مُقدِّمة الشَّريف الدكتور عبدالمنعم بن عبدالعزيز بن الصِّدِّيق

تمهيد ٧

التعريف بالأسرة الصِّدِّيقيَّة ١٠

ترجمةٌ مختصرةٌ لفضيلة الإمام الكبير العارف بالله السيد محمد بن الصِّدِّيق . ١١

عطاءُ السادة الأعلام، أبناء الإمام السيِّد محمد بن الصِّدِّيق عطاء متميِّزٌ في المنهج والمضمون ١٤

شذرات من حياة الشيخ أبي الفضل عبدالله بن الصِّدِّيق ١٨

كُنَى السيِّد عبدالله بن الصِّدِّيق ١٨

بداية طلبه للعلم وتأثُّره بالبيئة العِلْمية التي نشأ فيها ١٩

الرحلة إلى فاس لِتلقِّي العِلم بجامع القرويِّين ٢٠

عودته إلى طنجة وتدريسه بالزاوية الصِّدِّيقية ٢٠

مدى استفادته من والده الإمام رضي الله عنه ٢١

الرحلة إلى مصر والالتحاق بالأزهر ٢٣

مذهبه الفقهي ٢٨

٢- اسْتِهلالٌ بِقَلم فَضِيلة الشَّيخِ مُحَمَّد فؤاد بن كَمَالِ الدِّين الشافعي ٣٩

٣- مقدِّمة مشرف العمل فضيلة الدكتور/ محمود سعيد بن محمد ممدوح .. ٤٣

الفائدة الأولى: ترجمةٌ مختصرَةٌ للسَّيدِ عبدِالله بنِ محمَّد بنِ الصِّدِّيق ٤٤

الفائدة الثانية: رحلتُه العلميَّة، وأهمُّ الأحداثِ في حياتِه ٤٦

فائدةٌ: محفوظاتُ السيِّد عبدِالله الحديثيَّة ٤٨
الفائدة الثالثة: بعض ما تميَّز به السيد عبدالله بن الصِّدِّيق رحمه الله تعالىٰ وانفرد به عن أهل عصره ٤٩
صَنَّفَ السيد عبدالله حَوَالي مائة مُصنَّفٍ في العلوم الشرعية وآلاتها، وذكر بعض حصائص هذه المصنفات..... ٥٠
فائدة: حولَ تمكُّنِ السيِّدِ عبدِالله منْ علومِ الآلةِ والعلومِ الشَّرعيةِ ٥١
الفائدة الرابعة: زهدُه وإقبالُه علىٰ الله..... ٥٢
ذكرُ بعضِ الكتبِ التي درَّسَها لخواصِّ طلبةِ العِلمِ بعد صلاةِ الصُّبْحِ بالزَّاويةِ الصِّدِّيقيَّةِ ٥٣
حالُه في سفَرِه رحمَه الله تعالىٰ ٥٣
الفائدة الخامسة: منْ أخبارِه العلميَّة..... ٥٤
تنبيه: في ذكر تأثر السيد عبدالله بن الصديق عندَ سَماعِ القرآنِ الكريمِ..... ٥٥
الفائدة السادسة: حول كتاب "الكنز الثمين" والرد علىٰ الأباني..... ٦١
وقفاتٌ معَ كتابِ "الكنزُ الثَّمينُ" ٦٢
الفائدة السابعة: يوجد بالعمل مُصنَّفات للعلَّامة السيِّد عبدالله بن الصديق رحمه الله تعالىٰ، لم تطبع من قبل، وهي مُصنَّفات غير تامَّة ٦٣
الفائدة الثامنة: مِن دواعي جمْعِ هذه الأعمال في صعيدٍ واحدٍ ما لحقَها منْ تحريفاتٍ وتصحيفاتٍ من بعضِ الذين تعرَّضوا لإعادةِ طبعِ مصنَّفات السيِّد عبدالله بن الصِّدِّيقِ رحمه الله تعالىٰ، وذكر نماذج لهذه الأخطاء مع تصويباتها ٦٥
الفائدة التاسعة: في كيفية ترتيب العمل ٨٥

خاتمةُ المقدمة ٩٧

٤- ترجمة العلَّامة السيِّد عبدالله بن الصِّدِّيق الغُماريِّ بقلم شقيقه الحافظ السيِّد أحمد بن الصِّدِّيق الغُماريِّ

وِلادتُه وبدايةُ نشأتِه ١٠١

القراءة بالقرويين ١٠١

توجُّهه للقاهرة وقراءتُه بالأزهر ١٠٢

اهتمامُه بالمعقولاتِ ثم توجُّهُه للحديثِ ١٠٢

مختصرُ رسالتِه في تضعيفِ ونكارةِ حديثِ الأوعالِ ١٠٤

جوابه عن مفعولي «قال» وأحوالها ١٠٨

تدريسُه في الأزهرِ وحصولُه على العالمية ١١١

تدريسُه "جمع الجوامع" الأصولي ثُمَّ استقرارُه بالقاهرة ١١٢

٥- رسائل وخطابات بين السَّادة العلماء عبدالله؛ وشَقِيقَيْه أحمد وعبدالعزيز رحمهم الله تعالى

الرسالة الأولى ١١٥

الرسالة الثانية ١١٧

الرسالة الثالثة ١١٩

الرسالة الرابعة ١٢١

الرسالة الخامسة ١٢٣

الرسالة السادسة ١٢٥

الرسالة السابعة ١٢٧

الرسالة الثامنة ١٢٨

الرسالة التاسعة ١٣٠
الرسالة العاشرة..... ١٣٢
الرسالة الحادية عشر ١٣٣
الرسالة الثانية عشر ١٣٥
الرسالة الثالثة عشر ١٣٦
الرسالة الرابعة عشر..... ١٣٧
الرسالة الخامسة عشر ١٣٩
الرسالة السادسة عشر..... ١٤٠
الرسالة السابعة عشر..... ١٤١
الرسالة الثامنة عشر ١٤٤
الرسالة التاسعة عشر..... ١٤٦
الرسالة العشرون ١٤٨
٦- صور لبعض الأصول الخَطِّية..... ١٥١
٧- سبيل التوفيق في ترجمة عبدالله بن الصِّدِّيق
تمهيد..... ١٨٧
مقدِّمة ١٨٨
يستدل كثيرٌ من العلماء بقول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ على استحباب تحدُّث الشخص بما أنعم الله عليه من علمٍ وصلاحٍ وفضلٍ، وفيه نظرٌ من وجوه..... ١٨٨
التحدُّث بالنِّعمة مقيَّدٌ بما إذا لم يكن في التحدُّث مفاخرة أو مكاثرة أو رياء،

وإلا فهو مذمومٌ..... ١٩٠
إشكال: حول الجمع بين جواز التحدُّث بالنِّعم وقول الله تعالىٰ: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ﴾ والجواب عليه..... ١٩١
نسب المصنِّف من جهة الأب..... ١٩٤
نسب المصنِّف من جهة الأم..... ١٩٦
فصل في ولادة ونشأة المصنِّف..... ١٩٨
عناية المصنِّف برسم القرآن الكريم..... ١٩٩
سبب عناية المصنِّف بعلم التجويد..... ١٩٩
فصل في رحلة المصنِّف إلىٰ فاس فاس لطلب العلم بجامعة القرويين ٢٠١
مقروءات المصنِّف بالقرويين..... ٢٠١
كان باب الجهاد لا يُقرأ في كتب الفقه بالمغرب لأن فرنسا منعته، إلا في طنجة، فإن مولانا الإمام محمد بن الصِّدِّيق رضي الله عنه كان يقرأه في "المختصر" وفي "صحيح البخاري"، ويبالغ في شرح أحكامه، ويتعرَّض لذم المستعمر ويحض علىٰ مقاومته، ولم تستطع فرنسا أن تمنعه من ذلك..... ٢٠٣
والد المصنِّف يحذِّره من القضاء..... ٢٠٥
فصل في سفر المصنِّف إلىٰ مصر..... ٢٠٨
عقوبة علىٰ ترك المشيئة..... ٢٠٩
الانتظام في الدراسة بالأزهر وذكر بعض الكتب التي حضرها المصنف علىٰ المشايخ..... ٢١١
ثناء المصنِّف علىٰ العلامة المحقق العديم النظير الشيخ محمود إمام عبدالرحمن

المنصوري الحنفي ٢١١
حصول المصنِّف على شهادة العالمية الخاصة بالغرباء من الأزهر ٢١٢
كتابة المصنِّف في مجلة الإسلام ٢١٣
صلة المصنِّف بالجمعيات الإسلامية ٢١٥
فصل في بعض ما درَّسه المصنِّف للطلبة ٢١٧
تعليق المصنِّف على طريقة الجلال المحلِّي في التصنيف ٢١٨
مرشد الحائر لبيان وضع حديث جابر ٢٢١
ذكر بعض الأحاديث المنكَرة والموضوعة في فضائل النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٢٢٣
نقد المصنِّف ردَّ الدارميِّ على بشر المريسي وبيان بطلان حديث الأوعال . ٢٢٨
فصل في ذكر ما حصل عليه المصنِّف من الشهادات ٢٣١
فصل في ما يعرفه المصنِّف من العلوم ٢٣٤
ما هو الترقيم ٢٣٤
كانت للمصنِّف عناية شديدة بعلم النحو ٢٣٤
سبب اشتغال المصنِّف بعلم الحديث ٢٣٥
رجاء المصنِّف أن يكون مجدِّد هذا القرن ٢٣٦
فصل فيمن عاصره المصنِّف من أهل الحديث ٢٣٨
السيد أحمد بن محمد بن الصِّديق كان يعرف الحديث معرفة تامَّة وكتبه شاهدة على ذلك ٢٣٩
الشيخ أحمد بن محمد شاكر، كان يعرف علوم الحديث معرفة جيدة تدل عليها

تحقيقاته للكتب التي حقَّقها، غير أنه كان لا يعرف العلل..... ٢٣٩
رأي المصنِّف في الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ٢٣٩
فصل في ذكر شيوخ المصنِّف رحمهم الله تعالى..... ٢٤٤
أولًا: شيوخ المصنِّف من المغرب..... ٢٤٤
ثانيًا: شيوخ المصنِّف من تونس ٢٥٣
ثالثًا شيوخ المصنِّف من مصر ٢٥٤
ثالثًا: شيوخ المصنِّف من الحجاز ٢٧٠
رابعًا: شيوخ المصنِّف من الشام..... ٢٧٢
خامسًا: شيوخ المصنِّف من النساء ٢٧٤
فصل في تلامذة المصنِّف..... ٢٧٥
فصل في كُنَى المصنِّف ٢٧٧
فصل في مؤلَّفات المصنِّف، وبيان إكثاره، وذكر سبب تصنيفه لكلِّ كتابٍ، وهو مهمٌّ جدًّا وماتعٌ للغاية..... ٢٧٧
فصل في مؤلَّفات المصنِّف في محنته ٢٨١
ذكر بعض الكتب التي علَّق عليها المصنِّف..... ٢٨٢
فصل في مؤلَّفاته بالمغرب ٢٨٤
الفرق بين المشارقة والمغاربة عند الاختلاف..... ٢٨٥
كيف تشكر النعمة ٢٩١
الشُّكر عند حدوث النِّعم عبادةٌ أمرنا الله بها كما أمرنا بالصَّلاة والصِّيام وغيرهما مِن العبادات ٢٩١

ذكر بعض الأحاديث التي بين فيها النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كيف تؤدَّىٰ عبادة الشُّكر بفعله وقوله ٢٩١
علاج التقصير في الشكر ٢٩٣
لا يجوز أن يقول: اللهم أدِّ عنِّي شكر النِّعم لقبحه مِن وجوهٍ ٢٩٣
شبهات تعرض في هذا المقام والجواب عنها ٢٩٥
التوقِّي والاستنزاه عن خطأ البناني في معنىٰ الإله ٣٠٠
الخطأ الأول: إطلاق لفظ الكُلِّيِّ علىٰ الإله لا يجوز شرعًا ٣٠٠
الثاني: أنَّ الإله ليس بكلِّيٍّ بل هو خاصٌّ بالله تعالىٰ ٣٠١
الثالث: أنَّ الكليَّ إنما يتأتَّىٰ في الممكنات كالنبيِّ والملَك والعرش والكرسيِّ... أما واجب الوجود سبحانه فهو منزَّهٌ عن ذلك ٣٠٢
الرابع: أنَّ الكلِّيَّ لا يُتصوَّر كونه محالًا ٣٠٣
الخامس: في تناقض وقع فيه البناني رحمه الله تعالىٰ ٣٠٣
السادس: وهو مبنيٌّ علىٰ ما قبله، أنَّ جواز تعدُّد الإله ثابتٌ وقيام الدليل القاطع علىٰ وجوب تفرُّد الله بالألوهيَّة لا يمنع منه ٣٠٤
السابع: أنَّ زيادة لفظ: «بحقٍّ» في معنىٰ الإله لا أصلَ لها في اللغة ولا علاقة للعقل بها ٣٠٤
الثامن: قوله أيضًا: «تفسير الإله بالمستغني عن كلِّ ما سواه المفتقر إليه كلُّ ما عداه لا يمنع كونه كليًّا؛ إذ لا يوجب تشخيصه؛ لأنه بهذا المعنىٰ يحتمل أن يصدق علىٰ كثير علىٰ سبيل البدليَّة» إغراقٌ في الخطأ وتشبُّثٌ به إلىٰ حدِّ التزمُّت ٣٠٤

التاسع: قوله: «إذ لا يوجب تشخصه» والصواب أن يقول: إذ لا يوجب تعينه. لأن التشخص لا يجوز أن يضاف إلى الله سبحانه وتعالى..... ٣٠٥
ثلاثة إيرادات على هذا المقال والجواب عليها..... ٣٠٥
الأول: دعوى أن المحال ليس بكليٍّ يخالفُ ما أطبق عليه أهل المنطق ٣٠٥
حديث: «**لا شخصَ أغيرُ من الله**» من تصرُّف بعض الرواة ولفظه الثابت في أغلب الطرق: «**لا أحدَ أغيرُ من الله**» (ت) ٣٠٥
الثاني: كلام الشيخ سعيد قدوره في بيان أفراد الكلِّي الممتنع، واشتماله على أوهام..... ٣٠٦
الثالث: من الإيرادات، دخول النَّفي العامُّ على «إله» في قولنا: «لا إله إلَّا الله» يؤيِّد القول بكلِّيته..... ٣٠٧
الرابع: اختار السنوسيُّ أنَّ معنى «إله» في كلمة التوحيد لا مستغنيًا عن كل ما سواه ومفتقرًا إليه كل ما عداه إلا الله، فهو على هذا كلِّيٌّ ٣٠٧
فصل في مصنَّفات لم تكمل ٣١٠
فصل في مؤلَّفات ضاعت ٣١٠
فصل في مؤلَّفات لم يُسبق إليها المصنِّف ٣١١
مسائل أغلقت على المصنِّف ثم فهمها بإلهامٍ من الله تعالى (ت) ٣١٢
فصل: في ذكر بعض ما حرره المصنف من الفوائد ومنها ما لم يسبق إليها . ٣١٥
فصل في ثناء كبار العلماء على المصنف..... ٣٢٢
فصل: في ذكر بعض المبشِّرات ٣٢٦
فصل: في ذكر ما رحل إليه المصنف من البلاد، وفيه ذكر بعض أصدقاء

وتلاميذ المصِّنف ٣٢٨
رتب الحِفْظِ عند المحدِّثين ٣٣٦
تنبيهات هامَّة ٣٥٠
علوم الحديث ثلاثة ٣٥٠
نصوص بعض الإجازات ٣٥٢
إجازة للعلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور شيخ الإسلام المالكي بالقطر التونسي ٣٥٢
إجازة أخي المحدِّث العلامة الشيخ أبي الفيض أحمد بن الصِّدِّيق ٣٥٨
إجازة السيد هبة الدين الحسيني أحد علماء الشيعة بالنجف ٣٦٠
إجازة العلامة المؤرخ محمد راغب الطباخ ٣٦١
إجازة العلامة عبدالباقي الأنصاري المدني ٣٦٥
إجازة العلامة خليل الخالدي ٣٦٧
إجازة الملك إدريس السنوسي ٣٦٩
إجازة العلامة عبدالحفيظ الفاسي ٣٧٠
إجازة العلامة عبدالقادر بن توفيق الشِّلَبي ٣٧٣
إجازة العلامة عبدالواسع اليماني ٣٧٨
خاتمة ٣٨٤
قصيدة في مدح السيد عبدالله «زالت المحنة عنكم» لفضيلة الشيخ عبدالقادر عوض ٣٨٥
فهرس الموضوعات ٣٨٩

موسوعة

العلامة المحدث المتفنن

سيدي الشريف عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري الحسني

(١٣٢٨ - ١٤١٣هـ) رحمه الله تعالى

قدم لها

الشريف الدكتور

عبد المنعم بن عبد العزيز بن الصديق

إشراف

الدكتور محمود سعيد بن محمد ممدوح

المجلد الثاني

كتاب الإيمان

موسوعة

العلامة المحدث المتفنن

سيدي الشريف عبد الله بن محمد الصديق الغماري الحسيني

(١٣٢٨ - ١٤١٣هـ) رحمه الله تعالى

٢

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية
عام / ١٤٣٨

قام بطباعتها وإخراجها: مركز البحوث والدِّراسات
بكُليَّة الصَّفا الإسلاميَّة بماليزيا

يطلب من:

دار السَّلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

جمهورية مصر العربية: القاهرة – الإسكندرية.
الإدارة: القاهرة ٤٠ شارع أحمد أبو العلا – المتفرِّع من شارع نور الدين بهجت – الموازي لامتداد شارع مكرم عبيد – مدينة نصر.
هاتف: ٢٢٨٧٣٢٤٦ - ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ (٢٠٢+)
فاكس: ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢+)
البريد الإلكتروني: info@dar-alsalam.com
موقعنا على الإنترنت: www.dar-alsalam.com

المجلد الثاني: كتاب الإيمان

ويحتوي على:

١ - فَتْحُ المُعِين بنَقْدِ كِتابِ الأَرْبَعِين.

٢ - النَّقدُ المَتِّين لكتابِ الفَتحِ المُبين.

٣ - التَّحْقِيقُ البَاهِر في مَعْنَىٰ الإيمانِ بالله واليومِ الآخِر.

٤ - اسْتِمْدادُ العَوْن لإثباتِ كُفْرِ فِرْعَون.

٥ - قُرَّةُ العَيْنِ في أدلة إرسالِ النبيِّ ﷺ للثَّقَلَين.

٦ - إرشادُ الجاهِلِ الغَوِيِّ إلىٰ وجوبِ اعتقادِ أنَّ آدمَ نبيٌّ.

٧ - إعلام النَّبيهِ بسبب براءة إبراهيمَ مِن أبيهِ.

٨ - إثمد العينين ببَيانِ نُبُوةِ الخَضر واسم ذي القرنين.

٩ - تَنْوِيرُ البَصِيرةِ ببيانِ عَلامات الكَبيرةِ.

١٠ - الحُجَجُ البيِّنات في إثباتِ الكَرَامَات.

١ - فَتْحُ المُعِين
بنَقْدِ كِتَابِ الأَرْبَعين

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله المُنفرد بالإرادة والتدْبير، المُنزَّه عن الشَّبيه والنَّدِيد والنَّظير، ليس كمثله شيءٌ وهو السَّميع البصير، له الأسماء الحُسنَىٰ والصِّفات العُلا وهو العليُّ الأعلىٰ، يعلم خائنة الأَعْيُن وما تُخفي الصُّدور، والصَّلاة والسَّلام علىٰ سيِّدنا محمَّدٍ البشير النَّذير والسِّراج المُنير، وعلىٰ آله المُطهَّرين، ورضي الله عن صحابته والتابعين.

أمَّا بعد: فهذا جزءٌ بيَّنتُ فيه أشياء مُنتقدَةً في كتاب "الأربعين في دلائل التوحيد" لأبي إسماعيل الهَرويِّ، وقد طُبع في السَّنَة الماضية (١٤٠٤هـ) بتعليق علي بن محمد بن ناصر الفقيهي.

وأبو إسماعيل الهَرويُّ وإن كان حافظًا؛ فإنه ضعيفٌ في العربية وقواعد الاستدلال، كما يتبيَّن مِن نَقْدنا له بحول الله.

مقدمة

أولًا: الفروع الفقهيَّة المتعلِّقة بالعبادات والمعاملات مَبْنيَّة على الظنِّ، واليقين فيها قليلٌ، ولذلك حصل فيها الخلاف بين الصحابة والتابعين وأئمَّة المذاهب، وكان فيهم المُخطئ والمُصيب، ولم يُضلِّل أحدٌ منهم مخالفه إذا أخطأ، بل يعتقدون أنهم جميعًا على هدًى وسُنَّةٍ، وأنَّ المُخطئ مأجورٌ على اجتهاده.

أمَّا التوحيد فالأمر فيه يختلف؛ لأنَّ اليقين في مسائله مطلوبٌ حتمًا، خصوصًا ما يتعلَّق بصفات الله تعالى، فلا يجوز أن نُثبت له صفةً إلَّا بشروطٍ:

أحدها: أنْ يثبت التصريح بها في آيةٍ أو حديثٍ مقطوعٍ به.

ثانيها: ألَّا يدخلها احتمال المَجاز أو التأويل.

ثالثها: ألَّا يكون مِن تصرُّف الراوي إذا جاءت في حديثٍ.

ثانيًا: ليس كل تأويلٍ في بعض صفات الله تعالى باطلًا مردودًا كما يزعم غلاة المُثبتة، بل إذا كان التأويل قريبًا يحتمِلُه اللفظ ولا يردُّه المعنى، وجب قبوله.

ثالثًا: إذا احتمل اللفظ معنيين، أحدهما يفيد تنزيه الله تعالى قُدِّم على الذي لا يُفيده؛ لأنَّ التنزيه واجبٌ بإجماع المسلمين.

وهذا حين الشروع في المقصود بعون الله.

نقد باب
إيجاب قبول صفة الله تعالى

وروى بإسناده عن عبيدة عن عبدالله قال: جاء رجلٌ مِن أهل الكتاب إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: يا محمَّدُ، إنَّ الله يضع السماوات على إِصْبَعٍ والأَرَضِينَ على إِصْبَعٍ والجبال على إِصْبَعٍ والثَّرى على إِصْبَعٍ، ثُمَّ يقول: أنا المَلِك، قال: فضَحِك رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حتى بَدَتْ نَواجِذُهُ، ثُمَّ قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]، زاد فُضَيل: «فضحك تعجُّبًا وتصديقًا له».

قلت: استدلَّ على أنَّ الإِصْبَعَ صفة الله تعالى بأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أقرَّ اليهوديَّ على ما قال، وبأنَّ في بعض طُرُق الحديث زيادة: «تعجُّبًا وتَصْديقًا له».

وهذا لا يكفي أبدًا في إثبات صفة الله تعالى واعتقادها كما يُعتَقَد غيرها الثابت بطريق اليقين، وإليك البيان:

أولًا: تقرير النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حُجَّةٌ إذا كان تقريرًا لمُسلمٍ، أمَّا غير المسلم فلا، هذا هو المقرَّر في علم الأصول.

قال الشوكاني في "إرشاد الفحول" في مبحث التقرير: «ولابد أن يكون المقرَّر مُنقادًا للشرع، فلا يكون تقرير الكافر على قولٍ أو فعلٍ دالًّا على الجواز، قال الجُوَينيُّ: ويلحق بالكافر المنافق، وخالفه المازِريُّ فقال: إنا نُجْري على المنافق أحكام الإسلام في الظاهر، وأجيب عنه بأن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان كثيرًا ما يسكت عن المنافقين لعلمه أنَّ الموعظة لا تنفعهم».اهـ

فسقط كلام ابن خزيمة؛ لأنه مخالفٌ لما تقرَّر في الأصول.

ثانيًا: إنَّ ضَحِك النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ليس نصًّا في تصديق اليهوديِّ كما فَهم الراوي، بل يحتمل الإنكار، وتلاوة الآية أولىٰ بالدلالة علىٰ الإنكار؛ لأن الآية لا ذكر فيها للأصابع، وإذا احتمل الدليل وجهين سقط به الاستدلال.

ثالثًا: إنَّ الأصابع لم تأتِ في خبرٍ مقطوعٍ به كما قال الخطَّابي ووافقه الحافظ ابن حجرٍ في "فتح الباري".

رابعًا: أنها لم تَخْلُ مِن تأويلٍ صحيحٍ موافقٍ للغة العرب.

قال الخطَّابي: «ولعلَّ ذِكْر الأصابع مِن تخليط اليهوديِّ، فإنَّ اليهود مُشَبِّهةٌ، وفيما يدَّعونه مِن التوراة ألفاظٌ تدخل في باب التشبيه ولا تدخل في مذاهب المسلمين، وأمَّا ضحكه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مِن قول الحَبْر فيحتمل الرِّضا والإنكار، وأمَّا قول الراوي: «تصديقًا له» فظنٌّ منه وحسبان، وعلىٰ تقدير أن يكون ذلك محفوظًا، فهو محمولٌ علىٰ تأويل قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧] أي: قدرته علىٰ طيِّها، وسهولة الأمر في جمعها بمنزلة مَن جمع شيئًا في كفِّه واستقلَّ بحمله مِن غير أن يجمع كفَّه عليه، بل يقله ببعض أصابعه، وقد جرىٰ في أمثالهم: فلان يقل كذا بإصبعه ويعمله بخِنْصَره».اهـ

وستأتي بقية لهذا البحث في «باب إثبات الأصابع لله عزَّ وجلَّ» إن شاء الله.

نقد باب

الردِّ على مَن رأى كتمان أحاديث صفات الله تعالى

وروىٰ مِن طريق الترمذيِّ في "سننه": عن حمَّاد بن سلمة، عن ثابت البُنانيِّ، عن أنس بن مالكٍ، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣] أشار أنس بطرف إصبعه علىٰ أول بَنان مِن الخِنْصَر، وكذلك أشار ثابت البُنانيُّ، فقال له حُميد الطويل: ما تريد بهذا يا أبا محمَّد؟ فرفع ثابت يده فضرب صدره ضربةً شديدةً، وقال: مَن أنت يا حُميد؟! وما أنت يا حُميد؟! يُحدِّثني أنس بن مالكٍ عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وتقول أنت: ما تريد بهذا؟».اهـ

وأقول: حمَّاد بن سلمة وإن كان ثقةً فله أوهام -كما قال الذهبيُّ- ولم يخرِّج له البخاريُّ، ومِن أوهامه ما رواه عن عكرمة، عن ابن عبَّاسٍ: «**رأيتُ ربِّي جَعْدًا أمْرَدَ عليه حُلَّةٌ خَضْراءُ**».

وروىٰ عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عبَّاسٍ: أنَّ محمَّدًا رأىٰ ربَّه في صورة شابٍّ أمْرَد دونه سِتْرٌ مِن لؤلؤٍ قَدَمَيْهِ أو رِجْلَيْه في خُضْرَةٍ.

قال الذهبيُّ في "الميزان": «فهذا مِن أنكر ما أتىٰ به حمَّاد بن سلمة، وهذه الرؤية رؤية منام إن صحَّت».اهـ

قلت: أولًا: حديث المنام رواه الترمذيُّ بلفظ: «**رأيتُ ربِّي في صورةٍ حَسَنةٍ**». وهذا اللفظ لا نكارة فيه، والصورة معناها الصِّفة وفي "المسند": «**رأيتُ ربِّي**». فزيادة: «في صورة شابٍّ أَمْرد»، تجسيمٌ صريحٌ لا يعتقده مسلمٌ، وإنما يليق بعقيدة اليهود لعنهم الله.

ثانيًا: لو فرضنا صحَّة نسبة الأصابع لله تعالىٰ فهي كما قال ابن بطَّال في "شرح البخاري": «لا يُحمل ذِكْر الإصبع علىٰ الجارحة، بل يُحمل علىٰ أنه صفةٌ مِن صفات الذَّات لا تُكَيَّف ولا تُحدَّد، وهذا يُنسبُ للأشعريِّ».اهـ

ولا يجوز أن نُثبت فيها خِنْصَرًا وإبهامًا وبَنانًا، فإن هذا تكييف وتشبيه صريح لا يليق بالله سبحانه، وهذا الحديث لا يكفي في إثبات ذلك.

روىٰ البيهقيُّ في "الأسماء والصفات" عن قتادة عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ الله لما قَضَى خَلْقَه اسْتَلْقَى ثُمَّ وَضَعَ إحْدَى رِجْلَيه على الأُخرى، ثُمَّ قال: لا ينبغي لأحدٍ مِن خَلْقِي أن يفعلَ هذا**». وقال: «هذا حديثٌ منكرٌ لم أكتبه إلَّا مِن هذا الوجه، فليح بن سليمان مع كونه من شرط البخاريِّ ومسلمٍ فلم يُخرجا حديثه هذا في الصحيح».

ثم روىٰ عن عروة بن الزبير: «أنَّ أباه سمع رجلًا يُحدِّث حديثًا عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فاستمع له، حتىٰ إذا قضىٰ الرجل حديثه، قال له الزبير: أنت سمعتَ هذا مِن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم؟ قال الرجل: نعم، قال: هذا وأشباهه ممَّا يمنعنا أن نُحدِّث عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، لَعَمْري قد سمعتَ هذا من النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وأنا يومئذٍ حاضرٌ، ولكن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ابتدأ هذا الحديث فحدَّثنا عن رجلٍ من أهل الكتاب حدَّثه إيَّاه، فجئت أنت يومئذٍ بعد أن قضىٰ صَدْرَ الحديث وذَكَر الرجل مِن أهل الكتاب، فظننتَ أنه مِن حديث رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم».

قال البيهقيُّ: «ولهذا الوجه مِن الاحتمال ترك أهل النظر من أصحابنا

الاحتجاج بأخبار الآحاد في صفات الله تعالىٰ، إذا لم يكن لِما انفرد منها أصلٌ في الكتاب أو الإجماع، واشتغلوا بتأويله».

ثُمَّ تكلَّم علىٰ بيان بطلان حديث الاستلقاء (٣٥٧) من "الأسماء والصفات".

قلت: وحديث الاستلقاء موضوعٌ بلا شك، وقد ثبت النهي عن وضع الرِّجْل علىٰ الرِّجْل بدون زيادة الاستلقاء.

ففي "المسند" عن أبي النضر: أنَّ أبا سعيدٍ كان يشتكي، فدخل عليه أخوه وقد جعل إحدىٰ رِجْلَيه علىٰ الأخرىٰ، فضرب بيده علىٰ رجله الوَجِعَة فأوجعه، فقال أوجعتني أو لم تعلم أنَّ رِجلي وَجِعَةٌ؟! قال: بلىٰ، قال: فما حَمَلك علىٰ ذلك؟ قال: أو لم تعلم أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قد نهىٰ عن هذه؟!

قال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح إلَّا أنَّ أبا النضر لم يسمع من أبي سعيد».

قال البيهقيُّ: «وأمَّا النهي عن وَضْعِ الرَّجُلِ إحدىٰ رِجْليه علىٰ الأُخرىٰ، فقد رواه أبو الزبير، عن جابرٍ، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم دون هذه القِصَّة، وحَمَله أهل العلم علىٰ ما يُخشىٰ من انكشاف العورة إذا رفع إحدىٰ رجليه علىٰ الأخرىٰ مُستلقيًا والإزار ضيِّق، وهو جائزٌ عند الجميع إذا لم يخشَ ذلك».اهـ وحديث جابر أخرجه الطبراني في "الأوسط".

ثالثًا: أنَّ الحديث يُخالف القرآن، قال الله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣] ولا إشعار في الآية بخِنْصَرٍ ولا بَنانٍ، فكيف نثبت لله صفةً لم يدل عليها القرآن ولا الإجماع؟! ويمكن تأويل الحديث بأنَّ

الخِنْصَرَ وما معه ليس صفةً لله، وإنما ذُكر لبيان أنَّ التجلِّي كان بمنزلة الخِنْصَرِ والبَنان مِن أحد النَّاس، تنبيهًا على عظمة الله سبحانه.

يؤيد هذا أنَّ عبدالله بن سلامٍ وكعب الأحبار قالا: «ما تجلَّى مِن عظمة الله للجَبَلِ إلَّا مثل سَمِّ الخِيَاطِ».

وقال الضَّحَّاك: «أظهر الله مِن نور الحُجُب مثل مِنْخَرِ ثَورٍ».

وقال السُّدِّي: «ما تجلَّى إلَّا قَدْر الخِنْصَرِ». فتبيَّن خطأ المؤلِّف في فهمه المأخوذ من الترجمة، والله أعلم.

نقد باب
أنَّ الله تبارك وتقدَّس وتعالى شيءٌ

وروى فيه حديث أسماء بنت أبي بكرٍ رضي الله عنهما: أنها سمعت النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول على المنبر: «**ما مِن شيءٍ أَغْيَر مِن الله عزَّ وجلَّ**».

قلت: هو في "صحيح البخاري" في «باب الغيرة»، وهو مروي بالمعنى، فقد رواه البخاريُّ من حديث ابن مسعودٍ، وعائشة رضي الله عنهما بلفظ: «**ما مِن أحدٍ أَغْيَر مِن الله**».

وبينَّا فيما سبق أنَّ شرط إثبات الصِّفة: ألَّا تكون مرويَّةً بالمعنى، إذ تكون حينئذٍ مِن تصرُّف الرُّواة

وإذا كان أبو حَيَّان وجماعةٌ منعوا الاستدلال بالحديث في المسائل النحوية، قالوا: لأنَّ الحديث دخل فيه الرواية بالمعنى. فكيف يستجيز المؤلِّف أن يُثبت صفةً لله تعالى بحديثٍ تصرَّف فيه الرُّواة؟! هذا تساهلٌ غير محمودٍ.

نقد باب
بيان أنَّ الله عزَّ وجلَّ شخصٌ

وروىٰ فيه حديث المغيرة، في غيرة سعد بن عُبادة، وقول النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أنا أَغْيرُ مِن سعدٍ، والله أَغْيَرُ مِنِّي...ولا شخصَ أغيرُ مِن الله عزَّ وجلَّ**» الحديث.

وهو في "صحيح البخاري" معلَّقًا: عن عبيد الله بن عمرو، عن عبدالملك: «**لا شخصَ أَغْيَرُ مِن الله**». وأسنده من طريق عبدالملك عن ورَّاد كاتب المغيرة بلفظ: «**والله أغير مِنِّي... ولا أحد أحبُّ إليه العُذْرُ مِن الله، ومِن أجل ذلك بعث المُبشِّرين والمُنذِرين، ولا أحد أحبُّ إليه المِدْحَةُ مِن الله، ومِن أجل ذلك وَعَدَ الله الجنَّة**».

فتبيَّن أنَّ الرواة تصرَّفوا في لفظ الحديث، فلا يكون حُجَّةً في وصف الله بشخص، وقد قال ابن بطَّال في "شرح البخاري": «أجمعت الأُمَّة علىٰ أنَّ الله تعالىٰ لا يجوز أن يوصف بأنه شخصٌ؛ لأنَّ التوقيف لم يرد به».اهـ

والشخص: سَوَاد الإنسان والحيوان، يُرىٰ من بعد، فلا يُطلق في اللغة إلا علىٰ جسمٍ.

ولا أدري سِرَّ حِرْص المؤلِّف علىٰ نسبة الشيء والشخص والإصبع والخِنصر والبَنان صفة لله تعالىٰ، مع أنها ليس فيها كمالٌ ولا ثناءٌ، ولله الأسماء الحُسنىٰ والصِّفات العُلا، وهذه الأشياء -ولا أقول الصِّفات- هي بالمخلوقات أولىٰ. أهذا هو التوحيد الذي يستدل له المؤلف ويجتهد في إثباته لله؟! تعالىٰ الله

عن ذلك علوًّا كبيرًا، وعلى فرض ثبوت لفظ شخص، فلا يدل على أنه وصف لله تعالى.

قال ابن بطَّال: «اختلفت ألفاظ هذا الحديث، ولم يُختلف في حديث ابن مسعود أنه بلفظ: «**لا أحد**»، فظهر أن لفظ «**شخص**» جاء موضع «**أحد**»، فكأنه من تصرُّف الراوي، على أنه من باب المستثنى من غير جنسه، كقوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ [النجم: ٢٨] وليس الظن من نوع العلم».اهـ

قال الحافظ: «وهذا هو المعتمد، قال ابن فورك: وإنما منعنا مِن إطلاق لفظ الشخص أمور:

أحدها: أنَّ اللفظ لم يثبت من طريق السَّمع.

ثانيها: الإجماع على المنع منه.

ثالثها: أنَّ معناه: الجسم المؤلَّف المركَّب».اهـ

(**تنبيه**): وقع في سند المؤلِّف: «ثنا كاملة» وكتب عليه المحقِّق علامتي استفهام هكذا «؟؟» علامة على أنه كذلك بالأصل، وهو تصحيف لم ينتبه له المحقِّق. والصواب: «ثنا أبو كامل»، وهو يروي عن أبي عوانة، كما في "تهذيب التهذيب"، والله أعلم.

نقد باب
إثبات النَّفْس لله عزَّ وجلَّ

وروى فيه حديث ابن عبَّاسٍ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**سبُحْانَ الله وبحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ، ومِدَادَ كَلِماتِهِ، ورِضَا نَفْسِهِ**». وهو في "صحيح مسلم"، وجاء لفظ النَّفس في القرآن في عِدَّة آيات.

قال البيهقيُّ: «ومعنى قول مَن قال: الله سبحانه وتعالى أنه نفس: أنه موجود ثابت غير مُنتفٍ ولا مَعْدومٍ، وكلُّ موجودٍ نفسٌ، وكلُّ معدوم ليس بنفسٍ، والنفس في كلام العرب على وجوهٍ:

فمنها: نفسٌ مَنْفُوسَةٌ مُجسَّمة مُروَّحة.

ومنها: مُجسَّمة غير مُروَّحة، تعالى الله عن هذين عُلوًّا كبيرًا.

ومنها: نفس بمعنى إثبات الذات، كما تقول في الكلام: هذا نفس الأمر، تريد إثبات الأمر، لا أنَّ له نفسًا منفوسةً أو جسمًا مروَّحًا، فعلى هذا المعنى يقال في الله سبحانه أنه نفسٌ، لا أن له نفسًا منفوسةً أو جِسْمًا مُرَوَّحًا. وقد قيل في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿**تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ**﴾ [المائدة: ١١٦]. أي تعلم ما أُكِنُّه وأُسِرُّه ولا علم لي بما تستره عنِّي وتغيِّبه، ومثل هذا قول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**فإن ذَكَرَنِي في نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي**». أي حيث لا يعلم به أحد ولا يطَّلع عليه».اهـ

فتبيَّن أنَّ إطلاق النَّفس على الله تعالى بمعنى الذَّات، وليس هو صفة زائدة كما يُفهِمُه كلام المؤلِّف.

قال ابن بطَّال: «في هذه الآيات والأحاديث إثبات النَّفس لله، وللنَّفس

معانٍ، والمراد بنفس الله ذاته وليس بأمر مزيد عليه، فوجب أن يكون هو».اهـ

وأعود فأقول: لا أدري سِرَّ حِرْص المؤلِّف على نسبة الألفاظ المُوهمة صفةً لله عزَّ وجلَّ.

نقد باب

الدليل على أنه تعالى في السماء

وروى فيه حديث ابن عبَّاسٍ، قال جاء رجلٌ إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ومعه جارية أعجمية سوداء فقال: عليَّ رقبة، فهل تُجزئ هذه عنِّي؟ فقال: «**أين الله؟**» فأشارت بيدها إلى السماء، فقال: «**مَن أنا؟**» فقالت: رسول الله. قال: «**أَعْتِقْها فإنَّها مؤمنةٌ**». ثم قال المؤلِّف: حديث معاوية بن الحكم أصح إسنادًا مِن هذا.

قلت: إسناد هذا الحديث فيه سعيد بن المَرْزُبان ضعيفٌ مدلِّس، بل متروك. وحديث معاوية بن الحكم، في "صحيح مسلم"، لكنه شاذٌّ مردودٌ لوجوه:

أولًا: مخالفته لما تواتر عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: أنه كان إذا أتاه شخص يريد الإسلام، سأله عن الشهادتين، فإذا قبلهما حكم بإسلامه. وفي "الموطأ" عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود: أنَّ رجلًا من الأنصار جاء إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بجارية سوداء، فقال: يا رسول الله عليَّ رقبة مؤمنة، فإن كنت تراها مؤمنة أعتقها، فقال لها رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أتشهدين أن لا إله إلا الله؟**» قالت: نعم، قال: «**أتشهدين أنَّ محمَّدًا رسول الله؟**» قالت: نعم، قال: «**أتوقنين بالبعث بعد الموت؟**» قالت: نعم، قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أَعْتِقْها**».وهذا هو المعلوم من

حال النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ضرورة.

ثانيًا: إنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بيَّن أركان الإيمان، في حديث سؤال جبريل، حيث قال: «**الإيمان أنْ تُؤمِنَ بالله وملائكته وكُتُبه ورُسُله واليومِ الآخِرِ وتُؤمن بالقَدَرِ خَيْرِه وشَرِّه**». ولم يذكر فيها عقيدة أنَّ الله في السماء.

ثالثًا: إنَّ العقيدة المذكورة لا تُثْبِت توحيدًا ولا تنفي شِرْكًا، فكيف يصف النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم صاحبها بأنه مؤمنٌ؟! كان المشركون يعتقدون أنَّ الله في السماء ويشركون معه آلهة في الأرض، ولمَّا جاء حصين بن عتبة، أو ابن عبيد والد عمران إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فسأله: «**كم تَعبدُ مِن إلهٍ؟**» قال: ستة في الأرض وواحدًا في السماء.

وقال فرعون لهامان: ﴿فَٱجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ [القصص: ٣٨] لاعتقاده أنَّ الله في السماء، ومع ذلك قال لقومه: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤].

رابعًا: أنَّ كون الله في السماء ليس علىٰ حقيقته عند جماعة من العلماء، بل هو مؤوَّل عندهم علىٰ معنىٰ العلوِّ المعنوي.

قال الباجي علىٰ قول الجارية: «في السماء»: «لعلَّها تريد وصفه بالعلوِّ، وبذلك يوصف مَن كان شأنه العلو، يقال: مكان فلان في السماء، يعني عُلَوَّ حاله ورفعته وشأنه».

وذكر السُّبكي في "طبقات الشافعية" الأُبَّيات المنسوبة لعبدالله بن رواحة:

شَهِدْتُ بأنَّ وَعْدَ الله حَقٌّ ... وأنَّ النَّارَ مَثْوَىٰ الكَافِرِينَا
وأنَّ العَرْشَ فَوْقَ الماءِ طَافٍ ... وفَوقَ العَرْشِ ربُّ العَالَمِينَا

وقال عقبها: ما أحسن قول الإمام الرافعي في كتاب "الآمالي" وقد ذكر هذه الأُبِّيات: هذه الفوقية فوقية العظمة والاستغناء، في مقابلة صفة الموصوفين بصفة العجز والفناء».اهـ وأركان الإيمان لا يدخلها التأويل.

نقد باب
وضع الله عزَّ وجلَّ قدمه على الكرسيِّ

وروىٰ فيه عن ابن عبَّاسٍ قال: إنَّ الكرسيَّ موضع القدمين، والعرش لا يَقْدِر أحدٌ قَدْرَه. قال: ويروىٰ عن أبي موسىٰ، وأبي هريرة، وعكرمة وأبي مالك.

قلت: أثر أبي موسىٰ رواه ابن جريرٍ الطبري في "تفسيره"، وروىٰ نحوه عن السُّدِّي أيضًا، والموقوفات والمقطوعات لا يُحتجُّ بها في الأحكام الفقهية، فكيف يستدل المؤلِّف بها في التوحيد؟هذا عجيب!.

وذكر السيوطي في "الدر المنثور" أثر أبي موسىٰ بلفظ: «الكرسي موضع القدمين وله أَطِيطٌ كأَطِيطِ الرَّحْل». وكذلك ذكره ابن جريرٍ، قال السيوطي: «هذا علىٰ سبيل الاستعارة تعالىٰ الله عن التشبيه، ويوضِّحه ما أخرجه ابن جريرٍ عن الضَّحَّاك في الآية، قال: كرسيه الذي يوضع تحت العرش، الذي تجعل الملوك عليه أقدامهم».اهـ

وروىٰ الخطيب في "التاريخ" عن عبدالله بن خليفة قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**الكرسيُّ الذي يَجلس عليه الربُّ عزَّ وجلَّ، وما يفضل منه إلَّا قَدْر أربع أصابع، وإن له أَطِيطًا كأَطِيطِ الرَّحْل الجَديد**». هذا مرسل، وهو منكرٌ جدًّا، بل موضوعٌ.

نقد باب
إثبات الحد لله عزَّ وجلَّ

وروى حديث أبي هريرة: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال في دعائه: «**أنتَ الظَّاهر فليس فوقك شيءٌ، وأنتَ الباطن فليس دونك شيءٌ**». وهو في "صحيح مسلم".

ولفظ: «الحد» لم يأت في الكتاب ولا في السُّنَّة، وإثباته إنما يكون بدلالة الالتزام -كما في هذا الحديث- على بعض معاني الظاهر، فإن له معان كثيرة مذكورة في كتب التفسير واللغة.

ونبَّهنا فيما مرَّ على أنه لا يجوز إثبات صفة الله تعالى إلَّا إذا جاءت صريحة في القرآن أو السُّنَّة.

وذكر السُّبكي في ترجمة ابن حِبَّان من "طبقات الشافعية" عن المؤلِّف أنه قال: «سألت يحيى بن عمار عن ابن حِبَّان، قلت: رأيته؟ قال: وكيف لم أرَه؟! ونحن أخرجناه من سَجِسْتان، كان له علمٌ كثيرٌ، ولم يكن له كبيرُ دينٍ، قَدِم علينا فأنكر الحدَّ لله، فأخرجناه من سَجِسْتان».

قال السُّبكي: «انظر ما أجهل هذا الجارح، وليت شعري مَن المجروح، مثبت الحدِّ لله أو نافيه؟! وقد رأيت للحافظ صلاح الدِّين خليل بن كَيْكَلَدِي العلائي رحمه الله، على هذا كلامًا جيدًا أحببت نقله بعبارته، قال رحمه الله، ومن خَطِّه نقلت: «يا لله العجب! مَن أحقُّ بالاخراج والتبديع وقِلَّة الدِّين؟!».اهـ

وذكر الذهبي هذه القصة في "تذكرة الحفاظ"وعلَّق عليها بقوله: «كلاهما

مخطئ، إذ لم يأتِ نصٌّ بإثبات الحدِّ ولا بنفيه، ومِن حُسْنِ إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».اهـ

قلت: بل النافي مصيب؛ لأنه متمسِّكٌ بالأصل، والإجماع على أنَّ الله تعالى لا يوصف إلا بنصٍّ قطعيٍّ.

وروى البيهقيُّ في "الأسماء والصفات" عن أفلح بن محمد قال: «قلت لعبدالله بن المبارك: يا أبا عبدالرحمن إني أكره الصِّفة-عَنَى صفة الربِّ تبارك وتعالى- فقال له عبدالله: أنا أشد الناس كراهية لذلك، لكن إذا نطق الكتاب بشيءٍ جسرنا عليه، وإذا جاءت الأحاديث المستفيضة الظاهرة تكلَّمنا به».

قال البيهقيُّ: «وإنما أراد -والله أعلم- الأوصاف الخبريَّة، ثُمَّ تكلُّمهم بها على نحو ما ورد به الخبر لا يُجاوِزونه».اهـ

لكن خالف ابن المبارك كلامه هذا وأثبت الحدَّ لله، وهو خطأ بلا شك.

نقد باب
في إثبات الجهات لله عزَّ وجلَّ

وروى فيه حديث عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ المُقْسِطِينَ على مَنابِرَ مِن نُورٍ عن يَمِينِ الرَّحمنِ، وكِلْتا يديه يَمِينٌ**». والحديث في "صحيح مسلم".

وفيه ما يدل على نفي الجهة عن الله تعالى، فقوله: «**وكلتا يديه يمين**»، قال القاضي عياض: «هو تنبيه على أنه لم يرد باليمين ولا باليد: الجارحة؛ لأنه لو أريد به ذلك لكان المقابل لليمين الشمال، وتستحيل نسبة الجارحة إلى الله سبحانه وتعالى؛ لأن ذلك إنما يكون في الأجسام المتحيزة المقدَّرة ذوات الجهة،

وكل ذلك على الله سبحانه محال».اهـ

فظهر أنَّ الحديث ينفي الجهة، وأنَّ فهم المؤلِّف خطأ، ثُمَّ ما غرضه بإثبات الجهة لله مع أنها مِن خواصِّ الأجسام المتحيزة؟!

نقد باب
إثبات الصورة له عزَّ وجلَّ

وروى حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**خَلَقَ اللهُ آدمَ عليه السَّلام على صُورَتِهِ، طوله ستُّون ذِراعًا**».

وهذا حديث مختصر مِن حديث في "الصحيحين"، والاستدلال به لإثبات الصورة لله عزَّ وجلَّ غلوٌّ في الإثبات مذموم؛ فإن الضمير في صورته يعود على آدم لأنه أقرب مذكور، ويؤيد ذلك قوله: «**طُولُهُ ستون ذِراعًا**»، وقوله في آخر الحديث عن أهل الجنَّة: «**على خَلْقِ رجلٍ واحدٍ على صورة أبيهم آدم ستُّون ذراعًا في السماء**». فالحديث كما ترى يُبيِّن أنَّ الضمير في صورته يعود على آدم.

قال الحافظ في "الفتح": «والمعنى أنَّ الله تعالى أوجده على الهيئة التي خلقه عليها لم ينتقل في النشأة أحوالًا، ولا تردَّد في الأرحام أطوارًا كذريَّته، بل خلَقه الله رجلًا كاملًا سويًّا مِن أول ما نفخ فيه الرُّوح، ثم عقَّب ذلك بقوله: «**وطوله ستون ذراعًا**». فعاد الضمير أيضًا على آدم، وقيل معنى قوله: «**على صورته**» أي لم يشاركه في خلقه أحد، إبطالًا لقول أهل الطبائع، وخُصَّ بالذكر تنبيهًا بالأعلى على الأدنى».اهـ كلام الحافظ.

قلت: وعود الضمير في صورته على آدم يشير لإبطال زعم دارِوِين: أن

الإنسان أصله قِرْد، فأفاد الحديث أنَّ آدم خُلِق من أول مرة إنسانًا لا أصل له غير ذلك، وهذه معجزة عظيمة تؤخذ من الحديث، أمَّا جعل الضمير في صورته يعود على الله فهو خطأ مِن تصرُّف بعض الرواة.

وقد استنكره كثير من العلماء وأخذ بظاهره ابن قتيبة فقال: «لله صورةٌ لا كسائر الصُّور». وهذا خطأ أيضًا؛ لأن الصورة تتوقَّف على مُصَوِّرٍ، كما قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ [آل عمران: ٦] وقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار: ٦ - ٨] فوَصْف الله بالصورة لا يجوز؛ لأنها مُحْدَثةٌ والله تعالى لا يوصف بالمُحدَث، تعالى الله عن ذلك، وتأويل الصورة بالصفة لا يجدي في هذا المقام.

قال البيهقيُّ في "الأسماء والصفات": «وذهب بعض أهل النظر إلى أنَّ الصور كلَّها لله تعالى على معنى المِلْك والفعل، ثُمَّ ورد التخصيص في بعضها بالإضافة تشريفًا وتكريمًا، كما يقال ناقة الله، وبيت الله، ومسجد الله».اهـ

وهو كلامٌ حسنٌ.

نقد باب
إثبات العَيْنَين له تعالى وتقدَّس

وروىٰ فيه حديث أنس بن مالكٍ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ما مِن نبيٍّ إلَّا وقد أَنْذَرَ أُمَّته الأَعْوَرَ الكذَّاب ألَا إنه أَعْورُ، وإنَّ ربَّكم عزَّ وجلَّ ليس بأعْورَ، مكتوبٌ بين عينيه ك ف ر**».

والحديث ليس فيه إثبات العينين لله، فمن أين أتىٰ بها الهرويُّ؟! إن كان فهم من قوله: «**إنَّ ربَّكم ليس بأعْورَ**» أنه يستلزم أن يكون له عينان، فهذا غلط واضح؛ فإنَّ الصِّفات لله تعالىٰ لا تثبت إلَّا بلفظٍ صريحٍ في حديثٍ صحيحٍ.

وقد جاء في القرآن إثبات العين لله مفردة كقوله تعالىٰ: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: ٣٩] ومجموعة كقوله سبحانه: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨] ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود: ٣٧] ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤] وهذا يدل علىٰ أن نسبة العين إلىٰ الله معناه صفة البصر، أو الحِفظ والكِلَاءة.

وقال ابن حزم: «لا يجوز لأحد أن يصف الله عزَّ وجلَّ بأن له عينين؛ لأن النصَّ لم يأتِ بذلك».اهـ

وهكذا شأن الهرويِّ في كتاب "الأربعين"، يثبت صفات لله لم يقم عليها دليلٌ.

نقد باب
إثبات اليدين لله عزَّ وجلَّ

وروىٰ عن ابن عبَّاسٍ: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ آدمَ عليه السَّلام كان يُسَبِّح بتَسْبِيحِ الملائكةِ، ويُصلِّي بصلاتِهم حين هَبَطَ إلى الأرض؛ لطُولِه وقُرْبِه إلى السَّماء، فوضع الله يده عليه فطَأْطَأَتْ إلى الأرضِ سبعين ذِراعًا**».

هذا حديثٌ منكرٌ جدًّا بل موضوعٌ؛ لأنه مُحالٌ، والنبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لا يتكلَّم بالمُحال، وماذا عسىٰ أن يكون طول آدم حتىٰ يسمع تسبيح الملائكة في السماء؟! وإنَّ بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عامٍ، وماذا تُنقِص سبعون ذراعًا مِن طوله؟! فالهرويُّ دلَّ باستدلاله بهذا الحديث علىٰ أنه ليس بحافظٍ، وأنه ضعيفٌ في فهم معنىٰ الكلام، فإنَّ مَن له أدنىٰ إدراك، يعلم بطلان هذا الحديث.

نقد باب
خلق الله الفردوس بيده

وروىٰ حديث أنس بن مالك: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ الله عزَّ وجلَّ خَلَقَ الفِرْدَوسَ بيَدِهِ، وحَظَرَها على كلِّ مُشْرِكٍ ومُدْمِنِ خَمْرٍ سِكِّيرٍ**».

هذا غلوٌّ في الإثبات بدون تعقُّل، فهذا الحديث ومثله، كحديث: «**إنَّ الله خَلَقَ جنَّة عدنٍ بيده**»، وحديث: «**خَلَقَ الله آدمَ بيده**»، وقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] هذه كلها، لا تُثْبِت اليد صفة لله، بل هي تدل علىٰ العناية والتخصيص، فإن الله كنَّىٰ عن عنايته بالفردوس بأنه

خلقها بيده، وكذلك جنَّة عدنٍ، وبيَّن عنايته بآدم وتخصيصه بالعلم والخلافة في الأرض بأنه خلقه بيديه، ردًّا على إبليس الذي امتنع من السجود لآدم عليه السَّلام، وليس كل ما يذكر في الآيات والأحاديث على سبيل العناية والتخصيص يكون صفة لله تعالى مثل اليدين، ودليلنا على ما نقول: قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠].

وفي الحديث القدسي: «**عَطَائي كَلامٌ، وعَذَابي كَلامٌ**».

فآدم عليه السَّلام، وجنَّة الفِردوس، وجنَّة عدنٍ، والعرش، والكرسيُّ كلها مخلوقةٌ بقول الله: «كن».

وقد بالغ عثمان الدارميُّ في الإثبات حتى زعم أنَّ الله خلق آدم بيده مسيسًا، وهذا تشبيهٌ صريحٌ، ثُمَّ إنَّ اليد جاءت في القرآن مُفرَدةٌ ومُثنَّاةٌ ومجْموعةٌ، نحو: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا﴾ [يس: ٧١]. فلو أخذنا بهذه الآيات، أثبتنا له يدًا ويَدَيْن وأيديًا، وهذا باطلٌ. فلم يبقَ إلَّا أن يكون التعبير باليد مُؤوَّلًا بما يقتضيه أسلوب الكلام، فتارةً يؤوَّل بالقُدْرَةِ، وتارة بالنِّعْمة، وتارة بالعِناية، وهكذا، ولا بد من التأويل، وإن زعم غلاة المُثبتة أنه تَجَهُّم، وبالله التوفيق.

نقد باب
إثبات الخطِّ لله عزَّ وجلَّ

وروىٰ حديث أبي هريرة عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**احتجَّ موسى وآدم عليهما السَّلام، فقال موسى: أنت أبونا، خَيَّبْتنا وأخرجتنا مِن الجنَّة. فقال آدم: يا موسى اصطفاك الله عزَّ وجلَّ بكلامه وخطَّ لك التوراة بيده، تلومُني على أمرٍ قد قدَّره الله عليَّ قبل أن يخلقني بأربعين سنةً؟!**».

والحديث في "الصحيحين"، وجاء بألفاظ، منها: «**أنتَ موسى الذي أعطاك اللهُ عِلْمَ كلِّ شيءٍ، واصطفاك على النَّاس برسالته**»، ومنها: «**وأعطاك الأَلْواحَ فيها بيان كلِّ شيءٍ**»، ومنها: «**اصطفاك الله برسالته واصطفاك لنفسه وأنزل عليك التوراة**».

فالحديث كما ترىٰ مرويٌّ بالمعنىٰ، فما السِّرُّ في اختيار المؤلِّف لفظ: «**خطَّ لك التوراة؟!**». أيريد أن يثبت لله الخط؟! وهذا لا يتم له؛ لأنه لا يقدر أن يجزم بأنَّ هذا لفظ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، والإجماع علىٰ أنه لا يجوز وصف الله بالخطِّ، فلا يقال فيه خطَّاطٌ ولا كاتبٌ، مع أنه قال: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ ﴾ [الأعراف: ١٤٥] ثُمَّ المقرَّر عند العلماء أنَّ المسائل العلمية المُتعلِّقة بالذَّات أو الصِّفات لا يُعمل فيها بأخبار الآحاد، نبَّه عليه الأُبِّي في "شرح مسلم".

نقد باب

أخذ الله صدقة المؤمن بيده

وروى حديث ابن مسعودٍ: إنَّ الصَّدقة تقع في يد الله عزَّ وجلَّ قبل أن تقع في يد السائل قرأ عبدالله (...).

وكتب المعلِّق: هنا كلمة غير واضحةٍ، وروي عن عائشة مرفوعًا مثله.

قلت: حديث ابن مسعودٍ موقوفٌ عليه، فلا حُجَّة فيه، وحديث عائشة لفظه: عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ الرجل ليتصدَّق بالصَّدقة مِن الكَسْب الطيِّب، ولا يقْبَل اللهُ إلَّا الطَّيب، فيتَلقَّاها الرحمن تبارك وتعالى بيده، فيُربِّيها كما يُرَبِّي أحدكم فَلُوَّه أو وَصِيفَهُ** -عبده- **أو فَصِيلَهُ**».

واليد هنا كناية عن القبول بدليل: «**لا يقبل الله إلَّا الطَّيب**»، وأورده الهيثميُّ في "مجمع الزوائد" تحت باب: «لا يقبل الله إلَّا الطَّيب».

وفي "الصحيحين" من حديث أبي هريرة: «**مَن تَصدَّق بعَدْل تمرةٍ مِن كَسْبٍ طَيِّبٍ -ولا يقبل الله إلَّا الطيِّب- فإنَّ الله يقبلها بيمينه، ثُمَّ يربِّيها لصاحِبها كما يُرَبِّي أحدُكم فَلُوَّه حتَّى تكون مثل الجبلِ**».

وفي "صحيح مسلم": «**إنّ الله طَيِّبٌ لا يَقْبَل إلَّا طَيِّبًا**».

فكيف يُثْبت لله صفة اليد مع قيام الدليل على أنَّ المراد بها القبول؟ ألم أقل إنه ضعيفٌ في العربيَّة؟!

نقد باب
إثبات الأصابع لله عزَّ وجلَّ

وروى عن عائشة رضي الله عنها قالت: دعوةٌ كان رسول الله يكثر أن يدعو بها: «**يا مُقَلِّب القُلُوبِ ثبِّت قلْبي على دِينِك**». قالت عائشة: يا رسول الله دعوةٌ أراك تُكثر أن تدعو بها؟ قال: «**ما مِن آدميٍّ إلَّا وقَلْبُهُ بين إِصْبَعين مِن أصابع الرَّحمن عزَّ وجلَّ، فإذا شاء أن يُقيمَهُ أقامه، وإذا شاء أن يُزِيغَهُ أَزَاغَهُ**».

تقدَّم أنَّ «أصابع» لم تأتِ في خبرٍ مقطوعٍ به، فلا تُنسب صفة لله تعالى، ثم هي مؤوَّلة.

قال ابن حزمٍ: «بين إصبعين بمعنى بين تدبيرين ونعمتين مِن تدبير الله عزَّ وجلَّ ونعمه، إما كفاية تسرُّه، وإما بلاء يأجره عليه، والإصبع في اللغة النعمة، وقَلْب كل أحد بين توفيق الله وجلاله، وكلاهما حُكْمه عزَّ وجلَّ».اهـ

ونقل البيهقيُّ عن أبي حاتم أحمد بن محمد الخطيب أنه قال في تأويل الحديث: «قيل معناه تحت قُدْرَته ومُلْكِه، وفائدة تخصيصها بالذِّكر أنَّ الله تعالى جعل القلوب محلًّا للخواطر والإرادات والعزوم والنيات، وهي مُقَدِّمات الأفعال، ثم جعل الجوارح تبعًا لها في الحركات والسَّكَنات. ودلَّ بذلك على أنَّ أفعالنا مقدورة لله تعالى مخلوقة، لا يقع شئ دون إرادته، ومثَّل لأصحابه قدرته القديمة بأوضح ما يعقلون من أنفسهم؛ لأن المرء لا يكون أقدر على شيءٍ منه على ما بين إصبعيه، ويحتمل أنها نعمتا النفع والدفع، أو بين أثريه في الفضل والعدل، يؤيده قوله: «**إذا شاء أقامه وإذا شاء أزاغه**». ويوضِّحه قوله: «**يا مقلِّب القلوب ثبِّت قلبي..**»، وإنما ثنَّى لفظ الإصبعين، والقدرة واحدة؛ لأنه

جرىٰ علىٰ المعهود مِن لفظ المثل».

قال البيهقيُّ: «وزاد عليه غيره في تأكيد التأويل الأول بقولهم: ما فلان إلَّا في يدي، وما فلان إلَّا في كفِّي، وما فلان إلَّا في خِنصَري، يريد بذلك إثبات قدرته عليه، لا أن خِنصَره يحوي فلانًا، وكيف يحويه وهي بعض من جسمه؟! وقد يكون فلان أشد بطشًا وأعظم منه جسمًا».اهـ

وقال ابن بطَّال: «لا يحمل ذكر الأصابع علىٰ الجارحة، بل يحمل علىٰ أنه صفة من صفات الذات لا تُكيَّف ولا تُحدَّد، وهذا ينسب إلىٰ الأشعري، ووافقه ابن التين».

وقال الخطَّابي: «لم يقع ذكر الأصبع في القرآن ولا في حديثٍ مقطوعٍ به، وقد تقرَّر أنَّ اليد ليست بجارحةٍ حتىٰ يُتوهَّم من ثبوتها ثبوت الأصابع، بل هو توقيفٌ أطلَقَه الشارع، فلا يُكَيَّف ولا يُشَبَّه، ولعلَّ ذكر الأصابع من تخليط اليهوديِّ، فإنَّ اليهود مُشَبِّهة، وفيما يَدَّعُونَه من التوراة ألفاظٌ تدخل في باب التشبيه، ولا تدخل في مذاهب المسلمين، وأمَّا ضحكه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من قول اليهوديِّ، فيحتمل الرِّضا والإنكار، وأمَّا قول الراوي: «تصديقًا له» فظنٌّ منه وحسبان، وقد جاء الحديث من عِدَّة طُرقٍ ليس فيها هذه الزيادة، وعلىٰ تقدير صحَّتها، فقد يُستدل بحُمْرة الوجه علىٰ الخَجَل، وبصُفْرته علىٰ الوَجَل، فيكون الأمر بخلاف ذلك، فقد تكون الحُمْرة لأمرٍ حدث في البَدَن، كثوران الدَّم، والصُّفْرة لثوران خلط من مرار وغيره.

وعلىٰ تقدير أن يكون ذلك محفوظًا فهو محمولٌ علىٰ تأويل قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧] أي قدرته علىٰ طيِّها، وسهولة

الأمر عليه في جَمْعِها بمنزلة مَن جمع شيئًا في كفِّه واستقلَّ بحمله مِن غير أن يجمع كفَّه عليه بل يقله ببعض أصابعه».اهـ

والخطَّابي لم ينكر ورود الأصابع في حديثٍ، وإنما أنكر أنَّ الحديث مقطوعٌ به، وكلامه صحيحٌ كما قال الحافظ، والمقصود أنَّ ذكر الأصابع صفة لله تعالى، ليس متَّفقًا عليه مع احتماله للتأويل، والهرويُّ متساهلٌ في إثبات الصفات بمجرَّد ورودها في الحديث، من غير أن ينظر هل هي مِن تصرُّف الراوي أو نحو ذلك من الاحتمالات.

نقد باب

إثبات الضحك لله عزَّ وجلَّ

وروى عن أبي هريرة عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ضَحِكَ الله مِن رَجُلين قَتَلَ أحدُهما صاحبَه ثُمَّ دَخَلَا الجنَّة**».

والحديث في "الصحيحين"، ولفظه في "صحيح البخاري": «**يَضْحَكُ اللهُ إلى رَجُلين يَقتلُ أحدهما الآخر، يَدخُلان الجنَّة يُقاتل هذا في سبيلِ الله فيُقتَل، ثُمَّ يتوبُ اللهُ على القاتلِ فيُسْتَشْهَد**». ورواه النَّسائي بلفظ: «**إنَّ الله يَعْجَبُ مِن رَجُلين**». فالحديث مرويٌّ بالمعنى.

قال الخطَّابيُّ: «الضَّحك الذي يعتري البشر عندما يستخفُّهم الفرح أو الطَّرب غير جائزٍ على الله تعالى، وإنما هذا مَثَلٌ ضرب لهذا الصنيع الذي يَحِلّ مَحَلَّ الإعجاب عند البشر، فإذا رأوه أضحكهم، ومعناه: الإخبار عن رضى الله بفعل أحدهما وقبوله للآخر، ومجازاتهما على صنيعهما بالجنَّة مع اختلاف حالهما، قال: وقد تأوَّل البخاري الضَّحك في موضوعٍ آخر على معنى الرحمة، وهو

قريب، وتأويله على معنى الرِّضا أقرب، فإنّ الضَّحك يدل على الرِّضا والقبول، والكرام يوصفون -عندما يسألهم السائل- بالبِشْر وحُسْن اللِّقاء، فيكون المعنى في قوله: «**يضحك الله**» أي يُجْزِل العطاء وقد يكون معنى ذلك أن يعجب ملائكته ويُضحِكهم مِن صنيعهما، وهذا يتخرَّج على المجاز، ومثله في الكلام يَكثُر».اهـ

وقال ابن الجوزيِّ: «أكثر السَّلفِ يمتنعون مِن تأويل مثل هذا، ويُمرِّونه كما جاء، وينبغي أن يُراعَى في مثل هذا الإمْرار، اعتقاد أنه لا يُشبِه صفات الله صفات الخَلْق، ومعنى الإمرار عدم العلم بالمراد منه، مع اعتقاد التنزيه».اهـ

قال الحافظ: «ويدل على أنَّ المراد بالضحك الإقبال بالرِّضا، تَعْديتَه بـ«إلى»، تقول: ضحك فلان إلى فلان، إذا توجَّه إليه طَلْق الوجه مُظْهِرًا الرِّضا عنه».اهـ

وذَكَر البيهقيُّ في "الأسماء والصفات" بعض الأشعار التي جاء الضَّحك فيها بمعنى الرِّضا، منها قول زهير:

تَـرَاهُ إذا مـا جِئْتَـه مُـتَهلِّلًا ... كأنَّـكَ تُعْطيـه الـذي أنـتَ سَـائلُه

وقول كُثَيِّر:

غَمْرُ الـرِّداء إذا تبسَّـمَ ضـاحِكًا ... غَلِقَـتْ لضَـحْكَتِهِ رِقـابُ المـالِ

وقول الكُمَيت:

فـأعْطَى ثُـمَّ أَعْطَـى ثُـمَّ عُـدْنا ... فـأعْطَى ثُـمَّ عُـدْتُ لَـهُ فَعَـادَا

مِـرارًا مـا أعـودُ إليـه إلَّا ... تَبسَّـمَ ضَـاحِكًا وثَنَـى الوِسَـادَا

وقال شاعر آخر: «ضَحِكَ المُزْنُ بِها ثُمَّ بَكَى».

نقد باب
إثبات القَدَم لله عزَّ وجلَّ
و الدليل على أنَّ القَدَم هو الرِجل

وروىٰ حديث أنس قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**يُلْقَى في النَّارِ وتقول: هل مِن مَزِيدٍ، حتَّى يُدْلِي ربُّ العالمين فيها قَدَمَه، فتقول: قَطْ قَطْ**».

وروىٰ الحديث المتقدِّم مِن طريق أبي هريرة وقال فيه: «**حتَّى يضعَ اللهُ عزَّ وجلَّ رِجْلَه فيها فتقول: قَطْ قَطْ**».

هذا من شُذُوذ هذا الرَّجُل، يتمسَّك في إثبات صفات لله تعالىٰ بخبر آحاد محتمل للتأويل!!. ونقول في الرد عليه:

أولًا: هذا الحديث أتىٰ بزيادة عمَّا في القرآن، فإنَّ الله تعالىٰ قال: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠]، وهذا الحديث -وإن كان صحيحًا- ليس في قوة القرآن، فلا يجوز أن يقطع بما فيه من الزيادة، وتُجعل صفة لله تعالىٰ.

ثانيًا: ذكر ابن الجوزي أنَّ الرواية التي جاءت بلفظ: «الرِّجْلِ» تحريفٌ مِن بعض الرواة، لظنِّه أنَّ المراد بالقَدَم الجارحة، فرواها بالمعنىٰ فأخطأ».اهـ وحيث أنَّ الرواية بالمعنىٰ محتَمِلة في الحديث، فلا يجوز أن نضيفها إلىٰ الله تعالىٰ.

ثالثًا: أن الحديث مؤوَّل بوجوه كثيرة، مبسوطة في "فتح الباري" وغيره.

رابعًا: قال أبو الوفاء بن عقيل: «تعالىٰ الله عن أنه لا يُعْمِل أمره في النَّار، حتىٰ يستعين عليها بشيءٍ مِن ذاته أو صفاته، وهو القائل للنَّار: ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا﴾ [الأنبياء: ٦٩]، فمن يأمر نارًا أجَّجَها غيره أن تنقلب عن طبعها -وهو الإحراق-

فتنقلب، كيف يحتاج في نار يؤجِّجَها هو إلى استعانة؟!».اهـ

فكيف مع هذا الإشكال يجزم الهروي بإثبات القَدَم والرِّجْل صفة لله تعالى؟! وصفات الله عزَّ وجلَّ لا تثْبُت إلَّا بدليل قطعيٍّ كالقرآن أو السُّنَّة الصحيحة المقطوع بها، ولا يكون لاحتمال التأويل فيها مجال.

(الخلاصة): أنَّ الحديث صحيح بأنَّ النَّار تقول: «هل مِن مزيد؟» حتى يضع الربُّ فيها قدمه، لكن لا يجوز أن نجزم بأن القَدَم صفة الله تعالى؛ لأنها محتملة للتأويل، ولا ينسب صفة لله إلَّا ما كان مقطوعًا به، فمن يُثبت القَدَم لله، ثم يزعم تنزيه الله عن الجوارح متناقضٌ؛ لأنه أثبت جارحة ثم نفاها.

وذكر في ترجمة المؤلِّف: «أنَّ مسعود بن سُبُكْتِكِين قدم هراة سنة ثلاثين وأربعمائة فاستحضر شيخ الإسلام -الهروي- وقال له: أتقول إن الله عزَّ وجلَّ يضع قدمه في النَّار؟ فقال: أطال الله بقاء السلطان المعظَّم، إنَّ الله عزَّ وجلَّ لا يتضرر بالنَّار، والنَّار لا تضرُّه، والرسول لايَكْذِب عليه، وعلماء هذه الأُمَّة لا يتَزيَّدون فيما يرْوون عنه ويُسْنِدون إليه». فاستحسن جوابه وردَّه مكرَّمًا.

وهذا استدلال ظريف! حيث أن الله لا يتضرَّر بالنَّار والنَّار لا تضرُّه، فلنثبت له قدمين ورجلين. أرأيت كيف تكون الحُجَّة الناهضة!!

بل هي الحُجَّة الدَّاحِضة، فنحن نمنع نسبة القَدَم إلى الله لأنها لم تثبت بدليل قاطع، ولأنها تفيد الجارحة، وهي في حقِّ الله محال.

نقد باب
إثبات الهرولة لله عزَّ وجلَّ

وروى حديث أبي هريرة عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**قال الله عزَّ وجلَّ: أنا عِنْد ظنِّ عَبْدي، وأنا معه إذا دعاني، إن تقرَّب مِنِّي شِبْرًا تقرَّبْتُ منه ذِراعًا وإنْ تقرَّب مِنِّي ذراعًا تقرَّبْتُ إليه باعًا وإنْ جاءني يمشي أتيتُه هَرْوَلَة**».

قلت: حيث أثبت القدمين لله تعالى، فمن المعقول جدًّا أن يثبت له الهرولة، أي: الجري بهما!! وهذا هو توحيد الحافظ الهروي ومن على شاكلته.

وإن أردت التوحيد الحقَّ، فاعلم أنَّ الهرولة في حقِّ الله محالٌ، لا تليق بعظمته وجلاله.

قال الكرماني: «لما قامت البراهين على استحالة هذه الأشياء -يعني الباع والذراع والهرولة في حقِّ الله تعالى- وجب أن يكون المعنى: مَن تقرَّب إليَّ بطاعةٍ قليلةٍ جازيته بثوابٍ كثيرٍ، وكلما زاد في الطاعة أزيد في الثواب، وإن كانت كيفية إتيانه بالطاعة بطريق التأنِّي، يكون كيفية إتياني بالثواب بطريق الإسراع. والحاصل أنَّ الثواب راجعٌ على العمل بطريق الكيف والكمِّ، ولفظ القُرْب والهرولة مجاز، على سبيل المشاركة أو الاستعارة أو إرادة لوازمها».اهـ

ويؤيده رواية ابن حِبَّان في "صحيحه"، والبرقاني في "مستخرجه" عن أبي هريرة... فذكر الحديث كما هنا وزاد بعد قوله: «**هرولة**»، «**وإن هَرْوَل سعيتُ إليه، والله أسرع بالمغفرة**». ويؤيده أيضًا أنَّ الطاعات التي يتقرَّب العبد بها إلى الله تعالى لا باع فيها ولا شبر ولا ذراع، فهي مجاز بالنسبة لله وللعبد، ولكن المؤلِّف ضعيف في الفهم والاستنباط.

نقد باب
إثبات نزوله إلى السماء الدنيا

وروىٰ عن رِفاعة بن عَرَابة الجهني قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا مَضَى شَطْرُ الليل -أو قال: ثلثاه- ينزل الله عزَّ وجلَّ إلى سماء الدُّنيا فيقول: «لا أسألُ عن عبادي غيري، مَن ذا الذي يَسألُني فأُعطيه؟ مَن ذا الذي يَدعوني فأستجيب له؟ مَن ذا الذي يَستغفرني فأغفر له؟» حتى ينفجر الصُّبح**».

قال الحافظ: «استدل به مَن أثبت الجهة، وقال: هي جهة العلو، وأنكر ذلك الجمهور؛ لأن القول بذلك يُفضي إلىٰ التحيّز، تعالىٰ الله عن ذلك، وقد اختُلِف في معنىٰ النزول علىٰ أقوال: فمنهم مَن حمَله علىٰ ظاهره وحقيقته، وهم المشبِّهة، تعالىٰ الله عن قولهم، ومنهم من أنكر صحَّة الأحاديث الواردة في ذلك جملة، وهم الخوارِج والمعتزِلة، وهو مكابرة، ومنهم مَن أجراه علىٰ ما ورد مؤمنًا به علىٰ طريق الإجمال، منزِّهًا الله تعالىٰ عن الكيفية والتشبيه، وهم جمهور السَّلف، ومنهم من أوَّلَه علىٰ وجهٍ يَليقٍ مستَعمَلٍ في كلام العرب، ومنهم من أفرط في التأويل حتىٰ كاد أن يخرج إلىٰ نوعٍ مِن التحريف، ومنهم مَن فَصَل بين ما يكون تأويله قريبًا مستعمَلًا في كلام العرب، وبين ما يكون بعيدًا مهجورًا، فأوَّل في بعضٍ وفوَّض في بعض، وهو منقول عن مالكٍ وجزَم به مِن المتأخِّرين ابن دقيق العيد. قال البيهقي: وأسلمها الإيمان بلا كيف والسُّكوت عن المراد، إلَّا أن يرد ذلك عن الصَّادق فيُصارُ إليه».اهـ كلام الحافظ.

وقال ابن العربي: «حُكي عن المبتدعة ردُّ هذه الأحاديث، وعن السَّلف إمرارها، وعن قوم تأويلها وبه أقول، فأمَّا قوله: «**ينزل**» فهو راجع إلىٰ أفعاله

لا إلى ذاته، بل ذلك عبارة عن مَلَكِه الذي ينزل بأمره ونهيه، والنزول كما يكون في الأجسام يكون في المعاني، فإن حملْتَه على المعنوي بمعنى أنه لم يفعل ثُمَّ فعل، فيُسمَّى ذلك نزولًا عن مرتبة إلى مرتبة، فهي عربية صحيحة».اهـ

والحاصل: أنه تأوَّله بوجهين إمَّا بأنَّ المعنى ينزِل أمره أو الملَك بأمره، وإما بأنه استعارة لمعنى التلطُّف بالدَّاعين والإجابة لهم ونحوه.

قال الحافظ: «وقد حكى ابن فورك: أنَّ بعض المشايخ ضَبَطَه بضمِّ أوَّله على حذف المفعول، أي يُنزِل مَلَكًا.

ويقَوِّيه ما رواه النَّسائي من طريق الأغر، عن أبي هريرة، وأبي سعيد بلفظ: «**إن الله يُمِهْلُ حتى يَمضي شطْرَ الليل ثُمَّ يأْمُر مناديًا يقول: هل من داعٍ فيُستجاب له؟**».

وفي حديث عثمان بن أبي العاص: «**ينادي منادٍ هل مِن داعٍ يُستجاب له؟**»الحديث.

قال القرطبي: وبهذا يرتفع الإشكال، ولا يُعكِّر عليه قوله في رواية رفاعة الجهني: «**ينزل الله إلى السماء الدُّنيا فيقول: لا يسأل عن عبادي غيري**». لأنه ليس في ذلك ما يدفع التأويل المذكور.

قال البيضاوي: ولما ثبت بالقواطع أنه سبحانه مُنَزَّهٌ عن الجِسْمية والتحيُّز، امتنع عليه النزول على معنى الانتقال من موضعٍ إلى موضعٍ أخفض منه، فالمراد نزول رحمته، أي يتنقل من مقتضى صفة الجلال التي تقتضي الغضب والانتقام، إلى مقتضى صفة الإكرام التي تقتضي الرأفة والرحمة».اهـ

ولي في الحديث رأيٌ لم يتعرَّض له أحد، وهو الصواب إن شاء الله، وبيان ذلك:

أنَّ الله تعالىٰ قال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] وقال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١] فالله قريبٌ مِن خَلْقه، ليس بينه وبينهم مسافة يقطعها نزول.

والمسافة التي بين السماوات، وبينها وبين الأرض، هي بالنسبة للخَلْق، أمَّا بالنسبة لله تعالىٰ فالعالم كله بين يديه، لا يفصله عنهم مسافة لقربه منهم بغير حُلول ولا اتحاد، تعالىٰ الله أن يحل في شيءٍ مِن خَلْقه أو يتَّحد به.

فنزوله كناية عن تنزله في تجلِّيه علىٰ عباده المؤمنين القائمين في ذلك الوقت من الليل، وهو وقت التجلِّي، ويقال لله: متجلِّي، ولا يقال له: نازل.

والتجلِّي صفة خاصَّة به سبحانه لا يوصف بها مَلَكٌ ولا نبيٌّ، ومعنىٰ التنزُّل في التجلِّي أنه يتجلَّىٰ علىٰ المؤمنين بقدر ما تستطيعه روحانيتهم، لُطفًا بهم ورحمةً لهم، والله تعالىٰ أعلم.

نقد باب
إثبات رؤيتهم إياه عزَّ وجلَّ في الجنة

وقع في سند المؤلِّف في هذا الباب: أنا أبو يعلىٰ: ثنا حوثرة بن... وبعده بياض، فكتب عليه المعلِّق: «لعله حوثرة بن محمد بن قديد المنقري».

وهذا خطأ، والصواب: أنه حوثرة بن الأشرس بن عون بن المجشر العدوي. أبو عامر، روىٰ عنه أبو حاتم وأبو زرعة وأبو يعلىٰ، وهو يروي عن حمَّاد بن سلمة وغيره، له ترجمة في كتاب "الجرح والتعديل"، و"ثقات ابن حِبَّان".

خاتمة فيها مسائل

المسألة الأولى

قال القاضي أبو بكر بن العربي في "القواصم والعواصم": «والأحاديث الصحيحة في هذا الباب -يعني في باب الصفات- على ثلاث مراتب:

الأولى: ما ورد مِن الألفاظ وهو كمال مَحْضٌ، ليس للنقائص والآفات فيه حظٌّ، فهذا يجب اعتقاده.

الثانية: ما ورد وهو نقص مَحْضٌ، فهذا ليس لله فيه نصيبٌ فلا يضاف إليه إلَّا وهو محجوب عنه في المعنى ضرورة، كقوله: «**عبدي مَرِضتُ فلم تَعُدْنِي...**» وما أشبهه.

الثالثة: ما يكون كمالًا ولكنه يوهم تشبيهًا.

فأمَّا الذي ورد كمالًا محضًا، كالوحدانية والعلم والقُدْرة والإرادة والحياة والسمع والبصر والإحاطة والتقدير والتدبير وعدم المِثْلِ والنظير، فلا كلام فيه ولا توقُّف.

وأمَّا الذي ورد بالآفات المحضة والنقائص، كقوله: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥]، وقوله: «**جُعْتُ فلم تُطعِمْني وعَطِشْتُ...**».

فقد علم المحفوظون والملفوظون والعالِم والجاهل، أنَّ ذلك كناية عمن تتعلَّق به هذه النقائص، ولكنه أضافها إلى نفسه الكريمة المقدَّسة تكرمة لوليِّه، وتشريفًا واستلطافًا للقلوب وتلْيينًا.

وإذا جاءت الألفاظ المحتملة التي تكون للكمال بوجه وللنقصان بوجه، وجب على كل مؤمن حَصِيفٍ أن يجعلها كناية عن المعاني التي تجوز عليه،

وينفي ما لا يجوز عليه، فقوله في اليد والساعد والكفِّ والإصبع، عبارات بديعة، تدل على معان شريفة، فإنَّ الساعد عند العرب عليها كانت تُعوِّل في القوة والبطش والشِّدَّة، فأُضيف الساعد لله؛ لأن الأمر كله لله. كذلك قوله: «**إنَّ الصَّدقة تقع في يد الرحمن**»، عبَّر بها عن كفِّ المسكين تكرمة له. وما يُقَلَّب بالأصابع يكون أيسر وأهون، ويكون أسرع». وانظر بقية كلامه في الكتاب المذكور، وهو كلام نفيس للغاية.

المسألة الثانية

قال الحافظ ابن الجوزي في كتاب "دفع شبه التشبيه": «رأيت مِن أصحابنا مَن تكلَّم في الأصول بما لا يصلح، فصنَّفوا كتبًا شانوا بها المذهب، ورأيتهم قد نزلوا إلى مرتبة العوام، فحملوا الصِّفات على مقتضى الحسِّ، فسمعوا أنَّ الله خلق آدم على صورته، فأثبتوا له صورة ووجهًا زائدًا على الذات، وفمًا ولَهَواتٍ وأضراسًا وأضواء لوجهه ويدين وإصبعين وكفًّا وخِنصرًا وإبهامًا وصدرًا وفخذًا وساقين ورجلين.

وقالوا: ما سمعنا بذكر الرأس، وقد أخذوا بالظاهر في الأسماء والصِّفات فسمُّوها بالصِّفات تسمية مبتَدَعة، ولا دليل لهم في ذلك من النَّقل ولا من العقل، ولم يلتفتوا إلى النصوص الصَّارفة عن الظواهر إلى المعاني الواجبة لله تعالى، ولا إلغاء ما توجبه الظواهر من صفات الحَدَث أو من صفات الحُدُوث.

ولم يقنعوا أن يقولوا: صفة فعل، حتى قالوا: صفة ذات.

ثم لما أثبتوا أنها صفات، قالوا: لا نحملها على توجيه اللغة، مثل «يد» على:

«نعمة وقدرة»، ولا «مجئ وإتيان» على معنى: «برٍّ ولطفٍ»، ولا «ساق» على: «شدَّة». بل قالوا: نحملها على ظواهرها المتعارفة، والظاهر هو المعهود من نعوت الآدميين، والشيء إنما يُحمل على حقيقته إن أمكن، فإن صرفه صارف حُمِل على المجاز.

ثم يتحرَّجون من التشبيه ويأنفون من إضافته إليهم، ويقولون: نحن أهل السُّنَّة، وكلامهم صريح في التشبيه.

وقد تبعهم خَلْـقٌ من العوام، وقد نصحت التابع والمتبوع وقلت لهم: يا أصحابنا أنتم أصحاب نقل واتباع، وإمامكم الأكبر أحمد بن حنبل رحمه الله يقول وهو تحت السِّياط: كيف أقول ما لم يُقَل؟! فإياكم أن تبتدعوا في مذهبه ما ليس فيه، ثم قلتم في الأحاديث: تُحمل على ظاهرها، فظاهر القَدَم الجارحة، ومَن قال: استوى بذاته المقدَّسة، فقد أجراه سبحانه مجرى الحسيَّات، وينبغي أن لا يهمل ما يثبت به الأصل وهو العقل، فإنا به عرفنا الله تعالى، وحكمنا له بالقِدَم -بكسر القاف-، فلو أنكم قلتم: نقرأ الأحاديث ونسكت ما أنكر أحد عليكم، وإنما حَمْلَكم إياها على الظاهر قبيح، فلا تُدْخِلوا في مذهب هذا الرجل السَّلفي ما ليس فيه».اهـ

وأفاض ابن الجوزي في ذمِّ المُجسِّمة مِن الحنابلة مثل القاضي أبي يعلى وابنِ الزاغوني، واستنكر الحنابلة التجسيم الذي أُلصِق بمذهبهم واعتبروه شينًا له، وقاوموا المشبِّهة والمجسِّمة الذين انتسبوا لمذهبهم ولم يعتقدوا التنزيه كما اعتقده إمامهم رحمه الله.

المسألة الثالثة

مؤلف "كتاب الأربعين" مُجَسِّمٌ ومُشَبِّه، وَصَفَه بذلك التاج السُّبكي في "طبقات الشافعية"، قال في ترجمة أبي عثمان الصابوني: «الملقَّب بشيخ الإسلام، لقَّبه أهل السُّنَّة في بلاد خراسان، فلا يعنون عند إطلاقهم هذه اللفظة غيره، وأما المُجَسِّمَة بمدينة هراة، فلما ثارت نفوسهم مِن هذا اللقب، عمدوا إلى أبي إسماعيل عبدالله بن محمد الأنصاري صاحب كتاب "ذم الكلام" فلقَّبوه بشيخ الإسلام، وكان الأنصاري المشار إليه رجلًا كثير العبادة مُحَدِّثًا إلّا أنه يتظاهر بالتجسيم والتشبيه وينال من أهل السُّنَّة، وقد بالغ في كتابه "ذم الكلام" حتى ذكر أن ذبائح الأشعرية لا تحل، وللأنصاري أيضًا كتاب "الأربعين"، سمتها أهل البدعة: "الأربعين في السُّنَّة" يقول فيها: باب إثبات القَدَم لله، باب إثبات كذا وكذا، وبالجملة كان لا يستحق هذا اللقب، وإنما لُقِّبَ به تعصُّبًا وتشبيهًا له بأبي عثمان، وليس هو هناك. وكان أهل هراة في عصره فئتين: فئة تعتقده وتبالغ فيه لما عنده من التقشُّف والتعبُّد، وفئة تُكَفِّرُه لما يظهره من التشبيه. ومن مُصنَّفاته التي فَوَّقَت نحوه سهام أهل الاسلام كتاب "ذم الكلام"، وكتاب "الفاروق في الصفات"، وكتاب "الأربعين"، وهذه الكتب الثلاثة أبان فيها عن اعتقاد التشبيه وأفصح، وله قصيدة في الاعتقاد تنبئ عن العظائم في هذا المعنى، وله أيضًا كتاب"منازل السائرين" في التصوُّف، كان الشيخ تقي الدِّين أبو العباس ابن تيمية مع ميله إليه، يضع من هذا الكتاب -أعني منازل السائرين- قال شيخنا الذهبي: وكان يرمي أبا إسماعيل بالعظائم بسبب هذا الكتاب، ويقول: إنه مشتمل على الاتحاد».

قال السبكي: «والأشاعرة يرمونه بالتشبيه، ويقولون: إنه كان يلعن شيخ السُّنَّة أبا الحسن الأشعري، وأنا لا أعتقد فيه أنه يعتقد الاتحاد، وإنما أعتقد أنه يعتقد التشبيه وأنه ينال من الأشاعرة، وأن ذلك لجهله بعلم الكلام وبعقيدة الأشعرية، فقد رأيت أقوامًا أُتوا من ذلك، وكان شديد التعصُّب للفرق الحنبلية بحيث كان ينشد على المنبر على ما حكى عنه تلميذه محمد بن طاهر:

أنا حَنْبَليٌّ ما حَيِيتُ وإنْ أَمُتْ فوصيَّتي للنَّاسِ أن يَتحَنبلُوا

وترك الرواية عن شيخه القاضي أبي بكر الحيري لكونه أشعريًّا، وكل هذا تعصُّب زائد، برَّأنا الله من الأهواء».اهـ كلامه.

المسألة الرابعة

للكلام العربي معانٍ أوائل، ومعانٍ ثوان:

فالأوائل هي: الحقائق المجردة بدون زيادة عليها.

والثواني هي: المعاني الزائدة على الحقائق، مثل المجاز المرسل، والاستعارة بأنواعها، والكناية، والتشبيه، والتعريض، والتأكيد، والفصل، والوصل، وغير ذلك مما تكفَّل ببيانه علم البلاغة.

واللغة العربية لها من هذه المعاني الثواني الحظ الأوفر والنصيب الأكبر، ولهذا كانت أفصح اللغات وأوسعها دائرة، وكان العرب أمراء الكلام وملوك البيان، استعملوا هذه المعاني في خطبهم وأشعارهم، وتناقلتها عنهم الرواة جيلًا بعد جيل.

ثم جاء القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف على أسلوب اللغة

العربية في نواحيها المختلفة، ففيهما من لطائف المجازات وبديع التشبيهات ما يعجز عنه البشر، وهذه المعاني الثواني نوع من أنواع إعجاز القرآن الكريم كما نصَّ على ذلك علماء البلاغة والتفسير.

فالذين يحاولون أن يجرِّدوا القرآن والسُّنَّة من هذه المعاني الزاخرة باللطائف والطرائف ليتوصلُّوا إلى غرضهم من إثبات صفات لله تشبه صفات الخلق أو تُوهِم التشبيه بها، إنما يحاولون عبثًا محالًا، كمن يحاول إخفاء نور الشمس ساعة إشراقها وظهورها، ومن خِذْلان الله لهم أنهم وقعوا في التشبيه الصَّريح والتجسيم القبيح وهم لا يشعرون بقبح ما صنعوا، بل يقولون في وقاحة وجرأة: نحن أهل السُّنَّة، ويرمون مخالفيهم بأنهم جَهْميُّون.

ومن نفَّذ قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ونزَّه الله تعالى عن التجسيم وشبه المخلوقين فهو الموفَّق المقبول، ومَن سلك نهجًا غير هذا، فهو خاطئ مخذول، وبالله التوفيق.

تمَّ تحريرًا عشيَّة يوم السبت الموافق ثامن ربيع الأول سنة (١٤٠٥ هـ)

والحمد لله أولًا وآخرًا.

٢ - النَّقدُ المَتِين
لكتابِ الفَتحِ المُبين

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمينَ والعاقبةُ للمتَّقين ولا عُدوانَ إلا علىٰ الظالمين والصلاةُ والسلامُ علىٰ سيِّدِنا محمَّدٍ وآله الأكرمينَ، ورضي الله عن صحابتِه والتابعين. وبعد:

فقد كانَ الدكتور عليُّ بنُ محمَّدِ بنِ ناصرٍ الفقيهيُّ قام بطبعِ كتابِ "الأربعين" لكنَّه كان غيرَ موفَّقٍ في اختيارِ هذا الكتابِ، لأنَّ مؤلِّفَه استدلَّ في أصول الدِّين بأحاديثَ آحاديةٍ منها حديثٌ ضعيفٌ وآخرُ موضوعٌ، وسائرُها -وإن كانَ صحيحًا- لم يسلَمْ بعضُه من تصرُّفِ الرُّواةِ وباقيه ليسَ صريحًا في معناه، والدَّليلُ إذا لم يكنْ نصًّا فيما أفاد كانَ للتأويلِ فيه مجالٌ، ولا لومَ حينئذٍ علىٰ من أوَّله، وأدلةُ أصول الدِّينِ يجبُ أن تكونَ قطعيةً، فرقًا بينَها وبينَ أدلةِ فروع الدِّين الظَّنِّية.

وقد نقدتُ مواضعَ من كتابِ "الأربعين" وبيَّنتُ ما فيها من خطأ وخطلٍ، غير أنَّ ذلك النقدَ لم يرقَ في نظرِ ناشرِه ومحقِّقه، فكَتَبَ ردًّا سمَّاه: "الفتحُ المُبين" وبَعَثَه إليَّ بواسطةِ بعضِ الطلبةِ المغاربةِ بالجامعة الإسلاميَّة، قرأتُه فوجدتُه في مجموعِه أشبهَ بالمصادرةِ الممنوعةِ في علمِ الجدل، ووجدتُ مؤلِّفَه في بعضِ المواضعِ عنده طفولةٌ علميةٌ، فلم أُعِرْه اهتمامًا ولم أبالِه بالةً.

لكنَّ بعضَ تلامذتي وأصدقائي الحُّوا عليَّ كثيرًا أنْ أردَّ عليه لئلا يغترَّ قارئُه به فيظنَّ أنَّ فيه عِلْمًا.

فكتبتُ هذا التقييدَ الذي سمَّيته: **"النَّقدُ المَتِّين لكتابِ الفَتحِ المُبين"**، نبهتُ فيه على أهمِّ سقطاتِه وأقبحِ غلطاتِه.

وأسال الله أنْ يعلِّمَنا ما جهلْنا ويجنِّبَنا حميةَ الجاهليةِ، ودعوىٰ السَّلفيةِ الكاذبةِ فهو الموفقُ المعينُ، وبه نستعينُ.

الصِّفات التي هي أصل الإيمان

صفاتُ الله تعالىٰ التي تدلُّ علىٰ كمالاتِه كثيرةٌ، وكمالاتُه تعالىٰ لا حدَّ لها ولا نهايةَ، لكنَّ الصِّفاتِ التي هي أساسُ الإيمانِ وعنوانُه سبعةٌ:

١ - الحياةُ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

٢،٣- السمعُ والبصرُ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورىٰ: ١١].

٤ - القدرةُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٠].

٥ - العلمُ: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

٦ - الإرادةُ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢].

٧- الكلامُ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤].

من نفىٰ هذه الصِّفاتِ أو نفىٰ واحدةً منها عنِ الله تعالىٰ فليسَ بمؤمنٍ.

الصفاتُ التي تقبلُ التأويلَ

ومن الصِّفاتِ ما يحتملُ التَّأويلَ لأنَّه ليسَ نصًّا صريحًا في مدلولِه، فوقَعَ التَّجاذبُ بينَ العلماءِ فيه؛ منْهم من حملَه علىٰ ظاهرِه مع اعتقادِ التنزيهِ، ومنهم من صرَفَه عن حقيقتِه خشيةَ التَّشْبيهِ، غير أنَّه حَصَلَ بينَ الفريقينِ تنافرٌ وتباعدٌ حتىٰ تنابزُوا بالألقابِ، وحَمَلَ ابنُ القيِّمِ علىٰ الأشعريَّة حملةً منْكرةً، حتىٰ سمَّاهم: «أفراخَ اليهودِ وأتباعَ فرعونَ»، وهذه سفاهةٌ لا تليقُ، والله حَسِيبُه عليها.

ونحنُ لا نؤيدُ التَّأويلَ ولا ننكرُه، بل نمشي علىٰ التَّفصيل الذي ذكرَه

الإمامُ تقيُّ الدين بن دقيقِ العيدِ ونقلناه في "فتح المعين".

والذين أنكروا التَّأويل مطلقًا يلزمُهم التَّشْبيهُ الذي صرَّح به بعضُهم ملتزمًا له، وقد ينكرُ كونَه تشبيهًا على سبيل الوقاحةِ، وهذه بعضُ الأمثلةِ لذلكَ:

١- يقول عثمانُ بنُ سعيدٍ الدارميُّ عن بشرٍ المريسيِّ: «إنه لا يعرفُ مكانَ واحدِه»، فجعل العرشَ مكانًا لله تعالى.

٢- ويقول أنَّ الله خلقَ آدمَ بيده مسيسًا.

٣- يقول ابنُ تيميةَ إنَّ الله لو شاء لاستوى على ظهرِ بعوضةٍ، فاستقلتْ به بقدرتِه، فكيفَ على عرشٍ عظيمٍ[1] وله في "الرِّسالة العرشية" وفي "العقيدة الحموية" كلامٌ صريحٌ في التَّشبيهِ والتَّجسيمِ، وهو ضالٌّ وناصبيٌّ.

٤- عباراتٌ كثيرةٌ في كلامِ ابنِ القيمِ تنضَحُ بالتشبيهِ الصَّريحِ بل تفوه بالتَّجسيمِ القَبيحِ، وفي قصيدةِ «النُّونية» من ذلكَ ما يقضي بضلالِه إنْ لم نقلْ بكفرِه.

والهرويُّ صاحبُ "الأربعين"، يصرِّحُ بأنَّ لله أصابعَ ورجلينِ، وأنَّه شخصٌ، وأنَّه خطَّ التَّوراةَ بيدِه، وأنَّه يهرولُ، وأنَّ له حدًّا ...، إلى غيرِ ذلك منَ السَّخافاتِ التي لا تليقُ بجلالِه وكمالِه.. ابن فورك يحكي الإجماعَ على منعِ إطلاقِ شخصٍ على الله.

---

(١) هذه مقالةٌ كفريةٌ نعوذ بالله منها، فإنَّ تجويز استواءِ الله على ظهرِ بعوضةٍ كفرٌ لا شكَّ فيه، لأنها تفيدُ أن الله بلغَ في الصِّغر والقلةِ بحيثُ تقلُّه بعوضةٌ.

ليس التّمسلف مذهبًا

هؤلاءِ المشبهةُ والمجسمةُ ينسبونَ أنفسَهم لمذهبِ السَّلفِ حيثُ يزعمون أنهم سلفيةٌ، وهذا خطأ كبيرٌ أرادوا به التَّمويهَ علىٰ البُسَطاءِ بدعوىٰ السَّلفيةِ.

والواقعُ أنَّ السَّلفَ ليس له مذهبٌ معروفٌ له أصول وقواعدُ كما هو الحال في المذاهبِ الإسلاميةِ مثل المالكيةِ والحنفيةِ والشافعيةِ، ولكنَّ الصَّحابة والتَّابعين وتابعيهم كانوا يفهمون القرآنَ والحديثَ حسبَ المذكوراتِ اللَّفظيةِ التي يعرفون بالسَّليقةِ، ولم يذكروا لعملِهم هذا قاعدةً ولا أصولًا سارُوا عليها، وكانوا يختلفُون فيما فهمُوه من النُّصوصِ الشَّرعيةِ كما كانوا يتَّفقون.

وكان منهم من يؤوِّل من النصوصِ ما يرىٰ وجوبَ تأويلِه، كما أوَّلَ مالكٌ نزول الله بنزول رحمتِه، وأولَّ أحمدُ مجيءَ الله بمجيءِ أمرِه، ومن تتبَّع أقاويلَ الصَّحابةِ والتَّابعينَ وجدَ فيها تأويلاتٍ فيما يتعلَّق ببعضِ صفاتِ الله وأحكامِه مما يدلُ علىٰ أنَّه لم يكنْ لهم مذهبٌ معيَّنٌ يمشونَ عليه، وإذنْ فدعوىٰ من يدَّعي أنَّه سَلفيٌّ علىٰ مذهبِ السَّلفِ كذبٌ بحتٌ، والسَّلفُ بريئون منه، لأنَّه لا مذهبَ لهم في العقيدةِ ولا في الفقهِ. والألفاظُ الموهمةُ تشبيهًا اتفقَ السَّلفُ والخلفُ علىٰ وجوبِ تأويلِها. والواقعُ أنَّ هؤلاءِ المشبهةَ لُقَطاءُ ينتسبونَ لمذهبٍ لا وجودَ له.

وتنزيهُ الله عن مشابهةِ الحوادثِ واجبٌ شرعًا بنصوصِ الكتابِ والسُّنةِ وبإجماعِ الأمةِ سلفِها وخلفِها عليه.

الفرق بين التَّنزيه والتَّشبيه

هؤلاءِ المشبِّهةُ ينعُونَ علينا تأويلَ بعضِ الصِّفاتِ التي أوجبَ التَّنزيهُ تأويلَها، ويعتبرون تشبيهَهم تنزيهًا، لأنَّهم مغرقونَ في الضَّلال والإضلال.

ونذكرُ بعضَ أمثلةٍ لذلك:

قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]: يؤمنُ أهلُ السُّنة أنَّ الله استوىٰ علىٰ عرشِهِ كما يليقُ بجلاله من غيرِ تشبيهٍ ولا تمثيلٍ، ولم يزيدُوا علىٰ ذلك، لكنَّ المشبهةَ لم يكتفوا بهذا التَّنزيهِ بل ضمُّوا إليه ثلاثةَ أشياءَ جعلتْه تشبيهًا محضًا:

أولها: أنَّهم جعلوا العرشَ مكانًا لله تعالىٰ، قال عثمانُ الدراميُّ يعيبُ علىٰ بشرٍ المريسيِّ: «إنَّه لا يعرفُ مكانَ واحدِه»، وهذا تشبيهٌ قبيحٌ لأنَّ المكانَ هو للأجسامِ، والله تعالىٰ ليس بجسمٍ لأنَّه خالقُ الأجسامِ والأمكنةِ فلا يكونُ العرشُ مكانًا له.

ثانيها: أنَّهم جعلوا العرشَ حدًّا له، وهذا تشبيهٌ، بل كفرٌ قبيحٌ؛ لأنَّ الله تعالىٰ ليس له حدٌّ، وكلُّ منْ له حدٌّ حادثٌ، قال الله تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ﴾ [فصلت: ٥٤]، ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ ١٩ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾ [البروج: ١٩ - ٢٠].

ومن أسمائِه: «المحيطُ»، ولو كانَ له حدٌّ لما كانَ محيطًا، ومن أسمائِه: «الكبير» ولو كانَ له حدٌّ لم يكنْ كبيرًا.

وعقيدةُ أهلِ السُّنة أنَّ الله لا حدَّ له لأنه لو كانَ له حدٌّ؛ كان حادثًا، لأنَّ

كلَّ محدودٍ حادثٌ (انظر: "العقيدة الطحاوية").

١- قال المشبهةُ: أثبتْنا الحدَّ لله لننفيَ عنه الحلولَ والاتحادَ، وهذه حُجَّةٌ تشبهُ ما يقال: غسلُ دمٍ بدمٍ، لأنَّ حلول الله أو اتحادَه ببعضِ خلقِه محال عقلًا، لا يُتصوَّر إمكانُه، وأدلةُ بطلانِه يدركُها كلُّ أحدٍ، والقائلُ بالحلول أو الاتحادِ هو مثلُ القائل بأنَّ الله له حدٌّ، تعالىٰ الله عن شبهِ المحْدَثاتِ.

ثالثها: قال ابنُ عبد الهادي في "الصَّارم المُنْكي": اختلفَ قدماءُ أصحابِنا -يعني المشبهةَ- إذا نزل الله إلىٰ السَّماءِ هل يخلو منه العرشُ؟

وهذا تشبيهٌ قبيحٌ، فنزول الله ليسَ بانتقال ولكنَّه صفةٌ لا يدرَكُ كُنْهُهَا والعرشُ ليس محلًّا له بحيثُ يخلُو منه إذا نزلَ عنه، فهذا كلُّهُ خلافُ التَّنزيهِ الواجبِ لله تعالىٰ، ومن المشبِّهةِ من يزعمُ أنَّ الله تعالىٰ قدْر العرشِ لا يزيدُ عليهِ ولا ينقصُ، وهذا كفرٌ بواحٌ قاتَلَ الله من يقولُه.

٢- قال الله تعالىٰ لإبليسَ عليه اللعنةُ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص: ٧٥].قال عثمانُ الدَّراميُّ في ردِّه علىٰ بشرٍ المريسيِّ: «خلَقَ الله آدمَ بيدِه مسيسًا»، وهذا تشبيهٌ قبيحٌ، وأهلُ السُّنةِ لا يُثبتُون جارحةً لله تعالىٰ، لأنَّه من سِماتِ المحدَثاتِ، ولهم في الآيةِ تفسيرٌ يتمشَّىٰ معَ التَّنزيهِ الواجبِ فيقولون: ذِكرُ اليدين في الآيةِ قُصدَ به العنايةُ، والدليلُ علىٰ ذلك أمرانِ:

أحدُهما: قولُه تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وجاء هذا المعنىٰ في عدةِ آياتٍ، وهو عمومٌ قاطعٌ يقضي بأنَّ كلَّ أمرٍ

محدَثٍ يقعُ بكلمةِ «كُنْ» لا فرقَ بينَ آدمَ وغيرِه.

والآخرُ: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩]، فهذه الآيةُ تصريحٌ بأنَّ آدمَ خلقَه بكلمةِ كُنْ، من غيرِ يدين، كما هو الشَّأنُ في جميعِ المخلوقاتِ.

أمَّا قولُه تعالىٰ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤]، فلا يمكنُ دليلًا لإثباتِ يدَينِ لله تعالىٰ، لأنه ذكر في مقابلِهِ قولَ اليهود: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، فهو من بابِ المشاكلةِ وهي نوعٌ لطيفٌ من أنواعِ اللغةِ العربيةِ، ومن أمثلتِها قولُ الشاعرِ العربيِّ:

قالوا اقترِحْ شيئًا نُجِدْ لـكَ طبخَـهُ قلتُ: اطبُخُوا لي جُبَّـةً وقَميصَـا

ولا يمنعُ أن تضافَ اليدان صفةً لله تعالىٰ لا بمعنىٰ الحاجةِ؛ نقل الفخرُ الرازيُّ عن أبي الحسن الأشعريِّ أنَّ اليدَ صفةٌ قائمةٌ بذاتِ الله تعالىٰ، وهي صفةٌ سوىٰ القدرةِ، منْ شأنِها التكوينُ علىٰ سبيلِ الاصْطفاءِ والذي يدلُّ عليهِ أنَّه تعالىٰ جعلَ وقوعَ خلقِ آدمَ بيدِه علىٰ سبيلِ الكرامةِ لآدمَ واصطفائِه له.

لكنْ يردُّ علىٰ هذا أنَّ آيةَ (آل عمران) دلَّتْ علىٰ أنَّ آدمَ خُلقَ بكلمةِ «كُنْ»، وأنَّ ذِكرَ اليدينِ في آيةِ (ص) أُريدَ بهما مجرَّدُ التكريمِ والعنايةِ، يضافُ إلىٰ ذلكَ أنَّ قدرةَ الله عامةٌ ولا يجوزُ أنْ يكونَ معها يدانِ.

والمقرَّرُ عندَ العلماءِ أنَّ الصِّفةَ لا تتعدَّدُ فليسَ لله قدرتانِ ولا عِلْمانِ وهكذا، وما ذكر علىٰ سبيلِ المشاكلةِ أو علىٰ سبيلِ العِنايةِ والتكريمِ، ولا يجوزُ أنْ ينسبَ صفة لله تعالىٰ مثل الصِّفاتِ الثابتةِ ابتداءً، كالسمعِ والبصرِ ونحوِهما، ولذلك

أمثلةٌ في بعضِ طرقِ حديثِ محاجَّةِ آدمَ وموسىٰ عليهما السلامُ، قول آدمَ يخاطِبُ موسىٰ: «**وخطَّ لكَ التوراةَ**»، ذَكر هذا اللفظَ علىٰ سبيلِ التكريمِ لتوراةِ موسىٰ فلا يجوزُ أن نثبتَ يدًا لله خطَّ التوراةَ بها، ولو جازَ ذلكَ لزمَ عليه أنْ تكونَ التوراةُ أفضلَ منَ القرآنِ وهذا باطلٌ.

٣- التَّحْقِيقُ الباهِر

في مَعنَى الإيمان بالله واليومِ الآخِر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الكريم الوهَّاب، الحليم التوَّاب، مُنزِّل الكتاب، تَذْكِرةً وهدًي لأولي الألباب، وأشهد أن لا اله إلَّا الله وحده لا شريك له، شهادة ندَّخِرُها ليوم الحساب، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّدًا عبده ورسوله، أرسله إلى الثقلين بشيرًا لمن أطاعه بحسن الثواب، ونذيرًا لمن عصاه بسوء العذاب، صلَّي الله عليه وآله وسلَّم صلاةً وسلامًا دائمين متلازمين إلى يوم الدِّين، ورضي الله عن صحابته الأكرمين.

وبعد: فإن مبتدعًا أزهريًّا أَوْعَزَ إليه المبشِّرون الأمريكيون أن يدعو إلى توحيد الأديان، فلبَّي طلبهم وأجاب رغبتهم، وكتب في مجلة صوت أمريكا مقالًا زعم فيه أنَّ الإيمان المُنجي يوم القيامة هو الإيمان بالله واليوم الآخر، وأنَّ الإيمان بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ليس بواجبٍ، واستخلص من ذلك: أنَّ اليهود والنصارى ناجون يوم القيامة؛ لأنهم يؤمنون بالله واليوم الآخر كالمسلمين، واستدلَّ لهذا الباطل المزعوم بقوله تعالى في (سورة البقرة): ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢]. فجهل معنى الإيمان في عرف الشرع، وحرَّف الآية عما أراده الله منها، وعَمِيَ عن آيةٍ أخرى تُفسِّرها، وخرج من دينه آخِر الأمر!!

وأنا إذ أريد -بحول الله- أن أبيِّن جهله وأكشف عَوَاره أقدِّم معني الآية بإيجاز وما قيل فيها، ثم أتبعه بالقول الفصل المؤيَّد بالبرهان القاطع، الذي لا يترك في النفس شبهة، ولا يدع في القلب ريبًا، وبالله التوفيق.

أقوال المفسرين

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ الآية

في "تفسير الجلالين": «﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بالأنبياء من قَبل ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ هم اليهود ﴿وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ﴾ طائفة من اليهود أو النصارىٰ ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ منهم ﴿بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ في زمن نبينا ﴿وَعَمِلَ صَـٰلِحًا﴾ بشريعته ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ أي ثواب أعمالهم ﴿أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾».اهـ

وفي "تفسير البيضاوي": «﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بألسنتهم يريد به المتديِّنين بدين محمَّدٍ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم المخلِصين منهم والمنافقين، وقيل: المنافقين؛ لانخراطهم في سلك الكفرة ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ تهوَّدوا، يقال: تهوَّد إذا دخل في اليهودية ﴿وَٱلنَّصَـٰرَىٰ﴾ جمع نصران، كندامىٰ وندمان، والياء في نصراني للمبالغة، كما في أحمري ﴿وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ﴾ قوم بين النصارىٰ والمجوس، وقيل: أصل دينهم دين نوح عليه السَّلام، وقيل: هم عَبَدَةُ الملائكة، وقيل: عَبَدَةُ الكواكب ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا﴾ مَن كان منهم في دينه -قبل أن ينسخ- مصدِّقًا بقلبه بالمبدأ والمعاد، عاملًا بمقتضي شرعه، وقيل: مَن آمن من هؤلاء الكفرة إيمانا خالصًا، ودخل في الإسلام دخولًا صادقًا ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ الذي وَعَدَ لهم علىٰ إيمانهم وعملهم ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ حين يخاف الكفَّار مِن العقاب، ويحزن

المقصِّرون على تضييع العُمُر وتفويت الثواب».اهـ

وفي "تفسير ابن جُزَيٍّ": «﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ الآية؛ قال ابن عبَّاسٍ: نسختها ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[آل عمران: ٨٥] وقيل: معناها أنَّ هؤلاء الطوائف مَن آمن منهم إيمانا صحيحًا فله أجره، فيكون في حقِّ المؤمنين: الثبات إلى الموت، وفي حقِّ غيرهم: الدخول في الإسلام؛ فلا نسخ. وقيل: إنها فيمن كان قبل بعث النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؛ فلا نسخ».اهـ

وفي "تفسير الحافظ ابن كثير": «قال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي: ثنا عمر ابن أبي عمر: العدني: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قال: قال سلمان رضي الله عنه سألت النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن أهل دينٍ كنت معهم، فذكرت من صلاتهم وعبادتهم فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ الآية.

فكان إيمان اليهود، أنه من تمسَّك بالتوراة وأخذ بسُنَّة موسي عليه السَّلام، حتى جاء عيسى، فلما جاء عيسى كان مَن تمسَّك بالتوراة وأخذ بسنَّة موسي فلم يدعها ولم يتَّبع عيسى كان هالكًا، وإيمان النصارى أن مَن تمسَّك بالإنجيل منهم وشرائع عيسى كان مؤمنًا مقبولًا منه، حتى جاء محمَّدٌ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فمن لم يتَّبع محمَّدًا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم منهم، ويدع ما كان مِن سنَّة عيسى والإنجيل كان هالكًا. قال ابن أبي حاتم: وروي عن سعيد بن جبير نحو هذا. قلت: هذا لا ينافي ما روى علي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاسٍ: ﴿إِنَّ

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ﴾ قال: فأنزل الله بعد ذلك: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]

فإن هذا الذي قاله ابن عبَّاسٍ إخبار عن أنه لا يقبل من أحد طريقة ولا عملًا، إلا ما كان موافقًا لشريعة محمَّدٍ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بعد أن بعثه به، فأمَّا قبل ذلك فكل مَن اتبع الرسول في زمانه فهو علىٰ هدًىٰ وسبيل نجاة، فلمَّا بعث الله محمَّدًا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم خاتمًا للنبيين، ورسولًا إلىٰ بني آدم علىٰ الإطلاق، وجب عليهم تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، والانكفاف عما عنه زجر، وهؤلاء هم المؤمنون حقًّا، وسُمِّيَت أُمَّة محمَّدٍ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مؤمنين لكثرة إيمانهم وشِدَّة إيقانهم، ولأنهم يؤمنون بجميع الأنبياء الماضية والغيوب الآتية».اهـ ثم ذكر الخلاف في تعيين الصابئين.

وفي "تفسير البحر" لأبي حَيَّان: «قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ الآية. نزلت في أصحاب سلمان، وذلك أنه صَحِب عبَّادًا من النصارىٰ فقال له أحدهم: إنَّ زمان نبيٍّ قد أظلَّ، فإن لحقته فآمن به، ورأي منهم عبادة عظيمة، فلما جاء النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ذكر له خبرهم وسأله عنهم، فنزلت هذه الآية. حكي هذه القصة مطوَّلة ابن إسحاق، والطبري، والبيهقي.

وروي عن ابن عبَّاسٍ: أنها نزلت في أول الإسلام وقدر الله بها أن مَن آمن بمحمَّدٍ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ومَن بقي علىٰ يهوديته ونصرانيته وصابئيته،

وهو مؤمن بالله واليوم الآخر فله أجره، ثُمَّ نُسخ ما قدر من ذلك بقوله: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ وردَّت الشرائع كلَّها إلىٰ شريعة محمَّدٍ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

وقال غير ابن عبَّاسٍ: ليست بمنسوخة، وهي فيمن ثبت علىٰ إيمانه بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ، وروىٰ الواحديُّ بإسنادٍ متصلٍ إلىٰ مجاهد قال: لَمَّا قصَّ سلمان علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قصة أصحابه، وقال له «**هُمْ فِي النَّارِ**». قال سلمان: فأظلمت عليَّ الأرض، فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ ﴾إلىٰ قوله: ﴿يَحْزَنُونَ ﴾ قال: فكأنما كُشف عنِّي جبل.

ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لَمَّا ذكر الكفرة من أهل الكتاب، وما حلَّ بهم من العقوبة أخبر بما للمؤمنين من الأجر العظيم، دالًّا علىٰ أنه يجزي كلًّا بفعله.

(والذين آمنوا): منافقوا هذه الأمة، أي آمنوا ظاهرًا، ولهذا قَرَنهم بمن ذكر بعدهم، ثم بيَّن حكم مَن آمن ظاهرًا وباطنًا. قاله سفيان الثوري. أو: المؤمنين بالرسول. و﴿مَنْ ءَامَنَ ﴾ معناه: من داوم علىٰ إيمانه، وفي سائر الفرق: من دخل فيه. أو: الحَنيفيُّون ممن لم يلحق الرسول، كزيد بن عمرو بن نفيل، وقسّ بن ساعدة، وورقة بن نوفل، ومن لحقه كأبي ذرٍّ، وسلمان وبحيرا، ووفد النجاشي الذين كانوا ينتظرون المبعث، فمنهم من أدرك وتابع، ومنهم من لم يدركه. والذين هادوا كذلك ممن لم يلحق إلا من كفر بعيسىٰ علىٰ نبيِّنا وعليه الصَّلاة والسَّلام والنصارىٰ كذلك، والصابئين كذلك. قاله السُّدِّي. أو: أصحاب سلمان، وقد سبق حديثهم. أو: المؤمنون بعيسىٰ قبل أن يبعث الرسول، قاله

ابن عبَّاسٍ. أو: المؤمنون بموسي وعملوا بشريعته إلى أن جاء عيسى، فآمنوا به وعملوا بشريعته إلى أن جاء محمد، قاله السُّدِّي عن أشياخه. أو: مؤمنوا الأمم الخالية، أو المؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله، من سائر الأمم. فهذه ثمانية أقوال في معني الذين آمنوا».

ثم ذكر وجوه الإعراب في الآية، ثم قال: «وقد اندرج في الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالرسل، إذ البَعْث لا يعرف إلَّا من جهة الرسل ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ هو عامٌّ في جميع أفعال الصلاح وأقوالها وأداء الفرائض، أو: التصديق بمحمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم. أقوال، الثاني يروي عن ابن عبَّاسٍ».اهـ

وفي كتاب "الناسخ والمنسوخ" لأبي القاسم هبة الله بن سلامة المتوفَّى سنة (٤١٠هـ) في الكلام على (سورة البقرة): «الآية الثانية قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ والناس فيها قائلان: فقالت طائفة؛ منهم مجاهد والضَّحَّاك بن مزاحم: هي مُحكَمَةٌ، ويقرأونها بالمحذوف المُقدَّر، ويكون التقدير على قولهما: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ومن آمن من ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾. وقال الأكثرون: هي منسوخة، وناسخها عندهم: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا﴾ الآية».اهـ

من هذه النقول المتعدِّدة عن أئمة التفسير من الصحابة والتابعين وغيرهم تعلم أن الآية الكريمة بعيدة كل البعد عما ألصقه بها ذلك المبتدع المأجور، على تحريف الآيات القرآنية؛ لتحقيق أغراض تبشيرية، وتعلم أيضًا أنَّ أحدًا من العلماء لم يسبقه إلى ذلك القول الذي شذَّ به عن جماعة المسلمين، واتبع غير

سبيل المؤمنين، وهذا كافٍ في ردِّ نِحلتِه وكشف دِخلتِه، لكنا – مع ذلك – نفي بما وعدنا به فنذكر الدليل القاطع الفاضح لجهله، حتى يتبيَّن الحقُّ وتتَّضح معالمه، ويزهق الباطل وتنطمس مراسمه، والله الموفق والهادي.

حقيقة الإيمان لا تقبل التجزئة

من المقرَّر المعلوم أنَّ الإيمان حقيقة شرعية متركِّبة من أجزاء بيَّنها النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في جواب سؤال جبريل عليه السَّلام حيث قال: «**الإيمانُ أن تُؤمِنَ بالله، ومَلائِكَتِهِ، وكُتُبِهِ، ورُسُلِهِ، واليومِ الآخِرِ، وبالقَدَرِ خَيْرِه وشَرِّه**». وهذه الأجزاء متلازمةٌ شرعًا، بحيث إذا انتفي جزءٌ منها لزم انتفاء بقية الأجزاء، ولزم بالتالي انتفاء حقيقة الإيمان.

فالمكذِّب برسولٍ واحدٍ، تنتفي عنه حقيقة الإيمان مِن أساسها، ويجب الحكم عليه شرعًا بأنه لا يؤمن بالله، ولا بالملائكة، ولا بالكتب، ولا بالرسل، ولا باليوم الآخر، ولا بالقَدَرِ. وإن زعم أنه يؤمن بذلك فزعمه مردودٌ عليه شرعًا؛ لأن حقيقة الإيمان لا تقبل التجزئة.

والدليل على هذا من القرآن عدَّة آيات:

١- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴾ [النساء: ١٥٠ – ١٥١].

نزلت الآية في اليهود والنصارى، حكم الله بكفرهم لأنهم آمنوا بأنبيائهم

وكفروا بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

ومعني التفريق بين الله ورسله: الإيمان بالله والكفر برسله، والتفريق بين رسله: الإيمان ببعضهم دون بعض.

فاليهود والنصارى فرَّقوا بين الله ورُسُله حيث آمنوا به وكفروا بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وكذلك فرَّقوا بين رسله أيضًا، فكانوا كافرين كفرًا حقيقيًّا كاملًا بنصِّ هذه الآية الكريمة، ولم ينفعهم إيمانهم ببقيّة الأنبياء عليهم السَّلام.

٢- قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥].

نسب الله إلى قوم نوحٍ تكذيب المرسلين؛ لأنهم بتكذيبهم رسولهم كانوا مكذِّبين للرسل جميعًا، إذ لا يتفق تصديق رسولٍ مع تكذيب آخر.

ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٢٣، ١٤١، ١٦٠، ١٧٦] فهذه الآيات تبيِّن تلازم أجزاء الإيمان ثبوتًا وانتفاء، فتكذيب رسولٍ يستلزم تكذيب جميع المرسلين، والعكس بالعكس، وهذا واضح لا يحتاج إلى مزيد تقرير.

٣- قوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].

أخبر الله في الآية الكريمة عن أهل الكتاب -وهم اليهود والنصارى- أنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر؛ لأنهم حين كفروا بالنبيِّ صلَّى الله عليه

وآله وسلَّم فقدوا جزءًا من الإيمان، فانتفت عنهم حقيقة الإيمان من أصلها، ولم يبقَ لهم فيها نصيب، كما أخبر أنهم لا يدينون دين الحقِّ – أي الإسلام – وهذا يفيد أن دينهم باطل، لا يُقبل منهم عند الله تعالىٰ كما صرَّح بذلك في قوله عزَّ شأنه: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

يضاف إلىٰ ما سبق من نفي الإيمان عنهم، جعله سببًا لقتالهم، حتىٰ يعطوا الجزية صاغرين، فهذه الآية صريحةٌ قاطعةٌ لا تحتمل تأويلًا، وهي تُفسِّر آية البقرة وتوضِّح المراد منها، وذلك بأن يكون الاقتصار فيها علىٰ الإيمان بالله واليوم الآخر، ليس للاكتفاء به كما فهم ذلك المبتدع، ولكن لأنه يستلزم – شرعًا– الإيمان بالملائكة والكتب والرسل.

ثم نقول لذاك الجاهل المتعامي عن تلك الآيات القاطعة الدامغة: إذا كان الإيمان بالله واليوم الآخر –حسب فهمك السقيم– منجيًا يوم القيامة!! فلماذا أوجب الله قتال أهل الكتاب حتىٰ يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون؟! أليسوا بمؤمنين في زعمك؟! وكيف يستجيز عاقل قتال المؤمن لأخيه المؤمن؟! وأخذ الجزية منه وهو صاغر ذليل؟!

ولِمَ برَّأ الله خليله إبراهيم من دين اليهودية والنصرانية والإشراك؟ حيث قال تعالىٰ: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٧]ولا معني لهذه التبرئة إلَّا تنزيه إبراهيم عليه السَّلام عن التديُّن بهذه الأديان الباطلة، ولو كان دين منها منجيًا يوم القيامة لما برَّأه الله

منه، كما لم يبرِّئه من الإسلام، بل أثبت له أنه مسلم، وأنَّ أولى الناس به نبيُّنا وأمَّتُه: ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٨].

وكيف تفهم قول الله تعالى -يخاطب الصحابة يوم عرفة في حجَّة الوداع-: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]؟! وهل دين الإسلام الذي رضيه الله للمسلمين، يتفق مع دين اليهودية والنصرانية؟! وماذا تفعل بقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩]؟! أي: لا غيره، على ما تفيده صيغة الحصر المقرَّرة في علم المعاني.

وبالجملة: فظاهرٌ أن الإيمان بالله واليوم الآخر يستدعي بقية أجزاء الإيمان استدعاءً لزوميًّا شرعيًّا كما سبق تفصيله.

وقد أُشير إلى هذا التلازم في "تفسير الجلالين" وهو تفسير معروفٌ متداول، وإليك نصُّه: «﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ وإلَّا لآمنوا بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ﴾ كالخمر ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ ﴾ الثابت الناسخ لغيره من الأديان، وهو دين الإسلام ﴿مِنَ ﴾ بيان للذين ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ أي: اليهود والنصارى ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ ﴾ الخَراج المضروب عليهم كل عامٍ ﴿عَن يَدٍ ﴾ حال، أي: منقادين، أو بأيديهم لا يوكلون بها ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ أذلَّاء منقادون لحكم الإسلام».اهـ

قال الشيخ سليمان الجمل في "حاشيته": «قوله: وإلَّا لآمنوا بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم جواب عما يقال: إنَّ أهل الكتاب يؤمنون بالله واليوم الآخر، فكيف نَفَت الآية عنهم الإيمان بهما؟

ومحصل الجواب: أن إيمانهم بهما باطل لا يفيد، بدليل أنهم لم يؤمنوا بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فلمَّا لم يؤمنوا به كان إيمانهم بالله واليوم الآخر كالعدم، فصحَّ نفيه في الآية.

وفي كلام الشارح إشارة قياس استثنائي، فقوله: (وإلَّا لآمنوا بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم) إشارة إلىٰ الشرطية، وصريحها هكذا: لو آمنوا بهما لآمنوا بالنبيِّ، والاستثنائية محذوفة، تقديرها: لكنهم لم يؤمنوا بالنبيِّ فلم يؤمنوا بهما. فكأنه قال: واللازم باطلٌ فكذا الملزوم».اهـ ونحوه في "حاشية الصاوي" أيضًا.

وأشار أبو حيان في "البحر المحيط" إلىٰ بيان التلازم من جهة أخري، فقال في تفسير آية (البقرة) -مما تقدَّم نقله عنه-: «وقد اندرج في الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالرسل، إذ البَعْث لا يُعرف إلَّا من جهة الرسل».اهـ

وهذا تلازمٌ عقليٌّ؛ لأنه لا يجوز في قضايا العقول الإيمان باليوم الآخر دون الإيمان بالرسل الذين أخبروا به، ومن طريقهم عُرف، فالإيمان باليوم الآخر يستلزم عقلًا الإيمان بالرسل، وهذا واضحٌ جدًّا.

وقال أبو حَيَّان أيضًا في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [الأنعام: ٩٢] الظاهر أنَّ الضمير في ﴿بِهِۦ﴾ عائد علىٰ الكتاب، أي: الذين يصدِّقون بأنَّ لهم حشرًا ونشرًا وجزاء يؤمنون بهذا الكتاب، لِمَا انطوىٰ عليه من

ذِكْرِ الوعد والوعيد، والتبشير والتهديد، واكتفىٰ بذكر الإيمان بالبعث، وهو أحد الأركان الستة التي هي: واجب الوجود، والملائكة، والكتب، والرسل واليوم الآخر، والقدر؛ لأن الإيمان به، يستلزم الإيمان بباقيها، ولإسماع كفَّار العرب وغيرهم ممن لا يؤمن بالبعث، أن من آمن بالبعث، آمن بهذا الكتاب، وأصل الدِّين خوف العاقبة، فمن خافها لم يزل به الخوف حتىٰ يؤمن».اهـ

قد يقول قائل: حيث ثبت بالأدلة السابقة -وهي قاطعة جازمة- أن أجزاء حقيقة الإيمان متلازمة في طرفي الثبوت والانتفاء، فما الحكمة في الاقتصار علىٰ الإيمان باليوم الآخر في آية (البقرة)؟ ولِـمَ لمْ يقتصر علىٰ الإيمان بالرسل والتلازم هو التلازم؟!

فنقول في جوابه: حكمة ذلك أنَّ اليوم الآخر يُذكِّر العبد بعرضه علىٰ الله، ووقوفه بين يديه، فيستشعر القلب جلال الله وعظمته وتمتلئ النفس مهابة وخشية، وذلك أقوي في تثبيت الإيمان، وأدعىٰ إلىٰ الامتثال مع خضوع وإذعان، ولهذا المعني ذكر الله الإيمان باليوم الآخر في بعض الأوامر؛ لتزعج نفوس المكلَّفين فيندفعوا إلىٰ فعل ما أُمروا به ؛ مسوقين بسياط الخوف، محوطين بسياج أمل ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦] فقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، وقال عزَّ شأنه: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [النور: ٢]، وقال جلَّ ذكره: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ

﴿١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ١ – ٦]

وفي آية (البقرة) إشارة إلى ما قرَّرناه، حيث قال الله تعالى: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢] فقوله: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ يشير إلى أن إيمانهم باليوم الآخر استدعي خوفهم من الله في الدنيا فجُوزوا بنفيه عنهم يوم القيامة، إذ الجزاء من جنس العمل، وهذا كما قال الأبرار – فيما فعلوا من الخير-: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٠] قال الله تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ١١] أي أمَّنهم مما خافوا.

وفي الحديث القدسي عن الله -تبارك وتعالى- قال: «**وعِزَّتي لا أَجْمعُ على عَبْدِي خَوْفينِ ولا أَمْنَيْنِ، مَن خافَني في الدُّنيا أَمَّنتُه يومَ القِيامةِ، ومَن أَمِنَني في الدُّنيا أَخَفْتُه في الآخِرةِ**». صحَّحه ابن حِبَّان.

هذا، وينبغي أن تعلم أنَّ مَن قال برأي هذا المبتدع الذي أوضحنا بطلانه فهو كافرٌ والعياذ بالله لأنه خالف ما ثبت بالقرآن الكريم، وعُلم من الدِّين بالضرورة، وأجمع عليه المسلمون قاطبةً.

قال الإمام أبو محمد ابن حزم في كتاب "مراتب الإجماع" تحت ترجمة: «باب: من الإجماع في الاعتقادات يكفر من خالفه بإجماع» -أي لكونه معلومًا من الدِّين بالضَّرورة- ما نصُّه: «واتفقوا أنَّ دين الإسلام هو الدِّين الذي لا دين لله في الأرض سواه، وأنه ناسخٌ لجميع الأديان قبله، وأنه لا ينسخه دين

بعده أبدًا، وأنَّ مَن خالفه ممن بلغه كافرٌ مخلَّدٌ في النار أبدًا».اهـ ووافقه ابن تيمية وغيره.

وعلىٰ هذا، فما يعتقده بعض العوام الجهلة بالدِّين: أنَّ اليهوديَّ أو النصرانيَّ إذا عمل في الدُّنيا خيرًا يدخل الجنَّة يوم القيامة كفرٌ محضٌ بإجماع المسلمين، وكذا الترحُّم علىٰ موتي اليهود والنصارىٰ هو من هذا القبيل أيضًا؛ لأنَّ الله أخبر أنَّ من مات علىٰ غير الإسلام فهو خاسرٌ لا يدخل الجنَّة ولا تناله الرحمة أبدًا؛ لأنه تمسَّك بدين منسوخٍ غير مقبولٍ، وما يفعله أهل الكتاب أو غيرهم مِن الكفَّار من خيرٍ كصدقةٍ مثلًا يثابون عليه في الدُّنيا بالصحَّة، أو سَعَة الرِّزق، أو بَسْطة في الجاه ونحو ذلك، ولا يثاب يوم القيامة إطلاقًا؛ لقوله تعالىٰ: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣].

نعم، قد يُخفِّفُ عن الكافر بعض العذاب -وهو في النَّار- بعض أعماله الصالحة ؛ كما ثبت في "الصحيحين" أنَّ أبا طالبٍ يجعله الله يوم القيامة في ضحضاحٍ من النَّار، بشفاعة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم؛ لأنه كان يحوطه وينصره ويدافع عنه، لكن لم يؤمن به.

وورد أيضًا أنَّ أبا لهبٍ يمصُّ مِن أصبعه كل يوم اثنين شيئًا قليلًا لإعتاقه ثويبة حين بشَّرته بولادة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

أما الخروج مِن النَّار فلا مطمع فيه لكافرٍ أبدًا.

نسأل الله أن يُميتنا علىٰ دين الإسلام، ويمحو عنَّا الأوزار والآثام، وأن يقبل هذا التأليف، ويجعله سببًا للفوز بجنَّات النعيم تحت لواء نبيِّه العظيم، عليه أفضل الصَّلاة والتسليم آمين، والحمد لله ربِّ العالمين.

٤ - استِمْدَادُ العَوْن
لإثباتِ كُفْرِ فِرْعَون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، وبعد:

فقد نُسب إلى الشيخ الأكبر محي الدِّين ابن العربي -رضي الله عنه- القول بصحَّة إيمان فرعون ونجاته من النَّار يوم القيامة، واغترَّ بهذه النِّسبة بعض المتأخِّرين وانتصب للدفاع عن هذا القول السَّاقط متحمّلًا أوهى الحُجَج وأضعف الأدلَّة.

لكن هذا القول لم يصح عن ابن العربي، قال العارف الشعراني في "اليواقيت والجواهر": «ومن دعوى المُنكِر أنَّ الشيخ يقول بقبول إيمان فرعون، وذلك كذبٌ وافتراءٌ على الشيخ، فقد صرَّح الشيخ في «الباب الثاني والستين» من "الفتوحات" بأن فرعون من أهل النَّار الذين لا يخرجون منها أبد الآبدين. قال شيخ الإسلام الخالدي رحمه الله: والشيخ محي الدين بتقدير صدور ذلك عنه لم ينفرد به، بل ذهب جمع كثير من السَّلف إلى قبول إيمانه، لِما حكى الله عنه أنه قال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠] وكان ذلك آخر عهده بالدُّنيا. وقال أبو بكر الباقلاني: قبول إيمانه هو الأقوى من حيث الاستدلال ولم يرد لنا دليل صريح أنه مات على كفره. ودليل جمهور السَّلَف والخَلَف على كفره: أنه آمن عند اليأس وإيمان أهل اليأس لا يقبل والله أعلم».هذا ما في "اليواقيت والجواهر ".

ونحن لا نعلم أحدًا من السَّلف قال بقبول إيمان فرعون، بل لا نعلم أحدًا قال هذا القول قبل الشيخ الأكبر فيما نُسب إليه، وإن كان غير صحيح عنه كما تبيَّن آنفًا.

وإن كان القاضي عبدالصمد الحنفي نقل في "تفسيره" ذلك القول عن بعض الصوفية من غير تعيين.

وعلى فرض أنَّ أحدًا ذهب إلى ذلك فهو مردودٌ عليه، والآية التي أخذ منها إيمانه -كما قيل- هي الدليل على كفره إلى حين الوفاة وبيان ذلك من وجوه:

الأول: أنه نطق بما نطق به عند المعاينة واليأس كما قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ ﴾ [يونس: ٩٠] الآية.

والإيمان في هذه الحالة لا ينفع لقوله تعالى: ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [غافر: ٨٥].

ولم يَستثنِ الله من هذه السُّنَّة إلَّا قوم يونس فقط، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [يونس: ٩٨].

الثاني: أنه قال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [يونس: ٩٠] الآية.

وفي هذا التعبير مجهلة وتعنُّت كما قال ابن جُزَي؛ حيث لم يصرِّح بلفظ الجلالة، ولو آمن حقًّا لقال: آمنت أنه لا إله إلَّا الله.

الثالث: أنه لم يُقِرّ برسالة موسى عليه السَّلام، والإيمان بالله من غير إقرار برسالة رسوله لا ينفع صاحبه، ولا يُقبل منه كما هو معروف.

ولهذا قال الله له: ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ ﴾ حيث عاينت الغرق والعذاب وأيست من الحياة تقول: آمنت؟!، ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ ﴾ أي عصيت قبل هذا الوقت ﴿وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس: ٩١] في الأرض، الضالِّين المضلِّين، ﴿ فَٱلْيَوْمَ

نُنَجِّيكَ﴾ أي: نلقيك على نجوة مِن الأرض، وهي المكان المرتفع، ﴿بِبَدَنِكَ﴾ أي: بجسدك من غير روح ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ﴾ من بني إسرائيل حيث شك بعضهم في هلاكك ﴿ءَايَةً﴾ [يونس: ٩٢] دليلًا على عبوديتك وأنك لست بإله لأن الإله الحقَّ لا يموت.

وفي توجيه الخطاب إلى فرعون بهذا الأسلوب المنطوي على التَّبكيت والتَّحسير دليل رابع على عدم قبول إيمانه؛ إذ لو قَبِل الله إيمانه لما بكَّته ولا حسَّره؛ لأن الله تعالى عوَّد عباده من كرمه أنه إذا قَبِل إيمان أحد منهم أو توبته طوى بساط العتاب والملامة، وأتحفه بالقرب والكرامة ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨].

هذا ومن الأدلة القاطعة في موته على الكفر قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾ [طه: ٣٧ - ٣٩] وهو فرعون.

ففي هذه الآية إخبار بأن فرعون عدوٌّ لله ولرسوله موسى عليه السَّلام، وهذا هو الكفر بعينه، وخبر الله لا يدخله النسخ فهو تسجيل لكفر فرعون وموته عليه، إذ لو آمن في وقت ما لانتفت عنه عداوة الله ورسوله، فيكون الإخبار بعداوته لله ورسوله غير صادق وهو محال، فثبت قطعًا أنه لم يؤمن.

دليل آخر: وهو قوله تعالى: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ﴾ [القصص: ٨] في هذه الآية دليلان:

أحدهما: الإخبار بأن آل فرعون التقطوا موسىٰ ليصير لهم عدوًّا وحَزَنًا، وهذا مثل قوله تعالىٰ: ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ﴾ [طه: ٣٩] وما كانت عداوتهم له إلَّا من جهة تكذيبهم له وكفرهم بما جاء به من عند الله.

ثانيهما: الإخبار بأن فرعون خاطئ، والخاطئ: الآثم، وإثمه عداوته لله ولرسوله.

دليل آخر: قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ [القصص: ٣٨ - ٤٢] في هذه الآيات عِدَّة دلائل علىٰ كفر فرعون ولعنه، وأنه في الآخرة مقبوح غير منصور.

دليل آخر: قال تعالىٰ: ﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ وهم عاد، ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾ وهم ثمود، ﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ وهو قارون، ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ وهم فرعون وهامان وجنودهما، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٣٩ - ٤٠] بكفرهم بالله وبتكذيبهم رسله.

ولو آمن فرعون حقًّا ما ساقه الله في هذه الآية مساقًا واحدًا مع عاد وثمود وقارون وهامان، فالآية -كما ترىٰ- قاطعة في كفر فرعون لعنه الله.

ومثلها في ذلك ما رواه أحمد بإسناد جيد، والطبراني في "الكبير" و"الأوسط"، وصحَّحه ابن حِبَّان، عن عبدالله بن عمرو، عن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أنه ذكر الصلاة يومًا فقال: «**مَن حافظَ عليها كانت له نورًا وبُرهانًا ونجاةً يومَ القيامَةِ، ومَن لم يُحافظْ عليها لم يكن له نورٌ ولا بُرهانٌ ولا نجاةٌ، وكان يومَ القيامةِ مع قارونَ وفرعونَ وهامانَ وأُبيِّ بن خَلَفٍ**».

قال بعض العلماء: إنما حُشر المتهاون بالصَّلاة مع هؤلاء لأنه إن اشتغل عن الصَّلاة بماله: أشبه قارون فيُحشر معه، أو بمُلْكِه: أشبه فرعون فيُحشر معه، أو بوزارته: أشبه هامان فيُحشر معه، أو بتجارته: أشبه أبي بن خلف تاجر كفَّار مكة فيُحشر معه.

والخلاصة: أنَّ فرعون كافرٌ مخلَّدٌ في النَّار مع الكُفَّار، وأنَّ القول بإيمانه لم يصح عن ابن العربي ولا غيره؛ لأنه مصادمةٌ صريحةٌ لنصوص القرآن والسُّنَّة ومخالفةٌ لإجماع المسلمين.

(**تنبيه**): نُقل عن ابن العربي أيضًا أنه استدلَّ لصحَّة إيمان فرعون بأنه آمَن في حال الاضطرار، والله أكرم مِن أن يردَّ عبدًا في هذه الحالة وهو يقول: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢].

وأظنُّ أنَّ هذا الاستدلال لا يصح عنه؛ لأنه لا يليق بمنزلته في العلم والمعرفة؛ ذلك أنَّ فرعون آمن عند معاينة العذاب والإيمان في تلك الساعة لا يُقبل كما سبق، بخلاف الدُّعاء؛ فإن الله تعالىٰ يستجيب لمن دعاه في الاضطرار

ولو أنَّ فرعون دعا الله لاستجاب له وأنجاه مِن الغَرق، فظهر الفَرق بين الإيمان والدعاء.

(**تنبيه آخر**): أخرج الترمذيُّ، والنَّسائيُّ، وابن حِبَّان، والحاكم، وغيرهم، عن ابن عبَّاسٍ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ جبريل كان يدسُّ في فَمِ فرعونَ الطِّينَ مخافةَ أن يقول لا إله إلَّا الله فيرحَمَهُ الله**». صحَّحه الترمذيُّ.

وفي رواية عند أحمد، وإسحاق، والبزَّار، عن ابن عبَّاسٍ: لَمَّا أغرق الله فرعون ﴿قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [يونس: ٩٠] قال جبريل: «**يا محمَّدُ، فلو رأيتني وأنا آخذ الطِّين مِن حال البحر فأدسُّهُ في فِيه مخافة أن تُدْركَهُ الرَّحمةُ**». وله طُرق.

وهو حديث صحيح السَّند منكر المتن؛ لأن جبريل نزل على أمِّ موسى بقول الله لها: ﴿فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥ﴾ [طه: ٣٩] وهو يعلم أنَّ خبر الله لا يتخلَّف فكيف يقول: «**كنت أدسُّ الطِّين في فمِ فرعونَ مخافة أن تدركه الرحمة**»؟! هل شك في خبر الله؟! هذا غير معقول.

وأورد الإمام الرازي على الحديث إشكالًا نقله عنه الخازن في "تفسيره" بطوله وأجاب عنه، لكن ما ذكرته مِن النكارة هو المُعتمد.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

وكتبه: عبدالله بن محمَّد الصِّدِّيق الغُماريُّ الحسنيُّ

خادم الحديث الشريف

يوم الثلاثاء ٢٥ صفر سنة ١٣٧٨هـ

٥- قُرَّة العَينِ

في أدلَّة إرسال النبيِّ إلى الثَّقلَيْن

(ويشتمل على أسماء الصحابة الجنِّيين)

مقدمة

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على نبيِّنا المصطفى، وعلى آله وصحبه ومن به اقتفى.

وبعد: فقد زعم دكتور أزهري في كلمةٍ أذاعها بالراديو أنَّ بعثة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى الجنِّ ليس لها دليل قطعيٌّ يفيد اليقين.

فعجبت لجرأة هذا الدكتور في جهله وصفاقته في إذاعة هذا الباطل من قوله، وليت شعري ماذا تعلَّم في الأزهر؟! وكيف حصل على شهادة الدكتوراه وهو يجهل ما نطقَتْ به آياتُ القرآن الكريم، وصدعتْ به نصوصُ السنَّة النبويَّة، وأجمع عليه علماء المسلمين قاطبةً على اختلاف نِحَلهم ومذاهبهم، بحيث صارت بعثة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى الإنس والجنِّ من المعلوم بالضرورة، كالعلم بأنَّه عليه السلام خاتم النبيين؟

ولكنْ ما الحيلة في مبتدعة الأزهر الذين يفاجئون المسلمين الفَـيْنة بعد الفَـيْنة بألوان من الجهالات والضلالات باسم الاجتهاد والتجديد ونبذ الجمود والتقليد؟!

وإذا كان علماء المسلمين يقصدون بالاجتهاد: اتِّباع النبيِّ عليه السلام فيما صحَّ عنه، وبالتقليد: الأخذ بآراء الأئمة العارية عن الدليل، فإنَّ هؤلاء المبتدعة جدَّدوا في معنى الاجتهاد والتقليد فقصدوا بالأول تركَ السُّنة النبويَّة جانبًا، وجعلوا اتِّباعها جمودًا وتقليدًا، ثم اختلفت كلمتهم في تعليل ما أسموه اجتهادًا وتقليدًا فمنهم من تستَّر بدعوى أنَّ الأحاديث فيها ضعيفٌ كثير، والصحيح منها -على قلَّته- تدخله وجوه من الاحتمالات فلا يفيد المطلوب على وجه تطمئنُّ إليه النفوس، وإذا صدمه حديثٌ متَّفقٌ على صحَّته لم يكترث

أن يردَّه زاعمًا أنَّه من الإسرائيليَّات.

ومنهم من كشف قناع الحياء عن وجهه فصرَّح بأنَّ النبيَّ عليه الصلاة والسلام يخطئ في فهم القرآن وفي فهم الأحكام وأن الله تعالىٰ قد يؤخِّر تنبيهه مدَّةً تصل في أقصاها إلىٰ أربع سنين!!!

فهذا المبتدِع لا يشكُّ مسلم في أنَّه من صنائع المُبشِّرين، كذلك العيسيّ الذي أصدر كتابًا أراد به هدم السُّنَّة المحمَّدية من أساسها فهدم نفسه بما أبدىٰ من لحن في الإعراب وخطأ في التراكيب وركاكة في المعنىٰ وبلادة في فهم ما ينقله من كلام العلماء.

وهدم دينه بما أبان من مِساس بمقام النبيِّ الكريم، ومن طعنٍ صريحٍ في كثيرٍ من الصحابة برميهم بالكذب في الرواية وتظاهرهم بالإسلام، مع استبطانهم اليهودية أو النصرانية... إلىٰ غير ذلك مما يتسم بطابع الجرأة علىٰ القول في دين الله بالهوىٰ والغرض وكان في محاولته الأثيمة كالباحث علىٰ حتْفه بظلْفه، وكالجادع مارن أنفه بكفِّه.

أمَّا السُّنة المحمديَّة فكما هي ثابتةُ الأركان شامخةُ البنيان أصلها ثابت وفرعها في السماء لم يصبها شيءٌ من دنس ذلك الهُراء.

هذه نماذج من اجتهادات أولئك المبتدعة وهي كلُّها تهدف إلىٰ الطعن في الدين أو التشكيك في بعض الضروريات من عقائده وأحكامه خطة سوء نهجوا عليها مأجورين من أعداء الإسلام تارةً، ومدفوعين بحبِّ التجديد ومسايرة التطور الفكري تارةً أخرىٰ.

فدعوىٰ ظَنِّية إرسال النبيِّ عليه السلام إلىٰ الجنِّ لم يجد ما يقتضي إذاعتها

على عامة المسلمين، إذ لم يتوقَّف عليها تثبيت عقيدة أو تصحيح عمل أو إصلاح أمر معيشة، بل لا محمل لها إلَّا إلقاء الشك في عقيدة توارثوها خلفًا عن سلف متلقَّاة من الإجماع القطعيِّ المستنِد إلى صرائح الكتاب والسُّنة.

وقد تكون مع هذا تمهيدًا لدعوى ظنِّية إرساله عليه السلام إلى البشر عامة ثم يتدرَّج منها إلى ترديد دعوى بعض المستشرقين أنَّه عليه السلام أرسل إلى العرب خاصة؛ لأنه إذا انتفى القطع بعموم رسالته إلى الثَّقلين وجب التمسُّك بالمتيقَّن المقطوع به وهو رسالته إلى قومه دون غيرهم.

فكان من الواجب كشفُ بطلان تلك الدعوى الخاطئة وبيان مجانبتها لدين الله، والقضاء عليها قبل استفحال خطرها، وهو ما قمنا به في هذه الرسالة التي سمَّيناها "قُرَّة العَين في في أدلَّة إرسال النبيِّ عليه الصلاة والسلام إلى الثَّقَلين".

واللهُ المسؤولُ أن يقبلها منا، ويجعلها سببًا في دخول جنَّته والفوز برضوانه ورحمته، إنه الجواد الكريم البرُّ الرحيم.

فصل

الدلائل على بعثته عليه السلام إلى الجنِّ

الدلائل على بعثته عليه السلام إلى الجنِّ كثيرةٌ، نذكر منها ما تيسَّر في الحال، من غير قصد إلى استيفائها، إذ أنَّ ذلك يؤدِّي إلى الإطالة والإملال، مع قصور الهمم والرغبات، وجنوح أغلب الناس إلى المختصرات لسرعة التهامها ويسر فهمها، وما قلَّ وكفى خيرٌ مما كثُر وألهى.

١- فمن الدلائل قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١] فقوله: ﴿لِلْعَٰلَمِينَ﴾ عامٌّ يشمل الإنس والجنَّ بلا خلاف وعلى هذا درَج المفسِّرون قاطبة.

بل جاء في قراءة ابن الزبير: ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين للجن والإنس نذيرًا﴾ وهذه القراءة -وإن كانت شاذَّة[1]- فهي تفيد تفسيرَ ابن الزُّبير الصحابيِّ «للعالمين» بحسب مدلوله العربي مع تلقيه عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

٢- ومنها قوله تعالى: ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدُۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩] أي ومَن بلغه القرآن.

فكل من بلغه القرآن من عجمٍ وعربٍ وإنسٍ وجنٍّ، منذ البعثة النبويَّة إلى قيام الساعة فقد أنذره النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، لا خلاف في هذا أيضًا

---

(١) لا تثبت قرآنيَّتها لفقدان التواتر المشترط في القرآن، لكنها تكون كخبر الآحاد فيعمل بها فيما تفيده من حكم شرعيٍّ أو تفسير آية كما هنا.

بين جمهور المفسرين، فهذه الآية عامة تشمل الثَّقَلين كسابقتها.

٣- ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأحقاف: ٢٩ - ٣٢].

أخبر الله تعالى أنه صرف نفرًا من الجنِّ إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لاستماع القرآن منه، وأنهم بعد سماعه رجعوا إلى قومهم يأمرونهم بإجابة داعي الله وينذرونهم بالعذاب إنْ لم يُجيبوه، وهذا صريحٌ في إرساله إليهم كما لا يخفى.

٤- ومنها: ما اشتملت عليه سورة (الرحمن) من وعد ووعيد وتبشير وإنذار للجن والإنس على السواء.

اقرأ قوله تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ [الرحمن: ٣٣] إلى آخر السورة تجد هذه الآيات صريحةً في بعثة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى الثقلين.

وانظر كيف سخَّر الله الجنَّ لسليمان عليه السَّلام باعتباره مَلِكًا يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفانٍ كالجواب وقُدُورٍ راسياتٍ، فلم تتعدَّ علاقتُه بهم علاقةَ مَلِكٍ برعيَّته ولذلك لم يحكِ الله عنه أنه دعاهم إلى الإيمان أو

أنذرهم على الكفر والعصيان؛ لأنَّه كان رسولًا إلى قومه خاصَّةً، أمَّا النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فإنَّ الله تعالى حين تحدَّث عن علاقته بالجنِّ أفاد أنها علاقةُ رسول بأمَّته وصلة نبيٍّ بتابعيه، وهي أفضل من علاقة الملك في الدنيا وأبقى ثوابًا في الأخرى.

٥- ومنها: قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ﴾ القرآن ﴿آمَنَّا بِهِ ۖ فَمَن يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ الآيات [الجن: ١-١٣]فهي صريحةٌ في أنَّ الجنَّ لَمَّا سمعوا القرآن آمنوا به، وهذا يفيد القطع بإرساله عليه السلام إليهم.

٦- ومنها: تحدِّي الجنِّ والإنس بالقرآن في قول الله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

ومن المقرَّر المعلوم أنَّ كلَّ نبيٍّ يتحدَّى قومه بمعجزةٍ يأتيهم بها ولا يتحدَّى غيرهم لأنه لم يرسلْ إليهم، وقد أخبر الله تعالى عمَّا أتى به صالحٌ وشعيبٌ وموسى وعيسى من معجزات تحدوا بها قومهم خاصَّة، وبتلك المعجزات تمَّت الحُجَّة عليهم وحقَّ إهلاك مَن كفر منهم.

ويبدو تحدِّي الإنس بسورة من القرآن في قوله تعال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣] وفي قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ

مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [هود: ١٣].

فلمَّا وقع التحدِّي في هذه الآية للجنِّ أيضًا دلَّ على أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أُرسل إليهم وأنه تحدَّاهم كما يتحدَّى النبيُّ أمَّته، ولو لم يكن مرسلًا إليهم لما كان في تحدِّيهم فائدة.

وقد اعترفوا بإعجاز القرآن حين سمعوه، ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١]، أي قرآنا بديعًا مبايِنًا لسائر الكتب في حسن نظْمه وصحَّة معانيه خارجًا عن حدِّ أشكاله ونظائره ودلائل الإعجاز قائمة فيه.

٧- ومنها: ما رواه الشيخان عن جابر بن عبدالله: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**أعطِيتُ خمسًا لم يُعطَهُنَّ أحدٌ قبلي: نُصرتُ بالرُّعبِ مسيرةَ شهرٍ وجُعلتْ لي الأرضُ مسجدًا وطهورًا فأيُّما رجلٍ مِن أُمَّتي أدركَتْهُ الصلاةُ فلْيصلِّ، وأُحلَّتْ لي الغنائِمُ، ولم تُحلَّ لأحدٍ قَبلي، وأُعطيتُ الشفاعةَ، وكان النبيُّ يبعث إلى قومِهِ خاصَّةً وبُعثتُ إلى النَّاس عامَّةً**».

قال أبو الوفا بن عقيل: «الجنُّ داخلون في مسمَّى الناس لغةً».

وقال الجوهري: «النَّاس قد يكون من الإنس والجنِّ. وقال الراغب: الناس جماعة حيوان ذوي فكر وروية، والجن لهم فكر وروية، والناس من ناس ينوس، إذا تحرَّك».

قلت: ثبت الحديث بلفظ صريح عام، ففي "صحيح مسلم" عن أبي هريرة أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**فُضِّلتُ على الأنبياءِ بسِتٍّ: أعطِيتُ جوامعَ الكَلِم ونُصرتُ بالرُّعب، وأحلَّت لي الغنائمُ، وجُعلتْ لي الأرضُ طهورًا ومسجدًا، وأرسِلتُ إلى الخلق كافَّةً وخُتم بي النبيُّون**». فلفظ

الخلق يشمل الجنَّ بلا خلاف.

وأصرح منه ما رواه البخاريُّ في "التاريخ"، والبزَّار والبيهقيُّ عن ابن عبَّاسٍ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أعطيتُ خمسًا لم يُعطَها أحدٌ قبلي من الأنبياء؛ جُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، ولم يكن أحد من الأنبياء يصلِّي حتى يبلغَ محرابَه، ونُصِرتُ بالرُّعب مسيرةَ شهر يكونُ بين يديَّ إلى المشركين فيَقذِفُ اللهُ الرُّعبَ في قلوبهم، وكان النبيُّ يُبعث إلى خاصَّة قومه، وبُعثتُ أنا إلى الجنِّ والإنس، وكانت الأنبياء يَعزِلون الخُمُسَ فتجيءُ النَّار فتأكُلُه، وأُمرتُ أنا أنْ أقسِّمَه بين فقراء أمَّتي، ولم يبق نبيٌّ إلا أُعطي سُؤْله، وأخَّرتُ أنا دعوتي شفاعةً لأمَّتي**».

وروىٰ ابن أبي حاتمٍ وعثمان بن سعيد الدارميُّ في "الرد علىٰ الجهمية" عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم خرج فقال: «**إنَّ جبريلَ أتاني فقال: اخْرُجْ فحدِّث بنعمةِ الله التي أنعم بها عليك. فبشَّرني بعشْرٍ لم يؤتَها نبيٌّ قبلي، أنَّ الله بعثني إلى النَّاس جميعًا، وأمرني أن أنْذرَ الجنَّ، ولقَّاني كلامَه وأنا أميّ، قد أوتي داودُ الزَّبورَ، وموسى الألواحَ، وعيسى الإنجيلَ، وغُفر لي ما تقدَّم من ذنبي وما تأخَّر، وأعطاني الكوْثرَ، وأمدَّني بالملائكة، وآتاني النَّصر، وجعل بين يديَّ الرُّعبَ، وجعل حوضي أعظمَ الحِياضِ، ورفع لي ذكري في التَّأذين، ويبعثُني يوم القيامة مقامًا محمودًا والناسُ مُهْطعين مُقنعِي رؤوسِهم، ويبعثني في أوَّل زُمرةٍ تخرجُ من النَّاس، وأُدخلُ الجنةَ بشفاعتي سبعين ألفًا مِن أمَّتي لا يحاسبون، ويرفعني في أعلى غُرفةٍ من جنَّاتِ النعيم ليس فوقي إلا الملائكة الذين يحملون العرشَ وآتاني السُّلطان**

وطيَّب الغنيمةَ لي ولأمتي، ولم تكنْ لأحدٍ قبلنا».

(تنبيه): لا تعارض بين هذه الأحاديث التي في بعضها «**أعطيت خمسًا**» وفي بعضها: «**فُضِّلت على الأنبياء بسِتٍّ**»، وفي بعضها: «**فبشَّرني بعشر**»، وبيان ذلك من وجهين:

الأول: أنَّ العدد لا مفهوم له كما هو رأي بعض الأصوليين. فقوله: «**أعطِيتُ خمسًا**» لا يفيد نفيَ ما فوقها كالسِّتَّة والعشرة.

الثاني: أن يكون الله أطْلعَ نبيَّه على بعض ما خصَّه به فأخبر به، ثم أطلعه على بعض آخر فأخبر به، وهكذا، وهذا بناءً على الأخذ بمفهوم العدد كما يقول به جمهور الأصوليين، وهو أيضًا يناسب ما عُلم من ترقِّي النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كلَّ يوم في مقامات الكمال وتدرُّجه كلَّ ساعة في سَنيِّ الأحوال، وجملة الخصال التي اختُصَّ بها نبيُّنا عن الأنبياء عليهم السلام، ستُّون خصلةً كما ذكر أبو سعد النيسابوري في كتاب "شرف المصطفى".

٨- ومنها: -أي الدلائل- ما رواه البخاريُّ في "صحيحه" عن أبي هريرة أنَّه كان يحمل مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إداوةً لوَضُوئه وحاجته، فبينما هو يتبعه بها، قال: «**مَن هذا؟**» قال: أنا أبو هريرة. قال: «**ابْغِني أحجارًا اسْتنفِضُ بها ولا تأتِني بعَظْمٍ ولا رَوْثة**». فأتيته بأحجار أحملها في طرَف ثوبي حتى وضعتُها إلى جنبه، ثم انصرفتُ. حتى إذا فرغ مشيتُ فقلت: ما بال الرَّوْث والعظْم؟ قال: «**هما طعامُ الجنِّ، وإنه حين أتاني جنُّ نَصِيبِين -ونِعمَ الجنُّ- فسألوني الزَّادَ، فدعوتُ الله أنْ لا يمرُّوا بعظْمٍ ولا بروثةٍ إلَّا وجدوا عليها طَعامًا**».

قال العلماء: «تعدَّد وفود الجنِّ على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بمكة والمدينة، فبعض الوفود جاءوا لاستماع القرآن ثم ولَّوا إلى قومهم مُنذِرين، كما في القرآن الكريم، وبعضهم جاءوا بعد ذلك لتعلُّم الأحكام».اهـ

قلت: حديث أبي هريرة هذا من القبيل الثاني؛ لأن جن نَصِيبين جاءوا قبل ذلك، وسمعوا القرآن، كما في حديث ابن مسعودٍ الآتي، وحضروا هذه المرة لتلقِّي الأحكام، ومجيئهم في كلتا الحالتين دليلٌ قاطعٌ في أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مرسلٌ إليهم كالإنس.

٩- ومنها: ما رواه ابن جريرٍ والبزَّار وابن أبي الدنيا في "الشكر" من طريق اسماعيل بن أمية، عن نافع، عن ابن عمر، قال: إنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قرأ (سورة الرحمن) أو قرئت عنده، فقال: «**مالي أسمع الجنَّ خيرًا منكم جوابًا لربها؟ ما أتيتُ على قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾** [الرحمن: ١٣] **إلا قالت الجنُّ: ولا بشيءٍ مِن نعمة ربِّنا نُكذِّب**». إسناده صحيحٌ.

١٠- ومنها: ما رواه الترمذيُّ وابن أبي الدنيا في "الشكر" والبيهقيُّ عن جابرٍ قال: خرج رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على أصحابه فقرأ عليهم (سورة الرحمن) حتى ختمها فسكتوا فقال: «**مالي أراكم سُكوتًا؟ لقد قرأتها على الجنِّ**[1] **ليلةَ الجنِّ، فكانوا أحسن رَدًّا منكم، كنتُ كلَّما أتيتُ على قوله:**

---

(١) قال التقي السُّبكي: «هذا يدل عل أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قرأها على الجنِّ كما قرأها على الإنس ليبلغها إليهم ليتساوى الصنفان المخاطبان فيها، وهو مما يدل على بعثته إليهم».اهـ

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ **قالوا: ولا بشيءٍ مِن نِعمك ربَّنا نكذِّب، فلك الحمد**». ورواه الحاكم وصحَّحه على شرط الشيخين، وسلَّمه الذهبيُّ.

(**تنبيه**): في هذا الحديث والذي قبله شرفٌ كبيرٌ للجنِّ حيث روى النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كلامهم للصحابة مباهيًا به مستحسنًا له، ويؤخذ منه استحباب قوله لنا، والله أعلم.

١١- ومنها: حديث ابن مسعودٍ، وله طرقٌ كثيرةٌ:

الطريق الأول: أخرج أحمد ومسلمٌ والترمذيُّ من طريق علقمة قال: قلت لابن مسعودٍ: هل صحِب النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ليلة الجنِّ أحدٌ منكم؟ قال: ما صحبه مِنَّا أحدٌ، ولكنا كنا مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ذات ليلة، ففقدناه فالتمسناه في الأودية والشِّعاب، فقلنا: استُطيرأو اغْتيل، فبتنا بشرِّ ليلةٍ بات بها قومٌ. فلما أصبحنا إذا هو جاءٍ مِن قِبل حِراءٍ، فقلنا: يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك، فبتنا بشرِّ ليلةٍ بات بها قومٌ! قال: «**أتاني داعي الجنِّ، فذهبتُ معه فقرأتُ عليهم القرآنَ**». قال: فانطلق فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم. الحديث.

قلت: لم يحضر ابن مسعودٍ هذه المرة، ورواها عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وحضر بعدها مرات كما سيأتي.

١٢- **الطريق الثاني**: أخرج أبو نعيمٍ والبيهقيُّ في "دلائل النبوة" من طريق أبي عثمان الخزاعي: أنه سمع عبدالله بن مسعودٍ يقول: إنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال لأصحابه وهو بمكة: «**مَن أحبَّ منكم أنْ يحضرَ الليلةَ أمرَ الجنِّ فلْيفعل**». فلم يحضر أحدٌ منهم غيري، فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى

مكة، خط برجله خطًا، ثُمَّ أمرني أن أجلس فيه، ثُمَّ أنطلق حتىٰ قام فافتتح القرآن، فغشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه، حتىٰ ما أسمع صوته ثُمَّ انطلقوا فطفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين حتىٰ بقي منهم رهطٌ، وفرغ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مع الفجر وانطلق فبرز ثم أتاني، فقال: «**ما فعل الرَّهطُ؟**» فقلت: هم أولئك يا رسول الله. فأخذ عظمًا وروثًا فأعطاهم زادًا، ثم نهىٰ أن يَسْتَطِيبَ أحد بعظم أو روث. ورواه ابن جريرٍ والحاكم وصحَّحه.

١٣- **الطريق الثالث**: أخرج أبو نعيمٍ في "دلائل النبوة" من طريق أبي المعلَّىٰ عن ابن مسعودٍ قال: خرج رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قبل الهجرة إلىٰ نواحي مكة، فخط خطًّا فقال: «**لا تُحْدِثَنَّ شيئًا حتى آتيكَ**، ثم قال: «**لا يَرُوعَنَّكَ وَلا يَهُولَنَّكَ شيءٌ تراه**». فتقدَّم شيئًا ثم جلس فإذا رجال سود كأنهم رجال الزُّطِّ، وكانوا كما قال الله: ﴿كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩] ثم إنهم تفرقوا عنه، فسمعتهم يقولون: يا رسول الله، إنَّ شقَّتنا بعيدة، ونحن منطلقون فزودنا. قال: «**لكم الرَّجيعُ، وما أتيتم عليه من عظْم فلكم عليه لحمٌ، وما أتيتم عليه من الرَّوث فهو لكم تمرٌ**». فلما ولَّوا قلت: مَن هؤلا؟! قال: «**جِنُّ نُصيبين**».

١٤- **الطريق الرابع**: أخرج أبو نعيمٍ والبيهقيُّ في "الدلائل"، من طريق عليِّ ابن رباح، عن ابن مسعودٍ قال: استتبعني رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**إنَّ نفرًا من الجنِّ خمسةَ عشرَ بني إخوة وبني عمٍّ يأتونني الليلة، فأقرأ عليهم القرآنَ**».

فانطلقت معه إلى المكان الذي أراد، فخطَّ لي خطًّا وأجلسني فقال: «**لا تخرج من هذا**». فبت فيه حتى أتاني رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مع السَّحَر، في يده عظمٌ حائل ورَوثة وحُممة فقال: «**إذا ذهبتَ إلى الخلاء فلا تستنْجِ بشيء من هؤلاء**». فلما أصبحت قلت: لأعْلَمَنَّ حيث كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فذهبت فرأيت موضع مبرك ستين بعيرًا.

١٥- **الطريق الخامس**: أخرج البيهقيُّ في "دلائل النبوة" من طريق أبي الجوزاء عن ابن مسعودٍ قال: انطلقت مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ليلة الجنِّ حتى أتى الحَجُون، فخطَّ عليَّ خطًّا ثم تقدَّم إليهم فازدحموا عليه، فقال سيد لهم يقال له وردان: إني أنا أرحلهم عنك، فقال: «**إنِّي لن يجيرَني من الله أحدٌ**». ورواه ابن مَرْدُويَه في "تفسيره". وإسناد الحديث صحيحٌ.

١٦- **الطريق السادس**: أخرج أبو نعيمٍ من طريق أبي ظبيان عن ابن مسعودٍ قال: انطلق النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وانطلق بي معه حتى أتى البَرَاز، ثم خطَّ لي خطًّا ثم قال: «**لا تبرحْ حتى أرجعَ إليك**». فما جاء حتى السَّحَر، فقال: «**أرسلت إلى الجنِّ**». قلت: فما هذه الأصوات التي أسمعها؟ قال: «**هذه أصواتهم حين ودَّعوني وسلَّموا عليَّ**».

١٧- **الطريق السابع**: أخرج أحمد من طريق عمرو البكالي عن ابن مسعودٍ قال: استتبعني النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فانطلقنا حتى أتينا مكان كذا وكذا، فخطَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم خِطَّة فقال: «**كن بين ظهْرَيْ هذه لا تخرجْ منها فإنَّك إنْ خرجتَ منها هلكتَ**». فكنت فيها، فمضى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فأبعد شيئًا، ثم ذكر هنينا -بفتح الهاء وكسر النون،

يعني أشخاصًا- كأنهم الزُّطّ، عليهم ثياب ولا أرىٰ سوآتهم، طوال قليلٌ لحمُهم.

قال: فأتوا فجعلوا يركبون رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم -أي يزدحمون عليه- وجعل رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقرأ عليهم.

قال: وجعلوا يأتون فيختلون حولي ويعرضون، قال: فأرعبت منهم رعبًا شديدًا، فلمَّا انشقَّ عمود الصبح جعلوا يذهبون. ثم إنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم جاء ثقيلًا وجعًا أو يكاد يكون وجعًا مما ركبوه.

ثم إنَّ هنينًا أتوا عليهم ثياب بيض طوال، وقد أغفىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، قال: فأرعبت أشدَّ مما أرعبت في المرة الأولىٰ، فقال بعضهم لبعض: هلُمَّ فلنضرب له مثلًا، فقال بعضهم: مثله كمثل سيِّدٍ بنىٰ بنيانًا حصينًا، ثم أَرسل إلىٰ النَّاس بطعام، أوكما قال، فمن لم يأت طعامَه، أو قال: لم يتبعه، عُذِّب عذابًا شديدًا. قال الآخرون: أما السيِّد فهو ربُّ العالمين، وأما البنيان فهو الإسلام والطعام الجنة، وهو الداعي. فمن اتبعه كان في الجنة، ومن لم يتبعه عذِّب.

ثم إنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ما رأيتَ يا ابنَ أمِّ عبدٍ؟**». قال عبدالله: رأيت كذا وكذا. قال نبيُّ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ما خَفِي عليَّ شيءٌ مما قالوا، هم نفرٌ من الملائكة**».

قال الحافظ الهيثميُّ: «رجاله رجال الصحيح غير عمرو البكالي، وذكره العجليُّ في ثقات التابعين، وابن حِبَّان وغيره في الصحابة».اهـ

قلت: ذكره في الصحابة أيضًا البخاريُّ وأبو حاتمٍ وخليفة وابن البرقي

وأبو أحمد الحاكم وابن عساكر، وورد بإسنادٍ صحيحٍ عن أبي تميمة الهجيمي التابعي أنه سأل بالشام عن عمرو البكالي فقالوا: هذا أفقه من بقي على وجه الأرض من الصحابة.

وصرَّح عمرو نفسه بسماعه من النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في حديث رواه البزَّار في "مسنده".

والمقصود: أنَّ حديث ابن مسعودٍ صحيح الإسناد جدًّا وفيه أنَّ الملائكة أتوا بعد ذهاب وفد الجنِّ وضربوا مثلًا للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بأنه الداعي إلى الله زيادة في التأكيد وإبلاغًا في البيان بأنه عليه السلام رسول إلى الجنِّ كالإنس. وهذا سرُّ مجيئهم عقب وفد الجنِّ مباشرةً.

١٨- **الطريق الثامن:** أخرج الطبرانيُّ وأبو نعيمٍ من طريق أبي عبدالله الجدلي عن ابن مسعودٍ قال: استتبعني رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ليلة الجنِّ فانطلقت معه حتى بلغنا أعلى مكَّة فخطَّ لي خطًّا فقال: «**لا تبرحْ**» ثم انصاع في الجبال، فرأيت الرجال ينحدرون عليه من رؤوس الجبال حتى حالوا بيني وبينه، فاخترطْتُ السيف وقلت: لَأستنْقذَنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ثم ذكرت قوله: «**لا تبرحْ حتى آتيكَ**» فلم أزل كذلك حتى أضاء الفجر، فجاء وأنا قائم، فقال: «**ما زلتَ على حالك؟**» قلت: لو لبثتُ شهرًا ما برحتُ حتى تأتيني، ثم أخبرته بما أردت أن أصنع، فقال: «**لو خرجتَ ما التقيتُ أنا ولا أنت إلى يوم القيامة**» ثم شبَّك أصابعه في أصابعي، وقال: «**إني وُعدتُ أن يؤمن بي الجنُّ والإنسُ فأمَّا الإنسُ فقد آمنتْ بي وأمَّا الجنُّ فقد رأيت**».

١٩- **الطريق التاسع**: أخرج ابن جريرٍ وأبونعيمٍ، عن عمرو بن غيلان الثقفي، عن ابن مسعودٍ قال: إنَّ أهل الصُّفَّة أخذ كلُّ رجل منهم رجلا يعشِّيه، وتُرِكْتُ، فأخذني رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى حجرة أمِّ سلمة، فلم يجد عشاء، ثم انطلق بي حتى أتينا بقيع الغَرْقَد، فخطَّ بعصاه خطة ثم قال: «**اجلسْ ولا تبرحْ حتى آتيك**».

ثم انطلق يمشي وأنا أنظر إليه خِلال النَّخل حتى إذا كان من حيث أراه، ثارتْ مثلُ العُجاجة السوداء ففَرَقْت، فقلت: ألحق برسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فإنِّي أظن هذه هوازن مكروا برسول الله ليقتلوه فأسعى إلى البيوت فأستغيث بالناس، فذكرت أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أوصاني أن لا أبرح مكاني الذي أنا فيه. فسمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقرعهم بعصاه ويقول: «**اجلسوا**». فجلسوا، حتى كاد ينشق عمود الصبح، ثم ثاروا وذهبوا فأتاني رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**أولئك وفدُ الجنِّ سألوني المتاعَ والزَّاد، فمتَّعْتهم بكلِّ عظمٍ حائلٍ أو رَوْثةٍ أو بَعْرٍ، فلا يجدون عظمًا إلَّا وجدوا عليه لحمَه الذي كان عليه يومَ أكِل، ولا روثة إلا وجدوا فيها حَبَّها الذي كان فيها يومَ أكِلت**».

قلت: بقيت أحاديث من طريق عبدالرحمن بن أبي ليلى وأبي عبيدة بن عبدالله بن مسعود وأبي زيد وابن عبَّاسٍ وأبي رافع وغيرهم، عن ابن مسعودٍ في وفود الجن، تركناها اكتفاء بما ذكرناه.

قال علماء الحديث والسيرة: إسلام الجنِّ ووفادتهم على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كوفادة الإنس فوجًا بعد فوجٍ وقبيلةً بعد قبيلةٍ بمكة وبعد الهجرة.

قلت: ممن حضر وفد الجنِّ غيرمَن تقدَّم، الزبير بن العوام[١]، وبلال بن الحارث المزني[٢] وغيرهما.

وروىٰ أبو نعيم عن ابن عمر قال: إنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم جاءته وفود الجنِّ من الجزيرة فأقاموا عند النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ما بدا لهم، ثم أرادوا الرجوع إلىٰ بلادهم، فسألوه أن يزودهم، فقال: «**ما عندي ما أزوِّدكم، ولكن اذهبوا فكلّ عظْم مررتم به فهو لكم لحمًا غريضًا** -طريًّا- **وكل روْثٍ مررتم به فهو لكم تمر**». فلذلك نهىٰ أن يستنجىٰ بالروث والرمة.

وفي "صحيح البخاري" عن معن بن عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود قال: سمعت أبي قال: سألت مسروقًا: من آذن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله

---

(١) رواه الطبرانيُّ وأبو نعيمٍ من طريق نمير بن يزيد القيني، عن أبيه، عن قحافة بن ربيعة قال: حدَّثني الزبير بن العوام قال: صلَّىٰ بنا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم صلاة الصبح في مسجد المدينة، فلما انصرف قال: «**أيكم يتبعني إلى وفد الجنِّ الليلة؟**»، فأسكت القوم ثلاثًا، فمرَّ بي فأخذ بيدي، فجعلت أمشي معه حتىٰ خنست عنا جبال المدينة وأفضينا إلىٰ أرض بَرَاز. فإذا برجال طوال كأنهم الرماح، مستنفرين بثيابهم من بين أرجلهم، فلما رأيتهم غشيتني رعدة شديدة حتىٰ ما تمسكني رجلاي من الفرق، فلما دنونا منهم، خطَّ لي رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بإبهام رجله في الأرض خطًّا فقال لي: «**اقعدْ في وسَطه**» فلما جلست، ذهب عني كلُّ شيءٍ كنت أجده من ريبةٍ... وذكر نحو حديث ابن مسعودٍ في قراءة القرآن علىٰ الجنِّ إلىٰ الفجر، وأنهم جن نصيبين، وأنهم سألوا الزاد فجعل لهم كل عظم وروثة.

(٢) رواه أبو الشيخ في "العظمة"، وعنه أبو نعيم في "الدلائل"، عن كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف، عن أبيه، عن جدِّه، عن بلال بن الحرث المزنيِّ.

وسلَّم بالجنِّ ليلة استمعوا القرآن؟ فقال: حدَّثني أبوك -يعني عبدالله- أنه آذنت بهم شجرة.

والحاصل: أنَّ مجيء الجنِّ إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وإسلامهم معلومٌ علمًا ضروريًّا، لوروده في القرآن، وفي هذه الأحاديث وغيرها، وهي بالغة حدَّ التواتر.

٢٣- ومن الدلائل: ما رواه مالكٌ ومسلمٌ وأبو داود والترمذيُّ والنَّسائيُّ عن أبي سعيدٍ الخدريِّ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ نفرًا مِن الجنِّ أسلموا بالمدينة فإذا رأيتم أحدًا منهم** -يعني على صورة حيَّة من حيَّات البيوت- **فحذِّروه ثلاثَ مراتٍ، ثُمَّ إنْ بدا لكم بعدُ أن تقتلوه فاقتلوه بعد الثلاث**». وفي رواية: «**فليؤْذنه ثلاثًا فإن بدا له بعدُ فلْيقتله، فإنَّه شيطان**». وفي رواية لمسلمٍ: «**فإنَّه كافرٌ**».

٢٤- **ومنها**: ما رواه أحمد، والطبرانيُّ في "الأوسط" عن جابر بن عبدالله قال: إنَّ أول خبر قدم علينا عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنَّ امرأة كان لها تابع مِن الجنِّ، قال: فأتاها في صورة طيرٍ فوقع على جِذْعٍ لهم، قال: فقالت: ألا تنزل لتخبرَنا ونخبرَك؟ قال: إنه قد خرج بمكة رجلٌ حرَّم علينا الزِّنا ومنع منَّا القرار. قال الحافظ الهيثميُّ: «رجاله وُثِّقوا».

قلت: فإسناده حسنٌ.

وروى أبو نعيمٍ من طريق أرطأة بن المنذر قال: سمعت ضمرة يقول: كانت امرأة بالمدينة يغشاها جانٌّ، فكان يتكلَّم ويسمعون كلامه، ويسمعون صوته قال: فغاب فلبث ما لبث فلم يأتها، ولم يختلف إليها، فلما كان بعدُ إذ هو

يطلع من كُوَّة، فنظرت إليه فقالت: يا ابن لوذان! ما كانت لك عادة تطلع من الكوة، فما بالك؟! فقال: إنه خرج نبيٌّ بمكة، وإني سمعت ما جاء به، فإذا هو يُحرِّم الزنا، فعليك السلام.

وقال عبدالرزَّاق: أخبرنا مَعْمَرٌ، عن الزهريِّ: أخبرني عليُّ بن الحسين قال: إنَّ أول خبر قدم المدينة أنَّ امرأة من أهل يثرب تدعىٰ فطيمة كان لها تابع من الجنِّ، فجاءها يومًا فوقع علىٰ جدارها، فقالت: ما لك لا تدخل؟ فقال: إنه بُعث نبيٌّ حرَّم الزِّنا، فحدثت به تلك المرأة عن تابعها من الجنِّ، فكان أولَ خبر حدث بالمدينة عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

٢٥- **ومنها**: ما رواه الطبرانيُّ من طريق محمد بن خليفة الأسديِّ، عن محمد بن أبي حمىٰ، عن أبيه قال: قال عمر يومًا لابن عبَّاسٍ: حدِّثني بحديث تُعجبني به. فقال: حدثني خُرَيم بن فاتكٍ الأسديُّ قال: خرجت في بُغاء إبل لي، فأصبتُها بالأَبْرَق حدثان خروج النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقلت: أعوذ بعظيم هذا الوادي -كما كانوا يقولون في الجاهلية- فإذا هاتف يهتف بي ويقول:

ويحَك عُذْ بالله ذي الجلال ... مُنزِّل الحرامِ والحلال

فقلت:

يا أيها الداعي فما تحيل ... أرشْدٌ عندك أم تضليلُ؟

فقال:

هذا رسولُ الله ذي الخيراتِ ... جاء بياسين وحاميماتِ

محرِّمات ومُحَلِّلات ... يأمرنا بالصَّوم والصَّلاةِ

فقلت: من أنت يرحمك الله؟ قال: أنا مالك بن مالك الجني بعثني رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على جنِّ أهل نجد.

فكان هذا سبب إسلام خُرَيم بن فاتك.

ورواه محمد بن عثمان بن أبي شيبة في "تاريخه"، ومن طريقه أبو القاسم بن بشران، من جهة محمد بن خليفة الأسدي، عن رجل من أذرعات سماه، فذكره.

٢٦- **ومنها**: ما رواه البخاريُّ في "صحيحه" والنَّسائيُّ، عن عبدالله بن مسعودٍ -في هذه الآية-: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ [الإسراء: ٥٧] قال: كان ناسٌ من الإنس يعبدون ناسًا مِن الجنِّ، فأسلم الجنُّ وتمسَّك هؤلاء بدينهم.

وفي رواية ابن جريرٍ: فأسلم الجنُّ، والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون بإسلامهم.

وروى سفيان الثوريُّ في "تفسيره"، ومن طريقه ابن جريرٍ بإسنادٍ صحيحٍ، عن سعيد بن جُبيرٍ في قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ﴾ [الجن: ١٨] قال: قالت الجنُّ للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: كيف لنا أن نأتي المسجد ونحن ناءُون؟ وكيف نشهد الصلاة معك ونحن ناءُون؟ فأنزل الله تعالى ﴿ وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ ﴾ الآية.

وروى ابن جريرٍ بإسنادٍ جيِّدٍ عن ابن عبَّاسٍ في قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ ﴾ [الأحقاف: ٢٩] الآية، قال: كانوا سبعة نفر من أهل نَصِيبين، فجعلهم رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رسلًا إلى قومهم.

وروىٰ البيهقيُّ عن أبي المليح الهذليِّ، أنه كتب إلىٰ أبي عبيدة بن عبدالله بن مسعودٍ يسأله: أين قرأ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ الجنِّ؟ فكتب إليه: أنه قرأ عليهم بشِعب يقال له: الحَجُون.

٢٧- **ومنها**: ما رواه الطبرانيُّ عن ابن عبَّاسٍ قال: إنَّ الله فضَّلَ محمدًا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ أهل السماء والأرض. فقال رجل: يا أبا عبَّاسٍ، وبمَ فضَّله علىٰ أهل السماء والأرض؟ قال: إنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول لأهل السماء: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٩]، وقال الله عزَّ وجلَّ لمحمد صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ١ - ٢] فقيل له: يا أبا عباس، فما فضلُه علىٰ الأنبياء؟ قال: إنَّ الله عزَّ وجلَّ قال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٤] وقال لمحمَّدٍ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨] فأرسله الله إلىٰ الإنس والجنِّ.

قال الحافظ الهيثميُّ: «رجال إسناده رجال الصحيح، غير الحكم بن أبان، وهو ثقة».اهـ

٢٨- **ومنها**: ما رواه الفاكهيُّ في "تاريخ مكة" من طريق ابن عبَّاسٍ، عن عامر بن ربيعة قال: بينما نحن مع رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بمكة في بدء الإسلام، إذ هتف هاتف علىٰ بعض جبال مكة يحرِّض علىٰ المسلمين.

فقال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**هذا شيطانٌ ولم يُعلِن شيطان**

بتحريضٍ على نبيٍّ إلا قتله الله». فلما كان بعد ذلك، قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**قد قتله الله بيد رجل من عفاريت الجنِّ يدعى سَمْحَجًا** -بوزن جعفر- **وقد سميته عبدالله»**. فلما أمسينا سمعنا هاتفًا بذلك المكان يقول:

نحـــن قَتَلْنـــا مِسْـــعَرًا لمـــا طَغَـــى واسْـــتَكْبرا
وصَـــغَّر الحـــقَّ وسَـــنَّ المُنكَـــرا بشَـــتْمِهِ نبيَّنـــا المُطَهَّـــرا

وروى أيضًا من طريق حميد بن عبدالرحمن بن عوف عن أبيه قال: لما ظهر رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بمكة هتف رجل من الجنِّ يقال له مِسْعر، بالتحريض عليه، قال: فتذامرت قريش واشتدَّ خَطْبهم فلما كان في الليلة القابلة، قام مقامه آخر يقال له سمحج. فقال مثل ما سبق.

ورواه أبو نعيمٍ من طريق آخرعن ابن عبَّاسٍ قال: هتف هاتف من الجن على جبل أبي قبيس بمكة يقول أبياتًا في التحريض على النبيِّ والمسلمين، قال ابن عبَّاسٍ: فأصبح هذا الحديث قد شاع بمكة، فأصبح المشركون يتناشدونه بينهم، وهمُّوا بالمؤمنين، فقال النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**هذا شيطان يكلِّم الناسَ في الأوثان، يقال له مِسْعر، والله يُخزيه»**. قال: فمكثوا ثلاثة أيام، فإذا هاتف على الجبل يقول:

نحـــنُ قَتَلْنـــا مِسْـــعرا لمـــا طَغَـــى واسْـــتَكْبَرا
وسَـــفَّه الحـــقَّ وسَـــنَّ المُنكَـــرا قنَّعتُـــه ســـيفًا جروفًـــا مُبْـــتِرا
بشـــتمه نبيَّنـــا المُطهَّـــرا

فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ذلك عفريت مِن الجنِّ، يقال له سَمْحَج سمَّيته عبدالله، آمن بي، فأخبرني أنه في طلبه منذ أيام»**. فقال علي بن

أبي طالبٍ: جزاه الله خيرًا يا رسول الله[١].

٢٩- **ومنها**: الإجماع القطعيُّ المتوارَث بين المسلمين خلفًا عن سلف وجيلًا بعد جيل. ونحن ننقل كلام بعض الأئمة مما يدل على هذا المعنى، دلالة صريحة لا تحتمل تأويلًا:

قال الإمام الحافظ أبو محمد ابن حزم، في «باب من الإجماع في الاعتقادات، يكفر من خالف بإجماع»، وهو آخر باب في كتاب "مراتب الإجماع": «اتفقوا أن الله عزَّ وجلَّ وحده لا شريك له، خالق كل شيء غيره... وأنَّ محمد بن عبدالله القرشي الهاشمي، المبعوث بمكة، المهاجر إلى المدينة، رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى جميع الجنِّ والإنس إلى يوم القيامة».اهـ

وقال الحافظ ابن عبدالبر: «ولا يختلفون أنَّ محمدًا رسول الله إلى الإنس والجنِّ بشيرًا ونذيرًا، وهذا مما فُضِّل به على الأنبياء أنه أرسل إلى الخَلْق كافَّةً، الجنِّ والإنس وغيره لم يرسل إلا بلسان قومه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وعلى سائر الأنبياء».اهـ

وقال إمام الحرمين في "الإرشاد في الردِّ على العيسوية" -طائفة من اليهود-: «وقد علمنا ضرورة أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ادَّعى كونه مبعوثًا إلى الثقلين».اهـ

---

(١) في كتاب "الصارم المسلول على شاتم الرسول" لابن تيمية، (ص١٤٧): «وقد ذكروا أنَّ الجنَّ الذين آمنوا به كانت تقصد مَن سبَّه من الجنِّ الكفار فتقتله -قبل الهجرة وقبل الإذن لها وللإنس في القتال- فيُقِّرها على ذلك ويشكر ذلك لها»، ثم نقل عن مغازي الأموي هذا الحديث.

وحكى ابن عطية «الإجماع على أنَّ الجنَّ مُتعبَّدون بهذه الشريعة على الخصوص وأنَّ نبيَّنا محمدًا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مبعوثٌ إلى الثَّقلين».اهـ

وقال الشيخ أبو العباس ابن تيمية: «أرسل الله محمدًا إلى جميع الثقلين الإنس والجنِّ، وأوجب عليهم الإيمان به وبما جاء به وطاعته، وأن يحلِّلوا ما حلَّل الله ورسوله، ويحرِّموا ما حرَّم الله ورسوله، وأن يُوجبوا ما أوجب الله ورسوله ويحبُّوا ما أحبَّ الله ورسوله ويكرهوا ما كره الله ورسوله، وأنَّ كلَّ من قامت عليه الحُجَّة برسالة محمدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من الإنس والجنِّ، فلم يؤمن به، استحقَّ عقاب الله تعالى، كما يستحقُّ أمثاله من الكافرين الذين بعث إليهم الرسل، وهذا أصل متَّفَق عليه بين الصحابة والتابعين وأئمَّة المسلمين، وسائر طوائف المسلمين أهل السُّنَّة والجماعة وغيرهم».اهـ

وقال الحافظ ابن حجرٍ في "الإصابة" في ترجمة زوبعة الجنِّي: «أنكر ابن الأثير على أبي موسى إخراجه ترجمة هذا الجنِّي، ولا معنى لإنكاره لأنهم مكلَّفون، وقد أرسل إليهم النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فآمن منهم به من آمن، فمن عُرف اسمه ولُقيَّه للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فهو صحابيٌّ لا محالة، وأما قوله: كان الأولى أن يذكر جبرائيل، ففيه نظر، لأن الخلاف في أن النبي هل أرسل إل الملائكة؟ مشهور، بخلاف الجنِّ».اهـ

وقال الحافظ السخاوي في "فتح المغيث": «وكذا يدخل فيهم -أي الصحابة- من رآه وآمن به من الجنِّ؛ لأنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بُعث إليهم قطعًا، وهم مكلَّفون، فيهم العصاة والطائعون، ولذا قال ابن حزمٍ في الأقضية من "المحلَّى": قد أعلمنا الله أنَّ نفرًا من الجنِّ آمنوا وسمعوا القرآن مِن النبيِّ

صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فهم صحابةٌ فُضَلاء».اهـ

وكذا قال الحافظ العراقي في نكته على "مقدمة ابن الصلاح".

وقال العلامة المحدِّث القاضي بدر الدين الشبلي في "آكام المرجان": «لم يخالف أحد من طوائف المسلمين في أنَّ الله تعالى أرسل محمدًا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى الجنِّ والإنس».اهـ

وقال أيضًا: «وقد أخبر الله تعالى في القرآن أن الجن استمعوا القرآن وأنهم آمنوا به، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ إلى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأحقاف: ٢٩-٣٢] ثم أمره أن يخبر الناس بذلك فقال: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: ١] السورة بكمالها، فأمره بقول ذلك ليعلم الناس بأحوال الجنِّ، وأنه مبعوث إلى الإنس والجنِّ، ولما في ذلك من هدي الإنس والجن إلى ما يجب عليهم من الإيمان بالله تعالى ورسوله واليوم الآخر، وما يجب من طاعة الله ورسوله ومن تحريم الشرك بالجن وغيرهم».اهـ(١)

وقال العلامة السفاريني في "الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية":

وخصَّه بذلك المقامِ ... وبعْثِه لسائر الأنامِ

وفي شرحها: «و» الثالثة أنه سبحانه وتعال خص نبيه صلَّى الله عليه وآله

---

(١) وقال العلامة المحدِّث الدَّميري في "حياة الحيوان": «أجمع المعلمون قاطبةً على أنَّ نبيَّنا محمَّدًا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مبعوثٌ إلى الجنِّ كما هو مبعوثٌ إلى الإنس ثم ذكر بعض الأدلة على ذلك. وقال الحافظ السيوطيُّ في "الخصائص الكبرى": «الإجماع على أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مبعوثٌ إلى جميع الإنس والجنِّ».اهـ

وسلَّم بـ«بعثه» نبيًّا ورسولًا «لسائر» أي جميع «الأنام» الخلق من الإنس والجنِّ بالإجماع».اهـ[١]

ونصوص العلماء في هذا كثيرة، يعسُر تتبُّعها، ويستعصي على الباحث حصرها، والمسألة لا تحتاج إلى جلب نصوص ولا إلى تقرير أدلة، فإنَّ كونَ نبيِّنا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مبعوثًا إلى الثقلين الجنِّ والإنس معلومٌ من الدِّين بالضرورة، فمن أنكر ذلك أو شَكَّ فيه فهو كافرٌ بلا خلاف، وبالله التوفيق.

---

(١) هذه تسعة وعشرون دليلًا، يُضم إليها حديث الزبير، وحديث بلال بن الحارث المزني، وحديث ابن عباس، وحديث ابن عمر، فيكون العدد ثلاثة وثلاثين دليلًا. وهذه الأحاديث الأربعة، ذكرتها ولم أضع بجانبها رقمًا، إلا حديث بلال، فإني خرجته ولم أذكر لفظه اختصارًا، وهو مذكور بنصه في "الخصائص الكبرى" للحافظ السيوطي، وفي "حياة الحيوان" للدميري.

فصل

ذكر أسماء الصحابة الجنيين

رأيت أن أذكر أسماء الصحابة الجنِّيين تتميًا للفائدة وقد نقلت هذه الأسماء من كتاب "الإصابة في تمييز أسماء الصحابة" للحافظ ابن حجرٍ العسقلاني رحمه الله ورضي عنه، وقد استدركت عليه أسماء سأبينها في محلها إن شاء الله تعالى.

١- **أبيضُ الجنِّيِّ**: ذكره أبو علي بن الأشعث -أحد المتروكين المتهمين- في كتاب "السنن" له، فروى بإسناده من طريق أهل البيت: أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال لعائشة: «**أخزى الله شيطانَكِ**...» الحديث.

وفيه: «**ولكنَّ اللهَ أعانني عليه حتى أسلمَ، واسمه أبيض، وهو في الجنة وهامةُ بن هيم بن لاقيس بن إبليس في الجنة**».

قلت: من خصوصيات النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إسلام قرينه من الجنِّ، ثبت ذلك في "صحيح مسلم" وغيره، وإنما الغريب هنا تسميته.

٢- **أحقَب**: ذكر ابن دريد أنه أحد الجنِّ الذين آمنوا بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وسمعوا منه القرآن من جنٍّ نَصِيبين.

٣- **الأدرس الجني**.

٤- **الأرقم الجني**: ذكر اسماعيل بن أبي زياد في "تفسيره"، عن ابن عبَّاسٍ في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الأحقاف: ٢٩] الآية، قال: «هم تسعة: سليط، وشاصر، وخاضر، وحسان، ومنساة، ولحقم، والأرقم، والأدرس، وحاصر».

٥- **حسان الجني**: تقدم.

٦- **حاصر الجني**: تقدم أيضًا.

٧- **خاضر الجني**: تقدم أيضًا.

٨- **زلعب الجني**: يأتي ذكره في شاصر إن شاء اللة تعالىٰ.

٩- **زَوْبعة الجني**: أحد الجن الذين استمعوا القرآن.

أخرج ابن أبي شيبة وأحمد بن منيع في مسنديهما، والحاكم في "المستدرك" من طريق عاصم، عن زر، عن عبدالله -هو ابن مسعودٍ- قال: هبطوا علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وهو يقرأ ببطن نخلة، فلما سمعوه قالوا: أنصتوا!!. وكانوا سبعة أحدهم زوبعة. قال الحافظ ابن حجرٍ: «إسناده جيد».

١٠- **سُرَق**: بوزن عمر، من الجن الذين أسلموا.

روىٰ البيهقي في "الدلائل" من طريق إسماعيل بن أبي أويس، عن أبي معمر الأنصاري قال: بينما عمر بن عبدالعزيز يسير بفلاة من الأرض قاصدًا مكه إذا هو بحيَّة ميتة، فقال: علي بمِحفار، فحفر له، ثم لفَّه في خِرقة فدفنه.

فإذا هاتفٌ يهتف: رحمة الله عليك يا سُرَق، فأشهد لَسمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**تموتُ يا سُرَق بفلاة من الأرض فيدفنُك خيرُ أمَّتي**». فقال له عمر بن عبدالعزيز: من أنت؟ قال: أنا رجلٌ مِن الجنِّ، وهذا سُرَق، ولم يكن بقي ممن بايع النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم غيري وغيره.

ورواه ابن أبي الدنيا: حدَّثنا محمد بن الحسين: ثنا يوسف بن الحكم الرَّقي، حدَّثني فياض بن محمد الرقي أنَّ عمر بن عبدالعزيز بينا هو يسير علىٰ بغلة ومعه ناس من أصحابه، إذا هو بجان ميت علىٰ قارعة الطريق... وذكر الحديث

نحو ما تقدّم، غير أنه لم يسمه.

وأسند الحافظ السهيليُّ عن أبي بكر بن طاهر الإشبيليِّ القيسيِّ عن أبي عليٍّ الغساني الحافظ. فذكر الحديث نحوه وسمَّاه سُرَق أيضًا.

١١ - **سَليط**: -بفتح السين- الجني، تقدم.

١٢ - **سَمْحج الجني**: تقدم، وسمَّاه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: عبدالله.

١٣ - **سمحج** آخر، ويقال: سمهج، روى حديثه الدارقطني في "الأفراد".

وقال أبو موسى: أخرجناه تبعًا له، لأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان مبعوثًا إلى الإنس والجن.

قال الحافظ ابن حجرٍ: ما أدري أهو الذي قبله أو غيره؟

قلت: يظهر لي أنه هو.

قال الطبراني في "المعجم الكبير": حدَّثنا عبدالله بن الحسين قال: دخلت طرسوس، فقيل لي: ههنا امرأة قد رأت الجن الذين وفدوا على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فذهبت إليها فإذا امرأة مستلقية على قفاها وحولها جماعة فقلت لها: ما اسمك؟ قالت: منوسة. فقلت لها: هل رأيت أحدًا من الجنِّ الذين وفدوا على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؟ قالت: نعم. حدَّثني سمحج -واسمه عبدالله- قال: قلت: يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض؟ قال: «**كان على حوتٍ من نورٍ يتلَجْلج في النُّور**».

قلت: هذا حديثٌ مُنكَرٌ موضوعٌ، وعبدالله بن الحسين شيخ الطبراني، يسرق الحديث ويقلب الأخبار، لا يجوز الاحتجاج به. قاله ابن حِبَّان.

١٤ - **شاصر الجني**: تقدَّم في الأرقم.

١٥- **شاصر آخر**: أخرج الزبير بن بكار في "الموفقيات": حدثنا الرياشي: سمعت سليمان بن عبدالعزيز بن أبي ثابت يحدث قال: حدثني أبي، عن عبدالحميد بن بهرام، عن شهر بن حوشب، عن ابن عبَّاسٍ، عن سعد بن عبادة قال: «بعثني رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إلىٰ حضرموت في حاجة له، وهو بمكة فلما كنت ببعض الطريق عرَّست في الليل، فسمعت هاتفًا يقول:

أبـا عمـرٍو تـأوَّبني السُّـهودُ وراحَ النَّـومُ وامتنـع الهُجُـودُ

وذكر أبياتًا فناداه هاتف آخر وقال: يا زَلْعب! ذهب بك العجب إن أعجب العجب بين مكة ويثرب.

قال: وماذا يا شاصر؟ قال: نبيٌّ أرسل بخير الكلام، إلىٰ جميع الأنام، يخرج من بين البلد الحرام إلىٰ نخيل وآطام.

فقال آخر: ما هذا النبيُّ المرسل؟ والكتاب المنزل؟ قال: قال رجل من لؤي ابن غالب. وذكر القصة إلىٰ أن قال: فسمعت صيحة كأنها صيحة حبلىٰ، فطلع الفجر فرأيت ثعبانًا وعَظاءة ميِّتَين، فقدمت فإذا النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قد هاجر إلىٰ المدينة». العظاءة: هي السحلية.

١٦- **شِصَار الجنِّي**: قال ابن دريد في "الأخبار المنثورة": أخبرني عمي، عن أبيه، عن ابن الكلبي، عن أبيه قال: كان خُنافِر بن التَّوأم كاهنًا، فلما وفدت وفود اليمن علىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وظهر الإسلام أغار علىٰ إبل لمرادٍ، وخرج بماله وأهله فلحق بالشَّحَر، وكان له رَئيٌّ في الجاهلية ففقده في الإسلام، قال: فبينا أنا ذات ليلة بذلك الوادي إذ هَوَىٰ عليَّ هَوِّي العُقاب، قال: خُنافر؟، فقلت: شِصار. قال: اسمع أقل. قلت: قل أسمع. قال: عِهْ

تغنمٌ، لكلِّ ذي أمد نهاية، وكلّ ذي ابتداء إلىٰ غاية. فقلت: أجل. قال: كل دولة إلىٰ أجل، ثم يُتاح لها حِوَل، وقد انتُسخت النِّحل ورجعت إلىٰ حقائقها المِلَل، إني أتيت بالشام نفرًا من آل العُدام، حكامًا علىٰ الحكام، يزبرون ذا رَوْنق من الكلام، ليس بالشِّعر المؤلَّف، ولا السَّجْع المكلَّف، فأصغيت فزُجرت فعاودت فقلت: بم تُهَينِمون؟ وإلامَ تعتزُون؟ فقالوا: خُطاب كُبَّار، جاء من عند الملك الجبَّار، فاسمع يا شِصار لأصدق الأخبار، واسلكْ أوضح الآثار تنجُ من أُوار النار. فقلت: وما هذا الكلام ؟ قالوا: فرقان بين الكفر والإيمان أتىٰ به رسول من مُضَر، ثم من أهل المدر، انبعث فظهر فجاء بقول قد بَهر، وأوضح نهجًا قد دَبَر، ففيه مواعظ لمن اعتبر.

قلت: ومن هذا المبعوث بالآي الكُبَر؟ قال: أحمد خير البَشَر، فإن آمنْتَ أُعطِيتَ البِشَر وإن خالفت أُصلِيتَ سَقَر، فآمنْتُ وأقبَلْتُ إليك أبادر، فجانبْ كلَّ نجسٍ كافر، وشايعْ كلَّ مؤمن طاهِر، وإلا فهو الفراق.

فاحتملت بأهلي فرددت الإبل إلىٰ أهلها ثم أقبلت إلىٰ معاذ بن جبلٍ، بصنعاء فبايعته علىٰ الإسلام وفي ذلك أقول:

ألم تَـــرَ أنَّ اللهَ عـــادَ بفَضْـــلِهِ وأنقـذَ مِـن لفْـحِ الجحـيمِ خُنـافِرا
دعاني شِصَـار للتـي لـو رفضـتُها لأصْلِيت جمرًا من لظىٰ الهول جامرا

قلت: إسناده ضعيف جدًّا، والله أعلم.

١٧- **عبدالنُّور الجنِّي**: قال الحافظ ابن حجرٍ: «اختلقه بعض الكذَّابين».

١٨- **عُثَيم الجني**: قال الحافظ ابن حجرٍ: «له ذكر في الفتوح، قال: بينما رجل باليمامة في الليلة الثالثة من نهاوند، مرَّ به راكبٌ، فقال: من أين؟ قال من

نهاوند وقد فتح الله على النعمان واستشهد. فأتى عمر فأخبره، فقال: صدق وصدقت هذا عثيم بريد الجنِّ رأى بريد الإنس، ثم بعد أيام ورد الخبر بذلك وسمي فتح نهاوند: فتح الفتوح.

١٩- **عُرفُطة**: -بضم العين والفاء- بن شمراح الجني من بني نجاح: ذكره أبو بكر الخرائطي في "الهواتف".

وروي من طريق أبي البختري وهب بن وهب القاضي -أحد المشهورين بالضعف الشديد- قال: حدَّثني محمد بن اسحق، عن يحيى بن عبدالله بن الحارث، عن أبيه، عن جدِّه، عن سلمان الفارسي قال: كنَّا مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في مسجده في يومٍ مطير، فسمعنا صوت: السلام عليكم يا رسول الله. فرد عليه، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن أنت؟**» قال: أنا عُرفُطة أتيتك مسلمًا. وانتسب له، كما تقدَّم في الترجمة. فقال: «**مرحبًا بك، اظهِرْ لنا في صورتِكَ**». قال سلمان: فظهر لنا شيخ أرثّ أشعر، وإذا بوجهه شعرغليظ متكاثف، وإذا عيناه مشقوقتان طولًا وله فم، في صدره أنياب بادية طوال، وإذا في أصابعه أظفار مخاليب كأنياب السباع. فاقشعرت منه جلودنا.

فقال الشيخ: يا نبي الله أرسل معي من يدعو جماعة من قومي إلى الإسلام، وأنا أرده إليك سالمًا.

فذكر قصة طويلة في بعثه معه علي بن أبي طالب، فأركبه على بعير وأردفه سلمان، وأنهم نزلوا في وادٍ لا زرع فيه ولا شجر وأنَّ عليًّا أكثر من ذكر الله، ثم صلَّى سلمان بالشيخ الصبح، ثم قام خطيبًا فتذمروا عليه فدعا بدعاء طويل، فنزلت صواعق أحرقت كثيرًا، ثم أَذْعن من بقي وأقرُّوا بالإسلام.

ورجع بعليٍّ وسلمان، فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: لعليٍّ لما قصَّ قصتهم: «**أمَا إنَّهم لا يزالون لك هائِبِين إلى يوم القيامة**».

٢٠- **عمرو بن الجومانة**: -بالجيم أو الحاء- الجني، لم يذكره الحافظ ابن حجرٍ، قال ابن أبي الدنيا في "الهواتف": حدَّثنا محمد بن عباد: حدَّثني محمد بن زياد: حدَّثني أبو مصبح الأسدي: حدَّثني يحيى بن صالحٍ، عن أبي بكر بن عبدالله بن أبي الجهم، عن حذيفة بن غانم العدوي قال: خرج حاطب بن أبي بلتعة من حائط يقال له قُران -بضم القاف- يريد النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حتى إذا كان بالمسحاء التفت عليه عَجاجتان، ثم انجلتا عن حيَّة ليِّنِ الجوارن -يعني الجلد- فنزل ففحص له بسِيَّة قوسه ثم واراه، فلما كان من الليل إذا هاتف يهتف به:

يا أيُّها الراكب المُزجي مطيَّته ... أربعْ عليك سلامُ الواحد الصَّمد
وارَيْتَ عمرًا وقد ألقى كلاكلَه ... دون العشيرة كالضِّرغامةِ الأسد
وأشجعٌ خادرٌ في الركب منزله ... وفي الحياء مِن العذراء في الخُرُد

فأتى النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فأخبره، فقال: «ذاك عمرو من الجَوْمانة وافد نصيبين الشامية لقيه محمد بن جوشن النصراني فقتله أما إني رأيتها -يعني نصيبين- فرفعها إليَّ جبريل عليه السلام، فسألت الله تعالى أنْ يعذُب ماءُها ويطِيبَ ثمرها ويكثُرَ مطرُها»(١).

---

(١) في "طبقات الشافعية الكبرى"، في ترجمة القاضي أبي الحسن الخلعي ما نصه: «عن أبي الفضل الجوهري الواعظ: كنت أتردد إلى الخلعي، فقمت في ليلة مقمرة ظننت أن الفجر قد طلع فلما جئت باب مسجده وجدت فرسًا حسنة على بابه فصعدت

٢١- **عمرو بن أثال الجني**: لم يذكره الحافظ ابن حجرٍ.

أخرج ابن عساكر في "تاريخه" من طريق قيس بن الربيع الأسدي قال: قال خُرَيم بن فاتك لعمر بن الخطاب: ألا أخبرك ببدء إسلامي؟ بينا أنا في طلب نعم لي، إذ جنَّ الليل، فناديت بأعلى صوتي: أعوذ بعزيز هذا الوادي من سفهاء قومه. وإذا هاتف يهتف بي:

عُـذْ يـا فتـى بـالله ذي الجـلال والمجـد والـنَّعماءِ والإفضـال
واقْـتِرِ آيـاتٍ مـن الأنفـال ووحِّـد الله ولا تُبـال

فرُعت من ذلك روعًا شديدًا فلما رجعت إلى نفسي قلت:

يـا أيهـا الهـاتف مـا تقـولُ أرشـد عنـدك أم تضـليلُ
بـيِّن لنـا هُـديت مـا السَّـبيلُ

فوجدت بين يديه شابًا لم أر أحسن منه يقرأ القرآن، فجلست أسمع إلى أن قرأ جزءًا، ثم قال للشيخ: آجرك الله. فقال له: نفعك الله. ثم نزل فنزلت خلفه من علو المسجد. فلما استوى على الفرس، طارت به!! فغشي علي من الرعب والقاضي يصيح بي: اصعد يا أبا الفضل. فصعدت فقال: هذا من مؤمني الجن الذين آمنوا بنصيبين، وإنه يأتي في الأسبوع مرة، يقرأ جزءًا من القرآن ويمضي».

قلت: ذكر التاج السبكي في "الطبقات" أيضًا: «أن الخلعي كان يحكم بين الجن، وأنهم أبطأوا عليه قدر جمعة ثم أتوه. وقالوا: كان في بيتك شيء من هذا الأترج، ونحن لا ندخل مكانًا يكون فيه. وقال ابن الأنماطي: قبر الخلعي بالقرافة، يعرف بقبر قاضي الجن والإنس، ويعرف بإجابة الدعاء عنده».اهـ ونحو هذا في مبحث الجن في "حياة الحيوان" للدميري.

فقال:

هـــذا رســـول الله ذو الخـــيراتِ بيثـــربَ يـــدعو إلى النَّجـــاةِ
جـــاء بياســـين وحـــاميماتِ وســـور بعـــدُ مفصَّـــلاتِ
محَرِّمـــــات ومحَلِّـــــلاتِ يأمرنـــا بالصَّـــوم والصَّـــلاةِ
ويـــزَع النـــاس عـــن الهنَّـــات ينهـــى عـــن المنكـــر لا الطاعـــات

فقلت للهاتف: من أنت رحمك الله؟! قال: أنا عمرو بن أثال، وأنا عامله على جن نجد المسلمين، وكفيت إبلك حتى تقدم على أهلك. فخرجت حتى أتيت المدينة فتلقاني رجل، فقال: إنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقرئك السلام ويقول: «**لقد بلغني إسلامك**». قلت: من أنت؟ قال: أنا أبو ذرٍّ فدخلت المسجد ورسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على المنبر، فشهدت شهادة الحق، وقلت: يا رسول الله جزى الله صاحبي خيرًا. فقال: «**أما علمت أنَّه قد أدَّى إبِلَكَ إلى أهلِكَ؟**».

قلت: هكذا رواه ابن عساكر من هذا الطريق، ورواه من طريق آخر، فسمى الهاتف: مالك بن مالك الجني. وكذلك رواه الطبراني كما تقدم في الدليل الحادي والعشرين.

٢٢- **عمرو بن جابر الجني**: أخرج عبدالله بن أحمد في "زوائد المسند"، والبارودي والطبراني والحكم وابن مَرْدُويَه في "التفسير" عن صفوان بن المعطل -وهو صحابي- قال: خرجنا حجاجًا، فلما كنا بالعرج إذا نحن بحية تضطرب، فلم تلبث أن ماتت، فأخرج رجل منا خرقة من عيبة له فكفنها وحفر لها ودفنها، فإنا لبالمسجد الحرام، إذ وقف علينا شخص فقال: أيكم صاحب عمرو بن جابر؟

قلنا: ما نعرفه. قال: إنه الجان الذي دفنتم، فجزاك الله خيرًا، أما إنه كان آخر التسعة الذين أتوا رسول الله يستمعون القرآن موتًا. إسناده ضعيف.

٢٣- **عمرو بن طلق الجني** ويقال: ابن طارق.

أخرج الطبرانيُّ في "الكبير" من طريق عثمان بن صالح: حدَّثني عمرو الجنيُّ قال: كنت عند النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقرأ (سورة النجم) فسجد، وسجدت معه.

وأخرج ابن عديٍّ من وجه آخر عن عثما ن بن صالح قال: رأيت عمرو بن طلق الجنيَّ فقلت له: هل رأيت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؟ فقال: نعم وبايعته وأسلمت، وصلَّيت خلفه الصبح فقرأ (سورة الحجِّ) فسجد فيها سجدتين.

٢٤- **عمرو آخر**: أخرج الحكيم الترمذيُّ في "نوادر الأصول" من طريق سفيان، عن أبي إسحق، عن ثابت بن قطبة الثقفيِّ قال: جاء رجلٌ إلى ابن مسعودٍ فقال: إناَّ كنَّا في سفر فمررنا بحيَّة مقتولة في دمها فوارَيْناها. فلما نزلنا أتانا نسوةٌ أو أناسٌ فقالوا: أيُّكم صاحب عمرو؟ قلنا: ومن عمرو؟ قالوا: الحية التي دفنتم، أما إنه من النفر الذين استمعوا من رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم القرآن، قلنا: ما شأنه؟ قال: كان حيان من الجن مسلمين ومشركين اقتتلوا فقُتل.

٢٥- **عمرو، جني آخر**: أخرج البارودي في "الصحابة" من طريق جبير ابن الحكم: حدثني عمي الربيع ابن زياد: حدَّثني أبو الأشهب العطاردي قال: كنت قاعدًا عند أبي رجاء العطاردي إذا أتاه قوم فقالوا: إنا كنا عند الحسن البصري فسألناه هل بقي من النفر الجن الذين كانوا استمعوا القرآن أحد؟

فقال: اذهبوا إلى أبي رجاء العطاردي فإنه أقدم مني فعسى أن يكون عنده علم، فأتيناك. فقال: إني خرجت حاجًّا أنا ونفر من أصحابي وكنت أنزل ناحية فبينا أنا قائل إذا بجانٍّ أبيضَ شديد البياض يضطرب فقدمت إليه ماء في قدح فشرب وهو يضطرب حتى مات. فقمت إلى رداء لي جديد أبيض فشققت منه خرقة ثم غسلته ثم كفنته فيها ثم دفنته فأعمقته ثم ارتحلنا. فسرنا إلى أن كان من الغد عند القائلة نزلنا فبينا أنا في ناحية من أصحابي إذا أصوات كثيرة ففزعت منها فنوديت لا تفزع لا تفزع فإنما نحن من الجنِّ أتيناك لنشكرك فيما فعلت بصاحبنا بالأمس وهو آخر من بقي من النفر الذين كانوا يستمعون القرآن من الجنِّ واسمه عمرو. ورواه أبو نعيمٍ بنحوه.

٢٦- **عمرو، جني آخر لم يذكره الحافظ ابن حجرٍ.**

قال أبو نعيمٍ في "دلائل النبوة": حدَّثنا أبو محمد بن حيان -هو أبو الشيخ الحافظ- قال: ثنا أبو الطيب أحمد بن روح: ثنا يعقوب الدورقيُّ: ثنا الوليد بن بكر التيميُّ: ثنا حصين بن عمر -هو الأحمسي، ضعيف جدًّا- قال: أخبرني عبيد المكتب، عن إبراهيم -هو النخعيُّ- قال: خرج نفرٌ من أصحاب عبدالله -يعني ابن مسعودٍ- يريدون الحجَّ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق، إذا هم بحية تتثنَّى على الطريق أبيض ينفخ منه ريح المسك. فقلت لأصحابي -القائل بعض أصحاب عبدالله، لا إبراهيم-: امضوا، فلست بنازح حتى أنظر ما يصير من أمر هذه الحية، قال: فما لبثت أن ماتت، فعمدت إلى خرقة بيضاء فلففتها فيها، ونحَّيتها عن الطريق فدفنتها فأدركتُ أصحابي في المشي. قال: فوالله إنَّا لَقعود إذ أقبل أربع نسوة من قبل المغرب، فقالت واحدة منهن: أيكم دفن عمرًا؟

قلنا: ومن عمرو؟ قالت: أيكم دفن الحية؟ قلت: أنا. قالت: أما والله لقد دفنت صوَّامًا قوَّامًا، يأمر بما أنزل الله، ولقد آمن بنبيكم وسمع صفته في السماء قبل أن يبعث بأربعمائة سنة. قال الرجل: فحمدنا الله تعالىٰ ثم قضينا حجَّنا. ثم مررت بعمر بن الخطاب بالمدينة فأنبأته بأمر الحية، فقال: صدقت، سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**لقد آمن بي قبل أن أبعث بأربعمائة سنه**». **قلت**: هذا حديث واهٍ والله أعلم.

٢٧- **لحقم**: أحد جنِّ نَصِيبين، تقدَّم ذكره في الأرقم.

٢٨- **ماشي**: ذكر ابن دُريد أنه أحد جنِّ نَصِيبين الذين سمعوا القرآن من النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ببطن نخلة.

٢٩- **مالك بن مالك الجني**: تقدم ذكره في الدليل الحادي والعشرين.

٣٠- **مامر الجني**: ذكره ابن دريد في جملة الجنِّ الذين وفدوا علىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

٣١- **معتكد بن مهلهل بن دثار الجني**: كان ممن أسلم من الجنِّ.

أخرج الخرائطي في كتاب "الهواتف" من طريق محمد بن بكير، عن سعيد بن جبير، قال: كان رجل من بني تميم، يقال له رافع بن عمير، وكان أهدىٰ الناس للطريق، فكانت العرب تسميه: دعموص الرمل.

ذكر بدء إسلامه: قال: إني لأسير برمل عالجٍ ذات ليلة، إذ غلبني النوم فنزلت وقلت: أعوذ بعظيم هذا الوادي. وإذا بشيخٍ مِن الجنِّ تبدَّىٰ لي، فقال: يا هذا إذا نزلت واديًا من الأودية فخفت هولَه فقل: أعوذ بالله ربِّ محمدٍ من هول هذا الوادي، ولا تعذ بأحدٍ من الجنِّ، فقد بطل أمرها. فقلت له: ومن

محمد؟ قال: هذا نبيٌّ عربيٌّ، لا شرقيٌّ ولا غربيٌّ، بُعث يوم الإثنين. قلت: فأين مسكنه؟ قال: يثرب، ذات النخل. قلت له: ما اسمك؟ قال: معتكد بن مهلهل بن دثار، أحد الجنِّ الذين أسلموا. قال رافع: فركبت راحلتي حتىٰ قدمت المدينة، فرآني رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فحدَّثني بحديثي مع الجنِّ قبل أن أذكر له منه شيئًا، ودعاني إلىٰ ا لإسلام فأ سلمت.

قال سعيد بن جُبيرٍ: فكذا نرىٰ أنه الذي نزل فيه: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: ٦] الآية.

قال الحافظ ابن حجرٍ: «في إسناد هذا الخبر ضعفٌ».

٣٢- **منساة الجني**: ذكر ابن دريد أنه أحد الجنِّ الذين استمعوا القرآن من أهل نَصِيبين، وآمنوا بالنبي ببطن نخلة.

٣٣- **هامَةُ بن أهْيَم بن لاقِيس بن إبليس**: ذكره جعفر المستغفريُّ في "الصحابة" وقال: «لا يثبت إسناد خبره».

أخرج عبدالله بن أحمد في "زوائد الزهد"، والعقيلي في "الضعفاء"، وابن مَرْدُويَه في "التفسير"، من طريق أبي سلمة محمد بن عبدالله الأنصاري -أحد الضعفاء- عن مالك بن دينار، عن أنس بن مالك قال: كنت مع النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم خارجًا من جبال مكة إذ أقبل شيخٌ متكئ علىٰ عكازة، فقال النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مشيةُ جنيٍّ ونفحةُ جنٍّ**». فقال: «**أجنِّيٌّ أنت؟**» قال: نعم. قال: «**من أيِّ الجنِّ أنت؟**» قال: أنا هامة بن أهيم بن لاقيس بن إبليس. قال: «**كم أتى عليك؟**». قال: أكلت عمر الدنيا، وجرت توبتي علىٰ يد

نوحٍ وكنت معه فيمن آمن، وكنت مع إبراهيم ثم مع موسىٰ، وكنت مع عيسىٰ، فقال لي: إن أتيت محمدًا فأقرئه مِنِّي السلام. يا رسول الله قد بلغت وآمنت بك. قال: فعلَّمه عشر سور من القرآن، وقبض رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ولم ينعه إلينا.

وله طرق عن عمر عند البيهقيِّ في "الشعب" و"الدلائل" وأبي نعيمٍ في "الدلائل"، وعن ابن عبَّاسٍ عند الفاكهي في كتاب "تاريخ مكة".

وأورده ابن الجوزيِّ في "الموضوعات" من حديث عمر، ومن هذا الطريق الذي أوردناه وقال: «موضوع». ونقل عن العقيليِّ، قال: «ليس للحديث أصل». قال السيوطيُّ في "التعقبات": «بمجموع طرقه يعلم أنَّ الحديث ضعيفٌ لا موضوع». وقال في "لقط المرجان": «له عدة طرق يبلغ بها درجة الحسن». **قلت**: هذا تساهلٌ شديدٌ، والحديث بجميع طرقه لا يخرج عن دائرة الضعف الشديد إن سلم ارتقاؤه عن درجة الوضع.

ومن طرقه ما رواه أبو عليٍّ بن الأشعث -أحد المتروكين- في كتاب "السنن" له عن عائشة أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ هامةَ بنَ أهيمَ بن لاقيس في الجنَّة**». راويه متروكٌ، والله أعلم.

٣٤- وردان الجنِّي: تقدم ذكره في الدليل الرابع عشر.

٣٥- **أبو الهيثم الجنِّي**: قال الشبلي في "آكام المرجان": «جاء في خبر أن عمر أرسل جيشًا فقدم شخص إلىٰ المدينة فأخبر أنهم انتصروا علىٰ عدوهم وشاع الخبر، فسأل عمر عن ذلك فذكر له فقال: هذا أبو الهيثم بريد المسلمين من الجنِّ، وسيأتي بريد الإنس، فجاء بعد ذلك بعدة أيام».

٣٦- **ابن لوزن الجنِّي**: لم يذكره الحافظ ابن حجرٍ، تقدم ذكره في الدليل العشرين.

٣٧- **خرقاء**: امرأة من الجنِّ، قال عباس بن عبدالله الترقفي في "جزئه": حدَّثنا محمد بن فضيل -وليس بابن غزوان-: حدَّثنا العباس بن أبي راشد، عن أبيه قال: نزل بنا عمر بن عبدالعزيز فلما رحل قال لي مولاي: اركب معه فشيعه فركبت فمررنا بواد فإذا نحن بحية ميتة مطروحة على الطريق فنزل عمر فنحَّاها فواراها ثم ركب فبينا نحن نسير إذا هاتف يهتف وهو يقول: يا خرقاء يا خرقاء فالتفتّنا يمينًا وشمالًا فلم نر أحدًا فقال له عمر: أنشدك الله أيها الهاتف إن كنت ممن يظهر إلَّا ظهرتَ لنا، وإن كنت ممن لم يظهر أخبرنا عن الخرقاء؟

قال: هي الحية التي لقيتم بمكان كذا وكذا فإني سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول لها يومًا: «**يا خرقاء تموتِين بفلاة من الأرض، يدفنُكِ خيرُ مؤمن من أهل الأرض**». قال له عمر: أنت سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول هذا؟ فتعجَّب عمر، وانصرفنا.

ورواه البيهقيُّ في "الدلائل" من هذا الطريق، وزاد: قال له عمر: من أنت يرحمك الله؟ قال: أنا من التسعة الذين بايعوا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في هذا الوادي. فقال له عمر: آلله أنت سمعت هذا من رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؟ قال: نعم. فدمعت عينا عمر، وانصرفنا.

ورواه الخطيب في "المتفق" من طريق محمد بن جعفر الظفري: حدَّثنا نصر ابن داود: حدَّثنا محمد بن فضيل: قرأ شريح بن يونس بمكة: حدَّثنا عباد بن راشد من أهل ذي المروة عن أبيه... فذكر نحوه، وفيه: فقال لي: يا راشد لا

تخبرنَّ بهذا أحدًا حتىٰ أموتَ.

ورواه أبو نعيم في "الحلية"، وزاد أنه وجد حيةً ميتةً فلفَّها في خِرقةٍ ودفنها.

٣٨- **فارعةُ الجنِّية**، ذكرها حمزة بن يوسف السهمي في "تاريخ جُرجان"، قال: حدَّثنا أبو أحمد عبدالله بن عدي الحافظ: ثنا أبو عمرو عبدالمؤمن بن أحمد العطار بجرجان: حدَّثني أبو رجاء منقر بن الحكم بن إبراهيم بن سعد بن مالك المنقري: ثنا لَهيعة بن عبدالله بن لهيعة المصري، عن أبيه، عن أبي الزبير، عن جابرٍ قال: كانت امرأة من الجنِّ تأتي النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في نساء من قومها، فأبطأت عليه، ثم أتته، فقال لها: «**ما أبطأ بك؟**» قالت: مات ميتٌ بأرض الهند، فذهبت في تعزيتهم، وإني أخبرك بعجب رأيت في طريقي، قال: «**وما رأيت؟**» قالت: رأيت إبليس قائمًا يصلي علىٰ صخرة، فقلت له: أنت إبليس؟ قال: نعم، قلت: ما حملك علىٰ أن أضللت بني آدم وفعلتِ وفعلتِ؟ قال: دعي عنك هذا. قلت: تصلي وأنت أنت؟! قال: نعم يا فارعة بنت العبد الصالح، إني أرجو من ربي إذا أبَر قسمه في أن يغفر لي.

قال: فما رأيت رسول الله ضحك كذلك اليوم.

أورده ابن الجوزي في "الموضوعات"، وقال: «حديث محال، وابن لَهيعة يدلِّس علىٰ كذَّابين وضعفاء». وقال الذهبي في "الميزان": «منقر لا يروي من ذا؟ ولعله وضع هذا، والله أعلم.

هذا ما عرفناه من أسماء الصحابة الجنِّيين، أوردناه حسبما ورد في كتب الحديث مع بيان ما في إسناده من علَّةٍ أو نكارةٍ تقتضي ضعفَه أو وضعه، والصحيح منها نبَّهنا علىٰ صحَّته، وهو قليلٌ.

ويلاحظ أنه ليس في هؤلاء الجنِّ من الصحابة من اسمه (شمهورش) كما ينطقه المصريون، أو(شمهروش) كما ينطقه المغاربة، لأنَّ هذا الجنِّيَّ لم يذكره من ألَّف في الصحابة من المتقدمين كالمستغفري وأبي موسىٰ والحافظ ابن حجرٍ.

وإنما عرفت الرواية عن هذا الجنيِّ في القرن العاشر الهجري وما بعده وهو فيما أعتقد لا وجود له، وإن روىٰ عنه كثير من العلماء والصلحاء بحسن نية وسلامة صدر، من غير تمحيص علميٍّ لأنَّ قصدهم التبرك كما نبَّه عليه السيد مرتضىٰ في "ألفية السند".

ولشقيقنا الحافظ أبي الفيض كتاب "مسند الجنِّ" أسند فيه رواية القرآن، وبعض الأحاديث من طريق شمهروش وميمون الجني، وعبدالمؤمن الجني، وعبدالوهاب الجزري الجني، وأبي محمد المبارك، الشهير بالزِّبْرقان الجني، وعمرو بن طلق الجني وبعض الجن علىٰ الإيهام، وفيه غير هذا فوائد وطرائف.

أحاديث مسندة عن صحابة من الجن

وقد رأيت أنْ أُسند بعض الأحاديث من طريق الصحابة الجنِّ تأسيًا بأهل الحديث، فأقول:

الحديث الأول: «المؤمن أخو المؤمن»

أنبأنا عبدالقادر شلبي الطرابلسي مكاتبةً من مكة المكرمة قال: أنبأنا أبو النصر الخطيب: أنبأنا عمر الفزي: أنبأنا مصطفى بن محمد الرحمتي: أنبأنا صالح الجبنيني: أنبأنا محمد بن سليمان الروداني: أنبأنا أحمد بن سلامة القليوبي: أنبأنا الشمس الرملي: أنبأنا زكريا الأنصاري: أنبأنا محمد بن مقبل: أنبأنا الصلاح بن أبي عمر: أنبأنا الفخر بن البخاري: أنبأنا أبو جعفر محمد بن أحمد الصيدلاني: أنبأنا أبوعلي الحسن بن أحمد الحداد: أنبأنا أحمد بن عبدالله الحافظ -هو أبو نعيم- حدَّثنا الحسن بن إسحق بن إبراهيم بن زيد: حدَّثنا أحمد بن عمرو بن جابر الرملي: حدثنا أحمد بن محمد بن طريف: ثنا محمد بن كثير، عن الأعمش: حدَّثني وهب بن جابر، عن أُبيِّ بن كعبٍ قال: خرج قوم يريدون مكة فأضلوا الطريق فلما عاينوا الموت أو كادوا أن يموتوا، لبسوا أكفانهم واضطجعوا للموت، فخرج عليهم جنيٌّ يتخلَّل الشجر وقال: أنا بقية النفر الذين استمعوا على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، سمعته يقول: «**المؤمنُ أخو المؤمن، عينُه ودليلُه، لا يخذله**». هذا الماء وهذا الطريق، ثم دلهم على الماء وأرشدهم إلى الطريق. وهكذا رويناه في "دلائل النبوة" لأبي نعيمٍ.

الحديث الثاني: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحب للمسلمين ما يحب لنفسه»

أنبأنا أبو النصر، ومحمد بن محمود خفاجي قالا: أنبأنا أبو المحاسن القاوَقْجي: أنبأنا عابد السندي: أنبأنا أحمد بن سليمان الهجام: أنبأنا أحمد بن محمد بن شريف الأهدل: أنبأنا أحمد النخلي: أنبأنا عيسىٰ بن محمد الجعفري: أنبأنا علي بن محمد الأجهوري: أنبأنا النور علي بن أبي بكر القرافي: أنبأنا قريش العثماني البصير: أنبأنا الشمس محمد بن محمد بن الجزري: أنبأنا عبدالعزيز بن جماعة: أنبأنا سليمان بن حمزة: أنبأنا أبو موسىٰ عبدالله بن الحافظ المقدسي: أنبأنا عبدالرزاق بن عبدالله الدمشقي: أنبأنا أحمد بن عبدالملك الفرغاني، أنبأنا علي بن الطيوري: أنبأنا أبو طالب محمد بن علي العشاري، أنبأنا محمد بن عبدالله بن أخي ميمي: أنبأنا سليمان بن صفوان: حدَّثنا عبدالله بن محمد بن عبيد -هو ابن أبي الدنيا-: حدَّثني أبي: حدَّثنا عبدالعزيز القرشي: أخبرنا إسرائيل، عن السدي، عن مولىٰ عبدالرحمن بن بشر، قال: خرج قوم حُجَّاجًا في إمرة عثمان، فأصابهم عطش فانتهوا إلىٰ ماء ملح، فقال بعضهم: لو تقدمتم فإنا نخاف أن يهلكَنا هذا الماء فإن أمامكم الماء. فساروا حتىٰ أمسوا فلم يصيبوا ماء، فقال بعضهم لبعض: لو رجعتم إلىٰ الماء الملح، فأدْلَجوا حتىٰ انتهَوا إلىٰ شجرة سَمُر، فخرج عليهم رجل أسود شديد سواد الجسم فقال: يا معشر الركب، إني سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحبَّ للمسلمين ما يحبُّ لنفسه ويكره للمسلمين ما يكره لنفسه**». فسيروا حتىٰ تنتهوا إلىٰ أكَمَة فخذوا عن يسارها فإن الماء ثَمَّ. فقال بعضهم:

والله إنا لنرىٰ أنه شيطان. وقال بعضهم: ما كان الشيطان ليتكلَّم بمثل ما تكلَّم به -يعني أنه مؤمنٌ مِن الجنِّ- فساروا حتىٰ انتهوا إلىٰ المكان الذي وصف لهم فوجدوا الماء ثَمَّ. هكذا رويناه من طريق ابن أبي الدنيا.

الحديث الثالث: «إن أول خبر قدم المدينة...» الحديث

أنبأنا محمد دويدار الكفراوي: أنبأنا البرهان إبراهيم الباجوري: أنبأنا محمد بن محمد الأمير: أنبأنا عبدالله بن سالم البصري: أنبأنا البرهان إبراهيم بن حسن الكوراني: أنبأنا صفي الدين أحمد بن محمد المدني: أنبأنا الشمس محمد بن أحمد الرملي: أنبأنا الزين زكريا الأنصاري: أنبأنا الشهاب أحمد بن علي بن حجرٍ العسقلاني الحافظ: أنبأنا أبو إسحاق التَّنوخي: أنبأنا أحمد بن أبي طالب: أنبأنا عبدالله بن عمر -هو ابن اللتي- أنبأنا أبو الوقت: أنبأنا الداودي: أنبأنا السرخسي: أنبأنا إبراهيم بن خزيم الشاشي: أنبأنا عبد بن حميد الكِسي -بكسر الكاف- حدثنا عبدالرزاق: أخبرنا معمر: عن الزهري: أخبرني علي بن الحسين قال: إنَّ أولَ خبر قدم المدينة أنَّ أمرأةً من أهل يثرب تُدعىٰ فطيمة كان لها تابع من الجن فجاءها يومًا فوقع علىٰ جدارها فقالت: مالك لا تدخل؟ فقال: إنه بُعث نبيٌّ حرَّم الزِّنا. فحدَّثت به تلك المرأة عن تابعها من الجنِّ، فكان أول خبر حُدِّث به بالمدينة عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

هكذا رويناه من طريق عبدالرزاق، وإسناده صحيح إلَّا أنَّه مرسل، وقد وصله أحمد والطبراني من رواية جابر بإسناد حسن كما تقدم في الدليل الرابع والعشرين.

وأنبأنا أبو عبدالله محمد إمام السقا، وبدر الدين الحسني الدمشقي،

ويوسف بن إسماعيل النبهاني قالوا: أنبأنا البرهان إبراهيم السقا: أنبأنا ثعيلب: أنبأنا الشهاب أحمد الجوهري: أنبأنا أحمد بن محمد النخلي المكي: أنبأنا محمد بن علاء الدين البابلي: أنبأنا سالم بن محمد السنهوري: أنبأنا المسنِد نجم الدين محمد بن أحمد الغيطي: أنبأنا شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، أنبأنا شيخ الحفاظ أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن عليٍّ بن حجرٍ العسقلاني: أنبأنا الصلاح بن أبي عمر: أنبأنا الفخر بن البخاري: أنبأنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن نصر: أنبأنا أبو علي الحسن بن أحمد الحداد، أخبرنا أحمد بن عبدالله الحافظ: حدَّثنا عبدالله بن محمد بن جعفر الحافظ: حدَّثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن: ثنا أبو رضوان: ثنا أشعث بن شعبة، عن أرطأة بن المنذر قال: سمعت ضمرة يقول: كانت امرأة بالمدينة يغشاها جانٌّ، فكان يتكلَّم ويسمعون صوته. قال: فغاب، فلبثَ ما لبث فلم يأتها ولم يختلف إليها، فلما كان بعدُ إذ هو يطلع عليها من كُوَّة فنظرت إليه، فقالت: يا ابن لوذان! ما كانت لك عادة تطلع من الكوة، فما بالك؟ فقال: إنه خرج نبيٌّ بمكة، وإني سمعت ما جاء به، فإذا هو يحرِّم الزِّنا، فعليك السلام.

قلت: تقدَّم ذكر ابن لوذان في صحابة الجنِّ، وهو مما استدركته على الحافظ ابن حجرٍ رحمه الله تعالى.

والحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمدٍ رسول الله، وعلى آله وصحبه ومَن والاه.

خاتمة تشتمل على مسائل

المسألة الأولى: في حصول الثواب للجن

تقدَّم نقل الإجماع على أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مرسلٌ إلى الجنِّ، وأنهم مكلَّفون بالإيمان به، وأنهم يُعاقبون على الكفر والمعصية، وأما ثوابهم على الإيمان والطاعة ففيه خلاف.

قيل: لا يثابون: روى الطبريُّ وابن أبي حاتمٍ عن أبي الزِّناد قال: إذا دخل أهل الجنَّةِ الجنَّـةَ وأهل النَّارِ النَّارَ، قال الله لمؤمني الجنِّ وسائرالأمم من غير الإنس: «كونوا ترابًا» فحينئذٍ يقول الكافر: «يا ليتني كنتُ ترابًا».

وروى ابن أبي الدنيا عن ليث بن أبي سليم قال: ثواب الجنِّ أن يجاروا من النار، ثم يقال لهم: كونوا ترابًا. وروي هذا القول عن أبي حنيفة أيضًا.

ورُوي عن ابن عبَّاسٍ أيضًا قال: لا يدخل مؤمنو الجنِّ الجنَّة. وعلَّل عدم دخولهم للجنة، بأنَّهم من ذرية إبليس ولا تدخل ذرية إبليسَ الجنة.

وهذا قياس والمسألة لا يقبل فيها إلا النصُّ، مع أنَّ إبليس نفسه، لو آمن دخل الجنة.

وقال مالكٌ والأوزاعيُّ والشافعيُّ ومحمد بن الحسن وأبو يوسف وأحمد: يُثابون كما أنهم يُعاقبون. وهذا مذهب الجمهور، وهو الصحيح عن ابن عبَّاسٍ، وذهب إليه البخاريُّ فقال في "صحيحه": «باب ذكر الجنِّ وثوابهم وعقابهم».

ثم اختلفوا: هل يدخلون مدخل الإنس؟

فقال عمر بن عبدالعزيز: «يكونون في ربض الجنة ورحابها ولا يدخلونها».

ونقل عن مالكٍ أيضًا والشافعيِّ وأحمد ومحمد بن الحسن.

وقيل: يكونون على الأعراف: واستدلَّ لهذا القول بما رواه البيهقي في "البعث" وابن عساكر في "التاريخ" من طريق عروة بن رويم، عن الحسن، عن أنسٍ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ مؤمني الجنِّ لهم ثوابٌ وعليهم عقابٌ**». فسألناه عن ثوابهم، فقال: «**على الأعراف، وليسوا في الجنة مع أمَّة محمد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم**». قلنا: وما الأعراف؟ قال: «**حائط الجنة، تجري فيه الأنهار وتنبُت فيه الأشجارُ والثِّمارُ**».

أسنده الذهبيُّ في "تذكرة الحفاظ" في ترجمة الحافظ أبي الفضل نصر بن محمد الطوسي الصوفي، وقال: «هذا حديث منكر جدًّا».اهـ

قلت: لا أستبعد أن يكون موضوعًا، لجهالة إسناده ونكارة معناه، وإفادته أنَّ مؤمني الجنِّ ليسوا من ا لأمة المحمدية.

وذهبت طائفةٌ إلى التوقُّف عن القول بالدخول وعدمه، وقالت طائفة: يدخلون الجنة ونراهم فيها وهم لا يروننا، عكس ما كنا في الدنيا. وهذا قول الحارث المحاسبي.

وقال مجاهد: يدخلون الجنة لكن لا يأكلون ولا يشربون، يُلهمون من التسبيح والتقديس ما يجده أهل الجنة من لذة الطعام والشراب. رواه ابن أبي الدنيا

وهذه الأقوال كلها باطلة لا يصحُّ الالتفات إليها، والحق الذي لا مَحيد عنه: ما ذهب إليه الجماهير من العلم: أنَّ الجنَّ الصالحين يثابون بدخول الجنة كالإنس، ويتنعَّمون فيها بأنواع النعيم، ويرون الله تعالى وهذا معلوم بالضرورة من دين الإسلام.

والقرآن الكريم يقرِّر في غير آيةٍ منه أنَّ المؤمن الصالح يدخل الجنة،

ويتنعَّم فيها، و(سورة الرحمن) وجَّه الخطاب فيها إلى الإنس والجنِّ، ووُعِدوا فيها بالجنة ونعيمها، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠] وأيُّ ظلم أشدُّ من أنْ يحرَم الجنيُّ ثواب طاعته ويقال له: كن ترابًا؟!

كيف والله تعالى يقول: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ [الأحقاف: ١٩] أي: لكلٍّ من الجنِّ والإنس درجات مما عملوا، والدرجات لا تكون إلا في الجنة، والآخرة ليس فيها إلَّا داران للمكلَّفين: الجنة للطائعين، والنار لغيرهم.

وأهل الأعراف، يصيرون إلى الجنة أيضًا.

والجنُّ مكلَّفون، فما الذي يمنع طائعَهم من دخول الجنة؟! والله تعالى يقول: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

الحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله كما ثبت في الصحيح.

فبأيِّ دليلٍ يخرج الجنُّ من هذا النصِّ؟!

ولو أنَّ الجنَّ قالوا يوم القيامة: ربنا آمنَّا بك وبرسولك واتبعنا دينك. فهل يجوز في العقل أن يكون جوابُهم: كونوا ترابًا كالبهائم؟!!

كيف والله تعالى يقول: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

ويقول: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠].

ثم إنَّ الآخرة تنكشف فيها الحقائق وتظهر الخفيَّات، حتى إن المعاني كالموت والحسنات والسيئات، نراها في صور مجسَّمة، ونرى الله تعالى والملائكة عليهم السلام.

وذكر العلماء أنَّ سرَّ القدَر وحكمته يظهر للمؤمنين بعد دخول الجنة،

فكيف يقال: إنَّ الجن إذا دخلوا الجنة لا يروننا فيها؟!

وزعمت طائفة أنَّ تكليف الجنِّ بالفروع يخالف تكليفنا بها، واستدلت بما رواه البخاريُّ عن أبي هريرة: أنَّ النبيَّ قال له: «**أبغِني أحجارًا أستنفِضُ بها ولا تأتني بعظْمٍ ولا رَوْثةٍ**». قلت: ما بال العظم والروثة؟ قال: «**هما من طعام الجنِّ وإنه أتاني وفد نَصِيبين ونعمَ الجنُّ فسألوني الزَّاد فدعوتُ الله لهم ألا يمرُّوا بعظم ولا روثة إلا وجدوا عليه طعامًا**».

فدل على جواز تناولهم للرَّوثة، وذلك حرام على الإنس.

وهذا زعم باطل، لوجوه:

الأول: أنَّ الدعوى عامة، والدليلَ خاصٌّ.

الثانية: أنه ثبت في بعض طرق الحديث: أنَّ الرَّوث طعام لدوابِّهم، وليس طعامًا لهم.

الثالثة: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أخبر أنهم يجدون على العظم والروثة طعامًا، فالروثة قد استحالت إلى طعام، والاستحالة مطهِّرة.

المسألة الثانية: هل تصح الصلاة خلف الجني؟

سُئل أبو البقاء العُكْبريُّ الحنبليُّ: هل تصح الصلاة خلف الجنيِّ؟

فقال: نعم، لأنهم مُكلَّفون والنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مرسلٌ إليهم.

وذكر ابن الصَّيْرفي الحنبلي في "نوادره" انعقاد الجماعة بالجنِّ.

ونقل الدَّميري في "حياة الحيوان" عن القمولي، من أئمة الشافعية: أنَّ الجمعة يصح انعقادها بأربعين مكلَّفًا سواء كانوا من الجنِّ أو من الإنس أو منهما.

المسألة الثالثة: حول دخول الجن للجنة والتنعم فيها

لما كنت بمصر سنة ١٣٥٣ جاءني خطاب من طنجة يشتمل على عدة أسئلة، يتعلق كثير منها بالجن، أجبت عنها بما يلي:

وأما أنَّ مؤمني الجنِّ، هل يدخلون الجنة؟ ويتنعَّمون فيها من أكل وشرب، ويترقَّون في الدرجات ويكون لهم الثواب والعقاب، ويرون الله تعالى كما يراه بنو آدم ويتزوَّجون بالحور العين؟

فهذه مسائل اختلف فيها العلماء، فأما دخولهم الجنة ففيه أربعة أقوال:

أحدها: أنهم يدخلونها، وهو قول الجمهور.

الثاني: أنهم لا يدخلون الجنة، بل يكونون في رَبَضِها، يراهم الإنس من حيث لا يرونهم، وهذا مرويٌّ عن مالكٍ، والشافعيِّ، وأحمد، ومحمد بن الحسن تلميذ أبي حنيفة.

الثالث: أنَّهم على الأعراف، وهو قول بعض العلماء، واحتجَّ له بما رواه الكنجرودي في "أماليه"، عن أنس، عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ مؤمني الجنِّ لهم ثواب وعليهم عقاب**». فسألناه عن ثوابهم فقال: «**على الأعراف وليسوا في الجنَّة مع أمَّةِ محمد**». فسألناه عن الأعراف، قال: «**حائط الجنة تجري فيه الأنهار وتنبُت فيه الأشجار والثِّمار**».

قال الذهبي: «حديثٌ منكرٌ جدًّا».

الرابع: الوقف، وهو أضعف الأقوال وأسخَفُها، لأنَّ الوقف إنَّما يحسن عند تعارض الأدلة وتساويها في القوة، وليس الأمر هنا كذلك، بل القول الأول هو الصحيح وأدلته هي القوية دون غيرها:

منها: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مرسلٌ إلى الثَّقلين وهما الجنُّ والإنس، وقد جاء عنه في الأحاديث المتواترة أنَّ من أطاعه دخل الجنة، ولم يفرَّق بين إنسيٍّ وجنيٍّ.

ومنها: العمومات الواردة في القرآن كقوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [ق: ٣١]، ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣] في آيات كثيرة لا يجوز الإقدام على تخصيصها إلا بدليل، ودون وجوده خرْطُ القَتاد.

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٦ - ٤٨] فهذه الآيات صريحةٌ في دخول الجنِّ للجنة؛ لأنَّ الخطاب في (سورة الرحمن) موجَّه إلى الإنس والجنِّ بنصِّ القرآن وإجماع الأُمَّة.

وجاء عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنه قال لأصحابه لما تلا عليهم هذه السورة: «**الجنُّ كانوا أحسنَ جوابًا منكم، ما تلَوتُ عليهم من آية إلا قالوا: لا بشيء من آلائِك ربِّ نكذِّب**». رواه الترمذيُّ.

ومنها: ما رواه أبو الشيخ ابن حيَّان بإسنادٍ فيه انقطاع عن ابن عبَّاسٍ قال: الخلق أربعة: فخلقٌ في الجنة كلُّهم وهم الملائكة وخلق في النار كلُّهم، وهم الشياطين، وخلق في الجنة والنار، وهم الإنس والجن، لهم الثواب وعليهم العقاب.

وأما تنعُّمهم بالأكل والشرب، ففيه قولان:

أحدهما: ما رواه أبن أبي الدنيا عن مجاهد: أنَّه قال في الجنِّ: يدخلون الجنة ولكن لا يأكلون ولا يشربون، يُلهَمون من التسبيح والتقديس ما يجدُه أهل

الجنة من لذَّة الطعام والشراب.

والقول الثاني: أنهم يأكلون ويشربون، وهذا هو الصحيح، وبه جاءت الأدلة.

وأما ترقيهم في الدرجات فهو مبنيٌّ على دخولهم للجنة، وتقدَّم أنهم يدخلونها وعليه فيترقون في الدرجات بحسب أعمالهم.

وأما ثوابهم وعقابهم، فالثاني مجمعٌ عليه لمجيء الآيات والأحاديث به والأول فيه قولان:

أحدهما: أنه لا ثواب لهم إلا النجاة من النار، ثم يقال لهم: كونوا ترابًا كبقية البهائم، وهذا قول أبي الزِّناد وليثِ بن أبي سليم وأبي حنيفة، وهو قول ضعيفٌ.

والقول الثاني: أنّهم يثابون، وهذا قول ابن عبَّاسٍ، وضَمْرة بن حبيب، والأوزاعيِّ، ومالكٍ، والشافعيِّ، وأحمد، وابن أبي ليلى، وأبي يوسف، ومحمد بن الحسن، وابن وهب، وابن القاسم، وجماهير العلماء، وهو الصحيح.

غير أنهَّم اختلفوا في ثوابهم بماذا يكون؟ هل بدخول الجنة؟ أو بالبقاء على الأعراف؟ إلى آخر الأقوال المتقدمة.

وأما رؤيتهم لله تعالى ففيها قولان أيضًا:

الأول: أنَّهم لا يرونه، لأنَّ الرؤيةَ خاصَّة بمؤمني البشر، وهذا قول ضعيفٌ والخصوصية لا تثبت بالادِّعاء.

والقول الثاني: أنَّهم يرون الله تعالى كما يراه بنو آدم، وهذا ما نقله ابن العماد عن شيخه سراج الدين بن الملقَّن، وأيده بحثًا من عنده جلال الدين البلقيني، وهو الصحيح الذي لا يجوز أن يعتمد غيره؛ لأنَّ آياتِ الرؤية وأحاديثها عامة في كلِّ مؤمنٍ، فكيف يجوز إخراج الجنِّ من عمومها بالادِّعاء العاري عن الدليل؟!

وأما تزوُّجهم بالحور العين، فهو من جملة النَّعيم الذي يتنعَّمون به في الجنة وفي القرآن في وصف الحور العين: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن: ٧٤] ففي هذه الآية دليل على تأتِّي طمث الحور العين من الجنِّ.

وأمَّا رؤيتنا لهم في الجنة دون أنَّ يرونا فهذا قاله الحارث المحاسبي، ولم نقف على حديثٍ يؤيده ويعضده.

أما قولك: إذا وجدنا إنسيَّةً تزوَّجتْ بجنِّي ويطؤها وتنال منه ما تنال من الإنسي من اللذة، فهل يجب عليها الغسل أم لا؟

فجوابه: أن بعض فقهاء الحنابلة -ولعله أبو الوفاء ابن عقيل فيما أظنُّ- قال: «لا يجب عليها الغسل»، وعلَّل ذلك بعلَّة فيها نظر.

والصواب الذي لا يجوز أنْ يُفتى بغيره: وجوب الغسل؛ لأن الشارع أوجب الغسل بإيلاج الحَشَفة أو إنزال المنيِّ، فإذا وُجدا معًا أو وجد أحدهما وجب الغسل، سواء كان من إنسيَّين أو جنِّيين أو إنسيٍّ وجنِّية أو العكس، ومن ادَّعى تفرقة بين هذه الصورة فقد أتى بما لا يستطيع أن يقيم عليه دليلًا، أو يلج الجمل في سمِّ الخياط.

وأما أنَّ إبليس، هل هو من الجنِّ أو من الملائكة؟ ففي ذلك قولان أيضًا:

أحدهما: أنه من الملائكة، من صِنْف يقال لهم: الجنُّ.

والثاني: أنه من الجنِّ الذي هو خلاف الإنس، وهو أبوهم كما أن آدم أبو الإنس وهذا القول هو الصحيح، وأدلته في كتب التفسير، كـ"تفسير ابن كثير" وغيره.

وأما قولك: هل الجن كلهم يتطوَّرون؟ أو فيهم من لا يتطوَّر؟.

فجوابه: أنَّهم كلَّهم يتطورون؛ لأن الأدلة التي أثبتت لهم التطوُّر لم تفرِّق بينهم فيه.

وأما قولك: هل أرسل الله سليمان إلى الجنِّ؟ أوكان يحكم فيهم فقط؟

فجوابه: أنه كان مَلِكًا عليهم غير مرسلٍ إليهم؛ لأنه لم يرسل إلى الجنِّ قبل نبيِّنا رسولٌ، ففي الصحيحين عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أعطِيتُ خمسًا لم يعطَهُنَّ أحدٌ من الأنبياء قبلي**». فذكرها إلى أن قال: «**وكان النبيُّ يبعث إلى قومه خاصَّة وبعثْت إلى النَّاس عامَّة**».

فقوله: «وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة». صريحٌ في أنَّ الأنبياء لم يبعثوا إلى الجنِّ لأنهم لم يكونوا قومًا لهم، وإنما قومُهم الإنس كما هو واضح. انتهى.

وهو جواب طويل، نقلت منه ما يتعلق بالجنِّ، وقد اطلع عليه مولانا الشيخ الإمام الوالد رحمه الله ورضي عنه ونفعني برضاه فاستحسنه، وبلغ من استحسانه إياه أن قرأه على جماعةٍ الإخوان الذين يزورونه في البيت كلَّ مساء، وأظهر لهم سروره به وأثنى على فهمي ومعرفتي، وهذا من فضل الله علي، وله الحمد والمنة.

فُرغ من تأليفه ليلةَ الأحد السابع عشر من شهر محرم سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة وألف هجرية على يد مؤلفه عبدالله بن محمد بن الصِّدِّيق الغُماري الحسني الإدريسي خادم الحديث الشريف، عفا الله عنه وغفر له آمين.

سؤال في جواز التناكح بين الإنس والجن

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد: فقد رفع إليَّ سؤال عن امرأة متزوِّجةٍ، وزوجها حاضر معها، لكن يغشاها جنيٌّ مرة بعد أخرى، تراه هي ولا يراه غيرها.

فهل تحرم على زوجها بإتيان الجنيِّ أو لا؟ وهل يجب على زوجها أن يستبرئها بألا يأتيها حتى تحيض حيضتين أو لا؟.

وأقول: هذه حادثة غريبة جدًّا لم نسمع بمثلها، والخلاف معروف بين العلماء في جواز التناكح بين الإنس والجن، منهم من أجازه ومنهم من منعه لاختلاف الجنسين وعدم التآلف بينهما، ولمَّا ذكر ابن العربي الحاتمي أنه تزوَّج جنية، كذَّبه عزُّ الدين بن عبدالسلام سلطان العلماء.

وكتب بعض أهل اليمن إلى الإمام مالك يقولون له: «إن جنيًّا خطب بنتهم فهل يزوِّجونه؟».

فأجابهم مالك بقوله: «لا مانع من ذلك لكن أخشى أن توجد بنت حاملًا وتُسأل عن حملها فتقول: تزوَّجني جنيٌّ، وبذلك يكثر الفساد».

والذي أراه في هذه الحادثة أنَّ الجنيَّ إذا أتى المرأة في صورة إنسان وجامعها، فلا يقربها زوجها حتى يستبرئَها، وإذا أتاها في غير الصورة الإنسانية فلا تحرُم على زوجها ولا يلزمها غُسلٌ ولا استبراء.

٦ - إرشادُ الجاهِلِ الغَويِّ
إلى وجوبِ اعْتِقادِ أنَّ آدمَ نبيٌّ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عُدْوان إلَّا على الظالمين، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّد وآله الأكرمين، ورضي الله عن صحابته والتابعين.

وبعد: فهذا جزءٌ سمَّيتُهُ: "**إرشادُ الجاهِلِ الغَويِّ إلى وجُوبِ اعْتِقادِ أنَّ آدمَ نبيٌّ**"، حملني على كتابته ما بلغني عن بعض الجهلة أنه أنكر نبوة هذا النبيِّ المكلَّم والرسول المُعلَّم، بدعوى أنه لم يجد في القرآن الكريم تصريحًا بنبوَّته.

وهذا جهلٌ لا يُعذر فيه؛ لأنه أنكر ما أجمع عليه المسلمون مِن نبوة آدم عليه الصَّلاة والسَّلام، وهو معلومٌ ضرورةً من دين الإسلام، فخرج بإنكاره من جماعة المسلمين، وانضمَّ إلى زمرة الكافرين، عياذًا بالله تعالى.

والذي يظهر أنه أنكر نبوة آدم عِنادًا وإلحادًا؛ لأنه لما قيل له: إن الله كلَّم آدم، أجاب: إنَّ الله كلَّم إبليس أيضًا!!

وقيل له: إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا﴾ [آل عمران: ٣٣]، أجاب: وقال الله لمريم: ﴿وَٱصْطَفَىٰكِ﴾ [آل عمران: ٤٢].

و هذا الكلام منه يدل على أنه ليس مُخلصًا في بحثه، ولكنه مُلحدٌ يريد إحداث فتنة بين المسلمين، وكيف يكون مخلصًا مَن يعارض كلام الله لآدم بالوحي والتشريع، بكلامه لإبليس باللعن والإبعاد؟!

و المحكمة التي قبلت عُذْره أخطأت خطأً كبيرًا فاحشًا؛ لأن جهله في هذه

المسألة لا يكون عذرًا مقبولًا، كما تقرَّر في كتب الفقه الإسلامي.

فهذا الجاهل العنيد مرتدٌّ بلا شك، وزوجته بانت منه بمجرَّد رِدَّته، ولا يجوز رجوعها إليه حتى يُعلن توبته، ويصرِّح بأنه يعتقد كما يعتقد المسلمون أنَّ آدم عليه الصَّلاة والسَّلام نبيٌّ ورسول، فإن فعل هذا يُحكم بإسلامه، وإلَّا فهو مرتدٌّ لا حظَّ له في دين الإسلام، هذا حكم المسلمين في هذا الجاهل المغرور.

و بعد، فهذه بعض الأدلة على نبوة آدم عليه الصَّلاة والسَّلام، نذكرها تنويرًا للأذهان، وإرغامًا لأهل الجهل والعناد، وبيانًا لكيفية الاستدلال والاستنباط من آيات القرآن الكريم، وحديث النبيِّ الأمين عليه أفضل الصَّلاة وأتمُّ التسليم.

الأدلة من القرآن الكريم

١ - أوحى الله إلى آدم، وكلَّمه كِفاحًا آمرًا وناهيًا، وهذه هي النبوة في أَجْلَى معانيها.

٢ - أنَّ الله علَّمه؛ قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة: ٣١].

و الذي استنبطناه مِن أسلوب القرآن العظيم: أنَّ الله إذا علَّم شخصًا معيَّنًا فذاك علامة نبوته، وإليك البيان:

قال في داود: ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ﴾ [البقرة: ٢٥١].

وفي يعقوب: ﴿لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ ﴾ [يوسف: ٦٨].

وفي يوسف: ﴿ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾ [يوسف: ٢١].

وفي لوطٍ: ﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [الأنبياء: ٧٤].

وفي سليمان وأبيه: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [الأنبياء: ٧٩].

وقال للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾ [النساء: ١١٣].

فتعليم الله لآدم علامة نبوته.

٣- وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٣] وهذا اصطفاء رسالة، بدليل قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [الحج: ٧٥].

وقال الله تعالى في إبراهيم: ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ﴾ [البقرة: ١٣٠].

وقال في إبراهيم وإسحاق ويعقوب: ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ [ص: ٤٧].

أما قول الملائكة لمريم: ﴿وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢] ففيه دليل على أنه اصطفاء اختيار، وهو قولهم: ﴿عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ولو كان اصطفاء نبوة لقال: «على العالمين»؛ لأنَّ النبيَّ لا يكون مصطفى على بعض العالمين، ولأنَّ الله قال: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة: ٧٥]، فأثبت لها مقام الصِّدِّيقية ونفى عنها النبوة.

وسبب ذلك أنَّ الاصطفاء نوعان: اصطفاء نبوة، واصطفاء اختيار، والقرآن يفسِّر بعضه بعضًا، فإذا أطلق لفظًا مشتركًا في آيةٍ بيَّن المراد به في آيةٍ أخرى.

٤- إنَّ الله تعالى قال: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ [فاطر: ١]، ومن المعلوم شرعًا وعُرْفًا عند عامَّة المسلمين أنَّ الرسول لا يفضل عليه إلَّا مِن هو مثله، قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] وقال: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٥٥].

فلولا أنَّ آدم نبيٌّ ورسول ما أسجد الله له ملائكته، ولا فضَّله عليهم بالعلم:

و بمثل هذا استدللنا على نبوة الخَضِر عليه السَّلام، مع قول الله فيه: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥]، وغفل مَن زعم أنه وليٌّ، وهي غفلة

كبيرة تؤدِّي إلى فتح باب الزندقة على مصراعيه.

٥- قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

الإشارة في ﴿تِلْكَ﴾ إلى الرسل المذكورين في (سورة البقرة) وهم: آدم، وموسى، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، وداود، ثمَّ أجمل عددهم في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٢] فهذه الآية تدل على أنَّ آدم رسول.

٦- قول الله تعالى: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣] يدل على رسالته أيضًا، وهو أحد الرسل الثلاثة الذين كلَّمهم الله تعالى.

و الثاني موسى، و الثالث نبيُّنا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، كلَّمه الله ليلة المعراج.

٧- قصة ابْنَيْ آدم، قال الله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٧ – ٢٨] الآيات.

في هذه الآيات عدّة أحكام شرعية، وهي:

- تقديم القُربان.
- قبوله مِن أحد الأخوين.
- إنما يتقبَّل الله مِن المتقين.
- إثم القاتل.

- خوف من الله ربِّ العالمين.

- الظالمون أصحاب النَّار.

و هذه الأحكام لا تُعرف إلَّا مِن جهة رسول، والرسول في ذلك الوقت آدم عليه الصَّلاة والسَّلام، ولا يوجد غيره.

الأدلة من السنة المشرفة

١- روىٰ الترمذيُّ، وابن جريرٍ، وابن مَرْدُويَه، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أنا سيِّد ولدِ آدمَ يومَ القيامةِ ولا فَخْرَ، وبيدي لِوَاءُ الحمدِ ولا فَخْرَ، وما مِن نبيٍّ يومئذٍ آدمَ فمن سِواه إلَّا تحت لِوائي، وأنا أوَّل مَن تَنْشَقُّ عنه الأرضُ ولا فَخْرَ**». قال الترمذيُّ: «حديث حسن».

٢- روىٰ أحمد، والنَّسائيُّ، عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: أتيتُ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وهو في المسجد فجلست فقال: «**يا أبا ذرٍّ هل صلَّيتَ؟**» قلت: لا، قال: «**قم فصلِّ**». فقمت فصلَّيتُ ثُمَّ جلستُ، فقال: «**يا أبا ذرٍّ تعوَّذ بالله مِن شرِّ شياطين الإنس والجنِّ**». قلت: يا رسول الله أوللإنس شياطين؟! قال: «**نعم**». قلت: يا رسول الله الصَّلاة؟ قال: «**خَيْرٌ مَوْضُوعٌ مَن شَاءَ أَقَلَّ ومَن شَاءَ أَكْثَرَ**». قلتُ: يا رسول الله فالصوم؟ قال: «**فرضٌ مُجْزِئٌ وعند الله مَزيد**». قلتُ: يا رسول الله فالصَّدقة؟ قال: «**أضعافٌ مُضاعفةٌ**». قلتُ: يا رسول الله فأيها أفضل؟ قال: «**جهدٌ مِن مُقِلٍّ، وسِرٌّ إلى فقيرٍ**». قلتُ: يا رسول الله أيُّ الأنبياء كان أوَّل؟ قال: «**آدم**». قلت: يا رسول الله ونبيًّا كان؟ قال: «**نعم، نبيٌّ مكلَّمٌ...**» الحديث. صحَّحه ابن حِبَّان، والحاكم، وسلَّمه الذهبيُّ. وهذا ممَّا رواه المسعوديُّ قبل اختلاطه.

٣- روىٰ ابن حِبَّان في "صحيحه"، عن أبي ذرٍّ قال: قلت يا رسول الله كم الأنبياء؟ قال: «**مائة ألفٍ وأربعة وعشرون ألفًا**». قلت: يا رسول الله كم الرسل منهم؟ قال: «**ثلاثمائة وثلاثة عشر جَمًّا غَفيرًا**»، قلت: يا رسول الله مَن كان أوَّلهم؟ قال: «**آدم**». قلت: يا رسول الله نبيٌّ مرسلٌ؟ قال: «**نعم**».

صحَّحه ابن كثير، وابن حجرٍ.

٤- روىٰ الطبرانيُّ، وأبو الشيخ في كتاب "العظمة"، وابن مَرْدُويَه، عن أبي ذرٍّ قال: قلت: يا رسول الله أرأيت آدم، أنبيًّا كان؟ قال: «**نعم، كان نبيًّا رسولًا كلَّمه الله قُبُلًا قال له:** ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾».

و الحديث يفيد أنه كان رسولًا لزوجه، كما أفادت قصة ابْنَيْ آدم أنه كان رسولًا لأولاده.

و جاءت ثلاثة أحاديث بهذا المعنىٰ أيضًا: حديث عن أبي ذر رواه أحمد والبخاري في "التاريخ"، وحديثان عن أبي أمامة، فهذه سبعة أحاديث تدل علىٰ أنَّ آدم نبيٌّ ورسول مكلَّم.

الإجماع

قال ابن حزم في كتاب "مراتب الإجماع" تحت ترجمة: «باب من الإجماع في الاعتقادات يكفر من خالفه بإجماع» ما نصُّه: «واتفقوا أنَّ كلَّ نبيٍّ ذُكر في القرآن حقٌّ، كآدمَ، وإدريسَ، ونوحٍ، وهودٍ، وصالحٍ، وشعيبٍ، ويونسَ، وإبراهيمَ، وإسماعيلَ، وإسحاقَ، ويعقوبَ، ويوسفَ، وهارونَ، وداودَ، وسليمانَ، وإلياسَ، واليسعَ، ولوطٍ، وزكريَّا، ويحيىٰ، وعيسىٰ، وأيوبَ، وذي الكِفْل».اهـ

و هو يفيد الإجماع على كُفْر من ينكر نبوة آدم أو غيره من الأنبياء المذكورين في القرآن، ونقل هذا الإجماع أيضًا القاضي عياض وغيره.

و في «باب الردة» من كتب الفقه الإسلامي التنصيص على هذا الحكم.

إزاحة شبهتين

١- حديث مسلمٍ في طلب الناس الشفاعة من الأنبياء يوم القيامة للتعجيل بحسابهم، وقولهم لنوحٍ: «**أنت أول الرُّسل إلى أهل الأرض**». لا ينفي رسالة آدم؛ لأنه كان رسولًا في الجنَّة لزوجه، ولما أهبط إلى الأرض كان رسولًا لها ولأولاده، بخلاف نوحٍ، فهو أول رسول إلى أهل الأرض؛ لأن رسالته تجاوزت أهل بيته وأقاربه إلى الأباعد والأجانب، فكان مرسلًا إلى أمة مِن الناس، سمَّاهم الله قومه، كما سمَّى قوم هودٍ وصالحٍ، ولم يتفطَّن عبدالوهاب النجَّار لهذا مع وضوحه، فتوقَّف في رسالة آدم بعد أن جزم بنبوته، ولم يكن عالمًا.

٢- يقال: إذا كان آدم نبيًّا فكيف يصفه الله تعالى بقوله: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١]؟

والجواب عن هذه الشبهة: أنَّ الله تعالى تولَّى إزاحة هذه الشبهة بقوله في أول الربع: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥] فأفاد أنَّ مخالفة آدم كانت نسيانًا منه من غير تعمُّد، والأنبياء معصومون مِنْ أن تقع منهم معصية تعمُّدًا قاصدين لها، وهذا لم يحصل مِن آدم عليه السَّلام، وسمَّى الله ما وقع منه معصية على سبيل المجاز لأن صورته صورة معصية.

و نظير ذلك أنَّ السَّلام في الصَّلاة قبل تمامها عمدًا معصية، وقد سلَّم النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في صلاة الظهر أو العصر من ركعتين نسيانًا، فترتَّب علىٰ نسيانه حكم سجود السهو.

يضاف إلىٰ ذلك أنَّ الله تعالىٰ رفع عن هذه الأمة الخطأ والنِّسيان، كما في الحديث الصحيح، وكانت شرائع مَن قبلنا مِن الأنبياء تؤاخذ بهما حتىٰ نزل قوله تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] فلما قالها المسلمون قال الله: «**قد فعلت**». فرفعها عنَّا كما ثبت في "صحيح مسلم".

هذا ما أردنا تحريره في المسألة قيامًا بواجب النصيحة لله ولدينه، ونسأل الله التوفيق والعصمة، والحمد لله ربِّ العالمين.

تتمة

مِن خيبة هذا المرتد وخذلانه: أنه يستدل بكلام مبتدعة مثله معروفين بالانحراف عن السُّنَّة وبآراء متطرِّفة منبوذة:

عبدالوهاب النجَّار ليس من علماء الأزهر، ولكنه من خريجي مدرسة القضاء، وقد أساء في "قصص الأنبياء" إساءة بالغة حيث ذكر الأحاديث الصحيحة واتبعها بالاستهزاء والتهكُّم وهو يعرف أنها في "الصحيحين".

وأقبح من هذا وأوقح أنه ذكر الأحاديث الصحيحة التي تثبت وجود الدجَّال، وعقَّب عليها بأنها لا تفيد اطمئنان النفس بأنه سيوجد شخص اسمه الدجَّال، وأنه يفعل كذا وكذا، ثم انتكس فاعترف قائلًا أنه وجد اليهود ينتظرون الدجَّال، فكان انتظار اليهود عند هذا المبتدع أقوىٰ في اطمئنان النفس من كلام النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم!

ومحمود شلتوت غريمه في الابتداع، فقد طرده فضيلة الشيخ محمَّد الأخمائي الظواهري مِن الأزهر لابتداعه وشذوذه، حتىٰ أُعيد إلىٰ الأزهر في عهد المراغي.

و مِن نواحي ابتداعه أنه كتب في "مجلة الرسالة" مقالًا في شخصيات الرسول، سرقها من القرافي، وحين عرض لشخصية القاضي فيه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أجاز أن تُخالفه في قضائه إذا اقتضت المصلحة ذلك، وأعرض عن قوله تعالىٰ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

و ممن ردَّ عليه فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الأزهر رحمه الله، كتب ردًّا عليه في رسالة خاصة.

و كتب عِدَّة مقالات في "مجلة الرسالة" يؤيد القاديانية في إنكار نزول عيسىٰ عليه السَّلام، ولنا معه مواقف مشهودة منشورة في "مجلة الإسلام" وغيرها، كشفنا فيها جهله وقصوره، ومعي فضيلة الشيخ محمد زاهد الكوثري، وفضيلة الشيخ محمد إسماعيل عبدربِّ النبيِّ، رحمهما الله.

و هو إمَّعة يفتي حسب هوىٰ الحُكَّام؛ كتب مقالًا في "مجلة الإسلام" أفتىٰ فيه بحرمة فوائد النقود التي توضع في البريد باعتبارها ربًا محرَّمًا، ولما حصل الانقلاب في مصر، وسمع جمال عبدالناصر يؤيد فوائد النقود باعتبارها مِن مصادر الثروة الوطنية، كتب مقالًا في إباحتها.

و كتب أحد الأزهريين مقالًا بعنوان: "الشيخ شلتوت يردُّ علىٰ الشيخ شلتوت"، ونشر المقالين بدون تعليق!!

فهذا المبتدع لا يوثَق بعلمه ولا بنقله، وكيف وقد كذب علىٰ أحمد في قوله: «من ادعىٰ وجود الإجماع»، فكلمة «وجود» مكذوبة لم يقلها أحمد.

و لم يتكلَّم في الإجماع إلَّا النَّظَّام المعتزلي، فهو أول مَن طعن في وجوده وصحَّته، وتبعه شُذَّاذ مِن الناس مثل محمد بن إسماعيل الصَّنعاني، والشوكاني، والشيخ أحمد شاكر، والمبتدع شلتوت.

و جاء المبتدع المشبِّه الألباني في مؤخِّرة القطار يردد الصَّدَىٰ، ويعيد النغمةَ، لكنه تناقض حيث ادَّعىٰ الإجماع فيما يوافق بدعته، وهكذا شأن المبطلين.

أمَّا محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، والشوكاني فهما معتزليان، لأنهما

كانا من الزيدية المعتزلة، فلما انضما إلى أهل السنة بقي عندهما من الاعتزال أشياء، منها إنكار الإجماع، وإيجاب شكر المنعم بالعقل، وكلامه في "إرشاد الفحول" ترديد لكلام النَّظَّام، وله شواذٌّ في "نيل الأوطار" وغيره من كتبه.

ثُمَّ الإجماع على نبوة آدم عليه السلام هو إجماع الأمة كلها، حكاه ابن حزم، وهو متشدِّد في حصول الإجماع، ولا تجد مسلمًا أنكرها أو شك فيها، وهذه كتب التفسير، وكتب العقائد، وكتب الحديث، وكتب الفقه الإسلامي، كلها تنصُّ على نبوة آدم عليه السَّلام، فيجب على هذا المرتد أن يعلن توبته مِن رِدَّته.

مجزوء الرمل:

يـا غَوِيًّـا كُـنْ تَقِيًّـا ... وتَجَنَّـبْ كُـلَّ سـخفِ
وامْحُـوَنْ مـا في كِتابِـكَ ... فكِتـابُ الله يَكْفِـي
ودَعِ الجَهْـلَ عِنـادًا ... فـدَواءُ العِلْـمِ يَشْـفِي
واتْرُكَـنْ قَـولَ هُـرَاءٍ ... تنتهـي فيـه لحَتْـفِ
و اطلـبِ العَفْـوَ مُلِحًّـا ... تَلْتـقِ عَفْـوًا بلُطْـفِ

٧- إعْلامُ النَّبيهِ

بسبب براءة إبراهيمَ مِن أبيه

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلَّا على الظالمين، والصلاة و السلام على أشرف المرسلين، سيِّدنا محمدٍ وآله الأكرمين، ورضي الله عن صحابته والتابعين.

وبعدُ: فهذا جزءٌ سمَّيتُه: **"إعلام النَّبيه بسبب براءة إبراهيمَ من أبيه"** وهذا موضوعٌ لم يطرقْه أحدٌ قبلي فيما أعلم وما فكرت أن أكتب فيه لولا ضرورةٌ دعتْ إليه الآن، والله المستعان وعليه التُّكلان.

(١)

الكلام المؤلَّف من شرطٍ وجوابٍ يترتَّب الجواب فيه على الشرط ترتُّبَ المعلول على العلَّة.

وقد يكون الترتُّب عقليًّا، نحو: إذا طلعت الشمس فالنهار موجود. ترتُّب وجودِ النَّهار على طلوع الشمس عقليٌّ لا يتخلَّف.

ويكون عاديًّا قد يتخلَّف، نحو: إذا مسسْت النارَ أحرقتْك.

ويكون شرعيًّا، وهو المراد في هذا الجزء، نحو: إذا كان النَّبيذُ مُسكِرًا فهو حرامٌ. أفاد هذا الترتُّبُ علِّيَّة الإسكار لتحريم النَّبيذ شرعًا.

(٢)

العِلَّـةُ يجب أن تكون مساويةً للمعلول الذي هو الحكم، بمعنى أنه يوجد معها وينتفي بانتفائها سواء قلنا أنها الباعث أم المعرف أو غير ذلك مما هو مقرَّرٌ في كتب الأصول، وذلك كالإسكار علَّة لتحريم الخمر فإذا انتفى كالخمر

تصير خلًّا انتفىٰ التحريم.

ولا يجوز أن تكون العلَّة أخصَّ من المعلول لأنه يلزم عليه أن يوجد المعلول بدون علَّة وهو باطل.

مثال ذلك: لو علَّلْنا وجوب متابعة المأموم لإمامه بكونه مؤدِّيًا، فهي عِلَّة خاصَّة بالآداء، مع أنَّ المأموم يجب عليه متابعةُ إمامه في حالة الأداء والقضاء وفي الحَضَر والسفر والفرض والنفْل.

والعلَّة الصحيحة المساوية للمعلول هنا هي المأخوذة من قوله عليه الصلاة والسلام: «**إنَّما جُعلَ الإمامُ ليُؤتَمَّ بهِ**» وهي كونه مأمومًا أي ربط صلاته بصلاة إمامه وهذه العلَّة تساوي المعلولَ في جميع صوره.

ولهذا ذهب عامَّة العلماء ومنهم الحنفيَّة القائلون بوجوب قصْر الصلاة في السفر إلىٰ أنَّ المسافر إذا صلَّىٰ خلف مقيمٍ وجب عليه أن يتمَّ الصلاة تبعًا لإمامه؛ لأنَّ المأموميَّة وصفٌ لازم له بخلاف السفر فإنهَّ طارئ ويزول.

ولم يتفطَّن ابن حزمٍ لهذا المعنىٰ فأوجب علىٰ المسافر خلف المقيم أن يصلِّي ركعتين فشذَّ بهذا القول عن إجماع العلماء.

ويؤيِّد ما أجمع عليه العلماء ما ثبت في "صحيح البخاري" عن أبي هريرة عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**أمَا يخشَى الذي يرفعُ رأسَه قبل الإمامِ في الصَّلاة أن يحوِّلَ الله رأسَه رأسَ حمار أو يجعلَ الله صورتَه صورةَ حمارٍ؟!**». وهذا وعيد شديد علىٰ من يخالف الإمام.

والمسافر الذي يسلِّم من ركعتين قبل إمامه أو يظلّ منتظرًا له في تشهده أحق بهذا الوعيد وأولىٰ، فيجب عليه إتمام الصلاة ليخرج من طائلة هذا العقاب.

كذلك لا يجوز أن تكون العِلَّة أعمَّ من المعلول كما لو علَّلْنا نجاسة الكلب بأنه سَبُع فهذه عِلَّة أعم من الحكم لأن الهرَّة سبُعٌ والذئبَ سبعٌ والأسدُسبعٌ مع أنها ليست بنجسة، والعلَّة الصحيحة لنجاسة الكلب ما قاله الشافعيَّة وهي أنَّ الكلب أوجب الشارع الغسل من وُلوغِه سبع مرات كما في الحديث الصحيح، والفم أطهر عضو في الحيوان، وحيث وجب تطهير أثر فم الكلب دلَّ على نجاسته.

(٣)

لا يصحُّ تعليل براءة إبراهيم من أبيه بأنه ضالٌّ؛ لأن الضَّلال في اللغة هو: الميل عن الصراط المستقيم سواء أكان الميل عمدًا أم خطأً قليلًا أم كثيرًا وهذا معنى عام يطلق على الكفر وغيره.

فيطلق على المعصية مثلًا نحو: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

ويطلق على النسيان نحو: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

ويطلق على الحيرة نحو: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: ٧]، أي: وجدك حيران لا تدري كيف ترشد قومك فهداك بالوحي.

ويطلق على التقليد نحو: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] المغضوب عليهم: اليهود، والضالون: النصارى ؛لأنهم قلَّدوا اليهود.

ويطلق على الحبِّ نحو: ﴿إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يوسف: ٩٥] أي: حبُّك القديم ليوسف ويطلق على الابتداع في العقيدة نحو: «**كلّ بدعةٍ ضلالةٌ**»

الحديث ويطلق على الخطأ في الطريق ومنه أطلق المحدثون على معاوية بن عبد الكريم الثقفي الثقة لقب الضال لأنه ضل في طريق مكة فلا يصح الضلال علَّة براءة إبراهيم من أبيه لأعميَّته كما تبين. قال فرعون لموسى: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٨ - ١٩] فأجابه موسى: عليه السلام بقوله: ﴿فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الشعراء: ٢٠].

ففر موسى من وصف الكفر الذي وصفه به فرعون ووصف نفسه بأنَّه كان من الضالِّين أي: المخطئين بسب وَكْزه القبطيّ، أو من الجاهلين بأن الوَكْزَ يؤدِّي للقتل فالضلال في بعض المعاني يصحُّ وصف الأنبياء به.

(٤)

العلَّة الصحيحة لبراءة إبراهيم من أبيه ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم حيث قال: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة: ١١٤].

أفاد الشرط والجواب في هذه الآية أنَّ علَّة براءة إبراهيم من أبيه هي كونه عدوًّا لله وهذه هي العلَّة الصحيحة المساوية للحكم لأنَّ العداوة لله والكفر يتساويان في المصادق فكلّ كافر عدوٌّ لله، وتنعكس القضيَّة بطريق عكس النقيض الموافق إلى قولنا: كلُّ من ليس عدوًّا لله، ليس بكافر.

والدليل على ذلك من القرءان عدةُ آيات: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨]، ﴿مَن كَانَ

عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٩٨]، وقال عن فرعون: ﴿ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ﴾ [طه: ٣٩].

وهذه الآية تردُّ قول من زعم أنَّ فرعون قُبل إسلامه ومات مسلمًا وهذا باطل؛ لأنَّ الله أخبر أنه عدوٌّ له ولو قُبل إسلامه لم يكن عدوًّا لله والأخبار لا يدخلها النسخ ففرعون مات كافرًا عدوًّا لله.

(٥)

أمرنا الله في كتابه الكريم بالاقتداء بإبراهيم وأصحابه في براءته من أبيه فقال تعالىٰ: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة: ٤].

فشرع لنا بذلك مقاطعةَ أقربائِنا الكفار والبراءةَ منهم لكن بعد موتهم علىٰ الكفر إذ بموتهم علىٰ الكفر نتحقق أنَّهم أعداء لله وهذا كما فعل إبراهيم عليه السلام فإنه وعد أباه بالاستغفار له فوفىٰ بوعده حيث قال: ﴿ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الشعراء: ٨٦] وكان حيًّا، وكان يأمُل أن يسلم فيغفر الله له لقوله تعالىٰ: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ [الأنفال: ٣٨].

فلما مات أبوه مشركًا تبيَّن له أنه عدوٌّ لله فتبرَّأ منه ولهذا قال تعالىٰ: ﴿ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ﴾ [الممتحنة: ٤].

أي أنَّ استغفار إبراهيم لأبيه لا يُقتدىٰ به فيه لما سبق بيانه.

وقال تعالىٰ في آية أخرىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

والمحادَّة لله ورسوله ترادف في المعنىٰ الكفر وعداوة الله فهذه الألفاظ الثلاثة ما صدقها واحد وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٦٣] وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [التوبة: ٢٣].

(٦)

عُلم مما سبق أنَّه يحرُم علىٰ المسلم أن يتبرَّأ من قريبه المسلم أبًا كان أو أخًا أو غير ذلك لأنَّ البراءة مشروعةٌ بالنسبة للكافر عدو الله، ولا تشرع بالنسبة للمسلم وليِّ الله ولو كان عاصيًا أو مبتدعًا ما دام مسلمًا يصلِّىٰ عليه إذا مات وتلحقه رحمة الله في الآخرة بالشفاعة أو غيرها، بخلاف الكفار فإن الله قال عنهم: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى﴾ [العنكبوت: ٢٣].

وقياس المسلم علىٰ الكافر من أبطل القياس وأفسده لأنَّه قياس وليٍّ علىٰ عدوٍّ، قياس مسلم علىٰ كافر، فأين الجامع بينهما؟!

وإنما تبرَّأ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما من القدَريَّة كما في "صحيح مسلم" لكفرهم لأنَّهم أنكروا القدر، وإنكاره كفر لأنَّه جزءٌ من الإيمان ولأنهَّم زعموا أنَّ الله تعالىٰ لا يعلم الأشياء قبل وقوعها فنسبوا الجهل إلىٰ الله وهو كفر

وقد قال النبيُّ في حديث صحيح: «**خَيَّرني اللهُ بين أنْ يدخلَ نصف أمتي الجنة وبين الشفاعةِ فاخترتُ الشفاعةَ لأنَّها أعمُّ وأكْفأُ أترَوْنها للمؤمنين المتقِّيْنَ ولكنَّها للمذنبين الخاطئين المتلوِّثين**».

وقال أيضًا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في الحديث الصحيح: «**شفاعتي لأهلِ الكبائر من أمَّتي**».

وثبت في الصحيحين أيضًا عن حذيفة، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**كان رجلٌ ممَّن كان قبلَكم حضَرتْه الوفاةُ فدعا أولادَه وأَخْبر أنَّه لم يعملْ خيرًا قطُّ إلَّا الإيمانَ وأمرَهم بتحْريقِ جسمه بعد موته ورمْي رَمادِه في البِّر والبحرِ فأحياه الله تعالى وسأله: ما حمَلَك على ما فعلْتَ قال: مخافتُكَ فغَفَر له**».

والله تعالى يقول: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧] والميت المسلم معه أصل الخير وهو الإيمان فلابد أنْ يدخُل الجنَّة ليَرىٰ جزاء إيمانه فكيف يجوز التُرؤ من مسلم يدخل الجنة ولو عذب قبل دخولها؟!

وأيضًا فإنَّ الله شرع التبرُّؤ من القريب الكافر لأنَّ الكفار من أصحاب الشمال والمسلمون من أصحاب اليمين فلا يجتمعان يوم القيامة أبدًا لأنَّ كلًّا منهما له طريق غير طريق الآخر فلا يجوز تبرُّؤ مسلم من مسلم لأنَّ كليهما من أصحاب اليمين يلتقيان في الآخرة فكيف يلتقي في الآخرة الرجل المتبرِّئ من أبيه أو خيه أو قريبٍ معه. إذ يكون بينهما غاية الحرج والعتاب.

(٧)

من كبائر المعاصي أن يقول الشخص عن مسلم أنَّه كافرٌ أو عدوُّ الله لما ثبت في "الصحيحين" عن ابن عمر أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم

قال: «**أيُّما رجلٍ قال لأخيه يا كافرُ فقد باءَ بها أحدُهما إن كانَ كما قال وإلَّا رجَعتْ عليه**».

وفي "صحيح البخاري" عن أبي ذر أنَّه سمع النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**لا يرْمي رجلٌ رجلًا بالفسق ولا يرميه بالكفرِ إلا ارْتدَّت عليه إن لم يكن صاحبُه كذلك**».

وفي رواية لمسلم: «**ومن دعا رجلًا بالكفر أو قال: عدوّ الله، وليس كذلك إلا صار عليه**».

وهذا وعيد شديد يقتضي أنَّ من يرمي مسلمًا بالكفر أو بعداوة الله كان مرتدًّا، ولكن العلماء حملوه على استباحة ذلك بمعنى أنه إن قال عن مسلم كافر أو عدو الله معتقدًا أن ذلك مباح له يكون مرتدًّا كما في الحديث.

وفي "صحيح ابن حِبَّان" عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ما أكفرَ رجلٌ رجلًا إلا باء بها أحدُهما إن كان كما قال وإلا كفر بتكفيره**». وهذا يدل على أنَّ تكفير المسلم كفرٌ سواء كان يستبيحه أو لا يستبيحه.

والله يقول الحق وهو يهدي إلى سواء السبيل.

٨- إثْمِدُ العَيْنَينِ

ببَيانِ نُبُوَّةِ الخَضِرِ واسْمِ ذي القَرْنَين

المقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمينَ، والصَّلاةُ والسَّلامُ على سيِّدِنا محمَّدٍ وآلِهِ الأكرَمِينَ.

وبعدُ: فقدْ جَاءَ في سَبَبِ نُزولِ (سورة الكَهْفِ) ما رَوىٰ محمَّدُ بنُ إسْحاقَ حيثُ قال: حدَّثني شيخٌ منْ أهلِ مصْرَ قدِمَ علينا منذُ بِضْعٍ وأربَعينَ سنةً، عنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابنِ عبَّاسٍ قال: بعثَتْ قُرَيشٌ النَّضْرَ بنَ الحارثِ وعُقْبَةَ بنَ أبي مُعَيْطٍ إلىٰ أحبارِ يهودَ بالمدينةِ، فقالوا لهُما: سَلُوهُمْ عنْ محمَّدٍ وصِفُوا لهمْ صِفتَه وأخبرُوهُم بقولِه، فإنَّهم أهلُ الكتابِ الأوَّلِ وعندَهُم علمُ ما ليسَ عندَنا منْ علمِ الأنبياءِ.

فخَرَجَا حتَّىٰ أتَيا المدينةَ فسَألوا أحبارَ يهودَ عنْ رسولِ الله صلَّىٰ الله عليهِ وآلِه وسَلَّمَ ووصَفُوا لهمْ صِفتَهُ وبعضَ قولِه، وقالا: إنَّكُم أهلُ التَّوراةِ، وقدْ جِئناكُم لتُخْبرونَا عنْ صاحبِنا هذا. قالَ: فقالتْ لهم: سَلُوه عنْ ثلاثٍ نأمرُكم بهنَّ، فإنْ أخبرَكُم بهنَّ فهوَ نبيٌّ مُرسَلٌ؛ وإلَّا فالرَّجُلُ مُتقوِّلٌ، فرَوْا فيه رأيَكم.

سَلُوه عنْ فِتْيةٍ ذهبُوا في الدَّهرِ الأوَّلِ، ما كانَ منْ أمرِهِمْ؟ فإنَّهمْ قد كانَ لهُم حديثٌ عجيبٌ، وسَلُوه عنْ رجلٍ طوَّافٍ بلغَ مشارقَ الأرضِ ومغاربَها، ما كانَ نبؤُه؟ وسَلُوه عنِ الرُّوحِ، ما هُوَ؟ فإنْ أخبرَكُم بذاكَ فهوَ نبيٌّ فاتَّبِعُوه وإنْ لم يخبرْكم فإنَّه رجلٌ متقوِّلٌ فاصْنَعُوا في أمرِه ما بَدا لكُم.

فأقبلَ النَّضْرُ وعُقْبةُ حتَّىٰ قَدِما علىٰ قُريشٍ فقالا: يا معشرَ قُريشٍ قدْ جئْناكم بفصْلِ ما بينكم وبينَ محمَّدٍ، قد أمرَنا أحبارُ اليهودِ أنْ نسألَه عنْ أمورٍ، فأخبرُوهم بها.

فجاؤُوا رسولَ الله صلَّىٰ الله عليهِ وآلِهِ وسَلَّمَ فقالوا: يا محمَّدُ أخبِرْنا،

فسَألُوه عمَّا أمرُوهم بهِ.

فقالَ لهمْ رسولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآلِه وسَلَّمَ: «**أخبرُكم غدًا عمَّا سَألتُم عنه**»، ولم يستَثْنِ.

فانصَرَفُوا عنه، ومَكَثَ رسولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم خمْسَ عشْرةَ ليلة لا يُحْدِثُ إلهُه لهُ في ذلكَ وَحْيًا ولا يأتيهِ جبريلُ عليه السَّلامُ، حتَّىٰ أرْجَفَ أهلُ مكةَ وقالوا: وعَدَنا محمَّدٌ غدًا واليومَ خمسَ عشرةَ قدْ أصبَحْنا فيها لا يخبرُنا بشيءٍ ممَّا سألْناه عنه!! وحتَّىٰ أحزنَ رسولَ الله صلَّىٰ الله عليهِ وآلِهِ وسلَّمِ مُكْثُ الوحْيِ عنه وشقَّ عليه ما يتكلَّمُ به أهلُ مكةَ فجاءَهُ جبريلُ عليه السَّلامُ مِنَ الله عزَّ وجلَّ بسورةِ أهلِ الكهْفِ فيها معاتَبتُه إيَّاهُ علىٰ حزنِه عليهم، وخبرُ ما سألوهُ عنه منْ أمرِ الفِتْيةِ والرَّجُلِ الطوَّافِ والرُّوحِ.

قلتُ: اشتملتْ (سورةُ الكهْفِ) علىٰ ثلاثِ قِصَصٍ: قِصَّةِ أصحابِ الكهْفِ، وقصَّةِ الخَضِرِ عليهِ السَّلامُ، وقصَّةِ ذي القَرْنَينِ وسُمِّيتْ سورةَ الكهْفِ تنويهًا بالفِتْيةِ الموحِّدِينَ وتذكيرًا بما لهمْ عندَ الله منَ الأجْرِ العَظيمِ ولأجْلِ ما في مُفْتَتَحِها منْ تقريرِ التَّوحيدِ وتعظيمِ أمرِهِ، قال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسَلَّمَ: «**مَنْ حَفِظَ عشْرَ آياتٍ مِنْ أوَّلِ (سُورَةِ الكهْفِ) عُصِمَ مِنَ الدَّجَّال**». وفي روايةٍ: «**مِنْ آخِرِ الكَهْفِ**» لأنَّ آخِرَ السُّورةِ مُقرِّرٌ للتَّوحيدِ أيضًا ومبيِّنٌ لعِظَمِ شَأْنِهِ، فبيْنَ فاتحةِ السُّورةِ وخاتمتِها مناسبةٌ واضحةٌ.

وأصحابُ الكهْفِ كانوا بعدَ عيسىٰ عليه السَّلام، لقولِهِ تعالىٰ: ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا﴾ [الكهف: ٢٥]، وقد عُثِرَ علىٰ المسجدِ

الذي بُنيَ عليهِم وهوَ بعَمَّانَ عاصمةِ الأرْدُنِّ يقصِدُه السُّيَّاحُ لرؤيتِهِ والاطِّلاعِ عليه.

كان في مصرَ مُلْحِدٌ اسمُه خلف الله كتبَ رسالةً لنيْلِ دكتوراة، موضُوعها: «القَصَصُ في القرآنِ»، وكانَ فيها آراءُ قبيحةٌ، وزعمَ في قصَّةِ أصحابِ الكهْفِ أنَّها قصةٌ خيَاليَّةٌ، وعَمِيَ عنْ قولِ الله تعالىٰ: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ﴾ [الكهف: ١٣]، ولما قَدَّم الرِّسالةَ إلىٰ الجامعةِ رفضَتِ اللجنةُ قَبُولها لأنَّها وجدتْ في الرِّسالةِ طعنًا في القرآنِ؛ ثارَ أستاذُه أمينُ الخولي وكتبَ مقالًا في «جريدةِ الأهرام» يدافعُ عنه وقالَ: «ارمُوني وإيَّاه في الجحيمِ»!!، وسيرْميهُما اللهُ فيه.

ورَدَّ عليه العقَّاد في «الأهرام» أيضًا ردًّا متينًا أفحَمَه وأسكتَه.

والخَضِرُ عليه السَّلامُ هوَ العبدُ الصَّالحُ الذي ذهبَ موسىٰ عليه السَّلامُ يطلبُه ومعَه فتاهُ، وهو نبيٌّ علىٰ القولِ الصَّحيحِ، بلِ الحقُّ الذي لا يجوزُ غيرُه، والدَّليلُ عليهِ مِنَ القرآنِ أمورٌ:

الأوَّلُ: قولُ الله تعالىٰ: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [الكهف: ٦٥] ففي هذه الآيةِ دليلٌ من وجهَين:

أحدهما: أنَّ الله تعالىٰ إذا نَسَبَ إلىٰ ذاتِه المقدَّسةِ تعليمَ شخْصٍ معيَّنٍ كان دليلًا علىٰ نُبوَّتِه. اتْلُ الآياتِ التَّاليةَ: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة: ٣١]، ﴿وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ﴾ [البقرة: ٢٥١]، ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾ [النساء: ١١٣]، ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ ﴾ [يوسف: ٦٨]، ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ [يوسف: ٢١]، ﴿ وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [الأنبياء: ٧٤]،

وقال في الخَضِر: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥]، فهو نبيٌّ.

ثانيهما: قولُه تعالىٰ: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ [الكهف: ٦٥] رحمةً يعني: نبوةً، بدليلِ قولِ نُوحٍ: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ﴾ [هود: ٢٨] يعني: نُبوَّةً، وقول الله تعالىٰ: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِي رَحْمَتِنَآ﴾ [الأنبياء: ٨٥ - ٨٦]؛ أي: نُبوَّتِنا.

الثاني: قولُ موسىٰ له: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦] يفيدُ أنَّ الله علَّمَه، فهو نبيٌّ.

الثالث: قولُ الخضرِ لموسىٰ عليهِ السَّلامُ: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧] هذا الجزمُ المؤكَّد بـ«إنَّ» و«لنْ» دليلٌ علىٰ أنَّه صادرٌ عنْ نبيٍّ، وإلَّا فالوليُّ الذي علْمُه الإلهامُ لا يمكنُه أنْ يجزمَ مثلَ هذا الجزمِ.

الرابع: خَرْقُ السَّفينةِ لا يقدرُ أن يُقْدِمَ عليه الوليُّ بمجرَّدِ الإلهامِ الذي لا يفيدُ اليقينَ أصْلًا فلابدَّ أنْ يكونَ صادرًا منْ نبيٍّ بوحْيٍ منَ الله تعالىٰ.

الخامس: قتْلُ الغُلامِ لأجْلِ أنَّهُ سيكونُ في المسْتقبلِ كافرًا لا يجوزُ أنْ يكونُ إلَّا منْ نبيٍّ بوحيٍ منَ الله تعالىٰ أعلَمَهُ بعاقبةِ هذا الغلامِ وأباحَ له قتْلَه.

السادس: قولُ الخضرِ: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف: ٨٢] نصٌّ في أنَّ ما فعْلَه كان بوحْيٍ مِنَ الله تعالىٰ، واحتمالُ أنْ يكونَ بواسطةِ نبيٍّ آخرَ سَفْسَطةٌ فارغةٌ.

قِصَّةُ الخضرِ وموسى عليهما السَّلامُ كما رواها البُخَاريُّ في "صحيحِه":

قال البُخَاريُّ في «كتابِ أحاديثِ الأنبياءِ، بابُ حديثِ الخَضِرِ معَ مُوسىٰ عليهِ السَّلامُ»: حدَّثَنا عليُّ بنُ عبدِالله: حدَّثَنا سُفْيانُ: حدَّثَنا عمرو بنُ دينارٍ،

قال: أخبرَني سعيدُ بنُ جُبَيرٍ قال: قلتُ لابنِ عبَّاسٍ: إنَّ نَوْفًا البِكَاليَّ يزعمُ أنَّ موسىٰ صاحبَ الخَضِرِ ليسَ هوَ موسىٰ بني إسرائيلَ، إنَّما هوَ مُوسىٰ آخرَ.

فقال: كذبَ عدوُّ الله، حدَّثَنا أبيُّ بنُ كعْبٍ، عنِ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآلِهِ وسَلَّمَ: أنَّ موسىٰ قامَ خَطيبًا في بني إسْرائيلَ فسُئِلَ: أيُّ النَّاسِ أعلمُ؟ فقال: أنا. فعتَبَ الله عليهِ إذ لم يرُدَّ العلمَ إليهِ فقالَ له: بلىٰ، لي عبْدٌ بمَجْمَعِ البَحْرَينِ هوَ أعلمُ مِنْكَ. قالَ: أيْ ربِّ ومَنْ لي بِه؟ قال: تأخذُ حُوتًا فتجعلُه في مِكْتَلٍ، حيثُما فقَدْتَ الحوتَ فهوَ ثَمَّ. وأخذَ الحوتَ فجعلَه في مِكْتَلٍ ثُمَّ انطَلَقَ هوَ وفتاه يُوشَعُ بنُ نُونٍ حتَّىٰ أتَيا الصَّخْرةَ وَضَعا رؤوسَهُما فرقَدَ موسىٰ واضطربَ الحُوتُ فسقَطَ في البَحْرِ فاتَّخذَ سَبيلَه في البَحْرِ سَرَبًا، فأمسَكَ اللهُ عنِ الحُوتِ جِرْيَةَ الماءِ فصارَ مثلَ الطَّاقِ، فانطلَقا يمْشِيان بقيةَ ليلتِهِما ويومِهِما حتَّىٰ إذا كانَ مِنَ الغَدِ قال لفتاهُ: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢]، ولم يجدْ موسىٰ النَّصَبَ حتَّىٰ جاوزُا حيثُ أمرَه الله، قالَ له فتاهُ: ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾ [الكهف: ٦٣]، فكانَ للحُوتِ سَرَبًا ولهما عَجَبًا.

قالَ لهُ موسىٰ: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف: ٦٤]، رجَعَا يقُصَّان آثارَهما حتَّىٰ انتَهَيا إلىٰ الصَّخرةِ فإذا رجلٌ مُسَجًّىٰ بثوبٍ فسَلَّمَ موسىٰ، فردَّ عليه فقال: وأنَّىٰ بأرضِكَ السَلامُ؟! قال: أنا موسىٰ. قال: موسىٰ بني إسرائيل؟ قال: نعَمْ، أتيتُكَ لِتُعلِّمَني مما عُلِّمتَ رُشْدًا. قال: يا موسىٰ إنِّي علىٰ علمٍ منْ عِلْمِ الله علَّمَنيهِ اللهُ لا تعْلمُهُ، وأنتَ علىٰ علمٍ منْ علمِ الله علَّمَكَهُ الله

لا أعلَمُهُ، فقال: هل أتَّبِعُكَ؟ ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ إلى قوله: ﴿أَمْرًا﴾ [الكهف: ٦٧ - ٦٩].

فانطَلَقا يمشِيانِ على ساحلِ البَحْر فمرَّتْ بهما سفينةٌ كلَّمُوهُم أنْ يحملُوهُم فعرَفُوا الخَضِرَ فحَمَلُوه بغيرِ نَوْلٍ، فلمَّا ركِبَا في السَّفينةِ جاء عُصفُورٌ فوقَعَ على حرفِ السَّفِينَةِ فنقرَ في البَحْرِ نَقْرةً أو نقْرَتَينِ، قال له الخَضِرُ: يا موسى ما نقَصَ عِلمي وعلمُك منْ علمِ الله إلا مثْلَ ما نقصَ هذا العُصفورُ بمنقارِه منَ البحرِ، إذْ أخَذَ الفأسَ فنزَعَ لوْحًا قال: فلمْ يفْجَأْ موسى إلا وقدْ قَلَعَ لوحًا بالقَدُّوم فقالَ له موسى: ما صنعْتَ؟! قومٌ حملُونا بغيرِ نوْلٍ؛ عمَدْتَ إلى سفينتِهم فخَرَقْتَها لتُغْرِقَ أهلَها؟! ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ [الكهف: ٧١ - ٧٣].

فكانتِ الأولى منْ موسى نِسيانًا، فلمَّا خرَجا منَ البَحْرِ مرُّوا بغُلامٍ يلْعَبُ معَ الصِّبْيانِ، فأخذَ الخَضِرُ برأسِه فقلَعَه بيدِه هكذا -وأومَأَ سفيانُ بأطرافِ أصابعِه كأنَّه يقْطفُ شيئًا- فقال له موسى: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾﴾ ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ [الكهف: ٧٤ - ٧٧] مائلًا -أومَأ بيدِه هكذا، وأشارَ سفيانُ كأنَّه يمْسحُ شيئًا إلى فوقُ، فلمْ أسمعْ سفيانَ يذكُرُ «مائلًا» إلا مرَّةً- قال: قومٌ أتيناهمْ فلمْ يُطعِمُونا ولمْ يُضَيِّفُونا عمَدْتَ إلى حائطِهم؟! ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ

بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف: ٧٧ - ٧٨].

قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**وَدِدْنَا أنَّ موسى كانَ صبرَ فَقَصَّ الله علينَا منْ خَبرِهِما**».

وللحديثِ طرقٌ في "صحيحِ البُخاريِّ"، وفيه أدلَّةٌ على نُبوةِ الخَضِرِ عليه السَّلامُ:

الأوَّلُ: قولُ الله لموسى: «بلْ لي عبدٌ بمَجْمَعِ البحْرَينِ هُوَ أعلمُ منْكَ». يقتضِي نُبوَّتَه، لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ [الإسراء: ٥٥]، ولا يجوزُ أنْ يفَضِّل اللهُ وليًّا على نبيٍّ.

الثاني: تصريحُ الخَضِرِ بأنَّ الله علَّمَه كما علَّمَ موسى، وهو قاطعٌ في أنَّه نبيٌّ.

الثالثُ: اشتراطُه على موسى ألَّا يسألَه عنْ شيءٍ حتَّى يخبرَه به.

الرابعُ: قولُه: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا ﴾ [الكهف: ٨٢] لا يمكنُ أنْ يعلمَ إرادةَ الله إلا بوَحْيٍ منْه.

فهذه عشْرَةُ أدلَّةٍ على نبوَّةِ الخَضِرِ عليه السَّلامُ.

الحادي عشر: قالَ الطَّبرانيُّ في "المعجم الكبير": حدَّثَنا عمرو بنُ إسحاقَ ابنِ إبراهيمَ بنِ العلاءِ الحِمْصيِّ: ثنا محمَّدُ بنُ الفضْلِ بنِ عِمرانَ الكِنْدِيِّ: ثنا بقيَّةُ بنُ الوليدِ، عنْ محمَّدِ بنِ زيَّادٍ الألهانيِّ، عن أبي أُمامةَ: أنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال لأصحابِه: «**ألا أحدِّثُكمْ عَنِ الخَضِرِ؟**» قالوا: بلى يا رسولَ الله.

قال: «**بيْنَما هوَ ذاتَ يومٍ يَمشِي في سُوقِ بني إسرائيلَ، أبصرَه رجُلٌ مكاتَبٌ فقال: تصدَّقْ عليَّ باركَ الله فيكَ. فقال الخَضِرُ: آمنتُ بالله، ما شاء اللهُ منْ أمرٍ**

يكونُ، ما عندي شيءٌ أعطِيكَه.

فقالَ المسكينُ: أسألكَ بوجْهِ الله لما تصدَّقتَ عليَّ، فإنِّي نظرتُ السَّماحةَ في وجهِكَ، ورجوتُ البركةَ عندكَ. فقال الخَضِرُ: آمنتُ بالله ما عندي شيءٌ أعطِيكَه إلا أنْ تأخذَني فتبيعنَي. فقالَ المسكينُ: وهل يستقيمُ هذا؟ قال: نعَمْ، الحقُّ أقولُ لكَ، لقدْ سألتَني بأمرٍ عظيمٍ، أمَا أنِّي لا أخيِّبُكَ بوجهِ ربِّي، بِعْني، فقدَّمَه إلى السُّوقِ فباعَه بأربعِمائةِ درهمٍ.

فمكثَ عندَ المشْتري زمانًا لا يَستعمِلُه في شيءٍ، فقال له: إنَّكَ ابتَعْتَني التماسَ خيرٍ عندي فأوْصِني بعملٍ. قال: أكرَهُ أنْ أشقَّ عليكَ، إنَّكَ شيخٌ كبيرٌ ضعيفٌ. قال: ليس يشقُّ عليَّ. قال: فانقُلْ هذه الحجارةَ، وكانَ لا ينقُلُها دونَ ستَّةِ نفرٍ في يومٍ، فخرجَ الرَّجلُ لبعضِ حاجتِه ثمَّ انصرفَ وقد نقلَ الحجارةَ في ساعةٍ. فقال: أحسنْتَ وأجملْتَ وأطقْتَ ما لم أركَ تُطيقُه.

ثمَّ عرضَ للرجلِ سفرٌ، فقال: إنِّي أحْسَبُكَ أمينًا فاخْلُفْني في أهلي خِلافةً حسَنةً. قال: فأوْصِني بعملٍ، قال: إنِّي أكرهُ أنْ أَشقَّ عليكَ. قال ليسَ يشُقُّ عليَّ، قال: فاضربْ مِنَ اللَّبِنِ لبيتِي حتَّى أقدُمَ عليكَ. فمضى الرَّجلُ لسَفَرِه فرجَعَ وقدْ شُيِّدَ بناءُه. فقال: أسألكَ بوجهِ الله، ما سبيلُكَ وما شأنُكَ؟! فقال: سألتَني بوجهِ الله، والسُّؤالُ بوجهِ الله أوقَعَني في العُبُودِيَّةِ، سأخبرُكَ منْ أنا؛ أنا الخَضِرُ الذي سَمِعتَ بهِ، سألَني مسكينٌ صدقةً فلمْ يكنْ عندي شيءٌ أعطِيه، فسألَني بوجهِ الله، فأمكَنْتُه منْ رقَبَتي فباعَني، وأخبرُك أنَّه منْ سُئِلَ بوجْه الله فردَّ سائلَهُ وهوَ يقدِرُ، وَقَفَ يومَ القيامةِ جِلْدُه لا لحمَ له ولا عظْمَ يتَقَعْقَعُ. فقال الرجلُ: آمنتُ بالله، شقَقْتُ عليكَ يا نبيَّ الله ولم أعلمْ. فقال: لا بأسَ، أحسنْتَ. فقال

الرجلُ: بأبي وأمِّي يا نبيَّ الله، احكُمْ في أهلي بما أراكَ الله، أو أخيِّركَ فأُخْلِي سبيلَك. فقال:أ حبُّ أن تُخْلِي سبيلي فأعبدُ ربِّي. فخَلَّى سبيلَه. فقالَ الخَضِرُ: الحمدُ لله الذي أوقَعَني في العُبُوديَّةِ ثُمَّ نَجَّاني مِنْهُ».

قال الحافظُ ابنُ كثير في "تاريخه": «وهذا حديثٌ رفعُه خطأ، والأشبَه أنْ يكونَ موقُوفًا، وفي رجالِه مَنْ لا يعرفُ».اهـ

وقال الحافظُ في "الزَّهْرِ النَّضرِ في نبأ الخضرِ": «وسندُ هذا الحديثِ حسنٌ لولا عنعنةُ بقيَّةَ، ولو ثبتَ لكانَ نصًّا أنَّ الخَضِرَ نبيٌّ لحكاية النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قولَ الرجلِ: يانبيَّ الله، وتقريرِه علىٰ ذلكَ».اهـ وفي الأدلَّةِ المذكورةِ كفايةٌ عنه وغناءٌ.

وعلىٰ اعتبارِ أنَّ ذلكَ الحديثَ موقوفٌ كما قال ابنُ كثير، فهو يدلُّ علىٰ أنَّ الخَضِرَ كان معروفًا بالنبوَّةِ، مشهورًا بها.

قال ابنُ كثير في "تاريخه": «دلَّ سياقُ القِصَّةِ علىٰ نبوَّتِه من وُجوهٍ:

أحدها: قولُه تعالىٰ: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [الكهف: ٦٥].

الثاني: قولُ موسىٰ له: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٦٦ - ٧٠].

فلو كان وليًّا وليسَ بنبيٍّ لم يخاطبْه موسىٰ بهذهِ المخاطبةِ ولم يردَّ علىٰ موسىٰ

هذا الردِّ، بل موسىٰ إنَّما سألَ صحبتَه لينالَ ما عنده مِنَ العلمِ الذي اختَصَّه الله به دونَه، فلو كانَ غيرَ نبيٍّ لم يكنْ معْصُومًا، ولم تكنْ لموسىٰ -وهو نبيٌّ عظيمٌ ورسولٌ كريمٌ واجبُ العصْمةِ- كبيرُ رغبةٍ ولا عظيمُ طِلْبة في علمِ وليٍّ غيرِ واجبِ العصْمةِ، ولمَّا عزَمَ علىٰ الذَّهابِ إليه والتَّفتيشِ عليه، ولو أنَّه يمضي حُقُبًا منَ الزَّمانِ قيل: ثمانين سنةً، ثم لمَّا اجتمعَ به تواضعَ له وعظَّمَه واتَّبعَه في صورةِ مستفيدٍ منه، دلَّ علىٰ أنَّه نبيٌّ مثلَه يُوحىٰ إليه كما يُوحىٰ إليه، وقد خُصَّ منَ العلومِ الدِّينيَّةِ والأسرارِ النبويَّةِ بما لم يُطْلِعِ اللهُ عليه موسىٰ الكليمَ نبيَّ بني إسرائيلَ الكريمَ، وقدِ احتجَّ بهذا المسْلكِ بعينِه الرُّمَّانيُّ علىٰ نبوَّةِ الخَضِرِ عليه السَّلامُ.

الثالث: أنَّ الخضِرَ أقْدَم علىٰ قتْلِ الغُلامِ وما ذاكَ إلا للوَحْيِ إليه منَ الملكِ العلَّام، وهذا دليلٌ مستقلٌّ علىٰ نبوَّتِهِ وبرهانٌ ظاهرٌ علىٰ عصمَتِه؛ لأنَّ الوليَّ لا يجوزُ له الإقدامُ علىٰ قتْلِ النَّفسِ بمجرَّدِ ما يُلقىٰ في خَلَدِهِ؛ لأنَّ خاطرَه ليسَ بواجبِ العصْمةِ، إذْ يجوزُ عليه الخطأ بالاتِّفاقِ، ولمَّا أقدمَ الخَضِرُ علىٰ قتْلِ ذلك الغلامِ الذي لم يبلغْ الحُلُمَ عِلمًا منه بأنَّه إذا بلغَ يكفُرُ ويحمِلُ أبوَيْهِ علىٰ الكفرِ لشدَّةِ محبَّتِهما له فيتَّبعانِه عليه ففي قتْلِهِ مصلحةٌ عظيمةٌ تربُو علىٰ بقاءِ مُهْجَتِه صيانةً لأبويْهِ عنِ الوقوعِ في الكُفْرِ وعقوبتِه؛ دلَّ ذلكَ علىٰ نبوَّتِهِ وأنَّه مؤيَّد من الله بعصْمتِه وقد رأيتُ الشيخَ أبا الفرَجِ بنَ الجوْزِيِّ طرَقَ هذا المسْلكَ بعينِه في الاحْتجاجِ علىٰ نبوَّةِ الخَضِرِ وصحَّحهُ.

الرابع: أنَّه لما فسَّر الخَضِرُ تأويلَ تلكَ الأفعالِ لموسىٰ ووضَّحَ له عنْ حقيقَةِ أمرِه وجَلَا، قال بعد ذلك كلِّه: ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ﴾ [الكهف: ٨٢].

يعني: ما فعلتُه منْ تِلْقاءِ نفْسي بل أُمِرتُ به وأُوحيَ إليَّ فيه، فدلَّتْ هذه

الوجوهُ على نبوَّتِه، وإذا ثبتَتْ نبوَّتُه كما ذكرْناه لم يبقَ لمنْ قال بولايتِه ، وأنَّ الوليَّ قد يطَّلعُ على حقيقةِ الأمورِ دونَ أربابِ الشَّرعِ الظَّاهرِ مستنَدٌ يستنِدُ إليه، والخضِرُ نبيٌّ عند الجمهورِ، وقيلَ: هو عبدٌ صالحٌ غيرُ نبيٍّ. والآيةُ تشهدُ بنبوَّتِه لأنَّ بواطِنَ أفعالِه لا تكونُ إلا بوَحْيٍ. وأيضًا فإنَّ الإنسانَ لا يتعلَّمُ ولا يتَّبعُ إلا ممَّنْ هو فوقَه وليسَ يجوزُ أنْ يكونَ فوقَ النبيِّ منْ ليسَ بنبيٍّ».اهـ

وقال ابنُ عطيَّةَ: «كانَ علمُ الخَضِرِ علمَ معرفةِ بواطنَ قد أُوحِيتْ إليه لا تُعطي ظواهر الأحكامِ أفعاله بحَسبِها».اهـ

وقال الثَّعْلبيُّ: «هو نبيٌّ على جميعِ الأقوالِ».

وقال أبو حيان في "تفسيره": «والجمهورُ على أنَّ الخضِرَ نبيٌّ، وكان علمُه: معرفةَ بواطنَ قد أُوحيتْ إليه، وعلمُ موسى: الأحكامُ والفُتيا بالظَّاهر».اهـ

وقال الزمخشريُّ في "تفسيره": ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ [الكهف: ٦٥] هي: الوحيُ والنبوَّةُ»، وقال أيضًا: «لا غَضَاضةَ بالنبيِّ في أخذِ العلمِ منْ نبيٍّ مثلِه، وإنَّما يُغضى منه أنْ يأخذَه ممَّنْ هو دونَه».اهـ

وقال الحافظُ ابن حجرٍ في "الزَّهْرِ النَّضِر"، «بابُ ما ورد في كونِه نبيًّا»: «قال اللهُ تعالى حكايةً في خبرِه عنْ موسى حكايةً عنه: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [الكهف: ٨٢] وهذا ظاهرُه أنَّه فعَلَه بأمرِ منَ الله والأصْلُ عدمُ الواسِطةِ ويحتَمَلُ أنْ يكونَ بواسطةِ نبيٍّ آخَرَ لم يذكرْه، وهو بعيدٌ، ولا سبيلَ إلى القولِ بأنَّه إلهامٌ لأنَّ ذلك لا يكونُ منْ غيرِ النبيِّ وحْيًا حتَّى يعملَ به ما عمِلَ منْ قتلِ النَّفسِ وتعريضِ الأنفُسِ للغَرَقِ، فإنْ كانَ نبيًّا فلا إنكارَ في ذلك، وأيضًا كيفَ يكونُ

النبي تابعًا لغيْر نبيٍّ؟!».اهـ

قلتُ: احتمالُ أنْ يكونَ الخضِرُ فعَلَ تلكَ الأفعالَ بواسطةِ نبيٍّ آخَرَ لا يجوزُ أنْ يقالَ فيه: «بعيدٌ»، بل هو احتمالٌ باطلٌ، إذ لو صحَّ لكانَ الله تعالىٰ يُحيلُ علىٰ ذلك النبيِّ مباشرةً لا علىٰ الخَضِرَ عليه السَّلامُ، وهذا الاحتمالُ الباطلُ إنَّما أبدَاه الذينَ يَنفُونَ نبوةَ الخَضِرَ، ولم يتفطَّنُوا لبطْلانِه الواضِحِ.

ونقلَ الإمامُ النَّوويُّ في "تهذيب الأسماء واللغات"، عنْ أبي إسحاقَ الثعلبيِّ في "تفسيره" قال: «والخَضِرُ علىٰ جميعِ الأقوالِ نبيٌّ مُعَمَّرٌ محجوبٌ عن الأبْصَارِ».اهـ

وصحَّحَ الشيخُ زكريَّا الأنصاريُّ في "شرح البخاري" أنَّ الخَضِرَ نبيٌّ.

وقال الحافظُ في آخرِ جزءِ "الزَّهر النَّضر": «والذي لا يُتَوقَّفُ فيه: الجزمُ بنبوَّتِه».اهـ

مسائل

الأولى: في تخْريجِ قِصَّةِ مُوسَى والخَضِرِ عليهما السَّلامُ:

حديثُ قصَّةِ موسىٰ والخَضِرِ عليهما السَّلامُ رواه البُخاريُّ في "صحيحه" في عدَّةِ مواضِعَ فيه، مختصرًا ومطوَّلًا، ورواه مسلمٌ في «فضائل الأنبياء» من "صحيحه"، ورواه التِّرمذيُّ في "سننه" في تفسير (سورة الكهف)، وقال: «هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ».

ورواه ابن جريرٍ في "تفسيره"، وابنُ المنذرِ، وابنُ أبي حاتمٍ، وابن مَرْدُويَه في تفاسيرِهم، والبيهقيُّ في "الأسْماء والصِّفات"، ورواه النَّسائيُّ في "الكبرىٰ".

الثانية: الخضرُ محجوبٌ منَ الأبصارِ، وكلامُ بعضِ السَّلفِ في ذلك:

قال أبو العاليةِ، وشعيبُ بنُ الحبحابِ: كان الخَضِرِ عبدًا لا تراهُ الأعْينُ إلا منَ أرادَ الله أنْ يُرِيَه إيَّاه، فلمْ يرَه منَ القومِ إلا مُوسىٰ، ولو رآه القومُ لحالُوا بينَه وبينَ خَرْقِ السَّفِينَةِ، وبينَ قتْلِ الغُلامِ. وقال حمَّادُ بنُ زيْدٍ: وكانوا يَرَوْنَ أنَّ موتَ الفَجْأةِ منْ ذلكَ.

قلتُ: لا أدْري ما معنىٰ كلامِ حمَّادٍ، أمَّا الخَضِرُ عليه السَّلامُ فالأقوالُ مُتضَافرةٌ علىٰ أنَّه محجوبٌ عنِ الأبصارِ.

الثالثة: اختَلفَ القائلُونَ في نبوَّتِه: هلْ كانَ رسُولًا؟

اختَلفَ القائلونَ بنبوَّةِ الخَضَرِ عليه السَّلامُ هلْ كانَ رسُولًا؟ جاءَ عنِ ابنِ عباسٍ ووهْبِ بنِ منبِّه أنَّه كانَ نبيًّا غيرَ مرسَلٍ. وجاء عنْ إسماعيلَ بنِ زياد ومحمَّدِ بنِ إسحاقٍ أنَّه أُرسِلَ إلىٰ قومٍ فاستجابوا له، وأيَّدَ هذا القولَ أبو الحسن الرُّمَّانيُّ.

الرابعة: في الفوائدِ المسْتخرَجةِ منْ قِصَّةِ موسى والخَضِرِ عليهما السَّلام:

استخرجَ العلماءُ منْ قصَّةِ موسىٰ والخَضِرِ عليهما السَّلامُ عدَّةَ فوائدَ.

منها: استحبابُ الحِرْصِ علىٰ الازدِيادِ منَ العِلمِ، والرِّحلةِ فيه، ولِقاءِ المَشَايخِ، وتجشُّمِ المشاقِّ في ذلك، والاستِعانةِ بالأتْباعِ، وإطلاقُ الفتىٰ علىٰ التَّابعِ، واستخدامُ الحُرِّ، وطواعيةُ الخادمِ لمخدومِه، وعُذْرُ النَّاسي، وقَبُولُه الهبةَ، وجوازُ الإخبارِ بالتَّعَبِ، وجوازُ طلبِ القُوتِ، وطلبُ الضِّيافةِ، وقيامُ العُذرِ بالمرَّةِ الواحدةِ، وقيامُ الحجَّةِ بالمرَّةِ الثَّانيةِ، وحُسنُ الأدبِ معَ الله، وألا يُضافَ إليه ما يُستَهْجَنُ لفظُه وإنْ كانَ الكلُّ بتقديرِه وخلقِه؛ لقولِ الخَضِرِ عنِ السَّفينَة: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩] وعنِ الجدارِ: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ [الكهف:

٨٢]، وسلوكُ الأدبِ معَ الشَّيخِ والتلطُّفُ في مخاطبتِه والتَّسليمُ له فيما لا يخَالفُ الشَّرعِ، ومنْها غيرُ ذلكَ.

الخامسة: الخَضِرُ مُعَمَّر على جميعِ الأقوالِ، والآراءُ في وقتِ موتِه:

قال الثَّعلبيُّ في "تفسيره": الخَضِرُ مُعمَّرٌ على جميعِ الأقوالِ، وقد قيلَ: إنَّه لا يموتُ إلا في آخِرِ الزَّمانِ، حينَ يُرْفَعُ القرآنُ.

وجاءَ عنِ ابنِ عبَّاسٍ بإسنادٍ ضعيفٍ جدًّا قال: نُسِيَ للخَضِرِ في أجَلِه حتى يكذِّبَ الدَّجالَ. ورُوِيَ عنِ الحسَنِ البصريِّ قال: وُكِّلَ إلياسُ بالفيافي، ووُكِّلَ الخَضِرُ بالبُحورِ، وقد أُعطِيَا الخُلدَ في الدُّنيا إلى الصَّيحةِ الأولى، وأنَّهما يجتَمعانِ في مَوْسِمِ كلِّ عامٍ.

وروى الحارثُ بنُ أبي أسامةَ عنْ أنسٍ مرفوعًا: «**إنَّ الخضرَ في البحرِ واليسَعَ في البرِّ يجتمعانِ كلَّ ليلةٍ عندَ الرَّدْمِ الذي بناهُ ذو القرْنَينِ بينَ النَّاسِ وبينَ يأجُوجَ ومأجُوجَ ويعتمِرانِ كلَّ عامٍ ويشربانِ منْ ماءِ زمْزمَ شَربةً تكفِيهما إلى قابلٍ**». إسنادُه ضعيفٌ جدًّا، ولا يثبتُ في هذا البابِ حديثٌ.

منْ هو ذو القَرنَينِ؟

قال أبو حيَّانَ في "البحر المحيط": وذُو القرنَينِ هوَ الإسكندرُ اليونانيُّ ذكره ابنُ إسحاقٍ. وقال وهْبٌ: هو روميٌّ.

وهل هو نبيٌّ أو هو عبدٌ صالحٌ ليس بنبيٍّ؟ قولانِ، وقيل: كانَ ملكًا منَ الملائكةِ وهذا غريبٌ. قيل: ملَكَ الدُّنيا مُؤْمنانِ: سُليمانُ وذو القرنَينِ، وكافران: نُمْرُوذ، وبُخْتُنَصَّرُ، وكان بعد نُمْرُوذ.

وعن عليٍّ: كانَ عبدًا صالحًا، ليسَ بملكٍ ولا نبيٍّ، ضُربَ على قرْنِه الأيمنِ فماتَ

في طاعةِ الله، ثم بعثَه الله فضُربَ على قرنِه الأيسرِ فماتَ فبعثَه الله فسُمِّي ذا القرنَينِ.

وقيل: كانَ له قرْنانِ أيْ: ضَفِيرتانِ، وقيل انقرَضَ في وقْتِه قرْنانِ من النَّاسِ. وعن وهْبٍ: لأنَّه ملَكَ الرُّومَ وفارسَ. ورُوي: الرُّومَ والتُّركَ. وعنه: كانتْ صفيحَتا رأسِه من نُحاسٍ، وقيل: كان لتاجِه قرنانِ، وقيل: كان على رأسِه ما يشبِهُ القرْنينِ.

قال الزمخشريُّ: «ويجوزُ أنْ يسمَّى بذلك لشجاعتِه كما يسمَّى الشُّجاعُ كبْشًا كأنَّه ينطَحُ أقرانَه، وكان منَ الرُّومِ ولدُ عجوزٍ ليس لها ولدٌ غيرُه».اهـ

وقيل غيرَ ذلك في تسميتِه: ذا القرنينِ، والمشهورُ أنَّه الإسكنْدرُ. وقال أبو الرَّيحانِ البيرونيُّ المنجِّمُ صاحبُ كتابِ: "الآثارُ الباقيةُ عنِ القُرونِ الخَالية": «هو أبو كَرِبٍ سمي عُمَير بنُ إفريقس الحِميَريّ، بلغَ ملكَه مشارقَ الأرضِ ومغاربَها وهو الذي افتخَر به أحدُ الشُّعراءِ من حِمْيَر حيثُ قال:

قد كانَ ذو القرنَينِ قَبْلِيَ مُسْلما ... مَلِكًا علا في الأرضِ غيرَ مفنَّدِ

بلغَ المشارقَ والمغاربَ يبتغِي ... أسبابَ مُلْكٍ منْ كريمٍ سَيِّدِ

ثم قال أبو الريحان: «يشبِهُ أنْ يكونَ هذا القولُ أقربُ؛ لأنَّ الأذْواءَ كانوا منَ اليمنِ وهمْ الذينَ لا تخلُو أسماؤُهم منْ «ذي كذا» كذي المنارِ، وذي نُوَاسٍ».اهـ، والشِّعرُ الذي أنشدَه نُسِبَ أيضًا إلى تُبَّعٍ الحِمْيَريِّ وهو:

«قد كانَ ذو القرنَينِ جدِّي مُسْلمًا»

وعن محمَّدِ بنِ عليِّ بن الحُسَينِ: عيَّاش، وعن أبي خيثمة: هو الصَّعبُ بنُ جابر بن القَلَمَّس، وقيل مَرزُبانُ بن مَرزَبَةَ اليونانيُّ، من وَلَد يونانَ بنِ يافِثَ.

وعن عليٍّ: هو منَ القرنِ الأولِ منْ ولدِ يافثَ بنِ نوحٍ. وعن الحسنِ: كان

بعد ثَمُودَ، وكانَ عمْرُه ألفَ سنةٍ وستَّمائةٍ، وعن وهْب: كان في الفترةِ بينَ عيسىٰ ومحمَّدٍ صَلَّىٰ الله عليهما وسَلَّم».اهـ ما في "البحرِ المحيط" (٦/ ١٥٨).

وفي "تفسير القرطبيِّ": قال ابنُ إسحاقَ: حدَّثني مَنْ يسوقُ الأحاديثَ عن الأعاجمِ فيما توارثُوا منْ علمِ ذي القرْنَينِ: أنَّ ذا القرْنَينِ كان رجلًا من أهلِ مصرَ اسمُه مرزُبانُ بنُ مردبةَ اليونانيُّ منْ ولَدِ يونانَ بن يافثَ بنِ نوحٍ. قال ابنُ هشامٍ: واسمُه الإسكندرُ وهو الذي بنىٰ الإسكندريةَ فنسبتْ إليه. قال ابنُ إسحاقَ: وقد حدَّثني ثورُ بن يزيدَ عنْ خالدِ بنِ مَعْدانَ -وكان خالدٌ رجلًا قد أدركَ الناسَ- أنَّ رسولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم سُئل عنْ ذي القرْنينِ فقال: «**مَلِكٌ مسَحَ الأرضَ منْ تحتِها بالأسبابِ**».

قال خالدٌ: وسَمعَ عمرُ بنُ الخطابِ رجلًا يقول: يا ذا القرْنينِ، فقال: اللهمَّ غَفْرًا، أمَا رضيتُم أنْ تسَمَّوْا بأسماءِ الأنبياءِ، حتَّىٰ تسمَّيتُم بأسماءِ الملائكةِ؟!

فقال ابنُ إسحاقَ: فالله أعلمُ أيُّ ذلك كانَ؟ أقال رسولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ذلك أم لا؟ والحقُّ ما قالَ.

وقيل: هو نبيٌّ مبعوثٌ فتحَ اللهُ علىٰ يديهِ الأرضَ، وذكر الدارَقُطنيُّ في كتابِ "الأخبار": أنَّ مَلَكًا يقال له: «رفائيل» كان ينزلُ علىٰ ذي القَرْنينِ، وذلك المَلَك هو الذي يطوِي الأرضَ يومَ القيامةِ وينقصُها فتقعُ أقدامُ الخلائقِ بالسَّاهرةِ فيما ذكر بعضُ أهلِ العلمِ. وقال السُّهيليُّ: «وهذا مُشاكِلٌ بتوكيله بذي القرْنين الذي قطَعَ الأرضَ مشارقَها ومغاربَها، كما أنَّ قصَّةَ خالدِ بنِ سِنان في تسخيرِ النَّار له مُشَاكلةٌ بحالِ المَلَكِ الموكَّلِ بها وهو مالكٌ عليه السَّلام.

ذكر ابنُ أبي خيثمةَ في كتاب "البَدء" له خالدَ بنَ سِنانٍ العبسيَّ وذكرَ نبوَّته

وذكر أنَّه وُكِلَ به من الملائكة مالكٌ خازنُ النارِ وكانَ منْ أعلامِ نبوَّتِه أنَّ نارًا يقالُ لها نارُ الحَدَثانِ كانتْ تخرجُ علىٰ النَّاس من مغارةٍ فتأكلُ الناسَ ولا يستطيعون ردَّها، فردَّها خالدُ بنُ سِنانٍ فلم تخرجْ بعد.

قلتُ: قريبٌ من هذه القصَّةِ -قصةُ خالدِ بنِ سِنانٍ في إطفاءِ النَّارِ- ما رواه البغويُّ من طريقِ الجريريِّ، عن أبي العلاءِ، عن معاويةَ بنِ حرملٍ صِهْرِ مُسَيْلَمةَ في الرِّدَّةِ قال: قدمتُ علىٰ عمرَ تائبًا، فقلتُ: يا أميرَ المؤمنينَ، تائبٌ من قبلِ أنْ يُقدَر عليَّ. فقالَ: منْ أنتَ؟ فقلتُ: معاويةُ بنُ حرملٍ خَتَنُ مُسَيْلَمةَ. قال: اذهبْ فانزلْ علىٰ خيرِ أهلِ المدينةِ. قال: فنزلتُ علىٰ تميمٍ الدَّاريِّ، فبينَما نحنُ نتحدَّثُ إذ خرجتْ نارٌ بالحَرَّةِ فجاء عمرُ إلىٰ تميمٍ فقال: يا تميمُ اخرجْ. فقال وما أنا؟ وما تخشَىٰ أنْ يبلغَ منْ أمرِي؟ فصغَّر نفسَه، ثمَّ قامَ فحاشَها حتىٰ أدخلَها البابَ الذي خرجتْ منهُ ثم اقتحَمَ في أثرِها ثمَّ خرجَ فلمْ تضرُّه.

وهذه كرامةٌ كبيرةٌ لتميمٍ رضي الله عنه، ذكرتُها في كتابِ "الحُجَج البيِّنات".

ومن مناقبِ تميمٍ أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم روىٰ عنه خبرَ الجسَّاسةِ، وهو في "صحيحِ مُسْلم". وتميمٌ هو أولُ من أسرَجَ السِّراجَ في المسجدِ.

قال القرطبيُّ أيضًا: «واختُلفَ في اسمِ ذي القرنينِ وفي السَّببِ الذي سُمِّي به بذلك اختلافًا كثيرًا، وأما اسمُه فقيل: هو الإسكندرُ، الملِكُ اليونانيُّ المقْدُونيُّ وقد تُشَدَّدُ قافُه فيقال: المقَّدُونيّ، وقيل: اسمُه هرمسُ، ويقال: اسمُه هرديسُ. وقال ابنُ هشام: هو الصَّعبُ بن ذي يزنَ الحِمْيَريُّ منْ ولَد وائلِ بن حِمْيَر.

وقال وهبُ بن مُنبِّه: هو روميٌّ، وذكرَ الطبريُّ حديثًا عنِ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ ذا القَرْنَينِ شابٌّ منَ الرُّومِ**» وهو حديثٌ واهي السَّندِ،

قاله ابنُ عطيَّةَ.

قال السُّهيليُّ: والظَّاهرُ منْ علمِ الأخبارِ أنَّهما اثنانِ، أحدُهما كانَ علىٰ عهْد إبراهيمَ عليه السَّلامُ، وهو الذي قضىٰ لإبراهيمَ عليه السَّلامُ حين تحاكمُوا إليه في بئرِ السَّبْع بالشَّامِ. والآخَرُ: أنَّه كانَ قريبًا منْ عهدِ عيسىٰ عليهِ السَّلامُ. وقيل: إنَّه أفْرِيدُون الذي قتَل بيوراسب بن أروندَاسب الملِكَ الطَّاغي علىٰ عهد إبراهيمَ عليه السَّلام أو قبلَه بزمانٍ.

وأمَّا الاختلافُ في السَّببِ الذي سُمِّي به فقيلَ: إنَّه كان ذا ضَفِيرتَينِ منْ شَعْرٍ فسُمِّي بهما، والضَّفائرُ: قرونُ الرَّأسِ. وقيل: إنَّه رأىٰ في أوَّلِ مُلْكِه كأنَّه قابضٌ علىٰ قرنَي الشَّمسِ فقصَّ ذلك، ففُسِّر أنَّه سيغلبُ ما ذَرتْ عليه الشمسُ، فسُمِّي بذلك ذا القرنَيْن. وقيل: إنَّما سُمِّي بذلك لأنَّه بلغَ المغربَ والمشرقَ فكأنَّه حازَ قرنَي الدنيا أو قرنَي الشَّيطانِ بها.

وقال وهبُ بن منبِّه: «كانَ له قرْنانِ تحتَ عِمامتِه وسأل ابنُ الكَوَّاء عليًّا رضي الله عنه عنْ ذي القرنَين: أنبيًّا كان أمْ ملِكًا؟ فقال: لا ذا ولا ذا، كانَ عبدًا صالحًا دعا قومَه إلىٰ الله فشجُّوه علىٰ قرنِه ثمَّ دعاهُم فشجُّوه علىٰ قرنِه الآخَرِ فسُمِّي ذا القرنَين. وقد قيل: إنَّما سُمِّي ذا القرنَينِ لأنَّه كانَ كريمَ الطَّرَفينِ من أهلِ بيتٍ شريفٍ مِنْ قِبَلِ أبيهِ وأمِّهِ. وقيلَ: لأنَّه انقرضَ في وقتِه قرنانِ مِنْ النَّاسِ وهو حيٌّ، وقيل: لأنَّه دخلَ الظُّلْمةَ والنُّورَ. وقيل: لأنَّه ملَكَ فارسَ والرُّومَ.

واختلفُوا أيضًا في زمانِه فقال قومٌ: كان بعد موسىٰ، وقال قومٌ: كان في الفترةِ بينَ عيسىٰ، وقيل: كان في وقتِ إبراهيمَ وإسماعيلَ، وكانَ الخَضِرُ عليه السَّلامُ صاحبَ لوائِه الأعظَمِ».اهـ

قلتُ: هذه أقوالٌ متضاربةٌ متباعدةٌ، وفي بعضِها غرابةٌ ونكارةٌ وهي الأقوالُ الآتيةُ:

١ - أنَّه كانَ منَ الملائكةِ وهذا في غايةُ النَّكارةِ.

٢ - أنَّهُ ملَكَ الدُّنيا كلَّها، ولم يملِكِ الدُّنيا كلَّها أحدٌ أصلًا، وسليمانُ عليه السَّلامُ كان ملكُه بالشَّامِ ولم يعرِفْ مملكةَ سَبَأ حتَّى أخبرَه الهُدهُد، ولم يملكْ مصْرَ وهي تجاورُ الشَّامَ، وإنَّما كانَ ملكُه الذي لم يكنْ لغيرِه: تسخيرَ الجنِّ والشياطينِ له، ومعرفتَه بلغةِ الطيورِ والنَّملِ، وبُخْتُنَصَّرُ والنُّمْرُوذُ لم يملِكا مصرَ ولا اليمنَ، فأينَ الدُّنيا التي مَلَكَاها؟!!

٣- أنَّ قومَ ذي القرنَين ضربُوه على قرْنِه فماتَ ثم أحياه الله فدعاهم فضربُوه على قرْنِه الآخَرِ، وهذا غيرُ صحيحٍ عن عليٍّ عليه السَّلامُ، ولا هو صحيحٌ في نفسِه.

٤ - أنَّه وُكِل بذي القرنين ملَكٌ يسمَّى رافائيل أو زرافيل وهذا بالخُرافةِ أشبَهُ منهُ بالحقيقةِ.

٥ - أنَّه أُعطِيَ علمَ الظاهرِ والباطنِ، وهذا كلامٌ صوفيٌّ لا عبرةَ به في هذا المقامِ.

وقد استوفى الحافظُ ابنُ عساكرِ في "تاريخ دِمَشْق" أخبارَ ذي القرنَين وما قيلَ فيه منْ أقوالٍ ونُقلَ كثيرًا منها الحافظُ ابنُ كثيرٍ في تاريخِه "البداية والنهاية" ولم يرِدْ في تعيينِه أو شيء منْ خبرِه حديثٌ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، إلا ما رواه ابن جريرٍ وغيرُه من طريقِ ابن لَهِيعَة، عنْ عبدِ الرَّحمن بنِ زِياد بنِ أنْعمَ، عن شيخَينِ من تجيبَ، عنْ عُقبةَ بنِ عامرٍ: أنَّ نفرًا منَ اليهودِ جاءوا يسألون النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن ذي القرنَيْن فأخبرَهم بما جاءوا له

ابتداءًا فكان فيما أخبرَهم به أنَّه كان شابًّا من الرُّوم وأنَّه بنىٰ الإسكندريةِ وأنَّه علا به ملَكٌ إلىٰ السَّماءِ وذهبَ به إلىٰ السَّماءِ ورأىٰ أقوامًا وجوهُهم مثلُ وجوهِ الكلابِ. قال ابنُ كثير: وفيه طولٌ ونكارةٌ ورفعُه لا يصحُّ، وأكثرُ ما فيه أنَّه منَ الإسرائيلياتِ، والعجبُ أنَّ أبا زُرْعة الرَّازيَّ -مع جلالةِ قدرِه- ساقَه بتمامِه في كتابِه: "دلائل النبوة" وذلكَ غريبٌ منه».

قلت: في إسنادِ الحديثِ راويانِ مجْهُولانِ، وعبدُ الرحمن بنُ زياد، وهو ضعيفٌ.

وسبقَ مرسَلُ خالدِ بنِ مَعْدانَ أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم سُئلَ عنْ ذي القرنَيْن فقال: «**ملِكٌ مسَحَ الأرضَ مِنْ تحتِها بالأسْبابِ**» والمرسَلُ ضعيفٌ.

وروىٰ ابنُ أبي حاتمٍ في "تفسيره"، عن الأحوصِ بنِ حكيمٍ، عن أبيه: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم سُئل عن ذي القرنَين فقال: «**هو مَلِك مسَحَ الأرضَ بالإحسَانِ**». وهذا أيضًا مرسَل ضعيفٌ.

وهو يدل علىٰ أنَّ "تفسير ابن أبي حاتم" فيه أحاديثُ ضعيفةٌ خلافًا لما زَعَمَ الألبانيُّ أنَّ أحاديثَه صحيحةٌ.

وبالجملةِ لم يصحَّ عنِ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حديثٌ في ذي القرنَينِ.

وكان في حِمْير والرُّومِ وغيرِهما ملوكٌ سُمِّي كلّ منهم بذي القرنَين وأحدُهم كان في عهدِ إبراهيمَ عليه السَّلامُ. لكنَّ المذكورَ في القرآنِ الكريمِ غيرُ هؤلاء جميعًا وصفاتُه لا تنطبقُ عليهم.

وأوَّلُ مَنْ فَطِنَ لذلك ونبَّه عليه العلَّامةُ أبو الكلامِ آزاد رحمه الله، وقد كان وزيرَ المعارفِ بالهندِ حينَ استقلالِه وكانَ قبلَ ذلك يفسِّرُ القرآنَ الكريمَ باللّغةِ الأُرْدِيَّةِ لغة الهِنْديِّينَ ولما وصَلَ في تفسيرِه إلىٰ قصَّة ذي القرنَينِ رجعَ إلىٰ ما كتَبهُ

المفسِّرُون والمؤرِّخُون فوجَد أقوالًا كثيرةً وآراءَ متضاربةً لم يطمَئِنَّ إليها قلبُه فردَّها، وقال: إنَّها قامتْ على افتراضِ مُخْطِئٍ لا يدعَمُه دليلٌ، واعتَرَض على مَنْ قال: إنَّه الإسكندرُ المقدُونيُّ، فقال: لا يُمْكنُ أنْ يكونَ هو المذكورُ في القرآنِ إذْ لا تُعرفُ له فتوحاتٌ في المغربِ كما لم يعرفْ عنه أنَّه بنى سدًّا ولم يكنْ مُؤمنًا ولا شفيقًا عادلًا مع الشعوبِ التي غلَبَ عليها، وتاريخُه مدَوَّن معروفٌ.

وأبطَلَ قولَ من قال: إنَّه يمنيٌّ حِمْيَريٌّ، بأنَّ سببَ النُّزولِ سؤالُ اليهودِ عنْ ذي القرنَيْنِ لتعجيزِ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ولو كان عربيًّا يمنيًّا لكان احتمالًا قويًّا لدي اليهودِ أنْ يكونَ عند قريشٍ علمٌ به وبالتَّالي عند النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فيكونُ قصدُ اليهودِ التَّعْجيزَ غيرَ واردٍ ولا محتَمَلٍ، لكنَّهم كانوا متأكِّدِين حينَ سألوه بأنَّه لم يصِلْه خبرٌ عنه وكانُوا يقصدونَ بذلكَ عجزَه عنِ الرَّدِّ.

قلتُ: يؤكِّد هذا ما رواه الشِّيرازيِّ في "الألقاب" عن جُبَير بنِ نُفَير: أنَّ أحبارًا منَ اليهودِ قالوا للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: حدِّثْنا عنْ ذي القرنَيْنِ إنْ كنتَ نبيًّا. فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**هُوَ ملِكٌ مسَحَ الأرضَ بالأسبَابِ**». فلم يزدْ في جوابِهم عمَّا جاءَ في القرآنِ.

قال أبو الكلامِ آزاد أيضًا: «والحاصلُ: أنَّ المفسِّرينَ لم يصلُوا إلى نَتِيجةٍ مُقْنِعَةٍ في بَحْثِهم عنْ ذي القَرْنَيْنِ، المتقدِّمُونَ منهم لم يحاولوا التَّحقيقَ، والمتأخِّرُونَ حاولُوه لكنْ كانَ نصيبُهم الفشَلَ، ولا عجبَ، فالطريقُ الذي سلكوهُ كانَ طريقًا مخطِئًا.

لقد صرَّحتِ الآثارُ بأنَّ السؤالَ كانَ منْ قِبَلِ اليهودِ وجَّهُوه مباشرةً أو أوعزَوْا إلى قريشٍ بتوجِيهه، فكانَ اللائقُ بالباحثِين أنْ يَرْجِعوا إلى أسفارِ اليهودِ

ويبحثُوا هل يوجدُ فيها شيءٌ يُلقِي الضَّوْءَ على شخصِيَّة ذي القَرْنَيْنِ.

إنَّهُم لو فَعلوا ذلك لفازُوا بالحقيقةِ، ذلك أنَّ توجِيهَ السُّؤالِ مِنَ اليَهودِ بقصدِ التَّعْجيزِ يفيدُ أنَّ لديهِم في كتبِهم وتاريخِهم عِلمًا به، معَ تأكُّدِهم بأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أو العربَ لم يطَّلعُوا على ما جاء في كتبِهم فكانَ الطريقُ السَّليمُ هو البحثُ عنِ المصدرِ الذي أخذَ اليهودُ عنه علْمَهم بهذا الشَّخْصِ ومصدرُهم الأوَّلُ هو التَّوراةُ.

فاتَّجه إليها آزادُ وبحثَ في أسْفارِ الأنبياءِ منْ بني إسرائيلَ ووجدَ في التَّوراةِ ما يشيرُ إلى أصْلِ تسْميةِ ذي القرنَيْنِ وهُوَ «لوقرنائيم» كما جاء في التَّوراةِ، وجاءَ فيها أنَّ الملكَ الذي أطلقُوا عليه هذه الكُنْيَةَ اسمُه خورش، وهو كورش بالفارسيةِ ويقال: غورش.

وسببُ اعتناءِ اليهودِ بهذا الملكِ واحتفائِهِمْ بهِ ما جاء منَ التَّنويهِ عنهُ في كتُبِ إشعياء: «وإنِّي أقولُ في حقِّ خورش بأنَّه راعٍ له وهو يتمُّ مرْضَاتي كلَّها، يقولُ الرَّبُّ في شأنِ مسِيحِهِ خورش: أنا أخذتُ بيده اليُمنى لأجلِ الأممِ في حوزتِه، وأنزعُ القوَّةَ منْ سواعدِ الملوكِ وأفتحُ له الأبوابَ تلوَ الأبوابِ، أجَلْ إنِّي أمشي بينَ يديكَ وأقوِّم ما اعوجَّ منْ سبُلِكَ...»، إلى أنْ يقولُ: «أفعلُ كلَّ ذلكَ لتعلَمَ أنني أنا الربُّ إلهُ إسرائيلَ الذي ناداكَ باسمِكَ صراحةً لأجلِ إسرائيلَ شعبُه المختارُ» (٤٥:١).

ما الذي فعَلَه منْ أجلِ إسْرائيلَ؟

إنَّ النُّصوصَ التي أوردَها آزاد منَ الأسفارِ تخبرُ أنَّ ملِكًا سيظهرُ في الشَّرقِ ويُنْقِذُهُم من الأسْرِ الذي وقعُوا فيه على يدِ بُخْتُنَصَّرَ ويعيدُهم من بابِلَ إلى

أرضِهم ويجدِّدُ عِمارةَ أُورْشَليمَ (القدس) والذي يفعلُ هذا قد ذكرتِ الأسفارُ وصفَه تارةً بطريقِ الرَّمْزِ بصورةِ كبْشٍ له قَرْنان (لوقرنايم) أو عُقَابٍ يأتي من الشَّرقِ له جناحانِ ،وتارةً تذكرُ اسمَه صراحةً بأنَّه خورش (كورش) وتصفُه بأنَّه مسِيحُ الله وتُضْفي عليه منْ صِفَاتِ المدحِ وثناءِ الرَّبِّ عليه ومخاطبتِه إيَّاه بالكثيرِ منْ الأوصافِ.

وقد ظهرَ هذا في الأسفارِ علىٰ شكلِ نُبُوءاتٍ ورُؤَىٰ سابقةٍ علىٰ ظهورِ خورش ممَّا جعلَ المؤرِّخينَ يتَّهمونَ اليهودَ الأسَارىٰ في بابلَ بمساعدتِه حينَ هجَم عليها حتَّىٰ انتصَر علىٰ ملِكِها.

ومما قدَّمُوه إليه وأطْلَعُوه عليه منْ نُبُوءاتٍ خاصَّةٍ به وممَّا قيلَ عنْ هذهِ المساعدةِ تجاوبَ الملكُ الفارسيُّ الفاتحُ معَهُم وعطَفَ عليهمْ وأعادَهُم مكرَّمينَ إلىٰ بلادِهم وجدَّدَ لهم عِمارةَ أُورْشَلِيمَ.

ويضيفُ آزاد إلىٰ هذا سببًا دينيًّا هو اتِّحادُ عقيدةِ كورش معَ عقيدةِ اليهودِ في توحيدِ الله وسَطَ أقوامٍ يعبدونَ الأصنَامَ، فكورش كانَ منْ أتْباعِ الدِّينِ الزَّرَادشْتيِّ وهو دينُ توْحيدٍ، واليهوديةُ دينُ توحيدٍ كذلكَ، ثمَّ عيَّنَ مكانَ السَّدِّ الذي بناهُ ذو القرْنَيْنِ بأنَّهُ واقعٌ في البُقْعَةِ الواقعةِ بينَ بحْرِ قَزْوِينَ والبَحْرِ الأسودِ حيثُ توجَدُ سِلْسِلةُ جبالِ القَوْقَازِ بينهُما وتكادُ تَفْصِلُ بينَ الشَّمالِ والجنوبِ إلَّا في ممرٍّ كان يَهْبِطُ منه المغِيرُونَ منَ الشَّمالِ للجنوبِ، وهمْ قبائلُ همجيَّةٌ من التَّتارِ (يأجوج وأجوج).

في هذا الممرِّ بنىٰ كورش أو غورش (ذو القرنين) السَّدَّ المعروفَ بسَدِّ يأجُوجَ...، أو سدِّ ذي القرنَينِ، أو ردْمِ ذي القرْنينِ، ورَسَمَ خريطةً تبيِّنُ

رحلاتِ ذي القرنَيْنِ وموضعَ السَّدِّ وشرحَ كلمةَ يأجوجَ ومأجوجَ وبيَّن أصلَها وأنَّها تنطبقُ علىٰ قبائلِ التَّتارِ، واستدلَّ لذلكَ بأدلَّةٍ تاريخيَّةٍ ولُغويَّةٍ، ووجدَها موافقةً لما في القرآنِ الكريمِ عن ذي القرنَيْنِ ورحلاته، فأزالَ الغموضَ الذي اكتنفَ قصَّةَ ذي القرنَيْنِ وقِصَّةَ السَّدِّ جزاه الله خيرًا وأكرَمَ منزلتَه.

وأخيرًا، أخبرَني الدكتور عزُّ الدين عبد القادر أنَّ قبائلَ التَّتار يسمِّيهم الأرْمَنُ: هاجوج(١).

تنبيهاتٌ في ختامِ البحثِ

الأولُ: فيما وردَ من أخبارٍ حولَ مَنْ خلفَ السَدِّ (يأجوج ومأجوج):

وردتْ بعضُ الأحاديثِ والآثارِ تفيدُ أنَّ الذين خلفَ السدِّ يحاولُونَ نقبَه والخروجَ منْه حتَّىٰ إذا قرُبَ وقتُ خروجِهم في آخرِ الزَّمانِ نقَبُوهُ وخرَجُوا منه.

روىٰ أحمدُ منْ طريقِ أبي رافعٍ، عن أبي هريرةَ، عنْ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ يأجوجَ ومأجوجَ ليَحْفِرُونَ السَّدَّ كلَّ يومٍ حتَّى إذا كادُوا يجِدُونَ شُعَاعَ الشَّمْسِ قال الذي عليهِمْ: ارجِعُوا فستحفِرُونَه غدًا، فيعُودُونَ إليهِ كأشَدِّ ما كانَ، حتَّى إذا بلغتْ مدَّتُهم وأرادَ الله أنْ يبعثَهُم على النَّاسِ حَفَرُوا حتَّى إذا كادُوا يرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ قال الذي عليهِم: ارجِعُوا فستَحْفِرُونَه غدًا إنْ شاءَ الله، فيسْتَثْنِي، فيعُودُونَ إليهِ وهو كهَيْئَتِه حينَ تركُوهُ فيحفِرُونَه ويخرُجُونَ على النَّاسِ...**» الحديث. رواه التِّرمذيُّ وابنُ ماجه.

قال ابنُ كثير: وإسنادُه جيِّدٌ قويٌّ، لكنَّ متنَه في رَفْعِه نكارةٌ لأنَّ ظاهرَ الآيةِ

---

(١) أهلُ المغربِ يطلقونَ لفظَ (الهجِيج) علىٰ الجماعاتِ الذينَ يفارقُونَ بلدَهم في طلَبِ القُوتِ لمجاعةٍ تصيبُهُم.

يقتضِي أنَّهم لم يتمَكَّنُوا منْ ارتقائِهِ ولا مِنْ نقْبِه لإحكامِ بنائِه وصلابَتِه وشدَّتِه، ولعلَّ أبا هريرةَ تلقَّاهُ منْ كعْبٍ فإنَّه كانَ كثيرًا ما يجالسُه ويحدِّثُهُ فحدَّثَ به أبو هريرةَ فتوهَّم بعضُ الرُّواةِ عنه أنَّهُ مرفوعٌ فرفَعَه.

قلتُ: ومِنْ نكارتِه قولُه أيضًا: «**حتَّى كادُوا يرونَ شُعَاعَ الشَّمسِ**» وهذا يقتضِي أنَّ السَّدَّ منطبِقٌ عليهِمْ كالسَّقْفِ وهُمْ تحتَه وهذا ليسَ بصحيحٍ، وأيضًا قوله: «**يحفِرُونه**» لأنَّ السَّدَّ لا يتأتَّى حفرُه، لأنَّه منْ حديدٍ ونُحاسٍ مُذابٍ، والحفْرُ إنَّما يكونُ في بناءٍ منْ حِجارةٍ وطِينٍ، ومِنْ نكارةِ هذا الحديثِ أنَّهُ يخالفُ القرآنَ الذي يفيدُ أنَّ الله يدُكّ السَّدَّ عندَ خروجِ يأجوجَ ومأجوجَ.

ورُويَ عن كعْبِ الأحبارِ قال: إنَّ يأجوجَ ومأجوجَ يأتونَ السَّدَّ فيلحَسُونَه حتَّى لا يبقَى منهُ إلا القليلُ، فيقولونَ: غدًا نفْتحُه فيأتونَ منَ الغدِ وقد عادَ كما كانَ، فيلْحَسُونه حتَّى لا يبقَى منه إلا القليلُ، فيقولونَ كذلكَ، فيصبِحُونَ وهو كما كانَ، فيلْحَسُونَه ويقُولونَ: غدًا نفتَحُه ويُلْهَمُون أنْ يقولُوا: إنْ شاءَ الله، فيُصْبِحونَ وهو كما قدْ فارقُوه فيفتَحُونَه.

قلتُ: كلامُ كعْبٍ خرافةٌ غيرُ معقولةٍ، وإذا كانَ الله قد أَخْبرَ أنَّ يأجُوجَ ومأجوجَ لم يستطيعُوا أنْ ينقُبوا السَّدَّ لصلابَتِه وشدَّتِه فكيفَ يستطيعُونَ أنْ يهدُّوه بألسنَتِهم؟!!

وقد هوَّلَ كعبٌ وغيرُه في وصفِ يأجوجَ ومأجوجَ وذكرُوا عنْ أشْكالهم وخلقَتِهم وجِماعِهم وقِصَرِهم وطولِ آذانِهم غيرَ المعتادِ ، وغيرَ ذلك مِنَ التَّهْوِيلاتِ الخُرافيَّةِ.

والحقيقةُ الواقعةُ أنَّ يأجوجَ ومأجوجَ أناسٌ من بني آدمَ وهمُ التَّتارُ،

خلقَتُهم كخلقَتِنا، وهمْ لا يحاوِلُون هدْم السَّدِّ ولا يعرِفُونَ ذلك ولكنَّ الناسَ يحبُّونَ التَّهويلَ في الأمرِ الغائبِ عنِ العَينِ ولله في خَلقِه شؤُونٌ.

الثاني: حديثُ الصَّحِيحَيْنِ فيما فُتِحَ منْ ردْمِ يأجُوجَ ومأجُوجَ والتَّعليقُ عليه:

ثبتَ في الصَّحيحَينِ عنْ أمِّ حبيبةَ رضي الله عنها عن زينبَ بنتِ جَحْشٍ رضي الله عنها قالتْ: استيقظَ النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم منْ نومِه وهُو محمَرٌّ وجهُه وهو يقولُ: «**لا إلهَ إلا اللهُ، ويلٌ للعربِ منْ شرٍّ قد اقتربَ، فُتِحَ اليومَ مِنْ ردْمِ يأجُوجَ ومأجُوجَ مثلَ هَذا**» وحَلَّق هكذا. قلتُ يا رسولَ الله، أنهْلكُ وفينا الصَّالحون؟ قال: «**نعَمْ، إذا كثُرَ الخَبَثُ**».

قوله: «**فُتِحَ اليومَ مِنْ ردْمِ يأجُوجَ ومأجُوجَ**» وحَلَّق هكذا، يعني: ضَمَّ السَّبابَةَ معَ الإبهامِ بشكلِ حَلَقةٍ، وفَتحُ الرَّدْمِ كنايةٌ عن قربِ ظُهُورِ الفتَنِ ولذلك قال: «**ويْلٌ للعَرَبِ من شرٍّ قد اقْتَرَبَ**». والفتَنُ قد ابتدأتْ بقتلِ عثمانَ رضي الله عنه، واستمَرَّتْ.

والحاصلُ أنَّ الرَّدمَ لا يُنقَبُ ولا يُهدَمُ إلا عند الوقتِ الذي أرادَه الله لخروجِ يأجوجَ ومأجوجَ فيدكُّه بالأرضِ.

الثالث: روايةٌ عن كعبِ الأحْبارِ في أصلِ يأجوجَ ومأجوجَ ونقدُها:

قال كعبُ الأحبارِ: احتلمَ آدمُ عليه الصَّلاة والسَّلامُ فاختلطَ ماؤُه بالتُّرابِ فأسِفَ، فخُلِقُوا منْ ذلك الماءِ، فهم متَّصلونَ بنا منْ جِهَةِ الأبِ لا منْ جِهَةِ الأمِّ.

قلتُ: هذا كلامٌ ساقطٌ، والأنبياءُ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ لا يحتلِمُونَ، ويأجوجُ ومأجوجُ من نسْلِ يافثَ بنِ نوحٍ عليه السَّلامُ، وكذلك التُّركُ، ووقتُ خروجِهم بعدَ نزولِ عيسى عليه السَّلامُ وقتلِه للدَّجَّال، والحديثُ يفيدُ أنَّهم لا يؤمنُون بالله فهُم

شُيوعِيُّونَ ولا يبعُد أنْ يكونُوا همُ السُّوفيات أو منِ جنْسِهم، والله أعلم.

الرابع: هل كانَ ذو القَرنينِ نبيًّا؟

هل كانَ ذو القَرْنين نبيًّا؟ روىٰ الحاكمُ وصحَّحهُ عن أبي هريرةَ قال: قال رسولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ما أدري أتُبَّعُ كان لعَينًا أمْ لا؟ وما أدرِي أذو القرنينِ كان نبيًّا أم لا؟ وما أدري الحدودُ كفَّاراتٌ لأهلِها أم لا؟**».

وروىٰ ابن مَرْدُويَه عن سالمِ بنِ أبي الجعْدِ قال: سُئِل عليٌّ عليه السَّلامُ عنْ ذي القرنَيْنِ: أنبيٌّ هو؟ فقال: سمعْتُ نبيَّكم صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقولُ: «**هو عبدٌ ناصحَ الله فنصحَه**». وروىٰ ابنُ أبي حَاتمٍ، عن الأحوصِ بنِ حكيمٍ عن أبيه: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم سُئل عن ذي القرنَينِ فقال: «**هُوَ ملِكٌ مسَحَ الأرضَ بالإحْسانِ**».

ورُوي عنِ ابنِ عباسٍ وعليٍّ: أنَّه ليسَ بنبيٍّ وأنَّه عبدٌ صالحٌ، وهو الصوابُ، وليسَ في القرآنِ ما يقتضِي نبوَّتَه إلا قولُه تعالىٰ: ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [الكهف: ٨٦]، وهذا ليسَ بنصٍّ، إذ يُحتَمَل أنَّه علىٰ سبيلِ الإلهامِ أو بواسطةِ نبيٍّ في وقتِه، أما تُبَّع فقد ثبتَ النَّهي عنْ سبِّه لأنَّه قد أسلمَ، وأما الحدُود فقدْ صحَّ الحديثُ بأنَّها كفاراتٌ لأهلِها.

وروىٰ ابنُ أبي حاتمٍ، عن سَهْلِ بنِ سعدٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لا تَسُبُّوا تُبَّعًا فإنَّه قدْ كانَ أسْلمَ**»، ورواه الطَّبرانيُّ بإسنادٍ آخَرَ عنِ ابنِ عبَّاسٍ مرفوعًا أيضًا.

وقال عبدُ الرَّزَّاقِ: أخبرَنا أبو الهُذَيل: أخبرَني تميمُ بنُ عبدِ الرحمن قال: قال عطاءُ

ابنُ أبي رَبَاحٍ: لا تسُبُّوا تبَّعًا فإنَّ رسولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم نهىٰ عن سبِّه.

كانتْ عائشةُ رضي الله عنها تقُولُ: لا تسُبُّوا تبَّعًا فإنَّه كانَ رجلًا صالحًا.

وفي الصحِيحَينِ عن عُبادةَ بنِ الصَّامتِ رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**بايعُوني على ألا تُشْرِكوا بالله شيئًا ولا تَسْرِقُوا ولا تَزْنُوا ولا تَقْتُلُوا أولادَكُم ولا تأتُونَ ببهتانٍ تفتَرونَه بينَ أيدِيكُم وأرجُلِكم ولا تعصُوني في معروفٍ، فمنْ وَفَى منكُم فأجرُه على الله، ومَنْ أصابَ مِنْ ذلك شيئًا فعُوقبَ في الدُّنيا فهو كفارةٌ له، ومَنْ أصابَ مِنْ ذلك شيئًا ثُمَّ سَتَره اللهُ فهُو إلى الله إنْ شاءَ الله عفَا عنهُ وإنْ شاءَ عاقَبَه**».

وثبتَتْ أحاديثُ بهذا عنْ جماعةٍ مِنَ الصَّحابة، وجملتُها تفيدُ القطْعَ بأنَ الحدودَ كفَّاراتٌ.

وروىٰ التِّرمذيُّ والحاكمُ وصحَّحَه عن عليٍّ عليه السَّلامُ، عنِ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَنْ أصابَ ذنبًا فعُوقِبَ به في الدُّنيا فالله أكرمُ مِنْ أنْ يُثَنِّي على عبدِه العُقوبةَ في الآخِرة**».

وروىٰ أحمدُ بإسنادٍ حسنٍ، عن خُزَيمةَ بنِ ثابتٍ، عنِ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَنْ أصابَ ذنبًا أُقِيمَ عليه حَدُّ ذلك الذنبِ فهوَ كفَّارةٌ له**».

وروىٰ الطبرانيُّ بإسنادٍ حسَنٍ، عنْ عبدِ الله بنِ عمرو بنِ العاصِ، عنِ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ما عُوقِبَ رجلٌ على ذنْبٍ إلا جعلَه الله كفارةً لما أصابَ ذلك الذَّنبِ**».

الخامس: روايةٌ عنْ مجاهدٍ أنَّ الدُّنيا ملَكَها أربعةٌ: مؤمنانِ وكافرانِ، ونقدُها:

قال مجاهدٌ: ملَكَ الدُّنيا أربعةٌ، مؤمنانِ: سليمانُ وذو القرنَيْنِ، وكافرانِ:

نُمْرُوذُ وبُخْتُنَصَّرُ.

وهذا ليس بصحيحٍ وإنَّما كان سليمانُ عليه السَّلامُ ملِكًا في الشَّام وكانتْ مَمْلَكةُ سبَأ في اليمنِ ولم يعلمْ بها حتَّىٰ أخبرَه الهُدْهدُ، وكانتْ عظَمَةُ مُلْكِ سليمانَ في أنَّ الله سخَّر له الجنَّ والشياطينَ والرِّيحَ وعلَّمَه لغةَ الحيوانِ.

وذو القرنَيْنِ كانَ ملِكًا علىٰ فارسَ وضَمَّ إليها بابلَ، ولم يَطُفْ الدُّنيا كلَّها كما شاعَ بينَ النَّاسِ بدونِ دليلٍ، ورِحْلةُ ابنُ بطوطةَ كانتْ أوسَعَ مِنْ رِحْلةِ ذِي القرنَيْنِ.

ورؤيةُ غروبِ الشَّمسِ كانتْ في إزمِيرَ منْ بلادِ اليونانِ وهي رؤيةٌ بحسْبِ ما يظهرُ للعيْنِ فإنَّ الشَّخْصَ إذا كانَ علىٰ شاطئِ البَحْرِ عندَ الغروبِ يرىٰ الشمسَ تغربُ في البحْرِ، وإذا كان في صحراءَ يرىٰ الشَّمسَ تغربُ خلفَها، والشمسُ أكبرُ منَ الدُّنيا بمليونِ مرَّةٍ فكيفَ تغربُ في البحرِ أو الصَّحراءِ وهو بعضُ الدُّنيا؟!!

وكان هارونُ الرَّشيدُ إذا رأىٰ سحَابةً مرَّتْ يقولُ لها: أمطِري حيثُ شئتِ فسيأتيني خراجُك. وذلك لسَعةِ البلادِ التي يحكمُها، ومعَ ذلكَ لم يملِكِ الدُّنيا.

وليس في القرآنِ ما يفيدُ أنَّ ذا القرنَيْنِ ملَكَ الدُّنيا كلَّها، وأنَّ رحلتَه جمعتْ بينَ قرني الشَّمسِ كما يقولُ المهوِّلون، إنَّما اليهودُ سألوا عنه رسولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ سَبيلِ التَّعجيزِ والامتحانِ فأجابَهم الله بما يعرفُونَه في كتبِهِمْ فكانَ الجوابُ مطابقًا للسؤالِ.

والتَّهويلُ في شأنِ ذي القَرْنَيْنِ وحكمِه ورحلتِه لغوٌ لا فائدةَ فيه ولا مصْلحةَ في نقْلِه وتتبُّعِهِ.

واللهُ يقولُ الحقَّ وهوَ يَهدِي السَّبيلَ، والحمدُ لله ربِّ العالمينَ

٩ - تَنْوِيرُ البَصِيرةِ
ببيانِ عَلامات الكَبيرةِ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله، رغَّب عباده في طاعته ونيل ثوابه، وحذَّرهم مِن معصيته وأسباب عِقابه، أحمده وأشهد أن لا إله إلَّا هو، وحده لا شريك له، شهادةً نستجلب بها رحمته، ونستدفع بها نقمته، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّدًا عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، لم يدع شيئًا يُقرِّب إلى الجنَّة إلَّا أمر به، ولا شيئًا يُقرِّب إلى النَّار إلَّا نهى عنه، نُصْحًا خالصًا وجَّهه إلى أُمَّته، وأرشدها إلى ما يُبعدها عن غضب الله وسَطْوته، فصلَّى الله وسلَّم عليه صلاةً وسلامًا يليقان بمقامه، ويُفاض عليه بهما سَيْبٌ مِن فضل الله وإنعامه، ورضي الله عن آله المطهَّرين الأبرار، وصحابته الأخيار مِن المهاجرين والأنصار.

أما بعد: فإننا لما كنَّا بمصر سنة ١٣٥٣ كتب تلميذٌ لي رسالة في تحريم حَلْق اللحية، سميتها له "تنبيه أولي البصائر على أنَّ حلق اللحية مِن الكبائر"، وأمليت عليه سطرًا كتبه في خطبتها مفاده أنَّ القارئ قد يعجب إذا رأى هذا العنوان، لكن لا يعجل بالإنكار حتى يقرأ الرسالة، ويرى ما فيها من الأدلة على صحَّة ما نقول، وكنت أفهم إذ ذاك أنَّ ما نُهي عنه يكون كبيرة، سواء أكان النهي صريحًا أم التزامًا.

ثم تمكَّنت في علم الأصول، وخَبُرت قواعده ومسائله، وبرَّزت فيه - بفضل الله- على الأقران بل الشيوخ، فأدركت خطأ ما فهمته أولًا، وعرفت أنَّ المنهيَّ عنه لا يكون كبيرة إلَّا إذا انضمَّ إلى النهي علامة تدل على عِظم الإثم وكِبَر الجُرم، ولما رجعت إلى المغرب وجدت التلميذ المذكور متمسِّكًا بذلك الخطأ الذي لقنته إياه، مغرقًا في التمسُّك به إلى درجة التزمُّت، وعلمت أنه ألَّف رسالة سماها

"الحُجَّة الواضحة" علَّل فيها حرمة حلق اللحية بتغيير خلق الله والتشبُّه بالنِّساء، وبنىٰ علىٰ ذلك أنَّ حالق اللحية ملعون وصلاته باطلة، وهو استنباط طريف.

ثم قرأت في "مجلة الكلمة" أنَّ تلك الرسالة أوجدت قلقًا وبلبلة فكر عند بعض المصلِّين بالدار البيضاء، وأنهم طلبوا فتوىٰ تُبيِّن لهم حقيقة الأمر، فكتبت مقالًا بالمجلة المذكورة، وذكرت فيه: أنَّ التعليل الذي علَّل به تحريم حلق اللحية مأخوذ من رسالة أدب الزفاف للألباني، وقلتُ: إنَّ حلق اللحية صغيرة؛ لأن النهي عنه مأخوذٌ بطريق الالتزام، ولأنه لم يأتِ فيه شيءٌ من علامات الكبائر، وأبطلت التعليل بتغيير خلق الله والتشبُّه بالنِّساء بقواعد أصولية لم تخطر علىٰ باله ولم تمر بخياله.

فلما قرأ المقال وعرف أنَّ أهل العلم عَدُّوه بسببه صفرًا علىٰ الشمال، قامت قيامته، وثارت ثائرته، وخرج عن وعيه، وركب رأسه مستمرًّا في غيِّه، وصار يهذي كالمحموم، ويهذر بكلام غير مفهوم. لكن ماذا يفعل؟! والقواعد التي أبديتها أوصدت دونه الأبواب، وقطعت بينه وبين الحُجَّة جميع الأسباب!.

فلجأ إلىٰ السِّلاح الذي يأنسه مِن نفسه، ويعتزُّ به في صباحه وأمسه، ألا وهو سلاح السَّفَه والشتيمة، ونهش الأعراض بكلِّ ذميمة، فكتب رسالة ملأها بما جاد به طبعه السليم مِن كذبٍ وبهتان قبيح، وسبٍّ وتجريح، ولم يذكر فيها ما يمكن أن يُسمَّىٰ علمًا إلَّا أشياء معرَّفة، ومسائل مشوَّهة، مِن ذلك زعمه أنَّ الأمن مِن مكر الله كبيرة، وليس فيه علامة من علاماتها.

فأعرضت عن إجابته، وتركته يشرق بغصَّته، ورأيت أن أُحرِّر رسالة في بيان العلامات التي يكون وجود شيءٍ منها في معصيةٍ مؤذنًا بأنها كبيرة.

وهذا بحث مهم يجهله كثير من أهل العلم، ولم يكتب فيه قبل اليوم كتاب خاصٌّ به، وقد ألَّف العلماء في الكبائر، وذكروا بعض أماراتها، واختلفوا في بعضها الأخر، لكن لم يستوعبوا ولا قاربوا وأنا أريد- بحول الله تعالىٰ- أن أستوعب الأمارات بقدر استطاعتي، وحسب اطلاعي، بحيث لا يفوتني منها إلَّا ما طغىٰ عليه النِّسيان، والله المستعان وعليه التُّكْلان.

أقوال العلماء في تعريف الكبيرة

ذهب القاضي أبو بكر الباقلَّاني والأستاذ أبو إسحق الإسفراييني وإمام الحرمين وابن القشيري إلىٰ أن الذنوب كلها كبائر، وحكاه ابن فورك في "تفسيره" عن الأشاعرة، واختاره، وحكاه السُّبكي في "جمع الجوامع" عن والده تقيِّ الدِّين، وروىٰ الطبرانيُّ بإسنادٍ منقطعٍ عن ابن عبَّاسٍ قال: «كل ما نُهي عنه فهو كبيرة».

وذهب الجمهور إلىٰ أنَّ الذنوب قسمان: كبائر وصغائر، والخلاف لفظي - كما قال المحليُّ وغيره- لاتفاق الفريقين علىٰ أنَّ مِن الذنوب ما لا يُفسق صاحبه ولا يُسقط عدالته، غير أن أصحاب القول الأول استعظموا أن يُسمُّوا معصية الله صغيرة، فرجع الخلاف إلىٰ اللفظ والتسمية دون المعنىٰ.

وقد جاء القرآن والسُّنَّة بالتفريق بين الذنوب، وتقسيمها إلىٰ كبائر وصغائر، قال الله تعالىٰ: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء:٣١]، وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ [النجم: ٣٢]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ

ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ﴾ [الحجرات: ٧].

وفي "صحيح مسلم" عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**الصَّلوات الخَمْسُ، والجُمُعةُ إلى الجُمُعةِ، مُكَفِّراتٌ لِما بينهنَّ ما لم تُغْشَ الكَبائِرُ**». وفيه أيضًا عن أبي هريرة أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان يقول: «**الصَّلواتُ الخَمْسُ، والجُمُعةُ إلى الجُمُعةِ، ورمضانُ إلى رمضانَ مُكفِّراتٌ لما بينهنَّ ما اجتُنِبَتِ الكَبائِرُ**».

وفي "صَحِيحَي البخاريِّ ومسلمٍ"، عن ابن مسعود: أنَّ رجلًا أصاب من امرأةٍ قُبْلَةً، فأتى النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فأخبره، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [هود: ١١٤]، فقال الرجل: ألي هذا خاصَّة يا رسول الله؟ قال: «**لجميع أمَّتي كلِّهم**».

أفادت هذه الأيات والأحاديث أنَّ في الذنوب صغائر، وهي المُعبَّر عنها بالسيِّئات والعصيان واللَّمَم، وسمُّيت في الحديث أيضًا «محقَّرات الذنوب».

قال الغزالي: «لا يليق إنكار الفرق بين الكبائر والصغائر، وقد عُرِفا من مدارك الشرع».اهـ

ثم اختلف الجمهور هل تدرك الكبيرة بتعريف بجميع جزئياتها؟ أو بعدد يضم أفرادها؟ فذهب طائفة إلى الأول، وذكروا لها تعاريف، ليس منها تعريف جامع مانع، وقال آخرون بالعدد، ثم اختلفوا، فقيل: هي المذكورة من أول سورة النساء إلى قوله تعالى: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾ [النساء: ٣١]، وروي عن ابن عبَّاسٍ.

وقيل: هي سبع، لحديث: «**اجتنبوا السَّبْعَ المُوبِقات...**» الحديث. روي عن عليٍّ عليه السَّلام.

وقيل: أربع، وقيل ثلاث، وقيل: عشر، رويت هذه عن ابن مسعود.

وقيل: هي إلىٰ السبعين أقرب، روي عن ابن عبَّاسٍ أيضًا.

وقيل هي إلىٰ السبعمائة أقرب، روي عن ابن عبَّاسٍ وسعيد بن جبير.

وقال الديلمي: «قد ذكرنا عددها في تأليف لنا باجتهادنا، فزادت علىٰ أربعين كبيرة».

وقال الحافظ العلائي: «صنَّفتُ جزءًا جمعت فيه ما نصَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ أنه كبيرة، فبلغت خمسًا وعشرين».اهـ

قلت: والذي تحرَّر لي من قراءة هذا البحث أنَّ الكبيرة نوعان: منصوصة، ومستنبطة، فالمنصوصة لها أمارات وعلامات ذكرها الشارع، والمستنبطة أماراتها التي تعرف بها: أن تكون فيها مفسدة تساوي مفسدة الكبيرة المنصوصة أو تزيدها.

وأرىٰ أن أحسن تعريف للكبيرة قول الإمام البارزي في "شرح الحاوي": «التحقيق أنَّ الكبيرة كل ذنب قُرِن به وعيدٌ أو لَعْنٌ بنصِّ كتابٍ أو سُنَّةٍ، أو علم أنَّ مَفْسدته كمَفْسدة ما قُرِنَ به وعيدٌ أو حدٌّ أو لَعْنٌ، أو أكثر من مفسدته».

فقد ضمَّ هذا التعريف الكبيرة بنوعيها، وزيادته -تبعًا لابن عبدالسَّلام وغيره-: «أو أشعر بتهاون مرتكبه في دينه إشعار أصغر الكبائر المنصوص عليها بذلك» لا حاجة إليها، لأن الإشعار بالتهاون ليس من العلامات، بل هو ناشئ عنها، بمعنىٰ أنه لا يوجد إلَّا بعد العلم بأن المعصية فيها حدٌّ أو لعنٌ،

أو مَفْسدَةٌ تساوي ذلك، فإذا لم يوجد شيء من العلامات في معصية، فلا إشعار بالتهاون في ارتكابها لأنها تكون حينئذٍ صغيرة، أما قوله: «كما لو قتل من يعتقده معصومًا، فظهر أنه مستحقٌّ لدمه، أو وطئ امرأة ظانًّا أنه زانٍ بها، فإذا هي امرأته أو أَمَته».اهـ

فذكره مثالًا لكون المعصية كبيرة بمجرَّد الإشعار بالتهاون، إذ لا حدَّ على القاتل والواطئ في المثال المذكور، لظهور أنَّ المقتول مُهْدَرُ الدَّم، وأنَّ الموطوءة زوجة أو أَمَة، وهذا غير صحيح؛ لأن الإشعار بالتهاون في ذاك المثال إنما وجد لاعتقاد القاتل أو الواطئ أنه مُقْدِمٌ على معصية فيها حدٌّ ووعيدٌ، فلما تبيَّن خطأ تهديد ولعن فاعله على لسان نبيِّنا محمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فإنه كبيرة، ولا بد من تسليم أن بعض الكبائر أكبر من بعض».اهـ

قلت: لا شك أنَّ بعض الكبائر أشدُّ إثمًا من بعض وأقبح فحشًا، فالزِّنا كبيرة، لكن الزِّنا بإحدى المحارم أقبح وأفحش، ثم بحليلة الجار، ثم بالمغيبة، وهي التي غاب عنها زوجها في سفر، ويشتد الإثم إذا كان في سفر طاعة كالحج والجهاد وطلب العلم ونحو ذلك.

وأكل الخنزير أكبر إثمًا من أكل الميتة، وأكل مال المسلم بدون حقٍّ كبيرة، لكنه بالنسبة لمال اليتيم أشد إثمًا، وعلى هذا القياس.

ثم الكبيرة تطلق بالمعنى الأعمّ فتشمل الكفر، وعليه فإن حديث "الصحيحين": «**أَلَا أُنبِّئكُم بأكبر الكبائر؟**» قالوا بلى يا رسول الله، قال: «**الإشراك بالله وعقوق الوالدين**» الحديث.

اعتقاده، لم يكن فعله كبيرة، بل هو مسقط للعدالة فقط، لجرأته على فعل ما

يعتقده معصية، والعدالة تسقط بما يخرم المروءة، وببعض الصغائر، كما هنا، وبصغائر الخسة، كتطفيف تمرة.

وقال الحافظ الذهبي في كتاب "الكبائر": «والذي يتَّجه ويقوم عليه الدليل، أن من ارتكب شيئًا مما فيه حدٌّ في الدنيا كالقتل والزنا والسرقة، أو جاء فيه وعيد في الآخرة، من عذاب أو غضب، وحديثهما أيضًا: «**اجتنبوا السبع الموبقات**» فذكر فيها: الشرك بالله، وتطلق على المعاصي غير الكفر، وهذا المعنى هو المراد هنا.

(**تنبيه**): الشرك أخصُّ من الكفر؛ لأن الشرك اعتقاد شريك لله أو عبادة الأوثان أو الملائكة أو الكواكب أو النار أو نحو ذلك، والكفر يطلق على هذا، وعلى كل قول أو فعل يقتضي الخروج من الإسلام، كإنكار نبوة نبيٍّ من الأنبياء، أو إنكار وجود الملائكة، أو الجنِّ، أو البعث، أو إنكار أحد أركان الإسلام، أو إنكار تحريم الرِّبا، أو الزِّنا، أو الخمر، أو الخنزير، أو إنكار آية من القرآن، أو تنجيسه، أو إلقائه في القاذورات، أو نحو ذلك مما فصَّله القاضي عياض في "الشفا".

وحكم المشرك والكافر: أن الله لا يغفر لهما أبدًا وهما مخلَّدان في النار، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨]، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٦٤]، وإذ تمهدت هذه المقدمة الوجيزة، نبدأ في المقصود بعون الله تعالى، فإياه نستعين، وهو المُعين.

علامات الكبيرة

اعلم أنَّ الشارع نصب علاماتٍ يعرف بها كون المعصية كبيرة، وتلك العلامات كثيرة منتشرة في آيات من القرآن الكريم، وأحاديث من السُّنَّة المطهَّرة.

منها: إيجاب الحد على المعصية، ويدخل تحتها عدَّة كبائر:

١- **قتل المؤمن عمدًا:** قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَى ﴾ [البقرة: ١٧٨]، وقال سبحانه: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا ﴾ [الإسراء: ٣٣].

٢- **الزنا:** قال الله تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [النور: ٢]، وثبت في السُّنَّة المتواترة رجم الزانية والزاني المُحصَنَين.

٣- **القذف:** قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ ﴾ [النور: ٤]، وكذلك يجلد قاذف الذَّكر البالغ العفيف بالإجماع.

٤- **السرقة:** قال الله تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ [المائدة: ٣٨].

٥- **شرب الخمر:** ثبت فيه الحدُّ بالجلد من حديث عمر، والسَّائب بن يزيد، وأبي هريرة، وعقبة بن الحارث عند البخاريِّ، ومن حديث أنس عند مسلمٍ، وانعقد عليه الإجماع.

٦- **اللواط:** فيه الحدُّ بالجلد والرَّجم قياسًا على الزِّنا، وقال جماعة من

التابعين: «يرجم اللوطي مطلقًا، بكرًا أو محصنًا، وكذلك المفعول به إن كان بالغًا، لحديث ابن عبَّاسٍ: «**مَن وجدتموه يعمل عمل قوم لوطٍ فاقتلوا الفاعل والمفعول به**». رواه أحمد والأربعة، وصحَّحه الحاكم، وله شواهد من حديث عليٍّ وأبي هريرة وجابر.

وأخرج ابن أبي شيبة بإسناد صحيح، عن أبي حصين: أن عثمان أشرف على الناس يوم الدار فقال: «أما علمتم أنه لا يحل دم امرئ مسلمٍ إلَّا بأربعة: رجل كفر بعد إسلامه، أو زنى بعد إحصانه، أو قتل نفسًا بغير نفس، أو عمل عمل قوم لوطٍ؟!». وروي عن يزيد بن قيس أن عليًّا رجم لوطيًّا.

وروى هو وعبدالرزاق، عن سعيد بن جبير ومجاهد، حدَّثا عن ابن عبَّاسٍ أنه قال - في البكر يوجد على اللوطية -: «أنه يرجم».

٧- **قطع الطريق**: قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣].

اختلف في ﴿أَوۡ﴾ في الآية، هل هي على ظاهرها في إفادة التخيير، أو مرتبة على اختلاف الأحوال؟ فقال ابن عبَّاسٍ في رواية علي بن أبي طلحة: «الإمام بالخيار فإن شاء قتله، وإن شاء صلبه، وإن شاء قطع يده ورجله، وإن شاء نفاه». وهذا قول سعيد بن المُسيِّب، ومجاهد، وعطاء، والحسن، وحكي عن مالك.

وقال ابن عبَّاسٍ في رواية صالح مولى التوْأَمة وعطية: «إذا قَتل قطَّاع

الطريق وأخذوا المال، قُتلوا وصُلبوا، وإذا قَتلوا ولم يأخذوا المال قُتلوا ولم يُصلبوا، وإذا أخذوا المال ولم يَقتلوا، قُطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف، وإذا أخافوا السَّبيل ولم يأخذوا المال نُفوا مِن الأرض». وهو قول الجمهور.

ومنها: تسمية المعصية كبيرة، أو أكبر الكبائر، ولذلك أمثلة:

١- روى البخاريُّ، عن عبدالله بن عمرو بن العاص، عن النبيِّ صلَّى الله عيه وسلم قال: «**الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس**».

٢- وفي "الصحيحين" عن عبدالله بن عمرو أيضًا: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**من الكبائر شتم الرجل والديه**». قالوا: يا رسول الله، وهل يشتم الرجل والديه؟! قال: «**نعم، يسبُّ أبا الرجل فيسبُّ أباه، ويسبُّ أمَّه فيسبُّ أمَّه**». وفي رواية لهما: «**إنَّ من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه**» قيل: يا رسول الله، وكيف يلعن الرجل والديه؟! قال: «**يسبُّ أبا الرجل فيسبُّ أباه ويسبُّ أمَّه فيسبُّ أمَّه**».

٣- وفي "صحيح ابن حِبَّان"، من طريق أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن أبيه، عن جدِّه -في الكتاب الذي كتبه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى اليمن في الفرائض والسُّنن والدِّيات والزكاة- فذكر فيه: «**وإنَّ أكبر الكبائر عند الله يوم القيامة: الإشراك بالله، وقتل النفس المؤمنة بغير حقٍّ، والفِرار في سبيل الله يوم الزَّحفِ، وعقوق الوالدين، ورمي المُحصَنة، وتعلُّم السِّحْر، وأكل الرِّبا، وأكل مال اليتيم**».

٤- روى الطبرانيُّ والبزَّار من طريق شَبيب بن بشر، عن عكرمة، عن ابن

عبَّاسٍ: أنَّ رجلًا قال: يا رسول الله، ما الكبائر؟ قال: «**الشِّرك بالله، والإياس من رَوْحِ الله، والقُنُوط مِن ذِمَّة الله**». قال الحافظ الهيثمي: «رجاله موثَّقون».

ورواه ابن أبي حاتم من هذا الطريق أيضًا، ولفظه: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان متكئًا فدخل عليه رجل، فقال: ما الكبائر؟ فقال: «**الشرك بالله، واليأس مِن رَوْحِ الله، والقُنُوط مِن رحمة الله، والأمن مِن مَكْرِ الله وهو أكبر الكبائر**». وإسناده حسن كما أفادته عبارة الهيثمي.

لكن أعلَّه ابن كثير وقال: «في إسناده نظر، والأشبه أن يكون موقوفًا»، وأيده بأنه روي كذلك عن ابن مسعود.

روىٰ الطبراني عنه أنه قال: «**الكبائر: الإشراك بالله، والأمن مِن مَكْرِ الله والقُنُوط من رحمة الله، واليأس من رَوْحِ الله**». صحَّحه ابن كثير والهيثميُّ، لكن صحَّته عن ابن مسعود موقوفًا لا تعل روايته عن ابن عبَّاسٍ مرفوعًا، بدليل أن الحافظ الهيثمي حكم علىٰ الرواية المرفوعة بالحسن، وعلىٰ الموقوفة بالصحة، ولم يُعِلّ إحداهما بالأخرىٰ، وهو أقعد بالصناعة من ابن كثير.

٥- روىٰ الحاكم من طريق يحيىٰ بن أبي كثير، عن عبدالحميد بن سِنان، عن عبيد بن عمير، عن أبيه عمير بن قتادة -وكانت له صحبة- قال:

قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في حَجَّة الوداع: «**إنَّ أولياء الله: المصلُّون ومن يُقيم الصَّلوات الخمس التي كتبهنَّ الله عليه، ويصوم رمضان ويحتسب صومه، ويؤتي الزكاة محتسبًا طيِّبةً بها نفْسُه، ويجتنب الكبائر التي نهى الله عنها**». فقال رجل من أصحابه: وكم الكبائر؟ قال: «**تسعٌ، أعظمهنَّ الإشراك بالله، وقتل المؤمن بغير حقٍّ، والفِرار من الزَّحف، وقذف المُحصَنة، والسِّحر،**

وأكل مال اليتيم، وأكل الرِّبا، وعقوق الوالدين المسلمين، واستحلال البيت الحرام قبلتكم أحياء وأمواتًا. لا يموت رجل لم يعمل هولاء الكبائر ويقيم الصَّلاة ويؤتي الزكاة إلَّا رافق محمَّدًا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في بُحْبُوحَة جنَّةٍ أبوابها مَصَارِيعُ الذَّهبِ».

وروىٰ أبو داود والنَّسائيُّ منه قصة الكبائر، قال الحاكم: «رجاله كلهم محتجٌّ بهم في الصحيحين إلَّا عبدالحميد بن سِنان».

قلت: نقل العقيليُّ عن البخاريِّ قال: «في حديثه نظر». وذكره ابن حِبَّان في الثقات.

ورواه ابن جريرٍ، من طريق يحيىٰ بن أبي كثير، عن عبيد بن عمير، عن أبيه. لم يذكر عبدالحميد، وعزاه الحافظ المنذريُّ للطبرانيِّ وقال: «إسناده حسن».

٦- روىٰ الشيخان عن أبي بكرة قال: قال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أَلَا أُنبِّئكُم بأكبر الكبائر؟**» قلنا: بلىٰ يا رسول الله، قال: «**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين**». وكان متكئًا فجلس فقال: «**أَلَا وشهادة الزُّورِ، أَلَا وقول الزُّورِ**». فما زال يكرِّرها حتىٰ قلنا: ليته سكت.

٧- روىٰ الشيخان أيضًا عن ابن مسعود قال: قلت: يا رسول الله، أيُّ الذنب أعظم؟ وفي رواية: أكبر؟ قال: «**أن تجعل لله نِدًّا وهو خَلَقَك**».قلت: ثم أيٌّ؟ قال: «**أن تقتل ولدك خَشْيةَ أن يَطْعَمَ معك**». قلت: ثم أيٌّ؟ قال: «**أن تُزاني حَلِيلَةَ جارِك**». ثم قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧٠]

ومنها: وصف المعصية بأنها موبِقة؛ بكسر الباء:

روى الشيخان عن أبي هريرة أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**اجتنبوا السبع المُوبِقات**». قيل: يا رسول الله وما هُنَّ: قال: «**الشِّرك بالله، وقتل النَّفْسِ التي حَرَّم الله إلَّا بالحقِّ، والسِّحْرُ، وأكل الرِّبا، وأكل مال اليتيم، والتولِّي يوم الزَّحْفِ، وقَذْفُ المُحصَنات الغافِلات المؤمنات**».

ومنها: وصف المعصية بأنها فاحشة:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٢٢]، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]، ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٠].

ومنها: وصف المعصية بأنها من عمل الشيطان:

وعمل الشيطان لا يكون إلَّا كبيرة، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

فالخَمْرُ والمَيسِرُ والأَنصَابُ والأَزْلامُ كبائر؛ لأنها من عمل الشيطان، وقد غفل جماعة من العصريين عن هذا فزعموا أنَّ القرآن لم يحرِّم الخمر، مع أن قوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ يقضي التحريم؛ لأن الأمر بالشيء نهي عن ضدِّه، نعم مجرَّد الأمر بالاجتناب لا يقتضي عِظَم المعصية، لولا عبارة: ﴿مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ التي أفادت ذلك.

والخلاصة: أنَّ الخمر حرامٌ وكبيرةٌ بنصِّ القرآن، ومُنكِر حرمتها كافرٌ،

لإنكاره أمرًا معلومًا مِن الدِّين بالضرورة.

ومنها: وصف المعصية أو فاعلها بالفسق:

قال الله تعالىٰ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ [المائدة: ٣]، قال ابن جريرٍ: «يعني جلِّ ثناؤه بقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ هذه الأمور التي ذكرها، وذلك: أكل الميتة، والدَّم، ولحم الخنزير، وسائر ما ذكر في هذه الآية مما حرُّم أكله، والاستقسام بالأزلام فِسْقٌ». ثم روىٰ عن ابن عبَّاسٍ ذلك.

ومن قصر اسم الإشارة في ذلك علىٰ الاستقسام بالأزلام فقد عَدَل عن سياق الآية لغير موجب، وهو خطأ.

والحاصل: أنَّ الأمور الأحد عشر المذكورة في هذه الآية كبائر؛ لأن الله تعالىٰ صرَّح بتحريمها وأخبر أنها فِسْقٌ، ومعنىٰ ذلك أن فاعل واحد منها يكون فاسقًا.

وروىٰ الشيخان عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**سِبَابُ المسلمِ فُسُوقٌ وقِتاله كُفْرٌ**».

ومنها: الخبر بأن الله تعالى يحارب فاعلها:

قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧٨ - ٢٧٩].

وروىٰ البخاريُّ في "صحيحه" عن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**قال الله تعالى: مَن عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب**». أفاد

الحديث أن مُعادي الوليَّ لأجل ولايته يحاربه الله تعالى، وفي هذا إنذار شديد للذين يعادون كثيرًا من الصالحين، الذين يعتقد فيهم بعض الناس أنهم كانوا مستجابي الدعوة عند الله تعالى.

ومنها: الخبر بأن الله لا يحبها أو لا يحب فاعلها، أو أن الله يبغضه:

قال تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ [النساء: ١٤٨]، الجَهْرُ بالسوء معناه: الجهر بالسبِّ والشتم والهَجْر، ونحو ذلك من الألفاظ الذميمة، فالآية تفيد أنها كبيرة.

وقال الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦]، الاختيال: التكبر، والفخر: عد المناقب على سبيل التطاول بها، وهما كبيرتان كما أفادته الآية.

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨]، روى مالك عن زيد بن أسلم: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ قال: «لا تتكلَّم وأنت مُعْرِض»، وكذا قال مجاهد، وعكرمة، ويزيد بن الأصم، وأبو الجوزاء، وسعيد بن جبير، والضَّحَّاك وعبدالرحمن بن زيد، ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ أي خيلاء متكبرًا، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج: ٣٨]، أفادت الآيتان أنَّ الخيانة كبيرة.

وفي "مستدرك الحاكم" بإسناد صحيح، عن عبدالله بن عمرو بن العاص

قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ الله لا يحبُّ الفَاحِشَ ولا المُتفَحِّش، والذي نَفْسُ محمَّدٍ بيده لا تقوم السَّاعة حتى يظهر الفُحْشُ والتفحُّشُ، وقطيعة الرَّحِمِ، وسوء الجِوار**». الحديث، فالفحش والتفحُّش كبيرتان؛ لأن الله لا يحبُّ من اتصف بهما أو بأحدهما.

وفي "صحيح ابن حِبَّان"، عن المغيرة بن شعبة قال: رأيت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أخذ بحجزة سفيان بن أبي سهل فقال: «**يا سفيان لا تُسبل إزارك فإنَّ الله لا يحبُّ المُسْبِلين**». رواه ابن ماجه في "سننه"، وقال الحافظ البوصيري: «إسناده صحيح».

وروى الحاكم بإسناد صحيح على شرط مسلمٍ، عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ الله يحبُّ ثلاثة ويبغضُ ثلاثة...**». فذكر الحديث إلى أن قال: فقلت: فمن الثلاثة الذين يبغضهم الله؟ قال: «**المُخْتَال الفَخُور وأنتم تجدونه في كتاب الله المنزل:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨]، **والبخيل المَنَّان، والتاجر -أو البائع- الحَلَّاف**». ورواه أبو داود والترمذيُّ والنَّسائيُّ بنحوه.

وروى النَّسائيُّ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أربعةٌ يَبغضهم الله: البيَّاع الحَلَّاف، والفقير المُخْتال، والشيخ الزَّاني، والإمام الجائِر**». صحَّحه ابن حِبَّان.

ومنها: لعن فاعلها:

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل

عمران: ٦١]. وروىٰ أبو داود والنَّسائيُّ وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**لعن رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الرجلَ يلبسُ لِبْسَةَ المرأة، والمرأة تَلْبَسُ لِبْسَةَ الرجل**». صحَّحه ابن حِبَّان والحاكم.

وفي "صحيح البخاري" و"السنن الأربعة" عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: «**لعن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم المُتشبِّهين مِن الرجال بالنِّساء، والمُتشبِّهات مِن النِّساء بالرجال**».

وفي رواية للبخاريِّ: «**لعن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم المُخنَّثين مِن الرجال، والمترجِّلات مِن النِّساء**».

وفي رواية عند الطبرانيِّ: أنَّ امرأة مرَّت علىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مُتقلِّدةً قوسًا، فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لعن الله المُتشبِّهات مِن النِّساء بالرجال، والمُتشبِّهين مِن الرجال بالنِّساء**».

وروىٰ أبو داود والترمذيُّ، عن عبدالله بن عمرو قال: «**لعن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الرَّاشِي والمُرْتَشِي**». صحَّحه الترمذيُّ.

وعند ابن ماجه قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لعنة الله على الرَّاشي والمُرتشي**». صحَّحه ابن حِبَّان والحاكم.

وفي "صحيحي ابن حِبَّان والحاكم" عن أبي هريرة قال: «**لعن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الرَّاشي والمُرتشي والرَّائِش**». يعني الذي يسعىٰ بينهما.

وروىٰ ابن حِبَّان في "صحيحه" عن ابن عبَّاسٍ، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لعن الله مَن ذَبَحَ لغير الله، ولعن الله من غَيَّر تُخوم الأرضِ، ولعن الله مَن كَمَّه أعمى عن السَّبيل، ولعن الله مَن سبَّ والديه، ولعن الله مَن تولَّى غير**

مَوَاليه، ولعن الله مَن عَمِل عَمَل قومِ لوطٍ». قالها ثلاثًا في عمل قوم لوط.

وفي "الصحيحين" عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه مرَّ علىٰ فتيان من قريش قد نصبوا طيرًا ودجاجة يترامونها، فلما رأوا ابن عمر تفرَّقوا، فقال: «من فعل هذا؟ لعن الله مَن فعل هذا؛ إنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لعن مَن اتَّخذ شيئًا فيه الرُّوح غرضًا».

وفي "صحيح مسلم"، عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مرَّ علىٰ حمارٍ قد وُسِمَ في وجهه فقال: «**لعن الله الذي وَسَمَهُ**».

وفي "صحيح ابن حِبَّان"، عن جابر رضي الله عنه قال: مرَّ حمارٌ برسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قد كوي في وجهه يفور مَنْخِرَاه مِن دمٍ، فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لعن الله مَن فعل هذا**». ثُمَّ نهىٰ عن الكيِّ في الوجه، والضرب في الوجه.

وروىٰ الطبرانيُّ بإسناد صحيح عن ابن عبَّاسٍ: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لعن مَن يَسِمُ في الوجه.

وروىٰ الطبراني، وابن حِبَّان في "صحيحه"، والحاكم، عن عائشة رضي الله عنها: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «ستةٌ لعنتُهم ولعنهم الله وكلُّ نبيٍّ مجابٍ: الزائد في كتاب الله عزَّ وجلَّ، والمكذِّب بقدر الله، والمتسلِّط علىٰ أمَّتي بالجبروت ليذلَّ مَن أعزَّ الله عزَّ وجلَّ ويعزَّ مَن أذلَّ الله، والمُستحلُّ حرمة الله، والمُستحلُّ مِن عِترتي ما حرَّم الله، والتارك السُّنَّة». قال الحاكم: «صحيح الإسناد، ولا أعرف له عِلَّة».

وفي "معجم الطبراني" بإسناد حسن، عن حذيفة بن أسد رضي الله عنه:

أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن آذى المسلمين في طُرُقِهم وجَبَتْ عليه لعنتُهم**».

وفي "صحيح مسلم" عن أبي هريرة: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**اتقوا اللَّاعِنَينِ**»، قالوا: وما اللّاعِنان يا رسول الله؟ قال: «**الذي يتخلَّى في طُرُقِ النَّاسِ أو في ظِلِّهم**».

وفي "الصحيحين" عن ابن عمر: «أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لَعَنَ الوَاصِلَةَ والمُسْتَوصِلَةَ والوَاشِمَةَ والمُسْتَوشِمَةَ».

وفيهما أيضًا عن ابن مسعود أنه قال: «لعن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم الوَاشِمات والمُستوشِمات، والمُتنمِّصات، والمُتفَلِّجات للحُسْنِ المُغيِّرات خَلْقَ الله».

قلت: تغيير خلق الله يكون فيما يبقىٰ أثره كالوَشْمِ والتفلُّج، أو يزول ببطء كالتنميص، أمَّا حلق اللحية فلا يكون تغييرًا لخلق الله؛ لأن الشعر يبدو ثاني يوم مِن حلقه، ولهذا لم يصف الشارع حالق لحيته بأنه مُغيِّرٌ لخلق الله كما وصف به الواشمة والمُستوشمة والمُتنمِّصة والمُتفلِّجة، ولا يجوز قياس حلق اللحية علىٰ النَّمص؛ لاختلاف حقيقتهما، ولأن شرط القياس أن يكون الفرع غير منصوصٍ عليه، وحلق اللحية مُصرَّحٌ بحُكْمه وعِلَّته في حديث "الصحيحين"، فكيف يُقاس مَنصوصٌ علىٰ منصوصٍ؟!.

لا يقال: فقد استدلُّوا لوصول القرآن إلىٰ الميت بقياسه علىٰ الصوم والحجِّ وغيرهما مع التنصيص عليه في حديث اللجْلَاج؛ لأنا نقول:

أولًا: مَن قاس القرآن علىٰ الصوم -كابن القيم- لم يبلغه حديث اللجْلَاج، كما لم يبلغ أحمد بن حنبل ويحيىٰ بن معين، فكان قياسه صحيحًا مستوفيًا للشروط.

ثانيا: أنَّ إلحاق القرآن بالصوم ونحوه لم يقصد به القياس المعهود -وإن سُمِّي بذلك تجوُّزًا- وإنما قصد به إلحاق القرآن بما نصَّ عليه من تلك العبادات باعتباره فردًا منها لا مقيسًا عليها، وبيان ذلك أنَّ الشارع أخبر بوصول الصدقة إلى الميت، والصدقة في عُرْفِ الشرع تشمل المال وغيره، كالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، فقراءة القرآن داخلة في مسمَّى الصدقة شرعًا لا قياسًا، وأيضًا فإن ممَّا أخبر الشارع بوصوله إلى الميت بجانب الصدقة الدُّعاء والاستغفار والصوم والحجُّ، وهذه تسمَّى عبادة، وكذلك قراءة القرآن عبادة مثلها، فإلحاق القراءة بهذه الأشياء بيان لدخولها في مسمَّى العبادة شرعًا لا قياسًا، ومثل هذا الإلحاق يقبله نفاة القياس ولا يردُّونه، وقد يسمِّيه بعضهم: «قياسًا في معنى النص».

ثالثًا: لو سلَّمنا أنَّ قياس القرآن على الصوم ونحوه من القياس المعهود، فهو قياس صحيح مُعتبَر عند من لم يبلغه الحديث كابن القيم، وعند من بلغه أيضًا؛ لأن الحديث أفاد قراءة القرآن بعد دفن الميت، وليس نصًّا في وصول الثواب إليه، بل يحتمل أن يكون القصد بالقراءة تذكير الميت بأصول الإيمان التي يسأل عنها؛ لأن فاتحة البقرة وخاتمتها تشتمل على ذلك، والقياس أفاد وصول ثواب القراءة إلى الميت مطلقًا، وهو حكم لم يُفده الحديث صراحة، بخلاف قياس حلق اللحية على التنميص فإنه قياسٌ فاسدٌ لاغٍ لوجهين:

أحدهما: أنَّ الأمر بإعفاء اللحية علَّله الشارع بمخالفة المجوس كما علَّل لعن المتنمِّصة بتغيير خلق الله، فوضع بجانب كل حكم عِلَّة تُخالف الأخرى، ولم يكن ذلك مصادفة أو عفو الخاطر، بل هو مقصود وملحوظ، فقياس

أحدهما على الآخر -والحالة هذه- افتيات على الشارع وتعليل بغير ما علَّل به.

ثانيهما: أنَّ الحلق يُهيِّج الشَّعْر وينمِّيه بحيث صار مِن الضروريات أن من أراد أن يكتمل شعر لحيته وينمو فليحلقه بالموسى، والتنميص أخذ الشعر بالمِنماص الذي يقلع الشعرة بجذرها، فيدع مكانها ناعمًا كأن لم يكن به شعر قطُّ، ومِن هنا كان تغييرًا لخلق الله، حيث أشبه قطع أذن البهيمة، أو فقء عينها، ولم يصح إلحاق الحلق به لتباينهما من حيث حقيقتهما والأثر المترتِّب عليهما.

وروى أحمد وأبو داود، عن أبي هريرة: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ملعونٌ مَن أتى امرأةً مِن دُبُرِها**».

ومنها: وصف فاعلها بأن الله لا ينظر إليه:

روى النَّسائيُّ، والترمذيُّ عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لا يَنْظُرُ الله عزَّ وجلَّ إلى رجلٍ أتى رجلًا أو امرأةً في دُبُرها**». صحَّحه ابن حِبَّان.

وروى مالك، والشيخان، عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاءَ لم يَنْظُر اللهُ إليه يومَ القيامةِ**».

وروى مالك، والشيخان أيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لا يَنْظُرُ الله يومَ القيامةِ إلى مَن جَرَّ إزاره بَطَرًا**».

وروى مسلم، وأصحاب السُّنن عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ثلاثة لا يُكلِّمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكِّيهم ولهم عذابٌ أليمٌ**» قلت: مَن هم -خابوا وخَسِروا- قال: «**المُسْبِلُ، والمُنفق سِلْعَتهُ بالحَلِفِ الكاذب، والمَنَّان**».

وروى مسلم، والنَّسائيُّ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ثلاثةٌ لا يُكلِّمهم الله يوم القيامة ولا يزكِّيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذابٌ أليمٌ: شيخٌ زانٍ، ومَلِكٌ كذَّابٌ، وعائلٌ مُستكبِرٌ**».

ومنها: الإخبار بأنه لا يدخل الجنة:

روى النَّسائي، والبزَّار -واللفظ له- عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال «**ثلاثةٌ لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاقُّ لوالديه، ومُدْمِنُ الخَمْرِ، والمَنَّان عَطَاءه، وثلاثة لا يدخلون الجنَّة: العاقُّ لوالديه، والدَّيُّوث، والرَّجُلَة**». صحَّحه الحاكم.

وروى أحمد، وأبو يعلى في "مسنديهما" عن أبي موسى الأشعري: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ثلاثة لا يدخلون الجنَّة: مُدْمِنُ الخَمْرِ، وقاطِعُ الرَّحِمِ، ومُصَدِّقٌ بالسِّحْرِ، ومَن مات مُدمنًا للخَمْرِ سَقَاهُ اللهُ عزَّ وجلَّ مِن نَهْرِ الغُوطَةِ**». قيل وما نهر الغُوطَةِ؟ قال: «**نَهْرٌ يجري مِن فُرُوجِ المُومِساتِ، يؤذي أهل النَّار ريحُ فُروجِهنَّ**». صحَّحه ابن حِبَّان و الحاكم.

وروى أبو داود، عن حارثة بن وهب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لا يدخل الجنَّة الجَوَّاظُ ولا الجَعْظَرِيُّ**». قال: «والجوَّاظ: الغليظ الفظ»، وهو في "الصحيحين" بلفظ «**ألَا أُخبركم بأهل النَّار؟ كلِّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُستكبرٍ**».

وروى مسلم في "صحيحه" عن ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لا يدخل الجنَّة مَن كان في قلبه مِثقال ذرَّةٍ مِن كِبْرٍ**».

ورواه أحمد بإسناد صحيح من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص.

وروى مسلم أيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**صِنْفان مِن أهل النَّار لم أرهما: قومٌ معهم سِياطٌ كأذناب البَقَر يضربون بها النَّاس، ونِساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ مُميلاتٌ مائِلاتٌ، رُؤوسُهُنَّ كأَسْنِمَةِ البُخْتِ المَائِلَة، لا يدخلن الجنَّة ولا يجدن ريحها، وإنَّ ريحها ليوجد مِن مَسيرة كذا وكذا**».

ومنها: الإخبار بتحريم الجنة عليه:

روى الشيخان عن جُنْدُب بن عبدالله قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**كان برجلٍ جراحٌ فقتل نَفْسَه، فقال الله: بَدَرني عبدي بنَفْسِه فحرَّمتُ عليه الجنَّة**».

وروى أحمد، والنَّسائيُّ، والبزَّار عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ثلاثةٌ حرَّم الله تبارك وتعالى عليهم الجنَّة: مُدمن الخَمْر، والعاقُّ، والدَّيُّوث الذي يقرُّ الخبث في أهله**». صحَّحه الحاكم.

ومنها: الإخبار بأن فاعلها برئت منه ذمة الله ورسوله:

روى أحمد عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: أوصاني النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعشر كلمات، قال: «**لا تُشْرك بالله شيئًا وإن قُتلتَ وحُرِّقتَ، ولا تعصِ والديك وإن أمراك أن تخرج مِن أهلك، ولا تتركنَّ صلاةً مكتوبةً مُتعمِّدًا فإن مَن ترك صلاةً مكتوبةً مُتعمِّدًا فقد بَرِئَتْ منه ذمَّة الله...**». الحديث.

وفي "معجم الطبراني" بإسناد لا بأس به في المتابعات، عن معاذ أيضًا قال: أتىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم رجلٌ فقال: يا رسول الله علِّمني عملًا إذا أنا عملته دخلت الجنَّة، قال: «**لا تُشْرك بالله شيئًا وإن عُذِّبت وحُرِّقتَ، أطِعْ والديك وإن أخرجاك مِن مالك ومِن كلِّ شيء هو لك، لا تترك الصَّلاة مُتعمِّدًا فإن مَن ترك الصَّلاة مُتعمِّدًا فقد بَرِئَتْ منه ذمَّة الله...**». الحديث.

وفي "مسند أحمد" بإسناد صحيح، عن مكحول، عن أمِّ أيمن رضي الله عنها: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لا تترك الصَّلاة مُتعمِّدًا فإنه مَن ترك الصَّلاة مُتعمِّدًا فقد بَرِئتْ منه ذمَّة الله ورسوله**».

وروىٰ النَّسائي بإسناد حسن عن رُوَيفع بن ثابت قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**يا رُوَيْفع لعلَّ الحياة ستطول بك بعدي، فأخبر النَّاسَ أنه مَن عَقَدَ لِـحيته، أو تقلَّد وَتَـرًا، أو استنجى برجِيع دابَّةٍ أو عَظْمٍ، فإن محمَّدًا بريءٌ منه**». ورواه أبو داود ولكن في إسناده راو مجهول.

ومنها: الإخبار بأنها حالقة تحلق الدين:

روىٰ أبو داود، والترمذيُّ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ألا أخبركم بأفضل مِن درجة الصِّيام والصَّلاة والصَّدقة؟ قالوا: بلى، قال: «إصلاح ذات البَيْن فإنَّ فساد ذات البَيْن هي الحالِقة**». قال الترمذيُّ: «حديث صحيح». **قلت**: وصحَّحه ابن حِبَّان.

قال الترمذيُّ: ويروىٰ عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أنه قال: «**هي الحالقة، لا أقول تحلق الشَّعْرَ ولكن تَحلِق الدِّين**».

قلت: رواه البزَّار بإسناد صحيح، عن الزُّبير بن العوَّام رضي الله عنه: أنَّ

رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**دَبَّ إليكم دَاءُ الأُمَمِ قبلكم الحَسَدُ والبَغْضاءُ، والبَغْضاءُ هي الحالقة، أمَا إني لا أقول: تحلق الشَّعْر، ولكن تحلق الدِّين**».

ومنها: الإخبار بنزع الإيمان منه أو نفيه عنه:

روى الحاكم بإسناد صحيح، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن زَنَى أو شَرِبَ الخَمْرَ نَزَعَ اللهُ منه الإيمان كما يَخْلعُ الإنسانُ القَميصَ مِن رأسِهِ**».

وروى أحمد، والشيخان، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن**»، قيل: مَن يا رسول الله؟ قال: «**الذي لا يأمنُ جارُهُ بَوَائِقَهُ**». زاد أحمد قالوا: يا رسول الله ما بَوائقه؟ قال: «**شَرُّه**». ورواه البخاري بهذه الزيادة أيضًا من حديث شريح الكعبي رضي الله عنه.

ومنها: الإخبار بغضب الله عليه:

روى الشيخان، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن حَلَفَ على يمينٍ هو فيها فاجرٌ ليقتطع بها مالَ امرئٍ مسلمٍ، لقِيَ الله عزَّ وجلَّ وهو عليه غضبان**».

ومنها: إلجامه بلجام من نار:

روى أبو داود، والترمذيُّ، وابن ماجه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن سُئِلَ عن عَلْمٍ فكتمه، أُلجِمَ يوم القيامة بلِجَامٍ مِن نارٍ**». حسَّنه الترمذيُّ، وصحَّحه ابن حِبَّان.

وروىٰ ابن حِبَّان في "صحيحه"، والحاكم، عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن كَتَم عِلْمًا ألـجَمَهُ الله يوم القيامة بلِجَامٍ مِن نارٍ**». قال الحاكم: «صحيح لا غبار عليه».

وروىٰ أبو يعلىٰ بإسناد رجاله رجال الصحيح، عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن سُئل عن علمٍ فكتمه جاء يوم القيامةِ مُلجَمًا بلجامٍ من نارٍ، ومَن قال في القرآن بغير ما يعلم جاء يوم القيامة مُلجمًا بلجامٍ من نارٍ**».

ومنها: عدم قبول صلاته مثلًا:

روىٰ الطبراني في "الأوسط" بإسناد حسن، عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ثلاثةٌ لا يقبل الله لهم صلاةً، ولا تَصْعَدُ لهم إلى السَّماء حَسَنةٌ: السَّكرانُ حتى يَصْحُو، والمرأة السَّاخِطُ عليها زوجُها، والعبدالآبِقُ حتى يرجع فيضع يده في يد مَواليه**».

ومنها: وصفه بالكفر أو الإشراك مثلًا:

روىٰ أحمد، والأربعة، عن بريدة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**العهدُ الذي بيننا وبينهم الصَّلاةُ فمَن تركها فقد كَفَرَ**». صحَّحه الترمذيُّ وابن حِبَّان والحاكم.

وروىٰ ابن ماجه، والحاكم، والبيهقي في "الزهد" بإسناد صحيح، عن معاذ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**اليَسِيرُ مِن الرِّياء شِرْكٌ، ومَن عَادَى أولياءَ الله فقد بارَزَ اللهَ بالمُحارَبةِ...**» **الحديث**.

وروى البيهقي، عن شدَّاد بن أوس رضي الله عنه، أنه سمع النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**مَن صام يُرائي فقد أشرك، ومَن صلَّى يُرائي فقد أشرك، ومَن تصدَّق يُرائي فقد أشرك...**». الحديث.

وروى الترمذيُّ عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**مَن حَلَف بغير الله فقد كَفَر أو أشرك**». حسَّنه الترمذيُّ، وصحَّحه ابن حِبَّان والحاكم.

ومنها: وصفه بالخُسران:

قال الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩] أفادت الآية أنَّ الأمن مِن مَكْرِ الله كبيرة؛ لأن الخُسْران لا يوصف به إلَّا فاعل الكبيرة.

ومنها: وصفه بالضلال:

قال الله تعالى في قصة ضيوف إبراهيم وتبشيرهم له: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

وروى الشيخان عن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ الله لا يَقْبِضُ العِلمَ انتزاعًا ينتزعه مِن النَّاسِ، ولكن يقبض العلم بَقْبضِ العلماء، حتى إذا لم يبقَ عالمٌ اتخذ الناس رُؤسًا جُهَّالًا فسُئلوا فأفتوا بغير علمٍ فضلُّوا وأضَلُّوا**».

فالإفتاء في الدين بغير علم كبيرة، وما أكثر المفتين في هذا العصر بالجهل.

ومنها: التعبير عنه بكلمة: «ليس منا»:

رواه مسلمٌ في "صحيحه" عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن حَمَلَ علينا السِّلاحَ فليس مِنَّا، ومَن غشَّنا فليس مِنَّا**».

وروىٰ الطبراني في "الكبير" بإسناد حسن، عن قيس بن أبي غرزة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن غَشَّ المسلمين فليس منهم**».

وروىٰ أبو داود، عن بريدة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن حَلَفَ بالأمانة فليس مِنَّا**». إسناده حسن.

ومنها: وصفه بالخلود في النار:

قال الله تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٣].

وفي "الصحيحين" عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن كَذَبَ عليَّ مُتعمِّدًا فليتبوَّأ مَقْعَدَهُ مِن النَّارِ**». وهو حديثٌ متواتر، وتبوَّء المَقْعد معناه: طول الإقامة والمكث، وهو الخلود.

وروىٰ أبو داود، والترمذيُّ، عن معاوية قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن أحبَّ أن يتمثَّل له الرجال قيامًا فليتبوَّأ مَقْعَدَهُ مِن النَّار**». حسَّنه الترمذيُّ.

فمحبة الشخص قيام الناس له كبيرة، لكن قيامهم له من غير أن يحبه ليس بحرام، بدليل أنَّ طلحة قام يهنِّئ كعبًا بتوبة الله عليه فلم ينهه النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كما في "الصحيحين".

ومنها: إلحاقها بكبيرة معروفة:

ثبت في "الصحيحين" عن ثابت بن الضَّحَّاك رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن حَلَف على يمينٍ بملَّةٍ غير الإسلام كاذبًا مُتعمِّدًا فهو كما قال، ومَن قتل نفسه بشيءٍ عُذِّب به يومَ القيامةِ، وليس على رجلٍ نَذْرٌ فيما لا يَمْلِك، ولَعْنُ المؤمِنِ كقتله، ومَن رَمَى مؤمنًا بكُفْرٍ فهو كقتله...**» الحديث.

فلعن المؤمن ورميه بكفرٍ كبيرتان؛ لأن الحديث ألحقهما بالقتل.

ومنها: الإخبار بأنها تهدي إلى الفجور:

ثبت في "الصحيحين" عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**عليكم بالصِّدْقِ فإنَّ الصِّدْقَ يهدي إلى البرِّ، وإنَّ البرَّ يهدي إلى الجنَّة، وما يزال الرجل يَصْدُقُ ويتحرَّى الصِّدْقَ حتى يكتب عند الله صِدِّيقًا، وإياكم والكذب فإنَّ الكذب يهدي إلى الفُجُور، والفُجُور يهدي إلى النَّار، وما يزال العبد يكذب ويتحرَّى الكذب حتى يكتب عند الله كذَّابًا**».

وفي "صحيح ابن حِبَّان" عن أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**عليكم بالصِّدْقِ فإنه مع البرِّ وهما في الجنَّة، وإياكم والكذب فإنه مع الفُجُور وهما في النَّار**».

ومنها: وصف صاحبها بالنفاق:

ثبت في "الصحيحين" عن عبدالله بن عمرو بن العاص: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**أربعٌ مَن كُنَّ فيه كان منافقًا خالصًا، ومَن كانت فيه خَصْلَةٌ منهنَّ كانت فيه خَصْلَةٌ مِن النِّفاق حتى يدعها: إذا ؤتمن خان، وإذا**

حَدَّث كذب، وإذا عاهد غَدَر، وإذا خاصَمَ فَجَر».

وفي "صحيح البخاري" عن محمد بن زيد: أن ناسًا قالوا لجدِّه عبدالله بن عمر: إننا ندخل على سلطاننا فنقول بخلاف ما نتكلَّم به إذا خرجنا من عنده، فقال: كنَّا نعدُّ هذا نفاقًا على عهد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

ومنها: وصف مرتكبها بأنه لم يزل في سخط الله، أو سخط الله عليه:

روى أبو داود، والطبراني، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**مَن حالت شفاعته دون حدٍّ مِن حُدودِ الله فقد ضادَّ الله عزَّ وجلَّ، ومَن خاصَمَ في باطلٍ وهو يعلمُ لم يزل في سَخَط الله حتى يَنزِع، ومَن قال في مؤمنٍ ما ليس فيه أسكنه الله رَدْغَة الخَبال حتى يخرج ممَّا قال**». صحَّحه الحاكم.

وروى ابن حِبَّان في "صحيحه"، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن التمَسَ رِضا الله بسَخَطِ النَّاسِ، رضي الله عنه وأرضى عنه النَّاسَ، ومَن التمَسَ رِضا النَّاسِ بسَخَطِ الله، سَخِطَ الله عليه وأَسْخَطَ عليه النَّاسَ**».

وروى الطبراني بإسناد صحيح، عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن أَسْخَطَ الله في رضا النَّاسِ سَخِطَ الله عليه وأَسْخَطَ عليه النَّاسَ، ومَن أرضى الله في سَخَطِ النَّاسِ رضي الله عنه وأرضى مَن أَسْخَطَهُ في رضاه حتى يزيِّنه ويزيِّن قوله وعمله في عينه**».

ومنها: وصفه بأنه ضاد الله عزَّ وجلَّ:

تقدَّم الحديث بذلك في العلامة قبل هذه.

ومنها: الإخبار بأن الله يسكنه ردغة الخبال:

تقدَّم الحديث بها في العلامة المذكورة أيضًا، «ورَدْغَةُ الخَبَال»: عصارة أهل النار. فسَّرها النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في حديث رواه مسلم في "صحيحه".

ومنها: الإخبار بأن الله حجب التوبة عن مرتكبها:

روىٰ الطبراني بإسناد حسن، عن أنس رضي الله عنه قال: قال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ الله حجب التوبة عن كلِّ صاحب بدعة حتى يدع بدعته**».

والمراد بالبدعة في هذا الحديث بدعة العقيدة، كالمعتزلة والمرجئة والجهمية والمجسِّمة ونحوهم من الفِرَق الضالَّة، أمَّا المسائل الفرعية المُختلَف فيها بين العلماء، وقيل في بعضها إنه بدعة، فلا تدخل في هذا الباب، وإليك أمثلة منها:

١- قال الإمام أبو بكر الطرطوشي: «اقتعاط العمائم هو التعميم دون حنك، وهو بدعة منكرة، وقد شاعت في بلاد الإسلام».

وقال الإمام مالك: «أدركت في مسجد رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم سبعين محنَّكًا، وإن أحدهم لو اؤتمن علىٰ بيت المال لكان به أمينًا».

٢- قال طاوس: «القنوت في الوتر بدعة». وروىٰ محمد بن نصر مثل قوله عن ابن عمر وأبي هريرة وعروة بن الزبير، وقال غيرهم بسنيته أو استحبابه.

٣- إحياء ليلة النصف من شعبان، قال أكثر علماء الحجاز: إنه بدعة، منهم عطاء، وابن أبي مليكة، ومالك، وقال علماء الشام باستحبابه، منهم خالد بن معدان، ومكحول، ولقمان بن عامر، ورجَّحه والدي الإمام رضي الله عنه.

وللإمامين مالك والشافعي عبارتان جامعتان تبيِّنان البدعة المذمومة التي يحجب الله التوبة عن صاحبها، والبدعة التي ليست كذلك:

روىٰ ابن حميد عن مالك قال: «لم يكن شيءٌ مِن هذه الأهواء في عهد النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وأبي بكر وعمر وعثمان».

قال الحافظ ابن رجب: «كان مالك يشير بالأهواء إلىٰ ما حدث من التفرُّق في أصول الدِّيانات من أمور الخوارج والروافض والمرجئة ونحوهم ممن تكلَّم في تكفير المسلمين، واستباحة دمائهم وأموالهم، أو في تخليدهم في النار، أو في تفسيق خواصِّ هذه الأمَّة، أو عكس ذلك مَن زعم أن المعاصي لا تضر أهلها، وأنه لا يدخل النَّارَ مِن أهل التوحيد أحدٌ».اهـ

وروىٰ البيهقي، عن الشافعي قال: «المُحْدَثات ضربان: ما أُحدث مما يخالف كتابًا أو سُنَّـةً أو أثرًا أو إجماعًا، فهذه البدعة الضالَّة، وما أُحدث مما لا خلاف فيه لواحد من هذا، وهذه محدثة غير مذمومة».

فتبيَّن من هذا أنَّ البدعة المذمومة هي بدعة العقيدة، كما بينها الحافظ ابن رجب في شرح عبارة الإمام مالك، وهي التي تخالف الكتاب والسُّنَّة والأثر وإجماع أهل السُّنَّة، كما جاء في عبارة الإمام الشافعي، ولا تدخل فيها البدع التي تقع في المسائل الفرعية التي لم يحصل إجماع علىٰ ذمِّها وتحريمها.

ومنها: الإخبار بأن المعصية تأكل الحسنة:

روىٰ أبو داود، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إيَّاكم والحَسَدَ، فإنَّ الحَسَدَ يأكلُ الحَسَناتِ كما تأكل النَّارُ الحَطَبَ، أو قال: العُشْبَ**». إسناده حسن.

وفي "سنن ابن ماجه" بإسناد ضعيف، عن أنس: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**الحَسَدُ يأكل الحَسَناتِ كما تأكل النَّارُ الحَطَبَ، والصَّدقة**

تُطْفِئُ الخَطيئةَ كما يُطْفِئُ الماءُ النَّارَ، والصَّلاةُ نور المؤمن، والصِّيام جُنَّة مِن النَّارِ».

ومنها: الإخبار بأنها ليست من الإسلام:

روىٰ أحمد بإسناد جيد، عن جابر بن سَمُرة قال: كنت في مجلسٍ فيه النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وأبو أُمامة وسَمُرة فقال: «**إنَّ الفُحْشَ والتفَحُّشَ ليسا من الإسلام في شيءٍ، وإنَّ أحسن النَّاس إسلامًا أحسنهم خُلُقًا**».

ومنها: الإخبار بأن الله خسف بمرتكبها:

روىٰ البخاري، عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**بينما رجلٌ ممن كان قبلكم يجرُّ إزاره مِن الخُيَلاء خُسِفَ به فهو يَتَجَلْجَلُ في الأرضِ إلى يومِ القيامةِ**».

وفي "الصحيحين" عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**بينما رجلٌ يمشي في حُلَّةٍ تُعجبُهُ نفْسهُ، مُرجِّلٌ رأسه، يختال في مِشيته إذ خَسَفَ الله به فهو يَتَجَلْجَلُ في الأرض إلى يوم القيامة**».

ومنها: الإخبار بأن مرتكبها لا يسأل عنه:

روىٰ الطبراني، عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ثلاثةٌ لا يُسألُ عنهم: رجلٌ نازع الله رِداءَهُ فإنَّ رِداءَهُ الكِبْر وإزاره العِزُّ، ورجلٌ في شكٍّ مِن أمر الله، والقَـنُوطُ مِن رحمته**». صحَّحه ابن حِبَّان. والقَنوط: بفتح القاف.

قوله: «**لا يسأل عنهم**» يفيد أن عذابهم شديد لا يوصف، وهذا كما يحصل لشخص مصيبة، فتسأل عنه ما حاله؟ فيقال لك: لا يسأل عنه، أي لأن المصيبة التي نزلت به أعظم من أن يتحدَّث عنها، أو توصف، وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا

﴿تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [البقرة: ١١٩] نهىٰ عن السؤال عنهم؛ لأن السائل لا يطيق سماع ما يحصل لهم من العذاب.

ومنها: الإخبار بأن الله تعالى يكون خصمه:

روىٰ البخاري، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**قال الله تعالى: ثلاثةٌ أنا خَصْمُهم يوم القيامة: رجلٌ أعطى بي ثمَّ غَدَرَ، ورجلٌ باعَ حُرًّا فأكل ثمنه، ورجلٌ استأجر أجيرًا فاستوفى منه ولم يُعطِه أجره**».

ومنها: الإخبار بأن مرتكبها لا يجد عرف الجنة:

روىٰ أبو داود، وابن ماجه، وابن حِبَّان في "صحيحه" عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن تعلَّم عِلْمًا ممَّا يُبتغي به وجه الله تعالى، لا يتعلَّمه إلَّا ليُصيب به عَرَضًا مِن الدُّنيا لم يجد عَرْفَ الجنَّة يومَ القيامة**». يعني ريحها. صحَّحه الحاكم علىٰ شرط الشيخين.

ومنها: التوعد عليها بالويل:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ١ - ٣]، فتطفيف الكيل والميزان كبيرة، وقال سبحانه: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١]، الهُمَزة: مَن يعيب الشخص في غيبته. واللُّمَزة: مَن يعيبه في وجهه، وقيل بالعكس، فعيب المسلم في غيبته أو حضوره كبيرة.

ومنها: وعيد مرتكبها بأن يحشر بآفة في جسمه:

روىٰ الأربعة، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه

وآله وسلَّم قال: «**مَن كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما، جاء يوم القيامة وشِقُّه مائل**». ورواه ابن حِبَّان في "صحيحه"، وصحَّحه الحاكم على شرط الشيخين، وهو كما قال، وما علَّله به الترمذيُّ ليس بقادح.

ومنها: الإخبار بحبوط عمله:

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات: ٢].

وروى البخاريُّ، والنَّسائيُّ، وابن ماجه، عن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن ترك صلاة العصر فقد حَبِطَ عَمَلُهُ**».

ولفظ رواية ابن ماجه: «**بَكِّروا بالصَّلاة في يوم الغَيْمِ؛ فإنه من فاتته صلاة العصرِ فقد حَبِطَ عَمَلُهُ**».

ومنها: التوعد بفضيحة مرتكبها:

روى الترمذيُّ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: صَعِد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم المنبرَ فنادى بصوتٍ رفيع فقال: «**يا معشر مَن أسلم بلسانه ولم يُفْضِ الإيمانُ إلى قلبه، لا تؤذوا المسلمين ولا تتَّبعوا عَوْراتِهم، فإنه مَن تتبَّع عورة أخيه المسلم تتبَّع الله عورته، ومَن تتبَّع الله عورته يفضحه ولو في جوف رَحْلِهِ**». وصحَّحه ابن حِبَّان، وروى أبو يعلى نحوه من حديث البراء بن عازب، وإسناده حسن.

ومنها: الإخبار بأن الله يمقت فاعلها:

روى الطبراني في "الأوسط" بإسناد حسن، عن أبي هريرة قال: قال

رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لا يخرج اثنان إلى الغائط فيجلسان يتحدَّثان كاشفين عن عورتهما؛ فإنَّ الله عزَّ وجلَّ يَمْقُتُ على ذلك**». رواه أبو داود وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري، وفي سنده عياض بن هلال، وثَّقه ابن حِبَّان، فهو صحيح علىٰ قاعدته، وقد رواه ابن خزيمة في "صحيحه" من طريق عياض أيضًا.

ومنها: الإخبار بأن فاعلها خارج عن الإسلام:

روىٰ البزَّار بإسناد صحيح عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لو أنَّ رجلين دخلا في الإسلام فاهْتَجَرا، لكان أحدهما خارجًا عن الإسلام حتى يرجع**». يعني الظالم منهما.

ومنها: الإخبار بأن فاعلها يكلف يوم القيامة بما لا يستطيعه:

روىٰ البخاريُّ، عن ابن عبَّاسٍ، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن تحلَّم بحُلْمٍ لم يرَه كُلِّف أن يَعْقِدَ بين شَعِيرتَين ولن يفعل، ومن استمع إلى حديث قومٍ وهم له كارهون صُبَّ في أذنه الآنُك يوم القيامة، ومَن صوَّر صورةً كُلِّف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ**».

وفي رواية الإمام أحمد: «**من تحلَّم بحُلْمٍ لم يَرَه عُذِّب حتى يعقد بين شَعِيرتين وليس عاقدًا، ومَن صوَّر صورة عُذِّب يوم القيامة حتى ينفخ فيها الرُّوح وليس بنافخ فيها**».

ومعنىٰ العَقْد بين الشَّعِيرتين: قتل إحداهما بالأخرىٰ، وهو محال في العادة، وهذا الوعيد الشديد يدل علىٰ أنَّ الكذب في المنام كبيرة؛ لأن الرؤيا جزءٌ مِن النبوَّة، وما كان مِن النبوَّة فهو مِن قِبل الله، والكذب في الرؤيا كذبٌ علىٰ الله تعالىٰ، وكذلك نفخ

الرُّوح في الصورة مما لا يستطيعه مخلوق، فهو يدل على أنَّ التصوير كبيرةٌ.

ومنها: توعد فاعلها بعذاب شديد في جوارحه:

سبق في الحديث المذكور: «**ومن استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صُبَّ في أذنه الآنُك يومَ القيامة**». والآنُك -بالمد وضم النون-: هو الرصاص المُذاب.

وروى البخاريُّ حديث سَمُرة الطويل في رؤيا النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وفيه: «**وأنَّا أتينا على رجلٍ مضطجعٍ وإذا آخر قائم عليه بصخرة، وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه، فيتلغ رأسه فيَتَدَهْدَه الحجر هاهنا فيتبع الحجر، فيأخذه فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان، ثُمَّ يعود عليه، فيفعل به مثل ما فعل المرة الأولى، وأتينا على رجل مُستلقٍ لقفاه، وإذا آخر قائم عليه بكَلُوبٍ مِن حديدٍ، وإذا هو يأتي أحد شِقَّي وجهه، فيُشَرْشِرُ شِدْقَه إلى قفاه، ومِنْخَره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه، ثم يتحوَّل إلى الجانب الآخر، فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول، فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان، ثُمَّ يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل المرة الأولى**».

وذكر الحديث إلى أن قال: «**قالا - أي الملَكان- أمَّا الرجل الذي أتيت عليه يتلغ رأسه بالحجر، فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصَّلاة المكتوبة، وأمَّا الذي أتيت عليه يُشَرْشِرُ شِدْقه إلى قفاه، ومِنْخَره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه، فإنه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق**».

ومعنى كونه ينام عن الصلاة المكتوبة: أنه يتركها، والذي يكذب الكذبة تبلغ الآفاق وصف ينطبق على الصحفي الذي ينشر في الجريدة خبرًا كاذبًا، فهو داخل في هذا الوعيد الشديد، ويدخل فيه أيضًا كذبة أبريل، وذلك أن

كثيرًا من الناس اعتادوا أن يكذبوا أول يوم من أبريل على شخص معروف بأنه مات أو تزوج أو ولد له أو أنه حصل انقلاب في دولة ما أو نحو ذلك، ثم يتبيَّن في اليوم الثاني أنه كذبة بعد أن ينشر في الجرائد، وترسل برقيات تعزية أو تهنئة بناء على ذلك الخبر الكاذب، وهي عادة إفرنجية قلَّد الناس فيها الفرنج.

ومنها: الإخبار بأن الله يطبع على قلبه:

روى أحمد والأربعة، عن أبي الجعد الضمري، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن ترك ثلاث جُمَعٍ تهاونًا طَبَعَ الله على قلبه**». حسَّنه الترمذيُّ، وصحَّحه ابن خزيمة وابن حِبَّان والحاكم.

وعن أبي قتادة: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن ترك الجُمُعة ثلاث مرَّات مِن غير ضرورةٍ طَبَعَ الله على قلبه**». رواه أحمد، وصحَّحه الحاكم.

هذه بضعة وأربعون علامة للكبيرة استخرجناها بالاستقراء والتتبع، وذكرنا لكل علامة منها مثلًا أو مثلين أو أكثر، ولم نقصد الاستيعاب في ذكر الأمثلة لأن ذلك يطول، فكل معصية قُرنت بها أو بمرتكبها علامة من تلك العلامات في القرآن أو السُّنَّة الثابتة فهي كبيرة، وإن خالف بعض الشافعية في بعض المعاصي فاعتبروها صغيرة مع وجود العلامة فيها فذلك جارٍ على قواعد مذهبهم، لا يلزمنا اتباعهم وترك الدليل.

الصغائر وأمثلة لها

أمَّا الصغائر: فهي ما خَلَت من العلامات المذكورة، ونذكر بعضًا منها على سبيل التمثيل لا الحصر:

١- فمنها: النظر إلى الأجنبية أو تقبيلها.

٢- ومنها: الخروج من المسجد بعد الأذان إلَّا لعذر.

٣- ومنها: ترك ردِّ السَّلام، ومثله ترك ردِّ جواب الكتاب.

٤- ومنها: ترك إجابة الدعوة لوليمة أو نحوها.

٥- ومنها: لعب النرد أو الكارطة أو نحو ذلك ما لم يصحبه قمار، وإلَّا فهو كبيرة.

٦- ومنها: حلق اللحية لما مرَّ بيانه في الكلام على التنميص، وهذا إذا حمل الأمر في: «**أعفوا اللحى**» على الوجوب، فإن حُمل على الندب كان حلق اللحية مكروهًا فقط.

٧- ومنها: الجمع بين الظهر والعصر، أو المغرب والعشاء بدون عذر، وحديث: «**مَن جمع بين صلاتين فقد أتى بابًا من أبواب الكبائر**» ضعيف.

٨- ومنها: ترك الترحُّم على الوالدين أو أحدهما لقول الله تعالى: ﴿**وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا**﴾ [الإسراء: ٢٤]، والأمر للوجوب، يؤكِّده ورود الآية في سياق وجوب برِّ الوالدين وعرفان حقِّهما، فإن ترك الترحُّم عليهما بدعوى أنهما ضالَّان أو أحدهما فهو كبيرة؛ لأنه حينئذٍ عقوقٌ.

٩- ومنها: سرقة شيء قليل دون النِّصاب الذي يوجب الحدَّ، وحديث:

«**لعنَ الله السَّارق يَسْرِقُ البَيْضَةَ فتُقطعُ يده، ويَسْرِقُ الحَبْلَ فتُقطَعُ يده**». رواه الشيخان مِن حديث أبي هريرة، يحتمل أحد معنيين:

١- أنه جاء على وفاق الآية: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨]، فإنها تعمُّ سارق القليل والكثير، ثم ثبت تخصيصها ببيان النِّصاب الذي يجب فيه القطع، وهو يدل على أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان يتمسَّك بعموم القرآن حتى يأتيه البيان مِن الله بتخصيصه.

٢- كان قطع السارق معمولًا به في الجاهلية وأقره الإسلام، كما أقرَّ القسامة والدية والقراض، وكانوا في أيام الجاهلية يقطعون في سرقة ما قل أو كثر، فأراد النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بلعن السارق تحقير شأنه حيث بذل يده الثمينة في سرقة الأشياء المهينة.

١٠- ومنها: صوم يوم العيد، لأنه إعراض عن ضيافة الله لعباده في ذلك اليوم.

١١- ومنها: صلاة النافلة في الأوقات المنهي عن الصلاة فيها.

١٢- ومنها: ترك صلاة الجمعة مرة أو مرتين بدون عذر، أما تركها ثلاث مرات متواليات فهو كبيرة كما سبق.

١٣- ومنها: عقد بيع أو نكاح وقت آذان الجمعة إلى الانتهاء من صلاتها.

١٤- ومنها: مكث الجنب أو الحائض في المسجد.

١٥- ومنها: مسُّ القرآن على غير وضوء؛ لحديث حكيم بن حزام قال: لَمَّا بعثني النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى اليمن قال: «**لا تمسَّ القرآن إلَّا وأنت طاهرٌ**». رواه الطبراني، والدارقطني، والحاكم وصحَّحه، وله طرق من حديث

ابن عمرو، وعمرو بن حزم، وعثمان بن أبي العاص، وثوبان. والنهي يقتضي حرمة مس القرآن بغير وضوء، فيكون صغيرة.

١٦- ومنها: ترك تكفير الحالف عن يمينه إذا حنث فيها.

١٧- ومنها: ترك الوفاء بالنذر إذا نذر طاعة كصدقة أو صلاة مثلًا، أما نذر المعصية فلا يجوز، وإذا وقع فلا يجوز الوفاء به، وكذلك لا يجوز النذر لولي، ولا يجوز الوفاء به لو وقع.

١٨- ومنها: الإصرار على فعل الصغيرة، بأن يفعلها كل يوم مثلًا، وحديث: «**لا صغيرة مع الإصرار**». ضعيف، والصحيح أنه من قول ابن عبَّاسٍ.

١٩- ومنها: بيعتان في بيعة، وهو أن يبيع التاجر سلعة بمائة نقدًا، وبمائتين إلى أجل.

هذه أمثلة من الصغائر، ومن أراد الزيادة عليها فليطلبها من كتب الفقه.

خاتمة في بيان ما يكفِّر الكبائر والصغائر

وأختم هذا البحث ببيان ما يُكفِّر الكبائر والصغائر فأقول:

إنَّ الله تعالىٰ علم ضعف الإنسان، وغَلَبة الشهوة عليه، وتزيين الشيطان له، وأنه بسبب ذلك واقع في المخالفة لا محالة إلَّا مَن أدركه الله بحفظه ولطفه، وهم قليلون؛ فجعل للعاصين أنواعًا من الخير إذا فعلوها مَحت عنهم معاصيهم، وطهَّرتهم مِن مخالفاتهم بفضله وكرمه، فصرف عنهم عذابه، وتلقَّاهم بمغفرته، وهذه المُكفِّرات ثلاثة أنواع:

نوع يُكفِّر الكبائر والصغائر:

وهو التوبة بشروطها المعروفة، فإنها تكفِّر الصغائر والكبائر، وتمحو الكفر أيضًا، وهذا من المعلوم بالضرورة لكلِّ مسلمٍ فلا نحتاج إلىٰ الإطالة بذكر الأدلة عليه.

ونوع يكفر الصغائر: وهو ثلاثة أشياء:

١- اجتناب الكبائر:

قال الله تعالىٰ: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]، وفي "صحيح مسلم"، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**الصَّلوات الخمسُ، والجُمُعةُ إلى الجُمُعةِ، ورمضانُ إلى رمضانَ مُكفِّراتٌ ما بينهنَّ إذا اجتُنبت الكبائر**».

٢- إتباعها الحسنة:

روىٰ ابن جريرٍ، عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله

صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**جعلت الصلوات كفارات لما بينهن، فإن الله قال:** ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤]».

وفي "الصحيحين" عن ابن مسعود رضي الله عنه: أنَّ رجلًا أصاب من امرأة قبلة، فأتى النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فأخبره، فأنزل الله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤]، فقال الرجل: يا رسول الله، ألي هذا؟ قال: «**لجميع أمَّتي كلهم**».

وفي "المسند" عن معاذ رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال له: «**يا معاذ أتبع السيِّئةَ الحَسَنةَ تمْحُها، وخَالِقِ النَّاسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ**».

وروى الترمذيُّ، عن أبي ذرٍّ، ومعاذ رضي الله عنهما، عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيِّئةَ الحسنةَ تمْحُها، وخالِقِ النَّاسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ**».

٣- مصيبة من مصائب الدنيا:

ثبت في "الصحيحين" عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ما مِن مُصيبةٍ تُصيبُ المسلمَ إلَّا كفَّر الله عنه بها حتى الشوكة يُشاكها**».

وفيهما أيضًا، عن أبي سعيد الخدريِّ، وأبي هريرة رضي الله عنهما، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ما يُصيبُ المؤمنُ مِن نَصَبٍ ولا وَصَبٍ ولا هَمٍّ ولا حَزَنٍ ولا أَذًى ولا غَمٍّ حتى الشوكة يُشاكها إلَّا كفَّر الله بها مِن خطاياه**».

وفي "صحيح ابن حِبَّان"، عن عبدالله بن مُغفَّل رضي الله عنه: أنَّ رجلًا

لقي امرأة كانت بغيًّا في الجاهلية، فجعل يلاعبها حتىٰ بسط إليها يده، فقالت: مَهْ فإنَّ الله قد أذهب الشِّرك وجاء بالإسلام. فتركها وولَّىٰ، فجعل يلتفت خلفه، وينظر إليها حتىٰ أصاب وجهه حائطًا. ثم أتىٰ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم والدم يسيل علىٰ وجهه، فأخبره بالأمر، فقال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أنت عبد أراد الله بك خيرًا**»، ثم قال: «**إنَّ الله جلَّ وعلا إذا أراد بعبدٍ خيرًا عجَّل عقوبة ذنبه، وإذا أراد بعبد شرًّا أمسك عن ذنبه حتى يوافي يوم القيامة كأنه عائرٌ**».

وروىٰ الطبراني في "الأوسط"، عن أبي تميمة الهجيمي قال: بينا أنا في حائط من حيطان المدينة إذ بصرت بامرأة، فلم يكن لي همٌّ غيرها حتىٰ حاذتني ثم أتبعتها بصري حتىٰ حاذت الحائط، فالتفت فأصاب وجهي الحائط، فأدماني، فأتيت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فأخبرته، فقال: «**إنَّ الله عزَّ وجلَّ إذا أراد بعبدٍ خيرًا عجَّل عقوبة ذنبه، وربُّنا تبارك وتعالى أكرم مِن أن يعاقب على ذنبٍ مرتين**». قال الحافظ ابن حجرٍ: «إسناده حسن».

قلت: كيف يكون حسنًا وفيه هشام بن لاحق أبو عثمان المدائن أو المدني؟! ضعَّفه شبابة بن سوار، والبخاري، والساجي، والعقيلي، وترك أحمد حديثه بعد أن روىٰ عنه، لكن قواه النَّسائيُّ، وقال ابن عديٍّ: «أحاديثه حسان، وأرجو أنه لا بأس به». وذكره ابن حِبَّان في "الثقات" كما ذكره في "الضعفاء" أيضًا، وأبو تميمة تابعيٌّ معروف يروي عن أبي هريرة وأبي موسىٰ، وأصل الحديث عن أبي تميمة الهجيمي: أنَّ رجلًا كان في حائطٍ من حِيطان المدينة...إلخ. ولكن هشام بن لاحق لضعفه واضطراب حديثه نسب القصة

لأبي تميمة، مع أنه ليس بصاحبها ولا حضرها، فالحديث مرسل ضعيف الإسناد، لكنه يتقوَّىٰ بما قبله من الأحاديث.

هذا وتنقلب الصغيرة كبيرة بانضمام معصية إليها كما سيأتي بحول الله.

وذكر كثير من العلماء أنَّ الإصرار علىٰ الصغيرة يُصيِّرها كبيرة واحتجُّوا بحديث: «**لا صغيرة مع الإصرار، ولا كبيرة مع الاستغفار**». وهذا الحديث رواه أبو الشيخ، ومن طريقه الديلمي، من رواية سعيد بن سليمان سعدويه، عن أبي شيبة الخراساني، عن ابن أبي مليكة، عن ابن عبَّاسٍ به مرفوعًا.

ومن هذا الطريق رواه العسكري في "الأمثال"، وأبو شيبة ضعيف.

ورواه البغوي، ومن طريقه الديلمي، من رواية خلف بن هشام، عن سفيان بن عيينة، عن الزهري عن أنس به مرفوعًا، وفيه راو مجهول.

ورواه أبو حذيفة إسحاق بن بشر في كتاب "المبتدأ"، عن سفيان الثوري، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة به. وأبو حذيفة كذَّاب.

ورواه الطبراني في "مسند الشاميين" من رواية مكحول، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، وفي سنده بشر بن عبيد الدارمي متروك.

ورواه الثعلبي، وابن شاهين من طريق بشر بن إبراهيم، عن خليفة بن سليمان، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة أيضًا. بشر بن ابراهيم متروك، وشيخه مجهول.

والصحيح أنه من كلام ابن عبَّاسٍ، رواه البيهقي في "الشعب"، من طريق سعيد بن أبي صدقة، عن قيس بن سعد، عن ابن عبَّاسٍ قال: «لا صغيرة مع الإصرار، ولا كبيرة مع الاستغفار».

والمقصود أنَّ الحديث لا يثبت عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ولا

تقوم به حُجَّة، ولهذا اختار الشوكاني في إرشاد الفحول أنَّ الإصرار على الصغيرة صغيرة، كما أنَّ الإصرار على الكبيرة كبيرة هو الصواب.

أما ما يكفر الكبائر فأمور أربعة:

١ - الحَدُّ المرتب على بعضها:

لما رواه الشيخان، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال -وحوله عصابة من أصحابه-: «**بايعوني على ألَّا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببُهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومَن أصاب من ذلك شيئًا فعُوقب في الدنيا فهو كفَّارةٌ له، ومَن أصاب مِن ذلك شيئًا ثُمَّ ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه**».

وفي "معجم الطبراني الأوسط" بإسناد حسن، عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لأصحابه: «**بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئًا، ولا تقتلوا النفس التي حرَّم الله إلَّا بالحقِّ، ولا تزنوا، ولا تسرقوا، ولا تشربوا مُسْكِرًا، فمن فعل من ذلك شيئًا فأقيم عليه حدُّهُ فهو كفَّارةٌ له، ومَن سَتَر الله عليه فحِسَابُهُ على الله عزَّ وجلَّ، ومَن لم يفعل مِن ذلك شيئًا ضَمِنتُ له على الله الجنَّة**».

وروى الترمذيُّ، عن عليٍّ عليه السَّلام، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن أصاب حدًّا فجعل له عقوبته في الدنيا فالله أعدل مِن أن يثني على عبده العقوبة في الآخرة، ومَن أصاب حدًّا فسَتَرَهُ الله عليه وعفا عنه فالله أكرم مِن أن يعود في شيءٍ قد عفا عنه**». حسَّنه الترمذيُّ، وصحَّحه الحاكم.

وفي "المسند" عن خزيمة بن ثابت رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن أصاب ذنبًا وأُقيم عليه حدُّ ذلك الذنب فهو كفَّارته**». قال الحافظ الهيثمي: «فيه راوٍ لم يُسم وهو ابن خزيمة، وبقية رجاله رجال ثقات».

قلت: ابن خزيمة هو عُمارة -بضم العين- وهو ثقة، ولذلك قال الحافظ ابن حجرٍ: «إسناده حسن».

وروىٰ الطبراني في "الكبير" عن خزيمة بن معمر الأنصاري قال: رُجمت امرأة في عهد النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال النَّاس: حَبِطَ عملها، فبلغ ذلك النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**هو كفَّارة ذنبها، وتحشر على ما سوى ذلك**». قال الحافظ الهيثمي: «فيه يحيىٰ بن عبدالحميد الحِمَّاني ضعيف».

قلت: الحِمَّاني -بكسر الحاء وتشديد الميم- حافظ مشهور، وثَّقه ابن معين، وابن نمير والرمادي، وكان أحمد سيء الرأي فيه، وهو أول مَن ألَّف المسند بالكوفة.

ورواه ابن السكن، وابن شاهين من طريق المنكدر بن محمد بن المنكدر، عن أبيه، عن خزيمة بن معمر به. قال ابن السكن: «تفرَّد به المنكدر، وهو ضعيف».

قلت: لم يقف علىٰ رواية الحِمَّاني، وهي تُبيِّن أنَّ المنكدر لم يتفرَّد به.

قال الحافظ: «وقد خالفه أسامة بن زيد، فرواه عن ابن المنكدر، عن أبي خزيمة بن ثابت، عن أبيه، وهذا أشبه، وفيه اختلاف آخر».

قلت: رواية أسامة أخرجها الدارمي في "سننه" وأسامة ضعيف أيضًا، والحديث مضطرب الإسناد كما قال ابن عبدالبر.

وروىٰ الطبراني في "الأوسط" عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال

رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ما عُوقب رجلٌ على ذنبٍ إلَّا جعله الله كفَّارة لما أصاب مِن ذلك الذنب**». في إسناده ياسين أبي معاذ الزيات، ضعيف متروك، لكنه مؤيد بالأحاديث السابقة.

ولا يعارضها ما رواه أحمد، عن عبدالرزاق، عن معمر. والبزَّار، والحاكم من طريق معمر، عن ابن أبي ذئب، عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ما أدري الحدود كفَّاراتٌ أم لا؟**». إسناده علىٰ شرط الشيخين.

لأن الأصل عدم العلم، ثم يأتي العلم ناقلًا عن الأصل، فالنبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لم يكن يدري هل الحدود كفَّاراتٌ كما أفاد هذا الحديث، ثُمَّ أدراه الله بأنها كفَّاراتٌ كما أفادته الأحاديث المذكورة.

٢- الاستشهاد في سبيل الله:

روىٰ مسلم في "صحيحه" عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**يُغفر للشهيد كلُّ ذنبٍ إلَّا الدَّين**».

وروىٰ أيضًا عن أبي قتادة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قام فيهم فذكر أنَّ الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال، فقام رجل فقال: يا رسول الله، أرأيت إن قتلت في سبيل الله، تكفَّر عني خطاياي؟ فقال: «**نعم، إن قُتلتَ في سبيل الله وأنت صابرٌ مُحتسبٌ، مُقبلٌ غير مُدْبرٍ**». ثُمَّ قال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**كيف قلتَ؟**»، قال: أرأيت إن قتلت في سبيل الله أتكفَّر عنِّي خطاياي؟ فقال: «**نعم، إن قُتلتَ وأنت صابرٌ مُحتسبٌ، مُقبلٌ غير مُدْبرٍ، إلَّا الدَّين فإن جبريل قال لي ذلك**».

وفي "صحيح ابن حِبَّان" عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ السيف مَحَّاءٌ للخطايا**».

وفي "المسند" بإسناد جيد عن عتبة بن عبدالسلمي رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**القتلى ثلاثة: رجلٌ مؤمنٌ جاهد بنفْسه وماله في سبيل الله حتى إذا لقي العدوَّ قاتلهم حتى يقتل، فذلك الشهيد الممتحَن في جنَّة الله تحت عرشه لا يَفْضُلُهُ النبيون إلَّا بفضل درجة النبوَّة، ورجلٌ قَرَفَ على نفسه من الذنوب والخطايا، جاهد بنفسه في سبيل الله حتى إذا لقي العدوَّ قاتل حتى يُقتل فتلك مَصْمَصَةٌ محت ذنوبه وخطاياه، إنَّ السيف مَحَّاءٌ للخطايا، وأُدخل مِن أيِّ أبواب الجنَّة شاء، فإنَّ لها ثمانية أبوابٍ، ولجهنَّم سبعة أبوابٍ، ورجلٌ منافقٌ جاهد بنفسه وماله حتى إذا لقي العدوَّ قاتل حتى يقتل فذلك في النَّار، إنَّ السيف لا يمحو النفاق**». صحَّحه ابن حِبَّان.

وروىٰ العقيلي في "الضعفاء"، من طريق أصرم بن غياث، عن عاصم الأحول، عن أنس مرفوعًا: «**لا يمرُّ السيف بذنبٍ إلَا محاه**». وأصرم ضعيف.

٣- القتل:

بمعنىٰ أن مرتكب الكبيرة إذا قُتِل ظلمًا كان القتل كفَّارة له.

روىٰ البزَّار بإسناد رجاله ثقات، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**قَتْلُ الصَّبرِ لا يمرُّ بذنبٍ إلَّا مَحاهُ**».

«**قتل الصبر**»: أن يُقتل الشخص مقيَّدًا، والحديث يفيد شرطيته في التكفير.

وروىٰ سعيد بن منصور، عن عمرو بن شعيب، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن قُتل صَبْرًا كان كفَّارة لخطاياه**». وهذا مُعضَلٌ.

وروى البزَّار، من طريق داود بن عمرو الضَّبِّي قال: حدَّثنا صالح بن موسى: ثنا عبدالعزيز بن رفيع، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**قَتْلُ الرجل صبرًا كفَّارةٌ لما قبله مِن الذنوب**». صالح بن موسى متروك.

ورواه أبو الأحوص ومحمد بن الفضل بن عطية، عن عبدالعزيز بن رفيع، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدِّه به. قال الدارقطني: «هذا أشبه».

قلت: يريد أنَّ هذ الرواية أشبه بالصواب مِن رواية صالح بن موسى.

فالحديث من رواية عبدالله بن عمرو بن العاص لا من رواية أبي هريرة، ومحمد بن الفضل كذَّاب، لكن العبرة برواية أبي الأحوص سلام بن سليم، وهو ثقة من رجال "الصحيحين"، وكذلك شيخه عبدالعزيز بن رُفيع -بصيغة التصغير-، فهذا الطريق على شرط الحسن، بل قال الذهبي: «أعلى مراتب الحسن: بهز بن حكيم عن أبيه عن جدِّه، وعمرو بن شعيب عن أبيه عن جدِّه، وأمثال ذلك مما قيل إنه صحيح، وهو أدنى مراتب الصحيح».اهـ

وروى الطبراني بإسناد صحيح، عن الحسن -هو البصري- قال: كان زياد يتتبع شيعة عليٍّ عليه السَّلام فيقتلهم، فبلغ ذلك الحسن بن عليٍّ عليهما السَّلام فقال: «اللهمَّ تفرَّد بموته، فإن القتل كفَّارة».

دعا الحسن بن علي أن يموت زياد بن أبيه حتف أنفه؛ لأنه لو مات مقتولًا كان القتل كفَّارة لذنوبه.

وروى الطبراني أيضًا عن ابن مسعود -في الذي يصيب الحدود ثم يقتل عمدًا- قال: «إذا جاء القتل محا كلَّ شيءٍ».

قلت: شرط القتل المكفِّر للذنوب أن يكون عن عمدٍ؛ لأن القتل المتعمد يحمل عن المقتول ذنوبه يوم القيامة، فإن كان القتل خطأ لم يكفر الذنوب لأنه لا إثم فيه على القاتل.

أعمال ثبت فيها أنها تكفر الكبائر:

كالحج المبرور، وقيام ليلة القدر، وصلاة التسابيح، ونحو ذلك مما أفرد لجمعه مؤلفات للحافظين المنذري وابن حجرٍ، وللقابوني، والحطَّاب شارح المختصر، وسيدي محمد بن جعفر الكتاني، وشقيقنا أبي الفيض رحمهم الله.

وللحافظ ابن حجرٍ جزء اسمه "قوة الحجاج لعموم مغفرة الحجاج" طبعته مع تعليقاتي عليه، وتلك المؤلفات مطبوعة إلَّا مؤلف المنذري والحطَّاب وشقيقنا، وكتاب القابوني طبعته مع تعليقاتي عليه أيضًا واسمه: "بشارة المحبوب بتكفير الذنوب".

نسأل الله أن يمحو آثامنا ويحسن ختامنا إنه جواد كريم غفور رحيم.

١٠ - الحُجَجُ البَيِّنَات
في إثْبَـات الكَـرَامَـات

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمدُ لله الفتَّاح العليم، الوهَّاب الكريم، منح أولياءَه مِنحةً من عَطائه، ونفحهم نفحةً من آلائه، قرَّبهم إليه بمحبَّته، وحفظهم من طوارق الأغيار برعايته، فكان سمعهم وبصرهم ويدهم، ولا بحلولٍ ولا اتِّحادٍ، لكن عنايةً خاصَّة كعناية الأمِّ بصغار الأولاد.

والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قطب الوجود، وشمس دائرة الشُّهود، عين الأعيان والجوهر الفرد في نوع الإنسان:

مُنَزَّهٌ عَنْ شَرِيكٍ في محاسِنِهِ فجَوهَرُ الحُسْنِ فيه غيرُ مُنقَسِمِ

والرِّضى عن آله الكرام، وصحابته الأعلام، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى قيام السّاعة وساعة القيام.

أما بعد: فقد طلب منِّي صديقي الأستاذ الفاضل الحاج محمَّد أحمد عمارة - جنَّبه الله آفات الوقت وأغياره- أن أُحرِّر له رسالةً في كرامات الأولياء، وبيان جوازها عقلًا، ووقوعها نقلًا، فتأخّرت عن إجابته مُدّةً لأسباب عدةٍ.

أهمّها: اشتغالي بكتاب "إقامة البرهان على نزول عيسى في آخر الزمان" وهو الكتاب الذي رددتُ به على بعض مبتدعة العصر ممّن قلَّ نصيبهم في العلم وكثُر خطأهم في الفهم.

فلمّا قضى الله بإتمامه، واستوفى الردُّ غاية مرامه، بادرت إلى إجابة الطّلب، وأسرعت إلى تلبية الرّغب، وألّفت هذه الرسالة التي سمّيتها: بـ "**الحُجَج**

البيِّنات في إثبات الكَرَامَات"، وتجنَّبتُ فيها الإكثار المُملَّ والإقلال المُخلَّ، جعلها الله هُدًىٰ للقاريء المستفيد، وقذًىٰ في عين الحاسد العنيد، وما توفيقي إلَّا بالله عليه توكَّلت وإليه أنيب.

مقدِّمة
في معنى الوليِّ

قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٢ – ٦٤].

قال الزمخشريُّ في "الكشَّاف": «الوليُّ من تولَّى الله بالطّاعة فتولَّاه الله بالكرامة».

وقال السَّعد التفتازانيُّ في "شرح العقائد النَّسفيّة" ، والجلال المحلّيُّ في "شرح جَمْع الجوامع": «الوليُّ العارف بالله حسبما يُمَكن، المواظب على الطّاعات، المُجتنب للمعاصي، المُعرض عن الانهماك في اللذَّات والشَّهوات».

وقيل: الوليُّ من يُحب أخاه المؤمن لا يحبّه إلَّا لله، وقيل غير ذلك.

وقد تبدو هذه الأقوال -لأوّل وهلةٍ- مُتنافرةً مُختلفةً، لكنَّها في التحقيق متوافقةٌ مؤتلفةٌ، إذ ما من وليٍّ إلَّا وهو مُتصفٌ بما ذُكر فيها من الصِّفات، ومُتَّسمٌ بغيرها من كريم الخلال والسِّمات، وقد جاءت الأحاديث مُختلفةٌ في هذا الباب كاختلاف الأقوال، وذلك محمولٌ على اختلاف الأحوال مع قصد الشَّارع الحضّ على أنواعٍ من فضائل الأعمال.

ففي "صحيح البخاريِّ" عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ الله تعالى قال: من عادى لي وليًّا فقد آذَنتُهُ بالحرب، وما تَقرَّب إليَّ عبدي بشيءٍ أَحَبَّ إليَّ ممَّا افترضتُ عليه، وما يزال عبدي يَتقرَّبُ إليَّ بالنَّوافل حتَّى أُحبَّه، فإذا أَحببتُه كنت سَمْعه الذي يَسمَعُ به، وبَصَرَهُ الذي يُبصِرُ به، ويَدَهُ التي يَبطِشُ بها، ورِجْلَهُ التي يَمشي بها، ولئِن**

سألني لأُعطينَّه، ولئن استعاذني لأُعيذنَّه...» الحديث.

وفي "سنن أبي داود" عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ من عباد الله لأُنَاسًا ما هُم بأنبياء ولا شُهداء، يَغبِطُهُم الأنبياء والشُّهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى، قالوا: يا رسول، الله تُخبِرنا من هم؟ قال: هم قومٌ تَحابُّوا برُوح الله على غير أرحامٍ بينهم، ولا أموالٍ يَتعاطَوْنها، فوالله إنَّ وجوههم لنورٌ، وإنَّهم لعلى نورٍ، لا يخافون إذا خاف النَّاس، ولا يَحزنون إذا حَزِنَ النَّاس، وقرأ هذه الآية:** ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس:٦٢]. وروىٰ النَّسائيُّ عن أبي هريرة نحوه.

وروىٰ ابن أبي الدنيا في "كتاب الأولياء" بسندٍ ضعيفٍ عن ابن عبَّاسٍ رفعه قال: «**ثلاثٌ من كُنَّ فيه استَحَقَّ ولاية الله: حِلمٌ أصيلٌ يدفع سفَه السَّفِيه عن نفسه، وورعٌ صادقٌ يحجُزه عن معاصي الله، وخُلقٌ حَسَنٌ يُدارِي بِه النَّاس**».

وروىٰ أحمد بإسنادٍ ضعيفٍ عن عمرو بن الجموح رضي الله عنه أنَّه سمع النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**لا يجد العبد صَرِيح الإيمان، حتَّى يُحِبَّ لله تعالى، ويُبغضَ لله، فإذا أَحَبَّ لله تبارك وتعالى، وأبغض لله تبارك وتعالى فقد استَحَقَّ الولاء من الله**».

ورواه ابن أبي الدنيا في "الأولياء" وزاد في آخره: «**قال الله: إنَّ أوليائي من عبادي وأحِبَّائي من خَلقي الذين يُذكَرون بذكري وأُذكَر بذكرهم**».

وروىٰ النَّسائيُّ والبزَّار عن ابن عبَّاسٍ قال: «**سُئل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: من هم أولياء الله؟ قال: هم الذين يُذكر الله عند رؤيتهم**».

ورواه ابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا، وغيرهما عن سعيد بن جبير مرسلًا

وهو أصح وأشهر.

وروىٰ ابن أبي الدنيا في "الأولياء" عن ابن عبَّاسٍ مرفوعًا: «**ألا أخبركم بخير جُلسائكم؟ من ذَكَّركم اللهَ رؤيتُه، وزادكم في عِلمكم منطقُه، وذَكَّركم بالآخرة عملُه**».

وروىٰ الحكيم الترمذيُّ في "نوادر الأصول" عن الحسن البصريِّ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ بُدلاء أمَّتي لم يدخلوا الجنَّة بكثرة صومٍ ولا صلاةٍ، ولكن دخلوها برحمة الله، وسلامة الصّدور، وسخاوة الأنفس، والرحمة بجميع المسلمين**».

وروىٰ ابن أبي الدنيا عن بكر بن خنيس يرفعه: «**علامة أبدال أمَّتي أنَّهم لا يَلعنون شيئًا أبدًا**». وهذا معضلٌ.

وروىٰ أبو نعيمٍ في "الحلية" عن ابن عبَّاسٍ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**يقول الله تعالى: إنَّما أتقبَّل الصَّلاة ممَّن تواضع لعظمتي، ولم يتعاظَم على خَلْقي، وكفَّ نَفْسَهُ عن الشَّهواتِ ابتغاء مَرْضاتي، فقطع نهاره في ذِكْري، ولم يَبِتْ مُصرًّا على خطيئةٍ، يُطعم الجائع، ويكسو العاري، ويرحم الضعيف، ويُؤوي الغريب، فذاك الذي يُضيء وجهه كما يُضيء نور الشمس، يدعوني فأُلبِّي، ويسألني فأُعطي، ويُقسم عليَّ فأَبَرُّ قَسَمَهُ، أجعل له في الجهالة عِلْمًا، وفي الظُّلْمَةِ نورًا، أكلأه بقوَّتي، وأَسْتَحْفِظُهُ ملائكتي**».

والأحاديث كثيرةٌ في هذا المعنىٰ، إذا تتبَّعها الباحث استخلص من مجموعها أنَّ الوليَّ مَن تولَّىٰ الله بصنوف القُربات، فتولَّاه الله بأنواع من المَكْرُمات، حقَّقنا الله بولايته، وكلأنا بقوته، إنَّه قريبٌ مُجيبٌ.

باب
في بيان جواز الكرامات ووقوعها

وهو يشتمل على فصولٍ:

الفصل الأول

الكرامة: اسم من الإكرام والتكريم، تقول: أَكرمت العَالِمِ وكَرَّمته إِكرامًا وتكريمًا، إذا فعلت معه ما يدل على تعظيمه واحترامه، والاسم: الكَرَامة، كما يُقال: وَكَّلَه تَوكيلًا ووكالة، وحمله تحميلًا وحمالة، في نظائر أخرى تعرف من كتب اللغة.

والكرامة في اصطلاح أهل السُّنَّة القائلين بها: هي أمرٌ خارقٌ للعادة يُظهره الله على يد مؤمنٍ صالحٍ غير مقرونٍ بدعوى النبوَّة.

وقد قسَّموا الخوارق التي تظهر من بعض الأشخاص عِدَّة أقسامٍ فقالوا: الخارق للعادة إن ظهر على يد مُدَّعي النُّبوَّة وِفق طلبه فهو المعجزة، وإن كان على خلاف طلبه فهو الإهانة: مثل ما يُروى أنَّ مُسيلمة الكذَّاب دعا لأعورٍ بأن يفتح الله عينه فعمي، ومسح بيده رأس يتيم فقرع، وبلغه أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم تَفَل في بئرٍ فكثر ماؤها وعذب -بعد أن لم يكن كذلك- فتفل هو في بئر ليَعْذُب ماؤها فصار ملحًا أُجاجًا.

وإن ظهر الخارق على يد مؤمنٍ صالحٍ فهو الكرامة، أو على يد فاسقٍ فهو الاستدراج، وقد يقع الخارق لبعض عوامِّ المسلمين تخليصًا له من محنةٍ أو مكروهٍ، ويُسمَّى مَعونةً.

ومذهب أهل السُنَّة في كرامات الأولياء أنَّها حقٌّ؛ لأنَّها أمورٌ ممكنةٌ دلَّ على وقوعها الكتاب والسُنَّة كما سيأتي.

قال أبو الحسن الأشعريُّ في كتابه "مقالات الإسلاميين واختلاف المُصلِّين": «جُملةُ ما عليه أهلُ الحديثِ وأهلُ السُّنَّة: الإقرار بالله وملائكتهِ وكُتُبهِ ورُسُلِهِ، وما جاء من عند الله، وما رواه الثِّقات عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لا يردّون من ذلك شيئًا»، وذكر العقيدة إلى أن قال: «وأنَّ الصَّالحين قد يجوز أن يَخصَّهم الله تعالى بآياتٍ تَظهرُ عليهم»، وقال في آخر العقيدة: «فهذه جملة ما يؤمرون به ويستعملونه ويرونه، وبكلِّ ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب».اهـ

وقال الإمام أبو بكر محمَّد بن إسحاق البخاريِّ الكَلَاباذيُّ في كتاب "التَّعرُّف لمذهب أهل التَّصوُّف" في الباب السادس والعشرين منه ما نصُّه: «أجمعوا على إثبات كرامات الأولياء، وإن كانت تدخل في باب المعجزات كالمشي على الماء، وكلام البهائم، وطَيِّ الأرض، وظُهُور الشيء في غير موضعه ووقته، وقد جاءت بها الأخبار وصحَّت الروايات، ونطقَ بها التَّنزيلُ من قصَّة الذي عنده علمٌ من الكتاب في قوله تعالى: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَ﴾ [النمل: ٤٠]، وقصَّة مريم حين قال لها زكريَّا: ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾ [آل عمران: ٣٧]، وقصّة الرجلين اللذين كانا عند النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ثُمَّ خرجا فأضاء لهما سَوْطَاهما، وغير ذلك.

وجواز ذلك في عصر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وغير عصره واحدٌ

وذلك أنَّه إذا كانت في عصر النبيِّ للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ معنىٰ التَّصديق، لكان في غير عصره علىٰ معنىٰ التَّصديق، وقد كان بعد النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لعُمرَ بن الخطَّاب رضي الله عنه حين نادىٰ سارية قال: «يا سارية بن حصن الجبلَ الجبلَ، وعمر بالمدينة وسارية في وجه العدوِّ علىٰ مسيرة شهرٍ، والأخبار في هذا كثيرةٌ وافرةٌ».اهـ ثُمَّ ذكر بقيّة المذاهب والأقوال فليُنظر كلامه.

وقال الأستاذ أبو القاسم القشيريُّ في "الرسالة": «ظهور الكرامات علىٰ الأولياء جائزٌ، والدّليل علىٰ جوازه: أنَّه أمرٌ موهومٌ حدوثه في العقل لا يُؤدِّي حُصوله إلىٰ رفع أصلٍ من الأُصول، فوجب وصفه سبحانه بالقدرة علىٰ إيجاده، وإذا وجب كونه مقدورًا لله سبحانه فلا شيء يمنع جواز حصوله، وظهور الكرامات علامة صِدق مَن ظهرت عليه في أحواله، فمن لم يكن صادقًا فظهور مثلها عليه لا يجوز، والذي يدلُّ عليه أنَّ تعريف القديم سبحانه إيَّانا حتىٰ نُفرِّق بين من كان صادقًا في أحواله وبين من هو مبطلٌ من طريق الاستدلال أمر موهوم، ولا يكون ذلك إلَّا باختصاص الوليِّ بما لا يوجد مع المفتري في دعواه، وذلك الأمر هو الكرامة التي أشرنا إليها، ولابُدَّ أن تكون هذه الكرامة فعلًا ناقضًا للعادة في أيام التكليف ظاهرًا علىٰ موصوف بالولاية في معنىٰ تصديقه في حاله».اهـ

وقال أيضًا -بعد كلام في الكرامة-: «وبالجملة فالقول بجواز ظهورها علىٰ الأولياء واجبٌ، وعليه جمهور أهل المعرفة، ولكثرة ما تواتر بأجناسها الأخبار والحكايات صار العلم بكونها وظهورها علىٰ الأولياء في الجملة عِلمًا قويًا انتفىٰ عنه الشكوك».اهـ

وقال الإمام النوويُّ في "بستان العارفين": «اعلم أنَّ مذهب أهل الحقِّ إثبات كرامات الأولياء، وأنَّها واقعةٌ موجودةٌ مُستمرةٌ في الأعصار، ويدلُّ عليها دلائل العقول وصَرائح النُّقول، أمَّا دلائل العقل فهي أمرٌ يمكن حدوثه، ولا يؤدِّي وقوعه إلى رفع أصلٍ من أصول الدِّين، فيجب وصف الله تعالى بالقدرة عليه، وما كان مقدورًا كان جائز الوقوع، وأما النُّقول فآياتٌ في القرآن العظيم وأحاديث مستفيضةٌ».اهـ

وفي "شرح المقاصد" للسعد ما نصَّه: «ظهور كرامات الأولياء تكاد تَلحقُ بمعجزات الأنبياء، وإنكارها ليس بعجيبٍ من أهل البدع والأهواء، وإنَّما العجب من بعض فقهاء أهل السنَّة حيث قال فيما رُوي عن إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه أنَّهم رأوه بالبصرة يوم التَّروية وفي ذلك اليوم بمكة: أنَّ من اعتقد جواز ذلك يكفر».

والإنصاف ما ذكره الإمام النَّسفيُّ حين سُئل عمَّا يُحكى: «أنَّ الكعبة كانت تزور أحدًا من الأولياء، هل يجوز القول به؟ فقال: نَقْضُ العادة على سبيل الكرامة لأهل الولاية جائزٌ عند أهل السنَّة».اهـ

وفي "العقائد النَّسَفِيَّة" للعلَّامة نجم الدِّين النَّسفيِّ وشرحها للعلَّامة سعد الدِّين التفتازانيِّ ما نصُّه: «وكرامات الأولياء حقٌّ، والدّليل على حقية الكرامة ما تواتر عن كثيرٍ من الصّحابة ومَن بعدهم، بحيث لا يُمكن إنكاره خصوصًا الأمر المشترك وإن كانت التفاصيل آحادًا، وأيضا الكتاب ناطقٌ بظهورها من مريم ومن صاحب سليمان عليهما السَّلام، وبعد ثبوت الوقوع لا حاجة إلى إثبات الجواز».

ثُمَّ أورد كلامًا يُشير إلىٰ تفسير الكرامة، وإلىٰ تفصيل بعض جزئيَّاتها المُستبعدة جدًّا فقال: «فتظهر الكرامةُ علىٰ طريق نقض العادة للوليِّ من قطع المسافة البعيدة في المُدَّة القليلة، كإتيان صاحب سليمان عليه الصَّلاة والسَّلام -وهو آصف بن برخيا علىٰ الأشهر- بعرش بلقيس قبل ارتداد الطَّرف مع بُعد المسافة، وظهور الطّعام والشّراب واللِّباس عند الحاجة إليها كما في حقِّ مريم؛ فإنَّه قال تعالىٰ: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٣٧]، والمشي علىٰ الماء كما نُقل عن كثيرٍ من الأولياء، وفي الهواء كما نُقل عن جعفر بن أبي طالب ولقمان السرخسي وغيرهما، وكلام الجماد والعجماء، واندفاع المتوجِّه من البلاء، وكفاية المهمِّ من الأعداء.

أمَّا كلام الجماد: فكما رُوىٰ أنَّه كان بين يدي سلمان وأبي الدرداء رضي الله عنهما قصعةٌ فسبَّحت وسمعا تسبيحها.

وأمَّا كلام العجماء: فكتكليم الكلب لأصحاب الكهف، وكما رُوي أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**بينما رجلٌ يَسُوقُ بقرةً له قد حَمَلَ عليها إذ التَفَتَت البقرةُ إليه فقالت: إنِّي لم أُخلق لهذا ولكنِّي إنَّما خُلقتُ للحرثِ؛ فقال النَّاسُ: سُبحانَ الله أَبقرةٌ تَكَلَّمُ؟! فقال النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: آمنت بهذا**».

وغير ذلك من الأشياء مثل رؤية عمر رضي الله عنه وهو علىٰ المنبر بالمدينة جيشه بنهاوند، حتَّىٰ أنَّه قال لأمير جيشه: يا سارية الجبلَ الجبلَ، تحذيرًا له من وراء الجبل لمكر العدوِّ هناك، وسماع سارية كلامه مع بُعد المسافة، وكشُرب خالدٍ رضي الله عنه السُمَّ من غير تضرُّرٍ به، وكجريان النِّيل بكتاب عمر

رضي الله عنه، وأمثال هذا أكثر من أن تُحصىٰ.

ولمَّا استدلَّ المعتزلة المنكرون لكرامات الأولياء: بأنَّه لو جاز ظهور خوارق العادات من الأولياء لاشتبه بالمعجزة فلم يتميَّز النبيُّ من غيره.

أشار إلىٰ الجواب بقوله: (**ويكون ذلك**) أي: ظهور خوارق العادات من الأولياء أو الولي الذي هو من آحاد الأمة (**معجزة للرسول الذي ظهرت هذه الكرامة لواحد من أمَّته؛ لأنه يظهر بها**) أي: بتلك الكرامة (**أنه ولي، ولن يكون وليًّا إلا وأن يكون محقًّا في ديانته، وديانته الإقرار**) باللسان والتصديق بالقلب (**برسالة رسوله**) مع الطاعة له في أوامره ونواهيه، حتىٰ لو ادعىٰ هذا الولي الاستقلال بنفسه وعدم المتابعة لم يكن وليًّا ولم يظهر ذلك علىٰ يده.

والحاصل: أن الأمر الخارق للعادة هو بالنسبة إلىٰ النبي عليه الصلاة والسلام معجزة، سواء ظهر ذلك من قِبَله أو من قِبَل آحاد من أمته، وبالنسبة إلىٰ الولي كرامة لخلوه عن دعوىٰ نبوة من ظهر ذلك من قبله، فالنبي لابد من علمه بكونه نبيًّا ومن قصده إظهار خوارق العادات، ومن حكمه قطعًا بموجب المعجزات بخلاف الولي.اهـ

وقال اللَّقَاني في"الجوهرة":

وأثْبِتَنْ لِلأوْلِيَا الكَرَامَه ... وَمَنْ نَفَاهَا فانْبِذَنْ كَلامَه

ونصوص العلماء في هذا كثيرةٌ جدًّا نكتفي منها بما ذكرناه.

وأنكر المعتزلة إلَّا أبا الحسين البصريَّ الكرامات جُملةً، ووافقهم من الأشعريَّة أبو إسحاق الإسفراييني وأبو عبدالله الحليميُّ الشَّافعيَّان، واستدلُّوا بأدلَّةٍ أجاب عنها أهل السُّنَّة بأجوبةٍ مَبسوطةٍ في كتب العقائد وغيرها لا داعي إلىٰ إيرادها.

وقال الزمخشريُّ في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ [الجن:٢٦،٢٧] ما نصُّه: «في هذا إبطالٌ للكرامات؛ لأنَّ الذين تُضاف إليهم وإن كانوا أولياء مُرتضين فليسوا برسلٍ، وقد خصَّ الله الرسل من بين المرتضين بالاطِّلاع علىٰ الغيب».اهـ

وتعقبه العلَّامة ابن المنير في "الانتصاف" بما نصُّه: «ادَّعىٰ عامًّا واستدلَّ بخاصٍّ، فإنَّ دعواه إبطال الكرامات بجميع أنواعها، والمدلول عليه بالآية إبطال اطِّلاع الوليِّ علىٰ الغيب خاصَّةً، فيجوز إعطاء الوليِّ الكرامات كلَّها إلَّا الاطِّلاع علىٰ الغيب».اهـ

وقد اختلف العلماء في الكرامات اختلافاتٍ كثيرةً لخَّصها إمامُ الحرمين في كلامه، حيث قال: «الذي صار إليه أهل الحقِّ جواز انخراق العادة في حقِّ الأولياء، وأطبقت المعتزلة علىٰ إنكار ذلك، ثُمَّ مِن أهل الحق مَن صار إلىٰ أنَّ الكرامة الخارقة للعادة شرطها أن تجري من غير اختيارٍ من الوليِّ وصار هؤلاء إلىٰ أن الكرامة تُفارق المعجزة من هذا الوجه، وهذا القول غير صحيحٍ.

وصار آخرون منهم إلىٰ تجويز وقوع الكرامة علىٰ حكم الاختيار، ولكنَّهم منعوا وقوعها علىٰ مُقتضىٰ الدَّعوىٰ فقالوا: إذا ادَّعىٰ الوليُّ الولاية واعتضد في إثبات دعواه بما يخرق العادة فإنَّ ذلك ممتنعٌ، وهؤلاء فرَّقوا بين المعجزة والكرامة بهذا، وهذه الطَّريقة غير مَرضيَّة أيضًا، ولا يمتنع عندنا ظهور خوارق العوائد مع الدَّعوىٰ المفروضة.

وصار بعض أصحابنا إلىٰ أنَّ ما وقع معجزةً لنبيٍّ لا يجوز تقدير وقوعه كرامةً لوليٍّ، فيمتنع عند هؤلاء أن ينفلق البحر وينقلب العصا ثعبانًا، وتَحيىٰ الموتىٰ إلىٰ

غير ذلك من آيات الأنبياء كرامة لوليٍّ، وهذه طريقة غير سديدةٍ أيضًا.

والمَرْضِيُّ عندنا جواز خوارق العادات في معارض الكرامات، وغرضنا من إبطال هذه المذاهب والطُّرق إثبات الصّحيح عندنا، وأمَّا الفرق بين المعجزة والكرامة فلا يفترقان في جواز العقل إلَّا بوقوع المعجزة على حسب دعوى النُّبوَّة، ووقوع الكرامة دون ادِّعاء النُّبوَّة».

وذكر كلامًا في هذا المعنى إلى أن قال: «والفرق بين السِّحر والكرامة: أنَّ السِّحر لا يظهر إلا على فاسقٍ، وليس ذلك من مقتضيات العقل، ولكنَّه مُتلقّى من إجماع الأمَّة، ثُمَّ الكرامة وإن كانت لا تظهر على فاسقٍ معلن بفسقه فلا تشهد بالولاية على القطع، إذ لو شهدت بها لأمن صاحبها العواقب، وذلك لم يجز لوليٍّ في كرامة باتفاق».اهـ نقله الإمام النووي في "بستان العارفين" وسَلَّمه.

وقال الإمام أبو بكر بن فورك: «المعجزات دلالات الصِّدق، ثُمَّ إن ادَّعى صاحبها النُّبوَّة فالمعجزات تدلُّ على صِدقه في مقالته، وإن أشار صاحبها إلى الولاية دلَّت المعجزة على صِدقه في حاله فتُسمَّى كرامةً ولا تُسمَّى معجزةً، وإن كانت من جنس المعجزات للفرق».اهـ

وقال أيضًا: «من الفرق بين المعجزات والكرامات: أنَّ الأنبياء عليهم السَّلام مأمورون بإظهارها، والوليُّ يجب عليه سترها وإخفاؤها، والنبيُّ يدَّعي ذلك ويقطع القول به، والوليُّ لا يدَّعيها ولا يقطع بكرامته لجواز أن يكون ذلك مكرًا».اهـ

وقال القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي: «المعجزات تختصُّ بالأنبياء والكرامات تكون للأولياء كما تكون للأنبياء، ولا تكون للأولياء معجزةٌ؛ لأنَّ

من شرط المعجزة اقتران دعوىٰ النُّبوَّة بها، والمعجزة لم تكن معجزة لعينها وإنَّما كانت معجزةً لحصولها علىٰ أوصافٍ كثيرةٍ، فمتىٰ اختلَّ شرطٌ من تلك الشرائط لا تكون معجزةً، وأحد تلك الشَّرائط دعوىٰ النُّبوَّة، والوليُّ لا يدَّعي النُّبوَّة والذي يظهر عليه لا يكون معجزةً».اهـ

قال الأستاذ القشيريُّ: «وهذا القول الذي نعتمده وندين به، فشرائط المعجزات كلُّها أو أكثرها توجد في الكرامة إلَّا هذا الشَّرط الواحد، والكرامة فعلٌ لا محالة محدثٌ؛ لأنَّ ما كان قديمًا لم يكن له اختصاص بأحدٍ، وهو ناقضٌ للعادة، وتحصل في زمان التَّكليف وتظهر علىٰ عبد تخصيصًا له وتفضيلًا، وقد تَحصُل بدعائه واختياره وقد لا تَحصُل، وقد تكون بغير اختياره في بعض الأوقات، ولم يُؤمر الوليُّ بدعاء الخلق إلىٰ نفسه، ولو ظهر شيءٌ من ذلك علىٰ من يكون أهلًا له لجاز».اهـ

قلت: قوله: «وتحصل في زمان التَّكليف»، هذا تقييد ليس بلازمٍ كما قال بعضهم: لجواز أن تحصل الكرامة في غير زمان التَّكليف، كأن الله يكرم بها صبيًّا أو ميتًا، وقد حصل ذلك كثيرًا، ونصوص العلماء في جواز الكرامات كثيرةٌ يَعسُر تتبُّعها.

وفي "طبقات الشَّافعيَّة الكُبرىٰ" للتَّاج السُّبكيِّ بحثٌ جيِّدٌ في ذلك مذكورٌ في (صـ ٥٧ جـ٢) من الطَّبقات فليُراجَع، وللعلَّامة عماد الدِّين إسماعيل بن هبة الله بن باطيس كتاب "مُزيل الشُّبهات في إثبات الكرامات"، وذكر فيه جملةً من النّصوص وقدرًا لا بأس به من الكرامات المنقولة عن الصّحابة والتّابعين وغيرهم، وهو واحدٌ من مئاتٍ أفردوا مبحث الكرامات بالتّأليف.

(تـنبيه): كل كرامة لولي معجزة لنبينا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم

قال الأستاذ أبو القاسم القشيريُّ في "الرسالة" -بعد أن استدلَّ لوقوع الكرامات بقصَّة صاحب سليمان عليه الصَّلاة والسَّلام، وبقول عمر رضي الله عنه يا سارية الجبل- ما نصُّه: «فإن قيل: كيف يجوز إظهار هذه الكرامات الزائدة في المعاني علىٰ معجزات الرسل؟ وهل يجوز تفضيل الأولياء علىٰ الأنبياء عليهم السَّلام؟

قيل: هذه الكرامات لاحِقَةٌ بمعجزات نبيِّنا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم؛ لأنَّ كلَّ من ليس بصادقٍ في الإسلام لا تظهر عليه الكرامة، وكلُّ نبيٍّ ظهرت كرامةٌ علىٰ واحدٍ من أمَّته فهي معدودةٌ من جملة معجزاته، إذ لو لم يكن ذلك الرسول صادقًا لم تظهر علىٰ يد من تابعه الكرامة.

فأمَّا رتبة الأولياء لا تبلغ رتبة الأنبياء عليهم السَّلام للإجماع المنعقد علىٰ ذلك.

وهذا أبو يزيد البِسْطامي رضي الله عنه سُئل عن هذه المسألة فقال: مِثْلُ ما حصل للأولياء كمثل زِقٍّ فيه عسلٌ ترشح منه قطرةٌ، فتلك القطرة مِثل ما لجميع الأولياء، وما في الظرف مِثل ما لنبيِّنا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم».اهـ

قلت: ما أجاب به الأستاذ القشيريُّ تقدَّم معناه في كلام صاحب "العقائد النَّسَفِيَّة"، وإليه يُشير قول الإمام البوصيريِّ رحمه الله:

والكَرَامَاتُ مِنْهُمُ مُعْجِزاتٌ ... نالها مِنْ نَوَالِكَ الأَوْلِياءُ

وبهذا: يُجاب عمَّا يعترض به منكروا الكرامات في هذا العصر حيث يقولون: إنَّ ما تَروونه عن الأولياء لم يحصل كثيرٌ منه للأنبياء وقد كانوا أولىٰ بذلك، وهذا جهلٌ أو تجاهل من هؤلاء المعترضين؛ لأنَّ من المعلوم بالضَّرورة

أنَّه ليس من شرط النبيِّ أن يأتي بجميع الخوارق أو أكثرها، وإنَّما شرطه أن يأتي بما يكون دالًّا على نبوَّته، وهذا هو ما حصل للأنبياء عليهم السَّلام فإنَّ كلَّ نبيٍّ منهم «**أُعطِيَ ما مِثلهُ آمن عليه البَشَرُ**». كما في الحديث الصحيح، فإذا ظهرت كرامةٌ على وليٍّ كانت معجزةً لنبيِّنا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وإنَّما لم تحصل له مباشرةً لحصول الكفاية بغيرها من المعجزات العظيمة، خصوصًا القرآن العظيم الذي أعجز الخلائق أجمعين، وهذا واضحٌ لمن أنصف وطرح التعصُّب جانبًا. والله وليُّ التَوفيق.

الدليل على وقوع الكرامات وحصولها

اعلم أنَّ المنقول من أنواع الكرامات عن الصحابة والتابعين وتابعيهم وزهَّاد الأمَّة وصُلحائها، وصُلحاء الأمم السّابقة شيءٌ كثير جدًّا لا يكاد يُحصى، بحيث يُعدُّ مُنكِره بالغًا حدَّ النِّهاية في الجهل والمُكابرة، فلا جواب له إلَّا الإعراض عنه كما قال تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وسنُثبت في هذه الأوراق ما فيه الكفاية مُستمدِّين من الله العون والهداية، مُبتدئين بما ورد في القرآن من ذلك، وهو بضعة مواضع.

منها: قوله تعالى في شأن مريم عليها السّلام: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧].

قال أهل التفسير: كان زكريّا عليه السَّلام يدخل عليها وهي صغيرةٌ في كفالته، فيجد عندها فاكهة الصّيف في الشّتاء وفاكهة الشّتاء في الصّيف وقد

أخبر الله عنها أنَّها كانت صِدِّيقةً، والصِّدِّيقيَّة: أعلىٰ مقامٍ في الولاية.

ومنها: قول الله تعالىٰ في شأن أهل الكهف: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴾ [الكهف: ١١، ١٢]، إلىٰ آخر ما قصَّه الله عنهم، وليسوا أنبياء بالإجماع.

ومنها: قول الله تعالىٰ في قصَّة صاحب سليمان عليه السّلام: ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى ﴾ الآية [النمل: ٤٠]، وليس نبيًّا بالإجماع.

ومنها: قصَّة الخضر وما جرىٰ علىٰ يده من الكرامات، بناءً علىٰ أنَّه لم يكن نبيًّا وهو المشهور عند جمهور الأشاعرة وجماعة الصُّوفيَّة، قال النَّوويُّ: «وهذا خلاف المختار»، قال: «والذي عليه الأكثرون أنَّه كان نبيًّا»،

قلت: وهو الصَّحيح.

الفصل الثاني

في ذكر بعض أحاديث تعد على طريق الإجمال أصولًا لأنواع من الكرامات

ثبت في "صحيح البخاريِّ" عن أبي هريرة قال: قال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لقد كان فيما قبلكم من الأُمَمِ مُحَدَّثُون، فإن يكن في أُمَّتي أَحَدٌ فإنَّه عُمَر**».

وفي روايةٍ: «**قد كان فيمن كان قبلكم من بنِي إسرائيل يُكَلَّمُون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن من أُمَّتِي أَحَدٌ فَعُمَر**».

وفي "صحيح مسلمٍ" عن عائشة، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أنَّه كان يقول: «**قد كان يكون في الأُمَم قبلكم مُحَدَّثُون، فإن يكن في أُمَّتِي منهم أَحَدٌ فعُمَرَ منهم**». قال ابن وَهْبٍ: تفسير «مُحَدَّثُونَ»: مُلْهَمُون.

في هذا الحديث: إثبات كرامات الأولياء كما قال الإمام النوويُّ رضي الله عنه، والمحدَّث -بفتح الدال المشدَّدة- اختلف في تأويله، فقال الأكثرون: هو الملهم كما قال ابن وهب.

قالوا: وهو الرجل الصَّادق الظنِّ يُلقىٰ في روعه شيءٌ من قِبَل الملأ الأعلىٰ فيكون كالذي حدَّثه غيره به.

وقيل: من يجري الصَّواب علىٰ لسانه من غير قصدٍ.

وقيل: مُكَلَّم تُكلِّمه الملائكة بغير نبوَّةٍ كما سبق في إحدىٰ روايتي البخاريِّ.

وجاء في حديث أبي سعيد الخدري قيل: «**يا رسول الله وكيف يُحَدَّث؟ قال تَتكلَّم الملائكة على لسانه**». رواه الجوهريُّ في "فوائده".

قال الحافظ: «ويُحتمل ردُّه إلىٰ المعنىٰ الأول أي: تُكلِّمه في نفسه وإن لم يرَ

مُكلِّمًا في الحقيقة، فيرجع إلى الإلهام، وقوله: «**فإن يكن في أُمَّتِي أَحَدٌ...**» الخ.

قال الحافظ: «قيل لم يورد هذا القول مورد للترديد، فإنَّ أُمَّته أفضل الأمم، وإذا ثبت أنَّ ذلك وُجد في غيرهم فإمكان وجوده فيهم أولى، وإنَّما أورده مورد التّأكيد كما يقول الرجل: إن يكن لي صديقٌ فإنَّه فلانٌ، يريد اختصاصه بكمال الصَّداقة لا نفي الأصدقاء، ونحوه قول الأجير: إن كنت عملت لك فوفِّني حقِّي، وكلاهما عالم بالعمل، لكن مراد القائل: أنَّ تأخيرك حقِّي عمل من عنده شك في كوني عملت.

وقيل: الحكمة فيه أنَّ وجودهم في بني إسرائيل كان قد تحقَّق وقوعه، وسبب ذلك احتياجهم حيث لا يكون حينئذٍ فيهم نبيٌّ، واحتمل عنده صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ألَّا تحتاج هذه الأمَّة إلى ذلك لاستغنائها بالقرآن عن حدوث نبيٍّ، وقد وقع الأمر كذلك -أي حصل الاستغناء بالقرآن- حتى أنَّ المُحدَّث منهم إذا تحقَّق وجوده لا يحكم بما وقع له بل لابُدَّ من عرضه على القرآن، فإن وافقه أو وافق السنَّة عَمِل به وإلا تركه، وهذا وإن جاز أن يقع لكنَّه نادرٌ ممن يكون أمره منهم مبنيًّا على اتباع الكتاب والسنَّة، وتمحضت الحكمة في وجودهم وكثرتهم بعد العصر الأول في زيادة شرف هذه الأُمَّة بوجود أمثالهم فيه، وقد تكون الحكمة في تكثيرهم مضاهاة بني إسرائيل في كثرة الأنبياء فيهم، فلمَّا فات هذه الأُمَّة كثرة الأنبياء فيها لكون نبيِّها خاتم الأنبياء عُوِّضوا بكثرة المُلهمين».اهـ

وأخرج الطَّبرانيُّ في "الكبير"، وأبو نعيمٍ في "الطب النَّبويِّ"، والترمذيُّ الحكيم في "النَّوادر" عن أبي أُمامة، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**اتَّقُوا فِرَاسَةَ المؤمِنِ، فإنَّه يَنظُرُ بنورِ الله**».

ورواه الترمذيُّ في "جامعه" عن أبي سعيدٍ الخدري به مرفوعًا، ورواه ابن جريرٍ وأبو نعيمٍ من حديث ابن عمر، وهو حديثٌ حسنٌ كما قال الحافظ الهيثميُّ والحافظ السيوطيُّ، ولم يُصِب ابن الجوزي في الحُكم عليه بالوضع.

وهذا الحديث أصلٌ في الكشف الذي يقع لكثير من الأولياء، تجد الواحد منهم يُكاشِف الشَّخص بما حصل له في غيبته كأنَّه كان حاضرًا معه.

وسبق في المقدمة حديث البخاريِّ: «**من عادَى لي وَلِيًّا فقد آذَنْتُهُ بالحَرْبِ**» الحديث. وهو أصلٌ فيما يُكرَم به الأولياء من إجابة الدُّعاء، وفيما ينزل ممن آذاهم من البلاء.

وأخرج الطبسيُّ في "الترغيب"، والديلميُّ في "مسند الفردوس"، وأبو عبدالرحمن السُلَّمي في "الأربعين" التي له في التَّصوُّف، بإسنادٍ ضعيفٍ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ من العِلْمِ كَهَيْئَةِ المَكْنُونِ لا يَعلَمُه إلَّا العُلَماءُ بالله تعالى، فإذا نَطَقُوا به لا يُنكِرُهُ إلَّا أهل الغِرَّة بالله عزَّ وجلَّ**».

وأخرج المَرْوَزِيُّ في "زوائد الزُّهد" لعبدالله بن المبارك قال: حدَّثنا أبو معاوية، أنبأنا حجَّاج، عن مكحولٍ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن أَخلَصَ لله أربعين يومًا ظَهرتْ ينابيعُ الحِكْمةِ من قَلبِه على لِسَانِه**». هذا إسنادٌ صحيحٌ لكنَّه مرسلٌ، وقد ورد موصولًا من حديث أبي أيوب في "حلية أبي نعيم" بإسنادٍ ضعيفٍ.

وسبق في المقدِّمة حديث ابن عبَّاسٍ القدسيُّ: «**إنَّما أتقبَّل الصَّلاة ممَّن تواضَعَ لعَظَمَتي...**» الحديث. وفيه: «**أجعل له في الجهالة عِلْمًا**».

فهذه الأحاديث أصلٌ فيما يفاض على الأولياء من العلوم والمعارف والأسرار ممَّا قد يُنكره بعض الأغرار الذين يجهلون أو يتجاهلون فضل الله على عباده المُخلِصين، فيتهمون الأولياء بالزَّندقة والخروج على الدِّين.

ورأيت الذهبيَّ قال في ترجمة ذي النُّون المصريِّ ما نصُّه: «كان ممَّن امتُحِن وأُوذي لكونه أتاهم بعلمٍ لم يَعهدوه، كان أول من تكلم بمصر في ترتيب الأحوال وفي مقامات الأولياء، فقال الجهلة: هو زنديقٌ، قال السُلميُّ: لما مات أظلت الطيور جنازته».اهـ

وروى الحاكم والخطيب بسندٍ صحيحٍ عن إسماعيل بن إسحاق السراج قال: «قال لي أحمد بن حنبلٍ: يبلغني أنَّ الحارث هذا -يعني المحاسبيَّ- يُكثر السكون عندك، فلو أحضرته منزلك وأجلستني في مكانٍ أسمع كلامه لفعلت، وحضر الحارث وأصحابه فأكلوا وصلُّوا العتمة ثُمَّ قعدوا بين يدي الحارث وهم سكوتٌ إلى قريب نصف اللَّيل، ثُمَّ أخذ الحارث في الكلام وكأنَّ على رؤوسهم الطَّير، فمنهم من يبكي، ومنهم من يَخِرُّ، ومنهم من يزعق، وهو في كلامه، فصعدت الغرفة فوجدت أحمد قد بكى حتى غُشي عليه.

فلمَّا تفرَّقوا قال أحمد: ما أعلم أنِّي رأيت مثل هؤلاء، ولا سمعت في علم الحقائق مثل كلام هذا، وعلى هذا فلا أرى لك صحبتهم».اهـ

قال الحافظ ابن حجرٍ في "تهذيب التهذيب": «إنَّما نهاه عن صحبتهم؛ لعلمه بقصوره عن مقامهم، فإنَّه مقامٌ ضَيِّقٌ لا يسلكه كلُّ أحدٍ ويخاف على من يسلكه ألَّا يوفِّيه حقَّه».اهـ

وروى الحافظ الخطيب في "تاريخ بغداد": قال أخبرنا أبو عبدالرحمن

إسماعيل بن أحمد الحيري، أنبأنا محمَّد بن الحسين السُلميُّ، قال: سمعت محمَّد بن الحسن البغداديَّ يحكي عن ابن الأعرابيِّ قال: قال أبو حمزة: كان الإمام أحمد بن حنبل يسألني في مجلسه عن مسائل، وكان يقول: ما تقول فيها يا صوفيُّ؟

الفصل الثالث
فيما حَدَّثَ به النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من كرامات صُلحاءِ الأمَمِ السَّابقة

ثبت في "الصَّحيحين" عن ابن عُمرَ رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**انطَلَقَ ثلاثةُ رَهْطٍ ممَّن كان قبلكم حتَّى أَوَوْا المبِيتَ إلى غَارٍ، فدخلوه فانحَدَرَتْ صخرةٌ من الجبل فسَدَّتْ عليهم الغار فقالوا: إنَّه لا يُنجِيكُم من هذه الصَّخرةِ إلَّا أن تدعوا الله بصَالِحِ أعمالكم.**

فقال رجلٌ منهم: اللَّهمَّ كان لي أَبَوَانِ شيخان كبيران، وكنت لا أَغْبِقُ قبلهما -أي لا أُقدِّمُ في شُرب اللَّبن عليهما- **أهلًا ولا مالًا، فَنَأَى بي في طَلَبِ شيءٍ يومًا فلم أُرِح عليهما حتَّى نَامَا، فحَلَبتُ لهما غَبُوقَهُما فوجدتُهما نائمين، وكَرِهتُ أن أَغبِقَ قبلهما أهلًا أو مالًا، فلبثتُ والقَدَحُ على يدَيَّ أنتظِرُ استِيقَاظَهُما حتَّى بَرَقَ الفجرُ والصبية يتضاغون عند قدمي، فاستيقظا فشربا غَبُوقَهُما، اللَّهمَّ إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهك ففرِّج عنَّا ما نحن فيه من هذه الصَّخرةِ، فانفرجت شيئًا لا يستطيعون الخروج**».

قال النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**وقال الآخر: اللَّهمَّ كانت لي ابنة عَمٍّ كانت أحبَّ النَّاسِ إليَّ فأردتها عن نفسها؛ فامتنعت مِنِّي حتَّى أَلَمَّتْ بها سَنَةٌ من السِّنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينارٍ على أن تُخَلِّيَ بيني وبين نفسها،**

ففعلت حتَّى إذا قَدَرتُ عليها قالت: لا أُحِلُّ لك أن تَفُضَّ الخاتم إلَّا بحَقِّهِ، فتحرَّجتُ من الوقوع عليها فانصرفتُ عنها وهي أحبُّ النَّاسِ إليَّ، وتركتُ الذَّهب الذي أَعطَيتُها، اللَّهمَّ إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهك فافْرُج عنَّا ما نحن فيه؛ فانفَرَجَتْ الصَّخرةُ غير أنَّهم لا يستطِيعون الخروجَ منها.

قال النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «وقال الثَّالثُ: اللَّهمَّ استأجرتُ أُجَرَاءَ فأعطَيتُهم أجرهم غير رجلٍ واحدٍ تركَ الذي له وذهبَ، فثَمَّرْتُ أجره حتَّى كَثُرَتْ منه الأموالُ فجاءني بعدَ حينٍ فقال: يا عبدالله أَدِّ إليَّ أجري، فقلت له: كُلُّ ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرَّقِيقِ، فقال: يا عبدالله لا تَستَهزِئ بي، فقلت: إنِّي لا أستهزئُ بك فأخذه كلَّه فاستاقه فلم يترك منه شيئًا، اللَّهمَّ إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك فافْرُجْ عنَّا ما نحن فيه، فانفرجت الصَّخرةُ فخرجوا يَمْشُونَ».

ولهذا الحديث ألفاظٌ ورواياتٌ في "الصّحيحين"، ورواه ابن حِبَّان في "صحيحه" من حديث أبي هريرة أيضًا، ثُمَّ إنَّ البخاريَّ ذكر هذا الحديث في "صحيحه" عَقِب قصّة أصحاب الكهف، وعَنْونَ عليه بحديث الغار.

قال الحافظ ابن حجرٍ في "فتح الباري" ما نصَّه: «عَقَبَ المُصنِّفُ قصّة أصحاب الكهف بحديث الغار إشارةً إلى ما ورد أنَّه قد قيل: إنَّ الرَّقيم المذكور في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ [الكهف: ٩]، هو الغار الذي أصاب فيه الثلاثة ما أصابهم، وذلك فيما أخرجه البزَّار والطَّبرانيُّ بإسنادٍ حسنٍ عن النُّعمان بن بَشيرٍ: أنَّه سمع النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم -يذكر الرَّقيم- قال: «انطَلَقَ ثلاثة فكانوا في كَهْفٍ، فوقع

الجبل على باب الكهف فأوصَدَ عليهم...» فذكر الحديث.اهـ

واستُنبِط من هذا الحديث أمورٌ، منها: إثبات كرامة الأولياء، وإثبات التَّوسُّل بصالح الأعمال وهو مُتّفقٌ عليه، وإنَّما الخلاف في التَّوسُّل بالذَّوات، وقد ألَّفتُ فيه رسالةً صغيرةً سمَّيتُها "إتحاف الأذكياء"، ثُمَّ ألَّفتُ كتابًا كبيرًا رَدَدتُ به على بعض الوهّابيين سمَّيته "الرد المحكم المتين".

ومنها استحباب الدُّعاء عند الكرب وأنَّه ينفع في دفع البلاء، وأنَّ الإنسان إذا دعا بعملٍ صالحٍ فلا يَجزِم به بل يُفوِّضه إلى علم الله كما في الحديث بأن يقول: اللهمَّ إن كنتَ تعلمُ أنَّ عملي خالصٌ لك أو نحو ذلك، وفضل بِرِّ الوالدين، وفضل العِفَّة والكفُّ عن الحرام مع القُدرة عليه، وأنَّ ترك المعصية يمحو مُقدِّمات طلبها، وأنَّ التوبة تَجُب ما قبلها، وفضل الإخلاص والصِّدق، والإخبار عمَّا جرى للأُمَمِ الماضية ليعتبر السّامع بأعمالهم فيعمل بحَسَنِها ويترك قَبيحَها، وفيه غير ذلك من الاستنباطات الفقهية التي أخذ بها الأئمَّة، وهي مبسوطةٌ في "فتح الباري" وغيره من شُروح الحديث.

(**تنبيه**): ذكر الحافظ أنَّ هذا الحديث ورد من حديث أنسٍ، وأبي هريرة، والنُّعمان بن بشيرٍ بأسانيد حسانٍ، إلَّا حديث أنسٍ فإنَّ أحد إسناديه صحيحٌ، وورد من حديث عليٍّ، وعقبة بن عامرٍ، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وابن أبي أوفى بأسانيد ضعيفةٍ، وقد استوعب طُرقه أبو عوانة في "صحيحه"، والطَّبرانيُّ في "كتاب الدُّعاء" قال: واتَّفقتْ الروايات كلُّها على أنَّ القصص الثلاثة في الأجير والمرأة والأبوين، إلَّا حديث عقبة ففيه بدل الأجير أنَّ الثالث قال: «**كنتُ في غَنَمٍ أرعاها فحَضَرتِ الصَّلاة فقمتُ أُصَلِّي، فجاء الذئبُ**

فدخل الغَنَمُ، فكرهتُ أن أقطع صلاتي فصبرت حتَّى فَرَغت...». قال: فلو كان إسناده قويًّا لحُمل على تعدُّد القصّة، ثُمَّ ذكر أنَّ الروايات اختلفت فبعضها قَدَّم ذكر المرأة ثُمَّ الأجير ثُمَّ الأبوين، وبعضها عكس على أنحاء متعدِّدة.

قال: وفي ذلك دلالةٌ على أنَّ الرواية بالمعنى سائغةٌ شائعةٌ، وأن لا أثر للتَّقديم والتَّأخير في مثل ذلك، ثُمَّ رجَّح مِن حيث الإسناد رواية تقديم الأبوين، ثُمَّ المرأة، ثُمَّ الأجير.

قال: وأمَّا من حيث المعنى فيُنظر أي الثلاثة كان أنفع لأصحابه؟ والذي يظهر أنَّه الثالث؛ لأنَّه هو الذي أمكنهم أن يخرجوا بدعائه، وإلَّا فالأول أفاد إخراجهم من الظلمة، والثاني أفاد الزيادة في ذلك وإمكان التَّوسل إلى الخروج بمعالجة، والثالث هو الذي تهيّأ لهم الخروج بسببه فهو أنفعهم لهم، فينبغي أن يكون عمله أفضل من عمل الآخرين، ويظهر ذلك من الأعمال الثلاثة، فصاحب الأبوين فضيلته مقصورةٌ على نفسه؛ لأنَّه أفاد أنَّه كان بارًّا بأبويه، وصاحب الأجير نفعه مُتعدٍّ وأفاد أنَّه كان عظيم الأمانة، وصاحب المرأة أفضلهم؛ لأنَّه أفاد أنَّه كان في قلبه خَشية ربِّه، وقد شهد الله لمن كان كذلك بأنَّ له الجنَّة، وأضاف إلى ذلك ترك الذهب الذي أعطاه للمرأة، فأضاف إلى النَّفع القاصر النَّفع المُتعدِّي، ولاسيّما وقد قال إنَّها ابنة عمِّه فتكون فيه صلة رحمٍ أيضًا، وتقدَّم أنَّ ذلك كان في سنة قحطٍ فتكون الحاجة إلى ذلك أَحْرَى».اهـ

فيترجَّح على هذا: رواية تقديم الأبوين، ثُمَّ الأجير، ثُمَّ المرأة، والله أعلم.

وروى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لم يتكلَّم في المَهْدِ إلَّا ثلاثةٌ: عيسى، وكان في بني إسرائيل رجلٌ**

يقال له: جُرَيْجٌ، كان يُصَلِّي جاءته أُمُّهُ فدَعَتْهُ فقال: أُجِيبُها أو أُصَلِّي، فقالت: اللَّهمَّ لا تُمِتهُ حتَّى تُرِيَهُ وجُوهَ المُومِسَاتِ، وكان جُرَيجٌ في صَومَعَتِهِ، فتعرَّضَتْ له امرأةٌ وكلَّمته فأبى، فأتت راعيًا فأمكنته من نفسها؛ فولدت غُلامًا فقالت: من جُرَيجٍ، فأتوه فكَسَروا صَومَعتهُ وأنزلوه وسَبُّوه، فتوضَّأ وصَلَّى ثُمَّ أتى الغلام فقال: من أبوك يا غلام؟ فقال: الرَّاعِي، قالوا: نبني صَومَعتك من ذهبٍ، قال: لا إلَّا من طِينٍ.

وكانت امرأةٌ تُرضِعُ ابنًا لها من بني إسرائيل فمَرَّ بها رجلٌ راكبٌ ذو شَارَةٍ، فقالت: اللَّهمَّ اجعل ابني مثله فترك ثَديَهَا وأقبل على الرَّاكب فقال: اللَّهمَّ لا تجعلني مِثلَهُ، ثُمَّ أقبل على ثديها يَمَصُّهُ -قال أبو هريرة رضي الله عنه: كأنِّي أنظُرُ إلى النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يَمَصُّ إصبَعَهُ- ثُمَّ مُرَّ بأَمَةٍ فقالت: اللَّهمَّ لا تجعل ابني مثل هذه فتَرَك ثديَهَا فقال: اللَّهمَّ اجعلني مِثلها، فقالت: لِمَ ذاك؟ فقال: الرَّاكِبُ جَبَّارٌ من الجبَابِرَةِ، وهذه الأَمَةُ يقولون: سَرَقْتِ زَنَيْتِ، ولم تَفعَل». وهذا الحديث له ألفاظٌ وطُرقٌ في "الصّحيحين"، و"مسند أحمد".

ويُستنبط من قصّة جُريجٍ أمورٌ منها: عِظم برِّ الوالدين، وإجابة دعائهما في الولد، وأنَّ صاحب الصِّدق مع الله لا تَضرُّه الفتن، وقوَّة يقين جُريجٍ، وصحّة رجائه؛ لأنَّه استنطق المولود مع كون العادة أنَّه لا ينطق، وإثبات كرامات الأولياء ووقوعها لهم بطلبهم واختيارهم، إلى غير ذلك ممَّا بينه الحافظ ابن حجرٍ رحمه الله.

كما يُستنبط من قصّة المرأة وابنها: أنَّ الكرامة قد تقع في غير زمن التّكليف، وقول الطِّفل: «اللهمَّ اجعلني مثل الجارية» يعني في السَّلامة من المعاصي

وليس المراد أن يكون مثلها في النِّسبة إلىٰ باطلٍ يكون منه بريئًا، كذا قال النّوويُّ في "شرح مسلم".

(تنبيه): قوله في أول الحديث: «**لم يتكَلَّم في المَهْدِ إلَّا ثلاثةٌ**».

قال القرطبيُّ: «في هذا الحصر نظرٌ، إلَّا أن يُحمل علىٰ أنَّه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال ذلك قبل أن يعلم الزّيادة علىٰ ذلك وفيه بُعدٌ، ويُحتمل أن يكون كلام الثلاثة المذكورين مُقيَّدًا بالمهد، وكلام غيرهم من الأطفال بغير مَهدٍ، لكنَّه يُعكِّر عليه أنَّ في رواية ابن قتيبة: «**أنَّ الصَّبيَّ الذي طَرحته أُمُّه في الأخدود كان ابن سبعة أشهرٍ**». وصرَّح بالمهد في حديث أبي هريرة، وفيه تعقُّبٌ علىٰ النوويِّ في قوله: «إنَّ صاحب الأخدود لم يكن في المهد».اهـ من "فتح الباري".

ويظهر لي أنَّ الحديث مرويٌّ بالمعنىٰ بدليل حديث أبي هريرة الآتي: «**لم يتكلَّم في المهد إلَّا أربعةٌ**». وحديث ابن عبَّاسٍ الآتي أيضًا: «**تكلَّم في المهد أربعةٌ**». إذ من المحال أن ينطق النَّبيُّ عليه الصَّلاة والسَّلام بجميع هذه الألفاظ المُتضاربة، فلا وجه لذلك إلَّا أن يكون الراوي عَبَّر بلفظه حسب فهمه كما حصل في غير هذا من الأحاديث.

يؤيِّد هذا ما جاء عند الطَّبرانيِّ عن عِمرانَ بن حُصَينٍ رضي الله عنه قال: تَذَاكَرنا البِرَّ عند رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فأنشأ يُحدِّثنا فقال: «**إنَّه كان فيما قبلكم من الأُمَمِ رجلٌ يتعبَّدُ في صَومَعَته يُقال له جُرَيجٌ...**». وذكر قصَّة جُريجٍ وفي آخرها: فزعم أبو حرب -وهو أحد الرواة- أنَّه لم يتكلَّم في المهد إلا ثلاثةٌ عيسىٰ، وشاهد يوسف، وصاحب جُريجٍ.

والذي تلَخَّص من مجموع الروايات صحيحها وسقيمها: أنَّ الذين

تكلَّموا في المهد عشرةٌ: هؤلاء الثلاثة المذكورون في الحديث، وصاحب الأخدود، وابن ماشطة فرعون، وشاهد يوسف، وستأتي أحاديثهم.

ويحيىٰ عليه السَّلام زعم الضَّحَّاك في "تفسيره": أنَّه تكلَّم في المهد.

وإبراهيم عليه الصَّلاة والسَّلام ذكره البغويُّ في "تفسيره".

ونبيُّنا عليه الصَّلاة والسَّلام ذكر الواقديُّ في "سِيره": أنَّه تكلَّم أوائل ما وُلد، وذكر ابن سبعٍ في "الخصائص": أنَّ مهده كان يتحرَّك بتحريك الملائكة، وأنَّ أول كلامٍ تكلَّم به أن قال: «**الله أكبر كبيرًا والحمد لله كثيرًا**».

هؤلاء تسعةٌ، والعاشر مبارك اليمامة.

روىٰ ابن قانع، والبيهقيُّ في "دلائل النُّبوَّة"، والخطيب في "التاريخ" من طريق الكُدَيميِّ، عن شَاصُونة بن عُبيدٍ أبي محمَّد اليماميِّ قال: حدَّثني مُعرِّض بن عبدالله بن مُعرِّض بن مُعَيقِيبٍ اليماميُّ، عن أبيه، عن جدِّه قال: حجَجتُ حَجَّة الوداع، فدخلتُ دارًا بمكّة فرأيت فيها رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وجهه مثل دَارَة القمر، وسمعت منه عَجَبًا، جاءه رجلٌ من أهل اليمامة بغلامٍ يوم وُلد -وقد لفَّه في خِرقَةٍ- فقال له رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**يا غلام، مَن أنا؟**» قال: أنت رسول الله، قال: «**صَدَقت بارك الله فيك**». قال: ثُمَّ إنَّ الغلام لم يتكلم بعدها حتَّىٰ شَبَّ، قال: قال أبي: فكنَّا نُسمِّيه مُبَارَكَ اليَمامَةِ.

وورد من غير طريق الكُدَيميِّ عن شَاصُونة أيضًا، رواه البيهقيُّ في "الدلائل" والخطيب في "تاريخ بغداد" وغيرهما، ولتراجع ترجمة معرض بن مُعَيقِيبٍ في "الإصابة" للحافظ ابن حجرٍ.

وأخرج مسلمٌ والترمذيُّ والنَّسائيُّ وابن حِبَّان في "صحيحه"، وابن جريرٍ

والطبرانيُّ والبزَّار وغيرهم، واللَّفظ لمسلمٍ، عن صُهيبٍ رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «كان مَلِكٌ فيمن كان قبلكم، وكان له سَاحِرٌ، فلمَّا كَبِرَ قال للمَلِكِ: إنِّي قد كَبِرَت فابعث إليَّ غلامًا أُعلِّمه السِّحر فبعث إليه غلامًا يُعلِّمه، فكان في طريقه إذا سلك رَاهِبٌ فقعد إليه وسَمِعَ كلامه فأعجبه؛ فكان إذا أتى السَّاحِرَ مَرَّ بالرَّاهب وقعد إليه، فإذا أتى السَّاحر ضربه، فشكا ذلك إلى الرَّاهِبِ فقال: إذاخشيتَ السَّاحِر فقل حَبَسَنِي أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل حَبَسَنِي السَّاحِرُ، فبينما هو كذلك إذ أتى على دابَّةٍ عظيمةٍ قد حَبَسَت النَّاسَ، فقال: اليوم أعلمُ السَّاحر أفضل أم الرَّاهب أفضل، فأخذ حَجَرًا فقال: اللهمَّ إن كان أمرُ الرَّاهِبِ أحَبَّ إليك من أمر السَّاحِرِ فاقتل هذه الدَّابَّةَ حتَّى يمضي النَّاسُ، فرماها فقتلها ومضى النَّاسُ، فأتى الراهبَ فأخبره، فقال له الرَّاهب: أي بُنيَّ، أنت اليوم أفضلُ مِنِّي، قد بلغ من أمرك ما أرى وإنَّك ستُبتَلَى، فإن ابتُلِيتَ فلا تَدُلَّ عليَّ، وكان الغلام يُبرئُ الأكمه والأبرص ويداوي النَّاس من سائر الأدواء، فسمع جَلِيسٌ للملك كان قد عَمِيَ، فأتاه بهدايا كثيرةٍ فقال: ما هنا لك أجمع إن أنت شفيتني، فقال: إنِّي لا أَشفِي أحدًا إنَّما يَشفِي الله، فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك، فآمن بالله فشفاه الله، فأتى المِلِكَ فجلس إليه كما كان يجلسُ فقال له المِلِكُ: من رَدَّ عليك بصرك؟ قال: رَبِّي، قال: ولك ربٌّ غيري؟ قال: رَبِّي ورَبُّكَ الله، فأخذه فلم يزل يُعَذِّبُهُ حتَّى دَلَّ على الغلام، فجيء بالغلام، فقال له الملك: أي بُنَيَّ قد بلغ من سِحرِكَ ما تُبرئَ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل، فقال: إنِّي لا أَشفِي أحدًا إنَّما يَشفِي الله، فأخذه فلم يزل يُعذِّبه حتَّى دلَّ على الرَّاهِبِ، فجيء بالرَّاهِب، فقيل له:

ارجع عن دينك، فأَبَى، فدعى بالمِنشَار فوضعوا المِنشَار في مَفرِقِ رأسه فشقَّه حتَّى وقع شِقّهُ، ثُمَّ جيء بجليس الملك، فقيل له: ارجِع عن دينكَ فأَبَى، فوضع المِنشَارَ في مَفرِقِ رأسه فشقَّه به حتَّى وقع شِقَّاه، ثُمَّ جيء بالغلام فقيل له ارجع عن دينك، فأَبَى فدفعه إلى نفرٍ من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جَبَلِ كذا وكذا فاصْعَدُوا به الجبل فإذا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ فإن رَجَعَ عن دِينِهِ وإلَّا فاطْرَحُوهُ، فذهبوا به فصعدوا به الجبلَ فقال: اللهمَّ اكفنيهم بما شِئتَ فرَجَفَ بهم الجبلُ فسقطوا وجاء يمشي إلى الملِكِ فقال له الملِكُ: ما فعل أصحابك؟ قال: كَفَانِيهِم الله، فدفعه إلى نفرٍ من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قُرْقُورٍ -بضمِّ القافين: سفينة صغيرة- فتوسَّطوا به إلى البحر فإن رجع عن دينه وإلَّا فاقذفوه، فذهبوا به فقال: اللهمَّ اكفنيهم بما شِئتَ، فغرِقُوا وجاء يمشي إلى الملِكِ، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كَفَانِيهِم الله، فقال للملِكِ: إنَّك لست بقاتِلِي حتَّى تفعل ما آمُرُكَ به، قال: وما هو؟ قال: تَجمَعُ النَّاسَ في صَعِيدٍ واحدٍ، وتَصلُبُني على جِذْعٍ ثُمَّ خُذْ سَهْمًا من كِنَانَتي، ثُمَّ ضَعَ السَّهْمَ في كَبِدِ القَوسِ ثُمَّ قل: بسمِ الله ربِّ الغلامِ، ثُمَّ ارمني فإنَّك إذا فعلت ذلك قتلتني، فجمع النَّاسَ في صعيدٍ واحدٍ وصَلَبه على جِذعٍ، ثُمَّ أخذ سهمًا من كِنَانَته ثُمَّ وضع السَّهم في كَبِد القوس ثُمَّ قال: بسم الله ربِّ الغلام، ثُمَّ رماه فوقع السَّهم في صُدغِهِ فوضع يده في صدغه في موضع السَّهم فمات، فقال النَّاسُ: آمنَّا بربِّ الغلام، آمنَّا بربِّ الغلام، آمنَّا بربِّ الغلام. فأتى الملك فقيل له: أرأيتَ ما كنتَ تَحذَرُ قد -والله- نزل بك حذرك، قد آمن النَّاسُ، فأمر بالأخدود في أفواه السِّكَك فَخُدَّتْ، وأضرم النِّيران وقال: من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها -أي ارمُوه فيها ليُحمَى-

أو قيل له: اقتحِم، ففعلوا حتَّى جاءت امرأةٌ ومعها صبيٌّ لها فتقاعَست -أي توقَّفت- **أن تَقَعَ في النَّار، فقال الصَّبيُّ: يا أُمَّهْ اصبرِي فإنَّك على الحقِّ**».

في هذا الحديث: إثبات كرامات الأولياء في عِدَّة مواضع منه، وأنَّ الكرامة قد تقع بطلب الوليِّ واختياره، وجواز الكذب في الحرب ونحوها، وفي إنقاذ النَّفس من الهلاك سواء نفسه أو نفس غيره ممَّن له حُرمة.

وفيه أنَّ هذه القصّة كانت بعد عيسىٰ عليه السَّلام؛ لأنَّ الرهبان من أتباعه إذ هم الذين ابتدعوا الترهب وحبس النَّفس في الصَّوامع ونحوها، نبَّه عليه الحافظ في الكلام علىٰ قصَّة جُريجٍ الرَّاهب، وقد ذكرناها قبل هذا الحديث، والله أعلم.

(تنبيه): القصّة المذكورة في هذا الحديث هي المُشار إليها بقوله تعالىٰ:

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [البروج: ١: ٩].

وأخرج أحمد، وابن أبي شيبة، والبزَّار، وأبو يعلىٰ، والحاكم، وابن حِبَّان، والبيهقيُّ في "الشُّعب" من طريق حمَّاد بن سلمة، عن عطاء بن السَّائب، عن سعيد بن جُبيرٍ، عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال:

قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لمَّا أُسرِيَ بي مَرَّت بي رائحةٌ طيِّبَةٌ، فقلت: ما هذه الرائحةُ؟ قالوا: مَاشِطَةِ بنت فرعونَ وأولادها، سَقَطَ مشطها من يدها فقالت: بسم الله، فقالت ابنة فرعون: أبي، قالت: ربِّي هو ربُّك وربُّ أبيك، قالت: أو لك ربٌّ غير أبي؟ قالت: نعم، فدَعَاهَا، فقال: ألَكِ رَبٌّ**

غيري؟ قالت: نعم ربِّي وربُّك الله؛ فأمر ببَقَرَةٍ من نُحَاسٍ فأُحمِيَتْ، ثُمَّ أمر بها لتُلقَى فيها وأولادها فألقوا واحدًا واحدًا حتَّى بلغ رضيعًا فيهم فقال: قعي يا أُمَّهْ ولا تقاعسي فإنَّك على الحقِّ» قال: «**وتكلَّم أربعةٌ وهم صِغَارٌ: هذا، وشَاهِدُ يُوسُفَ، وصاحبُ جُرَيجٍ، وعيسى ابن مريم**».

قال الحافظ السيوطيُّ في "الخصائص الكُبرىٰ": «إسناده صحيحٌ».

قلت: كذا قال، ولكن عطاء فيه كلامٌ من أجل اختلاطه كما يُعرف من كتب الرجال.

نعم روىٰ الحاكم من طريق مسلم بن إبراهيم، عن جرير بن حازم، عن محمَّد بن سيرين، عن أبي هريرة رفعه: «**لم يتكلَّم في المهد إلَّا أربعةٌ: عيسى، وشاهد يوسف، وصاحب جُرَيجٍ، وابن ماشطة فرعون**». صحَّحه الحاكم علىٰ شرط الشَّيخين وسلَّمه الذهبيُّ.

فهذا شاهدٌ صحيحٌ لحديث ابن عبَّاسٍ، وفيه إثبات كرامات الأولياء، وقُوَّة إيمان ماشطة فرعون حيث واجهت فرعون بعقيدتها غير خائفةٍ من ظُلْمِه وعَسَفِه، وكلام الطِّفل يحتمل كونه بلا تَعقُّلٍ كالجماد، وكونه عن معرفةٍ قاله المناويُّ.

وانظر "تفسير الآلوسيِّ" في الكلام علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ [آل عمران: ٤٦].

وروىٰ الإمام أحمد والنَّسائيُّ والبخاريُّ -معلقًا بصيغة الجزم- والإسماعيليُّ من طريق عبدالرحمن بن هُرْمُز، عن أبي هريرة، عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أنَّه ذكر رجلًا من بني إسرائيل سَأل بعض بني إسرائيل أن يُسْلِفَهُ ألف دينارٍ فقال: ائتِنِي بالشُّهداء أُشهِدُهم، فقال: كَفَى بالله**

شهيدًا، قال: فأتني بالكَفِيلِ، قال: كَفَى بالله كَفِيلًا، قال: صَدَقتَ؛ فدفعها إليه إلى أَجَلٍ مُسَمًّى، فخرج في البحر فقضى حاجته ثُمَّ التمس مَركَبًا يَركَبُها يَقدَمُ عليه للأجل الذي أَجَّلَه فلم يجد مَركَبًا فأخذ خَشَبَةً فنقَرَها فأدخل فيها ألف دِينارٍ وصَحِيفَةً منه إلى صاحبه، ثُمَّ زَجَّجَ موضعها ثُمَّ أتى بها إلى البحر فقال: اللهمَّ إنَّك تعلمُ أنِّي كنتُ تَسَلَّفتُ فلانًا ألفَ دِينارٍ فسألني كَفِيلًا فقلتُ: كَفَى بالله كَفِيلًا فرَضِيَ بك، وسألني شهيدًا فقلت: كَفَى بالله شهيدًا فرضيَ بك، وإنِّي جَهَدتُ أن أَجِدَ مَركَبًا أبعثُ إليه الذي له فلم أَقدِر، وإنِّي أَستودِعُكَها، فرَمَى بها في البحر حتَّى وَلَجَت فيه ثُمَّ انصرف وهو في ذلك يلتمس مَركبًا يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذي كان أَسْلَفه ينظر لعلَّ مَركبًا قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التي فيها المال، فأخذها حَطَبًا لأهله فلمَّا نَشَرها وجد المال والصَّحيفة، ثُمَّ قَدِم الذي كان أَسْلَفه فأتى بالألف دينارٍ، فقال: والله ما زلتُ جاهدًا في طلب مَركبٍ لآتيك بمالك فما وَجدتُ مَركبًا قبل الذي أتيتُ فيه، قال: هل كنت بعثت إليَّ بشيء؟ قال: أخبرك أنِّي لم أجد مَركبًا قبل الذي جئتُ فيه، قال: فإنَّ الله قد أدَّى عنك الذي بعثت في الخشبة، فانصرف بالألف الدِّينار راشدًا».

وصله البخاريُّ في «باب التِّجارة في البحر» من «كتاب البيوع» وعلَّقه في «باب بمن يبدأ في الكتاب» من «كتاب الاستئذان» عن عمر بن أبي سلمة، عن أبيه، عن أبي هريرة بصيغة الجزم، ووصله في "الأدب المفرد"، ومن هذا الطَّريق رواه ابن حِبَّان في "صحيحه".

وفي "مسند الصّحابة الذين نزلوا مصر" لمحمَّد ابن الرَّبيع الجيزيِّ بسندٍ فيه مجهولٌ، عن عبدالله بن عمر ويرفعه: «أنَّ رجلًا جاء إلى النَّجاشيِّ فقال له:

أَسْلِفْني ألف دِينارٍ إلى أجلٍ، فقال: من الحميل بك؟ قال الله، فأعطاه الألف فضرب بها -أي سافر بها في تجارةٍ- **فلمَّا بلغ الأجل أراد الخروج إليه فحبسته الرِّيح فعمل تابوتًا...**» وذكر الحديث، نحو ما سبق.

قال الحافظ: «استفدنا منه أنَّ الذي أقرض هو النَّجاشيُّ، فيجوز أن تكون نسبته إلىٰ بني إسرائيل بطريق الاتباع لهم لا أنَّه من نسلهم».اهـ

وفي الحديث فوائد: منها إثبات كرامات الأولياء، وفضل التَّوكل علىٰ الله، وأنَّ من صحَّ توكُّله تكفَّل الله بنصره وعَوْنه.

وقال ابن التِّين: «قيل في قصَّة صاحب الخشبة إثبات كرامات الأولياء وجمهور الأشاعرة علىٰ إثباتها، وأنكرها الإمام أبو إسحاق الشيرازيُّ من الشَّافعيَّة، والشّيخان أبو محمَّد بن أبي زيد وأبو الحسن القابسيُّ من المالكيَّة».اهـ

قال الحافظ: «أما الشِّيرازيُّ فلا يُحفظ عنه ذلك، وإنَّما نُقل ذلك عن أبي إسحاق الإسفراييني، وأمَّا الآخرون فإنَّما أنكروا ما وقع معجزةً مُستقلَّةً لنبيٍّ من الأنبياء، كإيجاد ولدٍ عن غير والدٍ والإسراء إلىٰ السَّموات السَّبع بالجسد في اليقظة، وقد صرَّح إمام الصُّوفيَّة أبو القاسم القشيريُّ في رسالته بذلك».اهـ

وروىٰ الشّيخان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**بينما رجلٌ يَسُوقُ بَقَرَةً له قد حَمَلَ عليها التَفَتتْ إليه فقالت: إنِّي لم أُخلَق لهذا، ولكنِّي إنَّما خُلِقتُ للحَرْثِ، فقال النَّاسُ: سُبحانَ الله -تعجُّبًا وفَزَعًا- أَبقَرَةٌ تَكَلَّمُ؟!**». فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**فإنِّي أومنُ به وأبو بكرٍ وعُمَر، وما هما ثَمَّ**».

قال أبو هريرة: قال رسول الله **صلَّى الله عليه وآله وسلَّم**: «**بينا راعٍ في غَنَمه**

عَدَا عليه الذِّئبُ فأخذ منها شَاةً، فطلبه الرَّاعي حتَّى استَنْقَذَها مِنه، فالتَفَت إليه الذِّئبُ فقال له: مَن لها يوم السَّبُعِ يوم ليس لها راعٍ غيري؟ فقال النَّاسُ: سُبحانَ الله!». فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**فإنِّي أومن بذلك أنا وأبو بكر وعمر، وما هما ثَمَّ**».

قال النَّوويُّ: «في الحديث فضيلةٌ ظاهرةٌ لأبي بكرٍ وعمر رضي الله عنهما، وفيه جواز كرامات الأولياء وخَرْقِ العَوَائد، وهو مذهب أهل الحقِّ».اهـ

وفيه أيضًا كما قال الحافظ: «جواز التَّعجُّب من خَوَارق العادات، وتفاوت النَّاسِ في المعارف».

ورواه ابن حِبَّان في "صحيحه" وزاد في آخره: فقال النَّاسُ آمَنَّا بما آمَنَ به رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

وفي هذه الزِّيادة: دليلٌ علىٰ إِسراع الصّحابة إلىٰ الإيمان بما يَصدرُ عن النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، ويُؤخذ من الحديث أيضًا: أنَّ التَّعجُّب من الخبر لا يُنافي صِدقه، فإنَّ الصّحابة ليس عندهم شكٌّ في عصمة النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ومع ذلك تعجَّبوا لَمَّا أخبرهم بشيءٍ غريبٍ عن مَألوف العادة.

وقوله: «**مَن لها يوم السَّبُع**» اختُلف في ضبط لفظ السَّبُع ومعناه.

أمَّا الضبط فقال عِياض: يجوز ضَمِّ المُوحَّدة وإسكانها، إلَّا أنَّ الرواية بالضَّمِّ.

وقال الحربيُّ: هو بالضَّمِّ والسُّكون.

وقال ابن الجوزيِّ: هو بالسُّكون، والمُحدِّثون يروونه بالضَّمِّ، وجَزَم ابن العربيِّ بأنَّ الضَّمَّ تصحيفٌ وليس كذلك.

وأمَّا المعنىٰ فإن كان السَّبُع بضَمِّ الباء فالمراد به: الحيوان المعروف، كما قال

الحربيُّ والداوديُّ، والمعنىٰ حينئذٍ: من لها إذا أخذها الأسد فتَفِرَّ أنت منه؟ ويأخذ منها حاجته، وأتخلَّفُ أنا أرعىٰ ما يفضل لي منها.

وقيل: إنَّما يكون ذلك عند الاشتغال بالفِتن فتصير الغنم هملًا فتنهبها السِّباع، فيصير الذِّئب كالرَّاعي لها لانفراده بها.

وإن كان السَّبْع بسكون الباء فقيل: هو اسم يوم عيدٍ لهم في الجاهلية يشتغلون فيه باللَّهو واللَّعب، فيغفل الرَّاعي عن غَنَمِه فيتمكَّن الذِّئب منها، ويصير بتمكُّنه كأنَّه راعٍ لها، نقله الإسماعيليُّ عن أبي عُبيدٍ.

وقيل: المراد به الفَزَع من سبعت الرجل أفزعته، أي: من لها يوم الفزع؟

وقيل: المراد به الإهمال من أسبع الرجل غنمه: أهملها، أي: من لها يوم الإهمال، ورجَّحَه النَّوويُّ.

وقيل: «المراد به يوم الشِّدّة كما رُوي عن ابن عبَّاسٍ: أنَّه سُئل عن مسألةٍ فقال: أجرأ من سبع، يريد أنَّها من المسائل الشِّداد التي يشتدُّ فيها الخطب علىٰ المفتي».اهـ من "فتح الباري".

ويظهر لي معنىٰ آخر: وهو الإشارة إلىٰ زمان نزول عيسىٰ عليه الصَّلاة والسَّلام، فقد صحَّ في حديثٍ عند أحمد وغيره عن أبي هريرة: «**وأنِّي أَوْلَى النَّاسِ بعيسى ابن مريم؛ لأنَّه لم يكن بيني وبينه نبيٌّ، وإنَّه نازلٌ فإذا رأيتُمُوه فاعرِفُوه...**» وذكر الحديث، وفيه ثُمَّ «**تَقَعُ الأَمَنَةُ على الأرضِ حتَّى تَرْتَعَ الأُسُودُ مع الإبل، والنُّمور مع البقر، والذِّئابُ مع الغَنَمِ، ويلعبَ الصِّبيانُ بالحَيَّات لا تَضُرُّهُم...**» الحديث.

والمعنىٰ علىٰ هذا: من لها يوم السَّبع حين يرعىٰ الذِّئب مع الشَّاة بل لا

يكون لها راعٍ غيره، وسُمِّي ذلك الزمن يوم السَّبُع؛ إمَّا لكثرة ظهور السِّباع فيه من قولهم: أرض مُسبِعةٌ كثيرة السِّباع؛ وإمَّا لأنَّ السِّباع لا تُؤذي فيه على خلاف ما عُهد من طبيعتها.

(تنبيه): قال الحافظ ابن حجرٍ: «لم أقف على اسم هذا الرَّاعي الذي كلَّمه الذِّئبُ.

وقد أورد المصنِّف -يعني البخاريَّ- الحديث في ذكر بني إسرائيل، وهو مُشعِرٌ بأنَّه عنده ممَّن كان قبل الإسلام، وقد وقع كلام الذِّئب لبعض الصّحابة في نحو هذه القصّة.

فروى أبو نعيمٍ في "الدَّلائل" من طريق ربيعة بن أوس، عن أنيس بن عمرو، عن أَهْبَان بن أوسٍ قال: «كنت في غَنَمٍ لي، فشَدَّ الذِّئبُ على شَاةٍ منها، فصِحْتُ عليه فأَقْعَى الذِّئبُ على ذَنَبه يُخَاطبُني وقال: مَن لَهَا يوم يُشتغل عنها؟ تمنعني رِزْقًا رَزَقَنِيهِ الله تعالى، فصَفَّقْتُ بيدي وقلتُ: والله ما رأيتُ شيئًا أَعجَبَ مِن هذا، فقال: أَعجَبُ مِن هذا، هذا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بين هذه النَّخَلَات يدعو إلى الله، قال: فأتى أُهْبَان إلى النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فأخبره وأسلم.

فيُحتمل أن يكون أُهْبَان لَمَّا أخبر النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بذلك كان أبو بكر وعمر حاضرين، ثُمَّ أخبر النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بذلك وأبو بكر وعمر غائبان، فلذلك قال: «**فإنِّي أومن بذلك أنا وأبو بكرٍ وعمر**».

ويُحتمل أن يكون صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال ذلك لِمَا أُطلِع عليه من غَلَبة صِدق إيمانهما وقُوَّة يقينهما، وهذا أليق بدخوله في مناقبهما».اهـ

وحديث أَهْبَان بن أوسٍ رواه البخاريُّ أيضًا في "التَّاريخ" وضعَّفه؛ لأنَّ في سنده عبدالله بن عامرٍ الأسلميَّ وهو ضعيفٌ، لكن روىٰ أحمد، وابن سعدٍ، والبزَّار، والحاكم والبيهقيُّ وصحَّحاه، وأبو نعيمٍ من طُرقٍ عن أبي سعيدٍ الخدريِّ قال: بينما راعٍ يرعىٰ بالحَرَّة إذ عَرَضَ ذئبٌ لشاةٍ من شِياهه، فحال الراعي بين الذِّئب وبين الشَّاة، فأَقعَىٰ الذِّئبُ علىٰ ذَنَبه ثُمَّ قال: للرَّاعي: ألا تتَّقي الله تعالىٰ؟ تَحول بيني وبين رِزقٍ ساقه الله تعالىٰ إليَّ، فقال الراعي: العجب من الذِّئبِ يتكلَّم بكلام الإنس! فقال الذِّئبُ: ألا أُحدِّثك بأعجب من ذلك؟ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بين الحَرَّتين يُحدِّث النَّاسَ بأنباء ما قد سبق.

فساق الرَّاعي غَنَمه حتَّىٰ قَدِم المدينة، فدخل علىٰ النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فحدَّث بحديث الذِّئبِ، فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**صَدَق صَدَق، ألا إنَّه من أشراط السَّاعة كلام السِّباع للإنس، والذي نفسي بيده لا تقوم السَّاعة حتَّى تُكلِّم السِّباع الإنس، ويُكلِّم الرجل شراك نعله، وعَذَبة سوطه، ويخبره فخذه بما أحدث أهله من بعده**».

وذكره الدميريُّ في مبحث الذِّئب من "حياة الحيوان" عازيًا له إلىٰ الحاكم، وقال إسناده علىٰ شرط مسلم، وأورده الهيثميُّ في "مجمع الزوائد" من مُسنَدَيْ أحمد والبزَّار، وقال: «رجال أَحَد إسنادي أحمد رجال الصَّحيح».

فصاحب هذه القصَّة أَهْبان بن أوسٍ المذكور؛ لأنَّه جاء في إحدىٰ روايات أحمد والبزَّار عن أبي سعيدٍ قال: «بينما رجلٌ من أَسْلَمَ في غُنَيمَةٍ له يَهُشُّ عليها في بَيْداءِ ذِي الحُلَيفَةِ إذ عَدَا عليه الذِّئبُ...» وذكر الحديث، وأهبان بن أوسٍ أَسْلَميٌّ.

أمَّا ما نقله الحافظ في "الإصابة" عن ابن الكلبيِّ، وأبي عُبيد، والبلاذريِّ،

والطَّبريِّ: أنَّ مُكلَّم الذِّئب أَهْبان بن الأكوع بن عياذ الخزاعي، فذلك في قصّةٍ أُخرىٰ؛ لأنَّ كلام الذِّئبِ تكرَّر في زمن النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

قال الحافظ بن عبدالبر: «كلَّم الذِّئبُ من الصّحابة ثلاثة: رافع بن عميرة، وسلمة بن الأكوع، وأهبان بن أوسٍ الأسلميِّ»، قال: «ولذلك تقول العرب هو كذئب أهبان، يتعجَّبون منه».اهـ

وقال أبو بكر بن أبي داود: «يقال لأهبان مُكلِّم الذِّئب، ولأولاده أولاد مُكلِّم الذِّئب، ومحمَّد بن الأشعث الخزاعيُّ من ولده، واتَّفق مثل ذلك لرافع بن عميرة وسلمة بن الأكوع».اهـ

فهؤلاء أربعةٌ كلَّمهم الذِّئبُ وهُم: أهبان الأسلميُّ، وأهبان الخزاعيُّ، وسلمة بن الأكوع، ورافع بن عميرة.

وروىٰ أحمد بإسنادٍ رجاله ثقاتٌ -كما قال الحافظ الهيثميُّ- عن أبي هريرة قال: جاء الذِّئبُ إلىٰ راعي غَنَمٍ فأخذ منها شاةً، فطلبه الرَّاعي حتَّىٰ انتَزَعها منه فصَعِد الذِّئبُ علىٰ تَلٍّ فأَقْعَىٰ وقال: عَمِدتَ إلىٰ رِزقٍ رَزَقَنِيه الله فانتزعتَه مِنِّي، فقال: تالله إن رأيت كاليوم ذئبًا يتكلَّم! قال الذِّئبُ: أعجبُ من هذا رجلٌ يَتكلَّم في النَّخلات بين الحرَّتين يخبركم بما مضىٰ وبما هو كائنٌ بعدكم.

وكان الرجل يهوديًّا فجاء النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وأخبره وصَدَّقه النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وقال النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّها أماراتٌ بين يدي السّاعة، قد أوشك الرجل أن يَخرجَ فلا يرجع حتَّى تُحدِّثه نعلاه وسوطه ما أحدَثَ أهلُهُ بَعدَهُ**».

فإن ضُمَّ هذا اليهوديُّ إلىٰ من سبق صاروا خمسةً، إن لم يكن هو أحد

الأربعة المذكورين.

وروىٰ أبو نعيمٍ عن أنسٍ قال: كنتُ مع النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في غزوة تبوكٍ، فشددتُ علىٰ غنمي فجاء الذِّئبُ فأخذ منها شاةً فاشتدَّت الرِّعَاءُ خلفه فقال الذِّئبُ: طُعْمَةٌ أَطْعَمنيها الله تعالىٰ تنزعونها مِنِّي، فبُهِت القوم، فقال الذِّئبُ: ما تعجبون من كلام الذِّئبِ وقد نزل الوحيُ علىٰ محمَّدٍ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم!.

هذا ما بلغنا ممَّا يتعلَّق بكلام الذِّئب، وأمَّا كلام البقرة فلا نعلم فيه سوىٰ الحديث الذي أوردناه.

وحديثٌ آخر أسنده الدِّينوريُّ في "المجالسة" عن عكرمة، عن ابن عبَّاسٍ قال: مَرَّ عيسىٰ عليه الصَّلاة والسَّلام ببقرةٍ قد اعترض ولدها في بطنها، فقالت: يا كلمة الله، ادعُ الله أن يُخلِّصني، فقال: يا خالق النَّفس من النَّفس، ويا مُخرج النَّفس من النَّفس، خَلِّصها، فألقت ما في بطنها.

ووقعت حادثة من هذا النَّوع بعد العصر النَّبويِّ بكثير.

قال المقريزيُّ: في كتاب "إغاثة الأُمَّة بكشف الغُمَّة" (ص: ٣٨) ما لفظه: «ووقع بآخر هذا الغلاء أعجوبةٌ في غاية الغرابة لم يُسمع بمثلها وهي: أنَّ رجلًا من أهل الفلح بجبة عسال -إحدىٰ قرىٰ دمشق الشّام- خرج بثورٍ له ليرد الماء، فإذا عِدَّةٌ من الفلّاحين قد وردوا الماء، فأورد الثور حتّىٰ إذا اكتفىٰ نطق بلسان فصيحٍ أسمع من بالمورد وقال: الحمد لله والشّكر له، إنَّ الله تعالىٰ وعد هذه الأُمَّة سبع سنين مُجدبةً، فشفع لهم النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وإنَّ الرسول أَمَره -أي الثور- أن يُبلغ ذلك وأنَّه قال: يا رسول الله فما علامة

صدقي عندهم قال: أن تموت بعد تبليغ الرسالة، وإنَّه بعد فراغ كلامه صعد إلىٰ مكانٍ مُرتفعٍ وسَقَطَ مِنه ومات، فتسامع به أهل القرية وجاءوا من كل حَدَبٍ ينسلون، فأخذوا شعره وعظامه للتَّبرُّك، فكانوا إذا بخَّروا به موعوكًا برئ، وعمل بذلك محضرٌ مثبوتٌ علىٰ قاضي البلد وحمل السّلطان بمصر، فوقف عليه الأمراء واشتهر بين النَّاس خَبَره وشاع ذِكره، وذكر هذه الحادثة أيضًا في كتاب "السلوك لمعرفة دول الملوك" (١ / ٨١١، ٨١٢).

وأخرج ابن أبي الدنيا، وأبو يعلىٰ من طريق الرَّبيع بن سعد الجعفيِّ عن عبدالرحمن بن سابطٍ، عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**حَدِّثوا عن بني إسرائيل فإنَّه كان فيهم الأعاجيب**»، ثُمَّ أنشا يُحدِّث قال: «**خرجت رُفْقةٌ مرَّةً يسيرون في الأرض فمرّوا بمقبرةٍ، فقال بعضهم لبعض: لو صلَّينا ركعتين ثُمَّ دعونا الله عزَّ وجلَّ لعلَّه يُخرج بعض هذه المقبرة، فيخبرنا عن الموت، قال: فصلُّوا ركعتين ثُمَّ دعوا الله، فإذا هم برَجُلٍ قد خرج مِن قبره ينفضُ رأسه وبين عينيه أثر السُّجودِ، فقال: يا هؤلاء ما أردتم إلى هذا، لقد مِتُ منذ مائة سنةٍ فما سكنت عنِّي حرارة الموتِ إلى ساعتي هذه، فادعو الله أن يعيدني كما كنت**».

وأخرج مسلمٌ في "صحيحه" عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**بَيْنَا رَجُلٌ بفَلَاةٍ مِن الأرضِ، فسَمِعَ صَوْتًا في سحابةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلانٍ، فتَنَحَّى ذلك السَّحَابُ، فأفْرَغَ مَاءَهُ في حَرَّةٍ، فإذا شَرْجَةٌ مِن تلك الشِّرَاجِ قد اسْتَوْعَبَتْ ذلك الماءَ كُلَّهُ، فتتبَّعَ المَاءَ، فإذا رَجُلٌ قائِمٌ في حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الماءَ بمِسْحَاتِهِ، فقال له: يا عبدالله ما اسْمُكَ؟ قال: فُلانٌ - لِلاسْمِ الذي**

سَمِعَ في السَّحابة- فقال له: يا عبدالله لم تَسْأَلُني عن اسْمِي؟ فقال: إنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا في السَّحَابِ الذي هذا ماؤُهُ يقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلانٍ، لاسمِكَ، فما تَصْنَعُ فيها؟ قال: أما إذ قُلْتَ هذا، فإنِّي أنظُرُ إلى ما يَخرُجُ منها، فأَتَصَدَّقُ بثُلُثِهِ، وآكُلُ أنا وعِيالي ثُلُثًا، وأرُدُّ فيها ثُلُثَهُ».

في الحديث إثبات الكرامات، وفضل الصَّدقة والإنفاق على العيال ومن تلزم نفقته، و«**الحَرَّة**» -بفتح الحاء-: أرضٌ ذات حجارةٍ سودٍ، و«**الشَرْجة**» -بفتح الشين وسكون الراء-: مَسِيلُ الماء أي: مكان اجتماعه وسَيْلِه.

الفصل الرابع

في ذكر ما ثبت من الكرامات عن الصّحابة رضي الله عنهم

أخرج الشيخان عن جابرٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**اهتَزَّ عَرشُ الرَّحمن لموتِ سَعدِ بن مُعَاذٍ**».

وروى مسلمٌ عن أنسٍ مِثلَه، بل ثبت هذا الحديث عن عَشْرةٍ من الصّحابة أو أكثر كما قال الحافظ.

وقد اختلف العلماء في تأويل هذا الحديث اختلافًا لخَّصَه الحافظ في "الفتح" فقال: «والمراد باهتزاز العرش استبشاره وسُرُوره بقدوم رُوحِه، يقال لكلِّ من فَرِح بقدوم قادم عليه: اهتزَّ له، ومنه: اهتزَّت الأرض بالنَّبات إذا اخضرَّت وحسنت، ووقع ذلك من حديث ابن عمر عند الحاكم بلفظ: «**اهتزَّ العرش فَرَحًا به**». لكنَّه تأوَّله كما تأوَّله البراء بن عازبٍ فقال:اهتزَّ العرش فَرَحًا بلقاء الله سعدًا حتَّى تَفَسَّخَتْ أَعْوَاده على عَوَاتِقنَا.

قال ابن عمر: يعني عرش سعد الذي حُمِل عليه، وهذا من رواية عطاء بن السّائب عن مُجاهدٍ عن ابن عمر.

وفي حديث عطاءٍ مقالٌ؛ لأنَّه ممَّن اختلط في آخر عمره، ويعارض روايته أيضًا ما صحَّحه الترمذيُّ من حديث أنس قال: لَمَّا حُمِلَتْ جَنَازَةُ سَعدِ بن مُعَاذٍ قال المنافقون: ما أَخَفَّ جَنَازَتَهُ، فقال النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ الملائكة كانت تَحمِلُهُ**».

قال الحاكم: الأحاديث التي تُصرِّح باهتزاز عرش الرحمن مُخرَّجة في

"الصّحيحين"، وليس لمعارضها في الصّحيح ذكرٌ».اهـ

وقيل: المراد باهتزاز العرش اهتزاز حَمَلة العرش، ويؤيِّده حديث: «**إنَّ جبريل قال: مَن هذا الميِّت الذي فُتِحَتْ له أبواب السَّماء واستبشر به أهلها؟**». أخرجه الحاكم.

وقيل: هي علامةٌ جعلها الله لمن يموت من أوليائه ليُشعِر ملائكته بفضله.

وقال الحربيُّ: «إذا عظَّموا الأمر نسبوه إلىٰ عظيمٍ، كما يقولون: قامت لموت فلانٍ القيامة وأظلمت الدّنيا ونحو ذلك، وفي هذه مَنقبةٌ عظيمةٌ لسعدٍ».اهـ

وفي "شرح مسلمٍ" للإمام النَّوويِّ ما نصُّه: «اختلف العلماء في تأويلها، فقالت طائفةٌ: هو علىٰ ظاهره، واهتزاز العرش تحركه فَرحًا بقدوم رُوح سعدٍ، وجعل الله تعالىٰ في العرش تمييزًا حصل به هذا، ولا مانع منه كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤]، وهذا القول هو ظاهر الحديث، وهو المُختار.

وقال المازريُّ: قال بعضهم: هو علىٰ حقيقته وأنَّ العرش تحرَّك لموته، قال: وهذا لا يُنكر من جهة العقل؛ لأنَّ العرش جسمٌ من الأجسام يقبل الحركة والسّكون، قال: لكن لا تحصل فضيلة سعد بذلك إلَّا أن يُقال: الله تعالىٰ جعل حركته علامةً للملائكة علىٰ موته.

وقال آخرون: المراد اهتزاز أهل العرش، وهم حَمَلَتُهُ وغيرهم من الملائكة، فحذف المضاف، والمراد بالاهتزاز الاستبشار والقبول.

ومنه قول العرب: فلان يهتزُّ للمكارم، لا يريدون اضطِّراب جسمه وحركته، وإنَّما يريدون ارتياحه إليها وإقباله عليها.

وقال الحربيُّ: هو كِنايةٌ عن تعظيم شأن وفاته، والعرب تنسب الشيء المُعظَّم إلى أعظم الأشياء فيقولون: أظلمت لموت فلانٍ الأرض، وقامت له القيامة».اهـ

وقول من قال: إنَّ المراد بالعرش: السَّرير الذي حُمِل عليه غَلطٌ تَردُّه الروايات الصّحيحة الصّريحة كما قال النّوويُّ وغيره.

وإلى هذه الكرامة الجليلة أشار حسَّان بن ثابتٍ في رِثاءِ سعدٍ بقوله:

وَما اهتَزَّ عَرشُ الله مِن أجلِ هالِكٍ سَمِعنا بِه إلَّا لِسَعْدٍ أبي عَمرو

وأمَّا إنكار مالكٍ لهذا الحديث، وقوله لمن سأله عنه: «أنهاك أن تقول...» إلخ ما جاء عنه في "العتبية" فمحمول على ما قال الإمام أبو الوليد بن رشدٍ في شرحها، ومُلخَّص كلامه: «إنَّما نهى مالكٌ لئلَّا يسبق إلى وهم الجاهل أنَّ العرش إذا تحرَّك يتحرك الله بحركته كما يقع للجالس مِنَّا على كرسيّه، وليس العرش بموضع استقرار الله، تبارك الله وتنزَّه عن مُشابهة خلقه».اهـ

ويُحتمل ألَّا يكون الحديث ثبت عنده كما قال الحافظ.

وقال الحافظ السُهيليُّ في "الروض الأنف" ما نصُّه: «وحديث اهتزاز العرش لموت سعدٍ صحيحٌ، قال أبو عمر: هو ثابتٌ من طُرقٍ مُتواترةٍ، وما رُوِيَ من قول البراء ابن عازب في معناه: «أنَّه سرير سعدٍ اهتزَّ»، لم يلتفت إليه العلماء وقالوا: كانت بين هذين الحيين من الأنصار ضغائن، وفي لفظ الحديث: «**اهتزَّ عرشُ الرحمن**».رواه أبو الزُّبير، عن جابرٍ يرفعه، ورواه البخاريُّ من طريق الأعمش، عن أبي صالحٍ وأبي سفيان، كلاهما عن جابرٍ، ورواه من الصّحابة جماعةٌ غير جابرٍ منهم أبو سعيد الخدريُّ، وأُسَيْد بن حُضَيرٍ، ورُمَيْثَةُ

بنت عمرو، ذكر ذلك الترمذيُّ.

والعجب لما رُوىٰ عن مالكٍ رحمه الله من إنكاره للحديث وكراهيته للتحدُّث به مع صحَّة نقله وكثرة الرواة له، ولعلَّ هذه الرواية لم تصح عن مالكٍ، والله أعلم.

وأخرج البخاريُّ عن أنسٍ قال: كَسَرَتْ الرُّبَيِّعُ -وهي عَمَّةُ أنسِ بن مالكٍ- ثَنِيَّةَ جاريةٍ من الأنصار، فطَلَبَ القومُ القِصَاصَ، فأتوا النَّبِيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فأَمَرَ النَّبِيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بالقِصَاصِ، فقال أنسُ بن النَّضرِ -عَمُّ أنس بن مالكٍ-: لا والله لا تُكسَرُ سِنُّها يا رسول الله، فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**يا أنسُ، كتاب الله القصاصُ**». فرَضِيَ القوم وقبلوا الأَرْشَ، فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ مِن عِبَادِ الله مَن لو أَقسَمَ على الله لأَبَرَّهُ**».

وفي رواية: فعَجِبَ النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وقال: «**إنَّ مِن عِبَادِ الله مَن لو أَقسَمَ على الله لأَبَرَّهُ**».

قال الحافظ: «وجه تعجُّبه أنَّ أنس بن النَّضر أقسم علىٰ نفي فعل غيره مع إصرار ذلك الغير علىٰ إيقاع ذلك الفعل، فكان قضيَّة ذلك في العادة أن يحنث في يمينه، فألهم الله الغير العفو فبرَّ قسم أنس، وأشار بقوله: «**إنَّ مِن عِبَادِ الله**». إلىٰ أنَّ هذا الاتفاق إنَّما وقع إكرامًا من الله لأنسٍ ليبرَّ يمينه، وأنَّه من جملة عباد الله الذين يُجيب دعاءهم، ويعطيهم أَرَبَهم».اهـ

وإنكار أنس بن النضر كَسْر سِنِّ أخته لم يقصد به إنكار الحكم الشَّرعيِّ وردّه، بل قاله توقُّعًا ورجاءً من فضل الله أن يُلهم الخصوم الرضى حتَّىٰ يعفوا،

أو يقبلوا الأَرْش؛ فحقَّق الله رجاءه.

وأخرج مسلمٌ في "صحيحه" عن أنسٍ: أنَّ أخت الرُّبَيِّع أُمَّ حَارِثَةَ جرحت إنسانًا، فاختصموا إلى النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**القِصَاصَ القِصَاصَ**». فقالت أُمُّ الرُّبَيِّع: يا رسول الله أَيُقتَصُّ مِن فلانة؟! والله لا يُقتَصُّ منها، فقال النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**سُبحان الله يا أُمَّ الرُّبَيِّع! القِصَاصُ كتاب الله**». قالت: لا والله لا يُقتَصُّ منها أبدًا، قال: فما زالت حتَّى قَبِلُوا الدِّيَةَ، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ مِن عِبَادِ الله مَن لو أَقسَمَ على الله لأَبَرَّهُ**».

وعلَّقه البخاريُّ في "صحيحه" بصيغة الجزم، والصحيح كما جزم به ابن حزمٍ والنوويُّ والحافظ: أنَّهما قضيَّتان مُختلفتان، خِلافًا لمن ادَّعى أنَّهما قضيَّةٌ واحدةٌ، وذهب يتلمس وجوه الجمع أو التَّرجيح بين الرِّوايتين.

(تنبيه): **الرُّبَيِّع** -بضم الراء وفتح الباء الموحدة، وكسر المثناة التحتية المشددة-: صحابيَّةٌ جليلةٌ، وهي أُمُّ حارثة بن سراقة -صحابيٌّ أيضًا- استشهد في غزوة أُحُد، وأمُّها صحابيَّة، وأخوها أنس بن النَّضر صحابيٌّ جليلٌ رضي الله عنهم أجمعين.

وفي "صحيح مسلم" وغيره عن أبي هريرة مرفوعًا: «**رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بالأبوابِ لو أَقْسَمَ على الله لأَبَرَّهُ**».

والحاكم عنه نحوه بلفظ: «**رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ تنبو عنه أعين النَّاسِ لو أَقْسَمَ على الله لأَبَرَّهُ**». إسناده صحيحٌ

وللبزَّار عن ابن مسعودٍ نحوه بلفظ: «**ربَّ ذِي طِمْرَيْنِ لا يُؤْبَهُ له لو أَقْسَمَ**

على الله لأبَرَّهُ». وإسناده صحيحٌ.

وفي "أوسط معاجم الطبراني" عن عائشة قالت: سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**كم مِن ذِي طِمْرَيْنِ لا ثوب له لو أقْسَمَ على الله لأبَرَّهُ منهم عمَّار بن ياسرٍ**».

وروىٰ البيهقيُّ عن ابن عبَّاسٍ قال: عَادَ رسولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم رَجُلا مِن الأنصارِ فلمَّا دَنَا مِن مَنْزِلِهِ سَمِعَهُ يَتكَلَّمُ في الدَّاخِلِ، فلمَّا دخلَ لم يَرَ أحَدًا، فقال له رسولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن كنتُ تُكَلِّمُ**». قال: يا رسولَ الله ، دَخَلَ عليَّ داخِلٌ ما رأيتُ رَجُلًا قَطُّ بعدك أَكْرَمَ مَجْلِسًا، ولا أحسنَ حديثًا منه، قال: «**ذاك جبريلُ، وإنَّ مِنكُم لرِجَالًا لو أَنَّ أحَدَهُمْ يُقْسِمُ على الله لأبَرَّهُ**».

وأخرج مسلمٌ في "صحيحه" عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه: أنَّ أُسَيد بن حُضَير رضي الله عنه بينما هو ليلةً يَقرأ في مِرْبَدِه إذ جَالت فرسه فقرأ، ثُمَّ جَالت أُخرىٰ فقرأ، ثُمَّ جَالت أيضًا. قال أُسَيد: فخَشِيتُ أن تَطَأَ يَحيىٰ- ابنه- فقمتُ إليها، فإذا هو مِثل الظُلَّة فوق رأسي، فيها أمثال السُّرُج، عَرَجَت في الجوِّ حتَّىٰ ما أراها، فغدوتُ علىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقلتُ: يا رسول الله بينما أنا البارحةَ مِن جوف اللَّيل أَقرأ في مِرْبَدٍ لي إذ جَالت فرسي، فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**اقرأ يا ابن حُضَير**». قال: فقرأتُ، ثُمَّ جَالت فرسي أيضًا، فقال: «**اقرأ يا ابن حُضَير**». قال: فقرأتُ ثُمَّ جَالت أيضًا، فقال: «**اقرأ يا ابن حُضَير**». قال: فانصرفتُ وكان يحيىٰ قريبًا منها فخَشِيت أن تَطَأَه، فرأيتُ مِثل تلك الظلة فيها أمثال السُّرُج عَرَجت في الجوِّ

حتَّىٰ ما أراها، فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**تلك الملائكة كانت تستمعُ لك، ولو قرأتَ لأصبحَت تراها النَّاسُ ما تَستَتِرُ مِنهم**». وعلَّقه البخاريُّ بصيغة الجزم.

وله طريقٌ آخر عن البراء بن عازبٍ رواه مسلمٌ أيضًا، ووقع في البخاريِّ: أنَّه كان يقرأ سورة البقرة، وجاء في رواية أبي عُبيد في "فضائل القرآن" من طريق أُبيِّ بن كعب بن مالكٍ قال: وكان أُسَيْدُ حَسَن الصَّوت، وفي رواية الإسماعيليِّ: «**اقرأ أُسَيْدُ، فقد أُوتيتَ مِن مَزَامِير آلِ داود**».

قال النّوويُّ: في هذا الحديث جواز رؤية آحاد الأُمَّة للملائكة.

قال الحافظ: كذا أُطلِق، وهو صحيحٌ، لكن الذي يظهر التَّقييد بالصَّالح مثلًا، والحَسَن الصَّوت، وفيه فضيلةٌ لأُسَيْدِ بن حُضَير، وأنَّ التَّشاغل بشيءٍ مِن أمور الدّنيا ولو كان من المُباح قد يُفوِّت الخير الكثير فكيف لو كان بغير الأمر المباح، وفيه غير ذلك ممَّا بيَّنه الحافظ.

وقال أبو داود الطَّيالسيُّ: ثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن البراء يقول: بينما رجلٌ يَقرأ سُورة الكهف ليلةً إذ رَأَىٰ دابَّته تَركُضُ -أو قال: فرسه تركض- فنَظَرَ فإذا مِثل الضَّبابة -أو قال: مثل الغَمَامَةِ- فذكر ذلك لرسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فقال: «**تلك السَّكِينَةُ نَزَلَتْ مع القُرآنِ أو تَنَزَّلَتْ على القُرآنِ**».

ووقع نَظِير هذه القصَّة لثابت بن قَيس بن شَمَّاسٍ.، قال أبو عُبيد في كتاب "فضائل القرآن": حدَّثنا عبَّاد بن عبَّاد، عن جرير بن حازمٍ، عن عمِّه جرير بن يزيد: أنَّ أشياخ أهل المدينة حدَّثوه: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قيل له: ألم ترَ ثابت بن قَيس بن شَمَّاس لم تزل داره البارحة تزهر مصابيح؟

قال: «**فلعلَّه قرأ سورة البقرة**». قال: فسُئل ثابت، فقال: قرأت سورة البقرة.

وروى عبدالرزاق، عن مَعمرٍ، عن ثابتٍ، عن أنسٍ: أنَّ أُسَيْد بن حُضَير ورجلًا من الأنصار تحدَّثا عند رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حتَّى ذهب من اللَّيل ساعةٌ في ليلةٍ شديدة الظُّلمة، ثُمَّ خَرَجا وبيد كُلٍّ منهما عصاةٌ، فأضاءت عصا أحدهما حتَّى مَشَيا في ضَوْئها، حتَّى إذا افترقت بهما الطَّريق أضاءت عصا الآخر؛ فمشى كُلٌّ منهما في ضَوْء عصاه حتَّى بلغ أهلَهُ.

وفي "المسند"، و"المستدرك" من طريق حمَّاد بن سلمة عن ثابتٍ، عن أنسٍ: أنَّ أُسَيْدَ بن حُضَيرٍ، وعَبَّادَ بن بِشْرٍ كانا عند النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في ليلةٍ ظَلْمَاءَ حِنْدِسٍ، فلمَّا خَرَجا أضاءت عصا أحدهما؛ فمشيا في ضَوْئِهَا، فلمَّا افترقت بهما الطَّريق أضاءت عصا الآخر.

والحديث في "صحيح البخاريِّ" وفيه كرامتان لهذين الصَّحابيين رضي الله عنهما.

وقال البخاريُّ في "التَّاريخ": حدَّثني أحمد بن الحجَّاج، ثنا سفيان بن حمزة، عن كَثِير بن زَيدٍ -هو الأسلميُّ- عن محمَّد بن حمزة الأسلميِّ، عن أبيه قال: كنَّا مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في ليلةٍ ظَلْمَاءَ دُجْمُسَةٍ، فأضاءت أصابعي حتَّى جمعوا عليها ظَهْرَهَم وما هلك منهم، وإنَّ أصابعي لَتُنِيرُ.

ورواه أبو نعيمٍ في "الدلائل" من طريق إبراهيم بن المنذر: ثنا سفيان بن حمزة به، وزاد: أنَّهم كانوا في سَفَرٍ. وحمزة: هو ابن عمر بن عويمر الأسلميُّ المدنيُّ يُكنى: أبا صالحٍ، صحابيٌّ.

وأخرج أبو نعيمٍ في "الدلائل": عن زيد بن أبي عيسى: أنَّ أبا عيسى كان يُصلِّي مع رسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الله الصَّلوات، ثُمَّ يرجع إلى بني

حارثة، فخرج ليلةً مَطَرِيَّةً مُظلِمةً؛ فنوَّرت له عصاه حتَّىٰ دخل دار بني حارثة.

قلتُ: كذا في "الدلائل": أبو عيسىٰ وهو تصحيفٌ، والصَّواب أبو عبس، وهو ابن جبر بن عمرو الأنصاريُّ الحارثيُّ، اسمه: عبدالرحمن شَهِد بدرًا وما بعدها، وكان فيمن قَتَلوا كعب بن الأشرف.

وأخرج أبو نعيمٍ أيضًا من طريق جعفر بن محمَّد، عن أبيه قال: عرض لعليٍّ -كرّم الله وجهه- رجلان في حكومة، فجلس في أصل جدارٍ، فقال رجلٌ: يا أمير المؤمنين الجدار يقع، فقال عليٌّ رضي الله عنه: امضِ كفىٰ بالله حارسًا، فقضىٰ بينهما وقام، ثُمَّ سَقَط الجدار.

وأخرج أيضًا عن عمّار بن ياسرٍ رضي الله عنهما قال: حدَّث عليٌّ عليه السَّلام رجلًا بحديث، فكذَّبه فما قام حتَّىٰ عَمِيَ.

وأخرج البخاريُّ في "صحيحه" عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «بعث النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم سَرِيَّةً عَينًا، وأمَّر عليهم عاصم بن ثابتٍ الأنصاريَّ، فانطلقوا حتَّىٰ إذا كانوا بالهَدَأة -موضعٌ بين عُسْفَان ومكّة- ذكروا لحيٍّ من هُذَيل -يقال لهم: بنو لَحيَان- فنفروا إليهم قريبًا من مائتي رجلٍ كلهم رَامٍ، فاقتصُّوا آثارهم، فلمَّا رآهم عاصمٌ وأصحابه لجئوا إلىٰ فَدْفَدٍ، وأحاط بهم القوم فقالوا لهم: انزلوا وأعطونا بأيديكم ولكم العهد والميثاق أن لا نقتل منكم أحدًا، قال عاصم بن ثابتٍ -أمير السَّريَّة-: أمَّا أنا فوالله لا أنزل اليوم في ذِمَّة كافرٍ، اللهمَّ أخبر عنَّا نبيَّك، فرموهم بالنَّبل، فقتلوا عَاصمًا في سبعةٍ؛ فنزل إليهم ثلاثة رَهْطٍ بالعهد والميثاق منهم خُبَيبٌ الأنصاريُّ وابن دَثِنَة، ورجلٌ آخر، فلمَّا استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قِسِيِّهم فأوثقوهم، فقال الرجل الثالث

-وهو عبدالله بن طارق كما في رواية ابن إسحاق-: هذا أوّل الغَدْرِ، والله لا أصحبكم إنَّ في هؤلاء لأُسوةً -يريد القتلى- فجرَّرُوه وعالجوه على أن يصحبهم فأبى؛ فقتلوه.

فانطلقوا بخُبَيبٍ وابن دَثِنَة حتَّى باعوهما بمكّة بعد وقعة بدر، فابتاع خُبَيبًا بنو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف، وكان خُبَيبٌ هو قَتَل الحارث بن عامر يوم بدر، فلبث خُبَيبٌ عندهم أسيرًا، فأخبرني عُبيد الله بن عِياضٍ: أنَّ بنت الحارث أخبرته: أنَّهم حين اجتمعوا استعار منها مُوسى يستحدُّ بها فأعارته، فأخذ ابنًا لي وأنا غافلة حين أتاه. قالت: فوجدته مُجلِسَه على فخذه والموسى بيده، ففزعت فزعةً عرفها خُبَيبٌ في وجهي، فقال: تَخْشِين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك. والله ما رأيت أسيرًا قَطُّ خيرًا من خُبَيبٍ، والله لقد وجدته يومًا يأكل من قِطْفِ عِنَبٍ في يده، وإنَّه لَمُوثَقٌ في الحديد وما بمكَّة من ثَمرٍ، وكانت تقول: إنَّه لرزق من الله رزقه خُبَيبًا، فلمَّا خرجوا من الحرم ليقتلوه في الحلِّ، قال لهم خُبَيبٌ: ذروني أركع ركعتين، فتركوه فركع ركعتين، ثُمَّ قال: لولا أن تظنّوا أن ما بي جَزَعٌ لطَوَّلتها، اللهمَّ أحصهم عَدَدًا.

ولستُ أُبَالي حِينَ أُقتَلُ مُسْلِمًا ... على أيِّ شِقٍّ كانَ لله مَصْرَعِي
وذلك في ذاتِ الإلهِ وإن يَشَأ ... يُبَارك على أَوْصالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

فقتله ابن الحارث، فكان خُبَيبٌ هو سَنَّ الرَّكعتين لكلِّ امرئٍ مسلمٍ قُتِل صَبرًا، فاستجاب الله لعاصم بن ثابتٍ يوم أصيب، فأخبر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أصحابه خبرهم وما أُصيبوا، وبعث ناسٌ من كفَّار قريشٍ إلى عاصم -حين حُدِّثوا أنَّه قُتل- ليُؤْتَوا بشيءٍ منه يُعرَف، وكان قد قَتَل رجلًا من

عُظمائهم يوم بدرٍ؛ فبُعث على عاصم مثل الظُّلَّة من الدَّبْر فحمته من رسولهم، فلم يقدروا على أن يقطع من لحمه شيئًا».

وفي رواية ابن إسحاق عن عاصم بن عمر، عن قتادة قال: كان عاصم بن ثابت أَعطى الله عهدًا أن لا يمسه مُشركٌ وأن لا يمس مُشركًا أبدًا، فكان عمر رضي الله عنه يقول لما بلغه خبره: يحفظ الله العبدالمؤمن بعد وفاته كما حفظه في حياته.

وقد أرادت هُذَيل أخذ رأس عاصمٍ ليبيعوه من سُلافة بنت سعيد بن شهيد، وكانت نذرت لئن قَدَرت على رأس عاصمٍ لتشربنَّ في قَحْفِه الخمر؛ لأنَّه قتل ابنين لها يوم أحد، فحماه الله منهم بالدَّبْرِ كما حماه من قريشٍ الذين طلبوه أيضًا؛ لأنَّه قتل منهم يوم بدرٍ عُقبة بن أبي معيطٍ صبرًا بأمر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وكان عاصمٌ قد دعا قُبيل استشهاده بقوله: «اللهم إنِّي أحمي لك اليوم دينك فاحم لي لحمي».

وفي هذا الحديث: دليلٌ على أنَّ الله يُكرم أولياءه أحياءًا وأمواتًا، وقول خُبَيبٍ: «اللَّهُمَّ أَحصِهِم عَدَدًا»، زاد عليه في رواية أخرى: «واقتُلهُم بَدَدًا -أي متفرِّقين- ولا تُبقِ مِنهُم أَحَدًا».

وفي رواية أُخرى: فقال خُبَيْبٌ: «اللهمَّ إنِّي لا أجدُ من يبلِّغ رسولك منِّي السّلام، فبلّغهُ فلمَّا رفع على الخشبة استقبل الدّعاء، فلَبِدَ رجلٌ بالأرض خوفًا من دعائه، فقال: «اللَّهُمَّ أَحصِهِم عَدَدًا واقتلهم بَدَدًا»، فلم يَحُل الحَول ومنهم أحدٌ حيٌّ غير ذلك الرجل الذي لَبِد بالأرض.

وروى ابن إسحاق عن معاوية بن أبي سفيان قال: كنت مع أبي فجعل يلقيني إلى الأرض حين سمع دعوة خُبَيْبٍ، وفي رواية أُخرى: «فجاء جبريل

إلى النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فأخبَرَهُ، فأخبَرَ أصحابه بذلك».

وعند موسى بن عقبة: فزعموا أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال ذلك اليوم وهو جالسٌ: «**وعليك السَّلام يا خُبَيْبُ، قَتَلَتهُ قريشٌ**».

لخَّصتُ هذه الروايات من "فتح الباري".

وفي هذه القِصَّة عِدَّة كرامات لخُبَيْبٍ رضي الله عنه: استجابة دعائه فيمن قتلوه، وتبليغ سلامه إلى النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ووجود العنب عنده في غير أوانه مع كونه مُوثَقًا في الحديد حتَّى كانت بنت الحارث تَحلِف أنَّه رِزقٌ رَزَقَهُ الله خُبَيْبًا.

قال ابن بطَّال: «هذا يمكن أن يكون الله جعله آية على الكفَّار، وبُرهانًا لنبيِّه لتصحيح رسالته، فأمَّا من يدَّعي وقوع ذلك له اليوم بين ظهراني المسلمين فلا وجه له؛ إذ المسلمون قد دخلوا في الدِّين، وأيقنوا بالنُّبوَّة، فأي معنى لإظهار الآية عندهم؟ ولو لم يكن في تجويز ذلك إلَّا أن يقول جاهلٌ: إذا جاز ظهور هذه الآيات على يد غير نبيٍّ، فكيف نُصدِّقها من نبيٍّ؟ والفرض أنَّ غيره يأتي بها، لكان في إنكار ذلك قطعًا للذريعة».

إلى أن قال: «إلَّا أن يكون وقوع ذلك ممّا لا يخرق عادةً، ولا يقلب عينًا، مثل أن يكرم الله عبدًا بإجابة دعوة في الحين، ونحو ذلك ممَّا يظهر فيه فضل الفاضل وكرامة الوليِّ، ومِن ذلك حماية الله تعالى عاصمًا لئلَّا ينتهك عدوُّه حرمته».اهـ

قال الحافظ: «والحاصل أنَّ ابن بطَّال توسَّط بين مَن يُثبت الكرامات ومَن ينفيها، فجعل الذي يثبت: ما قد تجري به العادة لآحاد النَّاس أحيانًا، والممتنع:

ما يقلب الأعيان مثلًا، والمشهور عن أهل السُّنَّة إثبات الكرامات مُطلقًا، لكن استثنى بعض المحقِّقين منهم -كأبي القاسم القشيريِّ- ما وقع به التَّحدِّي لبعض الأنبياء فقال: ولا يصلون إلى مثل إيجاد ولدٍ من غير أبٍ ونحو ذلك، وهذا أعدل المذاهب في ذلك؛ فإنَّ إجابة الدَّعوة في الحال، وتكثير الطعام والماء، والمكاشفة بما يغيب عن العين، والإخبار بما سيأتي، ونحو ذلك قد كَثُر جدًّا حتى صار وقوع ذلك ممَّن يُنسب إلى الصّلاح كالعادة؛ فانحصر الخارق الآن فيما قاله القشيريُّ، وتعيَّن تقييد قول من أطلق أنَّ كلَّ معجزةٍ وُجدت لنبيٍّ يجوز أن تقع لوليٍّ».اهـ

واختار التَّاج السُّبكيُّ أيضًا هذا القول في "جمع الجوامع" فقال: «وكرامات الأولياء حقٌّ، قال القشيريُّ: ولا ينتهون إلى نحو وَلَدٍ دون والدٍ».اهـ

لكن ذكر الزركشيُّ في "شرحه": «أنَّ ما قاله القشيريُّ مذهبٌ ضعيفٌ، والجمهور على خلافه».اهـ

نعم من المعجزات ما قام الدّليل القاطع على أنَّ أحدًا لا يأتي بمثله كالقرآن، فلا خلاف في هذا بين أحدٍ من النَّاس، والله أعلم.

ومن الروايات المتعلّقة بقصّة خُبَيبٍ: ما ذكره ابن أبي شيبة قال: ثنا جعفر بن عونٍ، عن إبراهيم بن إسماعيل، عن الزهريِّ، عن جعفر بن عمرو بن أُميَّة، عن أبيه: «أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعثه وحده عَينًا على قريشٍ، قال: فجئتُ إلى خَشَبة خُبَيبٍ، وأنا أَتخوَّف العين فرقيتُ فيها فأطلقتُ خُبَيبًا، فوقع على الأرض فانتبذتُ غير بعيدٍ، ثُمَّ التفت فلم أرَ خُبَيبًا، كأنَّما ابتلعته

الأرض، فما رؤي إلى السَّاعة».

قال ابن أبي شيبة: «وقد كان جعفر بن عونٍ قال: عن جعفر بن عمرو بن أُميَّة، عن أبيه، عن جدِّه».

قلت: روايته الأولى عن الزهريِّ أصحُّ، وهذه كرامةٌ أُخرى لخُبَيبٍ سُمِّيَ من أجلها بَلِيع الأرض، كما نقله أبو يوسف في كتاب "اللَّطائف" عن الضَّحَّاك.

وذكر القيروانيُّ في "حلى العلى": «أنَّ خُبَيبًا لما قتلوه جعلوا وجهه إلى غير القبلة فوجدوه مُستقبل القبلة، فأداروه مِرارًا ثُمَّ عجزوا فتركوه، كذا في "الإصابة" للحافظ.

وأخرج الشَّيخان: عن عبدالرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما قال: «جاء أبو بكرٍ رضي الله عنه بضيفٍ له -أو بأضيافٍ له- فأمسى عند النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فلمَّا جاء قالت له أمِّي: احتبستَ عن ضيفك -أو عن أضيافك- اللَّيلة، قال: ما عَشَّيتِهم؟ فقالت: عرضنا عليه -أو عليهم- فأبى -أو فأبوا- فغضب أبو بكرٍ رضي الله عنه فسَبَّ وجَدَّع وحَلَف لا يَطعَمُه، فاختبأتُ أنا، فقال: يا غُنْثَرُ، فحَلَفتْ المرأة لا تطعمه حتَّى يطعمه، فحَلَف الضيف -أو الأضياف- أن لا يطعمه -أو يطعموه- حتَّى يطعمه، فقال أبو بكرٍ رضي الله عنه: كأنَّ هذه من الشَّيطان، فدعا بالطعام فأكل وأكلوا؛ فجعلوا لا يرفعون لُقمةً إلَّا ربا من أسفلها أكثر منها، فقال: يا أخت بني فراس، ما هذا؟ فقالت: وقُرَّةِ عيني إنَّها الآن لأكثر قبل أن نأكل، فأكلوا وبعث بها إلى النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فذكر أنَّه أكل منها».

وفي هذا الحديث: تكثير الطعام القليل إكرامًا للصِّدِّيق رضي الله عنه،

وجبرًا لما حصل له من الغضب أولًا، كما قال الحافظ.

وفي "الموطأ" بإسنادٍ صحيحٍ على شرط الشَّيخين: أنَّ أبا بكر رضي الله عنه استرجع عند وفاته أرضًا كان وهبها لعائشة رضي الله عنها، وقال -يُطَيِّبُ قَلبَها-: «إنَّما هما أَخَوَاكِ وأُختاك»، أي: لم أسترجع الأرض الموهوبة إلا لمصلحة الورثة الذين هم أخواك وأختاك، قالت لأبيها رضي الله عنهما: «إنَّما هي أسماءُ فمن الأُخرى؟» أي: ليس لي أخت غير أسماء، فأين الأخت الثانية؟ فأجابها الصِّدِّيق رضي الله عنه: «ذُو بَطْنِ بِنتِ خَارِجَةَ» -هي امرأته، وكانت حاملًا- «أُرَاهَا جَارِيَةً» قالت عائشة: فولدت بعد وفاته بنتًا.

وفي "صحيح البخاريِّ" من طريق هشام بن عروة، عن أبيه قال: «لَمَّا قُتِلَ الذين ببئرِ مَعُونَةَ وأُسِرَ عَمرو بن أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ قال له عامر بن الطُّفَيْلِ: من هذا؟ وأَشَارَ إلى قَتِيلٍ، فقال له عَمرو بن أُمَيَّةَ: هذا عامر بن فُهَيْرَةَ، فقال: لقد رأيتُهُ بعد ما قُتِلَ رُفِعَ إلى السَّماء حتَّى إنِّي لأنظُرُ إلى السَّماء بينه وبين الأرض، ثُمَّ وُضِعَ فأتى النَّبِيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم خَبَرُهُم، فنعاهم فقال: «**إنَّ أصحابكم قد أُصِيبُوا**...» الحديث.

وروى ابن المبارك وعبدالرزَّاق، عن مَعْمَرٍ، عن الزهريِّ، عن عروة قال: «طُلِب عَامِرُ بن فُهَيْرَةَ يومئذٍ في القَتْلَى فلم يُوجد، قال عروة: فيرون أنَّ الملائكة دفنته أو رفعته».

قلت: عَامِرُ بن فُهَيْرَةَ التَّميميُّ: مَولى أبي بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه من السَّابقين إلى الإسلام، ومِن الذين عُذِّبوا في الله، وخَرَج في الهجرة مع النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وأبي بكرٍ كما في الصّحيح، واستشهد ببئر مَعُونة، فلا

غَرْوَ أن يُكرمه الله بهذه الكرامة العظيمة رضي الله عنه وأرضاه.

وأخرج البيهقيُّ في "الدلائل"، واللَّالَكَائيُّ في "شرح السُّنَّة"، وابن الأعرابيِّ في "كرامات الأولياء"، والدير عاقولي في "فوائده" من طريق ابن وهبٍ، عن يحيىٰ بن أيوب، عن ابن عَجَلان، عن نافعٍ، عن ابن عمر قال: «وجَّه عمر رضي الله عنه جيشًا ورَأَسَ عليهم رجلًا يُدعىٰ سَارية بن زنيم، فبينا عُمر يخطب جعل ينادي: يا سارية، الجَبَل -ثلاثًا- ثُمَّ قَدِم رسول الجيش، فسأله عمر، فقال: يا أمير المؤمنين هُزِمنا، فبينا نحن كذلك إذ سمعنا صوتًا يُنادي: يا سارية، الجَبَل-ثلاثًا- فأسندنا ظهرنا إلىٰ الجَبلِ، فهزمهم الله تعالىٰ»، قال: قيل لعمر رضي الله عنه: إنَّك كنتَ تصيح بذلك، وكذا ذكره حَرْمَلة في جمعه لحديث ابن وهبٍ. قال الحافظ: «وهو إسنادٌ حسنٌ».

وفي رواية ابن مَرْدُويَه من طريق ميمون بن مهران، عن ابن عمر، عن أبيه: «أنَّه كان يخطب يوم الجمعة فعرض في خطبته أن قال: يا سَارية، الجبلَ، من استرعىٰ الذِّئب ظُلِم، فالتفت النَّاس بعضهم إلىٰ بعضٍ، فقال لهم عليٌّ: ليخرجنَّ ممَّا قال، فلمَّا فرغ سألوه، فقال: وقع في خلدي أنَّ المشركين هزموا إخواننا، وأنَّهم يمرون بجبلٍ، فإن عدلوا إليه قاتلوا من وجهٍ واحد، وإن جاوزوا هلكوا، فخرج ما تزعمون أنَّكم سمعتموه، قال: فجاء البشير بعد شهرٍ، فذكر أنَّهم سمعوا صوت عمر في ذلك اليوم، قال: فعدلنا إلىٰ الجبلِ ففَتح الله علينا».

ولأبي نعيم من طريق قتيبة بن سعيد: ثنا اللَّيث بن سعد، عن عمرو بن الحرث قال: «بينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه علىٰ المِنبَر يخطب يوم الجمعة إذ

ترك الخطبة، فقال: يا سارية الجبلَ مرتين -أو ثلاثًا- ثُمَّ أقبل على خطبته، فقال: أولئك النّظراء -من أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم-: لقد جُنَّ، إنَّه لمجنون، هو في خطبته إذ قال: يا سارية الجبل!، فدخل عبدالرحمن بن عوف -وكان يطمئن إليه- فقال: أشد ما أَلْوَمَهُم عليك، إنك تجعل على نفسك لهم مقالًا، بينا أنت تخطب إذ أنت تصيح: يا سارية الجبل، أي شيء هذا؟! قال: إني والله ما ملكت ذلك، رأيتهم يقاتلون عند جبل يؤتون من بين أيديهم ومن خلفهم، فلم أملك أن قلت: يا سارية الجبل ليلحقوا بالجبل.

فلبثوا إلى أن جاء رسول سارية بكتابه: أن القوم لحقونا يوم الجمعة، فقاتلناهم من حين صلينا الصبح إلى حين حضرت الجمعة، ودار حاجب الشمس، فسمعنا مناديًا ينادي: يا سارية الجبل مرَّتين، فلحقنا بالجبل، فلم نزل قاهرين لعدوِّنا حتَّى هزمهم الله وقتلهم. فقال أولئك الذين طعنوا عليه: دعوا هذا الرجل، فإنَّه مصنوعٌ له».

وللقصّة طُرقٌ أُخرى جاء فيها: أنَّ سارية كان بنهاوند من بلاد فارس، وقد صحَّحها ابن تيمية، وفيها كرامة لعمر وسارية ومن كان معه ممَّن سمع الصَّوت.

وكرامات سيِّدنا عمر رضي الله عنه يقول عنها التَّاج السُّبكي في "مُعِيد النِّعم ومُبيد النِّقم": «إنَّها أكثر من أن تُحصر».اهـ

وأخرج البخاريُّ في "الصّحيح" عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: «لَمَّا حَضَرَ أُحُدٌ دَعَاني أبي من اللَّيل فقال: ما أُرَاني إلَّا مَقتُولًا في أَوَّل مَن يُقتَلُ مِن أصحاب النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وإنِّي لا أَترُكُ بعدي أَعَزَّ عليَّ منك غير نفسِ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وإنَّ عليَّ دَيْنًا فاقضِ،

واستوصِ بأخواتك خيرًا، فأصبحنا فكان أَوَّل قتيلٍ، ودُفِنَ معه آخر في قبرٍ، ثُمَّ لم تَطِبْ نفسي أن أترُكَه مع الآخر فاستخرجتُهُ بعد ستَّة أشهرٍ، فإذا هو كيوم وضعتُهُ غير هُنَيَّةً في أُذُنه».

في هذا الحديث: قُوَّة إيمان والد جابر لاستثنائه النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ممَّن جعل ولده أعز عليه منهم، وفيه كرامته بوقوع الأمر علىٰ ما ظن، وكرامته بكون الأرض لم تُبْلِ جسده مع لبثه فيها، والظَّاهر أنَّ ذلك لمكان الشَّهادة. قاله الحافظ.

وإنَّما أخبر والد جابربأنَّه مقتولٌ يوم أُحد؛ لأنَّه رأىٰ في المنام مبشر بن عبدالمنذر -وكان ممَّن استشهد ببدر- يقول له: أنت قادم علينا في هذه الأيام، فقصّها علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**هذه الشَّهادة**». رواه الحاكم في "المستدرك" عن الواقديِّ.

وقول جابرٍ رضي الله عنه: «غَيْرَ هُنَيَّةً فِي أُذُنِهِ»، هُنيَّة -بضم الهاء- تصغير هنة، والمراد: أنَّ أذنه أصابها شيءٌ يسيرٌ؛ لأنها كانت مما يلي الأرض كما جاء في روايةٍ أخرىٰ.

قال الحافظ: «ولا يُعكِّر علىٰ ذلك ما رواه الطَّبرانيُّ بإسنادٍ صحيح عن محمَّد بن المنكدر عن جابرٍ رضي الله عنه: «أنَّ أباه قُتِلَ يوم أُحُدٍ ثُمَّ مَثَّلُوا به فجَدَعُوا أَنْفه وأُذُنَيه...» الحديث، وأصله في مسلمٍ؛ لأنَّه محمولٌ علىٰ أنَّهم قَطَعوا بعض أُذَنيه لا جميعها».اهـ

(تنبيه): روىٰ مالكٌ في "الموطَّأ" عن عبدالرحمن بن أبي صَعْصَعة أنَّه بلغه: «أنَّ عَمرو بن الجَمُوحِ، وعبدالله بن عَمرٍو -والد جابر- الأنصاريَّين، وكانا قد

حَفَرَ السَّيْلُ قبرهما -وكانا في قبرٍ واحدٍ- فحُفِرَ عنهما لِيُغَيَّرا من مكانهما، فوُجِدَا لم يَتَغَيَّرَا كأنَّهما ماتا بالأمس، وكان بين أُحُدٍ وبين يوم حُفِرَ عنهما سِتٌّ وأربعون سَنَةً». فهذا الحديث يُخالف حديث جابرٍ المذكور، وقد جمع بينهما ابن عبدالبر بتعدُّد القصّة.

قال الحافظ: وفيه نظر؛ لأنَّ الذي في حديث جابرٍ: «أنَّه دَفَنَ أباه في قبره وحده بعد ستة أشهرٍ»، وفي حديث "الموطَّأ": «أنَّهما وُجِدا في قبرٍ واحدٍ بعد سِتَّةٍ وأربعين سنةً»، قال: فإمَّا أن المراد بكونهما في قبرٍ واحدٍ قرب المجاورة، أو أن السَّيل خرق أحد القبرين فصارا كقبرٍ واحدٍ.

وقد ذكر ابن إسحاق القصّة في "المغازي" فقال: «حدَّثني أبي، عن أشياخٍ من الأنصار قالوا: لَمَّا ضرب معاوية عينه التي مرَّت على قبور الشُّهداء انفجرت العين عليهم، فجِئنا فأخرجناهما -يعني عمرو وعبدالله- وعليهما بردتان قد غُطِّي بهما وجوههما، وعلى أقدامهما شيءٌ من نبات الأرض، فأخرجناهما يتثنَّيان تثنيًا كأنَّهما دُفنا بالأمس، وله شاهدٌ بإسنادٍ صحيحٍ عند ابن سعد من طريق أبي الزُّبير عن جابرٍ».اهـ

ولأبي نعيم في "الدلائل" من طريق عبدالواحد بن غِياثٍ: ثنا حمَّاد بن سلمة قال: سمعتُ عمرو بن دينار، وأبا الزُّبير يقولان: «إنَّ المسحَاة أصابت قَدَم حمزة فدَميت بعد أربعين سنةً».

وأخرج أبو نعيمٍ أيضًا من طريق ضَمْرة، عن مرزوق: أنَّ نارًا خرجت على عهد عمر رضي الله عنه فجعل تميم الداري يدفعها بردائه حتى دخلت غارًا، فقال له عمر رضي الله عنه: «لمثل هذا كنا نَختَبِئُكَ يا أبا رُقيَّة».

وأخرج هو والبغويُّ من طريق الجريريِّ: عن أبي العلاء، عن مُعاوية بن حرمل قال: «قَدِمتُ على عمر، فقلت: يا أمير المؤمنين، تائبٌ من قبل أن يُقدر عليَّ، قال: من أنت؟ قلت: معاوية بن حرمل -خَتَن مُسيلمة- قال: اذهب فانزل على خير أهل المدينة، قال: فنزلت على تميم الدَّاري، فبينا نحن نتحدَّث إذ خرجت نارٌ بالحرَّة، فجاء عمر إلى تميم، فقال: يا أمير المؤمنين، مَن أنا وما أنا؟ فصغر نفسه فلم يزل به حتى قام معه، قال: وتبعتهما، فانطلقا إلى النَّار، فجعل يحوشها بيده -هكذا- حتى أدخلها الباب الذي خرجت منه، ثُمَّ اقتحم خلفها، ثُمَّ خرج فلم تضره، وجعل يقول: ليس من رأى كمن لم يرَ».

قال الحافظ: «في هذه القصّة كرامةٌ واضحةٌ لتميمٍ، وتعظيمٌ كثيرٌ من عُمَر له».اهـ

وثبت في "الصّحيحين" وغيرهما، واللَّفظ لمسلمٍ عن عُروة بن الزُّبير: أنَّ سعيد بن زيد خاصمته أروى بنت أوسٍ إلى مروان، وادَّعت عليه أنَّه أخذ منها شيئًا من أرضها فقال سعيدٌ: أنا آخُذُ مِن أرضها بعد أن سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**من أخذ شِبرًا من أرضٍ ظُلمًا طوِّقَهُ إلى سبع أرَضِين**»؟ فقال مروان: لا أسألك بَيِّنَةً بعد هذا، فقال سعيد: اللَّهمَّ إن كانت كاذبةً فأعمِ بَصَرَها، واقتُلْها في أرضها، فما ماتت حتَّى ذَهَبَ بَصَرُها، وبينا هي تَمشِي في أرضها إذ وَقَعَتْ في حُفرَةٍ فماتت، وفي رواية لمسلمٍ أيضًا أنَّ أروى قالت: أصابتني دعوة سعيد.

ولهذه القصّة طرقٌ عن ابن عمر، وأبي بكر بن محمَّد بن عمرو بن حزم، وغيرهما، أوردها الحافظ بن عبدالبر في "الاستيعاب" وممَّا جاء فيها: «أنَّ أهل المدينة كان يدعو بعضهم على بعض يقولون: أعماك الله كما أعمى أروى -

يريدونها- ثُمَّ صار أهل الجهل يقولون: أعماك الله كما أعمىٰ الأروىٰ، يريدون الأروىٰ التي في الجبل -يظنُّونها- ويقولون: إنَّها عمياء، وهذا جهلٌ منهم.

وذكر القصَّة أيضًا الدميريُ في مبحث الأروية من "حياة الحيوان".

وذكر ابن عبدالبر والنوويُّ وغيرهما: أنَّ سيِّدنا سعيد بن زيد رضي الله عنه كان مُجاب الدَّعوة، وكان سعد بن أبي وقّاص مجاب الدّعوة أيضًا، تُخاف دعوته وتُرجىٰ لاشتهارها بالإجابة، وله في ذلك حوادث كثيرةٌ.

وقصّته مع الرجل الذي كَذَب عليه مشهورةٌ في "صحيح البخاريِّ" وغيره، وحاصلها: علىٰ ما جاء في رواية عبدالملك بن عمير، عن جابر بن سَمُرَةَ رضي الله عنه قال: «شَكَا أهل الكوفة سعدًا إلىٰ عُمر رضي الله عنهما؛ فعزله واستعمل عليهم عَمَّارًا رضي الله عنه فشكوا، حتَّىٰ ذكروا أنَّه لا يُحسِنُ يُصَلِّي؛ فأرسل إليه فقال: يا أبا إسحاق إنَّ هؤلاء يزعمون أنَّك لا تُحْسِنُ تُصَلِّي، قال أبو إسحاق أمَّا أنا والله فإنِّي كنتُ أُصَلِّي بهم صلاة رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ما أَخْرِمُ عنها، أُصَلِّي صلاة العِشَاءِ فأركُدُ في الأُولَيَينِ، وأُخِفُّ في الأُخْرَيَينِ، قال عمر رضي الله عنه: ذاك الظَّنُّ بك يا أبا إسحاق، فأرسَلَ معه رجلًا أو رجالًا إلىٰ الكوفة، فسأل عنه أهل الكوفة، ولم يَدَعْ مسجدًا إلَّا سَأَلَ عنه ويُثنُون عليه مَعرُوفًا، حتَّىٰ دَخَلَ مسجدًا لبني عَبْسٍ، فقام رجلٌ مِنهم - يُقال له: أسامة بن قتادة يُكنَىٰ أبا سَعْدَةَ- قال: إذ نَشَدْتَنا فإنَّ سَعدًا كان لا يَسِير بالسَّرِيَّة -أي لا يسير مع الجيش للقتال- ولا يَقسِمُ بالسَّويَّة، ولا يَعدِلُ في القَضِيَّة، قال سَعدٌ: أما والله لأدعُوَنَّ بثلاثٍ: اللهمَّ إن كان عبدك هذا كاذبًا قام رِيَاءً وسمعةً، فأطل عمره، وأطل فَقرَهُ، وعَرِّضْهُ للفِتَن، قال: فكان بعد

ذلك إذا سُئِلَ يقول: شيخٌ كبيرٌ مفتونٌ أصابتني دعوة سعدٍ.

قال عبدالملِكِ: فأنا رأيته بعد، قد سَقَطَ حَاجِبَاه على عينيه مِن الكِبَرِ، وإِنَّه ليتعرَّضُ للجواري في الطُّرُق يَغمِزُهُنَّ»، ولهذا القصّة ألفاظٌ وطُرُقٌ.

قال العلَّامة الزَّين بن المنير: «في الدّعوات الثلاثة مناسبةٌ للحال، أمَّا طول عمره: فليراه من سمع بأمره فيعلم كرامة سعد، وأمَّا طول فقره: فلنقيض مطلوبه؛ لأنَّ حاله يُشعر لأنَّه طلب أمر دنيويًا، وأمَّا تعرُّضه للفتن: فلكونه قام فيها ورضيها دون أهل بلده».اهـ

قال الحافظ: «ومِن أعجب العجب أنَّ سعدًا مع كون هذا الرجل واجهه بهذا، وأغضبه حتَّى دعا عليه في حال غضبه، راعى العدل والإنصاف في الدّعاء عليه؛ إذ علَّقه بشرط أن يكون كاذبًا، وأن يكون الحامل له على ذلك الغرض الدنيويِّ».اهـ

وأخرج مسلمٌ في "صحيحه" عن مُطَرِّف قال: قال لي عِمرَانُ بن حُصَينٍ رضي الله عنه: «قد كان يُسَلَّمُ عليَّ حتَّى اكتويتُ فتُرِكتُ ثُمَّ تَرَكتُ الكَيَّ فعاد».

وأخرج أيضًا من طريقٍ آخر عن مُطَرِّفٍ قال: «بعث إليَّ عِمرانُ بن حُصَينٍ في مرضه الذي تُوُفِّيَ فيه فقال: إنِّي مُحَدِّثك فإن عِشتُ فاكتُم عَنِّي، وإن مُتُّ فحدِّث بها إن شِئتَ: إنَّه قد سُلِّمَ عليَّ».

قال النوويُّ في "شرح مسلم": «معنى الحديث الأول: أنَّ سيِّدنا عِمرانَ بن حُصَينٍ رضي الله عنه كانت به بواسير، فكان يصبر على ألمها، وكانت الملائكة تُسَلِّمُ عليه، واكتوى فانقطع سلامهم عليه، ثُمَّ ترك الكيَّ فعاد سلامهم عليه.

قال: قوله في الحديث الثاني: فإن عِشت فاكتم عنِّي، أراد به الإخبار

بالسّلام عليه؛ لأنَّه كره أن يشاع عنه ذلك في حياته؛ لما فيه من التعرض للفتنة بخلاف ما بعد الموت».اهـ

وقال القرطبيُّ في "شرح مُسلمٍ": «يعني أنَّ الملائكة كانت تُسَلِّم عليه إكرامًا واحترامًا إلىٰ أن اكتوىٰ؛ فتركت السّلام عليه، ففيه إثبات كرامات الأولياء».اهـ

وأخرج الحاكم في "المستدرك" وصحَّحه عن مُطَرِّف بن عبدالله، عن عِمران بن حُصَينٍ قال: «اعلم يا مُطرِّف، أنه كانت تُسَلِّم الملائكة عليَّ عند رأسي، وعند البيت، وعند باب الحجر، فلما اكتويتُ ذهب ذاك، قال: فلمَّا برئ كلَّمه، قال: اعلم يا مُطَرِّف أنَّه عاد الذي كنت أخبرتك به، اكتم عليَّ حتَّىٰ أموت».

قال البيهقيُّ في "شعب الإيمان": «لو كان النَّهي عن الكيِّ علىٰ طريق التَّحريم، لم يكتوِ مع علمه بالنَّهي، غير أنَّه رَكِب المكروه؛ ففارقه مَلَكٌ كان يُسَلِّم عليه؛ فحزن علىٰ ذلك وقال هذا القول، ثُمَّ قد رُوىٰ: أنَّه قد عاد إليه قبل موته».اهـ

وقال ابن الأثير في "النهاية": «يعني أنَّ الملائكة كانت تُسَلِّم عليه، فلما اكتوىٰ -بسبب مرضه- تركوا السَّلام عليه؛ لأنَّ الكيَّ يقدح في التوكّل والتّسليم إلىٰ الله، والصّبر علىٰ ما يُبتلىٰ به العبد، وطلب الشِّفاء من عنده، وليس ذلك قادحًا في جواز الكيِّ، ولكنَّه قادحٌ في التّوكل وهي درجةٌ عاليةٌ وراء مباشرة الأسباب».اهـ

وأخرج الترمذيُّ في "التاريخ"، وأبو نعيمٍ والبيهقيُّ في "دلائل النُّبوَّة" عن غزالة قالت: «كان عِمران بن حُصَينٍ يأمرنا أن نكنس الدّار، ونسمع السَّلام عليكم، ولا نرىٰ أحدًا». قال الترمذيُّ: هذا تسليم الملائكة.

وأخرج ابن سعدٍ في "الطَّبقات" عن قتادة: «أنَّ الملائكة كانت تُصافح

عِمران بن حُصَين حتَّىٰ اكتوىٰ فتنحَّت عنه».

وأخرج أبو نعيمٍ في "دلائل النُّبوَّة" عن يحيىٰ بن سعيد القطّان -أحد الحفاظ الأئمة- قال: «ما قَدِم علينا البصرة من الصّحابة أفضل من عِمران بن حُصَين، أتت عليه ثلاثون سنة تُسلِّم عليه الملائكة من جوانب بيته».

وقال الحافظ ابن عبدالبر في "الاستيعاب": «كان عِمران بن حُصَينٍ رضي الله عنه مِن فُضلاء الصَّحابة وفقهائهم، يقول عنه أهل البصرة: أنَّه كان يرىٰ الحَفَظة، وكانت تُكلِّمه حتَّىٰ اكتوىٰ».اهـ

وعاد إليه ذلك كما تقدَّم، وكان مُجاب الدّعوة أيضًا كما قال النوويُّ والحافظ، وفي هذه القصَّة دليلٌ علىٰ أنَّ الله قد يُكرم بعض أوليائه بتسليم الملائكة عليه، ومُصافحتهم له، ورؤيته إياهم.

وأخرج الطَّبرانيُّ وعنه أبو نعيمٍ من طريق أبي هريرة قال: «لَمَّا بَعَثَ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم العلاء بن الحَضْرَمِيِّ إلىٰ البحرين تَبِعته، فرأيت منه خِصَالًا لا أدري أَيَّتُهنَّ أَعجَبُ، انتهينا إلىٰ شاطئ البحر فقال: سَمُّوا الله واقتَحِمُوا، فسَمَّينا واقتَحَمْنا، فما بَلَّ الماءُ إلَّا أَسَافِلَ خِفَافِ إبلنا، فلمَّا قفلنا صِرنا معه بفلاةٍ من الأرض وليس معنا ماءٌ، فشكونا إليه، فصَلَّىٰ ركعتين ثُمَّ دعا، فإذا سَحَابَةٌ مثل التُّرْسِ، ثُمَّ أَرخَت غَزَالَيْهَا فسَقَيْنَا واسْتَقَيْنَا، ومات فدفنَّاه في الرَّملِ، فلمَّا سِرنا غير بعيدٍ قلنا: يَجِيئ سَبُعٌ فيأكله، فرجعنا فلم نَرَهُ».

وفي رواية ابن سعدٍ عنه: «رأيته قطع البحر علىٰ فرسه، وهذه القصّة مشهورةٌ».

قال الحافظ بن عبدالبر: «كان يُقال: إنَّ العلاء بن الحضرميِّ رضي الله عنه

كان مُجاب الدّعوة، وأنَّه خاض البحر بكلماتٍ قالها ودعا بها، وذلك مشهورٌ عنه».اهـ، ونحوه للحافظ في "الإصابة".

وقول أبي هريرة: «ومات فدفناه...» إلخ، مراده به: بيان الكرامة التي شاهدوها بعد موت العلاء رضي الله عنه، فهو من عطف قِصّة على قِصّة، وإن كان موت العلاء تأخَّر إلى السَّنَة الرابعة عشرة، أو الحادية والعشرين من الهجرة.

يُوضح هذا ما رواه البيهقيُّ عن أنسٍ قال: أدركتُ في هذه الأمَّة ثلاثًا لو كانت في بني إسرائيل لم تقاسمها الأمم، قلنا: ما هنَّ؟ قال: كنَّا في الصُفَّة عند رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فأتته امرأةٌ مهاجرةٌ ومعها ابن لها قد بلغ، فلم يلبث أن أصابه وباء المدينة فمرض أيامًا ثُمَّ قُبِض، فغَمَّضه النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وأمر بجهازه، فلما أردنا أن نغسِّله قال: «**يا أنس، ائِت أُمَّه، فأعلمها**». قال: فأعلمتها، فجاءت حتى جلست عند قدميه فأخذت بهما، ثُمَّ قالت: اللهمَّ إنِّي أسلمت لك طوعًا، وخلعت الأوثان زهدًا، وهاجرت إليك رغبةً، اللهمَّ لا تُشْمِت بي عبدة الأوثان، ولا تُحمِّلني من هذه المصيبة ما لا طاقة لي بحملها، فوالله ما تَقضَّى كلامها حتى حرَّك قدميه، وألقى الثوب عن وجهه، وعاش حتى قَبض الله رسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وحتى هلكت أمُّه.

قال: ثُمَّ جهَّز عمر جيشًا، فاستعمل عليه العلاء بن الحضرميِّ قال: وكنت في غزاته، فأتينا مَغَازينا فوجدنا القوم قد نذروا بنا فعَفوًا آثارَ الماءِ، قال: والحرُّ شديدٌ، فجهدنا العطش ودوابنا، فلما مالت الشمس صلَّى بنا ركعتين، ثُمَّ مدَّ يده -وما نرى في السّماء شيئًا- فوالله ما حطَّ يده حتى بعث الله ريحًا، وأنشأ سحابًا، فأفرغت حتى ملأت الغُدُرَ والشِّعَاب، فشربنا، وسقينا، واستقينا.

ثُمَّ أتينا عدوَّنا وقد جاوزوا خليجًا في البحر إلى جزيرةٍ، فوقف على الخليج وقال: يا عليُّ، يا عظيم، يا كريم، ثُمَّ قال: أجيزوا باسم الله، قال: فأجزنا ما يَبُلُّ الماء حوافر دوابّنا، فلم يلبث إلا يسيرًا حتى مات فدفنَّاه، فأتى رجلٌ بعد فراغنا من دفنه فقال: من هذا؟ قلنا: هذا خير البشر، هذا ابن الحضرميِّ، فقال: إنَّ هذه الأرض تلفظ الموتى -لعل ذلك لكونها رملية- فلو نقلتموه إلى ميل أو ميلين إلى أرض تقبل الموتى، فقلنا ما جزاء صاحبنا أن نعرضه للسِّباع تأكله، فاجتمعنا على نبشه، قال: فلما وصلنا إلى اللحد إذا صاحبنا ليس فيه، وإذا اللحد مَدُّ البصر، نورٌ يتلألأ، فأعدنا التّراب إلى القبر، ثُمَّ ارتحلنا.

فهذه الرواية اشتملت على عِدَّة كراماتٍ، وأوضحت كثيرًا ممَّا يذكر في رواية أبي هريرة المختصرة، وبيَّنَت وقت وفاة العلاء، وأنَّه كان في خلافة سيِّدنا عمر رضي الله عنه، وهو الموافق لما في كتب التاريخ والفُتوح.

ويستفاد من روايتي أبي هريرة وأنسٍ: أنَّ العلاء رضي الله عنه تكرَّرت كراماته بمجاوزة البحر، ونزول المطر في العهد النبويِّ والعهد العُمَريِّ، والله أعلم.

وأخرج الطَّبرانيُّ في "الأوسط"، و"الصغير" عن أبي قِرْصَافة -بكسر القاف، واسمه جَنْدُرة بن خَيْشَنَة- قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**نَضَّرَ الله امرءًا سَمِعَ مَقَالتي فوَعَاهَا وحَفِظَهَا، فرُبَّ حَامِلِ عِلمٍ إلى مَن هو أَعلَمُ مِنهُ، ثلاثٌ لا يُغِلُّ عليهنَّ القلبُ: إخلاصُ العَمَلِ، ومُناصَحَةُ الولاة، ولُزُومُ الجَماعة**».

قال: وبلغني أنَّ ابنًا لأبي قِرْصَافة أَسَرته الرُّوم، فكان أبو قِرْصَافة يناديه من سُور عَسْقَلان في وقت كلِّ صلاةٍ: يا فلان، الصَّلاةَ، فيسمعه فيجيبه،

وبينهما عرض البحر، وإسناده ضعيفٌ.

لكن أخرج الطَّبرانيُّ أيضًا بإسنادٍ رجاله ثقاتٌ -كما قال الحافظ الهيثميُّ- من طريق عزَّة بنت عياض بن أبي قِرْصَافة قالت: أَسَر الرُّوم ابنًا لأبي قِرْصَافة، فكان أبو قِرْصَافة إذا كان وقت كلِّ صلاةٍ صَعِدَ سور عَسْقَلان، ونَادىٰ: يا فلان الصَّلاة، فيسمعه وهو في بلد الرُّوم.

وقال الحافظ أبو عبدالله الضياء المقدسيُّ في "المختارة": أنبأنا أبو عبدالله محمَّد بن معمر بأصبهان، أنَّ جعفر بن عبدالواحد أخبرهم إجازة: أنبأنا أبو القاسم عبدالرحمن بن محمَّد بن أحمد بن عبدالرحمن الهمدانيُّ: أنبأنا أبو محمَّد عبدالله بن جعفر بن حيَّان-هو أبو الشّيخ- ثنا إسحق بن إسماعيل: ثنا آدم بن أبي إياسٍ: ثنا محمَّد بن نشر: ثنا محمَّد بن عامر: ثنا أبو قِرْصَافة -وكان لأبي قِرْصَافة صحبة، وكان النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قد كَسَاه بُرنسًا، وكان النَّاس يأتونه فيدعو لهم ويبارك فيهم؛ فتعرف البركة فيهم، وكان لأبي قِرْصَافة ابن في بلد الرُّوم غازيًا، وكان أبو قِرْصَافة إذا أصبح في السَّحر بعسقلان نادىٰ بأعلىٰ صوته: يا قِرْصَافة الصَّلاة؛ فيقول قِرْصَافة من بلاد الروم: لبّيك يا أبتاه؛ فيقول أصحابه: ويحك لمن تنادي؟ فيقول: لأبي وربِّ الكعبة يوقظني للصَّلاة.

قال أبو قِرْصَافة سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**من آوى إلى فِراشه، ثُمَّ قرأ سورة تبارك، ثُمَّ قال: اللهمَّ ربَّ الحلِّ والحرام، وربَّ البلد الحرام، وربَّ الرُّكن والمقام، وربَّ المشعر الحرام، وبحقِّ كلِّ آيةٍ أنزلتها في شهر رمضان، بلِّغ رُوح محمَّدٍ مِنِّي تحيةً وسلامًا، أربع مرات، وَكَّلَ الله به مَلَكين حتى يأتيَا محمَّدًا، فيقولان له ذلك، فيقول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: وعلى فلانٍ بن فلانٍ**

السَّلام منِّي ورحمة الله وبركاته». قال الضياء بعد تخريجه: لا أعرف هذا الحديث إلا بهذا الطَّريق، وهو غريبٌ جدًّا، وفي رواته من فيه بعض المقال».اهـ

قلت: الحديث أخرجه الديلميُّ، وأبو موسىٰ المدينيُّ، كلاهما من طريق أبي الشيخ.

قال أبو موسى: و«نشر» والد محمَّدٍ بالنون، قال ابن القيِّم: محمَّد بن نشر هذا هو المدنيُّ، قال فيه الأزديُّ: «متروك الحديث مجهولٌ»، قال ابن القيِّم أيضًا: «وعِلَّة الحديث أنَّه معروفٌ من قول أبي جعفر الباقر، وهذا أشبه».اهـ

قلت: لكن أحاديث إبلاغ النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم سلام من يُسلِّم عليه من أمَّته كثيرةٌ، يطول تتبُّعها، فلينظرها من أرادها في "جلاء الأفهام" لابن القيِّم، و"القول البديع" للسَّخاويِّ، و"الخصائص الكبرىٰ" للسّيوطيِّ، و"المواهب اللدنية" للقسطلانيِّ، وغيرها ففيها جملة أحاديث بأسانيد جيادٍ.

وأخرج الطبرانيُّ من طريق عبدالله بن عبيد، عن عُدَيسَة بنت أُهْبَان بن صَيفيٍّ الغِفَاريِّ: أنَّ أباها لما حضرته الوفاة أوصىٰ أن يكفَّن في ثوبين، فكفَّنوه في ثلاثةٍ، فأصبحوا فوجدوا الثوب الثالث علىٰ السَّرير، ورواه المُعلَّىٰ بن جابر بن مسلمٍ، عن أبيه، عن عُدَيسَة به.

وقال الحافظ بن عبدالبر في "الاستيعاب": أُهْبَان بن صيفي الغفاري البصري -يُكنىٰ: أبا مسلمٍ- حديثه عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في الفتنة: «**اتَّخِذ سَيفًا مِن خَشَبٍ**». ويُقال: وهبان بن صيفيٍّ روت عنه ابنته عُدَيسَة، وقصّته في القميص الذي كُفِّن فيه رواها النَّاس، وفيها آيةٌ، وذلك أنَّه: لَمَّا حضرته الوفاة قال: كفِّنوني في ثوبين، قالت ابنته: فزِدنا ثوبًا ثالثًا قميصًا،

فدفناه فيها، فأصبح ذلك القميص على المشجب موضوعًا.

وهذا خبرٌ رواه جماعةٌ من ثقات البصريين وغيرهم، منهم سليمان التيميُّ وابنه معتمر، ويزيد بن زريع، ومحمَّد بن عبدالله بن المثنى، عن المُعلَّى بن جابر بن مسلمٍ، عن عُدَيسَة بنت وهبان، عن أبيها.اهـ

وكذا ذكر هذه القصّة الحافظ في "تهذيب التهذيب" و"الإصابة".

وأخرج البزَّار، والطَّبرانيُّ عن سفينة قال: «كنتُ في البحر، فانكَسَرَت سَفينَتُنا؛ فلم نعرف الطَّريق، فإذا أنا بالأسد قد عرض لنا؛ فتأخَّر أصحابي فدنوت منه، فقلتُ: أنا سَفِينَة مَوْلَى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وقد أضللنا الطَّريق، فمشى بين يدي حتى وقفنا على الطَّريق، ثُمَّ تنحَّى ودَفَعَنِي، كأنَّه يُرِيني الطَّريق، فظننتُ أنَّه يُوَدِّعُنا» هذا لفظ البزَّار.

ولفظ الطبرانيِّ: «ركبت البحر، فانكَسَرَتْ سفينتي التي كنتُ فيها فركبتُ لَوحًا مِن ألواحها، فطَرَحَني اللَّوحُ في أَجَمَةٍ فيهَا الأسَدُ، فأقبل إليَّ يُرِيدُني، فقلت له: يا أبا الحارث، أنا سَفِينَة مَوْلَى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فطَأْطَأَ رأسهُ، وأقبل إليَّ، فدفعني بمنكبه...»، وذكر باقي القصّة نحو رواية البزَّار.

وللقصّة طُرقٌ أخرى، ورجال البزَّار والطَّبرانيِّ وُثِّقوا كما قال الحافظ الهيثميُّ، ورواها ابن سعدٍ، وأبو يعلى، وابن مَنْدَهْ، والحاكم وصحَّحها، وأبو نعيمٍ والبيهقيُّ كلاهما في "الدلائل".

وأخرج الطبرانيُّ عن الحسن قال: كان عمَّار رضي الله عنه يقول: قاتلتُ مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الجنَّ والإنس، أرسلني إلى بئر بدرٍ؛ فلقيتُ الشَّيطان في صورة الإنس، فصارعني فصرعته، فجعلتُ أدُقُّه بفِهْرٍ معي -أو

حَجرٍ معي- فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**عمَّار لَقِي الشَّيطان عند البئر، فقاتله**». فما عدا أن رجعت، فأخبرته، فقال: «**ذاك الشيطان**». في إسناده ضعفٌ.

وروىٰ الطَّبرانيُّ بإسنادٍ رجاله رجال الصّحيح -كما قال الحافظ الهيثميُّ-: «عن سعيد بن عبدالعزيز: أنَّ عمَّار بن ياسر رضي الله عنهما: أقسم يوم أُحُدٍ فهزم المشركون، وأقسم يوم الجمل فغلبوا أهل البصرة، وقيل له يوم صِفِّين لو أقسمت، فقال: لو ضربونا بأسيافهم حتىٰ نبلغ سَعَفَات هَجَر لعلمنا أنَّا علىٰ الحقِّ، وهم علىٰ الباطل فلم يُقسم فقُتل يومئذٍ، وقال يوم أُحُدٍ:

أقسمتُ يا جِبريلُ ويا مِيكَال
لا يغلبنا مَعْشرٌ ضُلَّال
إنّا علىٰ الحقِّ وهُم جُهَّال

وتقدَّم حديث: «**كم من ذي طِمْرين لا ثوب له لو أقسم على الله لأبرَّه، منهم عمَّار بن ياسر**».

وأخرج ابن سعدٍ، عن نافع قال: «بينما عثمان يخطب إذ قام إليه جَهْجَاه الغِفَاريُّ، فأخذ العصا من يده فكسرها علىٰ ركبته؛ فوقعت فيها الأكلة».

وأخرج الباورديُّ وابن السَّكن عن ابن عمر قال: «قام جَهْجَاه الغفاري إلىٰ عثمان وهو علىٰ المِنبَر، فأخذ عصاه فكسرها، فما حال علىٰ جَهْجَاه الحول حتىٰ أرسل الله في يده الأكلة، فمات منها».

وأخرج ابن السَّكن أيضًا من طريق فليح بن سليم، عن عمَّته، عن أبيها وعمِّها: «أنَّهما حضرا عثمان رضي الله عنه فقام إليه جهجاه الغِفَاريُّ حتىٰ أخذ

القضيب من يده، فوضعها على ركبته فكسرها، فصاح به النَّاس؛ فرمى الله الغِفَاريَّ في ركبته فلم يحل عليه الحول حتى مات».

وليس بين هذه الروايات تناقضٌ، بل هي محمولةٌ على أنَّ الله رمى الغِفَاريَّ في يده التي أخذ بها، وفي ركبته التي كسر عليها، وأماته بدائه قبل الحول انتقامًا لعثمان أحد الخلفاء الراشدين رضي الله عنه، والله عزيزٌ ذو انتقام.

وأخرج أبو يعلى، والطَّبرانيُّ وأبو نعيمٍ، والبيهقيُّ بإسنادٍ رجاله رجال الصّحيح عن أبي السَّفَر قال: «نزل خالد بن الوليد رضي الله عنه الحِيرة على أمير بني المَرَازِبة، فقالوا له: احذرِ السُّمَّ لا تَسقِيكَه الأعاجم، فقال: ائتوني به، فأخذه بيده، ثُمَّ اقتحمه وقال: بسم الله، فلم يضرَّه شيئًا».

وفي طريق آخر لأبي نعيم قال: «فأتى بسُمِّ ساعةٍ». وأخرجه ابن سعدٍ من وجهين آخرين.

وأخرج أبو نعيمٍ من طريق الكلبيِّ قال: «لما أقبل خالد بن الوليد في خلافة أبي بكر رضي الله عنه يريد الحيرة، بعثوا إليه عبدالمسيح، ومعه سُمُّ ساعةٍ، فقال له خالدٌ: هاته فأخذه في راحته ثُمَّ قال: بسم الله وبالله، ربِّ الأرض والسّماء، بسم الله الذي لا يضر مع اسمه داء، ثُمَّ أكل منه، فانصرف عبدالمسيح فقال: يا قوم، أكل سُمَّ ساعةٍ فلم يضرَّه فصالحوهم، فهذا أمر مصنوعٌ لهم».

وأخرج ابن أبي الدنيا بإسناد صحيح كما قال الحافظ: عن خيثمة قال: «أتى خالد بن الوليد رجلٌ معه زِقُّ خَمرٍ فقال: اللهمَّ اجعله عَسَلًا فصار عَسَلًا».

وقال ابن المبارك في كتاب "الجهاد" له: ثنا أبو عوانة، عن داود بن عبدالله،

عن حُميد بن عبدالرحمن -هو الحِميريُّ- قال: «كان رجلٌ يُقال له: حُمَمَة -من أصحاب محمَّد صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم- خرج إلىٰ أصْبَهان غازيًا في خلافة عمر رضي الله عنه -قال: وفتحت أصْبَهان في خلافة عمر رضي الله عنه - قال: فقال: اللهمَّ إنَّ حُمَمَة يزعم أنَّه يُحبُّ لقاءك، فإن كان حُمَمَة صادقًا فاعزم له عليه بصِدقه، اللهمَّ لا تَرُدَّ حُمَمَة مِن سَفَرِه هذا، قال: فأخذه بطنه فمات بأصبهان، فقام أبو موسىٰ فقال: يا أيُّها النَّاس، إنَّا والله ما سَمِعنا فيما سَمِعنا من نبيِّكم صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وفيما بلغنا علمه إلَّا أنَّ حُمَمَة شهيدٌ».

وقال ابن أبي شيبة في كتاب "فتح العراق" من مُصنَّفِه: ثنا عفَّان، ثنا أبو عوانة، ثنا داود بن عبدالله الأوديُّ، عن حُميد بن عبدالرحمن: «أنَّ رجلًا كان يُقال له: حُمَمَة من أصحاب رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم...»، فذكره بمعناه سواء، إلَّا أنَّه قال: «فأخذه الموت فمات بأصبهان، ولم يقل فأخذه بطنه، وذكر القصّة إلىٰ آخرها.

ورواها أبو داود، ومُسدَّد، وأحمد، والحارث، في مسانيدهم من طريق حُميد بن عبدالرحمن أيضًا، وفي روايتهم من الزِّيادة: أنَّ حُمَمَة قال: «وإن كان كاذبًا فاحمل عليه وإن كَرِه، اللهمَّ لا يرجع حُمَمَة من سفره هذا»، وأشار أحمد إلىٰ أنَّ عفَّان كان يقول: «فأخذه الموت»، وتارة «فأخذه البطن...» إلخ، ولا منافاة بين الرواتين، فإنَّ البطن كان سبب موته رضي الله عنه، فمن قال: أخذه الموت أراد بسبب بطنه، يؤيد هذا قول أبي موسىٰ الأشعري: «يا أيها النَّاس ما سمعنا فيما سمعنا من نبيِّكم، وفيما بلغنا عِلمه إلَّا أنَّ حُمَمَة شهيد».

يشير بذلك إلىٰ حديث أبي هريرة في "صحيح البخاريِّ" وغيره: «**الشُّهداءُ**

خمسةٌ: المطعونُ، والمَبْطُونُ، والغَريقُ، وصاحبُ الهَدْمِ، والشَّهيدُ في سبيل الله».

وفي الباب أحاديث أُخرىٰ، ثُمَّ إنَّ قصَّة حُمَمَة إسنادها صحيحٌ، وقال الحافظ الهيثميُّ -بعد أن عزاها لأحمد-: «رجاله رجال الصّحيح غير داود بن عبدالله الأوديِّ، وهو ثقةٌ وفيه خلافٌ».اهـ

وكأنَّه يعني بالخلاف ما رواه الدوريُّ عن ابن معينٍ: أنَّ داود ليس بشيءٍ، مع رواية إسحاق بن منصور عنه: أنَّه ثقةٌ.

والصَّواب: أنَّ ابن معينٍ أطلق العبارة الأولىٰ في داود بن يزيد الأوديِّ عمِّ عبدالله بن إدريس، وهو ضعيفٌ ضعَّفه ابن معينٍ وغيره.

أمَّا داود بن عبدالله الأوديُّ فثقةٌ، نقله ابن شاهين في "الثقات" عن أحمد، وفي رواية أخرىٰ عنه قال: شيخٌ ثقةٌ قديمٌ، وهو غير عمِّ ابن إدريس، وكذا وثَّقه ابن معين، وأبو داود، وغيرهما.

وروىٰ أبو داود، والنَّسائيُّ من طريق داود الأوديِّ، عن حُميد بن عبدالرحمن الحِميريِّ قال: لقيت رجلًا صَحِب النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أربع سنين، فقال: «نهىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أن تغتسل المرأة بفضل الرجل، أو يغتسل الرجل بفضل المرأة وليغترفا جميعًا».

قال ابن حزمٍ: إن كان داود عم ابن إدريس فهو ضعيفٌ وإلَّا فهو مجهولٌ، وردَّ عليه ابن مفوز وابن القطَّان.

وقال ابن القطَّان أيضًا: «كتب الحميديُّ إلىٰ ابن حزمٍ من العراق يُخبره بصحَّة هذا الحديث، وبيَّن له أمر هذا الرجل بالثقة، فلا أدري أرجع عن قوله أم لا».اهـ نقله الحافظ في "تهذيب التهذيب".

وقال في "فتح الباري" بعد أن أورد الحديث المذكور ما نصُّه: «رجاله ثِقاتٌ، ولم أقف لمن أعلَّه على حُجَّةٍ قويَّةٍ، ودعوى البيهقيِّ: أنَّه في معنى المرسل مردودةٌ؛ لأنَّ إبهام الصحابيِّ لا يضرُّ، وقد صرَّح التابعيُّ بأنَّه لقيه، ودعوى ابن حزمٍ: أنَّ داود راويه عن حُميد ابن عبدالرحمن وهو ابن يزيد الأوديُّ، وهو ضعيفٌ مردودةٌ؛ فإنَّه ابن عبدالله الأوديُّ، وهو ثقةٌ، وقد صرَّح باسم أبيه أبو داود وغيره».اهـ

وقد أطلت هنا بعض الإطالة: دفعًا لما حصل في داود الأوديِّ من الاشتباه، والله الموفِّق لا رب غيره.

وأخرج البيهقيُّ عن حبيب بن مسلمة: أنَّه أُمِّرَ على جيشٍ، فلما أتى العدوَّ قال: سمعتُ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**لا يجتمع قومٌ فيدعو بعضهم ويُؤَمِّن بعضهم، إلَّا أجابهم الله تعالى**». ثُمَّ إنَّه حمد الله تعالى، وأثنى عليه، وقال: «**اللهمَّ احْقِنْ دِمائنا، واجعل أُجُورنا أُجُورَ الشُّهداءِ**». فبينما هُم على ذلك إذ نزل أمير العدوِّ فدخل على حبيبٍ سرادقه.

قلتُ: كان حبيب بن مسلمة مجاب الدَّعوة، نقله الحافظ في "الإصابة" عن ابن أبي هبيرة برواية الطَّبرانيِّ، وعن سعيد بن عبدالعزيز وقال: «ابن حبيبٍ هو الذي فتح أرمينية».

وقال ابن سعدٍ: «لم يزل مع معاوية في حروبه، ووجهه إلى أرمينية فمات بها سنة اثنتين وأربعين ولم يبلغ خمسين».اهـ

ومن كراماته: ما رواه ابن أبي الدُّنيا، والبيهقيُّ عنه: أنَّه ناهض يومًا حِصنًا فقال: «لا حول ولا قوة إلا بالله»، وقالها المسلمون؛ فانصدع الحِصن.

وقال إسماعيل بن إسحاق القاضي: ثنا علي بن المدينيُّ: ثنا عبدالله بن مسلمة بن قَعْنَبٍ: ثنا سليمان بن بلال، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيِّب: «أنَّ زيد بن خارجة الأنصاريَّ ثُمَ من بني الحارث بن الخزرج، تُوفي في زمن عثمان بن عفان، فَسُجّي بثوبٍ، ثُمَّ إنَّهم سمعوا جلجلةً في صدره، ثُمَّ تكلَّم فقال: أحمد أحمد في الكتاب الأوَّل، وصدق صدق أبو بكر الصِّدِّيق الضعيف في نفسه، القويُّ في أمر الله في الكتاب الأول، صدق صدق عمر بن الخطاب القويُّ الأمين في الكتاب الأول، صدق صدق عثمان بن عفان على منهاجهم، مضت أربع وبقيت ثنتان، أتت الفتن، وأكل الشديد الضعيف، وقامت السَّاعة، وسيأتيكم خبر بئر أَرِيس، وما بئر أريس؟».

قال يحيى بن سعيد: قال سعيد بن المسيِّب: «ثُمَّ هَلَكَ رَجُلٌ من بني خطمة فَسُجِّي بثوبٍ، فسمعوا جَلْجَلَةً في صدره، ثُمَّ تكلَّم فقال: إن أخا بني الحارث بن الخزرج -يعني زيد بن خارجة- صدق صدق، وكانت وفاته في خلافة عثمان رضي الله عنه أيضًا»، هذا إسنادٌ صحيحٌ رجاله كلُّهم أئمَّةٌ أعلامٌ.

وللقصَّة طريقٌ آخر عند ابن مَنْدَهْ في "الصَّحابة" من جهة داود بن أبي هند عن حبيب بن سالم، عن النُّعمان بن بشير قال: «كان شاب من سَراة شباب الأنصار وخيارهم يقال له: زيد بن خارجة، وكان أبوه وأخوه سعد بن خارجة أُصيبا يوم أُحدٍ، وأنَّه تكلَّم بعد موته»، فذكر القصَّة نحو ما تقدم، ورواها أبو نعيمٍ في "معرفة الصَّحابة"، والمحامليُّ في الحادي عشر من "أماليه الأصبهانية"،ومحمَّد بن نصر بن أحمد بن محمَّد بن مكرم في الجزء الثاني من "حديثه"، ورواها ابن أبي الدنيا في جزء "من عاش بعد الموت" وهو مطبوعٌ

فليُراجع فإنَّ فيه آثارًا أُخرىٰ بهذا المعنىٰ.

وقال الحافظ ابن عبدالبر في "الاستيعاب": «زيد بن خارجة بن زيد بن أبي زهير بن مالك من بني الحارث بن الخزرج، وهو الذي تكلَّم بعد الموت لا يختلفون في ذلك»، ثُمَّ قال: أخبرنا عبدالله بن محمد بن عبدالمؤمن قال: ثنا إسماعيل بن محمَّد: ثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي وذكر القصَّة بالسَّند المذكور آنفًا.

ويقرب من هذه القصَّة ما رواه ابن أبي الدنيا قال: حدَّثني أحمد بن جميل: ثنا عبدالله بن المبارك: أنا عبدالرحمن بن عبدالله بن دينار، عن زيد بن أسلم قال:أغمي علىٰ المِسْوَر بن مَخْرَمة، ثُمَّ أفاق فقال: «أشهد أنَّ لا إله إلا الله وأنَّ محمَّدًا رسول الله أحبُّ إليَّ من الدنيا وما فيها، عبدالرحمن بن عوف في الرفيق الأعلىٰ مع الذين أنعم الله عليهم من النَّبيين والصِّدِّيقين والشُّهداء والصَّالحين وحَسُن أولئك رفيقًا، وعبدالملك والحجَّاج يَجُرَّان أمعاءهما في النَّار».

قال الحافظ في "تهذيب التهذيب": «هذا إسنادٌ صحيحٌ، ولم يكن للحجَّاج حينئذٍ ذكر ولا كان عبدالملك وَلِي الخلافة بعد؛ لأنَّ المِسْوَر مات في اليوم الذي جاء فيه نعي يزيد بن معاوية من الشَّام، وذلك في ربيع الأول سنة (٦٤)، والمِسْوَر -بكسر الميم وفتح الواو بينهما سين ساكنة- صحابيٌّ فاضلٌ، وهو ابن أخت عبدالرحمن بن عوف، وأبوه مَخْرَمة -بفتح الميم- ابن نوفل كان من مُسلِمة الفتح، وله علمٌ بالنَّسب، فكان يؤخذ عنه،عُمِّر نحو مائة وخمس عشرة سنة، مات سنة أربع وخمسين.

وأخرج ابن عساكر عن الأعمش قال: «تغوَّط رجلٌ علىٰ قبر الحسن بن

عليٍّ رضي الله عنهما، فجُنَّ فجعل يَنبَحُ كما تنبح الكلاب، ثُمَّ إنَّه مات فُسمع في قبره يَعْوي ويَصِيح».

وقال عبدالله بن وهب: أخبرني أبو صخر، عن ابن قسيط، عن إسحاق بن سعد بن أبي وقَّاص، عن أبيه: «أنَّ عبدالله بن جحش قال له يوم أُحد: ألا تأتي فندعو الله، فخلوا في ناحيةٍ فدعا سعد وقال: يا رب إذا لقيت العدوَّ غدًا فلقني رجلًا شديدًا بأسه، شديدًا حَرَدُه، أقاتله فيك ويُقاتلني، ثُمَّ ارزقني الظَّفر عليه حتَّىٰ أقتله وآخذ سلبه، فأَمَّن عبدالله ابن جحشٍ ثُمَّ قال: اللهمَّ ارزقني غدًا رجلًا شديدًا بأسه، شديدًا حَرَدُه أقاتله فيك ويقاتلني فيقتلني، ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني، فإذا لقيتك قلت: يا عبدالله فِيم جُدِعَ أنفك وأذنك؟ فأقول: فيك وفي رسولك فتقول: صدقت، قال سعدٌ: كانت دعوة عبدالله بن جحش خيرًا من دعوتي، لقد رأيته آخر النَّهار وإن أذنه وأنفه معلَّقان جميعًا في خيطٍ».

ورواه البغويُّ من طريق إسحاق بن سعد بن أبي وقاص قال: حدَّثني أبي فذكره، ورواه ابن شاهين من طريق آخر عن سعيد بن المسيِّب: «أنَّ رجلًا سمع عبدالله بن جحش...»،فذكر نحوه، وعزاه الحافظ الهيثميُّ في "مجمع الزوائد" لرواية الطبرانيِّ وقال: «رجاله رجال الصَّحيح».

وعبدالله بن جحش هذا: أحد السَّابقين، هاجر إلىٰ الحبشة ثُمَّ إلىٰ المدينة، وشَهِد بدرًا، قال ابن أبي حاتم: دعا الله يوم أُحد أن يرزقه الشَّهادة فقُتل فيها، وقال الزُّبير: «كان يقال له: المُجدَع في الله، وكان سيفه انقطع يوم أُحدٍ فأعطاه النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عُرجُون نخلٍ فصار في يده سيفًا، فكان يُسمَّىٰ العُرجُون، وقد بقي هذا السيف حتىٰ بيع من بغاء التركي بمائتي دينار».اهـ

(فائدة): عبدالله بن جحش: هو أوَّل أميرٍ في الإسلام لما رواه البغويُّ من طريق زيادة بن علاقة، عن سعد بن أبي وقاص، قال: بعثنا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في سَريّة، وقال: «لأبعثنَّ عليكم رجلًا أصبركم علىٰ الجوع والعطش». فبعث علينا عبدالله بن جحش، فكان أوَّل أميرٍ في الإسلام.

قال الحافظ اليعمريُّ: وسُمِّي في هذه السَّريّة بأمير المؤمنين، وكانت هذه السَّريّة بعد بدرٍ الأولىٰ إلىٰ بطن نخلة بين مكَّة والطَّائف، فلما رجعوا منها قال عبدالله لأصحابه: إنَّ لرسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ممَّا غنمنا الخُمس - وذلك قبل أن يفرض الله الخُمس- فكان أول خُمس في الإسلام، وأنزل الله تعالىٰ: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ الآية [الأنفال:٤١].

وأخرج مالكٌ في "الموطَّأ" عن يحيىٰ بن سعيد: أنَّه سمع عبدالله بن عامر بن ربيعة يقول: «قام عامر بن ربيعة يُصلِّي من الليل، حين نشب النَّاس في الطَّعن علىٰ عثمان رضي الله عنه، ثُمَّ نام فأتي في المنام فقيل له: قُم فاسأل الله أن يعيذك من الفتنة التي أعاذ منها صالح عباده، فقام فصلَّىٰ ودعا ثُمَّ اشتكىٰ، فما خرج بعد إلا بجنازته»، ورواه الطَّبرانيُّ عن مصعب الزبيريِّ، وقال الحافظ الهيثميُّ: «رجاله رجال الصّحيح».

وعامر بن ربيعة: من السَّابقين هاجر مع زوجه إلىٰ الحبشة ثُمَّ إلىٰ المدينة، وشَهِد بدرًا وسائر المشاهد، مات بعد قَتل عثمان بأيام رضي الله عنهما وأرضاهما.

وأخرج ابن السُّنيِّ في "عمل اليوم والليلة" عن الحسن قال: كنَّا جلوسًا مع رجلٍ من أصحاب رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فأتي فقيل له:

أدرك دارك فقد احترقت، فقال: ما احترقت، فذهب ثُمَّ جاء، فقيل له: أدرك دارك فقد احترقت، فقال: لا والله ما احترقت داري، فقيل: احترقت دارك، وتحلف بالله ما احترقت؟! فقال: إنِّي سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**من قال حين يُصبح: «ربِّي الله الذي لا إله إلا هو، عليه توكلت، وهو رب العرش العظيم، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوَّة إلا بالله العَلِيِّ العظيم، أشهد أنَّ الله على كلِّ شيءٍ قديرٌ، وأنَّ الله قد أحاط بكلِّ شيءٍ عِلْمًا، أعوذ بالله الذي يُمسك السَّماء أن تقع على الأرض إلَّا بإذنه مِن شرِّ كلِّ دابَّةٍ ربِّي آخذٌ بناصيتها، إنَّ ربِّي على صِراطٍ مُستقيمٍ» لم يُصِبْهُ في نَفْسِهِ ولا أهْلِهِ ولا مالِهِ شيءٌ يَكْرَهُهُ**». وقد قلتها اليوم، ثُمَّ قال: انهضوا بنا، فقام وقاموا معه، فانتهوا إلى داره، وقد احترق ما حولها ولم يصبها شيءٌ.

قلتُ: هذا الصّحابيُّ هو أبو الدّرداء،كذلك جاء مُفسَّرًا في رواية لابن السُّنِّي أيضًا.

وروى أبو نعيمٍ في "الحلية" عن قيسٍ قال: كان أبو الدرداء إذا كتب إلى سلمان، أو سلمان كتب إلى أبي الدرداء، كتب إليه يذكره بآية الصحفة. وكنا نتحدَّث أنَّه بينما هما يأكلان من الصحفة، فسبَّحت الصحفة وما فيها.

وروى أبو نعيمٍ أيضًا عن حصين بن عبدالرحمن، عن عمران بن الحارث، عن مولى لكعب قال: انطلقنا مع المِقداد بن الأسود، وعمرو بن عَبَسَةَ، وشافع بن حبيب الهذليِّ، فخرج عمرو بن عَبَسَة يومًا للرعيَّة، فانطلقت نصف النَّهار – يعني: لأراها- فإذا سحابةٌ قد أظلَّته ما فيها عنه فضل، فقال: إنَّ هذا شيءٌ أتينا به، لئن علمت أنَّك أخبرت به لا يكون بيني وبينك خيرٌ، قال: فوالله ما

أخبرت به حتى مات.

قلتُ: عمرو بن عَبَسَة السُّلَميُّ صحابيٌّ قديم الإسلام كان يقول: «لقد رأيتني وأنا ربع الإسلام»، وفي رواية: «وأنا رابع الإسلام».

وأخرج الترمذيُّ، والحاكم، وابن عديٍّ، والبيهقيُّ عن ابن عبَّاسٍ قال: ضَرَب بعض أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم خِبَاءَه على قبرٍ وهو لا يحسب أنَّه قبرٌ، وإذا فيه إنسانٌ يقرأ (سورة المُلك) حتى ختمها فأتى النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فأخبره، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**هي المُنْجِية، هي المانعة، تُنجِيه من عذاب القبر**». وهذه كرامةٌ كبيرةٌ كما لا يخفى.

قال الإمام كمال الدين ابن الزملكانيِّ في كتاب "العمل المقبول في زيارة الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم": «هذا الحديث واضح الدلالة: على أنَّ الميت كان يقرأ في قبره (سورة المُلك)، وقد وقع في هذه الرواية ذكر إكرام الله بعض أوليائه بذلك، وإكرام بعضهم بالصَّلاة وكان يدعو الله في حياته بذلك، فإذا كان من كرامة الله لأوليائه تمكينهم من الطَّاعة والعبادة في القبر، فالأنبياء بطريق الأولى».اهـ

وقال الحافظ بن رجب في كتاب "أهوال القبور": «بعض أهل البرزخ يكرمه الله تعالى بأعماله الصّالحة في البرزخ، وإن لم يحصل له بذلك ثواب تلك الأعمال لانقطاع عمله بالموت، لكن إنَّما يبقى عمله عليه ليتنعَّم بذكر الله تعالى وطاعته كما يتنعَّم بذلك الملائكة، وأهل الجنَّة في الجنَّة وإن لم يكن لهم ثواب على ذلك؛ لأنَّ نفس الذِّكر والطَّاعة أعظم نعيمًا عند أهلها من جميع نعيم أهل الدُّنيا ولذَّتها، فما تنعَّم المتنعِّمون بمثل ذكر الله وطاعته».اهـ

وهذا الحديث قد زعم بعض جهلة الوهَّابيين -وكُلُّهم جهلةٌ- في كُتيِّبٍ له سمَّاه "القول المبين" أنَّه مكذوبٌ.

وهو زَعْمٌ باطلٌ كما بيَّنته في ردِّي عليه المُسمَّى بـ "الردُّ المحكم المتين على كتاب القول المبين في حكم دعاء ونداء الموتى من الأنبياء والصالحين"، وهو ردٌّ واسعٌ مفيدٌ لا يُستغنى عنه.

وأخرج ابن مَنْدَهْ، وأبو أحمد الحاكم في "الكُنى" بإسنادٍ ضعيفٍ -كما قال الحافظان ابن رجب والسيوطيُّ- عن طلحة بن عُبيدالله رضي الله عنه -أحد العشرة- قال: أردت مالي بالغابة فأدركني الليل، فأويت إلى قبر عبدالله بن عمرو بن حرام -والد جابر- فسمعتُ قراءةً من القبر ما سمعت أحسن منها، فجئتُ إلى النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فذكرت ذلك له فقال: «**ذاك عبدالله، ألم تعلم أنَّ الله قبض أرواحهم فجعلها في قناديل من زبرجد، وعلَّقها في وسط الجنَّة فإذا كان الليل رُدَّت إليهم أرواحهم، فلا تزال كذلك حتى إذا طلع الفجر رُدَّت أرواحهم إلى مكانها الذي كانت فيه**».

وقال شَبَابة بن سَوَّار: ثنا المغيرة بن مسلمٍ، عن حُصين، عن عبدالله بن عُبيد الأنصاري قال: «كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن شَمَّاس -وكان أُصيب يوم اليمامة- فلما أدخلناه القبر سمعناه يقول: محمد رسول الله، أبو بكر الصديق، عمر الشهيد، عثمان الرحيم، فنظرنا فإذا هو ميت».

أخرجه أبو عبدالله بن مخلد من طريق الأعمش عن شبابة، ورواه ابن أبي الدنيا في جزء "من عاش بعد الموت" من طريق خلف البزار عن خالد الطحان عن حصين به ولفظه: «أن رجلًا من قتلى مسيلمة تكلم فقال: محمد رسول الله،

أبو بكر الصديق، عثمان اللين الرحيم».

قلت: كان ثابت بن قَيس بن شَمَّاس الأنصاريُّ -خطيب الأنصار- وكان يقال له خطيب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، شهد أُحدًا وما بعدها واستشهد باليمامة.

ومن كراماته في تلك الواقعة: ما رواه هشام بن عمَّار عن صدقة بن خالد: ثنا عبدالرحمن بن يزيد بن جابر: حدَّثني عطاء الخراسانيُّ قال: حدَّثتني ابنة ثابت بن قيس بن شَمَّاس قالت: لما نزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ الآية [الحجرات:٢]، دخل أبوها بيته وأغلق عليه بابه، ففقده النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وأرسل إليه يسأله ما خبره؟ فقال: أنا رجلٌ شديد الصَّوت أخاف أن يكون قد حَبِط عملي، قال: «**لست منهم، بل تعيش بخيرٍ وتموت بخيرٍ**».

قالت: ثُمَّ أنزل الله عزَّ وجلَّ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦]، فأغلق عليه بابه وطَفِق يبكي، ففقده النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فأرسل إليه، فأخبره وقال: يا رسول الله إنِّي أُحبُّ الجمال، وأُحبُّ أن أَسُود قومي، فقال: «**لست منهم بل تعيش حميدًا، وتُقتل شهيدًا وتدخل الجنَّة**».

قالت: فلما كان يوم اليمامة خرج مع خالد بن الوليد إلى مُسيلمة، فلمَّا التقوا انكشفوا، فقال ثابتٌ وسالمٌ مولى أبي حذيفة: ما هكذا كنَّا نُقاتل مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ثُمَّ حفر كلُّ واحدٍ منهما له حفرةً فثبتا وقاتلا حتى قُتلا، وعلى ثابتٍ يومئذ دِرعٌ نفيسةٌ فمرَّ به رجلٌ من المسلمين فأخذها، فبينما رجلٌ من

المسلمين نائمٌ إذا أتاه ثابتٌ في المنام فقال له: إنِّي أوصيك بوصيّة، فإيّاك أن تقول هذا حلمٌ فتضيّعه، إنِّي لما قُتلت أمس مرَّ بي رجلٌ من المسلمين فأخذ دِرعي، ومنزله في أقصىٰ النَّاس وعند خِبائه فرسٌ يَستنُّ في طوله، وقد كَفَأ علىٰ الدِّرع بُرْمَةً وفوق البُرْمَة رحلٌ، فائتِ خالدًا فمُره أن يبعث إلىٰ درعي فيأخذه، وإذا قدمت المدينة علىٰ خليفة رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم -يعني أبا بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه- فقل له: إنَّ عليَّ من الدَّين كذا وكذا، وفلانٌ من رقيقي عتيقٌ وفلان.

فأتىٰ الرجل خالدًا فأخبره، فبعث إلىٰ الدِّرع فأتىٰ بها، وحدَّث أبا بكر برؤياه فأجاز وصيّته، قال: ولا نعلم أحدًا أجيزت وصيته بعد موته غير ثابت بن قيسٍ رضي الله عنه. هكذا ذكره بن عبدالبر في "الاستيعاب".

ورواه الطبرانيُّ من هذا الطَّريق، ومن طريق أنس بن مالكٍ.

وقال الحافظ الهيثميُّ: «كلٌّ من الطَّريقين رجاله رجال الصّحيح، قال: إلَّا أنَّ بنت ثابت بن قيس لم أعرفها، والظَّاهر أنَّها صحابيّةٌ، فإنَّها قالت: سمعت أبي».اهـ

وذكر ابن القيِّم هذه القصّة في المسألة الأولىٰ من كتاب "الروح" وبين وجه عمل أبي بكر الصِّدِّيق، وخالد بن الوليد بهذه الرؤيا، وإنفاذ وصيّة صاحبها.

ونظير هذه القصّة ما ذكره ابن القيِّم أيضًا حيث قال: وصحَّ عن حمَّاد بن سلمة، عن ثابتٍ، عن شَهْر بن حَوْشَبٍ: «أنَّ الصَّعب بن جَثَّامة وعوف بن مالك كانا متواخيين، قال صعبٌ لعوفٍ: أي أخي أيُّنا مات قبل صاحبه فليترايا له، قال: أويكون ذلك؟! قال: نعم، فمات الصَّعب، فرآه عوف فيما يرىٰ النائم كأنَّه قد أتاه، قال: قلت: أي أخي، قال: نعم، قلت: ما فُعل بكم؟ قال: غُفر لنا بعد المصائب، قال: ورأيت لمعة سوداء في عنقه، قلت: أي أخي ما

هذا؟ قال: عشرة دنانير استسلفتها من فلانٍ اليهوديِّ فهنَّ في قرني فأعطوه إياها، واعلم أي أخي، أنَّه لم يحدث في أهلي حَدَثٌ بعد موتي إلا قد لحق بي خبره، حتىٰ هِرَّة لنا ماتت منذ أيامٍ، واعلم أنَّ بنتي تموت إلىٰ ستة أيام فاستوصوا بها معروفًا.

فلمَّا أصبحتُ قلت: إنَّ في هذا لمعلمًا، فأتيت أهله فقالوا: مرحبًا بعوفٍ، أهكذا تصنعون بتركة إخوانكم؟ لم تقربنا منذ مات صعبٌ، قال: فاعتللت بما يعتلُّ به النَّاس، فنظرت إلىٰ القرن فأنزلته فانتثلت ما فيه، فوجدت الصرة التي فيها الدنانير، فبعثت بها إلىٰ اليهوديِّ فقلتُ: هل كان لك علىٰ صعبٍ شيءٌ؟ قال: رَحِم الله صعبًا كان من خيار أصحاب رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم هي له، قلت: لتخبرني،قال: نعم أسلفته عشرة دنانير، فنبذتها إليه، قال: هي والله بأعيانها، قال: قلتُ: هذه واحدةٌ، قال: فقلت: هل حَدَث فيكم حدثٌ بعد موت صعب؟ قالوا: نعم حَدَث فينا كذا، حَدَث فينا كذا، قال: قلتُ: اذكروا، قالوا: نعم هِرَّة ماتت منذ أيامٍ، فقلتُ: هاتان اثنتان، قلتُ: أين ابنة أخي؟ قالوا: تلعب، فأتيت بها فمسستها فإذا هي محمومةٌ، فقلت: استوصوا بها معروفًا، فماتت لستَّة أيام».

قلت: رواها ابن أبي الدنيا من هذا الطريق.

وأخرج أبو بكر بن لال في كتاب "المتحابين" من طريق جعفر بن سليمان، عن ثابتٍ قال: آخىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بين عوف بن مالك والصَّعب بن جَثَّامة، فقال كل منهما للآخر: إن مِتَّ قبل فتراء لي، فمات الصَّعب قبل عوف فتراءىٰ له...، وذكر القصَّة نحو ما سبق، وهذه أيضًا كرامةٌ لا تخفىٰ.

ووردت القصّة على وجهٍ آخر -قال الحافظ بن رجب: وهو أشبه- فروى ابن المبارك في كتاب "الزهد" عن أبي بكر بن أبي مريم، عن عطيَّة بن قيسٍ، عن عوف بن مالك الأشجعيِّ: «أنَّه كان مواخيًا لرجل من قيسٍ يقال له: مُحلِّم، ثم إن مَحلِّمًا حضره الوفاة فأقبل عليه عوفٌ فقال: يا مُحلِّم إذا أنت وردت فارجع إلينا فأخبرنا بالذي صُنع بك، قال مُحلِّم: إن كان ذلك يكون لمثلي فعلت، فقُبض مُحلِّم، ثُمَّ ثوى عوف بعده عامًا فرآه في منامه فقال: يا مُحلِّم ما صنعتَ وما صُنع بك؟ فقال له: وُفِّينا أجورنا، قال: كلُّكم، قال: كلُّنا إلَّا الأحراض - هلكوا في الشر- الذين يُشار إليهم بالأصابع، والله لقد وُفِّيت أجري كلَّه حتى وُفِّيت أجر هِرَّةٍ ضلَّت لأهلي قبل موتي بليلةٍ، فأصبح عوفٌ فغدا إلى امرأة مُحلِّم، فلما دخل قالت: مرحبا زور صعب بعد مُحلِّم، فقال عوفٌ: هل رأيت مُحلِّمًا منذ تُوفِّي؟ قالت: نعم رأيته البارحة، ونازعني في ابنتي ليذهب بها معه، فأخبرها عوف بالذي رأى، وما ذكر من الهِرَّة التي ضلَّت، فقالت: لا علم لي بذلك، خدمي أعلم، فدعت خدمها فسألتهم فأخبروها: أنَّها ضلَّت لهم هِرَّةٌ قبل موت مُحلِّم بليلةٍ».

قلت: مُحلِّم -بضم الميم وكسر اللام المشددة- هو ابن جَثَّامة، اختلف في موته فقيل: مات في العهد النَّبويِّ ولفظته الأرض بضع مرات فوضعوه بين صدين، وقيل: مات بعد ذلك، وقصّته هذه إسنادها ضعيفٌ، فلا تكون أشبه من قصة أخيه الصَّعب التي إسنادها حسنٌ.

وأخرج الطَّبرانيُّ بإسنادين -قال الحافظ الهيثميُّ: أحدهما حسنٌ- عن ابن عبَّاسٍ قال: بينما رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم جالسٌ وأسماء بنت

عُمَيسٍ قريبةٌ منه إذ ردَّ السَّلام، ثُمَّ قال: «**يا أسماء هذا جعفر بن أبي طالبٍ مع جبريل وميكائيل صلَّى الله عليهما، مرُّوا فسلَّموا علينا فرددتُ عليهم السَّلام، وأخبرني أنَّه لَقِي المشركين يوم كذا وكذا فأُصبتُ في جسدي من مَقادِيمي ثلاثًا وسبعين بين طَعنةٍ وضَربةٍ، ثُمَّ أخذتُ اللِّواء بيدي اليُمنى فقُطعتْ، ثُمَّ أخذته باليسار فقُطعتْ؛ فعوَّضني الله من يدي جَناحين أطير بهما مع جبريل وميكائيل في الجنَّة أنزل بهما حيث شِئتُ، وآكل من ثمارها حيث شِئتُ**».

فقالت أسماء: هنيئًا لجعفرٍ ما رزقه الله من الخير، ولكنِّي أخاف ألَّا يُصدِّقني النَّاسُ فاصعد المنبر فأخبر النَّاسَ يا رسول الله.

فصَعِد المِنبَر فحَمِد الله وأثنىٰ عليه، ثُمَّ قال: «**أيُّها النَّاسُ إنَّ جعفر بن أبي طالبٍ مع جبريل وميكائيل له جَناحان عوَّضه الله من يديه يطير بهما في الجنَّةِ حيث شاء، فسلَّم عليَّ فأخبر كيف كان أمرهم حين لقي المشركين**». فاستبان للنَّاس بعد ذلك أنَّ جعفرًا لقيهم؛ فسُمِّىٰ جعفر الطيَّار في الجنَّة ذا جناحين يَطيرُ بهما حيث شاء، مخصوبةٌ قوادمه بالدِّماء.

وأخرج الطَّبرانيُّ بإسنادٍ حسنٍ كما قال الحافظ: عن عبدالله بن جعفر قال: قال لي رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**هنيئًا لك، أبوك يطير مع الملائكة في السَّماء**». وللحديث طُرقٌ عن عليٍّ، وأبي هريرة، وغيرهما.

وفي "صحيح البخاريِّ" عن الشَّعْبِي: أنَّ ابن عمر كان إذا سلَّم علىٰ ابن جعفرٍ قال: السَّلام عليك يا ابن ذي الجناحين.

قال السهيليُّ: «ليس الجناحان -كما يسبق إلىٰ الوهم- كجناحي الطَّائر وريشه؛ لأنَّ الصُّورة الآدميّة أشرف الصُّور وأكملها، فالمراد بالجناحين صفةٌ

مَلَكيَّةٌ، وقوَّةٌ روحانيةٌ أُعطيها جعفر، وقد عبَّر القرآن عن العضُد بالجناح توسُّعًا في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾ [القصص:٣٢].

وقال العلماء في أجنحة الملائكة: إنَّها صفاتٌ مَلَكيَّةٌ لا تُفهم إلا بالمعاينة، فقد ثبت: أنَّ لجبريل ستمائة جناحٍ، ولا يعهد للطير ثلاثة أجنحة فضلًا عن أكثر من ذلك، وإذا لم يثبت خبرٌ في بيان كيفيَّتها فنؤمن بها من غير بحثٍ عن حقيقتها».اهـ

قال الحافظ: «وهذا الذي جزم به في مقام المنع، والذي نقله عن العلماء ليس صريحًا في الدلالة لما ادَّعاه، ولا مانع من الحمل علىٰ الظَّاهر إلَّا من جهة ما ذكره من المعهود -وهو من قياس الغائب علىٰ الشَّاهد- وهو ضعيفٌ، وكون الصّورة البشريّة أشرف الصّور لا يمنع من حمل الخبر علىٰ ظاهره؛ لأنَّ الصّورة باقيةٌ.

وقد روىٰ البيهقيُّ في "الدلائل" من مرسل عاصم بن عمر بن قتادة: «**أنَّ جناحي جعفر من ياقوتٍ، وجاء في جناحي جبريل أنَّهما لؤلؤٌ**». أخرجه ابن مَنْدَهْ في ترجمة ورقة».اهـ.

والحديث الأخير: رواه الطَّبريُّ، والبغويُّ، وابن قانعٍ، وابن السَّكن، وغيرهم في الصّحابة من طريق روح بن مسافر، عن الأعمش، عن عبدالله بن عبدالله، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عبَّاسٍ، عن ورقة بن نوفل قال: قلتُ: يا محمَّد كيف يأتيك الذي يأتيك؟ قال: «**يأتيني من السَّماء جناحاه لؤلؤٌ وباطن قدميه أخضر**».

قال ابن عساكر: «لم يسمع ابن عبَّاسٍ من ورقة».اهـ

ورَوح بن مُسافرٍ متروكٌ، لكن أخرج ابن مَرْدُويَه من طريق عاصمٍ، عن زِرٍّ، عن عبدالله بن مسعودٍ قال: «رأىٰ محمَّدٌ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم جبريل له ستُّمائة جناحٍ يتناثر من ريشه التّهاويل من الدرِّ والياقوت»، ورواه النَّسائيُّ من هذا الطَّريق ولفظه: «يتناثر منها تهاويل الدرِّ والياقوت».

ورواه ابن حِبَّان، والبيهقيُّ، وأبو نعيمٍ من طريق زِرٍّ عن ابن مسعودٍ في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾[النجم: ١٣]، قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**رأيتُ جبريل عند سِدْرَةِ المُنتهَى له ستُّمائة جناحٍ يَنتَثِر مِن رِيشِهِ تهاويل الدُّرِّ والياقوت**».

والمقصود: أنَّ طيران جعفرٍ مع جبريل وميكائيل عليهما السَّلام كرامةٌ كبيرةٌ أكرمه الله بها.

وأخرج الطَّبرانيُّ عن أبي رجاء العطارديِّ قال: «لا تسبُّوا عليًّا ولا أحدًا مِن أهل البيت فإنَّ جارًا لنا من بَلْهُجَيمٍ قال: ألم تروا إلىٰ هذا الفاسق الحسين بن عليٍّ قاتله الله؛ فرماه الله بكوكبين في عينيه فطمس الله بصره». وقال الحافظ الهيثميُّ: «رجاله رجال الصّحيح».

وأخرج الطَّبرانيُّ أيضًا عن الزهريِّ قال: «قال لي عبدالملك -يعني ابن مروان- أي واحدٍ أنت إن أعلمتني أنَّ علامةً كانت يوم قُتل الحسين؟ فقال: قلتُ: لم تُرفع حصاةٌ ببيت المقدس إلَّا وُجد تحتها دم عبيطٌ، فقال لي عبدالملك: إنِّي وإيَّاك في هذا الحديث لقرينان». قال الحافظ الهيثميُّ: «رجاله ثقاتٌ».

وأخرج أيضًا عن دُوَيدٍ الجُعْفيِّ، عن أبيه قال: «لما قُتل الحسين رضي الله عنه انتُهبت جزورٌ من عسكره، فلمَّا طُبخت إذا هي دمٌ». قال الهيثميُّ: «رجاله ثقاتٌ».

وأخرج أيضًا عن حاجب عُبيدالله بن زيادٍ، قال: «دخلتُ القصر خلف عُبيدالله بن زيادٍ حين قُتل الحسين، فاضطرم في وجهه نار، فقال: هكذا بكمِّه على وجهه، فقال: هل رأيت؟ قلت: نعم، وأمرني أن أكتم ذلك».

قال الهيثميُّ: «حاجب عبيد الله لم أعرفه، وبقيّة رجاله ثقاتٌ».

وأخرج أيضًا عن الشَّعْبِي قال: «رأيت في النّوم، كأنَّ رجالًا من السَّماء نزلوا معهم حرابٌ يتتبَّعون قتلة الحسين، فما لبثت أن نزل المختار فقتلهم».

قال الهيثميُّ: «سنده حسنٌ».

وأخرج أيضًا عن الأعمش قال: «تغوَّط رجلٌ على قبر الحسين؛ فأصاب أهل ذلك البيت خَبَلٌ وجُنونٌ وجُذَامٌ وبَرصٌ وفقرٌ».

قال الحافظ الهيثميُّ: «رجاله رجال الصَّحيح».

وقال الذهبيُّ في **"تذكرة الحفَّاظ"**: قرأتُ على أحمد بن إسحاق: أخبركم الفتح بن عبدالسَّلام: أنَّ هبة الله بن الحسين أخبرهم قال: أنا أحمد بن محمَّد البزَّار: أنا عليُّ بن عيسى إملاءً: أنا أبو بكر محمَّد بن الحسن المقري: حدَّثني أبو العباس أحمد بن يحيى: أنا عمر بن شبة: أنا عُبيد بن جناد: أخبرني عطاء بن مسلمٍ قال: قال السُّدِّيُّ: «أتيت كربلاء أبيع البَزَّ بها، فعمل لنا شيخٌ من طيءٍ طعامًا فتعشَّينا عنده، فذكر قتل الحسين، فقلت: ما شرك أحدٌ في قتله إلا مات بأسوأ ميتة، فقال: ما أكذبكم يا أهل العراق فأنا ممَّن شرك في ذلك، فلم نبرح حتى دنا من المصباح ليصلحه وهو يتَّقد، فذهب يخرج الفتيلة بأصبعه فأخذت النَّار فيها، فأخذ يُطفئها بريقه فأخذت النار لحيته، فعدا فألقى نفسه في الماء فرأيته كأنَّه حممة».

قلتُ: السُّدِّيُّ راوي هذه الكرامة هو السُّدِّيُّ الكبير، وهو ثقةٌ، بخلاف السُّدِّيِّ الصغير فهو هالكٌ، والكرامات التي ظهرت عند مقتل الحسين بن علي رضوان الله عليهما فيمن قتله أو أعان عليه كثيرةٌ يطول تتبُّعها.

وأخرج البخاريُّ في "الصَّحيح" عن أنسٍ: «أنَّ عمر رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعبَّاس بن عبدالمطلب رضي الله عنه فقال: اللهمَّ إنَّا كنَّا نتوسَّلُ إليك بنبيِّنا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فتسقِينا، وإنا نتوسَّلُ إليك بعمِّ نبيِّنا فاسقنا، قال: فيُسقَون».

وقال ابن عبدالبر في "الاستيعاب": روينا من وجوهٍ عن عمر: أنَّه خرج يَستسقي وخرج معه بالعبَّاس فقال: «اللهمَّ إنَّا نتقرَّب إليك بعمِّ نبيِّك صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ونستشفع به، فاحفظ فيه لنبيِّك صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كما حفظت الغلامين لصلاح أبيهما...» وذكر بقيَّة الخبر، وفي آخره: «فوالله ما برحوا حتى اعتلقوا الجدر، وقلصوا المآزر، وطَفِق النَّاس بالعبَّاس يمسحون أركانه، ويقولون: هنيئًا لك ساقي الحرمين».

وأخرج الزُّبير بن بكار في «الأنساب» بإسناده: أنَّ العبَّاس لما استقى به عمر قال: «اللهمَّ إنَّه لم ينزل بلاءٌ إلَّا بذنبٍ، ولم يُكشف إلَّا بتوبةٍ، وقد توجَّه القوم بي إليك لمكاني مِن نبيِّك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب، ونواصينا إليك بالتوبة فاسقنا الغيثَ؛ فأرخت السَّماء مثل الجبال حتى أخصبت الأرض وعاش النَّاس».

(تنبيه): جعل الوهَّابيُّون هذا الأثر حُجَّتهم في منع التّوسُّل بالنَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعد وفاته، وابن تيمية أكثر من الاستدلال به لهذا المعنى في

كثيرٍ من مؤلّفاته، وهو لا يدلُّ على شيءٍ ممَّا زعموه، كما بيَّنته من عِدَّة وجوهٍ في كتابي "الردُّ المحكم المتين على كتاب القول المبين".

وأخرج ابن سعدٍ، والبيهقيُّ عن ثابت البُنانيِّ قال: «جاء قَيِّمُ أنس بن مالكٍ في أرضه، فقال: عطشت أرضك، فصلَّى ثُمَّ دعا فثارت سحابةٌ، فجاءت وغشيت أرضه، ومطرت حتى ملأت صهريجه -وذلك في الصَّيف- فأرسل بعض أهله فقال: انظروا أين بلغت فإذا هي لم تعد أرضه»، ورواه ابن سعدٍ من طريق ثُمامة بن عبدالله.

وفي "الإصابة" للحافظ ابن حجرٍ: وقال جعفر بن سليمان: عن ثابتٍ قال: كنت مع أنسٍ فجاء قهرمانة، فقال أبا حمزة: «عطشت أرضنا...»، وذكر الخبر نحوه، غير أنَّه قال: «فنظر فإذا هي لم تعد أرضه إلا يسيرًا».

وأخرج أحمد في "الزهد" والدارمي في "السنن" عن الحسن: أنَّ هَرِم بن حَيَّان مات في غزاة له في يومٍ صائفٍ، فلمَّا فرغ النَّاس من دفنه جاءت سحابةٌ حتى كانت حِيال القبر فرشَّت القبرَ حتى رُوِيَ لم تجاوزه قطرة، ثَمَّ عادت عودها على بدئها.

ورواه أبو نعيمٍ بلفظ: «مات هَرِم في يوم صائفٍ شديد الحرِّ، فلما نفضوا أيديهم عن قبره جاءت سحابة تسير حتى قامت على القبر، فلم تكن أطول منه ولا أقصر منه رشَّته حتى روته ثُمَّ انصرفت». وفي لفظ له آخر: «لما مات جاءت سحابة فأظلت سريره، فلما دفن رشَّت على القبر فما أصابت حول القبر شيئًا».

وأخرج أبو نعيمٍ أيضًا عن قتادة قال: «أُمطِر قبر هَرِم من يومه، وأنبت

العُشْب من يومه».

قلت: هَرِم -بفتح الهاء وكسر الراء- ابن حَيَّان العبديُّ، قال ابن عبدالبر: «من صِغار الصّحابة، افتتح قلعة بجرة عُنوةً في عهد عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه».

وفي "تاريخ البخاريِّ" من طريق الأعمش، حدَّثنا عامر، حدَّثني أبو زيد بن خليفة: أنَّه لقي رجلًا من أصحاب النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم هَرِم بن حَيَّان بن عبدالقيس، فقال: أَمِن أهل الكوفة أنت؟ قال: نعم، قال: تسألني وفيكم عبدالله بن مسعود؟!.

وعدَّه ابن أبي حاتمٍ في الزّهاد الثمانية من كبار التّابعين، وقال العسكريُّ: «كان من خيار التّابعين».

وكذا ذكره في التّابعين أبونعيم في "الحلية" فقال في الطَّبقة الأولى من التّابعين: «ومنهم الهائم الحيران، القائم العطشان هَرِم بن حَيَّان، عاش في حُبِّه ولهان حَرِقًا، وعاد قبره حين دفن ريَّان غَدِقًا». اهـ

هذا ما رأينا أن نذكره من كرامات الصَّحابة الأجلَّاء من غير حصرٍ ولا استقصاءٍ، إذ أنَّ فيه عُسرًا وعناءًا؛ لانتشار كراماتهم الكثيرة في كتب السُنَّة، والزُّهد، والتّراجم، والسِّير، وغيرها، وختمنا هذا الفصل بذكر هَرِم بن حَيَّان لحصول الخلاف في صُحبته كما بيَّنَّاه، وما توفيقنا إلَّا بالله.

الفصل الخامس

فيما ورد من الكرامات عن التَّابعين وغيرهم

وهذا فصلٌ واسعٌ جدًّا يتعذَّرُ على الباحث تتبُّعه باستيفاءٍ؛ لأنَّ ما حصل على يد زُهَّاد الأُمَّة وأوليائها من الكرامات والفضائل يفوق عدد رَمْل عالج، لكنَّا مع ذلك نذكر جملةً وافرةً تكون عُنوانًا لغيرها ودليلًا عليه فنقول:

أخرج الحسن بن عرفة قال: ثنا عبدالله بن إدريس الأوديُّ، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي سَبْرَة النَّخعيِّ قال: «أقبل رجلٌ من اليمن، فلمَّا كان في بعض الطريق نفق حماره؛ فقام فتوضأ وصلَّى ركعتين ثُمَّ قال: «اللهمَّ إنِّي جئتُ مُجاهدًا في سبيلك، وابتغاء مرضاتك، وأنا أشهد أنَّك تُحيي الموتى وتبعث من في القبور، لا تجعل لأحدٍ عليَّ اليوم مِنَّةً أطلب إليك أن تبعث لي حماري، فقام الحمار يَنفضُ أُذَنيه».

وأخرجه البيهقيُّ في "الدلائل" من هذا الطَّريق وقال: «هذا إسنادٌ صحيحٌ، ومثل هذا يكون معجزةً لصاحب الشَّريعة حيث يكون في أُمَّته من يُحيي الله له الموتى كما سبق ويأتي».اهـ

وأخرجه هو، وابن أبي الدنيا من طريقٍ آخر عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشَّعْبِي مثله زاد الشَّعْبِي: «فأنا رأيت الحِمار يباع في الكُنَاسة»، قال البيهقيُّ: فكأنَّ إسماعيل سمعه منهما.

وأخرجه هو، وابن أبي الدنيا عن مسلم بن عبدالله بن شريك النَّخعيِّ قال: «خرج نباتة بن يزيدٍ -رجلٌ من النَّخع- في زمن عمر بن الخطَّاب غازيًا...» فذكر نحوه، وزاد، فقال رجل من رهطه أبياتًا منها:

ومِنَّـا الـذي أَحيـى الإلـهُ حِمـارَه وقد ماتَ مِنه كلُّ عُضوٍ ومَفصَل

وأخرج أحمد في "الزهد" والبيهقيُّ وصحَّحه من طريق سليمان بن المغيرة عن حميد: «أنَّ أبا مسلمٍ الخَوْلانيَّ جاء إلى الدِّجلة وهي ترمي بالخشب في مدِّها فوقف عليها، ثُمَّ حمد الله وأثنى عليه وذكر تسيير بني إسرائيل في البحر، ثُمَّ نهر دابَّته فانطلقت تخوض به، واتَّبعه النَّاس حتى قطعها والتفت إلى أصحابه وقال: هل تفقدون من متاعكم شيئًا حتى ندعو الله تعالى فيرده؟».

وأخرج أبو نعيمٍ في "الحلية" عن شُرَحْبيل الخَوْلانيِّ قال: «تنبَّأ الأسود بن قيس بن ذي الخمار العَنْسيُّ باليمن، فأرسل إلى أبي مسلمٍ فقال له: أتشهد أنَّ محمَّدًا رسول الله؟ قال: نعم، قال: فتشهد أنِّي رسول الله؟ قال: ما أسمع، قال: فأمر بنارٍ عظيمةٍ فأُجِّجَتْ وطُرِح فيها أبو مسلمٍ فلم تَضُرَّه، فقال له أهل مملكته: إن تركت هذا في بلدك أفسدها عليك، فأمره بالرَّحيل.

فقَدِم المدينة وقد قُبض رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم واستُخلف أبو بكرٍ رضي الله عنه، فعقل راحلته على باب المسجد، وقام إلى ساريةٍ من سواري المسجد يُصلِّي إليها، فبصر به عمر رضي الله عنه فأتاه فقال: مِن أين الرجل؟ قال: من اليمن قال: فما فعل عدوُّ الله بصاحبنا الذي حرقه بالنَّار فلم تضرَّه، قال: ذاك عبدالله بن ثُوَبٍ قال: ناشدتك بالله أنت هو؟ قال: اللهمَّ نعم، قال: فقبَّل ما بين عينيه، ثُمَّ جاء به حتى أجلسه بينه وبين أبو بكرٍ وقال: الحمد لله الذي لم يُمتني من الدنيا حتى أراني في أُمَّة محمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مَن فُعل به كما فُعل بإبراهيم خليل الرحمن عليه الصَّلاة والسَّلام».

قال الحوطيُّ: قال إسماعيل بن عيَّاش: «فأنا أدركتُ قومًا من المدادين

الذين مدوا من اليمن يقولون لقومٍ من عَنْسٍ: صاحبكم الذي حرق صاحبنا بالنَّار فلم تضره».

ورواه ابن سعدٍ في "الطبقات" من طريق شُرَحْبيل الخَوْلانيِّ أيضًا.

وقال ابن عبدالبر في "الاستيعاب": «أبو مسلمٍ الخَوْلانيُّ العابد أدرك الجاهليّة، وأسلم قبل وفاة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ولم يرَ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وقَدِم المدينة حين قُبض رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم واستُخلف أبو بكرٍ رضي الله عنه، فهو معدودٌ في كبار التَّابعين، عِداده في الشَّاميين اسمه عبدالله بن ثُوَبٍ -بضم المثلثة وفتح الواو- وقيل: عبدالله بن عوف والأول أكثر وأشهر، كان فاضلًا ناسكًا عابدًا، وله كراماتٌ وفضائل.

ومن نوادر أخباره وكراماته: ما حدَّثنا عبدالوارث بن سفيان: ثنا قاسم بن أصبغ: ثنا أحمد بن زهير: ثنا عبدالوهَّاب بن نجدة الحوطيُّ: ثنا إسماعيل بن عيَّاش قال: أخبرنا شُرَحبيل بن مسلمٍ الخَوْلانيُّ: أنَّ الأسود بن قيس بن ذي الخمار تنبَّأ باليمن... وذكر الخبر نحو ما تقدَّم.

قال إسماعيل بن عيَّاش: فأنا أدركت رجلًا من الأمداد الذين يمدون من اليمن من خَوْلان -يعني لأجل الغَزو والجهاد- يقول للأمداد -من عَنْس-: صاحبكم الكذَّاب حرق صاحبنا بالنَّار فلم تضرَّه».

ثم قال ابن عبدالبر: «وإسماعيل بن عيَّاش ليس بحُجَّةٍ في غير الشَّاميين، وهو فيما حدَّث به عن الشَّاميين أهل بلده لا بأس به».اهـ

قلتُ: ذكر الحافظ في "القول المُسدَّد": «أنَّ رواية إسماعيل بن عيَّاش عن الشَّاميين قويَّةٌ عند الجمهور، وإنَّما ضعَّفوه في روايته عن غير أهل الشَّام، قال:

نصَّ على ذلك يحيى بن معين، وأحمد بن حنبل، وعليٌّ بن المدينيِّ، وعمرو بن علي الفلاس، وعبدالرحمن بن إبراهيم دُحَيم، والبخاريُّ، ويعقوب بن سفيان، ويعقوب بن شيبة، وأبو إسحاق الجوزجانيُّ، والنَّسائيُّ، والدولابيُّ، وأبو أحمد بن عديٍّ وآخرون، وقد وثَّقه جماعةٌ مُطلقًا».اهـ

وهذا الخبر يرويه إسماعيل عن شامي، ورجاله كلُّهم ثقاتٌ فيكون صحيحًا، هذا مع أنَّ أبا نعيمٍ رواه من طريقٍ آخر فقال: أخبرنا ثابت بن أحمد: ثنا محمَّد بن إسحاق: ثنا عبدالملك -يعني ابن عُمير- مثله.

ووقعت هذه القصَّة لرجلٍ آخر، فروى ابن وهبٍ، عن ابن لَهيعة: أنَّ الأسود العَنْسيَّ لما ادَّعى النُّبوَّة وغلب على صنعاء أخذ ذؤيب بن كليب فألقاه في النَّار لتصديقه بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فلم تضرَّه النَّار، فذكر ذلك النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لأصحابه، فقال عمر: الحمد لله الذي جعل في أمَّتنا مثل إبراهيم الخليل.

قال عبدان: ذؤيب هو أول من أسلم من أهل اليمن، ولا أعلم له صُحبةٌ.

وأخرج ابن عساكر من طريق أبي بشر جعفر بن أبي وحشيّة: أنَّ رجلًا من خَوْلان أسلم فأراده قومه على الكفر، فألقوه في النَّار فلم يحترق منه إلَّا أمكنةٌ لم يكن فيها مضى يُصيبها الوضوء، فقَدِم على أبي بكرٍ رضي الله عنه فقال له: استغفر لي قال: أنت أحقّ، قال أبو بكرٍ: إنَّك أُلقيت في النَّار فلم تحترق، فاستغفر له، ثُمَّ خرج إلى الشَّام فكانوا يشبهونه بإبراهيم عليه الصَّلاة والسَّلام.

وأخرج أبو نعيمٍ من طريق ضَمْرَة، عن بلال بن كعبٍ العكيِّ، قال: كان الظبي يَمرُّ بأبي مسلمِ الخَوْلانيِّ فيقول له الصِّبيان: ادع الله يحبسه علينا نأخذه

بأيدينا، فكان يدعو الله عزَّ وجلَّ فيحبسه عليهم حتىٰ يأخذوه بأيديهم.

وأخرج أيضًا من طريق ضَمْرَة، عن عثمان بن عطاء، عن أبيه قال: «كان أبو مسلمٍ الخَوْلانيُّ إذا انصرف إلىٰ منزله من المسجد كبَّر علىٰ باب منزله فتُكبِّر امرأته، وإذا بلغ باب بيته كَبَّر فتُجيبه امرأته، فانصرف ذات ليلةٍ فكبَّر عند باب داره فلم يُجبه أحدٌ، فلمَّا كان في الصَّحن كبَّر فلم يُجبه أحدٌ، فلما كان عند باب بيته كبَّر فلم يُجبه أحدٌ، وكان إذا دخل بيته أخذت امرأته رِداءه ونعليه ثُمَّ أتته بطعامه قال: فدخل البيت فإذا البيت ليس فيه سِراجٌ، وإذا امرأته جالسةٌ في البيت مُنكِّسةٌ تَنكُتُ بعودٍ معها، فقال: ما لَكِ؟ قالت: أنت لك منزلةٌ من معاوية وليس لنا خادمٌ، فلو سألته فأخدمنا وأعطاك، فقال: اللهمَّ مَن أفسد عليَّ امرأتي فأعمِ بصرها، قال: وقد جاءتها امرأةٌ قبل ذلك فقالت لها: زوجك له منزلةٌ من معاوية فلو قلتِ له يسأل معاوية يُخْدِمُه ويُعطيه عِشتُم، قال: فبينا تلك المرأة جالسةٌ في بيتها إذ أنكرت بصرها، فقالت: ما لسراجكم طُفِئ؟ قالوا: لا فعرفت ذنبها، فأقبلت إلىٰ أبي مسلمٍ تبكي، وتسأله أن يدعو الله عزَّ وجلَّ لها أن يردَّ عليها بصرها، قال: فرحمها أبو مسلمٍ فدعا الله لها فردَّ عليها بصرها».

وأخرج أبو نعيمٍ في "الحلية" من طُرقٍ عن هَرِم بن حَيَّان قال: «قَدِمت الكوفة فلم يكن لي هَمٌّ إلَّا أويس أسأل عنه، فدفعت إليه بشاطيء الفُرات يتوضَّأ ويغسل ثوبه فعرفته بالنَّعت، فإذا رجلٌ آدمٌ، مَحلوق الرَّأس، كثُّ اللِّحية، مَهيب المنظر، فسلَّمتُ عليه ومددتُ يدي لأُصافحه، فأبىٰ أن يُصافحني، فخنقتني العَبْرة لما رأيت من حاله، فقلت: السَّلام عليك يا أويس، كيف أنت يا أخي؟ قال: وأنت فحيَّاك الله يا هَرِم بن حَيَّان، من دلَّك عليَّ؟

قلتُ: الله عزَّ وجلَّ قال: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ [الإسراء:١٠٨]، قلت: يرحمك الله من أين عرفت اسمي واسم أبي؟! فوالله ما رأيتك قطُّ ولا رأيتني، قال: عرف روحي روحك حيث كلَّمت نفسي؛ لأنَّ الأرواح لها أنفسٌ كأنفس الأجساد، وإنَّ المؤمنين يتعارفون برُوح الله عزَّ وجلَّ وإن نأت بهم الدِّيار وتفرَّقت بهم المنازل...»، وذكر خبرًا طويلًا في وصيّة أويسٍ لهَرِم بعدة وصايا، والقصّة مشهورةٌ في كتب الزّهد والمناقب.

وفي "صحيح مسلمٍ" عن أسير بن جابرٍ: أنَّ أهل الكوفة وفَدُوا إلى عُمر رضي الله عنه وفيهم رجلٌ ممَّن كان يَسخَرُ بأويسٍ، فقال عُمر: هل هاهنا أحدٌ من القرنيِّين؟ فجاء ذلك الرجل فقال عُمر: إنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قد قال: «**إنَّ رجلًا يأتيكم مِن اليمن يُقال له: أُوَيسٌ، لا يَدَعُ باليمن غير أُمٍّ له، قد كان به بَيَاضٌ فدعا الله فأذهبه عنه إلَّا موضِعَ الدِّينار أو الدِّرهمِ، فمن لَقِيَهُ منكم فليستغفر لكم**».

وفي "صحيح مسلمٍ" أيضًا عن أسير بن جابرٍ قال: كان عُمر بن الخطَّاب إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن سألهم: أفيكم أويسُ بن عامرٍ؟ حتَّى أتى على أويسٍ فقال: أنت أويس بن عامرٍ؟ قال: نعم، قال: مِن مُرادٍ ثُمَّ مِن قَرَنٍ؟ قال: نعم، قال: فكان بك بَرَصٌ فبَرَأتَ منه إلَّا موضع درهمٍ؟ قال: نعم، قال: لك والدةٌ؟ قال نعم، قال: سمعتُ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**يأتي عليكم أويس بن عامِرٍ مع أمْدَادِ أهل اليمن من مُرَادٍ ثُمَّ مِن قَرَنٍ، كان به بَرَصٌ فبَرَأَ منه إلَّا موضع درهمٍ، له والدةٌ هو بها بَرٌّ، لو أَقْسَمَ على الله لأَبَرَّهُ، فإن استطعتَ أن يَسْتَغْفِرَ لك فافعل**». فاستغفر لي؛ فاستغفر له، فقال له عُمر: أين

تُرِيدُ؟ قال: الكوفة، قال: ألا أكتُبُ لك إلىٰ عاملها، قال: أكون في غبراء النَّاسِ أحبُّ إليَّ... الحديث.

وفي "الصَّحيح" أيضًا من حديث عمر رضي الله عنه: «إنَّ خير التَّابعين **رجلٌ يُقال له: أويسٌ وله والدةٌ، وكان به بَياضٌ، فمُرُوهُ فليَستَغْفِرْ لكم**».

ومن أراد الاطلاع علىٰ مناقب أويسٍ فليراجع "الحلية" لأبي نعيم، و"الميزان" للذهبيِّ، و"لسان الميزان" للحافظ و"الإصابة" له، و"طبقات الصُّوفيّة" للمناويِّ، وغيرها من كتب الزّهد والرّقائق.

والعجيب أنَّ مالكًا -علىٰ جلالة قدره- كان يُنكر وجود أويسٍ ويقول: «لم يكن!»، حكاه ابن عديٍّ في "الكامل"، وتعقَّبه: بأنَّ أويسًا لا يجوز أن يُشكَّ فيه لشهرته.

وقال ابن عبدالبر في "الاستيعاب": أخبرنا محمَّد بن عبدالله بن محمَّد بن عبدالمؤمن: ثنا إسماعيل بن محمَّد الصفَّار ببغداد: ثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي: ثنا عليُّ بن المديني: ثنا سفيان بن عُيَيْنَة قال: سمعتُ عبدالملك بن عُمير يقول: حدَّثني ربعيُّ بن حِراشٍ قال: مات أخٌ لي كان أطولنا صلاة وأصومنا في اليوم الحار، فسَجَّيناه وجلسنا عنده، فبينما نحن كذلك إذ كشف عن وجهه ثُمَّ قال: السَّلام عليكم، قلت: سبحان الله! أبعد الموت؟ قال: إنِّي لقيت ربِّي فتلقَّاني برَوحٍ وريحان ووجهٍ غير غضبان، وكساني ثيابًا خضرًا من سندسٍ وإستبرقٍ، أسرعوا بي إلىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم؛ فإنَّه قد أقسم ألا يبرح حتىٰ أدركه -أو آتيه- وإنَّ الأمر أهون ممَّا تذهبون إليه فلا تغترّوا، ثُمَّ والله كأنَّما كانت نفسه حصاة فألقيت في طِستٍ.

قال عليُّ بن المديني: وقد روي هذا الحديث عن عبدالملك بن عمير غير واحدٍ منهم جرير بن عبدالحميد، وزكريّا بن يحيىٰ بن عمارة، ورواه عن ربعيٍّ بن حِراش حميد بن هلال، كما رواه عن عبدالملك بن عمير، وروىٰ عن حميد بن هلال أيوب السَّختياني، وعبدالله بن عون، ثُمَّ ذكر عليُّ بن المدينيِّ الأحاديث عنهم كلِّهم، كذا ذكره الحافظ ابن عبدالبر في ترجمة زيد بن خارجة، فالخبر في غاية الصّحة كما لا يخفىٰ.

وأخو ربعي الذي تكلَّم بعد الموت اسمه مسعود بن حِراش كما في "تهذيب التهذيب" لكن روىٰ أبو نعيمٍ في "الدلائل" من طريق عبيدة، عن عبدالملك بن عمير، عن ربعيٍّ بن حِراشٍ قال: «كنَّا أربعة أخوة، وكان ربيع أخونا أكثرنا صلاة وأكثرنا صيامًا في الهواجر، وإنَّه توفِّيٰ فبينما نحن حوله، وقد بعثنا من يبتاع له كفنًا، إذ كشف عن وجهه فقال: السَّلام عليكم، فقال القوم: وعليك السَّلام يا أخاه عيشًا بعد الموت؟! -يعني حياة- قال: نعم إنِّي لقيت ربِّي بعدكم، فلقيت ربًّا غير غضبان، واستقبلني برَوح وريحان وإستبرق، ألا وإنَّ أبا القاسم صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ينتظر الصَّلاة عليَّ فعجلوا بي ولا تؤخِّروني، ثُمَّ كان بمنزلة حصاة رُمي بها في الطست، فنمىٰ الحديث إلىٰ عائشة رضي الله عنها فقالت: أما إنِّي سمعتُ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**يتكلَّم رجلٌ من أمَّتي بعد الموتِ**».

قال: وكان محمَّد بن عمر بن علىٰ الأنصاري: حدَّثنا به عن جعفر بن محمَّد بن رباح النخعيِّ، ثُمَّ سمعناه من جعفرٍ، رواه شريكٌ، والمسعوديُّ، وزيد بن أبي أنيسة، وإسماعيل بن أبي خالد، وسفيان بن عُيَيْنَة عن عبدالملك، ورواه أيوب

السَّختيانيُّ، عن حميد بن هلال عن رِبعيِّ بن حِراشٍ».اهـ

فمقتضىٰ هذه الرواية أنَّ المتكلم ربيع، وقد راجعت ترجمة مسعود في "التاريخ الكبير" للبخاريِّ، و"الإصابة" للحافظ فلم أجد فيها إشارةً إلىٰ هذه القصّة، والله أعلم.

وقال ابن حِبَّان في "روضة العقلاء": «أنبأنا القطَّان بالرَّقَّة: ثنا نوح بن حبيب: ثنا وكيعٌ: ثنا سفيان، عن منصور، عن رِبْعِيٍّ قالوا: من ذكرت يا أبا سفيان؟ قال: ذكرت رِبعيًّا، وتدرون مَن كان ربعي؟ كان رجلًا مِن أشجع، زعم قومه أنَّه لم يكذب قطُّ، فسعىٰ به ساعٍ إلىٰ الحَجَّاج فقال: هاهنا رجلٌ زعم قومه أنَّه لم يكذب قطُّ وأنَّه يكذب لك اليوم، فإنَّك ضربت علىٰ ابنيه البعث فعصيا وهما في البيت -وكان عقوبة الحَجَّاج للعاصي ضرب السَّيف- قال: فدعاه فإذا شيخٌ مُنْحَنٍ فقال له: أنت ربعيٌّ؟ قال: نعم، قال: ما فعل ابناك؟ قال: هاهما ذان في البيت، قال: فحمله وكساه وأوصىٰ به خيرًا».

وروىٰ الخطيب في "التاريخ" هذه القصَّة، وزاد في آخرها قال الحَجَّاج: «قد عفونا عنهما بصِدْقك».

وروىٰ الخطيب أيضًا من طريق ابن أبي الدنيا قال: حدَّثني محمَّد بن الحسين: ثنا محمَّد بن جعفر بن عون: أخبرني بكر بن محمَّد العابد، عن الحارث الغنويِّ قال: «آلىٰ الربيع بن حِراشٍ ألا يفتر أسنانه ضاحكًا حتىٰ يعلم أين مصيره؟ فما ضحك إلَّا بعد موته، وآلىٰ أخوه ربعيٌّ بعده ألا يضحك حتىٰ يعلم أفي الجنَّة هو أم في النَّار؟ قال الحارث الغنويُّ: فلقد أخبرني غاسله أنَّه لم يزل مبتسمًا علىٰ سريره ونحن نُغسِّله حتىٰ فرغنا منه».

وذكر ابن عبدالبر في ترجمة حُجْرِ بن عَديٍّ قَتْلُ معاوية له على ما هو مُفصَّل في التاريخ، ثُمَّ قال: «ولمَّا بلغ الرَّبيع بن زياد الحارثي -من بني الحرث بن كعب- وكان فاضلًا جليلًا، وكان عاملًا لمعاوية على خُراسان، وكان الحسن بن أبي الحسن كَاتَبَه فلمَّا بلغه قَتْلُ معاوية حُجْرَ بن عديٍّ دعا الله عزَّ وجلَّ فقال: اللهمَّ إن كان للربيع عندك خير فاقبضه إليك وعجِّل، فلم يبرح من مجلسه حتى مات».اهـ

والربيع بن زياد الحارثي ذكره ابن عبدالبر في "الاستيعاب" وقال: له صحبةٌ ولا أعرف له روايةً، لكن قال أبو أحمد العسكريُّ: أدرك الأيام النَّبويَّة، ولم يقدم المدينة إلَّا في أيام عمر رضي الله عنه، وذكره البخاريُّ وابن أبي حاتم وابن حِبَّان في التَّابعين، ولم يكن في عصره عربيٌّ ولا عجميٌّ أعلم بالنُّجوم منه، وفي "الإصابة" وغيرها بقيَّة أخباره.

وأخرج أبو نعيمٍ في "الحلية" من طريق عمرو بن عاصم عن همَّام عن قتادة قال: «سأل عامر بن عبد قيس ربَّه أن يُهوِّن عليه الطُّهُورَ في الشِّتاء، وكان يُؤتى بالماء البارد وله بخارٌ».

وأخرج أبو نعيمٍ من طريق عُمارة بن أبي شعيبٍ الأزديِّ: ثنا مالك بن دينار قال: «مرَّ عامر بن عبد قيسٍ، فإذا قافلةٌ قد احتبست فقال لهم: مالكم لا تَمُرُّون؟ فقالوا: الأسد حال بيننا وبين الطَّريق، قال: هذا كلبٌ من الكلاب فمرَّ به حتى أصاب ثوبه فمَّ الأسد».

وأخرج أيضًا من طريق أحمد بن أبي الحواريِّ، عن أبي سليمان الدَّارانيِّ قال: «قيل لعامر بن عبد قيسٍ: النَّار قد وقعت قريبًا من دارك، فقال: دعوها

فإنَّها مأمورةٌ، وأقبل على صلاته فأخذت النَّار، فلمَّا بلغت داره عَدَلتْ عنها».
وله كرامةٌ أُخرىٰ أسندها أبو نعيمٍ في "الحلية" أيضًا.

وأخرج الحافظ أبو محمَّد الخَلّال في "كرامات الأولياء"، والحافظ أبو القاسم بن مَنْدَه في كتاب "الأهوال والإيمان بالسؤال"، وأبو الحسين بن العريف في "فوائده" عن الحسن بن صالح بن حي قال: «قال لي أخي علي بن صالح في الليلة التي تُوفِّي فيها: يا أخي اسقني ماءً، وكنت قائمًا أُصلِّي، فلما قضيتُ صلاتي أتيته بماءٍ فقلتُ: اشرب، فقال لي: شربت السَّاعة، فقلتُ: مَن سقاك وليس في الغُرفة غيري وغيرك؟ فقال: أتاني جبريل السَّاعة بماءٍ فسقاني، وقال لي: أنت وأخوك وأُمُّك مع الذين أنعم الله عليهم من النَّبيين والصِّدِّيقين والشُّهداء والصَّالحين، وخرجتْ نفسه».

وقال ابن عبدالبر في "الاستيعاب": أخبرنا عبدالرحمن بن يحيىٰ: ثنا أحمد بن سعيد: ثنا إسحق بن إبراهيم بن النعمان: ثنا محمَّد بن علي بن مروان: ثنا موسىٰ بن إسماعيل: ثنا حمَّاد بن سلمة، ثنا علي بن زيد بن جدعان قال: قال لي سعيد بن المُسيِّب: «انظر إلىٰ وجه هذا الرجل، فنظرت فإذا هو مُسودُّ الوجه، فقال: سَلْه عن أَمْرِه، فقلت: حسبي أنت، فحدِّثني قال: إنَّ هذا كان يَسبُّ عليًّا وعثمان رضي الله عنهما، فكنت أنهاه فلا ينتهي، وقلت: اللهمَّ هذا يَسبُّ رجلين قد سبق لهما ما تعلم، اللهمَّ إن كان يُسخطك ما يقول فيهما فأرني فيه آيةً، فاسودَّ وجهه كما ترىٰ».

وأخرج أبو نعيمٍ في «الحلية» من طريق الهيثم بن عليٍّ، ثنا يحيىٰ بن سعيد بن المُسيِّب قال: قال سعيد: «دخلت المسجد في ليلة إِضْحَيَانٍ، وأظنُّ أنِّي قد

أصبحتُ فإذا اللَّيل على حاله، فقمت أُصلِّي فجلست أدعو، فإذا هاتفٌ يهتف من خلفي: يا عبدالله، قل، قلت: ما أقول؟ قل: اللهمَّ إنِّي أسالك بأنَّك مالك الملك، وأنَّك على كل شيءٍ قديرٌ، وما تشاء من أمرٍ يكن، قال سعيد: فما دعوت بها قطُّ بشئ إلَّا رأيت نجحه».

وأخرج أبو زرعة الدمشقيُّ، ويعقوب بن سفيان في "تاريخهما" بسندٍ صحيحٍ -كما قال الحافظ- عن سليم بن عامر: أنَّ النَّاس قُحِطوا بدمشق فخرج معاوية يستسقي بيزيد بن الأسود فسُقوا.

ويزيد هذا كان عابدًا خَشِنًا -كما قال ابن حِبَّان- أدرك الجاهليّة.

قال ابن مَنْدَهْ: «ذُكر في الصّحابة ولم يثبت».اهـ

ولما زاره واثلة بن الأسقع أخذ كفَّه فجعل يُمرُّها على صدره مرَّةً، وعلى وجهه مرةً، تبرُّكًا بها لموضع كفِّ واثلة من يد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ومثل هذا ما صحَّ عن ثابت البُنَانيُّ قال: «كنت إذا أتيت أنسًا يُخبَر بمكاني، فأدخل عليه فآخذ بيديه فأُقبِّلهما، فأقول: بأبي هاتين اليدين اللَّتين مسَّتا رسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وأُقبِّل عينيه وأقول بأبي هاتين العينين اللَّتين رأتا رسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم»، رواه أبو يعلى بإسنادٍ صحيح.

والأحاديث في التَّقبيل وفي تبرُّك الصحابة والتابعين بآثار رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كثيرةٌ يطول تتبُّعها، ويخرج بنا عن مقصود الكتاب، وقد كنت ألَّفت باستدعاء بعض العلماء جزءًا صغيرًا سمَّيته "إعلام النَّبيل بجواز التَّقبيل" جمعتُ فيه جُملةً من الأحاديث والآثار وطبعته، ثُمَّ وقفت على أحاديث وآثار لم أذكرها في ذلك الجزء، وفي عزمي أن أجمعها وأتوسَّع في

الكلام عليها؛ لأنِّي سمعت نجديًّا من الوهَّابية المُجسِّمة يُبالغ في إنكار التَّقبيل، ويصف فاعله بأشنع الأوصاف ويُنكر ما ورد فيه بكلِّ جهلٍ ووقاحةٍ، وهذا شأنه في كلِّ ما لا يوافق هواه، مع أنِّي جرَّبتُ عليه الكذب والتَّهاون في الصَّلاة، وقانا الله شرَّ الفتن.

وقال عبدالله بن أحمد بن حنبل: حدَّثني محمَّد بن عُبيد بن حِساب: ثنا جعفر بن سليمان: حدَّثه أبو التياح قال: «كان مُطرِّف بن عبدالله يَبْدُو -أي: يخرج إلى البادية- فإذا كان ليلة الجمعة أَدْلَجَ على فرسه، فربَّما نوَّر له سَوطه قال: فأَدْلَجَ ليلةً، حتى إذا كان عند القبور هُوِّم على فرسه قال: فرأيتُ أهل القبور، صاحب كلِّ قبرٍ جالسًا على قبره، فلما رأوني قالوا: هذا مُطرِّف يأتي الجمعة، قال: قلتُ:أتعلمون عندكم يوم الجمعة؟ قالوا: نعم، ونعلم ما تقول الطَّير فيه، قلت: وما تقول الطَّير؟ قالوا: تقول سلامٌ سلامٌ من يومٍ صالحٍ».

وقال عبدالرزَّاق: ثنا مَعْمَرٌ، عن قتادة قال: «كان مُطرِّف بن عبدالله بن الشِّخِّير وصاحبٌ له سَريا في ليلةٍ مُظلمةٍ، فإذا طَرَفُ سَوْطِ أحدهما عنده ضَوْءٌ، فقال: أما إنَّا لو حدَّثنا النَّاسَ بهذا لكذَّبونا، فقال مُطرِّفٌ: المُكذِّبُ أَكْذَبُ، يقول: المُكذِّب بنعمة الله أَكْذَبُ».

وروى الحسين بن منصور: ثنا حجَّاج بن محمَّد، عن مهديِّ بن ميمون، عن غَيْلَان بن جَريرٍ قال: «أقبل مُطرِّف مع ابن أخٍ له من البادية وكان يَبدو، فبينا هو يسير سمع في طَرَف سَوطه كالتَّسبيح، فقال له ابن أخيه: يا أبا عبدالله لو حدَّثنا النَّاسَ بهذا كذَّبونا، فقال مُطرِّف: المُكذِّبُ أَكْذَبُ النَّاس».

وقال أبو بكر بن أبي شيبة: ثنا عفَّان، ثنا حمَّاد، عن ثابتٍ، عن مُطرِّفٍ: أنَّه

أقبل من مَبْدَاه، فجعل يسير بالليل فأضاء له سوطه.

وقال عبدالله بن أحمد بن حنبل: حدَّثني أبي: ثنا هاشم بن القاسم: ثنا سليمان بن المغيرة قال: كان مُطرِّفٌ إذا دخل بيته سبَّحتْ معه آنية بيته.

وقال يزيد بن هارون: أخبرنا جرير بن حازم عن حميد بن هلال قال: كان بين مُطرِّفٍ وبين رجلٍ من قومه شيءٌ، فقال له مُطرِّف: إن كنت كاذبًا فأماتك الله أو تَعجَّل الله بك، قال: فخرَّ ميتًا مكانه، قال: فاستعدىٰ أهله زيادًا -وهو علىٰ البصرة- فقال لهم زيادٌ: هل ضربه؟ هل مَسَّه؟ فقالوا: لا، فقال زيادٌ: هي دعوة رجلٍ صالحٍ وافقت قَدَر الله.

وقال عبدالله بن الإمام أحمد: ثنا أحمد بن إبراهيم: ثنا أبو عامر القيسيُّ، ثنا بشر بن كثير الأسديُّ قال: رأيت مُطرِّف بن عبدالله إذا نزل باديةً خَطَّ مسجدًا وركَّز عصاه حِيال وجهه، وكان كلبٌ أبيضُ يمرُّ بين يديه وهو يُصلِّي فلا ينصرف، فقال: اللهمَّ احرمه صيده، قال بشرٌ: فلا أعلمه إلَّا كان يُخالط الصَّيد فلا يصيد.

وقال أبو العبَّاس السَّرَّاج: ثنا حاتم بن اللَّيث: ثنا خالد بن خِداشٍ: ثنا حمَّاد بن زيدٍ: ثنا غَيْلان بن جريرٍ قال: حبس الحجَّاج مُورِّقًا العجليَّ في السِّجن، فقال لي مُطرِّف بن عبدالله: تعالىٰ حتىٰ ندعو وأمِّنوا، فدعا مُطرِّف وأمَّنَّا علىٰ دعائه، فلمَّا كان العشاء خرج الحجَّاج ودخل النَّاس ودخل أبو مُورِّقٍ فيمن دخل، فقال الحجَّاج لحرسه: اذهب إلىٰ السِّجن فادفع ابن هذا الشَّيخ إليه، قال خالدٌ: من غير أن يُكلِّمه فيه أحدٌ من النَّاس.

وقال سلمة بن شَبِيبٍ: ثنا عبدالله بن جعفر: ثنا الحسن بن عمرو الفزاريُّ،

عن ثابتٍ البُنَانيِّ ورجلٌ آخر: أنَّهما دخلا علىٰ مُطرِّفٍ وهو مُغمًىٰ عليه، فسطعت منه أنوارٌ ثلاثةٌ: نورٌ من رأسه، ونورٌ من وسطه، ونورٌ من رجليه وقدميه قال: فهالنا ذلك، فأفاق فقالا له: كيف أنت يا أبا عبدالله؟ فقال: صالحٌ، فقيل: لقد رأينا شيئًا هالنا، قال: وما هو؟ قلنا: أنوارٌ سطعت منك قال: وقد رأيتم؟ قالوا: نعم، قال: تلك تنزيل السَّجدة وهي ثلاثون آيةً، سطع أولها من رأسي، ووسطها من وسطي، وآخرها من قدمي، وقد صُوِّرت تشفع لي، فهذا ثوابها يَحرسني.

قلتُ: كرامات مُطرِّفٍ كثيرةٌ مُخرَّجةٌ في "طبقات ابن سعدٍ" وكتاب "الزهد" للإمام أحمد، وزوائده لابنه عبدالله، وكتاب "مجابي الدعوة" لابن أبي الدنيا، و"الحلية" لأبي نعيم وغيرها، وقد وُلد في عهد النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وأبوه عبدالله بن الشِّخِّير صحابيٌ ذكره ابن سعد في طبقة مُسلِمة الفتح، وقال ابن مَنْدَهْ: وفد في وفد بني عامرٍ.

وقال عبدالله بن المبارك: أخبرنا جرير بن حازمٍ: ثنا حميد بن هلالٍ، عن صِلةِ بن أَشْيَم العدويِّ قال: «خرجنا في بعض قرىٰ نهر تيرَىٰ، أسير علىٰ دابتي في زمن فيوض الماء، فأنا أسير علىٰ مُسنَّاةٍ، فسِرتُ يومًا لا أجد شيئًا آكله فاشتدَّ جُوعي فلقيني عِلْجٌ يَحمل علىٰ عاتقه شيئًا، فقلت: ضَعه فوضعه، فإذا هو خبزٌ فقلتُ: أطعمني منه، فقال: نعم إن شئت، ولكن فيه شَحمُ خِنزيرٍ، فلمَّا قال ذلك تركته ومضيتُ، ثُمَّ لقيني آخر يَحمل طعامًا، فقلت له: أطعمني منه، فقال: تزودتُ هذا لكذا وكذا من يومٍ، فإن أخذت منه شيئًا أضررت بي وأجعتني، فتركته ثُمَّ مضيتُ، فوالله إنِّي لأسير إذ سمعت خلفي وَجْبةً كوجبة

الطَّير -يعني صوت طيرانه- فالتفتُّ فإذا بشيءٍ ملفوفٍ في سِبٍّ أبيضَ -أي: خمارٍ- فنزلت إليه فإذا هو دَوخلةٌ من رُطَبٍ في زمانٍ ليس في الأرض رُطبةٌ، فأكلتُ منه ولم آكل قطُّ رطبًا أطيب منه وشربت من الماء، ثُمَّ لفَفْتُ ما بقي منه، وركبت الفرس وحملت معي نَواهُنَّ، قال جرير بن حازمٍ: فحدَّثني أوفى بن دَلْهَمٍ قال: رأيت ذلك السِبَّ مع امرأته ملفوفًا فيه مُصحفٌ، ثُمَّ فُقِد بعد ذلك، قال: فلا يدرون أَسُرق أم ذهب أم ما صُنع به؟».

وقال ابن المبارك أيضًا: ثنا المستلم بن سعيد الواسطيُّ: أخبرنا حمَّاد بن جعفر بن زيد: أنَّ أباه أخبره قال: «خرجنا في غَزَاةٍ إلى كَابُلَ، وفي الجيش صِلة بن أَشْيَم قال: فترك النَّاس عند العتمة فقلت: لأرمقنَّ عمله فأنظر ما يذكر النَّاس من عبادته، فصلَّى -أُراه العتمة- ثُمَّ اضطجع فالتمس غفلة النَّاس، حتى إذا قلتُ: هدأت العيون، وثَبَ فدخل غَيْضةً قريبةً منَّا، فدخلت أَثَره، فتوضَّأ ثُمَّ قام يُصلِّي فافتتح الصَّلاة، قال: وجاء أسدٌ حتى دنا منه، قال: فصَعِدتُ إلى شجرةٍ، قال: أَفَتُراه التفتَ إليه أو عَذَبَه -أي: طرده- حتى سجد؟ فقلت: الآن يفترسُه، فلا شيء، فجلس ثُمَّ سلَّم فقال: أيها السَّبُع اطلب الرِّزق من مكانٍ آخر، فولَّى وإن له لزيئرًا أقول: تصدَّعت منه الجبال، فما زال يُصلِّي حتى لما كان عند الصُّبح جلس فحَمِد الله بمحامد لم أسمع بمثلها إلَّا ما شاء الله، ثُمَّ قال: اللهمَّ إنِّي أسالك أن تُجيرني من النَّار، أَوَمِثلي يَجترئ أن يسألك الجنَّة؟ ثُمَّ رجع فأصبح كأنَّه بات على الحَشَايا -أي: الوسائد المحشوة قطنًا- وقد أصبحتُ وفيّ من الفترة شيءٌ الله تعالى به عليمٌ».

وقال أبو الشيخ بن حَيَّان: حدَّثت عن عبدالله بن خُبَيقٍ: أخبرني نَجْدةَ بن

المبارك: حدَّثني مالك بن مِغْولٍ قال: «كان بالبصرة ثلاثةٌ مُتعبِّدون: صِلة بن أَشْيم، وكُلثوم بن الأسود، ورجلٌ آخر فكان صِلة إذا كان اللَّيل خرج إلى أَجَمَةٍ يعبدالله تعالى فيها، ففَطِن له رجلٌ فقام له في الأَكَمَة لينظر إلى عبادته، فأتى سَبُعٌ فبصر به صِلة فأتاه فقال: قم أيُّها السَّبُع فابتغ الرِّزق، فتمطَّى السَّبُع وذهب، ثُمَّ قام لعبادته فلمَّا كان في السَّحر قال: اللهمَّ إنَّ صلة ليس بأهلٍ أن يسألك الجنَّة ولكن سِترًا من النَّار».

قلت: صِلة بن أَشْيم -بوزن أحمر- أبو الصَّهباء العبديُّ تابعيٌّ مشهورٌ ورد في فضله حديثٌ رواه أبو نعيمٍ في "الحلية" من طريق ابن المبارك، عن عبدالرحمن بن يزيد بن جابر قال: بلغنا أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**يكون في أمَّتي رجلٌ يقال له: صِلَة، يدخل الجنَّة بشفاعته كذا وكذا**».

وكانت امرأته مُعاذة بنت عبدالله العدوية -أُمُّ الصَّهباء- من العابدات الصّالحات، لها مناقب وكراماتٌ منها ما رواه عبدالعزيز المشرقيُّ في "فوائده" والدولابيُّ في "الكُنى والأسماء" عن أبي بشرٍ -شيخٍ من أهل البصرة- قال: أتيت مُعاذة العدويّة فقالت: «ألا أعجبك يا أبا بشرٍ؟ شربت دواء للمشي فاشتدَّ بطني! فنعت لي نبيذ جَرٍّ، فأتيتها بقدحٍ منه فدعت بمائدتها فوضعت القدح عليها، ثُمَّ قالت: اللهمَّ إن كنت تعلم أنِّي سمعت عائشة أمَّ المؤمنين تقول: «سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ينهي عن نَبيذ الجَرِّ»، فاكفني هذا القدح بما شئت، قال: فانكفأ القدح وأُهرِيق ما فيه، ثُمَّ عاد على حاله من غير أن يمسَّه أحدٌ، قال أبو بشرٍ: وأنا حاضرٌ لذلك، وأذهب الله ما كان في بطنها من أذًى».

قلتُ: كانت مُعاذة ثقةٌ، خرَّج لها الأئمَّة الستة في كتبهم، وحديثها في نبيذ الجرِّ مُخرَّجٌ في "الصَّحيح".

وقال عبدالله بن الإمام أحمد: حدَّثني محمد بن عُبيد بن حِساب: ثنا جعفر بن سليمان: ثنا هشام بن زياد -أخو العلاء بن زياد- قال: كان العلاء بن زياد يُحيي كلَّ ليلة جمعةٍ، فوجد ليلةً فترةً فقال لامرأته: يا أسماء، إنِّي أجد فترةً، فإذا مضىٰ كذا وكذا، فأيقظيني، قالت: نعم، فأتاه آتٍ في منامه، فأخذ بناصيته، فقال: يا ابن زياد قُم فاذكر الله يذكرك، قال: فقام فما زالت تلك الشَّعرات التي أخذها منه قائمةً حتىٰ مات رحمه الله.

وأخرج أبو نعيمٍ من طريق سَيَّار: ثنا جعفر قال: سمعت مالك بن دينارٍ يسأل هشام بن زياد العدويَّ عن هذا الحديث فحدَّثنا به يومئذٍ فقال: تجهَّز رجلٌ من أهل الشَّام وهو يريد الحجَّ فأتاه آتٍ في منامه، فقال: ائتِ العراق، ثُمَّ ائتِ البصرة، ثُمَّ ائتِ بني عديٍّ، فائت بها العلاء بن زيادٍ، فإنَّه رجلٌ أقصم الثنيَّة بسَّام، فبشِّره بالجنَّة، قال: فقال: رؤيا ليست بشيءٍ، حتىٰ إذا كانت الليلة الثانية رَقَد فأتاه آتٍ، فقال: ألا تأتي العراق؟ فذكر مثل ذلك، حتىٰ إذا كانت الليلة الثالثة جاءه بوعيد، فقال: ألا تأتي العراق ثُمَّ تأتي البصرة، ثُمَّ تأتي بني عديٍّ؟ فتلقىٰ العلاء بن زيادٍ رجلٌ رِبعة أَقْصَم الثنيَّة بسَّام فبشِّره بالجنَّة، فأصبح وأخذ جِهازه إلىٰ العراق، فلما خرج من البيوت إذا الذي أتاه في منامه يسير بين يديه ما سار، فإذا نزل فقده، فلم يزل يراه حتىٰ دخل الكوفة ففقده قال: فتجهَّز من الكوفة فخرج فرآه يسير بين يديه ما سار، حتىٰ قدم البصرة فأتىٰ بني عديٍّ، فدخل دار العلاء بن زيادٍ، فوقف الرجل علىٰ باب العلاء،

فسلَّم، قال هشام: فخرجتُ إليه، فقال لي: أنت العلاء بن زيادٍ؟ قلت: لا، وقلتُ:انزل رحمك الله فضع رحلك وضع متاعك، فقال: لا، أين العلاء بن زيادٍ؟ قلتُ: هو في المسجد، قال: وكان العلاء يجلس في المسجد ويدعو بدعواتٍ ويُحدِّث، قال هشامٌ: فأتيت العلاء، فخفَّف من حديثه وصلَّىٰ ركعتين، ثُمَّ جاء فلمَّا رآه العلاء تبسَّم فبدت ثنيَّته، فقال: هذا والله صاحبي، قال: فقال العلاء: هلَّا حططت رحل الرجل؟ هلَّا أنزلته؟ قال: قد قلتُ له فأبىٰ، قال: فقال الرجل: أَخْلِني، قال: فدخل العلاء منزله وقال: يا أسماء تَحوَّلي إلىٰ البيت الآخر، قال: فتحوَّلتْ ودخل الرجل وبشَّره برؤياه، ثُمَّ خرج فركب، قال: وقام العلاء فأغلق بابه وبكىٰ ثلاثة أيام -أو قال: سبعة أيام- لا يذوق فيها طعامًا ولا شرابًا ولا يفتح بابه، فقال: فسمعته يقول في خلال بكائه: أنا أنا، قال: فكنَّا نهابه، وخشيت أن يموت، فأتيت الحسن فذكرت له ذلك وقلت: لا أُرَاه إلَّا ميتًا لا يأكل ولا يشرب، باكيًا، قال: فجاء الحسن حتىٰ ضرب عليه بابه وقال: افتح يا أخي، فلما سمع كلام الحسن قام ففتح بابه، وبه من الضرِّ شيءٌ الله به عليمٌ، فكلَّمه الحسن، ثُمَّ قال: رحمك الله ومن أهل الجنَّة إن شاء الله، أفقاتلٌ نفسك أنت؟، قال هشامٌ: حدَّثنا العلاء لي وللحسن بالرؤيا، وقال: لا تُحدِّثوا بها ما كنت حيًّا.

وأخرج أبو نعيمٍ من طريق محمَّد بن سِنانٍ القزَّاز: ثنا سَيَّار بن جسرٍ، عن أبيه قال: أنا والله الذي لا إله إلا هو أدخلت ثابتًا البُنانيَّ لحده، ومعي حُميد الطَّويل أو رجلٍ غيره -شكَّ محمَّد- قال: فلمَّا سوَّينا عليه اللَّبِن سقطت لَبِنةٌ، فإذا أنا به يُصلِّي في قبره فقلتُ: للذي معي ألا ترىٰ، قال: اسكت فلمَّا سوَّينا

عليه وفرغنا أتينا ابنته فقلنا لها: ما كان عمل أبيك ثابتٍ؟ قالت: وما رأيتم؟ فأخبرناها، فقالت: كان يقوم الليل خمسين سنةً، فإذا كان السَّحَر قال في دعائه: اللهمَّ إن كنت أعطيتَ أحدًا من خلقك الصَّلاة في قبره فأعطينيها، فما كان الله ليردَّ ذلك الدُّعاء.

وأخرج ابن جريرٍ في "تهذيب الآثار"، وأبو الشّيخ ابن حَيَّان، وأبو نعيمٍ عن إبراهيم بن الصِّمَّة المُهلَّبيِّ قال: حدَّثني الذين كانوا يمرّون بالحُفَر بالأسحار قالوا: كنَّا إذا مررنا بجنبات قبر ثابتٍ سمعنا قراءة القرآن.

وقال ابن عقيل في "شمائل الزّهاد": أنا محمَّد بن إبراهيم: أنا أبو الرّبيع: سمعت أبا يعمر بالري يقول: كان أيوب السّختياني في طريق مكَّة، فأصاب النَّاسَ عطشٌ وخافوا، فقال أيوب: تكتمون عليَّ؟ قالوا: نعم، فدوّر دائرة ودعا، فنبع الماء فرووا وسقوا الجمال، ثُمَّ أَمَرَّ يده على الموضع، فصار كما كان، قال أبو الرّبيع: فلما رجعت إلى البصرة حدَّثت حمَّاد بن زيد، فقال: حدَّثني عبدالواحد بن زيد: أنَّه كان مع أيوب في هذه السَّفرة التي كان هذا فيها.

وأخرج أبو نعيمٍ من طريق النَّضر بن كثير السعديِّ: ثنا عبدالواحد بن زيد قال: كنت مع أيوب السَّختياني على حِراء، فعطشت عطشًا شديدًا حتى رأى ذلك في وجهي، فقال: ما الذي أرى بك؟ قلت: العطش وقد خِفتُ على نفسي، قال: تستر عليَّ؟ قلتُ: نعم، قال: فاستحلَفَني، فحلفت له ألا أخبر عنه مادام حيًّا، قال: فغمز برجله على حِراء فنبع الماء، فشربت حتى رَوِيتُ وحملت معي من الماء، قال: فما حدَّثت به أحدًا حتى مات، قال عبدالواحد: فأتيت موسى الأسواريَّ فذكرت له ذلك، فقال ما بهذه البلدة -يعني البصرة- أفضل

من الحسن وأيوب.

وأخرج أبو نعيمٍ أيضًا عن عاصم: أنَّ مُورِّقًا العجليَّ كان يجد نفقته تحت رأسه.

وأخرج أيضًا عن جعفر بن سليمان قال: سمعت مالك بن دينارٍ يقول: لَمَّا كان يوم الزَّاوية قال عبدالله بن غالبٍ: إنِّي لأرىٰ أمرًا مالي عليه صبرٌ، رَوِّحوا بنا إلىٰ الجنَّة قال: فكسر جَفْن سيفه ثُمَّ تقدَّم، فقاتل حتىٰ قُتل قال: فكان يوجد من قبره ريح المسك.

وروي عن جعفر أيضًا قال: ثنا أبو عيسىٰ قال: لما كان يوم الزَّاوية رأيت عبدالله بن غالبٍ دعا بماءٍ فصبَّه علىٰ رأسه، وكان صائمًا وكان يومًا حارًّا وحوله أصحابه، ثُمَّ كسر جَفن سيفه فألقاه ثُمَّ قال لأصحابه: رَوِّحوا بنا إلىٰ الجنَّة قال: فنادىٰ عبدالملك بن المُهلَّب: أبا فِراس أنت آمن أنت آمن، فلم يلتفتَ إليه، ثُمَّ مضىٰ فضرب بسيفه حتىٰ قُتل، قال: فلمَّا دُفن كان النَّاس يأخذون من تراب قبره كأنَّه مسكٌ يُصِرُّونه في ثيابهم.

قلتُ: عبدالله بن غالبٍ الحُدَّانيُّ -بضم الحاء وتشديد الدال- التَّابعيُّ، يُكنىٰ أبا قريشٍ كان عابدًا ثقةً، روىٰ عن أبي سعيد الخدريِّ عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**خَصلَتان لا تجتمعان في مؤمنٍ: البُخْلُ وسُوءُ الخُلُقِ**» رواه البخاريُّ في "الأدب المفرد"، والترمذيُّ، وأبو نعيمٍ، وغيرهم، وقال البزَّار: لا نعلمه أسند غير هذا الحديث.

وأخرج أبو نعيمٍ من طريق حاتم بن الليث حدَّثني غَسَّان بن المُفضَّل: حدَّثني إبراهيم بن إسماعيل -وكان ثقةً- قال: كان بين سليمان التيميِّ وبين

رجلٍ منازعةٌ في شيء، فتناول الرجل سليمان فغَمَزَ بطنه قال: فجفَّتْ يد الرجل.

وقال جعفر الفِريابيُّ: ثنا عبَّاسٌ: ثنا يحيىٰ بن أبي بكيرٍ: ثنا شعبة عن هشام بن حسَّانٍ قال: صلَّيتُ إلىٰ جنبب منصور بن زاذان فيما بين المغرب والعشاء الآخرة، فقرأ القرآن وبلغ بالثانية إلىٰ النَّحل.

وروىٰ أبو نعيمٍ من طريق مَخْلَدُ بن الحسين، عن هشام بن حسانٍ قال: صلَّيتُ إلىٰ جنب منصور بن زاذان يوم الجمعة -في مسجد واسط- فختم القرآن مرَّتين، والثالثة إلىٰ الطَّواسين، وكان عليه عِمامةٌ كوَّرها اثني عشر ذراعًا، فبلَّها بدموعه ووضعها قُدَّامه.

روىٰ أيضًا من طريق مخلد بن الحسين، عن هشام بن حسانٍ قال: كنت أُصلِّي أنا ومنصور بن زاذان جميعًا -وأشار مخلدٌ بأصبعيه السبَّابة والتي تليها- فكان إذا جاء شهر رمضان ختم القرآن فيما بين المغرب والعشاء ختمتين، ثُمَّ يقرأ إلىٰ الطَّواسين قبل أن تُقام الصَّلاة، قال: وكانوا إذ ذاك يؤخِّرون العِشاء في شهر رمضان إلىٰ أن يذهب ربع الليل، فكان منصورٌ يجيء والحسن جالسٌ مع أصحابه فيقوم إلىٰ عمودٍ يُصلِّي، فيختم القرآن، ثُمَّ يأتي الحسن فيجلس قبل أن يفترق أصحابه، وكان يختم القرآن فيما بين الظّهر والعصر، ويختمه فيما بين المغرب والعِشاء في غير شهر رمضان، وكان يأتي وقد سَدَل عِمامته علىٰ عاتقه فيقوم يُصلِّي ويبكي ويمسح بعِمامته عينيه، فلا يزال حتىٰ يبلَّها كلَّها بدموعه ثُمَّ يلفَّها ويضعها بين يديه، قال مخلدٌ: ولو أنَّ غير هشامٍ يُخبرني بهذا ما صدَّقته.

قلتُ: هذه الآثار صحيحةٌ، ولا شكَّ أنَّ قراءة القرآن مرَّتين وثلاثًا في المُدَّة اليسيرة كرامةٌ كبيرةٌ.

وأخرج أبو نعيمٍ من طريق يونس بن عبدالأعلىٰ: ثنا ابن وهبٍ: ثنا ابن زيدٍ قال: قال محمَّد بن المُنكَدِر إنِّي لليلةً حِذاء هذا المنبر جوفَ الليل أدعو، إذا إنسانٌ عند اسطوانةٍ مُقنَّعٌ رأسه فأسمعه يقول: أي ربِّ إنَّ القحط قد اشتدَّ علىٰ عبادك، وإنِّي مُقسمٌ عليك يا ربِّ إلَّا سقيتهم، قال: فما كان إلَّا ساعةٌ إذا بسحابةٍ قد أقبلت، ثُمَّ أرسلها الله سبحانه -وكان عزيزًا علىٰ ابن المنكدر أن يخفىٰ عليه أحدٌ من أهل الخير- فقال: هذا في المدينة ولا أعرفه؟ فلمَّا سلَّم الإمام تقنَّع وانصرف، فاتَّبعه ولم يجلس للقاصِّ حتىٰ أتىٰ دار أنسٍ، فدخل موضعًا وأخرج مِفتاحًا ففتح ثُمَّ دخل، قال: ورجعت فلما أصبحت أتيته، فإذا أنا أسمع نَجْرًا في بيته فسلَّمتُ، ثُمَّ قلتُ: أدخل؟ قال: ادخل، فإذا هو يَنْجُر أقداحًا يعملها، فقلت: كيف أصبحت أصلحك الله؟ قال: فاستشهدها وأعظمها منِّي، فلمَّا رأيتُ ذلك قلتُ: إنِّي سمعتُ البارحة إقسامك علىٰ الله عزَّ وجلَّ يا أخي، هل لك في نفقةٍ تغنيك عن هذا، وتفرغك لما تريد من الآخرة؟ قال: لا ولكن غير ذلك، لا تذكرني لأحدٍ ولا تذكر هذا عند أحدٍ حتىٰ أموت، ولا تأتني يا ابن المنكدر، فإنَّك إن أتيتني شهرتني للنَّاس، فقلتُ: إنِّي أحبُّ أن ألقاك، قال: القني في المسجد، وكان فارسيًّا، قال: فما ذكر ذلك ابن المنكدر لأحدٍ حتىٰ مات الرجل رحمه الله، قال ابن وهبٍ: بلغني أنَّه انتقل من تلك الدَّار فلم يره ولم يدرِ أين ذهب، فقال أهل تلك الدَّار: الله بيننا وبين ابن المنكدر أخرج عنَّا الرجل الصَّالح.

وقال عبدالله بن المبارك: ثنا عيسىٰ بن عمر: حدَّثني حوط بن رافعٍ: أنَّ عمرو بن عتبة كان يشترط علىٰ أصحابه: أن يكون خادمهم، قال: فخرج في

الرعي في يوم حارٍّ، فأتىٰ بعض أصحابه فإذا هو بالغمامة تُظلُّه وهو قائمٌ، فقال: أبشر يا عمرو فأخذ عليه عمرو ألا يخبر أحدًا.

وقال أيضًا: ثنا الحسن بن عمرو الفزاريُّ: حدَّثني مولىٰ لعمرو بن عتبة قال: استيقظنا يومًا حارًّا في ساعةٍ حارَّةٍ، فطلبنا عمرو بن عتبة فوجدناه في جبلٍ وهو ساجدٌ وغمامةٌ تُظلُّه، وكنَّا نخرج إلىٰ العدوِّ فلا نَتَحارس لكثرة صلاته، ورأيته ليلةً يُصلِّي فسمعنا زئير الأسد فهربنا، وهو قائمٌ يُصلِّي لم ينصرف، فقلنا له: أما خِفتَ الأسد؟ فقال: إنِّي لأستحي من الله أن أخاف شيئًا سِواه.

وقال عبدالله بن الإمام أحمد: حدَّثني محمَّد بن العبَّاس -صاحب الشَّامة- ثنا عبدالله بن داود، عن عليِّ بن صالحٍ قال: كان عمرو بن عتبة يسوق -أو يزود- ركائب أصحابه وغَمامةٌ تُظلُّه.

وروىٰ أبو نعيمٍ من طريق عبدالله بن داود عن عليِّ بن صالحٍ قال: كان عمرو بن عتبة يرعىٰ ركائب أصحابه وغَمامةٌ تُظلُّه.

وروىٰ أبو نعيمٍ أيضًا من طريق عبدالله بن داود، عن عليِّ بن صالحٍ قال: كان عمرو بن عتبة يُصلِّي والسَّبُع حوله يَضرب بذَنَبِه يَحميه.

وقال عبدالله بن الإمام أحمد: حدَّثني أبي وأبو سعيد الأشجُّ: ثنا محمَّد بن فُضيلٍ: حدَّثني إبراهيم -مؤذِّن بني حنيفة- قال: أَمَرَ الحجَّاج بماهان -هو أبو صالح الحنفيُّ- أن يُصلب علىٰ بابه قال: ورأيته حين رُفع علىٰ خشبةٍ يُسبِّح ويُهلِّل ويُكبِّر ويعقد بيده حتىٰ بلغ تسعًا وعشرين قال: وطعنه الرجل علىٰ تلك الحال، فلقد رأيته بعد شهرٍ معقودًا بيده تسعةً وعشرين، وكنَّا نرىٰ عنده الضَّوْء بالليل شِبْهَ السِّراج.

وقال عبدالله أيضًا: حدَّثني أبي: ثنا حسين بن علي، عن الحسن بن الحر، عن ميمون بن أبي شَبِيب قال: أردت الجمعة زمن الحجَّاج، فتهيَّأت للذهاب ثُمَّ قلت: أين أذهب أُصلِّي خلف هذا؟ فقلتُ مرّةً: أذهب، وقلت مرّةً: لا أذهب، فأجمع رأيي على الذهاب، فناداني منادٍ من جانب البيت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة:٩]، قال: فذهبتُ، قال: وجلستُ مرّةً أكتب كتابًا فعرض لي شيءٌ إن أنا كتبته في كتابي زُيِّن كتابي وكنت قد كذبت، وإن أنا تركته كان في كتابي بعض القُبح وكنتُ قد صَدَقتُ، فقلت مرَّةً: أكتبه، وقلت مرَّةً: لا أكتبه، فأجمعت رأيي على تركه، قال: فناداني منادٍ من جانب البيت: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِى ٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ [إبراهيم:٢٧].

وأخرج أبو نعيمٍ من طريق عِمران بن عمرو اليامِيُّ -ابن أخ زُبيدٍ اليامِيّ- قال: كان زبيدٌ اليامِيُّ حاجًّا فاحتاج إلى الوضوء، فقام فتنحَّى فقضى حاجته ثُمَّ أقبل فإذا هو بماءٍ في موضع ولم يكن معهم ماء فتوضَّأ، ثُمَّ جاء يُعلمهم ليأخذوا منه ويتوضَّؤا، فلم يجدوه ووجدوه قد ذهب.

وروى أيضًا من طريق عِمران بن عمرو اليامِيُّ -ابن أخ زُبيد- قال: كان معاوية بن خديج -يعني أبا زهير بن معاوية- تزوَّج امرأةً من آل خارجة زوَّجها أخوها، وغضب أخٌ لها آخر فخرج إلى الوالي قال: فكتب إلى يوسف بن عمر انظر شاهديه واحبسهما، قال: وكان أحد الشّاهدين زُبيدًا، قال: فتغيب وحضر الحجَّ فقال: اللهمَّ ارزقني حجَّ بيتك في عامي هذا ثُمَّ لا ترني يوسف

أبدًا، قال: فرزقه الله الحجَّ ومات في انصرافه ودفن في النقرة.

قلتُ: زُبيد -بضم الزاي- ابن الحارث اليامي، ويقال: الأيامي أبو عبدالرحمن، كان ثقةً زاهدًا عابدًا، قال شعبة: ما رأيت رجلًا خيرًا وأفضل من زُبيد، وقال سعيد بن جبير: لو اخترت عبدًا لله أكون في مِسْلَاخه لاخترت زُبيدًا اليامي، ورآه يحيىٰ بن كثير الضَّرير في النّوم بعد موته فقال: إلىٰ ما صرت يا أبا عبدالرحمن؟ قال: إلىٰ رحمة الله، قال: فأيُّ العمل وجدت أفضل؟ قال: الصَّلاة، وحُبُّ عليٍّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه.

وأخرج أبو نعيمٍ من طريق محمَّد بن فُضَيل بن غَزْوان، حدَّثني أبي: أنَّ كُرْزَ بن وَبَرَة الحارثيَّ دخل علىٰ ابن شُبْرُمَة يعوده وهو مُبرسَمٌ، فتفل في أذنه فبَرِئَ.

وروىٰ أيضًا من طريق جرير بن زياد بن وَبَرَة الحارثيِّ، عن شجاع بن صُبيح مولىٰ كُرْزَ بن وَبَرَة قال: أخبرني أبو سليمان المكتب قال: صَحِبتُ كُرْزًا إلىٰ مكَّة، فكان إذا نزل أخرج ثيابه فألقاها في الرّحل، ثُمَّ تنحَّىٰ للصَّلاة فإذا سمع رُغَاءَ الإبل أقبل، فاحتبس يومًا عن الوقت فانبثَّ أصحابه في طلبه، فكنتُ فيمن طلبه قال: فأصبته في وَهْدَةٍ يُصلِّي في ساعةٍ حارَّةٍ وإذا سحابة تُظلُّه، فلمَّا رآني أقبل نحوي فقال: يا أبا سليمان لي إليك حاجةٌ، قلت: وما حاجتك يا أبا عبدالله؟ قال: أُحبُّ أن تكتم ما رأيت، قال: قلت: ذلك لك يا أبا عبدالله، فقال: أَوْثِق لي، فحلفتُ له ألَّا أُخبر به أحدًا حتىٰ يموت.

وروىٰ أبو نعيمٍ أيضًا من طريق أحمد بن كثير: حدَّثتني رَوْضَة مولاة كُرْزٍ قالت: قلنا لها من أين يُنفِق كُرْزٌ؟ قالت: كان يقول لي: يا رَوْضَة إذا أردت شيئًا فخذي من هذه الكُوَّة، قالت: فكنت آخذ كلَّ ما أردت.

وقال سعيد بن عثمان الدارميُّ: سمعت ابن عُيَيْنَة يقول: قال ابن شُبْرُمَةَ: سأل كُرْزُ بن وَبَرَة ربَّه أن يعطيه الاسم الأعظم على ألَّا يسأل به شيئًا من الدّنيا، فأعطاه الله ذلك، فسأل أن يقوى حتى يختم القرآن في اليوم والليلة ثلاث خَتْماتٍ.

قلتُ: كُرْزُ بن وَبَرَة الحارثيُّ ثقةٌ عابدٌ كان من أتباع التّابعين، ذكره ابن حِبَّان في "الثقات" وقال: «كان من العُبَّاد قَدِم مكَّة فأتعب من بها من العابدين، وكان إذا دعا أُجيب، وكانت السّحابة تُظلُّه، وكان ابن شُبْرُمَة كثير المدح له».اهـ

وذكر أبو نعيمٍ بإسناده عن ابن شُبْرُمة: أنَّ كُرْزًا كان يختم القرآن في كلِّ يوم وليلة ثلاث خَتْماتٍ.

وممَّا رواه كُرْزُ من الأحاديث: الحديث الذي رواه عن الرّبيع بن خُثَيمٍ، عن ابن مسعودٍ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم «**نوم الصَّائم عبادةٌ، ونَفَسه تسبيحٌ، ودعاؤه مستجابٌ**». أخرجه أبو نعيمٍ في "**الحلية**"، وأخرجه البيهقيُّ من حديث عبدالله بن أبي أَوفى بلفظ: «نوم الصَّائم عبادةٌ، وصمته **تسبيحٌ، وعمله مُضاعفٌ، ودعاؤه مُستجابٌ، وذنبه مغفورٌ**».

والحديث بكلا اللفظين ضعيفٌ.

وأخرج أبو نعيمٍ من طريق جَسْرٌ القَصَّاب قال: كنت أجلب الغنم في خلافة عمر بن عبدالعزيز، فمررت براعٍ وفي غنمه نحو ثلاثين ذئبًا فحسبتها كِلابًا -ولم أكن رأيت الذِّئب قبل ذلك- فقلت: يا راعي ما ترجو بهذه الكِلاب كلِّها؟ فقال يا بُنيَّ: إنَّها ليست كِلابًا إنَّما هي ذِئابٌ، فقلت: سبحان الله! ذِئبٌ في غَنمٍ لا يضرُّها، فقال: يا بُنيَّ إنَّه إذا صلح الرأس فليس على الجسد بأسٌ، وكان

ذلك في خلافة عمر بن عبدالعزيز.

وقال عبدالله بن الإمام أحمد: حدَّثني علي بن سلم الطوسيُّ: ثنا سَيَّار: ثنا جعفر: ثنا مالك بن دينارٍ قال: لما استُعمل عمر بن عبدالعزيز على النَّاس قال رِعاء الشَّاء: من هذا العبدالصَّالح الذي قام على النَّاس؟ قيل لهم: وما عليكم بذلك؟ قالوا: إنَّه إذا قام على النَّاس خليفةٌ عدل كَفَّت الذِّئاب عن شَائنا.

وقال خالد بن خِدَاشٍ: ثنا حمَّاد بن زيد: ثنا موسى بن أعين قال: كنَّا نرعى الشَّاء بكَرْمَان في خلافة عمر بن عبدالعزيز، فكانت الشَّاء والذِّئاب ترعى في مكانٍ واحدٍ، فبينما نحن ذات ليلةٍ إذا عَرَضَ الذِّئبُ لشاةٍ فقلت: ما نرى الرجل الصَّالح إلَّا هلك، قال حمَّاد: فحدثني هو -أو غيره-: أنَّهم حسبوا فوجدوه قد هلك في تلك الليلة.

قلتُ: في هذه الآثار بيان فضل العدل، وكرامةٌ كبيرةٌ لعمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه، وهي بعضٌ من كراماته ومناقبه الكثيرة، وقد كان عمر إمامًا من أئمَّة الهُدى، ناسجًا على مِنوال الخلفاء الرَّاشدين، منقطع النَّظير في الورع والزّهد والعدل والعبادة، بحيث كان كما قال محمَّد الباقر لما سُئل عنه: أما علمت أنَّ لكل قوم نجيبةً؟ وإنَّ نجيبة بني أُميَّة عمر بن عبدالعزيز، وإنَّه يبعث يوم القيامة أمَّة وحده.

وقال نافع: كنت أسمع ابن عمر كثيرًا يقول: ليت شعري من هذا الذي في وجهه علامةٌ من ولد عمر يملأ الأرض عدلًا؟.

قلتُ: كانت أمُّ عمر بن عبدالعزيز حفيدة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان في وجهه شَجَّةٌ من ضربة فرسٍ.

وقال حبيب بن هند الأسلميُّ: قال لي سعيد بن المسيِّب -ونحن على عرفة-: إنَّما الخلفاء ثلاثةٌ، قلت: من الخلفاء؟ قال: أبو بكر، وعمر، وعمر، قلت: هذا أبو بكر، وعمر قد عرفناهما فمن عمر الثالث؟ قال: إن عشت أدركته وإن مِتَّ كان بعدك.

وقال يعقوب بن سفيان في "تاريخه": ثنا محمَّد بن عبدالعزيز الرمليُّ: ثنا ضَمْرَة -هو ابن ربيعة- عن السَّرِيِّ بن يحيى، عن رباح بن عُبيدة قال: رأيت رجلًا يماشي عمر بن عبدالعزيز مُعتمدًا على يده، فقلت في نفسي: إنَّ هذا الرجل جافٌّ، فلما صَلَّى قلت: يا أبا حفصٍ من الرجل الذي كان معك مُعتمدًا على يدك آنفًا؟ قال: وقد رأيته يا رباح؟ قلتُ: نعم، قال: إنِّي لأراك رجلًا صالحًا، ذاك أخي الخَضِر بشَّرني أني سألي -يعني الخلافة- فأعدِلُ.

ورواه أبو عَرُوبة الحرَّاني في "تاريخه" عن أيوب بن محمَّد الوزَّان، عن ضَمْرَة به، وقد أطال أبو نعيمٍ في "الحلية" في ترجمة عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه وذكر مناقبه وفضائله فلتراجع.

وأخرج أبو نعيمٍ من طريق ضَمْرَة: ثنا السَّرِيِّ بن يحيى وغيره، عن حبيب أبي محمَّد: أنَّه أصاب النَّاسَ مجاعةٌ، فاشترى من أصحاب الدَّقيق دقيقًا وسَوِيقًا بنَسِيئةٍ، وعَمَد إلى خَرَائطه فخيَّطها ووضعها تحت فِراشه، ثُمَّ دعا الله فجاء أولئك الذين اشترى منهم يطلبون حقوقهم، قال: فأخرج تلك الخرائط قد امتلأت، فقال لهم: زنوا فوزنوا، فإذا هو يقوم من حقوقهم.

وقال عبدالله بن الإمام أحمد: ثنا أبي: ثنا يونس قال: جاء رجلٌ إلى أبي محمَّد-يعني حَبيبًا- فشكا إليه دَيْنًا عليه، فقال: اذهب واستقرض وأنا أضمن،

قال: فأتي رجلًا فاقترض منه خمسمائة درهمٍ وضَمِنها أبو محمَّد، ثُمَّ جاء الرجل فقال: يا أبا مُحمَّد دراهمي قد أضرَّني حبسها، فقال: نعم غدًا، فتوضَّأ أبو محمَّد ودخل المسجد ودعا الله تعالىٰ، وجاء الرجل فقال له: اذهب فإن وجدت في المسجد شيئًا فخذه، قال: فذهب فإذا في المسجد صُرَّة فيها خمسمائة درهمٍ، فذهب فوجدها تزيد علىٰ خمسمائة، فرجع إليه فقال يا أبا محمَّد: تلك الدراهم تزيد، فقال: اذهب فهي لك.

وروىٰ أبو نعيمٍ من طريق عيسىٰ بن أبي حرب: ثنا أبي، عن رجلٍ، عن جَدِّي قال: كنَّا عند حبيبٍ أبي محمَّد فقال رجلٌ: إنِّي أجد وجعًا في رجلي فقال له: اجلس، فلمَّا تفرَّق النَّاس قام فعلَّق المصحف في عنقه وقال: (يا خدا حبيب رسوا مياش) -كلامٌ فارسيٌّ- يقول: لا تُسوِّد وجه حبيبٍ، اللهمَّ عافه حتىٰ ينصرف، ولا يدري في أي رجليه كان الوجع، فوجد الرجل العافية فسألناه في أيِّ رجليك كان الوجع؟ قال: لا أدري.

وقال عبدالله بن الإمام أحمد: أُخبرتُ، عن عبدالله بن أبي بكر المُقَدَّمِيِّ: ثنا جعفر بن سليمان قال: سمعت حبيبًا يقول: أتانا سائلٌ وقد عجنت عُمْرَةُ، وذهبت تجيء بنارٍ تخبزه، فقلت للسائل: خذ العجين، قال: فاحتمله، فجاءت عُمْرَةُ فقالت: أين العجين؟ فقلت: ذهبوا يخبزونه، فلمَّا أكثرت علي أخبرتها، فقالت: سبحان الله! لابُدَّ لنا من شيء نأكله، قال: فإذا رجلٌ قد جاء بحَفْنَةٍ عَظِيمةٍ مملوءةٍ خُبزًا ولحمًا، فقالت عُمْرَة: ما أسرع ما ردُّوه عليك قد خبزوه وجعلوا معه لحمًا.

وقال أبو الشيخ ابن حَيَّان: ثنا عبدالرحمن بن أبي حاتم: ثنا محمَّد بن مَعبد

الجَوْسَقِيُّ: ثنا محمَّد بن موسىٰ المُقرِئُ: ثنا عَون بن عُمارة، عن حمَّاد وأبي عَوَانة، قالا: شهدنا حبيبًا الفارسيَّ يومًا جاءته امرأةٌ فقالت: يا أبا محمَّد (نان نسيت مارا) -كلامٌ فارسيٌّ- فقال لها: كم لك من العيال؟ قالت: كذا وكذا، فقام حبيب إلىٰ وَضُوئه فتوضَّأ، ثُمَّ جاء إلىٰ الصَّلاة فصلَّىٰ بخضوعٍ وسكونٍ، فلمَّا فرغ قال: يا ربِّ إنَّ النَّاس يحسنون ظنَّهم بي، وذلك من سَترك عليَّ فلا تُخلِف ظنَّهم بي، ثُمَّ رفع حصيره فإذا بخمسين درهمًا فأعطاها إيَّاها ثُمَّ قال: يا حمَّاد اكتم ما رأيت حياتي.

وقال أحمد بن أبي الحواريُّ: سمعت أبا سليمان الدارانيَّ يقول: كان حبيبٌ أبو محمَّدٍ يأخذ متاعًا من التُّجَّار يتصدَّق به، فأخذه مَرَّةً فلم يجد شيئًا يعطيهم، فقال: يا ربِّ كأنَّه يقول: إنِّي ينكسر وجهي عندهم، فدخل فإذا هو بجَوَالقَ من شَعْرٍ، كأنَّه نُصِب من أرض البيت إلىٰ السَّقف ملآن دراهم، فقال: يا ربِّ ليس أُريد هذا، قال: فأخذ حاجته وترك البقيَّة.

وقال أبو الشيخ: ثنا محمَّد بن العباس بن أيوب: ثنا عبدالرحمن بن واقد: ثنا ضَمْرَة: حدَّثني السَّرِيُّ بن يحيىٰ قال: كان حبيبٌ أبو محمدٍ يُرىٰ بالبصرة يوم التَّروية، ويُرىٰ بعرفة عَشيَّة عرفة.

قلت: حبيب بن محمدٍ الفارسيُّ أصلًا، البصريُّ دارًا وسُكنىٰ، ذكره أبو نعيمٍ في أتباع التَّابعين، وقال: كان صاحب المكرمات مُجاب الدَّعوات، وكان صاحب مالٍ كثيرٍ، ثُمَّ حضر مجلس الحسن البصري فاتَّعظ بكلامه، وتصدَّق في يومٍ واحدٍ بأربعين ألف درهم.

ومن خبره في ذلك ما رواه أبو نعيمٍ من طريق جعفر بن سليمان قال: «كنَّا

ننصرف من مجلس ثابتٍ البُنانيِّ فنأتي حبيبًا أبا محمَّدٍ، فيحث على الصدقة فإذا وقعت قام فتعلق بقرن مُعلَّقٍ في بيته، ثُمَّ يقول:

هـــا قـــد تَغَـــذَّيتُ وطابَـــتْ نَفْـــسي
فلـــيس في الحَـــيِّ غـــلامٌ مِـــثْلي
إلَّا غُـــلامٌ قـــد تَغَـــذَّىٰ قَـــبْلي

سبحانك وحَنَانَيْك خَلَقْتَ فسوَّيت، وقَدَّرتَ فهديتَ، وأعطيت فأغنيتَ، وأقْنَيتَ وعافيتَ، وعَفْوَتَ وأعطيتَ، فلك الحمد على ما أعطيتَ حمدًا كثيرًا طيبًا مُباركًا، حمدًا لا ينقطع أُولاه، ولا ينفد أُخراه، حمدًا أنت مُنتهاه، فتكون الجنَّة عقباه، أنت الكريم الأعلى، وأنت جزيل العطاء، وأنت أهل النَّعماء، وأنت وليُّ الحسنات، وأنت خليل إبراهيم، لا يُحفيك سائلٌ، ولا يُنقصك نائلٌ، ولا يبلغ مدحك قول قائلٍ، سجد وجهي لوجهك الكريم، ثُمَّ يَخرُّ فيسجد ونسجد معه، ثُمَّ يُفرِّق الصَّدقة على من حضر من المساكين».

ومن كلامه الدَّالِّ على عُلوِّ مَقامه قوله: «لا قُرَّة عينٍ لمن لا تَقرُّ عينه بك، ولا فرح لمن لا يفرح بك، وعزَّتك إنَّك تعلم أنِّي أحبُّك».

وذكره ابن حِبَّان في "الثقات" وقال: «كان عابدًا ورعًا فاضلًا تقيًّا من المُجابين الدّعوة».

وقال ابن عبدالبر في كتاب "الكُنىٰ": «كان حبيبٌ ثقةٌ وفوق الثِّقة، قليل الحديث».

قلتُ: هذا هو حبيبٌ العَجَميُّ المذكور في سلسلة طريقتنا الشَّاذليَّة -التي هي لُب الطُرق الاتِّصالية- أخذ الطَّريقة عن الحسن البصريِّ، وتلقَّىٰ عنه أبو

سليمان داود الطَّائيُّ.

وأخرج أبو نعيمٍ من طريق أحمد بن أبي الحواريِّ قال: قال لي أبو سليمان الدَّرانيُّ: «أصاب عبدالواحد بن زيدالفالج، فسأل الله أن يُطلقه في وقت الوضوء، فإذا أراد أن يتوضَّأ انطلق، وإذا رجع إلىٰ سريره عاد عليه الفالج».

وأخرج أيضًا من طريق الفيض بن إسحاق الرَّقِّيِّ: سمعت الفُضَيل بن عياضٍ يقول: قال عبدالواحد بن زيد: «سألت الله ثلاث ليالٍ أن يُريني رفيقي في الجنَّة، فرأيت كأنَّ قائلًا يقول لي: يا عبدالواحد رفيقك في الجنَّة ميمونة السَّوداء، فقلت: وأين هي؟ فقال: في آل بني فلان بالكوفة، قال: فخرجت إلىٰ الكوفة فسألت عنها، فقيل: هي مجنونةٌ بين ظهرانينا ترعىٰ غُنيماتٍ لنا، فقلت: أريد أن أراها؟ قالوا: اخرج إلىٰ الخان، فخرجت فإذا هي قائمةٌ تُصلِّي، وإذا بين يديها عُكَّازةٌ لها، فإذا عليها جُبَّةٌ من صوفٍ مكتوبٌ عليها لا تُباع ولا تُشترىٰ، وإذا الغنم مع الذِّئاب -لا الذِّئابُ تأكل الغنم ولا الغنمُ تفزع من الذِّئاب- فلمَّا رأتني أَوْجَزَت في صلاتها ثُمَّ قالت: ارجع يا ابن زيد فليس الموعد هاهنا إنَّما الموعد ثَمَّ، فقلت لها: رحمك الله وما يعلمك أني ابن زيد؟ فقالت: أمَا عَلِمتَ أنَّ الأرواح جنودٌ مُجنَّدةٌ فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف، فقلت لها: عِظيني. فقالت: واعجبًا لواعظ يُوعظ! ثُمَّ قالت: يا ابن زيدٍ إنَّك لو وضَعْتَ معاير القِسط علىٰ جَوارحك؛ لأَخْبَرْتُكَ بمكنون ما فيها، يا ابن زيدٍ إنَّه بلغني: ما من عبدٍ أُعطي من الدنيا شيئًا فابتغىٰ إليه ثانيًا؛ إلَّا سَلَبه الله حُبَّ الخَلوة معه، ويبدله بعد القرب البعد، وبعد الأنس الوَحْشَة، ثُمَّ أنشأت تقول:

يا وَاعِظًا قَامَ لاحْتِسابٍ ... يَزْجُرُ قَومًا عن الذُّنوبِ

تَنْهَى وأنت السَّقِيمُ حقًّا هذا مِن المُنكَرِ العَجيبِ
لو كنتَ أصْلَحْتَ قَبْل هذا غَيَّكَ أو تُبْتَ مِن قَريبِ
كان لِما قُلتَ يا حَبيبي مَوقِعَ صِدْقٍ مِن القُلوبِ
تَنْهَي عن الغَيِّ والتَّمادِي وأنتَ في النَّهي كالمُريبِ

فقلتُ لها: إنِّي أرىٰ هذه الذِّئاب مع الغنم، لا الغنم تفزع من الذِّئاب ولا الذِّئاب تأكل الغنم فإيش هذا؟ فقالت: إليك عنِّي، فإنِّي أصلحتُ ما بيني وبين سيِّدي فأصلح بين الذِّئاب والغنم».

قلت: عبدالواحد بن زيد البصريُّ أحد شيوخ الصُّوفيّة، كان زاهدًا عابدًا واعظًا، له أخبار في الزّهد والوعظ، لكنَّه ضعيفٌ في الحديث، روىٰ عن الحسن البصري وغيره أحاديث منكرةً، أُتي فيها من قِبل سوء حفظه، ولم يكن الحديث صناعته بل كان مشغولًا بالعبادة.

قال محمَّد بن عبدالله الخزاعي: صلَّىٰ عبدالواحد بن زيد الصبح بوضوء العِشاء أربعين سنةً، وقال غيره: كان مُجاب الدَّعوة، وترجمته مبسوطةٌ في "الحلية"، وغيرها.

وقال عبدالرحمن بن أبي حاتم: ثنا محمَّد بن يحيىٰ: ثنا محمَّد بن عبيد الله التيميُّ: ثنا صالح المريُّ قال: «أصاب أهلي ريح الفالج، فقرأت عليها القرآن ففاقت، فحدَّثت به غالبًا القطَّان فقال: وما تعجب من ذلك؟! والله لو أنَّك حدَّثتني أنَّ ميتًا قُرِيء عليه القرآن فحيي ما كان ذلك عندي عجبًا!».

قلتُ: هذه كرامةٌ لصالح تدلُّ علىٰ: صدق إيمانه وقوَّة يقينه، وما ذكره غالب القطَّان صحيحٌ؛ لكن ذلك إنَّما يظهر علىٰ من كان صالحًا تقيًّا، وصالح بن

بشير المريُّ كان عابدًا تقيًّا واعظًا، وإن كان ضعيفًا في الحديث؛ لأنَّه ليس فنَّه.

قال خلف بن الوليد: كان صالح المريُّ إذا قصَّ -أي: وعظ النَّاس- قال: «هات جؤنة المسك والتِّرياق المُجرَّب -يعني القرآن- فلا يزال يقرأ ويدعو ويبكي حتىٰ ينصرف»، وأخباره في الوعظ والخوف من الله كثيرة، مبسوطةٌ في "الحلية" وغيرها.

وروىٰ أبو إبراهيم الترجمانيُّ عنه قال: «قال لي في منامي قائلٌ: إذا أحببت أن يُستجاب لك فقل: اللهمَّ إنِّي أسألك باسمك المخزون المكنون المبارك المطهَّر الطَّاهر المقدَّس، قال: فما دعوت به في شيء إلَّا تعرفت الإجابة».

وقال أبو الشيخ: ثنا أحمد بن الحسين: ثنا أحمد بن إبراهيم: ثنا خالد بن خِداشٍ: سمعت بعض أصحابنا يقول: «دعا عُتبة الغلام هذا الطَّير الأقمر، فقال: تعالَ فأنت آمن، فجاء حتىٰ وقع في يده، ثُمَّ خلَّىٰ سبيله وقال لصاحبه الذي رآه: لا تُحدِّث به أحدًا».

وروىٰ أبو نعيمٍ من طريق مسلم بن إبراهيم قال: «رأيت عُتبة الغلام، وكان يقال: إنَّ الطير تُجيبه».

وروىٰ أبو الشيخ وعنه أبو نعيمٍ من طريق مهديِّ بن ميمون قال: «خرجت في بعض الليالي إلىٰ بعض الجبال، فإذا عُتبة الغلام قال لي: جئتَ؟ قد دعوت الله أن يجيء بك، قلت: ادعُ الله أن يُطعمنا رُطبًا، فدعا فإذا دَوْخَلَةٌ مملوءةٌ رطبًا».

قلت: عتبة بن أبان بن صَمْعَة الغلام كان عابدًا زاهدًا، يحترف عمل الخَوصِ فيبيعه ويتصدَّق بثُلثه ويأكل ثُلثه ويجعل الثُلث الباقي رأس ماله،

استشهد في إحدىٰ غزوات المسلمين في قرية يقال لها: الحباب، وُوجد في جسده سبع طعنات، ووجدوه واضعًا يده علىٰ فرجه.

ذكر مخلد بن الحسين: «عُتبة الغلام وصاحبه يحيىٰ الواسطيُّ، فقال كأنَّما ربَّتهم الأنبياء».

وقال قُدَامةُ بن أيُّوب العَتَكِيُّ -وكان من أصحاب عُتبة-: «رأيت عُتبة في المنام فقلت: يا أبا عبدالله ما صنع الله بك؟ قال: يا قُدامة دخلت الجنَّة بتلك الدَّعوة المكتوبة في بيتك، قال: فلمَّا أصبحت جئت إلىٰ بيتي، وإذا خط عُتبة في حائط البيت مكتوب: يا هادي المضلين وراحم المذنبين، ومقيل عثرات العاثرين، ارحم عبدك ذا الخطر العظيم، والمسلمين كلهم أجمعين، واجعلنا مع الأحياء المرزوقين، مع الذين أنعمت عليهم من النَّبيين والصِّدِّيقين والشُّهداء والصَّالحين، آمين يا ربَّ العالمين».

وأخرج أبو نعيم من طريق أبو النَّضر قال: «كان إبراهيم بن أدهم يأخذ الرُّطَبَ من شجرة البَلُّوطِ».

وروىٰ أيضًا من طريق وَبَرَة الغَسَّانيِّ: ثنا عَدِي الصَّيَّاد -من أهل جَبَلة-: «سمعت يزيد بن قيس يحلف بالله، أنَّه كان ينظر إلىٰ إبراهيم بن أدهم وهو علىٰ شَطِّ البحر في وقت الإفطار، فيرىٰ مائدةً توضع بين يديه لا يدري من وضعها، ثُمَّ يراه يقوم فينصرف حتىٰ يدخل جَبَلة وما معه شيءٌ».

وروىٰ أبو نعيمٍ أيضًا عن مَكيِّ بن إبراهيم قال: «كان إبراهيم بن أدهم بمكّة فسُئل ما يبلغ من كرامة المؤمن علىٰ الله عزَّ وجلَّ؟ قال: يبلغ من كرامته علىٰ الله تعالىٰ لو قال للجبل تحرَّكْ لتحرَّكَ؛ فتحرك الجبل، فقال: ما إيَّاك عَنَيتُ».

وقال أبو الشيخ: ثنا أبو العبَّاس الهَرَويُّ: ثنا عصام بن روَّاد: ثنا عيسىٰ بن حازم: حدَّثني إبراهيم بن أدهم قال: «لو أنَّ مؤمنًا قال لذاك الجبل: زُلْ لزال، قال: فتحرَّك أبو قُبَيْسٍ، فقال: اسكن إنِّي لم أعنك فسكن».

وقال أبو الشيخ أيضًا: ثنا أحمد بن الحسين: ثنا أحمد بن إبراهيم الدَّوْرَقيُّ: ثنا خلف ابن تميم: حدَّثني عبدالجبَّار بن كثيرٍ قال: «قيل لإبراهيم بن أدهم: هذا هو السَّبُع قد ظهر؟ فقال: أَرِنيه، فلمَّا نظر إليه قال: يا قَسْوَرة إن كنت أُمرت فينا بشيءٍ فامضِ لما أُمرت به، وإلَّا فعَوْدُك علىٰ بَدْئِك، قال: فضرب بذَنَبِه وولَّىٰ ذاهبًا قال: فعَجِبنا منه حين فَقِه كلامه! ثُمَّ أقبل علينا إبراهيم فقال: قولوا اللهمَّ احرسنا بعينك التي لا تنام، اللهمَّ واكنُفْنا بكنفك الذي لا يُرام، اللهمَّ وارحمنا بقدرتك علينا ولا نهلك وأنت الرَّجاء، قال خلف: فأنا أُسافر منذ نَيِّفٍ وخمسين سنةً فأقولها لم يأتني لِصٌّ قطُّ، ولم أرَ إلا خيرًا قطُّ»، ولهذه القصّة طريقان رواهما أبو نعيمٍ.

وقال أبو الشيخ أيضًا: ثنا محمَّد بن أحمد بن سليمان الهَرَويُّ: سمعت ابن العبَّاس بن محمَّد يقول: سمعتُ خلف ابن تميمٍ يقول: «كان إبراهيم بن أدهم في البحر، فعصفت الرّيح واشتدَّت، وإبراهيم ملفوفٌ في كِسَائه، فجعل أهل السَّفينة ينظرون إليه، فقال له رجلٌ منهم: يا هذا ما ترىٰ ما نحن فيه من هذا الهول وأنت نائمٌ في كسائك؟! قال: فكشف إبراهيم رأسه فأخرجه من الكِساء، ثم رفع رأسه إلىٰ السماء فقال: اللهمَّ قد أريتنا قدرتك فأرنا عفوك، قال: فسكن البحر حتىٰ صار كالدُّهن»، ولهذه القصة طريق آخر عند أبي نعيمٍ.

وقال أبو الشيخ أيضًا: ثنا أحمد بن الحسين: ثنا أحمد بن إبراهيم: حدَّثني

خلف بن تميمٍ قال: «كنت عند أبي رجاء الهَرَويِّ في مسجدٍ، فأتىٰ رجلٌ علىٰ فرسٍ فنزل فسلَّم عليه وودَّعه، فأخبرني أبو رجاء عنه أنَّه كان مع إبراهيم بن أدهم في سفينةٍ في غَزَاة البحر، فعصفت عليهم الرِّيح وأشرفوا علىٰ الغرق، فسمعوا في البحر هاتفًا يهتف بأعلىٰ صوته: تخافون وفيكم إبراهيم؟!».

قلتُ: كرامات إبراهيم بن أدهم كثيرةٌ مرويَّةٌ في "حلية أبي نعيمٍ" و"رسالة القشيريِّ" وغيرهما، وهو أحد شيوخ الصُّوفيَّة كان زاهدًا ثقةً في الحديث، وثَّقه ابن معين، وابن نُمَيرٍ، والعجليُّ، والنَّسائيُّ، والدارقطنيُّ، ويعقوب بن سفيان، وابن حِبَّان، وغيرهم، روىٰ عنه الثوريُّ والأوزعيُّ وعِدَّةٌ، وأطال أبو نعيمٍ ترجمته في "الحلية"، وتوسَّع في نقل كراماته وأحواله وكلامه في الزّهد وغيره، ثُمَّ قال: لم تكن الرواية من شأنه، فلذلك يقلُّ حديثه، ثُمَّ أسند الأحاديث التي رواها.

وللحافظ أبي عبدالله محمَّدٍ بن إسحاق بن محمَّدٍ بن يحيىٰ بن مَنده "مسند أحاديث إبراهيم بن أدهم"، وهو جزءٌ صغيرٌ وقفت عليه وقرأته، افتتحه بذكر نسب إبراهيم ومَبدأ زهده، وتاريخ وفاته وموضع دفنه، ثُمَّ بدأ من الأحاديث بما رواه إبراهيم بن أدهم عن أبي جعفر محمَّد بن عليِّ بن الحسين بن عليِّ بن أبي طالبٍ، عن أبيه، عن جَدِّه، عن عليِّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**من أنعم الله عليه نعمةً فليحمد الله، ومن استبطأ الرِّزق فليستغفر الله، ومن حَزبه أمرٌ فليقل لا حول ولا قوَّة إلَّا بالله**». وهذا الحديث رواه البيهقيُّ في "شعب الإيمان" من حديث عليٍّ أيضًا.

ومن أحاديث إبراهيم بن أدهم ما رواه عن الزُّبيديِّ، عن عطاء الخُراسانيِّ يرفع الحديث قال: «**ليس للنِّساء سلامٌ ولا عليهنَّ سلامٌ**».

قال الزُّبيديُّ: «أُخذ على النِّساء ما أُخذ على الحيَّات: أن ينجحرن في بيوتهنَّ»، أخرجه أبونعيم.

ولكن نساء اليوم يُردن أن يزاحمن الرجال في أعمالهم الخاصة بهم، ويدَعن بيوتهنَّ وأولادهنَّ في أيدي الخَدَم والمُربِّيات، وقد عقدن في هذه الأيام مؤتمرًا للبحث في حقوقهنَّ كما زعمن دُعِيَتْ إليه كلُّ خَليعةٍ سافرةٍ وقرَّرن قراراتٍ هي -مع خروجها عن تعاليم الدين ومنافاتها للمروءة- غايةٌ في السَّخافة ودليلٌ آخر على نقص عقولهنَّ، والعيب في هذا يعود على الرجال الذين تركوا لهنَّ الحبل على الغارب، ولم يأخذوهنَّ بشيءٍ من الحزم، كما هو الواجب شرعًا وعادةً، فلا حول ولا قوة إلَّا بالله.

وقال أبو الشيخ: ثنا جعفر بن أحمد بن فارس: ثنا إبراهيم بن الجنيد: ثنا مليح بن وكيعٍ قال: «سمعتهم يقولون: خرجنا من مكة في طلب فُضَيل بن عياضٍ إلى رأس الجبل، فقرأنا القرآن فإذا هو قد خرج علينا من شِعبٍ لم نَرَه، فقال لنا: أخرجتموني من منزلي ومنعتموني الصَّلاة والطَّواف، أما إنَّكم لو أطعتم الله ثُمَّ شئتم أن تزول الجبال معكم زالت، ثُمَّ دَقَّ الجبل بيده فرأينا الجبل -أو الجبال- اهتزَّت وتحرَّكت».

وقال أبو الشيخ أيضًا: ثنا أبو العبَّاس محمَّد بن أحمد بن سليمان الهَرويُّ: ثنا إبراهيم بن يعقوب: ثنا أحمد بن نصر، عن محمَّد بن حمزة المرتضى قال: «كان شيبان الراعي إذا أجنب وليس عنده ماءٌ دعا ربَّه، فجاءت سحابة فأظلَّت فاغتسل، وكان يذهب إلى الجمعة فيخط على غنمه، فيجئ فيجدها على حالتها لم تتحرَّك».

وأخرج أبو نعيمٍ من طريق أبي سليمان الروميِّ: «سمعت خليلًا الصيَّاد

يقول: غاب ابني محمَّدٌ، فجزعت أَمُّه عليه جزعًا شديدًا، فأتيت معروفًا الكَرخيَّ فقلت: أبا محفوظٍ، قال: ما تشاء؟ قلت: ابني محمَّدٌ غاب وجزعت أُمُّه عليه جزعًا شديدًا فادعُ الله أن يردَّه عليها، فقال: اللهمَّ إنَّ السماء سماؤك، والأرض أرضك، وما بينهما لك، فائتِ به، قال خليلٌ: فأتيت باب الشَّام - مكان ببغداد - فإذا ابني محمَّدٌ قائمٌ مُنبَهِرٌ، قلتُ: محمَّدٌ! قال: يا أبت كنت السَّاعة بالأنبار».

وأخرج الخطيب في "التاريخ" عن ابن شِيرَويهِ قال: «كنت أجالس معروفًا الكَرخيَّ كثيرًا، فلمَّا كان ذات يوم رأيت وجهه قد خلا، فقلت له: يا أبا محفوظ بلغني أنَّك تمشي على الماء، فقال لي: ما مشيت قطُّ على الماء، ولكن إذا هممت بالعبور جُمع لي طرفاها فأتخطاها».

وروى أيضًا قال: أخبرنا الأزهريُّ: ثنا عثمان بن عمرو الإمام: ثنا محمَّد بن مَخلدٍ قال: «قُرئ على الحسن بن عبدالوهَّاب -وأنا أسمع- قال: سمعت أبي يقول: قالوا إنَّ معروفًا الكَرخيَّ يمشي على الماء، ولو قيل إنَّه يمشي في الهواء لصدَّقتُ».

وروى أيضًا عن يعقوب ابن أخي معروف قال: «قالوا لمعروف: يا أبا محفوظ لو سألت الله أن يُمطرنا؟ قال: -وكان يومًا صائفًا شديد الحرِّ- قال: ارفعوا إذًا ثيابكم قال: فما استتمُّوا رفع ثيابهم حتى جاء المطر».

وروى الخطيب أيضًا من طريق سعيد بن عثمان: سمعت محمَّد بن منصورٍ يقول: «ذهبت يومًا إلى معروفٍ الكَرخيِّ، ثُمَّ عُدت إليه من غَدٍ فرأيت في وجهه أثر شَجَّةٍ فَهِبتُ أن أسأله عنها، وكان عنده رجل أجرأ عليه منِّي فقال له: يا أبا محمَّدٍ كنَّا عندك البارحة ومعنا محمَّد بن منصورٍ، فلم نرَ في وجهك

هذا الأثر؟ فقال له معروفٌ: خذ فيما تنتفع به، فقال له: أسألك بحقِّ الله؟ قال: فانتفض معروفٌ ثُمَّ قال: ويحَكَ وما حاجتك إلىٰ هذا؟ مضيت البارحة إلىٰ بيت الله الحرام، ثُمَّ صِرتُ إلىٰ زمزم فشربت منها، فزلَّت رجلي فبطح وجهي الباب، فهذا الذي ترىٰ من ذلك».

قلت: معروف بن الفيرزان الكَرخيُّ أستاذ السَّريِّ السَّقَطِي، ذكره الحافظ أبو بكر الخطيب في "تاريخ بغداد" فقال: كان أحد المشتهرين بالزهد والعزوف عن الدنيا، يغشاه الصّالحون، ويتبرّك بلقائه العارفون، وكان يوصف بأنَّه مُجاب الدّعوات، ويُحكىٰ عنه كرامات، وأسند أحاديث كثيرةً عن بكر بن خُنَيسٍ، والرّبيع بن صُبَيحٍ وغيرهما، ثُمَّ ذكر جملةً من كراماته، وثناء الإمام أحمد عليه وذهابه مع ابن معينٍ إلىٰ معروفٍ ليكتبا عنه جزءًا عن ابن أبي حازم.

وقال أبو القاسم القشيري في "الرسالة": «كان معروفٌ من المشايخ الكبار، مُجاب الدّعوة، يُستشفىٰ بقبره، يقول البغداديون: قبر معروفٍ تِرياقٌ مُجرَّبٌ، وهو من موالي علي بن موسىٰ الرِّضى، رضي الله عنهم».

وروىٰ الحافظ الخطيب في "التاريخ" من طريق عبدالله بن موسىٰ الطَّلحيِّ: سمعت أحمد بن العبَّاس يقول: «خرجت من بغداد فاستقبلني رجلٌ عليه أثر العبادة فقال: من أين خرجت؟ قلت: من بغداد، هربت منها لما رأيت فيها من الفساد، خفت أن يُخسف بأهلها، فقال: ارجع ولا تخف، فإنَّ فيها قبور أربعةٍ من أولياء الله هم حِصنٌ لهم من جميع البلايا، قلت: من هم؟ قال: ثَمَّ الإمام أحمد، ومعروفٌ الكَرخيُّ، وبشر الحافي، ومنصور بن عمَّار، فرجعت وزرت القبور، ولم أخرج تلك السنة».

وقال أبو نعيمٍ: ثنا أبو الفضل نصر بن أبي نصر الطوسي: ثنا علي بن محمَّد المصريُّ: ثنا يوسف بن موسي المَروزيُّ: ثنا عبدالله بن خُبَيقٍ: «سمعت عبدالله بن السِّنديَّ يُحدِّث أصحابه قال: لو أنَّ وليًّا من أولياء الله قال للجبل: زُلْ لزال، قال: فتحرَّك الجبل من تحته، فضربه برجله فقال: اسكن إنَّما ضربتك مثلًا لأصحابي».

وأخرج أبو نعيمٍ عن طريق زكريا بن يحيىٰ -قاضي عين زَرْبَة- ثنا أبو بكر المقابريُّ قال: «دخلت علىٰ عليٍّ بن بكّار وهو يُنقي شعيرًا لفرسه، فقلت: يا أبا الحسن ما لك من يكفيك هذا؟ فقال لي: كنت في بعض المغازي وواقعنا العدوَّ وانهزم المسلمون وانهزمتُ معهم، وقصر بي فرسي فقلت: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، فقال الفرس: نعم إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون حيث تتكلَّم عليّ فلا تُنقي علفي! فضَمِنتُ ألا يليه غيري».

وأخرج أبو نعيمٍ أيضًا عن أبي عبدالله بن الجلاء قال: «خرجت إلىٰ شَطِّ نيل مصر، فرأيت امرأةً تبكي وتصرخ، فأدركها ذو النّون فقال لها: ما لك تبكين؟ قالت: كان ولدي وقُرَّة عيني علىٰ صدري، فخرج تمساحٌ فاستلب منِّي ولدي، قال: فأقبل ذو النّون علىٰ صلاته وصلَّىٰ ركعتين ودعا دعوات، فإذا التّمساح خرج من النّيل والولد معه ودفعه إلىٰ أُمِّه فأخذته، وأنا كنت أرىٰ».

وفي ترجمة ذي النون المصري من "الحلية" كراماتٌ له ولغيره من الأولياء، شاهدها هو بنفسه يطول بنا تتبُّعها.

وقال أبو الحسين بن بشران في الأول من "فوائده": أخبرنا دَعْلَج بن أحمد، ثنا إبراهيم بن أبي طالب، ثنا جعفر بن عِمْران الثعلبيُّ، ثنا المحاربيُّ، عن

سُعير- مصغرًا - ابن الخِمس - بكسر الخاء المعجمة - عن عبدالعزيز بن أبي روَّادٍ قال: «كانت امرأةٌ أسفل مكّة تُسبِّح في كلِّ يوم اثنتي عشرة ألف تسبيحةً فماتت، فلمَّا بلغ بها القبر أُخذت من أيدي الرجال».

وأخرج أبو نعيمٍ عن آدم بن أبي إياس قال: «كان شابٌّ يكتب عنِّي، قال: فأخذ منِّي دفترًا ينسخه فنسخه، فظننتُ عليه ظنَّ سُوءٍ، ثُمَّ جاء به وعليه ثيابٌ رَثَّةٌ فرفقت به، ثُمَّ أمرت له بدراهم فلم يقبلها، فجَهَدتُ فلم يفعل، ثُمَّ أخذ بيدي فمرَّ بي إلىٰ البحر ثُمَّ أخرج من كُمِّه قدحًا فغرف من ماء البحر، ثُمَّ قال: اشرب، فشربت أحلىٰ من العسل، ثُمَّ قال: من كان في خدمة من هذه قدرته، أي شيء يصنع بدراهمك؟! ثُمَّ غاب عنِّي فلم أرَه».

وأخرج أبو نعيمٍ عن أبي الحارث الأُولَاسيِّ قال: «خرجت من حصن أُولاسٍ أُريد البحر فقال بعض إخواني: لا تخرج فإنِّي قد هيَّأت لك عِجَّةً حتىٰ تأكل قال: فجلستُ وأكلتُ معه، ونزلتُ إلىٰ السّاحل فإذا أنا بإبراهيم بن سعد قائمًا يُصلِّي، فقلت في نفسي: ما أشكُّ إلَّا أنَّه يريد أن يقول لي: امشِ معي علىٰ الماء، ولئن قال لي لأمشينَّ معه، فما استحكمتُ الخاطر حتىٰ سلَّم، ثُمَّ قال: هيه يا أبا الحارث امشِ علىٰ الخاطر، فقلت: بسم الله، فمشىٰ هو علىٰ الماء وذهبت أمشي فغاصت رجلي، فالتفت إليَّ وقال: يا أبا الحارث، العجة أخذت برجلك».

قلت: إبراهيم بن سعد العلويُّ ذكر أبو نعيمٍ أنَّه: كان معروفًا بالآيات، موصوفًا بالكرامات.

وأخرج أيضًا عن أبي جعفر الخَصَّاف قال: «قال لي جابر الرَّحَبيُّ -يومًا وأنا أُماشيه-: مُرَّ بنا نتسابق، مُرَّ أنت هكذا حتىٰ أمُرَّ أنا هكذا، قال: فمررتُ

أنا على الجسر، فلمَّا أبعدت على الجسر التَفتُّ فإذا هو يمشي على الماء ينتضِحُ من تحت قدميه مثل ما يخرج الغُبَار من تحت قدم الماشي، فلمَّا التقينا قلت: من يحسن مثل هذا؟ أمشي على الجسر وتمشي أنت على الماء، فقال: أو قد رأيتني؟ قلت: نعم، قال: أنت رجلٌ صالحٌ».

وقال أبو نعيمٍ: ثنا عثمان بن محمَّدٍ العثمانيُّ: سمعت أبا الحسن محمَّد بن أحمد يقول: ثنا عُبيدٌ البُسْرِيُّ قال: «سألت رجلًا بالكام ما الذي أجلسك في هذا الموضع؟ قال: وما سُؤالك عن شيءٍ إن طلبته لم تُدركه، وإن لحِقته لم تقع عليه؟ قلت: تخبرني ما هو؟ قال: علمي بأنَّ مجالسة الله تستغرق نعيم الجِنان كلِّها، قلت: بِمَ؟ قال: أوَّاهُ قد كنتُ أظنُّ أنَّ نفسي ظَفَرتْ، ومن الخلق هَرَبتْ، فإذا أنا كذَّابٌ في مقامي، لو كنتُ مُحبًّا لله صادقًا ما اطَّلع عليَّ أحدٌ، فقلت: أما علمت أنَّ المُحبِّين خُلفاء الله في أرضه، مُستأنسون بخلقه يبعثهم على طاعته، قال: فصاح بي صَيْحةً وقال: يا مخدوع لو شممت رائحة الحبِّ، وعاين قلبك ما وراء ذلك من القُرْب، ما احتجتَ أن ترى فوق ما رأيت، ثُمَّ قال: يا سماء ويا أرض اشهدا عليَّ أنَّه ما خطر على قلبي ذكر الجنَّة والنَّار قطُّ، إن كنت صادقًا فأمتني، فوالله ما سمعت له كلامًا بعدها، وخفت أن يسبق إليَّ الظنُّ من النَّاس في قتله، فتركته ومضيت، فبينا أنا على ذلك إذا أنا بجماعةٍ قالوا: ما فعل الفتى، فكنَّيت عن ذلك فقالوا: ارجع فإنَّ الله قد قبضه، فصلَّيتُ معهم عليه فقلت لهم: من هذا الرجل؟ ومن أنتم؟ قالوا:ويحك هذا رجلٌ به كان يُمطر المطر، قلبه على قلب إبراهيم الخليل عليه الصَّلاة والسَّلام، أما رأيته يُخبر عن نفسه أن ذكر الجنَّة والنَّار ما خطر على قلبه قطُّ، فهل كان أحدٌ هكذا إلَّا

إبراهيم الخليل عليه الصَّلاة والسَّلام قلت: فمن أنتم؟ فقالوا: نحن السبعة المخصوصون من الأبدال، قلت: علِّموني شيئًا؟ قالوا: لا تُحبَّ أن تُعرف، ولا تحبَّ أن يُعرف أنَّك ممَّن لا يُحبُّ أن يُعرف».

وذكر الحافظ السَّخاويُّ في "القول البديع" ممَّا عزاه لأبي عبدالرحمن السُّلَميِّ بإسناده إلى أبي الخير الأقطع، قال: «دخلت المدينة وأنا بفَاقةٍ شديدةٍ، فأقمت خمسة أيَّامٍ لم أذق ذواقًا، فتقدَّمت إلى القبر الشَّريف وسلَّمتُ على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وعلى أبي بكرٍ وعمر رضي الله عنهما وقلت: أنا ضيفك الليلة يا رسول الله، وتخلَّيت ونمت خلف المنبر، فرأيت النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وأبا بكرٍ عن يمينه وعمر عن شماله وعليًّا بين يديه، فحرَّكني عليٌّ وقال: قُم فقد جاء النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقمت إليه وقبَّلت بين عينيه، فدفع إلى رغيفًا، فأكلت نصفه فانتبهت فإذا في يدي نصف رغيفٍ».

وأبو الخير الأقطع ذكره القشيري في "الرسالة" وقال: مغربيُّ الأصل، سكن تينات وله كراماتٌ وفِراسةٌ حادَّةٌ، وكان كبير الشّأن مات سنة نَيِّفٍ وأربعين وثلاثمائة، وذكر من كلامه قوله: «ما بلغ أحدٌ إلى حالةٍ شريفةٍ؛ إلَّا بملازمة الموافقة ومعانقة الأدب، وأداء الفرائض وصحبة الصّالحين».

وذكر ابن القيِّم في كتاب "الكبائر" وكتاب "السُّنَّة والبدعة" في بيان بدعة الرفض من هذين الكتابين ناقلًا عن الحافظ السِّلَفيِّ نزيل الإسكندرية، ممَّا رواه بإسناده إلى يحيى بن عَطَّاف المعدل: أنَّه حكى عن شيخٍ دمشقيٍّ جاور بالحجاز سنين، قال: كنت بالمدينة في سنةٍ مُجدبةٍ، فخرجت يومًا إلى السُّوق لأشتري دقيقًا برباعي قال: فأخذ الدقَّاق الرباعي، وقال: العن الشيخين حتى

أبيعك الدَّقيق، فامتنعت من ذلك فراجعني مرَّات وهو يضحك، فضجرت منه وقلت: لعن الله من يلعنهما، قال: فلطم عيني فسالت على خدي، فرجعت إلى المسجد وكان لي صديقٌ من أهل مَيّافارقِين جاور بالمدينة سنين، فسألني عمَّا جرى فأخبرته، فقام معي إلى الحجرة المقدَّسة فقال: السَّلام عليك يا رسول الله، قد جئناك مظلومين فخذ بثأرنا، ثُمَّ رجعنا، فلما جَنَّ الليل نمت؛ فلما استيقظت وجدت عيني صحيحةً أحسن ما كانت... وذكر بقيَّة القصَّة فيما حصل لذلك الدقَّاق من العَطَب على لعنه أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وأرضاهما، وهذه القصّة مع كثيراتٍ مثلها مذكورةٌ في كتاب "مصباح الظَّلام" المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم (٥٩م) ، ولست أعني "مصباح الظَّلام" للجردانيِّ فليتنبَّه.

وقال الحافظ أبو بكر بن المقري في "مسند أصبهان": «كنت أنا والطَّبرانيُّ وأبو الشّيخ في مدينة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فضاق بنا الوقت فواصلنا ذلك اليوم، فلمَّا كان وقت العَشاء أتيت إلى القبر الشَّريف وقلت: يا رسول الله، الجوع؟ فقال لي الطَّبرانيُّ: اجلس فإمَّا أن يكون الرِّزق أو الموت، فقمت أنا وأبو الشيخ فحضر الباب علويٌّ، ففتحنا له فإذا معه غلامان بزَنْبيلين فيهما شيءٌ كثيرٌ، فقال: يا قوم، شكيتم إلى النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فإنِّي رأيته فأمرني بحمل شيءٍ إليكم»، نقل هذه القصَّة الحافظ السخاويُّ في "القول البديع"، وفيها كرامةٌ للشَّريف العلويِّ ولهؤلاء الحُفَّاظ الثلاثة، وهم أهل لكلِّ كرامةٍ وإكرامٍ .

وقال الحافظ أسلم بن سهلٍ الواسطيُّ -المعروف ببَحْشَل- في "تاريخ

واسط": حدَّثنا محمَّد بن أبان: ثنا خلف بن خليفة قال: حدَّثني بوَّاب الحجَّاج قال: «لمَّا سقط رأس سعيدٍ إلى الأرض قال: لا إله إلا الله. يَجهرُ بها».

قلتُ: سعيد هو ابن جُبيرٍ، وبوَّاب الحجَّاج اسمه عُتبة بن مسلمة، كذا جاء مُبيَّنًا في ترجمة حمزة بن عبدالقاهر بن حمزة من "تاريخ واسط" أيضًا.

وقال الحافظ أبو سعد الماليني في "الأربعين في شيوخ الصُّوفيَّة": «سمعت أبا بكرٍ أحمد بن عبدالله بن المنتصر الأندلسيَّ يقول: أنبأ أبو الفرج الموحد إبراهيم بن إسحاق بن البريِّ قال: قال لي أبو صالح مفلح بن عبدالله: «أقمت أربعين يومًا ما شربت ماءً، فلمَّا مضى أربعون يومًا أخذ بيدي أبو بكر محمَّد بن سيد حَمْدَوَيْه، وحملني إلى بيته، فأخرج إليَّ ماءً وقال: اشرب فشربت، فحكت لي امرأته أنَّه قال لها: اشربي فضلة رجلٍ له أربعون يومًا ما شرب ماءً، قال أبو صالح: وما اطَّلع على تركي لشُرب الماء أحدٌ غير الله تعالى».

وقال الماليني أيضًا: سمعت قاسم بن عمرو المعافريَّ يقول: «كنت ألزم مجلس أبي الحسن الدَّينَوَرِيِّ، فخرجت يوم الجمعة أروح إلى الجامع، فرأيت النَّاس يتزاحمون على الخبَّازين وكنت صائمًا، فقالت لي نفسي: حصل إفطارك قبل الصَّلاة، فإنَّك إذا صليت لم تجد شيئًا تشتريه، فأخذت إفطاري وخبَّأته في موضع، فلما صلَّيت الجمعة قعدت في مجلس الشيخ أبي الحسن الدَّينَوَريِّ فسألته مسألةً فالتفتَ إليَّ، وقال: ليس هذا مسألة من يهتمُّ لإفطاره قبل صلاة الجمعة».

وقال الحافظ الماليني أيضًا: سمعت أبا علي الحسين بن علي بن خلف قال: سمعت أبا بكر محمَّد بن إبراهيم المصريَّ يقول: «كنت بالمدينة فجئت إلى عند

الفقراء، فإذا رجلٌ أعجميٌّ كبير الهَامة يُودِّع النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فودَّعه، وتبعته حتىٰ جاء إلىٰ مسجد الشّجرة، فصلَّىٰ ولبَّىٰ فصلَّيتُ ولبَّيتُ، وخرجتُ خلفه فالتفتَ فرآني، فقال: ما تريد؟ قلت: أريد أن أتبعك، فأبىٰ عليَّ فألححتُ، فقال: إن كان ولابد فانظر ألَّا تضع قدمك إلَّا علىٰ أثر قدمي، قلت: نعم ، فمشىٰ وأخذ علىٰ غير الطَّريق ، فلمَّا مرَّ هوىٰ من الليل إذا بضَوْء سراجٍ فالتفت إليَّ فقال: هذا مسجد عائشة، تتقدَّم أنت أو أتقدَّم أنا؟ قلت: ما تختار؟ فتقدَّم ، ونمت حتىٰ إذا كان وقت السَّحَر دخلت إلىٰ مكّة فطُفت وسَعَيْت، وجئت إلىٰ عند أبي بكر الكتَّانيِّ وجماعة الشيوخ قعودٌ فسلَّمت عليهم، فقال لي أبو بكر: متىٰ قَدِمت؟ قلت: السّاعة، قال: من أين؟ قلت: من المدينة، قال: كم عهدك منها؟ قلت: البارحة، فنظر بعضهم إلىٰ بعض فقال لي الكتَّانيُّ: مع من جئت؟ فقلت: مع رجلٍ من حاله وقصّته، فقال: ذاك أبو جعفر الدامغانيُّ ، وهذا في حاله قليلٌ ، ثُمَّ قال: قوموا اطلبوه، ثُمَّ قال لي: علمت أن هذا ليس حالك، قال أبو عليٍّ: قلت لأبي بكر المصريِّ: كيف كنت تحسُّ بالأرض تحت قدمك؟ قال: كنت أحسُّ بها مثل الموج إذا دخل تحت السَّفينة».

هذا وقد أورد الأستاذ الأجلُّ شيخ الصُّوفيَّة وأحد أئمَّة أهل السُنَّة الإمام أبو القاسم القشيريُّ في "رسالته" جملةً من الكرامات سمعها من شيوخه الأجلاء عن مشايخهم مُتصلة الإسناد، أحببت أن أنقل منها ما لم يتقدَّم ذكره لتتمَّ فائدة الكتاب.

قال في باب "كرامات الأولياء" - بعد أن تكلَّم علىٰ جوازها وما يتعلَّق بذلك، وأسند بعض الأحاديث ممَّا سبق لنا إيراده بتوسُّع- ما نصُّه:

«وقد ظهر على السَّلف من الصَّحابة والتَّابعين، ثُمَّ على مَن بعدهم من الكرامات ما بلغ حدَّ الاستفاضة، وقد صُنِّف في ذلك كتبٌ كثيرةٌ سنشير إلى طَرَفٍ منها على وجه الإيجاز، فمن ذلك: أنَّ ابن عمر كان في بعض الأسفار؛ فلقي جماعة وقفوا على الطَّريق من خوف السَّبُع؛ فطرد السَّبُع من طريقهم ثُمَّ قال: إنَّما يُسلَّط على ابن آدم ما يخافه، ولو أنَّه لم يَخف غير الله لما سلَّط عليه شيءٌ، وهذا خبرٌ معروفٌ.

وروى: أنَّه كان بين يدي سلمان وأبي الدَّرداء قَصْعَةٌ، فسبَّحت حتى سمعا التَّسبيح، وذكر أخبارًا تقدَّمت، ثم قال: وحُكي عن سهل بن عبدالله أنَّه قال: مَن زَهِد في الدنيا أربعين يومًا صادقًا من قلبه مُخلصًا ظهرت له الكرامات، ومن لم تظهر له فلعدم الصِّدق في زهده، فقيل لسهلٍ: كيف تظهر له الكرامة؟ فقال: يأخذ ما يشاء كما يشاء من حيث يشاء.

سمعت أبا حاتم السّجستانيَّ يقول: سمعت أبا نصر السَّرَّاج يقول: دخلنا تُسْتَر فرأينا في قصر سهل بن عبدالله بيتًا كان النَّاس يُسمَّونه بيت السِّباع، فسألنا النَّاس عن ذلك؟ فقالوا: كانت السباع تجيء إلى سهلٍ، وكان يُدخلها هذا البيت، ويُضيِّفها ويُطعمها اللحم ثُمَّ يخليها، قال أبو نصر: ورأيت أهل تُستَر كلَّهم متَّفقين على هذا لا ينكرونه وهو الجمع الكثير.

سمعت محمَّد بن أحمد بن محمَّد التميميَّ يقول: سمعت عبدالله بن على الصوفيَّ يقول: سمعت حمزة بن عبدالله العلويَّ يقول: دخلت على أبي الخير التيناتيِّ، وكنت اعتقدت في نفسي أن أُسلِّم عليه وأخرج ولا آكل عنده طعامًا، فلمَّا خرجت من عنده ومشيت قدرًا فإذا به خلفي وقد حمل طبقًا عليه طعامًا،

فقال: يا فتىٰ كُلّ هذا، فقد خرجت السّاعة من اعتقادك.

وأبو الخير التيناتيُّ مشهورٌ بالكرامات، حكىٰ عن إبراهيم الرقيِّ قال: قصدته مُسلِّمًا عليه فصلَّىٰ المغرب فلم يقرأ الفاتحة مُستويًا، فقلت في نفسي: ضاعت سفرتي، فلمَّا سلَّمتُ خرجت للطَّهارة فقصدني السَّبُع فعُدت إليه، وقلت: إنَّ الأسد قصدني، فخرج وصاح علىٰ الأسد، وقال: ألم أقل لك لا تتعرض لضيفاني؟ فتنحَّىٰ وتطهَّرتُ، فلمَّا رجعت قال: اشتغلتم بتقويم الظَّواهر فخفتم الأسد، واشتغلنا بتقويم القلب فخافنا الأسد».

نقل هذه الكرامة أيضًا الإمام النَّوويُّ في"بستان العارفين" وقال: «قد يتوهَّم من يتشبَّه بالفقهاء ولا فقه عنده أنَّ صلاة أبي الخير هذا كانت فاسدةً لقوله: لم يقرأ الفاتحة مُستويًا، وهذه جهالةٌ وغَباوةٌ ممَّن يتوهَّم ذلك، وجَسارةٌ منه علىٰ إرسال الظُّنون في أولياء الرَّحمن، فليحذر العاقل من التّعرض لشيءٍ من ذلك؛ بل حقّه إذا لم يفهم حِكمهم المستفادة، ولطائفهم المُستجادة أن يتفهَّمها ممَّن يعرفها، وكل شيءٍ رأيته من هذا النَّوع ممَّا يتوهَّم من لا تحقيق عنده أنَّه مُخالفٌ، ليس بمخالفٍ بل يجب تأويل أفعال أولياء الله تعالىٰ، وجواب هذا من ثلاثة أوجهٍ: أحدهما: أنَّه جرىٰ منه لحن لا يخل بالمعنىٰ، ومثل هذا لا يُفسد الصَّلاة بالاتفاق، الثاني: أنَّه مغلوبٌ علىٰ ذلك بخللٍ في لسانه، فتصح صلاته بالاتفاق، الثالث: أنَّه لو لم يكن له عذرٌ، فقراءة الفاتحة ليست بمتعيِّنة عند أبي حنيفة وطائفةٌ من العلماء، ولا يلزم هذا الوليُّ أن يتقيَّد بمذهب من أوجبها».اهـ

وقيل: كان لجعفر الخلديِّ فصٌّ فوقع يومًا في دِجْلَةَ، وكان عنده دعاءٌ

مُجَرَّبٌ للضَّالة تُردُّ به، فدعا به فوجد الفصَّ في وسط أوراق كان يتصفَّحها.

سمعت أبا حاتم السّجستانيَّ يقول: سمعت أبا نصر السَّرَّاج يقول: إنَّ ذلك الدُّعاء: «يا جامع النَّاس ليومٍ لا ريب فيه اجمع عليَّ ضالَّتي»، قال أبو نصر السَّرَّاج: أراني أبو الطَّيب العكيُّ جزءًا ذكر فيه: من ذكر هذا الدُّعاء على ضالَّةٍ وجدها، وكان الجزء أوراقًا كثيرةً.

سألتُ أحمد الطّابرانيَّ السَّرَخسيَّ رحمه الله تعالى فقلت: هل ظهر لك شيءٌ من الكرامات؟ فقال: في وقت إرادتي وابتداء أمري ربَّما كنت أطلب حجرًا أستنجي به، فلم أجد فتناولت شيئًا من الهواء، فكان جوهرًا فاستنجيت به وطرحته، ثُمَّ قال: وأي خَطَرٍ للكرامات؟ إنَّما المقصود زيادة اليقين في التوحيد، فمن لا يشهد غيره موجودًا في الكون فسواء أبصر فعلًا مُعتادًا أو ناقضًا للعادة.

سمعت محمَّد بن أحمد الصوفيَّ يقول: سمعت عبدالله بن عليٍّ يقول: سمعت أبا الحسين البصريَّ يقول: كان بعبَّادَان رجلٌ أسود فقيرٌ يأوي إلى الخرابات فحملت معي شيئًا وطلبته، فلمَّا وقعت عينه عليَّ تبسَّم، وأشار بيده إلى الأرض فرأيت الأرض كلَّها ذهبًا تلمع، ثُمَّ قال: هات ما معك؟ فناولته وهالني أمره وهربت.

سمعت منصورًا المغربيَّ يقول: سمعت أحمد بن عطاء الروذباري يقول: كان لي استقصاء في أمر الطَّهارة، فضاق صدري ليلةً من كثرة ما صببت من الماء، ولم يسكن قلبي، فقلت: يا رب عفوك، فسمعت هاتفًا يقول: العفو في العلم، فزال عنِّي ذلك.

سمعت منصورًا المغربيَّ يقول: فرأيته يومًا قعد على الأرض في الصّحراء،

وكان عليها آثار الغنم بلا سَجَّادة، فقلت: أيُّها الشيخ هذه آثار الغنم، فقال: اختلف الفقهاء فيه.

سمعت أبا حاتمٍ السَّجستانيَّ يقول: سمعت أبا نصر السَّرَّاج يقول: سمعت الحسين بن أحمد الرَّازي يقول: سمعت أبا سليمان الخوَّاص يقول: كنت راكبًا حمارًا يومًا، وكان الذّباب يؤذيه فيطأطأ رأسه، فكنت أضرب رأسه بخشبة في يدي، فرفع الحمار رأسه وقال: اضرب فإنَّك على رأسك هكذا تُضرب، قال الحسين: فقلت لأبي سليمان لك وقع هذا؟ فقال: نعم كما تسمعني.

وذكر ابن عطاء أنَّه قال: سمعت أبا الحسن النّوريَّ يقول: كان في نفسي من هذه الكرامات شيءٌ، فأخذتُ قصبة من الصِّبيان وقمتُ بين زورقين، ثُمَّ قلت: وعِزَّتك لئن لم يُخرج لي سمكةٌ فيها ثلاثة أرطال لأُغرقنَّ نفسي، قال: فخرج لي سمكة فيها ثلاثة أرطالٍ، فبلغ ذلك الجنيد فقال: كان حُكْمه أن تخرج له أفعى تلدغه.

سمعت الشيخ أبا عبدالرحمن السُلمي يقول: سمعت أبا الفتح يوسف بن عمر الزاهد القوّاس ببغداد: ثنا عبدالكبير بن أحمد: سمعت أبا بكر الصّائغ: سمعت أبا جعفر الحدّاد -أستاذ الجنيد- يقول: كنت بمكّة فطال شَعْري ولم يكن معي قطعةٌ من حديدٍ آخذ بها شعري، فتقدَّمت إلى مُزيِّن توسَّمتُ فيه الخير وقلت: تأخذ شعري لله تعالى؟ فقال: نعم وكرامة، وكان بين يديه رجل من أبناء الدنيا، فصرفه وأجلسني وحلق شعري، ثُمَّ دفع إليَّ قرطاسًا فيه دراهم، وقال: استعن بها على قضاء حوائجك، فأخذتها واعتقدت أن أدفع إليه أول شيء يفتح عليَّ به، قال: فدخلت المسجد فاستقبلني بعض إخواني، وقال

لي: جاء بعض إخوانك بصُرَّة من البصرة من بعض إخوانك، فيها ثلاثمائة دينار قال: فأخذت الصُرَّة وحملتها إلى المزين، وقلت: هذه ثلاثمائة دينار تصرفها في بعض أمورك، فقال لي: ألا تستحي يا شيخ؟ تقول لي: احلق شعري لله ثُمَّ آخذ عليه شيئًا، انصرف عافاك الله.

وحُكي عن النّوريِّ: أنَّه خرج ليلةً إلى شَطِّ دِجلة، فوجدها قد التزق الشطَّان فانصرف وقال: وعِزَّتك لا أجوزها إلَّا في زَوْرَقٍ.

وقيل لأبي يزيد البِسْطَاميِّ: فلانٌ يمشي في ليلةٍ إلى مكّة، فقال: الشّيطان يمشي في ساعةٍ من المشرق إلى المغرب في لعنة الله، وقيل له: فلان يمشي على الماء ويطير في الهواء، فقال: الطّير يطير في الهواء، والسّمك يمرُّ على الماء.

وقال سهل بن عبدالله: أكبر الكرامات أن تُبدِّل خُلقًا مذمومًا من أخلاقك.

سمعت محمَّد بن أحمد بن محمَّد التميميَّ يقول: سمعت عبدالله الصوفيَّ يقول: سمعت ابن سالم يقول: سمعت أبي يقول: كان رجلٌ يقال له عبدالرحمن بن أحمد يصحب سهل بن عبدالله فقال له يومًا: ربَّما أتوضأ للصَّلاة فيسيل الماء بين يدي قضبان ذهب وفضة، فقال سهل: أما علمت أنَّ الصِّبيان إذا بَكوا أُعطوا خَشْخَاشَةً ليشتغلوا بها.

سمعت أبا حاتمٍ السَّجستانيَّ يقول: سمعت أبا نصرٍ السَّرَّاج يقول: أخبرني جعفر بن محمَّدٍ، حدَّثني الجنيد قال: دخلت على السَّريِّ يومًا فقال لي: عصفورٌ كان يجيء في كلِّ يومٍ فأفتُّ له الخبز فيأكل من يدي، فنزل وقتًا من الأوقات فلم يسقط على يدي، فتذكرت في نفسي إيش السّبب؟ فذكرت أنِّي أكلت ملحًا بإِبْزَار، فقلت في نفسي: لا آكل بعدها وأنا تائبٌ منه، فسقط على يدي وأكل.

وحكىٰ أبو عمرو الأنماطيُّ قال: كنت مع أستاذي في البادية، فأخذنا المطر؛ فدخلنا مسجدًا نستكنُّ فيه، وكان السّقف يفك، فصعدنا السَّطح ومعنا خشبةٌ نريد إصلاح السّقف فقصر الخشب عن الجدار، فقال أستاذي: مُدَّهُ، فمددتها فركبت الحائط من هاهنا، ومن هاهنا.

سمعت محمَّد بن أحمد النَّجار يقول: سمعت الرقيَّ يقول: سمعت أبا بكر الدقَّاق يقول: كنت مارًّا في تيه بني إسرائيل، فخطر ببالي أنَّ علم الحقيقة مُباينٌ للشّريعة، فهتف بي هاتفٌ من تحت شجرةٍ: كلُّ حقيقةٍ لا تتبعها شريعةٌ فهي كفرٌ.

وقال بعضهم: كنت عند خير النَّساج فجاءه رجلٌ، وقال: أيها الشيخ رأيتك أمس وقد بعت الغزل بدرهمين، فجئت خلفك فحللتهما من طَرَف إزارك، وقد صارت يدي منقبضة علىٰ كتفي، قال: فضحك خير، وأومأ بيده إلىٰ يد الرجل ففتحها، ثُمَّ قال: امضِ واشترِ لعيالك بهما شيئًا ولا تَعُد لمثله.

وحُكي عن أحمد بن محمَّد السُّلّميِّ قال: دخلت علىٰ ذي النّون المصريِّ يومًا، فرأيت بين يديه طِستًا من ذهب، وحوله الندّ والعنبر يَسجُر، فقال لي: أنت ممَّن يدخل علىٰ الملوك في حال بسطهم! ثُمَّ أعطاني درهمًا فأنفقت منه إلىٰ بَلْخٍ!.

وحُكي عن أبي سعيد الخَرَّاز قال: كنت في بعض أسفاري، وكان يظهر لي كلَّ ثلاثة أيامٍ شيءٌ فكنت آكله وأستقلُّ به، فمضىٰ ثلاثة أيام وقتًا من الأوقات ولم يظهر شيءٌ، فضعفت وجلست، فهتف بي هاتفٌ: أيّما أحب إليك سببٌ أو قوةٌ؟ فقلت: القوَّة، فقمت من وقتي ومشيت إثني عشر يومًا لم أذق شيئًا ولم أضعف.

وعن المرتعش قال: سمعت الخوّاص يقول: تُهتُ في البادية أيامًا فجاءني شخص وسلَّم عليَّ، وقال لي: تُهتَ؟ فقلت: نعم، فقال: ألا أدُلُّك علىٰ الطّريق

ومشىٰ بين يدي خطواتٍ، ثُمَّ غاب عن عيني، وإذا أنا علىٰ الجادّة فبعد ذلك ما تُهت، ولا أصابني في سفرٍ جوعٌ ولا عطشٌ.

سمعتُ محمَّد بن عبدالله الصوفيَّ يقول: سمعت عمر بن يحيىٰ الأردبيلي يقول: سمعت الرقيَّ يقول: سمعت ابن الجلاء يقول: لما مات أبي ضحك علىٰ المُغتَسَل، فلم يجسر أحدٌ يُغسِّله، وقالوا: إنَّه حيٌّ، حتىٰ جاء واحدٌ من أقرانه وغَسَّله.

سمعتُ محمَّد بن أحمد التميميَّ يقول: سمعت طلحة القصائريَّ يقول: سمعت المفتاحيَّ صاحب سهل بن عبدالله يقول: كان سهل يصبر عن الطعام سبعين يومًا، وكان إذا أكل ضعف، وإذا جاع قوي.

ثنا محمَّد بن عبدالله الصوفيُّ: ثنا أبو الحسن غلام شَعْوَانة: سمعت عليَّ بن سالم يقول: كان سهل بن عبدالله أصابته زَمَانةٌ في آخر عمره، فكان إذا حضر وقت الصلاة انتشرت يداه ورجلاه، فإذا أدىٰ الفرض عاد إلىٰ حال الزَّمَانة.

وقال بعضهم: كنت بمدينة الرسول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في مسجده مع جماعةٍ نتجارىٰ الآيات، ورجلٌ ضَريرٌ بالقرب منَّا يسمع، فتقدَّم إلينا وقال: أَنِسْتُ بكلامكم، اعلموا أنَّه كان لي صِبيةٌ وعيالٌ، وكنت أخرج إلىٰ البقيع أحتطب، فخرجت يومًا فرأيت شابًّا عليه قميص كتّان ونعله في أُصبعه، فتوهّمت أنَّه تائهٌ فقصدته لسلب ثوبه، فقلت له: انزع ما عليك؟ فقال: سِر في حفظ الله، فقلت: الثانية والثالثة، فقال: لابد، فقلت: لابد، فأشار بأصبعيه من بعيد إلىٰ عيني فسقطتا، فقلت: بالله عليك من أنت؟ فقال: إبراهيم الخوَّاص.

وحُكي عن إبراهيم الخوَّاص قال: دخلت البادية مرّةً، فرأيت نَصرانيًا علىٰ وسطه زُنَّارًا، فسألني الصُّحبة فمشينا سبعة أيامٍ، فقال لي: يا راهب

الحَنِيفيَّة هات ما عندك من الانبساط فقد جُعنا؟ فقلت: إلهي لا تفضحني مع هذا الكافر، فرأيت طبقًا عليه خبزًا وشِواءً ورُطبًا وكوز ماءٍ، فأكلنا وشربنا ومشينا سبعة أيام، ثُمَّ بادرت وقلت: يا راهب النَّصارىٰ هات ما عندك فقد انتهت النَّوبة إليك؟ فاتَّكأ علىٰ عصاه ودعا، فإذا بطبقين عليهما أضعاف ما كان علىٰ طبقي، قال: فتحيَّرت وتغيَّرت وأبيت أن آكل فألحَّ عليَّ فلم أجبه، فقال: كُل فإنِّي أُبشِّرك ببشارتين: أحدهما أنِّي أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله وحلَّ الزُّنَّار، والأخرىٰ أنِّي قلت: اللهمَّ إن كان لهذا العبد خطر عندك، فافتح عليَّ بهذا، ففتح، قال: فأكلنا ومشينا وحجَّ وأقمنا بمكّة سنةً، ثُمَّ إنَّه مات ودُفن بالبطحاء.

سمعت محمَّد بن عبدالله الصوفيَّ يقول: سمعت محمَّد بن الفرحان يقول: سمعت الجنيد يقول: سمعت أبا جعفر الخصَّاف يقول: حدَّثني جابر الرَّحبي قال: أكثر أهل الرَّحبة عليَّ الإنكار في باب الكرامات، فركبت السَّبُع يومًا ودخلت الرَّحبة، وقلت: أين الذين يُكذِّبون أولياء الله؟ قال: فكفوا بعد ذلك عنِّي.

وقيل: كان لإبراهيم بن أدهم صاحبٌ -يُقال له: يحيىٰ- يتعبد في غرفةٍ ليس إليها سُلَّم ولا درج، فكان إذا أراد أن يتطهَّر يجيء إلىٰ باب الغرفة، ويقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، ويمر في الهواء كأنَّه طيرٌ، ثُمَّ يتطهَّر، فإذا فرغ يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، ويعود إلىٰ غرفته.

أخبرنا محمَّد بن عبدالله الصّوفيُّ: سمعت عمر بن محمَّد بن أحمد الشيرازيَّ -بالبصرة- قال: سمعت أبا محمَّد جعفر الحَذَّاء بشِيراز قال: كنت أتأدَّب بأبي عمر الإِصْطَخْرِيِّ، فكان إذا خطر لي خاطرٌ أخرج إلىٰ إِصْطَخْرَ، فربُّما أجابني عمَّا

أحتاج إليه من غير أن أسأله، وربَّما سألت فأجابني، ثُمَّ شُغلت عن الذِّهاب، فكان إذا خطر على سرِّي مسألةٌ أجابني من إِصْطَخْرَ فيخاطبني بما يَرِدُ عليَّ.

وحكى بعضهم قال: مات فقيرٌ في بيت مُظلمٍ، فلمَّا أردنا غُسله تكلَّفنا طلب سِراجٍ، فوقع من كُوَّةٍ ضوءٌ فأضاء البيت فغسَّلناه، فلمَّا فرغنا ذهب الضوء كأن لم يكن.

وحُكي عن إبراهيم الآجريِّ قال: جاءني يهوديٌّ يتقاضى دَيْنًا كان له عليَّ، وأنا قاعدٌ عند الأُتون أُوقِد تحت الآجُرِّ، فقال لي اليهوديُّ: يا إبراهيم، أرني آية أُسلِم عليها، فقلت له: تفعل؟ قال: نعم، فقلت: انزع ثوبك، فنزع فلففته، ولففت على ثوبه ثوبي وطرحته في النَّار، ثُمَّ دخلت الأُتون وأخرجتُ الثَّوب من وسط النَّار، وخرجت من الباب الآخر؛ فإذا ثيابي بحالها لم يصبها شيءٌ، وثيابه في وسطها صارت حراقة، فأسلم اليهوديُّ.

سمعت محمَّد بن عبدالله الصوفيَّ يقول: سمعت أحمد بن محمَّد بن عبدالله الفرغانيَّ يقول: تزوَّج عبَّاس بن المهتدي امرأةً، فلمَّا كانت ليلة الدخول وقع عليه ندامةٌ، فلمَّا أراد الدُّنوَّ منها زُجِر عنها، فامتنع من وطئها وخرج، فبعد ثلاثة أيام ظهر لها زوجٌ.

قال الأستاذ: هذا هو الكرامة على الحقيقية حيث حفظ عليه العلم.

وقال عبدالواحد بن زيدٍ لأبي عاصمٍ البصريِّ: كيف صنعت حين طلبك الحَجَّاج؟ قال: كنت في غرفتي فدقّوا عليَّ الباب، فدخلوا فدفعت بي دفعةً، فإذا أنا على أبي قُبَيسٍ بمكّة، فقال له عبدالواحد: من أين كنت تأكل؟ قال: كانت تصعد إليَّ عجوزٌ كلَّ وقتٍ عند إفطاري بالرَّغيفين اللذين كنت آكلهما

بالبصرة، فقال عبدالواحد: تلك الدنيا أمرها الله أن تخدم أبا عاصمٍ.

وقيل: كان عامر بن عبد قيسٍ يأخذ عطاءه، ولا يستقبله أحدٌ إلَّا أعطاه شيئًا، وكان إذا أتىٰ منزله رمىٰ إليه بالدراهم، فتكون بمقدار ما أخذ لم تنقص.

سمعت أبا عبدالله الشِّيرازيَّ يقول: سمعت أبا أحمد الكبير يقول: سمعت أبا عبدالله بن خَفِيف يقول: سمعت أبا عمر الزَّجَّاجيَّ يقول: دخلت علىٰ الجنيد وكنت أريد أن أخرج إلىٰ الحجِّ، فأعطاني درهمًا صحيحًا، فشددته علىٰ مِئزري، فلم أدخل منزلًا إلَّا وجدت رُفقاء، ولم أحتج إلىٰ الدرهم، فلما حججت ورجعت إلىٰ بغداد دخلت علىٰ الجنيد فمدَّ يده، وقال: هات فناولته الدرهم، فقال: كيف كان؟ فقلت: كان الحتم -أي: الأمر- نافذًا.

وحُكي عن أبي جعفر الأعور قال: كنت عند ذي النّون المصريِّ فتذاكرنا حديث طاعة الأشياء للأولياء، فقال ذو النّون: من الطّاعة أن أقول لهذا السّرير يدور في أربع زوايا البيت ثُمَّ يرجع إلىٰ مكانه فيفعل، قال: فدار السَّرير في أربع زوايا البيت وعاد إلىٰ مكانه، وكان هناك شابٌّ فأخذ يبكي حتىٰ مات في الوقت.

وقال أبو بكر بن عبدالرحمن: كنَّا مع ذي النّون المصريِّ في البادية، فنزلنا تحت شجرة أُمِّ غَيلان، فقلنا: ما أطيب هذا الموضع لو كان فيه رُطَبٌ! فتبسَّم ذو النّون وقال: أتشتهون الرُّطب؟ وحرَّك الشَّجرة وقال: أقسمت عليك بالذي ابتدأك وخلقك شجرةً إلَّا نثرت علينا رُطبًا جَنيًّا، ثُمَّ حرَّكها فنثرت رُطبًا جَنيًّا، فأكلنا وشبعنا، ثُمَّ نمنا وانتبهنا فحركنا الشَّجرة فنثرت علينا شوكًا.

وحُكي عن أبي القاسم بن مروان النهاوندي قال: كنت أنا وأبو بكر الورَّاق مع أبي سعيد الخرَّاز نمشي علىٰ ساحل البحر نحو صيدا، فرأىٰ شخصًا

من بعيد، فقال: اجلسوا لا يخلو هذا الشخص أن يكون وليًّا من أولياء الله، قال: فما لبثنا أن جاء شابٌّ حسن الوجه، وبيده رَكوةٌ ومعه مَحبرةٌ وعليه مُرَقَّعةٌ، فالتفت أبو سعيد إليه مُنكرًا عليه، لحمله المَحبرة مع الرَّكوة، فقال له: يا فتىٰ كيف الطّرق إلىٰ الله تعالىٰ؟ فقال: أبا سعيد أعرف طريقين: طريقًا خاصًا، وطريقًا عامًا، فأمَّا الطّريق العام فالذي أنت عليه، وأمَّا الطّريق الخاص فهلُمَّ، ثُمَّ مشىٰ علىٰ الماء حتىٰ غاب عن أعيننا، فبقي أبو سعيد حيران ممَّا رأىٰ.

وقال الجنيد: جئت مسجد الشُّونيزيَّة، فرأيت فيه جماعةً من الفقراء يتكلمون في الآيات، فقال فقيرٌ منهم: أعرف رجلًا لو قال لهذه الأسطوانة كوني ذهبًا نصفك ونصفك فضةً كانت، قال الجنيد: فنظرت فإذا الأسطوانة نصفها ذهبٌ ونصفها فضةٌ.

وقيل: حجَّ سفيان الثوري مع شيبان الرَّاعي، فعرض لهما سَبُعٌ، فقال سفيان لشيبان: أما ترىٰ هذا السَّبُع؟ فقال: لا تخف، فأخذ شيبان أذنه فعركها، فبصبص وحرَّك ذَنَبه، فقال سفيان: ما هذه الشُّهرة؟ فقال: لولا مخافة الشُّهرة، لوضعت زادي علىٰ ظهره حتىٰ آتي مكّة.

وحُكي عن أبي عليٍّ الرّازيِّ قال: مررتُ يومًا علىٰ الفُرات، فعرضت لنفسي شهوة السَّمك الطريِّ، فإذا الماء قد قذف سمكةً نحوي وإذا رجلٌ يعدو ويقول: أشويها لك؟ فقلت: نعم، فشواها فقعدت وأكلتها.

وقال حامد الأسود: كنت مع الخوَّاص في البرِّيَّة، فبتنا عند شجرةٍ، وجاء السَّبُع فصعدت الشَّجرة إلىٰ الصَّباح لا يأخذني النوم، ونام إبراهيم الخوَّاص والسَّبُع يشمُّ من رأسه إلىٰ قدمه، ثُمَّ مضىٰ، فلما كانت الليلة الثانية بتنا في مسجدٍ

في قريةٍ، فوقعت بقَّةٌ على وجهه فضربته، فأنَّ أنَّةً، فقلت: هذا عجبٌ! البارحة لم تجزع من الأسد، والليلة تصيح من البقِّ؟ فقال: أمَّا البارحة فتلك حالة كنت فيها بالله عزَّ وجلَّ، وأمَّا الليلة فهذه حالة أنا فيها بنفسي.

وحُكي عن عطاء الأزرق: أنَّه دفعت إليه امرأته درهمين من ثمن غزلها ليشتري الدّقيق لهم، فخرج من بيته فلقي جارية تبكي، فقال لها: ما لك؟ فقالت: دفع إليَّ مولاي درهمين أشتري لهم شيئًا وسقطا مِنِّي، فأخاف أن يضربني، فدفع عطاء الدِّرهمين إليها، ومرَّ وقعد على حانوت صديقٍ له ممَّن يشقُّ السَّاج، وذكر له الحال وما يخاف من سوء خُلق امرأته، فقال له صاحبه: خذ من هذه النُّشارة في هذا الجراب؛ لعلّكم تنتفعون بها في سَجر التّنّور، إذ ليس يساعدني الإمكان في شيءٍ آخر، فحمل النُّشارة وفتح باب داره ورمى بالجراب وردَّ الباب، ودخل المسجد إلى ما بعد العتمة؛ ليكون النوم أخذهم ولا تسطيل عليه المرأة، فلمَّا فتح الباب وجدهم يخبزون الخبز، فقال: من أين لكم هذا الخبز؟ فقالوا: من الدّقيق الذي كان في الجراب، لا تشترِ غير هذا الدّقيق، قال: أفعل إن شاء الله تعالى.

سمعت الشيخ أبا عبدالرحمن السُّلَميَّ يقول: سمعت منصور بن عبدالله يقول: سمعت أبا جعفر بن بركات يقول: كنت أجالس الفقراء ففتح عليَّ بدينار، فأردت أن أدفعه إليهم، ثُمَّ قلت في نفسي: لعلِّي أحتاج إليه، فهاج بي وجع الضّرس، فقلعت سَنًّا، فوجعت الأخرى حتى قلعتها، فهتف بي هاتف: إن لم تدفع إليهم بدينارٍ فلا يبقى في فمك سِنٌّ واحدةٌ.

قال الأستاذ: وهذا في باب الكرامة أتمُّ من أن كان يفتح عليه دنانير كثيرة

بنقض العادة.

وحكىٰ أبو سليمان الدّارانيُّ قال: خرج عامر بن عبد قيسٍ إلىٰ الشّام، ومعه رَكْوةٌ إذا شاء صبَّ منها ماءٌ يتوضَّأ للصَّلاة، وإذا شاء صبَّ منها لبنًا يشربه.

ثنا محمَّد بن عبدالله الصوفيُّ: ثنا عبدالعزيز بن الفضل: ثنا محمَّد بن أحمد المروزيُّ: ثنا عبدالله بن سليمان قال: قال أبو حمزة نصر بن الفرج -خادم أبي معاوية الأسود-: كان أبو معاوية ذهب بصره، فإذا أراد أن يقرأ نشر المصحف فيردُّ الله عليه بصره، فإذا أطبق المصحف ذهب بصره.

وقال أحمد بن الهيثم المتطبب: قال لي بشرٌ الحافيُّ: قُل لمعروفٍ الكَرخيِّ: إذا صلَّيت جئتك، قال: فأديت الرسالة وانتظرته، فصلَّينا الظّهر ولم يجيء، ثُمَّ صلَّينا العصر، ثُمَّ المغرب، ثُمَّ العِشاء، فقلت في نفسي: سبحان الله! مثل بشرٍ يقول شيئًا ثُمَّ لا يفعل! لا يجوز ألَّا يفعل، وانتظرته وأنا فوق مسجدٍ علىٰ مِشْرَعةٍ، فجاء بشرٌ بعد هوىٰ من الليل وعلىٰ رأسه سَجَّادة، فتقدَّم إلىٰ دِجلة ومشىٰ علىٰ الماء، فرميت بنفسي من السَّطح وقبلت يديه ورجليه، وقلت: ادعُ الله لي، فدعا لي وقال: استره عليَّ، فلم أتكلَّم بهذا حتىٰ مات.

أخبرنا أبو عبدالله الشِّيرازيُّ: ثنا أبو الفرج الورثانيُّ: سمعت علي بن يعقوب -بدمشق- قال: سمعت أبا بكر محمَّد بن أحمد يقول: سمعت قاسمًا الجوعيَّ يقول: رأيت رجلًا في الطَّواف لا يزيد علىٰ قوله: قضيت حوائج الكلِّ ولم تقضِ حاجتي؟ فقلت: ما لك لا تزيد علىٰ هذا الدُّعاء؟ فقال: أُحدِّثك: اعلم أنا كنَّا سبعة أنفس من بلدان شتَّىٰ، فخرجنا إلىٰ الجهاد فأسرنا الرّوم، ومضوا بنا لنُقتل، فرأيت سبعة أبواب فُتحت من السَّماء، وعلىٰ كلِّ بابٍ جاريةٌ

حسناء من الحور العين، فَقُدم واحد منا فضُربت عنقه، فرأيت جارية منهن هبطت إلىٰ الأرض بيدها منديل، فقبضت روحه، حتىٰ ضُربت أعناق ستةٍ منَّا، فاستوهبني بعض رجالهم، فقالت الجارية: أي شيء فاتك يا محروم؟ وغُلِّقت الأبواب، فأنا يا أخي متأسِّفٌ مُتحسِّرٌ علىٰ ما فاتني.

قال قاسم الجوعيُّ: أراه أفضلهم؛ لأنَّه رأىٰ ما لم يروا، وعمل علىٰ الشّوق بعدهم.

وسمعته يقول: سمعت أبا النّجم أحمد بن الحسين -بـخوزستان- يقول: سمعت أبا بكر الكنانيَّ يقول: كنت في طريق مكّة في وسط السَّنة، فإذا أنا بِهميان ملآن يلتمع دنانير، فهممت أن أحمله؛ لأُفرِّقه بمكّة علىٰ الفقراء، فهتف بي هاتفٌ: إن أخذته سلبناك فقرك.

ثنا محمَّد بن محمَّد بن عبدالله الصوفيُّ: ثنا أحمد بن يوسف الخيَّاط قال: سمعت أبا علي الروذباريَّ يقول: سمعت أبا العبَّاس الشرفيَّ يقول: كنا مع أبي تراب النَّخشبيِّ في طريق مكّة، فعدل عن الطَّريق إلىٰ ناحيةٍ، فقال بعض أصحابه: أنا عطشان، فضرب برجله الأرض؛ فإذا عين ماءٍ زُلالٍ، فقال الفتىٰ: أحبُّ أن أشربه في قدح، فضرب بيده إلىٰ الأرض فناوله قدحًا من زجاجٍ أبيض، كأحسن ما رأيت، وسقانا، ومازال القدح معنا إلىٰ مكّة، فقال لي أبو تراب: يومًا ما يقول أصحابك في هذه الأمور التي يكرم الله بها عباده؟ فقلت: ما رأيت أحدًا إلا وهو يؤمن بها، فقال: من لم يؤمن بها فقد كفر، إنَّما سألتك عن طريق الأحوال، فقلت: ما أعرف لهم قولًا فيه، قال: بلىٰ قد زعم أصحابك أنها خِدعٌ من الحقِّ، وليس الأمر كذلك، إنَّما الخِدع في حال السُّكون إليها، فأمَّا

من لم يقترح ذلك، ولم يُساكنها، فتلك مرتبة الربَّانيين.

حدَّثنا محمَّد بن عبلة الصوفيُّ: ثنا أبو الفرج الورثانيُّ قال: سمعت محمَّد بن الحسين الخلدي بطرسوس قال: سمعت أبا عبدالله بن الجلاء يقول: كنَّا في غرفة سَريٍّ السَّقَطيِّ ببغداد، فلمَّا ذهب من الليل شيءٌ لبس قميصًا نظيفًا وسراويل ورداءً ونعلًا، وقام ليخرج فقلت: إلى أين في هذا الوقت؟ فقال: أعود فتحًا الموصلي، فلمَّا مشى في طُرقات بغداد أخذه العَسَسُ وحبسوه، فلمَّا كان من الغد أُمر بضربه مع المحبوسين، فلمَّا رفع الجلَّاد يده ليضربه وقفت يداه فلم يقدر أن يحرِّكها، فقيل للجلَّاد: اضرب، فقال: بحذائي شيخٌ يقول: لا تضربه، فتقف يداه لا تتحرَّك، فنظروا مَن الرجل، فإذا هو فتح الموصلي فلم يضربوه.

أخبرنا الشيخ أبو عبدالرحمن السُلَميُّ: حدَّثنا أبو الحارث الخَطَّابيُّ: ثنا محمَّد بن الفضل: ثنا عليُّ بن مسلمٍ: ثنا سعيد بن يحيى البصريُّ قال: كان أناس من قريشٍ يجلسون إلى عبدالواحد بن زيدٍ، فأتوه يومًا وقالوا: إنَّا نخاف من الضَّيقة والحاجة، فرفع رأسه إلى السّماء وقال: اللهمَّ إنِّي أسالك باسمك المرتفع، الذي تُكرم به من شئت من أوليائك، وتُلهمه الصفيَّ من أحبابك، أن تأتينا برزقٍ من لدنك، تقطع به علائق الشّيطان من قلوبنا وقلوب أصحابنا هؤلاء، فأنت الحنَّان المنَّان، القديم الإحسان، اللهمَّ السَّاعة السَّاعة. قال: فسمعت والله قعقعة للسَّقف، ثُمَّ تناثرت علينا دنانير ودراهم، فقال عبدالواحد بن زيد: استغنوا بالله عزَّ وجلَّ عن غيره، فأخذوا ذلك، ولم يأخذ عبدالواحد شيئًا.

وسمعت أبا عبدالله الشِّيرازيَّ يقول: سمعت عبدالواحد بن بكر الورثانيَّ

يقول: سمعت محمَّد بن علي بن الحسين المقري -بطرسوس- يقول: سمعت أبا عبدالله بن الجلاء يقول: اشتهت والدتي علىٰ والدي يومًا من الأيام السَّمك، فمضىٰ والدي إلىٰ السّوق وأنا معه، فاشترىٰ سمكًا ووقف ينتظر من يحمله، فرأىٰ صبيًّا وقف بحذائه مع صبيٍّ فقال: يا عم تريد من يحمله؟ فقال: نعم، فحمله ومشىٰ معنا فسمعنا الأذان، فقال الصَّبيُّ: أذَّن المؤذِّن وأحتاج أن أتطهَّر وأُصلِّي فإن رضيت وإلا فاحمل السَّمك، ووضع الصَّبيُّ السَّمك ومرَّ، فقال أبي: فنحن أولىٰ أن نتوكَّل في السَّمك، فدخلنا المسجد فصلَّينا، وجاء الصَّبيُّ وصلَّىٰ، فلمَّا خرجنا فإذا بالسَّمك موضوعٌ مكانه، فحمله الصَّبيُّ، ومضىٰ معنا إلىٰ دارنا، فذكر والدي ذلك لوالدتي، فقالت له: قل له حتىٰ يقيم عندنا ويأكل معنا، فقلنا له، فقال: إني صائم، فقلنا: تعود بالعشيِّ؟ فقال: إذا حملت مرّةً في اليوم لا أحمل ثانيًا، ولكنِّي سأدخل المسجد إلىٰ المساء، ثُمَّ أدخل عليكم، فمضىٰ، فلمَّا أمسينا، دخل الصَّبيُّ وأكلنا، فلمَّا فرغنا دللناه علىٰ موضع الطَّهارة، ورأينا فيه أنَّه يؤثر الخلوة، فتركناه في بيتٍ، فلمَّا كان بعض الليل كان لقريبٍ لنا بنتٌ زَمِنَةٌ فجاءت تمشي، فسألناها عن حالها، فقالت: قلت: يا ربِّ أسألك بحرمة ضيفنا أن تعافيني، فقمت، قال: فمضينا لنطلب الصَّبيَّ فإذا الأبواب مغلقةٌ كما كانت ولم نجد الصَّبيَّ، فقال أبي: فمنهم -أي: الأولياء- صغيرٌ، ومنهم كبيرٌ.

سمعت محمَّد بن الحسين يقول: ثنا أبو الحارث الخطَّابي: ثنا محمَّد بن الفضل: ثنا عليُّ بن مسلم: ثنا سعيد بن يحيىٰ البصريُّ قال: أتيت عبدالواحد بن زيدٍ وهو جالسٌ في ظلٍّ، فقلت له: لو سألت الله أن يوسِّع عليك الرزق،

لرجوت أن يفعل، فقال: ربِّي أعلم بمصالح عباده، ثُمَّ أخذ حصىٰ من الأرض، ثُمَّ قال: اللهمَّ إن شئت أن تجعلها ذهبًا فعلت، فإذا هي والله في يده ذهبٌ فألقاها إليَّ، وقال: أنفقها أنت، فلا خير في الدُّنيا إلَّا للآخرة.

سمعت أبا عبدالرحمن السُّلَميَّ يقول: سمعت محمَّد بن الحسن البغداديَّ يقول: سمعت أبا علي بن يوسف المؤدِّب يقول: تكلَّم سهل بن عبدالله يومًا في الذِّكر فقال: إنَّ الذاكر لله علىٰ الحقيقة لو هَمَّ أن يُحيىٰ الموتىٰ لفعل، ومسح يده علىٰ عليلٍ بين يديه فبَرئ وقام.

وسمعت أبا عبدالله الشِّيرازيَّ يقول: سمعت أبا عبدالله بن مفلح يقول: سمعت المغازليَّ يقول: سمعت الجنيد يقول: كانت معي أربعة دراهم، فدخلت علىٰ السَّريِّ، وقلت: هذه أربعة دراهم حملتها إليك، فقال: أبشر يا غلام بأنَّك تُفلح، كنت أحتاج إلىٰ أربعة دراهم، فقلت: اللهمَّ ابعثها علىٰ يد من يُفلح عندك.

وسمعته يقول: حدَّثني إبراهيم بن أحمد الطَّبريُّ: ثنا أحمد بن يوسف: ثنا أحمد بن إبراهيم بن يحيىٰ: حدَّثني أبي حدَّثني أبو إبراهيم اليمانيُّ قال: خرجنا نسير مع إبراهيم بن أدهم علىٰ ساحل البحر، فانتهينا إلىٰ غَيْضَةٍ فيها حطبٌ يابسٌ كثيرٌ، وبالقرب منها حِصنٌ، فقلنا لإبراهيم بن أدهم: لو أقمنا الليلة هاهنا وأوقدنا من هذا الحطب، فقال: افعلوا، فطلبنا النَّار من الحِصن فأوقدنا، وكان معنا الخبز فأخرجنا نأكل، فقال واحدٌ منَّا: ما أحسن هذا الجمر لو كان لنا لحمٌ نشويه عليه! فقال إبراهيم بن أدهم: إنَّ الله تعالىٰ لقادر علىٰ أن يطعمكموه، قال: فبينا نحن كذلك إذا بأسدٍ يطرد أيلًا -ذكر الوعل- فلمَّا

قرب منَّا وقع فاندقت عنقه، فقام إبراهيم بن أدهم وقال: اذبحوه فقد أطعمكم الله، فذبحناه وشوينا من لحمه، والأسد واقفٌ ينظر إلينا.

سمعت محمَّد بن الحسين يقول: سمعت أبا القاسم عبدالله بن علي الشَّجَريَّ يقول: كنت مع إبراهيم الخوَّاص في البادية سبعة أيام على حالةٍ واحدةٍ، فلمَّا كان اليوم السّابع ضَعُفتُ، فجلستُ، فالتفتَ إليَّ وقال: ما لَكَ؟ فقلت: ضَعُفتُ، فقال: أيُّما أغلب عليك، الماء أو الطَّعام؟ فقلت: الماء، فقال: الماء وراءك، فالتفتُّ فإذا عين ماءٍ كاللبن الحليب، فشربت وتطهَّرت، وإبراهيم ينظر ولم يقربه، فلمَّا أردت القيام، هممت أن أحمل منه فقال: أمسك؛ فإنَّه ليس ممَّا يُتزوَّدُ منه.

سمعت أبا عبدالله يقول: سمعت أبا عبدالله بن عبدالله يقول: سمعت أبا عبدالله الدَّبَّاس البغداديَّ يقول: سمعت فاطمة -أخت أبي علي الروذباريِّ- تقول: سمعت زيتونة -خادمة أبي الحسين النُّوريِّ، وكانت تخدمه، وخدمت أبا حمزة والجنيد- قالت: كان يومٌ باردٌ فقلت للنُّوريِّ: أَحمِل شيئًا إليك؟ قال: نعم، فقلت: إيش تريد؟ قال: خبز ولبن، فحملت وكان بين يديه فحمٌ، وكان يقلِّبها بيديه وقد اشتعلت، فأخذ يأكل الخبز واللبن يسيل على يده، وعليها سواد الفحم، فقلت في نفسي: ما أقذر أولياءك يا رب! ما فيهم أحد نظيف! قالت: فخرجت من عنده، فتعلَّقت بي امرأة، فقالت: سرقت لي رُزمة ثياب، وجرُّوني إلى الشُّرطي، فأُخبر النُّوري بذلك، فخرج وقال للشُّرطي: لا تتعرَّضوا لها؛ فإنَّها وليَّةٌ من أولياء الله تعالى، فقال الشُّرطي: كيف أصنع والمرأة تدَّعي؟ قال: فجاءت جاريةٌ، ومعها الرُّزمة المطلوبة، فاستردَّ النُّوري المرأة

وقال لها: لا تقولي بعدها، ما أقذر أولياءك، قالت: فقلت: تُبتُ إلى الله تعالى.

سمعت محمَّد بن عبدالله الشِّيرازيَّ يقول: سمعت محمَّد بن فارسٍ الفارسيَّ يقول: سمعت أبا الحسن خيرًا النَّسَّاج يقول: سمعت الخوَّاص يقول: عطشت في بعض أسفاري وسقطت من العطش، فإذا أنا بماء رُشَّ على وجهي، ففتحت عيني، فإذا برجلٍ حسن الوجه راكبٌ دابَّة شَهْبَاء، فسقاني الماء، وقال: كن رَدِيفي، وكنت بالحجاز، فما لبثت إلَّا يسيرًا، فقال لي: ما ترى؟ فقلت: أرى المدينة، فقال: انزل، وأَقْرِأ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم منِّي السَّلام، وقل أخوك الخَضِر يُقرؤك السَّلام.

سمعت الشيخ أبا عبدالرحمن السُّلَميَّ يقول: سمعت محمَّد بن الحسن البغداديَّ يقول: قال أبو الحديد: سمعت المُظَفَّر الجَصَّاص يقول: كنت أنا ونصر الخرَّاط ليلةً في موضعٍ فتذاكرنا شيئًا من العلم، فقال الخرَّاط: إنَّ الذاكر لله تعالى فائدته في أول ذكره أن يعلم أنَّ الله تعالى ذَكَره، فبذكر الله ذِكره، قال: فخالفتُه، فقال: لو كان الخَضِر عليه السَّلام هاهنا لشهد بصحَّته، قال: فإذا نحن بشيخٍ يَجيء بين السَّماء والأرض، حتى بلغ إلينا وسلَّم، وقال: صَدَق، الذَّاكر لله تعالى بفضل ذِكر الله تعالى له ذِكره، فعلمنا أنَّه الخضر عليه السَّلام.

سمعت الأستاذ أبا عليٍّ الدقَّاق يقول: جاء رجلٌ إلى سهل بن عبدالله، وقال: إنَّ النَّاس يقولون إنَّك تمشي على الماء فقال: سَلْ مؤذِّن المحلَّة؛ فإنَّه رجلٌ صالح لا يكذب، قال: فسألته، فقال المؤذِّن: لا أدري هذا، ولكنَّه كان في بعض هذه الأيام نزل الحوض ليتطهَّر فوقع في الماء، فلو لم أكن أنا لبقي فيه. قال الأستاذ أبو علي الدقَّاق: إنَّ سهلًا كان بتلك الحالة التي وَصَف، ولكنَّ الله

تعالىٰ يريد أن يستر أولياءه، فأجرىٰ ما وقع من حديث المؤذِّن والحوض سَترًا لحال سهلٍ، وسهلٌ كان صاحب الكرامات.

وقريب من هذا المعنىٰ ما حُكي عن أبي عثمان المغربيِّ قال: رأيته بخطِّ أبي الحسين الجرجانيِّ قال: أردت مرَّةً أن أمضي إلىٰ مصر، فخطر لي أن أركب السّفينة، ثُمَّ خطر ببالي أني أُعرف هناك، فخفت الشُّهرة، فمرَّ مركبٌ، فبدا لي، فمشيت علىٰ الماء، ولحقت بالمركب ودخلت السفينة، والناس ينظرون، ولم يقل أحد إنَّ هذا ناقضٌ للعادة أو غير ناقضٍ، فعرفت أنَّ الوليَّ مستورٌ وإن كان مشهورًا.

وممَّا شاهدنا من أحوال الأستاذ أبي عليٍّ الدقَّاق رضي الله عنه معاينةً: أنَّه كان به عِلَّة حُرقة البول، وكان يقوم في ساعةٍ غير مرَّةٍ حتىٰ كان يُجدد الوضوء غير مرَّةٍ لركعتي فرضٍ، وكان يحمل معه قارورة في طريق المجلس، وربَّما كان يحتاج إليها في الطَّريق مرَّات ذاهبًا وجائيًا، وكان إذا قعد علىٰ رأس الكرسيِّ يتكلَّم لا يحتاج إلىٰ طهارةٍ، ولو امتدَّ به المجلس زمنًا طويلًا، وكنَّا نُعاين ذلك من سنين، ولم يقع لنا في حياته أنَّ هذا شيءٌ ناقضٌ لعادته، وإنَّما وقع لي هذا، وفُتح عليَّ عِلمه بعد وفاته.

وفي قريبٍ من هذا ما يُحكىٰ عن سهل بن عبدالله: أنَّه كان قد أصابته زَمَانةٌ في آخر عمره، وكانت تُردُّ عليه القوة في أوقات الفرض فيُصلِّي قائمًا.

ومن المشهور: أنَّ عبدالله الوزَّان كان مُقعدًا، وكان في السَّماع إذا ظهر به وجدٌ يقوم ويستمع.

وسمعت محمَّد بن عبدالله الصّوفيَّ يقول: ثنا إبراهيم بن محمَّد المالكيُّ: ثنا يوسف بن أحمد البغداديُّ: ثنا أحمد بن أبي الحواريِّ قال: حَجَجتُ أنا وأبو

سليمان الدَّارانيُّ، فبينا نحن نسير إذ سقطت السَّطيحَة منِّي، فقلت لأبي سليمان: فقدت السَّطيحَة وبقينا بلا ماءٍ، وكان بردٌ شديدٌ، فقال أبو سليمان: يا رادَّ الضَّالَّة ويا هاديًا من الضَّلالة أُردُدْ علينا الضَّالة، فإذا واحدٌ ينادي: من ذهبت له سَطِيحَة؟ قال: فقلت: أنا، فأخذتها، فبينا نحن نسير، وقد تدرعَّنا بالفِراء؛ لشدَّة البرد، فإذا نحن بإنسانٍ عليه طِمْران، وهو يترشَّح عرقًا، فقال أبو سليمان: تعالىٰ ندفع إليه شيئًا ممَّا علينا من الثِّياب، فقال: يا أبا سليمان، أتشير بالزهد وأنت تجد البرد؟ أنا أَسِيح في هذه البرِّيَّة منذ ثلاثين سنةً ما انتفضت ولا ارتعدت، يُلبسني الله في البرد فيحًا من محبَّته، ويلبسني في الصَّيف برد مذاق محبَّته، ومَرَّ.

وسمعته يقول: سمعت أبا بكر محمَّد بن علي التكريتيَّ يقول: سمعت محمَّد بن عليٍّ الكتانيَّ يقول – بمكة-: سمعت الخوَّاص يقول: كنت في البادية مرَّةً، فسِرت في وسط النَّهار فوصلت إلىٰ شجرة وبالقرب منها ماءٌ، فنزلت فإذا أنا بسَبُعٍ عظيمٍ أقبل، فاستسلمت، فلمَّا قرب منِّي إذا هو يعرج، فحمحم وبرك بين يدي ووضع يده علىٰ حجري، فنظرت فإذا يده مَنتفخةٌ بها قيحٌ ودمٌ، فأخذت خشبة،وشققت الموضع الذي فيه القيح وشددت عليه خرقة ومضىٰ، فإذا أنا به بعد ساعةٍ ومعه شبلان يبصبصان لي وحملا إليَّ رغيفًا.

وسمعته يقول: ثنا أحمد بن علي السَّائح: ثنا محمَّد بن عبدالله بن مُطرِّف: ثنا محمَّد بن الحسن العسقلانيُّ: ثنا أحمد بن أبي الحواريِّ قال: اشتكىٰ محمَّد بن السَّمَّاك، فأخذنا ماءه وانطلقنا إلىٰ الطَّبيب وكان نصرانيًا، فبينا نحن بين الحيرة والكوفة استقبلنا رجلٌ حسن الوجه طيِّب الرائحة نقيُّ الثوب، فقال لنا: إلىٰ

أين تريدون؟ قلنا: نريد فلانًا الطَّبيب؛ نريه ماء ابن السَّمَّاك، فقال: سبحان الله، تستعينون على وليِّ الله بعدوِّ الله! اضربوا به الأرض وارجعوا إلى ابن السَّمَّاك وقولوا له: ضع يدك على موضع الوجع وقل: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء:١٠٥]، ثُمَّ غاب عنَّا فلم نره، فرجعنا إلى ابن السَّمَّاك فأخبرناه بذلك، فوضع يده على موضع الوجع وقال ما قال الرجل، فعُوفي في الوقت، فقال: ذلك كان الخَضِر عليه السَّلام.

سمعت محمَّد بن الحسين يقول: سمعت عبدالرحمن بن محمَّد الصوفيَّ يقول: سمعت عمر البسطامي يقول: كنا قعودًا في مجلس أبي يزيد البِسْطَاميِّ فقال: قوموا بنا نستقبل وليًّا من أولياء الله تعالى، فقمنا معه، فلمَّا بلغنا الدَّرب فإذا إبراهيم بن شيبة الهروي، فقال له أبو يزيد: وقع في خاطري أن أستقبلك، وأشفع لك إلى ربي، فقال إبراهيم بن شيبة: لو شفَّعك في جميع الخلق لم يكن بكثيرٍ؛ إنَّما هم قطعة طين، فتحيَّر أبو يزيد من جوابه.

قال الأستاذ: وكرامة إبراهيم في استصغار ذلك أتمُّ من كرامة أبي يزيد، فيما حصل له من الفِراسة وصدق له من الحالة في باب الشفاعة.

سمعت الشيخ أبا عبدالرحمن السُّلَميَّ يقول: سمعت أبا بكر الرازيَّ يقول: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النُّون المصريِّ وقد سأله سالم المغربيُّ عن أصل توبته؟ فقال: خرجت من مصر إلى بعض القرى، فنمت في الطّريق ثُمَّ انتبهت وفتحت عيني؛ فإذا أنا بقُنبرة عَمياء سقطت من شجرة على الأرض فانشقَّت الأرض فخرج منها سُكرُّجَتان إحداهما من ذهبٍ والأخرى من فضّةٍ، وفي إحداهما سمسم وفي الأخرى ماء، فأكلت من هذه،

وشربت من هذه، فقلت: حسبي تبت، ولزمت الباب إلى أن قبلني.

وقيل: أصاب عبدالواحد بن زيدٍ فالجٌ، فدخل وقت الصَّلاة واحتاج إلى الوضوء، فقال: مَن هاهنا؟ فلم يجبه أحدٌ، فخاف فوت الوقت، فقال: يا رب أحللني من وثاقي حتى أقضي طهارتي، ثُمَّ شأنك وأمرك، قال: فصحَّ حتى أكمل طهارته، ثُمَّ عاد إلى فراشه وصار كما كان.

وقال أيوب الجمَّال: كان أبو عبدالله الدَّيلميُّ إذا نزل منزلًا في سفرٍ عمد إلى حِماره وقال في أذنه: كنت أريد أن أشدَّك فالآن لا أشدُّك وأُرسلك في هذه الصّحراء لتأكل الكلأ فإذا أردنا الرحيل فتعال، فإذا كان وقت الرحيل يأتيه الحِمار.

وقال النَّضر بن شُمَيلٍ: ابتعت إزارًا فوجدته قصيرًا، فسألت ربِّي تعالى أن يُمغِّط لي ذِراعًا، ففعل.

قال الأستاذ: أي: يمد، من مَغَّط القوس، وهو مدُّه، قال النَّضر: ولو استزدته لزادني.

وقال إبراهيم الخواص: دخلت خربة في بعض الأسفار في طريق مكة بالليل، فإذا فيها سَبُعٌ عظيمٌ، فخفت، فهتف بي هاتفٌ: اثبت، فإنَّ حولك سبعين ألف مَلَك يحفظونك.

أخبرنا محمَّد بن الحسين، أخبرنا أبو الفرج الورثانيُّ: سمعت أبا الحسن عليَّ بن محمَّد الصوفيَّ يقول: سمعت جعفر الدبيل يقول: دخل النوريُّ الماء، فجاء لصٌّ فأخذ ثيابه، ثُمَّ إنَّه جاء ومعه الثِّياب وقد جفَّت يده، فقال النوريُّ: قد ردَّ علينا الثياب فرُدَّ عليه يده، فعُوفي.

وقال الشِّبليُّ: اعتقدت وقتًا أن لا آكل إلَّا من الحلال، فكنت أدور في

البراري فرأيت شجرة تين فمددت يدي إليها لآكل، فنادتني الشَّجرة: احفظ عليك عقدك، لا تأكل مني فإنِّي ليهوديٍّ.

وقال أبو عبدالله بن خَفَيفٍ: دخلت بغداد قاصدًا إلى الحجِّ، وفي رأسي نخوة الصّوفيّة، ولم آكل الخبز أربعين يومًا، ولم أدخل على الجنيد، وخرجت ولم أشرب الماء إلى زبالة، وكنت على طهارة، فرأيت ظبيًا على رأس البئر وهو يشرب -وكنت عطشان- فلما دنوت من البئر ولَّى الظبي وإذا الماء في أسفله، فمشيت وقلت: يا سيدي ما لي محل هذا الظبي، فسمعت من خلفي: جرّبناك فلم تصبر، ارجع وخذ الماء، فرجعت فإذا البئر ملآي ماءً، فملأت رَكوتي، وكنت أشرب منه وأتطهَّر إلى المدينة ولم ينفد، ولما استقيت سمعت هاتفًا يقول: إنَّ الظبي جاء بلا رَكوةٍ ولا حبلٍ، وأنت جئت مع الرَّكوة والحبل! فلمَّا رجعت مِن الحجِّ، دخلت الجامع، فلمَّا وقع بصر الجنيد عليَّ قال: لو صبرت لنبع الماء من تحت رجلك، لو صبرت ساعة.

سمعت حمزة بن يوسف السَّهميَّ يقول: سمعت أبا أحمد بن عديٍّ الحافظ يقول: سمعت أحمد بن حمزة -بمصر- يقول: حدثني عبدالوهاب -وكان من الصّالحين- قال محمَّد بن سعيد البصريُّ: بينا أنا أمشي في بعض طرق البصرة، إذ رأيت أعرابيًّا يسوق جملًا، فالتفت فإذا الجمل قد وقع ميتًا ووقع الرحل والقتب، فمشيت ثُمَّ التفتُّ، فإذا الأعرابيُّ يقول: يا مُسبِّب كلَّ سببٍ، ويا مولى من طلب، رُدَّ على ما ذهب، من جملٍ يحمل الرحل والقتب، وإذا الجمل قائمٌ والرحل والقتب فوقه.

وقيل: إنَّ شبلًا المروزي اشتهى لحمًا، فأخذ بنصف درهم، فاختطفته منه

حدأة في الطَّريق، فدخل شبل مسجدًا ليصلِّي، فلمَّا رجع إلىٰ منزله قدَّمت امرأته إليه لحمًا فقال: من أين هذا؟ فقالت: تنازعت حدأتان فسقط هذا منهما، فقال شبل: الحمد لله الذي لم ينس شبلًا، وإن كان شبلٌ كثيرًا ينساه.

أخبرنا محمَّد بن عبدالله الصّوفيُّ: ثنا عبدالواحد بن بكر الورثانيُّ قال: سمعت محمَّد بن داود يقول: سمعت أبا بكر بن معمرٍ يقول: سمعت ابن أبي عبيد البُسريَّ يحدث عن أبيه: أنَّه غزا سنة من السنين، فخرج في السَّريَّة، فمات المُهر الذي كان تحته وهو في السَّرية، فقال: يا رب أعرناه حتىٰ نرجع إلىٰ بُسرىٰ -يعني قريته- فإذا المُهر قائمٌ، فلمَّا غزا ورجع إلىٰ بُسرىٰ قال: يا بني خذ السَّرج عن المُهر، فقلت: إنَّه عرق، فإن أخذت السَّرج داخله الرِّيح، فقال: يا بني إنَّه عاريةٌ، قال: فلمَّا أخذت السَّرج وقع المُهر ميتًا.

وقيل: كان بعضهم نبَّاشًا، فتوفّيت امرأةٌ فصلَّىٰ النَّاس عليها وصلَّىٰ هذا النَّبَّاش؛ ليعرف القبر، فلمَّا جَنَّ عليه الليل نبش قبرها، فقالت: سبحان الله!! رجلٌ مغفورٌ له يأخذ كفن امرأةٍ مغفور لها؟! فقال: هبي أنَّك مغفورٌ لك، فأنا من أين؟ فقالت: إنَّ الله تعالىٰ غفر لي ولجميع من صلَّىٰ عليَّ، وأنت قد صليت عليَّ، فتركتها ورددت التراب عليها، ثم تَّاب الرجل وحسنت توبته.

سمعت حمزة بن يوسف يقول: سمعت أبا الحسن إسماعيل بن عمرو بن كامل -بمصر- يقول: سمعت أبا محمد نعمان بن موسىٰ الحيري -بالحيرة- يقول: رأيت ذا النّون المصريَّ وقد تقاتل اثنان، أحدهما من أولياء السّلطان والآخر من الرعية، فعدا الذي من الرعية عليه فكسر ثنيّته، فتعلق الجنديُّ بالرجل وقال: بيني وبينك الأمير، فجازوا بذي النون، فقال لهم النَّاس:

اصعدوا إلى الشيخ، فصعدوا إليه فعرَّفوه ما جرى، فأخذ السنَّ ثُمَّ بلَّها بريقه وردها إلى فم الرجل في الموضع الذي كانت فيه، وحرَّك شفتيه فتعلقت بإذن الله تعالى، فبقي الرجل يفتش فاه فلم يجد الأسنان إلَّا سواء.

سمعت حمزة بن يوسف يقول: سمعت أبا بكر النّابلسيَّ يقول: سمعت أبا بكر الهمذانيَّ يقول: بقيت في برِّيَّة الحجاز أيامًا لم آكل شيئًا، فاشتهيت باقلًّا حارًا، وخبزًا من باب الطاق، فقلت: أنا في البرِّيَّة وبيني وبين العراق مسافةٌ بعيدةٌ، فلم أُتم خاطري إلَّا وأعرابيٌّ من بعيد ينادي: باقلا حارٌّ وخبزٌ، فتقدمت إليه، فقلت: عندك باقلا حارٌّ وخبزٌ؟ قال: نعم، وبسط مئزرًا كان عليه، وأخرج خبزًا وباقلًا، وقال لي: كُل، فأكلت، ثم قال لي: كُل، فأكلت، ثم قال لي: كُل، فأكلت، فلمَّا قال في المرة الرابعة، قلت: بحقِّ الذي بعثك إليَّ إلَّا ما قلت لي من أنت؟ فقال: الخَضِر، وغاب عنِّي فلم أره.

سمعت الشيخ أبا عبدالرحمن السُّلَميَّ يقول: سمعت أبا العبَّاس بن الخشَّاب البغدادي يقول: سمعت محمَّد بن عبدالله الفرغاني يقول: سمعت أبا جعفر الحدَّاد يقول: جئت الثعلبية وهي خرابٌ، ولي سبعة أيام لم آكل فيها شيئًا، فدخلت القُبَّة، وجاء قومٌ خراسانيّون أصابهم جهدٌ فطرحوا أنفسهم على باب القبّة، فجاء أعرابيٌّ على راحلةٍ وصبَّ تمرًا بين أيديهم فاشتغلوا بالأكل ولم يقولوا لي شيئًا، ولم يرني الأعرابيُّ، فلمَّا كان بعد ساعتين فإذا بالأعرابي جاء وقال لهم: معكم غيركم؟ قالوا: نعم، هذا الرجل داخل القبة، قال: فدخل الأعرابي وقال لي: إيش أنت؟! لِمَ لم تتكلم؟! مضيتُ فعارضني إنسانٌ فقال لي: قد خلَّفت إنسانًا لم تطعمه، ولم يمكنني أن أمضي وتطولت عليَّ الطّريق؛ لأنِّي رجعت عن أميال،

وصبَّ بين يدي التمر الكثير ومضىٰ، فدعوتهم فأكلوا وأكلت.

سمعت حمزة بن يوسف يقول: سمعت أبا طاهر الرقيَّ يقول: سمعت أحمد بن عطاء يقول: كلمني جملٌ في طريق مكّة، رأيت جِمالًا والمحامل عليها، وقد مدت أعناقها في الليل، فقلت: سبحان الله من يحمل عنها ما هي فيه! فالتفت إليَّ جمل وقال لي: قل جلَّ الله! فقلت: جلَّ الله!.

سمعت محمَّد بن عبدالله الصوفيَّ يقول: سمعت الحسن بن أحمد الفارسيَّ يقول: سمعت الرقيَّ يقول: سمعت أبا بكر بن معمر يقول: سمعت أبا زرعة الجَنْبيَّ يقول: مكرت بي امرأة فقالت: ألا تدخل الدار؛ فتعود مريضًا، فدخلتُ فأغلقتِ الباب ولم أرَ أحدًا، فعلمتُ ما فعلتْ، فقلت: اللهمَّ سوِّدها، فاسودَّت، فتحيَّرتْ وفتحتْ الباب فخرجت، فقلت: اللهمَّ رُدَّها إلىٰ حالها، فردَّها إلىٰ ما كانت.

قال الأستاذ: واعلم أنَّ الحكايات في هذا الباب تربو علىٰ الحصر، والزيادة علىٰ ما ذكرناه، تخرجنا عن المقصود من الإيجاز، وفيما ذكرناه مُقنعٌ في هذا الباب».اهـ ما أردت نقله من "رسالة الإمام أبي القاسم القشيري" في باب كرامات الأولياء.

وذكر كرامات أخرىٰ في باب رؤيا القوم وغيره من أبواب "الرسالة" من ذلك ما ذكره عن ابن الجلاء أنَّه قال: «دخلت المدينة وبي فاقةٌ، فتقدمت إلىٰ القبر وقلت: أنا ضيفك فغفوت، فرأيت النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وقد أعطاني رغيفًا، فأكلت نصفه وانتبهت وبيدي النِّصف، وقد تقدَّم نظير هذه القصّة عن أبي الخير الأقطع».

وقال الإمام الحافظ النوويُّ في "بستان العارفين": روينا عن السّيد الجليل أبي مَيْسَرة عمرو بن شُرَحْبِيل التّابعيِّ الكوفيِّ الهمدانيِّ -رضي الله عنه بإسكان الميم وبالدال المهملة-: «أنَّه كان إذا أخذ عطاءه تصدَّق منه، فإذا جاء أهله فعدّوه فوجدوه سواء، فقال ابن أخيه: ألا تفعلون مثل هذا؟ فقالوا: لو علمنا أنَّه لا ينقص لفعلنا، قال أبو مَيسرة: إنِّي لست أشرط هذا علىٰ ربي عزَّ وجلَّ».

وذكر هذه الحكاية الحافظ المزي في "التهذيب"، والحافظ في "تهذيب التهذيب" من طريق أبي نعيم -الفَضْل بن دُكَينٍ- عن إسرائيل باللفظ المذكور

وروىٰ الحافظ النَّسفي في "فضائل الأعمال" من طريق حمَّاد بن سلمة: «أنَّ عاصم بن أبي النَّجُود -أحد أئمَّة القُرَّاء- قال: أصابني خَصَاصةٌ، فجئت إلىٰ بعض إخواني فأخبرته بأمري فرأيت في وجهه الكراهة، فخرجت من منزله إلىٰ الجبانة، فصلَّيتُ ما شاء الله ثُمَّ وضعت وجهي علىٰ الأرض، وقلت: يا مُسَبِّب الأسباب، يا مُفتِّح الأبواب، يا جامع الأصوات، يا مُجيب الدَّعوات، يا قاضي الحاجات، اكفني بحلالك عن حرامك، واغنني بفضلك عمَّن سِواك، قال: فوالله ما رفعت رأسي حتىٰ سمعت وقعةً بقربي، فرفعت رأسي فإذا حِدَأةٌ طرحت كيسًا أحمر، فأخذتُ الكيس فإذا فيه ثمانون دينارًا وجوهرةٌ ملفوفةٌ في قطنةٍ مندوفةٍ، قال: فبعت الجوهرة بمالٍ عظيمٍ، وفضلت الدنانير فاشتريت بها عقارًا، وحمدت الله علىٰ ذلك».

وقال ابن ظفر في كتاب "النصائح": «دخلت ثغرًا من ثغور الأندلس، فألفيت به شابًّا متفقِّهًا من أهل قرطبة، فآنسني بحديثه وذاكرني طرفًا من العلم، ثُمَّ إنِّي دعوت فقلت: يا من قال: ﴿وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾

[النساء:٣٢]، فقال: ألا أُحدِّثك عن هذه الآية بعجب؟! قلت: بلىٰ، فحدَّثني عن بعض سلفه أنَّه قال: قَدِم علينا من طليطلة راهبان، كانا عظيمي القدر بها وكانا يعرفان اللسان العربيِّ، فأظهرا الإسلام وتعلَّما القرآن والفقه، فظنَّ النَّاس بهما الظّنون، قال: فضممتهما إليَّ وقمت بأمرهما، وتجسَّست عليهما، فإذا هما علىٰ بصيرةٍ من أمرهما، وكانا شيخين، فقلَّما لبث أحدهما حتىٰ مات، وأقام الآخر أعوامًا، ثُمَّ مرض، فقلت له يومًا: ما سبب إسلامكما؟ فكره مسألتي، فرفقت به، فقال: إنَّ أسيرًا من أهل القرآن كان يخدم في كنيسةٍ نحن في صومعةٍ منها، فاختصصنا به لخدمتنا، وطالت صحبته لنا حتىٰ فقهنا اللسان العربيِّ وحفظنا آياتٍ كثيرةٍ من القرآن لكثرة تلاوته له، فقرأ يومًا ﴿وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء:٣٢].

فقلت لصاحبي -وكان أسدىٰ مني رأيًا وأحسن فهمًا-: أما تسمع دعاوىٰ هذه الآية؟ فزجرني، ثُمَّ إنَّ الأسير قرأ يومًا: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]، فقلت لصاحبي: هذه أشدُّ من تلك، فقال: ما أحسب الأمر إلَّا علىٰ ما يقولون، وما بَشَّر عيسىٰ إلَّا بصاحبهم.

قال: واتفق يومًا أني غُصصت بلقمةٍ والأسير قائمٌ علينا يسقينا الخمر علىٰ طعامنا، فأخذت الكأس منه فلم أنتفع بها، فقلت في نفسي: يا رب إنَّ محمدًا قال عنك أنَّك قلت: ﴿وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾، وأنك قلت: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، فإن كان صادقًا فاسقني، فإذا صخرة يتفجَّر منها الماء فبادرت وشربت منه.

فلمَّا قضيت حاجتي انقطع، ووراءي ذلك الأسير فشكَّ في الإسلام ورغبت أنا فيه، وأطلعت صاحبي على أمري فأسلمنا معًا، وغدا علينا الأسير يرغب في أن نعمده وننصره فانتهرناه وصرفناه عن خدمتنا، ثُمَّ إنَّه فارق دينه وتنصر، فحِرنا في أمرنا ولم نهتد لوجه الخلاص، فقال صاحبي -وكان أسدى مني رأيًا-: لم لا ندعو بتلك الدعوة؟ فدعونا بها في التماس الفرج، ونمنا القائلة، فرأيت في المنام أنَّ ثلاثة أشخاص نورانيّة دخلوا معبدنا، فأشاروا إلى صُورٍ فيه فانمحت، وأتوا بكرسي فنصّبوهنَّ، ثُمَّ أتى جماعةٌ مثلهم في النّور والبهجة وبينهم رجلٌ ما رأيت أحسن خَلْقًا منه، فجلس على الكرسيِّ فقمت إليه، فقلت له: أنت السّيد المسيح؟ فقال: لا، بل أنا أخوه أحمد، أسلِم، فأسلمت، ثُمَّ قلت: يا رسول الله، كيف لنا بالخروج إلى بلاد أمَّتك؟ فقال لشخصٍ قائمٍ بين يديه: اذهب إلى مَلِكهم وقل له يحملهما مكرمين إلى حيث أحبّا من بلاد المسلمين، وأن يحضر الأسير فلانًا ويعرض عليه العود إلى دينه، فإن فعل يُخلي سبيله، وإن لم يفعل فليقتله، قال: فاستيقظت من منامي وأيقظت صاحبي وأخبرته بما رأيت، وقلت له: ما الحيلة؟ فقال: قد فرَّج الله، أما ترى الصُّور ممحوَّة؟! فنظرت فوجدتها ممحوَّة، فازددت يقينًا، ثُمَّ قال لي صاحبي: قم بنا إلى الملك، فأتيناه فجرى في تعظيمنا على عادته وأنكر قصدنا له، فقال له صاحبي: افعل ما أُمرت به في أمرنا، وفي أمر فلانٍ الأسير، فانتقع لونه وأرعد ثُمَّ دعا بالأسير وقال له: أنت مسلمٌ أو نصرانيٌّ؟ فقال: بل نصرانيٌّ، فقال له: ارجع إلى دينك فلا حاجة لنا فيمن لا يحفظ دينه، فقال: لا أرجع إليه أبدًا، فاخترط الملك سيفه وقتله بيده، ثُمَّ قال لنا سِرًّا: إنَّ الذي جاء إليَّ وإليكما

شيطان، ولكن ما الذي تريدان؟ قلنا: الخروج إلى بلاد المسلمين، قال: أنا أفعل ما تريدان لكن أظهرا أنَّكم تريدان بيت المقدس، فقلنا له: نفعل فجهَّزنا وأخرجنا مكرمين».اهـ

نقل هذه القصّة الحافظ الدميريُّ في مبحث الحمار من "حياة الحيوان" ونقل عقبها عن مسروق قال: «كان رجلٌ بالبادية له حمارٌ وكلبٌ وديكٌ، وكان الدِّيك يُوقظهم للصَّلاة، والكلب يحرسهم، والحمار ينقلون عليه الماء ويحمل لهم خيامهم، فجاء الثعلب فأخذ الدِّيك فحزنوا له، وكان الرجل صالحًا فقال: عسى أن يكون خيرًا، ثُمَّ جاء الذِّئب فخرق بطن الحمار فقتله، فقال الرجل: عسى أن يكون خيرًا، ثُمَّ أُصيب الكلب بعد ذلك فقال: عسى أن يكون خيرًا، ثُمَّ أصبحوا ذات يوم فنظروا، فإذا قد سُبي مَن كان حولهم وبقوا سالمين، وإنَّما أُخذ أولئك بما كان عندهم من أصوات الكلاب والحمير والدِّيكة، فكانت الخِيرة في هلاك ما كان عندهم من ذلك كما قدَّر الله سبحانه وتعالى، فمن عرف خفيَّ لُطْف الله رضي بفعله».اهـ

وقال الشيخ أبو الحسن عليٌّ بن محمَّد المزيَّن الصغير الصُّوفيُّ: «كنت ببادية تبوك فقدمت إلى بئرٍ أستقي منها فزلقت رجلي، فوقعت في جوف البئر فرأيت في البئر زاويةً واسعةً فأصلحت موضعًا وجلست فيه، فبينما أنا كذلك إذا أنا بخشخشةٍ، فتأمّلت، فإذا أنا بأفعى سقطت عليَّ ودارت بي وأنا ساكنٌ في البئر لا أضطرب، ثُمَّ لفّت عليَّ ذَنَبها وأخرجتني من البئر وحلّت عني ذَنَبها، ثُمَّ ذهبت عني»، نقل هذه القصّة الحافظ الدميريُّ في "حياة الحيوان"، وذكر: أنَّ أبا الحسن هذا تُوفِّي بمكّة سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة.

وقال الدميريُّ أيضًا: روينا بالسّند الصّحيح: «أنَّ الشيخ عبدالقادر الجيليَّ -قدَّس الله روحه- جلس يومًا يعظ النَّاس وكانت الريح عاصفة، فمرت على مجلسه حدأة طائرة فصاحت فشوشت على الحاضرين ما هم فيه، فقال الشيخ: يا ريح خذي رأس هذه الحدأة، فوقعت لوقتها في ناحية ورأسها في ناحية، فنزل الشيخ عن الكرسي، وأخذها بيده، وأَمَرَّ يده الأخرى عليها، وقال: بسم الله الرحمن الرحيم، فحييت وطارت والناس يشاهدون ذلك».اهـ

وقال أيضًا: روينا بأسانيد شتى من طُرقٍ مُختلفةٍ: «أنَّ امرأةً جاءت بولدها إلى سيدي الشيخ عبدالقادر الجيلانيِّ -قدس الله روحه- وقالت: إنِّي رأيت قلب ابني هذا شديد التعلّق بك، وقد خرجت عن حقِّي فيه لله عزَّ وجلَّ ولك فاقبله، فقبله الشيخ وأمره بالمجاهدة وسلوك الطريق، فدخلت عليه أمُّه يومًا، فوجدته نَحيلًا مُصفرًّا من آثار الجوع والسَّهر، ووجدته يأكل قرصًا من الشَّعير، فدخلت إلى الشيخ فوجدت بين يديه إناءً فيه عظام دجاجةٍ مسلوقةٍ قد أكلها، فقالت: يا سيدي تأكل لحم الدجاج ويأكل ابني خبز الشَّعير؟! فوضع الشيخ يده على تلك العظام وقال: قومي بإذن الله تعالى الذي يُحيي العظام وهي رميم، فقامت دجاجة سويّة وصاحت، فقال الشيخ: إذا صار ابنك هكذا فليأكل ما شاء».اهـ

وذكر الحافظ ابن النجَّار في "تاريخه" في ترجمة يوسف بن عليِّ بن محمَّدً الزنجانيِّ -الفقيه الشَّافعيَّ- قال: حدَّثنا الشيخ أبو إسحاق الشيرازيُّ، عن القاضي الإمام أبي الطيب الطبريِّ قال: «كنَّا في حلقة النظر بجامع المنصور ببغداد، فجاء شابٌّ خُراسانيٌّ يسأل عن مسألة المصراة ويطالب بالدليل،

فاحتجَّ المستدلُّ بحديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في "الصّحيحين" وغيرهما فقال: الشَّابُّ -وكان حنفيًّا- أبو هريرة غير مقبول الحديث، قال القاضي: فما استتمَّ كلامه حتى سقطت حيَّةٌ عظيمةٌ من سقف الجامع، فهرب الناس وتبعت الشَّابَّ دون غيره، فقيل له: تُب تُب، فقال: تُبت، فغابت الحيَّة ولم يبقَ لها أثرٌ».

وذكرها الحافظ بن الصَّلاح في "رحلته" وقال: «هذا إسنادٌ ثابتٌ فيه ثلاثةٌ من صالحي أئمَّة المسلمين: القاضي أبو الطَّيِّب الطَّبريُّ، وتلميذه أبو إسحاق الشِّيرازيُّ، وتلميذه أبو القاسم الزنجانيُّ».

قلت: هذه كرامةٌ عظيمةٌ دافع الله بها عن صحابيٍّ جليلٍ، طالما تهجَّم على مقامه بعض الحنفيَّة المبتدعة فرموه تارةً بعدم الفقه وتارةً بعدم الثِّقة، مع أنَّه أوثق من أبي حنيفة وأفقه بدرجاتٍ، والكلام في الصَّحابة هو باب الزَّندقة الأعظم والسلم الموصل لهدم الدين؛ لأنَّهم نَقَلة القرآن وحَمَلة الحديث وحَفَظة الشَّريعة، فالطَّعن فيهم هدم للدِّين مِن أساسه، نسأل الله السَّلامة من الفتن.

وذكر الدميريُّ في "مبحث الحيَّة" عن أبي بكر بن أبي داود قال: «كان المستعين بالله بعث إلى عليِّ بن نصر -يعني الجهضميَّ الحفيد- يشخصه للقضاء، فدعاه عبدالملك -أمير البصرة- وأمره بذلك، فقال: ارجعُ فاستخير الله، فرجع إلى بيته فصَلَّى ركعتين وقال: اللهم إن كان لي عندك خيرٌ فاقبضني إليك ونام، فنبَّهوه فإذا هو ميتٌ، وذلك في شهر ربيع الآخر سنة خمسين ومائتين».اهـ

وذكر الحافظ السيوطيُّ في ترجمة السيِّد عبدالرحيم بن أحمد بن حجون السَّبتيِّ الحسنيِّ دفين قنا: «أنَّ حفيده السيِّد محمَّد ابن السيِّد الحسن ابن السيِّد

عبدالرحيم كان في بعض السّياحات، فكان يمرُّ بالحشائش فتخبره بمنافعها»، وذكر الحافظ السيوطيُّ أيضًا: «أنَّ هؤلاء السَّادات الثلاثة كانوا أصحاب علمٍ وورعٍ وزهدٍ وعبادةٍ، وكانت لهم كراماتٌ ومكاشفاتٌ وأحوالٌ عاليةٌ».

وذكر الحافظ السيوطيُّ أيضًا: «أن أبا القاسم بن منصور بن يحيىٰ الإسكندريَّ المالكيَّ -المعروف بالقباري- باع دابَّةً لرجلٍ، فأقامت أيامًا لم تأكل عنده شيئًا، فجاء إليه وأخبره، فقال له الشيخ: ما صنعتك؟ قال: رقَّاصٌ عند الوالي، فقال: إن دابَّتنا لا تأكل الحرام، ثُمَّ ردَّ إليه دراهمه».

قلت: كان العلامة ناصر الدين بن المنير تلميذًا لهذا الشيخ، وله في مناقبه تأليفٌ خاصٌّ نبَّه عليه الحافظ السيوطيُّ في "حسن المحاضرة"، ورأيت الحافظ ابن حجرٍ نقل منه في "فتح الباري" في الكلام علىٰ حديث «**الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ**» حيث قال ما نصُّه: «ونقل ابن المنير في مناقب شيخه القباريِّ عنه أنَّه كان يقول: المكروه عقبةٌ بين العبد والحرام، فمن استكثر من المكروه تطرَّق إلىٰ الحرام، والمباح عقبةٌ بينه وبين المكروه، فمن استكثر منه تطرَّق إلىٰ المكروه، وهو منزعٌ حسنٌ».اهـ

وذكر أبو عمران الفاسيُّ -أحد أئمَّة المالكيَّة-: «أنَّ أبا الحسن بن حرزهم سجنه سلطان مراكش، فقال لتلامذته في الطريق: لا ألبث في السجن، فقالوا له: سبحان الله!! اسكت، وهل سُجنت إلَّا علىٰ مثل هذه الأحوال، فقال لهم: ها هو الشيخ (أبو يعزىٰ) ينظرني لا يتركني، فإنَّه كلُّ ما يطلبه من مولاه يعمله له، وبينهما مسيرة خمسة أيام، فأُطلق من ساعته»، نقل هذه القصَّة العلامة المحقق للشيخ أحمد بابا التنبكتي في كتاب "نيل الابتهاج بتطريز الديباج".

قلت: أبو يعزىٰ كان من الأولياء الكبار ذوي المقامات الحميدة والكرامات العديدة، أفرد التادليُّ مناقبه بكتابٍ خاصٍّ سمَّاه "المعزىٰ في مناقب أبي يعزىٰ" رأيته وهو يقع في عشر كراسات تقريبًا، وأبو الحسن عليُّ بن إسماعيل بن محمَّدٍ بن عبدالله بن حرزهم كان عالمًا جمع بين الحديث والفقه وغيرهما، وأخذ عن أبي بكر بن العربي وغيره، وسلك طريق القوم وغلب عليه الزهد والورع، أصله من فاس ودخل الأندلس وأخذ عن علمائها، ثُمَّ رحل لمراكش فدرس بها العلم وتَوّب ناسًا وزَهّد أميرها في الدنيا، وكثر أتباعه وتلاميذه، ترجمه التادليُّ في "التشوف"، والساحليُّ في "بغية السالك"، والشيخ أحمد بابا في "نيل الابتهاج"، والسيد محمَّد بن جعفر الكتانيُّ في "سلوة الأنفاس" وغيرهم، وقبره مشهورٌ بفاس زرته مراتٍ.

ومن كراماته: أنَّه نعىٰ نفسه للنَّاس، وذلك أنَّه قال لهم: لا أصوم رمضان الآتي، ثُمَّ بعد أيام قصد صاحبًا له فقال له: قدِّم لي طعامًا آكله؛ فطعامك حلالٌ، فقدَّم له خبزًا ولبنًا فأكل ثُمَّ دخل الحمّام وقال لخَدَمة الحمّام: لم يبقَ لكم من خدمتي إلَّا هذا اليوم، فلمَّا خرج منه أتىٰ منزله فاستلقىٰ علىٰ فراشه، فلمَّا حان وقت صلاة العصر أتاه بعض تلامذته ليوقظه للصَّلاة فوجده ميتًا، تُوفِّي في آخر شعبان سنة تسع وخمسين وخمسمائة رحمه الله ورضي عنه.

ومن تلاميذه شيخ الشيوخ، الشيخ شعيب بن الحسن الأندلسي المعروف بأبي مدين، كان من أفراد الرجال ومن أعلام العلماء، وحفَّاظ الحديث خصوصًا "جامع الترمذيِّ" قائمًا عليه، رواه عن شيوخه عن أبي ذرٍّ الحافظ، يلازم كتاب "الإحياء" وترد عليه الفتاوىٰ في مذهب مالكٍ فيجيب عنها في

الحال، له مجلس وعظٍ يتكلَّم فيه على النَّاس، وتمرُّ به الطيور وهو يتكلَّم فتقف تستمع وربما مات بعضها، وكثيرًا ما يموت بمجلسه أهل الحبِّ، تخرَّج به جماعةٌ من العلماء والمحدِّثين وأرباب الأحوال، وكان شيخه أبو يعزى يثني عليه ويعظِّمه بين أصحابه، ولما قَدِم من الأندلس قرأ على ابن حرزهم المتقدِّم، وعلى الفقيه العلامة ابن غالبٍ.

وذُكر عنه أنَّه قال: «كنت في ابتدائي إذا سمعت تفسير آيةٍ أو حديثٍ قنعت به، وانصرفت لموضع خارج فاس أتَّخذه للعمل بما فتح الله عليَّ به، فإذا خلوت تأتيني غزالةٌ تؤنسني، وأمرُّ في طريقي بالكلاب فتبصبص لي وتدور حولي، فبينا أنا يومًا بفاسٍ إذا رجلٌ أندلسيٌّ من معارفي سلَّم عليَّ، فقلت: وجبت ضيافته، فبعت ثوبًا بعشرة دراهم فطلبته لأدفعها له فلم أجده هنالك، فحملتها معي وخرجت لخلوتي على عادتي، فتعرَّضت لي الكلاب ومنعتني الجواز حتى جاء رجلٌ حال بيني وبينها، ولَّما وصلت قريتي جاءتني الغزالة على عادتها فشمتني ونفرت عنِّي وأنكرت علي، فقلت: ما أتى عليَّ ألذُّ من هذه الدراهم، فرميتها عنِّي، فسكنت الغزالة وعادت لحالها، ولَّما رجعت رفعتها معي، ولقيت الأندلسيَّ فدفعتها له ثُمَّ خرجت للخلوة، فدارت بي الكلاب وبصبصت على عادتها، وجاءت الغزالة فشمّتني وأتت كعادتها.

وبقيت كذلك مدَّةً، وأخبار أبي يعزى ترد عليَّ، وكراماته يتداولها الناس، فملأ حبُّه قلبي، فقصدته مع الفقراء، فلمَّا وصلنا إليه أقبل عليهم دوني، وإذا حضر الطعام منعني من الأكل معهم، فبقيت ثلاثة أيام فأجهدني الجوع، وتحيَّرت من خواطر ترد عليَّ وقلت في نفسي: إذا قام الشيخ من موضعه

مرَّغت فيه وجهي، فلمَّا قام مرغته فإذا أنا لا أُبصر شيئًا، فبكيت ليلتي، فلمَّا أصبح دعاني وقرَّبني، فقلت: يا سيدي قد عميتُ، فمسح بيده على عيني فأبصرت، ثُمَّ على صدري فزالت عني تلك الخواطر وفقدت ألم الجوع، وشاهدت في الوقت عجائب بركاته، ثُمَّ استأذنته في الانصراف للحجِّ فأذن لي، وقال: ستلقى الأسد في طريقك فلا يروِّعك، فإن غلب عليك خوفه، فقل: بحرمة آل النّور إلَّا انصرفت عني، فكان كما قال، ولما حجَّ تعرَّف في عرفة بالشيخ عبدالقادر الجيلانيِّ، فقرأ عليه في الحرم كثيرًا من الحديث، وألبسه الخرقة، وأودعه كثيرًا من أسراره».

ومن كرامات الشيخ أبي مدين رضي الله عنه ما نقله صاحب "الروض" عن الشيخ الزاهد عبدالرزاق -أحد خواصِّ أصحابه- قال: «مرَّ الشيخ في بلاد الغرب، فرأى أسدًا افترس حمارًا يأكله، وصاحبه جالسٌ بالبعد على غاية الحاجة والفاقة، فجاء أبو مدين وأخذ بناصية الأسد وقال له: امسكه، واستعمله في الخدمة موضع حمارك، فقال: يا سيِّدي أخاف منه، فقال: لا تخف، لا يستطيع أن يؤذيك، فمرَّ بالأسد يقوده، والنَّاس ينظرون، فلمَّا كان آخر النَّهار جاء الرجل وقال: يا سيدي هذا الأسد يتبعني أينما ذهبت وأنا خائفٌ منه لا طاقة لي بعشرته، فقال الشيخ للأسد: اذهب ولا تعد، ومتى آذيتم بني آدم سلطتهم عليك».

ومن كراماته المشهورة: «أنَّه كان يومًا يمشي على السّاحل فأَسَرَه العدوُّ، وجعلوه في سفينةٍ فيها جماعةٌ من الأسرى، فلمَّا استقرَّ في السَّفينة توقَّفت عن السَّير ولم تتحرَّك مع قوّة الرِّيح ومساعدتها، وأيقن الرّوم ألَّا يقدورا على

السَّير، فقال بعضهم: أنزلوا هذا المسلم فإنَّه قِسِّيسٌ، ولعلَّه من أصحاب السّرائر عند الله تعالىٰ، فأشاروا إليه بالنّزول فقال: لا إلَّا إن أطلقتم كلَّ من فيها من الأساري، فعلموا ألَّا بدَّ لهم من ذلك، فأطلقوهم كلَّهم وسارت السّفينة في الحال.

ومن كراماته أيضًا: «أنَّ بعض طلبة العلم -ببجاية- اختلفوا في حديث «**إذا مات المؤمِن أُعْطِي نِصفَ الجنَّة**». فأشكل عليهم ظاهره، إذ يموت مؤمنين يستحقَّان كلَّ الجنَّة؟ فجاءوه وهو يتكلَّم علىٰ "رسالة القشيريِّ" فقال لهم قبل أن يسألوه: المراد: يُعطىٰ نصف جنَّته هو، فيُكشف له عن مقعده ليتنعَّم به وتقرَّ عينه، ثُمَّ النِّصف الآخر يوم القيامة».

ولَمَّا كثر أتباعه وتلاميذه، وكثر إخباره بالغيوب، وظهرت الخوارق علىٰ يده، وشىٰ به بعض العلماء عند السلطان يعقوب المنصور وخوفوه منه علىٰ الدولة، وأنه يشبه الإمام المهدي قد كثر أتباعه من كل بلد، فوقع في قلبه وأهمه شأنه، فبعث إليه في القدوم عليه ليختبره، ووصىٰ صاحب بجاية أن يحمله خير محمل، فلما أخذ في السفر شق علىٰ أصحابه وتغيروا، فسكنهم، وقال: إن مَنيتي قربت، وبغير هذا المكان قُدرت ولابد منه، وقد كبرت وضعفت لا أقدر علىٰ الحركة، فبعث الله لي مَن يحملني إليه برفق وأنا لا أرىٰ السلطان ولا يراني، فطابت نفوسهم، وعدوه من كراماته، فارتحلوا به علىٰ أحسن حال حتىٰ وصلوا حوز تلمسان، فبدت لهم رابطة العباد، فقال لأصحابه: ما أصلحه للرقاد، فمرض، فلما وصل وادي يسر اشتد مرضه فنزلوا به هناك، فكان آخر كلامه: الله الحق، وتوفي وكان ذلك سنة أربع وتسعين وخمسمائة، ولم يرَ

السلطان كما قال رضي الله عنه، ومناقبه وكراماته كثير، ترجمه التادليُّ في "التشوف"، والإمام الغبريني في "عنوان الدارية"، والشيخ أحمد بابا في "نيل الابتهاج"، بل أفرد ابن الخطيب القسنطيني جزءًا في التعريف به وبأصحابه، قال التادليُّ: تخرّج به ألف شيخٍ من الأولياء أُولي الكرامات.

قلت: ومن تلاميذه القطب الأكبر محيي الدين ابن العربي الحاتمي رضي الله عنه، وكان الشيخ أبو مدين يقول: كرامات الأولياء نتائج معجزاته صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وطريقتنا هذه أخذناها عن أبي يعزىٰ بسنده إلىٰ الجنيد، بسنده إلىٰ الحسن البصري، عن عليٍّ رضي الله عنه عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

ومن كلامه: «حسن الخُلق معاشرة كلُّ شخصٍ بما يؤنِسُه ولا يوحشه، فمع العلماء، بحسن الاستماع والافتقار، ومع أهل المعرفة بالسكون والانتظار، ومع أهل المقامات بالتوحيد والانكسار».

ومن كلامه أيضًا: «من عرف نفسه لم يغتر بثناء الناس عليه، ومن خدم الصّالحين ارتفع، ومن حرمه الله احترامهم ابتلاه بالمقت من خلقه، وانكسار العاصي خير من صَوْلَة المُطيع»، وله كلام من هذا القبيل كله حِكمٌ ومواعظ.

وذكر الإمام العلامة أبو العبَّاس الغبرينيُّ في "عنوان الدراية في تراجم علماء وصُلحاء بجاية": «أنَّ أبا الفضل بن النَّحوي كان يقرر للطَّلبة علم الكلام، فدخل قاضي الجماعة يومًا الجامع فوجده يقرر، فسأل عن الحلقة فأخبر، فأمر بإبطال الدرس، فقال أبو الفضل: كما تسبَّب في إهانة العِلم؛ فأرنا فيه العلامة وخرج، فتبعه ولد القاضي -وله في أبي الفضل اعتقاد- فقال له: ارجع لوالدك لتواريه، فرجع فوجد أباه قد قتله بعض أعدائه».

قلت: أبو الفضل اسمه يوسف بن محمَّد بن يوسف التوزريُّ، أخذ "صحيح البخاري" عن اللَّخميِّ، وقرأ الفقه والأصلين على المازريِّ، وأبي زكريا الشقراطيسيِّ، وعبدالجليل الربعي وغيرهم، وكان يميل إلى النَّظر والاجتهاد، وكان مُجاب الدّعوة، قال القاضي أبو عبدالله بن حمَّاد: «كان أبو الفضل ببلادنا كالغزالي في العراق علمًا وعملًا».

ومن كراماته: أنَّه قرأ بسلجلماسة الأصلين، فقال ابن بسام أحد رؤساء البلد: يريد هذا أن يُدخل علينا علومًا لا نعرفها، فأمر بطرده من المسجد، فقال: أمَتَّ العلم أماتك الله هنا، فجلس ثاني يوم لعقد نكاح سَحرًا فقتلته صنهاجة، وجرى له مثل هذا بفاسٍ مع قاضيها ابن دبوس، فدعا عليه فأصابته أَكَلةٌ في رأسه فوصلت لحلقه فمات، وكراماته كثيرةٌ، وهو ناظم المُنفرجة المشهورة التي أوَّلها:

اشتَدَّي أَزمَةُ تَنفَرِجِي ... قَد آذَنَ لَيلُكِ بِالبَلَجِ

تُوفِّي سنة ثلاث عشرة وخمسمائة ترجمه القاضي عياض، وابن الأبار، والغبرينيُّ، والشيخ أحمد بابا وغيرهم.

وقال ابن الخطيب القسنطينيُّ: أنَّ الإمام أبا محمَّدٍ موسى بن الجرائيِّ -فقيه فاسٍ- دخل يومًا جامع فاسٍ وليس فيه قنديلٌ، فأضاء منه الجامع حتى صلَّى وخرج وعاينه الناس.

قلت: هذا الشيخ من أصحاب أبي الحسن بن حرزهم ترجمه التادليُّ في "التشوف" ووصفه بالورع والفضل والاجتهاد وكثرة الصوم، تُوفِّي سنة ثمان وتسعين وخمسمائة رحمه الله ورضي عنه.

وقال ابن الخطيب القسنطينيُّ: حدَّثني ثقاتٌ: «أنَّ الشيخ أبا عبدالله الهزميريَّ كان يتكلَّم على مسألةٍ يومًا في مجلس أقرانه، فتكلَّم رجلٌ من طرف الحلقة فيها معه فلم يجبه، والرجل لا يعرف وعليه مرقعة، فنظر إليه الحاضرون استهزاءً، فقال له الرجل: يا فقيه أدرك أمَّك فقد حضر أجلُها، ثُمَّ قال: الله، فطار في الهواء، فعجب الحاضرون من ذلك وقام ضجيجٌ في المسجد، وغشي على الشيخ ساعةً وانصرف إلى منزله، فوجد أمَّه منتظرةٌ له -وكانت من الصّالحات- فقالت: يا ولدي حضر أجلي، وأردت حضورك، وأعياني انتظارك، فجلس عندها حتى قُبضت».

قلت: الشيخ أبو عبدالله محمد الهزميريُّ كان عالمًا صالحًا زاهدًا، له كراماتٌ كثيرةٌ، تُوفِّي سنة ثمان وسبعين وستمائة، قال الشيخ أحمد بابا: «وقد زرت قبره بأغمات مرارًا، وتوسلت عنده ولله الحمد».اهـ

وله أخ اسمه عبدالرحمن الهزميريُّ -وكنيته أبو زيد- كان أيضًا عالمًا ورعًا زاهدًا صاحب كراماتٍ، قال ابن الخطيب القسنطينيُّ عن بعض شيوخه بمراكش أنَّه قال: «كان أعجوبة وقته، يتحدَّث أبدًا على الضَّمائر ولا يفضح أحدًا، إنَّما يقول: مثل رجلٍ فعل كذا في مكان كذا».

قال ابن الخطيب: وذكر لي هذا الشيخ: «أنَّ شيخ شيوخنا الشيخ الصالح أبا العبّاس بن البنّا، كان يقصده فيما يشكل عليه من مسائل الهندسة وغيرها، قال: فأجد الزحام عليه فيجيبني من طرف الحلقة فأنصرف بلا سؤالٍ».

وقال الإمام الشريف أبو عبدالله التلمسانيُّ: أخبرني شيخنا الأبليُّ قال: أخبرنا الفقيه أبو عبدالله بن الحدّاد قال: «ورد علينا بفاس العارف أبو زيد الهزميريُّ،

فكنت أنتابه بالزيادة، وأتردَّدُ على أبي محمَّدٍ الفشتاليِّ -رضي الله عنهما- فكان يسألني عن الشيخ أبي زيدٍ، إلى أن قال لي في يوم جمعةٍ: ترى الشيخ أبا زيد أين يُصلِّي الجمعة؟ فقلت: لا أدري، فخرجت من عنده إلى الشيخ أبي زيد، فلمَّا سلمت عليه قال لي: سألك الشيخ أبو محمَّدٍ أين أُصلِّي الجمعة؟ لقد حجبته تلك الرُكيعات أن يعلم أين أُصلي؟، فعجبت من مكاشفته، ثُمَّ رجعت إلى الشيخ أبي محمَّدٍ فلمَّا سلَّمت عليه قال لي: قال لك الشيخ أبو زيد: حجبته تلك الركيعات، قل له: لا قطع الله عني تلك الركيعات».

قال الإمام الشريف التلمسانيُّ: «أشار الشيخ أبو زيد إلى اللذّة العاجلة بالصَّلاة، وأنَّ الالتفات إليها حجابٌ، وأشار الشيخ أبو محمَّد إلى ثوابها الأُخروي الباقي».اهـ

تُوفِّي أبو زيد الهزميريُّ سنة ست وسبعمائة -رحمه الله ورضي عنه- وذكر الخطيب القسنطيني: «أن الدعاء عند قبره مستجاب».

قلت: وقد جمع كراماته وكرامات أخيه -أبي عبدالله السابق- الشيخ أبو عبدالله بن تجلات الأغماتي في كتاب سماه "إثمد العينين في مناقب الأخوين".

وقال العلامة بن سلامة البكري: حدثني شيخنا الإمام العلَّامة المحقِّق محمَّد بن محمَّدٍ التميميُّ المعلقيُّ، عن شيخه إمام المغرب محمَّد بن مرزوقٍ: «أنَّه أراد ركوب البحر من تونس، فأخذ الفأل من المصحف فوقع له: ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًاۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾ [الدخان:٢٤]، فترك الركوب في ذلك الوقت فغرق ذلك المركب، ثُمَّ أتى مركبٌ آخر فأراد الركوب، فأخذ المصحف ونظر فيه فوقع له ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا﴾ الآية [هود:٤١]، فركب ولقي السَّلامة رحمه الله تعالى».

قال البسكريُّ: «في هذا دليل جواز أخذ الفَأْل من المصحف، مع أنَّه

مكروهٌ، فهو كرامةٌ في حقِّ الشيخ رحمه الله تعالىٰ».اهـ

قال الشيخ أحمد بابا التنبكتيُّ: «بل ذلك يدلُّ علىٰ جوازه عنده، إذ مثله لا يُقْدِم علىٰ ما هو مكروهٌ لجلالته علمًا ودينًا، علىٰ أنَّ الشيخ أبا الحسن الزرويليَّ حكىٰ في "التقيد" عن الطرطوشيِّ: أنَّ أخذ الفأل من المصحف من الاستقسام بالأزلام، وأقرَّه وأَظُنه في آخر كتاب "الصيد والضحايا" فانظره».اهـ

وفي "الذخيرة" للقرافيِّ قال الطرطوشيُّ: «أخذ الفأل من المصحف حرامٌ».

وقال العلَّامة ابن عرضون: «في عدِّ ما هو من الكهانة، وقرعة النِّساء والرجال، وأخذ المصحف لأجل الفأل» إلىٰ آخر ما قال، وهو منقول في "حاشية ابن الحاجِّ علىٰ المرشد المعين" وفي تعليقاتي علىٰ "كتاب الأربعين حديثًا الصِّدِّيقيَّة".

وذكر ابن فضل الله عن الأمير الجائيِّ الدوادار قال: «وقع في نفسي إشكالٌ في مسألةٍ، وكان لي صاحبٌ من الفقهاء الحنفيَّة أتردَّدُ إليه، فكتبتُ إليه لأساله عن تلك المسألة فلم أجده، فأتيتُ الشيخ عبدالله المنوفيَّ فلمَّا جلست قال: كأنَّك مشتغلٌ بشيءٍ من الفقه؟ قلتُ: نعم قال: فما قولك في كذا وكذا لتلك المسألة بعينها؟ فقلت: منكم يُستفاد، فأخذ يتكلَّم في تلك المسألة، وما عليها من الإيرادات، وذكر الإشكال الذي وقع في نفسي، ثُمَّ شرع يُجيب عنه حتىٰ انجلىٰ، فسألته عن شيءٍ آخر فقال: لا، قم بالسَّلامة، والقصد حصل».

قلتُ: الشيخ عبدالله المنوفي من العلماء العاملين والأولياء الكبار، جمع مناقبه وكراماته تلميذه الشيخ خليل صاحب "المختصر" في جزءٍ مُستقلٍّ رأيته وهو في مكتبتنا، قال الشيخ خليل في هذا الجزء: «أخبرني القاضي نجم الدين حمزة أنَّه يرىٰ

النور يخرج من فم الشيخ إذا تكلَّم، ويظهر على ساعديه إذا حسرهما».

وقال الشيخ خليل أيضًا: لما حصل الفناء، وأراد الناس أن يخرجوا ليدعوا ربهم، جئت إلى الشيخ وطلبت منه الحضور مع الناس، قال لي: نعم أكون معهم في ذلك اليوم ولكن لا أظهر، فكان ذلك يوم موته، ففهمت أنَّه أشار إلى خفائه عنهم بالكفن».اهـ

تُوفِّي في رمضان سنة تسع وأربعين وسبعمائة، وكانت جنازته عظيمة، قال الحافظ العراقيُّ: «لم أرَ جنازة قطُّ أكثر جمعًا من جنازة الشيخ عبدالله المنوفي، وذلك أنَّه صادف اليوم الذي خرج فيه أهل مصر يدعون ربَّهم لما كثر الفناء، وكأنَّ الناس إنَّما خرجوا في الحقيقة لجنازة الشيخ».اهـ

وذكر الإمام الغبرينيُّ في "عنوان الدراية": «أنَّ الشيخ النجيبيَّ كان له أمُّ ولدٍ سيّئة الخُلُق -تُسمَّى كريمة- اشتدت عليه يومًا في الطلب، وأنَّ الأولاد لا شيء عندهم، فقال لها: الآن يأتي من قِبل الوكيل ما نتقوَّت به، فبينما هما كذلك إذا الحمَّال يطرق الباب بشكارة قمحٍ، فقال لها: يا كريمة ما أعجلك! هذا الوكيل بعث بالقمح، فقالت: ومن يصنعه؟ فأمر فتصدق به وقال لها: يأتيك ما هو أحسن منه، فانتظرت يسيرًا وبدا لها فتكلَّمت بما لا يليق، فبينما هما كذلك، إذا الحمال يطرق الباب بشكارة سميد -أسهل وأيسر من القمح- فلم يقنعها ذلك، فأمر بالتصدق به أيضًا، فزادت في المقال، وإذا رجلٌ على رأسه كاملي، فقال لها: يا كريمة قد كُفيت المؤنة علم الوكيل بحالك».

وذكر أيضًا: «أنَّ بعض الطلبة الذين يحضرون دروس الشيخ اجتمعوا في نزهةٍ، وأخذوا حُليًّا من زينة النِّساء فزيَّنوا به بعضهم، ثُمَّ جاءوا بعد لمجلس

الشيخ، فتكلَّم الذي كان في يده الحُلي وأشار بيده، فقال الشيخ مكاشفًا له: يد يُجعل فيها الحُلي لا يشار بها في الميعاد.

وأصاب الناس مرةً جفافٌ ببجاية، فأرسل إلى داره من يسوق ماء الفقراء، فامتنعت كريمة وانتهرت رسوله فسمع كلامها، فقال للرسول: قل لها يا كريمة والله لأشربنَّ من ماء المطر السَّاعة، فرمق السَّماء بطَرْفه ودعا ورفع يده به، وشرع المؤذِّن في الأذان، فما ختم أذانه حتى أمطرت كأفواه القِرَب.

وكان بعض تلاميذه مُولعًا بالخمر فاعتكف عليها ليلةً، وسقطت على وجهه زجاجة فأثرت فيه، فلمَّا أصبح جاء إلى الشيخ وفي وجهه أثرها فأنشده مُكاشِفًا:

لا تَسْفِكَنَّ دَمَ الزُّجَاجَةِ بعدَها ... إنَّ الجُروحَ كما عَلِمْتَ قِصَاص

فاستحى الطالب وتاب».

قلتُ: الشيخ التجيبيُّ هو: عليُّ بن أحمد بن الحسن بن إبراهيم -المعروف بالحراليِّ- أندلسيُّ الأصل، وُلِد بمراكش ونشأ بها، حجَّ ورحل ولقي جماعةً من العلماء وناظر معهم فبرع، وشارك في عدَّة فنونٍ ثُمَّ تخلَّى عن الدنيا وزهد فيها، قال الغبرينيُّ: «تعلَّمنا عليه الفاتحة في نحو ستة أشهرٍ يلقي في التعليم قوانين تتنزَّل في علم التفسير منزلة أصول الفقه من الأحكام، حتى مَنَّ الله تعالى ببركاتٍ ومواهب لا تُحصى، وعلى أحكام تلك القوانين ألَّف كتابه "مفتاح اللُّب المُقفل على فهم القرآن المُنزَل"».اهـ

وقال أبو محمَّد عبدالحق: «كنَّا نقرأ عليه "النجاة" لابن سينا فينقضه عروةً عروةً».اهـ

وله تفسيرٌ سلك فيه سبيل التحرير، وصل فيه إلى قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ

عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ﴾ [آل عمران:٣٧]، وعليه نسج البقاعيُّ مناسباته التي سماها "تناسق الدرر في تناسب السور" تُوفِّي فجأةً في الشام سنة سبع وثلاثين وستمائة، ترجمه الذهبيُّ وابن الأبار وأبو العباس الغبرينيُّ والشيخ أحمد بابا وغيرهم.

وذكر الشيخ أحمد بابا في ترجمة الشيخ السنوسيِّ صاحب العقيدة المشهورة: «أنَّ رجلًا اشترىٰ لحمًا من السوق، فسمع الإقامة في المسجد فدخل واللحم في قبه -يعني رأس البرنس- فخاف من طرحه فوات ركعةٍ فكبَّر كذلك، فلمَّا سلَّم ذهب لداره فطبخ اللحم، فبقي إلىٰ العشاء فأرادوا طرحه؛ فإذا هو بدمه لم يتغير فقالوا: لعلَّه لحم شارف، فأوقدوا عليه إلىٰ الصُّبح، فلم يتغيَّر عن حاله حين وضعوه، فتذكر الرجل، فذهب إلىٰ الشيخ فأعلمه، فقال له: يا بني أرجو الله أنَّ كل من صلىٰ ورائي ألَّا تعدو عليه النار، ولعلَّ هذا اللحم من ذلك ولكن اكتم ذلك».اهـ

وللشيخ السنوسيِّ هذا كراماتٌ ومناقب، جمعها تلميذه الشيخ الملالي في كتاب يقع في ستة عشر كرّاسًا من القطع الكبير، واختصره الشيخ أحمد التنبكتي في نحو ثلاثة كراريس، تُوفِّي سنة خمس وتسعين وثمانمائة، وشمَّ الناس المسك عند موته رحمه الله.

أخذ الطَّريق عن الإمام العلَّامة القطب الكبير أبي سالم إبراهيم بن محمَّد بن علي التازي بسنده إلىٰ الشيخ أبي مدين، وهو صاحب الصلاة التَّازيَّة -المشهورة في مصر بالنَّاريَّة- وهي: «اللهمَّ صلِّ صلاةً كاملةً، وسلِّم سلامًا تامًّا علىٰ نبيٍّ تنحلُّ به العقد، وتنفرج به الكرب، وتُقضىٰ به الحوائج، وتُنال به الرغائب وحسن الخواتيم، ويُستسقىٰ الغمام بوجهه الكريم، وعلىٰ آله

وصحبه»، تُوفِّي سنة ست وستين وثمانمائة، أطال أبو عبدالله بن صعد ترجمته في "النجم الثاقب" وذكر جملًا من أحواله وكراماته، كما ذكر التنبكتي وغيره.

وذكر القاضي بن عبدالملك: «أنَّ أبا إسحاق إبراهيم بن محمَّد بن إبراهيم السلميَّ البلفيقيَّ الأندلسيَّ -وكان عالمًا زاهدًا- أتاه مرَّةً طبيبٌ يُنكر كرامات الأولياء ومعه صبيٌّ يشكو ألم الحصىٰ، وقال للشيخ علىٰ جهة الاستهزاء: يا شيخ تداوي هذا الصَّبيَّ؟! فتفرَّس ما أضمره وتغيَّر وجهه، واستدعىٰ الصَّبيَّ وأَمَرَّ يده علىٰ صدره والأخرىٰ علىٰ قلبه، وحرَّك شفتيه، ورفع ثياب الصَّبيِّ ونفخ تحته ثلاثًا، وقبض بعنف وقوة علىٰ دُبر الصبي، فتجمع وقذف خمس حصياتٍ في حجم الحُمص مخضوبةً بالدَّم، وسكن الألم عنه حينئذٍ، ثُمَّ قال للطَّبيب وصاحبه: ما حملكما علىٰ إنكار مثل هذا؟ فتنصَّلا وخرجا علىٰ أسوأ حالٍ».

وقال الإمام ابن مرزوق الحفيد في الكتاب الذي ألَّفه في التعريف بشيخه العلَّامة المحقِّق الوليِّ الكبير أبي إسحاق إبراهيم بن موسىٰ المصموديِّ المكناسيِّ: «حدَّثني كبير أصحابه الشيخ أبو عبدالله بن جميل: أنَّه عرض له شيءٌ منعه منا اتباع المشهور في مسألةٍ، واضطر لفعله، فبحث حتىٰ وجد جوازه لأصبغ وابن حبيب فقلدهما، قال: ثم مضيت لزيارة أمي وسقط عليَّ حَجَرٌ آلمني شديدً واعتقدت أنَّه عقوبتي لمخالفة المشهور وتقليد غيره، وما علِم بذلك أحدٌ، ثُمَّ زرت الشيخ وأنا متألمٌ فقال لي: ما لك يا فلان؟ قلت له: ذنوبي، فقال لي علىٰ الفور: من قلَّد أصبغ وابن حبيبٍ فلا ذنوب عليه».

قال: «وحدَّثني بعض صالحي أصحابه قال: كنت جالسًا معه في بيته ليس معنا أحدٌ، وهو يقرأ القرآن ويشير بقضيبٍ في يده إلىٰ محلِّ الوقوف -علىٰ عادة

شيوخ التجويد- فقلت في نفسي: لِمَ يفعل هذا؟ أتراه يقرأ عليه أحدٌ من الجنِّ؟! فما تمَّ الخاطر حتى قال لي: يا محمَّد كان بعض الشيوخ الجنِّ يُجوِّد عليه القرآن».اهـ.

وذكر الحافظ السيوطيُّ في ترجمة أبي الحسن بن بنان بن حمدان الحمَّال الزاهد من كتاب "حسن المحاضرة": «أنَّه أنكر على ابن طولون يومًا شيئًا من المنكرات وأمره بالمعروف، فأمر ابن طولون فأُلقي بين يدي الأسد، فكان يشمه ويحجم عنه فرفع من بين يديه، وزاد تعظيم الناس له.

وجاءه رجل فقال: لي على شخصٍ مائة دينار وقد ضاعت الوثيقة، وأخاف أن ينكر فادع لي، فقال له: إنِّي قد كبرت وأُحب الحلواء؛ فاذهب فاشتر لي رطلًا وائتني به حتى أدعو لك، فذهب الرجل فوضع له البائع الحلواء في ورقة، فإذا هي وثيقته بالمائة دينار، فجاء إلى الشيخ فأخبره، فقال: خذ الحلواء فأطعمها صبيانك».

وذكر أيضًا: «أنَّ أبا الحسن عليَّ بن محمَّد بن سهل الدينوريَّ -الصائغ الزاهد- رُؤي يُصلِّي بالصَّحراء في شِدَّة الحرِّ، ونسرٌ قد نشر جناحيه يظلُّه من الحرِّ».

ونقل أيضًا عن صاحب "المرآة": «أنَّ أبا الحسن هذا أنكر على تكين -أمير مصر- أشياء، وكان تكين ظالمًا؛ فسيَّره إلى القدس، فلما وصل إليه قال: كأنِّي بالبائس -يعني تكين- وقد جئ به في تابوت إلى هنا، فإذا دنا من الباب عثر البغل ووقع التابوت، فبال عليه البغل فلم يلبث إلَّا مدَّةً يسيرةً، وإذا بقائل يقول: قد وصل تكين وهو ميت في التابوت، فلما وصل إلى الباب عثر البغل في المكان الذي أشار إليه الدينوريُّ، فوقع التابوت، وغفل عنه المكاري فبال عليه البغل، وخرج الدينوري فقال للتابوت: جئت بالبائس إلى المكان الذي نفانا

إليه، ثُمَّ ركب الدينوريُّ، وعاد إلىٰ مصر، فمات بها في رجب سنة إحدىٰ وثلاثين وثلاثمائة، ودفن بالقرافة».

وذكر الحافظ السيوطيُّ أيضًا في ترجمة رفاعة بن أحمد بن رفاعة القناويِّ الجذاميِّ -المشهور بالصَّلاح والكرامات-: «أنَّ شيخه أبا الحسن بن الصبَّاغ تحدَّث مع والي قوص أن يعزل والي قنا فرفض، وكان الشيخ رفاعة حاضرًا فقال يا سيدي: أقول، قال: لا، فلمَّا خرج سأله الفقراء: ما الذي كنت تريد أن تقول؟ فقال: إنَّ الوالي لما ردَّ علىٰ الشيخ، عُزل في ساعته، فأرَّخوا ذلك الوقت، فجاء المرسوم بعزله في ذلك التاريخ».

الفصل السادس

فيما أكرم الله به أولياءه بعد وفاتهم من بقاء أجسامهم سليمة لا يُغيرها البلى ولا يعفيها التراب

ثبت ذلك بالمشاهدة والتواتر في وقائع لا يكاد يحصيها العدُّ، وأنا أذكر من ذلك ما يتيسّر من غير استيفاءٍ.

قال الحافظ بن رجب في كتاب "أهوال القبور" ما نصه: «وأما من شُوهد بدنه طريًّا صحيحًا، وأكفانه عليه صحيحة، بعد تطاول المدة من غير الأنبياء - عليهم السلام- فكثير جدًا، ونحن نذكر من أعيانهم جماعة.

قال عمر بن شبة: حدَّثني محمَّد بن يحيىٰ: ثنا هشام بن عبدالله بن عكرمة، عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: لَمَّا سقط جدار بيت النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وعمر بن عبدالعزيز علىٰ المدينة انكشف قدمٌ من القبور التي في البيت فأصابها شيءٌ فدميت، ففزع من ذلك ابن عبدالعزيز فزعًا شديدًا، فدخل عروة البيت، فإذا القدم قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال لعمر: لا ترع هي قدم عمر بن الخطاب، فأمر بالجدار فبُني ورُدَّ علىٰ حاله.

وقال أبو القاسم البغويُّ: حدَّثنا عبدالأعلىٰ بن حماد: ثنا عبدالجبار بن الورد: سمعت أبا الزبير يقول: سمعت جابر بن عبدالله يقول: كتب معاوية إلىٰ عامله بالمدينة: أن يُجري عينًا إلىٰ أُحد، فكتب إليه عامله: إنَّها لا تجري إلَّا علىٰ قبور الشهداء، فكتب إليه: أن أنفذها، قال: سمعت جابرًا يقول: فرأيتهم يخرجون علىٰ رقاب الرجال كأنَّهم رجال نوم، حتىٰ أصابت المسحاة قدم حمزة فانبعثت دمًا.

وروى مالك عن عبدالرحمن بن أبي صعصعة: أنَّه بلغه أنَّ عمرو بن الجموح وعبدالله بن عمرو الأنصاري كانا في قبرٍ واحدٍ، وهما ممَّن استشهد يوم أُحدٍ فحفر السيل قبرهما، فحُفر عليهما ليغيرا من مكانهما، فوُجدا لم يتغيرا كأنَّهما ماتا بالأمس، وكان أحدهما قد جُرح فوضع يده على جرحه فدفن وهو هكذا، فأشيلت يده عن جرحه، ثُمَّ أرسلت، فرجعت كما كانت، وكان بين أُحد وبين ما حُفر عليهما ست وأربعون سنة.

وقال ابن أبي الدنيا: ثنا أحمد بن عاصم: ثنا سعيد بن عامر، عن المثني بن سعيد قال: لَمَّا قدمت عائشة بنت طلحة البصرة، أتاها رجلٌ فقال: إنِّي رأيت طلحة بن عبيد الله في المنام فقال: قل لعائشة، تُحوِّلني من هذا المكان فإنَّ النز آذاني؛ فركبت في مواليها وحشمها، فضربوا عليها واستثاروه، فلم يتغيَّر منه إلَّا شعيرات في إحدى شقي لحيته -أو قال: رأسه- حتى حُوِّل إلى موضعه، وكان بينهما بضع وثمانون سنة.

وبإسناده عن عليٍّ بن زيد بن جدعان، عن أبيه أنَّه قال: رأيت طلحة لما حُوِّل من مكانه، فرأيت الكافور في عينيه لم يتغيَّر منه شيء إلَّا عقيصته مالت من مكانها.

وقال في "كتاب الأولياء": «كتب إليَّ أبو عبدالله محمَّد بن خلف بن صالح التيميُّ: أنَّ إسحاق بن أبي بنانة، مكث ستين سنة يؤذِّن لقومه في مسجد بني عمرو بن سعد -يعني بالكوفة- وكان يُعلِّم الغلمان في الكتَّاب ولا يأخذ الأجر، ومات قبل أن يُحفر الخندق بثلاثين سنة، فلمَّا حُفر الخندق وكان بين المقابر ذهب بعض أصحابه يستخرجه ووقع قبره في الخندق، فاستخرجوه كما دفن لم يتغير منه شيءٌ، إلَّا أنَّ الكفن قد جفَّ عليه ويبس، والحنوط محطوطٌ عليه، وكان خضيبًا

فرأوا وجهه مكشوفًا وقد ظهر الحناء في أطراف الشَّعر، فمضىٰ المسيب بن زهير إلىٰ أبي جعفر المنصور وهو علىٰ شاطيء الفرات، فأخبره فركب أبو جعفر في الليل حتىٰ رآه فأمر به فدُفن بالليل؛ لئلا يفتتن النَّاس».

وفي "الترمذي" في سياق حديث صهيب المرفوع في قصة أصحاب الأخدود: «أنَّ ذلك الغلام الذي قتله الملك وآمن الناس كلهم، وقالوا: آمنَّا بربِّ الغلام، وُجد في زمان عمر بن الخطاب ويده علىٰ جرحه كهيئته حين مات».

وقد ذكر محمَّد بن كعب القرظيُّ وزيد بن أسلم وغيرهما قصة عبدالله بن التامر -وهو رأس أصحاب الأخدود- وقصته شبيهة بقصة الغلام المخرجة في "الترمذيِّ" وأنَّه وُجد في زمان عمر رضي الله عنه بنجران، ويده علىٰ جرحه، وأنَّ جرحه يُدمي، وكذا ذكره ابن إسحاق عن عبدالله أبي بكر بن عمرو بن حزم.

وذكر ابن أبي الدنيا في كتاب "القبور": دانيال لما وجده أبو موسىٰ بالسوس، وأخبارًا قصيرةً من أخبار المتقدمين في هذا المعنىٰ.

وذكر أبو الفرج ابن الجوزيِّ: «أنَّ الشريف أبا جعفر بن أبي موسىٰ لما دُفن بجانب قبر الإمام أحمد بعد موت أحمد بمائتي سنة، رُؤي كفن الإمام أحمد وهو يتقعقع.

قال: ولما كُشف قبر البربهاريِّ فاحت ببغداد رائحة طيبة حتىٰ ملأت المدينة.

قال: وحدَّثنا محمَّد بن منصور بن يوسف: حدَّثني أبي قال: كنت في جملة من كشف ابن سمعون لما نقل من بيته إلىٰ مقبرة الإمام أحمد بعد أربعين سنة وكفنه يتقعقع».اهـ

وقصة نقل طلحة بن عبيد الله أسندها ابن عبدالبر في "الاستيعاب" من

طرقٍ، وتقدَّم حديث ابن عبَّاسٍ: «**في الرَّجُلِ الذي ضَرَبَ خبأه على قبرٍ وهو لا يحسب أنَّه قبرٌ؛ فإذا رجلٌ يقرأ سورة (المُلك)**». وفي هذا المعنىٰ آثارٌ كثيرةٌ جدًّا، كما قال ابن رجب ذكرها ابن أبي الدنيا وغيره.

وذكر الحافظ السيوطيُّ جملةً منها في كتاب "شرح الصدور"، ومن طالع كتب التاريخ وتراجم الرجال وجد من هذا النوع ما لا يحصىٰ.

وذكر العلامة الشيخ أحمد بابا في ترجمة العالم الوليِّ الشهير سيدي محمَّد بن سليمان الجزوليِّ صاحب "دلائل الخيرات" أنه نُقل بعد موته بسبع وسبعين سنة فوجده لم يتغير منه شيء.

وذكر الفضيليُّ في "الدررالبهية": «أنَّ الشريف الصالح الزاهد سيدي عبدالملك بن محمد بن طاهر بن الحسن بن الحفيد الإدريسيَّ مرَّ علىٰ قبره فرسٌ، فزلَّت رجله فانكشف القبر عنه، فوجد كأنَّه دُفن الآن لم يتغيَّر من جسده شيءٌ، وذلك بعد دفنه بأكثر من أربعين سنة، وحضر لذلك جماعةٌ من الشُّرفاء والعلماء، منهم الفقيه العلَّامة القاضي السيِّد الصَّادق بن هاشم وشاهدوه».اهـ

ومنذ عشرين سنة أو أكثر نقلت الجرائد الأسبانيَّة التي تصدر في طنجة عن مراسليها في أسبانيا: أنَّ الحكومة هناك كانت تقوم بحفر بعض الطُّرق والميادين لإصلاحها في قرطبةٍ أو إشبيليَّة، فعثروا علىٰ أجساد قومٍ من المسلمين بلِحاهم وعمائمهم البيض لم يتغيَّر منهم شيءٌ، مع أنَّه مرَّ علىٰ موتهم أكثر من ثلاثمائة سنة، وكان لهذا الحادث ضجَّةٌ في الصُّحف الأسبانية وتحيَّروا في تعليله؛ لأنَّهم لم يجدوا علىٰ أولئك الموتىٰ أثر التحنيط الذي يحفظ الجسم من البِلىٰ.

ولمَّا مات العلَّامة السيد محمَّد بن جعفر الكتانيُّ دُفن بالقباب خارج مدينة

فاس، ثُمَّ اقتضى الحال نقله إلى داخل المدينة، فنُقل بعد أربعة أشهرٍ فإذا هو كهيئته يوم دُفن.

ومِمَّا رأيته بعيني: أنَّ والدتي -رحمها الله ورضي عنها- تُوفِّيت بالنفاس ليلة السابع والعشرين من رمضان (١٣٤١)، ودُفنت بزاويتنا الصِّدِّيقيَّة التي أنشأها مولانا الوالد رضي الله عنه بطنجة، ثُمَّ في اليوم السادس من شوال (١٣٥٤) اختار الله والدي لجواره، فدفنَّاه في الزاوية في مكان أوصى أن يُدفن فيه، ورأينا أن تنقل الوالدة إلى جانبه؛ حيث يكون عليهما ضريحٌ واحدٌ، وفعلنا، فوجدناها كهيئتها يوم دُفنت لم يتغيَّر من كفنها ولا من جسدها شيءٌ، شاهدت ذلك بنفسي حين نزلت إلى قبرها، وشاهده الإخوان الذين قاموا بنقلها في تابوت عُمِل لذلك، وكانوا أكثر من عشرين فتعجَّبنا وزاد إيماننا.

وقد كانت من الصَّالحات العابدات، وكانت منقطعة النظير في الكرم وحسن الخُلُق، ولها فراسةٌ حادَّةٌ وأخلاقٌ حميدةٌ جَمَّةٌ، وأدركت الولاية في آخر حياتها كما أخبرنا مولانا الوالد قدَّس الله سِرَّه.

وهي من نسل الوليِّ الشَّهير والعارف الكبير سيدي أحمد بن عجيبة الحسنيِّ صاحب "شرح الحكم" وغيره من المؤلَّفات التي تزيد على ثلاثين مؤلَّفًا، وكان والدها سيدي عبدالحفيظ بن أحمد بن أحمد بن عجيبة صالحًا تاليًا لكتاب الله، منوَّر الشيبة، ظاهر البركة، يقصده الناس لالتماس بركته، ويُستشفى المرضى بدعوته وتوجُّهاته، لم تفته صلاة الصُّبح جماعة في المسجد الذي كان يؤمُّ فيه أكثر من ثلاثين سنة، ووالده سيدي أحمد جمع بين العلم والولاية، والزهد والصلاح، أخذ الطريق عن جدِّي -من جهة الأب- الإمام العلامة المقرئ سيدي الحاج

أحمد ابن عبدالمؤمن الغُمَاريِّ، وعلىٰ يده رُزق الفتح والولاية، كما أنَّ جدي أخذ عنه علم المنطق، رحمهم الله جميعًا وألحقنا بهم علىٰ الإيمان، وجمعنا بهم في دار كرامته ومُستقرِّ رحمته، تحت لواء سيدنا محمَّدٍ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، والحمد لله ربِّ العالمين.

الفصل السابع
فيما أكرم الله به أولياءه من الظُّهور في صورٍ مُختلفةٍ

وإنِّي ذاكرٌ هنا بحول الله ما نشرته بـ"مجلَّة الإسلام" سنة ١٣٥٨- عدد ٣١، ٣٣- السنة الثامنة للمجلَّة.

ونصُّه: «كتب إليَّ فضيلة الأستاذ الشيخ عبدالغني عوض كتابًا يقول فيه: بعد الدِّيباجة والتَّحيَّة، أرجو الجواب عن الآتي مع البيان الشافي والدليل الكافي، راجيًا نشره علىٰ صفحات "مجلة الإسلام" للنفع العام، أوفد الله لكم الإنعام علىٰ الدوام.

سؤالٌ: هل يتبدَّل الوليُّ؟ وما الدليل علىٰ ذلك من السُّنَّة؟ وإذا قلتم به فهل تكون جميع الصُّور مُكَلَّفةً أم صورة واحدةٌ معيَّنة أم مُبهمة؟ وإنِّي أناشدك الله وأستحلفك به أنِّي في حيرةٍ منه مع الوسط الذي أنا فيه، فأغثنا بغوثك، وتكرَّم علينا بوابل كرمك، إلىٰ آخر ما جاء في الكتاب المذكور.

الجواب: وعليكم السَّلام ورحمة الله وبركاته، وإنِّي أشكرك كثيرًا علىٰ ما أطريت وأثنيت، وأسأل الله أن يجزيك خير الجزاء، ويكثر أمثالك في العلماء.

وبعد: فاعلم أنَّ تبدُّل الوليِّ أي: تطوّره وظهوره في صورٍ مُختلفةٍ مع بقاء صورته الأصلية علىٰ حقيقتها جائزٌ وواقعٌ، كما بُيِّن ذلك في كتب العقائد وغيرها.

قال الجاميُّ: «النفس النَّاطقة الكاملة إذا تحقَّقت بمظهريَّة الاسم الجامع تظهر في صورٍ كثيرةٍ من غير تقييدٍ وانحصارٍ، فتصْدُق تلك الصُّور عليها وتتصادق لاتحاد عينها كما تتعدَّد لاختلاف صورها، ولذلك قيل في إدريس عليه الصَّلاة والسَّلام: إنَّه هو إلياس المرسل إلى بعلبك، لا بمعنى أنَّ العين خلع الصور الإدريسية ولبس لباس الصورة الإلياسية؛ وإلَّا لكان قولًا بالتناسخ، بل إنَّ هوية إدريس عليه السَّلام مع كونها قائمةٌ في آنيةٍ وصورةٍ في السماء الرابعة ظهرت وتعيَّنت في آنية إلياس الباقي إلى الآن، فيكون من حيث العين والحقيقة واحدًا، ومن حيث التعين الصُّوري اثنين، كنحو جبريل وميكائيل وعزرائيل، يظهرون في الآن الواحد في مائة ألف مكانٍ بصورٍ شتى كلِّها قائمة بهم، كذلك أرواح الكُمَّل كما يُروى عن قضيب البان الموصليِّ أنَّه كان يُرى في زمانٍ واحدٍ، في مجالس متعدِّدة، مُشتغلًا في كلٍّ بما يُغاير ما في الآخر، ولمَّا لم يسع هذا الحديث أوهام المتوغِّلين في الزمان والمكان، تلقوه بالردِّ والعناد، وحكموا عليه بالبطلان والفساد، وأمَّا الذين مُنحوا التوفيق للنجاة من هذا المضيق، فسلَّموا».اهـ

وقال العلَّامة علاء الدين القونويُّ -شارح "الحاوي"- في تأليف له يُسمَّى "الإعلام": «ومن الممكن أن يخصَّ الله بعض عباده في حال الحياة، بخاصَّةٍ لنفسه الملكية القدسية وقوةٍ لها تَقْدِر بها على التصرُّف في بدنٍ آخر غير بدنها المعهود، مع استمرار صرفها في الأول، وقد قيل في الأبدال: إنَّهم إنَّما سمُّوا أبدالًا؛ لأنَّهم قد يرحلون إلى مكانهم ويقيمون في مكانهم الأول شبحًا آخر شبيهًا بشبحهم الأصلي بدلًا عنه، وإذا جاز في الجنِّ أن يتشكَّلوا في صورٍ

مُختلفةٍ، فالأنبياء والملائكة والأولياء أولىٰ بذلك، وقد أثبت الصُّوفية عالمًا متوسطًا بين عالم الأجساد وعالم الأرواح -سمُّوه عالم المثال- وقالوا: هو ألطف من عالم الأجساد، وأكثف من عالم الأرواح، وبنوا علىٰ ذلك تجسد الأرواح وظهورها بصورٍ مُختلفةٍ من عالم المثال، وقد يستأنس لذلك بقوله تعالىٰ: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم:١٧]، فتكون الروح الواحدة كروح جبريل مثلًا، هي في وقتٍ واحدٍ مُدبِّرةٍ لشبحه الأصلي ولهذا الشبح المثاليِّ.

وينحلُّ بهذا ما قد اشتهر نقله عن بعض الأئمَّة: أنَّه سأل بعض الأكابر عن جسم جبريل عليه السَّلام فقال: أين كان يذهب جسمه الأول الذي سدَّ الأفق بأجنحته لما تراءىٰ للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في صورته الأصلية عند إتيانه إليه في صورة دِحْية؟ وقد تكلَّف بعضهم الجواب عنه: بأنَّه يجوز أن يقال: كان يندمج بعضه في بعضٍ إلىٰ أن يصغر حجمه فيصير بقدر صورة دحية ثُمَّ يعود ينبسط إلىٰ أن يصير كهيئته الأولىٰ.

وما ذكره الصُّوفية أحسن وهو: أن يكون جسمه الأول بحاله لم يتغيَّر، وقد أقام الله له شبحًا آخر وروحه تتصرف فيهما جميعًا في وقتٍ واحدٍ، وكذلك الأنبياء ولا بعد ذلك؛ لأنَّه إذا جاز إحياء الموتىٰ لهم، وقلب العصا ثعبانًا، وأن يقدرهم الله علىٰ خلاف المعتاد في قطع المسافة البعيدة كما بين السماء والأرض في لحظةٍ واحدةٍ، إلىٰ غير ذلك من الخوارق، فلا يمتنع أن يخصَّهم بالتصرُّف في بدنين وأكثر من ذلك.

وعلىٰ هذا الأصل تخرج جملة مسائل كثيرةٍ، وتنحلُّ إشكالاتٍ غير يسيرةٍ، كقولهم: جنَّةٌ عرضها السموات والأرض، وهو فوق السموات، وسقفها

عرش الرحمن، كيف أُريها النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في عرض الحائط حتىٰ تقدَّم إليها في صلاته ليقطف منها عنقودًا علىٰ ما ورد به الحديث؟

وجوابه: أنَّه بطريق التمثُّل، وكما يُحكىٰ عن قضيب البان الموصليِّ -وكان من الأبدال- أنَّه اتهمه بعض من لم يره يُصلِّي بترك الصَّلاة وشدَّد النَّكير عليه في ذلك، فتمثَّل له علىٰ الفور في صور مختلفةٍ، فقال: في أي هذه الصور رأيتني ما أُصلِّي؟! ولهم حكاياتٌ كثيرةٌ مبنيةٌ علىٰ هذه القاعدة، وهىٰ من أمَّهات القواعد عندهم، والله أعلم».اهـوهو كلامٌ جيدٌ.

وذكر التاج السبكيُّ في "طبقات الشافعية الكبرىٰ": «أنَّ الكرامات أنواعٌ وعدَّها، وذكر في النوع الثاني والعشرين منها: التطوُّر بأطوار مُختلفةٍ، قال: وهذا الذي تُسمِّيه الصُّوفيَّة بعالم المثال، وبنوا عليه تَجسُّد الأرواح وظهورها في صورٍ مُختلفةٍ من عالم المثال، واستأنسوا له بقوله تعالىٰ: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم:١٧]، ومنه قصة قضيب البان».اهـوهو مأخوذٌ من كلام العلاء القونويِّ المتقدِّم.

وقال العلَّامة الوليُّ الكبير الشيخ عبدالغفَّار القوصيُّ: في كتاب "الوحيد في سلوك أهل التوحيد": «الخصائص الإلهية لا تحجير عليها، هذا عزرائيل يقبض في كلِّ ساعةٍ من الخلائق في جميع العوالم ما لا يعلمه إلَّا الله، وهو يظهر لهم بصُوَر أعمالهم في مرائي شتىٰ، وكلُّ واحدٍ منهم يشهده ببصره في صورٍ مختلفةٍ».اهـ

وقال ابن القيم في كتاب "الروح": «للروح شأنٌ آخر غير شأن البدن، فتكون في الرفيق الأعلىٰ وهي متصلةٌ ببدن الميت، بحيث إذا سُلِّم علىٰ صاحبها ردَّت السَّلام وهي في مكانها هناك، وهذا جبريل رآه النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وله ستمائة جناح، منها جناحان سدَّ الأفق بهما، وكان يدنو من النبيِّ

صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حتىٰ يضع ركبتيه علىٰ ركبتيه، ويديه علىٰ فخذيه، وقلوب المخلصين تتسع للإيمان بأن من الممكن أنَّه كان يدنو هذا الدنو وهي في مستقرِّها من السموات».اهـ

وقال العلَّامة اليافعيُّ في "كفاية المعتقد": «روينا عن بعض الأكابر أنَّه قال: ما الشَّأن في الطَّيران؛ إنَّما الشَّأن في اثنين أحدهما بالمشرق، والآخر بالمغرب يشتاق كلٌّ منهما إلىٰ زيارة الآخر، فيجتمعان ويتحدَّثان ويعود كلُّ واحدٍ منهما إلىٰ مكانه، والناس يشاهدون كلَّ واحدٍ منهما في مكانه لم يبرح عنه».اهـ

قلت: وقد ثبت التَّبدُّل والتَّطوُّر عن كثيرٍ من الأولياء، فذكر أبو القاسم القشيريُّ في "رسالته" المشهورة: «أنَّ حبيبًا العجميَّ -وهو في سلسلة الطَّريقة الشَّاذلية- كان يُرىٰ يوم التَّروية بالبصرة، ويوم عرفة بعرفاتٍ».

وذكر العلامة اليافعيُّ في "روض الرياحين": «أنَّ بعض أصحاب سهل بن عبدالله التُّستريِّ قال: حجَّ رجلٌ سنة فلما رجع قال لأخٍ له: رأيت سهل بن عبدالله في الموقف بعرفة، فقال له أخوه: نحن كنَّا عنده يوم التروية في رباطه بباب تستر، فحلف بالطَّلاق أنَّه رآه بالموقف، فقال له أخوه: قمنا بنا حتىٰ نسأله، فقاما ودخلا عليه وذكرا له ما جرىٰ بينهما وسألاه عن حكم اليمين، فقال سهل: مالكم بهذا من حاجةٍ اشتغلوا بالله، وقال للحالف: أمسك عليك زوجك ولا تُخبر بهذا أحدًا».اهـ

ونقل التاج السبكي في "الطبقات" في ترجمة أبي العبَّاس المُلثَّم عن الشيخ عبدالغفَّار القوصيِّ قال في كتابه المسمىٰ بـ"الوحيد": «كنا عنده -يعني أبا العباس- يوم الجمعة فاشتغلنا بالحديث، وكان حديثه يلتذ منه السامع، فبينما

نحن في الحديث والغلام يتوضَّأ، فقال الشيخ للغلام: إلى أين يا مبارك؟ فقال: إلى الجامع، فقال: وحياتي صليت، فخرج الغلام وجاء فوجد الناس قد خرجوا من الجامع، قال عبدالغفار: فخرجت فسألت فقالوا: كان الشيخ أبو العباس في الجامع والناس تُسلِّم عليه، فرجعت إليه فسألته، فقال: أنا أُعطيت التَّبدُّل».اهـ

وأبو العباس الملثم كان صاحب كرامات وأحوال كما قال ابن السبكي في ترجمته، وكان مقيمًا في قوص وبها توفي سنة ٦٧٢ وقبره ظاهر هناك يزار.

وذكر الشيخ خليل المالكي صاحب "المختصر" و"التوضيح" في كتابه الذي ألَّفه في مناقب شيخه الشيخ عبدالله المنوفي -وهو جزءٌ لطيفٌ- قال في الباب السادس منه في طيِّ الأرض لشيخه المذكور مع عدم تحرُّكه: «من ذلك أنَّ رجلًا جاء من الحج وسأل عن الشيخ، وذكر أنَّه رآه واقفًا بعرفة، فقال له الناس: الشيخ لم يزل من مكانه، فحلف على ذلك فطلع للشيخ وأراد أن يتكلَّم، فأشار عليه بالسكوت، ثُمَّ ذكر الشيخ خليل وقائع أخرى وقعت لشيخه من هذا النوع».

ثُمَّ قال: فإن قلت: كيف يُمكن وجود الشخص الواحد في مكانين؟

قلت: الوليُّ إذا تحقَّق في ولايته يُمَكَّن من التصور في روحانيته، ويُعطى القدرة على التَّصوُّر في صورٍ عديدةٍ، وليس ذلك بمحالٍ؛ لأن المتعدِّد هو الصورة الروحانية وقد اشتهر ذلك عند العارفين بالله تعالى، كما حُكي عن قضيب البان لمَّا أنكر عليه بعض الفقهاء عدم الصَّلاة في جماعةٍ، ثُمَّ اجتمع ذلك الفقيه به فصلَّى بحضرته ثمان ركعات في أربع صُورٍ، ثُمَّ قال: أي صورةٍ لم تُصلِّ معكم؟.

وكما حُكي عن الشيخ أبي العباس المرسي: «أنَّه طلبه إنسانٌ لأمرٍ عنده يوم

الجمعة بعد الصلاة، فأنعم له، ثُمَّ جاء له أربعةٌ كلٌّ منهم طلب مثل ذلك، فأنعم للجميع، ثُمَّ صلَّىٰ الشيخ مع الجماعة، وجاء فقعد بين الفقراء ولم يذهب لأحدٍ منهم، وإذا بكل من الخمسة جاء يشكر الشيخ علىٰ حضوره عنده».اهـ كلام الشيخ خليل.

وقال صفيُّ الدين بن أبي منصور: «جرت للشيخ مفرج الدماميني ببلده قضية مع أصحابه، قال شخصٌ منهم كان قد حجَّ لآخر: رأيت مفرجًا بعرفة، فنازعه الآخر بأن الشيخ ما فارق دمامين، ولا راح لغيرها، وحلف كل منهما بالطَّلاق، الذي كان قد حجَّ حلف بالطلاق من زوجته أنَّه رآه بعرفة، وحلف الآخر بالطلاق أنَّه لم يغب عن دمامين في يوم عرفة، فاختصما إليه وذكر كلٌّ منهما يمينه؛ فأقرَّهما علىٰ حالهما، وأبقىٰ كلَّ واحدٍ علىٰ زوجته، فسألته عن حكم ذلك، وصِدْق أحدهما يوجب حنث الآخر، وكان حاضرًا معنا رجالٌ معتبرون، فقال الشيخ لنا: قولوا إذنًا منه بأن نتكلَّم في سرِّ هذا الحكم، فتحدَّث كلٌّ منهم بوجهٍ لا يكفي، وكانت المسألة قد اتضحت لي فأشار إليَّ بالإيضاح، فقلت: الوليُّ إذا تحقَّق في ولايته تمكن من التَّصوُّر في صورٍ عديدةٍ، تظهر علىٰ روحانيته في حين واحدٍ في جهاتٍ مُتعدِّدةٍ، فإنَّه يُعطىٰ التَّطوُّر في الأطوار، والتلبس في الصور علىٰ حكم إرادته، فالصورة التي ظهرت لمن رآها بعرفة حقٌّ، وصورته التي رآها الآخر لم تفارق دمامين حقٌّ، وصَدَق كل منهما في يمينه، فقال الشيخ: هذا هو الصحيح».اهـ

وقال الحافظ السيوطيُّ: «رأيت في مناقب الشيخ تاج الدين بن عطاء لبعض تلامذته: أنَّ رجلًا من جماعة الشيخ حجَّ، قال: فرأيت الشيخ في

المطاف، وخلف المقام، وفي المسعى، وفي عرفة، فلمَّا رجعت وسألت عن الشيخ، فقيل لي: هو طيب، فقلت: هل سافر أو خرج من البلد؟ فقيل: لا، فجئت إليه وسلَّمت عليه، فقال لي: من رأيت في سفرتك هذه من الرجال؟ قلت: يا سيدي رأيتك، فتبسَّم وقال: الرجل الكبير يملأ الكون».

وذكر الشعرانيُّ في ترجمة الشيخ عبدالقادر الدشطوطيِّ من "الطبقات" قال: «كان من شأنه التطور، حلف اثنان أنَّ الشيخ نام عند كلٍّ منهما إلى الصباح في ليلةٍ واحدةٍ، في مكانين، فأفتى شيخ الإسلام الشيخ جلال الدين السيوطيُّ بعدم وقوع الطلاق».

قلت: هذه المسألة ألَّف فيها الحافظ السيوطيُّ رسالةً خاصَّةً سمَّاها "المنجلي في تطور الولي" قال في أولها: «رُفع إليَّ سؤال في رجلٍ حلف بالطلاق أنَّ وليَّ الله الشيخ عبدالقادر الدَّشطوطيَّ بات عنده ليلة كذا، فحلف آخر بالطلاق أنَّه بات عنده تلك الليلة بعينها، فهل يقع الطلاق على أحدهما أم لا؟ فأرسلت قاصدي إلى الشيخ عبدالقادر فسأله عن ذلك، فقال: لو قال أربعة إنِّي بِتُّ عندهم لصُدِّقوا، فأفتيت بأنَّه لا يحنث واحدٌ منهما، وقرَّر ذلك من حيث الفقه، ثُمَّ قال: قد نصَّ على إمكان ذلك -يعني وجود الشخص في مكانين في وقتٍ واحدٍ- أئمةٌ أعلامٌ منهم: العلامة علاء الدين القونويُّ شارح "الحاوي"، والشيخ تاج الدين السُّبكيُّ، وكريم الدين الآمليُّ -شيخ الخانقاه الصَّلاحية- سعيد السعداء، وصفي الدين بن أبي المنصور، وعبدالغفَّار بن نوح القوصي صاحب "الوحيد"، والعفيف اليافعيُّ، والتَّاج بن عطاء الله، والسِّراج بن المُلقِّن، والبرهان الأبناسيُّ، والشيخ عبدالله المنوفي، وتلميذه

الشيخ خليل المالكيُّ صاحب "المختصر" وأبو الفضل محمد بن إبراهيم التلمسانيُّ المالكيُّ، وآخرون.

قال: وحاصل ما ذكروه في توجيه ذلك ثلاثة أمورٍ:

أحدها: أنَّه من باب تعدُّد الصّور بالتمثُّل، والتشكُّل كما يقع ذلك للجنِّ.

والثاني: أنَّه من باب طيِّ المسافة، وزوي الأرض من غير تعدُّدٍ، فيراه الرائيان كلٌّ في بيته، وهي بقعةٌ واحدةٌ إلَّا أنَّ الله طوىٰ الأرض وزواها ورفع الحجب المانعة من الاستطراق، فظنَّ أنَّه في مكانين وإنَّما هو في مكانٍ واحدٍ، وهذا أحسن ما يحمل عليه حديث: رَفْعُ بيت المقدسِ حتىٰ رآه النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بمكَّة حال وَصْفِهِ إياه لقريشٍ صَبيحَة الإسراءِ.

الثالث: أنَّه من باب عِظَم جثَّة الوليِّ بحيث ملأ الكون؛ فشوهد في كلِّ مكانٍ كما قرر بذلك شأن ملك الموت ومنكر ونكير، حين يقبض من مات في المشرق وفي المغرب في ساعةٍ واحدةٍ، ويسألان من قُبر فيهما في الساعة الواحدة؛ فإنَّ ذلك أحسن الأجوبة في الثلاثة، ولا ينافي ذلك رؤيته علىٰ صورته المعتادة، فإنَّ الله يحجب الزائد عن الأبصار، أو يدمج بعضه في بعض، كما قيل بالأمرين في رؤية جبريل في صورة دحية، وخلقته الأصلية أعظم من ذلك، بحيث إنَّ جناحين من أجنحته يسُدَّان الأفق».

هذا كلام الحافظ السيوطيِّ في "رسالة المنجلي" وهي رسالةٌ لطيفةٌ تقع في عشر صفحاتٍ، وأغلب النقول السابقة نقلناها منها، فهي مع صِغرها مفيدةٌ جيِّدةٌ.

وذكر الشعرانيُّ في ترجمة الشيخ حسين الجاكي -إمام جامع الجاكي وخطيبه-: «أنَّه كان واعظًا ينتفع الناس بكلامه لصلاحه، فعقد له بعض أهل

عصره مجلسًا عند السلطان ليمنعوه من الوعظ، وقالوا: إنَّه يلحن، فرسم السلطان بمنعه، فشكا ذلك لشيخه الشيخ أيوب الكنَّاس، فبينما السلطان في بيت الخلاء إذ خرج له الشيخ أيوب من الحائط والمكنسة على كتفه في صورة أسد عظيم وفتح فمه يريد أن يبلع السلطان، ووقع مغشيًا عليه، فلما أفاق قال له: أرسل للشيخ حسين يعظ وإلَّا أهلكتك، ثُمَّ دخل من الحائط، فأذن السلطان للشيخ حسين، وأراد الاجتماع بالشيخ أيوب فلم يأذن له».

وذكر العلامة الشيخ أحمد بابا التنبكتيُّ في ترجمة الشيخ شعيب بن الحسن الأندلسي -المشهور بأبي مدين- نقلًا عن تلميذه الشيخ عبدالخالق التونسيِّ عنه قال: «سمعت رجلًا يُسمَّى موسى الطيَّار، يطير في الهواء، ويمشي على الماء، وكان رجلٌ يأتيني عند طلوع الفجر فيسألني عن مسائل الناس، فوقع لي ليلة أنَّه موسى الطيَّار الذي أسمع به، فلمَّا طلع الفجر نقر الباب رجلٌ، فإذا هو الذي يسألني فقلت له: أنت موسى الطيَّار؟ قال: نعم، ثُمَّ سألني وانصرف، ثُمَّ جاءني مع آخر، فقال لي: صليت الصبح ببغداد وقدمنا مكة، فوجدناهم في الصبح، فأعدنا معهم وبقينا في مكة حتى صلينا الظهر، فجئنا القدس، فوجدناهم في الظهر، فقال صاحبي هذا: نعيد معهم، فقلت: لا، فقال لي: ولِمَ أعدنا الصبح بمكة؟ فقلت له: كذلك كان شيخي يفعل وبه أُمرنا، فاختلفنا، قال أبو مدين: فقلت لهم أمَّا إعادة الصبح بمكة فإنَّها عين اليقين، وببغداد علم اليقين، وعين اليقين أقوى من علم اليقين، وصلاتكم بمكة وهي أم القرى فلا تعاد في غيرها، قال: فقنعا به وانصرفا».

وذكر لي مولانا الوالد -رحمه الله ورضي عنه-: أنَّ جدَّنا سيدي الحاج

أحمد، دعاه أحد أتباعه بفاس في بعض زياراته لها إلى العشاء -أو الغداء عنده- في يومٍ مُعيَّن -الشك مني- فأنعم له، ثُمَّ دعاه ثلاثةُ آخرون، كلٌّ منهم عيَّن ذلك الوقت من ذلك اليوم، فأنعم لهم، وذهب إليهم جميعًا في وقتٍ واحدٍ، ولم يعرفوا ذلك إلَّا من الغد حينما تقابلوا، وذكر كلٌّ منهم أنَّ الشيخ كان عنده، وما إخالك -بعد هذه الوقائع المنقولة بطريق الثقات العدول- في حاجةٍ إلى الدليل من السنَّة على تبدُّل الوليِّ وتطوُّره؛ إذ الأمر الحاصل المحسوس لا يحتاج إلى دليلٍ، وفي الحديث: «**ليس الخبر كالمعاينة**».

وقد قال اليافعيُّ عقب حكاية الشيخ مفرج الدماميني: «إنَّ تعدُّد الصور من الوليِّ قد وقع وشُوهد ولا يمكن جحده».

قلت: ومع هذا فقد استشهد الحافظ السيوطيُّ لذلك في آخر "**المنجلي**" بحديث: «**رُفع بيت المقدس حتى وضع دون دار عُقيلٍ أو عقالٍ**». وهو عند أحمد، والنَّسائيِّ بإسنادٍ صحيحٍ كما قال.

واستشهد أيضًا بما أخرجه ابن جريرٍ وغيره وصحَّحه الحاكم عن ابن عبَّاسٍ في قوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف:٢٤]، قال: مُثِّل له يعقوب، وذُكر مثله عن سعيد بن جبيرٍ، وحميد بن عبدالرحمن، ومجاهد، وعكرمة، وابن سيرين، وقتادة، وأبي صالح، وشمر بن عطية، والضَّحَّاك، وعن الحسن قال: انفرج سقف البيت فرأى يعقوب، وفي رواية عنه قال: رأى تمثال يعقوب.

قال الحافظ السيوطيُّ: «فهذا القول من هؤلاء السَّلف، دليلٌ على إثبات المثال، أو طي المسافة، وهو شاهدٌ عظيمٌ لمسألتنا؛ حيث رأى يوسف عليه

السَّلام وهو بمصر أباه، وكان إذ ذاك بأرض الشَّام، ففيه إثبات رؤية يعقوب عليه السلام بمكانين متباعدين في وقتٍ واحدٍ، بناء على إحدى القاعدتين اللتين ذكرناهما».اهـ

ولا تنسى حديث جبريل وظهوره في صورة دحية، فإنَّه من شواهد ما نحن فيه وهناك أحاديث من هذا القبيل ليس لي نشاطٌ في ذكرها الآن، على أنَّ هذا لا يمنعني أن أذكر حديثًا استدلَّ به بعض العلماء في هذا الموضوع -أو ما يقرب منه- فقرأت في كتاب "المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح" للعلامة أبي العباس أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن أبي محمد صالح الماجريُّ المغربيُّ مما رواه بإسنادٍ إلى أنس بن مالكٍ قال: لما رجعنا من غزوة تبوك قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ بالمدينة لأقوامًا ما سِرْتُمْ مَسيرًا ولا قَطَعْتُمْ وادِيًا إلَّا كانوا معكم، قالوا: يا رسولَ الله وهم بالمدينة مُقيمون؟ قال: نَعَمْ، حَبَسَهُم العُذْرُ**».

ثُمَّ قال: «هذا حديثٌ صحيحٌ متفقٌ على صحَّته أخرجه البخاريُّ، وفيه دلالةٌ واضحةٌ على إثبات الكرامات بخرق العادات، في طيِّ الأرض والاحتجاب عن الخلق، وقد شهد لهم رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بذلك فلا عِطْر بعد عروس، ولا ريب يبقى في النفوس، وليس فيه احتمالٌ لتأويل المنكرين، ولا مجالٌ لإبطال الملحدين الخاسرين، عافانا الله من صفة تؤدِّي إلى المهالك، ورزقنا بمنَّه وكرمه الإيمان بذلك»، هذا كلامه.

والحديث رواه البخاريُّ عن أنسٍ، ومسلمٌ عن جابرٍ، وتأويله بهذا المعنى تأويلٌ غريبٌ طريف، فإن صح فيكون معنى قوله: «**حبسهم العُذْرُ**» أنَّه حبس

أبدانهم الأصلية وذهبت للغزو أبدانهم الصورية، كما وقع من الملائكة يوم بدرٍ فإنَّهم شهدوا الغزوة في صورة فرسان مُعتجِرين بعمائم، ويكون الحديث على هذا دليلًا لمسألتنا؛ لأنَّه إذا كانت أبدانهم في المدينة محبوسةٌ للمرض، ولهم أبدان أُخرى في الغزو فهذا هو التطُّور.

هذا ولا يفوتني أن أنبِّهك على خطأٍ وقع في "الفتاوي البزازية" من كتب الحنفية فقد جاء فيها: «سُئل الزعفرانيُّ عمن يزعم أنَّه رأى ابن أدهم يوم التروية ورآه أيضًا في ذلك اليوم بمكَّة؟ قال: كان ابن مقاتلٍ يُكفِّره فيقول: ذلك من المعجزات لا من الكرامات، وأمَّا أنا فأستجهله ولا أطلق عليه الكفر، وقال محمَّد بن يوسف: يكفر، وعلى هذا ما يحكيه جهلة خوارزم: أنَّ فلانً كان يُصلِّي سُنَّة الفجر بخوارزم، وفرضه بمكَّة».اهـ

وهو غلطٌ ظاهرٌ، فالصواب: أنَّه لا كُفر ولا جهل على ما تبيَّن من النقول التي قدَّمناها، وقد أشار السعد إلى رد هذا في "شرح المقاصد" حيث قال: «ظهور كرامات الأولياء تكاد تلحق بمعجزات الأنبياء، وإنكارها ليس بعجيبٍ من أهل البدع والأهواء، وإنما العجب من بعض فقهاء أهل السنَّة حيث قال فيما رُوي عن إبراهيم بن أدهم أنَّهم رأوه بالبصرة يوم التروية وفي ذلك اليوم بمكَّة: أن من اعتقد جواز ذلك يكفر، والإنصاف ما ذكره الإمام النسفيُّ حين سُئل عما يُحكى: أنَّ الكعبة كانت تزور أحدًا من الأولياء هل يجوز القول به؟ فقال: نقض العادة على سبيل الكرامة لأهل الولاية جائزٌ عند أهل السنَّة».اهـ كلام السعد، وهو يشير إلى ما في "الفتاوي البزازية" كما هو ظاهرٌ.

هذا ما يتعلَّق بالتطور إثباتًا ونفيًا، وقد علمت أنَّه جائزٌ واقعٌ، وأنَّه لا عبرة

بمن نفاه.

بقي الكلام في التكليف هل يتوجَّه إلىٰ جميع الصورة أو صورةٍ واحدةٍ؟ ولم أرهم تعرَّضوا له فيما قرأت ورأيت، ولعلَّهم تركوه لوضوحه؛ لأنَّه من الواضح المعلوم أنَّ التكليف إنما يتوجَّه إلىٰ الذات الأصلية التي تدرَّجت في هذه الحياة تدرُّجًا طبيعيًّا وتطوَّرت أطوارًا معتادةً، فإليها يتوجَّه الخطاب وهي المقصودة بالثواب والعقاب، أما الذوات الأُخرىٰ فإنما هي ذوات مثالية تظهر عند الحاجة إليها إظهار قدرة الله تعالىٰ وإكرامه لأوليائه، ثُمَّ تتوارىٰ فلا يتوجَّه عليها تكليفٌ أصلًا.

هذا ما عندي في هذا المقام أفدتك به، ولم أدِّخر عنك وسعًا، فعسىٰ أن يكون مزيلًا لحيرتك، وحَكَمًا فاصلًا بينك وبين من اختلفت معهم.

غير أني أرجو ألا يكون سببًا في اغترارك بأولئك المريلين ومَن علىٰ شاكلتهم ممن يملؤن بطونهم بأنواع المخدرات، ويتركون الصلوات وسائر الواجبات، زاعمين أنَّهم يؤدُّونها عند الكعبة أو غيرها من الأماكن البعيدة، فكن حذرًا مُتيقِّظًا إلَّا فيمن تختبره بنفسك، ولا تصدق من الكرامات في هذا الوقت المظلم إلَّا ما رأته عيناك المرَّة بعد المرَّة بحيث يخرج عن حد المصادفة، فقد كثرت الأكاذيب في هذا الباب.

ألا ترىٰ إلىٰ حكاية طيران النعش بالميت كيف شاعت بمصر فقط شيوعًا كبيرًا، وهي أكذوبةٌ لا أصل لها، وقد كنت متردِّدًا فيها عندما سمعت بها لأول مرة، ثُمَّ لم ألبس أن جزمت بكذبها علىٰ كثرة من أخبرني بأنَّه شاهدها، وقد قرأت منذ خمس سنين تأليفًا لطيفًا للعارف الشعرانيِّ ألَّفه لبيان كذب هذه

الكرامة المفتعلة ونحىٰ فيه باللائمة علىٰ العوام والجهلة الذين يدَّعون ذلك، وأنَّهم لا يراقبون الله فيما يقولون، وأيم الله إنَّه لصادقٌ.

وقد حصل أنِّي حضرت جنازة شيخنا ختام علماء مصر المغفور له محمَّد بخيت رحمه الله، وبعد الصَّلاة عليه بالأزهر سِرنا خلف النعش، فادَّعىٰ بعض من كان بجانبي أنَّه رأىٰ النعش يطير في تلك اللحظة فأحددت نظري فلم أرَ شيئًا، فقلت له، فعاد وأكد أنَّه طار، ولفت نظري إلىٰ رؤيته ثانيًا فلم أرَ شيئًا، فقال: صدِّقني أنَّه طار، فقلت: سبحان الله ترىٰ ما لا نرىٰ؟! وكم لها من نظيرٍ.

ومن المدهش أنهم يدَّعون هذا الطيران لأُناسٍ كانوا في حياتهم فُسَّاقًا مُجاهرين، فلا أدري كيف يفهمونه؟ أكرامةٌ هو أم استدراجٌ، أم هو أمرٌ عاديٌّ ليس فيه ما يُستغرب؟! وإن كان عاديًّا عندهم فلم لا يحصل في سائر الأقطار الإسلامية غير مصر؟!

ألا فليتَّقِ الله هؤلاء المُدَّعون وليعلموا أنَّ الميت مشغولٌ عنهم بما هو فيه من نعيمٍ أو غيره، وأنَّه لا يعود عليه من النفع بهذا الكذب المكشوف شيءٌ، وإنَّما يعود عليهم إثم كذبهم وتضليلهم بحيث يضرُّون أنفسهم من غير أن ينفعوا من كذبوا له، وهذه غاية الخيبة نسأل الله السلامة منها.

وليس من غرضي الاسترسال في هذا الموضوع الذي لو شئت فردت لإبطاله مقالًا خاصًّا، ولكن غرضي التنبيه علىٰ ما كثر من الأكاذيب حول الأولياء والكرامات، مما يدعو إلىٰ كثيرٍ من التحفُّظ والاحتراس مع اليقظة والتحرِّي، وإنَّ من الحزم سوء الظنِّ، وبالله التوفيق.

هذا ما نشرْتُه بعددين من "مجلة الإسلام" (عدد ٣١ صادر يوم الجمعة ٨

من شعبان سنة ١٣٥٨/ وعدد ٣٣ صادر يوم الجمعة ٢٢ من شعبان سنة ١٣٥٨) سوىٰ قصة الشيخ موسىٰ الطيَّار مع أبي مدين، فإنِّي ألحقتها الآن، وقد قرأه أهل العلم حين ظهوره في المجلة واستحسنوه، ووجدوه مبنيًّا علىٰ الجواز العقليِّ، ومؤيَّدًا بالوقائع المنقولة بطريق الإثبات إلَّا الوهابية الجهلة؛ فإن عقولهم قصرت عن فهم ما فيه، ومداركهم ضاقت عن إدراك ما اشتمل عليه.

وكتب الشيخ النجديُّ -أحد دعاتهم- في كُتيِّبٍ له سمَّاه: "كيف ذل المسلمون؟" يُعلِّق عليه بكلامٍ كله سفه وإفذاع، وبألفاظٍ متخيرةٍ من قاموس الشتائم لا تليق إلَّا بأمثاله المجرمين السفهاء، وبنىٰ عليه لوازم وإلزامات لا تلزم إلَّا في عقله المختل، ولو جاء هذا البحث عن طريق الغربيين الذين أثبتوا أخيرًا إمكان تجسد الروح، وظهورها في مكان بعيد عن مكان الجسم الأصلي، ومخاطبتها في الأمور المختلفة عن طريق تحضير الأرواح الذي كتبوا فيه المؤلفات العديدة لكان أول من يدعو إلىٰ تصديقه وتأييده، ولظلت عنقه خاضعةً له لا ينبس فيه ببنت شفة شأنه في ذلك شأن أشكاله قليلي الدين ضعفاء الإيمان الذين يستبعدون كثيرًا من المعجزات والكرامات ويصدِّقون ما يرد عن الغربيين ولو كان أشبه بالخيال منه بالواقع، ولقد سمعت بعض المفتونين يقول عن نظرية داروين الباطلة بالبداهة: إذا أثبتها العلم الحديث وجب تأويل القرآن ليوافقها!!

ومن العجب أن تجد ذلك المجرم النجدي يتطاول في كتيبه المذكور علىٰ علماء المسلمين أحياءً وأمواتًا، ويسوِّد صحيفته بشتمهم وإيذائهم، وبلغ في أعراضهم الطاهرة، ويذمُّ كتبهم أقبح ذمٍّ كأن بينه وبينهم ثأرًا، ثُمَّ تراه في نقده

لكتاب "حياة محمَّدٍ" يردُّ بذوقٍ وأدبٍ ولا يذكر المردود عليه إلَّا بـ(حضرة الدكتور) فما السبب في هذا؟!

قد يقول قائلٌ: سبب هذا أنَّ أولئك العلماء الفضلاء أغلبهم ذهب إلى ربِّه لا يُخشى منهم ضررٌ بخلاف مؤلف "حياة محمَّدٍ" فإنَّه لا يزال على قيد الحياة، وبسبيل أن يلي المناصب الحكومية التي يستطيع بسببها أن يقتص من المجرم النجديِّ إن سمع أنَّه شتمه وآذاه.

وربما يذكر هذا القائل في تقييد السبب الذي أبداه: أنَّ هذا النجديَّ الأثيم كان طالبًا برواق الحرمين، ثُمَّ تطاول على فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ يوسف الدجويِّ -رحمه الله- في ردِّه عليه، فطُرد من الأزهر وحُرم بدل الجراية الذي كان يستعين به، فهو لذلك يخشى أن يقع له حادث يماثل هذا؛ لأنَّه جبانٌ حقيرٌ يخاف ولا يستحي، وهذا سببٌ صحيحٌ معقولٌ.

وعندي سببٌ آخر ينبغي أن يُضمَّ إليه؛ إذ الأسباب يجوز تعددها، ذلك أنَّ أولئك العلماء الذين ولغ في عرضهم هذا النجديُّ الدنيء يحبُّون النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ويعطِّرون كتبهم ومجالسهم بالثناء عليه، ويذكرون فضل هدايته على العالم، ويتقرَّبون إلى الله بذكر معجزاته وشمائله، ويتشرَّفون بالانتساب إلى خدمة جنابه العظيم، بخلاف صاحب كتاب "حياة محمد" فإنَّه نفى عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم جميع المعجزات غير القرآن، وأوَّل الإسراء تأويلًا يُخالف ما دلَّ عليه القرآن وصرَّحت به السنَّة، ويُباين ما يعتقده المسلمون، وصرَّح بعدم الاعتماد على الأحاديث النبوية إلَّا بقدر ما يوافق القرآن -في رأيه طبعًا- مُستندًا إلى حديثٍ مكذوبٍ جاء فيه: «**اعرضوا حديثي**

على القرآن، فما وافقه فأنا قلته وما خالفه فلم أقله».

وأتى بطامَّاتٍ سبق إلى بعضها الغربيون واخترع باقيها من قِبل نفسه، وهذا المسلك يرضى عنه ذلك الوغد النجدي من حيث إنَّه ليس فيه مدح النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ولا تعظيم له إلَّا بقدر محدودٍ يراه اعتدالًا، ويرى كلام القاضي عياض، والبوصيريِّ، والقسطلانيِّ غلوًّا وإفراطًا، بل يعد بعضه داخلًا في باب التخريف.

ولقد سألني مرة متهكِّمًا كيف كان محمَّدٌ نورًا مع العلم بأنه خلق من نطفة كسائر الناس وكان من لحم ودم؟ فلم أجبه عن هذا السؤال الذي يدل على غِلٍّ في قلبه، وسائر كلامه عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يدل على ذلك، فإني ما سمعته يذكر اسمه إلَّا مجرَّدًا عن السيادة والصلاة، ويمثل به في أقبح الأشياء.

تذاكرنا مرة في معنى الظلم هل هو التصرف في مِلك الغير بغير إذنه، أو وضع الشيء في غير موضعه؟ وكان من رأيه اختيار الثاني، فقال يستدل عليه: لو لم يكن الظلم ما ذكر لكان محمدٌ في أطباق النيران، وفرعون في الفردوس، من غير أن يكون في ذلك ظلم!!!!

فانظر إلى بشاعة هذا التمثيل وخطأ الاستدلال، وقد كان يمكنه أن يذكر لفظ المؤمن أو الطائع أو المتقي، فإنه يؤدي المعنى المقصود من غير أن يمسَّ الجناب النبويَّ بشيءٍ ولكنه الغِلّ يغلي في قلبه على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فيظهر أثره على لسانه.

وقد أخبرني الشيخ يوسف الزواويُّ أنه سأل هذا الوغد النجديَّ عن سبب حملة النجديين على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؟ فقال: أجيبك

بصراحةٍ هو الذي بدأنا بالعداوة! يُشير بهذا إلى ما جاء في "صحيح البخاريِّ" وغيره عن ابن عمر قال: ذكر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**اللهمَّ بارك لنا في شَامِنا، اللهمَّ بارك لنا في يمَنِنا، قالوا: يا رسول الله وفي نَجْدِنا؟ قال: اللهمَّ بارك لنا في شَامِنا، اللهمَّ بارِكْ لنا في يمَنِنا، قالوا: يا رسول الله وفي نَجْدِنا؟ فأظُنُّه قال في الثالثة: هناك الزَّلازِلُ والفتن وبها يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيطان**».

وهذا الحديث صريحٌ في الإشارة إلى هذه الفئة الضالة، التي ظهر قرنها في نجدٍ، وأظهر خلاف المسلمين، واستباح غزوهم وقتلهم، إلى آخر ما هو معروفٌ، فلا نُطيل به.

ولهذا الوغد النجدي رسالة سمَّاها: "مشكلات الأحاديث النبوية والجواب عنها" ما جمعها إلَّا ليجيب عن هذا الحديث الذي أظهر للناس نواياهم، ووصمهم وصمة لا تُمحى إلى آخر الدهر، ولو ذهبت أعدُّ مخازي هذا النجدي من تهاونه في الصلاة، وكذبه في المناقشات العلمية، ووقاحته وجرأته على الله ورسوله أعياني العدُّ فأكتفي بهذا القدر الكافي في التحذير والاستبصار مع رعاية جانب الاختصار، وبالله التوفيق.

الفصل الثامن

فيما أكرم الله به أولياءه من رؤية النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم واجتماعهم به في اليقظة وأخذهم عنه.

وهذا مطلبٌ عزيزٌ نفيسٌ خفي على كثيرٍ من الناس فأنكروه واستبعدوا وقوعه، وهو لعمر الله سائغٌ في قضايا العقول، واقع بصحيح المنقول، كما بينه الحافظ السيوطي وابن مغيزل وغيرهما، والأصل فيه ما رواه البخاريُّ ومسلمٌ وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**مَنْ رآني في المنام فسيراني في اليقظة ولا يتمثَّلُ الشَّيطان بي**».

قال البخاريُّ: «قال ابن سيرين: إذا رآه في صورته».

وقال القاضي أبو بكر بن العربيُّ: «رؤية النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بصفته المعلومة إدراكٌ على الحقيقة، ورؤيته على غير صفته إدراكٌ للمثال، فإنَّ الصواب أنَّ الأنبياء لا تُغيِّرهم الأرض، ويكون إدراك الذات الكريمة حقيقةً وإدراك الصفات إدراك المِثل».اهـ

وقوله: «**فسيراني في اليقظة**» اختلف العلماء في تأويله فقيل: معناه فسيراني في القيامة، وتُعقِّب بأنه لا فائدة لهذا التخصيص؛ لأنَّ كلَّ أمَّته يرونه يوم القيامة، وقيل: المراد به من آمن به في حياته ولم يره لكونه غائبًا عنه، فيكون مبشرًا له بأنه لابدَّ أن يراه في اليقظة قبل موته.

وقال الإمام أبو محمد بن أبي جمرة في شرحه للأحاديث التي اختصرها من البخاريِّ: «هذا الحديث يدل على أن من رآه في النوم فسيراه في اليقظة، وهل هذا على عمومه في حياته وبعد مماته أو هذا كان في حياته؟ وهل ذلك لكل من رآه

مطلقًا أو خاص بمن فيه الأهلية والإتباع لسنته عليه السلام؟ اللفظ يعطي العموم، ومن يدعي الخصوص فيه بغير مخصِّصٍ منه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فمتعسِّفٌ.

وقد وقع من بعض الناس عدم التصديق بعمومه، وقال علىٰ ما أعطاه عقله: كيف يكون من قد مات يراه الحيُّ في عالم الشاهد؟!

وفي هذا القول من المحذور وجهان خطران:

أحدهما: عدم التصديق لقول الصادق عليه الصَّلاة والسلام الذي لا ينطق عن الهوىٰ.

والثاني: الجهل بقدرة القادر وتعجيزها، كأنه لم يسمع في سورة البقرة قصة البقرة وكيف قال الله تعالىٰ: ﴿ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة:٧٣]، وقصة إبراهيم عليه الصَّلاة والسَّلام في الأربعة من الطير، وقصة عزيرٍ، فالذي جعل ضرب الميت ببعض البقرة سببًا لحياته، وجعل دعاء إبراهيم عليه الصلاة والسلام سببًا لإحياء الطيور، وجعل تعجُّب عزيرًا سببًا لموته وموت حماره ثُمَّ لإحيائهما بعد مائة سنة، قادرٌ أن يجعل رؤيته صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في النوم سببًا لرؤيته في اليقظة.

وقد ذُكر عن بعض الصحابة -أظنه ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما- أنه رأىٰ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فتذكَّر هذا الحديث، وبقي يُفكِّر فيه، ثُمَّ دخل علىٰ بعض أزواج النبيِّ أظنها ميمونة، فقصَّ عليها قصَّته، فقامت وأخرجت له مرآته صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: رضي الله عنه فنظرتُ في المرآة فرأيتُ صورة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ولم أرَ لنفسي صورةً.

وقد ذُكر عن جماعةٍ من السلف والخلف ممن كانوا رأوه صلَّىٰ الله عليه وآله

وسلَّم في النوم -وكانوا ممن يُصدِّقون بهذا الحديث- فرأوه بعد ذلك في اليقظة، وسألوه عن أشياء كانوا منها متشوشين، فأخبرهم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بتفريجها ونصَّ لهم على الوجوه التي يكون منها فرجها، فجاء الأمر كذلك بلا زيادةٍ ولا نقصٍ.

قال: والمنكر لهذا لا يخلو إمَّا أن يصدِّق بكرامات الأولياء أو يكذِّب بها، فإن كان ممن يُكذِّب بها فقد سقط البحث معه، فإنه يُكذِّب ما أثبتته السنة بالدلائل الواضحة وإن كان مصدِّقًا بها، فهذه من ذلك القبيل؛ لأنَّ الأولياء يكشف لهم بخرق العادة عن أشياء في العالَمين العلويِّ والسفليِّ، فلا ينكر هذا مع التصديق بذلك» اهـ كلامه.

ونقل الحافظ في "فتح الباري" بعضه، وقال عقبه ما نصه: «وهذا مشكلٌ جدًّا، ولو حُمل على ظاهره لكان هؤلاء صحابة، ولأمكن بقاء الصحبة إلى يوم القيامة، ويعكِّر عليه أنَّ جمعًا جمًّا رأوه في المنام، ثُمَّ لم يذكر واحدٌ منهم أنه رآه في اليقظة؛ وخبر الصادق لا يتخلَّف.

وقد اشتدَّ إنكار القرطبيُّ على من قال: من رآه في المنام فقد رأى حقيقته، ثُمَّ يراها كذلك في اليقظة كما تقدَّم قريبًا، وقد تفطَّن ابن أبي جمرة لهذا، فأحال بما قال على كرامات الأولياء، فإن يكن كذلك تعيَّن العدول عن العموم في كل راءٍ، ثُمَّ ذكر أنه عامٌّ في أهل التوفيق، وأمَّا غيرهم فعلى الاحتمال؛ فإنَّ خرق العادة قد يقع للزنديق بطريق الإملاء والإغواء كما يقع للصِّدِّيق بطريق الكرامة والإكرام، وإنما تحصل التفرقة بينهما باتباع الكتاب والسنة».اهـ

ويُجاب عن الإشكال: بأنَّ الصحبة إنما تثبت بالرؤية المتعارفة المعهودة على

قيد الحياة، حتىٰ إنَّ الحافظ نفسه رجَّح عدم ثبوت الصحبة لمن رأىٰ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ميتًا قبل أن يُدفن، والرؤية التي تحصل للأولياء هي علىٰ سبيل خرق العادة، فلا تثبت بها صحبة ولا ينبني عليها حكمٌ شرعيٌّ كما لا يخفىٰ، وكون الجمع الجم لم يذكروا أنهم رأوه في اليقظة بعد رؤياهم له في المنام لا يدلُّ علىٰ عدم حصولها كما هو ظاهرٌ، ولو سُلِّم فلا بدَّ من حصول الرؤية ولو عند الاحتضار، فلا تُفارق روحه جسده حتىٰ يراه عليه الصَّلاة والسَّلام وفاءً بوعده.

كما قال الحافظ السيوطيُّ مثل ذلك في حقِّ العامَّة: «وعبارته وقوله -يعني ابن أبي جمرة- إنَّ ذلك عامٌّ وليس بخاصٍّ بمن فيه الأهلية، والاتباع لسنَّته عليه الصَّلاة والسَّلام مراده وقوع الرؤية الموعود بها في اليقظة علىٰ الرؤية في المنام ولو مرَّةً واحدةً تحقيقًا لوعده الشريف الذي لا يُخلف، وأكثر ما يقع ذلك للعامَّة قبل الموت عند الاحتضار فلا تخرج روحه من جسده حتىٰ يراه وفاءً بوعده، وأمَّا غيرهم فتحصل لهم الرؤية في طول حياتهم إمَّا كثيرًا وإمَّا قليلًا بحسب اجتهادهم ومحافظتهم علىٰ السنَّة، والإخلال بالسنَّة مانعٌ كبيرٌ».اهـ

وقال حجَّة الإسلام الغزاليُّ في كتاب "المنقذ من الضلال": «ثُمَّ إنني لما فرغت من العلوم أقبلت بهمَّتي علىٰ طريق الصوفية، والقدر الذي أذكره ليُنتفع به: أنني علمت يقينًا أنَّ الصوفية هم السالكون لطريق الله خاصَّةً، وأنَّ سيرهم وسيرتهم أحسن السير، وطريقهم أصوب الطرق، وأخلاقهم أزكىٰ الأخلاق، بل لو جُمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين علىٰ أسرار الشرع من العلماء ليُغيِّروا شيئًا من سيرهم وأخلاقهم ويُبدِّلوه بما هو خيرٌ منه لم يجدوا إليه سبيلًا، فإنَّ جميع حركاتهم وسكناتهم في ظواهرهم وبواطنهم

مقتبسةٌ من نور مشكاة النبوة، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نورٌ يُستضاء به».

إلى أن قال: «حتى إنهم وهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء، ويسمعون منهم أصواتًا ويقتبسون منهم فوائد، ثُمَّ يترقَّى الحال من مشاهدة الصور والأمثال إلى درجاتٍ يضيق عنها نطاق النطق».اهـ

وقال القاضي أبو بكر بن العربيُّ في كتاب "قانون التأويل": «ذهبت الصوفية إلى أنه إذا حصل للإنسان طهارة النفس في تزكية القلب، وقطع العلاقة وحسم مواد أسباب الدنيا من الجاه والمال والخلطة بالجنس، والإقبال على الله تعالى بالكلية علمًا دائمًا وعملًا مستمرًّا كُشفت له الحُجُب، ورأى الملائكة وسمع أقوالهم، واطَّلع على أرواح الأنبياء وسمع كلامهم».

قال: «ورؤية الأنبياء والملائكة وسماع كلامهم ممكنٌ للمؤمن كرامةً، وللكافر عقوبةً».اهـ

قال ابن الحاجِّ في "المدخل": «رؤية النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فِي اليقظة بابٌ ضيِّقٌ وقلَّ مَن يقع له ذلك، إلَّا من كان على صفةٍ عزِيزٍ وجودها في هذا الزمان -بل عُدمت غالبًا- مع أنَّا لا نُنكر من يقع له هذا من الأكابرِ الذين حفظهم الله تعالى في ظواهرِهم وبواطنِهم، وقد أنكر بعض علماء الظاهرِ رؤية النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فِي اليقظة، وعلَّل ذلك بِأن قال: العين الفانية لا ترى العين الباقية، والنبِيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فِي دار البقاء والرائي في دار الفناء.

وقد كان سيدي أبو محمَّدٍ رحمه الله يحلُّ هذا الإِشكال ويردُّه: بأنَّ المؤمن إذا مات يرى الله وهو لا يموت، والواحد منهم يموت في اليوم سبعين مرَّةً».اهـ

وقال القاضي شرف الدين هبة الله بن عبدالرحيم البارزيُّ في كتاب "توثيق عُرىٰ الإيمان": «قال البيهقي في كتاب "الاعتقاد": الأنبياء بعد ما قبضوا رُدَّت إليهم أرواحهم، فهم أحياء عند ربِّهم كالشهداء، وقد رأىٰ نبيُّنا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ليلة المعراج جماعةً منهم وأخبر -وخبره صدق- أنَّ صلاتنا معروضةٌ عليه وأنَّ سلامنا يبلغه، وأنَّ الله تعالىٰ حرَّم علىٰ الأرض أن تأكل لحوم الأنبياء.

قال البارزيُّ: وقد سُمع من جماعةٍ من الأولياء في زماننا وقبله: أنهم رأوا النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في اليقظة، وقد ذكره الإمام شيخ الإسلام أبو البيان نبأ بن محمَّد بن محفوظٍ الدمشقي في "نظيمته"».اهـ

وقال الشيخ أكمل الدين البابرتيُّ الحنفيُّ في شرح "مشارق الأنوار" في الكلام علىٰ حديث من رآني في المنام... إلخ: «الاجتماع بين الشخصين يقظةً ومنامًا لحصول ما به الاتحاد، وله خمسة أصولٍ كليَّةٍ: الاشتراك في الذات، أو في صفة فصاعدًا، أو في الأفعال، أو في المراتب، وكلُّ ما يتعقل من المناسبة بين شيئين أو أشياء لا يخرج عن هذه الخمسة، وبحسب قوَّته علىٰ ما به الاختلاف وضعفه يكثر الاجتماع ويقلُّ، وقد يقوىٰ علىٰ ضدِّه فتقوىٰ المحبة بحيث يكاد الشخصان لا يفترقان وقد يكون بالعكس، ومن حصَّل الأصول الخمسة وثبتت المناسبة بينه وبين أرواح الكمَّل الماضين اجتمع بهم متىٰ شاء».اهـ

ونقل الشيخ صفيُّ الدين بن أبي المنصور في "رسالته"، والشيخ عفيف الدين اليافعيُّ في "روض الرياحين" عن الشيخ الكبير قدوة العارفين أبي عبدالله القرشيِّ قال: «لمَّا جاء الغلاء الكبير إلىٰ ديار مصر توجَّهتُ لأن أدعو، فقيل لي: لا تدعُ فما

يُسمع لأحدٍ منكم في هذا الأمر دعاء، فسافرت إلى الشام فلما وصلت إلى قرب ضريح الخليل عليه الصَّلاة والسَّلام تلقَّاني الخليل، فقلت: يا رسول الله اجعل ضيافتي عندك الدعاء لأهل مصر، فدعا لهم ففرج الله عنهم.

قال اليافعيُّ: قوله: «تلقَّاني الخليل» قول حقٍّ لا يُنكره إلَّا جاهلٌ بمعرفة ما يرد عليهم من الأحوال التي يشاهدون فيها ملكوت السماء والأرض وينظرون الأنبياء أحياء غير أموات، كما نظر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى موسى عليه السَّلام في الأرض ونظره أيضًا هو وجماعةً من الأنبياء في السموات وسمع منهم مخاطباتٍ، وقد تقرَّر أنَّ ما جاز للأنبياء معجزة جاز للأولياء كرامة بشرط عدم التحدي».اهـ

ونقل سراج الدين بن الملقن في "طبقات الأولياء" عن الشيخ عبدالقادر الكيلانيِّ قال: «رأيت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قبل الظهر، فقال لي: يا بُنيَّ لِمَ لا تتكلَّم؟ قلت: يا أبتاه أنا رجلٌ أعجميٌّ كيف أتكلَّم على فصحاء بغداد؟ فقال: افتح فاك، ففتحته فتفل فيه سبعًا وقال: تكلَّم على الناس وادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، فصليت الظهر وجلست وحضرني خلق كثير فارتجَّ عليَّ، فرأيت عليًّا رضي الله عنه قائمًا بإزائي في المجلس، فقال لي: يا بُنيَّ لِمَ لا تتكلَّم؟ فقلت: يا أبتاه قد ارتجَّ عليَّ، فقال: افتح فاك، ففتحته فتفل فيه ستًّا، فقلت: لِمَ لا تكملها سبعًا، قال: أدبًا مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ثُمَّ توارى عنِّي، فقلت: غواص الفكر يغوص في بحر القلب على درر المعارف فيستخرجها إلى ساحل الصدر فينادي عليها ترجمان اللسان فتُشترَى بنفائس أثمان حسن الطاعة في بيوت أذن الله أن ترفع».

وقال ابن الملقن أيضًا في ترجمة الشيخ خليفة بن موسىٰ النهر ملكي: «كان كثير الرؤية لرسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقظة ومنامًا».

وقال كمال الدين الأدفوي في "الطالع السعيد" في ترجمة الصفي أبي عبدالله محمد بن يحيىٰ الأسواني -نزيل أخميم، من أصحاب أبي يحيىٰ بن شافع- كان مشهورًا بالصلاح وله مكاشفات وكرامات، كتب عنه ابن دقيق العيد، وابن النعمان، والقطب القسطلاني، وكان يذكر أنه يرىٰ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ويتمتَّع به».

وقال الشيخ عبدالغفار بن نوح القوصيُّ في كتابه "الوحيد": «من أصحاب الشيخ أبي يحيىٰ أبوعبدالله الأسواني المقيم بأخميم، كان يخبر أنه يرىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في كل ساعة حتىٰ لا تكاد تمر ساعة إلا ويخبر عنه».

وقال الشيخ عبدالغفار في "الوحيد" أيضًا: «كان للشيخ أبي العباس المرسي وصلة بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، إذا سلَّم علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ردَّ عليه السلام ويجاوبه إذا تحدَّث معه».

وقال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله في "لطائف المنن": «قال رجلٌ للشيخ أبي العباس المرسي: يا سيدي صافحني بكفِّك هذه؛ فإنك لقيت رجالًا وبلادًا، فقال الشيخ: والله ما صافحت بكفي هذه إلَّا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، قال: وقال الشيخ: لو حُجب عني رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين».

وقال الشيخ صفي الدين بن أبي المنصور في "رسالته"، والشيخ عبدالغفار

في "الوحيد": «حكي عن الشيخ أبي الحسن الوناني قال: أخبرني أبو العباس الطنجي قال: وردت على سيدي أحمد بن الرفاعي فقال لي: ما أنا شيخك، شيخك عبدالرحيم بقنا، فسافرت إلى قنا، فدخلت على الشيخ عبدالرحيم فقال لي: عرفت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؟ قلت: لا، قال: رُح إلى بيت المقدس حتى تعرف رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فحين وضعت رجل وإذا بالسماء والأرض والعرش والكرسي مملوءة من رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فرجعت إلى الشيخ فقال: عرفت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؟ قلت: نعم، قال: الآن كملت طريقتك، لم تكن الأقطاب أقطابًا، والأوتاد أوتادًا، والأولياء أولياء إلا بمعرفته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم».

وقال في "الوحيد": «وممن رأيته بمكة الشيخ عبدالله الدلاصي: أخبرني أنه لم تصح له صلاة في عمره إلَّا صلاة واحدة، قال: وذلك أني كنت بالمسجد الحرام في صلاة الصبح فلما أحرم الإمام وأحرمت أخذتني أخذة فرأيت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يصلي إمامًا وخلفه العشرة فصليت معهم -وكان ذلك في سنة ثلاث وسبعين وستمائة- فقرأ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في الركعة الأولى: (سورة المدثر)، وفي الثانية: (عم يتساءلون)، فلما سلم دعا بهذا الدعاء: **اللهم اجعلنا هداة مهديين، غير ضالين ولا مضلين، لا طمعًا في برك ولا رغبة فيما عندك؛ لأن لك المنة علينا بإيجادنا قبل أن لم نكن، فلك الحمد على ذلك لا إله إلا أنت**، فلما فرغ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم سلَّم الإمام، فعقلت تسليمه فسلَّمت».

وقال الشيخ صفي الدين في "رسالته": «رأيت الشيخ الجليل الكبير أبا

عبدالله القرطبيَّ، أجل أصحاب الشيخ القرشي، وكان أكثر إقامته بالمدينة النبوية، وكان له بالنبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وصلة وأجوبة ورد للسلام، وحمَّله رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم رسالةً للمَلِك الكامل وتوجَّه بها إلىٰ مصر وأدَّاها وعاد إلىٰ المدينة».

وقال ابن فارس في كتاب "المنح الإلهية في مناقب السادة الوفائية": «سمعت سيدي عليًّا رضي الله عنه يقول: كنت وأنا ابن خمس سنين أقرأ القرآن علىٰ رجلٍ يقال له: الشيخ يعقوب، فأتيته يومًا فرأيت النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقظةً لا منامًا وعليه قميصٌ أبيض قطن، ثُمَّ رأيت القميص عليَّ، فقال لي: اقرأ، فقرأت عليه (سورة والضحىٰ)، و(ألم نشرح)، ثُمَّ غاب عنّي، فلما بلغت إحدىٰ وعشرين سنة أحرمت لصلاة الصبح بالقرافة فرأيت النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قبالة وجهي فعانقني وقال لي: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحىٰ: ١١] فأوتيت لسانه من ذلك الوقت».

وقال الشيخ برهان الدين البقاعي في "معجمه": «حدثني الإمام أبو الفضل بن أبي الفضل النويري: أنَّ السيد نور الدين الأيجي -والد الشريف عفيف الدين- لما ورد إلىٰ الروضة الشريفة وقال: السلام عليك أيها النبيُّ ورحمة الله وبركاته، سمع من كان بحضرته قائلًا من القبر يقول: **وعليك السلام يا ولدي**».

وقال الحافظ محبُّ الدين بن النجَّار في "تاريخه": «أخبرني أبو أحمد داود بن علي بن محمد بن هبة الله بن المسلمة: أنا أبو الفرج المبارك بن عبدالله بن محمد بن النقور قال: حكىٰ شيخنا أبو نصر عبدالواحد بن عبدالملك بن محمد بن أبي سعد

الصوفي الكرخي قال: حججت وزرت النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فبينا أنا جالسٌ عند الحجرة إذ دخل الشيخ أبو بكر الديار بكري ووقف بإزاء وجه النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وقال: السلام عليك يا رسول الله، فسمعت صوتًا من داخل الحجرة: **وعليك السلام يا أبا بكرٍ**، وسمعه من حضر».

وقال الشيخ شمس الدين محمد بن موسىٰ بن النعمان في كتاب "مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام" -وهو موجودٌ بدار الكتب المصرية-: «سمعت يوسف بن علي الزناتي يحكىٰ عن امرأة هاشمية -كانت مجاورة بالمدينة، وكان بعض الخدَّام يؤذيها- قالت: فاستغثت بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فسمعت قائلًا من الروضة يقول: **أما لكِ فيَّ أسوة؛ فاصبري كما صبرت** -أو نحو هذا- قالت: فزال عني ما كنت فيه، ومات الخدَّام الثلاثة الذين كانوا يؤذونني».

وأخبرني مولانا الوالد -رحمه الله وأثابه رضاه-: أنَّ الإمام الشاطبي لما حجَّ وزار، التزم أن يقرأ القرآن بالقراءات عند الروضة الشريفة، فلما أتمه سمع قائلًا من داخل القبر يقول: **بارك الله فيك يا شاطبي هكذا أُنزل عليَّ**».

وأخبرني الشيخ محمد راغب بن الحاج محمود بن الشيخ هاشم الطباخ قال: أخبرني الشيخ الأجل محمد كامل بن أحمد بن عبدالرحمن الحلبي: أخبرني والدي، عن والده -شيخ القراء والمحدثين في عصره الشيخ عبدالرحمن بن موفق الدين عبدالله بن الشيخ العلامة بن عبدالرحمن بن عبدالله الحنبلي الحلبي الشامي- عن والده الشيخ عبدالرحمن قال: أخبرني العلامة السيد يوسف الحسيني الحنفي: أخبرني السيد الشريف المحدِّث الثقة المعمر الشيخ أحمد بن السيد عبدالقادر الرفاعي المكي: أخبرني مفتي تونس العالم الفاضل المحقِّق

بقية السلف أبو العباس السيد أحمد بن السيد حسن الشريف التونسي المالكي: أخبرنا شيخنا جمال الدين القيرواني، عن شيخه الشيخ يحيىٰ الحطَّاب المالكي، أخبرنا عمِّي بركات، عن والده: وأخبرني والدي الشيخ محمد الحطاب، عن والدهما الشيخ محمد بن عبدالرحمن الحطَّاب شارح "مختصر خليل المالكي" قال: «مشينا مع شيخنا العارف بالله الشيخ عبدالمعطي التونسي لزيارة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فلما قربنا من الروضة الشريفة ترجَّلنا ومعنا الشيخ، فجعل -رحمه الله تعالىٰ- يمشي ويقف، حتىٰ وصلنا إلىٰ الروضة الشريفة، فجعل الشيخ -نفعنا الله به- يتكلَّم وهو مواجه لقبر النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فلما انصرفنا من الزيارة سألناه عن سبب وقفاته، فقال: كنت أطلب من النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم القدوم عليه، فإذا قال: أقدم يا عبدالمعطي قدمت، وإلَّا انتظرت، قال: فلما وصلت إلىٰ الروضة قلت: يا رسول الله أَكُل ما رواه البخاريُّ عنك صحيحٌ؟ فقال: **صحيحٌ**، فقلت: أرويه عنك يا رسول الله؟ فقال: **اروِه عنِّي**».

وقال الشيخ العلامة أبو العباس الهلالي في "فهرسته": «إنَّ الشيخ سيدي محمد العربي التلمسانيَّ كان لا يأذن في قراءة "دلائل الخيرات" إلَّا لمن كان غير شارب الدخان، وكان يقول: إنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم شرط عليه ذلك وكان ممن يراه يقظةً».

وقال الشيخ اليفرني في "صفوة ما انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر": «أنَّ مولاي عبدالله بن عليٍّ بن طاهر سأل النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن عشبة الدخان؟ وكان ممن يراه يقظةً، فقال له: هي حرامٌ، هي حرامٌ،

هي حرامٌ».

وممن كان يرىٰ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقظةً ويسأله عما أُشكل عليه القطب الكبير والعارف الشهير الشريف سيدي عبدالعزيز بن مسعود الدبَّاغ الحسنيُّ تجد ذلك في عدَّة مواضع من كتاب "الإبريز"، وكذلك القطب الكبير سيدي علي الجمل الحسنيُّ، وتلميذه شيخ الأولياء مولاي العربي الدرقاويُّ الحسنيُّ، وتلميذه الولي الكامل سيدي محمد البوزيديُّ الغماريُّ الحسنيُّ، كانوا يرون النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ويجتمعون به ويسألونه عن كل ما يهمهم، وكذلك غيرهم من كُمل الأولياء ممن لا يحصون كثرةً كابن العربي الحاتميِّ، والسيوطيِّ، والشعرانيِّ رضي الله عنهم أجمعين وأنالنا مما أعطاهم بفضله وكرمه آمين.

وقد عقد العلامة الصالح الشيخ يوسف النبهاني -رحمه الله وأثابه رضاه- الباب التاسع من كتاب"سعادة الدارين" في الكلام علىٰ رؤية النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقظةً ومنامًا، فجلب من النقول عن العلماء والأولياء ما تقرُّ به أعين المؤمنين، جزاه الله خير الجزاء.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

١- فَتْحُ المُعين في نَقْدِ كِتابِ الأَرْبَعين

تمهيد ٩
مُقدِّمة ١١
نقد باب: إيجاب قبول صفة الله تعالىٰ ١٢
نقد باب: الردِّ علىٰ مَن رأىٰ كتمان أحاديث صفات الله تعالىٰ ١٤
نقد باب: أنَّ الله تبارك وتقدَّس وتعالىٰ شيءٌ ١٧
نقد باب: بيان أنَّ الله عزَّ وجلَّ شخصٌ ١٨
نقد باب: إثبات النَّفْس لله عزَّ وجلَّ ٢٠
نقد باب: الدليل علىٰ أنه تعالىٰ في السماء ٢١
نقد باب: وضع الله عزَّ وجلَّ قدمه علىٰ الكرسيِّ ٢٣
نقد باب: إثبات الحد لله عزَّ وجلَّ ٢٤
نقد باب: في إثبات الجهات لله عزَّ وجلَّ ٢٥
نقد باب: إثبات الصورة له عزَّ وجلَّ ٢٦
نقد باب: إثبات العَيْنَين له تعالىٰ وتقدَّس ٢٨
نقد باب: إثبات اليدين لله عزَّ وجلَّ ٢٩
نقد باب: خلق الله الفردوس بيده ٢٩
نقد باب: إثبات الخطِّ لله عزَّ وجلَّ ٣١
نقد باب: أخذ الله صدقة المؤمن بيده ٣٢

نقد باب: إثبات الأصابع لله عزَّ وجلَّ ٣٣
نقد باب: إثبات الضحك لله عزَّ وجلَّ ٣٥
نقد باب: إثبات القَدَم لله عزَّ وجلَّ ٣٧
و الدليل على أنَّ القَدَم هو الرِجل ٣٧
نقد باب: إثبات الهرولة لله عزَّ وجلَّ ٣٩
نقد باب: إثبات نزوله إلى السماء الدنيا ٤٠
نقد باب: إثبات رؤيتهم إياه عزَّ وجلَّ في الجنة ٤٢
خاتمة فيها مسائل: المسألة الأولى: الأحاديث الصحيحة في هذا الباب -يعني في باب الصفات- على ثلاث مراتب ٤٣
المسألة الثانية: كلام ابن الجوزيِّ في الردِّ على المُشبِّهة والمُجَسِّمة من الحنابلة ٤٤
المسألة الثالثة: وصف السبكيِّ في "طبقات الشافعية" للهرويِّ بأنه مُجَسِّمٌ ومُشبِّهٌ ٤٦
المسألة الرابعة: للكلام العربيِّ معانٍ أوائل، ومعانٍ ثوان ٤٧

٢- النَّقْدُ المَتين لكتابِ الفَتْحِ المُبين

المقدِّمة وسبب تأليف الرِّسالة ٥١
الصِّفات التي هي أصل الإيمان ٥٣
الصفاتُ التي تَقبلُ التأويلَ ٥٣
ليس التَّمسلُف مَذْهبًا ٥٥
الفرقُ بين التَّنزيه والتَّشبيه ٥٦

٣- التَّحْقِيقُ البَاهِرُ في مَعْنَى الإيمانِ بالله واليومِ الآخِر

مُقدِّمة ٦٣
أقوال المُفسِّرين في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ الآية ... ٦٤
حقيقة الإيمان لا تقبل التجزئة ٦٩
إلزاماتٌ للمُخالِف..... ٧١
الإشارة إلىٰ تلازم أجزاء الإيمان في تفسير الجلالين..... ٧٢
الحِكْمة في الاقتصار علىٰ الإيمان باليوم الآخر في آية (البقرة)..... ٧٤
كُفْر مَن اعتقد نجاة غير المسلم يوم القِيامَة ٧٥
خاتمة ٧٦

٤- اسْتِمْدادُ العَوْن لإثباتِ كُفْرِ فِرْعَون

خطبة الكتاب..... ٧٩
القول بإيمان فرعون لم يصح عن ابن العربي أو أحد من السلف ٧٩
الأدلة علىٰ كفر فرعون ٨٠
رد القول بأن فرعون آمن في حال الاضطرار ٨٣
حديث «أن جبريل كان يدس الطين في فم فرعون» منكر المعنىٰ ٨٤
الخاتمة ٨٤

٥- قُرَّةُ العَيْنِ في أدلة إرسالِ النبيِّ للثَّقَلَين

مقدِّمة ٨٧
طعنٌ في الدِّين بدعوىٰ الاجتهاد والتجديد..... ٨٧
فصل: الدلائل علىٰ بعثته عليه السَّلام إلىٰ الجنِّ ٩٠

تنبيه في دفع التعارض بين أحاديث استدل بها المؤلِّف ٩٥
نقلٌ عن السُّبكيِّ في الدَّليل على بعثته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم للجنِّ (ت)..... ٩٦
طرق حديث «ليلة الجنِّ» عن ابن مسعودٍ ٩٧
نقل الإجماع على إرسال النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى الثقلين ١٠٩
فصل: ذكر أسماء الصحابة الجنِّيين ١١٣
الكلام على حقيقة الجنِّي «شمهورش» أو «شمهروش»، وبيان أنه لا وجود له؛ وإن روى عنه كثيرٌ من العلماء والصُّلَحاء بحسن نيَّةٍ وسلامة صدرٍ ١٢٩
إشارة إلى كتاب "مسند الجنِّ" للحافظ السيِّد أحمد بن الصِّدِّيق ١٢٩
أحاديث مسندة عن صحابةٍ مِن الجِنِّ ١٣٠
الحديث الأول: «**المؤمن أخو المؤمن**» ١٣٠
الحديث الثاني: «**مَن كان يؤمِنُ بالله واليوم الآخِرِ فليحب للمسلمين ما يُحبُّ لنفْسِهِ**».....١٣١
الحديث الثالث: «إن أول خبر قدم المدينة...» الحديث ١٣٢
خاتمة تشتمل على مسائل: المسألة الأولى: في حصول الثواب للجنِّ ١٣٤
تكليف الجنِّ بالفروع لا يخالف تكليفنا بها ١٣٧
المسألة الثانية: هل تصح الصلاة خلف الجنِّيِّ؟.....١٣٧
المسألة الثالثة: حول دخول الجنِّ للجنَّة والتنعُّم فيها.....١٣٨
الأدلة على دخول الجنِّ الجنَّة.....١٣٨

خاتمة: سؤال في جواز التناكح بين الإنس والجنِّ ١٤٣
الخاتمة ١٤٣

٦- إرشادُ الجاهِلِ الغَويِّ إلى وجوبِ اعتقادِ أنَّ آدمَ نبيٌّ

مقدمة ١٤٧
الأدلة من القرآن الكريم..... ١٤٩
الأدلة من السُّنَّة المُشَرَّفة..... ١٥٢
الإجماع ١٥٣
إزاحة شبهتين..... ١٥٤
تتمَّة في ذكر بعض من استدل المخالف بكلامهم ١٥٦

٧- إعلام النَّبيهِ بسبب براءة إبراهيمَ مِن أبيهِ

مقدمة ١٦١
الجواب المرتَّب على الشرط يكون كترتُّب المعلول على العِلَّة..... ١٦١
العِلَّة يجب أن تكون مساوية للمعلول الذي هو الحُكْم ١٦١
لا يصح تعليل براءة إبراهيم من أبيه بأنه ضالٌّ ١٦٣
العلَّة الصحيحة لبراءة إبراهيم من أبيه ١٦٤
استغفار إبراهيم لأبيه لا يُقتدَى به ١٦٥
يحرم على المسلم أن يتبرَّأ مِن قريبه المسلم..... ١٦٦
تكفير المسلم مِن الكبائر ١٦٧
خاتمة ١٦٨

٨- إثمد العينين ببَيانِ نُبُوةِ الخَضر واسم ذي القرنين

المقدِّمة ١٧١
سبب نزول (سورة الكهف) ١٧١
القصص التي اشتملت عليها (سورة الكهف) ١٧٢
قصة أصحاب الكهف وإنكار بعض الملحدين لها ١٧٢
الخَضِرُ عليه السَّلامُ هوَ العبدُ الصَّالحُ الذي ذهبَ موسىٰ عليه السَّلامُ يطلبُه، وهو نبيٌّ علىٰ القولِ الصَّحيحِ، والدليل علىٰ ذلك ١٧٣
قِصَّةُ الخضرِ وموسىٰ عليهما السَّلامُ كما رواها البُخَاريُّ في "صحيحِه" ... ١٧٤
أدلة نبوَّة الخَضِر عليه السَّلام من حديث البخاريِّ ١٧٧
حديث النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ألا أحدِّثُكمْ عَنِ الخَضِرِ؟**» ١٧٧
نقل كلام للحافظ ابن كثيرٍ في أدلة نبوة الخَضِر عليه السَّلام ١٧٩
نقل كلام للحافظ ابن حجرٍ في نبوَّة الخَضِر عليه السَّلام ١٨١
نقل للإمام النوويِّ في نبوة الخَضِر عليه السَّلام ١٨٢
صحَّحَ الشيخُ زكريَّا الأنصاريُّ في "شرح البخاري" أنَّ الخَضِرَ نبيٌّ ١٨٢
تخْريجِ قِصَّةِ مُوسَىٰ والخَضِرِ عليهما السَّلامُ ١٨٢
الخضرُ محجوبٌ منَ الأبصارِ، وكلامُ بعضِ السَّلفِ في ذلك ١٨٣
اختَلفَ القائلُونَ في نبوَّتِه: هلْ كانَ رسُولًا؟ ١٨٣
الفوائدِ المسْتخرَجةِ منْ قِصَّةِ موسىٰ والخَضِرِ عليهما السَّلام ١٨٣
الخَضِرُ مُعَمَّر علىٰ جميعِ الأقوالِ، والآراءُ في وقتِ موتِه ١٨٤

اختلاف الأقوال في منْ هو ذو القَرنَينِ؟ وهل هو نبيٌّ أو هو عبدٌ صالحٌ؟ ١٨٤
كرامةٌ كبيرةٌ لتميمٍ الداري رضي الله عنه ١٨٧
من مناقبِ تميمٍ أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم روى عنه خبرَ الجسَّاسةِ، وتميمٌ هو أولُ من أسرَجَ السِّراجَ في المسجدِ ١٨٧
بيان ما في الأقوال المذكورة من غرابة ونكارة ١٨٩
تفسير ابن أبي حاتم" فيه أحاديثُ ضعيفةٌ خلافًا لما زَعَمَ الألبانيُّ أنَّ أحاديثَه صحيحةٌ ١٩٠
وأوَّلُ مَنْ فَطِنَ لتضارب آراء المؤرخين في ذي القرنين ومخالفتها لما ذكر في القرآن ونبَّه عليه العلَّامةُ أبو الكلامِ آزاد رحمه الله ١٩٠
سؤال اليهود عن ذي القرنين يفيد بأن لديهم علمًا به في كتبهم، واتجاه آذاد للبحث فيها عن ذلك ١٩٢
ذكر ما يشير إلى ذي القرنين في أسفار اليهود ١٩٢
تنبيهاتٌ في ختامِ البحثِ: الأولُ: فيما وردَ من أخبارِ حولَ مَنْ خلفَ السَدِّ (يأجوج ومأجوج) ١٩٤
الثاني: حديثُ الصَّحِيحَيْنِ فيما فُتِحِ منْ ردْمِ يأجُوجَ ومأجُوجَ والتَّعليقُ عليه ١٩٦
الثالث: روايةٌ عن كعبِ الأحْبارِ في أصلِ يأجوجَ ومأجوجَ ونقدُها ١٩٦
الرابع: هل كانَ ذو القَرنينِ نبيًّا؟ ١٩٧

الخامس: روايةٌ عنْ مجاهدٍ أنَّ الدُّنيا ملَكَها أربعةٌ: مؤمنانِ وكافرانِ، ونقدُها ١٩٨
الخاتمة ١٩٩

٩- تَنْوِيرُ البَصِيرةِ ببيانِ عَلامات الكَبيرةِ

مقدمة ٢٠٣
أقوال العلماء في تعريف الكبيرة ٢٠٥
تنبيه: الشِّرك أخصُّ مِن الكُفْر ٢٠٩
علامات الكبيرة ٢١٠
منها: إيجاب الحدِّ على المعصية، ويدخل تحتها عدَّة كبائر ٢١٠
ومنها: تسمية المعصية كبيرة، أو أكبر الكبائر ٢١٢
ومنها: وصف المعصية بأنها موبِقة ٢١٥
ومنها: وصف المعصية بأنها فاحشة ٢١٥
ومنها: وصف المعصية بأنها من عمل الشيطان: ٢١٥
ومنها: وصف المعصية أو فاعلها بالفسق..... ٢١٦
ومنها: الخبر بأن الله تعالى يحارب فاعلها ٢١٦
ومنها: الخبر بأن الله لا يحبها أو لا يحب فاعلها، أو أن الله يبغضه ٢١٧
ومنها: لعن فاعلها ٢١٨
ومنها: وصف فاعلها بأن الله لا ينظر إليه ٢٢٣
ومنها: الإخبار بأنه لا يدخل الجنَّة: ٢٢٤

ومنها: الإخبار بتحريم الجنَّة عليه: ٢٢٥
ومنها: الإخبار بأن فاعلها برئت منه ذمَّة الله ورسوله..... ٢٢٥
ومنها: الإخبار بأنها حالقةٌ تحلِق الدِّين ٢٢٦
ومنها: الإخبار بنزع الإيمان منه أو نفيه عنه ٢٢٧
ومنها: الإخبار بغضب الله عليه ٢٢٧
ومنها: إلجامه بلِجام مِن نارٍ..... ٢٢٧
ومنها: عدم قبول صلاته مثلًا ٢٢٨
ومنها: وصفه بالكفر أو الإشراك مثلًا ٢٢٨
ومنها: وصفه بالخُسران ٢٢٩
ومنها: وصفه بالضلال..... ٢٢٩
ومنها: التعبير عنه بكلمة: «ليس مِنَّا» ٢٣٠
ومنها: وصفه بالخلود في النَّار ٢٣٠
ومنها: إلحاقها بكبيرةٍ معروفةٍ..... ٢٣١
ومنها: الإخبار بأنها تهدي إلى الفُجور..... ٢٣١
ومنها: وصف صاحبها بالنِّفاق..... ٢٣١
ومنها: وصف مرتكبها بأنه لم يزل في سخط الله، أو سخط الله عليه ٢٣٢
ومنها: وصفه بأنه ضاد الله عزَّ وجلَّ ٢٣٢
ومنها: الإخبار بأنَّ الله يسكنه ردغة الخبال..... ٢٣٣
ومنها: الإخبار بأنَّ الله حجب التوبة عن مرتكبها ٢٣٣

ومنها: الإخبار بأن المعصية تأكل الحسنة ٢٣٤
ومنها: الإخبار بأنها ليست من الإسلام..... ٢٣٥
ومنها: الإخبار بأنَّ الله خسف بمرتكبها ٢٣٥
ومنها: الإخبار بأنَّ مرتكبها لا يسأل عنه..... ٢٣٥
ومنها: الإخبار بأنَّ الله تعالىٰ يكون خصمه ٢٣٦
ومنها: الإخبار بأنَّ مرتكبها لا يجد عرف الجنَّة ٢٣٦
ومنها: التوعُّد عليها بالويل ٢٣٦
ومنها: وعيد مرتكبها بأن يحشر بآفةٍ في جسمه..... ٢٣٦
ومنها: الإخبار بحبوط عمله ٢٣٧
ومنها: التوعُّد بفضيحة مرتكبها ٢٣٧
ومنها: الإخبار بأن الله يمقت فاعلها..... ٢٣٧
ومنها: الإخبار بأنَّ فاعلها خارج عن الإسلام ٢٣٨
ومنها: الإخبار بأن فاعلها يُكلَّف يوم القيامة بما لا يَسْتَطِيعُه ٢٣٨
ومنها: توعُّد فاعلها بعذابٍ شديدٍ في جوارحه ٢٣٩
ومنها: الإخبار بأن الله يطبع علىٰ قلبه ٢٤٠
الصغائر وأمثلة لها..... ٢٤١
خاتمةٌ في بيان ما يُكَفِّر الكبائر والصغائر ٢٤٤
نوع يُكفِّر الكبائر والصغائر..... ٢٤٤
ونوع يكفر الصغائر: وهو ثلاثة أشياء ٢٤٤

١ - اجتناب الكبائر ٢٤٤
٢ - إتباعها الحسنة ٢٤٤
٣- مصيبة من مصائب الدنيا ٢٤٥
أمَّا ما يُكَفِّر الكبائر فأمور أربعة ٢٤٨
١ - الحَدُّ المرتَّب على بعضها ٢٤٨
٢ - الاستشهاد في سبيل الله ٢٥٠
٣- القتل ٢٥١
أعمال ثبت فيها أنها تكفر الكبائر ٢٥٣
خاتمة ٢٥٣

١٠ - الحُجَجُ البيِّنات في إثباتِ الكَرَامَات

تمهيد ٢٥٧
مقدِّمة في معنى الوليِّ ٢٥٩
باب: في بيان جواز الكرامات ووقوعها ٢٦٣
الفصل الأول: الكرامة لغة واصطلاحًا وأنوا الكرامات ٢٦٣
إنكار المعتزلة للكرامات والرد عليهم ٢٦٨
الدليل على وقوع الكرامات وحصولها ٢٧٣
الفصل الثاني: في ذكر بعض أحاديث تعد على طريق الإجمال أصولًا لأنواع من الكرامات ٢٧٥
حضور أحمد بن حنبلٍ مجلس المحاسبي وسؤاله لأبي حمزة الصوفيِّ ٢٧٨

الفصل الثالث: فيما حَدَّثَ به النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من كرامات صُلحاءِ الأُمَمِ السَّابقة ٢٧٩
حديث أصحاب الغار ٢٧٩
تنبيه: حول طرق الحديث واختلاف ألفاظه ٢٨١
حديث جريج الراهب ٢٨٢
تنبيه: الحصر الوارد في حديث: «لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ» ٢٨٤
حديث الغلام والراهب ٢٨٥
تنبيه: الكلام علىٰ قصة أصحاب الأخدود ٢٨٨
حديث ماشطة بنت فرعون ٢٨٨
حديث الرجل الذي استلف ألف دينار ٢٨٩
حديث البقرة التي تكلَّمت ٢٩١
حديث الذئب الذي تكلَّم ٢٩١
في الحديث إشارة إلىٰ نزول عيسىٰ آخر الزمان ٢٩٣
تنبيه: تعيين الراعي الذي كلَّمه الذئب ٢٩٤
كلام الذِّئب لبعض الصّحابة ٢٩٤
حديث: دعاء عيسىٰ عليه السلام لبقرة اعترض ولدها في بطنها ٢٩٧
قصة الثور الذي تكلَّم ٢٩٧
حديث الرجل الذي خرج من المقبرة ٢٩٨
حديث الرجل الذي سُمع اسمه من السحاب ٢٩٨

الفصل الرابع: في ذكر ما ثبت من الكرامات عن الصّحابة رضي الله عنهم ٣٠٠
حديث: اهتزاز العرش لموت سعد بن معاذٍ ٣٠٠
حديث أنس بن النضر وإقسامه على الله ٣٠٣
حديث أُمُّ الرُّبَيِّع وإقسامها على الله ٣٠٤
حديث أسيد بن حضير واستماع الملائكة لقراءته ٣٠٥
كرامة لأُسَيد وعَبَّاد رضي الله عنها ٣٠٧
كرامة الصحابي الذي أضاءت أصابعه ٣٠٧
كرامتان للإمام عليٍّ عليه السَّلام ٣٠٨
حديث خُبيبٍ رضي الله عنه ٣٠٨
في الحديث دليلٌ على أنَّ الله يُكرم أولياءه أحياءًا وأمواتًا ٣١٠
في الحديث عِدَّة كراماتٍ لخُبَيْبٍ رضي الله عنه ٣١١
كلام لابن بطال عن الكرمات ومناقشة الحافظ ابن حجرٍ له ٣١١
ذكر كرامات لأبي بكرٍ رضي الله عنه ٣١٣
كرامة لعامر بن فهيرة رضي الله ٣١٤
كرامة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ٣١٥
كرامة لعبدالله بن حرام: استخراجه بعد دفنه بستة أشهر ٣١٦
تنبيه: الجمع بين حديث جابر، وحديث عبد الرحمن بن أبي صعصعة رضي الله عنهما ٣١٧

كرامة لتميم الداري رضي الله عنه ٣١٨
كرامة لسعيد بن زيدٍ رضي الله عنه ٣١٩
كرامة لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ٣٢٠
كرامة: تسليم الملائكة على عِمرَان بن حُصَينٍ رضي الله عنه ٣٢١
كرامة للعلاء بن الحَضْرَمِيِّ رضي الله عنه ٣٢٣
كرامة لأبي قِرْصَافة رضي الله عنه ٣٢٥
كرامة لأُهْبَان بن صَيفيٍّ الغِفَاريِّ ٣٢٧
كرامة لسَفِينَة مَوْلَى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٣٢٨
كرامة لعمار بن ياسر رضي الله عنه ٣٢٨
كرامة لعثمان بن عفَّان رضي الله عنه ٣٢٩
كرامة لخالد بن الوليد رضي الله عنه: شرب السمَّ فلم يضرَّه ٣٣٠
كرامة لحُمَمة رضي الله عنه ٣٣٠
دفع الاشتباه في توثيق داود الأودي ٣٣٢
كرامة لحبيب بن مسلمة ٣٣٣
كرامة لزيد بن خارجة الأنصاريِّ رضي الله عنه بعد موته ٣٣٤
كرامة للمسور بن مخرمة رضي الله عنه ٣٣٥
كرامة للحسن بن عليٍّ عليه السلام ٣٣٥
كرامة لعبدالله بن جحشٍ رضي الله عنه ٣٣٦
فائدة: عبد الله بن جحش هو أول أمير في الإسلام ٣٣٧

كرامة لعامر بن ربيعة رضي الله عنه ٣٣٧
كرامة لأبي الدرداء رضي الله عنه ٣٣٧
كرامة لعمرو بن عَبَسَة السُّلَميِّ رضي الله عنه ٣٣٨
كرامة لصحابي يقرأ (سورة الملك) في قبره ٣٣٩
قراءة عبدالله بن حرام في قبره بعد موته ٣٤٠
كرامة لثابت بن قيس بن شماس ٣٤٠
كرامة لجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ٣٤٤
كلام للسهيلي في معنى الجناحين اللذين أُعطيهما جعفر بعد استشهاده ٣٤٥
كرامات لأهل البيت عليهم السلام ٣٤٧
كرامة للعباس رضي الله عنه ٣٤٩
تنبيه: الرد على الوهابية في جواز التوسل بالنبي رضى الله عنه بعد الوفاة . ٣٤٩
كرامة لأنس بن مالك رضي الله عنه ٣٥٠
كرامة لهرم بن حيان بعد موته ٣٥٠
الفصل الخامس: فيما ورد من الكرامات عن التَّابعين وغيرهم ٣٥٢
كرامة لرجل أحيا اللهُ حمارَه بعد أن مات ٣٥٢
كراماتان لأبي مسلمٍ الخَوْلانيِّ: خاض البحر بدابَّته، ولم تضره النار ٣٥٣
كرامة لأويس القرني، وذِكْر بعض أحواله ٣٥٦
كرامة أخي ربعي بن حِراشٍ: كلامه بعد الموت ٣٥٨
كرامة لحُجْرِ بن عَديٍّ ٣٦١

كرامة لعامر بن عبد قيسٍ..... ٣٦١
كرامة لعلي بن صالح: أتاني جبريل السَّاعة بماءٍ فسقاني ٣٦٢
كرامة لسعيد بن المسيِّب: دعاءه على من كان يسبُّ عليًّا وعثمان..... ٣٦٢
كرامة ليزيد بن الأسود..... ٣٦٣
تبرُّك الصحابة والتابعين بآثار رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم..... ٣٦٣
كرامات لمُطرِّف بن عبدالله بن الشِّخِّير ٣٦٤
كرامات صِلة بن أَشْيَم وذكر بعض أحواله..... ٣٦٦
العلاء بن زياد وتبشيره بالجنة..... ٣٦٩
كرامة لثابت البُناني رحمه الله بعد موته..... ٣٧٠
كرامة لأيوب السَّختياني..... ٣٧١
مُورِّق العجلي كان يجد نفقته تحت رأسه..... ٣٧٢
كرامة عبدالله بن غالبٍ الحُدَّانيِّ: كان يوجد من قبره ريح المسك ٣٧٢
كرامة لسليمان التيميِّ..... ٣٧٢
كرامة منصور بن زادان: ختمه القرآن في زمنٍ يسيرٍ ٣٧٣
كرامة لرجل فارسي مع محمد بن المنكدر ٣٧٤
كرامات لعبدالله بن عتبة..... ٣٧٤
كرامة لأبي صالح الحنفي ٣٧٥
كرامة لميمون بن أبي شَبِيب ٣٧٦
كرامات لزُبيدٍ اليامِيِّ ٣٧٦

كرامات لكُرْز بن وَبَرَة الحارثيِّ ٣٧٧
كرامة حصلت مع جَسْرٍ القَصَّاب لراعٍ له غنم ترعى مع الذئاب ٣٧٨
الذئاب لا تضر الغنم في خلافة عمر بن عبدالعزيز، وذكر الثناء عليه..... ٣٧٩
كرامات لحبيب العجمي، وذكر بعض أقواله ٣٨٠
كرامات لعبد الواحد بن زيد ٣٨٤
كرامة لصالح بن بشير المري وذكر بعض مناقبه ٣٨٥
كرامات عتبة الغلام، وذكر بعض مناقبه ٣٨٦
كرامات إبراهيم بن أدهم، وذكر بعض مناقبه ومروياته ٣٨٧
حول خروج المرأة من بيتها ٣٩٠
كرامة لفضيل بن عياض ٣٩٠
كرامة لشيبان الراعي ٣٩٠
كر امات معروف الكرخي، وذكر بعض مناقبه..... ٣٩٠
كرامة لعبدالله بن السِّنديِّ ٣٩٣
كرامة لعليِّ بن بكار..... ٣٩٣
كرامة لذي النون المصري ٣٩٣
كرامة لامرأةٍ بمكة كانت تُكثر التسبيح ٣٩٣
كرامة لشاب يحيها آدم بن إياس ٣٩٤
كرامة لإبراهيم بن سعدٍ..... ٣٩٤
كرامة لجابر الرحبيِّ ٣٩٤

قصة عُبيد البُسْرِيِّ مع رجلٍ على قلب إبراهيم الخليل ٣٩٥
كرامة لأبي الخير الأقطع ٣٩٦
كرامة حصلت مع الحافظ السِّلَفيِّ ٣٩٦
كرامة لأبي بكر بن المقري وأبي الشيخ والطبرانيِّ مع رجلٍ علويٍّ ٣٩٧
كرامة لسعيد بن جُبيرٍ بعد قتله ٣٩٧
كراماتٍ يحكيها أبي سعيد الماليني ٣٩٨
جملة من الكرامات ذكرهت الأستاذ أبو القاسم القشيريُّ مُسنَدةً ٣٩٩
كرامة لشُرَحْبِيل التّابعيِّ ٤٢٧
كرامة لعاصم بن أبي النَّجُود أحد أئمَّة القُرَّاء ٤٢٧
كرامة لراهبان دخلا في الإسلام ٤٢٧
من عرف خفيَّ لُطْف الله رضي بفعله ٤٣٠
كرامة لأبي الحسن المزين ٤٣٠
كرامتان للشيخ عبدالقادر الجيلانيِّ ٤٣١
كرامةٌ عظيمةٌ دافع الله بها عن أبي هريرة رضي الله عنه ٤٣١
كرامة لعليِّ بن نصر الحفيد ٤٣٢
كرامة لحفيد السيد عبدالرحيم القنائيِّ ٤٣٢
كرامة لأبي القاسم القبَّاري وذكر بعض أقواله ٤٣٣
كرامة لأبي يعزى ٤٣٣
ذكر مناقب أبي مدين الغوث وبعض كراماته وأقواله ٤٣٤

كرامة لأبي الفضل النحوي وذكر بعض مناقبه ٤٣٨
كرامة لأبي محمد موسىٰ بن الجرائيِّ ٤٣٩
كرامة حصلت مع أبي عبدالله الهزميريَّ ٤٤٠
كرامات لأبي يزيد الهزميريِّ ٤٤٠
كرامة لمحمَّد بن مرزوقٍ ٤٤١
حكم أخذ الفأل من المصحف ٤٤١
كرامات للشيخ عبدالله المنوفي ٤٤٢
كرامات للشيخ النجيبيِّ وذكر بعض مناقبه ٤٤٣
كرامة للشيخ السنوسيِّ وذكر بعض مناقبه ٤٤٥
كرامة لأبي إسحاق البلفيقي ٤٤٦
كرامتان لأبي إسحاق المكناسيِّ ٤٤٦
كرامتان لأبي الحسن الحمال ٤٤٧
كرامتان لأبي الحسن الدينوريَّ -الصائغ ٤٤٧
كرامة لأبي الحسن الصبَّاغ ٤٤٨
الفصل السادس: فيما أكرم الله به أولياءه بعد وفاتهم من بقاء أجسامهم سليمة لا يُغيرها البِلىٰ ولا يعفيها التراب ٤٤٩
الفصل السابع: فيما أكرم الله به أولياءه من الظُّهور في صورٍ مُختلفةٍ ٤٥٤
الفصل الثامن: فيما أكرم الله به أولياءه من رؤية النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم واجتماعهم به في اليقظة وأخذهم عنه. ٤٧٣

معنى قوله ﷺ: «فسيراني في اليقظة» ٤٧٣
إشكال حول رؤية النبيِّ يقظة والجواب عليه ٤٧٥
الخاتمة ٤٨٩
فهرس الموضوعات ٤٨٩

موسوعة

العلامة المحدث المتفنن

سيدي الشريف عبد الله ابن محمد بن الصديق الغماري الحسيني

(١٣٢٨ - ١٤١٣هـ) رحمه الله تعالى

قدم لها

الشريف الدكتور

عبد المنعم بن عبد العزيز بن الصديق

إشراف

الدكتور محمود سعيد بن محمد ممدوح

المجلد الثالث

كتاب الإيمان

مَوْسُوعَةُ

العَلَّامَةِ المُحَدِّثِ المُتَفَنِّنِ

سَيِّدِي الشَّرِيفِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الصِّدِّيقِ الغُمَارِيِّ الحَسَنِيِّ

(١٣٢٨ - ١٤١٣هـ) رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى

(٣)

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية
عام / ١٤٣٨

قام بطباعتها وإخراجها: مركز البحوث والدِّراسات
بكُليَّة الصَّفا الإسلاميَّة بماليزيا

يطلب من:

دار السَّلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

جمهورية مصر العربية: القاهرة – الإسكندرية.
الإدارة: القاهرة ٤٠ شارع أحمد أبو العلا – المتفرِّع من شارع نور الدين بهجت – الموازي لامتداد شارع مكرم عبيد – مدينة نصر.
هاتف: ٢٢٨٧٣٢٤٦ - ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ (٢٠٢+)
فاكس: ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢+)
البريد الإلكتروني: info@dar-alsalam.com
موقعنا على الإنترنت: www.dar-alsalam.com

المجلد الثالث: كتـــاب الإيـــمان

ويحتوي على:

١ - أولياء وكَرَامَات «النَّـقْدُ المُبرَم لرِسالَةِ الشَّرَفِ المُحَتَّم».

٢ - إقَامَةُ البُرهانِ على نُزول عيسىٰ عليه السلام آخِرِ الزَّمانِ.

٣- عَقيدَةُ أهْلِ الإسْلامِ في نُزول عيسىٰ عليه السلام آخِرِ الزَّمانِ.

٤ - المَـهْديُّ المُنتَظَر.

١ - أولياء وكَرَامَات

النَّقْدُ المُبْرَمُ لِرِسَالَةِ "الشَّرَفِ المُحَتَّم"

هــذا كتــابٌ كَاشِــفٌ لِمســائِل تَخْفَــى عــلى الحُــذَّاق والفُطَنــاءِ
يَنْفِــي غُلُــوًّا قــد أُضِــيفَ جَهَالــةً لِجماعَــةِ الفُضَــلاءِ والصُّــلَحَاءِ
فالأَوْلِيــاءُ لهــمْ كَرَامَــاتٌ أَتَــتْ حقًّــا بِــلا نُكْــرٍ ولا غُلَــوَاءِ
لكنَّهــا لا تَنْتَهــي أبــدًا إلى مــا قَــدْ يَفُــوقُ تَصَــوُّرَ العُقَــلاءِ
أَعْنِــي مُحَــالًا لا تكــونُ كَرَامَــةً كــلَّا ولا كَــذِبًا عــلى النُّجَبَــاءِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مُظهرِ الحَقِّ ومُعْلِيه، ومُدْحِضِ الباطِلِ ومُخْفِيه، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّدٍ الذي جاء بالصِّدْق وأرشد إليه، ونهى عن الكذب وأخبر بوجوب اللعنة عليه، ورضي الله عن آله الكِرام وصحابته الأعلام، وعمَّن نهج نهجهم في التمسُّك بالصِّدْق والتزام قول الحقِّ، لا يبغون به بديلًا ولا يتخذون غيره سبيلًا، ممتثلِّين قول الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩].

أمَّا بعد: فقد وقفت -وأنا في سنِّ الطلب- على رسالةٍ منسوبةٍ للحافظ السيوطيِّ -رحمه الله تعالى- اسمها: "الشَّرف المُحَتَّم فيما منَّ الله به على وليِّه السَّيد أحمد الرِّفاعي من تقبيل يد النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم"، فلم أُعِرْها كبير اهتمام، بل قبلت ما جاء فيها بالإذعان والاستسلام، ولمَّا قرأت علم الأصول وتمكَّنت فيه، وعرفت قوادمه من خوافيه، أدركت بطلان تلك الكرامة التي أُلِّفت الرسالة لإثباتها، ونبَّهتُ في كتابي: "مصباح الزُّجاجة في صلاة الحاجة" على ذلك، ثمَّ أُعيد طبع تلك الرِّسالة في هذه الأيام، فرأيت خطورة ما تحتويه من نسبة شيءٍ إلى النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لم يحصل منه، وهذا أمرٌ لا يجوز السُّكوت عليه ولا يصح إغفاله.

فأردتُ أنْ أُبيِّن في هذه الورقات كذب تلك الكرامة المُفتعَلة، وأُبرهِن على بُطلانها بقاعدةٍ أصوليَّةٍ لم يتنبَّه لها كثيرٌ من العلماء -فضلًا عمَّن دونهم- كما أبيِّن بطلان نسبة الرِّسالة إلى الحافظ السيوطيِّ رحمه الله ورضي عنه، ثمَّ أذكر

بعد ذلك كراماتٍ نُسبت إلى عددٍ من الأولياء ولم تحصل منهم، وإنَّما صنعها الأتباع والمحِبُّون المتغالُون.

واللهُ المسئول أن يهدينا سواء السَّبيل، فهو حسبنا ونِعم الوكيل.

مقدمتي في ذمِّ التغالي

كثيرٌ من النَّاس إذا سمعوا بكتابي هذا ورأوه فسوف يعترضون عليَّ، ويُفوِّقون سهام اللوم إليَّ، وسوف يقولون عنِّي أنِّي مِلْتُ للوهَّابيَّة، أو ألْحدتُ لتعجيزي قدرة الله، أو نافقت لإنكاري بعض الكرامات، إلى غير هذا مما يتردَّد على ألسنة الجَهَلَةِ أعداء البحث العلميِّ، وأنصار الخرافات والأوهام(١).

وذلك لا يُضِيرني بل يُزينني عند الله وعند العلماء المنصفين؛ لأنِّي نفيت عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كذبًا يلحقني إثمٌ لو لم أنْفِه عنه، وقد قيل ليحيى بن معين: أمَا تخشى أنْ يكون هؤلاء الذين جرحهتم خصماءك يوم القيامة؟ فقال: لأنْ يكونوا خصماء لي أحبُّ إليَّ من أنْ يكون النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم خصمي، حيث لم أَذُبّ عنه الكذب(٢).

والتصوف صدقٌ في القول والعمل، وليس تلقُّفًا للأكاذيب، ولا ترويجًا لها، وأنا صُوفيٌّ عقيدة ونسبًا، شاذليٌّ طريقةً ومشربًا، أعتقد الكرامات، ولي فيها تأليفٌ جيِّدٌ مفيدٌ، اسمه "الحُجَجُ البيِّنات في إثبات الكرامات"، وهو مطبوعٌ، لكن لا أؤيد الخُرافات، والفرق بين الكرامة والخرافة ظاهرٌ، يُعرف بالعرض

---

(١) النَّاس في هذا الوقت لا يعرفون الاعتدال، فإمَّا أنْ يعتقدوا ما يحكى عن الأولياء جميعه، لا يفرِّقون بين غثِّه وسمينه، وإذا أنكر الشَّخص بعض الكرامات التي اقتضى الدليل بطلانها اعتبروه وهَّابيًّا وناصبوه العداء، وإمَّا أن ينكروا الأولياء وكراماتهم جملةً، ويعتبروا معتقد ذلك مُخرِّفًا كبيرًا، والحقُّ خلاف هذين الطريقين.

(٢) وقال يحيى أيضًا: نحن نجرح أناسًا لعلَّهم حطوا رحالهم في الجنَّة منذ زمان. يعني أنهم كانوا صالحين.

على قواعد علم الكلام والأصول، ومن لا يُحسن قواعد هذين العلمين، يحسُن به أنْ يسكت عن الكلام في موضوع الكرامات؛ لأنَّه إذا تكلَّم فضح نفسه وأظهر جهله، وتعجيز قدرة الله تعالى كفرٌ صريحٌ، لكن لا علاقة له بنفي ما قام الدليل على بطلانه.

أمَّا النِّفاق، فحشره هنا حشوٌ ولغوٌ من القول؛ لأنَّه بأنواعه[1] الثلاثة، أبعد ما يكون عن الكَرَامات بَلْه الخُرافات.

هذا ومما لا شكَّ فيه أنَّ التغالي مذمومٌ؛ لأنَّه خروجٌ عن حدِّ الاعتدال المقبول، و لذلك نهى النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الأُمَّة عن التغالي في شأنه فقال: «**لا تُطْرُوني كما أَطْرَتِ النَّصارى عيسى، وقولوا عبدالله ورسوله**»؛ لأنَّه عليه الصَّلاة والسَّلام خشي أنْ يحمل حبُّه أناسًا من أمَّته أنْ يدَّعوا فيه الألوهيَّة، كما ادَّعاها النَّصارى في عيسى عليه السلام، حيث زعموا فيه أنَّه ابن الله أو ثالث ثلاثة -تعالى الله عن ذلك عُلُوًّا كبيرًا- وقد عَصَمَ اللهُ الأمَّة المحمَّديَّة من ذلك، فلم يصفوه بأكثر مما هو وصفه، كما قال البوصيري:

فمَبْلَغُ العِلْمِ فِيهِ أنَّهُ بَشَرٌ ... و أنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ الله كُلِّهِمِ

لكن تغالى كثيرٌ من النَّاس في الأولياء، فرفعوهم إلى رتبة النبوَّة حينًا، وإلى رتبة الألوهيَّة حينًا آخر.

من النوع الأول: جاء في الحديث عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ الله وكَّل بقبري مَلَكًا أعطاه أسماء الخَلَائق، ليبلِّغني سلام مَن سلَّم عليَّ مِن**

---

(١) هي: نفاق كفر، ونفاق عمل، ونفاق اجتماع، وقد بيَّنتها بأمثلتها في "خواطر دينية".

أُمَّتي...» الحديث. وقال المتغالون في الأولياء -وكذبوا-: إنَّ الله وكَّل بقبر كلِّ وليٍّ مَلَكًا يقضي حاجات الزائرين المتوسِّلين بذلك الوليِّ، وهذا مخالفٌ لما قاله الصوفيَّة أنفسهم، فقد قال القطب شمس الدين محمَّد الحنفي: إذا مات الوليُّ انقطع تصرُّفه في الكون من الإمداد، وإنْ حصل مددٌ للزَّائر بعد الموت، أو قضاء حاجةٍ، فهو من الله تعالىٰ علىٰ يد القطب صاحب الوقت -يعني الوليَّ الحيَّ- لأنَّ الميت لا إمداد عنده، ولا مَلَك عند قبره.

و من المعلوم أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم هاجر من مكَّة إلىٰ المدينة بوحيٍ من الله تعالىٰ.

وقال المتغالون في السَّيد أحمد البدوي: إنَّه لم يذهب من مكَّة إلىٰ العراق، إلَّا بأمر الهاتف الذي أمره بالسَّفر وقال له: إنَّ لنا في ذلك شأنًا، ثُمَّ رجع إلىٰ مكَّة فأمره الهاتف أيضًا بالذِّهاب إلىٰ طندتا، وقال له أيضًا: إنَّ لنا في ذلك شأنًا، وهكذا لم يكن يتحرَّك السَّيد البدوي إلَّا بوحيٍ، كما لم يكن النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يتحرَّك إلَّا بوحيٍ.

و من النوع الآخر: قال الله تعالىٰ عن عيسىٰ عليه السَّلام حاكيًا علىٰ لسانه: ﴿وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩].

و حكىٰ المتغالون -وكَذَبوا- عن الشَّيخ جلال الدِّين الرُّومي: أنَّ أناسًا كانوا يناقشونه في كرامات الأولياء، وذكروا إحياء الموتىٰ معجزة لعيسىٰ عليه السَّلام فذكر لهم أنَّه يفعل مثلها، ومرَّت بهم جنازة، فأشاروا علىٰ المشيِّعين بالوقوف، ثمَّ سأل المتناقشين: كيف كان عيسىٰ عليه السلام يحيي الموتىٰ؟ قالوا: كان يقول للميت قمْ بإذن الله، فيقوم. فالتفت الشَّيخ جلال الدِّين إلىٰ

الميت -وهو على النَّعش- فقال له: قمْ بإذني، فقام!!

هذه رتبة الألوهيَّة، ولكن المتغالين والمخرِّفين لا يرون فيها شيئًا، بل يحتجُّون لصحَّتها بحديثٍ قدسيٍّ يقول: «**عَبْدي أَطِعْني أجعلُكَ ربَّانيًّا تقول للشيء: كنْ فيكون**». وفاتهم أمران:

١- أنَّ هذا الحديث لا أصل له، بمعنى أنَّه لم يروه أحدٌ من أهل الحديث، ولا يوجد في شيءٍ من كتب السُّنة(١).

٢- أنَّ الله تعالى قال لعيسى عليه السلام يعدِّد نعمه عليه: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِىۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِىۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى﴾ [المائدة: ١١٠].

فلم يعطه رتبة قول: كن، مع أنَّه من أفضل العبيد الربَّانيين.

نعم، أعطيها النَّبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم خصوصيَّةً له، ففي غزوة تبوك رأى الصَّحابة شبحًا من بعيدٍ، فقالوا: هذا شخصٌ يريد اللحوق بنا، فقال النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**كُنْ أبا خَيْثَمَة**» فإذا هو أبو خيثمة، وشاهدوا شبحًا آخر، فقال النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**كُنْ أبا ذرٍّ**» فإذا هو أبو ذرٍّ.

أمَّا قول ممشاد الدِّينَوَري: تركت قولي للشَّيء: «كن، فيكون»، منذ عشرين سنة أدبًا مع الله عزَّ وجلَّ فقد أوَّله بعض كبار الصوفيَّة بأنَّ معناه: أنَّه كان مُجاب الدعوة، كلَّما دعا أُجيب، ثمَّ ارتفع عن ذلك إلى الله تعالى، فصار بمراد الله

---

(١) وإنَّما هو من الإسرائيليَّات، مثل الحديث القدسي القائل: «**ما وَسِعَني أرضي ولا سمائي، ووَسِعَني قلب عبدي المؤمن**»، فهو من الإسرائيليَّات أيضًا.

لا بمراده، فترك الدعاء، وهذا التأويل مُتعيِّن.

وحصلت مناقشة بين وهَّابي وخصمه بالمنصورة، كنت حاضرًا فيها، فقال الوهَّابي لخصمه: لِـمَ تذهب إلى قبر الوليِّ فتشتكي فلانًا الذي ظلمك؟ ولم لا ترفع شكواك إلى الله؟ فردَّ عليه خصمه بقوله -وبئس ما قال-: لا أشتكي إلى الله تعالى؛ لأنَّه حليمٌ يُمْهل، وأشتكي إلى الوليِّ؛ لأنَّه عجولٌ يعطب في الحال.

فعرَّفته خطيئته، وبيَّنت له أنَّ الله تعالى إذا أمهل شخصًا ولم يعاقبه فلا يستطيع وليٌّ ولا نبيٌّ ولا مَلَكٌ تعجيل عقوبته، والله تعالى يقول لنبيِّه: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، ﴿قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا﴾ [الجن: ٢٢].

ويقول النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في وصيَّته لابن عبَّاسٍ: «**واعلمْ أنَّ الأمَّةَ لو اجتمعوا على أنْ يَنْفَعُوك بشيءٍ، لم ينفعوك إلَّا بشيءٍ قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أنْ يَضُرُّوك بشيءٍ، لم يَضُرُّوك إلَّا بشيءٍ قد كتبه الله عليك**».

وليس الوليُّ إلَّا رجلًا صالحًا تُرجى بركة دعائه أو بركة الاستشفاع به، أمَّا أنْ يفعل شيئًا لم يُرِدْه الله، فلا يقدر عليه هو ولا العالم بأجمعه، ﴿قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ﴾ [المائدة: ١٧].

و هذا من البديهيات في عقيدة الإسلام، لكن الجهل بالدين عمَّ أغلب النَّاس، فوقعوا في الضَّلال وهم لا يشعرون.

الباب الأول

و هو يشتمل على فصلين:

الفصل الأول: إبطال حكاية تقبيل الرِّفاعي يدَ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

الفصل الثاني: في إبطال نسبة رسالة "الشرف المحتم" إلىٰ الحافظ السيوطيِّ.

الفصل الأول

إبطال حكاية تقبيل الرفاعي يدَ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم

جاء في رسالة "الشَّرف المُحتَّم" عن الشَّيخ عزِّ الدين عمر أبي الفرج الفاروثي الواسطي، قال: كنت مع شيخنا ومَفْزَعنا وسيِّدنا أبي العبَّاس القطب الغوث الجامع الشَّيخ السَّيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه عام خمسٍ وخمسين وخمسمائة، العام الذي قدَّر الله له فيه الحجَّ، فلما وصل مدينة الرَّسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وقف تجاه حجرة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وقال على رؤوس الأشهاد: السَّلام عليك يا جدِّي، فقال له صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**وعليك السَّلام يا ولدي**». سمع ذلك كلُّ من في المسجد النَّبوي، فتواجد سيِّدنا السَّيد أحمد الرفاعي، وأرعد واصفرَّ لونه، وجثا على ركبتيه، ثمَّ قام وبكى وأنَّ طويلًا، وقال: يا جدَّاه:

في حالةِ البُعْد رُوحي كُنت أُرْسِلُها ... تُقَبِّلُ الأرضَ عنِّي وهي نائِبَتي
وهذه نَوْبَةُ الأَشْباحِ قَدْ حَضَرَتْ ... فامْدَدْ يَمِينَك كَيْ تَحْظَى بِها شَفَتِي

فمدَّ له رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يده الشَّريفة العطرة من قبره الأزهر، فقبَّلها في ملأٍ يقرب من تسعين ألف رجلٍ، والنَّاس ينظرون اليد الشَّريفة.

وكان في المسجد مع الحُجَّاج الشَّيخ حياة بن قيس الحرَّاني، والشَّيخ عدي مسافر الشَّامي وغيرهم، وتشرَّفنا معهم برؤيا اليد المحمَّديَّة الزَّكيَّة، وفي يومها

لبس الشَّيخ حياة بن قيس الحراني خرقة السَّيد أحمد الرفاعي «الكبير»[١]، واندرج في سلك أصحابه.

ومن طريقٍ آخر: عن الشَّيخ علي بن إدريس اليعقوبي، عن شيخه القطب الفرد الشَّيخ عبدالقادر الجيلي، ثمَّ البغدادي، قال: كنت في محفل الكرامة التي أكرم الله بها الشَّيخ أحمد الرِّفاعي«الكبير» بتقبيل يد النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، قال اليعقوبي: فقلت: أي سيدي أما حسده علىٰ هذه الكرامة من حضر من الرِّجال؟ فبكىٰ رضي الله عنه، ثمَّ قال: يا بن إدريس عليها يغبطه الملأ الأعلىٰ.

وعن الشَّيخ عدي بن مسافر، وخادمه الشَّيخ علي بن موهوب، قالا: كنَّا في مسجد النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، عام حَجِّنا، وكان الشَّيخ أحمد الرِّفاعي رضي الله عنه واقفًا تجاه الحجرة الطَّاهرة، وقد تكلَّم بكلماتٍ ضبطها عنه جماعة، فما أتم كلامه إلَّا وقد مُدَّت له يد رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقبَّلها ونحن ننظر مع الحاضرين، قال ابن موهوب: والله كأنِّي بها وقد خرجت من القبر المبارك، يد بيضاء سويَّة، طويلة الأصابع، كأنَّها البرق المضيء، وكأنِّي بالحرم وأهله وقد كاد يميد، وقد كادت تقوم قيامة النَّاس، لما ألمَّ بهم من الدهش والحيرة والهيبة والسُّلطان المحمَّدي، وقد قام الرحب وقعد بتكبير النَّاس وصلاتهم عليه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

هذه هي القصَّة التي يعدها المتصوِّفة معجزة للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله

---

(١) هذا الوصف يدلُّ علىٰ كذب القصَّة أيضًا، وأنَّها صنعت في عهدٍ متأخِّر؛ لأنَّ الشَّيخ أحمد بن الرِّفاعي لم يوصف بـ«الكبير» إلَّا بعد وجود الشَّيخ علي الرفاعي، للتمييز بينهما.

وسلَّم، وكرامة للشَّيخ أحمد الرفاعي رضي الله عنه.

والنبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم له معجزات كثيرة، وهو حيٌّ في قبره الشَّريف بدلالة القرآن والسُّنَّة والإجماع، يردُّ سلام من يسلِّم عليه، ويشفع فيمن استشفع به، والشيخ الرِّفاعي أهلٌ لهذه الكرامة وغيرها؛ لأنَّه من الأقطاب الكبار الذين نعتقد ولايتهم الكبرىٰ.

لكنَّا نجزم بأنَّ هذه القصَّة مكذوبةٌ لا نصيب لها من الصِّحة، وإنْ ذكرها الشَّيخ عبدالجواد الشربيني في كتاب "درر الأصداف في مناقب الأشراف"، والجَمل في حاشية "الهمزية"، والسَّيد الشبلنجي في كتاب "نور الأبصار في مناقب آل بيت النبيِّ المختار".

غير أنَّه بعد أنْ ذكرها، عقَّب عليها بقوله: «لكن المشهور بهذه الكرامة سيدي علي الرِّفاعي الشَّهير بأبي شباك[1] الذي بمسجد ذخيرة الملك، بسوق السِّلاح، تجاه مدرسة السُّلطان حسن، ولقائلٍ أن يقول: لا مانع من وقوعها لهما».اهـ

ونجزم بأنَّ مفتعلها تحمَّل وزرًا كبيرًا يتبوَّأ به مَقْعدًا في نار جهنَّم[2]، وبيان ذلك من وجوهٍ:

الأول: تقرَّر في علم الأصول: أنَّ الخبر إذا كان تتوفَّر الدَّواعي علىٰ نقله

---

(١) فالشَّيخ سيِّد الشَّبلنجي يرجِّح وقوع القصَّة للشَّيخ علي الرفاعي، ومعنىٰ هذا: أنَّ القصَّة ليس متفقًا علىٰ وقوعها للشَّيخ أحمد الرِّفاعي، وتجويزه وقوعها لهما معًا بعيدٌ جدًّا، والقصَّة علىٰ كلتا الحالتين باطلةٌ.

(٢) للحديث المتواتر: «مَن كَذَبَ عليَّ مُتعمِّدًا فلْيتبوَّأ مَقْعَدَهُ في جهنَّم».

بالتواتر، ثمَّ نُقل بطريق الآحاد فهو مقطوعٌ بكذبه، ومثَّل أهل الأصول لذلك بسقوط الخطيب عن المنبر يوم الجمعة، فإنَّ هذا الحادث لو حصل، يستدعي أنْ يُخبر به جميع من كان في المسجد، فإذا انفرد به ثلاثة منهم أو أربعة أو عشرة، قطعنا بأنَّه مكذوبٌ، وقطعنا بأنَّهم اختلقوه، أو اختلقه أحدهم ووافقه بقيتهم.

ونحن إذا تأمَّلنا تلك القصَّة، وجدناها تحكي خروج اليد الشَّريفة من القبر المكرَّم، أمام جمعٍ يقرب من تسعين ألف رجلٍ، وأنَّ الحرم النَّبوي كاد يَميد من الدهشة، وكادت قيامة النَّاس تقوم، وقام الرَّحب وقعد بتكبير النَّاس وصلاتهم على النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

وهذا حادثٌ عظيمٌ خارقٌ للعادة، شهده عددٌ كبيرٌ من الحُجَّاج من مختلف الأقطار الإسلاميَّة، فكان الواجب أن يتحدَّثوا عنه، فيخبر حجازيون ويمنيون ومصريون أنَّهم شاهدوه، وكذلك غيرهم من الفارسيين والمغربين والسودانيين والهنديين والأتراك والأكراد وخلافهم، وأنْ يسجَّل في تواريخ المدينة المنورة.

لكن لا نجد له ذكرًا في كتاب "وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى"، ولا في اختصاره "خلاصة الوفا"، ولا في غيرهما من تواريخها، ولم يذكره السيِّد عبدالقادر الجيلي في كتبه ولا في دروسه، ولم يذكره الشَّعراني في "الطَّبقات"، مع حرصه على ذكر ما هو أقل منه.

وإنَّما تحدَّث عنه أربعة أشخاص فقط: عراقيان وشاميان فهذا دليلٌ قاطعٌ على أنَّه حادثٌ مفتعَل.

والذي صنعه متحمِّلًا وزره نسب روايته إلى ثلاثة شيوخ أجلاء هم: عبدالقادر الجيلي، وعدي بن مسافر، وحياة بن قيس الحراني، وهؤلاء من كبار

الأولياء، فنسبة القصَّة إلى روايتهم، تحمل النَّاس على تصديقها واعتقاد حقيقتها.

لكنَّهم لم يروا هذا الحادث ولم يتحدَّثوا عنه؛ لأنَّه لم يقع، ولو وقع لكان غيرهم ممَّن شاهده أسرع منهم بالحديث عنه، فإنَّ هذا الحادث في غرابته وعظم شأنه يتسابق من يشاهده إلى إشاعته، خصوصًا الحُجَّاج[1]، فإنَّهم يتحدَّثون عمَّا شاهدوه في الحجاز من الأمور المعتادة، فكيف نسوا أن يتحدَّثوا عن هذا الأمر الجَلَلِ؟!!

وقد وقع حادثٌ شبيهٌ بهذا، تحدَّث عنه من شهده وكتبوه، قال تقي الدين المقريزي في كتاب "إغاثة الأمَّة بكشف الغُمَّة" ما نصُّه: «**حكاية الثور الذي نطق**: وقع في آخر هذا الغلاء أعجوبة في غاية الغرابة لم يسمع بمثلها، وهي أنَّ رجلًا من أهل الفلح بجبة عسال -إحدى قرى دمشق- خرج بثورٍ له ليَرِدَ الماء، فإذا عدة من الفلاحين قد وردوا الماء، فأورد الثور حتى إذا اكتفى نطق بلسانٍ فصيحٍ أسمع من بالمورد وقال: الحمد لله، والشكر له، إنَّ الله وعد هذه الأمَّة سبع سنين مجدبة، فشفع لهم النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وأنَّ الرسول أمره أنْ يبلغ ذلك، وأنَّه قال: يا رسول الله فما علامة صدقي عندهم؟ قال: أنْ تموت بعد تبليغ الرِّسالة، وأنَّه بعد فراغ كلامه، صعد إلى مكانٍ مرتفعٍ، وسقط منه ومات. فتسامع به أهل القرية، وجاؤا من كلِّ حدبٍ ينسلون، فأخذوا شعره وعظامه للتبرُّك، فكانوا إذا بخَّروا به موعوكًا برئ، وعمل

---

(١) شاهدنا كثيرًا من الحجَّاج ظلُّوا يتحدَّثون عمَّا شاهدوه في حجهم بقيَّة حياتهم.

بذلك محضر مثبوت[١] عند قاضي البلد، وحُمل إلى السُّلطان بمصر، فوقف عليه الأمراء، واشتهر بين النَّاس خبره، وشاع ذكره».اهـ

وذكر هذا الحادث أيضًا في كتاب "السلوك لمعرفة دول الملوك".

هذا حادثٌ وقع في قريةٍ من ريف دمشق، حضره عدَّة من الفلاحين، لا يتجاوزون مائة، ومع ذلك عمل به محضر عند القاضي، وحمل إلى السُّلطان بمصر، وسجَّله المؤرخ المقريزي في كتابين من كتبه.

فكيف لم يسجَّل حادث الشَّيخ الرِّفاعي وهو أغرب من هذا الحادث وأعجب، وأرفع منه وأشرف؟!

يضاف إلى ذلك أنَّه وقع في المدينة المنوَّرة -قبلة الإسلام- وفي مسجدها النبوي -ثاني الحرمين- أمام عدة آلاف من المسلمين حضروا من مختلف بقاع الأرض.

الوجه الثاني: أنَّ رواة القصَّة لم يتفقوا على سياقها، بل اختلفوا فيه اختلافًا يقضي ببطلانها، فبينما يقول عزِّ الدين الفاروثي عن الشَّيخ أحمد الرفاعي: وقف تجاه حُجرة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وقال على رءوس الأشهاد: السَّلام عليك يا جدِّي، فقال له النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**وعليك السَّلام يا ولدي**»، سمع ذلك كلُّ من في المسجد النَّبويِّ.

إذا بالشيخ عدي بن مسافر وتلميذه علي بن موهوب يقولان: كان الشَّيخ أحمد الرفاعي واقفًا تجاه الحُجرة الطَّاهرة، وقد تكلَّم بكلماتٍ، ضبطها عنه

---

(١) كذا، والصَّواب: مُثْبَتٌ -بضم الميم وفتح الباء- لأنَّه من أثبت، أمَّا ثبت الثلاثي فلازم.

جماعة -يقصدان بيتَي الشعر- فما أتمَّ كلامه إلَّا وقد مُدَّت له يد رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فقبَّلها ونحن ننظر مع الحاضرين.

فلم يذكرا كلام النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وقد سمعه كلُّ من في المسجد النَّبويِّ! وهو لا يقل غرابة وعجبًا عن خروج اليد الشَّريفة من القبر، بل هو الذي شجَّع الشَّيخ علىٰ إنشاء البيتين، فكيف سكتا عنه؟

لا تعليل لذلك إلَّا أنَّ صانع القصة لم يحسن سبكها، فنسي أنْ يَنْسب إلىٰ رواتها لفظًا واحدًا يتفقون عليه، والمثل يقول: «إذا كنت كذوبًا فكن ذكورًا».

ويجوز أن يقال: كان الفاروثي تلميذًا للشَّيخ الرفاعي، يهمه إثبات النِّسبة النبويَّة له، فلذلك سمع سلام شيخه، ورد النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بما يثبت نسبه، بخلاف الشَّيخ عدي وخادمه، فليسا تلميذين للرِّفاعي، ولا يعنيهما ثبوت النَّسب له، فلم يسمعا تلك المحادثة التي سمعها كلُّ من في المسجد النَّبوي!!

الوجه الثالث: أنَّ الشَّيخ أحمد الرِّفاعي -رضي الله عنه- منسوبٌ إلىٰ بني رفاعة، قبيلة من العرب، كما في "طبقات الشَّعراني"، فكيف يقول: السَّلام عليك يا جدِّي؟! وهو لم يدَّعِ الانتساب إلىٰ الحسين ولا الحسن عليهما السَّلام، وخاله الشَّيخ منصور البطايحي -و هو من الأولياء- لم يكن يدعوه إلَّا بلفظ أحمد، مجرَّدًا عن السِّيادة، مع أنَّ الأولياء أحرص النَّاس علىٰ تعظيم أهل البيت وتسويدهم، من غير مراعاةٍ للقرابة أو غيرها، كما هو معلومٌ من أخلاقهم وآدابهم.

والحقيقة أنَّ الرفاعي رضي الله عنه لم يثبت له الشَّرف إلَّا بعد موته بمدَّة،

حين ظهرت فكرة الأقطاب الأربعة -وكان هو أحدهم- وعزَّ على بعض أتباعه ألَّا يكون شريفًا مثل إخوانه الأقطاب الثَّلاثة: الجيلي والبدوي والدسوقي، فأنشأ له نسبًا يتصل بالحسين عليه السَّلام لكن أبا الهدى الصيَّادي الرِّفاعي لم يكتف بهذا، بل أنشأ له نسبًا أيضًا يتصل بالحسن عليه السَّلام وبذلك صار الشَّيخ الرِّفاعي حُسينيًا حَسنيًّا، وامتاز على زملائه بالجمع بين الشَّرفين!

الوجه الرابع: ولو كان الشَّيخ الرِّفاعي حُسينيًّا، فإنَّه لا يقول تلك الكلمة لأسبابٍ:

أحدها: أنَّ الأدب المطلوب في الزِّيارة النبويَّة، أنْ يقف الزَّائر في المواجهة الشَّريفة بخشوعٍ، ويقول: «السَّلام عليك يا نبيَّ الله، السَّلام عليك يا رسول الله، أشهد أنَّك بلَّغتَ الرِّسالة، وأدَّيتَ الأمانة، ونصحتَ الأمَّة، وجاهدتَ في الله حقَّ جِهاده...»، إلى آخر ما هو مدوَّن في كتب الفقه، والشَّيخ الرِّفاعي ما كان يجهل هذا الأدب وما كان ليدَعَه؛ لأنَّه من كُمَّل الأولياء الحريصين على اتباع آداب الشَّريعة.

ثانيها: أنَّ الشَّيخ الرِّفاعي كان متواضعًا شديد التواضع، يحبُّ الخُمُول وعدم الظُّهُور، وطريقه مبنيٌّ على التواضع، فكيف يقول على رؤوس الأشهاد: السَّلام عليك يا جدِّي؟! وهل هذا إلَّا تَفَاخرٌ بالنَّسب؟! وما كان التفَاخُر من خُلُق الرِّفاعي، ولا حب الظُّهور في طبعه.

ثالثها: أنَّ الأدب المراعَى بين الأولياء بعضهم مع بعضٍ إذا اجتمعوا: ألَّا يتقدَّم صغيرٌ منهم على كبيرٍ؛ لقول النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «كَبِّر كَبِّر»،

أي: قدِّم الكبير، وإذا كان الأمر كذلك، فكيف تقدَّم الشَّيخ الرِّفاعي بتلك الكلمات، مع وجود السَّيد عبدالقادر الجيلي، وهو أكبر منه سِنًّا وأجلُّ مقامًا وأكثر عِلْمًا وإنتاجًا؟!

هذا إلى أنَّ الجيلي حَسنيٌّ، والرِّفاعي حُسينيٌّ، والعارف الشَّعراني يقول عن تواضعه وفرط أدبه: «ما تصدَّر في مجلسٍ، ولا جلس على سجَّادةٍ، تواضعًا».اهـ

وأيضًا: فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣]، أي: لا تنادوه كما ينادي بعضكم بعضًا باسمه أو لقبه: يا فلان أو يا أبا فلان، ولكن عظِّموه ونادوه: «يا نبيَّ الله»،«يارسول الله»، ونحو ذلك من ألقاب التعظيم، وكلمة: «يا جدِّي» أو «يا أبي» لا تعظيم فيها، بل من الآداب العامَّة أنَّ الشَّخص إذا كان أبوه خليفةً أو ملِكًا، فإنَّه يخاطبه أمام النَّاس بلقب التعظيم نحو يا أمير المؤمنين، يا أيها الملِك، ولا يقول: يا أبي.

وأيضًا: فإنَّ الواقف أمام الحجرة الشَّريفة، يعتريه من هيبة المكان وجلال الموقف ما ينسيه نفسه وشرفه وعلمه، فلا يمكنه أن يقول: يا جدِّي، أو يا أبي، وإنَّما يهتف بشوقٍ: يا رسول الله، يا شفيع المذنبين، يا نبيَّ الرَّحمة، يا حبيب ربِّ العالمين، جئت أطلب شفاعتك، وأرجو رِفْدَك.

وأيضًا: فإنَّ الصوفيَّة قالوا: ينبغي لمن يدخل على وليٍّ من أولياء الله تعالى أنْ يتجرَّد من علمه وشرفه وعمله، منتظرًا ما يُفيضه الله عليه بطريقة ذلك الوليِّ.

وحكوا: أنَّ أبا الحسن الشَّاذليَّ، لما أراد الدخول على مولاي عبدالسَّلام بن

مشيش[١]، اغتسل ونوىٰ التجرُّد من علمه وعمله وشرفه فحصل له الفتح الكبير علىٰ يد شيخه المذكوررضي الله عنهما، وإذا كان هذا بالنِّسبة لوليٍّ من الأولياء كيفما كانت رتبته في الولاية، فهل يجوز لزائر سيِّد الرسل وأفضل الخَلْق أن يذكر علمه أو شرفه؟!

وأيضًا فإنَّ الكُمَّل من الأولياء حين يدخلون المسجد النبويَّ لا يتقدَّمون لزيارة الرَّوضة الشَّريفة إلَّا بإذنٍ من النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

روينا عن العلَّامة الشَّيخ الحطَّاب شيخ المالكيَّة في وقته، أنَّه حجَّ مع شيخه القطب الشَّيخ عبدالمعطي التونسي، قال: فلمَّا وصلنا إلىٰ المسجد النَّبويِّ، ودخلنا الباب، صار الشَّيخ يتقدَّم خطوة ويقف، ثمَّ يتقدَّم خطوةً ويقف،

---

(١) عبدالسَّلام بن مشيش: من كبار الأقطاب، مدفونٌ بجبل العلم من قبيلة بني عروس بمراكش، زرت قبره، وهو في أعلىٰ الجبل، يقام له مولد -عمارة بلهجة المغاربة- في النِّصف من شعبان، وهو غير سيِّدي عبدالسَّلام الأسمر المدفون بطرابلس الغرب.

وبالقرب من قبر ابن مشيش حجران كبيران متقابلان بينهما فجوة طبيعية في داخلها انحرافٌ وتعاريج، يمكن الدخول فيها والخروج منها بشيءٍ من الحيلة والمرونة، والعامَّة هناك يعتقدون أنَّ من دخل في تلك الفجوة وكان مرضيًّا عند والديه خرج منها، ومن كان مسخوط والديه -أي عاقًّا لهما- تمسَّك فيه تلك الفجوة فلا يخرج بسهولة، وترىٰ الزوَّار يهرعون إلىٰ ذينك الحجرين يمتحنون أنفسهم بالدخول بينهما، فمن خرج بسهولة فرح؛ لأنَّه مرضيٌّ عند والديه، ومن لم يعرف كيف يخرج ساعده الزوَّار بقراءة القرآن والتوسُّلات، وبجذبه حتىٰ يخرج من بين الحجرين حزينًا خَجِلًا؛ لأنَّه عُرِف بين النَّاس بأنَّه مسخوط والديه، وهذه خرافةٌ لا أصل لها.

وهكذا حتىٰ وصلنا إلىٰ الحجرة الشَّريفة، فلما انتهينا من الزِّيارة سألناه عن سبب توقفه مرَّة بعد مرَّةٍ، فقال: كنت أطلب الإذن من النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بالقُدوم عليه، فإذا قال: «**تقدَّم يا عبدالمعطي**»، تقدَّمت.

حكاية عن الشيخ الرفاعي باطلة

ثُمَّ ذَكَرتِ الرِّسالة قصَّةً أخرىٰ شبيهة بهذه، إليك نصُّها:

وقد ثبت أنَّ السَّيد أحمد رضي الله عنه لَمَّا حج ثانيًا في العام الذي توفِّي فيه، وزار القبر الطيب الطَّاهر علىٰ ساكنه أفضل صلوات الله وسلامه، قال وهو تجاه القبر بانكسارٍ ومسكنةٍ:

إنْ قِيلَ زُرْتُمْ بِما رَجَعْتُمْ؟ يا أَكْرَمَ الرُّسْلِ ما نَقُولُ؟

فظهر صوتٌ من القبر الشريف، سمعه كلُّ من في المسجد المبارك:

قُولوا رَجَعْنَا بِكُلِّ خَيرٍ واجْتَمعَ الفَرْعُ والأُصُولُ

وهذه القصَّة مقطوعٌ بكذبها أيضًا مثل سابقتها؛ لأنَّها لو حصلت لأخبر بها كلُّ من كان في المسجد النَّبويِّ -وهم ألوفٌ- لأنَّ الوقت كان موسم حجٍّ.

ومما يدلُّ علىٰ كذبها أيضًا: حال النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، بالنسبة لقول الشِّعر، فإنَّه لم ينشئ في حياته بيت شعر غير الرَّجَز[1]، وما تمثَّل ببيت شعرٍ كاملٍ مَوزونٍ، وإنَّما كان يتمثَّل بشطر بيتٍ فقط، مثل: «**ألَا كلُّ شيءٍ ما**

---

(١) أمَّا الرَّجَز الذي قاله: «**أنا النبيُّ لا كَذِب، أنا ابن عبدالمطَّلِب**»، «**هل أنت إلَّا إصْبَعٌ دَمِيتِ، وفي سَبيلِ الله ما لَقِيتِ**»، فقد جاء عفو الطبيعة، لم يقصده كما يقصد الشَّاعر إنشاء بيتٍ مراعيًا تفاعليه، علىٰ أنَّ بعض اللغويين -لعلَّه الأخفش- يرىٰ أنَّ الرَّجَز ليس بشِعْرٍ.

خَلَا الله باطلٌ». ومثل: «**ويأتيك بالأخبار مَن لم تُزَوِّد**».

وكان يتمثَّل أحيانًا بشطر بيتٍ مكسور، تمثَّل مرَّة بقول القائل: «**كفى الإسلام والشيب للمرء ناهيًا**». فقال له أبو بكر الصِّديق: يا رسول الله إنَّ الشَّاعر يقول: «كفى الشَّيب والإسلام للمرء ناهيًا»، فأعاده صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مكسورًا كما نطق به أوَّل مرَّة، فقال أبو بكرٍ رضي الله عنه: صدق الله: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ [يس: ٦٩].

فكيف تزعم تلك القصَّة المكذوبة أنَّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، أنشأ بيت شعرٍ تام التفاعيل، أجاب به الشَّيخ الرِّفاعي مُساجَلَةً؟!

والعجيب أنْ يُقَدِّم الفروع على الأصول، حِرْصًا على القافية لكيلا تختل!! مع مراعاة لزوم ما لا يلزم!! كأنَّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان يباشر فنون الشِّعر، كما باشرها فحول الشُّعراء.

نعم، ثبت أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كلَّم قومًا بلغتهم التي لا يعرفها قريش ومعظم الصِّحابة، وتلك معجزة من معجزاته الكثيرة؛ لأنَّ اختلاف اللُّغات، من آيات الله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ [الروم: ٢٢]، ومعرفة اللُّغات علمٌ من العلوم التي أنعم الله بها على نبيِّه، حيث قال له: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]. لا يصح خطاب النبيِّ عليه الصَّلاة والسَّلام بكلامٍ فيه لحنٌ.

أمَّا الشِّعر فقد نزَّه الله عنه نبيَّه بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ [يس: ٦٩]، وذمَّ الشُّعراء بقوله سبحانه: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤]، وقد وفد عليه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم شعراء، وأنشدوا بين يديه شعرًا، فلم يُجبهم ببيتٍ، بل كان يثيب المادحين، ويكلِّف حسَّان بن ثابت بذمِّ الذَّامين وهجاء الهجائين، فليس قول الشِّعر مُعجزة ولا مَكْرُمة بالنِّسبة له صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم(١).

ثمَّ إنَّ البيت الذي نَسَبَتْه القصَّة إلىٰ الشَّيخ الرِّفاعي رضي الله عنه يشتمل علىٰ لحنٍ في الإعراب، وشذوذٍ في التعبير، فلا يصح أنْ يخاطب به أفصح الخلق صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم؛ لأنَّه يؤلمه ويؤذيه، ذلك أنَّ العربيَّ الفصيح يؤذي شعوره ويؤلم طَبْعَه أن يسمع كلامًا دخله لحنٌ في الإعراب، أو خللٌ في التركيب، ولهذا كان عمر رضي الله عنه يعلو بالدُّرَّة من يلحن في الكلام، ويحضُّ علىٰ تعلُّم الإعراب(٢).

---

(١) بل كان العلماء ينفرون منه، ويعدُّونه مَنقصَةً ألا ترىٰ إلىٰ قول الإمام الشَّافعي:

وَلَولَا الشِّعْرُ بِالعُلَماءِ يُزْرِي ... لكُنتُ اليومَ أَشْعَرَ مِن لَبِيدِ

وكان وهب بن منبِّه يكره النطق بالشِّعر، ويقول: إنِّي أكره أن يوجد في صحيفتي يوم القيامة شِعْرٌ.

(٢) كثيرًا ما كنت أتألَّم حين أسمع خطباء الجُمعة يقولون: وهذا ضعفنا «ظاهرٌ» بين يديك، وهو من اللَّحن الواضح الذي يدركه من أتقن باب الحال في "الآجروميَّة" وفي القرآن الكريم: ﴿وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا﴾ [هود: ٧٢].

وذاك البيت المنسوب إلى الرِّفاعي، يقول: «إنْ قيل زُرْتُم بما رجعتم؟».

أسقط الفاء الرَّابطة بين الشَّرط والجواب، فلم يقل: فبما رجعتم؟ وهذا لحنٌ، ثُمَّ أثبت الألف في «ما» الاستفهاميَّة، في قوله: «بما رجعتم؟» والصَّواب: «بم رجعتم» لأنَّ «ما» الاستفهامية إذا دخلت عليها باء الجر حذفت ألفها، نحو ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ [الحجر: ٥٤]، ولا تثبت إلَّا شذوذًا على قلَّة، كما نصَّ عليه الزَّمخشري في (سورة الأعراف) من "تفسيره".

والظَّاهر أنَّ الذي صنع القصَّة كان يجهل قواعد علم العربيَّة، فوقع في هذين الخطأين، وكان يمكنه تجنبهما بأن يقول: «إن قيل زرتم فما استفدتم؟».

ثمَّ تأمَّل قوله: «واجتمع الفروع والأصول» تجده حريصًا على إثبات الشَّرف للرِّفاعي، كما أثبت له الشَّرف أيضًا في القصَّة السَّابقة، بجملة: «**وعليك السَّلام يا ولدي**»، وهذا هو المقصود من القصَّتين، ولولا ذلك لما نسب إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قول الشِّعر، أو لأمكنه إذ نسبه إليه أن يقول:

قولوا رجعنا بكلِّ خيرٍ ونار منَّا العقولُ والقلوبُ

ويؤيِّد ذلك قوله بعد البيتين السَّابقين على لسان مؤلِّف الرِّسالة: «والذي أدين الله تعالى به أنَّ السَّيد أحمد الرِّفاعي الشَّريف الفاطمي الحسيني رضي الله عنه كان جبلًا راسخًا، وبطلًا جَحْجَاحًا...» إلخ.

فإقحام عبارة: «الشَّريف الفاطمي الحسيني» هنا لا معنى لها إلَّا الحرص على إثبات الشَّرف للشَّيخ الرِّفاعي رضي الله عنه؛ لأنَّه كونه جبلًا راسخًا وبطلًا جَحْجَاحًا لا يتوقَّف على كونه شريفًا فاطميًّا حُسينيًّا، فقد كان في

الصوفيَّة جبالٌ رواسخٌ وأبطالٌ جَحَاجِحُ وهم لا ينتسبون إلى البيت النَّبوي، كسيِّد الطائفة الجُنيد، وأبي بكر الشِّبلي، وأبي القاسم القُشيري، وأبي يعزى، وأبي مدين الغوث، وابن العربي الحاتمي، وأبي العبَّاس المرسي، وابن عطاء الله، رضي الله عنهم.

الفصل الثاني

في إبطال نسبة رسالة الشرف المحتَّم إلى الحافظ السيوطي

اعلم أنَّ كثيرًا من المؤلَّفات نُسبت إلى غير مؤلِّفيها، على سبيل الخطأ.

منها: كتاب "الكنز المدفون والفلك المشحون"، طبع مرات، منسوبًا للحافظ السُّيوطي، لكنَّه تأليف الشَّيخ يونس السُّيوطي المالكي، تلميذ الحافظ الذَّهبي.

ومنها: كتاب "الرحمة في الطب والحكمة" طُبع عدَّة مرات، منسوبًا للسُّيوطي أيضًا، وهو تأليف الحكيم المقري مهدي الصَّبري، وهذا الكتاب تتبعه بالتجربة صاحبنا المرحوم الشَّيخ محمد بن الأزرق الغُمَاري الصِّدِّيقي، فجرَّب ما ذكر فيه من الأدوية والوصفات من أوَّله إلى آخره، فلم يصح منه إلَّا وصف شربة واحدة.

ومنها: "مختصر تذكرة القرطبي" طبع مرات، منسوبًا للشَّعراني، مع أنَّ مؤلِّفه فرغ من تأليفه وعمر الشَّعراني ست سنوات.

ومنها: كتاب في تفسير الأحلام، طبع مرَّات بهامش الجزء الأول من كتاب "تعطير الأنام للنابلسي" منسوبًا لابن سيرين لكنَّه لأبي سعيد الواعظ.

ولو ذهبنا نعد الكتب التي نسبت إلى غير أصحابها لطال بنا الحال.

ورسالة "الشرف المحتم"، نُسِبت إلى الحافظ السُّيوطي، إمَّا غلطًا وإمَّا عمدًا -لا نجزم بأحد الاحتمالين- لكنَّا نجزم بأنَّها ليست له، والدليل على ذلك أمور:

الأوَّل: أنَّه ذكر مؤلَّفاته في كتاب "حسن المحاضرة" وفي فهرسته، وهذه الرسالة غير موجودة فيهما.

الثاني: عزو الحديث في أوَّلها لأبي نعيم، وهو في "الصَّحيح" وهذه غلطة لا تقع في رسالةٍ صغيرة، أنشئت بموضوعٍ معيَّن، إلَّا من مؤلِّفٍ لا يعرف الحديث، على أنَّ الحافظ السُّيوطي عوَّدنا في رسائله الصَّغيرة أنْ يفتتحها بذكر ما في الصحيحين أو أحدهما.

نعم، قد يعزو الحافظ ابن حجرٍ أو الحافظ السُّيوطي حديثًا إلى غير الصحيحين وهو فيهما أو في أحدهما إذا كان ذلك في مؤلَّفٍ كبيرٍ يتشعَّب فيه البحث ويتسع الكلام، أمَّا أن ينشئ رسالة صغيرة لبحثٍ خاصٍّ ثمَّ يغلط في عزو الحديث، فهذا لم يحصل.

الثالث: الخلاف المذكور في ثبوت الصُّحبة للشَّيخ الرِّفاعي رضي الله عنه لا يصدر من الحافظ السُّيوطي، لمنافاته كلامه في تعريف الصَّحابي في تدريب الرَّاوي وغيره، وإنَّما يصدر من رجلٍ لا يعرف في علم الحديث مثقال ذرَّةٍ.

الرابع: أنَّ الرِّفاعي رأى اليد الشَّريفة -على فرض ثبوت تلك القصَّة المكذوبة- ولم يقل أحدٌ من علماء الحديث أنَّ الصُّحبة تثبت بمجرد رؤية اليد، بل هم نفوا الصُّحبة عمن رآه عليه الصَّلاة والسَّلام بعد وفاته قبل دفنه إذا لم

يكن رآه في حال الحياة، فكيف يحكي السُّيوطي خلافًا لم يحصل؟!

ثمَّ ما وجه تخصيص الرِّفاعي بالخلاف؟ مع أنَّ تلك القصَّة المكذوبة تحكي أنَّ اليد الشَّريفة رآها كلُّ من في المسجد النَّبويِّ، فإن كانت الصُّحبة تثبت بهذا، فأولئك جميعهم صحابة، لا خصوص الرِّفاعي.

الخامس: نَقْله عن الحافظ السَّخاوي، وبينهما تنافرٌ كبيرٌ وخصومة شديدة، فالسَّخاوي ترجم للسُّيوطي في "الضوء اللامع" وحطَّ عليه كثيرًا حتىٰ وصفه بعقوق والدته لتكبُّره عليها، وأنَّه سطا علىٰ المكتبة المحمودية وأخذ منها مؤلَّفات أحدث فيها تغييرًا يسيرًا ونسبها إلىٰ نفسه.

والسُّيوطي كتب رسالة سمَّاها "الشهاب الهاوي في كبد السخاوي"[١] حطَّ عليه فيها كثيرًا، ووصفه بالجهل بعلوم العربية وكثرة اللَّحن، كما حطَّ عليه في رسالة ألَّفها في لفظ «خصيصىٰ»[٢]، وهي في "الحاوي".

و قال في المقامة السندسية، يخاطبه:

قُـلْ للسَّـخَاويِّ إنْ تَعْـرُوكَ مُشْـكِلَةٌ ... عِلْمِي كبَحْرٍ مِن الأَمْـواجِ مُلْـتَطِمِ
والحافظُ الدِّيَمِيُّ[٣] غَيْثُ الوجُودِ فَخُـذْ ... غَرْفًا مِن البَحْرِ أو رَشْفًا من الـدِّيَم

---

(١) وانتصر للسَّخاوي بعض الأدباء المعاصرين له برسالة سمَّاها: "المنتقد اللوذعي علىٰ المجتهد المدعي".

(٢) لفظ «خصيصىٰ» مقصور، وقع في "الشفاء" للقاضي عياض، وضبطه السَّخاوي بسكون الياء علىٰ أنَّه مثنَّىٰ، فردَّ عليه السُّيوطي.

(٣) الحافظ عثمان الدِّيَمي: بكسر الدال وفتح الياء، وقفت علىٰ نسخةٍ من شرح "نخبة الفكر" بخطِّه ذكر أنَّه تلقَّاه عن مؤلفه الحافظ ابن حجرٍ، وهذا الشَّرح مطبوعٌ. وهو

فكيف ينقل السُّيوطي عن شخصٍ يخاطبه بهذا الشِّعر؟!

ومع هذا يوجد في المكتبات كتابٌ مطبوعٌ يُنسب للسُّيوطي اسمه "الحرز المنيع من القول البديع" وهو مختصر كتاب "القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع" للحافظ السَّخاوي، وذاك المختصر ليس من مؤلفات الحافظ السُّيوطي.

السادس: نَقْله عن الفراء، والسُّيوطي يعلم أنَّ الفراء نحويٌّ لغويٌّ لا صلة له بالحديث وعلومه، وأظنُّه لا يجهل أنَّ الفراء معتزليٌّ لا يعتقد الكرامات ولا يعترف بالصوفيَّة.

السابع: استعماله في رواية القصَّة: «حدَّثنا» والسُّيوطي لا يمكن أن

مدفون قرب جامع بيبرس، بجهة الأزهر.

والحقُّ أنَّ الدِّيَميَّ والسيوطيَّ لا يبلغان رتبة السَّخاويِّ في الإتقان والضبط ولا في علم الرِّجال والتاريخ؛ لأنَّه لازم الحافظ ابن حجرٍ أكثر من عشرين سنة، وقرأ عليه كتب الحديث والرِّجال، والسيوطيُّ لم يدرك الحافظ لكنَّه تخرَّج في علم الحديث بكتبه، ولم يتيسَّر له سماع الكتب الحديثيَّة فرواها بالإجازة، وقد حضر السُّيوطي على السَّخاوي، وإن كان هو في المتون أحفظ من السَّخاوي، ولا شكَّ أنَّ المكتبة المحموديَّة كان لها أكبر فضل على السُّيوطيِّ، فبنفائسها صال وجال في ميادين العلوم التي كتب فيها. ولم يثبت أنَّه أخذ كتابًا لغيره ونسبه إلى نفسه، إلَّا كتابًا واحدًا مطبوعًا، ذكر لي شقيقنا الحافظ أبو الفيض رحمه الله أنَّه رأى كتابًا في موضوعه بلفظه ومعناه، لعالمٍ مشهور من القرن الثَّامن، قال: وتعجَّبت حين رأيته كيف حصل هذا من الحافظ السُّيوطيِّ؟! وذكر لي اسم الكتاب ومؤلِّفه. وقد ابتلاه الله بابن طولون الدِّمشقي أغار على كثيرٍ من كتبه فأخذها باسمها ومسمَّاها ونسبها إلى نفسه.

يستعمل هذه اللَّفظة في الإجازة؛ لأنَّها كذبٌ، وهو ثقةٌ.

الثامن: أنَّ السُّيوطي نقل هذه القصة في "تنوير الحلك بإمكان رؤية النبيِّ والمَلَك" عن بعض المجاميع، ولو كانت عنده مرويَّة لأسندها هناك ولم ينقلها عن بعض المجاميع التي يعلم هو قبل غيره أنَّ العلماء قرَّروا عدم الاعتماد على ما فيها للجهل بمؤلِّفها، وأنَّ الاعتماد إنَّما يكون على كتاب عُرِف مؤلِّفه بالعلم والأمانة والثقة.

التاسع: قوله: «وإنكار هذه المزيَّة ومثلها يؤدِّي إلى سوء الخاتمة»، ونحن نجزم أنَّ الحافظ السُّيوطي لا يقول هذه العبارة أبدًا، وإنَّما يقولها متصوِّف جاهل؛ لأنَّ المعلوم أنَّ المعتزلة وبعض الأشعريَّة أنكروا الكرامات جملةً، بل أنكر بعض المعتزلة معجزة انشقاق القمر، وأوَّلوا قوله تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ [القمر: ١] على مجاز الأَوْل[1]. ولا يستطيع عالم أن يزعم أنَّ هؤلاء أو أولئك ماتوا على سوء الخاتمة.

العاشر: قوله: «والذي أدين الله تعالى به: أنَّ السَّيد أحمد الرِّفاعي كان جبلًا راسخًا...إلخ». وهذه الكلمة لا يقولها الحافظ السُّيوطي، الإمام في علوم البلاغة، وإنما يقولها جاهلٌ لا يعرف مواقع الكلام، إذ الواجب في هذا الموطن أن يقال: والذي أراه؛ لأن كَوْن السيِّد أحمد الرِّفاعي جبلًا راسخًا، محلُّ نظرٍ ومجال رأيٍ، فمن ثبت عنده ذلك بقرائن وشواهد رآه واعتقده، ومن لم يثبت

---

(١) بفتح الهمزة وسكون الواو، أي: المآل، أي: سيؤول إلى الانشقاق في آخر الزَّمان. وهذا كقوله: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ﴾ [يوسف: ٣٦]، أي: أعصر عنبًا يؤول إلى خمر.

عنده وأنكر ولاية الشَّيخ الرِّفاعي أو أنكر وجوده من أصله لم ينقص دينه.

وقد نقل الحافظ أبو أحمد بن عدي أنَّ الإمام مالكًا أنكر وجود أويس[1] القَرَني، مع أنَّ الحديث فيه ثابتٌ في "صحيح مسلم"، فلم يُنقص إنكاره إمامته. وإنَّما تستعمل تلك الكلمة فيما يتصل بعقيدة دينية، كأن يقال: الذي أدين الله به أنَّ صفات المعاني ثابتة، أو أنَّ خروج العُصاة من النَّار بالشَّفاعة ثابتٌ، أو أنَّ المعاد الجسماني حَقٌّ، وما أشبه هذا من المسائل التي لها صلة وثيقة بعقيدة المسلم، فلهذه الأمور وغيرها جزمنا بأنَّ رسالة "الشرف المحتم" ليست للحافظ السُّيوطي.

والذي يظهر لي في شأنها أحد أمرين:

١- إمَّا أنْ يكون كتبها أحد المتصوِّفة من أهل القرون المتأخِّرة، وحيث كان مجهول الاسم والشخصيَّة، نُسبت إلى السُّيوطي كما نسبت إليه المؤلَّفات المذكورة فيما مر.

٢- وإمَّا أنْ يكون أبو الهدى الصيَّادي الرِّفاعي شيخ الطريقة الرِّفاعية كتبها هو أو بعض أصدقائه ونسبها إلى السُّيوطي ضمانًا لرواجها.

---

(١) هو خير التابعين كما صرَّح به الحديث، أي: أفضلهم. وقال الإمام أحمد: أفضل التابعين سعيد بن المسيِّب. قال الحافظ العراقي: لعلَّ الحديث لم يصل الإمام أحمد أو لم يصح عنده. وقال النَّووي: أفضليَّة أويس بشدَّة زهده وخشيته لله، وأفضليَّة سعيد بكثرة علمه وحفظه. وقيل: أفضل التَّابعين الحسن البصري، وقيل: حفصة بنت سيرين، قال بعض العلماء: لا شكَّ أنَّ الأفضلية على الإطلاق لأويس اتباعًا للنصِّ، وبالعلم النَّافع لسعيد بن المسيِّب.

فقد أخبرني شقيقنا الحافظ أبو الفيض رحمه الله تعالىٰ: أنَّ أبا الهدىٰ المذكور كان له جماعة أصدقاء يكتبون له مؤلَّفات في مناقب الشَّيخ الرِّفاعي وكراماته وفضائله، ثمَّ ينسبها لعلماء في القرن الثَّامن أو التاسع، ومكَّنه اتصاله بالسُّلطان عبدالحميد، واستحواذه علىٰ عقله، من وضع تلك المؤلفات في مكتبات الآستانة، ثمَّ يوعز إلىٰ بعض أتباعه في الطريق بأنْ يطبع بعضها، ويخبره بأنَّ نسخة خطيَّة منه توجد في مكتبة كذا، تحت رقم كذا، وكان يقول: إنَّه من نسل الشَّيخ الرِّفاعي رضي الله عنه، وكان علىٰ جانبٍ كبيرٍ من الذَّكاء وسِعَة الحِيلة.

وأنا أحيل إلىٰ هذا الاحتمال، والقرائن عليه كثيرة من تصرُّفاته، من ذلك أنَّه جمع أربعين حديثًا مسندة نسبها لرواية الشَّيخ أحمد الرِّفاعي، قرأتها وهي مطبوعةٌ، وفيها حديث: «**وأدَّبني ربِّي فأحسن تأديبي**»، وهو حديثٌ شديد الضَّعف، والشَّيخ الرِّفاعي لم يكتب هذه الأربعين ولا رواها، ولا تجد لها ذكرًا في مروِّيات المحدِّثين أو الصوفيَّة، ولا في كتب الأثبات والفهارس، والله سبحانه وتعالىٰ أعلم.

الباب الثاني

في التنبيه على كرامات غير مقبولة ولا معقولة

منها: ما ذكر في مناقب سفيان بن عُيَيْنَة أنَّه حفظ القرآن وهو ابن أربع سنين، وهذا غير معقول؛ فإنَّ الطفل يُفْطَم من الرَّضاع وهو ابن سنتين، قال الله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥] هي ستة أشهر للحمل وعامان للرضاع، كما قال تعالى في آيةٍ أخرى: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ [لقمان: ١٤] ثمَّ يتعلَّم النطق والمشي في عامين أيضًا.

فهل كان سفيان يحفظ القرآن وهو يتعلَّم الكلام؟! بل أقل سِنٍّ يمكن للصبيِّ أنْ يحفظ فيه القرآن تسع سنوات.

نعم، كان علماء الحديث يحضرون أطفالهم في سنِّ الرَّابعة أو الخامسة مجالس سماع الحديث التماسًا للبركة وطلبًا لعلوِّ الإسناد.

- وذكر الشعرانيُّ في ترجمة سيدي محمد وفا الشاذليِّ أنَّه ألَّف كتبًا في صباه وهو ابن سبع سنين أو عشر، وهذا غيرُ معقولٍ أيضًا، لا سيِّما إذا علمت أنَّ سيِّدي محمد وفا كان أُمِّيًّا لا يقرأ ولا يكتب.

ومنها: ما ذكر في مناقب السيد عبدالقادر الجيلي نقلًا عن والدته، قالت: لما وضعت عبدالقادر، كان لا يرضع ثديها في نهار رمضان، ولقد غمَّ على النَّاس هلال رمضان، فأتوني وسألوني فقلت لهم: إنَّه لم يلتقم اليوم ثديًا. ثمَّ اتضح أنَّ ذلك اليوم من رمضان، واشتهر ببلدنا في ذلك الوقت أنَّه ولد للأشراف ولدٌ لا يرضع في نهار رمضان.

- وذكر في مناقب أبي السُّعود بن أبي العشائر أنَّه صام في المَهْدِ.

- كذلك قيل في ترجمة الشَّيخ إبراهيم الدسوقي: أنَّه كان يصوم في المَهْدِ. وصوم الرضيع غير معقول، إلَّا أن يكون امتنع عن الرضاعة لعِلَّة، كما قال الله تعالى في موسى عليه السَّلام: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ [القصص: ١٢]، فانظر كيف عبَّر بقوله: ﴿وَحَرَّمْنَا﴾ [القصص: ١٢]؛ لأنَّ الرَّضيع لا ينسب إليه فعلٌ لعجزه مع فقد الإدراك، فكيف يقال: أنَّه صام نهار رمضان؟! إنْ صحَّ هذا، صحَّ ما جاء في حديثٍ موضوعٍ: أنَّ يوم عاشوراء تصومه الحيوانات.

ثمَّ إنَّ الكرامة هي الأمر الخارق الذي يظهر على يد رجلٍ صالحٍ في زمن التكليف، ويكون دليلًا على تمسُّكه بالشَّريعة وعمله بأحكامها وآدابها، والرضيع غير مكلَّفٍ، ولا عاقلٍ.

فإن قيل: ألا يصح أنْ يقع الخارق للطفل، ويكون إعلامًا بأنَّه سيكون من الأولياء؟

فالجواب: صرَّح العلماء بأنَّ الخارق قد يقع للنبيِّ قبل نبوَّته وسمَّوه إرهاصًا، وذلك مثل شقِّ صدر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وهو عند مرضعته حليمة السَّعدية وعمره ست سنوات، ومثل إظلال الغمامة له في طريقه إلى الشَّام حين كان يتاجر لخديجة رضي الله عنها، وحصل عند ولادته عليه الصَّلاة والسَّلام خوارق، كل ذلك للإعلام بأنَّه سيكون نبيًّا يجب الإيمان به واتباعه، والنَّبيُّ -كما هو معلومٌ- تحوطه العصمة ويؤيِّده الوحي، فكان من المناسب أن يصحب ولادته أو طفولته بعض الخوارق التي تلفت نظر النَّاس إليه.

أمَّا الوليُّ فلا معنىٰ لأنْ يقع له في طفولته خوارق، لأنَّه إذا بلغ وصار وليًّا فلا يجب علىٰ النَّاس أنْ يؤمنوا بولايته ولا أن يتبعوه إلَّا في حدود ما تأمر به الشَّريعة.

ثمَّ هو ليس بمعصومٍ ولا يأتيه وحيٌ، وقد يكون الشَّخص في بداية أمره منغمِسًا في المعاصي ثمَّ يتوب ويستقيم فينال الولاية، وقد يكون وليًّا ثُمَّ يحصل منه ما يوجب سَلْبه، فتُسلَب الولاية عنه ويعود من عوامِّ المسلمين كما كان، وأنا أعرف شخصًا دخل الخلوة[1] ولازم الأذكار والمجاهدة حتَّىٰ فُتح عليه ونال الولاية، فتعجَّل الأمر وتصدَّر للمشيخة، وأساء الأدب في حقِّ شيخه. فسُلِب وعاد كما كان مريدًا، فنسبة بعض الخوارق إلىٰ بعض الأولياء في طفولتهم كذبٌ لا مسوِّغ له.

ومنها: ما حكي عن الشيخ أحمد الرفاعي رضي الله عنه: أنَّه كان إذا تجلَّىٰ الحقُّ تعالىٰ عليه بالتعظيم يذوب حتىٰ يصير بقعة ماء، ثمَّ يتداركه اللُّطف فيصير يجمد شيئًا فشيئًا حتىٰ يعود إلىٰ جسمه المعتاد. ويقول: «لولا لطف الله بي ما رجعت إليكم».

هذه خرافةٌ لا يقبلها عقلٌ سليمٌ، وأيُّ عقلٍ يصدِّق أنَّ جسم الإنسان يتحلَّل إلىٰ بقعة ماءٍ ثُمَّ يعود إلىٰ طبيعته؟! إنَّ هذا محال، والكرامات لا تخرج

---

(١) في زاويتنا الصِّدِّيقية بطنجة، ووالاه مولانا الإمام الوالد -رضي الله عنه- برعايته في خلوته، فلما فتح عليه جاء يستأذنه في الذَّهاب إلىٰ بلده فاس، فأخبره أنَّه هذا أول الفتح، وأنَّ أمامه مقامات لابدَّ من اجتيازها، فأصرَّ علىٰ رأيه، فأذن له، فذهب وحصل له هناك أشياء مع الإخوان، وادَّعىٰ المشيخة واستطال علىٰ منصب شيخه، فسُلِب وعاد إلىٰ طنجة، فأمره مولانا الإمام الوالد بمزاولة التجارة.

عن دائرة الإمكان، والذين يحكون هذه المستحيلات غير مدركين ما فيها من مناقضة لقضايا العقول، يفتحون على أنفسهم وعلى الأولياء بابًا للطَّعن الشَّديد والهُزُؤ المديد.

ومنها: ما حكي عن الشيخ السيِّد عبدالرحيم القناوي الغُماريِّ رضي الله عنه: أنَّه نزل يومًا في حلقته شبح من الجوِّ، لا يدري الحاضرون ما هو؟ فأطرق الشَّيخ ساعة، ثمَّ ارتفع الشَّبح إلى السَّماء، فسألوه عنه؟ فقال: «هذا ملَكٌ، وقعت منه هفوةٌ، فسقط علينا يستشفع بنا، فقبل الله شفاعتنا فيه فارتفع»(١).

هذه الخرافة، ضعَّفها الشعرانيُّ في "الطبقات"، حيث حكاها بصيغة التمريض، وقد ذكر في مقدِّمتها: أنَّه سلك فيها مسلك المحدِّثين، فما كان من الحكايات والأقوال صحيحًا حكاه بصيغة الجزم، وما كان منها غير صحيح حكاه بصيغة التمريض، لكنَّه لم يلتزم بهذه القاعدة إلَّا في مواضع قليلة من "طبقاته"، وفي كثيرٍ منها حَكى بصيغة الجزم طامَّات كأنَّها من القضايا المُسلَّمات. وذلك لغلبة التساهل عليه، مع حبِّ تفخيم الأولياء وإعلاء شأنهم بين العامَّة.

هذا والمقرَّر عند جمهور المُحقِّقين في شأن الملائكة -عليهم السَّلام- ما يأتي:

١- أنَّهم رسلٌ، لقول الله تعالى: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ [فاطر: ١]، وهذا عمومٌ يشملهم جميعًا، وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥]، «من» الدَّاخلة على الملائكة للجنس، والداخلة على النَّاس للتبعيض؛ ولأنَّ الله تعالى جعل الإيمان بهم ركنًا من الإيمان مثل الرسل.

---

(١) قد يكون ذلك الشَّبح لجنِّيٍّ جاء من جهة السَّقف يستشفع به.

٢- أنَّهم معصومون، لقوله تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦] وهذا وإن كان واردًا في خَزَنة جهنَّم يشملهم جميعًا، إذ كانوا كلهم مخلوقين من عنصرٍ واحدٍ وهو النور؛ ولأنَّه لم يَجْرِ ذكرهم في القرآن إلَّا مقرونًا بمدحهم والثَّناء عليهم، وقصَّة هاروت وماروت غير صحيحة، كما بينَّاه في "قصة إدريس عليه السَّلام".

٣- أنَّهم أفضل من البشر جميعًا إلَّا الأنبياء عليهم السَّلام وعقيدتي: أنَّهم أفضل من الرسل والأنبياء أيضًا إلَّا ثلاثة: النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وإبراهيم وموسى عليهما السَّلام، فهؤلاء أفضل من الملائكة عليهم السَّلام.

إذا تقرَّر هذا فكيف يعقل أنْ يهفو مَلَكٌ معصومٌ ثمَّ يشفع فيه وليٌّ غير معصوم؟! وكيف علم الوليُّ أنَّ الله قبل شفاعته؟!

إنَّ الذين يفترون مثل هذه الحكاية ليرفعوا وليًّا فوق منزلته، بإنزال مَلَكٍ عن رتبته، يجب أنْ يعلموا أنَّ الملائكة عِبادٌ مُكْرَمون كما وصفهم الله تعالى، وأنَّ إلحاق نقص بأحدهم حرامٌ، كإلحاقه بأحد الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام.

ومنها: ما حُكي من الكرامات، في مناقب السيِّد أحمد البدوي، وقبل أن نذكر بعضها نذكر نبذة عنه يقتضيها المقام.

لقد اشتهر في مصر فكرة الأقطاب الأربعة وأنَّ السَّيد البدوي أحدهم، ولا ندري مُستَنَدَهم في هذه الفكرة، وفي الصُّوفيَّة أقطاب يفوقون هؤلاء الأربعة، مثل سيدي عبدالسَّلام بن مشيش وتلميذه أبي الحسن الشَّاذلي[1]، وأبي مدين

---

(١) قال القطب شمس الدين محمد الحنفي رضي الله عنه: وجدت مقام سيدي أبي الحسن

الغوث وتلميذه ابن العربي الحاتمي، وسيدي عبدالعزيز الدبَّاغ مُمْلِي كتاب "الإبريز" على تلميذه الإمام العلَّامة المحقِّق الشَّيخ أحمد بن المبارك اللمطي.

وهذا القطب الدبَّاغ طرازٌ غريبٌ في أقطاب الأمَّة المحمَّديَّة، فهو مع كونه أميًّا، أُعطي من حقائق العلوم والمعارف ما يدهش كبار العلماء العارفين، توفِّي وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة رضي الله عنه، ولو طال عمره لرأينا من علومه العجب العجاب[1].

ثمَّ كون السيِّد أحمد البدوي أحد الأقطاب الأربعة ليس بصحيحٍ، بل هو لم يبلغ درجة القطبانيَّة، وقد قُلت هذا في بعض دروسي التي ألقيتها في شرمساح، من الدقهلية.

وأضفت أنَّه مجذوبٌ، فعارضني الحاضرون، وكان أكثرهم معارضة شيخًا

الشَّاذلي -رضي الله عنه- أعلى من مقام سيدي عبدالقادر الجيلاني رضي الله عنه بسبب أنَّ سيدي عبدالقادر سُئل يومًا عن شيخه فقال:«أمَّا فيما مضى فكان شيخي حمَّادًا الدباس، وأمَّا الآن فإني أُسقى من بحرين: بحر النبوَّة، وبحر الفتوَّة»، يعني ببحر الفتوة: علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وأمَّا سيدي أبو الحسن الشَّاذلي رضي الله عنه فقيل له: من شيخك؟ فقال: «أمَّا فيما مضى فكان شيخي سيدي عبدالسَّلام بن مشيش، وأمَّا الآن: فإنِّي أُسقى من عشرة أبحر: خمسة سماويَّة وخمسة أرضيَّة».

قلت: ولا شكَّ أنَّ مقام سيدي عبدالقادر الجيلاني أعلى من مقام بقيَّة الأربعة، على أنَّ السيِّد البدوي ليس بقطبٍ كما يأتي بيانه.

(١) رأيت "فتاوى الخوَّاص" التي جمعها الشَّعراني، ورأيت "كشف الران عن وجه أسئلة الجان" للشَّعراني أيضًا، لكن كلام الدبَّاغ أعلى وأجوبته أدق.

أزهريًّا حضر على الشَّيخ الإمبابي، ولم يكن لهم من حُجَّةٍ إلَّا ما شاع عند النَّاس من كراماته ومناقبه، لكن ما أقوله يؤيِّده البحث العلمي البعيد عن العاطفة والتعصُّب[1]، وإليك البيان:

- أمَّا أنَّه لم يبلغ رتبة القطبانيَّة: لأنَّه لم يسلك على يد شيخٍ مُرَبٍّ، غير أنَّه لمَّا كان بفاس وعمره ست سنوات أخذ أخوه الأكبر السيد حسن الطريق عن الشَّيخ عبدالجليل النيسابوري، وأحضره معه إلى الشَّيخ فأخذ عنه تبرُّكًا، ولا يُعرف له شيخٌ غير هذا.

- وأمَّا أنَّه مجذوبٌ فذلك مستفادٌ من ترجمته، فقد ذكر الذين ترجموه وهم الشَّيخ عبدالصمد زين الدين، وتقي الدين المقريزي، والشَّعراني، والخفاجي

---

(١) في شهر رمضان سنة ١٣٥٧، ومما حصل في تلك البلدة أنَّ أهلها طلبوا منِّي درسًا في شرح قصة الإسراء والمعراج، فألقيته، وذكرت فيه أنَّ جبريل كان يركب البراق مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فعارضني ذلك الشَّيخ أيضًا، وادعى أنَّ جبريل كان ممسكًا بالرِّكاب. فقلت له: هذا غير صحيح، وأصرَّ على قوله، ولم يكن معي كتاب. فسألت: هل يوجد في البلد مكتبة فيها بعض كتب الحديث والسيرة؟ فأخبرني الحاج عبدالخالق إبراهيم الزهيري: أنَّ المنصورة يوجد بها مكتبة البلديَّة، وكان الوقت ليلًا، فاتفقنا أن نذهب إليها صباحًا، وكان معي عالمٌ أزهريٌّ أوجس في نفسه خيفة، وسألني على انفراد: هل أنت واثقٌ ممَّا تقول؟ قلت: نعم، كما أثق بوجودك معي. وفي الصَّباح ذهبنا إلى المنصورة ودخلنا المكتبة، وطلبت كتاب "فتح الباري بشرح صحيح البخاري" فأوقفت الحاج عبدالخالق على الحديث المصرِّح بأنَّ جبريل كان يركب البراق مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فكتبه وأطلع عليه ذلك الشَّيخ فسكت، وقصَّة المعراج فيها أشياء دخيلة تحتاج إلى بحثٍ وتمحيصٍ.

وغيرهم: أنَّ أخاه الأكبر السيِّد حسن أدخله المكتب بمكَّة ليحفظ القرآن مع ابنه الحسين، فلمَّا حدث له حادث الوَلَه، تغيَّرت أحواله واعتزل عن الناس ولازم الصَّمت، فكان لا يكلِّم النَّاس إلَّا بالإشارة، ولما ذهب إلى طنطا أكثر من الصِّياح ليلًا ونهارًا.

ودخل دار شخص من مشايخ البلد اسمه: ابن شحيط، فطلع إلى سطح داره، وكان طول نهاره وليله قائمًا شاخصًا ببصره إلى السَّماء، وقد انقلب سواد عينيه حمرة تتوقَّد كالجمر، وكان يمكث الأربعين يومًا لا يأكل ولا يشرب ولا ينام، ثمَّ نزل من السَّطح وخرج إلى فيشا المنارة، فتبعه الأطفال -كما يتَّبعون المجاذيب- ثمَّ لزم السَّطح إلى أن مات، وكان إذا لبس عمامة أو ثوب، لا يخلعه لغسل ولا لغيره حتى يذوب، فيبدلونه له بغيره. وقد سمِّي بالسُّطوحي للزومه سطح دار ابن شحيط، وسُمِّي أصحابه بالسطوحيين.

فهذه الأحوال، تؤكِّد أنَّه مجذوبٌ[1]؛ لأنَّ القطب لا يصيح، فضلًا عن أنْ يكثر الصِّياح، ولا يلزم سطح دارٍ، ولا يمكث الأيام والليالي ينظر إلى السَّماء، بل هو يحافظ على الصَّلاة في وقتها، مع حضور الجماعة والجُمُعة، ويستحم ويغسل ثيابه إذا اتسخت، ويلبس الثِّياب النظيفة، وإذا نزل ضيفًا على شخصٍ لا يمكث عنده أكثر من ثلاثة أيَّام، مدَّة الضيافة، ولا يتخذ بيت مُضيفه مركزًا له ولأصحابه، وإذا أراد أن يسكن ببلدٍ، فإنَّه يستأجر فيه بيتًا أو يشتريه،

---

(١) ومثله في المغرب سيِّدي علي بن حمدوش، كان شريفًا مجذوبًا، وله أتباع يعرفون بالحمادشة، لهم زوايا في أنحاء المغرب، وفي حالة حضرة الذكر يضربون رءوسهم بالشواقير، أي: السواطير.

ويتباعد من شيوخ البلد وأمثالهم؛ لأنَّهم لا يخلون من ظلم بعض النَّاس، وإذا أتاه واحدٌ منهم، نصحه ووعظه برفقٍ.

هذه هي أحوال القطب الذي هو على قدم النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، واقرأ سير الأقطاب وكُمَّل الأولياء، فلا تجد أحدًا منهم أخلَّ بأحكام الشَّريعة أو تهاون فيها، أو اعترته حالة غاب فيها عن الشعور أيامًا وليالي، أو اتخذ سطحًا مقرًّا له، أو احتلَّ دارًا من غير استئذان صاحبها إلى غير ذلك من أحوال المجاذيب.

بعض كرامات السيد البدوي

ويؤيد ما قلناه هذه الحادثة: جاء الشَّيخ محمد المسمَّى بقمر الدولة إلى طنطا، فعلم أنَّ السيِّد أحمد البدوي مريض، فدخل عليه يزوره، وكان الشَّيخ عبدالعال غائبًا، فوجد السَّيد أحمد قد شرب ماء بطيخة، وتقيَّأه فيها ثانيًا، فأخذه الشَّيخ محمَّد المذكور وشربه، فقال له السَّيد البدوي: «أنت قمر دولة أصحابي».

فلو كان قطبًا لما مكَّنه من شرب القيء، بل كان ينهاه عن شربه، ويبيِّن له أنَّ شرب القيء حرامٌ؛ لأنَّه نجسٌ. لكنَّه مجذوبٌ يستحسن ما هو حرام غير مدركٍ حرمته.

وممَّا نقلوه من كراماته: أنَّ الإمام تقي الدين بن دقيق العيد قاض القضاة بالديار المصريَّة[1] سمع بالشَّيخ وأحواله، فذهب إليه بطنطا واجتمع به. وقال

---

(١) تفقَّه على مذهبَي مالك والشَّافعي، ثمَّ بلغ رتبة الاجتهاد المطلق، وكان حافظًا للحديث، لكن عنايته بالمتون أكثر من عنايته بالأسانيد، لأجل الاستنباط، وعدُّوه في المجدِّدين.

له: يا أحمد هذا الحال الذي أنت فيه، ما هو مشكور، فإنَّه مخالفٌ للشَّرع الشَّريف، فإنَّك لا تصلِّي[1] ولا تحضر الجماعة، وما هذه طريقة الصَّالحين.

فالتفت إليه السيِّد أحمد البدوي وقال له: اسكت، وإلَّا أُطيِّر دقيقك، ودفعه دفعةً، فلم يشعر بنفسه إلَّا وهو في جزيرةٍ واسعةٍ، لا يعلم لها طولًا ولا عرضًا، فأقبل يلوم نفسه ويعاتبها، وهو ذاهب العقل غائبٌ عن الصَّواب، ويقول: مالي ومعارضة أولياء الله تعالىٰ؟ فلا حول ولا قوة إلَّا بالله العليِّ العظيم، وصار يبكي ويستغيث ويبتهل إلىٰ الله تعالىٰ.

فبينما هو كذلك، ظهر له رجلٌ ذو هيبةٍ ووقارٍ وسلَّم عليه، فردَّ عليه السَّلام وقام إليه وجعل يقبِّل يديه ورجليه، فقال له: ما قضيتك؟ فأخبره بخبره. فقال له: لقد وقعت في أمرٍ عظيمٍ، أتدري كم بينك وبين القاهرة؟ قال: لا. قال: والله بينك وبينها سفر ستين سنة -لعلَّه يقصد بسير السلحفاة- فازداد همًّا علىٰ همِّه وغمًّا علىٰ غمِّه، وكبر في قلبه الخوف، وقال: ترىٰ من يخلِّصني من هذه الورطة؟ إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

وأقبل علىٰ الرجل يقول له: أرشدني يرحمك الله. فقال له: هوِّن عليك الأمر، فما يحصل لك إلَّا الخير إن شاء الله تعالىٰ. قال: وكيف لي بذلك؟ فأخذ بيده، وأراه قبَّةً كبيرةً. وقاله له: ترىٰ هذه القبَّة؟ اذهب إليها واجلس فيهافإنَّ سيدي أحمد البدوي يصلِّي فيها العصر بجماعةٍ من الرِّجال ويودعونه وينصرف كلٌّ منهم إلىٰ حال سبيله، فإذ صلَّيت معهم فتعلَّق به وتملَّق بين يديه وقبِّل يديه ورجليه واكشف رأسك وتأدَّب معه وقل له: استغفر الله وأتوب إليه ولا أعود

---

(١) تأمَّل هذه الجملة، وتذكَّر هل سمعت بأنَّ قطبًا لا يصلِّي؟!

لما صدر منِّي، فإذا رأىٰ منك ذلك فإنَّه يُقبل عليك ويردك إلىٰ موضعك إن شاء الله تعالىٰ. وكان ذلك الرجل هو الخَضِر عليه السَّلام.

فذهب الشَّيخ تقي الدين بن دقيق العيد إلىٰ القبَّة وجلس فيها، فما كانت إلَّا هنيهه حتىٰ أقبلت الجماعة من كلِّ جانبٍ ومكانٍ وأقيمت الصَّلاة، فتقدَّم السَّيد أحمد البدوي وصلَّىٰ بهم إمامًا، فلما انقضت الصَّلاة تعلَّق به ابن دقيق العيد وكشف رأسه وجعل يُقبِّل يديه ورجليهويبكي ويستغفر ويعتذر وأنصف من نفسه، فأقبل عليه السيِّد أحمد البدوي وقال له: ارجع عما كنت فيه ولا تعد إلىٰ مثله[1]. فقال له: السَّمع والطَّاعة يا سيِّدي، فدفعه دفعة لطيفة، وقال: اذهب إلىٰ بيتك فإنَّ عيالك في انتظارك، فلم يشعر ابن دقيق العيد، إلَّا وهو واقفٌ بباب داره بمصر، فأقام مدَّة ببيته لا يخرج منه، لما جرىٰ له مع السيِّد أحمد البدوي.

حكىٰ هذه القصة الشَّيخ عبدالصمد زين الدين في "الجواهر السنية"، عن شمس الدين محمد المعروف بالحلبي، عن زين الدين ابن النقاش المكنَّىٰ بأبي هريرة، وهي قصَّةٌ مكذوبة والغرض من صياغتها أمران:

١ - تعريف النَّاس أنَّ السيِّد البدوي إذا كان لا يصلِّي ولا يحضر الجماعة في مساجد طنطا، فإنَّه كان يصلِّي إمامًا بجماعةٍ من الرِّجال، في جزيرةٍ واسعةٍ تبعد عن مصر بمسافة ستين سنة! ولعلَّ تلك الجزيرة من جزر واق الواق أو تقع خلف جبل قاف!، فلا يصح الاعتراض عليه بأنَّه لا يصلِّي ولا يحضر الجماعة.

---

(١) أتدري ما كان فيه؟ كان يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر، مع تقوىٰ واستقامة، والوقوف علىٰ حدود الشَّريعة وعدم تعدِّيها.

٢- أنَّ من يعترض عليه يناله العقاب السَّريع، ولو كان في اعتراضه متمسِّكًا بالشَّريعة، وهذا خلاف ما صرَّح به الصوفيَّة حيث قالوا: من اعترض علىٰ وليٍّ لتقصيره في بعض أحكام الشَّرع أو خروجه عليه، فلا يستطيع ذلك الوليُّ إذايته، لا بدعاءٍ عليه ولا بكرامة.

وهذا الحسين بن منصور الحلَّاج، لَمَّا حكم العلماء بقتله لِما صدر عنه من عبارات كفريَّة، وأراد أن يمتنع من تنفيذ الحكم بإظهار خارق، قال له بعض الصوفيَّة: «سلِّم لحكم الشَّرع». فسلَّم، وقُتِل عفا الله عنَّا وعنه.

والصَّلاة أهم أركان الدين، سمَّىٰ النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم تاركها كافرًا، وحضور الجماعة واجبٌ، لا رخصة في تركه إلَّا لضرورةٍ ملحَّةٍ.

جاء أعمىٰ يستأذن النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أن يرخِّص له في الصَّلاة في بيته؛ لأنَّه ليس له قائدٌ، فرخَّص له. فلما ولَّىٰ، دعاه فسأله: «هل تسمع النداء؟» قال: نعم. قال: «فأجب» ولم يرخِّص له[1].

وكذلك الجُمُعة، فُرضت بالقرآن، وقال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «مَنْ تَرَكَ ثلاثَ جُمُعاتٍ مُتوَالياتٍ مِن غير عُذْرٍ، طَبَعَ اللهُ على قَلْبِهِ». فكيف يصح لوليٍّ أنْ يترك الجماعة والجمعة[2] بدعوىٰ أنَّه يحضرها في بلدٍ يبعد عن

---

(١) وكان الرَّبيع بن خيثم يأتي مسجد الجماعة يُهادَىٰ بين رجلين لمرضه. فيقول له النَّاس: إنَّ الله قد رخَّص لك، فيقول: فماذا أصنع في منادي ربِّي وهو يقول: حي علىٰ الصَّلاة؟

(٢) وكيف يترك الصَّلاة في مسجد يسمع نداءه وتجب إجابته ثمَّ يصليها في مسجدٍ لا يجب عليه الانتقال إليهولا يطالب بالصَّلاة فيه؟! وقد قرَّر العلماء أنَّ الوليَّ إذا كان فقيرًا لا يملك الزَّاد والراحلة لا يجب عليه الحج، ولو كان يستطيعه بطريق طيٍّ

بلده ستين سنة؟! ثمَّ إذا نصحه إمامٌ مثل ابن دقيق العيد مجدِّد القرن السَّابع، يقال له: تُبْ إلىٰ الله ولا تعد؟! ممَّ يتوب إلىٰ الله؟! من النصيحة التي جعلها النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم دينًا، حيث قال: «**الدِّينُ النصيحَةُ: لله ولرسوله ولأئمَّة المسلمين وعامَّتهم**»؟!!

والعجيب أن يظهر له الخَضِر عليه السَّلام فيهوِّل عليه الأمر ويبيِّن له عظم ما أتاه، حيث نصح السيِّد البدوي!!

ويشير عليه بأن يذهب إلىٰ السيِّد البدوي ويتعلق بأذياله، ويكشف رأسه ويُقبِّل يديه ورجليه!! لأنَّه لم يكن يعلم أنَّ السيِّد البدوي أعلىٰ من أن تُقدَّم له نصيحة وأرقىٰ من أن يوجَّه إليه لومٌ!!

لكن صانع القصَّة، لم يكن يعرف خُلُق الإمام تقي الدين بن دقيق العيد، فقد كان عالي الهمة أبيّ النفْس[1]، تكسوه عزَّة الإيمان ويَعلُوه وَقَار العِلْم، لا يمكن أنْ يتملَّق لأحدٍ أو يُقبِّل رجليه ولو كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ثُمَّ كيف يأمر الخَضِر عليه السَّلام الإمام ابن دقيق العيد بالتملُّق لغير الله تعالىٰ؟! وهو -أعني الخَضِر عليه السَّلام- يعلم أنَّ الله بعث إليه موسىٰ عليه

المكان أو الخطوة كما يُقال؛ لأنَّ التكليف إنما يتعلَّق بالأفعال المعتادة لا بالخوارق.

(١) مما يدلُّ علىٰ إباء نفسه وعزتها: أنَّه لعب مرة الشَّطرنج -وهو شابٌّ حدث- مع صهره وكان من العلماء، وحضر وقت الصَّلاة فصلَّيا، وبعد انتهاء الصَّلاة، سأل صهره: أتلعب ثانيًا؟ فأجابه: نعم، وأنشد:

إنْ عَادَتِ العَقْرَبُ عُدْنا لها ... وكانتِ النَّعْلُ لها حَاضِرَة

فترك الشَّطرنج من ذلك الوقت ولم يعد إليه.

السَّلام تكريمًا له لفضل علمٍ عنده، فكيف يُصغِّر العِلْم في شخص الإمام ابن دقيق العيد وهو عالمٌ ممتازٌ يَقِلُّ مثله في علماء الأمَّة المحمديَّة؟!

والحاصل: أنَّ في القصَّة تغيرات، تقضي بأنَّ صانعها لم يتقن صياغتها، ولو فُرِض صحَّتها، فهي أدل دليل على أنَّ السيِّد البدوي كان مجذوبًا؛ إذ تُصرِّح بأنَّه كان لا يصلِّي ولا يحضر الجماعة، وأنَّ حاله مخالفٌ للشَّرع، وأنَّه أجاب الإمام ابن دقيق العيد بقوله: «اسكت وإلَّا أطيِّر دقيقك»، وهذا جواب جاف، لا يصدر من شخصٍ في حال وعيه وتمام عقله، وهكذا كلما أراد المتغالون أن يرفعوه إلى مصاف الأقطاب صاغوا له من الكرامات ما يقضي بأنَّه من أكبر المجاذيب.

واختلقوا له قصَّة مع فاطمة بنت بري بأرض العراق، ذكرها عبدالصمد زين الدين في "الجواهر السنية"، والخفاجي في "النفحات الأحمدية"، وهي قصَّة طويلة، فيها مبالغات غير معقولة[1] بل ذكروا في رحلته للعراق خوارق لا يقبلها العقل، فلا أدري كيف حكاها أولئك المتغالون مصدِّقين لها؟!

وذكروا أنَّ الإمام تقي الدين ابن دقيق العيد أيضًا، كلَّف الشَّيخ عبدالعزيز الديريني أنْ يذهب إلى السيد البدوي، وقال له: امتحن لي هذا الرجل الذي اشتغل النَّاس بأمره، وأعطاه مسائل يمتحنه بها، فأجاب عنها بأحسن جواب، وقال: هذا الجواب مسطَّرٌ في كتاب "الشَّجرة"، فوجدوها في الكتاب كما قال!

لكن ما هو كتاب "الشجرة"؟ وما موضوعه؟ وأين يوجد[2]؟ لعلَّه يوجد

---

(١) لم ننقلها استثقالًا لما فيها من سجعٍ وسمجٍ، وكذبٍ سخيفٍ.

(٢) من أنواع علوم اللغة: المشجَّر. كتب فيه كثير من أئمة اللغة كتبًا سموها "شجر الدر" منهم أبو الطيب عبدالواحد بن علي اللغوي، قرأت كتابه بخطِّ السُّيوطي،

في تلك الجزيرة التي دفع إليها الإمام ابن دقيق العيد!

ويزيد بعضهم في هذه الحكاية: أنَّ الشَّيخ عبدالعزيز الديريني لما دخل على السيِّد البدوي قال له قبل أن يتكلَّم: سلِّم على قاضي القضاة، وقل له: يصلح غلطًا في المصحف الذي عنده معلَّقًا في صدر البيت، غلطة في (سورة يس)، وغلطة في (سورة الرحمن)، ولما روجع المصحف[1] وجد الأمر كما قال!

وموضوعه: مداخلة الكلام للمعاني المختلفة، مثل العين عين الشمس، والشمس شماس الخيل، والخيل الوهم، والوهم الجمل الكبير، والجمل دابة من دواب البحر، والبحر الماء الملح، والملح الحرمة، والحرمة ما كان للإنسان حرامًا على غيره، وحرام حي من العرب، والحي ضد الميت. وبالضرورة هذا غير مقصودٍ في كلام السَّيد البدوي، كما أنَّه لم يقصد الكتب التي تشتمل على شجرة النسب.

(١) وهل من المعقول أنْ يكون في مصحف الإمام ابن دقيق العيد غلطتان وهو المجتهد الذي يستنبط الأحكام من الكتاب والسُّنَّة، ثمَّ لا يعرف تينك الغلطتين حتى يدله عليهما مجذوبٌ؟!

ومثل هذه الحكاية ما يحكى عن الشيخ الأنبابي: أنَّه كان يدرس التفسير بالأزهر، ووصل إلى قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨] فقرأها: أذئبًا يعونك؟ وكتب كرَّاسة في توجيه هذه الجملة، ولما جاء إلى الأزهر صباحًا وقرأ المقرئ الآية، التي هي موضوع الدَّرس، سمعها الشيخ صحيحة، فأدرك أنَّ ما كتبه مبنيٌّ على تحريفٍ للآية لم يعلم به إلَّا في تلك اللحظة! وأجَّل الدرس إلى اليوم التالي. فهذه الحكاية واضحة البطلان، قصد بها خصوم الشَّيخ الإنبابي التنكيت عليه، كما قصد السطوحيون بتلك الحكاية التشنيع على ابن دقيق العيد.

وذكروا أنَّ امرأةً أُسِر ولدها في الحرب الصليبيَّة، فلجأت إلى السيِّد البدوي، فأتاها به في قيوده، وقد اشتهرت هذه الحادثة في مصر حتى صاروا يقولونه: «الله الله يا بدوي جاب اليسرى»، أي: جاب الأسرى. وذكروا أنَّه نقل أسرى بعد وفاته أيضًا، وهو كذبٌ.

بل ذكر بعض النَّاس الذين لا يتقون الله أنَّهم كانوا يرون السيِّد البدوي يخرج من قبره، فيتلقَّى بيده بعض القنابل التي ألقتها الطائرات الألمانية أو الإيطالية خطأ في الحرب الأخيرة، ويضعها في مصرفٍ حتى لا تنفجر!! وحكايته مع ابن اللبَّان هوَّل بها المتغالون وطنطنوا مع أنَّها كذبٌ مكشوفٌ.

وحاصلها: أنَّ العلَّامة شمس الدين محمد بن اللبان حضر من دمشق إلى القاهرة في مهمَّةٍ، واستقبله قاضي القضاة بمصر واحتفى به، وبعد صلاة العشاء خرج هو وقاضي القضاة يمشيان في بعض شوارع القاهرة، فلقيا رجلًا من أتباع السيِّد البدوي، يذكر ويقول: السَّلام عليك يا رسول الله، والسَّلام عليك يا أحمد يا بدوي.

فعجب ابن اللبان، والتفت إلى قاضي القضاة يسأله عن هوية ذلك الرجل الذي يصيح باللَّيل في الشوارع، ويشرك شيخه في السَّلام مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؟! فتلمَّس قاضي القضاة العذر لذلك الرجل، ولكن ابن اللبَّان، قال: يجب تأديبه وتعزيره.

فلمَّا نام تلك الليلة رأى في منامه كأنَّ سقف الجامع قد انشق، ونزل منه شخصان، جلس أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه، فقال الأول: نسلبه الإيمان، فردَّ عليه الآخر: لا، بل نسلبه العلم والقرآن، ونبقي عليه الإيمان، فإنَّه

وقع في حقِّ سيِّدي أحمد البدوي رضي الله عنه، ثُمَّ أمسكه الرجلان فهزاه هزًّا شديدًا فطمس الله على قلبه، وانتزع العلم والقرآن من صدره!! فأصبح لا يحفظ آيةً من القرآن، ولا يعرف مسألةً علميَّةً.

وحضر النَّاس لصلاة الفجر فاعتذر لهم، فصلُّوا وانصرفوا، ولما طلع النَّهار أخبر قاضى القضاة بما حصل له بسبب ذلك الرجل الأحمدي! فعرض عليه قاضى القضاة أن يحضِّر له الفقراء الأحمديَّة يعتذر إليهم ويسترضيهم، لكنه اقترح أن يذهب بنفسه إليهم في زاويتهم، فلما وصلا إليها، وقابلا أحد الفقراء الأحمديَّة، قال لهما قبل أن يكلِّماه: والله يا محمَّد ما بيدي حلٌّ ولا ربطٌ فسأله قاضى القضاة: ما الخبر؟ قال: سُلِب القرآن والعلم. فقال له قاضى القضاة: ياسيِّدي لوجه الله، وصار يتذلَّل له، وابن اللبان يبكي، فرقَّ قلب الأحمدي، وقال لابن اللبان: تتوب إلى الله تعالى؟ قال ابن اللبان: نعم، ولا أعود لمثلها. قال الأحمدي: سافر إلى سيِّدي ياقوت العرشي بالإسكندرية، فإنَّك تلقى الفرج على يديه إن شاء الله تعالى[1].

فسافر إلى الإسكندرية، ودخل على ياقوت العرشي في زاويته، فلمَّا رآه، قال له: يا شمس الدين ما الذي أوقعك في هذه الورطة العظيمة؟!! اذهب

---

(١) في رواية ذكرها الشَّعراني في "الطبقات" أنَّ الشَّيخ ياقوت العرشي ذهب إلى السَّيد البدوي، وكلَّمه في القبر وأجابه!! وقال له: أنت أبو الفتيان رد على هذا المسكين رسماله -أي رأس ماله- فقال: بشرط التوبة. فتاب وردَّ عليه رسماله، بعد أنْ دار ابن اللبان على الأولياء، فلم يقدر أحدٌ منهم أن يدخل في أمره إلَّا العرشي!! والرواية التي أوردناها ذكرها صاحب "الجواهر السنية"، والتضارب بين الروايتين دليلٌ على الكذب

وتوضأ وصلِّ، فقال ابن اللبان أنَّه نسي القرآن، فأمره الشَّيخ أنْ يشتغل بالذِّكر، وبعد ثلاثة أيامٍ رأىٰ في المنام النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم جالسًا علىٰ كرسي عالٍ من نورٍ، والأنبياء كلهم علىٰ كراسي، والسيِّد البدوي واقفًا بين يديه، وهو يقول له: يا أحمد لأجلنا طيِّب خاطرك علىٰ محمَّد بن اللبان، ثمَّ التفت إلىٰ ابن اللبان، وقال له: أما علمت أنَّ من أولياء الله تعالىٰ من هو تحت جناحي الأيمن ومنهم من تحت جناحي الأيسر؟ وأحمد البدوي تحت جناحي الأيمن.

فاستيقظ ابن اللبان وأسرع إلىٰ باب الخلوة، فوجد الشَّيخ ياقوت العرشي واقفًا يهدر وله زئيرٌ كالأسد! وقال له: يا محمَّد أبشر فقد قضيت حاجتك، فإنِّي سُقت عليه جميع الأولياء، فلم يقبل فسقت عليه سيِّد الأولين والآخرين صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وقد رأيت بعينك، فسافر الآن إلىٰ طنطا، وطف حول صندوق سيدي أحمد البدوي[1] وأقم عنده ثلاثة أيام، فإنَّ حاجتك قد قضيت.

فذهب ابن اللبان إلىٰ طنطا، وأقام عند ضريح السَّيد البدوي ثلاثة أيام، يطوف ويبكي ويتضرَّع، وفي اللَّيل ينام عند رجليه، وفي الليلة الثالثة رآه في المنام يقول له: لا تعد لمثلها، فوالله لولا جدي رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لسلبتك الإيمان!! ثمَّ وضع يده علىٰ صدره، فعاد إليه حاله وعلمه!! ولما استيقظ ابن اللبان وجد نفسه يحفظ القرآن، ويعرف العلم كما كان!!!

هذه قصَّة ابن اللبان، لعن الله من اختلقها، فقد كان وقحًا قليل الأدب لا يعرف

---

(١) كيف يأمره العرشي بالطواف حول الضريح؟ وكيف قبل ابن اللبان هذا الأمر المخالف للشَّريعة؟

قدر النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، ولا يجلُّه الإجلال اللائق بمقامه العظيم.

ثمَّ ماذا فعل ابن اللبان حتىٰ استحقَّ هذا العقاب؟ أنَّه أنكر علىٰ الفقير الأحمدي أمرين منكرين:

١ - إشراك شيخه مع النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في السَّلام.

٢ - صياحه بعد صلاة العشاء، وهو وقت نوم النَّاس وراحتهم.

وإذا نهىٰ العالِم عن منكرٍ أو أمر بمعروف أو نبَّه علىٰ خطأ، فإنَّه يستحق الشُّكر والتقدير، لا العقاب والتعزير، لكن يظهر أنَّ المفاهيم انقلبت عند أهل الطريقة الأحمديَّة وشيخهم، فهم يرون النصيحة ذمًّا، ويعتبرون التنبيه علىٰ خطأ يقع من أحدهم، إزراء بهم وبشيخهم، فلذلك يختلقون حكايات تخبر بنزول العقاب الشَّديد السَّريع علىٰ من وجه نقدًا إلىٰ السيِّد البدوي أو أحد أتباعه، مثل هذه الحكاية وحكاية ابن دقيق العيد.

ومثل ما حكوه: أنَّ شخصًا أنكر حضور مولد السيِّد البدوي الذي يقام بطنطا كل سنة، فسُلب الإيمان، فلم تكن فيه شعرة تحن إلىٰ دين الإسلام،فاستغاث بسيِّدي أحمد البدوي!![1] فقال: بشرط ألَّا تعود! فقال: نعم. فردَّ عليه ثوب إيمانه! ثمَّ قال له: وماذا تنكر علينا؟ فقال: اختلاط الرجال والنِّساء[2]، فقال له السَّيد البدوي: ذلك واقعٌ في الطَّواف، ولم يمنع

---

(١) نسي أن يستغيث بالله تعالىٰ!

(٢) قد يكون هذا أهون ما يقع في الموالد التي تقام للأولياء، ويكون فيها أنواع من المعاصي: زنا ولواط وخمر وحشيش وقمار وغير ذلك.

أحدٌ منه. ثم قال: وعزَّة ربِّي ما عصىٰ أحد في مولدي إلَّا وتاب وحسنت توبته، وإذا كنت أرعىٰ الوحوش والسَّمك في البحار وأحميها من بعضها، أفيعجزني الله عن حماية من يحضر مولدي؟!!

وفي هذه الحكاية أشياء تخدش دين السيِّد أحمد البدوي، وتثبت نقص إدراكه، فإنَّ سلب الإيمان عمَّن ينتقده معناه أنَّه يحب لمنتقده الكفر، ويرضى له به، ومحبة الكفر أو الرضا به كفرٌ.

وقد نصَّ العلماء علىٰ أنَّ كافرًا لو أتىٰ إلىٰ خطيبٍ يخطب الجمعة، وقال له: «أريد الإسلام»، وجب علي الخطيب أن يلقِّنه الشَّهادة في الحال، ولو قال له: انتظر حتىٰ تنتهي الخطبة كفر؛ لأنَّه رضي بقاءه علىٰ الكفر مدَّة الخطبة.

فانظر كيف نسب المتغالون الكفر إلىٰ السيِّد البدوي وهم لا يشعرون؟ هذا إن فرضنا صحَّة ما حكوه من سلب الإيمان، وإلَّا فإنَّ الإيمان لا يقدر علىٰ سلبه أو إثباته السَّيد البدوي، ولا من هو أقوىٰ منه وأفضل، وإنَّما هو خاصٌّ بالخالق القادر المقتدر سبحانه. فإذا سمعت أنَّ وليًّا أو نبيًّا أو ملكًا نزع الإيمان من قلب شخص أو ردَّه إليه، فاعتقد أنَّه كذبٌ محضٌ.

ومن دعاء النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**يا مُقَلِّب القُلُوبِ ثبِّت قَلْبى على دِينك**»، فسأله بعض أمهات المؤمنين عن هذا الدُّعاء الذي كان يكثر منه؟ فقال لها: «**إنَّ قلوب بني آدمَ كلَّها بين أصبعين مِن أصابع الرحمن، كقلبٍ واحدٍ يُقلِّبه كيف يشاء**».

وقياس المولد علىٰ الطواف يقتضي أنَّ السَّيد البدوي مجذوبٌ، لا يعي ما

يقول، فإنَّ الطواف عبادة، جعله الله ركنًا من أركان الحجِّ والعمرة، والطائف لابد أن يكون متجرِّدًا من ثيابه، يحرم عليه مس الطِّيب وقربان زوجته. ولو فعل بَطَلَ حجُّه أو عمرته، أمَّا المولد فقد أحدثه الشَّيخ عبدالعال بعد موت شيخه، ولو فرضنا أنَّه حدث في حياة السيِّد البدوي فهو بدعة، وكيف تقاس البدعة علىٰ العبادة؟ إلَّا أن يقال: إنَّ المولد فيه طواف بالضَّريح، فأشبه الطواف بالكعبة!

ثَبَت عن القطب الكبير سيدي عبدالسَّلام بن مشيش رضي الله عنه أنَّه قال: سألت الله أن يشفِّعني فيمن جاء إليَّ زائرًا.

هذا كلام معقول، وليٌّ أحبَّ أن يُكافئ زُوَّاره، فسأل الله أن يشفِّعه فيهم.

وشفاعة المؤمنين بعضهم لبعض ثابته بالسُّنَّة الصَّحيحة، وابن مشيش مع كونه من كبار الأقطاب، مات شهيدًا قتله أبو الطواجن مُدَّعي النبوَّة، لكن من غير المعقول ولا من المقبول أن يقول السيِّد البدوي: «وعزَّة ربي ما عصىٰ أحد في مولدي إلَّا تاب وحسنت توبته»؛ لأنَّه ائتلاء علىٰ الله[1] واجتراءٌ علىٰ الغيب.

وقوله: «وإذا كنت أرعىٰ الوحوش والسمك في البحار، وأحميها من بعضها» مردودٌ بلا نزاع، فالذي يرعىٰ المخلوقات ويحميها من بعضها هو الله سبحانه وتعالىٰ لا أحدٌ سواه كائنًا من كان.

وذكروا من كرماته: أنَّه كان ملثمًا بلثامين لا يخلعهما، فقال له تلميذه الشَّيخ عبدالمجيد يومًا: يا سيِّدي أريد أن أرىٰ وجهك أعرفه، فقال: يا عبدالمجيد كل نظرة برجلٍ، فقال: يا سيِّدي أرني ولو مت، فكشف له اللثام الفوقاني، فصَعِق

---

(١) والله لا يحب من يتألَّىٰ عليه.

ومات!!

كان الجاحظ قبيح المنظر، بحيث كان النِّساء يخوِّفن أطفالهنَّ به، لكن يظهر أنَّ السيِّد البدوي فاقه في قبح المنظر، بحيث من نظر إليه يُصعق ويموت! ولهذا كان متلثِّمًا بلثامين يستر بهما وجهه لا يخلعهما إلَّا إذا زاره أخوه السيِّد حسن، ولم يكن أحد من عائلته متلثِّمًا غيره[1]. هذا هو التعليل الصَّحيح لموت عبدالمجيد حين رأى وجه شيخه -إن صحَّت الحكاية- لكنَّها غير صحيحة، مثل باقي الحكايات التي افتروها عليه، وهي كثيرة.

بعض كرامات السيد إبراهيم الدسوقي

وذكر الشيخ عبدالجوَّاد الشربيني في كتاب "درر الأصداف": أنَّ سبعة من القضاة ركبوا النِّيل إلى دسوق ليمتحنوا الشَّيخ إبراهيم الدسوقي، فلمَّا وصلت المركب إلى دسوق أرسل إليهم النقيب فدفعهم فوجدوا أنفسهم خلف جبل قاف!فأقاموا سنةً يأكلون من حشيش الأرض حتى تغيَّرت أجسادهم وخَلِقت ثيابهم، ثمَّ تذكَّروا ما وقعوا فيه، فتابوا هنالك، فأرسل لهم النَّقيب، فدفعهم فوجدوا أنفسهم على ساحل دسوق، ومسح الله من قلوبهم تلك الأسئلة كلها! واعترفوا بما كانوا جاؤا لأجله، فقال لهم الشيخ: قولوا ما عندكم من المسائل، فضحكواوقالوا: يكفينا ما جرى لنا، فأخذوا عليه العهد وصاروا تلامذته.

هذه الحكاية مكذوبةٌ، والصَّنعة فيها ظاهرة وأولئك القضاة البؤساء الذين

---

(١) وهذا من أدلَّة جذبه.

قعدوا خلف جبل قاف مشرَّدين ألم يكن لهم أهل وأقارب يسألون عنهم؟! ألم تكن عندهم قضايا يدرسونها ويفصلون فيها بين أصحابها؟! وهل اعتبرهم قاضي القضاة ماتوا، أو اختطفوا، أو ماذا؟!!

يجوز أن يكون نقيب الشيخ اتصل بأهاليهم وبقاضى القضاة، وأخبرهم أنَّهم أبعدوا إلى جبل قاف لمدَّة سنة زجرًا لهم وتأديبًا!!

لقد كان لصانع هذه الحكاية أن يصوغها على غير هذا الوجه، بأن يقول: فلمَّا وصلت المركب إلى دسوق وقابلوا الشَّيخ، أرادوا أن يسألوه فنسوا ما جاءوا[1] لأجله، ولم يتذكَّروا شيئًا، فعلموا أنَّها كرامة من الشيخ.

أو يقول: فلما ذهبوا إلى الشَّيخ وسألوه، أجابهم بما بهر عقولهم، واستفادوا منه ما لم يكونوا يعرفونه.

مثل هذه الكرامة لو حصلت للشَّيخ الدسوقي تشرفه وتُعلِي قدْره.

كما حصل للإمام البخاريِّ رضي الله عنه، فإنَّه لما جاء إلى بغداد وعقد مجلسًا لإملاء الحديث، اتفق عشرة من العلماء أن يتقدَّموا إليه بمائة حديث

---

(١) حكي مثل هذا في كرامات الشيخ شمس الدين الحنفي: جاءه مرَّة قاضٍ من المالكيَّة يريد امتحانه، فأعلموا الشيخ أنَّه جاء ممتحنًا، فقال الشَّيخ رضي الله عنه: إن استطاع يسألني ما عدت أقعد على سجَّادة الفقراء.

فلما جاء القاضى يسأل، قال: ما تقول في...؟ وتوقَّف! فقال له الشَّيخ: نعم. فقال: ما تقول في؟ وتوقف، حتى قال ذلك مرارًا، ولم يفتح عليه بشيءٍ. فقال القاضى: كنت أريد أن أسأل عن سؤالٍ وقد نسيته، ثُمَّ كشف رأسه واستغفر وأخذ عليه العهد بعدم الإنكار على الفقراء، والاعتراض عليهم.

يسألونه عنها، على أن تكون مقلوبة؛ إسناد هذا الحديث يجعلونه لحديث آخر، وهكذا، فلما جلس للإملاء قام أحد العشرة، فسأله عن عشرة أحاديث مقلوبة، والبخاري يجيب عن كل حديثٍ منها بقوله: «لا أعرفه». فأمَّا العلماء فأدركوا أنَّ البخاري إمام. وأمَّا العامَّة فظنوا أنَّه عجز عن الجواب، ثُمَّ قام الثَّاني والثالث إلى العاشر، والبخاريُّ لا يزيد على قوله: «لا أعرفه». فلمَّا علم أنَّهم أتموا سؤالهم، التفت إلى الأول، فقال له: الحديث الأول صوابه كذا. والثاني صوابه كذا. حتى أتمَّ الأحاديث العشرة. ثمَّ التفت إلى الثاني والثالث: حتى صحَّح الأحاديث المائة كلها، وردَّ كلَّ حديثٍ إلى إسناده، على الترتيب الذي ذكروه، فخضعوا له، واعترفوا بحفظه واتقانه.

هذه هي الكرامة، أمَّا الحكاية التي افتروها على الشَّيخ إبراهيم الدسوقي فهي تصوِّره بصورة الشَّخص الذي لا يعرف العلم، ويخاف من أسئلة العلماء.

وحكوا من كراماته: أنَّ تمساحًا خطف صبيًّا، فأتت أمُّه مذعورة فأرسل نقيبه، فنادى بشاطئ البحر: معاشر التماسيح من ابتلع صبيًّا، فليطلع به، فطلع ومشى معه إلى الشَّيخ، فأمره أن يلفظ بهفلفظه حيًّا!!! وقال للتمساح: مُتْ بإذن الله، فمات![1].

---

(١) حكي مثل هذه الحكاية في مناقب ذي النون المصري على وجهٍ معقولٍ أو قريب من المعقول، قال ذو النون: جاءتني امرأة فقالت: إنَّ ابني أخذه التمساح، فلما رأيت حرقتها على ولدها أتيت النيل وقلت: اللَّهم أظهر التمساح. فخرج إليَّ فشققت عن جوفه فأخرجت ابنها حيًّا صحيحًا فأخَذَتْه ومضت، وقالت: اجعلني في حلٍّ فإنِّي

هذه خرافة ظاهرة، فلو سلَّمنا بما قالوا: أنَّ الشيخ كان يتكلَّم بالسرياني والعجمي والطلياني واليوناني واللاوندي، ولغة الوحوش والطير، فلا نسلِّم أنَّ نقيبه كان يعرف تلك اللغات، وأنَّ التمساح احتفظ بالطفل في بطنه حيًّا، انتظارًا لنقيب الشَّيخ الذي جاء يناديه!

ونقلوا عنه أيضًا أشياء فيها مبالغات ومجازفات. وقالوا: إنَّه ذكرها في كتابه "الجواهر". وما نظنُّ أنَّ الكتاب له، وإنَّما كتبه بعض أتباعه، ونسبه إليه.

حكاية محمد بن هارون السنهوري مع صبي القرداتي:

وحكي عن الشَّيخ محمَّد بن هارون السنهوري: أنَّه كان إذا خرج من صلاة الجُمعة تبعه أهل البلد يشيِّعونه إلى داره، فمرَّ بصبي القَرَّاد وهو جالسٌ تحت حائطٍ يفلي خلقته من القمل، وهو ماد رجليه، فخطر في سرِّ الشيخ أنَّ هذا قليل الأدب، يمد رجليه ومثلي يمر عليه. فسُلب لوقته وفرَّ النَّاس عنه، فرجع فلم يجد الصبي. فدار عليه في البلاد إلى أن وجده في رميلة مصر، فلما نظر القرَّاد الكبير إليه وهو واقفٌ، وقد فرغوا، قال له: تعال يا سيِّدي الشيخ، مثلك يخطر في خاطره أنَّ له مقامًا أو قدرًا؟! هذا الصَّبي سلبك حالك، فله أن يمد رجله بحضرتك، لكونه أقرب إلى الله منك! فقال: التوبة. فأرسله إلى سنهور، إلى الحائط الذي كان يفلي ثوبه عنده وقال له: ناد السِّحلية التي هناك في الشق. وقل لها: إنَّ قزمان[1] طاب خاطره عليَّ، فردِّي عليَّ حالي، فخرجت

كنت إذا رأيتك سخرت منك وإنِّي تائبة إلى الله تعالى.

(١) هذا الاسم من أسماء النَّصارى، ولا نعلم مسلمًا اسمه قزمان، فإن كان صانع الحكاية يعتقد أنَّ في النصارى أولياء مقرَّبين فهو في ضلالٍ مبين. أما سمع قول الله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ

ونفخت في وجهه، فردَّ الله عليه حاله.

فهذه الخُرافة تفيد أنَّ صبيَّ القرَّاد[1] -وهو لا يصلي الجُمعة، وربما لا يصلِّي إطلاقًا- سلب الوليَّ حاله! لكونه أقرب إلى الله منه! وعلى هذا، لا داعي للصَّلاة ولا للعبادات التي يتقرَّب بها إلى الله تعالى، كما جاء في الحديث: «**وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ ممَّا افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنَّوافل حتى أحبَّه...**» الحديث.

وما على الإنسان إلَّا أن يشتغل قرَّادًا أو صبي قرَّاد، فيعطيه الله الاطلاع على الضمائر، ويجعله أقرب إليه من بعض أوليائه! ثمَّ إنَّ الولاية هانت وصغر شأنها، بحيث عادت إلى الوليِّ بنفخ سحليَّة، إنَّ الذين يحكون مثل هذه الحكايات السَّخيفة، يُصغِّرون ما عظَّم الله، ويفتحون باب القول للسُّفهاء البطَّالين الذين لا يُحسنون الوضوء، وهم يدَّعون الولاية الكبرى.

حكاية يوسف الكردي والجوهري وتحقيق معنى طي الزمان:

وذكر الشَّيخ يوسف الكردي تلميذ الشَّيخ إبراهيم المتبولي، وكان مقيمًا بالخلوة في زاوية الشَّيخ ببركة الحاج قال: اشتقت إلى أهلي بحصن كيفا من بلاد الأكراد، فشاورت الشيخ، وكان ذلك بعد صلاة العصر، فقال: إن شاء الله يكون، فدخلت الخلوة أقرأ ورد العصر.

فرأيت نفسي داخل بيتي، والنَّاس تسلِّم عليَّ، وشالوا الأعلام قدامي،

غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

(١) بتشديد الراء هو الذي يربي القرد ويعلمه أنواعًا من اللعب والحركات. ويسمَّى في مصر القرداتي.

فدخلت دارنا فسلَّمت على أمِّي وأبي، ومكثت عندهم أخطب في الجامع، وأقرئ أطفالًا مدَّة تسعة شهور. فقوي اشتياقي إلى الشَّيخ، فشاورت والدي ووالدتي، فأذنا لي، فخرجت إلى موضعٍ خارج البلد، فإذا بي في خلوتي ببركة الحاج. فخرجت لأسلِّم على إخواني، فلم يسلِّموا عليَّ، فأخبرتهم بسفري، فقالوا: يوسف حصل له جنون، فعلم الشَّيخ بذلك، فقال: اكتم يا ولدي ما معك!

نقل هذه الحكاية الشيخ الشَّعراني، وشعر ببعدها فقال: حدَّثني بهذه القصَّة في حال كماله وعقله. قال: وهذه القصَّة تشبه مسألة الجوهري الذي غطس في البحر فرأى نفسه في بغداد، فتزوَّج وجاء بالأولاد، ثُمَّ رفع رأسه فإذا هو عند ثيابه بساحل النيل بمصر. فخرج في الحسِّ ما كان في عالم الخيال.

قلت: أتعجَّب ممن يصدِّق مثل هذه الحكاية، ويزعم أنها من طيِّ الزمان! مع أنَّها محال، لا يتصوَّر العقل حصولها أبدًا.

والكرامات لا تخرج عن دائرة الإمكان، وطيُّ الزَّمان له معنيان ممكنان واقعان:

أحدهما: الخروج عن دائرة الفلك التي يتكوَّن عن حركتها اللَّيل والنهار، كما حصل للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ليلة المعراج، فإنَّه تجاوز دائرة الفلك، وترقَّى حتى وصل إلى سِدْرة المُنتهَى، فطوى الزَّمان ومشى في العالم العلوي مسافة لو قيست بالزَّمان كانت بضعة آلاف من السنين[1]، وهذا طيٌّ حقيقيٌّ، ومن هذا كان المعراج معجزة عظيمة، طوى الله فيها لنبيِّه الزَّمان

---

(١) بل بضعة آلاف ألف من السنين؛ لأنَّ سدرة المنتهى خارجة عن دائرة المجموعة الشَّمسية بما فيها من نجوم وكواكب لا يعلم عددها إلَّا الله.

والمكان، أمَّا طيُّ الزَّمان فقد علمته، وأمَّا طيُّ المكان؛ فلأنَّه فارق العالم الأرضي إلى العالم العلوي، ورأى فيه من آيات ربه الكبرى ثمَّ عاد في ليلة.

ثانيهما: طيٌّ مجازي، وهو أن يتيسَّر للشَّخص في الزمن اليسير من العمل النَّافع ما لا يتيسَّر لغيره إلَّا في زمنٍ طويلٍ، كالإمام الشَّافعي رضي الله عنه عاش أربعًا وخمسين سنة، أنشأ فيها مذهبين المذهب القديم بالعراق، والمذهب الجديد بمصر، واخترع علم الأصول، وترك من الآثار العلميَّة، ما لم يتيسَّر لغيره ممن عاشوا مائة سنة. وكذلك الغزالي رضي الله عنه عاش خمسًا وخمسين سنة، وترك من المؤلَّفات في مختلف العلوم -خصوصًا كتاب "إحياء علوم الدين"- ما لم يتيسَّر لغيره في عدَّة سنين، هذا إلى ما كان يقوم به من تدريس العلوم للطلبة، مع التعبُّد والمجاهدة لنفسه.

أمَّا أن يذهب الشَّخص إلى العراق مثلًا، ويمكث هناك سنة وتكون تلك السنة في مصر ساعة من نهار، فهذا أمرٌ محالٌ، تدرك استحالته بالبداهة العقليَّة؛ لأنَّه يلزم عليه أن تكون السَّاعة التي مضت بمصر، مساوية للسنة التي قضاها بالعراق والسَّاعة كما هو معلومٌ جزءٌ من اللَّيل والنَّهار اللَّذين هما جزءٌ من الشَّهر الذي هو أحد الأجزاء الإثنى عشر التي تتكون منها السَّنة، ومساواة السَّاعة للسَّنة، يلزم عنها مساواة الجزء للكلِّ وهو محالٌ، فما أدَّى إليه يكون محالًا، ومن تحدَّث بوقوعه له أو لغيره، لا يخلو من أحد ثلاثة أشياء: إمَّا أن يكون كاذبًا يريد تعظيم شيخه أو نفسه، وإمَّا أن يكون أحمق لا يدري ما يقول، وإمَّا أن يكون واسع الخيال، تخيَّل أمرًا فخاله حقيقة[1].

---

(١) مرَّ قريبًا قول الشَّعراني: فخرج في الحسِّ ما كان في عالم الخيال.

محمد تاج الدين الذاكر وأبو السعود الجارحي:

وذكر في ترجمة الشَّيخ تاج الدين الذاكر: أنَّه كان يمكث سبعة أيامٍ بوضوءٍ واحدٍ، وفي آخر عمره كان يتوضَّأ وضوءًا واحدًا كل أحد عشر يومًا، وأراد جماعة أن يمتحنوه، فدعوه إلى ناحية الجيزة في الرَّبيع، وصاروا يعملون له الخرفان والدَّجاج واللَّبن بالأرز وغير ذلك، وهو يأكل معهم من ذلك، ثمَّ لا يرونه يتوضَّأ لا ليلًا ولا نهارًا مدَّة تسعة أيام.

وذكر في ترجمة أبي السعود الجارحي: أنَّه كان ينزل في سرداب تحت الأرض أول ليلةٍ من رمضان فلا يخرج إلَّا بعد العيد بستة أيام، وذلك بوضوءٍ واحدٍ من غير أكلٍ، وأمَّا الماء، فكان يشرب منه كل ليلة قدر أوقية.

ليس من المعقول أن يستغني الإنسان عن قضاء الحاجة يومًا، فضلًا عن أكثر. والمعروف أنَّ أهل الجنَّة خصَّهم الله تعالى بأنَّهم لا يقضون الحاجة فيها.

ففي "صحيح مسلم"، عن جابرٍ رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ أهل الجنَّة يأكلون فيها ويشربون، ولا يتفلون ولا يتغوَّطون ولا يبولون ولا يمتخِطُون، ولكن طعامهم ذلك جشاءٌ ورشحٌ كرشح المسك، يُلهمون التسبيح والتحميد، كما تُلهمون أنتم النَّفَس**».

هذا مما ميَّزهم الله به عن أهل الدنيا، ولما أراد الله أن يبيِّن للنصارى بشريَّة عيسى وأمَّه عليهما السلام بأوضح بيانٍ وأنصع برهانٍ. قال: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ﴾[المائدة: ٧٥]، أي: ومن يأكل الطَّعام يضطر أن يخرج

فضلته من الجسم، فهو بشرٌ وليس بإلهٍ.

ثمَّ ما كان يفعله أبو السعود الجارحي في رمضان مخالفٌ للسُّنَّة النبويَّة، وهو دليلٌ على أنَّه لم يبلغ درجة القطبية؛ لأنَّ القطب يكون في عبادته وجميع أحواله متقيِّدًا باتباع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؛ لأنَّ عبادته أكمل العبادات.

ومن الكرامات العجيبة: معزة السيدة نفسية!:

وقصتها طويلة، حكاها الجبرتي، قرأتها منذ مدَّة، والذي أتذكَّره منها: أنَّ النَّاس فتنوا بها، فكانوا يبعثون إلى الشَّيخ عبداللطيف مؤذِّن مسجد السيدة نفسية – وهو مخترع قصة المعزة– يطلبونها منه للتبرُّك بها. وكان يأخذها إليهم فيتمسَّحون بها ثمَّ يردُّونها إليه مع هدايا ثمينة من نقودٍ وثيابٍ وغير ذلك، حتى وصل الخبر إلى الأمير كتخدا، فبعث إليه يطلب المعزة للتبرُّك بها، فذهب إليه الشَّيخ عبداللطيف راكبًا على بغلةٍ والمعزة بين يديه حتى وصل إلى بيت الأمير فقدَّمها إليه، فأظهر الأمير أنَّه يتبرَّك بها، ثمَّ أمر بإدخالها إلى الحريم للتبرُّك أيضًا، وأشار إلى طبَّاخه بذبحها وطبخها، فلما حضر الغداء صار الأمير يقدِّم اللَّحم إلى الشيخ عبداللطيف ويقول له: كل منه فإنَّه لحمٌ لذيذٌ، والشيخ يقول: نعم يا مولانا الأمير ما أكلت لحمًا ألذَّ منه، وانتهى الغداء وأراد الشَّيخ أن ينصرف، وطلب المعزة منتظرًا ما يأتي معها من هدايا فخمة. فقال له الأمير: تغدَّيت بها، فبهت الشَّيخ، فوبَّخه الأمير على استغلاله المعزة، وأرجعه راكبًا على بغلته مقلوبًا رأسه إلى جهة دبرها، وشنَّع به.

وذكر في مناقب الشيخ محمد بن أحمد الفرغل: أنَّ تمساحًا خطف بنت

مخيمر النقيب، فجاء وهو يبكي إلى الشَّيخ، فقال له: اذهب إلى الموضع الذي خطفها منه وناد بأعلى صوتك: يا تمساح تعال كلِّم الفرغل، فخرج التمساح من البحر، وطلع كالمركب وهو ماشٍ، والخلق بين يديه جارية يمينًا وشمالًا، إلى أن وقف على باب الدَّار، فأمر الشَّيخ -رضي الله عنه- الحدَّاد بقلع جميع أسنانه، وأمره بلفظ البنت من بطنه، فلفظها حيَّة مدهوشة، وأخذ على التمساح العهد ألَّا يعود يخطف أحدًا من بلده ما دام يعيش، ورجع التمساح ودموعه تسيل حتى نزل البحر.

تقدَّم مثل هذه الحكاية في كرامات الشَّيخ إبراهيم الدسوقي، وهي مكذوبة كسابقتها، والشَّيخ فرغل كان مجذوبًا كما في ترجمة الشَّيخ الحنفي من "طبقات الشعراني".

طيران النعش بالميت كذَّبه الشعراني وأنكره:

ومن الكرامات الغريبة: طيران النَّعش بالميت، وهذه كرامةٌ لم أجدها في كتب تراجم الأولياء المخطوط منها والمطبوع، ولم أسمع بها حتى حضرت إلى مصر، فوجدتها شائعة بين أهل حاضرتها وباديتها، وتحيَّرت في أمرها، ولِمَ اختصَّ بها أولياء مصر دون سائر البلاد الإسلاميَّة؟

ثمَّ زالت حيرتي حين وقفت على رسالةٍ مخطوطةٍ للشَّيخ الشَّعراني ألَّفها في هذا الموضوع، وقرأتها فإذا هو يذكر فيها أنَّ العامَّة في وقته ابتدعوا هذه البدعة وادَّعوا أنَّهم شاهدوا النَّعش يطير ببعض الموتى، وكذَّبهم في هذه الدعوى وذكر أنَّه لا أصل لها في الدِّين وليس عليها دليل، وغاية ما في الباب حديث أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم

يقول: «**إذا وُضِعَتِ الجِنَازة فاحتملها الرجال على أعناقهم، فإنْ كانت صالحةً قالت: قدِّموني. وإنْ كانت غير صالحةٍ قالت لأهلها: يا ويلها أين تذهبون بها، يسمع صوتها كل شيءٍ إلَّا الإنسان ولو سمع الإنسان لصَعِق**» رواه البخاريُّ.

لكن هذا لا يقتضي طيران النَّعش بالميت، فعرفت حينئذٍ أنَّ حكاية طيران النَّعش كذبة ابتُدعت في عهد الشَّعراني وهو القرن العاشر الهجري، وتتبَّعتها في عدَّة جنازات شهدتها بالقاهرة وبالأرياف فوجدتها كذبًا كما قال الشَّعراني، وأنَّ الحاملين للنَّعش يفعلون حركات بهلوانيَّة توهم النَّاس أنَّ النَّعش يطير، وأنَّ الحاملين يتشبَّثون به حتى لا يفلت من أيديهم[1]، وقد يكذب بعض النَّاس حسبة، ليرفع من شأن الميت.

حَضَرتُ جنازة شيخنا عالم الدِّيار المصريَّة وشيخ شيوخها، الشيخ محمَّد

---

(١) وكذبةٌ أخرى شاعت بمصر، وهي دعوى أنَّ النَّعش يثقل على حامليه بحيث لا يستطيعون حمله؛ لأنَّ الميت لا يريد نقله من ذلك المكان لسببٍ من الأسباب، ذكر لي جماعة كنت عندهم بمعديَّة رشيد: أنَّ امرأة توفِّيت في تلك الجهة، ويظهر أنَّها كانت صالحة، فادَّعى أهلها أنَّهم بعد أن جهَّزوها ووضعوها في النَّعش، حاولوا حملها فلم يستطيعوا، وسرت الإشاعة بين أهل البلد بسرعةٍ، وعلم مأمور المركز فبعث أربعة عساكر حملوا النَّعش إلى المقابر في هدوء، وكنت أعرف شخصًا شاذليًّا اسمه الشيخ عبدالكريم، كان صالحًا ذاكرًا يقوم الليل، على وجهه نورانيَّة ظاهرة، فلما توفِّي رحمه الله، زعم مُشيِّعوه أنَّهم حين وصلوا به إلى باب زويلة -بوابة المتولي- وقف النَّعش كأنَّه مشدود إلى الأرض بمسامير، ولم يتحرَّك حتى أقاموا حضرة ذكر، كما كانوا يقيمونها عنده في الزَّاوية الشَّاذليَّة بدرب الحجر!

بخيت -رحمه الله- وبعد الصَّلاة عليه بالجامع الأزهر خرج النَّعش محمولًا على الأعناق، فقال بعض الطلبة: انظروا إلى النَّعش يطير! فنظرت فرأيت النَّعش يهتز بحركة الحاملين له مع شدَّة الزِّحام، فقلت له: إنَّه لا يطير، ولكنَّه الزِّحام أحدث ما ترى، فقال: إنَّه يطير، فأحددت بصري فلم أر طيرانًا، فراجعته، فقال: صدِّقني إنَّه يطير. فقلت: سبحان الله ترى ما لا نرى!!

حكاية عيسى بن نجم:

وقال الشعراني في "الطبقات": سمعت سيِّدي عليًّا المرصفي رضي الله عنه يقول: مكث سيِّدي عيسى بن نجم -رضي الله عنه- بوضوءٍ واحدٍ سبع عشرة سنة. فقلت: يا سيِّدي كيف ذلك؟ فقال: توضَّأ يومًا قبل أذان العصر، واضطجع على سريره، وقال للنَّقيب: لا تمكِّن أحدًا يوقظني حتى أستيقظ بنفسي، فما تجرَّأ أحدٌ يوقظه، فانتظروه هذه المدَّة كلها فاستيقظ وعيناه كالدَّم الأحمر، فصلَّى بذلك الوضوء الذي كان قبل اضطجاعه، ولم يجدِّد وضوءه، وكان في وسطه منطقة، فلما قام وحلَّها تناثر منها الدود.

قال الشعراني: وهذه الحالة من أحوال الشُّهود، فيمضي على صاحبها عمره كله كأنَّه لَـمْـحَة برق، كما يعرفه من سلك أحوال القوم.

قلت: وقد يحصل للشَّخص غيبوبة، عدَّة سنوات لإصابته بمرض النَّوم أو إغماء أو نحو ذلك، لكن تجب عليه الطهارة إذا أفاق.

ويظهر أنَّ الشيخ عيسى بن نجم لم يكن عالمًا، فصلَّى بوضوئه السَّابق على غيبوبته، وهي صلاةٌ باطلةٌ، ومثل هذا لا يعدُّ كرامة، بل هو نتيجة جهل بحُكْمٍ شرعيٍّ.

حكاية حصان دخل قبره ولم يخرج منه:

وذكر الشَّعراني في ترجمة الشيخ عيسىٰ بن نجم أيضًا، نقلًا عن الشَّيخ محمَّد البُرُلُّسي: أنَّ شخصًا نذر: إن ولدت فرسي هذه حصانًا، فهو لسيِّدي عيسىٰ بن نجم، فولد له حصانًا فلمَّا كبر، أراد أن يبيعه، وقال: إيش يعمل سيِّدي عيسىٰ له؟ فبينما هو مار به ذات يومٍ -وقد صار تجاه سيدي عيسىٰ- رمح من صاحبه حتىٰ دخل الزَّاوية، فرمح صاحبه من ورائه، فدخل الحصان قبر الشَّيخ ولم يخرج.

قلت: يكثر من النَّاس أن ينذروا حصانًا للشَّيخ فلان، أو عِجْلًا للشَّيخ فلان، ولا يكاد يخلو بيت في الفلاحين بالوجه البحري في مصر من أن ينذر صاحبه أو صاحبته عِجْلًا للسيِّد البدوي أو خروفًا أو ديكًا أو نحو ذلك، وعِجْل السيِّد مَثَلٌ معروفٌ عندهم، وهو أشبه بالسَّائبة التي كانت في الجاهليَّة.

و النَّذر عبادة لله تعالىٰ كالصَّلاة وغيرها من العبادات، وهو نوعان:

١ - نذرٌ لجاج، وهو ما يقع بشرط. نحو: إن شفاني الله، أو قضىٰ مسئلتي، فلله عليَّ أن أتصدَّق بكذا دينار، أو أذبح عِجْلًا وأطعمه للفقراء، وفي هذا يقول النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ النَّذْرَ لا يُقرِّبُ من ابن آدم شيئًا لم يكن الله تعالى قدَّره له، ولكن النَّذر يوافق القَدَر فيُخْرِجُ**[1] **ذلك من البخيل ما لم يكن البخيل يريد أنْ يُخْرِج**» رواه مسلم في "صحيحه".

٢ - ونَذْر بِرٍّ، وهو الذي لا يكون بشرطٍ. نحو لله علىٰ إطعام بعض

---

(١) بضمِّ الياء وسكون الخاء وكسر الراء.

الفقراء، أو لله على صوم يوم أو أكثر، أو نحو ذلك.

وقد مدح الله تعالى الوفاء به في قوله سبحانه: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ [الإنسان: ٧]، والنَّوع الأوَّل يكره ابتداء؛ لأنَّه يفيد معاملة العبد لله بالشَّرط، لكن إذا وقع وجب الوفاء به كما يجب الوفاء بالنوع الثاني، ومن هنا تعلم أنَّ النَّذر لنبيٍّ أو لوليٍّ لا يجوز، كما لا تجوز الصَّلاة له أو الصِّيام، ولما كثر من العوام النَّذْر للأولياء، وفي الغالب يكون الوليُّ المَنْذُور له ميتًا والميت لا يملك.

أفتى بعض العلماء المتأخِّرين بأنَّ معنى قول الشَّخص: نذرت هذا العِجْل أو الحصان لفلان الوليِّ: أنَّه نذرٌ لله، وثوابه لروح ذلك الوليِّ صَدَقة عليه، وحيث كان الوليُّ ميتًا، فإنَّه يعطى لأولاده. وإن لم يكن له أولاد، أعطي لأتباعه والمقيمين بزاويته، وهذا تحايلٌ لتصحيح النَّذر الواقع من العوام الجهلة بأحكام الشَّرع.

وكثيرٌ من الأولياء لا يعرفون الأحكام الشرعية، يعتبرون هذه النذور حقًّا لهم مكتسبًا، وإذا وقع للنَّاذر شيءٌ يؤذيه، اعتبروه كرامةً لهم حيث لم يفِ بنَذْره.

والعجب من الشيخ الشَّعراني -وهو فقيهٌ شافعي- كيف يوافق العامَّة على آرائهم المخالفة للشَّرع! ويحكي أنَّ الحصان المنذور رمح من صاحبه ودخل قبر الشَّيخ المنذور له!!

وكيف عرف الحصان أنَّه مَنذُورٌ للشيخ أو ماذا يفعل الشيخ بالحصان في قبره؟ تالله إنَّ هذه الحكاية لفِرية، ما فيها مِرية.

الشيخ الشربيني ردَّ ملَك الموت حين حضر لقبض روح ولده:

وقال الشيخ الشَّعراني أيضًا في ترجمة الشَّيخ محمَّد الشربيني: ولما ضعف ولده أحمد وأشرف على الموت وحضره عزرائيل لقبض روحه، قال له الشَّيخ:

ارجع إلى ربِّك فراجعه فإنَّ الأمر نُسخ، فرجع عزرائيل، وشفي أحمد من تلك الضعفة، وعاش بعدها ثلاثين عامًا.

معنى هذه الحكاية ومغزاها: أنَّ الشَّيخ الشربيني علم ما لم يعلمه مَلَك الموت الذي أُرسل لقبض روح ولده، وأنَّ ولده أُخِّر أجله ثلاثين عامًا.

وهذه دعوى باطلة بشِقَّيها، فلا الشربيني عَلِم ما لم يعلمه مَلَك الموت، ولا ولده تأخَّر أجله. ثُمَّ يقال: كيف رأى الشيخ الشربيني مَلَك الموت؟ هل ظهر له عيانًا كما ظهر للنبيِّ حين استأذن عليه لقبض روحه خصوصيَّةً له صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أم ماذا؟!

والعجيب أنَّ الشَّعراني، قال بعد هذه الخُرافة ببضعة أسطر ما نصُّه: «وكان الشيخ محمَّد بن عنان وغيره ينكرون عليه -أي الشَّيخ الشربيني- لعدم صلاته مع الجماعة، ويقولون: نحن ما نعرف طريقًا تقرِّب إلى الله تعالى إلَّا ما درج عليه الصَّحابة والتابعون». فالشَّيخ الذي يعترض عليه شيوخ عصره لعدم صلاته مع الجماعة لا يخلو من أحد أمرين، إمَّا أن يكون مجذوبًا، وإمَّا أن يكون عاقلًا لكنَّه مقصِّرٌ في واجبات الدِّين، وكلاهما بعيدٌ من مناصب القُرب، لم يصل بعد إلى مقام الكرامة والإتحاف.

حكاية حسن العراقي:

وذكر الشيخ الشَّعراني أيضًا عن شيخه الشيخ حسن العراقي أنَّه قال له: دخلت جامع بني أميَّة، فوجدت شخصًا يتكلَّم على الكرسي في شأن المهديِّ عليه السَّلام؛ فاشتقت إلى لقائه، فصرت لا أسجد سجدةً إلَّا سألت الله تعالى أن يجمعني عليه، فبينما أنا ليلة بعد صلاة المغرب أصلِّي صلاة السُّنَّة إذا

بشخصٍ جلس خلفي وحسَّس على كتفي، وقال لي: قد استجاب الله دعاءك يا ولدي، مالك؟ أنَّا المهدي! فقلت: تذهب معي إلى الدَّار. فقال: نعم، فذهب معي. فقال: أخل لي مكانًا أنفرد فيه، فأخليت له مكانًا، فأقام عندي سبعة أيام بلياليها ولقَّنني بذكرٍ، وقال: أعلِّمك وردي تدوم عليه إن شاء الله تعالى، تصوم يومًا وتفطر يومًا، وتصلِّي كلَّ ليلة خمسمائة ركعة. وكنت شابًّا أمرد حسن الصُّورة، فكان يقول: لا تجلس قطُّ إلَّا ورائي، فكنت أفعل، وكانت عمامته كعمامة العجم، وعليه جبَّة من وبر الجمال، فلما انقضت السَّبعة أيام خرج فودَّعته، وقال لي: يا حسن ما وقع لي قطُّ مع أحدٍ ما وقع معك، فدم على وِرْدك حتى تعجز، فإنَّك ستعمر طويلًا. ثُمَّ قال الشَّعراني بعد هذه الحكاية: فعمري الآن مائة وسبع وعشرون سنة.

وقبل أن نتكلَّم على هذه الحكاية نبيِّن مسألتين:

١- المهديُّ المنتظَر فيه خلاف، معظم الأشعريَّة يعتقدون حقيقته حتى أنَّهم ذكروه في قسم السمعيَّات من علم العقائد؛ لأنَّ الأحاديث بظهوره متواترة، والمعتزلة ينكرونه ويعتبرون القول به نزعة شيعيَّة.

٢- اختلف العلماء في الأرواح، هل هي مخلوقة قبل الأجساد؟ ذهب جماعةٌ إلى أنَّها خُلقت قبل الأجساد، ونفى آخرون ذلك وقالوا: إنَّما يخلق الروح بعد خلق الجسد حيث ينفخ فيه، وعلى هذا الرأي درج ابن حزم وغيره، وليس غرضنا الاستدلال للقولين والموازنة بينهما، ولكن غرضنا التمهيد لنقد الحكاية التي يدَّعي فيها الشيخ حسن العراقي أنَّه رأى المهديَّ المنتظَر في أوائل القرن العاشر الهجري، مع أنَّ الأحاديث تخبر بظهوره قرب السَّاعة، حيث يظهر

الدَّجَّال ويقاتله، وينزل عيسىٰ عليه السَّلام فيقتل الدَّجَّال، وينتصر الإسلام، وقد بدت الآن بوادر تُنذر بقرب ظهور الدَّجَّال، فإن كان الشَّيخ حسن صادقًا فيما يقول: فالمهديُّ إمَّا أنْ يكون قد مات ويحيه الله ثانيًا ليقاتل الدَّجال، كما أخبرت الأحاديث الصَّادقة، وإمَّا أن يكون لا يزال حيًّا قد بلغ من الكبر عتيًّا، وحينئذٍ لم تبق له قدرة علىٰ القتال والجهاد، وكلا الاحتمالين بعيدٌ، بل باطلٌ.

قد يقال: أنَّه اجتمع بروح المهديِّ، دون جسده الذي لم يخلق بعد، وهذا هو مراده، فقد قال الشَّعراني في "اليواقيت والجواهر": المهدي ولد الحسن العكسري ابن الحسين[1]، ومولده ليلة النَّصف من شعبان سنة خمسٍ وخمسين ومائتين بعد الألف، وهو باقٍ إلىٰ أن يجتمع بعيسىٰ ابن مريم عليه السَّلام هكذا أخبرني الشَّيخ حسن العراقي المدفون فوق كوم الرِّيش المطل علىٰ بركة الرطلي، بمصر المحروسة، ووافقه علىٰ ذلك سيِّدي علي الخوَّاص».اهـ

ونقول: بيَّنا آنفًا وجود الخلاف في الأرواح هل هي مخلوقة قبل الأجساد؟ فإذا نحن أخذنا بهذا القول هنا، فقد رجَّحناه علىٰ مخالفة لا لدليل، ولكن لنصدِّق الشَّيخ حسنًا فيما ادَّعىٰ، وليس هذا الطريق العلمي في ترجيح قول علىٰ غيره.

وقد لاحظت أنَّ بعض المشايخ يستغل ثقة النَّاس به، واعتقادهم فيه، فيرمي بطامَّة تحمل معتقديه أن يتلمَّسوا لها تأويلات بعيدة من غير أن يخطر

---

(١) الذي تفيده الأحاديث الصَّحيحة أنَّ المهديَّ من ولد الحَسَن عليه السَّلام؛ والحكمة في ذلك: أنَّه لما تنازل عن الخلافة، وهي حَقٌّ له حقنًا لدماء المسلمين، عوَّضه الله بأن جعل الخليفة الحق الذي يظهر في آخر الزَّمان من ولده، ويزيد الصوفيَّة علىٰ ذلك: أنَّ الله جعله أوَّل الأقطاب في هذه الأمَّة.

ببالهم إساءة الظَّن به، وهذا خطأٌ كبيرٌ، فالواجب أن ننظر في الكلام الذي صحَّ عن صاحبه، وليًّا كان أو عالمًا، فإن كان يحتمل تأويلًا قريبًا معقولًا أوَّلناه، وإن كان يحتمل تأويلًا بعيدًا غير معقول أو لا يحتمل تأويلًا لكونه صريحًا حكمنا على صاحبه بما يقتضيه كلامه، فإن كان من قبيل الرَّأي خطَّأناه، وإن كان من قبيل الخبر كذَّبناه، ولهذا صرَّح أهل الحديث -رضي الله عنهم- بتكذيب رجالٍ صالحين، يستسقى بهم الغيث؛ لأنَّهم أمسكوا عليهم كذبًا في الرِّواية، وقال الإمام مالك: لقد أدركت في المدينة رجالًا لو ائتمن أحدهم على بيت المال لكان عليه أمينًا، ولم أروِ عنهم الحديث؛ لأنَّهم ليسوا أهلًا للرِّواية.

إذا تقرَّر هذا، فخبر الشيخ حسن العراقي في مقابلة المهديِّ غير صادقٍ، والحمْل عليه فيه لا محالة، ونحن لا يمكننا أن نصدِّق أنَّ المهدي كان رجلًا موجودًا في القرن العاشر الهجري، ثُمَّ يظهر بعد ذلك بألف سنة أو أقل أو أكثر، إلَّا إذا كنَّا على مذهب الشيعة الذين يقولون: أنَّه موجودٌ، غاب في السِّرداب أو في جبل رضوى[1] وينتظر ظهوره، لكن الشَّيخ حسن ليس بشيعي،

---

(١) الشَّيعة الإماميَّة يقولون عن محمَّد بن الحسن العسكري -نسبة إلى العسكر وهي سُرَّ من رأى- آخر الأئمة الاثني عشر أنَّه المهديُّ المنتظَر. قال ابن الوردي في "تاريخه": «ولد محمَّد ابن الحسن الخالص سنة خمس وخمسين ومائتين. وتزعم الشيعة أنَّه دخل السرداب في دار أبيه بسُرَّ من رأى ، وأمه تنظر إليه فلم يعد إليها، وكان عمره تسع سنوات، وذلك في سنة خمس وستين ومائتين على خلافٍ فيه».اهـ

وفي "الفصول المهمَّة": «قيل: إنَّه غاب في السرداب سنة ست وستين ومائتين».

وروح المهدي لا يمكن أن تظهر لأحدٍ -على قول من يقول بتقدُّم خَلْق الأرواح- لأنَّ الرُّوح إنما يتشكَّل بعد وجود جسمه الطَّبيعي، فيظهر في أجسام مثاليَّة تشبه جسمه. لكن قبل وجود الجسم لا تشكُّل ولا تطُّور، ثمَّ ما ذكره الشيخ حسن العراقي من تاريخ مولد المهديِّ ناقضه بتاريخٍ آخر أبداه.

فقد نقل عنه الشَّعراني أيضًا في "الأنوار القدسيَّة في آداب العبوديَّة" أنَّه سأل الإمام المهديَّ عن سنة مولده؟ فقال: يولد أواخر المائتين من الهجرة، قال

وقال ابن بطوطة في رحلته: «ثم وصلت إلى مدينة الحلّة وهي مستطيلة مع الفرات، وأهلها كلهم إماميَّة اثنا عشريَّة، وبها مسجد على بابه ستر حرير، يقولون: إنَّ محمَّد بن الحسن العسكري دخل هذا المسجد وغاب فيه، وهو عندهم الإمام المهديُّ المنتظَر، فهم كلَّ يومٍ يلبس آلة الحرب مائة منهم، ويأتون باب المسجد، ومعهم دابة مسرَّجة ملجَّمة، ومعهم الطبول والبوقات، ويقولون: اخرج يا صاحب الزَّمان، فقد كثر الظُّلم والفساد، وهذا أوان خروجك ليفرق الله بك بين الحقِّ والباطل، ويقفون إلى الليل ثمَّ يعودون، كذلك دأبهم أبدًا».اهـ

وللشيخ أبي عبدالله محمد بن يوسف بن محمد الكجِّي -ويقال: الكشِّي- كتاب "البيان في أخبار صاحب الزمان" قال فيه: «من الأدلة على كون المهدي حيًّا باقيًا بعد غيبته إلى الآن: أنَّه لا امتناع في بقائه بقاء عيسى بن مريم والخَضِر وإلياس من أولياء الله تعالى، وبقاء الأعور الدَّجَّال وإبليس اللَّعين من أعداء الله تعالى».اهـ

ثمَّ استدل لذلك، بما يراجع هنالك، أمَّا الشيعة الكيسانيَّة، فيرون أنَّ المهديَّ المنتظَر هو محمَّد ابن الحنفية بن عليٍّ عليه السَّلام، وأنَّه حيٌّ مقيمٌ بجبل رضوى قرب المدينة، وهو بين أسدين يحفظانه، وعنده عينان تجريان بماءٍ وعسل، وأنَّه سوف يعود بعد الغيبة، ويملأ الأرض عَدْلًا كما مُلِئت جَوْرًا وظلمًا، وكان السيِّد الحميري على هذا المذهب.

الشَّعراني: «فسألت عن ذلك بعض الكُمَّل من شيوخنا[1] فأجاب بالتاريخ المذكور سواء بسواء فاعلم ذلك».اهـ

وهو تناقضٌ واضحٌ، وقد وافقه عليه الشَّيخ علي الخوَّاص إذ هو المراد بـ«بعض الكُمَّل» في كلام الشَّعراني، والعجيب في هذا الخبر أنَّ الإمام المهديَّ هو نفسه عينه أخبر الشَّيخ حسنًا بسنة مولده!!

حكاية اجتماع سهلٍ التُّسْتَريِّ بشخص من أصحاب عيسى ابن مريم عليه السلام:

وحكى الشَّعراني أيضًا في ترجمة سهل بن عبدالله التُّسْتَريِّ فقال: «وكان رضي الله عنه يقول: اجتمعت بشخصٍ من أصحاب المسيح -عليه الصَّلاة والسَّلام- في ديار قوم عاد، فسلَّمت عليه فردَّ عليَّ السَّلام، فرأيت عليه جبَّة من صوف فيها طراوة، فقال لي: إنَّها عليَّ من أيام المسيح، فتعجَّبت من ذلك! فقال: يا سهل إنَّ الأبدان لا تُـخْلِق الثياب، إنَّما يخلِقها رائحة الذنوب -أي كرائحة الكذب- ومطاعم السُّحت. فقلت له: فكم لهذه الجبَّة عليك؟ قال: لها عليَّ سبعمائة سنة! فقلت له: هل اجتمعت بنبيِّنا محمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؟ فقال: نعم وآمنت به، حين آمن به الجنُّ الذين أوحي إليه في حقِّهم ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ [الجن: ١]

قلت: هذه القصَّة شبيهة بقصة زُرَيْبِ بن بَـرْثَمَلا الذي ظهر لجيش سعد بن أبي وقَّاص بفارس، وزعم أنَّه وصيُّ عيسى عليه السَّلام، وأنَّه أمره بانتظاره في

---

(١) يعني: الشَّيخ عليًّا الخوَّاص.

ذلك المكان حتى ينزل في آخر الزمان.

وهي قصَّةٌ طويلةٌ رواها الحاكم، وصرَّح بوضعها ابن تيمية وغيره.

وذلك الشَّخص الذي ادَّعى أنَّه من أصحاب المسيح كذَّاب، كذب على سهل، وهذا تقبَّل كذبه بسلامة نيَّة وهو خطأ، ومن الأمثال التي رويت حديثًا وليس بحديث، قولهم: «الثقة بكلِّ أحدٍ عَجْزٌ». وما كان ينبغي لسهلٍ -و هو صوفيٌّ نُجِلُّه ونحترمه- أن يصدِّق كاذبًا من غير أن يعرف عنه ما يدل على صدقه، بل حكايته تنادي بكذبه.

والعجيب أنَّ الشَّعراني علَّق عليها بقوله: «ومن هنا كان الخَضِر -عليه السَّلام- لا تبلى له ثياب؛ لأنَّه لا يعصي الله تعالى ولا يأكل حرامًا».اهـ

ولو كان عنده وعي أهل الحديث وبُعد نظرهم، لعرف أنَّها مكذوبة[1].

وقال الشَّعراني أيضًا: وقد كان سهل بن عبدالله التُّسْتَريُّ رضي الله عنه يقول: أعرف تلامذتي من يوم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾؟ [الأعراف: ١٧٢] وأعرف من كان في ذلك الموقف عن يميني، ومن كان عن شمالي، ولم أزل من ذلك اليوم أربِّي تلامذتي وهم في الأصلاب، لم يُحجبوا عنِّي إلى وقتي هذا. نقله ابن العربي

---

(١) وحكى أبو عبدالله محمد بن إسماعيل المغربي -وهو أستاذ إبراهيم الخوَّاص- قال: اجتمعت بشخصٍ من أصحاب أبينا إبراهيم عليه السَّلام، وقال: إنَّه ساكنٌ في الهواء منذ رمي إبراهيم -عليه الصَّلاة والسَّلام- بالمنجنيق. فقلت: له: ما حملك في الهواء، وأنت من بني آدم؟ فقال: توكُّلي على الله عزَّ وجلَّ. فقلت له: وما التوكُّل؟ فقال: النظر إلى الله تعالى دائمًا بلا عينٍ تَطْرف، والذِّكر له بلسانٍ لا يتحرَّك، والجولان في مصنوعاته بلا روحٍ تَغْفل. قلت: هذا -إنْ صحَّ- اجتماعٌ روحيٌّ لا جسميٌّ.

رضي الله عنه في "الفتوحات المكيَّة".

قلت: نقل هذا الكلام تأييدًا لما ذكره من استطالة الأرواح وسعة إدراكها، وهذا الكلام إمَّا أن يكون غير صحيح عن سهلٍ، وإمَّا أن يكون صدر عنه في حالة شطحٍ، أمَّا أن يكون قاله في وعيه وحال تمكُّنه في مقامه فلا؛ لأنَّه كلامٌ غير مقبولٍ ولا معقول، ذلك أنَّ روح النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أكمل الأرواح، وأعلاها علمًا وإدراكًا، ومع ذلك يقول الله تعالى له: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى: ٥٢]، ونحن لا نشك أنَّ روح النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان يوم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ يعرف الإيمان والكتاب، لكنَّه حين وجد جسمه الشَّريف نشأ معه الروح نشأة جديدة، قطعت الصِّلة بينه وبين حاله قبل وجود الجسم، وأصبح لا يعرف شيئًا إلَّا ما عرَّفه الله تعالى إيَّاه بالوحي. وإذا كان هذا حال الروح مع جسمٍ طاهرٍ معصومٍ من المعاصي والمخالفات، فكيف يكون حاله مع جسمٍ ملطَّخٍ بالذنوب؟! لا بدَّ أن يكون حجابه أشد كثافة وأكثر ظلامًا.

ولما قال الكفَّار حين رأوا العذاب يوم القيامة: ﴿يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: ٢٧]، قال الله تعالى يكذبهم: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨]، وما عادوا لما نهوا عنه من الكفر؛ إلَّا لأنَّهم نشأوا نشأة جديدة أنستهم ما شاهدوه من العذاب.

إذن فليس من المعقول أن يعرف سهلٌ أو غيره تلامذته من ذلك اليوم ولا يحجبون عنه.

كلام للشيخ إبراهيم الدسوقيِّ غير مقبولٍ:

وممَّا لا يعقل ولا يقبل: قول الشَّيخ إبراهيم الدسوقي في كتاب "الجواهر" المنسوب له: «أشهدني الله تعالىٰ ما في العُلا وأنا ابن ست سنين، ونظرت في اللَّوح المحفوظ وأنا ابن ثمان سنين، وفككت طلسم السَّماء وأنا ابن تسع سنين، ورأيت في السَّبع المثاني حرفًا حار فيه الجنُّ والإنس ففهمته وحمدت الله علىٰ معرفته، وحرَّكت ما سكن وسكَّنت ما تحرَّك بإذن الله تعالىٰ، وأنَّا ابن أربع عشرة سنة».

قلت: إن لم يكن هذا الكلام صدر من صاحبه في حالة شطحٍ قبل تمكُّنه فلا وجه له ولا يقبل بحالٍ من الأحوال، وإذا كان النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لم يُعْلِمه الله ما في العلا إلَّا قبيل وفاته، كما في حديث اختصام الملإ الأعلىٰ الذي رواه ابن عبَّاسٍ، وصحَّحه البخاريُّ، يقول فيه النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: **«رأيتُ ربِّي في أحسن صورة، فقال: يا محمَّد. قلت: لبَّيك ربِّ وسَعْدَيك. قال: فيمَ يَخْتَصِمُ الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري يا ربِّ. فوضع يده على كتفي حتَّى وجدتُ بردها في صدري، فعلمتُ ما في السماوات وما في الأرض»**.

وفي روايةٍ، «فتجلَّىٰ لي كل شيءٍ وعرفت» الحديث.

فكيف يقول الشَّيخ إبراهيم، أو أبو العينين: إنَّ الله أشهده ما في العلا وهو ابن ست سنين؟ وهل يعقل أن تكون بدايته هي نهاية النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم؟! ثُمَّ إذا كان نال ما نال من العلوم والأسرار وهو ابن أربع عشرة سنة؟! فكيف خاف من القضاة الذين أتوا ليمتحنوه بأسئلتهم حيث بعث إليهم نقيبه دفعهم دفعة[1] أوصلتهم خلف جبل قاف؟! يظهر أنَّه لما كبر نسي تلك العلوم

---

(١) كنَّا نسمع حكاية مضمونها أنَّ رجلًا قال لآخر: لأضربنك برجلي ضربةً توصلك إلىٰ

والأسرار![1] ولهذا لم نجد له من الآثار العلميَّة ما يدل على صحَّة تلك الدعوى.

أمَّا قوله: أنا موسى -عليه السَّلام- في مناجاته، أنا عليٌّ -رضي الله عنه- في حملاته، أنَّا كلُّ وليٍّ في الأرض خِلْعَتُه بيدي، أُلبِس منهم من شئت، أنا في السَّماء شاهدت ربِّي، وعلى الكرسي خاطبته، أنا بيدي أبواب النَّار غلقتها، وبيدي جنَّة الفردوس فتحتها، من زارني أسكنته جنَّة الفردوس... فهذا ونحوه من الشَّطحات قرأناه لكثيرٍ من المجاذيب المهولين، ومما يدلُّ على شطحية هذا الكلام وسطحيته: أنَّ الأحاديث الواردة في الزِّيارة النبويَّة تقول: «**مَن زارني كنت له شهيدًا أو شفيعًا يوم القيامة**». والشَّيخ إبراهيم يقول: من زارني أسكنته جنَّة الفردوس! مدد يا أبا العينين!

ومهما يكن من أمرٍ، فلا يعنينا أن يكون الشَّيخ إبراهيم هو موسى أو عليًّا أو يُلْبس الخِلَع لمن شاء من الأولياء، لكن يعنينا أن نقرأ له كلامًا حلَّ به آيةً مشكلةً، أو حديثًا عَسُر فهمه على غيره، أو حكمة مثل حكم ابن عطاء الله، وذلك عزيز وجوده في آثار أبي العينين الدسوقي رضي الله عنه.

وذكر الشَّعراني أيضًا عن شيخه الشيخ نور الدين المرصفي: أنَّه قرأ في يومٍ وليلةٍ ثلاثمائة وستين ألف ختمة كل درجة ألف ختمة.

قلت: هذا غير معقولٍ ولا مقبولٍ، بل هو من قبيل طيِّ الزَّمان الذي بيَّنا استحالته فيما مرَّ، فلو فرضنا أنَّه قرأ القرآن هَذْرَمةً، لما استطاع أن يقرأ ثلاث

مكَّة، فأجابه الآخر: لعلَّ الله يرزقني حجَّةً بضربتك، ويظهر أنَّ الرجل الضَّارب هو نقيب الشَّيخ إبراهيم الدسوقي.

(١) مع أنَّه لم يُعمَّر طويلًا، بل توفي وهو ابن ثلاث وأربعين سنة.

مائة ختمة في اليوم واللَّيلة. نعم، قد يبارك الله في وقت الوليِّ فيتيسَّر له قراءة ختمة في زمن أقل من غيره، لكن لا تصل البركة إلى حدِّ الاستحالة[١].

كرامة سخيفة لشخص يسمى الشيخ عبيد:

وقال الشَّعراني أيضًا: أخبرني بعض الثِّقات أنَّه كان مع الشَّيخ عبيد في مركب، فوَحِلَتْ فلم يستطع أحدٌ أن يزحزحها، فقال الشَّيخ عبيد اربطوها في بيضي بحبل وأنَّا أنزل أسحبها، ففعلوا فسحبها ببيضه حتى تخلَّصت من الوَحَل إلى البحر. ذكر هذه الحكاية في ترجمة أبي عليٍّ المعروف بأبي العُلا[٢] وهي حكايةٌ مكذوبة، وإن قال الشعراني: حدَّثه بعض الثِّقات، فإنَّ هذا تعديل على الإيهام، وهو غير مقبولٍ، وبعض الثِّقات الذي حدَّثه هو الذي صنع هذه الحكاية، ولو فرضنا صحَّتها، فما كان ينبغي التحدُّث بها لمنافاتها الذوق والأدب.

كرامة سخيفة لشخصٍ يسمَّى الشيخ علي وحيش:

ونظيرها -مع شدة فُحْشها- ما حكاه في ترجمة الشَّيخ علي وحيش المجذوب: كان إذا رأى شيخ بلد أو غيره ينزله من على الحمارة، ويقول له: أمسك رأسها حتى أفعل فيها، فإن أبَى شيخ البلد تسمَّر في الأرض لا يستطيع

---

(١) نعم، من الممكن المعقول ما حكاه الإمام أبو بكر بن عيَّاش عن نفسه حيث قال: ختمت ثمانية وعشرين ألف ختمة، وأودُّ لو كانت سببًا للصَّفح عن زلَّةٍ واحدةٍ وقعت فيها، وقد مات عن ثلاث وتسعين سنة، فمن المعقول أن يقرأ هذا العدد من الختمات في عمره الطويل المبارك رضي الله عنه.

(٢) يعرف في مصر بالسلطان أبي العُلا. وعلى ضريحه جامع تقام فيه الجمعة بجهة بولاق وكان مجذوبًا صاحب أحوال، ولا أدرى من أين أتى له لقب السلطان!

أن يمشي خطوة، وإن سمح حصل له خجل عظيم والنَّاس يمرُّون عليه.

فلا معنىٰ لذكر هذه الحكاية ولا لذكر صاحبها بعد الاعتراف بأنَّه مجذوبٌ؛ لأنَّ الغرض من ترجمة الوليِّ وذكر بعض كراماته الاعتبار بما قدَّم من أعمالٍ صالحةٍ والاقتداء به، والمجذوب ليس أهلًا للقدوة.

بل نقل الشَّعراني عن شيخه علي البُرلُّسي الخوَّاص أنَّه كان يقول: «إنَّ السوقة وأهل الصَّنائع والحِرَف أعظم درجة عند الله وأنفع من المجاذيب؛ لقيامهم في الأسباب». وكان أيضًا يقول: «المجاذيب والأطفال في الحالة سواء، إلَّا أنَّ الأطفال يتميَّزون عن المجاذيب بسريانهم في الجنَّة، كما ورد: «أنَّهم دَعَامِيصُ الجنَّة». أي: غوَّاصون فيها».

وإن ذكر مجذوب علىٰ سبيل الاسترواح والاعتبار بنعمة العقل، فلا يجوز ذكر ما كان يفعله من أعمالٍ قبيحة، مثل إتيان الحمارة علىٰ قارعة الطريق.

الشيخ علي أبي خودة:

وذكر في ترجمة الشَّيخ علي أبي خودة: أنَّه كان يهوىٰ العبيد السُّود والحبش، وأنَّه كان إذا رأىٰ امرأة أو أمرد، راوده عن نفسه وحسَّس علىٰ مَقْعدته سواء كان ابن أمير أو وزير، ولو كان بحضرة والده أو غيره، ولا يلتفت إلىٰ النَّاس.

قلت: هل هذه منقبة تستحقُّ أن تسجَّل مع مناقب الأولياء؟!!

والشَّعراني مهَّد لذكر هذه القبائح بأنَّ الشَّيخ كان ملامتيًّا، يتعاطىٰ أساب الإنكار عليه قاصدًا، فإذا أنكر عليه أحد أعطبه، ويظهر أنَّ الشيخ كان حاقدًا علىٰ النَّاس، فيفعل ما يدعوهم إلىٰ الإنكار عليه ليشفي حقده بإعطابهم، إن كان يقدر عليه. والذي نعرفه عن الملامتي: أنه يفعل ما يُلام عليه من غير

مباشرة لمعصية، كأن يقف بباب خمَّارة، فيتوهَّم من يراه أنَّه كان داخلها أو هو يريد أن يدخلها، أو يقف بباب المسجد والنَّاس يصلُّون جماعة، فيلام على ترك الجماعة، مع أنَّه يكون قد صلَّى تلك الصلاة في مسجدٍ آخر أو مع أهله في بيته جماعة، وهو نوعٌ من السُّلوك أخذ به بعض الصوفيَّة ليعلو مقام المريد ويكثر ثوابه بإنكار النَّاس عليه، ومعظم الصوفيَّة لا يرضونه ولا يأخذون به لسببين:

١- أنَّ الشَّرع يحضُّ على اجتناب مواضع التهم، ويجعلها من خوارم المروءة المسقطة للعدالة، وعمر -رضي الله عنه- كان يقول: «من وقف مواقف التهم، فلا يلومنَّ من أساء به الظَّن».

٢- أنَّه لا يجوز للشَّخص أن يفعل شيئًا يحمل النَّاس على اغتيابهم له، ليثاب بذلك الاغتياب، ولو فعل ذلك واغتابوه كان آثمًا؛ لأنَّه أوقعهم في إثْم الغيبة.

ومن هنا لا تجد في الشَّاذليَّة والقادريَّة ملامتيًّا، ولا صاحب أحوال؛ لأنَّ السُّلوك في هذين الطريقين، مبنيٌّ على أساسٍ شرعيٍّ مستقيمٍ.

مناقشة أبي الفضل الأحمدي في كلامه على تلقين الذكر:

ونقل الشَّعراني أيضًا عن شيخه أبي الفضل الأحمدي في كلامه على شروط تلقين الذكر أنَّه قال: فأمَّا تلقين الذكر، فشرطه عندي: أن يعطيه الله تعالى من القوَّة والتمكين وكمال الحال ما يمنح المريد، عند قوله: «قل: لا إله إلَّا الله»، جميع علوم الشَّرائع المنزَّلة، إذ هي كلها أحكام لا إله إلَّا الله، فلا يحتاج بعد ذلك المجلس إلى تعليم شيءٍ من الشَّرائع، كما حصل لعليٍّ رضي الله عنه، حتى كان يقول: عندي من العلم الذي أسَرَّه إليَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ما ليس عند جبريل ولا ميكائيل، فيقول له ابن عبَّاسٍ: كيف؟ فيقول: إنَّ

جبريل -عليه السَّلام- تخلَّف عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ليلة الإسراء وقال: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات: ١٦٤]، فلا يدري ما وقع لرسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بعد ذلك.

قلت: هذا الكلام ليس له إسنادٌ عن عليٍّ عليه السَّلام، ولا يصح عنه، والآية التي ذكرها لم يقلها جبريل -عليه السَّلام- ليلة الإسراء، وإنما قالتها الملائكة ردًّا علىٰ المشركين الذين زعموا أنَّ الملائكة بنات الله -تعالىٰ الله عن ذلك عُلُوًّا كبيرًا- اقرأ قبل الآية المذكورة، قول الله تعالىٰ ردًّا عليهم: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الصافات: ١٤٩ - ١٥٢]، إلىٰ آخر الآيات وفي آخرها يقول الملائكة: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾، أي: نحن عبيدٌ مُسَخَّرون، لكلِّ واحدٍ منَّا مقامٌ معلومٌ لا يتعدَّاه، ولسنا ببنات الله تعالىٰ ربُّنا عن ذلك. ولا علاقة للآية بليلة الإسراء كما يفهمه كثيرٌ من النَّاس غلطًا، لكن لا يصح نسبة الغلط إلىٰ عليٍّ عليه السَّلام؛ فإنَّه أعلىٰ من أن يقع في مثل هذا الغلط البيِّن، ثمَّ ما شرطه أبو الفضل في التلقين أمرٌ عسيرٌ، لا يتحقَّق فيه نفسه، ولا في كثيرٍ من الأولياء فضلًا عمَّن دوَّنهم، ويمكن أن يكون قصد به سدَّ الباب علىٰ مدَّعي المشيخة في عصره، كما لَمَّح لذلك في أول كلامه(١).

---

(١) من الغُلوِّ الذي سهونا عن التنبيه عليه في المقدِّمة: ما شاع عند كثير من النَّاس: أنَّهم يبعثون خطابات في البريد إلىٰ الإمام الشَّافعي رضي الله عنه يطلبون منه قضاء حوائج

الباب الثالث

ذكر نماذج من كرامات معقولة

كرامة الحسن بن عليٍّ عليهما السَّلام:

نقل العلَّامة الشَّيخ عبدالرحمن الأجهوري المالكي في "مشارق الأنوار"، عن الحسن بن عليٍّ عليهما السَّلام أنَّه قال: حبس عني عطائي معاوية في بعض السنين -وكان مائة ألف- فحصل لي ضيقٌ شديدٌ، فدعوت بدواة لأكتب إلى معاوية لأذكره نفسي، ثمَّ أمسكت، فرأيت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في المنام فقال: «**كيف أنت يا حسن؟**» فقلت: بخير، وشكوت إليه تأخير المال عني، فقال: «**أدعوت بدواة لتكتب إلى مخلوقٍ مثلك تُذَكِّره؟**» فقلت: يا رسول الله فكيف أصنع؟ قال: «**قل: اللَّهمَّ اقذفْ في قلبي رجاءَك واقطع رجائي عمَّن سواك حتى لا أرجو أحدًا غيرك، اللَّهمَّ ما ضعفت عنه قوَّتي وقصر عنه عملي ولم تنته إليه رغبتي ولم تبلغه مَسألتي ولم يَجرِ على لساني مما أعطيتَ أحدًا مِن الأوَّلين والآخرين من اليقين، فخُصَّني به يا أرحم الرَّاحمين**».

قال: فوالله ما ألححت به أسبوعًا، حتى بعث إلي معاوية بألف ألف وخمسمائة ألف، فقلت: الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره، ولا يخيِّب من دعاه، فرأيت النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**يا حسن كيف أنت؟**» فقلت:

وتوسُّلات وغير ذلك، ويسلِّمها ساعي البريد إلى خَدَم المسجد، فيلقونها في الضَّريح، وقد زرت قبر الإمام الشَّافعيِّ مرَّات، فرأيت خطابات منثورة على ضريحه، ورأيت زُوَّارًا يلقون خطابات على الضَّريح فيها مطالب لهم، وكل ذلك غُلُوٌّ منشأه الجهل بقواعد الدِّين الذي ينهى عن ذلك ولا يُقرُّه.

بخير يا رسول الله وحدثته بحديثي، فقال: «**يا بنيَّ هكذا من رجا الخالق ولم يَرْجُ المخلوق**».

عمر يُقيم الحدَّ على ابنه:

روى الخطيب وغيره عن عمرو بن العاص، قال: بينا أنا بمنزلي بمصر، إذ قيل لي: هذا عبدالرحمن بن عمر وأبو سروعة يستأذنان عليك، فقلت: يدخلان، فدخلا وهما منكسران فقالا: أقم علينا حدَّ الله، فإنَّا أصبنا البارحة شرابًا وسكرنا.

فزجرتهما وطردتهما، فقال عبدالرحمن: إن لم تفعل أخبرت والدي إذا قدمت عليه. فعلمت أنِّي إذا لم أُقم عليهما الحدَّ، غضب عليَّ عمر وعزلني، فأخرجتهما إلى صحن الدَّار فضربتهما الحد، ودخل عبدالرحمن ناحية إلى بيتٍ في الدَّار فحلق رأسه، وكانوا يحلقون مع الحدود.

والله ما كتبت إلى عمر بحرف مما كان، حتى إذا كان بعد أيامٍ وافاني كتابه يقول: «بسم الله الرحمن الرحيم، من عبدالله عمر إلى عمرو بن العاص: عجبت لك وجراءتك عليَّ وخلافك عهدي، فما أراني إلَّا عازلك، تضرب عبدالرحمن في بيتك، وتحلق رأسه في بيتك، وقد عرفت أنَّ هذا يخالفني؟!

إنَّما عبدالرحمن رجلٌ من رعيَّتك تصنع به ما تصنع بغيره من المسلمين، ولكن قلتَ: هو ابن أمير المؤمنين، وعَرَفتَ أن لا هوادة لأحدٍ من النَّاس عندي في حدٍّ، فإذا جاءك كتابي هذا فابعث به في عباءةٍ على قتب، حتى يعرف سوء ما صنع».

فبعث به كما قال أبوه، وكتب عمرو إلى عمر يعتذر إليه يقول: إنِّي ضربته

في صحن داري، وبالله الذي لا يُحلَف بأعظم منه إنِّي لأقيم الحدود في صحن داري علىٰ المسلم والذِّمِّي.

وبعث بالكتاب مع عبدالرحمن بن عمر فقدم به علىٰ أبيه، فدخل وعليه عباءة ولا يستطيع المشي من سوء مركبه، فقال: يا عبدالرحمن فَعَلتَ وفَعَلتَ، فكلَّمه عبدالرحمن بن عوف، وقال: يا أمير المؤمنين قد أقيم عليه الحدُّ.

فلم يلتفت إليه، فجعل عبدالرحمن يصيح ويقول: إنِّي مريض وأنت قاتلي، فضربه الحد ثانية وحبسه، فمرض ثمَّ مات.

وجه الكرامة في هذه القصَّة أنَّ عمر -رضي الله عنه- علم ما حصل من واليه في مصر وهو بالمدينة من غير أن يكتب إليه أحدٌ بذلك، وليس هذا بكثيرٍ علىٰ عمر الملهَم.

عمر أقام الحدَّ على ابنه أبي شحمة حتى مات:

ووقعت قصَّة أخرىٰ لعمر مع ابنه أبي شحمة عبدالرحمن نذكرها إتمامًا للفائدة -وإن كان سندها غير صحيح- روىٰ الديلمي في "المنتقىٰ" من طريق مجاهد عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: لقد رأيت عمر وقد أقام الحد علىٰ ولده فقتله فيه.

فقيل له: كيف كان ذلك؟ فقال: كنت يومًا في المسجد وعمر جالس والنَّاس حوله، فأقبلت جارية. فقالت: السَّلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال عمر: وعليك السَّلام ورحمة الله ألك حاجة؟ قالت: نعم، خذ ولدك هذا مني. فقال عمر: إنِّي لا أعرفه، فبكت الجارية، فقالت: يا أمير المؤمنين إن لم يكن من ظهرك، فهو ولد ولدك. فقال: أي أولادي؟ قالت: أبو شحمة. فقال: بحلالٍ

أم بحرامٍ؟ قالت: من قبلي بحلالٍ، ومن جهته بحرامٍ. قال عمر: وكيف ذلك؟ اتقي الله ولا تقولي إلَّا حقًّا. قالت: يا أمير المؤمنين، كنت مارَّة في بعض الأيام فمررت بحائط بني النَّجار، إذ أتاني ولدك أبو شحمة يتمايل سكرًا، وكان شرب عند نسيكة اليهودي قالت: ثمَّ راودني عن نفسي وجرَّني إلى الحائط، ونال مني ما ينال الرجل من المرأة، وقد أغمي عليَّ، فكتمت أمري عن عمِّي وجيراني، حتى أحسست بالولادة، فخرجت إلى موضع كذا، فوضعت هذا الغلام وهممت بقتله، ثمَّ ندمت على ذلك، فاحكم بيني وبينه بحكم الله.

فأمر عمر مناديًا ينادي فأقبل النَّاس يهرعون إلى المسجد، فقال عمر: لا تفرَّقوا حتى آتيكم، ثُمَّ خرج، فقال: يا ابن عبَّاسٍ أسرع معي. فأسرع حتى وصل منزله، فقرع الباب، وقال: ها هنا ولدي أبو شحمة؟ فقيل له: إنَّه على الطَّعام، فدخل عليه وقال: كل يا بني فيوشك أنْ يكون آخر زادك من الدُّنيا.

قال ابن عبَّاسٍ: فلقد رأيت الغلام وقد تغيَّر لونه، وارتعد وسقطت اللقمة من يده، فقال عمر: يا بني من أنا؟ قال: أنت أبي وأمير المؤمنين، قال: فلي حق طاعة أم لا؟ قال: لك طاعتان مفترضتان؛ لأنَّك والدي وأمير المؤمنين. قال عمر: بحقِّ نبيِّك، وبحق أبيك هل كنت ضيفًا لنسيكة اليهودي؟ فشربت الخمر عنده فسكرت؟ قال: قد كان ذلك، وقد تبت.

قال: رأس مال المؤمنين التوبة، قال: أنشدك بالله هل دخلت حائط بني النجَّار فرأيت امرأة فواقعتها؟ فسكت وبكى. قال:لا بأس، اصدق يابنيَّ فإنَّ الله يحب الصَّادقين، قال: قد كان ذلك، وأنا تائبٌ نادمٌ.

فلما سمع عمر منه، قبض على يده ولبَّبَه وجره إلى المسجد، فقال: يا أبت لا

تفضحني، وخذ السَّيف واقتلني، قال: أما سمعت قوله تعالىٰ: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢]، ثمَّ جرَّه إلىٰ المسجد، وقال: صدقت المرأة، وأقرَّ أبو شحمة بما قالت. وكان له مملوك يقال له: أفلح، فقال: يا أفلح خذ ابني هذا إليك، واجلده مائة سوط، ولا تقصِّر في ضربه، فقال:لا أفعل، وبكىٰ.

فقال: يا غلام إنَّ طاعتي طاعةٌ لله ورسوله فافعل ما آمرك به، فنزع ثيابه وجعل الغلام يقول لأبيه: ارحمني يا أبت. فقال له عمر: إنَّما أفعل هذا كي يرحمك الله ويرحمني، ثمَّ قال: يا أفلح اضرب، فضربه وهو يستغيث، حتىٰ بلغ سبعين، فقال: يا أبت اسقني شربةً من ماءٍ. فقال: يا بنيَّ إن كان ربك يطهرك، فيسقيك محمَّد صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم شربة لا تظمأ بعدها أبدًا، يا غلام اضربه، فضربه حتىٰ بلغ ثمانين، فقال: يا أبت السَّلام عليك، فقال: وعليك السَّلام إن رأيت محمَّدًا، فاقرئه منِّي السَّلام، وقل له: خلَّفت عمر يقرأ القرآن ويقيم الحدود، يا غلام اضربه، فضربه حتىٰ بلغ تسعين، فانقطع كلامه وضعف. فرأيت الصَّحابة قالوا: يا عمر انظر كم بقي فأخِّره إلىٰ وقتٍ آخر.

فقال: كما لم تؤخَّر المعصية لا تؤخَّر العقوبة، وجاء الصريخ إلىٰ أمِّه، فجاءت باكية صارخة، وقالت: أحج بكل سوطٍ ماشية، وأتصدَّق بكذا وكذا درهمًا، فقال: إنَّ الحجَّ والصَّدقة لا ينوبان عن الحدِّ، فضربه فلمَّا كان آخر سوطٍ، سقط الغلام ميتًا، فصاح عمر، وقال: يا بنيَّ محَّص الله عنك الخطايا.

ثمَّ جعل رأسه في حجره، وصار يبكي ويقول: بأبي من قتله الحق، بأبي من مات عند انقضاء الحد، بأبي من لم يرحمه أبوه وأقاربه، فضجَّ النَّاس بالبكاء

والنحيب.

فلمَّا كان بعد أربعين يومًا أقبل حذيفة بن اليمان -رضي الله عنهما- صبيحة يوم الجمعة، فقال: رأيت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في المنام، وإذا الفتىٰ معه، وعليه حلَّتان خضراوان، وقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أقرئ عمر منِّي السَّلام، وقل: هكذا أمرك الله أنْ تقرأ القرآن، وتقيم الحدود**»، وقال الغلام أقرئ أبي منِّي السَّلام، وقل له: طهَّرك الله كما طهَّرتني.

كرامة زين العابدين:

وقال أبو حمزة الثمالي: أتيت باب علي بن الحسين زين العابدين -عليهما السَّلام- فكرهت أن أنادي، فقعدت علىٰ الباب إلىٰ أن خرج، فسلَّمت عليه ودعوت له فردَّ، ثمَّ انتهىٰ بي إلىٰ حائطٍ، فقال: يا أبا حمزة ألا ترىٰ إلىٰ هذا الحائط؟ قلت: بلىٰ ياسيِّدي قال: فإنِّي متكئ عليه وأنا حزين مفكر، وإذا دخل علىٰ رجلٍ حسن الثِّياب طيِّب الرَّائحة، ثمَّ نظر في وجهي، وقال: يا علي بن الحسين أراك كئيبًا حزينًا علىٰ الدُّنيا، فهو رزقٌ حاضرٌ يأكل منه البار والفاجر.

فقلت: ما عليها أحزن، وإنَّها كما تقول. قال: فعلام حزنك؟ قلت: أتخوَّف فتنة ابن الزُّبير، قال: فضحك، ثمَّ قال: يا عليُّ هل رأيت أحدًا خاف الله فلم ينجِه؟ قلت:لا. قال: يا عليُّ هل رأيت أحدًا سأل الله فلم يعطِه؟ قلت: لا. ثمَّ نظرت. فإذا ليس قدامي أحد، فعجبت من ذلك! وإذا بقائل أسمع صوته، ولا أرىٰ شخصه يقول: يا علي بن الحسين هذا الخَضِر ناجاك.

نقل هذه القصة العلَّامة نور الدين علي بن محمَّد بن الصباغ المكِّي المالكي في كتاب "الفصول المهمَّة".

كرامة جعفر الصادق:

وحدَّث عبدالله بن الفضل بن الربيع، عن أبيه، قال: لما حجَّ المنصور سنة سبع وأربعين ومائة، فقدم المدينة، فقال للربيع: ابعث إلى جعفر بن محمَّد – الصَّادق– من يأتينا به متعبًا، قتلني الله إنْ لم أقتله، فتغافل الرَّبيع عنه وتناساه، فأعاد عليه في اليوم الثَّاني، وأغلظ في القول، فأرسل إليه الرَّبيع، فلما حضر قال له الرَّبيع: يا أبا عبدالله اذكر الله تعالى، فإنَّه قد أرسل إليك من لا يدفع شره إلَّا الله، وإنِّي أتخوَّف عليك، فقال جعفر: لا حول ولا قوة إلَّا بالله العلي العظيم، ثمَّ إنَّ الرَّبيع دخل به على المنصور، فلما رآه المنصور أغلظ له في القول وقال: يا عدوَّ الله اتخذك أهل العراق إمامًا، يجبون إليك زكاة أموالهم وتلحد في سلطاني، وتتبع لي الغوائل، قتلني الله إن لم أقتلك، فقال جعفر: يا أمير المؤمنين إنَّ سليمان أعطي فشكر، وإنَّ أيوب ابتلي فصبر، وإنَّ يوسف ظُلم فغفر، وهؤلاء أنبياء الله، وإليهم نسبك ولك فيهم أسوة حسنة.

فقال المنصور: أجل يا أبا عبدالله ارتفع إلى هنا عندي، ثمَّ قال: يا أبا عبدالله إنَّ فلانًا أخبرني عنك بما قلت لك، فقال: أحضره يا أمير المؤمنين ليوافقني على ذلك. فأحضر الرجل الذي سعى به إلى المنصور، فقال له المنصور: أحقًّا ما حكيت لي عن جعفر؟ فقال: نعم يا أمير المؤمنين.

فقال جعفر: استحلفه يا أمير المؤمنين فبادر الرَّجل، وقال: والله العظيم الذي لا إله إلَّا هو عالم الغيب والشَّهادة الواحد الأحد، وأخذ يعدد في صفات الله تعالى.

فقال جعفر: يا أمير المؤمنين أحلفه بما نستحلفه. فقال: حلفه بما تختار.

فقال جعفر: قل: برئت من حول الله وقوته إلى حولي وقوتي، لقد فعل جعفر كذا وكذا، فامتنع الرَّجل، فنظر إليه المنصور نظرة منكرة، فحلف بها، فما كان بأسرع من أن ضرب برجله الأرض وخرَّ ميتًا مكانه، فقال المنصور: جروا برجله وأخرجوه. ثمَّ قال: لا عليك يا أبا عبدالله، أنت البريء السَّاحة، السَّليم النَّاحية المأمون الغائلة، علي بالطِّيب.

فأُتي بالغالية، فجعل يغلف بها لحيته، إلى أنْ تركها تقطر، وقال: في حفظ الله وكلاءته، وألحقه يا ربيع بجوائز حسنة، وكسوة حسنة، قال الربيع: فلحقته بذلك. ثمَّ قلت له: يا أبا عبدالله رأيتك تحرِّك شفتيك وكلما حركتهما سكن غضب المنصور، بأيِّ شيءٍ كنت تحرِّكهما؟ قال: بدعاء جدِّي الحسين. قلت: وما هو يا سيِّدي؟ قال: «اللَّهم يا عدَّتي عند شدَّتي، ويا غوثي عند كربتي، احرسني بعينك التي لا تنام، واكنفني بركنك الذي لا يرام، وارحمني بقدرتك علي فلا أهلك وأنت رجائي، اللَّهم إنَّك أكبر وأجل وأقدر مما أخاف وأحذر، اللَّهم بك أدرأ في نحره، وأستعيذ من شرِّه، إنَّك على كلِّ شيءٍ قدير».

قال الرَّبيع: فما نزل لي شدَّة، ودعوت به إلَّا فرَّج الله عني.

قال الرَّبيع: وقلت له: منعت السَّاعي بك إلى المنصور من أن يحلف بيمينه، وأحلفته بيمينك فما كان إلَّا أن أُخذ لوقته، ما السر فيه؟

قال: لأنَّ في يمينه توحيد الله وتمجيده وتنزيهه. فقلت: يحلم عليه ويؤخِّر عنه العقوبة. وأحببت تعجيلها إليه، فاستحلفته بما سمعت، فأخذه الله لوقته.

وقتل داود بن علي بن عبدالله بن عبَّاس المعلَّى بن حسين -مولى كان لجعفر الصَّادق- وأخذ ماله، فبلغ ذلك جعفرًا فدخل داره ولم يزل قائمًا ليله كلَّه إلى

الصَّباح، فلما كان وقت السَّحر سمع منه في مناجاته: «يا ذا القوة القويَّة، يا ذا المحال الشَّديد يا ذا العزَّة التي خلقك لها ذليل، اكفنا هذا الطَّاغية وانتقم منه». فما كان إلَّا أن ارتفعت الأصوات، وقيل: مات داود بن عليٍّ فجأة.

ونقل الشيخ نور الدين بن الصباغ في "الفصول المهمة" عن الشَّيخ نصرالله بن يحيىٰ -وكان من الثِّقات الخيرين- قال: رأيت في المنام عليًّا عليه السَّلام فقلت: يا أمير المؤمنين تقولون يوم فتح مكة: من دخل دار أبي سفيان فهو آمنٌ، ثمَّ يتم علىٰ ولدك الحسين بكربلاء منهم ما تمَّ؟!

فقال لي كرم الله وجهه: أتعرف أبيات ابن الصيفي التميمي في هذا المعنىٰ؟ فقلت: لا. قال: اذهب إليه واسمعها منه.

فاستيقظت من نومي مفكرًا، ثمَّ ذهبت إلىٰ دار ابن الصيفي -وهو الحيص بيص الشَّاعر المشهور- فطرقت عليه الباب، فخرج إلي، فقصصت عليه الرؤيا، فشهق وأجهش بالبكاء، وحلف بالله: ما سمعها مني أحدٌ، وما نظمتها إلَّا في ليلتي هذه، ثمَّ أنشد:

مَلَكْنا فكان العَفْوُ مِنَّا سَجِيَّةً ... فلَمَّا مَلَكْتُم سَال بالدَّمِ أَبْطُحُ
وحَلَّلْتُمُ قَتْلَ الأُسَارَىٰ وَطَالَمَا ... غَدَوْنَا علىٰ الأَسْرَىٰ نَمُنُّ ونَصْفَحُ
وحَسْبُكُم هذا التَّفَاوتُ بَيْنَنَا ... وكلُّ إناءٍ بالذي فيه يَرْشَحُ

قلت: هذه كرامة ظاهرة لعليٍّ -عليه السَّلام- بعد وفاته.

كرامة موسى الكاظم:

وروىٰ الرَّامَهُرْمُزيُّ في "كرامات الأولياء" والجنابذي في "معالم العترة النبويَّة"، وابن الجوزيِّ في "مثير الغرام الساكن إلىٰ أشرف الأماكن"، عن

حاتم بن علوان الأصم، قال: قال لي شقيق البَلْخي: خرجت حاجًّا سنة ست وأربعين ومائة فنزلت بالقادسيَّة، فبينما أنا أنظر النَّاس في مخرجهم إلى الحجِّ وزينتهم وكثرتهم، إذ نظرت إلى شابٍّ حسن الوجه، شديد السمرة، نحيف فوق ثيابه صوف، مشتمل بشملةٍ، وفي رجليه نعلان، وقد جلس منفردًا، فقلت في نفسي: هذا الفتى من الصوفيَّة، ويريد أن يخرج مع النَّاس ويكون كلًّا عليهم في طريقهم، والله لأمضين إليه ولأوبخنَّه فدنوت منه، فلمَّا رآني مقبلًا نحوه قال: يا شقيق ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، ثمَّ تركني وولَّى، فقلت في نفسي: إنَّ هذا لأمرٌ عجيب! تكلَّم بما في خاطري ونطق باسمي؛ هذا عبدٌ صالحٌ، لألحقنَّه ولأسألنَّه الدُّعاء، وأتحلَّله لما ظننت فيه. فغاب عنِّي ولم أراه، فلمَّا نزلنا وادي فضة فإذا هو قائمٌ يصلِّي، فقلت: هذا صاحبي، أمضي إليه وأستحله، فصبرت حتى فرغ من صلاته، فالتفت إليَّ، وقال: يا شقيق، اتل: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢] ثمَّ قام ومضى وتركني، فقلت: هذا فتى من الأبدال، فقد تكلَّم على سري مرَّتين، فلمَّا نزلنا بالأبواء، إذا أنا بالفتى قائمًا على البير وأنا أنظر إليه، وبيده ركوة فيها ماء، فسقطت من يده في البير فرمق السَّماء بطرفه، وسمعته يقول:

أنتَ شُرْبي إذا ظمئتُ من الماءِ وقوَّتي إذا أردتُ طعامًا

ثمَّ قال: إلهي وسيِّدي مالي سواك، فلا تعدمنيها، فوالله لقد رأيت الماء قد ارتفع إلى رأس البير والرِّكوة طافية عليه، فمدَّ يده فأخذها فتوضَّأ منها وصلَّى أربع ركعاتٍ، ثمَّ مال إلى كثيب رمل، فجعل يقبض بيديه ويجعل في الرِّكوة،

ويحركها ويشرب، فأقبلت نحوه، وسلمت عليه، فردَّ عليَّ السَّلام.

فقلت: أطعمني ممَّا أنعم الله به عليك، فقال: يا شقيق، لم تزل نعم الله عليَّ ظاهرة وباطنة، فأحسن ظنك بربِّك، ثمَّ ناولني الرِّكوة فشربت منها، فإذا فيها سويق بسكر. فوالله ما شربت قطُّ ألذَّ منه ولا أطيب، فشربت ورويت حتىٰ شبعت فأقمت أيامًا لا أشتهي طعامًا ولا شرابًا، ثمَّ لم أره حتىٰ نزلنا بمكَّة، فرأيته ليلةً إلىٰ جنب قبَّة الشَّراب نصف اللَّيل، وهو قائمٌ يصلِّي بخشوعٍ وأنينٍ وبكاءٍ فلم يزل كذلك حتىٰ طلع الفجر، ثُمَّ قام إلىٰ حاشية المطاف فركع ركعتي الفجر هناك ثمَّ صلَّىٰ مع النَّاس، ثمَّ دخل المطاف فطاف إلىٰ بعد شروق الشَّمس، ثُمَّ صلَّىٰ خلف المقام، ثُمَّ خرج يريد الذَّهاب، فخرجت خلفه أريد السَّلام عليه، وإذا بجماعةٍ أحاطوا به يمينًا وشمالًا ومن خلفه ومن أمامه، وخدمٍ وحشمٍ وأتباع خرجوا معه، فقلت لأحدهم: من هذا الفتىٰ؟ فقال: هذا موسىٰ الكاظم بن جعفر بن عليِّ بن الحسين رضي الله عنهم.

كرامة ابنه عليِّ الرِّضا:

وروىٰ الحاكم في "تاريخه"، عن محمَّد بن عيسىٰ، عن أبي حبيبٍ، قال: رأيت النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في المنام وكأنَّه قد وافىٰ المسجد الذي كان ينزله الحُجَّاج من بلدنا -نيسابور- في كلِّ سنةٍ، وكأنِّي مضيت إليه وسلَّمت عليه ووقفت بين يديه، فوجدته عنده طبق من خوص المدينة فيه تمر صيحاني، وكأنَّه قبض قبضة من ذلك التمر فناولنيها، فعددتها فوجدتها ثماني عشرة تمرة، فقلت: إنِّي أعيش بكل تمرةٍ سنة. فلمَّا كان بعد عشرين يومًا، وأنا في أرضٍ لي تعمر للزراعة، إذ جاءني من أخبرني بقدوم أبي حسن علي الرِّضا بن موسىٰ

الكاظم ونزوله بذلك المسجد، ورأيت النَّاس يسعون له من كلِّ جهةٍ يسلمون عليه، فمضيت نحوه، فإذا هو جالسٌ في الموضع الذي رأيت النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم جالسًا فيه، وتحته حصير مثل الحصير الذي كان تحته صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وبين يديه طبق من خوص المدينة وفيه تمر صيحاني، فسلَّمت عليه، فردَّ السَّلام واستدناني وناولني قبضة من ذلك التمر، فإذا هي بعدد ما ناولني النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في النَّوم، ثماني عشرة تمرة، فقلت: زدني، فقال: لو زادك رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لزدتك.

ونقل العلَّامة نور الدين علي بن محمَّد بن الصباغ المكي المالكي في "الفصول المهمة"، عن أبي خالد، قال: كنت بالعسكر -هي بلد سر من رأىٰ أو سامرا- فبلغني أنَّ هناك رجلًا محبوسًا أتي به من الشَّام مكبَّلًا بالحديد، وقالوا: إنَّه تنبَّأ، فأتيت باب السِّجن، ودفعت شيئًا للسجَّان، حتىٰ دخلت عليه، فإذا رجل ذو فهم وعقلٍ ولب، فقلت: يا هذا ما قصَّتك؟ فقال: إنِّي كنت رجلًا بالشَّام أعبدالله تعالىٰ في الموضع الذي يقال: إنَّه نصب فيه رأس الحسين، فبينما أنا ذات ليلةٍ في موضعي مقبلًا علىٰ المحراب أذكر الله تعالىٰ، إذ رأيت شخصًا بين يدي، فنظرت إليه، فقال لي: قم. فقمت معه فمشىٰ قليلا، فإذا أنا في مسجد الكوفة. فقال لي: تعرف هذا المسجد؟ فقلت: نعم، هذا مسجد الكوفة.

قال: فصلِّ فصليت معه، ثمَّ انصرف فانصرفت معه قليًلا، فإذا نحن بمكَّة المشرَّفة، فطاف بالبيت فطفت معه، ثمَّ خرج فخرجت معه، فمشىٰ قليلًا فإذا أنا بموضعي الذي كنت فيه أعبدالله تعالىٰ بالشَّام، ثمَّ غاب عنِّي، فبقيت

متعجِّبًا حولًا مما رأيت! فلما كان العام المقبل، إذ ذاك الشَّخص قد أقبل علي، فاستبشرت به، فدعاني فأجبته، ففعل معي كما فعل في العام الماضي، فلما أراد مفارقتي قلت له: بحقِّ الذي أقدرك على ما رأيت منك إلَّا ما أخبرتني من أنت؟ فقال: أنا محمَّد بن عليٍّ الرِّضا بن موسى بن جعفر، فحدَّثت بعض من كان يجتمع بي في ذلك الموضع، رفع ذلك إلى محمَّد بن عبدالملك الزيات، فبعث إلي من أخذني من موضعي، وكبَّلني بالحديد وحملني إلى العراق كما ترى، وادَّعى علي بالمحال، فقلت له: فأرفع قصَّتك إلى محمَّد بن عبدالملك الزيات؟ قال: افعل. فكتبت عنه قصته وشرحت فيها أمره ورفعتها إلى محمَّد بن عبدالملك الزيات، فوقَّع على ظهرها: قل للذي أخرجك من الشَّام إلى هذه المواضع التي ذكرتها يخرجك من السِّجن. قال أبو خالد: فاغتممت لذلك وسقط في يدي، وقلت: إلى غدٍ آتيه وآمره بالصبر وأعده من الله بالفرج وأخبره بمقالة هذا الرجل المتجبِّر، فلما كان من الغد، باكرت إلى السِّجن، فإذا أنا بالحرس والموكلين بالسجن في هرجٍ، فسألت: ما الخبر؟ فقيل لي: أنَّ الرجل المتنبئ المحمول من الشَّام فُقد البارحة من السِّجن وحده، وأصبحت قيوده والأغلال التي كانت في عنقه مرميَّة في السجن وطلب فلم يوجد له أثر، فتعجَّبت من ذلك! وقلت في نفسي: استخفاف ابن الزيات بأمره واستهزاؤه بقصَّته، خلَّصه من السجن.

كرامة سفيان الثوري:

وبعث أبو جعفر المنصور الخشابين أمامه حين خرج إلى مكَّة، وقال: إذا رأيتم سفيان الثوري فاصلبوه، فوصلوا إلى مكَّة ونصبوا الخشب للصلب،

وجاؤوا إليه فوجدوه نائمًا، رأسه في حجر الفضيل بن عياض ورجلاه في حِجْر سفيان بن عُيَيْنَة، فقالوا: يا أبا عبدالله، اتق الله، ولا تشمت بنا الأعداء، فتقدَّم إلى أستار الكعبة، وقال: برئت منه إن دخلها أبو جعفر، فمات قبل أن يدخل مكَّة.

قلت: سفيان بن سعيد الثوري، أمير المؤمنين في الحديث، وهو أحد الأئمة المتبوعين، قال النَّسائيُّ: هو أجلُّ من أن يقال فيه: ثِقة. كان منقطع النظير في الزُّهد والعبادة، سُئل عن رجلٍ يتكسب لعياله، ولو صلَّى في الجماعة لفاته القيام عليهم: ماذا يصنع؟ قال: يكتسب لهم ويصلِّي وحده.

ومن كلامه: «إذا رأيتم شُرطيًّا نائمًا عن صلاةٍ فلا توقظوه لها، فإنَّه يقوم يؤذي النَّاس». وقال: «كثرة النِّساء ليست من الدُّنيا؛ لأنَّ عليًّا -رضي الله عنه- كان من أزهد الصَّحابة، وكان له أربع نسوة، وتسع عشرة سرية».

كرامة محمد الحنفي:

كان شخصٌ من التجَّار شديد الإنكار على القطب شمس الدين محمَّد الحنفي، وكان أحيانًا يأتي إلى باب الزاوية ويرفع صوته بالألفاظ القبيحة في حقِّ الشَّيخ، فدار عليه الزمان وأفلس وركبته الديون، فجاء إلى الشَّيخ رضي الله عنه فتلقَّاه بالترحيب وجمع له من أصحابه مالًا جزيلًا، ولم يزل يعتقد الشَّيخ إلى أن مات.

قلت: الشَّيخ شمس الدين محمَّد الحنفي من الأقطاب الكبار، له منزلة كبرى في الولاية، وكثيرًا ما كان يقول: لو كان عمر بن الفارض في زماننا ما وسعه إلَّا الوقوف ببابنا، وذكروا عنده السيِّد عبدالقادر الجيلي، فقال: لو حضر عندنا عبدالقادر هنا لكان يتأدَّب معنا، وهذا من باب التحدُّث بالنِّعمة

والتعريف بنفسه، وقد وقع مثله لكثيرٍ من العلماء.

فالبخاريُّ رضي الله عنه قال عن شيخه عليِّ بن المديني: وددتُ لو أني كنت شعرة في صدره، ومع ذلك كنت أُغرِب عليه. يعني: أنَّ البخاريَّ كان يأتي بأحاديث لا يعرفها شيخه عليُّ بن المديني الذي كان يحفظ ألف ألف حديثٍ[1].

وقال العلَّامة الشَّيخ أحمد بن المبارك اللَّمطي: لو أدركنا السَّعد أو السيِّد، لما وسعه إلَّا أن يأخذ عنَّا، وقد كان سعد الدين التفتازاني والسيِّد الشريف الجرجاني إمامين في علم الأصول والبلاغة والمنطق.

ومن الإشارات اللَّطيفة للشيخ محمَّد الحنفي: أنَّه سُئل: ما تقول السَّاقية في غنائها؟ قال: تقول: لا يرىٰ ملآن إلَّا طالعًا، ولا فارغ إلَّا نازلًا.

وقال: خطر لي أن أباسط توتة كانت في خلوتي، فقلت: يا توتة حدِّثيني حدوتة، فقالت: نعم، إنَّهم لما زرعوني سقوني، فلما سقوني أسست، فلما أسست فرعت، فلما فرعت أورقت، فلما أورقت أثمرت، فلما أثمرت أطعمت، قال: فكان كلامها سلوكًا لي. قلت: هذا أصل ما شاع بين المصريين اليوم، حيث يقولون: توتة توتة، خلصت الحدَّوتة.

كرامة لشريف من أشراف المدينة المنورة:

نقل العلَّامة الشيخ عبدالرَّحمن الأجهوري المالكي في كتاب "مشارق الأنوار": أنَّ رجلًا من المغرب عزم علىٰ التوجُّه إلىٰ الحجِّ، فأعطاه رجل آخر

---

(١) هو أحد حفَّاظ ثلاثة، كان كلُّ واحدٍ منهم يحفظ ألف ألف حديث، والثَّاني الإمام أحمد بن حنبلٍ، والثالث يحيىٰ بن معينٍ، وكانوا أقرانًا متقاربين في السِّنِّ، وأئمَّةً في الجرح والتعديل.

مائة دينار وقال: تعطيها بالمدينة لشريفٍ صحيح النَّسب، فلما وصل سأل عن الأشراف، فقالوا له: إنَّهم من الشِّيعة، يسبون الشَّيخين رضي الله عنهما؛ فكَرِه الإعطاء، فجلس بجنبه رجلٌ بالمدينة، فقال له: أأنت شريف؟ قال له: نعم، قال له: ما عقيدتك؟ قال: شيعي، فكره الإعطاء له، قال: فنمت تلك اللَّيلة، فرأيت أنَّ القيامة قامت، والنَّاس يجوزون على الصِّراط، فأردت الجواز فمنعتني فاطمة عليها السَّلام، فأقبل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فشكوت إليه. فقال لها: لِـمَ منعتيه؟ فقالت: قطع رزق ابني، فقال لها رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: إنَّه ما منعه إلَّا من كونه يسب الشَّيخين، قال: فالتفتت فاطمة عليها السَّلام إلى الشَّيخين رضي الله عنهما وقالت لهما: أتؤاخذان ابني بذلك؟ فقالا: لا، بل سامحناه، فالتفتت إليَّ وقالت: ما الذي أدخلك بين ولدي وبين الشَّيخين؟ فانتبهت فزعًا، فأخذت المبلغ وجئت به إلى ذلك الشَّريف فدفعته إليه، فتعجَّب من ذلك! فقصصت عليه الرؤيا، فقال: أشهدك على أني لا أسبهما.

قلت: أغلب الشِّيعة الموجودين في هذا العصر نوعان:

زيديَّة: أتباع زيد بن علي زين العابدين عليهما السَّلام، وهؤلاء يتولون الشَّيخين أبا بكرٍ وعمر ويترضَّون عليهما، وإن كانوا يرون عليًّا -عليه السَّلام- أفضل وأحق بالخلافة منهما، لكنَّهم يرون جواز إمامة المفضول مع وجود الفاضل، وهم الموجودون باليمن اليوم.

وإماميَّة: وهم موجودون بالعراق وإيران وسوريا ولبنان وبعض بلاد الهند، وهؤلاء يبغضون الشَّيخين ويسبونهما كما يسبون عائشة أمَّ المؤمنين رضي الله عنها.

كرامة مُطرِّف بن عبدالله بن الشِّخِّير:

تعدَّىٰ رجل علىٰ مُطرِّف بن عبدالله بن الشِّخِّير وظلمه، فقال: أماتك الله علىٰ عَجَل، فمات في الحال، فطلبوه إلىٰ زياد وهو والٍ علىٰ البصرة فقال: هل مسَّه؟ قالوا: لا قال: فهل هي إلَّا دعوة رجلٍ صالح، وافقت قَدَرًا فأطلقوه.

قلت: مُطرِّف: بضم الميم، وكسر الراء المشدَّدة. والشِّخِّير: بكسر الشين والخاء المعجمتين المشدَّدتين، كان من فضلاء التابعين، وأبوه صحابيٌّ، سئل مُطرِّف عن الرجل يتبع الجنازة حياء من أهلها، هل له في ذلك أجر؟ فقال: ذهب ابن سيرين إلىٰ أنَّ له أجرين: أجر صلاته علىٰ أخيه، وأجر مشيه للحي.

كرامة سعيد بن جُبَيرٍ:

لما قدَّم الحجَّاج سعيد بن جُبيرٍ للقتل، قال سعيد: اللَّهم لا تسلِّط الحجَّاج علىٰ أحدٍ بعدي، فعاش الحجَّاج بعده نحو أسبوعين، ووقعت الأكلة في بطنه، وكان ينادي بقيَّة أيَّامه: مالي ولسعيد بن جُبيرٍ؟ كلَّما أردت النوم أخذ برجلي.

قلت: سعيد بن جُبيرٍ أحد علماء التابعين، تلقَّىٰ التفسير عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما، وهو من الثِّقات في التفسير والحديث، أخرج له الستة، كان مُجاب الدعوة، كان له ديك يقوم علىٰ صياحه للصَّلاة فلم يصح ليلة، فنام سعيد عن ورده، فدعا عليه فمات لوقته، فعزم أن لا يدعو علىٰ شيءٍ أبدًا.

كرامة ذي النون المصري:

وقال ذو النون المصري رضي الله عنه: لما حملت من مصر في الحديد إلىٰ بغداد، لقيتني امرأة زَمِنة فقالت: إذا دخلت علىٰ المتوكِّل، فلا تهبه ولا ترىٰ أنَّه فوقك، ولا تحتج لنفسك محقًّا كنت أو متهمًا؛ لأنَّك إن هبته سلَّطه الله عليك،

وإن حاججته عن نفسك لم يزدك ذلك إلَّا وبالًا؛ لأنَّك باهت الله فيما يعلمه، وإن كنت بريئًا فادع الله أن ينتصر لك ولا تنتصر لنفسك فيكلك إليها، فقلت لها: سمعًا وطاعةً، فلمَّا دخلت على المتوكل سلَّمت عليه بالخلافة، فقال: ما تقول فيما قيل فيك من الكفر والزندقة؟ فسكتُّ، فقال وزيره: هو حقيقةٌ عندي بما قيل فيه، ثمَّ قال لي: لم لا تتكلَّم؟ فقلت: يا أمير المؤمنين إن قلت: لا كذَّبت المسلمين، وإن قلت: نعم، كذبت على نفسي بشيءٍ لا يعلمه الله تعالى مني، فافعل أنت ما ترى، فإنِّي غير منتصرٍ لنفسي.

فقال المتوكِّل: هو بريءٌ مما قيل فيه، فخرجت إلى العجوز، فقلت لها: جزاك الله عنِّي خيرًا فعلت ما أمرتني به، فمن أين لك هذا؟ فقال: من حيث ما خاطب به الهدهد سليمان عليه السَّلام.

وكان ذو النون بعد ذلك يقول: من أراد تجريد التوحيد، وخالص التوكل، فعليه بالنِّساء الزمنى ببغداد.

قلت: إلهام المتوكِّل الحكم ببراءة ذي النون كرامةٌ أكرمه الله بها، حيث فوَّض الأمر إليه، ولم يحتج لنفسه، عملًا بوصية العجوز الزَّمِنة التي أخذت ما أوصته به من قصَّة الهدهد، حيث لم يحتج عند سليمان عن نفسه بل ترك الاحتجاج وأخذ يحدِّثه عن ملكة سبأ، فعفا عنه وأبرده بريدًا إليها كما جاء في القرآن الكريم.

كرامة ابن الحارث الحافي:

قال بشر بن الحارث الحافي رضي الله عنه: كتبت مرَّة كتابًا فعرض لي كلام، إن كتبته حسن الكتاب وكان كذبًا، وإن تركته سمج الكتاب وكان صدقًا، فعزمت

على ذكر الكلام السمج الصِّدْق، فنادى هاتفٌ من جانب البيت ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾[إبراهيم: ٢٧].

قلت: بشر كان من كبار الصوفيَّة وأجلَّائهم، عالمٌ ورعٌ كبير الشَّأن، صَحِب الفضيل بن عياض وتأدَّب به، كان يرى تفضيل الصَّدقة على الجهاد والحج والعمرة، ويقول: لأنَّ هذا يركب ويجيء فيراه النَّاس، وذاك يعطي سِرًّا، فلا يراه إلَّا الله عزَّ وجلَّ.

وسُئل عن التصوف، فقال: «هو اسمٌ لثلاثة معان: أن لا يغطي نور معرفة العارف نور وَرَعه، وأن لا يتكلَّم في علمٍ باطن بكلام ينقضه عليه ظاهر الكتاب والسُّنَّة، ولا تحمله الكرامات على هتك أستار محارم الله عزَّ وجلَّ».

وقال: «دخلت داري مرَّة فرأيت فيها رجلًا طويلًا قائمًا يصلِّي، فراعني ذلك لأنَّ المفتاح كان معي فسلَّم من صلاته، ثمَّ قال: لا تفزع، أنا أخوك الخَضِر، فقلت له: علِّمني شيئًا ينفعني الله به، فقال: قل: «أستغفر الله عزَّ وجلَّ وأسأله التوبة من كل ذنبٍ تبت منه ثمَّ رجعت إليه، وأستغفر الله عزَّ وجلَّ وأسأله التوبة من كلِّ عقد عقدته لله على نفسي ففسخته ولم أوفِ به، وأستغفر الله عزَّ وجلَّ وأتوب إليه من كلِّ نعمةٍ أنعم بها عليَّ طول عمري واستعنت بها على معصية، وأسأله الحِفْظَ والحَمِية من ذلك كلِّه».

بحث في الخَضِر

قلت: ذكر كثير من الأولياء أنَّهم رأو الخَضِر، ويسألوه عن أشياء أجابهم عنها، وعلَّم بعضهم أدعيةً وأذكارًا، مثل هذا الدعاء المذكور هنا، ومثل المسبَّعات المتلقَّاة عنه وتقرأ بعد صلاة العصر، والخلاف في حياته وتعميره معروف.

وفي "صحيح مسلمٍ" عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه قال: حدَّثنا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حديثًا طويلًا عن الدَّجَّال، فكان فيما حدَّثنا: أن قال: «**يأتي وهو مُحَرَّمٌ عليه أنْ يدخل عتبات المدينة فينتهي إلى بعض السِّباخ التي تلي المدينة، فيخرج إليه رجلٌ هو خير النَّاس أو من خير النَّاس فيقول الدَّجَّال: إن قتلتُ هذا ثُمَّ أحييتُه أتشكُّون في الأمر؟ فيقولون: لا، فيقتله ثمَّ يُحييه، فيقول حين يُحييه: والله ما كنتُ فيك قطُّ أشدَّ بصيرةً منِّي الآن، فيريد الدَّجَّال أنْ يقتله فلا يستطيع أنْ يُسَلَّط عليه**»، قال إبراهيم بن سعد: يقال: إنَّ هذا الرجل هو الخَضِر.

هكذا في "صحيح مسلم"، وللحافظ ابن حجرٍ كتاب "الزهر النضر في نبأ الخَضِر"، ذكر فيه آثارًا عمَّن رأىٰ الخَضِر، واجتمع به، قال: إنَّ الأثر عن عمر بن عبدالعزيز في اجتماعه بالخَضِر صحيحٌ.

وكثيرٌ من الصوفيَّة، بل معظمهم يقولون: إنَّ الخَضِر[1] وليٌّ، وهذا غير

---

(١) قال بعض العارفين: «القول بولاية الخَضِر فتحٌ لباب الزَّندقة».

وهو صحيحٌ؛ لأنَّه أدَّىٰ إلىٰ دعوىٰ الجهلة أنَّهم بلغوا في الولاية شأوًا أدركوا فيه علومًا لم يدركها بعض الأنبياء، ويحتجُّون بأنَّ الخَضِر وهو وليٌّ علَّم موسىٰ الرَّسول حقائق لم يكن يعرفها، ويقولون تعليلًا لذلك: يوجد في النَّهر مالا يوجد في البحر،

صحيحٍ، بل هو نبيٌّ بلا شك، والدليل على نبوته الكتاب والسُّنَّة، وقد بينت ذلك في كتاب "خواطر دينية".

وقال الشَّيخ علي وفا في بعض كتبه: لكلِّ وليٍّ خَضِر هو يمثِّل روح ولايته، كما لكلِّ نبيٍّ صورة جبريل هي تمثِّل روح نبوَّته وهذا يفيد أنَّ الخَضِر الذي يراه الأولياء غير الخَضِر المعهود وهذا هو المتجِّه لوجوه:

منها: أنَّ كثيرًا من الأولياء ذكروا أنَّهم رأوا الخَضِر ولم يبلغوا في الولاية درجة تؤهِّلهم لرؤيته والاجتماع به، فلا وجه لصحَّة كلامهم إلَّا بحمله على ما قاله الشَّيخ علي وفا.

ومنها: أنَّ بعض الأولياء ذكر أنَّ الخَضِر ظهر له وطلب منه الصحبة في سفره فرفض الوليُّ وليس من المعقول: أن يرفض وليٌّ صحبة نبيٍّ سعى إليه موسى عليه السَّلام يطلب مرافقته والتعلُّم منه فلا بد أنَّه خَضِر آخر.

ومنها: أنَّ الشَّعراني ذكر أنَّ الخَضِر صوَّب له المذاهب الأربعة وبيَّن له أنَّ الخلاف بينها دائرٌ بين تشديد هو عزيمة، أو تخفيف هو رخصة، أو توسُّط بينهما، وألَّف كتابًا سماه "الميزان الخضرية". قرأته.

والنبيُّ لا يصدر عنه هذا الكلام لسببين:

أحدهما: أنَّه لا يؤيِّد التقليد، ولا يتكلَّف لتوجيهه.

ثانيهما: لو سلَّمنا أنَّه أيد التقليد، فلا يمكن أن يحصره في المذاهب الأربعة،

وأنَّ المزيَّة لا تقتضي التفضيل. وهذا كلامٌ باطلٌ، أوضحنا بطلانه في كتابنا "خواطر دينية"، ويكفي أن تعلم أنَّ علم النبيِّ علمٌ يقينيٌّ يفيضه عليه جبريل عليه السَّلام، وأنَّ علم الوليِّ إلهام ظن، يحتمل الخطأ والدخيل، فهل يستويان؟!

ويدع مذهب الظَّاهرية والزَّيديَّة والإمامية والإباضية[١]، وهؤلاء كلهم مسلمون، يصلُّون ويصومون ويحجُّون إلى البيت الحرام، ويقرؤن القرآن ويأخذون منه ومن السُّنَّة أحكام الدِّين.

فلا بد أنَّ الذي ظهر للشَّعراني خَضِره الخاص الذي يمثِّل روح ولايته، وصوَّب له تقليد الأربعة، وهي المذاهب المعروفة في مصر، ولم يلتفت إلى طرابلس وتونس والجزائر وعُمان -بضم العين وتخفيف الميم- حيث يوجد مذهب الإباضية، ولا إلى اليمن حيث يوجد مذهب الزيدية، ولا إلى الشَّام والنجف وفارس وغيرها من البلاد التي يوجد فيها مذهب الإمامية، بل لم يلتفت إلى الشَّيخ الأكبر محيي الدين بن العربي الحاتمي الذي كان ظاهريَّ المذهب واختصر كتاب "المحلَّى" لابن حزم الظاهري، ولا إلى الإمام المقرئ المفسِّر أبي حَيَّان الأندلسي الظَّاهري المدفون بمصر.

ولهذا كان قول الشَّيخ علي وفا رحمه الله تعالى: لكلِّ وليٍّ خَضِر في غاية الوجاهة، يؤيِّده قول أبي تراب النخشبي: رأيت رجلًا بالبادية، فقلت له: من أنت؟ فقال: أنا الخَضِر الموكل بالأولياء أرد قلوبهم إذا شردت عن الله عزَّ وجلَّ. والخَضِر النبيُّ ليست هذه وظيفته.

كرامة النوري:

وقال التفليسي: كان النوري إذا دخل مسجد الشونيزية -ببغداد- انقطع ضوء السِّراج من ضياء وجهه، فلذلك سمِّي بالنوري، قال: وكان إذا حضر

---

(١) بكسر الهمزة، نسبة إلى عبدالله بن إباض بالكسر، قرأت بعض كتبهم كـ"مسند الربيع بن حبيب"، و"قناطر الخيرات"، وبالله التوفيق.

معنا لا تؤذينا البراغيث.

قلت: أحمد بن محمد النوري البغدادي يعرف بابن البغوي، صَحِب السَّرِيَّ السَّقَطي، فهو من أقران الجُنيد.

ومن كلامه: «ليس التصوف رسومًا ولا علومًا، وإنَّما هو أخلاق».

وقال: وقفت على شيخٍ يُضرَب بالسِّياط، فعددت عليه ألفًا وهو ساكتٌ، فاستحسنت صبره مع كبر سِنِّه، فلما أُدخل الرجل الحبس، دخلت عليه فسألته عن صبره مع سنِّه الكبيرة؟ فقال: يا أخي إنَّما يحمل البلاء الهمم لا الأجسام.

كرامة أبي الخير التيناتي:

وقال أبو الخير الأقطع التيناتي: أتيت قبر رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وأنا جائعٌ، فقلت: أنا ضيفك يا رسول الله، وتنحَّيت ونمت خلف المنبر، فرأيت النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقبَّلت ما بين عينيه، فدفع لي رغيفًا، فأكلت نصفه وانتبهت وبيدي النصف الآخر.

قلت: أبو الخير أصله من المغرب، كان أوحد زمانه في مقام التوكُّل، وله فِراسة حادة، من كلامه: «إياك أن تطلب من الله أن يصبرك، ولكن اسأل الله اللطف بك فهو أولى؛ لأنَّ تجرُّع مرارات الصبر شديدة على أمثالنا».

قلت: يؤيِّد هذا الكلام، حديث النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: فقد مرَّ برجل يسأل الله الصبر، فقال له: «**سألتَ اللهَ البلاءَ فسَلْهُ العَافِيَةَ**».

وسبب قطع يده: أنَّه عقد مع الله عقدًا ألَّا يمد يده إلى شيءٍ مما تنبت الأرض بشهوة، فنسي وتناول عنقودًا من شجرة البطم، فبينما هو يلوكه إذ تذكر العقد فرمى بالعنقود وبصق ما في فمه وجلس نادمًا، قال: فما استقرَّ بي

الجلوس، حتىٰ دار بي فرسان ورجال، وقالوا: قم، فساقوني حتىٰ أخرجوني إلىٰ ساحل بحر الإسكندرية، فرأيت هناك أميرًا وبين يديه سودان قد قطعوا الطريق، فوجدوني أسود اللون، ومعي ترسٌ وحربةٌ وسيفٌ، فقالوا: هذا منهم بلا شك، فقطع أيديهم وأرجلهم، إلىٰ أنْ وصل إليَّ، فقال لي: قدِّم يدك، فمددتها فقطعها، فقال: مدَّ رجلك، فمددتها، ثمَّ رفعت رأسي وقلت: إلهي وسيدي ومولاي يدي جنت، فرجلي ماذا صنعت؟ فدخل عليه فارس، ورمىٰ بنفسه علىٰ الأمير وقال: هذا رجل صالحٌ، يعرف بأبي الخير التيناتي، فرمىٰ الأمير نفسه إلىٰ الأرض، وأخذ يدي المقطوعة من الأرض يقبلها، وتعلَّق بي يبكي، ويعتذر إليَّ، فقلت له: جعلتك في حلٍّ، من أول ما قطعتها، وقلت: يد جنت فقُطعت، توفِّي سنة نيف وأربعين وثلاثمائة هجرية بمصر، رحمه الله ورضي عنه.

هذا آخر كتاب «النَّقْد المُبْرَم لرسالة الشرف المُحَتَّم»، وكان الفراغ من تبييضه ظهر يوم الأربعاء السَّادس من شهر شعبان المبارك من شهور سنة سبع وثمانين وثلاثمائة وألفٍ، ختمها الله بخيرٍ وختم لنا بالحُسنَىٰ آمين، والحمد لله ربِّ العالمين.

٢- إِقَامَةُ البُرْهَانِ
على نُزُولِ عِيسى عليه السلام آخِرِ الزَّمَانِ

إهداء الكتاب

إليك سيِّد المرسلين، وخاتم النَّبيين، وإمام المتقين، وقائد الغرِّ المُحَجَّلين، أهدي كتابي هذا الذي دافعت به عن سُنَّتك، ونفيت عنها -بقدر استطاعتي- تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، لا أبتغي بذلك إلَّا أن تكون شفيعًا لي يوم يقوم النَّاسُ لربِّ العالمين.

ولـن يَضِـيقَ رسـولَ الله جَاهُـكَ بِي إذا الكَـرِيمُ تَجـلَّى باسـمِ مُنْـتَقِمِ

خادم حديثك

عبدالله بن محمَّد بن الصِّدِّيق

كلمة فضيلة الأستاذ الكبير

الشيخ محمد زاهد الكوثري[١]

فضيلة الأستاذ العلامة المحدِّث الناقد السيِّد عبدالله الصِّدِّيق الغُمَاريُّ - حفظه الله- له يَرَاعُةٌ فيَّاضة تفيض تحقيقًا كلما جَدَّ الجِدُّ ووجب الردُّ، فتوقف المتهجِّمين على مُعتقَد الجماعة عند حدِّهم.

ولم تزل مواقف فضيلته ضد المشبِّهة ونفاة التوسُّل والمُغالين في استنكار المحاريب ماثلةً أمامنا، تشهد له بنبل الرأي ودقَّة النَّظر وغزارة العلم والبراعة في الرواية والدراية، فيتوالى شكر أهل العلم والدين من أعماق القلوب على إجادته البالغة في الردِّ عليهم، وقد أعدَّ الله سبحانه له موهبة عظيمة بقدر ما له من الإخلاص في العمل والنجاح في الجهاد والإجادة في الدفاع عن حوزة الدِّين.

وها هو ذا قد وقف بالأمس الدابر وقفة الأسد في الردِّ على مشايع للرشيد القلموني[٢]- الجاري وراء الدكتور صدقي المعروف - في إنكار نزول عيسى عليه السَّلام في آخر الزمان فقضى عليه بمقالاته الممتعة المنشورة حديثًا في

---

(١) كان بيني وبين الأستاذ الكوثري صلة وثيقة رغم سعي بعض الحاقدين لإفسادها، وكان يقدِّرني كثيرًا حتى أني لما استجزته قبيل وفاته بسنةٍ استجازني، وكان يسألني عن الأحاديث التي يسأله عنها بعض الناس، واستمرَّت صلتنا كما هي إلى وفاته، رحمه الله وأثابه رضاه. المؤلِّف.

(٢) هو الشيخ رشيد رضا صاحب "المنار"

"مجلة الإسلام" الغراء.

فندعو الله سبحانه أن يرعاه ويكافئه على ذلك مكافأة المحسنين، ويكثر من أمثاله في حراسة الدِّين والدِّفاع عن مُعتقَد المسلمين.

وممَّا يؤسف له أن يوجد بين صفوف حُرَّاس الدِّين من تتغلَّب عليه شهوة الظهور بالتجرؤ على العقيدة المتوارثة؛ جريًا وراء الاستبعاد العقلي المجرَّد فيما لا يحيله العقل، مع توارد الكتاب والسُّنَّة وإجماع علماء أهل السُّنَّة والجماعة على تحتم الأخذ بها، ولا يكون ذلك إلَّا تزندقًا مكشوفًا في سبيل التجديد وفي مثله يقول الشاعر العربي:

تَزَنْدَقَ مُعْلِنًا ليقول قومٌ ... مِن الأُدَباءِ زِنْدِيقٌ ظَرِيفُ
فقد بَقِيَ التزنْدُقُ فيه وَصْمًا ... وما قِيلَ الظَّرِيفُ ولا الخَفِيفُ

وليس شيءٌ أثقل من ذلك على نفوس الأُباة الكِرام ومحاولة المرء لوزن قُدْرة الله جلَّ جلاله بمعياره الخاسر العيَّار وعقله القاصر عن اكْتِنَاه جزءٌ من الكون فضلًا عن اكْتِنَاه صفة من صفات مُكَوِّن الأكوان، تدل على أنه مصابٌ في عقله قبل أن يصاب في دينه، والرَّكْض وراء ذلك الاستبعاد المجرَّد يدل على فقد الإيمان بالغيب والاقتصار على المحسوس شأن البهيم، فنعوذ بالله من الخُذْلان.

وفي مسألة رفع عيسى عليه السَّلام حيًّا ونزوله في آخر الزمان تضافر الكتاب والسُّنَّة وإجماع أهل السُّنَّة والجماعة فقوله تعال: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩] بمعنى ليس أحدٌ من أهل الكتاب إلَّا

ليؤمننَّ بعيسىٰ قبل موت عيسىٰ عليه السلام. لأن عود ضمير ﴿قَبۡلَ مَوۡتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩] إلىٰ عيسىٰ هو مقتضىٰ الرواية، حيث صحَّ ذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه، واستفاض عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما بدون أن يصحَّ ما يناهض ذلك عن أحدٍ من الصحابة، ولأن عود ذلك الضمير إلىٰ عيسىٰ هو مقتضىٰ الدراية أيضًا حيث يلزم من عوده إلىٰ غير عيسىٰ -وهو أحد من أهل الكتاب- أن يؤمن كل كتابيٍّ من اليهود وغيرهم قبل موته بعيسىٰ فإمَّا أن لا يعتد بذلك الإيمان، فينافيه إقسام الله سبحانه عليه وإمَّا أن يعتد به فلا يكون يهود ولا نصارىٰ بل يكون الجميع مِلَّةً واحدةً، مع أنَّ الإجماع علىٰ عدم ردِّ اليهود والنصارىٰ إلىٰ غير أهل دينهم في المواريث وسائر الحقوق يدل علىٰ تمايز المِلَّتين وعلىٰ أنَّ اليهود يهود والنصارىٰ نصارىٰ، ما لم نعلم اهتداء أحدٍ منهم إلىٰ الإسلام فنحكم فيه أنه مسلم.

فلو كان يهودي يؤمن قبل موته بعيسىٰ عليه السَّلام ما صحَّ رد ورثته إلىٰ اليهود وقال الزهري: «مضت السُّنَّة علىٰ أن يردَّ أهل الكتاب في حقوقهم ومواريثهم إلىٰ أهل دينهم إلَّا أن يأتوا راغبين في حكم الله فيحكم بينهم بكتاب الله». وحيث استحال عود ذلك الضمير إلىٰ غير عيسىٰ عليه السلام للسبب المشروح، تعيَّن عوده إلىٰ عيسىٰ عليه السلام من جهة الدراية أيضًا.

وهكذا تطابقت الرواية والدراية علىٰ أنَّ موت عيسىٰ عليه السَّلام يكون بعد نزوله في آخر الزمان، وإذ ذاك يكون الجميع أمَّةً واحدةً بإيمانهم كلهم بما يدعو إليه عيسىٰ عليه السلام إذ ذاك وهو دين الإسلام.

ثُمَّ الضمير في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف: ٦١] يتعيَّن إرجاعه إلىٰ عيسىٰ عليه السَّلام أيضًا؛ لأنه هو المذكور في سِياق الآية ولا ذكر للقرآن في السِّياق حتىٰ يستساغ إرجاعه إليه دراية.

وأمَّا من جهة الرواية فلم يصح عن أحدٍ من الصحابة خلاف ما استفاض عن ابن عبَّاسٍ من إرجاع الضمير إلىٰ عيسىٰ عليه السَّلام، فتطابقت هنا أيضًا الدراية والرواية علىٰ أنَّ عيسىٰ عليه السلام سبب علم الساعة، حيث يعلم بنزوله قيام الساعة كما تواترت السُّنَّة وتطابق الإجماع علىٰ ذلك.

وأمَّا ما وقع في تفسير (سورة المائدة) -في غير مظنَّته- من "صحيح البخاري" من قوله: «قال ابن عبَّاسٍ: متوفِّيك مميتك».

فخلو عن السند فلا يصلح للاحتجاج به وكم له من هذا القبيل في كتاب التفسير مما لا يحتج به عند أهل الصنعة. وهذه الرواية واردة بطريق عبد الله بن صالح عن معاوية الحضرمي عن ابن أبي طلحة عن ابن عبَّاسٍ عند ابن جرير وغيره.

فعلي بن أبي طلحة لم يدرك ابن عبَّاسٍ اتفاقًا ففي الرواية انقطاع ثُمَّ ابن أبي طلحة، والحضرمي، وعبد الله كاتب الليث مختلَفٌ فيهم، وليسوا من شرط البخاري فأنَّىٰ تصح رواية هذا شأنها؟! حتىٰ يتصوَّر أن تناهض ما صحَّ واستفاض عن أبي هريرة وابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما! علىٰ أنَّ حملها علىٰ التقديم والتأخير -مثل واسجدي واركعي- كما فعل الفراء وغيره يجعلها متفقة مع الرواية الصحيحة.

وليس ما في "العُتبية" من عزو موته -وهو ابن ثلاث وثلاثين- إلىٰ مالكٍ

رضي الله عنه بصالحٍ أن يكون عُذرًا لمن شذَّ وقال بموته حيث لا مستند له من الكتاب والسُّنَّة والإجماع إزاء تلك الجبال الشواهق من الحُجَجِ، على أنَّ "العُتبية" المعروفة بـ"المستخرجة" اشتهرت بين المالكية بأنها مجمع الروايات المطروحة والمسائل الشاذَّة، وأنَّ جامعها كان يؤتى بالمسألة الغريبة فإذا أعجبته قال: أدخلوها في "المستخرجة".

بل قال ابن عبد الحكم رأيت جلها كذبًا ومسائل لا أصول لها فالاغترار بها اغترارٌ في غير محله، إلَّا أنَّ حبَّ الشذوذ مرضٌ في بعض النفوس.

وبعد هذا الاستطراد نعود فنقول: إنَّ فضيلة الأستاذ الغُمَاري وفى بوعده وأتمَّ تأليف كتابه البديع المسمَّى بـ"إقامة البرهان على نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان" وأحسن كل الإحسان في إقامة الحُجَج من الكتاب والسُّنَّة والإجماع على المسألة، وقد سرد فيه من طرق حديث النزول ما يشهد له بالتوسع البالغ في الحديث، ويسجِّل له كل فخرٍ على ناصية الدهر، فأبان بذلك قوة تواتر هذا الحديث عند كلِّ منصفٍ غير متعسِّفٍ، فيكون كتابه الخالد هذا حارسًا لقلوب الأجيال المقبلة من أن يتسرَّب إليها شكوك المشكِّكين من القاديانيين وأذيال القاديانيين، حيث لم يدع ناحيةً من نواحي هذا الموضوع بدون أن يقتلها بحثًا، فيقتنع المطالع المتبصِّر بمجرَّد مطالعته بتواتر خبر نزوله عليه السَّلام في آخر الزمان، وهذا قاضٍ على الشقِّ الأول من زعم المردود عليه بأن: «نزول عيسى عليه السَّلام إنما ورد بطريق الآحاد وخبر الآحاد لا يفيد عقيدةً».

وأمَّا الشقُّ الثاني فلا يمشي إلَّا على النقل الشاذِّ من الأشعريِّ المردود عند

المحقِّقين؛ لأن العقد الجازم هو المعتمد شرعًا وهذا قد يحصل بخبر الآحاد وبالتقليد كما يحصل بالبراهين المفيدة للعلم، وفي قصر الاعتداد في العقد الجازم على إيمان أهل البرهان إكفار لدهماء الأمَّة وهذا يكون مجازفةً شنيعةً، بل إفادة خبر الآحاد العلم رأي كثيرٍ من علماء هذه الأمَّة، ولا سيَّما عند احتفافه بالقرائن، وخاصَّة فيما أخرجه الشيخان من غير منازعٍ أو اتفقت الأمَّة على الأخذ به. بل لا يرد خبر الآحاد عند أهل العلم إلَّا عند مخالفته لكتاب الله أو سنة رسوله المتواترة أو المشهورة أو عند ما عده العقل محالًا فيما لا يحتمل التأويل؛ لأن الشرع إنما يرد بمجوزات العقول لا بما تحيله كما في "الفقيه والمتفقه" للخطيب البغدادي وغيره.

وصفوة القول أنَّ المؤلِّف أجاد كل الإجادة في تأليفه هذا؛ فندعو الله سبحانه أن يكافئه على هذه الإجادة، وأن يوفِّقه لتأليف كثيرٍ من أمثاله في خيرٍ وعافيةٍ، وأن ينفع به المسلمين.

محمد زاهد الكوثري

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

اللهمَّ لك الحمد كلُّه، ولك المُلْكُ كلُّه، وبيدك الخير كلُّه، وإليك يرجع الأمر كلُّه، علانيته وسِرُّه، لك الحمد إنك على كلِّ شيءٍ قديرٌ.

اللهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ونبيِّك سيِّدنا محمَّدٍ المُبشِّر النذير، والسِّراج المُنير، الذي خَتمتَ به الأنبياء، وفَضَّلته علي جميع الرسل والأصفياء، جعلته نبيًّا وآدم بين الرُّوح والجسد، وحكمتَ لشريعته بالبقاء إلى آخر الأبد، خلقته نورًا قبل خلق الأشياء، ثم بعثته مُشعًّا بعد أن عمَّت هذا العالم ظلمات الشِّرك والجهل والجَوْرِ والشَّقاء، فعمَّ الأرض نوره وعلمه، ووسع الناس عدله وحلمه، فهو الفاتح الخاتم ورسول الله إلى جميع العوالم، لا نبيَّ بعد نبوَّته، ولا شرع غير شرْعته ومِلَّته، فأبلغه اللهمَّ مِنَّا أفضل الصَّلوات وأزكى التسليمات، واجْزِه عنا بأجزل الخيرات وأجلِّ المكرمات.

وارضَ اللهمَّ عن آله الطَّيبين الطَّاهرين، وصحابته الأكرمين، وعمن تبعهم بإحسان من غير تحريف ولا تبديل إلى يوم الدِّين، ووفِّقنا اللهمَّ فيما انتدبنا له مِن الدِّفاع عن سُنَّته، وأدم هدايتنا بدوام اتباع هديه وطريقته، حتى نُحشر يوم العَرْضِ في زُمْرته، ونكون مِن أسعد مَن يسعد بشفاعته، بفضلك وكرمك يا ذا الفضل العظيم ويا صاحب الكرم الواسع العميم.

أما بعد: فقد ظهر في هذه الأزمان المتأخِّرة، طائفةٌ كافرةٌ خاسرة، تدَّعي الإسلام وهو منها بَراء، وتنشر بلسانه -في زعمها- آراء كلها ضلال وإفك وافتراء، تزعم في شأن زعيمها غلام أحمد القادياني أنه نبيٌّ ظِلِّيٌّ يوحَى إليه،

ومعنى الظِّلية في كلامهم أنه لم يأتِ بشرعٍ جديدٍ، وإنما بعث ليصلح ما أفسدته يد الحدثان في شريعتنا الحنيفيَّة السَّمحة، ويشبِّهون حالة نبوته وإصلاحه بحال عيسى عليه الصَّلاة والسَّلام، حيث بُعث تابعًا للشريعة الموسويَّة، ومصلحًا لما حُرِّف من أحكامها وتعاليمها.

وتالله إنَّ زعمهم ذاك لباطل، وإنَّ تشبيههم هذا لخالٍ عن الجامع وعن حلية الحقِّ والتحقيق عاطل.

ذلك أنَّ عيسى ابن مريم -عليهما السَّلام- رسول كريم بعثه الله في وقت لم تنقطع فيه النبوة والرسالة، لاحتياج الناس إذ ذاك إلى من يُزيل ما رَانَ على قلوبهم وعقولهم من الجهالة والضلالة، مع ما ثبت من تحريف اليهود للتوراة، وتبديلهم للأحكام التي أنزلها الله، كما شهد به القرآن وأثبته التاريخ الصحيح، واعترف به علماء اليهود أنفسهم باللفظ الصريح.

فلمَّا بعث الله نبيه محمدًا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بدينه الذي أكمله وارتضاه، حيث قال جلَّ علاه: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩] وقال عزَّ ذكره: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] ولم يقبل دينًا غيره حيث قال تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥] وتولَّى حفظه بذاته حيث قال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] لم يبق للناس -بعد هذا- حاجة إلى نبيٍّ أو رسول؛ لحصول كمال الكفاية في تمام الرشد والهداية بنبيهم الأكرم ورسولهم الأعظم،

إذ خلف فيهم الكتاب والسُّنَّة، فيهما بيان كل شيءٍ مما يحتاج إليه العباد في دينهم ودنياهم، في معاشهم ومعادهم، وتركهم على المحجَّة البيضاء الواضحة المعالم والمسالك، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلَّا هالك، فلهذا ختمت النبوة بمحمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فلم يكن بعده نبيٌّ كما قال الله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وفي "الصحيح" عن جابر، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَثَلي ومَثَلُ الأنبياء كمثل رَجُلٍ بنى دارًا فأتمَّها وأكملها إلَّا موضعَ لَبِنَةٍ، فجعل النَّاسُ يدخلُونها ويتعجَّبون منها فيقولون: لولا مَوْضِعُ اللَّبِنَة**»، قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**فأنا مَوْضِعُ اللَّبِنَة جئتُ فخَتَمْتُ الأنبياءَ**».

وفي "الصحيح" أيضًا، عن سعدٍ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لعليٍّ: «**أنت مِنِّي بمنزلة هارون مِن موسى إلَّا أنه لا نبيَّ بعدي**».

وفي رواية في "الصحيح" أيضًا: «**أما ترضى أن تكون مِنِّي بمنزلة هارون من موسى إلَّا أنه لا نبوَّة بعدي**». والحديث متواتر، له أكثر من عشرين طريقًا استوعبها الحافظ ابن عساكر في كتاب خاصٍّ.

وفي "الصحيح" أيضًا من حديث ابن أبي أوفى: «ولو قضي أن يكون بعد محمد نبي لعاش ابنه ولكن لا نبي بعده».

وقال ابن حِبَّان في "صحيحه": أخبرنا عمر بن محمد الهمداني: ثنا عبدالملك بن سليمان القُرَقَسَانيُّ: ثنا عيسى بن يونس: ثنا عمران بن سليمان القُمِّيُّ، عن الشَّعبي قال: سمعت فاطمة بنت قيس تقول: صعد رسول الله

صلَّى الله عليه وآله وسلَّم المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**أُنذِركم الدَّجَّال، فإنه لم يكن نبيٌّ قبلي إلَّا وقد أَنْذَرَهُ أمَّته، وهو كائنٌ فيكم أيتها الأمَّة، إنه لا نبيَّ بعدي ولا أمَّة بعدكم، إلَّا إن تميمًا الداري أخبرني...**». وذكر حديث الجسَّاسة.

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جدًّا، وهي قطعيَّة الثبوت والدلالة لتواترها وصراحة ألفاظها.

ولذا كان من مسائل الدين وقواعده الضرورية المُجْمع عليها أنَّ من اعتقد أو ادَّعى وجود نبيٍّ ينبَّأ في هذه الأمَّة بعد نبيِّها محمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، أو شكَّ في متنبئ ادَّعى النبوة بحيث لم يجزم بكذبه، فهو كافر مرتدٌّ حلال الدم والمال، يُستتاب؛ فإن تاب قُبل وإلَّا قُتل، على هذا اتفق المسلمون قاطبة لا فرق بين عالم وجاهل ولا بين سُنِّي وغيره.

قال ابن حزم الحافظ في كتاب "مراتب الإجماع": «باب من الإجماع في الاعتقادات يكفر من خالفه بإجماع: اتفقوا أنَّ الله عزَّ وجلَّ وحده لا شريك له، خالق كل شيءٍ غيره، وأنه تعالى لم يزل وحده ولا شيء غيره معه، ثم خلق الأشياء كلها كما شاء». إلى أن قال: «وأنَّ دين الإسلام هو الدين الذي لا دين لله في الأرض سِواه، وأنه ناسخ لجميع الأديان قبله، وأنه لا ينسخه دين بعده أبدًا، وأن من خالفه ممن بلغه كافر مخلَّد في النار أبدًا... وأنه لا نبيَّ مع محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم ولا بعده أبدًا، واتفقوا أنه مذ مات النبيُّ صلى الله عليه وسلم فقد انقطع الوحي وكمل الدين واستقر».اهـ

وقال الحافظ ابن كثير في "تفسيره" عند الكلام على قوله تعالى: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] ما نصُّه: «وقد أخبر الله تعالى في كتابه، ورسوله في السُّنَّة المتواترة عنه، أنه لا نبيَّ بعده ليعلموا أنَّ كلَّ من ادَّعى هذا المقام بعده فهو كذَّاب أفَّاك دجَّال مضل».اهـ

وقال الألوسي في "تفسيره" ما نصُّه: «وكونه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم خاتم النبيين مما نطق به الكتاب وصدعت به السُّنَّة وأجمعت عليه الأمة فيكفر مدَّعي خلافه».اهـ

فعُلم مما ذكرناه أنَّ ذلك الغلام القادياني ليس بنبيٍّ كما يزعم هو وطائفته، ولكنه أحد الدَّجَّالين الذين أخبر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنهم يدَّعون النبوة قبل الدَّجَّال الأعظم الذي يدَّعي الألوهية.

ففي "الصحيح" عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**إنَّ بين يَدَيِ الساعةِ كذَّابِين**».

وفي "الصحيح" أيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: « **لا تقوم الساعةُ حتى يُبعث دجَّالون كذَّابون قريبٌ من ثلاثين كلُّهم يزعم أنه رسول الله**».

وروى ابن حِبَّان في "صحيحه": ثنا محمد بن عبدالله بن الجنيد: ثنا قتيبة بن سعيد: ثنا حمَّاد بن زيد، عن أيوب، عن أبي قِلابة، عن أبي أسماء الرَّحبي، عن ثوبان قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ الله زَوَى لي الأرضَ فرأيت مشارقها ومغاربها**» وذكر الحديث بأطول مما في "صحيح مسلم"، وقال

في آخره: «**وإنه سيكون في أُمَّتي ثلاثون كذَّابًا كلهم يزعم أنه نبيٌّ، وإني خاتم النبيين لا نبيَّ بعدي، ولن تزال طائفةٌ مِن أُمَّتي على الحقِّ ظاهرين لا يضرُّهم مَن خالفهم حتَّى يأتي أمرُ الله**».

وروى الطبرانيُّ وغيره، عن نعيم بن مسعودٍ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لا تقوم الساعةُ حتَّى يخرج ثلاثون كذَّابًا كلُّهم يزعم أنه نبيٌّ**».

وروى أحمد، والطبرانيُّ، والضِّياء، وغيرهم، عن حذيفة، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**في أمَّتي كذَّابون ودجَّالون سبعة وعشرون، منهم أربع نسوة وإني خاتم النبيين لا نبيَّ بعدي**». وعزاه الحافظ الهيثميُّ للبزَّار أيضًا وقال: «رجاله رجال الصحيح».اهـ

وفي "المسند"، وغيره، عن جابرٍ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**بين يَدَيِ السَّاعةِ كذَّابون منهم صاحب اليمامَة، ومنهم صاحب صنعاء العَنْسِي، ومنهم صاحب حِمْيَر، ومنهم الدَّجَّال وهو أغلظهم فتنةً**».

قال جابر: «وبعضهم يقول قريبًا من ثلاثين كذَّابًا».

وعزاه الهيثمي للبزار أيضًا، وقال: «في إسناده عبدالرحمن بن مغراء، وثَّقه جماعة وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح». قال: «وفي سنده أحمد ابن لَهيعة، وهو ليِّن».اهـ

والأحاديث في هذا كثيرة، والعدد المذكور فيها للتقريب لا للتحديد، وفيها معجزة من معجزات النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، حيث وقع الأمر كما أخبر وظهر في الأمة كذَّابون متنبِّئون، فيهم نساء كسجاح وغيرها.

ومن أحدث هؤلاء المتنبِّئين عهدًا هذا الغلام القادياني الذي انبعث في الهند

شيطانًا من شياطين الإنس، فشقَّ عصا المسلمين وفارق جماعتهم وفرَّق كلمتهم، وبشَّر بمذهبه في كثير من البلاد خارج الهند على أنه مذهبٌ إسلاميٌّ صحيح، وهو والله مذهب الكفر الصريح، ومن اعتنقه خسر الدنيا والآخرة وباء بالضلال المبين، وكان يوم القيامة مع الكفرة الفجرة لا في زمرة المسلمين.

وقد اتبعه ضعفاء العقول، من كل مختلٍّ جهول، لا يفهم ما يقال له ولا يفقه ما يقول، وهذا شأن الباطل لا يَروج إلَّا على الطغاة والجهلة الذين هم كالأنعام.

ومع أن الحقَّ واضح أبلج، وطريق الإسلام مستقيم غير ذي عوج، نجد من ينحرف ذات الشمال وذات اليمين، ويترك الهدى والنور لقول كذَّاب مهين، فنعجب ولكن سرعان ما يذهب عجبنا حين نقرأ قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [هود: ١١٨ - ١١٩].

فصل

دعاوى القاديانية

ثم إن هؤلاء القاديانية -أو الأحمدية كما يتسمون- ينحصر كلامهم في عِدَّة دعاوى نلخِّصها فيما يلي:

أحدها: أنَّ عيسى عليه السلام مات وانتهى أمره، ولا سبيل إلى رجوعه في آخر الزمان، وأنَّ رَفْعَه الوارد في القرآن رفعٌ معنويٌّ.

ثانيها: إنكار الدَّجَّال والدَّابَّة وغيرهما مِن أشراط الساعة الكبرى، التي تواترت بها الأحاديث واتفقت عليها الأُمَّة.

ثالثها: ترك الاحتجاج بالسُّنَّة مطلقًا لا فرق بين متواترها وآحادها إلَّا إذا وافقت القرآن بحسب فهمهم.

رابعها: وهي مترتبة على التي قبلها، أنه ليس في القرآن دليل يدل على انقطاع النبوة، وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] معناه الختم والطابع، أي: أنَّ محمَّدًا عليه الصَّلاة والسَّلام بالنسبة للأنبياء كالختم الذي يختم به على الشهادة مثلًا، وليس في هذا ما يدل على أنه لا نبيَّ بعده!! بل قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤] يدل عندهم على وجود نبيٍّ بعده!! وبناءًا على ذلك تكون الأحاديث المصرِّحة بأنه لا نبيَّ بعده مخالفة للقرآن فلا يُعمل بها!.

خامسها: أنَّ غلام أحمد نبيٌّ يوحى إليه، وأنه رسول العالم الموعود! وقد يتغالى بعضهم فيحمل قوله تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦] على

غلامهم القادياني.

هذه أصول دعاواهم وأهمها وسائر كلامهم يتفرَّع منها أو يرجع إليها.

وهي دعاوىٰ -كما ترىٰ- كلها كفر وضلال، إذا اعتقد الشخص واحدة منها خرج عن مِلَّة الإسلام، فكيف إذا اعتقد جميعها؟! بل كيف إذا كان يدافع عنها ويحاول تثبيتها في عقول المسلمين بكل حيلة؟! لا شك أن من فعل ذلك فكفره أشد، وعذابه أكثر وأقبح، نسأل الله العفو والعافية.

فصل
أساليب القاديانية في نشر دعاواهم

ثم إنهم دائبون علىٰ نشر دعاواهم المذكورة بمختلف الحيل والأساليب، فطوْرًا يتقدمون بها في صورة سؤال، مكتفين أن يَرِد في الجواب كلمة يكون فيها تأييدهم، وحينًا يقدمونها أقوالًا مسلَّمة لا تحتمل النزاع والجدال، وتارة يُغرون علىٰ اعتناقها بالنَّشَب[1] والمال، إلىٰ غير هذا مما يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال.

وهم في كل ذلك جهلة لا يفهمون العلم، وإن فهموا شيئًا فلا يحسنون الفهم، ليس لهم قواعد وأصول يرجعون إليها عند البحث والمناظرة، وإن دعاهم مناظرهم إلىٰ كتب الأصول الإسلامية وقواعدها المحكمة هربوا كأنهم حُمُرٌ مُستنفِرةٌ، فرَّت مِن قَسْوَرة، الكلام معهم مَضيعة، وتعب في غير منفعة، لأنهم -كما قلنا- لا يفهمون، فهم لأجل ذلك لا ينصفون، وليجرِّب من شك في هذا، يلقَ من جهلهم وتعصُّبهم ما لا يصفه الواصفون.

---

(١) النَّشَبُ: المال والعَقَار. انظر: "لسان العرب" لابن منظور (١/ ٧٥٥).

وكان من أحدَث ما فعلوه لترويج أباطيلهم وإعادة ذكرها على الأسماع والأذهان، بعد إذ نسيت مدَّة من الزمان، أن تقدَّم أحدهم بسؤال إلى مشيخة الأزهر جاء فيه: هل عيسى عليه السلام حيٌّ أو ميت في نظر القرآن الكريم والسُّنَّة المطهَّرة؟ وما حكم المسلم الذي ينكر أنه حيٌّ؟ وما حكم من لا يؤمن به إذا فُرض أنه عاد إلى الدنيا مرَّة أخرى؟

وهذا ملخص ما جاء في ذلك السؤال ولم يكن مقدِّمه مستفيدًا مسترشدًا؛ إذ لو أراد الاستفادة والاسترشاد لوجد في الكتب التي ألَّفها علماء الهند في هذه المواضيع باللغتين العربية والأردية ما يشفي عِلَّته ويروي غُلَّته.

إذ قد ألَّف العلامة المحدِّث الكبير محمد أنور الكشميري الدِّيوبندي - رحمه الله وأثابه رضاه- ثلاث رسائل، الأولى: "عقيدة الإسلام في حياة عيسى عليه السِّلام" وعمل عليها حاشية سماها "تحية الإسلام"، والثانية: "التصريح بتواتر نزول المسيح"، الثالثة اسمها: "خاتم النبيين"، وكلها مطبوعة.

وللعلامة الكشميري المذكور منزلة كبيرة في نفوس المسلمين هناك، لم يكتسبها من مركزه الرسمي فحسب، بل بما له من علوم ومواهب، وبما ألَّفه من الكتب في الدفاع عن الدين والردِّ على الملحدين.

وقد ألَّف غيره أيضًا من العلماء في هذه الأشياء بحيث لم يتركوا لقائل مقالًا، هذا غير ما أُلقي من محاضرات، وما عُقِد من اجتماعات تشتمل على مناظرات ومجادلات، مما نُشر كله أو جُلُّه في الجرائد والمجلات.

إذن فذلك السائل لم يكن بسؤاله مستفيدًا مسترشدًا، ولكنه حاول أن ينتزع من هيئة دينية رسمية ما يجعله مُتَّكَأً له يتوكَّأ عليه في دعاواه، فأفلحت

محاولته، ونجحت حيلته.

وصدر العدد الثاني والستون بعد الأربعمائة من "مجلة الرسالة" (يوم الاثنين، الخامس والعشرين من شهر ربيع الثاني سنة ١٣٦١هـ/ الموافق ١١من مايو عام ١٩٤٢هـ) يحمل فتوىٰ عنوانها: «رفع عيسىٰ» ومضمونها أنَّ عيسىٰ عليه السَّلام مات موتًا حقيقيًا، وأنه لم يرفع بجسمه إلي السماء، وأنه لا ينزل في آخر الزمان، وأن الآحاديث الواردة في ذلك آحاد، وأنَّ الآحاد لا يعمل به في العقائد والمغيبات بالإجماع، وأنها مضطربة اضطرابًا لا مجال معه للجمع بينها.

وأنها فوق ذلك من رواية وَهْب بن مُنَبِّه وكعب الأحبار، وأن درجتهما عند أهل الحديث معروفة، أي أنهما غير مقبولين أو غير ثقتين.

إلىٰ غير هذا مما جاء في تلك الفتوىٰ التي صادمت الإجماع، وخالفت الأحاديث المتواترة، ونابذت ما تواطأت عليه كتب التفسير والعقائد، ودعت إلي إهدار الأحاديث النبوية الصحيحة في بعض مسائل الدين بدعوىٰ أنها آحاد، وحادت بجملتها وتفصيلها عن الصراط السوي والطريق القويم.

فصل

وقد اتخذ القاديانية تلك الفتوىٰ عُدَّةً لهم وسلاحًا، وأخذوا يطوفون بها علىٰ المسلمين الذين كانوا يسفِّهون أحلامهم، ويُخطِّئون آراءهم، وهم فرحون مستبشرون، يقولون بلهجة الظافر المنتصر: ها هو ذا الأزهر يوافقنا ويخالفكم، فليس عيسىٰ بحيٍّ، ولا هو مرفوع، ولا هو نازل كما تزعمون، فأين تذهبون؟![1]

---

(١) ونشرت "جريدة البشرىٰ" القاديانية التي تصدر في بيروت في عدديها (٥ و ٦) أن الأزهر يعترف بوفاة المسيح الناصري.

تحقَّقنا هذا ولمسناه تارة بسماع صحيح الخبر، وأخرىٰ بمشاهدة البصر، فرأيت أن أكشف من تلك الفتوىٰ عَوَارها، وأمحو عن علماء الأزهر عارها؛ فألَّفت هذه الرسالة، واختطفت من بين أنياب العوائق هذه العجالة، وأعددتها علىٰ ضعف في الاستعداد وقلة من المواد، وأجهدت نفسي في تنسيقها، رغم تراكم الأهوال وتفاقم الأحوال وتوالي البَلْبَال[1]، وسميتها: "إقامة البرهان علىٰ نزول عيسىٰ عليه السلام آخر الزمان" أو "إبطال ما قيل من الخيالات والأوهام في حديث نزول عيسىٰ عليه السلام".

والله أسأل أن يجعلها عملًا مقبولًا مبرورًا، وأن يجعل سعينا لديه مشكورًا وأن يدرج اسمنا في خدَّام سنة نبيه الأمين، وأن يُتحفنا وجميع أهلنا وأحبابنا بشفاعته يوم الدين، إنه الجواد الكريم والرءوف الرحيم.

المؤلِّف

---

(١) البَلْبَال: شدة الهمِّ. انظر: "لسان العرب" لابن منظور (١١/ ٦٣).

باب
إثبات نزول عيسى عليه السلام

اعلم أنه تواتر عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم تواترًا لا خلاف فيه ولا نزاع أنه أخبر بنزول عيسىٰ عليه السَّلام في آخر الزمان، حاكمًا بهذه الشريعة المحمدية، فيكسر الصَّلِيب، ويقتل الخنزير، ويضع الجِزْية، ويقتل الدَّجَّال، ولا يقبل إلَّا الإسلام، ويَمكُث في الأرض ما شاء الله أن يمكث، ثم يموت فيصلِّي عليه المسلمون ويدفنونه.

ونحن نورد بحول الله في هذا الباب ما يثبت ذلك من جهة الصِّناعة الحديثية، فنذكر طُرُق الأحاديث ونتكلَّم عليها، وبعد الفراغ من استيعابها حسب اجتهادنا وعلمنا نُتْبعها بسَرْد أقوال العلماء المصرِّحة بالتواتر وبوجوب اعتقاد مضمونه، حتىٰ يظهر الحقُّ واضحًا لا غبار عليه ولا اشتباه فيه، والله يوفِّق من شاء هدايته لاتباعه.

فصل
في الصحابة والتابعين الذين رووا حديث نزول عيسى عليه السَّلام

ورد نزول عيسىٰ عليه السَّلام عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من حديث أبي هريرة، وحذيفة بن أسيد، والنوَّاس بن سَمْعان، وعبدالله بن عمرو، وجابر بن عبدالله، ومجمع بن جارية، وأبي أمامة، وعثمان بن أبي العاص، وواثلة بن الأَسْقَع، وعبدالله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وعبدالله بن مُغَفَّلٍ، وعائشة، وسَمُرةَ بن جُنْدُبٍ، وأنس، وأبي سعيدٍ الخدريِّ، وعِمران بن حُصينٍ، وابن عبَّاسٍ، وأوس بن أوس، وثوبان، وعبدالرحمن بن سَمُرَةَ، ونافع بن

كَيْسَان الثقفي، وكَيْسَان بن عبدالله بن طارق، ونافع بن عتبة، وأبي بَرْزَةَ، وعمرو بن عوف، وبعض الصحابة، وأبي الدرداء.

ومن مرسل جُبَير بن نُفَيرٍ الحضرميِّ، والحسن، وعُرْوَةَ بن رُوَيْمٍ التابعين.

وهذا غير الموقوفات والمقطوعات، وهي في هذا الباب لها حكم الرفع كما تقرَّر في علوم الحديث.

فصل

أحاديث أبي هريرة بلغت حدَّ الاستفاضة

أما أبو هريرة فوردت عنه أحاديث كثيرة بلغت حدَّ الاستفاضة والشهرة ونحن نذكرها بحول الله:

الحديث الأول

قال البخاريُّ في "صحيحه": «باب نزول عيسى ابن مريم عليهما السَّلام»: حدَّثنا إسحاق: أخبرنا يعقوب بن إبراهيم: حدَّثنا أبي، عن صالح، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**والذي نفسي بيده ليوشِكَنَّ أن ينزل فيكم ابن مريم حَكَمًا عَدْلًا، فيكسِرَ الصَّليبَ، ويقتلَ الخنزيرَ، ويَضَعَ الجِزْيَةَ، ويفيضَ المالُ حتَّى لا يقبله أحدٌ، حتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها**». ثم يقول أبو هريرة: اقرأوا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩].

وكذا رواه مسلمٌ، عن الحسن الحلواني، وعبد بن حُميد، كلاهما عن يعقوب به.

ورواه البخاريُّ ومسلمٌ أيضًا، من طريق سفيان بن عيينة، عن ابن شهاب الزهري، به. ورويا أيضًا، من طريق الليث بن سعد، عن الزهريِّ به.

ورواه مسلمٌ، من طريق يونس، عن الزهريِّ به.

ورواه ابن مردويه في "تفسيره"، من طريق محمد بن أبي حفصة، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حَكَمًا عَدْلًا، يقتل الدَّجَّال، ويقتل الخنزير، ويكسر الصَّليب، ويضع الجِزْية، ويفيض المال، وتكون السجدة واحدة لله ربِّ العالمين**». قال أبو هريرة: اقرؤا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩]، موت عيسى ابن مريم عليهما السلام، ثم يعيدها أبو هريرة ثلاث مرات. ورواه الترمذيُّ، وابن ماجه، وغيرهما.

ورواه ابن أبي شيبة أيضًا ولفظه: «**لا تقوم الساعة حتى ينزل عيسى ابن مريم حَكَمًا مُقْسِطًا، وإمامًا عادلًا، فيكسر الصَّليب، ويقتل الخنزير، ويفيض المال حتى لا يقبله أحدٌ**».

ورواه ابن سعد في "الطبقات" ولفظه: «**ينزل عيسى ابن مريم قبل القيامة فيكسر الصَّليب، ويقتل الخنزير، ويجتمع الناس على دينٍ واحدٍ، ويضع الجِزْية**».

الحديث الثاني

قال البخاريُّ في "صحيحه": حدَّثنا ابن بُكَيرٍ: ثنا الليث، عن يونس، عن ابن شهاب، عن نافع مولى أبي قتادة الأنصاري: أنَّ أبا هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم**

منكم؟». تابعه عقيل، والأوزاعي. اهـ

ورواه أحمد، عن عبدالرزاق، عن معمر. وعن عثمان بن عمر، عن ابن أبي ذئب، كلاهما عن الزهري به.

ورواه مسلم، من طريق يونس، عن الزهري به.

ورواه أيضًا، من طريق ابن أخي الزهري، وابن أبي ذئب، كلاهما عن الزهري: أخبرني نافع مولى أبي قتادة، عن أبي هريرة: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم فأمَّكُم منكم**».

وقال الوليد بن مسلم: فقلت لابن أبي ذئب: إن الأوزاعي حدَّثنا عن الزهري، عن نافع، عن أبي هريرة: «**وإمامكم منكم**»؟ قال ابن أبي ذئب: تدري ما «أمَّكُم منكم»؟ قلت: تخبرني، قال: فأمَّكم بكتاب ربِّكم تبارك وتعالى وسُنَّة نبيِّكم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

الحديث الثالث

قال مسلم في "صحيحه" حدَّثنا قتيبة بن سعيد: حدثنا ليث عن سعيد بن أبي سعيد، عن عطاء بن ميناء، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**والله لينزلنَّ ابن مريم حَكَمًا عادلًا، فليكسرنَّ الصَّليب، وليقتلنَّ الخنزير، وليَضعنَّ الجِزْية، ولتتركنَّ القِلَاصُ[1] فلا يُسعى عليها، ولتذهبنَّ الشَّحْناء والتباغض والتحاسد، وليدعونَّ إلى المال فلا يقبله أحدٌ**».

---

(١) القِلاص: جَمْع قَلُوص، وهي النَّاقَةُ الشابَّة. أي لا يَخْرج ساعٍ إلى زكاةٍ؛ لِقلَّة حاجة النَّاس إلى المال واسْتِغْنائهم عنه. انظر: "النهاية" لابن الأثير (٤/ ١٠٠).

ورواه أحمد عن حجاج، وعن هاشم، كلاهما عن الليث بن سعد به.

ورواه ابن حِبَّان في "صحيحه" قال: أخبرنا عبدالله بن محمد الأزدي: ثنا إسحاق بن إبراهيم، ثنا عمرو بن محمد العَنْقَزيُّ: ثنا ليث بن سعد، عن المقبري، عن عطاء بن ميناء، عن أبي هريرة به.

الحديث الرابع

قال الإمام أحمد: حدَّثنا رَوْحٌ: ثنا محمد بن أبي حفصة، عن الزهري، عن حنظلة بن علي الأسلمي، عن أبي هريرة: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ليهِلنَّ عيسى ابن مريم بفجِّ الرَّوْحَاءِ بالحجِّ أو العُمْرة، أو لَيَثْنِيَنَّهما جميعًا**».

وكذا رواه مسلم من طريق سفيان بن عيينة، والليث بن سعد، ويونس بن يزيد، كلهم عن الزهري به.

ورواه ابن حِبَّان في "صحيحه" من طريق عبيد الله بن عمر، عن الزهري به.

ورواه أحمد أيضًا من طريق سفيان بن حسين، عن الزهري، عن حنظلة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الخنزير، ويمحو الصَّليب، وتُجمع له الصَّلاة، ويُعطِي المال حتى لا يُقبل، ويضع الخَراج، وينزل الرَّوْحاءَ فيَحُجُّ منها أو يعتمر أو يجمعهما**».

قال: وتلىٰ أبو هريرة: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ الآية، فزعم حنظلة أنَّ أبا هريرة قال: يؤمن به قبل موت عيسىٰ.

فلا أدري هذا كله حديث النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أو شيء قاله أبو هريرة.

وكذا رواه ابن أبي حاتم، عن أبيه، عن أبي موسى محمد بن المثنَّى، عن يزيد بن هارون، عن سفيان بن حسين، عن الزهري به.

الحديث الخامس

قال أحمد: حدَّثنا عفان: ثنا همام: أنبأنا قتادة، عن عبدالرحمن بن آدم، عن أبي هريرة: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**الأنبياء إخوةٌ لعَلَّات أمهاتهم شتَّى ودينهم واحد، وإنِّي أولى الناس بعيسى ابن مريم؛ لأنه لم يكن بيني وبينه نبيٌّ، وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه، رجلٌ مَرْبُوعٌ إلى الحُمْرة والبياض عليه ثوبان ممصَّران، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيدق الصَّليب ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويدعو الناس إلى الإسلام، ويُهلك الله في زمانه المِلَلَ كلَّها إلَّا الإسلام، ويُهلك في زمانه المسيح الدَّجَّال، ثم تقع الأمنة على الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنِّمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصِّبيان بالحيَّات لا تضرُّهم، فيمكث أربعين سنة، ثم يتوفَّى ويصلِّي عليه المسلمون ويدفنونه**». وهذا إسناد صحيح كما قال الحافظ ابن حجرٍ في "فتح الباري".

ورواه أحمد أيضًا، عن يحيى، عن ابن أبي عروبة عن قتادة به.

ورواه أبو داود، عن هدبة بن خالد، عن همام بن يحيى، عن قتادة به نحوه.

ورواه ابن جرير، عن بشر بن معاذ، عن يزيد بن هارون، عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، عن عبدالرحمن بن آدم مولى أمِّ بُرْثُنٍ صاحب السقاية، عن أبي هريرة به نحوه.

ورواه الحاكم، من طريق عفان بن مسلم، عن همام عن قتادة به نحوه وصحَّحه، وسلَّمه الذهبيُّ.

ورواه ابن حِبَّان في "صحيحه"، من طريق معاذ بن هشام، عن أبيه، عن قتادة، عن عبدالرحمن به نحوه.

ورواه أيضًا، من طريق هدبة بن خالد، عن همام، عن قتادة، عن عبدالرحمن به. بلفظ أحمد.

الحديث السادس

أخرج الطبراني في "الأوسط"، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لا ينزل الدَّجَّال المدينةَ، ولكنه بين الخَنْدَقِ، وعلى كلِّ نَقْبٍ منها ملائكةٌ يحرسونها، فأول مَن يتبعه النِّساء فيؤذينه فيرجع غضبان حتى ينزل الخَنْدَقَ، فعند ذلك ينزل عيسى ابن مريم**». قال الحافظ الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح غير عقبة بن مكرم بن عقبة الضَّبِّي، وهو ثقة».

قلت: وقوله: «**فعند ذلك ينزل عيسى**» أي عند نزول الدَّجَّال الخندقَ مع توجُّهه لحصار المسلمين وشروعه فيه كما جاء في الروايات الأخرى، والأحاديث يُفسِّر بعضها بعضًا.

الحديث السابع

أخرج الحاكم وصحَّحه، وسلَّمه الذهبيُّ، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ليهبِطنَّ ابن مريم حَكَمًا عادلًا وإمامًا مُقْسِطًا، وليسلكنَّ فجًّا حاجًّا أو معتمرًا، أو بنيَّتهما، وليأتينَّ قبري حتى يُسلِّم عليَّ**

ولأردنَّ عليه».

يقول أبي هريرة: «أي بنِي أخي إن رأيتموه فقولوا: أبو هريرة يقرئك السَّلام».

الحديث الثامن

أخرج أحمد، عن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إني لأرجو إن طال بي عُمُرٌ أن ألقى عيسى ابن مريم عليه السَّلام، فإن عجَّل بي موت فمن لقيه منكم فليقرئه مِنِّي السَّلام**». قال الحافظ الهيثمي: «رجال إسناده رجال الصحيح».

الحديث التاسع

أخرج أحمد أيضًا، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يوشك المسيح عيسى ابن مريم أن ينزل حَكَمًا مُقْسِطًا وإمامًا عَدْلًا، فيقتل الخنزير، ويكسر الصَّليب، وتكون الدعوة واحدة، فأَقرئوه -أو أَقْرِئْه- السَّلام من رسول الله، وأحدِّثه فيصدِّقني**». فلما حضرته الوفاة قال: «أقرئوه منِّي السَّلام».

قال الحافظ الهيثمي: «في سنده كثير بن زيد، وثَّقه أحمد وجماعة، وضعَّفه النَّسائيُّ وغيره، وبقية رجاله ثقات».

الحديث العاشر

أخرج الطبراني في "الأوسط" و"الصغير" قال: حدَّثنا عيسى بن محمد الصَّيْدَلَانيُّ البغدادي: ثنا محمد بن عقبة السَّدُوسيُّ: ثنا محمد بن عثمان بن سيَّار القرشي: ثنا كعب أبو عبدالله -هو البصري-، عن قتادة، عن سعيد بن

المُسيِّب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ألا إنَّ عيسى ابن مريم ليس بيني وبينه نبيٌّ ولا رسول، ألا إنه خليفتي في أمَّتي من بعدي، ألَا إنه يقتل الدَّجَّال، ويكسر الصَّليب، ويضع الجِزْية، وتضع الحرب أوزارها، ألَا من أدركه منكم فليقرأ عليه السَّلام**».

قال الحافظ الهيثمي: «في سنده محمد بن عقبة السَّدُوسي، وثَّقه ابن حِبَّان وضعَّفه أبو حاتم».اهـ

قلت ورواه الخطيب الحافظ في "التاريخ" فقال: أخبرنا محمد بن عبدالله بن شهريار الأصبهاني: أخبرنا سليمان بن أحمد الطبراني به.

الحديث الحادي عشر

أخرج أحمد، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ينزل عيسى ابن مريم إمامًا عادلًا وحَكَمًا مُقْسِطًا فيكسر الصَّليب، ويقتل الخنزير ويرجع السلم، وتُتَّخذ السيوف مَناجِلَ، وتذهب حُمَّة كلِّ ذي حُمَّة، وتنزل السماء رزقها، وتخرج الأرض بركتها، حتى يلعب الصبيُّ بالثعبان ولا يضرُّه، ويراعي الغنمَ الذئبُ ولا يضرُّها، ويراعي الأسدُ البقرَ ولا يضرُّها**».

الحديث الثاني عشر

قال الحافظ أبو سعيد محمد بن علي النقاش في جزء له في "فوائد العراقيين": أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن علي الهجيمي: حدثنا جعفر الصائغ: ثنا عفان بن مسلم: ثنا سليم بن حيان: حدثنا سعيد بن ميناء، عن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**طُوبَى لعيشٍ بعد المسيح** -يعني بعد نزوله-

يُؤْذَنُ للسماء في القَطْر، ويُؤْذَنُ للأرض في النبات حتى لو بذرت حبَّك على الصَّفا لنبت، وحتى يمرَّ الرجل على الأسد فلا يضرُّه، ويطأ على الحيَّة فلا تضرُّه ولا تشاحَّ ولا تحاسدَ ولا تباغضَ».

قال أبو إسحاق: «سمعه من جعفر الصائغ أبو داود السَّجِسْتاني وعبدالله بن أحمد بن حنبل وأنا معهما».اهـ

قلت: قوله: ثنا سليم بن حيان كذا قرأته في نسختنا من الجزء المذكور، ولم أدرِ مَن هو، لكني قرأت في "تاريخ الخطيب" في ترجمة جعفر الصائغ حديثًا آخر بهذا الإسناد جاء فيه: ثنا إبراهيم بن علي الهجيمي: ثنا جعفر الصائغ: ثنا سعيد بن سليمان: ثنا يحيىٰ بن سليم الطائفي.

قال الخطيب: «كذا في حديث الهجيمي، وفي حديث ابن خزيمة: محمد بن مسلم وهو الصواب».اهـ

فظهر لي من هذا أن الصواب في الإسناد الذي أوردته هو يحيىٰ بن سليم، وأن الناسخ كتبه سليم بن حيان خطأ لقرب الاشتباه بينهما، ومثل هذا يقع من الناسخين لعدم علمهم بالأسانيد والرجال، ورجال هذا الإسناد ثقات وبعضهم من رجال الشيخين والحديث رواه أبو نعيم أيضًا.

الحديث الثالث عشر

أخرج الطبراني في "الأوسط"، عن أبي هريرة: أن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**يَنزِلُ عيسى ابن مريمَ فيمكُثُ في النَّاسِ أربعين سَنةً**».

قال الحافظ الهيثميُّ: «رجاله ثقات».

وروىٰ هشام بن عروة، عن صالح مولىٰ أبي هريرة، عنه، عن النبيِّ صلَّىٰ الله

عليه وآله وسلَّم في حديث نزول عيسىٰ عليه السلام قال: «**فيمكث في الأرض أربعين سنة**». ذكره الحافظ ابن كثير في "تاريخه".

الحديث الرابع عشر

أخرج ابن عساكر في "تاريخ دمشق"، عن أبي هريرة يرويه قال: «**لا تزال عِصابةٌ مِن أمَّتي على الحقِّ ظاهرين على الناس، لا يبالون من خالفهم حتى ينزل عيسى ابن مريم**».

قال الأوزاعي: فحدَّثت قتادة بهذا الحديث، فقال: «لا أعلم أولئك إلَّا أهل الشام».

قلت: هذا رأي قتادة في المراد بالعصابة في الحديث، وهو أحد الأقوال في المسألة.

والقول الثاني: أن المراد بهم العرب، حكاه القاضي عياض في "الإكمال" عن ابن المديني.

الثالث: أن المراد بهم أهل الجِدَّة والشَّوكة وهم أهل الجهاد، حكاه ابن الأثير في "النهاية".

الرابع: أن المراد بهم الغزاة المرابطون بثغور الشام. قاله التوربشتي.

الخامس: أنهم الأمة كلها، وهو ما يستفاد من كلام جماعة من العلماء، قال البيضاوي: «والمراد أُمَّة الإجابة».

السادس: أن المراد بهم الصوفية، حكاه المناوي في "فيض القدير" وحكاه غيره أيضًا.

السابع: أنهم أهل السُّنَّة والجماعة. قاله القاضي عياض في "الإكمال".

الثامن: أنهم أهل الحديث. نقله الترمذيُّ عن البخاريِّ، عن ابن المديني. وهو قول أحمد، والبخاريِّ، أيضًا.

التاسع: أنهم المجتهدون في الأحكام الشرعية، بناء على وجوب الاجتهاد في كل عصر، وعدم خُلوِّ الأرض من مجتهدٍ. وهو قول جماعة.

العاشر: أن هذه العصابة عامة، مفرقة بين أنواع المؤمنين، فمنهم علماء محدِّثون، ومنهم فقهاء، ومنهم زهَّاد، ومنهم مجاهدون مقاتلون، ومنهم قائمون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلى غير ذلك من أنواع الخير، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين في بلدٍ واحدٍ أو قطرٍ واحدٍ. وهذا قاله النووي في "شرح مسلم" احتمالًا.

هذه جملة الأقوال في الحديث ذكرناها استطرادًا تتميمًا للفائدة، ومن أراد الوقوف على دليل كل منها وتمحيصها وبيان المعتمد منها فليرجع إلى رسالة أخينا وأستاذنا الحافظ السيِّد أحمد في الكلام على هذا الحديث، واسمها: "الأجوبة الصارفة عن إشكال حديث الطائفة" وهي مفيدة.

الحديث الخامس عشر

قال مسلم في "صحيحه" حدَّثني زهير بن حرب: ثنا يعلى بن منصور: ثنا سليمان بن بلال: ثنا سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة: أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لا تقوم الساعة حتى تنزل الروم بالأعماق -أو بدَابِقَ- فيخرج إليهم جيشٌ مِن المدينة مِن خِيَارِ أهل الأرض يومئذٍ، فإذا تصافُّوا قالت**

الرُّوم: خلُّوا بيننا وبين الذين سَبَوْا مِنَّا نُقاتلهم، فيقول المسلمون: لا، والله لا نُخَلِّي بينكم و بين إخواننا، فيقاتلونهم فيُهزمُ ثلثٌ لا يتوبُ اللهُ عليهم أبدًا، ويُقتل الثلث هم أفضل الشهداء عند الله، ويفتَتِحُ الثلث لا يُفتنون أبدًا فيفتحون قُسْطَنْطِينيَّة، فبينما هم يَقتسِمون الغنائم قد علَّقوا سيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان: إنَّ المسيحَ قد خَلَفَكُم في أهليكم فيخرجون، وذلك باطلٌ، فإذا جاءوا الشَّام خرج، فبينما هم يُعِدُّون للقتال يُسَوُّون الصفوفَ إذ أقيمت الصَّلاة فينزل عيسى ابن مريم فيؤمّهم[1] فإذا رآه عدوُّ الله ذابَ كما يذوبُ المِلْحُ في الماء، فلو تركه لذاب حتَّى يَهْلِكَ، ولكن يقتله اللهُ بيده فيريهم دمَهُ في حَرْبَتِهِ».

الحديث السادس عشر

أخرج أبو داود الطيالسي في "مسنده" قال: حدَّثنا موسى بن مطير، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «لم يُسلَّط على قتل الدَّجَّال إلَّا عيسى ابن مريم».

الحديث السابع عشر

أخرج البزَّار، عن أبي هريرة قال: سمعت أبا القاسم الصَّادق المصدوق صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «يخرج الأَعْورُ الدَّجَّال مسيح الضَّلالة قِبَل المشرق في زمن اختلافٍ مِن النَّاس وفُرْقةٍ، فيبلغُ ما شاء الله أن يبلغَ مِن الأرض في أربعين يومًا الله أعلم ما مقدارها، فيلقى المؤمنون شِدَّةً شديدةً، ثم ينزل

---

(١) أي يقصدهم.

عيسى ابن مريم عليه السَّلام مِن السماء فيؤمُّ الناسَ، فإذا رفع رأسه من ركعته قال: سمع الله لمن حمده قتل الله المسيح الدَّجَّال وظهر المسلمون». فأحلف أن رسول الله أبا القاسم الصَّادق المصدوق صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنه لحقٌّ وأما أنه قريبٌ فكلُّ ما هو آتٍ قريبٌ**».

قال الحافظ الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح غير علي بن المنذر، وهو ثقة».

ورواه ابن حِبَّان في "صحيحه"، من طريق آخر فقال: أخبرنا أبو يعلىٰ: ثنا أبو خيثمة: ثنا يونس بن محمد: ثنا صالح بن عمر: ثنا عاصم بن كليب، عن أبيه قال: سمعت أبا هريرة يقول: أحدِّثكم ما سمعتُ من رسول الله الصادق المصدوق: حدَّثنا رسول الله أبو القاسم الصادق المصدوق صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ الأعورَ الدَّجَّال مسيح الضَّلالة يخرج مِن قِبَل المشرق في زمان اختلافٍ من الناس وفُرْقَةٍ، فيبلغُ ما يشاء الله مِن الأرض في أربعين يومًا الله أعلم ما مقدارها، ويُنزل الله عيسى ابن مريم فيؤمُّهم، فإذا رفع رأسه من الركعة قال: سمع الله لمن حمده، قَتل الله الدَّجَّال وأظهر المؤمنين**».

قال أبو حاتم: «قوله في هذا الخبر: «فيؤمُّهم» أراد به فيأمرهم بالإمامة إذ العرب تنسب الفعل إلىٰ الآمر كما تنسبه إلىٰ الفاعل كما ذكرنا في غير موضعٍ من كُتُبِنا».اهـ

قلت: تأوَّل ابن حِبَّان هذا التأويل ليجمع هذا الحديث والأحاديث الأخرىٰ التي تصرح بأن عيسىٰ عليه السَّلام يأتم بإمام المسلمين عقب نزوله من السماء، وهو تأويل حسن تؤيده قواعد اللغة العربية.

لكن بقي في الحديث ما يحتاج إلىٰ جواب ولم يتعرَّض له ابن حِبَّان، ذلك

أن هذا الحديث يفيد أن قتل الدَّجَّال يحدث وعيسىٰ ابن مريم في صلاةٍ، مع أن الأحاديث الأخرىٰ التي ذكرت أن عيسىٰ يقتل الدَّجَّال بباب لُدٍّ أو قريب منه لم تذكر أن ذلك يكون أثناء الصَّلاة، فكيف الجمع بين هذه وذاك؟

والجواب علىٰ ذلك سهلٌ بتسهيل الله غيرأنه يتوقَّف علىٰ مقدِّمة، وهي أن الذي دلَّت عليه الأحاديث أن عيسىٰ عليه السلام يُصلِّي أول صلاة بعد نزوله من السماء -وهي صلاة الصبح- مؤتمًّا بإمام المسلمين إظهارًا لكرامة هذه الأمة وفضلها.

ثم بعد ذلك يتقلَّد عيسىٰ عليه السلام مقاليد الأمور، ويصير خليفة المسلمين يحكم فيهم بشريعة نبيِّهم سيِّدنا محمَّدٍ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وتجمع له الصلاة، أي يصير هو الإمام فيها مع قيامه بأعباء الإمامة العظمىٰ، ومن هنا تعلم أن قوله في هذا الحديث: «فيؤمُّهم» هو علىٰ ظاهره؛ لأن هذه الصَّلاة ليست صلاة الصبح التي يكون عيسىٰ عليه السلام مؤتمًّا فيها، بل هي صلاة غيرها، فهو إمام فيها، ولا شك أن ممَّا شرعه الله لهذه الأمَّة في جهادها مع العدوِّ صلاة الخوف، وهي ثابتة بالكتاب والسُّنَّة، ولها سبع عشرة صفة ذكرها الحافظ العراقي في "شرح الترمذيِّ" لكن أصولها ست صفات كما قال ابن القيم في "الهدىٰ"، واعتمده الحافظ في "الفتح".

إذا تقرَّر هذا فالحديث محمول علىٰ أن عيسىٰ عليه السلام يؤمُّ المسلمين في صلاة خوفٍ، وهم يقاتلون الدَّجَّال ومن معه، فإذا رفع عيسىٰ عليه السلام رأسه من الركوع أمكنته الفرصة مِن العدوِّ فيحمل علىٰ الدَّجَّال فيقتله.

ومباشرة الأعمال الواجبة الضرورية لا تمنع منها الصَّلاة كما هو معروف،

وهذا معنىٰ قوله: «وينزل الله عيسىٰ ابن مريم فيؤمُّهم، فإذا رفع رأسه من الركوع قال: سمع الله لمن حمده، قتل الله المسيح الدَّجَّال -أي علىٰ يد عيسىٰ عليه السلام- وإسناد القتل إلىٰ الله من باب قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] فبهذا التأويل يتضح المعنىٰ ويكون الحديث متفقا مع غيره من الأحاديث متمشيًا مع قواعد الشريعة الغرَّاء.

الحديث الثامن عشر

أخرج أبو يعلىٰ، عن أبي هريرة: سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**والذي نفس أبي القاسم بيده لينزلنَّ عيسى ابن مريم إمامًا مُقْسِطًا وحَكَمًا عَدْلًا، فليكسرنَّ الصَّليب، وليقتلنَّ الخنزير، وليصلحنَّ ذات البَيْن، وليُذهبنَّ الشحناء، وليعرضن المال فلا يقبله أحدٌ، ثم لئن قام على قبري فقال: يا محمَّد لأجبتُه**». قال الحافظ الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح».اهـ

الحديث التاسع عشر

أخرج أبو الشيخ ابن حيان في كتاب "الفتن"، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الدَّجَّال ويَمْكُثُ أربعين عامًا يعمل فيهم بكتاب الله تعالى وسُنَّتي، ويموت ويستخلفون بأمر عيسى رجلًا من تميم يقال له المقعد لم يأتِ على الناس ثلاث سنين حتى يرفع القرآن من صدور الرجال ومصاحفهم**».

فصل
حديث حُذيفة بن أَسِيد
الحديث العشرون

رواه أحمد، ومسلم، وأصحاب السُّنن، من طريق فرات القزَّاز، عن أبي الطُّفيل -وهو صحابي- عن حذيفة بن أَسِيد الغِفاريِّ ويكنىٰ أبا سَريحة -بفتح المهملة- قال: اطَّلع النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علينا ونحن نتذاكر فقال:«**ما تذاكرون؟**» قالوا نذكر الساعة، فقال: «**إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آياتٍ**» فذكر: «**الدُّخَان، والدَّجَّال، وطلوع الشمس مِن مغربها، ونزول عيسى ابن مريم عليه السَّلام، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خُسُوفٍ: خَسْفٌ بالمشرق، وخَسْفٌ بالمغرب، وخَسْفٌ بجزيرة العرب. وآخر ذلك نارٌ تخرج من اليمن تطرد النَّاسَ إلى مَحْشَرِهم**».

رواه مسلم أيضًا من طريق عبدالعزيز بن رفيع، عن أبي الطُّفيل، عن أبي سَريحة حذيفة بن أَسِيد به موقوفًا، وهو لا يضر كما لا يخفىٰ.

ورواه ابن حِبَّان في "صحيحه" من طريق سفيان بن عيينة، عن فُرات القزَّاز: أنه سمع أبا الطُّفيل يحدِّث عن أبي سَريحة حذيفة بن أسيد قال: أشرف علينا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ونحن نتذاكر فقال: «**ما كنتم تتذاكرون؟**» قلنا: كنا نتذاكر الساعة. فقال: «**إنها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آياتٍ: الدَّجَّال، والدُّخَان، وعيسى ابن مريم، ويأجوج ومأجوج، والدَّابَّة، وطلوع الشمس مِن مغربها، وثلاثة خُسُوفٍ: خَسْفٌ بالمشرق، وخَسْفٌ بالمغرب، وخَسْفٌ بجزيرة العرب. وآخر ذلك نارٌ تخرج من قعر عَدَنٍ، أو عَدَنٍ أو اليمن، تَطْرُدُ النَّاسَ إلى المَحْشَرِ**».

فصل
حديث النوَّاس بن سَمْعَان
الحديث الحادي والعشرون

رواه أحمد، ومسلم، وأصحاب السُّنن الأربعة من طريق عبدالرحمن بن يزيد بن جابر: حدَّثني يحيىٰ بن جابر الطائي قاضي حِمص: حدَّثني عبدالرحمن بن جُبير، عن أبيه جُبير بن نُفير الحضرمي: أنه سمع النوَّاس بن سَمْعَان الكِلابي يقول: ذكر رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم الدَّجَّال ذات غداةٍ فخفض فيه ورفع، حتىٰ ظنناه في طائفة النخل، فلما رحنا إليه، عرف ذلك فينا فقال: «**ما شأنكم؟**» قلنا: يا رسول الله، ذكرت الدَّجَّال غداة فخفضت فيه ورفعت حتىٰ ظنناه في طائفة النخل، فقال: «**غير الدَّجَّال أخوفني عليكم إن يخرج وأنا فيكم فأنا حَجِيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حَجِيج نفْسِه، والله خليفتي على كلِّ مسلمٍ، إنه شابٌّ قَطَطٌ عينُه طافئة، كأني أُشبِّهه بعبدالعزَّى بن قَطَنٍ، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح (سورة الكهف) إنه خارجٌ خَلَّةً بين الشام والعراق، فعاث يمينًا وعاث شمالًا، يا عباد الله فاثبتوا**».

قلنا يا رسول الله: وما لَبْثُهُ في الأرض؟ قال: «**أربعون يومًا، يومٌ كسَنَةٍ ويومٌ كشهرٍ ويومٌ كجُمُعةٍ، وسائر أيَّامه كأيَّامكم**». قلنا: يا رسول الله، فذلك اليوم الذي كَسَنَةٍ أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: «**لا، اقْدُروا له قَدْره**». قلنا: يا رسول الله، وما إسراعه في الأرض؟ قال: «**كالغيث استَدْبَرتْه الريح، فيأتي على القوم فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتُمطِرُ والأرض فتُنبِتُ، فتروح عليهم سَارِحَتُهم أطول ما كانت ذُرًا، وأَسْبَغه ضُروعًا وأَمَدَّه خواصر، ثم يأتي**

القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم فيُصبحون مُمْحِلين ليس بأيديهم شيءٌ من أموالهم، ويَمَرُّ بالخَرِبة فيقول لها: أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيَعَاسِيب النَّحْل، ثم يدعو رجلًا ممتلئًا شبابًا فيضربه بالسيف فيقطعه جَزْلَتين رَمْيَة الغَرَضْ، ثُمَّ يدعوه فيقبل ويتهلَّل وجهه يضحك، فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مَهْرُودَتين واضعًا كفَّيه على أجنحة مَلَكين، إذا طَأْطَأ رأسه قَطَرَ، وإذا رفعه تحدَّر منه جُمَانٌ كاللؤلؤ، فلا يَحِلُّ لكافرٍ يجد ريح نَفَسِهِ إلَّا مات، ونَفَسُهُ ينتهي حيث ينتهي طَرْفُه، فيطلبه حتى يدركه بباب لُدٍّ فيقتله، ثُمَّ يأتي عيسى ابن مريم قومٌ قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدِّثهم بدرجاتهم في الجنَّة، فبينما هو كذلك إذا أوحى الله إلي عيسى إني أخرجت عبادًا لي لا يَدَانِ لأحد بقتالهم، فحَرِّز عبادي إلى الطُّور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم مِن كلِّ حَدَبٍ يَنْسِلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طَبَرِيَّة فيشربون ما فيها ويمرُّ آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء، ويُحصَر نبيُّ الله عيسى وأصحابه حتي يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبيُّ الله عيسى وأصحابه، فيرسل الله عليهم النَّغَفَ في رقابهم، فيصبحون فَرْسَى كموت نَفْسٍ واحدة، ثم يهبط نبيُّ الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلَّا ملأه زَهَمُهم ونَتنهم، فيرغب نبيُّ الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيرًا كأعناق البُخْتِ فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطرًا لا يَكُنُّ منه بيت مَدَرٍ ولا وَبَرٍ فيغسل الأرض حتى يتركها كالزَّلَفَة، ثم يقال للأرض: أنبتي ثمراتك وردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة مِن الرمَّانة،

ويستظلُّون بقِحْفِها، ويبارك في الرِّسْل حتى أنَّ اللِّقْحَة من الإبل لتكفي الفِئام مِن الناس، واللِّقْحَة مِن البَقَر لتكفي القبيلة من الناس، واللِّقْحَة مِن الغَنَم لتكفي الفَخْذَ مِن الناس، فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحًا طيِّبَةً فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمنٍ وكل مسلمٍ، ويبقى شرار الناس يَتَهارَجُون فيها تَهارُجَ الحُمُر فعليهم تقوم الساعة.

فصل

حديث عبدالله بن عمرو

الحديث الثاني والعشرون

رواه مسلم في "صحيحه" من طريق معاذ العنبري، عن شعبة، عن النعمان بن سالم قال: سمعت يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي يقول: سمعت عبدالله بن عمرو، وجاءه رجل فقال: ما هذا الحديث الذي تُحدِّث به تقول: إنَّ الساعة تقوم إلى كذا وكذا؟! فقال: سبحان الله -أو لا إله إلا الله، أو كلمة نحوهما- لقد هممت أن لا أُحدِّث أحدًا شيئًا أبدًا، إنما قلت: إنكم بعد قليل سترون أمرًا عظيمًا، يحرق البيت، ويكون ويكون، ثم قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يخرج الدَّجَّال في أمتي فيَمْكُثُ أربعين** - لا أدري أربعين يومًا أو أربعين شهرًا أو أربعين عامًا- **فيبعث الله عيسى ابن مريم كأنه عُرْوة بن مسعود فيطلبه فيُهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين**[1]

---

(١) اعتمد بعضهم ظاهر هذه الرواية فقال: إنَّ عيسى يمكث بعد نزوله سبع سنين ولكن الصحيح أنه يقعد أربعين سنة كما في أحاديث أخرى صحيحة، أمَّا هذا الحديث

ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحًا باردة مِن قِبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحدٌ في قلبه مثقال ذرَّةٍ من خيرٍ أو إيمان إلَّا قبضته، حتى لو أنَّ أحدكم دخل في كبد جبلٍ لدخلته عليه حتى تقبضه».

قال: سمعتها من رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، قال: «فيبقى شِرار النَّاسِ في خِفَّة الطير وأحلام السِّباع، لا يعرفون معروفًا ولا يُنكرون منكرًا فيتمثَّل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبون؟ فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم في ذلك دَارٌ رزقهم، حَسَنٌ عَيْشُهم، ثُمَّ يُنفخ في الصِّور فلا يسمعه أحدٌ إلَّا أصغى ليتًا ورفع ليتًا»، قال: «وأول من يسمعه رجلٌ يَلُوُط حوضَ إبله»، قال: «فيصعق ويصعق الناس، ثم يرسل الله»، أو قال: «يُنزل الله مطرًا كأنه الطلُّ أو الظلُّ -نعمان الشَّاكُّ- فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون، ثم يقال: يا أيها الناس هلمَّ إلى ربِّكم، وقفوهم إنهم مسئولون، قال: ثم يقال: أخرجوا بَعْثَ النَّارِ، فيقال: مِن كم؟ فيقال: مِن كلِّ ألفٍ تسعمائة وتسعة وتسعين»، قال: «فذاك يوم يجعل الوِلْدان شِيبًا، وذلك يوم يُكشَفُ عن ساقٍ». ورواه مسلم، والنَّسائيُّ في "تفسيره"، عن محمَّد بن بَشَّار، عن غُنْدَرٍ، عن شعبة، عن النعمان بن سالم به.

ورواه الحاكم من طريق محمد بن جعفر -هو غُنْدَرٌ-: ثنا شعبة، عن النعمان بن سالم به نحوه. وقال: «صحيح على شرط الشيخين».

فيشير إلى أنَّ السنين السبع الأولى عقب نزوله تكون أحسن مما بعدها -وإن كانت كل أيامه حسنة- بدليل قوله ليس بين اثنين عداوة، وليس قوله: «ثُمَّ يُرسل الله ريحًا...» إلخ. بمناف لما قلنا لأن «ثُمَّ» للترتيب مع التراخي.

الحديث الثالث والعشرون

أخرج الحاكم، وابن عساكر، عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**كيف تهلك أمة أنا أولها وعيسى ابن مريم آخرها؟!**».

فصل

حديث جابر بن عبدالله

الحديث الرابع والعشرون

قال مسلم في "صحيحه": حدَّثنا الوليد بن شجاع وهارون بن عبدالله، وحجَّاج بن الشاعر قالوا: ثنا حجَّاج -وهو ابن محمد- عن ابن جريج قال: أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبدالله يقول: سمعت النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**لا تزال طائفةٌ مِن أمَّتي يقاتلون على الحقِّ ظاهرين إلى يوم القيامة**»، قال: «**فينزل عيسى ابن مريم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فيقول أميرهم: تعال صلِّ لنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة**».

ورواه ابن حِبَّان في "صحيحه" قال: أخبرنا محمد بن المنذر بن سعيد: ثنا يوسف بن سعيد بن مسلم: ثنا حجَّاج عن ابن جريج به.

الحديث الخامس والعشرون

وأخرج أبو يعلى، عن جابر قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لا تزال أمتي ظاهرين على الحق حتى ينزل عيسى ابن مريم، فيقول إمامهم: تقدَّم. فيقول: أنت أحق، بعضكم أمراء على بعض، أمرٌ أكرم به هذه الأمَّة**».

الحديث السادس والعشرون

وأخرج أبو نعيم في "أخبار المهدي" عن جابر أيضًا مرفوعًا: «ينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم المهديُّ: تعال صلِّ بنا. فيقول: ألَا وإنَّ بعضكم على بعضٍ أمراء، تكرمة الله لهذه الأمة».

الحديث السابع والعشرون

وأخرج أبو عمرو الداني في "سننه" عنه أيضًا قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «لا تزال طائفةٌ مِن أمَّتي تُقاتل على الحقِّ حتى ينزل عيسى ابن مريم عند طلوع الفجر ببيت المقدس، ينزل على المهديِّ فيقال: تقدَّم يا نبيَّ الله فصلِّ بنا. فيقول: هذه الأمَّة أمراء بعضهم على بعض».

الحديث الثامن والعشرون

وأخرج أحمد بإسنادين عن جابر قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «يخرج الدَّجَّال في خَفْقَةٍ من الدِّين وإدبارٍ مِن العِلْم، وله أربعون ليلة يسيحها في الأرض، اليوم منها كالسَّنَة، واليوم منها كالشهر، واليوم منها كالجمعة، ثُمَّ سائر أيامه كأيامكم هذه وله حِمارٌ يركبه...».

وذكر الحديث في صفة الدَّجَّال إلى أن قال: «فيفرُّ الناسُ إلى جبل الدُّخَان بالشام فيحاصرهم فيشتدُّ حِصارهم ويُجْهِدُهم جَهْدًا شديدًا، ثُمَّ ينزل عيسى عليه السَّلام فينادي مِن السَّحَر، فيقول: يا أيها الناس ما يمنعكم أن تخرجوا إلى هذا الكذَّاب الخبيث فيقولون: هذا رجلٌ جِنِّيٌّ، فينطلقون فإذا هم بعيسى عليه السَّلام فتقام الصَّلاة فيقال له: تقدَّم يا روح الله. فيقول: ليتقدَّم إمامكم

فيصلِّي بكم. فإذا صلَّى صلاة الصبح خرج إليه». قال: «فحين يراه الكذَّاب يَنْمَاثُ كما يَنْمَاثُ المِلح في الماء، فيمشي إليه فيقتله حتى أنَّ الشَّجَرَ والحَجَرَ يُنادي: هذا يهوديٌّ. فلا يترك ممن كان يتبعه أحدٌ إلَّا قتله».

قال الحافظ الهيثمي: «رجال أحد الإسنادين رجال الصحيح». قلت: وصحَّحه ابن خزيمة أيضًا.

الحديث التاسع والعشرون

وأخرج الإمام أحمد أيضًا، عن جابر قال: إنَّ امرأة من اليهود بالمدينة ولدت غلامًا مَمْسُوحةٌ عينه طالعةٌ ناتِئَـةٌ، فأشفق رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أن يكون هو الدَّجَّال... وذكر حديث ابن صائد وتردُّد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في شأنه، وفي آخره: فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: ائذن لي يا رسول الله، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «إن يكن هو فلستَ صاحبه، إنما صاحبه عيسى ابن مريم، وإلَّا يكن هو فليس لك أن تقتل رجلًا من أهل العهد».

قال الحافظ الهيثمي: «رجال إسناده رجال الصحيح».

قلت: هذا الحديث ونحوه محمول على أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم تردَّد في ابن صائد قبل أن يعلمه الله أنَّ الدَّجَّال لا يدخل المدينة ولا مكة كما جاء في أحاديث كثيرة، ولا شك أنَّ ابن صائد ولد بالمدينة وأسلم وذهب إلى مكة حاجًّا، صحبة أبي سعيد الخدري وغيره من الصحابة، وهذه أوصاف لا توجد في الدَّجَّال قطعًا.

فصل
حديث مُجَمِّع بن جارية
الحديث الثلاثون

أخرجه الإمام أحمد قال: أخبرنا عبدالرزاق: أخبرنا مَعْمَرٌ، عن الزهريِّ، عن عبدالله بن عبد الله بن ثعلبة الأنصاري، عن عبدالله بن يزيد، عن مُجَمِّعِ بن جارية قال: سمعت رسول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**يقتل ابن مريم المسيح الدَّجَّال بباب لُدٍّ أو إلى جانب لُدٍّ**».

ورواه أحمد أيضًا عن سفيان، ومن حديث الليث، والأوزاعي، ثلاثتهم عن الزهري، عن عبدالله بن عبدالله بن ثعلبة، عن عبدالرحمن بن يزيد، عن مُجَمِّع بن جارية، عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**يقتل ابن مريم الدَّجَّال بباب لُدٍّ**».

ورواه الترمذيُّ، عن قتيبة، عن الليث، عن الزهري به، وقال: «هذا حديث صحيح». قال: «وفي الباب عن عِمران بن حُصين، ونافع بن عتبة، وأبي بَرْزَة، وحذيفة بن أَسِيد، وأبي هريرة، وكَيْسان، وعثمان بن أبي العاص، وجابر، وأبي أمامة، وابن مسعود، وعبدالله بن عمرو، وسَمُرَة بن جُندُب، والنوَّاس بن سَمْعَان، وعمرو بن عوف، وحذيفة بن اليمان رضى الله عنهم».اهـ كلامه.

قال الحافظ ابن كثير: «ومراده برواية هؤلاء ما فيه ذكر الدَّجَّال وقتل عيسىٰ ابن مريم عليه السَّلام له، فأمَّا أحاديث ذكر الدَّجَّال فقط فكثيرة جدًّا وهي أكثر مِن أن تُحصىٰ؛ لانتشارها وكثرة رواتها في الصِّحَاح والحِسَان والمسانيد وغير ذلك».اهـ

فصل
حديث أبي أمامة
الحديث الحادي والثلاثون

أخرجه ابن ماجه في "سننه" قال: حدَّثنا علي بن محمد: ثنا عبدالرحمن المحاربي، عن إسماعيل بن رافع أبي رافع، عن أبي زرعة السَّيْبَانيِّ يحيىٰ بن أبي عمرو، عن أبي أُمامة قال: خَطَبَنا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فكان أكثر خُطْبَتِه حديثًا حدَّثَناه عن الدَّجَّال وحذَّرَناه، فكان مِن قوله أن قال: «**إنه لم تكن فتنةٌ في الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم عليه السَّلام أعظم مِن فتنة الدَّجَّال، وإنَّ الله لم يبعث نبيًّا إلَّا حذَّر أمَّتَه الدَّجَّال، وأنا آخر الأنبياء وأنتم آخر الأُمَم، وهو خارجٌ فيكم لا محالة، فإن يخرج وأنا بين ظهرانيكم فأنا حَجِيجٌ لكلِّ مسلمٍ، وإن يخرج من بعدي فكلٌّ حَجِيجُ نَفْسِهِ، وإنَّ الله خليفتي على كلِّ مسلمٍ، إنه يخرج مِن خَلَّةٍ بين الشام والعراق، فيَعِيثُ يمينًا ويعِيثُ شمالًا، ألا يا عباد الله أيها الناس فاثبتوا، وإني سأصفه لكم صفةً لم يصفها إيَّاه نبيٌّ قبلي، إنه يبدأ فيقول: «أنا نبيٌّ»، فلا نبيَّ بعدي، ثم يُثنِّي فيقول: «أنا ربُّكم»، ولا ترون ربَّكم حتى تموتوا، وإنه أَعْوَرُ وإنَّ ربَّكم عزَّ وجلَّ ليس بأَعْوَرَ، وإنه مكتوبٌ بين عينيه: «كافر» يقرأه كلُّ مؤمنٍ كاتبٍ أو غير كاتبٍ، وإنَّ مِن فتنته أنَّ معه جنَّةً ونارًا، فناره جنَّـةٌ وجنَّته نارٌ**».

وذكر حديثًا طويلًا في أحوال الدَّجَّال وأعماله جاء فيه: فقالت أمُّ شريكٍ بنت أبي العُكَر: يا رسول الله، فأين العربُ يومئذٍ؟! قال: «**هم قليلٌ، وجُلُّهم يومئذٍ ببيت المقدس، وإمامهم رجلٌ صالحٌ بينما إمامهم قد تقدَّم يُصلِّي بهم الصبح إذ**

نزل عليهم عيسى ابن مريم عليه السَّلام، فرجع ذلك الإمام يمشي القَهْقَرَى ليتقدَّم عيسى عليه السلام، فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول: «تقدم فَصَلِّ فإنها لك أُقيمت»، فيصلِّي بهم إمامهم فإذا انصرف قال عيسى: افتحوا الباب فيفتح الباب - ووراءه الدَّجَّال معه سبعون ألف يهوديٍّ كلهم ذو سيفٍ مُحلًّى وساجٍ- فإذا نظر إليه الدَّجَّال ذاب كما يذوب المِلح في الماء وينطلق هاربًا، فيقول عيسى: «إنَّ لي فيك ضربةً لن تسبقني بها»، فيدركه عند باب اللُّدِّ الشرقي فيقتله، ويهزم الله اليهود فلا يبقى شيءٌ ممَّا خلق الله تعالى يتوارى به يهوديٌّ إلَّا أنطق الله ذلك الشيء لا حَجَر ولا شَجَر ولا حائط ولا دابَّة -إلا الغرقدة فإنها من شجرهم لا تنطق- إلَّا قال: «يا عبدالله المسلم، هذا يهوديٌّ فتعال اقتله».

وذكر بقية الحديث فيما يحصل في زمن عيسىٰ عليه السلام من انتشار الأمن والسلم وظهور البركة في الأقوات والأرزاق علىٰ نحو ما جاء في الأحاديث الأخرىٰ.

قال ابن ماجه بعد روايته: «سمعت أبا الحسن الطَّنَافسي يقول: سمعت عبدالرحمن المُحاربي يقول: ينبغي أن يدفعَ هذا الحديث إلىٰ المؤدِّب حتىٰ يُعلِّمَه الصِّبيان في الكُتَّاب».

ورواه أبو داود في «الملاحم» مِن "سننه"، عن عيسىٰ بن محمد، عن ضمرة، عن يحيىٰ بن أبي عمرو الشيباني، عن عمرو بن عبدالله الحضرمي أبي عبدالجبار الشامي عن أبي أُمامة به نحوه.

فصل
حديث عثمان بن أبي العاص
الحديث الثاني والثلاثون

أخرجه الإمام أحمد، والطبرانيُّ من طريق علي بن زيدٍ، عن أبي نَضْرة قال: أتينا عثمان بن أبي العاص في يوم جُمُعةٍ لنعرض عليه مصحفًا لنا على مصحفه، فلما حضرت الجُمُعة أمرنا فاغتسلنا، ثُمَّ أتينا بطِيب فتطَيَّبنا، ثُمَّ جئنا المسجد فجلسنا فقال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «يكون للمسلمين ثلاثة أمصارٍ، مِصْرٌ بملتقى البحرين، ومِصْرٌ بالحِيرة، ومِصْرٌ بالشام، فيفزع الناس ثلاث فزعاتٍ، فيخرج الدَّجَّال في أعراض الناس، فيهزم مِن قِبل المشرق فأول مِصْرٍ يَرِدُ المِصْرَ الذي بملتقى البحرين فيصير أهله ثلاث فِرَقٍ فرقة تبقى تقول: نُشامُّه وننظر ما هو، وفرقة تلحق بالأعراب، وفرقة تلحق بالمصر الذي يليهم، ومع الدَّجَّال سبعون ألفًا عليهم السِّيجان وأكثر تبعه اليهود والنِّساء، ثم يأتي المصر الذي يليهم، فيصير أهله ثلاث فِرَقٍ، فرقة تقول: نُشَامُّه وننظر ما هو، وفرقة تلحق بالأعراب، وفرقة تلحق بالمصر الذي يليهم بغربي الشام وينحاز المسلمون إلى عَقَبة أَفِيق فيبعثون سَرْحًا لهم فيُصاب سَرْحُهُم، فيشتدُّ ذلك عليهم وتُصيبهم مجاعةٌ شديدةٌ وجَهْدٌ شديدٌ، حتى أنَّ أحدهم ليحرق وَتَرَ قوسه فيأكله، فبينما هم كذلك إذ نادى منادٍ مِن السَّحَر: «يا أيها الناس، أتاكم الغوثُ» -ثلاثًا- فيقول بعضهم لبعض: «إنَّ هذا لصوت رجلٍ شبعان»، وينزل عيسى ابن مريم عليه السَّلام عند صلاة الفجر فيقول له أميرهم: «يا رُوح الله، تقدَّم فصلِّ»، فيقول: «هذه الأمَّة أمراء بعضهم على

بعض» فيتقدَّم أميرهم فيصلِّي، فإذا صلَّى به، أخذ عيسى عليه السَّلام حَرْبته فيذهب نحو الدَّجَّال، فإذا رآه الدَّجَّال ذاب كما يذوب الرَّصاص، فيضع حربته بين ثَنْدُوَتِهِ فيقتله، وينهزم أصحابه فليس شيءٌ يومئذٍ يُواري منهم أحدًا حتى أنَّ الشجرة لتقول: يا مؤمن هذا كافرٌ».

قال الحافظ الهيثمي: «عليُّ بن زيدٍ فيه ضعفٌ وقد وُثِّق، وبقية رجال أحمد والطبرانيِّ رجال الصحيح».اهـ

ورواه الحاكم، من طريق سعيد بن هُبَيرة، عن حماد بن زيد، عن أيوب السختياني وعلي بن زيد بن جُدْعان، عن أبي نَضْرة به.

وأعلَّه الذهبي بأن ابن هُبَيرة رواه، ثم رواه الحاكم من طريق عفان بن مسلم، عن حمَّاد بن زيدٍ، عن عليِّ بن زيد بن جُدْعان، عن أبي نَضْرَة به. فقال الذهبيُّ: «هذا هو المحفوظ».اهـ قلت: يعني الذهبيَّ أنَّ المحفوظ رواية مَن روىٰ الحديث مِن طريق عليِّ بن زيدٍ وحده ليس معه أيوب السختياني، فالحديث حسنٌ.

فصل

حديث واثلة بن الأسقع

الحديث الثالث والثلاثون

أخرجه الحاكم قال: أخبرني أبو زكريا يحيىٰ بن محمد العنبري: حدَّثنا أبو عبدالله محمد بن إبراهيم العبدي: ثنا عمران بن أبي عمران الصوفي: ثنا صدقة بن المنتصر: ثنا يحيىٰ بن أبي عمرو الشيباني، عن عمرو بن عبدالله الحضرمي: حدَّثني واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «لا تقوم الساعة حتى تكون عشر آياتٍ: خَسْفٌ بالمشرق،

وخَسْفٌ بالمغرب، وخَسْفٌ في جزيرة العرب، والدَّجَّال، والدُّخَان، ونزول عيسى ابن مريم، ويَأْجُوجُ ومَأْجُوجُ، والدَّابَّة، وطلوع الشمس مِن مغربها، ونارٌ تخرج مِن قَعْرِ عَدَنٍ تسوق الناس إلى المَحْشر تحشر الناس تَسُوق الذرَّ والنَّمْل».

قال الحاكم: «حديث صحيح الإسناد». وأقرَّه الذهبيُّ، وعزاه الحافظ الهيثمي إلى الطبراني، وقال: «في سنده عمران بن هارون وهو ضعيف».اهـ

قلت: عمران بن هارون هو عمران بن أبي عمران الصوفي المقدسي الرملي، يكنى أبا موسى، قال أبو زرعة: «صدوق»، وقال ابن يونس في "تاريخ الغرباء الذين دخلوا مصر" بعد إذ ذكر روايته عن الليث وابن لَهيعة وابن وهبٍ وغيرهم: «في حديثه لين».اهـ وذكره ابن حِبَّان في "الثقات" وقال: «يخطئ ويخالف».اهـ

وحديث حذيفة ابن أَسيد في "صحيح مسلم" يشهد لهذا الحديث في اللفظ والمعنى كما يعلم من الموازنة بينهما، ولذا أقرَّ الذهبيُّ الحاكم على تصحيحه، وليس عِمران ضعيفًا كما أطلق الحافظ الهيثمي، بل هو صدوق فيه لين أي ضعف خفيف، إذ اللين في الاصطلاح معناه ذلك، وهذا هو شرط الحسن، والله أعلم.

فصل
حديث عبدالله بن مسعود
الحديث الرابع والثلاثون

أخرجه الإمام أحمد قال: حدَّثنا هُشَيمٌ، عن العوَّام بن حَوْشَبٍ، عن جَبَلَة بن سُحَيْمٍ، عن مؤْثِر بن عَفَازة، عن ابن مسعود رضي الله عنه، عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لَقيتُ ليلة أُسريَ بي، إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السَّلام، فتذاكروا أمر السَّاعة فردُّوا أمرهم إلى إبراهيم فقال: لا عِلْمَ لي**

بها، فردُّوا أمرهم إلى موسى فقال: لا عِلْمَ لي بها، فردُّوا أمرهم إلى عيسى فقال: أمَّا وَجْبَتُها فلا يعلم بها أحدٌ إلَّا الله، وفيما عَهِدَ إليَّ ربِّي عزَّ وجلَّ أنَّ الدَّجَّال خارجٌ، ومعي قَضِيبان فإذا رآني ذابَ كما يذوبُ الرَّصَاص، قال: فيهلِكُه الله إذا رآني، حتى إنَّ الحَجَر والشَّجَر يقول: يا مسلم، إنَّ تحتي كافرًا فتعال فاقتله. قال: فيهلِكُهم اللهُ، ثُمَّ يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم، فعند ذلك يخرج يَأْجُوجُ ومَأْجُوجُ وهم مِن كلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُون، فيطئون بلادهم فلا يأتون على شيءٍ إلَّا أهلكوه، ولا يمرُّون على ماءٍ إلَّا شربوه. قال: ثُمَّ يرجع الناس يشكونهم فأدعوا الله فيهلِكُهم ويُميتُهم، حتى تَجْوى الأرض مِن نَتْنِ رِيحهم، وينزل الله المطر فيجترف أجسادهم حتى يقذفهم في البحر، ففيما عَهِدَ إليَّ ربِّي عزَّ وجلَّ أنَّ ذلك إذا كان كذلك أنَّ الساعة كالحامل المُتمِّ، لا يدري أهلها متى تفاجئهم بولادتها ليلًا أو نهارًا».

ورواه بن ماجه، عن محمد بن بشَّار، عن يزيد بن هارون، عن العَوَّام بن حَوْشبٍ به.

ورواه الحاكم، من طريق يزيد بن هارون أيضًا، عن العَوَّام بن حَوْشَبٍ: حدَّثني جَبَلَة بن سُحَيمٍ، عن مُؤْثِر بن عَفَازة، عن ابن مسعود، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم به نحوه. إلَّا أنه قال: «إنَّ الدَّجَّال خارجٌ، فأهبط فأقتله...» وذكر الحديث.

وهذه الرواية تُفسِّر رواية أحمد التي فيها: «فيهلكه الله إذا رآني». والمعنى: أنَّ الله يهلك الدَّجَّال بيد عيسى عليه السَّلام، وهذا نحو قوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ﴾[التوبة: ١٤] غاية ما في هذا الأمر أنَّ

رواية أحمد عبَّرت بالحقيقة؛ لأن الذي يخلق الهلاك هو الله سبحانه وتعالى، ورواية الحاكم أسندت الأمر إلى سببه العادي؛ لأن الذي يُباشر قتل الدَّجَّال ويكون سببًا في هلاكه هو عيسى عليه السَّلام، فلا تعارض بين الروايتين كما هو واضحٌ، ثُمَّ إنَّ الحديث صحَّحه الحاكم، وأقرَّه الذهبيُّ.

(تنبيه): في هذا الحديث من اللطائف: رواية النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن عيسى عليه السَّلام، وتُسمَّى هذه الرواية ومثلها برواية الأَكَابر عن الأَصَاغر، وهي فنٌّ لطيفٌ مِن فنون علم الحديث أُفرد بالتأليف.

فصل

حديث حذيفة بن اليَمان

الحديث الخامس والثلاثون

أخرجه الحاكم قال: حدَّثني أبو بكر محمد بن أحمد بن بَالَوَيْه: ثنا محمد بن شَاذَان الجوهريُّ: ثنا سعيد بن سليمان الواسِطيُّ: ثنا خَلَفُ بن خليفة الأَشْجعيُّ: ثنا أبو مالكٍ الأَشْجَعيُّ، عن أبي حازمٍ الأَشْجَعي، عن رِبْعيٍّ بن حِرَاشٍ، عن حذيفة بن اليَمان رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: **«أنا أعلم بما مع الدَّجَّال منه، معه نَهْران أحدهما نارٌ تَأَجَّجُ في عين مَن رآه، والآخر ماءٌ أبيض، فإن أدركه منكم أحد فليغمض عينه، وليشرب من الذي يراه نارًا فإنه ماءٌ باردٌ، وإياكم والآخر فإنه الفتنة، واعلموا أنه مكتوبٌ بين عينيه: «كافر» يقرأه مَن يكتب ومَن لا يكتب، وإنَّ إحدى عينيه مَمسوحةٌ، عليها ظَفَرةٌ. إنه يطلع من آخر أمره على بطن الأردن على ثنيَّة أَفِيق، وكل واحدٍ يؤمن بالله واليوم الآخر ببطن الأردن، وإنه يقتل مِن المسلمين ثلثًا ويهزم ثلثًا**

ويبقى ثلثًا، ويَجِنُّ عليهم الليل فيقول بعض المؤمنين لبعض: «ما تنتظرون أن تلحقوا بإخوانكم في مرضاة ربِّكم، مَن كان عنده فضل طعام فليعد به على أخيه، وصَلُّوا حين يَنْفِجَر الفَجْر، وعجِّلوا الصَّلاة، ثُمَّ أقبلوا على عدوِّكم». فلما قاموا يصلُّون نزل عيسى ابن مريم صلوات الله عليه أمامهم فصلَّى بهم، فلما انصرف قال: هكذا أفرجوا بيني وبين عدوّ الله».

قال أبو حازمٍ: قال أبو هريرة: «فيذوب كما تذوب الإهالة في الشمس». وقال عبدالله بن عمرو: «كما يذوب المِلح في الماء».

«وسلَّط الله عليهم المسلمين فيقتلونهم حتى أنَّ الشَّجَر والحَجَر لينادي: «يا عبدالله، يا عبدالرحمن، يا مسلم، هذا يهودي فاقتله». فيفنيهم الله ويظهر المسلمون فيكسرون الصَّلِيب، ويقتلون الخنزير، ويضعون الجِزْية، فبينما هم كذلك أخرج الله يَأْجُوجَ ومَأْجُوج فيشرب أحدهم البحيرة -أي بحيرة طَبَرِيَّة كما في أحاديث أخرىٰ- ويجيء آخرهم وقد استقوه فما يدعون فيه قطرة فيقولون: «ظهرنا على أعدائنا، قد كان ههنا أثر ماء». فيجيء نبيُّ الله وأصحابه وراءه حتى يدخلوا مدينة مِن مدائن فلسطين يقال لها «لُدٌّ» فيقولون: «ظهرنا على مَن في الأرض فتعالوا نقاتل مَن في السماء»، فيدعو اللهَ نبيهُ عند ذلك -أي عند قولهم هذا وتنفيذهم له بأن يوجهوا سهامهم إلىٰ جهة السماء كما جاء في أحاديث أخرىٰ- فيبعث الله عليهم قُرْحَةً في حُلُوقهم فلا يبقى منهم بشرٌ، فتؤذي ريحهم المسلمين، فيدعو عيسى صلوات الله عليه، فيرسل الله عليهم ريحًا -أي ومطرًا وطيرًا كما في أحاديث أخرىٰ- فتقذفهم في البحر أجمعين». قال الحاكم: «صحيح علىٰ شرط مسلم»، وسلَّمه الذهبيُّ.

قلت: قوله: «**نزل عيسى ابن مريم فصلَّى بهم**» الباء هنا بمعنىٰ: «مع» أي فصلَّىٰ معهم، ومجيء الباء بمعنىٰ «مع» كثيرة، نحو: ﴿ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا﴾[هود: ٤٨] أي مع سلام، ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾[طه: ١٣٠] أي مع حمده، والمسألة مبسوطة في كتب النحو، وإنما أوَّلناه ليتفق هذا الحديث مع الأحاديث الأخرىٰ المصرِّحة بأنَّ عيسىٰ يُصلِّي خلف إمام المسلمين صلاة الصبح عقب نزوله، والقاعدة الأصولية: «أنَّ الظاهر المحتمل -كالباء في «بهم» هنا- يؤول لموافقة النصِّ الصَّريح»، وقوله في يأجوج ومأجوج: «**فيبعث الله عليهم قُرْحَةً في حُلُوقهم**» يخالف حديث مسلم الذي يقول: «**فيرسل الله عليهم النَّغَفَ في رقابهم**»، وهو الدود الذي يكون في أنوف الإبل والغنم، ويجمع بين الحديثين بأنَّ الله يُسلِّط عليهم الدود في أعناقهم ورقابهم وهو يُحدث فيهم القرحة المذكورة.

الحديث السادس والثلاثون

أخرج نعيم بن حمَّاد، عن حذيفة قال: قلت يا رسول الله، الدَّجَّال قَبلُ أو عيسىٰ ابن مريم؟ قال: «**الدَّجَّال ثُمَّ عيسى ابن مريم، ثُمَّ لو أنَّ رجلًا نتج فرسًا لم يركب مهرها حتى تقوم الساعة**».

الحديث السابع والثلاثون

أخرج أبو عمرو الدَّاني في "سننه" عن حذيفة قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**يلتفتُ المهديُّ وقد نزل عيسى ابن مريم كأنما يَقْطُر الماء مِن شَعْره، فيقول المهديُّ: «تقدَّم صلِّ بالناس». فيقول عيسى: «إنما أقيمت الصَّلاة لك». فيصلِّي خَلْفَ رجلٍ من وَلَدي...**». الحديث.

الحديث الثامن والثلاثون

أخرج نعيم بن حمَّاد في كتاب "الفتن" عن حذيفة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «يخرج الدَّجَّال عدوُّ الله ومعه جنود مِن اليهود وأصناف الناس، معه جنَّةٌ ونارٌ، ورجال يقتلهم ثُمَّ يُحييهم، ومعه جبلٌ مِن ثَريد ونهرٌ مِن ماء، وإني سأنعتُ لكم نَعْتَه، إنه يخرج مَمْسوحَ العين، في جبهته مكتوب: «كافر» يقرأه مَن كان يحسن الكتاب ومَن لا يحسن، فجنَّته نارٌ وناره جنَّةٌ، وهو المسيح الكذَّاب، ويتبعه مِن نساء اليهود ثلاثة عشر ألف امرأة، فرحم الله رجلًا منع سفيهته أن يتبعه، والقوة عليه يومئذٍ بالقرآن فإنَّ شأنه بلاءٌ شديدٌ، يبعث الله الشياطين مِن مشارق الأرض ومغاربها فيقولون له: «استعن بنا على ما شئت».

فيقول: «نعم، انطلقوا فأخبروا الناس أني ربُّهم، وأني قد جئتهم بجنَّتي وناري، فينطلق الشياطين فيدخل على الرجل أكثر من مائة شيطان فيتمثلون له بصورة والِدِه، ووَلَدِه، وإخوته، ورَفِيقه، ومَوَاليه، فيقولون: «أتعرفنا؟» فيقول الرجل: «نعم» هذا أبي، وهذه أمِّي، وهذه أختي، وهذا أخي. فيقول الرجل: «ما نبأكم؟!» فيقولون: «بل أنت فأخبرنا ما نبأك؟» فيقول الرجل: «إنا قد أخبرنا أنَّ عدوَّ الله الدَّجَّال قد خرج» فيقول له الشياطين: «مَهْلًا لا تقل هذا فإنه ربُّكم يريد القضاء فيكم، هذه جنَّةٌ قد جاء بها ونارٌ، ومعه الأنهار والطعام، فلا طعام إلَّا ما كان قبله إلَّا ما شاء الله». فيقول الرجل: «كذبتم، ما أنتم إلَّا شياطين، وهو الكذَّاب، وقد بلغنا أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قد

حدَّث حديثكم، وحذَّرنا وأبناءنا منه، فلا مرحبًا بكم، أنتم الشياطين وهو عدوُّ الله، وليسوقنَّ الله عيسى ابن مريم حتى يقتله، فيخسئوا فينقلبوا خائبين».

ثُمَّ قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «إنما أحدِّثكم هذا لتَعْقِلوه وتَفْقَهوه، وتَفْهَموه، وتَعُوه فاعملوا عليه، وحدِّثوا به مَن خَلْفَكم، وليحدِّث الآخر الآخر فإنَّ فِتنته أشدُّ الفِتن».

وقوله: «ومعه رجال يقتلهم ثم يحييهم». هذا بظاهره يعارض ما جاء في الأحاديث الصحيحة، إنَّ الدجال يسلَّط علىٰ رجلٍ واحد يقتله ثم يحييه، ثم لا يسلط علىٰ أحدٍ غيره.

والجواب علىٰ ذلك سهل، وهو أن يقال: هؤلاء الرجال المذكورون في هذا الحديث هم أتباع الدَّجَّال الذين يقتلهم ويحييهم في ظاهر الأمر كما يفعل المخرقون أصحاب الحِيل المعروفون في مصر بالحُواة، فقد يأتي الواحد منهم بالخروف مثلا فيشقَّه نصفين فيما يبدو للعين ثُمَّ يرجع كما كان، ولهم في هذا الباب حِيَلٌ وأعاجيب كلها مَخاريق وأكاذيب.

وهذا بخلاف الرجل الذي يسلط عليه الدَّجَّال، فإنه رجلٌ مؤمنٌ يعارض الدَّجَّال ويُكذِّبه فيقتله الدَّجَّال ثُمَّ يُحييه علىٰ نحو ما يفعل بأصحابه الذين هم معه، ثم لا يسلط علىٰ أحدٍ غيره من المؤمنين حِفْظًا مِن الله لهم وتثبيتًا لإيمانهم.

يؤيد ما ذكرناه ما رواه الطبرانيُّ، عن عبدالله بن مُعتم، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في حديث الدَّجَّال قال: «ثُمَّ يدعو -أي الدَّجَّال- برجل فيما يرون فيؤمر به فيقتل، ثم يقطع أعضاءه كل عضوٍ على حِدَةٍ، فيفرِّق بينها حتى يراه

الناس، ثُمَّ يجمع بينها، ثُمَّ يضرب بعصاه فإذا هو قائم فيقول: «أنا الله أُحيي وأُميت». وذلك كلُّه سِحْرٌ يَسْحَر به أعين الناس ليس يعمل من ذلك شيئًا».

فبهذا الجواب ظهر أن لا تعارض ولا تناقض فالحمد لله على ما ألهم وعلَّم.

الحديث التاسع والثلاثون

أخرج ابن أبي شيبة، وابن عساكر، عن حذيفة قال: إنَّ أصحاب النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كانوا يسألون عن الخَيْر، وكنت أسأل عن الشَّرِّ مخافة أن أدركه، وإني بينما أنا مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ذات يوم قلت: يا رسول الله أرأيت هذا الخير الذي أعطانا الله، هل بعده مِن شَرٍّ كما كان قبله شّرٌ؟ قال: «نعم». قلت: فما العصمة منه؟ قال: «السَّيف». قلت: وهل للسيف مِن بقيَّةٍ؟ قال: «هُدْنَةٌ على دَخَنٍ». قلت: يا رسول الله، ما بعد الهُدنة؟ قال: «دعاةٌ للضَّلالة فإن لَقيت لله يومئذٍ خليفةً في الأرض فالزمه وإن أخذ مالك وضرب ظهرك وإلَّا -وفي لفظ فإن لم- يكن خليفةٌ فاهربن في الأرض حدَّ هربك -أي منتهى هربك- حتى يدركك الموت وأنت عاضٌّ على أصل شجرة». قلت: يا رسول الله، فما بعد دعاة الضلالة؟ قال: «خروج الدَّجَّال» قلت: يا رسول الله، وما يجيء به الدَّجَّال؟ قال: «يجيء بنارٍ ونهرٍ، فمن وقع في ناره وجَبَ أجرُه وحُطَّ وِزْرُه». قلت: يا رسول الله، فما بعد الدَّجَّال؟ قال: «عيسى ابن مريم». قلت: فما بعد عيسى ابن مريم؟ قال: «لو أنَّ رجلًا نتج فرسًا لم يركب مُهْرَها حتى تقوم الساعة».

فصل: حديث عبدالله بن مُغَفَّلٍ

الحديث الأربعون

أخرجه الطبرانيُّ في معجميه "الكبير" و"الأوسط" عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ما أهبط الله تعالى إلى الأرض منذ خلق آدم إلى أن تقوم الساعة فِتنةً أعظم مِن فِتنة الدَّجَّال، وقد قلت فيه قولًا لم يقله أحدٌ قبلي: إنه آدمٌ جَعْدٌ مَمْسوحُ عين اليسار، على عينه ظَفَرةٌ غليظةٌ، وإنه يبرئ الأَكْمَه والأَبْرَص، ويقول: «أنا ربُّكم» فمن قال: «ربِّي الله» فلا فتنة عليه** -أي في دينه لا في دنياه- **ومَن قال: أنت ربِّي فقد افتتن** -أي كفر- **يلبث فيكم ما شاء الله، ثُمَّ ينزل عيسى ابن مريم مُصدِّقًا بمحمَّدٍ على مِلَّته إمامًا مهديًّا، وحَكَمًا عَدْلًا فيقتل الدَّجَّال**». فكان الحسن -يعني البصري- يقول: «ونرىٰ أنَّ ذلك عند الساعة». قال الحافظ الهيثمي: «رجاله ثقات، وفي بعضهم ضعفٌ لا يضر».اهـ

قلت: ولذا قال الحافظ السيوطي في "الإعلام بحكم عيسىٰ عليه السلام" -وقد عزا الحديث إلىٰ الطبراني، والبيهقي في "البعث"- إن سنده جيد.

فصل: حديث أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها

الحديث الحادي والأربعون

أخرجه الإمام أحمد عنها، قالت دخل عليَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وأنا أبكي فقال: «**مايبكيك؟**». قلت: «يا رسول الله، ذكرتُ الدَّجَّال فبكيت». فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إن يخرج وأنا فيكم كَفَيْتُكُمُوه، وإن يخرج بعدي فإن ربَّكم عزَّ وجلَّ ليس بأعْوَرَ، إنه يخرج مِن يهوديَّة أصبهان** -اسم مكان نسب إليه بعض العلماء كما في كتب الكنىٰ

والأنساب- حتى يأتى المدينة فينزل ناحيتها، ولها يومئذٍ سبعة أبواب، على كلِّ نَقْبٍ منها مَلَكان فيخرج إليه شِرار أهلها حتى يأتي الشام مدينة فلسطين بباب لُدٍّ» قال أبو داود مرة: «حتى يأتي مدينة فلسطين باب لُدٍّ» فينزل عيسى ابن مريم عليه السَّلام فيقتله، ويمكث عيسى في الأرض أربعين سنة إمامًا عَدْلًا، وحَكَمًا مُقْسِطًا».قال الحافظ الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح غير الحضرمي بن لاحق، وهو ثقةٌ».

قلت: ورواه ابن حِبَّان في "صحيحه" قال: أخبرنا عمران بن موسىٰ بن مُجَاشِع السختياني: ثنا عثمان بن أبي شيبة: ثنا الحسن بن موسىٰ الأشيب: ثنا شيبان بن عبدالرحمن، عن يحيىٰ بن أبي كثير، عن الحضرمي بن لاحق، عن أبي صالح، عن عائشة.

فصل: حديث سَمُرَةَ بن جُنْدُبٍ

الحديث الثاني والأربعون

أخرجه الإمام أحمد، والطبرانيُّ عنه: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «إنَّ الدَّجَّال خارجٌ، وهو أعور عين الشمال عليها ظَفَرةٌ غَليظةٌ، وإنه يُبْرِئُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ، ويُحيي الموتى -أي علىٰ الطريقة التي بينَّاها في الكلام علىٰ حديث حذيفة- ويقول للناس: «أنا ربُّكم». فمَن قال: «أنت ربِّي» فقد فُتن، ومن قال: «ربِّي الله» حتى يموت على ذلك فقد عُصم من فتنة الدَّجَّال ولا فتنة عليه، فيلبث في الأرض ما شاء الله -أربعين يومًا علىٰ ما صرح به في الأحاديث الأخرىٰ- ثُمَّ يخرج عيسى ابن مريم قِبَل المغرب -أي جهة المغرب، وهي الشام- مَصدِّقًا بمحمَّدٍ فيقتل الدَّجَّال، وإنما هو قيام الساعة». كناية عن

شِدَّة قرب وقوعها يومئذٍ.

قال الحافظ الهيثمي: «رجال الحديث رجال الصحيح»، قال: «ورواه البزَّار بإسناد آخر ضعيف».

الحديث الثالث والأربعون

أخرج أحمد، والبزَّار، وابن جرير، والطبرانيُّ، والطحاويُّ، وسعيد بن منصور، والبيهقيُّ، عن سَمُرَةَ بن جُنْدُبٍ في حديث الكسوف قال: خطب النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فحمد الله وأثنى عليه، وشهد أنه عبدالله ورسوله، ثُمَّ قال: «**أيها الناس، أُنْشدكم بالله إن كنتم تعلمون أني قصَّرتُ عن شيءٍ مِن تبليغ رسالات ربِّي لَمَا أخبرتموني ذلك**». قال: فقام رجال فقالوا: «نشهد أنك قد بلَّغت رسالات ربِّك، ونصحتَ لأمَّتك وقضيت الذي عليك». ثُمَّ قال: «**أمَّا بعد، فإنَّ رجالًا يزعمون أنَّ كُسُوفَ هذه الشمس وكُسُوفَ هذا القمر وزوال هذه النجوم عن مطالعها لموت رجال عظماء من أهل الأرض، وإنهم قد كَذَبوا، ولكنها آياتٌ من آيات الله يختبر بها عباده فينظر مَن يُحدِثُ له منهم توبةً، وايْم الله لقد رأيت منذ قمتُ أصلِّي ما أنتم لاقوه في أمر دنياكم وآخرتكم، وإنه والله لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذَّابًا آخرهم الأعور الدَّجَّال، وإنه متى يخرج فسوف يزعم أنه الله -تعالى- فمن آمن به وصدَّقه واتبعه لم ينفعه عمل صالحٌ مِن عمل سَلَفَ، ومَن كفر به وكذَّبه لم يعاقب بشيءٍ من عمله سَلَف، وإنه سوف يظهر على الأرض كلِّها إلَّا الحرم وبيت المقدس، وإنه يسوق الناس إلى بيت المقدس فيُحصَرُون حصرًا شديدًا**»،

قال: «**فيصبح فيهم عيسى ابن مريم فيقتله وجنوده حتي أنَّ جِذْمَ الحائط وأصل الشجرة لينادي: «يا مسلم هذا كافر تعالى فاقتله»، ولن يكون ذلك حتى تروا أمورًا يتفاقم شأنها في أنفسكم فتتساءلون بينكم: هل كان نبيُّكم ذَكَر لكم منها شيئًا؟ وحتى تزول جبال عن مراتبها، ثُمَّ على أثر ذلك الموت**». قال الحافظ الهيثمي: «رجال أحمد رجال الصحيح، غير ثعلبة بن عباد العبدي وثَّقة ابن حِبَّان».اهـ

ورواه الحاكم وقال: «صحيح على شرط الشيخين»، وأقرَّه الذهبيُّ، وصحَّحه ابن خزيمة وابن حِبَّان أيضًا.

فصل
حديث أنس بن مالك
الحديث الرابع والأربعون

أخرجه الحاكم من طريق ريحان بن سعيد: حدَّثنا عَبَّاد بن منصور، عن أيوب، عن أبي قِلابة، عن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**سيدرك رجالٌ مِن أمَّتي عيسى ابن مريم، ويشهدون قتال الدَّجَّال**». قال الحافظ الذهبيُّ: «حديث منكر، وعباد ضعيف».

قلت: كذا قال، مع أنَّ معنى الحديث متواتر كما هو معلومٌ، وقد صحَّح الذهبيُّ نفسه أحاديث أبي هريرة، وواثلة، وابن مسعود، وحذيفة، وفيها الإخبار بخروج الدَّجَّال ونزول عيسى عليه السَّلام كما تقدَّم، وعبَّاد بن منصور قال عنه القطَّان: «ثقةٌ لا ينبغي أن يترك حديثه لرأي أخطأ فيه»، يعني القَدَر. وليَّنه أبو زرعة، وقال ابن معينٍ: «ليس حديثه بالقويِّ، ولكن يكتب».

ولم يذكر الذهبي هذا الحديث في "الميزان" مِن منكرات عبَّاد، ووجدت الحافظ الهيثمي عزاه لأبي يعلىٰ وضعَّفه بعبَّاد أيضًا، ولعلَّه تبع الذهبيَّ في ذلك، وقد أخرجه الطبراني أيضًا بإسناد فيه معاوية بن واهب. قال الحافظ الهيثمي: «لم أعرفه»، ولفظ رواية الطبراني: «**أنا أول من يدخل الجنَّة يوم القيامة وأشفع، وسيدرك رجالٌ مِن أمَّتي...**» الحديث. وبمجموع الطريقين يكتسب قوة.

الحديث الخامس والأربعون

أخرج الحاكم أيضًا من طريق إسماعيل بن عيَّاش، عن أيوب، عن أبي قِلابة، عن أنسٍ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن أدرك منكم عيسى ابن مريم فليُقرِئهُ منِّي السَّلام**».

فصل: حديث أبي سعيدٍ الخدريِّ

الحديث السادس والأربعون

عن أبي سعيدٍ الخدريِّ: أخرجه أبو نعيم في "أخبار المهدي" عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مِنَّا الذي يصلِّي عيسى ابن مريم خَلْفَهُ**».

فصل: حديث عمران بن حصين

الحديث السابع والأربعون

أخرجه الحافظ أبو عمرو الدَّاني في "سننه" عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لا تزال طائفةٌ مِن أمَّتي تقاتل على الحقِّ حتى ينزل عيسى ابن مريم عليه السَّلام عند طلوع الفجر ببيت المقدس، ينزل على المهديِّ فيقال: «تقدَّم يا نبيَّ الله فصلِّ بنا» فيقول: هذه الأمة أمراء بعضهم على بعضٍ**».

قلت: كلٌ من حديث: «**لا تزال طائفة من أمتي**» وحديث المهديِّ متواتر، أمَّا الأول فقد صرَّح بتواتره ابن تيمية في أول كتابه "اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم"، وذكر طُرُقه شقيقنا الحافظ السيد أحمد في "الأجوبة الصارفة"، وأمَّا الثاني فصرَّح بتواتره جماعةٌ مِن الحُفَّاظ، وأنكر ابن خلدون، فردَّ عليه شقيقنا المذكور في كتاب سمَّاه: "إبراز الوهم المكنون مِن كلام ابن خلدون" جمع فيه أطراف المسألة جمعًا متقنًا وهو مطبوع بدمشق، وقد كنت كتبت نحو عشر مقالات في مجلة "الإسلام" بعنوان: «ظهور المهديِّ حَقٌّ» أوردت فيها أحاديث المهدي عن بضعة وثلاثين صحابيًا وثلاثة من التابعين وجمعتها في تأليفٍ مستقلٍّ.

فصل: حديث ابن عبَّاسٍ
الحديث الثامن والأربعون

أخرجه أبو نعيم في "أخبار المهدي" عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لن تهلك أمَّةٌ أنا في أوَّلها، وعيسى ابن مريم في آخرها، والمهديُّ في أوسطها**».

ورواه الحاكم في "تاريخ نيسابور"، وابن عساكر في "تاريخ دمشق"، ولفظ روايتهما: «**كيف تهلك أمَّةٌ أنا في أوَّلها، وعيسى ابن مريم في آخرها، والمهديُّ مِن أهل بيتي في وَسَطِها؟!**». والمراد بالوَسَط ما قبل الآخر، قاله المناوي وغيره، وقال ابن حجرٍ الهيثمي: «المراد بالوسط قريب آخرها، حتى لا ينافي الروايات المصرِّحة بأنه في آخرها، ولتقدمه بيسير على عيسى عليه السلام، وصفه بأنه وسط ووصف عيسى عليه السلام بأنه آخر».اهـ

الحديث التاسع والأربعون

أخرج إسحاق بن بشر، وابن عساكر، عن ابن عبَّاسٍ قال: «**الدَّجَّال أوَّل مَن يتبعه سبعون ألفًا من اليهود عليهم التيجان** -يعني الطيالسة- **ومعه سَحَرة اليهود يعملون العجائب ويرونها الناس فيضلونهم بها، وهو أعور مَمْسوح العين اليمني، يُسلِّطه الله على رجلٍ من هذه الأمَّة فيقتله ثُمَّ يضربه فيُحييه، ثُمَّ لا يصل إلى قتله ولا يُسلَّط على غيره، وتكون آية خروجه تركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتهاونًا بالدماء، وضيَّعوا الحكم، وأكلوا الرِّبا، وشيَّدوا البناء، وشربوا الخمور، واتخذوا القِيان، ولبسوا الحرير، وأظهروا ترة آل فرعون، ونقضوا العهد، وتفقَّهوا لغير الدِّين، وزيَّنوا المساجد، وخرَّبوا القلوب، وقطعوا الأرحام، وكثرت القرَّاء وقلَّت الفقهاء، وعُطِّلت الحدود، وتشبَّه الرجال بالنساء والنساء بالرجال، فتكافأ الرجال بالرجال والنِّساء بالنِّساء، بعث الله عليهم الدَّجَّال، فسلط عليهم حتى ينتقم منه وينحاز المؤمنون إلى بيت المقدس**».

قال ابن عبَّاسٍ: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**فعند ذلك ينزل أخي عيسى ابن مريم مِن السماء على جبل أَفِيق**[1] **إمامًا هاديًا وحَكَمًا عَادِلًا عليه برنس له، مَرْبُوع الخلق، أصلت، سبط الشعر، بيده حربة يقتل الدَّجَّال، فإذا قتل الدَّجَّال تضع الحرب أوزارها، فكان السلم، فيلقى الرجل الأسد فلا يهيجه، ويأخذ الحيَّة فلا تضره، وتنبت الأرض كنباتها على عهد آدم، ويؤمن به**

---

(١) بفتح أوله وكسر ثانيه.

أهل الأرض، ويكون الناس أهل مِلَّةٍ واحدةٍ».

قلت: هذا الحديث وإن كان ضعيف الإسناد، فالواقع يؤيده ويقويه، إذ أغلب ما أشار إليه الحديث أو كله موجودٌ حاصل، والفساد في ازدياد نسأل الله العفو والعافية.

فصل

حديث ثوبان

الحديث الخمسون

أخرجه الإمام أحمد، والنَّسائيُّ، والضِّياء المَقدسي في "المختارة" عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**عِصَابتان مِن أُمَّتي أَحْرَزَهُما الله مِن النَّار عِصَابةٌ تغزو الهند، وعِصَابةٌ تكون مع عيسى ابن مريم**». قال المناوي في شرح "الجامع الصغير": «إسناده حسن».

قلت: بل إخراج الضياء للحديث في "المختارة" يقتضي أنه صحيح، ثُمَّ رأيت الحافظ الهيثمي عزاه للطبرانيِّ في "الأوسط" وقال: «سقط تابعيَّه والظاهر أنه راشد بن سعد، وبقية رجاله ثقات».

قلت: ذهل عن عزوه إلى "المسند" مع أنَّ السَّند فيه تامٌّ، قال أحمد: ثنا أبو النضر: ثنا بقيَّة: ثنا عبدالله بن سالم وأبو بكر بن الوليد الزُّبيدي -بالضم- عن لقمان بن عامر الوصابي، عن عبدالأعلي بن عدي البَهْرَاني، عن ثوبان مولى رسول الله عنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال... فذكر الحديث.

ورجاله ثقات، وبعضهم موثَّق.

فصل: حديث عبدالرحمن بن سمرة

الحديث الحادي والخمسون

أخرجه الحكيم الترمذي في "نوادر الأصول" عنه قال: بعثني خالد بن الوليد بشيرًا إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يوم مؤتة، فلما دخلت عليه قلت: «يا رسول الله»، فقال: «**على رسلك يا عبدالرحمن، أخذ اللواء زيد بن حارثة فقاتل حتى قُتِل، رحم الله زيدًا. ثُمَّ أخذ اللواء جعفر فقاتل فقُتِل، رحم الله جعفرًا. ثُمَّ أخذ اللواء عبدالله بن رَوَاحَة فقاتل فقُتِل، رحم الله عبدالله. ثُمَّ أخذ اللواء خالد ففتح الله لخالد فخالد سيفٌ مِن سِيوف الله**». فبكى أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وهم حوله، فقال: «**ما يُبكيكم؟**». قالوا: «وما لنا لا نَبكي، وقد قتل خِيارنا وأشرافنا وأهل الفضل مِنَّا؟!». فقال: «**لا تبكوا، فإنما مثل أمَّتي مثل حديقة قام عليها صاحبها فاجتثَّ رواكيها وهيَّأ مساكنها وحَلَقَ سَعَفَها فأطعمت عامًا فوجًا ثُمَّ عامًا فوجًا ثُمَّ عامًا فوجًا، فلعلَّ آخرها طعما يكون أجودها قِنْوانًا وأطولها شِمْراخًا والذي بعثني بالحقِّ ليجدنَّ ابن مريم في أمَّتي خَلَفًا مِن حَوَاريه**».

فصل: حديث نافع بن كَيسان الثقفي

الحديث الثاني والخمسون

أخرجه ابن عائذ، وتمَّام في "فوائده"، وابن شاهين، وابن عساكر، كلهم من طريق عبدالرحمن بن أيوب بن نافع بن كَيسان، عن أبيه، عن جدِّه نافع بن كَيسان صاحب النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رفعه: «**ينزل عيسى ابن مريم عند باب دمشق عند المنارة البيضاء لست ساعات مِن النهار في ثوبين ممشَّقين**

كأنما يَنْحِدُر مِن رأسه اللؤلؤ».

قلت: في إسناده ضعف واضطراب، وهذا الحديث يفيد أنَّ عيسىٰ عليه السلام ينزل بالنهار بعد مضي ست ساعات منه، والنهار في عرف الشرع مِن طلوع الفجر إلىٰ المغرب، فيخالف الأحاديث الأخرىٰ المصرِّحة بأنه ينزل سَحَرًا قرب طلوع الفجر ببيت المقدس، وأنَّ إمام المسلمين يدعوه للصَّلاة بهم فيمتنع.

ويجاب عن ذلك بأنَّ عيسىٰ عليه السلام ينزل نهارًا في دمشق كما في هذا الحديث، ثم يتوجَّه نحو بيت المقدس فيوافيه سَحَرًا كما في الأحاديث الأخرىٰ، والله أعلم.

فصل: حديث كَيسان بن عبدالله بن طارق

الحديث الثالث والخمسون

أخرجه البخاريُّ في "التاريخ" والطبرانيُّ، وابن السَّكن، وابن مَنْده، من طريق ربيعة بن ربيعة، عن نافع بن كَيسان، عن أبيه: سمعت النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**ينزل عيسى ابن مريم عند المنارة البيضاء شرقي دمشق**».

ورواه الربعي في "فضائل الشام"، وتمَّام في "فوائده" من طريق هشام بن خالد، عن الوليد بن مسلم، عن ربيعة به. قال الحافظ ابن حجرٍ: «رجاله ثقات»، قال: «وقيل في هذا عن نافع بن كَيسان ليس عن أبيه، وسيأتي في النون».

يعني حديث نافع بن كَيسان الذي ذكرناه آنفًا، ثم قال الحافظ: «ونقل ابن أبي حاتم، عن أبيه: أن من قال في الحديث في نزول عيسىٰ عليه السلام: «عن نافع بن كَيسان، عن أبيه» أخطأ، وإنما هو عن نافع بن كَيسان، عن النبيِّ صلَّىٰ

الله عليه وآله وسلَّم».اهـ

قلت: كذا قال أبو حاتم، وفيه شيءٌ؛ لأن كلًّا من نافع وكَيسان صحابي، فما المانع أن يكون كلًّا منهما روىٰ حديث نزول عيسىٰ عليه السلام عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، لا سيما وقد روىٰ البخاريُّ هذا الحديث عن كَيسان بإسنادٍ رجاله ثقات كما رأيت، والبخاريُّ أحفظ مِن أبي حاتم، وأعلم بعِلل الأحاديث وأسانيدها منه، بل هو شيخ الحُفَّاظ وأمير المؤمنين في الحديث، وأبو حاتم نفسه إنما استمد في كلامه علىٰ العلل والرجال من تاريخ البخاري كما صرَّح به أهل الفنِّ، وكذلك أبو زرعة، ومسلم بن الحجَّاج، والترمذيُّ، وغيرهم كلهم كانوا يستمدُّون من البخاريِّ كما هو معلوم، والله أعلم.

فصل: حديث نافع بن عتبة وأبي برزة

الحديث الرابع والخمسون، والخامس والخمسون

أشار إليهما الترمذيُّ في "سننه" لَمَّا روىٰ حديث مُجَمِّع بن جارية، وقد نقلنا كلامه فيما سبق فليُرجع إليه.

فصل: حديث عمرو بن عوف المزني

الحديث السادس والخمسون

أخرجه ابن عديٍّ في "الكامل" قال: حدَّثنا بهلول بن إسحاق ومحمد بن جعفر الإمام قالا: حدَّثنا إسماعيل بن أبي أويس: حدَّثني كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف بن زيد بن طلحة، عن أبيه، عن جدِّه قال: غزونا مع رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أول غزاة غزاها الأبواء حتىٰ إذا كنَّا بالرَّوحاء، نزل

بعرق الظبية فصلَّىٰ، ثُمَّ قال: «**اسم هذا الجبل رجمة، جبل من جبال الجنَّة، اللهم بارك فيه، وبارك لأهله فيه**». ثُمَّ قال للروحاء: «**هذه سَجَاسِج**[1] **وإنها وادٍ من أودية الجنَّة، لقد صلَّى في هذا المسجد قبلي سبعون نبيًّا، ولقد مرَّ بها موسى عليه عباءتان قَطْوَانِيَّتان على ناقة وَرْقاء في سبعين ألفًا مِن بني إسرائيل حاجِّين البيت، ولا تقوم الساعة حتى يمر بها عيسى عبدالله ورسوله حاجًّا أو مُعْتمرًا**».

قلت: غزوة الأبواء هي غزوة ودَّان، وهي أول مغازيه عليه الصَّلاة والسَّلام، كانت علىٰ رأس سنة مِن مَقْدَمِه للمدينة، رمىٰ فيها سعد بن أبي وقَّاص سهمًا واحدًا، وهو أول سهمٍ رُمي في الإسلام، ولم يحصل فيها قتال بل وادع النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بني ضمرة علىٰ ألَّا يغزوه ولا يُكثِّروا عليه جمعًا ولا يُعينوا عليه عدوًا، ثُمَّ انصرف إلىٰ المدينة بعد إذ غاب عنها خمس عشرة ليلة.

فصل: حديث بعض الصحابة

الحديث السابع والخمسون

أخرجه مَعْمَرٌ في "جامعه" عن الزهريِّ: أخبرني عمرو بن سفيان الثقفي: أخبرني رجلٌ من الأنصار، عن بعض أصحاب النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: ذكر رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم الدَّجَّال فقال: «**يأتي سِبَاخَ المدينة وهو مُحرَّم عليه أن يدخلها...**». وذَكَر الحديث وحصار الدَّجَّال للمسلمين

---

(١) «سجاسج»: جمع سَجْسَج، وهي الأرض التي تكون وسطًا بين الصلابة والسهولة، وقوله قبل ذلك: «رجمة» -بالجيم- هو الحجارة، ووقع في ميزان الذهبي: «رحمة» و«شخاشيخ» وهما تصحيف.

ببيت المقدس إلى أن قال: «فيتبايعون -أي المسلمون- على القتال، بيعةً يعلم الله أنَّها الصِّدْق مِن أنفُسِهم، ثُمَّ تأخذهم ظُلمةٌ لا يُبصر أحدهم كفَّه، فينزل عيسى ابن مريم فيَحْسِر عن أبصارهم وبين أظهرهم رجلٌ عليه لَأْمَة فيقول: «مَن أنتَ؟» فيقول: «أنا عبدالله، ورُوحه، وكلمته: عيسى، اختاروا إحدى ثلاث: بين أن يبعث الله على الدَّجَّال وجنوده عذابًا جسيمًا، أو يخسف بهم الأرض، أو يرسل عليهم سلاحكم ويكف سلاحهم؟». فيقولون: «هذه يا رسول الله اشفى لصدورنا». فيومئذٍ ترى اليهوديَّ العظيم الطويل الأكول الشروب لا تُقِلّ يده سيفه مِن الرعب، فينزلون إليهم فيُسلَّطون عليهم، ويذوب الدَّجَّال حتى يدركه عيسى فيقتله».

فصل: حديث أبي الدرداء

الحديث الثامن والخمسون

أخرجه الحكيم الترمذيُّ في "نوادر الأصول" عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «خير أُمَّتي أوَّلها وآخرها، وفي وسطها الكَدَر، ولن يخزي الله أُمَّةً أنا أوَّلها والمسيح آخرها». إسناده ضعيف كما قال المناوي.

فصل: من مرسل جبير بن نفير

الحديث التاسع والخمسون

أخرجه ابن أبي شيبة، والحكيم الترمذيُّ في "نوادر الأصول"، والحاكم، من طريق عبدالرحمن بن جُبَير بن نُفَير، عن أبيه قال: لما اشتدَّ جَزَعُ أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على من قُتل في يوم مؤتة، قال رسول الله

صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ليدركنَّ الدَّجَّال مِن هذه الأُمَّة قومًا مثلكم أو خيرًا منكم** -ثلاث مراتٍ- **ولن يُخزي الله أُمَّةً وأنا أوَّلُها وعيسى ابن مريم آخِرُها**».

قال الذهبي: «مرسل، وهو خبرٌ منكرٌ». اهـ

قلت: أما الإرسال فمجبورٌ بورود الحديث موصولًا مِن طريق عبدالرحمن بن سَمُرة كما تقدَّم، مع وجود شواهد لمعناه كحديث ابن عمرو، وابن عبَّاسٍ، وغيرهما.

وأمَّا النَّكارة، فالذهبي قصد بها ما يفيده ظاهر الحديث مِن أفضلية غير الصحابة عليهم، وهو خلاف ما اقتضته الأدلة وانعقد عليه الإجماع من أفضلية الصحابة علىٰ سائر الأمة.

ويجاب عن ذلك بأنَّ الحديث خرج مخرج التسرية والتسلية للصحابة عمن فقدوهم يوم مؤتة، وليس ظاهره مرادًا؛ ذلك أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لما رأىٰ جَزَعَهم وحُزْنهم أراد أن يسري عنهم فأخبرهم أنَّ الخير لا ينقطع عن هذه الأمة المحمَّدية علىٰ مدىٰ الزمان، حتىٰ أنَّ الدَّجَّال إذا خرج أدرك قومًا هم في الفضل والخير مثل الصحابة، إن لم يكونوا خيرًا منهم، وذكرت بالخيرية هنا تأييدًا لحصول المثلية المذكورة قبلها، وأنها متحقِّقة بحيث لم يبقَ شك إلَّا فيما زاد عليها مِن الخيرية -أي الأفضلية- ومثل هذا التعبير شائع معهود، والمراد بالمثلية في الحديث أنَّ هؤلاء القوم الذين يدركهم الدَّجَّال يماثلون الصحابة في التمسُّك بالحقِّ، وانفرادهم بالدِّفاع عنه في وقتٍ يعمُّ فيه الفساد ويجمع اليهود -وفي مقدِّمتهم الدَّجَّال- علىٰ محاربة المسلمين واستئصال شأفتهم، كما كان الحال في صدر الإسلام، وليس المراد أنهم مثل الصحابة في

جميع ما لهم من المزايا والفضائل[١].

والحاصل: أنَّ الحديث يدل على بقاء الخير في هذه الأُمَّة وعدم انقطاعه، فهو بمعنى الحديث الآخر: «**مثل أُمَّتي مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره**»، وفي رواية: «**مثل أُمَّتي مثل المطر، يجعل الله في أوَّله خيرًا وفي آخره خيرًا**». والحديث في "مسند أحمد"، و"سنن الترمذي"، وغيرهما من طرق، وهو حديث حسن.

أما حديث: «**الخير فيَّ وفي أُمَّتي إلى يوم القيامة**». فلا أصل له، وسئل عنه الحافظ ابن حجرٍ فقال: «لا أعرفه»، والله أعلم.

فصل
من مرسل الحسن البصري
الحديث الستون

أخرجه ابن جرير في "تفسيره" قال: حدَّثني المُثَنَّى: حدَّثنا إسحاق: ثنا عبدالله بن أبي جعفر، عن أبيه، في قول الله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ [آل عمران: ٥٥] قال: «يعني وفاة المنام، رفعه الله في مَنامه». قال الحسن: قال رسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لليهود: «**إنَّ عيسى لم يمت، وإنه راجعٌ إليكم قَبْل يوم القيامة**».

---

(١) ذكر ابن العربي في "الأحكام" في الكلام عن قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡ﴾ الآية [المائدة: ١٠٥]، حديث أبي ثعلبة: «**إنَّ مِن وَرَائكُم أيام الصَّبرِ للعامل فيها أَجْرُ خمسين منكم، فقالوا: بل منهم، فقال: بل منكم...**»الحديث. وأجاب عنه بجواب حَسَنٍ يراجع هناك.

فصل: من مرسل عروة بن رُوَيمٍ
الحديث الحادي والستون

أخرجه أبو نعيم في "الحلية" عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**خير هذه الأُمَّة أوَّلُها وآخِرُها، أوَّلُها فيهم رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وآخِرُها فيهم عيسى ابن مريم عليه السَّلام، وبين ذلك نَهْجٌ أَعْوَجٌ ليس منك ولست منهم**».

قلت: قوله: «**وبين ذلك نَهْجٌ أَعْوَجٌ**» هو بمعنى حديث أبي الدرداء: «**وفي وَسَطِها الكَدَرُ**». وكلاهما يشير إلى ما يحصل في الوسط من فِتنٍ ومعاصي، وعقائد زائغة، كما هو مشاهد في هذا الزمن، نسأل الله العفو والعافية.

فصل

فهذه إحدى وستون حديثًا يرويها عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ثمانية وعشرون صحابيًّا، وثلاثة تابعيين بألفاظ مختلفة وأسانيد متعدِّدة، كلها تصرح بنزول عيسى عليه السَّلام تصريحًا لا يحتمل تأويلًا ولا روغانًا.

فهل يجوز للمتعلِّم وقبله العالِم أن يشطب على هذه الأحاديث بجَرَّة قَلَم ويقول عنها ما قاله صاحب الفتوى حيث جاء فيها (ص ٥١٥ و ٥١٦ من العدد ٤٦٢ من "مجلة الرسالة") ما نصُّه: «أمَّا آية النساء فإنها تقول: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾ [النساء: ١٥٨]، وقد فسَّرها بعض المُفسِّرين -بل جمهورهم- بالرفع إلى السماء ويقولون: إنَّ الله ألقى على غيره شَبَهَه، ورفعه بجسده إلى السماء فهو حيٌّ فيها، وسينزل منها آخر الزمان، فيقتل الخنزير ويكسر الصَّلِيب ويعتمدون في ذلك:

أولًا: على روايات تفيد نزول عيسى عليه السلام بعد الدَّجَّال، وهي روايات مضطربة مختلفة في ألفاظها ومعانيها اختلافًا لا مجال معه للجمع بينها، وقد نصَّ على ذلك علماء الحديث، وهي فوق ذلك مِن رواية وَهْب بن مُنَبِّه، وكعب الأحبار، وهما مِن أهل الكتاب الذين اعتنقوا الإسلام، وقد عرفت درجتهما في الحديث عند علماء الجرح والتعديل.

وثانيًا: على حديث مرويٍّ عن أبي هريرة اقتصر فيه على الإخبار بنزول عيسى عليه السلام، وإذا صح هذا الحديث فهو حديث آحاد، وقد أجمع العلماء على أنَّ أحاديث الأحاد لا تفيد عقيدة ولا يصح الاعتماد عليها في المغيَّبات».اهـ كلامه وهو مع إيجازه جامع لعدة أغلاط:

الأول: قوله في آية النساء: «وقد فسَّرها بعض المفسِّرين -بل جمهورهم- بالرفع إلى السماء» يفيد أنَّ مِن المفسِّرين مَن فسَّرها بغير الرفع، وهذا غير صحيح فإنَّ المفسِّرين متفقون على القول برفع عيسى عليه السلام إلى السماء ووافقهم من قال بموته أيضًا وهما وهب بن منبِّه، وابن حزمٍ، ودونك كتب التفسير فإنك واجد فيها ما ذكرناه لا ما زعمه صاحب الفتوى.

الثاني: قوله: «على روايات تفيد نزول عيسى عليه السلام بعد الدَّجَّال». عبر بالروايات إشارة إلى أنها ليست عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وهذا غير صحيح، بل ما عبَّر عنه بالروايات كله أحاديث مرفوعة لا موقوفة ولا مقطوعة كما عُلِم مما تقدَّم، ولم يكن العلماء ليجمعوا على اعتقاد نزول عيسى عليه السلام اعتمادًا على روايات لم تُرفع، وهم أنفسهم مجمعون على أنَّ المغيَّبات لا يعمل فيها إلَّا بما صحَّ عن المعصوم كما نبَّه عليه غير واحدٍ مهم.

الثالث: قوله: «وهي روايات مضطربة مختلفة في ألفاظها ومعانيها اختلافًا لا مجال معه للجمع بينها» وهذا غير صحيح، فإن تلك الأحاديث أو الروايات -على حدِّ تعبيره- كلها متفقة على الإخبار بنزول عيسى عليه السلام، وأنه يقتل الدَّجَّال، والخنزير، ويكسر الصَّلِيب... إلخ ما جاء فيها، غاية ما في الأمر أنَّ بعضًا منها يُفصِّل وآخر يُجْمِل، وبعضًا يوجِز وآخر يُطْنِب، وهذا كما يفعل القرآن العظيم، إذ يورد القصة الواحدة في سور متعددة بأساليب مختلفة يزيد بعضها على بعض، بحيث لا يمكن جمع أطراف القصة إلَّا بقراءة السور التي ذكرت فيها.

فلعل صاحب الفتوى ظن مثل هذا التخالف -الذي يقوي شأن الحديث ويدل على تعدد مخارجه- تعارضًا فأخطأ.

وأضعف خطأه حيث ادَّعى أنه لا مجال معه للجمع بينها، وذلك أنه على فرض وجود تعارض فالجمع ممكن لو أعمل فكره وأمعن نظره وأخلص في بحثه، لكنه أرسل قوله بتعذُّر الجمع دعوى تتعثَّر في أذيال الخجل.

الرابع: قوله: «وقد نصَّ على ذلك علماء الحديث» -يعني أنهم نصُّوا على الاضطراب وتعذُّر الجمع- وهذا غير صحيح، فعلماء الحديث نصُّوا على التواتر لا الاضطراب، وعلى وجوب اعتقاد ما تضمَّنه لا على ردِّه بدعوى اضطراب وتعذُّر جمع موهومَيْن، وستُتلى عليك نصوصهم بعدُ بحول الله.

الخامس: قوله: «وهي فوق ذلك؛ من رواية وهب بن منبه وكعب الأحبار». وهذا غير صحيح، فلقد ذكرنا إحدى وستين حديثًا مِن طرق إحدى وثلاثين شخصًا ليس فيهم وهب ولا كعب، أفليست هذه الدعوى

وغيرها في كلامه دلائل على أنه ما أخلص في بحثه؟!

السادس: قوله: «وهما من أهل الكتاب الذين اعتنقوا الإسلام». يقصد بهذا الكلام نقصهما وتقليل شأنهما كما هو ظاهر من دلالة السياق.

وما قصَده خطأ غير صواب؛ لأن كونهما من أهل الكتاب الذين اعتنقوا الإسلام مما يمدحان به ويُغبطان عليه، لما روى البخاريُّ ومسلمٌ وغيرهما، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ثلاثةٌ لهم أَجْران: رجلٌ من أهل الكتاب آمن بنبيِّه وآمن بمحمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، والعبدالمملوك إذا أدَّى حَقَّ الله وحَقَّ مواليه، ورجلٌ كانت له أَمَةٌ فأدَّبها فأحسن تأديبها وعلَّمها فأحسن تعليمها، ثُمَّ أعتقها فتزوَّجها فله أجران**».

فلكلٍّ من وهبٍ وكعبٍ أجران بنصِّ الحديث، وهي مزيَّة لهما على صاحب الفتوى الذي يجرحهما بما هو مدح وثناء.

ولهذه المناسبة يجب أن نقول إنَّ الطعن في الراوي بكونه مِن أهل الكتاب طريقة الشيخ رشيد رضا في ردِّ الأحاديث التي تخالف هواه، وهي طريقة غير جيدة لأنها تفتح الباب على مصراعيه للمبتدعين الزائغين في تجريح كثير من الصحابة والتابعين.

ثُمَّ هي مخالفة لما عليه المحدِّثون، فإنَّ العبرة عندهم بثقة الراوي وعدالته لا بأصل دينه ونشأته، فقد يكون الرجل مجوسيًّا ولكنه ساعة رواية الحديث مسلمٌ ثقةٌ، فمن ذا يقول إن روايته تُرَدُّ الآن لمجوسيته بالأمس؟! لا أحد يقول ذلك، بل المحدِّثون كلهم يقولون العبرة بوقت الأداء لا بوقت التحمُّل، أي أنه

لو تحمَّل الحديث وهو كافر ثُمَّ أدَّاه وهو مسلمٌ قُبِل أداؤه بلا نزاع.

وانظر تراجم الصحابة والتابعين تجد كثيرين منهم كانوا مجوسًا أو أهل كتاب فلم يضرهم ذلك عند الله وعند الناس شيئًا إذ أسلموا واتقوا وأحسنوا، بل كانوا هم خير القرون وأفضل الأُمَّة بالنصِّ والإجماع، فليطمئنَّ صاحب الفتوىٰ وليعلم أنَّ ما سلكه في التجريح -تبعًا للشيخ رشيد- وحده لا يفيد عند المحدِّثين ولا عند غير المحدِّثين.

السابع: قوله: «وقد عرفت درجتهما في الحديث عند علماء الجرح والتعديل». يريد بهذا تضعيفهما وعدم قبول روايتهما، ونحن نقول بموجبه، لكن علىٰ غير ما يريد.

نعم، قد عرفت درجتهما عند علماء الجرح والتعديل بالثناء عليهما وتعديلهما، والجواب عما قيل في حقِّهما، فوهب بن منبه يقول عنه الذهبي في "الميزان": «مِن أخيار علماء التابعين، حديثه عن أخيه همَّام في "الصحيحين"، وكان ثقة صادقًا كثير النقل من كتب الإسرائيليات، قال العجلي: «ثقة تابعي كان علىٰ قضاء صنعاء»، وقال مثنىٰ بن الصباح: «لبث وهب عشرين سنة لم يجعل بين العشاء والصبح وضوءًا». ضعَّفه الفلاس وحده، ووثَّقه جماعةٌ. قال الجوزجاني: «كتب كتابًا في القَدَرِ ثم ندم»، وقال أحمد بن حنبل: «كان يتهم بشيءٍ من القدر ثُمَّ رجع».اهـ

وكعب الحبر: أخرج له أبو داود والترمذيُّ والنَّسائيُّ، روىٰ عنه من الصحابة أبو هريرة وابن عبَّاسٍ وغيرهما وجماعة من التابعين، وكان عمر يقول له: «خوِّفنا يا كعب». وكان يستشيره في أشياء ويعمل برأيه، وذكره أبو الدرداء

فقال: «إن عنده علمًا كثيرًا». وقال معاوية بن صالح، عن عبدالرحمن بن جبير قال: قال معاوية: «ألا إنَّ كعب الأحبار أحد العلماء إن كان عنده لعلم كالثمار وإن كنَّا فيه لمفرِّطين». وكان عبدالله بن الزبير يقرِّبه ويسمع منه الشيء الكثير، وشهد له بالصِّدق فيما كان يحدِّثه به.

قرأت في الجزء الثاني من "أمالي عبدالرزاق": أخبرنا مَعْمَرٌ، عن أيوب، عن ابن سيرين قال: قال عبدالله بن الزبير: «ما شيء كان يحدِّثنا به كعب إلَّا قد جاء على ما قال، إلَّا قوله: «إن فتى ثقيف يقتلني». وهذا رأسه بين يدي»- يعني المختار- قال: يقول ابن سيرين: «ولا يشعر أنَّ أبا محمَّد -يعني الحجَّاج- قد خبئ له».اهـ

وكذلك معاوية كان يأخذ عنه، ويسمع منه، ويقول: «كان من أصدق هؤلاء الذين يحدِّثوننا». يعني مسلمي أهل الكتاب، أمَّا قوله: «وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب». فمحمول عند العلماء على الإسرائيليات التي كان يحدِّث بها، فإن فيها الكذب، لا أنه يكذب لأنه ثقة كما في الجزء الثاني من "تاريخ ابن كثير" وغيره، وقال النووي: «اتفقوا على كثرة علمه وتوثيقه».اهـ

والمقصود أن كعبًا ووهبًا ثقتان من خيار التابعين.

الثامن: قوله: «وثانيًا»: على حديث مروي عن أبي هريرة اقتصر فيه على الإخبار بنزول عيسى عليه السلام». هذا غلط من وجهين:

الأول: أنَّ المفسِّرين وغيرهم لم يستندوا في القول بنزول عيسى عليه السلام إلى حديث أبي هريرة وحده، بل إلى الأحاديث الكثيرة المتعددة التي صرحوا بأنها متواترة.

الثاني، وهو **التاسع** في سلسلة الأغلاط: أن حديث أبي هريرة لم يقتصر على الإخبار بنزول عيسى عليه السلام، بل أخبر -مع ذلك- بأنه يقتل الخنزير والدَّجَّال ويكسر الصَّلِيب ويدعو المِلل كلها إلى الإسلام، ودونك أحاديث أبي هريرة التي أوردناها فهي ناطقة بكل ذلك.

العاشر: قوله: «وإذا صحَّ هذا الحديث فهو حديث آحاد». هذا غلط من وجهين أيضًا:

الأول: أنَّ غرضه بقوله: «وإذا صحَّ هذا الحديث». التشكيك في صحَّته كما يدل عليه سياق الكلام وروح الفتوى، وحينئذ فالصحيح -عربية- استعمال «إن» الشرطية لأنها تدل على الشك، أما استعمال «إذا» فغلط لأنها مختصة بالمتيقن والمظنون كما صرَّح به النحويون في كتبهم وذكره الحافظ في "فتح الباري".

الثاني، وهو **الحادي عشر** من الأغلاط: قوله: «فهو حديث آحاد». وهذا غلط لا يحتاج إلى بيان، لأنه واضح مما تقدَّم ومما يأتي إن شاء الله.

الثاني عشر: قوله: «وقد أجمع العلماء على أنَّ أحاديث الآحاد لا تفيد عقيدة». وهذا غير صحيح، وبيان ذلك أنَّ العلماء اختلفوا في خبر الواحد هل يفيد الظنَّ أو العلم؟ على قولين:

الأول: أنه إنما يفيد الظنَّ فقط، وإلى هذا ذهب الجمهور، ثُمَّ اختلفوا فذهب أكثرهم إلى أنه لا يفيد العلم سواء انضمت إليه قرائن أم لا، وذهب الآمدي وابن الحاجب وابن السُّبكي وغيرهم إلى أنه يفيد العلم بانضمام قرائن إليه. قال السيد الشريف في "حاشية الشرح العضدي": «هذا هو المختار»، وكذا قال الحافظ ابن حجرٍ في "شرح النخبة".

الثاني: أنَّ خبر الواحد العدل يفيد بنفسه العلم اليقيني النظري من غير انضمام قرينة. وإلى هذا ذهب أحمد بن حنبل، وحكاه ابن خويزمنداد البغدادي المالكي عن مالك بن أنس واختاره، وأطال في تقريره في كتاب له في أصول الفقه، وحكاه ابن حزم الحافظ في كتاب "الأحكام" عن الحارث بن أسد المحاسبي، وداود بن علي الأصبهاني إمام أهل الظاهر، والحسين بن علي الكرابيسي، قال: «وبه نقول».

ثم اختلفوا، فقال أحمد في أحد قوليه، وابن حزم وغيرهما: «حصول العلم بخبر الواحد العدل مُطَّرِد»، وقال آخرون: «لا يَطَّرِد». فجملة الأقوال في خبر الواحد: أربعة[1] وعلى القول الثاني المختار، فالخبر المحتف بالقرائن أنواع: حديث الشيخين، والحديث المستفيض -ويسمى المشهور- والحديث المسلسل بالحفاظ الأئمة كمالك وأضرابه، فكل واحد من هذه الأحاديث يفيد العلم كما يعلم من محله.

إذا تقرَّر هذا، فاعلم أنَّ الذين يرون خبر الواحد مفيدًا للعلم يقولون أنه يفيد العقيدة كما هو واضح، ولذا كان الإمام أحمد يستند في كثير من الصِّفات والعقائد السمعية إلى أحاديث آحاد صحيحة، وكذلك يفعل ابن حزم في كلامه على العقائد.

بل هذا هو مقتضى صنيع المحدِّثين كالبخاريِّ، ومسلمٍ، وابن خزيمة،

---

(١) **الأول**: يفيد الظن مطلقًا. **الثاني**: يفيد العلم بقرينة وهو المختار. **الثالث**: يفيد العلم من غير قرينة باطراد. **الرابع**: يفيد العلم لا باطراد.

وأصحاب السُّنن، والحاكم، وغيرهم، إذ يستدلون في «كتاب التوحيد» من مصنفاتهم بأحاديث صحيحة تتعلَّق بالله، أو برسله وملائكته، أو الحشر وما يتبعه، أو بالقضاء والقَدَر، أو غير ذلك من السَّمعِيَّات، وللحافظ البيهقي كتاب "الأسماء والصفات"، وكتاب "الاعتقاد" من رآهما أو غيرهما مِن كتبه وكتب غيره تيقن صحَّة ما قلناه، والمسألة مبسوطة في كتب المصطلح المتداولة أثناء الكلام على العمل بالحديث الضعيف في الفضائل دون العقائد والأحكام.

أمَّا الذين يقولون أنَّ خبر الواحد لا يفيد عقيدة فهم معظم الجمهور، إذ يرونه مفيدًا للظنِّ مطلقًا كما تقدَّم، وممَّا ذكرناه يتبيَّن لك أنَّ الإجماع الذي حكاه صاحب الفتوى غير صحيح.

الثالث عشر: قوله: «ولا يصح الاعتماد عليها في شأن المغيَّبات». أي أنَّ العلماء أجمعوا على أنه لا يصح الاعتماد على أحاديث الآحاد في شأن المغيَّبات، كذا قال.!

وهي دعوى أوسع مِن الغَبْراء، وأكبر مِن أن تُظلِّها الخضراء، فكيف تحمَّل تبعتها صاحب الفتوى على ضعفه؟! لم يقل أحد من العلماء قبل هذا الوقت لا من المحدِّثين، ولا مِن الفقهاء،[1] ولا من الأصوليين، ولا من المتكلِّمين، أنَّ حديث الآحاد لا يُعتمد عليه في المغيَّبات، بل الإجماع منعقد على ضدِّ ذلك.

فانظر كتب السُّنَّة على اختلاف أنواعها من صِحاح، وسنن، ومَسانيد،

---

(١) إلَّا ما حكاه ابن تيمية في "رفع الملام" عن طوائف من الفقهاء فيما يختص بالوعيد، ثم رده. انظر (ص ٩٩-١٠٢) من مجموعة الرسائل الكبرى له.

ومعاجم، وأجزاء، وكتب التفسير، وكتب السِيَر والمعجزات والخصائص، وكتب الملاحم وأشراط الساعة، وكتب الترغيب والترهيب، تجدها ملأىٰ بأحاديث الآحاد في شأن المغيَّبات من ثواب وعقاب وأخبار عن أشياء ماضية وآتية وغير ذلك.

وشرَّاح الحديث كالخطَّابي، وابن بطَّال، والداودي، والمازري، وعياض، والنووي، والقرطبي، والكرماني، ومغلطاي، وابن سيِّد الناس، والدميري، والعراقي، وابن حجرٍ، والعيني، والطِّيبي، وزكريَّا الأنصاري، والسيوطي، والقسطلَّاني، والزرقاني، وغيرهم ممن لا يحصيهم العدُّ، كلهم علىٰ اختلاف مذاهبهم متفقون علىٰ قبول هذه الأحاديث، والاستنباط منها، وعدِّها مِن أعلام النبوة، وتأويل ما أشكل ظاهره منها، والجمع بين متعارضها.

ثُمَّ كتب المصطلح كلها تنصُّ علىٰ أنَّ الصحابي إذا قال قولًا ليس للاجتهاد فيه مجال ولم يكن يأخذ عن الإسرائيليات فقوله مرفوعٌ حكمًا، أي يحكم بأنه سمعه من النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وما فائدة المرفوع سوىٰ العمل به؟!

وإذا نقلوا أشياء في المغيَّبات عن بعض الصحابة أو التابعين ممن عُرف بالأخذ عن الإسرائيليات يعقبونها بقولهم: «مثل هذا لا يقبل فيه إلَّا ما صحَّ عن المعصوم».

تجد ذلك في مواضع من كتب البيهقي خصوصًا "الأسماء والصفات"، وفي "تفسير ابن كثير" و"تاريخه"، وغيرهما.

بل صرَّح ابن كثير في أول "تاريخه" بأنَّ العمدة والاستناد في المغيَّبات علىٰ كتاب الله وسُنَّة رسوله مما صحَّ نقله أو حسن، ونقل كلامه الحافظ السخاوي

في كتاب" الإعلان بالتوبيخ لمن ذمَّ التَّـوْريخ"، وفي كتاب "الأصل الأصيل في تحريم النقل من التوارة الإنجيل"، وأقرَّه وأيده.

فصل

ولو سلَّمنا جدلًا أنَّ حديث أبي هريرة آحاد -كما تزعم الفتوىٰ- فيجب الاعتماد عليه في هذه المسألة لأمور:

الأول: أن نزول عيسىٰ عليه السَّلام من الأحداث الواقعة في الدنيا قبل انقراضها، فهو خبر كغيره من الأخبار التاريخية المتعلِّقة بحوادث هذا العالم، وما كان من هذا القَبيل لا يشترط فيه التواتر بل يكفي فيه خبر الواحد العدل بإجماع المؤرخِّين والإخباريين، ووجوب التصديق بوقوع هذا الحادث من أجل أنَّ الشارع أخبر به لا يجعله مِن قِسْم العقائد التي يُطلب فيها البرهان كالإلهيَّات والنبوَّات؛ ذلك لأن كل ما أخبر به الشارع يجب تصديقه حتىٰ في الفروع الفقهية كما هو معلوم، ولذا قال الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني وغيره: «إنَّ المباح مكلَّفٌ به مِن حيث وجوب اعتقاد إباحته».

الثاني: أنَّنا لو قلنا: «إنَّ نزول عيسىٰ عليه السلام من قبيل العقائد» فنقول: المعتبر في العقيدة شرعًا هو العقد الجازم، وهذا قد يحصل بخبر الواحد وبالتقليد بناء علىٰ ما صحَّحه ابن السُّبكي وغيره، والقول بأن: «إيمان المقلِّد لا يصح» قصرًا للإيمان علىٰ أهل البرهان منسوب إلىٰ أبي الحسن الأشعري، وهو وإن صحَّحه السنوسي في "شرح الكبرىٰ"، مردود عند جماعة المحقِّقين، وقد شنَّعوا علىٰ الأشعري بأنه يلزمه إكفار العوامِّ وهم غالب المؤمنين.

وقال أبو القاسم القشيري في دفع التشنيع: «هذا القول مكذوبٌ عليه».

لكنه مشهورٌ عنه كما في "المقاصد" فلا سبيل إلى تكذيبه.

فالأَوْلى في دفع التشنيع ما سلكه التاج السبكي في "رفع الحاجب" حيث قال: «التقليد يطلق تارة بمعنى قبول قول الغير بغير حُجَّة، ويسمَّى اتباع العامي لإمامه «تقليدًا» على هذا، وهو العرف. وتارة بمعنى الاعتقاد الجازم لا لموجِب. والتقليد بالمعنى الأول قد يكون ظنًّا، وقد يكون وهمًا كما في تقليد إمام في فرع من الفروع، مع تجويز أن يكون الحق في خلافه، ولا شك أنَّ هذا لا يكفي في الإيمان عند سائر الموحِّدين، ولعلَّه مقصود الأشعري بقوله: لا يصح إيمان المقلِّد». قال: «وأما التقليد بالمعنى الثاني فكان أبي رحمه الله يقول: «لم يقل أحد من علماء الإسلام أنه لا يكفي في الإيمان إلَّا أبو هاشم من المعتزلة، وأنا أقول: إن هذا لا يُتصوَّر فإنَّ الإنسان إذا مضى عليه زمنٌ لابد أن يحصل عنده دليل، وإن لم يكن على طريقة أهل الجَدَل، فإن فرض مصمم جازم لا دليل عنده فهو الذي يكفِّره أبو هاشم، ولعله المنسوب إلى الأشعري والصحيح أنه ليس بكافر، وأنَّ الأشعري لم يقل ذلك. نعم اختلف أهل السُّنَّة في أنه: هل هو عاصٍ؟ والأصح عند أبي حنيفة -رحمه الله- أنه مطيع، وعند آخرين: أنه عاصٍ، وهو الخلاف في وجوب النظر فاعرفه».اهـ

الثالث: أنَّ خبر الآحاد يفيد العلم عند القرينة على المختار، كما تقدَّم، وحديث أبي هريرة قد احتفَّت به قرائن: **منها**: كونه مخرَّجًا في "الصحيحين". **ومنها**: وروده من طُرُقٍ.

ومنها: تسلسله في بعض الطُّرق بالأئمَّة الحُفَّاظ المتقنين، فقد رواه البخاريِّ، عن عليِّ بن المديني، عن سفيان بن عُيينة، عن الزهريِّ، عن سعيد بن

المسيِّب، عن أبي هريرة. وهؤلاء بحور العلم وأطواد الرواية، الواحد منهم يقوم مقام عدد كثير من غيرهم، وبالله التوفيق.

فصل

دليل نزول عيسى عليه السلام من القرآن

وقد ثبت نزول عيسىٰ عليه السلام بالقرآن أيضًا كما ثبت بالسُّنَّة المتواترة، وذلك في بضع آيات:

الآية الأولى

﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾

قول الله تعالىٰ في البشارة بعيسىٰ عليه السلام: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ [آل عمران: ٤٦] قال ابن جرير في "تفسيره": حدَّثني يونس: أخبرنا ابن وهب: قال سمعته -يعني ابن زيد- يقول في قوله: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ قال: «قد كلَّمهم عيسىٰ عليه السلام في المَهْدِ، وسيكلِّمهم إذا قتل الدَّجَّال، وهو يومئذٍ كَهْلٌ».

وقال ابن جرير أيضًا: حدَّثني يونس: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] قال: متوفِّيك: قابضك، قال: متوفِّيك ورافعك واحد، قال: ولم يمت بعد حتىٰ يقتل الدَّجَّال وسيموت، وتلا قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ قال: رفعه الله إليه قبل أن يكون كَهْلًا، قال: وينزل كَهْلًا.

وقال الحسين بن الفضل البجلي: إنَّ المراد بقوله: ﴿وَكَهْلًا﴾ أن يكون كهلًا بعد أن ينزل من السماء في آخر الزمان، ويكلِّم الناس ويقتل الدَّجَّال. قال الحسين بن الفضل: وفي هذه الآية نصٌّ في أنه عليه الصَّلاة والسَّلام سينزل إلى الأرض».اهـ

وقال ثعلب في قوله: «﴿وَكَهْلًا﴾ ينزل عيسى عليه السلام إلى الأرض كَهْلًا».اهـ

وقال العلامة الآلوسي في الكلام على هذه الآية ما نصُّه: «﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ عطف على الحال الأولى أيضًا، وعطف الفعل على الاسم لتأويله به سائغٌ شائعٌ، وهو في القرآن كثير، والظرف حال من الضمير المستكن في الفعل، ولم يجعل ظرفًا لغوًا متعلقًا به مع صحته لعطف ﴿وَكَهْلًا﴾ عليه، والمراد: يكلمهم حال كونه طِفْلًا وكَهْلًا، والمقصود: التسوية بين الكلام في حال الطفولية، وحال الكهولة، وإلَّا فالكلام في الثاني ليس مما يختص به عليه السَّلام وليس فيه غرابة، وعلى هذا فالمجموع حال لا كل على الاستقلال.

وقيل: إن كلًّا منهما حال والثاني تبشير ببلوغ سنِّ الكهولة وتحديدًا لعمره، والمهد: مقر الصَّبيِّ في رضاعه، وأصله مصدر سمي به. وكان كلامه في المهد ساعة واحدة بما قصَّ الله تعالى لنا، ثم لم يتكلَّم حتى بلغ أوان الكلام، قاله ابن عبَّاسٍ. وقيل: كان يتكلَّم دائما، وكان كلامه فيه تأسيسًا لنبوته وإرهاصًا لها على ما ذهب إليه ابن الأخشيد، وعليه يكون قوله: ﴿وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾ [مريم: ٣٠] إخبارًا عما يؤول إليه.

وقال الجبائي: إنه سبحانه أكمل عقله عليه السَّلام إذ ذاك، وأوحىٰ إليه بما تكلَّم به مقرونًا بالنبوة، وجوَّز أيضًا أن يكوذ ذلك كرامة لمريم دالة علىٰ طهارتها وبراءة ساحتها مما نسبه أهل الإفك إليها، والقول بأنه معجزة لها بعيد، وإن قلنا بنبوتها... والكهل ما بين الشاب والشيخ، ومنه اكتهل النبات إذا طال وقوي.

وقد ذكر غير واحدٍ أنَّ ابن آدم ما دام في الرَّحم فهو جَنِين، فإذا وُلِد فهو وَليد، ثُمَّ ما دام يرضع فهو رَضِيع، ثُمَّ إذا قطع اللبن فهو في فَطيم، ثم إذا دبَّ ونما فهو دارج، فإذا بلغ خمسة أشبار فهو خماسي، فإذا سقطت رواضعه فهو مَثْغُور، فإذا نبتت أسنانه فهو مُثَّغر بالتاء والثاء كما قال أبو عمرو، فإذا قارب عشر سنين أو جاوزها فهو مُتَرعْرِع وناشِئ، فإذا كاد يبلغ الحُلُم أو بلغه فهو يافِع ومُراهِق، فإذا احتلم واجتمعت قوته فهو حَزَوَّر واسمه في جميع هذه الأحوال غلام.

فإذا اخضرَّ شاربه وأخذ عِذَاره يسيل، قيل: قد بَقَل وجهه، فإذا صار ذا فتاء فهو فتىٰ وشَارِخ، فإذا اجتمعت لحيته وبلغ غاية شبابه فهو مُجْتَمِع، ثُمَّ ما دام بين الثلاثين والأربعين فهو شاب، ثُمَّ كَهْل إلىٰ أن يستوفي الستين، ويقال لمن لاحت فيه أمارات الكبر، وخَطَه الشَّيْب.

ثُمَّ يقال: شاب، ثُمَّ شَمِط، ثُمَّ شاخ، ثُمَّ كبر، ثم هَرِم، ثُمَّ دَلِف، ثُمَّ خَرِف، ثُمَّ أَهْتَر ومحا ظله إذا مات. وهذا الترتيب إنما هو في الذكور...»، ثُمَّ ذكر الترتيب في الإناث، ثُمَّ قال: «وعلىٰ ما ذكر في سنِّ الكهولة يراد بتكليمه عليه السَّلام كَهْلًا تكليمه لهم كذلك بعد نزوله مِن السماء وبلوغه ذلك السنِّ بناء علىٰ ما ذهب إليه سعيد بن المسيِّب وزيد بن أسلم وغيرهما أنه عليه السَّلام رُفع

إلى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، وأنه سينزل إلى الأرض ويبقى فيها أربعًا وعشرين سنة كما رواه ابن جرير بسند صحيح عن كعب الأحبار، ويؤيد هذا ما أخرجه ابن جرير عن ابن زيد في الآية قال: قد كلّمهم عيسى عليه السلام في المهد، وسيكلِّمهم إذا قتل الدَّجَّال وهو يومئذٍ كَهْلٌ».اهـ

قلت: الصحيح أنَّ عيسى عليه السَّلام يمكث في الأرض بعد نزوله أربعين سنة كما جاء في الحديث الصحيح.

هذا، وزعم ابن القيم في "زاد المعاد" أنَّ ما يذكر مِن أنَّ عيسى عليه السلام رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة لا يعرف به أثر متصل يجب المصير إليه. قال الشامي في "سيرته": وهو كما قال، فإن ذلك إنما يروى عن النصارى والمُصرَّح به في الأحاديث أنه إنما رفع وهو ابن مائة وعشرين سنة.اهـ

ونقله الزرقاني في "شرح المواهب" مستشهدًا به على ما صحَّحه مِن أنَّ عيسى ويحيى عليهما السَّلام إنما بعثهما الله بعد بلوغ أربعين سنة كسائر الرسل معلِّلًا ذلك بأن سِنَّ الأربعين هو سِنُّ الكمال.

قلت: هذا كله عن الصواب بمعزل، والعجب من ابن القيم كيف نفى وجود أثر في المسألة مع أنه ورد فيها حديث مرفوع، وآثار عن سعيد بن المسيِّب وزيد بن أسلم وابن زيد وغيرهم من علماء التابعين.

قال الحافظ ابن كثير في "تاريخه" ما نصُّه: «قال الحسن البصري: كان عُمُر عيسى عليه السلام يوم رُفِع أربعًا وثلاثين سنة، وفي الحديث: «**أنَّ أهل الجنَّة يدخلونها جُرْدًا مُرْدًا مُكَحَّلين أبناء ثلاثٍ وثلاثين**».

وفي الحديث الآخر: «**على ميلاد عيسى، وحُسْن يوسف**». وكذا قال حمَّاد

بن سلمة عن عليٍّ بن زيد، عن سعيد بن المسيِّب، أنه قال: رفع عيسىٰ عليه السلام وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة».اهـ

وقال ابن أبي الدنيا: حدَّثنا هاشم بن القاسم: ثنا صفوان بن صالح: ثنا رواد بن الجراح العسقلاني: ثنا الأوزاعي، عن هارون بن رئاب، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**يدخل أهل الجنَّة الجنَّة على طول آدم ستين ذراعًا بذراع المِلك**[1] **على حُسْنِ يوسف، وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين سنة، وعلى لسان محمَّدٍ جُرْدٌ مُرْدٌ مُكَحَّلون**».

وأما ما رواه الحاكم في "المستدرك"، ويعقوب بن سفيان الفسوي في "التاريخ": عن محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان أنَّ أُمَّه فاطمة بنت الحسين حدَّثته أنَّ عائشة كانت تقول: أخبرتني فاطمة أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أخبرها أنه لم يكن نبي كان بعده نبي إلَّا عاش الذي بعده نصف عمر الذي كان قبله، وأنَّ جبريل أخبرني أنَّ عيسىٰ ابن مريم عاش عشرين ومائة سنة، فلا أراني إلَّا ذاهبًا إلىٰ رأس ستين[2]. فهو حديث غريب كما قال الحافظ ابن كثير في "تاريخه".

ونقل عن الحافظ ابن عساكر أنه قال: الصحيح أنَّ عيسىٰ لم يبلغ هذا العمر.اهـ

وما رواه سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن يحيىٰ بن جعدة قال: قالت

---

(١) المَلِك -بكسر اللام- وذراع الملك يكني به العرب عن الذراع الكامل غير المنقوص.

(٢) مما يضعف هذا الحديث مخالفته لأصح الروايات وأشهرها في قَدْر عُمْر النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وهو ثلاث وستون سنة. انظر شروح "الصحيحين" وكُتُب السِّيَر.

فاطمة: قال لي رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ عيسى ابن مريم مكث في بني إسرائيل أربعين سنة**». ضعيف أيضًا؛ لأنه منقطع كما قال الحافظ ابن كثير.

وما جاء في "الحلية" عن زيد بن أرقم مرفوعًا: «**ما بعث الله نبيًّا إلا عاش نصف ما عاش النبيُّ الذي كان قبله**». إسناده واهٍ كما قال المناوي في "شرح الجامع الصغير"، وقول ابن الديبع: «إسناده حسن» غير حَسَنٍ.

وحديث: «**ما من نبيٍّ نُبِّئ إلَّا بعد الأربعين**». لا أصل له، وقد ذكره الزمخشري في تفسير سورة القصص من "الكشاف"، فقال الحافظ الزيلعي في تخريج أحاديثه: لم أجده، وكذا قال الحافظ ابن حجرٍ في اختصاره لتخريج الزيلعي، بل ورد ما يعارضه.

قال الطبراني في "الأوسط": حدَّثنا محمد بن عمر بن منصور البجلي: ثنا قتيبة بن سعيد: ثنا جرير، عن قابوس بن أبي ظبيان، عن أبيه، عن ابن عبَّاسٍ قال: «ما بعث الله نبيًّا إلَّا وهو شاب، ولا أوتي عالم علمًا إلَّا وهو شاب».

والصحيح الذي اعتمده المحدِّثون والمؤرِّخون كابن جرير وابن كثير وغيرهما أنَّ عيسى عليه السَّلام أنزل عليه الوحي وهو ابن ثلاثين سنة، ومكث حتى رفع إلي السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، وهو الذي اعتمده أيضًا جمهور العلماء.

قال الشهرستاني في "المِلَل والنِّحَل": «وجميع الأنبياء بلاغ وحيهم أربعون، وقد أوحى إليه انطاقًا في المَهْد وإبلاغًا عند الثلاثين، وكانت مدة دعوته ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام فلما رُفِعَ إلى السماء اختلف الحواريون وغيرهم فيه».اهـ

تنبيهان

الأول: روى الترمذيُّ عن أبي سعيدٍ الخدريِّ مرفوعًا: «**مَن مات مِن أهل الجنَّة مِن صغيرٍ أو كبيرٍ يردون بني ثلاثين سنة في الجنَّة، لا يزيدون عليها أبدًا، وكذلك أهل النَّار**».

فهذا الحديث يخالف ما سبق، والجواب عنه من وجهين:

أحدهما: أنَّ إسناده ضعيف.

وثانيهما: ما ذكره ابن القيم في "حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح" وهو: «أنَّ العرب إذا قدرت بعدد له نيف فإن لهم طريقين: تارة يذكرون النيف للتحرير كما في الأحاديث المتقدِّمة، وتارة يحذفونه كما في هذا الحديث. قال ابن القيم: وهذا معروف في كلامهم وخطاب غيرهم مِن الأمم». اهـ

الثاني: لعل أحدًا يعترض ما نقلناه عن ابن زيد وغيره في تفسير الآية من أنَّ عيسى عليه السَّلام إنما يكون كَهْلًا بعد نزوله إلى الأرض بما جاء في كتب اللغة: أنَّ الكَهْل من جاوز الثلاثين، وقيل: مَن بلغ أربعًا وثلاثين إلى إحدى وخمسين.

وقد يؤيد اعتراضه بما جاء في "البحر المحيط" لأبي حيان حيث قال في تفسير الآية ما نصُّه: «لم يتعرض لوقت كلامه إذا كان كهلًا. فقيل: كلامه قبل رفعه إلى السماء. كلمهم بالوحي والرسالة، وقيل: ينزل من السماء كهلًا ابن ثلاث وثلاثين سنة. فيقول لهم: إني عبدالله كما قال في المهد، وهذه فائدة قوله: وكهلًا، أخبر أنه ينزل عند قتله الدَّجَّال كهلًا قاله ابن زيد».اهـ

وعلى هذا يكون عيسى عليه السَّلام قد كلَّم الناس كهلًا، وتحقَّقت الآية

الكريمة، ولم يكن فيها دلالة على نزوله إلى الأرض آخر الزمان.

والجواب: أنَّ الكهل حقيقة مَن بلغ أربعين سنة. مأخوذ من قولهم: اكتهل النبت إذا تم طوله، وظهر نوره. قال الأعشى:

يُضَاحِكُ الشَّمْسَ مِنْها كَوْكَبٌ شَرِقٌ مُـؤَزَّرٌ بعَمِـيمِ النَّـبْتِ مُكْتَهِـلُ

أي منتهاه في الحسن والتمام، ولا شك أنَّ سِنَّ الأربعين هو نهاية أشد الإنسان ووقت استواء قوته وكمال عقله.

قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ﴾ [الأحقاف: ١٥] الآية

وورد عن مجاهد تفسير الكهل بالحليم، وهو تفسير باللازم غالبًا كما قال أبو حَيَّان، قال: «لأنَّ الكَهْل يقوى عقله وإدراكه وتجربته فلا يكون في ذلك كالشارخ».اهـ

أمَّا ما بين الثلاثين والأربعين فهو سِنُّ الشباب بدليل ما تقدَّم في كلام الآلوسي نقلًا عن غير واحدٍ وهو المنصوص عليه في "المخصص" وغيره، بل ورد الحديث به أيضًا.

روى أبو بكر بن أبي داود، من طريق الأوزاعي، عن هارون بن رئاب، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يُبعث أهل الجنَّة على صورة آدم، في ميلاد ثلاث وثلاثين سنة، جُرْدًا مُرْدًا مُكَحَّلين، ثُمَّ يذهب بهم إلى شجرةٍ في الجنَّة فيُكْسَون منها لا تَبْلى ثيابهم، ولا يَفْنى شبابهم**». فهذا الحديث نصٌّ في المسئلة كما ترى.

نعم، قد يطلق الكهل على من جاوز ثلاثين سنة كما جاء في كتب اللغة لكنه إطلاق مجازي؛ لأن الشخص إذا جاوز الثلاثين من عمره دخل في عقد الأربعين، ثم هو بحسب الغالب المعتاد في أعمار الناس واصل إلى نهاية العقد فصح تسميته كهلًا بهذا الاعتبار على سبيل المجاز المرسل، ويُسمَّى هذا النوع مجاز الأول.

فإن قيل: لا يتعيَّن ما ذكرته، بل يجوز أن يكون لفظ الكهل حقيقة فيمن جاوز الثلاثين، كما هو حقيقة فيمن بلغ الأربعين، ويكون من قَبيل المشترك اللفظي.

فالجواب على هذا: أنَّ الاشتراك خلاف الأصل والمجاز -وإن كان مثله في ذلك- فهو أولى منه، لأنه أكثر استعمالا في الكلام، حتى ادَّعى ابن جنِّي أنَّ أغلب اللغات مجاز، ولهذا قال الأصوليون: إذا دار اللفظ بين أن يكون مجازًا أو مشتركًا فالراجح حمله على المجاز لأنه أعم وأغلب، نصَّ عليه الإمام الرازي في "المحصول"، وابن الحاجب في "المنتهى"، وابن السبكي في "جمع الجوامع" وغيرهم، قال الشوكاني في "إرشاد الفحول": «وهو الحق».

فما سلكناه هو المتعيِّن من حيث القواعد اللغوية والأصولية، وبهذا يتبيَّن أنَّ مَن حَمَل قوله تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ [آل عمران: ٤٦] على أنه كلمهم بالوحي والرسالة قبل رفعه إلى السماء، حمله على معنى مجازي، والمجاز لابد له من قرينة، ولا قرينة تعين هذا المجاز في الآية.

فالواجب تفسيرها بما ذكره ابن زيد والحسين بن الفضل البجلي وغيرهما،

واختاره الألوسي حيث لم يعرِّج على غيره كما تقدَّم، وتكون الآية الكريمة دالة على نزول عيسى عليه السلام، ومُبَشِّرةً أيضًا بنجاته من الصَّلْب؛ لأن اليهود تعرضوا له قبل سِنِّ الكهولة، وقد وعد الله ببلوغه إياه، فلابد مِن تحقُّق وعد الله، وذلك يقتضي أنه حيٌّ الآن كما هو ظاهر، وبالله التوفيق.

الآية الثانية

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ ﴾

قول الله تعالى في سورة المائدة: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴾ [المائدة: ١١٠].

وهذه مثل الآية الأولى، والكلام فيها مثل الكلام فيها، ولذا قال الحافظ السيوطي في تكملة "تفسير الجلال المحلِّي" عقب قوله: «وكهلا»، ما نصُّه: «يفيد نزوله قبل الساعة لأنه رُفع قبل الكهولة كما سبق في آل عمران». اهـ وقال في (آل عمران) ما قرَّرناه آنفًا.

(تنبيه): اشتملت هذه الآية والتي قبلها على نكتتين لطيفتين:

(النكتة الأولى): الإخبار بأنَّ عيسى عليه السَّلام يُكلِّم الناس كَهْلًا، وقد قال المفسِّرون: إنَّ هذا وعدٌ من الله بأنه سيعيش إلى سِنِّ الكُهولة، وهو معنى صحيح، لكن في الآية -مع هذا- معنى آخر لم يُعرِّجوا عليه فيما علمت وهو الإشارة إلى أنَّ كلامه كَهْلًا يأتي على خلاف المعتاد المعهود. فإن الناس يتكلَّمون كُهُولًا وشبَّانًا ليس في ذلك ما يدعو إلى العجب، ولكن العجيب في

شأن عيسىٰ عليه السَّلام أن يرفع شابًّا ويغيب مئات السنين في عالم لا تجري عليه الأغيار الجسمانية، ثم ينزل ويكلِّم الناس بعد ذلك كَهْلًا لا جرم أنَّ هذا أمر غريب!! استحقَّ لغرابته أن ينوِّه الله به في آيتين مِن كتابه بطريق البِشارة تارة والامتنان تارة أخرىٰ؛ ولذا قابله في كلتا الآيتين بأمر لا يقل عنه غرابة وهو كلامه في المهد، فاشتملتا بذلك علىٰ معجزتين عظيمتين، وإلىٰ هذا أشار أحمد بن يحيىٰ ثعلب بقوله: «ذكر الله لعيسىٰ آيتين: تكليم الناس في المهد، فهذه معجزة، والأخرىٰ نزوله إلىٰ الأرض عند اقتراب الساعة كَهْلًا ابن ثلاثين سنة يكلِّم أمَّة محمَّدٍ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فهذه الآية الثانية».اهـ

وقوله: «ابن ثلاثين سنة» لعله سبق لسان عن قوله أربعين؛ لأن عيسىٰ رُفِع ابن ثلاث وثلاثين سنة.

(النكتة الثانية): التعبير بالناس حيث قال تعالىٰ: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ﴾ ولم يقل: ويكلم بني إسرائيل، أو قومه، كما هو المعهود في كل رسول أنه يكلم قومه الذين أرسل إليهم خاصة، للإشارة إلىٰ أن الذين يكلمهم عيسىٰ ليسوا قومه فحسب، بل هم وغيرهم ممن ينزل عليهم آخر الزمان، واقرأ قوله تعالىٰ في سورة آل عمران في شأن البشارة بعيسىٰ عليه السلام: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [آل عمران: ٤٩].

وانظر كيف خص رسالته بقومه فقط لأنه لم يكن مرسلا إلىٰ غيرهم، ثم قابله بقوله تعالىٰ: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ [آل عمران: ٤٦] تجد بينهما تخالفًا في الخصوص والعموم، مع أنهما في سياق البشارة والتنويه بعيسىٰ

عليه السلام، فما هذا التخالف -والله أعلم- إلا للنكتة التي أبديناها، وللإشارة إلى أن كلامه في حالتي طفولته وكهولته ليس بوصف كونه رسولًا، فتأمل هذا جيدًا واحفظه فإنه من أسرار الكتاب الكريم، وهو مما فتح الله به عليَّ، فالحمد لله حمدًا كثيرًا.

الآية الثالثة

﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ الآية

قول الله تعالى في سورة النِّساء: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ١٥٩] معنى الآية: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ أي ما مِن أحدٍ مِن أهل الكتاب ﴿ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ ﴾ أي بعيسى عليه السَّلام، وذلك عند نزوله آخر الزمان حاكمًا بهذه الشريعة المحمَّدية داعيًا إليها، فلا يبقى يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ إذ ذاك إلَّا آمن به أنَّه عبدالله ورسوله، وتصير المِلَل كلها مِلَّة واحدة هي مِلَّة الإسلام، ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ ﴾ أي على اليهود ﴿ شَهِيدًا ﴾ يشهد على مَنْ كَفر به منهم وكذَّبه وافترى عليه. فالضميران في «به»، وفي «موته» عائدان على عيسى عليه السلام وراجعان إليه كما تبيَّن، وهذا التفسير الذي ذكرناه في الآية هو تفسير أبي هريرة وابن عبَّاسٍ وقتادة وابن زيد وأبي مالك والحسن وغيرهم.

أمَّا تفسير أبي هريرة، فقد ثبت عنه في صحيحي البخاريِّ ومسلمٍ وغيرهما، وأوردناه بأسانيده في أول أحاديث النزول، فلا حاجة إلى إعادته.

وأمَّا تفسير ابن عبَّاسٍ، فرواه الفريابي وعبد بن حميد الكشي والحاكم وغيرهم عنه في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ قال: «خروج عيسىٰ عليه السلام». وصحَّحه الحاكم، وروىٰ ابن جرير وابن أبي حاتم من طرق بعضها صحيح عن ابن عبَّاسٍ في قوله: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ قال: «قبل موت عيسىٰ». وروىٰ ابن جرير عنه أيضًا في الآية نفسها قال: «يعني أنه سيدرك أناس من أهل الكتاب حين يبعث عيسىٰ فيؤمنون به».

وأمَّا تفسير قتادة، فرواه ابن جرير عنه: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ قال: قبل موت عيسىٰ، إذا نزل آمنت به الأديان كلها، ورواه أيضًا من طريق آخر نحوه.

وأمَّا تفسير ابن زيد، فرواه ابن جرير عنه في قوله: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ قال: إذا نزل عيسىٰ فقتل الدَّجَّال لم يبقَ يهوديٌّ في الأرض إلَّا آمن به.

وأمَّا تفسير أبي مالك، فرواه ابن جرير أيضًا عنه في قوله: ﴿إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ قال: ذلك عند نزول عيسىٰ ابن مريم، لا يبقىٰ أحدٌ مِن أهل الكتاب إلَّا ليؤمننَّ به.

وأمَّا تفسير الحسن، فقال ابن أبي حاتم: حدَّثنا أبي: ثنا علي بن عثمان اللاحقي: ثنا جويرية بن بشير قال: سمعت رجلًا قال للحسن: يا أبا سعيد،

قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾؟ قال: «قبل موت عيسىٰ، إنَّ الله رفع إليه عيسىٰ وهو باعثه قبل يوم القيامة مقامًا يؤمن به البَرُّ والفاجر».

وروىٰ ابن جرير عنه نحوه من طرق متعددة، وهذا هو المتعيِّن الذي لا يجوز غيره ولا يصح سواه، والدليل عليه أمور:

أحدها: أنه قول أبي هريرة وابن عبَّاسٍ وهما صحابيان جليلان شاهَدَا التنزيل، وعرفا مقاصده بسليقتهما العربية وبتلقيهما عن الرسول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

ثانيها: أنه موافق للأحاديث المتواترة التي صرَّحت بنزول عيسىٰ عليه السلام وأنَّ جميع الكِتابيِّين يؤمنون به بعد نزوله، وتَصير المِلَلُ كلها مِلَّة واحدة، ولهذا كان أبو هريرة إذا روىٰ حديث: «**والذي نفسي بيده ليوشكنَّ أن ينزل فيكم ابن مريم حَكَمًا عَدْلًا فيكسر الصَّلِيب، ويقتل الخنزير، ويَضَع الجِزْية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحدٌ، وتكون السجدة واحدة لله ربِّ العالمين**».

يقول عقبة: واقرأوا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ للإشارة إلىٰ أنَّ الحديث يُفسِّر الآية ويُعيِّن المراد منها فهما متطابقان متوافقان.

ثالثها: أنَّ المتحدَّث عنه في الآيات قبل هذه الآية هو عيسىٰ عليه السَّلام، اقرأ قوله تعالىٰ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ...﴾ [النساء: ١٥٥] الآيات. تجد الكلام مَسوقًا لتبرئة عيسىٰ عليه السَّلام

ممَّا رُمي به، فوجب أن تكون الضمائر كلها راجعة إليه، أخذًا بدلالة السِّياق، وعملًا بما توجبه قواعد اللغة العربية التي نزل بها القرآن العظيم، ولا يجوز العُدُول عن هذا إلَّا لمقتضٍ يقتضي ذلك، ولا مقتضٍ للعُدول هنا البَتَّة.

رابعها: أنه لو أعيد الضمير في «به» أو في «موته» على غير عيسى عليه السَّلام لوجب أن يكون مرجع أحد الضميرين غير مرجع الضمير الآخر، وفي ذلك تشتيت للضمائر مِن غير أن تكون قرينة في اللفظ تدل عليه، بخلاف ما لو عادا إلى عيسى عليه السَّلام، فإنَّ الكلام يستقيم على وَتِيرةٍ واحدةٍ مِن غير تَشْتيتٍ ولا تعقيدٍ.

أمَّا مَن ادَّعى أنَّ الضمير في موته عائد إلى الكِتَابيِّ، والمعنى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ﴾ أي بعيسى عليه السلام قبل موت الكِتابيِّ، وذلك إذا عَايَن قبل أن تزهَقَ رُوحه، فتمسَّك بما جاء عن ابن عبَّاسٍ أنه فسَّره بذلك. فقال له عكرمة: فإن أتاه رجلٌ فضرب عنقه؟ قال: لا تخرج نفسه حتى يحرِّك بها شفتيه. قال: وإن خر مِن فوق بيت أو احترق أو أكله سبع؟ قال: يتكلَّم بها في الهواء، ولا تخرج روحه حتى يؤمن به. وجاء عن مجاهد وعكرمة والضَّحَّاك وابن سيرين نحو ذلك. وبأنَّ قراءة أُبيٍّ ابن كعب في هذه الآية: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩] بضمِّ النون مِن «ليؤمننَّ»، وضمير الجمع في «موته»، وهي تعين عود الضمير على الكتابي، وإنما جمع الضمير باعتبار أنَّ أحدًا المقدَّر في الآية في معنى الجمع.

والجواب: أنَّ الذي استفاض عن ابن عبَّاسٍ وصحَّ عن أبي هريرة وغيره،

هو القول الأول دون الثاني، ولوفرضنا صحَّة القولين عنه فيرجَّح الأول منهما بموافقته للحديث المتواتر ولقواعد اللغة العربية -كما قدَّمناه آنفًا- فيتعيَّن المصير إليه، وقراءة أُبيٍّ شاذَّةٌ لا يجوز الاحتجاج بها، كما لا تجوز تلاوتها بناءًا على ما صحَّحه إمام الحرمين، وأبو نصر القشيري، وابن السمعاني، وابن الحاجب، وغيرهم، مِن عَدَم جواز الاحتجاج بالقراءة الشَّاذَّة، وهو مذهب مالكٍ، وقال النوويُّ: إنه مذهب الشافعيِّ؛ لأنها نُقلت آحادًا فيما تتوفَّر الدَّواعي على نقله تواترًا، ولأنها قد تكون مذهبًا لصاحبها كقراءة ابن مسعودٍ، فإن كثيرًا منها تفسيرات بحسب اجتهاده، ولو جوَّزنا الاحتجاج بها بناءًا على ما صححَّه ابن السُّبكي مِن إجرائها مَجرى الآحاد، فذلك حيث لا يوجد ما هو أقوى منها، وفي هذا الموضع وُجِد الحديث المتواتر الذي عيَّن المراد مِن الآية كما تقدَّم عن أبي هريرة وغيره، والمتواتر مقدَّمٌ على الآحاد إجماعًا.

قال الحافظ ابن كثير في الكلام على هذه الآية ما نصُّه: «قال ابن جرير: وأولى هذه الأقوال بالصحة القول الأول، ولا شك أنَّ هذا الذي قاله ابن جرير هو الصحيح؛ لأنه المقصود مِن سِياق الآي في تقرير بطلان ما ادَّعته اليهود مِن قتل عيسى عليه السَّلام وصَلْبه، وتسليم من سلَّم لهم -مِن النصارى الجهلة- ذلك، فأخبر الله تعالى أنه لم يكن الأمر كذلك، وانما شُبِّه لهم فقتلوا الشَّبَه وهم لا يتبيَّنون ذلك، ثم إنه رفعه إليه، وأنه باقٍ حيٌّ، وأنه سينزل قبل يوم القيامة كما دلَّت عليه الأحاديث المتواترة التي سنوردها قريبًا إن شاء الله، فيقتل مَسيح الضَّلالة، ويكسر الصَّلِيب، ويقتل الخنزير، ويضع الجِزْية يعني: لا يقبلها مِن أحدٍ من أهل الأديان بل لا يقبل إلَّا الإسلام أو السَّيف. فأخبرت

هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذٍ، ولا يتخلَّف عن التصديق به واحدٌ منهم، ولهذا قال: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ أي قبل موت عيسىٰ الذي زعم اليهود ومَن وافقهم مِن النصارىٰ أنه قُتل وصُلب، ويوم القيامة يكون عليهم شهيدًا أي بأعمالهم التي شاهدها منهم قبل رفعه إلىٰ السماء، وبعد نزوله إلىٰ الأرض.

أمَّا مَن فسَّر هذه الآية بأنَّ المعنىٰ أنَّ كل كتابيٍّ لا يموت حتىٰ يؤمن بعيسىٰ أو بمحمَّدٍ عليهما الصَّلاة والسَّلام فهذا هو الواقع، وذلك أنَّ كل أحدٍ عند احتضاره ينجلي له ما كان جاهلًا به فيؤمن به، ولكن لا يكون إيمانًا نافعًا له إذا كان قد شاهد المَلَك، كما قال تعالىٰ في أول هذه السورة: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾ [النساء: ١٨]، وقال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ﴾ [غافر: ٨٤] الآيتين.

لكن لا يلزم منه أن يكون المراد بهذه الآية هذا، بل المراد بها ما ذكرناه من تقرير وجود عيسىٰ وبقاء حياته في السماء، وأنه سينزل إلىٰ الأرض قبل يوم القيامة ليُكذِّب هؤلاء وهؤلاء من اليهود والنصارىٰ». اهـ كلامه.

وقال أيضًا -بعد أن نقل قول الحسن الذي ذكرناه بإسناده فيما تقدَّم قريبًا- ما لفظه: «وكذا قال قتادة وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحدٍ، وهذا القول هو الحق كما سنبيِّنه بعد بالدليل القاطع إن شاء الله». اهـ

ويعني بالدليل القاطع الأحاديث المتواترة في نزول عيسىٰ عليه السَّلام كما

هو واضح.

وقال الإمام العلامة أبو حَيَّان في "البحر المحيط" ما نصُّه: «والظاهر أنَّ الضميرين في «به» وفي «موته» عائدان على عيسى عليه السلام، وهوسِياق الكلام، والمعنى: مِن أهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله.

روي أنه ينزل من السماء في آخر الزمان فلا يبقى أحدٌ مِن أهل الكتاب إلَّا يؤمن به حتى تكون المِلَّة واحدة، وهي مِلَّة الإسلام، قاله ابن عبَّاسٍ والحسن وأبو مالك».اهـ

وبهذا يرد قول العلامة الآلوسي: «إن عود الضمير في موته على عيسى غير ظاهر» ذلك أنَّ أبا حَيَّان -مع تقدُّمه في التفسير والحديث- إمام في اللغة العربية والنحو والقراءات غير مُنازَع، بل لا يُعلم فيمن تكلَّم على تفسير القرآن أنْحَى منه، فهو حين استظهر عود الضميرين على عيسى عليه السَّلام إنما استظهر ما اقتضته قواعد اللغة العربية التي بَـرَّز فيها على غيره حتى ألقت إليه بالمَقاليد.

وأمَّا مَن ادَّعى عود الضمير في به على محمَّدٍ عليه الصَّلاة والسَّلام وهو منقول عن عكرمة فقد أغرب في الدعوى، وأتى بما لا يستطيع أن يقيم عليه دليلًا، بل لو تأمَّل هذا القائل قليلًا وأدرك ما يلزم على قوله هذا مِن الرَّكَاكة التي يتنزَّه عنها القرآن لعَدَل عن كلامه معترفًا ببطلانه، وقد قال ابن جرير في إبطاله ما نصُّه: «وأمَّا الذي قال: عني بقوله: ﴿لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ ليؤمننَّ بمحمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قبل موت الكتابيِّ فمما لا وجه له مفهوم، لأنه لم يجرِ لمحمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في الآيات التي قبل ذلك ذكر فيجوز صرف الهاء التي في

قوله: ﴿لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ﴾ إلى أنها مِن ذكره، وإنما قوله: ﴿لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ﴾ في سِياق ذكر عيسى وأمِّه عليهما السلام، واليهود، فغير جائز صرف الكلام عما هو في سِياقه إلى غيره إلَّا بحُجَّةٍ يجب التسليم لها من دلالة ظاهر التنزيل، أو خبر عن الرسول تقوم به حُجَّةٌ، فأمَّا الدعاوى فلا تتعذَّر على أحدٍ».

(تنبيه): تبيَّن ممَّا أوردناه مِن الأدلة أنَّ احتمال عود الضمير في «موته» على الكتابي ضعيفة، واحتمال عوده في «به» على غير عيسى عليه السلام باطل، والاحتمالات الضعيفة والباطلة لا تنهض للحُجِّية، ولا تقوى للاستمساك فتكون الآية الكريمة نصًّا في حياة عيسى عليه السلام ونزوله بمعونة ما ذُكِر، واللفظ يكون نصًّا بنفْسه تارة، وبما يضمُّ إليه مِن القرائن تارةً أخرى، وليس كل احتمالٍ في اللفظ يؤثِّر في نصوصيَّته كما يتوهَّم كثيرٌ ممن لم يُحْكِموا قواعد عِلم الأصول.

الآية الرابعة

﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾

قول الله تعالى في (سورة الزخرف) في الكلام على عيسى عليه السَّلام: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ [الزخرف: ٦١] أي وإنَّ عيسى عليه السلام لِعْلم للساعة تُعلَّم بنزوله فلا تشكنَّ فيها، بهذا فسَّرها النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

قال ابن حِبَّان في "صحيحه": «ذِكْر البَيان بأنَّ نزول عيسى ابن مريم مِن أعلام الساعة. أخبرنا محمد بن الحسن بن الخليل: حدَّثنا هشام بن عمَّار: ثنا

الوليد بن مسلمٍ: ثنا شيبان بن عبدالرحمن، عن عاصمٍ، عن أبي رَزينٍ، عن أبي يحيىٰ مولىٰ ابن عَفْراء، عن ابن عبَّاسٍ، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ قال: «نزولُ عيسى ابنِ مريمَ مِن قَبْل يومِ القيامةِ».

هذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثِقاتٌ، وعاصم مِن أئمَّة القرَّاء المشهورين.

وجاء عن ابن عبَّاسٍ وأبي مالكٍ والحسن ومجاهد وقتادة والسُّدِّي والضَّحَّاك وابن زيد وغيرهم مثل ما جاء عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وآثارهم مروية في تفسير ابن جرير بأسانيد مختلفة وطُرق متعدِّدة، كلها تصرِّح بأنَّ المراد بالآية نزول عيسىٰ عليه السلام قَبل قيام الساعة، وهذا التفسير هو المتعيِّن الذي لا يجوز في الآية غيره، والدليل عليه أمور:

أحدها: أنه الذي صحَّ عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كما تقدَّم.

ثانيها: أنَّ سِياق الكلام في عيسىٰ عليه السَّلام، اقرأ قوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [الزخرف: ٥٧ - ٦١]

فغير جائز صرف الكلام عما هو في سِياقه إلىٰ غيره إلَّا بحُجَّةٍ يجب التسليم لها من دلالة ظاهر التنزيل، أو خبر عن الرسول تقوم به حُجَّة كما قال ابن جرير فيما سبق.

ثالثها: أنه لو أُعيد الضمير علىٰ غير عيسىٰ عليه السلام كما قيل لأوجب

ذلك رَكَّـةً في اللفظ تتنزَّه عنها بلاغة الكتاب الحكيم.

قال العلامة الآلوسي ما نصُّه: «وعن الحسن وقتادة وابن جبير أنَّ ضمير «إنه» للقرآن لما أنَّ فيه الإعلام بالساعة فجعله عين العلم مبالغة أيضًا، وضُعِّف بأنه لم يجرِ للقرآن ذكر هنا مع عدم مناسبة ذلك للسِّياق.

وقالت فرقة: يعود على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقد قال: «**بعثت أنا والساعة كهاتين**» وفيه مِن البُعد ما فيه، و كأن هؤلاء يجعلون ضمير: «أم هو»، وضمير: «إن هو» له صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أيضًا وهو كما ترى».اهـ

وقال أيضًا أثناء تمحيص الأقوال ما نصُّه: «وكذلك رجوع الضمير إلى نبيِّنا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في قوله تعالى: ﴿أَمْ هُوَ﴾ مع رجوعه إلى عيسى عليه السَّلام في قوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ﴾ -أي لا يجوز أيضًا- وفيه مِن فكِّ النظم ما يجب أن يُصان الكتاب المُعجِز عنه، ولا يكاد يقبل القول برجوع الضمير الثاني إليه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ولعلَّ الرواية عن الحَبْر غير ثابتة».اهـ

قلت: قد تحقَّق ترجِّي الآلوسي، فإن الذي صحَّ عن ابن عبَّاسٍ إعادة الضمائر في «أم هو»، و«إن هو»، و«وإنه» على عيسى عليه السَّلام، ولم يأتِ عنه خلاف هذا بإسناد ثابت، كما أنَّ قتادة لم يقل قطُّ أنَّ الضمير في «وإنه» للقرآن، وإنما حكاه عن غيره كما رواه عبدالرزاق وابن جرير وغيرهما فذكره مع القائلين به سهوٌ وغفلةٌ.

واليك نصوص المفسِّرين في تأييد ما ذهبنا إليه:

قال الإمام العلامة أبو حيان في "البحر" ما نصُّه: «والظاهر أنَّ الضمير في

﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ يعود على عيسى عليه السَّلام إذ الظاهر أنها عائدةٌ عليه، وقال ابن عبَّاسٍ ومجاهد وقتادة والحسن والسُّدِّي والضَّحَّاك وابن زيد: أي وإنَّ خروجه لعِلمٌ للساعة يدل على قرب قيامها، إذ خروجه شرط من أشراطها، وهو نزوله من السماء في آخر الزمان».اهـ

وعلى هذا درج الزمخشري في "الكشاف"، والإمام الرازي في "التفسير الكبير"، ومحي السُّنَّة البغوي في "تفسيره"، والخازن، والجلال المحلِّي، وغيرهم.

وقال الحافظ ابن كثيرٍ ما نصُّه: «قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ تقدَّم تفسير ابن إسحاق أنَّ المراد مِن ذلك ما بعث به عيسى عليه الصلاة والسَّلام مِن إحياء للموتى وإبراء الأَكْمَه والأبرص وغير ذلك من الأسقام، وفي هذا نظر، وأبعد منه ما حكاه قتادة عن الحسن البصريِّ وسعيد بن جبير أنَّ الضمير في «وإنه» عائد على القرآن بل الصحيح أنه عائدٌ على عيسى عليه الصَّلاة والسَّلام؛ فإنَّ السِّياق في ذِكْره، ثُمَّ المراد بذلك نزوله قبل يوم القيامة كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦ﴾ أي قبل موت عيسى عليه السَّلام ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا﴾ [النساء: ١٥٩] ويؤيد هذا المعنى القراءة الأخرى ﴿وإنَّهُ لَعَلَمٌ﴾ أي أَمَارة ودليل على وقوع الساعة.

قال مجاهد: «وإنه لعلمٌ للساعة خروج عيسى ابن مريم عليه الصَّلاة والسَّلام قبل يوم القيامة». وهكذا روي عن أبي هريرة وابن عبَّاسٍ وأبي العالية وأبي مالك وعكرمة والحسن وقتادة والضَّحَّاك وغيرهم، وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنه أخبر بنزول عيسى قبل

يوم القيامة إمامًا عَادِلًا وحَكَمًا مُقْسِطًا».اهـ

وقال العلامة الآلوسي في "روح المعاني": «﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي عيسىٰ ﴿لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ أي أنه بنزوله شرط مِن أشراطها أو بحدوثه بغير أب أو بإحيائه الموتىٰ دليل علىٰ صحَّة البعث الذي هو معظم ما يُنكره الكفرة الواقعة في الساعة، والحصر إضافيٌّ باعتبار أنه أعظم العلامات...»، ثم قال: «وقد نطقت الأخبار بنزوله عليه السَّلام». وذَكَر شيئًا منها فأشار بذلك إلىٰ تعين الاحتمال الأول الذي بدأ به. والواقع أنَّ الآية الكريمة نصٌّ فيه وتلك الاحتمالات وإن كانت جائزة بحسب الأصل فلا أثر لها هنا أصلًا، إذ ليس كل احتمال يؤثر في نصوصية اللفظ كما نبَّهنا عليه قريبًا، وقد اختار الإمام الرازي في "المحصول" أنَّ الدليل اللفظي يفيد اليقين إذا انضمت إليه قرينة من مشاهدة أو تواتر، قال التاج السُّبكي: «وهذا هو الحق»، وصحَّحه مُحقِّقوا الأصوليين أيضًا.

وأنت إذا رأيت الأحاديث المتواترة الناطقة بأن نزول عيسىٰ من أشراط الساعة علمت علم اليقين أنَّ هذا المعنىٰ هو المراد من قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ لا سيما وقد عيَّنه في هذه الآية بخصوصها رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فأي أثرٍ لاحتمالٍ مظنون مع وجود هذا الدليل القاطع؟!

وقد بلغنىٰ أنَّ أزهريًّا احتجَّ علىٰ صاحب الفتيا الذي نردُّ عليه بهذه الآية وقال: إنها نصٌّ في الموضوع، فمنع ذلك بعض الحاضرين ممَّن له منصب كبير في الأزهر، وأسند منعه بأنه علىٰ فرض عود الضمير إلىٰ عيسىٰ يبقىٰ الاحتمال فيه، هل ذلك من حيث نزوله، أو من حيث ولادته بغير أب؟ أو من حيث

إحياؤه الموتى، فانقطع ذلك الأزهري ولم يحرِّر جوابًا.

وهذه غفلة شديدة من المستدل والمانع، منشأها عدم إحكام قواعد الأصول، والبعد عن علم الحديث الشريف الذي لا غنى للعالم عنه، بل لا يستحق الشخص أن يسمَّى عالمًا بدونه، وليت شعري إذا كان كل احتمال يمنع نصوصيَّة اللفظ كما يتوهَّمون، فكيف أجمع علماء الإسلام على القطع بالوجوب في نحو قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣] ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨] ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢] ؟!! مع أنَّ هذه الأوامر تحتمل غير الوجوب في حدِّ ذاتها وإنما استفيد القطع بالوجوب فيها مِن قرائن خارجة عنها، فلتكن الآيات الدالة على نزول عيسى في القطع بمضمونها كذلك، والله سبحانه وتعالى أعلم.

فصل

بعض ما ورد عن الصحابة والتابعين من الآثار الدالة على نزول عيسى عليه السَّلام

جاء عن أبي هريرة وابن عبَّاسٍ آثار كثيرة تقدَّم بعضها ويأتي، وتركنا باقيها اختصارًا.

وأخرج ابن أبي شيبة عن عبدالله بن عمرو قال: «ينزل عيسى ابن مريم فإذا رآه الدَّجَّال ذاب كما تذوب الشحمة، فيقتل الدَّجَّال، وتَفرَّق عنه اليهود فيقتَلون حتى أنَّ الحَجَر ليقول: يا عبدالله -للمسلم- هذا يهوديٌّ فتعال فاقتله».

وأخرج ابن عساكر عن ابن مسعود قال: «إنَّ المسيح ابن مريم خارج قبل يوم القيامة.

وأخرج الحاكم وصحَّحه عن أبي الطُّفيل -وهو صحابي- قال: «كنت بالكوفة فقيل: قد خرج الدَّجَّال، فأتينا حذيفة بن أَسِيد فقلت: هذا الدَّجَّال قد خرج فقال: اجلس فجلست، فنُودي: إنها كذبة صبَّاغ، فقال حذيفة: إنَّ الدَّجَّال لو خرج زمانكم لرمته الصِّبيان بالخَـزَف، ولكه يخرج في بُغْضٍ مِن الناس، وخِفَّةٍ من الدِّين، وسُوءِ ذات بَـيْنٍ، فيَرِدُ كلَّ منهلٍ، وتُطْوَىٰ له الأرض طيَّ فروة الكَبْش، حتىٰ يأتىٰ المدينة فيغلب علىٰ خارجها ويمنع داخلها، ثُمَّ جبل إيلياء فيحاصر عصابةً من المسلمين فيقول لهم الذي عليهم: ما تنتظرون بهذا الطاغية أن تقاتلوه، حتىٰ تلحقوا بالله أو يفتح لكم؟ فيأتمرون أن يقاتلوه إذا أصبحوا، فيصبحون ومعهم عيسىٰ ابن مريم، فيقتل الدَّجَّال ويهزم أصحابه».

وروىٰ الترمذيُّ من طريق عثمان بن الضَّحَّاك، عن محمد بن يوسف بن عبدالله بن سَلَام، عن أبيه، عن جدِّه قال: «مكتوبٌ في التوراة صفة محمَّدٍ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وعيسىٰ ابن مريم عليهما السَّلام يدفن معه. قال أبو مَوْدُود: وقد بقي من البيت موضع قبر». قال الترمذيُّ: «حديث حسن غريب».

ورواه الطبراني من هذا الطريق أيضًا بلفظ: «يدفن عيسىٰ ابن مريم مع رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وصاحبيه، فيكون قبره رابعًا».

قال الحافظ الهيثمي: «فيه عثمان بن الضَّحَّاك، وثَّقه ابن حِبَّان، وضعَّفه أبو داود، وقد ذكر المِزِّي هذا في ترجمته وعزاه إلي الترمذيِّ، وقال: «حسن»، ولم أجده في "الأطراف"».اهـ

قلت: هو موجود في "سنن الترمذي" في أوائل أبواب المناقب، وفي أبواب فضل النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

وعثمان بن الضَّحَّاك الذي ضعَّفه أبو داود هو الحزامي، وهو غير عثمان بن الضَّحَّاك المذكور في هذا السَّند كما يُعلم من "تهذيب التهذيب".

وأخرج عبد بن حُميد، وابن المنذر عن شَهْر بن حَوْشبٍ عن محمد بن عليٍّ - هو ابن الحنفية- في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ قال: «ليس من أهل الكتاب أحدٌ إلَّا أتته الملائكة يضربون وجهه ودبره، ثُمَّ يقال له: يا عدوَّ الله، إنَّ عيسىٰ رُوح الله وكلمته، كذبت علىٰ الله وزعمت أنه الله، إنَّ عيسىٰ لم يمت، وإنه رُفع إلىٰ السماء وهو نازل قبل أن تقوم الساعة فلا يبقىٰ يهوديٌّ، ولا نصرانيٌّ إلَّا آمن به».

وأخرج ابن المنذر عن شَهْر بن حَوْشَبٍ قال: «قال لي الحجَّاج: يا شَهْرُ، آيةٌ مِن كتاب الله ما قرأتها إلَّا اعترض في نفسي منها شيءٌ، قال الله: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ وإني أوتىٰ بالأسارىٰ فأضرب أعناقهم ولا أسمعهم يقولون شيئًا. فقلت: رُفعت إليك علىٰ غير وجهها، إنَّ النصرانيَّ إذا خرجت رُوحه ضربته الملائكة مِن قُبُلِه ومِن دُبُره، وقالوا: أي خبيث إنَّ المسيح الذي زعمت أنه الله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة؛ عبدالله ورُوحه وكلمته. فيؤمن به حين لا ينفعه إيمان، وإنَّ اليهوديَّ إذا خرجت نفسه ضربته الملائكة من قُبُله ومن دُبُره، وقالوا أي خبيث إنَّ المسيح الذي زعمت أنك قتلته عبدالله ورُوحه. فيؤمن به حين لا ينفعه إيمان فإذا كان عند نزول عيسىٰ آمنتُ به أحياؤهم كما آمنتُ به موتاهم. فقال: مِن أين أخذتها؟ فقلت: من محمد بن عليٍّ. قال: لقد أخذتها مِن مَعْدِنها. قال شَهْر: وايْم الله ما حدَّثنيه إلَّا أمُّ سلمة،

ولكني أحببت أن أغيظه». اهـ

أي بذكر عليٍّ؛ لأن الحَجَّاج كان يبغض عليًّا وأولاده رضي الله عنهم بغضًا شديدًا.

وأخرج نعيم في كتاب "الفتن" عن كعب الحبر التابعي الثِّقة باتفاق أهل الشأن، قال: «يحاصر الدَّجَّال المؤمنين ببيت المقدس فيصيبهم جوعٌ شديدٌ حتى يأكلوا أوتار قِسِيِّهم مِن الجوع، فبينما هو على ذلك إذ سمعوا صوتًا في الغَلَس، فيقولون: إن هذا لصوت رجلٍ شبعان، فينظرون فإذا بعيسى ابن مريم، وتقام الصَّلاة فيرجع إمام المسلمين المهديُّ فيقول عيسى: تقدَّم فلك أقيمت الصَّلاة، فيصلِّي بهم تلك الليلة، ثم يكون عيسى إمامًا بعده».

وقال ابن أبي شيبة في "المصنَّف": ثنا أبو أسامة، عن هشام، عن ابن سيرين، قال: «المهديُّ مِن هذه الأُمَّة وهو الذي يؤمُّ عيسى ابن مريم عليه السَّلام».

فصل
في ذكر نصوص فقهاء الأُمَّة وعلماء الإسلام المصرِّحة بنزول عيسى عليه السَّلام.

جاء في "الموطأ" ما نصُّه: «ما جاء في صفة عيسى ابن مريم والدَّجَّال: مالك، عن نافع، عن عبدالله بن عمر: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**رأيتني الليلة عند الكعبة فرأيت رجلًا آدم كأحسن ما أنت راءٍ مِن أُدْمِ الرِّجال له لِمَّةٌ كأحسن ما أنت راءٍ مِن اللِّمَم، قد رجَّلها فهي تقطر ماءً، متَّكئًا على رَجُلين أو على عواتق رَجُلين يطوف بالكعبة، فسألت: مَن هذا؟ قيل: هذا**

المسيح ابن مريم، ثُمَّ إذا أنا برجلٍ جَعْدٍ قَطَطٍ أَعْوَر العين اليمنى كأنها عِنَبَةٌ طافية، فسألت: مَن هذا؟ فقيل لي: هذا المسيح الدَّجَّال».

قال الإمام الفقيه الحافظ أبو الوليد الباجي في المُنتقى أثناء كلامه على هذا الحديث ما نصُّه: «وفي "العتبية" عن مالك قال: بينما الناس قيام يستمعون لإقامة الصَّلاة فتغشاهم غمامة فإذا عيسى ابن مريم قد نزل».اهـ

ونقله العلامة الأُبِّي أيضًا في "شرح مسلم"، وقال الإمام الفقيه الحافظ أبو جعفر الطحاوي في كتابه "اعتقاد أهل السنة والجماعة" على مذهب فقهاء المِلَّة أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن ما نصُّه: «ونؤمن بخروج الدَّجَّال الأعور اللعين، ونزول عيسى ابن مريم عليه السَّلام من السماء».اهـ

قال الأستاذ الكوثري: «وقد تلقَّى الطحاوي علوم هؤلاء في الاعتقاد والعمل عن سليمان بن شعيب الكيساني، وبكار ابن أبي قتيبة، وابن أبي عمران، وأبي خازم.

فالأول عن أبيه، عن محمد، عن أبي يوسف وأبي حنيفة. والثاني عن هلال بن يحيى، عن زفر وأبي يوسف عن أبي حنيفة. والثالث عن ابن سماعة وبشر بن الوليد، فالأول عن محمد وأبي يوسف، والثاني عن أبي يوسف. والرابع عن عيسى بن أبان، عن محمد».اهـ

وروى ابن أبي يعلى في "الطبقات"، والخلال، وابن الجوزي في "المناقب" عن عبدوس بن مالك أبي محمد العطار قال: سمعت أبا عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل يقول: «أصول السُّنَّة عندنا التمسُّك بما كان عليه أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم والاقتداء بهم، وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة،

وترك المِراء والجِدال والخصومات في الدِّين، والسُّنَّة عندنا آثار رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، والسُّنَّة تُفسِّر القرآن -وهي دلائل القرآن- وليس في السُّنَّة قياس، ولا تضرب لها الأمثال، ولا تدرك بالعقول ولا الأهواء، وإنما هو الاتباع وترك الهوىٰ، ومن السُّنَّة اللازمة التي مَن ترك منها خصلة لم يقبلها ولم يؤمن بها لم يكن من أهلها: الإيمان بالقدر خيره وشره، والتصديق بالأحاديث فيه والإيمان بها، ولا يقال: لِـمَ؟ ولا كيف؟ إنما هو التصديق والإيمان، ومَن لم يعرف تفسير الحديث ويبلغه عقله فقد كُفي ذلك وأحكم له، فعليه الإيمان به والتسليم له، مثل حديث الصادق المصدوق -يعنىٰ حديث ابن مسعود- ومثل ما كان مثله في القضاء والقدر، ومثل أحاديث الرؤية كلها، وإن نبت عن الأسماع واستوحش منها المستمع فإنما عليه الإيمان بها، وأن لا يرد فيها حرفًا واحدًا وغيرها من الأحاديث المأثورات عن الثقات، والقرآن كلام الله وليس بمخلوق والإيمان بالرؤية يوم القيامة كما روي عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من الأحاديث الصِّحاح، وأنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قد رأىٰ ربَّه؛ فإنه مأثورٌ عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم صحيح[1] رواه قتادة، عن عكرمة، عن ابن عبَّاسٍ.

ورواه الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عبَّاسٍ ورواه علي بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عبَّاسٍ. والحديث عندنا علىٰ ظاهره كما جاء عن النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم والكلام فيه بدعة، ولكن نؤمن به علىٰ ظاهره

---

(١) هذا أحمد يحتجُّ في العقائد بحديث الآحاد، وسيأتي مثل ذلك في كلام الأشعري منقولًا عن أهل الحديث فتنبَّه.

ولا نناظر فيه أحدًا، والإيمان بالميزان يوم القيامة كما جاء: «**يوزن العبد يومَ القيامةِ فلا يَزِنُ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ**»، وتوزن أعمال العباد كما جاء في الأثر، والتصديق به والإعراض عمن ردَّ ذلك وترك مجادلته...»، وذكر الإيمان بالحوض والشفاعة وعذاب القبر وسؤال منكر ونكير ثم قال ما نصُّه: «والإيمان بأنَّ المسيح الدَّجَّال خارج مكتوبٌ بين عينيه كافرٌ، والأحاديث التي جاءت فيه، والإيمان بأنَّ ذلك كائنٌ وأنَّ عيسىٰ ابن مريم عليه السَّلام ينزل فيقتله بباب لُدٍّ». هذا كلام الإمام أحمد رضى الله عنه.

وقال أيضًا في الرسالة التي كتبها إلىٰ مُسدَّد في بيان سنَّة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ما نصُّه: «والدَّجَّال خارجٌ في هذه الأُمَّة لا محالة، وينزل عيسىٰ ابن مريم إلىٰ الأرض فيقتله بباب لُدٍّ».اهـ وانظر بقيتها في "مناقب أحمد" لابن الجوزي.

وقال إمام أهل السُّنَّة أبو الحسن الأشعري في كتابه "مقالات الإسلاميين واختلاف المُصلِّين" ما نص المراد منه: «جملة ما عليه أهل الحديث وأهل السُّنَّة: الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله، وما جاء من عند الله، وما رواه الثِّقات عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لا يردون من ذلك شيئًا، وأنَّ الله تعالىٰ إلهٌ واحدٌ فردٌ صمدٌ لم يتخذ صاحبةً ولا ولدًا، وأنَّ محمدًا عبده ورسوله، وأنَّ الجنَّة حقٌّ، وأنَّ النَّار حقٌّ، وأنَّ الساعة آتيةٌ لا ريب فيها، وأنَّ الله يبعث من في القبور، ويُقرِّون بشفاعة رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وأنها لأهل الكبائر مِن أُمَّته، وبعذاب القبر، وأنَّ الحوض حقٌّ، والصِّراط حقٌّ، والبعث بعد الموت حقٌّ، والمحاسبة مِن الله لعباده حقٌّ، والوقوف بين يدي الله تعالىٰ حقٌّ، ويؤمنون بأنَّ الله تعالىٰ يُخرج قومًا مِن الموحِّدين مِن النَّار علىٰ ما جاءت

به الروايات عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وينكرون الجِدال والمِراء في الدِّين، والخصومة في القَدَر، والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجَدَل ويتنازعون فيه من دينهم، بالتسليم للروايات الصحيحة، ولما جاءت به الآثار التي رواها الثقات عَدْلًا عن عَدْلٍ حتي ينتهي ذلك إلىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، ولا يقولون: «كيف»؟، ولا «لِـمَ»؟ لأن ذلك بدعة، ويعرفون حقَّ السَّلَف الذين اختارهم الله لصحبة نبيِّه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، ويأخذون بالكتاب والسُّنَّة كما قال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] ويرون اتباع مَن سَلَف مِن أئمَّة الدِّين، وأن لا يتبعوا في دينهم ما لم يأذن الله به، ويثبتون فرض الجهاد للمشركين منذ بعث الله نبيَّه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إلىٰ آخر عصابة تقاتل الدَّجَّال، وبعد ذلك يرون الدُّعاء لأئمَّة المسلمين بالصلاح، وأن لا يخرج عليهم بالسيف وأن لا يقاتلوا في الفتنة، ويصدقون بخروج الدَّجَّال، وأنَّ عيسىٰ ابن مريم عليه الصَّلاة والسَّلام يقتله، ويؤمنون بمنكر ونكير، والمعراج، وأنَّ الدعاء لموتىٰ المسلمين والصدقة عنهم بعد موتهم تصل إليهم، ويُقرِّون أنَّ الجنَّة والنَّار مخلوقتان، وأنَّ الشيطان يوسوس للإنسان ويشكِّكه ويَخبطه، وأنَّ الصالحين قد يجوز أن يخصهم الله تعالىٰ بآيات تظهر عليهم، وأنَّ السنة لا تُنسخ بالقرآن، ويدينون بعبادة الله في العابدين، والنصيحة لجماعة المسلمين، واجتناب الكبائر، ويرون مجانبة كل داعٍ إلي بدعة، والتشاغل بقراءة القرآن وكتابة الآثار والنظر في الفقه، مع التواضع والاستكانة وحسن الخلق وبذل المعروف وكفِّ الأذىٰ، وترك الغيبة والنميمة والسعاية، وتفقد المآكل والمشارب.

فهذه جملة ما يأمرون به ويستعملونه ويرونه، وبكل ما ذكرنا مِن قولهم نقول وإليه نذهب». انتهى ما أردنا نقله من كلام الأشعري بلفظه.

وقد نقله بتمامه ابن القيم في أول كتابه "حادي الأرواح إلي بلاد الأفراح" مستشهدًا به لما ذكره من إجماع أهل السُّنَّة على أنَّ الجنَّة و النَّار مخلوقتان اليوم، وقال عقبه ما نصُّه: «وسقنا جملة كلامه ليكون الكتاب مؤسَّسًا على معرفة من يستحق البشارة المذكورة -يعني البشارة بالجنَّة ورضوان الله- وأنَّ أهل هذه المقالة -يعني العقيدة- هم أهلها».اهـ

وقال الحافظ أبو الحسين الآبري في "مناقب الشافعي" في الكلام على إبطال حديث: «**لا مهدي إلَّا عيسى ابن مريم**»، وإثبات أنَّ المهديَّ غير عيسى ما نصُّه: «وقد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفى صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في المهدي أنه من أهل بيته، وأنه يملأ الأرض عَدْلًا، وأنَّ عيسى عليه الصَّلاة والسَّلام يخرج فيساعده على قتل الدَّجَّال، وأنه يؤمُّ هذه الأمة وعيسى خلفه في طول مِن قِصَّته وأمره».اهـ نقله الإمام القرطبي في "التذكرة" والحافظ ابن حجرٍ في "الفتح" وسلَّماه.

ولما ذكر الإمام الحافظ ابن حزم في مسائل التوحيد من كتاب "المحلى" أنَّ شريعة الإسلام ناسخة لسائر الشرائع، وأنَّ نبيَّنا خاتم النبيين لا نبيَّ بعده قال ما نصُّه: «مسألة: إلَّا أنَّ عيسى ابن مريم سينزل» واستدل بحديث جابر أسنده من طريق مسلمٍ. وقال في كتاب الأطعمة من "المحلى" أيضًا في الكلام على حرمة الخنزير وجواز قتله بعد أن ذكر حديثي أبي هريرة وجابر في نزول عيسى ما نصُّه: «فصح أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم صوَّب قتل عيسى عليه

السَّلام للخنازير، وأخبر أنه بحُكْم الإسلام ينزل وبه يَحْكُم».اهـ

وقال القاضي عياض في "شرح مسلم" ما نصَّه: «نزول عيسىٰ عليه السَّلام وقتله الدَّجَّال حقٌّ، وصحيح عند أهل السُّنَّة للأحاديث الصحيحة في ذلك، وليس في العقل ولا في الشرع ما يبطله، فوجب إثباته.

وأنكر ذلك بعض المعتزلة والجَهْمية ومَن وافقهم، وزعموا أنَّ هذه الأحاديث مردودة بقوله تعالىٰ: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] وبقوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لا نبيَّ بعدي**» وبإجماع المسلمين أنه لا نبيَّ بعد نبيِّنا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وأنَّ شريعته مؤبَّدة إلىٰ يوم القيامة لا تُنسخ.

وهذا استدلال فاسد؛ لأنه ليس المراد بنزول عيسي عليه السَّلام أنه ينزل نبيًّا بشرع ينسخ شرْعنا، ولا في هذه الأحاديث ولا في غيرها شيء مِن هذا، بل صحَّت هذه الأحاديث هنا وما سبق في كتاب الإيمان وغيرها أنه ينزل حَكَمًا مُقْسِطًا بحكم شرعنا، ويُحيي مِن أمور شرعنا ما هجره الناس».اهـ نقله الإمام النووي في "شرح مسلم" ووافقه عليه.

وقد ورد عن المغيرة ابن شعبة في الجمع بين أحاديث النزول وآية خاتم النبيِّين غير ما سلكه هؤلاء المبتدعة، فروىٰ الطبرانيُّ مِن طريق مجالد بن سعيد، عن الشَّعبي قال: قال رجل عند المغيرة بن شعبة: صلَّىٰ الله علىٰ محمَّد خاتم الأنبياء لا نبيَّ بعده. فقال المغيرة: حسبك أن تقول خاتم الأنبياء، فإنا كنَّا نُحدَّث أن عيسىٰ ابن مريم خارج، فإن كان خارجًا فقد كان قبله وبعده.

وهذا الأثر ضعيف الإسناد لا يصح، وقد كان المغيرة ذكيًّا بالغًا حدَّ الدَّهاء؛ فلا يخفىٰ عليه أنَّ نزول عيسىٰ تابعًا لنبيِّنا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم

وعاملًا بشريعته لا ينافي حديث: «لا نبيَّ بعدي» كما مرَّ في كلام عياض آنفًا، والقاديانية ينسبون الأثر المذكور إلى عائشة رضي الله عنها كذبًا عليها، ويحذفون منه خروج عيسىٰ عليه السَّلام؛ ليتسَنَّىٰ لهم أن يقولوا: إنَّ قوله تعالىٰ: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] -بفتح التاء- لا يدل علىٰ انقطاع النبوة، ناسين قراءة خاتِم -بكسر التاء- وهي تعين الآخرية كما لا يخفىٰ.

وقال الشهرستاني في "الملل والنحل" في الكلام علىٰ اختلاف النصارىٰ في عيسىٰ عليه السَّلام ما نصُّه: «ولهم في النزول خلافٌ فمنهم من يقول: ينزل يوم القيامة كما قال أهل الإسلام».اهـ

وقال الإمام القرطبي في "شرح مسلم" -وهو شيخ القرطبي صاحب التفسير والتذكرة- في الكلام علىٰ حديث جبريل الطويل عند قوله فأخبرني عن أَمَاراتها ما نصُّه: «وهي -أي أَمَارات الساعة- تنقسم إلىٰ معتاد كالمذكورات، وكرفْعِ العِلْم وظهور الجهل، وكثرة الزِّنا وشرب الخمر، وغير معتاد كالدَّجَّال، ونزول عيسىٰ عليه السَّلام، وخروج يَأْجوج ومَأْجُوج، والدابَّة، وطلوع الشمس مِن مغربها».اهـ نقله العلامة الأُبِّي وقال عقبة ما نصُّه: «قال ابن رشد - يعنىٰ الجد- واتفقوا علىٰ أنه لابد من ظهور هذه الخمسة -يعني الدَّجَّال وما بعده- واختلفوا في خمسة أخر: خَسْفٌ بالمشرق وخَسْفٌ بالمغرب، وخَسْفٌ بجزيرة العرب، والدُّخَان، ونار تخرج مِن قَعْر عَدَنٍ تروح معهم حيث راحوا، وتقيل معهم حيث قالوا، زاد بعضهم: وفتح قُسْطَنْطِينيَّة، وظهور المهديِّ».اهـ

ونقل الأُبِّي أيضًا في "شرح مسلم" عن ابن رشد ما نصُّه: «وفي "العتبية"

كان أبو هريرة يلقىٰ الفتىٰ الشاب فيقول يا ابن أخي: إنك عسىٰ أن تلقىٰ عيسىٰ ابن مريم فأقرئه منِّي السَّلام، تحقيقًا لنزوله، فما ذكر ابن حزم من الخلاف في نزوله لا يصح، وذكر الباجي حديثًا ضعيف السَّند أنه ينزل في عاشرة السبعين وتسعمائة» ثم قال الأُبِّي: «(ابن العربي) ويروىٰ أنه يتزَّوج امرأة من بني ضبة اسمها: راضية، ثُمَّ يموت ويصلِّي المسلمون عليه، ويدفن في روضة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وفيها موضع قبر يقال إنما بقي له، وذكر ابن العربي الحاتمي المتأخِّر أنَّ هذه المرأة ولدت في عاشرة السبعين. وولادة المرأة كذَّبها الوجود المحقَّق أن نزوله مِن الأشراط، وصح أنه الذي يقتل الدَّجَّال وبدعائه يهلك يأجوج ومأجوج... فإن قلت: بِمَ يعرف الناس أنه عيسىٰ؟ قلت: بصفاته التي تضمَّنتها الأحاديث -أي من كونه ينزل من السماء عليه ممصَّرتان، واضعًا يديه علىٰ أجنحة مَلَكين... إلخ ما تقدَّم، ويصح أن يُعرف بأن يتحدَّىٰ علىٰ ذلك، لا بإحياء الموتىٰ وإبراء الأكمه والأبرص؛ لأن تلك آيات إرساله وهو لا ينزل رسولًا لأهل الأرض- يروي أنه يصلِّي وراء إمام المسلمين إبقاءًا لشريعة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، واتباعًا له وإخزاءًا للنصارىٰ وإقامة للحُجَّة عليهم».اهـ ما أردنا نقله من شرح الإمام الأُبِّي.

وقال الإمام ابن عطية في "تفسيره" ما نصُّه: «وأجمعت الأمة علىٰ ما تضمَّنه الحديث المتواتر مِن أنَّ عيسىٰ في السماء حيٌّ، وأنه ينزل في آخر الزمان فيقتل الخنزير، ويكسر الصَّليب، ويقتل الدَّجال، ويفيض العَدْل، وتظهر به مِلَّة محمَّدٍ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، ويحجُّ البيت ويَعْتَمِر».اهـ نقله العلامة أبو حَيَّان في "البحر المحيط".

وقال الحافظ أبو الفتح اليعمري المعروف بابن سيدِّ الناس في "عيون الأثر" في الكلام على خبر إسلام سلمان الفارسي رضى الله عنه بعد أن ذكر أنَّ سلمان اجتمع في الشام برجل يجتاز من غيضة إلى غيضة مرة في السنة، يعترضه في تلك المرة ذوو الأسقام ليدعو لهم فيشفون، وأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال لسلمان عن هذا الرجل: «**إنه عيسى ابن مريم**» - ما نصُّه: «قال السهيليُّ: وإن صحَّ هذا الحديث فلا نكارة في متنه، فقد ذكر الطبري أنَّ المسيح عليه السَّلام نزل بعدما رُفِع وأُمُّه وامرأة أخرى عند الجذع الذي فيه الصَّلِيب تبكيان، فكلَّمهما وأخبرهما أنه لم يقتل، وأنَّ الله رفعه وأرسله إلى الحواريين، ووجَّههم إلى البلاد، وإذا جاز أن ينزل مرة جاز أن ينزل مِرارًا، ولكن لا يعلم به أنه هو حتى ينزل النزول الظاهر فيكسر الصَّلَيب ويقتل الخنزير كما جاء في الصحيح».اهـ

وقال الحافظ السيوطي في علم العقائد من كتاب "النقاية" ما نصُّه: «ونعتقد أنَّ نزول عيسى ابن مريم عليه السَّلام وقتْله الدَّجَّالَ حَقٌّ».اهـ

ثُمَّ استدل في شرحه "إتمام الدراية" ببعض الأحاديث الواردة في ذلك، وقال العلامة السفاريني الحنبلي في منظومته "الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية":

وما أَتَى في النَّصِّ مِن أَشْرَاطِ ... فكلُّه حَقٌّ بلا شَطَاطِ

منها الإمامُ الخَاتَمُ الفَصِيحُ ... محمَّدُ المهديُّ والمسيحُ

وقال في شرحها المسمَّى "لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية" ما نصُّه: «قد أجمعت الأُمَّة على نزوله ولم يخالف فيه أحدٌ من أهل الشريعة، وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة ممن لا يعتد بخلافه، وقد انعقد إجماع الأُمَّة

على أنه ينزل ويحكم بهذه الشريعة المحمَّدية، وليس ينزل بشريعةٍ مستقلَّةٍ عند نزوله من السماء وان كانت نبوته قائمة به وهو متصف بها».اهـ

وقال الشوكاني في كتاب "التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظَر والدَّجَّال والمسيح": «إنَّ الأحاديث في نزوله عليه السَّلام كثيرةٌ: منها تسعة وعشرون حديثًا ما بين صحيح وحسن وضعيف مُنجَبِر، ومنها ما هو مذكور في أحاديث الدَّجَّال، ومنها ما هو مذكور في أحاديث المنتظَر، وتنضمُّ إلى ذلك أيضًا الآثار الواردة عن الصحابة فلها حكم الرفع؛ إذ لا مجال للاجتهاد في ذلك».اهـ ثم ذكرها كلها وقال ما نصُّه: «وجميع ما سقناه بالغٌ حدَّ التواتر كما لا يخفى على مَن له فضل اطلاع».اهـ

ونحوه في "الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة" للقنوجي.

وقال أستاذنا العلامة المحدِّث السيِّد محمَّد بن جعفر الكتاني رحمه الله في كتابه "نظم المتناثر من الحديث المتواتر" ما نصُّه: «وقد ذكروا أنَّ نزوله ثابت بالكتاب والسُّنَّة والإجماع، والأحاديث في نزوله كثيرة».اهـ ثُمَّ ذكر كلام ابن رشد والشوكاني وغيرهما في التصريح بالتواتر.

وممن نصَّ علي نزول عيسى عليه السَّلام من العلماء الحافظ عبدالغني المقدسي في كتاب "أشراط الساعة"، والحافظ ابن عساكر في "تاريخ دمشق"، والحافظ ابن كثير في تاريخه، والتقي السُّبكي في كتاب "التعظيم والمِنَّة" والدميري في "حياة الحيوان"، وابن حجرٍ الهيثمي في "فتاويه الحديثية والفقهية"، والبرزنجي في "الإشاعة لأشراط الساعة"، وابن الحاج في "حاشية المرشد المعين"، ناقلًا فيه الاتفاق، والكشميري في "إكفار الملحدين"،

والعلامة عبدالحي اللكنوي في مقدمة "الفوائد البهية"، وهو مجمع عليه كما تقدَّم في كلام غير واحد.

والخلاف الذي أشار إليه ابن حزم في "مراتب الإجماع" إنما هو خلاف بعض المعتزلة والجهمية كما يستفاد من كلام عياض السابق، وهو خلاف ساقط؛ لأنه حَدَثَ بعد انعقاد إجماع الصحابة والتابعين وتابعيهم وأهل السُّنَّة والحديث، فلهذا لم يعتد العلماء به وحكوا الإجماع، وقال ابن رشد فيما نقلناه عنه: «إنَّ الخلاف الذي ذكره ابن حزم لا يصح -أي لا يُعتبر به ولا يُؤبه له- فلا راحة لصاحب الفتوى في هذا الخلاف ولا عذر له في اتباعه، وهو ملزم -إن أخذ به والتزمه- أن يكشف للناس عن دخيلة أمره، ويبيِّن لهم أنه جهميٌّ حتى يعلم المسلمون أنه من أتباع جهم بن صفوان الضالِّ المبتدع الذي يقول عنه الذهبي: «ما علمته روى شيئًا لكنه زرع شرًّا عظيمًا».اهـ فهنيئًا لمن يكون مِن أتباع هذا الإمام.

فصل

في كفر من أنكر نزول عيسى عليه السَّلام

واعلم أنَّ من أنكر نزول عيسى عليه السَّلام قبل يوم القيامة فهو كافرٌ كما في كتاب "الإعلام بحكم عيسى عليه السَّلام" للحافظ السيوطي؛ لأنه أنكر ما تواتر عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ومنكر المتواتر كافرٌ كما صرَّح به ابن دقيق العيد وابن حجرٍ الهيثمي وأبو عبدالله محمد الطالب ابن الحاج وغيرهم، بل هو مقرَّرٌ في كتب الأصول، وبهذا فارق المتواتر خبر الآحاد، وقد ورد في المسألة حديثٌ مرفوعٌ أحببنا أن نورده لننبِّه عليه.

أخرج الكلاباذي في "معاني الأخبار" عن محمد بن الحسن بن عليٍّ، عن محمد بن عليٍّ بن الحسن، عن الحسين بن محمد بن أحمد، عن إسماعيل بن أبي أويس، عن مالك، عن ابن المنكدر، عن جابر مرفوعًا: «**مَن أنكر خروج المهديِّ فقد كفر بما أُنزل على محمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ومَن أنكر نزول عيسى فقد كفر بما أُنزل على محمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ومَن لم يؤمن بالقَدَر خيره وشرِّه فقد كفر بما أُنزل على محمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فإنَّ جبريل أخبرني أنَّ الله قال: مَن لم يؤمن بالقدر خيره وشرِّه فليتخذ ربًّا غيري**».

محمد بن الحسن بن عليٍّ قال الحافظ: «أظنه ابن راشد الأنصاري»، قال: «وشيخه ما عرفته بعد البحث عنه».اهـ

قلت: وابن راشد ذكره الذهبيُّ وقال: «روىٰ عن ورَّاق الحميدي فذكر خبرًا موضوعًا في الدعاء عند الملتزم». هذا كلام الذهبيِّ.

والحديث الذي ذكرناه باطلٌ مِن حديث مالك، وليس له إسناد يثبت لا من حديث مالك ولا من حديث غيره[1] وآفته ابن راشد أو شيخه، وفيما تقرَّر في كتب الأصول كفاية عنه وغناء والله أعلم.

فإن قيل: قد أنكر المعتزلة بعض السَّمعيَّات المتواترة ومع ذلك فالراجح عند أهل السُّنَّة عدم إكفارهم، فكيف يصح إكفار منكر نزول عيسىٰ عليه السَّلام؟!

فالجواب: أنَّ إنكار المتواتر كفرٌ كما هو مقرَّرٌ في الأصول، غير أنَّ ابن تيمية قيَّد ذلك في بعض رسائله بأن يكون الإنكار بعد العلم بالتواتر؛ لقيام الحُجَّة

---

(١) وهو حديث موضوع.

حينئذٍ، وقال ابن الحاج في حاشية "المرشد المعين": «إنَّ المتواتر غير المعلوم من الدِّين بالضرورة لا يكفر منكره إلَّا بعنادٍ بعد التعليم».اهـ

والمعتزلة الذين أنكروا تلك المتواترات لم يكونوا يعرفون تواترها لأنهم جاهلون بالحديث الشريف، ما رووا منه شيئًا ولا عرفوه، فكان جهلهم عذرًا حائلًا دون إكفارهم، على أنَّ أهل السُّنَّة اتفقوا على تضليلهم؛ لإقدامهم على مخالفة الله ورسوله بشبه فاسدة باطلة اعتقدوها أصولًا صحيحة ثابتة، والله سبحانه وتعالى أعلم.

باب
في مناقشة ألفاظ الفتوى

وهي منشورة في مجلة الرسالة، ويلاحظ أولًا أنَّ السؤال المنشور في صدر الفتوىٰ سأل صاحبه عن نظر القرآن الكريم والسُّنَّة المطهَّرة في عيسىٰ عليه السَّلام هل هو حي أو ميت . . . إلخ.

والسائل -رغم كونه قاديانيًا لا يؤمن بالسُّنَّة- طلبها في سؤاله سترًا لموقفه وإتمامًا لحيلته، لكن صاحب الفتوىٰ لم يحسب للسُّنَّة النبوية حسابًا ولم يتعرض لها في فتواه إلَّا رادًّا ومُنكِرًا، وقصر كلامه في عيسىٰ عليه السَّلام علىٰ ثلاث آيات مِن القرآن في ثلاث سور منه، بانيًا علىٰ ذلك ما اشتهاه من إنكار نزول عيسىٰ وحياته ورفعه، فأخطأ من عدة وجوه:

أحدها: أنه لم يوفِّ السؤال حقَّه، وذلك بعدم تعرضه للسُّنَّة.

ثانيها: أنه ترك آيات من القرآن تعرضت لحياة عيسىٰ ونزوله، وغض نظره عنها لأنها تخالف شهوته.

ثالثها: أنه أقدم علىٰ تفسير ما أورده من الآيات من غير أن يكون عنده علم بما ورد عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فيها مما يخالف ما قال، مع أنه لا خلاف بين العلماء أنَّ أوَّل ما يجب علىٰ المتكلِّم في تفسير القرآن أن ينظر هل ورد عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أو عن أصحابه شيءٌ؟ فإن ورد لم يعدل عنه إلىٰ غيره؛ لأنه عليه الصَّلاة والسَّلام مبلِّغٌ عن الله ومُبيِّنٌ لمراده، وأصحابه شاهدوا التنزيل وعرفوا أسبابه وعلموا معانيه بالقرائن والمشاهدة، وصاحب الفتوىٰ -وإن لم يكن من أهل الحديث- ففرضٌ عليه أن يرجع إلىٰ

كتب أهل الفنِّ كـ"تفسير ابن جرير"، و"ابن كثير"، و"القرطبي" وكـ"الصحيحين"، وشروحهما فإن الله تعالىٰ يقول: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]

رابعًا: أنه تجرَّأ جرأة عظيمة حيث أعرض عن السُّنَّة النبوية إعراضًا تامًّا ولم يذكرها إلَّا عند ذكر الطرَف المقابل الذي لم يرتضِ هو قوله، وهذا مسلك لا يشرِّف المسلم؛ لأنه مخالفة صريحة لما اتفقت عليه أدلة النقل والعقل من وجوب طاعة رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم واتباع كلامه؛ لأن الله فرض ذلك وجعل رسوله حُجَّةً علىٰ عباده، والآيات كثيرة في إيجاب طاعة الرسول، والإخبار بأن طاعته طاعةٌ لله من غير قيدٍ ولا شرطٍ، وقد روىٰ أبو داود والبيهقيُّ وغيرهما عن المِقدام بن مَعْدِي كَرِب قال: حرَّم رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أشياء يوم خيبر مِن الحمار الأهلي وغيره، ثُمَّ قال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**يوشك أن يقعد الرجل منكم على أريكته يحدِّث بحديثي، فيقول: بيني وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه حلالًا استَحْلَلْناه، وما وجدنا فيه حرامًا حرَّمناه، وإنَّ ما حرَّم رسول الله مثل ما حرَّم الله**». إسناده صحيح.

وروىٰ أبو داود وغيره من حديث أبي رافع نحوه، قال البيهقي: «وهذا خبر من رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عما يكون بعده من ردِّ المبتدعة حديثه، فوجد تصديقه فيما بعد».

وروىٰ أبو يعلىٰ وغيره عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**عسى أن يكذِّبني رجلٌ منكم وهومتكئٌ على أريكته، يبلغه**

الحديث عني فيقول ما قال رسول الله هذا، دع هذا وهات ما في القرآن».

وكأن هذا الحديث ما ورد إلَّا ليخبر عن هذه الفتوىٰ الخاطئة التي تمسَّك صاحبها بالقرآن في زعمه، وعطف علىٰ السُّنَّة بالرد والإبطال، سالكًا في ذلك سبيل الحِيَل من دعوىٰ الآحادية والاضطراب والتعارض . . . إلخ، والله يعلم ما يخفي وراء ذلك ومحاسبه عليه.

وقد قال مكحول والأوزاعي وغيرهما: «القرآن أحوج إلىٰ السُّنَّة مِن السُّنَّة إلىٰ القرآن». وقال يحيىٰ بن أبي كثير: «السُّنَّة قاضيةٌ علىٰ الكتاب، وليس الكتاب قاضيًا علىٰ السُّنَّة». وقال ابن عبدالبر: «إنها تقضي عليه وتبيِّن المراد منه»اهـ

ولهذا كان عمر رضى الله عنه يقول: «خذوا أهل الأهواء بالسُّنن فإن القرآن ذو وجوه».

والآثار عن الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم أكثر من أن تحصىٰ، ومن أراد أن يلم بشيء منها فليقرأ كتاب "الرسالة" للإمام الشافعي، و"جامع بيان العلم وفضله" للحافظ ابن عبدالبر، و"مفتاح الجنَّة في الاحتجاج بالسُّنَّة" للحافظ السيوطي، وقد لخَّص فيه كلام مَن سبقه فأفاد وأجاد.

وإنما ذكرنا هذه النصوص مع كون معناها بدهيًّا لكل مسلم لأننا رأينا صاحب الفتوىٰ لا يبالي بالحديث في كتبه ومقالاته، فلا يستدل فيها إلَّا بالقرآن فقط، حاملًا لآياته علىٰ الغرض الذي يشتهيه، محمِّلًا لها إياه إن لم تحتمله، أمَّا السُّنَّة النبوية فلا يعرض لها إلَّا رادًّا بالتضعيف، أو منكرًا بالتأويل، أمَّا أن يستدل بها كالقرآن فشيءٌ لم نره في كتبه ولا خطر علىٰ باله فيما أحسب!! اللهم

إلَّا أن يكون الحديث في شيءٍ من الأخلاق والآداب وما إليها فيذكره حينئذٍ ولا يبالي أضعيف هو أم موضوع، كأن الله وكل إليه أن يفسِّر القرآن بما شاء حين يشاء، وأباح له أن يستدل بالسُّنَّة متى شاء في المعنى الذي يشاء.

وبعد هذا ننتقل إلى الفتوى فنجد صاحبها يدعي أنَّ «القرآن الكريم عرض لعيسى عليه السَّلام فيما يتصل بنهاية شأنه مع قومه في ثلاث سور». اهـ

ونهاية شأن عيسى مع قومه هي التُّكَأَة التي بنى عليها صاحب الفتوى ما أراده، فهو يريد بها أن عيسى عليه السَّلام له مع قومه بدءٌ ونهايةٌ كسائر الرسل، وقد عرض الله لنهايته مع قومه كما عرض لنهاية الرسل مع أقوامهم، وإذا فلا حياة له ولا رفع ولا نزول، هذا مرمى كلامه كشفنا عنه وأوضحناه، لكن فاته أنَّ الذي أنزل عليه القرآن هو الذي أخبر بالحياة والرفع والنزول، كما أخبر بها منزِّل القرآن أيضًا، وفاته أنَّ نهاية شأن عيسى مع قومه لا تحظر على الله أن يفعل ما هو جائزٌ عليه من رفع عيسى حَيًّا وإنزاله في آخر الزمان، كما لم يحظر اعتياد ولادة الطفل من أبوين أن يخلق الله عيسى من غير أب، وربُّك على كلِّ شيءٍ قديرٌ، وقد قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ [المؤمنون: ٥٠] فالتشبث بالسُّنن الكونية والحكم بها على خالقها قصورٌ في العقل ونقصٌ في الإدراك، وضلالٌ في حكم الشرع.

ثُمَّ ذكر صاحب الفتوى قول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [آل عمران: ٥٥] وادَّعى أنَّ كلمة «توفي» وردت في القرآن كثيرا بمعنى الموت حتى صار هذا المعنى هو الغالب

عليها المتبادر منها، ولم تستعمل في غير هذا المعنى إلَّا وبجانبها ما يصرفها عن هذا المعنى المتبادر.اهـ

ونهاية ما ادعاه -بعد تسليمه- يقتضي أن يكون التوفي ظاهرًا في الموت ومما تقرَّر في الأصول وصار معروفًا لصغار الطلبة بَلْه كِبارهم أن اللفظ يصرف عن ظاهره لدليل، فالتوفي يجب صرفه عن الموت للنصوص الصريحة الدالة على حياة عيسى ونزوله، وبهذا يحصل الجمع بين الأدلة، ثم ذكر الآيات التي استعمل فيها التوفي بمعنى الموت حتى صار هو المعنى الغالب المتبادر فذكر قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٧] ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الأنفال: ٥٠] ﴿تَوَفَّتْهُرُسُلُنَا﴾ [الأنعام: ٦١] ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾ [الحج: ٥] ﴿حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ﴾ [النساء: ١٥] ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]اهـ

وأقول: غفل عن أن هذه الآيات التي أوردها قد ذكر بجانبها ما يصرفها إلى الموت، ولولا ذلك لصرفت إلى معنى آخر من معاني التوفي المتواطئة، فالآية الأولى ذكر فيها ملك الموت صريحًا، والآية الثانية والثالثة ذكر فيهما الملائكة الذين يحضرون الميت لتبشيره أو تخويفه ويسمون أعوان ملك الموت، والآية الرابعة حذف صاحب الفتوى أولها لحاجة في نفسه، ونحن نذكرها، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُرُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١] فقد ذكر فيها الموت صريحًا أيضًا كالآية السادسة، والآية الخامسة حذف منها أيضًا

قرينة الموت وأصلها هكذا ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [غافر: ٦٧] فذكر التوفي من قبل بلوغ الأشد والشيخوخة، قرينة ظاهرة على أن المراد به الموت، والآية السابعة قرينتها أنها دعاء لأن من المعلوم لكل واحد أن الإنسان يدعو أن يموت علي الإسلام، إذ العبرة بالخاتمة كما جاء في الحديث الصحيح: «**إنما الأعمال بالخواتيم**». وهكذا لا تجد في القرآن آية ذكر فيها التوفي مرادًا به الموت إلَّا وتجد فيها قرينة تدل على ذلك.

وتحقيق المسألة علي وجه الإيجاز: أنَّ مادة «التوفي» موضوعة في اللغة لمعنى واحد هو قبض الشيء واستيفاؤه، وهذا المعنى قدر مشترك بين قبض الروح بالنوم أو الموت، وقبض الدَّين، وقبض الأجر على عملٍ ما، وغير ذلك من المعاني التي يطلق عليها لفظ التوفي، فهو من قبيل المشترك المعنوي، والقاعدة فيه: «أنه إذا أريد فرد معين من أفراده قيد اللفظ بما يدل على ذلك الفرد»، وعلى هذا الأسلوب جاء القرآن الكريم فإنه تارة أراد بالتوفي خصوص الموت فقيَّد اللفظ بالقرينة الدالة عليه كالآيات السابقة، وتارة أراد خصوص النوم فقيَّده أيضًا كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠] الآية، وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] الآية، وتارة أراد الأجر والجزاء كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١] وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ﴾ [آل عمران: ٥٧] فإذا جاء اللفظ مجرَّدًا عن القرينة لم يجز أن يدعي أن هذا المعنىٰ أظهر فيه من ذاك بل يحمل علىٰ أصل المعنىٰ الذي هو القدر المشترك ويترك ما عداه إلىٰ أن يقوم علىٰ تعيينه دليل، وبهذا البيان الوجيز ينهار ما ادعاه صاحب الفتوىٰ في آيتي آل عمران والمائدة ويتضح أنه غلط ليس له من التحقيق العلمي نصيب.

والعجب العجاب في شأن هذا المفتي أن نجده يظهر بمظهر الحريص علىٰ التمسُّك بظاهر القرآن حيث يقول: «ومن حق كلمة «توفيتني» في الآية أن تحمل علىٰ هذا المعنىٰ المتبادر وهو الإماتة العادية التي يعرفها الناس ويدركها من اللفظ ومن السياق الناطقون بالضاد».اهـ

ثم نجده في كلمة له في الشيطان يقول: «إنه قوة الشر الكامنة في النفس». أي أنه عَرَض، مخالفًا صريحَ القرآن والسُّنَّة في أنَّ الشيطان كائنٌ حيٌّ يتكلَّم ويوسوس ويجيء ويذهب إلىٰ آخر أوصاف الأجسام الحية، فالذي يتمسَّك بظاهر القرآن في وفاة عيسىٰ كيف يتأتَّىٰ منه أن ينكر صريح القرآن والسُّنَّة في جسمية الشيطان؟!

ما هذا إلَّا تناقض قبيح وتلاعب بالنصوص منشأه الهوىٰ والغرض، ثُمَّ ادِّعاؤه أنَّ الإماتة العادية يدركها مِن اللفظ ومن السِّياق الناطقون بالضاد فيه تعريض بالصحابة والتابعين وعلماء المسلمين الذين حملوا التوفي علىٰ قبض البدن حيًّا جمعًا بين الأدلة كما هو الواجب، فهؤلاء كلهم لم يكونوا ينطقون بالضاد ولم يكونوا يعرفون السِّياق حتىٰ جاء هو في منتصف القرن الرابع عشر فنطق ما لم ينطقوه وعرف ما لم يعرفوه، فسبحان الفتاح العليم!!

ثم ادَّعىٰ أنه لا سبيل إلىٰ القول بأنَّ الوفاة مرادٌ بها وفاة عيسىٰ عليه السَّلام بعد نزوله من السماء بناء علىٰ زعم من يرىٰ أنه حيٌّ في السماء وأنه سينزل منها آخر الزمان.اهـ

وأقول: هذا أحد الأدلة من كلامه علىٰ أنه لا يحترم السُّنَّة ولا يقيم لها وزنًا، وإن ادَّعىٰ خلاف ذلك بلسانه؛ لأن الآلوسي نقل عن قتادة في قوله تعالىٰ: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] قال: «هذا من المقدَّم والمؤخَّر، أي: رافعك إلي ومتوفِّيك». ثُمَّ قال الآلوسي: «وهذا أحد تأويلات اقتضاها مخالفة ظاهر الآية للمشهور المصرَّح به في الآية الأخرىٰ -يعني: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾[النساء: ١٥٨]- وفي قوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ عيسى لم يمت وإنه راجعٌ إليكم قبل يوم القيامة**».اهـ

وصاحب الفتوىٰ رأىٰ هذا في "تفسير الآلوسي" ومنه نقل قول قتادة بالمعنىٰ، فماذا فعل؟

عمد إلىٰ آية سورة النساء الصريحة كما قال الآلوسي فأوَّلها لتوافق ظاهر آية سورة آل عمران -مخالفًا ما أجمع عليه أهل الأصول أنَّ الصريح لا يقبل التأويل وأنَّ الظاهر هو الذي يؤوَّل ليوافق الصريح- وسكت عن الحديث فلم يُعِرْه أذنًا صاغية، بل سمَّاه فيما بعد: «قصصًا وروايات مضطربة لم يقم علىٰ الظن بها -فضلًا عن اليقين- برهان، ولا شبه برهان».

فبرهن علىٰ أنه يحترم الحديث النبوي احترامًا يتلاقىٰ من بعض الوجوه مع احترام القاديانية له أيضًا! فليعذرنا القرَّاء إذا اشتددنا عليه في الكلام، وتلونا

عليه بعض ما يعرِّفه قدر سُنَّة نبيِّنا عليه الصَّلاة والسَّلام.

وبعد هذا قد اتفق العلماء -إلَّا وهب بن مُنبِّه الكتابي، وابن حزم الظاهري[1]- على أنَّ قول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] مصروفٌ عن الموت الحقيقي، ثُمَّ اختلفوا فقيل: معنى متوفِّيك قابضك، ومستوفي شخصك من الأرض، وقيل: معناه: منيمك ورافعك نائما رفقًا بك، وقيل: جاعلك كالمتوفَّى لأنه بالرفع يشبهه، وقيل: آخذك وافيًا بروحك وبدنك، فهو في معنى رافعك، والعطف حينئذٍ للتفسير، وقيل: مميت قواك الشهوانية العائقة عن إيصالك بالملكوت، وقيل غير ذلك مما حكاه الآلوسي، ثم قال عقبه ما نصُّه: «والصحيح كما قاله القرطبي أنَّ الله تعالى رفعه من غير وفاة ولا نوم، وهو اختيار الطبري، والرواية الصحيحة عن ابن عبَّاسٍ، وحكاية أنَّ الله تعالى توفَّاه سبع ساعات ذكر ابن إسحق أنها من زعم النصارى، ولهم في هذا المقام كلام تقشعر منه الجلود، ويزعمون أنه في الإنجيل، وحاشا لله، ما هو إلَّا افتراء وبهتان عظيم».اهـ

وهذا على القول بأن الآية لا تقديم فيها ولا تأخير فإن قيل بذلك -وهو قول قتادة كما تقدَّم- فالتوفي معناه الموت، ويكون ذلك بعد نزوله كما هو ظاهر وإنما صرف العلماء التوفي عن معنى الموت لوجود الأدلة الدالة على حياة عيسى عليه السَّلام، وأنه رفع إلى السماء حيًّا، فمن الأدلة قوله تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ [آل عمران: ٤٦] ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِن

---

(١) وقد قالا بنزوله أيضًا، وإنما خالفا في رفعه حيًّا.

مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ [النساء: ١٥٩] وقد تقدَّم الكلام على هاتين الآيتين.

ومنها قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لليهود: «**إنَّ عيسى عليه السَّلام لم يمت وإنه راجع إليكم قبل يوم القيامة**». وقد ذكرناه من مرسل الحسن، وهو مؤيد بأحاديث وآثار، وقد ثبت في الصحيح عن ابن عمر أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رأى في ليلةٍ عيسى ابن مريم يطوف بالبيت، وثبت في حديث الإسراء أنهما اجتمعا في بيت المقدس، وفي السماء الثانية، ولذا عدَّه أهل الحديث صحابيًّا.

قال الحافظ الذهبي في "التجريد": «عيسى ابن مريم نبيٌّ وصحابيٌّ فإنه رأى النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فهو آخر الصحابة موتًا».اهـ

وكذا الحافظ العراقي في "نكته على ابن الصلاح"، والحافظ ابن حجرٍ في "الإصابة"، والحافظ السيوطي في "التدريب" وفي "الإعلام بحكم عيسى عليه السلام"، والصحابي عند المحدِّثين والأصوليين هو: من رأى النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أو اجتمع به في اليقظة لا في المنام، وفي الحياة لا بعد الممات. وحيث أنَّ عيسى صحابيٌّ فهو أفضل من الخلفاء الأربعة بلا شك، وقد ألغز فيه التاج ابن السُّبكي بقوله:

مَن باتِّفاقِ جميعِ الخَلْقِ أفضلُ مِنْ ... خير الصِّحَابِ أبي بكرٍ ومِن عُمَر
ومِن عليٍّ ومِن عثمانَ وهو فتًى ... مِن أُمَّة المصطفى المختار من مضر

قال العلامة أبو عبدالله محمد الطالب ابن الحاج في حاشية المرشد:

وجوابه:

ذاك ابـنُ مـريمَ رُوح الله حيـثُ رأىٰ نبيَّنـا المصـطفىٰ في أحسـنِ الصُّـورِ
فوقَ السمواتِ ليلًا عنـدما اجْتَمَعـا كذاك عنـد ظِـرابِ البيـتِ والحجـر

ومنها قوله تعالىٰ: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٨] وهذه الآية نصٌّ في حياة عيسىٰ ورفعه؛ لأن الله تعالىٰ نفىٰ عنه القتل والصلب، ثم عطف بـ«بل» مثبتًا له الرفع، والمقرَّر في كتب اللغة العربية التي نزل بها القرآن العظيم أن «بل» إذا تلت نفيًا أو نهيًا كانت حرف إضراب واستدراك، تقرِّر حكم ما قبلها وتثبت نقيضه لما بعدها، وقد ذكر أهل المعاني العطف بـ«بل» وبـ«لا» من طريق القصر، وقالوا: إنه أقوىٰ طرقه للتصريح فيه بالنفي والإثبات، فكلمة «بل» في الآية لقصر القلب ترد علىٰ اليهود والنصارىٰ ما اعتقدوه من قتل عيسىٰ وتُثبت نقيض ذلك، وهو حياته ورفعه، هذا هو ما تفيده الآية صراحة بحسب قواعد اللغة وأسلوب البلاغة . وهو الذي يفهمه كل عربيٍّ فصيح بذوقه السليم الصحيح، أمَّا حمل الآية علىٰ تقدير الإماتة العادية بأن يقال: بل أماته الله ورفعه إليه -كما فعل صاحب الفتوىٰ والقاديانية- فمن سقط الكلام الذي يجب أن يُنزَّه عنه القرآن العظيم؛ لأن الإماتة العادية تتفق مع القتل في الغاية، وهي إزهاق الروح كما قال الشاعر:

ومَن لم يَمُـتْ بالسَّـيف مـاتَ بغـيره تعـدَّدتِ الأسـبابُ والمـوتُ واحـدُ

فلا تكون الإماتة نقيضًا للقتل إلَّا من حيث الصورة، والقرآن أدق من أن يقصد الصورة الظاهرية، وأجل من أن يحمل عليها، هذا مع ما يلزم علىٰ ذلك

التقدير من المفاسد.

أحدها: التجرُّؤ على تأويل الآية رغم صراحتها، وهذا شيءٌ لم نعهده من أحدٍ من أهل الاسلام حتى جاء القاديانية، فزلُّوا وضلُّوا حيث جعلوا عقيدتهم الفاسدة أصلًا يؤوَّل ما خالفها نصًّا كان أو ظاهرًا.

ثانيها: تأويل الرفع وصرفه عن الحقيقة إلى المجاز من غير وجود قرينة تدل على ذلك.

ثالثها: عدم وجود فائدة لذكر الرفع؛ لأنه إمَّا أن يُراد به رفع الرُّوح أو رفع المكانة وكلاهما عديم الفائدة؛ لأن كل ميتٍ ترفع روحه إلى بارئها مقتولًا كان أو غير مقتول، والرسل عليهم الصَّلاة والسَّلام كلهم مرفوعو الرتبة والمكانة عند الله، فلا تظهر فائدة لتخصيص عيسى برفع روحه أو مكانته، لا سيَّما وفي الرسل من هو أفضل منه، ومَن أوذي أكثر من إذايته كإبراهيم وموسى عليهما الصَّلاة والسَّلام، فإنهما أفضل من عيسى عليه الصَّلاة والسَّلام، وأوذيا من قومهما أبلغ إذاية، ولم ينص على رفع روحهما أو مكانتهما، وقد كانا أولى بالتنصيص على ذلك.

رابعها: أنَّ الله تعالى اقتصر على ذكر الرفع وجعله مبطلًا لما ادَّعاه اليهود من القتل والصَّلْب، ولو كان معناه ما ذكر لم يكن مبطلًا لدعوى اليهود، بل متفق معها؛ لأن رفع مكانة الرسول أو رفع روحه بعد موته لا ينافي وقوع الإذاية له من قومه بقتل أو غيره، بل ذلك يزيد في رفعته عند الله ولذا تجد تواريخ الرسل حافلة بما لاقوه من أنوع الإذايات التي يشيب لها الوليد من قتل وغيره.

وقد كان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إذا اشتد به إيذاء قومه يقول: «**رحمَ اللهُ أخي موسى لقد أُوذِيَ بأكثر مِن هذا فصَبَرَ**».

خامسًا: أنَّ رفع المكانة لا يستلزم الموت كما هو ظاهر، وكذلك رفع الرُّوح؛ لأن النائم ترفع روحه وتسبح في عالم المِثال، وحينئذٍ فقد كان يجب التصريح في الآية بذكر الموت بأن يقال: «بل أماته الله» ولا يقتصر على الرفع الذي لا يستلزمه ولا يدل عليه.

سادسًا: أنَّ الله تعالى مدح نفسه بقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٨] ولو كان في الآية إماتة عادية كما يزعم صاحب الفتوى لم يكن للمدح معنى؛ لأن ذلك أمرٌ عاديٌّ مطَّرد في جميع المخلوقات، ولأننا ما رأينا الله تعالى مدح نفسه على إماتة نبيٍّ أو رسول، كيف والموت مصيبة بشهادة القرآن؟! قال تعالى: ﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [المائدة: ١٠٦] وإنما رأيناه يمتدح بإهلاك الظلمة الكفرة انتقامًا لأنبيائه ورسله، وما صح الامتداح بالإهلاك إلَّا لما انطوى عليه من الخوارق الدالة على كمال قدرته وشدة انتقامه.

سابعًا: أنَّ حمل الرفع على رفع المكانة أو الرُّوح مخالفٌ لما أطبق عليه علماء التفسير من الصحابة وغيرهم؛ فإنهم فسَّروه بالرفع الحقيقي الذي هو نقله الجسم من عالم الأرض إلى عالم السماء، وقالوا: إنَّ عيسى أعطي استعدادًا لذلك، وقطعت عنه علائق الشهوة وعوائق المادة، وليس في ذلك ما يُحيله العقل ولا ما يصادمه العلم، بل نجد في تطورات هذا الزمن ومخترعاته ما يؤيد ذلك ويقربه إلى العقول المريضة المحصورة في دائرة ضيقة من التفكير فلا يتسع

أفقها للتصديق بما غاب عنها، ولو قامت الدلائل العلمية على وقوعه، وفي مثل هؤلاء يقول الله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ [يونس: ٣٩].

وقد أخرج ابن أبي شيبة، وابن جريرٍ، والنَّسائيُّ، وابن أبي حاتمٍ بإسنادٍ صحيحٍ على شرط مسلمٍ، عن ابن عبَّاسٍ قال: «لَمَّا أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء خرج على أصحابه وفي البيت اثنا عشر رجلًا منهم من الحواريين، فخرج عليهم من عين في البيت ورأسه يقطر ماءً فقال: إنَّ منكم مَن يكفر بي اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن بي، ثُمَّ قال: أيُّكم يُلقَى عليه شَبَهي فيُقتل مكاني فيكون معي في درجتي؟ فقام شابٌّ مِن أَحْدَثهم سِنًّا فقال له: اجلس، ثم أعاد عليهم، فقام الشاب فقال: اجلس، ثم أعاد عليهم فقام الشاب، فقال: أنا. فقال: أنت هو ذاك. فألقي عليه شبه عيسى، ورفع عيسى مِن رَوْزَنةٍ في البيت -يعني كُوَّة- إلى السماء، قال: وجاء الطلب من اليهود فأخذوا الشَّبيه فقتلوه ثُمَّ صلبوه، فكفر به بعضهم اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن به، وافترقوا ثلاث فِرَقٍ...» وذكر بقية الأثر. قال ابن كثير في "تاريخه": «وهكذا قال غير واحد مِن السَّلف».

وأخرج ابن جريرٍ بسندٍ صحيحٍ عن كعبٍ قال: «لَمَّا رأى عيسى قِلَّة مَن اتبعه وكثرة مَن كذَّبه شكا ذلك إلى الله فأوحى الله إليه: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] وإني سأبعثك على الأعور الدَّجَّال فتقتله، ثُمَّ تعيش بعد ذلك أربعًا وعشرين سنة، ثُمَّ أميتك ميتة الحي».

قال كعب: «وذلك تصديق حديث رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حيث قال: «كيف تَهْلِكُ أمَّةٌ أنا في أوَّلها وعيسى في آخِرها».

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم عن الحسن في قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ قال: «رفعه الله إليه فهو عنده في السماء».

وتقدَّم في حديث أبي هريرة وحديث ابن عبَّاسٍ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنَّ عيسى ينزل من السماء، وتقدَّم في حديث ابن مسعود أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم اجتمع بعيسي في السماء وأخبر أنه نازل ليقتل الدَّجَّال وتقدَّمت آثار بهذا المعنى، وتقدَّم قول ابن عطية: «أجمعت الأمة على ما تضمنه الحديث المتواتر من أنَّ عيسى في السماء حيٌّ».

فهذا إجماع يضاف إلي ما سبق فيكون رفع عيسى حيًّا ثابتًا بالكتاب والسُّنَّة والإجماع.

ووهب بن مُنبِّه قال: «إن عيسى مات ثلاث ساعات، رفع خلالها إلى السماء ثم أرجعت إليه الحياة» فلا يعد مخالفًا للإجماع، وابن حزم قال بموت عيسى ورفعه وقوفًا مع لفظ ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ فلم يخالف في الرفع وإنما خالف في الحياة لجموده على ظاهر اللفظ كما هو شأن الظاهرية، ولم نجد عن أحد غير هذين القول بموت عيسى أو عدم رفعه بسند صحيح يعتمد عليه، وقوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ معناه قابضك من الدنيا ببدنك وروحك حيًّا كما تقدَّم عن ابن عبَّاسٍ وغيره، وقوله: ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ قرينة على ذلك إذ لم نجد في القرآن موتًا ذكر بجانبه الرفع أصلًا؛ لأن الميت يدفن في الأرض ولا

يرفع إلى السماء كما قال الله في شأن الإنسان: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾ [عبس: ٢١] وكذلك قوله تعالى، حكاية عن عيسى عليه السَّلام: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧] معناه: فلما قبضتني بالرفع إلى السماء كما قال أبو حيان وغيره من أئمة اللغة والتفسير.

وأما قوله تعالى حكاية عن عيسى -عليه السلام- أيضًا: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٣] فليس فيه إلا الإخبار بأنه سيموت، وهو حق لا شك فيه، ولكن موته لم يحصل كما أن البعث لم يحصل، وسيحصلان فيما بعد ولابد، وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤] لا يدل على موت عيسى عليه السلام، لأمرين:

أحدهما: أنه عام فيخص منه عيسى للأدلة الدالة على حياته عملًا بما هو مقرر في الأصول.

والأمر الثاني: أن تبقى الآية على عمومها من غير أن تشمل عيسى أيضًا لأن المراد بـ«الخُلد» في الآية البقاء الطويل في عالم الأرض؛ لأن المشركين كانوا يقدرون أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم سيموت فيشمتون بموته، فأنزل الله الآية ردًّا عليهم، وعيسى لم يمكث في الأرض بل رفع إلى عالم السماء فهو كالميت بسبب انفصاله من هذا العالم الأرضي إلى عالم لا تجري عليه الأغيار الجسمانية، ولا تعتوره التقلبات الزمانية، وأخبرني شخص كان قاديانيًّا ثُمَّ أسلم: أنَّ القاديانية يستدلون على موت عيسى بحديث هذا لفظه: «**لو كان موسى وعيسى حيين ما وسعهما إلَّا اتِّباعي**». وهذا حديثٌ مكذوبٌ ما نطق به

رسول الله ولا رواه عنه أحد من أهل الحديث[١] .

ثُمَّ أراد صاحب الفتوىٰ بعد إذ حمل رفع عيسىٰ علىٰ رفع المكانة كما فعل القاديانية -وهو باطل كما بيَّنَّا- أن يؤيد ذلك فقال: «وظاهر أنَّ الرفع الذي يكون بعد التوفية رفع المكانة لا رفع الجسد خصوصًا وقد جاء بجانبه قوله: ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [آل عمران: ٥٥] مما يدل علىٰ أنَّ الأمر أمر تشريف وتكريم».اهـ

وأقول: القاديانية هم الذين حملوا الرفع في الآية علىٰ رفع المكانة، فقلنا لهم: هذا مجاز لابد له من قرينة قالوا ذكر التوفي قبله والتطهير بعده قرينتان، قلنا: أما التوفي فلا يصلح قرينة لأمرين:

الأول: أنه يطلق علىٰ الموت والنوم وقبض الدَّيْن والأجر... إلخ، فهو محتمل يحتاج في تعيين المراد منه إلىٰ قرينة وما هو محتاج إلىٰ قرينة في نفسه كيف يكون قرينة علىٰ تعيين المراد من غيره؟!

الثاني: أنَّ رفع المكانة ثابت لكل رسول في الحياة وبعد الممات فكيف يعقل أن يكون التوفي قرينة علىٰ رفع مكانة عيسىٰ مع أنَّ ذلك ثابت له ؟! ما هذا إلا من لغو الكلام، وأمَّا قوله تعالىٰ: ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ فهو قرينة علىٰ رفع الجسد لا رفع المكان؛ لأن الله تعالىٰ وعد عيسىٰ عليه السَّلام بأن يطهره من الكفار فلا يجوز أن يحمل علىٰ التطهير المعنوي لأمرين:

الأول: أنَّ هذا التطهير حاصل لكل رسول؛ لأن الله لم يختر لرسالته إلَّا

---

(١) نعم: صح الحديث بلفظ «**لو كان موسى حيًّا ما وسعه إلَّا اتِّباعي**».

أطهر الناس نفْسًا وأزكاهم عملًا، فكيف يصح أن يَعِد الله عيسىٰ عليه السَّلام بالتطهير وهو حاصل له؟!

الثاني: أنَّ التطهير المعنويَّ لا يمنع إذاية الكفَّار وظُلْم الأشقياء؛ فكم لاقىٰ رسل الله المطهَّرون من إذاية واضطهاد، ولهذا -والله أعلم- لَمَّا أراد الله أن يضمن لرسوله الحفظ من القتل قال له: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] أي يمنعك من الناس أن يقتلوك، ولم يقل له: والله يرفع مكانتك علىٰ الناس، ولا قال: والله يطهِّرك مِن الناس؛ لأن الرفع والتطهير المعنويين لا يدلان علىٰ الحفظ من القتل والإيذاء، ولا يستلزمانه بحكم العقل والعادة كما هو ظاهر.

وحيث تبيَّن بطلان حمل التطهير في الآية علىٰ المعنوي تعيَّن حمله علي التطهير الحسِّي، وهو رفع جسد عيسىٰ حيًّا وتخليصه من أيدي الكفار الذين أرادوا قتله وصلبه، فالآية تفيد نقيض ما أراده القاديانية الجهلة الذين لا يعرفون اللغة العربية ولا يفهمون أسرار القرآن العظيم.

ثُمَّ قال صاحب الفتوىٰ -والقاديانية معه في هذا- ما نصُّه: «وقد جاء الرفع في القرآن كثيرًا بهذا المعنىٰ: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾ [النور: ٣٦] ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ [الأنعام: ٨٣] ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤] ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧] ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [المجادلة: ١١]... إلخ».اهـ

وأقول: لنا الحق أن نسأل الشيخ عن ورود الرفع مجازًا كثيرًا في القرآن هل هذه الكثرة جعلت لفظ الرفع ظاهرًا في المعنىٰ المجازي بحيث إذا أطلق اللفظ

انصرف إليه كما جعلت الكثرة أيضًا لفظ التوفي ظاهرًا في الموت في زعمه؟ إن قال: نعم، أتى بالتناقض؛ لأن معنى قولنا: هذا المعنى ظاهر، أنه لا يحتاج إلى قرينة، ومعنى قولنا إنه مجاز، أنه لا يفهم إلَّا بقرينة تدل عليه، فكيف يتفق الأمران في كلمة وهما متباينان؟!

وإن قال: لم تجعله الكثرة ظاهرًا بل لا يزال معنى مجازيًّا يحتاج إلى علاقة وقرينة، قلنا له صدقت وحينئذٍ فقولك «كثيرًا» لغو في الكلام ليس لذكره فائدة سوى التطويل والتهويل. والآيات التي أوردها ظاهر فيها المجاز لوجود قرائن تدل عليه[1] إلَّا قوله تعالى في إدريس عليه السَّلام: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ فقيل: إنه رفع بجسده حقيقة إلى السماء قاله ابن عبَّاسٍ ومجاهد والضَّحَّاك والسُّدِّي، والمسألة مبسوطةٌ في غير هذا الموضع.

ثُمَّ قال صاحب الفتوى: وإذن فالتعبير بقوله: ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ كالتعبير في قولهم: «لحِق فلان بالرفيق الأعلى»، وفي: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] وفي ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٥] وكلها لا يفهم منها سوى الرعاية... إلخ.

وأقول: تجرَّأ هذا المفتي وأقدم على القول بأنَّ مراد الله برفع عيسى عليه السَّلام الرفع المجازي، وبتوفِّيه الإماتة العادية، وأهدر ما في الآيات المتعلِّقة بعيسى عليه السَّلام من نكتٍ بلاغية وأسرار لغوية تقضي بحياته ورفعه، كما

---

(١) ولأنه لم يذكر معها لفظ: «إليَّ» الذي ذكر بجانب رفع عيسى وهو يدل على الرفع الحسِّي دلالة صريحة.

نبذ الأحاديث والأثار وأقوال العلماء وراءه ظِهريًّا؛ لأنه يشتهي الظهور أمام المتشبِّعين بالعلم الحديث بمظهر العالِم الذي لايقبل عقله الخرافات، لكن فاته أنَّ رفع عيسىٰ حيًّا جائزٌ في العقل، واردٌ في الشرع، وما كان كذلك فردُّه -لا قبوله- هو الخرافة، وقد قضت الضرورة العقلية بتنزُّه الله سبحانه عن المكان والزمان؛ لأنه خالقهما فلهذا أول العلماء قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ و ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ وقولهم: «لحِق فلان بالرفيق الأعلىٰ» إنما يقال في الشخص الذي يموت فموته قرينة ملموسة محسَّة، وأين هذا من آيات نزول عيسىٰ عليه السَّلام وحياته ورفعه التي بعضها صريح[1] والظاهر منها بينته السنة المتواترة.

وقول صاحب الفتوىٰ: فمن أين تؤخذ كلمة «السماء» من كلمة «إليه» تجاهل يزري بصاحبه ومع هذا نجيبه علىٰ قدر تجاهله فنقول: أخذت كلمة السماء من كلمة إليه بدليلين قطعيين:

أحدهما: أنَّ المكان في حقِّ الله محالٌ.

ثانيهما: أنَّ السماء مهبط الوحي ومسكن الملائكة، وقبلة الدعاء، ومتنزل الرزق، فأضيفت إلىٰ الله تشريفًا، كما يقال في الكعبة: بيت الله، وفي ساكن مكة: جار الله، وهذا أمر يدركه الطلبة.

قال النيسابوري في "تفسيره": «أمَّا قوله: ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ فالمشبِّهة تمسَّكوا بمثله في إثبات المكان لله وأنه في السماء، لكن الدلائل القاطعة دلَّت علىٰ أنه

---

(١) ولفظ: «إلي» صريح في الرفع الحسي.

متعالٍ عن الحيز والجهة، فوجب حمل هذا الظاهر على التأويل بأنَّ المراد إلى محلِّ كرامتي ومقرِّ ملائكتي، والمراد التفخيم والتعظيم، أو المراد إلى مكان لا يملك الحكم عليه هناك غير الله، فإنَّ في الأرض ملوكًا مجازية».اهـ

والعجيب من الشيخ أن يتجاهل في كلمة «إليه» الدليل القاطع الذي دل على وجوب تقدير كلمة السماء مع أنه أوجب ملاحظة كلمة «أماته الله» في كلمة ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ﴾ من غير أن يجيز هذه الملاحظة دليل ظني فضلًا عن قطعي.!

ثم قال صاحب الفتوى: «وبعد فما عيسى عليه السَّلام إلَّا رسول قد خلت من قبله الرسل، ناصبه قومه العداء فالتجأ إلى الله، فأنقذه بعزَّته، وخيَّب مَكْر أعدائه، وهذا هو ما تضمَّنته الآيات ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢] إلخ.

فهو يبشره بإنجائه من مكرهم، وردِّ كيدهم في نحورهم، وأنه سيستوفي أجله حتى يموت حتف أنفه، من غير قتلٍ ولا صَلْبٍ ثُمَّ يرفعه الله إليه، وهذا هو ما يفهمه القارئ للآيات الواردة في شأن نهاية عيسى عليه السَّلام مع قومه، متى وقف على سُنَّة الله مع أنبيائه حين يتألَّب عليهم خصومهم، ومتى خلا ذهنه من تلك الروايات التي لا ينبغي أن تحكم في القرآن».اهـ

وأقول: كل ما أبداه باطل لا قيمة له، ويكفينا في بيان بطلانه أن نُعلِمه أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم هو الذي أخبر بحياة عيسى عليه السَّلام ونزوله، وهو الذي وكل الله إليه بيان القرآن وبيان الدين كله، وقد اشتمل

كلام الشيخ -مع مخالفته لكلام الله ورسوله- على تعليلات هي أشبه بالأقاصيص والخرافات وهو يظنُّها أقصى ما تصل إليه العقول البشرية في هذا الوقت فقوله: «وبعد فما عيسى عليه السَّلام إلَّا رسول قد خلت من قبله الرسل» تمهيد ليس له محل في هذا الموضع، وإنما محله أن يقال في الردِّ على النصارى الذين يزعمون ألوهية عيسي عليه السَّلام أو بنوَّته لله تعالى الله عن ذلك عُلوًّا كبيرًا، وقوله: «وهذا هو ما يفهمه القارئ للآيات الواردة في شأن نهاية عيسى مع قومه» يقال عليه: لا يفهم القارئ ما ذكرته إلَّا إذا كان متصفًا بوصفين:

أحدهما: جهله بالبلاغة وأسرار اللغة العربية.

ثانيهما: جهله بالسُّنَّة.

فبهذين الوصفين يفهم القارئ من الآيات أنَّ عيسى عليه السَّلام مات وأنه لم يرفع وأنه لا ينزل، كما فهم القاديانية ذلك لجهلهم، ونهاية عيسى عليه السَّلام مع قومه ليست بواجب عقليٍّ يلزم من فرض تخلُّفه محال، حتى نضطر إلى تأويل القرآن وردِّ الأحاديث من أجلها. فما بال الشيخ كرَّرها بضع مرات؟!

وقوله: «متى وقف على سنة الله مع أنبيائه». يقال عليه: سُنَّة الله مع أنبيائه مختلفة، فمنهم مَن تسلَّط عليه أعداؤه حتى قتلوه، ومنهم مَن أنجاه الله، ثُمَّ طرق الإنجاء مختلفة، ولكنها متفقة في أنَّ النبيَّ يبقى -بعد إنجائه- حيًّا لتقرَّ عينه بهلاك أعدائه، وانظر إلى نوحٍ وإبراهيمَ وموسى وهودٍ وصالحٍ ولوطٍ ويونسَ وغيرهم عليهم صلوات الله، كيف أبقاهم الله بعد إنجاءهم حتى

شاهدوا هلكة أعدائهم، فسُنَّة الله مع أنبيائه تقتضي أن يبقىٰ عيسىٰ عليه السَّلام بعد إنجائه حيًّا، ليشاهد مكر الله باليهود وتقرَّ عينه بذلك، وهذا نقيض ما يدَّعيه الشيخ، فانظر كيف أتىٰ بما هو دليل عليه وهو لا يشعر؟!!

وقوله: «ومتىٰ خلا ذهنه من تلك الروايات التي لا ينبغي أن تحكم في القرآن» ينطوي علىٰ أمر خطير جدًّا؛ لأنه يحضُّ علىٰ تجاهل السُّنَّة، ويحرِّض علىٰ عدم الرجوع إليها في تفسير القرآن العظيم، وليت شعري بماذا يُفسَّر كلام الله إذا لم يرجع في تفسيره إلىٰ كلام رسول الله وكلام أصحابه؟

يقول الله لنبيِّه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]

ويقول النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن قال في القرآن بغير عِلْمٍ فليتبوَّأ مَقْعَدَهُ مِن النَّارِ**».

ثُمَّ يجيء الشيخ في آخر الزمان فيقول: يكتفىٰ في تفسير كلام الله بما يفهمه القارئ الخالي الذِّهن مِن السُّنَّة، أي: لا علم عنده بها ولا شعور، فيجعل الجهل شرطًا في التفسير!!

وقد بقيت في كلامه أشياء واضحة البطلان ولا داعي إلىٰ إضاعة الوقت بمناقشتها، ثم ذكر الشيخ خلاصة بحثه وفتواه وهي بالضرورة باطلة لبطلان ما بُنيت عليه، فلا حاجة إلىٰ الكلام عنها وليرجع القارئ إلىٰ حكم منكر نزول عيسىٰ عليه السَّلام فقد بيَّنَّاه أواخر الباب الأول من هذا الكتاب.

وإلىٰ هنا ينتهي ما أردناه من إقامة البرهان، وهو كافٍ شافٍ، والحمد لله ربِّ العالمين.

٣- عقيدةُ أهلِ الإسلامِ
في نزول عيسى عليه السَّلام
أو
إرغامُ المبتدعِ الجَهُولِ باتِّباعِ سُنَّةِ الرَّسولِ

قال عمر رضي الله عنه:

«خُذوا أهلَ الأهواء بالسُّنَن؛ فإنَّ القرآنَ ذو وجوهٍ».

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

منذ بضع سنوات أصدرنا كتاب "إقامة البرهان على نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان" وكان سبب إصداره فتوى خاطئة كتبها عالم أزهريٌّ بمجلة "الرسالة" -الملحدة- أيَّد فيها ما يزعمه القاديانية الكفرة في شأن عيسى عليه السلام وتحايَل على إثبات دعواه في فتواه بتأويل الآيات القرآنية -الصريح منها والظاهر- تأويلًا فاسدًا عليه آثار التكلُّف والتعسُّف ظاهرة، وتحامى الأحاديث المتواترة التي تقضي على تأويله وتهدمه مِن أساسه، كما تعامى عن أقوال العلماء والمفسِّرين، وإجماع الفقهاء والمحدِّثين، بل تجاوز هذا إلى تحريف النقول وإرغام النصوص بالتهذيب والتشذيب لتوافق ما يقول، وصرَّح بالحثِّ على تفسير القرآن بالرأي المجرَّد، ولوَّح بالحضِّ على إهمال الأحاديث والآثار، وترك الرجوع إليها في هذا المِضْمار، وكان هذا كافيًا في إظهار نواياه وإبراز خفاياه، لكنَّنا -مع ذلك- أحسنَّا به الظنَّ، وحملنا موقفه الشاذَّ على محمل حسنٍ.

حتى إذا قرأ كتابنا المذكور ورأى ما فيه من الأدلة الدامغة، كشف قناعه وأَصْحَر بالرداءة، وكتب بضع مقالات يُجاحِش فيها عن رأيه الكاسِد وتأويله الفاسِد، فعالجناه بهذا الكتاب الذي قضينا فيه على ما أبداه في مقالاته تلك من أباطيل وتضليلات، وكشفنا ما فيها من تدليسات وتلبيسات، ونبَّهنا على غلطه في فهم بعض الاصطلاحات الكلامية المبنيَّة على القواعد المنطقية، إلى غير

ذلك مما يراه القرَّاء في مواضعه مُبيَّنًا بإيضاح وتفصيل.

فهذا الكتاب، و"إقامة البرهان" صنوان، لكنهما في الأسلوب وطريقة الاستدلال مختلفان.

هذا وقد جرت العادة بإهداء المؤلَّفات إلى بعض ذوي المقامات العالية، والمناصب السامية، لتحرز بالإهداء فخرًا وامتيازًا، وتحوز إلى طريق الشهرة والظهور جوازًا، وإني أهدي مؤلَّفي هذا إلى صفوة خلق الله وخيرته من عباده، أفضل موجود في عالم الوجود، سيِّدنا محمَّد بن عبدالله عليه صلوات الله، عسى أن يشملني بشفاعته، ويعدَّني في جملة خَدَمته، فشفاعته غاية آمالي، وخِدْمته أوثق أعمالي، واللهَ المسئول يصحِّح القصد وينيل المراد، وأن يحقِّق رجاءنا فيه ويعطينا ما نبتغيه، إنه الوهَّاب الكريم.

أبو الفضل

عبدالله بن محمَّد بن الصِّدِّيق الغُمَاريُّ الحَسنيُّ

خادم الحديث عُفي عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عُدوان إلَّا على الظالمين، والصَّلاة والسَّلام على أفضل المرسلين، سيِّدنا محمَّد الصَّادق الأمين، وعلي آله الأكرمين، ورضي الله عن صحابته أجمعين، وعمن تبع هديهم بإحسان إلى يوم الدِّين.

أمَّا بعد: فقد أخبر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وهو الصَّادق المصدوق أنَّ عيسى ابن مريم عليهما السَّلام سينزل في أخر الزمان مصدِّقًا بسيِّدنا محمَّدٍ على مِلَّته فيقتل الدَّجَّال الأعور اللعين الذي يدَّعي الألوهية، وكذلك يقتل الخنزير أيضًا، ويكسر الصَّليب، ويقاتل الكفار على الإسلام، ولا يقبل منهم الجِزية، وينتشر في زمنه الأمن والعدل، ويكثر المال حتى لا يقبله الناس.

وفي وقته يخرج يأجوج ومأجوج ويهلكهم الله بدعائه، ويمكث في الأرض ما شاء الله أن يمكث، ثم يموت فيصلِّي عليه المسلمون ويدفنونه.

تواتر هذا المعنى تواترًا لا شك فيه، بحيث لا يصح أن ينكره إلَّا الجهلة الأغبياء كالقاديانية ومن نحا نحوهم؛ لأنه نُقِل بطريق جمعٍ عن جمعٍ حتى استقرَّ في كتب السُّنَّة التي وصلت إلينا تواترًا بتلقِّي جيلٍ عن جيلٍ.

فقد رواه عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: أبو هريرة، وأبو سريحة حُذيفة بن أَسِيد، والنوَّاس بن سَمْعَان، وجابر بن عبدالله، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وواثلة بن الأَسْقَع، وابن مسعود، وحُذَيفة بن اليَمان، ومُجَمِّع ابن جارية، وعبدالله بن مُغَفَّل، وعائشة، وسَمُرة بن جُندب، وأنس بن مالك، وأبو

أمامة، وعثمان بن أبي العاص، وعمَّار بن ياسر، وابن عبَّاسٍ، وثوبان، ونافع بن كَيْسان، وكَيْسان بن عبدالله بن طارق، وعمرو بن عوف، ونافع بن عتبة، وأبو بَرْزة، وعبدالرحمن بن سَمُرة، وأبو سعيدٍ الخِدري، وأمُّ سلمة، وعِمران بن حُصين، وأبو الدرداء، وأوس بن أوس، وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم.

ثُمَّ رواه عن هؤلاء: سعيد بن المسيِّب، ونافع مولى أبي قتادة الأنصاري، وعطاء بن مِيناء، وحنظلة بن علي الأسلمي، وعبدالرحمن بن آدم، وسعيد بن مِيناء، وصالح مولى أبي هريرة، ومطير الهلالي، وكُلَيب الجَرْمِي، وأبو الطُّفيل - وهو صحابيٌّ صغير-، والربيع بن عُمَيْلة، وجُبير بن نُفير، ويعقوب بن عاصم الثقفي، وأبو الزُّبير، وعبدالله بن يزيد، وأبو نَضْرة، وعمرو بن عبدالله الحضرمي، ومُؤَثِر بن عَفَازَة، ورِبْعيُّ بن حِراش، وأبو صالح، وأبو قِلابة، وعلقمة، وأبو يحيي مولى ابن عَفْراء، وعبدالأعلى بن عديٍّ البَهْرَانيُّ، وأيوب بن نافع بن كَيْسان، ونافع بن كَيْسان بن عبدالله بن طارق، وعبدالله بن عمرو بن عوف، والحسن البصري، وعروة بن رُوَيم، وطاوس، وأبو عبدالرحمن الحبلي، وغيرهم من التابعين.

ثم رواه عن هؤلاء: الزهري، والمقبري، وقتادة، وسليم بن حَيَّان، وهشام بن عروة، وموسى بن مُطَيرٍ، وعاصم بن كُلَيبٍ، وفُرات القزم، وعبدالرحمن بن جُبير بن نُفير، والنُّعمان بن سالم، وابن جُريج، وابن أبي ليلي، وعبدالله بن ثعلبة الأنصاري، وعلي بن يزيد بن جَدْعان، ويحيي بن أبي عمرو السَّيْبانيُّ، وجَبَلَة بن سُحَيمٍ، وأبو حازم الأشجعي، والحضرمي بن لاحق، وأيوب، وإبراهيم،

وسعيد بن خشيم، ومحمد بن علي بن عبدالله بن عباس، ولقمان بن عامر الوصَّابي، وعبدالرحمن بن أيوب، وربيعة بن ربيعة، وكثير بن عبدالله، وعمرو بن سفيان الثقفي، والربيع، وأبو رزين، وعبدالعزيز بن رفيع، وعبدالرحمن بن زياد الإفريقي، وغيرهم.

ثُمَّ رواه عن هؤلاء: صالح بن كَيْسان، وسفيان بن عُيينة، والليث بن سعد، ويونس، ومحمد بن أبي حفصة، وابن أخي الزهري، وابن أبي ذئب، والأوزاعي، وعبيد الله بن عمر، وسفيان بن حسين، وهمَّام، ويحيي بن أبي عَرُوبَة، وسعيد بن أبي عَرُوبة، وهشامٌ الدَّسْتَوائِيُّ، وكعب أبو عبدالله البصري، وعفَّان بن مسلم، وأبو داود الطيالسي صاحب "المسند"، وصالح بن عمر، ويحيي بن جابر الطائي قاضي حِمْص، وشعبة، وحجَّاج بن محمد، ومعمر صاحب كتاب "الجامع"، وأبو زرعة السيباني، وحمَّاد بن يزيد، وصدقة ابن المنتصر، والعوَّام بن حَوْشَبٍ، وأبو مالك الأشجعي، ويحيي بن أبي كثير، ومغيرة، والخليفة، وأبو جعفر المنصور، ومحمد بن الوليد الزبيدي، والوليد بن مسلم، وإسماعيل بن أبي أويس، وأبو جعفر، وعاصم أحد أئمَّة القراء، وغيرهم.

ثُمَّ رواه عن هؤلاء جمعٌ غَفيرٌ لا يكاد يُحصىٰ، منهم: إبراهيم بن السعدي الزهري، وعلي بن المَديني، وقتيبة بن سعيد، وابن بُكير، وعبدالرزاق صاحب "المصنف"، وعثمان بن عمر، وعمرو بن محمد العَنْقَزي، وروح، ويزيد بن هارون، وهدبة بن خالد، وبشر بن معاذ، وجعفر الصائغ، ويونس بن محمد، ومعاذ العنبري، وغُنْدَر، والوليد بن شجاع، وهارون بن عبدالله، وحجَّاج بن

الشاعر، وعبدالرحمن المحاربي، وإسماعيل بن رافع، وسعيد بن هُبَيرة، ومحمد بن إبراهيم العبدي، وعمران بن أبي عمران الصوفي، وهشيم، ومحمد بن بشَّار، وخلف بن خليفة، وسعيد بن سليمان الواسطي، وشيبان بن عبدالرحمن، والحسن بن موسي الأشيب، وعبَّاد بن منصور، وإسماعيل بن عيَّاش، وعبيدالله بن عبدالصمد بن المهتدي، وبقيَّة بن الوليد، وأبو النضر، وهشام بن خالد، وبهلول بن إسحاق، ومحمَّد بن جعفر الإمام، والمثنَّى، وهشام بن عمَّار، ومحمَّد بن الحسن بن الخليل.

ثُمَّ تلقَّاه أصحاب الكتب المؤلفة في السُنَّة ودوَّنوه في مؤلفاتهم على اختلاف أنواعها ودرجاتها، فرواه من أصحاب المسانيد: أبو داود الطَّيالِسي، وإسحاق بن راهويه، وأحمد بن حنبل، وعثمان بن أبي شيبة، وأبو يعلى، والبزَّار، والديلمي، وغيرهم.

ورواه من أصحاب الصِّحاح: البخاريُّ، ومسلمٌ، وابن خزيمة، وابن حِبَّان، والحاكم، وأبو عوانة، والإسماعيليُّ، والضياء المقدسيُّ، وغيرهم.

ورواه من أصحاب الجوامع والمصنَّفات: مَعْمَرٌ، وعبدالرزاق، وأبو بكر بن أبي شيبة، وغيرهم.

ورواه من أصحاب السُّنن: أبو داود، والترمذيُّ، والنَّسائي، وابن ماجه، وسعيد بن منصور، والبيهقي، وأبو عمرو الداني، وغيرهم.

ورواه من أصحاب التفسير المأثور: عبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وابن جرير، وابن المنذر، وابن مَنْده، وغيرهم.

ورواه من أصحاب المعاجم: الطبراني وغيره.

ورواه من أصحاب الأجزاء والغرائب والمعجزات ومعاني الأخبار وطبقات الرجال والملاحم وغير ذلك: أبو سعيد النقَّاش، وابن أبي الدنيا، والدارقطني، وأبو الشيخ ابن حَيَّان، والطحاوي، وأبو نعيم، وابن عديٍّ، والثعلبي، والخطيب البغدادي، وابن النجَّار، وابن عساكر، ونعيم بن حمَّاد، والترمذيُّ الحكيم، وغيرهم.

وممَّا لا نزاع فيه أنَّ العادة قاطعة باستحالة أن يتواطأ هذا الجمع العظيم - من الصحابة والتابعين وأتباعهم وحَمَلة الحديث النبويِّ- على الكذب والخطأ، أو أن يقع ذلك منهم اتفاقًا من غير تواطؤ، بل العادة تحيل الكذب والخطأ على جمعٍ أقل من هذا الجمع، حتى أنَّ جماعة من العلماء -منهم ابن حزم- قرَّروا أنَّ الحديث إذا اجتمع على روايته خمسة من الصحابة كان متواترًا.

ونظرهم في ذلك قويٌّ سديد؛ لأن الصحابة كانوا على أكمل حال من العدالة والضبط والإتقان، لا يدانيهم في ذلك أحد، هذا إلى ما ميَّزهم الله به من فصاحة اللسان وسيلان الأذهان وطهارة الجَنان، مع ما فُطروا عليه من حبِّ الصِّدْق واستهجان الكذب والنَّفرة عن سَفَاسِف الأمور، وغير ذلك ممَّا أهلهم لصحبة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ونصرة دينه وتبليغ شريعته إلى أُمَّته.

وقد أخرج أحمد في "السنة"، والبزار، والطبراني في "الكبير" بإسناد حسن، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: إنَّ الله عزَّ وجلَّ نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه وابتعثه برسالاته، ثُمَّ نظر في قلوب العباد فوجد قلوب

أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيِّه يقاتلون عن دينه، فما رآه المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون سيِّئًا فهو عند الله سيِّئ.

ولَمَّا أراد أبو بكر رضي الله عنه أن يجمع القرآن حين استحرَّ القتل بالقُرَّاء في وقعة اليمامة قال لعمر وزيد رضي الله عنهما من جاءكما بشاهدين على شيءٍ من كتاب الله فاكتباه، قال زيد بن ثابت: فتتبَّعت القرآن أجمعه من العُسُب واللِّخَاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أجدها مع أحد غيره ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾[التوبة: ١٢٨] إلى آخر السورة.

وأبو خزيمة الأنصاري هو خزيمة بن ثابت، جعل النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم شهادته بشهادة رجلين فكان يُسمَّى ذو الشهادتين رضي الله عنه.

فالصديق رضي الله عنه اكتفي بشهادة اثنين في القرآن -الذي هو أصل الدين وأساس اليقين ومنكر شيء منه يكفر بإجماع المسلمين- لعلمه بما كان عليه الصحابة من شدَّة التحرُّز والتيقُّظ والتثبُّت، بحيث إذا اجتمع اثنان على رواية شيءٍ لم يبقَ للوهم والخطأ فيه احتمال، فما ظنُّك بحديثٍ يرويه جمعٌ من الصحابة يزيد عددهم على عشرين، يتلقَّاه عنهم مثلهم من التابعين، ثُمَّ مثلهم من تابعي التابعين... وهلم؟! لا شك أنه يكون متواترًا على جميع الاصطلاحات المقرَّرة، ولا يمكن أن يحوم حوله قول من نفي التواتر أو ادَّعاء قلَّته؛ لأنه قول صدر عن قلة الاطلاع وعدم التروِّي، فكان نصيبه مخالفة الواقع ومجانبة الحقيقة، وكان حقيقًا بالإهمال جديرًا بعدم الاعتبار، والمستدل

به على نفي تواتر حديث مخصوص كما فعل بعض جهلة المبتدعة اليوم في محاولته نفي تواتر نزول عيسى عليه السَّلام يكون بالغًا حدَّ المنتهى في الجهل والضلال؛ فإنه لا أجهل ولا أضل ممن يتعامي عن الحقيقة ماثلة بين يديه واضحة ملموسة، ويحاول نفيها بقول فلان وفلان ويرحم الله البوصيري حيث يقول:

قد تُنْكِرُ العَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِن رَمَدٍ ... ويُنْكِرُ الفَمُ طَعْمَ الماءِ مِن سَقَمِ

فصل

في من صرَّح من العلماء بتواتر حديث نزول عيسى عليه السَّلام،

وقد صرح جمٌّ غفيرٌ من العلماء بتواتر حديث نزول عيسى عليه السَّلام، فمنهم الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، قال في الكلام على قول الله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[آل عمران: ٥٥] بعد نقله روايات في التوفِّي ما نصُّه: «وأولى هذه الأقوال بالصحَّة عندنا قول من قال: معنى ذلك إني قابضك من الأرض ورافعك إليَّ؛ لتواتر الأخبار عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنه قال: «**ينزل عيسى ابن مريم**».اهـ ثم روى أحاديث في النزول.

ومنهم الحافظ أبو الحسين الآبري، قال في كتاب "مناقب الشافعي" أثناء الكلام على إبطال حديث «**لا مهدي إلَّا عيسى ابن مريم**» وإثبات أنَّ المهديَّ غير عيسى ما نصُّه: «وقد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفى صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في المهديِّ أنه من أهل بيته وأنه يملأ الأرض عَدْلًا، وأنَّ عيسى عليه الصَّلاة والسَّلام يخرج فيساعده على قتل

الدَّجَّال، وأنه يؤمُّ هذه الأمة وعيسىٰ خلفه في طول مِن قِصَّته وأمره».اهـ

نقله الإمام القرطبي في "التذكرة" والحافظ ابن حجرٍ في "فتح الباري" وسلَّماه.

ومنهم الإمام الفقيه أبو الوليد ابن رشد، وسيأتي كلامه بحول الله.

ومنهم الإمام ابن عطية، قال في "تفسيره" ما نصُّه: «وأجمعت الأمة علىٰ ما تضمنه الحديث المتواتر من أنَّ عيسىٰ في السماء حيٌّ، وأنه ينزل في آخر الزمان فيقتل الخنزير، ويكسر الصَّليب، ويقتل الدَّجَّال، ويفيض العدل، وتظهر به مِلَّة محمَّدٍ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، ويحجُّ البيت ويعتمر».اهـ

نقله الإمام أبو حيان في "البحر المحيط" وسلَّمه.

ومنهم الحافظ ابن كثير، فقد صرَّح بالتواتر في مواضع من "تفسيره"، منها عند الكلام علىٰ قوله تعالىٰ في سورة النساء: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩] وأورد جملة وافرة من أحاديث النزول.

ومنها عند الكلام علىٰ قوله تعالىٰ في سورة الزخرف: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ [الزخرف: ٦١]، وكذلك صرَّح بالتواتر في تاريخه "البداية والنهاية" وتوسَّع في إيراد الأحاديث، فليراجع، ولعلنا ننقل كلامه فيما بعد إن شاء الله.

ومنهم العلامة محمد بن علىٰ الشوكاني، ألَّف كتابًا خاصًّا في هذا المعنىٰ سمَّاه: "التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظَر والدَّجَّال والمسيح" وهو مطبوع

بالهند، أورد فيه طرق كلًّا من حديث المهديِّ ونزول عيسىٰ وخروج الدَّجَّال، وقال بعد إيرادها ما نصُّه: «فتقرَّر أنَّ الأحاديث الواردة في المهديِّ المنتظَر متواترة، والأحاديث الواردة في الدَّجَّال متواترة، والأحاديث الواردة في نزول عيسىٰ ابن مريم متواترة».اهـ

ومنهم السيِّد صدِّيق بن حسن القنوجي، صرح بالتواتر في كتابه "الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة" ناقلًا كلام الشوكاني وغيره، وهو مطبوع بالهند أيضًا.

ومنهم شيخنا وشيخ بعض شيوخنا العلامة المحدِّث السيد محمَّد بن جعفر الكتاني رحمه الله، أورد نزول عيسىٰ في كتابه "نظم المتناثر من الحديث المتواتر"، وذكر جماعة من الصحابة الذين نقلوه عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ثم قال: «وقد ذكروا أن نزوله ثابتٌ بالكتاب والسُّنَّة والإجماع، والأحاديث في نزوله كثيرة».اهـ وكتابه مطبوع بفاس، فليراجع.

ومنهم العلامة المحدِّث الشيخ محمد أنور الكشميري الديوبندي رحمه الله، ألَّف كتابًا خاصًّا سمَّاه "التصريح بتواتر نزول المسيح" وتوسَّع في إيراد الأحاديث بأسانيدها توسعًا بالغًا فأفاد وأجاد، وكتابه مطبوع بالهند يتعين الوقوف عليه. وصرَّح بنزول عيسىٰ أيضًا في كتابه "إكفار الملحدين في ضروريات الدين" وهو مطبوع بالهند أيضًا.

وقال العلامة المحدِّث أبو الطيب محمد شمس الحق في "عون المعبود" ما نصُّه: «تواترت الأخبار عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في نزول عيسىٰ ابن مريم عليه السَّلام من السماء بجسده العنصري إلىٰ الأرض عند قرب الساعة،

وهذا هو مذهب أهل السُّنَّة».اهـ ثُمَّ ذكر جملة من الأحاديث الصحيحة الصريحة.

فهؤلاء عشرة من العلماء أو يزيدون، صرَّحوا بتواتر نزول عيسىٰ عليه السَّلام، وهم بعضٌ من كل، وقل من كُثْر، ولو ذهبنا نتتبع أقوال العلماء واحدًا واحدًا طال الحال وأدىٰ إلىٰ الملال، فاجتزأنا بهذا القدر الذي يكفي من جنَّبه الله داء البدع ورزقه العلم والوَرَع.

فصل

في من قال بنزول عيسى عليه السلام من الصحابة والتابعين وغيرهم

وقد ثبت القول بنزول عيسىٰ عليه السلام عن غير واحد من الصحابة والتابعين وأتباعهم والأئمة والعلماء من سائر المذاهب علىٰ ممرِّ الزمان إلىٰ وقتنا هذا، ونحن نشير إلىٰ شيءٍ من كلامهم مما يكون فيه إرشاد إلىٰ سائره ودلالة عليه، إذ إحصاء كلامهم جميعًا يحتاج إلىٰ فراغ وقت وهدوء بال وذلك غير متيسِّر الآن.

فمن الصحابة: أبو هريرة رضي الله عنه، والأثر عنه بذلك مشهور مستفيض وهو في الصحيحين والسُّنن، وفي الكلام علىٰ عيسىٰ من "تاريخ ابن كثير"، وفي الكلام علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩] وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ [الزخرف: ٦١] من "تفسير ابن كثير" و"الدر المنثور" وغيرهما.

ومنهم: ابن عبَّاسٍ -رضي الله عنهما- والآثار عنه كثيرة وهي في "تفسير ابن جرير" و"ابن كثير" و"الدر المنثور" وغيرها.

ومنهم: أبو سريحة حذيفة بن أَسِيد رضي الله عنه، أخرج الحاكم وصحَّحه عن أبي الطفيل قال: «كنت بالكوفة فقيل: قد خرج الدَّجَّال، فأتينا حذيفة بن أَسِيد فقلت: هذا الدَّجَّال قد خرج فقال: اجلس فجلست، فنُودي: إنها كذبة صبَّاغ، فقال حذيفة: إنَّ الدَّجَّال لو خرج زمانكم لرمته الصِّبيان بالخَزَف، ولكه يخرج في بُغْضٍ مِن الناس، وخِفَّةٍ من الدِّين، وسُوءِ ذات بَيْنٍ، فيَرِدُ كلَّ منهلٍ، وتُطْوَىٰ له الأرض طيَّ فروة الكَبْش، حتىٰ يأتىٰ المدينة فيغلب علىٰ خارجها ويمنع داخلها، ثُمَّ جبل إيلياء فيحاصر عصابةً من المسلمين فيقول لهم الذي عليهم: ما تنتظرون بهذا الطاغية أن تقاتلوه، حتىٰ تلحقوا بالله أو يفتح لكم؟ فيأتمرون أن يقاتلوه إذا أصبحوا، فيصبحون ومعهم عيسىٰ ابن مريم، فيقتل الدَّجَّال ويهزم أصحابه».

ومنهم: عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، أخرج ابن أبي شيبة عنه قال: «ينزل عيسىٰ ابن مريم فإذا رآه الدَّجَّال ذاب كما تذوب الشَّحْمَةُ، فيقتل الدَّجَّال ويفرِّق عنه اليهود فيقتلون، حتىٰ أنَّ الحجر ليقول: يا عبدالله- للمسلم- هذا يهوديٌّ فتعال فاقتله».

ومنهم: عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، أخرج ابن عساكر عنه قال: «إنَّ المسيح بن مريم خارج قبل يوم القيامة».

ومنهم: أمُّ سلمة رضي الله عنها، أخرج ابن المنذر عن شهر بن حَوْشَبٍ قال: «قال لي الحجَّاج: يا شَهْرُ، آيةٌ مِن كتاب الله ما قرأتها إلَّا اعترض في نفسي

منها شيءٌ، قال الله: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ وإني أوتىٰ بالأسارىٰ فأضرب أعناقهم ولا أسمعهم يقولون شيئًا. فقلت: رُفعت إليك علىٰ غير وجهها، إنَّ النصرانيَّ إذا خرجت رُوحه ضربته الملائكة مِن قُبُلِه ومِن دُبُره، وقالوا: أي خبيث إنَّ المسيح الذي زعمت أنه الله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة؛ عبدالله ورُوحه وكلمته. فيؤمن به حين لا ينفعه إيمان، وإنَّ اليهوديَّ إذا خرجت نفسه ضربته الملائكة من قُبُله ومن دُبُره، وقالوا أي خبيث إنَّ المسيح الذي زعمت أنك قتلته عبدالله ورُوحه. فيؤمن به حين لا ينفعه إيمان فإذا كان عند نزول عيسىٰ آمنتْ به أحياؤهم كما آمنتْ به موتاهم. فقال: مِن أين أخذتها؟ فقلت: من محمد بن عليٍّ. قال: لقد أخذتها مِن مَعْدِنها. قال شَهْر: وايْمُ الله ما حدَّثنيه إلَّا أمُّ سلمة، ولكني أحببتُ أن أغيظه». اهـ

أي بذكر عليٍّ عليه السَّلام؛ لأنَّ الحَجَّاج كان يكرهه.

ومنهم: عبدالله بن سلام الذي قال عنه سعد بن أبي وقاص: ما سمعت النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول لأحد يمشي علىٰ الأرض: «إنه من أهل الجنَّة» إلَّا لعبدالله بن سلام. رواه الشيخان.

أخرج الترمذي من طريق عثمان بن الضَّحَّاك، عن محمد بن يوسف بن عبدالله بن سلام، عن أبيه، عن جدِّه قال: «مكتوبٌ في التوراة صفة محمَّدٍ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وعيسىٰ ابن مريم عليهما السَّلام يدفن معه».

قال أبو مودود: وقد بقي من البيت موضع قبر، قال الترمذي: «حديث حسن غريب».

ورواه الطبراني من هذا الطريق أيضًا بلفظ: «يدفن عيسىٰ ابن مريم مع

رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وصاحبيه فيكون قبره رابعًا».

ومنهم: عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أخرج الإمام أحمد بإسناد صحيح عن جابر قال: إنَّ امرأة من اليهود بالمدينة ولدت غلامًا مَمْسُوحةٌ عينه طالعةٌ ناتِئَـةٌ، فأشفق رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أن يكون هو الدَّجَّال... وذكر حديث ابن صائد وتردُّد النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في شأنه، وفي آخره: فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: ائذن لي يا رسول الله، فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إن يكن هو فلستَ صاحبه، إنما صاحبه عيسى ابن مريم، وإلَّا يكن هو فليس لك أن تقتل رجلًا من أهل العهد**».

قلت: نحن نقطع بأن ما أفاده هذا الحديث من قتل عيسىٰ للدجال هو اعتقاد عمر رضي الله عنه؛ لأنه لم يكن ليترك شيئًا سمعه من رسول الله ويعتقد خلافه، وكذلك نقطع بأن الصحابة الذين رووا نزول عيسىٰ عليه السَّلام كانوا يعتقدونه حقًّا واقعًا لا يخالجهم فيه شك ولا يداخلهم فيه تردُّد، ومَن لم يقطع بهذا فهو جاهل بالصحابة، غير عارف مقدار حرصهم علىٰ التمسُّك بكلام رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

وأمَّا التابعون وتابعوهم فأكثر من أن يحصيهم عاد حاسب، منهم سعيد بن المسيِّب، والحسن البصري، وزيد بن أسلم، وقتادة، ومجاهد، ومحمد بن الحنفية، وشهر بن حوشب، والسُّدِّي، والضَّحَّاك، وأبو مالك، وابن زيد، وأبو العالية، وابن سيرين، وأرطأة، وكعب الحبر.

والآثار عنهم كثيرة يطول تتبُّعها فلينظرها من أرادها في تفسير قوله

تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾[آل عمران: ٤٦] وقوله تعالى: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾[آل عمران: ٥٥] وقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩] وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾[الزخرف: ٦١]

من الكتب الآتية: "تفسير ابن جرير" و"ابن كثير" و"القرطبي" و"أبي حيان" و"الدر المنثور" و"الآلوسي" وغيرها، وانظر (ص٢١٨جـ٢) من "أحكام القرآن" لأبي بكر بن العربي الحافظ.

وأمَّا الأئمة وغيرهم من العلماء فكثيرون جدًّا:

منهم: الإمام مالك قال في "العتبية": «بينما الناس قيام يستمعون لإقامة الصلاة، فتغشاهم غمامة فإذا عيسى ابن مريم نزل».اهـ نقله الإمام الباجي في "شرح الموطأ"، والعلامة الأُبِّي في "شرح مسلم".

وهذه الرواية هي الصحيحة عن مالك لموافقتها للأحاديث والآثار، ولهذا قبلها كبار أهل المذهب كالباجي، ولم يؤوِّلوها بشيءٍ، بخلاف رواية موت عيسى فإنها باطلة لمخالفتها للأحاديث والآثار، ولهذا أوَّلها أبو الوليد بن رشد كما سيأتي.

ومنهم: الإمام أبو حنيفة وصاحباه أبو يوسف ومحمد بن الحسن، قال أبو جعفر الطحاوي في كتابه "اعتقاد أهل السُّنة والجماعة" على مذهب فقهاء الملة أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن ما نصُّه: «ونؤمن بخروج الدَّجَّال الأعور العين، ونزول عيسى ابن مريم عليهما السَّلام من السماء».اهـ

ومنهم: الإمام أحمد، أخرج ابن أبي يعلىٰ في "الطبقات"، والخلَّال، وابن الجوزي في "المناقب"، عن عبدوس بن مالك أبي محمد العطار قال: سمعت أبا عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل يقول: «أصول السُّنَّة عندنا التمسُّك بما كان عليه أصحاب الرسول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، والاقتداء بهم وترك البدع وكلُّ بدعةٍ فهي ضلالة». ثم ذكر جملة من عقيدة أهل السُّنَّة ثم قال ما نصُّه: «والإيمان بأن المسيح الدَّجَّال خارج، مكتوب بين عينيه كافر، والأحاديث التي جاءت فيه والإيمان بأنَّ ذلك كائنٌ وأنَّ عيسىٰ ابن مريم عليه السَّلام ينزل فيقتله بباب لُدٍّ».اهـ

وصرَّح بهذا أيضا في الرسالة التي كتبها إلىٰ مُسَدَّد في بيان سنَّة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، انظر "مناقب الإمام أحمد" لابن الجوزي.

ومنهم: أبو الحسن الأشعري إمام أهل السُّنَّة، قال في كتابه "مقالات الإسلاميين واختلاف المصلِّين" ما نصُّه: «جملة ما عليه أهل الحديث وأهل السُّنَّة الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لا يَردُّون من ذلك شيئًا...».

وذكر طائفة من عقائدهم إلىٰ أن قال: «ويصدِّقون بخروج الدَّجَّال، وأنَّ عيسىٰ ابن مريم عليه الصَّلاة والسَّلام يقتله» وقال في آخر العقيدة: «وبكلِّ ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب».اهـ

ومن أراد الوقوف علىٰ بقية كلامه فلينظر كتابه المذكور وهو مطبوع بالآستانة، ولينظر كتاب "حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح" لابن القيم فقد نقل في أوله كلام الأشعري بتمامه مستدلًّا به لما حكاه من إجماع أهل السُّنَّة علىٰ

أنَّ الجنَّة والنَّار مخلوقتان اليوم.

ومنهم: الإمام أبو محمد بن حزم الحافظ، صرَّح بنزول عيسىٰ في غير موضع من كتبه انظر (ص٢٤٩جـ٣ من "الفصل") و(ص٩جـ١، وص٢٩٦، وص٢٩١جـ٧ من "المحلىٰ").

وقال أيضا في كتابه "إبطال التقليد" ما نصُّه أيضًا: «فما الذي خصَّ أبا حنيفة ومالكًا والشافعيَّ بأن يُقلَّدوا دون أبي بكر وعمر وعثمان وعليٍّ وابن مسعود وابن عمر وعائشة، ودون سعيد بن المسيِّب والزهريِّ والنخعيِّ والشعبيِّ وعطاء وطاووس والحسن البصريِّ رحمة الله علىٰ جميعهم، وأيضًا فإن هذه الطوائف كلها مُقِرَّة بأنَّ عيسىٰ ابن مريم عليه السلام- سينزل ويحكم في أهل الأرض، فهل يحكم إذا نزل برأي أبي حنيفة أو مالك أو الشافعي؟! معاذ الله، بل يحكم بما أوحىٰ الله إلىٰ أخيه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وهذا هو الذي ندعو إليه والذي لا يحل لأحد أن يحكم ولا أن يفتي ولا يدين بسواه».اهـ

نقله الحافظ السيوطي في كتاب"الرد علىٰ من أخلد إلىٰ الأرض" (ص ٥٥- طبع الجزائر).

ومنهم: الإمام ضياء الدين أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاري القرطبي، قال في كتاب "المفهم شرح صحيح مسلم" في الكلام علىٰ قوله في حديث جبريل الطويل: «**فأخبرني عن أمارتها**» ما نصُّه: «وهي-أي أمارات الساعة- تنقسم إلىٰ معتاد: كالمذكورات وكرفع العلم وظهور الجهل وكثرة الزنا وشرب الخمر، وغير معتاد: كالدَّجَّال، ونزول عيسىٰ عليه السَّلام، وخروج يأجوج ومأجوج، والدَّابَّة، وطلوع الشمس من مغربها».اهـ

نقله العلامة الأُبِّي في "شرح مسلم"، وقال عقبه ما نصُّه: «قلت: قال ابن رشد: واتفقوا على أنه لابد من ظهور هذه الخمسة- يعني الدَّجَّال وما بعده- واختلفوا في خمسة أخر: خَسْفٌ بالمشرق، وخَسْفٌ بالمغرب، وخَسْفٌ بجزيرة العرب، والدُّخَان، ونارٌ تخرج مِن قَعْر عَدَن تروح معهم حيث راحوا وتقيل معهم حيث قالوا، زاد بعضهم: وفتح قُسْطَنْطِينِيَّة، وظهور المهديِّ».اهـ

ومنهم: الإمام القاضي أبو بكر ابن العربي المعافري، صرَّح بنزول عيسى في "أحكام القرآن" (ص٤٤جـ١) وفي شرحه على الترمذي المسمَّي "عارضة الأحوذي" وسنذكر بعض كلامه فيما بعد بحول الله.

ومنهم: الإمام الشهرستاني، قال في "الملل والنحل" أثناء الكلام على اختلاف النصارى في عيسى عليه السَّلام ما نصُّه: «ولهم في النزول خلاف، فمنهم من يقول ينزل قبل يوم القيامة كما قال أهل الإسلام».اهـ

ومنهم: الإمام أبو القاسم السُّهيلي الحافظ، صرَّح بنزول عيسى في كتابه "الروض الأنف" وهو مطبوع، وقد نقل كلامه مع الموافقة عليه الإمام أبو الفتح محمد بن محمد بن عبدالله اليعمري الأندلسي الإشبيلي الحافظ المعروف بابن سيِّد الناس في سيرته المسمَّاة "عيون الأثر" لَمَّا تكلَّم على خبر سلمان الفارسي رضي الله عنه (ص٦٥- ٦٦جـ١).

ومنهم: القاضي أبو الفضل عياض، قال في "شرح صحيح مسلم" ما نصُّه: «نزول عيسى وقتله الدَّجَّال حَقٌّ وصحيحٌ عند أهل السُّنَّة؛ للأحاديث الصحيحة في تلك وليس في العقل ولا في الشرع ما يبطله فوجب إثباته، وأنكر

ذلك بعض المعتزلة والجَهْمية ومَن وافقهم، وزعموا أنَّ هذه الأحاديث مردودة بقوله تعالىٰ: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وبقوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لا نبيَّ بعدي**»، وبإجماع المسلمين أنه لا نبيَّ بعد نبيِّنا محمَّدٍ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وأن شريعته مؤبَّدة إلىٰ يوم القيامة لا تُنسخ.

وهذا استدلال فاسد؛ لأنه ليس المراد بنزول عيسىٰ عليه السَّلام أنه ينزل نبيًّا بشرعٍ ينسخ شَرْعنا، ولا في هذه الأحاديث ولا في غيرها شيء مِن هذا، بل صحَّت هذه الأحاديث -هنا وما سيق في كتاب الإيمان وغيرها- أنه ينزل حَكَمًا مُقْسِطًا بحكم شرعنا، ويحيي من أمور شرعنا ما هجره الناس».اهـ نقله الإمام النووي في "شرح مسلم" ووافقه عليه.

وقد ورد عن المغيرة بن شعبة في الجمع بين آية خاتم النبيين وأحاديث النزول غير ما سلكه هؤلاء المبتدعة، فروىٰ الطبراني من طريق مجالد بن سعيد الشعبي قال: قال رجل عند المغيرة بن شعبة: صلَّىٰ الله علىٰ محمَّدٍ خاتم الأنبياء لا نبيَّ بعده، فقال المغيرة: حسبك أن تقول خاتم الأنبياء فإنا كنَّا نُحَدَّث أن عيسىٰ ابن مريم خارج فإن كان خارجًا فقد كان قبله وبعده.

وهذا الأثر ضعيف الإسناد لا يصح، وقد كان المغيرة ذكيًّا بالغًا حدَّ الدَّهاء، فلا يخفي عليه أنَّ نزول عيسىٰ تابعًا لنبيِّنا وعاملًا بشريعته لا ينافي حديث «**لا نبيَّ بعدي**» كما مرَّ في كلام عياض آنفًا.

وقد قال القاضي أبو بكر ابن العربي: «يروىٰ أنه يصلِّي وراء إمام المسلمين إبقاء لشريعة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم واتباعًا له، وإخزاء للنصارىٰ

وإقامة للحُجَّة عليهم».اهـ

بل قال المحقِّق الدواني في "شرح العقائد العضدية" ما نصُّه: «وأما نزول عيسىٰ عليه السَّلام ومتابعته لشريعته فهو ممَّا يؤكِّد كونه خاتم النبيين».اهـ

والقاديانية -خذلهم الله- ينسبون أثر المغيرة إلىٰ عائشة كذبًا عليها، ويحذفون منه خروج عيسىٰ عليه السَّلام؛ ليتسنَّي لهم أن يقولوا أنَّ خاتَم النبيين- بفتح التاء لا يدل علىٰ انقطاع- النبوة ناسين قراءة خاتِم- بكسر التاء- وهي تعيِّن الأخرية كما لا يخفىٰ.

ومنهم: العلامة نجم الدين النَّسَفي، قال في "العقائد النَّسَفية" ما نصُّه: «وما أخبر به النبيُّ عليه الصَّلاة والسَّلام مِن أشراط الساعة مِن خروج الدَّجَّال، ودابَّة الأرض، ويأجوج ومأجوج، ونزول عيسىٰ عليه السَّلام من السماء، وطلوع الشمس من مغربها فهو حَقٌّ».اهـ

قال شارحه العلامة سعد الدين التفتازاني ما نصُّه: «لأنها أمور ممكنه أخبر بها الصادق»، ثم ذكر حديث حذيفة بن أَسيد- وهو في "صحيح مسلم"- ثم قال: «والأحاديث الصِّحاح في هذه الأشراط كثيرة جدًّا، فقد روي أحاديث وآثار في تفاصيلها وكيفياتها فلتطلب من كتب التفسير والتواريخ».اهـ

وقال السعد أيضًا في "شرح المقاصد" ما نصُّه: «وطريقة أهل السُّنَّة أنَّ العالَم حادثٌ والصَّانِع قديمٌ متَّصِفٌ بصفات قديمة، لا شبيه له ولا ضد ولا نِد ولا نهاية له ولا صورة»، إلىٰ أن قال: «وأنَّ أشراط الساعة مِن خروج الدَّجَّال، ويأجوج ومأجوج، ونزول عيسىٰ، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج دابَّة

الأرض حَقٌّ».اهـ

ومنهم: الحافظ ابن حجرٍ، صرَّح بنزول عيسىٰ في غير موضع من كتبه من ذلك قوله في «باب نزول عيسىٰ» من "فتح الباري" ما نصُّه: «قال العلماء: الحكمة في نزول عيسىٰ دون غيره من الأنبياء: الرد علىٰ اليهود في زعمهم أنهم قتلوه، فبيَّن الله تعالىٰ كذبهم وأنه الذي يقتلهم أول نزوله لدنوِّ أجله ليدفن في الأرض، إذ ليس لمخلوقٍ من التراب أن يموت في غيرها. وقيل: أنه دعا الله لما رأىٰ صفة محمَّدٍ وأمَّته أن يجعله منهم، فاستجاب الله دعاءه وأبقاه حتىٰ ينزل في آخر الزمان مجدِّدًا لأمر الإسلام، ليوافق خروج الدَّجَّال فيقتله، والأول أوجه».

وذكر أحاديث في مدة إقامته بعد نزوله ثم قال: «وروىٰ أحمد وأبو داود بإسناد صحيح من طريق عبدالرحمن بن آدم، عن أبي هريرة مرفوعًا: «**ينزل عيسى عليه ثوبان ممصَّران فيدق الصَّليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجِزية، ويدعو الناس إلى الإسلام**». وذكر الحديث، وقال في آخره «**ثُمَّ يتوفَّى ويُصلِّي عليه المسلمون**».اهـ

وهذا الحديث أحد الأدلة علىٰ حياة عيسىٰ الآن، وكلام الحافظ يفيدها أيضًا، وسيأتي تحقيق ذلك إن شاء الله.

ومنهم: الحافظ السيوطي، صرَّح بنزول عيسىٰ في علم العقائد من "النقابة" وهو مطبوع بهامش "مفتاح العلوم"، وفي تكملة "تفسير الجلال المحلِّي" وفي "العرف الوردي في أخبار المهدي" بل ألَّف كتابًا خاصًّا سمَّاه "الإعلام بحكم عيسىٰ عليه السَّلام" صرَّح فيه بكفر منكِر نزول عيسىٰ عليه

السَّلام، وهذا الكتاب والذي قبله مطبوعان في ضمن كتاب "الحاوي للفتاوي".

ومنهم الإمام الكمال ابن الهمام: قال في "المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة": «وأشراط الساعة من خروج الدَّجَّال، ونزول عيسىٰ ابن مريم عليه السَّلام من السماء، وخروج يأجوج ومأجوج، والدَّابة، وطلوع الشمس مِن مغربها حَقٌّ».اهـ

قال شارحه الكمال ابن أبي شريف ما نصُّه: «وردت به النصوص الصريحة الصحيحة».اهـ

ومنهم سراج الدين أبو حفص عمر بن الوردي: قال في "خريدة العجائب وفريدة الغرائب" في الكلام علىٰ أشراط الساعة ما نصُّه: «المسلمون لا يختلفون في نزول عيسىٰ ابن مريم عليهما السَّلام آخر الزمان، وقد قيل في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا﴾ [الزخرف: ٦١] أنه نزول عيسىٰ».اهـ ثُمَّ ذكر بعض الأحاديث.

ومنهم العلامة السفاريني: قال في "الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية":

وما أَتَىٰ في النَّصِّ مِن أَشْرَاطِ ... فكلُّه حَقٌّ بلا شَطَاطِ
منها الإمامُ الخَاتَمُ الفَصِيحُ ... محمَّدُ المهديُّ والمسيحُ

وقال في شرحها المسمَّىٰ "لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية": «قد أجمعت الأمة علىٰ نزوله ولم يخالف فيه أحد من علماء الشريعة، وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة ممن لا يعتد بخلافه، وقد انعقد إجماع الأمة علىٰ أنه

ينزل ويحكم بهذه الشريعة المحمدية، وليس ينزل بشريعة مستقلَّة عند نزوله من السماء، وإن كانت نبوته قائمة به وهو متصفٌ بها».اهـ

ومنهم خير الدين السيِّد نعمان الآلوسي: ابن صاحب التفسير، قال في "غالية المواعظ" في «المجلس السادس عشر» في أمارات الساعة من حديث جبريل عليه السلام ما نصُّه: «ومنها العَلَامة الثالثة وهي نزول عيسىٰ عليه السلام من السماء، وذلك ثابت بالكتاب والسُّنَّة وإجماع الأمة». ثُمَّ ذكرها فلتنظر هناك.

وقال الحافظ السيوطي في "تحفة المجتهدين بأسماء المجدِّدين":

وآخِرُ المِئِين فيه ياتي ... عيسىٰ نبيُّ الله ذو الآياتِ
يُجَدِّدُ الدِّينَ لهذي الأُمَّه ... وفي الصَّلاة بعضُنا قَد أَمَّه
مُقَرِّرٌ لشَرْعِنا ويَحْكُمُ ... بحُكْمِنا إذ في السَّماءِ يعلمُ

وقال العلامة الشيخ عبدالله ابن الحاج إبراهيم الشنقيطي في "روضة النسرين":

نُزولُهُ للأرضِ مثل الشَّمسِ ... لأنَّهُ سَمَا مَقَامَ الحَدْسِ
خمسًا وأربعون في "المنتظمِ"[1] ... وغيرِه يمكث نَجْلُ مريمِ
أو مُكْثُه سبعٌ كما في مُسلِمِ ... أو أربعون والصَّحيحَ قَدِّمِ

---

(١) يعني يمكث خمسًا وأربعين سنة كما ذكره ابن الجوزي في كتاب "المنتظم" من حديث عبدالله بن عمر.

وقال أبو عبدالله الغافقي الأندلسي:

يـا بيـت عائشـة المكِـنّ ثلاثـةً نُظِمُـوا بـه نَظْـمَ الطِّـرازِ الأَوحَـدِ
مثـوىٰ النَّبـيِّ وصاحِبَـيْه وفُسْـحَة عيسـىٰ ابـنُ مـريم نالهـا بالموعِـدِ
بُوركتَ مِن بيتٍ يضُـمُّ رِسالـةً ونُبُـوَّةً وخِـلَافَةً في ملْـحَدِ

وممن صرَّح بنزول عيسىٰ عليه السلام أصحاب التفسير في الكلام علىٰ الآيات التي أشرنا إليها فيما تقدَّم: كابن جريرٍ، والبغويِّ، وابن عطية، والفخر الرازي، والزمخشريِّ -وهو من كبار المعتزلة-، والقرطبيِّ، وابن كثيرٍ، والخازن، وأبي حَيَّان، والآلوسي، وغيرهم.

كما صرَّح به أيضًا الحافظ عبدالغني المقدسي في كتاب "أشراط الساعة"، والحافظ ابن عساكر في "تاريخ الشام" -وهو من محفوظات المكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية-، والتقي السبُكي في رسالة "التعظيم والمنة" وغيرها، والدميري في مبحث الخنزير من "حياة الحيوان"، والحافظ السخاوي في كتابه في أشرط الساعة، والإمام المهدي لدين الله أحمد بن المرتضىٰ في كتابه "البحر الزخَّار الجامع لمذاهب علماء الأمصار" وهو من أمتع الكتب وأنفسها، ومحي الدين ابن العربي الحاتمي في "الفتوحات المكية"، وصدر الدين القُونوي في كتاب "إعجاز البيان في تفسير أم القرآن" -وهو مطبوع بالآستانة-، وابن حجرٍ الهيثمي الفقيه في "فتاواه الحديثية والفقهية" وفي "الصواعق المحرقة" وغيرها، والنفراوي في "شرح الرسالة"، والبرزنجي في كتابه "الإشاعة لأشراط الساعة"، والعارف الشعراني في غير موضع من كتبه، ونور الدين

الحلبي في السيرة، والشيخ عبدالله الشرقاوي في "شرح التجريد الصريح" وفي "شرح وِرْد البكري"، والعلامة ابن الحاج في حاشيته على "المرشد المعين" ناقلًا فيه الاتفاق، وصفي الدين القُشاشي المدني في أرجوزته في العقيدة، وتلميذ تلميذه العلامة الشيخ علي بن أحمد الدمياطي في كتابه "الذخائر المهمات في ذكر ما يجب على المكلف الإيمان به من المسموعات" وهو كتاب خاص بأشراط الساعة الصغرى والكبرى وبما يقع بعد الساعة وبعد الموت، وقد عقد فيه بابًا لإثبات نزول عيسى عليه السَّلام، كما عقد لكل شرط من الأشراط الكبرى بابًا، وفرغ من تأليفه سنة (١١٩٠هـ) كما رأيته مكتوبًا في آخر النسخة التي وقفت عليها من هذا الكتاب، والشيخ الصبَّان في كتابه "إسعاف الراغبين في سيرة المصطفى وآل بيته الطاهرين"، والشيخ حسن العدوي الحمزاوي في كتابه "مشارق الأنوار في فوز أهل الاعتبار"، والشيخ عبدالحكيم في حاشيته على "العقائد النسفية"، والشيخ عبدالحي اللكنوي في مقدمة " الفوائد البهية"، وغيرهم ممن لا يُحصون، وفيهم سنيون وشيعيون ومعتزليون.

وبالجملة فنزول عيسى عليه السَّلام مُجمَعٌ عليه كما تقدَّم في كلام الأشعري، وابن رشد، وابن عطية، والشهرستاني، وابن الوردي، والسفاريني، وابن الحاج.

والخلاف الذي أشار إليه ابن حزم وعياض خلاف شاذٌّ عن شخص مجهول فلا يعتدّ به ولا يكون في نفسه صحيحًا، ونحن نطالب هذا المبتدع الجاهل الذي فارق الإجماع بإنكار نزول عيسى في فتواه الخاطئة أن يذكر لنا

شخصًا معينًا وافقه على ما قال، ونمهله سنةً كاملة فإنه لا يستطيع -ولن يستطيع- إلى ذلك سبيلًا.

ثم استدركنا فوجدنا له سلفًا في بدعته وجهالته وهم ثلاثة معينون:

أولهم: محمد عبده -المصلح الديني العظيم- الذي كان من ثمرات إصلاحه أن أباح الرِّبا القليل، ولبس البرنيطة، وورق اليانصيب، وأكل الموقوذة.

وثانيهم: تلميذه ذو المبادئ المتعدِّدة والأهواء المختلعة رشيد رضا صاحب "المنار".

وثالثهم: الدكتور صدقي، الذي كان يدعو معلنًا على صفحات "المنار" وغيرها إلى ترك السُّنَّة النبوية وإسقاطها عن درجة الحُجِّية والاعتبار.

هؤلاء الثلاثة الفرسان هم سلفه -فيما قال- وأئمته، وأمَّا الشيخ الزنكلوني والشيخ عبدالوهاب النجَّار فهما مثله مقلِّدان في الإنكار، وإن كانوا جميعًا قد اشتركوا في الجهل بالسُّنَّة النبوية والبعد عن معرفة علومها وما يتصل بها، إلَّا صاحب "المنار" فإنه كانت له خبرة بالحديث، لكنه كان يجاري شيخه وصديقه في أهوائهما مداهنة ونفاقًا، ويتكلَّف في ردِّ الأحاديث التي تصادمها بالتضعيف أو التأويل أو يجعلها إسرائيلية وإن كانت هي في الواقع نبوية محمدية، فانحطَّ بذلك قدْره وسقط من أعين العلماء الذين انخدعوا به أول الأمر وكانوا يعدونه شيئًا فإذا هو شيءٌ لا يُعبأ به، ومن الحكم المأثورة عن أرسطو قوله في حقِّ أستاذه ومعلِّمه: «أحبُّ الحقَّ وأحبُّ أفلاطون ما اجتمعا، فإذا اختلفا كان الحقُّ أحب إليَّ».

فصل

في حياة سيِّدنا عيسى عليه السلام وأنه في السماء

ثم إن الأحاديث التي دلت بالتصريح على نزول عيسى عليه السلام تدل بالاقتضاء على حياته وأنه في السماء؛ لأنه لو كان ميتًا لكان لابد من إحيائه وخروجه ليقتل الدَّجَّال واليهود ثُمَّ يموت أيضًا، فيكون قد مات وأحيي أكثر من مرتين، وذلك مخالف لقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨]

ولقوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ [غافر: ١١] الآية، ولو دلَّ نص على موته لقلنا به وخصَّصْناه من هذا العموم، لكن النصوص دالة على حياته كما سيأتي، وأما كونه في السماء فلأن لفظ النزول والهبوط يقتضيانه، ولأنه لو كان في الأرض لعُرِف محله، ولوجب عليه أن يسعى إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حين بعثه، ويؤمن به ويجاهد معه تنفيذًا للميثاق الذي أخذه الله عليه وعلي جميع الأنبياء.

وقد قال صاحب "عون المعبود" بعد أن ذكر جملة من أحاديث النزول ما نصُّه: «فلا يخفي على كل منصفٍ أنَّ نزول عيسى ابن مريم عليه السَّلام إلى الأرض حَكَمًا مُقْسِطًا بذاته الشريفة ثابتٌ بالأحاديث الصحيحة والسُّنَّة المطهرة واتفاق أهل السُّنَّة، وأنه الآن حيٌّ في السماء لم يمت بيقين».اهـ ثم ذكر الآيات المتعلقة بذلك.

هذا، وفي المسألة أدلة غير ما ذكرنا منها قوله تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي

ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴾ [آل عمران: ٤٦]. قال الحسين بن الفضل البجلي: «إن المراد بقوله: ﴿وَكَهْلًا﴾ أن يكون كهلًا بعد أن ينزل من السماء في آخر الزمان ويكلِّم الناس ويقتل الدَّجَّال». قال: «و في هذه الآية نصٌّ في أنه عليه الصَّلاة والسَّلام سينزل إلى الأرض».اهـ

وقال الآلوسي بعد أن بيَّن معني الكهل ما نصُّه: «وعلى ما ذكر في سنِّ الكهولة، يراد بتكليمه عليه السلام كهلًا: تكليمه لهم كذلك بعد نزوله من السماء وبلوغه السن، بناء على ما ذهب إليه سعيد بن المسيِّب وزيد بن أسلم وغيرهما، أنه عليه السَّلام رُفع إلى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، وأنه سينزل إلى الأرض ويبقي حيًّا فيها أربعًا وعشرين سنة كما رواه ابن جرير بسندٍ صحيحٍ عن كعب الأحبار، ويؤيِّد هذا ما أخرجه ابن جرير عن ابن زيد في الآية قال: «قد كلَّمهم عيسى في المهد، وسيكلِّمهم إذا قتل الدَّجَّال وهو يومئذٍ كهلٌ».اهـ

والصحيح أنَّ عيسى يمكث في الأرض بعد نزوله أربعين سنة كما دل عليه الحديث الصحيح، وفي الآية نكتتان لطيفتان:

الأولى: الإخبار بأنَّ عيسى عليه السَّلام يكلِّم الناس كهلًا، وقد قال المفسِّرون إنَّ هذا وعدٌ من الله بأنه سيعيش إلى سنِّ الكهولة، وهو معني صحيح، وفي الآية مع هذا معني آخر لم يعرِّجوا عليه وهو الإشارة إلى أن كلامه كهلًا يأتي على خلاف المعهود فإن الناس يتكلَّمون كهولًا وشبانًا ليس في ذلك ما يدعو إلى العجب، ولكن العجيب في شأن عيسى عليه السَّلام أن يرفع

شابًّا ويغيب مئات السنين في عالم لا تجري عليه الأغيار الجسمانية، ثم ينزل ويكلِّم الناس بعد ذلك كهلًا، لا جرم أنَّ هذا أمر غريب استحقَّ لغرابته أن ينوِّه الله به في آيتين مِن كتابه بطريق البشارة والامتنان، ولذا قابله بأمر لا يقل عنه غرابة وهو كلامه في المهد، فاشتملت الآية على معجزتين عظيمتين.

وإلى هذا أشار أحمد بن يحيى ثعلب -إمام الكوفيين في النحو واللغة- حيث قال: «ذكر الله لعيسى آيتين: تكليم الناس في المهد فهذه معجزة، والأخرى نزوله إلى الأرض عند اقتراب الساعة كهلًا ابن ثلاثين سنة يكلِّم أمة محمد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فهذه الآية الثانية».اهـ

وقوله: «ابن ثلاثين سنة» سبق لسان عن قوله أربعين لأنه عيسى عليه السلام نُبِّئ ابن ثلاثين ورفع ابن ثلاث وثلاثين وبضعة أشهر كما هو معلوم.

الثانية: التعبير بالناس حيث قال تعالى: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ﴾ ولم يقل بني إسرائيل أو قومه مع أنَّ المعهود في كلِّ رسولٍ أنه يكلِّم قومه الذين أرسل إليهم خاصَّة، للإشارة إلى أنَّ الذين يكلمهم عيسى ليسوا قومه فحسب بل هم وغيرهم ممن ينزل عليهم آخر الزمان، واقرأ قوله تعالى في البشارة بعيسى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [آل عمران: ٤٩]

وانظر كيف خصَّ رسالته بقومه ثم قابله بقوله تعالى في البشارة به أيضًا: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلًا﴾ تجد بينهما تخالفًا بالخصوص والعموم مع أنهما في سِياق واحد فليس هذا التخالف للتفنُّن في التعبير كما يتوهَّم من لا تحصيل عنده، بل للنكتة التي أبديناها، وللإشارة إلى أن كلامه في المهد وكهلًا

ليس بوصف كونه رسولًا، فتأمَّل هذا جيدًا فإنه من أسرار الكتاب الكريم، وهو مما فتح الله به عليَّ، فله الحمد حمدًا كثيرًا.

ومنها قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ [آل عمران: ٥٥]

أخرج عبدالرزاق، وابن جرير، وابن أبي حاتم، عن الحسن قال: «متوفِّيك مِن الأرض».

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، من طريق آخر، عن الحسن في قوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾: «يعني وفاة المنام، رفعه الله في منامه» قال الحسن: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لليهود: «**إن عيسى لم يمت وإنه راجع إليكم يوم القيامة**».

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم، عن مطر الوراق في الآية قال: «متوفِّيك من الدنيا وليس بوفاة موت».

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، من طريق ثالث، عن الحسن في الآية قال: «رفعه الله إليه فهو عنده في السماء».

وأخرج ابن جرير بسند صحيح، عن كعب قال: «لما رأى عيسى قلة من اتبعه وكثرة من كذبه شكا ذلك إلى الله فأوحى الله إليه: إني متوفِّيك ورافعك إليَّ وإني سأبعثك على الأعور الدَّجَّال فتقتله، ثُمَّ تعيش بعد ذلك أربعًا وعشرين سنة، ثُمَّ أميتك ميتة الحي» قال كعب: «وذلك تصديق حديث رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حيث قال: «**كيف تهلك أمَّةٌ أنا في أوَّلها**

وعيسى في آخِرها». وأخرج ابن جرير، عن الربيع مثل قول الحسن الثاني.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن ابن جريج قوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: ٥٥] قال: «فرفعه إياه إليه: توفيه إياه وتطهيره من الذين كفروا».

وأخرج ابن جرير، عن محمد بن جعفر بن الزبير: ﴿يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ أي: قابضك».

وأخرج ابن جرير، عن ابن زيد في قوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ قال: «متوفيك: قابضك»، قال: «متوفيك ورافعك واحد»، قال: «ولم يمت بعد حتى يقتل الدجال وسيموت»، وتلا قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ [آل عمران: ٤٦] قال: «رفعه الله إليه قبل أن يكون كهلًا»، قال: «وينزل كهلًا».

وأخرج ابن المنذر، عن الحسن في قوله: ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: ٥٥] الآية، قال: «عيسى مرفوع عند الله ثُمَّ ينزل قبل يوم القيامة، فمن صدَّق عيسى ومحمَّدًا صلَّى الله عليهما وسلَّم وكانوا على دينهما لم يزالوا ظاهرين على من فارقهم إلى يوم القيامة».

فمعنى الآية -على ما أفادته هذه الآثار- أنَّ الله قبض عيسى ورفعه إليه وطهَّره بنقله إلى السماء حتى لا يلحقه أذى، وهذا المعنى هو المؤيد بالنظر الصحيح؛ لأن التوفِّي معناه في اللغة قبض الشيء وافيًا، فيشمل قبض الدَّين

والأجرة والنوم والموت وغيرها، وادعاء ذلك المفتي الجاهل أنَّ التوفي ظاهر في الموت جهلٌ باللغة، وكذبٌ على الله في معني الآية الكريمة.

كيف والقرآن قيَّد التوفي تارة بالنوم وتارة بالموت وتارة بالكسب؟! وهو هنا في غير الموت أظهر، بدليل الرفع المذكور بجانبه، إذ ليس في القرآن موت ذُكِر معه الرفع؛ لأن الميت يدفن ولا يرفع، ألا ترى إلى قول الله تعالى في شأن الإنسان: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾[عبس: ٢١]

ولذا قال الآلوسي في تفسيره ما نصُّه: «والصحيح -كما قاله القرطبي- أنَّ الله تعالى رفعه من غير وفاة ولا نوم، وهو اختيار الطبري، والرواية الصحيحة عن ابن عبَّاسٍ، وحكاية أنَّ الله تعالى توفَّاه سبع ساعات؛ ذكر ابن إسحاق أنها من زعم النصارى، ولهم في هذا المقام كلام تقشعرُّ منه الجلود، ويزعمون أنه في الإنجيل، وحاشا لله ما هو إلا افتراء وبهتان».اهـ

والرفع حقيقته اللغوية: «النقلة من سُفل إلى علو» كما قال أبو حَيَّان وغيره من أئمَّة اللغة والتفسير، وحمْله على رفع المكانة -كما زعم ذلك المفتي الجاهل- يبطله أمور:

أولها: أنه معنى مجازي لا داعي إليه ولا قرينة تدور عليه.

ثانيها: أنَّ كلمة ﴿إِلَيَّ﴾ تدل على أنَّ الرفع انتهى إلى مكان محسوس وهو السماء، قال النيسابوري في "تفسيره": «أما قوله: ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ فالمشبِّهة تمسَّكوا بمثله في إثبات المكان لله وأنه في السماء، لكن الدلائل القاطعة دلَّت على أنه متعالٍ عن الحيز والجهة فوجب حمْل هذا الظاهر على التأويل، بأن

المراد: إلى محلِّ كرامتي ومقرِّ ملائكتي، والمراد التفخيم والتعظيم، أو المراد: إلى مكان لا يملك الحكم عليه هناك غير الله، فإنَّ في الأرض ملوكًا مجازية».اهـ

ورفعة المكانة ليس لها مكان تنتهي إليه فلا يذكر معها لفظ ﴿إِلَيَّ﴾ اقرأ قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤]، ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾ [النور: ٣٦]، ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ﴾ [المجادلة: ١١] ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]، ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ﴾ [الأنعام: ٨٣]

ولم يتنبه ذلك المفتي الجاهل إلى هذا المعنى -لغباوته- فساق الآيات الواردة في الرفع الحسِّي والمعنويِّ مساقًا واحدًا.

ثالثها: أنَّ رِفْعة المكانة حاصلةٌ لعيسى على أكمل وجه، فلا معنى لأن يعطى شيئًا حاصلًا له، وليس هو بأفضل الرسل حتى يقال يجوز أن يعطى من الرِّفْعة قدرًا لا يشاركه فيه بقيتهم عليه وعليهم صلوات الله، وكذلك رفع الروح لا معني له لأنه -مع كونه مجازًا- يعم سائر المؤمنين، فلا يظهر لتخصيص عيسى عليه السَّلام به فائدة.

والتطهير المعنويُّ -مع كونه مجازًا أيضًا- لا يمنع إذاية المؤذين ولا عسف الظالمين، فكم لاقى رسل الله المطهَّرون، من عسف وإذاية، وقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**رَحِمَ اللهُ أخي موسي لقد أُوذِيَ بأكثر مِن هذا فصَبَرَ**».

ولما أراد الله أن يضمن لنبيِّه الحفظ من القتل، خاطبه بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة:٦٧] ولم يقل: والله يرفع مكانتك على

الناس، ولا قال: والله يطهِّرك، لما سبق بيانه فافهم، وبالله التوفيق.

(تنبيه): أخرج ابن حاتم عن قتادة ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[آل عمران: ٥٥] قال: «هذا من المقدم والمؤخر، أي رافعك إلي ومتوفيك».

وأخرج إسحاق بن بشر وابن عساكر، من طريق جويبر ابن الضَّحَّاك، عن ابن عبَّاسٍ في قوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[آل عمران: ٥٥]: «يعني رافعك ثُمَّ متوفِّيك في آخر الزمان». هذا إسناد ضعيف جدًّا.

والآية على هذا التأويل تفيد أيضًا حياة عيسى عليه السَّلام كما هو ظاهر.

ومنها قوله تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٨] وهذه الآية نصٌّ صريحٌ في حياة عيسى ورفعه؛ لأن الله تعالى نفى عنه القتل والصَّلْب ثُمَّ عطف بـ«بل» مُثبتًا له الرفع، والمقرَّر في كتب اللغة العربية التي بها نزل القرآن أنَّ كلمة «بل» إذا تلت نفيًا أو نهيًا كانت للإضراب والاستدراك، تُقرِّر حكم ما قبلها وتُثبت نقضه لما بعدها، ولذا ذكر أهل المعاني العطف بـ«بل» وبـ«لا» من طرق القصر وقالوا إنه أقوى طرقه للتصريح فيه بالنفي والإثبات، فهي في الآية لقصر القلب ترد على اليهود والنصارى ما اعتقدوه من قتل عيسى وصلبه، وتُثبت نقيضه وهو حياته ورفعه.

هذا هو ما تفيده الآية صراحة بحسب قواعد اللغة وأسلوب البلاغة وهو ما يفهمه العربي الفصيح بذوقه السليم الصحيح، أمَّا حمل الآية على تقدير الإماتة العادية بأن يقال: بل أماته الله ورفعه إليه، كما قال صاحب الفتوى لعاميته، والقاديانية لعجمتهم فهو -مع كونه من سقط الكلام الذي يجب تنزيه

القرآن عنه- يبطله أمور:

أحدها: أنَّ هذا يلزم منه المجاز في موضعين من الآية والمجاز خلاف الأصل، لا حاجة إليه ولا دليل عليه.

ثانيها: أنَّ الإماتة العادية تتفق مع القتل في الغاية وهي إزهاق الرُّوح كما قال الشاعر:

ومَن لم يمتْ بالسَّيفِ ماتَ بغيره تعدَّدتِ الأسبابُ والموتُ واحِدُ

فلا تكون الإماتة نقيض القتل إلَّا من حيث الصورة، والقرآن أدقُّ مِن أن يقصد الصور الظاهريَّة، وأجلُّ مِن أن يُحمل عليها.

ثالثها: أن تخليص عيسىٰ عليه السَّلام من القتل بالإماتة -مع كونه محصلًا لغرض اليهود- يستلزم العجز -تعالىٰ الله عن ذلك علوًّا كبيرًا- لأن الإماتة حيلة الضعيف، ألا ترىٰ إلىٰ الزبَّاء لما رأت حيلة عمرو تمَّت عليها وأيقنت بالهلاك قالت: «بيدي لا بيد عمرو». وقتلت نفسها.

رابعها: أنَّ كلمة «إليه» الدالة علىٰ الانتهاء توجب أن يكون الرفع حسِّيًّا لا معنويًّا علىٰ ما سبق بيانه.

خامسها: أنَّ حمل الرفع علىٰ رفع المكانة أو الرُّوح -مع كونه مجازًا- لا تظهر له فائدة في هذا الموطن؛ لأن الرسل -وعيسىٰ منهم عليهم الصَّلاة والسَّلام- كلهم مرفوعوا الرتبة والمكانة عند الله، لا يشك في هذا مسلمٌ عاميٌّ فضلًا عن متعلِّم، وأرواح المؤمنين كلها ترفع بعد الموت مقتولًا كان الميت أو غير مقتول، فأي فائدة في تخصيص عيسىٰ بالتنصيص علىٰ هذا؟! لاسيما إذا

وجدنا غيره من الرسل أوذي أكثر منه وأنجاه الله من غير أن يذكر رفع مكانته أو روحه لكونه معلومًا، كإبراهيم عليه الصَّلاة والسَّلام، فإنه -مع كونه أفضل الأنبياء- أوذي أبلغ إذاية وحسبك إلقاؤه في النار حيًّا فإن هذا شر أنواع القتل، ولم يزد الله على أن أخبر عن إنجائه بقوله: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٩- ٧٠] ويتخرَّج من هذا وجه آخر وهو:

سادسها: أنَّ الله تعالى قصَّ علينا ما لاقاه الرسل والأنبياء من الإذاية والعَسْف، وذَكَر إنجاءه تعالى لهم مما أريد بهم، وسنَّته مع كلِّ واحدٍ منهم في إنقاذه، ولم يذكر الرفع طريقًا للإنقاذ إلَّا في عيسى عليه السَّلام، فلا جائز أن يكون رفع المكانة لأنه مشترك بينهم، ولا رفع الروح لأنه يعم جميع المؤمنين، هذا مع أنهما-أعني رفع المكانة ورفع الروح- ليسا من طريق الإنقاذ في شيء، فتعيَّن أن يكون رفع عيسى حقيقيًّا، ويكون الله قد أنجاه بهذا الطريق كما أنجى غيره بطرق أخرى ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[هود: ١٠٧]

سابعها: أنَّ الله تعالى اقتصر على ذكر الرفع وجعله مبطلًا لما ادعته اليهود من القتل والصَّلب، وذلك يوجب أن يكون الرفع حقيقيًّا، إذ لو كان مجازيًّا لم يكن مبطلًا لدعوى اليهود بل متفق معها؛ لأن رفع المكانة أو الروح لا يمنع القتل والإيذاء كما سبق بيانه.

ثامنها: أنَّ رفع المكانة لا يستلزم الموت كما هو ظاهر، وكذلك رفع الروح؛ لأن النائم ترفع روحه وتسبح في عالم المِثال، وحينئذٍ كان يتعيَّن

التصريح في الآية بالموت بأن يقال: بل أماته الله، ولا يقتصر على ذكر الرفع الذي لا يستلزمه ولا يدل عليه.

ولا يقال قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] قرينة على التقدير هنا لأنَّا نقول: هذا -على ما فيه- إنما يفيد تقدير التوفِّي، وليس التوفِّي بإماتة، فمن أين أتى التعيين؟، وأي دليل عليه؟!

بل نحن نقول لمَّا اقتصر الله في هذه الآية على الرفع وجعله مبطلًا لدعوى اليهود كان ذلك دليلًا على أنَّ التوفِّي في الآية السابقة يراد به قبض البدن من الأرض حيًّا، وليس المراد به الموت جزمًا.

تاسعها: أنَّ الله مدح نفسه بقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٨] ولو كان في الآية إماته عادية لم يكن للمدح معنى؛ لأنها أمر عاديٌّ مُطَّرد في جميع المخلوقات، بل ربما لم يحسن المدح؛ لأن الإماتة في هذا الموطن تحصيل لغرض الأعداء ومُشعرة بمعنى المثل العربي: «بيدي لا بيد عمرو»، تعالى الله عن ذلك وعمَّا يقول الجاهلون في كتابه علوًّا كبيرًا.

عاشرها: أنَّ الله مدح نفسه كما مر آنفًا ولم نره -سبحانه وتعالى- مدح نفسه على إماتة نبيٍّ أو رسول، كيف والموت مصيبة بشهادة القرآن؟! قال تعالى: ﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [المائدة: ١٠٦] وإنما رأيناه يمتدح بإهلاك الظلمة الكَفَرة انتقامًا لأنبيائه ورسله، وما صحَّ الامتداح بالإهلاك إلَّا لما انطوى عليه من الخوارق الدالة على كمال قدرته وشِدَّة انتقامه سبحانه وتعالى.

حادي عشرها: أنَّ الآية نصٌّ في الرفع، وحمْلها على تقديرٍ أو تأويلٍ مخالفٌ لما أطبق عليه علماء الأصول مِن أنَّ «النصَّ لا يؤوَّل وإنما يؤوَّل الظاهر»، وتأويل النصوص لم يجرؤ عليه أحدٌ ممن شمَّ رائحة العلم إلَّا الباطنية والبهائية والقاديانية -وكلهم كفرة جهلة - وتبعهم ذلك المفتي الجاهل حيث ادَّعى أنَّ الآية مؤوَّلة وتعامى عن صراحتها لهوى في نفسه.

ثاني عشرها: أنَّ حمل الآية على المجاز -مع كونه خلاف الأصل- مخالفٌ لما أطبق عليه علماء التفسير من إبقائها على حقيقتها، وأنَّ الرفع فيها مراد به معناه الحقيقي الذي هو نقله الجرم من سفل إلى علو، وقالوا أنَّ عيسى رفع حيًّا إلى السماء بعد أن أُعطي استعدادًا لذلك، وقُطعت عنه علائق الشهوة وعوائق المادَّة، وليس في ذلك ما يُحيله العقل ولا ما يصدمه العلم، بل نجد في تطوَّرات هذا الزمن ومخترعاته ما يؤيِّد ذلك ويقرِّبه إلى العقول المريضة المحصورة في دائرة ضيقة من التفكير، فلا يتسع أفقها للتصديق بما غاب عنها ولو قامت الدلائل العلمية على وقوعه، وفي مثل هؤلاء يقول الله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ [يونس: ٣٩] وستأتي الآثار في الرفع إن شاء الله.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾[النساء: ١٥٩] أي ليؤمننَّ بعيسى قبل موت عيسى وذلك عند نزوله آخر الزمان حاكمًا بهذه الشريعة المحمدية داعيًا إليها، فلا يبقى يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ إذ ذاك إلَّا آمن به أنه عبدالله ورسوله، وتصير الملل كلها مِلَّة واحدة هي مِلَّة الإسلام، ويوم

القيامة يكون عليهم شهيدًا، أي على اليهود والنصارى يشهد على من آمن منهم ومن كفر قبل رفعه وبعد نزوله فالضميران في «به» وفي «موته» عائدان على عيسى عليه السلام كما تبين.

وهذا التفسير الذي ذكرناه هو تفسير أبي هريرة وابن عبَّاسٍ وقتادة والحسن وابن زيد وأبي زيد وأبي مالك وغيرهم.

أمَّا تفسير أبي هريرة ففي الصحيحين وغيرهما، من طُرُقٍ.

وأمَّا تفسير من عداه ففي تفسير: "ابن جرير" و"ابن كثير" و"الدر المنثور" وغيرها، وهو المتعيِّن الذي لا يجوز غيره لوجوه:

الأول: أنه تفسير أبي هريرة وابن عبَّاسٍ، وهما صحابيان جليلان شاهَدَا التنزيل وعرفا معانيه بسليقتهما العربية، وتلقيهما عن الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

الثاني: أنه موافق للأحاديث المتواترة التي أخبرت بنزول عيسى ودعائه إلى الإسلام وإيمان اليهود والنصارى به، ولذا كان أبو هريرة حين يروي حديث النزول يتلو عقبه هذه الآية للإشارة إلى أنَّ الحديث يفسِّر الآية ويعيِّن المراد منها فهما متطابقان متوافقان.

الثالث: أن المتحدَّث عنه في الآيات قبل هذه الآية هو عيسى عليه السَّلام اقرأ قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [النساء: ١٥٥] الآيات تجد الكلام مَسُوقًا لتبرئة عيسى عليه السَّلام ممَّا يُرمى به، فوجب أن تكون الضمائر كلها راجعة إليه أخذًا بدلالة السِّياق،

وعملًا بما توجبه قواعد اللغة العربية التي بها نزل القرآن العظيم، ولا يجوز العُدُول عن ذلك إلَّا لمقتضٍ يقتضيه، ولا مقتضٍ هنا البتة.

ولذا قال الإمام أبو حَيَّان في "البحر المحيط" ما نصُّه: «والظاهر أنَّ الضميرين في «به» وفي «موته» عائدان على عيسى، وهو سِياق الكلام، والمعنى: مِن أهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله.

روي أنه ينزل من السماء في آخر الزمان فلا يبقي أحدٌ مِن أهل الكتاب إلَّا يؤمن به، حتى تكون المِلَّة الواحدة وهي مِلَّة الإسلام. قاله ابن عبَّاسٍ والحسن وأبو مالك».اهـ

وأبو حَيَّان إمامٌ مُقدَّمٌ في النحو واللغة والقراءات، وصحَّح هذا القول ابن جرير أيضًا، وقال ابن كثير: «هو القول الحق البيِّن بالدليل القاطع». يعني الحديث المتواتر.

وبما ذكر يبطل قول العلامة الآلوسي إنَّ عود الضمير في «موته» على عيسى غير ظاهر، وأمَّا القول بأن الضمير في «به» عائد على عيسى عليه السَّلام وفي «موته» عائد على الكتابي، وأنَّ المعنى: لا يموت الكتابي حتى يؤمن بعيسى وذلك عند المعاينة قبيل زهوق الروح، فقد نُقِل عن ابن عبَّاسٍ ولم يُصَحَّح عنه، بل الذي استفيد عنه القول السابق.

وممَّا يبطل هذا القول -زيادة على ما تقدَّم- ما يلزم عليه من تشتيت الضمائر باختلاف مرجعها، وأقل ما يقال في هذا أنه خلاف الظاهر، لا داعي إلى ارتكابه وأمَّا من استدل له بقراءة أُبَيّ: «وإنْ مِنْ أهلِ الكِتابِ إلَّا لَيؤمِنُنَّ به -بضمِّ النون- قبل موتهم» فلم يصب لأمرين:

الأول: أنَّ هذه القراءة شاذَّة لا يجوز الاستدلال بها كما لا تجوز تلاوتها، بناء على ما صحَّح إمام الحرمين وأبو نصر القشيري وابن الحاجب وغيرهم، من عدم جواز الاحتجاج بالقراءة الشاذَّة، وهو مذهب مالك، وقال النووي إنه مذهب الشافعي؛ لأنها نقلت آحادًا فيما تتوفر الدواعي على نقله تواترًا، ولأنها قد تكون مذهبًا لصاحبها كقراءة ابن مسعود فإن كثيرًا منها تفسيرات بحسب اجتهاده.

الثاني: أنَّ مَن أجاز الاحتجاج بالقراءة الشاذَّة أجراها مجرى خبر الآحاد في ذلك وقاسها عليه، لكنه لا يقدِّمها على المتواتر كما لا يتقدَّم خبر الآحاد عليه، وقد دلَّ الحديث المتواتر على تعين المراد من الآية وبيَّنه بيانًا شافيًا بلا حاجة إلى شواذِّ القراءات، ولا التمسُّك بالضعيف من الأقوال والروايات، بل لا يجوز ذلك جزمًا، ولذا ردَّ ابن جرير وابن كثير كل قول قيل في الآية غير القول الأول.

ومنها ما رواه أحمد، وأبو داود، وابن جرير، وابن حِبَّان في "صحيحه"، والحاكم، وغيرهم، من طرق عن أبي هريرة: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**الأنبياء إخوةٌ لعَلَّات أمهاتهم شتَّى ودينهم واحد، وإنِّي أولى الناس بعيسى ابن مريم؛ لأنه لم يكن بيني وبينه نبيٌّ، وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه، رجلٌ مَرْبُوعٌ إلى الحُمْرة والبياض عليه ثوبان ممصَّران، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيدق الصَّليب ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويدعو الناس إلى الإسلام، ويُهلك الله فى زمانه المِلَلَ كلَّها إلَّا الإسلام، ويُهلك في زمانه المسيح الدَّجَّال، ثم تقع الأمنة على الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنِّمار مع**

البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصِّبيان بالحيَّات لا تضرُّهم، فيمكث أربعين سنة، ثم يتوفَّى ويصلِّي عليه المسلمون ويدفنونه». صحَّحه الحاكم، وسلَّمه الذهبيُّ، وصحَّحه أيضًا الحافظ ابن حجرٍ في "فتح الباري".

وهو واضح في الدلالة على حياة عيسى عليه السَّلام ولينظر القارئ شروح "سنن أبي داود" وغيرها.

ومنها ما رواه ابن جرير في "تفسيره": حدَّثنا المثنَّى: ثني إسحاق: ثنا عبدالله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع في قول الله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ [آل عمران: ٥٥] قال: يعني وفاة المنام، رفعه الله في منامه، قال الحسن قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لليهود: «**إنَّ عيسى لم يَمُتْ وإنه راجعٌ إليكم قبل يوم القيامة**». وهو صريح كما ترى.

ومنها ما رواه البزَّار في "معجمه" عن أبي هريرة قال: سمعت أبا القاسم الصادق المصدوق صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**يخرج الأَعْورُ الدَّجَّال مسيح الضَّلالة قِبَل المشرق في زمن اختلافٍ مِن النَّاس وفُرْقةٍ، فيبلغُ ما شاء الله أن يبلغَ مِن الأرض في أربعين يومًا الله أعلم ما مقدارها، فيلقى المؤمنون شِدَّةً شديدةً، ثم ينزل عيسى ابن مريم عليه السَّلام مِن السماء فيؤمُّ الناسَ، فإذا رفع رأسه من ركعته قال: سمع الله لمن حمده قتل الله المسيح الدَّجَّال وظهر المسلمون**» فأحلف أنَّ رسول الله أبا القاسم الصَّادق المصدوق صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنه لحقٌّ وأما أنه قريبٌ فكلُّ ما هو آتٍ قريبٌ**».

صحَّحه ابن حِبَّان، وقال الحافظ الهيثمي في "مجمع الزوائد": «رجاله رجال الصحيح غير علي بن المنذر وهو ثقة». اهـ

وقال البيهقي في "الأسماء والصفات": «باب قول الله عزَّ وجلَّ لعيسىٰ عليه السلام: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]»

ثُمَّ أخرج بإسناد صحيح علىٰ شرط الشيخين، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**كيف أنتم إذا نزل ابن مريم مِن السماء فيكم وإمامُكم منكم**». قال البيهقي: «وإنما أراد نزوله من السماء بعد الرفع إليه». اهـ.

فهذان الحديثان صريحان في أنَّ عيسىٰ ينزل من السماء وذلك يقتضي أنه موجود فيها الآن.

وجاء التصريح بنزوله من السماء أيضًا في حديث ابن عبَّاسٍ مرفوعًا، رواه إسحاق بن بشر وابن عساكر في "تاريخه".

وصح في حديث الإسراء من طرق أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم اجتمع بعيسىٰ عليه السَّلام في السماء الثانية.

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والنَّسائيُّ، بإسناد صحيح علىٰ شرط مسلم -كما قال الحافظ ابن كثير- عن سعيد بن جبير، عن ابن عبَّاسٍ قال: «لما أراد الله أن يرفع عيسىٰ إلىٰ السماء خرج علىٰ أصحابه وفي البيت اثنا عشر رجلًا منهم من الحواريين»، وذكر الأثر إلىٰ أن قال: «ورفع عيسىٰ مِن رَوْزَنةٍ في البيت -يعني كُوَّة- إلىٰ السماء».

قال ابن كثير -وقد أورد الأثر بتمامه في "تاريخه"- ما نصه: «وهكذا ذكر

غير واحد من السلف وممن ذكر ذلك مطولًا محمد بن إسحاق بن يسار».

ثم نقل عن وهب بن منبِّه ويحيىٰ بن حبيب أثرين طويلين في كيفية رفع عيسىٰ إلىٰ السماء ثُمَّ قال: «ويروىٰ عن عليٍّ عليه السَّلام: أنَّ عيسىٰ عليه الصَّلاة والسَّلام رفع ليلة الثاني والعشرين من رمضان، وفي مثل تلك الليلة توفِّي علي عليه السَّلام بعد طعنه بخمسة أيام».

وأخرج إسحاق بن بشر: أنبانا سعيد بن بشر بن أبي عروبة، عن قتادة ومقاتل، عن عبدالرحمن بن آدم، عن أبي هريرة قال: أوحىٰ الله عزَّ وجلَّ إلىٰ عيسىٰ ابن مريم: «يا عيسىٰ جد في أمري ولا تهن، وأسمع وأطع يا ابن الطاهرة البكر البتول، إنك من غير فَحْلٍ وأنا خلقتك آية للعالمين، إياي فاعبد وعليَّ فتوكَّل، خذ الكتاب بقوة، فسر لأهل السريانية، بلغ مَن بين يديك أنِّي أنا الحقُّ الحيُّ الدائم الذي لا أزول، صدِّقوا النبيَّ الأميَّ العربيَّ صاحب الجمل والتاج والمدرعة والفعلين والهراوة، الأنجل العينين، الصلت الجَبين، الواضح الخدَّين، الجَعْد الرأس، الكثَّ اللحية المَقْرون الحاجبين الأَقْني الأنف المفلَّج الثنايا البادي العَنْفَقة، الذي كأن عنقه إبريق فِضَّة، وكأنَّ الذهب يجري في تراقيه، له شعرات من لبَّته إلىٰ سرته تجري كالقضيب ليس علىٰ بطنه ولا علىٰ صدره شعر غيره، شَثْن الكفِّ والقدم، إذا التفت التفت جميعًا، وإذا مشىٰ فكأنما يتقلَّع من صخر وينحدر مِن صَبَبٍ، عرقه في وجهه كاللؤلؤ، وريح المسك تنفح منه، لم ير قبله ولا بعده مثله، الحسن القامة الطيب الريح نكَّاح النساء ذا النسل القليل، إنما نسله من مباركة لها بيت من قَصَبٍ لا نَصَبَ فيه ولا صَخَب، تكفله يا عيسىٰ في آخر الزمان كما كفل زكريا أمك، له منها

فرخان مستشهدان وله عندي منزلة ليست لأحد من البشر، كلامه القرآن ودينه الإسلام وأنا السلام، طوبىٰ لمن أدرك زمانه وشهد أيامه وسمع كلامه.

قال عيسىٰ: يا رب وما طوبىٰ؟ قال: غرس شجرة أنا غرستها بيدي فهي للجنان كلها، أصلها من رضوان، وماؤها من تَسْنيم، وبردها برد الكافور، وطعمها طعم الزنجبيل، وريحها ريح المسك، مَن شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا.

قال عيسىٰ: يا رب اسقني منها. قال: حرام علىٰ النبيين أن يشربوا منها حتىٰ يشرب ذلك النبيُّ، وحرام علىٰ الأمم أن يشربوا منها حتىٰ يشرب منها أمة ذلك النبيِّ.

قال: يا عيسىٰ أرفعك إليَّ، قال: يا رب ولِمَ ترفعني؟، قال: أرفعك ثم أهبطك في آخر الزمان لترىٰ من أمة ذلك النبيِّ العجائب، ولتعينهم علىٰ قتل اللعين الدَّجَّال، أهبطك في وقت صلاة ثم لا تصلِّي بهم لأنها أمة مرحومة ولا نبي بعد نبيهم». أخرجه ابن عساكر في "تاريخه" من هذا الطريق.

وأخرج ابن أبي حاتم، عن جويرية بن بشير قال: سمعت رجلًا قال للحسن: يا أبا سعيد قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩]

قال: «قبل موت عيسىٰ، إنَّ الله رفع إليه عيسىٰ وهو باعثه قبل يوم القيامة مقامًا يؤمن به البر والفاجر».

وأخرج ابن سعد، وأحمد في "الزهد"، والحاكم، عن سعيد بن المسيِّب

قال: «رُفع عيسىٰ ابن ثلاث وثلاثين سنة، ومات لها معاذ».

وأخرج عبد بن حُميد، وابن جرير، وابن المنذر عن قتادة ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ﴾ [النساء: ١٥٧] الآية قال: «أولئك اليهود أعداء الله افتخروا بقتل عيسىٰ وزعموا أنهم قتلوه وصلبوه، وذكر لنا أنه قال لأصحابه: أيكم يقذف عليه شبهي فإنه مقتول. فقال رجل من أصحابه: أنا يا نبيَّ الله. فقتل ذلك الرجل ومنع الله نبيَّه ورفعه إليه».

وأخرج عبد بن حُميد، وابن جرير، وابن المنذر، عن مجاهد في قوله تعالىٰ: ﴿شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧] قال: «صلبوا رجلًا غير عيسىٰ، شبهوه بعيسىٰ، يحسبونه إياه، ورفع الله إليه عيسىٰ حيًّا».

وأخرج عبدالرزاق، وأحمد في "الزهد"، وابن عساكر، من طريق ثابت البناني، عن أبي رافع قال: «رفع عيسىٰ ابن مريم وعليه مدرعة وخفاراع وخذافة يخذف بها الطير».

وأخرج أحمد في "الزهد"، وأبو نعيم، وابن عساكر، من طريق ثابت البناني، عن أبي العالية مثل قول أبي رافع.

وأخرج عبد بن حُميد، وابن المنذر، عن شهر بن حَوْشَب في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ قال: قال محمد بن علىٰ -هو ابن الحنفية-: ليس مِن أهل الكتاب أحدٌ إلَّا أتته الملائكة يضربون وجهه ودُبَره، ثُمَّ يقال يا عدوَّ الله إنَّ عيسىٰ روح الله وكلمته، كذبت علىٰ الله وزعمت أنه الله، إنَّ عيسىٰ لم يَمُت وإنه رُفع إلىٰ السماء وهو نازل قبل أن تقوم الساعة،

فلا يبقي يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ إلَّا آمن به».

وأخرج ابن جرير عن السُّدِّي أنَّ عيسىٰ قال لأصحابه مَن يأخذ صورتي ويقتل فله الجنَّة فأخذها رجلٌ منهم وصعد بعيسىٰ إلىٰ السماء فذلك قوله: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤] وذكر بقية الأثر.

وأخرج البيهقيُّ في "الأسماء والصفات" عن الفرَّاء في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ قال: نزلت في شأن عيسىٰ عليه السَّلام، إذ أرادوا قتله فدخل بيتًا فيه كُوَّة وقد أيده الله عزَّ وجلَّ بجبريل عليه السَّلام، فرفعه إلىٰ السماء من الكُوَّة، فدخل عليه رجلٌ منهم ليقتله فألقىٰ الله علىٰ ذلك الرجل شبه عيسىٰ ابن مريم، فلما دخل البيت ولم يجد فيه عيسىٰ خرج إليهم وهو يقول ما في البيت أحد، فقتلوه وهم يرون أنه عيسىٰ فذلك قوله: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ المكر من الله: الاستدراج، لا علىٰ معني مكر المخلوقين.

وأخرج ابن عساكر عن عبدالجبار بن عبدالله بن سليمان قال: أقبل عيسىٰ ابن مريم علىٰ أصحابه ليلة رُفِع فقال: «لا تأكلوا بكتاب الله أجرًا فإنكم إن لم تفعلوا أقعدكم الله علىٰ منابر الحجر منها خير من الدنيا وما فيها». قال عبدالجبار وهي المقاعد التي ذكر الله في القرآن: ﴿فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ﴾ [القمر: ٥٥] ورُفع عليه السلام.

وأخرج ابن جرير عن الضَّحَّاك في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف: ٦١] قال: خروج عيسىٰ ابن مريم ونزوله من السماء قبل يوم القيامة.

وتقدَّمت آثار عن ابن جريج وابن زيد وغيرهما، وذكر ابن جرير في "تاريخه" أنَّ عيسىٰ أنزل عليه وهو ابن ثلاثين سنة ومكث حتىٰ رفع إلىٰ السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة. اهـ ونحوه للشهرستاني في "الملل والنحل".

وقال ابن كثير في "تاريخه": «ذكر رفع عيسىٰ عليه السلام إلىٰ السماء» وأورد آيات وآثارا نحو ما ذكرنا ثُمَّ قال: «وقال الحسن البصري كان عمر عيسىٰ عليه السَّلام يوم رفع أربعًا وثلاثين سنة، وفي الحديث: «**إنَّ أهل الجنَّة يدخلونها جُرْدًا مُرْدًا مُكَحَّلين أبناء ثلاث وثلاثين**»، وفي الحديث الآخر: «**على ميلاد عيسى وحُسن يوسف**».

وكذا قال حمَّاد بن سلمة، عن علىٰ بن زيد، عن سعيد بن المسيِّب قال: «رفع عيسىٰ وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة».اهـ

والحديث الذي أشار إليه رواه ابن أبي الدنيا قال: حدثنا بن القاسم: ثنا صفوان بن صالح: ثنا رواد ابن الجراح العسقلاني: ثنا الأوزاعي، عن هارون بن رئاب، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**يدخل أهل الجنَّة الجنَّة على طولِ آدمَ ستين ذراعًا بذراع الملِك على حُسْنِ يوسف، وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين سنة، وعلى لسان محمَّدٍ جُرْدٌ مُرْدٌ مُكَحَّلون** » ورواه الترمذي وغيره.

وقال العلامة السعد في "شرح المقاصد": «ذهب العظماء من العلماء إلىٰ أنَّ أربعة من الأنبياء في زمرة الأحياء: الخَضِر وإلياس في الأرض، وعيسىٰ وإدريس في السماء، عليهم الصَّلاة والسَّلام».اهـ

واستدل الرافعي في «باب الطلاق» من "الشرح الكبير" علىٰ إمكان

الصعود إلى السماء عقلًا بأنه: «قد أسري برسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ورُفع عيسى عليه السَّلام إلى السماء».اهـ

قال الحافظ ابن حجرٍ في تخريج أحاديثه المسمي "بالتلخيص الحبير" ما نصُّه: «وأمَّا رفع عيسى فاتفق أصحاب الأخبار والتفسير على أنه رُفع ببدنه حيًّا وإنما اختلفوا: هل مات قبل أن يرفع أو نام فرفع؟».اهـ.

ومن هذا الاتفاق الذي حكاه شيخ الحُفَّاظ تعلم أنَّ الذين قالوا بموت عيسى متفقون على رفع بدنه إلى السماء، فالقول بأنه دفن في الأرض من مخترعات القاديانية وتبعهم ذلك المفتي الجاهل.

ثُمَّ إني لم أجد عن أحد بسند صحيح يُعتمَد عليه القول بموت عيسى عليه السَّلام إلَّا عن وهب بن منبِّه وابن حزم، وهما قائلان برفع بدنه أيضًا وبأنه نازل حسبما ورد به الحديث المتواتر.

ووهب انخدع بما رآه في كتب الإسرائيليات من قول النصارى بموت عيسى عليه السَّلام، والرواية عن الإمام مالك في ذلك ساقطة لأنها تخالف ما صحَّت به الأحاديث والآثار الدالة على حياة عيسى عليه السَّلام، وشِدَّة تمسُّك مالك بالآثار معروفة، بل مبنى مذهبه عليها كما يقول ابن خلدون في مقدَّمة "تاريخه"، ثُمَّ هي على فرض صحَّتها أولها أصحاب مذهبه العارفون بأقواله.

ففي "شرح مسلم" للإمام الأُبِّي ما نصُّه: «الأكثر على أنه لم يَمُت بل رُفع وفي "العتبية" قال مالك: مات عيسى ابن ثلاث وثلاثين سنة.

ابن رشد – هو الجد – يعني بموته خروجه من عالم الأرض إلى عالم السماء

قال: ويحتمل أنه مات حقيقة ويحيىٰ في آخر الزمان، إذ لا بد من نزوله لتواتر الأحاديث بذلك. وفي "العتبية": كان أبو هريرة يلقىٰ الفتىٰ الشاب فيقول: «يا ابن أخي إنك عسىٰ أن تلقىٰ عيسىٰ ابن مريم فاقرئه منِّي السَّلام». تحقيقًا لنزوله، فما ذكر ابن حزم من الخلاف في نزوله لا يصح».اهـ

وقوله: «ويحتمل أنه مات حقيقة ويحيىٰ في آخر الزمان» يشير إلىٰ مسألة مهمة، وهي أنَّ موت عيسىٰ -علىٰ فرض تسليمه- لا ينافي نزوله الذي تواتر به الحديث، بل يحييه الله الذي يحيي الموتىٰ والذي أوجده من غير أبٍ وينزله خليفة في هذه الأمة عن نبيها، والقاديانية - خذلهم الله - يجهدون في إثبات موت عيسىٰ ليدَّعوا أنه لا ينزل ولا يرجع؛ لأن الميت لا يحيىٰ قبل يوم القيامة. وهم كاذبون في دعواهم جاهلون بالله لا يعرفونه، ومخالفون للقرآن فقد أخبر الله تعالىٰ أنه أحيا الموتىٰ اقرأ قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٣] وقوله تعالىٰ: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ إلىٰ قوله: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٥٩] وقوله جل شأنه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٠] إلىٰ آخر الآية.

وقوله -عز ذكره- في شأن عيسىٰ: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩] وقوله -عزَّ وجلَّ- مخاطبًا لعيسىٰ عليه السلام: ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي﴾ [المائدة: ١١٠]

وللحافظ ابن أبي الدنيا كتاب "من عاش بعد الموت" وهو جزء صغير مطبوع بمصر ينبغي الوقوف عليه.

فلو سُلِّم موت عيسىٰ لكان إحياؤه ونزوله لابد منهما كما قال ابن رشد، لكنه حي مرفوع كما دلَّت عليه الآثار السابقة من غير أن يوجد ما يعارضها.

وقوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧] معناه: «قبضتني بالرفع إلىٰ السماء» كما قال أبو حيان وغيره من أئمة اللغة والتفسير.

وقال القرطبي: «قيل: هذا يدل علىٰ أن الله -عزَّ وجلَّ- توفَّاه قبل أن يرفعه، وليس بشيءٍ لأن الأخبار تظاهرت برفعه وأنه في السماء حيٌّ».اهـ

وقد نبَّهنا أنَّ التوفِّي ليس معناه الموت لا مطابقة ولا التزامًا، ومن الطريف أنَّ القاديانية يستدلون علىٰ موت عيسىٰ بحديث هذا لفظه: «**لو كان موسي وعيسى حَيَّين ما وسعهما إلَّا إتباعي**» وهذا حديث مكذوب لا أصل له وما أكثر استدلالهم بالأكاذيب والمفتريات(١).

(تنبيه): سبق أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم اجتمع بعيسىٰ عليه الصَّلاة والسَّلام ليلة الإسراء، وهو اجتماع حقيقي؛ لأن الإسراء كان بالجسد والرُّوح كما هو مذهب طوائف الفقهاء والمتكلِّمين والمفسِّرين والمحدِّثين.

قال الحافظ في "الفتح": «وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة فلا ينبغي العُدُول عن ذلك إذ ليس في العقل ما يُحيله حتىٰ يحتاج إلىٰ تأويل».اهـ

---

(١) نعم صحَّ أنَّ النبيَّ صلَّي الله عليه وآله وسلَّم قال لعمر: «لقد جئتكم بها بيضاء نقيَّة، ولو كان موسي حيًّا ما وسعه إلَّا أتباعي».

وعلى هذا يكون عيسى صحابيًّا لانطباق تعريف الصحابي عليه، ولذا ذكره الذهبيُّ في الصحابة فقال في "التجريد": «عيسى ابن مريم نبيٌّ وصحابيٌّ؛ فإنه رأى النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فهو آخر الصحابة موتًا».اهـ

وكذا قال الحافظ العراقي في "نكته على ابن الصلاح"، والحافظ ابن حجرٍ في "الإصابة" والحافظ السيوطي في "التدريب" وفي "الإعلام بحكم عيسى عليه السلام".

وألغز فيه التاج ابن السُّبكي بقوله:

مَن باتِّفاقِ جميعِ الخَلْقِ أفضلُ مِنْ ... خير الصِّحَابِ أبي بكرٍ ومِن عُمَر
ومِن عليٍّ ومِن عثمانَ وهو فتًى ... مِن أُمَّة المصطفى المُختارِ مِن مُضَر

قال العلامة أبو عبدالله محمد الطالب ابن الحاج في "حاشية على شرح المرشد المعين": وجوابه:

ذاك ابنُ مريمَ رُوح الله حيثُ رأى ... نبيَّنا المصطفى في أحسنِ الصُّورِ
فوقَ السمواتِ ليلًا عندما اجْتَمَعا ... كذاك عند ظِرابِ البيتِ والحجر

وقد ألَّف العلامة الفاضل الشيخ محمد بشير السهسواني رسالة جيِّدة سماها "الحق الصريح في إثبات حياة المسيح" ردَّ بها على الغلام القادياني، كما ألَّف من قبل أبو المنذر بن هشام بن محمد بن السائب الكلبي العلامة النسَّابة المتوفَّى سنة (٢٠٤ هـ) كتاب "رفع عيسى عليه السلام".

فصل

فتوى في نزول عيسى عليه السلام

كتب قادياني اسمه عبدالكريم خان في القيادة العامة لجيوش الشرق الأوسط خطابًا إلى مشيخة الأزهر جاء فيه: هل عيسى حيٌّ أو ميِّت في نظر القرآن الكريم والسُّنَّة المطهَّرة؟ وما حكم المسلم الذي ينكر أنه حيٌّ؟ وما حكم من لا يؤمن به إذا فرض أنه عاد إلى الدنيا مرة أخرى؟

فأحالت المشيخة السؤال على أحد أعضاء الهيئة؛ لا لفضل علم عنده بل لأنه أجرأهم على القول في دين الله بغير علم، وأجلدهم على تحمُّل صفعات البرهان التي تنهال عليه من كل حَدَب وصَوْب، فتحمَّل التبعة وأدَّى المهمَّة التي عُهد بها إليه، وأجاب بجواب يتفق وأغراض القاديانية ويتمشَّي مع أهوائهم حيث زعم -كما زعموا- أنَّ عيسى عليه السَّلام مات ودُفن وأنَّ رفعه الوارد في القرآن رفع مجازي، وأنَّ الأحاديث الواردة في نزوله آحاد لا يُعمل بها في العقائد والمغيَّبات بالإجماع وأنها -مع اضطرابها- يرويها كعب الأحبار ووهب بن منبِّه وهو من أهل الكتاب.

وختم فتواه بالشهادة على الله -كأنه نبيٌّ يوحى إليه- أنَّ مَن أنكر نزول عيسى فهو مؤمن لا شية في إيمانه عند الله! فتقبلها القاديانية بقبول حسن ونشروها في مجلتهم "البشرى" شاكرين ومُطْرين صاحبها، وحق لهم ذلك، فقد وجدوا فيه بُغيتهم ورأوا من فتواه أكثر مما كانوا يشتهون.

رأوا جرأة في دفع الحقِّ وتدعيم الباطل تقطعت دون الوصول إليها أعناق

مطاياهم، وهل أجرأ ممن يَرُدُّ الحديث المتواتر بأسباب مختلفة لا وجود لها إلا في مخيِّلته؟!

لمس العلماء أهل الحق خطر تلك الفتوى الخاطئة ورأوا من كثب جناية صاحبها على العلم والدين فقاموا يردون فريته ويدحضون نحلته امتثالًا لأوامر الدين وتحقيقًا لقول الصادق الأمين: «**لا تزال طائفةٌ مِن أُمَّتي ظاهرين على الحقِّ لا يَضرُّهم مَن خالفهم حتى يأتي أمر الله**». وفي رواية «**حتى ينزل عيسى ابن مريم**».

وكنت ممن تشرَّف بالانتظام في عقد هؤلاء المجاهدين الأبرار فكتبت في "مجلة الإسلام" ثلاث مقالات تحوَّلت بعد إلى كتاب مستقل سمَّيته: "إقامة البرهان على نزول عيسى في آخر الزمان"، أُعجب به كل من رآه والحمد لله.

ولما رأى صاحب الفتوى ضربات الحقِّ تتوالى وتنهال عليه، ووجد وَقْعها شديدًا ليس في طاقته تحمله، قام يحاول الدفاع عن نفسه، لكنه دفاع المنهزم المندحِر، يحمل في أثنائه الاعتراف بضعف الحيلة وخسران القضية مع الاستمرار في العناد جريًا على المثل المعروف «معزة ولو طارت».

كتب ثلاث مقالات أو أربعًا كشف فيها شريكه في جريمته وبيَّن صِنوه في نِحْلته ليتقهقر -بعض منا- فَرَقًا مِن سَطْوته، لكن أحدًا منا لم يتقهقر بل ضاعفنا القوة وواصلنا الجهاد وتيقنَّا أنَّ هذا المفتي المبتدع لا يفهم العلم إلَّا على أنه صنعةٌ لأكل العيش، وأن الترقي فيه يكون بمقدار التقرب من «رئيس المصنع».

وحيث أنَّ معلِّمه -الذي أدخله عضوًا في الهيئة، ورقَّاه إلى الدرجة الفلانية، وانتخبه عضوًا في مؤتمر الأديان بلاهاي، وآواه بعد أن كان طريدًا شريدًا- أنكر رفع عيسى وحياته ونزوله؛ فلابد أن ينكر هو ذلك أيضًا لأن أكل العيش والانسجام في العمل يقتضيانه.

وأظنك بعد هذا تدرك سر اتهامه خصومه بأنهم مرتزقة باسم الدين فقديما قيل: «ما فيك يظهر على فيك»، ويقول المثل العربي: «رمتني بدائها وانسَلَّت».

ثُمَّ ماذا؟ ثُمَّ ركب الصعب والذَّلُول، وتاه في مفاوز ومجاهل عسى أن يجد طريقًا ينفذ منه أو يعثر على من ينقذه مما هو فيه، فضل وزلَّ وصاحبته الخيبة حيثما حلّ.

كذب في النقل عن بعض العلماء، وحرَّف في النقل عن بعض آخر منهم، ودلَّس في التعبير، وغشَّ نفسه وقرَّاءه، فكان مثالًا للغاشِّين الخائنين.

نقل في "مجلة الرسالة" (عدد ٥١٤- ص ١٦٦) أنَّ سفيان الثوري قال: «إنَّ الجهاد ليس مطلوبًا مِنَّا بسبب كفر الكفَّار بل بسبب محاربتهم واعتدائهم».

وسفيان لم يقل هذا، بل قال قولًا آخر نقله ابن العربي الحافظ في "الأحكام" (ج أ ص ٢٤).

ونقل في "مجلة الرسالة" (عدد ٥١٩ - ص٤٦٤) أنَّ الإمام أحمد قال: «مَن ادَّعى وجود الإجماع فهو كاذب». وكلمة «وجود» كذبٌ على الإمام أحمد لم ينطق بها ولا أراد معناها، لأنه لم يستبعد وجود الإجماع وإنما كان كلامه في قول الأكثر إذا لم يعلم فيه خلاف، انظر (ج١- ص١١) من "أعلام الموقعين" طبع الهند.

ونقل في الكلام على قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] (مجلة الرسالة عدد ٥١٦ - ص ٤٠٨) كلامًا للإمام الرازي ناقصًا مبتورًا ليفيد ما يشتهيه، مع أنَّ الرازي صرَّح في تفسير هذه الآية نفسها أنَّ عيسى حيٌّ مرفوع، وأنه سينزل كما قال أهل السُّنَّة أجمعون.

وسلك مثل هذا التدليس في نقله عن الآلوسي في تفسير هذه الآية أيضًا "مجلة الرسالة" (ص ٥١٦ عدد ٤٦٢).

وهكذا كانت طريقته في النقل عن كتب الأصول أيضًا بحيث لم يكن فيما كتب نقل سالم من تحريف أو تعديل.

أمَّا تناقضاته فحدِّث عنها ولا حرج، نقل في فتواه (ص ٥٦ عدد ٤٦٢ "الرسالة") إجماع العلماء على أنَّ حديث الآحاد لا يفيد عقيدة ولا يعتمد عليه في المغيَّبات.

فلما ألزمناه بالإجماع على نزول عيسى كتب مقالًا (عدد ٥١٩) كله تشكيك في الإجماع من حيث إمكانه ووقوعه وحُجَّتيه وطريقة نقله واستشهد بقول الإمام أحمد: «من ادعي الإجماع فهو كاذب» وزاد فيه لفظ «وجود» لتدل على المعنى المقصود، وهذا تناقض!

وتكلَّم في فتواه على أساس أنَّ نزول عيسى عقيدة (ص ٥١٦ – ٥١٧ عدد ٤٦٢) ولم يكن عنده غير ذلك، ثُمَّ رأى في كتابي "إقامة البرهان" (ص ٩٢ – ٩٣) أن نزول عيسى من الأحداث الواقعة في الدنيا قبل انقراضها وأنَّ وجوب التصديق بوقوعه لإخبار الشارع به لا يجعله من العقائد التي يطلب فيها البرهان.

فأخذ هذا وكتب يقول: «إن نزول عيسىٰ ليس من العقائد وأنَّ ذكره فيها قول من لم يفهم معنىٰ العقيدة» (ص ٤٠٦ - ٤٠٧ - عدد ٥١٦ "رسالة").

فتناقض وأقرَّ علىٰ نفسه أنه لا يفهم معنىٰ العقيدة.

وذكر أنَّ العلميات التي لم ترد بطريق قطعي أو وردت ولابسها احتمال، ليست من العقائد التي يكلِّفنا بها الدين. (ص ٤٠٦ عدد ٥١٦).

وهذا تهافتٌ ظاهر؛ لأنه لا معنىٰ لكون الشيء عقيدة عند الشرعيين إلَّا أنَّ الدين كلَّف به، وحيث أقرَّ علىٰ نفسه بعدم فهم معني العقيدة فلا يمتنع أن يريد بها ما هو متعارف بين عوام الناس من قولهم: عقيدة الحزب الوطني كذا، وعقيدة الوفد كذا يريدون المبدأ السياسي الذي يمشي عليه الحزب.

ومن تهافته الدال علىٰ تلاعبه أنه -مع نفيه أن يكون نزول عيسىٰ من العقائد التي يكلِّفنا بها الدين- ينفي وقوعه أيضًا لأنه ليس في القرآن والسُّنَّة ما يفيد ذلك يقينًا من غير احتمال.

وهذا تلاعب لأن اليقين إنما يطلب في العقائد التي يكلِّفنا بها الدين - علىٰ حد فهمه وتعبيره- أمَّا العقائد التي لا يكلِّفنا بها الدين كنزول عيسىٰ والدَّجَّال -عنده- فيكفي فيها ما يحصل الظن، واشتراط اليقين تعنُّت وتلاعب وهرب من الاعتراف بالحقِّ، هذا إن ماشيناه علىٰ قدر عقله وفهمه.

وأمَّا إن ذهبنا علىٰ ما قرَّره العلماء -وهو مركوز في فِطَر عوام المسلمين- فكل ما ورد عن الرسول عليه الصَّلاة والسَّلام فهو واجب التصديق واجب الاتباع خبرًا كان أو إنشاء، عقيدة كان أو غير عقيدة، لقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا يَنطِقُ

عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣ - ٤] وقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧]

وللآيات الكثيرة الآمرة بطاعة الرسول إطلاقًا من غير تقييد، ولأن خبر الرسول صِدق فيجب التصديق به.

نعم، تختلف الأحاديث الواردة من حيث نقلها بالتواتر وغيره، ومن حيث متونها بالنصِّ وغيره، فيختلف حكم منكر ما جاءت به تبعًا لذلك، فيكفر منكر ما تواتر، ويفسق منكر غيره.

وبهذا البيان الوجيز تدرك أنَّ هذا المفتي انحطَّ فهمه وإدراكه عن درجة العوام، ولا عجب في ذلك فقد كشفت لنا فتواه وردوده على أنه في مستوى العامة -إن لم ينحط عنهم في بعض الأحيان بنقص في الإدراك كما هنا- لم يزد عليهم بفضل اطلاع وسعة معلومات.

ومن عجيب تلاعباته أنه ينكر حديث النزول المخرَّج في الكتب الستة التي نُقِلت إلينا نقل استفاضةٍ بل تواترٍ في بعضها، وهي مَفْزع العلماء من جميع الطبقات بحيث لا يخلو من العزو إليها كتاب من كتبهم في مختلف المواضع، بل "صحيح البخاري" بلغ في الشهرة إلى حدٍّ أن العوام يحلفون به.

ثُمَّ نجده يعتمد في إنكاره المذكور وغيره على كتب لم تُنقَل نَقْل الكتب الستة ولا اشتهر مؤلفوها بالعلم والثقة اشتهار الأئمة الستة! بل لو رجع هذا المفتي الخاطئ إلى نفسه لوجدها أعرف بالبخاريِّ ومسلمٍ وأبي داود منها بالغزالي والعضد والسَّعد، ولو أراد الوقوف على تاريخ ولادة الترمذيِّ

والنَّسائيِّ ووفاتهما لكان أيسر عليه من معرفة ولادة البزدوي والبهاري ووفاتهما.

ولا شك أنَّ الاطمئنان إلى قول العالم أو نقله مبني على معرفة علمه وعدالته واشتهار مؤلَّفاته عنه اشتهارًا يفيد صحَّة نسبتها إليه ويمنع تطرق احتمال عبث يلحقها بزيادة أو نقص أو تصحيف.

والكتب الستة بلغت من العناية في نقلها مبلغًا لم يحظ به كثير من كتب المتقدِّمين فضلًا عن المتأخِّرين، فتجد رواتها ينصُّون على اختلاف النسخ بزيادة لفظ باب مثلًا في رواية فلان، ونقصه في غيره كما يعلم بالوقوف على شرح ابن حجرٍ الحافظ، والقسطلاني للـ"بخاري"، وشرح عياض لـ"مسلم"، وغيره من الشروح.

ومن تضليلات هذا المفتي وجهالاته أنه حاول أن يردَّ ما نقلناه عن أحمد بن حنبل، وداود بن على الظاهري إمام الظاهرية، والحارث بن أسد المحاسبي شيخ الصوفية، والحسين بن علي الكرابيسي، وابن حزم، من أن خبر الواحد يفيد العلم اليقيني.

ونقله ابن خويزمنداد عن مالك بن أنس واختاره، وأطال في تقريره وتأييده في كتاب له في أصول الفقه، وحكاه ابن الصباغ عن قوم من أهل الحديث.

فلم يرده بطرق الردِّ العلمية، بل عمد إلى نقل عبارة للغزالي لا تفيده شيئًا وبنى عليها صحَّة ما زعمه أولًا من انعقاد الإجماع على أنَّ حديث الآحاد لا

يفيد عقيدة، فكان عمله هذا جهلًا؛ لأنه لم يقف على كلام من قالوا: خبر الواحد يفيد العلم حتى يدرك منافاته لكلام الغزالي.

وتضليلًا؛ لأنه خدع قرَّاءه وأوهمهم أنه أثبت مدَّعاه، وهو لم يفعل شيئًا.

ونحن ننقل عبارة الغزالي ونبيِّن ما فيها: جاء في "المستصفى" (ج١ - ص ١٤٥) المطبعة الأميرية ما نصُّه: «خبر الواحد لا يفيد العلم وهو معلوم بالضرورة، فإنا لا نصدِّق بكل ما نسمع ولو صدَّقنا وقدرنا تعارض خبرين فكيف نصدق بالضدين؟ وما حكي عن المحدِّثين مِن أنَّ ذلك يوجب العلم فلعلهم أرادوا أنه يفيد العلم بوجوب العمل إذ يسمَّى الظنُّ علمًا ولهذا قال بعضهم: يورث العلم الظاهر والعلم ليس له ظاهر وباطن وإنما هو الظن».اهـ

والذي قال: «إنه يوجب العلم الظاهر»، أبو بكر القفَّال وهو فقيه شافعي ليس من أهل الحديث، والغزالي -على ما يظهر من كلامه- لم يقف على كلام المحدِّثين وإنما ترجى أن يكون مرادهم ما أبداه من التأويل، لكن ترجيه لم يتحقَّق، فقد صرَّحوا بمرادهم تصريحًا لا يحتمل تأويلًا.

قال ابن حزم في "النبذ" (ص ٢١) بعد تمهيد: «فإذا جاء خبر الراوي الثقة عن مثله مسنَدًا إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فهو مقطوعٌ على أنه حقٌّ عند الله عزَّ وجلَّ، موجبٌ صحَّة الحكم به إذا كان جميع رواته متفقًا على عدالتهم، أو ممن ثبت عدالتهم وإن اعترض معترض في بعضهم ممن لم يصح اعتراضه أو اعترض بما لا يصح الاعتراض به».اهـ

ثم ذكر برهان قوله وقال في "الأحكام" (ج ١ ص ١٢٤) بعد تمهيد أيضًا:

«وإذا صح هذا، فقد ثبت يقينًا أنَّ خبر الواحد العدل عن مثله مبلِّغًا إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حقٌّ مقطوعٌ به موجِب للعلم والعمل معًا».اهـ

ثم نقل هذا القول عن الإمام أحمد، وداود الظاهري، والحارث المحاسبي، والحسين الكرابيسي، واستدل له بما يراجع هناك.

وقال العلامة عبدالعزيز البخاري في "شرح أصول البزدوي": «ذهب أكثر أصحاب الحديث إلى أنَّ الأخبار التي حكم أهل الصنعة بصحَّتها توجب علم اليقين بالضرورة، وهو مذهب أحمد بن حنبل».اهـ

فهذه عبارات صريحة تنافي ما قاله الغزالي كما هو ظاهر، وقد صرَّح بنحو ما قلناه الإمام ابن الهمام حيث قال في "التحرير": «المختار أنَّ خبر الواحد قد يفيد العلم بقرائن غير اللازمة لما تقدَّم، ولو كان غير عدل لا مجردًا، وقيل إن كان عدلا جاز مع التجرد، وعن أحمد: يطرد، وأول بعلم وجوب العمل لكن تصريح ابن الصلاح في مرويهما بأنه مقطوع بصحته ينفيه».اهـ

ثم ما اختاره من أنَّ خبر الواحد المحتف بالقرائن يفيد علم اليقين اختاره أيضًا إمام الحرمين، والغزالي، والإمام الرازي، والآمدي، وابن الحاجب، وابن السبكي، والبيضاوي، والعَضُد، والسيِّد الجرجاني، والحافظ ابن حجرٍ، وغيرهم من المحقِّقين، وهو الصحيح، ودلائله مبسوطة في مواضعها.

ولم يأت من خالف في ذلك بما يصلح للتمسك والاستدلال، بل تعد المخالفة من باب المكابرة إذ لا يتشكك من له أدنى ممارسة بالعلم وأخبار الرجال كما قال الحافظ أنَّ مالكًا أو الشافعيَّ أو البخاريَّ مثلا لو أخبر بشيء

أنه صادق فيه، ولا يخطر بذهن السامع غير ذلك، وهذا مشاهد ملموس ولذا قال يحيي بن بكير لأبي زرعة الرازي -فيما رواه الخطيب في الكفاية-: «يا أبا زرعة ليس ذا زعزعة عن زوبعة، إنما ترفع الستر فتنظر إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم والصحابة: حديث مالك، عن نافع، عن ابن عمر».اهـ

ومن هذا القبيل حديث الصحيحين فقد احتفَّت به قرائن كما قال الحافظ، منها: إمامة الشيخين في هذا الشأن وتقدمهما في تمييز الصحيح على غيرهما، وتلقي العلماء لكتابيهما بالقبول، قال الحافظ: «وهذا التلقي وحده أقوى في إفادة العلم من مجرَّد كثرة الطرق القاصرة عن التواتر»، قال: «إلَّا أنَّ هذا مختصٌّ بما لم ينتقده أحد من الحفَّاظ، وبما لم يقع التجاذب بين مدلوليه حيث لا ترجيح، لاستحالة أن يفيد المتناقضان العلم بصدقهما من غير ترجيح لأحدهما»، قال: «وما عدا ذلك فالإجماع حاصل على تسليم صحته».اهـ

وممن قال بإفادة خبر الصحيحين العلم: أبو إسحاق وأبو حامد الأسفراييني، وأبو الطيب الطبري وأبو إسحاق الشيرازي الشافعيون، والقاضي عبدالوهاب المالكي، والسرخسي الحنفي، وأبو يعلى وأبو الخطاب وابن الزاغوني الحنبليون، وابن فورك من المتكلِّمين، ومحمد بن طاهر المقدم وأبو نصر عبدالرحيم بن عبدالخالق بن يوسف وابن تيمية وابن القيم من الحُفَّاظ.

وهو رأي ابن الصلاح أيضًا قال في "علوم الحديث" بعد أن ذكر أقسام الحديث الصحيح: «وأعلاها الأول، وهو الذي يقول فيه أهل الحديث كثيرًا:

«صحيح متفق عليه» يعنون به اتفاق البخاريِّ ومسلمٍ لا اتفاق الأمة، لكنه لازم من ذلك وحاصل معه؛ لاتفاق الأمة على تلقِّي ما اتفق عليه بالقبول، وهذا القسم جميعه مقطوع بصحته، والعلم اليقيني النظري واقع به، خلافًا لقول من نفى ذلك محتجًّا بأنه لا يفيد في أصله إلَّا الظن، وإنما تلقَّته الأمة بالقبول لأنه يجب عليهم العمل بالظن، والظن قد يخطئ وقد كنت أميل إلى هذا وأحسبه قويًّا، ثم بان لي أنَّ المذهب الذي اخترناه أولًا هو الصحيح؛ لأن ظن من هو معصوم من الخطأ لا يخطئ، والأمة في إجماعها معصومة من الخطأ، ولهذا كان الإجماع المبني على الاجتهاد حُجَّة مقطوع بها، وأكثر إجماعات العلماء كذلك، وهذه نكتة نافعة ومن فوائدها القول بأن ما انفرد به أحد الشيخين مندرج فيما يقطع بصحَّته لتلقِّي الأمة كل واحد من كتابيهما بالقبول سوى أحرف يسيرة تكلَّم عليها بعض أهل النقد من الحفَّاظ كالدارقطني وغيره وهي معروفة عند أهل هذا الشأن».اهـ

ووافقه ابن كثير، وابن حجرٍ، والسيوطي، وغيرهم.

واعتراض النوويِّ وابن عبدالسَّلام عليه بَحَث فيه البلقيني في " محاسن الاصطلاح" وبيَّن أنَّ ما قاله ابن الصلاح سبقه إليه جماعةٌ من العلماء ونقله بعض الحفَّاظ المتأخِّرين مذهبًا لأكثر أهل الكلام من الأشعرية، ولأهل الحديث والسلف عامة... إلخ كلامه.

وكذا بحث في كلام النوويِّ الحافظ ابن حجرٍ في "نكته على ابن الصلاح" وغيرها مما يستخلص من مجموعه أنَّ ما اختاره ابن الصلاح صحيحٌ لا غبار عليه.

كما يستخلص مما ذكرناه في هذا البحث كله أنَّ ما ادَّعاه ذلك المفتي مِن أنَّ حديث الآحاد لا يفيد عقيدة بالإجماع كذبٌ محضٌ[١]، وأن ما تشبَّث به مِن كلام الغزاليِّ لا متمسَّك له فيه.

والعجب ممن لا يعرف معنى العقيدة كيف ساغ له أن يتكلَّم على ما يفيد عقيدة وما لا يفيدها؟!

أمَّا دعواه بالإجماع على أنَّ حديث الآحاد يعتمد عليه في المغيَّبات فأوضح كذبًا وأظهر بطلانًا من سابقتها، وإذا استثنينا طائفة من الفقهاء قالوا بذلك في الوعيد خاصَّة، فإنه لا يوجد في الدنيا عالم رأى هذا الرأيَ فضلًا عن أن يكون إجماعًا، بل قرَّر العلماء أنَّ الاعتماد في المغيَّبات على الكتاب والسُّنَّة مما صحَّ نقله أو حسن كما في كتاب غير واحد منهم كـ"الأسماء والصفات" للبيهقي، و"الشفا" للقاضي عياض، و"البداية والنهاية" للحافظ ابن كثير، وكذا "تفسيره"، و"الإعلان بالتوبيخ لمن ذمَّ التوريخ" للحافظ السخاوي، وكذا كتابه الذي ردَّ به على البرهان البقاعي وسمَّاه " الأصل الأصيل في تحريم النقل من التوراة والإنجيل"، وغيرها.

ثُمَّ ذكر ذلك المفتي الخاطئ: «أنَّ الأدلة النقلية لا تفيد اليقين، ولا تحصل الإيمان المطلوب، ولا تثبت بها وحدها عقيدة عند كثير من العلماء، والذين ذهبوا إلى أنها تفيد اليقين وتثبت العقيدة شرطوا في الدليل النقلي أن يكون

---

(١) ذكر العلامة الأُبِّي في مواضع من "شرح مسلم": «أن العلميات التي لا ترجع إلى الذات والصفات يصح التمسك فيها بالآحاد». انظر (ص ١٠٣ ج١، وص ١٨٨ ج٦).

قَطْعِيَّ الورود قَطْعِيَّ الدلالة».اهـ

وهو يقصد بهذا الكلام المموَّه تمهيد الطريق لوضع قاعدته الجديدة وهي عدم العمل بالقرآن العظيم في الاعتقاديات، بعد أن مهَّد لترك السُّنَّة بمقاله الخاطئ "شخصيات الرسول" حيث قسَّم فيه السنة إلى أقسام ليس للوحي دخل في معظمها، وجوَّز مخالفة الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فيها تبعًا للمصلحة، وبذلك سقط الكتاب والسُّنَّة عن درجة الاحتجاج في كثير من مسائل الدين عند هذا المفتي المبتدع.

وقوله: «ولا بد أن يعمَّ العلم بالعقائد جميع الناس ولا يختص بطائفة دون أخرى، ومن مقتضيات هذا العلم أن لا يقع خلاف بين العلماء في ثبوتها أو نفيها، والعلميات المختلف فيها ليست من العقائد».اهـ

تمهيد آخر لإنكاره جمهرة كبيرة من عقائد أهل السُّنَّة من عصر الصحابة وهلمَّ، وفيه -مع هذا- تجهيل لهم حيث أدرجوا في العقائد ما ليس منها، فإذا ضمَّ هذا التمهيد إلى ذاك نشأ عنهما جميع السمعيَّات وجانب من الإلهيَّات كوجوب اتصاف الله تعالى بأنه سميعٌ بصيرٌ متكلِّمٌ، وغير ذلك مما يتوقَّف على الدليل النقلي، فبناء على ما سبق لا يكون إنكار البعث الجسماني والجنَّة والنَّار كفرًا وخروجًا عن الدين؛ لأن هذه الأشياء إنما تثبت بدليل نقلي، وهو لا يفيد اليقين ولا يحصل الإيمان المطلوب؛ ولأن العلم بها لم يعم جميع الناس لإنكار علماء الفلاسفة البعث وما بعده، وكذلك القول بقِدَم العالم، أو بأنَّ الله تعالى فاعل بالطبع أو العِلَّة لا يكون خروجًا عن الدين أيضًا؛ لأنه لم يعم العلم به جميع الناس على ما هو معروف من الخلاف فيه بين علماء المسلمين وعلماء

الفلاسفة، وقِسْ على هذا ما أشبهه من المفاسد والضلالات التي فتح بابها هذا المبتدع الجاهل بما استقْعده ومهَّده.

وقد سبق المعتزلة إلى القول بأنَّ الدليل النقلي لا يفيد اليقين مطلقًا، وانخدع بكلامهم طائفة من الأشعرية غير مدركين ما يلزم على هذا القول من الخطر العظيم، وتفطَّن الحشوية لذلك فقالوا: «إنَّ الدليل النقلي يفيد اليقين مطلقًا على النقيض مما ادَّعاه أولئك».

والقولان -وإن كانا باطلين- فأولهما أشد بطلانًا وأعظم على الدين ضررًا، والحق أنَّ الدليل النقليَّ يفيد اليقين بانضمام قرائن، هذا مذهب الماتريدية وهو الذي حقَّقه الإمام الرازي في "المحصول"، والآمدي في" الأبكار"، والقاضي ناصر الدين البيضاوي في "الطوالع"، والأصفهاني في "شرحها"، والتاج السُّبكي في "جمع الجوامع"، والسعد في "شرح المقاصد"، و"التلويح"، والسيد في "شرح المواقف" و"حواشي الطوالع" وغيرهم.

ودلائله مستوفاة في مظانِّها من الكتب المذكورة وغيرها، مع التوسع في إبطال دعوى التوسع المعتزلة، لكن لا بأس أن نشير إلى ذلك بشيءٍ من الإيجاز.

فالمعتزلة يقولون: «إنَّ إفادة الدليل النقلي لليقين تتوقَّف على العلم بوضع الألفاظ وبإرادة معانيها منها، والعلم بالوضع يتوقَّف على نقل العربية لغة ونحوًا وصرفًا، وهذه الثلاثة إنما تثبت بنقل الآحاد كالأصمعي والخليل وسيبويه، وهو محتمل للخطأ والكذب، وعلى تقدير صحَّة الرواية يجوز الخطأ على العرب فقد خُطِّئ امرؤ القيس في مواضع وهو من أكابر شعراء الجاهلية.

والعلم بإرادة تلك المعاني يتوقَّف على عدم نقل الألفاظ عن معانيها المخصوصة التي كانت موضوعة بإزائها زمن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى معان أخرى، وعدم الاشتراك والمجاز والإضمار والتخصيص والنسخ، وعدم هذه الأمور ظني فلا يحصل العلم بالوضع والإرادة.

ولو حصل فإفادة اليقين تتوقَّف على العلم بعدم المعارِض العقلي المحوِج إلى تأويل الدليل النقلي وعدم المعارض غير مجزوم به».

هذا كل ما أبدوه لتأييد زعمهم لكنه لم يفدهم شيئًا، أمَّا اللغة العربية فالحق -كما قال الشوكاني- إنها كلها منقولة بطريق التواتر؛ لأن المشتغلين بنقلها في كلِّ عصرٍ عددٌ يمتنع تواطؤهم على الكذب والخطأ، كما لا يخفى على من له إلمام بأحوال علماء اللغة العربية، وتوهُّم اقتصار نقلها على الأصمعي والخليل وسيبويه قصور ممن توهَّمه.

وما أورده صاحب "المحصول" من الإشكالات على نقل اللغة بالتواتر -مع كونه أجاب عنه- من قبيل التشكيك في الضروريات، وقد اختار -بعد أن أورد إشكالًا على نقل الآحاد أيضًا- أنَّ اللغة والنحو والتصريف ينقسم إلى قسمين: متواتر يفيد العلم الضروري بأن هذا اللفظ موضع هذا المعنى، وآحاد يفيد الظن.

قال: «وأكثر ألفاظ القرآن ونحوه وتصريفه من القسم الأول، والثاني فيه قليل جدًّا فلا يتمسَّك به في القطعيَّات ويتمسَّك به في الظنيَّات».اهـ

وتجويز الخطأ على العرب مبالغة في المكابرة، وهو مع هذا يستلزم وقوع

الخطأ في القرآن تبعًا لخطأ العرب في لغتهم! وفي هذا من الكفر والتهافت ما لا يخفى.

والأمور المذكورة -وتعرف بالاحتمالات العشر- لا يتأتَّى دخولها في كل دليلٍ نقليٍّ كما هو ظاهر، إذ من الأدلة ما لا يقبل التخصيص أو النسخ قطعًا لكونه خاصًّا أو خبرًا محضًا، على أنَّ القرينة إذا انضمت إلى الدليل تفيد اليقين بنفي كل احتمال.

(تنبيه): ومما يجب التنبيه عليه أنَّ التوسُّع في الاحتمالات العشر على النحو الموجود في كتب المتأخِّرين بدعةٌ قُصِد بها صرف النصوص عن معانيها المعروفة حتى لا يبقى منها نصٌّ سالم من تحريف أو تلاعب يسمَّى تأويلًا، كما نرى اليوم هذا المفتي وأمثاله من الجهلة المبتدعين يتخلَّصون من نصوص الكتاب والسُّنَّة بدعوى الاحتمالات والتأويلات، والأئمة المتقدِّمون لم يعرفوا شيئًا من هذا بل قرَّروا أنَّ الخاص وما في معناه يدل على معناه دلالة قطعية؛ لأنه الغرض من الوضع الدلالة عند الإطلاق، وإلَّا لم يكن للوضع فائدة، قالوا واحتمال المجاز ونحوه لا يؤثر في قطعية الدلالة بشيءٍ؛ لأنه ليس احتمالًا ناشئًا عن دليل فلا اعتداد به.

والمعارض العقلي لا يتصوَّر هنا؛ إذ لا طريق للعقل في المسائل الشرعية، على أنَّ الحقَّ كما قال السعد في "شرح المقاصد": «إن إفادة النقلية لليقين تتوقَّف على عدم العلم بالمعارض لا على العلم بعدمه، إذ كثيرًا ما يحصل اليقين من الدليل ولا يخطر المعارض بالبال إثباتًا أو نفيًا فضلًا عن العلم بعدمه،

فالمراد بقولهم: إنَّ إفادتها اليقين تتوقَّف على العلم بعدمه أنها تكون بحيث لو لاحظ العقل المعارض جزم بعدمه».اهـ

وفرض وجود معارض عقلي من الافتراضات الوهمية التي لا يمكن تحقُّقها أبدًا؛ لأن الأمور الشرعية البحتة لا دخل للعقل فيها بأكثر من أنها ممكنة جائزة، ولأن ما أتى في الكتاب والسُّنَّة لا يخلو من أحد وجهين، إمَّا أمور اقتضى العقل وجوبها كوحدانية الله وتنزُّهه عن جميع النقائص واتصافه بجميع الكمالات، وصِدْق الرسل وعصمتهم من الخطأ في التبليغ وما إلى ذلك، وإما أمور حكم العقل بجوازها كالسمعيَّات.

ومن المحال أن يوجد معارض عقلي لأمر دل العقل على وجوبه أو جوازه.

ويجب لهذه المناسبة أن نبيِّن انتفاء الأمور المذكورة في مسألتنا فنقول: تقدَّم في أول الكتاب تواتر نزول عيسى عليه السَّلام، وبيان الجمع الكثير الذين رووه خلفًا عن سلف وطبقة بعد طبقة، والعلم حاصل بأن لفظ عيسى ابن مريم علم على الرسول الذي بعثه الله إلى بني إسرائيل وأنزل عليه الإنجيل إلى آخر ما جاء عنه في القرآن مما يفيد القطع اليقين بأن هذا الاسم لم يدخله نقل ولا اشتراك، كالحال في أسماء الأنبياء والرسل الموجودة في القرآن العظيم، ولا يتصوَّر دخول النسخ هنا أبدًا.

قال الزركشي في "البحر": «إن كان مدلول الخبر مما لا يمكن تغيُّره، بأن لا يقع إلَّا على وجه واحد، كصفات الله تعالى، وخبر ما كان من الأنبياء والأمم، وما يكون من الساعة وآياتها كخروج الدَّجَّال، فلا يجوز نسخه

بالاتفاق كما قاله أبو إسحاق المروزي وابن برهان في "الأوسط" لأنه يفضي إلى الكذب».اهـ

والتخصيص منتفٍ يقينًا أيضًا إذ ليس في اللفظ عموم يحتمله، وأمَّا المجاز والإضمار فيبطل احتمالهما ألفاظ الحديث الكثيرة المصرِّحة بأنَّ عيسى ابن مريم ينزل من السماء بين مَلَكين، وأنه يصلِّي مؤتمًّا بإمام المسلمين، وإنه يحج ويعتمر ويزور القبر النبوي، ويقتل الدَّجَّال، ويجاهد الكفَّار، ويتولَّى الخلافة العظمى، وينزل عليه جبريل عليه السَّلام.

ولَمَّا أراد عمر رضي الله عنه أن يقتل ابن صيَّاد لظنه أنه الدَّجَّال، قال له النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إن يكن هو فلستَ صاحبه، إنما صاحبه عيسى ابن مريم**».

أفبعد هذه الصراحة يزعم أنَّ في اللفظ مجازًا؟! تالله إنَّ هذا الزعم لهو منتهى الوقاحة.

أمَّا المعارض العقلي فلا يتصوَّر هنا كما بينَّا آنفًا، كيف والعقل قاضٍ بجواز هذا الأمر جازم بإمكانه؟!

فتبيَّن أنَّ خبر نزول عيسى عليه السَّلام يقيني من جميع جهاته: يقيني الورود يقيني الدلالة يقيني الإرادة.

ومن هنا تدرك أنَّ تصريح الحافظ السيوطي بكفر منكر نزول عيسى عليه السَّلام لم يكن تساهلًا أو إسرافًا كما ظنَّ المتساهلون، ولكنه مبنيٌّ على أساس من العلم متين، وإن عُذِر الجاهل بعدم علمه، فما عذر هذا المبتدع المتعنِّت بعد

أن أقيم عليه الدليل، ووضحت له السبيل؟!

ومن يدري فلعل عذره أن قلبه المريض لم يطمئن ونفسه الخبيثة لم تُذعن، وهو إنما يستمدُّ العقيدة من قلبه وهواه.

أمَّا زعمه أنَّ العلميات المختلف فيها ليست من العقائد فزعمٌ مُستحدَث اضطره إلى استحداثه حبُّ الإصرار على إنكار نزول عيسى والدَّجَّال وسائر ما لا يوافق المزاج، ولم يسبق إلى هذا الزعم أحد من علماء الكلام وغيرهم، كيف والكتب المؤلَّفة في العقائد -من جميع الفرق- إنما وُضعت للردِّ على المخالفين؟!

ثُمَّ تكلَّم على الآيات المتعلِّقة بعيسى عليه السَّلام ونفى أن تكون نصًّا في نزوله، لكنه لم يفهم معنى النصِّ ولا فَهِم كلامنا فخبط خَبْطَ عَشْوَاء كعادته.

وقد تقرَّر في الأصول أنَّ الظاهر إذا انضمت إليه قرائن صار نصًّا، كما تقرَّر أنَّ الاحتمال الضعيف أو الباطل الذي لم يعضده دليل لا يؤثر في نصوصيَّة اللفظ. فعلى أساس هذا تكلَّمتُ على الآيات وبيَّنتُ دلالتها على نزول عيسى نصًّا، وأوردتُ كلام ابن جرير وأبي حَيَّان وابن كثير وغيرهم استئناسًا لا استدلالًا، وأبطلت قول مَن خالفهم.

فما زاد في ردِّه على أن كرَّر الاحتمال الباطل وأيده بالقول الضعيف فلم يصنع شيئًا، وطريقة الردِّ العلميِّ في هذه المسألة تكون بأحد أمرين: إمَّا بأن يبطل ما تقرَّر في الأصول ممَّا بنيت عليه كلامي، وإمَّا أن يسلِّمه ويبطل القرائن التي ذكرتها معيِّنة للمراد من الآيات، وغير هذا عبث لا يعنينا تتبُّعه.

ثُمَّ الذين استدل بكلامهم مصرِّحون بنزول عيسىٰ مؤمنون به فما الذي جعل كلامهم حُجَّةً في شيءٍ دون شيءٍ؟!

ثُمَّ تكلَّم عن السُّنَّة وثبوت العقيدة فأعاد ما ذكره من قبل: أن حديث الآحاد يفيد الظن، وأنه لا يفيد عقيدة بالإجماع، وغير ذلك مما سبق أن دلَّلنا علىٰ بطلانه. ونجده ينقل كلام الحافظ في "النخبة" بواسطة "مُسلَّم الثُّبوت" وذلك دليل علىٰ اطلاعه وتحيله في النقل!

ثم ذكر التواتر وصعَّب شروطه ما شاء، وذكر أنَّ المتأخِّرين أسرفوا في وصف الأحاديث بالتواتر، إلىٰ آخر ما قال ممَّا يعذر بجهله له.

لكن يلام أشد لوم علىٰ التهجُّم فيه لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]

ولا يعنينا مما هذر به من كلام ابن الصلاح، وهو لا يرد علينا لأمور:

أحدها: أنه غير مسلَّم فقد رده الحافظ العراقي في نكته عليه وذكر أمثلة كثيرة للمتواتر، وكذا رده الحافظ ابن حجرٍ في "شرح النخبة" وقال: «إنه نشأ عن قِلَّة الاطلاع علىٰ الطرق ومعرفة أحوال الرجال وصفاتهم المقتضية لإبعاد العادة أن يتواطئوا علىٰ الكذب أو يحصل منهم اتفاقا». قال: «ومن أحسن ما يقرَّر به كون المتواتر موجودًا وجود كثرة في الأحاديث: أنَّ الكتب المشهورة المتداولة بأيدي أهل العلم شرقًا وغربًا، المقطوع عندهم بصحَّة نسبتها إلىٰ مؤلِّفيها، إذا اجتمعت علىٰ إخراج حديث وتعدَّدت طرقه تعدُّدًا تُحِيل العادة تواطؤهم علىٰ الكذب أفاد العلم اليقيني بصحَّته إلىٰ قائله، ومثل ذلك في

الكتب المشهورة كثير».اهـ

وقال الحافظ السيوطي في مبحث المتواتر من "ألفيته":

وبَعضُهُم قد ادَّعى فيه العَدَمْ وبَعضُهُم عِزَّتَهُ وهْوَ وَهَمْ
بل الصَّواب أنَّهُ كَثِيرُ وفيه لي مُؤلَّفٌ نَضِيرُ

والمؤلَّف الذي أشار إليه اسمه "الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة" ذكر فيه عشرة أحاديث ومائة حديث.

وألَّف العلامة النسَّابة ختام المحدِّثين بمصر السيِّد محمَّد مرتضى الزَّبيدي رسالة سمَّاها "لقط اللآلي المتناثرة" ذكر فيها سبعين حديثًا لخَّصها من "الأزهار".

وألَّف العلامة المحدِّث السيِّد محمَّد بن جعفر الكتاني كتاب "نظم المتناثر من الحديث المتواتر" ذكر فيه نحو ثلاثمائة حديث.

ولشقيقنا العلامة المحدِّث السيِّد أحمد كتاب "الإلمام بما تواتر من حديثه عليه السَّلام"، وهو أوسع كتاب في هذا الباب رتبه على أربعة أقسام، قسم منها للكلام على الأحاديث التي ادَّعى بعض الناس أنها متواترة مع أنها لم تستكمل شروط التواتر.

والمقصود أنَّ دعوى قلة التواتر أو عدمه غير مسلَّمة.

ثانيها: ولو سلَّمنا أنَّ كلام ابن الصلاح صحيح فهو إنما أراد به التواتر اللفظي بدليل تمثيله بحديث «**من كذب عليَّ**» ولأنه المفهوم عند الإطلاق، ولم يُرِد بكلامه المتواتر المعنوي، وحديث نزول عيسى منه اللفظي.

ثالثها: ولو سلَّمنا أنه أراد اللفظي والمعنوي معًا فهو إنما ادَّعىٰ القِلَّة، فليكن حديث نزول عيسىٰ عليه السَّلام من القليل الذي أقرَّ بوجوده، إلَّا أن يثبت عنه أنه نفىٰ تواتر هذا الحديث بخصوصه، ودون ثبوت هذا عنه خَرْطُ القَتَاد.

ولو سلَّمنا ذلك فيكون كلام الحفَّاظ الذين اثبتوا تواتره مقدَّمًا علىٰ نفيه وجوبًا لأمرين:

فالأول: أن المثْبِت مقدَّم علىٰ النافي كما تقرَّر في علم الأصول، لأن المثبت معه زيادة عِلْم، ولهذا يقول ابن تيمية: «إنَّ أكثر الجهل إنما يقع في النفي لا في الإثبات؛ لأن إحاطة الإنسان بما يثبته أيسر من إحاطته بما ينفيه». انظر "اقتضاء الصراط المستقيم".

والثاني: أنَّ الواحد أقرب إلىٰ الخطأ والغلط من الجمع؛ لأن في تضافر الآراء وتوافق الأقوال من القوة ما ليس في الرأىٰ الواحد المنفرد.

هذا أمر واضح لا يحتاج إلىٰ استدلال، ولهذا مع ما ورد من قوله عليه الصَّلاة والسَّلام: «**إنَّ الله لا يَجمَعُ أُمَّتي على ضَلَالةٍ**». وفي حديث آخر: «**يَدُ الله على الجماعةِ فاتَّبِعُوا السَّوادَ الأَعْظَمَ، فإنَّه مَن شَذَّ شَذَّ في النَّارِ**». عدَّ اتفاق مجتهدي الأمة في أي عصرٍ حُجَّةً شرعيَّة يجب اتباعها ولا تجوز مخالفتها كما بين في محله، وستأتي الإشارة إلىٰ شيء منه بحول الله.

أمَّا دعوىٰ ذلك المبتدِع أنَّ المتأخِّرين أسرفوا في وصف الأحاديث بالتواتر فيسأل عنها، ماذا يريد بالمتأخِّرين؟

إن أراد المتأخِّرين من غير أهل الحديث فلا عبرة بكلامهم، وإن أراد

المحدِّثين فهو كذبٌ لا يحتاج إلىٰ بيان؛ فأهل الحديث أشد الناس احتياطًا في الأحاديث كما هو معلوم.

قال ابن دقيق العيد في "الاقتراح": «إنهم زادوا في حدِّ الصحيح شرط السلامة من الشُّذُوذ والعِلَّة وفيه نظر علىٰ مقتضىٰ نظر الفقهاء، فإنَّ كثيرًا من العلل التي يعلل بها المحدِّثون لا تجري علىٰ أصول الفقهاء».اهـ

فهم كما ترىٰ أكثر تحرِّيًا، وما أجدرهم بذلك لأنهم يتحمَّلون مسئولية الرواية عن صاحب الشرع وهو أمرٌ خطيرٌ جدًّا، ولو ذهبنا نعدُّ الأحاديث التي صرَّحوا بضعفها أو بحسنها فقط مع تعدُّد طرقها ورواتها بحيث تبلغ العشرين وتزيد لطال الحال واقرأ طرق أحاديث: «**مَن حَفِظ على أُمَّتي أربعين حديثًا**»، «**طَلَبُ العِلْمِ فَرِيضَةٌ على كلِّ مُسْلِمٍ**»، وتخليل اللحية في الوضوء، ثُمَّ انظر ماذا قال عنها أهل الحديث؟

علىٰ أنَّ الذين صرَّحوا بتواتر حديث نزول عيسىٰ عليه السَّلام متقدِّمو أئمَّة الحديث كابن جرير والآبري، كما صرَّح بالتواتر أيضًا مِن المتأخِّرين مَن يعز وجود مثله بين كثير من المتقدِّمين في سعة الاطلاع وشِدَّة البحث والتحرِّي وهو الحافظ ابن حجرٍ الذي يقول في "التلخيص الحبير" متعقِّبًا قول أبي إسماعيل الهروي أنه كتب حديث: «**إنما الأعمال بالنيات**» عن سبعمائة نفر من أصحاب يحيي بن سعيد ما نصُّه: «تتبَّعته -يعني الحديث- من الكتب والأجزاء حتىٰ مررت علىٰ أكثر من ثلاثة آلاف جزء فما استطعت أن أكمل له سبعين طريقًا».اهـ

وذكر في "الفتح": أنه ما من حديث ذكر المتقدِّمون له طرقًا إلَّا زاد عليها

طريقًا أو أكثر إلَّا هذا الحديث يعني حديث «الأعمال بالنيات».

فمثل هذا الحافظ إذا حكم بصحَّة حديث أو تواتره لم يكن مسرفًا بل المسرف من يصفه بذلك.

ثُمَّ ذكر المبتدِع: «أنَّ القائمين بالترغيب والترهيب ونقل الملاحم والفتن وغرائب الأخبار لهم أثر عظيم في خلع أوصاف الشهرة والتواتر على أنواع خاصَّة من الأحاديث التي ليست بمشهورة ولا متواترة، بل ربما كانت غير صحيحة».اهـ

وهذا كذب يتبيَّن بوجوه:

الأول: أنَّ علماء الحديث قرَّروا جواز التساهل في الأسانيد ورواية ما سوى الموضوع في باب المواعظ والقصص وما إليها، كما نقل المبتدع نفسه، فلم يكن للقائمين بالترغيب والترهيب حاجة والحالة هذه إلى وصف الأحاديث بالشهرة أو التواتر؛ لأن لهم في الضعيف -بل الحسن والصحيح- مجالًا واسعًا.

الثاني: أنَّ القائمين بالترغيب والترهيب غرضهم ترقيق قلوب العامَّة وذلك لا يتوقَّف على صحَّة الحديث فضلًا عن شهرته أو تواتره؛ لأن العامَّة لا تعرف ألقاب الحديث الاصطلاحية، ولا تهمها معرفتها.

الثالث: أنَّ أغلب القائمين بالترغيب والترهيب جاهلون بعلوم الحديث وقواعده، والعالِم منهم لا يعتني بذلك في مجالس وعظه وترغيبه لما مرَّ آنفًا.

وهذا أبو الفرج ابن الجوزي حافظ بغداد وواعظها الفَذُّ تجده لا يعني في كتبه الوعظية بتصحيح حديث أو تحسينه بل يكتفي بقوله: روي كذا أو ورد في الأثر أو جاء في الخبر، ونحو ذلك على حين تجده في كتبه العلمية كـ"الموضوعات"

يسند الحديث ويحقِّق الكلام عليه ويوفِّيه حقَّه من البحث حتىٰ ليخيَّل إليك أنَّ المتكلِّم شخصان.

والحاصل أنَّ أحدًا من القائمين بالترغيب لم ينص علىٰ صحَّة حديث فضلًا عن استفاضته أو تواتره، ولو سُلِّم أنَّ أحدًا منهم نصَّ علىٰ ذلك فالحفَّاظ لا يقلِّدونه في قوله، كيف وهم يحذِّرون من أكاذيب القُصَّاص والوعَّاظ كما يعلم من كتاب "تلبيس إبليس" لابن الجوزي، و"الباعث علىٰ الخلاص من أكاذيب القُصَّاص" للحافظ العراقي، و"تحذير الخواص من أكاذيب القُصَّاص" للحافظ السيوطي، حتىٰ أنَّ مما يثير الدهش عندهم أن يكون القاصُّ يتقن حفظ الحديث.

فقد ثبت عن حمَّاد بن سلمة أنه قال: كنت أسمع أنَّ القُصَّاص لا يحفظون الحديث فكنت أقلب علىٰ ثابت الأحاديث أجعل أنسًا لابن أبي ليلي، وأجعل ابن أبي ليلي لأنس أشوشها عليه فيجيء بها علىٰ الاستواء.

ولو سُلِّم أنَّ أحدًا من الحفَّاظ قلَّد واعظًا في تصحيح حديث -إن صحَّحه- فحديث نزول عيسىٰ عليه السَّلام خاصَّة لم ينص علىٰ تواتره واعظ ولا قلَّده فيه حافظ، فظهر أنَّ ما زعمه المبتدِع من أسباب وصف الأحاديث بالتواتر فِرْية ما فيها مِرْية.

والعجيب منه أنه ذيَّل كلامه السابق بحاشية صغيرة قال فيها ما نصُّه: «وقد روي عن الإمام أحمد أنه قال أربعة أحاديث تدور بين الناس في الأسواق ولا أصل لها... إلخ».اهـ

ولم يذكر بقية الكلام ونحن نذكرها وهي: «**مَن بَشَّرني بخروج آذار بشَّرته**

بالجنَّة»، «ومَن آذى ذِمِّيًّا فأنا خَصْمُهُ يوم القيامةِ»، و«يومَ نَحْرِكم يوم صوْمِكم»، و«للسَّائلِ حَقٌّ وإن جاء على فَرَسٍ».

هذا تتمَّة ما روىٰ الإمام أحمد، ولا علاقة له بموضوعنا كما هو ظاهر، فلا أدري لم ذكره المبتدع![1].

ثُمَّ إنَّ هذا كلامٌ لا يصح عن الإمام أحمد كما قال الحافظ العراقي؛ لأن حديث: «للسائل حَقٌّ وإن جاء على فرس». رواه الإمام أحمد نفسه في "مسنده" عن الحسين بن عليٍّ رضي الله عنهما مرفوعًا بإسناد جيد، وله طرق عن علي وابن عبَّاسٍ والهرماس بن زياد.

وحديث: «من آذى ذِمِّيًا...» رواه الخطيب في "التاريخ" عن ابن مسعود وقال: «منكر والحمل فيه عندي علىٰ العباس بن أحمد المذكور لأنه غير ثقة، لكن روىٰ أبو داود والبيهقي، عن صفوان، عن مسلم، عن ثلاثين من أبناء أصحاب رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن آبائهم دنية عن رسول الله

---

(١) يظهر لي أنه أراد قول الميموني: سمعت أحمد بن حنبلٍ يقول: «ثلاثة كتب ليس لها أصل المغازي والملاحم والتفاسير».

هذا ما قصده المبتدِع ولكن العبارة تصحَّفت عليه، مع ذلك فليست هذه الكلمة علىٰ إطلاقها، قال الخطيب الحافظ: «هذا محمول علىٰ كتب مخصوصة في هذه المعاني الثلاثة غير معتمد عليها لعدم عدالة ناقليها وزيادات القُصَّاص فيها».اهـ

وانظر بقية كلامه في كتاب "الجامع"، ونزول عيسىٰ ليس مرادًا هنا جزمًا لأنه متواتر ومخرَّجا في الصِّحاح، ومذكور في جملة عقائد السَّلَف كما سبق في كلام الإمام أحمد نفسه وأبي الحسن الأشعري وغيرهما.

صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال:

«ألَا مَن ظَلَم مُعَاهِدًا أو انتقصه أو كلَّفَه فوق طاقته أو أخذ منه شيئًا بغير طِّيبِ نَفْسٍ فأنا حَجِيجُهُ يوم القيامةِ». سكت عليه أبو داود.

أمَّا حديث: **«مَن بشَّرني بخروج آذار...»** فلا أصل له، نبَّه عليه ابن الجوزي في "الموضوعات".

وكذلك حديث: **«يوم صومكم يوم نحركم»**، قال محمد بن عبدالله بن عبدالحكم إمام المالكية في وقته: «هو من حديث الكذَّابين».

ثُمَّ قال المبتدِع: «بقي بعد هذا أمر لا بد من تقريره وهو أنَّ تلك الأحاديث كيفما كانت ليست من قبيل المحكم الذي لا يحتمل التأويل حتى تكون قطعية، فقد تناولتها أفهام العلماء قديمًا وحديثًا ولم يجدوا مانعًا من تأويلها».اهـ

وأقول هذا آخر سهمٍ في جَعْبَته وهو أشد ضربة وجَّهها الباطنية والملاحِدة إلى الإسلام للقضاء عليه لكن لن ينالوا مرادهم منه -بحول الله- ما دام للإسلام عِرْقٌ يَنْبض وحُماةٌ يذبُّون عنه، يدفعون عنه غائلة العاقِّين له والخارجين عليه.

وأكثر الناس استعمالًا لسلاح التأويل طائفتا البهائية والقاديانية، ثُمَّ شِرْذَمةٌ من دعاة الإصلاح مثل الشيخ محمَّد عبده وتلميذه الشيخ رشيد، ثُمَّ يأتي المبتدِع في مؤخِّرة القطار يردِّد الصَّدَى ويُعيد النغمة، ويوقظ الفتنة بعد نومها.!

أمَّا البهائية فهي وَلِيدةٌ من ولائد الباطنية تغذَّت من ديانات وآراء فلسفية ونزعات سياسيَّة ثُمَّ اخترع لها مؤسِّسوها صورًا من الباطل وصاروا يزعمون

أنها وحيٌ سماويٌّ.

ودعوى الباطنية تقوم على إبطال الشريعة الإسلامية بتأويل نصوصها وأحكامها، وصرفها عن معانيها المعروفة في اللغة والشرع إلى معانٍ فاسدة يدَّعون أنها المقصودة، وقد بيَّن السيِّد في "شرح المواقف" أصل نشأة هذه الدعوة.

وسببها أنَّ طائفةً من المجوس هم الذين أنشأوها، ولأبي بكر ابن العربي مع بعض زعماء الباطنية مناظرات ذكرها في كتاب "العواصم من القواصم".

كما أنَّ أبا العباس ابن تيمية ردَّ عليهم في كثير من مؤلَّفاته منها رسالة خاصَّة سمَّاها "بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد من القائلين بالحلول والاتحاد".

ومن رأى كتب البهائية أو البابية وقرأ ما تسلكه من تحريف النصوص وجدها كما قلنا وليدة الباطنية ودسيسة متفرِّعة عنها.

وفي كتاب "الدرر البهية" لأحد دعاتهم أبي الفضل الجرفادقاني من هذا التحريف العجب العجاب يطول بي الكلام إن نقلته لكني آثرت أن أنقل القاعدة الكلية التي هي أساس نحلتهم.

أورد الجرفادقاني في كتابه المذكور قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ [يونس: ٣٩] وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٥٣]

ثم قال: «ليس المراد من تأويل آيات القرآن معانيها الظاهرية ومفاهيمها

اللغوية بل المراد المعاني الخفية التي أطلق عليها الألفاظ على سبيل الكناية والتشبيه والاستعارة».

وقال بعد هذيان من هذا القبيل: «وفي نفس الكتب السماوية تصريحات بأنَّ تأويل آياتها إلى معانيها الأصلية المقصودة لا تظهر إلَّا في اليوم الآخر يعني يوم القيامة ومجيء مظهر أمر الله وإشراق آفاق الأرض ببهاء وجه الله».

قال: «ولذلك جاءت تفاسير العلماء من لدن نزول التوراة إلى نزول البيان – هو كتاب وضعه ميرزا علي محمد الملقَّب بالباب – تافهة باردة عقيمة جامدة بل مضلَّة مبعدة محرّفة مفسدة».!

هذا هو الأساس الخطير الذي وضعوه لهدم الشريعة، وهو أخطر مكيدة دُبِّرت للإسلام؛ لأنهم يقولون نحن نؤمن بالقرآن وبأنه حقٌّ، لكنه مؤوَّل فليس المراد بالصَّلاة والصِّيام والزكاة والبعث والجنَّة والنَّار وغيرها المعاني الظاهرية التي يفهمها العامَّة بل المراد معاني خفية رمز إليها بهذه الألفاظ على سبيل الكناية، ثُمَّ يذكرونها بما يتفق وأهواءهم.

وأمَّا القاديانية فهي تتفق مع البهائية في تأويل النصوص وتحريفها وإن كانت تختلف معها في مسائل كثيرة كما يعلم من مراجعة كتبها، ومؤسِّسها غلام أحمد القادياني كان يدَّعي أنه نبيٌّ ورسولٌ ويؤوِّل قوله تعالى: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] ويدَّعي أنه أفضل من عيسى عليه الصَّلاة والسَّلام، ويزعم خرافات وأكاذيب يطول تتبُّعها.

وقد قام علماء الهند -جزاهم الله خيرًا وأكثر أمثالهم- ضدّ هذا الدَّعِي

الكذَّاب وردُّوا عليه وبالغوا في تفنيد كذبه رغم مضايقة السلطة البريطانية لهم وتأييدها له، بحيث كانت تبعث معه رجالًا من الشرطة يحمونه من المسلمين إذا ذهب لمحاضرة أو مناظرة كما هو معلوم من ترجمته.

وليس غرضنا أن نفيض في بيان هاتين الطائفتين وفساد طريقتهما فقد أُلِّفت في ذلك كتب خاصَّة وإنما غرضنا أن نقول: أنَّ كل فُسُوقٍ ومروق وكفر وضلال وزندقة وإلحاد منشؤها التأويل، فاستعرض أحوال الدعاة من متألِّهين ومتنبِّئين ومتمهِّدين، ثُمَّ انظر أرباب الفِرق من معتزلة ومرجئة وقرامطة وباطنية وغيرهم تجد الباب الذي دخلوا منه جميعًا التأويل وإن اختلفوا في النزعات والأهواء والأغراض والميول.

ولذا كان أهل السُّنَّة موفَّقين كل التوفيق حين ضيَّقوا دائرة التأويل وجعلوه مقصورًا على حالة الضرورة لا يتعدَّاها؛ لأنه بمثابة الرخصة، وقرَّروا أنَّ كل ما جاز في العقل وورد بوقوعه السمع، وجب حمله على ظاهره كما نصَّ عليه الإمام ابن المنير في الكلام على (سورة الحديد) من "الانتصاف"، والعلامة السنوسي في "شرح الكبرى" وهي قاعدة إجماعية مسلَّمة بين أهل الحقِّ.

كما يؤخذ من كلام القاضي أبي بكر ابن العربي في "الأحكام" والقاضي عياض في مواضع من "الشفا" و"شرح مسلم" والنووي في "شرح مسلم" وابن حجرٍ في "فتح الباري" وغيرهم، ولولا هذه القاعدة لما صحَّ الإيمان بالمعجزات ولا بشيءٍ من السمعيَّات.

وقول المبتدِع: «وقد جاء في "شرح المقاصد" بعد أن قرَّر مؤلفها أنَّ جميع

أحاديث أشراط الساعة أحادية ما نصُّه: ولا يمتنع حملها على ظواهرها عند أهل الشريعة».اهـ يشتمل على خطأ وخيانة وجهل.

أمَّا الخطأ: فاعتماده على تقرير صاحب "المقاصد" أحادية أحاديث أشراط الساعة، مع أنَّ إثبات التواتر والآحاد والصحَّة والضعف يرجع فيه إلى أهل الحديث أرباب الشأن كما قال الحافظ العراقي:

فاعْنَ به ولا تَخُضْ بالظنِّ ولا تُقلِّد غير أهل الفَنِّ

وأكثر الأغلاط إنما تأتي من قبل تكلُّم الشخص في غير فنِّه، وشواهد ذلك كثيرة، وما بالعهد من قِدَم فهذا المبتدِع لَمَّا تسوَّر على ما لا يحسنه وتكلَّم فيما لا يعلمه أتى بما يضحك الثَّكْلَى وهو لا يشعر.

وأمَّا الخيانة: فحذفه من الكلام المنقول جملة هي محل الفائدة وعليها ينبني الكلام، وذلك أنَّ السعد قال في "شرح المقاصد": «وبالجملة فالأحاديث في هذا الباب كثيرة، رواها العُدُول الثقات وصحَّحها المحدِّثون الأثبات، ولا يمتنع حملها على ظواهرها عند أهل الشريعة؛ لأن المعاني المذكورة أمور ممكنة عقلًا، وزعمت الفلاسفة أنَّ طلوع الشمس مِن مغربها مما يجب تأويله بانعكاس الأمور...» إلخ ما ذكره السعد، فإذا قابلته بما نقله عنه المبتدع وجدته يشتمل على عدة خيانات:

إحداها:حذف صدر كلام السعد الذي يقول فيه: «إنَّ أحاديث الأشراط كثيرة رواها العدول الثقات وصحَّحها المحدِّثون الأثبات» ولا شك أنَّ لفظ «كثيرة» يصدق بأنها متواترة أو مشهورة على الأقل، يضم إلى هذا تصريحه بأنها

صحيحة ومعنىٰ هذا أنَّ دعوي المبتدع ضعفها واضطرابها كذبٌ بنصِّ مَن يحتج بكلامه.

ثانيها: حذف قول السعد: «لأن المعاني المذكورة أمور ممكنة عقلًا» مع أنَّ هذه الجملة هي محل الفائدة؛ لأن السعد أشار بها إلىٰ القاعدة السابقة التي بني عليها الإيمان بسائر السمعيَّات كما تقدَّم.

ثالثها: حذف قول السعد: «وزعمت الفلاسفة...» إلخ لإيهام القرَّاء أنَّ المؤوِّلين علماء من المسلمين وأنَّ السعد راضٍ عن التأويل مجوِّز له، مع أنَّ الأمر بالعكس، ولو أنَّ المبتدِع كان مُحقًّا لم يكن في حاجة إلىٰ استعمال هذه الخيانات المُزْرية وفي الحديث الصحيح: «**كلُّ خُلَّةٍ يُطبعُ عليها المؤمن ليس الخيانةَ والكذبَ**».

وأمَّا الجهل: ففهْمُه من قول السعد: «ولا يمتنع حملها علىٰ ظواهرها عند علماء الشريعة» الامتناع الشرعي وتفريعه عليه بقوله: ومِن ذلك نرىٰ أنَّ السعد لا يقرِّر وجوب حملها علىٰ ظواهرها حتىٰ تكون مِن قطعيِّ الدلالة الذي يمتنع تأويله، وإنما يقرِّر بصريح العبارة أنه لا مانع من حملها علىٰ ظواهرها، فيعطي بذلك حقَّ التأويل لمن انقدح في قلبه سببٌ للتأويل».اهـ

وهو فَهْمٌ مُضحك وصاحبه في حاجةٍ شديدةٍ إلىٰ تعلُّم مبادئ من علم المنطق وعلم الكلام ومعرفة اصطلاحات أهلهما حتىٰ يستعد لفهم كلام السعد وأمثاله من العلماء.

وما أشبه فهمه هذا بفهم شيخ سأله تلميذه عن قول المناطقة: «كلما كان

الإنسان ناطقًا فالحمار ناهق»: إنها شرطية اتفاقية، لم سموها كذلك؟ فأجابه الشيخ: لأنه اتفق أنَّ إنسانا نطق وحمارًا بالقرب منه نهق!!

وبعد فإنَّ السعد وغيره من العلماء يقصدون بالعبارة المذكورة عدم الامتناع العقليِّ ويبنون عليه وجوب اعتقاد ما دل عليه الدليل السمعي فقول السعد: «لا يمتنع حملها على ظواهرها» أي عقلًا، بدليل قوله: «لأن المعاني المذكورة أمور ممكنة عقلا» وتارة يقول هو أو غيره: هذه أمور جائزة أي عقلًا فيجب اعتقادها شرعًا لورود السمع بها، وهذه التعبيرات معروفة لعلماء الكلام متداولة بينهم لا تخفي على من عرف مرامي كلامهم وخبر اصطلاحاتهم.

ومن الدليل على أنَّ السعد لم يرد الامتناع الشرعي تعليله بالإمكان العقلي ولا شك أنَّ عدم الامتناع الشرعي لا يعلَّل إلَّا بتجويز شرعي إذ هو المناسب، أمَّا الإمكان العقلي فلا يناسبه لأمرين:

الأول: أنَّ الشرعيَّ هو ما استفيد من الشرع لا من غيره.

الثاني: أنَّ الإمكان العقليَّ لا يستلزم الجواز الشرعي؛ لأنه أعم منه فكم من أمر ممكن عقلًا ممتنع شرعًا.

ولم يكن يدور بخلدنا أن نقف من المبتدع موقف المعلِّم نصلح له أخطاء يترفَّع عن الوقوع فيها من عرف شيئًا من "إيساغوجي" و"صغرى السنوسية" لكن من ادَّعى ما ليس فيه كذبته شواهد الامتحان.

وقوله: «ولا شك أنَّ هذا منه لم يكن إلَّا لأنه يعتقد كما يعتقد سائر العلماء

الذين يعرفون الفرق بين ما يقبل التأويل وما لا يقبله، أن تدل عليه ألفاظ الأحاديث ليس عقيدة يجب الإيمان بها، فمن أدَّاه نظره إلى أن يؤمن بظاهرها فله ذلك ومن أدَّاه نظره إلى تأويلها فله ذلك شأن كلِّ ظنيٍّ في دلالته».اهـ

جهلٌ مبنيٌّ على جهلٍ، وإراءة للسعد ما لم يرَ وتقويل له ما لم يقل، فعبارة السعد التي دلَّس فيها المبتدِع صريحةٌ: وأنَّ الإيمان بأشراط الساعة واجب لورودها في الأحاديث الكثيرة التي رواها العدول الثقات وصحَّحها المحدِّثون الأثبات، مع أنَّ الأشراط أمور ممكنة عقلًا لا يمتنع حملها على ظواهرها أي لا يلزم منه محال عقلي حتى تحتاج إلى التأويل.

وكذلك عبارته في "شرح العقائد النسفية" وعبارة غيره من العلماء في كتب العقائد وقد ذكرنا منها في هذا الكتاب ما فيه كفاية.

ومما اشتمل عليه كلام المبتدِع من الجهل غير ما سبق تخييره في العقيدة بين الإيمان بها وعدمه، وبين تأويلها وعدمه، وسبق منه محاولة جعل الخلاف في العقائد كالخلاف في الفروع لا إثم فيه ولا فسوق، وكل هذا جهل وضلال ومُروق كما يعلم من مراجعة كتب العقائد وغيرها.

ثم ننتقل إلى الكلام على تأويل نزول عيسى عليه السلام ونبيِّن ما فيه بعد أن نمهِّد لذلك بقواعد تُنير السبيل وتهدي الحائر:

القاعدة الأولى: التمسُّك بظاهر الكتاب والسُّنَّة فرض لازم لا مفرَّ منه ولا محيص؛ لأن الله تعبَّدنا بهما وألزمنا اتباعهما، وهذا أمر لا يحتاج إلى بيان لأنه معلوم من الدين بالضرورة.

القاعدة الثانية: يصح العُدُول عن ظاهرهما وارتكاب التأويل إذا وُجِد المانع وتحقَّق الشرط، والمانع أحد أمور ثلاثة:

الأول: معارض عقلي، ونعني به أن يخالف ظاهر اللفظ قضية عقلية مسلَّمة لا تختلف فيها العقول، أمَّا أن يقصر إدراك الشخص عن فهم اللفظ فيحكم بمخالفته للعقل فهذا لا يجوز بل الواجب على الشخص في هذه الحالة أن يتهم عقله وإدراكه.

يقول الإمام الغزالي في "قانون التأويل": «وليعلم أنَّ العالم الذي يدَّعي الاطلاع على مراد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في جميع ذلك -أي الظواهر المشكلة- فدعواه لقصور عقله لا لوفوره».اهـ

وأكثر أخطاء الشيخ محمد عبده والشيخ رشيد في تأويل الآيات وردِّ الأحاديث كانت من هذا القبيل؛ لأنهما كانا واثقين بعقلهما مزكِّيَيْن له تمام التزكية، ولم يخطر على بالهما قطُّ أنَّ عقلهما لابد أن يقصر عن فهم مراد الله ورسوله في كثير من المسائل كما هو شأن العقل البشري.

الثاني: وجود معارض نقلي أقوى من الظاهر أو مسألة في القوة.

الثالث: وجود قرينة تمنع إرادة الظاهر، كأن يكون في الكلام قرينة على إرادة المجاز، وأمَّا الشرط فهو أن يتعذَّر الجمع إذا وجد التعارض، فإن أمكن الجمع بوجه من الوجوه وجب المصير إليه.

القاعدة الثالثة: التأويل صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى يحتمله بدليل، إن شئت قلت حمل الظاهر على المحتمل المصرح بدليل يصيِّره راجحًا، وهذا

هو التأويل الصحيح، ثم لابد أن يكون الدليل أرجح من الظاهر فإن كان دونه أو مساويًا فالتأويل فاسد، أمَّا إذا لم يكن دليل فهو حينئذٍ لَعِبٌ لا تأويل.

قال ابن برهان: «باب التأويل أنفع كتب الأصول وأجلها ولم يزل الزال إلَّا بالتأويل الفاسد».اهـ

ومحل الفائدة من هذه القاعدة أنَّ التأويل لا يُقْدِم الشخص عليه إلَّا بدليل أرجح كما علم.

القاعدة الرابعة: النصُّ لا يقبل التأويل؛ لأنه قطعيٌّ في معناه وكذلك الظواهر إذا تعدَّدت وتواردت على إفادة معنى صارت قطعية فيه، فلا تقبل التأويل؛ لأنه في اجتماعها وتضافرها من القوة ما ليس في انفراد واحد منها.

ألا ترى أنَّ خبر الآحاد يفيد الظن فإذا انضمت إليه قرائن أو تعدَّدت طرقه حتى تواتر أفاد اليقين.

القاعدة الخامسة: قال أبو العباس ابن تيمية: «إن كلًّا من الدليل النقلي والعقلي إمَّا قطعيٌّ وإمَّا غير قطعيٍّ، فالقطعيَّان لا يمكن أن يتعارضا حتى نرجِّح أحدهما على الآخر، وإذا تعارض ظنِّيٌّ مِن كلٍّ منهما مع قطعيٍّ وجب ترجيح القطعيِّ مطلقًا وإذا تعارض ظنيٌّ مع ظنيٍّ من كل منهما رجَّحنا المنقول على المعقول؛ لأن ما ندركه بغلبة الظنِّ مع كلام الله ورسوله أولى بالاتباع مما ندركه بغلبة الظنِّ من نظرياتنا العقلية التي يكثر فيها الخطأ جدًّا».اهـ

إذا تمهَّدت هذه القواعد فنقول: نزول عيسى عليه السَّلام مُجمِعٌ عليه علماء السُّنَّة كما تقدَّم، والذين أوَّلوه هم -مع كونهم مبتدعين وفيهم كفرة-

متلاعبون مبطلون؛ لأن نزول عيسىٰ عليه السَّلام أمر جائز في القدرة لم يدَّع أحدٌ ولن يدَّعي أنه محالٌ إلَّا مَن لا عقل له، وبهذا بطل أن يكون له معارض عقلي.

وأمَّا المعارض النقلي فربما يتوهَّم إنه موجودٌ وهو النصوص الدالة علىٰ انقطاع النبوة، وأنه لا نبيَّ بعد نبيِّنا عليه الصَّلاة والسَّلام، لكن الجمع ممكن، ذكره القاضي عياض في كلامه المنقول صدر الكتاب كما ذكره غيره، وحاصل الجمع أنَّ عيسىٰ عليه السَّلام لا ينزل بصفة كونه نبيًّا أو رسولًا، إذ أنَّ رسالته أدَّاها إلىٰ قومه وإنما ينزل بصفة كونه تابعًا للنبيِّ عليه الصَّلاة والسَّلام وخليفة من خلفائه، يقاتل الناس علىٰ الإسلام ويحكم في الأمَّة بالقرآن والسُّنَّة كما نطقت الأحاديث بذلك.

ففي "المعجم الأوسط"، و"الصغير" وغيرهما عن أبي هريرة مرفوعًا: «**ألَا إنَّ عيسى ابن مريم ليس بيني وبينه نبيٌّ ولا رسول ألَا إنه خليفتي في أُمَّتي مِن بعدي**» الحديث.

وفي كتاب "الفتن" لأبي الشيخ، عن أبي هريرة مرفوعًا: «**ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الدَّجَّال ويمكث أربعين عامًا يعمل فيهم بكتاب الله وسنَّتي، ثُمَّ يموت**» الحديث.

علىٰ أنَّ التعارض مدفوع من أصله؛ فإنَّ المقصود من النصوص الدالة علىٰ انقطاع النبوة قطع دابر الكذَّابين المتنبِّئين من هذه الأمَّة، كمسيلمة والأسود العَنْسي وسَجَاح وإسحاق الأخرس وكذَّاب قاديان، والأحاديث ترشد إلىٰ ذلك.

ففي الصحيح عن أبي هريرة مرفوعًا: «**لا تقوم الساعة حتى يبعث دَجَّالون كذَّابون قريبٌ من ثلاثين، كلُّهم يزعم أنه رسول الله**».

وفي الصحيح أيضًا عن ثوبان مرفوعًا من حديث طويل: «**وأنه سيكون في أمتي ثلاثون كذابًا كلهم يزعم أنه نبيٌّ وإني خاتم النبيين لا نبيَّ بعدي**» الحديث.

وفي المسند وغيره بإسناد صحيح عن حذيفة مرفوعًا: «**في أمَّتي كذَّابون ودَجَّالون سبعة وعشرون منهم أربع نسوة، وإني خاتم النبيين لا نبيَّ بعدي**».

وعيسىٰ عليه السَّلام معلوم ضرورة أنه أدَّىٰ رسالته إلىٰ قومه، وأن نزوله لقتل الدَّجَّال لا يمس الأحاديث المذكورة وما في معناها من قرب ولا بعد، ولهذا لَمَّا أخبر النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بنزوله وصفه لنا لئلَّا يشتبه علينا أمره بكذَّاب يزعم أنه، أو أنَّ روحه ومبادئه ظهرت فيه وأمرنا أنَّ نبلغه سلامه.

ولا بأس أنَّ نشير إلىٰ ما أبداه المؤوِّلون من سخافات؛ لتعلم أنَّ مِن الجهل ما يسمَّىٰ علمًا، وتتحقَّق صدق من قال: لو سكت من لا يعلم لقل الخلاف، والمؤوِّلون طوائف:

إحداها: الفلاسفة ومَن حذا حذوهم: زعموا كما حكىٰ السعد وغيره عنهم أنَّ طلوع الشمس من مغربها مؤوَّل بانعكاس الأمور وجريانها علىٰ غير ما ينبغي، والنار الخارجة من الحجاز مؤوَّلة بالعلم والهداية، والنار الحاشرة للناس بفتنة الأتراك، وظهور الدَّجَّال بظهور الشرِّ والفساد، ونزول عيسىٰ باندفاع ذلك وبدوِّ الخير والصلاح... إلخ الأشراط.

وهؤلاء لم يقفوا عند هذا الحدِّ بل تناولوا أيضا نصوص الحشر والنشر

والجنَّة والنَّار بتأويلات فاسدة من هذا القبيل لا دليل عليها من عقل ولا نقل، فالاشتغال بردِّ كلامهم وهذيانهم تعب؛ لأنه تحصيل للحاصل.

ثانية الطوائف: ابن هود الدمشقي وأصحابه: وهؤلاء كفانا مؤونة الردِّ عليهم أبو العباس ابن تيمية حيث قال في رسالة "بغية المرتاد": «وقد كان عندنا بدمشق الشيخ المشهور الذي يقال ابن هود، وكان من أعظم مَن رأيناه من هؤلاء الاتحادية زهدًا ومعرفة ورياضة، وأكثر الناس من الكبار والصغار كانوا يطيعون أمره، وكان أصحابه الخواص به يعتقدون فيه أنه -أي ابن هود- المسيح ابن مريم، ويقولون أنَّ أمه اسمها مريم وكانت نصرانية، ويعتقدون أنَّ قول النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ينزل فيكم ابن مريم**» هو هذا، وأنَّ روحانية عيسىٰ تنزل عليه، وقد ناظرني في ذلك من كان أفضل الناس عندهم في معرفته بالعلوم الفلسفية وغيرها مع دخوله في الزهد والتصوف، وجرت بيني وبينهم مخاطبات ومناظرات يطول ذكرها حتىٰ بيَّنت لهم فساد دعواهم بالأحاديث الصحيحة الواردة في نزول عيسىٰ المسيح، وأنَّ ذلك الوصف لا ينطبق علىٰ هذا الرجل، وبيَّنتُ لهم فساد ما دخلوا فيه من القرمطة حتىٰ أظهرت مباهلتهم وحلفت لهم أن ما ينتظرونه من هذا الرجل لا يكون ولا يتم، وأنَّ الله لا يتم أمر هذا الشيخ. فأبرَّ الله تلك الأقسام والحمد لله ربِّ العالمين، هذا مع تعظيمهم لي وبمعرفتي عندهم، وإلَّا فهم يعتقدون أنَّ سائر الناس محجوبون بحال حقيقتهم وغوامضهم، وأنَّ الناس عندهم كالبهائم».اهـ

ثالثة الطوائف: القاديانية: يزعمون أنَّ أحاديث نزول عيسىٰ محمولة علىٰ

زعيمهم ميرزا غلام أحمد القادياني المتنبِّئ الكذَّاب، ويزعمون أنَّ عيسىٰ ابن مريم عليه السَّلام مات، وأنه لا سبيل إلىٰ نزوله ولا معنىٰ له، وهؤلاء جهلة لا يفرِّقون بين ما يجوز وما لا يجوز، ولا يميِّزون ما يقبل التأويل مما لا يقبله ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الفرقان: ٤٤]

رابعة الطوائف: طائفة المصلحين المجدِّدين الذين أرادوا أن يهذِّبوا الدِّين، تكلَّم الشيخ محمد عبده في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] الآية وادَّعىٰ أنَّ المراد بالتوفِّي الإماتة العادية، وأنَّ الرفع بعد ذلك هو رفع الروح، ثم قال: «ولصاحب هذه الطريقة في حديث الرفع والنزول في آخر الزمان تخريجان:

أحدهما: أنه حديثٌ آحاد متعلِّق بأمر اعتقادي؛ لأنه من أمور الغيب والأمور الاعتقادية لا يؤخذ فيها إلَّا بالقطعيِّ لأن المطلوب فيها اليقين وليس في الباب حديث متواتر.

وثانيهما: تأويل نزوله وحكمه في الأرض بغلبة روحه وسرِّ رسالته علىٰ الناس، وما غلب في تعليمه من الأمر بالرحمة والمحبة والسلم، والأخذ بمقاصد الشريعة دون الوقوف عند ظواهرها، والتمسُّك بقشورها دون لبابها، وهو حكمتها وما شرعت لأجله، فالمسيح عليه السَّلام لم يأتِ اليهود بشريعة جديدة ولكنه جاءهم بما يزحزحهم عن الجمود علىٰ ظواهر ألفاظ شريعة موسىٰ عليه السلام، ويوقفهم علىٰ فقهها والمراد منها ويأمرهم بمراعاتها وبما يجذبهم إلىٰ عالم الأرواح بتحرِّي كمال الآداب». انظر "تفسير المنار" (ص ٣١٦ – ٢١٧ ج ٣).

وفي الصفحة نفسها ذكر صاحب "المنار" أنَّ الأستاذ الإمام سُئِل عن المسيح الدَّجَّال وقتل عيسىٰ له فقال: «إنَّ الدَّجَّال رمز للخرافات والدَّجَل والقبائح التي تزول بتقرير الشريعة علىٰ وجهها والأخذ بأسرارها وحِكَمِها، وإنَّ القرآن أعظم هادٍ إلىٰ هذه الحِكَم والأسرار، وسُنَّة الرسول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مبيِّنة لذلك، فلا حاجة للبشر إلىٰ إصلاح وراء الرجوع إلىٰ ذلك».اهـ كلام المصلح العظيم.!

وهو كما ترىٰ غير خالٍ من القذىٰ والكدر، أمَّا دعواه الأحادية وعدم التواتر فمردودة ولا كرامة؛ لأنه ليس من أهل السُّنَّة ولا من فرسان ميدانها، وأمَّا ما أبداه من التأويل ففاسد، ويؤلمني أن أقول أنه تلاعُب لا يليق أن يصدر من مصلح وبيان ذلك من وجوه:

الأول: أنه لا دليل عليه.

والثاني: أنه لو صح لكانت الأحاديث حينئذٍ مبشِّرة بانتشار روح المسيحية وذيوع تعاليمها، وهو نقيض ما صرَّحت به من انتشار الإسلام عند نزوله وتعميم تعاليم الكتاب والسُّنَّة كما تقدَّم ويأتي.

الثالث: أنَّ الرحمة والمحبَّة والسِّلْم هي أصل تعاليم الإسلام، ولا يعرف دين حافظ علىٰ هذه المعاني وحضَّ عليها وأكَّد حقَّها مثل دين الإسلام، ونصوصه في ذلك كثيرة جدًّا حتىٰ أنها أوجبت الرحمة للحيوان الأعجم وتوعَّدت مَن قسا عليه أو عذَّبه باللعنة في الدنيا والعذاب في الآخرة.

وهل خوطب عيسىٰ أو غيره بمثل ما خوطب به نبيُّ الإسلام حيث قيل

له: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]؟

وهل أمر أحد بمثل ما أمر به أهل الإسلام حيث قيل لهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾ [البقرة: ٢٠٨]؟

فليس من المعقول والحالة هذه أن تكني الأحاديث عن انتشار المحبة والرحمة والسلم بنزول عيسىٰ؛ لأن حِصَّة الإسلام في هذه المعاني أكثر وأثرها فيه أظهر.

الرابع: أنَّ أئمَّة الإسلام وعلماءه من الصحابة وغيرهم عرفوا مقاصد الشريعة ولُبابها، واجتهدوا قدر استطاعتهم وخلَّفوا لنا ثروة علمية هائلة لم توجد في دين من الأديان، ولا ظفرت بها أُمَّةٌ من الأُمَم، ومن المحال شرعًا وعادة أن يأتي في الأُمَّة من يفوق الصحابة والتابعين وتابعيهم في فهم الشريعة وأسرارها أو يساويهم حتىٰ يقال أنَّ الأحاديث كنَّت عنه بنزول عيسىٰ، ثُمَّ أي علاقة بين فهم شيءٍ وبين نزول شخصٍ؟! ولِمَ لم يعبَّر عن هذا الفهم بنزول الخَضِر مثلًا؟

الخامس: أنَّ اشتهار دعوة عيسىٰ بالرحمة والمحبَّة والسِّلْم إنما أتىٰ في هذه العصور المتأخِّرة لما اتصل الغرب بالشرق ودرس المستشرقون كتب الإسلام وصاروا يتهمون الإسلام بأنه دين القسوة وأنه انتشر بالسيف ويفضلون دينهم بأنه دين الرحمة والمحبَّة والسِّلْم، فلما تردَّدت في كتبهم ومحاضراتهم هذه المطاعن وأبدوها بفقرات من أناجيلهم رسخ في أذهان مسلمة اليوم أن دين عيسىٰ ما يقوله هؤلاء المستشرقون، حتىٰ صار اسم عيسىٰ عندهم عنوانًا علىٰ

المعاني المذكورة من غير أن يرد شيء من ذلك في الدين، ومن الجهل القبيح أن تؤوَّل ألفاظ الكتاب والسُّنَّة بمعاني دخيلة مستحدَثة بعد مئات القرون.

نعم أديان الله كلها أتت بالرحمة والمحبَّة والسِّلْم لكن دين الإسلام أكثر وأبرز وأظهر كما سبق، ولم يؤمر عيسىٰ بالجهاد لأنه بعث إلىٰ شعبٍ خاصٍّ بدين خاصٍّ به، ولم يكلَّف إبلاغ دينه إلىٰ سائر الناس، وهذا بخلاف الإسلام فإنه لَمَّا كان دين العالَم كله كان لابد -بمقتضىٰ تباين استعدادات أفراد الإنسان- أن تقف في طريقه عقول مريضة ونفوس خبيثة لا تصغي لمنطق البرهان، ولا تستجيب لدعوة الحقِّ كان فرض الجهاد أمرًا حتما لامعدل عنه في سبيل إبلاغ الدين إلىٰ بعض العقول وبعض النفوس، والعقلاء متفقون علىٰ استساغة الدواء المر لاستئصال شأفة الداء، وقد يقتضي الحال قطع بعض الأعضاء في سبيل سلامة باقيها، ولتمام هذا البحث موضع غير هذا.

السادس: أنَّ دعوىٰ جمود اليهود علىٰ ظواهر ألفاظ التوراة دعوىٰ تفتقر إلىٰ دليل ودون إثباته خَرْطُ القَتَاد، بل يمكننا أن نقول -مطمئنين- عكس ذلك وهو أنَّ اليهود خرجوا علىٰ ظواهر ألفاظ التوراة وتحايلوا في التخلُّص منها، وذلك كان سبب كفرهم وضلالهم، فقد أخبر الله عنهم أنهم يحرِّفون الكَلِم عن مواضعه، وذكر أشياء من تحريفاتهم وتحايلاتهم في مواضع من كتابه الكريم.

السابع: أنَّ الأحاديث أخبرت أنَّ عيسىٰ يقتل الدَّجَّال، ويقاتل الناس علىٰ الإسلام وروح عيسىٰ وسرِّ رسالته وتعاليمه ليس فيها قتل ولا قتال.

الثامن: أنَّ النبيَّ عليه الصَّلاة والسَّلام أمرنا أن نبلِّغ سلامه إلىٰ عيسىٰ

عليه الصَّلاة والسَّلام حين نزوله، ومحالٌ عقلًا تبليغ السَّلام إلىٰ روح عيسىٰ وسرِّ رسالته وتعاليمه.

التاسع: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أخبر أنه اجتمع بعيسىٰ عليه السَّلام ليلة الإسراء، وأخبره أنه نازل ليقتل الدَّجَّال، ومن المحال العقلي أن تكون روح عيسىٰ وسرُّ رسالته وتعاليمه اجتمعت برسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وأخبرته أنها ستنتشر في آخر الزمان وتقضي علىٰ الخرافات والدَّجَل كما يقول حضرة المصلح العظيم.!

العاشر: أنَّ الأحاديث أخبرت أنَّ عيسىٰ ينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق واضعًا يديه علىٰ أجنحة مَلَكين، وأنه رجلٌ مَرْبوعٌ إلىٰ الحمرة والبياض، وأنَّ عليه مُمَصَّرتين، وأنه يصلِّي خلف إمام المسلمين، ويقتل الدَّجَّال ويرىٰ المسلمين دمه في حربته، ويحجُّ البيت ويعتمر، ويقف علىٰ القبر النبويِّ الشريف ويسلِّم فيرد عليه... إلخ ما يأتي، ويستحيل عقلًا أن يقوم شيءٌ من هذه الصفات بروح عيسىٰ وسرِّ رسالته وتعاليمه.

الحادي عشر: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم تردَّد أول الأمر في ابن صيَّاد أن يكون هو الدَّجَّال واستأذنه عمر في قتله فلم يأذن له وقال: «**إن يكن هو فلستَ صاحبه، إنما صاحبه عيسى ابن مريم، وإلَّا يكن هو فليس لك أن تقتل رجلًا من أهل العهد**». ولو كان المراد دَجَلًا وخرافات تندفع بانتشار روح عيسىٰ وسرِّ رسالته وتعاليمه، لكان هذا موطن بيان ذلك المراد لكنه لم يبيِّن بل صرَّح أنَّ المراد بعيسىٰ والدَّجَّال جسمان لا عَرَضان.

الثاني عشر: إنَّ تردُّد النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في ابن صَيَّاد واستئذان عمر له ورده عليه قاطع في نفي كلِّ تلاعبٍ مستورٍ باسم التأويل.

الثالث عشر: إنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أفصح من نطق بالضاد وهو -في فصاحته المنقطعة النظير- غير محتاج إلىٰ استعمال الرموز والألغاز في أحاديثه، بل لا يليق به استعمالها لأنه مبلِّغ عن الله ومبيِّن لمراده، ونحن لا ننكر أنَّ في اللغة والقرآن والسُّنَّة كنايات واستعارات تمثيلية ومجازات عقلية وغيرها، لكن لها حد تقف عنده ودلائل تدل عليها وقرائن ترشد إليها، فإذا خرجت عن حدِّها المقرَّر لها في كلام العرب صارت ألغازًا وأحاجي تورث الكلام قبحًا واختلالًا لا حُسْنًا ورَوْنقًا، وأين الدليل في أحاديث نزول عيسىٰ علىٰ أنه أريد بها غير معناها الصريح؟

الرابع عشر: أنه لو صح هذا التأويل لصح تأويل بقية الأشراط بل سائر السمعيَّات لأنها متماثلة، فما جاز في بعضها جاز في الجميع، والتفريق تحكُّم وحينئذٍ لا يكفر مَن أوَّل الملائكة والجنَّ والحشر والنشر والجنَّة والنَّار بغير معانيها المعروفة كما فعل الفلاسفة، وكذا لا يكفر البهائية والقاديانية المحرِّفون للنصوص باسم التأويل، ولا شك أنَّ كفر هؤلاء معلوم قطعًا لا يتردَّد فيه مسلمٌ.

والعجب أنَّ صاحب "المنار" علَّق علىٰ هذيان شيخه بأن ظواهر الأحاديث تخالفه، ثُمَّ نَكَص علىٰ عقبيه فقال: «إلَّا أن يقال إنها مروية بالمعنىٰ وأنَّ كلَّ راوٍ روىٰ بحسب ما فهم». ولو أنصف وترك المداهنة قليلًا لقال أنَّ

صرائح الأحاديث تخالفه؛ لأن الأحاديث في هذا الباب صريحة لا تقبل التأويل أمَّا احتمال الرواية بالمعني فهو -لعمر الله- أخفىٰ من السُّهىٰ بل لا يخطر علىٰ بال الشيطان الرجيم!

وهل يخطر علىٰ باله أنَّ أحدًا وثلاثين صحابيًّا فيهم ستة من حفاظهم المشهورين وهم: أبو هريرة، وابن عبَّاسٍ، وأنس، وجابر، وعائشة، وأبو سعيد الخدري.

وفيهم عبدالله بن عمرو الذي كان يكتب كل ما سمعه من النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في جدِّه ومِزاحه، وفيهم عبدالله بن مسعود الذي كان إذا روىٰ حديثًا شك في حفظه اغرورقت عيناه وانتفخت أوداجه ثمَّ قال: «أو مثله أو نحوه أو شبيه به» كلهم يتواطؤون علىٰ رواية الحديث بالمعني من غير أن يبيِّنوا ذلك؟ فأين حِفْظُ حُفَّاظهم؟ وأين كتابة من كان يكتب منهم! وأين حرصهم علىٰ تأدية اللفظ الذي سمعوه رجاء حصول النضرة وجزيل الثواب؟!

ثُمَّ لا يخفىٰ أنَّ نزول عيسىٰ وما يحيط به من الأحداث أمرٌ غيبيٌّ يتوقَّف علىٰ مُوقف ولا يدرَك باستنباط فلا تتأتَّىٰ روايته بالمعني حسب فهم الراوي؛ لأنه لا يمكنه أن يدرك باستنباطه أنَّ عيسىٰ ينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، ويقتل الدَّجَّال بباب لُدٍّ، ويقاتل الناس علىٰ الإسلام، ولا يقبل الجِزْية... إلىٰ آخر ما ذكر من أوصافه والأحداث الواقعة عند نزوله وبعده.

فلولا أنهم سمعوها بصريح العبارة ما أدركوها بمجرَّد الإشارة، إلَّا أن يقال أخذوا بعضها عن الإسرائيليات وضمُّوه إلىٰ ما سمعوه من الرسول،

لكن هذا القول لا يجوز ولا يصح؛ لأنه ينطوي على اتهام الصحابة بعدم العدالة أو بالغفلة والاختلاط، وذلك باطل لأن الله عدَّلهم ورسوله، فهم مبرَّؤون مِن كلِّ ما يشين رضي الله عنهم.

ثُمَّ ما الذي دعاهم إلى رواية هذا الحديث بالمعنى؟ أعجزوا عن حفظ ألفاظه؟ مع أنهم حفظوا القرآن وآلاف الأحاديث.

أم تركوا فهم المراد إلى ذكاء السامع؟ لكن هذا أمر غيبي نقلي بحت.

أم أرادوا تضليلنا عن مراد الرسول؟ وهذا لا يليق بعامي فضلًا عمن أثنى عليهم الله ورسوله!

أم جهلوا مراد الرسول وأدركه المصلح العظيم؟! أم ماذا؟!

ثُمَّ إن رواية الحديث بالمعنى على القول بجوازها لا تدخل في جميع الأحاديث بل بعضها، وهذا ممَّا لا يتأتي فيه كما مرَّ آنفًا.

والحاصل: أنَّ التلميذ لم يرشد في إصلاح موقف شيخه بل زاده تورطًا وتوريطًا فهو على رأي المثل: «جاء يكحِّلها عماها».

وأعجب مما قاله صاحب "المنار" ما فعله الشيخ عبدالوهاب النجَّار، فإنه عرض في كتب "قصص الأنبياء" لمسألة رفع عيسى ونزوله وقال: «إنَّ الأخبار الواردة في هذا بعضها مرفوعٌ إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وبعضها آراء للمفسِّرين، وبعضها عن مسلِمة اليهود ككعب ووهب، ومهما كان من شأنها وصراحة عبارتها! فهي أحاديث وآراء آحاد، ولا تبلغ أن تكون لها قوة صريح القرآن، ولا يمكن أن تكون في النفس اعتقادا يقينيًّا جازمًا تطوع به

النفس لصاحبها أن يشهد على الله أنه نقل المسيح حيًّا إلى السماوات، ويشهد على الله مطمئنًّا بتلك الشهادة أنه سوف ينزل عيسى من السماء إلى الأرض، وأنه سوف يتولَّى قتل رجل يُنبز بالمسيح الدَّجَّال، سيخلقه الله تعالى ولا يدري متي يكون زمانه، إذ كل تلك الأخبار لا يمكن أن تنهض بإنشاء عقيدة إذا خالفها إنسان وحاد عن الاعتقاد بها برئ من الإسلام وبرئ الإسلام منه».اهـ

ثُمَّ أحال من أرادها على مراجعة كتب الحديث والتفسير، وهذا الكلام رغم ما فيه من جهل ومخالفة للحقيقة يدل على أنَّ صاحبه وَرِعٌ شديد الاحتياط، وهي ظاهرة طيبة سبق له مثلها حيث ذكر في قصَصِه أيضًا (ص٢٠٣- ٢٠٤ طبعة ثانية) أنه راود نفسه على أن تقول أن شعيبًا هو صهر موسى عليهما الصَّلاة والسَّلام فتمثل له المعرِّي يقول:

لا تَظْلِمُوا المَوْتَى وإنْ طَالَ المَدَى إنِّي أَخافُ عليكمو أنْ تَلْتَقُوا

وخشي أن يلقاه شعيب عليه السَّلام في عرصات القيامة فيلبيه إلى الله عزَّ وجلَّ ويقول: أي ربِّ سَلْ عبدك هذا لم جعلني صاحب موسى الذي استأجره، ولم أكن صاحبه ولا وجدت في زمنه... إلخ كلامه.

وهذا وَرَعٌ كبير جدًّا!! يذكِّرنا بورع الأئمَّة الكِبار أمثال الإمام أحمد رضي الله عنه! لكن ما بال هذا التورُّع تحوَّل إلى تجرُّؤ في البدعة غريب؛ فقد نقل عن الأستاذ الإمام كلامه الذي أبطلناه آنفًا مؤيِّدًا به رأيه، لكنه عقَّب على قوله: «إن الدَّجَّال رمز الخرافات والدَّجَل والقبائح... إلخ» بما نصُّه: «أقول: إني كنت ممن يطمئنُّون إلى هذا التأويل ولكني الآن أميل كل الميل إلى أنَّ المسيح

الدَّجَّال إنما هو رجلٌ يقوم من اليهود ويدَّعي أنه المسيح أي الملك الذي وُعِدوا به وهم ينتظرونه إلى اليوم، ذلك أني نظرت إلى اليهود فوجدتهم ينتظرون مسيحًا يعيد إليهم المُلْكَ والسلطان في الأرض ويعتزُّون به»، إلى أن قال: «وهذا رأيي وما أميل إليه في مسألة المسيح الدَّجَّال، وقد حذَّر المسيح أصحابه منه فقال سيقوم بعدي أنبياء كذبة ومسحاء كذبة».اهـ

وهذا شيءٌ عجيبٌ جدًّا!! يعمد حضرة المتورِّع إلى مسألة رفع عيسى ونزوله فينكرها؛ لأن الأحاديث فيها آحاد لم تبلغ قوة صريح القرآن، ويميل كل الميل إلى إثبات الدَّجَّال، لا لأن الأحاديث أخبرت به بل لأن اليهود ينتظرونه والمسيح حذر أصحابه منه، فانتظار اليهود في اصطلاح هذا المتورِّع أقوى في إفادة الطمأنينة وطواعية النفس بالشيء من خبر الآحاد الذي يرويه عُدُول مسلمون مسلسلًا إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

أرأيت كيف يكون العلم والورع والتحرِّي!! وما هذه بأول طامَّاته بل له في قصصه كثير مثلها، قبيح ضررها عظيم خطرها.

فليعذرنا القارئ الكريم إذا قلنا أنَّ هؤلاء المبتدعة لهم نية مبيتة ضدَّ السُّنَّة النبوية، ينفثونها بين حين وآخر في أساليب وقوانين تُغري وتَغُر.

وليعذرنا أيضًا إذا رآنا نتحامل عليهم ونشتد في ردِّ زيغهم فإننا ما فعلنا إلَّا بعض ما يوجبه الشرع إزاء كل مبتدع زائغ والله ولي التوفيق.

(تنبيه): إذا راجعت كلام الأستاذ الهمام وتلميذه البار، والشيخ عبدالوهاب النجَّار وجدت فتوى المبتدِع الذي نردُّ عليه واستدلاله وتأويلاته منقولة من

كلام هؤلاء نقل مسطرة، حتى أنَّ الوَرَع الذي ذكروه في كلامهم ذكره هو أيضًا، وهذا هو ما يسمَّى عند المتعلِّمين بالتقليد الأعمى! نسأل الله العافية.

فصل

في الرد على إنكار الإجماع

ثُمَّ تكلَّم المبتدِع على الإجماع كلام مَن لم يعرف علم أصول الفقه ولا قرأ كتابًا من كتبه، وأكثر جهله آتٍ مِن قِلَّة اطِّلاعه وضِيق باعه، فحاول أن يشكك في الإجماع من حيث إمكانه ووقوعه وكيفية نقله وحُجِّيته وهذه تشكيكات ابتدعها النظام، وبعض الإمامية، والخوارج وتولَّى الرد عليها وإبطالها أئمَّة أهل السُّنَّة كالقاضي الباقلّاني، وإمام الحرمين، والغزالي، وغيرهم ممن يطول عدَّهم ويتعسَّر تتبُّع كلامهم.

لكن لا بأس أن ننقل عبارة إمام الحرمين لعظم فائدتها، قال في "البرهان" ما نصُّه: «ذهب طوائفٌ من الناس إلى أنَّ الإجماع لا يُتصوَّر وقوعه واشتدَّ كلام القاضي -رضي الله عنه- ونكيره على هؤلاء وتعدَّى حد الإنصاف قليلًا، ونحن نسلك مسلكًا في استيعاب ما لكل فريق، حتى إذا لاحت نهاية النفي والإثبات وضح منها درك الحق إن شاء الله تعالى.

فأمَّا الذين منعوا تصوُّر الإجماع فإنهم قالوا: قد اتسعت خطة الإسلام ورقعتها، وعلماء الشريعة متباعدون في الأمصار، ومعظم البلاد المتباينة لا تتواصل الأخبار فيها، وإنما يتدرَّج المتدرج من طرف إلى طرف بسفرات وتربصات ولا يتفق انتهاض رفقة واحدة ومدتها مدة واحدة من المشرق إلى

المغرب، فكيف يتصوَّر والحالة هذه رفع مسألة إلى جميع علماء العالم ثُمَّ كيف يفرض اتفاق آرائهم فيها مع تفاوت الفطن والقرائح وتباين المذاهب والمطالب، وأخذ كل جيل صوبًا في أساليب الظنون، فتصوير اجتماعهم في الحكم المظنون بمثابة تصوير اجتماع العالمين في صبيحة يومٍ على قيامٍ أو قعود، أو أكل مأكول، ومثل ذلك غير ممكن في اطِّراد العادة، نعم إن انخرقت لنبيٍّ أو وليٍّ على رأي من يثبت الكرامات، وبالجملة لا يتصوَّر الاجتماع مع اطِّراد العادة فهذا قول هؤلاء.

ثُمَّ زادوا إبهاما آخر فقالوا: فرض الإجماع كيف يتصوَّر النقل عنهم على التواتر والحكم في المسألة الواحدة ليس ممَّا تتوفَّر الدواعي على نقله، فقد أسندوا كلامهم إلى ثلاث جهات مترتبة في العسر:

أولها: تعذُّر عرض مسألة واحدة على الكافَّة.

والأخرى: عُسر اتفاقهم والحكم مظنون.

والثالثة: تعذُّر النقل تواترًا عنهم واختتموا هذا بأن قالوا: لو ذهب ذاهب من العلماء إلى مذهب فما الذي يؤمن من بقائه عليه وإصراره على مذهبه إلى أن يطبق النقل طبق الأرض.

فهذه عيون كلام هؤلاء، قال القاضي -رحمه الله- معترضًا عليهم متبعًا مسالكهم: نحن نرى إطباق جيلٍ من الكفَّار يربو عددهم على عدد المسلمين وهم متفقون على ضلالة يدرك بأدنى فكر بطلانها، فإذا لم يمتنع ذلك لم يمتنع إجماع أهل الدِّين على الإحاطة بذلك منهم، وإن أردنا فرض ذلك في الفروع

فنحن نعلم إجماع علماء أصحاب الشافعي -رضي الله عنه- على مذهبه في المسألة مع تباعد الديار وتنائي المَزار وانقطاع الأسفار؛ فبطل ما زخرفه هؤلاء.

ثُمَّ قال القاضي: لا يمتنع تصوُّر ملك تنفذ عزائمه في أهل خطة الإسلام إمَّا باحتوائه على البيضة أو بعلوِّ قَدْره واستمكانه من إحضار سائر المماليك بجوازم أمره المنفذة إلى ملوك الأطراف، وإذا كان ذلك ممكنًا فلا يمتنع أن يجمع مثل هذا الملك العظيم علماء العالم في مجلس واحدٍ ثُمَّ يلقي عليهم ما عَنَّ له من المسائل ويقف على وفاقهم وخلافهم. فهذا وجه في الصورتين لا يتوقَّف تصوُّره على فرض خرق العادة فهذا منتهى كلامه رحمه الله.

ونحن نفصل الآن القول في ذلك قائلين: لا يمتنع الإجماع عند ظهور دواعٍ مستحثة عليه داعية إليه، ومن هذا القَبيل كل أمر كلِّيٍّ يتعلَّق بقواعد العقائد في المِلَل، فإن على القلوب روابط في أمثالها حتى كأنَّ نواصي العقلاء تحت ربقة الأمور العظيمة الدينية، ومن هذا القبيل ما استشهد به القاضي رحمه الله من إجماع جميع الكفار على أديانهم، ومنه اجتماع أتباع الإمام على مذهبه؛ فإنَّ كل مَن رأسه الزمان تُصرف إليه قلوب الأتباع، وبذلك يتصل النظام وهو متبيِّن في الخفي والجلي، وما صوَّره القاضي رحمه الله مِن إحضار جميع العلماء ليس منكرًا؛ فقد تكون أطراف المماليك في حقِّ المِلك العظيم كأنها بمرأى منه ومسمع فلا يبعد ما قاله على ما صوَّره، وأمَّا فرض اجتماع على حكم مظنون في مسألة فردة ليست من كليَّات الدين مع تفرُّق العلماء واستقرارهم في أماكنهم، وانتفاء داعية تقتضي اجتماعهم فهذا لا يتصوَّر مع اطِّراد العادة، فإذًا مَن أطلق

التصوُّر وعدم التصوُّر فهو زالٌّ، والكلام المفصَّل إذا أطلق نفيه أو إثباته كان خلفًا، ومَن ظنَّ أنَّ تصوَّر الإجماع وقوعًا في زماننا هذا في آحاد المسائل المظنونة مع انتفاء الدواعي الجامعة هيِّن فليس على بصيرة مِن أمره.

نعم، معظم مسائل الإجماع جرت من صحب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الأكرمين وهم مجتمعون أو متقاربون، فهذا منتهى الغَرَض في تصوير الإجماع».اهـ

وقد بسط هو وغيره الكلام على حُجِّيَّة الإجماع وأتوا بما يطول نقله فلينظر في محاله، إلَّا أن إمام الحرمين ذكر حديث: «**لا تجتمع أُمَّتي على ضلالة**». من جملة أدلة حُجِّيَّة الإجماع وقال إنه حديث آحاد. والصواب إنه متواتر معنويٌّ، إذ قد ورد معناه عنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من حديث عمر، وابنه، وابن عبَّاسٍ، وأبي هريرة، وأنس، وأبي مالك الأشعري، وأبي بصرة الغفاري، وحذيفة، وأبي ذرٍّ، ومعاذ، وعرفجة، وابن مسعود، وأبي سعيد، ومعاوية، ورجل من الصحابة، وأسامة بن شريك، والحرث الأشعري، وسمرة بن جندب، وأبي قِرْصَافة.

وعن أبي مسعود موقوفًا وله حكم الرفع، ورواه عن عمر: سعد بن أبي وقاص، وعبدالله بن الزبير، وغير واحد من الصحابة والتابعين ممن حضروا خطبته بالجابية.

ورواه عن أبي هريرة: عبدالله بن السائب، وعبيد الله التيمي، وغيرهما.

وهكذا رواه عن كل صحابي واحد أو أكثر وهلمَّ، وقد استوفيت طرقه وألفاظه في كتابي "الابتهاج بتخريج أحاديث المنهاج".

والمقصود أنَّ أحدًا لم ينفِ الإجماع غير النظَّام، وقد ذكر القاضي عياض في أواخر "الشفا" أنَّ العلماء اختلفوا في إكفاره بسبب ذلك.

أمَّا قول الإمام أحمد: «مَن ادعى الإجماع فهو كاذب» فلم يقصد به نفي الإجماع ومعاذ الله أن يقصد ذلك، كيف وهو قد حكى الإجماع في عدَّة مسائل ذكر بعضها ابن القيم في مواضع من "أعلام الموقعين"؟!

وروى البيهقي عنه قال: «أجمع الناس على أنَّ هذه الآية في الصَّلاة يعني ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ﴾ [الأعراف: ٢٠٤] الآية[1] وليس من المعقول أن يناقض نفسه، فلا جرم أن قال أصحابه إنما قال ما سبق في حقِّ مَن ليس له معرفة بخلاف السلف.

وقال ابن تيمية والأصفهاني: أراد غير إجماع الصحابة أمَّا إجماعهم فحُجَّة معلوم تصوُّره لكون المجمعين ثمَّة في قِلَّة، والآن في كثرة وانتشار.

وقال ابن رجب: «إنما قاله إنكارًا على فقهاء المعتزلة الذين يدَّعون إجماع الناس على ما يقولونه، وكانوا مِن أقل الناس معرفة بأقوال الصحابة والتابعين» قال: «وأحمد لا يكاد يوجد في كلامه احتجاج بإجماع بعد التابعين أو بعد القرون الثلاثة».اهـ

وقيل بل قاله على جهة الوَرَع لجواز أن يكون هناك خلاف لم يبلغ الناقل.

وقال الكمال بن الهمام: «كلامه محمول على استبعاد انفراد اطلاع ناقل

---

(١) وكذا نقل عنه ابن تيمية في "فتاويه" (ص١٤٣ ج٢)، و(ص٤١٢ ج٢) وفي "المغني" لابن قدامة: «قال أحمد في رواية أبي داود: وأجمع الناس على أنَّ هذه الآية في الصَّلاة».

الإجماع عليه. قال ابن أمير الحاج: إذ لو لم يكن كاذبًا لنقله غيره أيضًا كما يشهد به لفظه في رواية ابنه عبدالله، وهو: مَن ادَّعى الإجماع فقد كذب لعل الناس قد اختلفوا، ولكن يقول لا نعلم الناس اختلفوا إذا لم يبلغه».اهـ

فلا متمسَّك للمبتدع في كلام الإمام أحمد رضي الله عنه كما لا متمسَّك له في كلام ابن حزم في "مراتب الإجماع"، والقاضي عياض في "شرح مسلم" مما يفيد وجود خلاف في نزول عيسى عليه السَّلام؛ لأنه خلاف مبهم مجهول لم يعرف صاحبه حتى تعرف منزلته العلمية والدينية، وما كان من هذا القَبيل فلا عِبرة به.

على أنَّ القاضي عياضًا حكاه عن بعض المعتزلة والجَهْمية، وهؤلاء معروفون بمخالفة السُّنَّة؛ لأنهم من أجهل الناس بالحديث وأقوال الصحابة والتابعين، وكلامهم في العقائد ينادي بجهلهم الفاضح، فلَيْتَهم سكتوا عما لم يحسنوه، ولهذا قال ابن رشد إنَّ الخلاف الذي حكاه ابن حزم لا يصح، وقد نقلناه فيما سبق.

فالمبتدِع إن أراد أن يبطل الإجماع الذي نقلناه عن الأشعريِّ وابن عطيَّة وابن رشد وغيرهم فطريقة إبطاله أن يثبت بإسناد صحيح يطمئن إلى صحَّته القلب أنَّ الصحابي الفلاني أو التابعي الفلاني أو مالكًا أو أبا حنيفة مثلًا صرَّح بإنكار نزول عيسى عليه السَّلام، تصريحًا لا يتطرَّق إليه شيءٌ من الاحتمالات العشر، حتى لا يكون عرضة للتأويل، وبدون هذا لا يبطل الإجماع.

مع أنَّ المبتدِع لا يستطيع أن يثبت ذلك إلى أن ينزل عيسى عليه السَّلام؛ لأنه لا يجد صحابيًّا ولا تابعيًّا ولا إمامًا سبقه إلى بدعته والحمد لله.

أمَّا إيراده كلام الشيخ محمد عبده والشيخ رشيد والشيخ المراغي دليلًا على وجود الخلاف في المسألة فمغالطة باردة مكشوفة؛ لأن مَن له أدنى مساس بعلم الأصول يعلم أنَّ المعتبر في الإجماع كلام المجتهدين الذين تقوم بهم الحُجَّة وهم ورثة الأنبياء كما ورد في الحديث، أمَّا العوام فلا عبرة بخلافهم ولا وفاقهم وإن كانوا يحملون ورقة تسمى شهادة العالمية، بل يكون الإجماع حُجَّةً عليهم يعصون بمخالفته كما هو مقرَّر في محله.

وكلام الشيخ رشيد في الجزء العاشر من المجلد الثامن والعشرين للـ"منار" ليس خارقًا للإجماع فحسب، بل فيه مساس بالرسول عليه الصَّلاة والسَّلام.

هذا وأرى لزامًا عليَّ بعد أن أوضحت تواتر نزول عيسى عليه السَّلام، وبيَّنت بطلان ما هَذَى به المبتدِع ورؤساؤه وقرناؤه أن أذكر جملة من الأحاديث الصحيحة الصريحة؛ ليَهْلِك مَن هَلَك عن بيِّنةٍ ويَحْيى من حَيَّ عن بيِّنةٍ، والله وليُّ التوفيق.

جملة من الأحاديث الصحيحة في إثبات نزول عيسى عليه السلام

الحديث الأول

عن سعيد بن المسيِّب، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**والذي نفسي بيده ليوشِكَنَّ أن ينزل فيكم ابن مريم حَكَمًا عَدْلًا، فيكسِرَ الصَّليبَ، ويقتلَ الخنزيرَ، ويَضَعَ الجِزْيَةَ، ويفيضَ المالُ حتَّى لا يقبله أحدٌ، حتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها**».

ثُمَّ يقول أبو هريرة واقرأوا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩]

رواه الشيخان، والترمذيُّ، وابن ماجه، وابن أبي شيبة، وابن مردويه، وغيرهم.

الحديث الثاني

عن نافع مولى أبي قتادة الأنصاري: أنَّ أبا هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**كيف أنتم إذا نَزَلَ ابنُ مريم فيكم وإمامُكم منكم؟**». رواه عبدالرازق وأحمد والشيخان.

وفي رواية لمسلم: «**كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم فأمَّكم منكم؟**».

قال ابن أبي ذئب رواية: يعني فأمَّكم بكتاب ربكم تبارك وتعالى، وسُنَّة نبيِّكم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

الحديث الثالث

عن عطاء بن ميناء، عن أبي هريرة: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**والله لينزلنَّ ابن مريم حَكَمًا عادلًا، فليكسرنَّ الصَّليب، وليقتلنَّ**

الخنزير، وليَضعنَّ الجِزْية، ولتتركنَّ القِلَاصُ فلا يُسعى عليها، ولتذهبنَّ الشَّحْناء والتباغض والتحاسد، وليدعونَّ إلى المال فلا يقبله أحدٌ».

رواه أحمد، ومسلم، وابن حِبَّان في "صحيحه".

الحديث الرابع

عن حنظلة بن علي الأسلمي، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الخنزير، ويمحو الصَّليب، وتُجمع له الصَّلاة، ويُعطِي المال حتى لا يُقبل، ويضع الخَراج، وينزل الرَّوْحاءَ فيَحُجُّ منها أو يعتمر أو يجمعهما**».

قال: وتلا أبو هريرة: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ [النساء: ١٥٩] الآية، قال: فزعم حنظلة أن أبا هريرة قال: «يؤمن به قبل موت عيسى». رواه أحمد، وابن أبي حاتم بإسناد على شرط الصحيح.

وروى مسلم، وابن حِبَّان منه قصة الحج ولفظهما: «**ليهِلنَّ عيسى ابن مريم بفجِّ الرَّوْحَاءِ بالحجِّ أو العُمْرة، أو لَيَثْنِيَنَّهما جميعًا**». وهي رواية للإمام أحمد أيضًا.

الحديث الخامس

عن عبدالرحمن بن آدم، عن أبي هريرة: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**الأنبياء إخوةٌ لعَلَّات أمهاتهم شتَّى ودينهم واحد، وإنِّي أولى الناس بعيسى ابن مريم؛ لأنه لم يكن بيني وبينه نبيٌّ، وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه، رجلٌ مَرْبُوعٌ إلى الحُمْرة والبياض عليه ثوبان ممصَّران، كأن رأسه يقطر وإن لم**

يصبه بلل، فيدق الصَّليب ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويدعو الناس إلى الإسلام، ويُهلك الله فى زمانه المِلَلَ كلَّها إلَّا الإسلام، ويُهلك في زمانه المسيح الدَّجَّال، ثم تقع الأمنة على الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنِّمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصِّبيان بالحيَّات لا تضرُّهم، فيمكث أربعين سنة، ثم يتوفَّى ويصلِّي عليه المسلمون ويدفنونه». رواه أحمد، وأبو داود، وابن جرير، وابن حِبَّان في "صحيحه"، والحاكم وصحَّحه، وسلَّمه الذهبيُّ، وصحَّحه أيضًا الحافظ ابن حجرٍ.

الحديث السادس

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «لا ينزل الدَّجَّال المدينةَ، ولكنه بين الخَنْدَقِ، وعلى كلِّ نَقْبٍ منها ملائكةٌ يحرسونها، فأول مَن يتبعه النِّساء فيؤذينه فيرجع غضبان حتى ينزل الخَنْدَقَ، فعند ذلك ينزل عيسى ابن مريم».

رواه الطبراني في "المعجم الأوسط" قال الحافظ الهيثميُّ: «رجاله رجال الصحيح غير عقبة بن مكرم الضبِّي وهو ثقة».

الحديث السابع

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «ليهبطنَّ ابن مريم حَكَمًا عادِلًا وإمامًا مُقْسِطًا، وليسلكنَّ فجًّا -يعني فجَّ الرَّوْحاء- حاجًّا أو معتمرًا، و ليأتينَّ قبري حتى يسلِّم عليَّ ولأردنَّ عليه».

يقول أبو هريرة: «أي بني أخي إن رأيتموه فقولوا: أبو هريرة يقرئك

السَّلام». رواه الحاكم وصحَّحه، وسلَّمه الذهبيُّ.

الحديث الثامن

عن أبي هريرة: عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إني لأرجو إن طال بي عُمُرٌ أن ألقى عيسى ابن مريم عليه السَّلام، فإن عجَّل بي موت فمن لقيه منكم فليقرئه مِنِّي السَّلام**». رواه أحمد، وقال الحافظ الهيثمي: «رجال إسناده رجال الصحيح».

الحديث التاسع

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يوشك المسيح عيسى ابن مريم أن ينزل حَكَمًا مُقْسِطًا وإمامًا عَدْلًا، فيقتل الخنزير، ويكسر الصَّليب، وتكون الدعوة واحدة، فأَقْرِئوه -أو أَقْرِئْه- السَّلام من رسول الله، وأحدِّثه فيصدِّقني**». فلما حضرته الوفاة قال أقرئوه منه – يعني رسول الله – السَّلام. رواه أحمد، وإسناده حسن.

الحديث العاشر

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ألا إنَّ عيسى ابن مريم ليس بيني وبينه نبيٌّ ولا رسول، ألا إنه خليفتي في أمَّتي من بعدي، ألَا إنه يقتل الدَّجَّال، ويكسر الصَّليب، ويضع الجِزْية، وتضع الحرب أوزارها، ألَا من أدركه منكم فليقرأ عليه السَّلام**».

رواه الطبراني في "الصغير"، والخطيب في "التاريخ" بإسناد حسن أيضًا.

الحديث الحادي عشر

عن سعيد بن ميناء، عن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**طُوبَى لعيشٍ بعد المسيح** -يعني بعد نزوله- **يُؤْذَنُ للسماء في القَطْر، ويُؤْذَنُ للأرض في النبات حتى لو بذرت حبَّك على الصفا**[1] **لنبت وحتى يمرَّ الرجل على الأسد فلا يضرُّه، ويطأ على الحيَّة فلا تضرُّه ولا تشاحَّ ولا تحاسدَ ولا تباغضَ**». رواه الحافظ أبو سعيد محمد بن علىٰ النقَّاش في جزءٍ له في فوائد العراقيين، ورجال إسناده ثقات، وبعضهم من رجال الشيخين.

الحديث الثاني عشر

عن أبي هريرة: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ينزل عيسى ابن مريم فيمكثُ في النَّاسِ أربعين سنةً**».

رواه الطبراني في "الأوسط" وقال الحافظ الهيثمي: «رجاله ثقات»، وذكره الحافظ ابن كثير في "تاريخه" من طريق هشام بن عروة، عن صالح مولىٰ أبي هريرة، عنه، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

الحديث الثالث عشر

عن أبي هريرة يرويه قال: «**لا تزال عِصابةٌ مِن أمَّتي على الحقِّ ظاهرين على الناس، لا يبالون من خالفهم حتى ينزل عيسى ابن مريم**».

رواه ابن عساكر في "تاريخ دمشق" وهو حديث صحيح بل متواتر، صرح بتواتره أبو العباس ابن تيمية في كتابه "اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة

---

(١) الصفا: صخرة ملساء لا تنبت شيئًا.

أصحاب الجحيم"، وتتبَّع طرقه شقيقنا الحافظ السيد أحمد في رسالة سمَّاها "الأجوبة الصارفة عن إشكال حديث الطائفة".

الحديث الرابع عشر

عن أبي صالح، عن أبي هريرة: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لا تقوم الساعة حتى تنزل الروم بالأعماق -أو بدَابِق- فيخرج إليهم جيشٌ مِن المدينة مِن خِيَارِ أهل الأرض يومئذٍ...**» وذكر الحديث إلى أن قال: «**فإذا جاءوا الشام خرج -يعني الدَّجَّال- فبينما هم يعدون للقتال يسَوُّون الصفوف إذ أقيمت الصَّلاة، فينزل عيسى ابن مريم فيؤمهم -أي يقصدهم- فإذا رآه عدوُّ الله ذاب كما يذوب المِلح في الماء فلو تركه لذاب حتى يَهْلِك، ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته**». رواه مسلمٌ في "صحيحه".

الحديث الخامس عشر

عن مطير الهلالي، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لم يسلَّط على قَتْلِ الدَّجَّالِ إلَّا عيسى ابن مريم**». رواه أبو داود الطيالسيُّ، وهو حديثٌ صحيحٌ.

الحديث السادس عشر

عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**والذي نفس أبي القاسم بيده لينزلنَّ عيسى ابن مريم إمامًا مُقْسِطًا وحَكَمًا عَدْلًا، فليكسرنَّ الصَّليب، ويقتلنَّ الخنزير، وليصلحنَّ ذات البَيْن، وليُذهبنَّ الشحناء، وليعرضن المال فلا يقبله أحدٌ، ثم لئن قام على قبري فقال: يا محمَّد**

لأجبتُه». رواه أبو يعلىٰ، وقال الحافظ الهيثمي: «رجال الصحيح».

الحديث السابع عشر

عن أبي الطفيل، عن حذيفة بن أَسِيد الغِفاري ويكني أبا سريحة -بفتح السين المهملة - قال: اطَّلع النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علينا ونحن نتذاكر فقال:«**ما تذاكرون؟**» قالوا نذكر الساعة، فقال: «**إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آياتٍ**» فذكر: «**الدُّخَان، والدَّجَّال، وطلوع الشمس مِن مغربها، ونزول عيسى ابن مريم عليه السَّلام، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خُسُوفٍ: خَسْفٌ بالمشرق، وخَسْفٌ بالمغرب، وخَسْفٌ بجزيرة العرب. وآخر ذلك نارٌ تخرج من اليمن تطرد النَّاسَ إلى مَحْشَرِهم**». رواه أحمد، ومسلمٌ، وأبو داود، والترمذيُّ، والنَّسائيُّ، وابن ماجه، وابن حِبَّان في "صحيحه".

الحديث الثامن عشر

عن جُبير بن نُفير الحضرمي: أنه سمع النوَّاس بن سَمْعَان الكِلابي يقول: ذكر رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم الدَّجَّال ذات غداةٍ فخفض فيه ورفع، حتىٰ ظنناه في طائفة النخل، فلما رحنا إليه، عرف ذلك فينا فقال: «**ما شأنكم؟**» قلنا: يا رسول الله، ذكرت الدَّجَّال غداة فخفضت فيه ورفعت حتىٰ ظنناه في طائفة النخل، فقال: «**غير الدَّجَّال أخوفني عليكم إن يخرج وأنا فيكم فأنا حَجِيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حَجِيج نفْسِه، والله خليفتي على كلِّ مسلمٍ، إنه شابٌّ قَطَطٌ عينُه طافئة، كأني أُشبِّهه بعبدالعزَّى بن قَطَنٍ، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح (سورة الكهف)...**». وذكر الحديث إلىٰ

أن قال: «فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مَهْرُودَتين واضعًا كفَّيه على أجنحة مَلَكين، إذا طَأْطَأ رأسه قَطَرَ، وإذا رفعه تحدَّر منه جُمَانٌ كاللؤلؤ، فلا يَحِلُّ لكافرٍ يجد ريح نَفَسِهِ إلَّا مات، ونَفَسُهُ ينتهي حيث ينتهي طَرْفُه، فيطلبه حتى يدركه بباب لُدٍّ فيقتله...» وذكر بقية الحديث. رواه أحمد، ومسلم، والأربعة.

الحديث التاسع عشر

عن يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي قال: سمعت عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «يخرج الدَّجَّال في أمتي فيَمْكُثُ أربعين -لا أدري أربعين يومًا أو أربعين شهرًا أو أربعين عامًا- فيبعث الله عيسى ابن مريم كأنه عُرْوة بن مسعود فيطلبه فيُهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله ريحًا باردة مِن قِبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحدٌ في قلبه مثقال ذرَّةٍ من خيرٍ أو إيمان إلَّا قبضته». الحديث. رواه مسلم في "صحيحه"، والنَّسائي في "التفسير" والحاكم وقال: «صحيح على شرط الشيخين».

الحديث الموفي عشرين

عن أبي الزبير: أنه سمع جابر بن عبدالله يقول: سمعت النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «لا تزال طائفةٌ مِن أمَّتي يقاتلون على الحقِّ ظاهرين إلى يوم القيامة»، قال: «فينزل عيسى ابن مريم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فيقول أميرهم: تعال صلِّ لنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه

الأمة». رواه مسلم وابن حِبَّان في صحيحيهما.

وله طرق عند أبي يعلىٰ وأبي نعيم في "أخبار المهدي"، وأبي عمرو الداني في "سننه"، ووقع في رواية الأخيرين التصريح بأنَّ أمير الطائفة هو المهدي، وحديث المهديِّ متواترٌ كما صرَّح به غير واحد.

الحديث الحادي والعشرون

عن جابر قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**يخرج الدَّجَّال في خَفْقَةٍ من الدِّين وإدبارٍ مِن العِلْم، وله أربعون ليلة يسيحها في الأرض، اليوم منها كالسَّنَة، واليوم منها كالشهر، واليوم منها كالجمعة، ثُمَّ سائر أيامه كأيامكم هذه وله حِمارٌ يركبه...**».

وذكر الحديث في صفة الدَّجَّال إلىٰ أن قال: «**فيفرُّ الناسُ إلى جبل الدُّخَان بالشام فيحاصرهم فيشتدُّ حِصارهم ويُجْهِدُهم جَهْدًا شديدًا، ثُمَّ ينزل عيسى عليه السَّلام فينادي مِن السَّحَر، فيقول: يا أيها الناس ما يمنعكم أن تخرجوا إلى هذا الكذَّاب الخبيث فيقولون: هذا رجلٌ جِنِّيٌّ، فينطلقون فإذا هم بعيسى عليه السَّلام فتقام الصَّلاة فيقال له: تقدَّم يا روح الله. فيقول: ليتقدَّم إمامكم فيصلِّي بكم. فإذا صلَّى صلاة الصبح خرج إليه**». قال: «**فحين يراه الكذَّاب يَنْمَاثُ كما يَنْمَاثُ المِلح في الماء، فيمشي إليه فيقتله حتى أنَّ الشَّجَرَ والحَجَرَ يُنادي: هذا يهوديٌّ. فلا يترك ممن كان يتبعه أحدٌ إلَّا قتله**». رواه أحمد بإسنادين، وابن خزيمة في "صحيحه"، وقال الحافظ الهيثمي: «رجال إسنادي أحمد رجال الصحيح».

الحديث الثاني والعشرون

عن جابر أيضًا قال: إنَّ امرأة من اليهود بالمدينة ولدت غلامًا مَمْسُوحةٌ عينه طالعةٌ ناتِئَـةٌ، فأشفق رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أن يكون هو الدَّجَّال... وذكر حديث ابن صائد وتردُّد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في شأنه، وفي آخره: فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: ائذن لي يا رسول الله، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إن يكن هو فلستَ صاحبه، إنما صاحبه عيسى ابن مريم، وإلَّا يكن هو فليس لك أن تقتلَ رجلًا من أهل العهد**». رواه الإمام أحمد، وقال الحافظ الهيثمي: «رجال إسناده رجال الصحيح».

الحديث الثالث والعشرون

عن عبدالله بن يزيد بن مجمع بن جارية قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**يقتل ابن مريم المسيح الدَّجَّال بباب لُدٍّ**» أو «**إلى جانب لُدٍّ**». رواه عبدالرزاق، وأحمد، والترمذيُّ وقال: «هذا حديث صحيح»، قال: «وفي الباب عن عمران بن حصين، ونافع بن عتبة، وأبي برزة، وحذيفة بن أسيد، وأبي هريرة، وكيسان، وعثمان بن أبي العاص، وجابر، وأبي أمامة، وابن مسعود، وعبدالله بن عمرو، وسمرة بن جندب، والنوَّاس بن سَمْعَان، وعمرو بن عوف، وحذيفة بن اليَمان رضي الله عنهم».اهـ كلامه.

قال الحافظ ابن كثير: «ومراده برواية هؤلاء ما فيه ذكر الدَّجَّال وقتل عيسى ابن مريم عليه السلام له، فأمَّا أحاديث ذكر الدَّجَّال فقط فهي كثيرة

جدًّا وهي أكثر من أن تحصىٰ لانتشارها وكثرة رواتها في الصِّحاح والحِسان والمسانيد وغير ذلك».اهـ

الحديث الرابع والعشرون

عن أبي نَضْرة قال: أتينا عثمان بن أبي العاص في يوم جُمُعةٍ لنعرض عليه مصحفًا لنا علىٰ مصحفه، فلما حضرت الجُمُعة أمرنا فاغتسلنا، ثُمَّ أتينا بطِيب فتطَيَّبنا، ثُمَّ جئنا المسجد فجلسنا فقال: سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**يكون للمسلمين ثلاثة أمصارٍ، مِصْرٌ بملتقى البحرين، ومِصْرٌ بالحِيرة، ومِصْرٌ بالشام، فيفزع الناس ثلاث فزعاتٍ، فيخرج الدَّجَّال في أعراض الناس، فيهزم مِن قِبل المشرق فأول مِصْرٍ يَرِدُ المِصْرَ الذي بملتقى البحرين...**» وذكر حصار الدَّجَّال للمسلمين وما يصيبهم من جَهْدٍ ومَجاعةٍ إلىٰ أن قال: «**فبينما هم كذلك إذ نادى منادٍ مِن السَّحَر: «يا أيها الناس، أتاكم الغوثُ» -ثلاثًا- فيقول بعضهم لبعض: «إنَّ هذا لصوت رجلٍ شبعان»، وينزل عيسى ابن مريم عليه السَّلام عند صلاة الفجر فيقول له أميرهم: «يا رُوح الله، تقدَّم فصلِّ»، فيقول: «هذه الأمَّة أمراء بعضهم على بعض» فيتقدَّم أميرهم فيصلِّي، فإذا صلَّى به، أخذ عيسى عليه السَّلام حَرْبته فيذهب نحو الدَّجَّال، فإذا رآه الدَّجَّال ذاب كما يذوب الرَّصاص، فيضع حربته بين ثَنْدُوَتِهِ فيقتله، وينهزم أصحابه فليس شيءٌ يومئذٍ يُواري منهم أحدًا حتى أنَّ الشجرة لتقول: يا مؤمن هذا كافرٌ**».

رواه أحمد والطبراني بإسناد حسن.

الحديث الخامس والعشرون

عن عمرو بن عبدالله الحضرمي قال: حدثني واثلة بن الأسقع -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**لا تقوم الساعة حتى تكون عشر آياتٍ: خَسْفٌ بالمشرق، وخَسْفٌ بالمغرب، وخَسْفٌ في جزيرة العرب، والدَّجَّال، والدُّخَان، ونزول عيسى ابن مريم، ويَأْجُوجُ ومَأْجُوجُ، والدَّابَّة، وطلوع الشمس مِن مغربها، ونارٌ تخرج مِن قَعْرِ عَدَنٍ تسوق الناس إلى المَحْشر تحشر الناس تَسُوق الذرَّ والنَّمْل**» رواه الطبراني، والحاكم وصححه، وسلمه الذهبي.

الحديث السادس والعشرون

عن عن مؤْثِر بن عَفَازة، عن ابن مسعود رضي الله عنه، عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لَقيتُ ليلة أُسريَ بي، إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السَّلام، فتذاكروا أمر السَّاعة فردُّوا أمرهم إلى إبراهيم فقال: لا عِلْمَ لي بها، فردُّوا أمرهم إلى موسى فقال: لا عِلْمَ لي بها، فردُّوا أمرهم إلى عيسى فقال: أمَّا وَجْبَتُها فلا يعلم بها أحدٌ إلَّا الله، وفيما عَهِدَ إليَّ ربِّي عزَّ وجلَّ أنَّ الدَّجَّال خارجٌ، ومعي قَضِيبان فإذا رآني ذابَ كما يذوبُ الرَّصَاص، قال: فيهلِكُه الله إذا رآني**». وفي رواية «**و معي قضيبان فأهبط فأقتله حتى أنَّ الحَجَر والشَّجَر يقول: يا مسلم إنَّ تحتي كافرًا فتعال فاقتله**» قال: «**فيهلكهم الله ثُمَّ يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم...**» الحديث.

رواه أحمد، وابن ماجه، والحاكم وصحَّحه، وسلَّمه الذهبيُّ.

الحديث السابع والعشرون

عن رِبْعيٍّ بن حِرَاشٍ، عن حذيفة بن اليَمان رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أنا أعلم بما مع الدَّجَّال منه، معه نَهْران أحدهما نارٌ تَأَجَّجُ في عين مَن رآه، والآخر ماءٌ أبيض، فإن أدركه منكم أحد فليغمض عينه، وليشرب من الذي يراه نارًا فإنه ماءٌ باردٌ، وإياكم والآخر فإنه الفتنة، واعلموا أنه مكتوبٌ بين عينيه: «كافر» يقرأه مَن يكتب ومَن لا يكتب، وإنَّ إحدى عينيه مَمسوحةٌ، عليها ظَفَرةٌ...**» وذكر الحديث في حصاره للمسلمين إلى أن قال: «**فلما قاموا يصلُّون نزل عيسى ابن مريم صلوات الله عليه أمامهم فصلَّى بهم -أي معهم- فلما انصرف قال: هكذا أفرجوا بيني وبين عدوِّ الله...**» وذكر الحديث. رواه الحاكم وقال: «صحيح على شرط مسلم»، وسلَّمه الذهبيُّ.

الحديث الثامن والعشرون

عن حذيفة أيضًا قال: إن أصحاب النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كانوا يسألون عن الخير وكنت أسأل عن الشرِّ مخافة أن أدركه، وإني بينما أنا مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ذات يوم قلت: يا رسول الله أرأيت هذا الخير الذي أعطانا الله هل بعده مِن شر كما كان قبله شر؟ قال: «**نعم**» قلت: فما العصمة منه؟ قال:«**السَّيف**» قلت: وهل للسيف من بقية؟ قال: «**هُدْنةٌ على دَخَنٍ**» قلت: يا رسول الله ما بعد الهدنة؟ قال: «**دعاة للضلالة فان لقيت لله يومئذٍ خليفةً في الأرض فالزمه وإن أخذ مالك وضرب ظهرك وإلَّا** -وفي رواية

فإن لم يكن خليفة- فاهربن في الأرض حدَّ هربك -أي منتهى هربك- حتى يدركك الموت وأنت عاضٌّ على أصلِ شجرةٍ». قلت: يا رسول الله فما بعد دعاة الضلالة؟ قال: «خروج الدَّجَّال» قلت: يا رسول الله وما يجئ به الدَّجَّال، قال: «يجئ بنارٍ ونهرٍ فمَن وقع في ناره وَجَب أجره وحُطَّ وِزْره». قلت: يا رسول الله فما بعد الدَّجَّال؟ قال: «عيسى ابن مريم» قلت: فما بعد عيسى ابن مريم؟ قال: «لو أنَّ رجلًا نتج فرسًا لم يركب مُهْرها حتى تقوم الساعة». رواه ابن أبي شيبة، وابن عساكر، وهو حديثٌ صحيحٌ.

الحديث التاسع والعشرون

عن عبدالله بن مُغَفَّل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: « ما أهبط الله تعالى إلى الأرض منذ خلق آدم إلى أن تقوم الساعة فِتنةٌ أعظم مِن فِتنة الدَّجَّال، وقد قلت فيه قولًا لم يقله أحدٌ قبلي: إنه آدمٌ جَعْدٌ مَمْسوحُ عين اليسار، على عينه ظَفَرةٌ غليظةٌ، وإنه يبرئ الأَكْمَه والأَبْرَص، ويقول: «أنا ربُّكم» فمن قال: «ربِّي الله» فلا فتنة عليه -أي في دينه لا في دنياه- ومَن قال: أنت ربِّي فقد افتتن -أي كفر- يلبث فيكم ما شاء الله، ثُمَّ ينزل عيسى ابن مريم مُصدِّقًا بمحمَّدٍ على مِلَّته إمامًا مهديًّا، وحَكَمًا عَدْلًا فيقتل الدَّجَّال».

فكان الحسن -يعني البصري- يقول: «ونرى أنَّ ذلك عند الساعة».

رواه الطبرانيُّ، والبيهقيُّ في "البعث"، وسنده جيِّد كما قال الحافظ السيوطي.

الحديث الموفي ثلاثين

عن أبي صالح، عن أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت دخل عليَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وأنا أبكي فقال: «مايبكيك؟». قلت: «يا رسول الله، ذكرتُ الدَّجَّال فبكيت». فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إن يخرج وأنا فيكم كَفَيْتُكُمُوه، وإن يخرج بعدي فإن ربَّكم عزَّ وجلَّ ليس بأعْوَرَ، إنه يخرج مِن يهوديَّة أصبهان** -اسم مكان نسب إليه بعض العلماء كما في كتب الكنىٰ والأنساب- **حتى يأتى المدينة فينزل ناحيتها، ولها يومئذٍ سبعة أبواب، على كلِّ نَقْبٍ منها مَلَكان فيخرج إليه شِرار أهلها حتى يأتي الشام مدينة فلسطين بباب لُدٍّ**» قال أبو داود مرة: «**حتى يأتي مدينة فلسطين باب لُدٍّ**» **فينزل عيسى ابن مريم عليه السَّلام فيقتله، ويمكث عيسى في الأرض أربعين سنة إمامًا عَدْلًا، وحَكَمًا مُقْسِطًا**». رواه الإمام أحمد، وابن حِبَّان في "صحيحه"، وقال الحافظ الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح».

الحديث الحادي والثلاثون

عن سمرة بن جندب رضي الله عنه: أن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: « **إنَّ الدَّجَّال خارجٌ، وهو أعور عين الشمال عليها ظَفَرةٌ غَليظةٌ، وإنه يُبْرِئُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ، ويُحيي الموتى، ويقول للناس: «أنا ربُّكم». فمَن قال: «أنت ربِّي» فقد فُتن، ومن قال: «ربِّي الله» حتى يموت على ذلك فقد عُصم من فتنة الدَّجَّال ولا فتنة عليه، فيلبث في الأرض ما شاء الله** -أربعين يومًا علىٰ ما صرح به في الأحاديث الأخرىٰ- **ثُمَّ يخرج عيسى ابن مريم قِبَل**

المغرب -أي جهة المغرب، وهي الشام- مَصدِّقًا بمحمَّدٍ فيقتل الدَّجَّال، وإنما هو قيام الساعة». رواه أحمد والطبراني، وقال الحافظ الهيثمي: «رجال الحديث رجال الصحيح».

الحديث الثاني والثلاثون

عن سمرة أيضًا قال: خطب النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فحمد الله وأثنى عليه، وشهد أنه عبدالله ورسوله، ثُمَّ قال: «أيها الناس، أُنْشدكم بالله إن كنتم تعلمون أني قصَّرتُ عن شيءٍ مِن تبليغ رسالات ربِّي لَمَا أخبرتموني ذلك». قال: فقام رجال فقالوا: «نشهد أنك قد بلَّغت رسالات ربِّك، ونصحتَ لأمَّتك وقضيت الذي عليك». ثُمَّ قال: «أمَّا بعد، فإنَّ رجالًا يزعمون أنَّ كُسُوفَ هذه الشمس وكُسُوفَ هذا القمر وزوال هذه النجوم عن مطالعها لموت رجال عظماء من أهل الأرض، وإنهم قد كَذَبوا، ولكنها آياتٌ من آيات الله يختبر بها عباده فينظر مَن يُحدِثُ له منهم توبةً، وايْم الله لقد رأيت منذ قمتُ أصلِّي -يعني صلاة الكسوف- ما أنتم لاقوه في أمر دنياكم وآخرتكم، وإنه والله لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذَّابًا آخرهم الأعور الدَّجَّال، وإنه متى يخرج فسوف يزعم أنه الله -تعالى- فمن آمن به وصدَّقه واتبعه لم ينفعه عمل صالحٌ مِن عمل سَلَفَ، ومَن كفر به وكذَّبه لم يعاقب بشيءٍ من عمله سَلَف، وإنه سوف يظهر على الأرض كلِّها إلَّا الحرم وبيت المقدس، وإنه يسوق الناس إلى بيت المقدس فيُحصَرُون حصرًا شديدًا»، قال: «فيصبح فيهم عيسى ابن مريم فيقتله وجنوده حتي أنَّ جِذْمَ الحائط وأصل الشجرة لينادي: «يا مسلم

هذا كافر تعال فاقتله»، ولن يكون ذلك حتى تروا أمورًا يتفاقم شأنها في أنفسكم فتتساءلون بينكم: هل كان نبيُّكم ذَكَر لكم منها شيئًا؟ وحتى تزول جبال عن مراتبها، ثُمَّ على أثر ذلك الموت». رواه أحمد، وسعيد بن منصور، وابن خزيمة، وابن جريرٍ، والطحاويُّ، والبزَّار، والطبرانيُّ، والحاكم، والبيهقي. وقال الحاكم: «حديث صحيح على شرط الشيخين»، وسلَّمه الذهبيُّ.

الحديث الثالث والثلاثون

عن أبي قِلابة، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: **«مَن أدرك منكم عيسى ابن مريم فليقرئه مِنِّي السَّلام»**. رواه الحاكم، وهو حديث حسن.

الحديث الرابع والثلاثون

عن أنسٍ أيضًا قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: **«أنا أوَّل مَن يدخل الجنَّة يومَ القيامةِ وأشفع، وسيُدرك رجالٌ مِن أُمَّتي عيسى ابن مريم ويشهدون قتال الدَّجَّال»** رواه الطبراني وهذا لفظه، وأبو يعلى والحاكم بإسناد مجموعهما حسن.

الحديث الخامس والثلاثون

عن عِمران بن حصين -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: **«لا تزال طائفةٌ مِن أمَّتي تقاتل على الحقِّ حتى ينزل عيسى ابن مريم عليه السَّلام عند طلوع الفجر ببيت المقدس، ينزل على المهديِّ فيقال: «تقدَّم يا نبيَّ الله فصلِّ بنا» فيقول: هذه الأمة أمراء بعضهم على بعضٍ»**. رواه

أبو عمرو الداني في "سننه" وهو حديث صحيح.

الحديث السادس والثلاثون

عن عبدالأعلى بن عدي البهراني، عن ثوبان مولى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عنه قال: «**عِصَابتان مِن أُمَّتي أَحْرَزَهُما الله مِن النَّار عِصَابةٌ تغزو الهند، وعِصَابةٌ تكون مع عيسى ابن مريم**». رواه أحمد، والنَّسائيُّ، والطبرانيُّ، والضياء المقدسي في "المختارة"، وقال المناوي في "شرح الجامع الصغير": «إسناده حسن».

الحديث السابع والثلاثون

عن عبدالرحمن بن أيوب بن نافع بن كيسان، عن أبيه، عن جده نافع صاحب النبي -صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يرفعه: «**ينزل عيسى ابن مريم عند باب دمشق عند المنارة البيضاء لست ساعات مِن النهار في ثوبين ممشَّقين كأنما يَنْحِدُر مِن رأسه اللؤلؤ**». رواه ابن عائذ، وتمام في "فوائده"، وابن شاهين في "الصحابة"، وابن عساكر في "التاريخ"، وهو حسن لغيره.

الحديث الثامن والثلاثون

عن نافع بن كَيسان بن عبدالله بن طارق، عن أبيه: سمعت النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**ينزل عيسى ابنُ مريم عند المنارة البيضاء شرقي دمشق**». رواه البخاري في "التاريخ"، والطبراني، وابن السكن، وابن منده، وتمام في "فوائده"، والربعي في "فضائل الشام"، ورجال الحديث ثقات كما قال الحافظ ابن حجرٍ.

الحديث التاسع والثلاثون

عن أبي يحيي مولى ابن عَفْراء، عن ابن عبَّاسٍ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف: ٦١] قال: «**نزول عيسى ابن مريم من قبل يوم القيامة**». رواه ابن حِبَّان في "صحيحه".

الحديث الموفي أربعين

روى محمد بن شعيب بن شابور، عن يزيد بن عَبيدة -بفتح العين- ابن أبي المهاجر الكوني الدمشقي، عن أبي الأشعث الصنعاني، عن أوس بن أوس الثقفي قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ينزل المسيح عيسى ابن مريم عند المنارة البيضاء شرقي دمشق**»، رواه ابن أبي حاتم، ورجال إسناده ثقات.

فهذه أربعون حديثًا إذا ضُمَّت إلى ما سبق أول الكتاب من الأحاديث المرفوعة والآثار التي لها حكم الرفع بلغ مجموعها نحو خمسين حديثًا كلها بين صحيح وحسن.

ومِن هنا يُعلم أنَّ ما قلناه في "إقامة البرهان" مِن أنَّ الأحاديث الضعيفة مجبورة بالأحاديث الصحيحة صحيح لا غبار عليه، وأنَّ ما قلناه هناك مِن أنَّ التواتر لا تشترط في رواته العدالة موافق لما قرَّره الأصوليون والمحدِّثون.

ولذا قال الحافظ ابن حجرٍ في "شرح النخبة" إنَّ المتواتر ليس من مباحث علم الإسناد قال: «إذ علم الإسناد يبحث فيه عن صحَّة الحديث أو ضعفه ليعمل به أو يترك من حيث صفات الرجال وصِيغ الأداء، والمتواتر لا يبحث عن رجاله بل يجب العمل به من غير بحث».اهـ

وقال الشوكاني في "إرشاد الفحول" بعد إذ عرَّف المتواتر وذكر شروطه ما نصُّه: «وقد اشترط عدالة النقلة لخبر التواتر فلا يصح أن يكونوا أو بعضهم غير عُدُول، وعلىٰ هذا لابد ألا يكونوا كفَّارًا ولا فُسَّاقًا، ولا وجه لهذا الاشتراط فإن حصول العلم الضروري بالخبر المتواتر لا يتوقَّف علىٰ ذلك بل يحصل بخبر الكفَّار والفسَّاق، والصِّغار المميِّزين، والأحرار والعبيد، وذلك هو المعتبر».اهـ

بل سبق عن ابن الهمام أنَّ خبر الواحد المحتف بالقرائن يفيد العلم ولو كان راويه غير عدل، فبطل ما زعمه المبتدِع أننا خلعنا علىٰ الأحاديث الضعيفة ثوبا مهلهلًا مِن القداسة لا رغبة في العلم ولكن ليقول العامة وأشباه العامة عنَّا أننا محدِّثون وحُفَّاظ.

هذا زعمه الكاذب ودعواه الباطلة، فنحن ما ألَّفنا كتابنا "إقامة البرهان" إلَّا للدفاع عن السُّنَّة النبوية التي دأب المبتدِع علىٰ محاربتها وردِّها بوسائل شيطانية خبيثة، حيث يدَّعي تارة أنها آحاد، والآحاد يفيد الظنَّ، وأخرىٰ أنها روايات مضطربة، وطورًا يجعلها من الإسرائيليات ويلصقها بكعب ووهب ظلمًا وعدوانًا، وحينًا يزعم أنَّ القرآن لم يُشِر إلىٰ ما أتت به، كأنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لا يجب اتباعه إلَّا في القرآن!! إلىٰ غير هذا من الحِيل والخِدع.

فليس إنكار نزول عيسىٰ عليه السَّلام مقصودًا لذاته عند هذا المبتدِع، ولكنه حلقة من حلقات خطة دبَّرها لهدم السُّنَّة ونقضها من أساسها، وآية ذلك أنه لا ينزع في مقالاته وغيرها إلَّا بالقرآن وهذا في الظاهر حسن، لكنه لا يرجع في تفسيره إلىٰ الحديث بل يعتمد علىٰ رأيه ورأي رؤسائه.

وقد يعرض له الحديث الصحيح في تفسير آية فيرده برأيه ولا يبالي، وصرَّح لي بإنكار الدَّجَّال مدعيًا أنَّ أحاديثه مضطربة متناقضة، وأنكر الميزان في محاضرة ألقاها من محطة الإذاعة، وكتب في "مجلة الرسالة" مقالًا بعنوان "شخصيات الرسول" ذكر فيه الشخصيات الأربع التي سرقها مِن القرافي[1] وزاد عليها أنَّ الرسول ليس معصومًا في فتواه وقضائه، وأنه لا يجب اتباعه إلَّا فيما كان طريقه الوحي المحض كالعبادات، أمَّا ما عدا ذلك فتجوز مخالفته فيما أفتىٰ أو قضىٰ به إذا اقتضت المصلحة المخالفة.

إلىٰ غير هذا مما أتىٰ به في ذلك المقال الآثم الذي أراد به أن يطعن السُّنَّة في مصدرها وينبوعها، فلم يسعنا السكوت علىٰ هذه الاعتداءات المتكرِّرة، والجهالات المتوالية، وانتدبنا للدفاع والحجاج، وقاومنا الداء بالعلاج، ووطَّنا أنفسنا علىٰ سماع ما تفوه به في حقِّنا من تهم وشتائم، لعلمنا أنَّ الجاهل إذا أُفحم شنَّع، وأنَّ السفيه إذا غُلب أقذَع، والشتم حيلة العاجز، والحُجَّة شيمة القويِّ المبارز.

ألا فليعلم هذا المبتدِع أننا عزمنا علىٰ موالاة دحض تُرَّهاته ومتابعة محو مفترياته، نرجو بذلك ثواب الله ومغفرته، ونأمل القرب من نبيِّه وشفاعته، لا يردُّنا عن عزمنا سفاهة سفيهٍ أو جهالة جاهلٍ، وعلىٰ الله اعتمادنا وبه ثقتنا، وإليه التجاؤنا، وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة لا بالله العلي العظيم.

---

(١) بواسطة سرقتها من شخص معاصر سرقها من القرافي فهي سرقة مكررة.!!

فتوى الشيخ محمد بخيت المطيعي
في نزول عيسى عليه السلام

هذه فتوىٰ في إثبات نزول عيسىٰ عليه السَّلام لشيخنا المرحوم العلامة الإمام الشيخ محمد بخيت المطيعي مفتي الديار المصرية وشيخ علمائها بدون منازع، كتبها بعد عودته من الحجاز سنة (١٣٥٠ هجرية)، جوابًا عن سؤال أحد علماء ناصرية المتفق المسمىٰ داود الراوي، وهذا نصُّها:

الحمد لله وحده، والصَّلاة والسَّلام علىٰ مَن لا نبيَّ بعده.

«اطلعنا علىٰ هذا السؤال فيما يتعلَّق بحياة عيسىٰ وعدم موته وفي رفعه ونزوله وقتله الدَّجَّال ونقول: أمَّا قول السائل هل هو حيٌّ أم ميِّت؟ وإذا قلت إنه حيٌّ فأين هو وبماذا تستدل فضيلتكم؟

فنقول: أنه حيٌّ لم يَمُت، أخرج ابن جرير الطبري في "تفسيره" قال:[حدثني يعقوب قال:] حدَّثنا ابن عُلَيَّة، عن أبي رجاء، عن الحسن في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩] قال: «قبل موت عيسىٰ، والله إنه الآن لحيٌّ عندالله ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون».

وعن ابن وكيع قال: حدَّثنا أبو أسامة، عن عوف، عن الحسن: ﴿إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩] قال: «عيسىٰ، ولم يمت بعد».

وقال الحسن: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لليهود: «**إنَّ عيسى لم يَمُت وإنه راجع إليكم قبل يوم القيامة**». فأنت ترىٰ أنَّ الحسن رفعه للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فهو وإن كان مرسلًا لكنه في حكم الموصول المسنَد،

وقد صرَّح الأصوليون بأنَّ مرسل الحسن مقدَّم على المسانيد قال في "فواتح الرحموت": «ولا بُعد فيه، ويحتمل أن يكون قولهم: «مقدَّم على المسانيد» مبالغة في تصحيح مرسله». انتهى.

و يؤيد هذا أنَّ الحسن نفسه جزم بحياة عيسى مؤكِّدًا هذا الجزم بالقسم حيث قال: «والله إنه الآن لحيٌّ عند الله».

وهذا الحديث وإن كان خبر آحاد لكنه وقع بيانًا للإجمال الواقع في الآية لوجود الاحتمالات في أهل الكتاب وضمير «به» و«موته» في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ فعيَّن هذا الحديث أنَّ المراد بأهل الكتاب اليهود، وعيَّن أنَّ المراد بالضميرين عيسى عليه السَّلام.

والآحاد يصلح تفسيرًا للمُجْمَل، ومتى وقع تفسيرًا للمُجْمَل القطعيِّ كما هنا كان الدليل هو المجمَل القطعي المبيَّن بذلك الخبر، لا الخبر الذي وقع بيانًا له كما حقَّقه في "فواتح الرحموت شرح مسلَّم الثُّبوت" بعد مناقشة طويلة حيث قال ردًّا على ما استدل به المخالف: «ولا يظهر لهذا وجه فإن إفادة الخبر الظن مما أجمع عليه ومنع المقدمة الاجتماعية لا يجوز.

فبعد ملاحظة هذا الإجماع لا يمكن منع إفادة الخبر الظن، وبعد التنزل للمستدل أن يقول الخبر مفيد للظن ما دام الخبر باقيًا قطعًا، فارتفع المانع حين وجود الخبر قطعًا، فلزم القطع بالحكم في تلك الحال قطعًا وهو المطلوب، فإنهم لا يدعون بعد ظهور عدم وجود البيان كذب الخبر فتدبَّر.

فإذن الحق في الجواب ما أفاده والذي قدس سره منع ارتفاع المانع من القطع الإجمال وجواز الطرف المقابل مرجوحًا، وهنا وإن ارتفع المانع الأول

لكن قام الثاني مقامه، فإنَّ الظنَّ بالشيء يوجب تجويز الطرف المقابل.

هذا ثُمَّ لهم أن يقرِّروا بأنَّ الخبر مفيد للظن بالوضع والاستعمال قطعًا، وهذا الظن يوجب التبادر قطعًا، وتبادر المراد من القطعي رافع للمانع قطعًا لوجود المقتضي، وبالجملة هذا الظن موجب للتبادر وهو يوجب القطع وكيف لا يوجد التبادر فإنه متىٰ علم أنَّ الصلاة في الشرع ما هو؟ ولو بخبر الواحد، والرِّبا ما هو؟ يتسارع الذهن عند سماع اللفظين إلىٰ معناهما الشرعي وإنكاره مكابرة. وليس هذا إلَّا كما إذا أخبر الخليل والأصمعي أنَّ لفظًا وضع في لغة العرب لهذا المعنىٰ يتسارع الذهن عند السماع إليه البتة، وهذا أولىٰ منه فإنَّ هذا الظن قوي معاضد بالإجماع. وهذا هو الذي يرسم في الاستدلال المشهور بأنَّ الحكم بعد تبين الخبر مضاف إلىٰ الدليل يكون مقطوعًا، يعني أنَّ الحكم بعد تبين الخبر يستفاد منه لأجل التبادر ليفيد الوضع؛ لأن المراد المعنىٰ الأعم وهو الذي لا يحتمل المقابل احتمالًا ناشئًا عن دليل، وبعد التبادر فاحتمال عدم الإرادة كاحتمال التأويل في النصِّ فلا اعتداد به، هذا بخلاف ترجيح أحد معنيي المشترك بالرأي فإنه لا يوجب التبادر فتأمَّل فيه فإنه موضع تأمُّل». انتهىٰ.

وأقول: تأمَّلنا فوجدنا أنَّ الأصوليين استدلوا علىٰ وجوب التعبُّد بخبر الواحد باحتجاج الصحابة علىٰ وجوب العمل بخبر العدل، وأنه تواتر عنهم الاحتجاج والعمل بخبر الواحد، وكما أجمعوا علىٰ ذلك فقد أجمعوا علىٰ إفادة خبر الواحد العدل الظن، فكان خبر الآحاد مفيدًا للظن بالإجماع، والعمل به واجبًا بالإجماع، ولا اعتداد بالاحتمال المرجوح الذي هو في مقابلة الظن بدليل تواتر العمل به عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وأصحابه، وقد أطال

الأصوليون في الاستدلال على وجوب العمل بخبر الواحد وعلي تواتره بما يطول شرحه، فإن أردته فعليك بـ"مسلَّم الثُّبوت" و"التحرير" وشرحه من كتب الأصول.

وعلى كل حال فالحق أنَّ الخلاف لفظي، فمن نظر إلى أنَّ خبر الآحاد الصحيح ظني نظر إلى الاحتمال في ذاته، ومن نظر إلى أنَّ هذا الاحتمال لا اعتداد به قال إنه قطعيٌّ، فإذا فسَّر المجمَل كان العمل بهذا التفسير واجبًا بالإجماع سواء قلنا أنَّ خبر الآحاد يفيد القطع أو الظن.

وأمَّا مقره وأين هو فنقول: إنه عند الله، وفي علم الله مكانه، ولا نعلم في أي مكان مستقره؛ ألا ترى أنَّ الجنَّة والنَّار في اعتقاد أهل السُّنَّة موجودتان يقينًا ولكنَّا لا نعلم أين هما.

وأمَّا ما ورد في قصة المعراج أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لقيه في السماء الثانية فهذا لا يدل على أنَّ السماء الثانية مكان له؛ لأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كما لقيه كذلك لقي إبراهيم وموسي وغيرهما مِن الأنبياء في السماوات، ومعلوم أنهم ماتوا، ومَن مات لا تعود له الحياة إلى يوم القيامة.

ولكن الذي وقع ليلة المعراج مِن لقياه الأنبياء هو من باب التمثيل فإنَّ الله تعالى شكَّل أرواحهم على هيأة أجسامهم كما ذكره ابن عقيل، وكذا ذكره ابن التين وقال: وإنما تعود الأرواح إلى الأجسام يوم البعث كما قدمنا إلَّا عيسى عليه السلام فإنه حيٌّ لم يمت، وينزل إلى الأرض فيقتل الدَّجَّال، ألا ترى أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رأى الجنَّة والنار ليلة الإسراء في السماء، ومن المعلوم أنه لم يعلم بطريق قطعيٍّ مكانهما.

وقولهم: «إنَّ الأنبياء أحياء في قبورهم» فهذا لا ينافي ما قاله ابن التين من أنَّ الأرواح إنما تعود إلى الأجساد يوم البعث؛ لأن عودة الأرواح إلى الأجساد يوم البعث هو الذي يقتضي أن تعود الأجساد إلى الحياة المشاهدَة التي يترتَّب عليها جميع الأفعال الاختيارية بأقوى مما كانت عليه في الدنيا.

وأمَّا حياة الأنبياء في قبورهم فهي حياة ملكوتية بها يقدرون على أفعال ملكوتية لا يشهدها ولا يراها إلَّا من يشاهد عالم الملكوت مثل نبيِّنا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الذي رأى موسى في قبره يصلِّي. إلَّا عيسى عليه السلام فإنه وإن أخذه الله إلى عالم الملكوت فإنه موجود فيه كما كان موجودًا في الأرض عالم المُلْك؛ لأنه لم يمت بعد، فهو حيٌّ بحياته الدنيوية التي وُلِد عليها لم تفارق روحه جسده، وإن كان في عالم الملكوت فهو في حراسة الله إلى أن يرجعه الله إلى عالم المُلْك -أي الأرض- ويقتل الدَّجَّال، ثُمَّ يموت كما مات إخوانه الأنبياء، ويدفن في الأرض.

وهذا هو معني نزول عيسى الذي جاءت به الأخبار الصحيحة وليس معناه الانتقال من مكان عال إلى مكان سافل كما فهم السائل.

وأمَّا قوله فما معنى قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ وقد قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] ولم يقل بنوم عيسى إلى يومنا هذا أحد... إلخ.

فنقول: إن السائل باستشهاده بالآية كأنه قصر تفسير التوفِّي على شيئين فقط، التوفِّي بمعنى الموت، والتوفِّي بمعنى النوم، وإنما فعل ذلك ليتسنَّى له

إيراد إشكال على التوفِّي بمعنى النوم وهو قوله: «لم يقل أحد بنوم عيسى إلى يومنا هذا». فنفيده أنَّ معنى التوفِّي ليس قاصرًا على هذين المعنين فإنَّ المفسِّرين ذكروا أوجهًا كثيرة في معني التوفِّي، والصحيح قول القرطبيِّ أنَّ الله رفعه من غير وفاة -أي موت- ولا نوم، وهو اختيار الطبري والرواية الصحيحة عن ابن عبَّاسٍ، ومعنى الوفاة يحتمل على اختيار الطبري أربعة أوجه:

الأول: بمعنى الإماتة في المستقبل، وهو قول الفراء: إنَّ في الكلام تقديمًا وتأخيرًا، تقديره: رافعك ومطهِّرك ومتوفِّيك بعد إنزالك من السماء.

الثاني: بمعنى القبض وهو قول ابن زيد: «متوفِّيك» قابضك من الأرض.

الثالث: أنه بمعنى إبقائه للأجل المقدَّر له والإماتة بعده. وهو قول الزمخشري في "الكشاف"، أي إني متوفِّيك أجلك، ومعناه: إني عاصمك من أن يقتلك الكفَّار ومؤخِّر أجلك إلى أجل كتبته لك، ومميتك حتف أنفك لا قتلًا بأيديهم.

الرابع: أنه بمعنى الإماتة في المستقبل وأنَّ الواو في قوله: ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ لا تفيد الترتيب؛ لأنها لمطلق الجمع فلا فرق بين التقديم والتأخير، وهذا الوجه يرجع إلى الوجه الأول أي إلى قول الفراء. بقي الوجهان اللذان اقتصر عليهما السائل.

أحدهما: الوفاة على ظاهرها وأنها وقعت قبل رفعه، توفَّاه الله ثلاث ساعات وقيل سبع ساعات ثُمَّ أحياه الله ورفعه إليه، وقد ورد ذلك في رواية ضعيفة عن ابن عبَّاسٍ، وذكر ابن إسحاق أنها من زعم النصارى.

الثاني: أنَّ المراد بالوفاة هنا النوم مثله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ [الأنعام: ٦٠]أي ينيمكم قال في "فتح البيان": «وبه قال كثيرون، قال الآلوسي: روي عن الربيع أنَّ الله تعالى رفع عيسى إلى السماء وهو نائم رفقًا به، ولم يذكروا لأصحاب هذا القول أنَّ عيسى عليه السلام هل استيقظ من النوم بعد رفعه أم يستمر نائمًا إلى أن ينزل؟ وعلى فرض أنه يستمر نائمًا فإن الله يحفظه في المحل الذي رفع إليه ويصونه عن الموت في هذه المدة الطويلة، كما صان أهل الكهف فيه لمدة ثلاثمائة سنة وتسع عن الموت والهلاك بلطفه وكرمه، بأن حفظ أجسادهم مِن أن تأكلها الأرض، والله على كل شيء قدير.

فأصحاب هذا الوجه على تقدير الفرض كأنهم قائلون بنوم عيسى إلى الآن والله أعلم فبطل قول السائل: لم يقل بنوم عيسى إلى يومنا هذا أحد.

وأمَّا قوله: مع أنَّ صيغة متوفِّيك وأخواتها تخصَّصت للاستقبال بقوله: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [آل عمران: ٥٥] ويريد السائل أن يجعل ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ متعلِّقًا بجميع ما قبله الذي منه ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ بمعني: مُنيمك إلى يوم القيامة.

فنقول: أنَّ الجار والمجرور -كما قال المفسِّرون- متعلِّق بالجعل يعني جاعل المتبعين لك إلى يوم القيامة فوق الذين كفروا، أو متعلِّق بالاستقرار المقدَّر في الظرف يعني استقر وثبت علو متبعيك إلى يوم القيامة، وعلى كل حال فالجار وقع في جملة فهو المرتبط بها وأخذ له متعلقًا منها وقُضي الأمر، فلا يمكن بعد ذلك أن يبحث له عن متعلق من الجمل التي قبل الجملة التي هو جزء منها لأنه لا ارتباط بينه وبينها.

نعم، إنَّ المراد من «متوفِّيك» أنه متوفيه في المستقبل وهذا لا يقتضي إلا أنه تقع الوفاة في دار الدنيا في المستقبل، ولا يقتضي وقوعه في الحال ولا في الماضي، ولا شك أنَّ عيسىٰ عليه السَّلام وإن كان الآن حيًّا لكنه سيموت في المستقبل كما تقدَّم، ألا ترىٰ إلىٰ قوله تعالىٰ في خطابه لسيِّد الخلق: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[الزمر: ٣٠] فإن المراد من هذه الآية الموت في المستقبل وهذا لا يقتضي أنه بمعني ميِّت الآن بل يفيد أنه سيموت وهذا مما لا شك فيه.

وأمَّا قوله: وأمَّا الرفع بقوله: ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[آل عمران: ٥٥] فرفع تعظيم وتكريم لعيسىٰ لا رفع جهة، فإنه ممنوعٌ عند عامَّة المسلمين، فهو مسلمٌ بالنظر إلىٰ الله تعالىٰ، وأمَّا بالنظر إلىٰ عيسىٰ فغير مسلم، ألا ترىٰ إلىٰ قوله تعالىٰ حكاية عن إبراهيم عليه السلام ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [الصافات: ٩٩] وإنما ذهب إبراهيم من العراق إلىٰ الشام أو يكون قوله: ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ معناه أنه يرفع إلىٰ مكان لا يملك الحكم فيه غير الله والله أعلم بذلك المكان[1] كما قدمنا.

وأمَّا قوله: فإن قلنا إنَّ عيسىٰ مات ثُمَّ أحيي ثُمَّ رفع فتلك مسألة تلزمنا ثلاث موتات وثلاث إحياءات، وقد قال تعالىٰ علىٰ لسان أهل النار: ﴿أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١] وقال تعالىٰ يحصر الموتىٰ في الموتتين والإحياءين: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ﴾ [الروم: ٤٠] إلخ.

---

(١) بل ذلك المكان هو السماء كما في الأحاديث والآثار التي لم يقف عليها شيخنا رحمه الله.

فنقول أنَّ ذكر الإماتة والإحياء تكرَّر مجيئه في آيات من القرآن:

الآية الأولى: قوله تعالى حكاية عن الكافرين: ﴿أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ وقد اختلف في المراد منها، فقيل أرادوا بالإماتة الأولى خلقهم أمواتًا، وبالثانية إماتتهم المعهودة عند انقضاء آجالهم، وبالإحياءة الأولى نفخ الروح فيهم وهم في الأرحام، وبالثانية البعث، وهذا مرويٌّ عن ابن عبَّاسٍ وابن مسعودٍ وقتادة، وجعلوا هذا نظير آية البقرة: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨] الآية.

والإماتة إن كانت حقيقة في جعل الشيء عادم الحياة سُبق بحياة أم لا فالأمر ظاهر، وإن كانت حقيقة في تصيير الحياة معدومة بعد أن كانت موجودة كما هو ظاهر كلامهم ففي إطلاقها على ما عدا إماتة أولى خفاء ووُجِّه بأن ذلك من باب المجاز، وفي تشخيص هذا المجاز كلام للمفسِّرين ولعلماء البلاغة أعرضنا عنه لطوله ولكونه ليس مقصودًا من هذا السؤال.

وقال السُّدِّي: «المراد بالإماتة الأولى إماتتهم عند انقضاء آجالهم، وبالإحياءة الأولى إحياءتهم في القبر للسؤال، وبالإماتة الثانية إماتتهم بعد هذه الإحياءة، وبالإحياءة الثانية إحياءتهم للبعث»، أقول وسيأتي أنه أبعد الأقوال.

وقال ابن زيد: «أريد إحياؤهم نسما عند أخذ العهد عليهم من صلب آدم، ثُمَّ إحياؤهم في الدنيا ثُمَّ إماتتهم ثُمَّ إحياؤهم». وهذا صريح في أنَّ الإحياءات ثلاث.

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا

فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٨] وهذه الآية مسوقة للامتنان وفي المراد منها أقوال.

فالمروي عن ابن عبَّاسٍ وابن مسعود ومجاهد هو: أنَّ المراد بالموت الأول العدم السابق، والإحياء الأول الخلق، والموت الثاني المعهود في الدنيا والحياة الثانية البعث.

واختار آخرون أنَّ الموتة الأولىٰ هي وقت استقرارهم نُطَفًا في الأرحام، والحياة الأولىٰ نفخ الروح فيهم وهم في الأرحام، والإماتة هي المعهودة والإحياء هو البعث.

قال الآلوسي: «ولعل الثاني أقرب مِن الأول وإطلاق الأموات علىٰ تلك الأجسام مجاز إن فُسِّر الموت بعد الحياة عمن اتصف به، وحقيقة أن فُسِّر بعدم الحياة عما من شأنه، قال السيالكوتي: القول الثالث: - وهو أبعدها - حمل الموت الأول علىٰ المعهود بعد انقضاء الأجل والإحياء الأول علىٰ ما يكون للمسألة في القبر».

الآية الثالثة: أنه تعالىٰ بعد وصف أهل الجنَّة بما هم فيه من الخيرات والراحات بيَّن أنَّ حياتهم دائمة فقال: ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [الدخان: ٥٦] جملة مستأنفة أو خيالية كأنه أريد أن يقال: لا يذوقون فيها الموت البتة، فوضع الموتة الأولىٰ موضع ذلك؛ لأن الموتة الماضية محال ذوقها فهو من باب التعليق بالمحال كأنه قيل: إن كانت الموتة الأولىٰ يستقيم ذوقها في المستقبل فإنهم يذوقونها.

ونظيره قول القائل لمن يستسقيه: «إلَّا الجمر» وقد علم أنَّ الجمر لا يُسقَىٰ فالاستثناء متصل، وقيل الاستثناء منقطع، أي لكن الموتة الأولىٰ قد ذاقوها في الدنيا والأصل اتصال المستثنىٰ.

أقول: وكون المراد أنهم لا يذوقون فيها الموت البتة يتفرَّع علىٰ كلٍّ من الاتصال والانقطاع.

وقال الطبري: «إلَّا بمعنىٰ بعد» والجمهور لم يثبتوا هذا المعنىٰ لها.

وقال ابن عطية: «ذهب قوم إلىٰ أنَّ «إلا» بمعني سوىٰ»، وضعَّفه الطبري.

الآية الرابعة: أنه تعالىٰ بعد ما تمَّ كلام بعض أهل الجنَّة مع قرينه من أهل النار أخبر أنه عاد إلىٰ مخاطبة جلسائه من أهل الجنَّة فقال: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾ [الصافات: ٥٨] الهمزة للتقرير وفيها معنىٰ التعجب، والفاء للعطف علىٰ مُقدَّر يقتضيه نظم الكلام أي: أنحن مخلَّدون فما نحن بميتين؟ أي ممن شأنه الموت، ﴿إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ﴾ [الصافات: ٥٩] التي كانت في الدنيا، قاله تصديقًا لقوله تعالىٰ: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ﴾ يعني أنَّ حياتهم دائمة، والاستثناء مفرَّغ من مصدر مُقدَّر، كأنه قيل: أفما نحن بميتين موتة إلَّا موتتنا الأولىٰ؟. وجوز أن يكون منقطعًا، أي: لكن الموتة الأولىٰ كانت لنا في الدنيا. أقول وعلىٰ القولين، المراد نفي موتهم في الجنَّة البتة.

الآية الخامسة: يخبر تعالىٰ عن كفار مكة المنكرين للبعث فقال: ﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ﴾ أي كفار قريش ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ﴾ أي ما العاقبة ونهاية الأمر إلَّا الموتة الأولىٰ المزيلة للحياة الدنيوية: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ [الدخان: ٣٤- ٣٥] أي

بمبعوثين بعدها، وتوصيفها بالأولىٰ ليس لقصد مقابلة الثانية، قال أبو علي: «ليس من شرط كونه أولًا أن يكون بعده آخر، وإنما الشرط أن لا يتقدَّم عليه غيره».

وقيل إنه قيل لهم: إنكم تموتون موتة تتعقَّبها حياة كما تقدَّمتكم موتة قد تعقَّبتها حياة، وذلك قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨] فقالوا: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ﴾ يريدون ما الموتة التي من شأنها أن تتعقَّبها حياة إلَّا الموتة الأولىٰ دون الثانية، وما هذه الصفة التي تصفون بها الموتة مِن تعقُّب الحياة لها إلَّا للموتة الأولىٰ خاصَّة وهذا ما ارتضاه جار الله.

قال الآلوسي: «والإنصاف أنَّ حمل الموتة الأولىٰ هنا علىٰ التي بعد الحياة الدنيا أظهر من حملها علىٰ ما قبل الحياة من العدم، بل هي المتبادرة إلىٰ الفهم عند الإطلاق، المعروفة بينهم وأمر الوصف بالأولىٰ علىٰ ما سمعت أولًا، فالآيات التي جاء فيها ذكر الإماتة والإحياء لا تدل واحدة منها علىٰ ما ذكره السائل من حصر الموت في موتتين؛ لعدم وجود ما يدل علىٰ الحصر فيها فضلًا عن اختلاف المفسِّرين كما سمعت.

فالحق أنَّ الموت لم ينحصر في موتتين ألا ترىٰ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ﴾ الاستفهام هنا للتقرير والرؤية المذكورة هنا هي رؤية القلب لا رؤية البصر، والمعنىٰ عند سيبويه: تنبَّه إلىٰ أمر الذين أخرجوا. ولا تحتاج هذه الرؤية إلىٰ مفعولين، ويجوز أن تكون بمعنىٰ الرؤية البصرية أي

ألم تنظر إلى الذين خرجوا ﴿وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ أي مخافة الطاعون ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟﴾ أمر تكوين وتحويل، وهو عبارة عن تعلُّق إرادته بموتهم دفعة، أو تمثيل لإماتته سبحانه إياهم ميتة نفسٍ واحدةٍ، كأنهم أُمروا فأطاعوا فماتوا ﴿ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٣] عطف على مقدَّر يستدعيه المقام أي فماتوا ثُمَّ أحياهم.

ولا يشكل موت هؤلاء في الدنيا مرتين مع قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان: ٥٦]؛ لأن ذلك لم يكن عن استيفاء آجالهم كما قال مجاهد، وإنما هو موت عقوبة فكأنه ليس بموت وأيضًا هو من خوارق العادات فلا يَرِد نقضًا، ومن الناس من قال إن هذا لم يكن موتًا كالموت الذي يكون وراءه الحياة للنشور، وإنما هو انقطاع تعلُّق الروح عن الجسد. قال الآلوسي: «هذا القول في القلب منه شيء بل أشياء».اهـ.

أقول على أنك قد علمت أنَّ المراد من قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ﴾[الدخان: ٥٦] الآية، وقوله تعالى: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾ [الصافات: ٥٨] الآية، نفي الموت فيها البتة فلا دلالة في واحدة منهما على حصر الموت في موتتين حتى يحتاج إلى جواب عن ذلك.

وألا ترى أيضا قوله تعالى: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ عطف على سابقه، أي: ألم ترَ إليه كيف هداه الله وأخرجه من ظلمة الاشتباه إلى نور العيان والشهود؟ قيل هو عزير أو أرمياء من سبط هارون، وهو الخَضِر بعينه أو حزقيل.

ومقصود القصة تعريف منكري البعث قدرة الله على إحياء خلقه بعد إماتتهم لا تعريف ذلك المار ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ أي ساقطة على سقوفها، يعني سقط السقف أولًا ثم سقطت الحيطان عليه ﴿قَالَ﴾ أي ذلك المار في نفسه أو بلسانه ﴿قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي متى يحيي، أو كيف يحيي؟ وهو استبعاد لإحيائها وهي على تلك الحالة، فالمشار إليه هو نفس القرية فالإحياء والإماتة مجازان. وقيل المشار إليه أصحاب القرية فالإحياء والإماتة على حقيقتهما، وقيل عظام أهل القرية البالية وجثثهم المتفرِّقة فالإحياء والإماتة على حقيقتهما أيضًا، والراجح القول الأول لأنه لم تتعلَّق إرادة الله بإحيائهم كما تعلَّقت إرادته بعمارتها، ولما قال المار هذه المقالة مستبعدًا لإحياء القرية المذكورة بالعمارة لها والسكون فيها ضرب الله له المثل في نفسه بما هو أعظم مما سأل عنه فقال: ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِائَةَ عَامٍ﴾ أي فألبثه ميتًا مائة سنة ﴿ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٥٩] أي أحياه ليريه كيفية ذلك وإيثار البعث على الإحياء للدلالة على سرعته وسهولة تأتِّيه على الباري سبحانه وتعالى وللإيذان بأنه قام كهيئته يوم مات عاقلًا فاهمًا مستعدًّا للنظر والاستدلال، وكان ذلك بعد عمارة القرية.

وهاتان الآيتان صريحتان في أنَّ الموت لا ينحصر في موتتين. وأمَّا قول السائل: «هو الذي خلقكم ثُمَّ رزقكم... إلخ» فالآية هكذا: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ﴾ إلخ، لا كما قال من أنها: «هو الذي خلقكم ثم رزقكم... إلخ» فليس هذا السِّياق من القرآن، ونقول بعد تصحيح مطلعها: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى

خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ ﴾ [الروم: ٤٠] إنها ليست ممن نحن فيه بل المراد منها كما قال الآلوسي: «إنها وقعت خبرًا معني فكأنه قيل: الله الخالق الرازق المميت المحيي لا يشاركه شيء ممن لا يفعل أفعاله هذه، وبعضهم جعلها خبرًا بتقدير القول فكأنه قيل لله الموصوف بكونه خالقًا ورازقًا ومميتًا ومحييًا مقول في حقِّه: هل مِن شركائكم مَن هو موصوف بما هو موصوف به».اهـ

وعلى كلٍّ فالمقصود الاحتجاج على المشركين وبيان بطلان ما زعموه من وجود شريك له تعالى عما يقول المشركون علوًّا كبيرًا.

وأمَّا قوله: وإن قلنا بخلوده فقد ترون الآية وهي قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧ - ٨] فقد نصَّ الله على عدم خلودهم وأنهم أجساد يأكلون الطعام، وعيسى ابن مريم منهم كان هو وأمُّه أجسادًا يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وكذلك قوله تعالى: ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٤]

فنقول: الخلود هو دوام البقاء في دار لا يخرج منها ودار الخلد الآخرة لبقاء أهلها فيها، وعلى هذا بقاءه عليه السَّلام حيًّا إلى قرب الساعة لا يقال له خلود، لأن عاقبته أن ينزل ويقتل الدَّجَّال ثُمَّ يموت ويدفن في الأرض، فحينئذٍ يكون خرج من دار الدنيا وأما قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾ فمعناه أنَّ الله قضى أن لا يخلد في الدنيا بشرًا فلا أنت وهم إلَّا

عرضة للموت، فعيسىٰ عليه السَّلام لا يقال فيه أنه خالد؛ لأنه أيضًا مع كونه حيًّا الآن عرضة للموت وسيموت بعد نزوله.

وأمَّا قوله: ولا يخفىٰ علىٰ فضيلتكم ما رواه البخاريُّ عن ابن عمر حين خطبهم النبيُّ بعد العشاء الأخيرة بخصوص عدم بقاء أحد من أهل الأرض علىٰ رأس المائة، ولعل امرأ يجيب أنَّ عيسىٰ ليس من أهل الأرض فهذا أمر ثان يستدل عليه من تمسَّك بحديث المعراج الذي رواه البخاريُّ أيضًا.

فهذا حديث مضطرب فيه، أولًا: اختلفت طرقه وصيغته وموضعه ولو سلَّمنا صحَّته فما أظنه إلَّا رادًّا علىٰ المستدل؛ لأن حديث المعراج يروي أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حين عرج به رأىٰ آدم في الأولىٰ، ويحيي وعيسىٰ في الثانية، ويوسف في الثالثة، وإدريس في الرابعة... إلىٰ آخره.

فنقول: أمَّا الحديث الذي رواه البخاريُّ في انصرام القرن فقد أخرجه في «كتاب العلم» وفي «كتاب الصلاة» عن ابن عمر قال: صلَّىٰ لنا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم العشاء في آخر حياته فلما سلَّم قام فقال: «**أَرَأَيتَكم ليلتكم هذه، فإنَّ رأسَ مائةِ سنةٍ منها لا يبقَى ممَّن هو على ظَهْرِ الأرضِ أحدٌ**».

قال العيني في «كتاب الصلاة»: «ولا يعترض علىٰ الحديث بعيسىٰ؛ لأنه ليس علىٰ وجه الأرض، ولا بالخَضِر؛ لأنه في البحر، ولا بهاروت وماروت؛ لأنهما ليسا ببشر، وكذا الجواب في إبليس. ويقال معنىٰ الحديث: لا يبقىٰ ممن ترونه وتعرفونه. فالحديث عام أريد به الخصوص.

والجواب الأوجه في هذا أن نقول: إنَّ المراد ممَّن هو علىٰ ظهر الأرض: أمته. وكل من هو علىٰ ظهر الأرض أمته، المسلمون أُمَّة إجابة، والكفَّار أُمَّة دعوة،

وعيسىٰ والخَضِر ليسا داخلين في الأُمَّة والشيطان ليس من بني آدم».اهـ

أقول: علىٰ أنك قد علمت أنَّ عيسىٰ لم يكن علىٰ وجه الأرض بل كان في مكان يعلمه الله تعالىٰ.

وأمَّا عدم تسليمه لمن استدل بحديث المعراج بأنَّ عيسىٰ في السماء للاضطراب في تعين مكانه ففي رواية أنه في الثانية وفي رواية أنه في الثالثة، وكأن السائل يريد أنَّ الاضطراب علىٰ الوجه الذي قاله في الحديث يسقط الاحتجاج به؛ فنقول: إنَّ المعراج مما أجمع عليه المسلمون وأعرض عنه الملحدون، ودعوىٰ أنه وقع اضطراب في حديثه يمنع الاحتجاج به غير مُسَلَّم، غاية الأمر أنه ورد بطرق متعدِّدة منها الرواية التي في سندها شريك انفرد فيها عن الجماعة بأشياء عدُّوها شاذَّة منكرة ونبَّهوا عليها وأجابوا عنها بأن شريكًا واهم فيها، وبعد هذا لا يسوغ لأحدٍ أن يستشكل أو يتشكك، فإن رفع عيسىٰ ثابتٌ بالنصِّ القاطع.

علىٰ أنَّنا قد بيَّنَّا أنَّ كل ما رآه النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ليلة المعراج فهو من قبيل التمثيل، فليس في الحديث دليل علىٰ مكان عيسىٰ خصوصًا، وإنه خبر آحاد إلىٰ آخر ما ذكرنا.

بل الذي يدل علىٰ رفع عيسىٰ هو النصُّ القاطع وهو قوله تعالىٰ: ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ وقوله: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾ [النساء: ١٥٨] فلا يؤثِّر في ذلك عدم تعيين مكانه. والأحاديث الواردة في نزوله كثيرة ومتواترة وسنذكر ما عثرنا عليه منها قريبًا وقد بيَّنا فيما سبق أنَّ رفعه كناية عن أخذه من عالم المُلْك -أي

الأرض- إلى عالم الملكوت، وأنه موجود فيه كما كان موجودًا في عالم المُلْك فهو حيٌّ بحياته الدنيوية التي وُلِد عليها لم تفارق روحه جسده، وإن كان في عالم الملكوت.

وأما قوله: فإذا أخذ دليلًا، فهل هم فيها وراء البرزخ أم كلهم أحياء في السماء؟ وما الذي امتاز به عيسى بالنزول دونهم؟ وإذا كانوا فيها وراء البرزخ ومن جملتهم عيسى فهل يجوز لعيسى أن يرجع إلى الدنيا، وقد قال تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان: ٥٦]

فنقول: يريد السائل بهذا الترديد أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لما أخبر عن ليلة المعراج أنه رأى جماعة من الأنبياء في السموات ومن جملتهم عيسى فهل رؤيته لهم كما يرى الشخص مِنَّا أناسًا سبق موتهم أم رؤيته لهم كما يرى الشخص مِنَّا أناسا هم على قيد الحياة؟ فنجيب أنَّ كلا الترديدين باطل؛ لأنه يبني على كون الرؤية برزخية أن المعراج كان في المنام وأن عيسى مات قبل الرفع واستمر ميتًا، وأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رآه ليلة المعراج مع من رأى من الأنبياء، وينبني على كون الرؤية كما يرى الشخص مِنَّا أناسًا على قيد الحياة أنَّ المعراج حصل يقظة وأنَّ عيسى لم يمت قبل الرفع وأنَّ الأنبياء الذين ثبت موتهم عادت أرواحهم إلى أجسادهم وعودة أرواح الأنبياء إلى أجسادهم قبل يوم البعث باطل. ثُمَّ إنَّ السائل رتَّب على الشق الأول من الترديد قوله: وما الذي امتاز به عيسى بالنزول دونهم وقوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾

إذا تبيَّن لك مقاله وما يرمي إليه فنقول: أمَّا بطلانه بالنظر إلى عيسى فقد كان المعراج يقظة وعيسى لم يمت، وأما بالنظر إلى الأنبياء فلا نسلِّم عود الأرواح إلى أجسادهم على الوجه الذي كان في الدنيا قبل يوم البعث، وقد علمت بطلانه، والحق الذي يقتضيه الدليل أنَّ رؤية النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حقيقة، وأنَّ المعراج كان يقظة، وأنَّ مَن عدا عيسى من الأنبياء أموات إلَّا أنَّ الله تعالى شكَّل أرواحهم على هيأة أجسامهم، وإنما تعود الأرواح إلى الأجسام يوم البعث، إلَّا عيسى فإنه حيٌّ لم يمت وسينزل إلى الأرض، ثُمَّ بعد قتله الدَّجَّال يموت كإخوانه الأنبياء بهذا وردت الأخبار الصحيحة.

وأمَّا امتياز عيسى بالنزول دونهم فقد نقل الحافظ ابن حجرٍ عن بعض العلماء أنه قال: «والحكمة في نزوله دون غيره من الأنبياء: الردُّ على اليهود في زعمهم بأنهم قتلوه فبيَّن الله تعالى كذبهم، وأنه الذي يقتلهم، أو نزوله لدنو أجله ليدفن في الأرض إذ ليس لمخلوق من التراب أن يموت في غيرها».اهـ.

وعلي ذلك لا يقال أنَّ عيسى كان في البرزخ ثُمَّ رجع إلى الدنيا، ولا أنَّ الأنبياء الذين ماتوا عادت أرواحهم إلى أجسادهم قبل يوم البعث.

وأمَّا قوله: وأمَّا من استدل بحديث البخاريِّ وغايته -إن صح- فهو لا ينصُّ على أنَّ عيسى ابن مريم النبيَّ؛ لأن لفظه: «**ليوشكنَّ أن ينزل فيكم ابن مريم حَكَمًا عَدْلًا، يكسر الصَّلِيب، ويَقْتُل الخِنْزِيرَ، ويَفْيضُ المال**». والرواية الأخرى: «**كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم وإمامكم منكم**». فغاية ما فيه أنه سيتولَّى الأمر ابن مريم، ولعله من أفراد الأمَّة يقوم بالأمر ويعمل بالشرع

فيُجري هذه الأعمال، لا ينص على أنه النبيُّ الذي أرسله الله إلى بني إسرائيل.

فنقول الذي عهد وعرف من الشارع أنه في تخاطبه إذا ذكر ابن مريم يقصد به عيسى عليه السَّلام، ففي الكتاب العزيز قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ [الزخرف: ٥٧] وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ [المؤمنون: ٥٠] وستأتي أحاديث كثيرة مَصرَّح فيها بلفظ عيسى عليه السَّلام، وفي هاتين الروايتين اكتفى بقوله: ابن مريم اعتمادًا على ما صرَّح باسمه في روايات أخرى، على أنه سيأتي في أكثر الأحاديث والآثار المروية عن الصحابة والتابعين التصريح باسم عيسى عليه السَّلام.

وأمَّا قوله: ولنا شيء آخر أدهى وأمرّ في المسألة، وهو أنَّ أهل التفسير بيَّنوا أنَّ عيسى توفِّي ساعات، وقالت النصارى كذلك، واختلفوا في مقدار الساعات عمدًا لا غير لترويج الدسيسة كيف يحيا عيسى ويصعد إلى السماء وسينزل أيكون الحشر حشرين أم تكون الإماتة ثلاثا سبحانك هذا بهتان عظيم دسَّه النصارى في الإسلام.

أقول: ذكرنا فيما سبق أنَّ القول بأنَّ عيسى مات رواية ضعيفة عن ابن عبَّاسٍ مخالفة للقول الصحيح الذي عليه الأكثر، وأنَّ ابن إسحاق قال: إنها من زعم النصارى. فلا نتكلَّف الرد على هذا القول لظهور بطلانه.

وأمَّا قوله: وقد التبس على بعض الناس في لفظ النزول أنه سينزل وما المراد من النزول؟ أنه في السماء وسينزل فقد قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ [الحديد: ٢٥] المراد من النزول الحصول، وقالت العرب: نزل

علينا أو بنا ضيف، أفتونا مأجورين.

ونقول: النزول كالهبوط لا يقتضي الانحدار من علو إلى سفل وقد جاء بمعنى الجعل والإنشاء قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ [الزمر: ٦] قال الحسن: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾ أي خلقناه كقوله: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ وهو تفسير يلازم الشيء فإنَّ كل مخلوقٍ منزَّل باعتبار ثبوته في اللوح وتقديره موجودًا حيث ثبت فيه وقال قطرب: «هيأناه لكم وأنعمنا به عليكم» من نزل الضيف، ولم يقل أحدٌ أنَّ نزول عيسى بمعني الانحدار بل المراد بنزول عيسى هو إتيانه من المكان الذي رفعه الله إليه وهذا المكان هو -كما قلنا سابقًا- من عالم الملكوت، ولا يعلم تعيينه إلَّا الله تعالى؛ لأنه هو الذي حفظه فيه وهو الذي ينزل منه عند قرب الساعة أي ينتقل.

وبالجملة فكل ما قاله السائل ليس إلَّا تشكيكًا في القطعيات الثابتة بالتواتر؛ فإن نزول عيسى عليه السَّلام كما قال بعض المحقِّقين ثابتٌ بالكتاب والسُّنَّة وإجماع الأُمَّة.

أمَّا الكتاب فقد قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩] وذلك عند نزوله من السماء آخر الزمان وهذا يرجع إلى أنَّ الضمير في ﴿بِهِۦ﴾ وفي ﴿مَوْتِهِۦ﴾ يعود إلى عيسى عليه السَّلام، ويشهد له الحديث الذي أخرجه البخاري في «كتاب الأنبياء»، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**والذي نفسي بيده ليوشكنَّ أن ينزلَ**

فيكم ابنُ مريم حَكَمًا عَدْلًا، فيكسر الصَّليب، ويقتل الخِنزير، ويضع الحرب» (خ الجزية) «ويفيضُ المالُ حتى لا يقبله أحدٌ، حتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها». ثُمَّ يقول أبو هريرة: واقرأوا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩]

قال الحافظ: «وهذا مصير من أبي هريرة إلى أن الضمير في قوله: ﴿لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ﴾ وكذلك في قوله: ﴿قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ يعود على عيسى، أي: ليؤمننَّ بعيسى قبل موت عيسى، وبهذا جزم ابن عبَّاسٍ فيما رواه ابن جرير من طريق سعيد بن جبير عنه بإسناد صحيح.

ومن طريق أبي رجاء عن الحسن قال: «قبل موت عيسى، والله إنه الآن لحي ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون»، ونقله عن أكثر أهل العلم ورجَّحه ابن جرير وغيره، ونقل أهل التفسير في ذلك أقوالًا أخر.

وقال الآلوسي في تفسيره: «﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي عيسى عليه السَّلام ﴿لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ أي إنه بنزوله شرط من أشراطها أو بحدوثه بغير أب أو بإحيائه الموتى دليل على صحَّة البعث الذي هو معظم ما ينكره الكفرة من الأمور الواقعة في الساعة، وأيا ما كان فعلم الساعة مجاز عما تعلم به والتعبير به المبالغة وقرأ أُبيّ: «لذكر» وهو مجاز كذلك، وقرأ ابن عبَّاسٍ وأبو هريرة وأبو مالك الغفاري وزيد بن علي وقتادة ومجاهد والضَّحَّاك ومالك بن دينار والأعمش والكلبي – قال ابن عطية وأبو نضرة – «لعَلَم» بفتح العين واللام، أي لعلامة.

وقرأ عكرمة قال ابن خالويه وأبو نضرة «للعَلَم» معرفًا بفتحتين، والحصر

إضافي وقيل باعتبار أنه أعظم العلامات.

وقد نطقت الأخبار بنزوله عليه السلام:

١ - فقد أخرج البخاريُّ، ومسلمٌ، والترمذيُّ، وأبو داود، وابن ماجه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لينزلنَّ ابن مريم حَكَمًا عَادِلًا** (خ **عَدْلًا**) **فليكسرنَّ الصَّلِيب، وليقتلنَّ الخنزير، وليضعنَّ الجِزية، ولتتركن القِلاص**[1] **فلا يُسعى عليها، ولتذهبنَّ الشحْنَاءُ والتباغُضُ والتحاسُدُ، وليدعونَّ إلى المال فلا يقبله أحدٌ**». وفيه رواية: «**وإنه نازلٌ فإذا رأيتموه فاعرفوه، فإنه رجلٌ مَربوعٌ إلى الحمرة والبياض، ينزل بين مُمصَّرتين**[2] **كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فليقاتلن الناس على الإسلام**»[3] وفيه «**ويهلك المسيح الدَّجَّال**» وفي أخرىٰ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامُكم منكم**».

وفي رواية: «**فأمَّكم منكم**» فقلت لابن أبي ذئب-القائل الوليد بن مسلم-:

---

(١) جمع قَلوص: الناقة الشابة.

(٢) الممصَّرتان: حلتان مصفرتان غير مشبعتين.اهـ قال في "التعليق المحمود": الممصَّرة من الثياب التي فيها صفرة خفيفة.

(٣) عن أبي هريرة عن النبي صلي الله عليه وسلم قال: «**ليس بيني وبينه** -يعني عيسىٰ عليه السلام- **نبيٌّ، وإنه نازلٌ، فإذا رأيتموه فاعرفوه، رجلٌ مربوع إلى الحمرة والبياض بين ممصَّرتين كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيقاتل الناس على الإسلام فيدق الصَّليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويهلك الله في زمانه المِلل كلها إلَّا الإسلام، ويهلك المسيح الدَّجَّال، فيمكث في الأرض أربعين سنة ثُمَّ يتوفَّى فيصلِّي عليه المسلمون**».اهـ لفظ أبي داود.

إن الأوزاعي حدثنا عن الزهري، عن نافع، عن أبي هريرة: «**وإمامكم منكم**»؟ قال ابن أبي ذئب هل تدري ما أمَّكم منكم؟ قلت: تخبرني. قال: فأمَّكم بكتاب ربِّكم تبارك وتعالى وسُنَّة نبيِّكم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم».اهـ

لفظ مسلم: «قال ابن أبي ذئب: تدري ما أمَّكم منكم؟ قال تخبرني. قال: فأمَّكم بكتاب ربكم عزَّ وجلَّ وسنَّة نبيكم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم».

والمشهور نزوله عليه السَّلام بدمشق والناس في صلاة الصبح، فيتأخَّر الإمام وهو المهديُّ فيقدِّمه عيسى عليه السَّلام ويصلِّي خلفه ويقول: «إنما أقيمت لك». وقيل بل يتقدَّم هو ويؤم الناس والأكثرون على اقتدائه بالمهديِّ في تلك الصَّلاة دفعًا لتوهُّم نزوله ناسخًا، وأمَّا في غيرها فيؤم هو الناس؛ لأنه الأفضل، والشيعة تأبى ذلك. وفي بعض الروايات أنه عليه السَّلام ينزل على ثنيَّة يقال لها أَفِيق -بفاء وقاف بوزن أمير- وهي هنا مكان بالقدس الشريف نفسه، ويمكث في الأرض على ما جاء في رواية عن ابن عبَّاسٍ أربعين سنة، وفي رواية سبع سنين.

قيل والأربعون إنما هي مُدَّة مكثه قبل الرفع وبعده، ثُمَّ يموت ويدفن في الحجرة الشريفة النبوية، وتمام الكلام في "البحور الزاخرة" للسفاريني.

وأمَّا السنة فالحديث المذكور آنفًا عن أبي هريرة أخرجه البخاريُّ، ومسلمٌ وغيرهما ممن ذكرنا.

٢- وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**كيف أنتم إذا نزلَ عيسى ابنُ مريم فيكم وإمامكم منكم**». أخرجه مسلم.

٣- وعن أبي هريرة: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لا تقوم**

الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق...» إلى أن قال: «فبينما هم يعدون للقتال يسوُّون الصفوف، إذ أقيمت الصَّلاة فينزل عيسى ابن مريم...» إلخ. أخرجه مسلمٌ.

٤- وعن أبي هريرة: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «إنَّ روح الله عيسى ابن مريم نازل فيكم فإذا رأيتموه فاعرفوه...» إلخ. أخرجه الحاكم وقال صحيح.

٥- وعن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «ليهبطنَّ عيسى ابن مريم حَكَمًا وإمامًا مُقْسِطًا...» إلخ. أخرجه الحاكم.

٦- وعن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «لا تقوم الساعة حتى ينزل عيسى ابن مريم». أخرجه ابن أبي شيبة.

٧- وعن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «ينزل عيسى ابن مريم قبل يوم القيامة». أخرجه ابن سعد.

٨- عن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «لا تزال عصابةٌ مِن أُمَّتي على الحقِّ ظاهرين حتى ينزل عيسى ابن مريم». أخرجه ابن عساكر.

٩- وعن جابرٍ قال سمعت النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «لا تزال طائفةٌ مِن أُمَّتي يقاتلون على الحقِّ ظاهرين إلى يوم القيامة» قال: «فينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم صلِّ لنا...» إلخ. أخرجه مسلمٌ

١٠- وعن جابرٍ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «يخرج الدَّجَّالُ في خفقة من الدِّين، وإدْبارٍ من العِلْم...» إلى أن قال: «ثُمَّ ينزل عيسى..» إلخ. أخرجه ابن خزيمة.

١١- وعن حذيفة عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «فلما قاموا يصلُّون

نزل عيسى ابن مريم أمامهم...» إلخ. أخرجه ابن عساكر.

١٢- وعن حذيفة بن أَسِيد الغِفاريِّ قال: اطلع النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم علينا ونحن نتذاكر فقال: «**ما تذاكرون؟**» قالوا نذكر الساعة قال: «**إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات: فذكر الدُّخَان، والدَّجَّال، والدابَّة، وطلوع الشمس مِن مغربها، ونزول عيسى ابن مريم...**». إلخ أخرجه مسلم، والترمذيُّ، وأبو داود، وابن ماجه.

١٣- وعن واثلة بن الأسقع قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**لا تقوم الساعة حتى تكون عشر آيات: خَسْفٌ بالمشرق، وخَسْفٌ بالمغرب، وخَسْفٌ في جزيرة العرب، والدَّجَّال، والدُّخَان، ونزول عيسى ابن مريم...**» إلخ. أخرجه الحاكم في "المستدرك" وقال صحيح الإسناد.

١٤- وعن النوَّاس بن سَمْعَان قال: ذكر رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الدَّجَّال ذات غداة إلى أن قال: «**فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق...**» إلخ. أخرجه مسلم، والترمذيُّ، وأبو داود، وابن ماجه.

١٥- وعن أوس بن أوس، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ينزل عيسى ابن مريم عند المنارة البيضاء شرقي دمشق**». أخرجه الطبراني.

١٦- وعن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يخرج الدَّجَّال في أُمَّتي فيمكث أربعين** -لا أدري أربعين يومًا أو أربعين شهرًا أو أربعين عامًا- **فبعثَ اللهُ تعالى عيسى ابن مريم...**» إلخ. أخرجه مسلمٌ.

١٧- وعن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ينزل عيسى ابن مريم إلى الأرض فيتزوَّج ويولد له...**» إلخ. قال في "المشكاة" رواه ابن الجوزي في كتابه "الوفا"[1].

١٨- وعن مُجَمِّع بن جارية الأنصاري قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**يقتل ابن مريم الدَّجَّال بباب لُدٍّ**». أخرجه الترمذيُّ.

١٩- وعن أبي أمامة الباهلي قال: خطبنا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فكان أكثر خطبته حديثًا حدَّثناه عن الدَّجال، وحذَّرناه إلى أن قال: «**فبينما إمامهم قد تقدَّم يصلِّي بهم الصبح إذ نزل عيسى ابن مريم...**» إلخ. أخرجه ابن ماجه.

٢٠- وعن عثمان بن أبي العاص قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول... إلى أن قال: «**فيخرج الدَّجَّال فينزل عيسى ابن مريم...**» إلخ. أخرجه الحاكم وقال: «صحيح».

٢١- وعن عبدالله بن مُغَفَّل، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم... وذكر الدَّجَّال ثُمَّ قال: «**ينزل عيسى ابن مريم مُصدِّقًا بمحمَّدٍ على مِلَّته إمامًا مهديًّا وحَكَمًا عَدْلًا فيقتل الدَّجَّال**». أخرجه الطبراني.

٢٢- وعن سمرة، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم... وذكر الدَّجَّال ثُمَّ قال: «**فيصبح فيهم عيسى ابن مريم...**» إلخ. أخرجه الطحاوي وابن جرير.

٢٣- وعن نافع بن كَيْسان، عن أبيه: سمعت النبيَّ صلَّى الله عليه وآله

---

(١) كتاب "الوفا بفضائل المصطفى" للحافظ ابن الجوزيِّ صاحب كتاب "الموضوعات"، وهو غير ابن قيم الجوزية.

وسلَّم يقول: «**ينزل عيسى...**». أخرجه البخاري في "تاريخه".

٢٤- وعن ابن عبَّاسٍ، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لا تقوم الساعة حتى ينزل عيسى ابن مريم على ذُرْوة أفِيق بيده حَربة يقتل الدَّجَّال**». أخرجه ابن عساكر.

٢٥- وعن عبدالله بن عمرو، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ينزل عيسى ابن مريم فإذا رآه الدَّجَّال ذاب كما تذوب الشحمة، فيقتل الدَّجَّال**». أخرجه ابن أبي شيبة.

فهاك خمسة وعشرين حديثًا عثرنا عليها في بطون كتب السُّنَّة.

وقال صاحب "الإذاعة": «والأحاديث في نزوله كثيرة ذكر الشوكاني منها تسعة وعشرين حديثًا ما بين صحيح وحسن وضعيف مَنجَبِر»، ثُمَّ قال: «منها ما هو مذكور في أحاديث الدَّجَّال ومنها ما هو مذكور في أحاديث المنتظَر، وينضم إلىٰ ذلك الآثار الواردة عن الصحابة فلها حكم الرفع إذ لا مجال للاجتهاد في ذلك». ثُمَّ ساقها ثُمَّ قال: «وجميع ما سقناه بالغٌ حدَّ التواتر كما لا يخفىٰ علىٰ من له فضل اطلاع، فتقرَّر أنَّ الأحاديث الواردة في المهديِّ المنتظَر متواترة، والأحاديث الواردة في نزول عيسىٰ ابن مريم متواترة».اهـ

قال العلامة المحقِّق أبو عبدالله محمد بن أبي الفيض جعفر الحسني الإدريسي الشهير بالكتاني في كتابه "نظم المتناثر" ما نصُّه: «وللقاضي العلامة محمد بن علىٰ الشوكاني اليمني رسالة سماها "التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظَر والدَّجَّال والمسيح"»، وتكلَّم أولًا علىٰ المهديِّ، ثُمَّ ساق ما قدمناه آنفا عن "الإذاعة" في نزول عيسىٰ ابن مريم عليه السَّلام.

ولنورد لك شيئًا من تفاسير التابعين ممن صرَّحوا بنزول عيسىٰ ابن مريم علىٰ طريق الاستئناس والتقوية لما مر من الأحاديث، ولأن أقوال التابعين في مثل ذلك تسمَّي أثرًا علىٰ الصحيح.

١ - فعن قتادة في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾[النساء: ١٥٩] إلخ، قال: «قبل موت عيسىٰ إذا نزل، آمنت الأديان كلها». وعنه في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾[الزخرف: ٦١] قال: «نزول عيسىٰ ابن مريم علم الساعة».

٢- وعن مجاهد في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف: ٦١] قال: «آية الساعة خروج عيسىٰ ابن مريم قبل يوم القيامة».

٣- وعن السُّدِّي في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ قال: «خروج عيسىٰ ابن مريم قبل يوم القيامة».

٤- وعن الضَّحَّاك في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ قال: «خروج عيسىٰ ابن مريم ونزوله من السماء قبل يوم القيامة».

٥- وعن ابن زيد في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ قال: «نزول عيسىٰ ابن مريم علم للساعة حين ينزل»، وعنه في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾[النساء: ١٥٩] إلخ، قال: «إذا نزل عيسىٰ ابن مريم فقتل الدَّجَّال لم يبقىٰ يهوديٌّ في الأرض إلَّا آمن».

٦- وعن أبي مالك في قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩] قال: «ذلك عند نزول عيسىٰ ابن مريم».

٧- وعن الحسن في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قال: «قبل موت عيسىٰ، والله إنه الآن لحيٌّ عند الله، ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون».

وعنه في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ قال: «نزول عيسىٰ ابن مريم».

وعن ابن عبَّاسٍ في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾: «نزول عيسىٰ ابن مريم». وهذا القدر كفاية.

وبه عُلم أنَّ نزول عيسىٰ ابن مريم ثابتٌ بالكتاب كما أسلفنا، وبالسُّنَّة المتواترة كما مرَّ آنفًا، خصوصًا وإنَّ من جملتها الحديث: «**لا تزال طائفة من أمَّتي**» فقد عده العلامة الشيخ محمد بن جعفر الكتاني في كتابه "نظم المتناثر" من الحديث المتواتر، وقال: «نصَّ علىٰ تواتره بعينه شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه "اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم" في أوائله أثناء كلام، ونصُّه: «بل قد تواتر عنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أنه قال: «**لا تزال من أُمَّتي طائفةٌ ظاهرةٌ على الحقِّ حتى تقوم بالساعة**».اهـ والله أعلم.

وأمَّا الإجماع فقال السفاريني في "اللوامع": «قد أجمعت الأُمَّة علىٰ نزوله ولم يخالف فيه أحدٌ من أهل الشريعة، وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة ممن لا يعتد بخلافه، وقد انعقد إجماع الأُمَّة علىٰ أنه ينزل ويحكم بهذه الشريعة المحمَّدية، وليس ينزل بشريعة مستقلَّة عند نزوله من السماء، وإن كانت النبوة قائمة به وهو متصفٌ بها».اهـ والله أعلم.

تقدير

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ

يس يوسف الشيشيني من علماء الوعظ والإمامة بوزارة الأوقاف

فضيلة المحدِّث الكبير السيِّد عبدالله الصِّدِّيق الغُمَاري.

أحمد إليك الله جلَّ ثناؤه وهو المحمود في السماوات وفي الأرض، وأشكره شكرًا تزكو به الهِمَم، ويصدق به اليقين، وتسمو به العقيدة.

وأسألك اللهمَّ وأنت خير مأمول وأكرم مسئول، أن تصلِّي وتسلِّم على سيِّدنا محمَّدٍ عبدك ورسولك النبيِّ الأميِّ، وعلي آله وصحبه، صلاةً تشرح بها صدري وتيسِّر بها أمري، ويثبت بها على الحق الجَنان، وأجد بها حلاوة الإيمان وسلم تسليمًا كثيرًا، و بعد:

فكم لقلمك في خدمة الحقيقة من موقف يتضاءل عنه الثناء، وتَـرَنُّو له في دارتها الجوزاء، وكم تُطالِع المسلمين من لدنك حُجَجٌ بينات، وآياتٌ واضحات تدحض تخاريف المبطلِين، وزيغ المكابرين المعاندين، ولكم تشوَّقتُ بفارغ الصبر إلى كتابك هذا الذي نحن بصدد تقديره، والكتابة عن بعض ما توخَّيته فيه من منهج في الأدلة لا يبقى معه إنكار لمنكر ولا شبهة لمشتبه، في مبحث ما كان لأحد أن يتقدَّم أو يتأخَّر فيه، وما كان لمتكلِّم أن يُحدِث رأيًا بخصوصه، بعد أن أبان صباح السُّنَّة المطهَّرة حقيقة أمره.

ثُمَّ وبعد أن توالت القرون منذ عهد النبوة حافلة بإجماع العلماء عصرًا بعد عصر، وقبيلًا بعد قبيل على أنَّ شمس الحقيقة فيه مسفرة لا يغشى سماءها غمامٌ

من الشك، ولا يحول دون أضوائها ضبابٌ من الباطل، ذلكم هو مبحث نزول السيد المسيح -عليه وعلي نبيِّنا أفضل الصَّلاة وأتم السَّلام- علىٰ مَقْرُبة مِن الساعة وعلىٰ نارٍ من الفتن تَسْتَعِر بالعالم حين ذلك.

تلك الفتن التي مِن أكبرها خروج الدَّجَّال بخِدَعه وتهاويله؛ ليضلَّ الناس عن سبيل الله، وليعدل بهم عن الإيمان إلىٰ الكفر، وأنا لا أرىٰ إلَّا أنَّ منكر نزول روح الله عيسىٰ ابن مريم قد بنىٰ مدَّعاه علىٰ أنه قد مات كما يموت الناس، فلا حياة له بعد ذلك إلَّا كما يحيا الناس في النشأة الآخرة، مستندًا في مدعاه إلىٰ النصِّ الكريم من قول الله سبحانه: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ [آل عمران: ٥٥] ثُمَّ إلىٰ قوله جلَّ وعلا في سورة المائدة: ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة: ١١٧]

وكم كنَّا نود أن يقف أولئك المنكرون من هذه النصوص القرآنية موقف المتفهِّم للغته الكاشف عن كنه حقيقتها، وإذا كان القرآن يفسِّر بعضه بعضًا فإنَّا نرىٰ في غير موضع أنَّ كلمة التوفِّي في القرآن قد وُضِعت للنوم كما وُضِعت للموت، فالله سبحانه وتعالىٰ يقول: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ﴾ [الأنعام: ٦٠] فالوفاة كما هي حقيقة في الموت حقيقة أيضًا في النوم، ولا قرينة هنا تعين المجاز إذا ما قال قائل: إنَ المراد مِن إطلاق الوفاة علىٰ النوم معني مجازي. استمع إلىٰ ذلك في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ

ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [الزمر: ٤٢]

وإلى قول الشاعر العربي:

تَبَارَكَ مَنْ تَوَفَّاكُمْ بِلَيْلٍ ... وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ

وإذا كان علماء اللغة قد أجمعوا على أنَّ العطف بالواو إنما هو لمطلق الجمع دون نظر إلى ترتيب أو تعقيب، فلا دليل على مرادهم في قول الله سبحانه: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران: ٥٥] إذ الواو لمطلق الجمع ليس غير، فيكون المعنى أنَّ السيد المسيح -عليه وعلي نبيِّنا أفضل الصَّلاة والتسليم- قد رُفع إلى السماء وهو على حالة النائم.

وفي "إنجيل لوقا" ما يؤيِّد ذلك ويجلِّيه فقد جاء في هذا "الإنجيل": «أنَّ السيد المسيح عليه السَّلام صعد إلى جبل الجليل ومعه بطرس ويعقوب ويوحنَّا، فبينما هو يصلِّي إذ تغيَّر منظره عما كان عليه، وابيضَّت ثيابه فصارت تلمع كالبرق، وإذا بموسى بن عمران وإيليا قد ظهرا له وجاءت سحابة فأظَّلتهم، فوقع النوم على الذين معه. ثُمَّ انتبهوا فلم يجدوا المسيح بينهم». فهل لدى المنكرين من دليل أو حتى قرينة تمنع من أنَّ رفع المسيح على هذه الحال وهي حال النائم كان في اليوم الذي طلبته فيه اليهود؟

ثُمَّ نسائلهم بعد ذلك، ما المراد بالرفع في قوله سبحانه: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ [النساء: ١٥٨] بعد أن نفى قتل المسيح في تنديد لاذع وتهكُّم قارع باليهود جاء به محكم التنزيل في قول الحق جل ثناؤه: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا

لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٥٧ - ١٥٨] استمع إلى الآية الكريمة تبيِّن لك في وضوح أنَّ قول اليهود بأنهم قتلوا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله جُرْم كبير وافتراء مريع.

ثُمَّ تنفي بعد ذلك القتل وتنفي معه الصَّلب وتثبت أنهم اشتبهوا في أمر المصلوب فلم يقطعوا بأنه المسيح، كما أنَّ الآية الكريمة تثبت أيضا اختلافهم فيه، وأنهم قتلوه غير مستيقنين بأنه عيسى أو غيره، وهذا ما تؤيِّده الأناجيل ولولا الإطالة لأتينا على نصوصها.

ثُمَّ ختمت الآية هذا القصص الكريم بنبأ رفع المسيح إليه دون أدنى إشارة إلى الموت، هذا ما ينبغي أن يفهم عليه القرآن الكريم من أنَّ السيِّد المسيح قد رفع إلى السماء حيًّا، وفي روحانية تستأهل المكان الذي هو مرفوع إليه، وتلائم معشر الملائكة الذين سيعيش فيهم، حتى يشاء فاطر السموات والأرض نزوله في آخر الزمان.

أي أنه رفع على حال ليس فيها نائمًا كالنائم ولا مستيقظًا كالمستيقظ كما صعد إلى السماء ليلة الإسراء نبينا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وإن كان الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قد صعد إلى السماء ببشريته ومستلزماتها وذلك مما هو خاص بسيد الأنبياء دون سواه، أما المسيح عليه السلام فقد رفع ببشريته دون مقتضياتها وصار روحانيًا لتناسب حياته مع حياة أهل الملأ الأعلى الذي سيقيم فيهم ما شاء الله أن يقيم والله على كلِّ شيءٍ قديرٌ.

وهنا لا يجوز على حال أن يؤوَّل الرفع برفع الروح أو برِفعة المِقْدار، امتنان الله على المسيح بالرفع لا تكون له قيمة إلَّا إذا كان مرفوعًا وهو حيٌّ، وهذا ما

يفيده الإضراب الانتقالي بعد نفي اليهود قتلوه، وأمَّا ما جنح إليه من يؤوِّل الرفع برِفْعة المِقْدار فذلك أمرٌ مقرَّرٌ بنصِّ الآية كما تنصُّ على أنَّ بعضهم أرفع درجة من البعض الآخر: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] بل هو أمر تفضَّل الله به على عباده الصالحين الذين اخلصوا له النيات والأعمال، وعلى هذا فليس سائغًا أن يراد هذا التأويل إلَّا مع قرينه صارفة عن غيره إليه.

أمَّا مسألة نزول السيِّد المسيح فإنها -كرفعه- من المسائل التي يرجع فيها إلى الأدلة السمعية كسائر السمعيَّات، ولا يسع مؤمنًا أن ينكر شيئًا متى ثبت بالدليل، وقد جاءت النصوص تؤيد ذلك وتثبته لما لا يحتمل إنكارًا أو تلبيسًا.

ففي الصحيحين عن أبي هريرة مرفوعًا: «**والذي نفسي بيده ليوشكنَّ أن ينزل فيكم ابنُ مريم حَكَمًا عَدْلًا فيكسر الصَّلِيب، ويقتل الخنزير، ويضع الجِزْية، ويفيض المالُ حتى لا يقبله أحدٌ، حتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها**». ثُمَّ قال أبو هريرة واقرأوا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩]

فلقد قطع أبو هريرة -رضي الله تعالى عنه- على كل ذي قول مقالته بهذا النص القاطع الذي لا شك معه لمتحيِّر ولا شبهة فيه لمتردِّد، إذ الآية صريحة في أنه ليس من أحد من أهل الكتاب الموجودين إبان نزول المسيح إلَّا سيؤمن به قبل أن يموت بالمدينة ويدفن إلى جانب قبر أخيه محمد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

وعن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم؟**». يشير صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إلىٰ الإمام المهديِّ المنتظَر رضي الله تعالىٰ عنه، إلىٰ غير ذلك ممَّا وصل إلينا بتواتر جمعٍ عن جمعٍ، ورواية جيلٍ عن جيلٍ لا يتأتَّىٰ مع هذا التواتر وذاك الإجماع رأي لراءٍ أو منزع لنازع في غير الكتاب أو السُّنَّة منذ عهد النبوة الأولىٰ حتىٰ دوَّنه أئمة الحديث، كالشيخين وأحمد والترمذي ومن إليهم من أصحاب السنن رضي الله عنهم.

أي استاذنا الأجل ومحدِّثنا الكبير، لقد أبنت في كتابك الحُجَّة وكشفت الغُمَّة، فذكرت نصوص الحُفَّاظ علىٰ تواتر نزول المسيح، وكذلك ذكرت من صرَّح بنزوله من أجلَّاء الصحابة وأفاضل التابعين وسادة الأئمة والعلماء حتىٰ هذا العهد الذي نعيش فيه، هذا إلىٰ مناقشة كلام المنكرين وبيان ما اشتمل عليه مما لا تقوم له قائمة مع ما وضح من الأدلة الساطعة، ثم دعَّمت ذلك بسرد أربعين حديثًا تصرح كلها بنزول عيسىٰ عليه السَّلام.

بيَّنت كل هذا جاريًا علىٰ سَنَنك في نهج استدلالك بنواح حتىٰ من قواعد الأصول والمنطق إلىٰ غير ذلك مما أفاء الله عليك وأفاض، إنَّ في ذلك لبلاغًا وذِكرىٰ لمن كان علىٰ بصيرة تهديه، أو عقل يرشده، وإنَّ فيه لثروة طائلة لمن ينقِّب عن كنوز الحقيقة ليكون من المستبصرين، وليفوز بالهداية من أحكم الحاكمين، ولقد أبيت مع كل هذا إلَّا أن تختم سفرك الجليل بفتوىٰ في هذا الباب للمرحوم الشيخ محمد بخيت مفتي الديار المصرية السابق رحمه الله، وهذا وايم الحق لأجل ما يخدم به العلم وتبتغيه الحقيقة الواضحة.

فإليكم أيها الناس هذا السفر وغيره مما دبَّجته يراعة الصدِّيق الغُماري

مستمدًّا من وِرْد الشريعة المورود، ورحيقها العذب الصافي. أمَّا أنت يا محدِّث العصر وعلم المحدِّثين في مصر فليس في مستطاعي ولا في مستطاع أحدٍ أن يوفِّيك حقَّك أو بعض حقِّك، فذلك مُرْجَؤٌ إلى من يعلم السرَّ في السموات والأرض، يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرًا، وإنما قصارى وسعنا أن نبتهل إلى الله بارئ النسم أن ينسئ في أجلك، وأن ينفع بعلمك.

٤ - المَهْـدِيُّ المُنتَظَـر

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّد النبيِّ الأمين، ورضي الله عن آله الطَّاهرين وصحابته من الأنصار والمهاجرين.

أما بعد: فإني كنت كتبت كتابين:

أحدهما: "إقامة البرهان على نزول عيسى في آخر الزمان".

والآخر: "عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه السلام".

أبطلتُ فيهما زعم مَن أنكر نزوله من بعض المبتدعة، ونَفَد الكتابان، وتُرجم الأول منهما إلى اللغة الأردية بالهند.

وهذا كتاب أبطلْتُ فيه زعم مَن أنكر أحاديث المهدي المُنتظَر وبيَّنْتُ أنها متواترةٌ، ومُنكِرها يعتبر مُبتدِعًا ضالًّا من جملة الفِرَق المبتدعة الضالَّة، وسمَّيته: "المهديُّ المُنتظَر"، واللهُ المسئول أن ينفع به كما نفع بأخَوَيْه إنه قريبٌ مجيبٌ.

عبدالله بن محمَّد بن الصِّدِّيق الغُمَاري

مقدمة

في تواتر أحاديث المهدي

يعتقد كثير من الناس -فيهم علماء وأفاضل- أنَّ لا مهدي، جاهلين بما ورد من الأحاديث القاضية بظهوره في آخر الزمان، ولقد أُخبِرت عن بعض العلماء المدرِّسين بالأزهر أنه جرىٰ بمجلسه ذكر المهديّ عليه السَّلام فأنكره وقال: إنَّ أحاديثه ضعيفةٌ.

فقلت لمن أخبرني: هلَّا سألته عن سبب ضَعْفِها وعمن ضعَّفها مِن الحُفَّاظ؟

مع أنه لو سُئل عن ذلك لما استطاع -وايم الله- جوابًا، وكيف يستطيع وأحاديث المهديِّ متفَقٌ علىٰ تواترها بين حُفَّاظ الحديث ونُقَّادِه؟!

فقد قال الحافظ أبو الحسين الآبري في "مناقب الإمام الشافعي" ما نصُّه: «تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفىٰ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بمجيء المهديِّ، وأنه من أهل بيته، وأنه يملأ الأرض عَدْلًا، وأنَّ عيسىٰ عليه الصَّلاة والسَّلام يخرج فيساعده علىٰ قتل الدَّجَّال، وأنه يؤمُّ هذه الأُمَّة وعيسىٰ عليه الصَّلاة والسَّلام خلفه... في طول من قِصَّته وأمره».اهـ

ونقله القرطبيُّ في "التذكرة"، والحافظ ابن حجرٍ في "الفتح"، والحافظ السخاوي في "فتح المغيث"، والحافظ السيوطي في "العرف الوردي"، والمحدِّث الشيخ محمد بن عبدالباقي الزرقاني في "شرح المواهب"، وشارح "الاكتفاء"، وغيرهم، وأقرُّوه عليه.

وقال المحدِّث الناقد أبو العلاء السيِّد إدريس بن محمَّد بن إدريس العراقي الحسينيُّ في تأليف له في المهديِّ ما نصَّه: «أحاديث المهديِّ متواترةٌ أو كادت،

وجزم بالأول غير واحدٍ من الحُفَّاظ النُّقَّاد».اهـ

وقال الشوكاني في تأليف له سماه "التوضيح في تواتر ما جاء في المُنتظَر والدَّجَّال والمسيح" ما نصُّه: «والأحاديث الواردة في المهديِّ التي أمكن الوقوف عليها منها خمسون حديثًا فيها الصحيح والحسن والضعيف المُنجَبِر، وهي متواترةٌ بلا شك ولا شبهة، بل يَصْدُق وصف التواتر على ما دونها على جميع الاصطلاحات المحرَّرة في الأصول، وأمَّا الآثار عن الصحابة المصرِّحة بالمهديِّ فهي كثيرةٌ أيضًا لها حكم الرَّفْع، إذ لا مجال للاجتهاد في مثل ذلك».اهـ

وقال المحدِّث أبو الطيب صدِّيق بن حسن الحسينيُّ البخاريُّ القنوجيُّ ملك «بهوبال» في كتاب "الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة" ما نصُّه: «والأحاديث الواردة في المهديِّ على اختلاف رواياتها كثيرةٌ جدًّا تبلغ حدَّ التواتر، وهي في السُّنَن وغيرها من دواوين الإسلام من المعاجم والمسانيد».

وقال أيضًا بعد كلام له ما نصُّه: «وأحاديث المهديِّ بعضها صحيحٌ وبعضها حسنٌ وبعضها ضعيفٌ، وأمره مشهورٌ بين الكافَّة من أهل الإسلام على ممرِّ الأعصار».

وقال العلامة أبو عبدالله محمد جَسُّوس في "شرح رسالة ابن أبي زيد" ما نصُّه: «ورد خبر المهديِّ في أحاديث ذكر السخاويُّ أنها وصلت إلى حدِّ التواتر».اهـ

وقال العلامة الشيخ محمد العربي الفاسي في "المراصد":

ومَا مِن الأَشْرَاطِ قَدْ صَحَّ الخَبَرْ ... بِه عَن النَّبِيِّ حَقٌّ يُنتظَر

ثم ذكر جملة منها إلى أن قال:

وخَـــبَرُ المهـــديِّ أيضًـــا وَرَدَا ذا كثـــرةٍ في نَقْلِـــهِ فاعْتَضِـــدَا

قال شارحه المحقِّق أبو زيد عبدالرحمن بن عبدالقادر الفاسي في "مبهج المقاصد" هذا أيضًا مما تكاثرت الأخبار به، وهو المهديُّ المبعوث في آخر الزمان، ورد في أحاديث ذكر السخاويُّ أنها وصلت إلى حدِّ التواتر».اهـ

وقال السفاريني في عقيدته المسمَّاة بـ"الدرُّة المضية في عقيدة الفرقة المرضية":

ومـا أَتَـى في الـنَّصِّ مِـن أَشْرَاطِ فكلُّـــه حَـــقٌّ بـــلا شَـــطَاطِ

منهـا الإمـامُ الخَـاتَمُ الفَصِـيحُ محمَّـــد المهـــديُّ والمَســـيحُ

وقال أيضًا في شرحها: «كثرت الأقوال في المهديِّ حتى قيل: لا مهدي إلَّا عيسى، والصواب الذي عليه أهل الحقِّ: أنَّ المهديَّ غير عيسى، وأنه يخرج قبل نزول عيسى عليه السَّلام وقد كثرت بخروجه الروايات حتى بلغت حدَّ التواتر المعنويِّ، وشاع ذلك بين علماء السُّنَّة حتى عُدَّ مِن مُعتقداتهم».

ثُمَّ ذكر بعض الأحاديث الواردة فيه من طريق جماعةٍ من الصحابة ثُمَّ قال: «وقد روي عمَّن ذكر من الصحابة وغير من ذكر منهم بروايات متعدِّدة، وعن التابعين من بعدهم مما يفيد مجموعه العلم القطعي، فالإيمان بخروج المهديِّ واجبٌ كما هو مقرَّرٌ عند أهل العلم ومُدَوَّنٌ في عقائد أهل السُّنَّة والجماعة».اهـ

وممن نصَّ على تواتر حديث المهديِّ شيخ بعض شيوخنا الإمام العلامة خاتمة المحدِّثين بفاس قطب الدين السيد محمَّد بن جعفر الكتاني، إذ أورده في كتابه "نظم المتناثر من الحديث المتواتر" من طريق عشرين صحابيًّا، ونقل من

نصوص العلماء نحو ما نقلناه آنفًا ثم قال ما نصُّه: «وتتبَّع ابن خلدون في مقدِّمته طرق أحاديث خروجه مستوعبًا لها بحسب وسعه، فلم تسلم له من عِلَّة، لكن رَدُّوا عليه بأنَّ الأحاديث الواردة فيه على اختلاف رواياتها كثيرة جدًّا تبلغ حدَّ التواتر، وهي عند أحمد والترمذيِّ وأبي داود وابن ماجه والحاكم والطبرانيِّ وأبي يعلى والبزَّار وغيرهم، وأسندوها إلى جماعةٍ من الصحابة، فإنكارها مع ذلك مما لا ينبغي، والأحاديث يشدُّ بعضها بعضًا، ويتقوَّى أمرها بالشواهد والمتابعات، وأحاديث المهديِّ بعضها صحيحٌ وبعضها حسنٌ وبعضها ضعيفٌ».اهـ

ونصوص العلماء في هذا كثيرةٌ جدًّا، وليس غرضنا استقصاءها ولا التعرُّض لردِّ كلام ابن خلدون، إذ قد تصدَّى لذلك شقيقنا العلامة المحدِّث السيِّد أحمد في كتاب خاصٍّ سمَّاه "إبراز الوهم المَكْنون مِن كلام ابن خلدون" نَقَض فيه كل ما أبداه ابن خلدون من المطاعن، وتتبَّع كلامه جملة جملة بحيث لم يترك بعده لقائل مقالًا، وإنما غرضنا أن نذكر أحاديث المهديِّ معزوَّة لمن خرَّجها مِن أئمَّة الحديث، ونتكلَّم على أسانيدها تصحيحًا وتحسينًا وتضعيفًا بمقتضى القواعد المحرَّرة في عِلْمَي الحديث والأصول حتى يصير تواترها ملموسًا لكلِّ أحدٍ فنقول:

ورد ذكر المهديِّ من حديث أبي سعيدٍ الخدريِّ، وعبدالله بن مسعودٍ، وعليِّ بن أبي طالبٍ، وأمِّ سلمة، وثوبان، وعبدالله بن الحرث بن جزء الزَّبيدي، وأبي هريرة، وأنس بن مالكٍ، وجابر بن عبدالله الأنصاريِّ، وعثمان بن عفَّان، وحذيفة بن اليمان، وجابر بن ماجد الصدفي، وأبي أيوب الأنصاريِّ، وقرَّة المُزَني، وابن عبَّاسٍ، وأمِّ حبيبة، وأبي أُمامة الباهليِّ، وعبدالله بن عمرو بن

العاص، وعمَّار بن ياسر، والعبَّاس بن عبدالمطلب، والحسين بن عليٍّ، وتميم الدَّاري، وعائشة، وعبدالرحمن بن عوف، وعبدالله بن عمر بن الخطَّاب، وطلحة بن عبيدالله، وعلي الهلالي، وعمران بن حُصَين، وعمرو بن مرَّة الجهني، وعوف بن مالك، وأبي الطُّفَيل، ورجلٍ من الصحابة، وقيس بن جابر عن أبيه عن جدِّه رضي الله عنهم.

ومن مرسل سعيد بن المسيِّب، والحسن، وقتادة، وشَهْر بن حَوْشَبٍ، ومَعْمَرٍ.

هذا في المرفوعات دون الموقوفات والمقطوعات، وهي كثيرة أيضًا لها حُكْمُ الرَّفع؛ لأن الإخبار بالمغيَّبات كالمهديِّ مما لا مجال فيه للاجتهاد فيُحمَل على الرَّفع.

قال الحافظ العراقي في "الألفية":

وما أَتَى عن صَاحِبٍ بحيثُ لا ... يُقال رأيًا حُكْمُهُ الرَّفْعُ على
ما قال في المَحْصُول نحو مَنْ أتى[1] ... فالحاكمُ الرَّفْعَ لهذا أَثْبَتَا

وقال الحافظ أبو عمرو الداني: «قد يحكي الصحابيُّ قولًا يوقِفه على نفسه فيخرجه أهل الحديث في المُسَند؛ لامتناع أن يكون الصحابيُّ قاله إلَّا بتوْقِيف، كحديث أبي صالح السمَّان عن أبي هريرة قال: «**نِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مَائِلاتٌ مُمِيلاتٌ**». فمثل هذا لا يقال مِن قِبَل الرأي فيكون مِن جملة المُسنَد».اهـ

قال ابن العربي المعافري في "القبس": «إذا قال الصحابي قولًا لا يقتضيه

---

(١) يعني حديث: «**مَن أَتَى سَاحِرًا أو عَرَّافًا فقد كَفَر بما أُنزِلَ على محمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم**». فإنَّ الحاكم رواه عن ابن مسعودٍ موقوفًا وحكم له بالرَّفع ونُوزِعَ في ذلك، على أنه ورد مرفوعًا مِن طُرقٍ أخرى صحيحة.اهـ كاتبه.

القياس فإنه محمولٌ على المُسنَد إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ، ومذهب مالكٍ وأبي حنيفة أنه كالمسنَد، وهو ظاهر كلام الشافعيِّ في الجديد كما قال الحافظ السخاويُّ.

وقال الحافظ ابن حجرٍ في "شرح النخبة": «ومثال المرفوع حُكمًا لا تصريحًا أن يقول الصحابيُّ الذي لم يأخذ عن الإسرائيليات ما لا مجال للاجتهاد فيه، ولا له تعلُّقٌ ببيان لغةٍ أو شرح غريبٍ، كالإخبار عن الأمور الماضية من بدء الخَلْق وأخبار الأنبياء عليهم السلام، أو الآتية كالملاحم والفتن وأحوال يوم القيامة، وكذا الإخبار عما يحصل بفعله ثواب مخصوص أو عقاب مخصوص؛ وإنما كان له حكم المرفوع لأن إخباره بذلك يقتضي مخبرًا له، وما لا مجال للاجتهاد فيه يقتضي موقِفًا للقائل به، ولا مُوقِف للصحابة إلَّا النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أو بعض مَن يُخبر عن الكتب القديمة، فلهذا وقع الاحتراز عن القسم الثاني، وإذا كان كذلك فله حكم ما لو قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ، فهو مرفوع سواء كان ممن سمعه منه أو عنه بواسطة».اهـ

ونصَّ ابن العربي على أنَّ ما جاء عن التابعين مما لا مجال فيه للاجتهاد، له حكم الرفع أيضًا، ونقله عن مذهب مالكٍ.

قلت: وعلى هذا يكون مرسلًا، فيُحتجُّ به عند مالكٍ وأبي حنيفة مطلقًا، وعند غيرهما إذا عضَّده موصولٌ ضعيفٌ، أو مرسل آخر يروي مرسله عن غير رجال الأول، وإنما أتينا بهذه النصوص ليعلم القارئ حكم الآثار التي سنوردها بعد الانتهاء من ذكر الأحاديث المرفوعة في المهديِّ.

فصل

في الأحاديث التى ورد فيها ذكر المهدي

سردنا أسماء من روىٰ حديث المهديِّ عليه السَّلام ، فكان عددهم (٣٨) نفسًا منهم (٣٣) صحابة و(٥) تابعيون، ونريد الآن أن نثبت ألفاظ رواياتهم فنقول:

حديث أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه

أمَّا حديث أبي سعيدٍ الخدريِّ، فخرَّجه أبو داود قال: حدَّثنا سهل بن تمَّام بن بَزِيعٍ: ثنا عِمران القطَّان، عن قتادة، عن أبي نَضْرةَ، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**المهديُّ مِنِّي، أَجْلَى الجَبْهةِ، أَقْنَى الأنفِ، يملأ الأرضَ قِسْطًا وعَدْلًا كما مُلِئتْ جَوْرًا وظُلْمًا، يملك سبع سنين**».

وخرَّجه الحاكم عن أبي العباس محمَّد بن يعقوب: ثنا محمَّد بن إسحاق الصَّغاني: ثنا عمرو بن عاصم الكِلابي: ثنا عِمران القطَّان، عن قتادة، عن أبي نَضْرة، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**المهديُّ مِنَّا أهلَ البيتِ، أَشَمُّ الأنفِ، أَقْنَى، أَجْلَى، يملأ الأرض قِسْطًا وعَدْلًا كما مُلِئتْ جَوْرًا وظَلْمًا، يعيش هكذا**». وبسط يساره وإصبعين من يمينه السبَّابة والإبهام، وعقد ثلاثة، يعني سبع سنين. قال الحاكم: «صحيح علىٰ شرط مسلمٍ ولم يخرجاه».اهـ

وهو كما قال: فإن رجاله ثقات، وعمران القطَّان وإن كان فيه ضعفٌ لم ينفرد بالحديث، بل تابعه عليه جماعةٌ كما يأتي.

وقال الترمذيُّ: ثنا محمَّد بن بشَّار: ثنا محمَّد بن جعفر: نا شعبة قال: سمعت زيدًا العَمِّي قال: سمعت أبا الصِّدِّيق النَّاجي يُحدِّث عن أبي سعيدٍ الخدريِّ قال: خشينا أن يكون بعد نبيِّنا حَدَثٌ، فسألنا نبيَّ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**إنَّ في أُمَّتي المهديَّ يخرج يعيش خمسًا أو سبعًا أو تسعًا**» - زيد الشَّاكُّ- قال: قلنا وما ذاك؟ قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «سنين»، قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**فيجيء إليه رجلٌ فيقول يا مهديُّ: أَعْطني أَعْطني**»، قال: «**فيَحْثِي له في ثوبه ما استطاع أن يَحْمله**».

قال الترمذيُّ: «هذا حديثٌ حسنٌ، وقد رُوي من غير وجهٍ عن أبي سعيدٍ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ».اهـ

وخرَّجه أحمد قال: ثنا محمَّد بن جعفر: ثنا شعبة.

(ح) وقال أيضًا: ثنا ابن نمير: ثنا موسى الجهني.

(ح) وقال ابن ماجه: ثنا نصر بن عليٍّ الجَهْضَمِيُّ: ثنا محمد بن مروان العقيلي: ثنا عمارة بن أبي حفص.

(ح) وقال الحاكم: ثنا عبدالله بن سعد الحافظ: ثنا إبراهيم بن أبي طالب، وإبراهيم بن إسحاق، وجعفر بن محمَّد الحافظ قالوا: ثنا نصر بن عليٍّ الجَهْضَمِيُّ: ثنا حفص بن أبي عمارة، قال هو وشعبة وموسى الجهني: ثنا زيد العَمِّي قال: سمعت أبا الصِّدِّيق النَّاجي يُحدِّث عن أبي سعيدٍ الخدريِّ.

فذكر الحديث بلفظ الترمذيِّ، وهو حديث حسن وإن كان زيد العَمِّي ضعيفًا؛ لأن للحديث طُرُقًا كما نقلنا عن الترمذيِّ آنفًا.

وقال الحاكم: ثنا أبو بكر بن إسحاق، وعلي بن حَمْشَاذ العدل، وأبو بكر محمَّد

بن أحمد بن بَالَوَيْه قالوا: ثنا بِشْر بن موسىٰ الأَسَديُّ: ثنا هاوون بن خليفة.

(ح) وقال أيضًا: ثنا الحسين بن علي الدارمي: ثنا محمد بن إسحاق الإمام: ثنا محمد بن بشَّار: ثنا ابن أبي عدي قال: ثنا عوف بن أبي جميلة الأعرابي، عن أبي الصِّدِّيق النَّاجي، عن أبي سعيد الخدريِّ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لا تقوم الساعة حتى تملأ الأرض جَوْرًا وعُدْوانًا، ثُمَّ يخرجُ رجلٌ من أهل بيتي يملؤها قِسْطًا وعَدْلًا كما مُلِئتْ ظُلْمًا وعُدْوانًا**». قال الحاكم: «هذا حديثٌ صحيحٌ علىٰ شرط الشيخين». وأقرَّه الحافظ الذهبيُّ في "التلخيص".

ورواه ابن حِبَّان في "صحيحه" قال: أخبرنا أحمد بن علي بن المثنَّىٰ -هو أبو يعلىٰ-: ثنا أبو خيثمة: ثنا يحيىٰ بن سعيد: ثنا عوف الأعرابي: ثنا أبو الصِّدِّيق النَّاجي، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم به. وهذا إسناد صحيح أيضًا.

وقال الحاكم: ثنا أبو العبَّاس محمد بن أحمد المحبوبي: ثنا سعيد بن مسعود: ثنا النضر بن شُمَيل: ثنا سليمان بن عبيد: ثنا أبو الصِّدِّيق النَّاجي، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**يخرج في آخر أُمَّتي المهديُّ يَسْقِيه الله الغيثَ، وتُخرج الأرضُ نَباتَها، ويُعطِي المال صِحاحًا، وتَكْثُر الماشية، وتَعْظُم الأُمَّة، يعيش سبعًا أو ثمانيًا**». يعني حِجَجًا، قال الحاكم: «هذا حديثٌ صحيح الإسناد»، وأقرَّه الحافظ الذهبيُّ في "التلخيص".

وقال الحاكم: ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب: ثنا حجَّاج بن الربيع بن سليمان: ثنا أسد بن موسىٰ: ثنا حمَّاد بن سلمة، عن مَطَرٍ الورَّاق، وأبي هارون العبدي، عن أبي الصِّدِّيق النَّاجي، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله

عليه وآله وسلَّم قال: «**تُملأ الأرضُ جَوْرًا وظُلْمًا، فيخرج رجلٌ مِن عِتْرتي فيملك سبعًا أو تسعًا، فيملأ الأرضَ عَدْلًا وقِسْطًا كما مُلئتْ جَوْرًا وظُلْمًا**». قال الحاكم: «هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط مسلمٍ». وهو كما قال.

وخرَّجه أحمد بإسناد صحيح أيضًا في "مسنده" قال: قال الحسن بن موسى: ثنا حمَّاد بن سلمة، عن أبي هارون العَبْدي ومَطَرٍ الورَّاق، عن أبي الصِّدِّيق النَّاجي، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم به.

وقال ابن حِبَّان في "صحيحه": أخبرنا محمَّد بن عليِّ بن العبَّاس المَرْوَزِيُّ بالبصرة: ثنا الحسن بن عرفة: ثنا هاشم بن القاسم: ثنا شيبان بن عبدالرحمن، عن مَطَرٍ الورَّاق، عن أبي الصِّدِّيق النَّاجي، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لا تقومُ السَّاعةُ حتَّى يَمْلِكَ رجلٌ مِن أهل بيتي، أَقْنَى، يملأ الأرضَ عَدْلًا كما مُلِئتْ قَبْله ظُلْمًا، يَمْلِك سَبْع سِنين**».

وقال الحاكم في "المستدرك": أخبرني الحسين بن علي بن محمد بن يحيى: أنبأ أبو محمد بن الحسن بن إبراهيم بن حيدر الحِمْيَرِيُّ بالكوفة: ثنا القاسم بن خليفة: ثنا أبو يحيى عبدالحميد بن عبدالرحمن الحِمَّانيُّ: ثنا عمر بن عبيد الله العَدَويُّ، عن معاوية بن قُرَّة، عن أبي الصِّدِّيق النَّاجي، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ قال: قال نبيُّ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ينزل بأُمَّتي في آخر الزمان بلاءٌ شديدٌ مِن سُلْطَانهم لم يُسْمعْ بلاءٌ أشدُّ منه،حتَّى تضيقَ عنهم الأرضُ الرَّحْبَة، وحتَّى تُملأ الأرضُ جَوْرًا وظُلْمًا، ولا يجد المؤمن مَلْجأً يلتجئ إليه مِن الظُّلْم، فيبعث الله عزَّ وجلَّ رجلًا مِن عِترتي، فيملأ الأرضَ قِسْطًا وعَدْلًا كما مُلئتْ جَوْرًا وظُلْمًا، يرضى عنه ساكن السَّماءِ وساكن الأرضِ، لا تدَّخِرُ الأرضُ مِن**

بَذْرِها شيئًا إلَّا أخرجته، ولا السماء مِن قَطْرها شيئًا إلَّا صبَّه الله عليهم مِدْرَارًا، يعيش فيهم سَبْع سِنين أو ثمان أو تسع، تتمنَّى الأحياءُ الأمواتَ ممَّا صَنَعَ الله عزَّ وجلَّ بأهلِ الأرضِ مِن خَيْره». قال الحاكم: «هذا حديثٌ صحيح الإسناد».

قلت: كذا قال، مع أنَّ إسناده ضعيفٌ، ولكن الحاكم صحَّحه بالنظر إلى كثرة الطُّرق، وهو كذلك.

وقال مسلمٌ في "صحيحه": ثنا أبو بكر بن أبي شيبة: ثنا أبو معاوية، عن داود بن أبي هند، عن أبي نضرة، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «يكون في آخرِ الزَّمانِ خَلِيفةٌ يَقْسِمُ المالَ ولا يَعُدُّهُ».

وخرَّج الطبرانيُّ في "المعجم الأوسط" من طريق أبي الواصل عبدالحميد بن واصل، عن أبي الصِّدِّيق النَّاجي، عن الحسن بن يزيد السعدي -أحد بني بَهْدَلة- عن أبي سعيدٍ الخدري: سمعتُ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «يخرج رجلٌ مِن أُمَّتي يقول بسُنَّتي، يُنزِّل اللهُ عزَّ وجلَّ له القَطْرَ مِن السَّماء، وتُخرج الأرضُ مِن بَرَكَتها، وتُملأ الأرضُ منه قِسْطًا وعَدْلًا كما مُلِئتْ جَوْرًا وظُلْمًا، يعمل على هذه الأُمَّة سَبْع سنين، وينزل بيت المقدس». رجاله ثقات.

وخرَّج أحمد بأسانيد صحيحة، وأبو يعلى بإسناد صحيح أيضًا -كما قال الحافظ الهيثميُّ- عن أبي سعيدٍ الخدريِّ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «أُبشِّركم بالمهديِّ، يُبعث على اختلافٍ مِن النَّاسِ وزَلَازِلَ، فيملأ الأرضَ قِسْطًا وعَدْلًا كما مُلِئتْ جَوْرًا وظُلْمًا، يَرْضَى عنه ساكنُ السَّماءِ وساكنُ الأرضِ، يَقْسِمُ المالَ صِحَاحًا». قال له رجلٌ: ما صِحاحًا؟ قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «بالسَّويَّة بين النَّاسِ، ويملأ الله قلوبَ أمَّةِ محمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله

وسلَّم غِناءً، ويسعهم عَدْله حتَّى يأمر مناديًا فينادي فيقول: مَن له في مالٍ حاجةَ؟ فما يقوم مِن النَّاس إلَّا رجلٌ واحدٌ، فيقول: أنا، فيقول: أئت السَّدَّان - يعني الخازن- فقل له: إنَّ المهديَّ يأمرك أن تُعطِيني مالًا، فيقول له: احث، حتى إذا جعله في حِجْره وائْتزره نَدِم، فيقول: كنتُ أَجْشَعَ أمَّة محمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ، أوَ عَجِزَ عنِّي ما وَسِعَهم؟!» قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «فيردُّه، فلا يُقبلُ منه فيقال له: إنَّا لا نأخذ شيئًا أعطيناه، فيكون كذلك سبع سنين أو ثمان سنين أو تسع سنين، ثُمَّ لا خير في العَيْشِ بعده». أو قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «ثُمَّ لا خير في الحياة بعده». وخرَّجه البارودي في "المعرفة"، وأبو نعيمٍ في "الأربعين" التي جمعها في المهديِّ، ولحديث أبي سعيدٍ الخدريِّ طُرقٌ أُخرىٰ أعرضنا عنها لحصول الكفاية بما ذكرناه.

حديث ابن مسعودٍ رضي الله عنه

وأمَّا حديث ابن مسعود فخرَّجه أبو داود، قال: ثنا مُسدَّد: أنَّ عمر بن عبيد حدَّثهم.

(ح) ثنا محمَّد بن العلاء: ثنا أبو بكر - يعني ابن عيَّاش.

(ح) وثنا مسدَّد: ثنا يحيىٰ، عن سفيان.

(ح) وثنا أحمد بن إبراهيم: ثنا عبيد الله بن موسىٰ: أخبرنا زائدة.

(ح) وثنا أحمد بن إبراهيم: ثنا عبيد الله، عن فطر- المعنىٰ واحد- كُلهم عن عاصم، عن زرٍّ، عن عبدالله بن مسعودٍ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «لو لم يَبْقَ مِن الدُّنيا إلَّا يومٌ -قال زائدة في حديثه- لطوَّل الله ذلك اليومَ -ثم اتفقوا- حتَّى يبعثَ الله فيه رجلٌ مِنِّي أو مِن أهل بيتي، يُواطِئ اسمُهُ

اسمِي، واسم أبيه اسم أبي». زاد في حديث فطر: «**يملأ الأرضَ قِسْطًا وعَدْلًا كما مُلِئتْ ظُلْمًا وجَوْرًا**». وقال في حديث سفيان «**لا تذهب، أو لا تنقضي الدُّنيا حتى يَمْلِكَ العربَ رجلٌ مِن أهل بيتي، يُواطِئ اسْمُهُ اسمِي**». قال أبو داود: لفظ عمر وأبي بكر بمعنىٰ سفيان.

وخرَّجه أحمد، عن عمر بن عبيد، عن عاصم بلفظ: «**لا تنقضي الأيام ولا يذهب الدَّهر حتى يَمْلِكَ العربَ رجلٌ مِن أهل بيتي، اسمه يواطئ اسمي**».

ورواه عن يحيىٰ بن سعيد، عن سفيان، عن عاصم بلفظ: «**لا تذهب الدُّنيا، أو لا تَنْقَضِي الدُّنيا حتى يَمْلِكَ العربَ رجلٌ مِن أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي**».

وخرَّجه الترمذيُّ، عن عبيد بن أسباط بن محمد القرشي، عن سفيان الثوري، عن عاصم بلفظ: «**لا تذهب الدُّنيا حتى يَمْلِكَ العربَ رجلٌ مِن أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي**». ثم قال الترمذيُّ: «هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ».

وخرَّجه أيضًا عن عبدالجبار بن العلاء بن عبدالجبار العطَّار، عن سفيان بن عُيَيْنَة، عن عاصم بلفظ: «**يَلِي رجلٌ من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي، لو لم يَبْقَ مِن الدُّنيا إلَّا يومٌ لطوَّل الله ذلك اليومَ حتَّى يَلِيَ**». ثُمَّ قال الترمذيُّ: «هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ».

وخرَّجه الطبرانيُّ في "المعجم الصغير" قال: ثنا يحيىٰ بن إسماعيل بن محمد بن يحيىٰ بن محمد بن زياد بن جرير بن عبدالله البَجَليُّ: ثنا جعفر بن علي بن خالد بن جرير بن عبدالله البَجَليُّ: ثنا أبو الأحوص سلام بن سليم، عن عاصم بن أبي النُّجُود، عن زِرِّ بن حُبَيْشٍ، عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لا تذهبُ الدُّنيا حتَّى يَمْلِكَ رجلٌ مِن أهل بيتي،**

يواطِئ اسمه اسمي، يملأ الأرضَ عَدْلًا وقِسْطًا كما مُلِئتْ جَوْرًا وظُلْمًا».

وخرَّجه الحاكم في "المستدرك" وقال: «رواه الثوري، وشعبة، وزائدة، وغيرهم من أئمَّة المسلمين، عن عاصم. وطُرُق عاصم عن زِرٍّ عن عبدالله كلُّها صحيحة على ما أصَّلته مِن الاحتجاج بأخبار عاصم، إذ هو إمامٌ مِن أئمَّة المسلمين». انتهى كلام الحاكم.

وهو كما قال؛ فإن عاصمًا أحد القرَّاء السبعة المتفق بين أهل الإسلام على ثقتهم وجلالتهم.

وخرَّجه ابن حِبَّان في "صحيحه" مختصرًا فقال: ثنا الفضل بن الحُبَاب: ثنا مُسدَّد: ثنا محمد بن إبراهيم أبو شهاب: ثنا عاصم بن بَهْدَلة، عن زِرٍّ، عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: **«لو لم يَبْقَ مِن الدُّنيا إلَّا ليلةٌ لَمَلَك فيها رجلٌ مِن أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي»**.

وقال ابن حِبَّان أيضًا: أخبرنا الحسن بن أحمد بن بَسْطام بالأُبُلَّة: ثنا عمرو بن عليِّ بن بَحْرٍ: ثنا ابن مهديٍّ، عن سفيان، عن عاصم، عن زِرٍّ، عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: **«لا تقوم الساعةُ حتى يَمْلِكَ النَّاسَ رجلٌ مِن أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، فيملؤها قِسْطًا وعَدْلًا»**.

وقال ابن حِبَّان أيضًا: أخبرنا محمد بن أحمد بن أبي عون: ثنا علي بن المنذر: ثنا ابن فضيل: ثنا عثمان بن شُبْرُمة، عن عاصم، عن زِرٍّ، عن عبدالله بن مسعودٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: **«يخرج رجلٌ مِن أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي وخُلُقُه خُلُقِي، فيملؤها قِسْطًا وعَدْلًا كما مُلِئتْ**

ظُلْمًا وجَوْرًا».

وقال ابن ماجه: ثنا عثمان بن أبي شيبة: ثنا معاوية بن هشام: ثنا علي بن صالح، عن يزيد بن أبي زياد، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبدالله بن مسعودٍ رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إذ أقبل فتيةٌ من بني هاشم، فلما رآهم النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم اغْرَوْرَقَت عيناه وتغيَّر لونه، قال: فقلت: ما نزال نرىٰ في وجهك شيئًا نكرهه؟! فقال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: **«إنَّا أهلُ بيتٍ اختار الله لنا الآخرة على الدُّنيا، وإنَّ أهل بيتي سيَلْقَوْن بعدي بلاءً وتَشْريدًا وتَطْريدًا، حتى يأتي قومٌ مِن قِبَل المَشْرِق معهم راياتٌ سُودٌ، فيسألون الخيرَ فلا يُعْطَوْنه، فيقاتلون فيُنصَرون، فيُعطَون ما سألوا فلا يقبلونه حتى يدفعوها إلى رجلٍ مِن أهل بيتي، فيملؤها قِسْطًا كما ملؤوها جَوْرًا، فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حَبْوًا على الثَّلْجِ»**.

وخرَّجه أبو الشيخ في كتاب "الفتن" قال: ثنا عبدان: ثنا ابن نُمَيرٍ: ثنا أبو بكر بن عَيَّاش، عن يزيد بن أبي زياد به.

وخرَّجه أبو جعفر العقيلي قال: ثنا محمد بن إسماعيل: ثنا عمر بن عوف: أنبأنا خالد بن عبدالله، عن يزيد بن أبي زياد به.

وخرَّجه ابن عديٍّ من طريق ابن فضيل، عن يزيد به.

ورجاله ثقات علىٰ شرط الصحيح إلَّا يزيد بن أبي زياد ففيه خلاف، وقد حسَّن له الترمذيُّ، وروىٰ له مسلمٌ ووصفه في مقدَّمة "صحيحه" بالصِّدق، ووثَّقه ابن سعد، وأحمد بن صالح المصري، وابن حِبَّان، وابن شاهين وغيرهم، ولم يضعِّفه مَن ضعَّفه إلَّا من جهة سوء حفظه في آخر حياته لا غير.

على أنه لم ينفرد بهذا الحديث؛ فقد ورد من طريقٍ آخر.

قال الحاكم: أخبرني أبو بكر بن دارم الحافظ بالكوفة: ثنا محمد بن عثمان بن سعيد القرشي: ثنا يزيد بن محمد الثقفي: ثنا حَنَان بن سُدَيرٍ، عن عمرو بن قَيْس المُلائي، عن الحكم، عن إبراهيم، عن علقمة بن قيس وعبيدة السلماني، عن عبدالله بن مسعودٍ رضي الله عنه قال: أتينا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فخرج إلينا مُسْتبشِرًا يُعرَف السُّرور في وجهه، فما سألناه عن شيءٍ إلَّا أخبرنا به، ولا سكتنا إلَّا ابتدأنا، حتى مرت فتيةٌ من بني هاشم فيهم الحَسن والحُسين عليهما السَّلام، فلما رآهم التزمهم وانهملت عيناه، فقلنا يا رسول الله: ما نزال نرى في وجهك شيئًا نكرهه؟! فقال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّا أهلُ بيتٍ اختار الله لنا الآخرة على الدُّنيا، وإنه سيلقى أهل بيتي مِن بعدي تَطْريدًا وتَشْريدًا في البلاد حتى ترتفع راياتٌ سُودٌ مِن المشرق، فيسألون الحقَّ فلا يُعطَونه ثُمَّ يسألونه فلا يُعطَونه، فيقاتلون فيُنصَرون، فمن أدركه منكم أو من أعقابكم فليأتِ إمام أهل بيتي ولو حَبْوًا على الثَّلج، فإنها رايات هدى يدفعونها إلى رجلٍ من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، فيملك الأرض فيملؤها قِسْطًا وعَدْلًا كما مُلِئتْ جَوْرًا وظُلْمًا**». سكت عليه الحاكم، وقال الذهبيُّ: «هذا موضوع».

قلت: لا والله ما هو بموضوعٍ، ومن أين يأتيه الوضع وليس في رجال إسناده كذَّاب ولا وضَّاع، فالحكم بوضعه مجازفة لا سيَّما وله طُرُق، منها ما تقدَّم عن ابن ماجه، ومنها عن ثوبان رضي الله عنه، والعجب أنَّ هذا الطريق أخرجه الحاكم وصحَّحه على شرط الشيخين، وأقرَّه الذهبيُّ نفسه! وسنذكره

في حديث ثوبان إن شاء الله تعالى.

وخرَّج ابن عساكر، عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**المهديُّ يواطِئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي**».

وخرَّج أبو نعيم في "أخبار المهدي" عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لو لم يَبْقَ مِن الدُّنيا إلَّا ليلة لطوَّل الله تلك الليلةَ حتَّى يَمْلِكَ رجلٌ مِن أهل بيتي يواطِئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، يملؤها قِسْطًا وعَدْلًا كما مُلِئتْ ظُلْمًا وجَوْرًا، ويَقْسِم المال بالسَّويَّة ويجعل الله الغِنَى في قلوب هذه الأُمَّة، فيمكث سبعًا أو تسعًا، ثُمَّ لا خير في عَيْش الحياة بعده**».

حديث عليٍّ عليه السَّلام

وأمَّا حديث عليٍّ عليه السَّلام فخرَّجه أبو داود قال: ثنا عثمان بن أبي شيبة: ثنا الفضل بن دُكَين: ثنا فِطْر، عن القاسم بن أبي بزَّة، عن أبي الطُّفيل، عن عليٍّ عليه السَّلام، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لو لم يبقَ مِن الدَّهر إلَّا يومٌ لبعث اللهُ رجلًا مِن أهل بيتي، يملؤها عَدْلًا كما مُلئت جَوْرًا**».

وكذا خرَّجه أحمد من طريق فِطْر، عن القاسم بن أبي بزَّة، عن أبي الطُّفيل، عن عليٍّ عليه السَّلام به مرفوعًا. وإسناده صحيح.

وقال ابن ماجه: ثنا عثمان بن أبي شيبة: ثنا أبو داود الحَفَريُّ: ثنا ياسين -هو العِجْليُّ-، عن إبراهيم بن محمد بن الحنفية، عن أبيه، عن عليٍّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**المهديُّ مِنَّا أهلَ البيتِ، يُصْلِحُهُ اللهُ في ليلةٍ**».

وخرَّجه أحمد قال: ثنا الفضل بن دُكَينٍ: ثنا ياسين العِجْليُّ به.

وهو حديثٌ حسنٌ، ولولا ما في العِجْليِّ من بعض التضعيف لكان صحيحًا؛ لأن رجاله ثقاتٌ.

قال الحافظ ابن كثير: «ومعنى قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يُصْلِحُه اللهُ في ليلةٍ**» أي: يتوب عليه ويوفِّقه ويلهمه رشده بعد أن لم يكن كذلك ».اهـ

وخرَّج الطبرانيُّ في "الأوسط" بإسناد ضعيف، عن عليٍّ عليه السَّلام أنه قال: أمِنَّا المهديُّ، أم من غيرنا يا رسول الله؟ قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**بل مِنَّا، بنا يَخْتِمُ الله كما بنا فَتَحَ، وبنا يُستَنقَذون مِن الشِّرك، وبنا يؤلِّف الله بين قلوبهم بعد عداوةٍ بيِّنةٍ كما بنا ألَّف بين قلوبهم بعد عداوةِ الشِّرك**».

قال عليٌّ عليه السَّلام: أمؤمنون أم كافرون؟ قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَفْتونٌ وكافرٌ**».

وخرَّج الطبرانيُّ في "الأوسط" عن عليٍّ عليه السَّلام: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**تكون في آخر الزَّمان فتنةٌ تُحصِّل الناس كما يُحصَّل الذهب في المعدن، فلا تَسُبُّوا أهل الشَّام، ولكن سبُّوا شِرارهم؛ فإن فيهم الأبدال، يوشك أن يُرسلَ على أهل الشَّامِ سَيْبٌ فيفرِّق جماعتهم، حتى لو قاتلهم الثعالب غلبتهم، فعند ذلك يخرج خارج مِن أهل بيتي في ثلاث راياتٍ، المكثر يقول: خمسة عشر ألفًا، والمُقِلُّ يقول: اثنا عشر ألفًا، أمارتهم: «أَمِتْ أَمِتْ»، يلقون سبع راياتٍ، تحت كلِّ رايةٍ منها رجلٌ يطلب المُلْكَ، فيقتلهم الله جميعًا، ويَرُدُّ إلى المسلمين أُلْفتهم ونِعمتهم وقاصِيهم ودانِيهم**». رجاله ثقاتٌ غير ابن لَهيعة.

حديث أمِّ سلمة رضي الله عنها

وأمَّا حديث أمِّ سلمة رضي الله عنها فخرَّجه أبو داود: ثنا أحمد بن إبراهيم: ثنا عبدالله بن جعفر الرَّقِّي: ثنا أبو المَليح الحسن بن عمر، عن زياد بن بَيَانٍ، عن عليِّ بن نُفَيلٍ، عن سعيد بن المسيِّب، عن أمِّ سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**المهديُّ مِن عِتْرتي مِن وَلَدِ فاطمةَ**».

وخرَّجه ابن ماجه: ثنا أبو بكر بن أبي شيبة: ثنا أحمد بن عبدالملك: ثنا أبو المليح الرَّقِّي، عن زياد بن بَيانٍ، عن عليِّ بن نُفَيلٍ، عن سعيد بن المسيِّب قال: كنا عند أمِّ سلمة رضي الله عنها فتذاكرنا المهديَّ فقالت: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**المهديُّ مِن وَلَدِ فاطمةَ**».

وخرَّجه الحاكم، من طريق عبدالله بن صالح، وعمرو بن خالد الحرَّاني قالا: أنا أبو المليح الرَّقِّي: ثنا زياد بن بَيانٍ -وذكر مِن فضله- قال: سمعت عليَّ بن نفيلٍ يقول: سمعت سعيد بن المسيِّب يقول: سمعت أمَّ سلمة رضي الله عنها تقول: سمعت النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يذكر المهديَّ فقال: «**نعم، هو حَقٌّ وهو من بني فاطمة**». سكت عليه الحاكم والذهبيُّ، وإسناده صحيح.

وقال أبو داود: ثنا محمد بن المثنَّى: ثنا معاذ بن هشام: ثنا أبي، عن قتادة، عن صالح أبي الخليل، عن صاحبٍ له، عن أمِّ سلمة رضي الله عنها، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**يكون اختلافٌ عند موتِ خليفةٍ، فيَخرجُ رجلٌ مِن أهل المدينة هاربًا إلى مكَّة، فيأتيه ناسٌ مِن أهل مكَّة فيُخرجونه وهو كارهٌ، فيبايعونه بين الرُّكن والمقام، ويُبعث إليه بَعْثٌ مِن الشَّام فيُخسَفُ بهم بالبَيْداء**

بين مكَّة والمدينة، فإذا رأى الناسُ ذلك أتاه أبدال الشَّام وعَصَائِبُ أهلِ العراقِ فيبايعونه بين الرُّكن والمقام، ثُمَّ ينشأ رجلٌ مِن قريشٍ أخواله كَلْبٌ، فيَبْعثُ إليهم بعْثًا فيظهرون عليهم وذلك بعث كَلْبٍ، والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كَلْبٍ، فيَقْسِمُ المالَ، ويعمل في النَّاس بسُنَّة نبيِّهم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ، ويلقي الإسلامُ بجِرَانِه إلى الأرض، فيلبث سبع سنين ثم يُتوفَّى ويصلِّي عليه المسلمون».

ثُمَّ قال أبو داود: ثنا ابن المثنَّى: ثنا عمرو بن عاصم: ثنا أبو العوَّام: ثنا قتادة، عن أبي الخليل، عن عبدالله بن الحرث، عن أمِّ سلمة رضي الله عنها، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بهذا.

وحديث معاذ أتم، فبان بهذا السَّند، المُبهم في السَّند الأول، ورجاله رجال "الصحيحين".

وخرَّجه ابن حِبَّان في "صحيحه" فقال: ثنا أبو يعلى: ثنا محمد بن يزيد بن رفاعة: ثنا وهب بن جرير: ثنا هشام بن أبي عبدالله، عن قتادة، عن صالح أبي الخليل، عن مجاهد، عن أمِّ سلمة رضي الله عنها، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم به. وهذا إسناد صحيح أيضًا.

وخرَّج الطبرانيُّ في "الأوسط" بإسنادٍ رجاله رجال الصحيح -كما قال الحافظ الهيثميُّ- عن أمِّ سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «يكون اختلافٌ عند موتِ خليفةٍ، فيخرج خارجٌ مِن بني هاشمٍ فيأتي مكَّة، فيَستَخرجه النَّاسُ من بيته بين الرُّكن والمقام، فيُجَهِّزُ إليه رجلٌ مِن قريشٍ أخواله من كَلْبٍ، فيُجَهِّز إليهم جيشٌ فيهزمهم الله فتكون

الدائرة عليهم، فذلك يوم كَلْبٍ، الخائبُ مَن خاب مِن غنيمة كَلْبٍ، فيَستَفْتِحُ الكُنوزَ ويَقْسِمُ الأموالَ ويُلْقِي الإسلامُ بجِرَانِهِ إلى الأرض، فيعيشون بذلك سبع سنين»، أو قال: «تسع».

وخرَّجه الطبرانيُّ في "الكبير" و"الأوسط" باختصار ورجاله رجال الصحيح غير عِمران القَطَّان ففيه ضعفٌ، وخرَّجه في "الأوسط" أيضًا بإسناد رجاله ثقات غير ليث بن أبي سليم.

حديث ثوبان رضي الله عنه

وأمَّا حديث ثوبان فخرَّجه ابن ماجه قال: ثنا محمد بن يحيى وأحمد بن يوسف قالا: ثنا عبدالرزاق، عن سفيان الثوري، عن خالدٍ الحَذَّاء، عن أبي قِلَابة، عن أبي أسماء الرَّحَبيِّ، عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يَقْتِتِلُ عند كَنْزِكُم ثلاثةٌ كلُّهم ابن خليفة، ثُمَّ لا يصير إلى واحدٍ منهم، ثُمَّ تَطْلُعُ الرَّاياتُ السُّودُ مِن قِبَل المشرقِ، فيقتلونكم قتلًا لم يُقتلْهُ قومٌ**». ثم ذكر شيئًا لا أحفظه، فقال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا رأيتموه فبايعوه ولو حَبْوًا على الثَّلجِ فإنه خليفةُ الله المهديُّ**».

قال الحافظ البوصيريُّ في "الزوائد": «هذا إسنادٌ صحيحٌ، رجاله ثقاتٌ».

وخرَّجه الحاكم من طريق سفيان الثوريِّ، عن خالدٍ الحَذَّاء، عن أبي قِلَابة عن أبي أسماء عن ثوبان -رضي الله عنه- به، ثم قال الحاكم: «صحيحٌ على شرط الشيخين». وأقرَّه الذهبيُّ.

وخرَّ ج أحمد، ونعيم بن حمَّاد في "الفتن"، وأبو نعيمٍ في "أخبار المهديِّ" عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا**

رأيتم الرَّاياتِ السُّودَ قد أقبلتْ مِن خُرَاسانَ فائتوها ولو حَبْوًا على الثَّلْجِ؛ فإنَّ فيها خليفةَ الله المهديَّ».

وخرَّج الديلميُّ في "مسند الفردوس"، عن ثوبان رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ستَطْلُعُ عليكم راياتٌ سُودٌ مِن قِبَلِ خُراسانَ فأتوها ولو حَبْوًا على الثَّلجِ؛ فإنه خليفةُ الله تعالى المهديُّ**».

وخرَّج الحسن بن سفيان في "مسنده"، وأبو نعيم في "أخبار المهدي"، عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**تجيء الرايات السُّود من قِبل المشرق، كأنَّ قلوبهم زبر الحديد، فمن سمع بهم فليأتهم ولو حَبْوًا على الثَّلْجِ**».

قال الحافظ ابن كثير: «هذه الرايات السُّود ليست هي التي أقبل بها أبو مسلمٍ الخُراسانيُّ فاسْتلبَ بها دولة بني أمية، بل راياتٌ سودٌ أُخَر تأتي صحبة المهديِّ».اهـ وهو ظاهر.

وقوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في حديث ابن ماجه: «**يقتتل عند كنزكم**» المراد به: كنز الكعبة، لما ورد في أحاديث أخرىٰ مِن أنَّ المهديَّ سيفتح كنز الكعبة بعد حصول المقاتلة لأجله، وربما نذكر بعضها إن شاء الله تعالىٰ.

حديث عبدالله بن الحرث رضي الله عنه

وأمَّا حديث عبدالله بن الحرث بن جَزْءٍ الزَّبيديِّ فخرَّجه ابن ماجه، والطبراني في "الأوسط" عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**يَخرجُ ناسٌ مِن المشرقِ فيوطِّئون للمهديِّ**». يعني: سلطانه. وسنده ضعيفٌ.

حديث أبي هريرة رضي الله عنه

وأمَّا حديث أبي هريرة فخرَّجه ابن حِبَّان في "صحيحه" قال: أخبرنا الفضل بن الحُبَاب: ثنا مُسدَّدُ بن مُسَرْهَدٍ: ثنا محمد بن إبراهيم أبو شهاب، عن عاصم بن بَهْدلةَ، عن أبي صالحٍ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لو لم يَبْقَ مِن الدُّنيا إلَّا ليلةٌ لَمَلَكَ فيها رجلٌ مِن أهلِ بيتِ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم**».

وخرَّجه الترمذيُّ من طريق سفيان بن عبيدة، عن عاصم، عن أبي صالحٍ، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- به مرفوعًا. ثم قال الترمذيُّ: «هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ».

وخرَّج أبو يعلى في "مسنده"، والطبراني في "معجمه الأوسط"، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**يكون في أُمَّتي المهديُّ إن قَصُر فسبعٌ وإلَّا فثمانٍ وإلَّا فتسعٌ، تَنْعمُ أُمَّتي فيها نعمةً لم ينعموا مِثلها، تُرسَلُ السَّماءَ عليهم مِدْرَارًا، ولا تدَّخِرُ الأرضُ شيئًا مَن النَّباتِ، والمال كُدوس** -بضمِّ الكاف، أي: مجتمع- **يقوم الرجل يقول: يا مهديُّ أعطني؟ فيقول: خُذْ**». إسناده صحيح.

وخرَّج البزَّار في "مسنده" بإسناد رجاله ثقات -كما قال الحافظ الهيثميُّ- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ذَكَرَ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم المهديَّ فقال: «**إن قصر فسبعٌ وإلَّا فثمانٍ وإلَّا فتسعٌ، وليملأنَّ الأرضَ عَدْلًا وقِسْطًا كما مُلِئتْ جَوْرًا وظُلْمًا**».

وخرَّج أبو يعلى في "مسنده" عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: حدَّثني

خليلي أبو القاسم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لا تقوم السَّاعةُ حتَّى يَخرجُ عليهم رجلٌ مِن أهلِ بيتي فيضربهم حتَّى يرجعوا إلى الحقِّ**». قلت: وكم يملك؟ قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**خمسًا واثنتين**».

قال الحافظ الهيثمي: «رجاله ثقاتٌ غير مرجيء بن رجاء، فوثَّقه أبو زرعة وضعَّفه ابن معين».

قلت: ووثَّقه الدارقطني، وعلَّق له البخاريُّ في "الصحيح" بصيغة الجزم.

وخرَّج أبو نعيم في "أخبار المهدي" عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لو لم يبقَ مِن الدُّنيا إلَّا يومٌ لطوَّله الله حتَّى يَمْلِكَ رجلٌ مِن أهلِ بيتي، يفتح القُسْطَنْطِينيَّة وجَبَلَ الدَّيْلَمِ**».

وعزاه الحافظ السيوطي في "الجامع الكبير"[1] لابن ماجه بلفظ: «**لو لم يَبْقَ مِن الدُّنيا إلَّا يومٌ لطوَّله الله حتَّى يَملِك رجلٌ مِن أهلِ بيتي جَبَلَ الدَّيْلَمِ والقُسْطَنْطِينيَّة**».

وخرَّج الحاكم في "المستدرك" عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يَخرجُ رجلٌ يقال له السُّفْيانيُّ في عُمْقِ دمشق، وعامَّة مَن يتَّبعُهُ مِن كَلْبٍ، فيقتُلُ حتَّى يَبْقَرَ بطُون النِّساء ويَقتُل الصِّبيان، فتجمع لهم قَيْسٌ فيقتلها حتَّى لا يُمْنع ذَنَب تَلْعَةٍ، ويخرج رجلٌ مِن**

---

(١) كنت نقلت الحديث من "الجامع الكبير" لأني لم أقف عليه في "سنن ابن ماجه" بعد أن بحثت عنه في مَظانِّه، ثم لم يطمئن قلبي فعاودت البحث فوجدته في «كتاب الجهاد» من الكتاب المذكور تحت ترجمة باب «ذكر الدَّيْلَم وفضل قَزْوين»، وإسناده لا بأس به.اهـ

أهل بيتي في الحرَّة، فيَبْلُغ السُّفياني فيبعثُ إليه جندًا مِن جنده فيهزمَهم، فيسير إليه السُّفْيانيُّ بمن معه، حتَّى إذا صاروا ببيْدَاءَ مِن الأرضِ خُسِفَ بهم، فلا ينجو منهم إلَّا المُخْبِرُ عنهم».

وخرَّج الخطيب في "المتفق والمفترق" عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يحبس الروم على والٍ مِن عِتْرتي اسمه يواطِئ اسمي، فيقتتلون بمكان يقال له العماق، فيُقتل من المسلمين الثلث أو نحو ذلك، ثم يقتتلون يومًا آخر فيُقتل من المسلمين نحو ذلك، ثم يقتتلون اليوم الثالث فيكون على الروم، فلا يزالون حتى يفتح القُسْطَنْطِينيَّة، فبينما هم يقتسمون فيها** -يعني الغنائم- **إذ أتاهم صارخٌ أنَّ الدَّجَّال قد خلفكم في ذراريكم».**

وخرج ابن عديٍّ بإسنادٍ فيه كذَّاب، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يكون في آخر الزمان خليفةٌ لا يفضل عليه أبو بكرٍ ولا عمر».**

وقال ابن حِبَّان في "صحيحه" ما نصُّه: «ذكر الموضع الذي يبايع فيه المهديُّ»: أخبرنا أبو يعلى: ثنا أبو خيثمة: ثنا إسحاق بن سليمان الرازي: سمعت ابن أبي ذئبٍ يذكر عن سعيد بن سَمْعان أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يُحدِّث أبا قتادة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**يُبايع لرجلٍ بين الرُّكن والمقام، ولن يستحلَّ هذا البيتَ إلَّا أهلُه، فإذا استحلُّوه فلا تسأل عن هَلَكَةِ العربِ، ثُمَّ تظهرُ الحبشةُ فيخرِّبونه خَرابًا لا يَعْمُرُ بعده أبدًا، وهم الذين يَستَخْرِجون كَنْزَهُ».**

حديث أنسٍ رضي الله عنه

وأمَّا حديث أنسٍ رضي الله عنه فخرَّجه ابن ماجه قال: ثنا هَدِيَّة بن عبدالوهاب: ثنا سعيد بن عبدالحميد بن جعفر، عن عليِّ بن زياد اليمامي، عن عكرمة بن عمَّار، عن إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة، عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**نحن ولَدَ عبدالمطلب سادة أهل الجنَّة، أنا وحمزة وعليٌّ وجعفر والحسن والحسين والمهديُّ**».

قال الحافظ البوصيري في "الزوائد": «عليُّ بن زياد لم أرَ مَن وثَّقه ولا مَن جرَّحه، وباقي رجال الإسناد مُوثَّقون».

قلت: الصواب كما قال الحافظ ابن حجرٍ: إنه عبدالله بن زياد اليمامي، يكنى أبا العلاء، قال البخاريُّ: «منكر الحديث ليس بشيءٍ»، وذكره أبو حاتم الرازي ولم يجرِّحه، وأورده ابن حِبَّان في الطبقة الرابعة من "الثقات"، وبالجملة فالسند ضعيف، لكن للحديث شاهدٌ من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، وسنذكره في محلِّه إن شاء الله تعالى.

وخرَّج البزَّار في "مسنده" عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان نائمًا في بيت أمِّ سلمة رضي الله عنها، فانتبه وهو يسترجع فقلت: يا رسول الله، مِمَّ تسترجع؟، قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مِن قِبَلِ جَيْشٍ يَجيءُ مِن قِبَلِ العراقِ في طلب رجلٍ مِن المدينة يمنعه الله منهم، فإذا عَلَوُا البيداءَ مِن ذي الحُليفة خُسِفَ بهم فلا يدرك أعلاهم أسفلهم، ولا يدرك أسفلهم أعلاهم إلى يوم القيامة ومصادرهم شتَّى**». قالت أمُّ سلمة رضي الله عنها: يا رسول الله، كيف يُخسف بهم ومصادرهم شتَّى؟، قال صلَّى الله

عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ فيهم أو منهم مَن أُجْبِرَ**».

رجال إسناده ثقات إلَّا هشام بن الحكم فمجهول، وقد ذكره ابن أبي حاتم في كتاب "الجرح والتعديل" ولم يذكر فيه توثيقًا ولا تجريحًا.

حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما

وأمَّا حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما فخرَّجه مسلمٌ في "صحيحه" قال: ثنا زهير بن حرب، وعلي بن حجر -واللفظ لزهير- قالا: ثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن الجريري، عن أبي نضرة قال: كنا عند جابر بن عبدالله رضي الله عنهما فقال: يوشك أهل العراق ألَّا يُجْبَى إليهم قَفِيزٌ ولا درهم، قلنا: مِن أين ذاك؟، قال رضي الله عنه: مِن قِبَل العجم يمنعون ذلك، ثُمَّ قال: يوشك أهل الشام ألا يُجْبَى إليهم دينار ولا مُدْيٌ، قلنا: مَن أين ذاك؟، قال رضي الله عنه: مِن قِبَل الروم، ثم سكت هُنيَّةً ثم قال رضي الله عنه: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يكون في آخر أُمَّتي خليفةٌ يَحْثي المال حثيًا لا يَعُدُّه عدًّا**» قال: قلت لأبي نضرة وأبي العلاء: أتريان أنه عمر بن عبدالعزيز؟ فقالا: لا.

وقال مسلمٌ أيضًا: وحدَّثني زهير بن حرب: ثنا عبدالصمد بن عبدالوارث: ثنا أبي: ثنا داود، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد، وجابر بن عبدالله رضي الله عنهم قالا: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يكون في آخر الزمان خليفةٌ يَقْسمُ المال ولا يعدُّه**». وخرَّجه البزَّار بإسناد صحيح.

وخرَّج أبو نعيم في "أخبار المهدي"، عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يَنزلُ عيسى ابن مريم فيقول أميرهم المهديُّ: تعالَ صلِّ بنا، فيقول: ألا وإنَّ بعضكم على بعضٍ أمراء تكرمة الله**

لهذه الأُمَّة».

وخرَّج أبو عمرو الداني في "سننه" عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لا تزال طائفةٌ مِن أُمَّتي تقاتل عن الحقِّ حتَّى ينزل عيسى ابن مريم عند طلوع الفجر ببيت المقدس، ينزل على المهديِّ، فيقال: تقدَّم يا نبيَّ الله فصلِّ لنا، فيقول: إنَّ هذه الأمَّة أمراء بعضهم على بعضٍ**».

حديث عثمان بن عفَّان رضي الله عنه

وأما حديث عثمان بن عفَّان رضي الله عنه فخرَّجه الدارقطني في "الأفراد" وابن عساكر في "التاريخ" ولفظه: «**المهديُّ مِن وَلَدِ العبَّاس عمِّي**».

قال الدرقطني: «هذا حديث غريب، تفرَّد به محمد بن الوليد مولى بني هاشم». **قلت**: وهو ضعيفٌ جدًّا.

حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه

وأمَّا حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه فخرَّجه أبو نعيم ولفظه: «**لو لم يبقَ مِن الدُّنيا إلَّا يومٌ واحدٌ لبعث الله رجلًا اسمه اسمي وخُلُقه خُلُقي**- بضم اللام فيهما- **يكنى أبا عبدالله**».

وخرَّج أبو نعيم، عن حذيفة رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**ويح هذه الأُمَّة من ملوكٍ جبابرة، كيف يقتلون ويخيفون المطيعين إلَّا من أظهر طاعتهم، فالمؤمن التقي يصانعهم بلسانه ويقاومهم بقلبه، فإذا أراد الله أن يُعيد الإسلام عزيزًا قَصَمَ ظَهْرَ كلِّ جبَّارٍ عنيدٍ، وهو القادر على ما يشاء، أن يُصلِحَ أُمَّةً بعد فسادها، يا حذيفة لو لم يَبْقَ مِن**

الدُّنيا إلَّا يومٌ واحدٌ لطوَّل الله ذلك اليوم حتَّى يملِكَ رجلٌ مِن أهل بيتي، تجري الملاحم على يديه ويظهر الإسلام، لا يُخلفُ الله وَعْدَهُ وهو سريع الحساب».

وخرَّج أبو نعيم، والروياني في "المسند"، والطبرانيُّ، والديلميُّ، عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**المهديُّ رجلٌ مِن ولدي، وجهه كالكوكب الدُّريِّ، اللون لون عربي، والجسم إسرائيلي، يملأ الأرض عَدْلًا كما مُلِئتْ جَوْرًا، يرضى بخلافته أهل السماء وأهل الأرض**».

وخرَّجه أبو نعيم، والروياني، من طريق آخر بلفظ: «**المهديُّ رجلٌ مِن ولدي لونه لون عربي، وجسمه جسم إسرائيلي، على خدِّه الأيمن خال كأنه كوكبٌ دريٌّ**».

وخرَّج الطبراني عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يلتفتُ المهديُّ وقد نزل عيسى ابن مريم عليه السَّلام كأنه يقطر من شعره الماء، فيقول له المهديُّ: تقدَّم صلِّ بالنَّاس، فيقول: إنما أقيمت لك الصَّلاة، فيصلِّي خلف رجلٍ مِن ولدي**».

وخرَّج الحافظ أبو عمرو الداني في "سننه"، والروياني في "مسنده" عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**تكون وَقْعة بالزوراء**»، قيل يا رسول الله: وما الزوراء؟ قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مدينة بالمشرق بين أنهار، يسكنها شِرار خلق الله وجبابرة مِن أُمَّتي، تُقذف بأربعة أصناف مِن العذاب بالسَّيفِ وخَسْفٍ وقَذْفٍ ومَسْخٍ**».

وقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا خرجت السودان طلبت**

العرب فيكشفون حتى يلقوا ببطن الأرض». أو قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «ببطن الأردن، فبينما هم كذلك إذ خرج السُّفياني في ستين وثلاثمائة راكب حتى يأتي دمشق، فلا يأتي عليهم شهرٌ حتَّى يتابعه مِن كَلْبٍ ثلاثون ألفًا، فيبعث جيشًا إلى العراق، فيقتل بالزوراء مائة ألفٍ، ويخرجون إلى الكوفة فينتهبونها، فعند ذلك تخرج رايةٌ من المشرق يقودها رجلٌ من تميم يقال له: شعيب بن صالح، فيستنقذ ما في أيديهم من سَبْي أهل الكوفة ويقتلهم، ويخرج جيش آخر من جيوش السُّفياني إلى المدينة، فينتهبونها ثلاثة أيام، ثم يسيرون إلى مكة، حتى إذا كانوا بالبيداء بعث الله جبريل فيقول: «يا جبريل عذِّبهم» ، فيضربهم برجله ضربة فيخسف الله بهم فلا يبقى منهم إلَّا رجلين، فيقدمان على السُّفياني ويخبرانه بخَسْفِ الجيش فلا يهوله، ثم إنَّ رجالًا من قريش يهربون إلى القُسْطَنْطِينيَّة، فيبعث السُّفياني إلى عظيم الروم أن يبعث بهم، فيبعث بهم إليه فيضرب أعناقهم على باب المدينة بدمشق». قال حذيفة رضي الله عنه: «حتى إنه يطاف بالمرأة في مسجد دمشق في اليوم على مجالس حتى تأتي فخذ السُّفياني فتجلس عليه وهو في المحراب قاعد، فيقوم مسلمٌ من المسلمين فيقول: «ويحكم، أكفرتم بعد إيمانكم؟! إن هذا لا يحل»، فيقوم فيضرب عنقه في مسجد دمشق، ويقتل كل مَن تابعه، فعند ذلك يُنادي منادٍ من السماء: «أيها الناس، إنَّ الله قد قطع عنكم الجبَّارين والمنافقين وأشياعهم، وولَّاكم خير أمَّة محمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فالحقوا به بمكَّة فإنه المهديُّ». قال حذيفة رضي الله عنه: فقام عِمران بن حُصينٍ فقال: يا رسول الله، كيف لنا حتى نعرفه؟ قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «هو رجلٌ مِن ولدي، كأنه مِن رجال بني إسرائيل،

عليه عباءتان قَطَوَانيَّتان، كأنَّ وجهه الكوكب الدريُّ في اللون، في خدِّه الأيمن خال أسود، ابن أربعين سنة، فتخرج الأبدال مِن الشام وأشباههم، ويخرج إليه النُّجباء مِن أهل مصر وعصائب أهل الشرق وأشباههم، حتى يأتوا مكة فيبايع له بين الرُّكن والمقام، ثم يخرج متوجِّهًا إلى الشام وجبريل على مقدِّمته وميكائيل على ساقته، فيفرح به أهل السماء وأهل الأرض، وتزيد المياه في دولته، وتُمد النهار، وتُستخرج الكنوز، فيقدم الشام فيذبح السُّفياني تحت الشجرة التي أغصانها إلى بحيرة طبرية، ويقتل كَلْبًا، فالخائب مَن خاب يوم كَلْبٍ ولو بعقال». قال حذيفة رضي الله عنه: يا رسول الله كيف يحلُّ قتالهم وهم موحِّدون؟!، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «يا حذيفة هم يومئذٍ على رِدَّة، يزعمون أنَّ الخمر حلالٌ ولا يصلُّون».

حديث جابر بن ماجد الصَّدَفيِّ رضي الله عنه

وأمَّا حديث جابر بن ماجد الصَّدَفيِّ فخرَّجه الطبراني في "الكبير"، وابن منده، وأبو نعيم، وابن عساكر، من طريق ابن لَهيعة، عن عبدالرحمن بن قيس بن جابر، عن أبيه، عن جدِّه رضي الله عنهم: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «سيكون بعدي خُلفاءُ، ومِن بعد الخُلفاءِ أُمراءُ، ومِن بعد الأُمراءِ مُلُوكٌ، ومِن بعد الملوكِ جبابرةٌ، ثُمَّ يَخرجُ رجلٌ مِن أهلِ بيتي يملأ الأرضَ عَدْلًا كما مُلِئتْ جَوْرًا، ثُمَّ يؤمر بعده القَحْطَانيُّ، فو الذي بعثني بالحقِّ ما هو بدونه». وخرَّجه نعيم بن حمَّاد في كتاب "الفتن" من هذا الطريق أيضًا.

وخرَّج نعيم بن حمَّاد، من طريق قيس بن جابر، عن أبيه رضي الله عنهم، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «سيكون مِن أهل بيتي رجلٌ يملأ الأرضَ

عَدْلًا كما مُلِئتْ جَوْرًا، ثُمَّ مِن بعده القَحْطَانيُّ، والذي نفسي بيده ما هو دُونَهُ».

وخرَّج نعيم أيضًا عن قيس بن جابر عن أبيه مرفوعًا: «**القَحْطانيُّ بعد المهديِّ وما هو دُونَهُ**».

حديث أبي أيوب الأنصاريِّ رضي الله عنه

وأمَّا حديث أبي أيوب الأنصاريِّ رضي الله عنه فخرَّجه الطبرانيُّ في "المعجم الصغير" قال: ثنا أحمد بن محمد بن العباس المُرِّيُّ القَنْطَرِيُّ: ثنا حرب بن الحسن الطَّحَّان: ثنا حسين بن الحسن الأَشْقَرُ: ثنا قيس بن الربيع، عن الأعمش، عن عباية بن رِبْعيٍّ، عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لفاطمة عليها السَّلام: «**نبيُّنا خير الأنبياء وهو أبوك، وشهيدُنا خير الشهداء وهو عمُّ أبيك حمزة، ومِنَّا مَن له جَناحان يطير بهما في الجنَّة حيث يشاء وهو ابن عمِّ أبيك جعفر، ومِنَّا سِبْطا هذه الأُمَّة الحسن والحسين وهما ابناك، ومِنَّا المهديُّ**». ضعيف.

حديث قُرَّة بن إياس المُزنيِّ رضي الله عنه

وأمَّا حديث قُرَّة بن إياس المُزنيِّ رضي الله عنه فخرَّجه الحرث بن أبي أسامة في "مسنده" قال: ثنا داود بن المُحبَّر بن قَحْذَمٍ: ثنا أبي، عن أبيه قَحْذَم بن سليم، عن معاوية بن قُرَّة، عن أبيه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لتُملأنَّ الأرض جَوْرًا وظُلْمًا، فإذا مُلِئتْ جَوْرًا وظُلْمًا، بعثَ الله عزَّ وجلَّ رجلًا منِّي، اسمه اسمي، يملؤها قِسْطًا وعَدْلًا كما مُلِئتْ جَوْرًا وظُلْمًا، فلا تمنع السماء شيئًا مِن قَطْرها، ولا الأرض شيئًا مِن نباتها، فيلبث فيكم سبعًا أو ثمانيًا، فإن أكثر فتسعًا**». يعني: سنين. وخرَّجه البزَّار في "مسنده"، والطبراني

في "الكبير" و"الأوسط"، من طريق داود بن المحبر عن أبيه به. غير أنهما زادا على قوله: «**اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي**»[١].

حديث ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما

وأمَّا حديث ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما، فخرَّجه الخطيب في "التاريخ" قال: أخبرنا القاضي أبو عمر القاسم بن جعفر بن عبدالواحد الهاشمي: نبأنا أبو الحسن علي بن إسحاق بن محمد بن البختري المادرائي، نبأنا أبو قِلابة الرَّقَاشيُّ.

(ح) وأخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن داود الرزَّاز: أنا أحمد بن سليمان النجاد: أنا أبو قِلابة الرَّقاشيُّ قراءة عليه: نبأنا أبو ربيعة: نبأنا أبو عوانة، عن الأعمش، عن الضَّحَّاك، عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مِنَّا السَّفَّاح، ومِنَّا المنصور، ومنا المهديُّ**».

قال النجاد: «هكذا قرأه علينا أبو قِلابة مرفوعًا». قلت: وهذا إسناد ضعيف[٢].

وخرَّج أبو نعيم في "أخبار المهدي" عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لن تهلك أمَّة أنا في أوَّلها، وعيسى ابن مريم في آخرها، والمهديُّ في وسطها**».

وخرَّجه الحاكم وابن عساكر كلاهما في "التاريخ" من طريق آخر عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما بلفظ: «**لن تهلك أمَّة أنا في أوَّلها، وعيسى ابن مريم في**

---

(١) داود متروكٌ.

(٢) والحديث غريبٌ منكرٌ.اهـ كاتبه.

آخرها، والمهديُّ مِن أهل بيتي في وسطها». والمراد بالوسط في الحديثين: ما قبل الآخر كما لا يخفى.

وخرَّج ابن الجوزيِّ عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَلَكَ الدُّنيا أربعةٌ: مؤمنان، وكافران، فالمؤمنان: ذو القرنين، وسليمان، والكافران: نمرود، وبُخْتُنَصَّر، وسيملكها خامسٌ مِن أهل بيتي**». حديث غير صحيح[1].

حديث أمِّ حبيبة رضي الله عنها

وأمَّا حديث أمِّ حبيبة رضي الله عنها فخرَّجه الطبرانيُّ في "الأوسط" ولفظه: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**يأتي ناسٌ مِن قِبَل المشرقِ يريدون رجلًا عند البيت، حتى إذا كانوا ببيداءَ مِن الأرض خُسِف بهم، فيلحق بهم مَن تخلَّف، فيصيبهم ما أصابهم**». قلت: يا رسول الله، كيف بمن كان أخرج مُسْتكرَهًا؟ قال: «**يصيبهم ما أصاب النَّاس، ثُمَّ يبعثُ اللهُ كلَّ امرئٍ على نيَّته**». وفي سنده سلمة بن الفضل الأبرش، وثقَّه ابن معين وغيره وضعَّفه جماعةٌ.

حديث أبي أُمامة رضي الله عنه

وأمَّا حديث أبي أُمامة رضي الله عنه، فخرَّجه الطبرانيُّ وأبو نعيمٍ عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**سيكون بينكم وبين الروم أربع هُدَنٍ، الرابعة على يد رجلٍ مِن أهل هِرَقْل تدوم سبع سنين**». فقال رجلٌ مِن عبدالقيس: يا رسول الله، مَن إمام الناسِ يومئذٍ؟ قال صلَّى الله عليه وآله

---

(١) ولم يَمْلك الدُّنيا أحد.

وسلَّم: «مِن ولدي، ابن أربعين، كأنَّ وجهه كوكبٌ دريٌّ، في خدِّه الأيمن خالٌ أسود، عليه عبائتان قَطَوانيَّتان، كأنه مِن رجال بني إسرائيل، يَستخرِجُ الكُنوز ويفتح مَدائن الشِّرك». إسناده ضعيف.

وقال ابن ماجه: ثنا علي بن محمد: ثنا عبدالرحمن المحاربي، عن إسماعيل بن رافع أبي رافع، عن أبي زرعة الشيباني يحيىٰ بن أبي عمرو، عن أبي أُمامة الباهلي رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ، فذكر الدَّجَّال إلىٰ أن قال: «فتَرجِفُ المدينة بأهلها ثلاث رَجْفَاتٍ، فلا يبقى منافقٌ ولا منافقةٌ إلَّا خرج إليه -يعني الدَّجَّال- فتنفي الخَبَثَ منها كما يَنفي الكِيرُ خَبَثَ الحديد، ويُدْعَى ذلك اليومُ يومَ الخَلَاص». فقالت أمُّ شَريك بنت أبي العُكَر: يا رسول الله، فأين العرب يومئذٍ؟ قال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «هم يومئذٍ قليلٌ، وجُلُّهم ببيت المَقْدسِ، وإمامهم رجلٌ صالحٌ، فبينما إمامهم تقدَّم يُصلِّي بهم الصبح إذ نزل عليهم عيسى ابن مريم الصبح، فرجع ذلك الإمام يَنكُصُ يمشي القَهْقَرَى ليتقدَّم عيسى يُصلِّي بالنَّاسِ، فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول له: تقدَّم فصلِّ فإنها لك أقيمت، فيصلِّي بهم إمامهم».

وخرَّجه ابن خزيمة وأبو عوانة والحاكم وأبو نعيم والروياني من طُرقٍ، وفي بعضها: «وإمامهم المهديُّ رجلٌ صالحٌ». الحديث.

حديث عبدالله بن عمرو بن العاص

وأمَّا حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، فخرَّجه نعيم بن حماد في كتاب "الفتن"، والحاكم في "المستدرك"، من طريق عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدِّه عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله

عليه وآله وسلَّم: «في ذي القَعْدةِ تُجاذِبُ القبائل، وعامئذٍ يُنهبُ الحَّاج، فتكون مَلْحَمةٌ بمِنى حتَّى يهربَ صاحبهم فيبايع بين الرُّكن والمقام وهو كارهٌ، يبايعه مثل عُدَّة أهل بدرٍ، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض». إسناده حسن.

حديث عمَّار بن ياسر رضي الله عنهما

وأمَّا حديث عمَّار بن ياسر رضي الله عنهما فخرَّجه الخطيب قال: أنبأنا أبو عمر عبدالواحد بن محمد بن عبدالله بن مهدي: أنبأنا محمد بن مخلد الدوري: حدثنا أحمد بن الحجَّاج بن الصَّلت: ثنا سعيد بن سليمان: ثنا خلف بن خليفة، عن مغيرة، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما قال: بينا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم راكب إذ حانت منه التفاتة، فإذا هو بالعبَّاس عليه السَّلام، فقال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «يا عبَّاس، إنَّ الله عزَّ وجلَّ فتح هذا الأمر بي، وسيختمه بغلامٍ مِن ولدك يملؤها عَدْلًا كما مُلِئتْ جَوْرًا، وهو الذي يُصلِّي بعيسى عليه السَّلام». هذا إسنادٌ ضعيفٌ.

حديث العبَّاس بن عبدالمطلب رضي الله عنه

وأمَّا حديث العبَّاس بن عبدالمطلب عليه السَّلام فخرَّجه ابن عساكر في "التاريخ" عنه قال: لما كان يوم فتح مكَّة ركبت بغلة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وتقدَّمت إلى قريش لأردَّهم عن حَرْبِ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ، ففقدني رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فسأل عنِّي، فقالوا: تقدَّم إلى مكة ليردَّ قريشًا عن حربك، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «رُدُّوا علي أبي، رُدُّوا علي أبي، لا تقتله قريشٌ، كما قتلت ثقيف عروة بن مسعودٍ».

فخرجت فوارس مِن أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حتى تلقَّوني فردُّوني معهم، فلما رآني رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم جهش واعتنقني باكيًا، فقلت: يا رسول الله، إني ذهبت لأنصرك، قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**نصرك الله، اللهمَّ انصر العبَّاس وولد العبَّاس**». قالها ثلاثًا، ثُمَّ قال صلَّى الله عله وآله وسلَّم: «**يا عم، أما علمت أنَّ المهديَّ مِن ولدك موفَّقًا راضيًا مَرضيًّا؟**». في سنده محمد بن يونس بن موسى الكديمي، وهو متهم بالكذب.

حديث الحسين بن علي عليهما السَّلام

وأمَّا حديث الحسين بن عليٍّ عليهما السَّلام فخرَّجه ابن عساكر في "التاريخ" عنه: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال لفاطمة عليها السلام: «**أبشري بالمهديِّ منك**». وإسناده ضعيف.

حديث تميم الداري رضي الله عنه

وأمَّا حديث تميم الداري رضي الله عنه، فخرَّجه ابن حِبَّان في كتاب "الضعفاء" قال: حدَّثنا محمد بن الحسن بن قتيبة: ثنا أحمد بن سلم السقاء الحلبي: ثنا عبدالله بن السري المدائني، عن أبي عمران الجوني، عن مجالد بن سعيد، عن الشَّعْبي، عن تميم الداري رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، ما رأيت للروم مدينة مثل مدينة يقال لها أنطاكية، وما رأيت أكثر مطرًا منها، فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**نَعَمْ وذلك أنَّ فيها التَّوْرَاةَ وعَصَا موسى ورَضْرَاضَ الألْوَاحِ وسَرِيرَ سُلَيْمانَ بن داودَ في غَارٍ مِن غِيرَانِها ما مِن سَحَابَةٍ تُشْرِفُ عليها مِن وَجْهٍ مِنَ الوُجُوهِ إلا أَفْرَغَتْ ما فيها مِن البَرَكَةِ في ذلك الوَادِي**

فلا تَذْهَبُ الأَيَّامُ ولا اللَّيالي حتَّى يَسْكُنَهَا رَجُلٌ مِن عِتْرَتِي اسْمُهُ اسْمِي واسْمُ أبيه اسمُ أبي يُشْبِهُ خُلُقُهُ لِخُلُقِي وخَلْقُهُ خَلْقِي يَمْلأُ الدُّنيا قِسْطًا وعَدْلا كما مُلِئتْ ظُلْمًا وجَوْرًا». وهذا إسناد ضعيف.

حديث عائشة رضي الله عنها

وأمَّا حديث عائشة رضي الله عنها، فخرَّجه نعيم بن حمَّاد في كتاب "الفتن" عنها -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «المهديُّ رجلٌ مِن عِتْرتي، يُقاتِلُ على سُنَّتِي كما قاتَلْتُ أنا على الوَحْي». وهو حديثٌ جيِّدٌ.

وخرَّج البخاريُّ ومسلمٌ -واللفظ له- عن عائشة رضي الله عنها قالت: عبث رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في منامه، فقلنا: يا رسول الله، صنعتَ في منامك شيئًا لم تكن تفعله، فقال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «العَجَبُ إنَّ نَاسًا مِن أُمَّتي يَؤُمُّونَ بالبَيْتِ برَجُلٍ مِن قُرَيْشٍ، قد لَجَأ بالبيتِ، حتَّى إذا كانوا بالبَيْدَاءِ خُسِفَ بِهِمْ»، فقلنا: يا رسولَ الله إنَّ الطَّرِيقَ قد يَجْمَعُ النَّاسَ، قال: «نَعَمْ، فِيهِمُ المُسْتَبْصِرُ والمَجْبُورُ وابن السَّبِيلِ، يَهْلِكُونَ مَهْلَكًا واحِدًا، ويَصْدُرُونَ مَصَادِرَ شَتَّى، يَبْعَثُهُمُ اللهُ على نِيَّاتِهِمْ». وخرَّج نحوه أبو يعلى بإسنادٍ صحيحٍ.

حديث عبدالرحمن بن عوفٍ رضي الله عنه

وأمَّا حديث عبدالرحمن بن عوفٍ رضي الله عنه، فخرَّجه أبو نعيمٍ في "أخبار المهدي" عنه -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «ليبعثنَّ الله مِن عِتْرتِي رَجُلًا أَفْرَق الثَّنايا، أعلى الجَبْهَةِ، يَمْلأُ الأرضَ

عَدْلًا، يَفِيضُ المَالُ فَيْضًا».

حديث عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما

وأمَّا حديث عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، فخرَّجه الطبرانيُّ في "معجمه الأوسط" عنه -رضي الله عنه- قال: كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في نفر من المهاجرين والأنصار، وعليُّ بن أبي طالب عليه السَّلام عن يساره، والعبَّاس عليه السَّلام عن يمينه، إذ تلاحى العباس ورجل من الأنصار، فأغلظ الأنصاريُّ للعبَّاس، فأخذ النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بيد العباس وبيد عليٍّ وقال: «**سيخرج مِن صُلْب هذا** -يعني العباس- **فتًى يَمْلَأُ الأَرْضَ جَوْرًا وظُلْمًا، وسيخرج مِن صُلْبِ هذا** -يعني عليًّا- **فتى يَمْلَأُ الأَرْضَ قِسْطًا وعَدْلًا، فإذا رأيتم ذلك فعليكم بالفتى التميميِّ، فإنه يقبل مِن قِبَل المشرقِ، وهو صاحِبُ راية المهديِّ**». إسناده على شرط الحسن.

وخرَّج أبو نعيمٍ في "أخبار المهدي"، والكجي في "سننه"، والخطيب في "تلخيص المتشابه"، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يخرج المهديُّ وعلى رايته منادٍ ينادي: هذا المهديُّ خَلِيفَةُ الله فاتَّبِعُوهُ**». إسناده حسنٌ أيضًا.

حديث طلحة بن عبيدالله رضي الله عنه

وأمَّا حديث طلحة بن عبيدالله رضي الله عنه، فخرَّجه الطبرانيُّ في "الأوسط" عنه -رضي الله عنه- قال: قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ستكون فتنةٌ لا يهدأ منها جانبٌ إلَّا جَاشَ منها جانبٌ، حتى يُنادي منادٍ مِن السماء، أميركم فلان**». يعني المهديَّ عليه السَّلام. ضعيفٌ.

حديث عليٍّ الهلالي رضي الله عنه

وأمَّا حديث عليٍّ الهلالي رضي الله عنه، فخرَّجه أبو نعيمٍ قال: ثنا سليمان بن أحمد -يعني الطبراني-: ثنا محمد بن زريق بن جامع، عن الهيثم بن حبيب، عن سفيان بن عُيَيْنَة، عن عليٍّ بن عليٍّ الهلالي، عن أبيه رضي الله عنه قال: دخلت على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في شكاته التي قبض فيها، فإذا فاطمة عليها السَّلام عند رأسه فبكت، فرفع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم طَرْفه إليها فقال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يا فاطمة ما الذي يُبكيك؟**» فقالت عليها السلام: أخشى الضَّيْعةَ بعدك، فقال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أما علمت أنَّ الله عزَّ وجلَّ اطَّلَعَ إلى الأرضِ اطِّلاعَةً فاختارَ منها أبَاكِ فبُعِثَ برسَالَتِهِ ثُمَّ اطَّلَعَ اطِّلاعَةً فاختارَ منها بَعْلَكِ وأوْحَى إليَّ أنْ أُنْكِحَكِ إيَّاهُ يا فاطِمَةُ ونحن أهْلُ بَيْتٍ قد أعْطَانَا الله سَبْعَ خِصَالٍ لم تُعطَ لأحدٍ قبلنا، ولا تُعطَى أحدًا بعدنا...**» فذكرها صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ثم قال: «**والذي بعثني بالحقِّ إنَّ منهما** -يعني الحسن والحسين عليهما السلام- **مَهْدِيَّ هذه الأُمَّةِ إذا صَارَتِ الدُّنيا هَرْجًا ومَرْجًا وتَظَاهَرَتِ الفِتَنُ وَتَقَطَّعَتِ السُّبُلُ وَأَغَارَ بَعْضُهُمْ على بَعْضٍ فَلا كَبِيرَ يَرْحَمُ صَغِيرًا وَلا صَغِيرَ يُوَقِّرُ كَبِيرًا فَيَبْعَثُ الله عزَّ وجلَّ عِنْدَ ذلك مِنْهُمَا من يَفْتَتِحُ حُصُونَ الضَّلالَةِ وَقُلُوبًا غُلْفًا يَقُومُ بِالدِّينِ في آخِرِ الزَّمَانِ كما قُمْتُ بِهِ في أَوَّلِ الزَّمَانِ وَيَمْلأُ الدُّنْيَا عَدْلا كما مُلِئَتْ جَوْرًا**». وإسناده ضعيفٌ.

حديث عِمران بن حُصينٍ رضي الله عنه

وأمَّا حديث عِمران بن حُصينٍ رضي الله عنه، فخرَّجه الحافظ أبو عمرو الداني في "سننه" عنه -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلَّى الله عله وآله

وسلَّم: «لا تزال طائفة مِن أُمَّتي تقاتل على الحقِّ حتى ينزل عيسى ابن مريم - عليه السلام- عند طلوع الفجر ببيت المقدس، ينزل على المهديِّ فيقال: يا نبيَّ الله تقدَّم فصلِّ بنا، فيقول: هذه الأُمَّة أمراء بعضهم على بعضٍ».

وفي معناه ما رواه مسلمٌ، عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «لا تزال طائفةٌ مِن أُمَّتي يقاتلون على الحقِّ، ظاهرين إلى يوم القيامة...». قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «فينزل عيسى ابن مريم عليهما السَّلام فيقول أميرهم: تعالَ صلِّ لنا. فيقول: لا، إنَّ بعضكم على بعضٍ أُمراءُ، تَكْرِمةُ الله هذه الأُمَّة».

حديث عوف بن مالكٍ رضي الله عنه

وأمَّا حديث عوف بن مالكٍ الأشْجَعيِّ رضي الله عنه فخرَّجه الطبرانيُّ في "الكبير" عنه -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «كيْفَ أنت يا عَوْفٌ إذا افْتَرَقَتْ هذه الأُمَّةُ على ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَاحِدَةٌ في الجَنَّةِ وَسَائِرُهُنَّ في النَّارِ؟». قلت: ومتى ذلك يا رسولَ الله؟، قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «كَثُرَتِ الشُّرَطُ، ومَلَكَتِ الإمَاءُ، وقَعَدَتِ الحُمْلانُ على المَنَابِرِ، واتَّخَذُوا القُرْآنَ مَزَامِيرَ، وزُخْرِفَتِ المَسَاجِدُ ورُفِعَتِ المَنَابِرُ، واتُّخِذَ الفَيْءُ دُوَلا والزَّكَاةُ مَغْرَمًا والأمَانَةُ مَغْنَمًا، وتُفُقِّهَ في الدِّين لغير الله، وأَطَاعَ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ وعَقَّ أُمَّهُ، وأَقْصَى أَبَاهُ، ولَعَنَ آخِرُ هذه الأُمَّةِ أَوَّلَهَا، وسَادَ القَبِيلَةَ فاسِقُهُمْ، وكان زَعِيمُ القومِ أَرْذَلُهُمْ، وأُكْرِمَ الرَّجُلُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ، فيومَئِذٍ يكون ذلك ويَفْزَعُ الناسُ يَومَئِذٍ إلى الشَّامِ وإلى مدينةٍ منها يُقالُ لها دمشق مِن خَيْرِ مُدُنِ الشَّامِ، فتُحْصِنُهُمْ مِن عَدُوِّهِمْ...». قلت: وهل تُفتَحُ الشام؟، قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «نَعَمْ

وَشِيكًا -أي قريبًا- ثُمَّ تَقَعُ الفِتَنُ بَعْدَ فَتْحِهَا، ثُمَّ تَجِيءُ فِتْنَةٌ غَبْرَاءُ مُظْلِمَةٌ، ثُمَّ يَتْبَعُ الْفِتَنُ بعضها بَعْضًا حتى يَخْرُجَ رَجُلٌ من أَهْلِ بَيْتِي يقالُ له المَهْدِيُّ، فإنْ أَدْرَكْتَهُ فاتْبَعْهُ وكُنْ مِن الْمُهْتَدِينَ». في سنده عبدالحميد بن إبراهيم الحضرمي أبو تقي، ذكره ابن حِبَّان في "الثقات"، وضعَّفه غيره، ولحديثه هذا شوهد.

حديث أبي الطُّفيل رضي الله عنه

وأمَّا حديث أبي الطُّفيل رضي الله عنه، فخرَّجه نعيم بن حمَّاد في كتاب "الفتن" عنه رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ذَكَر المهديَّ فقال: «اسْمُهُ اسْمِي، واسْمُ أَبِيهِ اسْمُ أَبِي».

حديث رجلٍ مِن الصحابة

وأمَّا حديث رجلٍ مِن الصحابة رضي الله عنهم فخرَّجه ابن أبي شيبة في "المصنَّف" عن مجاهد قال: حدَّثني فلانٌ مِن أصحاب النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «أنَّ المَهْدِيَّ لا يَخْرُجُ حتَّى تُقْتَلَ النَّفْسُ الزَّكِيَّةُ، فإذا قُتِلَتِ النَّفْسُ الزَّكِيَّةُ غَضِبَ عَلَيْهِمْ مَن في السَّمَاءِ ومَنْ في الأرضِ، فأَتَى النَّاسَ المَهْدِيُّ فزَفُّوهُ كما تُزَفُّ العَرُوسُ إلى زَوْجِهَا لَيْلَةَ عُرْسِهَا، وهو يَمْلَأُ الأرضَ قِسْطًا وعَدْلًا، وتُخْرِجُ الأرضُ نَبَاتَهَا وتُمْطِرُ السَّمَاءُ مَطَرَهَا، وتَنْعَمُ أُمَّتِي في وِلَايَتِهِ نِعْمَةً لم تَنْعَمْهَا قَطُّ».

حديث قيس بن جابرٍ رضي الله عنه

وأمَّا حديث قيس بن جابرٍ فخرَّجه الطبرانيُّ من طريق الأوزاعيِّ، عن قيس بن جابرٍ، عن أبيه، عن جدِّه: أنَّ رسول الله صلَّى الله عله وآله وسلَّم قال: «سيكونُ مِن بعدي خُلَفَاءُ، ومِن بعدِ الخُلَفَاءِ أُمَرَاءُ، ومِن بعدِ الأُمَرَاءِ مُلُوكٌ، ومِن بعدِ المُلُوكِ جَبَابِرَةٌ، ثُمَّ يَخْرُجُ رجُلٌ مِن أَهْلِ بَيْتِي يَمْلَأُ الأرضَ عَدْلًا كما

مُلِئتْ جَوْرًا، ثُمَّ يُؤَمَّرُ القَحْطَانِيُّ فوالذي بَعَثَنِي بالحَقِّ ما هو دُونَهُ».

مرسل سعيد بن المُسيِّب رضي الله عنه

وأمَّا مرسل سعيد بن المُسيِّب رضي الله عنه، فخرَّجه نعيم بن حمَّاد في كتاب "الفتن" عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «تَخْرُجُ مِن المَشْرِقِ راياتٌ سُودٌ لبني العبَّاس، ثُمَّ يَمْكُثُونَ ما شاء اللهُ، ثُمَّ تَخْرجُ راياتٌ سُودٌ صِغارٌ تُقاتِلُ رَجُلًا مِن ولد أبي سفيان وأصحابه مِن قِبَل المَشْرَقِ يُؤدُّونَ الطَّاعَةَ للمَهْدِيِّ».

مرسل الحسن البصري رضي الله عنه

وأمَّا مرسل الحسن رضي الله عنه -وهو البصريُّ- فخرَّجه نعيم بن حمَّاد أيضًا في كتاب "الفتن" عنه: قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «يَبْعَثُ اللهُ رايَةً مِن المَشْرِقِ سَوْدَاءَ، مَن نَصَرَهَا نَصَرَهُ اللهُ، ومَن خَذَلها خَذَلَهُ اللهُ، حتَّى يأتوا رَجُلًا اسْمُهُ كاسْمِي، فيولُّونَهُ أَمْرَهُمْ، فيُؤَيِّدُهُ اللهُ ويَنْصُرُهُ».

مرسل قتادة رضي الله عنه

وأما مرسل قتادة رضي الله عنه، فخرَّجه نعيم بن حمَّاد عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «يَخْرُجُ المَهْدِيُّ مِن المدينةِ إلى مَكَّةَ، فيَسْتَخْرِجُهُ النَّاسُ مِن بينهم، فيُبايعُونَهُ بين الرُّكْنِ والمَقامِ وهو كَارِهٌ».

مرسل شَهْرِ بن حَوْشبٍ رضي الله عنه

وأمَّا مرسل شَهْرِ بن حَوْشبٍ رضي الله عنه، فخرَّجه نعيم بن حمَّاد في كتاب "الفتن" قال: حدَّثنا الوليد، عن عقبة، عن شَهْرِ بن حَوْشَبٍ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «يكون في رمضان صوتٌ، وفي شوال مَهْمَهَةٌ، وفي ذي

القَعْدة تَحارُبُ القبائل، وفي ذي الحجَّة يُنتهبُ الحاجُّ وفي المُحَرَّم ينادي منادٍ من السماء ألا إنَّ صفوة الله مِن خَلْقِهِ فلانٌ -يعني المهديَّ- فاسْمَعُوا له وأَطِيعُوا».

وخرَّج الحافظ أبو عمرو الداني في "سننه"، عن شَهْرِ بن حَوْشبٍ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم:

«سيكون في رمضان صوتٌ، وفي شوال مَعْمَعةٌ، وفي ذي القَعدة تَحارُبُ القبائل، وعامئذٍ يُنهبُ الحاجُّ، وتكون مَلْحَمَةٌ بمِنى يكثر فيها القَتْلَى وتَسِيلُ فيها الدِّماءُ، حتَّى تَسِيلَ دماؤهُمْ على الجَمْرَةِ، حتَّى يهرب صاحبهم، فيؤتَى بين الرُّكْنِ والمَقامِ، فيبُايعُ وهو كارِهٌ، ويقال له: إن أَبَيْتَ ضَرَبْنا عُنُقَكَ، يَرْضَى به ساكِنُ السَّماءِ وسَاكِنُ الأَرْضِ».

وقال نعيم بن حمَّاد في كتاب "الفتن": حدَّثنا أبو يوسف المقدسيُّ، عن عبدالملك بن أبي سليمان، عن عمرو بن شعيبٍ، عن أبيه، عن جدِّه، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال:

«يكون صوتٌ في رمضان، ومَعْمَعَةٌ في شوال، وفي ذي القَعدة تَحارُبُ القبائل، وعامئذٍ يُنتهبُ الحاجُّ، وتكون مَلْحَمةٌ عظيمةٌ بمِنًى يكثر فيها القَتْلَى وتَسِيلُ فيها الدِّماءُ وهم على جَمْرَةِ العَقَبَةِ».

مرسل مَعْمَرٍ

وأمَّا مرسل مَعْمَرٍ فخرَّجه نعيم بن حمَّاد في كتاب "الفتن" قال: حدَّثنا الوليد -يعني ابن مسلم- عن مَعْمَرٍ قال: قال رسول الله صلَّى الله عله وآله وسلَّم: **«ما القحطانيُّ بدون المهديِّ».**

وفي معناه حديث قيس بن جابرٍ، عن أبيه، عن جدِّه. وقد ذكرناه.

حديث أم الفضل رضي الله عنها

ثُمَّ وجدت حديثًا من طريق أمِّ الفضل، فلم أر بدًّا مِن ذِكْره، قال أبو نعيمٍ في "الدلائل": حدَّثنا الحسن بن إسحاق بن إبراهيم بن زيد: ثنا المنتصر بن نصر بن المنتصر: ثنا أحمد بن رشيد بن خثيم: ثنا عمِّي سعيد بن خثيم، عن حنظلة، عن طاوس، عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: حدَّثتني أمُّ الفضل قالت: مررتُ بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**إنَّك حَامِلٌ بغُلامٍ، فإذا ولدتِ فأتيني بِهِ**». قالت: فلما ولدته أتيت به النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فأذَّن في أُذُنه اليُمنى، وأقام في أُذُنه اليسرى، وألبأه مِن ريقِهِ، وسمَّاه عبدالله وقال: «**اذْهَبِي بأبي الخُلَفاءِ**».

فأخبرتُ العبَّاس وكان رجلًا لبَّاسًا، فلبس ثيابه ثُمَّ أتى إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ، فلما بصر به قام فقبَّل بين عَينيه، قال: قلت يا رسول الله ما شيء أخبرتني به أمُّ الفضل؟!، قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**هو ما أخبرتك، هذا أبو الخلفاء حتى يكون منهم السَّفَّاح، حتى يكون منهم المهديُّ، حتى يكون منهم مَن يُصلِّي بعيسى ابن مريم عليه السَّلام**». وإسناده ضعيفٌ.

وإلى هنا انتهى ما أردنا ذكره مِن المرفوعات، وسنتبعها بذكر جمل من الموقوفات والمقطوعات، وفاءً بما وعدنا به أولًا والله الموفِّق.

جُمَل من الموقوفات والمقطوعات
في ذكر المهديِّ عليه السلام

قال أبو داود في "سننه": حُدِّثت عن هارون بن المغيرة قال: ثنا عمرو بن أبي قيس، عن شعيب بن أبي خالدٍ، عن أبي إسحاق قال: قال عليٌّ -ونظر إلى ابنه الحَسن عليهما السلام-: «إنَّ ابني هذا سيِّدٌ كما سمَّاه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ، وسيخرج مِن صلبه رجلٌ يُسمَّى باسم نبيِّكم يشبهه في الخُلُق -بضم المعجمة واللام- ولا يشبهه في الخَلْق -بفتح المعجمة وتسكين اللام- يملأ الأرض عَدْلًا».

هذا إسناد صحيح غير أنَّ فيه انقطاعًا بين أبي داود وهارون بن المغيرة.

ثُمَّ قال أبو داود: وقال هارون بن المغيرة: ثنا عمرو بن أبي قيس، عن مُطرِّف بن طَرِيفٍ، عن الحسن، عن هلال بن عمرو قال: سمعت عليًّا عليه السَّلام يقول: قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يَخرجُ رجلٌ مِن وراء النَّهرِ يقال له: الحارثُ بن حَرَّاثٍ ، على مقدِّمته رجلُ يقال له: منصور، يوطِّئ -أو يمكِّن- لآل محمَّدٍ، كما مكَّنت قريش لرسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وَجَبَ على كلِّ مؤمنٍ نُصْرتُهُ**»، أو قال: «إجابته». وهذا إسنادٌ ضعيفٌ.

وخرَّج الحاكم في "المستدرك" بإسنادٍ صحيحٍ على شرط مسلمٍ، مِن طريق أبي الطُّفيل، عن محمد بن الحنفية عليه السَّلام قال: كنَّا عند عليٍّ عليه السَّلام، فسأله رجلٌ عن المهديِّ، فقال عليٌّ عليه السَّلام: «هيهات، ثُمَّ عقد بيده سبعًا، فقال: ذاك يخرج في آخر الزمان إذا قال الرجل: «الله الله» قُتِلَ، فيجمع الله تعالى له قومًا قُزُعًا كقَزَعِ السَّحاب، يؤلِّف الله بين قلوبهم، لا يستوحشون إلى أحدٍ،

ولا يفرحون بأحدٍ، يدخل فيهم على عِدَّة أصحاب بدرٍ، لم يسبقهم الأولون ولا يدركهم الآخرون، وعلى عدد أصحاب طَالوتَ الذين جاوزوا معه النَّهر».

قال أبو الطُّفيل: قال ابن الحنفية: أتريده؟، قلت: نعم، قال: فإنه يخرج من بين هذين الأخشبين، قلت: لا جرم، والله لا أدعها حتى أموت»، فمات بها. يعني مكة.

وأخرج نعيم بن حمَّاد في كتاب "الفتن" بإسنادٍ صحيحٍ على شرط مسلمٍ، عن عليٍّ عليه السَّلام قال: «الفتن أربعة: فتنة السرَّاء، وفتنة الضرَّاء، وفتنة كذا... فذكر معدن الذهب، ثم يخرج رجلٌ مِن عِتْرة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يُصلِحُ الله على يديه أَمْرَهم».

وأخرج نعيم بن حمَّاد في كتاب "الفتن" وابن المنادي في "الملاحم"، عن علي عليه السَّلام قال: «إذا نادى منادٍ من السماء: إنَّ الحقَّ في آل محمَّدٍ، فعند ذلك يظهر المهديُّ على أفواه الناس، ويشربون حُبَّه، فلا يكون لهم ذكرٌ غيره».

وأخرج نعيم بن حمَّاد في كتاب "الفتن"، عن عليٍّ عليه السَّلام قال: «إذا خَرجَتْ خَيْلُ السُّفيانيِّ إلى الكوفة، بَعثَ في طلبِ أهل خَراسان، ويخرج أهل خراسان في طلب المهديِّ، فيلتقي هو والهاشمي براياتٍ سُودٍ على مقدِّمته شعيب بن صالحٍ، فيلتقي هو والسُّفياني بباب إِصْطَخَر، فتكون بينهم مَلْحَمَةٌ عظيمةٌ، فتظهر الرَّايات السُّود وتهرب خيل السُّفياني، فعند ذلك يتمنَّى الناس المهديَّ ويطلبونه».

وقال ابن عساكر في "التاريخ": أنبأنا أبو الغنائم محمد بن علي بن الحسن الحسيني: ثنا محمد بن عبدالله الجعفي: ثنا محمد بن عمار العطَّار: ثنا علي بن

محمد بن خبيسة: ثنا عمرو بن حمَّاد بن طلحة: ثنا إسحاق بن إبراهيم الأزدي عن فطر -هو ابن خليفة-، عن أبي الطُّفيل، عن عليٍّ عليه السَّلام قال: «إذا قام قائم آل محمَّدٍ، جمع الله له أهل المشرق وأهل المغرب، فيجتمعون كما يجتمع قزع الخريف، فأمَّا الرفقاء فمن أهل الكوفة، وأمَّا الأبدال فمن أهل الشام».

وأخرج ابن المنادي في "الملاحم" عنه عليه السَّلام قال: «ليخرجنَّ رجلٌ مِن ولدي عند اقتراب الساعة، حين تموت قلوب المؤمنين كما تموت الأبدان لما لحقهم مِن الضرِّ والشدَّة والجوع والقتل، وتواتر الفتن والملاحم العظام، وإماتة السُّنَن وإحياء البِدَع، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيحيي الله بالمهديِّ محمد بن عبدالله السُّنن التي قد أميتت، ويُسَرُّ بعدله وبركته قلوب المؤمنين، وتتألَّف إليه عصب مِن العجم وقبائل مِن العرب، فيبقى على ذلك سنين ليست بالكثيرة ثُمَّ يموت».

وأخرج أبو غنم الكوفيُّ في كتاب "الفتن" عنه عليه السَّلام قال: «ويحًا للطالقان، فإن لله فيها كنوزًا ليست من ذهبٍ ولا فضَّةٍ، ولكن بها رجال عرفوا الله حقَّ معرفته، وهم أنصار المهديِّ آخر الزمان». وإسناده ضعيف.

وأخرج نعيم بن حمَّاد في كتاب "الفتن" عنه عليه السَّلام قال: «المهديُّ مولده بالمدينة، مِن أهل بيت النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، واسمه اسم النبيِّ، ومهاجره بيت المقدس، كَثُّ اللحية، أكحل العينين، برَّاق الثنايا، في وجهه خال، أَقْنَى أَجْلَى، في كتفه علامة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ، يخرج براية النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من مِرْطٍ مُخَمَّلَةٍ سوداء مربعةٍ فيها حجر لم تنشر منذ تُوفِّي رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ، ولا تنشر حتى يخرج

المهديُّ، يمده الله بثلاثة آلاف مِن الملائكة يضربون وجوه مَن خالفهم وأدبارهم، يبعث وهو ما بين الثلاثين والأربعين».

وخرَّج أبو نعيمٍ في "أخبار المهدي" عنه عليه السَّلام قال: «إذا خرجت الرَّاياتُ السُّودُ إلى السُّفيانيِّ التي فيها شعيب بن صالحٍ، تمنَّى الناس المهديَّ، فيطلبونه، فيخرج مِن مكَّة ومعه راية رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ويصلِّي ركعتين بعد أن ييأس الناس مِن خروجه لما طال عليهم مِن البلاء، فإذا فرغ من صلاته انصرف فقال: أيها الناس، ألجَّ البلاء بأمَّة محمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وبأهل بيته خاصَّة، قهرنا وبغي علينا».

وأخرج نعيم بن حمَّاد، عنه عليه السَّلام قال: «المهديُّ رجلٌ مِنَّا مِن ولد فاطمة عليها السَّلام».

وأخرج نعيم بن حمَّاد في كتاب "الفتن"، والحاكم في "المستدرك"، عنه عليه السَّلام قال: «ستكون فتنةٌ يُحَصَّلُ النَّاس فيها كما يُحَصَّلُ الذَّهب في المعدن، فلا تسبُّوا أهل الشام وسُبُّوا ظلمتهم، فإنَّ فيهم الأبدال، وسيرسل الله سَيْبًا من السماء فيفرِّقهم حتى لو قاتلهم الثعالب غلبتهم، ثُمَّ يبعث الله عند ذلك رجلًا مِن عِتْرة الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في اثني عشر ألفًا إنَّ قلُّوا، وخمسة عشر ألفًا إن كثروا، أمارتهم «أَمِتْ أَمِتْ»، على ثلاث راياتٍ، تقاتلهم أهل سبع رايات، ليس مِن صاحب رايةٍ إلَّا وهو يطمع بالمُلْكِ، فيقتلون ويهزمون ثُمَّ يظهرُ الهاشمي، فيردُّ الله إلى الناسِ ألفتهم ونِعْمَتهم، فيكون على ذلك حتى يخرج الدَّجَّال». إسناده صحيح.

وممَّا لم نذكره من مرفوع أحاديثه ما رواه نعيم بن حمَّاد في كتاب "الفتن"،

وأبو نعيم في "أخبار المهدي" من طريق مكحولٍ، عنه عليه السَّلام قال: قلت يا رسول الله، أمِنَّا -آل محمَّد- المهدي أم مِن غيرنا؟ فقال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لا بل مِنَّا، يَخْتِمُ الله به الدِّين كما فَتَحَ بنا، وبنا يُنْقَذون مِن الفِتْنَةِ كما أُنقذوا مِن الشِّرك، وبنا يُؤَلِّفُ اللهُ بين قُلوبهم بعد عداوةِ الفِتْنَةِ، كما أَلَّف بين قلوبِهِمْ بعد عَداوةِ الشِّرك، وبنا يُصبحون بعد عداوة الفِتْنَةِ إخْوانًا كما أصبحوا بعد عَداوة الشِّرْكِ إخْوانًا في دينهم**».

وأخرج نعيم بن حمَّاد، وعمر بن شبة، عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: «إذا خُسِفَ بالجيشِ بالبَيْداءَ فهو علامة خروج المهديِّ».

وأخرج نعيم بن حمَّاد في كتاب "الفتن"، وتمَّام في "فوائده"، وابن عساكر في "التاريخ" عنه رضي الله عنه قال: «يخرج رجلٌ من ولد حسن مِن قِبَل المشرقِ لو استُقبل به الجبال لهدَّها واتَّخذ فيها طُرُقًا».

وأخرج ابن سعد في "الطبقات"، وابن أبي شيبة، عنه رضي الله عنه قال: «يا أهل الكوفة، أنتم أسعد الناس بالمهديِّ».

وأخرج نعيم بن حمَّاد، عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: «علامة خروج المهديِّ: إذا خُسِفَ بجيشٍ بالبيداء».

وأخرج نعيم بن حمَّاد في كتاب "الفتن"، عن عمَّار بن ياسر رضي الله عنهما قال: «المهديُّ على أوله شعيب بن صالحٍ».

وأخرج نعيم بن حمَّاد، عنه رضي الله عنه قال: «إذا بلغ السُّفياني الكوفة وقتل أعوان آل محمَّدٍ خرج المهديُّ على لوائه شعيب بن صالحٍ».

وأخرج نعيم بن حمَّاد، عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما

قال: «يحجُّ الناس ويُعَرِّفون -بتشديد الراء المكسورة، أي: يقفون بعرفات- على غير إمام، فبينما هم نزول بمنى إذ أخذهم كالكَلَب -بفتح الكاف واللام، داء للكَلْبِ معروف- فثارت القبائل بعضهم إلى بعض، فاقتتلوا حتى تسيل العقبة دمًا، فيفزعون إلى خيرهم، فيأتونه وهو ملصقٌ وجهه إلى الكعبة يبكي، كأني أنظر إلى دموعه، فيقولون: هلمَّ إلينا فلنبايعك. فيقول: ويحكم، كم من عهدٍ نقضتموه؟!، وكم مِن دمٍ سفكتموه؟!، فيبايع كرهًا، فإن أدركتموه فبايعوه؛ فإنه المهديُّ في الأرض والمهديُّ في السماء».

وقال الحافظ أبو بشر الدولابي فيمن كنيته أبو الهيثم من كتاب "الكنى والأسماء": حدَّثنا أحمد بن شيبان الرملي قال: حدَّثني محمَّد بن حبيب الجدي بجدة، عن خالد أبي الهيثم الطحَّان قال: ثنا مُطرِّف، عن ابن السفر، عن شيخ من النخع قال: سمعت عليًّا عليه السَّلام يقول وهو على المنبر: «إني أرى أهل الشام على باطلهم أشد اجتماعًا منكم على حقِّكم، ووالله لتطئونَّ هكذا وهكذا، ثُمَّ يضرب برجله على المنبر حتى يسمع صوته آخر المسجد، ثُمَّ ليستعملنَّ عليكم اليهود والنصارى حتى تُنْفَوْا -يعني إلى أطراف الأرض- ثُمَّ لا يرغم الله إلا بآنافكم، ثُمَّ والله ليبعثنَّ الله رجلًا مِنَّا أهل البيت، يملؤها عَدْلًا وقِسْطًا كما مُلِئتْ ظُلْمًا وجَوْرًا».

وقال نعيم بن حمَّاد في كتاب "الفتن": ثنا الوليد، ورشدين قالا: ثنا ابن لَهيعة، عن أبي قبيل، عن أبي رومان، عن عليِّ بن أبي طالبٍ عليه السَّلام قال: «يظهر السُّفياني على الشام، ثُمَّ يكون بينهم وقعة بقرقيسا حتى تشبع طير السماء وسباع الأرض مِن جِيَفِهم، ثُمَّ ينفتق عليه فتقٌ من خلفهم، فتقبل طائفة

منهم حتىٰ يدخلوا أرض خراسان، وتقبل خيل السُّفياني في طلب أهل خراسان، ويقتلون شيعة آل محمَّدٍ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بالكوفة، ثُمَّ يخرج أهل خراسان في طلب المهديِّ».

وقال الحاكم في "المستدرك": أخبرنا أبو بكر أحمد بن سليمان الفقيه -إملاءً ببغداد- قال: قرئ علىٰ يحيىٰ بن حفص بن الزِّبرِقان وأنا أسمع: ثنا خلف بن تميم أبو عبدالرحمن الكوفي: ثنا إسماعيل بن إبراهيم بن المهاجر، عن أبيه، عن مجاهد قال: قال لي عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: لو لم أسمع أنك مثل أهل البيت ما حدَّثتك بهذا الحديث. قال: فقال مجاهد: فإنه في ستر، لا أذكره لمن تكره. قال: فقال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: مِنَّا أهل البيت أربعة: منا السفَّاح، ومِنَّا المنذر، ومِنَّا المنصور، ومِنَّا المهدي. قال: فقال له مجاهد: فبيِّن لي هؤلاء الأربعة، قال رضي الله عنه: أمَّا السفَّاح فربما قتل أنصاره وعفا عن عدوِّه، وأمَّا المنذر فإنه يعطي المال الكثير، لا يتعاظم في نفسه ويمسك القليل مِن حقِّه، وأمَّا المنصور فإنه يعطىٰ النصر علىٰ عدوه والشطر مما كان يعطىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يرعب منه عدوُّه علىٰ مسيرة شهرين، والمنصور يرعب منه عدوه علىٰ مسيرة شهر، وأمَّا المهدي فهو الذي يملأ الأرضَ عَدْلًا كما مُلِئتْ جَوْرًا، وتأمن البهائم والسِّباع، وتلقي الأرض أفلاذ كبدها». قال: قلت: وما أفلاذ كبدها؟، قال: أمثال الأسطوانة مِن الذهب والفِضَّة.

وقال ابن جرير في "تفسيره": حدَّثنا موسىٰ قال: ثنا عمرو قال: ثنا أسباط، عن السُّدِّي في قوله تعالىٰ: ﴿لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٤] قال: «أمَّا خزيهم في الدُّنيا فإنهم إذا قام المهديُّ

وفتحت القُسْطَنْطِينيَّة قتلهم، فذلك الخزي، وأمَّا العذاب العظيم فإنه عذاب جهنَّم الذي لا يُخفَّف عن أهله ولا يُقضىٰ عليهم فيها فيموتوا».

وأخرج الحافظ أبو عمرو الداني في "سننه"، عن سلمة بن زفر قال: قيل يومًا عند حذيفة رضي الله عنه: قد خرج المهديُّ، فقال رضي الله عنه: «لقد أفلحتم إن خرج وأصحاب محمد صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بينكم، إنه لا يخرج حتىٰ لا يكون غائبٌ أحب إلىٰ الناس منه مما يلقون مِن الشرِّ».

وأخرج ابن أبي شيبة في "المصنَّف" عن ابن سيرين قال: «المهديُّ مِن هذه الأمَّة، وهو الذي يؤمُّ عيسىٰ ابن مريم عليهما السَّلام».

وقال الدارقطني في "سننه": حدَّثنا أبو سعيد الإِصْطَخْريُّ: حدَّثنا محمد بن عبدالله بن نَوْفَل: ثنا عبيد بن يعيش: ثنا يونس بن بُكَيرٍ، عن عمرو بن شِمْرٍ، عن جابرٍ، عن محمَّد بن عليٍّ عليهما السلام قال: «إنَّ لمهدينا آيتين لم تكونا منذ خلق الله السموات والأرض، ينكسف القمر لأول ليلة من رمضان، وتنكسف الشمس في النصف منه، ولم يكونا منذ خلق الله السموات والأرض».

وأخرج نعيم بن حمَّاد في كتاب "الفتن"، عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: «إذا انقطعت التجارات والطُّرق، وكثرت الفتن، خرج سبعة نفرٍ علماء مِن أُفُقٍ شتَّىٰ علىٰ غير ميعاد، يبايع لكلِّ رجلٍ منهم ثلاثمائة وبضعة عشر رجلًا، حتىٰ يجتمعوا بمكَّة، فيلتقي السبعة، فيقول بعضهم لبعضٍ: ما جاء بكم؟، فيقولون: جئنا في طلب هذا الرجل الذي ينبغي أن تهدأ علىٰ يديه هذه الفتن، وتفتح له القُسْطَنْطِينيَّة، قد عرفناه باسمه واسم أبيه وأُمِّه وجيشه، فيتفق السبعة علىٰ ذلك، فيطلبونه فيصيبونه بمكَّة فيقولون له: أنت فلان بن فلان؟

فيقول: لا، أنا رجلٌ مِن الأنصار حتىٰ يُفلت منهم، فيصفونه لأهل الخبرة منهم والمعرفة به، فيقال: هو صاحبكم الذي تطلبونه، وقد لحق بالمدينة. فيطلبونه بالمدينة فيخالفهم إلىٰ مكَّة، فيطلبونه بمكَّة فيصيبونه فيقولون: أنت فلان بن فلان وأمُّك فلانة ابنة فلان، وفيك آية كذا وكذا، وقد أفلتَّ منَّا مرة فمد يدك نبايعك، فيقول: لست بصاحبكم حتىٰ يفلت منهم، فيطلبونه بالمدينة فيخالفهم إلىٰ مكَّة، فيصيبونه بمكَّة عند الرُّكن ويقولون له: إثمنا عليك ودماؤنا في عنقك إن لم تمد يدك نبايعك، هذا عسكر السُّفياني قد توجَّه في طلبنا عليهم رجلٌ مِن جَرْمٍ، فيجلس بين الرُّكن والمقام، فيمدُّ يده فيبايع له، فيلقي الله محبَّته في صدور الناس، فيصير مع قومٍ أُسْدٌ بالنَّهار رهبانٌ بالليل».

وأخرج نعيم بن حمَّاد في كتاب "الفتن"، عن محمد بن الحنفية قال: «تخرج راياتٌ سُودٌ لبني العبَّاس، ثُمَّ تخرج مِن خراسان أخرىٰ سُودٌ، قَلَانِسُهُم سُودٌ، وثيابهم بِيضٌ، علىٰ مقدِّمتهم رجلٌ يقال له شعيب بن صالحٍ مِن تميمٍ، يهزمون أصحاب السُّفياني حتىٰ ينزل بيت المقدس، يوطِّئ للمهديِّ سلطانه، ويمدُّ إليه ثلاثمائة من الشام، يكون بين خروجه وبين أن يُسلِّم الأمر للمهديِّ اثنان وسبعون شهرًا».

وأخرج نعيم بن حمَّاد، عن عمَّار بن ياسر رضي الله عنهما قال: «إذا بلغ السُّفياني الكوفه وقتل أعوان آل محمَّدٍ، خرج المهديُّ علىٰ لوائه شعيب بن صالحٍ».

وأخرج نعيم بن حمَّاد، عن أبي جعفر قال: «تنزل الرَّايات السُّودُ التي تخرج مِن خراسانَ الكوفه، فإذا ظهر المهديُّ بمكَّه بُعِثَ إليه بالبَيْعة».

وأخرج نعيم بن حمَّاد، عن كعب بن علقمة قال: «يخرج على لواء المهديِّ غلامٌ حَدَث السِّنِّ، خفيف اللحية أصفر، لو قاتل الجبال لهدَّها حتى ينزل إيلياء».

وأخرج نعيم بن حمَّاد، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «يكون بالمدينة وَقْعَةٌ يَغْرقُ فيها أحجار الزَّيتِ ما الحرَّة عندها إلَّا كضربة سَوْطٍ، فيتنحَّى عن المدينة قَدْرَ بريدَين ثُمَّ يُبايع للمهديِّ».

وقال نعيم بن حمَّاد: حدَّثنا الوليد بن مسلمٍ قال: حدَّثني محمَّد: «أنَّ المهديَّ والسُّفياني وكَلْبًا يقتتلون في بيت المقدس حين يستقيله البيعة، فيؤتى بالسُّفياني أسيرًا، فيُذبح على باب الرحمة».

وأخرج نعيم بن حمَّاد، عن قتادة قال: قلت لسعيد بن المسيِّب: المهديُّ حقٌّ هو؟ قال: حقٌّ. قال: قلت: ممَّن هو؟ قال: مِن قريشٍ. قلت: مِن أيِّ قريشٍ؟ قال: مِن بني هاشمٍ. قلت: مِن أيِّ بني هاشمٍ؟ قال: مِن بني عبدالمطلب. قلت: مِن أيِّ عبدالمطلب؟ قال: مِن وَلَدِ فاطمةَ عليها السَّلام.

وقال نعيم بن حمَّاد: حدَّثنا يحيى بن اليمان، عن يحيى بن سلمة، عن أبيه، عن أبي صادق قال: «لا يخرج المهديُّ حتى يقوم السُّفياني على أَعْوَادِهَا».

وأخرج نعيم بن حمَّاد، عن عبدالله بن شريك قال: «مع المهديِّ راية رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم - المغلَّبة».

وأخرج نعيم أيضًا عن طاوس قال: «علامة المهديِّ أن يكون شديدًا على العُمَّال، جَوَادًا بالمال، رحيمًا بالمساكين».

وأخرج نعيم أيضًا، عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: «المهديُّ شابٌّ مِنَّا أهلَ البيتِ». قال: قلت: عَجَزَ عنها شيوخكم ويرجوها شبابكم؟! قال:

يفعل الله ما يشاء».

وقال ابن أبي شيبة في باب المهديِّ من "المصنَّف": حدَّثنا أبو أسامة، عن عوف، عن محمد بن سيرين قال: «يكون في هذه الأمَّة خليفةٌ لا يفضل عليه أبو بكر ولا عمر رضي الله عنهما».

وأخرج نعيم بن حمَّاد، عن الزهري قال: «يُستخرج المهديُّ كارهًا من مكَّة، مِن وَلَدِ فاطمة فيُبايع».

وأخرج نعيم أيضًا، عن مَطَرٍ الورَّاق قال: «لا يخرج المهديُّ حتىٰ يُكْفَرَ بالله جَهْرَةً».

وأخرج نعيم أيضًا، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: «يبايع المهدي بين الركن والمقام».

وأخرج نعيم بن حمَّاد، عن كعب بن علقمة، عن قتادة قال: «المهديُّ خير النَّاسِ، أهل نُصْرتِه وبيعتِه من أهل الكوفة واليمن وأبدال الشام، مقدِّمته جبريل، وساقَته ميكائيل، محبوبٌ في الخلائق، يطفئ الله تعالىٰ به الفتنة العَمْياء، وتأمن الأرض حتىٰ أنَّ المرأة لتحجُّ في خمس نسوةٍ ما معهنَّ رجلٌ لا تتقي شيئًا إلَّا الله، تعطي الأرض زكاتها والسماء بركتها».

وأخرج نعيم بن حمَّاد، عن الحسن البصريِّ رضي الله عنه قال: «يخرج بالرِّيِّ رجلٌ رَبْعَةٌ أَسْمَر، مولىٰ لبني تميم، كَوْسَجٌ، يقال له شعيب بن صالح في أربعة آلاف، ثيابهم بِيضٌ وراياتهم سواد، يكون علىٰ مقدَّمه المهدي، لا يلقاه أحد إلىٰ فلَّه».

وأخرج نعيم أيضًا، عن مطر الورَّاق أنه ذُكر عنده عمر بن عبدالعزيز

فقال: «بلغنا أنَّ المهديَّ يصنع شيئًا لم يصنعه عمر بن عبدالعزيز، قيل: ما هو؟ قال: يأتيه رجلٌ فيسأله فيقول: ادخل بيت المال فخذ، فيدخل فيأخذ فيخرج فيرى الناس شباعًا فيندم، فيرجع إليه فيقول: خذ ما أعطيتني فيأبى ويقول: إنَّا نُعطي ولا نأخذ».

وأخرج ابن أبي شيبة، عن حكيم بن سعدٍ قال: «لما قدم سليمان فأظهر ما أظهر، قلت لأبي يحيى: هذا المهديُّ الذي يذكر؟، قال: لا».

وأخرج أبو نعيم في "الحلية" عن إبراهيم بن ميسرة قال: «قلت لطاوس: عمر بن عبدالعزيز هو المهديُّ؟»، قال: «هو مهدي وليس به، إنه لم يستكمل العدل كله».

وخرج ابن عساكر في "التاريخ"، عن أبي جعفر محمَّد بن عليِّ بن الحسين عليهم السَّلام قال: «يزعمون أنِّي أنا المهديُّ، وإنِّي إلى أجلي أدنى منِّي إلى ما يدَّعون».

وأخرج الحافظ أبو عمرو الداني في "سننه" من طريق الحكم بن عتيبة قال: قلت لمحمَّد بن عليٍّ عليهما السَّلام: سمعنا أنه سيخرج منكم رجلٌ يَعْدِل في هذه الأمَّة! قال عليه السَّلام: «إنَّا نرجو ما يرجو النَّاس، وإنَّا نرجو لو لم يبقَ من الدنيا إلَّا يومٌ لطوَّل الله ذلك اليوم حتى يكون ما ترجوه هذه الأمَّة، وقبل ذلك فتنةٌ شرُّ فتنةٍ، يمسي الرجل مؤمنًا ويصبح كافرًا، ويصبح مؤمنًا ويمسي كافرًا».

وأخرج نعيم بن حمَّاد، عن جعفر بن سيار الشامي قال: «يَبْلُغُ مِن ردِّ المهديِّ المظالم حتى لو كان تحت ضرس إنسانٍ شيءٌ انتزعه حتى يردَّه».

وأخرج نعيم بن حمَّاد، عن خالد بن سمير قال: «هرب موسىٰ بن طلحة بن عبيد الله من المختار إلىٰ البصرة مع وجوه أهل الكوفة، وكان الناس يرون في زمانه أنه المهديُّ».

وهذا الأثر وأثر محمد بن عليٍّ عليهما السَّلام يدلَّان علىٰ أنَّ المهديَّ كان أمره مشهورًا في الصدر الأول شهرة كبيرة.

وقال ابن سعد في "الطبقات": أنا الواقدي قال: سمعت مالك بن أنس - رضي الله عنه- يقول: خرج محمد بن عجلان مع محمد بن عبدالله بن الحسن المثنىٰ بن الحسن بن علي بن أبي طالب -عليهم السلام- حين خرج بالمدينة، فلما قتل محمد بن عبدالله وولي جعفر بن سليمان علىٰ المدينة، بعث إلىٰ محمد بن عجلان، فأُتي به، فبكَّته وكلَّمه كلامًا شديدًا وقال: خرجت مع الكذَّاب! فلم يتكلَّم محمد بن عجلان بكلمة إلَّا أنه يحرِّك شفتيه بشيءٍ لا يدري ما هو، فيظن أنه يدعو، فقام من حضر جعفر بن سليمان من فقهاء المدينة وأشرافها فقالوا: أصلح الله الأمير، محمد بن عجلان فقيه أهل المدينة وعابدها، وإنما شبِّه عليه وظنَّ أنه المهديُّ الذي جاءت فيه الرواية، فلم يزالوا يطلبون إليه حتىٰ تركه، فولَّىٰ محمد بن عجلان منصرفًا ولم يتكلَّم بكلمة.

وبقيت آثار عن جماعةٍ من الصحابة والتابعين وأتباعهم رأينا أن نتركها استغناءً عنها بما ذكرنا، ونذكر بدلها مسائل متمِّمة لمبحث المهديِّ.

المسألة الأولى

يمكننا أن نلخِّص من الأخبار التي ذكرناها وغيرها أوصاف المهديِّ وأحواله على الوجه الآتي:

اسمه وكنيته ونسبه عليه السلام:

اسمه: محمد بن عبدالله. وورد في حديث أخرجه الروياني، عن حذيفة - رضي الله عنه- مرفوعًا: «**إن اسمه أحمد**». وهو حديث ضعيف، ويجوز أن يكون بعض الرواة حرَّف اسمه غلطًا.

وكنيته: أبو عبدالله باتفاق الروايات.

وهو من ولد الحسن بن عليٍّ عليهما السَّلام، وورد في حديث عثمان، وعمَّار بن ياسر، والعبَّاس، وأمِّ الفضل رضي الله عنهم: «أنه من ولد العبَّاس بن عبدالمطلب». وللحفَّاظ في ذلك مسلكان:

الأول: ترجيح الأحاديث المصرِّحة بأنه من ولد الحسن عليه السَّلام على الأحاديث المصرِّحة بأنه من ولد العبَّاس عليه السَّلام؛ لصحَّة تلك وضعف هذه، وهذا مسلك الحافظ أبي الحسن الدارقطني.

الثاني: مسلك الجمع وفيه طريقان:

١- حمل الأحاديث المصرِّحة بأنه من ولد العبَّاس على أنَّ للعبَّاس عليه ولادة من قبل الأم، فيكون على هذا حسني الأب عباسي الأم، وهذا طريق الحافظ ابن حجرٍ.

٢- حمل الأحاديث المصرِّحة بأنه من ولد العبَّاس على المهديِّ العبَّاسي،

والتي فيها أنه من ولد الحسن على المهديِّ المنتظَر، وهذا طريق بعض المتأخِّرين وهو ضعيفٌ؛ لأن الأحاديث التي صرَّحت بأنه من ولد العباس وصفته بأوصاف لا تنطبق على المهديِّ العبَّاسي، وإنما تنطبق على المهديِّ المنتظَر.

سبب تلقيبه بالمهدي:

لم نجد في ذلك عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حديثًا، وأعلى ما روينا فيه أثران:

١- عن عبدالله بن شوذب قال: إنما سمِّي المهديَّ؛ لأنه يُهدى إلى جبلٍ من جبال الشام يستخرج منه أسفار التوراة، يحاجُّ بها اليهود، فيسلم على يديه جماعةٌ من اليهود، أخرجه الحافظ الداني في "سننه".

٢- عن كعب بن علقمة قال: إنما سمِّي المهديَّ؛ لأنه يُهدى إلى أمرٍ قد خفي، يستخرج التوراة والإنجيل من أرض يقال لها أنطاكية. أخرجه نعيم بن حماد في كتاب "الفتن".

وبين الأثرين تناف بحسب مفهوم الحصر في كل منهما إلَّا أن يجمع بينهما بحمل ما فيهما من المحصر على ما بلغ إليه علم كلٍّ من صاحبي الأثرين، ويكون لكلٍّ من السببين دخل في تلقيبه بالمهديِّ.

أوصافه الخَلْقية ولبسه عليه السلام:

هو رجلٌ طويل القامة آدم -أي أسمر- وجهه كالكوكب الدريِّ في الحسن والوَضاءة، أَجْلَى الجبهةِ، أَقْنَى الأنفِ، أَكْحَلُ العينين واسعهما، أزجُّ -أي دقيق الحاجبين طويلهما-، أَبْلَجُ -أي مفروق الحاجبين غير مقرونهما-، في خدِّه الأيمن خال أسود، كثُّ اللحية، برَّاق الثنايا، في إحدى كتفيه قطعة لحمٍ

سوداء عليها شعرٌ مجتمعٌ كهيئة الخاتم، أزيل الفخذين -أي منفرجهما بعيد ما بينهما- يلبس العباءة القطوانية، وهي عباءة بيضاء قصيرة الأهداب.

مولده ومحل مبايعته عليه السلام:

يولد بالمدينة المنوَّرة وينشأ بها، وقبل مبايعته بقليل يحصل قتال كبير بين جيش السُّفياني وأهل المدينة عند أحجار الزيت، وتكون العاقبة على أهل المدينة، فيخرج المهديُّ في جماعةٍ هاربين إلى مكَّة، ثُمَّ يأتي ناس من أقطار شتى لمبايعته، فيستخرجونه من بيته ويبايعونه بين الركن والمقام وهو كاره.

جيشه وطلائعه وحروبه عليه السلام:

بعد أن تتمَّ البيعة للمهديِّ يخرج من مكَّة في ثلاثمائة وبضعة عشر نفرًا قاصدين مقاتلة السُّفياني بالشام، ويخرج شعيب بن صالحٍ التميمي من خراسان في ثلاث راياتٍ، تحت كلِّ رايةٍ خمسة آلافٍ، يوطِّئ البيعة للمهديِّ، ويخرج الهاشميُّ من الرِّيِّ في جماعةٍ، ويخرج أهل الطالقان والكوفة واليمن وتونس، فأمَّا شعيب بن صالح والهاشمي فيلتقيان بإصطخر وتقع بينهما وبين جيش السُّفياني مَلْحَمةٌ عظيمةٌ حتى تخوض الخيل في الدِّماء وينهزم جيش السُّفياني، وأمَّا باقي الجيوش فيجتمعون بالمهديِّ في طبرية ويبايعونه، وتقع هناك مقاتلة بين المهديِّ والسُّفيانيِّ، ينهزم إثرها السُّفياني فيأسره المهديُّ ويذبحه عند بحيرة طبرية إلى جانب شجرة هناك، ويغنم غنائم كثيرة تسمَّى غنيمة كَلْبٍ؛ لأن جيش السُّفياني من كَلْبٍ، ثُمَّ يبعث المهديُّ الجيوش إلى الآفاق ويذهب هو إلى أنطاكية، فيقيم بها مدَّة يستريح من تعب القتال، ثُمَّ يؤمُّ القُسْطَنْطِينيَّة ويحاصرها مدَّة، ثُمَّ يفتحها الله عليه ويَغْنَم منها غنائم، فبينما

جيشه يقتسم الغنائم إذ جاءهم الخبر أنَّ الدَّجَّال ظهر، فيذهبون لقتاله فيحاصرهم الدَّجَّال ببيت المقدس، ويشتد عليهم الحال مدَّة حتىٰ لا يجدوا ما يسدُّ رَمَقَهم، فبينما هم علىٰ ذلك إذ نزل عيسىٰ عند صلاة الصبح، فيصلِّي مؤتمًّا بالمهديِّ عليهما السلام، ثُمَّ يخرج فيقتل الدَّجَّال وتتفرَّق أتباعه، وتشتد شوكة المسلمين حينئذٍ ويتولَّىٰ الخلافة عيسىٰ عليه السَّلام.

مدة خلافته عليه السلام وعمره:

يتولَّىٰ عليه السَّلام الخلافة وهو ابن أربعين سنة، فيمكث فيها سبع أو ثمان أو تسع سنين يعمُّ فيها الرَّخاء والعدل وكثرة المال، ثُمَّ يموت وعمره لا يتجاوز خمسًا وستين سنة، ولم يرد تعيين وقت موته في شيءٍ من الأخبار.

وقت ظهوره عليه السلام وعلاماته:

أمَّا وقت ظهوره عليه السَّلام فلم يعينه النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وقد عُيِّن في بعض الآثار، لكنا لم نذكرها لعدم صحَّة سندها ولأنها لم تطابق الواقع، وكذا عيَّنه من تكلَّم علىٰ المهديِّ من الصوفية كابن العربي الحاتمي، وعبدالحق بن سبعين وابن قسمي وغيرهم، غير أنَّ كلامهم في ذلك رموز وألغاز لا يمكن لقارئه أن يستفيد منه شيئًا.

وأمَّا علامات ظهوره فذكرناها في حديث أبي سعيد، وأمِّ سلمة، وعائشة، وأم حبيبة، وعوف بن مالك، وحذيفة، وعليٍّ الهلالي رضي الله عنهم.

وآخر تلك العلامات وقوع ملحمة بين الحُجَّاج بمنىٰ حتىٰ تسيل جمرة العقبة دماء فبعدها مباشرة يظهر المهديُّ.

المسألة الثانية

يتضح للقارئ ممَّا ذكرناه من أوصاف المهديِّ أمران:

١- كذب مَن ادَّعى المهدويَّة أو يدَّعيها وهو خالٍ من تلك الأوصاف مجرَّدٌ عن هاتيك العلامات، ولقد أخطأ من ادَّعاها لأناس ماتوا وطوي بساطهم من عالم الدنيا، كادِّعاء بعض الشيعة في محمَّد بن عليٍّ -عليهما السلام- أنه المهديُّ، وادِّعاء بعضهم في أبي الحسن العسكري مثل ذلك.

وقد سُئل ابن حجرٍ عن طائفة يعتقدون في رجلٍ مات منذ أربعين سنة أنه المهديُّ الموعود بظهوره في آخر الزمان، فأجاب بأنَّ هذا اعتقادٌ باطلٌ وضلالةٌ قبيحةٌ وجهالةٌ شنيعةٌ؛ لمخالفته لصريح الأحاديث، ثُمَّ ذكر بعضها.

٢- بطلان تأويل من تأوَّل أحاديث المهديِّ على أيِّ شخصٍ يتصف بالهداية وزعم أن ليس المراد بها رجلًا معيَّنًا، وليس في التلاعب بالحديث النبويِّ والإقدام على الكلام فيه بالتشهِّي أكثر من هذا وأقبح، فبربِّك أيها القارئ كيف يسوغ لنا أن نقول: إنَّ المراد بالمهديِّ مطلق شخصٍ مهديٍّ، والأحاديث تنادي بتخصيصه وأنه رجلٌ معيَّنٌ، وتصفه بما يميِّزه عن غيره وصفًا لا يبقى معه أدنى شك ولا احتمال؟!

على أنَّ المقرَّر في علمَي الحديث والأصول أنَّ التأويل إنما يُصار إليه إذا لم يمكن حمل الحديث على ظاهره، كأن يترتَّب على حمله عليه مخالفة الواقع، أو محالٌ عقليٌّ لا عاديٌّ، أو نحو ذلك من موجبات التأويل.

وأنت إذا تأمَّلت في أحاديث المهديِّ وجدت أنَّ ظهوره على الكيفية المذكورة ليس فيه ما تستحيله العادة فضلًا عن العقل، بل هو من أمكن

المُمكنات، فمن لم يدن طبعه للتصديق بأحاديث المهدي وأبىٰ إلَّا تأويلها فليؤوِّل أحاديث الدَّجَّال؛ فإن فيها ما تحكم العادة باستحالته بخلاف أحاديث المهديِّ، وليؤوِّل أيضًا أحاديث نزول عيسىٰ عليه السَّلام؛ فإن نزول شخصٍ من السماء غير معهودٍ، ولا يوافق عليه ما قرَّره أهل الهيئة، وليؤوِّل أحاديث خروج يأجوج ومأجوج، وليؤوِّل أحاديث الإسراء والمعراج، وليجعل الأحاديث النبوية ألعوبة بين يديه يؤوِّل منها ما شاء علىٰ ما يقتضيه عقله الفاسد، فإن فعل ذلك فقد ضلَّ ضلالًا بعيدًا وخَسِر خُسْرانًا مبينًا.

المسألة الثالثة

أخرج الحافظ أبو بكر أحمد بن محمد الإسكافي في "فوائد الأخبار" من طريق مالكٍ، عن محمد بن المُنكَدِر، عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن كذَّب بالمهديِّ فقد كفر، ومن كذَّب بالدَّجَّال فقد كَفَر**».

وقال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في طلوع الشمس من مغربها مثل ذلك، قال السفاريني: «وسنده مرضي».

قلت: كذا قال، ولكن القلب يشهد ببطلانه، وما أظنُّ مالكًا حدَّث بهذا الحديث في حياته، فلا بد أن يكون في سنده كذَّاب جعله من رواية مالكٍ ليوهم الناس أنه صحيحٌ، والله أعلم بحقيقة الحال.

ونحن في غنىٰ عن صحَّة هذا الحديث بما لدينا من القواعد، والمقرَّر عند العلماء أنَّ من أنكر ما تواتر عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بعد تحقُّقه بتواتره يكون كافرًا إن لم يكن في إنكاره متأوِّلًا تأويلًا سائغًا مقبولًا، فإن كان

كذلك فلا، وأحاديث المهديِّ ونزول عيسىٰ عليهما السلام، وطلوع الشمس من مغربها كلٌّ منها متواتر، فمن أنكر شيئًا منها عالمًا بتواتره غير متأوِّل تأويلًا مقبولًا فهو كافر، وإلَّا فمبتدع ضال كحال المعتزلة، فإنهم أنكروا أشياء تواترت في السُّنَّة جاهلين بتواترها أو متأوِّلين، فلذلك لم يكفِّرهم أهل السُّنَّة والله أعلم.

المسألة الرابعة

لعل بعض الجهلة الأغمار ممن لا يميِّز بين القاع والدار، ولا بين النافع والضار، يحتج لإنكار ما تواتر من ظهور المهديِّ بحديث: «**لا مهديَّ إلَّا عيسى ابن مريم**». فدحضًا لشبهته، وزيادة في إقامة الحُجَّة عليه نقول:

هذا الحديث أخرجه ابن منده في "فوائده"، والقضاعي في مسند "الشهاب"، من طريق الحسن بن يوسف الطرائفي، وأحمد بن محمد بن عمرو المديني.

(ح) وأخرجه أبو يوسف الميانجي، من طريق ابن خزيمة، وابن أبي حاتم، وزكريا الساجي.

(ح) وأخرجه الحاكم من طريق عيسىٰ بن عبدالله بن مسلم بن عبدالله بن محمد بن عقيل بن أبي طالبٍ عليهم السَّلام.

(ح) وأخرجه ابن ماجه في "سننه".

سبعتهم قالوا: حدَّثنا يونس بن عبدالأعلىٰ: ثنا محمد بن إدريس الشافعي: ثنا محمد بن خالد الجندي، عن أبان بن صالح، عن الحسن، عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لا يزداد الأمر إلَّا**

شدَّة، ولا الدنيا إلَّا إدبارًا، ولا الناس إلَّا شُحًّا، ولا تقوم الساعة إلَّا على شرار الناس، ولا مهديَّ إلَّا عيسى ابن مريم».

تفرَّد به ابن ماجه دون سائر الستة، وقال الحاكم في "المستدرك" عقب روايته له ما نصُّه: «إنما ذكرت هذا الحديث تعجُّبًا لا محتجًّا به في المستدرك على الشيخين رضي الله عنهما، فإنَّ أولى من هذا الحديث ذكره في هذا الموضع: حديث سفيان الثوري، وزائدة، وشعبة، وغيرهم من أئمَّة المسلمين، عن عاصم بن بَهْدلة، عن زرِّ بن حبيشٍ، عن عبدالله بن مسعودٍ رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنه قال: «**لا تذهب الأيام والليالي حتى يملِك رجلٌ من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، فيملأ الأرض قِسْطًا وعَدْلًا كما مُلئت جَوْرًا وظُلْمًا**». انتهى كلامه.

فأنت ترى الحاكم يصرِّح بأنه لم يخرج الحديث احتجاجًا على الشيخين واستدراكًا عليهما، وذلك لأنه باطلٌ موضوعٌ، ما نطق به النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ، ولا رواه أنس بن مالكٍ، ولا الحسن البصري، والدليل على هذا أمور:

١ - أنَّ الحديث تفرَّد به محمد بن خالد الجندي، وهو مجروحٌ عند المحدِّثين على اختلاف عباراتهم في جرحه. فقال أبو حاتم، وأبو الحسين الآبري، والحاكم، وابن الصلاح أنه مجهولٌ، وقال الأزدي: «منكر الحديث»، وقال ابن عبدالبر: «متروك».

وتفرَّد بتوثيقه ابن معين، فردَّ عليه المحدِّثون ذلك ولم يقبلوه منه.

قال الحافظ أبو الحسين الآبري: «وإن وثقه يحيى ابن معين فهو غير معروف عند أهل الصناعة من أهل العلم والنقل، وقد اختلفوا في إسناد

حديثه هذا».اهـ

٢- أنَّ الحديث ورد من غير طريق الجندي ليست فيه تلك الزيادة، أعني: «**لا مهديَّ إلَّا عيسى ابن مريم**». فأخرجه الطبراني في "الصغير"، والحاكم في "المستدرك"، من طريق مبارك بن سُحَيم، عن عبدالعزيز بن صهيب، عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لا يَزْدَادُ الزَّمَانُ إلَّا شِدَّةً، ولا يَزْدَادُ النَّاسُ إلَّا شُحًّا، ولا تَقُومُ السَّاعَةُ إلَّا على شِرَارِ النَّاسِ**». فدل هذا الطريق على أنَّ تلك الزيادة من وضع الجندي وافترائه، وقد فعل مثل هذا في حديث «شد الرحال» المخرَّج في "الصحيحين"، حيث زاد فيه زيادةً مكذوبةً.

قال الحافظ أبو عمر بن عبدالبر في "التمهيد": «روى محمد بن خالد الجندي، عن المثنى بن الصباح، عن عمرو بن شعيبٍ، عن أبيه، عن جدِّه مرفوعًا: «**تُعْمَلُ الرِّحَالُ إلى أربعةِ مَسَاجِدَ: إلى المَسْجِدِ الحَرَامِ، ومَسْجِدِي هذا، والمَسْجِدِ الأَقْصَى، وإلى مَسْجِدِ الجند**».

قال ابن عبدالبر: «محمد بن خالد متروكٌ، والحديث لا يثبت».اهـ

فبان من هذا الحديث ومن حديث: «**لا مهدي إلَّا عيسى**» أنَّ الجنديَّ كذَّابٌ.

٣- أنَّ محمد بن خالد الجندي اضطرب في هذا الحديث فتارة رواه عن أبان بن صالح، عن الحسن، عن أنس كما تقدَّم. وطورًا رواه عن أبان بن عيَّاش، عن الحسن مرسلًا.

قال صامت بن معاذٍ: عدلت إلى الجند مسيرة يومين من صنعاء، فدخلت على محدِّثٍ لهم، فوجدت هذا الحديث عنده عن محمد بن خالد الجندي، عن

أبان بن عيَّاش، عن الحسن مرسلًا.

قال البيهقيُّ: «فرجع الحديث إلىٰ محمد بن خالد الجندي وهو مجهول، عن أبان بن عيَّاش وهو متروك، عن الحسن، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وهو منقطعٌ». قال البيهقي: «والأحاديث في التنصيص علىٰ خروج المهديِّ أصح البتة».

٤- أن رواية أبان بن صالح عن الحسن منقطعة؛ لأنه لم يسمع منه. كما قال الحافظ ابن الصلاح في "أماليه".

٥- أنَّ في الحديث انقطاعًا أيضًا بين يونس بن عبدالأعلىٰ والشافعي، قال الذهبيُّ في ترجمة الجندي من "الميزان": «حديثه «**لا مهديَّ إلَّا عيسى**»، وهو حديث منكر أخرجه ابن ماجه، ووقع لنا موافقة من حديث يونس بن عبدالأعلىٰ وهو ثقة، تفرَّد به عن الشافعي، فقال في روايتنا: «عن الشافعي»، هكذا بلفظ: «عن»، وقال في جزء عتيق بمرة عندي: «حُدِّثت عن الشافعي»، فهو علىٰ هذا منقطع، علىٰ أنَّ جماعة رووه عن يونس قال: «حدَّثنا الشافعي»، والصحيح أنه لم يسمعه منه».اهـ

قلت: وهذا هو الحقُّ؛ فإنَّ الشافعيَّ أجل من أن يروي ذلك الحديث، وقد تكلَّم أهل الحديث في يونس بن عبدالأعلىٰ -مع أنه ثقةٌ من رجال مسلمٍ- بسبب تفرُّده بذلك الحديث عن الشافعي، فذكره الذهبيُّ في "الميزان" -وهو خاص بمن تُكلِّم فيهم- وقال: «وثَّقه أبو حاتم وغيره ونعتوه بالحفظ إلَّا أنه تفرَّد عن الشافعي بذاك الحديث: «**لا مهديَّ إلَّا عيسى ابن مريم**»، وهو منكرٌ جدًّا».

وقال الحافظ ابن حجرٍ في "تهذيب التهذيب": «قال مسلمة بن القاسم:

كان يونس بن عبدالأعلى حافظًا، وقد أنكروا عليه تفرُّده عن الشافعيِّ بحديث: «لا مهديَّ إلَّا عيسى»، وذكر الحافظ المزِّي في "تهذيب الكمال" عن بعض الحفَّاظ: أنه رأى الشافعيَّ في المنام وهو يقول: كذب علي يونس بن عبدالأعلى، ليس هذا من حديثي».اهـ

٦- ما ذكره شقيقنا السيِّد أحمد وهو: أنَّ المهدي لم يأتِ ذكره إلَّا من جهة الشارع، فكيف يخبر عن أمر أنه سيقع -وهو الصادق الذي لا ينطق عن الهوى- ثُمَّ ينفيه، والأخبار لا يتصوَّر وقوعها على خلاف ما أخبر به الصادق المصدوق صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ، ونفي المهديِّ يلزم منه وقوع الخبر على خلاف ما أخبر به صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أولًا من وجوده، واللازم باطل، وهذا مما قرَّروا به أنَّ النسخ لا يدخل الأخبار التي هي من هذا القبيل، وهذا متفقٌ عليه بين أهل الأصول.

قال الزركشي: «إن كان مدلول الخبر مما لا يمكن تغيره بألا يقع إلَّا على وجهٍ واحدٍ، كصفات الله تعالى، وخبر ما كان من الأنبياء -عليهم السلام- والأمم، وما يكون من الساعة وآياتها كخروج الدَّجَّال، فلا يجوز نسخه بالاتفاق كما قاله أبو إسحاق المروزي وابن برهان في "الأوسط" لأنه يفضي إلى الكذب». انتهى كلامه.

فبان من هذا أنَّ الحديث مكذوبٌ موضوعٌ ومختلقٌ مصنوعٌ، لا يجوز لأحد أن يذكره في مقام الاحتجاج أو يعارض به ما تواتر عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم - من حديث المهديِّ عليه السَّلام، فمن فعل ذلك فليتبوَّأ مقعده من النَّار، أعاذنا الله منها بمنه.

المسألة الخامسة

ذكر القرطبيُّ، وابن العربي الحاتمي، وجماعةٌ: «أنَّ المهديَّ عليه السَّلام يجيء من ناحية المغرب ويُبايَع بمكَّة».

ولم نقف على ذلك في شيءٍ من كتب الحديث، إلَّا أني وجدت في بعض الآثار أنَّ أهل المغرب يبعثون له أربعة آلاف رجل، يدعونه إليهم بعد مبايعته.

المسألة السادسة

سألني فاضل يسمَّى السعيد بن عبدالرحمن، تمورجي بأول السبتية عن أشياء تتعلَّق بالمهدي لاستشكاله إياها.

١ - **سؤال**: إذا كان المهدي عليه السَّلام سترضى عنه جميع الأمَّة أو العالم جميعًا، ويكونون في أمان واطمئنان ولو في آخر يومٍ من الدنيا، فما فائدة المسيح عليه السَّلام ونزوله في زمنه إذا كان الأمر كذلك، والرسول عليه الصلاة السلام يقول: «**رحم الله أمَّةً أنا أوَّلها وعيسى ابن مريم آخِرها**».

والجواب: إنَّ فائدة نزول عيسى عليه السَّلام قتل الدَّجَّال ودفع حصاره عن المهديِّ عليه السَّلام، فقد ورد في الحديث أنَّ الدَّجَّال يحاصر المهديَّ وأتباعه ببيت المقدس محاصرةً شديدةً، يشتد عليهم فيها الحال حتى يضطروا إلى أن يأكلوا من أوتار قسيهم، وبينما هم على ذلك ينزل عيسى عليه السَّلام، فلما يراه الدَّجَّال يذوب كما يذوب الملح، فيقول له عيسى عليه السَّلام: «**اصبر فإنَّ لي فيك ضربةً لن تفوتني منك**».

فيضربه بالسيف ويتفرَّق أصحابه لما يرونه قُتل، وينفك الحصار عن المسلمين.

هذه فائدة نزول عيسى عليه السلام، والحديث المذكور في السؤال لم يرد

بذلك اللفظ بل ورد بلفظ: «**لن تهلك أمَّةٌ أنا في أوِّلها والمهديُّ في وسطها وعيسى ابن مريم في آخِرها**». وقد خرَّجناه في أحاديث المهديِّ عليه السَّلام.

٢- **سؤال**: إذا كان عيسى -عليه السلام- آخرها بمقتضى هذا الحديث، فما معنى قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**تختمُ أمَّتي بالمهديِّ كما فُتحت بنا**».

والجواب: لفظ الحديث هكذا: عن عليٍّ عليه السَّلام قال: قلت: يا رسول الله أمنَّا آلَ محمَّدٍ المهديُّ أم من غيرنا؟ قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لا بل مِنَّا، بنا يَخْتمُ الله كما بنا فُتح**». الحديث.

ومعناه: إنَّ الله كما فتح ظهور الدِّين بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يختم ظهوره بالمهديِّ عليه السَّلام، فهو خاتم لظهور الدِّين لا للأمَّة، بل الأمَّة تبقى بعده مدَّة ولكن الدِّين لا يظهر بعده زيادة على ما ظهر في وقته فافهم.

٣- **سؤال**: هل في زمن المهديِّ يكون العالم أجمع على دينٍ واحد -يعني الإسلام- وتقوم القيامة على ذلك الدين كما قال الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لو كان آخر يومٍ مِن الدُّنيا لأطال الله هذا اليوم حتى يأتي المهديُّ من أُمَّتي**».

والجواب: لا يكون العالم زمن المهديِّ على دينٍ واحدٍ، بل يكون فيه المسلم وغيره كما هو الحال الآن وقبل الآن، غير أنه يأخذ الجِزْية ممن لم يسلم كما كان الحال في الصدر الأول.

وحديث: «**لو لم يَبْقَ مِن الدُّنيا إلَّا يومٌ لطوَّلَ اللهُ ذلك اليوم حتى يخرجَ رَجُلٌ مِن أهلِ بَيْتِي...**». الحديث، ليس معناه أنَّ المهديَّ يكون عند آخر الزمان بحيث تقوم عليه الساعة كما قد يُتوهَّم.

وإنما معناه: أنَّ ظهور المهديِّ حقٌّ لا يمكن أن يتخلَّف حتىٰ لو فرض أنه لم يبقَ من الدنيا إلَّا يومٌ لطوَّل الله ذلك اليوم حتىٰ يظهر فيه، وهذا لا يقتضي تأخُّرَه إلىٰ قيام الساعة كما لا يخفىٰ.

هذا وإني أرشد السائل ألَّا يرمز إلىٰ الصَّلاة بـ (ص) كما فعل في السؤال، فإن ذلك لا يكفي في الخروج عن عهدة الأمر بالصَّلاة عند ذكر اسم النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ، زيادة علىٰ ما فيه من الإخلال بالتعظيم، ولا تغتر بمن يفعل ذلك ممن ينتمي إلىٰ العلم والصلاح، فإن أولئك قليلو الأدب مع النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم .

٤- **سؤال:** إذا كانت القيامة تقوم علىٰ المهديِّ وعيسىٰ عليهما السلام، ودين الإسلام علىٰ حسب ما ذكرناه، فما معنىٰ قوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**الإسلامُ غَرِيبٌ وكما بَدَأَ يَعُودُ**»؟

والجواب: تواتر عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**بَدَأَ الإسْلامُ غَريبًا وسيَعُودُ غَريبًا كما بَدَأَ**». وهو يُشير إلىٰ وقتنا هذا، فإنَّ الإسلام فيه غريبٌ بمعنىٰ الكلمة وسيظل كذلك، بل ستزداد غربته إلىٰ أن يأتي المهديُّ عليه السَّلام، فيظهر الإسلام، ويحيىٰ العدل، وتزول الفتن والمحن بين المسلمين، ويبقىٰ الحال كذلك مدَّة المهديِّ ومدة عيسىٰ عليهما السَّلام.

ثُمَّ بعد ذلك تأتي ريحٌ طيبة تأخذ نفس كلِّ مؤمنٍ، فلا يبقىٰ علىٰ الأرض من يعرف الله أو يذكره، وإنما يبقىٰ أقوام يتهارجون كما تتهارج الحُمُر، فعليهم تقوم الساعة كما جاء في "صحيح مسلم" وغيره، والله أعلم.

وآخر دعوانا أن الحمدلله ربِّ العالمين.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

١ - أولياء وكرامات «النَّـقْدُ المُبرَم لرسالَةِ الشَّرَفِ المُحَتَّم»

خطبة الكتاب وسبب التأليف ١١
مقدمةفي ذمِّ التغالي ١٣
حديث: «عَبْدي أَطِعْني أجعلُكَ ربَّانيًّا...» لا أصل له. ١٦
الباب الأول ١٩
الفصل الأول: إبطال حكاية تقبيل الرفاعي يدَ النبيِّ ﷺ ٢١
القصة باطلة من وجوه: ٢٣
الوجه الأول: إذا توفَّرت الدَّواعي على نقل خبر بالتواتر ثمَّ نُقل بطريق الآحاد فهو مقطوعٌ بكذبه..... ٢٣
حادثٌ شبيهٌ بقصة الإمام الرفاعيِّ تحدَّث عنه من شهده وكتبوه..... ٢٥
الوجه الثاني: أنَّ رواة القصَّة لم يتَّفقوا على سِياقها..... ٢٦
الوجه الثالث: الشيخ الرفاعي لم يكن من الأشراف فكيف يقول: السَّلام عليك يا جدِّي؟! ٢٧
الوجه الرابع: هذه الكلمة تنافي حال الشيخ الرفاعيِّ ٢٨
حكايةٌ عن الشيخ الرفاعيِّ باطلةٌ ٣١
لم يُنشئ النبيُّ ﷺ في حياته بيت شعرٍ غير الرَّجَز ٣١
خطآن لغويان في البيت المنسوب للإمام الرفاعيِّ ٣٤
الفصل الثاني: في إبطال نسبة رسالة الشرف المحتَّم إلى الحافظ السيوطيِّ .. ٣٥
نماذج لبعض مؤلَّفات نُسبت إلى غير مؤلِّفيها..... ٣٥

بين السيوطيِّ والسخاويِّ ٣٧
الباب الثاني: في التنبيه على كراماتٍ غير مقبولةٍ ولا معقولةٍ ٤٢
منها: سفيان بن عُيَيْنَة حفظ القرآن وهو ابن أربع سنين ٤٢
ومنها: صيام السيِّد عبدالقادر الجيليِّ في المهد ٤٢
هل يقع الخارق للطفل؟ ٤٣
ومنها: ذوبان الشيخ الرفاعيِّ ٤٤
ومنها: استشفاع مَلَكٍ بالسيِّد عبدالرحيم القناويِّ ٤٥
نبذة عن السيِّد أحمد البدويِّ ٤٦
السيِّد أحمد البدوي لم يكن من الأقطاب ٤٧
بعض كرامات السيِّد البدويِّ ٥٠
بعض كرامات السيِّد إبراهيم الدسوقيِّ ٦٣
حكاية محمد بن هارون السنهوريِّ مع صبي القرداتي ٦٦
حكاية يوسف الكردي والجوهري وتحقيق معنى طي الزمان ٦٧
الكرامات لا تخرج عن دائرة الإمكان، ومعنى طي الزمان ٦٨
محمد تاج الدين الذاكر وأبو السعود الجارحي ٧٠
ومن الكرامات العجيبة: مِعْزة السيدة نفسية ٧١
طيران النَّعْش بالميت كذَّبه الشعرانيُّ وأنكره ٧٢
حكاية عيسى بن نجم ٧٤
حكاية حصان دخل قبر عيسى بن نجم ولم يخرج منه ٧٥
الشيخ الشربيني ردَّ ملَك الموت حين حضر لقبض روح ولده ٧٦

حكاية حسن العراقي ٧٧
المهديُّ المنتظَر فيه خلاف ٧٨
هل الأرواح مخلوقة قبل الأجساد؟ ٧٨
حكاية اجتماع سهلٍ التُّسْتَريِّ بشخصٍ من أصحاب عيسىٰ ابن مريم ٨٢
كلام للشيخ إبراهيم الدسوقيِّ غير مقبول ٨٥
كرامةٌ غير معقولةٍ للشيخ نور الدين المرصفي ٨٦
كرامةٌ سخيفةٌ لشخصٍ يُسمَّىٰ الشيخ عبيد ٨٧
كرامةٌ سخيفةٌ لشخصٍ يسمَّىٰ الشيخ علي وحيش ٨٧
الشيخ علي أبي خودة ٨٨
مناقشة أبي الفضل الأحمدي في كلامه علىٰ تلقين الذكر..... ٨٩
الباب الثالث: ذكر نماذج من كرامات معقولة ٩١
كرامة الحسن بن عليٍّ عليهما السَّلام ٩١
عمر يُقيم الحدَّ علىٰ ابنه ٩٢
عمر أقام الحدَّ علىٰ ابنه أبي شحمة حتىٰ مات ٩٣
كرامة زين العابدين ٩٦
كرامة جعفر الصادق..... ٩٧
كرامة موسىٰ الكاظم..... ٩٩
كرامة ابنه عليٍّ الرِّضا ١٠١
كرامة سفيان الثوريِّ ١٠٣
كرامة محمد الحنفي ١٠٤

قصة الشيخ الحنفي مع توتة، وهي أصل ما شاع بين المصريين اليوم، حيث يقولون: توتة توتة خلصت الحدَّوتة. ١٠٥
كرامة لشريف من أشراف المدينة المنورة..... ١٠٥
الشِّيعة الموجودين في هذا العصر نوعان..... ١٠٦
كرامة مُطرِّف بن عبدالله بن الشِّخِّير ١٠٧
كرامة سعيد بن جُبيرٍ ١٠٧
كرامة ذي النون المصريِّ..... ١٠٧
كرامة ابن الحارث الحافي ١٠٨
بحث في الخَضِر ١١٠
كرامة النوري ١١٢
كرامة أبي الخير التيناتي..... ١١٣
خاتمة الكتاب ١١٤

٢- إقَامَةُ البُرهانِ على نُزول عيسى آخِرِ الزَّمانِ

إهداء الكتاب..... ١١٧
كلمة فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد زاهد الكوثري ١١٩
مقدمة ١٢٥
الرد على القاديانية في دعوى نبوة غلام أحمد القادياني..... ١٢٦
من ادَّعى وجود نبيٍّ ينبَّأ في هذه الأمَّة بعد نبيِّها فهو كافر مرتدٌّ..... ١٢٨
فصل: دعاوى القاديانية..... ١٣٢
فصل: أساليب القاديانية في نشر دعاواهم ١٣٣

فتوى الشيخ شلتوت ١٣٥
فصل: خطأ الشيخ شلتوت في فتواه وما نتج عنها ١٣٥
باب: إثبات نزول عيسى عليه السلام ١٣٧
فصل: في الصحابة والتابعين الذين رووا حديث نزول عيسى عليه السلام ١٣٧
فصل: أحاديث أبي هريرة بلغت حدَّ الاستفاضة ١٣٨
الحديث الأول ١٣٨
الحديث الثاني ١٣٩
الحديث الثالث ١٤٠
الحديث الرابع ١٤١
الحديث الخامس ١٤٢
الحديث السادس ١٤٣
الحديث السابع ١٤٣
الحديث الثامن ١٤٤
الحديث التاسع ١٤٤
الحديث العاشر ١٤٤
الحديث الحادي عشر ١٤٥
الحديث الثاني عشر ١٤٥
الحديث الثالث عشر ١٤٦
الحديث الرابع عشر ١٤٧
الحديث الخامس عشر ١٤٨

الحديث السادس عشر ١٤٩
الحديث السابع عشر ١٤٩
تعارض في رواية قتل عيسىٰ عليه السلام للدَّجَّال والجواب عليه ١٥٠
الحديث الثامن عشر ١٥٢
الحديث التاسع عشر ١٥٢
فصل: حديث حُذيفة بن أَسِيد- الحديث العشرون ١٥٣
فصل: حديث النوَّاس بن سَمْعَان - الحديث الحادي والعشرون ١٥٤
فصل: حديث عبدالله بن عمرو - الحديث الثاني والعشرون ١٥٦
الحديث الثالث والعشرون ١٥٨
فصل: حديث جابر بن عبدالله - الحديث الرابع والعشرون ١٥٨
الحديث الخامس والعشرون ١٥٨
الحديث السادس والعشرون ١٥٩
الحديث السابع والعشرون ١٥٩
الحديث الثامن والعشرون ١٥٩
الحديث التاسع والعشرون ١٦٠
فصل: حديث مُجَمِّع بن جارية - الحديث الثلاثون ١٦١
فصل: حديث أبي أُمامة - الحديث الحادي والثلاثون ١٦٢
فصل: حديث عثمان بن أبي العاص - الحديث الثاني والثلاثون ١٦٤
فصل: حديث واثلة بن الأسقع - الحديث الثالث والثلاثون ١٦٥
فصل: حديث عبدالله بن مسعود - الحديث الرابع والثلاثون ١٦٦

فصل: حديث حذيفة بن اليَمان - الحديث الخامس والثلاثون ١٦٨
الحديث السادس والثلاثون ١٧٠
الحديث السابع والثلاثون ١٧٠
الحديث الثامن والثلاثون ١٧١
الحديث التاسع والثلاثون ١٧٣
فصل: حديث عبدالله بن مُغَفَّلٍ - الحديث الأربعون ١٧٤
فصل: حديث أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها- الحديث الحادي والأربعون ١٧٤
فصل: حديث سَمُرَةَ بن جُنْدُبٍ - الحديث الثاني والأربعون ١٧٥
الحديث الثالث والأربعون ١٧٦
فصل: حديث أنس بن مالك - الحديث الرابع والأربعون ١٧٧
الحديث الخامس والأربعون ١٧٨
فصل: حديث أبي سعيدٍ الخدريِّ - الحديث السادس والأربعون ١٧٨
فصل: حديث عمران بن حصين - الحديث السابع والأربعون ١٧٨
فصل: حديث ابن عبَّاسٍ - الحديث الثامن والأربعون ١٧٩
الحديث التاسع والأربعون ١٨٠
فصل: حديث ثوبان - الحديث الخمسون ١٨١
فصل: حديث عبدالرحمن بن سمرة - الحديث الحادي والخمسون ١٨٢
فصل: حديث نافع بن كَيسان الثقفي - الحديث الثاني والخمسون ١٨٢
فصل: حديث كَيسان بن عبدالله بن طارق - الحديث الثالث والخمسون ١٨٣

فصل: حديث نافع بن عتبة وأبي برزة - الحديث الرابع والخمسون، والخامس والخمسون ١٨٤
فصل: حديث عمرو بن عوف المزني - الحديث السادس والخمسون ١٨٤
فصل: حديث بعض الصحابة - الحديث السابع والخمسون ١٨٥
فصل: حديث أبي الدرداء - الحديث الثامن والخمسون ١٨٦
فصل: من مرسل جبير بن نفير - الحديث التاسع والخمسون..... ١٨٦
فصل: من مرسل الحسن البصري - الحديث الستون..... ١٨٨
فصل: من مرسل عروة بن رُوَيمٍ - الحديث الحادي والستون ١٨٩
فصل: حديث نزول عيسىٰ متواتر لا يمكن رده..... ١٨٩
بعض أخطاء فتوىٰ الشيخ شلتوت والرد عليها ١٨٩
فصل: يجب اعتماد حديث أبي هريرة في هذه المسألة لأمور ١٩٩
فصل: دليل نزول عيسىٰ من القرآن ٢٠١
الآية الأولىٰ: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾..... ٢٠١
تنبيهان: الأول: حول سنِّ أهل الجنة عند دخولها..... ٢٠٧
الثاني: حول معنىٰ الكهل..... ٢٠٧
استشكال حول لفظ الكهل والجواب عليه ٢٠٩
الآية الثانية: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ﴾..... ٢١٠
تنبيه: اشتملت هذه الآية والتي قبلها علىٰ نكتتين لطيفتين:..... ٢١٠
النكتة الأولىٰ: كلامه في المهد علىٰ خلاف الكلام المعتاد ٢١٠

النكتة الثانية: التعبير بـ«الناس» إشارة إلى الكلام ليس لقومه وحسب.... ٢١١
الآية الثالثة: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ الآية..... ٢١٢
وجوه دلالة الآية على نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان..... ٢١٤
تنبيه: الاحتمالات الضعيفة والباطلة لا تنهض للحُجِّية..... ٢١٩
الآية الرابعة: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾..... ٢١٩
وجوه دلالة الآية على نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان..... ٢٢٠
فصل: بعض ما ورد عن الصحابة والتابعين من الآثار الدالة على نزول عيسى عليه السَّلام..... ٢٢٤
فصل: في ذكر نصوص فقهاء الأُمَّة وعلماء الإسلام المصرِّحة بنزول عيسى عليه السَّلام..... ٢٢٧
الخلاف الذي أشار إليه ابن حزمٍ حول الإجماع على نزول عيسى عليه السلام خلاف ساقط..... ٢٣٨
فصل: في كفر من أنكر نزول عيسى عليه السَّلام..... ٢٣٨
استشكال حول تكفير مُنكِر نزول عيسى عليه السَّلام والجواب عليه.... ٢٣٩
باب: في مناقشة ألفاظ الفتوى..... ٢٤١
مخالفة صاحب الفتوى ماورد عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في تفسير الآيات..... ٢٤١
إعراض صاحب الفتوى عن السُّنَّة النبوية إعراضًا تامًّا..... ٢٤٢
التحقيق في معنى «التوفي»..... ٢٤٦

اتفاق العلماء على أنَّ قول الله تعالى: ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ مصروفٌ عن الموت الحقيقي ٢٤٩
إلغاز التاج ابن السُّبكي في صحبة عيسى عليه السلام ٢٥٠
قوله تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾ نصٌّ في حياة عيسى ورفعه. ٢٥١
المفاسد المترتبة على التقدير في قوله تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾..... ٢٥١
حمل الرفع على رفع المكانة أو الرُّوح مخالفٌ لما أطبق عليه علماء التفسير .. ٢٥٣
الرد على القاديانية في حملهم الرفع في الآية على رفع المكانة ٢٥٧
مناقشات مع صاحب الفتوى حول معنى «الرفع» و«التوفي» ٢٥٨
خاتمة الكتاب ٢٦٣

٣- عَقيدَةُ أهْلِ الإسْلامِ في نُزول عيسى آخِرِ الزَّمانِ

خطبة الكتاب ٢٦٧
إهداء الكتاب ٢٦٨
مقدمة ٢٦٩
نقل تواتر نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان ٢٦٩
فصل: في من صرَّح من العلماء بتواتر حديث نزول عيسى عليه السَّلام .. ٢٧٥
فصل: في من قال بنزول عيسى عليه من الصحابة والتابعين وغيرهم ٢٧٨
فصل: في حياة سيِّدنا عيسى عليه السلام وأنه في السماء ٢٩٤
الحقيقة اللغوية للرفع وإبطال حمله على رفع المكانة ٢٩٩
تنبيه: قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ من المقدَّم والمؤخَّر ٣٠١

حديثان صريحان في أنَّ عيسىٰ ينزل من السماء ٣٠٩
تنبيه: حول صحبة سيدنا عيسىٰ عليه السلام..... ٣١٨
إلغاز ابن السبكيِّ في صحبة عيسىٰ عليه السلام ٣١٩
فصل: فتوىٰ في نزول عيسىٰ عليه السلام ٣٢٠
تدليس صاحب الفتوىٰ في نقله عن العلماء ٣٢٢
بعض تناقضات صاحب الفتوىٰ ٣٢٣
إنكار صاحب الفتوىٰ لحديثٍ مخرَّج في الكتب الستة ٣٢٥
خطأ صاحب الفتوىٰ في ردِّه خبر الواحد ، وقوله أنها لا تفيد عقيدة ٣٢٦
حديث الصحيحين يفيد العلم اليقيني ٣٢٩
خطأ صاحب الفتوىٰ في قوله: «أنَّ الأدلة النقلية لا تفيد اليقين...» ٣٣١
تنبيه حول التوسُّع في الاحتمالات العشر ٣٣٥
كلام صاحب الفتوىٰ علىٰ المتواتر والرد عليه..... ٣٣٩
ذكر بعض المصنَّفات في الحديث المتواتر..... ٣٤٠
دعوىٰ قِلَّة التواتر أو عدمه غير مسلَّمةٍ..... ٣٤٠
الذين صرَّحوا بتواتر حديث نزول عيسىٰ عليه السَّلام متقدِّمو أئمَّة الحديث..... ٣٤٢
اتهام صاحب الفتوىٰ لبعض المحدِّثين والرد عليه ٣٤٣
نقل صاحب الفتوىٰ كلام عن الإمام أحمد لا يصح عنه ٣٤٤
أكثر الناس استعمالًا لسلاح التأويل طائفتا البهائية والقاديانية ٣٤٦

نقلٌ لصاحب الفتوى عن "شرح المقاصد" يشتمل على خطأ وخيانةٍ وجهلٍ ٣٤٩
قواعد تنير السبيل وتهدي الحائر ٣٥٣
إجماع علماء السُّنَّة على نزول عيسى عليه السَّلام والرد على المتأوِّلين ٣٥٥
الإشارة إلى ما أبداه المؤوِّلون من سخافات ٣٥٧
نقل لصاحب "المنار" عن الشيخ محمد عبده والرد عليه ٣٦٠
تعليقٌ لصاحب المنار على كلام الشيخ محمد عبده والرد عليه ٣٦٤
كلام الشيخ عبدالوهاب النجَّار في كتاب "قصص الأنبياء" عن مسألة رفع عيسى ونزوله، والرد عليه ٣٦٦
تنبيه حول نقل صاحب الفتوى واعتماده كلام الأستاذ وتلميذه البار، والشيخ عبدالوهاب النجَّار ٣٦٨
فصل: في الرد على إنكار الإجماع ٣٦٩
شبهات المنكرين للإجماع والرد عليها ٣٧٠
مغالطةٌ لصاحب الفتوى والرد عليها ٣٧٥
جملة من الأحاديث الصحيحة في إثبات نزول عيسى عليه السلام ٣٧٦
الحديث الأول ٣٧٦
الحديث الثاني ٣٧٦
الحديث الثالث ٣٧٦
الحديث الرابع ٣٧٧

الحديث الخامس ٣٧٧
الحديث السادس ٣٧٨
الحديث السابع ٣٧٨
الحديث الثامن ٣٧٩
الحديث التاسع ٣٧٩
الحديث العاشر ٣٧٩
الحديث الحادي عشر ٣٨٠
الحديث الثاني عشر ٣٨٠
الحديث الثالث عشر ٣٨٠
الحديث الرابع عشر ٣٨١
الحديث الخامس عشر ٣٨١
الحديث السادس عشر ٣٨١
الحديث السابع عشر ٣٨٢
الحديث الثامن عشر ٣٨٢
الحديث التاسع عشر ٣٨٣
الحديث الموفي عشرين ٣٨٣
الحديث الحادي والعشرون ٣٨٤
الحديث الثاني والعشرون ٣٨٥
الحديث الثالث والعشرون ٣٨٥

الحديث الرابع والعشرون ٣٨٦
الحديث الخامس والعشرون ٣٨٧
الحديث السادس والعشرون ٣٨٧
الحديث السابع والعشرون ٣٨٨
الحديث الثامن والعشرون ٣٨٨
الحديث التاسع والعشرون ٣٨٩
الحديث الموفي ثلاثين ٣٩٠
الحديث الحادي والثلاثون ٣٩٠
الحديث الثاني والثلاثون ٣٩١
الحديث الثالث والثلاثون ٣٩٢
الحديث الرابع والثلاثون ٣٩٢
الحديث الخامس والثلاثون ٣٩٢
الحديث السادس والثلاثون ٣٩٣
الحديث السابع والثلاثون ٣٩٣
الحديث الثامن والثلاثون ٣٩٣
الحديث التاسع والثلاثون ٣٩٤
الحديث الموفي أربعين ٣٩٤
إنكار المبتدع نزول عيسى عليه السَّلام حلقةٌ مِن حلقات خطَّةٍ دبَّرها لهدم السُّنَّة ٣٩٥

فتوىٰ الشيخ محمد بخيت المطيعي في نزول عيسىٰ عليه السلام ٣٩٧
تقدير لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ يس يوسف الشيشيني من علماء الوعظ والإمامة بوزارة الأوقاف ٤٢٧

٤ - المَهْديُّ المُنتَظَر

تمهيد ٤٣٧
مقدمة: في تواتر أحاديث المهدي ٤٣٩
ذكر الصحابة والتابعين الذين رووا حديث المهديِّ عليه السلام ٤٤٢
الإخبار بالمغيَّبات كالمهديِّ مما لا مجال فيه للاجتهاد يُحمَل علىٰ الرَّفع ٤٤٣
فصل: في الأحاديث التىٰ ورد فيها ذكر المهديِّ ٤٤٥
حديث أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه ٤٤٥
حديث ابن مسعودٍ رضي الله عنه ٤٥٠
حديث عليٍّ عليه السَّلام ٤٥٥
حديث أمِّ سلمة رضي الله عنها ٤٥٧
حديث ثوبان رضي الله عنه ٤٥٩
حديث عبدالله بن الحرث رضي الله عنه ٤٦٠
حديث أبي هريرة رضي الله عنه ٤٦١
حديث أنسٍ رضي الله عنه ٤٦٤
حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما ٤٦٥
حديث عثمان بن عفَّان رضي الله عنه ٤٦٦

حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه..... ٤٦٦
حديث جابر بن ماجد الصَّدَفيِّ رضي الله عنه ٤٦٩
حديث أبي أيوب الأنصاريِّ رضي الله عنه ٤٧٠
حديث قُرَّة بن إياس المُزنيِّ رضي الله عنه ٤٧٠
حديث ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما..... ٤٧١
حديث أمِّ حبيبة رضي الله عنها ٤٧٢
حديث أبي أُمامة رضي الله عنه ٤٧٢
حديث عبدالله بن عمرو بن العاص ٤٧٣
حديث عمَّار بن ياسر رضي الله عنهما ٤٧٤
حديث العبَّاس بن عبدالمطلب رضي الله عنه ٤٧٤
حديث الحسين بن عليٍّ عليهما السَّلام ٤٧٥
حديث تميم الداري رضي الله عنه ٤٧٥
حديث عائشة رضي الله عنها ٤٧٦
حديث عبدالرحمن بن عوفٍ رضي الله عنه ٤٧٦
حديث عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ٤٧٧
حديث طلحة بن عبيدالله رضي الله عنه ٤٧٧
حديث عليٍّ الهلالي رضي الله عنه ٤٧٨
حديث عِمران بن حُصينٍ رضي الله عنه ٤٧٨
حديث عوف بن مالكٍ رضي الله عنه ٤٧٩

حديث أبي الطُّفيل رضي الله عنه ٤٨٠
حديث رجلٍ مِن الصحابة..... ٤٨٠
حديث قيس بن جابرٍ رضي الله عنه ٤٨٠
مرسل سعيد بن المُسيِّب رضي الله عنه ٤٨١
مرسل الحسن البصري رضي الله عنه..... ٤٨١
مرسل قتادة رضي الله عنه ٤٨١
مرسل شَهْرِ بن حَوْشبٍ رضي الله عنه ٤٨١
مرسل مَعْمَرٍ ٤٨٢
حديث أم الفضل رضي الله عنها..... ٤٨٣
جُمَل من الموقوفات والمقطوعات في ذكر المهديِّ عليه السلام..... ٤٨٤
المسألة الأولى: أوصاف المهديِّ وأحواله ٤٩٧
اسمه وكنيته ونسبه عليه السلام ٤٩٧
سبب تلقيبه بالمهدي..... ٤٩٨
أوصافه الخَلْقية ولبسه عليه السلام ٤٩٨
مولده ومحل مبايعته عليه السلام..... ٤٩٩
جيشه وطلائعه وحروبه عليه السلام ٤٩٩
مدة خلافته عليه السلام وعمره ٥٠٠
وقت ظهوره عليه السلام وعلاماته..... ٥٠٠
المسألة الثانية: ادِّعاءُ المَـهْدَويَّة وتأويل أحاديث المهديِّ ٥٠١

المسألة الثالثة: حكم من كذب بالمهدي..... ٥٠٢
المسألة الرابعة: حديث: «لا مهديَّ إلَّا عيسى ابن مريم». والرد عليه ٥٠٣
المسألة الخامسة: كلام للقرطبيِّ عن مكان خروج المهديِّ..... ٥٠٨
المسألة السادسة: استشكالات حول المهدي والرد عليها ٥٠٨
فهرس الموضوعات ٥١٣

موسوعة

العلامة المحدث المتفنن

سيدي الشريف عبد الله ابن محمد الصديق الغماري الحسيني

(١٣٢٨ - ١٤١٣هـ) رحمه الله تعالى

قدم لها

الشريف الدكتور

عبد المنعم بن عبد العزيز بن الصديق

إشراف

الدكتور محمود سعيد بن محمد ممدوح

المجلد الرابع

القرآن الكريم وعلومه

موسوعة

العلامة المحدث المتفنن

سيدي الشريف عبد الله بن محمد الصادق الغماري الحسيني

(١٣٢٨ - ١٤١٣هـ) رحمه الله تعالى

٤

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية
عام / ١٤٣٨

قام بطباعتها وإخراجها: مركز البحوث والدِّراسات
بكُليَّة الصَّفا الإسلاميَّة بماليزيا

يطلب من:

دار السَّلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

جمهورية مصر العربية: القاهرة – الإسكندرية.
الإدارة: القاهرة ٤٠ شارع أحمد أبو العلا – المتفرِّع من شارع نور الدين بهجت – الموازي لامتداد شارع مكرم عبيد – مدينة نصر.
هاتف: ٢٢٨٧٣٢٤٦ - ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ (٢٠٢+)
فاكس: ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢+)
البريد الإلكتروني: info@dar-alsalam.com
موقعنا على الإنترنت: www.dar-alsalam.com

المجلد الرَّابع: القرآن الكريم وعلومه

ويحتوي على:

١ - فَضَائِلُ القُرْآنِ الكَرِيمِ (الجزء الأول والثاني).

٢ - الإحْسَانُ في تَعْقِيبِ الإتْقَانِ.

٣- جَواهِرُ البَيانِ في تناسُبِ سُورِ القُرآنِ.

٤ - مِنْحَةُ الرَّؤوفِ المُعْطِي ببيان ضَعْفِ وقُوفِ الشَّيخِ الهِبْطِي.

٥ - أحاديثُ التفسير.

٦ - بَيان صَحِيحِ الأَقَاوِيل في تَفْسِيرِ آيةِ بَني إِسْرَائِيل.

٧- تَوْضِيحُ البَيانِ لوصُولِ ثَوابِ القُرآنِ.

٨- كمالُ الإيمان في التَّداوي بالقُرآنِ.

١ - فَضَائِلُ القُرْآنِ الكَرِيمِ

الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مُنزِّل الكِتابِ، ومُنشئ السَّحابِ، وهازم الأحزابِ، وموفِّق مَن شاء إلىٰ صوب الصَّوابِ، والصَّلاة والسَّلام علىٰ سيِّدنا محمَّدٍ الذي أُنزل عليه القرآنُ هدًىٰ للنَّاسِ وبيِّناتٍ مِن الهُدَىٰ والفُرقان، ورضي الله عن آله وأصحابه، أولي الهِمَمِ القَوِيَّة، والعَزْم الثَّابت، وسائر مَن والاهم مِن أهل الإيمان.

أما بعد: فهذا كِتابنا الثَّاني نُقدِّمه إلىٰ القُـرَّاء الكِرام، يشتمل علىٰ نُبذةٍ وَجِيزةٍ مِن فضائل القرآن، وثواب حامِليه وتلاوته، وبيان بعض خواصِّه وفوائده، ولم نقصد إلىٰ استيعاب ما ورد في هذا الموضوع الواسِع المُتشعِّب الأطراف؛ لأنَّ كلام الله بحرٌ خِضَمٌّ مُتلاطِمُ الأمواج، يلتقط كلُّ واحدٍ من لآلئه ودُرره علىٰ قدر استعداده وبحسب ما آتاه الله مِن قوَّة الإيمان وجودة الفَهم وسرعة الإدراك.

وإنما أردنا أنْ نُعطي للقرَّاء صورةً مُصغَّرةً يعرفون منها فضل كتاب الله الذي جعله الله معجزة خاتم أنبيائه، وتولَّىٰ حفظه بنفسه، فكان معجزة الدَّهر، وكتاب الخُلود، ودستور العالم، وسبيل السَّعادة في الدُّنيا والآخِرة.

وقد أَلَّف في فضائل القرآن جماعةٌ كثيرون، منهم الإمام أبو عبيد القاسم ابن سلام، والحافظ، وابن الضريس، وابن زنجويه، والقرطبيُّ صاحب التفسير، والنوويُّ، وابن كثيرٍ... وغيرهم.

ولشقيقنا الحافظ أبي الفيض السَّيد أحمد بن الصِّديق كتاب: "رياض التنزيه في فضل القرآن وفضل حامليه"، وهو كتابٌ واسعٌ، محفوظٌ بدار الكتب المصريَّة، أَلَّفه في طنجة حينما أمر مولانا الوالد رضي الله عنه الإخوان

المتجرِّدين في الزَّاوية الصِّديقيَّة بحفظ القرآن، فحفظه جمعٌ منهم وأتقنوه.

ولم أتعرَّض في هذا الكتاب للبحوث العلميَّة المتعلِّقة بالقرآن مثل: بحث نزول القرآن، وجَمْعِه وترتيبه، ومعنىٰ كونه أنزل علىٰ سبعة أحرف، والقراءات المتعلِّقة به، وغير ذلك من البحوث التي لا تعني القرَّاء أو معظمهم؛ لأنَّها بحوثٌ عَويصةٌ، فيها أقاويل وآراء، واختلافات وترجيحات بحسب اجتهاد الباحثين، وفي إيراد ذلك شغل لأذهان القُرَّاء بما يصعب عليهم هضمه، أو يعسر عليهم فهمه.

فلهذا اقتصرنا علىٰ الناحية الواضحة السَّهلة من النواحي المتعلِّقة بالقرآن، وهي ما يراها القارئ ويلمسها في هذا الكتاب من الأحاديث والآثار المخرَّجة، مع بيان رتبتها وشرح الغامض من ألفاظها، واستنباط بعض الأحكام والفوائد منها، ولعلَّنا بذلك نكون قد قمنا ببعض الواجب نحو كتاب الله الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]. ونرجوا أنْ يجد القرَّاء في هذا الكتاب -كما وجدوا في كتبنا السَّابقة- متعةً رُوحيَّةً ورياضة عقليَّة، وإفادة جديدة لم يكن لهم بها سابق عِلْمٍ.

كما نرجو أنْ يكون هذا الكتاب حافِزًا لهم إلىٰ الاهتمام بكتاب الله وتلاوته، وتدبُّره والتعبُّد به، وتطبيقه في حدود ما يستطيعون من شؤون أنفسهم وأهليهم وأولادهم...، وفَّقنا الله وإيَّاهم إلىٰ تحقيق ذلك حتىٰ نحظىٰ بسعادة الدنيا ونعيم الآخرة، فهو الموفِّق، لا ربَّ غيره، ولا خير إلَّا خَيْره.

أبو الفضل
عبدالله محمَّد الصِّدِّيق الغُماريُّ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة في معنى القرآن وذكر أسمائه

أمَّا القرآن فقد عرَّفه العلماء بأنَّه: اللَّفظ المنزَّل على محمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم للإعجاز بسورةٍ منه، المُتعَبَّد بتلاوته.

قال القرطبيُّ في كتاب "التذكار": «لا خلاف بين الأُمَّة ولا بين الأئمَّة؛ أنَّ القرآن اسمٌ لكلام الله عزَّ وجلَّ الذي جاء به محمَّدٌ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم معجزة له غابر الدَّهرِ، وأنَّه محفوظٌ في الصُّدورِ، مقروءٌ بالألسِنَةِ، مَكْتوبٌ في المصاحِفِ، مَعْلُومَةٌ بالضَّرورةِ سُوَره وآياته، مُبرَّآتٌ مِن الزِّيادة حروفه وكلماته، فلا يحتاج في تعريفه بحدٍّ، ولا في حصره بعدٍّ».اهـ مختصرًا.

ولفظ «القرآن» مأخوذٌ في الأصل مِن «القَرْء» وهو الجمعُ والضمُّ، يُقال: قَرَأتُ الماء في الحوضِ إذا جمعتُه وضَمَمْتُه.

قال الهرويُّ: «سُمِّي بالقرآن؛ لأنَّه جُمع فيه القصصُ والأمرُ والنَّهي والوَعْدُ والوعِيدُ».اهـ

وأمَّا أسماء القرآن فهي: الكتاب، المتشابه، النَّبأ، المثاني، القرآن، الفُرقان، الحقُّ، النُّور، السِّراج، المبين، البيان، البيِّنة، التِّبيان، الهدَى، البُشْرَى، الموعِظة، الذِّكرَى، المبارك، الشِّفاء، الدواء، العِلْم، الحِكْمَة، الرَّحمة، النِّعمة، الكلام، الكَلِم، القِيل، القَول، الحديث، الأمر، الفَصْل، الفَضْل، المُصَدِّق، المهيمن، الصِّدْق، التصديق، الصِّراط، الحَبْل، الشَّرف، الذِّكر، الآيات، الرُّوح، العَلِي، البشير، النَّذير، الحَكيم، الكريم، العظيم، المجيد، العزيز، التنزيل، الصُّحُف المُطهرة، التَّذْكِرة، القَيِّم، البلاغ، الشافِع، المُشفَّع، الماحِل، المُصَدَّق، المَأدُبَة،

النَّافِع، العِصْمَة، النَّجاة، السَّبب.

هذه بضعةٌ وستون اسمًا مأخوذة من القرآن والحديث، وكلها تدلُّ على ما في كتاب الله من نواحي العظمة والقوة، وتوحي بما فيه من أبواب الهداية والعلم والحكمة، وقد جاء وصفه في حديثين عظيمين.

أحدهما: عن الحارث الأعور قال: مررتُ بالمسجد فإذا النَّاس يخوضون في الأحاديث، فدخلت على عليٍّ عليه السلام، فقلت: يا أمير المؤمنين، ألا ترى النَّاس قد خاضوا في الأحاديث؟ قال: أوَقَد فعلوها؟ قلت: نعم.

قال: أما إنِّي قد سمعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «إنَّها سَتكونُ فِتْنَةٌ» فقلتُ: فما المَخْرَجُ منها يا رسولَ الله؟ قال: «كِتابُ الله؛ فيه نَبأُ ما قَبْلَكُمْ، وخَبَرُ ما بَعْدَكُمْ، وحُكْمُ ما بَيْنَكُمْ، هو الفَصْلُ ليس بالهَزْلِ، مَن تَرَكَهُ مِن جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللهُ، ومَن ابْتَغَى الهُدَى في غَيْرِه أَضَلَّهُ اللهُ، فهو حَبْلُ الله المَتينُ، ونُورُه المُبينُ، والذِّكْرُ الحَكِيمُ، وهو الصِّراطُ المُسْتَقِيمُ، وهو الذي لا تَزيغُ به الأَهْوَاءُ ولا تَلْتَبِسُ به الألْسِنَةُ، ولا تتشَعَّبُ مَعَهُ الآراءُ، ولا يَشْبَعُ مِنه العُلَماءُ، ولا يَمَلُّهُ الأتقياءُ، ولا يَخْلَقُ على كَثْرَةِ الرَّدِّ، ولا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وهو الذي لم تَنْتَهِ الجِنُّ إذ سَمِعَتْهُ أنْ قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١]، مَن عَلِمَ عِلْمَهُ سَبَقَ، ومَن قَالَ به صَدَقَ، ومَن حَكَمَ به عَدَلَ، ومَن عَمِلَ به أُجِرَ، ومَن دَعَا إليه هُدِيَ إلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ». خذها إليك يا أعورُ.

رواه الدَّارميُّ وهذا لفظه، والترمذيُّ وقال: «حديثٌ غريبٌ لا نعرفه إلَّا مِن هذا الوجه من حديث حمزة الزيَّات، وإسناده مجهولٌ، وفي الحارث مقالٌ».اهـ

وحمزة الزيَّات ضعيفٌ في الحديث مع أنَّه أحد القُرَّاء السبعة المشهورين، وفيه يقول صاحب "الشَّاطِبيَّة":

وحَمْزَةُ مَا أَزْكَاهُ مِنْ مُتَوَرِّعٍ إِمَامًا صَبُورًا لِلْقُرَانِ مُرَتِّلَا

لكنَّه لم ينفرد برواية هذا الحديث، بل تابعه محمَّد بن إسحاق وغيره، والحارث -وإنْ تُكلِّم فيه- فقد وثَّقه ابن معينٍ، وقال النَّسائي: «لا بأس به».

قال شقيقنا الحافظ أبو الفيض بعد كلامٍ في هذا: «فالحديث عن عليٍّ عليه السلام صحيحٌ لا شكَّ فيه، إلَّا أنَّ في النَّفس شيئًا من جهة رفعه بهذا السِّياق، فلعلَّ بعض الرُّواة وَهِمَ فيه، وقد قال الحافظ ابن كثيرٍ بعد دفاعه عن الحارث: «وقُصارىٰ أمره أنْ يكون من كلام أمير المؤمنين عليٍّ رضي الله عنه، وقد وَهِمَ بعضهم في رفعه». وهو كلامٌ حسنٌ صحيحٌ، علىٰ أنَّه قد رُوي له شاهدٌ مرفوعٌ من حديث عبدالله بن مسعودٍ رضي الله عنه».اهـ

ورواه الطبرانيُّ عن معاذ بن جبلٍ رضي الله عنهقال: ذَكَرَ رسولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم الفِتنَ فعظَّمها، فقال عليُّ بن أبي طالبٍ: فما المَخْرَجُ منها يا رسول الله؟ قال: «**كِتَابُ الله؛ فيه حَديثُ ما قَبْلَكُمْ، ونَبَأُ ما بَعْدَكُمْ، وفَصْلُ ما بَيْنَكُمْ، مَن تَرَكَهُ مِن جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللهُ، ومَن ابْتَغَى الهُدَى في غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللهُ، هو حَبْلُ الله المَتينُ، والذِّكْرُ الحَكِيمُ، والصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ، هو الذي لَمَّا سَمِعَتْهُ الجِنُّ قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١]، هو الذي لا تَخْتَلِفُ فيه الأَلْسُنُ، ولا يُخْلِقُهُ كَثْرَةُ الرَّدِّ**». وفي سنده عمرو بن واقدٍ وهو متروكٌ.

ثانيهما، وهو الشَّاهد الذي عناه ابن كثيرٍ عن عبدالله بن مسعودٍ رضي الله

عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «إنَّ هذا القُرآنَ مَأْدُبَةُ الله، فتَعَلَّمُوا مِن مَأْدُبَتِهِ ما اسْتَطَعْتُمْ، إنَّ هذا القُرآنَ هو حَبْلُ الله المَتينُ، والنُّورُ المُبينُ، والشِّفاءُ النَّافِعُ، عِصْمَةٌ لَمن تَمسَّكَ به، ونَجاةٌ لَمن اتَّبَعَهُ، لا يَعْوَجُّ فيُقَوَّمَ، ولا يَزِيغُ فيُسْتَعْتَبَ، ولا تَنْقَضِي عَجائِبُهُ، ولا يَخْلَقُ عَن كَثْرَةِ الرَّدِّ، فاتْلُوهُ فإنَّ اللهَ يَأْجُرُكُمْ على تِلاوَتِهِ بكُلِّ حَرْفٍ عَشْرَ حَسَناتٍ، أما إنِّي لا أقول: ﴿الٓمٓ﴾ حرفٌ، ولكن أَلِفٌ حَرْفٌ، ولامٌ حَرْفٌ، ومِيمٌ حَرْفٌ».

رواه أبو عبيد في "فضائل القرآن"، ومحمَّد بن نصر المروزي في "قيام الليل"، والحاكم، وابن حِبَّان. وفي سنده إبراهيم بن مسلم الهجري، قال أبو حاتم الرَّازي: «ليِّنٌ ليس بالقوي»، وقال أبو الفتح الأزريُّ: «رَفَّاعٌ، كثيرُ الوَهْمِ».

قال ابن كثيرٍ: «فيحتمل والله أعلم أنْ يكون وَهِمَ في رفع هذا الحديث، وإنما هو من كلام ابن مسعودٍ. لكن له شاهدٌ من وجهٍ آخر».اهـ

ويؤيِّد كلام ابن كثيرٍ أنَّ الطبرانيَّ رواه موقوفًا على ابن مسعودٍ من طريق إبراهيم الهجري نفسه، ورواه أيضًا عن أبي الأحوص قال: قال ابن مسعودٍ: «هذا القرآن مأدبة الله، فمن استطاع أنْ يتعلَّم منه شيئًا فليفعل، فإنَّ أصفر البيوت من الخير؛ الذي ليس فيه من كتاب الله شيء، كخراب البيت الذي لا عامر له، وإنَّ الشَّيطان يخرج من البيت يسمع فيه سورة البقرة». إسناده صحيحٌ.

قال أبو عبيد: «شبَّه القرآن بصنيعٍ صنعه الله عزَّ وجلَّ للنَّاس لهم فيه خيرٌ

ومنافع، ثمَّ دعاهم إليه. يقال: «مأدُبة ومأدَبة»، فمن قال: «مأدُبة» -بضم الدال- أراد الصَّنيع يصنعه الإنسان فيدعو إليه الناس، ومن قال: «مأدَبة» - بفتح الدال- فإنَّه يذهب به إلى الأدب».اهـ

ويؤيِّده ما رواه الدَّارميُّ عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: «ما مِن مُؤدِّبٍ إلَّا وهو يحبُّ أنْ يُؤتَى أدَبُهُ، وإنَّ أدبَ الله القُرآنُ».

فضل القرآن على سبيل الإجمال

ورد في فضل القرآن الكريم أحاديث وآثار نورد منها في هذا المحل ما تيسَّر من غير قصدٍ إلى استيعاب جميعها وبالله التوفيق.

ثبت في "الصحيحين" وغيرهما، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**خَيْرُكُمْ مَن تَعَلَّمَ القُرآنَ أو عَلَّمَهُ**». وفي روايةٍ للبخاريِّ: «**إنَّ أَفْضَلَكُمْ مَن تَعَلَّمَ القُرآنَ أو عَلَّمَهُ**».

وفي هذا الحديث بيان فضل تعليم القرآن وترغيبٌ فيه، وقد سُئل سفيان الثوريُّ عن الجهاد وتعليم القرآن فرجَّح الثاني، واستدلَّ بهذا الحديث. وقعد أبو عبدالرحمن السلمي يعلِّم القرآن مدَّةً طويلة بسبب سماعه لهذا الحديث.

وفي "سنن الترمذي" عن عبدالله بن مسعودٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن قَرَأ حَرْفًا مِن كِتابِ الله فله به حَسَنَةٌ، والحَسَنَةُ بعَشْرِ أمثالِها، لا أقول: ﴿الٓمٓ﴾ حَرْفٌ، ولكن أَلِفٌ حَرْفٌ، ولامٌ حَرْفٌ، ومِيمٌ حَرْفٌ**». قال الترمذيُّ: «حسنٌ صحيحٌ غريبٌ».

وفي "صحيح مسلم" و"سنن أبي داود" وغيرهما، عن أبي هريرة رضي الله

عنه: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ما اجْتَمَعَ قَوْمٌ في بَيْتٍ مِن بيوتِ الله يَتْلُونَ كِتابَ الله ويَتَدارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إلَّا نَزَلَتْ عليهم السَّكِينَةُ وغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وحَفَّتْهُمُ المَلائِكَةُ، وذَكَرَهُمُ اللهُ فيمَن عِنْدَهُ**».

قال العلماء: التقييد بـ«بيت الله» خرج مخرج الغالب، لا مفهوم له، فلو اجتمعوا في غير المسجد لكان لهم ذلك الثَّواب أيضًا.

والمراد بـ«**السَّكينة**»: الوقار والطمأنينة.

والحديث يدلُّ علىٰ فضل الاجتماع علىٰ تلاوة القرآن، وهو مذهب الجمهور، وكرهه مالكٌ في "المدوَّنة"، وقال: «يقاموا»؛ لأنَّه لم يره من عمل أهل المدينة، أمَّا إذا كان الاجتماع لأجل تعليم القرآن فهذا لم يكرهه مالكٌ ولا غيره.

وفي "صحيح مسلم" و"سنن أبي داود" أيضًا، عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: خرج رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ونحن في الصُّفَّة فقال: «**أيُّكُمْ يُحِبُّ أنْ يَغْدُو كُلَّ يَوْمٍ إلى بُطحانَ أو إلى العَقِيقِ، فيأتي منه بناقَتَيْنِ كَومَاوَيْنِ في غير إثْمٍ ولا قَطْعِ رَحِمٍ؟**». فقلنا يا رسول الله: كلنا يحبُّ ذلك. قال: «**أفلا يَغْدُو أحَدُكُمْ إلى المسجْدِ فيَعْلَم أو فيَقْرَأ آيتين مِن كتابِ الله عزَّ وجلَّ خَيْرٌ له مِن ناقَتَيْنِ، وثلاثٌ خُيْرٌ مِن ثلاثٍ، وأربعٌ خيرٌ مِن أربعٍ، ومِن أعدادهِنَّ من الإبل**».

«**يَغْدُو**»: يذهب صباحًا.

«**بُطْحان**» بضمِّ الباء وسكون الطاء: اسم وادٍ بالمدينة، سُمِّي بذلك لسعته وانبساطه.

و«العقيق»: وادٍ على ميلين أو ثلاثة من المدينة، وخص «بُطْحان والعقيق» بالذكر؛ لأنَّهما أقرب الأماكن التي تقام فيها أسواق الإبل إلى المدينة.

«كَوْمَاوَيْنِ»: بفتح الكاف تثنية «كوماء»، وهي النَّاقة العظيمة السِّنام.

«فيَعْلم»: بفح الياء وسكون العين.

وفي "صحيح مسلم" عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أيحبُّ أَحَدُكُمْ إذا رَجَعَ إلى أَهْلِهِ أنْ يَجِدَ فيه ثلاثَ خَلِفاتٍ عِظَامٍ سِمانٍ؟**» قلنا: نعم، قال: «**فثلاث آياتٍ يَقْرَأ بِهِنَّ أَحَدُكُمْ في صَلاتِهِ خَيْرٌ له مِن ثلاث خَلِفاتٍ عِظامٍ سِمانٍ**».

«خَلِفات»: بفتح الخاء وكسر اللام، هي الحوامل من الإبل إلى أنْ يمضي عليها نصف أمدها، ثمَّ هي عِشار بكسر العين، والمفرد: «خَلِفه»، وعُشَراء: بضم العين وفتح الشين، وخص «الخَلِفات»؛ لأنَّها محبوبة عند العرب.

وفي "معجم الطبراني" بإسنادٍ رجاله ثقاتٌ عن أبي أُمامة -بضم الهمزة- رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن تَعَلَّمَ آيةً مِن كِتابِ الله تعالى، اسْتَقْبَلَتْهُ يَوْمَ القِيامَةِ تَضْحَكُ في وَجْهِهِ**».

وفي "مسند أحمد" عن أبي هريرة أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن اسْتَمَعَ إلى آيةٍ مِن كِتابِ الله كُتِبَتْ له حَسَنَةً مُضَاعَفَةً، ومَن تَلاها كانَتْ له نُورًا يومَ القِيامَةِ**».

وروى الطبرانيُّ، والحافظ أبو محمَّد عبدالغني، عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن قَرَأ القُرْآنَ أو جَمَعَ**

القُرآنَ كانَتْ له عِندَ الله دَعْوَةٌ مُسْتجَابَةٌ، إنْ شاءَ عَجَّلَها له في الدُّنيا، وإنْ شاء ادَّخَرَها له في الآخِرَةِ».

وفي "شعب الإيمان" للبيهقيِّ عن أبي أُمامة، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ لحَامِلِ القُرآنِ دَعْوَةً مُستجَابَةً يَدْعُو بها فيُسْتَجَابُ لَهُ**».

وروىٰ أحمد وأبو يعلىٰ والطبرانيُّ، عن عقبة بن عامر: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لو أنَّ القُرآنَ جُعِلَ في إهابٍ ثُمَّ أُلقِي في النَّارِ ما احْتَرَقَ**».

ورواه الطبرانيُّ من حديث عصمة بن مالكٍ بلفظ: «**لو جُمِعَ القُرآنُ في إهابٍ ما أَحْرَقَتْهُ النَّارُ**».

وفي روايةٍ للطبراني من حديث سهل بن سعدٍ: «**لو كان القُرآنُ في إهابٍ ما مَسَّتْهُ النَّارُ**» والحديث حسنٌ.

«**الإهاب**»: بكسر الهمزة، الجلد.

وقد اختلف العلماء في هذا الحديث:

فقال الإمام أبو عبيد: «وجه هذا عندنا أنْ يكون أراد بـ«**الإهاب**» قلب المؤمِن وجوفه الذي قد وعىٰ القرآنَ».

وقال أبو جعفر الطحاوي: «تكلَّم أهل العلم في هذا الحديث، فقالت طائفةٌ: معناه أنَّ من كان معه القرآن وقاه الله من النَّار كما وقىٰ إبراهيم الخليل عليه السلام من النَّار، فمعنىٰ المراد بذكر «**الإهاب**» الإنسان.

وقالت طائفة أخرىٰ: «**الإهاب**» المذكور في الخبر هو الذي يكتب فيه القرآن، أيُّ إهابٍ كان، فإذا ألقي في النَّار وفيه القرآن، وقىٰ الله تعالىٰ القرآن

ونزَّهه عن النَّار، فيرفعه من «الإهاب» فتحرق النَّار «الإهاب» وهو خال من القرآن لا قرآن فيه، والله أعلم بمراد رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم».اهـ كلام الطحاويِّ.

وفسَّره بعض رواة أبي يعلىٰ: بأنَّ من جمع القرآن ثُمَّ دخل النَّار فهو شرٌّ من الخنزير.

وفي "الصحيحين" و"سنن النَّسائيِّ"، و"ابن ماجه"، عن أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَثَلُ المُؤمِنِ الذي يَقْرَأُ القُرآنَ مَثَلُ الأُتْرُجَّةِ، رِيحُها طَيِّبٌ وطَعْمُها طَيِّبٌ، ومَثَلُ المُؤمِنِ الذي لا يقرأ القُرآنَ كمَثَلِ التَّمْرَةِ لا رِيحَ لها وطَعْمُها طَيِّبٌ، ومثل المنافِقِ الذي يَقْرَأُ القُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحانَة رِيحها طَيِّبٌ وطَعْمُها مُرٌّ، ومَثَلُ المُنافِقِ الذي لا يَقْرَأُ القُرآنَ كمَثَلِ الحَنْظَلَةِ ليس لها رِيحٌ وطَعْمُها مُرٌّ**».

وفي روايةٍ للبخاريِّ: «**المؤمِنُ الذي يَقْرَأُ القُرآنَ ويَعْمَلُ به، كالأُتْرُجَّةِ طَعْمُها طَيِّبٌ ورِيحُها طَيِّبٌ، والمُؤمِنُ الذي لا يَقْرَأُ القُرْآنَ ويَعْمَلُ به كالتَّمْرَةِ طَعْمُها طَيِّبٌ ولا رِيحَ لها، ومَثَلُ المُنافِقِ الذي يَقْرُأُ القُرآنَ كالرَّيْحانَةِ رِيحُها طَيِّبٌ وطَعْمُها مُرٌّ، ومَثَلُ المُنافِقِ الذي لا يَقْرَأُ القُرآنَ كالحَنْظَلَةِ طَعْمُها مُرٌّ -أو خَبيثٌ- ورِيحُها مُرٌّ**».

يؤخذ من الحديث الحض علىٰ حفظ القرآن ودوام تلاوته والعمل به، قال الطيبي: «اعلم أنَّ هذا التشبيه والتمثيل في الحقيقة وصفٌ لموصوفٍ اشتمل علىٰ معقول صرف، لا يبرزه عن مكنونة إلَّا تصويره بالمحسوس بالمشاهدة، ثمَّ إنَّ كلام الله تعالىٰ المجيد له تأثيرٌ في باطن العبد وظاهره، وإنَّ العباد مُتفاوتون في ذلك، منهم مَن له النصيب الأوفر من ذلك التأثير، وهو المؤمن القارئ،

ومنهم من لا نصيب له البتة وهو المنافق الحقيقي، ومنهم من تأثَّر ظاهره دون باطنه وهو المرائي، أو بالعكس وهو المؤمن الذي لم يقرأه، وإبراز هذه المعاني وتصويرها في المحسوسات ما هو مذكور في الحديث، ولم تجد ما يوافقها ويلائمها أقرب ولا أحسن ولا أجمع من ذلك؛ لأنَّ المشبهات والمشبه بها واردة على التقسيم الحاصر؛ لأنَّ النَّاس إمَّا مؤمنٌ أو غير مؤمنٍ، والثاني: إمَّا منافقٌ صرف أو ملحق به، والأول: إمَّا مواظب على القراءة أو غير مواظب عليها، فعلى هذا قس الأثمار المشبهة بها.

ثُمَّ إنَّ إثبات القراءة في قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يقرأ القرآن**» على صيغة المضارع، ونفيه في قوله: «**لا يقرأ**» ليس المراد منه حصولها مرَّة، ونفيها بالكليَّة. بل المراد منها: الاستمرار والدوام عليها، وأنَّ القراءة دأبه وعادته، أو ليس ذلك من هجيراه كقولك فلانٌ يُقريء الضيفَ ويحمي الحريم».اهـ

وحاصل التشبيه: أنَّ الإيمان الثابت في نفس المؤمن هو طيب الطعم المشبه بطيب طعم الأترجة، وحفظ القرآن وتلاوته هو طيب الرَّائحة المشبه بريحها، وأنَّ نفاق المنافق هو خبث الطعم المشبه بطعم الريحانة والحنظلة، و«**الأترجّة**» بتشديد الجيم وقد تخفف، ويزاد قبلها نون ساكنة فيقال: «أترنجة»، وتحذف الألف فيقال: «ترجة وترنجة».

وروى ابن الأنباري عن أبي نضرة أنَّ رجلًا من التابعين كان إذا جلس إليه أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أعجبهم مجلسه وحديثه فقال يومًا: إنَّ مثل هذا القرآن مثل المطر، حلوٌ طيبٌ طهورٌ مباركٌ، أنزله الله تعالى فأصاب به الشَّجر حلوه ومره، فزاد الحلوة حلاوة إلى حلاوتها، والمرة مرارة

إلى مرارتها، وكذلك القرآن هدىٰ وشفاء للذين آمنوا، قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤].اهـ

الماهر بالقرآن

أخرج الشيخان وأبو داود والترمذيُّ والنَّسائيُّ وابن ماجه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**الماهِرُ بالقُرآنِ مع السَّفَرَةِ الكِرامِ البَرَرَةِ، والذي يَقْرَأُ القُرآنَ ويَتَتَعْتَعُ فيه وهو عليه شَاقٌّ له أَجْرَان**». وفي روايةٍ: «**والذي يَقْرَأُه وهو يشتدُّ عليه له أجران**».

«**الماهِر**»: الحاذِق، الكامل الحفظ، المُتقِن التلاوة.

«**السَفَرة**»: بفتح السين والفاء، جمع سافِر: الملائكة.

قال ابن الأنباري: «سموا بذلك لنزولهم بالوحي، وما يقع به الصَّلاح تشبيها بالسَّفير الذي يصلح بين الرجلين».

وقال ابن عرفة: «سُموا بذلك؛ لأنَّهم يُسْفِرون بين الله تعالىٰ وأنبيائه عليهم السَّلام». أي: ينزلون برسالات الله تعالىٰ إلى الأنبياء، وهو بمعنىٰ الأول.

وقيل: «**السَفَرة**»: الملائكة الكتبة، ويُسمَّىٰ الكتاب سافرًا؛ لأنَّه يُبيِّن الشَّيء، والأسفار الكتب ، وأسفر عن الشَّيء: بيَّنه وأوضحه.

«**البَرَرَة**»: بفتحات، المطيعون.

قال المهلب: «ومعنىٰ كون الماهر بالقرآن مع السفرة أنَّه معهم في الحفظ في درجةٍ واحدةٍ».

وقال عياض: «ويحتمل أنَّه معهم في منازلهم في الآخرة، أي: يكون رفيقًا

لهم فيها لاتصافه بصفتهم في حملهم كتاب الله تعالىٰ، ويحتمل أنْ يكون المعنىٰ أنَّه عاملٌ بعملهم كما يقال: معي بنو فلان، أي: في الرَّأي والمذهب، كما قال لوطٌ عليه السلام: ﴿وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ﴾ الآية [الشعراء: ١١٨]، وجاء أنَّ من تعلَّمه من صغره وعمل به خلطه الله بلحمه ودمه وكتبه عنده من السَفَرَة الكِرام البَرَرَة».اهـ

«**يَتَتَعْتَعُ فيه**»: يتردَّد فيه لقِلَّة حِفظه، والتتعتع التردُّد.

و«**الأجران**» أحدهما: في قراءته، والثاني: في تعبه ومشقَّته.

قال عياض: «وليس المعنىٰ أنَّه أكثر أجرًا من الماهر بل الماهِر أكثر؛ لأنَّه مع السَفَرَة عليهم السَّلام، وله أجورٌ كثيرةٌ، وكيف يلتحق من لم يعتن بكتاب الله بمن اعتنىٰ به حتىٰ مهر فيه».اهـ

وروىٰ أبو نصر السجزي في "الإبانة"، عن معاذٍ رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن قَرَأَ القُرآنَ وعَمِلَ بما فيه وماتَ مع الجماعَةِ، بَعَثَهُ اللهُ يَوْمَ القِيامَةِ مع السَفَرَةِ**». قال أبو نصر: «حديثٌ حسنٌ غريبٌ».

وروىٰ الطبرانيُّ وابن زنجويه والبيهقيُّ، عن معاذٍ أيضًا، عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن قَرَأَ القُرآنَ وعَمِلَ بما فيه ومات في الجماعَةِ، بَعَثَهُ اللهُ يَوْمَ القِيامَةِ مَعَ السَفَرَةِ والحُكَّامِ، ومَن قَرَأَ القُرآنَ وهو يَنْفَلِتُ مِنه لا يَدَعُهُ فله أَجْرُه مَرَّتين، ومَن كان حريصًا عليه ولا يَسْتَطِيعُهُ ولا يَدَعُهُ بَعَثَهُ اللهُ يَوْمَ القِيامَةِ مَعَ أَشْرافِ أَهْلِهِ، وفُضِّلُوا على الخلائق كما فُضِّلَتِ النُّسُورُ**

على سائر الطُّيُورِ، وكما فُضِّلَتْ عَيْنٌ في مَرْجٍ على ما حَوْلها، ثُمَّ يُنادي مُنادٍ: أين الذين كانوا لا تُلْهيهِمْ رِعْيَةُ الأنعامِ عن تِلاوةِ كِتابي؟ فيقومون فيُلْبَسُ أَحَدُهُمْ تاجَ الكَرامَةِ ويُعْطَى الفَوْزَ بيَمِينِه، والخُلْدَ بشِمالِهِ، فإنْ كان أَبَواه مُسْلمَيْنِ كُسِيا حُلَّةً خَيْرًا مِن الدُّنيا وما فيها، فيقولان: أَنَّى هذه لنا؟ فيُقال: بما كان وَلَدُكُما يَقْرَأُ القُرآنَ».

«الحكام»: الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه؛ لأنَّهم يقيمون حكم الله بين الناس.

تنبيهٌ: تقدَّم أنَّ الماهِر بالقرآن هو الحاذِق فيه المُتقِن لحِفْظِه وتِلاوته.

وقال القرطبيُّ: «لا يكون ماهِرًا حتى يتعلَّم أحكامَه فيفهم عن الله تعالى مُرادَه، وما فرض عليه، ويعرف المكِّي مِن المدنيِّ ليعرف ما افترضه الله في أول الإسلام، وما زاد من الفرائض في آخِره، ويعرف الإعراب والغريب، ثُمَّ ينظر في السُّنن المأثورة الثابتة عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فيها يصل الطالب إلى مراد الله عزَّ وجلَّ، وهي تفتح له أحكام القرآن فتحًا»(١).

وقد قال الضَّحَّاك في قوله تعالى: ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [آل عمران: ٧٩]، قال: «حقٌّ على كلِّ مَن تعلَّم القرآن أنَّ يكون فقيهًا».

وذكر ابن أبي الحواري قال: «أتينا الفضيل بن عياض سنة خمسٍ وثمانين ومائة ونحن جماعة، فوقفنا على الباب فلم يأذن لنا بالدخول، فقال بعض القوم: إنْ كان خارجًا لشيءٍ فسيخرج لتلاوة القرآن، فأمرنا قارئًا يقرأ فطلع

---

(١) لكن مُبتدعة اليوم يحضون على ترك السُّنَّة لجهلهم بها ويُفسِّرون برأيهم الفاسد.

علينا من كوَّةٍ، فقلنا السَّلام عليك ورحمة الله، فقال: وعليكم السَّلام، فقلنا: وكيف أنت يا أبا عليٍّ؟ وكيف حالك؟ قال: أنا مِن الله في عافيةٍ ومنكم في أذىٰ، وإنَّ ما أنتم فيه حدثٌ في الإسلام، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون، ما هكذا كنا نطلب العلم، ولكنا كنا نأتي المشيخة فلا نرىٰ أنفسنا أهلًا للجلوس معهم، فنجلس دونهم نسترق السَّمع فإذا مرَّ الحديث سألناهم إعادته وقيَّدناه، وأنتم تطلبون العلم بالجهد وقد ضيَّعتم كتاب الله، ولو طلبتم كتاب الله لوجدتم فيه شفاء لما تريدون. قال: قلنا: قد تعلَّمنا القرآن. قال: إنَّ في تعلُّمكم القرآن شغلًا لأعماركم وأعمار أولادكم. قلنا: كيف يا أبا عليٍّ؟ قال: لن تعلموا القرآن حتىٰ تعرفوا إعرابه ومُحكَمه من متشابهه، وناسخه من منسوخه، فإذا عرفتم ذلك استغنيتم عن كلام فضيل وابن عُيَيْنَة».اهـ باختصارٍ.

قلت: لا شكَّ أنَّ من عرف إعراب القرآن ومحكمه ومتشابهه وفِقه أحكامه، كان في الدرجة العليا من الميزة والفضل، لكن لا يشترط في الماهر بالقرآن أنْ يكون كذلك، بل يكفي فيه ما تقدَّم من إتقان الحفظ وإجادة التلاوة، بدليل مقابلته في الحديث بالذي يتتعتع فيه وتشتد عليه تلاوته. والله أعلم.

ثواب قارئ القرآن

أخرج الترمذيُّ وابن خزيمة والحاكم، عن أبي هريرة: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**يجيء صاحِبُ القُرآنِ يومَ القِيامَةِ فيقولُ القُرآنُ: يا رَبِّ حَلِّهْ، فيُلْبَسُ تَاجَ الكَرَامَةِ، ثُمَّ يقولُ: يا رَبِّ زِدْهُ، فيُلْبَسَ حُلَّةَ الكَرامَةِ، ثُمَّ يقول: يا رَبِّ إرضَ عنه، فيَرْضَى عنه، فيقال له: اقْرَأْ وارْقَ ويَزْدَادُ بكلِّ آيةٍ**

حَسَنَةً». حَسَّنه الترمذيُّ، وصحَّحه الحاكم.

وأخرج أحمد عن أبي هريرة أو أبي سعيدٍ -شكَّ الأعمش- قال: «**يُقالُ لصاحِبِ القُرآنِ يَوْمَ القِيامَةِ: اقْرَأْ وارْقَ، فإنَّ مَنْزِلكَ عِندَ آخِرِ آيةٍ تَقْرَأُها**». إسناده صحيحٌ.

ورواه أحمد من طريقٍ آخر عن أبي سعيدٍ قال: قال نبيُّ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يُقال لصاحِبِ القُرآنِ إذا دَخَلَ الجنَّةَ: اقْرَأْ وارْقَ واصْعَدْ، فيَقْرَأُ ويَصْعَدُ بكُلِّ آيةٍ دَرَجَةً حتَّى يَقْرَأَ آخِرَ شيءٍ مَعَهُ**».

وروى الترمذيُّ وأبو داود وابن ماجه، عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يُقال لصاحِبِ القُرْآنِ: اقْرَأْ وارْقَ ورَتِّلْ كما كنتَ تُرتِّل في الدُّنيا، فإنَّ مَنْزِلكَ عِنْدَ آخِرِ آيةٍ تَقْرَأُها**». صَحَّحه الترمذيُّ وابن حِبَّان.

قال الخطابي: «جاء في الأثر أنَّ عدد آي القرآن على قَدْرِ دَرَجِ الجنَّةِ، فيقال للقارئ: ارْقَ في الدَّرَجِ على قَدْرِ ما كنتَ تقرأ مِن آي القرآن، فمن استوفى قراءة جميع القرآن استولى على أقصى درجٍ في الجنَّة في الآخرة، ومَن قرأ جزءًا منه كان رقيه في الدرج على قدر ذلك، فيكون منتهى الثَّواب عند منتهى القراءة».اهـ

قلت: الأثر الذي أشار إليه الخطابي رحمه الله تعالى رواه البيهقيُّ عن عائشة رضي الله عنها مرفوعًا: «**عَدَدُ دَرَجِ الجنَّةِ عَدَدَ آي القُرآنِ، فمَن دَخَلَ الجنَّةَ مِن أَهْلِ القُرآنِ فليس فَوْقَهُ دَرَجَةٌ**». ورواه ابن مَرْدُويَه عنها

مرفوعًا أيضًا، وذكره مكيٌّ عنها أيضًا، موقوفًا عليها غير مرفوعٍ.

وروى ابن شاهين عن ابن عبَّاس عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**دَرَجُ الجنَّةِ على قَدْرِ آي القُرآنِ، لكُلِّ آيةٍ دَرَجَةٌ، فتلك ستة آلاف ومائتا آية وست عشرة آية بين كلِّ دَرَجَتين كما بين السَّماء والأرضِ، فيَنْتَهي به إلى أعلى قُبَّةٍ في عِلِّيين لها سبعون ألف رُكْنٍ، وهي مِن ياقوتةٍ تُضيء مَسيرة أيامٍ وليالٍ**».

ورواه ابن شاهين وأبو حفص الميانشي من طريق آخر، وزاد قال: «**وتُصَبُّ عليه حُلَّةُ الكَرامَةِ، فلولا أنَّه يَنْظُرُ بنُورِ الله لأَذْهَبَ تَلَألُؤها بنَظَرِهِ**».

قلت: لم يصح حديثٌ في تعداد آي القرآن، وفي عدِّها خلافٌ بين الأئمَّة من القُرَّاء وغيرهم، وإنَّما الذي صحَّ أنَّ قارئ القرآن يقال له في الجنة: «اقرأ واصعد درجة» حتى يقرأ آخر شيءٍ معه. وكذلك ورد في عدِّ حروف القرآن حديثٌ في إسناده نظر، فروى الطبرانيُّ في "الأوسط" عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**القُرآنُ ألفُ ألفِ حَرْفٍ وسبعةٌ وعشرون ألفِ حَرْفٍ، فمَن قَرَأَه صَابِرًا مُحْتَسِبًا كان له بكُلِّ حَرْفٍ زَوْجَةٌ مِن الحُورِ العِينِ**». تفرَّد بروايته محمَّد بن عبيد بن آدم بن أبي إياس العسقلانيُّ شيخُ الطبرانيِّ.

وقال الذَّهبي في "الميزان": «إنَّه خبرٌ باطلٌ». ورواه أبو نصر السجزي في "الإبانة" وقال: «غريب الإسناد والمتن، وفيه زيادة على ما بين الدفتين، ويمكن حمله على ما نسخ منه تلاوة مع المثبت بين الدفتين اليوم».اهـ

قلت: وهو حملٌ لا يُفيد.

وقال أبو سلمة بن عبدالرحمن: «يُقال لصاحب القرآن يوم القيامة: اقرأ وارْقَ، فإنْ كان يهذه -أي يُسرع ولا يرتل- أُعطي بقدر هذِّه -بتشديد الذَّال المعجمة- وإنْ كان يرتله أعطي بترتيله، وفي "صحيح ابن حبان" عن أبي ذرٍ رضي الله عنه -أثناء حديث- قال: قلت يا رسول الله أوصني، قال: «**عليك بتَقْوَى الله فإنَّها رَأْسُ الأَمْرِ كُلِّهِ**». قلت: يا رسول الله زِدْني، قال: «**عليك بتِلاوَةِ القُرآنِ فإنَّه نُورٌ لكَ في الأرضِ، وذُخْرٌ لك في السَّماءِ**».

تفضيل القرآن على الكتب السماوية

أخرج أحمد والطبرانيُّ عن واثلة بن الأسقع :رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**أُعْطِيتُ مكان التَّوراةِ السَّبْعَ، وأُعْطِيتُ مكان الزَّبورِ المَئينَ، وأُعْطِيتُ مكان الإنجيلِ المَثانيَ، وفُضِّلْتُ بالمُفَصَّلِ**».

وروىٰ الطبرانيُّ عن أبي أُمامة قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أَعْطاني رَبِّي السَّبْعَ الطِّوالَ مكانَ التَّوْراةِ، والمَئينَ مكانَ الإنجيلِ، وفُضِّلْتُ بالمُفَصَّلِ**». وفيه راوٍ ضعيفٌ.

وصحَّ عن عبدالله بن مسعودٍ رضي الله عنه قال: إنَّ السَّبع الطِّوالَ مثل التوراة، والمَئين مثل الإنجيل، والمثاني مثل الزبور، وسائر القرآن بعد فضل السَّبع الطوال من أول (البقرة)، وآخرها مجموع (الأنفال) و(براءة)؛ لأنَّه لم يفصل بينهما في المصحف، وبعضهم عدَّ (يونس) في الطوال ولم يعد (الأنفال) و(براءة)، والأول أصح، ثمَّ ذوات المائة وهي السورة التي فيها مائة ونحوها، ثمَّ المثاني وهي ما كانت أقل من المائة وأكبر من المفصل، ثمَّ المفصل واختلف

فيه -مع الاتفاق على أنَّ منتهاه آخر القرآن-، فقيل: يبتدئ من (سورة الصافات). وقيل: من (سورة الفتح). وقيل: من (سورة ق). وقيل غير ذلك.

وروى الحافظ محمَّد بن ناصر المروزي، عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه مرفوعًا: «**إنَّ اللهَ تعالى أَعْطَاني السَّبْعَ مكانَ التَّوْراةِ، وأَعْطَاني ألراآت إلى الطَّواسين مكان الإنجيل، وأعطاني ما بين الطواسين إلى الحواميم مكان الزَّبورِ، وفَضَّلني بالحواميم والمُفصَّل، ما قرأهنَّ نبيٌّ قَبْلي**».

«**الراآت**»: السور المبدوءة بـ﴿الٓر﴾.

و«**الطواسين**»: السور المبدوءة بـ﴿طسٓ﴾.

و«**الحواميم**»: السور المبدوءة بـ﴿حمٓ﴾.

القرآن أفضل من الذكر والدعاء ومن سائر الكلام

أخرج الترمذيُّ عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يقولُ الرَّبُّ تباركَ وتعالى مَن شَغَلَهُ قِراءَةُ القُرْآنِ عَن مَسْألَتِي، أَعْطَيْتُهُ أفضلَ ما أُعْطِي السَّائِلينَ**». قال: «**وفَضْلُ كلامِ الله تعالى على سائر الكَلامِ، كفَضْلِ الله على خَلْقِهِ**». قال الترمذيُّ: «حديثٌ حسنٌ غريبٌ».

ورواه البزَّار وابن شاهين وابن الأنباري في كتاب "الوقف والابتداء" عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يقولُ اللهُ تعالى مَن شَغَلَهُ قِراءَةُ القُرآنِ عن دُعائي ومَسألتي أَعْطَيْتُهُ أفضلَ ثواب الشَّاكرين**». وقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ فَضْلَ كلامِ الله تعالى على سائر الكَلامِ كفَضْلِ الله على خَلْقِهِ**». ولابن عديٍّ عن أبي هريرة عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه

وآله وسلَّم: «**فَضْلُ القُرْآنِ على سَائِرِ الكَلامِ كفَضْلِ الله على خَلْقِهِ**». إسناده ضعيفٌ.

ورواه يحيىٰ بن عبدالحميد الحماني في "مسنده" من حديث عمر بن الخطاب نحوه، ورواه ابن الضريس في "فضائل القرآن" عن شهر بن حوشب، مرسلًا بإسنادٍ لا بأس به.

وروىٰ الحاكم وصحَّحه عن أبي ذرٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّكُمْ لا تَرْجِعُونَ إلى الله بشيءٍ أفضلَ ممَّا خَرَجَ مِنْهُ**» يعني: القرآنَ. ورواه أبو داود في "المراسيل" عن جبير بن نفير مرسلًا، وكذلك رواه أحمد في "الزهد"، والترمذيُّ.

وأخرج الوايلي عن عطية بن قيس التابعي قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ما تكلَّمَ العِبادُ بكَلامٍ أحَبَّ إلى الله تعالى مِن كلامِهِ، وما تُقرِّبَ إلى الله عزَّ وجلَّ بأحَبَّ إليه مِن كلامِهِ**». قال الوايلي: «هذا حديثٌ فيه إرسالٌ».اهـ

وللحديث شواهد وثبت عن الإمام أحمد بن حنبلٍ رضي الله عنه قال: رأيت ربَّ العِزَّة في المنام، فقلت: يا رب ما أفضل ما يتقرَّب به المُتقرِّبون إليك؟ فقال: «كلامي يا أحمد». فقلت: يا رب بفهمٍ أو بغير فهمٍ؟ قال: «بفهمٍ وبغير فهمٍ».

القرآن حُجَّةٌ لك أو عليك

أخرج مسلمٌ في "صحيحه" عن أبي مالكٍ الأشعريِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمانِ، والحَمْدُ لله تَمْلأُ المِيزانَ، وسُبْحَانَ الله والحَمْدُ لله تَمْلآن -أو تَمْلأُ- ما بين السَّماواتِ والأرضِ،**

والصَّلاةُ نُورٌ والصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، والصَّبْرُ ضِياءٌ، والقُرْآنُ حُجَّةٌ لكَ أو عليكَ، كلُّ النَّاسِ يَغْدُو فبَائِعٌ نَفْسَهُ فمُعْتِقُهَا أو مُوبِقُهَا».

وهذا الحديث مِن جوامِع الكَلِمِ، ولذلك ذكرهُ النَّووي في "الأربعين"، فقوله في الحديث: «**والقُرْآنُ حُجَّة لك أو عليك**» يعني: إنْ عَمِلْتَ به كان حُجَّةً لك، وإنْ لم تعمل به كان حُجَّةً عليك، قال القرطبيُّ: «ويحتمل لأنَّه المفزع عند التنازع فتحتجَّ به أو يُحتجَّ به عليك».

وأخرج ابن حِبَّان في "صحيحه" عن جابرٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**القُرْآنُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ، وماحِلٌ مُصَدَّقٌ، مَن جَعَلَهُ أَمَامَهُ قادَهُ إلى الجَنَّةِ، ومَن جَعَلَهُ خَلْفَ ظَهْرِه ساقَهُ إلى النَّارِ**».

«**ماحِل**» بكسر الحاء المهملة: خصم مجادل، «**مصدَّق**» بفتح الدال المشدَّدة.

وأخرج الطبرانيُّ في "الصغير" عن أنسٍ رضي الله عنه عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن قَرأَ القُرْآنَ يَقُومُ به آناءَ الليلِ والنَّهارِ، يُحِلُّ حَلالَهُ ويُحَرِّمُ حَرامَهُ، حَرَّمَ اللهُ لَحْمَهُ ودَمَهُ على النَّارِ، وجَعَلَهُ رَفِيقَ السَّفَرَةِ الكِرامِ البَرَرَةِ، حتَّى إذا كان يومَ القِيامَةِ كان القُرْآنُ له حُجَّةً**».

وأخرج البزَّار وابن شاهين عن عبدالله بن عمر، قال سمعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقولُ: «**يَأْتي القُرْآنُ إلى الذي حَمَلَهُ فأطاعَهُ في صورةٍ حَسَنةٍ فيأخُذُ بيَدِهِ، حتَّى يأتي رَبَّه عزَّ وجلَّ، فيصيرُ خَصِيمًا مِن دُونِهِ، فيقول: أي ربِّ حَفَّظْتُهُ إياي فخَيْرُ حَامِلٍ حَفِظَ حُدودي، وعَمِلَ بفرائضي، واتَّبَعَ طَاعَتِي، واجْتَنَبَ مَعْصِيَتي، فلا يزالُ يَقْذِفُ دُونَهُ بالحُجَجِ حتَّى يُقالَ له: فشأنَكَ به قالَ: فيأخذ بيَدِه لا يَدَعُهُ حتَّى يَسْقِيَهُ بكأسِ الخُلْدِ ويُتَوِّجَهُ تاجَ المُلْكِ، قال: ويأتي**

صاحِبُه الذي حَمَلَهُ فأضاعَهُ فيأخُذُ بيَدِهِ حتَّى يأتي ربَّه عزَّ وجلَّ فيصير له خَصِيمًا، فيقول: يا ربِّ حَمَّلْتَهُ إيَّاي فشرُّ حامِلٍ، ضَيَّعَ حُدودي وتَرَكَ فَرائِضي، واجْتَنبَ طاعَتِي وعَمِلَ بمَعْصِيَتي، فلا يزالُ يَقْذِفُ عليه بالحُجَجِ حتَّى يُقالَ له: فشأنَكَ به، فيأخذ بيَدِه فلا يَدَعُهُ حتَّى يُكِبَّهُ على مَنْخَرِهِ في نارِ جَهَنَّمَ». هذا لفظ رواية ابن شاهين، ورجال الإسناد ثقاتٌ، إلَّا أنَّ فيه ابن إسحاق وهو -مع كونه ثقة- مُدلِّسٌ، لكن للحديث شواهد.

وأخرج أحمد وابن أبي الدنيا في كتاب "الجوع"، والطبرانيُّ في "الكبير" عن عبدالله بن عمرو أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «الصِّيامُ والقُرْآنُ يَشْفَعانِ للعَبْدِ، يقولُ الصِّيامُ: يا رَبِّ مَنَعْتُهُ الطَّعامَ والشَّرابَ بالنَّهارِ فشَفِّعْنِي فيه، ويقولُ القرآنُ: رَبِّ مَنَعْتُهُ النَّومَ باللَّيل فشَفِّعْني فيه فيَشْفَعان». صحَّحه الحاكم على شرط مسلمٍ.

فضائل سور القرآن

الفاتحة

أخرج البخاريُّ وأبو داود والنَّسائيُّ وابن ماجه عن أبي سعيد بن المعلَّى -بفتح اللام المشدَّدة- رضي الله عنه قال: كنت أُصلِّي بالمسجد فدعاني رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فلم أُجِبْهُ، ثُمَّ أتيتُه فقلتُ: يا رسولَ الله إنِّي كنتُ أُصلِّي فقال: «ألم يَقُلِ الله تعالى: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]» ثُمَّ قال: «لأُعَلِّمَنَّكَ سورةً هي أعظمُ سُورةٍ في القُرْآنِ قبل أنْ تَخْرُجَ مِن المسجدِ» فأخذ بيدي فلما أردنا أنْ

نخرج قلتُ يا رسولَ الله: إنَّك قلت: «**لأُعَلِّمَنَّكَ أعظمَ سُورةٍ في القُرآنِ**»، قال: «﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، **هي السَّبْعُ المَثاني والقُرآنُ العَظِيمُ الذي أُوتِيتُهُ**».

وروىٰ الترمذيُّ والنَّسائيُّ وأحمد عن أبي هريرة أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم خرج علىٰ أُبيِّ بن كعبٍ، فقال: «**يا أُبيُّ**» وهو يُصلِّي، فالتفت أُبيٌّ فلم يُجِبْهُ، وصَلَّىٰ أُبيٌّ فخفَّفَ ثُمَّ انصرفَ إلىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: السَّلام عليك يا رسولَ الله، فقال رسولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**وعليك السَّلام، ما مَنَعَكَ يا أُبيُّ أنْ تُجيبني إذْ دَعَوْتُكَ؟**» فقال: يا رسول الله إنِّي كنت في الصَّلاة، قال: «**فلم تَجِدْ فيما أَوْحَى اللهُ إليَّ أنْ** ﴿ٱسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾؟» قال: بلىٰ، ولا أعودُ إنْ شاء الله، قال: «**أتحبُّ أنْ أُعَلِّمَكَ سورةً لم يَنْزِلْ في التَّوْراةِ ولا في الإنجيلِ ولا في الزَّبورِ، ولا في الفُرقان مِثْلُها؟**» قال: نعم يا رسول الله. فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**كيف تَقْرَأُ في الصَّلاة؟**» فقرأ أمَّ القرآن، فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**والذي نَفْسِي بيَدِهِ ما أنزلَ اللهُ في التوراةِ ولا في الإنجِيل ولا في الزَّبورِ ولا في الفُرقانِ مِثْلُها، وإنَّها سَبْعٌ مِن المَثاني والقُرآنُ العَظِيمُ الذي أُعْطِيتُهُ**».

قال الترمذيُّ: «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ»، وصحَّحه ابن خزيمة وابن حِبَّان والحاكم.

استنبط القاضيان أبو الوليد الباجي وعبدالوهاب البغدادي المالكيَّان من الحديثين: أنَّ إجابة النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في الصَّلاة فرضٌ

يُعصَي المرءُ بتركه، وهو قول الشَّافعيَّة، ثُمَّ هل تبطل صلاته أو لا تبطل؟ قولان، وهذا من خصائص النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

ويؤخذ من الحديثين جواز تفضيل بعض القرآن علىٰ بعض، وهو قول إسحاق بن راهويه والحليمي وابن العربي وابن الحصار وغيرهم من العلماء والمتكلِّمين.

وذهب أبو الحسن الأشعريُّ والقاضي أبو بكر الباقلاني وأبو حاتم ابن حِبَّان صاحب "الصحيح" وجماعة من الفقهاء إلىٰ منع التفاضل، وروي معناه عن مالك، قال يحيىٰ بن يحيىٰ -تلميذ مالك- تفضيل بعض القرآن علىٰ بعض خطأٌ؛ ولذلك كره مالكٌ أنْ تعاد سورة -يعني في الصَّلاة-، أو تردَّد دون غيرها، واحتجُّوا بأنَّ الأفضل يشعر بنقص المفضول، وكلام الله لا نقص فيه.

والجواب: أنَّ التفضيل من حيث المعنىٰ لا من حيث الصِّفة، ومما لا شكَّ فيه أنَّ المعاني تتفاوت وتتفاضل.

فمعاني ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، أفضل من معاني ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ [المسد: ١]، ومعاني ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣]، أفضل من معاني: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٣]، مع أنَّ الكلَّ مُشتركٌ في الصِّفة وهو كونه كلام الله، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البقرة: ١٠٦]، وهذا بحثٌ طويلٌ اقتصرنا منه هنا علىٰ هذه الخلاصة الوجيزة.

وأخرج ابن حِبَّان والحاكم في "صحيحيهما" عن أنسٍ رضي الله عنه قال: كان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في مسيرٍ، فنزل ونزل رجلٌ إلى جانبه، قال: فالتفت النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**ألا أُخْبِرُكَ بأفضل القُرْآنِ؟**» قال: بلى، فتلا: «﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]»، صحَّحه الحاكم على شرط مسلمٍ.

وأخرج مسلمٌ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**قال الله تعالى: قَسَمْتُ الصَّلاةُ بَيْني وبَيْن عَبْدِي نِصْفَينِ، فنِصْفُها لي ونِصْفُها لعَبْدي ولِعَبْدي ما سَأَلَ، فإذا قال العبدُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال الله: حَمِدَني عَبْدي، فإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قال: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، فإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ قال: مَجَّدَني عَبْدي، وإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال: هذا بَيْني وبَيْنَ عَبْدي، ولعَبْدي ما سأَلَ، فإذا قال: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝١ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ١-٧] قال: هذا لعَبْدي ولعَبْدي ما سَأَلَ**».

قوله: «**قَسَمْتُ الصَّلاةَ**» يعني القِراءة، وسُمِّيت القراءة صلاةً؛ لأنَّها جزءٌ مِن أجزائها، وأخذ المالكيَّة من الحديث أنَّ البسملة ليست من الفاتحة.

قوله: «**حمِدني**» بكسر الميم: والحمد هو الوصف بالجميل.

«**مجَّدني**» بفتح الجيم المشددة: والتمجيد التعظيم.

وأخرج مسلمٌ أيضًا عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: بينما جبريل قاعد عند النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم سمع نقيضًا من فوقه، فرفع رأسه

فقال: «هذا بابٌ مِن السَّماء فُتِحَ اليومَ، لم يُفْتَحْ قَطُّ إلَّا اليومَ، فنَزَلَ مِنه مَلَكٌ فقال: هذا مَلَكٌ نَزَلَ إلى الأرضِ لم يَنْزِلْ قَطُّ إلَّا اليومَ، فسَلَّمَ وقال: أَبْشِرْ بنُورَين أُوتيتَهُما لم يُؤتَهما نبيٌّ قَبْلَك، فاتِحَةُ الكِتابِ وخَواتيمُ(سورةِ البقرة)، لن تَقْرَأَ بحرفٍ منهما إلَّا أُعْطِيتَهُ».

«نقيضًا» بفتح النون: أي صوتًا.

وقول الملك: «أبشر» إلخ: يُستفادُ منه أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قد يتلقَّى الوحي عن غير جبريل عليه السلام، وقد ثبت ذلك في أحاديث.

قوله: «لن تقرأ بهما حَرْفًا إلَّا أُوتيته»، قال العلَّامة الأُبِّي: «إنْ أريد حرف الهجاء، فالمعنى: أنَّ ما يرتب عليه من العشر حسنات محقَّقة القبول، وإلَّا فلا خصوصيَّة؛ لأنَّ حروف غيرها كذلك، وقيل: أراد بالحروف الطرف؛ لأنَّ حرف الشَّيء طرفه، وكنى به عن الجملة أي: لن تقرأ بالجملة إلَّا أعطيت ما تضمَّنت إنْ كانت دعاء كاهدنا أجبت، وإنْ كانت ثناء أعطيت الثواب».اهـ

وأخرج أحمد عن عبدالله بن جابر البياضي، قال: انتهيت إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وقد أهراق الماء فقلت: السَّلام عليك يا رسول الله، فلم يردَّ عليَّ، فقلت: السَّلام عليك يا رسول الله، فلم يردَّ عليَّ، فقلت: السَّلام عليك يا رسول الله، فلم يردَّ عليَّ، فانطلق رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يمشي وأنا خلفه حتى دَخَلَ رَحْلَهُ، ودخلتُ أنا في المسجد، فجلست كئيبًا حزينًا، فخرجَ عليَّ رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وقد تَطَهَّرَ، فقال: «عليك السَّلام ورحمة الله، عليك السَّلام ورحمة الله، عليك السَّلام ورحمة الله» ثُمَّ قال: «ألا أُخْبِرُكَ يا عبدالله بن جابر بأخير سورةٍ في القرآنِ؟» قلت: بلى، قال:

«اقرأ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ حتى خَتَمَها». إسناده حسنٌ.

قلت: كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يتنزَّه أنْ يجري على لسانه ذكر اسم الله وهو على غير وضوءٍ، فلذا لم يُجب هذا الصَّحابي حتَّى توضَّأ، وكذلك فعل مع غيره في مثل هذه المناسبة أيضًا وليس ذلك بلازمٍ شرعًا، ولكنه عليه الصَّلاة والسَّلام يحبُّ أنْ يُكَرِّمَ اسمَ مولاه سبحانه وتعالى، فمن استطاع أنْ يتأسَّى به فهو خيرٌ ومن لا فلا حرج.

ويؤخذ من الحديث: أنَّ ردَّ السَّلام لا يجب على الفور بل يجوز تأخيره لعُذْرٍ ما، كما يؤخذ منه أنَّ الرَّد يكون بحيث يسمعه الذي سلَّم.

وأخرج الطبرانيُّ في "الأوسط" بإسنادٍ صحيحٍ عن أبي هريرة قال: «إنَّ إبليس رَنَّ حين أنزلت فاتحةُ الكتاب، وأنزلت بالمدينة».

وأخرج ابن الأنباري في كتاب "الرد عن مجاهد" قال: إنَّ إبليس لعنه الله رَنَّ أربع رَنَّاتٍ: حين لُعن، وحين أُهبط من الجنَّة، وحين بُعث محمَّدٌ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وحين أُنزلت فاتحةُ الكتاب، وأنزلت بالمدينة.

وقول أبي هريرة ومجاهد: إنَّ فاتحة الكتاب أنزلت بالمدينة، وَرَدَ مثله عن عطاء بن يساء والزهري، والصَّحيح أنَّها أُنزلت بمكَّة، وهو قول ابن عبَّاسٍ وقتادة وأبي العالية وجمهور العلماء. وقيل: إنَّها مكيَّة مدنيَّة، نزلت مرَّتين، مرة بمكة، ومرة بالمدينة، حكاه الثعلبيُّ، وجمع بعض العلماء بين هذه الآثار: بأنَّها نزلت بمكة بواسطة جبريل عليه السلام، ونزل فضلها بالمدينة بواسطة مَلَكٍ آخر كما سبق في حديث مسلمٍ، وبقيَّت أحاديث في فضلها سنذكرها في موضعها من هذا الكتاب بمشيئة الله تعالى.

سورة البقرة

أخرج مسلمٌ والترمذيُّ والنَّسائيُّ عن أبي هريرة أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقابِرَ، إنَّ الشَّيطانَ يَفِرُّ مِن البَيْتِ الذي تُقْرَأُ فيه (سورة البقرة)**» وأخرج ابن حِبَّان في "صحيحه" عن سهل بن سعدٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ لكُلِّ شيءٍ سَنَامًا، وإنَّ سَنَامَ القُرآنِ (سورة البقرة)، مَن قَرأها في بَيْتِهِ ليلًا لم يَدْخُلِ الشَّيطانُ بَيْتَهُ ثلاثَ ليالٍ، ومَن قَرَأها نهارًا لم يَدْخُلِ الشَّيطانُ بَيْتَهُ ثلاثةَ أيَّامٍ**».

وروىٰ الحاكم عن عبدالله بن مسعودٍ قال: «اقرأوا (سورة البقرة) في بيوتكم، فإنَّ الشَّيطان لا يدخل بيتًا يُقرأ فيه (سورة البقرة)»، صحَّحه الحاكم، ورواه أيضًا مرفوعًا بإسنادٍ حسنٍ.

وفي "مسند الدارمي" عن الشَّعْبيِّ قال: قال عبدالله -يعني ابن مسعودٍ-: من قرأ عشر آياتٍ من (سورة البقرة) في ليلةٍ لم يدخل البيتَ شيطانٌ تلك الليلة حتَّىٰ يُصبحَ، أربعًا مِن أوَّلها وآية الكرسي وآيتين بعدها، وثلاث خواتيمها أولها ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

قصة الصحابي الذي كان يقرأ (سورة البقرة) فنزلت الملائكة لسماعه

أخرج البخاريُّ تعليقًا، ومسلمٌ والنَّسائيُّ وأبو عبيد في "فضائل القرآن"، وابن حِبَّان في "صحيحه" عن أبي سعيدٍ الخدريِّ، عن أُسَيْد بن حُضَيرٍ رضي الله عنه قال: بينما هو يقرأ من الليل (سورة البقرة) وفرسه مَرْبُوطٌ عنده، إذ جالَتِ الفرسُ، فسَكَتَ فسَكَنَتْ، فقرأ فجالَتْ الفرسُ فسَكَتَ وسَكَنَتْ الفرسُ، ثُمَّ

قرأ فجالَتِ الفرسُ، فانصرفَ وكان ابنه يحيىٰ قريبًا منها فأشفق أنْ تُصيبَه، فلمَّا اجترَّه رفعَ رأسَهُ إلىٰ السَّماء فإذا هو بمثل الظُّلَّة فيها أمثال المصابيح عَرَجَتْ إلىٰ السَّماء حتىٰ ما يراها، فلمَّا أصبح حدَّث النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال له: «**اقْرَأْ يا ابن حُضَيْرٍ، اقْرَأْ يا ابن حُضَيْرٍ**» قال: فأشفقتُ يا رسول الله أنْ تطأ يحيىٰ وكان منها قريبًا، فانصرفت إليه، فرفعت رأسي إلىٰ السماء فإذا مثل الظلَّة فيها أمثال المصابيح، فعرجت حتىٰ لا أراها. قال: «**وتَدْري ما ذاك؟**» قال: لا. قال: «**تلك الملائكة دَنَتْ لصَوْتِكَ، ولو قرأتَ لأَصْبَحَتْ يَنْظُرُ النَّاسُ إليها لا تَتَوَارَى منهم**». وفي رواية ابن حِبَّان: «**تلك الملائكةُ تَنَزَّلَتْ لقَراءة (سورة البقرة)، أما إنَّك لو مَضَيْتَ لرأيتَ العجائب**». وقد ذكرت هذا الحديث في كتاب "الكرامات"، وبيَّنتُ بعض ما فيه من الفوائد.

قصة أخرى تُماثلها

قال أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب "فضائل القرآن": حدَّثنا عبَّاد بن عبَّاد، عن جرير بن حازم، عن عمِّه جرير بن يزيد، أنَّ أشياخ أهل المدينة حدَّثوه أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قيل له: ألم ترَ ثابتَ بن قيس بن شَمَّاسٍ، لم تزل داره البارحة تُزْهِرُ مَصابيح؟ قال: «**فلعلَّه قرأ (سورة البقرة)**». قال: فسئل ثابت؟ فقال: قرأتُ (سورة البقرة).

تأمير النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رجلًا لحِفْظِه (سورة البقرة)

أخرج الترمذيُّ وابن ماجه وابن حِبَّان في "الصحيح" عن أبي هريرة قال: بعثَ رسولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بَعْثًا، وهم ذوا عددٍ فاستقرأهم،

فاستقرأ كل رجلٍ منهم -يعني ما معه من القرآن- قال: فأتىٰ علىٰ رجلٍ من أحدثهم سِنًّا فقال: «**ما معك يا فلان؟**» قال: معي كذا وكذا و(سورة البقرة). فقال: «**أمعك (سورة البقرة)؟**» قال: نعم. قال: «**اذهب فأنت أميرهم**». فقال رجلٌ من أشرافهم: والله ما منعني أنْ أتعلَّم البقرة إلَّا خشية ألَّا أقوم بها. فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**تَعَلَّموا القُرآنَ واقْرَأوه فإنَّ مثل القُرآنِ لمن تَعَلَّمَهُ، فقَرَأَهُ كمَثَلِ جِرابٍ مُحْشُوٍّ مِسْكًا يَفُوحُ رِيحُهُ في كلِّ مكانٍ، ومَن تَعَلَّمَهُ فيَرْقُدُ وهو في جَوْفِهِ، فمَثَلُه كمَثَلِ جِرَابٍ أُوكِيَ على مِسْكٍ**». هذا لفظ الترمذيِّ وقال: «حديثٌ حسنٌ».

خواتيم (البقرة)

أخرج الترمذيُّ عن النُّعمان بن بشيرٍ عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ اللهَ كَتَبَ كِتابًا قَبْلَ أنْ يَخْلُقَ السَّماواتِ والأرضَ بألْفَيْ عامٍ، أنزلَ منه آيتين خَتَمَ بهما (سورة البقرة)، لا يُقْرَآنِ في دارٍ ثلاثَ ليالٍ فيَقْرَبُها شيطانٌ**».

قال الترمذيُّ: «حديثٌ حسنٌ غريبٌ».

ورواه النَّسائيُّ وابن حِبَّان والحاكم إلَّا أنَّ عنده: «**ولا يُقْرآنِ في بَيْتٍ فيَقْرَبُهُ شيطانٌ ثلاثَ ليالٍ**». ثمَّ قال: «صحيحٌ علىٰ شرط مسلمٍ».

وأخرج الحاكم بسندٍ علىٰ شرط مسلمٍ عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ اللهَ خَتَمَ (سورة البقرة) بآيتين أَعْطَانِيهما مِن كَنْزِه الذي تحتَ العَرْشِ، فتَعَلَّموهُنَّ وعَلِّمُوهُنَّ نِسائَكُمْ وأبناءَكُمْ، فإنَّهما صَلاةٌ وقُرآنٌ ودُعاءٌ**». ورواه أبو داود في

"مراسيله" عن جبير بن نفير مرسلًا.

وأخرج الشَّيخان وغيرهما عن أبي مسعود -عقبة بن عمرو الأنصاري البدري- رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ومَن قَرَأَ بالآيتين من آخر (سورة البقرة) في ليلةٍ كَفَتَاهُ**».

قوله «**كَفَتَاهُ**»: أي أجزأتا عنه من قيام الليل بالقرآن.

وقيل: «**كَفَتَاهُ**» عن قراءة القرآن مُطلقًا في الصَّلاة وفي غيرها.

وقيل: «**كَفَتَاهُ**» في الإيمان لاشتمالهما علىٰ الإيمان بالله والملائكة والكتب والرسل، والابتهال إلىٰ الله ودعائه، إلىٰ غير ذلك.

وقيل: «**كَفَتَاهُ**» شَرَّ الشَّيطانِ.

وقيل: «**كَفَتَاهُ**» شرَّ الإنسِ والجِنِّ.

وقيل: «**كَفَتَاهُ**» بثوابهما عن طلب شيءٍ آخر.

وقال الحافظ ابن حجرٍ: «يجوز أنْ يُراد جميع ما تقدَّم من المعاني».

قلت: وهو الظَّاهر.

آية الكرسي

أخرج مسلمٌ وأبو داود عن أُبيِّ بن كعبٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**يا أبا المُنذِرِ، أتدري أيُّ آيةٍ مِن كتابِ الله معك أَعْظَمُ؟**» قال: قلتُ: الله ورسوله أعلم، قال: «**يا أبا المُنذِرِ، أتدري أيُّ آيةٍ مِن كتابِ الله معك أَعْظَمُ؟**» قلتُ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، قال: فضربَ في صدري وقال: «**لِيَهْنِكَ العِلْمُ يا أبا المُنذِرِ**».

ورواه أحمد وابن أبي شيبة وزاد في روايته: «**والذي نَفْسي بيده إنَّ لهذه الآية**

لسانًا وشَفَتَيْنِ تُقدِّسُ المَلِك عند ساق العَرْشِ». وإسناد هذه الرِّواية صحيحٌ.

قصة الشيطان الذي كان يسرق من أبي هريرة

أخرج البخاريُّ وابن خزيمة عن أبي هريرة قال: وكَّلني رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آتٍ فجعل يحثو من الطعام فأخذته، فقلتُ: لأرفعنَّك إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: إنِّي مُحتاجٌ وعليَّ دينٌ وعِيال وليَ حاجةٌ شديدةٌ فخلَّيت عنه. فأصبحتُ، فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يا أبا هريرةَ، ما فعل أَسِيرُكَ البارِحَةَ؟**» قال: قلتُ: يا رسول الله شكا حاجةً شديدةً وعِيالًا، فرحمتُه فخلَّيت عنه، قال: «**أما إنَّه قد كَذَبَكَ وسيعودُ**»، فعرفتُ أنَّه سيعودُ لقول رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّه سيعودُ**»، فرصدته فجاء يحثو من الطَّعام فأخذتُه فقلت لأرفعنَّك إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، قال: دَعْني فإنِّي مُحتاجٌ وعليَّ مالٌ وليَ عيالٌ، لا أعودُ فرحمته فخلَّيتُ سبيله، فأصبحتُ فقال لي رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ما فعلَ أَسِيرُكَ البارِحَةَ؟**» قلتُ: يا رسول الله شكا حاجةً شديدةً وعِيالًا، فرحمتُه فخلَّيت سبيلَهُ، قال: «**أما إنَّه قد كَذَبَك وسيعودُ**»، فرصدته الثالثة فجعل يحثو من الطَّعام فأخذته فقلتُ: لأرفعنَّك إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وهذه آخر ثلاث مرات تزعم أنَّك لا تعود، قال: دَعْني أُعَلِّمُكَ كلماتٍ ينفعُك اللهُ بها. قلت: ما هي؟ قال: إذا أَوَيْتَ إلى فِراشِكَ فاقرأ آية الكرسيِّ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٦] حتى آخر الآية. وقال لي: لن يزالَ عليك من الله حافظٌ ولا يَقْرَبُكَ الشَّيطان حتى تُصبحَ، فخلَّيتُ سبيله، فأصبحتُ فقال لي رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ما فعلَ**

أَسِيرُكَ البارِحَةَ؟» فقلتُ يا رسول الله: إنَّه زَعَمَ أنَّه يُعَلِّمني كلماتٍ فينفعني الله بها، فخلَّيتُ سبيلَهُ، فقال: «ما هي؟» قلتُ: قال: إذا أَوَيْتَ إلىٰ فِراشِكَ فاقرأ آيةَ الكرسيِّ مِن أوَّلها حتىٰ تختم الآية، وقال: لن تزال عليك من الله حافظًا ولا يقربنَّك شيطانٌ حتىٰ تُصبحَ -وكانوا أحرص شيءٍ علىٰ الخير- فقال النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أما إنَّه قد صَدَقَكَ وهو كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَن تُخاطِبُ منذُ ثلاثَ ليالٍ يا أبا هريرة؟**» قال: لا، قال: «**ذاك شيطانٌ**».

ورواه النَّسائيُّ أيضًا، ووقع في روايته أنَّ أبا هريرة شكا أولًا إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ما وقع من سرقة الطعام ولم يجد السَّارق، فقال له: «**إنْ أردتَ أنْ تأخذه فقل: سبحان من سخَّرك لمُحمَّدٍ**» قال: فقلتها فإذا أنا به قائمٌ بين يديَّ فأخذتُه.

وقوله: «**صَدَقَكَ وهو كَذُوبٌ**» يعني: صدقك فيما ذكره عن «آية الكرسي»، وإنْ كان كذوبًا بطبيعته، وهذا كما جاء في المثل العربي: «قد يَصْدُقُ الكَذُوبُ».

قصة أخرى تشبهها

أخرج الترمذيُّ عن أبي أيوب الأنصاريِّ رضي الله عنه أنَّه كانت له سهوةٌ فيها تَـمْرٌ، وكانت تجيء الغولُ فتأخذ منه، قال: فشكا ذلك إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**اذهبْ فإذا رأيتها فقل: بسم الله أجيبي رسول الله**» قال: فأخذها فحلفت ألَّا تعود فأرسلها، فجاء إلىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**ما فعل أَسيركَ؟**» قال: حَلَفَتْ ألَّا تعودَ، قال: «**كَذَبَتْ وهي مُعاوِدَةٌ للكَذِبِ**»، قال: فأخذها مرَّة أخرىٰ فحَلَفَتْ ألَّا تعودَ، فأرسلها فجاء إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**ما فعل أَسيرُكَ؟**» قال: حَلَفَتْ ألَّا تعودَ،

فقال: «**كَذَبَتْ وهي مُعاوِدَةٌ للكَذِبِ**» فأخذها فقال: ما أنا بتاركك حتىٰ أذهب بك إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فقالت: إنِّي ذاكرةٌ لك شيئًا، «آية الكرسي»، اقرأها في بيتك فلا يقربك شيطانٌ ولا غيره، فجاء إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**ما فعل أسيرُك؟**» قال: فأخبره بما قالت، قال: «**صَدَقَتْ وهي كَذُوبٌ**». قال الترمذيُّ: «حديثٌ حسنٌ غريبٌ».

البقرة وآل عمران

أخرج مسلمٌ عن أبي أُمامة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**اقرأوا القرآنَ فإنَّه يأتي يومَ القِيامَةِ شَفِيعًا لأصحابه، اقرأوا الزَّهْرَاوَيْنِ: (البقرة) و(سورة آل عمران)، فإنَّهما يأتيانِ يومَ القِيامَةِ كأنهما غَمامَتان، أو كأنهما غَيايَتانِ، أو كأنهما فِرْقان مِن طَيْرٍ صَوَافَّ تُحاجَّان عن أصحابهما، اقرأوا (سورة البقرة) فإنَّ أخذَها بَرَكَةٌ وتَرْكَها حَسْرَةٌ، ولا تَسْتطيعُها البَطَلَةُ**».

«**الزَّهْرَاوَيْنِ**»: أي النيِّرتين إمَّا لهدايتهما قارئهما، أو لما يكون له من النور يوم القيامة بهما. «**الغمامة**»: السحابة. و«**الغياية**»: كلُّ ما أظلَّ الإنسان فوق رأسه من سحابٍ وغيره. «**فِرْقان**»: بكسر الفاء وسكون الراء وكسر النون، جماعتان من الطير. «**صَوَافَّ**» باسطة أجنحتها ملتصقة بعضها ببعض كما كانت تُظل سليمان عليه السلام. «**البَطَلَة**»: السَّحرة، كذا فسَّرها أحد رواة الحديث، وقيل: «**البطلة**» أهل البطالة والكسالىٰ.

قال عياض: «قيل المعنىٰ أنَّه قد يخلق الله تعالىٰ خَلْقًا من قراءته السورتين

على صفة الغمامة، أو جماعة الطير تحاجّ عنه يومَ القِيامَةِ، ويحتمل أنَّه مثل حراسة السورتين إيَّاه مِن حَرِّ الموقف، وكرب يوم القيامة».اهـ

وأخرج مسلمٌ والترمذيُّ عن النوَّاس بن سمعان الكلابي، سمعتُ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**يُؤتَى بالقُرآنِ يومَ القِيامَةِ وأَهْلُهُ الذين كانوا يَعْمَلون به تَقْدُمُهُ (سورة البقرة) و(آل عمران)**».وضربَ لهما رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ثلاثة أمثال ما نَسِيتُهنَّ بعدُ، قال: «**كأنهما غَمامَتان، أو ظُلَّتان سَوْدَاوَان بينهما شَرَقٌ، أو كأنهما فِرقان من طَيْرٍ صَوَافّ تُحاجَّان عن صاحِبهما**». قال الترمذيُّ: «حديثٌ حسنٌ غريبٌ».

«**سَوْدَاوَان**»: تثنية سوداء. وكانت الظُّلَّتان سوادوين لتكاثفهما وهو أقوى ما يكون من الإظلال.

«**شَرَق**» بفتح الشين والراء: الضوء وقد تسكن الراء.

لما قال: «**سوداوان**» يتوهَّم أنَّهما مظلمتان فرفع ذلك التوهم بقوله: «**بينهما شرق**» أي: يتخلَّلهما أضواء ولا يمحوانه.

«**تَقْدُمُه**»: أي القرآن، أي: يقدم ثوابهما القرآن، وقيل: «يُصوَّر القرآن صورةً تجيء يومَ القِيامَةِ ويراها النَّاسُ كما تجعل الأعمال صورًا، وتوضع في الميزان ويقع فيها الوزن، وقُدْرَةُ الله صالحةٌ لإيجاد كلِّ شيءٍ، والإيمان به واجبٌ، وفي تقدُّم السورتين على القرآن دليلٌ على أنَّهما أعظم من غيرهما؛ لأنَّهما أطول وأكثر أحكامًا».اهـ من "شرح" الأُبِّي.

آخر سورة آل عمران

أخرج ابن حِبَّان في "صحيحه" عن عبيد بن عمير أنَّه قال لعائشة رضي الله عنها: أخبرينا بأعجب شيءٍ رأيتيه مِن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، قال: فسكتت، ثمَّ قالت: لما كانت ليلة من الليالي، قال: «**يا عائشةُ، ذَرِيني أتعبَّدُ الليلةَ لرَبِّي**»، قالت: والله إنِّي لأحبُّ قُرْبَكَ، وأُحِبُّ ما يَسُرُكَ. قالت: فقام وتَطَهَّر ثمَّ قام يُصلِّي، قالت: فلم يزل يبكي حتى بلَّ حِجْرَهُ، قالت: وكان جالسًا فلم يزل يبكي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حتى بلَّ لِحْيَتَهُ، قالت: ثمَّ بكى حتى بلَّ الأرضَ، فجاء بلالٌ يُؤذِنُهُ بالصَّلاة، فلما رآه يبكي، قال: يا رسول الله تبكي وقد غَفَرَ اللهُ ما تقدَّم مِن ذنبك وما تأخَّر؟ قال: «**أفلا أكون عَبْدًا شَكُورًا، لقد أُنزلَتْ عَلَيَّ الليلةَ آيةٌ، ويلٌ لمن قرآها ولم يَتَفَكَّرْ فيها:** ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩٠] **الآية كلَّها**».

ورواه الديلميُّ عن عائشة مختصرًا ولفظه: «**ويلٌ لمن قَرَأ هذه الآيةَ ثُمَّ لم يتفكَّر فيها**». يعني: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾. وروى ابن أبي الدنيا عن سفيان يرفعه إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن قرأ آخِرَ (آل عمران) ولم يتفكَّر فيها، وَيْلُهُ**». فعَدَّ بأصابعه عشرًا، وهو مُعْضَلٌ.

سورة الكهف وآيات منها

أخرج مسلمٌ عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن حَفِظَ عَشْرَ آياتٍ مِن أوَّل (سورة الكهف) عُصِمَ مِن الدَّجَّالِ**». ورواه أبو داود والنَّسائيُّ أيضًا.

وفي روايةٍ للنَّسائيِّ: «**مَن قَرَأَ العَشْرَ الأواخِرَ مِن (سورة الكهف)، عُصِمَ مِن فِتنة الدَّجَّالِ**».

ورواه الترمذيُّ ولفظ روايته: «**مَن قرأ ثلاث آياتٍ مِن أوَّلِ (الكهف) عُصِمَ مِن فِتنة الدَّجَّال**».

وفي "صحيح مسلم" من حديث النوَّاس بن سمعان: «**فمن أدركه -يعني الدَّجَّال- فليقرأ عليه فواتح (سورة الكهف)**».

قال عياض رحمه الله: «سبب ذلك ما في أوَّلها مِن العجائب مَن تدبَّره لم يستغرب أمر الدَّجَّال فلا يُفتتن به، وكذلك ما في آخِرها من قوله تعالىٰ: ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ [الكهف: ١٠٢] الآية. وقيل: خاصية لها.

وقد جاء: من حفظ (سورة الكهف) ثمَّ أدرك الدجَّال لم يُسلَّط عليه».اهـ

وقال الأُبِّي رحمه الله: «التعريف في الدَّجَّال للعهد وهو الذي يخرج آخر الزمان، وقيل: يجوز أنْ تكون للجنس؛ لأنَّ الدجَّال من يكثر منه الكذب والتلبيس، وفي الحديث: «**يكونُ في آخِرِ الزَّمانِ دَجَّالون كذَّابون مُموِّهُون**». وقيل: كما عَصَمَ اللهُ أولئك الفِتية من ذلك الجبَّار كذلك يعصم قارئها من كلِّ جبَّارٍ، ولا يحتج بالحديث علىٰ جواز الدُّعاء بالعصمة؛ لأنَّه لا يمتنع الدعاء بها من نوعٍ معينٍ، نحو «اللَّهم اعصمني من الزِّنا»، وإنَّما النَّظر في الدُّعاء بها مطلقًا، وليس في الحديث، وإنما يمتنع الدُّعاء بها؛ لأنَّ العصمة عند المتكلِّمين عدم خَلْقِ القُدْرَة علىٰ المعصية، وهو مختصٌّ بالأنبياءعليهم السَّلام».اهـ

قلت: ولا يجوز إطلاق العصمة علىٰ الله تعالىٰ، فلا يصح أنْ يقال: العِصمة لله تعالىٰ كما يقوله كثيرٌ من النَّاس خطأ منهم، وإنما يُقال: الكمال لله تعالىٰ

والعِصمة لأنبيائه.

وأخرج الحاكم في "المستدرك" عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن قَرَأ (الكهف) كما أُنزلَتْ، كانت له نورًا يومَ القِيامَةِ مِن مَقامِهِ إلى مكَّةَ، ومَن قرأ عشرَ آياتٍ مِن آخِرها ثمَّ خرجَ الدَّجَّال لم يُسَلَّط عليه، ومَن توضَّأ ثمَّ قال: سبحانكَ اللهمَّ وبحَمْدِكَ لا إله إلَّا أنتَ أستغفرُكَ وأتوبُ إليكَ، كُتبَ في رَقٍّ ثمَّ طُبع بطابعٍ فلم يُكسَرْ إلى يومِ القيامَةِ**». ورواه الطبرانيُّ في "الأوسط" ورجاله رجال الصَّحيح.

«**الرَّق**» بفتح الراء: ما يكتب فيه من ورقٍ ونحوه.

وروى أحمد والطبرانيُّ عن معاذ بن أنسٍ، عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن قرأَ أوَّلَ (سورة الكهف) وآخِرَها، كانت له نُورًا مِن قَدَمِهِ إلى رأسِهِ، ومَن قرأها كلَّها كانت له نورًا ما بين الأرضِ إلى السَّماءِ**».

قراءة سورة الكهف ليلة الجمعة ويومها

أخرج النَّسائيُّ والبيهقيُّ عن أبي سعيدٍ الخدريِّ أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن قرأَ (سورة الكهف) في يومِ الجُمُعَةِ أضاءَ له مِن النُّورِ ما بين الجُمُعتين**».

ورواه الدَّارميُّ موقوفًا على أبي سعيدٍ ولفظ روايته: «**مَن قرأ (سورة الكهف) ليلةَ الجُمُعَةِ أضاءَ له من النور ما بينه وبين البيتِ العَتيقِ**».

وأخرج ابن مَرْدُويَه في "تفسيره" بإسنادٍ لا بأس به عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن قرأ (سورة الكهف)**

في يومِ الجُمُعةِ سَطَعَ له نورٌ مِن تحت قَدَمِهِ إلى عَنانِ السَّماءِ، يُضيء له يومَ القِيامَةِ، وغُفر له ما بين الجُمُعتين». «**عَنان**» بفتح العين، سحاب.

والأحاديث في هذا كثيرةٌ، ولأجلها أمر مولانا الوالد رضي الله عنه جميع الإخوان بقراءة الكهف يوم الجمعة وليلتها، واتخاذها من ضمن وظائف الطريق.

قصة الرجل الذي كان يقرأ الكهف فنزلت الملائكة لسماعه

أخرج البخاريُّ والترمذيُّ عن البراء بن عازبٍ رضي الله عنه قال: كان رجلٌ يقرأ (سورة الكهف) وإلى جانبه حصانٌ مربوطٌ بشَطَنين، فغشتْه سحابةٌ فجعلت تَدْنُو، وجعل فرسه ينْفِرُ فلمَّا أصبحَ أتى النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فذكر ذلك له. فقال: «**تِلْكَ السَّكِينَةُ تَنزَّلتْ بالقُرآنِ**». ورواه أبو داود الطيالسيُّ ولفظ روايته: «**تلك السَّكينة تنزَّلَتْ للقرآنِ**»، أو «**تنزَّلَتْ على القرآنِ**».

«**الشَطَن**» بفتح الشين والطاء: هو الحبل الذي تُربط به الدابَّة.

وأمَّا «**السَّكِينة**» بفتح السين وكسر الكاف: فتكرَّرت في القرآن والحديث، واختلف في معناها على أقوالٍ حكاها الحافظ في "فتح الباري".

الأول: أنَّها ريحٌ هفَّافةٌ لها وجهٌ كوجه الإنسان، وقيل: لها رأسان، وقيل: لها رأس كرأس الهر، وقيل: لعينها شعاع.

الثاني: أنَّها طست من ذهب الجنَّة يغسل فيها قلوب الأنبياء، قاله السُّدِّيُّ.

الثالث: هي التي ألقى فيها موسى الألواح والتوراة والعصا. قاله أبو مالك.

الرابع: هي روح من الله، قاله وهب بن مُنبِّه.

الخامس: هي الرحمة، قاله الضَّحَّاك بن مزاحم.

السادس: هي سكون القلب، واختاره الطبريُّ.

السابع: هي الطمأنينة.

الثامن: هي الوقار.

التاسع: هي الملائكة.

العاشر: قال النوويُّ: «المختار أنَّها شيءٌ من المخلوقات فيه طمأنينة ورحمة ومعه الملائكة».

خاتمة الكهف

ذكر الثعلبيُّ عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما أنَّ رجلًا قال له: إني أضمر أنْ أقوم ساعة من اللَّيل فيغلبني النَّومُ. فقال: إذا أردتَ أنْ تقومَ أي ساعة شئتَ من الليل فاقرأ إذا أخذت مضجعك: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى﴾ [الكهف: ١٠٩]، إلى آخر السورة، فإنَّ الله يُوقِظُك متى شئتَ مِن الليل.

وروى الدَّارميُّ عن زِرِّ بن حُبيشٍ قال: من قرأ آخر (سورة الكهف) لساعةٍ يريد أنْ يقوم من اللَّيل قامها، قال: فجرَّبناه فوجدناه كذلك.

قلت: عَلَّمنا مولانا الوالد رضي الله عنه قراءة آخر الكهف من أول ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ﴾ [الكهف: ١٠٧]، الآية.

ولقَّننا دعاء نقوله بعدها وهو: «اللَّهمَّ لا تُؤمِنَّا مَكْرَكَ، ولا تُنسنا ذِكْرَكَ، ولا تَكْشِفْ عَنَّا سِتْرَكَ، ولا تجعلنا من الغافلين، اللَّهمَّ أيقظنا في أحب السَّاعات إليك، حتَّى نذكركَ فتذكرنا، ونسألُكَ فتُعطينا، وندعوك فتستجيب لنا، ونستغفرك فتغفر لنا، إنَّك على كلِّ شيءٍ قديرٌ». فكنَّا نقرأ الآية والدعاء

فنستيقظ في الوقت الذي نريده.

سورة طه

أخرج الدَّارمي وابن خزيمة والطبرانيُّ في "الأوسط" والبيهقيُّ وأبو نصر الوايلي في "الإبانة" عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ الله تعالى قرأ (طه) و(يس) قبل أنْ يَخْلُقَ آدمَ بألْفَيْ عامٍ، فلمَّا سَمِعَتِ الملائكةُ القرآنَ قالت: طُوبَى لأمَّةٍ يَنْزِلُ عليها هذا، وطُوبَى لأجوافٍ تَحْمِلُ هذا، وطُوبَى لألْسِنَةٍ تتكَلَّم بهذا**». ولفظ رواية الوايلي: «**إنَّ الله تعالى قرأ (طه) و(يس) قبل أنْ يخلق السَّماواتِ والأرضَ بألْفَي عامٍ ...**»الحديث.

قال الوايلي: «هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ، ومخرجه من المدينة». وأورده ابن الجوزي في "الموضوعات"، وتعقَّبه الحافظ ابن حجرٍ.

وأخرج أبو نصر الوايلي من طريق هشام بن عروة عن أبيه قال: قالت عائشة أمُّ المؤمنين رضي الله عنها: أول سورة تعلَّمت من القرآن كلها بأسرها (طه)، فكنت إذا قرأتها عند رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقلت: ﴿مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾ [طه: ٢]، قال: «**لا شقيت يا عائشة**». قال الوايلي: «هذا حديثٌ غريبٌ شاميُّ الطريق حسنٌ».

سورة الأنبياء

أخرج أبو داود والترمذيُّ عن سعد بن أبي وقَّاص رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**دُعاءُ ذي النُّونِ في بَطْنِ الحوتِ** ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] **لم يَدْعُ اللهَ به**

رجلٌ مسلمٌ قطُّ في شيءٍ إلَّا اسْتُجيبَ له». ورواه أحمد مُطوَّلًا بذكر قصَّة في أوَّله وإسناده صحيحٌ.

سورة المؤمنون

أخرج أحمد والترمذيُّ والحاكم عن عمر رضي الله عنه عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لقد أُنزِلَتْ عليَّ عَشْرُ آياتٍ من أقامَهُنَّ دَخَلَ الجنَّةَ:** ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١] الآيات».

خاتمتها

أخرج أبو يعلى وابن أبي حاتم في "التفسير" وأبو نعيم في "الحلية" وأبو نصر الوايلي في "الإبانة" عن عبدالله بن مسعودٍ رضي الله عنه، أنَّه قرأ في أذن مُبتلى فأفاق، فقال له رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ما قرأتَ في أذنه؟**»، قال: قرأت ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥] حتى فرغ من السورة، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**والذي نَفْسي بيَدِهِ لو أنَّ رَجُلًا مُوقِنًا قرأ بها على جَبَلٍ لزالَ**». قال الحافظ الهيثميُّ: «فيه ابن لَهيعة، وفيه ضعفٌ وحديثه حسنٌ، وبقيَّة رجاله رجال الصحيح».اهـ

سورة الروم

أخرج أبو داود عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن قالَ حين يُصْبِحُ:** ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ [الروم: ١٧] **إلى قوله:** ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الروم: ١٩] **أدرك ما فاته**

مِن يَوْمِهِ ذلك، ومَن قالها حين يُمسي أدرك ما فاته في لَيْلَتِهِ».

سور السجدة

ثبت في "الصحيحين" عن ابن عبَّاسٍ عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «أنَّه كان يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة، ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [السجدة: ١-٢] و﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ [الإنسان: ١]».

وأخرج الدَّارميُّ والترمذيُّ عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: «كان النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لا ينام حتىٰ يقرأ ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، و﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]».

وروىٰ الدارميُّ عن خالد بن معدان قال: اقرأوا المُنجِية. وهي ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ (السجدة)، فإنَّه بلغني أنَّ رجلًا كان يقرأها ما يقرأ شيئًا غيرها، وكان كثير الخطايا، فنشرت جناحها عليه وقالت: ربِّ اغفر له فإنَّه كان يُكثر قراءتي، فشفَّعها الربُّ فيه، وقال: «اكتبوا له بكلِّ خطيئةٍ حسنةٍ، وارفعوا له درجةً».

سورة يس

أخرج أحمد وأبو داود والنَّسائيُّ واللَّفظ له وابن ماجه عن معقل بن يسارٍ رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**قَلْبُ القُرآنِ (يس)، لا يقرأها رجلٌ يريدُ اللهَ والدَّارَ الآخِرَةَ إلَّا غَفَرَاللهُ له، اقرءُوها على مَوْتاكُمْ**»، صحَّحه الحاكم. وأخرج مالكٌ وابن السنِّي عن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن قرأ (يس) في ليلةٍ ابتغاءَ**

وَجْهِ الله غُفرَ له». صحَّحه ابن حِبَّان.

ورواه الدَّارميُّ وأبو نعيمٍ من حديث أبي هريرة بلفظ: «مَن قرأ (سورة يس) في ليلةٍ ابتغاءَ وَجْهِ الله غُفِرَ له في تلك الليلةِ».

وروى الترمذيُّ بإسنادٍ ضعيفٍ عن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «إنَّ لكلِّ شيءٍ قَلْبًا، وقَلْبُ القرآنِ (يس)، ومَن قرأ (يس) كتبَ اللهُ له بقراءتها قراءةَ القُرآن عشر مرَّاتٍ». زاد في روايةٍ: «دون (يس)».

وأخرج أبو نصر السجزيُّ في "الإبانة" عن عائشة رضي الله عنها عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «القرآنُ أفضلُ مِن كلِّ شيءٍ دون الله، وفَضْلُ القرآنِ على سائر الكلامِ كفضل الله على خَلْقِهِ، فمَن وَقَّرَ القرآنُ فقد وَقَّرَ اللهَ، ومَن لم يُوَقِّرِ القُرآنَ فقد استخفَّ بحقِّ الله، وحُرْمَةُ القرآنِ عند الله كحُرْمَةِ الوالِدِ على وَلَدِهِ، والقرآنُ شافِعٌ مُشَفَّعٌ، وماحِل مُصَدَّقٌ، فمَن شفعَ له القرآنُ شفع، ومن محل به القرآن صَدَقَ، ومن جعل القرآنَ أمَامَهُ قادَهُ إلى الجنَّةِ، ومَن جعله خَلْفَهُ ساقَهُ إلى النَّارِ، حَمَلَةُ القرآنِ هم المَحْفُوفُونَ برحمة الله تعالى، المُلْبَسُونَ نورَ الله، المُتعَلِّمون كلام الله، مَن عاداهم فقد عادَى اللهَ، ومَن والاهم فقد والَى اللهَ، يقول الله عزَّ وجلَّ: يا حَمَلَةَ كتابِ الله، استجيبوا لله بتوقِير كتابه، يَزِدْكُم حُبًّا، ويُحبِّبكم إلى خَلْقِهِ، يُدفَعُ عن مُستمِعِ القرآنِ سوءَ الدُّنيا، ويُدفَعُ عن تالي القرآن بَلْوَى الآخِرةِ، ولمستمع آية من كتاب الله خيرٌ له من صبيرٍ ذهبًا، وتالي آية من كتاب الله خيرٌ له مما تحت أديم السَّماء، وإنَّ في القرآن لسورة تُدعَى العظيمة عند الله تعالى، يدعى صاحبها: الشَّريف عند الله،

تشفع لصاحبها يومَ القيامَةِ في أكثر من ربيعة ومُضَر، وهي (يس)». قال أبو نصر السجزيُّ: «هذا مِن أحسن الحديث، وأغربه، وليس في إسناده إلَّا مقبول ثقةٌ».اهـ ورواه الحكيم الترمذيُّ عن محمَّد بن عليٍّ مرسلًا.

ورواه الحاكم في "التاريخ" عن محمَّد بن الحنفية عن عليٍّ عليه السلام موصولًا.

وفي "مسند الدارمي" عن شَهْرِ بن حَوْشَبٍ قال ابن عبَّاس: «مَن قرأ (يس) حين أصبح أُعطيَ يُسْرَ يومِهِ حتَّىٰ يُمسي، ومن قرأها في ليلةٍ أُعطِيَ يُسْرَ ليلته حتَّىٰ يُصبحَ».

قلت: حديث «(يس) لما قُرأتْ له» لا أصل له، وإنْ كان جماعةٌ مِن الصَّالحين جرَّبوها لقضاء الحوائج. وفي "مسند الدارمي" عن عطاء بن أبي رباح بلاغًا: «مَن قرأ (يس) صَدْرَ النَّهارِ قُضيتْ حَوائِجُهُ».

وروىٰ البيهقيُّ عن أبي قِلابة -بكسر القاف-: «من قرأ يس غُفِرَ له، ومن قرأها وهو ضالٌّ هُدي، ومن قرأها وله ضالَّةٌ وجدها، ومَن قرأها عند طعامٍ خاف قلَّته كَفَاهُ، ومَن قرأها عند مَيِّتٍ هُوِّن عليه، ومَن قرأها عند امرأةٍ عسر عليها وِلْدُها يُسِّر عليها، ومَن قرأها فكأنما قرأ القرآن إحدىٰ عشر مرَّة، ولكلِّ شيءٍ قلبٌ وقلبُ القرآن (يس)».

وذكر ابن إسحاق في هجرة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ومقام عليٍّ عليه السلام في فراشه، قال: «وخرج رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فأخذ حِفْنةً من ترابٍ في يده، وأخذ الله علىٰ أبصارهم فلا يرونه فجعل ينثر ذلك التراب علىٰ رؤوسهم وهو يتلو هذه الآيات: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ

﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [يس: ١ – ٣] حتىٰ بلغ ﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [يس: ٩]، حتىٰ فرغ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من هؤلاء الآيات، ولم يبقَ رجلٌ منهم إلَّا وقد وَضَعَ علىٰ رأسه ترابٌ، ثمَّ انصرفَ إلىٰ حيث أراد».

سورة الصافَّات

أخرج الثعلبيُّ وعبدالغافر الفارسي بسندٍ ضعيفٍ، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم غير مرَّةٍ ولا مرتين يقول في آخر صلاةٍ، أو حين ينصرف ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الصافات: ١٨٠ – ١٨٢].

سورة الزمر

أخرج الترمذيُّ عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لا ينام حتىٰ يقرأ (الزمر) و(بني إسرائيل)، وقال سعيد بن جبيرٍ: إنِّي لأعرف موضع آيةٍ ما قرأها أحدٌ قطُّ فسأل الله شيئًا إلَّا أعطاه ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [الزمر: ٤٦].

الحواميم

أخرج الحاكم عن ابن مسعودٍ قال: «الحواميم ديباج القرآن».

ورواه أبو الشَّيخ ابن حَيَّان في كتاب "الثواب" عن أنسٍ مرفوعًا، وروىٰ ابن مَرْدُويَه عن سمرة مرفوعًا: «**الحواميم روضةٌ مِن رياضِ الجنَّةِ**».

وروىٰ الدارميُّ عن سعد بن إبراهيم قال: «كنَّ الحواميمُ يُسمَّينَ العَرائِسَ».

وروىٰ أبو عبيد عن محمَّد بن قيس قال: رأىٰ رجلٌ سبع جوارٍ حسانٍ مريشات في النوم، فقال: لمن أنتنَّ بارك الله فيكنَّ؟ فقلنَّ: نحن لمن قرأنا، نحن الحواميم.

وروىٰ حميد بن زنجويه في "فضائل القرآن" عن ابن مسعودٍ قال: «إنَّ مثل القرآن كمثل رجلٍ انطلق يرتاد لأهله منزلًا فمرَّ بأثر غيثٍ، فبينما هو يسير فيه ويتعجَّب منه إذْ هبط علىٰ روضات دمثات، فقال: عجبتُ من الغيث الأول فهذا أعجب وأعجب، فقيل له: إنَّ مثل الغيث الأول مثل عظم القرآن -يعني معظم القرآن- وإنَّ مثل هؤلاء الروضات الدمثات مثل آل ﴿حمٓ﴾ في القرآن.

وروىٰ أبو عبيد عن ابن عبَّاس قال: إنَّ لكلِّ شيءٍ لُبابًا، ولباب القرآن آل ﴿حمٓ﴾، أو قال: الحواميم.

وروىٰ أبو داود والترمذيُّ عن المهلَّب بن أبي صفرة قال: حدَّثني من سمع رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول -يعني في بعض الغزوات-: «**إنْ بيَّتم الليلة فقولوا: ﴿حمٓ﴾ لا ينصرون**».

تنبيهٌ: كره بعض السَّلف -منهم محمَّد بن سيرين- أنْ يُقال: الحواميم، وإنما يقال: آل ﴿حمٓ﴾، وأجازه الجمهور، وهو الصَّحيح.

سورة المؤمن وهي سورة غافر

روىٰ الترمذيُّ والبزَّار عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن قرأ آيةَ الكرسيِّ، وأوَّل ﴿حمٓ﴾ (المؤمن) عُصِمَ ذلك اليوم مِن كلِّ سُوءٍ**».

ورواه أبو نصر الوايلي بلفظ: «**من قرأ آية الكرسي، وأول ﴿حمٓ﴾ (المؤمن) حين يُصبح، حُفظ في يومه ذلك حتى يُمسي، ومن قرأها حين يُمسي، حُفظ في ليلته حتى يُصبحَ**».

وأول (المؤمن) هو: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [غافر: ١ – ٣].

وروىٰ ابن أبي حاتمٍ عن ثابتٍ البُنانيِّ قال: كنتُ مع مصعب بن الزبير في سواد الكوفة فدخلتُ حائطًا أُصلِّي ركعتين فافتتحت ﴿حمٓ﴾ (المؤمن) حتىٰ بلغتُ: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ فإذا رجلٌ خلفي علىٰ بغلةٍ شهباء عليه مُقطَّعاتٌ يَمَنيَّة، فقال: إذا قلت: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾، فقل: يا غافر الذنب اغفر لي ذنبي، وإذا قلت: ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾، فقل: يا قابل التوب اقبل توبتي، وإذا قلت: ﴿شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾، فقل: يا شديد العقاب لا تعاقبني، قال فالتفتُّ فلم أرَ أحدًا فخرجت إلىٰ الباب فقلت مرَّ بكم رجلٌ عليه مقطعات يمنيَّة؟ قالوا: ما رأينا أحدًا، فكانوا يرون أنَّه إلياس.

سورة الدخان

أخرج الترمذيُّ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**من قرأ ﴿حمٓ﴾ (الدخان) في ليلةٍ أصبحَ يَسْتَغْفِرْ له سبعون ألفَ مَلَكٍ**».

قال الترمذيُّ: «حديثٌ غريبٌ».

وروىٰ الطبرانيُّ والأصبهانيُّ عن أبي أُمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**من قرأ ﴿حمٓ﴾ (الدخان) في ليلة الجمعة أو يوم الجمعة بنى الله له بيتًا في الجنَّةِ**». ورواه الترمذيُّ من حديث الحسن البصريِّ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**من قرأ ﴿حمٓ﴾ (الدخان) في ليلة الجمعة غُفرَ له**». ثمَّ قال: «غريبٌ، وهشام أبو المقداد يُضعَّف، والحسن لم يسمع من أبي هريرة».اهـ

قلت: للحديث طريقٌ آخر، قال أبو يعلىٰ حدَّثنا إسحاق بن أبي إسرائيل: حدَّثنا حجَّاج بن محمَّد عن هشام بن زياد، عن الحسن قال: سمعتُ أبا هريرة يقول: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن قرأ (يس) في ليلةٍ أصبح مَغْفُورًا له، ومَن قرأ ﴿حمٓ﴾ التي يذكر فيها (الدخان) أصبح مَغْفُورًا له**». هذا إسنادٌ جيِّدٌ كما قال الحافظ ابن كثيرٍ، وفيه التصريح بسماع الحسن من أبي هريرة، وهو يرد أيضًا قول ابن العربي المعافري في "سراج المريدين": «﴿حمٓ﴾ (الدخان) حديثها مُنكَرٌ لا يلتفت إليه أحدٌ أصلًا».اهـ

وفي "مسند الدارمي" عن أبي رافعٍ قال: «من قرأ (الدخان) في ليلة الجمعة أصبح مغفورًا له، وزُوِّج مِن الحُور العِين».

سورة الفتح

روىٰ الأئمَّة مالكٌ وأحمد والبخاريُّ والترمذيُّ والنَّسائيُّ عن عمر رضي الله عنه قال: كنَّا مع رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في سَفَرٍ، فقال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**نَزَلَ عليَّ البارحَةَ سورةٌ هي أحبُّ إليَّ مِن الدُّنيا وما فيها** ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ١ – ٢]».

وروىٰ أحمد والشيخان عن أنسٍ قال: نزلت علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ مرجعه من الحديبية، فقال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لقد أُنزلَتْ عَلَيَّ الليلةَ آيةٌ أحبُّ إليَّ ممَّا على الأرض**». ثُمَّ قرأها عليهم النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فقالوا: هنيئًا مريئًا يا نبيَّ الله، بيَّن الله عزَّ وجلَّ ما يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فنزلت ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ حتىٰ بلغ ﴿فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٥].

قلت: يؤخذ من هذا الحديث جواز التهنئة بما يتجدَّد علىٰ الإنسان مِن نِعَمِ الله وأفضاله.

سورة الرحمن

أخرج البيهقيُّ عن عليٍّ عليه السلام أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لكلِّ شيءٍ عروسٌ وعروس القرآن (سورة الرحمن)**».

وأخرج الترمذيُّ عن جابرٍ رضي الله عنه قال: خرج رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ أصحابه فقرأ عليهم (سورة الرحمن) من أوَّلها إلىٰ آخرها فسكتوا، فقال: «**لقد قرأتها على الجِنِّ -ليلة الجنِّ- فكانوا أحسن منكم رَدًّا،**

كلما أتيتُ على قوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، قالوا: ولا بشيءٍ مِن نِعَمِكَ رَبَّنا نُكَذِّبُ، فلك الحمدُ». ضعَّفه الترمذيُّ، لكن بيَّنتُ صِحَّته في كتاب "الأربعين الغمارية".

سورة الواقعة

أخرج الترمذيُّ عن أبي بكرٍ رضي الله عنه قال: يا رسول الله قد شِبْتَ؟! قال: «شَيَّبتني (هودٌ)، و(الواقِعَةُ)، و(المُرسلات)، و ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾، و ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾». قال الترمذيُّ: «حسنٌ غريبٌ».

ورواه الطبرانيُّ عن أبي بكرٍ أيضًا ولفظه: قلت يا رسول الله: لقد أسرع إليك الشَّيْبُ، قال: «شَيَّبتني (الواقعة)، و﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾، و﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾» ورجال إسناده رجال "الصحيح".

وللعلَّامة الشَّيخ عبدالعزيز الزمزمي رسالة اسمها "فيض الجود على حديث شيَّبتني هود" وهي مطبوعةٌ مع تعليقاتي عليها.

وقال مسروق: «مَن سرَّه أنْ يعلم علم الأولين والآخرين، وعلم الدنيا والآخرة، فليقرأ (سورة الواقعة)».

وروى ابن عساكر في "تاريخ دمشق" عن أبي ظبية قال: مرض عبدالله – يعني ابن مسعودٍ– مرضه الذي توفِّي فيه، فعاده عثمان بن عفَّان رضي الله عنه، فقال: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي. قال: فما تشتهي؟ قال: رحمة ربِّي. قال: ألا آمر لك بطبيبٍ؟ قال: الطبيبُ أمرضني، قال: ألا آمر لك بعطاءٍ؟ قال: لا حاجة لي فيه، قال: يكون لبناتك من بعدك، قال: أتخشى على بناتي الفقر؟ إني أمرت بناتي

يقرأن كلَّ ليلةٍ (سورة الواقعة)، وإنِّي سمعتُ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**مَن قرأ (سورة الواقعة) كلَّ ليلةٍ لم تُصِبْهُ فاقةٌ أبدًا**».

وقال عبدالله بن وهبٍ: أخبرني السري بن يحيى أنَّ شجاعًا حدَّثه عن أبي ظبية عن عبدالله بن مسعودٍ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**مَن قرأ (سورة الواقعة) كلَّ ليلةٍ لم تُصِبْهُ فاقةٌ أبدًا**». فكان أبو ظبية لا يدعها. وللحديث طرقٌ ذكرها ابن عساكر، وفي أسانيده كلامٌ ليس هذا محلُّ بسطه.

المُسبِّحات

أخرج أبو داود والترمذيُّ واللَّفظ له، وأحمد عن العِرْباضَ بن سارية رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان لا ينامُ حتَّى يقرأ المُسبِّحات، ويقول: «**فيها آيةٌ خيرٌ مِن ألفِ آيةٍ**».

يعني بـ«**المُسبِّحات**»: (الحديد) و(الحشر) و(الصفِّ) و(الجمعة) و(التغابن).

قال الترمذيُّ: «حديثٌ حسنٌ غريبٌ». ورواه النَّسائيُّ موصولًا ومُرسلًا.

قال الحافظ ابن كثيرٍ: «والآية المُشار إليها في الحديث هي قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]». اهـ

سورة الحشر

أخرج أحمد والترمذيُّ عن مَعْقِل بن يَسارٍ رضي الله عنه عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن قالَ حين يُصبحُ ثلاث مرَّاتٍ: أعوذُ بالله السَّميع العليمِ من الشَّيطانِ الرَّجيم، ثُمَّ قرأ ثلاث آياتٍ من آخر (سورة الحشر)، وكَّلَ اللهُ به سبعين ألفَ مَلَكٍ يُصلُّون عليه حتَّى يُمسي، وإنْ مات في ذلك اليومِ**

ماتَ شهيدًا، ومَن قالها حين يُمْسِي كان بتلك المَنْزِلَةِ».

قال الترمذيُّ: «حديثٌ غريبٌ».

وروى ابن عديٍّ والبيهقيُّ عن أبي أُمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن قرأ خَوَاتِيمَ (سورة الحشر) في ليلٍ أو نهارٍ فقَبَضَهُ اللهُ تعالى في تلك الليلةِ أو في ذلك اليومِ، فقد أوجبَ اللهُ له الجنَّةَ**». وهو حديثٌ ضعيفٌ أيضًا، وخواتيم (الحشر) هي قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا﴾ [الحشر: ٢١] إلى آخر السورة.

سورة الطلاق

أخرج أحمد والنَّسائي وابن حِبَّان والحاكم عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه، أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال له: «**يا أبا ذرٍّ إنِّي لأَعْرِفُ آيةً لو أنَّ النَّاس كلَّهم أَخَذُو بها لكَفَتْهُم: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾** [الطلاق: ٢ – ٣]».

سورة تبارك

أخرج أحمد وأبو داود والترمذيُّ والنَّسائيُ وابن ماجه عن أبي هريرة أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ سورةً في القُرآن ثلاثون آيةً شَفَعَتْ لرَجُلٍ حتَّى غُفِرَ له، وهي ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾**». حسَّنه الترمذيُّ، وصحَّحه ابن حِبَّان والحاكم. وأخرج الحاكم عن ابن عبَّاس قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**وَدِدْتُ أنَّها في قَلْبِ كُلِّ مُؤمِنٍ**» يعني: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾.

قصة الرجل الذي سمع الميت يقرأها

أخرج الترمذيُّ وابن عديٍّ والبيهقيُّ عن ابن عبَّاسٍ قال: ضَرَبَ رجلٌ من أصحاب رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم خِبَاءَهُ علىٰ قبرٍ، وهو لا يَحسِبُ أنَّه قبرٌ، فإذا قبر إنسان يقرأ (سورة الملك) حتىٰ ختمها. فأتىٰ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: يا رسول الله ضربتُ خِبائي علىٰ قبرٍ وأنا لا أَحْسِبُ أنَّه قبرٌ، وإذا قبر إنسانٍ يقرأ (سورة الملك) حتَّىٰ ختمها. فقال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**هي المَانِعَةُ هي المُنْجِيَةُ تُنْجِيهِ مِن عَذَابِ القَبْرِ**». قال الترمذيُّ: «حديثٌ غريبٌ»، وفي بعض النسخ: «حسنٌ غريبٌ».

وزعم بعض الوهَّابية أنَّ هذا الحديث موضوعٌ، فبيَّنت خطأه في كتاب "الرد المحكم المتين علىٰ كتاب القول المبين".

سورة ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ وما يذكر فيها

أخرج أحمد والترمذيُّ والطبرانيُّ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن سَرَّهُ أنْ يَنْظُرَ إلى يومِ القِيامَةِ كأنَّه رَأْيُ عَيْنٍ فليَقْرَأْ** ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾، و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾». صحَّحه الحاكم.

وتقدَّم حديث: «**شَيَّبَتْنِي (هود)، و(الواقِعَة)، و(المُرسلات)**، و﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾، و﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾».

سورة ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾

أخرج الطبرانيُّ بإسنادٍ صحيحٍ عن أبي رجاء العطارديِّ قال: كان أبو موسىٰ يُقرئنا، فيُجلسنا حِلَقًا حِلَقًا، عليه ثوبان أبيضان، فإذا قرأ هذه السورة ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾، قال: هذه الآية أوَّلُ سورةٍ أُنزلت علىٰ محمَّدٍ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

سورة ﴿لَمۡ يَكُنِ﴾

أخرج الشيخان عن أنس بن مالكٍ أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال لأُبيٍّ: «إنَّ الله أمرني أنْ أقرأ عليك ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾» قال: وسَمَّاني لك؟ قال: «نعم»، قال: فبَكَىٰ.

قال المازري: «قِراءتُه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علي أُبيٍّ -بضم الهمزة- إنما هي ليأخذ أُبيٌّ عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وليتعلَّم الأداء».اهـ

وقال عياض: «بكىٰ أُبيٌّ فرحًا بتسمية الله تعالىٰ إيَّاه، وتأهيله لهذه الدرجة العالية».اهـ قال النَّووي: «وخصَّ سورة ﴿لَمۡ يَكُنِ﴾؛ لأنَّها وجيزةٌ جامعةٌ لفوائد كثيرةٍ مِن أصول الدِّين وفروعه».اهـ

سورة ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ﴾

أخرج الترمذيُّ والحاكم عن ابن عبَّاسٍ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ﴾ تَعْدِلُ نِصْفَ القُرآنِ، و﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ، و﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ تَعْدِلُ رُبُعَ القُرآنِ». قال الترمذيُّ: «هذا

حديثٌ غريبٌ». وروى الترمذيُّ عن أنسٍ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «مَن قَرأ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ عَدَلَتْ لَهُ بنِصْفِ القُرآنِ». قال الترمذيُّ: «حديثٌ غريبٌ».

ورواه البزَّار بلفظ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعْدِلُ ثُلُثَ القُرآنِ، و﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ تَعْدِلُ رُبُعَ القُرآنِ». وسيأتي حديثٌ آخر يُفيد أنَّها تعدل ربع القرآن أيضًا.

سورة ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾

أخرج الحاكم والبيهقيُّ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «أما يَسْتَطِيعُ أَحَدُكُمْ أنْ يَقْرَأَ ألفَ آيةٍ كلَّ يومٍ؟» قالوا: ومَن يَسْتطيع ذلك؟ قال: «أما يَسْتَطِيعُ أَحَدُكُمْ أنْ يَقْرَأَ ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾؟».

سورة العصر

أخرج الطبرانيُّ عن عُبيدالله بن حِصْنٍ قال: كان الرَّجُلان مِن أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إذا التقيا لم يَفْتَرِقا إلَّا على أنْ يَقْرَأ أحدُهما على الآخِر (سورة العصر)، ثُمَّ يُسَلِّم أحدهما على الآخر.

وقال الإمام الشَّافعيُّ رضي الله عنه: لو تَدَبَّر النَّاسُ هذه السورة لوسعتهم.

قصة مسيلمة الكذاب في معارضتها

قال الحافظ ابن كثيرٍ: ذكروا أنَّ عمرو بن العاص وَفَدَ على مُسيلمة وذلك بعدما بُعث رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وقبل أنْ يُسْلِم عمرو، فقال له مسيلمة: ماذا أُنزل على صاحبكم في هذه المدَّة؟ فقال: لقد أُنزل عليه سورةٌ

وَجِيزَةٌ بَلِيغَةٌ، فقال: وما هي؟ فقال: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ - ٣] ففكَّر مسيلمة هُنَيْهَة ثُمَّ قال: وقد أُنزلَ عليَّ مثلها، فقال له عمرو: ما هو؟ فقال: يا وَبْر يا وَبْر، إنما أنت أذنان وصدر، وسيرك حفر ونقر. ثمَّ قال: كيف ترىٰ يا عمرو؟ فقال له عمرو: والله إنَّك لتعلم أنِّي أعلم أنَّك تكذب».اهـ

و«الوَبْر» بفتح الواو وسكون الباء: دويبة تشبه الأرنب، أعظم ما فيه أذناه وصدره، وأكله جائز، قال ابن كثيرٍ: «فأراد مسيلمة أنْ يركب من هذا الهذيان ما يعارض به القرآن، فلم يرج ذلك علىٰ عابد الأوثان -يعني عمرًا- في ذلك الزمان».اهـ

وإلىٰ هنا نمسك عنان القلم علىٰ أنْ نتمِّم بقيَّة الفضائل وما يتعلَّق بها في الجزء الثاني بحول الله تعالىٰ ومشيئته.

فَضَائِلُ القُرْآنِ الكَرِيمِ

الجزء الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله أبلغ الحمد وأكمله، والصَّلاة والسَّلام على سيدنا محمَّد خير نبيٍّ أرسله، وبعد: فهذا هو الجزء الثاني من "فضائل القرآن الكريم"، نقدِّمه إلى قُرَّائنا الكرام، على ما شرطنا في الجزء الأول، من سلوك سبيل الإيجاز والاختصار، وتجنُّب طريق التطويل والإكثار، ولو أرخينا العنان للقلم مُتَتَبِّعين كلَّ ما ورد في هذا الموضوع الجليل، لجاء الكتاب في بضعة أجزاء من هذا القَبيل.

ورأينا إتمامًا لفائدة القُرَّاء إدراج رسالةٍ صغيرةٍ داخل هذا الجزء تنفعهم في معرفة الأحاديث الموجودة في تفاسير "الكشاف" و"البيضاوي" و"أبي السعود" و"النسفي"، فإنَّ مؤلِّف هذه الرسالة نبَّه على تلك الأحاديث، وبيَّن ما فيها، وهذه فائدة عظيمة يقدرها أهل العلم ويتقبلونها بالشُّكر والامتنان.

على أننا لا نريد شكرًا من أحدٍ، ولكننا نريد ثواب الله، ونطلب غُفرانه.

هذا وقد عمي على بعض القرَّاء ما أشرنا إليه في الجزء الأول من تفضيل بعض السُّور والآيات على بعض، وإنْ كان الكل كلام الله ووحيه وتنزيله، وفهم من كلامنا هناك أننا استنقصنا سورة ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد: ١]، وغمطنا آية ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾.

فكتب إلينا خطابًا يدلُّ على سوء فهمه، وقِلَّة أدبه، وما درى المسكين أنَّ من استنقص آيةً مِن القرآن بل كلمةً واحِدَةً منه فهو كافرٌ بإجماع المسلمين، وأنَّ المفاضلة بين الآيات لا تدلُّ على نقصٍ في بعضها، ولو كانت المفاضلة تدلُّ على النَّقص لما فضَّل اللهُ الرُّسَلَ بعضهم على بعضٍ، ولما فضَّل بين الملائكة أو الصحابة

والعلماء والمؤمنين، ثُمَّ ممَّا لا شكَّ فيه أنَّ ما يتعلَّق بالخالق أفضل مما يتعلَّق بالمخلوق، فـ(سورة الإخلاص) لكونها خالصةٌ لتوحيد الله وتنزيهه أفضل من (سورة تبت) التي نزلت للردِّ على أبي لهبٍ، وبيان مصيره في الآخرة، ولذا ورد في فضل (سورة الإخلاص) أحاديث كثيرةٌ جُمعت في مؤلَّفٍ خاصٍّ، على حين أنَّه لم يرد في ﴿تَبَّتۡ يَدَآ﴾ حديثٌ صحيحٌ ولا حسنٌ ولا ضعيفٌ، وإنما ورد فيها حديثٌ ساقطٌ موضوعٌ لا يُعوَّل عليه.

ولعلَّ في هذا الإيضاح الوَجيز ما يزيل الغَشاوة عن بعض الأعين، ويفتح قفل بعض القلوب ويُذهِبُ صَمَمَ بعض الآذان، والله يقول الحقَّ، وهو يهدي السَّبيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العَليِّ العظيم.

أبو الفضل
عبدالله بن محمَّد الصِّدِّيق الغُماريُّ
خادم الحديث عفي عنه

سورة الكوثر

أخرج أحمد ومسلمٌ وأبو داود والنَّسائيُّ عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: بينا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بين أظهرنا في المسجد إذ أغفىٰ إغفاءةً ثُمَّ رَفَعَ رأسَهُ مُتبسمًا، قلن: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «**لقد أُنزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سورةٌ، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم**﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ [الكوثر: ١ – ٣]» ثُمَّ قال: «**أتدرون ما الكوثر؟**» قلنا: الله ورسول أعلم، قال: «**فإنَّه نهرٌ وَعَدَنِيه رَبِّي عزَّ وجلَّ عليه خَيْرٌ كثيرٌ، وهو حَوْضٌ تَرِدُ عليه أُمَّتي يومَ القِيامَةِ آنِيَتُهُ عَدَدَ نُجُومِ السَّماءِ، فيَخْتَلِجُ العَبْدُ مِنهم فأقول: رَبِّ إنَّه مِن أُمَّتِي، فيقول إنَّك لا تَدْرِي ما أَحْدَثَ بَعْدَكَ**».

استدلَّ بهذا الحديث كثيرٌ من القراء علىٰ أنَّ السورة مدنيَّة، كما استدلَّ به كثيرٌ من الفقهاء علىٰ أنَّ البسملة من السُّورة، وأنَّها مُنزَّلَةٌ معها، وأحاديث الحوض متواترةٌ مقطوعٌ بورودها عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كما صرَّح به عياض وابن كثيرٍ وغيرهما من الحُفَّاظ والعلماء، فمُنكِر الحوض مُبتدِعٌ ضالٌّ كما هو معروفٌ عند أهل العلم، وقد تكلَّمت علىٰ الذين يُذدادون عن الحوض في كتاب "نهاية الآمال في صحَّة وشرح حديث عرض الأعمال" فليرجع إليه.

(فائدة): قال القسطلانيُّ: «رأيت في بعض المجاميع أنَّ من أدمن قراءة (المزمِّل) و(الكوثر) رأىٰ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، يعني في المنام».

ونقل القسطلانيُّ أيضًا عن التميمي أنَّ من قرأ (الكوثر) بعد صلاة العشاء

من ليلة الجمعة ألف مرَّةٍ، وصلَّىٰ علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ألف مرَّةٍ، وسأل الله أنْ يريه النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في المنام، رآه. كذا نقل القسطلانيُّ في كتاب "مسالك الحنفا إلىٰ مشارع الصلاة علىٰ النبيِّ المصطفىٰ"، وكذا ذكر العارف بالله الشَّيخ عبدالله الهاروشي المغربي المالكي في كتاب "كنوز الأسرار في الصلاة علىٰ النبي المختار".

سورة الكافرون

تقدَّم في الحديث أنَّها تعدل ربع القرآن، وروىٰ أحمد وأبو داود عن فَرْوَةَ بن نَوْفَلٍ عن أبيه أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال له -أي لنوفل-: «**اقرأ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ثُمَّ نَمْ على خاتِمَتِها فإنَّها بَرَاءةٌ مِن الشِّركِ**».

قال ابن عبَّاسٍ: ليس في القرآن أشد غيظًا لإبليس من ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾؛ لأنَّها توحيدٌ وبَراءةٌ من الشِّركِ.

وروىٰ أبو نصر الوايلي عن جابر بن عبدالله أنَّ رجلًا قام فركع ركعتي الفجر، فقرأ في الركعة الأولىٰ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ حتىٰ ختم السورة، فقال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**هذا عَبْدٌ آمَنَ برَبِّه**»، ثُمَّ قرأ في الثانية: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ حتىٰ انقضت السورة، فقال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**هذا عَبْدٌ عَرَفَ رَبَّه**» قال طلحة: فأنا أحب أنْ أقرأ هاتين السُّورتين في هاتين الركعتين.

قلت: ثبت في "صحيح مسلم" عن أبي هريرة أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قرأ بهما في ركعتي الفجر، وفي "المسند" و"سنن الترمذي"

و"النَّسائيِّ" و"ابن ماجه" عن ابن عمر قال: رَمَقْتُ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم شَهْرًا وكان يقرأ في الركعتين قبل الفجر -يعني سُنَّة الصُّبح- بـ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، قال الترمذيُّ: «حديثٌ حسنٌ».

ورواه أحمد أيضًا بلفظ: إنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قرأ في الركعتين قبل الفجر والركعتين بعد المغرب بضعًا وعشرين مرة أو بضع عشرة مرة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

وثبت في "صحيح مسلم" عن جابر أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قرأ بهما في ركعتي الطواف.

وروىٰ الإمام أحمد عن شيخٍ أدرك النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: خرجتُ مع النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في سفرٍ فمرَّ برَجُلٍ يقرأ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ فقال: «**أمَّا هذا فقد بَرِيءَ مِن الشِّرْكِ**»، وإذا آخر يقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فقال: «**بها وَجَبَتْ لَهُ الجنَّةُ**». وفي روايةٍ: «**أمَّا هذا فقد غُفِرَ لَهُ**». وإسناده حسنٌ.

سورة النصر وتسمى سورة التوديع

أخرج الترمذيُّ عن أنسٍ رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال لرجلٍ من أصحابه: «**هل تَزَوَّجْتَ يا فلان؟**» قال: لا والله يا رسول الله، ولا عندي ما أتزوَّجُ به. قال: «**أليس معك ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾؟**» قال: بلىٰ. قال: «**ثُلُثُ القُرآنِ**». قال: «**أليس معك ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾؟**» قال: بلىٰ، قال:

«**رُبُعُ القُرآنِ**». قال: «**أليس معك ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾؟**» قال: بلىٰ. قال: «**رُبُعُ القُرآنِ**». قال: «**أليس معك ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾؟**» قال: بلىٰ، قال: «**رُبُعُ القُرآنِ، تَزَوَّجْ تَزَوَّجْ**».

حسَّنه الترمذيُّ، وتكلم فيه مسلمٌ صاحب "الصحيح" في كتاب "التمييز".

والحديث يدلُّ علىٰ جواز جعل القرآن صَدَاقًا في الزَّواج، ويؤيِّده في ذلك حديث الواهبة نفسها للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فقد ثبت أنَّها لما عرضت نفسها علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ولم يَقْضِ فيها بشيءٍ، قام رجلٌ من أصحابه فقال: يا رسول الله إنْ لم يكن لك بها حاجةٌ فزَوِّجنيها، فقال: «**فهل عندك من شيءٍ؟**» فقال: لا والله يا رسول الله، فقال: «**اذْهَبْ إلى أهلك فانْظُرْ هل تَجِدْ شيئًا؟**» فذهب ثُمَّ رجع فقال: لا والله ما وجدتُ شيئًا، فقال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**انظر ولو خَاتَمًا مِن حَديدٍ**»، فذهب ثُمَّ رجع، فقال: لا والله يا رسول الله ولا خاتمًا من حديدٍ، ولكن هذا إزاري، فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ما تَصْنَعُ بإزارِك؟ إنْ لَبِسْتَهُ لم يَكُنْ عليها مِنه شيءٌ، وإنْ لَبِسَتْهُ لم يَكُنْ عليكَ مِنه شيءٌ**». فجلس الرجل حتىٰ إذا طال مجلسه قام فرآه رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مولِّيًا فأمر به، فدعىٰ فلما جاء قال له: «**ماذا معكَ مِن القُرآنِ؟**». قال: معي سورة كذا وسورة كذا عدَّدها، فقال: «**تَقْرَؤُهُنَّ عن ظَهْرِ قَلْبٍ؟**» قال: نعم. قال: «**اذهبْ فقد مَلَّكْتُكَها بما مَعَكَ مِن القُرآنِ**». وفي رواية: «**انْطَلِقْ فقد زَوَّجْتُكَها فعَلِّمْهَا مِن القُرآنِ**». أخرجه مالكٌ والشَّيخان والأربعة بألفاظ وروايات.

ولهذه القِصَّة -قصة الواهبة نفسها- طرقٌ عن أبي هريرة وابن مسعودٍ وابن عبَّاس وأبي أُمامة وجابر وضميرة. وفي هذه المسألة خلافٌ مبسوطٌ في كتب الفقه ليس هذا موضعه.

تنبيهٌ: (سورة النَّصر) آخر سورة نزلت من القرآن، كذا ثبت عن ابن عبَّاس في "صحيح مسلم" و"سنن النَّسائي".

وروى البخاريُّ عن ابن عبَّاسٍ قال: كان عمر رضي الله عنه يدخلني مع أشياخ بدرٍ فكأنَّ بعضهم وجد في نفسه، فقال: لم يدخل هذا معنا؟ ولنا أبناء مثله، فقال عمر: إنَّه من قد علمتم -يعني في علمه وقرابته-، فدعاهم ذات يومٍ فأدخلني معهم فما رأيت أنَّه دعاني فيهم يومئذ إلَّا ليريهم. فقال: ما تقولون في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر: ١]؟ فقال بعضهم: أمرنا أنْ نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئًا.

فقال لي: أكذلك تقول يا ابن عبَّاس؟ فقلت: لا. فقال: ما تقول؟ فقلت: هو أَجَلُ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أعلمه له. قال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] فذلك علامة أَجَلِك، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ [النصر: ٣] فقال عمر: لا أعلم منها إلَّا ما تقول.

وفي "المسند" عن ابن عبَّاسٍ قال: لما نزلت ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**نُعِيتْ إِلَيَّ نَفْسِي بأَنِّي مَقْبوضٌ في تِلْكَ السَّنَةِ**».

وفي "سنن النَّسائي" و"معجم الطبراني" عن ابن عبَّاس قال: لما نزلت

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ إلى آخر السُّورة، نُعيت لرسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نَفْسُه حين أنزلت، فأخذ في أشدِّ ما كان اجتهادًا في أمر الآخرة.

وأخرج السِّتة إلَّا الترمذيَّ عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يُكثِر أنْ يقول في ركوعه وسجوده: «**سُبحانك اللَّهمَّ ربَّنا وبحَمْدِكَ، اللَّهمَّ اغْفِرْ لي**» يتأوَّل القرآن.

تنبيهان

الأول: ما ذكره أشياخ بدر من جلساء عمر رضي الله عنه، أنَّه قد أمرنا أنْ نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، هو معنىً صحيح أيضًا، فإنَّه يُستحبُّ لأمير الجيش إذا فتح بلدًا أنْ يُصَلِّي فيه أول ما يدخله ثمان ركعات كما فعل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يوم فتح مكة، وكما فعل سعد بن أبي وقَّاصٍ رضي الله عنه يوم فتح المدائن.

الثاني: أخرج الإمام أحمد عن أبي عمار قال: حدَّثني جار لجابر بن عبدالله قال: قدمت من سفرٍ فجاءني جابر بن عبدالله فسلَّم عليَّ، فجعلت أُحَدِّثه عن افتراق النَّاس وما أحدثوا، فجعل يبكي ثُمَّ قال: سمعتُ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**إنَّ النَّاسَ دَخَلُوا في دينِ الله أفواجًا وسيَخْرجُون مِنه أفواجًا**». إسناده ضعيفٌ.

وقد حصل ما أخبر به، فقد ضعف الدِّين في قلوب النَّاس، وكثر الزَّنادقة والمُلحِدون، وأصبح المسلمون في فوضى تشبه أيام الجاهلية الأولى، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

سورة الإخلاص

ورد عن ابن مسعودٍ وأُبي بن كعب أنَّ قريشًا ومشركي مكَّة قالوا للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: يا محمَّدُ، انْسُبْ لنا رَبَّك، فأنزلَ اللهُ تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١ – ٤].

وروىٰ الطبرانيُّ بإسنادٍ ضعيفٍ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لكلِّ شيءٍ نِسْبَةٌ، ونِسْبَةُ الله** ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ **والصَّمد ليس بأجوفَ**».

ما ورد في أنها تعدل ثلث القرآن

أخرج مسلمٌ والترمذيُّ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**احْشُدُوا فإنِّي سأقرأ عليكم ثُلُثَ القُرآنِ**»، فحَشَدَ مَن حَشَدَ، فقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثُمَّ دَخَلَ، فقال بعضنا لبعضٍ: إنَّا نرىٰ هذا خبرٌ جاءه من السَّماء فذلك الذي أدخله؟ ثمَّ خرجَ نبيُّ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**إنِّي قلتُ لكم سأقرأ عليكم ثُلُثُ القُرآنِ، ألا إنَّها تَعْدِلُ ثُلُثَ القُرآنِ**».

وأخرج البخاريُّ وأبو داود والنَّسائيُّ عن أبي سعيدٍ الخدريِّ أنَّ رجلًا سمع رجلًا يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ يُرَدِّدُها فلما أصبح جاء إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فذكر ذلك له، وكأنَّ الرجل يَتَقَالُّها -بضم اللام المشدودة أي يعدها قليلة لصغرها- فقال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**والذي نَفْسِي**

بيَدِه إنَّها لتَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ».

قلت: القارئ الذي بات يُردِّدها، قتادة بن النعمان وهو أخو أبي سعيد الخدري من الأمِّ، وكانا متجاورين في السكنى.

وأخرج البخاريُّ عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه قال: قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أيَعْجِزُ** -بكسر الجيم- **أَحَدُكُمْ أنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ القُرآنِ في لَيْلَةٍ؟**» فشقَّ ذلك عليهم وقالوا: أيُّنا يطيق ذلك يا رسول الله؟ فقال: «**الله الواحِدُ الصَمَدُ ثُلُثُ القُرآن**».

وفي "سنن الترمذي" عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أنْ يَقْرَأ في ليلةٍ ثُلُثَ القُرْآنِ؟ مَن قَرَأَ الله الواحِدُ الصَّمَدُ فقد قَرَأَ ثُلُثَ القُرْآنِ**». قال الترمذي: «حديثٌ حسنٌ». والأحاديث في هذا كثيرة.

واختلف العلماء في معنى كونها تعدل ثلث القرآن:

فقال بعضهم: هي ثلثٌ باعتبار معاني القرآن؛ لأنَّه ثلاثة أنحاء: أحكام، وأخبار، وتوحيد.

وقد اشتملت على التوحيد فهي ثلث القرآن، ويشهد له ما في "صحيح مسلم" عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ اللهَ جَزَّأَ القُرْآن ثلاثة أجزاءٍ فجعل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ جُزْءًا مِن أَجْزاء القُرآنِ**». قال عياض: «ويشهد له ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾ [هود: ١] ثمَّ بيَّن التفصيل فقال: ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ﴾ فهذا فصل الإلهيَّة. ثمَّ قال:

﴿إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ [هود: ٢]، فهذا فصل النبوَّة والقصص منه؛ لأنَّها أدلتها، ثمَّ قال: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ [هود: ٣] فهذا فصل التكليف، والوعد والوعيد منه».اهـ

وقال القرطبيُّ: «اشتملت هذه السورة على اسمين من أسماء الله تعالى، يتضمَّنان جميع أوصاف الكمال لم يوجدا في غيرها من السور، وهما: «الأحد الصمد»؛ لأنَّهما يدلَّان على أَحَدِيَّة الذَّات المُقدَّسة الموصوفة بجميع أوصاف الكمال، وبيان ذلك: أنَّ «الأحد» يُشعر بوجوده الخاص الذي لا يشاركه فيه غيره، و«الصَّمد» يُشعر بجميع أوصاف الكمال؛ لأنَّه الذي انتهى إليه السؤدد، فكان مرجع الطلب منه وإليه، ولا يتم ذلك إلَّا لمن حاز جميع خصال الكمال، وذلك لا يصلح إلَّا لله تعالى، فلما اشتملت هذه السُّورة على معرفة الذَّات المقدَّسة كانت بالنسبة إلى تمام المعرفة بصفات الذَّات وصفات الفعل ثلثًا».اهـ

وقيل معنى كونها ثلث القرآن: أنَّ ثواب قراءتها يوازي مثل ثواب قراءة ثلث القرآن. **وقيل:** مَن عَمِلَ بما تضمَّنته من الإخلاص والتوحيد كان كمن قرأ ثلث القرآن.

قصة الرجل الذي كان يقرؤها في كل صلاة

أخرج البخاريُّ ومسلمٌ والنَّسائيُّ عن عائشة رضي الله عنها أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بَعَثَ رَجُلًا على سَرِيَّةٍ، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**سَلُوهُ لأيِّ شيءٍ يَصْنَعُ ذلك؟**» فسألوه فقال: لأنَّها صفة الرحمن، وأنا

أحب أنْ أقرأ بها، فقال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أخبروه أنَّ الله تعالى يُحِبُّهُ**».

قوله: فيختم بـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، يعني يختم بها قراءته في الصَّلاة، أي: يقرأ بها بعد الفاتحة.

قال العلَّامة الأُبِّي: «وكان شيخنا أبو عبدالله بن عرفة رحمه الله تعالىٰ يستحب ختم أعمال الطاعة بقراءتها، وكان يختم قيامه بالليل بقراءتها عشر مرات يعدها في أصابعه، ولا يرىٰ العد شغلًا، وكذلك كان يعد تكبيرات الصَّلاة علىٰ الجنائز».اهـ

قلت: ورد حديثٌ ضعيفٌ في الحضِّ علىٰ قراءتها عشر مرَّات، فروىٰ أحمد والطبرانيُّ عن معاذ بن أنسٍ عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**من قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ عَشْرَ مرَّاتٍ بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا في الجَنَّةِ**». فقال عمر بن الخطَّاب: إذًا نستكثر يا رسول الله، فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**اللهُ أَكْثَرُ وأَطْيَبُ**». وفي إسناده روايان ضعيفان، وفي أوسط معاجم الطبراني بإسناد ضعيف أيضًا عن أبي هريرة عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**من قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ عَشْرَ مَرَّاتٍ بُنِي له قَصْرٌ في الجنَّةِ، ومَن قرأها عشرين مرَّةً بُني له قصران، ومَن قرأها ثلاثين مرَّةً بُني له ثلاث**».

قصة أخرى تشبهها

أخرج الترمذيُّ عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: كان رجلٌ من الأنصار يؤمهم في مسجد قباء فكان كلَّما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصَّلاة مما يقرأ به افتتح بـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، حتىٰ يفرغ منها، ثمَّ كان يقرأ سورة

أخرىٰ معها، وكان يصنع ذلك في كل ركعةٍ فكلَّمه أصحابه فقالوا: إنَّك تفتتح بهذه السورة ثمَّ لا ترىٰ أنَّها تجزيك حتىٰ تقرأ بأخرىٰ؟ فإمَّا أنْ تقرأ بها وإمَّا أنْ تدعها وتقرأ بالأخرىٰ، فقال: ما أنا بتاركها، إنْ أحببتم أنْ أؤمكم بذلك فعلتُ، وإنْ كرهتم تركتركم، وكانوا يرون أنَّه من أفضلهم وكرهوا أنْ يؤمهم غيره، فلما أتاهم النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أخبروه الخبر فقال: «**يا فلان ما يمنعك أنْ تفعل ما يأمرك به أصحابك؟ وما حملك على لزوم هذه السورة في كلِّ ركعة؟**» قال: إنِّي أُحبها، قال: «**حبَّك إيَّاها أدخلك الجنَّة**». قال الترمذيُّ: «حديثٌ صحيحٌ غريبٌ».

قلت: وعلَّقه البخاري بصيغة الجزم، وعن البخاريِّ رواه الترمذيُّ.

وفي "مسند أحمد" عن أنسٍ أيضًا قال: جاء رجلٌ إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: إنِّي أحب هذه السورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**حُبُّك إيَّاها أدخلك الجنَّة**».

وأخرج الإمام مالكٌ واللَّفظ له والترمذيُّ والنَّسائيُّ والحاكم عن أبي هريرة قال: أقبلتُ مع رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فسمع رجلًا يقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١ – ٤]، فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**وَجَبَتْ**» فسألته ماذا يا رسول الله؟ فقال: «**الجنَّة**». قال أبو هريرة: فأردتُ أنْ أذهب إلىٰ الرجل فأبشره ثمَّ فرِقت -بكسر الراء أي خفت- أنْ يفوتني الغداء مع رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، ثُمَّ ذهبت إلىٰ الرجل فوجدته قد ذهب،

صحَّحه الترمذيُّ والحاكم.

وروى أحمد والطبرانيُّ عن أبي أُمامة رضي الله عنه قال: مَرَّ رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم برَجُلٍ يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فقال: «**أَوْجَبَ هذا**» أو «**وَجَبَتْ له الجنَّةُ**».

وذكر الحافظ الخطيب أبو بكر عن عيسى بن أبي فاطمة الرَّازيُّ قال: سمعتُ مالكَ بن أنسٍ يقول: إذا نُقس بالنَّاقُوس اشتدَّ غضبُ الرحمن فتنزل الملائكة فيأخذون بأقطار الأرض فلا يزالون يقرأن ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ حتى يسكن غضبه عزَّ وجلَّ.

سورة الإخلاص وتكثير الرزق

أخرج الطبرانيُّ عن جرير بن عبدالله قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ حين يَدْخُلُ مَنْزِلُهُ نَفَتِ الفَقْرَ عن أهلِ ذلك المَنْزِلِ والجِيرانِ**». إسناده ضعيفٌ.

وروى الحافظ أبو موسى المديني عن سهل بن سعدٍ قال: جاء رجلٌ إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فشكا إليه الفَقْرَ وضِيقَ العِيشةَ، فقال له رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا دَخَلْتَ مَنْزِلَكَ فسَلِّم إنْ كان فيه أحدٌ، أو لم يكن فيه أحدٌ، ثمَّ سَلِّم عليَّ واقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ مرَّةً واحِدَةً**» ففعل الرجل فأدرَّ اللهُ عليه الرِّزقَ حتى أفاض على جيرانه وقَرابته. سنده ضعيفٌ أيضًا.

وهذا من الفضائل التي يجوز فيها العمل بالضعيف كما هو معروفٌ.

سورة الإخلاص والاسم الأعظم

أخرج أصحاب "السنن" عن بُريدة رضي الله عنه أنَّه دخل مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم المسجدَ فإذا رجلٌ يُصَلِّي يدعو يقول: اللَّهم إنِّي أسألك بأنِّي أشهد أنَّك أنت الله لا إله إلَّا أنت الأحد الصَّمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، قال: «**والذي نَفْسِي بيَدِه لقد سأله باسْمِهِ الأَعْظَمْ الذي إذا سُئلَ به أَعْطَى، وإذا دُعِيَ به أجابَ**». حسَّنه الترمذيُّ وصحَّحه ابن حِبَّان والحاكم.

ونقل الحافظ المُنذريُّ عن شيخه الحافظ أبي الحسن بن المفضل المقدسي المالكي قال: «إسناده لا مطعن فيه، ولم يرد في الباب حديث أجود إسنادًا منه».اهـ

قلت: في تعيين الاسم الأعظم أقوال كثيرة، أرجحها: أنَّه مما استأثر الله بعِلْمِه كلَيْلَةِ القَدْرِ وساعة الإجابة يوم الجمعة؛ ليجتهد الإنسان في الدعاء بجميع أسماء الله الحسنى.

سورة الإخلاص وتكفير الذنوب

أخرج الترمذيُّ عن أنسٍ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن قَرَأَ كُلَّ يومٍ مائتَي مرَّةٍ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ مَحَا اللهُ عنه ذُنوبَ خَمسين سنةً إلَّا أنْ يكون عليه دَيْنٌ**». قال الترمذيُّ: «حديثٌ غريبٌ».

ورواه أبو يعلى الموصليُّ، ولفظ روايته: «**مَن قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ خمسين مَرَّةً غَفَرَ اللهُ له ذنوبَ خمسين سنةً**». وفي روايةٍ لأبي يعلي أيضًا: «**مَن قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ في يومٍ مائتَي مرَّةٍ كَتَبَ اللهُ له ألفًا وخمسمائة حَسَنةٍ، إلَّا أنْ**

يكون عليه دَيْنٌ». إسناده ضعيفٌ أيضًا. وفي "مسند الدارمي" عن أنسٍ أيضًا قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ خمسين مَرَّةً غُفِرَتْ له ذُنوبَ خمسين سَنَةً**».

سورة الإخلاص والعتق من النار

أخرج الطبرانيُّ في "الكبير" عن فيروز الديلميِّ -وهو ابن أخت النجاشي وقد خدم النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم- قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ مائة مرَّةٍ في الصَّلاةِ أو غيرها كَتَبَ اللهُ له براءَةً مِن النَّارِ**». إسناده ضعيفٌ.

وروىٰ إبراهيم بن محمَّد الخيارجي في "فوائده" عن حذيفة رضي الله عنه مرفوعًا: «**مَن قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ألفَ مرَّةٍ فقد اشْتَرَى نَفْسَهُ مِن الله**». قال المناوي في "التيسير": «أي يجعل الله ثواب قراءتها عِتْقَه مِن النَّارِ، وينبغي قراءتها كذلك عن الميت».اهـ

وجاء في "مسند البزَّار" مرفوعًا: «**مَن قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ مائة ألف مَرَّةٍ أَعْتَقَهُ اللهُ مِن النَّارِ وتَحَمَّلَ عنه التَّبِاعَات**». وهذا حديثٌ ضعيفٌ جِدًّا.

ونصَّ جماعةٌ من متأخِّري المالكيَّة علىٰ استحباب عتاقة الصمديَّة وحضُّوا علىٰ قراءتها واستعمالها، منهم: الشَّيخ عبدالسلام الأسمر الطرابلسي في بعض نصائحه -وهو غير عبدالسَّلام بن مشيش المراكشي- والشَّيخ العارف محمَّد بن ناصر الدرعي، والعارف أبو زيد عبدالرحمن الفاسي، والشيخ محمَّد بن عبدالقادر الفاسي، والشيخ أبو عبدالله المسناوي في أجوبةٍ لهم في هذه المسألة،

والعلَّامة الشَّيخ الطيب بن كيران في "شرحه على توحيد ابن عاشر" وهو مطبوعٌ. كل هؤلاء استحبوا عتاقة الصمدية مع اعتراف بعضهم كالمسناوي بشدَّة ضعف حديثها، اعتمادًا على أنَّ هذا من الفضائل التي يتساهل فيها، فمن شاء أنْ يستعملها رجاء حصول ما فيها فلا بأس بذلك، على شرط ألَّا يعتقد ثبوت ذلك عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حتَّى لا يَقَعَ في الكَذِبِ عليه.

قراءتها عند النوم

أخرج الترمذيُّ عن أنس بن مالكٍ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: **«مَن أرادَ أنْ ينامَ على فِراشِهِ فنامَ على يَمِينه ثُمَّ قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ مائة مرَّةٍ فإذا كان يوم القِيامَةِ، يقول له الرَّبُّ عزَّ وجلَّ: يا عَبْدِي ادْخُلْ على يمَينك الجنَّة»**. قال الترمذيُّ: «حديثٌ غريبٌ، وقد روي من غير هذا الوجه».اهـ

قلت: إذا قال الترمذيُّ في الحديث: «غريبٌ» فإنَّه يقصد ضعفه كما هنا، أمَّا إذا قال: «حسنٌ غريبٌ» أو «صحيحٌ غريبٌ»، أو «حسنٌ صحيحٌ غريبٌ»، فإنَّه حينئذٍ يقصد بالغرابة معنى آخر غير الضعف مما هو معروفٌ عند المحدِّثين.

وأخرج الطبرانيُّ في "الأوسط" و"الصغير" عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: **«مَن قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ في كلِّ يومٍ خميس مرَّةً نُودي يومَ القِيامَةِ مِن قَبْرِه، قُمْ يا مادحَ الله فادْخُلِ الجنَّةَ»**. رجال إسناده ثقاتٌ إلَّا شيخ الطبرانيِّ فلم يُعرف حاله.

قراءتها دُبُر كلِّ صَلاةٍ

أخرج أبو يعلىٰ الموصلي عن جابرٍ أيضًا قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ثلاثٌ مَن جاءَ بِهنَّ مع الإيمانِ دَخَلَ مِن أيِّ أبواب الجنَّةِ شاءَ، وزُوِّجَ مِن الحُورِ العِينِ حيث شاءَ: مَن عَفَا عن قاتِلِهِ، وأدَّى دَيْنًا خَفِيًّا، وقَرَأَ في دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ مَكْتُوبَةٍ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ عَشْرَ مَرَّاتٍ**». قال: فقال أبو بكرٍ رضي الله عنه: أو إحداهنَّ يا رسول الله؟ فقال: «أو إحداهنَّ». إسناده ضعيفٌ جدًّا.

وأخرج ابن عساكر في "تاريخه" عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه أو واحِدةٌ مِنهنَّ فليتزوَّج مِن الحُورِ العِينِ حيث شاء: رجلٌ ائتُمِنَ على أمانةٍ فأدَّاها مخافة الله عزَّ وجلَّ. ورجل خلَّى** -بفتح اللام المشددة- **عن قاتله** -أي عفا عنه قبل موته- **ورجلٌ قرأ في دُبُرِ كلِّ صلاةٍ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ عَشْرَ مَرَّاتٍ**». إسناده ضعيفٌ.

قصَّة الرَّجُل الذي كان يُحبُّها ويتلوها في جميع الحالات

أخرج الطبرانيُّ، وابن الضريس في "فضائل القرآن"، وسمويه في "فوائده"، وابن منده، والبيهقيُّ في "دلائل النبوة"، عن أنس بن مالكٍ قال: نزل جبرائيل علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: يا محمَّدُ، مات معاوية المزنيُّ أتحبُّ أنْ تُصَلِّي عليه؟ قال: «**نعم**»، فضرب بجناحيه فلم تبقَ أَكَمَةٌ ولا شَجَرَةٌ إلَّا تَضَعْضَعَتْ، فرفع سريره حتىٰ نظر إليه فصلَّىٰ عليه وخلفه صفَّان من الملائكة كلُّ صفٍّ سبعون ألف ملكٍ فقال: «**يا جبريلُ بِمَ نالَ مُعاويةُ هذه المَنْزِلَةَ؟**» قال: بحبِّ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وقرائته إيَّاها ذهابًا وجائيًا وقائمًا وقاعدًا وعلىٰ كلِّ حال.

وأول الحديث عند ابن الضريس: كان النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بالشَّام فجاءه جبريلُ... الحديث.

ورواه أبو يعلىٰ وابن سنجر في "مسنده" وابن الأعرابي، وابن عبدالبر في "الاستيعاب" وحاجب الطوسي في "فوائده" والبيهقي في "الدلائل" عن أنسٍ قال: غزونا مع رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم غزوة تبوك فطلعت الشَّمس يومًا بنور وشعاع وضياء لم نره قبل ذلك، فتعجَّب النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من شأنها إذْ أتاه جبريل عليه السلام فقال: مات معاوية بن معاوية الليثي فبعث الله سبعين ألف مَلَكٍ يُصلُّون عليه، قال: «بِمَ ذاك؟» قال: بكثرة تلاوته ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فهل لك يا رسول الله أنْ أقبض لك الأرض فتصلِّي عليه؟ قال: «نعم» فصلَّىٰ عليه.

قوله: «الليثي». خطأٌ من راويه عن أنس وهو العلاء بن زيد الثقفي ضعيفٌ جدًّا. والصَّواب: المزني.

ورواه أحمد والحاكم في "فوائده"، والطبراني في "مسند الشاميين"، والخلال في "فضائل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾"، وابن عبدالبر من حديث أبي أُمامة نحوه، وفيه: «فوضع جبرائيل جناحه الأيمن علىٰ الجبال فتواضعت حتىٰ نظرنا إلىٰ المدينة».

ورواه ابن الضريس في "فضائل القرآن" عن سعيد بن المسيب مرسلًا. ورواه البغويُّ وابن منده في "الصحابة" عن الحسن البصريذِ مرسلًا أيضًا. وطُرُق الحديث ضعيفةٌ.

قال ابن عبدالبر: «أسانيد هذا الحديث ليست بالقويَّة، ولو أنَّها في الأحكام

لم يكن في شيءٍ منها حُجَّة ومعاوية بن مقرن المزني معروفٌ هو وإخوته، وأمَّا معاوية بن معاوية فلا أعرفه».اهـ

قال الحافظ ابن حجرٍ العسقلاني: «قد يحتج به من يجيز الصَّلاة على الغائب، ويدفعه ما ورد أنَّه رفعت الحجب حتى شهد جنازته فهذا يتعلَّق بالأحكام والله أعلم».اهـ

فضلها مع المُعوِّذتين

أخرج أبو داود والترمذيُّ والنَّسائيُّ عن معاذ بن عبدالله بن خُبيب -بضم الخاء المعجمة- عن أبيه قال: أصابنا عَطَشٌ وظُلمةٌ فانتظرنا رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يُصلِّي بنا فخرج فأخذ بيدي فقال: «قل». قلت: ما أقول؟ قال: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ **والمُعوِّذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاث مرَّاتٍ تكفيك مِن كلِّ شيء**». قال الترمذيُّ: «حسنٌ صحيحٌ غريبٌ».

وأخرج البزَّار بإسنادٍ صحيح عن عبدالله الأسلمي قال: كُنَّا مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في عمرةٍ حتى إذا كنا ببطن رابغ استقبلتنا ضبابة فأضلَّتنا الطريق فلم نشعر حتى طلعنا على ثنية، فلما رأى النَّبيُّ ذلك عدل إلى إلى كثيبٍ فأناخ عليه، ثُمَّ قام وقام عليه من شاء الله، فما زال يُصلِّي حتى طلع الفجر فأخذ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم برأس ناقته ثمَّ مشى، وعبدالله الأسلمي إلى جنبه ما أحد مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم غيره، فوضع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يده على صدره وقال: «قل». قلت: ما أقول؟ قال: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ

ٱلْفَلَقِ ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾» حتىٰ فرغت منها. فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**هكذا فتعوَّذ فما تعوَّذَ العِبادُ بمِثْلِهنَّ قَطُّ**».

حديث آخر في فضلهنَّ

أخرج أحمد عن عقبة بن عامر قال: لقيت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فابتدأته فأخذت بيده فقلت: يا رسول الله بمَ نجاة المؤمِنِ؟ قال: «**يا عقبة، أَمْسِكْ عليك لِسانَكَ وليَسَعْكَ بَيْتُكَ وابْكِ على خَطِيئتك**» قال: ثمَّ لقيني رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فابتدرني فأخذ بيدي فقال: «**يا عقبة بن عامر، ألا أُعَلِّمُكَ خير ثلاث سور ما أنزل في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان مثلهنَّ؟**» قال: قلت: بلىٰ جعلني الله فداك، قال: فأقرأني ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ ثمَّ قال: «**يا عقبةُ، لا تنسهنَّ ولا تبت ليلة حتَّى تقرأهنَّ**» قال: فما نسيتهنَّ منذ قال: «**لا تنسهنَّ**»، وما بِتُّ ليلةً حتىٰ أقرأهنَّ. قال عقبة: ثمَّ لقيتُ رسولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فابتدأتُه فأخذت بيده فقلت: يا رسول الله أخبرني بفواضل الأعمال؟ فقال: «**يا عقبةُ، صِلْ مِن قَطَعَكَ، واعْطِ مَن حَرَمَكَ، وأعْرِضْ عمَّن ظَلَمَكَ**». رجاله ثقاتٌ علىٰ ضعفٍ في بعضهم، وروىٰ الترمذيُّ بعضه وحسَّنه.

حديث في الاستشفاء بهنَّ

أخرج البخاريُّ وأصحاب "السنن" عن عائشة رضي الله عنها أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان إذا أوىٰ إلىٰ فِراشِهِ كلَّ ليلةٍ جمع كَفَّيْهِ ثُمَّ نَفَثَ فيهما فقرأ فيهما: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ

بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ ثُمَّ يمسحُ بهما ما استطاع مِن جَسَدِه يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده. يفعل ذلك ثلاث مرات.

وفي "الصحيحين" وغيرهما عن عائشة أيضًا أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوِّذات ويَنْفُثُ، فلما اشتدَّ وَجَعُهُ كنتُ أقرأُ عليه وأمسح بيده رجاء بَرَكَتِها.

«المعوِّذات» بكسر الواو المشدَّدة هي سورة (الإخلاص) و(الفلق) و(النَّاس).

المعوِّذتان

أخرج مسلمٌ والترمذيُّ والنَّسائيُّ عن عقبة بن عامرٍ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ألم ترَ آياتٍ أنزلت الليلة لم يرَ مِثلهن؟** ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾».

ورواه أبو داود ولفظه: كنت أقود برسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في السَّفر، فقال: «**يا عقبةُ، ألا أُعَلِّمُكَ خير سورتين قُرئتا**»، فعلَّمني: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾.

وفي روايةٍ له أيضًا عن عقبة قال: بينما أنا أسير مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بين الجحفة والأبواء، إذ غشيتنا ريح مظلمة شديدة، فجعل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يتعوَّذ بـ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ ويقول: «**يا عقبةُ، تَعَوَّذ بهما فما تَعوَّذَ مُتعَوِّذٌ بمِثلهما**». قال: وسمعته يؤمُّنا بهما في الصَّلاة.

وروى النَّسائي وابن حِبَّان -واللفظ له- والحاكم عن عقبة بن عامر قال: اتبعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وهو راكبٌ، فوضعت يدي على قدميه، فقلت: أقرأني آيًا من سورة هود وآيًا من سورة يوسف، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يا عقبة بن عامرٍ، إنَّك إنْ تقرأ سورة أحب إلى الله ولا أبلغ عنده من أنْ تقرأ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، فإنْ استطعتَ ألَّا تفوتك في الصَّلاة فافعل**». صحَّحه الحاكم.

وروى أحمد وأبو داود والنَّسائي عن عقبة أيضًا قال: بينا أنا أقود برسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في نقب من تلك النقاب، إذْ قال لي: «**يا عقبةُ، ألا تركب؟**» قال: فأشفقت أنْ تكون معصية، قال: فنزل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وركبت هنيهة ثمَّ ركب، ثمَّ قال: «**يا عُقْبُ، ألا أُعَلِّمُكَ سورتين من خير سورتين قَرَأَ بهما النَّاس؟**» قلت: بلى يا رسول الله، فأقراني: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ ثمَّ أقيمت الصَّلاة فتقدَّم رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقرأ بهما ثُمَّ مرَّ بي فقال: «**كيف رأيتَ يا عُقْبُ؟ اقرأ بهما كلَّما نِمْتَ وكلما قُمْتَ**». قلت: عُقْبُ ترخيم عُقبة.

وفي "المسند" و"سنن أبي داود" و"الترمذي" و"النَّسائي"، عن عقبة قال: أمرني رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنْ أقرأ بالمعوذات في دُبر كل صلاة.

وروى النَّسائي عن عقبة أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قرأ بالمعوذتين في صلاة الصبح، وروى النَّسائي وابن حِبَّان عن جابر بن عبدالله قال: قال لي رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**اقرأ يا جابر**» قلت: وما أقرأ؟ بأبي أنت

وأمي، قال: «اقرأ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾» فقرأ بهما، فقال: «**اقرأ بهما ولن تقرأ بمثلهما**».

وأخرج النَّسائي عن ابن عبَّاسٍ الجهنيِّ أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال له: «**يا ابن عبَّاسٍ ألا أدلُّك -أو ألا أخبرك- بأفضل ما يَتعوَّذ به المُتعوِّذون؟**» قال: بلى يا رسول الله، قال: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ **هاتان السورتان**».

وفي "المسند" بإسنادٍ صحيحٍ عن أبي العلاء يزيد بن عبدالله بن الشِّخِّير قال: قال رجلٌ كُنَّا مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في سفرٍ والنَّاس يعتقَّبون -أي يتناوبون في الركوب- وفي الظهر قِلَّة -الظهر كناية عما يركب من البهائم- فحانت نزلة برسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ونزلتي، فلحقني من بعد فضرب على مَنْكِبي فقال: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾» فقلت: ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، فقرأها رسول الله وقرأتها معه ثمَّ قال: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾» فقرأها رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وقرأتها معه قال: «**إذا أنت صَلَّيْتَ فاقرأ بهما**».

قال الحافظ ابن كثيرٍ: «الظَّاهر أنَّ هذا الرجل هو عقبة بن عامرٍ».اهـ

وأخرج الترمذيُّ والنَّسائيُّ وابن ماجه عن أبي سعيدٍ الخدريِّ قال: كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يَتَعَوَّذُ مِن أعين الجانِّ وأعين الإنس، فلما نزلت المُعوِّذتان أخذ بهما وترك ما سوى ذلك، قال الترمذي: «حديثٌ حسنٌ».

قلت: معنى الحديث أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان يتعوَّذ من

العين والحسد وشر الإنس والجنِّ، بتعاويذ من أدعيةٍ ونحوها فلما نزلت المعوِّذتان صار يتعوَّذ بهما وترك غيرهما؛ لأنَّهما يكفيان عن سائر المُعوِّذات، وفي هذا دليلٌ على عظيم فضلهما، والله أعلم.

فضل سور القرآن من غير تعيين

أخرج الترمذيُّ عن شدَّاد بن أوسٍ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ما مِن مسلمٍ يأخذ مَضْجَعَهُ يقرأ سورةً من كتاب الله عزَّ وجلَّ إلَّا وكلَّ اللهُ به مَلَكًا فلا يقربه شيطانٌ حتَّى يَهُبَّ متى هَبَّ**». وأخرجه أبو نصر الوايلي ولفظه: «من أخذ منكم مضجعه ليرقد فليقرأ بأمِّ القرآن وسورة فإنَّ الله عزَّ وجلَّ يوكل به ملكًا يَهبُّ معه إذا هَبَّ».

وإلى هنا ينتهي ما أوردناه من فضائل القرآن من غير استيعاب كما قدَّمنا. وقد أردنا أنْ نثبت هنا رسالة في هذا الموضوع للعلَّامة الأديب الشيخ محمَّد بن محمَّد بن الطيب المغربي التافلاتي المالكي مفتي القدس المتوفى سنة (١١٩١) هجرية وهي مشتملة على فصلين وخاتمة.

الفصل الأول: فيما ورد في فضل بعض السور والآيات مما هو صحيحٌ أو حسنٌ أو ضعيفٌ معمولٌ به في الفضائل.

الفصل الثاني: في التنبيه على أحاديث جاءت في "تفسير الكشاف" و"البيضاوي" وغيرهما وهي غير صحيحة.

الخاتمة:

في بيان من وضع أحاديث السور التي امتلأت بها كتب التفاسير المطبوعة

المتداولة[١].

وليعلم حضرات القراء الكرام أننا نورد في كتبنا أحاديث متنوِّعة موضوعة، وننبِّه عليها ليعلم القارئ حالها ولا يغتر بها إذا رآها في كتاب تفسير أو حديث أو وعظ أو نحو ذلك، وما سلكنا هذ المسلك في كتبنا حتىٰ كثرت علينا الأسئلة في أحاديث موضوعة أو واهية، ووجدنا معظم أصحاب تلك الأسئلة يرتكنون علىٰ وجود الأحاديث في كتب مشهورة متداولة، وإنْ كان مؤلِّفوها لا يعرفون الحديث، فمن اعترض علينا إيراد حديث موضوعٍ مع التنبيه عليه فهو جاهل، استبدل النقد بالشكر، وجعل جزاءنا علىٰ ما نقدِّمه إليه عتابًا ولومًا، ولم يعلم أنَّ أبا زرعة الرَّازي أحد أئمَّة الحديث كان يحفظ أربعة ألاف حديث موضوعة، وأنَّ الإمام البخاري كان يحفظ مائتي ألف حديثٍ غير صحيح (٢٠٠٠٠٠) وأنَّ معرفة الحديث الموضوع أهم في نظر العلماء من معرفة الحديث الصَّحيح، فأيُّ لومٍ علينا بعد هذا إذا مشينا علىٰ هدىٰ العلماء الرَّاسخين؟!

هذا ما رأينا أنْ نلفت أنظار القراء إليه والله يقول الحق وهو يهدي السَّبيل.

---

(١) لم نذكر هذه الرِّسالة لأننا التزمنا أنْ تكون هذه الموسوعة خاصَّة بما كتبه السَّيد عبدالله بن محمَّد بن الصِّدِّيق الغُماريُّ فقط.

التداوي بالقرآن

قال الله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢] قال العلماء: ﴿مِنَ﴾ لبيان الجنس، أي ونُنزِّل مِن جِنس القرآن ما هو شفاءٌ، فالقرآن قليله وكثيره شفاءٌ من الأمراض الحِسِّيَّة الظاهريَّة، وشفاء من الأمراض المعنويَّة الباطنيَّة كالاعتقادات الباطلة والأخلاق المذمومة وما إليها.

فالقرآن العظيم شفاءٌ من جميع الأمراض، وعلاجٌ نافعٌ في جميع الحالات، وقد سبق في فضل سورة «الإخلاص»، وما معها استشفاء النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بـ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ و(الإخلاص) و(المُعوِّذتين)، وقد حكى الحافظ ابن حجرٍ العسقلاني إجماع العلماء على جواز الرُّقَى بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته، ومستند هذا الإجماع: الكتاب والسُّنَّة، أمَّا الكتاب فالآية السَّابقة، وقوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤] ومن يحمل الشِّفاء في هاتين الآيتين على الشِّفاء المعنوي فقط فقد أخطأ خطأً كبيرًا. وأمَّا السُّنَّة فكثيرة سبقت الإشارة إلى بعضها، ونشير هنا إلى بعضٍ آخر منها.

قصة اللَّدِيغ الذي رُقِيَ بالفاتحة

ثبت في "الصحيحين" وغيرهما عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه: أنَّ ناسًا من أصحاب النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أتوا على حيٍّ من أحياء العرب، فلم يُقْرُوهُم -أي لم يُضَيِّفُوهم- فبينما هم كذلك إذْ لُدِغ سيِّدُ أولئك الحيِّ، فقالوا: هل معكم مِن دواءٍ؟ أو راقٍ؟ فقالوا: إنَّكم لم تَقْرُونا، ولا نَفْعَلُ حتَّى تَجْعَلُوا لنا

جُعْلًا -بضمِّ الجيم، أي أجرًا- فجعلوا لهم قَطِيعًا من الشَّاءِ، فجعل -يعني رئيس الصَّحابة في تلك السَّفريَّة وهو أبو سعيدٍ الخدري- يقرأ بأمِّ القرآن ويَجْمَعُ بُزَاقَهُ ويَتْفِلُ فبَرَأَ الرجلُ، فأتوا بالشَّاءِ، فقالوا: لا نأخذه حتىٰ نسألَ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فسألوه فضَحِكَ، وقال: «**وما أدراك أنَّها رُقْيَةٌ؟ خُذُوها** -أي الشياء- **واضْرِبُوا لي بسَهْمٍ**».

يؤخذ من هذا الحديث جواز أخذ الأجرة علىٰ العلاج، وجواز أخذ الأجرة علىٰ القرآن، وقد جاء في بعض روايات هذا الحديث في "الصحيحين" أيضًا قول النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم -حين سألوه-: «**إنَّ أَحَقَّ ما أَخَذْتُمْ عليه أجرًا كتابُ الله**».

قصةٌ أخرى

ثبت في "سنن أبي داود" وغيرها عن خارجة بن الصَّلت التميميِّ، عن عمِّه قال: أقبلنا من عند رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فأتينا علىٰ حيٍّ من العرب فقالوا: إنَّا أُنبئنا أنَّكم قد جِئتم من عند هذا الرجل بخيرٍ، فهل عندكم مِن دواءٍ؟ أو رُقْيَةٍ؟ فإنَّ عندنا مُعْتُوهًا في القيود، قال: فقلنا: نعم. قال: فجاءوا بمعتوهٍ في القيود، قال: فقرأت عليه بفاتحة الكتاب ثلاثة أيامٍ غدوة وعشية، أجمع بُزاقي ثمَّ أتفِلُ، قال: فكأنما نُشِطَ مِن عِقالٍ، قال: فأعطوني جُعْلًا، فقلتُ: لا، حتىٰ أسألَ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فسألته فقال: «**كُلْ، فلَعَمْري مَن أَكَلَ برُقيةِ باطِلٍ، لقد أكلتَ برُقْيةِ حَقٍّ**». وللحديث طرقٌ وألفاظ في السُّنن وغيرها.

قصة ثالثة

أخرج عبدالله ابن الإمام أحمد في "زوائد المسند" بإسنادٍ فيه راوٍ ضعيفٌ عن أُبيِّ بن كعبٍ قال: كنتُ جالسًا عند النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فجاءه أعرابيٌّ، فقال: يا نبيَّ الله إنَّ لي أخًا وبه وَجَعٌ، قال: «وما وَجَعُهُ؟» قال: به لمٌ -أي مسٌّ مِن الجنِّ- قال: «فائتني به»، قال: فوضعه بين يديه فعوَّذه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بفاتحة الكتاب وأربع آياتٍ من أول (سورة البقرة) وهاتين الآيتين ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣]، و«آية الكرسي» وثلاث آيات من آخر (سورة البقرة)، وآيةٌ من (آل عمران) ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨]، وآيةٌ من (الأعراف) ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وآخر آية (المؤمنين) ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ [المؤمنون: ١١٦]، وآيةٌ من (سورة الجنِّ) ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ [الجن: ٣] وعشر آياتٍ من أول (سورة الصَّف)، وثلاث آياتٍ من أول (سورة الحشر)، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] و(المعوِّذتين). فقام الرجل كأنَّه لم يشتك قطُّ. ورواه أبو يعلى بنحوه، غير أنَّه قال: عشر آيات من (سورة الصفِّ)، ولم يقل من أولها.

دعاء لإذهاب الهم والغم

مَن أصابه هَمٌّ أو غَمٌّ أو حُزْنٌ فليدعُ بهذا الدعاء، فإنَّ الله يُذهب همَّه وغَمَّه، وهذا نصُّ الدعاء: «**اللهُمَّ إنِّي عبدك، وابن عَبْدِكَ، وابن أَمَتِكَ، ناصِيتي بيَدِكَ، عَدْلٌ فيَّ قَضَاؤُكَ، مَاضٍ فيَّ حُكْمُكَ، أسألُكَ بكلِّ اسمٍ هو لك سَمَّيتَ به**

نَفْسَكَ، أو أنزلته في كِتابِكَ، أو عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِن خَلْقِكَ، أو اسْتَأْثَرْتَ به في عِلْمِ الغَيْبِ عِنْدَكَ، أنْ تَجعَلَ القُرْآنَ العَظِيمَ رَبِيعَ قَلْبِي، ونُورَ بَصَرِي وجِلاءَ حُزْنِي، وذِهاب هَمِّي وغَمِّي». هكذا ثبت في "المسند"و"صحيح ابن حِبَّان" عن عبدالله بن مسعودٍ عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

الختام

اللَّهمَّ يا كاشفَ البَلْوَىٰ، ويا عَالِمَ السِّرِّ وأَخْفَىٰ، أسألُكَ بأسمائك الحُسْنَىٰ، وصِفَاتك العُليا، أنْ تهدي بالقرآن العظيم قَلْبِي، وتُنَوِّر به بَصَري، وتَشْفِي به عِلَّتي، وتجلعه في الدُّنيا إمامي، وفي الموقف شَفيعي، وعلىٰ الصِّراط قائدي، بفضلك وكرمك يا أكرم الأكرمين، والحمد لله رَبِّ العالمين.

أبو الفضل
عبدالله بن محمَّد الصِّدِّيق الغُماري
خادم الحديث، عفي عنه

٢- الإحْسَانُ في تَعْقِيبِ الإتْقَانِ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي شرَّفنا بكتابه وجعلنا أهلًا لِخطابه، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّد سيِّد أحبابه، الذي فاز مَن تبعه بنعيم الله وثوابه، وشقي مَن خالفه بغضب الله وعِقابه، ورضي الله عن آله وأصحابه.

أما بعد: فإن كتاب "الإتقان في علوم القرآن" للإمام الحافظ أبي الفضل جلال الدين السيوطي -رحمه الله تعالى ورضي عنه- كتابٌ عظيم المزايا، كثير الفوائد، جمع ما تفرَّق في كتب هذا العلم من عيون المسائل ونوادر الشوارد، غير أنه ضمَّ آراء شاذَّة وروايات ساقطة، فات المؤلِّف أن يُنبِّه على شُذوذها وسقوطها، فاتخذها المستشرقون وأذنابهم سلَّمًا إلى الطعن في بعض آيات القرآن الكريم وفيما يتعلَّق بجمعه، وقد أخبرني صديقنا ومُجيزنا العلَّامة المرحوم الشيخ محمد زاهد الكوثري أنه كان يُدرِّس علوم القرآن لطلبة التفسير بجامعة استانبول بالآستانة وكان يُعنَى بالاطلاع على ما يكتبه المستشرقون ليردَّ عليه وينبِّه إليه الطلبة، فكان يجد كثيرًا مِن مطاعنهم يستندون فيه إلى تلك الآراء الشاذَّة والروايات الساقطة، في كتاب "الإتقان".

وكان هذا مِن أسباب حمْلته الشديدة على مؤلِّفه، حتى كان هو والعلامة المرحوم الشيخ محمد سعيد العرفي لا يعترفان له إلَّا بإتقان علم العربية دون سائر العلوم التي كتب فيها مؤلَّفات قيِّمة، يعتبرانها ملخَّصة مِن كتب غيره.

وهذا غلوٌّ في التعصُّب ضده وإفراط في الحَمْل عليه، والحقيقة أنه -مع تفوُّقه في علم العربية- برَّز في علومٍ أخرى كالبلاغة والتفسير والأصول

والفقه الشافعي والحديث، وشارك مشاركة جيدة في القراءات والتاريخ والرجال وفقه الحديث.

وما لخَّصه مِن كتب المتقدِّمين يدل على فهمه لها وحسن تصرُّفه فيها، مع ما يضمُّه إليها مِن زوائد استفادها مِن سعة اطِّلاعه وكثرة بحثه.

لكن يُعاب عليه ذِكْره لأحاديث واهية أو أقوال ساقطة، تُنسب لصحابيٍّ أو تابعيٍّ أو إمامٍ ولا يُنبِّه عليها، فيظنها الجاهل صحيحةً ويتخذها الجاحد حجَّةً للطعن والغَمْز، وإن اعتذر معتذرون عن الطبرانيِّ وأبي الشيخ وأبي نعيم في روايتهم للأحاديث الموضوعة غير مبيِّنين وضعها، بأنهم حيث ذكروا إسنادها أحالوا عليه وبرئوا مِن عهدتها، فكيف يُعتذر عن السيوطيِّ وهو لا يذكر الإسناد؟! بل هو ملزم ببيان رتبة ما يذكره مِن أحاديث وآثار؛ لأنَّ مَن حذف الإسناد تعهَّد بالصِّحَّة.

لا نجد ما يُعتذر به عنه إلَّا مِن قَبيل السهو والغفلة، أو أنه قدَّر في نفسه أنَّ قُرَّاء كتبه لابد أن يكون عندهم من العلم ما يميِّزون به بين الثابت والواهي وبين الصحيح والساقط، أمَّا أن يكون قصده فلا؛ لأن دينه وخُلُقه لا يسمحان به، يضاف إلى ذلك أنه صوفيٌّ شاذليٌّ، أفيضت عليه فتوحات ومواهب لا يحظى بها من يتعمَّد ترويج الأحاديث والآثار المكذوبة؛ لأن مُروِّج الكذب مُبَغَّض مطرودٌ، والنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**مَن حدَّث عنِّي بحديثٍ يُرى** -بضمِّ الياء: يُظنُّ- **أنه كذبٌ فهو أحد الكاذبين**».

فالذين يذكرون الأحاديث الموضوعة عالمين أو ظانين ولم يبيِّنوها يشملهم قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن كَذَبَ عليَّ مُتعمِّدًا فليتبوَّأ مَقْعَدَهُ مِن النَّارِ**»

وهو حديث متواتر، يفيد عِظَم أثر الكذب على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وشدة خطورته.

فمن هنا اعتنى العلماء بتقييد الحديث وتمييز صحيحه من سقيمه، ووضعوا لذلك علمًا سموه علم رواية الحديث، وأفردوا كتبا خاصَّة لبيان الموضوعات والواهيات، وجرَّحوا رواتها تجريحًا مبنيًّا على قواعد وموازين علمية ثابتة لا يعتريها خللٌ.

أمَّا القرآن الكريم فقد تواتر الصحابة على حفظه وجمعه وكتابته كما تلقَّوه عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وأخذه عنهم التابعون كذلك، ثُمَّ تابعوا التابعين، وهلمَّ.

وعني العلماء بالبحث في قراءاته وكيفية جمعه وترتيب سوره وآياته وعددها وغير ذلك مما سموه علوم القرآن، وأفردوا لها كتبًا خاصَّة منها المختصر الموجز، والبسيط المتوسط، والمطول الجامع، وجاء في بعضها أشياء ينفيها البحث والتمحيص، وتبطلها القواعد العلمية الثابتة، ومع ذلك جعلها المبشِّرون -وهم المستشرقون الحاقدون- ذريعة للكلام في القرآن الكريم والتشكيك فيه.[1]

ومن أجل هذا الغرض الخبيث طبعوا بعض الكتب المتعلِّقة بالقرآن العظيم، مثل كتاب "المصاحف" لابن أبي داود، و"شواذ القراءات" لابن خالويه، يوهمون الجهلاء أنهم يطبعون هذه الكتب للبحث العلمي الخالص،

---

(١) على أنهم يعتقدون أنَّ القرآن مِن إنشاء النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

وهم في الواقع خُبثاء يريدون تشكيك المسلمين في كتابهم الذي ضمن الله حفظه من التبديل والتغيير.

ولست متجنيًّا عليهم فيما أقول؛ فإن مَن يقرأ المقدِّمة التي كتبها ناشر كتاب "المصاحف" باللغة الإنجليزية، يجد فيها الغَمْز الصريح والطعن الواضح، وكذلك ما كتبه جولدزيهر وغيره بحيث يجزم مَن تتبَّع ما كتبوه عن القرآن والإسلام أنه لا يرضيهم من المسلمين إلَّا أن يتركوا دينهم إلى المسيحية أو اليهودية، وقد سجَّل الله تعالى ذلك في كتابه حيث قال: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

وأخبرني شقيقنا الحافظ أبو الفيض أنه التقى بالأستاذ محمد كردي في مكتبة الخانجي، وتجاذبا أطراف الحديث في مسائل علمية حتى انتهى الكلام إلى الاستشراق وأساليبه، فقال له الأستاذ كردي: «اسمع يا سيِّد أحمد، أمر هؤلاء المستشرقين عجيبٌ! جاءوا إلينا بكتبهم وآرائهم مُدَّعين أنهم يقصدون البحث العلميَّ الحرَّ، فقبلنا منهم ما أبدوه مِن طعنٍ في كتابنا وديننا بل شاركناهم فيه تمسُّكًا بالمبدأ المذكور، حتى إذا ما أردنا أن نناقش أحدهم في مسائل دينية كالتثليث أو الصَّلْب أو الفداء هزَّ رأسه استنكارًا وقال: العقائد الإيمانية لا تقبل المناقشة ولا يدخلها العقل.

ونسي ما كان يدعو إليه من بحثٍ في دين الإسلام بقصد هدمه!!!

ولَمَّا كان الدكتور منصور فهمي يدرس بجامعة السوربون اقتنع بآراء أساتذته الفرنسيين في الطعن على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حيث تزوَّج بتسع نسوة خصوصية له خصَّه الله بها دون سائر المسلمين، فألَّف رسالة

سماها: "نبيُّ الإسلام يُشرِّع للناس وينسى نفسه" ثُمَّ لَمَّا تقدَّمت به السِّن واتسعت مداركه وأدرك حكمة تعدُّد زوجات النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وفهم أسرارًا كثيرة من الأحكام الإسلامية عَلِمَ ما وقع فيه من كُفْرٍ بتضليل المستشرقين، فتاب ورجع إلى دينه وأحرق ما بقي عنده من نسخ تلك الرسالة». هكذا تحدَّث إلى شقيقنا الحافظ أبي الفيض.

طه حسين حين كتب كتابه: "في الشعر الجاهلي" وأنكر إبراهيم وإسماعيل عليهما السَّلام وصرَّح بأنَّ القرآن لا يكفي دليلًا على وجودهما، لم يكن ذلك رأيًا قاله باجتهاده ولكنه كلام مستشرقٍ أخذه الدكتور والتزمه.

والدكتور محمد حسين هيكل حين أوَّل «الإسراء» تأويلًا يقضي بإنكاره، كان متأثِّـرًا بالمستشرق الفرنسي الذي ترجم هو كلامه.

والمقصود: أنَّ الكُتَّاب والأُدباء في الشرق العربي والإسلامي ما مِن أحد منهم يبدي طعنًا في القرآن الكريم، أو السُّنَّة النبوية وصاحبها عليه الصَّلاة والسَّلام، أو في شيءٍ مِن أحكام الإسلام باسم البحث العلمي إلَّا وهو متشبِّعٌ بكلام بعض المستشرقين مقتنعٌ بآرائهم.

فالاستشراق نوعٌ مهمٌّ مِن نوعَي التبشير المسيحي، أُنشئ لغزو عقول الطبقة المثقَّفة من المسلمين.

أمَّا النوع الآخر وهو الوعظ في الأسواق والمجتمعات وإنشاء مستشفيات وبذل مساعدات، فهو لغزو الطبقة الفقيرة وغير المتعلِّمة، وقد نجح النوع الأول نجاحًا كبيرًا مع جهل المستشرقين باللغة العربية وقواعد الأحكام الإسلامية جهلًا فاضحًا واضحًا.

وهذا يدل على أن كُتَّابنا وأُدباءنا يتلقوَّن ما يأتيهم من المستشرقين تقليدًا من غير إعمال فكر، حتى أصبحوا يأخذون برأيهم في نقد كتبنا العربية والإسلامية من غير تفكير أيضًا.

عرضتُ مرَّة على الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقي كتابًا مخطوطًا في فضل بيت المقدس وتاريخه وما يتعلَّق به ليوافق على طبعه باعتباره رئيس لجنة اختيار الكتب بمكتبة ومطبعة عيسى الحلبي، وبيَّنت له قيمة الكتاب وميزته وأهمية موضوعه في الوقت الحاضر، فقال لي: إنه لم يرَه ولا سمع به من قبل الآن، ولذلك لا يستطيع إبداء رأيه فيه وطلب إمهاله إلى الغد فتركت الكتاب عنده، ورجعت إليه ثاني يوم فأخبرني أنه اتصل بصديق له وسأله عن الكتاب، فأجابه بأنَّ بروكليمن ذكره في كتابه ومدحه، وعقَّب على إجابة صديقه يخاطبني بقوله: وحيث أنَّ بروكليمن مدحه، فلابد أنه كتاب قيِّم.

هكذا أثنى على الكتاب بدون تحفُّظ لمجرَّد أنَّ بروكليمن المستشرق الألماني مدحه!

نحن لا ننكر المجهود المبذول في كتاب بروكليمن؛ حيث ضمَّ نفائس المخطوطات العربية والإسلامية في معظم مكتبات العالم، مع بيان وصف المخطوط والتنصيص على تعدُّد نسخه أو عدم تعدُّدها، فهو مجهود يذكر له بالتقدير، لكن لا نعتمد عليه في تقييم تراثنا العربي والإسلامي؛ لأن تقييمه لا يسْلَم مِن خطأ وانحراف، وإصابته -حين يصيب- إصابة غير مقصودة، فلا تصلح أساسًا للاعتماد عليه في ذلك، وأشد المستشرقين تعصُّبًا الهولنديون فالفرنسيون فالإيطاليون فالإنجليزيون، وإن كانوا بجميع أجناسهم متفقين

على هدم الإسلام وتقويض دعائمه فهم بالنسبة إلينا ينطبق عليهم قول العربي حين سُئل: أي حماريك شرٌّ؟ قال: هذا ثُمَّ هذا.

ولا شك أنَّ محاربتهم واجبةٌ؛ لأنها جهادٌ في سبيل الدفاع عن كتاب الإسلام ونبيِّ الإسلام ودين الإسلام.

وفي الحديث عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**جاهِدوا المشركين بأموالكم وأنفُسْكِم وألسنتكم**». رواه أحمد وأبو داود والنَّسائيُّ من حديث أنسٍ، وصحَّحه ابن حِبَّان والحاكم.

والقلم أحد اللسانين وهو أقواهما وأبقاهما ذِكْرًا.

لهذا أردنا أن نُسهم في هذا الواجب المقدَّس ببيان ما في كتاب "الإتقان" من رواياتٍ واهيةٍ موضوعةٍ، وأقوال ساقطةٍ مرفوعة، غفل المؤلِّف عن فحصها ومحصها، ليعلم أن دليلهم الذي يستندون إليه اجتمع فيه الخِسَّتان، فلم يكن له نتيجة سوى الهذر والهذيان.

ومن الله أستمدُّ المعونة والتوفيق، وأسأله أن يجزل أجري، ويشرح لي صدري، ويحطَّ عنِّي وِزري، ويجعل عملي خالصًا له مقبولًا عنده، إنه تعالى سميع الدعاء فعَّال لما يشاء.

النوع الأول

معرفة المكي والمدني

معرفة المكِّي والمدني، ذَكَر فيه السُّور التي نزلت بمكَّة أو بالمدينة، ثُمَّ نقل عن البيهقيِّ في "الدلائل" أنَّ في بعض السُّور التي نزلت بمكَّة آياتٍ نزلت بالمدينة فأُلحقت بها.

ونقل عن الحافظ في "شرح البخاري" قال: «قد اعتنىٰ بعض الأئمة ببيان ما نزل من الآيات بالمدينة في السور المكية».

ثُمَّ أخذ المؤلِّف في سَرْدها فذكر فيها (سورة الحجر) وقال: «ينبغي استثناء قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ﴾ [الحجر: ٢٤] الآية لِما أخرجه الترمذيُّ وغيره في سبب نزولها وأنها في صفوف الصَّلاة».

قلت: روىٰ الترمذيُّ والنَّسائي وابن ماجة من طريق أبي الجوزاء، عن ابن عبَّاسٍ قال: كانت امرأة حَسْناء مِن أحسن الناسِ تُصلِّي خلف رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وكان بعض القوم يتقدَّم حتىٰ يكون في الصفِّ الأول لئلَّا يراها، ويستأخر بعضهم حتىٰ يكون في الصفِّ المؤخَّر فإذا ركع نظر مِن تحت إبطه فأنزل الله هذه الآية.

وهذا الأثر وإن صحَّحه ابن حِبَّان له عِلَّة، فقد رواه عبدالرزَّاق في "تفسيره" عن أبي الجوزاء ولم يذكر ابن عبَّاسٍ، وقال الترمذيُّ: «روي عن أبي الجوزاء مرسلًا وهو أشبه».

فهذه عِلَّةٌ تقتضي ضعفه مِن جهة الإسناد، وأمَّا من جهة المعنىٰ فإن السِّياق يردُّه، قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا

﴿ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ﴾ منكم ولادة وموتًا ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾ كذلك، فلا يختلط علينا متقدِّم بمتأخِّر ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾ جميعًا مع كثرة عددهم وتباعد أزمانهم. فلا محل لصفوف الصَّلاة في الآية ولا معنى لاستثنائها، والله تعالى أعلم.

النوع الثاني
معرفة الحَضَري والسَّفَري

معرفة الحَضَريِّ والسَّفَريِّ، ذَكَر في الآيات التي نزلت في السَّفَر قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [التوبة: ١١٣] وقال -مبيِّنًا ذلك- أخرج الطبرانيُّ وابن مَرْدُويه عن ابن عباسٍ أنها نزلت لَمَّا خرج النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مُعتمِرًا وهبط من ثنيَّة عُسْفان، فزار قبر أمِّه واستأذن في الاستغفار لها.

قلت: هذا ممَّا تناقض فيه المؤلِّف تناقضًا بيِّنًا لا عذر فيه، فهو يعلم أنَّ الأبوين الشريفين مِن أهل الفترة وأنهما ناجيان، وألَّف بضع رسائل في نجاتهما، قرأناها وأعجبنا بما أبدى فيها من أدلَّةٍ جيدةٍ، وأنشأ مقامةً ردَّ بها على الحافظ السخاويِّ الذي اختار التوقُّف عن القول بنجاتهما وعدمها، وأصاب في ردِّه.

وهو يعلم أيضًا أنَّ الآية نزلت في أبي طالبٍ بدليل أنه ذكر في النوع التاسع ما رواه الشيخان من حديث سعيد بن المسيِّب عن أبيه -وهو صحابيٌّ- قال: لما حضرت أبا طالبٍ الوفاة دخل عليه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وعنده أبو جهلٍ وعبدالله بن أبي أميَّة فقال: «**أي عمِّ، قل: لا إله إلَّا الله، أُحاجُّ لك بها عند الله**». فقال أبو جهلٍ وعبدالله: يا أبا طالبٍ أترغب عن مِلَّة عبدالمطلب؟! فلم يزالا يكلِّمانه حتى قال: على مِلَّة عبدالمطلب، فقال النبيُّ

صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لأستغفرنَّ لك ما لم أُنْهَ عنه**» فنزلت ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣].

فهذا الحديث الصحيح صريحٌ في أنَّ الآية نزلت في أبي طالبٍ الذي أبى النطق بالشهادة ومات على كفره، وهو يقضي على أثر ابن عباسٍ السابق لضعفه.

كما يقضي على مرسلين ضعيفين جاء فيهما أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ليت شِعْرِي ما فعل أبواي؟**» فنزل: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [البقرة: ١١٩]

لكن المؤلِّف ذكر بعده ما رواه الحاكم عن ابن مسعودٍ قال: خرج النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يومًا إلى المقابر، فجلس إلى قبرٍ منها فناجاه طويلًا ثُمَّ بكى فقال: «**إنَّ القبر الذي جلست عنده قبر أمِّي، وإني استأذنت ربِّي في الدُّعاء لها فلم يأذن لي فأنزل عليَّ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾** وجمع بينهما بتعدُّد أسباب النزول، يعني أنَّ الآية نزلت مرة بسبب أبي طالبٍ ومرَّة بسبب أمِّ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

غير أنَّ هذا الحديث ليس بصحيحٍ، نعم يمكن أن تكون الآية نزلت مرة ثانية بسبب ما رواه أحمد وابن أبي شيبة والترمذيُّ والنَّسائيُّ وأبو يعلي والبزَّار والحاكم من طريق أبي الخليل عن عليٍّ عليه السَّلام قال: سمعت رجلًا يستغفر لأبويه وهما مشركان، فقلت له: تستغفر لأبويك وهما مشركان؟! فقال: استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك. فذكرت ذلك لرسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فنزلت. حسَّنه الترمذيُّ.

تنبيهان

(التنبيه الأول): ممَّا يدل على ضعف حديثَي ابن عباسٍ وابن مسعودٍ من جهة المعنى مضافًا إلي ضعف إسنادهما أمران:

أحدهما: تعارض مدلوليهما، فإن حديث ابن عباسٍ يفيد أنَّ الآية نزلت والنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في طريقه إلي مكَّة مُعتمِرًا؛ ولذا أوردها المؤلِّف مثالًا للآيات التي نزلت في السَّفَر، وحديث ابن مسعودٍ يفيد أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لم يكن مسافرًا، وإنما خرج يومًا إلي المقابر لزيارة قبر أمِّه، وهذا تعارضٌ لا سبيل إلى دفعه.

ثانيهما: تفيد الآية -بمقتضاها- أنَّ أمَّ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من أصحاب الجحيم، والتاريخ يثبت أنها ماتت قبل البعثة، فتكون هذه الآية معارضة لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] ومعلومٌ بالضرورة أنَّ آيات القرآن لا تتعارض.

(التنبيه الثاني): يؤخذ من الآية حرمة الاستغفار للمشركين؛ لأنهم أصحاب الجحيم، ويتفرَّع على ذلك أمران:

أحدهما: تحريم الترحُّم عليهم بطريق الأولى؛ لأنَّ الرحمة أعلى من المغفرة؛ إذ أنها لا تكون إلَّا لمذنبٍ، والرحمة تكون لمن لا ذنب له، قال الله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٧١] وقال: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦] وقال الملائكة لآل إبراهيم: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ

ٱلْبَيْتِ﴾ [هود: ٧٣] وفي بعض طرق الصَّلاة الإبراهيمية «**وارحمْ محمَّدًا وآل محمَّدٍ كما رحمت إبراهيم وآل إبراهيم**». وعلي هذا فما ينشر في الجرائد اليومية من استغفارٍ أو ترحُّمٍ علي موتىٰ اليهود والنصارىٰ أو غيرهم من سائر المِلل محرَّمٌ تحريمًا قاطعًا يوجب غضب الله ومقته.

ثانيهما: خلود المشركين في النَّار أبدًا إذ لو جاز خروجهم منها لأجاز الله الاستغفار لهم كما أجاز الاستغفار لعصاة المسلمين لأنه استشفاع، فلما حرَّمه دلَّ علي أنهم غير خارجين من النَّار وأنَّ الشفاعة فيهم غير مقبولةٍ.

ولهذا حين يقول عيسىٰ لله تعالىٰ يوم القيامة عن النصارىٰ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨] يعدل عن قوله: «فإنك أنت الغفور الرحيم»؛ لأنَّ ذِكْر المغفرة والرحمة في هذا الموضع استشفاعٌ، وهو يعلم أنَّ الشفاعة فيهم لا تُقبل.

وذكر في الآيات السَفَريَّة أيضًا أول سورة الرُّوم، وقال: روىٰ الترمذيُّ عن أبي سعيدٍ قال: لَمَّا كان يوم بدرٍ ظهرت الرُّوم علىٰ فارس فأعجب ذلك المؤمنين، فنزلت ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ [الروم: ١ - ٢] إلي قوله: ﴿بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٥] قال الترمذيُّ: «غَلبت، يعني بالفتح».

قلت: وسيُغلبون -علىٰ هذا- بضم الياء بالبناء للمجهول، ومعنىٰ هذه القراءة: غَلبت الروم فارس وسيغلبهم المسلمون في بضع سنين.

لكن هذه قراءة شاذَّة لا ينبغي اعتمادها، والقراءة المتواترة: غُلِبت، بالبناء للمجهول، وسيغلبون بالبناء للمعلوم، وهذا هو الموافق لسبب نزولها علىٰ أنَّ

البضع من ثلاث إلي تسع، والمسلمون إنما التقوا بالروم وغلبوهم بعد نزول الآية بنحو عشرين سنة في عهد عمر رضي الله عنه.

ثُمَّ إنَّ القراءات الشاذَّة لا تجوز الصَّلاة بها ولا تلاوتها ولا العمل بها إلَّا إذا كانت مُفسِّرةً لقراءةٍ متواترةٍ كقراءة ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ [النساء: ١٢] «من أمٍّ» ويكون العمل بها حينئذٍ علىٰ أنها خبر آحادٍ إن صحَّ سندها؛ لأن القرآن -لكونه معجزة تحدَّىٰ الله به الثقلين- تتوفَّر الدَّواعي علىٰ نقله تواترًا، وهكذا وصل إلينا بقراءاته المتواترة بتلقِّي جيلٍ عن جيلٍ، وأيُّ حرفٍ منه فَقَدَ التواتر فَقَدَ قرآنيته ودخل في حيِّز أخبار الآحاد، فعومل معاملتها من حيث شروط القبول والردِّ.

إذا تقرَّر هذا فلا يصح التمثيل لآياتٍ قرآنيَّةٍ حضريَّةٍ أو سفريَّةٍ أو ليليَّةٍ أو نهاريَّةٍ مثلًا بشيءٍ من القراءات الشاذَّة، ومَن فعل ذلك أدخل في القرآن ما ليس فيه، كمن ذكر حديثًا وجعله آيةً.

فليجعل القارئ هذه الحقيقة منه علىٰ ذكرٍ ينتفع بها في قراءة هذا الكتاب وغيره من كتب علوم القرآن وتفسيره، وتنْحَلُّ له مشكلات بسبب شواذِّ القراءات.

وذكر أيضًا قوله تعالىٰ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ﴾ [محمد: ١٣] الآية ونقل عن السخاوي المقرئ قال في "جمال القراء": «قيل إنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لما توجَّه مهاجرًا إلىٰ المدينة وقف فنظر إلىٰ مكَّة فبكىٰ فنزلت».

قلت: ليس له إسنادٌ يعتمد عليه.

النوع التاسع
معرفة سبب النزول

معرفة سبب النزول، ذكر في أمثلة ما تعدُّد سبب نزوله ورجَّح أصحَّها إسنادًا ما رواه ابن أبي حاتم وابن مَرْدُويه من طريق ابن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيدٍ، عن ابن عباسٍ قال: خرج أميَّة بن خلف وأبو جهلٍ ورجال من قريش فقالوا:يا محمد تعال فتمسَّح بآلهتنا وندخل في دينك. وكان يحب إسلام قومه فرقَّ لهم فأنزل الله تعالىٰ: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ [الإسراء: ٧٣].

وما رواه ابن مَرْدُويه عن العوفي، عن ابن عباسٍ قال: إنَّ ثقيفًا قالوا للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أجِّلْنا سنة حتىٰ يُهدىٰ لآلهتنا فإذا قبضنا الذي يُهدىٰ إليها أحرزناه ثم أسلمنا. فهَمَّ أن يؤجِّلهم، فنزلت.

وقال هذا يقتضي نزولها بالمدينة، وإسناده ضعيف. والأول يقتضي نزولها بمكَّة وإسناده حسن، وله شاهد عند أبي الشيخ عن سعيد بن جُبيرٍ يرتقي به إلىٰ درجة الصحَّة فهو المعتمد.

هذا كلامه وقد رجَّح فيه أنَّ الآيات المذكورة مكيَّة، لكنه حين تكلَّم في النوع الأول علىٰ السور المكية التي فيها آيات مدنية ذكر (سورة الإسراء) واستثنىٰ منها هذه الآيات وآياتٍ أخرىٰ لنزولها بالمدينة، وهذا تناقضٌ لا يليق.

وأنا أُرجِّح أنها مدنية؛ لأن سِياق الآيات يقتضي ذلك، ودلالة السِّياق لها الاعتبار الأول في مثل هذا الموطن، والعوفي الذي ضعَّف به رواية ابن عباسٍ الثانية ليس ضعفه شديد؛ فقد قال عنه أبو حاتمٍ: «ضعيفٌ يكتب حديثه». بل

وثَّقه ابن معينٍ، وحسَّن له الترمذيُّ عدَّة أحاديث تفرَّد بها، وروايته هنا تتأيَّد بدلالة السِّياق كما مرَّ.

ورواية سعيد بن جبيرٍ التي اعتبرها شاهدًا لرواية ابن عباسٍ الأولىٰ ليست بشاهدٍ علىٰ ما تقرَّر في علوم الحديث؛ لأن علم سعيدٍ في التفسير مأخوذٌ عن ابن عباسٍ، فاستقرَّ الأمر علىٰ أنَّ لابن عباسٍ روايتين متعارضتين وإسنادهما حسن، لكن تتأيَّد ثانيتهما بما بيَّنَّاه آنفًا فهي المعتمدة.

وذَكَر أيضًا في أمثلة ما تعدَّد سبب نزوله، ورجَّح أحدها بكون راويه حاضر القصة: ماروواه البخاريُّ عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بالمدينة وهو يتوكَّأ علىٰ عَسِيبٍ فمرَّ علىٰ نفرٍ مِن اليهود فقال بعضهم: لو سألتموه. فقالوا: حدِّثنا عن الرُّوح. فقام ساعة ورفع رأسه فعرفت أنه يوحىٰ إليه حتىٰ صعد الوحي، ثُمَّ قال: ﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥].

وما رواه الترمذيُّ وصحَّحه عن ابن عباسٍ قال: قالت قريش لليهود: اعطونا شيئًا نسأل هذا الرجل. فقالوا: اسألوه عن الرُّوح. فسألوه فأنزل الله ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾ ثُمَّ قال: «فهذا يقتضي أنها نزلت بمكَّة، والأول خلافه».

وقد رجَّح بأن ما رواه البخاريُّ أصحُّ مِن غيره، وبأن ابن مسعودٍ كان حاضرًا القصة. ثُمَّ نقل في النوع الحادي عشر -وهو ما تكرَّر نزوله- عن ابن كثيرٍ أنَّ آية الرُّوح تكرَّر نزولها وهذا هو الصحيح.

أمَّا ما اعتمده المصنِّف من الترجيح فضعيفٌ؛ لأن الترجيح إنما يُصار إليه إذا تعذَّر الجمع، وهو هنا ممكن بأن يكون اليهود كلَّفوا قريشًا بالسؤال عن الرُّوح فنزلت الآية بمكَّة، ثُمَّ لَمَّا هاجر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى المدينة أعادوا سؤاله عن الرُّوح مُؤمِّلين أن يختلف جوابه أو يتناقض، فنزلت الآية ثانيًا لإفادة أنَّ الجواب هو الجواب لا يختلف ولا يتناقض، ويؤيِّد هذا الجمع أنَّ الذي نزل بالمدينة بعض الآية وهو ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ الآية ولم ينزل صدرها وهو: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ لأنه نزل بسبب سؤال قريش بمكَّة.

وذكر فيما تعدَّد سبب نزوله آية: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ﴾ [النور: ٦] وذكر ما رواه البزَّار عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لأبي بكرٍ رضي الله عنه: «**لو رأيتَ مع أمِّ رومان رجلًا ما كنتَ فاعلًا به؟**» قال: شرًّا. قال: «**فأنت يا عمرُ؟**» قال: كنت أقول: لعن الله الأَعْجَزَ وإنه لخبيثٌ. فنزلت.

قلت: هذا حديثٌ منكرٌ لا يصح لوجوهٍ: **أحدها**: ضعف إسناده.

ثانيها: أنَّ المعلوم مِن حال النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ضرورة أنه يغضُّ عن الأعراض والحرمات، فلا يمكن أن يوجِّه هذا السؤال إلى أبي بكرٍ وعمر رضي الله عنهما.

ثالثها: ما ثبت في "الصحيحين" عن سهل بن سعدٍ قال: جاء عويمر إلى عاصم بن عديٍّ فقال: اسأل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: أرأيت رجلًا وجد مع امرأته رجلًا فقتله أيقتل به؟ أم كيف يصنع؟ فسأل عاصم

رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فعاب السائل. وفي روايةٍ فكَرِه المسائل وعابها فأخبر عاصم عويمرًا فقال: والله لآتينَّ رسول الله فلأسألنَّه فقال: «**إنه قد نزل فيك وفي صاحبك قرآنا...**» الحديث.

فانظر كيف عاب النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم السائل وكره سؤاله ولولا نزول الآية ما أجابه، وذلك لكراهته التعرُّض للأعراض إلَّا بقَدْر ما تقتضي به ضرورة الحُكْم. فكيف يُتصوَّر أن يوجِّه ذلك السؤال؟!

رابعها: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ما سأل قطُّ عن حادثةٍ قبل وقوعها، ولم يكن ذلك من عادته.

خامسها: أنه لا يتلاقى مع الآية التي نزلت فيمن قذف زوجته، فلا يصح أن يكون من أسباب نزولها.

النوع الثالث عشر
ما نزل مفرقا وما نزل جمعًا

ذكر فيما نزل جمعًا (سورة المرسلات) واستدل بها في "المستدرك" عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: كنَّا مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في غارٍ فنزلت عليه ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ [المرسلات: ١] فأخذتها مِن فيه، وإنَّ فاه رَطِبٌ بها، فلا أدري بأيها ختم: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ [المرسلات: ٥٠] أو ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ﴾ [المرسلات: ٤٨]

قلت: قوله: «فلا أدري بأيها ختم» زيادةٌ منكرةٌ، فإنَّ الحديث في "صحيح البخاريِّ" بدونها، وآخر (سورة المرسلات) ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾

وذكر فيما نزل جمعًا أيضًا (سورة الأنعام) واستدل بآثار ضعيفةٍ لا تقوم بها حجَّةٌ، والصحيح أنها نزلت مفرَّقة كأغلب السور.

النوع الخامس عشر
ما أنزل منه على بعض الأنبياء

ما نزل منه على بعض الأنبياء وما لم ينزل منه على أحدٍ، نقل فيه ما رواه أبو عبيد في "فضائل القرآن" عن كعبٍ قال: إنَّ محمدًا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أعطي أربع آياتٍ لم يُعطَهنَّ موسى، وموسى أُعطي آيةً لم يُعطَها محمدٌ، والآيات التي أعطيها محمدٌ ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٨٤] حتى ختم (البقرة) فتلك ثلاث آياتٍ، وآية الكرسيِّ.

والآية التي أعطيها موسى «اللهمَّ لا تولج الشيطان في قلوبنا، وخلِّصنا منه، من أجل أنَّ لك الملكوت والأبد، والسلطان والملك والحمد، والأرض والسماء الدهر الداهر أبدا أبدا آمين أمين».

قلت: هذه بقيَّـةٌ يهوديَّـةٌ في كعبٍ؛ لأنه لا نسبة بين خواتيم (البقرة) وآية الكرسيِّ وبين ما سمَّاه آيةً أعطيها موسى عليه السَّلام لا في فصاحة الألفاظ وبلاغة الجُمَل ولا في سموِّ المعنى وفخامته.

والعجيب مِن المؤلِّف كيف نقل هذا الكلام ولم يتعقَّبه بشيءٍ؟!

ويقال لكعب: إنما لم يُعطَ محمَّد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ما سمَّيته آيةً؛ لأنها لا ترقى إلى مصافِّ آي القرآن الكريم المُعجِز.

ونقل ما رواه الحاكم عن ابن عباسٍ قال: لمَّا نزلت ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾

[الأعلى: ١] قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**وكلها في صحف إبراهيم وموسى**».

قلت: هذا الحديث غير صحيحٍ، والإشارة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ إلى جملة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [الأعلى: ١٤ - ١٧].

والمراد أنَّ مضمون هذه الجملة في صحف إبراهيم وموسى، وليس المراد أنها موجودة بلفظها العربي. ضرورة أنَّ تلك الصحف غير عربية، وكذلك ما ورد في آياتٍ أنها موجودة في التوراة فالمراد مضمونها ومعانيها لا ألفاظها وتراكيبها العربية وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠] الآية. ترجمة لمعنى ما كتبه سليمان عليه السَّلام.

ثُمَّ نقل ما رواه ابن أبي حاتمٍ عن ابن عباسٍ في قوله: ﴿لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ [يوسف: ٢٤] قال: رأى آيةً مِن كتاب الله نهته، مُثِّلت له في جدار الحائط.

قلت: هذا الأثر غير صحيحٍ، وهو مبنيٌّ على ما جاء في الإسرائيليات أنَّ يوسف عليه السلام فسخ تكَّة سراويله، وعزم على إتيان تلك المرأة.

وذلك لم يحصل، وغاية ما في الأمر أنها لما دعته إلى نفسها مالت نفسه إليها بحكم شبابه وتمام قوته، ثُمَّ رأى أنَّ زوجها أكرم معاملته وائتمنه على بيته فلا يصح أن يلوِّث عرضه ويخون أمانته، فهذا هو البرهان الذي رآه بعقله وفكره لا ببصره.

النوع السادس عشر
في كيفية إنزاله

ذكر في المسألة الثانية في كيفية إنزال القرآن رأيًا حكاه عن بعضهم، وذلك بعد أن نقل كلام القطب الرازي في "حواشي الكشاف" قال ما نصُّه: «وقال غيره في المنزَّل على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه اللفظ والمعنى، وأنَّ جبريل حفظ القرآن في اللوح المحفوظ ونزل به.

والثاني: أنَّ جبريل إنما نزل بالمعاني خاصَّة وأنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عَلِم تلك المعاني وعبَّر عنها بلغة العرب، وتمسَّك قائل هذا بظاهر قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: ١٩٣ - ١٩٤].

والثالث: أنَّ جبريل ألقى إليه المعنى وأنه عبَّر بهذه الألفاظ بلغة العرب، وأنَّ أهل السماء يقرءونه بالعربية، ثُمَّ إنه نزل به كذلك بعد ذلك.

قلت: القول الأول هو الذي وقع عليه الإجماع، وعرَّف علماء الأصول وغيرهم القرآن بأنه: «اللفظ المنزَّل على محمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم للإعجاز بسورةٍ منه المُتعبَّد بتلاوته».

والله تعالى يقول: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ [التوبة: ٦].

والكلام: «ما تركَّب من ألفاظ» كما هو معلومٌ، والصَّلاة لا يجب فيها إلَّا القرآن لكونه كلام الله.

والقولان الأخيران شاذَّان ساقطان لا عبرة بهما ولا يصح ذكرهما، وقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ معناه: حفَّظك وفهَّمك إياه وثبَّته في قلبك إثبات ما لا ينسى، فهو كقوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى: ٦]، ولا يدل على أنَّ اللفظ من عند النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أو من جبريل عليه السَّلام، بل قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢] قاطع في أنَّ اللفظ مُنزَّلٌ من الله تعالى.

النوع السابع عشر
في معرفة أسمائه وأسماء سوره

حكى الخلاف في القرآن، هل هو اسم عَلَمٍ غير مشتقٍّ خاصٌّ بكلامه تعالى؟ فهو غير مَهْموزٍ، وبه قرأ ابن كثيرٍ وهو مرويٌّ عن الشافعي.

وذكر مارواه البيهقيُّ والخطيب عن الشافعي أنه كان يهمز قراءة و لا يهمز القرآن ويقول: القرآن اسم وليس بمهموزٍ ولم يؤخذ من «قرأت»، ولكنه اسم لكتاب الله مثل التوراة والإنجيل.

وذكر القول بأنه مهموزٌ وأنه مصدر لـ«قرأت» كالرجحان والغفران سمِّي به الكتاب المَقروء من باب تسمية المفعول بالمصدر.

أو هو صفة على فُعْلان مُشتقٌّ من «القَرْء» بمعنى الجمع؛ لأنه جمع السور بعضها إلى بعض، أو لأنه جمع ثمرات الكتب السابقة، أو لأنه جمع أنواع العلوم كلها.

ثُمَّ قال: والمختار عندي في هذه المسألة ما نصَّ عليه الشافعيُّ.

قلت: قرأ السبعة لفظ القرآن بالهمز وهو الأصل، وقراءة ابن كثيرٍ عن السبعة بدون همزٍ وهو تخفيفٌ كما قال اللحياني، والقراءتان مسموعتان من النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لا يصح تضعيف أحدهما، وما روي عن الشافعيِّ لعله لم يصح عنه، ولو صح فهو خطأ لا يعمل به واختيار المؤلِّف له خطأ أيضًا.

النوع الثامن عشر
في جمعه وترتيبه

ذكر ما رواه ابن الضريس في "فضائل القرآن" عن عكرمة قال: لما كان بعد بيعة أبي بكرٍ رضي الله عنه قعد عليُّ بن أبي طالبٍ عليه السَّلام في بيته، فقيل لأبي بكرٍ: قد كَرِه بيعتك. فأرسل إليه، فقال: أكرهت بيعتي؟ قال: لا والله. قال: ما أقعدك عنِّي؟ قال: رأيت كتاب الله يُزاد فيه فحدثتُ نفسي ألَّا ألبس ردائي إلَّا لصلاةٍ حتىٰ أجمعه. قال له أبو بكرٍ: فإنك نِعْم ما رأيت.

قلت: هذا أثرٌ منقطعٌ لا يصح؛ لأن عكرمة لم يدرك عليًّا عليه السَّلام، وأبو بكرٍ بويع بعد وفاة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بيومين، فكيف يُنسب إلىٰ عليٍّ أنه قال: رأيت كتاب الله يُزاد فيه؟! ومَن الذي زاد فيه داخل ذينك اليومين؟! ونحن الآن في المائة الرابعة عشرة مِن نزوله وهو بحاله ولم يُزَد فيه حرفٌ! فالمؤلِّف مخطئ في إيراد هذا الأثر المُنكر وسكوته عليه.

وتكلَّم علىٰ ترتيب الآيات، وصرَّح بأنه توقيفي بدليل الإجماع الذي حكاه أبو جعفر بن الزبير والبدر الزركشي، وبالنصوص التي أورد جملة منها وأشار إلىٰ أنها بلغت مبلغ التواتر.

ثُمَّ قال: نعم يشكل علىٰ ذلك ما خرَّجه ابن أبي داود في "المصاحف" من

طريق محمد بن إسحاق، عن يحي بن عباد بن عبدالله بن الزبير، عن أبيه قال: أتىٰ الحارث بن خزيمة بهاتين الآيتين من آخر (سورة براءة) فقال: أشهد أني سمعتهما من رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ووعيتهما. فقال عمر: وأنا أشهد لقد سمعتهما، ثُمَّ قال: لو كانت ثلاث آيات لجعلتها سورة علىٰ حِدَةٍ فانظروا آخر سورة من القرآن فألحقوها بآخرها.

ونقل عن الحافظ ابن حجرٍ أنه قال: «ظاهر هذا أنهم كانوا يؤلِّفون آيات السور باجتهادهم، وسائر الأخبار تدل علىٰ أنهم لم يفعلوا شيئًا مِن ذلك إلَّا بتوقيفٍ».اهـ

قلت: المقرَّر في علم الأصول أنَّ خبر الآحاد إذا خالف الإجماع أو التواتر فإنه يكون مردودًا لا يُعمل به ولو كان متصلًا صحيحًا، فكيف إذا كان منقطعًا ضعيفًا كهذا الأثر؟! فإن راويه عبَّادًا لم يدرك جمع القرآن الذي حصل في عهد أبي بكرٍ رضي الله عنه بل كان سن أبيه عبدالله بن الزبير حينئذٍ أقل من خمس عشرة سنة.

فالعجب مِن المؤلِّف الذي أورده إشكالًا علىٰ ما أجمع عليه العلماء وتواتر به النقل من أنَّ ترتيب الآيات توقيفي!!

ثُمَّ عاد يعارضه بما رواه ابن أبي داود أيضًا عن طريق أبي العالية، عن أُبَيِّ بن كعبٍ رضي الله عنه أنهم جمعوا القرآن فلما انتهوا إلىٰ الآية التي في سورة براءة: ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ﴾ [التوبة: ١٢٧] ظنوا أنَّ هذا آخر ما أنزل فقال أُبيٌّ: إنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أقرأني بعد هذا آيتين ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ﴾ [التوبة: ١٢٨] إلىٰ آخر السورة.

والحقيقة أنَّ أثر عبَّادٍ لا يحتاج إلى معارضةٍ بما خالفه؛ لأنه مردودٌ من أساسه لسببين:

١ - مخالفته للإجماع والتواتر.

٢ - ضعفه وانقطاعه.

وقول الحافظ ابن حجرٍ: «وسائر الأخبار تدل على أنهم لم يفعلوا شيئًا من ذلك إلَّا بتوقيف». يشير إلى ردِّه بسبب مخالفته لسائر الأخبار.

أمَّا حديث أبيِّ بن كعبٍ فهو من أفراد النصوص المتواترة المشار إليها فيما مر.

وذكر أثرين في تأليف مصحف أُبي وابن مسعودٍ رضي الله عنهما.

قلت: ذانك المصحفان شاذَّان لا يُعوَّل عليهما ولا على غيرهما من المصاحف الشاذَّة كمصحف عليٍّ عليه السلام، وإنما يُعوَّل على المصحف الإمام الذي أجمع عليه الصحابة، وتلقَّاه المسلمون في جميع الأقطار والأمصار جيلًا عن جيلٍ.

النوع التاسع عشر
في عدد سوره وآياته

قال: أما سوره فمائة وأربع عشرة سورة بإجماع من يعتدُّ به.

قلت: أجمع الصحابة على المصحف الإمام وهو يشتمل على أربع عشرة ومائة سورة بترتيبها المعهود الذي تلقَّاه المسلمون حفظًا وتلقينًا جيلًا عن جيل وطبقة بعد طبقة، ولم يكتب ابن مسعودٍ في مصحفه سورتي المعوِّذتين، والإسناد إليه بذلك صحيح كما قال الحافظ ابن حجرٍ، لكنه شاذٌّ لا يعمل به.

وكتب أُبيُّ بن كعبٍ في مصحفه سورتي الحفد والخلع وليستا بقرآن؛ لأنهما

لم تنقلا بطريق التواتر المطلوب في نقل القرآن، وعلى هذا لا تجوز القراءة بهما في الصَّلاة حسبما بينَّاه في النوع الثاني.

والمقصود: أنَّ ما ذكره المؤلِّف من الآثار في هذا الموضع لا يُعوَّل عليه؛ لأنه إما ضعيف أو مرسل، والصحيح في هذا الباب مردودٌ لأنه يناهض الإجماع والتواتر، وسورتا الحفد والخلع المدَّعى فيهما أنهما قرآن ليستا مِن نَمَطِهِ ولا تعلوان إلى بلاغة سُوَرِهِ، ولم تعدوا أن تكونا دعاء يتوجَّه بهما إلى الله في القنوت، مثل القنوت الذي رواه الحسن بن عليٍّ عليهما السَّلام.

قال: وعن مالك أن أوَّلها -يعني سورة التوبة- لما سقط سقط معه البسملة فقد ثبت أنها كانت تعدل البقرة لطولها.

قلت: هذا ليس بصحيحٍ، ونسخ تلاوة آيةٍ من القرآن مُحالٌ عقلًا وقد بيَّنت ذلك في كتاب "ذوق الحلاوة ببيان امتناع نسخ التلاوة".

وذَكَر حديث عمر مرفوعًا: «**القُرْآنُ أَلْفُ ألف حَرْفٍ وسبعة وعشرون ألف حَرْفٍ**» الحديث. وهو حديثٌ باطلٌ كما قال الذهبيُّ.

وقال: «وقد حُمل ذلك على ما نُسخ رَسْمُهُ مِن القرآن أيضًا، إذ الموجود الآن لا يبلغ هذا العدد». **قلت**: هذا حَمْلٌ باطل لما بيَّناه آنفًا.

النوع العشرون
في معرفة حفَّاظه ورواته

نَقَل عن الباقلانيِّ أنه قال: «الثالث: لم يجمع ما نسخ منه بعد تلاوته وما لم ينسخ إلَّا أولئك الأربعة». **قلت**: هذا جوابٌ باطلٌ لما مرَّ آنفًا.

النوع الخامس والثلاثين
في آداب تلاوته

وقال ابن مجاهدٍ: «إذا شك القارئ في حرفٍ هل هو بالتاء أو بالياء فليقرأه بالياء فإنَّ القرآن مُذكَّرًا...» إلخ

قلت: هذا غير صحيحٍ، بل لابد أن يرجع فيما شكَّ فيه إلى المصحف، أو يسأل بعضَ الحُفَّاظ، فإنَّ لم يجد فليترك القِراءة حتى يتأكَّد مِن صحَّة الحرف الذي شكَّ فيه.

وحمزة والكِسَائيُّ لم يقرءا إلَّا بما روياه وتلقَّناه مِن شيوخهما.

النوع التاسع والثلاثون
في معرفة الوجوه والنظائر

قال: «وكلُّ سَكِينةٍ فيه طُمأنينة إلَّا التي في قصَّة طالوت فهو شيءٌ كرأس الهِرَّة له جنحان».

قلت: استند في ذلك إلى أثرٍ عن عليٍّ لم يصح عنه بل هي خُرافةٌ إسرائيلية.

النوع السابع والأربعون
في ناسخه ومنسوخه

قال: «السابعة: النَّسْخُ في القرآن على ثلاثة أضْرب: أحدها: ما نسخ تلاوته وحُكْمِهِ معًا...» ثُمَّ قال: «الضَّرب الثالث: ما نسخ تلاوته دون حُكْمِه».

قلت: هذان الضَّرْبان غير جائزين بل هما مُحالان عقلًا، كما بيَّنت ذلك في رسالة "ذوق الحلاوة ببيان امتناع نسخ التلاوة" ونُثبت هنا المقصود منها ليُستفاد.

قلت فيها: الأسباب التي اقتضت امتناع نسخ التلاوة:

١ - أنه يستلزم البَدَاء وهو ظُهور المَصلحة في حذف الآية بعد خفائِها وهو في حَقِّ الله مُحالٌ، وما أبدوه من حِكْمةٍ في جوازه تَمحُّلٌ وتَكلُّفٌ لا يدفع المُحال.

٢ - أن تغيير اللفظ بغيره أو حَذْفه بجملته إنما يُناسب البَشَر لنُقْصان عِلْمه وعدم إحاطته، ولا يليق بالله الذي يعلم السِّرَّ وأخْفَىٰ؛ فإنَّا نرىٰ الكاتب البَلِيغ والخطيب المُفوَّه يُنشئ موضوعًا يتأنَّق فيه، ثُمَّ يُعيد نَظَره عليه فيجد أنَّ بعض كلماته وجُمله يجب أن يُحذف، وأنَّ بعضها يجب أن يُغيَّر بما هو أفصح منه أو أوْفَق أو أَلْيق.

٣- أنَّ ما قيل كان قرآنا ثُمَّ نُسخ لفْظه لا نجد فيه أسلوب القرآن ولا تلاوته ولا جرس لفظه.

٤ - أنَّ منه ما يُخالف أسلوب القرآن قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢] . قال العلماء: قُدِّمت الزانية في الذِّكر للإشارة إلىٰ أنّ الزِّنا منها أشد قبحًا، ولأنَّ الزِّنا في النِّساء كان فاشيًا عند العرب.

لكن إذا قرأت جملة: «الشَّيْخُ والشَّيْخَةُ إذا زَنيا» وجدت الزَّاني مُقدَّمًا في الذِّكر علىٰ خلاف الآية، وهذا يقتضي أنَّ تقديم أحدهما كان مصادفة لا لحكمة وهو لا يجوز؛ لأن مِن المقرَّر المعلوم أنَّ ألفاظ القرآن الكريم موضوعةٌ وضعًا حكيمًا، بحيث لو قُدِّم أحدهما عن موضع أو أُخِّر اختلَّ نظام الآية.

٥ - أنه ورد في سبب نسخ هذه الجملة من القرآن أخبارٌ منكرةٌ نبيِّن ما فيها باختصارٍ.

في "صحيح البخاري" في «باب الاعتراف بالزنا» وذكر عن ابن عباسٍ قال: قال عمر: لقد خشيتُ أن يطول بالنَّاسِ زمانٌ حتىٰ يقول قائل: لا نجد الرَّجْمَ في كتاب الله فيضلوا بترك فريضةٍ أنزلها الله، ألَا وإنَّ الرَّجْمَ حَقٌّ علىٰ مَن زنىٰ وقد أُحْصِن.

ولم يروِ البخاريُّ قول عمر: وقد قرأناها: «الشيخ والشيخة إذا زنيا...».

قال الحافظ: «ولعل البخاري تركها عمدًا».

ومن الروايات المنكرة: ما رواه النَّسائيُّ: أنَّ مروان بن الحكم قال لزيد بن ثابتٍ: ألا تكتبها في المصحف؟ قال: لا، ألا ترىٰ الشابين الثيبين يرجمان؟

وهذه نكارةٌ واضحةٌ، كيف يترك زيد آية الرَّجْمِ لأنها تخالف حُكْم الشابَّين المُحصَنين؟!

رواية أخرى منكرة: روىٰ الحاكم عن كثير بن الصَّلت قال: كان زيد بن ثابتٍ وسعيد بن العاص يكتبان المصحف فمرَّا علىٰ هذه الآية فقال زيد سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**الشَّيْخُ والشَّيْخَةُ إذا زَنَيا فارجُمُوهُما البَتَّة**». فقال عمر: لَمَّا نزلت أتيتُ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقلت أكتبها؟ فكأنه كره ذلك فقال عمر: ألا ترىٰ أنَّ الشيخ إذا زنىٰ ولم يحصن جلد وأنَّ الشاب إذا زنىٰ وقد أحصن رُجِم؟

قال الحافظ ابن حجرٍ: «فيستفاد من هذا الحديث السبب في نسخ تلاوتها لكون العمل علىٰ غير الظاهر مِن عمومها».اهـ

قلت: في هذه الرواية نكارتان:

إحدهما: كراهة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لكتابة آية الرَّجْمِ، وكيف يكره كتابة آيةٍ أُنزلت عليه؟!

والأخرى: قول عمر ألا ترىٰ أنَّ الشيخ إذا زنىٰ... إلخ، كيف يعترض عمر علىٰ آية يعتقد أنَّ الله أنزلها؟!

وقول الحافظ: «يُستفاد من هذا الحديث السبب في نسخ تلاوتها لكون العمل علىٰ غير الظاهر من عمومها».اهـ سهوٌ منه رحمه الله ففي القرآن عمومات كثيرة لم يُنسخ لفظها مع أنَّ عمومها غير مرادٍ، ولكن بُيِّن المراد بمخصِّصات أخرىٰ في القرآن أو السُّنَّة.

ونكارة ثالثة: وهي أنَّ الله تعالىٰ لم يكن ليحذف آيةً من القرآن لاعتراض بعض المكلَّفين عليها.

فهذه النكارات تؤيد أنَّ جملة «الشيخ والشيخة إذا زنيا» لم تكن آية من القرآن قطُّ.

٦- أنَّ تلك الجمل التي قيل إنها كانت من القرآن لا رابط يربطها بآياته بل هي جملٌ مقتطَعةٌ لا يدرىٰ أين كان محلها من المصحف الشريف.

٧- إذا قرأت خواتيم سورة (البقرة) وخواتيم (آل عمران) وما فيها من دعاء وتوجُّهٍ إلىٰ الله بأسلوبٍ في نهاية البلاغة، ووازنته بما قيل إنها كانت سورة «الحَفْد» وجدت فرقًا بينهما بعيدًا جدًّا، هو الفرق بين كلام الله وكلام البشر، لأن قُنوت الحَفْد من إنشاء عمر كما قيل.

٨- تقرَّر في علم الأصول أنَّ القرآن إنما يثبت بالتواتر وما لم يتواتر لا

يكون قرآنًا، وتلك الجُمَل التي قيل بقرآنيَّتها ليست متواترةً فهي شاذَّةٌ، والشاذُّ لا يكون قرآنًا ولا تجوز تلاوته.

٩- إنَّ السُّنَّة النبوية وقع فيها نسخ المعنى أي الحكم كما وقع في القرآن الكريم، ولم يثبت عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنه رجع عن لفظٍ مِن ألفاظ حديثه أو بدَّله بغيره أو قال للصحابة عن حديثٍ لا تحفظوه فقد نسخت لفظه أو رجعت عنه فلا تبلغوه عنِّي.

لم يثبت هذا عنه أصلًا بل صحَّ عنه من طرقٍ بلغت حدَّ الاستفاضة والشهرة أنه قال: «**نَضَّر الله امْرأً سَمِعَ مَقَالتي فوَعَاها فأدَّاها كما سَمِعَها، فرُبَّ حامِل فِقْهٍ غير فَقيهٍ، ورُبَّ حامِل فِقْهٍ إلى مَن هو أفْقَهُ مِنه**».

وإذا كان الأمر كذلك في السُّنَّة؛ فكيف يجوز أن ينسب إلى الله تعالى رجوعه عن آيةٍ ونسخ تلاوتها؟!

١٠- إنَّ معنى نسخ التلاوة عند القائلين به أنَّ الله أسقط الآية المنسوخة مِن القرآن، وهذا خطيرٌ جدًّا؛ لأن كلام الله قديمٌ وكيف يعقل أن يُغيِّر الله كلامه القديم بحذف آياتٍ منه؟!

وهل يقال كانت مِن كلام الله والآن ليست منه؟! كيف يجوز هذا والله تعالى يقول: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ٦٤] وانظر بقيَّة البحوث في الرسالة المذكورة.

النوع الحادي والخمسون: في وجوه مخاطباته

نَقَل عن ابن القيِّم قوله: «تأمَّل خطاب القرآن تجد مَلِكًا له المُلْك كله، وله الحمد كله، أزمَّة الأمور كلها بيده، ومصدرها منه، وموردها إليه، مستويًا على عرشه، لا تخفى عليه خافيةٌ من أقطار مملكته». **قلت**: قوله: «مستويًا على عرشه» زلَّةٌ من ابن القيم تدل على ميله للتشبيه سامحه الله.

نعم قال الله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] لكن لا يجوز أن نأخذ منه اسم فاعل نصفه به كما فعل ابن القيِّم، كما لا يجوز أن نصف الله بأنه مستهزئ وإن قال: ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ﴾ [البقرة: ١٥] لأنه لا يوصف إلا بصفة وردت صريحة في الكتاب أو السُّنَّة كما تقرَّر في علم الكلام.

وغفل المؤلِّف أن ينبِّه على هذه الزلَّة القبيحة؛ لأنَّ شَغَفه بالجَمْع يشغله عن تأمُّل ما ينقله، وعن تحرير ما يقوله ويكتبه.

النوع الرابع والخمسون: في كناياته

قال: ثانيها ترك اللفظ إلى ما هو أجمل منه نحو: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ﴾ [ص: ٢٣] فكنَّى بالنعجة عن المرأة كعادة العرب في ذلك؛ لأن ترك التصريح بذكر النِّساء أجمل منه.

قلت: ما ذكره غير صحيح لوجهين:

الأول: أنَّ العرب لا يتنزَّهون عن ذكر اسم المرأة ولا عن لفظها، وفي القرآن الكريم: ﴿فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ﴾ [البقرة: ٢٨٢] ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِ﴾ [القصص: ٢٣] ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا

لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ﴾ [التحريم: ١٠] ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ [التحريم: ١١] ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ [المسد: ٤] بل ثبت التصريح بأسماء كثير من النِّساء على لسان النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وكثيرٍ من الصحابة، فهذه النُّكتة باطلةٌ أو غير مطَّردةٍ.

والآخر: دعوى أنَّ لفظ «النعجة» في الآية كناية عن المرأة مَبْنيَّةٌ على خرافةٍ اسرائيلية ألصقت بداود -عليه السَّلام- كذبًا وبهتانًا، وتمالأ على ذكرها معظم المُفسِّرين، بل جميعهم فيما أعلم.

والصحيح في تفسير الآية أنَّ الخصم الذين دخلوا على داود كانوا إسرائيليين بينهم خصومةٌ في نعاجٍ حقيقية، واستغفار داود بعد ذلك لأنه فَزِع منهم حين تَسوَّروا عليه المِحراب، وتذكَّر أنه ما كان ينبغي له أن يفْزَع من مخلوقٍ وهو في حضرة الخالق يعبده ويُثْني عليه، فاعتبر هذا الفَزَع امتحانٌ مِن الله وفِتْنةٌ فخرَّ راكعًا وأناب.

النوع الخامس والستون
في العلوم المستنبطة من القرآن الكريم

قال: قال الله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

قلت: حَمْلُ الكتاب في هذه الآية على القرآن ضعيفٌ مخالفٌ للسِّياق، والصحيح أنَّ الكتاب هنا هو اللَّوح المحفوظ وهذا مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [هود: ٦] هو اللَّوح المحفوظ، والقرآن نفسه مكتوبٌ في اللَّوح المحفوظ.

قال: «وفي الولد الذي سمَّاه عبد الحارث».

قلت: يريد بهذه الجملة ما رواه ابن جريرٍ عن سَمُرة قال: «سمَّىٰ آدم ابنه عبد الحارث».

وروىٰ الترمذيُّ وغيره عن سَمُرة مرفوعًا: لما وَلَدت حوَّاء طاف بها إبليس -وكان لا يعيش لها ولد- فقال: سمِّيه عبدالحارث فسمَّته فعاش، وكان ذلك مِن وحي الشيطان وأمْره.

وهذا الحديث حسَّنه الترمذيُّ، وهو ضعيفٌ منكرٌ بل هو خرافةٌ إسرائيلية كما بيَّنه ابن كثيرٍ في "تفسيره". قال: «وتَزَوُّجِه بنت شعيبٍ».

قلت: يريد أنَّ موسىٰ تزوَّج بنت شعيبٍ، والظاهر أنه أراد شعيبًا الرسول كما قال ذلك مالكٌ وغيره، وليس بصحيحٍ؛ لأنَّ شعيبًا كان قبل موسىٰ بدلالة القرآن.

ففي (سورة الأعراف) ذكَر قصَّة نوحٍ ثُمَّ هودٍ ثُمَّ صالحٍ ثُمَّ لوطٍ ثُمَّ شعيبٍ علىٰ هذا الترتيب وبعد ذلك قال الله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ﴾ [الأعراف: ١٠٣]

قال ابن كثيرٍ: «أي الرسل المتقدِّم ذكرهم كنوحٍ وهودٍ وصالحٍ ولوطٍ وشعيبٍ».اهـ

فكيف يتزوَّج بنت رسولٍ كان قبله؟! ولعل الذي تزوَّج موسىٰ بنته كان اسمه علىٰ اسم شعيبٍ الرسول، إن صحَّ أنَّ ذلك اسمه.

قال: «وقصة القوم الذين ساروا في سرب من الأرض إلىٰ الصين».

قلت: هذه القصة وإن رواها ابن جريرٍ عن ابن عباسٍ، خرافةٌ إسرائيلية.

النوع التاسع والستون
فيما وقع في القرآن

نَقَلَ عن سَمُرة أنَّ إدريس رُفِع إلى السماء السادسة، ونصَّ على أنَّ إسناده واهٍ.

وفي حديث المعراج الصحيح أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وجَدَ إدريس في السماء الرابعة.

قال: والرَّعْد، ففي الترمذيِّ من حديث ابن عباسٍ: أنَّ اليهود سألوا النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقالوا: أخبرنا عن الرَّعْد. فقال: «**مَلَكٌ مِن الملائكة مُوكَّلٌ بالسَّحابِ**».

قلت: قال الترمذيُّ: «هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ».

وليس كذلك، في سنده بكير بن شهاب ليس من شرط الصحيح ولا الحسن، والحديث ضعيفٌ منكرٌ.

وكذلك ما ذكره مِن أنَّ البَرْق مَلَكٌ له أربعة أوجه... إلخ، ليس بصحيحٍ بل هو خرافةٌ إسرائيلية.

وكذلك «السجل» و«قَعِيد» ليسا بمَلَكين وإنما قيل ذلك وليس بصحيحٍ.

قال: و«ق» وهو جَبَلٌ محيطٌ بالأرض.

قلت: لا دليل على هذا ولا أصل له وإن شاع على ألسنة كثيرٍ من النَّاس فيهم علماء مثل المؤلِّف. ذو القرنين غير إسكندر، وكلام للإمام السيوطيِّ حول ذي القرنين غير صحيحٍ، بل فيه ما هو من قبيل الخرافة

قال: ومنها ذو القرنين واسمه إسكندر.

قلت: بل هو غيره؛ لأن إسكندر كان كافرًا وذو القرنين مسلمٌ، بل قيل بنبوَّته.

قال: «ولُقِّب ذا القرنين لأنه بلغ قرني الأرض المشرق والمغرب، وقيل لأنه ملك فارس والروم، وقيل كانت صفحة رأسه من نحاس، وقيل كان على رأسه قرنان صغيران تواريهما العمامة، وقيل أنه ضرب على قرنه فمات ثُمَّ بعثه الله فضربوه على قرنه الآخَر، وقيل كان كريم الطرفين، وقيل لأنه انقرض في وقته قرنان من الناس وهو حيٌّ، وقيل لأنه أُعطي علم الظاهر وعلم الباطن، وقيل لأنه دخل النُّور والظُّلمة».اهـ

قلت: جميع ما ذكره المؤلِّف غير صحيحٍ، بل فيه ما هو من قبيل الخرافة.

وهذه الأقوال قيلت عن ظنٍّ وتخمينٍ لا عن دليلٍ، وأطرف ما فيها أنَّ المراد بالقرنين علم الظاهر وعلم الباطن، وهذا اصطلاحٌ صوفيٌّ فهل كان ذو القرنين صوفيًّا؟!

والأقرب إلى الصواب أنه كان لذي القرنين في التاج الذي يضعه على رأسه قرنان يرمز بهما إلى القوة، على المعتاد عندهم في ذلك الزمان.

قال: ومنها فرعون، واسمه الوليد بن مصعب، وكنيته أبو العبَّاس، وقيل الوليد وقيل أبو مرة.

قلت: هذا غير صحيحٍ؛ فإنَّ فرعون قبطيٌّ واسم الوليد عربيٌّ والكُنية من خصائص العرب.

والصواب أن اسمه «منفتاح»، وجثَّته موجودةٌ بدار الآثار المصرية مع بيان اسمه وتاريخه وأنه ابن رمسيس، ولم تُذكر له كنية.

النوع الثمانون
في طبقات المفسِّرين

قال: وقد ورد عن ابن عباسٍ في التفسير ما لا يُحصَىٰ كثرةً، وفيه رواياتٌ وطُرقٌ مختلفةٌ، فمن جيِّدها طريق عليِّ بن أبي طلحة الهاشميِّ عنه.

قلت: لكن قال الميمونيُّ، عن أحمد: «له أشياء منكرات».

وقال ابن حِبَّان في "الثقات": «روىٰ عن ابن عباسٍ ولم يرَه، وفي تهذيب التهذيب روىٰ عن ابن عباسٍ ولم يرَه، بينهما مجاهدٌ، فروايته عن ابن عباسٍ منقطعةٌ، ولا يكفي أن يكون الواسطة بينهما مجاهدًا أو سعيد بن جبيرٍ، فقد يكون الواسطة غيرهما من الضعفاء».

قال: ولم يورد عنه ابن أبي حاتمٍ شيئًا لأنه التزم أن يخرج أصحَّ ما ورد.

قلت: لم يفِ بما التزمه كما يظهر لمن قرأه وتتبَّعه.

قال: وأمَّا أبي بن كعبٍ فعنه نسخةٌ كبيرةٌ يرويها أبو جعفر الرازيُّ عن الربيع عن أنسٍ، عن أبي العالية عنه. وهذا إسناد صحيحٌ.

قلت: أبو جعفر الرازي ليس من شرط الصحيح فقد ضعَّفه أحمد، وقال ابن المديني: «كان يخلط»، وقال أبو زرعة: «كان يَهِم كثيرًا»، وقال ابن حِبَّان: «كان ينفرد بالمناكير عن المشاهير».

ووثَّقه ابن معينٍ وغيره، لكن قال ابن معينٍ: «ليس بمتقِنٍ».

قلت: ومما يدل علىٰ عدم إتقانه وانفراده بالمناكير، ما رواه عن الربيع بن أنسٍ، عن أبي العالية، عن أُبيِّ بن كعبٍ قال: إنَّ روح عيسىٰ -عليه السَّلام- من جملة الأرواح التي أخذ عليها العهد في زمان آدم عليه السَّلام، وهو الذي

تمثَّل لها بَشَرًا سويًّا -أي روح عيسىٰ- فحملت الذي خاطبها وحلَّ في فِيها.

قال ابن كثيرٍ: «وهذا في غاية الغرابة والنَّكَارة»، وقال ابن تيمية: «هذا مُحالٌ».

ما ورد في التفاسير المرفوعة

قال: وأخرج الطبرانيُّ عن عليٍّ، عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**السَّكِينةُ رِيحٌ خَجُوجٌ**»

قلت: في إسناده مجهولان، ورواه ابن جريرٍ موقوفًا علىٰ عليٍّ، وتقدَّم كذلك.

والحديث منكرٌ، لا يبعد أن يكون موضوعًا، والسكينة هي طمأنينة القلب وسُكُونه.

(سورة الأعراف):

قال: وأخرج أحمد، والترمذيُّ وحسَّنه، والحاكم وصحَّحه، عن سَمُرة، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لمَّا ولدت حوَّاء طاف بها إبليس**» الحديث. **قلت**: تقدَّم في النوع الخامس والستين ونبَّهنا علىٰ أنه ضعيفٌ منكرٌ.

(سورة التوبة):

قال: وأخرج ابن المبارك في "الزهد"، والطبرانيُّ، والبيهقيُّ في "البعث"، عن عمران بن حصينٍ، وأبي هريرة قال: سُئل رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن هذه الآية ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ [التوبة: ٧٢] الحديث.

قلت: هو حديثٌ ضعيفٌ ولم ينبِّه عليه المؤلِّف.

(سورة يوسف):

قال: أخرج أبو يعلىٰ، وسعيد بن منصور، والحاكم وصحَّحه، والبيهقيُّ في "الدلائل"، عن جابر بن عبد الله قال: جاء يهوديٌّ إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله

وسلَّم فقال: يا محمد، أخبرني عن النجوم التي رآها يوسف ساجدةً له. الحديث.

قلت: تفرَّد به الحكم بن ظهير، متروكٌ، والعجب من المؤلِّف كيف سكت عن التنبيه عليه مع علمه بحال الحكم ابن ظهير.

قال: وأخرجه ابن مَرْدُويه عن أنسٍ، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: لَمَّا قال يوسف: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ [يوسف: ٥٢] قال له جبريل: يا يوسف اذكر همَّك فقال: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ [يوسف: ٥٣].

قلت: هذا الحديث غير صحيحٍ، بل هو منكرٌ ويشبه أن يكون موضوعًا والراجح عند المحقِّقين وهو مقتضىٰ السِّياق أنَّ جملة: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ كلام امرأة العزيز، ولابن تيمية في ترجيحه تأليف خاصٌّ.

(سورة الرعد):

ذكر أحاديث ضعيفةً منكرةً في أنَّ الرَّعْد مَلَكٌ والبَرْق طرف مَلَكٍ يقال له روقيل وحديث: «**إنَّ مَلَكًا مُوكَّلٌ بالسَّحَاب...**» إلخ.

وقد سبق الحديث الأول منها في النوع التاسع والستين ونبَّهنا علىٰ أنه من الإسرائيليات.

وذكر في تفسير آية ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩] أحاديث ضعيفةً المراد بها محو الرِّزق والأجل... إلخ.

وتلك أحاديث لا يعتمد عليها، والصحيح الموافق لسياق الآية أنَّ المراد بها محو الشرائع وإثبات ما شاء منها.

(سورة الإسراء):

قال: أخرج البيهقيُّ في "الدلائل" عن سعيد المَقْبُرِيِّ: أنَّ عبد الله بن سَلَامٍ سأل النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن السَّواد الذي في القَمَر... الحديث

قلت: هو مرسلٌ ضعيفٌ لا يُعتمد عليه.

إلىٰ هنا انتهىٰ ما أردت التنبيه عليه من أقوال ساقطةٍ وروايات واهيةٍ وأخبار اسرائيلية، وتركت التنبيه علىٰ بعض الأحاديث الضعيفة؛ لأن الأمر فيها قريبٌ، والله الموفِّق والهادي.

٣- جَوَاهِرُ البَيانِ
في تَناسُبِ سُوَرِ القُرْآنِ

عِلْـــمُ التَّناسُـــبِ للسُّـــورْ عِلْـــمٌ جَليـــلٌ ذو خَطَـــرْ
قَـــدْ قَـــلَّ فيـــه مَـــن كَتَـــبْ فلـــذاك عَـــزَّ المُستَطَـــرْ
وابـــن الـــزبير نـــراه في الـــ ـــبرهانِ أوَّلَ مَـــن سَطَـــرْ
إذ جـــاء فيـــه مُجلِّيـــا يتلـــوه بحـــرٌ قَـــدْ زَخَـــرْ
أعنـــي الســـيوطيَّ الـــذي كَتَـــبَ التناسُـــقَ للـــدُّرَرْ
وكَتَبْـــتُ مثـــلَ كِتـــابِهِم بحثًـــا يؤيِّـــده النَّظَـــرْ
أعْمَلْـــتُ فيـــه قَريحَتـــي واخْـــتَرْتُ أنســـبَ الفِكَـــرْ
وفَتَحْـــتُ بَعْـــضَ المُغلَـــقِ مِـــن آي زِكْـــرٍ مِـــن سُـــوَرْ
وأتيـــتُ مِـــن عَـــينِ المســـا ئِـــلِ بالبـــدائِعِ والغُـــرَرْ
أُلهِمْـــتُ مِـــن فَـــيْضِ الإلـــهِ بفَـــيضِ فَضْـــلٍ مُدَّخَـــرْ
حَمْـــدًا لواهِـــبِ فَضْـــلِهِ ولـــه التطـــوُّل إذْ سَتَـــرْ
وصَـــلَاتُهُ دَوْمًـــا عـــلى خـــيرِ البريَّـــةِ مِـــن مُضَـــرْ

تمهيد

الحمد لله الذي أنزل كتابه هدًى ورحمةً، وجعله شفاءً ونعمةً، أودعه علومًا وأسرارًا، وضمَّنه أحكامًا وأخبارًا، كتابٌ يُبيِّن طريق السَّعادةِ والشَّقاءِ، ويُرشد إلى حقائق يَتوصَّل إلى كَشْفِها بعد بحثٍ طويلٍ كبارُ العلماء.

والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّدٍ الذي اختصَّه الله بمعجزة القُرآن، وفضَّله على جميع خَلْقِهِ من مَلَكٍ وإنسٍ وجانٍّ، ورضي الله عن آلِهِ وأصحابِهِ، وعمَّن تبع هديَهُ ودخلَ في زُمْرةِ أحبابِهِ.

أمَّا بعد: فقد أردت بمشيئة الله تعالى أن أُبيِّن في هذا الكتاب مناسبات سور القرآن الكريم بعضها لبعضٍ حسب ترتيبها في المصحف الشريف، وهذا فنٌّ عزيزٌ قلَّ من تعرَّض له من العلماء، على كثرة من تعرَّض منهم لفنون القرآن المتنوِّعة مثل: تفسيره، وإعرابه، وقراءاته، وتجويده، واستنباط أحكامه، وقَصَصِه، وغير ذلك، وسمَّيته: "**جواهر البيان في تناسب سور القرآن**".

واللهَ أسألُ، وإليه بكتابه العزيز أتوسَّل، أن يوفِّقني ويُلهمني رشدي، وأن يفرِّج كربتي، ويُذهب عنِّي غُمَّتي، إنه قريبٌ مجيبٌ.

مقدمة

تشتمل على مسائل

المسألة الأولى: في أسماء سور القرآن

قال الجاحظ: «سمَّى الله تعالى كتابه اسمًا مخالفًا لما سمَّى العرب كلامهم على الجمل والتفصيل، سمَّى جملته قرآنًا كما سمَّوْا ديوانًا، وبعضه سورة كقصيدة، وبعضها آية كالبيت، وآخرها فاصلة كقافية».

وقال ابن قتيبة: «السورة تُهمز ولا تُهمز، فمن هَمَزَها جعلها من أسأرت، أي: أفضلت من السُّؤر، وهو ما بقي من الشراب في الإناء، كأنها قطعةٌ من القرآن، ومن لم يَهْمِزْها جعلها من المعنى المتقدِّم، وسهَّل همزها، ومنهم من يشبهها بسورة البناء، أي القطعة منه».

وقيل: من سور المدينة؛ لإحاطتها بآياتها، واجتماعها كاجتماع البيوت بالسُّور، ومنه السِّوار لإحاطته بالساعد.

وقيل: سُمِّيت سورة لارتفاعها؛ لأنها كلام الله، والسورة: المَنْزِلة الرفيعة، قال النابغة:

أَلَمْ تَـرَ أَنَّ اللهَ أَعْطَـاكَ سُـورَةً ... تَرَى كُـلَّ مَلْـكٍ حَوْلَهَـا يَتَذَبْـذَبُ

أي منزلة شرف ارتفعت إليها عن منازل الملوك.

وقيل لتركيب بعضها على بعضٍ من التسَوُّر بمعنى التصاعد والتركيب، ومنه: ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾ [ص: ٢١] هذا أصل اشتقاق كلمة السورة من حيث اللغة.

وأمَّا معناها في الاصطلاح، فقال الجعبريُّ: «حدُّ السُّورة: قرآنٌ يشتمل

على آيٍ ذو فاتحةٍ وخاتمةٍ، وأقلُّها ثلاث آياتٍ».

وقال غيره: «السورة: الطائفة المترجمة توقيفًا، أي المسمَّاة باسمٍ خاصٍّ بتوقيف من النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم».

قال الحافظ السيوطيُّ: «وقد ثبت جميع أسماء السور بالتوقيف من الحديث والآثار». قال: «ومما يدل لذلك ما أخرجه ابن أبي حاتمٍ، عن عكرمة، قال: كان المشركون يقولون: (سورة البقرة)، و(سورة العنكبوت)، يستهزئون بها، فنزل: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾ [الحجر: ٩٥]».

قلت: هذا مرسلٌ ضعيفٌ.

وقد يكون للسورة اسمٌ واحدٌ -وهو الأصل- وقد يكون لها أكثر، مثل:

(الفاتحة) تسمَّى: «فاتحة الكتاب»، و«فاتحة القرآن»، و«أم الكتاب»، و«أم القرآن»، و«السبع المثاني»، و«الوافية»، و«الكافية»، وقد أوصل السيوطي أسماءها في "الإتقان" إلى خمسةٍ وعشرين اسمًا.

و**(سورة البقرة)**: ثبت تسميتها «سنام القرآن» في حديث عند الحاكم، وورد تسميتها «فسطاط القرآن» في حديثٍ ضعيفٍ، وسمِّيت هي و(آل عمران) بـ«الزهراوين» في حديثٍ صحيحٍ.

و**(المائدة)**: تسمَّى «العقود».

و**(الأنفال)**: قال ابن عبَّاسٍ: «سورة بدرٍ».

و**(التوبة)**: تسمَّى «براءة»، و«الفاضحة»، و«سورة العذاب»، «المُقَشْقِشَة»، و«المُنَقِّرة»، و«البَحوث» -بفتح الباء- و«المثيرة»، و«المبعثرة»، و«الحافرة»، لأنها فضحت المنافقين، وكانت عذابًا عليهم، وبرأت من النفاق، ونقَّرت عما في

قلوب المنافقين، وبحثت عن أسرارهم وأثارتها، وبعثرت عنها، وحفرت عنهم.

و(**النحل**): تسمَّىٰ «سورة النِّعم».

و(**الإسراء**): تسمَّىٰ «سورة سبحان»، «وبني إسرائيل».

و(**طه**): تسمَّىٰ «سورة الكليم».

و(**الشعراء**): وقع في "تفسير الإمام مالك" تسميتها بـ«سورة الجامعة».

و(**النمل**): تسمَّىٰ «سورة سليمان».

و(**السجدة**): تسمَّىٰ «سورة المضاجِع».

و(**فاطر**): تسمَّىٰ «سورة الملائكة».

و(**يس**): سمِّيت في حديث يأتي: «قلب القرآن».

و(**الصافات**): تسمَّىٰ «سورة الذَّبيح».

و(**ص**): تسمَّىٰ «سورة داود».

و(**الزُّمَر**): تسمَّىٰ «سورة الغُرَف».

و(**غافر**): تسمَّىٰ سورة «الطول»، و«المؤمن».

و(**فصِّلت**): تسمَّىٰ «سورة السجدة»، و«سورة المصابيح».

و(**الجاثية**): تسمَّىٰ «سورة الشريعة»، و«سورة الدهر».

و«**اقتربت**»: (سورة القمر).

و(**الرحمن**): سمِّيت في حديث يأتي: «عروس القرآن».

و(**المجادلة**): سمِّيت في مصحف أبي بن كعب «سورة الظِّهار».

و(**الحشر**): قال ابن عبَّاسٍ: «سورة بني النضير».

و(**الصف**): «سورة الحواريين».

و(الطلاق): قال ابن مسعودٍ: «سورة النِّساء القُصْرَىٰ».

و(المُلْك): «سورة تبارك» و«المانعة».

و(المعارج): «سورة سأل» و«الواقع».

و(النبأ): «سورة عم»، و«التساؤل»، و«المعصرات».

و(البيِّنة): «سورة القيمة»، و«لم يكن»، و«البرية»، و«الانفكاك»، وسمِّيت في مصحف أُبيٍّ بن كعب: «سورة أهل الكتاب».

و(الماعون): «سورة أرأيت»، و«الدِّين».

و(الكافرون): «سورة العبادة»، وتسمَّىٰ: «المقشقشة».

و(النصر): «سورة التوديع».

و«تَبَّت»: (سورة المسد).

و(الإخلاص): «سورة الأساس».

المسألة الثانية: في ترتيب سور القرآن

الصحيح عند عامَّة السَّلَف أنَّ ترتيب السُّور تَوْقِيفي، بمعنىٰ أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يلقاه عن جبريل عليه السَّلام- وتلقاه عنه الصحابة.

قال عبد الله بن وهبٍ: «سمعت مالكًا يقول: إنما ألف القرآن علىٰ ما كانوا يسمعونه من رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم».

وقال البغويُّ في "شرح السُّنَّة": «الصحابة رضي الله عنهم جمعوا بين الدفَّتين القرآن الذي أنزله الله علىٰ رسوله من غير أن زادوا أو نقصوا منه شيئًا؛ خوف ذهاب بعضه بذهاب حَفَظَتِهِ، فكتبوه كما سمعوا من رسول الله صلَّىٰ الله

عليه وآله وسلَّم، وكان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يلقِّن أصحابه ويعلِّمهم ما نزل عليه من القرآن علىٰ الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا بتوقيف جبريل إياه علىٰ ذلك، وإعلامه عند نزول كلِّ آيةٍ أنَّ هذه الآية تكتب عَقِب كذا في سورة كذا، فثبت أنَّ سعي الصحابة كان في جمعه في موضع واحدٍ لا في ترتيبه؛ فإنَّ القرآن مكتوبٌ في اللوح المحفوظ علىٰ هذا الترتيب، أنزله الله جملة إلىٰ السماء الدنيا، ثُمَّ كان يُنزِله مُفرَّقًا عند الحاجة، وترتيب النزول غير ترتيب التلاوة».

وقال ابن الحَصَّار: «ترتيب السور ووضع الآيات مواضعها إنما كان بالوحي، كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**ضَعُوا آيةَ كذا في موضعِ كذا**». وقد حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب من تلاوة الرسول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ومما أجمع الصحابة علىٰ وضعه هكذا في المصحف.

وقال أبو بكر بن الأنباري في كتاب "الردُّ علىٰ من خالف مصحف عثمان": «إنَّ الله تعالىٰ أنزل القرآن جملةً إلىٰ السماء الدنيا، ثُمَّ فرَّقه علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في بضعٍ وعشرين سنة، وكانت السورة تنزل في أمر يَحْدُث، والآية تنزل جوابًا لمُستَخبرٍ يسأل، ويوقف جبريل النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ موضع السورة والآية».

فانتظام السور كانتظام الآيات والحروف، كله عن رسول الله خاتم النبيين، عن ربِّ العالمين، فمن أخَّر سورةً مقدَّمة، أو قدَّم أخرىٰ مؤخَّرة، كمن أفسد نظم الآيات، وغيَّر الحروف والكلمات، ولا حُجَّة علىٰ أهل الحقِّ في تقديم (البقرة)

على (الأنعام)، و(الأنعام) نزلت قبل (البقرة)؛ لأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أخذ عنه هذا الترتيب، وهو كان يقول: «**ضَعُوا هذه السُّورة مَوْضِع كذا وكذا مِن القرآنِ**». وكان جبريل عليه السَّلام يوقفه على مكان الآيات.

وقال الكرمانيُّ في "البرهان": «ترتيب السور هكذا هو عند الله في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب، وكان صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يعرض على جبريل كل سنة ما كان يجتمع عنده منه، وعرضه عليه في السَّنة التي توفِّي فيها مرَّتين، وكان آخر الآيات نزولا: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١] فأمره جبريل أن يضعها بين آيتَي الرِّبا والدَّين».

وقال العلَّامة الطيبي: «أُنزل القرآنُ أوَّلًا جملةً واحدةً من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ثُمَّ نزل مُفرَّقًا على حسب المصالح، ثُمَّ أُثبت في المصاحف على التأليف والنظم المثبت في اللوح المحفوظ»(١).

وذهب القاضي الباقلَّاني في أحد قوليه وابن فارس إلى أنَّ ترتيب السور باجتهاد من الصحابة، ونُسب إلى مالك.

---

(١) وقال وليُّ الدين الملَّويُّ: «قد وَهِم مَن قال: لا يُطلَبُ للآي الكريمة مناسبةٌ؛ لأنها على حسب الوقائع المفرَّقة. وفَصْلُ الخِطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلًا، وعلى حسب الحكمة ترتيبًا وتأصيلًا، فالمصحف على وَفْقِ ما في اللَّوح المحفوظ مرتبةٌ سُوَره كلُّها وآياته بالتوقيف، كما أنزل جملةً إلى بيت العِزَّة.

ومِن المُعجِز البيِّن: أسلوبه ونَظْمه الباهر، والذي ينبغي في كلِّ آيةٍ أن يُبحثَ أوَّل كلِّ شيءٍ عن كونها مُكمِّلةً لما قبلها أو مستقلَّةً، ثُمَّ المستقلَّة ما وجه مُناسبتها لما قبلها؟ ففي ذلك عِلْمٌ جَمٌّ، وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها، وما سِيقت له.

ومال ابن عطية في "تفسيره": إلىٰ أنَّ كثيرًا من السور كان قد علم ترتيبها في حياته صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كالسبع الطوال والحواميم والمفصَّل، وأنَّ ما سوىٰ ذلك يمكن أن يكون قد فوض الأمر فيه إلىٰ الأُمَّة بعده.

قال الزركشي في "البرهان": «والخلاف بين الفريقين لفظيٌّ؛ لأن القائل بالثاني يقول: إنه رمز إليهم ذلك، لعلمهم بأسباب نزوله ومواقع كلماته، ولهذا قال مالكٌ: إنما أَلَّفوا القرآن علىٰ ما كانوا يسمعونه من النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مع قوله: بأنَّ ترتيب السور باجتهاد منهم». فآل الخلاف إلىٰ أنه هل هو بتوقيفٍ قوليٍّ؟ أو بمجرَّد إسنادٍ فعليٍّ؟ بحيث يبقىٰ لهم فيه مجالٌ للنَّظر.

وقال البيهقيُّ في "المدخل": «كان القرآن علىٰ عهد النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مرتبًا سُوَره وآياته علىٰ هذا الترتيب إلَّا الأنفال وبراءة، لحديث عثمان». ومال إليه السيوطيُّ.

وحديث عثمان لا دلالة فيه لما قاله كما سيأتي بحول الله تعالىٰ.

قال أبو جعفر النحاس: «المختار أنَّ تأليف السور علىٰ هذا الترتيب من رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لحديث وَاثِلة: «**أُعْطِيتُ مكان التوراةِ السَّبْعَ الطِّوَال**».

فهذا الحديث يدل علىٰ أنَّ تأليف القرآن مأخوذٌ عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وأنه من ذلك الوقت، وإنما جُمع في المصحف علىٰ شيءٍ واحدٍ؛ لأنه جاء هذا الحديث بلفظ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ تأليف القرآن».

قلت: لفظ حديث واثلة: «**أُعطيتُ مكان التوراة السَّبْعَ الطِّوال، وأُعطيت مكان الزَّبُور المئين، وأُعطيتُ مكان الإنجيل المَثاني، وفُضِّلْتُ بالمُفَصَّل**». رواه

أحمد والطبرانيُّ.

وفي إسناده عمران بن داود القطَّان، وهو وإن ضعَّفه يحيىٰ بن معين، وأبو داود، والنَّسائيُّ؛ فقد وثَّقه عفَّان، ومشاه أحمد، وقال ابن عديٍّ: «هو ممَّن يُكتب حديثه». واحتجَّ به ابن خزيمة وابن حِبَّان والحاكم وغيرهم، فهذا الحديث حسنٌ.

قال الحافظ ابن حجرٍ في "الفتح"[1]: «ومما يدل علىٰ أن ترتيبها توقيفي ما أخرجه أحمد، وأبو داود، عن أوس بن أبي أوس، عن حذيفة الثقفي قال: كنت في الوفد الذين أسلموا من ثقيف... الحديث.

وفيه فقال لنا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**طرأ عليَّ حِزْبٌ من القرآنِ فأردتُ ألَّا أخرج حتى أقضيه**».

فسألنا أصحاب رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قلنا كيف تُحَزِّبون القرآن؟ قالوا: نُحزِّبه ثلاث سورٍ، وخمس سورٍ، وسبع سورٍ، وتسع سورٍ، وإحدىٰ عشرة سورةً، وثلاث عشرة سورةً، وحزب المفصَّل من (ق) حتىٰ يختم».

قال: «فهذا الحديث يدل علىٰ أنَّ ترتيب السور علىٰ ما هو في المصحف

---

(١) اسمه: "فتح الباري بشرح صحيح البخاري" وهو أحسن شروحه من حيث جمع الطرق والروايات، والجمع بين الأحاديث المختلفة. التزم ألَّا يذكر فيه إلَّا حديثًا صحيحًا أو حسنًا، وأن يُنبِّه علىٰ الحديث الضعيف إذا ذكره، ولذلك تجد الحافظ السخاوي في "المقاصد الحسنة" إذا نقل تضعيفًا أو توهينًا لحديث، يستدرك أحيانًا بقوله: «لكن ذكره شيخنا في "شرح البخاري"».

الآن، كان على عهد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم». قال: «ويحتمل أن الذي كان مرتبًا حينئذٍ حزب المفصَّل خاصَّة، بخلاف ما عداه».

قلت: هو احتمال بعيدٌ، يبطله حديث واثلة.

وفي "صحيح مسلم" حديث: «**اقرؤا الزَّهْرَاوَيْن البقرة وآل عمران**».

وفي "مصنَّف ابن أبي شيبة" من حديث سعيد بن خالد قال: قرأ النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالسبع الطِّوال في ركعة.

وفي "صحيح البخاري" عن ابن مسعودٍ أنه قال: «في (بني إسرائيل)، و(الكهف)، و(مريم)، و(طه)، و(الأنبياء): إنهنَّ من العِتاق الأُوَل، وهُنَّ من تِلَادِي [1]». فذكرها نسقًا كما هي في المصحف الآن.

قال الحافظ السيوطي: «ومما يدل على أنَّ ترتيب السور توقيفي كون الحواميم رُتِّبت ولاءً، وكذا الطواسين، ولم تُرتَّب المُسَبِّحات ولاءً، بل فُصِل بين سُوَرِها وفُصِل بين: ﴿طسٓمٓ﴾ (الشعراء)، و﴿طسٓمٓ﴾ (القصص) بـ﴿طسٓ﴾ (النمل)، مع أنها أقصر منهما، ولو كان الترتيب اجتهاديًا لذكرت المسبِّحات ولاءً، وأخِّرت ﴿طسٓ﴾ (النمل) عن (القصص).

والخلاصة: أنَّ ترتيب السور توقيفي كترتيب الآيات.

أمَّا ما رواه أحمد وأصحاب "السُّنن" عن ابن عبَّاسٍ قال: «قلت لعثمان: ما حملكم على أن عمدتم إلى (الأنفال) وهي من المثاني، وإلى ﴿بَرَآءَةٌ﴾ وهي من

---

(١) بكسر التاء وفتحها يريد أنه أخذهنَّ قديمًا بمكَّة، والتلاد المال القديم الذي نشأ عند الشخص وتولد عنده، ويقال له: التالد أيضًا وخلافه: «الطارف» وهو المال الحادث.

المئين، فقرنتم بينهما، ولم تكتبوا بينهما سطر ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ووضعتموهما في السبع الطِّوال؟ فقال عثمان: كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم تنزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب، فيقول: «**ضَعُوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا**». وكانت (الأنفال) من أوائل ما نزل بالمدينة، وكانت (براءة) من آخر القرآن نزولًا، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، فظننت أنها منها، فقُبض رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ولم يبيِّن لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ ووضعتهما في السبع الطِّوال». صحَّحه ابن حِبَّان والحاكم.

فهذا لا يدل علىٰ أنَّ عثمان رتَّبهما باجتهادٍ منه، وإنما يدل علىٰ أنه ظنهما سورة واحدة، ولهذا لم يكتب لـ(براءة) بسملة، وهذا رأي رآه مجاهد وأبو رَوْقٍ وسفيان فقالوا: «(الأنفال) و(براءة) سورةٌ واحدةٌ».

والصحيح أنَّ (براءة) سورةٌ قائمةٌ بنفسها، وهو ما عليه عامَّة العلماء، ولم تكتب في أولها البسملة؛ لأن النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لم يأمر بكتابتها، كما في "المستدرك" للحاكم، والحكمة في ذلك ما رواه الحاكم عن ابن عبَّاسٍ، قال: «سألت عليًّا بن أبي طالبٍ: لِمَ لم تكتب في براءة ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾؟ قال: لأنها أمانٌ، و(براءة) نزلت بالسَّيف»[1].

---

(١) ولأنها كانت عذابًا علىٰ المنافقين، فضحتهم وكشفت أسرارهم. ففي "صحيح البخاري" عن سعيد بن جبيرٍ، قال: «قلت لابن عباس: سورة التوبة، قال: التوبة؟ بل هي الفاضحة، ما زالت تنزل: ومنهم، ومنهم، حتىٰ ظننَّا أن لا يبقىٰ أحدٌ مِنَّا إلَّا

(تنبيه): **السَّبْعُ الطِّوال**: أوَّلها (البقرة) وآخرها (براءة).

والمِئُون: هي السور التي تبلغ كلُّ واحدةٍ منها مائة آيةٍ أو تُقاربها.

والمثاني: ما كانت أقل مِن المائة، وسُمِّيت مثاني: لأنها ثنت المئين، أي كانت لها ثوان، والمِئون لها أوائل، والأنفال من المثاني.

والمُفصَّل: ما ولي المثاني مِن قِصار السور، وأوله (ق) إلى الآخر.

المسألة الثالثة: أنواع المناسبة

المناسبة علمٌ شريفٌ عزيزٌ، قَلَّ اعتناء المُفسِّرين به لدقَّته، واحتياجه إلى مزيد فِكْرٍ وتأمُّلٍ، وهو نوعان:

أحدهما: مناسبة الآي بعضها لبعضٍ بحيث يظهر ارتباطها وتناسقها كأنها جملةٌ واحدةٌ.

قال الإمام الرازي في "تفسيره": «أكثر لطائف القرآن مودعةٌ في الترتيبات والروابط». وذكر كثيرًا من المناسبات في "تفسيره" المذكور.

وقال ابن العربي المعافري في "سراج المريدين": «ارتباط آي القرآن بعضها ببعضٍ حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني علمٌ عظيمٌ لم يتعرَّض له إلَّا عالمٌ واحد عمل فيه (سورة البقرة)، ثُمَّ فتح الله لنا فيه، فلمَّا لم نجد له حَمَلةً ورأينا الخَلْق بأوصاف البَطَلة ختمنا عليه، وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه».

ذُكِر فيها». وفي "مستدرك الحاكم" عن حذيفة، قال: «التي تسمُّون سورة التوبة، هي سورة العذاب».

ولعله يقصد الشيخ النيسابوري فإنه أول من أظهر علم المناسبة -وكان غزير العلم في الشريعة والأدب- وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه: «لِمَ جُعِلَت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟». وكان يُزْري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة.

وللبرهان البقاعي تفسيرٌ التزم فيه بيان مناسبة الآي والسور، قال في مقدَّمته: «وسمَّيته "نظم الدرر في تناسب الآي والسور" ويناسب أن يسمَّى "فتح الرحمن في تناسب أجزاء القرآن" وأنسب الأسماء له "ترجمان القرآن ومبدي مناسبات الفرقان"».

وذكر في كتابه الذي ردَّ به على الحافظ السخاويِّ أنه ألَّفه في مدى أربع عشرة سنة، طبع منه "مبحث المَيسِر" بنفقة مستشرق سويدي اسمه «لندبرج» وكان يسمِّي نفسه عمر السويدي، وسمَّاه "لعب العرب بالمَيسِر في الجاهلية الأولى" وطبعه في ليدن ضمن مجموعة "طُرَف عربية".

وللحافظ السيوطي كتاب في "أسرار التنزيل" وصفه بأنه جامع لمناسبات السور والآيات مع ما تضمَّنه من بيان وجوه الإعجاز وأساليب البلاغة، سمَّاه "قطف الأزهار في كشف الأسرار".

والزمخشريُّ يتعرَّض في "تفسيره" لبيان مناسبة بعض الآي، لكن الإمام الرَّازي أكثر تعرُّضًا منه لبيان تلك المناسبة. وأرجو أن يوفِّقني الله إلى تأليف كتاب واسعٍ في هذا الموضوع.

ثانيهما: مناسبة السور بعضها لبعضٍ، وأول من أفرد هذا النوع بالتأليف -فيما أعلم- العلامة أبو جعفر بن الزبير الأندلسي، شيخ العلامة أبي حَيَّان، ألَّف

كتابا سماه "البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن"، ثُمَّ كتب الحافظ السيوطي كتابه "تناسق الدرر في تناسب السور" لخَّصه من كتابه "قطف الأزهار" السالف ذكره.

وكتابي هذا ثالث كتابٍ في هذا العلم الشريف، ألهمنيه الله وله الحمد والمِنَّة، وهو أنواع ثلاثة:

أحدها: تناسب بين السورتين في موضوعهما وهو الأصل والأساس.

ثانيها: تناسب بين فاتحة السورة والتي قبلها كالحواميم.

ثالثها: مناسبة فاتحة السورة لخاتمة ما قبلها، مثل: ﴿وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ [الطور: ٤٩]، ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم: ١]، ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل: ٥]، ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ [قريش: ١].

ويوجد نوع رابع من المناسبة، وهو مناسبة فاتحة السورة لخاتمتها، أفرده السيوطيُّ بالتأليف كتب فيه جزءًا صغيرًا سمَّاه "مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع"، ويدخل في هذا النوع «ردُّ العَجُز على الصدر» وهو من المُحسِّنات البديعيَّة، وسنُنبِّه على شيءٍ من ذلك في محلِّه من هذا الكتاب، والله الموفِّق إلى الصواب.

مناسبة ابتداء القرآن بالفاتحة

اشتملت (الفاتحة) على معاني عظيمة، ومقاصد سامية، يمكن تلخيصها فيما يلي:

١- حمد الله تعالى، ومعنى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: ٢]: الثناء على الله بإثبات كلِّ كمالٍ له سبحانه. وهذه الجملة تتضمَّن أمرين: الإقرار بوجود الله، وباستحقاقه لكلِّ كمال.

٢- وصفه بأنه ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وهو يفيد الإقرار بأمرين أيضًا: أنَّ الله مالك العالمين، وأنه يربِّيهم بما يصلح لكلِّ فردٍ منهم، ويمدُّ كلًّا منهم بما ينفعه: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠].

٣- وصفه: بـ ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٣]. ومعنى الرحمن: المُنعم بجلائل النِّعم، والرحيم: المُنعم بدقائقها.

وهذا الوصف يفيد أمرين أيضًا: أنَّ وصف الرحمة ذاتيٌّ لله تعالى كربوبيته، وترغيب العباد في فعل ما يستجلب رحمته بهم.

٤- وصفه بأنه: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، أي: الجزاء. وهذا الوصف يفيد الإقرار بأمرين: بيوم البعث، وبأن لله في ذلك اليوم الملِك المُطْلَق: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

٥- تخصيص الله بالعبادة جميعها من صلاةٍ وصومٍ وصدقةٍ وحجٍّ وغيرها، وهذا مستفادٌ من ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥]، أي: نخصُّك بالعبادة ولا نعبد

غيرك ولا نقصد رياءً في عبادتك.

٦- تخصيصه بطلب الإعانة منه على العبادة وغيرها من سائر الشئون، وهذا مستفادٌ من ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي: لا نطلب الإعانة في جميع أمورنا إلَّا منك.

٧- الالتجاء إليه بطلب الهداية إلى الصراط المستقيم الذي هو دين الإسلام.

وهذا يتضمَّن الإقرار بأمرين:

١- بنبوة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وحقية ما جاء به مما يشتمل عليه الإسلام من عقائد، وعبادات، ومعاملات، وهو صراط المُنعَم عليهم.

٢- وببطلان صراط المغضوب عليهم والضالين، وهم اليهود والنصارى كما ثبت في الحديث الصحيح[1].

فهذه المعاني السبعة تعتبر إجمالًا لما فصَّله القرآن الكريم، فمعظم السور المكية -بل جميعها- تفيض في إثبات وجود الله، ووحدانيته، واتصافه بالكمالات، وتنزهُّه عما يصفه به المشركون من نقائص، واستحقاقه للعبادة، وتفرُّده بالإعانة وما في معناها، وإثبات النبوات، وخاصة منها نبوة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وإثبات يوم البعث وما يليه، إلى آخر ما هو مفصَّلٌ فيها بأدلته المتنوعة.

---

(١) هو حديث عديٍّ بن حاتمٍ قال: قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «إنَّ المغضوبَ عليهم هم اليهودُ، وإنَّ الضالِّين هم النَّصارى». رواه أحمد، والترمذيُّ وحسَّنه، وصحَّحه ابن حِبَّان. وذلك أنَّ اليهود جَحَدوا الحقَّ وهم عالمون به، فغضب الله عليهم، والنصارى قلَّدوهم فضلُّوا.

والسور المدنية تشتمل على بيان الأحكام من عبادات، ومعاملات، ومواريث، وحدود، وعقوبات، وجهاد، وغير ذلك، فلهذه المناسبة القوية الواضحة -أعني اشتمال (الفاتحة) على مجمل ما فصله القرآن- ابتدئ بها، ومن مقتضيات البلاغة تقديم الشئ مُجملًا، ثُمَّ تفصيله بعد ليكون أوقع في النفوس وأدعى لتمكنه منها.

ومناسبة أخرى للابتداء بها، تلك هي براعة الاستهلال، وهي إشعار المتكلِّم في مفتتح كلامه بما يريد أن يفيض فيه، ولا شك أنَّ من تدبَّر الفاتحة وتأمَّل معانيها، أشعرته بالمعاني التي فصَّلتها السور بعدها.

ومن المناسبات للابتداء بها: أنَّ الله أرشد عباده إلى ابتداء مهامِّ أمورهم بحمده تعالى، والثناء عليه سبحانه.

ومن هنا قال العلماء: «ينبغي افتتاح الأمور المهمَّة بالحمد، تأسِّيًا بصنيع القرآن العظيم، وذلك مثل خطبة الجمعة، والعيدين، وخطبة النِّكاح، والمؤلَّفات العلمية».

ورغَّب الحديث في ذلك أيضًا، ففي "سنن أبي داود" من حديث أبي هريرة «**كلُّ أمرٍ ذي بالٍ لا يُبدأ فيه بحمد الله أقطع**». أو كما قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

(تنبيه): روى ابن حِبَّان والحاكم في "صحيحيهما" عن أنسٍ رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ألا أُخبرك بأفضل القرآن؟** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾».

وفي "المسند" من حديث عبد الله بن جابر البياضي رضي الله عنه مرفوعًا: «**ألا أُخبرك بأخْيَرِ سورةٍ في القرآن؟** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾».

وفي "صحيح البخاري" عن أبي سعيد بن المعلَّى، قال: «كنت أصلِّي في المسجد فدعاني رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فلم أُجِبْهُ، ثُمَّ أتيته فقلت: «يا رسول الله إني كنت أصلِّي، فقال: «**ألم يقل الله تعالى:** ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤] ثُمَّ قال: «**لأعلمنَّك سورةً هي أعظم سورةٍ في القرآن قبل أن تخرج من المسجد**» فأخذ بيدي، فلمَّا أردنا أن نخرج قلت: يا رسول الله إنك قلت: «لأعلمنك أعظم سورةٍ في القرآن، قال: «﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ **هي السبع المَثانى والقرآن العظيم الذي أُوتيته**».

قال ابن التين في "شرح البخاري": «**لأعلمنَّك سورةً هي أعظم سُوَرِ القرآن**». معناه: أنَّ ثوابها أعظم من غيرها».

وقال غيره: «إنما كانت أعظم السور لأنها جمعت جميع مقاصد القرآن، ولذلك سمِّيت أمَّ القرآن».

روى البيهقيُّ عن الحسن البصريِّ قال: «إنَّ الله أودع علوم الكتب السابقة في القرآن، ثُمَّ أودع علوم القرآن في (الفاتحة)، فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنزَّلة».

واختلفت عبارات العلماء في كيفية بيان اشتمالها على علوم القرآن، نذكر منها عبارة العلامة الطِّيبي:

قال رحمه الله تعالى: «هي مشتملةٌ على أربعة أنواع من العلوم التي هي

مناط الدِّين:

أحدها: علم الأصول، ومعاقده: معرفة الله تعالىٰ وصفاته، وإليها الإشارة بقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ومعرفة النبوَّة، وهي المراد بقوله: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ومعرفة المعاد، وهو الموحىٰ إليه بقوله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾.

ثانيها: علم الفروع، وأسُّه العبادات، وهو المراد بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.

ثالثها: علم ما يحصل به الكمال، وهو علم الأخلاق، وأجمله: الوصول إلىٰ الحضرة الصمدانية، والالتجاء إلىٰ جناب الفردانية، والسلوك لطريقه، والاستقامة فيها، وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾.

رابعها: علم القصص والأخبار عن الأمم السالفة، والقرون الخالية السعداء منهم والأشقياء، وما يتصل بها من وعد مُحسنهم، ووعيد مُسيئهم وهو المراد بقوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة:١ ٧].

وقال الغزالي: «مقاصد القرآن ستة: ثلاثة مُهمَّة، وثلاثة مُتمَّة:

الأولى: تعريف المدعو إليه، كما أشير إليه بصدرها، وتعريف ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾، وقد صرَّح به فيها، وتعريف الحال عند الرجوع إليه تعالىٰ وهو الآخرة، كما أشير إليه بـ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾.

والأخرى: تعريف أحوال المطيعين كما أشير إليه بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ وحكاية أقوال الجاحدين وقد أشير إليها بـ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا

ٱلضَّآلِّينَ ﴾ وتعريف منازل الطريق كما أشير إليه بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾».

٢- ﴿ سورة البقرة ﴾

لما خُتمت (الفاتحة) بطلب الهداية إلى ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝١ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ ناسب أن يبيِّن من هم المنعم عليهم وما طريقهم، فقيل في أول هذه السورة: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ٢ - ٥].

فبيَّنت الآية المنعم عليهم، وهم المتقون، كما بينت طريقهم وهو الإيمان والعمل الصالح، وهذا هو مسمَّى الدين الإسلامي.

تنبيهان

(التنبيه الأول): لو وضعت (الفاتحة) بجانب أي سورة، لناسبتها بوجه من الوجوه، إذ ما من سورة إلَّا فيها تفصيل لما أجملته معانيها، وهذا من خصائص الفاتحة، ومِن ثَمَّ سُمِّيت أمَّ القرآن، وأمَّ الكتاب، وأفرد تفسيرها بمؤلَّفاتٍ خاصَّةٍ تكشف عن بعض أسرارها، وحِكَمها وأحكامها، ومن أجمع تلك المؤلَّفات، "تفسير الفاتحة" لجدنا الإمام العلامة العارف الكبير أبي العباس أحمد بن عجيبة الحسني وهو في مجلَّد.

وقد كان سيِّدنا الإمام الأستاذ الوالد رضي الله عنه افتتح قراءة التفسير بالزاوية الصِّدِّيقية، فمكث يفسِّر الفاتحة شهرًا كاملًا، أتىٰ فيه بالمُدْهِش المُطْرب، وكان بحرًا لا تنزفه الدِّلاء.

(التنبيه الثاني): افتتحت (سورة البقرة) بمدح المتقين الذين آمنوا بما أنزل علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وما أنزل علىٰ من قبله من الرسل، ثُمَّ بذمِّ الكُفَّار، واختتمت بمدح المؤمنين الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله وطلبهم من الله -في ختام دعائهم له- أن ينصرهم علىٰ القوم الكافرين، فتناسب مطلعها ومقطعها.

تناسب السور الأربع الطوال

اعلم وفَّقك الله تعالىٰ أنَّ (سورة البقرة)، و(آل عمران)، و(النِّساء)، و(المائدة)، تتناسب في أمرين: نزولها بالمدينة، واشتمالها علىٰ أحكام تشريعية.

ففي (البقرة): بيان القبلة، وإتمام الحجِّ والعمرة، والإحصار، والخلع، وعدَّة المطلَّقات، والمتوفَّىٰ أزواجهنَّ، والدَّين، والرَّهن، وغير ذلك.

وفي (آل عمران): إيجاب الحجِّ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد، وبيان فضل الشهداء، وغير ذلك.

وفي (النِّساء): إيجاب الصداق، وإباحة الزواج بأربع نسوةٍ، وبيان المحرَّمات في النكاح، والمواريث، والوصاية علىٰ أموال اليتامىٰ، وأحكام القتل الخطأ، وغير ذلك.

و(في المائدة): إيجاب الوضوء، وبيان ما يحرم أكله، وطعام أهل الكتاب، وحرمة صيد البرِّ علىٰ المُحْرِم، وإباحة صيد البحر مطلقًا، وغير ذلك.

وقال بعض الأئمَّة في بيان تناسبها:

(سورة الفاتحة) تضمَّنت الإقرار بالربوبية والالتجاء إليه في دين الإسلام، والصيانة عن دين اليهودية والنصرانية.

و(سورة البقرة) تضمنت قواعد الدين، (وآل عمران) مكمِّلة لمقصودها، فـ(البقرة) بمنزلة إقامة الدليل على الحكم، و(آل عمران) بمنزلة الجواب عن شبهات الخصوم، ولهذا ورد فيها ذكر المتشابه، لما تمسَّك به النصارى.

وأوجب الحج في (آل عمران)، وأمَّا في (البقرة) فذكر أنه مشروعٌ، وأمر بإتمامه بعد الشروع فيه.

وكان خطاب النصارى في (آل عمران) أكثر، كما أنَّ خطاب اليهود في (البقرة) أكثر؛ لأن التوراة أصلٌ والإنجيل فرع لها، والنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لمَّا هاجر إلى المدينة دعا اليهود وجاهدهم، وكان جهاده للنصارى في آخر الأمر، كما كان دعاؤه لأهل الشِّرك قبل أهل الكتاب.

ولهذا كانت السور المكية فيها الدِّين الذي اتفق عليه الأنبياء، فخوطب به جميع الناس، والسور المدنية فيها خطاب من أقرَّ بالأنبياء من أهل الكتاب والمؤمنين، فخوطبوا بـ«يا أهل الكتاب»، «يا بني إسرائيل»، «يا أيها الذين آمنوا».

وأما (سورة النِّساء) فتضمَّنت أحكام الأسباب التي بين الناس وهي نوعان: مخلوقة لله، ومقدَّرة لهم كالنسب والصِّهر.

ولهذا افتتحت بقوله: ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ ثم قال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١].

فانظر هذه المناسبة العجيبة في الافتتاح وبراعة الاستهلال، حيث تضمَّنت

الآية المفتتح بها ما أكثر السورة في أحكامه من نكاح النِّساء ومحرَّماته، والمواريث المتعلِّقة بالأرحام، فإن ابتداء هذا الأمر كان بخلق آدم، ثُمَّ خَلْق زوجه منه، ثُمَّ بثَّ منهما رجالًا كثيرًا ونساءً في غاية الكثرة.

وأمَّا (المائدة) فسورة العقود، تضمَّنت بيان تمام الشرائع ومكمِّلات الدِّين، والوفاء بعهود الرسل وما أخذ على الأمَّة، وبها تمَّ الدين، فهي سورة التكميل؛ لأن فيها تحريم الصَّيد على المُحْرِم الذي هو من تمام الإحرام، وتحريم الخمر الذي هو من تمام حفظ العقل والدين، وعقوبة المعتدين من السُّرَّاق والمحاربين الذي هو من تمام حفظ الدماء والأموال، وإحلال الطيبات الذي هو من تمام عبادة الله تعالى، ولهذا ذكر فيها ما يختص بشريعة محمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كالوضوء، والتيمم، والحكم بالقرآن على كل ذي دينٍ.

ولهذا أكثر فيها من لفظ الإكمال والإتمام، وذكر فيها أنَّ من ارتدَّ عوَّض الله بخيرٍ منه، ولا يزال هذا الدين كاملًا، ولهذا ورد أنها آخر ما نزل لما فيها من إشارات الختم والتمام، وهذا الترتيب بين هذه السور الأربع المدنيَّات من أحسن الترتيب.

٣- ﴿سورة آل عمران﴾

خُتمت (سورة البقرة) بآية: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

فافتتحت هذه السورة ببيان بعض صفات الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] لتأكيد أنه أهل لأن يتوجَّه إليه بتلك الطلبات في الآية

السابقة ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] إلى ختام السورة.

ثُمَّ ببيان الكتب التي آمن بها الرسول والمؤمنون ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ٣-٤] وهذه أمَّهات الكتب السماوية.

ثُمَّ عمَّ بقيتها ﴿وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ كالزبور والصحف، ثُمَّ أتبع هذا ببيان أنَّ المؤمنين آمنوا بالكتاب كله، لم يفرِّقوا بين مُحكَمِه ومُتشابهه، كما لم يفرِّقوا بين أحدٍ من رسله ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧].

ثُمَّ مناسبة قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن وبقية الكتب ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [آل عمران: ٤] ظاهرةٌ، وهي أنَّ الله ينتقم من الكفَّار بنصر المؤمنين عليهم استجابة لدعائهم السابق: ﴿فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

(تنبيه): افتتحت هذه السورة بأمرين:

١- دعاء المؤمنين: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٨ - ٩].

٢- وتهوين شأن الكفار وبيان مصيرهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٠ - ١٢].

واختتمت بمثل ذلك:

١- ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩٣- ١٩٤].

٢- ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلْبِلَٰدِ﴾ [آل عمران: ١٩٦]، فتناسب فيها المطلع والمقطع.

٤- ﴿سورة النساء﴾

خُتمت السورة السابقة بالأمر بالتقوى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

وهو خطاب للمؤمنين، فناسب أن يوجِّه الخطاب في هذه السورة لجميع الناس: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾ [النساء: ١]، وزِيد هنا وصف ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ ليتناسب مع قوله في أواخر السورة السابقة: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

فكأنه يقول: أَثَبْتُكم على أعمالكم الصالحة جميعًا ذكورًا وإناثًا؛ لأنكم جميعا مأمورون بالتقوى وترجعون في أصل نشأتكم إلى آدم وحواء.

٥- ﴿سورة المائدة﴾

قال الصاوي في "حاشية تفسير الجلالين": «وجْه المناسبة بينها وبين ما قبلها: أنه حيث وعدنا الله بالبيان كراهة وقوع الضلال منَّا، تمَّم ذلك الوعد بذكر هذه السورة، فإن فيها أحكامًا لم تكن في غيرها».

قال البغويُّ: عن ميسرة قال: «إنَّ الله تعالى أنزل في هذه السورة ثمانية عشر حُكْمًا لم تنزل في غيرها من سور القرآن وهي: ﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ﴾ [المائدة: ٣]، ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ [المائدة: ٤]، ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ [المائدة: ٥]، ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ وبيان تمام الطهر في قوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المائدة: ٦] ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾ [المائدة: ٣٨]، و﴿لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ [المائدة: ٩٥]، و﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ [المائدة: ١٠٣] وقوله: ﴿شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [المائدة: ١٠٦]».

قلت: من تدبَّر هذه السورة وجد فيها أحكامًا أخرى لم تذكر في غيرها.

وقال الكواشي في "تفسيره": «لما ختم (سورة النساء) أمر بالتوحيد والعدل بين العباد أكَّد ذلك بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ﴾[المائدة: ١]».

٦- ﴿سورة الأنعام﴾

خُتمت السورة السابقة بقوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٢٠]فناسب أن يبيِّن سبب تلك المِلْكية ومنشأها فافتتح هنا بجملة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١].

فسبب مِلْكيَّة الله للسموات والأرض أنه خالقهما وما فيهما، وتلك مِلْكيَّة حقيقيَّة، لا كمِلْكيَّة الناس لما يملكونه بشراءٍ أو هبةٍ أو توريثٍ، فإنها مِلْكِيَّةٌ مجازيةٌ، والحقيقة فيها لله تعالى.

وفي قوله: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ إشارة إلى أنَّ ما يؤلِّه بعض الكفَّار كالثانوية وعَبَدة الكواكب ما هو إلَّا بعض من مقدوراته التي شملها قوله: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٢٠]، ومَن ثَمَّ كان المشركون بجميع فرقهم في غاية البعد والانحطاط العقليِّ حين سووا بالله في الربوبية والعبادة بعض مملوكاته المخلوقة له، والتي هي أثرٌ من آثار قدرته العامَّة الشاملة، فأشار بـ«ثم» المفيدة للبعد والتحقير في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١] وعبارة: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ تشمل أهل الكتاب الذين ألَّهوا عيسى أو عُزَيرًا، وعبدوهما مع الله تعالى.

وقال بعض العلماء: افتتاح (سورة الأنعام) بالحمد، مناسب لختام (المائدة) من فصل القضاء، كما قال الله تعالى: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ

رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥]

قلت: لأن المراجعة المذكورة في آخر (المائدة) بين الله تعالىٰ وبين عيسىٰ عليه السَّلام إنما تكون يوم القيامة.

ومناسبةٌ أخرىٰ بين السورتين: فإنَّ (سورة المائدة) اشتملت علىٰ أحكام لم تذكر في غيرها، وكذلك (سورة الأنعام)، فاشتملت آية: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [الأنعام: ٨٣] علىٰ ثمانية عشر رسولًا لم تجمعهم سورة أخرىٰ.

وفيها من الأحكام التي لم تذكر في غيرها: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٨] ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: ١٢١] ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤١] وهو غير الزكاة، بل المراد إعطاء ما سقط من الزرع والثمار ساعة الحصاد لمن حضر من الفقراء ولهذا قيل: ﴿يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾.

٧- ﴿سورة الأعراف﴾

نوَّه الله عن القرآن في أواخر السورة السابقة بقوله تعالىٰ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥] إلىٰ أن توعَّد المكذِّبين به والمعرضين عنه ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٧].

فافتتح هذه السورة بنهي نبيِّه أن يكون في صدره ضيقٌ منه بسبب تكذيب قومه به وصُدُوفِهم عنه: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾

[الأعراف: ٢]، بل استمر في تبليغه: ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾ المكذِّبين الصادفين أي: المعرضين ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ به قل لهم جميعًا: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٣] وهذا كقوله في الآية السابقة: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٥] فالمناسبة ظاهرةٌ والحمد لله.

تنبيهان

أحدهما: جملة: ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ صفة كتاب، و﴿مُبَارَكٌ﴾ صفة ثانية، وصنيع الآية يرد على من زعم من النحويين أنه إذا اجتمع في الكلام صفتان لموصوف إحداهما جملة والأخرى مفرد، وجب تقديم المفرد على الجملة.

ثانيهما: ابتدئت هذه السورة بالأمر باتباع القرآن، وختمت بالأمر بالاستماع إليه: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤] فتناسب المطلع والمقطع.

٨- ﴿سورة الأنفال﴾

مناسبتها لما قبلها أن الله تعالى ختم السورة السابقة بالأمر بذكره في جميع الحالات: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

فذكر في مفتتح هذه السورة ما يحدثه ذكر الله عند المؤمنين من الآثار الحميدة: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

وفي هذه الآية إشارة إلى مناسبةٍ أخرى وهي ما يحدثه سماع القرآن المأمور به في الآية السابقة: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ فهاتان مناسبتان واضحتان والحمد لله.

٩- ﴿سورة التوبة﴾

مناسبتها للأنفال أنَّ موضوعهما الحضُّ على قتال الكفَّار وترك مهادنتهم، وحكم المغانم وما إلى ذلك، وقد تقدَّم عن عثمان رضي الله عنه أنه ظنَّ أنَّ (التوبة) مع (الأنفال) سورة واحدة؛ لأن قصتها تشبه قصتها، ناهيك بمناسبة حملت على الاعتقاد باتحاد السورتين والله تعالى أعلم.

١٠- ﴿سورة يونس﴾

مناسبتها لما قبلها من وجهين:

أحدهما: أنَّ الله امتنَّ على المؤمنين -في آخر (التوبة)- بمجيء رسول إليهم من أنفسهم عزيزٌ عليه عَنَتُهم، حريصٌ عليهم، أي: على هدايتهم، رَءوفٌ رحيمٌ بهم، فذكر في مُفتتح هذه السورة عجب الكفَّار من أن يوحي الله إلى رسوله ليُنذر ويُبشِّر: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴾ [يونس: ٢] والاستفهام إنكاري لإنكار تعجُّبهم من إرسال رسول منهم، أي: لا يليق ولا ينبغي أن يتعجَّبوا من إرسال بشرٍ؛ لأن البشر أهلٌ

لتحمُّل الرسالة، خصوصًا محمَّدًا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في كمال صفاته ونعوته.

ثانيهما: أنه قال -في ختام السورة السابقة-: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ [التوبة: ١٢٩] أي: الناس جميعًا عن الإيمان ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ فبيَّن هنا الأوصاف التي أوجبت التوكُّل عليه والالتجاء إليه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣].

فلأجل أنه خالق السموات والأرض ومدبِّر الأمر فيهما، ومربِّي الخلق بما يصلح شئونهم، وجب إفراده بالعبادة، ومن أعلىٰ مقاماتها التوكل عليه، والاكتفاء به عن سائر مخلوقاته، سبحانه وتعالىٰ.

تنبيهان

(التنبيه الأول): جرىٰ بعض المفسِّرين علىٰ تفسير العرش في الآيتين السابقتين ونحوهما بالكرسي وهو غلط، والصواب: أنَّ العرش غير الكرسي كما تقتضيه الأدلة، ولا يوجد دليل ولا شبه دليل ليقتضي أنهما شيءٌ واحدٌ.

(التنبيه الثاني): قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ اتفق العلماء علىٰ أنَّ الاستواء المعهود -وهو الجلوس- غير مرادٍ هنا؛ لقيام الأدلة العقلية والنقلية علىٰ تنزُّه الله عنه، لأنه من صفات المُحْدَثات، ثُمَّ اختلفوا بعد ذلك فذهب السلف

إلى التفويض فقالوا: «استوى استواءً يليق به، ونَكِل تعيين المعنى إليه سبحانه وتعالى». وذهب الخلف إلى التأويل فقالوا معنى استوى: «استولى». واستدلوا بقول الشاعر:

قَـدِ اسْـتَوَىٰ بِشْـرٌ عـلىٰ العِـرَاقِ مِـنْ غَـيرِ سـيفٍ ودمٍ مُهْـرَاقِ

ورُدَّ هذا التأويل بوجهين:

أحدهما: أنَّ الله تعالى مسئول على الكون كله ومن فيه وما فيه، فما السر في تخصيص العرش؟

ثانيهما: أنَّ الاستيلاء يكون بعد قهرٍ وغَلَبة، والله تعالى منزَّهٌ عن ذلك.

سُئل ابن الأعرابي عن معنى استوى، فقال: «هو على عرشه كما أخبر». فقيل: يا أبا عبد الله معناه استولى؟ قال: «اسكت، لا يقال: استولى على الشيء إلَّا إذا كان له مضاد فإذا غلب أحدهما قيل: استولى». رواه اللالكائي في "السُّنَّة".

والصواب عندي في التأويل -إن ذهبنا إليه- أن يقال: جملة: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ أريد بها انتظام الملك، وتمام خلق السموات والأرض وما فيهما على وفق ما سبق في العلم الإلهي القديم، فهي من باب الاستعارة التمثيلية المعروفة في علم البيان.

ومما يؤيِّد هذا التأويل: أنَّ الاستواء تكرَّر في القرآن ست مرات فذكر في (سورة طه)، و(الفرقان)، و(السجدة)، و(الحديد)، كما ذكر هنا عقب خلق السموات والأرض، وذكر في (سورة الرعد) عقب رفع السموات وهو مَظهرٌ

من مظاهر انتظام وضعها بالنسبة لوضع الأرض، وذلك من تمام انتظام المُلْك الذي عبَّر عنه بالاستواء على سبيل الاستعارة كما مرَّ.

١١- ﴿ سورة هود ﴾

مناسبتها لما قبلها أنَّ الله تعالى ختم السورة السابقة بأمر الناس جميعًا باتباع القرآن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡحَقُّ﴾ القرآن ﴿مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَا﴾ وهذه الصيغة تفيد وجوب الهداية بالقرآن واتباعه بطريق الكناية؛ لأنه إذا كان نفع هداية الإنسان عائدًا لنفسه وضرر ضلاله يعود عليها فيجب عليه اتباع طريق الهداية وترك طريق الضلال.

ثُمَّ أمر نبيَّه باتباع القرآن والصبر على الكفَّار الذين لم يؤمنوا به حتى يحكم الله ﴿وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٨- ١٠٩] فذكر في مفتتح هذه السورة بيان حقيقة القرآن: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ بعجيب النظم وبديع المعاني ﴿ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾ بُيِّنت بالأحكام والقصص والمواعظ ﴿مِن لَّدُنۡ﴾ من عند ﴿حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١] ثُمَّ عاد إلى الاستدلال على حقيقته ليتأكَّد وجوب اتباعه والاهتداء به فتحدَّى العرب أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات إن كان مفترى كما يزعمون ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [هود: ١٣] وهذه مناسبة ظاهرة والحمد لله.

١٢- ﴿سورة يوسف﴾

قال الصاوي: «مناسبة هذه السورة لما قبلها جمع قصص الأنبياء، فإن ما قبلها ذكر فيها سبع قصص للأنبياء، وهذه من محاسن قصص الأنبياء، وأيضًا ليتسلَّى النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بما وقع للأنبياء من أذى الأقارب والأباعد، عما وقع له من أذى قومه الأقارب والأباعد».

قلت: ولهذا قال في ختام السورة السابقة: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠]وقال هنا: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [يوسف: ٣].

ويصح اعتبار هذا، أعني مناسبة افتتاح هذه السورة لخاتمة تلك، مناسبة أخرى تضم لما سبق.

مناسبة أخرى وهي: أنَّ هذه السور الست (سورة يونس)، و(سورة هود)، و(سورة يوسف)، و(سورة الرعد)، و(سورة إبراهيم)، و(سورة الحجر)، كل سورة منها بدئت بحرف ﴿الٓر﴾ يليه الحديث عن القرآن[1]، إلَّا

---

(١) وكل سورة فتحت بحرف الهجاء تلاه الحديث عن القرآن نحو: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ﴾[البقرة: ١-٢]﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [آل عمران: ١- ٣] ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١- ٢] ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ﴾ [مريم: ١- ٢] أي: هذا الموحى إليك ذكر رحمة ربك، وهكذا كل سورة بدئت بحرف الهجاء، إلَّا (سورة العنكبوت) و(الروم) و(القلم)، لم يذكر في فاتحتها شيءٌ عن القرآن، لحكمةٍ نبيِّنها فيما يأتي بحول الله.

(سورة الرعد) فبدئت بحرف ﴿الٓمٓر﴾ وكلها مكية إلَّا (الرعد) ففيها خلاف، قال ابن عبَّاسٍ: «مكية». وقال غيره: «مدنية».

تنبيهات

(التنبيه الأول): سُئِلْتُ بقرية أويش الحجر بجهة المنصورة: لِـمَ ذكر الله قصة يوسف كلها في سورة واحدةٍ؟ ولم يوجز فيها؟ ولا كرَّرها كما فعل في غيرها من القصص؟

فأعملت فكري حتى فتح الله علي بجواب لم أجده في كتب التفسير التي وقفت عليها، وقد ذكرته في كتابي "كمال الإيمان في التداوي بالقرآن".

وتلخيصه أنَّ الله تعالى أورد هذه القصة مرة واحدة ولم يوجزها ولا كرَّرها لنكتتين: ترجع إحداهما لعلم الأصول، والثانية إلى علم البلاغة.

أمَّا الأولى: فإن هذه القصة نزلت بسبب سؤال وقع: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [يوسف: ٧] وذلك يقتضي أن تُذكر كلها في هذا الموضع، ولو أُخِّر شيءٌ منها إلى سورة أخرى كان الجواب غير وافٍ بالسؤال وذلك غير جائزٍ؛ لأن المقرَّر في علم الأصول: «أنَّ تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز».

وأمَّا الثانية: فإن القصة ذكرت مجملة في قول يوسف لأبيه: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤] وما حصل بعد ذلك بينه وبين إخوته يعد تفصيلًا لهذه الرؤيا وتمهيدًا لتفسيرها، ألا ترى إلى يوسف حين تلاقى بأبويه وإخوته وخروا له سُجَّدًا، قال: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ

رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗا ﴾ [يوسف: ١٠٠] يشير إلى ما ذكرنا.

ولا شك أنَّ السامع للرؤيا تطلَّعت نفسه إلى تأويلها ومعرفة ما المراد بالكواكب؟ وما المراد بالشمس والقمر؟ وما معنى سجودهم؟ فكان من مقتضيات البلاغة -التي هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال- تفصيل القصة بعد هذا الإجمال وتفسير الرؤيا بعد ذاك الإبهام، لتهدأ نفس السامع ويطمئن قلبه، وأمَّا عدم تكرارها فهو مبنيٌّ على ما سبق لأنها إمَّا أن تتكرَّر بالأسلوب نفسه، وهو تكرار لا داعي إليه، وإمَّا بأقل منه وهو إخلال بالمقصود، وإمَّا بأزيد منه وهو إطناب لا حاجة إليه.

(لمحة إشارية): لما امتنع يوسف عن فعل الفاحشة، وقاوم في نفسه شهوة الإنسان[1] كما خالف دعوة النساء -يؤيدهن الشيطان- مخافة الوقوع في معصية المَلِك الديَّان، أفردت قصته بسورة في القرآن، يتردَّد اسمه فيها على تطاول الزمان، تنويهًا بشأن العِفَّة والطُّهر والبُعد عن الخَنَا والعصيان، وتنبيهًا على أنَّ بلايا الأبدان لا تبلغ في كفِّة الميزان ثواب الصبر عن الوقوع فيما يغضب الرحمن، أيوب عليه السلام ابتلي في جسمه وأهله وماله، فأثنى الله عليه بقوله: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾[ص: ٤٤] لكن يوسف عليه السَّلام أثنى الله عليه بقوله: ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾ [يوسف: ٢٤] فنظمه في سلك الكليم، حيث قال عنه: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا ﴾ [مريم: ٥١]

---

(١) لأنه قد همَّ بإتيانها، لكنه قاوم همَّه ولم يعزم ، فاستحقَّ المدح والثناء، راجع ما كتبناه في "بدع التفاسير".

وشتَّان بين المُخلَص والأوَّاب، فتدبَّر آيات الكتاب، تفهم سرَّ الخطاب، ويرفع عنك الحجاب، أرشدنا الله وإيَّاك إلى الصواب.

(التنبيه الثاني): قال الكرماني في كتاب "العجائب": في قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾ [يوسف: ٣] قيل: «هو قصة يوسف، وسمَّاها أحسن القصص، لاشتمالها على ذكر حاسدٍ ومحسودٍ، ومالكٍ ومملوكٍ، وعاشقٍ ومعشوقٍ، وشاهدٍ ومشهودٍ، وحَبْسٍ وإطلاقٍ، وسجنٍ وخلاصٍ، وخصبٍ وجدبٍ، وغيرها مما يَعْجَزُ عن بيانها طوق الخَلْق».

(التنبيه الثالث): افتتحت هذه السورة بقوله تعالى: ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ واختتمت بقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف: ١١١] فتناسب مطلعها ومقطعها، وبالله التوفيق.

١٣- ﴿سورة الرعد﴾

مناسبتها لما قبلها من وجهين:

أحدهما: أنَّ الله تعالى قال في السورة السابقة: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٥] فبيَّن هنا بعض تلك الآيات ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ [الرعد: ٢] إلى قوله: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الرعد: ٤].

ثانيها: نفى في السورة السابقة الافتراء عن القرآن: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١] وأثبت هنا حقيته، أي أنه حقٌّ منزَّل من الله ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ ۗ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الرعد: ١] سماه هناك: هدى ورحمة، وسماه هنا: الحق.

١٤- ﴿سورة إبراهيم﴾

مناسبتها لما قبلها من وجوه:

أحدها: قال تعالى في السورة السابقة: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ﴾ القرآن ﴿حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ [الرعد: ٣٧]، وقال هنا مُبيِّنًا حكمة ذلك: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤]

فالقرآن نزل عربيًّا؛ لأن النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عربيٌّ ولسان قومه عربيٌّ.

ثانيها: قال تعالى هناك -يرد على الكفار الذين عابوا على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بكثرة النساء-: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨] فذكر هنا دعاء إبراهيم لذريته: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]. وذكر قول إبراهيم أيضًا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ

وَإِسۡحَٰقَ ﴾[إبراهيم: ٣٩]

يشير أنَّ إبراهيم الذي يعتقده الكتابيون كان له أكثر من زوجة، وصرح بذكر ولديه ليذكِّرهم -إن نسوا أو تناسوا- أنهما كانا من زوجتين، فكأنه يقول لهم: إن عبتم على محمَّدٍ تعدُّد الزوجات، فقد كان لجده إبراهيم أكثر من زوجة، ورزق ببكره أفضل ولديه من زوجته الثانية، فلم تعيبون الطاهر المعصوم وأنتم المعيبون؟!

(**لمحة إشارية**): ترك إبراهيم عليه السَّلام فِلْذَة كبده وأعزَّ ولده إسماعيل مع أمِّه هاجر في مكانٍ قَفْرٍ، لا زرع فيه ولا ضَرْع، ولا نبات ولا ماء، أرض جرداء تعلوها قبة زرقاء، لكنه توجَّه إلى الله بصدقٍ في الدعاء، وأخلص في الالتجاء، وبسط له كف الرجاء، فسمع الله دعاءه، وقبل رجاءه، كيف لا وهو خليله الذي ردَّ الأمور كلَّها إليه حين يقول: ﴿إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٧ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ٧٨ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ﴾[الشعراء: ٧٧ - ٨١]، فأنبع لأهله زمزم عينًا معينًا، وجعل قلوب الناس تهفو إلى ذلك المكان لأنه بيته الحرام، وسخَّر لإسماعيل الخيل، وكانت قبل ذلك وحشية لا تُستأنس، ومِن ثَمَّ كُني أبا السباع، وجعل الله ركوبها عزًّا وقوة لذريته العرب، ثُمَّ إكرامًا لها – وقد تأنست بعد توحُّش وكان في نواصيها الخير- حرَّم الله على المحرم صيد البر ما دام مُحرمًا.

فيا أيها المريد، كن على قدم الخليل: توجَّه إلى الله بصدق، والجأ إليه بإخلاص، وفوِّض الأمور كلها إليه، يخرق لك العادات، ويسخِّر لك الكائنات، ويريك ما

تحب في نفسك وأهلك وولدك، ويجعل مع البركة بركات.

ثالثها: قال تعالى يرد على الكفَّار الذين طلبوا الآيات عنادًا: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ٣٨] فذكر هنا أنَّ كلَّ رسول قال ذلك لقومه وليس خاصًّا بنبيِّنا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ﴾ [إبراهيم: ١١] آية تقوم بها الحُجَّة ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

تنبيهان

(التنبيه الأول): قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ [الرعد: ٣٧]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ [إبراهيم: ٤] لا ينافيان الآيات الدالة على إرسال النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى العالمين؛ لأن القرآن إنما نزل بلغة العرب ليكون حُجَّةً عليهم، لعجزهم عن معارضته والإتيان بشيءٍ مما فيه من أنواع العلوم والحقائق والأحكام والنظم وغيرها.

ثُمَّ العرب الذين أسلموا وغيرهم من المسلمين الذين فهموا القرآن، مأمورون على سبيل الوجوب، بنقل الدعوة وتبليغها إلى سائر الأمم، وذلك بترجمة تفسير القرآن والأحاديث إلى اللغات الأجنبية المختلفة.

وتَعَلُّم اللغات -لهذا ولغيره من المقاصد- فرض كفاية تأثم الأُمَّة بتركه، كما أثمت بترك تبليغ الدعوة الإسلامية، والنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**بلغوا عني ولو آية**»، ويقول: «**ليبلِّغ الشاهد منكم الغائب**».

فالواجب على العلماء بصفةٍ خاصَّة أن يتعلَّموا اللغات الأجنبية، لينقلوا بها تعاليم الدين وأحكامه إلى المسلمين غير العرب، وليبشِّروا بالدين الإسلامي في البلاد الأوربية والأفريقية وسائر بلاد العالم.

(**التنبيه الثاني**): بدئت هذه السورة بقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [إبراهيم: ١] وخُتمت بقوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [إبراهيم: ٥٢] وهذا نوع من المحسِّنات البديعية يسمَّى «رد العَجُز على الصدر» وهو أيضًا من تناسب مطلع السورة ومقطعها.

١٥ - ﴿سورة الحجر﴾

مناسبتها لما قبلها: أنَّ الله ذكر مكر الكفَّار بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حين أرادوا نفيه أو حبسه أو قتله: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤٦] أي جزاؤه ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ وتوعَّدهم بما يحصل لهم يوم القيامة ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [إبراهيم: ٤٨ - ٥١].

فذكر هنا أنَّ الكفَّار يتمنون يوم القيامة لو كانوا مسلمين في حياتهم ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢] وذلك حين يذوقون

العذاب الذي أُوعِدوا به في الآيات السابقة، والله تعالى أعلم.

مناسبة أخرى: ختمت السورة السابقة بالحديث عن القرآن ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ وفتحت هذه بالحديث عنه أيضًا ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ﴾ [الحجر: ١].

وتحدَّثت عن زعم الكفَّار جنون الآتي به ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ﴿٦﴾ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [الحجر: ٦-٧] ورد الله عليهم بأنه الذي نزل الذكر وأنه يتولَّى حفظه ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

مناسبة أخرى: ذكرت السورة السابقة قصة ذهاب إبراهيم بابنه مع أمِّه إلى الحجاز وتركهما هناك، وسبب ذلك -على ما صح- إبعاد هاجر وولدها عن سارة التي غارت منها غيرةً شديدةً، حيث لم ترزق بولدٍ مثلها، فذكرت هذه السورة قصة بشارة إبراهيم بولدٍ من زوجته الغيرى ﴿ وَنَبِّئۡهُمۡ عَن ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗا قَالَ إِنَّا مِنكُمۡ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ لَا تَوۡجَلۡ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴾ [الحجر: ٥١ - ٥٣] وقد جاءت البشارة متأخِّرة، فإنهم حين بشَّروه بإسحاق كان قد جاوز المائة بعشر أو أكثر، فاستبعد أن يرزق بولد في هذا السِّنِّ ﴿ قَالَ أَبَشَّرۡتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلۡكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُواْ بَشَّرۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [الحجر: ٥٤ - ٥٦] وهذه مناسبة واضحة، والدليل على أنَّ المبشَّر به هنا إسحاق عليه السَّلام، التصريح به في قصة الضيف في سورة هود ﴿ وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ

قَالُواْ سَلَٰمًاۖ قَالَ سَلَٰمٌۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ﴾ [هود: ٦٩] مشوي ﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ ﴾ [هود: ٧٠] أي لم يأكلوا منه لأنهم ملائكة ﴿نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗ﴾ وصرح لهم بوجله كما هنا ﴿قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ ٧٠ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ﴾[هود: ٧٠ - ٧١]تساعده على خدمة الضيف إذ ليس لهما خادم ﴿فَضَحِكَتۡ﴾ فرحًا بإرسال رسلٍ لإنقاذ لوطٍ عليه السَّلام، وهو ابن أخي زوجها إبراهيم عليه السَّلام ﴿فَبَشَّرۡنَٰهَا﴾ على لسان الرسل ﴿بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴾ [هود: ٧١]يعني أنها تعيش حتى يتزوَّج إسحاق وترى ولده يعقوب، وهذا أحد الأدلة على أنَّ الذبيح غير إسحاق؛ لأن الله بشَّر أمَّه بأن يعيش حتى يتزوَّج ويلد، فكيف يأمر بذبحه قبل ذلك؟! هذا خلف.

وقد استبعدت سارة هذه البشارة كما استبعدها زوجها من قبلها ﴿قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ٧٢ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴾ [هود: ٧٢ - ٧٣] وقد أبعد من عد سارة أو مريم نبية، لمخاطبة الملائكة إياها، فإن نبوة الشخص لا تثبت بمجرد خطاب الملائكة له بسلام أو بشارة أو نحو ذلك[1]، وإنما تثبت

---

(١) وقد كانت الملائكة تسلِّم على عمران بن حُصينٍ رضي الله عنهما ويسمع سلامهم ويردُّ عليهم، وكان أهل بيته يسمعون سلامهم أيضًا، وذلك كل ليلة، فلما اكتوى لأجل البواسير انقطع السلام، ولما ذهب أثره عادوا للسَّلام عليه. والحديث بهذا صحيحٌ بل مستفيضٌ، وفي "بدء الأمالي":

وما كانتْ نبيًّا قطُّ أُنثى ... ولا عَبْدٌ وشَخْصٌ ذو افتعال

بأن يوحي الله إليه بتشريع.

مناسبة أخرى: ذكر الله في السورة السابقة مراجعة الكفَّار بعضهم لبعضٍ، وكلام الشيطان معهم ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ ﴾ [إبراهيم: ٢٢] بمغيثكم ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ﴾ بمغيثي ﴿ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ﴾ وهم لم يعبدوه لكن طاعتهم له فيما زَيَّن لهم من الكفر والمعاصي اعتُبِرت شركًا، فذكر هنا أنَّ إغواءهم المشار إليه هناك، عزم عليه الشيطان(١) منذ خلق آدم عليه السلام، حين امتنع من السجود ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [الحجر: ٢٨ - ٤٠].

---

(١) وأخبرنا بهذا العزم منه لنحذره، بل قال في سورة فاطر: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [فاطر: ٦]

١٦ - ﴿سورة النحل﴾

ذكر الله تعالى في السورة السابقة بداية خلق آدم أبي البشر ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦ - ٢٨] فذكر في هذه السورة ما خلق من النِّعم له ولأولاده: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾

وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [النحل: ٤ - ١٨].

وآيات أخرىٰ في نِعَم اللبن والعسل والأزواج والذرية وغير ذلك، ولهذا قال قتادة: «تُسمَّىٰ هذه السورة سورة النِّعم». أي لكثرة ما عدَّد الله فيها من النِّعم علىٰ عباده، وهذه مناسبةٌ واضحةٌ.

ومناسبة أخرى: أمر الله تعالىٰ نبيَّه أن يجهر بالدعوة وأن يُعرض عن المشركين، وتوعَّدهم بأنهم سوف يعلمون عاقبة أمرهم ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴾ [الحجر: ٩٤ - ٩٦] فأخبر هنا أنَّ يوم القيامة الذي يلاقون فيه جزاءهم آتٍ لا محالة، ونزَّه نفسه عن إشراكهم ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١] هو يوم القيامة، وعبَّر بالماضي لتحقُّق وقوعه، والمراد: يأتي ﴿فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾.

مناسبة أخرى: خُتمت السورة السابقة بقوله: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٩]، وهو الموت، سُمِّي يقينًا لأنه لابد من وقوعه.

وفتحت هذه السورة بقوله: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ يوم القيامة.

فتناسبت فاتحة هذه وخاتمة تلك في ذكر أمرين واجبي الوقوع، شاملين للمخلوقات يكشفان -حين وقوعهما- ما كان غائبًا عن المكلَّف من شئون الآخرة وما فيها.

١٧ - ﴿ سورة الإسراء ﴾

مناسبتها لما قبلها: أنَّ الله تعالىٰ أثنىٰ في ختام السورة السابقة علىٰ إبراهيم عليه السَّلام: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[النحل: ١٢٠ - ١٢٢]فذكر في مُفتتَح هذه السورة ما أكرم به أفضل الأنبياء من ذريَّته، وهما محمَّد وموسىٰ عليهما السَّلام ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾[الإسراء: ١ - ٢].

مناسبة ثانية: قال الله تعالىٰ في آخر السورة السابقة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾[النحل: ١٢٨] وهي معيَّة عنايةٍ وإكرامٍ، فذكر هنا إكرامه لسيِّد المتقين والمحسنين ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١]. والباء في ﴿بِعَبْدِهِۦ﴾ تفيد المصاحبة والمعية. وثنىٰ بذكر موسىٰ، لأنه حظي بمثل هذه المعيَّة، حين قال الله تعالىٰ له ولأخيه لما أبديا تخوفهما من فرعون: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾[طه: ٤٦] والله تعالىٰ أعلم.

ومناسبة ثالثة: ذكر الله تعالىٰ في السورة السابقة كثيرًا من النِّعم التي أنعم بها علىٰ بني آدم، وذكر هنا أجل تلك النعم، وهىٰ نعمة التكريم والتفضيل

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠] وهذه مناسبةٌ واضحةٌ.

تنبيهان

(التنبيه الأول): افتتحت هذه السورة بالتسبيح، إشارة إلى أنَّ الإسراء من المعجزات العظيمة التي تثير دَهْشَة السامع وإعجابه، فلا يَمْلِك إلَّا أن يُسبِّح الله تعالى تنزيهًا له عمَّا ينسبه له الجاهلون. وهذا أحد الأدلة على أنَّ الإسراء كان يقظة بالجسم والرُّوح(١).

وقال ابن الزملكاني: لما اشتملت هذه السورة على الإسراء الذي كذَّب المشركون به النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم وتكذيبه تكذيبٌ لله سبحانه وتعالى أتى بـ«سبحان»؛ لتنزيه الله تعالى عمَّا نُسب إلى نبيِّه من الكذب، واخُتتمت بالتحميد.

فتناسب مطلعها ومقطعها؛ حيث بدئت بتنزيه الله عن النقائص، وانتهت بإثبات الكمال له تعالى، وهذا هو الوضع الطبيعي: نفيٌ، ثُمَّ إثبات.

الثاني: مَن تأمَّل صنيع القرآن الكريم، وجده إذا ذكر الإنسان أتبعه غالبًا بوصف ذمٍّ، اقرأ الآيات التالية: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ(٢)﴾ [إبراهيم: ٣٤] ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا

---

(١) إذ لو كان منامًا كما يقول بعض المبتدعة، لم يكن للتسبيح معنى. انظر ما كتبناه في "فضائل النبيِّ في القرآن".

(٢) وفي سورة الإسراء أيضًا قبل آية التكريم بآيتين: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧].

جَهُولًا ﴾ [الأحزاب:٧٢] ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴾ [فصلت: ٤٩] ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴾[فصلت: ٥١] ﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ كَفُورٌ ﴾ [الشورى: ٤٨] ﴿وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴾ [الزخرف: ١٥] ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ [المعارج: ١٩ - ٢١] ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴾ [عبس: ١٧] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴾[الانفطار: ٦] ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ [العلق: ٦ - ٧] ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴾ [العاديات: ٦] ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴾[العصر: ١ - ٢].

هذا سوي وصفه بالضعف: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا ﴾[النساء: ٢٨].

وبكثرة الجَدَل: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴾ [الكهف: ٥٤].

وبالعَجَل: ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ [الأنبياء: ٣٧] ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولًا ﴾ [الإسراء: ١١] إلي غير ذلك.

وحين أخبر عن تكريمه قال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾ [الإسراء: ٧٠] وذلك يُشير إلى أن الله تعالى لم يكرِّم الإنسان -وتلك صفاته- إلَّا من حيث بنوته لآدم الذي خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وأكرمه بالنبوة، وكلمه قُبُلًا(١)، ولما خالف النهي نسيانًا، بادر بالتوبة معترفًا بالخطيئة ﴿قَالَا ﴾

---

(١) وأيضًا فإنَّ آدمَ مخلوقٌ من أديم الأرض، فتكريمه لأجل تواضع أصله، وفي ذلك

هو وزوجه ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ فاجتباه ربه وتاب عليه، وهداه. ومن كرامته على مولاه أن الله تعالى يعتذر له يوم القيامة ثلاثة معاذير بشأن تعذيب أولاده الكفَّار والعصاة، كما جاء في حديث أبي هريرة في "المعجم الصغير" للطبراني(١).

فهو أول الأنبياء، وسيّد التائبين، فعلى أولاده أن يقتدوا بأبيهم الأقدم، والرسول الأكرم، كلما خَطِئ منهم خاطئ، أو أساء مسيء، أسرع بالرجوع إلى الله والإنابة إليه، حتى يكون يوم القيامة -يوم يدعى كل أناس بإمامهم- ممن يؤتى كتابه بيمينه، ويفوز برضاء الله ونعيمه.

١٨ - ﴿سورة الكهف﴾

روى البيهقيُّ في "الدلائل" عن طريق ابن هشام، عن زياد بن إسحاق: أنَّ أهل مكَّة بعثوا رهطًا منهم إلى اليهود، يسألونهم أشياء يمتحنون بها رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقالوا لهم: سلوه عن ثلاث؛ فإن عرفها فهو نبيٌّ، سلوه عن أقوام ذهبوا في الأرض فلم يُدر ما سمعوا؟ وسلوه عن مَلِكٍ ذهب

إشارة إلى أنَّ الله يحبُّ المتواضع ويُكرمه، قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن تَواضَع لله رَفَعَهُ**». ومن هنا كان الإنسان حين يضع وجهه على الأرضِ ساجدًا لله تعالى قريبًا منه، قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «**أقربُ ما يكون العبدُ مِن ربِّه وهو ساجدٌ**».

(١) وفي "معجم الطبراني الكبير" من طريق يزيد الرقاشي، عن أنسٍ، قال: قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يُشَفِّع الله تبارك وتعالى آدم يوم القيامة من ذريته في مائة ألف ألفٍ وعشرة آلاف ألف**». أي مائة مليون وعشرة ملايين.

إلى المشرق وإلى المغرب؟ وسلوه عن الرُّوح؟

فرجعوا وسألوه، فبيَّن لهم قصة أصحاب الكهف، وقصة ذي القرنين، وأَبْهَم أمر الروح، وهو في التوراة كذلك، فندم اليهود.

ووجه المناسبة: أنَّ الجواب عن الرُّوح تقدَّم في السورة السابقة، وذكر هنا الجواب عن القصتين.

فإن قيل: ثبت في "صحيح البخاري" عن ابن مسعودٍ قال: كنت أمشي مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالمدينة، وهو يتوكَّأ على عَسِيبٍ، فمرَّ بنفرٍ من اليهود، فقال بعضهم: لو سألتموه. فقالوا: حدِّثنا عن الرُّوح، فقام ساعة ورفع رأسه، فعرفت أنه يوحى إليه، حتى صعد الوحي، ثُمَّ قال: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

فهذا الحديث الصحيح يفيد أنَّ السؤال عن الرُّوح وقع بالمدينة، وفيها نزلت الآية.

فالجواب: أنَّ اليهود بعثوا إلى المشركين وهم بمكَّة ليسألوه عن الرُّوح كما مرَّ عن ابن إسحاق، وروى الترمذيُّ وصحَّحه، عن ابن عبَّاسٍ قال: قالت قريش لليهود: أعطونا شيئًا نسأل هذا الرجل، فقالوا اسألوه عن الرُّوح؟ فسألوه فأنزل الله ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾. فالسؤال وقع من قريش بمكَّة بإرشاد اليهود، ونزلت الآية بسبب هذا السؤال، كما صرَّح به ابن عبَّاسٍ.

ثُمَّ لما هاجر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى المدينة، أعاد اليهود سؤاله

عن الرُّوح، إمَّا لأنهم طمعوا أن يختلف جوابه، فيزعموا أنه ليس بنبيٍّ، وإمَّا أنَّ الذين شافهوه بالسؤال غير الذين أرشدوا قريشًا إليه. فأنزل الله الآية مرة ثانية، لإفادة أنه لا جواب لهم غير ذلك. وابن مسعودٍ لم يقل: فنزلت الآية، وهي العبارة المعهودة في سبب النزول، بل قال: ثُمَّ قال: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ ويؤخذ من هذه العبارة أنَّ الآية كانت معروفة له، لنزولها قبل ذلك.

(تنبيه): جاء الجواب عن الرُّوح مبهمًا، ليكون دليلًا لليهود على نبوة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وصحَّة رسالته؛ لأنه عندهم في التوراة مُبهَم، ومِن ثَمَّ ندموا على تقديم السؤال، وعلى هذا فالقرآن لا يفيد المنع من البحث في الرُّوح[1]، أو كراهية الخوض في الكشف عن حقيقتها بمقتضى ما يؤدي إليه النظر والاستدلال.

مناسبة أخرى: ختم الله تعالى السورة السابقة بالحمد على صفاته الذاتية، لإفادة أنه المستحق للحمد، لكمال ذاته وتفرُّده في صفاته ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ [الإسراء: ١١١] فافتتح هذه السورة بقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ [الكهف: ١] لإفادة أنه تعالى يستحق الحمد على إنزال الكتاب، وهو أفضل النِّعم وأجلُّها؛ لأن فيه صلاح المعاش والمعاد، وبه تنال سعادة الدنيا

---

(١) وقول التاج السبكيِّ في "جمع الجوامع": «وحقيقة الروح لم يتكلَّم عليها محمدٌ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فنمسك عنها» مبنيٌّ على فهمه أن الكتاب والسُّنَّة يكرهان البحث فيها، وليس كذلك، فقد بحث فيها الإمام مالك وغيره، انظر كتاب "الروح" لابن القيم.

والآخرة، مع إجابته عما يسأل عنه اليهود والمشركين، فالله تعالىٰ يستحقُّ الحمد لذاته ولنعمه.

ومناسبة بين فاتحة تلك السورة وهذه: تلك بدئت بالتسبيح، وبدئت هذه بالتحميد، وهو يأتي بعد التسبيح، نحو ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [الحجر: ٩٨] «سبحان الله والحمد لله»؛ لأنه إثباتٌ للكمال بعد نفي النقص، فهو ترقي في وصف الله تعالىٰ والثناء عليه.

(تنبيه): فتحت هذه السورة ببشارة المؤمنين الذين يعملون الصالحات وإنذار للمشركين الذين دعوا لله ولدًا ﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ [الكهف: ٢ - ٤].

وخُتمت بإيجاب العمل الصالح، والنهي عن الشرك ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو﴾ يخاف ﴿لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] فتناسب فيها المطلع والمقطع.

(فائدة): ثبت في "صحيح مسلم" عن أبي الدرداء: أنَّ نبيَّ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**من حَفِظ عشر آياتٍ من أوَّل سورة الكهف عُصِم مِن الدَّجَّال**».

وفي رواية لمسلمٍ وأبي داود: «**عشر آياتٍ من آخر سورة الكهف**» والروايتان صحيحتان، والحديث بروايتيه يحضُّ علىٰ حفظ عشرين آية: عشر من أوَّلها، وعشر من آخِرها، أمَّا العشر الأوائل فتشتمل علىٰ المعاني الآتية في حمد الله علىٰ

إنزال الكتاب، بشارة المؤمنين، إنذار المشركين الذين كذبوا على الله بنسبة الولد إليه، جعل ما على الأرض زينةً لها وابتلاءً لهم، الإشارة إلى أصحاب الكهف الذي تمسَّكوا بتوحيدهم وهربوا إلى الكهف فارين بدينهم من قومهم المشركين، ومن تأمَّل هذه المعاني وتدبَّرها علم أنَّ الدَّجَّال مشركٌ بادِّعائه الإلوهية، وأنَّ ما معه من متاعٍ ومال، إنما هو ابتلاءٌ وامتحانٌ، واتخذ أهل الكهف قدوةً له، فتمسَّك بدينه كما تمسَّكوا، واعتصم بتوحيده، والتجأ إلى الله فحماه من الدَّجَّال وعصمه من فتنته، وأراه كراماتٍ كما فعل مع أهل الكهف من قبل.

والعشر الأواخر أولها: ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلٗا﴾ [الكهف: ١٠٢] وهي تتفق مع سابقتها في المعنى المقصود، وهو إنذارٌ المشركين الذين يتخذون بعض عباد الله آلهةً، وتبشير المؤمنين، ثُمَّ تختتم بإخلاص العبادة لله ﴿وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ وهذه المعاني -خصوصًا الإخلاص- تعصم صاحبها والمتمسِّك بها من فتنة الدَّجَّال، والله تعالى أعلم.

١٩ - ﴿سورة مريم﴾

مناسبتها لما قبلها: أنَّ السورة السابقة اشتملت على قصصٍ عجيبةٍ تدل على كمال قدرة الله تعالى وبديع حكمته، كقصة أصحاب الكهف، وقصة موسى والخَضِر عليهما السَّلام، وقصة ذي القرنين؛ فجاءت هذه السورة مشتملةُ على قصصٍ لا تقل عجبًا وحكمةً عن القصص السابقة؛ كإعطاء يحيى لزكريا بعد كِبَره وعُقْم امرأته، وحمل مريم بعيسى وهي بكرٌ لم تتزوَّج، وكلام عيسى وهو في المهد.

(تنبيه): ثبت في "صحيح البخاري" عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال لجبريل عليه السَّلام: «**ما يمنعك أن تزورنا أكثر ممَّا تزورنا؟**» فأنزل الله اعتذار جبريل في هذه الآية: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [مريم: ٦٤]

سُئلت مرة عن مناسبة وضعها بعد قوله تعالى في وصف جنَّات عدن: ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾ [مريم: ٦٢ - ٦٣] والذي يظهر لي في ذلك -والله أعلم بسرِّ كتابه- أنَّ الله ذكر رزق أهل الجنَّة، وأنه يأتيهم في وقتين منتظمين: بكرةً وعشيًّا، لا يتخلَّف ولا يتأخَّر، ولما كان الوحي رزق النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الرُّوحي[1] وغذاءه القلبي، وكان يتأخَّر أحيانًا عنه كما في قصة أصحاب الكهف، ناسب أن يذكر بعد رزق أهل الجنَّة ما يتعلَّق برزق سيِّدهم الذي هو أصل رزقهم، وسبب نعيمهم.

فقال على لسان المكلَّف به: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ أي ما نتنزَّل بالوحي الذي هو حياة روحك وغذاء قلبك، إلَّا بأمر ربك ﴿ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ أي هو مالِك شأننا كلِّه، لا نملِك معه شيئًا ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ أي لا ينسى شيئا أبدًا، فلابد أن يبعث لك رزقك الروحي في الوقت الذي يريده هو سبحانه وتعالى ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ﴾ [مريم: ٦٥]

---

(١) قال أبو شامة وغيره في قوله تعالى: ﴿ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه: ١٣١]: إنه القرآن.

أي ما عليك إلَّا أن تعبده وتصبر على عبادته، وهو يتولَّى إمداد روحك وتغذية قلبك.

وهذا كما قال عند الكلام على رزقه الحسِّي ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ [طه: ١٣٢].

فيؤخذ من الآيتين أنَّ كلًّا من الرِّزق المعنويِّ والحسِّيِّ يُستجلب بعبادة الله وطاعته. وفي الحديث الصحيح «**فإن استَبْطَأَ أحدُكم رِزْقَه فلا يطلبه بمعصية الله، فإنَّ فضلَ الله لا يُنال بمعصيته**».

وبهذا وضحت المناسبة بين الآيتين، والحمد لله على ما ألهم وعلَّم.

(**لطيفة**): روى الطبرانيُّ عن أبي مريم الغَسَّانيِّ، قال: أتيت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقلت: ولدت لي الليلة جارية، فقال: «**والليلة أنزلت عليَّ (سورة مريم)؛ سمِّها مريم**»(١).

٢٠- ﴿سورة طه﴾

تُناسب السورة السابقة في اشتمالها على خوارق عجيبة، تدل على كمال قدرة الله تعالى، وعنايته بخاصَّة خلقه.

قلب عصا موسى عليه السَّلام حيَّةً، وجعل يده بيضاء من غير سوء ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ

---

(١) هذا من أدلَّة الصوفية على أنَّ المريد يرجع إلى شيخه في تسمية أولاده.

ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴾ [طه: ١٩ - ٢٣].

وألقته أمُّه رضيعًا في اليمِّ، فالتقطه عدوُّه فرعون وربَّاه في بيته ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾[طه: ٣٨ - ٤٠].

وألقى عصاه فانقلبت حَيَّةً، فالتقمت ما صنعه السَّحَرة ﴿وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾ [طه: ٦٩ - ٧٠].

(تنبيه): قوله تعالى: ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾ [طه: ٣٩] أخبر في هذه الآية أنَّ فرعون عدوٌّ له ولموسى، والخبر لا يدخله نسخ، ومعنى هذا أنَّ فرعون مات كافرًا بلا شك، وقد غفل عن هذا من زعم أنَّ فرعون قبل إيمانه، فوقع في خطأ جسيم(١).

(تنبيه آخر): فُتحت هذه السورة بالحديث عن القرآن ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴾ [طه: ٢ - ٤]وخُتمت بالحديث عنه ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [طه: ١٣٣] أي دليل صحَّة ما في الكتب المنزَّلة السابقة، وهو القرآن، فتناسب مطلعها ومقطعها.

---

(١) انظر ما كتبناه في هذا الموضوع في (سورة يونس) من كتاب "بدع التفاسير".

٢١ - ﴿سورة الأنبياء﴾

مناسبتها لما قبلها: أنَّ الله تعالى قال في آخر السورة السابقة ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ﴾ [طه: ١٣٤] قبل النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ﴿لَقَالُواْ﴾ يوم القيامة ﴿رَبَّنَا لَوْلَآ﴾ هلَّا ﴿لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾ التي أوحيت بها إليه ﴿مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾ فذكر هنا أنه أرسل إليهم رسولًا، وأنزل عليه آياتٍ فأعرضوا وكذَّبوا ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ ۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢ - ١٠].

(تنبيه): قوله تعالى: ﴿مُّحْدَثٍ﴾ لا يدل على خَلْق القرآن كما زعمت المعتزلة؛ لأنَّ المراد: مُحدَث النزول، بدليل ﴿يَأْتِيهِم﴾ فإتيانه نزوله، وهو حادث قطعًا، أمَّا كلام الله تعالى -وهو القرآن الكريم- فقديم ليس بمحدث،

لأنه صفة لله تعالى.

مناسبة أخرى: ذكر الله تعالى في السورة السابقة إنجاءه لموسى وهارون ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه: ٧٧ - ٧٨] وذكر هنا إنجاءه لإبراهيم ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٨ - ٧٠].

ولنوح: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٦ - ٧٧] وهؤلاء زعماء الرسل، أنجى الله كلًّا منهم بمعجزةٍ، فنوح أبو البشر الثاني أنجاه الله بالطُّوفان، وإبراهيم أنجاه الله بإطفاء النار عنه، وموسى أعظم أنبياء بني إسرائيل وصاحب شريعتهم، أنجاه بانفلاق البحر له.

(تنبيه): فُتحت هذه السورة بالحديث عن قُرب الساعة ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١].

وخُتمت بالحديث عنه ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٧] فتناسب المطلع والمقطع.

٢٢ - ﴿سورة الحج﴾

مناسبتها لما قبلها: أنَّ الله تعالى تكلَّم عن البعث في ختام السورة السابقة:

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ الأنبياء: [٩٦ - ١٠٤].

فأمر هنا بالتقوى استعدادًا لذلك اليوم الشديد هوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [الحج: ١ - ٢].

ومناسبة أخرى: ذكر الله تعالى في السورة السابقة أنَّ جميع الرسل دعوا إلى وحدانية الله وإفراده بالعبادة ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥] وذكر هنا أنه يحكم بين أهل الأديان

المختلفة يوم القيامة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحج: ١٧].

وهذا وعيدٌ شديدٌ لجميع فِرَق الكفر؛ لأنهم خالفوا دعوة الرسل المشار إليها في السورة السابقة.

تنبيهات

(التنبيه الأول): قال محمود بن حمزة الكرماني في كتاب "العجائب والغرائب": ورد في القرآن سورتان، أولها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ [النساء: ١] في كل نصفٍ سورةٌ، فالتي في النصف الأول تشتمل على شرح المبدأ -يعني (سورة النساء)- والتي في الثاني على شرح المعاد، يعني هذه السورة.

(التنبيه الثاني): ذكر العلماء أنَّ هذه السورة من عجائب القرآن؛ لأنها تشتمل على المكِّي والمدني، والليلي والنَّهاري، والحَضَري والسَّفَري، والحَرْبي والسِّلْمي، والناسخ والمنسوخ.

فالمكِّي من رأس ثلاثين إلى آخرها، والمدني من رأس خمس عشرة إلى رأس الثلاثين، والليلي خمس آيات من أولها، والنهاري من رأس تسع آيات إلى رأس اثنتي عشر، والحضري إلى رأس العشرين، والسَّفري أولها، والناسخ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ﴾ [الحج: ٣٩]وهو الحربي، والمنسوخ ﴿ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ [الحج: ٦٩] وهو السلمي، نسختها آية السيف.

(التنبيه الثالث): افتتحت هذه السورة بأمر عامَّة الناس بالتقوى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ﴾ [الحج: ١].

واختتمت بأمر المؤمنين بإفراد التقوىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

وهو نوعٌ لطيفٌ من التناسب بين المطلع والمقطع بالعموم والخصوص، والإجمال والتفصيل، عمَّ أولًا الناس وأجمل التقوىٰ، ثُمَّ خصَّ ثانيًا المؤمنين وفصل أفراد التقوىٰ.

٢٣ - ﴿سورة المؤمنون﴾

مناسبتها لما قبلها: أنَّ الله تعالىٰ قال في ختام السورة السابقة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ فذكر هنا أوصاف المؤمنين التي أفلحوا بسببها، وبين الفلاح بأنه وراثة الفردوس ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ٤ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ٦ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ٧ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ٨ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١ - ١١].

مناسبة أخرى: قال الله تعالىٰ في السورة السابقة: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ مُخۡضَرَّةًۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ﴾ [الحج: ٦٣] ذكر

هنا كيفية اخضرار الأرض، بذكر ما ينبته فيها من أنواع الثمار ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ﴾ [المؤمنون: ١٨ - ٢٠].

(تنبيه): قال الزمخشري في "الكشَّاف": جعل فاتحة السورة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ وأورد في خاتمتها: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧] فشتان بين الفاتحة والخاتمة.

قلت: وهو تناسب بالتضاد بين المطلع والمقطع.

٢٤- ﴿سورة النور﴾

مناسبتها لما قبلها: أنَّ الله تعالىٰ قال في آخر السورة السابقة: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥] والاستفهام إنكاري، أنكر حسبانهم أنهم خُلِقوا عبثًا، ثُمَّ نزَّه نفسه ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ [المؤمنون: ١١٦] عن العبث، فلم يخلق عباده إلَّا ليتعبَّدهم بالأمر والنهي، وليردَّهم إليه بعد فنائهم ليجزيهم علىٰ أعمالهم.

فذكر في هذه السورة جملة من الأوامر والنواهي التي تعبَّدهم بها، وأشار في مفتتحها إلىٰ البعث بقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [النور: ٢] ولهذه المناسبة افتتح هذه السورة بقوله تعالىٰ ﴿سُورَةٌ

أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور: ١] فوصفها بثلاث صفات: أنه أنزلها، وفرضها، وأنزل فيها آيات بيِّنات، مع أنَّ سور القرآن تشاركها في هذه الصفات، لكنها جاءت هنا لمناسبة رد حسبان الكفَّار أنهم خُلِقوا عبثًا، وللتنبيه على أنَّ ما فيها من أحكام يجب الاهتمام بها، لتعلُّقها بصيانة الأنساب والأعراض، وهما من الضروريَّات الخمس[1] المتفق على وجوب حفظها في جميع الملل، وهي مُبيَّنةٌ بتفصيل في مبحث المناسبة، في مسالك العلة من علم الأصول.

تنبيهات

(التنبيه الأول): تضمَّنت السورة وجوب حدِّ الزنا والقَذْف، ووجوب تَصوُّن المرأة وعدم إبداء زينتها إلَّا لأفراد معدودين، ووجوب غضِّ البصر من الرجال والنِّساء عما لا يحل، وحرمة دخول منازل الأجانب إلَّا باستئذان، وبيان كيفية الاستئذان في هذا، وفي دخول الخدم على مخدوميهم، والأولاد على آبائهم وأمَّهاتهم، وإباحة الأكل من بيوت الأقارب والأصدقاء، وغير هذا مما يدخل في تنظيم الأسرة وآداب السلوك، والسورة تُشير بهذه الأحكام إلى أنه لا

---

(١) بقيتها: الدين، والنفس، والمال، وأضيف إليها العقل.

شُرع لحفظ الأول: قتال الكفَّار، وقتل المرتد، ومحاربة المبتدعة. وشُرع لحفظ الثانية: القود في القتل العمد، والدية مغلظة في شبهه، ومخفَّفة في الخطأ المحض، والقصاص في الجناية على الأعضاء. وشُرع لحفظ الثالث: قطع يد السارق. وشُرع لحفظ الرابع: إيجاب الحدِّ في المُسكر، والتعذير في المفتر.

يجوز أن يعيش المؤمنون في عبثٍ وفوضى، كما كان الحال في الجاهلية، بل يجب أن يكون مجتمعهم أفضل المجتمعات؛ أنسابهم محفوظة من التلويث، وأعراضهم مصونة موفورة الكرامة، وعلاقة بعضهم ببعض أفرادًا وجماعات مبنيَّة على العفاف والتصوُّن والاحترام، وكل هذا يؤكِّد الردَّ على ظنِّ المشركين أنهم خُلِقوا عبثًا لا لحكمة.

(التنبيه الثاني): ورد في الحديث أنَّ عبد الله بن أمِّ مكتوم استأذن على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فأذن له وعنده أمُّ سلمة وميمونة فقال: «**احتجبا منه**» قالتا: إنه أعمى لا يُبصرنا. قال: «**أفعَمْيَاوان أنتما؟ ألستما تُبْصِرَانِهِ؟**».

فهذا الحديث يُفسِّر الآية، ويُبيِّن أنَّ المراد منها وجوب غضِّ بصر المرأة عن الرجل مطلقًا لا فرق بين مُبصِرٍ وأعمى؛ لأنها تشتهيه، كما أنَّ الرجل يشتهيها، وهذا ممَّا تساهل فيه الناس اليوم تساهلًا كبيرًا، أدَّى إلى وقوع جرائم خُلُقية فاحشة، فكم من أعمى يسَّر له عماه دخول البيوت وتلويث أعراض، وهو محل عطف مَن دخل بيوتهم ولوَّث أعراضهم.

(التنبيه الثالث):

صرَّح في فاتحة السورة باليوم الآخر: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾

وفي خاتمتها بالرجوع إليه: ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ وهو تناسب بين المطلع والمقطع.

٢٥- ﴿سورة الفرقان﴾

مناسبتها لما قبلها: أنَّ الله تعالىٰ أثنىٰ في السورة السابقة علىٰ المؤمنين الذين يسلكون الأدب الواجب في حقِّ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وذمَّ المنافقين علىٰ مخالفتهم لذلك: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٢ - ٦٣].

فذكر هنا فضل النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

فهذه الآية كالتعليل لما سبق، وكأن الله تعالىٰ يقول: إنما أوجبت مراعاة الأدب في حضرته، وحرَّمت عليكم أن تنادوه باسمه، وحذرتكم مخالفة أمره، لأنه عبدي المختار، ومحل نظري من خَلْقي، خصصته بتنزيل الفرقان، وبعثته إلىٰ العالمين.

ولهذا أخذ يردُّ علىٰ الكفَّار كلامهم الذي يدل علىٰ جهلٍ بعلوِّ مقامه، وعدم إدراكهم لجلال منصبه ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا﴾ [الفرقان: ٤].

ثُمَّ سلَّاه بقوله سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠] فإذا طعنوا فيك بذلك، فقد طعنوا فيهم، فلا تحزن.

وهذا مما يزيد في توضيح المناسبة وتأكيدها، والله تعالىٰ أعلم.

(تنبيه): جاء في فاتحة السورة: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ﴾.

وفي خاتمتها: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجٗا وَقَمَرٗا مُّنِيرٗا﴾ [الفرقان: ٦١].

وفي هذا تناسب بالمقابلة بين نور والأرض، ونور السماء، فالنبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم نور الأرض وسراجها، سمَّاه الله سراجًا منيرًا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٤٥ - ٤٦].

ونوره أقوىٰ من سرج السماء وكواكبها وأعم منها وأبقىٰ؛ لأنه يُنير القلوب، وهو مُشرقٌ لا يَعْتَريه غروب؛ ولهذا قال جابر بن سَمُرة رضي الله عنه: خرج رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في ليلة إضْحِيَان - مُقْمِرَة - وعليه حُلَّةٌ حمراء، فجعلت أنظر إليه وإلىٰ القمر، فلهو في عيني أحسن من القمر.

يشير إلىٰ ما كساه الله من نور النبوة وجمالها، وإلىٰ ما ألقىٰ عليه من هيبة الوحي وجلاله.

٢٦ - ﴿سورة الشعراء﴾

ذكر الله تعالىٰ في السورة السابقة هَجْرَ الكفَّار للقرآن، وعداواتهم للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وامتناعهم من الإيمان ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٠ - ٣١].

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤١ - ٤٢].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ [الفرقان: ٦٠].

فافتتح هذه السورة بتسلية نبيِّه عمَّا لحقه من الحزن بسبب كفرهم وعنادهم ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ [الشعراء: ٣] قاتلها غمًّا وحزنًا من أجل ﴿أَلَّا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ ولعل هنا معناها الأمر، أي ارحم نفسك ولا تقتلها حزنًا علىٰ عدم إيمانهم ﴿إِن نَّشَأْ﴾ [الشعراء: ٤] وقوع الإيمان منهم ﴿نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً﴾ معجزة تخوفهم ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ فيؤمنون.

ثُمَّ ذكر بعض الرسل الذين لقوا من قومهم تكذيبًا وعنادًا في الكفر، زيادة في تسلية نبيِّه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم والتسرية عنه، وهذا من دلائل كرامته علىٰ مولاه وفضله لديه.

٢٧- ﴿سورة النمل﴾

لما زعم المشركون أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كاهنٌ، وأنَّ ما يتلوه من القرآن يتلقَّاه من الشياطين، نفى الله ذلك في السورة السابقة ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٠ - ٢١٢]. ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٣].

فأثبت هنا صفات القرآن التي تخالف الكهانة والشعر، وصرح بأنه متلقى من الله عزَّ وجلَّ: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل: ١ - ٦].

ثُمَّ ذكر خمس قصصٍ وقعت في أزمان متعدِّدة، وأمكنةٍ مختلفةٍ، تأكيدًا لكونه متلقّى من حكيمٍ عليمٍ.

(تنبيه): فُتحت السورة بالحديث عن القرآن، كما مرّ، وخُتمت بالأمر بتلاوته ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ﴾ [النمل: ٩١] مكة ﴿ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَاْ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النمل: ٩١ - ٩٢] فتناسب مطلعها ومقطعها.

٢٨- ﴿سورة القصص﴾

مناسبتها لما قبلها: أنَّ الله تعالىٰ قال في السورة السابقة: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل: ٧٦] فقال هنا: ﴿نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [القصص: ٣].

وذكر قصة موسىٰ عليه السَّلام، وهو رسول بني إسرائيل وصاحب شريعتهم، بتفصيل لم يُذْكَر في سورةٍ أخرىٰ، وذلك منذ التقاط فرعون له وهو رضيع إلىٰ أن عاد إليه رسولًا، وما تبع ذلك من مجادلات ومناقشات انتهت بإغراق فرعون وقومه، وذكر قصة قارون، ولم تُذْكر في سورةٍ غير هذه، وبعض ذلك ممَّا اختلفوا فيه، حتىٰ أنَّ بعضهم أنكر قصة قارون.

تنبيهان

(التنبيه الأول): قال تعالىٰ: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾ [القصص: ٨] في هذه الآية دليلان علىٰ كفر فرعون لم يتنبَّه لهما من ادَّعىٰ إيمانه.

أحدهما: الإخبار بأنَّ التقاط آل فرعون لموسىٰ كان عاقبته أن كان لهم عدوًّا وحزنًا، وعدوُّ الرسول كافرٌ بلا شك.

ثانيهما: الإخبار بأنَّ فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين، أي: آثمين، ولو آمن فرعون، لم يكن عليه إثمٌ؛ لأن الإيمان يَجُبُّ ما قبله[1] وتقدَّم دليلٌ

---

(١) إن قيل: هذا خبرٌ عن فرعون قبل إغراقه الذي آمن عنده، قلنا: تقدَّم في (سورة طه)

ثالث في (سورة طه).

(التنبيه الثاني): بُدئت السورة بأمر موسىٰ ونشأته، وقوله: ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: ١٧] وخروجه من وطنه، ثُمَّ عوده إليه مؤيَّدًا منصورًا.

وخُتمت بأمر النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بأن لا يكون ظهيرًا للكافرين، وتسليته عن إخراجه من مكة، ووعده بالعودة إليها ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥] وقال في حقِّ موسىٰ: ﴿إِنَّا رَادُّوهُ﴾ [القصص: ٧]. قال الجلال السيوطي: «وهو تناسب بديع بين مطلع السورة ومقطعها».

٢٩ - ﴿سورة العنكبوت﴾

مناسبتها لما قبلها: أنَّ الله تعالىٰ ذكر في السورة السابقة افتتان بعض المؤمنين الفقراء بزينة قارون، وتمنِّيهم أن يكون لهم مثل ماله، وأنَّ أهل العلم نهوهم عن ذلك، وأفهموهم أنَّ ثواب الله خير للمؤمن ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۖ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ [القصص: ٧٩ - ٨٠]. فذكر هنا أنَّ المؤمن لابد أن يُختبر ويُمتحن بالمصائب من فَقْرٍ وغيره ليظهر صِدْق إيمانه[1]:

أنَّ الخبر لا يدخله نسخٌ.

(١) ولرعاية هذه المناسبة التي هي مقتضىٰ الحال في هذا الموضع، لم يذكر حديث عن

﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ﴾ علم ظهور ومشاهدة ﴿ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ﴾ كذلك ﴿ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت ٢: ٣].

(تنبيه): قال الله تعالىٰ في فاتحة السورة: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٦].

وقال في خاتمتها: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وهذا من المُحسِّنات البديعيَّة، مرَّ مثله في (سورة إبراهيم) عليه السَّلام، وهو

القرآن عقب كلمة: ﴿الٓمٓ﴾ كما ذكر عقب أخواتها. أمَّا (سورة الروم) فلم يأتِ في أوَّلها حديثٌ عن القرآن لسببٍ يتعلَّق بصدقه، ذلك أنَّ جيش الروم وفارس تلاقوا بأذرعات وبصرىٰ في الشام، وكانت بينهما حرب فغَلَبَتْ فارس، وبلغ الخبر مكَّة فشق ذلك علىٰ الصحابة وكانوا يحبُّون انتصار الروم لأنهم أهل كتابٍ، وفرح كفَّار مكَّة بانتصار الفرس؛ لأنهم وثنيُّون مثلهم فنزل: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ﴾ [الروم: ٢ - ٤] فتراهن أبو بكرٍ رضي الله عنه مع أُبيِّ بن خلفٍ علىٰ أنَّ الرُّوم سينتصرون في بِضْعِ سنين، وانتصرت الروم علىٰ رأس سبع سنين من نزول الآية، وكان أُبيٌّ قد هَلَك، فأخذ أبو بكرٍ رضي الله عنه الخَطَر من أولاده، وكانت المراهنة جائزةً حينئذٍ، وظهر صِدْق ما أخبر به القرآن. قال الزمخشريُّ: «هذه الآية من الآيات البينة الشاهدة علىٰ صحَّة النبوة، وأنَّ القرآن من عند الله؛ لأنها إنباءٌ عن عِلْم الغيب الذي لا يعلمه إلَّا الله».

من تناسب المطلع والمقطع.

(تنبيه آخر): ذكرت المجاهدة في القرآن مرتين:

الأولى: في (سورة الحج) ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ [الحج: ٧٨].

والثانية: في هذه السورة ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾.

والمراد بالجهاد في الله أي في ذاته ولأجل رضاه، جهاد النفس بكبح جِماح شهواتها وترويضها بأنواع العبادة والذِّكر حتىٰ تنقاد، وهذا الجهاد أشقُّ من الجهاد في سبيل الله الذي هو جهاد الكفَّار.

وقد جاء تسميته بالجهاد الأكبر في حديثٍ ضعيفٍ رواه البيهقيُّ عن جابرٍ رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال عند عودتهم من غزوة تبوك وقد وصلوا ضواحي المدينة: «**قَدِمْتُم خير مَقْدَمٍ، ورجعتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، جهادُ العبدِ هواه**».

والقرآن يُشير إلىٰ هذا أيضًا، حيث ختم الآية بجملة ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ فأفادت أنَّ المجاهد في الله من المحسنين.

والإحسان أعلىٰ مقامات الدين الثلاثة، وهي الإيمان والإسلام والإحسان، كما في حديث سؤال جبريل الثابت في "الصحيحين" وغيرهما.

ولفظ ﴿لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ يفيد تشريفًا كبيرًا للمجاهدين في الله؛ بأن الله معهم برعايته وعنايته، معهم بحفظه وكلاءته، معهم بتوفيقه وهدايته، معهم برضاه ونعمته، وللصوفية في هذا الموضع لطائف وإشارات، يضيق عنها نطاق العبارات.

٣٠ - ﴿سورة الروم﴾

مناسبتها لما قبلها: أنَّ الله تعالىٰ ضرب في السورة السابقة مثلًا للأصنام وعابديها، بالعنكبوت في الضعف والوَهَن، وعدم القدرة علىٰ دفع ضرٍّ ولا تحصيل نفعٍ ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤١].

فذكر في هذه السورة أدلة كمال قدرته، وتفرده بالألوهية: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ [الروم: ٢٠] ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ [الروم: ٢٢] ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الروم: ٢٤] ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم: ٢٥] ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الروم: ٤٦].

(تنبيه): فتحت السورة بقوله تعالىٰ: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٦].

وختمت بقوله تعالىٰ: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠] فتناسب المطلع والمقطع.

٣١ - ﴿سورة لقمان﴾

مناسبتها لما قبلها: أنَّ الله تعالىٰ قال في السورة السابقة تسلية لنبيِّه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَنتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ [الروم: ٥٢ - ٥٣] وهذا تصويرٌ بديعٌ لعناد الكفَّار، وإعراضهم عن سماع القرآن، وعن الاعتبار بنعم الله وآياته، فذكر هنا من أصرَّ منهم علىٰ الإعراض، ولَجَّ فيه مع ذكر جزائه ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [لقمان: ٦ - ٧] وذكرت البشارة علىٰ سبيل التهكم.

مناسبة أخرى: ذكر الله تعالىٰ في السورة السابقة أدلةً علىٰ كمال قدرته وتفرُّده بالألوهية، فأعاد هنا بعضها مضافًا إليه ما لم يذكر هناك، وصرَّح بمطالبة الكفَّار أن يبيِّنوا ما فعلت آلهتهم من دونه: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ [لقمان: ١٠ - ١١].

مناسبة أخرى: ذكر البعث في السورة السابقة بضع مرات، منها: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] فبيَّن هنا أنَّ كلًّا من

البدء والإعادة هيِّنٌ عليه، ليس أحدهما أهون من الآخر؛ لأنه كنفسٍ واحدةٍ ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ [لقمان: ٢٨] وهذه مناسبات ظاهرة، وبالله التوفيق.

٣٢- ﴿سورة السجدة﴾

مناسبتها لما قبلها: أنَّ الله تعالى ذكر في ختام السورة السابقة اختصاصه بعلم مفاتح الغيب ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾ [لقمان: ٣٤].

فذكر في مُفتتَح هذه السورة اختصاصه بالخلق والتدبير ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [السجدة: ٤ - ٦].

والمقصود في الموضعين بيان إحاطة علمه، وسعة قدرته، وإحكام تدبيره، وذيَّل الآية الثانية بأنه عالم الغيب والشهادة؛ للإشارة إلى أن الخلق والتدبير موافقان لما سبق في العلم القديم.

(تنبيه): (سورة العنكبوت) و(الروم) و(لقمان) و(السجدة) تتناسب في أنها مفتتحة بحرف ﴿الٓمٓ﴾ بمكَّة، وتحدثت عن المبدأ والمعاد.

٣٣- ﴿سورة الأحزاب﴾

مناسبتها لما قبلها: أنَّ الله تعالىٰ توعَّد الكفار في السورة السابقة بأن يذيقهم من العذاب الأدنىٰ في الدنيا بالقتل والأسر، قبل العذاب الأكبر، وهو عذاب الآخرة ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة: ٢١]فأخبر هنا بتحقيق الوعيد المذكور ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٩] ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ [الأحزاب: ٢٥ - ٢٦].

تنبيهان

(التنبيه الأول): اشتملت هذه السورة علىٰ جملة من فضائل النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وبعض خصائصه وما يجب له من حقوق، وعلىٰ فضل أزواجه وأهل بيته والصادقين من أصحابه رضي الله عنهم، فهي كلها تنويه بمقام النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وسلَّم، وبيان لرفعة قَدْره، راجع كتابنا " فضائل النبيِّ في القرآن" أمَّا قصة زيد وزوجه، فقد بينَّا في "خواطر دينية" بالأدلة الدامغة بطلان ما ذكره فيها كثير من المفسِّرين مما لا يليق بجلال منصب النبوة، وبالله التوفيق.

الثاني: فُتحت السورة بأمر النبيِّ بالتقوىٰ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب:

١]، وختمت بأمر أمته بها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾ [الأحزاب: ٧٠] فتناسب مطلعها ومقطعها.

٣٤- ﴿سورة سبأ﴾

مناسبتها لما قبلها: أنَّ الله تعالى ذكر -في ختام السورة السابقة- سؤال الكفَّار عن الساعة، وهو سؤال استهزاء، وأجابهم إجابة مبهمة تتضمَّن تهديدًا بقربها ﴿يَسۡـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣] فذكر هنا تصريحهم بإنكارها وردَّ عليهم، مع تأكيد الردِّ بمؤكِّدات: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ﴾ [سبأ: ٣] أما قوله تعالى: ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ فهو لبيان إحاطة علمه، بحيث لا يضل عنه مخلوق، بل يحييهم جميعًا لينال كل فرد جزاء عمله.

٣٥- ﴿سورة فاطر﴾

مناسبتها لما قبلها: أنها افتتحت بالحمد كسابقتها، وتناسبتا من موضوعهما الذي افتتحتا بالحمد لأجله، وهو تفصيل بعض النِّعم الدينية والدنيوية، ويلاحظ أنَّ افتتاح السورة السابقة كان بحمد الله مالك ما في السموات وما في الأرض، وافتتاح هذه بحمد الله فاطرهما أي: مبدعهما لا على مثال سابقٍ، وهذا نوع من الاحتباك، ذكر في السورة السابقة ملكيته لما في السموات وما في الأرض وسكت عنهما، وذكر هنا إبداعه لهما وسكت عما فيهما، وهو من المُحسِّنات البديعيَّة.

تنبيهان

(التنبيه الأول): قال بعض العلماء: افتتاح (سورة فاطر) بالحمد لله مناسب لختام ما قبلها من قوله تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ [سبأ: ٥٤] كما قال تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥].

(التنبيه الثاني): أخرج أبو عبيد في "فضائل القرآن" عن مجاهد عن ابن عبَّاسٍ، قال: كنت لا أدري ما فاطر السموات؟ حتى أتاني أعرابيَّان يختصمان في بير، فقال أحدهما: أنا فَطَرْتُها. يقول: أنا ابتدأتها.

قلت: هذا اللفظ ومثله يسمَّى: غريب القرآن. وقد أُفرد بالتصنيف. ألف فيه أبو عبيدة، وابن دريد، وابن الأنباري، وتلميذه العزيزي. ومن أحسنها كتاب "مفردات القرآن" للراغب الأصفهاني.

قال ابن الصلاح: «وحيث رأيت في كتب التفسير: قال أهل المعاني، فالمراد به مصنِّفوا الكتب في معنى القرآن؛ كالزجَّاج، والفرَّاء، والأخفش، وابن الأنباري.

قلت: وكذلك إعرابه حيث ورد في حديثٍ أو أثَر.

أخرج البيهقيُّ من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «**أَعْرِبوا القرآنَ والتمسُوا غَرَائِبَه**». ورواه عن عمرو بن مسعودٍ موقوفًا.

وروي أيضًا من حديث ابن عمر مرفوعًا: «**مَن قرأ القرآن فأعربه كان له بكلِّ حرفٍ عشرون حسنةً، ومَن قرأه بغير إعرابٍ كان له بكلِّ حرفٍ عشر**

حسناتٍ».

قال الحافظ السيوطيُّ: «المراد بإعرابه معرفة معاني ألفاظه، وليس المراد به الإعراب المصطلح عليه عند النحاة، وهو ما يقابل اللحن؛ لأن القراءة مع فَقْده ليست قراءة، ولا ثواب فيها»(١).

٣٦- ﴿سورة يس﴾

حكىٰ الله تعالىٰ في السورة السابقة عن الكفَّار حلفهم لئن جاءهم نذيرٌ ليكونَنَّ أهدىٰ من أهل الكتاب الذين كذَّبوا رسلهم، فلمَّا جاءهم النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حَنِثوا في يمينهم وكذَّبوه، وزادوا نفورًا وتباعدًا عن الهدىٰ، مستكبرين عن الإيمان، وأرادوا المكر بنبيِّهم حيث عزموا علىٰ تقييده أو نفيه أو قتله، وما دروا أنَّ مكرهم السيِّئ لا يُحيط إلَّا بهم، ولا يعود ضرره إلَّا عليهم؛ فهم بتكذيبهم ومكرهم ينتظرون ما حلَّ بالمكذِّبين قبلهم؛ لأن سنَّة الله مع مكذِّبي رُسُلِه لا تتبدَّل ولا تتحوَّل ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٢ - ٤٣].

وذكر في هذه السورة إنزال الكتاب علىٰ رسوله، ليُنذر أولئك القوم الذين لم

---

(١) ولأنه اصطلاحٌ مستحدَث لا يجوز حمل كلام الشارع عليه، وقد أخطأ من فعل ذلك خطأً كبيرًا. انظر كتابنا "بدع التفاسير".

يأتهم نذيرٌ، فهم غافلون عن الإيمان والهدىٰ، وأنَّ العذاب حقٌّ علىٰ أكثرهم لكفرهم، وأشار إلىٰ عذابهم يوم القيامة بأن تجعل الأغلال في أيديهم وتضم إلىٰ أعناقهم، كما أرادوا أن يقيدوا نبيهم ونذيرهم، بعد أن افتتحها بالقسم علىٰ رسالته ردًّا لإنكارهم لها ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۝٦ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ١ - ٩] فكانت المناسبة بينهما ظاهرة، والله أعلم بسر كلامه.

(تنبيه): ورد في فضل (سورة يس) أحاديث ضعيفة وواهية، أمثلها حديث معقل ين يسار: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**قَلْبُ القرآن يس، لا يقرأها رجلٌ يريد الله والدار الآخرة إلَّا غُفِرَ له، اقرءوها على موتاكم**». رواه أحمد، والأربعة إلَّا الترمذيَّ، وصحَّحه الحاكم وفيه كلام.

وهو أصلٌ في قراءة هذه السورة علىٰ الأموات، لكن حمل ابن القيم لفظ الموتىٰ فيه علىٰ المُحتضِرين، قال: «ليتذكَّروا توحيد الله والبعث وما يتبعه من نعيم أو عذاب»، ونازعه الشوكاني بأنَّ الأصل حمل اللفظ علىٰ حقيقته وهو الميت، لا المُحتَضِر.

وسُمِّيت (يس) قلب القرآن؛ لأن ما فيها من التوحيد والبعث ودلائلهما محله القلب، لأنه من المعتقدات القلبية.

وقال الغزالي: «سمِّيت (يس) قلب القرآن؛ لأن الإيمان صحَّته بالاعتراف

بالحشر والنشر، وهو مقرَّرٌ في هذه السورة بأبلغ وجهٍ، فجُعلت قلب القرآن لذلك».

وقال النَّسَفي: «يمكن أن يقال: إنَّ هذه السورة ليس فيها إلَّا تقرير الأصول الثلاثة: الوحدانية، والرسالة، والحشر، وهو القدر الذي يتعلَّق بالقلب، وأمَّا الذي باللسان والأركان ففي غير هذه السورة فلما كان فيها أعمال القلب لا غير سمَّاها قلبًا، ولهذا أمر بقراءتها عند المُحتَضِر؛ لأن في ذلك الوقت يكون اللسان ضعيف القوة، والأعضاء ساقطة، لكن القلب قد أقبل على الله تعالى ورجع عمَّا سِواه، فيقرأ عنده ما يزداد به قوة في قلبه، ويشتد تصديقه بالأصول الثلاثة».

قلت: هذا يؤيِّد تأويل ابن القيم، كما يؤيِّده ما أخرجه أبو الشيخ ابن حِبَّان في "الفضائل" بإسناد ضعيف عن أبي ذرٍّ مرفوعًا: «**ما من ميت يموت فيقرأ عنده يس إلَّا هوَّن الله عليه**».

وفي "معجم الطبراني" من حديث أنس: «**من دام على قراءة يس كلَّ ليلةٍ ثُمَّ مات مات شهيدًا**». وللترمذيِّ، والدارميِّ، من حديث أنسٍ: «**إنَّ لكلِّ شيءٍ قلبًا، وقلب القرآن يس، ومَن قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مراتٍ**».

في "الموطأ" للإمام مالك: عن جندب قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن قرأ يس في ليلةٍ ابتغاء وجه الله غُفِر له**» صحَّحه ابن حِبَّان.

أمَّا حديث: «**يس لما قُرئت له**» فلا أصل له، لكن الشيخ إسماعيل الجبرتي وأصحابه باليمن، جرَّبوا قراءتها لقضاء الحاجات؛ بحيث صارت عندهم قطعيَّة.

نعم، روى البيهقيُّ عن أبي بكرٍ رضي الله عنه مرفوعًا: «**سورة يس تُدعَى**

في التوراة المُعَمِّمة؛ تعمُّ صاحبها بخيري الدنيا والآخرة، وتُدْعَى المدافعة والقاضية تدفع عن صاحبها كلَّ سوءٍ وتقضى له كلَّ حاجةٍ». قال البيهقيُّ: «حديثٌ منكرٌ».

وروىٰ المحاملي في "أماليه" من حديث عبد الله بن الزبير: «من جعل يس أمام حاجة قضيت له». وله شاهد مرسل عند الدارمي. وروىٰ ابن الضريس عن سعيد بن جبير أنه قرأ علىٰ رجل مجنون (سورة يس) فبرئ.

وفي "المستدرك" للحاكم عن أبي جعفر محمد بن عليٍّ قال: «من وجد في قلبه قسوة فليكتب (يس) في جامٍ بماء وردٍ وزعفران ثُمَّ يشربه».

وأخرج ابن الضريس في "فضائل القرآن" عن يحيىٰ بن أبي كثير قال: «من قرأ يس إذا أصبح لم يزل في فرحٍ حتىٰ يُمسي، ومن قرأها إذا أمسىٰ لم يزل في فرح حتىٰ يُصبح، أخبرنا من جرَّب ذلك».

قلت: المدار في هذا علىٰ التجربة، أمَّا الأحاديث فضعيفة كما قلنا، سوىٰ ما نبَّهنا علىٰ صحَّته.

٣٧- ﴿سورة الصافات﴾

ذكر الله تعالىٰ في السورة السابقة استبعاد الكافر للبعث وردَّ عليه: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٧ - ٧٩].

فأعاد الكلام هنا علىٰ منكري البعث جميعًا، مع ذكر جزائهم: ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ

هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلۡ نَعَمۡ وَأَنتُمۡ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ فَإِذَا هُمۡ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾ [الصافات: ١٥ - ٢١].

ثُمَّ ذكر اطلاع بعض أهل الجنَّة على النَّار، وفيها صديقه الذي كان ينكر البعث في الدنيا ومخاطبته إياه على سبيل الشماتة: ﴿ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٞ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلۡ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوۡلَا نِعۡمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ﴾ [الصافات: ٥١ - ٥٧].

ثُمَّ أخذ يُعيد عليه كلامه في الدنيا تبكيتًا واستهزاء ﴿أَفَمَا نَحۡنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوۡتَتَنَا ٱلۡأُولَىٰ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا﴾ [الصافات: ٥٨ - ٦٠] ما نحن فيه من النعيم ﴿هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [الصافات: ٦٠]، وهذه مناسبة واضحة، والله أعلم.

(تنبيه): قال أبو بكر بن العربي المعافري: أخبرنا أبو بكر الفهري قال: أنبأنا التميمي: أنبأنا هبة الله المفسِّر، قال: نزل القرآن بين مكَّة والمدينة إلَّا ست آيات، نزلت لا في الأرض ولا في السماء:

١- ثلاث في سورة الصافات ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ ﴾ [الصافات: ١٦٤] الآيات الثلاث.

٢- وواحدة في الزخرف ﴿ وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٥].

٣- والآيتان من آخر (سورة البقرة)، نزلتا ليلة المعراج.

قال ابن العربي: «ولعله أراد في الفضاء بين السماء والأرض».

قال الحافظ السيوطي: «لم أقف على مستند لما ذكره في الآيات المتقدِّمة إلَّا آخر (البقرة)، فيمكن أن يستدل له بما أخرجه مسلمٌ عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: لما أُسري برسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم انتهى إلى سدرة المنتهى... الحديث. وفيه: فأعطي رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فيها ثلاثًا: أعطي الصلوات الخمس، وأعطي خواتيم (سورة البقرة)، وغفر لمن لم يشرك من أمته بالله شيئا المُقْحِمات[1].

قلت: وجه مناسبة الآيات الثلاث المذكورة في هذه السورة لما قبلها من الآيات: أنَّ الله تعالى لما حكى قول الكفَّار الذين جعلوا الملائكة بنات له سبحانه فقال: ﴿وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ والمراد بالجِنَّة الملائكة لاجتنانهم، أي استتارهم ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ﴾ أي المشركين ﴿لَمُحْضَرُونَ﴾ في العذاب يوم القيامة، نزَّه نفسه عما وصفوه به ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ثم استثنى المؤمنين ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ فإنهم غير مُحْضَرين في العذاب.

ثُمَّ خاطب المشركين ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ من الآلهة ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ على الله ﴿بِفَٰتِنِينَ﴾ أحدًا من عباده ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ﴾ مثلكم.

ثُمَّ حكى كلام الملائكة يتبرَّؤون من المشركين وعبادتهم ﴿وَمَا مِنَّآ﴾ أحد

---

(١) بضمِّ الميم وسكون القاف وكسر الحاء؛ يعني الكبائر لأنها تقحم مرتكبها أي تدخله النار.

﴿إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ لا يتعداه في عبادة مولاه: منا الراكع، ومنا الساجد، ومنا القائم ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾ أجنحتنا أو أقدامنا في صلاتنا ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾ [الصافات: ١٥٨- ١٦٦] المنزهون الله عما يصفه به المشركون من ولديتنا له، وما نحن إلا عبيده المخلصون، فظهر تناسب الآيات وترابطها، والحمد لله.

تنبيه آخر: إن كان قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا﴾ [الصافات: ١] وصفًا للملائكة -وهو الراجح- فهو مع قوله تعالى هنا ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾ من تناسب المطلع والمقطع.

٣٨- ﴿ سورة ص ﴾(١)

مناسبتها لما قبلها: الإشارة إلى جملة من قصص الأنبياء، وما امتحن الله به بعضهم، ذكر في السورة السابقة نوح وإبراهيم وموسى وهارون وإلياس ولوط ويونس، وذكر في هذه السورة داود وسليمان وأيوب وإسماعيل واليسع وذو الكفل وإسحاق ويعقوب.

مناسبة أخرى: بيَّن في ختام تلك السورة كفر المشركين بنسبتهم الملائكة بنات الله تعالى ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ

---

(١) من المناسبات اللطيفة أنَّ افتتاح هذه السورة بحرف (ص) مؤذن بما ذكر فيها من خصوماتٍ متنوِّعة: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾ [ص: ٢١]، ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾ [ص: ٦٤]، ﴿مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [ص: ٦٩].

وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [الصافات: ١٤٩ - ١٥٢].

وبيَّن هنا كفرهم بنوعٍ آخر، وهو اعتقاد آلهةٍ مع الله، وتكذيبهم للرسول ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص: ٤ - ٥] وهذه مناسبة ظاهرة.

(تنبيه): فُتحت هذه السورة بذكر القرآن: ﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ [ص: ١] ﴿ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ﴾ [ص: ٨]. وختمت به: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [ص: ٨٦ - ٨٧] فتناسب المطلع والمقطع.

٣٩- ﴿سورة الزمر﴾

مناسبتها لما قبلها: أنَّ الله تعالىٰ أمر نبيَّه في ختام السورة السابقة أن يقول للكفَّار: أنه ليس من المتكلِّفين، أي المتقوِّلين للقرآن من قبل أنفسهم ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ فذكر هنا أنه تنزيل من الله العزيز الحكيم، وأكَّد إنزاله بالحقِّ، لإفراد الله بالعبادة، علىٰ خلاف عمل المشركين الذين ذكر عنهم في السورة السابقة أنهم اتخذوا آلهةً مع الله، وحكىٰ عنهم هنا قولهم: أنهم إنما عبدوها لتقربهم إليه ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [الزمر: ١ - ٣].

٤٠ - ﴿سورة غافر﴾

ذكر الله تعالىٰ في السورة السابقة أنه يحكم يوم القيامة بين المسلمين والمشركين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ﴾ بين المسلمين الموحِّدين والكفَّار المشركين ﴿فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾ [الزمر: ٣] وهو التوحيد والشرك، وحكمه أن يدخل المسلمين الجنَّة والكفَّار النَّار.

فذكر هنا حُكْمَهُ المذكور ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يقولون: ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ۝٧ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٨ وَقِهِمُ﴾ جزاء ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ﴾ جزاء ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ﴾ يوم القيامة ﴿فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوۡنَ﴾ يوم القيامة ﴿لَمَقۡتُ ٱللَّهِ﴾ أنفسكم علىٰ شرككم به ﴿أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ﴾ اليوم حين اطلعتم علىٰ بطلان عملكم ﴿إِذۡ تُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلۡإِيمَٰنِ﴾ في الدنيا ﴿فَتَكۡفُرُونَ ۝١٠ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ﴾ يقولون هذا بعد دخولهم النار ﴿ذَٰلِكُم﴾ العذاب الذي أنتم فيه ﴿بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ﴾ في الدنيا ﴿كَفَرۡتُمۡۖ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ﴾ حيث حكم عليكم بالعذاب الدائم ﴿ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ﴾ [غافر: ٧-١٢] وهذه مناسبةٌ واضحةٌ.

مناسبة أخرى: ذكر الله تعالىٰ في ختام السورة السابقة نهاية الدنيا وقيام الناس للبعث، ومصير الكفَّار إلىٰ النَّار، والمتقين إلىٰ الجنَّة ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]، إلىٰ آخر السورة.

فافتتح هذه السورة ببعض صفاته التي تناسب ما مر: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ بخلقه لا يعزب عنه من أعمالهم شئ، فيجازي كلا منهم بعمله ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ للمؤمنين ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ﴾ ممن تاب منهم ومن غيرهم ﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ للكفار بإدخالهم جهنم زمرًا ﴿ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ صاحب الفضل، حيث تفضل علىٰ المتقين فأدخلهم الجنة زمرا، بعد أن عمهم وغيرهم فضله في الدنيا ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [غافر: ١-٣] المرجع بعد فناء العالم، حيث يلقىٰ المؤمنون والكافرون جزاؤهم المذكور فيما سبق.

٤١- ﴿سورة فصلت﴾

تناسبت هذه السورة مع التي قبلها في الموضوع، وهو ذكر أدلة وحدانية الله تعالىٰ، وذم الشرك والإنذار لما يحصل للمشركين من الهلاك في الدنيا، والعذاب في الآخرة.

وكذلك بقية (آل حم) كلها متناسبة في الموضوع المذكور؛ لاشتراكها فيه وفي البدء بحرف ﴿حمٓ﴾[فصلت: ١] وفي كونها نزلت بمكة، ونذكر مع ذلك مناسبة لكل سورة بحسب ما يفتح الله تعالىٰ.

(تنبيه): فتحت السورة بالحديث عن القرآن ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [فصلت: ٣]. وخُتمت بالحديث عنه ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرۡتُم بِهِۦ مَنۡ أَضَلُّ مِمَّنۡ هُوَ فِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ﴾ [فصلت: ٥٢]، فتناسب فيها المطلع والمقطع.

٤٢- ﴿سورة الشورى﴾

من المناسبة بينها وبين ما قبلها: أنَّ الله تعالى قال في ختام السورة السابقة يخاطب نبيَّه: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ﴾ القرآن ﴿مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرۡتُم بِهِۦ مَنۡ أَضَلُّ مِمَّنۡ هُوَ فِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ﴾ [فصلت: ٥٢].

فأثبت في افتتاح هذه السورة أنَّ الله أوحى إلى نبيِّه كما أوحى إلى الأنبياء مِن قبله: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [الشورى: ٣]فهو ردٌّ لكفر المشركين بالقرآن، وإثبات أنهم في ضلالٍ بعيدٍ.

(تنبيه): فتحت السورة بالحديث عن الوحي: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾. وختمت بالحديث عنه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢] فتناسب مطلعها ومقطعها.

٤٣- ﴿سورة الزخرف﴾

ذكر الله تعالى في ختام السورة السابقة أنه أوحى إلى رسوله روحًا، أي قرآنا تحيا به القلوب، وقد كان قبل الوحي لا يعلم ما هو الكتاب، ولا ما هي شرائع الإيمان، فصار به هاديًا ودالًّا إلى صراط مستقيم: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ

رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى: ٥٢]

فذكر هنا أنه جعله قرآنا عربيًا ليعقله قومه، ويفهموا ما فيه من أحكام وتشريعات، وأن الله لم يكن ليهملهم لإشراكهم، فلا ينزل عليهم كتابًا: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴾ [الزخرف: ٣ - ٥] وهذه من المناسبات الظاهرة، والله أعلم.

(تنبيه): ذكر في أوائل السورة قوله تعالى ﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا ﴾ [الزخرف: ١٥] الآيات. وفي أواخرها قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾ [الزخرف: ٨١]فتناسب مطلعها ومقطعها.

٤٤- ﴿سورة الدخان﴾

من المناسبة بينها وبين ما قبلها: أنَّ الله تعالى ذكر في السورة السابقة شكوى نبيِّه من عدم إيمان قومه، وأمره بالصفح عنهم، وهدَّدهم بأنهم سوف يعلمون ما يحصل لهم من العذاب: ﴿ وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٨ - ٨٩] فبيَّن هنا نوع العذاب الذي توعَّدهم به ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَائِدُونَ

﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ [الدخان: ١٠ - ١٦] وهذه مناسبة ظاهرة، والله سبحانه وتعالى أعلم.

مناسبة بين فاتحة السورتين: فتحت تلك بالحديث عن القرآن: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ١ - ٣] وفتحت هذه بالحديث عنه أيضًا ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان: ١ - ٣].

(تنبيه): فتحت السورة بالحديث عن القرآن كما مر آنفًا، وختمت بالحديث عنه: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ﴾ القرآن ﴿بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الدخان: ٥٨]فتناسب مطلعها ومقطعها.

٤٥ - ﴿سورة الجاثية﴾

ذكر الله تعالى في ختام السورة السابقة أنه يسَّر القرآن بلسان نبيِّه أي بلغته العربية؛ ليتذكر العرب به: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ فذكر هنا أنَّ الكتاب، أي القرآن، أنزله الله العزيز الحكيم: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الجاثية: ١ - ٢].

ومن حكمته أن جعله عربيًّا، ليملِك على العرب -وهم أئمة اللسان وزعماء البيان- أزمَّة قلوبهم، ويسوقهم بسوط الحُجَّة إلى الاعتراف بفصاحته، والعجز عن معارضته، وتلك مناسبة ظاهرة، والله أعلم بسر كتابه.

(تنبيه): فُتحت السورة بصفتَي العزيز الحكيم، كما مرَّ آنفًا، وخُتمت بهما ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الجاثية: ٣٧] فتناسب المطلع والمقطع.

وتناسبَا أيضًا بذكر السموات والأرض في الافتتاح: ﴿إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الجاثية: ٣]، وبذكرهما في الختام: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الجاثية: ٣٦].

٤٦- ﴿سورة الأحقاف﴾

من المناسبة بينها وبين ما قبلها: أنَّ الله تعالى ذكر في السورة السابقة ما يحصل للكفار من العذاب يوم القيامة، لإعراضهم عن القرآن واستكبارهم عن الإيمان ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [الجاثية:٣١] إلى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [الجاثية: ٣٥].

فذكر هنا أنَّ الكتاب الذي أعرضوا عنه تنزيل من الله العزيز الحكيم، وذكر أنه ما خلق السموات والأرض وما بينهما إلا بالحقِّ ليدل على ربوبيته ووحدانيته، وأنَّ لهذا العالم أجلًا ينتهي عنده، ويأتي يوم القيامة بما فيه من العذاب الذي أنذروا به فيما سبق، وهم عما أنذروا معرضون لا يؤمنون: ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ

إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴾ [الأحقاف: ١ - ٣].

مناسبة أخرى: خُتمت السورة السابقة بصفتي العزيز الحكيم، وفتحت هذه بهما أيضًا.

(تنبيه): فتحت السورة بالخبر عن إعراض الكفار عما أنذروا به كما سبق، وختمت بالخبر عن إهلاكهم: ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [الأحقاف: ٣٥] وهو تناسب بين المطلع والمقطع.

٤٧ - ﴿سورة محمد﴾

ذكر الله تعالى في السورة السابقة أنه صرف إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نفرًا من الجنِّ يستمعون القرآن، فلما حضروه أنصتوا له، فلما انتهى ذهبوا إلى قومهم منذرين بما سمعوه مؤمنين به: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الأحقاف: ٢٩ - ٣٠].

فذكر هنا أنَّ من الإنس من لم يفقه القرآن، ولا فهم له معنى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ [محمد: ١٦].

بل بلغ بهم الجهل والعناد أن أخرجوا النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من بلده: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴾

[محمد: ١٣] والمناسبة في هذا بيان ما بين جنس الجنِّ والإنس من التباين، وأنَّ الجنَّ أسرع إلى الطاعة من الإنس، وهي مناسبة ظاهرة.

(تنبيه): سألني المرحوم الدكتور محمد عبد السلام العيادي، لِـمَ قال الجنُّ: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ [الأحقاف: ٣٠] ولِـمَ لَمْ يذكروا عيسى؟

فأجبت: لم يذكروا عيسى لسببين:

أحدهما: أنَّ عيسى بعث متمِّمًا لشريعة موسى، وتابعًا لها.

ثانيهما: أنَّ الإنجيل أغلبه مواعظ ألقاها عيسى على الحواريين، ولم يكتب في كتاب، والأناجيل الموجودة اليوم كتبت بعد رفع عيسى بزمنٍ طويلٍ، وهي تحتوي على سيرته وبعض أقواله، بخلاف التوراة فإنها كانت مكتوبة في الألواح، وتشتمل على تشريع وقصص، فأشبهت القرآن من هذه الجهة، فمن ثَمَّ ذكروا موسى عليه السَّلام.

ويجوز أن يكون على شريعته، وإن لم يكن مرسلًا إليهم؛ لأن من اتبع شريعةً صحيحةً قبل نسخها كان ناجيًا عند الله، وإن لم يكلَّف باتباعها، وعيسى عليه السَّلام لم ينسخ من شريعة موسى إلَّا قليلًا.

مناسبة أخرى: خُتمت السورة السابقة بقوله تعالى: ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ وافتتحت هذه ببيان الفاسقين: أنهم الكافرون، مع زيادة فائدة؛ هي الإخبار بأنَّ الله أبطل أعمالهم الصالحة لكفرهم: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ١] وهذه مناسبةٌ واضحةٌ.

(تنبيه): فتحت السورة بالآية المذكورة، وذكر في خاتمتها قوله تعالى: ﴿إِنَّ

ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾ [محمد: ٣٤] فتناسب مطلعها ومقطعها.

٤٨- ﴿سورة الفتح﴾

حضَّ الله تعالىٰ في السورة السابقة علىٰ جهاد الكفَّار، وذمَّ المنافقين علىٰ جبنهم وتلكُّئهم عن الجهاد، وتواطئهم مع المشركين علىٰ عداوة النبيِّ عليه الصَّلاة والسَّلام: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ [محمد: ٢٠-٢١] الآيات، إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ [محمد: ٣٠].

فأثنىٰ في هذه السورة علىٰ المؤمنين الذين بايعوا النبيَّ عليه الصَّلاة والسَّلام علىٰ الجهاد، وأخبر برضاه عنهم، وأثابهم فتحًا ومغفرة لذنوبهم، وجنَّاتٍ تجري من تحتها الأنهار، كما عرَّج علىٰ المنافقين بالذمِّ والوعيد، وهذه مناسبة في غاية الوضوح، والله تعالىٰ أعلم.

(تنبيه): فتحت السورة بذكر ما امتنَّ الله به علىٰ نبيِّه من الفتح المبين والنصر العزيز، وهداية الصراط المستقيم، وإنزال السكينة في قلوب أصحابه لزيادة إيمانهم: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ

ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ﴾ [الفتح: ١ - ٤].

وختمت بالثناء عليه وعلى أصحابه ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ [الفتح: ٢٨ - ٢٩] فتناسب فيها المطلع والمقطع.

٤٩- ﴿سورة الحجرات﴾

ذكر الله تعالى في السورة السابقة بعض ما أنعم به على نبيِّه من الفتح المبين، والعصمة المكنَّى عنها بالمغفرة، وإتمام النعمة، والنصر العزيز، والهداية إلى الصراط المستقيم، وإرساله بالهدى ودين الحقِّ.

فذكر هنا ما يجب في حقِّه من الاحترام والتوقير؛ لأنه رسوله المختار، وصفوته من خلقه، فتوقيره توقير لله عزَّ وجلَّ، كما أنَّ مبايعته مبايعةٌ له حسبما تقدَّم في السورة السابقة.

مناسبة أخرى: ختم الله تعالى السورة السابقة بالثناء على الصحابة، وذكر لهم مثلين في التوراة والإنجيل، ووعدهم مغفرةً وأجرًا عظيمًا، فافتتح هنا ببيان ما يجب عليهم لرسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من التعظيم والأدب؛ لأنهم بصحبته نالوا الشرف بذلك الثناء، وباتباعه فازوا بسعادة الدارين، فلا

ينبغي لهم التقدم بين يديه، ولا مخاطبته كما يخاطب بعضهم بعضًا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الحجرات: ١ - ٥] وتلك مناسبة ظاهرة ليس بها خفاء.

(تنبيه): فُتحت السورة بإثبات صفتي السمع والعلم لله تعالى، كما مرَّ آنفًا، وخُتمت بإثبات صفتي العلم والبصر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الحجرات: ١٨] وهو من تناسب المطلع والمقطع.

٥٠- ﴿سورة ق﴾

مناسبتها لما قبلها: أن الله تعالى وجَّه في السورة السابقة خطابًا للناس عامَّة أنه خلقهم من ذكر وأنثى، وجعلهم شعوبًا وقبائل ليتعارفوا فيما بينهم لا ليتفاخروا بالأنساب والأحساب، وأنَّ أكرمهم عنده أتقاهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحجرات: ١٣] فذكر هنا ما أعدَّ للمتقين من الكرامة عنده يوم القيامة ﴿وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٖ ﴿٣٢﴾ مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ

فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ [ق: ٣١ - ٣٥] والله تعالى أعلم. (١)

(تنبيه): فُتحت السورة بذكر القرآن ﴿ قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴾ [ق: ١] وخُتمت به أيضًا ﴿ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ [ق: ٤٥] فتناسب فيها المطلع والمقطع.

٥١- ﴿ سورة الذاريات ﴾

مناسبتها لما قبلها: أنَّ الله تعالى ذكر في السورة السابقة ما أعدَّ للكفَّار من عذابٍ، وللمؤمنين من الثواب، وختمها بذكر صيحة البعث وما: ﴿ وَٱسْتَمِعْ

---

(١) كثر في هذه السورة ذكر كلمات فيها حرف (القاف): ﴿ قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴾ [ق: ١]، ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ﴾ [ق: ٤]، ﴿ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ ﴾ [ق: ١٠]، ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾ [ق: ١٧]، ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨]، ﴿ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ﴾ [ق: ١٩]، ﴿ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ [ق: ٢١]، ﴿ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ٢٣]، ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ [ق: ٢٤]، ﴿ فَأَلْقِيَاهُ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴾ [ق: ٢٦]، ﴿ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ ﴾ [ق: ٢٧]، ﴿ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴾ [ق: ٢٨]، ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ [ق: ٣٠]، ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴾ [ق: ٣٦]، ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق: ٣٧]، ﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ [ق: ٤١]، ﴿ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ [ق: ٤٥]، وهي مناسبة واضحة بين مفتتح السورة وبين بقيتها.

يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾ [ق: ٤١ - ٤٤].

فأقسم سبحانه وتعالى هنا عدَّة أقسام على أنَّ ما يوعدون من البعث صادق، وأنَّ الدين -وهو الجزاء المذكور فيما مر- واقعٌ لا محالة: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴾ [الذاريات: ١ - ٦] وهذه المناسبة واضحةٌ، والله تعالى أعلم.

(تنبيه): فُتحت السورة بذكر يوم البعث والجزاء، وخُتمت بذكره أيضًا ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴾ [الذاريات: ٦٠] فتناسب مطلعها ومقطعها.

٥٢- ﴿سورة الطور﴾

ختم الله تعالى السورة السابقة بأنَّ للكفار من هذه الأمَّة نصيبًا من العذاب مثل نصيب أصحابهم الكفَّار الهالكين قبلهم، فلا يستعجلون به: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴾ [الذاريات: ٥٩ - ٦٠].

فأقسم هنا في هذه السورة أقسامًا عظيمة، على أنَّ العذاب واقعٌ بالكفَّار يوم القيامة، غير مدفوع عنهم: ﴿وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾

مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [الطور: ١ - ١١] الآية.

مناسبة أخرى: تناسبت هذه السورة والتي قبلها في افتتاح كل منهما بالقسم على حقية البعث، وعذاب الكفَّار.

(**تنبيه**): ذكر في فاتحة السورة وعيد الكفَّار بأن العذاب واقعٌ بهم يوم القيامة، وذكر في خاتمتها مثل ذلك: ﴿ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [الطور: ٤٥ - ٤٦] فتناسب فيها المطلع والمقطع.

٥٣- ﴿سورة النجم﴾

حكى الله تعالى في السورة السابقة قول الكفار في النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾ [الطور: ٣٠ - ٣٤].

فأقسم هنا على تبرئة نبيِّه مما اتهموه به، وأنه لا ينطق إلَّا عن وحيٍ وتعليمٍ منه: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾ [النجم: ١ - ٥] الآيات، نفى عنه الضلال والغي والنطق عن الهوى، وأثبت أنَّ كلامه إنما هو بالوحي، وأنه يتلقَّاه من جبريل عليه السَّلام، وهذا أبلغ ما يكون في ردِّ كلام الكفَّار السابق.

مناسبة أخرى: خُتمت السورة السابقة بقوله تعالى: ﴿وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ [الطور:٤٩] فافتتحت هذه بقوله سبحانه: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم: ١]

(تنبيه): فُتحت السورة بالحديث عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كما مرَّ، وخُتمت بالحديث عنه أيضًا ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾ [النجم: ٥٦] فتناسب مطلعها ومقطعها.

٥٤- ﴿سورة القمر﴾

مناسبتها لما قبلها: أنَّ الله تعالى أخبر في ختام السورة السابقة بقرب الساعة وأنه لا يكشفها -أي: يظهرها- إلا هو سبحانه: ﴿أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ [النجم: ٥٧ - ٥٨].

فذكر هنا قربها أيضًا مع ظهور علامة من علاماتها: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر: ١] وأخبر بأنَّ الكفار أعرضوا عن آية انشقاقه: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ٢].

مناسبة أخرى: أخبر تعالى هناك أن الكفار أعرضوا عن القرآن ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾ [النجم: ٥٩ - ٦١] أي لاهُون عن التذكر به، والتدبُّر لما فيه، فأخبر هنا أنه يسَّر القرآن للتذكر والاتعاظ وأمر بالاتعاظ به: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧] تكرَّرت هذه الآية في هذه السورة عدَّة مرَّات للحضِّ على التذكُّر بالقرآن

والاتعاظ به، على خلاف ما اتبعه الكفَّار من الإعراض عنه[١].

(تنبيه): فُتحت السورة بذكر الساعة كما مرَّ آنفًا، وخُتمت بذكرها أيضًا: ﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ [القمر: ٤٦] فتناسب المطلع والمقطع.

٥٥ - ﴿ سورة الرحمن ﴾

مناسبتها لما قبلها: أنَّ تلك السورة خُتمت باسمين من أسماء الله الحسنى ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴾ [القمر: ٥٤ - ٥٥]

ففتحت هذه السورة بذكر اسمه الرحمن، إشارة إلى أنَّ رحمته عمَّت الدنيا والآخرة، وأنَّ أهل الجنَّة إنما دخلوها ونالوا تلك الخطوة برحمته.

وفي الحديث الصحيح: «**لن يَدخُلَ أحَدُكم الجنَّة بعمله**». قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا إلَّا أن يَتغَمَّدَني اللهُ برحمةٍ منه**».

وبها تعلَّموا القرآن، ووُفِّقوا للعمل به ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [الرحمن: ١ - ٢].

وأيضًا فإنَّ الأسماء الثلاثة صيغ تكثير، فمعنى مَليك: واسع المُلْك، ومُقتدر: واسع القُدْرة، والرحمن: واسع الرحمة، وفي ذلك إشارة إلى أنَّ ما فيه أهل الجنَّة من نعيمٍ وحَظْوَةٍ لا ينقطع ولا يزول؛ لأن مصدره من هو موصوف

---

(١) **مناسبة ثالثة:** أشير في السورة السابقة إلى أربع قصص على سبيل الإجمال: ﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴾ [النجم: ٥٠ - ٥٤] وذكرت في هذه السورة على سبيل التفصيل.

بتلك الصفات العظيمة.

وأيضًا فإنَّ السورة السابقة ذكرت ما يلقاه المتقون من النعيم في الجنَّة على سبيل الإجمال، ففصلَّت هذه السورة بيان النعيم بذكر أنواعه المختلفة، في جنَّات متعدِّدة. كما بيَّنت أنه لا يختص بالمتقين من الإنس، بل يشمل معهم المتقين من الجنِّ[1] فما في هذه السورة تفصيل وبيان لما في تلك، والله تعالى أعلم.

(تنبيه): روى الترمذيُّ والحاكم بإسنادٍ صحيحٍ عن جابرٍ -رضي الله عنه- قال: خرج رسول الله عليه الصلاة والسلام على أصحابه، فقرأ عليهم (سورة الرحمن)، من أولها إلى آخرها، فسكتوا، فقال: «**لقد قرأتُها على الجنِّ فكانوا أحسنَ مردودًا منكم، كنتُ كلَّما أتيتُ على قوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾** [الرحمن: ١٣] **قالوا: ولا بشيءٍ مِن نِعَمِكَ رَبَّنا نُكَذِّب فلك الحمد**».

قلت: يستحب قول هذا عند سماع هذه الآية، وهو من الأدب المأخوذ عن الجن، ويدخل في رواية الأكابر عن الأصاغر، وهي فن لطيف من فنون علم الحديث الشريف.

أمَّا حديث: «**لكلِّ شيءٍ عروسٌ وعروس القرآن سورة الرحمن**».رواه البيهقيُّ في "الشعب" من حديث عليٍّ عليه السلام، فهو حديثٌ ضعيفٌ.

وسمِّيت بذلك لاشتمالها على وصف الجنان ونعيمها، وما فيها مِن حورٍ مقصوراتٍ في الخيام، وهن عرائس الجنان.

---

(١) وفي هذا ردٌّ على من زعم أنَّ مؤمني الجنِّ لا يدخلون الجنَّة، وإنما جزاؤهم أن يجاروا من النَّار، وهو قولٌ باطلٌ، وإن قاله بعض أئمَّة أهل السُّنَّة.

٥٦- ﴿سورة الواقعة﴾

ذكر الله تعالىٰ في السورة السابقة نعيم أهل الجنَّة بإسهابٍ فكان من المناسب أن يقسم هنا المخلوقات إلىٰ ثلاثة أقسام: السابقون: أي المقرَّبون. وأصحاب اليمين: وهم أهل الجنَّة. وأصحاب المشأمة: أي أصحاب الشمال، أو المكذِّبون الضالُّون، وهم أهل النَّار المُعبَّر عنهم بالمجرمين في السورة السابقة.

فاستوفت السورتان أنواع المُنعَّمين والمُعذَّبين، أو السعداء والأشقياء، والله تعالىٰ أعلم.

(تنبيه): فُتحت السورة بتقسيم الخلق إلىٰ ثلاثة أنواع: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ [الواقعة: ٧ - ١٠].

وخُتمت بهذا التقسيم أيضًا ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ [الواقعة: ٨٨ - ٩٤] فتناسب فيها المطلع والمقطع.

(فائدة): روىٰ أبو عبيد في "فضائل القرآن"، والحارث بن أبي أسامة في "مسنده" عن عبدالله بن مسعودٍ رضي الله عنه مرفوعًا: «**مَن قرأ كلَّ ليلةٍ سورة الواقعة لم تُصِبْه فاقةٌ أبدًا**». هذا حديثٌ ضعيفٌ لا يصح عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، لكن ثبت من كلام ابن مسعودٍ.

وهو يدخل في باب الخواص، والمدار فيها على التجربة، ولعل السر في هذه السورة: أنَّ تاليها كل ليلة يتلو فيها قول الله تعالى يخاطب الكفَّار بعد تعداد نعمه عليهم: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ [الواقعة: ٨٢] أي شكر رزقكم ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢] فيحمله على شكر رزق الله ونعمته، حتى لا يكون مثلهم، فيفيض الله عليه الرزق، لقوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] والله تعالى أعلم.

٥٧- ﴿سورة الحديد﴾

بيَّنت السورة السابقة أنواع الخَلْق يوم القيامة، وقسَّمت أهل الجنَّة إلى قسمين: سابقين مقرَّبين، وأصحاب ميمنة. وذكرت في أهل النَّار نوعًا واحدًا، هم أصحاب المشأمة المكذِّبون الضالُّون.

فضمَّت هذه السورة إليهم نوعًا آخر كان الناس في الدنيا يحسبونهم مؤمنين؛ لأنهم كانوا يظهرون الإيمان وأعماله، وهم في الباطن مكذِّبون، أولئك هم المنافقون: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا ۖ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ مَأْوَاكُمُ النَّارُ ۖ هِيَ مَوْلَاكُمْ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾

[الحديد: ١٢ - ١٥] فما هنا مُتممٌ لما هناك ومُوضِّحٌ له، والله تعالى أعلم.

مناسبة أخرى: خُتمت السورة السابقة بالأمر بتسبيح الله: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٩٦] وفُتحت هذه بالخبر عن تسبيح المخلوقات لله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحديد: ١] وهذه الآية كالعلة للأمر السابق؛ أي سبِّح ربَّك لأن المخلوقات سبَّحته فلا تشذ عنها، وهي مناسبة ظاهرة، والله تعالى أعلم. وقال بعض العلماء: افتتاح سورة الحديد بالتسبيح مناسبٌ لختام سورة الواقعة بالأمر به.

(تنبيه): فُتحت السورة بالثناء على الله تعالى حسبما مرَّ، وخُتمت به أيضًا: ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[الحديد:٢٩]، وهو تناسبٌ بين مطلعها ومقطعها.

٥٨- ﴿سورة المجادلة﴾

مناسبتها لما قبلها: أنَّ الله تعالى ذكر في السورة السابقة وعيد المنافقين بدخول النَّار، لأنهم فتنوا أنفسهم بإبطان الكفر، وتربَّصوا بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وبالمؤمنين الدوائر: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [الحديد: ١٤]، فذكر هنا نوعًا آخر من الكفر أوجب لهم الخلود في النَّار أيضًا؛ وهو موالاتهم لليهود ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ وهم اليهود، كان المنافقون يوالونهم ويبلغونهم أسرار المسلمين ﴿مَّا هُم مِّنكُمْ﴾ يا معشر المسلمين

﴿وَلَا مِنْهُمْ﴾ من اليهود، هذا وصف المنافقين.

كما وصفهم في آية أخرىٰ ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء: ١٤٣]، ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ﴾ حيث يحلفون أنهم مسلمون ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم كاذبون في دعوىٰ الإسلام ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [المجادلة: ١٤- ١٥] الآيات وهذه مناسبةٌ ظاهرةٌ.

مناسبة أخرى: وجَّه الله تعالىٰ الخطاب في السورة السابقة لأهل الكتاب، يأمرهم بالإيمان بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بموسىٰ وعيسىٰ ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ﴾ محمَّد ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ لإيمانكم به وبنبيِّكم، وتصديقكم بكتابه وبكتابكم ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ يوم القيامة، كما جعله للمؤمنين من هذه الأمَّة، كما مرَّ في الآية الثانية عشرة ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: ٢٨].

فذكر هنا ما كان يقصد إليه اليهود من إيذاء النبيِّ والمؤمنين، وهو ضد ما أمروا من الإيمان به: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ الذي أمرناهم بالإيمان به: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾ حيث يقولون: السام عليك، والسام: الموت. ﴿وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ له إن كان نبيًّا، ثُمَّ توعَّدهم بقوله: ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [المجادلة: ٨]، تُشير الآية إلىٰ أنَّ إيمانهم غير متوقَّعٍ؛ لأنهم أعرق في الكفر، وأشد في الحقد، وأكثر سعيًا في

الإيذاء، وهي مناسبةٌ ظاهرةٌ، والله تعالىٰ أعلم. (١)

(تنبيه): ذكر في فاتحة السورة وعيد اليهود ومن يمالئهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [المجادلة: ٥] وذكر في خاتمتها وعيدهم أيضًا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢٠ - ٢١] فتناسب مطلعها ومقطعها.

٥٩- ﴿سورة الحشر﴾

ذكر الله تعالىٰ في السورة السابقة موالاة المنافقين لليهود: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ﴾ [المجادلة: ١٤].

فذكر هنا أنه سلَّط رسوله والمؤمنين علىٰ اليهود فأجلوهم، وأنَّ موالاة

---

(١) قد يقع السؤال عن المناسبة التي تربط بين مفتتح السورة وهو يتحدَّث عن الظِّهار، وبين بقية آياتها التي تتكلَّم علىٰ اليهود والمنافقين.

والجواب: أن الله تعالىٰ لما ذكر حكم الظِّهار وكان يُخالف حكمه عند العرب في جاهليتهم، ذيَّله بقوله: ﴿ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ بقبول تلك الأحكام، من الإعتاق والصيام والإطعام؛ لأن من لم يقبل حكم الله لا يكون مؤمنًا ﴿وَتِلْكَ﴾ الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ لا يجوز تعديها، ثم توعد الذين لا يقبلونها رجوعًا إلىٰ حكم الجاهلية بقوله: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٤] فكان توعُّد الكافرين مناسبة للتخلُّص إلىٰ التحدُّث عن اليهود والمنافقين؛ لأنَّ الكفر يربط بينهم، ومحادَّة الله ورسوله تجمعهم.

المنافقين لهم لم تنفعهم: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ هم يهود بني النضير ﴿مِن دِيَٰرِهِمْ﴾ بالمدينة إلى أريحا وأذرعات بالشام ﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ عند أول حشرهم إلى الشام، وآخر حشرهم إجلاء عمر إياهم من خيبر إلى الشام أيضًا: ﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [الحشر: ٢] الآيات.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [الحشر: ١١ - ١٢] الآيات. وهي مناسبة ظاهرة، والله تعالى أعلم.

(تنبيه): فتحت السورة بقوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ١] وختمت بقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٤] فتناسب مطلعها ومقطعها.

٦٠- ﴿سورة الممتحنة﴾

لما ذكر الله تعالى في السورة السابقة خُذلان اليهود والمنافقين، وكان للمؤمنين فيهم قرابةٌ وصداقةٌ ومعاملةٌ، يوادُّونهم لأجلها، ويصانعونهم لمراعاتها، وربما أدَّت الموادَّة والمصانعة إلى إفشاء بعض أسرار المؤمنين، نهى في

هذه السورة عن موالاة الكفَّار عمومًا؛ لأنهم أعداؤه وأعداء المؤمنين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الممتحنة: ١] ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الممتحنة: ٣] فهذه مناسبةٌ واضحةٌ، والله تعالىٰ أعلم.

(تنبيه): فُتحت السورة بالنهي عن موالاة الكفَّار كما مرَّ آنفًا، وخُتمت بالنهي عن موالاتهم أيضًا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾ [الممتحنة: ١٣] فتناسب مطلعها ومقطعها.

٦١- ﴿سورة الصف﴾

ختم الله تعالىٰ السورة السابقة -كما بدأها- بالنهي عن موالاة الكفَّار، وهو من المُحسِّنات البَديعيَّة، يسمِّيه أهل البلاغة: «ردُّ العَجُز علىٰ الصدر»، فناسب أن يحضَّ هنا علىٰ قتالهم لنصرة دينه، وإعلاء كلمته، ويعاتب المؤمنين علىٰ تباطئهم عن القيام بهذا العمل الجليل الذي أخبر أنه تجارةٌ رابحةٌ عند الله تعالىٰ، تُنجي من عذابه، وتُورث مغفرته ورضوانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٢ - ٤].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الصف: ١٠ - ١٢].

(تنبيه): ذكر في فاتحة السورة حديث موسىٰ لقومه: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ﴾ [الصف: ٥] وخُتمت بحديث عيسىٰ لقومه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [الصف: ١٤].

فتناسب مطلعها ومقطعها؛ لأن موسىٰ وعيسىٰ رسولان إلىٰ بني إسرائيل، وثانيهما تابع لشريعة أولهما.

٦٢- ﴿ سورة الجمعة ﴾

ذكر الله تعالىٰ في السورة السابقة رسالة موسىٰ وعيسىٰ عليهما السَّلام إلىٰ بني إسرائيل، فناسب أن يذكر في هذه السورة رسالة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إلىٰ العرب وهم الأُمِّيون، وبذلك ضمَّت السورتان ذكر الرسالات الثلاث التي هي كُبرىٰ الرسالات في العالم.

وأيضًا فإنَّ الله تعالىٰ حكىٰ في السورة السابقة عن عيسىٰ أنه بَشَّر بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ [الصف: ٦].

فذمَّ هنا بني إسرائيل الذين حرَّفوا صفة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وجَحَدوها: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الجمعة: ٥]. وهذا ذمٌّ بليغٌ لهم حيث لم ينفِّذوا تلك البشارة، وإنما اقتصر علىٰ ذمِّ اليهود،

لأنهم أسبق إلى التحريف، والنصارى مقلِّدون لهم فيه، ولأن التوراة كانت مكتوبة، بخلاف الإنجيل فإنه لم يُكتب.

تنبيهات

(التنبيه الأول): أخبر كلٌّ من موسى وعيسى بأنه رسول الله إلى قومه، أمَّا نبيُّنا فإنَّ الله تعالى تولَّى الإخبار عنه بذلك: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢] وفي هذا تشريفٌ كبيرٌ له.

(التنبيه الثاني): لم يقتصر الله تعالى على الإخبار بإرساله النبي إلى الأمِّيين، ولكن جعل رسالته عامَّةً إلى غيرهم أيضًا حيث قال: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾[الجمعة: ٣].

(التنبيه الثالث): فُتحت السورة بالحديث عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كما مرَّ، وخُتمت بالحديث إليه: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [الجمعة: ١١]، فتناسب المطلع والمقطع.

٦٣- ﴿سورة المنافقون﴾

مناسبتها لما قبلها: أنَّ الله تعالى ذكر في السورة السابقة رسالة النبيِّ عليه الصَّلاة والسَّلام إلى العرب وغيرهم، وذمَّ اليهود الذين جَحَدوا رسالته، وحرَّفوا صفته، فكشف هنا كذب المنافقين الذين يداخلون المؤمنين ويدعون الإيمان، وهم يُبطنون الكفر الصريح: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ

ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [المنافقون: ١] الآيات. وهي مناسبة ظاهرة، والله تعالىٰ أعلم.

(تنبيه): فُتحت السورة بكشف كذب المنافقين في دعوىٰ الإيمان، وهو ممَّا تُكنُّه القلوب، لا يعلمه إلَّا الله تعالىٰ، وخُتمت بقوله تعالىٰ ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١١] لإفادة أنَّ علمه محيطٌ بجميع الأعمال ظاهرها وخفيِّها، وأنه كما علم كذب المنافقين، يعلم من أخلص في عمله من المؤمنين، ومن أشبه منهم المنافقين بعدم إخلاصه في عمله، فتناسب فيها المطلع والمقطع.

٦٤- ﴿سورة التغابن﴾

حذَّر الله تعالىٰ في السورة السابقة من المنافقين بعد أن أخبر بعداوتهم للمؤمنين: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ [المنافقون: ٤]

فأخبر -هنا- أن بعض أزواج المؤمنين وبعض أولادهم أعداء لهم، يثبطونهم عن فعل الخير، كما يثبطهم المنافقون، وحذر منهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤].

فالمناسبة بين السورتين هي التحذير من عدوَّين مُتداخلين، قد تخفىٰ عداوتهما أو يتساهل في الاحتراس منهما، فيعظم الضرر وتقع الكارثة بالمؤمنين من حيث لا يشعرون، والله تعالىٰ أعلم.

(تنبيه): فتحت السورة السابقة بالثناء على الله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التغابن: ١] الآيات.

وخُتمت به: ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [التغابن: ١٧ - ١٨] فتناسب فيها المطلع المقطع.

٦٥- ﴿سورة الطلاق﴾

قال الله تعالى في السورة السابقة: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ﴾ [التغابن: ١٦] فكان الأمر بالتقوى والسمع والطاعة تمهيدًا لتلقِّي ما بيَّن هنا من أحكام الطلاق والعِدَّة والنفقة والإرضاع، ولأهمية هذه الأحكام، سُمِّيت حدود الله، وتخلَّلها الأمر بالتقوى عدَّة مرَّات، بصريحه تارة، وبالترغيب المفيد له أخرى، مع الإخبار بأن من تعدَّى حدود الله وتجاوزها فقد ظلم نفسه. وتلك مناسبةٌ ظاهرةٌ، والله تعالى أعلم.

٦٦ - ﴿سورة التحريم﴾

ذكر الله تعالى في السورة السابقة أحكام الطلاق وما يتبعه، فذكر هنا حكم تحريم الرجل سريته على نفسه، وكان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حرَّم مارية، إرضاء لزوجه حفصة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [التحريم: ١ - ٢] وهي مناسبةٌ ظاهرةٌ، والله تعالى أعلم.

مناسبة أخرى: فُتحت السورة السابقة بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ

فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾ [الطلاق: ١]. وفتحت هذه بالآية السابقة، وهي مناسبة بين فاتحتيهما.

٦٧- ﴿سورة الملك﴾

مناسبتها لما قبلها: أنَّ الله تعالى بيَّن في السورة السابقة أنَّ القَرابة من الرسول لا تغني القَريب، ولا تمنعه من دخول النَّار إذا استوجبها بكفره: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾ [التحريم: ١٠].

فبيَّن هنا الكفر الذي يوجب دخول النَّار وهو تكذيب الرسول: ﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴾ [الملك: ٦ - ٩] الآيات.

ويؤخذ منها أنَّ خيانة امرأة نوحٍ وامرأة لوطٍ هي تكذيبهما لزوجيهما، لا شيءٌ آخر، وقد بيَّنت ذلك بدلائله في "خواطر دينية".

مناسبة أخرى: خُتمت السورة السابقة بقوله تعالى: ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ

ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [التحريم: ١٢]. وفتحت هذه السورة بالثناء على الله تعالى بإثبات كماله، وعموم قدرته؛ ردًّا لما يدَّعيه النصارى في مريم من تجسُّد الله بها، وبيانًا لأن حملها بنفخ جبريل في فرجها، أثر من آثار قدرته: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[الملك: ١] فعبارة ﴿بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ تفيد استحالة اتصال الله ببعض مملوكاته بتجسُّد أو حُلُولٍ أو اتحاد، وصفة: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [الملك: ٢] تؤكِّد تلك الاستحالة؛ لأنه إذا كان خالق الموت والحياة اللذين لا يخلو منهما مخلوق، فكيف يتصل بمن هو عرضة للموت في كلِّ لحظةٍ؟! هذا ممَّا تردُّه العقول وتأباه. وهذه مناسبةٌ واضحةٌ، والحمد لله.

(تنبيه): أخرج الحاكم بإسناد صحيحٍ عن ابن عبَّاسٍ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**وَدِدْتُ أنها في قلبِ كلِّ مؤمنٍ**». يعني: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾.

وفي "السُّنن" عن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ سورةً من القرآن ثلاثون آيةٍ شفعت لرجلٍ حتى غُفِر له، وهي تبارك الذي بيده المُلْك**». حسَّنه الترمذيُّ، وصحَّحه ابن حِبَّان والحاكم.

وفي "سنن النَّسائيُّ" عن ابن مسعودٍ مرفوعًا: «**مَن قرأ تبارك الذي بيده الملك كلَّ ليلةٍ مَنَعَهُ الله عزَّ وجلَّ بها من عَذابِ القَبْرِ**». وكنَّا في عهد رسول الله عليه الصَّلاة والسَّلام نسمِّيها المانعة، وإنها في كتاب الله سورة، من قرأ بها في كلِّ ليلةٍ فقد أَكْثَر وأَطَابَ.

وروى الترمذيُّ والبيهقيُّ بإسنادٍ ضعيفٍ عن ابن عبَّاسٍ قال: ضرب

بعض أصحاب النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم خِباءَهُ على قبرٍ وهو لا يحسب أنه قبر، فإذا قبر إنسان يقرأ (سورة الملك) حتى ختمها، فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**هي المانعةُ، هي المُنجيةُ تُنْجِيه من عذابِ القَبْرِ**». ولهذا يقرأها أهل المغرب على الموتى، كما يقرأون (سورة يس).

٦٨- ﴿سورة القلم﴾[1]

أشار الله تعالى في السورة السابقة إلى اتهام الكفار للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالضلال: ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الملك: ٢٩] ومن الضلال: الجنون الذي رموه به صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؛ لأن المجنون ضالٌّ في جنونه لا يهتدي لوجه الصواب.

فنفى هنا ما رموه به نفيًا صريحًا قاطعًا: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَيِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ

---

(١) نزلت هذه السورة بعد (سورة العلق)، فهي ثاني سورة نزلت من القرآن، وكان اتجاه المشركين إذ ذاك إلى رمي النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالجنون؛ لأنهم اعتبروا ما بدئ به من الوحي جنونًا طرأ على عقله، فلهذا جاءت فاتحتها مصرِّحة بنفي الجنون عنه عليه السَّلام، ولم يأتِ حديثٌ عن القرآن؛ لأنه لم يكن نزل منه ما يدعو إلى الحديث عنه، فهذه -والله أعلم- حكمة عدم ذكر ما يتعلَّق بالقرآن، بعد حرف «ن»، على أنه ذَكَر القلم والكتابة -لأنه معنى يسطرون: يكتبون- إشارة إلى القرآن الذي سينزل ويكتب.

بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القلم: ١ - ٧] وهي مناسبة ظاهرة، والله تعالى أعلم.

مناسبة أخرى: وجَّه الله تعالى خطابًا إلى الكفَّار في السورة السابقة إن هو حَبَسَ رِزْقَهُ عنهم -بحبس المطر- فمن يرزقهم غيره؟ ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ﴾ [الملك: ٢١].

فأخبر في هذه السورة أنه امتحنهم بالقَحْط كما امتحن من قبلهم ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾ [القلم: ١٧ - ٢٠] الآية.

(**تنبيه**): فتحت السورة بقوله تعالى: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم: ٢] وخُتمت بقوله سبحانه ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾ [القلم: ٥١] فتناسب مطلعها ومقطعها.

٦٩- ﴿سورة الحاقة﴾

توعَّد الله تعالى في السورة السابقة المكذِّبين بالقرآن: ﴿فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ [القلم: ٤٤ - ٤٥] فختم هذه السورة بردِّ دعاويهم في القرآن، وبيان أنه من عنده: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الحاقة: ٣٨ - ٤٣] الآيات إلى آخر السورة. وهذه مناسبةٌ واضحةٌ، والله تعالى أعلم.

٧٠- ﴿سورة المعارج﴾

خُتمت السورة السابقة بردِّ دعاوىٰ المكذِّبين بالقرآن فافتتحت هذه بالإخبار عن العذاب الواقع بهم: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ١ - ٤] ومعنىٰ سأل سائل: دعا داعٍ؛ لأن سبب نزولها كما قال ابن عبَّاسٍ: أنَّ النضر بن الحارث قال: اللهمَّ إن كان هذا القرآن الذي يقرأه محمَّدٌ هو الحقَّ من عندك فأمطر علينا حجارةً من السماء، أو ائتنا بعذابٍ أليمٍ(١).

وهذه مناسبةٌ واضحةٌ، والله تعالىٰ أعلم.

مناسبة أخرى: فُتحت السورة السابقة بذكر القيامة وتهويل شأنها: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ [الحاقة: ١ - ٣].

فذكر هنا مقدار يومها، ووصف ما يحصل فيه ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾ [المعارج: ٤ - ٩] الآيات.

تنبيهان

(التنبيه الأول): قوله تعالىٰ: ﴿فِى يَوْمٍ﴾ متعلق بقوله: ﴿وَاقِعٍ﴾ والتقدير: سأل سائل بعذابٍ واقعٍ للكافرين في يومٍ كان مِقْدَاره خمسين ألف سنة(٢) وهو

---

(١) آية ٣٢ من (سورة الأنفال).

(٢) فالوقف علىٰ كلمة «إليه» لازم.

يوم القيامة كما مرَّ، وهذا التقدير هو الصحيح؛ لما رواه أحمد وغيره[١] عن أبي سعيدٍ الخدريِّ قال: قيل لرسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ما أطول هذا اليوم؟! قال: «**والذي نفسي بيده إنه ليُخَفَّف على المؤمِنِ حتَّى يكون أخفَّ عليه مِن صَلاةٍ مكتوبةٍ يُصلِّيها في الدُّنيا**».

وفي "الصحيحين" وغيرهما عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ما مِن صاحب ذهبٍ ولا فضَّةٍ لا يُؤدِّي فيها حقَّها إلَّا إذا كان يوم القيامَةِ صُفِّحَتْ له صفائح من نارٍ فأُحمي عليها في نار جهنَّم فيُكوى بها جَنْبُه وجَبِينُه وظهره كلَّما بردت أُعيدت له، في يوم كان مِقْدَاره خمسين ألف سنةٍ حتَّى يُقضَى بين العبادِ، فيرى سبيله إمَّا إلى الجنَّة وإمَّا إلى النَّار...**». الحديث[٢].

---

(١) كأبي يعلىٰ من طريق دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد، صحَّحه ابن حِبَّان، وهو والترمذيُّ والحاكم يُصحِّحون رواية هذا الطريق.

(٢) بقيته: قيل: يا رسول الله فالإبل؟ قال:«**ولا من صاحب إبلٍ لا يؤدِّي منها حقَّها ومن حقِّها حَلَبُها يوم ورودها، إلَّا إذا كان يوم القيامة بُطِحَ لها بقَاعٍ قَرْقَرٍ، أَوْفَرَ ما كانت، لا يَفقِدُ منها فَصِيلًا واحدًا، تطؤه بأخفافها وتعضُّه بأفواهها، كلما مرَّ عليه أُولاها عاد عليه أخِراها، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنةٍ، حتى يُقضَى بين العباد فيرى سبيله إمَّا إلى الجنَّة وإما إلى النار**»، قيل: يا رسول الله فالبقر والغنم؟ قال:«**ولا من صاحب بقرٍ ولا غنمٍ، لا يؤدِّي منها حقَّها إلَّا إذا كان يوم القيامة، بُطِحَ لها بقاعٍ قَرْقَرٍ، أوفر ما كانت، لا يفقد منها شيئًا، ليس فيها عَقْصَاء ولا جَلْحَاء ولا عَضْبَاء تنطحه بقرونها، وتطؤه بأظلافها، كلما مرَّ عليه أُولاها، رُدَّ عليه أخِراها. في يوم كان مقداره خمسين ألف سنةٍ، حتى يُقضَى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنَّة وإما إلى النَّار**».

وأمَّا تقديره متعلِّقًا «بتعرج» -ويكون التقدير: تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة- فليس بصحيح؛ لأن عُروج الملائكة والرُّوح والأعمال يكون في يوم مقداره ألف سنةٍ، قال تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [السجدة: ٥]وعروج الأمر -الشامل للأعمال وللروح وغيرهما- كناية عن عروج الملائكة المكلفين بذلك.

أمَّا قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [الحج: ٤٧] فالمراد به يوم من أيام عذاب الكفَّار في النَّار، وذلك أنهم استعجلوا العذاب الذي توعدوا به فقال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ بتعذيبهم ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ ﴾ حين يعذَّبون في النَّار ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ في شدَّته وطوله، وهذا كما قال في أهل الجنَّة: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [مريم: ٦٢].

وما قرَّرناه في هذه الآيات الثلاث هو المؤيَّد بالدليل من الكتاب والسُّنَّة، فاعتمِدْه، ولا تلتفت لما يروى من خلافه عن ابن عبَّاسٍ، فإنه ليس بصحيحٍ عنه.

(التنبيه الثاني): فُتحت السورة بذكر يوم القيامة: ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [المعارج: ٤] وختمت به أيضًا: ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴾ [المعارج: ٤٢ - ٤٤] فتناسب مطلعها ومقطعها.

٧١- ﴿سورة نوح﴾

مناسبتها لما قبلها: أنَّ الله تعالىٰ ذكر في السورة السابقة حال الكفَّار مع النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم واستهزاءهم بالمؤمنين، وأمر نبيَّه بأن يتركهم في خوضهم ولعبهم حتىٰ يلاقوا يومهم الذي يوعدون فيه العذاب.

فذكر في هذه السورة ما لاقىٰ قوم نوحٍ من الهلاك والعذاب بعده، حين كذَّبوا رسولهم: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔاتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾ [نوح: ٢٥] فما حلَّ بهؤلاء من العذاب، سيَحِلُّ بأولئك، وهذه مناسبةٌ ظاهرةٌ، والله تعالىٰ أعلم.

٧٢- ﴿سورة الجن﴾

مناسبتها لما قبلها: أنَّ الله تعالىٰ ذكر في السورة السابقة ما أبداه نوحٌ لقومه من الأدلة المتعدِّدة علىٰ توحيد الله وسعة نعمته وقرب مغفرته، ومع ذلك أصرُّوا علىٰ الشرك، وتواصوا به فيما بينهم: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣].

فذكر في هذه السورة أنَّ الجنَّ حين سمعوا القرآن آمنوا به، وأقلعوا عن الشرك: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: ١ - ٣] الآيات. وهذا تعريضٌ بأنَّ الجنَّ أحسن حالًا من كفَّار الإنس، وأسدُّ رأيًا، وأبعد عن الجدل منهم، وأسعد بقبول الحقِّ، وأكَّد هذا التعريض بذكر

حرصهم على استماع القرآن من النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩].

(تنبيه): فُتحت السورة بذكر الوحي كما مرَّ، وخُتمت به أيضًا: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ حفظة من الملائكة يحفظونه من الشياطين ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ التي أوحاها إليهم لتبليغها ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾ [الجن: ٢٦-٢٨] فتناسب المطلع والمقطع.

٧٣- ﴿سورة المزمل﴾

تقدَّم في السورة السابقة مَدْحُ القرآن، وتسميته هدىً: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [الجن: ١٣] فأمر النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في هذه السورة بالقيام به وبترتيله، وبالاستعداد لما سينزل عليه منه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ١ - ٥] مهيبا. وتلك مناسبةٌ ظاهرةٌ.

مناسبة أخرى: هي الإشارة إلى تعدُّد حِكَمه وفوائده، فذكر من حكمه هناك الرشد والهداية، وذكر هنا فيها القيام به وتلاوته على وجه التثبُّت والتأنِّي، والله تعالى أعلم.

(**تنبيه**): فُتحت السورة بالكلام على قيام الليل وقراءة القرآن كما مرَّ، وخُتمت به: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ

وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ ﴾ [المزمل: ٢٠] وهذا تناسب بين مطلعها ومقطعها.

٧٤- ﴿سورة المدثر﴾

هذه السورة نزلت بعد سابقتها، جاء النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حين أنزل ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١] وبوادره ترجف من شدَّة الوحي وفجأته، فقال لخديجة رضي الله عنها: «زَمِّلُوني زَمِّلُوني»، فزمَّلَته.

فنزل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾ [المزمل: ١] ثُمَّ فَتَر الوحي مدَّة، ثُمَّ فاجأه مرَّة أخرى. فرجع يرتجف، وقال لأهله: «دَثِّرُوني دَثِّروني»، فدَثَّروه.

فنزل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر: ١] فتناسبت السورتان في أنَّ كلَّ واحدةٍ منهما سجَّلَت حالة من حالتيه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

مناسبة ثانية: أمر في السورة السابقة بقيام الليل استعدادًا لما يُلقى إليه، وترقُّبًا لما يُفاض عليه، فألقي إليه في هذه السورة الأمر بالإنذار وما معه: ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾ [المدثر: ٢ - ٥] وأفيض عليه وصف الرسالة، بعد أن كان نبيًّا، ومن هنا قال بعض الصوفية في: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾ [المزمل: ١] إنه تزمَّل بالنبوة، وفي ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر: ١] إنه تدثَّر

بالرسالة. وهي إشارةٌ لطيفةٌ.

مناسبة ثالثة: أمر في السورة السابقة بترتيل القرآن لتدبُّره واستخراج جواهره ولآلئه، فذكر هنا وعيد المكذِّب به: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ﴾ [المدثر: ١٨ - ٢٨] الآيات.

مناسبة رابعة: توعَّد الله هناك المكذِّبين هول يوم القيامة: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا﴾ [المزمل: ١٧ - ١٨] فذكر هنا ما يحصل لهم من العذاب في ذلك اليوم، واعترافهم بكفرهم: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٣٨ - ٤٨].

٧٥- ﴿سورة القيامة﴾

مناسبتها لما قبلها: أنَّ الله تعالى ذكر في السورة السابقة اعتراف الكفَّار وهم في سَقَر بأنَّ من أسباب دخولهم لها تكذيبهم بيوم الدِّين وهو يوم القيامة.

فافتتح هذه السورة بالقسم به: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ١ - ٢] ثُمَّ ذكر قدرته على البعث والدليل عليها: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾ [القيامة: ٣ - ٤] ﴿أَيَحْسَبُ

ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة: ٣٦ - ٤٠].

تنبيهان

(التنبيه الأول): أخبرني المرحوم متولي العوضي أنَّ مستشرقًا إنجليزيًّا عنده إنصاف -على ندرة المُنصف في المستشرقين- كان يكلِّمه على ما في القرآن من إشارات إلى حقائق علمية، فذكر له على سبيل المثال أنَّ الغربيين اكتشفوا البصمة من البحث في آية: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ [القيامة: ٤] أصابعه.

حيث لفت نظرهم تخصيص الأصابع بالذكر في الاستدلال على إحياء الموتى للبعث، فبحثوا حتى وصلوا إلى أنَّ الخطوط والتعاريج التي في الأصابع لا تتشابه رغم كثرة الناس، وأنه إذا استعرضت أصابع ألف ألف شخص فلا يوجد تشابه بين شخصين منهم، وإذا أحرق جلد الأصبع يعود بعد التئامه بخطوطه وتعاريجه كما كانت، وبهذا صارت البصمة تدل على صاحبها دلالة قاطعة، فسبحان الخلَّاق العليم.

(التنبيه الثاني): قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٦ - ١٩].

ثبت في "الصحيحين" عن ابن عبَّاسٍ -في سبب نزول هذه الآيات الأربع- أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان يقرأ مع جبريل عليه السَّلام القرآن حين ينزل عليه به مخافة النِّسيان. وقد اختلف العلماء في توجيه المناسبة بين هذه الآيات، وبقية آيات السورة التي تتكلَّم عن البعث وما بعده.

قال الزمخشريُّ: «فإن قلت: كيف اتصل قوله ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ إلى آخره بذكر القيامة؟ قلت: اتصاله به من جهة هذا التخلُّص إلى التوبيخ بحبِّ العاجلة وترك الاهتمام بالآخرة»(١).

وقيل لمَّا نزل أول السورة إلى قوله تعالى ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ [القيامة: ١٥] صادف أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في تلك الحالة بادر إلى حفظ ما نزل عليه. فقيل له ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ الآيات(٢) ثُمَّ عاد الكلام إلى تكملة ما ابتدئ به. قال الفخر الرازي: «ونحوه ما لو ألقى المدرس على الطالب -مثلا- مسألةً، فتشاغل الطالب بشيءٍ عَرَض له. فقال له: ألقِ بالك وتفهَّم ما أقول، ثُمَّ كمَّل المسألة، فمن لا يعرف السبب يقول: ليس هذا الكلام مناسبًا للمسألة، بخلاف من عرف ذلك».

وقيل: لمَّا تقدَّم ذكر النفس في أول السورة، عدل إلى ذكر نفس النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، كأنه قيل: هذا شأن النفوس، وأنت يا محمَّد نفسك أشرف النفوس، فلتأخذ بأكمل الأحوال من التأنِّي والتثبُّت، وقيل غير ذلك.

---

(١) لكن أين المناسبة بينها وبين ما قبلها؟ فالظاهر أنها من الاقتضاب، بل ذكر أبو العلاء محمد بن غانم: أنَّ القرآن لم يقع فيه شيءٌ من التخلُّص، لما فيه من التكلُّف، وقال: إنَّ القرآن إنما ورد على الاقتضاب الذي هو طريقة العرب من الانتقال إلى غير مُلائمٍ.
وغلط في ذلك، بل القرآن فيه تخلُّص لا تكلُّف فيه، ومنه ما مرَّ بيانه في سورة المجادلة، والتخلُّص طريقة العرب أيضًا، إلَّا أنَّ الغالب في استعمال العرب الأولين ومن يليهم من المُخَضْرَمين طريقة الاقتضاب.

(٢) ويؤيده ما صحَّ في سبب نزولها.

الثالث: فُتحت السورة بذكر القدرة على البعث ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ [القيامة: ٤] وخُتمت به ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة: ٤٠] فتناسب مطلعها ومقطعها.

٧٦- ﴿سورة الإنسان﴾

مناسبتها لما قبلها: أن الله تعالى ذكر في السورة السابقة أنَّ الناس ينقسمون في الآخرة قسمين: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٥]فذكر هنا ثواب أهل النضرة بتفصيل: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٥ - ٦] الآيات. وأيضًا تتفق هذه السورة مع تلك في الكلام على البعث وما يليه، والله تعالى أعلم.

(**تنبيه**): ذكر في فاتحة السورة وعيد الكفَّار: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا﴾ [الإنسان: ٤] وخُتمت به ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا﴾ [الإنسان: ٣١] فتناسب مطلعها ومقطعها.

٧٧- ﴿سورة المرسلات﴾

هذه السورة تناسب سابقتها أيضًا في الكلام على البعث وما بعده من نعيمٍ أو عذابٍ، والله تعالى أعلم.

(**تنبيه**): قال أبو بكر بن العربي: «نزلت (سورة المرسلات) في الغار تحت الأرض كما في الصحيح عن ابن مسعودٍ».

قلت: وأخرج الإسماعيلي في "صحيحه" -وهو مستخرجه على البخاري- عن ابن مسعودٍ أيضًا قال: نزلت (سورة المرسلات) ليلة عرفة بغار منى. وفي "المستدرك" عنه أيضًا قال: كنا مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في غارٍ، فنزلت عليه ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ﴾، فأخذتها من فيه وإن فاه رطبٌ بها.

قلت: هذه السورة نزلت جملة واحدة.

٧٨- ﴿سورة النبأ﴾

هي كسابقتها تتعلَّق بالبعث وما بعده، وهكذا أغلب السور المكية تتعلَّق بهذا الموضوع؛ لأنها نزلت في قومٍ ينكرونه. فردَّ الله تعالى عليهم بعدَّة سور، نوَّع لهم فيها الأدلة، وعدَّد الأساليب، وأوضح الحُجَّة، وسدَّ عليهم باب الإنكار، وأبطل شبههم فيه، بحيث لم يبقَ لهم من حُجَّةٍ على إنكار اليوم الآخر وما فيه، إلَّا العناد المجرَّد، وهو أقبح الكفر، وصاحبه لا يرجى له علاجٌ، والله تعالى أعلم.

٧٩- ﴿سورة النازعات﴾

هي أيضًا تُناسب سابقتها في الموضوع لما قدَّمنا، والله تعالى أعلم.

(تنبيه): فُتحت السورة بالحديث عن يوم القيامة: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ [النازعات: ٦ - ٧] الآية.

وخُتمت به: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۝٤٢ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ۝٤٣ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ۝٤٤ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ۝٤٥ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾

[النازعات: ٤٢ - ٤٦]فتناسب مطلعها ومقطعها.

٨٠- ﴿سورة عبس﴾

تناسب سابقتها في موضوع البعث وما بعده أيضًا.

٨١ - ﴿سورة التكوير﴾

تناسب سابقتها في الموضوع نفسه. والله أعلم.

٨٢ - ﴿سورة الانفطار﴾

تتناسب مع سابقتها في وصف يوم القيامة وصفًا تنخلع له النفوس، وتلاحقها صُوَرُه ومشاهدُه في صورة إنذارٍ بالغٍ. قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن سرَّه أن ينظرَ إلى يوم القيامة كأنه رأي العين فليقرأ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾**». رواه الترمذيُّ من حديث ابن عمر بإسناد جيِّدٍ.

(تنبيه): فُتحت السورة بوصف يوم القيامة: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الانفطار: ١ - ٥].

وختمت به: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٨ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٧ - ١٩]فتناسب مطلعها ومقطعها.

٨٣- ﴿سورة المطففين﴾

تناسب سابقتيها في الموضوع؛ لأنها توعد المطففين بالويل في يوم عظيم، يوم يقوم الناس لربِّ العالمين. وتصف حالتي الفجار والأبرار، في ذلك اليوم.

٨٤- ﴿سورة الانشقاق﴾

تصف يوم القيامة كأنه رأي العين، كما مرَّ في الحديث فهي تناسب سابقتها مناسبة موضوعية.

(تنبيه): أفادت هذه السورة أنَّ الكافر يُعطىٰ كتابه يوم القيامة وراء ظهره، وهي فائدةٌ زائدة علىٰ ما أفاده غيرها من السور من إعطائه كتابه بشماله.

وعلىٰ هذا فالكافر في الآخرة يُعطىٰ كتابه بشماله مِن وراء ظهره، والله تعالىٰ أعلم.

٨٥- ﴿سورة البروج﴾

تناسب سابقتها في ذكر يوم القيامة ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ﴾ [البروج: ١ - ٢] يوم القيامة.

وفي ذكر عذاب الكفَّار ونعيم المؤمنين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۝١٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [البروج: ١٠ - ١١].

٨٦- ﴿سورة الطارق﴾

تناسب سابقتها في ذكر يوم البعث: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ [الطارق: ٨ - ١٠]، وفي وصف القرآن، هناك ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ [البروج: ٢١ - ٢٢]، وهنا ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ﴾ [الطارق: ١٣ - ١٤].

٨٧- ﴿سورة الأعلى﴾

مناسبتها لما قبلها: أنَّ الله تعالىٰ ردَّ علىٰ المشركين في السورة السابقة قولهم: لا يرجع الإنسان بعد موته: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [الطارق: ٨ - ٩] وقولهم في القرآن: سِحْرٌ وكَهَانَةٌ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ۝١١ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ۝١٢ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ﴾ [الطارق: ١١ - ١٤]، وقول الكفَّار المذكور يلزم منه نسبة النقص إلىٰ الله تعالىٰ بتكذيبه في البعث، ووصف كلامه بالكهانة والسِّحر.

فافتتح هذه السورة بالأمر بتسبيحه أي تنزيهه سبحانه عن كلِّ نقصٍ، مثبتًا عُلُوَّه وقدرته التامَّة، وحكمته في أفعاله: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ [الأعلىٰ: ١ - ٢] الآيات.

وأيضًا فقد قال في السورة السابقة يأمر الإنسان بالنظر في أصل خلقه: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ [الطارق: ٥ - ٧] فأشار هنا بصفتي: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلىٰ: ٢ - ٣] إلىٰ

أنه تعالى خلق من الماء الدافق خلقًا سويًّا، وقدر له ما يصلحه، فهداه إليه، وعرفه وجه الانتفاع به، وحذف مفعول خلق لإرادة التعميم في الإنسان والحيوان، ومن أراد أن يعرف ما تشير إليه هذه الآية من حقائق وأسرار، فليقرأ عِلْم الحيوان وعِلْم الأحياء(١).

٨٨- ﴿سورة الغاشية﴾

مناسبتها لما قبلها: أنَّ الله تعالى أخبر في السورة السابقة أنَّ الناس يُؤثِرون الحياة الدنيا على الآخرة: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلى: ١٦ - ١٧].

فأراد في هذه السورة أن يستنهض هممهم إلى طلب الآخرة ويحذِّرهم هول يوم القيامة: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾ [الغاشية: ١] الآيات.

(تنبيه): فتحت السورة بيوم القيامة كما مرَّ، وخُتمت به: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [الغاشية: ٢٥ - ٢٦] فتناسب مطلعها ومقطعها.

٨٩- ﴿سورة الفجر﴾

مناسبتها لما قبلها: أنَّ الله تعالى أمر نبيَّه في السورة السابقة بتذكير الكفَّار، وأوعدهم بالعذاب: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ﴾ [الغاشية: ٢١ - ٢٤] فذكر هنا

---

(١) علم الأحياء يبحث عن الكائنات الحية من إنسان وحيوان ونبات من حيث نموها وبناءها وتغذيتها وتنفسها ونشاطها وحركاتها وتكاثرها وتوالدها.

أنه أهلك كفَّارًا كانوا أشدَّ من كفَّار مكَّة وأقوىٰ منهم: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ٦ - ١٤] فما أصاب هؤلاء من الهلاك والعذاب، ليس ببعيدٍ من أولئك، والله تعالىٰ أعلم.

٩٠- ﴿سورة البلد﴾

ذكر الله تعالىٰ في السورة السابقة اهتمام الإنسان بالدنيا، وحبَّه للمال، وإهماله للطاعة، ولما يفيده في الآخرة: ﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا﴾ [الفجر: ١٥ - ١٧] ردع للإنسان عن هذا القول، ثُمَّ وجَّه الخطاب للكفَّار الذين كانوا يرون بسط الرزق إكرامًا وتَقْتيره إهانةً ﴿بَل﴾ [الفجر: ١٧] حين يكرمكم الله بالمال ﴿لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ١٧ - ٢٠] فأعاد الكلام هنا علىٰ الإنسان، وأخبر أنه خلق في مكابدة المشاق والشدائد، وأنه يتباهىٰ بكثرة ما أنفقه في شهواته ولم ينفقه في طاعة الله ورضاه ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ

ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ [البلد: ٤ - ١٦].

فسجلت السورتان على الإنسان حبه للدنيا وتركه للآخرة، وبينت هذه السورة أن الإنسان المتحدث عنه فيهما هو الكافر ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾ [البلد: ١٧] وهذه مناسبة واضحة.

٩١- ﴿ سورة الشمس ﴾

مناسبتها لما قبلها: أنَّ الله تعالى يُبيِّن في السورة السابقة أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة، فذكر هنا أصحاب الميمنة بوصف الفلاح، وأصحاب المشأمة بوصف الخيبة: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ [الشمس: ٩ - ١٠] فيستفاد ممَّا هناك معنى هنا أنَّ أصحاب الميمنة مفلحون أي: فائزون لدخولهم الجنة. وأصحاب المشأمة خائبون أي: خاسرون لدخولهم النار، والله تعالى أعلم.

٩٢- ﴿ سورة الليل ﴾

تناسب هذه السورة سابقتها في تقسيم الناس إلى قسمين: مؤمنٌ وهو المُفلِح مُيَسَّرٌ للجنَّة وهي اليُسْرَى، وكافرٌ وهو الخائب مُيَسَّرٌ للنَّار، وهي العُسْرَى. ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴾ [الليل: ١ - ٦] بالملة الحسنى وهي ملة الإسلام: ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾ [الليل: ٧ - ١٠].

٩٣- ﴿سورة الضحى﴾

ذكر الله في السورة السابقة أنَّ المصدِّق بملَّة الإسلام مُيَسَّرٌ للجنَّة، وختمها بذكر ما أعدَّه من الثواب لأول رجلٍ أسلم من هذه الأُمَّة وهو أبو بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليل: ١٧ - ٢١] فناسب أن تكون هذه السورة في فضل النبيِّ الأكرم والرسول الأعظم إيذانًا بأن شرف التابع هناك لشرف المتبوع هنا والله تعالىٰ أعلم.

(تنبيه): أول من أسلم علىٰ الإطلاق خديجة رضي الله عنها، وتلاها عليٌّ عليه السَّلام؛ لأنه كان يتربَّىٰ في بيت النبيِّ عليه الصَّلاة والسَّلام، وكان عمره يوم أسلم ثمان سنين تقريبًا، ولم يسجد لصنمٍ قَطُّ، ولذا قيل عنه: كرَّم الله وجهه.

٩٤- ﴿سورة الشرح﴾

نفىٰ الله تعالىٰ في السورة السابقة، ترك نبيِّه وقلاءه؛ ردًّا لدعوىٰ بعض المشركين ذلك، وامتنَّ عليه ببعض نعم أنعم عليه بها قبل النبوة، ثُمَّ قال له: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحىٰ: ١١].

فذكر هنا نعمًا منحه إياها في بدء نبوته وبعدها، وهي: شرح صدره، ووضع وزره، ورفع ذكره، وتيسير العسير له. فالسورتان متناسبتان في الموضوع متقاسمتان بيان فضل النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

موازنة بين نبينا وبين موسى وإبراهيم عليهم الصَّلاة والسلام

موسى طلب من الله أن يشرح صدره وييسر أمره: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى﴾ [طه: ٢٥ - ٢٦].

وإبراهيم طلب أن يجعل له ذكرًا في الآخرين أي في هذه الأمة: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤].

ونبينا أعطاه الله ذلك من غير طلب: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ١ - ٥] وهذا مما يدل على رفعة نبيِّنا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

٩٥- ﴿سورة التين﴾

امتنَّ الله تعالى على نبيِّه في السورة السابقة بخصال شرَّفه بها، فناسب أن يشرِّف بلده الذي نشأ فيه، فأقسم به تشريفاً له: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ [التين: ١ - ٣] مكة.

٩٦- ﴿سورة العلق﴾

مناسبة هذه السورة لما قبلها: أنَّ الله تعالى أنكر في السورة السابقة على الكفَّار تكذيبهم بالبعث: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ﴾ [التين: ٧].

و الخطاب للمكذِّب بالبعث، والاستفهام إنكاري، فصرَّح هنا بالبعث وأكد وقوعه: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾ [العلق:٨].

(تنبيه): قال بعض العلماء: سورة ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ مشتملة على نظير ما اشتملت عليه الفاتحة من براعة الاستهلال لكونها أول ما نزل فإن فيها الأمر بالقراءة والبداءة فيها باسم الله وفيه الإشارة إلى علم الأحكام[1] وفيها ما يتعلَّق بتوحيد الربِّ وإثبات ذاته وصفة من صفات ذاته وصفة فعل.

و في هذه الإشارة إلى أصول الدين وفيها ما يتعلَّق بالأخبار من قوله: ﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق: ٥]،ولهذا قيل: إنها جديرةٌ أن تسمَّى عنوان القرآن؛ لأن عنوان الكتاب يجمع مقاصده بعبارةٍ وجيزةٍ في أوله.

٩٧- ﴿سورة القدر﴾

افتتحت السورة السابقة بأمر النبيِّ عليه الصَّلاة والسَّلام بالقراءة: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، فناسب أن يذكر في هذه السورة إنزال القرآن المأمور بقراءته ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القدر: ١].

و قال أبو جعفر بن الزبير في البرهان: حكى الخطابي أنَّ الصحابة لما اجتمعوا على القرآن وضعوا سورة القدر عقب العلقة استدلوا بذلك على أن المراد بهاء الكناية في قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ الإشارة إلى قوله:

---

(١) لأن معنى ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ اقرأ مبتدئًا باسم ربِّك، أي قل: باسم الله، وهذا حكم شرعي يشير إلى أحكام تأتي بعده وقوله: ﴿رَبِّكَ﴾ إثبات لذات الله واتصافه بالربوبية، وهو إشارة إلى التوحيد، و﴿ٱلۡأَكۡرَمُ﴾ صفة ذاتية و﴿ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ صفة فعل، وذلك إشارة إلى أصول الدين.

﴿ٱقۡرَأۡ﴾ قال القاضي أبو بكر بن العربي وهذا بديعٌ جدًّا.

٩٨- ﴿سورة البينة﴾

مناسبتها لما قبلها: أنَّ الله تعالىٰ أخبر في السورة السابقة بإنزال القرآن، فذكر هنا ما كان عليه الفريقان من الكفَّار، مشركين وكتابيين كانوا يقولون: لا نزال علىٰ ديننا حتىٰ يأتينا الرسول الموعود في آخر الزمان يتلو صحفًا مُطهَّرةً، هي القرآن: ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ۝١ رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ﴾ [البينة: ١ - ٢]، ثُمَّ بعد مجيئه وتلاوته للقرآن الذي أنزل عليه، تفرَّق فيه أهل الكتاب -وتبعهم المشركون- فكفر معظمهم حسدًا وبغيًا. وآمن من سبقت له السعادة: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ٤]، وهذه مناسبةٌ ظاهرةٌ والله تعالىٰ أعلم.

٩٩- ﴿سورة الزلزلة﴾

ذكر في السورة السابقة جزاء الكفَّار والمؤمنين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦ - ٧].

فناسب أن يذكر هنا يوم القيامة، وما يسبقه من شدَّةٍ؛ لأن بعده يصير المؤمنون إلىٰ الجنة، والكفار إلىٰ النار: ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ۝١ وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا

﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ١ - ٨].

(تنبيه): ورد في حديث ضعَّفه الترمذيُّ عن ابن عبَّاسٍ مرفوعًا: «**(إذا زُلْزِلَتْ) تَعْدِلُ نِصْفَ القرآنِ، و(قُلْ هو اللهُ أحدٌ) تَعْدِلُ ثلث القرآن، و(قل يا أيُّها الكافرون) تَعْدِلُ ربع القرآنِ**».

وجاء في حديثٍ آخر حسَّنه الترمذيُّ وفيه كلام: أنها -يعني إذا زلزلت- تعدل ربع القرآن.

قال ناصر الدين بن الميلق المالكي الشاذلي في توجيه الحديثين: أحكام القرآن تنقسم إلى أحكام الدنيا وأحكام الآخرة، وهذه السورة تشتمل على أحكام الآخرة كلها إجمالًا وزادت على القارعة بإخراج الأثقال وتحديث الأخبار. وأمَّا تسميتها في الحديث الآخر ربعًا فلأن الإيمان بالبعث ربع الإيمان في الحديث الذي رواه الترمذيُّ: «**لا يؤمن عبدٌ حتى يؤمن بأربعٍ: يشهد أن لا إله إلَّا الله وأنى رسول الله بعثني بالحقِّ، ويؤمن بالموت، ويؤمن بالبَعْث بعد الموت، ويؤمن بالقَدَر**». فاقتضى هذا الحديث أنَّ الإيمان بالبعث الذي قرَّرته هذه السورة ربع الإيمان الكامل الذي دعا إليه القرآن.

١٠٠- ﴿سورة العاديات﴾

تناسب سابقتها في ذكر البعث أيضًا: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ [العاديات: ٩ - ١١].

١٠١- ﴿سورة القارعة﴾

تناسب سابقتها أيضاً في ذكر يوم القيامة، مع إفادة تسميته بالقارعة؛ لأنها تقرع النفوس بأهوالها وشدائدها. والله تعالىٰ أعلم.

١٠٢- ﴿سورة التكاثر﴾

مناسبتها لما قبلها: أنه تعالىٰ ذكر فيما مر أهوال يوم القيامة، فذم هنا اللاهين عنها، قاله الصاوي في حاشية "تفسير الجلالين".

(**تنبيه**): روىٰ الحاكم بإسنادٍ فيه مجهول عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آيةٍ في كلِّ يومٍ؟**».

قالوا: ومن يستطيع ذلك؟ قال: «**أما يستطيع أحدُكم أن يقرأ ألهاكم التكاثر؟**». قال الناصر بن الميلق: إنَّ القرآن ستة آلاف آية ومائتا آية وكسر، فإذا تركنا الكسر كان الألف سدس القرآن وهذه السورة تشتمل علىٰ سدس مقاصد القرآن، فإنها -فيما ذكره الغزالي- ستة: ثلاث مهمة، وثلاث متممة -وتقدمت في سورة الفاتحة- وأحدها معرفة الآخرة المشتمل عليه السورة، والتعبير عن هذا المعنىٰ بألف آية أفخم وأجل وأضخم من التعبير بالسدس.

١٠٣- ﴿سورة العصر﴾

مناسبتها لما قبلها: أنه تعالىٰ ذمَّ في تلك، اللاهين عن يوم القيامة بالمال والمعاصي واتباع الشهوات فذكر هنا أنَّ اللهو بذلك يعمُّ جنس الإنسان فسمَّاه خُسْرًا إلَّا المؤمنين: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ - ٣].

١٠٤- ﴿سورة الهمزة﴾

مناسبتها لما قبلها: أنه تعالىٰ لما قال فيما سبق ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ [العصر: ٢]، بين هنا حال الخاسرين ومآلهم. قاله الصاوي.

١٠٥- ﴿سورة الفيل﴾

تناسب سابقتها في بيان مآل بعض الخاسرين وهم أصحاب الفيل خصوا بالذكر؛ لاجترائهم علىٰ حرم الله تعالىٰ.

١٠٦- ﴿سورة قريش﴾

إن قلنا إنَّ ﴿لِإِيلَٰفِ﴾ متعلِّق بآخر السورة السابقة، والمعنىٰ: فجعلهم كعصف مأكول، ليبقىٰ إيلاف قريش رحلتي الشتاء والصيف، فالسورتان مرتبطتان. وقد كان يعدهما أُبيٌّ بن كعبٍ وجعفر الصادق وأبو نهيك سورة واحدة. وإن قلنا: إنه متعلِّق بالأمر بعده ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟﴾ فالمناسبة بينهما في قوله ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ [قريش: ٤]، والمعنىٰ: فليعبدوا الله الذي آمنهم من جيش الفيل، وقد كانوا خائفين منه، والله تعالىٰ أعلم.

١٠٧- ﴿سورة الماعون﴾

هذه السورة فيها سبع آيات: ثلاث منها نزلت في وصف كفَّار مكَّة، **ووجه مناسبتها لما قبلها:** أنَّ الله تعالىٰ امتنَّ علىٰ قريشٍ بأنه أطعمهم من جوعٍ، وآمنهم من خوفٍ، وأمرهم أن يعبدوه شكرًا علىٰ ذلك. فذمهم هنا بأنهم

يكذبون بالدين، ويدفعون اليتيم دفعًا عنيفًا، ولا يبذلون الطعام للمسكين الجائع، وهو ضد ما أمرهم الله، بل ضد ما يقتضيه شكر نعمة الإطعام والأمن.

أمَّا الأربع الباقية فإنها نزلت في المنافقين الذين يظهرون الصَّلاة والعبادة رياءً وسمعةً، وهم في الباطن مثل كفَّار مكَّة، يكذِّبون بالدِّين ويتحلَّون بما لا يصح التحلِّي به.

١٠٨- ﴿سورة الكوثر﴾

ذمَّ الله تعالىٰ في السورة السابقة الكفَّار علىٰ تكذيبهم بالدين وبخلهم بإطعام المسكين، فأخبر هنا بكرمه الذي أكرم به نبيَّه، وسلَّاه بذلك عن تكذيب قومه وإيذائهم، وأمره بالصَّلاة والنَّحْر أي لإطعام المساكين، علىٰ عكس ما عليه الكفَّار من البخل وترك عبادة الله تعالىٰ.

و قال بعض العلماء: من لطائف سورة الكوثر أنها كالمقابلة للتي قبلها: لأن السابقة وصف الله فيها المنافق بأربعة أمور: البخل، وترك الصَّلاة، والرياء فيها، ومنع الزكاة.

فذكر في مقابلة البخل: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ أي الخير الكثير، وفي مقابلة ترك الصلاة ﴿فَصَلِّ﴾ أي دُم عليها، وفي مقابلة الرِّياء ﴿لِرَبِّكَ﴾ أي لرضاه لا للناس، وفي مقابلة منع الماعون ﴿وَٱنۡحَرۡ﴾ [الكوثر: ١-٢] وأراد به التصدق بلحم الأضاحي.

قلت: فحاله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يباين حالهم غاية المباينة. ولهذا والله

أعلم أمره في:

١٠٩- ﴿سورة الكافرون﴾

أن يخبرهم بأنه لا صلة بينه وبينهم، لأنه يعبد الله وحده، وهم يعبدون غيره، ودينه التوحيد، ودينهم الشرك.

(تنبيه): روى الترمذيُّ والبيهقيُّ وغيرهما من طريق سلمة بن وردان عن أنس، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لرجل من أصحابه: «**هل تزوَّجتَ؟**» قال: لا والله يا رسول الله، ولا عندي ما أتزوَّج به. قال: «**أليس معك قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ؟**» قال: بلى. قال: «**ثُلُثُ القرآنِ**»، قال: «**أليس معك إِذَا جَاءَ نَصْرُ الله؟**» قال: بلى. قال: «**رُبُعُ القرآنِ**»، قال: «**أليس معك قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ ؟**» قال: بلى. قال:: «**أليس معك إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ؟**» قال: بلى، قال: «**رُبُعُ القرآنِ، تزوَّج تزوَّج**». حسَّنه الترمذيُّ.

لكن سلمة ضعيف، قال أبو حاتم: «ليس بالقويِّ، عامَّة ما عنده عن أنسٍ منكرٌ». وقال ابن معين: «ليس حديثه بذاك»، من هنا تكلَّم مسلمٌ في هذا الحديث في كتاب "التمييز". وسيأتي توجيه كون هذه السورة ربع القرآن بحول الله تعالى.

١١٠- ﴿سورة النصر﴾

لما أيأس الله نبيه من الكفَّار والمنافقين، وقطع كلَّ صلةٍ بينه وبينهم فيما يتعلَّق بعبادة الله وتوحيده، بشره هنا بمجئ نصر الله وفتحه، وبانتشار دينه، ودخول الناس فيه أفواجًا، وهذه مناسبة ظاهرة، والله تعالى أعلم.

١١١- ﴿سورة تبت﴾

لما بشَّر الله نبيَّه في السورة السابقة بنصره ونَشْر دينه، ناسب أن يُبشِّره هنا بهلاك عدوِّين عنيدين من أشد أعدائه طالما قاسى من إيذائهما وسبهما؛ ولهذا أفرد الله هذه السورة للبشارة بهلاكهما وخسرانهما، إكرامًا لنبيِّه، وانتقامًا له من أعدائه، والله تعالى أعلم.

١١٢ - ﴿سورة الإخلاص﴾

كان العرب يجمعون المال عدَّة لنوائب الزمان وحوادث الدهر، ويطلبون البنين لمكاثرة الخصوم ومحاربة الأعداء، فذكر الله في السورة السابقة أنَّ أبا لهبٍ حين نزل به الهلاك والخسار لم ينفعه ماله ولا ما كسب من أولاد، وقد كان يعتزُّ بهما على عادة قومه وعشيرته، فنزَّه الله تعالى نفسه هنا عن مشابهة خلقه، فلا ولد له ولا والد، ولا يماثله أحد، سبحانه وتعالى.

وقال بعض العلماء في المناسبة بين السورتين: التوازن في اللفظ بين آخر السابقة، وأول هذه؛ أي بين «مسد» و«أحد»، وهذه مناسبة لفظية.

(تنبيه): ثبت في "الصحيحين" وغيرهما من طرق: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ تَعْدِلُ ثُلُثَ القرآنِ**». واختلف في معنى الحديث وتوجيه كونها ثلث القرآن. فقيل: لأن القرآن يشتمل على شرائع، وقصص، وصفات، وهذه السورة كلها صفات، فكانت ثلثا بهذا الاعتبار.

وقال الغزالي في "الجواهر": «معارف القرآن المهمة ثلاث: معرفة التوحيد، والصراط المستقيم، والآخرة، وهي مشتملة على الأول فكانت ثلثًا».

وقال أيضًا فيما نقله عنه الرازي: «القرآن يشتمل على البراهين القاطعة على وجود الله تعالى ووحدانيته، وصفاته: إمَّا صفات الحقيقة، وإمَّا صفات الفعل، وإمَّا صفات الحكم، فهذه ثلاثة أمور. وهذه السورة تشتمل على صفات الحقيقة، فهي ثلث».

وقال الجويني: «المطالب التي في القرآن، معظمها الأصول الثلاثة التي بها يصح الإسلام، ويحصل الإيمان؛ وهي معرفة الله، والاعتراف بصدق رسوله، واعتقاد القيام بين يدي الله تعالى. فإن من عرف أنَّ الله واحدٌ، وأنَّ الرسول صادقٌ، وأنَّ الدين واقعٌ، صار مؤمنًا حقًّا، ومن أنكر شيئًا منها كفر قطعًا، وهذه السورة تفيد الأصل الأول، فهي ثلث القرآن من هذا الوجه».

وقيل القرآن قسمان: خبر، وإنشاء، والخبر قسمان: خبر عن الخالق، وخبر عن المخلوق، فهذه ثلاثة أثلاث، وهذه السورة أخلصت الخبر عن الخالق، فهي بهذا الاعتبار ثلث.

وقال ناصر الدين بن الميلق في توجيه الحديث وحديث الكافرون، مع أن كلًا منهما يسمى الإخلاص: «إنَّ (سورة الإخلاص) اشتملت من صفات الله تعالى على ما لم تشتمل عليه (الكافرون)، وأيضًا فالتوحيد إثبات إلهية المعبود وتقديسه، ونفي إلهية ما سواه. وقد صرَّحت (الإخلاص) بالإثبات والتقديس، ولوحت إلى نفي عبادة غيره، و(الكافرون) صرَّحت بالنفي، ولوَّحت بالإثبات والتقديس، فكان بين الرتبتين من التصريحين والتلويحين، ما بين الثلث والربع.

وقيل: تعدل ثلث القرآن في الثواب، وهذا هو المشهور عند الناس، لكن

ضعَّفه أبو الوفاء بن عقيل الحنبلي، وقال: لا يجوز أن يكون المعنىٰ أنَّ من قرأها فله أجر ثلث القرآن، لقوله عليه الصَّلاة والسَّلام: «**مَن قرأ القرآن فله بكلِّ حرفٍ عشر حسناتٍ**».

وقال ابن عبد البر في "التمهيد": «السكوت في هذه المسألة أفضل من الكلام فيها، وأسلم».

ثُمَّ روىٰ بإسناده إلىٰ إسحاق بن منصور، قال: قلت لأحمد بن حنبل: قوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ تَعْدِلُ ثُلُثَ القرآنِ**» ما وجهه؟ فلم يقم لي فيها علىٰ أمر.

وقال لي إسحاق بن راهويه: معناه: أنَّ الله لما فضَّل كلامه علىٰ سائر الكلام، جعل لبعضه أيضًا فضلًا في الثواب لمن قرأه، تحريضًا علىٰ تعليمه، لا أنَّ من قرأ قل هو الله أحد ثلاث مرات، كان كمن قرأ القرآن جميعه، هذا لا يستقيم، ولو قرأها مائتي مرة.

١١٣ - ﴿سورة الفلق﴾

لَمَّا بيَّن فيما سبق أنه الصمد، أي المقصود في كلِّ أمرٍ، أرشد هنا إلىٰ الالتجاء إليه، والاستعاذة به من شرور خَلْقه.

١١٤ - ﴿سورة الناس﴾

تناسب سابقتها في الاستعاذة، وخُصَّت بالاستعاذة من شرِّ الوسواس الخَنَّاس؛ لعظم ضرره، ولجريانه من الإنسان مجرىٰ الدم، كما ثبت في الحديث.

نعوذ بالله من شرِّه، ونسأله العصمة من ضرره.

خاتمة وفيها مسألتان

المسألة الأولى: في فواتح السور

أَلَّف فيها ابن أبي الأصبع كتابا سمَّاه "الخواطر السوانح في أسرار الفواتح".

قال أهل البيان: من البلاغة حسن الابتداء، وهو أن يتأنَّق في أول الكلام، لأنه أول ما يقرع السمع، فإن كان محرَّرًا، أقبل السامع على الكلام ووعاه، وإلَّا أعرض عنه، ولو كان الباقي في نهاية الحسن، فينبغي أن يؤتى فيه بأعذب لفظٍ وأجْزَله وأرقِّه وأسلسه، وأحسنه نظمًا وسبكًا، وأصحِّه معنى، وأوضحه وأخلاه من التعقيد والتقديم والتأخير الملبس أو الذي لا يناسب.

قالوا: وقد أتت جميع فواتح السور على أحسن الوجوه، وأبلغها وأكملها، كالتحميدات وحروف الهجاء والنداء وغير ذلك.

وبيان ذلك -على ما جمعه أبو شامة في كتاب "المرشد الوجيز في علوم تتعلَّق بالقرآن العزيز"-: أنَّ الله تعالى افتتح سور القرآن بعشرة أنواع من الكلام، لا يخرج شيءٌ من السور عنها:

الأول: الثناء عليه تعالى، والثناء قسمان: إثبات لصفات الكمال، ونفي وتنزيه عن صفات النقص.

فالأول: **التحميد**، في خمس سور: (الفاتحة) و(الأنعام) و(الكهف) و(سبأ) و(فاطر)، وتبارك في سورتين: (الفرقان) و(الملك).

والثاني: **التسبيح**، في سبع سور، قال الكرماني في "متشابه القرآن": التسبيح كلمة استأثر الله بها، فبدأ بالمصدر في (بني إسرائيل)؛ لأنه الأصل، ثُمَّ بالماضي في (الحديد) و(الحشر) و(الصف)؛ لأنه أسبق الزمانين، ثُمَّ بالمضارع في (الجمعة)

و(التغابن)، ثم بالأمر في (الأعلىٰ) استيعابًا لهذه الكلمة من جميع جهاتها.

الثاني: حروف التهجِّي، في تسع وعشرين سورة: (البقرة) و(آل عِمْرَان) و(الأعراف) و(يونس) و(هود) و(يوسف) و(الرَّعْد) و(إبراهيم) و(الحِجْر) و(مريم) و(طه) و(الشُّعراء) و(النَّمل) و(القصَص) و(العنكبوت) و(الرُّوم) و(لقمان) و(السجدة) و(يس) و(ص) و(غافر) و(فُصِّلَت) و(الشُّورىٰ) و(الزُّخْرف) و(الدُّخَان) و(الجاثية) و(الأحْقَاف) و(ق) و(ن).

الثالث: النِّداء، في عشر سورٍ: خمس بنداء الرسول: (الأحزاب) و(الطَّلاق) و(التَّحريم) و(المُزمِّل) و(المُدَّثر).

وخمس بنداء الأُمَّة: (النِّساء) و(المائدة) و(الحجِّ) و(الحُجُرات) و(المُمْتَحَنة).

الرابع: الجمل الخبرية، في ثلاث وعشرين سورة: (الأنْفَال)، (التوبة)، (النَّحْل)، (الأنبياء)، (المؤمنون)، (النُّور)، (الزُّمَر)، (القِتال)، (القَمَر)، (الرَّحمن)، (المُجَادَلة)، (الحَاقَّة)، (المَعارِج)، (نُوح)، (القيامة)، (عَبَس)، (البَلَد)، (القَدْر)، (البَيِّنة)، (القَارِعة)، (ألهاكُم)، (الكَوْثَر).

الخامس: القَسَم، في خمس عشرة سورة أقسم فيها بالملائكة وهي: (الصَّافَّات)، وسورتان بالأفلاك: (البُروج) و(الطَّارق). وست سور بلوازمها: فـ(النَّجْم) قَسَمٌ بالثريَّا، و(الفَجْر) بمبدأ النهار، و(الشمس) بآية النَّهار، و(الليل) بشَطْر الزمان، و(الضُّحَىٰ) بشطر النَّهار، و(العصر) بالشطر الآخر، أو بجملة الزمان، وسورتان بالهواء الذي هو أحد العناصر، (والذَّاريات)، (والمرسلات)، وسورة بالتربة التي هي منها أيضًا وهي: (والطُّور)، وسورة بالنبات وهي: (والتين)، وسورة بالحيوان الناطق وهي:

(والنَّازعات)، وسورة بالبهيم وهي: (والعاديات).

السادس: الشرط، في سبع سور: (الواقعة)، (المنافقون)، (التكوير)، (الانفطار)، (الانشقاق)، (الزَلْزَلَة)، (النَّصر).

السابع: الأمر، في ست سور: (الجِنّ)، (العَلَق)، (الكافرون)، (الإخلاص)، المعوِّذتان.

الثامن: الاستفهام،، في ست سور: (الإنسان)، (النَّبأ)، (الغاشية)، (الشرح)، (الفيل)، (الماعون).

التاسع: الدُّعاء، في ثلاث سور: (ويلٌ للمطَفِّفين)، (ويلٌ لكلِّ هُمَزة)، (تَبَّت).

العاشر: التعليل، في (لإيلاف قريش).

قال أبو شامة: وما ذكرناه في قسم الدُّعاء، يجوز أن يذكر مع الخبر، وكذا الثناء كله خبر، إلَّا «سبِّح»؛ فإنه يدخل في قسم الأمر، و«سبحانه» يحتمل الأمر والخبر: ونظم ذلك في بيتين فقال:

أثنَـى عـلىٰ نَفْسِـهِ سُـبْحَانَهُ بثُبُـو ... تِ الحَمْدِ والسَّلْبِ لَمَّا اسْتَفْتَحَ السُّـورَا

والأَمْرِ والشَّـرْطِ النِّدا التعْليلِ الـدُّ ... عَا حُـروفِ التهَجِّـي اسْـتَفْهِمِ الخَـبَرَا

المسألة الثانية: في خواتيم السور

وهي مثل الفواتح في الحسن؛ لأنها آخر ما يَقْرَع السَّمْع[١] ولهذا جاءت متضمِّنة للمعاني البديعة، مع إيذان السامع بانتهاء الكلام، حتى لا يبقى معه للنفوس تشوُّف إلى ما يذكر بعده؛ لأنها بين أدعيةٍ ووصايا وفرائض وتحميدٍ وتهليلٍ ومواعظٍ ووَعْدٍ ووَعِيدٍ، إلى غير ذلك.

كتفصيل جملة المطلوب في خاتمة الفاتحة، إذ المطلوب الأعلى: الإيمان المحفوظ من المعاصي المسبِّبة لغضب الله والضلال. ففصَّل جملة ذلك بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧] والمراد: المؤمنون ولذلك أطلق الإنعام ولم يقيِّده ليتناول كلَّ إنعامٍ؛ لأن من أنعم الله عليه بنعمة الإيمان فقد أنعم عليه بكلِّ نعمةٍ؛ لأنها مستتبعة لجميع النعم.

ثُمَّ وصفهم بقوله: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] يعني أنهم جمعوا بين النِّعم المطلقة وهي نعمة الإيمان، وبين السلامة من غضب الله تعالى والضَّلال المسبَّبين عن معاصيه وتعدِّي حدوده.

وكالدعاء الذي اشتملت عليه الآيتان من آخر (سورة البقرة).

وكالوصايا التي خُتمت بها (آل عِمْران): ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] إلى آخر السورة.

وكالفرائض التي خُتمت بها (سورة النِّساء)، وحُسن الختم بها لما فيها من

---

(١) قال الخطيب القزويني في "الإيضاح": جميع فواتح السور وخواتمها؛ واردة على أحسن وجوه البلاغة وأكملها. يظهر ذلك بالتأمُّل فيها مع التدبُّر لما تقدَّم من الأصول.

أحكام الموت الذي هو آخر أمر كلِّ حيٍّ، ولأنها آخر ما نزل من أحكام.

وكالتبجيل والتعظيم الذي خُتمت به (المائدة)، وكالوعد والوعيد الذي خُتمت به (الأنعام)، وكالتحريض على العبادة بوصف حال الملائكة، الذي خُتمت به (الأعراف)، وكالحضِّ على الجهاد وصِلَة الأرحام الذي خُتمت به (الأنفال)، وكوصف الرسول والتهليل اللذين خُتمت بهما (التوبة)، وكتسليته عليه الصَّلاة والسَّلام التي خُتمت بها سورتا (يونس) و(هود)، وكوصف القرآن ومدحه الذي خُتمت به سورة (يوسف)، وكالوعيد والردِّ على من كذَّب الرسول اللذين خُتمت بهما سورة (الرَّعْد)، وكالثناء على الله تعالى الذي خُتمت به (الإسراء)، ومثلها سورتا (الحجِّ) و(الحشر).

ومن أوضح ما آذن بالختام خاتمة إبراهيم: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [إبراهيم: ٥٢].

ومثلها خاتمة (الأحقاف): ﴿بَلَٰغٌۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [الأحقاف: ٣٥]. وكذا خاتمة (الحِجْر) بقوله تعالى: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٩] فُسِّر بالموت، وهذه الخاتمة في غاية البراعة.

وخاتمة (الشورى) مثلها: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴾ [الشورى: ٥٣].

و(سورة الزلزلة) بدئت بوصف أهوال يوم القيامة، وخُتمت بقوله تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨] وهي خاتمة في منتهى البراعة.

وكذلك خاتمة (سورة النَّصر)، فيها إيذان بالوفاة: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ

وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر: ٣] وهي خاتمةٌ بديعةٌ.

روى البخاريُّ في "صحيحه" عن ابن عبَّاسٍ، قال: كان عمر رضي الله عنه يدخلني مع أشياخ بدرٍ، فكأنَّ بعضهم وَجَد في نفْسِه، فقال: لِـمَ يدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟!. فقال عمر: إنه من قد علمتم. ثُمَّ دعاهم ذات يوم، فقال: ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [النصر: ١]؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا جاء نصرنا وفُتح علينا. وسكت بعضهم، فلم يقل شيئًا. فقال لي: أكذلك تقول يا ابن عبَّاسٍ؟ فقلت: لا. قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، أعلمه له. قال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ وذلك علامة أجلك ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ فقال عمر رضي الله عنه: إني لا أعلم منها إلا ما تقول.

قلت: ولهذا كانت ربع القرآن كما جاء في الحديث السابق، أي ربع الإيمان الذي يدعو إليه القرآن. كما مر عن العارف ابن الميلق في (سورة الزلزلة).

وهكذا كلُّ سورةٍ تجد خاتمتها في غاية الحُسْن والبَراعة، أحسن الله خاتمتنا بالوفاة على الإيمان، وفرَّج كربتنا، وجعلها كفَّارة لنا عما اقترفناه، وبيَّض وجهنا يوم نلقاه.

كان الفَراغُ من تحريره مساء يوم الأربعاء الثالث من شهر ذي القَعْدة الحرام، من شهور سنة خمسٍ وثمانين وثلاثمائة وألف هجرية، أحسن الله خاتمتها، آمين.

تتميم

في وجوب مراعاة التناسق والترتيب بين السور

علمت ممَّا مرَّ في الكتاب ومقدِّمته أنَّ آيات القرآن الكريم وسوره تتسق في تناسب عجيبٍ، وترتبط بعضها مع بعضٍ في تآلُفٍ بديعٍ غريبٍ، بحيث لو وضعت آية مكان غيرها أو سورة في غير موضعها، اختلَّ الاتساق والتناسب، وتفكَّك الارتباط والتآلُف.

وهذا ممَّا اختصَّ به القرآن العظيم، وكان وجهًا من وجوه إعجازه المتعدِّدة، فينبغي لتاليه أن يراعي هذا المعنىٰ في تلاوته، فلا ينتقل من سورة إلىٰ تاليتها حتىٰ يتمَّها.

ومن هنا تدرك خطأ بعض المُقرئين الذين ينتقلون من سورةٍ إلىٰ غيرها، غير مراعين ذلك، فبينما يتلو أحدهم سورة من السبع الطِّوال، أو المئين، ينتقل فجأة إلىٰ سورة من طوال المفصَّل، أو قصاره، ولا يدرك ما في انتقاله من إخلال بالمناسبة المقصودة وفصم للارتباط المطلوب.

وإنما يدركه العلماء المتخصِّصون في علوم القرآن، وتفهُّم أسراره، بل يشاهده أهل البصائر المنوَّرة بنور المعرفة.

ذكر العارف الشعراني في ترجمة الشيخ محمد بن أحمد الفرغل من "طبقاته": أنَّ فقيهًا جلس عنده يقرأ القرآن، فنطَّ الفقيه، فقال له الشيخ: نطّيت. فقال له: من أعلمك يا سيِّدي وأنت لا تحفظ القرآن؟ فقال: كنت أرىٰ نورا متصلًا صاعدًا إلىٰ السماء، فانقطع النور ولم يتصل بما بعده.

وذكر لي سيِّدنا الأستاذ الإمام الوالد رضي الله عنه: أنَّ الوليَّ الكبير السيِّد الأستاذ الهاشمي بو زيد -من تلاميذ جدِّنا القطب الكبير سيِّدي الحاج أحمد- كان جالسًا بمسجد بعد صلاة المغرب وجماعة يقرأون القرآن بصوت مرتفع، فانتقلوا من سورة إلى أخرى بسبب آية أشكلت عليهم، فصفق السيِّد الهاشمي بيده ينبِّههم إلى خطئهم، فتنبَّهوا ورجعوا.

فسأله أحد الحاضرين كيف عرفت خطأهم وأنت لا تحفظ القرآن؟!

فقال: كنت أرى نورًا صاعدًا مع تلاوتهم في استقامةٍ واستواءٍ، فلمَّا انتقلوا حصل في النور اضطرابٌ، ووصلٌ بعد انقطاعٍ، فعرفت خطأهم.

قلت: هذا من الكشف المؤيَّد بالدليل، فالقرآن نورٌ حِسِّيٌّ ومعنويٌّ، ومن أسمائه: النور، وإذا قُرِئ في مكان غشيته سكينة ونور.

وقريبٌ من هذا أنَّني كنت أُلقي دروسًا حديثية، بأويش الحجر بجهة المنصورة، فذكر بعض الصالحين من المفتوح عليهم أنه كان يرى النور يخرج مع تلاوتي للحديث، منذ البدء في ذكر إسناده إلى الانتهاء منه.

٤ - مِنْحَةُ الرَّؤُوفِ المُعْطِي
ببَيانِ ضَعْفِ وُقُوفِ الشَّيخِ الهِبْطِي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل كتابه هدًى ورحمةً، وجعله شِفاءً ونِعْمَةً، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّدٍ هادي الأُمَّة، وكاشف الغُمَّة، ورِضْوان الله على آله ذوي الرُّتَب السَّنِيَّة وشرف الهمة.

أمَّا بعد: فإنَّ الوقوف عِلْمٌ من علوم القرآن الكريم عُنِيَ به الصحابة لتلقِّيهم إيَّاه عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم واعتنى به العلماء فكتبوا فيه المؤلَّفات الكثيرة مثل كتاب "الوقف والابتداء" لابن الأنباري، وأبي جعفر النحَّاس، والدَّاني، والزَّجَّاجي، والعماني، والسَّجاوندي، والأَشْمُوني، وغيرهم.

روى البيهقيُّ، عن ابن عمر قال: «لقد عِشْنا بُرْهةً من دَهْرنا وإنَّ أحدنا ليؤتَى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فنتعلَّم حلالها وحرامها، وما ينبغي أن يوقف عنده منها كما تتعلَّمون أنتم القرآن اليوم، ولقد رأينا اليوم رجالًا يُؤتَى أحدهم القرآن قبل الإيمان، فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ما يدري أمره ولا زجره، ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه».

ورواه أبو جعفر النحاس في كتاب "الوقف" بإسناده، وعلَّق عليه بقوله: «فهذا الحديث يدل على أنهم كانوا يتعلَّمون الأوقاف كما يتعلَّمون القرآن، وقول ابن عمر: «لقد عِشْنا بُرْهةً مِن دَهْرنا». يدل على أنَّ ذلك إجماع من الصحابة ثابت».

وقال ابن الأنباري: «من تمام معرفة القرآن معرفة الوقف والابتداء».

وقال النِّكْزاوي: «باب: الوقف عظيم القَدْر، جليل الخَطَر؛ لأنه لا يتأتَّى لأحدٍ معرفة معاني القرآن ولا استنباط الأدلة الشرعية منه إلَّا بمعرفة الفواصل». وصرَّحوا بأنه لايقوم بالوقف إلَّا عالمٌ بالنحو والقراءات والتفسير والقصص.

لكن الشيخ الهِبْطِي الذي عمل الوقف لم يقرأ هذه النصوص ولم يكن يعرف علم العربية ولا شيئًا مما اشترطوه لصحَّة الوقف، بل أقدم على عملية الوقف بحسب ما ظهر له من غير مراعاة للقواعد، فكان كثير من وُقُوفه من قبيل الممنوع؛ لأنه يفصل بين المبتدأ والخبر، وبين الفعل ومتعلَّقه، والفعل ونائبه، والمفعول، وحرف الجرِّ، وغير ذلك مما نبيِّنه في هذه الرسالة بحول الله تعالى.

والعَجَبُ العُجَاب أنَّ أهل المغرب استعملوا هذه الوقوف منذ وقت صاحبها ومنشئها إلى وقتنا هذا، لم يفكِّر عالمٌ منهم ولا باحثٌ أن يغيِّر القبيح منها بالصحيح، حتى ظنَّ كثيرٌ من الناس، فيهم مثقَّفون وأهل علمٍ أنَّ القرآن نزل بهذه الوقوف، بل قيل: إنَّ الهِبْطي رأى وُقُوفه في اللوح المحفوظ ومنه أخذها!

ولم يكن سكوت المغاربة على هذه الوقوف جهلًا بما فيها من فسادٍ - حسبما أعتقد- ولكن كان سكوتهم إهمالًا واستهانة لظنِّهم أنَّ هذا موضوعٌ هيِّنٌ، مع غَلَبة التقليد عليهم وركونهم إلى ما ورثوه عمن مضى خطأ كان أو صوابًا، قبيحًا أو حسنًا، ولهم قاعدة يسوِّغون بها جمودهم على التقليد وهي قولهم: «خطأٌ مشهورٌ خيرٌ من صوابٍ مهجورٍ».

وهذه الكلمة لا أصل لها في الدِّين ولا في العلم، بل هما يقدِّمان الصواب مطلقًا ومن أظهر صوابًا مهجورًا كان له ثواب إظهاره والعمل به.

ولَمَّا كانت وقوف الهِبْطي بالصِّفة التي ذكرتها من المنكر الذي يجب تغييره لأنها تُلْحِق بكلام الله خطأ يتنزَّه عنه، وكان السكوت عن تغييرها إثمًا يعم أهل العلم جميعًا بالمغرب، أردت أن أقوم بهذا الواجب عن نفسي وعنهم بتأليف هذه الرسالة التي أبيِّن فيها -بحول الله- الوقوف القبيحة.

وأنا أعلم أنَّ أفرادًا من العامَّة وأشباههم ستأخذهم الحَمِيَّة للهِبْطي على حساب كلام الله تعالى فيرفعون عقيرتهم بذمِّ عملي هذا، غير مدركين ما فيه من تنزيه القرآن عن الخطأ واللحن، بل قد يتجرَّأ بعضهم فيحاول تصحيحها بتقديرات متعسِّفة لم تخف عليَّ.

وأقول لهؤلاء: قد نصَّ العلماء على أنه لا يجوز تخريج شيءٍ من الآيات على تقديرات ضعيفة؛ لأن ذلك يؤدِّي إلى أن يكون في القرآن ما ليس بفصيح وهذا خطيرٌ جدًّا؛ لأن القرآن ليس فيه إلَّا الفصيح والأفصح، ولا أُنبِّه على جميع الوقوف المخطئة وإنما أُنبِّه على ما كان قبحه ظاهرًا لا يخفى على متعلِّم.

ثُمَّ استدركت بأنَّ الشيخ المهدي الفاسي ألَّف رسالة في بيان وقوف الهِبْطي الضعيفة وغير الصحيحة.

١- ﴿سورة البقرة﴾

الآية الأولى: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ﴾ [البقرة: ٩٦].

الوقف الصحيح على «أشركوا» كما في مصحف حفص، والآية واردة في اليهود، قال الزمخشريُّ: «وفيها توبيخٌ عظيمٌ؛ لأن الذين أشركوا لا يؤمنون بعاقبةٍ ولا يعرفون إلَّا الحياة الدنيا، فحرصهم عليها لا يستبعد لأنها جنَّتهم، فإذا زاد عليهم في الحرص من له كتابٌ وهو مُقِرٌّ بالجزاء كان حقيقًا بأعظم التوبيخ».اهـ

ووقف الهبطي على لفظ: «حياة» وهو خطأ لم يختص به فقد قال بعض المفسِّرين: «المراد بالذين أشركوا المجوس، كانوا يقولون لملوكهم: عش ألف نيروز وألف مهرجان».

وضعَّفه ابن جُزَيٍّ، قال في "تفسيره": «﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون معطوفًا على ما قبله فيوصل به، والمعنى أنَّ اليهود أحرص على الحياة من الناس ومن الذين أشركوا، فحمل على المعنى كأنه قال: أحرص من الناس ومن الذين أشركوا، وخصَّ الذين أشركوا بالذكر بعد دخولهم في عموم الناس؛ لأنهم لا يؤمنون بالآخرة بإفراط حبِّهم للحياة الدنيا.

الآخر: أن يكون ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ ابتداء كلام فيوقف على ما قبله والمعنى: من الذي أشركوا قوم ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [البقرة: ٩٦]

فحذف الموصوف، وقيل أراد به المجوس؛ لأنهم يقولون لملوكهم عش ألف سنة.

والأول أظهر؛ لأن الكلام إنما هو في اليهود، وعلى الثاني خرج الكلام عنهم».اهـ

وقال الإمام الرازي في "تفسيره" -بعد حكاية القولين-: «القول الأول أَوْلَى[1] لأنه إذا كانت القصة في شأن اليهود خاصَّة فالأليق بالظاهر أن يكون المراد: ولتجدنَّ اليهود أحرص على الحياة من سائر الناس ومن الذين أشركوا، ليكون ذلك أبلغ في إبطال دعواهم وفي إظهار كذبهم في قولهم: إنَّ الدار الآخرة لنا لا لغيرنا».اهـ

اختار هذا القول أيضًا ابن جريرٍ الطبريُّ، وهو المتعيِّن الذي لا يجوز غيره في الآية، لوجهين:

الأول: أنه موافق لسياق الآيات السابقة واللاحقة، ومراعاة السِّياق واجبة، غفل عنها كثيرٌ من المفسِّرين فوقعوا بسبب ذلك في أغلاط نبَّهتُ على بعضها في قصة داود عليه السَّلام، وهذا الموضع منها، وإن لم أنبِّه عليه هناك، فأي ارتباط بين تعجيز اليهود وتكذيبهم في دعواهم، وبين قول المجوس لملوكهم: عش ألف سنة؟!.

الثاني: أنَّ حمل ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ على الابتداء يحتاج إلى تقديرٍ موصوفٍ محذوفٍ وهو قوم أو أناس، والأصل عدم التقدير ولا ضرورة تدعو

---

(١) لفظ: «أَوْلَى» يستعمل في مثل هذا الموضع بمعنى أوجب، كقولهم: «الجمع بين الدليلين إذا أمكن أولى»، و«إذا احتمل الكلام التأكيد والتأسيس فالأخير أولى»، وهكذا.

إليه في هذا الموضع.

الثالث: أنَّ حملها على الابتداء يوقع في الكلام اضطرابًا وعدم تناسبٍ، إذ بينما سياق الكلام على اليهود، ينتقل فجأة إلى المشركين ثُمَّ يعود إلى اليهود أيضًا، وكلام الله تعالى يمشي في تناسق وانتظام فهو منزَّهٌ عن هذا الاضطراب.

ثُمَّ رجعت إلى "تفسير الجلالين" وهو يعتمد القول الصحيح في الآية فوجدته يقول: «﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ ﴾ لام قسم ﴿أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ ﴾، أحرص ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ﴾ -المنكرين للبعث- عليها، لعلمهم بأن مصيرهم النار دون المشركين لإنكارهم له».اهـ

وجملة ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ ﴾ مستأنفة لبيان حرص اليهود على الحياة.

الآية الثانية: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ١٨٠] الوقف على: «بالمعروف» أو «المتقين».

ووقف الهبطي على: «خيرًا» ففصل بين الفعل وهو «كُتِبَ» المبني للمجهول ونائب الفاعل وهو «الوصية»، وتصحيحه يحتاج إلى تقدير فيه تكلُّف وخروج عن الظاهر لغير ضرورةٍ ولا حاجةٍ.

الآية الثالثة: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [البقرة: ٢١٠] الوقف على: «الأمر» كما في مصحف حفص، ووقف الهبطي على: «الغمام» ففصل بين الفاعل والمعطوف عليه بلا داعٍ ولا موجبٍ.

الآية الرابعة: ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ [البقرة: ٢٢٤] الوقف على: «الناس» كما في مصحف حفص وقالون، ووقف الهبطي على: «أيمانكم»، ففصل بين النهي والمنهي عنه، ويمكن تخريجه على وجوه ضعيفة، يتنزَّه عنها كلام الله تعالى.

الآية الخامسة: ﴿ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ﴾ [البقرة: ٢٨٢] الوقف على اسم الجلالة كما في مصحف حفص وقالون، ووقف الهبطي على: «يكتب»، وتخريجه يجعل الكاف في: «كما» متعلقة بقوله فليكتب.

قلت: كما قال أبو حَيَّان لأجل الفاء، قال: «ولأجل أنه لو كان متعلِّقًا بقوله: «فليكتب» لكان النظم: «فليكتب كما علَّمه الله»، ولا يحتاج إلى تقديم ما هو متأخِّر في المعنى».اهـ

٢- ﴿سورة آل عمران﴾

الآية الأولى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ [آل عمران: ٧] الوقف على: «متشابهات» كما في مصحف حفص وقالون، وكلمة: «منه» خبرٌ مقدَّم، و«آيات محكمات» مبتدأ مؤخَّر.

ولكن الهبطي وقف على لفظ: «منه» فدل على أنه لا يعرف النحو؛ لأنه فصل بين المبتدأ والخبر وصيَّر المبتدأ بلا خبر.

الآية الثانية: ﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١١] الوقف على: «قبلهم» كما في مصحف حفص، ووقف الهبطي على: «فرعون»

ففصل بين المعطوف والمعطوف عليه من غير داعٍ، وأوهم أن ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ بيان لدأب الذين قبل آل فرعون فقط، وهو إيهامٌ قبيحٌ.

ومثله في الفصل بين المتعاطفين بلا ضرورة قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٥٣] وقف الهبطي على: «الكتاب» ولا قائل به.

الآية ثالثة: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٩] الوقف على: «بينهم» كما في مصحف حفص وقالون، ووقف الهبطي على: «العلم» ففصل بين جزئي الجملة بدون سبب، لأن «بغيًا» مفعول له والعامل فيه: «اختلف» فالفصل بينهما فصل بين الفعل ومفعوله وهو غير جائزٍ.

٣- ﴿سورة النساء﴾

الآية الأولى: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ [النساء: ٣٣] الوقف على: «الأقربون» كما في مصحف حفص وقالون؛ لأن «الوالدان» فاعل «تَرَك»، و«الأقربون» معطوفٌ عليه، ووقف الهبطي على «تَرَك» ففصل بين الفعل وفاعله، وقد وُجِّه وَقْفُه بتقديراتٍ لا داعي لها، ويكفي في ردِّها أنَّ الأصل عدم التقدير.

الآية الثانية: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ﴾ [النساء: ٩٠] الوقف على: «قومهم» كما

في مصحف حفص وقالون، وجملة «حصرت» حال، فهو تتمة الجملة ومحل فائدتها، ووقف الهبطي على: «جاءوكم» ففرق بين جزئي الجملة وضيع فائدتها المقصودة.

الآية الثالثة: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾ [النساء: ٩٢] الوقف على «خطأ» كما في مصحف حفص وقالون، وزاد الهبطي الوقف على: «مؤمنًا» ففصل بين المستثنى والمستثنى منه بدون داعٍ.

الآية الرابعة: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١] الوقف على: «منه» كما في مصحف حفص وقالون، وجملة: «ألقاها» حال، ووقف الهبطي على: «كلمته» ففصل بين الحال وصاحبها.

٤- ﴿سورة المائدة﴾

الآية الأولى: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّـٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [المائدة: ٣١ - ٣٢] الوقف على: «النادمين» كما في مصحف حفص وقالون، وهو وقف لازم، لانتهاء الآية، ثُمَّ يستأنف الكلام بقوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا﴾، و«من أجل» جار ومجرور متعلق بـ«كتبنا» وهو علّة له.

والمعنى: من أجل قتل أحد ابني آدم لأخيه ظلمًا، كتبنا على بني إسرائيل تغليظ الإثم في القتل العمد والعدوان. وهذا المعنى واضح موافق للسياق، ولكن الهبطي وقف على: «ذلك»، ففصل بين الفعل ومتعلقة وقطع العلة عن

معلولها وصارت جملة: «كتبنا على بني إسرائيل» منقطعة عما قبلها لا رابط بينهما، وهذا إفسادٌ لمعنى الآية، سامحه الله.

الآية الثانية: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ [المائدة: ٩٦] الوقف على: «وللسيارة» كما في مصحف حفص وقالون، و«متاعًا» مفعول له متعلق بـ«أحل» ووقف الهبطي على: «وطعامه» ففصل بين الفعل ومفعوله بدون سبب.

الآية الثالثة: ﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ﴾ [المائدة: ١٠٧] الوقف على: «اعتدينا»، ووقف الهبطي على: «فيقسمان» ففصل بين الفعل ومتعلَّقه بدون دليل.

والعجيب أنَّ الآية التي قبل هذه وهي: ﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا﴾ [المائدة: ١٠٦] لم يقف على: «فيقسمان» بل وقف على: «قربى» مع أنَّ الفعل في الجملتين واحد. وله مثل هذا من التفريق بين متماثلين، وسننبِّه عليه في مواضعه بحول الله تعالى.

الآية الرابعة: ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدُۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩] الوقف على: «بينكم»، وزاد الهبطي فوقف على اسم الجلالة، وفصل بين المبتدأ والخبر، ويصح هذا الوقف على وجه مرجوح بأن يقدر اسم الجلالة مبتدأ محذوف الخبر، تقديره: «الله أكبر شهادة» ثُمَّ يضمر مبتدأ يكون «شهيد» خبرًا له تقديره: «وهو شهيد بيني وبينكم».

قال ابن حَيَّان: «ولا يتعيَّن حمله على هذا، بل مرجوح لكونه أضمر فيه

آخرًا وأولًا، والوجه الذي قبله -يعني كونه مبتدأ وخبرًا- لا إضمار فيه مع صحة معناه، فوجب حمل القرآن على الراجح لا على المرجوح».اهـ

٥- ﴿سورة الأنفال﴾

الآية الأولى: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٢] الوقف على آخر الآية، ووقف الهبطي على: «فرعون»، وفيه ما سبق في نظيره في (آل عمران) وفي مصحف حفص وضع على كلمة «فرعون» «لا» إشارة إلى أنَّ الوقف عليها غير جائزٍ.

الآية الثانية: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٤] وقف الهبطي أيضًا على: «فرعون»، وفيه ما سبق فإنَّ هذا وقفٌ ممنوعٌ.

٦- ﴿سورة التوبة﴾

المصحف المطبوع بالمغرب يجعل فيه بياض قبل كلمة براءة إشارة إلى البسملة وهذا شيءٌ لا معنى له، بل لا يجوز، وذلك لوجهين:

الأول: أنَّ أهل المغرب لا يقرؤن البسملة في السور كلها لا في الصَّلاة ولا خارجها فلماذا يتركون لها بياضًا في هذا الموضع؟!

والآخر: أنَّ سورة التوبة لم تنزل فيها البسملة أصلًا، فكيف يضعون بياضًا لأمر لم يكن؟!

ووجه ثالث: وهو أنَّ ذلك البياض يوحي لمن لم يعرف، أنَّ شيئًا من القرآن حُذف، لا سيِّما حين يجد مصاحف المشرق خالية من ذلك البياض.

٧- ﴿سورة يونس﴾

الآية الأولى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ الآية [يونس: ٢٤] وقف الهبطي على: «فاختلط» وهو وقف ممنوع لأنه فصل بين الفعل ومتعلقه، ولا أحد يجيزه.

ومن العجيب جدًّا أنَّ آيةً نظير هذه جاءت في (سورة الكهف)، وهي قوله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ الآية [الكهف: ٤٥] لم يقف هنا على: «فاختلط» مع أنَّ السِّياق فيها واحد، وهذا يدل على أنَّ الهبطي لم يكن يرجع في وقوفه إلى قاعدة من علم العربية أو القراءات أو التفسير.

٨- ﴿سورة يوسف﴾

قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ١١] كثير من أهل المغرب يقرؤن: «تأمنا» بالفك وضمِّ النون، وهو خطأ، والصواب قراءته بالإدغام.

قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [يوسف: ٩٢] الوقف على: «اليوم» وجملة: «يغفر الله لكم» دعاء لهم بالمغفرة، وهكذا ثبت في الحديث، فقد جاء في كتب السيرة أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وقف على قريش وهم أسرى يوم الفتح فقال: «**ماتظنون أني فاعل بكم؟**» قالوا: «خيرًا، أخٌ كريم وابن أخٍ كريمٍ» فقال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أقول كما قال أخي**

يوسف: لا تثريب عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم الطُّلَقاء».

ولا أدري لم وقف الهبطي على: «عليكم»، وخالف جمهور القرَّاء وخالف الحديث وغيَّر معنى الآية من الدعاء إلى الخبر!

٩- ﴿سورة الكهف﴾

قوله تعالى: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي﴾ [الكهف: ٣٨] كثير من أهل المغرب يقرؤن «لكنا» بمد النون، والصواب ترك المد.

قوله تعالى: ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ [الكهف: ٦١] وقف الهبطي على: «سَرَبا» فوافق الجمهور.

في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾ [الكهف: ٦٣] وقف على: «البحر»، قال ابن جُزَيٍّ في "تفسيره": «يحتمل أن يكون هذا من كلام يوشع، أي اتخذ الحوت سبيله في البحر عجبًا للناس، أو اتخذ موسى سبيل الحوت عجبًا، أي تعجَّب هو منه، وأعرب «عجبًا» مفعول ثاني لـ«اتخذ» مثل «سَرَبا». وقيل: إنَّ الكلام تَمَّ عند قوله: «في البحر» ثُمَّ ابتدأ التعجُّب فقال: «عجبًا» وذلك بعيدٌ».اهـ ويأتي السؤال الماضي: لم اختار الهبطي الاحتمال البعيد؟!

١٠- ﴿سورة الأنبياء﴾

قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ [الأنبياء: ٧٢] الوقف على: «نافلة» ووقف الهبطي على: «إسحاق».

قال ابن جُزَيٍّ: «واختار بعضهم الوقف على إسحاق لبيان المعنى وهذا

ضعيف؛ لأنه معطوف على كل قول».اهـ

فلم اختار الهبطي هذا القول الضعيف؟!

١١- ﴿سورة الحج﴾

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الحج: ٣٠] قال ابن جُزَيٍّ: «ذلك» هنا وفي الموضع الثاني مرفوع على تقدير: «الأمر ذلك» كما يقدم الكاتب جملة من كتابه ثُمَّ يقول: هذا وقد كان كذا وكذا، وأجاز بعضهم الوقف على قوله: «ذلك» في ثلاثة مواضع من هذه السورة، وهي هذا، و﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ [الحج: ٣٢]، و«ذلك ومن يشرك بالله» لأنها جملة مستقلة، أو هو خبر ابتداء مضمر والأحسن وصلها عند شيخنا أبي جعفر ابن الزبير لأن ما بعدها ليس كلامًا أجنبيًا ومثلها: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ﴾ [الحج: ٦٠] و﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ﴾ [الأنفال: ١٤] في (الأنفال)، و﴿هَٰذَا وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ﴾ [ص: ٥٥] في (ص).اهـ

فوقف الهبطي هنا جائزٌ.

١٢- ﴿سورة الفرقان﴾

قوله تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٩] وقف الهبطي هنا على: «سبيلا» وفي (سورة الإسراء) وقعت هذه الآية أيضًا فوقف الهبطي على: «فضلوا» ولا أدري لم فرَّق بينهما مع أنَّ

سياقهما واحدٌ. وهذا يدل على أنه لا يرجع إلى قاعدة وإنما يرجع إلى ما يظهر له.

١٣- ﴿سورة سبأ﴾

قوله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾ [سبأ: ١٣] قال ابن جُزيٍّ: «حكاية ما قيل لآل داود، وانتصب «شكرًا» على أنه مفعول لأجله، أو مصدر من المعنى؛ لأنَّ العمل شُكْرٌ تقديره: اشكروا شكرًا، أو مصدر في موضع الحال تقديره شاكرين، أو مفعول به».اهـ

فالوقف على: «شكرًا» كما في مصحف حفص وقالون، وزاد الهبطي فوقف على: «داود» وفصل بين الفعل ومعموله بلا سبب.

١٤- ﴿سورة يس﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَهُمۡ مَّا يَدَّعُونَ ٥٧ سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾ [يس: ٥٧ - ٥٨] الوقف على: «ما يدعون»، وهو وقف تام.

ووقف الهبطي على: «سلام» وهو خطأ؛ لأن الكلام تمَّ عند: «يدَّعون» و«سلام» مبتدأ -كما قال ابن جُزيٍّ- خبره محذوفٌ تقديره: «عليكم» أو خبره الفعل الناصب لـ«قولًا» تقديره: «سلامٌ يُقال لهم قولًا من ربٍّ رحيمٍ».

وإعراب «سلام» صفة لما يدَّعون، أو بدل منه، أو خبر عنه، لايسلم من اعتراضات.

ولا أدري لم يعدل الهبطي عن الوقف التام الواضح إلى وقف يحتاج تصحيحه إلى تقديرٍ وتكلُّف؟!.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]

تقدمت عبارة ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ في عدَّة سور، ويقف الهبطي في كلِّ واحدةٍ منها على: «كن» وهو خطأ، لا يوجد في مصحف حفص وقالون ولا غيرهما لأنه يغير معنى الآية، إذ مقصودها: سرعة تنفيذ الأمر التكويني بدون مهلة، والوقف على «كن» يضيع هذا المقصود.

يضاف إلى ذلك أنَّ لفظ: «كن» ليس مقصودًا لذاته بل لما يترتب عليه فالوقف عليه خطأ لا محالة.

١٥- ﴿سورة الصافات﴾

قوله تعالى: ﴿وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ [الصافات: ٨ - ٩] الوقف على: «دُحُورًا» أو: «وَاصِبٌ».

قال ابن جُزيٍّ: «دُحُورًا: أي طرْدًا وإبعادًا وإهانة؛ لأن الدَّحْر: الدفع بعنف، وإعرابه: مفعول من أجله، أو مصدر من «يقذفون» على المعنى، أو مصدر في موضع الحال تقديره: مَدْحُورين».اهـ

وزاد الهبطي وقفًا على: «جانب» وفصل بين الفعل ومعموله بدون سببٍ!

١٦- ﴿سورة فصلت﴾

قوله تعالى: ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ [فصلت: ٤٨] قال ابن جُزيٍّ: ﴿وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾: «الظنُّ هنا بمعنى اليقين، والمحيص: الهرب، أي علموا أنهم لا مهرب لهم من العذاب، وقيل: يوقف على: «ظنوا» ويكون «ما لهم» استئنافًا، وذلك ضعيفٌ».اهـ

والهبطي اختار هذا الوقف الضعيف، ولا أدري لما اختاره!

١٧- ﴿سورة الدخان﴾

قوله تعالى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ [الدخان: ٣٧] قال ابن جُزيٍّ: «والذين من قبلهم: عطف على قوم تُبَّع، وقيل: هو مبتدأ فيوقف على ما قبله، والأول أصح».اهـ

ووقف الهبطي على: «تُبَّع» كما وقف على: «كدأب آل فرعون»، وفيه فصل بين المتعاطفين بدون موجب.

١٨- ﴿سورة الجاثية﴾

قوله تعالى: ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [الجاثية: ١٧] الوقف على: «بينهم» كما في مصحف حفص وقالون، لأن «بغيًا» مفعول من أجله والعامل فيه «اختلفوا».

والهبطي وقف على: «العلم»، وفصل بين الفعل ومعموله بدون دليل.

١٩- ﴿سورة الأحقاف﴾

قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥] الوقف على: «لهم» وهو وقف واضح يدركه من قرأ "المقدمة الآجرومية".

ولكن الهبطي وقف على: «تستعجل»، وهو ممنوع باتفاق، كما سبق في

(سورة يونس) حين وقف على: «اختلط».

٢٠- ﴿سورة الذاريات﴾

قوله تعالى: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات: ١٧] الوقف على: «يهجعون» ووقف الهبطي على: «قليلًا» وهو وقف باطل ممنوع، ولست أدري ما الذي دعاه إليه!.

٢١- ﴿سورة المعارج﴾

قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ١ - ٤]

ينبغي أن يكون الوقف على: «إليه» لئلا يتوهم أن «في يوم» متعلِّق بـ«تعرج» مع أنه صفة لـ«عذاب» أي: «بعذاب واقع للكافرين في يوم كان مقداره...» الآية.

٢٢- ﴿سورة النبأ﴾

قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [النبأ: ١ - ٢] قال ابن جُزَيٍّ: «أصل «عمَّ»: «عن ما» أدغمت النون في الميم وحذفت ألف «ما» لأنها استفهامية تقديرها: «عن أي شيء يتساءلون؟» ويتعلَّق «عن النبأ» بفعل

محذوف يفسِّره الظاهر تقديره: «يتساءلون عن النَّبأ» ووقعت هذه الجملة جوابًا عن الاستفهام وبيانًا للمسئول عنه، كأنه لما قال: «عم يتساءلون؟» أجاب فقال: «يتساءلون عن النبأ العظيم»، وقيل: يتعلَّق «عن النَّبأ» بـ«يتساءلون» الظاهر، والمعنى على هذا: لأي شيءٍ يتساءلون عن النَّبأ العظيم؟ والأول أفصح وأبرع وينبغي على ذلك أن يوقف على قوله: عمَّ يتساءلون».اهـ

وهكذا هو في مصحف قالون، أمَّا الهبطي فوقف على: «عم» وهو وقفٌ غير جائزٍ ولم يقل به أحدٌ من القُرَّاء!

﴿سورة البروج﴾

قوله تعالى: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾ [البروج: ١٥] الوقف على: «المجيد» لأنه آخر الآية وهو صفة الله أيضًا ووقف الهبطي على: «العرش» وهو وقف غير تام فلا يجوز.

﴿سورة المسد﴾

قوله تعالى: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ [المسد: ٣ - ٤] الوقف على: «لهب»، «وامرأته حمالة الحطب» مبتدأ وخبر.

ووقف الهبطيُّ على: «وامرأته» فيحتاج إلى تقدير حذف مبتدأ يكون «حمَّالة» خبرًا عنه، والتقدير: «وهي حمَّالة الحَطَب» ولكن الأصل عدم التقدير، والله تعالى أعلم.

خاتمة

تشتمل على مسائل

المسألة الأولى: اقتصرت في هذا الجزء على الوقوف الواضح خطأها والتي يحتاج تصحيحها إلى تكلُّفٍ في التقدير أو تعسُّفٍ في التأويل يجب تنزيه كلام الله عنه، وتركت وقوفًا كثيرة وهي خطأ أيضًا لكن يمكن تصحيحها بضرب من التقدير المقبول.

والمقرَّر عند العلماء أنه لا يجوز تخريج شيءٍ من الآيات القرآنية على قول ضعيفٍ أو إعرابٍ مَرْجُوح أو تأويلٍ مُتكلَّفٍ؛ لأن ذلك يؤدِّي إلى أن يكون في القرآن ما ليس بفصيحٍ وهو غير جائزٍ، إذ القرآن فيه الفصيح والأفصح فقط كما هو منصوص عليه في علوم القرآن.

المسألة الثانية: لا أرى وجهًا للتمسُّك بوقوف الشيخ الهبطي مع ما فيها من انتقاد واعتراض، بل يجب انشاء وقوف أخرى صحيحة، والطريق إلى ذلك شيئان:

أحدهما: أن يقوم شخصٌ أو أكثر بمراجعة المصحف الشريف على بعض التفاسير مثل "تفسير أبي حَيَّان" و"ابن جُزَيٍّ" و"ابن عطية" ويعمل الوقوف على حسب ما يشيرون إليه.

ثانيهما: أن نتبَّع الوقوف الموجودة في مصحف مصر فإنها وقوفٌ مُحَرَّرة على ما في كتب التفسير، ليس فيها وقفٌ ضعيفٌ فضلًا عن ممنوعٍ ويطبع عليها مصحف ورش عندنا، والوقوف لا تختلف باختلاف القراءات، فإنَّ قُرَّاء مصر مثل الشيخ صِدِّيق المنشاوي والشيخ الحُصري والشيخ مصطفي إسماعيل

يقرأون قراءة ورش بالوقوف الموجودة في مصاحفهم وهي وقُوفٌ سليمةٌ في غاية الصحَّة، ولا يعرفون وقوف الشيخ الهبطي ولا سمعوا به ولم تغير وقوفهم شيئًا من قراءة ورش، فلو عملنا بها في مصاحفنا تخلصنا من وقوف أقل ما يقال فيها أنها تحتاج إلى تصحيح وتصويب.

المسألة الثالثة: في التعريف بالشيخ الهبطي رحمه الله تعالى:

قال العلامة سيِّدي محمَّد بن جعفر الكتاني في "سلوة الأنفاس": «ومنهم الشيخ الإمام، العالم العلَّامة الهمام، الفقيه الأستاذ المقرء الكبير، النحوي الفَرَضي الشهير، الولي الصالح، والعلم الواضح، أبو عبد الله سيِّدي محمد بن أبي جمعة الهبطي -منسوب لبلاد الهبط- الصماتي الفاسي صاحب تقييد وقف القرآن.

ترجمه في "الجذوة" فقال: «محمد بن أبي جمعة الهبطي الصماتي الأستاذ صاحب وقف القرآن العزيز توفِّي بمدينة فاس سنة ثلاثين وتسعمائة».اهـ

وقد كان -رضي الله عنه- عالم فاس في وقته فقيهًا نحويًا فَرَضيًّا أستاذًا مقرئًا، عارفًا بالقراءات مرجوعًا إليه فيها.

وكان موصوفًا بالخير والفلاح والبركة والصلاح، ذا أحوالٍ عجيبة وأسرارٍ غريبة، أخذ عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن غازي وغيره، وأخذ عنه الأستاذ أبو عبد الله محمد بن علي بن عدة الأندلسي، وجماعةٌ، واستقرَّ عمل قرَّاء فاس ومراكش وما والاهما من جميع هذا المغرب الأقصى من زمانه إلى زماننا هذا على اعتماد ما قيد عنه من وقف القرآن العزيز، وقد قُيِّد عنه ما قُيِّد من ذلك باعتبار قول من أخذ من شيوخ المقرئين في الوقف والابتداء بمراعاة

الإعراب والمعنى، وإن كان قد وقع له في مواضع من ذلك ما وقع، مما لا يخلو عنه البشر من مواقع ضعيفة، وأخرى بعدم الصحة موصوفة، لكن تلقَّاه قُرَّاء المغرب بالقبول وعملوا عليه في التعلُّم والتعليم.

وقد وضع العلامة الصوفي البركة أبو عبد الله سيدي محمد المهدي بن أحمد بن علي بن يوسف الفاسي شارح "دلائل الخيرات" موضوعًا بيَّن فيه أحكام تك المواضع سماه "الدرة الغرَّاء في وقف القرَّاء".

وكذلك الشيخ الأستاذ أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الفاسي ألَّف في ذلك تأليفًا مستقلًّا قال فيه ما نصُّه: «وقد سمعت من شيخنا العلامة أبي زيد مولاي عبدالرحمن بن إدريس المنجرة الشريف ما حاصله: أنَّ العلامة أبا عبدالله محمَّد بن يوسف السنوسي التلمساني ورد على محروسة فاس فاجتمع مع الهبطي، فراجعه في بعض الأوقاف المقيَّدة عنه على جهة إفسادها، وكان الهبطي من أصحاب الأحوال فأخذته الحال فقال للسنوسي: انظر إلى اللوح المحفوظ فإنها موجودة فيه، فنظر السنوسي إلى اللوح وكشف له عنها فرآها فيه كما هي مقيَّدة عن الهبطي فلم يسعه إلَّا التسليم، ثُمَّ عمل على قراءة ختمة بمقتضاها على الشيخ الهبطي وكان ذلك سبب إقبال الناس على ما قُيِّد عنه.

هذا حاصل الحكاية، وإن كنت لم أضبطها عنه كل الضبط لطول الزمن وتناسيها من البال.

وبعد، ففي النفس منها شيءٌ وذلك أنَّ السنوسي توفِّي خمس وتسعين وثمانمائة وقيل رأس تسعمائة، والهبطي الذي قُيِّد عنه ما قُيِّد توفِّي سنة ثلاثين وتسعمائة فيبعد أن يكون السنوسي تلميذه وإن كان كثير من الشيوخ تتأخَّر

وفاتهم عن وفاة تلامذتهم بأزمان.

وفي "نشر المثاني": «محمد بن أبي جمعة الهبطي الصماتي -بالصاد والميم والتاء- بخط من يعتمد وصحح عليه، وتوفي بمدينة فاس سنة ثلاثين وتسعمائة، قاله في "الجذوة" وهو ممن أخذ عن الإمام ابن غازي وعنه قيد الوقف».اهـ

والحكاية السابقة ذكرها أيضًا الأستاذ أبو العلاء سيدي إدريس بن محمد المنجرة لكن بسياق آخر، فإنه قال: وجُلُّ أهل المغرب إنما يعتنون بما قُيِّد عن الشيخ الإمام محمد بن أبي جمعة الهبطي عصري الإمام العالم العامل سيدي محمد بن يوسف السنوسي الحسني وصاحب حكايته، وهي أنَّ الإمام السنوسي كان دأبه ما التقى بأحدٍ اختصَّ بفنٍّ له فيه باع أوفر منه إلَّا وقرأ عليه وأخذ عنه ذلك الفنَّ، ولما التقى بالشيخ الهبطي وسأل منه أن يقرأ عليه القرآن بوقف ما اصطلح عليه من الوقف فأجابه إلى ذلك وقرأ عليه حتى بلغ قوله تعالى: ﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٥٩] فوقف السنوسي على: «لكم» فأبى الشيخ الهبطي الوقف عليها، ثُمَّ عاد السنوسي ولم يأبَ إلَّا الوقف، فمنعه الهبطي، فإذا بالسنوسي رفع رأسه شاخصًا بصره إلى السماء فغاب عن حسِّه قليلًا ثُمَّ رجع لحاله، ثُمَّ قال: «والله لهكذا هي في اللوح المحفوظ» يعني الوقف بها وفق ما ذهب إليه الهبطي وادعاه رضي الله عنهما وناهيك بها منقبة لهما».اهـ ما في "السلوة".

وأقول: لا شك عندي في صلاح الشيخ الهبطي وفضله -رحمه الله- لكن

لي ملاحظات على ما ذكر في ترجمته:

منها: أنه حصل الاعتراف بأن وقوفه فيها الضعيف وفيها غير الصحيح، فيجب شرعًا تغيير تلك الوقوف وتركها؛ لئلا يتلى كتاب الله تعالى بوقوف فاسدة، وجريان العمل بها لا ينتهض عذرًا في ترك هذا الواجب، لأن العمل ليس بإجماع، والإثم حاصلٌ بترك تغييرها.

ومنها: دعوى أنَّ الهبطي قيَّد الوقف عن ابن غازي مستبعدةٌ؛ لأن مقام ابن غازي -في نظري- يجل عن الأخطاء الواقعة في تلك الوقوف.

ومنها: الحكاية المنسوبة للسنوسي مع الهبطي، قصد بها تأييد الهبطي في وقوفه بطريق الكرامة وهي غير صحيحة لوجوه:

الأول: أنَّ الوقف علمٌ من علوم القرآن الكريم له أصول وقواعد، ما وافقها قُبِل وما لم يوافقها لم يُقْبَل ولا دخل هنا للَّوح المحفوظ.

الثاني: أنَّ علماء كثيرين من المتقدِّمين والمتأخِّرين ألَّفوا في علم الوقف كتبًا كثيرة، بيَّنوا فيها الوقف التام والناقص والممنوع وغير ذلك، مع بيان دليله، ولم يقل أحدٌ منهم: أنه رأى ما كتبه في اللوح المحفوظ.

الثالث: أنَّ تلك الحكاية ذكرت بأسلوبين مختلفين وذلك دليل على أنها مصنوعة.

الرابع: أنَّ دعوى وجود الوقوف المخطئة في اللوح المحفوظ دعوى خطيرة جدًّا؛ لأنها تقتضي وقوع الخطأ في اللوح الذي حفظه الله عنده وهذا كفرٌ ممَّن اعتقده ويأتي سؤال وهو:

الخامس: كيف يقرُّ الله في اللوح المحفوظ وقُوفًا ضعيفةً وفاسدةً؟!

الحقيقة أنَّ أنصار الشيخ الهبطي ومحبِّيه عجزوا أن يؤيِّدوا وقوفه بدليلٍ علميٍّ فلجأوا إلى حكاية اللوح المحفوظ، وهي حكاية عجيبة لم تخطر على بال أحدٍ من مخلوقات الله تعالى، وهي مثل من زعم أنَّ قراءة أهل الجنَّة بقراءة ورش!.

والعجب أكثر ممن يصدِّق هذه الخرافات ويسجلها على أنها حقائق تروى وتنقل!.

نسأل الله أن يلهمنا رشدنا ويرزقنا السداد في القول والصلاح في العمل ويهدينا سواء السبيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

٥ - أحاديثُ التَّـفْسِير

(يُطبع لأوَّل مرَّة)

﴿سورة الفاتحة﴾ (١)

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾: أخرج ابن أبي حاتمٍ وابن مَرْدُويَه في "تفسيرهما" من طريق زيد بن المبارك، عن الصنعانيِّ: ثنا سلَّام بن وهبٍ الجنديِّ: ثنا ابن هارون، عن أبيه، عن ابن عبَّاسٍ: أنَّ عثمان بن عفَّان سأل رسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ فقال: «**هو اسْمٌ مِن أسماءِ الله، وما بينهُ وبين اسمِ الله إلَّا كما بين سَوَادِ العَيْنَيْنِ وبَياضِهِما مِن القُرْبِ**».

ورواه العقيليُّ في "الضعفاء" في ترجمة سلَّامٍ وقال: «لا يُتابع على حديثه، ولا يُعرَف إلَّا به». وقال الذهبيُّ في "الميزان": «خبرٌ مُنكَرٌ، بل كذبٌ». ووافقه الحافظ في "لسان الميزان".

٢- ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: روى عبدالرزَّاق، عن مَعْمَرٍ، عن قتادة، عن عبدالله بن عمرٍو، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**الحمدُ رَأْسُ الشُّكْرِ، ما شَكَرَ اللهَ عَبْدٌ لم يَحْمَدْهُ**». إسناده صحيحٌ إلَّا أن فيه انقطاعًا.

وروى ابن جريرٍ من طريق بقيَّة بن الوليد: حدَّثني عيسى بن إبراهيم، عن موسى بن أبي حبيبٍ، عن الحكم بن عمير -وكانت له صحبةٌ- قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا قلتَ الحمدُ لله رَبِّ العالمين فقد شَكَرْتَ اللهَ فزَادَكَ**». عيسى بن إبراهيم هو ابن طهمان الهاشميُّ، قال البخاريُّ

---

(١) هذا الكتاب لم يُتمّه المصنِّف، ووصل فيه إلى (سورة الحجِّ).

والنَّسائيُّ: «منكر الحديث»، وقال ابن معينٍ: «ليس بشيءٍ»، وقال أبو حاتمٍ: «متروك الحديث».

٣- ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾: روىٰ مسلمٌ في "صحيحه" عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**قال اللهُ تعالى قَسَمْتُ الصَّلاةَ بيني وبين عَبْدِي نِصْفَين ولعَبْدِي ما سَأَلَ، فإذا قال العبدُ ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، قال الله تعالى: حَمِدَني عَبْدِي. وإذا قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، قال الله تعالى: أثْنى عليَّ عَبْدِي. وإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾، قال: مَجَّدني عبدي** -وقال مرة: **فَوَّضَ إليَّ عَبْدِي- فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾، قال: هذا بيني وبين عَبْدِي ولعَبْدِي ما سَأَلَ. فإذا قال: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، قال: هذا لعَبْدِي ولعَبْدِي ما سَأَلَ**».

٤- ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾: روىٰ ابن أبي حاتمٍ وابن جريرٍ، من طريق حمزة بن حبيب الزيَّات، عن سعيدٍ -وهو ابن المختار الطائي-، عن ابن أخي الحارث الأعور، عن عمِّه، عن عليٍّ -عليه السلام- قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ كتابُ الله**». إسناده ضعيفٌ.

٥- ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾: روىٰ أحمد والترمذيُّ، من طريق سِماك بن حَرْبٍ، عن عبَّاد بن حُبَيشٍ، عن عديِّ بن حاتمٍ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ المَغْضُوبَ عليهم: اليهود، والضَّالِّين: النصارى**».

حسَّنه الترمذيُّ وصحَّحه ابن حِبَّان.

وروىٰ سفيان بن عُيَيْنَة، عن إسماعيل بن أبي خالدٍ، عن الشَّعْبي، عن عديٍّ بن حاتمٍ قال: سألتُ رسولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن قوله تعالىٰ: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ قال: «**هم اليهود**». ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾؟ قال: «**النَّصارَى هم الضَّالُّون**».

وروىٰ ابن مَرْدُويَه من طريق إبراهيم بن طَهْمان، عن بُدَيْل بن مَيْسَرةَ، عن عبدالله بن شَقيقٍ، عن أبي ذرٍّ قال: سألتُ رسولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن المغضوب عليهم. قال: «**اليهود**». قلت: الضالِّين؟ قال: «**النَّصارَى**».

وقال عبدالرزاق: أنا مَعْمَرٌ، عن بُدَيْلٍ العُقَيليِّ، أخبرني عبدالله بن شَقيقٍ أنه أخبره مَن سمع النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وهو بوادي القُرىٰ وسأله رجلٌ من بَلْقِينَ[1] فقال: يارسول الله مَن هؤلاء؟ قال: «**هؤلاء المَغْضُوبُ عليهم**» وأشار إلىٰ اليهود، فقال: مَن هؤلاء؟ قال: «**الضَّالُّون**» يعني النصارىٰ.

ورواه أحمد من هذا الطريق، وقال الحافظ الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح».

قلت: وقع في هذه الرواية أنَّ السائل رجلٌ من بني القِين، وتقدَّم في رواية ابن مَنْدَه من طريق بُدَيلٍ أيضًا أنَّ السائل أبو ذَرٍّ. ورواه عروة عن عبدالله بن شَقيقٍ، عن عبدالله بن عمرٍو، أنه سألَ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم. فيحمل ذلك علىٰ أنَّ السائل عن الآية لم يكن واحدًا بل عِدَّة أشخاصٍ.

---

(١) أي: بني القَين، وهو حيٌّ من بني أَسد، كما قالوا: بَلحارث وبَلهُجَيم.

﴿سورة البقرة﴾

١ - ﴿الٓمٓ﴾: أخرج البخاريُّ في "التاريخ" من طريق محمد بن إسحاق، عن الكلبيِّ، عن أبي صالحٍ، عن ابن عبَّاسٍ، عن جابر بن عبدالله بن رئاب قال: مَرَّ أبو ياسر بن أخطب في رجال من يهود برسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وهو يتلو فاتحة (سورة البقرة) ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِ﴾ فأتىٰ أخاه حُيَيَّ بن أخطب في رجالٍ من اليهود فقال: تعلمون؟! والله لقد سمعتُ محمَّدًا يتلوا فيما أنزل الله عليه: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ فقال: أنت سمعته؟ قال: نعم.

فمشىٰ حُيَيُّ بن أخطب في أولئك النَّفَر إلىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقالوا: يا محمَّد، ألم يذكر أنك تتلو فيما أنزل الله عليك: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾؟ فقال: «بلى» فقالوا: أتاك بهذا جبريل من عند الله؟ قال: «نعم» قالوا: لقد بعث الله قبلك أنبياء، ما نعلمه بيَّن لنبيٍّ منهم ما مُدَّة مُلْكِهِ وما أجل أُمَّته غيرك! فقام حُيَيُّ بن أخطب وأقبل علىٰ من كان معه فقال: لهم الألف واحدة واللام ثلاثون والميم أربعون فهذه إحدىٰ وسبعون سنة أفتدخلون في دين نبيٍّ إنما مُدَّة ملكه وأجل أمَّته إحدىٰ وسبعون سنة؟!

ثُمَّ أقبل علىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: يا محمد هل مع هذا غيره؟ قال: «نعم، ﴿الٓمٓصٓ﴾». قال: هذا أثقل وأطول، الألف واحدة واللام ثلاثون والميم أربعون والصاد تسعون فهذه مائة وإحدىٰ وستون، هل مع هذا يا محمد غيره؟ قال: «نعم» قال: ماذا؟ قال: ﴿الٓرٰ﴾. قال: هذه أثقل وأطول، الألف واحدة واللام ثلاثون والراء مائتان فهذه إحدىٰ وثلاثون

ومائتا سنة، فهل مع هذا غيره؟ قال: «نعم، ﴿الٓمٓ﴾ قال: فهذه أثقل وأطول الألف واحدة واللام ثلاثون والميم أربعون والراء مائتان، فهذه إحدى وسبعون سنة ومائتان، ثُمَّ قال: لقد لبس علينا أمرك يا محمد حتى ما ندري أقليلًا أعطيتَ أم كثيرًا؟!

الكلبيُّ كذَّابٌ، ورواه يونس بن بكير في "المغازي" عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جُبيرٍ، عن ابن عبَّاسٍ وجابر بن رئاب. وهو منكرٌ لا يصح وإنما ذكرته لأُنبِّه عليه.

٢- ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ [البقرة: ٢٥]: أخرج الطبرانيُّ والحاكم، عن ثوبان، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لا يَنْزِعُ رَجُلٌ مِن أَهْلِ الجنَّةِ شَيْئًا مِن ثَمَرِها إلَّا أَخْلَفَ اللهُ مَكانَها مِثْلَهَا**». ورواه البزَّار أيضًا ولفظه: «**إلَّا أُعِيدَ في مَكانه مِثلها**».

٣- ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥]: أخرج ابن مَرْدُويَه في "تفسيره" والحاكم في "المستدرك" من طريق أبي نضرة، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في قوله: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ قال: «**من الحَيْضِ والغَائِطِ والنُّخَامَةِ والبُزَاقِ**». حَسَّنه الحافظ ابن كثيرٍ في "تاريخه".

٤- ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: ٤٨]: أخرج ابن جريرٍ بإسنادٍ رجاله ثقاتٌ، عن عمرو بن قيسٍ المُلائيِّ، عن رجلٍ من بني أميَّة من أهل الشام أحسن عليه الثناء، قال: قيل: يارسول الله ما العَدْلُ؟ قال:

«العَدْلُ الفِدْيَةُ». هذا حديثٌ مرسلٌ.

٥- ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ [البقرة: ٥٨ - ٥٩]: روى البخاريُّ ومسلمٌ عن أبي هريرة عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**قيل لبني إسرائيل: «ادْخُلُوا البَابَ سُجَّدًا وقُولُوا حِطَّةٌ» فبَدَّلوا فدَخَلُوا يَزْحَفُونَ على أَسْتَاهِهِمْ وقالوا: حَبَّةٌ في شَعْرَةٍ**».

٦- ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ﴾ [البقرة: ٦٧]: أخرج البزَّار وابن أبي حاتمٍ وابن مَرْدُويَه، من طريق الحسن، عن أبي رافعٍ، عن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لو اعْتَرَضَتْ بنوا إسرائيل أَدْنَى بَقَرَةٍ فذَبَحُوها لكَفَتْهُمْ، ولكن شَدَّدُوا فشَدَّدَ اللهُ عليهم**». في إسناده عبَّاد بن منصورٍ وفيه ضعفٌ. والحديث يدل على أنَّ المطلق الوارد في كلام الشارع يتمسَّك بإطلاقه.

٧- ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ [البقرة: ٧٩]: أخرج الترمذيُّ: عن أبي سعيدٍ الخدريِّ، عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**وَيْلٌ: وَادٍ في جَهَنَّمَ يَهْوِي الكافِرُ فيه أربعين خَريفًا قبل أن يَبْلُغَ قَعْرَهُ**».

٨- ﴿ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾ [البقرة: ١١٦]: روى أحمد: عن أبي سعيدٍ أيضًا، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**كُلُّ حَرْفٍ مِن القُرْآنِ يُذْكَرُ فيه القُنُوتُ**

فهو الطَّاعَةُ».

٩- ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [البقرة: ١٢١]: روىٰ الخطيب بإسنادٍ فيه مجاهيل عن نافعٍ، عن مالكٍ، عن ابن عمر، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في قوله: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ قال: «يَتَّبِعُونَهُ حَقَّ اتِّباعِهِ». حديثٌ ضعيفٌ.

١٠- ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]: أخرج ابن مَرْدُويَه في "تفسيره" عن عليٍّ عليه السلام، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في قوله: ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قال: «لا طاعة إلَّا في المَعْروفِ». إسناده ضعيفٌ.

ومعناه: أنَّ الإمام له علىٰ الرَّعِيَّة عهد الله أن يُطيعوه، فإذا كان ظالمًا لم يكن له عليهم عهدٌ بالطاعة.

يؤيِّد هذا ما رواه ابن أبي حاتمٍ عن ابن عبَّاسٍ في هذه الآية قال: «ليس لظالمٍ عليك عهدٌ أن تُطيعَهُ في معصية الله».

١١- ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]: أخرج أبو نعيمٍ في "الحلية" من طريق مجاهدٍ، عن ابن عمر أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أخذ بيد عمر رضي الله عنه فمَرَّ علىٰ المقام فقال له: يا نبيَّ الله هذا مقام إبراهيم؟ قال: «نعم». قال: ألا تتَّخِذُهُ مُصَلًّىٰ؟ فأنزل الله: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾.

وفي "صحيح مسلم" في حديثه الطويل في صفة الحجِّ أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لما فَرَغَ من الطواف صلَّىٰ خلف المقام، وقرأ الآية.

١٢- ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ﴾ [البقرة: ١٢٩]:

أخرج أحمد والبزَّار والحاكم عن العِرباض بن سارية قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**إنِّي عبدالله وخاتَمُ النبيِّين وإنَّ آدَمَ مُنْجَدِلٌ في طِينَتِهِ، وسأُخْبِرُكُمْ عن ذلك: أنا دَعْوَةُ أبي إبراهيمَ، وبِشارَةُ عيسى، ورؤيا أُمِّي التي رَأَتْ**» الحديث. صحَّحه ابن حِبَّان والحاكم في "المستدرك" من طريق إسحاق عن ثور بن يزيد، عن خالد بن مَعْدان، عن أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قالوا: يا رسول الله أخبرنا عن نفسك. قال: «**دَعْوَةُ إبراهيمَ، وبُشْرَى عيسى، ورَأَتْ أُمِّي أنه خَرَجَ منها نورٌ أضاءَتْ مِنه قُصُورُ الشَّامِ**».

١٣- ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]: أخرج أحمد والترمذيُّ عن أبي سعيدٍ الخدريِّ في قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ قال: «عَدْلًا». صحَّحه الترمذيُّ والحاكم.

وفي الصحيحين عن أبي سعيدٍ الخدريِّ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**يُدْعَى نُوحٌ يومَ القِيامَةِ، فيقولُ: لَبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ يا رَبِّ، فيقولُ: هل بَلَّغْتَ؟ فيقولُ: نَعَمْ، فيُقالُ لأُمَّتِهِ: هل بَلَّغَكُمْ؟ فيقولون: ما أَتَانَا مِن نَذِيرٍ، فيقولُ: مَن يَشْهَدُ لك؟ فيقول: محمَّدٌ وأُمَّتُهُ، فتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قد بَلَّغَ: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] فذلك قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾، والوَسَطُ العَدْلُ**».

١٤- ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة: ١٥٢]: أخرج أبو الشيخ في "تفسيره" والديلميُّ في "مسنده" من طريق جويبر، عن الضَّحَّاك، عن ابن عبَّاسٍ قال:

قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في قوله: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥٢] «يقول: اذْكُروني يا مَعْشَرَ العِبادِ بطاعَتي أَذْكُرْكُمْ بمَغْفِرَتي». إسناده ضعيفٌ جدًّا.

١٥- ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٦]: روى الطبرانيُّ عن أبي أُمامة قال: انقَطَعَ قِبالُ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فاسْتَرْجَعَ. فقالوا: مُصيبَةٌ يارسول الله؟ فقال: «ما أَصَابَ المُسْلِمَ ممَّا يَكْرَهُهُ فهو مُصيبَةٌ». حديثٌ ضعيفٌ.

وأخرج أبو داود في "المراسيل" عن عمران القصير قال: طفئ مصباح النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فاسْتَرْجَعَ، فقالت عائشة -رضي الله عنها- إنما هذا مصباحٌ.! فقال: «كُلُّ ما سَاءَ المُؤمِنَ فهو مُصيبَةٌ». حديثٌ مرسلٌ.

١٦- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ١٥٣]: أخرج أحمد وأبو داود، عن حذيفة -رضي الله عنه- قال: كان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إذا احَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى.

ورواه الطبريُّ في "تفسيره" بلفظ: كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إذا حَزَبَهُ أَمْرٌ فَزَعَ إلى الصَّلاةِ.

١٧- ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨]: أخرج الشافعيُّ وأحمد وإسحاق والدارقطنيُّ والحاكم من طريق عطاء بن أبي رباحٍ، عن صَفِيَّةَ بنت شَيْبَةَ، عن حَبيبة بنت أبي تَجْرَاةَ قالت: رأيتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلم يطوف

بين الصَّفا والمَرْوَةِ والنَّاسُ بين يديه وهو وراءَهُمْ وهو يَسْعَىٰ حتىٰ إني لأرىٰ رُكْبَتَيْهِ مِن شِدَّةِ السَّعْيِ، وهو يقول: «**اسْعَوا فإنَّ اللهَ كَتَبَ عليكم السَّعْيَ**».

إسناده ضعيفٌ.

ورواه الحاكم من طريقٍ آخر عنها قالت: اطَّلعتُ بكرة بين الصَّفا والمَرْوَةِ فأشرفتُ علىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وإذا هو يَسْعَىٰ ويقول لأصحابه: «**اسْعَوا فإنَّ اللهَ كَتَبَ عليكم السَّعْيَ**».

١٨- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩]: أخرج ابن ماجه، وابن أبي حاتمٍ، عن البراء بن عازبٍ قال: كنَّا في جنازةٍ مع النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: «إنَّ الكافِرَ يُضْرَبُ ضَرْبَتين بين عَيْنَيْهِ فيَسْمَعه كلُّ دابَّةٍ غير الثَّقَلين، فتَلْعَنه كلُّ دابَّةٍ سَمِعَتْ صَوْتَهُ فذلك قول الله: ﴿وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ يعني دوابَّ الأرضِ.

١٩- ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧]: أخرج الشيخان عن عديِّ بن حاتمٍ قال: عَمِدْتُ إلىٰ عِقالين أبيضَ وأسودَ فجعلتهما تحت وِسادَتي، فكنت أقوم من الليل فأنظر إليهما فلا يتبيَّن لي الأبيض من الأسود، فلمَّا أصبحت غدوتُ علىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فأخبرته فضَحِك وقال: «**إن كان وِسادُكَ لعَريضٌ، إنما ذاك بَياضُ النَّهارِ وسَوادُ اللَّيلِ**».

٢٠- ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]: روىٰ الطبرانيُّ من جهة أبي الزبير، عن جابرٍ: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم سُئلَ عن العُمْرَةِ، أواجبةٌ

هي؟ قال: «**لا، وأن تَعْتَمِرَ خَيْرٌ لك**». إسناده ضعيفٌ.

وروى الترمذيُّ من طريق حجَّاج بن أَرْطَأَةَ، عن محمَّد بن المُنكَدِر: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم سُئِلَ عن العُمْرةِ أواجبةٌ هي؟ قال: «**لا، وأن تَعْتَمِرَ هو أفضلُ**». هذا مرسلٌ ضعيف الإسناد.

٢١- ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة: ١٩٦]: أخرج مالكٌ، والشيخان، والأربعة، عن كعب بن عُجْرَةَ أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال له: «**لعلَّك آذاك هَوامُّ رَأسِكَ؟**» قال: نعم. قال: «**احْلِقْ رَأْسَكَ، وصُمْ ثلاثة أيَّامٍ، أو أَطْعِمْ سِتَّةَ مساكين، أو انسُكْ شَاةً**». وكان كعبٌ يقول: فيَّ نَزَلَتْ هذه الآية.

وروى إسحاق في "مسنده" من طريق الزبير بن عديٍّ، عن أبي وائل، عن كعب بن عُجْرَةَ قال: لقيني رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فمسح رأسي فتناثر القَمْلُ، فقال: «**إنَّ هذا لأذًى**». فأمره أن يَحْلِقَ وأن يَنْسُك أو يصوم أو يُطْعِم.

٢٢- ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ [البقرة: ١٩٧]: روى الطبرانيُّ عن أبي أُمامة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في الآية: «**شَوَّالٌ وذو القَعْدَةِ وذو الحِجَّةِ**».

٢٣- ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧]: أخرج الطبرانيُّ عن ابن عبَّاسٍ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في الآية: «**الرَّفَثُ: التعرُّضُ للنِّساءِ بالجِماعِ، والفُسُوقُ: المعاصي، والجِدالُ: جِدالُ الرَّجُلِ**

صَاحِبَهُ». لا بأس بإسناده.

٢٤- ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥]: أخرج أبو داود عن عطاء: أنه سئل عن اللغو في اليمين؟ فقال: قالت عائشة: إنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**هو كلام الرَّجُلِ في بَيْتِهِ: كلَّا والله وبلَى والله**». رواه موقوفًا وصحَّح الموقوف.

٢٥- ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩]: أخرج الدارقطنيُّ، وابن مَرْدُويَه، من طريق حمَّاد بن سلمة، عن قتادة، عن أنسٍ قال: قال رجلٌ لرسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: إني أسمع الله يقول: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾ فأين الثالثة؟ قال: «**إمْسَاكٌ بمَعْرُوفٍ أو تَسْريحٌ بإحْسانٍ هي الثالثة**».

٢٦- ﴿أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ [البقرة: ٢٣٧]: أخرج الطبرانيُّ من طريق ابن لَهيعة، عن عمرو بن شعيبٍ، عن أبيه، عن جَدِّه، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**الذي بيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكاحِ: الزَّوْجُ**».

٢٧- ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]: أخرج الترمذيُّ عن ابن مسعودٍ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**الصَّلاةُ الوُسْطَى صَلَاةُ العَصْرِ**». صحَّحه ابن حِبَّان.

وفي "صحيح مسلم" عن عليٍّ عليه السلام: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال يوم الأحزاب: «**شَغَلُونا عن الصَّلاةِ الوُسْطَى صَلاةِ العَصْرِ؛ مَلَأَ اللهُ قُبُورَهُمْ نَارًا**».

٢٨- ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦٩]: أخرج ابن مَرْدُويَه في "تفسيره" من طريق جُوَيْبِر، عن الضَّحَّاك، عن ابن عبَّاسٍ، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: قوله: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾ قال: «القُرآنُ». قال ابن عبَّاسٍ: يعني تفسيره، فإنه قد قرأه البرُّ والفاجِر. إسناده ضعيفٌ جدًّا.

٢٩- ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤]: روىٰ ابن أبي الدنيا عن أميَّة أنها سألت عائشة عن هذه الآية وآية: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣]، فقالت: ما سألني عنها أحدٌ منذ سألتُ رسولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فقال لي: «يا عائشةُ هذه مُتابَعَةُ الله العَبْدَ بما يُصِيبُهُ مِن الحُمَّى والنَّكْبَةِ والشَّوْكَةِ حتَّى البِضَاعَةُ يَضَعُهَا في يَدِ كُمِّهِ فيَفْقِدُها فيَفْزَعُ لها فيَجِدُهَا في ضِبْنِهِ حتَّى إنَّ المُؤمِنَ ليَخْرُجُ مِن ذُنُوبِهِ كما يَخْرُجُ الذَّهَبُ الأحمرُ مِن الكِيرِ». وإسناده ضعيفٌ، لكن يُؤيِّده ما يأتي في تفسير آية: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾.

﴿سورة آل عمران﴾

١- ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٧]: أخرج أحمد عن أبي أُمامة عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في الآية قال: «هم الخوارج». حديثٌ ضعيفٌ.

٢- ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧]: أخرج الطبرانيُّ عن أبي الدرداء -رضي الله عنه- أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم سُئل

عن الرَّاسِخين في العِلْمِ فقال: «مَن بَرَّتْ يَمينُهُ وصَدَقَ لِسَانُهُ واسْتَقَامَ قَلْبُهُ وعَفَّ بَطْنُهُ وفَرْجُهُ فذلك مِن الرَّاسِخينَ في العِلْمِ».

٣- ﴿وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾ [آل عمران: ١٤]: أخرج الحاكم وصحَّحه عن أنسٍ رضي الله عنه قال: سُئل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن قول الله: ﴿وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾ فقال: «القِنْطَارُ أَلْفا أُوقِيَةٍ»

٤- ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]: روى الحاكم عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله -صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «الشِّرْكُ أَخْفَى مِن دَبِيبِ الذَّرِّ على الصَّفَا في اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ، وأَدْنَاهُ أَن تُحِبَّ على شيءٍ مِن الجَوْرِ، وتُبْغِضَ على شيءٍ مِن العَدْلِ وهو الدِّينُ، إلَّا الحبُّ والبُغْضُ في الله عزَّ وجلَّ؟! ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾. قال الحاكم: صحيح الإسناد.

٥- ﴿وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦]: أخرج الشيخان عن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «ما مِن بَني آدمَ مَوْلُودٌ إلَّا يَمَسُّهُ الشَّيْطانُ حِينَ يُولَدُ فيَسْتَهِلُّ صارِخًا مِن مَسِّ الشَّيْطانِ غير مريمَ وابْنِها». قال أبو هريرة: اقرؤا إن شئتم: ﴿وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ يريد أبو هريرة أنَّ الحديث مُفسِّرٌ للآية.

٦- ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣]: أخرج الطبرانيُّ عن ابن عبَّاسٍ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في قوله: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا

وَكَرْهًا ﴾ قال: «أمَّا مَن في السَّماواتِ فالملائكةُ، وأمَّا مَن في الأرضِ فمَن وُلِدَ على الإسلامِ، وأمَّا كَرْهًا فمَن أُوتي به مِن سَبايا الأُمَمِ في السَّلاسِلِ والأَغْلالِ يُقادُونَ على الجنَّة وَهُمْ كارِهُونَ». إسناده ضعيفٌ.

٧- ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٧]: أخرج الحاكم وصحَّحه عن أنس -رضي الله عنه- أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم سُئل عن قول الله تعالى: ﴿ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ ما السَّبيل؟ قال: «الزَّادُ والرَّاحِلَةُ». وهو معلولٌ.

وله طرقٌ ضعيفةٌ، وحسَّنه الترمذيُّ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وروى عبد بن حُميد في "تفسيره" عن نُفَيْعٍ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ فقام رجلٌ من هُزَيلٍ فقال: يا رسول الله مَن تَرَكَهُ فقد كَفَرَ؟ قال: «مَن تَرَكَهُ لا يَخافُ عُقُوبَتَهُ ولا يَرْجُو ثَوابَهُ». هذا حديثٌ مرسلٌ

٨- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [آل عمران: ٧٧]: أخرج الشيخان عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «مَن حَلَفَ على مالِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بغير حَقِّهِ لَقِيَ اللهَ وهو عليه غَضْبانُ». ثُمَّ قرأ علينا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مِصْداقَهُ مِن كتاب الله عزَّ وجلَّ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾.

٩- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]: أخرج

الحاكم وصحَّحه، وابن مَرْدُويَه من وجهٍ آخر من طريق ابن وهبٍ، عن سفيان الثوري، عن زيد، عن مرة، عن ابن مسعودٍ -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في قوله: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾: «**أن يُطَاعَ فلا يُعْصَى، ويُذْكَرَ فلا يُنْسَى**». ورواه الطبرانيُّ وأبو نعيمٍ.

١٠- ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤]: أخرج ابن مَرْدُويَه في "تفسيره" عن أبي جعفر الباقِر قال: قرأ رسول الله: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾ ثُمَّ قال: «**الخيرُ اتِّباعُ القُرآنِ وسُنَّتي**». حديثٌ مُعضَلٌ.

١١- ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]: أخرج الديلميُّ في "مسند الفردوس" عن ابن عمر -رضي الله عنهما- عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في قوله: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ قال: «**تَبْيَضُّ وُجُوهُ أَهْلِ السُّنَّةِ، وتَسْوَدُّ وُجُوهُ أَهْلِ البِدَعِ**». إسناده ضعيفٌ.

وروىٰ الطبرانيُّ من طريق شَهْرِ بن حَوْشَبٍ، عن أبي أُمامة -رضي الله عنه- عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في قوله: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ قال: «**هُمُ الخَوارِجُ**».

وروىٰ أحمد والترمذيُّ وابن ماجه وعبدالرزَّاق وأبو يَعْلَىٰ والطبرانيُّ مِن طريق أبي غالبٍ عن أبي أُمامة -رضي الله عنه- في قوله: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾، قال: «هُم الخَوارِجُ»، ولما رآهم علىٰ درج دمشق دمعت عيناه ثُمَّ قال: «كِلابُ أَهْلِ النَّارِ، هؤلاء شَرُّ قَتْلَىٰ تحت أَدِيمِ السَّماءِ، وخَيْرُ قَتْلَىٰ تَحْتَ

أَديمِ السَّماءِ الذين قَتَلَهُمْ هؤلاء».

فقال له أبو غالب: أشيء تقوله برأيك، أم شيءٌ سمعته مِن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم؟ قال: بل سمعتُه من رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم غير مرَّةٍ. قال: فما شأنك دمعت عيناك؟ قال: رحمة لهم، كانوا من أهل الإسلام فكفروا، ثُمَّ قرأ هذه الآية. ورواه الحاكم من طريق عكرمة بن عمار، عن شدَّادٍ، عن أبي أُمامة.

١٢- ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]: روىٰ أحمد، وأبو يعلىٰ، والطبريُّ، والبيهقيُّ في "الشعب" من طريق شَريكٍ، عن سِماكٍ، عن عبدالله بن عُميرةَ، عن دُرَّة بنت أبي لهبٍ قالت: كنت عند عائشة فجئ برجلٍ إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان ناداه وهو علىٰ المنبر فقال: يا رسول الله أي الناس خيرٌ؟ قال: «**أَأْمَرُهُمْ بالمَعْرُوفِ وأَنْهاهُمْ عن المُنكَرِ وأَتْقاهُمْ لله وأَوْصَلُهُمْ للرَّحِمِ**».

١٣- ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٣]: أخرج النَّسائيُّ في "سننه"، وابن حِبَّان في "صحيحه"، وأحمد وابن أبي شيبة وأبو يعلىٰ والبزَّار، من طريق عاصمٍ، عن زِرٍّ، عن ابن مسعودٍ -رضي الله عنه- قال: أَخَّرَ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم صلاة العِشاء ليلةً ثُمَّ خَرَجَ إلىٰ المسجد فإذا النَّاسُ ينتظِرون الصَّلاةَ فقال: «**أَمَّا إنَّه ليس مِن أَهْلِ الأَدْيانِ أَحَدٌ يَذْكُرُ اللهَ هذه السَّاعَةَ غَيْرَكُمْ**». وقرأ هذه الآية. والحديث يفيد شمول الآية لصلاة العشاء جماعة بعد مُضِيِّ جزء مِن الليل.

١٤ - ﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٥]: قال الواقديُّ: حدَّثني محمد بن صالحٍ، عن عاصم بن عمر، عن محمود بن لبيد قال: قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لأصحابه يوم أُحُدٍ: «**تَسَوَّمُوا فإنَّ الملائكةَ قد تَسَوَّمَتْ**». فأعلموا بالصوف في مغافرهم.

وأخرج الطبرانيُّ وابن مَرْدُويَه في "تفسيره" بإسنادٍ ضعيفٍ عن ابن عبَّاسٍ -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في قوله: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ قال: «**مُعَلَّمِينَ**»، وكانت سِيما الملائكةِ يوم بَدْرٍ عَمائمَ سُودًا، ويومَ أُحُدٍ عَمائِمَ حُمْرًا.

١٥ - ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٠]: أخرج الشيخان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن آتاهُ الله مالًا، فلم يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ له مَالُهُ يومَ القِيامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ له زَبِيبَتَانِ يُطَوَّقُهُ يومَ القِيامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ - يعني بِشِدْقَيْهِ - ثُمَّ يقولُ أنا مَالُكَ أنا كَنْزُكَ**»، ثُمَّ تَلاَ هذه الآية: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ الآية.

١٦ - ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥]: أخرج مسلمٌ في "صحيحه" عن عبدالله بن عمرو بن العاص، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال -في حديثٍ طويلٍ-: «**فمَن أَرادَ أن يُزَحْزَحَ عن النَّارِ ويَدْخُلَ الجنَّةَ فلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وهو يُؤمِنُ بالله واليوم الآخِرِ وليأتِ إلى النَّاسِ ما يُحِبُّ أن يُؤتَى إليه**».

﴿سورة النساء﴾

١- ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟﴾ [النساء: ٣]: أخرج ابن أبي حاتمٍ، وإبراهيم الحربيُّ، والطبريُّ من طريق عمر بن محمد بن زيدٍ، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في قوله: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟﴾ [النساء: ٣] قال: «**ألَّا تَجُورُوا**». صحَّحه ابن حِبَّان لكن قال ابن أبي حاتمٍ عن أبيه: «الصواب: موقوفٌ».

٢- ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ﴾ [النساء: ٤]: أخرج الثعلبيُّ والواحديُّ في تفسيرهما، من طريق جُوَيْبِرٍ، عن الضَّحَّاك، عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم سُئل عن قوله: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾ فقال: «**إذا جَادَتْ لزَوْجِها بالعَطِيَّةِ طَائِعَةً غير مُكْرَهَةٍ، لا يقضي به عليكم سلطانٌ ولا يُؤاخِذُكُم اللهُ به في الآخِرة**». جُوَيْبِرٌ ضعيفٌ جدًّا.

٣- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [النساء: ١٠]: أخرج أبو يعلى وابن حِبَّان في "صحيحه" من طريق زياد ابن المنذر، عن نافع بن الحارث، عن أبي بَرْزَةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم «**يَبْعَثُ اللهُ يومَ القِيامَةِ قَوْمًا مِن قُبورِهِمْ تَأَجَّجُ أَفْواهُهُمْ نارًا**». قيل: مَن هم يا رسول الله؟ قال: «**ألم تَرَ أنَّ الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا﴾**. الآية». زياد بن المنذر كذَّبه ابن

معينٍ، وبه أعلَّ الحديث ابن عديٍّ في "الكامل".

٤- ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ﴾ [النساء: ١٣]: روى النَّسائيُّ عن ابن عبَّاسٍ -رضي الله عنهما- عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**الإِضْرَارُ في الوَصِيَّةِ مِن الكَبَائِرِ**». ثُمَّ تلا: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ﴾. إسناده صحيحٌ.

٥- ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]: أخرج أحمد، وأبو داود، من طريق عبدالرحمن بن جُبيرٍ، عن عمرو بن العاص قال: احتلمتُ في ليلة باردةٍ في غزوة ذات السلاسل، فأشْفَقْتِ أن أغتسلَ فأهْلِكَ فتيمَّمْتُ ثُمَّ صَلَّيتُ بأصحابي الصبحَ، فذكروا ذلك للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**يا عَمْرو، صَلَّيْتَ بأصْحَابِكَ وأنتَ جُنُبٌ؟!**». فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال وقلتُ: إنِّي سمعت الله يقول: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ فضَحِكَ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ولم يقل شيئًا.

٦- ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ﴾ [النساء: ٥٦]: أخرج الطبرانيُّ وابن عديٍّ عن ابن عمر -رضي الله عنه- قال: قرأ رجلٌ عند عمر -رضي الله عنه-: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ﴾ فقال معاذٌ -رضي الله عنه- عندي تفسيرها: تُبَدَّل في كلِّ ساعَةٍ مائة مَرَّةٍ. فقال عمر: هكذا سمعتُها من رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم. إسناده ضعيفٌ جدًّا.

٧- ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا ﴾

[النساء: ٩٣]: أخرج الطبرانيُّ عن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في قوله: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ ﴾ قال: «إن جَازَاهُ». إسناده ضعيفٌ.

٨- ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾ [النساء: ١٢٣]: روى ابن حِبَّان في "صحيحه" عن عائشة أنَّ رَجُلًا تَلَا هذه الآية ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ فقال: إنَّا لَنُجْزَى بكلِّ ما عَمِلْنا، هَلَكْنا إذًا، فبَلَغَ ذلك رَسُولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقال: «نَعَمْ، يُجْزَى بهِ في الدُّنيا مِن مُصِيبةٍ في جَسَدِهِ ممَّا يُؤْذِيهِ».

وروى ابن حِبَّان أيضًا عن أبي بكر الصِّدِّيق -رضي الله عنه- أنه قال: يا رسول الله كيف الصَّلاح بعد هذه الآية: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾؟ وكل شيءٍ عملناه جزينا به؟ فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «غَفَرَ اللهُ لك يا أبا بكرٍ، ألستَ تَمْرَضُ؟ ألست يُصِيبُكَ اللَّأْواءُ؟». قال: بلى، قال: «فهي ما تُجْزَونَ بِهِ».

٩- ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ﴾ [النساء: ١٣٣]: أخرج الطبريُّ في "تفسيره" من طريق سهيل بن أبي صالحٍ عن أبيه، عن أبي هريرة قال: لما نزلت: ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ﴾ ضرب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بيده على ظهر سلمان وقال: «إنهم قوم هذا». يعني عجم الفرس.

١٠- ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن

فَضْلِهِۦ﴾ [النساء: ١٧٣]: أخرج الطبرانيُّ عن ابن مسعودٍ -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في قوله: ﴿فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾: «**الشَّفَاعَةُ في مَن وَجَبَتْ له النَّارُ ممَّن صَنَعَ إليهم المَعْروفَ في الدُّنيا**». إسناده ضعيفٌ.

١١- ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ [النساء: ١٧٦]: أخرج أبو الشيخ في كتاب "الفرائض" عن البراء -رضي الله عنه- قال: سألت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن الكَلَالة فقال: «**ما خَلا الوَلَدُ والوَالِدُ**».

وأخرج أبو داود في "المراسيل" عن أبي سلمة ابن عبدالرحمن قال: جاء رجلٌ إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يسأله، فسأله عن الكَلَالة فقال: «**أمَا سَمِعْتَ الآيةَ التي نَزَلَتْ في الصَّيْفِ: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ فمن لم يَتْرُكْ ولَدًا ولا والِدًا فوَرَثَتُهُ كَلَالَةٌ**». حديثٌ مرسلٌ.

﴿سورة المائدة﴾

١- ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ [المائدة: ٦]: أخرج الدارقطنيُّ في "السنن" عن جابرٍ -رضي الله عنه- أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان إذا توضَّأ أدار الماء على مِرْفَقَيْهِ. إسناده ضعيفٌ.

٢- ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ [المائدة: ٢٠]: أخرج ابن أبي حاتمٍ عن أبي سعيد الخدريِّ، عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**كانت بنو إسرائيل إذا كان لأحدهم خادمٌ ودابَّةٌ وامرأةٌ كُتب مَلِكًا**». إسناده ضعيفٌ، وله شاهدٌ من

مرسل زيد بن أسلم، ورواه ابن جريرٍ في "تفسيره".

٣- ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]: أخرج ابن أبي شيبة وإسحاق والطبرانيُّ والحاكم من طريق سِماك بن حربٍ، عن عياض الأشعريِّ قال: لمَّا نزلت هذه الآية أشار رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى أبو موسى، وقال: «**هُمْ قَوْمُ هذا**». صحَّحه الحاكم.

ورواه البيهقيُّ في "الدلائل" من طريقٍ آخر عن سِماكٍ، عن عياض، عن أبي موسى الأشعريِّ قال: تلوتُ عند رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ الآية، فقال: «**قومك يا أبا موسى، أهل اليمن**».

٤- ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]: أخرج الترمذيُّ من طريق أبي قدامة الحارث بن عُبيدٍ، عن سعيدٍ الجُرَيْريِّ، عن عبد الله بن شَقيقٍ، عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: كان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يُحْرَسُ حتَّى نزلت: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ فأخرج رأسه مِن القبة فقال: «**انصَرِفُوا أيُّها النَّاسُ فإنَّ اللهَ قد عَصَمَنِي مِن النَّاسِ**».قال الترمذيُّ: «حديث غريب»، ورواه بعضهم عن الجُريريِّ مرسلًا ليس فيه عائشة، ورواه الطبريُّ من طريقٍ آخر عن الجُريري موصولًا.

٥- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠]: الآيتين. أخرج مسلمٌ في "صحيحه" عن أبي سعيدٍ الخدريِّ قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يخطب

بالمدينة يقول: «**يا أيُّها النَّاسُ، إنَّ اللهَ تعالى يُعَرِّضُ بالخَمْرِ، ولعلَّ الله سَيُنْزِلُ فيها أمرًا، فمن كان عنده منها شيءٌ فليَبِعْهُ وليَنْتَفِعْ بِهِ**»، قال: فما لَبِثْنا إلَّا يَسِيرًا حتَّى قال النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ اللهَ تعالى حَرَّمَ الخَمْرَ، فمن أَدْرَكَتْهُ هذه الآيَةُ وعنده منها شيءٌ فلا يَشْرَبْ، ولا يَبِعْ**».

وفي "مسند أبي داود الطيالسي" عن ابن عمر قال: نزلت في الخمر ثلاث آياتٍ فأول شيءٍ نزل ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ [البقرة: ٢١٩] الآية. فقيل: حُرِّمَت الخمر. فقالوا: يارسول الله دعنا ننتفع بها كما قال الله تعالى، فسكت عنهم. ثُمَّ نزلت: ﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ﴾ [النساء: ٤٣] فقيل: حُرِّمَتِ الخمر. فقالوا: يارسول الله إنا لا نشربها قرب الصلاة فسكت عنهم. ثُمَّ نزلت: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ الآيتين. فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**حُرِّمَتِ الخَمْرُ**».

٦- ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ [المائدة: ٨٩]: أخرج الطبرانيُّ عن عائشة -رضي الله عنها- عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في قوله: ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ قال: «**عَبَاءَةٌ لكلِّ مِسْكِينٍ**».

٧- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]: أخرج أبو داود والترمذيُّ وابن ماجه من طريق عبدالله بن المبارك، عن عتبة بن أبي حكيمٍ، عن عمرو حارثة اللَّخْمِيِّ، عن أبي أميَّة قال: لقيت أبا ثعلبة الخُشَنيِّ فقلت له: كيف نصنع في هذه الآية؟ قال: أيَّةُ آيةٍ؟ قلت قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ

أَنفُسَكُمْ ﴾ الآية؟ قال: أما والله لقد سألت عنها خبيرًا، سألت عنها رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**بل ائْتَمِروا بالمَعْرُوفِ وتَنَاهَوْا عن المُنْكَرِ، حتَّى إذا رأيتَ شُحًّا مُطَاعًا، وهَوًى مُتَّبَعًا، ودُنيا مُؤْثَرَةً، وإعْجَابَ كلِّ ذي رأيٍ برَأْيِهِ، فعليك بخَاصَّةِ نَفْسِكَ ودَعِ العَوَامَّ، فإنَّ مِن ورَائِكُمْ أيَّامًا الصَّبْرُ فيهنَّ مثلُ القَبْضِ على الجَمْرِ، للعَامِلِ فيهنَّ مثلُ أجْرِ خمسين رجُلاً يعملون مثل عَمَلِكُمْ**».

قال ابن المبارك: وزادني غير عتبة: قيل: يا رسول الله أجر خمسين منَّا أو منهم؟ قال: «**لا بل مِنكم**». ورواه أبو يعلى، والطبرانيُّ، وصحَّحه ابن حِبَّان والحاكم.

٨- ﴿ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾ [المائدة: ١٠٥]: أخرج أحمد والطبرانيُّ عن أبي عامرٍ الأشعريِّ قال: سألتُ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن هذه الآية فقال: ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ﴾ **مِن الكُفَّار** ﴿إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾.

﴿سورة الأنعام﴾

١- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾[الأنعام: ٦٠]: أخرج أبو الشيخ وابن مَرْدُويَه من طريق نَهْشَلٍ، عن الضَّحَّاك عن ابن عبَّاسٍ -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مع كُلِّ إنسانٍ مَلَكٌ إذا نامَ يَأْخُذُ نَفْسَهُ، فإن أَذِنَ اللهُ في قَبْضِ رُوحِهِ قَبَضَهُ وإلَّا رَدَّهُ إليه فذلك قوله: ﴿يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾**.حديثٌ واهٍ، ونَهْشَلٌ كذَّابٌ.

٢- ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ﴾[الأنعام: ٨٢]:

الآية. أخرج أحمد والبخاريُّ ومسلمٌ عن ابن مسعودٍ -رضي الله عنه- قال: لَمَّا نزلت هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ شَقَّ ذلك على النَّاسِ فقالوا: يا رسول الله وأيُّنا لا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ قال: «**إنَّهُ ليس الذي تَعْنُونَ، ألم تَسْمَعُوا ما قال العَبْدُ الصَّالِحُ**: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] **إنَّما هو الشِّرْكُ**».

٣- ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]: أخرج ابن أبي حاتمٍ، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ قال: «**لو أنَّ الجِنَّ والإنسَ والشَّياطين والملائكةَ مُنذُ خُلِقُوا إلى أن فَنَوْا صُفُّوا صَفًّا واحِدًا ما أحَاطُوا بالله أَبَدًا**». حديثٌ ضعيف الإسناد، مُنكَر المعنى.

٤- ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]: أخرج الفِريابيُّ في "تفسيره" من طريق عمرو بن مرَّة، عن أبي جعفر قال: سُئل النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن هذه الآية، قالوا: كيف يشرح صدره؟ قال: «**نورٌ يُقْذَفُ فيه فيَنْشَرِحُ له ويَنْفَسِحُ له**». قالوا: فهل لذلك مِن أمارة يُعرف بها؟ قال: «**الإنابَةُ إلى دار الخُلُودِ والتَّجَافي عن دار الغُرورِ والاستعداد للمَوْتِ قبل لقاءِ المَوْتِ**». حديثٌ مُعضَلٌ لكن له شواهد.

٥- ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤١]: أخرج ابن مَرْدُويَه، والنحاس في "ناسخه"، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في قوله: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ قال: «**ما سَقَطَ مِن السُّنْبُلِ**».

٦- ﴿ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [الأنعام: ١٥٢]: أخرج ابن مَرْدُويَه عن سعيد بن المُسيِّب قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ فقال: «**مَن أَوْفَى على يديه في الكَيْلِ والميزان والله يعلم صِحَّة نيَّته بالوفاء فيهما لم يؤاخذ**». وذلك تأويل ﴿وُسْعَهَا ﴾. مرسلٌ ضعيف الإسناد.

٧- ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١٥٣]: أخرج النَّسائيُّ وأحمد وإسحاق والبزَّار وأبو يعلى من طريق عاصمٍ وغيره، عن أبي وائل، عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: أنه خَطَّ خَطًّا ثُمَّ قال: «**هذه سَبِيلُ الله**». ثُمَّ خَطَّ عن يمينه وعن شماله خُطوطًا ثم قال: «**هذه سُبُلٌ، على كلِّ سبيلٍ منها شيطانٌ يَدْعُو إليه**». ثُمَّ تلا: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ الآية. صحَّحه ابن حِبَّان والحاكم.

٨- ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا ﴾ [الأنعام: ١٥٨]: أخرج أحمد والترمذيُّ عن أبي سعيدٍ الخدريِّ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا ﴾ قال: «**يوم طُلُوعِ الشَّمْسِ مِن مَغْرِبها**». وأصله في الصحيحن عن أبي هريرة من طُرقٍ.

٩- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ﴾ [الأنعام: ١٥٩]:

أخرج الطبرانيُّ عن عمر -رضي الله عنه- أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال لعائشة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ «**هُمْ أصحابُ البِدَعِ وأصحابُ الأهواء**». إسناده جيِّدٌ.

وأخرج الطبرانيُّ أيضًا عن أبي هريرة، عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ «**هُمْ أَهْلُ البِدَعِ والأهواءِ في هذه الأُمَّة**». إسناده صحيحٌ.

﴿سورة الأعراف﴾

١- ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١]: أخرج ابن مَرْدُويَه عن أنسٍ -رضي الله عنه- عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في قوله: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١] قال: «**صَلُّوا في نِعالِكُمْ**». إسناده ضعيفٌ، وله شاهدٌ من حديث أبي هريرة رواه أبو الشيخ في "تفسيره".

٢- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأعراف: ٤٠]: أخرج أحمد وأبو داود والحاكم عن البراء بن عازبٍ -رضي الله عنهما- أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ذَكَرَ العبدَ الكافرَ إذا قُبضت روحه قال: «**فيَصْعَدُونَ بها فلا يَمَرُّون على ملأ مِن الملائكة إلَّا قالوا: ما هذا الرُّوحُ الخَبيثُ حتَّى ينتهي بها إلى السَّماءِ الدُّنيا فيَسْتَفْتِحُ فلا يُفْتَحُ له**». ثُمَّ قرأ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ «**فيقول الله: اكْتُبوا كِتابَهُ في سِجِّينٍ في الأرضِ السُّفْلَى فيُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا**». ثُمَّ قرأ رسول الله

صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]

٣- ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]: روى مسلمٌ والترمذيُّ عن أبي سعيدٍ وأبي هريرة -رضي الله عنهما- عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إذا دَخَلَ أَهْلُ الجنَّةِ الجنَّـةَ ينادي مُنادٍ: إنَّ لكم أن تَصِحُّوا فلا تَسْقَمُوا أبدًا، وإنَّ لكم أن تَحْيَوْا فلا تَمُوتُوا أبدًا، وإنَّ لكم أن تَشِبُّوا فلا تَهْرَمُوا أبدًا، وإنَّ لكم أن تَنْعَمُوا فلا تَبْأَسُوا أبدًا، وذلك قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾**».

٤- ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ﴾ [الأعراف: ٤٦]: أخرج ابن مَرْدُويَه في "تفسيره" عن جابر -رضي الله عنه- قال: سُئل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عمَّن استوت حَسَناتُهُ وسَيِّئاته، فقال: «**أولئك أصحابُ الأعْرافِ**». إسناده ضعيفٌ، لكن له شواهد.

وأخرج سعيد بن منصور والطبرانيُّ والبيهقيُّ عن عبدالرحمن المزنيِّ قال: سُئل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن أصحاب الأعراف، فقال: «**هُمْ أُناسٌ قُتِلُوا في سَبيلِ الله بمَعْصِيةِ آبائهم، فمَنَعَهُمْ مِن دُخولِ الجنَّةِ مَعْصِيَةُ آبائهم، ومَنَعَهُمْ مِن دُخُولِ النَّارِ قَتْلُهُمْ في سَبيلِ الله**».

له شاهدان أحدهما عن أبي هريرة رواه البيهقيُّ، والآخر عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رواه الطبرانيُّ.

وليس مخالفًا للحديث الأول بل موافقٌ له؛ لأن معصية هؤلاء الشهداء

لآبائهم ساوت شهادتهم في سبيل الله.

أمَّا ما رواه البيهقيُّ عن أنسٍ -رضي الله عنه- عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في أصحاب الأعراف قال: «**هُمُ مُؤمِنُو الجنِّ**». فهو حديثٌ ضعيفٌ، مخالفٌ للقرآن الكريم فقد دلَّت (سورة الرحمن) على أنَّ مُؤمني الجنِّ يدخلون الجنَّة مثل مؤمني الإنس.

٥- ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ ﴾ [الأعراف: ١٣٣]: أخرج ابن جريرٍ عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**الطُّوفانُ المَوْتُ**».

٦- ﴿ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ ﴾ [الأعراف: ١٤٣]: قال الترمذيُّ الحكيم في "النوادر": ثنا محمد بن رزام الأيليُّ: ثنا الهُجيميُّ: ثنا محمد بن نصير، عن عطاء بن أبي رباحٍ، عن ابن عبَّاسٍ قال: تلا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم هذه الآية: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ ﴾ فقال: «**قال تعالى: يا موسى، إنه لا يَراني حَيٌّ إلَّا ماتَ، ولا يابِسٌ إلَّا تَدَهْدَه، ولا رَطِبٌ إلَّا تَفَرَّقَ، وإنما يراني أهل الجنَّةِ الذين لا تموتُ أعينهم، ولا تَبْلَى أجسادُهُم**».

٧- ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗا ﴾ [الأعراف: ١٤٣]: أخرج أحمد والحاكم عن أنسٍ رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قرأ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا ﴾ قال: «**هكذا**» وأشار بطرف إبهامه على أنملة أصبعه اليمنى «**فسَاخَ الجَبَلُ**» ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗا ﴾.

٨- ﴿ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ [الأعراف: ١٤٥]: أخرج

أبو الشيخ في "تفسيره" من طريق جعفر بن محمَّدٍ، عن أبيه، عن جدِّه، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**الألواحُ التي أُنزلت على موسى كانت من سِدْرِ الجنَّةِ، كان طول اللوح اثني عشر ذراعًا**». إسناده ضعيفٌ وهو حديثٌ مُنكَرٌ.

٩- ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾ [الأعراف: ١٧٢]: أخرج أحمد والنَّسائيُّ عن ابن عبَّاسٍ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ اللهَ أَخَذَ الميثاقَ مِن ظَهْرِ آدمَ بنَعْمان يوم عَرَفَةَ، فأخرجَ مِن صُلْبِهِ كلَّ ذُرِّيَّةٍ ذَرَأها فنثَرَها بين يديه ثُمَّ كَلَّمَهم فقال: ألستُ بربِّكم؟ قالوا: بلى**». صحَّحه الحاكم.

وأخرج ابن جريرٍ عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في هذه الآية: «**أَخَذَ مِن ظَهْرِهِ كما يُؤخَذُ بالمِشْطِ مِن الرَأْسِ فقال لهم: ألستُ بربِّكم؟ قالوا: بلى. قالت الملائكة: شَهِدْنا**». إسناده ضعيفٌ.

٩- ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨١] أخرج الثعلبيُّ في "تفسيره" عن قتادة وابن جريجٍ قالا: كان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إذا قرأ: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ ﴾ قال: «**هذه لكم وقد أُعطِي القومُ بين أيديكم مِثْلَهُ**». يعني: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٩] حديثٌ مرسلٌ ضعيفٌ.

١٠- ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ﴾ [الأعراف: ١٩٠]: أخرج أحمد والترمذيُّ والحاكم عن سمرة، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم

قال: «لَمَّا حَمَلَتْ حَوَّاءُ طَافَ بها إبليسُ، وكان لا يَعِيشُ لها وَلَدٌ، فقال: سَمِّيهِ عبدالحارث، فإنَّه يَعِيشُ، فسَمَّوْهُ عبدالحارث، فعَاشَ، وكان ذلك مِن وَحْيِ الشَّيْطانِ، وأَمْرِهِ». حديثٌ مُنكَرٌ، بيَّنَّا نكارته في كتابنا قصة آدم عليه السلام.

١١- ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]:

أخرج ابن أبي حاتمٍ وأبو الشيخ عن الشَّعْبيِّ قال: لَمَّا أنزل الله ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ الآية، قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «ما هذا يا جبريل؟» قال: لا أدري حتى أسأل العالِم. فذهب ثُمَّ رجع، قال: «إنَّ اللهَ يأمُركُ أن تَعْفُوَ عمَّن ظَلَمَكْ، وتُعْطِيَ مَن حَرَمَك، وتَصِلَ مَن قَطَعَكَ». حديثٌ مرسلٌ.

ووصله ابن مَرْدُويَه في "تفسيره" من حديث جابرٍ، ومن حديث قيس بن سعدٍ وزاد في أوله: لما نظر رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى حمزة قال: «والله لأُمَثِّلَنَّ بسبعين منهم». فنزل جبريل بهذه الآية فسأله عنها، وذكر الحديث.

﴿سورة الأنفال﴾

١- ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾ [الأنفال: ٧]: أخرج الترمذيُّ وأحمد وإسحاق وأبو يعلى والبزَّار من طريق إسرائيل، عن سِماكٍ، عن عكرمة، عن ابن عبَّاسٍ -رضي الله عنهما- قال: قيل لرسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حين فَرَغَ مِن بَدْرٍ: عليك بالعِير فليس دونها شيءٌ فناداه العبَّاس -رضي الله عنه- وهو في وثاقه-: لا يصلح، قال: «ولِمَ؟» قال: لأن الله إنما وعدك إحدى الطائفتين وقد

أعطاك ما وعدك. صحَّحه ابن حِبَّان والحاكم.

قلت: المراد بالطائفتين العِير والنَّفير، وقد فسَّر العبَّاس إحداهما بالنفير وأقرَّه النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فهو تفسيرٌ مرفوعٌ.

٢- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ ﴾ [الأنفال: ٢٤]: أخرج أحمد والبخاريُّ وأبو داود والنَّسائيُّ وابن ماجه عن أبي سعيد الحارث بن أوس بن المعلىٰ قال: كنت أصلِّي، فدعاني رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فلم أُجِبْهُ حتَّىٰ صلَّيت، قال: فأتيته فقال: «**ما مَنَعَكَ أن تَأتيني؟**». قلت: يارسول الله إني كنت أصلِّي. قال: «**ألم يقل الله تعالى:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ ﴾؟!.

وروىٰ أحمد والترمذيُّ والنَّسائيُّ عن أبي هريرة قال: خَرَجَ رسولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ أُبيِّ بن كعبٍ وهو يُصلِّي... فذكر مثل حديث أبي سعيد بن المعلىٰ. قال الترمذيُّ: «حسن صحيح»، وصحَّحه ابن خزيمة والحاكم.

ورواه ابن مَرْدُويَه في "تفسيره" وزاد: قال أُبيٌّ: إني لا جَرَمَ يارسول الله لا تدعوني إلَّا أجبتك، وإن كنت أُصلِّي.

٣- ﴿ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ ﴾ [الأنفال: ٢٦]: أخرج أبو الشيخ عن ابن عبَّاسٍ في قوله: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ ﴾ قيل: يارسول الله ومَن الناسُ؟ قال: «**أهل فارس**».

٤- ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ

يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٣]: أخرج الترمذيُّ عن أبي موسىٰ الأشعريِّ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أنزلَ اللهُ عليَّ أمانين لأُمَّتي: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ فإذا مضيتُ تركْتُ فيهم الاستغفارَ إلى يومِ القيامةِ**». ضعَّفه الترمذيُّ.

٥- ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [الأنفال: ٤١]: أخرج أبو داود في "المراسيل"، وأبو عبيد في "الأموال"، والطبريُّ من طريق الربيع بن أنسٍ، عن أبي العالية قال: كان النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إذا أتي بالغَنيمة قسَّمها خمسة أقسامٍ. ثُمَّ يقبض بيده قبضةً من الخُمُس أجمع ثُمَّ يقول: «**هذه للكعبة**» ثُمَّ يقول: «**لا تجعلوا لله نصيبًا فإنَّ لله الآخِرةَ والأولى**». ثُمَّ يأخذ سَهْمًا لنفسه وسَهْمًا لذي القُربَىٰ وسَهْمًا لليتامَىٰ وسَهْمًا للمساكين وسَهْمًا لابن السبيل. مرسلٌ.

٦- ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ﴾[الأنفال: ٦٠]: أخرج مسلمٌ عن عتبة ابن عامرٍ قال: سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وهو علىٰ المنبر يقول: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ «**ألَا إنَّ القوَّة الرَّمْيُ**».

٧- ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ﴾[الأنفال: ٦٠]: أخرج الطبرانيُّ من طريق سعيد بن سِنانٍ، عن يزيد بن عبدالله بن عَريبٍ، عن أبيه، عن جدِّه، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في قوله: ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ﴾

قال: «**هُمُ الجِنُّ، ولا يَخْبِلُ الشَّيْطانُ إنسانًا في داره فَرَسٌ عَتِيقٌ**».

ورواه ابن عديٍّ في "الكامل" من هذا الطريق وأعلَّه بسعيد بن سِنانٍ، ضعَّفه ابن معينٍ. وله شاهدٌ من رواية الوَضِين بن عطاءٍ، عن سليمان بن موسىٰ مرسلًا، والوَضِين ضعيفٌ أيضًا.

﴿سورة براءة﴾

١- ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ﴾ [التوبة: ٣]: روىٰ البخاريُّ تعليقًا وأبو داود والحاكم من طريق هشام بن الغاز، عن نافعٍ عن ابن عمر: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وقف يوم النَّحْرِ عند الجَمَراتِ في حَجَّةِ الوَدَاعِ فقال: «**هذا يوم الحَجِّ الأَكْبَرِ**».

وكذا رواه الطبرانيُ وابن أبي حاتمٍ والطبريُّ وأبو نعيمٍ من طريق سعيد بن عبدالعزيز بن نافعٍ، عن ابن عمر: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم رمىٰ الجَمْرَةَ يومَ النَّحْرِ وقال: «**هذا يومُ الحَجِّ الأَكْبَرِ**».

وأخرج ابن أبي حاتمٍ عن المِسْوَر بن مَخْرَمَةَ: أنَّ رسولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال يوم عرفة: «**هذا يومُ الحَجِّ الأَكْبَرِ**».

٢- ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [التوبة: ١٨]: أخرج أحمد والترمذيُّ وابن ماجه وابن حِبَّان والحاكم من طريق دراج،عن أبي الهيثم، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا رأيتم الرَّجُلَ يَعْتَادُ المَسْجِدَ فاشْهَدُوا له بالإيمانِ، قال الله:**

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾.

٣- ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١]: روى الواقديُّ من طريق عامر بن سعدٍ، عن عديِّ بن حاتمٍ قال: انتهيتُ إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وفي عنقي صليبٌ من ذهبٍ فقال: «**أليس يُحرِّمون ما أحلَّ اللهُ فتُحَرِّمُونَهُ؟ ويُحلِّون ما حَرَّمَ اللهُ فتُحِلُّونه؟**» قلت: بلى. قال: «**فتلك عِبادَتُهم**».

ورواه ابن مَرْدُويَه من طريقٍ آخر عن عطاء بن يسارٍ، عن عديِّ بن حاتم به. ورواه البيهقيُّ في "المدخل" من طريق مصعب بن سعدٍ، عن عديِّ بن حاتم أيضًا.

٤- ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣٤]:أخرج أبو داود والحاكم عن أمِّ سلمة رضي الله عنها قالت: كنت ألبس أوضاحًا من ذهبٍ فقلت: يا رسول الله أكنزٌ هو؟ فقال: «**ما بَلَغَ أن تُؤدَّى زَكاتُهُ فزَكِّي، فليس بكَنْزٍ**». صحَّحه الحاكم وله شواهد.

٥- ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ﴾ [التوبة: ٧٢]: أخرج البزَّار والطبرانيُّ والدارقطنيُّ في "المؤتلف والمختلف" وابن مَرْدُويَه من طريق زيادة بن محمَّدٍ، عن محمد بن كعبٍ القرظيِّ، عن فضالة بن عبيدٍ، عن أبي الدرداء، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**عَدْنٌ دار الله التي لم ترَها عينٌ، ولم تَخْطُرْ على قَلْبِ بَشَرْ، لا يسكنها غير ثلاثةٍ: النبيين والصِّدِّيقين والشهداء، يقول الله**

تعالى: طُوبَى لمن دَخَلَكِ».

قال البزَّار: لا نعلمه إلَّا مِن هذا الوجه، وزيادة لا يعلم روىٰ عن غير الليث.

وأخرج ابن المبارك في "الزهد" والطبرانيُّ والبيهقيُّ في البعث عن عمران بن حصينٍ وأبي هريرة قالا: سُئل النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن هذه الآية: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ قال: « **قَصْرٌ مِن لُؤْلُؤَةٍ، في ذلك القَصْرِ سبعون دارًا مِن يَاقُوتَةٍ حمراءَ، في كلِّ دارٍ سبعون بَيْتًا مِن زَبَرْجَدَةٍ خضراءَ، في كلِّ بَيْتٍ سبعون سَرِيرًا، على كلِّ سَرِيرٍ فِرَاشًا مِن كلِّ لَوْنٍ، على كلِّ فِرَاشٍ زَوْجَةٌ مِن الحُورِ العِينِ، في كلِّ بَيْتٍ سبعون مائِدَةً، على كلِّ مائِدَةٍ سبعون لَوْنًا مِن طَعامٍ، في كلِّ بَيْتٍ سبعون وَصِيفَةً، ويُعْطَى المُؤْمِنُ مِن القُوَّةِ في غَدَاةٍ واحدةٍ ما يأتي على ذلك كلِّهِ أجمع** ». إسناده ضعيفٌ.

٦- ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠]: أخرج الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما تُوفِّي عبدالله بن أُبيٍّ جاء ابنه إلىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فسأله أن يُعطِيَهُ قَميصَهُ يُكَفِّن فيه أباه فأعطاه، ثُمَّ سأله أن يُصَلِّي عليه فأخذ عمر بثوبه فقال: أتُصَلِّي عليه وقد نهاك الله أن تُصَلِّي عليه؟ فقال: «**إنما خَيَّرني فقال: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ﴾ الآية. وسأزيدُهُ على السَّبعين**». قال: إنَّه مُنافِقٌ، فصلَّىٰ عليه رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ [التوبة: ٨٤]، فترَكَ الصَّلاةَ عليهم.

٧- ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]: أخرج الشيخان عن عبدالله بن أبي أَوْفَىٰ قال: كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إذا أتاه قومٌ بصَدَقَتِهم قال: «**اللهمَّ صَلِّ عليهم**»، فأتىٰ أبو أَوْفَىٰ بصدقته فقال: «**اللهمَّ صَلِّ على آل أبي أَوْفَى**».

٨- ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾ [التوبة: ١٠٨]: أخرج مسلمٌ عن أبي سعيد الخدريِّ قال: اختلف رجلان في المسجد الذي أُسِّسَ علىٰ التقوىٰ فقال أحدهما: هو مسجد رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم. وقال الآخر: هو مسجد قباء. فأتيا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فسألاه عن ذلك فقال: «**هو مسجدي**».

وأخرج أحمد وابن ماجه وابن خزيمة عن عويم بن ساعدة الأنصاريِّ أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أتاهم في مسجد قُباء فقال: «**إنَّ اللهَ قد أَحْسَنَ عليكُمُ الثَّناءَ في الطُّهُورِ في قِصَّةِ مَسْجِدِكُمْ، فما هذا الطُّهُورُ؟**» قالوا: ما نعلم شيئًا إلَّا أنا لنَسْتَنْجِي بالماء. قال: «**هو ذاك فعَلَيْكُمُوه**».

ولا تعارض بين هذا الحديث والذي قبله؛ لأن كلًّا من المسجد النبويِّ ومسجد قُباء أُسِّسَ علىٰ التقوىٰ فالآية تشملهما، غير أنَّ قوله تعالىٰ: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا﴾ [التوبة: ١٠٨] قرينةٌ علىٰ أنَّ الآية نزلت في مسجد قُباء؛ لأن المنافقين دعوا النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إلىٰ الصلاة في مسجد الضِّرار الذي بنوه خارج المدينة، فنهاه الله عن القيام فيه ورغَّب إليه القيام في مسجد قُباء الذي بني خارج المدينة أيضًا.

٩- ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلۡعَـٰبِدُونَ ٱلۡحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ﴾ [التوبة: ١١٢]: أخرج ابن جريرٍ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**السَّائحُونَ: الصَّائِمُونَ**».

١٠- ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤]: روى ابن جريرٍ من طريق حجَّاج بن مِنْهال: حدَّثني عبدالحميد بن بَهْرَام: ثنا شَهْرُ بن حَوْشَبٍ، عن عبدالله بن شدَّاد بن الهاد قال: بينا النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم جالسٌ قال رجلٌ: يا رسول الله ما الأوَّاه؟ قال: «**المُتَضَرِّعُ**» وتَلَا: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾.

رواه ابن أبي حاتم من طريق ابن المبارك عن عبدالحميد بن بَهْرام به، ولفظه: قال: «**الأوَّاهُ: المُتَضَرِّعُ الدُّعاءِ**». وهو مرسلٌ.

﴿سورة يونس﴾

١- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ [يونس: ٢٣]: أخرج الحاكم في "المستدرك" عن أبي بكرة، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لا تَبْغِ، ولا تُعِنْ باغيًا؛ فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾**[يونس: ٢٣] .

٢- ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [يونس: ٢٥]: روى البيهقيُّ عن أبي الدرداء –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: « **ما مِن يومٍ طَلَعَتْ شَمْسُهُ إلَّا وكان بجَنْبَتَيْها مَلَكَانِ يُنادِيانِ نِدَاءً يَسْمَعُهُ ما خَلَقَ اللهُ كلُّهم غير الثَّقَلَيْنِ: يا أيُّها النَّاسُ، هَلُمُّوا إلى رَبِّكُمْ، إنَّ ما قَلَّ وكَفَى خيرٌ ممَّا كَثُرَ وألْهَى، ولا آبَتِ الشَّمْسُ إلَّا وكان بجَنْبَتَيْها مَلَكَانِ يُنادِيَانِ نِدَاءً**

يَسْمَعُهُ خَلْقُ الله كلُّهم غير الثَّقَلَيْنِ: اللهمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وأَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا، وأَنْزَلَ اللهُ في ذلك قُرْآنًا في قولِ المَلَكَيْنِ: يا أَيُّها النَّاسُ هَلُمُّوا إلى رَبِّكُمْ»: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، وأنزل في قولهما: «اللهمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا»: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ١ - ١٠].

٣- ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]: أخرج مسلمٌ عن صهيبٍ رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾: «الحُسْنَى: الجنَّة، والزِّيادة: النَّظَر إلى رَبِّهم».

وأخرج ابن مَرْدُويَه في "تفسيره" عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ﴾ قال: «شَهَادَةُ أن لا إله إلَّا الله»، ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾: الجنة، ﴿وَزِيَادَةٌ﴾: النظر إلى الله تعالى».

٤- ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾ [يونس: ٥٨]: أخرج ابن مَرْدُويَه وأبو الشيخ عن أنسٍ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾ «بفَضْلِ الله: القُرآن، وبرَحْمَتِهِ: أن جَعَلَكُمْ مِن أَهْلِهِ».

٥- ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧]: أخرج بن مَرْدُويَه، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ قال: جاء رجلٌ إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: إنِّي أشتكي. قال: «اقْرأ القُرآنَ، يقول الله تعالى: ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾». وأخرج البيهقيُّ في "الشعب" نحوه من حديث واثلة بن الأسقع.

٦- ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]: أخرج أبو داود عن عمر -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ مِن عِبادِ الله ناسًا يَغْبِطُهُمْ الأَنْبِياءُ والشُّهَداءُ**».

قيل: مَن هم يا رسول؟ قال: «**قومٌ تَحَابُّوا في الله مِن غير أمْوالٍ ولا أنسابٍ، لا يَفْزَعُونَ إذا فَزِعَ النَّاسُ، ولا يَحْزَنون إذا حَزِنوا**» ثُمَّ تلا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

وأخرج ابن مَرْدُويَه في "تفسيره" عن أبي هريرة قال: سُئل النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن قول الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ قال: «**الذين يَتَحَابُّونَ في الله تعالى**». وأخرج ابن مَرْدُويَه مثله أيضًا من حديث جابرٍ.

وروى النَّسائيُّ والبزَّار مِن طريق محمد بن سعيد بن سابق، عن يعقوب السهميِّ، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جُبيرٍ، عن ابن عبَّاسٍ قال: سُئل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: مَن أولياء الله؟ قال: «**الذين إذا رُءُوا ذُكِرَ الله**». قال البزَّار: رواه غير محمد عن يعقوب بغير ذكر ابن عبَّاسٍ.

قلت: رواه ابن مَرْدُويَه من طريق يحيى الحماني عن يعقوب، عن جعفر، عن سعيد بن جبيرٍ مرسلًا.

وهذه الأحاديث لا تعارض قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾[يونس: ٦٣] بل توافقه؛ لأن التحابَّ في الله مِن أخصِّ أوصاف المؤمنين المتقين.

وفي "سنن أبي داود" عن أبي أُمامة، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن أَحَبَّ لله، وأَبْغَضَ لله، وأَعْطَى لله، ومَنَعَ لله، فقد اسْتَكْمَلَ الإيمانَ**». كما أنَّ الله يَكْسُو المتقين حُلَّةَ وَقَارٍ بحيث إذا رآهم أحدٌ لم يتمالك أن يذكر الله تعالىٰ.

روىٰ ابن حِبَّان في "صحيحه" عن أبي هريرة أيضًا قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ مِن عِبَادِ الله عِبادًا ليْسُوا بأنبياءَ، يَغْبِطُهُمُ الأنبياءُ والشُّهَدَاءُ، قيل: مَن هُمْ لَعَلَّنَا نُحِبُّهُمْ؟ قال: هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بنُورِ الله مِن غير أَرْحَامٍ ولا انتِسَابٍ، وجُوهُهُمْ نُورٌ على مَنَابِرَ مِن نُورٍ، لا يَخَافُونَ إذا خَافَ النَّاسُ، ولا يَحْزَنُونَ إذا حَزِنَ النَّاسُ**»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

٧- ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٤]: أخرج أحمد والترمذيُّ وابن ماجه والحاكم والبيهقيُّ عن عبادة بن الصامت قال: سألتُ رسولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن قوله تعالىٰ: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ قال: «**هي الرُّؤيا الصَّالِحَةُ يراها المُؤمِنُ أو تُرَى له**». إسناده جيِّدٌ إلَّا أن فيه انقطاعًا.

ورواه ابن مَرْدُويَه مِن وجهٍ آخر عن عبادة موصولًا.

وروىٰ الترمذيُّ وأحمد وابن أبي شيبة وأبو يعلىٰ والطبرانيُّ والبيهقيُّ مِن طريق عطاء بن يسارٍ، عن رجلٍ من أهل مصر قال: سألتُ أبا الدرداء عن قول الله تعالىٰ: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فقال: سألتُ عنها رسول الله صلَّىٰ الله

عليه وآله وسلَّم فقال: «**هي الرُّؤيا الصَّالِحةُ يَراها المُؤمِنُ أو تُرَى له**». زاد بعضهم: «**وفي الآخِرَةِ الجنَّةُ**».

٨- ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ﴾ [يونس: ٩٤]: أخرج عبدالرزَّاق، عن مَعْمَرٍ، عن قتادة -في هذه الآية- قال: بلغنا أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لا أشكُّ ولا أَسْأَلُ**».

٩- ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ ﴾ [يونس: ٩٨]: أخرج ابن مَرْدُويَه في "تفسيره" عن عائشة، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في قوله تعالى: ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ ﴾ قال: «**دَعَوا**». إسناده ضعيفٌ.

﴿سورة هود﴾

١- ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [هود: ٧]: أخرج ابن مَرْدُويَه عن ابن عمر قال: تلا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ قال: «**أيُّكُمْ أحسنُ عَقْلًا، وأحْسَنُكُم عَقْلًا أورَعُكُمْ عن مَحارِمِ الله، وأعْمَلُكُمْ بطاعَةِ الله**». إسناده ساقطٌ.

٢- ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ [هود: ٨٠]: أخرج الشيخان عن أبي هريرة: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قرأ هذه الآية فقال: «**رَحِمَ اللهُ أخِي لوطًا لقد كان يَأْوي إلى رُكْنٍ شَديدٍ**».

٣- ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ

ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [هود: ١١٤]: أخرج الشيخان عن ابن مسعودٍ -رضي الله عنه- قال: جاء رجلٌ إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: إني عالجت امرأةً في أقصى المدينة وإنِّي أصبت منها دون أنَّ أمسَّها، فأنا هذا فاقْضِ فيَّ ما شِئتَ. فقال له عمر -رضي الله عنه-: لقد سَتَرَكَ اللهُ، لو سَتَرْتَ على نَفْسِك. ولم يرد عليه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم شيئًا. فانطلق الرجل، فأتبعه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رجلًا فدعاه فتلا عليه: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ ﴾ الآية. فقال رجلٌ من القوم: يا رسول الله ألله خاصَّةً أم للناس؟ فقال: «**بل للنَّاسِ كافَّةً**».

وأخرج الطبرانيُّ عن ابن عبَّاسٍ قال: قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لم أرَ شَيْئًا أحسنَ طَلَبًا ولا أَسْرَعَ إدْراكًا مِن حَسَنَةٍ لسَيِّئةٍ قديمةٍ** ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ إسناده ضعيفٌ.

٤- ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ [هود: ١١٧]: أخرج الطبرانيُّ وأبو الشيخ عن جرير بن عبدالله قال: لَمَّا نزلت ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**وأَهْلُهَا يُنْصِفُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا**».

روى الطبرانيُّ وغيره عن أبي بكرٍ الصِّدِّيق قال: قلتُ يارسول الله عَجِلَ إليك الشَّيبُ قال: «**شَيَّبَتْني هودٌ وأخواتها: الواقعة، والحاقَّة، وعمَّ يتسائلون، وهل آتاك حديث الغاشية**».

ولهذا الحديث طرقٌ جمعتها في تعليقي على كتاب "فيض الجود على حديث شيَّبتني هود"، وروى مسلمٌ من حديث أبي هريرة مثله.

﴿سورة يوسف﴾

١ - ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ﴾ [يوسف: ٤]: الآية أخرج الحاكم من طريق أسباط، عن السُّدِّيِّ، عن عبدالرحمن بن سابطٍ، عن جابرٍ رضي الله عنه قال: جاء شيبان اليهوديُّ إلى النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: يا محمَّد هل تعرف النجوم التي رآها يوسف وسَجَدْنَ له؟ فسكت النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حتى نزل جبريل فأخبره فقال: «**إن أخبرتك تُسْلِمْ؟**» قال: نعم. قال: «**النُّجُومُ: حَدَثَانُ والطَّارِقُ والذَّبَّالُ وقَابِسُ والعُودَانِ والفَلِيقُ والنُّصْحُ والقَرُوحُ وذُو الكَنَفَانِ وذُو الفَرَعِ والوَثَّابُ، رَآهَا يوسفُ مُحِيطَةً بأكْنَافِ السَّماءِ ساجِدَةً له فقَصَّها على أبيه، فقال له أبوه: إنَّ هذا أمرٌ فلْيُشَتَّتْ وسيَجْمَعُهُ الله إن شاءَ بَعْدُ**». صحَّحه الحاكم.

وهو بعيدٌ من الصحَّة، فقد نقل ابن أبي حاتمٍ في "العلل" عن أبي زرعة أنه قال: «حديثٌ مُنكَرٌ»، ورواه العقيليُّ في "الضعفاء" من طريق الحكم بن ظهير عن السُّدِّيِّ نحوه، وقال: لا يثبت. وذكره ابن الجوزيِّ في "الموضوعات" وهو لا شك مِن الإسرائيليات.

٢ - ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ١٨]: أخرج الطبريُّ من طريق حِبَّان بن أبي جَبَلَة قال: سُئل رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن قوله: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ قال: «**صَبْرٌ لا شَكْوَى فيه**». قال: «**مَن بَثَّ فلم يَصْبِر**». حديثٌ مرسلٌ.

٣- ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ [يوسف: ٢٦]: أخرج أحمد وابن أبي شيبة والبزار وأبو يعلىٰ من طريق حمَّاد بن سلمة، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جُبيرٍ، عن ابن عبَّاسٍ، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**تَكَلَّمَ أربعةٌ في المَهْدِ وهُمْ صِغَارٌ: ابن ماشِطَةِ بنت فِرْعَونَ، وشاهِدُ يوسفَ، وصاحِبُ جُرَيجٍ، وعيسى عليه السلام**». صحَّحه ابن حِبَّان والحاكم.

وعطاء قد اختلط، لكن رواه الحاكم أيضًا من طريق مسلم بن إبراهيم، عن جرير بن حازمٍ، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مثله، وانظر كتاب "الحُجج البينات في إثبات الكرامات".

٤- ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣٣١]: أخرج الثعلبيُّ من طريق أبي هارون العبدي، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَرَرْتُ بيوسفَ في الليلةِ التي عُرِجَ بي إلى السَّماءِ، فقلتُ لجبريل مَن هذا؟ قال: يوسف**». قالوا يارسول الله كيف رأيته؟ قال: «**كالقَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ**». أبو هارون ضعيفٌ.

وفي "صحيح مسلم" عن أنسٍ، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في حديث المعراج: «**ثُمَّ عُرِجَ بنا إلى السماء الثالثة فاسْتَفْتَحَ جبريلُ ففُتِحَ لنا فإذا أنا بيوسف وإذا هو قد أُعْطِي شَطْرَ الحُسْنِ**».

٥- ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ [يوسف: ٤٧] الآيات: روىٰ الطبريُّ مِن طريق عبدالرزَّاق، عن سفيان بن عُيَيْنَة، عن عمرو بن دينارٍ، عن عكرمة قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لقد عَجِبْتُ مِن يوسفَ وصَبْرِهِ**

وكَرَمِهِ، واللهُ يَغْفِرُ له حِينَ سُئِلَ عن البَقَراتِ العِجافِ والسِّمانِ، ولو كنتُ مكانَهُ ما أَخْبَرْتُهُمْ بشيءٍ حتَّى أَشْتَرِطَ أن يُخْرِجُونِيَ، ولقد عَجِبْتُ مِن يوسفَ وصَبْرِهِ وكَرَمِهِ واللهُ يَغْفِرُ له حِينَ أَتاهُ الرَّسُولُ، ولو كنتُ مَكانَهُ لبادَرْتُهُمُ البابَ، ولكنَّهُ أرادَ أن يكون له العُذْرُ». هذا حديثٌ مرسلٌ.

ووصله إسحاق بن راهويه من طريق إبراهيم بن يزيد الخوزيِّ، عن عمرو، عن عكرمة، عن ابن عبَّاسٍ بمعناه، وزاد: «**ولولا الكَلِمَةُ التي قالها ما لَبِثَ في السِّجْنِ حتَّى يَبْتَغِي الفَرَجَ مِن عند غير الله**». يعني قوله: ﴿ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢] وإبراهيم ضعيفٌ.

وروى الطبريُّ من طريق أبي الزِّناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**يَرْحَمُ اللهُ يوسفَ لو كنتُ أنا المَحْبوسُ ثُمَّ أُرْسِلَ إليَّ لخرجتُ سريعًا إن كان لحليما ذا أَناةٍ**». في إسناده راوٍ لم يُسَمَّ.

لكن رواه ابن مَرْدُويَه في "تفسيره" من طريق ابن إسحاق، عن عبدالله بن أبي بكرٍ، عن الزهريِّ، عن الأعرج، عن أبي هريرة به.

٦- ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾ [يوسف: ٥٢] الآية: روى ابن مَرْدُويَه في "تفسيره" عن ابن عبَّاسٍ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لمَّا قال يوسف: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾ قال له جبريل: يا يوسف اذكر همَّك، قال: وما أُبَرِّئُ نَفْسِي**».

٧- ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥]:

روى الثعلبيُّ من طريق إسحاق بن بشرٍ، عن جُويبرٍ، عن الضَّحَّاك، عن

ابن عبَّاسٍ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**رَحِمَ اللهُ أخي يوسفَ لو لم يَقُلْ اجْعَلْني على خَزائن الأرضِ لاسْتَعْمَلَهُ مِن ساعَتِهِ ولكنَّه أَخَّر ذلك سَنَةً**». إسناده ساقطٌ.

٨- ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ [يوسف: ٨٤]: روى الثعلبيُّ مِن طريق محمد بن سعيد الهادي، عن إسحاق بن الربيع، عن سفيان الثوريِّ، عن زيادٍ العصفريِّ، عن سعيد بن جُبيرٍ، عن ابن عبَّاسٍ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لم تُعْطَ أُمَّةٌ مِن الأُمَمِ ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ عند المُصيبةِ إلَّا أمَّة محمَّدٍ، ألَا تَرى إلى يعقوب -عليه السلام- حين أصابه ما أصابه لم يَسْتَرْجِعْ وإنَّما قال: ﴿ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾؟**».

ورواه الطبراني في "الدعاء" من طريقٍ آخر عن الثوريِّ عن زيادٍ.

ورواه الطبريُّ من طريق عبدالرزَّاق، عن الثوريِّ، عن زياد العصفريِّ، عن سعيد بن جُبيرٍ من كلامه. وكذلك رواه البيهقيُّ في "الشعب" من طريق أبي عامرٍ، عن الثوريِّ ثم قال: «ورفعه بعض الضعفاء وليس بشيءٍ».

٩- ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ﴾ [يوسف: ٩٢]: روى النَّسائيُّ والبيهقيُّ من طريق ثابت، عن عبدالرحمن بن رباحٍ، عن أبي هريرة: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أخذ بعضادتي باب الكعبة يوم الفتح فقال لقريش: «**ما تظنُّون أنِّي فاعلٌ بكم؟**» قالوا: نظنُّ خيرًا، أخٌ كريمٌ وابن أخٍ كريمٍ. فقال: «**أقول ما قال أخي يوسف: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾**». ورواه الثعلبيُّ من طريق سمعان، عن عطاءٍ، عن ابن عبَّاسٍ به. وله طُرُقٌ وألفاظٌ.

﴿سورة الرعد﴾

١- ﴿وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ﴾ [الرعد: ٤]: روىٰ الترمذيُّ والحاكم عن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في هذه الآية قال: «**الدَّقَلُ والفَارِسيُّ والحُلْوُ والحَامِضُ**». حسَّنه الترمذيُّ، وصحَّحه الحاكم.

٢- ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ [الرعد: ٦] الآية: روىٰ ابن أبي حاتمٍ والثعلبيُّ من طريق حمَّاد بن سلمة، عن عليِّ بن زيدٍ، عن سعيد بن المُسيِّب قال: لمَّا نزلت ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ الآية. قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لولا عَفْوُ الله وتَجاوُزُهُ ما هَنَأَ أَحَدٌ العَيْشَ، ولولا وعِيدُهُ وعِقابِهِ لاتَّكَلَ كلُّ أَحَدٍ**». حديثٌ مرسلٌ.

٣- ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الرعد: ١٣]: روىٰ الطبريُّ من طريق إسرائيل، عن ليث، عن رجلٍ، عن أبي هريرة -رضي الله عنه-: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان إذا سمع الرعد قال: «**سُبْحانَ مَن يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بحَمْدِهِ**». إسناده ضعيفٌ.

ورواه البخاريُّ في "الأدب المفرد" عن كعب بن مالكٍ من قوله رضي الله عنه.

وروىٰ أحمد والترمذيُّ والنَّسائيُّ من طريق بكر بن شهاب، عن سعيد بن جُبيرٍ، عن ابن عبَّاسٍ قال: أقبلت يهود إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقالوا: أخبرنا يا أبا القاسم عن الرَّعْدِ ما هو؟ قال: «**مَلَكٌ من الملائكة مُوَكَّلٌ بالسَّحابِ معه مَخاريقُ مِن نارٍ يَسُوقُ بها السَّحابَ**» قالوا: فما هذا الصوت؟ قال: «**زَجْرةٌ للسِّحاب إذا زَجَرَهُ**» قالوا: صَدَقْتَ.

وروى الطبرانيُّ في "الأوسط" من طريق أبي عمران الكوفيِّ، عن ابن جُريجٍ، عن عطاءٍ، عن جابرٍ، أنَّ خزيمة بن ثابتٍ -وليس بالأنصاري- سأل النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن الرَّعْدِ، فقال: «**هو مَلَكٌ بيده مِخْراقٌ، إذا رَفَعَ بَرَقَتْ وإذا زَجَرَ رَعَدَتْ وإذا ضَرَبَ صَعَقَتْ**». هذا الحديث والذي قبله ضعيفان.

٤- ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤]: روى الطبريُّ من طريق عبدالرزَّاق، عن سهل بن أبي صالحٍ، عن محمد بن إبراهيم التيميِّ قال: كان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يأتي قبور الشهداء على رأس كلِّ حولٍ فيقول: «**السَّلامُ عليكم بما صَبَرتُمْ فنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ**» مرسلٌ.

٥- ﴿طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ﴾ [الرعد: ٢٩]: روى أحمد، وابن حِبَّان في "صحيحه" عن أبي سعيدٍ الخدريِّ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**طُوبَى: شَجَرَةٌ في الجنَّةِ مَسِيرةُ مائة عامٍ**»(١).

٦- ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩]: روى الطبرانيُّ عن ابن عمر قال: سمعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**يَمْحُو اللهُ ما يشاءُ ويُثْبِتْ إلَّا الشَّقَاءَ والسَّعَادَةَ والحياةَ والموتَ**».

وروى ابن مَرْدُويَه عن ابن عبَّاسٍ: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم سُئل عن قوله تعالى: ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُ﴾، قال: «**ذلك كل ليلةِ القَدْرِ ويَرْفَعُ ويَجْبُرُ ويَرْزُقُ غير الحياةِ والموتِ والشَّقاءِ والسَّعادَةِ؛ فإنَّ ذلك لا يُبَدَّل**».

---

(١) ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها.

وروىٰ ابن مَرْدُويَه أيضًا عن عليٍّ عليه السلام: أنه سأل رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن هذه الآية فقال: «**لأُقِرَّنَّ عَيْنَكَ بتَفْسِيرها، ولأُقِرَّنَّ عَيْنَ أُمَّتي مِن بعدي بتفسيرها: الصَّدَقَةُ على وَجْهِها، وبِرُّ الوالدين، واصْطِناعُ المَعْروفِ تُحوِّل الشَّقاءَ إلى سعادةٍ وتَزيدُ في العُمرِ**».

هذه الأحاديث ضعيفةٌ، وبعضها أشد ضعفًا مِن بعضٍ.

﴿سورة إبراهيم﴾

١- ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]: روىٰ ابن مَرْدُويَه عن ابن مسعودٍ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن أُعْطِيَ الشُّكْرَ لم يُحْرَمِ الزِّيادَةَ؛ لأنَّ اللهَ يقول: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾**».

٢- ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ۝١٦ يَتَجَرَّعُهُۥ﴾ [إبراهيم: ١٦ - ١٧]: روىٰ أحمد والترمذيُّ والنَّسائيُّ عن أبي أُمامة، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في هذه الآية قال: «**يُقَرَّبُ إليه فيَتكَرَّهُهُ، فإذا أُدْنِيَ مِنْهُ شَوَى وَجْهَهُ ووَقَعَتْ فَرْوَةُ رَأْسِهِ، فإذا شَرِبَهُ قَطَّعَ أَمْعَاءَهُ، حتَّى يَخْرُجَ مِن دُبُرِهِ يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾** [محمد: ١٥] وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ﴾ [الكهف: ٢٩]. صحَّحه الحاكم.

٣- ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ [إبراهيم: ٢١]: روىٰ ابن أبي حاتمٍ والطبرانيُّ وابن مَرْدُويَه عن كعب بن مالكٍ رفعه إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم -فيما أحسب- قال في هذه الآية: «**يقولُ أهلُ النَّارِ: هَلَمُّوا**

فلْنَصْبِرْ فيَصْبِرون خمسمائة عامٍ، فلمَّا رأو ذلك لا ينفعهم قالوا: هلمَّ فلنَجْزَع فيَبْكُون خمسمائة عامٍ، فلمَّا رأو ذلك لا ينفعهم قالوا: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾.

٤- ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ [إبراهيم: ٢٤] الآية: روى الترمذيُّ والنَّسائيُّ وغيرهما عن أنسٍ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في قوله تعالى: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ قال: «هي النَّخْلَةُ» ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦] قال: «هي الحَنْظَلُ» صحَّحه ابن حِبَّان والحاكم.

وروى أحمد وابن مَرْدُويَه عن ابن عمر، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في قوله: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ قال: «هي التي لا يَنْقُصُ ورَقُها وهي النَّخْلَةُ». إسناده جيِّدٌ.

وروى البزَّار عن ابن عمر أيضًا قال: قرأ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم هذه الآية ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ فقال: «أتدرون ما هي؟» فلم يَخْفَ عليَّ أنَّها النَّخْلَةُ، فمنعني أن أتكلَّم مكان سِنِّي، فقال: «هي النَّخْلَةُ». ولحديث ابن عمر طرقٌ في الصحيحين بغير هذا السِّياق.

٥- ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]: روى أبو داود عن البراء بن عازبٍ -رضي الله عنهما- أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «المُسْلِمُ إذا سُئِلَ في قَبْرِهِ يَشْهَدُ

أن لا إله إلَّا الله وأنَّ محمَّدًا رسول الله، فذلك قوله: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾

روىٰ البزَّار بإسنادٍ رجاله ثقاتٌ عن عائشة -رضي الله عنه- قالت: قلت: يارسول الله تُبْتَلَىٰ هذه الأُمَّةُ في قبورها فكيف بي وأنا امرأةٌ ضعيفةٌ؟ قال: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

٦- ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ ﴾ [إبراهيم: ٤٨]: روىٰ مسلمٌ والترمذيُّ وابن ماجه عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: أنا أوَّل النَّاسِ سألَ رسولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن هذه الآية قلت: أين النَّاسُ يومئذٍ؟ قال: «**على الصِّراطِ**».

وروىٰ مسلمٌ عن ثوبان -رضي الله عنه- قال: جاء حَبْرٌ مِن اليهود إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: أين تكون الناسُ يوم تُبدَّلُ الأرضُ غير الأرضِ؟ قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**هُمْ في الظُّلْمَةِ دونَ الجِسْرِ**».

وروىٰ البزَّار، والطبرانيُّ في "الأوسط"، وابن مَرْدُويَه في "التفسير"، والبيهقيُّ في "البعث" عن ابن مسعودٍ -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في قوله تعالىٰ: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ ﴾ «**أرضٌ بيضاءُ كأنَّها فِضَّةٌ، لم يُسْفَكْ فيها دَمٌ حَرامٌ، ولم يُعْمَلْ فيها خَطِيئَةٌ**».

﴿سورة الحجر﴾

١- ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴾ [الحجر: ٢]: روى الطبرانيُّ في "الكبير"، وابن مَرْدُويَه في "التفسير"، وابن حِبَّان في "صحيحه"، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ -رضي الله عنه- أنه سُئل: هل سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول في هذه الآية: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴾ قال: نعم، سمعته يقول: «**يُخْرِجُ اللهُ أُناسًا مِن المؤمنين مِن النَّارِ بعدما يأخُذُ نِقْمَتَهُ منهم، قال: لَمَّا أَدْخَلَهُمُ الله النَّارَ مع المُشْرِكين، قال المُشْرِكُون: أليس كنتم تَزْعُمُون في الدُّنيا أَنَّكُمْ أولياءُ الله في الدُّنيا فما لكم معنا في النَّارِ، فإذا سَمِعَ الله ذلك منهم أَذِنَ في الشَّفاعَةِ، فيَتَشَفَّعُ لهم الملائكةُ والنَّبِيُّون حتَّى يَخْرُجُوا بإذن الله، فلمَّا أُخْرِجُوا، قالوا: يا ليتنا كنَّا مثلهم، فتُدْرِكُنا الشَّفاعَةُ، فنُخْرَجُ مِن النَّارِ، فذلك قول الله جَلَّ وعَلَا: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴾**.

لهذا الحديث طرقٌ من حديث عليٍّ وجابرٍ وأبي موسى.

٢- ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤]: روى ابن مَرْدُويَه في "تفسيره" عن أنسٍ -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ﴾: «**جزءٌ أشركوا، وجزءٌ شَكُّوا في الله، وجزءٌ غَفَلُوا عن الله تعالى**».

٣- ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ﴾ [الحجر: ٧٥]: روى الترمذيُّ في «التفسير» من "جامعه"، والعسكريُّ في "الأمثال"، من طريق عمرو بن قيس المُلائيِّ، عن

عطية العوفيِّ، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**اتَّقُوا فِراسَةَ المُؤمِنِ فإنَّه يَنْظُرُ بنُورِ الله**». ثُمَّ قرأ: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾.

٤- ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الحجر: ٨٠]: روى البخاريُّ ومسلمٌ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: مَرَرْنا مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على الحِجْرِ، فقال لنا رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الذين ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، إلَّا أن تكونوا باكِينَ حَذَرًا، أن يُصِيبَكُمْ مِثْلُ ما أَصابَهُمْ**» ثُمَّ زَجَرَ فأسرعَ حتَّى خلَّفَها.

٥- ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ [الحجر: ٨٧]: روى البخاريُّ والترمذيُّ عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أُمُّ القُرآنِ هي السَّبْعُ المَثاني والقُرآنُ العَظِيمُ**».

٦- ﴿ كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾ [الحجر: ٩٠ - ٩١]: أخرج الطبرانيُّ في "الأوسط" عن ابن عبَّاسٍ قال: سأل رجلٌ رسولَ اللهّ صلى اللهّ عليه وآله سلم قال: أرأيت قول الله تعالى: ﴿ كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴾ مَن المُقتسمين؟ قال: «**اليهودُ والنَّصارَى**». قال: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾ قال: ما عِضِين؟ قال: «**آمَنُوا ببَعْضٍ وكَفُروا ببَعْضٍ**».

٧- ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الحجر: ٩٢]: روى الترمذيُّ والطبريُّ وابن أبي حاتمٍ وابن مَرْدُويَه عن أنسٍ رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّى الله عليه

وآله وسلَّم في قوله: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر: ٩٢ - ٩٣] قال: «عن قول لا إله إلَّا الله».

﴿سورة النحل﴾

١ - ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١]: روىٰ الطبرانيُّ عن عقبة بن عامرٍ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**يَطْلُعُ عليكم قَبلَ السَّاعةِ سَحَابَةٌ سوداءُ مِن قِبَلِ المغربِ مثل التُّرْسِ، فلا تزال تَرْتَفِعُ في السَّماءِ، وتَنْتَشِرُ حتَّى تَمْلَأَ السَّماءَ، ثُمَّ يُنادي مُنادٍ: يا أيُّها النَّاسُ ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾**». قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: « **فوالذي نَفْسِي بيَدِهِ، إنَّ الرَّجُلَيْنِ ينْشُرَانِ الثَّوبَ فلا يَطْوِيانِهِ، وإنَّ الرَّجُلَ ليَمْدُرُ حَوْضَهُ فلا يَسْقِي مِنهُ شيئًا أبدًا، والرَّجُلُ يَحْلُبُ ناقته فلا يَشْرَبُهُ أبدًا**». إسناده جيِّدٌ.

٢ - ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩]: روىٰ الشيخان عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه: أنَّ رجلًا جاء النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: إنَّ أخي يَشْتَكِي بَطْنَهُ. قال: «**اسْقِهِ عَسَلًا**». فذهبَ ثُمَّ رَجَعَ فقال: قد سقيتُه فما نفع. قال: «**اسْقِهِ عَسلًا**». فذهب ثُمَّ رجعَ فقال: قد سقيتُه فما نفع. فقال له في المرة الثالثة: «**صَدَقَ اللهُ وكَذَبَ بَطْنُ أخيك**». فذهب فسقاهُ فبَرِئ.

وروىٰ ابن ماجه وابن خزيمة والحاكم من طريق زيد بن الحباب، عن سفيان الثوريِّ، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبدالله رضي الله عنه،

عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**عليكم بالشِّفاءَينِ: العَسَلِ والقُرآنِ**».

٣- ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨]: روىٰ ابن مَرْدُويَه في "تفسيره" عن البراء رضي الله عنه: أن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم سئل عن قول الله: ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾ قال: «**عَقَارِبُ أمثال النَّخْلِ الطِّوالِ تَنْهَشُهُمْ في جَهَنَّمَ**».

٤- ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]: قال ابن أبي شيبة: حدَّثنا إسماعيل بن عُلَيَّةَ، عن يونس، عن الحسن: أنَّ عيونًا لمُسَيْلَمة أخذوا رجلين من المسلمين فأتوه بهما، فقال لأحدهما: أتشهد أنَّ محمَّدًا رسول الله؟ قال: نعم. قال: أتشهد أنِّي رسول الله؟ فأهوىٰ إلىٰ أذنيه وقال: إني أَصَمُّ فأعاد عليه فقال مثله فأمر بقتله. وقال للآخر: أتشهد أن محمَّدًا رسول الله؟ قال: نعم. قال أتشهد أنِّي رسول الله؟ قال: نعم. فأرسله، فأتىٰ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**أمَّا صاحِبُك فمَضَى على إيمانِهِ، وأمَّا أنتَ فأَخَذْتَ بالرُّخْصَةِ**».

هذا حديثٌ مرسلٌ.

وذكر الواقديُّ في "المغازي" أنَّ الذي قتله مسيلمةُ اسمه حبيب بن زيدٍ، عمُّ عباد بن تميم، واسم الآخر عبدالله بن وهبٍ الأسلميُّ.

﴿سورة الإسراء﴾

١ - ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١] الآية. روىٰ الشيخان عن مالك بن صَعْصَعَةٍ.

٢ - ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢]: روىٰ البيهقيُّ في "الدلائل" عن سعيد المقبريِّ: أنَّ عبدالله بن سَلَامٍ سأل النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن السواد الذي في القمر فقال: «**كانا شَمْسَين فقال الله: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾ والسَّوَادُ الذي رأيت هو المَحْوُ**» إسناده ضعيفٌ جدًّا، مع انقطاعه.

٣ - ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]: «**الكَرامَةُ الأكلُ بالأصابع**». إسناده ضعيفٌ.

٤ - ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١]: روىٰ ابن مَرْدُويَه في "تفسيره" عن عليٍّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في هذه الآية «**يُدْعَى كلُّ قوم بإمام زمانهم، وكتاب رَبِّهم، وسُنَّة نَبِيِّهم**».

روىٰ الترمذيُّ وابن حِبَّان في "صحيحه" واللفظ له، والبيهقيُّ في "البعث"، عن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في قوله: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١] قال: «**يُدْعَى أَحَدُهُمْ، فيُعْطَى كِتَابَهُ بيَمِينِهِ ويُمَدُّ له في جِسْمِهِ سِتُّونَ ذِراعًا ويُبَيَّضُ وَجْهُهُ، ويُجعلُ على رأسِهِ تاجٌ مِن لُؤْلُؤٍ يَتَلألأُ**»، قال: «**فيَنطَلِقُ إلى أصحابه، فيَرَونَهُ مِن بعيدٍ، فيقولون: اللهمَّ**

باركْ لنا في هذا حتَّى يأتيهم، فيقول: أبشِرُوا، فإنَّ لكلِّ رَجُلٍ منكم مِثلَ هذا، وأمَّا الكافِرُ، فيُعْطَى كِتَابَهُ بشِمالِهِ مُسْوَدًّا وَجْهُهُ، ويُزادُ في جِسْمِهِ سِتُّونَ ذِراعًا على صُورَةِ آدَمَ، ويَلْبَسُ تاجًا مِن نارٍ، فيَراه أصحابُهُ، فيقولون: اللهمَّ أَخْزِهِ، فيقول: أبعَدَكُمُ اللهُ، فإنَّ لكلِّ واحِدٍ منكم مِثلَ هذا».

٥- ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ ﴾ [الإسراء: ٧٨]: روىٰ ابن مَرْدُويَه عن عمر رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ ﴾ قال: «لزوال الشَّمْسِ».

وروىٰ البزَّار، وابن مَرْدُويَه، عن ابن عمر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «دُلُوكُ الشَّمْسِ: زَوالُها». إسناده ضعيفٌ.

٦- ﴿ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٨]: روىٰ الترمذيُّ والنَّسائيُّ عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في قوله: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ قال: «تَشْهَدُهُ ملائكةُ اللَّيلِ وملائكةُ النَّهارِ». صحَّحه الترمذيُّ.

٧- ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]: روىٰ أحمد وابن أبي شيبة والترمذيُّ من طريق داود بن يزيد الأوديِّ، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في قوله تعالىٰ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ وسُئل عنه فقال: «هي الشَّفاعَةُ».

وله طرقٌ عن أنسٍ عند البخاريِّ، وعن ابن عمر عنده أيضًا، وعن ابن

مسعودٍ عند أحمد والنَّسائيِّ والحاكم مُطوَّلًا ومُختصرًا، وعن كعب بن مالكٍ عند الحاكم، وعن جابرٍ عند أحمد والحاكم، وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ عند الترمذيِّ وابن ماجه، وعن سعد بن أبي وقاصٍ عند ابن مَرْدُويَه، وعن عمرو بن شعيبٍ، عن أبيه، عن جدِّه عند ابن مَرْدُويَه أيضًا، وعن سلمان عند الطبرانيِّ.

٨- ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ ﴾[الإسراء: ٨٢]: تقدَّم في سورة النحل حديث: «**عليكم بالشِّفاءين: العَسَلِ والقُرآنِ**». الغساني.

وروى الثعلبيُّ من طريق أحمد بن الحارث: حدَّثتنا ساكنة بنت الجعد قالت: سمعت رجاء الغنويَّ يقول: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن لم يَسْتَشْفِ بالقُرآنِ فلا شِفاءَ له**». حديثٌ مرسلٌ.

٩- ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ﴾ [الإسراء: ٩٧]: روى أحمد وإسحاق بن راهويه والترمذيُّ والبزَّار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سُئل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: كيف يُحشرون على وجوههم؟ قال: «**إنَّ الذي أَمْشَاهُمْ على أَقْدامِهِمْ فهو قادِرٌ على أن يُمْشِيَهُمْ على وجُوهِهِمْ**».

ولفظه عند الترمذيِّ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يومَ القِيامَةِ على ثلاثة أصنافٍ: صِنْفٌ مُشاةٌ، وصِنْفٌ رُكبانٌ، وصِنْفٌ على وجُوهِهِمْ**». قيل: يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم؟ قال: «**إنَّ الذي أَمْشَاهُمْ على أَقْدامِهِمْ قادِرٌ أن يُمْشِيَهُمْ على وجُوهِهِمْ، أما إنهم يَتَّقون بوجوههم كلَّ حَدَبٍ وشَوْكٍ**». قال الترمذيُّ: «حديثٌ حسنٌ».

ورواه ابن مَرْدُويَه من حديث أنسٍ بإسنادٍ ضعيفٍ.

وروىٰ الشيخان عن أنسٍ رضي الله عنه: أنَّ رجلًا قال: يارسول الله كيف يُحشر الكافر علىٰ وجهه؟ قال: «**أليس الذي أَمْشَاهُ على رِجْلَيْهِ في الدُّنيا قادرًا على أن يُمْشِيَهُ على وَجْهِهِ يومَ القِيامَةِ**».

﴿سورة الكهف﴾

١- ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩]: أخرج أحمد والترمذيُّ عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه، عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لِسُرادِقِ النَّارِ أربعةُ جُدُرٍ، كَثافَةُ كلِّ جِدارٍ مثل مَسافَةِ أربعين سنةً**». صحَّحه الحاكم.

٢- ﴿يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾ [الكهف: ٢٩]: روىٰ أحمد والترمذيُّ من طريق رِشْدِين بن سعدٍ، عن عمرو بن الحارث، عن درَّاجٍ، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في قوله: ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ قال: «**كعَكَرِ الزَّيْتِ، فإذا قَرَّبَهُ إلى وَجْهِهِ سَقَطَتْ فَرْوَةُ وجْهِهِ فيه**».

فيه رِشْدين: ضعيفٌ. لكن رواه أحمد وأبو يعلىٰ من طريق ابن لَهيعة، عن درَّاجٍ.

ورواه ابن حِبَّان في "صحيحه"، والحاكم، من طريق ابن وهبٍ، عن عمرو بن الحارث، عن درَّاج. وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

٣- ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ [الكهف: ٤٦]: روىٰ أحمد عن

أبي سعيدٍ الخدريِّ، عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**الباقِياتُ الصَّالِحاتُ: التَّكْبيرُ والتَّهْلِيلُ والتَّسْبِيحُ والحَمْدُ ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا بالله**».

ورُوي أيضًا عن النُّعمان بن بشيرٍ، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**سُبْحَانَ الله، والحَمْدُ لله، ولا إله إلَّا الله، والله أكبر، هُنَّ الباقياتُ الصَّالِحاتُ**».

وروىٰ الطبرانيُّ من حديث سعد بن جنادة مثله.

وروىٰ ابن جريرٍ من حديث أبي هريرة مثله أيضًا.

٤- ﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا ﴾ [الكهف: ٥٣]: أخرج أحمد عن أبي سعيد الخدريِّ، عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ الكافِرَ ليرى جَهَنَّمَ ويَظُنُّ أنَّها مُواقِعَتُهُ مِن مَسيرة أربعين سَنَةً**».

٥- ﴿ فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا ﴾ [الكهف: ٧٧]: روىٰ النَّسائيُّ، من طريق اسرائيل بن أبي إسحاق، عن سعيد بن جُبيرٍ، عن ابن عبَّاسٍ، عن أُبيِّ بن كعبٍ، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في قوله: ﴿فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾ قال: «**كانوا أهْلَ قَرْيَةٍ لِئامًا**». إسناده صحيحٌ.

٦- ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا ﴾ [الكهف: ٨٢]: روىٰ البزَّار من طريق ابن حُجيرة، عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**الكَنْزُ لَوْحٌ مِن ذَهَبٍ مُصْمَتٍ، عَجِبْتُ لِمَن أَيْقَنَ بالقَدَرِ ثُمَّ نَصَبَ، وعَجِبْتُ لِمَنْ ذَكَرَ النَّارَ ثُمَّ ضَحِكَ، وعَجِبْتُ لِمَنْ ذَكَرَ المَوْتَ ثُمَّ غَفَلَ. لا إلهَ إلَّا الله محمَّدٌ رسولُ الله**».

قال البزَّار: «لا نعلمه عن أبي ذرٍّ إلَّا بهذا الإسناد». قلت: وهو ضعيفٌ.

ورواه ابن دريد من حديث عليٍّ عليه السلام بإسنادٍ ضعيفٍ.

ورواه ابن شاهين في «الجنائز» من "الترغيب"، والواحدي في "تفسيره" من طريق محمد بن مروان السُّدِّي الصغير، عن أبان، عن أنسٍ مرفوعًا أيضًا وسنده واهٍ.

٧- ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [الكهف: ٨٦]: روىٰ أحمد، وابن أبي شيبة وأبو داود وأبو يعلىٰ من طريق سفيان بن حسين، عن الحكم بن عتبة، عن إبراهيم التيميِّ، عن أبيه، عن أبي ذرٍّ قال: كنت مع رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وهو علىٰ حمارة والشمس عند غروبها فقال: «**هل تَدْرِي أين تَغْرُبُ هذه؟**» قلتُ: الله ورسوله أعلم. قال: «**فإنَّها تَغْرُبُ في عَيْنٍ حامِية**».

هذا حديثٌ شاذٌّ؛ يُخالف ما رواه البخاريُّ ومسلمٌ عن أبي ذرٍّ قال: كنتُ مع رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم والشمس عند الغروب فقال: «**يا أبا ذَرٍّ أَتَدْرِي أين تَغْرُبُ الشَّمْسُ؟**»، قلت: الله ورسوله أعلم. قال: **فإنَّها تَذْهَبُ حتَّى تَسْجُدَ تحت العَرْشِ، فتَستأذِنَ فيُؤذَنُ لها ويُوشِكُ أن تَسْجُدَ، فلا يُقْبَلَ منها، وتستأذنَ فلا يُؤْذَنَ لها يُقالُ لها: ارْجِعِي مِن حيث جِئْتِ، فتَطْلُعُ مِن مَغْرِبِهَا...**».

٨- ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الكهف: ٩٤] روىٰ ابن حِبَّان في "صحيحه" عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه، عن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ أقلُّ ما يَتْرُكُ أحَدُهُمْ لصُلْبِهِ ألفًا مِن الذُّرِّيَّةِ..**».

وروىٰ النَّسائيُّ عن عمرو بن أويس، عن أبيه، عن جدِّه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ يُجامِعون ما شاءوا، ولا يَموتُ**

رَجُلٌ منهم إلَّا تَرَكَ مِن ذُرِّيَّتِهِ ألفًا فصاعِدًا».

وروىٰ الحاكم في "المستدرك" عن عبدالله بن عمرو ورفعه: «إنَّ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ مِن وَلِدِ آدمَ، ولن يموتَ رَجُلٌ منهم إلَّا تَرَكَ مِن ذُرِّيَّتِهِ ألفًا فصاعِدًا».

٩- ﴿ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾ [الكهف: ٩٥ - ٩٦]: روىٰ الطبريُّ من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة قال: ذُكر لنا أنَّ رجلًا قال: يا رسول الله قد رأيتُ سَدَّ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ قال: «انْعَتْهُ لي» قال: كالبُرْدِ المُحَبَّرِ طريقةٌ سوداءُ وطريقةٌ حمراءُ، قال: «قد رَأَيْتُهُ».

وروىٰ ابن أبي عمر العدنيُّ في "مسنده" عن سفيان بن عُيَيْنَة، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن رجلٍ من أهل المدينة أنه قال للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم رأيت الردم... فذكر مثله.

ورواه الطبرانيُّ في "مسند الشاميين" وعنه ابن مَرْدُويَه في "تفسيره" من طريق سعيد بن بشير، عن قتادة، عن رجلٍ، عن أبي بكرة الثقفيِّ: أنَّ رجلًا أتىٰ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم... فذكر مثله إلَّا أنه قال: طريقةٌ حمراءُ مِن نحاسٍ وطريقةٌ سوداءُ مِن حديدةٍ.

١٠- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾ [الكهف: ١٠٧]: روىٰ الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «إذا سَأَلْتُم اللهَ فاسْأَلوه الفِرْدَوْسَ فإنَّه أعلى الجنَّةِ وأَوْسَطُ الجنَّةِ، وفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحمن، ومِنه تَفَجَّرُ أنهارُ الجنَّةِ».

﴿سورة مريم﴾

١ - ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٤]: الطبرانيُّ في "الصغير"، وابن عديٍّ، من طريق أبي سِنانٍ سعيد بن سنانٍ، عن أبي إسحاق، عن البراء رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في قوله تعالى: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ قال: «**السَّرِيُّ: النَّهْرُ**». قال الطبرانيُّ لم يرفعه عن أبي إسحاق إلَّا أبو سنانٍ، رواه عنه معاوية بن يحي وهو ضعيفٌ.

وروى الطبرانيُّ، وأبو نعيمٍ في "الحلية" من طريق أيوب بن نهيك عن عكرمة عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ السَّرِيَّ الذي قال الله تعالى لمريم نَهْرٌ أَخْرَجَهُ اللهُ لتَشْرَبَ مِنه**». وأيوب بن نهيك ضعَّفه أبو حاتمٍ وأبو زرعة.

٢ - ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ [مريم: ٢٨]: روى مسلمٌ والنَّسائيُّ والترمذيُّ عن المغيرة بن شعبة قال: بعثني النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى نجران فقالوا: أرأيتم شيئًا تقرؤنه ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ وبين موسى وعيسى كذا وكذا؟ فلم أدر ما أُجيبهم! فرجعت فذكرتُ ذلك لرسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**هلَّا أَخْبَرتَهم أنَّهم كانوا يُسَمُّون بأسماء أنبيائهم والصالحين مِن قبلهم**».

٣ - ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ [مريم: ٣٩]: روى أحمد والشيخان والنَّسائيُّ عن أبي سعيدٍ الخدريِّ -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يُؤتَى بالمَوْتِ كهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فيُنادِي مُنادٍ: يا أهلَ الجنَّةِ، فيَشْرَئِبُّونَ**

ويَنْظُرُونَ، فيقول: هل تَعرِفُونَ هذا؟ فيقولون: نَعَمْ، هذا المَوْتُ، وكلُّهم قد رَآهُ، ثُمَّ يُنادي: يا أهلَ النَّارِ، فيَشْرَئِبُّونَ ويَنْظُرُونَ، فيقول: وهل تَعْرِفُونَ هذا؟ فيقولون: نَعَمْ، هذا المَوْتُ، وكلُّهم قد رَآهُ، فيُذْبَحُ، ثُمَّ يقول: يا أهلَ الجنَّةِ خُلُودٌ فلا مَوْتَ، ويا أهلَ النَّارِ خُلُودٌ فلا مَوْتَ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. وأشار بيده إلى الدنيا. يعني أن أهلها في غفلة.

٤ - ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧]: روى مسلمٌ عن أنسٍ رضي الله عنه عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «أُتِيتُ بالبُرَاقِ، وهو دَابَّةٌ أبيضُ طَوِيلٌ فوقَ الحِمارِ، ودُونَ البَغْلِ، يَضَعُ حافِرَهُ عند مُنْتَهَى طَرْفِهِ» قال: رَكِبْتُهُ حتَّى أتيتُ بَيْتَ المَقْدِسِ...» وذكر عروجه إلى السماوات حتى قال: «ثُمَّ عُرِجَ بنا إلى السَّماءِ الرَّابعةِ، فاسْتَفْتَحَ جبريلُ عليه السَّلام، قِيلَ: مَن هذا؟ قال: جبريلُ، قِيلَ: ومَن معك؟ قال: محمَّدٌ، قال: وقد بُعِثَ إليه؟ قال: قد بُعِثَ إليه، ففُتِحَ لنا فإذا أنا بإدريسَ، فرَحَّبَ ودعا لي بخَيْرٍ، قال اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾... الحديث.

وروى الترمذيُّ عن قتادة في قوله: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ قال: حدَّثنا أنس بن مالكٍ: أنَّ نبيَّ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «لَمَّا عُرِجَ بي رأيتُ إدريسَ في السَّماءِ الرَّابعة». قال: «هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ». قال: «وهو عندي مُختصَرٌ من حديث أنس عن مالك بن صَعْصَعة في المِعراج»

٥ - ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩]: روى الطبرانيُّ والبيهقيُّ عن أبي أُمامة، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «غيٌّ وآثام بِئران في أسفل جَهَنَّمَ يَسيلُ فيهما صَديدُ أَهْلِ النَّارِ». وقال الحافظ ابن كثيرٍ: «حديثٌ منكرٌ».

وعن أبي أُمامة قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: « **لو أنَّ صَخْرَةً وزَنَتْ عَشْرَ خَلِفَاتٍ، قُذِفَ بها مِن شَفِيرِ جَهَنَّمَ ما بَلَغَتْ قَعْرَها سبعين خَرِيفًا حتَّى تَنْتَهِيَ إلى غَيٍّ وأَثَامٍ**». قِيلَ: وما غَيٌّ وأَثَامٌ؟ قِيلَ: «**بِئْرانِ في جَهَنَّمَ، يَسِيلُ فيهما صَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ، وهما اللذان ذَكَرَهُمَا اللهُ في كِتابِهِ: ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾** [مريم: ٥٩]، وقوله: ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨] وروي موقوفًا علىٰ أبي أُمامة وهو أصح.

٦- ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمًا مَّقۡضِيًّا﴾ [مريم: ٧١]: روىٰ ابن أبي شيبة وأحمد وعبد بن حميد، قالوا: حدَّثنا سليمان بن حربٍ: حدَّثنا أبو صالح غالب بن سليمان، عن كثير بن زيادٍ، عن أبي سُمَيَّة قال: اختلفنا في الوُرُودِ؛ فقال بعضنا لا يدخلها مؤمنٌ، وقال بعضنا يدخلونها جميعًا ثُمَّ يُنَجِّي اللهُ الذين اتَّقَوا. فلقيت جابر بن عبدالله فقلت له: إنَّا اختلفنا هاهنا في الوُرُودِ، فقال تَرِدُونها جميعًا. فقلتُ له إنَّا اختلفنا في ذلك فقال بعضنا لا يدخلها مؤمنٌ وقال بعضنا يدخلونها جميعًا. فأهوىٰ بأصبعيه إلىٰ أذنيه وقال: صَمَّتًا! إن لم أكن سمعتُ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول: «**الوُرُودُ الدُّخولُ، لا يَبْقَى بَرٌّ ولا فاجِرٌ إلَّا دَخَلَها فتكون على المؤمنين بَرْدًا وسَلامًا كما كانت على إبراهيم حتَّى إنَّ للنَّار -أو قال لجهنَّم- ضَجِيجًا مَن بَرْدِهِمْ، ثُمَّ يُنَجِّي اللهُ الذين اتَّقَوا ويَذُرُ الظالمين**».

ورواه أبو يعلىٰ، والنَّسائيُّ في "الكنىٰ"، والحكيم الترمذيُّ في «الأصل السادس عشر» من "نوادر الأصول"، والبيهقيُّ في «باب النار» من كتاب

"البعث" كلهم من طريق سليمان بن حربٍ، عن أبي صالحٍ، عن كثيرٍ، عن أبي سُمَيَّة. ورجاله ثقاتٌ ولذلك حسَّنه البيهقيُّ.

ورواه الحاكم في "المستدرك" من طريق سليمان، عن أبي صالحٍ، عن كثيرٍ عن مُنَيَّة، عن عبدالرحمن بن شيبة، عن جابرٍ به.

وروى الحاكم من طريق المُسيب بن واضحٍ قال: سألتُ مُرَّةَ الهمدانيَّ عن قوله تعالى ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١]، فحدَّثني أن ابن مسعودٍ حدَّثهم: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**يَرِدُ النَّاسُ النَّارَ، ثُمَّ يَصْدُرُونَ بأعْمالِهِمْ فأَوَّلُهُمْ كلَمْعِ البَرْقِ، ثُمَّ كمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كحُضْرِ الفَرَسِ، ثُمَّ كالرَّاكِبِ، ثُمَّ كشَدِّ الرِّحَالِ، ثُمَّ كمَشْيِهِمْ**». قال الحاكم: «إسناده على شرط مسلمٍ».

قلت: لكن المسيب ليس من رجال مسلمٍ، بل ضعَّفه الدارقطنيُّ وقال: أبو حاتمٍ صدوقٌ: «يُخطئ كثيرًا وإذا قيل له يقبل». ووثَّقه النَّسائيُّ وابن حِبَّان وصحَّح له عِدَّة أحاديث، فهذا الحديث صحيحٌ على شرط ابن حِبَّان.

وروى مسلمٌ وابن ماجه عن أمِّ مُبَشِّرٍ الأنصارية -رضي الله عنها- أنها سمعت رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول عند حفصة: «**لا يَدْخُلُ النَّارَ إن شاء اللهُ مِن أَهْلِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الذين بايعوا تَحْتَها**». فقالت: بلى يا رسول الله. فانتهرها فقالت حفصة: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «**قد قال الله عزَّ وجلَّ**: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم: ٧٢].

وروى الترمذيُّ من طريق إسرائيل عن السُّدِّيِّ قال: سألتُ مُرَّة الهَمْدانيَّ عن قول الله ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾. فحدَّثني أنَّ عبد الله بن مسعود حدَّثهم قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يَرِدُ النَّاسُ النَّارَ ثُمَّ يَصْدُرُونَ مِنها بأَعْمَالِهِمْ، فأَوَّلُهُمْ كلَمْحِ البَرْقِ، ثُمَّ كالرِّيحِ، ثُمَّ كحُضْرِ الفَرَسِ، ثُمَّ كالرَّاكِبِ في رَحْلِهِ، ثُمَّ كشَدِّ الرَّجُلِ، ثُمَّ كمَشْيِهِ**» قال الترمذيُّ: «هذا حديثٌ حسنٌ».

ورواه شعبة عن السُّدِّيِّ ولم يرفعه، ثُمَّ أخرج من طريق يحي بن سعيدٍ: نا شعبة، عن السُّدِّي، عن مُرَّة، عن عبدالله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ قال: يردونها ثُمَّ يَصْدُرونَ عنها بأعمالهم.

ومن طريق عبدالرحمن بن مهدي، عن شعبة، عن السُّدِّي بمثله. قال عبدالرحمن: قلت لشعبة: إنَّ إسرائيل حدَّثني عن السُّدِّيِّ، عن مُرَّة، عن عبدالله، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم. قال شعبة: وقد سمعت من السُّدِّي مرفوعًا ولكنِّي أدعه عمدًا.

قلت: كأن شعبة يُرجِّح وقفه.

٧- ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥]: قال أبو بكر بن أبي داود في كتاب "البعث": حدَّثنا عبَّاد بن يعقوب: ثنا محمد بن فضيلٍ، عن عبدالرحمن بن إسحاق، عن النُّعمان بن سعدٍ، عن عليٍّ عليه السَّلام، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في قوله: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ قال: «**أمَا والله ما يُحْشَرُ الوَفْدُ على أَرْجُلِهِمْ، ولا يُسَاقُونَ سَوْقًا، ولكنَّهم يُؤْتَوْنَ بنُوقٍ لم يَرَ الخَلَائِقُ مِثلها، عليها رِحَالُ الذَّهَبِ، وأَزِمَّتُها الزَّبَرْجَدُ، فيَركبون عليها**

حتَّى يَضْرِبوا أبوابَ الجنَّةِ».

ورواه ابن أبي شيبة، وعبدالله بن أحمد في "زوائد المسند"، والطبريُّ، وابن أبي حاتمٍ من طريق عبدالرحمن بن إسحاق، عن النُّعمان بن سعدٍ، عن عليٍّ عليه السلام به. وعبدالرحمن ضعيفٌ، ورواه ابن عديٍّ في "الكامل" عن ابن عبَّاسٍ -رضي الله عنهما- مرفوعًا، وإسناده ضعيفٌ أيضًا.

٨- ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٨٧]: قال الثعلبيُّ في "تفسيره" روىٰ أبو وائل، عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال لأصحابه ذات يومٍ: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكم أن يتَّخِذَ كلَّ صباحٍ ومساءٍ عند الله عَهْدًا؟» قالوا وكيف ذلك؟ قال: «يقول كل صباحٍ ومساءٍ: اللهمَّ فاطِرَ السَّمواتِ والأرضِ عالمَ الغَيْبِ والشَّهادَةِ إنِّي أَعْهَدُ إليك بأنِّي أشهد أن لا إله إلَّا أنت وحدك لا شريك لك، وأنَّ محمَّدًا عَبْدُك ورَسُولك وأنَّك إن تَكِلْني إلى نَفْسِي تُقَرِّبْني مِن الشرِّ وتُباعِدْني من الخيرِ، وإنِّي لا أثِقُ إلَّا برَحْمَتك، فاجعل لي عندك عَهْدًا تُوفِّينيهِ يومَ القِيامَةِ إنَّك لا تُخْلِفُ الميعادَ. فإذا قال ذلك طُبِعَ عليه بطابعٍ ووُضِعَ تحتَ العَرْشِ، فإذا كان يومَ القيامَةِ نادى مُنادٍ: أين الذين لهم عندالرحمن عَهْدٌ فيَدْخُلون الجنَّة».

وروىٰ ابن مَرْدُويَه في تفسير (سورة الأحزاب) من طريق عون بن عبدالله عن رجل مِن بني سليم، عن ابن مسعودٍ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «العَهْدُ أن تقول: اللهمَّ فاطِرَ السَّماواتِ والأرضِ عالِمَ الغَيْبِ والشَّهادَةِ إنِّي أَعْهَدُ إليك بأنِّي أشهد أنه لا إله إلَّا أنت، وحَدْكَ لا شَريكَ لك،

وأنَّ محمَّدًا عَبْدُك ورَسولُك».

٩- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦] روىٰ مسلمٌ والترمذيُّ عن أبي هريرة: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «إذا أحبَّ اللهُ عَبْدًا نادَى جبريلَ: أنِّي قد أَحْبَبْتُ فُلانًا فأحِبَّه، فيُنادِي في السَّماءِ، ثُمَّ تَنْزِلُ له المَحَبَّةُ في الأرضِ فذلك قوله: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾».

﴿سورة طه﴾

١- ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾ [طه: ١٤]: روىٰ الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «مَن نَسِيَ صَلاةً فليُصَلِّها إذا ذَكَرَها فإنَّ الله تعالى قال: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾».

وفي روايةٍ للبخاريِّ عن أنسٍ -رضي الله عنه- مرفوعًا: «مَن نَسِيَ صَلاةً أو نامَ عنها فكفَّارَتُها أن يُصَلِّيَها إذا ذَكَرَها ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾».

٢- ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩]: روىٰ ابن أبي حاتمٍ والترمذيُّ عن جُنْدُب بن عبدالله البَجَليِّ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «إذا وَجَدْتُم السّاحِرَ فاقْتلُوه» ثُمَّ قرأ: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ قال: «لا يؤمَّن حيثُ وُجِدَ». حديثٌ ضعيفٌ.

٣- ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤]: روىٰ البزَّار عن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في قوله: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ قال: «عَذَابُ

القَبْرِ» وإسناده جيِّدٌ.

وروىٰ أبو يعلىٰ، وابن حِبَّان في "صحيحه" واللفظ له، من طريق دراج، عن ابن حُجَيْرَةَ، عن أبي هريرة، عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «إنَّ المُؤمِنَ في قَبْرِهِ لفي رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ، ويُرْحَبُ له قَبْرُهُ سبعون ذِراعًا، ويُنَوَّرُ له كالقَمَرِ ليلةَ البدرِ أتدرون فيَا أُنزِلَتْ هذه الآية: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤] تَدْرُونَ ما المَعِيشَةُ الضَّنْكَةُ؟».

قالوا: الله ورسوله أعلمُ قال: «عَذَابُ الكافِرِ في قَبْرِهِ، والذي نَفْسِي بيدِهِ، إنَّه يُسَلَّطَ عليه تِسْعَةٌ وتسعون تِنِّينًا، أتدرون ما التِّنِّينُ؟ سبعون حَيَّةً، لكلِّ حَيَّةٍ سبع رُءُوسٍ يلْسَعُونه، ويَخْدِشُونه إلى يومِ القِيامَةِ».

﴿سورة الأنبياء﴾

١ - ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠]: روىٰ الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلت: يارسول الله أنبئني عن كلِّ شيءٍ قال: «كُلُّ شيءٍ خُلِقَ مِن الماءِ».

٢ - ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]: روىٰ أحمد والترمذيُّ عن عائشة رضي الله عنه: أنَّ رجلًا مِن أصحاب رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم جلس بين يديه فقال: يا رسول الله إنَّ لي مَملوكِين يُكَذِّبونني ويَخونونني ويَعْصونني، وأضربهم وأشتمهم، فكيف أنا منهم؟ فقال له رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «يُحْسَبُ ما خَانُوكَ وعَصَوْكَ ويُكَذِّبُونَكَ وعِقابُكَ إيَّاهُمْ. فإن

كان عِقَابُكَ إيَّاهم دُونَ ذُنُوبِهِمْ كان فَضْلًا لك عليهم، وإن كان عِقَابُكَ إيَّاهُمْ بقَدْرِ ذُنُوبِهِم كان كَفَافًا، لا لك ولا عليك، وإن كان عِقابُكَ إيَّاهم فوقَ ذُنُوبِهِمْ، اقْتُصَّ لهم مِنك الفَضْلُ الذي بَقِيَ قِبَلَكَ ». فجعل الرجل يبكي بين يدي رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ويهتف. فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «مالَكَ؟ ما تقرأ كتاب الله؟ ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]. رجال إسناده ثقاتٌ.

٣- ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١]: روى الخطيب أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد المقدسيُّ المعروف بابن الواسطيِّ في كتاب "فضل بيت المقدس" عن طريق غالب بن عبدالله، عن أبي الزِّناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة مرفوعًا: «الأنهارُ كلُّها والسَّحابُ والبِحارُ والرِّياحُ مِن تحت صَخْرَة بيتِ المَقْدِسِ». غالبٌ متروك، والحديث ضعيفٌ جدًّا.

٤- ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨]: روى الترمذيُّ والحاكم من طريق إبراهيم بن محمد بن سعدٍ، عن أبيه، عن جدِّه سعد بن أبي وقَّاصٍ رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «دَعْوةُ ذي النُّونِ إذ دعا وهو في بَطْنِ الحُوتِ ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] فإنَّه لم يَدْعُ بها رَجُلٌ مُسْلِمٌ في شيءٍ قَطُّ إلَّا اسْتُجِيبَ له».

ورواه الحاكم من طريق كثير بن زيدٍ، عن المطلب بن حنطبٍ، عن

مصعب بن سعدٍ، عن أبيه، ومن طريق معتمر بن سليمان، عن مَعْمَرٍ، عن الزهريِّ، عن أبي أُمامة بن سهل بن حنيفٍ، عن سعدٍ أيضًا.

٥- ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٨]: أخرج ابن مَرْدُويَه والواحديُّ مِن طريق أبي رزين، عن أبي يحيي، عن ابن عبَّاسٍ قال: لما نزلت ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ الآية، شقَّ ذلك علىٰ قريشٍ وقالوا: يَشْتُمُ آلهتنا. فجاء ابن الزِّبَعْرَىٰ وقال: يا محمد هذا شَتْمٌ لآلهتنا خاصَّةً أم لكلِّ من عُبِد دون الله؟ قال: «**لكلِّ مَن عُبِدَ دون الله**». قال: خصمتك وربِّ الكعبة، أليس اليهود عبدوا عُزَيْرًا، والنصارىٰ عبدوا المسيح، وبنو مَليحٍ عبدو الملائكة؟ قال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ كلَّ مَن أحبَّ أن يُعْبَدَ مِن دون الله فهو مَعَ مَن عَبَدَهُ، إنَّهم إنَّما يَعْبُدون الشَّياطين**».

﴿سورة الحج﴾

روىٰ أبو داود في "المراسيل"، والبيهقيُّ، عن خالد بن معدان: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**فُضِّلَتْ (سورة الحَجِّ) على القُرآنِ بسَجْدَتين**».

وروىٰ أحمد وأبو داود والترمذيُّ والحاكم والبيهقيُّ في "السنن" عن عقبة بن عامرٍ قال: قلت: يا رسول الله، أَفُضِّلت (سورة الحَجِّ) علىٰ سائر القرآن بسجدتين؟ قال: «**نَعَمْ، فمَن لم يَسْجُدْهُما فلا يَقْرَأْهُما**».

١- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ [الحج: ١]: روىٰ أحمد والشيخان وابن جريرٍ والبيهقيُّ في "الأسماء والصفات" عن

أبي سعيدٍ الخدريِّ قال: قال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «يقولُ اللهُ يومَ القِيامَةِ: يا آدمُ، ابْعَثْ بَعْثَ النَّارِ فيقولُ: يارَبِّ وما بَعْثُ النَّارِ؟ فيقولُ: مِن كلِّ ألفٍ تسعمائةٌ وتِسْعَةٌ وتِسْعُون، فعند ذلك يَشِيبُ الوَليدُ ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢] قال: فشَقَّ ذلك علىٰ النَّاسِ فقالوا: يا رسول الله فأيُّنا ذلك الواحِد فقال: «يَأْجُوجُ ومَأْجُوجُ أَلْفٌ ومِنكم واحِدٌ، وهل أنتم في الأُمَمِ إلَّا كالشَّعْرَةِ السَّوداءِ في الثور الأبيضِ، أو كالشَّعْرَةِ البيضاءِ في الثَّورِ الأسودِ».

٢- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ [الحج: ٥]: روىٰ أحمد والشيخان وأصحاب السنن والأربعة عن ابن مسعودٍ قال: حدَّثنا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وهو الصادق المَصْدوق: «إنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ في بَطْنِ أُمِّهِ أربعين يومًا، ثُمَّ يكون في ذلك عَلَقَةً مِثلَ ذلك، ثُمَّ يكون في ذلك مُضْغَةً مِثلَ ذلك، ثُمَّ يُرْسَلُ المَلَكُ فيَنْفُخُ فيه الرُّوحَ، ويُؤْمَرُ بأربعِ كَلِماتٍ: بكَتْبِ رِزْقِهِ، وأَجَلِهِ، وعَمَلِهِ، وشَقِيٌّ أو سَعِيدٌ، فوالذي لا إلَهَ غيره إنَّ أَحَدَكُمْ ليَعْمَلُ بعَمَلِ أهلِ الجنَّةِ حتَّى ما يكون بينه وبينها إلَّا ذِراعٌ، فيَسْبِقُ عليه الكتابُ، فيَعْمَلُ بعَمَلِ أهلِ النَّارِ، فيدخُلُها، وإنَّ أَحَدَكُمْ ليَعْمَلُ بعَمَلِ أهلِ النَّارِ، حتَّى ما يكون بينه وبينها إلَّا ذِراعٌ، فيَسْبِقُ عليه الكتابُ، فيَعْمَلُ بعَمَلِ أهلِ الجنَّةِ فيَدْخُلُها».

وروىٰ ابن جريرٍ عن ابن مسعودٍ قال: «إذا وَقَعَتِ النُّطْفَةُ في الرَّحِم بَعَثَ الله

مَلَكًا فقال: يا رَبِّ، مُخَلَّقَةٌ أو غير مُخَلَّقَةٍ؟ فإن قال: غيرُ مُخَلَّقَةٍ مَجَّتْهَا الأَرْحَامُ دَمًا، وإن قال: مُخَلَّقَةٌ، قال: يا رَبِّ، فما صِفَةُ هذه النُّطْفَةِ: أَذَكَرٌ أم أُنْثَى؟ ما رِزْقُهَا؟ ما أَجَلُهَا؟ أَشَقِيٌّ أو سَعِيدٌ؟ قال: فيُقال له: انطَلِقْ إلى أُمِّ الكِتابِ فاسْتَنْسِخْ مِنه صِفَةَ هذه النُّطْفَةِ قال: فيَنْطَلِقُ المَلَكُ فيَنْسَخُها، فلا تزال معه حتَّى يأتي على آخِرِ صِفَتِها».

٣- ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الحج: ٥ - ٦] الآية:

روى أحمد في "مسنده" عن لقيط بن عامرٍ قال: قلت: يا رسول الله كيف يُحي الله الموتى؟ وما آية ذلك في خَلْقِهِ؟ قال: «أَمَا مَرَرْتَ بوادي أَهْلِك مَحْلًا؟» قال: بلى، قال: «أَمَا مَرَرْتَ به يَهْتَزُّ خَضِرًا؟» قال: بلى قال: «ثُمَّ مَرَرْتَ به مَحْلًا؟» قال: بلى قال: «فكذلك يُحيي اللهُ المَوتَى».

٤- ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ﴾ [الحج: ١١]: روى ابن مَرْدُويَه مِن طريق عطية عن أبي سعيدٍ قال: أسلم رجلٌ من اليهود فذهب بَصَرُهُ ومالُه وولدُه فتشاءم بالإسلام، فأتى النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: أَقِلْني. فقال: «إنَّ الإسلامَ لا يُقالُ» فقال: لم أصب في ديني هذا خيرًا؛ ذهب بصري ومالي ومات ولدي. فقال «يا يهودي، الإسلامُ يَسْبِكُ الرِّجالَ كما تَسْبِكُ النَّارُ خَبَثَ الحدِيدِ والذَّهَبِ والفِضَّةِ» ونزلت الآية.

٥- قوله تعالى: ﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ﴾ [الحج: ٢٠]: روى

الترمذيُّ والحاكم وصحَّحاه عن أبي هريرة: أنه تلا هذه الآية فقال: سمعتُ رسولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**إنَّ الحَميمَ ليُصَبُّ على رُءوسِهِمْ فيَنْفُذُ الجُمْجُمَةَ حتَّى يَخْلُصَ إلى جَوْفِهِ فيَسْلِتُ ما في جَوْفِهِ حتَّى يُمَزِّقَ قَدَمَيْهِ وهو الصَّهْرُ، ثُمَّ يُعاد كما كان**».

٦- ﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ [الحج: ٢١] روىٰ أحمد والحاكم وصحَّحه، والبيهقيُّ في "البعث" عن أبي سعيدٍ الخدريِّ، عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لو أنّ مِقْمَعًا مِن حَديدٍ وُضِعَ في الأرضِ فاجْتَمَعَ له الثَّقلان ما أقلّوه مِن الأرضِ، ولو ضُرِبَ الجَبَلُ بمَقْمَعٍ مِن حَديدٍ لتَفَتَّتَ ثُمَّ عادَ كما كان**».

٧- ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣] روىٰ الشيخان عن عمر قال: قال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن لَبِسَ الحريرَ في الدُّنيا لم يَلْبَسْهُ في الآخِرَةِ**».

وروىٰ النَّسائيُّ وابن حِبَّان والحاكم عن أبي سعيدٍ الخدريِّ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن لَبِسَ الحريرَ في الدُّنيا لم يَلْبَسْهُ في الآخِرَةِ وإن دَخَلَ الجنَّةَ لَبِسَهُ أهلُ الجنَّةِ ولم يَلْبَسْهُ**».

٦- بيانُ صَحيحِ الأقاويلِ
في تفسيرِ آيةِ بني إسرائيل

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّدٍ، وآله الأكرمين.

وبعد: فإنَّ بعض المعاصرين فسَّروا «آية بني إسرائيل» بما هو بعيدٌ عن معناها، ولا يجوز أن يُنسب إلى أنه المراد منها، بل هو من بِدَع التفاسير التي يجب اجتنابها وتنزيه كلام الله عنها، ولذلك كتبتُ هذا الجزء لبيان تفسير الآية تفسيرًا صحيحًا، موافقًا لما دلَّت عليه، ومطابقًا لما أخبرت عنه، حسبما ذكره المفسِّرون من الصحابة والتابعين ومَن بعدهم، والله الموفِّق والهادي، وعليه اعتمادي.

أقوال المُفسِّرين في تفسير «آية بني إسرائيل»

قال الله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الإسراء: ٤-٨]

قوله تعالى: ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ عن عطية العوفيِّ قال: «أفسدوا المرة الأولى فبعث الله عليهم جالوت فقتلهم، وأفسدوا المرة الثانية فقتلوا يحيى بن زكريا عليهما السَّلام، فبعث الله عليهم بُخْتُنَصَّر». أخرجه ابن أبي حاتم.

وقال ابن عباسٍ: «بعث الله عليهم في الأولى جالوتُ، فجاس خلال ديارهم وضرب عليهم الخراج والذلَّ، فسألوا الله أن يبعث إليهم ملِكًا يقاتلون في سبيل الله، فبعث الله طالوت، فقُتل جالوت، فنُصِر بنو إسرائيل، وقُتل جالوت بيدي داوود عليه السَّلام، ورجع إلى بني إسرائيل مُلْكهم، فلما أفسدوا بعث الله عليهم في المرة الآخرة بُخْتُنَصَّرَ، فخرَّب المسجد وتبَّر ما عَلَوْا تتبيرًا، قال الله بعد الأولى والآخرة: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ قال: فعادوا فسلَّط الله عليهم المؤمنين». رواه ابن جريرٍ في "تفسيره".

وقال قتادة: «أمَّا المرة الأولى فسلَّط عليهم جالوت حتى بعث طالوت مَلِكًا

ومعه داود، فقتله داود ثُمَّ ردَّ الكَرَّة لبني إسرائيل ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ أي: عددًا، ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ﴾ آخر العقوبتين ﴿لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ قال: ليُقبِّحوا وجوهكم، ﴿وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ قال: كما دخل عدوُّهم قبل ذلك ﴿وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا﴾ قال: يدمِّروا ما عَلَو تدميرًا، فبعث الله عليهم في الآخرة بُخْتُنَصَّر البابليَّ المجوسيَّ، أبغض خلق الله إليه، فسبى وقتل وخرَّب بيت المقدس وسامهم سوء العذاب». رواه ابن جريرٍ.

وقال ابن زيد في الآية: «كانت الآخرة أشد من الأولى بكثيرٍ، فإنَّ الأولى كانت هزيمةً فقط، والآخرة كانت تدميرًا، وحرق بُخْتُنَصَّر التوراة، حتى لم يترك فيها حرفًا واحدًا، وخرَّب بيت المقدس». رواه ابن جريرٍ.

وقال الضَّحَّاك في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾: «كانت الرحمة التي وعدهم: بَعْثُ محمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم». رواه ابن أبي حاتمٍ في تفسيره.

وقال قتادة: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾: «فعادوا فبعث الله عليهم محمَّدًا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فهم يعطون الجِزْية». رواه ابن جريرٍ، وابن أبي حاتمٍ في تفسيرهما.

وكذا قال المفسِّرون: إنَّ المرَّتين وقعتا قبل البعثة المحمَّدية لم يختلفوا في ذلك، وإنما اختلفوا فيمن سُلِّط عليهم بسبب الإفسادين، ونقْلُ كلامهم يطول، فلينظره مَن أراده في كتب التفسير الآتية: "تفسير ابن جريرٍ"، و"ابن عطية"، و"الزمخشريِّ"، و"القرطبيِّ"، و"البيضاويِّ"، و"النَّسفيِّ"، و"أبي حَيَّان"، و"ابن جُزَيٍّ"، و"أبي السُّعود"، و"السيوطيِّ"، و"الجلالين"، و"حاشية

الجمل على الجلالين".

وآثرت أن أنقل كلام شيخنا بالإجازة العلامة الشيخ محمَّد الطَّاهر بن عاشُور في تفسيره، قال رحمه الله: «والقضاء بمعنى الحكم وهو التقدير، ومعنى كونه في الكتاب: أنَّ القضاء ذُكِر في الكتاب، والمراد بالكتاب: التوراة، والتعريف للعهد، لأنه ذُكِر آنفًا ويجوز أن يكون الكتاب: بعض كتبهم الدينية. فتعريف الكتاب تعريف الجنس، وهو الأسفار المسماة بكتب الأنبياء: "أشعياء"، و"أرمياء"، و"حزقيال"، و"دانيال"، وهي في الدرجة الثانية من التوراة، وكذلك كتاب "النبيِّ ملاخي". والإفساد مرتين ذُكِر في كتاب "أشعياء"، وكتاب "أرمياء"، وأولى المرتين مذكورة في كتاب "أرمياء" في الإصحاح الثاني، والإصحاح الحادي والعشرين وغيرهما.

ويجوز أن يكون المراد بالكتاب: التوراة وكتب الأنبياء، ولذلك أيضًا وقع الإظهار دون الإضمار، وجملة: ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ إلى قوله: ﴿حَصِيرًا﴾ مُبيِّنةٌ لجملة: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾.

وهذه الآية تُشير إلى حوادث عظيمةٍ بين بني إسرائيل وأعدائهم من أُمَّتين عظيمتين: حوادث بينهم وبين البابليين، وحوادث بينهم وبين الرومانيين. فانقسمت بهذا الاعتبار إلى نوعين: نوعٌ منهما تندرج فيه حوادثهم مع البابليين، والنوع الآخر حوادثهم مع الرومانيين، فعبَّر عن النوعين بمرتين لأنَّ كلَّ مرةٍ منهما تحتوي على عدَّة ملاحم.

فالمرة الأولى: هي مجموعة حوادث متسلسلة تُسمَّى في التاريخ: بالأسر

البابلي، وهي غزوات بُخْتُنَصَّر ملك بابل وآشور لبلاد أورشليم، والغزو الأول كان سنة (٦٠٦ قبل المسيح)، أَسَرَ جماعاتٍ كثيرةً من اليهود، ويُسمَّىٰ الأَسْر الأول، ثُمَّ غزاهم أيضًا غزوًا يُسمَّىٰ الأَسْر الثاني، وهو أعظم من الأول كان سنة (٥٠٨ قبل المسيح)، وأسر مَلِك يهوذا، وجمعًا غفيرًا من الإسرائيليين، وأخذ الذهب الذي في هيكل سليمان وما فيه من الآنية النفيسة، والأسر الثالث المُبير سنة (٥٥٨ قبل المسيح)، غزاهم بُخْتُنَصَّر وسبىٰ كلَّ شعب يهوذا، وأحرق هيكل سليمان، وبقيت أورشليم خرابًا يبابًا، ثُمَّ أعادوا تعميرها كما سيأتي.

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾.

«ثُمَّ»: تُفيد التراخي الرُّتبي والتراخي الزمني معًا، و«الكرَّة»: الرجعة إلىٰ المكان الذي ذهب منه.

وذلك أنَّ بني إسرائيل بعد أن قَضَوْا نيفًا وأربعين سنةً في أسر البابليين، وتابوا إلىٰ الله، سلَّط الله ملوك فارس علىٰ ملوك بابل الآشوريين، فإنَّ المَلِك كورش[1] مَلِك فارس حارب البابليين وهزمهم، فضعُف سلطانهم، ثُمَّ نزل بهم داريوس مَلِك فارس، ففتح بابل سنة (٥٣٨ قبل المسيح)، وأَذِن لليهود في سنة (٥٣٠ قبل المسيح) أن يرجعوا إلىٰ أورشليم ويُحْدِثوا دولتهم، وذلك نصرٌ انتصروه علىٰ البابليين، إذ كانوا أعوانًا للفرس عليهم، والوعد بهذا النصر ورد

(١) هو ذو القرنين، ويقال له: غوروش

أيضًا في كتاب "أشعياء" في الإصحاحات: العاشرة، والحادي عشر، والثاني عشر، وغيرها، وفي كتاب "أرمياء" في الإصحاح الثامن والعشرين، والتاسع والعشرين.

وقوله: ﴿وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ هو من جملة المقضي الموعود به. ووقع في الإصحاح التاسع والعشرين من كتاب "أرمياء": «هكذا قال الربُّ إله بني إسرائيل لكلِّ السَّبي الذي سبيته من أورشاليم إلى بابل: ابنوا بيوتًا واسكنوا، واغرسوا جنَّات وكلوا ثمرها، خذوا نساء ولِدُوا بنين وبناتٍ، وأكثُروا هناك ولا تقلِّوا».

وقوله: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ من جملة المَقْضِيُّ في الكتاب، وهو حكايةٌ لما في الإصحاح التاسع والعشرين من كتاب "أرمياء": «وصلُّوا لأجلِها إلى الربِّ لأنه بسلامها يكون لكم السَّلام». وفي الإصحاح الحادي والثلاثين: «يقول الربُّ: ازرع بيت إسرائيل وبيت يهوذا، ويكون كما سهرت عليهم للاقتلاع والهدم والقرض والإهلاك، كذلك أسهر عليهم بالبناء والغرس في تلك الأيام، لا يقولون: الآباء أكلوا حِصْرِمًا وأسنان الأبناء ضَرِستْ، بل كلُّ واحدٍ يموت بذنبه، كل إنسان يأكل الحِصْرَم تَضرِس أسنانه».

ومعنى ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾: أننا نَرُدُّ لكم الكرَّة لأجل التوبة وتجدُّد الجيل، وقد أصبحتم في حالة نعمة، فإن أحسنتم كان جزاؤكم حسنًا، وإن أسأتُم أسأتُم لأنفسكم، فكما أهلكنا من قبلكم بذنوبهم، فقد

أحسنًا إليكم بتوبتكم، فاحذروا الإساءة كي لا تصيروا إلى مصير مَن قبلكم.

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَـٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾ هذا الكلام مِن بقيَّة ما قُضي في الكتاب بدليل تفريعه بالفاء، والآخرة ضدُّ الأولى، ولم يعدهم الله في هذه المرة إلَّا بتوقع الرحمة دون ردِّ الكَرَّة، فكان إيماءًا إلى أنهم لا مُلْك لهم بعد هذه المرة، وبهذا يتبيَّن أنَّ المشار إليه بهذه المرة الآخرة هو ما اقترفه اليهود من المفاسد والتمرُّد، وقتل الأنبياء والصالحين، والاعتداء على عيسى وأتباعه، وقد أنذرهم النبيُّ ملاخي في الإصحاحين الثالث والرابع من كتابه، وأنذرهم زكريا ويحيى وعيسى عليهم السَّلام، فلم يرعَوُوا فضربهم الله الضربة القاضية بيد الرومان.

وبيان ذلك: أنَّ اليهود بعد أن عادوا إلى أورشاليم وجدَّدوا مُلْكَهم ومسجدهم في زمن داريوس، وأطلق لهم التصرف في بلادهم التي غلبهم عليها البابليون، وكانوا تحت نفوذ مملكة فارس فمكثوا على ذلك مائتي سنة من سنة (٥٣٠ إلى سنة ٣٣٠ قبل المسيح)، ثُمَّ أُخذ ملْكهم في الانحلال بهجوم البطالسة ملوك مصر على أورشاليم، فصاروا تحت سلطانهم إلى سنة (١٦٦ قبل المسيح)، إذ قام قائدٌ من بني إسرائيل اسمه ميثيا، وكان من اللاويين، فانتصر لليهود وتولَّى الأمر عليهم، وتسلسل الملك بعده في أبنائه في زمنٍ مُلئ بالفتن إلى سنة أربعين قبل المسيح، دخلت المملكة تحت نفوذ الرومانيين، وأقاموا عليها أمراء من اليهود كان أشهرهم هيرودس، ثُمَّ تمرَّدوا للخروج على

الرومانيين، فأرسل قيصر رومية القائد سيسيانوس مع ابنه القائد طيطوس بالجيوش، في حدود سنة أربعين بعد المسيح، فخربت أورشليم واحترق المسجد، وأَسَرَ طيطوس نيفًا وتسعين ألفًا من اليهود، وقتل من اليهود في تلك الحروب نحو ألف ألف، ثُمَّ استعادوا المدينة، وبقي منهم شِرْذمةٌ قليلةٌ بها إلى أن وافاهم الإمبراطور الروماني أدريانوس فهدمها وخرَّبها، ورمى قناطير الملح على أرضها كي لا تعود صالحةً للزراعة وذلك سنة (١٣٥ بعد المسيح). وبذلك انتهى أمر اليهود وانقرض وتفرَّقوا في الأرض، ولم تخرج أورشليم من حكم الرومان إلَّا حين فتحها المسلمون في زمن عمر بن الخطاب سنة (١٦ هجرية) صلحًا مع أهلها، وهي تسمَّى يومئذ إيلياء». اهـ مُلخَّصًا.

وإنما آثرته على غيره من التفاسير لأنه حرَّر الكلام على المرتين وما ترتب عليهما، بما نقله عن كتب أنبياء بني إسرائيل، وهي موافقةٌ لمعنى الآية وموضِّحة لما فيها، مع بيان تاريخ المرتين، بما لا يدع مجالًا للشكِّ في أنَّ ما قُضِيَ إلى بني إسرائيل في الكتاب قد حصل قبل ظهور الإسلام بمدَّةٍ لا تقل عن ثلاث مائة سنةٍ.

إذا عُلم هذا، فاتجاه بعض المعاصرين الآن لتفسير الإفساد مرَّتين باحتلال اليهود لفلسطين وحربِهم للعرب خطأٌ واضحٌ، وقد رأيت رسالة للدكتور السيِّد إدريس الكتاني اسمها: "العرب تحت وطأة الإفساد الأول لبني إسرائيل"، خطَّأ المفسِّرين فيما ذهبوا إليه، وزعم أنَّ الآية تُشير إلى حالة اليهود اليوم، وأنَّ هذا من إعجاز القرآن، ويزعُم أنَّ الإفساد الثاني سيأتي -طال الزمان أو قَصُر- فيه ينتصر المسلمون.

وأقول: إعجاز القرآن ثابتٌ بالأدلة العقلية والنقلية، ولا حاجة إلى إثباته بهذه الآية، وقد أبدى كثيرٌ من الناس آراء فجَّةً في بعض الآيات، وزعَموها من إعجاز القرآن، مع أنَّ القرآن غنيٌّ عن مزاعِمِهم، ودعوى أنَّ المسلمين سينتصرون بعد الإفساد الثاني مجرَّد أملٌ يدور بخُلْدِ قائله، وليس في الآية إشارةٌ إليه.

ورغم ما أبداه السيِّد إدريس الكتاني لتأييد رأيه فإنه باطلٌ، وبيان بطلانه من وجوهٍ:

الأول: أنَّ الله تعالى أخبر اليهود بما قضى إليهم في الكتاب، حين كان دينهم صحيحًا وشريعتهم قائمة، أنهم سيخالفونها بإفسادهم، ويعاقبهم بتسليط أعداء لهم ليس لهم دينٌ.

الثاني: أنَّ الله تعالى أخبر عنهم أنهم قتلوا الأنبياء والصالحين، وهذا أعظم الإفساد بلا شك، وفي الحديث الصحيح: «**لَزَوالُ الدنيا أهونُ على الله مِن قتلِ رجلٍ مسلمٍ**». فكيف بقتل الأنبياء والصالحين؟!

الثالث: أنَّ أنبياء بني إسرائيل أنذروهم بإفسادهم الذي حصل مرَّتين، وبالعقوبة عليهما، وهذا الإنذار الذي وقع من الأنبياء كان بوحيٍ إلهيٍّ.

الرابع: أنَّ الله قال لهم عقب المرَّة الأولى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ وهذا دليلٌ على أنهم كانوا حينئذٍ متمسِّكين بدينٍ صحيحٍ، وهم الآن كفَّارٌ مغضوبٌ عليهم، لا يُتصوَّر منهم إحسان عملٍ، ولو أمكن وقوعه لا يُقبل منهم.

الخامس: أنَّ الله تعالىٰ ترجَّىٰ لهم الرحمة عقب المرة الآخرة بقوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ وهذا يدلُّ علىٰ أنهم كانوا إذ ذاك علىٰ أمل أن تنالهم رحمة الله تعالىٰ لتمسُّكهم بدين موسىٰ عليه السَّلام، أمَّا الآن فلا يمكن ولا يجوز أن يتوجَّه هذا الخطاب إليهم؛ لأنهم كُفَّارٌ آيسون من الرحمة، علىٰ أنَّ الضَّحَّاك قال في تفسير هذه الآية: «كانت الرحمة التي وعدهم: بَعْثَ محمَّدٍ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم». رواه ابن أبي حاتمٍ في "تفسيره".

السادس: قول الله تعالىٰ لهم في المرَّة الآخرة: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ يفيد أنهم إن عادوا مرةً ثالثةً يعاقبهم الله. قال قتادة: «فعادوا فبعث الله عليهم محمَّدًا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فهُم يعطون الجِزْية». رواه ابن جريرٍ، وابن أبي حاتمٍ في تفسيريهما.

السابع: أنَّ الإفساد حصل من بني إسرائيل، وعوقبوا عليه، وسجَّله التاريخ وإنذارات أنبيائهم، فكيف يزعم زاعمون أنَّ الإفساد المذكور في الآية لم يحصل إلَّا في هذا العصر؟! جرأةٌ غريبة لم يُسبق لها نظير!!

الثامن: أنَّ قول الله تعالىٰ: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا﴾ لا يفيد أنهم مسلمون؛ لأنَّ الخلق كلُّهم عباد الله، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٤]، وقال: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ [المائدة: ١١٨] ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ [الأعراف: ٣٢] ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء: ١١٨] ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨] ﴿ذَٰلِكَ

هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ ﴾ [الأنعام: ٨٨] ﴿إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ ﴾[الأعراف: ١٢٨] والآيات في هذا كثيرةٌ.

التاسع: أنَّ الله تعالىٰ أعطىٰ لأمَّتِنا المحمَّدية اسمًا خاصًّا بها، فقال سبحانه: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا ﴾ الآية. [الحج: ٧٨]

قال ابن عباسٍ: ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ ﴾: الله عزَّ وجلَّ سمَّاكم.

وعن مجاهدٍ: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ قال: الله عزَّ وجلَّ سمَّاكم، ﴿مِن قَبۡلُ ﴾ في الكتب كلِّها، وفي الذِّكر، ﴿وَفِي هَٰذَا ﴾ قال: القرآن.

وعن سفيان: ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ قال: الله عزَّ وجلَّ، ﴿مِن قَبۡلُ ﴾ قال: في التوراة والإنجيل، ﴿وَفِي هَٰذَا ﴾قال: القرآن.

وعن ابن زيد في الآية قال: «لم يذكر الله بالإسلام والإيمان غير هذه الأُمَّة، ذُكرت بهما جميعًا، ولم يُسمع بأمَّةٍ ذُكرت بالإسلام والإيمان غيرها».

وروىٰ ابن أبي شيبة في "المصنَّف"، وإسحاق بن راهَوَيْه في "مسنده" عن مكحولٍ: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**تَسمَّى الله باسمين سَمَّى بهما أمَّتي، هو السَّلام وسمَّى أمتي المسلمين، وهو المؤمن وسمَّى أمتي المؤمنين**».

فالآية والحديث والآثار المذكورة أدلةٌ قاطعةٌ في أنَّ قول الله تعالىٰ: ﴿بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ ﴾ لم يُرِد به المسلمين، وإنما أراد قومًا حاربوا إسرائيل في ذلك الزمان.

العاشر: أنَّ قول الله تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰٓ إِذۡ

قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٦] الآية. إلى قوله: ﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾ [البقرة: ٢٤٦] صريحٌ في أنَّ بني إسرائيل غُلِبوا على أمرهم، وأخرِجُوا من ديارهم وأبنائهم بسبب حرب جالوت رئيس العمالقة لهم، حتى طَلبوا تعيين ملَكٍ لهم يقاتلون معه أعداءهم، فلتكن هذه إحدى المرتين التي أعاد الله لهم فيها المُلْك وجَعَل داوود -عليه السَّلام- ملِكًا عليهم، ولا نَجْزِم بذلك وإن قال به كثيرٌ من المفسِّرين، ولكنه احتمالٌ قائمٌ.

الحادي عشر: قول الله تعالى: ﴿وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ لا يدل على أنهم مسلمون لوجهين:

الأول: أنَّ لفظ المسجد ترجمةٌ عما يُسمَّى عندهم بالكنيسة؛ لأنَّ اللغة العبرية ركيكةٌ، والقرآن العظيم منزَّهٌ عن الركاكة في جُمَلِه وألفاظِه، والمحراب لفظٌ عربيٌّ، والكنيسة وإن كانت مُعرَّبةً، ثقيلةٌ في السَّمع، وليس في ألفاظ القرآن ثِقَل، ألا تراه عبَّر في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤] بالجمع ولم يقل قلباكما، لأنَّ التثنية ثقيلةٌ والجمع أخفُّ منها، وعبَّر بالجمع في أولي الألباب دون اللب، لثِقَلِه في السَّمع.

الثاني: أنَّ بيت المقدس بناه يعقوب عليه السَّلام بعد بناء جدِّه إبراهيم عليه السَّلام للبيت الحرام بأربعين عامًا، ثُمَّ جدَّد بناءه سليمان عليه السَّلام، وكان اسمه منذ بنائه بيتُ المَقْدِس أو المسجد، وتسميته هَيْكلًا اسمٌ حادثٌ عند اليهود بعد تجديده.

الثاني عشر: التعبير بالاستقبال في قوله تعالىٰ: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا ﴾ هو الحقيقة والواقع؛ لأنَّ الله تعالىٰ أخبر أنه قضىٰ ذلك في التوراة، وبين نزولها ووقوع ذلك من بني إسرائيل مدَّةٌ طويلةٌ تُسمَّىٰ مستقبلًا حقيقةً لا مجازًا، فكيف تُلغَىٰ تلك المدَّة الطويلة التي تزيد علىٰ ألف سنةٍ، ويُعتبر الاستقبال ما حصل الآن؟! هذا تَمَحُّلٌ وتكلُّفٌ شديدان، يردهما معنىٰ الاستقبال في اللغة ولمَّا نزلت سورة: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ ﴾[النصر: ١] في حَجَّة الوداع، قال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**نُعيَت إليَّ نفسي**»، وتُوفِّي بعدها بمدَّةٍ لا تزيد علىٰ سنتين، فكان الاستقبال الذي أفادته إذًا حقيقةً.

الثالث عشر: حديث "الصحيحين": «**تُقاتلكم اليهودُ فتُسلَّطون عليهم حتى يقول الحَجَرُ: يا مسلمُ، هذا يهوديٌّ ورائي فاقتله**». بعيدٌ عن آية بني إسرائيل بُعد الضبِّ من النون، وإنما هو من الإخبار عن الحوادث التي تقع قرب قيام الساعة، وفي "صحيح البخاريِّ" عن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لا تقومُ الساعةُ حتَّى تقاتلوا قومًا نِعالهم الشَّعَر، وحتى تقاتلوا التُّرْكَ صِغَارَ الأَعْيُنِ، حُمْرَ الوجوه ذُلْفَ الأُنُوفِ، كأنَّ وجوههم المَجَانُّ المُطْرَقةُ**». وفيه أيضًا: «**لا تقوم حتَّى تُقاتلوا خُوزًا وكَرْمَان مِن الأعاجم**».

وحديث قتال الترك ترجم عليه البخاريُّ: «باب قتال الترك» وهو في «كتاب الجهاد».

وحديث مقاتلة اليهود ترجم عليه البخاريُّ: «باب قتال اليهود»، وذكره أيضًا في «باب علامات النبوة»، ورواه مسلمٌ في «كتاب الفتن».

قال الحافظ في "فتح الباري" ما نصُّه: «في رواية أحمد من طريقٍ أخرىٰ، عن سالمٍ، عن أبيه: «**ينزل الدَّجَّال هذه السَّبْخَةَ -أي خارج المدينة- ثُمَّ يُسلِّط الله عليه المسلمين فيقتلون شيعته، حتَّى أنَّ اليهوديَّ ليختبئ تحت الشَّجرةِ والحَجَرِ، فيقول الحجر والشَّجرة: هذا يهوديٌّ فاقتله**». وعلىٰ هذا فالمراد وقوع ذلك إذا خرج الدَّجَّال ونزل عيسىٰ، وكما وقع صريحًا في حديث أبي أُمامة في قصة خروج الدَّجَّال ونزول عيسىٰ وفيه: «**وراء الدجَّال سبعون ألف يهوديٍّ، كلُّهم ذو سيفٍ مُحلًّى، فيدركه عيسى عند باب لُدٍّ فيقتله، وينهزم اليهود فلا يبقى شيءٌ ممَّا يتوارى به يهوديٌّ إلَّا أنطق الله ذلك الشيء فقال: يا عبد الله المسلم، هذا يهوديٌّ فتعال فاقتله. إلَّا الغَرْقَد فإنها مِن شَجَرِهم**».

أخرجه ابن ماجة مطوَّلًا، وأصله عند أبي داود، ونحوه في حديث سَمُرَة عند أحمد بإسنادٍ حسنٍ، وأخرجه ابن منده في "كتاب الإيمان" من حديث حذيفة بإسنادٍ صحيحٍ».اهـ كلام الحافظ.

وأيُّ علاقةٍ بين حديث الدَّجَّال وبين آية بني إسرائيل؟!

وبعد، فقد توقَّفت مدَّةً في هذا التفسير المُبتدَع، بل توقَّفت في معنىٰ الآية الكريمة نفسها، ولم يظهر لي وجه تفسيرها، وسُئلت مرَّةً عنها فقلتُ: لم يظهر لي وجهها ولم أفهمها، ثُمَّ بعد تأمُّلٍ وإمعان نظرٍ، تبيَّن لي بوضوحٍ معنىٰ الآية كما فسَّرها به علماء التفسير، وتبيَّن لي أيضًا أنَّ التفسير الذي ذكره المعاصرون مثل: الشيخ عبدالرحيم فوده، والشيخ متولي الشَّعراوي، والشيخ عبد الحميد واكد، والأستاذ سيِّد قطب، والسيد إدريس الكتاني، باطلٌ جملةً وتفصيلًا، وأنَّ إلصاقه بالآية الكريمة تحريفٌ لمعناها وعُدوان علىٰ كلام الله سبحانه

وتعالىٰ، ووجدتهم غفلوا عن أمرٍ مهمٍّ لو تنبَّهوا له لَمَا صدر عنهم ذلك التفسير الباطل، ولما كتب السيِّد إدريس الكتاني رسالته التي سمَّاها: "العرب تحت وطأة الإفساد الأول لبني إسرائيل".

وإيضاح ذلك: أنَّ موسىٰ عليه السَّلام حين بعثه الله إلىٰ بني إسرائيل كانت الوثنية غالبةً علىٰ المنطقة التي بُعث فيها من البابليين وفارس والكنعانيين والعمالقة والبطالسة، ولم يكن فيهم من يعبد الله ويوحِّده، بل كانوا مجوسًا، وعُبَّاد الكواكب، فلمَّا عرف بنو إسرائيل التوحيد الذي جاء به رسولهم وعبدوا الله كما في شريعتهم، أظهر الله عنايته بهم، وأول ذلك أنه فضَّلهم علىٰ ذلك العالم الوثنيِّ، وهو معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧] (١) ومِن عنايته بهم أنه أنزل عليهم التوراة فيها أحكام وتشريعات تتناسب مع ظروفهم ومجتمعهم، وزاد في تكريمهم لأجل كليمه عليه السَّلام، ووالىٰ عليهم بعث أنبياء منهم في كلِّ جيلٍ يرشدونهم ويهدونهم الطريق القويم، ولِما يعلمه الله من خبث طِينتهم، وفساد

---

(١) ومن هنا نشأت عند اليهود عقيدة أنهم شعب الله المُختار وهي خطأ؛ لأنَّ الله لم يفضِّل جنسًا أو شخصًا لذاته، وإنما فضَّله لِما عنده من الطاعة والاستقامة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ [الحجرات: ١٣]، وقال سبحانه: ﴿لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾[النساء:١٢٣]﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَ﴾ [المائدة: ١٨].

طَوِيَّتهم، أنذرهم في التوراة، وفي كُتب الأنبياء بعدها، بما يحصل من المخالفات لهم، وبعقابهم عليها، ومن جملة ما أنذرهم به ما ذكره تعالىٰ في قوله سبحانه: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ الآية، وكان عقابهم عليهما أن بعث عليهم أعداء وَثَنيِّين لا يعرفون الله، ولا يخافون عذابه، ولذلك قال: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ﴾ فذكر عبادًا تقليلًا لشأنهم وتحقيرًا لهم، ولم يكن تنكيرهم لأجل أنهم مؤمنون كما قيل.

واستمرَّ حال اليهود وهم علىٰ شريعة موسىٰ -عليه السَّلام- مدَّةً تزيد علىٰ ألفي سنة، حصل فيها الإفسادان المذكوران في الآية وغيرهما.

فلمَّا جاء الإسلام وبُعِث النبيُّ عليه الصَّلاة والسَّلام، حسدوه وأظهروا عداوته وحاولوا قتله مرَّتين، وتواعدوا مع قريشٍ علىٰ محاربته في غزوة الخندق، فلما أظهروا الكفر الصَّريح والعِناد القبيح تخلَّىٰ الله عنهم، بل غضِب عليهم ولعنهم، وأنزل في ذمِّهم عدَّة آيات منها قوله تعالىٰ: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ [المائدة: ٨٢] وقوله سبحانه: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟﴾ [المائدة: ٦٤] وقوله جل شأنه: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾[التوبة: ٢٩]، وقد نفَّذ النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم هذه الآية في قتال يهود خيبر والنضير وقريظة، وصحَّ في الحديث عن النبيِّ صلَّىٰ الله

عليه وآله وسلَّم في تفسير: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧] قال: «**هم اليهود**». وجاء ذمُّهم أيضًا في سورة البقرة، والأحزاب، والحشر، والجمعة، وغيرها.

فصار اليهود بعد نَسْخِ دينهم وكُفْرهم بالإسلام طائفةً من الكفَّار، مثل المجوس والمشركين، بل هم أبغض إلى الله من جميع أنواع الكَفَرة، لا يُبالي بهم بالة، فلا يُعقل ولا يجوز أن يقول لهم في هذا الوقت: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ لأنهم بعد كفرهم لا إحسان لهم ولا حسنة، ولا يجوز أن يقول لهم: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ لأنهم لا رحمة تلحقهم، وغلبتهم على بيت المقدس وفلسطين سببها ضعف العرب والمسلمين وتفرُّقهم، واشتغالهم بشهواتهم ومصالحهم الشخصية، فلا يجوز أن نتملَّص من هذه الكارثة التي حلَّت بنا لضعفنا وتفرُّقنا وترك تعاليم ديننا، ثُمَّ نُلقي تبِعتها على أنَّ القرآن أخبر بها، هذا لا يجوز أبدًا والقرآن بريءٌ مما يُنسب إليه براءة الذئب من دم ابن يعقوب، فيجب على العرب والمسلمين أن يجتهدوا في تخليص القدس من اليهود لعَنَهم الله، وينبذوا من عقولهم وقلوبهم الأمانيَّ الفارغة، والتفسيرات الملصقة بالقرآن زورا وكذبًا، والله يقول الحقَّ وهو يهدي السَّبيل.

خاتمةٌ

منذ فتح الشام في عهد عمر رضي الله عنه لم يكن لليهود دولةٌ في فلسطين، بل كانوا يعيشون فيها أقليَّةً تحت ذِمَّة المسلمين، وكانوا متفرِّقين في بِقاع الأرض، وفي القرن الثامن عشر بدأت محاولتهم لامتلاك فلسطين والسيطرة عليها، فخاطبوا السلطان عبدالحميد في ذلك وأغروه بالمال، فلم يقبل منهم رحمه الله وقال لهم: «فلسطين بلد المسلمين لا أملك التصرف فيها بشيءٍ». فحاولوا إسقاطه بإطلاق دعاياتٍ كاذبةٍ في الصُّحُف والمجلَّات، وأحدثوا الاضطرابات في تركيا واليونان وغيرهما ضدَّ حكمه وضدَّ الخلافة من أصلها، وانساق معهم المغفَّلون من العرب والمسلمين.

وقامت الحرب العالمية الأولى، فوجدت بريطانيا عدوَّة الله وعدوَّة المسلمين الفرصة سانحة لإسقاط الخلافة الإسلامية، فأثارت شعوب مصر والشام والعراق والحجاز على تركيا، واعدةً لهم بالاستقلال بعد انتهاء الحرب، وطلبت من الإمام يحيى أن يثور على تركيا أيضًا ويحاربها، فامتنع من ذلك وقال لها: «لا أحارب المسلمين». فكان هذا منه موقفًا إسلاميًّا مُشرِّفًا عَرَفَه له المسلمون بالإعجاب والتقدير، وأنشأ صديقنا الأديب الفاضل الأستاذ الشيخ مصطفى بوعشرين -رحمه الله- قصيدةً في الثناء على الإمام والإشادة بفضله، جاء في مَطْلعها:

هكـــذا هكـــذا يكـــون الوفـــاءُ فلنعـــلِ الإمـــامِ خـــدِّي وِطَـــاءُ

وعقب انتهاء الحرب مباشرة سنة (١٩١٨م) أخذ اليهود من وزير خارجية بريطانيا -واسمه: "بلفور"- وعدًا بإعطائهم وطنًا قوميًّا في فلسطين،

ولما استقرَّت الحال بعد الحرب نكثت بريطانيا بوعدها للعرب، فأعلنت تمسُّكها بالحماية على مصر، واحتلَّت العراق، وقَسَّمت الشام إلى أربع دويلات أعطت منها سوريا ولبنان لفرنسا، واحتفظت بفلسطين عندها لتُسلِّمها لليهود، وحطَّت في الأردن الأمير عبدالله بن حسين شريف مكَّة، وسمَّتها إمارة الأردن -وهي اليوم مملكةٌ ما أظنُّها تبلغ مليون نسمة- وعرف العرب حينئذٍ أنَّ بريطانيا غادرةٌ خائنةٌ لا عهد لها ولا وفاء، لكن بعد فوات الأوان، واستمرُّوا رغم ذلك في الثقة بها والتعامل معها.

وفي سنة (١٩٢٥م) تقريبًا أعلن أتاتورك -عدوُّ الله- إسقاط الخلافة وإلغاء الإسلام، وأعلن أنَّ تركيا دولة علمانية، وألغى اللغة العربية من البلاد التركية، وأباح زواج المسلمة بالنصراني، وسوَّى بين الذَّكَر والأنثى في الميراث، ومنع السفر إلى الحجِّ منعًا باتًّا.

وفي سنة (١٩٣٧م) اجتمعت شُذَّاذٌ من اليهود تنتمي إلى عصابات لهم إجرامية، بقصد أخذ فلسطين وانتزاعها من العرب بالقوة، فتركتها بريطانيا وتخلَّت عنها وهي متيقنةٌ أنَّ اليهود سيتغلَّبون عليها، وحصل قتال بين العرب وشراذم اليهود، وظهر تخاذُل العرب وخيانة كثيرٍ منهم، وكان قتالهم مهزلةً، ومع ذلك ورغم ذلك كادوا يصِلون إلى تلِّ أبيب، ولكنّ بريطانيا الصهيونية اقترحت الهُدْنة، فوافق العرب لأنهم يحبُّون بريطانيا وينفِّذون ما تقوله لهم، وكانت الهدنة سبيلًا إلى استيلاء اليهود على فلسطين، وبعد انتهاء الحرب العالمية الأخيرة اعترفت الأمم المتحدة بهم دولةً في فلسطين، وبعد الاعتراف بهم سمُّوا أنفسهم دولة إسرائيل.

هذا عرضٌ موجزٌ لحركة اليهود وحربهم في سبيل الاستيلاء على فلسطين، يُعلم منه أنَّ العرب إنما قاتلوا عصاباتٍ من اليهود لا كيان لهم ولا دولة ولا وطن، وهم الذين هاجموا العرب وجاسوا خلال الدِّيار في فلسطين العربية، بُغية أخذها من أصحابها الشرعيين.

فتفسير الآية بهم كما فعل المعاصرون مبنيٌّ على غير أساسٍ، ثُمَّ إنَّ الآية الكريمة تكلَّمت على بني إسرائيل، وهؤلاء الشراذم سمُّوا أنفسهم إسرائيل، فتفسير الآية بهم باطلٌ شكلًا وموضوعًا. وبالله التوفيق.

٧- تَوْضِيحُ البَيانِ
لوصُولِ ثَوَابِ القُرْآنِ

اقْــرَأْ عــلىٰ المَــوْتَىٰ كَــلامَ إلهِنــا ودَعِ الخُصُــومَةَ في وُصُــولِ ثَوابِــهِ
وإذا سُئِلْتَ عن الـدَّليلِ فأفْصِـحَنْ بجَـوَابِ طَالِبِـهِ وحُسْـنِ خِطَابِـهِ
يَصِلُ الدُّعاءُ كـذا الصِّيامُ تَفَضُّـلًا مِــن ربِّنــا فكــذاكَ حُكْــمُ كِتابِــهِ
لا فَــرْقَ بــين عِبَــادَةٍ وعِبَــادَةٍ ومَــن ادَّعــىٰ التَّفريــقَ لـيس بنَابِـهِ
وحَـدِيثُ لَــجْلَاجٍ يؤيِّــدُ قَوْلَنــا ويَعِيضُ عـن خَطَـأ بوَجْـهِ صَـوَابِهِ
وإذا أتَــاكَ مُعَانِــدٌ بلَجَاجَــةٍ فأصِــمَّ أُذْنَــكَ عــن سَـمَاعِ سِـبَابِهِ
لا تَفْــتَحَنْ بَــابَ الجِــدَالِ فإنَّــهُ يُفضِــي بصَــاحِبِهِ لسُــوءِ عِقَابِــهِ

مقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّدٍ خاتم الأنبياء والمرسلين، ورضي الله عن آله الأكرمين، وصحابته والتَّابعين.

أمَّا بعد: فهذا بحثٌ مُحَرَّرٌ مُفيدٌ، بيَّنتُ فيه وصول ثواب القرآن للميت إذا أهداه القارئ بلفظه أو نيَّته، بعد أن استعرضتُ الأقوال وأدلَّتها، وأجبتُ عن أدلَّة المانعين للوصول، بما يُفيد ضعف ما ذهبوا إليه.

واللهَ أسألُ أن يهديني سواءَ السَّبيل، فهو حسبي ونعم الوكيل.

أقوال العلماء في وصول ثواب القرآن للميت

اختلف العلماء في إهداء قراءة القرآن للميت، هل يصل ثوابها إليه؟

مشهور مذهب مالكٍ والشَّافعيِّ: أنَّ قراءة القرآن لا تصل للميت. ومذهب أحمد وأكثر المتقدِّمين: أنَّها تصل، وهو الذي رجَّحه متأخِّرو المالكية وغيرهم.

قال النوويُّ في "الأذكار" -بعد حكاية الإجماع على أنَّ الدُّعاء يصل الميت وينفعه ثوابه- ما نصُّه: «واختلف العلماء في وصول ثواب قراءة القرءان؟ فالمشهور من مذهب الشَّافعيِّ وجماعةٍ: أنَّه لا يصل، وذهب أحمد وجماعةٌ مِن العلماء، وجماعةٌ من أصحاب الشَّافعيِّ إلى أنَّه يصل، فالاختيار أن يقول القارئ بعد فراغه: اللهمَّ أوصل ثواب ما قرأته إلى فلان».اهـ

وقال ابن القيِّم: واختلفوا في العبادة البدنيَّة كالصَّوم والصَّلاة وقراءة القرآن والذِّكر، فمذهب الإمام أحمد وجمهور السَّلف وصوله، وهو قول بعض أصحاب أبي حنيفة.

نصَّ على هذا الإمام أحمد في رواية محمَّد بن يحيى الكَحَّال قال: «قيل لأبي عبد الله: الرجل يعمل الشيء من الخير من صلاةٍ أو صدقةٍ أو غير ذلك، يجعل نصفه لأبيه أو أمِّه، قال: أرجو، وقال: الميت يصل إليه كلُّ شيءٍ من صدقةٍ أو غيرها. وقال أيضًا: اقرأ (آية الكرسيِّ) ثلاثة مرَّات، و(قل هو الله أَحَدٌ)، وقل: اللهمَّ إنَّ فضله لأهل المقابِر. والمشهور من مذهب مالكٍ والشَّافعيِّ أنَّ ذلك لا يصل. وذهب بعض أهل البِدَعِ مِن أهل الكلام أنَّه لا يصل إلى الميت شيءٌ البتَّة لا دعاءٌ ولا غيره».اهـ

وقال الحافظ ابن حجرٍ في "الجواب الكافي عن السُّؤال الخافي" ما نصُّه: «وأمَّا الحادي عشر وهو: هل يصل ثواب القراءة للميت؟ فهي مسألةٌ مشهورةٌ، وقد كتبتُ فيها كرَّاسةً، والحاصل أنَّ أكثر المتقدِّمين من العلماء على الوصول، وأنَّ المُختار الوقف عن الجزم في المسئلة، مع استحباب عمله والإكثار منه».اهـ

وأفتى ابن رُشدٍ من أئمَّة المالكيَّة: «أنَّ الميت ينتفع بقراءة القرآن ويصل إليه نفعه ويحصل له أجره إذا نوى القارئ هبة ثواب قراءته له».اهـ

واعتمده غير واحدٍ من مُتأخِّري المالكيَّة، قال ابن هلالٍ في نوازله: «وبه جرى عمل النَّاس شرقًا وغربًا، ووقفوا على ذلك أوقافًا، واستمرَّ عليه الأمر أزمنةً سالفةً».اهـ

دليل المانعين للوصول

استدلُّوا بقوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم: ٣٩] قال الحافظ ابن كثيرٍ في "تفسيره": «ومِن هذه الآية استنبط الشَّافعيُّ رحمه الله ومن اتَّبعه أنَّ القراءة لا يصل إهداء ثوابها إلى الموتى؛ لأنَّه ليس من عملهم ولا كسبهم؛ ولهذا لم يندب إليه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أمَّته، ولا حثَّهم عليه، ولا أرشدهم إليه بنصٍّ ولا إيماءٍ، ولم يُنقل ذلك عن أحدٍ من الصَّحابة رضي الله عنهم، ولو كان خيرًا ما سُبقوا إليه، وباب القُرُبات يُقتصر فيه على النُّصوص، ولا يُتصرَّف فيه بأنواع الأقيسة والآراء، فأمَّا الدُّعاء والصَّدقة فذاك مجمعٌ على وصولها، ومنصوصٌ من الشَّارع عليهما».اهـ

قلت: قوله: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لم يندب أمَّته إلى ذلك، وأنَّ الصَّحابة لم يفعلوه، منقوضٌ بما يأتي إن شاء الله ودعواه أنَّ القُرُبات لا يُتصرَّف فيها بالقياس مخالفٌ لما قرَّره أهل الأصول والفقه.

أمَّا الآية، فالجواب عنها من وجوهٍ:

الأول: أنَّها لم تبقَ على عمومها، بل أُخرج منها الدُّعاء والصِّيام والصَّدقة والحجُّ، وفي حُجِّيَّة العام بعد تخصيصه خلافٌ كبيرٌ بين الأُصوليين، وإن كان الراجح بقاءها ففي الاستدلال بالآية نزاعٌ كما ترى.

الثاني: أنَّها منسوخةٌ بقوله تعالى: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١] الآية، رُوي عن ابن عباسٍ، ولا يصحُّ؛ لأنَّ الآية خبرٌ، والخبر لا يدخله نسخٌ.

الثالث: أنَّها إخبارٌ عن شريعة إبراهيم وموسى، أمَّا هذه الأمَّة فلها ما سعت وما سعى لها غيرها، للأحاديث الدَّالة على ذلك. قاله عكرمةٌ.

الرابع: أنَّها في الكافر، أمَّا المؤمن فله ما سعى وما سُعي له. قاله الربيع بن أنس.

الخامس: أنَّ اللام في الإنسان بمعنى: (على)، أي: ليس على الإنسان إلَّا ما سعى. وهذا ضعيفٌ أو باطلٌ.

السادس: أنَّ في الآية حذفًا تقديره: وأن ليس للإنسان إلَّا ما سعى أو سُعي له. وهذا باطلٌ.

السابع: أنَّ المراد بالإنسان في الآية الحيُّ، لا الميت. وهذا باطلٌ.

الثامن: أنَّها في الذنوب، وقد اتَّفق على أنَّه لا يحتمل أحدٌ ذنب أحدٍ، ويدلُّ

على هذا قوله قبلها: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ٣٨] وكأنَّه يقول: لا يؤخذ أحدٌ بذنب غيره، ولا يؤاخذ إلَّا بذنب نَفْسِهِ. وهذا ضعيفٌ.

التاسع: أنَّ للإنسان ما عمل بحقٍّ، وله ما عمل له غيره بهبة العامل له فجاءت الآية في إثبات الحقيقة، دون ما زاد عليها.

العاشر: أن ليس للإنسان إلَّا ما سعى من طريق العدل، فأمَّا من باب الفضل فجائزٌ أن يزيده الله تعالى ما شاء. قاله الحسين بن الفضل.

الحادي عشر: أنَّها لم تنفِ انتفاع الرجل بسعي غيره، وإنَّما نفت ملكه لغير سعيه وبين الأمرين فرقٌ لا يخفى، فأخبر الله تعالى أنَّ الإنسان لا يملك إلَّا سعيه، أمَّا سعي غيره فهو مِلْكٌ لساعيه: فإن شاء أن يبذله لغيره، وإن شاء أن يبقيه لنفْسِه، وهو سبحانه لم يقل لا ينتفع إلَّا بما سعى، قال ابن القيم: «وكان شيخنا -يعني ابن تيمية- يختار هذه الطريقة ويرجِّحها».اهـ

وقال القرطبيُّ: «وقيل إنَّ الله عزَّ وجلَّ إنَّما قال: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٩]، ولام الخفض معناها في العربيَّة الملك والإيجاب؛ فلم يجب للإنسان إلَّا ما سعى، فإذا تصدَّق عليه غيره، فليس يجب له شيء، إلَّا أنَّ الله عزَّ وجلَّ يتفضَّل عليه، بما لا يجب له، كما يتفضَّل على الأطفال بادخالهم الجنَّة بغير عملٍ».اهـ

الثاني عشر: أنَّ معنى ﴿إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ إلَّا ما نوى بدليل قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يُبعثُ النَّاسُ على نِيَّاتهم**». قاله أبو بكرٍ الورَّاق.

الثالث عشر: أنَّ الإنسان بسعيه وحسن عشرته اكتسب الأصدقاء، وأولد

الأولاد، ونكح الأزواج، وأسدىٰ الخير وتودَّد إلىٰ النَّاس، فترحمَّوا عليه، وأهدوا له العبادات وكان ذلك أثر سعيه، كما قال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ أَطْيَبَ ما أكَلَ الرَّجُلُ مِن كَسْبِ يَدِهِ وإنَّ وَلَدَهُ مِن كَسْبِهِ**»، قال أبو الوفاء بن عقيل الحنبليُّ، قال ابن القيم: «وهذا جوابٌ متوسِّطٌ، يحتاج إلىٰ تمامٍ، فإنَّ العبد بإيمانه وطاعته لله ورسوله، قد سعىٰ في انتفاعه بعمل إخوانه المؤمنين، مع عمله، كما ينتفع بعملهم في الحياة مع عمله، فإنَّ المؤمنين ينتفع بعضهم بعمل بعضٍ في الأعمال التي يشتركون فيها، كالصَّلاة في الجماعة، فإنَّ كلَّ واحدٍ منهم تُضاعف صلاته إلىٰ سبعة وعشرين ضعفًا؛ لمشاركة غيره له في الصَّلاة فعمل غيره كان سببًا لزيادة أجره، كما أنَّ عمله سبب لزيادة أجر الآخَرين، بل قد قيل: إنَّ الصَّلاة يُضاعف ثوابها بعدد المُصلِّين. وكذلك اشتراكهم في الجهاد والحجِّ، والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر والتعاون علىٰ البرِّ والتَّقوىٰ، وقد قال النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**المؤمِنُ للمؤمِنِ كالبُنْيانِ يَشُدُّ بعضُهُ بعضًا**»، وشبَّك بين أصابعه، ومعلومٌ أنَّ هذا بأمور الدِّين أولىٰ منه بأمور الدُّنيا. فدخول المسلم مع جملة المسلمين في عقد الإسلام من أعظم الأسباب في وصول نفع كلٍّ من المسلمين إلىٰ صاحبه، في حياته وبعد موته، ودعوة المسلمين تُحيط من ورائهم وقد أخبر الله تعالىٰ عن حملة العرش ومَن حوله أنَّهم يستغفرون للمؤمنين ويدعون لهم. وأخبر عن دعاء رسله واستغفارهم للمؤمنين، كنوحٍ وإبراهيم ومحمَّد صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم. فالعبد بإيمانه، قد تسبَّب في وصول هذا الدُّعاء إليه، فكأنَّه من سعيه، يوضحه: أنَّ الله سبحانه وتعالىٰ جعل الإيمان

سببًا لانتفاع صاحبه بدعاء إخوانه من المؤمنين وسعيهم، فإذا أتىٰ به، فقد سعىٰ في السَّبب الذي يوصل إليه ذلك، وقد دلَّ علىٰ ذلك قوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لعمرو بن العاص: «**إنَّ أباك لو كان أقرَّ بالتوحيد نفعه ذلك**» يعني: العتق الذي فعل عنه بعد موته، فلو أتىٰ بالسَّبب لكان قد سعىٰ في عمل يوصل إليه ثواب العتق. وهذه طريقةٌ لطيفةٌ حسنةٌ جدًّا».اهـ

والحديث الذي أشار إليه، رواه أحمد وغيره عن عبد الله بن عمرو أنَّ العاص بن وائل، نَذَرَ في الجاهليَّة أن يَنْحَر مائة بَدَنة، وأنَّ هشام بن العاص نحر خمسًا وخمسين، وأنَّ عَمْرًا سأل النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن ذلك؟ فقال: «**أمَّا أبوك فلو أقرَّ بالتوحِيد فصُمْتَ وتصَدَّقتَ عنه نَفَعَهُ ذلك**». أفاد الحديث أنَّ السَّبب في انتفاع الميت بما يُهدىٰ إليه من الأعمال إيمانه وتوحيده.

وفي تفسير الألوسيِّ ما نصُّه: «وقال بعض أجلَّة المحقِّقين: أنَّه ورد في الكتاب والسُّنَّة ما هو قطعيٌّ في حصول الانتفاع بعمل الغير، وهو يُنافي ظاهر الآية، فتقيَّد بما لا يهبه العامل. وسأل والي خراسان عبدُالله بنُ طاهر، الحسينَ بن الفضل عن هذه الآية، مع قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦١] فقال: ليس له بالعدل إلَّا ما سعىٰ، وله بالفضل ما شاء الله تعالىٰ فقبَّل عبدالله رأس الحسين».اهـ

وقال الألوسيُّ أيضًا بعد إيراد بعض أجوبةٍ عن الآية ما نصُّه: «والذي أميل إليه كلام الحسين، ونحوه كلام ابن عطيَّة، قال: والتَّحرير عندي في هذه الآية أنَّ ملاك المعنىٰ هو اللام من قوله سبحانه: ﴿لِلْإِنسَٰنِ﴾ فإذا حقَّقت

الشيء الذي يحقُّ للإنسان أن يقول فيه: لي كذا، لم تجده إلَّا سعيه، وما يكون من رحمةٍ بشفاعةٍ، أو رعاية أبٍ صالحٍ، أو ابن صالحٍ، أو تضعيف حسناتٍ، أو نحو ذلك، فليس هو للإنسان، ولا يَسعه أن يقول: لي كذا وكذا إلَّا على تجوُّزٍ وإلحاقٍ بما هو حقيقة.

ويعلم من مجموع ما تقدَّم أنَّ استدلال المعتزلة بالآية على أنَّ العبد إذا جعل ثواب عمله -أي عملٍ كان- لغيره، لا ينجعل ويلغو جعله غير تامٍّ. وكذا استدلال الشَّافعيِّ بها على أنَّ ثواب القراءة لا يلحق الأموات».اهـ كلام الألوسي.

وما نقله عن المعتزلة ليس متَّفقًا عليه بينهم فالزمخشريُّ وهو من كِبارهم يقول بالوصول، قال في "الكشَّاف" عند تفسير هذه الآية ما نصُّه: «فإن قلت: أما صحَّ في الأخبار الصَّدقة عن الميت والحجُّ عنه وله الأضعاف، قلت: فيه جوابان:

أحدهما: أنَّ سعي غيره لمَّا لم ينفعه إلَّا مبنيًّا على سعي نفسه وهو أن يكون مؤمنًا صالحًا، وكذلك الأضعاف، كان سعي غيره كأنَّه سعي نفسه لكونه تابعًا له، وقائمًا بقيامه.

والثاني: أنَّ سعي غيره لا ينفعه إذا عمله لنفسه ولكن إذا نواه به، فهو بحكم الشَّرع كالنَّائب عنه، والوكيل القائم مقامه».اهـ

وفي فتاوى الحافظ ابن الصَّلاح ما نصُّه: «مسئلةٌ في قوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم: ٣٩] وقد ثبت أنَّ أعمال الأبدان لا تنتقل، وقد ورد عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا ماتَ ابنُ آدمَ انقطَعَ عَمَلُهُ إلَّا مِن ثلاثةٍ:**

صَدَقَةٍ جَارِيةٍ، أو عِلْمٍ يُنتَفَعُ به، أو ولدٍ صالحٍ يَدْعُو له» وقد اختُلف في القرآن: هل يصل إلى الميت أو لا؟ وكيف يكون الدُّعاء يصل إليه والقرآن أفضل؟

أجاب رضي الله عنه: هذا قد اختُلف فيه، وأهل الخير وجدوا البركة في مواصلة الأموات بالقرآن، وليس الاختلاف في هذه المسئلة، كالاختلاف في الأصول، بل هي من مسائل الفروع، وليس نصُّ الآية المذكورة دالًّا على بطلان قول من قال: أنَّه يصل، فإنَّ المراد به -أي نصُّ الآية- أنَّه لا حقَّ له ولا جزاء إلَّا فيما يسعى، ولا يدخل ما يتبرَّع به الغير من قراءة ودعاء، وأنَّه لا حقَّ في ذلك ولا مُجازاة، وإنَّما أعطاه الغير تبرُّعًا، وكذلك الحديث لا يدلُّ على بطلان قوله، فإنَّه في عمله، وهذا من عمل غيره».اهـ

وقال الشيخ تقيُّ الدِّين أبو العبَّاس أحمد بن تيمية: «من اعتقد أنَّ الإنسان لا ينتفع إلَّا بعمله فقد خرق الإجماع وذلك باطلٌ من وجوهٍ:

أحدها: أنَّ الإنسان ينتفع بدعاء غيره، وهو انتفاعٌ بعمل الغير.

ثانيها: أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يشفع لأهل الموقف في الحساب، ثُمَّ لأهل الجنَّة في دخولها، ثُمَّ لأهل الكبائر في الخروج من النَّار.

ثالثها: أنَّ الملائكة يستغفرون ويدعون لمن في الأرض.

رابعها: أنَّ الله تعالى يُخرج من النَّار من لم يعمل خيرًا قطُّ، بمَحْضِ فضله ورحمته، وهذا انتفاعٌ بغير عملهم.

خامسها: أنَّ أولاد المؤمنين يدخلون الجنَّة بعمل آبائهم.

سادسها: قال تعالى في قصَّة الغلامين اليتيمين: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: ٨٢].

سابعها: أنَّ الميت ينتفع بالصَّدقة عنه وبالعتق، بنصِّ السُّنَّة والإجماع.

ثامنها: أنَّ الحجَّ المفروض يسقط عن الميت لحجِّ وليِّه عنه بنصِّ السُّنَّة.

تاسعها: أنَّ الحجَّ المنذور، أو الصَّوم المنذور، يسقط عن الميت بعمل غيره، بنصِّ السُّنَّة وهو انتفاعٌ بعمل الغير.

عاشرها: أنَّ المدين قد امتنع النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من الصَّلاة عليه حتَّىٰ قضىٰ دينه أبو قتادة، وقضىٰ دين الآخر عليُّ بن أبي طالب، وانتفع بصلاة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وهو من عمل الغير». اهـ باختصار.

فتبيَّن ممَّا تقدَّم أنَّ الاستدلال بالآية علىٰ منع وصول القراءة للميت، غير صحيحٍ لأنَّ الآية لا تُفيد ذلك.

أدلة القائلين بالوصول

استدلُّوا بأمورٍ:

أحدها: قال الطبرانيُّ في معجمه الكبير: حدَّثنا الحسين بن اسحاق التُّستَريُّ، ثنا عليُّ بن حجرٍ، ثنا مُبشِّر بن اسماعيل، حدَّثني عبدالرحمن بن العلاء بن اللَّجْلاج، عن أبيه قال: قال أبي اللَّجْلاج أبو خالدٍ: يا بنيَّ إذا أنا متُّ فألحدني فإذا وضعتني في لحدي فقل: بسم الله وعلىٰ مِلَّة رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، ثُمَّ سِنَّ عليّ التَّراب سَنًّا، ثُمَّ اقْرأ عند رأسي بفاتحة البقرة وخاتمتها؛ فإنِّي سمعتُ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول ذلك.

قال الحافظ الهيثميُّ: «رجاله مُوثَّقون»؛ قلت: فإسناده حسن.

ثانيها: روىٰ الطبرانيُّ، والبيهقيُّ عن ابن عمر قال: سمعتُ رسول الله

صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**إذا ماتَ أحَدُكم فلا تَحْبِسُوه، وأَسْرِعُوا به إلى قبره، وليُقرأ عند رأسِهِ فاتِحَةَ الكِتابِ**». ولفظ رواية البيهقيِّ: «**بفاتِحَةِ البقرة وعند رجليه بخاتِمة البقرة في قَبْرِهِ**».

ثالثها: ثَبَتَ في الأحاديث الصَّحيحة وصول الصَّدقة والصَّوم والحجِّ والعمرة إلى الميت وهذه عبادات، وقراءة القرآن عبادةٌ أيضًا؛ فتصل إلى الميت لأنَّه لا فارق بينها وبين تلك العبادات المذكورة، وهذا من القياس الجليِّ، الذي لا خلاف في حُجِّيَّته، والعمل به.

قال القرطبيُّ في "التذكرة": «أصل هذا الباب الصَّدقة التي لا اختلاف فيها، فكما يصل للميت ثوابها، فكذلك تصل قراءة القرآن والدُّعاء والاستغفار؛ إذ كلُّ ذلك صدقةٌ، فإنَّ الصَّدقة لا تختصُّ بالمال، قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: وقد سُئل عن قصر الصَّلاة في حالة الأمن: «**صَدَقةٌ تَصَدَّقَ اللهُ بها عليكم فاقْبَلُوا صَدَقَتَهُ**»، وقال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يُصْبِحُ على كلِّ سُلَامَى مِن أَحَدِكُم صَدَقَةٌ، فكلُّ تسبيحةٍ صدقةٌ وكلُّ تهليلةٍ صدقةٌ، وكلُّ تكبيرةٍ صدقةٌ، وكلُّ تحميدةٍ صدقةٌ، وأمرٌ بالمَعْرُوف صدقةٌ، ونهيٌ عن المُنكَرِ صدقةٌ، ويُجْزِيءُ عن ذلك ركعتان يركعهما من الضُّحَى**». ولهذا استحبَّ العلماء زيارة القبور؛ لأنَّ القراءة تُحفة الميت من زائره».اهـ

فأفاد أنَّ القراءة يشملها لفظ الصَّدقة في عرف الشَّرع.

وقال ابن القيم -بعد أن أطال في بيان وصول الأعمال المُهداة إلى الميت، وأفاض في الاستدلال لذلك- ما نصُّه: «وأمَّا قراءة القرآن، وإهداؤها له تطوُّعًا بغير أجرةٍ، فهذا يصل إليه كما يصل ثواب الصَّوم والحجِّ فإن قيل: فهذا

لم يكن معروفًا في السَّلف، ولا يمكن نقله عن واحدٍ منهم، مع شدَّة حِرصهم على الخير، ولا أرشدهم النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وقد أرشدهم إلى الدُّعاء والاستغفار والصَّدقة والحجِّ والصِّيام، فلو كان ثواب القراءة يصل لأرشد إليه ولكانوا يفعلونه.

فالجواب: أنَّ مورد هذا السُّؤال، إن كان مُعترِفًا بوصول ثواب الصَّوم والحجِّ والدُّعاء والاستغفار قيل له: ما هذه الخاصيَّة التي منعت وصول ثواب القرآن واقتضت وصول ثواب هذه الأعمال؟ وهل هذا إلَّا تفريقٌ بين المُتماثِلات؟ وإن لم يعترف بوصول تلك الأشياء إلى الميت، فهو محجوجٌ بالكتاب والسُّنَّة والإجماع وقواعد الشَّرع، وأمَّا الذي لأجله لم يظهر ذلك في السَّلف، فهو أنَّه لم يكن لهم أوقافٌ على مَن يقرأ ويُهدي إلى الموتى، ولا كانوا يعرفون ذلك البتَّة، ولا كانوا يقصدون القبر للقراءة عنده، كما يفعله النَّاس اليوم، ولا كان أحدهم يشهد من حضره من النَّاس أنَّ ثواب هذه القراءة لفلانٍ الميت، بل ولا ثواب هذه الصَّدقة والصَّوم، ثُمَّ يقال لهذا القائل: ولو كُلِّفت أن تنقل عن واحدٍ من السَّلف أنَّه قال: اللهمَّ ثواب هذا الصَّوم لفلانٍ لعجزت؛ فإنَّ القوم كانوا أحرص شيءٍ على كتمان أعمال البرِّ، فلم يكونوا ليشهدوا على الله بإيصال ثوابها إلى أمواتهم، فإن قيل: فرسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أرشدهم إلى الصَّوم والصَّدقة والحجِّ دون القراءة، قيل: هو صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لم يبتدئهم بذلك بل خرج ذلك منه، مَخرج الجواب لهم: فهذا سأله عن الحجِّ عن ميته، فأذن له وهذا سأله عن الصِّيام عنه، فأذن له وهذا سأله عن الصَّدقة، فأذن له، ولم يمنعهم ممَّا سوى ذلك.

وأي فرقٍ بين وصول ثواب الصَّوم الذي هو مُجَرَّد نيَّةٍ وإمساك، وبين وصول ثواب القراءة والذِّكر؟ والقائل أنَّ أحدًا من السَّلف لم يفعل ذلك قائلٌ ما لا عِلْمَ له به، فإنَّ هذه شهادةٌ على نفي ما لم يعلمه؛ فما يدريه أنَّ السَّلف كانوا يفعلون ذلك، ولا يشهدون من حضرهم عليه، بل يكفي اطِّلاع علَّام الغيوب على نيَّاتهم ومقاصدهم، لا سيِّما والتلفُّظ بنيَّة الإهداء لا يُشترط كما تقدَّم.

وسِرُّ المسئلة: أنَّ الثواب مِلْكٌ للعامل، فإذا تبرَّع به وأهداه إلى أخيه المسلم أوصله الله إليه. فما الذي خَصَّ من هذا الثَّواب قراءة القرآن؟ وحَجَر على أن يوصله إلى أخيه؟ وهذا عمل النَّاس حتَّى المنكرين في سائر الأعصار والأمصار من غير نكيرٍ من العلماء». اهـ كلامه.

وهو جيِّدٌ مُفيدٌ وإليك بعض الآثار عن السَّلف في قراءة القرآن على الميت.

قال البيهقيُّ في "السُّنن": حدَّثنا أبو عبد الله الحافظ، ثنا أبو العبَّاس بن يعقوب ثنا العبَّاس بن محمَّدٍ، قال: سألت يحيى بن معينٍ عن القراءة عند القبر؟ فقال: حدَّثني مُبشِّر بن إسماعيل الحلبيُّ، عن عبد الرحمن بن العلاء ابن اللَّجْلاج، عن أبيه، قال لبنيه: «إذا أنا متُّ، فضعوني في قَبْري، وقولوا: بسم الله وعلى سُنَّة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وسِنُّوا علي التَّراب سَنًّا، ثُمَّ اقرأوا عند رأسي أول سورة البقرة وخاتمتها، فإنِّي رأيت ابن عمر يستحبُّ ذلك». قال الحافظ ابن حجرٍ في "أمالي الأذكار": «هذا موقوفٌ حسنٌ».

وقال الحافظ عبدالحقِّ في كتاب العاقبة: «يُروى أنَّ عبد الله بن عمر، أمر أن يُقرأ عند قبره (سورة البقرة)، وممَّن رأى ذلك عبد الرحمن بن العلاء.

وقال الخلَّال في "الجامع": كتاب القراءة عند القبور: أخبرنا العبَّاس بن محمَّد الدُّوريُّ، ثنا يحيىٰ بن معين، وذكر الأثر الذي نقلناه عن البيهقيِّ آنفًا، ثُمَّ نقل عن عبَّاسٍ الدُّوريِّ قال: سألت أحمد بن حنبلٍ، قلت: تحفظ في القراءة علىٰ القبر شيئًا؟ قال: لا وسألت يحيىٰ بن معينٍ، فحدَّثني بهذا الحديث قال الخلَّال: وأخبرني الحسن بن أحمد الورَّاق، حدَّثني علي بن موسىٰ الحدَّاد -وكان صدوقًا- قال: كنت مع أحمد بن حنبلٍ، ومحمَّد بن قدامة الجوهريِّ في جنازةٍ فلمَّا دُفن الميت، جلس رجلٌ ضريرٌ يقرأ عند القبر، فقال له أحمد: يا هذا إنَّ القراءة عند القبر بدعةٌ، فلمَّا خرجنا من المقابر، قال محمَّد بن قدامة لأحمد بن حنبلٍ: يا أبا عبد الله ما تقول في مُبشِّر الحلبيِّ؟ قال: ثقةٌ. قال كتبت عنه شيئًا؟ قال: نعم، قال: فأخبرني مُبشِّر، عن عبد الرحمن بن العلاء بن اللَّجْلاج عن أبيه: أنَّه وصَّىٰ إذا دُفن أن يقرأ عند رأسه بفاتحة (البقرة) وخاتمتها، وقال: سمعت ابن عمر يُوصي بذلك، فقال له أحمد فارجع وقل للرجل: «يقرأ».

وقال الحسن بن الصَّبَّاح الزعفرانيُّ: سألت الشَّافعيَّ عن القراءة عند القبر؟ فقال: لا بأس بها.

وروىٰ الخلَّال عن الشَّعبيِّ، قال: كانت الأنصار إذا مات لهم الميت اختلفوا إلىٰ قبره يقرأون عنده القرآن.

وقال الخرائطيُّ في كتاب "القبور": سُنَّةٌ في الأنصار، إذا حملوا الميت أن يقرأوا معه سورة البقرة».اهـ

قال الخلَّال: «وأخبرني أبو يحيىٰ الناقد، قال: سمعت الحسن بن الجروي يقول: مَرَرْتُ علىٰ قبر أختٍ لي، فقرأت عندها (تبارك) لما يُذكر فيها فجاءني

رجلٌ فقال: إنِّي رأيت أختك في المنام، تقول: جزىٰ الله أبا عليٍّ خيرًا، فقد انتفعت بما قرأ.

أخبرني الحسن بن الهيثم قال: سمعت أبا بكر بن الأطروش ابن بنت أبي نصرٍ التمَّار يقول: كان رجلٌ يجيء إلىٰ قبر أمِّه يوم الجمعة؛ فيقرأ (سورة يس)، فجاء في بعض أيَّامه فقرأ (سورة يس) ثُمَّ قال: اللهمَّ إن كنت قسمت لهذه السورة ثوابًا، فاجعله في أهل هذه المقابر. فلما كان في الجمعة التي تليها، جاءته إمرأةٌ فقالت: أنت فلان بن فلانة؟ قال: نعم، قالت: إنَّ بنتًا لي ماتت، فرأيتها في النوم جالسةً علىٰ شفير قبرها فقلت: ما أجلسك هاهنا؟ قالت: إنَّ فلان بن فلانة، جاء إلىٰ قبر أمِّه، فقرأ (سورة يس)، وجعل ثوابها لأهل المقابر، فأصابنا من روح ذلك، أو غُفر لنا، أو نحو ذلك».اهـ

قلت: يؤيِّد هذا ما رواه أحمد، وأبو داود، والنَّسائيُّ واللَّفظ له، وابن ماجه عن مَعقِل بن يَسَارٍ: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**قَلْبُ القُرْآنِ يس، لا يقرأها رجلٌ يريدُ اللهَ والدَّارَ الآخِرةَ إلَّا غُفِر له؛ اقرأوها على مَوْتاكُم**».

صحَّحه ابن حِبَّان والحاكم، وذكر ابن حِبَّان: أنَّ المراد بالموتىٰ من حضره الموت، ورجَّحه ابن القيِّم في كتاب "الرُّوح" بوجوهٍ لكن أخذ ابن الرِّفعة بظاهر الحديث، فصحَّح أنَّها تُقرأ بعد الموت.

وذكر الشَّوكانيُّ أنَّ لفظ الموتىٰ حقيقة فيمن مات، ولا يُعدل عن الحقيقة إلَّا بقرينةٍ، ولا مانع عندي من قراءتها علىٰ المُحتَضر؛ ليتدبَّر ما فيها، وعلىٰ الميت؛ لينفعه ثوابها.

وقال محمَّد بن أحمد المَرُّوزيُّ: سمعت أحمد بن حنبلٍ يقول: «إذا دخلتم

المقابر، فاقرأوا بفاتحة الكتاب والمعوِّذتين وقل هو الله أحد، واجعلوا ثواب ذلك لأهل المقابر، فإنَّه يصل إليهم».

وقال النَّوويُّ في الكلام على زيارة القبور من شرح "المهذَّب": «ويستحبُّ أن يقرأ من القرآن ما تيسَّر ويدعو لهم عقبها. نصَّ عليه الشَّافعيُّ واتَّفق عليه الأصحاب».اهـ

وقال في "الأذكار" في باب «ما يقوله بعد الدَّفن»: «قال الشَّافعيُّ والأصحاب: يستحبُّ أن يقرأوا عنده شيئًا من القرآن، قالوا: فإن ختموا القرآن كلَّه كان حسنًا.

وروينا في "سنن البيهقيِّ" بإسنادٍ حسنٍ: أنَّ ابن عمر استحبَّ أن يُقرأ على القبر بعد الدَّفن أوَّل (سورة البقرة) وخاتمتها». اهـ

وذكر الذَّهبيُّ في "تذكرة الحُفَّاظ"، في ترجمة الخطيب البغداديِّ: «أنَّه لما تُوفِّي قُرِىء على قبره عِدَّة ختماتٍ».

فتبيَّن ممَّا أوردناه أمران:

أحدهما: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، أرشد إلى قراءة القرآن على الميت.

ثانيهما: أنَّ القراءة عند القبر، كانت معروفةً عند السَّلف.

قال القرطبيُّ في "التذكرة": «وقد قيل: إنَّ ثواب القراءة للقاريء، وللميت ثواب الاستماع ولذلك تلحقه الرحمة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[الأعراف: ٢٠٤] ولا يَبعُد في كرم الله تعالى

أن يلحقه ثواب القراءة والاستماع جميعًا، ويلحقه ثواب ما يُهدىٰ إليه من قراءة القرآن، وإن لم يسمعه، كالصَّدقة والدُّعاء والاستغفار لما ذكرنا».

قلت: لا يلحق الميت ثواب الاستماع لانقطاع تكليفه لكن يلحقه ثواب ما يُهدَىٰ إليه.

رابع الأدلَّة: ما ذكره القرطبيُّ حيث قال: «وقد استدلَّ بعض علمائنا علىٰ قراءة القرآن بحديث العَسِيبِ الرَّطب الذي شقَّه النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم باثنين، ثُمَّ غرس علىٰ هذا واحدًا وعلىٰ هذا واحدًا، ثُمَّ قال: «**لعلَّه يُخفِّفُ عنهما ما لم يَيْبَسا**». أخرجه البخاريُّ ومسلمٌ.

وفي "مسند الطيالسيِّ": فوضع علىٰ أحدهما نصفًا، وعلىٰ الآخر نصفًا وقال: «**إنَّه يُهَوِّن عليهما ما دام فيهما مِن بُلُولَتِهما شيءٌ**».

قالوا: ويستفاد من هذا: غرس الأشجار، وقراءة القرآن علىٰ القبور، وإذا خفَّف عنهم بالأشجار، فكيف بقراءة الرجل المؤمن للقرآن؟».اهـ وهذا قياسٌ أوَّلي.

خامسها: صلاة الجنازة، فإنَّها ما شُرعت إلَّا لانتفاع الميت والاستشفاع له لما فيها من قراءة ودعاء واستغفار، فإذا كان يصل إلىٰ الميت ما تشمل عليه الصَّلاة من دعاء واستغفار، فكذلك يصل إليه ما تشمل عليه من القرآن، سواء بسواء والتفريق في العبادة الواحدة بين مشمولاتها، تحكُّمٌ غير مقبولٍ، ولم أرَ مَن سبقني إلىٰ هذا الدَّليل، وهو نصٌّ في الموضوع.

والله يقول الحقَّ وهو يهدي السَّبيل.

خاتمة

تشتمل على مسألتين

المسألة الأولى: قراءة القرآن على الميت مِن المسائل الفرعيَّة المُختلف فيها بين العلماء وليست من مسائل العقيدة، فالتهويل في شأنها والمبالغة في إنكارها جهادٌ في غير عَدُوٍّ، وإنكارٌ لما ليس بمُنكَرٍ، وتمسُّكٌ بمبدأ «خالف تُعرف» والذين قالوا بعدم الوصول صرَّحوا بأنَّ القاريء إذا دعا بعد قراءته بإيصال ثوابها إلى الميت وصله بلا خلاف؛ لأنها تكون حينئذٍ من قبيل الدُّعاء المُجْمَع على وصوله.

المسألة الثانية: لم يأتِ دليلٌ يُحرِّم قراءة القرآن على الميت، لا من القرآن ولا من السُّنَّة ولا صرَّح به أحدٌ من أئمَّة المذاهب. فكيف يتجرَّأ بعض الناس اليوم على التصريح بتحريم قراءة القرآن على الميت؟ ولم يقل به أحدٌ قبله.

لقد كان الواجب عليه أن يراعي جانب القائلين بالوصول وهم أكثر السَّلَف، وفيهم مِن الصحابة ابن عمر أشدُّ الصحابة تمسُّكًا بالسُّنَّة، ومِن الأئمة: أحمد بن حنبلٍ، أتبع الأئمَّة للآثار. وأن يراعي الدلائل التي أتوا بها، وليس معه منها دليلٌ واحدٌ، نعم لقد كان الواجب عليه أن يراعي ذلك، فلا يصرِّح بالتحريم، بل يحكي القولين ويُرجِّح ما يراه راجحًا، من غير تشنيعٍ ولا تهويلٍ.

لكن الإنصاف عزيزٌ، وحُبُّ العِناد والظُّهور قاصِمٌ للظُّهور، كما قال الصوفية رضي الله عنهم. وبالله التوفيق.

٨- كَمَالُ الإِيمَانِ
فِي التَّدَاوِي بِالقُرْآنِ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

اللهمَّ لك الحمدُ تَمَّ نورُكَ فهَدَيْتَ، ولك الحمْدُ عَظُم حِلْمُكَ فغَفَرْتَ، ولك الحمدُ بسَطْتَ يدك فأعْطَيتَ، أنزلت كتابك العظيم هدًى ورحمةً، وجعلته شفاءً ونِعْمةً، يُذهب عن الأبدان الأدواء والأوْصَاب، كما يُزيل عن القُلُوب الجهل والشِّرك والارتياب.

ونُصلِّي ونُسلِّم على رسولك وصَفيِّك، وخَليلك ونَجيِّك، سيِّدنا محمَّدٍ الذي عرف قَدْرَ القرآن، واتَّخذه دواءً يُعالج به نفْسَهُ وغيره ممَّا ينزل من الأمراض، وحضَّ على التعوُّذ به ممَّا ينوب من الحوادث والأعْراض.

ونسألك الرِّضا عن آله الكِرام، وصحابته الأعلام.

وبعد: فقد سمعتُ في بعض الأيام حديثًا مُذاعًا بالراديو لبعض الأزهريين[1]، عَرَض فيه لموضوع التَّداوي بالقرآن الكريم، فأنكره أشدَّ

---

(١) هو المرحوم الشيخ محمود شلتوت -شيخ الجامع الأزهر- وقد حصل بيني وبينه ردودٌ كثيرةٌ نُشرت بمجلَّتَي "الإسلام" و"الرسالة" في نزول عيسى عليه السَّلام، حيث كان يُنكره، وكانت الرُّدود حاميةً، اشتدَّ فيها بعضنا على بعضٍ، وكان إذا قابلني يقول لي: ما بيننا من خلافٍ في المسائل العِلْميَّة لا يضرُّ بصداقتنا ولا يؤثِّر فيها، فنظلُّ أصدقاء متواصلين.

ولما طبعتُ "إقامة البرهان على نزول عيسى في آخر الزمان" زُرْته في بيته، وسلَّمته إليه فأخذه منِّي ولم يغضب، وهنَّأني أحد الشيوخ وأنا في بيته، فسأله الشخ لم تُهنِّيه؟ فقال: لأنَّه نجح في شهادة العالميَّة ورأيت اسمه في جريدة الأهرام، فقال له الشيخ:

الإنكار، وجعله من قبيل الدَّجل والخُرافات، فعجبتُ لجُرأة هذا الأزهريِّ المُبتدِع!

وقلتُ: كيف يَصحُّ أن يتهجَّم على إنكار شيءٍ ثبت عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قَوْلًا وعَمَلًا وإقْرَارًا!! كما ثبت عن الصَّحابة والتَّابعين وأجمع الأئمَّة على جوازه، بل القرآن نفْسُه يدلُّ عليه ويُرشد إليه لمن استعمل فِكره وأَمْعَنَ نظره، لكن سوابق هذا المبتدِع في إنكار السُّنَّة ومُحاربتها والحضِّ على إهمالها في تفسير القرآن الذي وَكَلَ الله إلى رسوله تبيينه للنَّاس دلَّتني على أنَّه مُستهترٌ فيما يقول، لا يستند إلى ما تواطأ عليه العلماء من الأدلَّة إلَّا بقَدْر ما يُوافق رأيه وهواه، فهو يرجع فيما يعرض له من تفسير بعض الآيات إلى رأيه المجرَّد، وإذا صادفه حديثٌ صحيحٌ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يُخالف ما قال، ردَّه بأسلوبٍ خبيثٍ يدلُّ على الدَّهاء والمَكْر، ذلك بأن يقول: جاء في الرِّوايات كذا، أو تقول الرِّوايات كذا، ليوهِم بذلك: أنَّه ما خالف إلَّا رواياتٍ لا قيمة لها في نظر الفاحص المُدقِّق، والواقع أنَّ ما سمَّاه رواياتٍ، حديثٌ صحيحٌ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أخذ به العلماء والتزموه، بل قد

نحن نُهنِّئ شهادتنا الأزهرية بأخذ الشيخ عبدالله لها ولا نُهنيِّه بها؛ لأنَّه عالِمٌ من بلده، قال هذا بحضور جماعةٍ من العلماء كانوا في زيارته أيضًا.

فانظر إلى أخلاق العلماء وسِعة صدرهم وتفريقهم بين الردِّ العلميِّ والخُصومة الشخصيَّة، وما أشبه هذا بحال الإمام الشَّافعيِّ الذي كان يُجلُّ الإمام مالكًا ويُفاخر به أهل العراق، وردَّ عليه في عمل أهل المدينة بكتابٍ خاصٍّ، واستمرَّ مع ذلك على إجلال مالكٍ وتعظيمه.

يكون من قبيل المُستفيض أو المتواتر.

وقد يُهمِل الحديث فلا يتعرَّض له إطلاقًا كأنَّه لم يَرِد في شيءٍ من كتب السُّنَّة أو التَّفسير، من ذلك أنَّه تكلَّم في بعض أحاديثه بالراديو على تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ﴾ [الكهف: ٦٠- ٦٥].

فصار يردِّد في حديثه ذكر (العبد الصَّالح) ولم يتعرَّض إلى تعيينه، مع أنَّ كتب التَّفسير كلَّها كبيرها وصغيرها عيَّنت العبد الصَّالح بأنَّه: (الخَضِر) واستندت في هذا التعيين إلى ما رواه البخاريُّ ومسلمٌ وأصحاب السُّنن وغيرهم من طُرقٍ عن ابن عباسٍ، عن أُبيِّ بن كعبٍ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في قوله تعالى: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ﴾[الكهف: ٦٥] قال: «هو الخَضِر».

والقصَّة مُفصَّلةٌ بطولها في "الصَّحيحين" وغيرهما عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فإهماله لتعيين العبد الصَّالح مع ما سبق يحتمل أحد أمرين لا ثالث لهما:

فإمَّا أن يكون لم يقف على شيءٍ من كتب التفسير -وكلِّها ذكرت اسم الخَضِر- والحديث الوارد به حتى "تفسير الجلالين" أصغر التفاسير وهذا يؤيِّد ما قدَّمنا أنَّه يرجع إلى رأيه المجرَّد.

وإمَّا أن يكون رأى كتب التفسير، ورأى فيها اسم الخَضِر والحديث الوارد به ومع ذلك أهمله، وهذا يؤيِّد ما قلناه: أنَّه لا يقبل الحديث إذا خالف هواه

ولو كان في أعلىٰ درجات الصِّحَّة.

لكن في مَسْلَكِهِ هذا اعتراضٌ ضِمْنيٌّ، كأنَّه يقول: حيث لم يُعيِّن الله اسم العبد الصَّالح فلا نُعيِّنه ولو عيَّنه رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم!!

وإلَّا فبربِّك قل لي: بماذا تُعلِّل هذا المَسْلَك منه؟!

وكم له في هذا المِضْمَار من نظيرٍ يُحارب السُّنَّة بأساليب شيطانية تروج علىٰ ضعفاء العلم، بُسطاء التفكير.

فتارةً يردُّها بدعوىٰ أنَّها ظنيَّةٌ والمقام يتطلَّب اليقين، وطورًا يتذرَّع إلىٰ ردِّها بالاحتمالات العشر التي كشفنا النِّقاب عن دخلتها في كتابنا "عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسىٰ عليه السَّلام"، وحينًا يلجأ إلىٰ التَّفريق بين السنَّة العملية والقولية، فيأخذ بالأولىٰ ويردُّ الثانية.

أمَّا إذا كان الحديث في شيءٍ من الفضائل والآداب فيذكره مُستشهدًا به، وربَّما يخصُّه بالتعليق والشرح، وإن كان في نهاية الضَّعف أو النَّكارة عند المحدِّثين.

فهو لايلتزم القواعد العِلْمية في جانب الأخذ ولا في جانب الترك، وإنَّما يتَّبع ما يراه موافقًا لروح العصر في نظره.

فحيث إنَّ التداوي بالقرآن وما في معناه لا يعتبر من طرق الطِّب في هذا الوقت؛ لتقدُّم العلوم وتنوُّر الأفكار وغَلَبة المادَّة، فليكن دَجَلًا وخُرافاتٍ وإن أرشد إليه القرآن الكريم، وإن فعله النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وأقرَّه، وإن أجمع عليه العلماء.

هذا هو المنهاج الذي يمشي عليه في فتاويه وبحوثه وهو منهاجٌ أعوج،

يُفضي بسالكه حتمًا إلى مُخالفة النصوص، ومُصادمة الإجماع كما في هذه المسألة التي كتبنا فيها هذا الجزء وسمَّيناه: "**كمال الإيمان في التداوي بالقرآن**".

وقصدنا التَّقرُّب به إلى الله في بيان الحقِّ الحقيق بالاتباع في موضوعٍ يتعلَّق بكتاب الله وبسُنَّة رسول الله.

واللهُ المسئول أن يُثيبنا عليه، ويُلهمنا رشدنا، ويؤيِّدنا بتوفيقٍ من عنده، إنَّه جوادٌ كريمٌ.

الأحاديث الدَّالة على التَّداوي بالقرآن

قال ابن ماجه في «كتاب الطِّب» من "سُننه" باب الاستشفاء بالقرآن.

حدَّثنا محمَّد بن عُبيد بن عُتبة بن عبدالرحمن الكِنديُّ: ثنا عليُّ بن ثابتٍ: ثنا سعَّاد بن سُليمان، عن أبي إسحاق، عن الحارث، عن عليٍّ عليه السَّلام قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله و سلَّم: «**خَيْرُ الدَّواءِ القُرْآنُ**».

وللسَّجزيِّ في "الإِبانة"، والقضاعيِّ في "مسند الشهاب" من طريق أبي إسحاق، عن الحارث، عن عليٍّ عليه السَّلام، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، قال: «**القُرْآنُ هو الدَّواءُ**». وإسناده حسنٌ كما قال المناويُّ في "التيسير".

وروى ابن ماجه، والحاكم عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**عليكم بالشِّفاءَين: العَسَلِ، والقُرْآنِ**».

قال الحاكم: صحيحٌ على شرط الشَّيخين، وسلَّمه الذهبيُّ.

وروى الحاكم أيضًا، عن ابن مسعودٍ قال: «**عليكم بالشِّفاءَين: القُرْآنِ، والعَسَلِ**». وإسناده صحيحٌ أيضًا.

وروى الثعلبيُّ من طريق أحمد بن الحارث الغسَّانيِّ: حدَّثتنا ساكنة بنت الجَعْد قالت: سمعت رجاء الغَنَويَّ يقول: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**من لم يَسْتَشْفِ بالقُرْآنِ فلا شَفَاهُ اللهُ**». إسناده ضعيفٌ.

ما ورد في التَّداوي بفاتحة الكتاب

أخرج البخاريُّ ومسلمٌ عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه قال: انطلق نفرٌ من أصحاب النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في سَفْرَةٍ سافروها حتى نزلوا على حيٍّ من أحياء العرب، فاستضافوهم فأبوا أن يُضيِّفوهم، فلُدِغَ سيِّد ذلك الحيِّ فسَعَوا له بكلِّ شيءٍ، لا يَنفَعُهُ شيءٌ.

فقال بعضهم: لو أتيتم هؤلاء الرَّهط الذين نزلوا لعلَّه أن يكون عند بعضهم شيءٌ، فأتوهم فقالوا: يا أيُّها الرَّهط إنَّ سيِّدنا لُدِغ وسَعَيْنا له بكلِّ شيءٍ، لا يَنفَعُهُ، فهل عند أحدٍ منكم من شيءٍ؟

فقال بعضهم: نعم والله إنِّي لأرقي، ولكن والله لقد استضفناكم فلم تُضيِّفونا فما أنا براقٍ لكم حتى تجعلوا لنا جُعْلًا، فصالحوهم على قطيعٍ من الغَنَم، فانطلق يَتْفِلُ عليه ويقرأ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة]، فكأنَّما نُشِط من عِقالٍ، فانطلق يمشي وما به قَلَبَةٌ، قال: فأوفوهم جُعْلهم الذي صالحوهم عليه، فقال بعضهم: اقسموا، فقال الذي رَقَى: لا تفعلوا حتى نأتي النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فنذكر له الذي كان فننظر ما يأمرنا؟ فقَدِموا على رسول الله صلَّى الله عليه وآله سلَّم فذكروا له، فقال: «**وما يُدريك أنَّها رُقْيةٌ؟**». ثُمَّ قال: «**قد أصبتم، اقْسِمُوا واضْرِبُوا لي معكم سَهْمًا**». فضحك النبيُّ

صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

هذا لفظ رواية البخاريِّ في «كتاب الإجارة»، ورواه في «كتاب فضائل القرآن» بقريبٍ ممَّا هنا، وأمَّا مسلمٌ فرواه في «كتاب الطِّب».

ورواه البخاريُّ في «كتاب الطِّب» أيضًا تحت ترجمة «باب الرُّقَى بفاتحة الكتاب».

ورواه أحمد، وأبو داود، والترمذيُّ، والنَّسائيُّ، وابن أبي حاتمٍ في "العلل" من طُرقٍ وبألفاظٍ، وصحَّحه الترمذيُّ.

وجاء في روايته ورواية ابن أبي حاتم أنَّ الرَّاقي هو أبو سعيدٍ نفْسُه.

حديث آخَر: قال البخاريُّ: (باب الشُّروط في الرُّقية بفاتحة الكتاب) ثُمَّ روى فيه ابن عباسٍ رضي الله عنهما: أنَّ نفرًا من أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مرُّوا بماءٍ فيهم لَدِيغٌ -أو سَليم- فعَرَض لهم رجلٌ من أهل الماء فقال: هل فيكم مِن رَاقٍ؟ إنَّ في الماء رَجُلًا لديغًا أو سليمًا، فانطلق رجلٌ منهم فقرأ بفاتحة الكتاب على شاءٍ فبَرَأ، فجاء بالشَّاء إلى أصحابه فكَرِهوا ذلك وقالوا: أخذت على كتاب الله أَجْرًا، حتى قَدِموا المدينة فقالوا: يا رسول الله أخذ على كتاب الله أجْرًا، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ أحَقَّ ما أَخَذْتُم عليه أَجْرًا كِتابُ الله**».

ورواه البزَّار من حديث جابر بن عبدالله، وزاد في روايته: فقالوا لهم: قد بلغنا أنَّ صاحبكم جاء بالنُّور والشِّفاء، قالوا: نعم، قالوا: فهل فيكم مِن راقٍ؟ فقال رجلٌ من الأنصار: أنا أرقيه... إلخ.

وهذا الرجل من الأنصار هو أبو سعيدٍ الخدريُّ، كما سبق في رواية

الترمذيِّ وابن أبي حاتمٍ، وهذه قصة أُخرىٰ.

حديثٌ آخَر: أخرج أحمد، وأبو داود، والترمذيُّ، والنَّسائيُّ، والدارقطنيُّ في "السُّنن" عن خارجة بن الصَّلت، عن عمِّه: أنَّه أتىٰ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، ثُمَّ أقبل راجعًا من عنده فمرَّ علىٰ قومٍ عندهم رجلٌ مجنونٌ مُوَثَّقٌ بالحديد، فقال أهله: إنَّا قد حُدِّثنا: أنَّ صاحبكم هذا قد جاء بخيرٍ، فهل عندك شيءٌ تُداويه؟ قال: فرَقَيتُه بفاتحة الكتاب ثلاثة أيام كلَّ يومٍ مرَّتين، فبَرَأ فأعطوني مائتي شاةٍ، فأتيتُ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فأخبرته فقال: «**خُذْها فلَعَمْرِي مَن أكَلَ برُقْية باطلٍ، لقد أَكَلْتَ برُقْية حَقٍّ**»[1]. إسناده صحيحٌ، وصحَّحه ابن حِبَّان والحاكم أيضًا.

واسم عمِّ خارجة: علاقة بن صُحَار -بضم الصَّاد وتخفيف الحاء- التميمي، وقيل في اسمه غير ذلك، وهو صحابيٌّ رضي الله عنه.

حديثٌ آخَر: أخرج الطبرانيُّ في "الأوسط" عن السَّائب بن يزيد قال: عَوَّذَني رسولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بفاتِحة الكِتابِ تَفْلًا.

حديثٌ آخَر: روىٰ الثعلبيُّ من طريق معاوية بن صالحٍ، عن أبي سليمان

---

(١) قسَّم النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في هذا الحديث الرُّقية إلىٰ قسمين: رُقْية حَقٍّ، ورُقْية باطلٍ.

فرُقْية الحقِّ: ما كانت بالقرآن أو بما ورد عن النبيِّ صلىٰ الله عليه وآله وسلَّم من قوله أو فعله أو تقريره، ورقية الباطل: ما لم تكن كذلك.

قال الشوكانيُّ: «وعلىٰ رُقْية الباطل تُحمل الأحاديث الواردة في النهي عن الرُّقىٰ، وعلىٰ رُقْية الحقِّ تُحمل الأحاديث الواردة بالإذن بها».اهـ

قال: مَرَّ أصحاب رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في بعض غزوهم علىٰ رجلٍ قد صُرِع، فقرأ بعضهم في أُذنه بأمِّ القرآن فبَرَأ، فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**هي أمُّ القُرْآنِ، وهي شِفَاءٌ مِن كلِّ داءٍ**».

حديثٌ آخَر: روىٰ سعيد بن منصورٍ، والبيهقيُّ عن أبي سعيد: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**فاتِحَةُ الكِتابِ شِفَاءٌ مِن السُّمِّ**».

وروىٰ أبو الشيخ في "الثواب" من طريقٍ آخَر عن أبي سعيدٍ وأبي هريرة، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مثله.

حديثٌ آخَر: روىٰ الدارميُّ والبيهقيُّ بسندٍ رجاله ثقاتٌ عن عبدالمِلك بن عُميرٍ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**فاتِحَةُ الكِتابِ شِفَاءٌ مِن كلِّ داءٍ**». وسيأتي حديثٌ آخر في التَّداوي بالفاتحة من سورٍ وآياتٍ بحول الله.

التداوي بالإخلاص والمُعَوِّذَتين

أخرج أصحاب "السُّنن" عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إذا أوىٰ إلىٰ فراشه كلَّ ليلةٍ جمع كَفَّيه ثُمَّ نَفَثَ فيهما وقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، ثُمَّ يَمْسَحُ بهما علىٰ رأسِهِ ووجْهِهِ وما أقبل مِن جَسَدِهِ، يفعل ذلك ثلاث مرَّات.

ورواه البخاريُّ، ولفظه عن عائشة قالت: كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إذا أوىٰ إلىٰ فِراشه نفَثَ في كَفَّيه بـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمُعوِّذتين جميعًا، ثُمَّ يمسح بهما وجهه وما بلغت يداه من جسده.

قالت عائشة: فلمَّا اشتكىٰ كان يأمرني أن أفعل ذلك به.

قال يونس: كنتُ أرىٰ ابن شهابٍ -يعني الزهريَّ- يصنع ذلك إذا أوىٰ إلىٰ فِراشه.

حديثٌ آخَر: أخرج الإمام مالكٍ، والبخاريُّ، ومسلمٌ عن عائشة: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان إذا اشتكىٰ يقرأ علىٰ نفْسِهِ بالْمُعَوِّذات ويَنفُثُ، فلمَّا اشتدَّ وجَعُهُ كنت أنا أقرأ عليه وأمسح عليه بيمينه رجاء بركتها.

وفي رواية لمسلمٍ: كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إذا مَرِضَ أحدٌ مِن أهله نفَثَ عليه بالمعوِّذات، فلمَّا مَرِضَ مَرَضَهُ الذي مات فيه جَعَلْتُ أنفُثُ عليه وأمسحه بيد نَفْسِهِ؛ لأنَّها كانت أعظم بركةً من يدي.

والمراد بالمعوِّذات: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ نصَّ عليه الحافظ ابن حجرٍ وغيره.

حديثٌ آخر: أخرجه الطبرانيُّ عن أبي عبيدة، واسمه عامر، وقيل اسمه كنية: أنَّ أباه عبدالله بن مسعودٍ رضي الله عنه رأىٰ في عنق امرأةٍ من أهله سيرًا فيه تمائم، فمدَّ يده مَدًّا شديدًا حتىٰ قطع السَّير، وقال: لو أنَّ إحداكنَّ تدعو بماءٍ فتنضحه في رأسها ووجهها ثُمَّ تقول بسم الله الرحمن الرحيم، ثُمَّ تقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، نفعها ذلك إن شاء الله.

حديثٌ آخَر: أخرج ابن أبي شيبة في "مسنده" عن عبدالله بن مسعودٍ قال: بينا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يُصلِّي إذ سَجَدَ فلَدَغَتْهُ عقربٌ في

إصبعه، فانصرف رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وقال: «**لَعَنَ اللهُ العَقْربَ ما تَدَعُ نبيًّا ولا غيره**». ثُمَّ دعا بماءٍ ومِلْحٍ، فجعل يضع موضع اللَّدغة في الماء والمِلح ويقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، والمعوِّذتين حتى سَكَنت.

التَّداوي بـ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ والمُعوِّذتين

أخرج الطبرانيُّ في "المعجم الصغير" عن عليٍّ عليه السَّلام قال: لدَغَت النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عقربٌ وهو يُصلِّي، فلمَّا فرغ قال: «**لَعَنَ اللهُ العَقْربَ؛ لا تَدَعُ مُصلِّيًا ولا غيره**». ثُمَّ دعا بماءٍ ومِلْحٍ، فجعل يمسح عليها ويقرأ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾،قال الحافظ نور الدِّين الهيثميُّ في "مجمع الزوائد": «إسناده حسنٌ».

التداوي بالإخلاص

أخرج أبو يعلى في "الكبير" عن عثمان بن عفَّان قال: مرضت فكان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يعوذني، فعوَّذَني يومًا فقال: «**بسم الله الرَّحمن الرحيم أُعِيذُك بالله الأحد الصَّمد الذي لم يَلِدْ ولم يُولَدْ ولم يكن له كُفُوًا أحدٌ مِن شرِّ ما تَجِد**». فلمَّا استقلَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قائمًا قال: «**يا عثمان تَعَوَّذ بها، فما تَعَوَّذْتم بمِثلها**».

التَّعَوُّذ بالإخلاص، والمُعوِّذَتين وهو من جنس التَّداوي

أخرج البزَّار في "مسنده" عن عبدالله الأسلميِّ قال: كنَّا مع رسول الله

صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في عُمْرَةٍ، حتى إذا كنَّا ببطن واقمٍ استقبلتنا ضبابةٌ فأضلَّتنا الطَّريق فلم نشعر حتى طلعنا على ثنيَّةٍ، فلمَّا رأى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ذلك عَدَل على كثيبٍ فأناخ عليه ثُمَّ قام وقام عليه من شاء الله، فما زال يُصلِّي حتى طلع الفجر، فأخذ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم برأس ناقته، ثُمَّ مشى وعبدالله الأسلميُّ إلى جنبه ما أحدٌ مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم غيره فوضع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يده على صدره ثُمَّ قال: «**قل**». قلت: ما أقول؟ قال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، حتى فرغت منها، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**هكذا فتعوَّذ، فما تَعَوَّذ العِباد بمثلهنَّ قَطُّ**».

قال الحافظ الهيثميُّ: «رجاله رجال الصَّحيح».

حديثٌ آخَر: أخرج أبو داود عن عقبة بن عامر قال: بينا أنا أسير مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم -بين الجُحْفَة والأَبواء- إذ غشيتنا ريحٌ وظُلمةٌ شديدةٌ، فجعل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يتعوَّذ بـ ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، و﴿أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، ويقول: «**ياعقبة تَعَوَّذ بهما، فما تَعَوَّذ مُتعَوِّذٌ بمثلهما**». قال: وسمعته يؤمُّنا بهما في الصلاة.

قلت: هذا حديثٌ صحيحٌ.

حديثٌ آخَر: أخرج النَّسائيُّ عن ابن عباسٍ الجهنيِّ: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال له: «**يا ابن عباسٍ ألا أدلُّك -أو ألا أخبرك- بأفضل ما يتعوَّذ به المتعوِّذون؟**». قال: بلى يا رسول الله، قال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾،

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، هاتان السورتان».

حديث آخر: أخرج الترمذيُّ، والنَّسائيُّ، وابن ماجه عن أبي سعيدٍ الخدريِّ قال: كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يتعَوَّذ من أعين الجانِّ وأعين الإنس، فلما نزلت المعوِّذتان أخذ بهما وترك ما سوىٰ ذلك.

قال الترمذي: «حديثٌ حسنٌ».

قلت: معنىٰ الحديث كما قال العلماء: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان يتعوَّذ من العين والحسد وشرِّ الإنس والجنِّ بتعاويذ من أدعيةٍ وأذكارٍ، فلما نزلت المعوِّذتان صار يتعوَّذ بهما وترك غيرهما؛ لأنَّهما يكفيان عن سائر المعوِّذات.

التداوي بسور وآيات من القرآن

أخرج ابن ماجه في "السنن" عن عبدالرحمن بن أبي ليلىٰ، عن أبيه أبي ليلىٰ قال: كنت جالسًا عند النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله سلَّم إذ جاءه أعرابيٌّ فقال: إن لي أخًا وَجِعًا، قال: «ما وَجَعُ أخيك؟». قال: به لَمَمٌ،قال: «اذهبْ فأتني به». قال: فذهب فجاء به فأجلسه بين يديه، فسمعته عوَّذه بفاتحة الكتاب، وأربع آياتٍ من أول (البقرة)، وآيتين من وسطها، و﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[البقرة: ١٦٣]، وآية الكرسيِّ، وثلاث آياتٍ من خاتمتها، وآيةٌ من (آل عمران) -أحسبه قال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[آل عمران: ١٨] - وآيةٍ من (الأعراف) ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ﴾[الأعراف: ٥٤]، وآيةٍ من (المؤمنون) ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا

بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، وآيةٍ من (الجِنِّ) ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾[الجن: ٣]، وعشر آياتٍ من أوَّل (الصافات)، وثلاث آياتٍ من آخِر (الحشر)، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، والمُعوِّذتين،فقام الأعرابيُّ قد برأ ليس به بأس.

ورواه أبو يعلىٰ في "المعجم"، وأبو نصر السجزيُّ في "الإبانة".

حديث آخر: أخرج عبدالله بن أحمد في "زوائد المسند"، والحاكم عن أُبيِّ بن كعبٍ رضي الله عنه قال: كنت جالسًا عند النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فجاءه أعرابيٌّ فقال: يا نبيَّ الله، إن لي أخًا به وجَعٌ، قال: «**وما وجَعُهُ؟**». قال: به لَمَمٌ -أي: مسٌّ من الجنِّ- قال: «**فأتني به**». قال: فوضعه بين يديه، فعوَّذه النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بفاتحة الكتاب، وأربع آياتٍ من آخِر (سورة البقرة)، وهاتين الآيتين ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾[البقرة: ١٦٣]، وآية الكرسيِّ، وآيةٍ من (آل عمران) ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨]، وآيةٍ من (الأعراف): ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وآخِر (سورة المؤمنون): ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾[المؤمنون: ١١٦]، وآيةٍ من (سورة الجِنِّ): ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾[الجن: ٣]، وعشر آياتٍ من أول (الصافات)، وثلاث آياتٍ من آخِر (سورة الحشر)، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، والمُعوِّذتين، فقام هذا الرجل وكأنه لم يشك شيئًا قطُّ. وهذا لفظ رواية الحاكم.

وقال ابن أبي الدنيا في "مكايد الشيطان"، و"الهواتف": حدَّثنا إبراهيم بن

سعد الجوهريُّ: حدَّثني علي بن عثمان اللاحقيُّ: حدَّثتني عبيدة بنت الوليد بن مسلمٍ، عن أبيها الوليد: أنَّ رجلًا أتىٰ شجرة أو نخلة فسمع فيها حركةً، فتكلَّم فلم يُجب، فقرأ آية الكرسيِّ فنزل إليه شيطانٌ فقال: إنَّ لنا مريضًا فبِمَ نداويه؟ قال: بالذي أنزلتني به من الشَّجَرة.

التداوي بآخر (سورة المؤمنون)

أخرج أبو يعلىٰ، وابن أبي حاتمٍ، وأبو نعيمٍ، وابن مَرْدُويه، والحكيم الترمذيُّ، والخطيب البغداديُّ من طريق ابن لَهيعة، عن عبدالله بن هُبَيرة، عن حنشٍ الصنعانيِّ، عن عبدالله بن مسعودٍ: أنه قرأ في أذن مُبتلىٰ فأفاق، فقال له رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ما قَرأتَ في أُذُنِهِ؟**». قال: قرأت ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾[المؤمنون: ١١٥]، حتىٰ فرغ إلىٰ آخِر السورة، فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لو أنَّ رَجُلًا مُوقِنًا قرأ بها على جَبَلٍ لزالَ**».

قال الحافظ الهيثميُّ: «ابن لَهيعة فيه ضعفٌ وحديثه حسنٌ، وبقية رجاله رجال الصحيح».

وقال الحافظ السيوطيُّ في "التعقيبات": «طريقه علىٰ شرط الحسن».

ورواه العقيلي في "الضعفاء" من طريق سلام بن رزين قاضي أنطاكية، عن الأعمش، عن ابن مسعودٍ به.

وحكم أحمد بوضعه، فقلَّده ابن الجوزي وذكر الحديث في "الموضوعات"، لكن الإمام أحمد حكم بوضعه من أجل سلام بن رزين -قاضي أنطاكية- وهو

غير موجودٍ في الطريق الذي حسَّنه الحافظان الهيثميُّ والسيوطيُّ.

على أنَّ في حكم أحمد بوضع الحديث نظرًا ظاهرًا؛ لأنَّ سلام بن رزينٍ مجهولٌ، وحديث المجهول لا يكون موضوعًا، بل غايته الضعف بحيث إذا ضمَّ إليه طريقٌ آخَر مثله كان حسنًا لغيره، أمَّا إذا ضم إليه طريق حسن لذاته كما هنا فإنه يصير من قبيل الصحيح لغيره، كما هو مقرَّرٌ في كتب المصطلح.

فصل

التداوي بالقرآن ثابت بالسنة المشرفة

إذا تأمَّل القارئ الكريم تلك الأحاديث التي أوردناها مَعْزُوَّةً لرُواتها وضح له أمران:

الأول: أنَّ التداوي بالقرآن العظيم واردٌ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم -من فعله، أو أمره، أو تقريره- بطرقٍ تُفيد القطع واليقين، بحيث لا يسع مَن وقف عليها وكان عنده مُسْكَةٌ من عِلْمٍ أن يتشكَّك في ذلك، أو يداخله أدنى احتمالٌ.

وكيف يبقَى مجالٌ للشك أو الاحتمال في شيءٍ رواه عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أربعة عشر صحابيًّا؟ هم:

عليٌّ، وابن مسعودٍ، وأبو سعيدٍ الخدريُّ، وابن عباسٍ، وجابر بن عبدالله، وعِلاقة بن صُحَار -عمُّ خارجة بن الصَّلْت-، والسَّائب بن يزيد، وعائشة، وعثمان بن عفَّان، وعبدالله الأسلميُّ، وعقبة بن عامر، وابن عباسٍ الجهنيُّ، وأبو ليلى، وأُبيُّ بن كعبٍ.

وفي هؤلاء مِن الخلفاء الراشدين: عليٌّ، وعثمان، ومِن كِبار فقهاء الصحابة: عليٌّ، وابن مسعودٍ، وابن عباسٍ، وعائشة، وأُبيٌّ، ومِن حُفَّاظهم: أبو سعيدٍ الخدريِّ، وابن عباسٍ، وجابرٌ، وعائشة.

أضف إلى ذلك: أنَّ الطرق تعدَّدت عن بعضهم كأبي سعيدٍ الخدريِّ وعائشة وعقبة تعدُّدًا بلغ حدَّ الشهرة والاستفاضة.

الثاني: أنَّ أحاديث التداوي بالقرآن مخرَّجةٌ في كتاب "الموطأ" للإمام مالكٍ، و"مسند" الإمام أحمد، وصحيحَي البخاريِّ ومسلمٍ، و"سنن أبي داود" و"الترمذيِّ" و"النَّسائيِّ" و"ابن ماجه"، و"صحيح ابن حِبَّان"، و"مستدرك الحاكم"، و"سنن الدارقطني" و"البيهقي"، ومعاجم الطبرانيِّ، ومسانيد البزَّار وأبي يعلى، وتفاسير ابن جريرٍ وابن المنذر وابن أبي حاتمٍ وابن مَنْدَه، و"حلية الأولياء" لأبي نعيمٍ، و"تاريخ بغداد" للخطيب، و"مجمع الزوائد" للحافظ الهيثميِّ، وغيرها من كتب السنَّة التي عن طريقها وصل إلينا الهدي النبويُّ، وبواسطتها نُقلت إلينا شرائع الدين المحمَّديِّ.

فمن يستطيع بعد هذا كلِّه أن يُنكر التداوي بالقرآن الكريم، ويجعله من قبيل الدَّجَل والخُرافات؟!، إلَّا أن يكون غريقًا في الجهل، عريقًا في الابتداع والانحراف عن السُّنَّة النبويَّة المُطهَّرة.

فصل

التداوي بالقرآن ثابتٌ بالكتاب الكريم

والتداوي بالقرآن ثابتٌ أيضًا بالكتاب الكريم، قال الله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ

مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢].

قال القرطبيُّ: و ﴿مِنَ﴾ لابتداء الغاية، وتصح أن تكون لبيان الجنس، كأنه قال: وننزل ما فيه شفاءٌ من القرآن، وفي الخبر: «**مَن لم يَسْتَشْفِ بالقُرْآنِ فلا شَفَاهُ اللهُ**».

وأنكر بعض المتأوِّلين أن تكون ﴿مِنَ﴾ للتبعيض؛ لأنه تحفَّظ مِن أن يلزمه أنَّ بعضه لا شفاء فيه.

قال ابن عطية: «وليس يلزمه هذا، بل يصح أن تكون للتبعيض، بحسب أن إنزاله إنما هو مبعَّض، فكأنه قال: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ﴾ شيئًا شيئًا، ما فيه كله شفاء».اهـ

وقال أيضًا في تفسير هذه الآية ما نصُّه: «المسألة الثانية: اختلف العلماء في كونه شفاء على قولين:

أحدهما: أنه شفاءٌ للقلوب بزوال الجهل عنها وإزالة الرَّيْب، ولكشف غطاء القلب من مرض الجهل لفهم الـمُعجزات والأمور الدالَّة على الله تعالى.

الثاني: شفاءٌ في الأمراض الظاهرة بالرُّقَى والتعوُّذ ونحوه.

وقد روى الأئمة -واللفظ للدارقطني- عن أبي سعيدٍ الخدريِّ قال: بعثنا النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في سرية -ثلاثين راكبًا- قال: فنزلنا على قومٍ من العرب فسألناهم أن يضيِّفونا فأبوا، قال: فلُدِغَ سيِّد الحيِّ فأتونا، فقالوا: فيكم أحدٌ يرقي مِن العَقْرب؟ -في رواية ابن قتَّه: إنَّ الملك يموت- قال: قلت: نعم أنا، ولكن لا أفعل حتى تعطونا، فقالوا: فإنا نعطيكم ثلاثين شاةً،

قال: فقرأت عليه ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ سبع مرَّاتٍ فبرأ.

في رواية سليمان بن قتَّه، عن أبي سعيدٍ: فأفاق وبرأ فبعث إلينا بالنزل، وبعث إلينا بالشاء، فأكلنا الطعام أنا وأصحابي، وأَبَوا أ ن يأكلوا من الغنم حتىٰ أتينا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فأخبرته الخبر فقال: «**وما يُدْريك أنها رُقْيةٌ؟**». قلت: يا رسول الله شيءٌ أُلقي في رُوعِي، قال: «**كُلُوا وأطْعِمونا مِن الغَنَمِ**». خرَّجه -يعني الدارقطني- في كتاب "السنن".

وخرَّج في كتاب "المدبَّج"[1] من حديث السريِّ بن يحيىٰ قال: حدَّثني المعتمر بن سليمان، عن ليث بن أبي سليمٍ، عن الحسن، عن أبي أُمامة عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أنه قال: «**يَنْفَعُ بإذن الله تعالى مِن البَرَصِ، والجُنونِ، والجُذامِ، والبطنِ، والسُّلِّ، والحُمَّى، والنَّفْسِ: أن تكتب بزعفران أو بمشق -يعني المغرة-: أعوذ بكلمات الله التامَّة وأسمائه كلها عامَّة، من شرِّ السامَّه والهامَّة[2]، ومِن شَرِّ العَيْنِ اللَّامَّة، ومِن شرِّ حاسدٍ إذا حَسَدَ...**». وذكر حديثًا طويلًا، وهو حديثٌ منكرٌ.

ثم قال: وروىٰ البخاريُّ عن عائشة: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان يَنْفُثُ علىٰ نفْسِهِ في المرض الذي مات فيه بالمعوِّذات، فلما ثقل كنت

---

(١) بالباء المفتوحة المشددة وبالجيم، من التدبيج نوعٌ معروفٌ في مصطلح الحديث ووقع في "تفسير القرطبيِّ" (ج ١٠ ص ٢١٦ س ١٥): «المديح» بالياء والحاء، وكتب المصحِّح تحته تعليقةً جاء فيها: «في بعض الأصول المذبَّح، ولم نوفَّق لتصويبه»، وكلاهما خطأٌ، وتصويبه ما أثبتناه.

(٢) في "القرطبيِّ" (ج: ١٠، ص: ٣١٦، س: ١٩): «والغامَّة» وهو خطأٌ.

أَنْفُثُ عليه بهنَّ وأمسح بيد نفْسِهِ رجاء بركتها.

فسألتُ[1] الزهريَّ: كيف كان يَنْفُثُ؟ قال: كان يَنْفُثُ على يده ويمسح بهما وجهه.

وروى مالكٌ، عن ابن شهابٍ، عن عروة، عن عائشة: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان إذا اشتكى قرأ على نفسه المُعوِّذتين، وتَفَلَ أو نَفَثَ.

قال أبو بكر بن الأنباريُّ: «قال اللغويون: تفسير نَفَثَ: نفخ نفخًا ليس معه ريقٌ، ومعنى تَفَلَ: نفخ نفخًا معه ريقٌ». اهـ كلام القرطبيِّ.

وقال ابن القيم في "زاد المعاد" ما نصُّه: «هديه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في رُقْيةِ اللَّديغ بالفاتحة، وذكر حديث أبي سعيدٍ الخدريِّ، وحديث: «**خَيْرُ الدَّوَاءِ القُرْآنُ**».

ثُمَّ قال: «ومن المعلوم: أنَّ بعض الكلام له خواصٌّ ومنافع مجرَّبةٌ، فما الظن بكلام ربِّ العالمين الذي فضَّله على كلِّ كلامٍ كفضل الله على خَلْقِهِ، والذي هو الشِّفاء التَّام، والعِصْمَةُ النَّافِعةُ، والنور الهادي، والرحمة العامَّة، والذي لو نزل على جبلٍ لتصدَّع مِن عظمته وجلاله، قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢]، و﴿ مِنَ ﴾ ههنا لبيان الجنس لا للتبعيض، هذا أصح القولين». اهـ

---

(١) علَّق على هذه الكلمة مصحِّح "تفسير القرطبيِّ" (ج: ١، ص: ٣١٧) بما نصُّه: «السائل: هو عروة بن الزبير، راوي الحديث». وهذا خطأٌ، والصواب أنَّ السائل: هو مَعْمَرٌ تلميذ الزهريِّ.

قلت: الصحيح: أنَّ الآية تدل على أنَّ القرآن شفاءٌ مِن الأمراض الظاهرة بالرُّقَى والتعويذ ونحوهما، هذا هو الذي يترجَّح من الآية، والدليل عليه أمورٌ:

الأول: أنَّ القاعدة المقرَّرة في علم الأصول: «أنَّ الكلام إذا احتمل التأكيد أو التأسيس فحمله على الثاني أرجح؛ لأنه يفيد فائدةً جديدةً لم تكن في حمله على التأكيد».

وبهذه القاعدة يتعيَّن حمل الآية هنا على الشفاء من الأمراض الظاهرة؛لأنه تأسيسٌ لمعنى جديدٍ، بخلاف حملها على الشفاء من أمراض القلوب وريبها وجهلها، فإنه تأكيد لما أفادته آياتٌ أخرى من هذا المعنى.

الثاني: أنَّ العطف يقتضي المُغايرة، وعطف «رحمة» على ﴿شِفَآءٌ﴾ يقتضي أن يبقى لفظ ﴿شِفَآءٌ﴾ على ظاهرة؛ لأنَّ الرحمة معناها شفاء الأمراض الباطنة.

الثالث: أنه ثبت ثبوتًا قطعيًّا أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم استشفي بالقرآن، وأقرَّ الصَّحابة على الاستشفاء به، وذلك لا يدع مجالًا للشك في حمل الآية على الشفاء من الأمراض الظاهرة.

الرابع: أنَّ هذا المعنى ثبت عن أئمَّة التفسير كابن عباسٍ، ومجاهدٍ، وابن جريرٍ، وغيرهم.

الخامس: من المعلوم كما قال ابن القيم وغيره: «أنَّ بعض الكلام له خواصٌّ ومنافع مُجرَّبةٌ، فما الظنُّ بكلام ربِّ العالمين؟!».

السادس: أنه إذا كان القرآن شفاءً للأمراض الباطنة فما المانع أن يكون شفاءً للأمراض الظاهرة؟ وما الفرق بينهما؟!

وهل ورد عن الله ورسوله أنَّ القرآن لا يصلح دواءً إلَّا للأمراض الباطنة؟! وأنَّ استعماله للأمراض الظاهرة لا يجوز؟!

بل الثابت عن الله ورسوله وعلماء الأمَّة أنَّ القرآن شفاءٌ للأمراض الظاهرة والباطنة الحسية والمعنوية.

السابع: ما أثبتته التجارب المتكرِّرة في قضايا متعدِّدة بعضها عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وبعضها عن الصحابة، وبعضها عن التابعين وغيرهم: أنهم استعملوا القرآن دواء لأمراضٍ ظاهرةٍ كلدغٍ، أو سُمٍّ، أو جنونٍ، أو بثرةٍ، أو غير ذلك، فنجح الداواء ووقع الشِّفاء، ولا شك أنَّ المُجرَّبات من القضايا اليقينيات، كما تقرَّر في علم المنطق.

فصل

الإجماع منعقدٌ على جواز التداوي بالقرآن

والإجماع منعقدٌ على جواز التداوي بالقرآن الكريم، بل على استحبابه منذ عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم وهلمَّ جرًّا إلى أن فشت البِدَع، وظهر المبتدعة الذين سمَّوا أنفسهم مصلحين[1]، أرادو ا أن يصلحوا الدِّين ويهذِّبوه

---

(١) وعلى هؤلاء ينطبق قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١] الآية، فإنَّ كثيرًا من المفسِّرين حملوها على المنافقين ولكن الصحيح في تفسيرها: ما صحَّ من طرقٍ عن سلمان الفارسيِّ رضي الله عنه: «لم يجئ أهل هذه الآية بعد»، وفي روايةٍ عنه: «ما جاء هؤلاء».

وهذا التفسير من قبيل المرفوع وهو ينطبق على هؤلاء المبتدعة تمام الانطباق، ولفظة

ناسين أو متناسين: أنَّ الدين وضعٌ إلهيٌّ نزل به الرُّوح الأمين على سيِّد العالمين، لا يمكن أن تمتدَّ إليه يد أحدٍ من البشر كائنًا مَن كان بإصلاحٍ أو تهذيبٍ.

بل الواجب الانقياد لما ثبت عن الله ورسوله، لا يتمحَّل في ردِّه بتكلُّف تأويلٍ، أو تعلُّلٍ برأيٍ حقيرٍ أو جليلٍ، ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

ونحن نورد نصوصًا تُثبت ما ذكرناه من الإجماع وتؤيِّده، ليُعلَم مبلغ إجرام ذلك المبتدِع الذي زعم التداوي بالقرآن العظيم دَجَلًا وخُرافاتٍ، قاتله الله ما أكثر جهله، وأشد جراءته!!

قال الإمام مالك في "الموطأ" عن يحيى بن سعيدٍ، عن عمرة بنت عبدالرحمن: «أنَّ أبا بكرٍ الصديق رضي الله عنه دخل على عائشة وهي تشتكي ويهودية تَرْقِيها، فقال أبو بكرٍ: ارْقِيها بكتاب الله».

قال الإمام أبو الوليد الباجي في "المنتقى": «قول أبي بكرٍ لليهودية: ارْقِيها بكتاب الله». ظاهره أنه أراد التوراة؛ لأنَّ اليهودية في الغالب لا تقرأ القرآن، ويَحتمِلُ -والله أعلم- أن يريد: بذكر الله عزَّ اسمه، أو رُقْيةً موافقةً لما في كتاب الله تعالى».اهـ

قلت: وإذا جاز الاسترقاء بالتواراة فجوازه بالقرآن أولى وأظهر، كما هو

«الإصلاح» هم الذين أطلقوها على آرائهم الفاسدة كما نحلوا زعمائهم لفظ المصلح، وقبل ظهور هذه الفئة لم يفكر أحدٌ في إصلاح الدِّين برأيه.

ظاهرٌ.

وقال الحافظ ابن كثيرٍ: «وروينا عن أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه قال: إذا أراد أحدكم الشِّفاء فليكتب آيةً من كتاب الله في صحيفةٍ، وليغسلها بماء السماء، وليأخذ مِن امرأته دِرْهمًا عن طِيب نَفْسٍ منها فليشْتَرِ به عَسَلًا فليشربه كله فإنه شِفاءٌ».

قال ابن كثيرٍ: «أي من وجوهٍ: قال الله تعالىٰ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقال: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا﴾ [ق: ٩]، وقال: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ [النساء: ٤]، وقال في العَسَل: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩]».اهـ

وقال الباجي: «كانت عائشة رضي الله عنه كثيرة الاسْتِرْقاء».

قال مالكٌ في "العتبية": «بلغني أنها كانت ترىٰ البثرة[1] الصغيرة في يدها فتلح عليها بالتعويذ، فيقال لها: إنها صغيرةٌ، فتقول: إنَّ الله عزَّوجلَّ يُعَظِّم ما يشاء من صغيرٍ، ويُصَغِّر ما يشاء من عظيمٍ».اهـ

وقال ابن القيم في الكلام علىٰ علاج العَيْن ودفع ضرر العائن، من "زاد المعاد" ما نصُّه: «ورأىٰ جماعةٌ من السَّلَف أن يكتب له الآيات من القرآن ثُمَّ يشربها، قال مجاهدٌ: لا بأس أن يكتب القرآن ويغسله ويسقيه المريض، ومثله عن أبي قلابة، ويذكر عن ابن عباسٍ: أنه أمر أن يكتب لامرأة تعسَّرت عليها ولادتها أثرٌ من القرآن ثُمَّ يُغسل وتُسقىٰ، وقال أيوب: رأيت أبا قلابة كتب

---

(١) البثرة: خُرَّاجٌ صِغارٌ، وتبثَّر جلده: تنفَّط. انظر لسان العرب (٤/ ٣٩).

كتابًا من القرآن ثُمَّ غسله بماءٍ وسقاه رجلًا كان به وجَعٌ».اهـ

وقد علَّق عليه بعض جهلة المبتدعة يناقشه في صحَّة هذه الآثار، وما درى أنها مسندةٌ في كتب لم يرها هذ المبتدِع الجاهل، ولا يمكنه أن يراها كـ"مصنَّف ابن أبي شيبة"، و"مسنده"، و"مصنَّف عبدالرزاق"، وكتب ابن جريرٍ، وكتب الخلال شيخ الحنابلة، وغيرها مما ينقل عنها ابن القيم.

وقال في كتاب "الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي": «ولو أحسن العبد التداوي بالفاتحة لرأى لها تأثيرًا عجيبًا في الشِّفاء، ومكثتُ بمكَّة مُدَّةً تعتريني أدواء ولا أجد طبيبًا ولا دواءً، فكنت أعالج نفسي بالفاتحة فأرى لها تأثيرًا عجيبًا، فكنت أصف ذلك لمن يجد ألمًا، وكان كثيرًا منهم يبرأ سريعًا».اهـ

وقال القرطبيُّ في كتاب "التذكار" في باب الآداب التي تلزم حامل القرآن: «ومنها أن لا يمحوه من اللَّوح بالبُصَاق، ولكن يَغْسِلُهُ بالماء، ويتوقَّى النَّجاسَة في المواضع النَّجِسة والمواضع التي توطأ، فإنَّ لتلك الغسالة حرمةٌ، وكان من كان قبلنا من السَّلَف منهم من يستشفي بغسالته وفي التنزيل: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧]، وأخبر صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أنَّ خاتمة القُرآنِ مُعوِّذتان لم يتعَوَّذ النَّاسُ بمثلهما**». ورقى أبو سعيدٍ الخدريُّ اللَّديغ بفاتحة الكتاب فبرأ وأعطوه قطيعًا مِن الغنم ثلاثين شاة. وفي الجملة: أنَّ الكلام ممَّا يستشفى به...»

إلى أن قال: «وقد جاء عن المتقدِّمين في باب الاحترازات من المخاوف

والاستشفاء من الأمراض بآيات القرآن ما هو مذكورٌ في غير هذا الموضع، وأنهم انتفعوا بذلك فكان ذلك أدل دليل على أنَّ القرآن من عند الله تعالى، ومنها: إذا اغتسل بكتابته مُستشفيًا مِن سقم أن لا يصبّه على كُناسَةٍ، ولا في موضع نجاسةٍ، ولا على موضعٍ يوطَأ، ولكن في ناحية الأرض في بقعةٍ لا يطأها الناس، أو يجد حُفْرةً في موضعٍ طاهرٍ حتى يصبَّ من جسده في تلك الحفرة، ثُمَّ يكبها، أو نهرٍ كبيرٍ يختلط بمائه فيجري».اهـ

وقال في "التفسير": «روى ابن مسعودٍ: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان يكره الرُّقَى إلا بالمُعوِّذات. قال الطبريُّ: وهذا حديثٌ لا يجوز الاحتجاج به في الدِّين؛ إذ في نقلته من لا يُعرف، ولو كان صحيحًا لكان إمَّا غَلَطًا وإمَّا مَنسوخًا لقوله عليه السَّلام في الفاتحة: «ما أدراك أنها رُقْيةٌ؟»».

وإذا جاز الرَّقْيُ بالمُعوِّذتين وهما سورتان مِن القرآن كانت الرُّقْيةُ بسائر القرآن مثلهما في الجواز إذ كله قرآنٌ.

وروي عنه عليه السَّلام أنه قال: «**شِفاءُ أُمَّتي في ثلاثٍ: آيةٍ مِن كتابِ الله، أو لَعْقَةٍ مِن عَسَلٍ، أو شَرْطَةٍ من مِحْجَمٍ**».

وقال رجاء الغنويُّ: «من لم يَسْتشفِ بالقرآن فلا شِفاءَ له».اهـ

وروى الثعلبيُّ عن الشَّعْبيِّ: أنَّ رجلًا شكا إليه وجَعَ الخاصِرة، فقال الشَّعْبيُّ: عليك بأساس القرآن، قال: وما أساس القرآن؟ قال: فاتحة الكتاب.

وقال الربيع: «سألت الشافعيَّ عن الرُّقْيةِ؟ فقال: لا بأس أن يُرْقَى بكتاب الله، وما يعرف مِن ذِكْر الله، قلت: أيرقِي أهل الكتابِ المسلمين؟ قال: نعم، إذا رَقُوا بما يُعرف من كتاب الله وبذكر الله».اهـ نقله الحافظ ابن حجرٍ في

"فتح الباري".

وقال ابن أبي الدنيا في كتاب "التوكل": «حدَّثنا محمد ابن إدريس: نا يونس: نا موسىٰ بن أيوب: نا بقيَّة، عن زرعة بن عبدالله الزبيديِّ، عن عبدالله بن كريز قال: كتب عامل إفريقية إلىٰ عمر بن عبدالعزيز يشكو الهوامَّ والعقارب، فكتب إليه: وما علىٰ أحدكم إذا أصبح وإذا أمسىٰ أن يقول: ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [إبراهيم: ١٢] الآية».

قلت: هذا تعوُّذٌ، وهو من جنس التداوي كما سبق.

وقال الحافظ ابن الجوزيِّ في "مناقب الإمام أحمد" «الباب الرابع والعشرون»: في ذكر تبرُّكه واستشفائه بالقرآن وماء زمزم: «أخبرنا محمد بن أبي منصور: أنا عبدالقادر بن محمد: أنا إبراهيم بن عمر البرمكيُّ: حدَّثنا عبدالرحمن ابن أبي حاتمٍ: ثنا صالح ابن الإمام أحمد قال: كنت ربما اعتللت فيأخذ أبي قَدَحًا من ماءٍ فيقرأ فيه، ثُمَّ يقول: اشرب منه واغسل وجهك ويديك».

وقال ابن حزمٍ في "المحلَّىٰ": «مسألة: والإجارة جائزة علىٰ تعليم القرآن، وعلىٰ تعليم العِلْم مُشاهَرةً وجُملةً، وكل ذلك جائزٌ وعلىٰ الرَّقْي، وعلىٰ نسخ المصاحف ونسخ كتب العلم؛ لأنَّه لم يأتِ في النَّهي عن ذلك نصٌّ، بل قد جاءت الإباحة». ثُمَّ أسند من طريق البخاريِّ حديث ابن عباسٍ في رُقْية اللَّديغ بفاحة الكتاب، وقول النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ أحَقَّ ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله**». ثُمَّ حكىٰ جواز ذلك كله عن مالكٍ والشافعيِّ وداود الظاهريِّ.

وحكي عن أبي حنيفة والحسن بن حَيٍّ: أنه لا تجوز الإجارة علىٰ تعليم

القرآن، وذكر أدلتهما ثُمَّ نقضها واحدًا واحدًا.

وقال الإمام النووي في "شرح مسلم" في الكلام على حديث أبي سعيدٍ الخدريِّ في رقية اللديغ بالفاتحة ما نصُّه: «**ما أدراك أنها رُقْيةٌ؟**» في التصريح بأنها رقية، فيستحب أن يقرأ بها على اللَّديغ، والمريض، وسائر أصحاب العاهات والأسقام.

وقوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**خذوا منهم واضربوا لي بسهمٍ معكم**»، هذا تصريحٌ بجواز أخذ الأجر على الرُّقية بالفاتحة والذِّكر، وأنها حلالٌ لا كراهية فيها، وكذا الأجرة على تعليم القرآن، وهذا مذهب الشافعيِّ ومالكٍ وأحمد وإسحاق وأبي ثورٍ وآخَرين من السَّلَف ومن بعدهم، ومنعها أبو حنيفة في تعليم القرآن، وأجازها في الرُّقية.

وأما قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**واضربوا لي بسهمٍ معكم**». فإنما قاله تطييبًا لقلوبهم ومبالغةً في تعريفهم أنه حلالٌ، لا شبهة فيه».اهـ كلامه.

وكذا قال المازريُّ وعياض والقرطبيُّ والأُبِّي في شروحهم على مسلمٍ.

وقال الإمام أبو سليمان الخطابي: «المنهي عنه من الرُّقَى ما كان بغير لسان العرب فلا يدرى ما هو، ولعله قد يدخله سحرٌ أو كفرٌ، فأمَّا إذا كان مفهوم المعنى وكان فيه ذكر الله تعالى فإنه مُستحبٌّ متبركٌ به».اهـ

ولا شك أنَّ القرآن أفضل الأذكار.

وقال الحافظ ابن كثيرٍ في الكلام على قوله تعالى في (سورة النحل): ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩] ما نصُّه: «وقال مجاهدٌ، وابن جريرٍ في قوله تعالى:

﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾: يعني القرآن، وهذا قولٌ صحيحٌ في نفسه، ولكن ليس هو الظاهر ههنا من سياق الآية، فإن الآية إنما ذكر فيها العَسَل ولم يُتابع مجاهد على قوله ههنا.

وإنما الذي قاله ذكره في قوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧] ».اهـ

وقال الحافظ ابن حجرٍ في "شرح البخاري" في الكلام على حديث أبي سعيدٍ في الرُّقْية بالفاتحة: «في الحديث جواز الرُّقية بكتاب الله، ويلتحق به ما كان بالذِّكْر والدُّعاء المأثور، وكذا غير المَأثور ممَّا لا يُخالف ما في المَأثور، وأمَّا الرَّقْي بما سوى ذلك فليس في الحديث ما يُثبته ولا ما ينفيه، وفيه الاجتهاد عند فقد النصِّ، وعظمة القرآن في صدور الصحابة خصوصًا الفاتحة».اهـ ملخَّصًا.

وقال أيضًا: «وقد أجمع العلماء على جواز الرَّقْي عند اجتماع ثلاثة شروطٍ:

١- أن يكون بكلام الله تعالى، أو بأسمائه وصفاته.

٢- وباللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره.

٣- وأن يعتقد أنَّ الرُّقية لا تؤثِّر بذاتها بل بذات الله تعالى».اهـ

ثُمَّ ذكر أحاديث صحيحةً في جواز مطلق الرُّقَى إذا لم يكن فيها شركٌ، راجعه في كتاب الطب من "فتح الباري".

وقال الإمام ابن التين في "شرح البخاري": «الرَّقْي بالمُعوِّذات وغيرها من أسماء الله تعالى هو الطِّب الرُّوحاني إذا كان على لسان الأبرار من الخَلْق حصل

شفاءٌ بإذن الله تعالىٰ، فلمَّا عزَّ هذا النوع فزع الناس إلىٰ الطبِّ الجسمانيِّ، وتلك الرُّقىٰ المنهيُّ عنها التي يستعملها المعزِّم وغيره ممَّن يدَّعي تسخير الجنِّ له، فيأتي بأمورٍ مشتبهةٍ مركَّبةٍ مِن حَقٍّ وباطلٍ، يجمع إلىٰ ذكر الله وأسمائه ما يشُوبه من ذكر الشياطين، والاستعانة بهم، والتعوُّذ بمَرَدَتهم.

ويقال: إنَّ الحيَّة لعداوتها للإنسان بالطبع تُصادِق الشياطين لكونهم أعداء بني آدم فإذا عَزَّم علىٰ الحيَّة بأسماء الشياطين أجابت وخرجت من مكانها، وكذا اللَّديغ إذا رُقِي بتلك الأسماء سالت سمومها من بدن الإنسان فلذلك كُرِه مِن الرُّقىٰ ما لم يكن بذكر الله وأسمائه خاصَّة، وباللسان العربيِّ الذي يعرف معناه ليكون بريئًا من الشرك، وعلىٰ كراهة الرُّقىٰ بغير كتاب الله علماء الأمَّة».اهـ

وقال العلَّامة المُحدِّث القاضي أبو عبدالله الشبليُّ الحنفيُّ في "آكام المرجان": «قدمنا أنَّ عامَّة ما بأيدي الناس من العَزائم والطَّلاسِم والرُّقىٰ لا تفقه بالعربية معناها، ولهذا نهىٰ علماء المسلمين عن الرُّقىٰ الغير مفهومة المعنىٰ؛ لأنها مظنَّة الشِّرك وإن لم يعرف الرَّاقي أنها شركٌ، ومَن رَتَعَ حول الحِمَىٰ أوشك أن يقع فيه.

وفي "الصحيح" عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: أنه رخَّص في الرُّقىٰ ما لم يكن شِرْكًا، وقال: «**مَن اسْتَطَاعَ أن يَنْفَعَ أخَاهُ فليَفْعَل**».

وفي التطبُّب والاستشفاء بكتاب الله عزَّ وجلَّ غِنًىٰ تامٌ، ومَقنع عامٌّ، وهو النور والشِّفاء لما في الصدور، والوقاء الدَّافع لكلِّ محظورٍ، والرحمة للمؤمنين

من الأحياء وأهل القبور، وفقَّنا الله لإدراك معانيه وأوقفنا عند أوامره ونواهيه، ومن تدبَّر من آيات الكتاب من ذوي الألباب، وقف على الدواء الشافي لكل داء موافي، سوى الموت الذي هو غاية كل حيٍّ، فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

وخواصُّ الآيات والأذكار لا يُنكرها إلَّا مَن عقيدته واهيةٌ، ولكن لا يعقلها إلَّا العالمون».اهـ

وقال العلَّامة المُحدِّث القسطلانيُّ في "المواهب اللدنية": «اعلم أنَّ الله تعالى لم يُنزِّل من السماء شفاءٌ قطُّ أعم ولا أنفع ولا أعظم ولا أنجع في إزالة الداء مِن القرآن، فهو للدَّاء شفاءٌ، ولصَدَأ القلوب جَلاء، كما قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ولفظة ﴿مِنَ﴾ كما قال الإمام فخر الدين: ليست للتبعيض بل للجنس.

والمعنى: ونُنَزِّل من هذا الجنس الذي هو القرآن شفاءٌ من الأمراض الرُّوحانية، وشفاء أيضا من الأمراض الجسمانية».اهـ

ثُمَّ بين ذلك بما يعلم من مراجعته في الجزء الثاني من "المواهب" تحت ترجمة (النوع الأول في طبه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالأدوية الإلهية)، وأغلبه ملخَّصٌ من "فتح الباري" للحافظ ابن حجرٍ.

ونقل في "المواهب اللدنية"وغيرها عن أبي القاسم القشيريِّ: «أنَّ ولده مرض مرضًا شديدًا حتى أشرف على الموت فاشتدَّ عليه الأمر، قال: فرأيت النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في المنام فشكوت إليه ما بولدي، فقال: أين أنت من

آيات الشِّفاء؟ فانتبهت، فأفكرت فيها، فإذا هي في ستة مواضع من كتاب الله:

وهي قوله: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤].

﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧].

﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩].

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠].

﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤].

قال فكتبتها ثُمَّ حللتها بالماء وسقيته إيَّاها، فكأنما نُشِط من عِقالٍ».اهـ

وقال الشوكانيُّ في "نيل الأوطار" في الكلام على حديثَي ابن عباسٍ وأبي سعيدٍ في الرُّقية بفاتحة الكتاب ما نصُّه: «وفي الحديثين دليلٌ على جواز الرُّقية بكتاب الله تعالى، ويلتحق به ما كان بالذِّكر والدعاء المأثور، وكذا غير المأثور ممَّا لا يخالف ما في المأثور، وأمَّا الرَّقي بغير ذلك فليس في الأحاديث ما يُثبته ولا ما ينفيه إلَّا ما سيأتي في حديث خارجه».اهـ

يريد قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لعمٍّ خارجة: «**خذها، فلعمري من أَكَلَ برُقْية باطِلٍ، لقد أكَلْتَ برُقْية حَقٍّ**».

قال الشوكانيُّ: «والرُّقَى الباطلة المذمومة هي التي كلامها كفرٌ، أو التي لا يعرف معناها كالطلاسم المجهولة المعنى».اهـ

وقال الإمام ابن زيد القيرواني في "الرسالة" ما نصُّه: «ولا بأس بالرُّقَى

بكتاب الله وبالكلام الطيب».اهـ

قال العلامة ابن ناجي في شرحه عليها: «قال في "البيان": كره مالك الرَّقي بالحديد، والملح، وعقد الخيوط؛ لأن الشِّفاء لا يكون إلَّا بكتاب الله وأسمائه، وما يُعرف من الذِّكر».اهـ

وقال ابن ناجي أيضًا: «الأصل في جواز الاسترقاء قوله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ ﴾ [الأنعام: ٩٢]».اهـ

وكذا استدل العلامة الشيخ زرُّوق في "شرح الرسالة" على جواز الاسترقاء بالقرآن بالآية الأولى، وبحديث أبي سعيدٍ الخدريِّ في رُقْية اللَّديغ بالفاتحة.

ثُمَّ قال: «وأمَّا الكلام الطيب فهو العربيُّ المفهوم، المحتوي على ذكر الله ورسوله والصَّالحين من عباده، لا الموهمات والمبهمات، إذ حكى المازريُّ: أن مالكًا سئل عن الأسماء المعجمة فقال: ما يدريك لعلها كفر؟!، وعلى هذا فالأصل المنع حتى يأتي المبيح.

وقال بعضهم: الأصل خلاف ذلك حتى يتبيَّن الباطل؛ لأنه عليه السَّلام حين قال: «**اعرضوا علي رُقاكم**».فعرضوا، فقال: «**لا أرى بأسًا**» الحديث».اهـ

ونصوص العلماء على جواز الاسترقاء بالقرآن بل على استحبابه كثيرةٌ، يعسر تتبُّعها وإحصاؤها، وذلك محل إجماعٍ كما تقدَّم في كلام الحافظ ابن حجرٍ وغيره.

نعم اختلف العلماء في النُّشْرَة -بضم النون- وهي: أن يكتب شيءٌ من

القرآن ومن أسماء الله ثُمَّ يغسل بالماء، ثُمَّ يمسح به المريض جسمه أو بعضه، أو يشربه.

قال الإمام المازريُّ: «النُّشرة أمرٌ معروفٌ عند أهل التَّعْزيم، وسمَّيت بذلك؛ لأنها تنشر عن صاحبها أي: تحل».اهـ

فذهب جماعةٌ إلى جوازها كما سبق في كلام ابن القيِّم والقرطبيِّ، وممن أجازها: سعيد بن المسيِّب، قيل له: الرجل يؤخَّذ عن امرأته، أيحلُّ عنه ويُنشَّر؟

قال: لا بأس به، وما ينفع لم ينهَ عنه.

وكانت عائشة تقرأ بالمعوِّذتين في إناء ثُمَّ تأمر أن يُصبَّ على المريض.

وعن مجاهدٍ روايتان، فمرة قال: لا بأس أن يكتب القرآن ويغسله ويسقيه المريض، ومرة لم يرَ أن يكتب آيات من القرآن ثُمَّ تغسل ثُمَّ يُسقاها صاحب الفزع.

وروى عبدالرزَّاق، عن الشَّعْبيِّ قال: «لا بأس بالنُّشْرَة العربية التي إذا وطئت لا تضره».

وهي: أن يخرج الإنسان من موضع عضاه، فيأخذ عن يمينه وعن شماله من كل، ثم يدقه ويقرأ فيه ثم يغتسل به.

وكره الحسن النُّشْرَة، ومنعها إبراهيم النخعيُّ.

قال الحسن: سألت أنسًا فقال: «ذكروا عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنها من الشيطان».

وقد روى أبو داود عن جابر سُئل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن

النُّشْرَة فقال: «**من عمل الشيطان**».

قال الحافظ ابن عبدالبر: «وهذه آثارٌ ليِّنةٌ ولها وجوهٌ محتملةٌ، وقد قيل: إنَّ هذا محمولٌ على ما إذا كانت خارجة عما في كتاب الله وسُنَّة رسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وعن المداواة المعروفة، والنُّشرة من جنس الطبِّ فهي غسالة شيء له فضلٌ، فهي كوضوء رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

وقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لا بأس بالرُّقَى ما لم يكن فيه شِرْكٌ، ومَن استَطَاعَ منكم أن ينفَعَ أخَاهُ فليَفْعَلْ**».اهـ

وقال الأُبِّي في "شرح مسلم": «واختُلف في النُّشْرَة -وهي: أن يكتب شيئًا من أسماء الله تعالى أو من القرآن الكريم، ثُمَّ يغسله بالماء، ثُمَّ يمسح به المريض أو يُسقاه، فأجازه ابن المسيِّب، وسُئل عن الرجل يُعقد عن امرأته أيحلُّ عنه وينشَّر؟ قال: لا بأس به، وما ينفع لم ينهَ عنه.

وقال المازريُّ: النُّشْرَة: أمرٌ معروفٌ عند أهل التعزيم، وسُمِّيت بذلك لأنها تنشر عن صاحبها، أي: تحل.

ومنعها الحسن وقال: هي من السِّحر، وفي "أبي داود" عن جابرٍ رضي الله عنه قال: سُئل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن النُّشرة؟ فقال: «**هي مِن عَمَلِ الشَّيْطان**».

وقال بعض العلماء: هذا محمولٌ على أنها خارجةٌ عن الكتاب والسُّنَّة، وعلى المداواة المعروفة، وإلَّا فالنُّشرة من جنس الطبِّ».اهـ

وقال القاضي أبو عبدالله الشبلي الحنفي في "آكام المرجان": «يجوز أن

يكتب للمصاب وغيره من المرضى شيءٌ من كتاب الله عزَّ وجلَّ ويُغسل ويُسقَى له، كما نصَّ على ذلك الإمام أحمد وغيره، واحتجَّ بما رواه بإسناده عن ابن عباسٍ: أنه كان يكتب لمن أصابها الطَّلْق كلمات الكرب، وآيتين من كتاب الله عزَّ وجلَّ تُناسب الحال، يكتب: لا إله إلَّا الله العظيم الحليم، سبحان الله ربِّ العرش العظيم، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٦] ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥]».اهـ

وقال البخاريُّ في "الصحيح" «باب هل يَسْتخرِج السِّحْرَ؟»: «وقال قتادة: قلت لسعيد بن المسيِّب: رجلٌ به طِبٌّ أو يؤخَّذُ عن امرأته، أيحلُّ عنه أو يُنشَّر؟ قال: لا بأس به، إنما يريدون به الإصلاح، فأمَّا ما ينفع فلم يُنهَ عنه».اهـ

قال الحافظ ابن حجرٍ في "شرحه": «كذا أورد الترجمة بالاستفهام إشارة إلى الاختلاف، وصدر بما نقله عن سعيد بن المسيِّب من الجواز، إشارة إلى ترجيحه.

وأثر سعيد هذا وصله أبو بكر الأثرم في "كتاب السنن" من طريق أبان العطار، عن قتادة ومثله من طريق هشام الدستوائي، عن قتادة بلفظ: «يلتمس من يداويه، فقال: إنما نهى الله عما يضر ولم ينه عما ينفع».

وأخرجه الطبري في "التهذيب" من طريق يزيد بن زريعٍ، عن قتادة، عن سعيد بن المسيِّب: أنه كان لا يرى بأسًا إذا كان بالرجل سِحْرٌ أن يمشي إلى من يطلق عنه، فقال: هو صلاحٌ.

وكان الحسن يكره ذلك يقول: لا يعلم ذلك إلَّا ساحرٌ، قال: فقال سعيد بن المسيِّب: إنما نهى الله عما يضر، ولم ينه عما ينفع.

وقد أخرج أبو داود في "المراسيل" عن الحسن رَفَعَهُ: «**النُّشْرة من عمل الشيطان**». ووصله أحمد، وأبو داود بسندٍ حسنٍ عن جابر. قال ابن الجوزيِّ: النُّشْرة حلُّ السِّحْر عن المَسْحُور، ولا يكاد يقدر عليه إلَّا من يعرف السِّحْرَ.

وقد سُئل أحمد عمن يطلق السِّحْرَ عن المَسحور؟ فقال: لا بأس به، وهذا هو المعتمَد.

ويجاب عن الحديث والأثر: بأن قوله: «**النُّشْرَةُ مِن عَمَلِ الشَّيْطَانِ**» إشارةٌ إلى أصلها، ويختلف الحكم بالقصد فمن قصد بها خيرًا كان خيرًا، وإلَّا فهو شَرٌّ، ثُمَّ الحصر المنقول عن الحسن ليس على ظاهره؛ لأنه قد ينحل بالرُّقَى والأدعية والتعويذ، ولكن يحتمل أن تكون النُّشْرة نوعين».اهـ كلام الحافظ.

ثُمَّ قال بعد كلامٍ: «وممَّن صَرَّح بجواز النُّشْرة المزنيُّ صاحب الشافعيِّ وأبو جعفرٍ الطبريُّ، وغيرهما».اهـ[1]

---

(١) (**فائدة**): أخرج عبدالرزَّاق في "مصنفه" (١١/ ١٣) عن الشَّعْبيِّ قال: «لا بأس بالنُّشْرة العربية التي إذا وطئت لا تضره: وهي أن يخرج الإنسان في موضع عضاه فيأخذ عن يمينه وعن شماله من كل، ثُمَّ يدقه ويقرأ فيه ثُمَّ يغتسل به».

وذكر ابن بطال: «أنَّ في كتب وهب بن مُنبِّه: أن يأخذ سبع ورقاتٍ من سِدْرٍ أخضر، فيدقّه بين حجرين، ثُمَّ يضربه بالماء، ويقرأ فيه آية الكرسيِّ، والقواقل، ثُمَّ يحسُو منه ثلاث حسوات، ثُمَّ يغتسل به، فإنه يذهب عنه كل ما به، وهو جيِّدٌ للرجل إذا حُبِس عن أهله».اهـ

فصل

وأمَّا كتابة شيءٍ من القرآن أو الأدعية وتعليقه على عنق الصحيح، أو المريض للاستشفاء فجائزٌ على الراجح.

لما رواه أحمد الترمذيُّ والنَّسائيُّ، والحاكم من طريق عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدِّه، عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله صلَّى الله

وقال جعفر المستغفريُّ في كتاب "الطب النبوي": «وجدت بخطِّ نصوح بن واصل على ظهر جزءٍ من تفسير قتيبة بن أحمد البخاريِّ: قال قتادة: قلت لسعيد بن المسيِّب: رجلٌ به طب أخذ عن امرأته، أيحلُّ عنه أو يُنشَّر؟ قال: لا بأس به، إنما يريد به الإصلاح، فأما ما ينفع فلم ينهَ عنه.

قال نصوح: فسألني حمَّاد بن شاكر: ما الحل؟ وما النُّشْرة؟ فلم أعرفهما، فقال: هو الرجل إذا لم يقدر على مجامعة أهله وأطاق ما سواها، فإنَّ المُبتلَى بذلك يأخذ حزمة قضبان وفأسًا ذا قطارين ويضعه في وسط تلك الحزمة ثم يؤجِّج نارًا في تلك الحزمة، حتى إذا حمي الفأس استخرجه من النَّار وبال على حره، فإنه يبرأ بإذن الله تعالى.

وأمَّا النُّشْرة: فإنه يجمع أيام الربيع ما قدر عليه من ورد المفازة وورد البساتين، ثُمَّ يلقيها في إناء نظيفٍ ويجعل فيهما ماء عذبًا، ثُمَّ يغلي ذلك الورد في الماء غليًا يسيرًا، ثُمَّ يمهل حتى إذا فتر الماء أفاضه عليه، فإنه يبرأ بإذن الله تعالى، قال حمَّاد: تعلَّمت هاتين الفائدتين بالشام».اهـ

قال الحافظ ابن حجرٍ في"فتح الباري": «حمَّاد هذا من رواة "الصحيح" عن البخاريِّ».اهـ

قلت: هذا من الفوائد التي يرجع فيها إلى التجربة، ذكرناها تتميمًا للفائدة وبيانًا لمعنى الحل والنشرة، كما ذكره الحافظ ابن حجرٍ في "فتح الباري" لذلك، وظاهرٌ جدًّا أنَّ هذا لا تعلُّق له بموضوع التداوي بالقرآن الذي أفردنا له هذه الرسالة.

عليه وآله وسلَّم يأمر بكلماتٍ مِن الفَزَعِ: «**أعُوذُ بكَلِماتِ الله التامَّات مِن غَضَبِهِ، ومِن عِقَابِهِ، ومِن شَرِّ عبادِهِ، ومِن هَمَزاتِ الشَّيَاطِين وأن يَحْضُرون**».

قال: فكان عبدالله بن عمرو من بَلَغَ مِن ولده علَّمهنَّ إيَّاه، فقالهنَّ عند نومه، ومن لم يبلغ منهم كتبها فعلَّقها في عنقه. حسَّنه الترمذيُّ، وصحَّحه الحاكم.

وقال ابن أبي زيدٍ في "الرسالة": «ولا بأس بالمعاذة تعلَّق وفيها القرآن».اهـ

قال ابن ناجي في "شرحها": «ظاهر كلام الشيخ أنه جائزٌ للصحيح والمريض، وهو كذلك بالنسبة للمريض باتفاق، وإلى الصحيح باختلاف على قولين، والذي أفتى به بعض من لقيناه من القرويين غير ما مرة أنَّ ذلك جائزٌ.

وقال التادلي: في المسألة أقوال: ثالثها: يجوز للمريض دون الصحيح والحيوان. ورابعها: للآدميِّ دون الحيوان».اهـ

وقال زرُّوق: «المَعاذَة هي الحروز، وقد حصل ابن رشد في جوازها ومنعها من أربعة أقوال، مشهورها: سماع أشهب جوازها مطلقًا، وتعلَّق على المريض والصحيح والجنب والحائض والنفساء والبهائم بعد جعلها فيما يكنها، وثالثها: الجواز للإنسان المريض فقط، ورابعها: جوازها له وإن لم يكن مريضًا».اهـ[1]

وقال القرطبيُّ في "التفسير": «قال مالكٌ: لا بأس بتعليق الكتب التي فيها أسماء الله عزَّ وجلَّ على أعناق المرضَى على وجه التبرُّك بها، إذا لم يرد معلِّقها بتعليقها مدافعة العين.

وعلى هذا القول جماعة أهل العلم: لا يجوز عندهم أن يعلَّق على الصحيح

---

(١) واستدل شقيقنا الحافظ أبو الفيض في "شرح الرسالة" بما رواه أبو نعيم في "الطب": عن عائشة قالت: لا بأس بتعليق التعويذ من القرآن قبل نزول البلاء.

من البهائم، أو بني آدم شيءٌ من العلائق خوف نزول العين، وكل ما يعلَّق بعد نزول البلاء من أسماء الله عزَّ وجلَّ، وكتابه رجاء الفرج والبرء من الله تعالىٰ، فهو كالرَّقْي المباح الذي وردت السُّنَّة بإباحته من العين وغيرها.

وقد روىٰ عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم «**إذا فَزِعَ أحَدُكم في نومه فليقل: أعوذُ بكلمات الله التامَّة مِن غَضَبِهِ، وسوءِ عِقابه، ومن شَرِّ الشياطين وأن يحضرون**».

وكان عبدالله يعلِّمها ولده من أدرك منهم، ومن لم يدرك كتبها وعلَّقها عليه.

وسُئل ابن المسيِّب عن التعويذ، أيُعلَّق؟ فقال: إذا كان في قصبة، أو رقعة يحرز فلا بأس به، وهذا علىٰ أنَّ المكتوب قرآن.

وعن الضَّحَّاك: أنه لم يكن يرىٰ بأسًا بأن يعلِّق الرجل الشيء من كتاب الله، إذا وضعه عند الجماع وعند الغائط.

ورخَّص أبو جعفرٍ محمد بن عليٍّ -يعني الباقر عليه السَّلام- في التعويذ يعلَّق علىٰ الصِّبيان[1]، وكان ابن سيرين لا يرىٰ بأسًا بالشيء من القرآن يعلِّقه الإنسان».اهـ

وقال أيضًا: «فإن قيل: فقد روي أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن علَّق شيئًا وُكِلَ أليه**». ورأىٰ ابن مسعودٍ علىٰ أمِّ ولده تميمةً مربوطةً فجَبَذَها جَبْذًا شديدًا فقطعها وقال: إنَّ آل ابن مسعودٍ لأغنياء عن الشِّرْك، ثُمَّ قال: إنَّ التَّمائِمَ والرُّقَىٰ والتِّوَلَةَ مِن الشِّرْك.

قيل: ما التولة؟ قال: ما تحبَّبت به المرأة لزوجها.

---

(١) رواه ابن جريرٍ، عن يونس بن خباب، عنه.

وروي عن عقبة بن عامر الجهنيِّ قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**مَن عَلَّق تميمةً فلا أتمَّ اللهُ له، ومَن عَلَّق ودَعَةً فلا أوْدَعَ اللهُ له**».

قال الخليل بن أحمد: التميمة: قِلادة فيها عودٌ، والودَعَةُ: خرزٌ.

وقال أبو عمر: التميمة في كلام العرب: القِلادة، ومعناها عند أهل العلم: ما علِّق في الأعناق من القلائد خشية العين، أو غيرها، أن تنزل أو لا تنزل قبل أن تنزل، فلا أتمَّ الله عليه صحَّته وعافيته، ومن علَّق ودعة -وهي مثلها في المعنى- فلا أوْدَع الله له، أي: فلا بارك الله له ما هو فيه من العافية، والله أعلم.

وهذا كله تحذيرٌ ممَّا كان أهل الجاهلية يصنعونه من تعليق التمائم والقلائد، ويظنون أنها تقيهم وتصرف عنهم البلاء، وذلك لا يصرفه إلَّا الله عزَّ وجلَّ، وهو المعافي والمبتلِي، لا شريك له، فنهاهم رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عما كانوا يصنعون من ذلك في جاهليَّتهم.

وعن عائشة قالت: «ما تعلَّق بعد نزول البلاء فليس من التمائم».

وقد كره بعض أهل العلم تعليق التميمة على كل حال قبل نزول البلاء وبعده، والقول الأول أصح في الأثر والنظر إن شاء الله تعالى.

وما روي عن ابن مسعودٍ: يجوز أن يريد بما كره تعليقه غير القرآن أشياء مأخوذة عن العرَّافين والكُهَّان، إذ الاستشفاء بالقرآن معلَّقًا وغير معلَّقٍ لا يكون شركًا.

وقوله عليه الصَّلاة والسَّلام: «**مَن عَلَّق شيئًا وُكِلَ إليه**»: فمن علَّق القرآن ينبغي أن يتولَّاه الله ولا يكله إلى غيره؛ لأنه تعالى هو المرغوب إليه والمتوكَّل عليه في الاستشفاء بالقرآن».اهـ

قلت: لا شك أنَّ من جعل تعليق مَعاذَةٍ فيها قرآنٌ أو تعوُّذٌ مأثورٌ مثل التمائم التي نهىٰ النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عنها، فهو إن لم يكن كافرًا قريبٌ من الكفر عياذًا بالله تعالىٰ؛ لأنه سوَّىٰ بين كلام الله ورسوله وبين شرك الجاهلية في الحكم، وذلك غاية الضلال ونهاية الخسران، وابن مسعودٍ لم يقصد بفعله إلَّا تميمة الجاهليَّة، والدليل علىٰ ذلك أمران:

الأول: ما ورد في "سنن ابن ماجه": أنَّ التميمة التي قطعها ابن مسعودٍ كانت عبارة عن خيطٍ معقودٍ، وهذا هو ما كان يفعله أهل الجاهلية: يعلِّق أحدهم علىٰ عضده خيطًا معقودًا، أو حلقة من صفر، أو نحو هذا، فلذلك قطعه ابن مسعودٍ؛ لأنه من عمل الجاهليَّة.

الثاني: ما رويناه فيما تقدَّم: أنَّ ابن مسعودٍ حين رأىٰ في عنق امرأةٍ من أهله سيرًا فيه تمائم قطعه، ثُمَّ قال: «لو أنَّ إحداكنَّ تدعوا بماء فتنضحه في رأسها ووجهها، ثم تقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، والمُعوِّذتين، نفعها ذلك إن شاء الله».

وفي حادثةٍ أخرىٰ مع إحدىٰ نسائه، قطع تميمةً لها ثُمَّ قال لها: لو فعلت كما فعل رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان خيرًا لك وأجدر أن تُشفَين: أن تنضحي في عينك الماء وتقولي: «**أَذْهِبِ البَأْسَ ربَّ النَّاسِ، واشْفِ أنت الشَّافي، لا شِفَاءَ إلَّا شِفَاؤُكَ، شَفَاءً لا يُغَادِرُ سَقَمًا**». فهذان الأثران صريحان في أنه كره تميمة الجاهليَّة، وحضَّ علىٰ الاستشفاء بالوارد من القرآن والدُّعاء، وهذا ظاهرٌ لمن تأمَّله بإنصافٍ، والله وليُّ التوفيق.

فصل

والتداوي بالقرآن الكريم ونحوه من الأدعية المأثورة من محاسن هذا الدِّين العظيم الذي جعله الله دين العالم كله؛ لأن من مزايا الإسلام التي لا توجد في غيره: أنه جمع بين الماديَّات والرُّوحنيَّات، وانتظم الحسيَّات والمعنويَّات فأعطىٰ لكلِّ جانبٍ حقَّه، وأعدَّ لكلِّ حالةٍ لبوسها، ولم يهمل واحدةً من الطرفين، وإن كان يوميء في كثيرٍ من نصوصه إلىٰ تغليب جانب الرُّوحيات؛ لأنها أشمل وأقوىٰ وأهم وأبقىٰ.

فانظر كيف كان النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يتداوىٰ بالأدوية الماديَّة ويصفها لغيره، ويقول: «**تداووا فإنَّ اللهَ لم يضع داءً إلَّا وَضَعَ له دواءً، غير داءٍ واحدٍ: الهَرَم**». وكانت عائشة رضي الله عنها تحذق الطب لكثرة مزاولة الأدوية التي كان النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يستعملها في أمراضه.

ثُمَّ انظر كيف كان صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يستعمل الأدوية الروحيَّة فيعالج نفسه بالقرآن والدُّعاء وينفُثُ في يده ويمرُّ بها علىٰ ما تصل إليه من جسمه الشريف، وكذلك كان يعالج الحسن والحسين عليهما السَّلام.

وأقرَّ الصحابة الذين استعملوا القرآن دواءً لبعض الأمراض الحسيَّة، بل صوَّب فعلهم، وقال: «**حَصِّنوا أموالكم بالزَّكاة، وداووا مَرْضَاكُم بالصَّدَقة، وأعِدُّوا للبلاء الدُّعاء**». وهو حديثٌ صحيحٌ. بل لقد بلغ حدَّ الاستفاضة والشهرة[1] والتداوي بالصدقة علاجٌ روحيٌّ، لا يقدر عليه إلَّا أسخياء

---

(١) لشقيقنا الحافظ أبي الفيض رسالة "الزواجر المقلقة لمن أنكر التادوي بالصدقة" رد علىٰ بعض المبتدعة بالمغرب.

النفوس، أقوياء الإيمان، وهو استدرارٌ لرحمة الله بالمريض، بالرحمة لبعض الفقراء من عباده المؤمنين، كما أنَّ التداوي بالقرآن يتضمَّن الالتجاء إلى الله في كشف الضرِّ عن المصاب والمريض بكلامه الذي فيه سره، وفيه مظهر ربوبيته ورحمانيته.

فالذي ينكر الداوء الروحي من أصله، أو ينكر التداوي بالقرآن وما في معناه مبتدعٌ جاهلٌ؛ لأنه أنكر ما ثبت عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وعن الصحابة وأئمَّة المسلمين، كما أنه جهل أسرار الشريعة وغفل عما تقصد إليه في لفت الناس إلى هذا الجانب الروحي من الحِكَم التي أهمها: أن يكون بين العبد وبين خالقه صلة دائمة تُقوِّي يقينه، وتُثبِّت إيمانه، وتملأ قلبه طمأنينةً واستقرارًا، فلا يعتريه قنوطٌ، ولا يُخامره بأسٌ، ولا تضجره المصائب والأمراض على كثرتها وشدتها، لاعتماده في دفعها وتهوينها على من وسعت رحمته وعمَّت نعمته سبحانه وتعالى.

فصل

وقد يزعم ذلك المبتدِع ومن على شاكلته ممن يُنكِرون التداوي بالقرآن الكريم أنه لم ينزل لهذا، وإنما نزل للهداية ومعالجة أمراض القلوب والنفوس.

ونقول في الجواب عن هذه الشبهة التي يتذرَّعون بها لإنكار ما ثبت عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وصحابته والتابعين:

إنَّ الله سبحانه وتعالى أنزل كتابه الكريم لِحِكَمٍ كثيرةٍ وفوائد عديدةٍ لا تكاد تنحصر.

منها: إعجاز العالمين عن الإتيان بمثله، ليعلموا أنه من عند الله، وأنَّ الذي

جاء به رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨]، ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [يونس: ٣٨].

ومنها: بيان الشرائع والأحكام التي كلَّف الله بها عباده في العبادات: من صلاةٍ وزكاةٍ وحَجٍّ وغيرها، وفي المعاملات: من نكاحٍ وطلاقٍ وبيوعٍ وغيرها، وفي الحروب: من جهادٍ للكفَّار وقتال للبُغاة والخارجين، وما يلتحق بذلك من عقوباتٍ أو تعزيراتٍ.

قال العلماء: في القرآن من آيات الأحكام: خمسمائة آية، أو ما يقرب منها، يعنون الآيات الصريحة أو الظاهرة التي يؤخذ الحكم منها بغير كبير فكرٍ، وإلَّا فأغلب آي القرآن يؤخذ منها حُكْمٌ أو أكثر بطريقٍ من طرق الاستنباط المُبيَّنة في كتب الأحكام والأصول، وقد أوضح جملةً منها سلطان العلماء عزُّ الدين ابن عبدالسلام، ونقل كلامه الحافظ السيوطيُّ في مقدِّمة كتابه "الإكليل في استنباط التنزيل".

ومنها: التدبُّر فيه والتذكُّر به: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [النساء:٨٢]، ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ [ص: ٢٩]، ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر: ١٧]..

ومنها: الحُكْم بما فيه: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ [المائدة: ٤٩]، ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم

بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٤٧]..

وتحكيمه عند التنازع والتخاصُم: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩] الردُّ إلى الله: هو الرجوع إلى كتابه، والردُّ إلى الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: هو سؤاله في حياته، والرجوع إلى سُنَّته بعد وفاته.

ورأيت رسالة في تفسير هذه الآية للعلَّامة الوليِّ الكبير أبي العباس السيِّد أحمد بن إدريس العرائشيِّ المالكيِّ.

ومنها: الهداية لطريق الحقِّ وإخرج الناس من الظُّلمات إلى النور: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٢]، ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة: ١٥ - ١٦]، ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ [إبراهيم: ١]، ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

ومنها: الإنذار والبشارة، وإلَانة قلوب المؤمنين -عند سماعه- لذكر الله ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴾ [الكهف: ١ - ٤]،

﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الزمر: ٢٣].

ومنها: تثبيت قلب النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم به على وجه العموم، وبما فيه من قصص الأنبياء والرسل على وجه الخصوص: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ [الفرقان: ٣٢]، ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [هود: ١٢٠].

ومنها: إقامة الحُجَّة على مشركي العرب، وغيرهم ممَّن لم يكن عندهم كتاب مثل التوراة والإنجيل، حتى لا يعتذروا بأنهم لم يأتهم كتاب من الله ولو أتاهم كما أتى من قبلهم لاهتدوا به واتبعوه: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ﴾ [الأنعام: ١٥٥ – ١٥٧].

ومنها: بيان وحدانيَّة الله تعالى، والدُّعاء إلى إفراده بالألوهيَّة: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [إبراهيم: ٥٢]، ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف: ١١٠]، والآيات في هذا المعنى كثيرةٌ، بل أهم ما أرسل الله لأجله الرسل وأنزل له الكتب: هو تقرير هذا المعنى وتوضيحه وإقامة البرهان عليه.

ومنها: العِظَة والعِبْرة بما فيه من قصص الأنبياء والمرسلين، وما جرىٰ علىٰ قومهم من الهلاك والتبار حين كذَّبوهم: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [يوسف: ١١١].

وقد يعرض ههنا سؤال فيقال: ما الحِكْمة مِن تكرار قصص الأنبياء في القرآن؟

فالجواب علىٰ ذلك من أوجهٍ:

الأول: أنه ربَّما ذكر في سورة من أخبار الأنبياء ما لم يذكره في سورة أخرىٰ، ففي كلِّ واحدةٍ منهما فائدةٌ زائدةٌ علىٰ الأخرىٰ.

الثاني: أنه ذكر أخبار الأنبياء في مواضع علىٰ طريقة الإطناب، وفي مواضع علىٰ طريقة الإيجاز، لتظهر فصاحة القرآن في الطريقتين.

الثالث: أنَّ أخبار الأنبياء قصد بذكرها مقاصد، فتعدَّد ذكرها بتعدُّد تلك المقاصد، فمن المقاصد بها: إثبات نبوة الأنبياء المتقدِّمين بذكر ما جرىٰ علىٰ أيديهم من المعجزات، وذكر إهلاك من كذَّبهم بأنواعٍ من المهالك.

ومنها: إثبات النبوة للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم؛ لإخباره بتلك الأخبار من غير تعلُّمٍ من أحدٍ، وإلىٰ ذلك الإشارة بقوله تعالىٰ: ﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ﴾ [هود: ٤٩].

ومنها: إثبات الوحدانية؛ ألا ترىٰ أنه لما ذكر إهلاك الأمم الكافرة قال: ﴿فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ﴾ [هود: ١٠١].

ومنها: الاعتبار في قُدْرة الله وشِدَّة عقابه لمن كفر.

ومنها: تسلية النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن تكذيب قومه له بالتأسِّي بمن تقدَّم من الأنبياء لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ [الأنعام: ٣٤].

ومنها: تسليته عليه السَّلام ووعده بالنَّصر كما نصر الأنبياء الذين من قبله.

ومنها: تخويف الكفَّار بأن يعاقَبوا كما عُوقِب الكفَّار الذين من قبلهم، إلى غير ذلك ممَّا احتوت عليه أخبار الأنبياء من العجائب والمواعظ واحتجاج الأنبياء وردِّهم على الكفَّار وغير ذلك.

فلما كانت أخبار الأنبياء تفيد فوائد كثيرة ذكرت في مواضع كثيرة، ولكلِّ مقام مقالٍ، ذكره ابن جزيٍّ في "تفسيره".

ثُمَّ يأتي سؤالٌ آخَر وهو: ما الحِكْمة في أنَّ قصة يوسف عليه السَّلام ذكرت كلها في سورة واحدةٍ، ولم تفرَّق في عدَّة سورٍ، كما أنها لم تتكرَّر؟

والجواب على ذلك أن نقول: أمَّا ذكرها جملة واحدة فلأمرين:

أحدهما: يرجع إلى علم البلاغة، والثاني: يرجع إلى علم الأصول.

أمَّا الأول: فإن قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤]، يعتبر إجمالًا للقصة، وما وقع بعد ذلك بين يوسف وإخوته تفصيلٌ لمُجمَل ما انطوت عليه هذه الرؤيا وتفسيرٌ لمغزاها.

ألا ترى في آخِر القصة بعد أن اجتمع بأبويه وإخوته، ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ [يوسف: ١٠٠]، قال: ﴿يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ [يوسف: ١٠٠]، يشير بذلك إلى أنَّ ما تقدَّم من الحوادث كان

تمهيدًا وتفصيلًا لهذا التأويل.

ومن مقتضيات البلاغة التي هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال: أنَّ الشيء إذا ذُكِر مُجملًا تتشوَّف النفوس إلى معرفة تفصيله، فيجب ذكره مُفصَّلًا ليكون أوقع في النفوس، وأدعى إلى تسكينها، فكذلك في قصة يوسف لَمَّا ذكرت الرؤيا مجملةً تشوَّفت النفوس إلى معرفة تفسيرها، وتشوَّفت إلى إدراك سِرِّ ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾، ومَن المراد بهم، وكيف كان سجودهم؟

فكان وقع تفصيل القصة بعد هذا الإجمال في النفوس المتشوِّفة المتشوِّقة أعذب من الماء البارد في اليوم القائظ، لمن كان يهلكه الظمأ.

وأمَّا الثاني: فإن الله تعالى قال: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ﴾ [يوسف: ٧]، فأخبر تعالى بوقوع السؤال عن قصة يوسف وإخواته، والسائلون هم: اليهود، أو قريش بأمر اليهود، وأيًّا ما كان السائلون فإن السؤال يقتضي أن تذكر القصة جملة واحدة ليطابق الجواب السؤال، ولو فرقت القصة بأن ذكر جزءٌ منها في هذا الموضع وجزءٌ في موضع آخَر لتأخَّر البيان عن وقت الحاجة، والمقرَّر في علم الأصول: «أن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز».

فلهاتين الحكمتين -والله أعلم- ذكرت قصة يوسف جملةً واحدةً، وهما ممَّا فتح الله به عليَّ وله الحمد.

وأمَّا عدم تكرارها: فهو مبنيٌّ على ما قبله، وناشيءٌ عنه؛ لأنه إذا كانت القصة ذكرت جملةً واحدةً بمقتضى الحكمتين اللتين أوضحناهما، فذكرها مرةً ثانية لا يخلو: إما أن يكون بالأسلوب الذي ذكرت به أولًا، وهو تكرار خالٍ

عن الفائدة، وإمَّا بأوجز منه، وهو مخِلٌّ بالفائدة، وإمَّا بأكثر منه، وهو زيادةٌ على المقصود بلا فائدة. هذا ما ظهر لي، والله أعلم بسرِّ كتابه.

ومنها -أي الحِكَم التي أنزل الله لأجلها القرآن-: قراءته في الصَّلاة ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ [المزمل: ٢٠]، وقال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لا صَلاةَ لمن لم يَقْرَأ فيها بأمِّ القُرآن**». حديثٌ صحيحٌ، بل هو مشهورٌ مستفيضٌ.

ومنها: التعبُّد بتلاوته، وقد عرف العلماء القرآن بأنه: «اللفظ المُنزَّل على محمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم للإعجاز بسورةٍ منه، المُتعَبَّد بتلاوته...»، وقال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ﴾ [المزمل: ٤]، فهذا أمر بتلاوة القرآن والتثبُّت فيها.

وقال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن قَرَأ حَرْفًا مِن كتابِ الله فله به حَسَنَةٌ والحَسَنَةُ بعَشْرِ أمثالها، لا أقول: ﴿الٓمٓ﴾ حَرْفٌ، ولكن أَلِفٌ حَرْفٌ، ولامٌ حَرْفٌ، وميمٌ حَرْفٌ**». صحَّحه الترمذيُّ وغيره.

ومنها: التداوي به: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقد سبقت الأحاديث الكثيرة في التداوي به من السمِّ، وغيره من الأمراض.

ومنها: التبرُّك به: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الأنعام: ٩٢]. ومن بركته: أنَّ قراءة سورةٍ منه وآياتٍ تطرد الشيطان عن القارئ بل عن بيته أيضًا، كما ثبت عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في قراءة (سورة البقرة)، وفي خاتمتها، وفي آية الكرسيِّ.

وكما ثبت عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أنَّ قراءة (سورة الكهف)**

تعصم من فتنة الدَّجَّال»[١].

وانظر الأحاديث الواردة بذلك في الجزء الأول من كتابنا "فضائل القرآن".

فصل

وهذه الحِكَم التي أوردناها لا تنافر بينها ولا تناقض، بل هي متداخلةٌ متوافقةٌ.

وبيان ذلك: أنَّ استعمال القرآن دواءٌ للأمراض الحسيَّة لا يمنع استعماله لأمراض القلوب ودفع الجهل والريب والشكوك عنها، وتلاوته للتعبُّد والتبرُّك لا تنافي العمل بما فيه من الأحكام والشرائع، وهكذا سائر الحِكَم تجدها متناسقةً مترافقةً، آخذًا بعضها بحجزة بعضٍ.

وانظر إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «كان خُلُقُه القُرآن»، كما قالت

---

(١) من جهل المبتدِع الذي نرد عليه: أنه أنكر الدَّجَّال الذي تواترت الأحاديث به عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم في كتب السُّنَّة من الصِّحاح والسُّنن والمسانيد والمعاجم والأجزاء والمستخرجات وغيرها، وأجمع على القول به جميع أهل السُّنَّة لم يشذ عنهم فردٌ واحدٌ.

بل بلغ من جراءته ووقاحته: أنه أنكر الشيطان أيضًا، وزعم: أنه عبارة عن قوة الشرِّ السارية في الوجود سريان الأثير في الجو!!! وصادم بزعمه هذا صرائح النصوص التي تدمغه وترغم أنفه في قصة آدم وما جرى من المحاورة والمراجعة بين الله وبين الشيطان، وبين آدم وبين الشيطان، ممَّا يستحيل عقلًا أن يقوم شيء منه بقوة الشرِّ المزعومة.

عائشة حين سُئلت عن خُلُقِهِ، أي: أنه المظهر العمليُّ التطبيقيُّ لأوامر القرآن ونواهيه وآدابه، فكان صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم متحلِّيًا بالقرآن حالًا وعملًا ومقالًا، مُنفِّذًا لأحكامه في جميع شئونه: في عبادته، ومعاملاته، وغزواته، مقيمًا لحدوده علىٰ من استوجبها، لا يقبل في إقامتها شفاعة شافعٍ ولا رجاوة مُقرَّبٍ، وكان إلىٰ جانب هذا يتحدَّىٰ به المُعاندين، ويُنذر الكافرين، ويُبشِّر المؤمنين، ويتعبَّد بتلاوته في الصَّلاة وخارجها، ويعالج به نفسه وأهله من الأمراض العارضة، ويُحاجج به ويناظر.

وكذلك كان الصحابة والتابعون يستعملون القرآن أدواء لأمراضهم الحسيَّة والمعنويَّة، ويحرصون علىٰ تنفيذ أحكامه، فيما يفعلون وفيما يذرون.

فمن زعم بعد هذا أنَّ استعمال القرآن في ناحيةٍ من هذه النواحي كالتداوي يعطل استعماله في ناحيةٍ أخرىٰ أو ينافيها يكذِّبه عمل النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وعمل الصحابة والتابعين، هذا إلىٰ أنَّ ذلك الزعم باطل من أصله لا يستند إلىٰ شيءٍ من قواعد العِلْم، ويشبهه في البطلان والفساد استدلال بعض[1] المتنطِّعين علىٰ أنَّ القرآن لا يقرأ علىٰ الميت بقوله: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [يس: ٧٠].

وهذا الاستدلال مع بطلانه ينبغي أن يدرج في باب الطُّرف المُستَمْلَحات؛ لأنه لا علاقة البتَّة بين كون القرآن لإنذار الحيِّ به، وبين قراءته علىٰ الميت تبرُّكًا

---

(١) هو المرحوم الشيخ محمد مخيمر -الواعظ بالأزهر- وهو الذي رددت عليه بكتاب "الرد المحكم المتين".

أو ترحُّمًا.

والمقصود: أنَّ قصر فائدة القرآن على حِكْمةٍ من الحِكَم السابقة دون غيرها قصورٌ في العقل وضيقٌ في التفكير، وتعطيلٌ للحِكَم السامية التي قصدها الله من إنزال كتابه، فإذا أراد المسلمون النجاح والفلاح، ورغبوا في العزَّة والكرامة، فليتخذوا القرآن شفاءً لأمراضهم الحسيَّة والمعنويَّة، وليجعلوه مرشدهم في الدِّين، ودليلهم في الحياة، ودستورهم في الحكم، وموجِّههم في السياسة، إنهم إن فعلوا ذلك استعادوا عزَّهم الغابر، واستردُّوا كرامتهم المسلوبة، وخاف منهم الأعداء، وخَطَبَ ودَّهم الأقوياء، وكانوا كما كان سلفهم الصالح سادة الدنيا، وقادة الأمم، وهُداة العالم، ومُحرِّري الشعوب، وحاملي لواء العِلْم والحضارة والحريَّة، لكن متى يتحقَّق ذلك؟

إنا لنرجو أن يكون قريبًا، وما ذلك على الله بعزيزٍ.

خاتمة

تشتمل على مسألتين

المسألة الأولى

شرط التداوي بالقرآن وما في معناه من الرُّقَى والمعوِّذات: أن يكون الشخص كامل الإيمان، قويَّ العزيمة، ثابت اليقين، صادق اللجوء إلى الله.

فبذلك يجد العلاج السريع والدواء الناجح والشفاء التام، كما يرشد إلى ذلك قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لابن مسعودٍ حين قرأ في أذن مبتلى آخِر (سورة المؤمنون) فأفاق: «لو أنَّ مُوقِنًا قرأ بها على جَبَلٍ لزَالَ».

وقال ابن القيِّم في كتاب "الجواب الكافي" بعد أن ذكر حديث الرُّقْية بفاتحة الكتاب: «ولكن ههنا أمر ينبغي التفطُّن له: وهو أنَّ الأذكار والآيات والأدعية التي يُستشفَى بها ويُرقَى بها -هي نفسها- وإن كانت نافعةً شافيةً، لكن تستدعي قبول المحل، وقوة همَّة الفاعل وتأثيره، فمتى تخلَّف الشِّفاء كان لضعف تأثير الفاعل، أو لعدم قبول المنفعل أو لمانعٍ قويٍّ فيه يمنع أن يَنجَع فيه الدواء كما يكون ذلك في الأدوية والأدواء الحسيَّة، فإن عدم تأثيرها قد يكون لعدم قبول الطبيعة لذلك الدواء، وقد يكون لمانعٍ قويٍّ يمنع من اقتضائه أثره، فإن الطبيعة إذا أخذت الدواء بقبول تامٍّ، كان انتفاع البدن به بحسب ذلك القبول، فكذلك القلب إذا أخذ الرُّقَى والتعاويذ بقبول تامٍّ، وكان للرَّاقي نفسٌ فعَّالةٌ وهمَّةٌ مؤثِّرةٌ في إزالة الداء».اهـ

وكذلك الدعاء ينفع في دفع المكروه، وحصول المطلوب بالشرط السابق

مع تيقُّظ القلب وعدم غفلته؛ لقوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ادعوا اللهَ وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أنَّ الله لا يَقْبَلُ دعاءً مِن قَلْبٍ غافلٍ لاهٍ**». رواه الحاكم في "المستدرك" من حديث أبي هريرة.

يضاف إلى ذلك: اشتراط عدم أكل الحرام لقوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أيُّها النَّاسُ إنَّ اللهَ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إلَّا طَيِّبًا، وإنَّ الله أَمَرَ المؤمنين بما أَمَرَ به المرسلين فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾** [المؤمنون: ٥١]، **﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾** [البقرة: ١٧٢]، **ثُمَّ ذَكَرَ: الرَّجُلُ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إلى السَّماءِ: يا ربِّ، يا ربِّ، ومَطْعَمُهُ حُرامٌ، ومَشْرَبُهُ حُرامٌ، ومَلْبَسُهُ حَرامٌ، وغُذِيَ بالحرام، فأَنَّى يُستجَابُ لذلك؟**» رواه مسلمٌ في "صحيحه" من حديث أبي هريرة.

المسألة الثانية

أشرت في خطبة الكتاب إلى قصة الخَضِر عليه السَّلام، ثُمَّ ظهر لي أن أفصلها هنا بعض التفصيل، فأقول:

روى البخاريُّ قصة الخَضِر في مواضع من "صحيحه" من عدَّة طرقٍ، فقال في كتاب «العلم»: باب ما ذكر في ذهاب موسى في البحر إلى الخَضِر عليهما السَّلام، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ [الكهف: ٦٦]: حدَّثنا محمَّدُ بن غُرَيْرٍ الزُّهريُّ، قال: حدَّثنا يعقوبُ بن إبراهيم، قال: حدَّثني أبي، عن صالحٍ، عن ابن شهابٍ حدَّثه: أنَّ عُبيدالله بن عبدالله أخبره، عن ابن عباسٍ: أنه تَمَارَى هو والحُرُّ بن قيسِ بن حِصنٍ الفَزَارِيُّ

في صاحب موسىٰ، قال ابن عباسٍ: هو خَضِرٌ، فمَرَّ بهما أُبَيُّ بن كعبٍ فدعاه ابن عباسٍ، فقال: إنِّي تمَارَيْتُ أنا وصاحِبي -هذا- في صاحب موسَىٰ الذي سأل موسىٰ السَّبِيلَ إِلَىٰ لُقِيِّهِ، هل سمعتَ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يذكر شأنه؟ قال: نعم، سمعتُ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**بينما موسى في ملإٍ مِن بني إسرائيلَ جاءه رجُلٌ فقال: هل تَعْلَمُ أحَدًا أعْلَمَ منك؟ قال موسى: لا، فأوحى الله إليه: بلى، عبدنا خَضِرٌ، فسأل موسى السَّبِيلَ إليه، فجعل الله له الحوتَ آيةً، وقيل له: إذا فقدتَ الحوتَ فارجِعْ فإنَّك ستَلْقَاهُ، وكان يتَّبِعُ أثَرَ الحُوتِ في البَحْرِ، فقال لموسى فَتَاهُ:** ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ [الكهف: ٦٣]، ﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف: ٦٤]، فوجَدَا خَضِرًا، فكان من شأنهما الذي قَصَّ الله عزَّ وجلَّ في كتابه».

كذا ذكره في هذا الباب مختصرًا، وأعاده مطوَّلًا في أحاديث الأنبياء[1] تحت ترجمة باب: حديث الخَضِر مع موسىٰ عليهما السَّلام: حدَّثنا عليُّ بن عبدالله، حدَّثنا سفيان -هو ابن عُيَيْنَة- حدَّثنا عمرو بن دينارٍ: أخبرني سعيد بن جُبَيرٍ، قال: قلت لابن عباسٍ: إنَّ نوفًا البكاليَّ يَزْعُمُ: أنَّ موسىٰ صاحب الخضر ليس هو موسىٰ بني إسرائيل، إنَّما هو موسىٰ آخَر، فقال: كَذَبَ عَدُوُّ الله، حدَّثنا أُبَيُّ بن كعبٍ، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وسلَّم: «**أنَّ موسى قام خطيبًا في بني إسرائيل، فسُئل: أيُّ النَّاسِ أعْلَمُ؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه إذ لم يَرُدَّ العلمَ إليه، فقال له:**

---

(١) (٣٤٠٠).

بلى لي عبدٌ بمجْمَعِ البحرين هو أعْلَمُ منك، قال: أي رَبِّ، ومَن لي به؟ قال: تأخُذُ حُوتًا فتجعلُهُ في مِكْتَلٍ، حيثما فقدت الحوتَ فهو ثَمَّ.

وأخذ حُوتًا فجعلَهُ في مِكْتَلٍ، ثُمَّ انطَلَقَ هو وفَتاهُ -يُوشَعُ بن نُونٍ- حتَّى أتيا الصَّخْرَةَ وضَعَا رُءُوسَهُمَا، فرقد مُوسَى، واضْطَرَبَ الحُوتُ فخَرَجَ فسَقَطَ في البحرِ: ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ [الكهف: ٦١]، فأمسك الله عن الحُوتِ جِرْيَةَ الماءِ، فصَارَ مثل الطَّاقِ، فانطلقا يَمشيان بَقِيَّةَ ليلتهما ويومَهُمَا، حتَّى إذا كان مِن الغَدِ: ﴿قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢]، ولم يجد موسى النَّصَبَ حتَّى جَاوَزَ حيث أَمَرَهُ الله قال له فتاه: ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾ [الكهف: ٦٣]، فكان للحُوتِ سَرَبًا ولهما عَجَبًا، قال له موسى: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف: ٦٤]، رَجَعَا يَقُصَّان آثارهما حتَّى انتهيا إلى الصَّخْرةِ فإذا رَجُلٌ مُسَجًّى بثوبٍ، فسلَّم موسى، فردَّ عليه، فقال: وأنَّى بأرضك السَّلامُ؟ قال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل، قال: نعم، أتيتُكَ لِتُعَلِّمَني ﴿مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦]، قال: يا موسى إني على عِلْمٍ مِن عِلْمِ الله عَلَّمَنِيهِ الله، لا تَعْلَمُهُ وأنت على عِلْمٍ مِن عِلْمِ الله عَلَّمَكَهُ الله لا أَعْلَمُهُ، قال هل أَتَّبِعُكَ؟ ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧ - ٦٨] إلى قوله: ﴿إِمْرًا﴾ [الكهف: ٧١]، فانطَلَقَا يَمشيان على ساحلِ البحرِ فمَرَّتْ بهما سفينةٌ كلَّموهم أن يَحمِلُوهُم فعرفوا الخَضِرَ فحمَلُوهُ بغير نَوْلٍ فلمَّا ركِبا في السَّفِينة جاء عُصْفُورٌ فوقع على حَرْفِ

السَّفِينة فنَقَر في البحر نَقْرَةً أو نَقْرَتَين، قال له الخَضِرُ: يا موسى ما نَقَصَ عِلْمِي وعلمُكَ مِن عِلْمِ الله إلَّا مِثْلَ ما نَقَصَ هذا العُصْفُورُ بمِنْقارِهِ مِن البحر، إذ أخَذَ الفَأْسَ فنَزَعَ لَوْحًا، قال: فلم يَفْجَأْ موسى إلَّا وقد قَلَعَ لَوْحًا بالقَدُّومِ، فقال له موسى: ما صَنَعْتَ؟ قومٌ حَمَلُونا بغير نَوْلٍ عَمَدْتَ إلى سفينتهم فخَرَقْتَها ﴿لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ [الكهف: ٧١]، فكانت الأولى مِن موسى نِسيانًا، فلمَّا خَرَجَا مِن البَحر مَرُّوا بغلامٍ يَلْعَبُ مع الصِّبْيان، فأخذ الخَضِرُ برأسِهِ فقَلَعَهُ بيده -هكذا- فقال له موسى: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِيۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ [الكهف: ٧٤ - ٧٧] مائِلًا، أَوْمَأَ بيده -هكذا، كأنه يَمْسَحُ شيئًا إلى فوق- قال: قومٌ أتيناهم فلم يُطعِمُونا ولم يُضَيِّفونَا عَمَدْتَ إلى حائطهم؟ ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٧ - ٧٨]، قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: ودِدْنَا أنَّ موسى كان صَبَرَ فقَصَّ الله علينا مِن خبرهما».

قلت: في الطريق الأول حصلت مُماراةٌ بين ابن عباسٍ والحرُّ بن قيسٍ في صاحب موسى، هل هو الخضر أو غيره؟

والحر بن قيسٍ: صحابيٌّ مشهورٌ.

وفي الطريق الثاني: حصل خلافٌ بين سعيد بن جُبيرٍ وبين نوفٍ البِكَاليِّ في

موسىٰ، هل هو موسىٰ بن عمران؟ أو موسىٰ بن ميشا؟[١] -بكسر الميم وسكون التحتانية- ابن أفراثيم بن يوسف بن يعقوب وكان نبيًّا قبل موسىٰ.

وروىٰ البخاريُّ في الباب المذكور آنفًا عن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنما سُمِّي الخَضِر؛ لأنه جَلَسَ على فَرْوةٍ بيضاءَ، فإذا هي تَهْتَزُّ مِن خَلْفِهِ خَضْراءَ**». ورواه أحمد وعبدالرزَّاق والترمذيُّ وغيرهم.

و«**الفَرْوَة**»: أرضٌ بيضاء.

وقال البخاريُّ في «كتاب التفسير»: باب قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴾ [الكهف: ٦٠].

حدَّثنا الحُمَيْديُّ: حدَّثنا سفيان: حدَّثنا عمرو بن دينارٍ قال: أخبرني سعيد بن جُبيرٍ قال: قلت لابن عباسٍ: إنَّ نَوْفًا البِكَاليَّ يزعُمُ: أنَّ موسىٰ صاحب الخَضِرِ ليس هو موسىٰ صاحب بني إسرائيل، فقال: ابن عباسٍ كَذَبَ عَدُوُّ الله، حدَّثني أُبَيُّ بن كعبٍ: أنه سمع رسولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**إنَّ موسى قام خَطِيبًا في بني إسرائيل، فسُئل أيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟**» وذكر الحديث بطوله.

وقال: باب قوله: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴾ [الكهف: ٦١]: حدَّثنا إبراهيم بن موسىٰ: أخبرنا هشام بن يوسف: أنَّ ابن جريجٍ أخبرهم قال: أخبرني يعلىٰ بن مسلمٍ وعمرو بن دينارٍ، عن سعيد بن جُبيرٍ -يزيد أحدهما علىٰ صاحبه- وغيرهما قد سمعته يحدِّثه عن سعيدٍ قال: إنَّا

---

(١) في "تفسير القرطبي" (ج ١١ ص ٩ س ٤): «منشا»، وهو خطأ، فقد ضبطه الحافظ ابن حجرٍ في "فتح الباري" بالياء.

لعند ابن عباسٍ في بيته إذ قال: سَلُوني،قلت: أي أبا عبَّاسٍ -جعلني الله فداءك- إنَّ بالكوفة رجُلًا قاصًّا -يقال له نوفٌ- يزعم أنه ليس بموسىٰ بني إسرائيل.

أمَّا عمرو فقال لي: قال: قد كَذَبَ عَدوُّ الله.

وأمَّا يعلىٰ فقال لي: قال ابن عباسٍ: حدَّثني أُبيُّ بن كعبٍ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم... وذكر الحديث نحو ما سبق.

وقال أيضًا: باب قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾ [الكهف: ٦٣] إلخ: حدَّثني قتيبة بن سعيدٍ: حدَّثني سفيان بن عُيَيْنَة، عن عمرو بن دينارٍ، عن سعيد بن جُبيرٍ قال: قلت لابن عباسٍ: إن نَوْفًا البِكَاليَّ يزعم: أنَّ موسىٰ نبيَّ الله ليس بموسىٰ الخَضِر، فقال: كَذَبَ عَدوُّ الله، حدَّثني أُبيُّ بن كعبٍ، عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**قام موسى خَطيبًا في بني إسرائيل فقيل له: أيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟**» الحديث.

وقال مسلمٌ في "الصحيح": أحاديث قصة موسىٰ مع الخَضِر عليهما السَّلام... ثُمَّ روىٰ الحديث بعِدَّة أسانيد عن ابن عباسٍ، عن أُبيِّ بن كعبٍ.

ورواه أبو داود، والنَّسائيُّ، والترمذيُّ وأشار الترمذيُّ إلىٰ تعدُّد طُرُقه عن ابن عباسٍ، وذكر عن عليِّ بن المَدينيِّ: أنه حَجَّ حَجَّةً وليس له هِمَّةٌ إلَّا أن يسمع هذا الحديث مِن سفيان ابن عُيَيْنَة.

وروىٰ الترمذيُّ وابن جريرٍ وغيرهما عن ابن عباسٍ، عن أُبيِّ بن كعبٍ، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**الغُلامُ الذي قَتَلَهُ الخَضِرُ طُبِعَ يَومَ طُبِعَ كافِرًا**». قال الترمذيُّ: «هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ».اهـ

وقد روىٰ قِصَّة الخَضِر أيضًا: الإمام أحمد، وابن أبي حاتمٍ، وابن المنذر،

وابن جريرٍ، وعبد بن حُميد، وغيرهم.

وأفرد العلماء هذه القِصَّة بالتأليف، وتكلَّموا على ما يؤخذ منها من الفوائد الفقهية وغيرها، كما تكلَّموا عن الخَضِر وما يتعلَّق به، فأسخن الله أعين المُبتدِعة أعداء السُّنَّة، وأضلَّهم في جَهْلِهم فهم يَعْمَهُون، وأعاذنا ممَّا ابتلاهم به، إنه سميعٌ قريبٌ مُجيبٌ.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

١ - فَضَائِلُ القُرْآنِ الكَرِيمِ - الجزء الأول

خطبة الكتاب ٩
مقدمة في معنىٰ القرآن وذكر أسمائه ١١
فضل القرآن علىٰ سبيل الإجمال ١٥
المَاهِر بالقرآن ٢١
تنبيه: حول المَاهِر بالقُرآنِ ٢٣
ثواب قارئ القرآن ٢٤
تفضيل القرآن علىٰ الكُتُب السَّماوِيَّة ٢٧
القرآن أفضل من الذِّكر والدُّعاء ومِن سائر الكلام ٢٨
القرآن حُجَّةٌ لك أو عليك ٢٩
فضائل سور القرآن ٣١
(الفاتحة) ٣١
(سورة البقرة) ٣٧
قِصَّةُ الصَّحابيِّ الذي كان يقرأ (سورة البقرة) فنزلت الملائكة لسماعِه ٣٧
قِصَّةٌ أخرىٰ تُماثلها ٣٨
تأمير النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم رجلًا لِحِفْظِه (سورة البقرة) ٣٨
خواتيم (البقرة) ٣٩

«آية الكرسيِّ» ٤٠
قِصَّةُ الشَّيطان الذي كان يَسْرِقُ مِن أبي هريرة ٤١
قِصَّةُ أخرىٰ تُشبهها ٤٢
(البقرة) و(آل عمران) ٤٣
آخر (سورة آل عمران) ٤٥
(سورة الكهف) وآيات منها ٤٥
قراءة (سورة الكهف) ليلة الجُمُعة ويومها ٤٧
قِصَّةُ الرَّجُل الذي كان يقرأ (الكهف) فنزلت الملائكة لسماعِه ٤٨
خاتمة (الكهف) ٤٩
(سورة طه) ٥٠
(سورة الأنبياء) ٥٠
(سورة المؤمنون) ٥١
خاتمتها ٥١
(سورة الروم) ٥١
(سور السجدة) ٥٢
(سورة يس) ٥٢
(سورة الصافَّات) ٥٥
(سورة الزمر) ٥٥
(الحواميم) ٥٥

تنبيه حول كراهة قول: حواميم ٥٦
سورة المؤمِن وهي (سورة غافر) ٥٧
(سورة الدخان) ٥٨
(سورة الفتح) ٥٩
(سورة الرحمن) ٥٩
(سورة الواقعة) ٦٠
المُسبِّحات ٦١
(سورة الحشر) ٦١
(سورة الطلاق) ٦٢
(سورة تبارك) ٦٢
قِصَّة الرَّجُل الذي سمع الميت يقرأها ٦٣
سورة ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ وما يذكر فيها ٦٣
سورة ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ ٦٤
سورة ﴿لَمْ يَكُنِ﴾ ٦٤
سورة ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ ٦٤
سورة ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ ٦٥
(سورة العصر) ٦٥
قِصَّة مُسَيلَمة الكذَّاب في مُعارضتها ٦٥

فَضَائِلُ القُرْآنِ الكَرِيمِ - الجزء الثاني

خطبة الكتاب ٦٩
(سورة الكوثر) ٧١
فائدة: حول مَن أراد رؤية النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في المنام ٧١
(سورة الكافرون) ٧٢
(سورة النصر) وتُسمَّىٰ سورة التوديع ٧٣
تنبيه حول (سورة النصر) ٧٥
ما حدث مع أشياخ بدرٍ وابن عبَّاسٍ عندما أدخله عمر عليهم ٧٥
تنبيهان حول ما ذكره أشياخ بدرٍ، وحديث افتراق النَّاس وما أحدثوا ٧٦
تنبيهان ٧٦
(سورة الإخلاص) ٧٧
ما ورد في أنها تَعْدِل ثُلُث القُرآن ٧٧
اختلاف العلماء في كون (سورة الإخلاص) تَعْدِلُ ثُلُث القرآن ٧٨
قِصَّة الرَّجُل الذي كان يقرؤها في كلِّ صَلاةٍ ٧٩
قِصَّةٌ أخرىٰ تشبهها ٨٠
(سورة الإخلاص) وتكثير الرِّزق ٨٢
(سورة الإخلاص) والاسم الأعظم ٨٣
(سورة الإخلاص) وتكفير الذنوب ٨٣
(سورة الإخلاص) والعِتق مِن النَّار ٨٤

قراءتها عند النوم..... ٨٥
قراءتها دُبُر كلِّ صَلاةٍ ٨٦
قِصَّة الرَّجُل الذي كان يحبها ويتلوها في جميع الحالات ٨٦
فضلها مع المُعوِّذتين ٨٨
حديث آخر في فضلهنَّ ٨٩
حديث في الاستشفاء بهنَّ..... ٨٩
المعوِّذتان ٩٠
فضل سور القرآن من غير تعيينٍ ٩٣
التداوي بالقرآن ٩٥
قصة اللَّديغ الذي رُقِيَ بـ(الفاتحة) ٩٥
قِصَّةٌ أخرىٰ..... ٩٦
قِصَّة ثالثة..... ٩٧
دعاء لإذهاب الهَمِّ والغَمِّ ٩٧
الختام..... ٩٨

٢- الإحْسَانُ في تَعْقِيبِ الإتْقَانِ

خطبة الكتاب ١٠١
اعتماد كثيرٍ من المستشرقين علىٰ الآراء الشاذَّة والرِّوايات الساقطة، في كتاب "الإتقان" كما قال العلَّامة الشيخ الكوثريُّ رحمه الله ١٠١
مما يُعاب علىٰ السيوطيِّ ذِكْره لأحاديث واهيةٍ أو أقوال ساقطةٍ، تُنسب لصحابيٍّ

أو تابعيٍّ أو إمامٍ ولا يُنبَّه عليها، فيظنها الجاهل صحيحةً ويتخذها الجاحد حُجَّةً للطَّعن والغَمْز ١٠٢
طبع المستشرقين بعض الكتب المتعلِّقة بالقرآن العظيم، مثل كتاب "المصاحف" لابن أبي داود، و"شواذ القراءات" لابن خالويه بغرض تشكيك المسلمين في كتابهم ١٠٣
تشبُّع الكُتَّاب والأُدباء في الشرق الإسلاميِّ بكلام بعض المستشرقين والاقتناع بآرائهم. ١٠٥
التبشير نوعان ١٠٥
اعتماد الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقي على المستشرق الألماني بروكليمن في تقييم الكتب الإسلامية ١٠٦
محاربة المستشرقين واجبةٌ؛ لأنها جهادٌ في سبيل الدِّفاع عن كتاب الإسلام ونبيِّ الإسلام ودين الإسلام، والقَلَمُ أحد اللسانين وهو أقواهما وأبقاهما ذِكْرًا ... ١٠٧
النوع الأول: معرفة المكِّيِّ والمدنيِّ ١٠٨
النوع الثاني: معرفة الحَضَري والسَّفَري ١٠٩
تناقض السيوطيِّ في كلامه على قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ وأنها نزلت بعد زيارة النبيِّ قبرَ أُمِّه ١٠٩
تنبيهان: التنبيه الأول: تعارض مدلولَي حديثَي ابن عبَّاسٍ وابن مسعودٍ تعارضًا لا سبيل إلى دفعه مما يدل على ضعفهما ١١١
التنبيه الثاني: حول حرمة الاستغفار للمشركين؛ لأنهم أصحاب الجحيم، ويتفرَّع

على ذلك أمران: أحدهما: تحريم الترحُّم عليهم بطريق الأولى. ثانيهما: خلود المشركين في النَّار أبدًا ١١١
القراءات الشاذَّة لا تجوز الصَّلاة بها ولا تلاوتها ولا العمل بها إلَّا إذا كانت مُفسِّرةً لقراءةٍ متواترةٍ ١١٣
النوع التاسع: معرفة سبب النزول ١١٤
حديث: «لو رأيتَ مع أمِّ رومان رجلًا ما كنتَ فاعلًا...» حديثٌ منكرٌ لا يصح لوجوهٍ..... ١١٦
النوع الثالث عشر: ما نزل مُفَـرَّقا وما نزل جمعًا ١١٧
النوع الخامس عشر: ما أنزل منه على بعض الأنبياء..... ١١٨
تعجُّب المؤلف من السيوطيِّ لنقله كلام كعب الأحبار ولم يتعقَّبه بشيءٍ..... ١١٨
النوع السادس عشر: في كيفية إنزاله..... ١٢٠
النوع السابع عشر: في معرفة أسمائه وأسماء سوره ١٢١
النوع الثامن عشر: في جمعه وترتيبه..... ١٢٢
المقرَّر في علم الأصول أنَّ خبر الآحاد إذا خالف الإجماع أو التواتر فإنه يكون مردودًا لا يُعمل به ولو كان متصلًا صحيحًا، فكيف إذا كان منقطعًا ضعيفًا. ١٢٣
مصحف أُبيٍّ وابن مسعودٍ شاذَّان لا يُعوَّل عليهما ولا على غيرهما من المصاحف الشاذَّة كمصحف عليٍّ عليه السلام، وإنما يُعوَّل على المصحف الإمام الذي أجمع عليه الصحابة، وتلقَّاه المسلمون في جميع الأقطار والأمصار جيلًا عن جيلٍ. ١٢٤
النوع التاسع عشر: في عدد سوره وآياته..... ١٢٤

نسخ تلاوة آيةٍ من القرآن مُحالٌ عقلًا والإشارة إلى كتاب "ذوق الحلاوة ببيان امتناع نسخ التلاوة". ١٢٥
النوع العشرون: في معرفة حُفَّاظه ورواته ١٢٥
النوع الخامس والثلاثين: في آداب تلاوته ١٢٦
النوع التاسع والثلاثون: في معرفة الوجوه والنظائر ١٢٦
النوع السابع والأربعون: في ناسخِه ومَنسوخِه ١٢٦
الأسباب التي اقتضت امتناع نسخ التلاوة ١٢٧
النوع الحادي والخمسون: في وجوه مخاطباته ١٣١
النوع الرابع والخمسون: في كناياته ١٣١
النوع الخامس والستون: في العلوم المُستنبَطة مِن القرآن الكريم..... ١٣٢
قصة القوم الذين ساروا في سرب من الأرض إلى الصين -وإن رواها ابن جريرٍ عن ابن عبَّاسٍ- خرافةٌ إسرائيلية..... ١٣٣
النوع التاسع والستون: فيما وقع في القرآن..... ١٣٤
القول بأنَّ «ق» هو جَبَلٌ محيطٌ بالأرض لا دليل عليه ولا أصل له وإن شاع على ألسنة كثيرٍ من النَّاس فيهم علماء مثل الإمام السيوطيِّ رحمه الله. ١٣٤
ذو القرنين غير إسكندر، وكلام للإمام السيوطيِّ حول ذي القرنين غير صحيحٍ، بل فيه ما هو مِن قَبيل الخُرافة ١٣٤
القول بأنَّ فرعون اسمه الوليد بن مصعب، وكنيته أبو العبَّاس غير صحيحٍ؛ فإنَّ فرعون قبطيٌّ واسم الوليد عربيٌّ والكُنية من خصائص العرب. والصواب أنَ

اسمه «منفتاح» ١٣٥
النوع الثمانون: في طبقات المفسِّرين ١٣٦
ما ورد في التفاسير المرفوعة ١٣٧
خاتمة الكتاب ١٣٧

٣- جَواهِرُ البَيانِ في تناسُبِ سُورِ القُرآنِ

تمهيد ١٤٥
مقدمة: تشتمل على مسائل ١٤٦
المسألة الأولى: في أسماء سور القرآن ١٤٦
المسألة الثانية: في ترتيب سور القرآن ١٤٩
وَهِم مَن قال: لا يُطلَبُ للآي الكريمة مناسبةٌ (ت) ١٥١
تنبيه: حول تقسيم سور القرآن ١٥٦
المسألة الثالثة: أنواع المناسبة ١٥٦
مناسبة ابتداء القرآن بالفاتحة ١٥٩
مقاصد سور الفاتحة ١٥٩
مناسبة أخرى للابتداء بالفاتحة وهي براعة الاستهلال ١٦١
تنبيه: الفاتحة أعظم سور القرآن ١٦١
اشتمال الفاتحة على علوم القرآن، وجميع الكتب المُنزَّلة ١٦٢
٢- ﴿سورة البقرة﴾ ١٦٤
تنبيهان: التنبيه الأول: حول مناسبة الفاتحة لأي سورة في القرآن وهذا من

خصائص الفاتحة ١٦٤
التنبيه الثاني: حول تناسب مطلع (سورة البقرة) ومقطعها..... ١٦٥
تناسب السور الأربع الطوال ١٦٥
٣- ﴿سورة آل عمران﴾ ١٦٧
تنبيه: حول تناسب مطلع (سورة آل عمران) ومقطعها..... ١٦٨
٤- ﴿سورة النساء﴾ ١٦٩
٥- ﴿سورة المائدة﴾..... ١٧٠
اشتمال سورة المائدة على أحكام لم تذكر في غيرها ١٧٠
٦- ﴿سورة الأنعام﴾..... ١٧١
٧- ﴿سورة الأعراف﴾ ١٧٢
تنبيهان: أحدهما: فائدة لغوية في الرد على من زعم وجوب تقديم المفرد على الجملة إذا كانا صفة..... ١٧٣
ثانيهما: تناسب مطلع (سورة الأعراف) ومقطعها..... ١٧٣
٨- ﴿سورة الأنفال﴾..... ١٧٣
٩- ﴿سورة التوبة﴾..... ١٧٤
١٠- ﴿سورة يونس﴾..... ١٧٤
تنبيهان: الأول: غلط بعض المُفسِّرين في تفسير العرش بالكرسي ١٧٥
الثاني: حول معنى الاستواء على العرش ١٧٥

١١ - ﴿سورة هود﴾ ١٧٧
١٢ - ﴿سورة يوسف﴾ ١٧٨
فائدة: كل سورة فتحت بحرف الهجاء تلاه الحديث عن القرآن (ت)..... ١٧٨
تنبيهات: الأول: حول ذكر الله قصة يوسف كلها في سورة واحدةٍ؟ ولم يوجز فيها؟ ولا كرَّرها كما فعل في غيرها من القصص؟ ١٧٩
لمحة إشارية: حول امتناع يوسف عن فعل الفاحشة ١٨٠
التنبيه الثاني: حول تسمية قصة يوسف أحسن القصص، والسبب في ذلك . ١٨١
التنبيه الثالث: حول تناسب مطلع (سورة يوسف) ومقطعها..... ١٨١
١٣ - ﴿سورة الرعد﴾..... ١٨١
١٤ - ﴿سورة إبراهيم﴾ ١٨٢
لمحة إشارية: في ترك إبراهيم عليه السَّلام أعزَّ ولده إسماعيل مع أمِّه هاجر في مكانٍ قَفْرٍ..... ١٨٣
تنبيهان: الأول: في دفع التعارض بين نزول القرآن بلغة العرب، وعالمية الدعوة الإسلامية ١٨٤
التنبيه الثاني: في تناسب مطلع (سورة إبراهيم) ومطلعها ١٨٥
١٥ - ﴿سورة الحجر﴾..... ١٨٥
١٦ - ﴿سورة النحل﴾..... ١٨٩
١٧ - ﴿سورة الإسراء﴾..... ١٩١

تنبيهان: الأول: افتتاح (سورة الإسراء) بالتسبيح إشارة إلى أنَّ الإسراء من المعجزات العظيمة..... ١٩٢
الثاني: إذا ذكر الإنسان في القرآن أُتبع غالبًا بوصف ذمٍّ، وأمثلة على ذلك ... ١٩٢
إشارة إلى حبِّ الله للمتواضع وإكرامه إيَّاه (ت)..... ١٩٤
١٨ - ﴿سورة الكهف﴾ ١٩٤
استشكال حول السؤال عن الرُّوح هل وقع بمكة أم المدينة والرد عليه ١٩٥
تنبيه: القرآن لا يفيد المنع من البحث في الرُّوح ١٩٦
تنبيه: حول تناسب مطلع (سورة الكهف) ومقطعها ١٩٧
فائدة: حول حفظ آيات من سورة الكهف ١٩٧
١٩ - ﴿سورة مريم﴾ ١٩٨
تنبيه: حول المناسبة بين قوله تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾، وقوله عزَّ وجلَّ: في وصف جنَّات عدن: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾..... ١٩٩
لطيفة: في تسمية النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لابنة أحد أصحابه ٢٠٠
٢٠ - ﴿سورة طه﴾..... ٢٠٠
تنبيه: حول إثبات كفر فرعون والرد على من قال بإيمانه. ٢٠١
تنبيه: حول تناسب مطلع (سورة طه) ومقطعها..... ٢٠١
٢١ - ﴿سورة الأنبياء﴾ ٢٠٢

تنبيه: حول مسألة خَلْقِ القرآن والرد على المعتزلة ٢٠٢
تنبيه: حول تناسب مطلع (سورة الأنبياء) ومقطعها ٢٠٣
٢٢ - ﴿سورة الحج﴾ ٢٠٤
تنبيهات: التنبيه الأول: حول بداية (سورة الحج) بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ ٢٠٥
التنبيه الثاني: سورة الحج من عجائب القرآن ٢٠٥
التنبيه الثالث: حول تناسب مطلع (سورة الحج) ومقطعها ٢٠٥
٢٣ - ﴿سورة المؤمنون﴾ ٢٠٦
تنبيه: حول تناسب مطلع (سورة المؤمنون) ومقطعها، وهو تناسب بالتضاد ٢٠٧
٢٤ - ﴿سورة النور﴾ ٢٠٧
تنبيهات: التنبيه الأول: حول اشتمال (سورة النور) على أحكام الأسرة، والإشارة إلى أنه لا يجوز أن يعيش المؤمنون في عبثٍ وفوضى كما كان الحال في الجاهلية ٢٠٨
التنبيه الثاني: حول غضِّ بصر المرأة عن الرجل مُطلقًا لا فرق بين مُبصِرٍ وأعمى ٢٠٩
تنبيه: حول تناسب مطلع (سورة النور) ومقطعها ٢٠٩
٢٥ - ﴿سورة الفرقان﴾ ٢١٠
تنبيه: حول تنايب (سورة الفرقان) ومقطعها ٢١١

٢٦ - ﴿سورة الشعراء﴾ ٢١٢
٢٧- ﴿سورة النمل﴾ ٢١٣
تنبيه: حول تناسب مطلع سورة النمل ومقطعها ٢١٣
٢٨- ﴿سورة القصص﴾ ٢١٤
تنبيهان: التنبيه الأول: دليلان على كفر فرعون ٢١٤
التنبيه الثاني: حول تناسب مطلع (سورة القصص) ومقطعها ٢١٥
٢٩ - ﴿سورة العنكبوت﴾ ٢١٥
تنبيه: حول تناسب مطلع (سورة العنكبوت) ومقطعها، وهو من المُحسِّنات البديعيَّة ٢١٦
تنبيه آخر: ذكرت المجاهدة في القرآن مرتين ٢١٧
٣٠ - ﴿سورة الروم﴾ ٢١٨
تنبيه: حول تناسب مطلع (سورة الروم) ومقطعها ٢١٨
٣١ - ﴿سورة لقمان﴾ ٢١٩
٣٢- ﴿سورة السجدة﴾ ٢٢٠
تنبيه: حول تناسب (سورة العنكبوت) و(الروم) و(لقمان) و(السجدة) في بحرف ﴿الٓمٓ﴾ بمكَّة، وتحدثها عن المبدأ والمعاد ٢٢٠
٣٣- ﴿سورة الأحزاب﴾ ٢٢١
تنبيهان: التنبيه الأول: حول اشتمال سورة الأحزاب على جملةٍ مِن فضائل النبيِّ

صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وبعض خصائصه ٢٢١
التنبيه الثاني: حول تناسب مطلع (سور الأحزاب) ومقطعها ٢٢١
٣٤- ﴿سورة سبأ﴾ ٢٢٢
تنبيهان: التنبيه الأول حول تناسب افتتاح (سورة فاطر) لختام ما قبلها من قوله تعالى: ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾الآية ٢٢٣
التنبيه الثاني: حول غريب القرآن وبعض الكتب المُصنَّفة فيه ٢٢٣
معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**أَعْرِبوا القرآنَ والتمسُوا غَرَائِبَه**» ٢٢٣
٣٦- ﴿سورة يس﴾ ٢٢٤
تنبيه: حول الأحاديث الواردة في فضل (سورة يس)، والسبب في تسميتها بقلب القرآن ٢٢٥
٣٧- ﴿سورة الصافات﴾ ٢٢٧
تنبيه: حول آيات نزلت نزلت لا في الأرض ولا في السماء ٢٢٨
تنبيه: حول تناسب مطلع سورة (الصافات) ومقطعها ٢٣٠
٣٨- ﴿ سورة ص﴾ ٢٣٠
تنبيه: حول تناسب مطلع (سورة ص) ومقطعها ٢٣١
٣٩- ﴿سورة الزمر﴾ ٢٣١
٤٠ - ﴿سورة غافر﴾ ٢٣٢
٤١- ﴿سورة فصلت﴾ ٢٣٣

تنبيه: حول تناسب مطلع (سورة فصلت) ومقطعها ٢٣٤
٤٢ - ﴿سورة الشورىٰ﴾ ٢٣٤
تنبيه: حول تناسب مطلع (سورة الشورىٰ) ومقطعها ٢٣٤
٤٣ - ﴿سورة الزخرف﴾ ٢٣٤
تنبيه: حول تناسب مطلع (سورة الزخرف) ومقطعها ٢٣٥
٤٤ - ﴿سورة الدخان﴾ ٢٣٥
تنبيه: حول تناسب مطلع (سورة الدخان) ومقطعها ٢٣٦
٤٥ - ﴿سورة الجاثية﴾ ٢٣٦
تنبيه: حول تناسب مطلع (سورة الجاثية) ومقطعها ٢٣٧
٤٦ - ﴿سورة الأحقاف﴾ ٢٣٧
تنبيه: حول تناسب مطلع (سورة الأحقاف) ومقطعها ٢٣٨
٤٧ - ﴿سورة محمد﴾ ٢٣٨
تنبيه: حول قول الجنِّ: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ ولم يذكروا عيسىٰ؟ ٢٣٩
تنبيه: حول تناسب مطلع (سورة محمد) ومقطعها ٢٣٩
٤٨ - ﴿سورة الفتح﴾ ٢٤٠
تنبيه: حول تناسب مطلع (سورة الفتح) ومقطعها ٢٤٠
٤٩ - ﴿سورة الحجرات﴾ ٢٤١

تنبيه: حول تناسب مطلع (سورة الحجرات) ومقطعها ٢٤٢
٥٠- ﴿سورة ق﴾ ٢٤٢
كثر في (سورة ق) ذكر كلمات فيها حرف (القاف)، وذكر أمثلة لذلك (ت) ٢٤٣
تنبيه: حول تناسب مطلع (سورة ق) ومقطعها ٢٤٣
٥١- ﴿سورة الذاريات﴾ ٢٤٣
تنبيه: حول تناسب مطلع (سورة الذاريات) ومقطعها ٢٤٤
٥٢- ﴿سورة الطور﴾ ٢٤٤
تنبيه: حول تناسب مطلع (سورة الطور) ومقطعها ٢٤٥
٥٣- ﴿سورة النجم﴾ ٢٤٥
تنبيه: حول تناسب مطلع (سورة النجم) ومقطعها ٢٤٦
٥٤- ﴿سورة القمر﴾ ٢٤٦
تنبيه: حول تناسب مطلع (سورة القمر) ومقطعها ٢٤٧
٥٥ - ﴿ سورة الرحمن﴾ ٢٤٧
تنبيه: حول قراءة (سورة الرحمن) على الجنِّ وسبب تسميتها بعروس القرآن ٢٤٨
٥٦- ﴿سورة الواقعة﴾ ٢٤٩
تنبيه: حول تناسب مطلع (سورة الواقعة) ومقطعها ٢٤٩
فائدة: حول حديث ضعيف في فضل سور الواقعة ٢٤٩
٥٧- ﴿سورة الحديد﴾ ٢٥٠

تنبيه: حول تناسب مطلع (سورة الحديد) ومقطعها ٢٥١
٥٨- ﴿سورة المجادلة﴾ ٢٥١
تنبيه: حول تناسب مطلع (سوة المجادلة) ومقطعها ٢٥٣
٥٩- ﴿سورة الحشر﴾ ٢٥٣
تنبيه: حول تناسب مطلع (سوة الحشر) ومقطعها ٢٥٤
٦٠- ﴿سورة الممتحنة﴾ ٢٥٤
تنبيه: حول تناسب مطلع (سوة الممتحنة) ومقطعها ٢٥٥
٦١- ﴿سورة الصف﴾ ٢٥٥
تنبيه: حول تناسب مطلع (سوة المجادلة) ومقطعها ٢٥٦
٦٢- ﴿سورة الجمعة﴾ ٢٥٦
تنبيهات: التنبيه الأول: أخبر كلٌّ من موسىٰ وعيسىٰ بأنه رسول الله إلىٰ قومه، أمَّا نبيُّنا فإنَّ الله تعالىٰ تولَّىٰ الإخبار عنه بذلك: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ الآية، وفي هذا تشريفٌ كبيرٌ له ٢٥٧
التنبيه الثاني: حول عموم رسالته صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ٢٥٧
حول تناسب مطلع (سورة الجمعة) ومقطعها ٢٥٧
٦٣- ﴿سورة المنافقون﴾ ٢٥٧
حول تناسب مطلع (سورة المنافقون) ومقطعها ٢٥٨
٦٤- ﴿سورة التغابن﴾ ٢٥٨

حول تناسب مطلع (سورة التغابن) ومقطعها ٢٥٩
٦٥- ﴿سورة الطلاق﴾ ٢٥٩
٦٦ - ﴿سورة التحريم﴾ ٢٥٩
٦٧- ﴿سورة الملك﴾ ٢٦٠
خيانة امرأة نوحٍ وامرأة لوطٍ هي تكذيبهما لزوجيهما، لا شيءٌ آخر، وانظره بدلائله في "خواطر دينية". ٢٦٠
أحاديث صحيحة في فضل (سورة الملك)..... ٢٦١
٦٨- ﴿سورة القلم﴾ ٢٦٢
سورة (القلم) نزلت بعد (سورة العلق)، فهي ثاني سورة نزلت من القرآن، وذكر فوائد في أولها (ت) ٢٦٢
تنبيه: حول تناسب مطلع (سورة القلم) ومقطعها ٢٦٣
٦٩- ﴿سورة الحاقة﴾..... ٢٦٣
٧٠- ﴿سورة المعارج﴾ ٢٦٤
تنبيهان: التنبيه الأول: حول معنى قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾..... ٢٦٤
التنبيه الثاني: حول تناسب مطلع (سورة المعارج) ومقطعها ٢٦٦
٧١- ﴿سورة نوح﴾..... ٢٦٧
٧٢- ﴿سورة الجن﴾..... ٢٦٧

تنبيه: حول تناسب (سورة الجن) ومقطعها ٢٦٨
٧٣- ﴿سورة المزمل﴾..... ٢٦٨
تنبيه: حول تناسب (سورة المزمل) ومقطعها..... ٢٦٨
٧٤- ﴿سورة المدثر﴾ ٢٦٩
٧٥- ﴿سورة القيامة﴾ ٢٧٠
تنبيهان: التنبيه الأول: حول الإشارة إلى حقيقة علمية، وهي اكتشاف البصمة من البحث في آية: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾..... ٢٧١
التنبيه الثاني: حول المناسبة بين قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ وبقية آيات السورة التي تتكلَّم عن البعث وما بعده ٢٧١
التنبيه الثالث: حول تناسب مطلع (سورة القيامة) ومقطعها ٢٧٣
٧٦- ﴿سورة الإنسان﴾..... ٢٧٣
تنبيه: حول تناسب مطلع (سورة الإنسان) ومقطعها..... ٢٧٣
٧٧- ﴿سورة المرسلات﴾..... ٢٧٣
تنبيه: حول نزول (سورة المرسلات) في الغار تحت الأرض ٢٧٣
٧٨- ﴿سورة النبأ﴾..... ٢٧٤
٧٩- ﴿سورة النازعات﴾ ٢٧٤
تنبيه: حول تناسب مطلع (سورة النازعات) ومقطعها ٢٧٤

٨٠- ﴿سورة عبس﴾ ٢٧٥
٨١ - ﴿سورة التكوير﴾..... ٢٧٥
٨٢ - ﴿سورة الانفطار﴾..... ٢٧٥
تنبيه: حول تناسب مطلع (سورة الانفطار) ومقطعها ٢٧٥
٨٣- ﴿سورة المطففين﴾ ٢٧٦
٨٤- ﴿سورة الانشقاق﴾ ٢٧٦
٨٥- ﴿سورة البروج﴾..... ٢٧٦
٨٦- ﴿سورة الطارق﴾ ٢٧٧
٨٧- ﴿سورة الأعلىٰ﴾ ٢٧٧
٨٨- ﴿سورة الغاشية﴾ ٢٧٨
٨٩- ﴿سورة الفجر﴾..... ٢٧٨
٩٠- ﴿سورة البلد﴾..... ٢٧٩
٩١- ﴿سورة الشمس﴾..... ٢٨٠
٩٢- ﴿سورة الليل﴾..... ٢٨٠
٩٣- ﴿سورة الضحىٰ﴾ ٢٨١
تنبيه: أول من أسلم علىٰ الإطلاق خديجة رضي الله عنها، وتلاها عليٌّ عليه السَّلام ٢٨١

٩٤- ﴿سورة الشرح﴾ ٢٨١
موازنة بين نبينا وبين موسىٰ وإبراهيم عليهم الصَّلاة والسلام ٢٨٢
٩٥- ﴿سورة التين﴾ ٢٨٢
٩٦- ﴿سورة العلق﴾ ٢٨٢
تنبيه: سورة ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ مشتملةٌ علىٰ نظير ما اشتملت عليه الفاتحة من براعة الاستهلال، وأصول الدين؛ ولهذا قيل: إنها جديرةٌ أن تسمَّىٰ عنوان القرآن ٢٨٣
٩٧- ﴿سورة القدر﴾ ٢٨٣
٩٨- ﴿سورة البينة﴾ ٢٨٤
٩٩- ﴿سورة الزلزلة﴾ ٢٨٤
تنبيه: حول توجيه حديثين في فضل (سورة الزلزلة) ٢٨٥
١٠٠- ﴿سورة العاديات﴾ ٢٨٥
١٠١- ﴿سورة القارعة﴾ ٢٨٦
١٠٢- ﴿سورة التكاثر﴾ ٢٨٦
تنبيه: حول حديث في فضل (سورة التكاثر) ٢٨٦
١٠٣- ﴿سورة العصر﴾ ٢٨٦
١٠٤- ﴿سورة الهمزة﴾ ٢٨٧

١٠٥ - ﴿سورة الفيل﴾ ٢٨٧
١٠٦ - ﴿سورة قريش﴾ ٢٨٧
١٠٧ - ﴿سورة الماعون﴾ ٢٨٧
١٠٨ - ﴿سورة الكوثر﴾ ٢٨٨
١٠٩ - ﴿سورة الكافرون﴾ ٢٨٩
تنبيه حول حديث في فضل (سورة الكافرون) وبعض سور القرآن ٢٨٩
١١٠ - ﴿سورة النصر﴾ ٢٨٩
١١١ - ﴿سورة تبت﴾ ٢٩٠
١١٢ - ﴿سورة الإخلاص﴾ ٢٩٠
تنبيه: حول حديث: «قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ تَعْدِلُ ثُلُثَ القرآنِ». وتوجيه كونها ثلث القرآن ٢٩٠
١١٣ - ﴿سورة الفلق﴾ ٢٩٢
١١٤ - ﴿سورة الناس﴾ ٢٩٢
خاتمة وفيها مسألتان: المسألة الأولى: في فواتح السور ٢٩٣
المسألة الثانية: في خواتيم السور ٢٩٦
جميع فواتح السور وخواتمها؛ واردة على أحسن وجوه البلاغة وأكملها (ت) ٢٩٦
خاتمة الكتاب ٢٩٨

تتميم: في وجوب مراعاة التناسق والترتيب بين السور ٢٩٩

٤ - مِنْحَةُ الرَّؤوفِ المُعْطِي ببيان ضعف وقُوفِ الشيخ الهِبْطِي

مقدمة ٣٠٣
اعتناء الصحابة بعلم الوقوف، وذكر مَن أَلَّف فيه من العلماء ٣٠٣
تعجُّب المُصنِّف من أهل المغرب لاستعمالهم هذه الوقوف منذ وقت صاحبها ومنشئها إلى وقتنا هذا، وعدم تغيير القبيح منها بالصحيح، بل قيل: إنَّ الهِبْطي رأى وُقُوفه في اللوح المحفوظ ومنه أخذها!!! ٣٠٤
قولهم: «خطأٌ مشهورٌ خيرٌ من صوابٍ مهجورٍ». لا أصل له في الدِّين ولا في العِلْم ٣٠٤
لا يجوز تخريج شيءٍ من الآيات على تقديراتٍ ضعيفةٍ؛ لأن ذلك يؤدِّي إلى أن يكون في القرآن ما ليس بفصيحٍ وهذا خطيرٌ جدًّا ٣٠٥
١ - ﴿سورة البقرة﴾ ٣٠٦
٢ - ﴿سورة آل عمران﴾ ٣٠٩
٣ - ﴿سورة النساء﴾ ٣١٠
٤ - ﴿سورة المائدة﴾ ٣١١
٥ - ﴿سورة الأنفال﴾ ٣١٣
٦ - ﴿سورة التوبة﴾ ٣١٣
المصحف المطبوع بالمغرب يجعل فيه بياض قبل كلمة براءة إشارة إلى البسملة وهذا شيءٌ لا معنى له، بل لا يجوز، وذلك لوجوه ٣١٣

٧- ﴿سورة يونس﴾ ٣١٤
٨- ﴿سورة يوسف﴾ ٣١٤
٩- ﴿سورة الكهف﴾ ٣١٥
١٠- ﴿سورة الأنبياء﴾ ٣١٥
١١- ﴿سورة الحج﴾ ٣١٦
١٢- ﴿سورة الفرقان﴾ ٣١٦
١٣- ﴿سورة سبأ﴾ ٣١٧
١٤- ﴿سورة يس﴾ ٣١٧
١٥- ﴿سورة الصافات﴾ ٣١٨
١٦- ﴿سورة فصلت﴾ ٣١٨
١٧- ﴿سورة الدخان﴾ ٣١٩
١٨- ﴿سورة الجاثية﴾ ٣١٩
١٩- ﴿سورة الأحقاف﴾ ٣١٩
٢٠- ﴿سورة الذاريات﴾ ٣٢٠
٢١- ﴿سورة المعارج﴾ ٣٢٠
٢٢- ﴿سورة النبأ﴾ ٣٢٠
﴿سورة البروج﴾ ٣٢١

﴿سورة المسد﴾ ٣٢١
خاتمة تشتمل على مسائل: المسألة الأولى: لا يجوز تخريج شيءٍ من الآيات القرآنية على قول ضعيفٍ أو إعرابٍ مَرْجُوح أو تأويلٍ مُتكلَّفٍ ٣٢٢
المسألة الثانية: في إنشاء وُقُوفٍ أخرى صحيحةٍ، والطريق إلى ذلك..... ٣٢٢
المسألة الثالثة: في التعريف بالشيخ الهبطيِّ رحمه الله تعالى..... ٣٢٣
ملاحظات على ما ذكر في ترجمة الشيخ الهبطيِّ رحمه الله..... ٣٢٥
خاتمة الكتاب..... ٣٢٧

٥- أحاديثُ التفسير

﴿سورة الفاتحة﴾ ٣٣١
﴿سورة البقرة﴾ ٣٣٤
﴿سورة آل عمران﴾..... ٣٤٣
﴿سورة النساء﴾..... ٣٤٩
﴿سورة المائدة﴾ ٣٥٢
﴿سورة الأنعام﴾ ٣٥٥
﴿سورة الأعراف﴾..... ٣٥٨
﴿سورة الأنفال﴾ ٣٦٢
﴿سورة براءة﴾ ٣٦٥
﴿سورة يونس﴾ ٣٦٩

﴿سورة هود﴾ ٣٧٣
﴿سورة يوسف﴾ ٣٧٥
﴿سورة الرعد﴾ ٣٧٩
﴿سورة إبراهيم﴾ ٣٨١
﴿سورة الحجر﴾ ٣٨٤
﴿سورة النحل﴾ ٣٨٦
﴿سورة الإسراء﴾ ٣٨٨
﴿سورة الكهف﴾ ٣٩١
﴿سورة مريم﴾ ٣٩٥
﴿سورة طه﴾ ٤٠١
﴿سورة الأنبياء﴾ ٤٠٢
﴿سورة الحج﴾ ٤٠٤

٦- بَيان صَحِيحِ الأَقَاوِيل في تَفْسِيرِ آيةِ بَني إِسْرَائِيل

مقدمة ٤١١
تفسير بعض المعاصرين لـ«آية بني إسرائيل» بما هو بعيدٌ عن معناها ٤١١
أقوال المُفسِّرين في تفسير «آية بني إسرائيل» ٤١٢
نقل كلام العلامة الشيخ محمَّد الطَّاهر بن عاشُور في الآية ٤١٤
اتجاه بعض المعاصرين لتفسير الإفساد مرَّتين باحتلال اليهود لفلسطين وحربِهم

للعرب خطأٌ واضحٌ ٤١٨
بيان بُطلان ما أبداه السيِّد إدريس الكتاني في كتابه "العرب تحت وطأة الإفساد الأول لبني إسرائيل" من وجوه..... ٤١٩
بيان خطأ المعاصرين من المُفسِّرين في تفسير الآية ٤٢٥
خاتمةٌ: في عرض تاريخ شرازم اليهود في فلسطين وموقف الإمام الصالح يحيىٰ بن حميد الدين ٤٢٨

٧- تَوْضِيحُ البَيانِ لوصُولِ ثَوابِ القُرآنِ

مقدمة ٤٣٥
أقوال العلماء في وصول ثواب القرآن للميت ٤٣٦
دليل المانعين للوصول ٤٣٧
الجواب علىٰ آية: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾من وجوه ٤٣٨
قول الشيخ: مَن اعتقد أنَّ الإنسان لا ينتفع إلَّا بعمله فقد خَرَقَ الإجماع وذلك باطلٌ من وجوهٍ..... ٤٤٣
أدلة القائلين بالوصول ٤٤٤
كلامٌ قيِّمٍ لابن القيِّم في بيان وصول إهداء القرآن للميت ٤٤٥
بعض الآثار عن السَّلف في قراءة القرآن علىٰ الميت ٤٤٧
نتيجتان لما ورد عن السلف في قرآة القرآن علىٰ الميت: الأولىٰ: إرشاد النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إلىٰ قراءة القرآن علىٰ الميت. الثانية: القراءة عند القبر، كانت معروفةً عند السَّلف ٤٥٠

خاتمة تشتمل على مسألتين: المسألة الأولى: قراءة القرآن على الميت مِن المسائل الفرعيَّة المُختلَف فيها وليست من مسائل العقيدة، فالتهويل في شأنها جهادٌ في غير عَدُوٍّ ٤٥٢
المسألة الثانية: لم يأتِ دليلٌ يُحرِّم قراءة القرآن على الميت ٤٥٢
خاتمة الكتاب ٤٥٢

٨- كمالُ الإيمان في التَّداوي بالقُرآنِ

مقدمة ٤٥٥
بين المصنِّف والعلامة الشيخ محمود شلتوت (ت) ٤٥٥
حول إنكار المُخالِف لبعض السُّنَّة ٤٥٦
أساليب المخالف في ردِّ السُّنَّة: فتارةً يردُّها بدعوى أنَّها ظنيَّةٌ والمقام يتطلَّب اليقين، وطورًا يتذرَّع إلى ردِّها بالاحتمالات العشر، وحينًا يلجأ إلى التَّفريق بين السنَّة العملية والقولية، فيأخذ بالأولى ويردُّ الثانية ٤٥٨
الأحاديث الدَّالة على التَّداوي بالقرآن ٤٥٩
ما ورد في التَّداوي بفاتحة الكتاب ٤٦٠
تقسيم الرُّقية إلى قسمين (ت) ٤٦٢
التداوي بالإخلاص والمُعوِّذَتين ٤٦٣
التَّداوي بـ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ والمُعوِّذتين ٤٦٥
التداوي بالإخلاص ٤٦٥
التَّعوُّذ بالإخلاص، والمُعوِّذَتين وهو من جنس التَّداوي ٤٦٥

التداوي بسور وآيات من القرآن ٤٦٧
التداوي بآخر (سورة المؤمنون) ٤٦٩
فصل: التداوي بالقرآن ثابت بالسنة المشرفة ٤٧٠
فصل: التداوي بالقرآن ثابتٌ بالكتاب الكريم ٤٧١
الدليل على إفادة قوله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ ﴾ في الشِّفاء مِن الأمراض الظاهرة بالرُّقى والتعويذ ونحوهما ٤٧٥
فصل: الإجماع منعقدٌ على جواز التداوي بالقرآن ٤٧٦
إجماع العلماء على جواز الرُّقى بثلاثة شروطٍ ٤٨٣
ذكر آيات الشِّفاء ٤٨٦
اختلاف العلماء في النُّشرة ٤٨٧
فائدة: حول بعض المُجرَّبات لفكِّ السِّحر (ت) ٤٩١
فصل: في حكم كتابة شيءٍ من القرآن أو الأدعية وتعليقه على العنق ٤٩٢
فصل: التداوي بالقرآن الكريم ونحوه من الأدعية المأثورة من محاسن هذا الدِّين العظيم ٤٩٧
التداوي بالصدقة علاجٌ روحيٌّ ٤٩٧
الذي ينكر الداوء الروحي من أصله، أو ينكر التداوي بالقرآن وما في معناه مبتدعٌ جاهلٌ ٤٩٨
فصل: شبهةٌ حول التداوي بالقرآن الكريم، والجواب عليها ٤٩٨
الحِكْمة مِن تكرار قصص الأنبياء في القرآن. ٥٠٢

الحِكْمة في أنَّ قصة يوسف عليه السَّلام ذكرت كلها في سورة واحدةٍ، ولم تفرَّق في عدَّة سورٍ ٥٠٣
إنكار المُخالِف للدَّجَّال والشيطان، والرد عليه (ت) ٥٠٥
فصل: لا تنافر ولا تناقض بين الحكم التي من أجلها أُنزل القرآن..... ٥٠٦
قصر فائدة القرآن على حِكْمةٍ من الحِكَم التي أنزل من أجلها دون غيرها قصورٌ في العقل وضيقٌ في التفكير..... ٥٠٨
خاتمة تشتمل على مسألتين: المسألة الأولى: شرط التداوي بالقرآن وما في معناه من الرُّقَى والمعوِّذات ٥٠٩
المسألة الثانية: ذكر قصة الخَضِر عليه السَّلام بشيءٍ من التفصيل ٥١٠
خاتمة الكتاب..... ٥١٦
فهرس الموضوعات ٥١٩

موسوعة

العلامة المحدث المتفنن

سيدي الشريف عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري الحسيني

(١٣٢٨ - ١٤١٣هـ) رحمه الله تعالى

قدم لها

الشريف الدكتور

عبد المنعم بن عبد العزيز بن الصديق

إشراف

الدكتور محمود سعيد بن محمد ممدوح

المجلد الخامس

القرآن الكريم وعلومه

قصص الأنبياء عليهم السلام

موسوعة

العلامة المحدث المتفنن

سيدي الشريف عبد الله بن محمد الصديق الغماري الحسني

(١٣٢٨ - ١٤١٣هـ) رحمه الله تعالى

٥

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية
عام / ١٤٣٨

قام بطباعتها وإخراجها: مركز البحوث والدِّراسات
بكُليَّة الصَّفا الإسلاميَّة بماليزيا

يطلب من:

دار السَّلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

جمهورية مصر العربية: القاهرة – الإسكندرية.
الإدارة: القاهرة ٤٠ شارع أحمد أبو العلا – المتفرِّع من شارع نور الدين بهجت – الموازي لامتداد شارع مكرم عبيد – مدينة نصر.
هاتف: ٢٢٨٧٣٢٤٦ - ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ (٢٠٢+)
فاكس: ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢+)
البريد الإلكتروني: info@dar-alsalam.com
موقعنا على الإنترنت: www.dar-alsalam.com

المجلد الخامس: القرآن الكريم وعلومه

ويحتوي على:

١ - بِدَع التَّفاسِير

قصص الأنبياء عليهم السلام

وتحتوي على:

١ - قِصَّة آدمَ عليه السَّلام.

٢ - قِصَّة إدريسَ عليه السَّلام.

٣ - قِصَّة داودَ عليه السَّلام.

٤ - قِصَّة سُلَيمانَ عليه السَّلام.

٥ - قِصَّة هَارُوتَ ومَارُوتَ.

١ - بِدَعُ التَّفاسِير

هــذا كِتــابٌ مــا سُــبِقْتُ بمِثْلِــهِ جَــمُّ الفَوائــدِ ناضِــجُ الثَّمــراتِ
مهَّــدتُ فيــه مَســائِلًا وقَواعِــدًا تَنْفِي عــن التَّفْسِيرِ بَعْــضَ هَنَــاتِ
جَلَّيــتُ فيــه حَقائقًــا لا يَنْبَغِــي جَهْــلٌ بهــا لمُفسِّــرِ الآيــاتِ
ســمَّيتُه "بِــدَع التَّفاسِــيرِ" التــي جــاءت مِــن الأقــوامِ بــالعَثَراتِ
أرجــو مِــن الله الكــريمِ نَوَالَــهُ مَحوَ الذُّنوبِ ومَــنْحَ فَضْــلِ هِبَــاتِ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

حمدًا لمن أَنزلَ الكتابَ تذكرةً لأُولي الألبابِ، ووفَّق لفَهْمِ ما أَوْدَعَ فيه من دقائقِ الخِطابِ، وأبقاه بُرهانًا على صحَّة دينه إلى يوم الحساب. أحمده وأشهَد أن لا إله إلَّا هو، شهادة عبدٍ مُخلِصٍ أوَّابٍ، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّدًا عبده ورسوله، أرسله بالهُدى ودين الحقِّ، مؤيَّدًا بالدلائل القاطعة للشَّكِّ والارتياب، صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ما طلع نجمٌ وغاب، ورضي الله عن آله الكرام، وصحابته العِظام، ومن تَبِع هَدْيهم إلى يوم المآب.

أمَّا بعد: فهذا مؤلَّفٌ عجيبٌ، ليس له في بابه ضريب، تضمَّن التنبيه على بعض التفاسير المُخطئة، وقد تكون أحيانًا خاطئة[1] يجب اجتنابها في فهم كلام الله تعالى، والبعد به عن أن تكون من جملة معانيه، لنبوِّ لفظه عنها، أو مخالفتها لما تقتضيه القواعد المأخوذة من الكتاب والسُّنَّة، أو نحو ذلك، وسمَّيته: "**بِدَع التفاسير**".

وهي عبارة الزمخشريِّ في "كشَّافه" يقولها حين يحكي بعض تلك التفاسير، وإن كان هو نفسه قد وقع في بعضها بسبب عقيدته الاعتزالية التي كان صلْبًا

---

(١) أي آثمة، والمراد: أصحابها، أي أنهم آثمون. قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ [القصص: ٨] وفي الحديث: «**لا يَحْتَكِرُ إلَّا خَاطِئ**»، وأغلب كتَّاب مصر وأدبائها يستعملون لفظ: «خاطئ». بمعنى: «مخطئ» فيقولون: أفكار خاطئة يقصدون مُخطئة. وهذا من جملة الأغلاط التي زلَّ بها لسانهم ومرن عليها قلمهم.

فيها، مُتمسِّكًا بها إلى حدِّ التعصُّب والاعتساف، جريئًا في القول بمقتضاها، حتى صدرت عنه عباراتٌ غير لائقة[١]، أو بسبب غلطه في الإعراب، أو مخالفته لسبب النزول.

ولم أقصد بهذا المؤلَّف استيعاب التفاسير المُخطئة والخاطئة، فإنَّ ذلك غير مُتيسِّرٍ لي الآن. وإنَّما قصدت ذكر مُثُل تكون نموذجًا لما لم يذكر، وعنوانًا عليه.

ويمكن أن أُحيل القارئ على نوعين من كتب التفسير:

أحدهما: تفاسير المعتزلة، كتفسير أبي مسلمٍ محمد بن بحر الأصفهانيِّ، وتفسير أبي الحسن عليِّ بن عيسى الرمانيِّ، وتفسير أبي علي محمد بن عبدالوهاب الجبائيِّ، وغيرها من التفاسير التي تكثر فيها البِدَع، لسببين:

الأول: أنَّ أصحابها جُرَاءُ على القول في التفسير بالرأي، لا تردعهم هيبة القرآن، ولا خشيةٌ مِن مُنزله، وإذا عُورضوا بحديثٍ صرَّح في آيةٍ بخلاف ما فسَّروه بها، سارعوا إلى الطَّعن فيه وإنكار صحَّته، كحديث صهيبٍ في "صحيح مسلمٍ"، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] أنَّ الزِّيادة: النَّظر إلى الله تعالى، فقد طعنوا فيه، ونسبوه إلى المشبِّهة والمُجبِرة[٢] يعنون أهل السُّنَّة؛ لأنَّه خالف تفسيرهم

---

(١) وسمَّاه العلَّامة الفقيه أحمد بن حجرٍ الهيتميُّ في مبحث «التكذيب بالقدر» من "الزواجر": «حامل راية المعتزلة إلى النَّار». وما يقال عن توبته من الاعتزال ورجوعه عنه غير صحيحٍ.

(٢) قال الزمخشريُّ في "الكشَّاف": «وزعمت المُجبِرة: أنَّ الزيادة هي النظر إلى وجه الله

الزِّيادة بالتفضُّل الزَّائد على الثَّواب، مع أنَّ النَّظر تفضُّل بل هو أعلى أنواعه.

فكم من حديثٍ مَتفَقٍ على صحَّته أومستفيضٍ أومتواترٍ، كان نصيبه عندهم الرَّفض المطلق، لمجيئه بخلاف ما رأوه وقرَّروه.

والثاني: أنَّهم جعلوا قواعد مذهبهم في العَدْل وخَلْقِ القرآن، وخَلْقِ المكلَّف أفعاله، ونفي الكلام النَّفسي، ونفي تعلُّق المشيئة الإلهية بالمعاصي والمباحات، واستحالة رؤية الله تعالى، وخلود العاصي في النَّار مثل الكافر أصولًا مُسَلَّمة، أوَّلوا لها ظواهر الآيات، وخصَّصوا بها عمومات القرآن، وقيَّدوا مُطلَقه، وبالجملة جعلوا قواعدهم حاكمة على آي القرآن الكريم، بحيث لا تفيد إلَّا مذهبهم وتفسير "الكشَّاف"، شاهد صدقٍ على ما نقول.

ثانيها: تفاسير بعض المعاصرين. وهي:

١ - "المصحف المفسَّر" لمحمد فريد وجدي.

٢ - "أوضح التفاسير" لمحمد عبداللطيف الخطيب.

٣- تفسير أبي زيد الدمنهوري.

٤ - "تيسير القرآن الكريم للقراءة والفهم المستقيم" لعبد الجليل عيسى.

فإنَّ فيها كثيرًا من بِدَع التفاسير، وأكثرها بِدَعًا، وأشدُّها وقاحةً: الثَّاني[1]

تعالى، وجاءوا بحديثٍ مَرْقوعٍ». قال الطِّيبيُّ في "حاشيته": «قوله: «مَرقوع» هو عنده بالقاف أي: مرقَّع معدَّل، وهوعند أهل السُّنَّة بالفاء».اهـ

والمُجْبِرة: بضم الميم وسكون الجيم وكسر الباء، نسبة إلى القول بالجَبْر، وهذا الاسم يُطلقه المعتزلة على أهل السُّنَّة.

(١) على أنَّه وُفِّقَ في كتابه في بحثين اثنين هما الدِّفاع عن تعدُّد الزَّوجات في الإسلام،

والثَّالث، ولا يقلُّ عنها ما كتبه محمود شلتوت في "التفسير"، وعبدالوهاب النَّجَّار في "قصص الأنبياء".

ولقد بلغ من جَراءة الأخير في بدعته، أنَّه يذكر الحديث عازيًا له إلى "الصَّحيحين" أو أحدهما، ويكون مخالفًا لرأيه، فيعلِّق عليه بالرَّد، وقد يصحب ردَّه بالطنز والسُّخرية، كما فعل بحديث فِرار الحَجَر بثوب موسى عليه السَّلام[1] ولاحظت على عبدالجليل عيسى في "تفسيره" أنَّه إذا كان في

والدِّفاع عن تعدُّد أزواج النبيِّ عليه الصَّلاة والسَّلام.

(١) كان اليهود يغتسلون عُراة، وكان موسى -عليه السَّلام- يغتسل وحده لئلَّا ترى عورته فاتهموه بالأدرة -وهي انتفاخ الخصية- وأراد الله أن يُبرِّئه ممَّا رموه به، فذهب يغتسل منفردًا على عادته، ووضع ثيابه على حجر، ولمَّا اغتسل وأراد لبس ثيابه جرى الحَجَر بها وموسى يجري خَلْفَه، حتى مرَّ على ملأ من بني إسرائيل، فرأوه عاريًا ليس به داءٌ، وتحقَّقوا من كذبهم فيما رموه به. ثبت هذا الحديث في "الصَّحيحين" عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

وقد ذكره النَّجَّار في "قصصه" وعلَّق عليه بعبارةٍ فيها سُخرية، حيث تعجَّب كيف تحصل المعجزة بغير إرادة النبيِّ، بل بالرغم منه؟!! لكنَّه جهل الفرق بين المعجزة والآية في عرف العلماء، فإنَّهما -وإن اتفقا في كونهما خارقين للعادة- تنفرد المعجزة بأنَّه يقصد بها التَّحدي، فلا تكون إلَّا بطلبٍ من النبيِّ، والآية لا يقصد بها ذلك، فلا يلزم أن تكون بطلبه ولا بإرادته.

فانقلاب العصا ثعبانًا آيةٌ ومعجزةٌ؛ لأنَّه قصد به التحدِّي، وانفلاق البحر آيةٌ؛ لأنَّه قصد به انجاء موسى ومن معه، وليس بمعجزة لأنَّه لم يقصد به التحدِّي، وفرار الحجر بثوب موسى آيةٌ قصد به تبرئته، وليس بمعجزة لعدم التحدِّي.

الآية رأيان، يختار منهما الذي لا يكون فيه فضلٌ للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وتنويه عنه، ولنذكر لذلك مثلين حضراني:

١- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾ [آل عمران: ٨١] الآية. جمهور المفسِّرين على أنَّها تختصُّ بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وأنَّ الله أخذ الميثاق على النَّبيين إن ظهر في زمنهم أن يؤمنوا به وينصروه؛ لعموم دعوته، ولأنَّ الله أخبر بأنَّ إبراهيم وإسماعيل، وهما يبنيان البيت، بشَّرا به في صورة دعاء، كما جاءت البِشارة به وبصفاته في التَّوراة والإنجيل، بل جاءت فيهما صفات صحابته أيضًا(١).

وذهب بعض المفسِّرين إلى أنَّ المراد: أنَّ الله أخذ الميثاق على كلِّ نبيٍّ في النَّبيِّ الذي يأتي بعده.

وانشقاق القمر آيةٌ ومعجزةٌ أيضًا؛ لأنَّه وقع بطلب النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم تحدِّيًا للمشركين، ونبع الماء من الأصابع الشَّريفة آيةٌ؛ لأنَّه وقع إسعافًا للصَّحابة بالماء في وقت لم يجدوه فيه، وليس بمعجزةٍ لعدم التحدِّي.

وحمل مريم كان آيةً قُصد به إظهار قدرة الله في إيلاد البنت من غير مسيس ذكر، وقد حصل كرهًا عنها، حتى قالت: ﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٣] لكنَّه ليس بمعجزةٍ، لعدم نبَّوة مريم. وكلام عيسى في المهد آيةً، حصل لتبرئة مريم وليس بمعجزة لعدم التحدِّي. وقد قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ [المؤمنون: ٥٠] فكلُّ معجزةٍ آية، وليست كلُّ آيةٍ معجزة.

(١) اقرأ قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] الآية إلى آخر السورة، وليس في القرآن آية جمعت حروف المعجم غير هذه الآية.

واختاره عبدالجليل عيسىٰ مع أنَّه ضعيفٌ؛ لأنَّه لم يثبت أنَّ نبيًّا بشَّر بنبيٍّ بعده، ولا يعقل ذلك؛ لأنَّ كلَّ نبيٍّ إنَّما يبعث لقومه خاصَّة، وإنَّما جاءت البشارة بعيسىٰ في كتب اليهود؛ لأنَّه بعث مصدِّقًا بالتَّوراة، متمِّمًا لشريعتها.

٢- قوله تعالىٰ: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢]. قال ابن عباسٍ: «أقسم الله بحياة محمَّدٍ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم». وهذا هو الرَّاجح في الآية، لوجوه منها: سلامته من التقدير الذي هو خلاف الأصل.

وقيل: قسم من الملائكة بحياة لوطٍ عليه السَّلام، والتقدير: قالت الملائكة تخاطب لوطًا: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

وهذا الرأي مع ضعفه من وجوه، اختاره عبدالجليل عيسىٰ.

وأغلب البِدَع الموجودة في تفاسير المعاصرين منشأها الجهل بأصول علم التفسير وقواعده، أو الحرص علىٰ الظهور بمظهر المستنير الرأي، النَّابذ للتقليد، ومن هنا كانوا خاطئين؛ لأنَّهم أقدموا علىٰ التفسير بجهلٍ أوبسوء نيةٍ، وسيلقون جزاء ما كتبوه عند الله تعالىٰ، وهوالمسئول أنْ يلهمنا رشدنا ويوفقنا إلىٰ التمسك بالسُّنَّة، ويحشرنا في زمرة أهلها، إنَّه قريبٌ مجيبٌ.

مقدمة

تشتمل على مسائل هامَّة، تنفع النَّاظِر في هذا الكتاب خاصَّةً وفي كُتُب التفسير والحديث عامَّةً.

المسألة الأولى

ألفاظ القرآن الكريم، والأحاديث النبويَّة الشريفة لها حالتان:

الحالة الأولى: أن يمتنع حملها على المَجاز، وهي نوعان:

أحدهما: أن تكون متعلِّقةً بالتوحيد والإيمان، مثل سورة (الإخلاص) و(الكافرون) و(النصر) وآية المواريث وسائر آيات الأحكام.

فهذه تُحمل على حقائقها الشَّرعية كالإيمان والإسلام والصَّلاة والزَّكاة والصِّيام والحَجِّ، فإن لم يكن لها حقيقةٌ شرعيَّةٌ، حُملت على الحقيقة اللغوية، كالنِّكاح والطَّلاق والظِّهار والقُرُوء في العِدَّة، والبعث بعد الموت، والعذاب والنَّعيم، فدخول المجاز في هذا النوع ممتنعٌ؛ لأنَّه ينافي الغرض من التكليف، ويؤدي إلى مفاسد عظيمة، أعظمها: تعطيل الشَّريعة.

ثانيهما: أن تكون في سياق الحديث عن الأمم السَّابقة، مثل ما يحكيه الله تعالى عن قوم نوحٍ، وقوم فرعون، وبني إسرائيل، فهذه تُحمل على حقيقتها، ويمتنع فيها المجاز، لما سيأتي بيانه في سورة هودٍ بحول الله تعالى.

الحالة الثانية: أنْ يمتنع حملها على الحقيقة: نحو ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤]، ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص: ٧٥]، ﴿فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾ [الطور: ٤٨] ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾ [الفجر: ٢٢].

ونحو قوله عليه السَّلام: «**إنَّ اللهَ يَبْسُطُ يَدَهُ باللَّيلِ ليتوبَ مُسيءُ النَّهارِ، ويَبْسُطُ يَدَهُ بالنَّهارِ ليتوبَ مُسيءُ اللَّيلِ**»، «**إنَّ الله لا ينام ولا يَنْبَغِي له أنْ ينام، بيده الميزان يخفض القِسْطَ ويَرفَعُه**»، «**إنَّ قلوب بني آدم كلَّها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلبٍ واحدٍ**».

فالحقيقة هنا ممتنعة ثمَّ اختلف العلماء على مذهبين معروفين:

١- تفويض المعنى المراد منها إلى الله تعالى، وهو مذهب السَّلف.

٢- أو تأويلها بمعان مجازيَّة معروفة في لغة العرب، وهو مذهب الخَلَف.

إلَّا أنَّ قليلًا من جهلة المُجسِّمة حملوها على حقيقتها، فوصفوا الله باليدين والأيدي والأعين والاستواء والمجيء، حتى قال قائلٌ من زعمائهم: أصف الله بكلِّ ما ورد، ما عدا اللِّحية والعَوْرة، لعدم ورودهما.

ووجدت ابن القيِّم يقول في كتابه "زاد المعاد": «وكان شيخنا أبوالعباس ابن تيمية، يذكر في سبب الذؤابة -العذبة- شيئًا بديعًا، وهوأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إنَّما اتخذها صبيحة المنام الذي رآه في المدينة، لما رأى ربَّ العزَّة تبارك وتعالى، فقال: «**يا محمَّد فيمَ يَخْتَصِمُ الملأُ الأعلى؟ قلت: لا أدري يا ربِّ، فوضع يده بين كتفي، فعلمت ما بين السماء والأرض**» الحديث. وهو في الترمذيِّ، وسُئل عنه البخاريُّ، فقال: صحيحٌ. قال: فمن تلك الليلة أرخى الذؤابة بين كتفيه، وهذا من العلم الذي تنكره ألسنة الجهَّال وقلوبهم، ولم أرَ هذه الفائدة في إثبات الذؤابة لغيره».اهـ

قلت: إن كان نفي صفات المخلوقات عن الخالق سبحانه وتعالى جهلًا، فالجهل خيرٌ من علمٍ يصف الله باليد، وبمماستها كتف نبيِّه، حتى اتخذ الذؤابة

سترًا لذلك المحل الذي مسَّته يد الله!!!

ويكفي دليلًا على بدعيَّة هذه الفائدة شهادة ابن القيِّم بأنَّه لم يرها لغير شيخه، أي: أنَّه تفرَّد بها؛ لأنَّه يميل إلى التجسيم، والعجيب إبداء تلك الفائدة المبتدعة، من غير استنادٍ إلى حديثٍ يؤيِّدها، أورواية تاريخيَّة تعضِّدُها!

بل الذي أثبته التَّاريخ: أنَّ الذؤابة عادةٌ عربية، كان العرب يتقون بها حرَّ الشَّمس في أقفيتهم وأكتافهم، ولذلك لم يواظب عليها النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ولا صحَّ في فضلها حديث.

ووجدت أيضًا ابن عبدالهادي المقدسي الحنبلي -وهو من تلاميذ ابن تيمية- ذكر في "الصارم المُنكي" حديث: «**ينزل ربُّنا كلَّ ليلةٍ إلى السَّماء الدُّنيا**» الحديث، وحكى خلاف المتقدمين -يعني من مُجسِّمي الحنابلة- هل يخلو منه العرش إذا نزل؟ فقال قومٌ منهم: نعم يخلو منه؛ لأنَّه إذا نزل فقد بارحه! ولا يُعقل أن يكون في مكانين في وقتٍ واحدٍ!! وقال آخرون: لا يخلو منه؛ لأنَّه لو خلا منه لزم أن يكون العرش وبعض السَّماوات أعلى منه حين نزوله إلى السَّماء الدُّنيا، مع أنَّه العليُّ على مخلوقاته!!

فهذا هوالعلم الذي يصف ابن القيِّم من يُنكره بأنَّهم جُهَّال، ونحن نحمد الله على هذا الجهل، ونسأله الثَّبات عليه حتى نلقاه.

المسألة الثانية

يجب على المتصدِّي لتفسير القرآن الكريم، أن يتجرَّد من الآراء المذهبيَّة، ويوطِّن نفسه على تَقبُّل ما تفيده الآية وتدلُّ عليه، ويرجع عمَّا كان يراه أو يعتقده بخلافها؛ لأنَّ القرآن حُجَّة الله على خَلْقه وعَهْدُه إلى عباده، إليه

يتحاكمون وعن حكمه يصدرون، ولا يجوز له أن يتمحَّل في تأويل الآية، ويتطلَّب الوجوه البعيدة في الإعراب، أويحملها على المعاني التي لا تتفق مع سياقها، أوسبب نزولها، لتفيد رأي فلانٍ أوعقيدة فلانٍ، فإنَّ هذا تحريفٌ لكلام الله تعالى وتغييرٌ لمعانيه، وهومنشأ بِدَع التفاسير وسببٌ هامٌّ لكثرة وقوعها في تفاسير المعتزلة كما مرَّت الإشارة إليه.

ويرتكب هذا من أهل الحديث: الحافظ الطَّحاوي الحنفي، فإنَّه يتعسَّف في تأويل الأحاديث ويُسرف في التعسُّف لتوافق مذهب أبي حنيفة، وقد يرتكب البيهقيُّ مثل هذا بالنسبة لمذهب الشَّافعية، لكن على قِلَّة، ورأيت الباجي في شرح "الموطأ" حين تكلَّم على حديث: «**كلُّ ذي نابٍ من السِّباع ومِخْلَبٍ من الطَّير حرامٌ**»، قال: يحتمل أن يريد بقوله: «**حرامٌ**» إنَّه مكروه.

قلت: هذا تعسُّفٌ في شرح الحديث، ليوافق مذهب المالكية في كراهة أكل السِّباع، ولم أقف له على غير هذا الموضع.

المسألة الثالثة

يجب على المفسِّر في تفسيره أمورٌ:

أحدها: ألَّا يُخالف ما صحَّ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في تفسير آيةٍ، كتفسيره ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧] باليهود، و﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] بالنصارى، وهوقليلٌ، وفي عزمي أن أجمعه في كتابٍ خاصٍّ، وفَّق الله إلى ذلك وأعان عليه.

أمَّا تفسير الصحابيِّ أو التابعيِّ، إن كان يستند إلى ذكر سبب النزول فيجب

اتباعه؛ لأنَّه في حكم المرفوع، كقول جابرٍ: «كانت اليهود تقول: مَن أتىٰ امرأته في قُبُلِها مِن جِهَةِ دُبُرِها، جاء الولد أَحْوَلَ، فأنزل الله تعالىٰ ردًّا عليهم: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣]».

وهذا يعني أنَّ معنىٰ «أَنَّىٰ»: «كيف»، لا «أين»، ويكون تفسيرها بـ«أين» من بِدَع التفاسير.

وإن لم يستند إلىٰ ذلك فينبني علىٰ الخلاف في حُجِّيَّة قول الصَّحابي(١).

ثانيها: أن يفسِّر الآيات بالمعاني التي كانت معروفة للعرب وقت نزوله، حقائق كانت أو مجازات، لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢] فيجب فهمه في حدود قواعد اللغة العربية وأساليبها المعهودة لهم، ولا يجوز تفسيره بمعانٍ مستجدَّة حدثت بعد التنزيل، ومن فسَّره بها فقد زعم أنَّ القرآن خاطب العرب بما لم يفهموه، ولا عرفوه، وكان تفسيره من بِدَع التفاسير، وممَّن يسلك هذا: محمَّد عبده في "تفسيره"، وعبدالوهاب النَّجار في "قصص الأنبياء".

ثالثها: أن يجتنب تفسير ألفاظه باللغات الغريبة، أو تخريج إعرابه علىٰ الوجوه الضعيفة أو الشَّاذة بحسب القواعد النحوية؛ لأنَّ ذلك ينافي فصاحة القرآن التي هي خلوص كلماته من الغرابة والتنافر والتعقيد.

---

(١) علىٰ أنَّ معظم الأصوليين والمفسِّرين أوجبوا اتباع تفسير الصَّحابي مطلقًا؛ لأنَّه شاهد التنزيل، وعرف من القرائن الدَّالة علىٰ تعيين المعنىٰ المراد ما لم نعرفه، وانظر أوائل "تفسير ابن كثير".

ولا شك أنَّ حمل الكلمة على لغةٍ غريبةٍ، أو تخريج الكلام على إعرابٍ ضعيفٍ أوشاذٍّ، يورث تنافرًا في الكلمات، وضعفًا في التركيب. وكثيرًا ما يحمل بعض المعتزلة ألفاظًا من القرآن على لغاتٍ غريبةٍ نادرةٍ، سيأتي التنبيه على بعضها بحول الله تعالى.

من ﴿سورة البقرة﴾

١- قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [البقرة: ٧]: ذكر الزمخشريُّ في هذه الآية وجوهًا من التأويل، تتضمَّن جميعها نفي إسناد الختم إلى الله حقيقةً، وإنَّما هو على سبيل التمثيل أو المجاز، وأنَّ الخاتم في الحقيقة هو الشَّيطان أو الكافر، وليس لله تعالى فِعْلٌ في تجافي قلوبهم عن الحقِّ، ونُبُوِّها عن قبوله.

وهو تفسيرٌ اعتزاليٌّ فيه اعتسافٌ وانحرافٌ عن مدلول اللَّفظ، وأدلة الكتاب والسُّنَّة مُتضافرةٌ على إسناد الختم والطبع إلى الله تعالى، والأصل في الإسناد: الحقيقة، والنَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**بُعثتُ داعيًا وليس إليَّ من الهداية شيءٌ، وجُعِل الشَّيطانُ مُزيِّنًا وليس له من الضَّلالة شيءٌ**».

والشَّيطان نفسه يقول يوم القيامة: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ [إبراهيم: ٢٢] وفسَّر الزمخشريُّ دعوته بمجرَّد الوسوسة والتزيين، وما أورده لتأييد تأويلاته مُعارَض بمثله، وليس غرضنا أن نفيض في بيان المعارضة ووجوه الاحتجاج، ولكن غرضنا أن نقول: تفسيره هذا من بِدَع التفاسير؛ لأنه تغييرٌ لمعنى الآية وعُدُولٌ عما يقتضيه ظاهرها، لتتمشَّى مع مذهبه وعقيدته.

٢- قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِۦ كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦]: قال الزمخشريُّ أيضًا: «وإسناد الإضلال إلى الله تعالى إسناد الفعل إلى السبب؛ لأنَّه لما ضرب المثل فضَلَّ به قومٌ واهتدى به قومٌ، تسبَّب لضلالهم وهداهم،

وعن مالك بن دينار رحمه الله تعالىٰ: أنَّه دخل علىٰ محبوسٍ قد أُخذ بمالٍ عليه، وقُـيِّد فقال: يا أبا يحيىٰ، أما ترىٰ ما نحن فيه من القيود؟ فرفع مالكٌ رأسه، فرأي سلَّة فقال: لمن هذه السَّلَّة؟ فقال: لي. فأمر بها تنزل فإذا دجاج وأخبصة، فقال مالك: هذه وضعت القيود في رجلك».اهـ

قلت: هذا التفسير علىٰ نمط سابقه، وهو مبنيٌّ علىٰ مذهب المعتزلة، أنَّ العبد يَخلُق أفعاله. وقد أساء بذكره قصة السَّلَّة تنظيرًا لله تعالىٰ، وله من هذه التفاسير البدعيَّة كثيرٌ ليس غرضنا استقصاءها، وإنَّما ذكرنا هذين المثالين ليستدل بهما علىٰ غيرهما.

٣- قوله تعالىٰ: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: ٣١] (١): معنىٰ الآية: إنَّ الله تعالىٰ علَّم آدم أسماء المُسمَّيات كلها مثل جبلٍ، وشجرٍ، وبيتٍ، وإنسانٍ، وقصعةٍ... إلىٰ آخرها من أجناس وأنواع.

ومن بِدَع التفاسير: علَّمه أسماء النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وأسماء الأئمَّة من ولده، نقله الشريف المرتضىٰ في "أماليه" وقال: وفيه أحاديث مروية.

---

(١) هذه الآية من أدلَّة القائلين بأنَّ اللغة توقيفيَّة، كما يدلُّ لهم أيضًا حديث أبي داود والترمذيِّ، قال الله عزَّ وجلَّ: «**أنا اللهُ وأنا الرَّحمنُ، خَلَقْتُ الرَّحِمَ وشَقَقْتُ لها اسمًا مِن اسْمِي**» الحديث، ولهذا البحث بقيَّة تُنظر في "المزهر" للسيوطيِّ، و"إرشاد الفحول" للشوكانيِّ.

قلت: المرتضىٰ شيعيٌّ إماميٌّ، والإمامية يقولون بإمامة اثني عشر من أهل البيت، فكأن الله تعالىٰ علَّم آدم أسماء ثلاثة عشر رجلًا!! ويقال علىٰ هذا: ما فائدة التأكيد بلفظ: «كلها»؟، والأحاديث التي أشار إليها المرتضىٰ ساقطةٌ لا تقوم بها حُجَّةٌ.

٤- قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ﴾ [البقرة: ٥٣] أي: الجامع بين كونه كتابًا منزَّلًا وفرقانًا يفرق بين الحقِّ والباطل، وهي التوراة.

ونحوه قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا﴾ [الأنبياء: ٤٨]، أي: الكتاب الجامع بين كونه فرقانًا وضياءً وذِكرًا.

فالنسق في الآيتين لجمع الصِّفات، كقولك: رأيت الغيث والليث، تريد الرَّجل الجامع بين الجود والجراءة.

وقيل: الكتاب التوراة، والفرقان انفراق البحر لموسىٰ عليه السَّلام.

وقيل: الفرقان: الفرق بين الحلال والحرام. أو: الفرق بين موسىٰ وأصحابه المؤمنين، وبين فرعون وأصحابه الكافرين، بإغراق هؤلاء وإنجاء أولئك.

وقيل: البرهان الفارق بين الإيمان والكفر، من العصا واليد وغيرهما.

ومن بِدَع التفاسير: أنَّ المراد بالفرقان القرآن، والتقدير: وإذ آتينا موسىٰ التوراة والإيمان بالقرآن؛ لأنَّ موسىٰ عليه السَّلام كان مؤمنًا بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، ومُبشِّرًا ببعثته. وفي هذا الوجه حذف لفظ الإيمان، من غير دليل يدلُّ عليه، وحذف حرف الجرِّ من الفرقان، ونصبه بنزع الخافض، وهو شاذٌّ لا يقاس إلَّا في أنَّ وأنْ.

أو المراد: القرآن أيضًا، والتقدير: وإذ آتينا موسىٰ الكتاب، وآتينا محمَّدًا الفرقان، فهو كقول الشَّاعر:

عَلَفْتُهَا تِبْنًا وماءً باردًا حتَّىٰ غَدَتْ هَمَّالةً عَيْناهَا

أي: وسقيتها ماءً باردًا، فدلَّ علفت علىٰ سقيت كما دلَّ في الآية: ﴿ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ﴾ علىٰ «آتينا محمَّدًا».

وهذا ضعيفٌ مردودٌ؛ لأن «علفتها» في معنىٰ غذيتها، فصحَّ عطف «ماء» علىٰ «تبنًا»؛ لأنَّه ممَّا يتغذَّىٰ به، والآية لا يصح فيها ذلك بحال.

وضعَّفه أبوبكر ابن الأنباري من جهةٍ أخرىٰ فقال: إنَّ الاستشهاد بالبيت لا يجوز علىٰ هذا الوجه؛ لأنَّ البيت اكتفي فيه بذكر فعلٍ عن ذكر فعلٍ غيره، والآية اكتفي فيها باسمٍ دون اسمٍ.

وتوضيح كلامه: أنَّ موضوع الكلام في البيت متَّحدٌ، وهوالنَّاقة. فجاز حذف الفعل؛ لأنَّ وحدة الموضوع دلَّت عليه، والآية ليست كذلك، إذ موضوع الكلام فيها متعدِّد فموسىٰ المخبَر عنه بإيتائه الكتاب، غير محمَّدٍ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم المخبَر عنه بإيتائه الفرقان، فلذا لم يجز حذفه.

٥- قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ الذين عَبَدوا العِجْلَ ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ إلهًا ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ خالقكم من عبادته. واختير لفظ ﴿بَارِئِكُمْ﴾ تنبيهًا علىٰ غباوتهم، حيث تركوا عبادة الخالق إلىٰ مخلوقٍ ﴿فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤] أي: ليقتل البريءُ منكم المُجْرِمَ، فأرسل الله عليهم سحابةً سوداء لئلَّا ينظر بعضهم بعضًا فيرحمه. فقُتل

منهم نحو سبعين ألفًا، فتاب الله عليهم، كما في بقيَّة الآية.

وليس بكثيرٍ عليهم القتل؛ لأنَّهم ارتدُّوا بعد إيمانهم[١] وكفروا بعد ما شاهدوا من الآيات ما يخشع لها قلب الجاحد العنيد.

ومن بِدَع التفاسير: قول المرتضىٰ: ﴿فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ معناه: «اجتهدوا في التوبة ممَّا أقدمتم عليه والنَّدم علىٰ ما فات وإدخال المشاقِّ عليكم في ذلك حتىٰ تكادوا أن تقتلوا أنفسكم، وقد يُسمَّىٰ من فعل ما يقارب الشَّيء باسم فاعله، ومذهب أهل اللغة في ذلك معروفٌ مشهورٌ، يقولون: ضرب فلانٌ عبده حتىٰ قتله، وفلانٌ قتله العشق، وأخرج نفسه، وأبطل روحه».

قلت: هذا معنىٰ مَجازي، والمَجاز لا يدخل فيما يحكيه القرآن عن الأمم السابقة، لما بينَّاه في (سورة هود).

٦- قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّبَعُواْ﴾ أي اليهود، والمعنىٰ: نبذوا كتاب الله واتبعوا

---

(١) وفي شريعتنا الإسلاميَّة يُقتل المرتدُّ، لحديث البخاريِّ: «**مَن بَدَّل دينه فاقْتلوه**»، لكن بعد إمهاله ثلاثة أيام واستتابته فيها من غير تضييقٍ عليه ولا اضطهادٍ له.

وليس قتل المرتدِّ من الإكْراه في الدِّين كما يقول مُبتدِعة العصر ومَلاحِدَتُه، لكن من اعتنق الإسلام واقتنع بأدلَّته -خصوصًا القرآن الكريم- ثمَّ رجع عنه، يكون متلاعبًا أو قاصدًا إفساد عقيدة بعض المسلمين الذين تصلهم به قرابة أوصداقة أو معاملة، فكان القتل عقابه كما عوقب الزَّاني المُحصَن بالرَّجْم.

وبعض الدول الكبيرة في هذا العصر تقتل السَّارق أو المتلاعب في التموين حمايةً للشَّعب، فكيف يُعاب علىٰ الإسلام أن يسنَّ تشريعًا يحمي عقيدة المسلمين ممَّن يتلاعب بها؟!! والعقيدة أهمُّ من القوت وأسمىٰ من المال.

﴿مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ أي: على عهد مُلْكه وفي زمانه، وذلك أنَّ الشياطين كانوا يَستَرِقُون السَّمْع ويضمُّون إلى ما سمعوا أكاذيب يلفِّقونها ثمَّ يلقونها إلى الكَهَنة، وقد دوَّنوها في كتبٍ يقرؤنها ويعلِّمونها النَّاس، وفشا ذلك في زمان سليمان عليه السَّلام، حتى قالوا: إنَّ الجِنَّ تعلم الغيب. وكانوا يقولون: هذا عِلْم سليمان، وما تمَّ لسليمان مُلْكه إلَّا بهذا العِلْم، فاتبعوا كتب السِّحْر، ورفضوا كتب أنبيائهم، ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ بعمل السِّحر، تكذيب للشياطين واليهود وتبرئة لسليمان ممَّا رموه، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ﴾ هم الذين ﴿كَفَرُوا۟﴾ باستعمال السِّحْر وتدوينه حال كونهم ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ يقصدون به إغواءهم وإضلالهم ﴿وَ﴾ يعلمونهم ﴿مَا﴾ أي: السِّحْر الذي ﴿أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ الكائنين ﴿بِبَابِلَ﴾ بلدٌ بالعراق.

وهذا البلد ومصر كانا أكثر البلاد استعمالا للسِّحْر، وأكثرها ترويجًا له، فبعث الله موسى إلى أهل مصر، أبطل سِحْرَهم بعصاه، حتى صار من الأمثال السَّائرة، قول الشاعر:

إذا جَاءَ موسى وألقَى العَصَا ... فقَدْ بَطَلَ السِّحْرُ والسَّاحِرُ

وبعث في بابل ﴿هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾ يعلِّمان النَّاس السِّحر، ليعلَمُوا الفرق بينه وبين المعجزة، وليعلموا أنَّ السَّاحر صِنو الشَّيطان، وأنَّ النبيَّ مؤيَّدٌ من الرَّحمن، ويؤخذ منه أنَّ تعلُّم السِّحْر لمثل هذه المصلحة جائزٌ.

﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ﴾ ينصحاه، و﴿يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ ابتلاءٌ من الله

وامتحان ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ فلا تتعلَّمه معتقدًا أنَّه حقٌّ فتكفر ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا﴾ فيتعلَّم النَّاس من الملَكين ﴿مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ أي: علم السِّحْر الذي يكون سببًا في التفريق بين الزوجين من حيلةٍ وتمويهٍ، كالنَّفث في العقد ونحوه مما يحدث الله عنده الفَرْك[1] والنُّشوز والخلاف ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢] بإرادته.

هذا تفسير هذه الآية تفسيرًا يلائم سياقها ويقتضيه نظمها من غير تكلُّفٍ. وقيل فيها: وجوهٌ من التأويل تعتبر من بِدَع التفاسير، ونحن نُنبِّه عليها بحول الله تعالى.

فقيل في: ﴿وَمَآ أُنزِلَ﴾ إنَّه في محلِّ جرٍّ، معطوفٌ على ﴿مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ والمعنى: واتبعوا ما تتلوا الشَّياطين على ملك سليمان، وما كفر سليمان ولا أنزل الله السِّحْر على الملَكين -وهما جبريل وميكائيل- ولكنَّ الشَّياطين كفروا، يعلمون النَّاس السِّحر ببابل، هاروت وماروت. وهما رجلان لا ملَكان، ذُكِرا بعد النَّاس تبيينًا وتمييزًا لهما.

وهذا التأويل فساده ظاهر؛ لأنَّ فيه تفكيكًا لنظم الآية، وتعقيدًا لمعناها وإلحاقًا لها بالألغاز والمعمَّيات.

وقيل: يجوز أن يكون هاروت وماروت بدلًا من الشَّياطين، والمعنى: ولكنَّ الشَّياطين هاروت وماروت كفروا، وهذا فاسدٌ كسابقه.

وقيل: أنَّ ﴿مَا﴾ في قوله: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ﴾ نافية، والمعنى: أنَّهما لا يعلِّمان

---

(١) البغض، يقال: فركت المرأة زوجها: أبغضته.

أحدًا، بل ينهيان عنه، ويبلغ من نهيهما في صدِّهما عنه أن يقولا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾باستعمال السِّحْر. وهذا باطلٌ أيضًا؛ لأنَّ ﴿حَتَّىٰ يَقُولَآ﴾ تقتضي أنَّهما يعلِّمانه بعد تحذيره ونُصحه، فهي غايةٌ لامتناع التعليم.

وإذا كانا لا يعلِّمانه أصلًا، فلِمَ كانا فتنةً؟! وهل يعقل أن يكون مجرَّد وجودهما فتنة؟!

وقيل -تفريعًا على هذا التأويل الباطل-: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا﴾أي: من الكفر والسِّحر المفهومين مما سبق ﴿مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ وهذا واضحُ البطلان، لا يحتاج إلى بيانٍ. وكيف يتعلَّم الإنسان من الكفر أن يفرِّق بين المَرء وزوجه؟!!.

قيل أيضًا: ويجوز أن يكون معنى ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا﴾: فيتعلَّمون بدلًا مما علَّمهم الملَكان. أي: يعدلون عمَّا علَّمهم ووقفهم عليه الملَكان في النَّهي عن السِّحر إلى تعلُّمه. ويكفي في ردِّ هذا التأويل ما فيه من التكلُّف الزَّائد.

على أنَّ ﴿مِنْ﴾ تكون بمعنى: بدل، إذا وقعت بين شيئين تصحُّ فيهما المعاوضة نحو ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [التوبة: ٣٨]، فالحياة الدنيا والآخرة، يصح التبادل والتعاوض بينهما، ولكن لا يصح التبادل بين الملكين وعلم السِّحر، ثمَّ يجب أن يكون الفعل مؤذنًا بمعنى البدلية، مثل فعل «رضيتم» فإنَّه يؤذن بأنَّهم رضوا بشيءٍ بدلًا عن آخر. لكن فعل «يتعلَّمون» لا يؤذن بذلك.

وقيل: يجوز أن يكون قوله: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ﴾ راجعًا إلى هاروت وماروت، على أنَّهما من الشَّياطين كما مرَّ، أو رجلان كما مرَّ أيضًا، ومعنى قولهما: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ يكون على سبيل الاستهزاء كما يقول الماجن من الناس إذا فعل قبيحًا: هذا فعل من لا يفلح، لا يقصد النصح، لكن على وجه المجون والاستهزاء.

ويردُّه أنَّ هاروت وماروت ملَكان لا يجوز في حقِّهما الاستهزاء، والقول بأنَّهما شيطانان ساقطٌ لا دليل عليه، ومن قال رجلان استند إلى قراءة ﴿ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ بكسر اللام، وهي قراءةٌ شاذَّةٌ، وهي هنا مردودةٌ؛ لأنَّ القراءة المتواترة تعارضها.

وقيل تفريعًا على جعل ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ للنَّفي: يكون الضمير في قوله: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾ يعود على قبيلتين من الجنِّ، أو إلى شياطين الجنِّ والإنس. وفيه تشتيت الكلام، وعود الضمائر إلى ما لم يذكر.

وقيل: معنى ﴿مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ إنَّهم يُغوون أحد الزَّوجين ويحملونه على الكفر والشِّرك بالله تعالى، فيكون بذلك قد فارق زوجه الآخر المقيم على دينه، فيفرِّق بينهما اختلاف الملَّة.

وهذا باطلٌ لوجهين:

أحدهما: أنَّ الملَكين لم يكونا يعلِّمان كيفية إغواء النَّاس وحملهم على الشِّرك، وإنَّما كانا يعلِّمان السِّحْر، ليفرَّق بينه وبين المعجزة، وليُعرَف شرُّه فيُتقى.

ثانيهما: أنَّ التفريق بين الزَّوجين لاختلاف الدين، لم يثبت أنَّه كان معمولًا

به في بابل حين كانا يعلمان السِّحْر.

وقيل معناه: يسعون بين الزَّوجين بالنَّميمة والوِشاية، حتىٰ يؤول أمرهما إلىٰ الفُرقة.

وهذا باطلٌ أيضًا؛ لأنَّ الملكين لم يعلِّما النَّميمة والوِشاية، ولا جاء ما يدلُّ علىٰ ذلك، علىٰ أنَّ النَّميمة ليست عِلْمًا له قواعد كعلم السِّحْر.

وقيل: كلمة ﴿إِلَّا﴾ زائدة، والمعنىٰ: وماهم بضارِّين به من أحدٍ بإذن الله.

وهذا باطلٌ لوجهين:

أحدهما: أنَّ دعوىٰ زيادة كلمة في القرآن تخريجٌ له علىٰ وجهٍ ضعيفٍ، وهو لا يجوز.

ثانيهما: أنَّ المعنىٰ علىٰ إثباتها؛ لأنَّ مما علم بالضَّرورة والمشاهدة أنَّ المسحور قد يحصل له ضررٌ في جسمه أو عقله، فأخبرت الآية أنَّ ما يحصل من ذلك الضَّرر لا يكون إلَّا بإذن الله تعالىٰ.

وقيل في ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ﴾: أن يكون الضَّرر هو ما يلحق المسحور من الأدوية والأغذية التي يطعمه إياها السَّحرة، ويدَّعون أنَّها موجبة لما يقصدونه فيه من الأمور.

وهذا ليس بشيءٍ؛ لأنَّ السَّحرة لا يطعمون المسحور أدوية ولا غيرها، وإنَّما يعملون عملهم من نفثٍ في العقد ونحوه، فيحصل الضَّرر بإذن الله، وربما لا يحصل ضرر إذا كان المسحور قويَّ الرُّوح، أويتحصَّن بسورتَي المعوِّذَتين، ونحوهما.

(تنبيه): تكلَّمتُ على قصَّة هاروت وماروت في كتاب "قصَّة إدريس" فليراجعها من أرادها هناك.

٧- قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ جملةً واحدةً إلى السماء الدُّنيا، ثُمَّ نزل بعد ذلك مفرَّقًا حسب الأسباب والمقتضيات ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥] ثناء على القرآن، ومدح لرمضان بإنزاله فيه، وهذا التفسير هو المشهور.

وقيل معنى ﴿أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾: أنَّه أنزل في فرضه وإيجاب صومه، فيكون ﴿فِيهِ﴾ للسببيَّة، كما يُقال: أنزل الله في الصَّلاة كذا، أي: لأجل الصَّلاة.

وهو مردودٌ بوجهين:

أحدهما: أنَّه بعيدٌ من مدلول لفظ الآية، منافٍ لسياقها.

ثانيهما: أنَّ القرآن أُنزل في إيجاب الصَّلاة والزَّكاة والحجِّ والجهاد، فما الحكمة في تخصيص رمضان بأنَّ القرآن أنزل في إيجابه.

ووجه ثالث: ذكره الشَّريف المرتضى، فقال: «هذا التأويل إنَّما هرب متكلِّفه من شيءٍ، وظنَّ أنَّه قد اعتصم بتأويله عنه، وهو بعدٌ ثابتٌ على ما كان عليه؛ لأنَّ قوله: ﴿ٱلْقُرْءَانُ﴾ إذا كان ظاهره يقتضي إنزال جميع القرآن، فيجب على هذا التأويل أن يكون قد أنزل في فرض رمضان جميع القرآن، ونحن نعلم أنَّ قليلًا من القرآن يتضمَّن إيجاب صوم رمضان، وأنَّ أكثره خالي من ذلك.

فإن قيل: المراد بذلك أنَّه أُنزل في فرضه شيءٌ من القرآن وبعضٌ منه.

قيل: فهلَّا اقتصر على هذا وحمل الكلام على أنَّه أُنزل فيه شيءٌ من القرآن في شهر رمضان، ولم يحتج إلى أن يجعل لفظة ﴿فِيهِ﴾ بمعنى في فرضه وإيجاب صومه». اهـ وبالجملة هو من بِدَع التفاسير.

٨- قوله تعالى: ﴿فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧] أي: وابتغوا بمباشرتهنَّ ما كتب الله لكم من الولد، ولا تقصدوا قضاء الشَّهوة وحده، أو: وابتغوا المحل الذي كتبه الله لكم وحلَّله، وهو الفرج دون ما لم يكتب لكم حِلُّه وهو الدُّبُر. أو: وابتغوا ما كتب الله لكم من الإباحة بعد الحظر.

وقيل: واطلبوا ليلة القدر، وما كتب الله لكم من الثَّواب إن أصبتموها وقمتموها. قال الزمخشري: وهو قريبٌ من بِدَع التفاسير.

قلت: لم يجعله منها؛ لأنَّ صدر الآية مفتتحٌ بإباحة الجِماع ليلة الصِّيام في رمضان، كما أنَّ سياق الآيات قبله في رمضان أيضًا، ومع هذا فهو بعيدٌ من مدلول اللَّفظ ومن السِّياق الذي يقتضي إباحة بعد حظر.

٩- قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ﴾ [البقرة: ١٨٩]: كان العرب في الجاهليَّة إذا أحرموا لم يدخلوا بيوتهم من أبوابها، ودخلوا من ظهورها بنقبٍ يحدثونه في الجدار، إلَّا قريشًا لأنَّهم سكَّان الحرم وجيران البيت، فنزلت الآية تبيِّن بطلان هذا العمل، وأنَّه لا بِرَّ فيه.

هذا ما صحَّ في سبب نزول الآية، وهو يتمشى مع سياقها، فإنَّهم لما سألوا عن

الهلال واختلاف أحواله أنزل الله تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ وأعقبه بقوله: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ حين إحرامكم بالحج ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ﴾ بر ﴿مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ الله ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ﴾ إذا أحرمتم بحجٍّ أوعمرة ﴿مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩] وهذا المعنىٰ واضحٌ.

وقال أبوعبيدة: معنىٰ الآية: ليس البر بأن تطلبوا الخير من غير أهله، وتلتمسوه من غير بابه ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ واطلبوا الخير من وجهه، ومن عند أهله.

وقال أبوعليٍّ الجبائي: خرج هذا الكلام مخرج ضرب المثل، والمعنىٰ: ليس البرُّ أن يأتي الرَّجل الشيء من خلاف جهته؛ لأنَّ إتيانه من خلاف جهته يُخرج الفعل عن حدِّ الصَّواب والبرَّ إلىٰ الإثم والخطأ، وبيَّن البرَّ والتقوىٰ، وأمر بإتيان الأمور من وجوهها، وجعل تعالىٰ ذكر البيوت وظهورها وأبوابها مثلًا؛ لأنَّ العادل في الأمر عن وجهه، كالعادل في البيت عن بابه.

حكىٰ هذين التأويلين المرتضىٰ في "أماليه"، وحكىٰ بعدهما تأويلًا ثالثًا وهو: أن تكون البيوت كنايةً عن النِّساء، ويكون المعنىٰ: وأتوا النِّساء من حيث أمركم الله، والعرب تسمِّي المرأة بيتًا. قال الشَّاعر:

مالي إذا أَنْزِعُها[1] صَأَيْتُ؟ أكِبَرٌ غَيَّرني أَمْ بَيْتُ؟

---

(١) الضَّمير في أنزعها للدَّلو، أي: مالي إذا نزعت الدَّلو من البئر صأيت -أي: خرج من صدري صوت- كأني أنزع شيئًا شديدًا فوق طاقتي، فهل أضعفني كِبَر السِّن؟ أو قربان الزَّوجة؟

أراد بالبيت المرأة.

قلت: الوجه الذي ذكرناه أولًا هو الصَّحيح، والوجهان بعده لا يناسبان سياق الآية، فهما قريبان من بِدَع التفاسير.

أمَّا الوجه الأخير فمردودٌ، لوجهين:

أحدهما: أنَّه لا يوافق سبب النزول، ولا يتمشَّى مع سِياق الآية ونَظْمِها.

ثانيهما: أنَّ معناه جاء مصرَّحًا به في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ فلا فائدة في استنباطه من هذه الآية بطريق الكِناية، إلَّا مجرَّد التكرار الخالي عن أيِّ نكتةٍ بيانية أوحِكْمَةٍ تشريعيَّة، وهذا ممَّا يجب تنزيه القرآن عنه، فالوجه المذكور من بِدَع التفاسير.

١٠- قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ﴾ الدَّاعون بالحسنتين ﴿لَهُمْ نَصِيبٌ﴾ ثوابٌ ﴿مِمَّا كَسَبُوا﴾ من أعمال الحجِّ وغيرها من الطَّاعات ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [البقرة: ٢٠٢] يوشك أن يقيم القيامة، ويحاسب العِباد، فبادروا إكثار الذِّكر، وطلب الآخرة، فالمراد بهذا: الإخبار بقرْب يوم القيامة الذي يكون فيه الحِساب، لينال المؤمنون ثواب أعمالهم.

وقيل: المراد وصفه تعالى بسرعة محاسبة الخلائق على كثرة عددهم، وكثرة أعمالهم وتنوُّعها، ليدل على كمال قُدْرته، ووجوب الحَذَر منه، والرَّغبة في ثوابه، فقد ثبت أنَّه يحاسب الخَلْق في مقدار فَواق ناقة.

ومن بِدَع التفاسير: قول بعضهم: المراد: أنه سريع العِلْم بكلِّ محسوبٍ، وأنَّه لما كانت عادة النَّاس أن يستعملوا الحساب والإحصاء في أكثر أمورهم،

أخبرهم تعالىٰ أنه يعلم ما يحسبون بغير حسابٍ، وسمَّىٰ العِلْم حسابًا علىٰ سبيل المجاز، من إطلاق اسم المعلوم علىٰ العلم، وهو مردودٌ بوجوه:

أحدها: أنَّ العلم بالحساب أوالمحسوب، لا يُسمَّىٰ حسابًا في اللُّغة حقيقةً، ولا مجازًا.

ثانيها: لو فرض تسميته حسابًا، لم يجز أن يقال: سريع العلم بالحساب؛ لأنَّ علمه تعالىٰ بالأشياء ممَّا لا يتجدَّد فيوصف بالسُّرعة.

ثالثها: أنه لا يناسب سِياق الآية، وكثيرٌ من المفسِّرين يغفل عن ملاحظة السِّياق، وهي ملاحظةٌ واجبةُ الاعتبار؛ لأنَّ الآيات إنَّما تترابط وتأتلف بسياقاتها المتناسبة، ولولا ذلك لكانت متفكِّكةً غير مترابطةٍ.

ومن البِدَع أيضًا: أنَّ المراد: أنَّ الله سريع القبول لدعاء عباده، مع كثرتهم واختلاف دعواتهم، فيعطي لكلِّ داعٍ ما ينفعه بحدٍّ ومقدار. وهذا التأويل - وإن كان مناسبًا لنظم الآية- مردودٌ؛ لأنَّ قبول الدُّعاء لا يسمَّىٰ حسابًا.

١١- قوله تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٧] بدل اشتمال، والمعنىٰ: يسألونك عن القتال في الشهر الحرام ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ﴾ إثمٌ ﴿كَبِيرٌ﴾ فهو صفةٌ للمحذوف المقدَّر ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ مبتدأ، والخبر ﴿أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ﴾، ﴿وَكُفْرٌۢ بِهِۦ﴾ معطوفٌ علىٰ المبتدأ ﴿وَ﴾ صدٌّ عن ﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ فالمسجد الحرام معطوفٌ علىٰ سبيل الله؛ لأنَّ المشركين كانوا يصدُّون النَّاس عن دين الله، ويصدُّون المؤمنين عن دخول المسجد الحرام والطَّواف به.

وقال المرتضىٰ: المسجد معطوفٌ علىٰ الشَّهر الحرام، والمعنىٰ: يسألونك عن الشَّهر الحرام، وعن المسجد الحرام.

وهذا من بِدَع التفاسير، وهو مردودٌ بوجهين.

أحدهما: الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بأجنبيٍّ.

ثانيهما: أنَّ السؤال عن المسجد، ليس له جوابٌ في الآية.

١٢- قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ﴾[البقرة: ٢٤٣].

«أُلُوفٌ»: جمع ألف، وهو يفيد كثرتهم.

وقيل: «أُلُوفٌ» متآلفون، من الألفة جمع آلِف، كقاعِد وقُعُود.

وهو من بِدَع التفاسير، كما قال الزمخشري، وإن حكاه البيضاويُّ ولم يعترضه وهو بعيدٌ من سِياق الكلام لأنَّه لا معنىٰ لذِكر الأُلفة هنا ولا مناسبه تقتضيها.

ومن بِدَع التفاسير في الآية أيضًا: أنَّ معنىٰ الموت الاحتلال، والإحياء الاستقلال. فيكون المعنىٰ: أنَّ الله سلَّط علىٰ أولئك الألوف قومًا استعبدوهم واحتلُّوا بلادهم، فذلك موتهم، ثُمَّ هيَّأ لهم أسباب الدِّفاع عن بلادهم وديارهم حتىٰ استقلوا، فذلك إحياؤهم.

قرأت هذا التأويل منسوبًا لمحمد عبده[1]، لكن لم يأتِ في القرآن موتٌ

---

(١) كأنَّه نحا منحىٰ بعض المعتزلة الذين يقولون: إحياء الموتىٰ أمرٌ خارقٌ للعادة، لا يجوز وقوعه إلَّا معجزةً لنبيٍّ. ويقولون أيضًا: إنَّ المعارف تصير ضروريَّة عند معاينة الموت وأهواله، فيجب إذا عاش أولئك القوم أن يبقوا ذاكرين ذلك؛ لأنَّ الأشياء العظيمة

وإحياءٌ بهذا المعنى، ولا كان معروفًا عند العرب وقت نزول القرآن وقبله، ولا يستطيع أحدٌ أن يأتي بشاهدٍ من كلامهم عليه.

والشَّيخ غفر الله له، كثيرًا ما يُفسِّر آيات القرآن بمعانٍ مُستحدَثة لم تكن معروفةً وقت التنزيل.

وقد عاب الزمخشريُّ مثل هذا على بعض المفسِّرين، فقال في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ [البقرة: ١٧٨]: «فإن قلت: فقد ثبت قولهم: عفا أثره إذا محاه وأزاله، فهلَّا جعلت معناه: فمن محي له من أخيه شيءٌ؟ قلت:

لا تُنسى مع كمال العقل، وإذا بقيت عندهم تلك العلوم الضروريَّة امتنع تكليفهم كالحال في الآخرة.

وهذا كلامٌ باطلٌ؛ لأنَّ المُمتنع هو ظهور الخارق على يد مدَّعي النُّبوَّة كذبًا كمسيلمة مثلًا، أما أن يُظْهر الله في مُلْكه خارقًا من الخوارق تحذيرًا لعباده أو تنبيهًا لهم -لا على يد أحدٍ- فلم يقم على امتناعه دليلٌ، بل هو جائزٌ. وقد أمات الله الرَّجل الذي مرَّ على قريةٍ خاويةٍ فتعجَّب كيف يُحييها الله بعد موتها؟!! ثُمَّ أحياه بعد مائة عامٍ فوجد طعامه لم يتغيَّر، وأراه كيف أحيا حماره. فهذا الخارق ليس بمعجزةٍ؛ لأنَّه لم يتحدَّ به أحدٌ، بل صرَّح الله أنه جعله آيةً للنَّاس على البَعْثِ.

ودعواهم أنَّ الأشياء العظيمة لا تُنسى مردودةٌ بأنَّ ظاهر الآية يقتضي أنَّهم ماتوا فجأةً، فلم يعاينوا هولًا ولا شدَّةً، ولو سُلِّم أنَّهم عاينوا فلا مانع أن ينسوا ما عاينوه بعد إحيائهم؛ لأنَّهم خُلِقوا خَلْقًا جديدًا. بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٧ – ٢٨] ولم يعودوا لما نهوا عنه إلَّا لأنهم نسوا ما عاينوه.

عبارة قلقة في مكانها، والعفو في باب الجنايات عبارةٌ متداولةٌ مشهورةٌ في الكتاب والسُّنَّة واستعمال النَّاس، فلا يعدل عنها إلى أُخرى قلقة نابية عن مكانها. وترى كثيرًا ممَّن يتعاطى هذا العلم -يعني التفسير- يجترئ إذا أُعضل عليه تخريج وجهٍ للمشكل من كلام الله على اختراع لغةٍ، وادِّعاءٍ على العرب ما لا تعرفه، وهذه جرأةٌ يُستعاذ بالله منها».اهـ

والمعنى المفهوم من الآية: أنَّ جمعًا من النَّاس كانوا قبلنا -عدتهم عشرة آلافٍ أو أكثر- خرجوا من ديارهم هربًا من الموت، لوباءٍ وقع بأرضهم فأماتهم الله ميتة رجلٍ واحدٍ، ثُمَّ أحياهم، ليعلموا أنَّه لا مفرَّ من قضاء الله(١).

وهذه الآية ذُكرت لمناسبة قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨] الآية. فإنَّه لما أمرهم بإقامة الصَّلاة في حالة الخوف من

---

(١) هكذا قال أكثر المفسِّرين، ذكروا: أنَّ قريةً قُرْب واسِطٍ وقع بها طاعون فخرج عامَّة أهلها، ولم يبقَ إلَّا طائفةٌ معظمهم مرضى. فلمَّا ارتفع الطاعون رجع الهاربون سالمين فقال القاعدون: هؤلاء أحزم منا، لوصنعنا كما صنعوا نجونا. فوقع فيها الطاعون من قابل، فهرب أهل القرية جميعًا حتى نزلوا واديًا أفيح وظنوا النجاة فأماتهم الله جميعًا. وقد صحَّ النهي عن الفِرار من الوباء، لما خرج عمر رضى الله عنه إلى الشام، وبلغ سرغ، علم أنَّ الوباء وقع بالشام، فاستشار الصحابة، فلم يجد عندهم علما وهمَّ بالرجوع إلى المدينة. ثُمَّ جاء عبدالرحمن بن عوفٍ رضى الله عنه فقال له: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**إذا سمعتم به بأرضٍ فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرضٍ وأنتم بها فلا تخرجوا فِرارًا منه**». فحمد الله عمر ورجع، وهوأول من نفذ نظام الكرنتينا، عملًا بالحديث.

عدوٍّ أو غيره، ذكر قصة هؤلاء القوم الذين هربوا من الموت، ليُبيِّن لهم أنَّ قضاء الله نافذٌ لا يردُّه حَذَر حاذرٍ ولا حِرْص حريصٍ، وحيث ثبت ذلك فإقامة الصَّلاة في حالة الخوف والشِّدة أوجب على أهل الإيمان وأليق بهم؛ لدلالتها على وثوقهم بالله واطمئنانهم إلى أحكامه واستسلامهم لقضائه.

(تنبيه): ثبت في السُّنَّة إطلاق الذلّ كنايةً عن الاحتلال، ففي "المسند" و"سنن أبي داود"، و"ابن ماجه" عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**إذا ضنَّ النَّاس بالدِّينار والدِّرهم واتبعوا أذناب البَقَر**[1] **وتركوا الجهاد في سبيل الله، أنزل الله بهم ذُلًّا فلم يرفعه حتى يراجعوا دينهم**».

ولا شكَّ أنَّ الذلَّ الذي يترتَّب على ترك الجهاد، هو احتلال العدوِّ لبلاد المسلمين، وتحكُّمه في شئونهم. وهذا من الكنايات الواضحة التي لا تحتاج إلى كبير تأمُّلٍ.

١٣- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٨] سكينةٌ: سكونٌ وطمأنينةٌ. والمعنى: أنَّهم إذا رأوا التابوت سكنت قلوبهم واطمأنت.

ومن بِدَع التفاسير ما حكاه الزمخشريُّ ولم يتعقَّبه: أنَّ السَّكينة صورة من زبرجد أو ياقوت، كانت في التابوت، لها رأسٌ كرأس الهِرِّ وذنب كذنبه، وجناحان فتئِنُّ فيزف التابوت نحو العدوِّ، وهم يمضون معه، فإذا استقرَّ،

---

(١) اتباع أذناب البقر كنايةً عن الاشتغال بحراثة الأرض وزراعتها.

ثبتوا وسكنوا، ونزل النَّصر.

وحكىٰ أيضًا عن عليٍّ رضي الله عنه: أنَّ السَّكينة لها وجهٌ كوجه الإنسان، وفيها ريحٌ هفَّافة.

قلت: لكن لم يصح عنه، فإن قيل: فما تفعل بحديث "الصَّحيحين": أنَّ أُسيد بن حُضيرٍ كان يقرأ في ليلةٍ سورة البقرة، فرأىٰ مثل الظُّلَّة، فيها أمثال السُّرُج تغشاه في مكانه، حتىٰ أضاء المكان ونفرت الفرس، فسكت مخافة أن تصيب الفرس ابنه الذي كان قريبًا منها وذهبت، فلما أصبح أخبر النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فقال: «**تلك السَّكينةُ تَنزَّلَت بقراءتك، ولو قرأتَ لأصبحتْ يراها النَّاسُ لا تَسْتَتِرُ منهم**». فهذا يفيد أنَّ السَّكينة جسمٌ يُرىٰ؟

قلت: حقيقة السَّكينة ما قدَّمناه في تفسير الآية، أمَّا الحديث فهومن باب مجاز الحذف، والتقدير: تلك أثر السَّكينة. وبيان ذلك: أنَّ قارئ القرآن تنزل عليه السَّكينة، كما ثبت في "صحيح مسلمٍ"، فحيث تلا أُسيد -رضي الله عنه- (سورة البقرة) نزلت السَّكينة عليه في قلبه، وكان من أَثِر نزولها عليه، وتحقُّقِه بها إكرام الله له بهذه الكرامة التي أنارت له المكان وما فيه[1]، وفيها إشارة إلىٰ أنَّ القرآن يفتح الأبصار والبصائر، وينوِّر البواطن والظَّواهر.

١٤- قوله تعالىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥] حرَّف بعض المتصوِّفة هذه الآية إلىٰ من ذلَّ ذي -يعني نَفْسَه- يشفع عنده،

---

(١) وثبت في روايةٍ في "الصحيحين" أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال لأسيد: «**تلك الملائكة تنزَّلت لقراءة سورة البقرة، ولو قرأت لأصبحت يراها النَّاس ما تَسْتَتِر منهم**».

يقصد أنَّ من أذلَّ نفسه يشفع عند الله، وغفل عن الاستثناء الذي يصفعه، كما غفل -لجهله- عن أنَّ فعل ذلَّ لازمٌ.

ونظير هذا شرح متصوِّفٍ آخر، قوله عليه الصَّلاة والسَّلام -في حديث جبريل الطويل-: «**الإحسان أنْ تعبد الله كأنَّك تراه، فإنْ لم تكنْ تراه فهو يراك**» على معنى: فإن لم تكن أي: تصر بأن فنيت عن نفسك تراه. ونسي أنَّ «تراه» يجب أن يكون مجزومًا؛ لأنَّه جواب الشَّرط، وهو مرفوعٌ في الحديث، كما نسي أنَّ قوله: « **فإنَّه يراك**» يكون على شرحه زائدًا لا معنى له.

١٥- قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] الكرسي مخلوقٌ عظيمٌ، نسبة السموات والأرض إليه كحلقةٍ في فلاةٍ من الأرض، وهو بالنسبة إلى العرش كحلقةٍ ملقاة في فلاةٍ من الأرض، والآية تبيِّن عظم قُدرة الله تعالى؛ لأنَّ الكرسي وهو بعض مخلوقاته، يسع الدُّنيا بسمواتها وأرضها ومن فيها وما فيها.

ومن بِدَع التفاسير، قول المعتزلة: الكرسي هو العلم. والمعنى: وسع علمه السَّموات والأرض، لجأوا إلى هذا التفسير لإنكارهم الكرسي والعرش ونحوهما مما ثبت به النَّصُّ.

وقد نعى عليهم ابن قتيبة ذلك، فقال في "تأويل مختلف الحديث":

وفسَّروا القرآن بأعجب تفسيرٍ، يريدون أن يردُّوه إلى مذاهبهم، ويحملوا التَّأويل على نحلهم، فقال فريقٌ منهم في قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ أي: علمه. وجاؤا على ذلك بشاهدٍ لا يعرف و هو قول الشَّاعر:

ولا يكرسِئ عِلْمَ الله مخلوقٌ

كأنَّه عندهم: ولا يعلم علم الله مخلوقٌ، والكرسي غير مهموز، ويكرسئ مهموزٌ، يستوحشون أن يجعلوا لله كرسيًّا».اهـ

قلت: لا شكَّ أنَّ الشّطر المذكور مصنوعٌ، وماذا يضيرهم أن يكون من مخلوقات الله عرشٌ وكرسيٌّ؟ إلَّا أن يكونوا توهموا أنَّهما موضع استواء الله تعالىٰ ووضع قدمه، كما قال به بعض المجِّسمة، وهو توهُّمٌ يقضي العقل ببطلانه لاستحالته في حقِّ الله تعالىٰ.

وفي "الكشَّاف" في قوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾ أربعة أوجهٍ:

أحدها: أنَّ كرسيَّه لم يَضِق عن السَّموات والأرض، لبسطه وسَعَته وما هو إلَّا تصويرٌ لعظمته وتخييل فقط، ولا كرسي ثمَّة ولا قعودٌ ولا قاعدٌ.

قلت: هذا من بِدَع التفاسير أيضًا، وهو مبنيٌّ علىٰ توهُّم أنَّ الكرسيَّ موضع القُعُود، وهو توهُّمٌ باطلٌ كما مرَّ، وإطلاق التخييل في جانب الله تعالىٰ لا يجوز؛ لأنَّه منزَّهٌ عنه.عاد كلامه.

والثاني: وسع علمه، وسُمِّيَ العلم كرسيًّا، تسمية بمكانه الذي هو كرسي العالِـم.

قلت: لا يوجد إطلاق الكرسي علىٰ العِلْم في اللُّغة العربيَّة، إذا استثنينا ذلك الشَّطر المصنوع، وحاول بما ذكره أن يجعله مجازًا مرسلًا من إطلاق المحلِّ وإرادة الحال، ولكنها محاولةٌ فاشلةٌ.

إذ الكرسي ليس مكانًا للعالِـم، بل هومكانٌ لمن يجلس عليه من عالِـمٍ وجاهلٍ وبليدٍ وذكيٍّ، فإن صحَّ تسمية العِلْم كرسيًّا لكونه مكان العالِـم، صحَّ

تسمية الجهل والبلادة والذَّكاء كرسيًّا لعلاقة المكانيَّة أيضًا!! وكذلك يصحُّ إطلاق السَّرير على العلم والجهل للعلاقة نفسها!! وما أظنُّ الزمخشريَّ أخفق في تقرير مجازٍ مثل إخفاقه هنا، والعجيب أنه حين تكلَّم على قوله تعالى: ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ﴾ [الأنفال: ٤٣] وفسَّر منامك برؤياك، قال: وعن الحسن في منامك: في عينك؛ لأنَّها مكان النَّوم، كما يقال للقطيفة: المنامة؛ لأنَّه ينام فيها. وأعقبه بقوله: وهذا تفسيرٌ فيه تعسُّفٌ وما أحسب الرِّواية عنه صحيحة، وما يلائم علمه بكلام العرب وفصاحته!!

ولولا تقديسه للحسن؛ لأنَّه يعتبره شيخ المعتزلة[1] ورئيسهم، لعدَّ كلامه هنا من بِدَع التفاسير، وما قاله عن هذا التفسير، يقال عن تفسير الكرسيِّ بالعلم، على أنَّ العين مكانٌ للنَّوم حقيقةً، أمَّا الكرسي فلا علاقة له بالعلم. عاد كلامه.

والثالث: وسع مُلْكه، تسمية بمكانه الذي هو كرسي المُلْك.

قلت: جعل الكرسي هنا مجازًا عن المُلْك، وهو من بِدَع التفاسير أيضًا؛ لأنَّ العلاقة يجب أن يكون لها مزيد اختصاص بالمعنى الذي تجوز له، وعلى هذا فالذي يصحُّ أن يتجوز به عن المُلْك هو العرش أو التاج أو المقاليد؛ لأنَّ هذه الأشياء لا

---

(١) لأنَّ الحسن البصريَّ شيخ واصل بن عطاء الغزال البصري رئيس المعتزلة وإمامهم، لكن الحسن برئ من مذهبهم، رغم نقلهم عنه أشياء توافقهم، وهي إمَّا غير صحيحة عنه، وإمَّا مؤولة. وقد قيل في سبب تسميتهم معتزلة: أنَّ الحسن لما سمع كلام واصل في القَدَر وخَلْقِ الأفعال وغير ذلك من مسائلهم التي تخالف ما كان عليه الصحابة، قال له: اعتزل مجلسنا.

توجد إلَّا عند المُلُوك، وهي مظاهر مُلْكِهم، أمَّا الكرسي فلا اختصاص له بالملوك، ولا مظهر فيه من مظاهر المُلْك وأُبَّهته، وهو موجودٌ عند جميع الرَّعايا فقرائها وأغنيائها، فلا يصح جعله كنايةً عن المُلْك. ولو قرأت قوله تعالىٰ: ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الشورىٰ: ١٢] أو ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩] لوجدت الكِناية عن المُلْك فيه واضحة، بخلاف ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾.

والرَّابع: ما رُوي أنَّه خلق كرسيًّا هو بين يدي العرش، دونه السموات والأرض، وهو إلىٰ العرش كأصغر شيء.

قلت: ذكر هذا الوجه بصيغه التضعيف؛ لأنه يخالف رأي المعتزلة، مع أنَّه هو الصَّحيح كما مرَّ، وذكر عن الحسن أنَّ الكرسي هو العرش، وهذا غير صحيحٍ.

والعجب أنَّ مَنْ بعده كالبيضاوي وأبي السعود والسيوطي قلَّدوه، فذكروا في معنىٰ الكرسي هنا العِلْم والمُلْك، غير مدركين أنَّ هذا المعنىٰ من اختراع المعتزلة، هربًا من الاعتراف بحقيقة الكرسي كما ثبت في السُّنَّة(١)!!

---

(١) قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٢٦٢]: ﴿مَآ أَنفَقُوا۟﴾ مفعول أوَّل لـ﴿يُتْبِعُونَ﴾، و﴿مَنًّا﴾ مفعول ثاني، و﴿أَذًى﴾ معطوف عليه.

ومن بدع التفاسير: جعل ﴿أَذًى﴾ اسم ﴿لَا﴾، والخبر محذوف، والمعنىٰ: ولا أذىٰ حاصل منهم. نقله ابن حجرٍ في "الزواجر" عن بعضهم واستبعده.

قلت: بل هو باطلٌ، يخالف رسم المصحف؛ لأنَّ اسم «لا» يبنىٰ معها علىٰ الفتح، وأذىٰ في الآية منصوب.

١٦- قوله تعالىٰ: ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [البقرة: ٢٨٢] معنىٰ الآية: أنه إن لم يوجد رجلان يشهدان، فليشهد رجل وامرأتان، لأجل أن تذكر إحدىٰ المرأتين الأخرىٰ إذا نسيت، فلفظ «تُذكِّر» من التذكير ضد النسيان، وهو واضحٌ.

ومن بِدَع التفاسير كما يقول الزمخشريُّ: فتذكِّر، فتجعل إحداهما الأخرىٰ ذكرًا، يعني أنهما إذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذَّكَر، وهذا لا يتلاقىٰ مع قوله: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا﴾ [البقرة: ٢٨٢].

ومن ﴿سورة آل عمران﴾

١- قوله تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ﴾ تُمِل ﴿قُلُوبَنَا﴾ عن الحقِّ ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ إليه ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ تثبيتًا ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

هذا دعاء الرَّاسخين في العلم يدعون الله ألَّا يزيغ قلوبهم عن الحقِّ وأن يثبِّتهم عليه. حكىٰ الله دعاءهم في معرض الثَّناء عليهم وهو دعاءٌ واضحٌ ليس فيه غموضٌ.

ولكن المعتزلة الذين يرون أنَّ الله لا يزيغ القلوب، وإنَّما يزيغها أصحابها، رأوا هذا الدُّعاء غامضًا يحتاج إلىٰ تأويلٍ.

فقال أبو عليٍّ الجبّائي: المراد بالآية: ربنا لا تزغ قلوبنا عن ثوابك ورحمتك، ومعنىٰ هذا السُّؤال: أنهم سألوا الله تعالىٰ أن يلطف بهم في فعل الإيمان، حتىٰ يقيموا عليه، ولا يتركوه في مستقبل عمرهم فيستحقوا بترك الإيمان أن تزيغ

قلوبهم عن الثَّواب، وأن يفعل بهم بدلًا منه العقاب.

فإن قال قائلٌ: فما هذا الثَّواب الذي هو في قلوب المؤمنين، حتى زعمتم أنَّهم سألوا الله تعالى ألَّا يزيغ قلوبهم عنه؟

وأجاب بأنَّ من الثَّواب الذي في قلوب المؤمنين، ما ذكره الله تعالى من الشَّرح والسَّعة، بقوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]. وقوله تعالى لرسوله عليه وآله السَّلام: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١] وضد هذا الشَّرح هو الضيق والحرج اللذان يفعلان بالكفَّار عقوبة.

قال: ومن ذلك أيضًا التطهير الذي يفعله في قلوب المؤمنين، وهو الذي منعه الكافرين، فقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ [المائدة: ٤١] ومن ذلك أيضًا كتابته الإيمان في قلوب المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢] وضد هذه الكتابة هي سمات الكفر التي في قلوب الكافرين، فكأنَّهم سألوا الله تعالى ألَّا يزيغ قلوبهم عن هذا الثَّواب إلى ضده من العقاب.

قلت: هذا من بِدَع التفاسير، وفيه تكلُّفٌ في التقدير وعدولٌ عن ظاهر اللَّفظ إلى ما لا دليل عليه من السِّياق. ويظهر أنَّ أبا عليٍّ افترض الرَّاسخين في العلم معتزلة يدعون الله على قواعد مذهبهم! وإلَّا فما هذا التأويل المتكلَّف؟ وهل غاب عنه أنَّ الدَّاعي لا يراعي تلك التقديرات التي تحتاج مراعاتها إلى معرفة قواعد علم الكلام وغيره؟! وقد صحَّ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم دعاء يؤيد دعاء الرَّاسخين فيما يفيده ظاهر الكلام من غير تعسُّفٍ ولا

التواء، فكان يقول عليه الصَّلاة والسَّلام: «**يا مقلِّبَ القلُوب ثبِّتْ قلبي على دينك**» وسألته أمُّ سلمة -رضي الله عنها- عن هذا الدُّعاء الذي كان يكثر منه، فقال لها: «**إنَّ قلوبَ بني آدمَ كلَّها، بين أصبعين مِن أصابع الرَّحمن كقلبٍ واحدٍ، فإن شاء أقامَه وإن شاء أزاغَه**».

وقال المرتضىٰ: «المراد بالآية: ربنا لا تشدِّد علينا المحنة في التكليف، ولا تشق علينا فيه، فيفضي بنا ذلك إلىٰ زيغ القلوب منا بعد الهداية، وليس يمتنع أن يضيفوا ما يقع من زيغ قلوبهم عند تشديده تعالىٰ عليهم المحنة إليه، كما قال عزَّ وجلَّ: إنَّها -يعني الآية- ﴿رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٥] وكما قال مخبرًا عن نوحٍ عليه السَّلام: ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا﴾ [نوح: ٦].

فإن قيل: كيف يشدِّد عليهم في المحنة؟ قلنا: بأن يُقوي شهواتهم لما قبَّحه في عقولهم، ونفورهم عن الواجب عليهم، فيكون التكليف عليهم بذلك شاقًّا، والثَّواب المستحق عليه عظيمًا متضاعفًا، وإنَّما يحسن أن يجعله شاقًّا، تعريضًا لهذه المنزلة.

قال: ويجوز أن يكون ذلك دعاء بالتثبيت لهم علىٰ الهداية، وإمدادهم بالألطاف التي معها يستمرُّون علىٰ الإيمان.

فإن قيل: وكيف يكون مزيغًا لقلوبهم بألَّا يفعل اللُّطف؟ قلنا: من حيث كان المعلوم أنه متىٰ قطع إمدادهم بألطافه وتوفيقاته، زاغوا وانصرفوا عن الإيمان، ويجري هذا مجرىٰ قولهم: «اللهمَّ لا تسلِّط علينا من لا يرحمنا». معناه: لا تخل بيننا وبين من لا يرحمنا، فيتسلَّط علينا، ومنه قول الشَّاعر:

أَتَـــاني ورَحْـــلِي بالمدينـــةِ وَقْعَـــةٌ ... لآلِ تَمِـــيمٍ أَقْعَـــدتْ كـــلَّ قَـــائمِ

أراد: قعد لها كل قائم. فكأنَّهم قالوا: لا تخل بيننا وبين نفوسنا، وتمنعنا ألطافك، فنزيغ ونضل».اهـ

وقال الزمخشريُّ: «﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ وأرشدتنا لدينك. أو: لا تمنعنا ألطافك بعد إذ لطفت بنا».اهـ

قلت: ليس ببعيدٍ أن يكون هذان التأويلان ملخَّصين ممَّا سبق، والمرتضىٰ- وإن كان إماميًّا- فالإماميَّة يوافقون المعتزلة في مسائل؛ منها هذه، ومسألة العَدْل، وامتناع رؤية الله تعالىٰ.

وهذان التأويلان من بِدَع التفاسير رغم إطالة المرتضىٰ في توضيحهما ودعمهما بالاستشهاد والتنظير، وبيان ذلك من وجوهٍ.

الأول: أنَّ الدُّعاء ممَّا لا يدخله مجاز ولا كناية؛ لأنه توجُّهٌ إلىٰ الله تعالىٰ، ورغبة إليه، والمتوجِّه الرَّاغب أشغل من أن يلاحظ العلاقة المصحِّحة للمجاز، والقرينة المانعة من الحقيقة، أو يطلق اللَّفظ ويريد لازم معناه، أو ينوي مضافًا محذوفًا، إلىٰ غير ذلك ممَّا يحسن استعماله في مقامات أخرىٰ كالخطب مثلًا، وانظر إلىٰ الدَّعوات الواردة في القرآن في (سورة البقرة) و(آل عمران) و(غافر) و(نوح) وغيرها، تجدها خالية من المجاز، وهذا مما يغفل عنه المفسِّرون فيقعون في خطأ كبيرٍ كما حصل هنا.

الثاني: أنَّ الدُّعاء يحسن فيه الإطناب، تلذُّذًا بخطاب الله تعالىٰ ومناجاته، وبسطًا لمطالب العبد بين يدي خالقه، وعلىٰ هذا لو صحَّ ما قدَّره المعتزلة في الآية، لكان الواجب أن يصرِّح به فيها بأن يقال: ربنا لا تشدِّد علينا المحنة في

التكليف، ولا تبلنا ببلايا تزيغ بها قلوبنا، ولا تقطع إمدادنا بتوفيقاتك، ولا تمنعنا ألطافك حتىٰ نستمر علىٰ الإيمان بك.

لأنَّ المقام كما قلنا مقام إطناب، وهكذا دعوات القرآن، فيها إطناب وفيها تكرار لكلمة ﴿رَبَّنَا﴾ وهو نوعٌ من الإطناب.

الثالث: إذا كان الباعث لهم علىٰ تأويل الإزاغة بما ذكروه، أنَّ الإزاغة قبيحةٌ والله لا يفعل القبيح، فقد وقعوا فيما هربوا منه حيث أوَّلوا: ﴿لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾، بمعنىٰ: لا تمنعنا ألطافك فتزيغ قلوبنا، ومنع الألطاف قبيحٌ أيضًا؛ لأنه بُخْلٌ، والله مُنزَّهٌ عنه؛ ولأنه يؤدِّي إلىٰ الإزاغة حتمًا، وما أدَّىٰ إلىٰ القبيح قبيحٌ؛ ولأنَّه لا يؤدِّي إلىٰ استحقاق ثواب وتضعيفه، فلم تكن فيه جهة حسن أصلًا، وكذلك التخلية بينهم وبين نفوسهم قبيحة أيضًا؛ لأنَّ نتيجتها المحتمة الإزاغة والضلال، فحالهم في تأويلاتهم التي وقعوا بها فيما فرُّوا منه أشبه بالقائل:

كأنَّنا والمَاءُ مِنْ حَوْلِنا ... قومٌ جُلُوسٌ حَوْلهم ماءُ

٢- قوله تعالىٰ: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ [آل عمران: ٤٧] لَمَّا بشَّرت الملائكة مريم بعيسىٰ عليهما السَّلام قالت مُتعجِّبةً، تخاطب الله تعالىٰ: ﴿رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾.

ومن بِدَع التفاسير كما يقول الزمخشريُّ: أنَّ قولها: ربِّ. نداءٌ لجبريل عليه السَّلام بمعنىٰ يا سيِّدي.

قلت: هذا نداءٌ لله تعالىٰ حصل منها علىٰ سبيل التعجُّب والدَّهشة، حين سمعت ما لم يخطر لها علىٰ بال، أمَّا مخاطبتها لجبريل فهي مذكورةٌ في (سورة مريم).

٣- قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾ [آل عمران: ١٦١] ذكر فيه الزمخشريُّ وتبعه البيضاويُّ وجهين:

أحدهما: أنَّه تبرئة لرسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من الغُلُول، وتنزيه له وتنبيه علىٰ عصمته، بأنَّ النبوة والغُلُول متنافيان. وهذا الوجه هو الصحيح، وهو الموافق لسبب النزول.

فقد صحَّ أنَّ قطيفة حمراء فُقدت يوم بدرٍ من المغنم. فقال بعض المنافقين: لعلَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أخذها، فنزلت الآية.

وتؤيِّده أيضًا قراءة ورش ﴿يُغل﴾ بالبناء للمجهول، وهي أبلغ في التبرئة والتنزيه؛ لأن معناها: وما كان لنبيٍّ أن يُنسب إلىٰ الغُلُول، فهو نهيٌ عن نسبته للغُلُول، في صورة نفي وهو أقوىٰ كما لا يخفىٰ.

والثاني: أن يكون مبالغةً في النَّهي لرسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، علىٰ ما روي أنَّه بعث طلائع فغنمت غنائم فقسَّمها ولم يقسم للطلائع، فنزلت. يعني: وما كان لنبيٍّ أن يعطي قومًا ويمنع آخرين، بل عليه أن يقسم بالسَّويَّة، وسمَّىٰ حرمان بعض الغُزَاة غُلُولًا، تغليظًا وتقبيحًا لصورة الأمر.

قلت: هذا من بِدَع التفاسير، ورواية بعث طلائع وعدم قسمته لها لا تصح[1]، وحمل الغُلُول علىٰ الحرمان بعيدٌ من مَدْلول اللَّفظ، وتأييده بالتغليظ والتقبيح إساءة في حقِّ الجناب النَّبويِّ الكريم، مع مخالفتها لأسلوب القرآن؛ إذ ليس فيه آية تشتمل علىٰ تغليظٍ في مخاطبته أوتقبيحٍ لشيءٍ فعله، بل فيه من

---

(١) رواها ابن أبي شيبة عن الضَّحَّاك مرسلًا، فهي مرسلة ضعيفة.

دلائل تكريمه في الخطاب ما يطول تتبُّعه. وانظر كتابنا "دلالة القرآن المبين على أنَّ النبيَّ أفضل العالمين".

(تنبيه): صحَّ أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم آثر في قسمة الفيء في بعض المغازي، لكنَّه إيثارٌ لمصلحة الدَّعوة، ولتأليف ضعفاء الإسلام؛ لذا لم يعنِّفه الله عليه ولا لامه، ففي غزوة حُنين حين أعطى الأقرع بن حابس مائةً من الإبل، وأعطى عُيَيْنَة بن حِصْنٍ مثله، وأعطى ناسًا من أشراف العرب وآثرهم.

فقال رجلٌ: والله إنَّ هذه قسمةٌ ما عُدِل فيها، وما أريد فيها وجْهُ الله. فأخبره ابن مسعودٍ رضي الله عنه، فتغيَّر وجهه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حتى كان كالصِرف -بكسر الصاد: صبغٌ أحمر- ثمَّ قال: «**يَرحمُ الله موسى قد أُوذي بأكثر من هذا فصَبَر**» والحديث في "الصحيحين".

وأخشى أن يكون الزمخشريُّ قد آذاه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بتفسيره المذكور.

ومن ﴿سورة النساء﴾

١- قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ﴾ [النساء: ٣٤].

أمر الله تعالى في النَّاشِزات بوعظهنَّ، ثمَّ بهجرهنَّ في المضاجع، ثمَّ بضربهنَّ ضربًا غير مُبرح، إن لم ينفع فيهنَّ وعظٌ ولا هجرٌ.

وقيل في معنى ﴿وَٱهۡجُرُوهُنَّ﴾: أكرهوهُنَّ على الجِماع، واربطوهنَّ

بالهِجار من هجر البعير إذا ربطه بالهِجار[١].

قال الزمخشريُّ: «وهذا من تفسير الثُّقلاء»، وصدق فيما قال، فإنَّها إذا كانت ناشزة عاصية لزوجها، فكيف يليق به أن يكرهها على الجِماع ويربطها لأجله، إلَّا إذا كان سمجًا ثقيلًا؟! وهو أيضًا من بِدَع التفاسير؛ لأنَّه عُدُولٌ عن اللغة المشهورة والمناسبة للسِّياق إلى لغةٍ غير مشهورةٍ ولا مناسبةٍ.

٢- قوله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ﴾ أي: اليهود ﴿حَسَنَةٌ﴾ نعمة كخصب وسَعَة ﴿يَقُولُوا هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ محنةٌ كجدبٍ وضيقٍ ﴿يَقُولُوا هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ﴾ يا محمَّد، أي: بشؤمك ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿كُلٌّ﴾ من الحسنة والسَّيئة ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ من قِبَلِه ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ﴾ لا يقاربون أن يفهموا ﴿حَدِيثًا﴾ يُلقى لنبيِّهم، والقصد بالاستفهام التعجُّب من فرط جهلهم.

﴿مَّآ أَصَابَكَ﴾ الخطاب للنبيِّ، والمراد أفراد أمَّته ﴿مِنْ حَسَنَةٍ﴾ من نعمةٍ ﴿فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ أتتك فضلًا منه ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ﴾ بَليَّة ﴿فَمِن نَّفْسِكَ﴾ أتتك حيث ارتكبت ما يستوجبها من الذُّنوب ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ﴾ يا محمَّد ﴿لِلنَّاسِ رَسُولًا

---

(١) الهجار -بكسر الهاء- حبلٌ يُشدُّ به البعير، والعجيب أنَّ ابن جريرٍ الطبري اختار هذا التأويل مع بُعْده وشُذُوذه!!

ولذا قال أبوبكر ابن العربي المعافري: «يا لها من هفوة عالمٍ بالكتاب والسُّنَّة!».

لكنَّ الحامل له على اختيار هذا التأويل حديثٌ غريبٌ رواه ابن وهبٍ، عن مالكٍ، عن أسماء بنت أبي بكر زوجة الزُّبير بن العوَّام. وانظر كتاب "أحكام القرآن" لابن العربي و"تفسير القرطبي".

وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٧٨-٧٩] على رسالتك.

وقال أبو علي الجبّائي: قد ثبت أنَّ لفظ السَّيئة تارةً يقع على البَلِيَّة والمحنة، وتارةً يقع على الذُّنوب والمعصية، ثُمَّ إنَّه تعالى أضاف إلى نفسه أوَّلًا، وإلى العبد ثانيًا، ولا بدَّ من التوفيق بينهما ليزول التناقض بين هاتين الآيتين المتجاورتين، وقد حمل المخالفون أنفسهم على تغيير الآية، وقرؤا: أفمن نفسك؟ فغيَّروا القرآن! وسلكوا مثل طريقة الرَّافضة في ادعاء المعنيين في القرآن. فإن قيل: لِـمَ أضاف تعالى الحسنة التي هي الطَّاعة إلى نفسه دون السَّيئة وكلاهما فعل العبد عندكم؟

قلنا: الحسنة -وإن كانت فعل العبد- فإنَّما وصل إليها بتسهيله وألطافه، فصحَّت الإضافة إليه، وأمَّا السَّيئة فهي غير مضافةٍ إليه تعالى بأنه فعلها ولا أرادها ولا أمر بها ولا رغَّب فيها، فلا جرم انقطعت هذه النِّسبة إلى الله تعالى من جميع الوجوه.

قلت: هذا من بِدَع التفاسير، وقد توسَّع في ردِّه ابن حجرٍ الهيتميُّ في كتاب "الزواجر"، بعد أن سمَّاه: إمام المعتزلة في الضَّلالة، ووصفه بقصور الفهم، وفساد التصوُّر، وقِلَّة العِلْم.

ونحن نلخِّص ردَّه، قال: «ليس المراد بالسيِّئة والحسنة أولًا وثانيًا طاعة ولا معصية، بل النِّعم والمِحَن، وهما ليستا من فعلهم. ودليل ذلك: التعبير بأصابك إذ لا يقال في الطاعة والمعصية: أصابني، بل أصبته. بخلاف النِّعم والمحن، فإنَّها التي يقال فيها: أصابتني. والسِّياق صريحٌ في ذلك، إذ سبب نزول الآية: أنَّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لما قدم المدينة قال المنافقون واليهود: ما زلنا نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا منذ قدم الرجل وأصحابه، فكانوا

ينسبون النِّعم إلى الله، والمِحَن إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فأنزل الله ذلك مخبرًا بمقالتهم الفاسدة، ثم ردَّها بقوله: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[النساء: ٧٨] مبينًا لمصدرها الأصلي ثمَّ السبب فخاطبه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، والمراد غيره بقوله تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ﴾ [النساء: ٧٩] أي: نعمة، كخصبٍ ونصرٍ فمن الله، أي: من محض فضله، إذ لا يستحق أحدٌ عليه تعالى شيئًا، وما أصابك من سيِّئةٍ أي: محنة كجدبٍ وهزيمةٍ، فمن نفسك أي: من أجل عصيانها، فهي من الله لكن بسبب ذنب النفس عقوبة لها، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠].

وقال إبراهيم عليه السَّلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠] فأضاف المرض لنفسه، والشفاء إلى الله تعالى رعايةً للأدب؛ لأنَّه تعالى إنَّما يضاف إليه على الخصوص الشَّريف دون الخَسيس، فيقال: يا خالق الخَلْق، ولا يقال يا خالق القِرَدة والخنازير، ويقال: يا مدبِّر السَّموات و الأرض، ولا يقال: يا مدبِّر القَمْل والخنافس، فكذا هنا.

وأمَّا ما شنَّع به على من قرأ: أفمن نفسك؟ بالاستفهام، فهو من جملة افترائه كشيعته، إذ أهل السُّنَّة لم يعوِّلوا على هذه القراءة، ولا جعلوها حُجَّةً، وإنَّما الحقُّ في ذلك: أنَّه إن صحَّ أنَّه قرأ بها أحدٌ من الصحابة والتابعين وجب قبولها، وتكون حينئذٍ دليلًا عليهم؛ لأنَّ القراءة الشَّاذَّة إذا صحَّ سندها كالخبر الصَّحيح في الحُجِّيَّة على الأصحِّ، وإن لم يصح ذلك لم يلتفت إليها، وليست الحُجيَّة مفتقرة إليها».اهـ ملخَّصًا.

ومن أراد الوقوف عليه بتمامه فليقرأه في مبحث التكذيب بالقَدَر من "الزواجر". والاستفهام المشار إليه في القراءة الشَّاذَّة، وجه كونه دليلًا على المعتزلة أنَّه استفهامٌ انكاري قطعًا، ينكر على من يجعل الحسنة من الله والسيِّئة من العبد، والمقصود أنَّ الجُبّائيَّ أخطأ في الكلام على هذه الآية خطأ فاحشًا لا يقع من صغار المبتدئين، بسبب حرصه الشديد على نصرة مذهبه.

٣- قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] معنى الآية: أنَّ الله تعالى أسمع موسى كلامه، وأكَّد بالمصدر لينفي عنه احتمال المجاز، ولذا سُمِّي موسى كليم الله.

ومن بِدَع التفاسير كما قال الزمخشريُّ: أنَّ كلَّم من الكلْم، بسكون اللَّام، وأنَّ المعنى: وجرح موسى بأظفار المحن، ومخالب الفتن.

قلت: هذا تفسيرٌ خاطئٌ؛ لأنَّ صاحبه تعمَّد تحريف معنى الآية، حتى لا يضطر إلى الاعتراف بنسبة الكلام إلى الله تعالى.

ومن ﴿سورة المائدة﴾

قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٢٩] استشكل المعتزلة هذه الآية، فقالوا: كيف يجوز أن يخبر الله عن هابيل -وقد وصفه بالتقوى- أنَّه يريد أن يبوء أخوه بالإثم وهو قبيحٌ؟ وإرادة القبيح قبيحةٌ؟

وأجاب المرتضى -وهو من الإمامية الذين يوافقون المعتزلة في هذه

المسألة- بأنَّ في الكلام مضافًا محذوفًا، وأنَّ المعنىٰ: إني أريد أن تبوء بعقوبة إثمي وعقوبة إثمك، والدليل علىٰ هذا المضاف المحذوف، قوله: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قال: وليس بقبيحٍ أن يريد نزول العقاب المستحَق بمستحقِّه.

قلت: والأشعريَّة يقولون: كان لابدَّ لهابيل من أحد أمرين: إمَّا أن يدافع عن نفسه فيأثم بقتل أخيه، وإمَّا أن يستسلم فيأثم أخوه بقتله، ولم يُرِد الأوَّل فاضطر إلىٰ الثاني، فلم يُرِد إثم أخيه إلَّا من حيث اختياره الاستسلام علىٰ المقاومة. وهذا كما يتمنَّىٰ المسلم الشَّهادة، ومعناها: أن يبوء الكافر بإثم قَتْله، مضمومًا إلىٰ إثم كُفْره. فالمسلم لم يقصد هذا المعنىٰ الذي هو لازم لتمنيه الاستشهاد في سبيل الله.

وظهر لي وجهٌ آخر، وهو: أن يكون غرض هابيل وَعْظ أخيه وتذكيره بمصيره عند الله إن قتله، حتىٰ يرتدع وينزجر، فلم يُرِد بكلامه إلَّا تهديد أخيه وزجره.

ومن بِدَع التفاسير ما حكاه المرتضىٰ بقوله: «وقد ذكر قومٌ في الآية وجهًا آخر، وهو أن يكون المراد: إنِّي أريد زوال أن تبوء بإثمي وإثمك؛ لأنه لم يُرِد له إلَّا الخير والرُّشد. فحذف زوال، وأقام ﴿أَن﴾ وما اتصل بها مقامه.

كما قال: ﴿وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة: ٩٣]. أي: حبَّ العِجْل، حَذَفَ حب، وأقام ﴿ٱلْعِجْلَ﴾ مقامه، وكما قال تعالىٰ: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] أي: أهلها».

قال: «وهذا قول بعيدٌ؛ لأنه لا دلالة في الكلام علىٰ محذوفٍ، وإنَّما

تستحسن العرب الحذف في بعض المواضع، لاقتضاء الكلام المحذوف، ودلالته عليه».اهـ

أي: كالآيتين المذكورتين، فإنَّ الحذف فيهما اقتضاه الكلام ودلَّ عليه؛ لأنَّ العِجْل لا يشرب في القلوب ولكن حبه يشرب فيها. ولا تُسأل القرية ولكن يُسأل أهلها. ومِمَّا يبعد ذلك التأويل أيضًا، قوله تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

(تنبيه): قوله: ﴿بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ﴾ معناه: بإثم قتلي، وإثمك الذي لم يقبل قربانك لأجله، فإضافة إثم الأوَّل إلى مفعوله، وهي سائغةٌ شائعةٌ في اللغة العربية، وإضافة الثاني إلى فاعله.

ومن ﴿سورة الأنعام﴾

١- قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ نَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَيۡنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡۚ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ [الأنعام: ٢٢ - ٢٤].

معنى الآية: أنَّ المشركين حين يجمعهم الله يوم القيامة، ويسألهم عن شركائهم الذين كانوا يزعمونهم آلهة في الدُّنيا، يتنصَّلون منهم، ويحلفون أنَّهم ما كانوا مشركين، هذا وهُمْ يعلمون أنهم كاذبون في حَلِفهم وتنصُّلِهم، لكنَّهم كالغريق يتمسك بما يتوَّهم أنَّه يُنجيه، وإن كان لا ينفعه.

قال الزمخشريُّ: «وقول من قال: معناه ما كنَّا مشركين عند أنفسنا، وما علمنا أنَّا على خطأ في معتقدنا، وحمل قوله: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡۚ﴾ يعني: في الدنيا، تمحُّلٌ وتعسُّفٌ وتحريفٌ لأفصح الكلام إلى ما هو عيٌّ،

وإقحامٌ؛ لأنَّ المعنىٰ الذي ذهبوا إليه ليس هذا الكلام بمترجم عنه، ولا منطبق عليه، وهو نابٍ عنه أشدَّ النَّبْو، وما أدري ما يصنع من ذلك تفسيره بقوله تعالىٰ: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾؟ [المجادلة: ١٨] بعد قوله: ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [المجادلة: ١٤] فشبَّه كذبهم في الآخرة، بكذبهم في الدنيا».اهـ

قلت: هذا تأويلٌ حكاه المرتضىٰ في "أماليه" وأيَّده، ولا شكَّ أنه من بِدَع التفاسير، والذي دعاه إلىٰ تكلُّف هذا التأويل، وتأويل آخر ننقله عنه، استشكاله الآية وإيراده سؤالًا جاء فيه: كيف يقع من أهل الآخرة نفي الشِّرك عن أنفسهم؟ والقسم بالله تعالىٰ عليه وهم كاذبون في ذلك؟ مع أنَّهم عندكم في تلك الحال لا يقع منهم شيءٌ من القبيح لمعرفتهم بالله تعالىٰ ضرورة؛ ولأنَّهم ملجأون هناك إلىٰ ترك جميع القبائح. وأجاب بأنَّه ليس في ظاهر الآية ما يقتضي أنَّ قولهم: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ إنَّما وقع في الآخرة دون الدُّنيا، وإذا لم يكن ذلك في الظَّاهر، جاز أن يكون الإخبار يتناول حال الدنيا، وسقطت المسألة.

قلت: هذا بعيدٌ مصادمٌ للآية، وقد فطن لذلك، فقال: وليس لأحدٍ أن يتعلَّق في وقوع ذلك في الآخرة بقوله تعالىٰ قبل الآية: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ وأنَّه عقَّب بقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ ﴾ فيجب أن يكون الجميع مختصًّا بالآخرة؛ لأنَّه لا يمنع أن تكون الآية تتناول ما يجري في الآخرة، ثُمَّ تتلوها آيةٌ تتناول ما يجري في الدُّنيا؛ لأنَّ مطابقة كل آيةٍ لما قبلها في مثل هذا غير واجبةٍ.

وقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾ لا يدل أيضًا علىٰ أنَّ ذلك يكون واقعًا بعد ما خبَّر تعالىٰ عنه في الآية الأولىٰ، فكأنه تعالىٰ قال علىٰ هذا الوجه: إنَّا نحشرهم في الآخرة، ونقول: أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون؟ وما كان سبب فتنتهم وضلالهم في الدنيا إلَّا قولهم: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾.

قلت: هذا أبعد من التأويل الذي ردَّه الزمخشريُّ، وأولىٰ منه ببِدَع التفاسير.

والمرتضىٰ غافلٌ عن آية المجادلة التي تصرِّح بأنَّ الكفَّار يحلفون لله تعالىٰ يوم القيامة وهم كاذبون، وثبت في قوله تعالىٰ: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥] أنَّهم يجحدون ويخاصمون، فتشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائرهم، فيحلفون ما كنَّا مشركين، فحينئذٍ يُختم علىٰ أفواههم وتتكلَّم أيديهم وأرجلهم[1]، فمذهبه في أنَّ الكفَّار يوم القيامة لا يكذبون غير صحيحٍ، يردُّه القرآن والحديث الصَّحيح.

٢- قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ﴾ بأن شغلك بوسْوَسَتِه حتىٰ تنسىٰ النَّهي عن مجالستهم ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ﴾ بعد أن تذكر النَّهي ﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

ومن بِدَع التفاسير قول الزمخشريِّ: ويجوز أن يراد: وإن كان الشيطان

---

(١) وقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾ [فصلت: ٢١] يقتضي أنَّهم كانوا مصرِّين علىٰ الكذب، وأنَّهم استنكروا علىٰ جلودهم شهادتها عليهم بالصِّدق.

يُنسينَّك قبل النَّهي قبح مجالسة المستهزئين؛ لأنها مما تُنكره العقول فلا تقعد بعد الذِّكْرَىٰ، بعد أن ذكَّرناك قبحها ونبَّهناك عليه معهم.

قلت: هذا تعسُّفٌ كبيرٌ، وقَسْرٌ لألفاظ الآية علىٰ أن تفيد مذهبه الاعتزالي في التحسين والتقبيح العقليين.

ومن ﴿سورة الأعراف﴾

١- قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦] أي: فبسبب إغوائك إيَّاي، لأقعدَّن لهم.

ومن بِدَع التفاسير: قول من جعل «ما» استفهاميَّة، أي: فبأي شيءٍ أغويتني؟ ثمَّ ابتدأ: ﴿لَأَقْعُدَنَّ﴾. قال الزمخشريُّ: «وإثبات الألف إذا أُدخل حرف الجرِّ علىٰ ما الاستفهاميَّة قليلٌ شاذٌّ».اهـ أي: لا يصح تخريج القرآن عليه. ثمَّ الاستفهام لا معنىٰ له هنا.

٢- قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ﴾ إبليس لآدم وحواء عليهما السَّلام ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ﴾ كراهة ﴿أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠].

استدلَّ المعتزلة وبعض الأشعريَّة بهذه الآية علىٰ أنَّ الملائكة أفضل من الأنبياء، وأجاب عنها ابن المنير في "الانتصاف"، والبيضاوي في "تفسيره"(١)

---

(١) عقيدتي في هذا: أنَّ الملائكة أفضل من الأنبياء، إلَّا نبينا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وإبراهيم وموسىٰ عليهما السَّلام؛ فهم أفضل، وبيان ذلك ينظر في كتابي "دلالة القرآن المبين علىٰ أنَّ النبيَّ أفضل العالمين"، وهومطبوعٌ.

وغيرهما. لكن المرتضىٰ أجاب عنها بجوابٍ يعتبر من بِدَع التفاسير.

ذلك أنَّه قال: لم زعمتم أنَّ قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ معناه: أن تصيرا وتنقلبا إلىٰ صفة الملائكة؟ فإنَّ هذه اللفظة ليست صريحة لما ذكرتم، بل أحسن الأحوال أن تكون محتملة. وما أنكرتم أن يكون المعنىٰ: أنَّ المنهيَّ عن تناول الشجرة غيركما، وأنَّ النهي يختص الملائكة والخالدين دونكما؟ ويجري ذلك مجرىٰ قول أحدنا لغيره: ما نهيت عن كذا إلَّا أن تكون فلانًا، وإنَّما يعني: أنَّ المنهيَّ هو فلان دونك، ولم يرد إلَّا أن تنقلب فتصير فلانًا، ولما كان غرض إبليس إيقاع الشُّبهة لهما، فمن أوكد الشُّبه إيهامًا أنَّهما لم ينهيا، وإنَّما المنهيُّ غيرهما.

قلت: هذا تأويلٌ بعيدٌ، تردُّه آية (طه): ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٍ لَّا يَبۡلَىٰ﴾؟ [طه: ١٢٠]، وتوجيه النَّهي لهما صريحٌ في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[البقرة: ٣٥]، ولا يناسب هذا التأويل في بعده إلَّا قول من زعم أنَّ آدم عليه السَّلام تناول من الشَّجرة وهو سكران!!.

٣- قوله تعالىٰ: ﴿قَدِ ٱفۡتَرَيۡنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنۡ عُدۡنَا فِي مِلَّتِكُم بَعۡدَ إِذۡ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنۡهَاۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ﴾ [الأعراف: ٨٩] لا إشكال في هذه الآية علىٰ مذهب أهل السُّنَّة؛ لأنَّهم يعتقدون أنَّ الكفر والمعاصي واقعة بمشيئة الله تعالىٰ، ويرون أنَّ المشيئة والإرادة غير المحبَّة والرِّضا، فالله يريد الكفر لكن لا يحبُّه ولا يرضاه، وكذلك الأمر عندهم يباين المشيئة.

أمَّا المعتزلة الذين يرون أنَّ الله لا يريد الكفر والمعاصي؛ لأنَّها قبيحةٌ،

ويقولون بتلازم المشيئة والمحبَّة والأمر. فالآية على رأيهم مشكلة وقد أجابوا عنها بتأويلاتٍ، ذكرها المرتضى في "أماليه"، وهو من الإماميَّة وهم يوافقون المعتزلة في هذه المسألة.

وأنا أذكر منها ما هو داخلٌ في بِدَع التفاسير، مع بيان وجه دخوله:

قال المرتضى: «في هذه الآية وجوهٌ:

الأول: أن تكون الملَّة التي عناها الله إنَّما هي العبادات الشَّرعيَّات التي كان قوم شعيبٍ متمسِّكين بها، وهي منسوخةٌ عنهم، ولم يعنِ ما يرجع إلى الاعتقادات في الله وصفاته، مما لا يجوز أن تختلف العبادة فيه فكأنه قال: إن ملَّتكم لا نعود فيها، مع علمنا بأنَّ الله تعالى قد نسخها وأزال حكمها، إلَّا أن يشاء الله أن يتعبَّدنا بمثلها فنعود إليها.

قلت: هذا باطلٌ لوجوهٍ:

أحدها: أنَّ شعيبًا -عليه السَّلام- دعا قومه إلى توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة، وإلى إيفاء الكيل والميزان بالعدل، ولا شكَّ أنَّ التوحيد والعدل لا يدخلهما نسخٌ؛ لأنَّهما مما لا يجوز فيه الاختلاف لقبح نقيضهما قبحًا ذاتيًّا.

ثانيها: أنَّه لم يأتِ في القرآن، ولا ثبت في التاريخ أنَّ قوم شعيبٍ كانوا متمسِّكين بشريعةٍ جاءهم شعيبٌ بنسخها: فكيف يحمل الآية على معنى لا يستطيع لإثباته دليلًا؟

ثالثها: أنَّ ما قدَّره في الآية لم يثبت في نفسه كما سبق في الوجه قبله، ولم يقم على تقديره فيها دليلٌ، ومن ثَمَّ كان من بِدَع التفاسير.

قال: **وثانيها**: أنَّه أراد أنَّ ذلك لا يكون أبدًا من حيث علَّقه بمشيئة الله

تعالىٰ، لما كان معلومًا أنَّه لا يشاؤه. وكلُّ أمرٍ عُلِّق بما لا يكون فقد نُفي كونه علىٰ أبعد الوجوه. وتجري الآية مجرىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠].

قلت: هذا الوجه شبيه بما يسمىٰ بالمصادرة، فقد جعل مذهبه في عدم تعلُّق المشيئة بالكُفر قرينة في الآية علىٰ استحالة عودة شعيبٍ إلىٰ مِلَّة قومه، وما يؤمنه أن يجعل مخالفوه تعليق العودة علىٰ المشيئة دليلًا علىٰ إمكانها؛ لأنَّ المشيئة لا تتعلَّق بالمستحيل، بدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٨] والآية التي نظَّر بها تشير إلىٰ غلطه من حيث لا يشعر، ذلك أنَّ استحالة ولوج الجمل في سمِّ الخياط مما وقع عليه اتفاق العقلاء، بخلاف تعلُّق المشيئة بالكفر، فقد قال بوقوعه معظم فرق المسلمين. فهذا الوجه باطلٌ أيضًا.

قال: ورابعها: ما ذكره قُطْرب بن المستنير، من أنَّ في الكلام تقديمًا وتأخيرًا، وأنَّ الاستثناء من الكفَّار وقع لا من شعيب، فكأنَّه تعالىٰ قال حاكيًا عن الكفَّار: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾ [الأعراف: ٨٨] ثمَّ قال تعالىٰ حاكيًا عن شعيب: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ﴾ [الأعراف: ٨٩] علىٰ كلِّ حال.

قلت: يكفي دليلًا علىٰ بطلانه ما فيه من تفكيك نظم الآية، وإخراجها من حدِّ الفصاحة والإعجاز، إلىٰ الرَّكاكة والألغاز، فهي علىٰ تقديره أشبه بقول الفرزدق:

وما مِثْلُهُ في النَّاسِ إلَّا مُمَلَّكًا ... أبو أُمِّهِ حَيٌّ أبوهُ يُقَارِبُه

أصل البيت: وما مثله في النَّاس حيٌّ يُقاربه إلَّا مملَّكًا -بفتح اللام المشدَّدة- أبو أمِّه -أي: المِلك- أبوه أي: أبو الممدوح، وهو مدحٌ لخال أحد ملوك بني أمية. فالبيت في غاية الركة بما حصل فيه من تقديم وتأخير، ولا يجوز حمل الآية على تأويل يورثها تعقيدًا وركاكة، فهذا الوجه من بِدَع التفاسير، وهو من الأدلة على ضعف قُطْرب في النَّحو، كما قيل عنه.

قال: وخامسها: أن تعود الهاء في قوله: ﴿فِيهَآ﴾ إلى القرية لا إلى الملَّة؛ لأنَّ ذكر القرية قد تقدَّم، كما تقدَّم ذكر المِلَّة.

قلت: أقرب مذكور هو الملَّة في قوله تعالى: ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا﴾ [الأعراف: ٨٩] فيتعيَّن عود الضمير إليها، لا سيَّما وهي المقصود من المراجعة بين شعيبٍ وقومه، فالعُدُول عنها إلى القرية من بِدَع التفاسير.

قال: وسادسها: أن يكون المعنى: إلَّا أن يشاء الله أن يمكِّنكم من إكراهنا فنعود إلى إظهارها مُكْرَهين، ويُقوِّي هذا الوجه قوله تعالى: ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾ [الأعراف: ٨٨].

قلت: هذا وجهٌ باطلٌ، وتقدير الإكراه بعيدٌ من سياق الآية ونظمها، يضاف إليه أنَّه ينافي الحكمة من إرسال الرسل؛ لأنَّه إن جاز أن يُمكِّن الله قوم شعيبٍ من إكراهه وإكراه من آمن به على إظهار الكفر، فلِمَ بعثه إليهم؟! وأيُّ مصلحةٍ في أن يظهر شعيب -عليه السَّلام- كفر قومه ويعلنه مكرَهًا.

ومثله في البطلان: الوجه الذي ذكره بعده، وهو أن يكون المعنى: إلَّا أن

يشاء الله أن يتعبَّدنا بإظهار مِلَّتكم مع الإكراه؛ لأنَّ كلمة الكفر قد تحسن في بعض الأحوال إذا تعبَّد الله تعالىٰ بإظهارها.

قال: وقوله: ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾ يؤيِّد هذا الوجه أيضًا.

قلت: يبطل بما تقدَّم في الوجه قبله، ويزيده بطلانًا زيادة تقدير التعبُّد بإظهار كلمة الكفر مع الإكراه، ودعوىٰ حسن إظهار كلمة الكفر إذا تعبَّد الله بإظهارها باطلةٌ، ولا يجوز أن يتعبَّد الله بإظهار كلمة الكفر لقبحها، وغاية ما في الباب أنَّه رخَّص في النطق بها عند الإكراه، كما رخَّص في أكل الميتة عند الاضطرار، أمَّا أن يتعبَّد بإظهارها ويصير بالتعبُّد حسنًا، فمما تأباه العقول.

٤- قوله تعالىٰ: ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١١٨] أي: فثبت الحقُّ وظهر، وبطل ما كانوا يعملون من السِّحر، أي: ظهر بطلانه.

ومن بِدَع التفاسير: كما قال الزمخشريُّ: فوقع الحقُّ قلوبهم، أي: أثَّر فيها من قولهم: فأس وقيع».اهـ وهو بعيدٌ من سياق الكلام.

٥- قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٢] مهما: أصلها ما الشرطية، ضُمَّت إليها ما المزيدة للتأكيد، وقُلبت الألف هاء استثقالًا لتكرير المتجانسين. وقيل: مَهْ اسم فعل للكفِّ، ضُمَّ إليه ما الشَّرطيَّة، والمعنىٰ علىٰ هذا: كف ما تأتنا به من آية لتسحرنا بها، فما نحن لك بمؤمنين، أي: أيُّ شيءٍ تأتنا به. والضمير في ﴿بِهِۦ﴾ يعود علىٰ مهما باعتبار اللَّفظ. وفي ﴿بِهَا﴾ باعتبار المعنىٰ؛ لأنَّه في معنىٰ الآية.

ومن بِدَع التفاسير: قول من جعل «مهما» بمعنىٰ: متىٰ ما.

قال الزمخشريُّ: «وهذه الكلمة في عِداد الكلمات التي يحرِّفها من لا يد له في علم العربيَّة، فيضعها غير موضعها، ويحسب «مهما» بمعنى متى ما. ويقول: مهما جئتني أعطيتك. وهذا من وضعه، وليس من كلام واضع العربيَّة في شيءٍ، ثُمَّ يذهب فيفسِّر: ﴿مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ﴾ بمعنى الوقت، فيُلحِد في آيات الله وهو لا يشعر، وهذا وأمثاله ممَّا يوجب الجُثُوَّ بين يدي النَّاظر في "كتاب سيبويه"».اهـ

وصدق فيما قال بالنسبة لأهل عصره، أمَّا بالنسبة لأهل عصرنا فقد تجرَّأ على التفسير منهم طائفةٌ، دلَّ كلامهم فيه على أنَّه يجب عليهم الجُثُوُّ بين يدي مدرِّس "الكفراوي".

٦- قوله تعالى: ﴿وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩] هم طائفةٌ من بني إسرائيل لم يُغيِّروا دينهم، ولم يُحرِّفوا كُتبَ أنبيائهم، مثل عبدالله بن سلام.

ومن بِدَع التفاسير: ما حكاه الزمخشريُّ، فقال: «وقيل: إنَّ بني إسرائيل لما قتلوا أنبيائهم وكفروا، وكانوا اثني عشر سبطًا، تبرَّأ سبطٌ منهم ممَّا صنعوا، واعتذروا وسألوا الله أن يفرِّق بينهم وبين إخوانهم، ففتح الله لهم نفقًا في الأرض، فساروا فيه سنة ونصفًا، حتى خرجوا من وراء الصِّين، وهم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قِبْلتنا، وذُكر عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: أنَّ جبريل -عليه السَّلام- ذهب به ليلة الإسراء نحوهم فكلَّمهم، فقال لهم جبريل: هل تعرفون من تُكلِّمون؟ قالوا: لا. قال: هذا محمَّدٌ النبيُّ الأميُّ،

فآمنوا به، وقالوا: يا رسول الله إنَّ موسىٰ أوصانا: مَن أدرك منكم أحمد فليقرأ عليه مني السَّلام، فردَّ محمَّدٌ علىٰ موسىٰ السَّلام، ثمَّ أقرأهم عشر سورٍ من القرآن نزلت بمكَّة، ولم تكن نزلت فريضة غير الصَّلاة والزَّكاة وأمرهم أن يقيموا مكانهم، وكانوا يُسْبِتون، فأمرهم أن يُجمِّعوا ويتركوا السبت. وعن مسروقٍ: قرئ بين يدي عبدالله -يعني هذا الحديث- فقال رجلٌ: إنِّي منهم. فقال عبدالله لمن كان في مجلسه: وهل يزيد صلحاؤكم عليهم شيئًا؟ من يهدي بالحق وبه يعدل».

قلت: هذه قصَّةٌ واضحةُ البطلان، والعجب من الزمخشريِّ كيف خفي عليه بطلانها!!

ونظيرها: ما رواه ابن مَرْدَويه عن ابن عباسٍ: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مرَّ ليلة الإسراء علىٰ يَأْجُوج ومَأْجُوج ودعاهم إلىٰ الإسلام، فأبوا. قال: «**فهم في النَّارِ مع كَفَرة الجنِّ والإنس**». وهذا حديثٌ باطلٌ، في سنده نوح ابن أبي مريم المتهم بالكذب(١).

٧- قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم﴾ يا بني آدم ﴿مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ هي نفس آدم عليه السَّلام ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ وهي حوَّاء ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ ليطمئنَّ إليها ويأنس بها ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾ فلما جامع الذَّكر منكم امرأته ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾ أي: حبلت منه، وكان الحبل في أوله خفيفًا ﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾ فقامت وقعدت وتصرَّفت به لخفته عليها ﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت﴾ كبر الولد في

---

(١) كان يقال له: نوح الجامع، قال بعض الحفَّاظ: لجمعه فنونًا من العلم إلَّا الصِّدق.

بطنها، وأثقل حركتها ﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا﴾ ولدًا أو نسلًا ﴿صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ حيث سموا أولادهم عبدالعُزَّىٰ، وعبد شمس، وعبد مناف، وعبدالمسيح ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٩ - ١٩٠]، وقد دلَّ الجمع في ﴿خَلَقَكُم﴾ وفي ﴿يُشْرِكُونَ﴾ علىٰ أنَّ التثنية في ﴿دَّعَوَا﴾، ﴿جَعَلَا﴾ مراد بها نوعا الذَّكر والأنثىٰ من بني آدم.

وقد تكلَّمتُ علىٰ هذه الآية في قصَّة آدم -عليه السَّلام- وبينت نكارة الحديث الوارد عن سمرة، في أنَّ الشَّيطان قال لحواء -وهي حامل- سمي ولدك عبدالحارث ليعيش، وكان لا يعيش لها ولد، فسمَّته بذلك الاسم فعاش.

ومن بِدَع التفاسير، قول الزمخشريِّ: «ووجه آخر، وهو أن يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وهم آل قُصي. ويراد: هو الذي خلقكم من نفس قُصي، وجعل من جنسها زوجها عربيَّة قرشيَّة، ليسكن إليها، فلما آتاهما ما طلبا من الولد الصَّالح السَّوي، جعلا له شركاء فيما آتاهما حيث سمَّيا أولادهما الأربعة بعبد مناف وعبد العزىٰ وعبد قُصي وعبد الدار، وجعل الضَّمير في يشركون لهما ولأعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشِّرك. وهذا تفسيرٌ حسنٌ لا إشكال فيه».

قلت: بل هو بعيدٌ، وتخصيصٌ للآية بدون دليل.

وما حكاه أبومسلم الأصفهاني في "تفسيره" بقوله: وقال قومٌ: معنىٰ ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾ أي: طلبا من الله أمثالًا للولد الصالح، فشركا بين الطلبتين

وتكون الهاء في قوله: ﴿لَهُۥ﴾ راجعة إلى الصَّالح لا إلى الله تعالى، ويجري مجرى قول القائل: طلبت مني ردهما، فلما أعطيتك أشركته بآخر. أي: طلبت آخر مضافًا إليه. وعلى هذا الوجه لا يمتنع أنْ يكون قوله: ﴿جَعَلَا﴾ والخطاب كلّه متوجهًا إلى آدم وحواء عليهما السَّلام.

قلت: لكنَّه وجهٌ بعيدٌ جدًّا يردُّه قوله: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾.

ومن ﴿سورة الأنفال﴾

١- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ بالطاعة ﴿إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾ [الأنفال: ٢٤] من أمر الدِّين؛ لأنَّه سبب الحياة الأبدية. وقيل: لما يُحييكم من علوم الدِّين والشَّرائع؛ لأنَّ العلم حياة، كما أنَّ الجهل موتٌ قال بعضهم:

لا تُعجِبَنَّ الجَهُولَ حُلَّتُه ... فذاك مَيِّتٌ وثَوْبُه كَفَنُ

قال المرتضى: ويمكن في الآية وجهٌ آخر وهو أن يكون المراد بالكلام: الحياة بالحكم لا بالفعل؛ لأنَّا قد علمنا أنَّه عليه السَّلام كان مكلَّفًا بجهاد المشركين المخالفين لملَّته وقتلهم، وإن كان فيما بعد كُلِّف ذلك فيمن عدا أهل الذِّمة على شرطها، فكأنه تعالى قال: استجيبوا للرسول ولا تخالفوه فإنكم إذا خالفتم كنتم في الحكم غير أحياء، من حيث تعبُّده عليه السَّلام بقتالكم وقتلكم، فإذا أطعتم كنتم في الحكم أحياء.

ويجري ذلك مجرى قوله تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ﴾ [آل عمران: ٩٧]

وإنَّما أراد تعالىٰ أنَّه يجب أن يكون آمنًا وهذا حكمه، ولم يخبر بأنَّ ذلك لا محالة واقعٌ.

قلت: في هذا الوجه بُعدٌ وتكلُّف في التقدير، ثمَّ الخطاب موجَّهٌ إلىٰ المؤمنين ولا يتصوَّر[1] أن يخالفوا جميعًا بالكفر، حتىٰ يجب قتالهم وقتلهم. فهذا الوجه جديرٌ بأن يكون من بِدَع التفاسير، وتنظيره بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ غلطٌ؛ لأنَّ هذه الجملة من جملة الآيات البيِّنات، وهي في المعنىٰ معطوفة علىٰ ﴿مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [آل عمران: ٩٧] والتقدير: فيه آياتٌ بيناتٌ مقام إبراهيم وأمن داخله من غضب الله وعذابه.

٢- قوله تعالىٰ: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤] يفصل بينهما بتصاريفه وأحكامه، وهو كناية -بطريق الإستعارة التصريحيَّة التبعيَّة- عن كونه تعالىٰ أقرب للشَّخص من قلبه، وأقرب من قلبه لذاته، فلا يستطيع طاعة ولا معصية إلَّا بإرادته.

روىٰ أبونعيم عن سفيان الثوريِّ، أنَّ شابًّا سأله بمكَّة، فقال: هل عرفت الله؟ قلت: نعم. قال: كيف عرفته؟ قلت: بأنه يولج اللَّيل في النَّهار، ويولج النَّهار في اللَّيل، ويصُّور الولد في الرَّحم. قال: ياسفيان ما عرفت الله حقَّ معرفته. قلت: كيف تعرفه أنت؟ قال: بفسخ الهَمِّ، ونقض العَزْم. هممت ففسخ همِّي،

---

(١) لأنه يستحيل شرعًا أن تجتمع الأمَّة كلها علىٰ الكفر، لحديث: «لا تجتمع أمَّتي على ضلالةٍ» وهذا من خصائص الأمَّة المحمَّديَّة، ومن هنا كان إجماع العلماء حُجَّةً، كما هو مُبيَّنٌ في كتب الأصول.

وعزمت فنقض عزمي، فعرفت أنَّ لي ربًّا يُدبِّرني.

قلت: هذه القصَّة تبيِّن بوضوح كيف يحول الله بين المرء وقلبه، بفسخ همَّه، ونقض عزمه. وانظر ما تقدَّم في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ [آل عمران: ٨].

وقيل: يحول بين المرء وقلبه بإزالة عقله، وإبطال تمييزه؛ لأنَّه يقال لمن فقد عقله: إنَّه بغير قلبٍ. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧] أي: عقل.

وهذا من بِدَع التفاسير؛ لأنَّ من فقد عقله سقط عنه التكليف، وأيُّ فائدةٍ في أن يأمر الله عباده بأن يعلموا أنه يزيل عقل المكلَّف ويذهب عنه التكليف؟! ثمَّ كيف ترتبط هذه الجملة بقوله: ﴿وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤]؟ وهل يكون المعنى واعلموا أنَّكم إليه تحشرون فاقدي العقول؟ ساقطي التمييز.

وقيل: المعنى: أنَّه تعالى يحول بين المرء وبين ما يدعوه إليه قلبه من المعاصي، بالأمر والنَّهي، والوعد والوعيد؛ لأنَّه لو لم يكلَّف الشَّخص مع ما فيه من الشَّهوات لم يكن له عن القبيح مانع، فكأنَّ التكليف حائلٌ بينه وبينه، بما فيه من زجرٍ ومنعٍ، وليس يجب في الحائل أن يكون في كلِّ موضعٍ مما يمتنع معه الفعل؛ لأنَّا نعلم أنَّ المشير منَّا على غيره -في أمرٍ كان قد همَّ به- أن يجتنبه، يصحّ أن يقال: حال بينه وبين فعله.

قلت: هذا من بِدَع التفاسير أيضًا، وبيان ذلك من وجوه:

أحدها: أنَّ النَّفس هي الدَّاعية إلى القبيح، قال يوسف عليه السَّلام: ﴿وَمَآ

أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ [يوسف: ٥٣] ولم يقل: وما أبرئ قلبي إنَّ القلب لأمَّارٌ بالسُّوء.

ثانيها: أنَّ حمل ﴿يَحُولُ﴾ على يمنع بالأمر والنَّهي والوعد والوعيد مجاز، وهو خلاف الأصل، والمعنى الحقيقي المتبادر من اللَّفظ ما تقدَّم، أنه يفصل بين المرء وقلبه بتصاريفه وأحكامه، وهذا المعنى هو المراد هنا من جهةٍ أخرى وهي: **ثالثها**: إفادة أنَّ الله تعالى يملك القلوب ويتصَّرف فيها، وأنهم إن لم يستجيبوا للرسول حال بينهم وبين قلوبهم، فلا تجد قبولًا للطَّاعة ولا تتذوَّق حلاوتها، وأنهم إليه يحشرون فيجازيهم على ما فرط منهم.

وقيل: يحول بين المرء وقلبه بالموت، فلا ينتفع بقلبه، وهذا حثٌّ على الطَّاعات والمبادرة بها قبل الفوت وانقطاع التكليف، كأنه تعالى قال: بادروا إلى الاستجابة لله وللرسول من قبل أن يأتيكم الموت، فيحول بينكم وبين الانتفاع بقلوبكم، ويتعذَّر عليكم ما تسوِّفون به نفوسكم من التوبة بقلوبكم.

قال المرتضى: ويقوي ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾.

قلت: هذا من بِدَع التفاسير أيضًا؛ لأنَّ المكلَّف إذا مات حيل بينه وبين حياته والانتفاع بجوارحه كلها، ولا خصوصيَّة للقلب في هذا، ثمَّ هو معنى مجازي والمعنى الحقيقي ما قرَّرناه وأوضحناه.

وهذه التفاسير الثلاثة للمعتزلة ومن وافقهم من الإماميَّة الذين لا يعترفون بأنَّ الله تعالى يصرف قلب المكلَّف عن الإيمان أوالطَّاعة إن شاء؛ لأنَّ ذلك قبيحٌ عندهم والله لا يفعل القبيح، لكنهم لا يقدرون أن ينكروا ما يحسه

الشَّخص أحيانًا من عزمه على الطَّاعة أوالمعصية، وتصميمه على تنفيذها، ثُمَّ عند التنفيذ ينصرف قلبه، وينفسخ عزمه وتصميمه، مع وجود الدَّاعي، وفقدان المانع، ولا تعليل لذلك إلَّا بأنه من فعل الخالق سبحانه وتعالى.

ومن ﴿سورة التوبة﴾

١- قوله تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة: ٨].

﴿إِلًّا﴾: قَرَابة. وقيل: عهدًا. وقيل: جؤارًا، وهو رفع الصَّوت عند المحالفة؛ لأنَّهم كانوا يرفعون أصواتهم عند المحالفة إعلانًا لها، وتأكيدًا لعقدها، وجمع «إل»، إِلَال كقِداح.

ومن بِدَع التفاسير: ﴿إِلًّا﴾ أي: الله تعالى. ومن لغات جبريل: جَبرئِلّ بفتح الجيم وكسر الهمزة وتشديد اللام، على أنَّ «جبر»: عبد، و«إل»: الله. وفي المختار: «الإل» بالكسر، هو الله عزَّ وجلَّ.

قلت: لعلَّه معرَّب عن اللُّغة السريانيَّة أوالعبرانيَّة، وهو في الآية منكر، فلا يصح أن يكون معناه إلهًا أو ربًّا، ثُمَّ بعد هذا فأسماء الله توقيفية، أي: لا يصح أن يسمى الله باسم إلا إذا جاء صريحًا في آية، مثل الأسماء المذكورة في خواتيم سورة الحشر، أو جاء في حديثٍ صحيحٍ، مثل: «مُقلِّب القلوب».

(تنبيه): يقع في كتب الرَّوحانيات مثل "شمس المعارف" أسماء غريبة يقول عنها أصحاب تلك الكتب: إنها أسماء الله تعالى باللُّغة السريانيَّة، غافلين

عمَّا قرَّره علماء الشَّريعة أنَّ تسمية الله بها لا تجوز، كما لا تجوز تلاوتها ولا كتابتها في جدول بقصد الاستشفاء أو التبرُّك؛ لأنَّها لم تأتِ في آية قرآنيَّة، ولا حديثٍ نبويٍّ صحيحٍ.

كذلك يذكر جماعةٌ من الصوفيَّة باسم «آه» مستندين إلى ما رواه الديلمي في "مسند الفردوس" والرَّافعي في "تاريخ قزوين" عن عائشة رضي الله عنها: أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم دخل على مريضٍ يعوده -وكان يئنّ- فقال له أهله: اسكت، فقد حضر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم. فقال: «**دعوه يئنّ فإنَّ الأنين اسمٌ من أسماء الله تعالى، يستريح إليه العليل**» وهذا حديثٌ واهٍ، لا يجوز العمل به، ففي سند الديلمي محمد بن أيوب بن سويد الرّملي، وهو وضَّاع، وسند الرَّافعي فيه ثلاث عِلل:

إحداها: أنه وِجادَةٌ.

ثانيتها: أنه فيه ليث بن أبي سليمٍ، وهو ضعيفٌ مختلطٌ، رفَّاع للموقوفات.

ثالثتها: أنَّ فيه رواةً مجهولين.

٢- قوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ﴾ [التوبة: ٤٣]. قال الزمخشريُّ: عفا الله عنك، كناية عن الجناية؛ لأنَّ العفو رادفٌ لها. ومعناه: أخطأت وبئس ما فعلت.

قلت: هذا من بِدَع التفاسير. والحقيقة: أنه لا جناية ولا خطأ، لسببٍ واضحٍ. هو: إنَّ الجناية أو الذنب أو المعصية مخالفة النَّهي، ولم يسبق من الله نهيٌ عن الإذن للمنافقين، والنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أَذِن لهم اجتهادًا منه، فكيف تنسب إليه جناية؟! بل لو فُرض أنَّه أخطأ، لكان مثابًا على

اجتهاده[١]، غير مؤاخذٍ بخطئه، وهو صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لم يخطئ؛ لأنَّه سلك ما هو أوفق بخُلُقه، من التيسير على أصحابه والميل إلى ستر حالهم وتفويض أمرهم إلى الله تعالى، لكنَّ الله أراد منه أن يكون شديدًا على المنافقين فهو كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣] فالإذن للمنافقين كان جائزًا بحسب الأصل، ثُمَّ نسخ بهذه الآية، كما كان الاستغفار لهم والصَّلاة عليهم جائزين، ثمَّ نسخا بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ [التوبة: ٨٤] وفاعل الحكم المنسوخ قبل نسخه لا يكون عاصيًا، بل هو مثابٌ مبرورٌ.

وقوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ استفتاح كلامٍ على عادة العرب في استفتاح مخاطباتهم بهذه الجملة، أو بقولهم: غفر الله لك، أو أطال الله بقاءك ونحو ذلك، لا يقصدون المدلول اللفظي للكلام، وإنَّما يريدون تكريم المخاطب إذا كان عظيم القَدْر، فهذه الجملة تفيد تكريم النبيِّ لا تجريمه.

وقد عقد المرتضى في "أماليه" مسألةً أجاب فيها عن الآيات التي يفيد ظاهرها عتاب النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وقال عن هذه الآية: فأمَّا قوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ فليس يقتضي معصية، وذاك أنَّ المقصد في الغالب بمثل هذا الخطاب التعظيم للمخاطَب، واستيضاح ما عنده فيما يفعله، ألَا ترى أنَّ الواحد منَّا يقول لغيره: لم كان كذا وكذا؟ رحمك الله وغفر لك! وهو لا

---

(١) لحديث "الصحيحين": «إذا حَكَمَ الحاكِمُ فاجْتَهَدَ فأصابَ فلَهُ أجْرانِ وإذا حَكَمَ فاجْتَهَدَ فأخْطأَ فلَهُ أجْرٌ واحِدٌ».

يقصد إلَّا الملاطفة له وحسن المحاورة، ولا يقصد الاستيضاح له عن زلةٍ، وإنَّما الغرض الإجمال في الخطاب.

وقد صار ذلك عُرفًا بين النَّاس، والمقصد به التوقير والإجلال فأمَّا، قوله تعالىٰ: ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ فليس يجب حمله علىٰ العتاب؛ لأنَّ هذه اللفظة ليست موضوعة لذلك خاصة، بل قد تطلق ويراد بها الاستفهام، وتارة يراد بها التقرير، وتارة العتاب، وهي محتملةٌ لجميع المذكور، فلِمَ نحملها في حقِّ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ العتاب دون بقيَّة الأقسام؟ وغاية ما في ذلك حمله علىٰ ترك الأَوْلىٰ حسب ما تقدَّم في الآيات.

ومن ﴿سورة يونس﴾

١- قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٤] قال الزمخشريُّ: «فإن قلت: كيف جاز النَّظر علىٰ الله تعالىٰ وفيه معنىٰ المقابلة؟ قلت: هو مستعارٌ للعلم المحقَّق الذي هو العلم بالشيء موجودًا، شُبِّه بنظر النَّاظر، وعيان المُعاين في تحقُّقه».

قلت: حاصل كلامه نفي النَّظر عن الله تعالىٰ، بدعوىٰ استلزامه المقابلة، وهي في حقِّه ممتنعة، وهذا من بِدَع التفاسير، ومن غلطاته الشنيعة التي يردُّها النَّصُّ الصَّريح، فمن أسمائه تعالىٰ الثابتة في القرآن والسُّنَّة: «البصير».

وقال تعالىٰ: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ١٤٤] والرؤية والنَّظر واحد، ودعوىٰ استلزامهما للمقابلة باطلةٌ؛ لأنَّ الله تعالىٰ منزَّهٌ عن

الجسميَّة ولوازمها، فكما أنَّه تعالىٰ موجودٌ لا في مكانٍ ولا في جهةٍ، كذلك يرىٰ وينظر من غير جارحةٍ ولا مقابلةٍ، ونفي النظر عنه ينافي كماله المطلق سبحانه وتعالىٰ، لكن جاء في عبارة له ما يفيد أنه يفرق بين النَّظر والرؤية، بأنها لا تستدعي المقابلة، فإنه قال في الكلام علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء: ١٥] وقوله: ﴿مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ من مجاز الكلام، يريد: أنا لكما ولعدوِّكما كالنَّاصر الظهير لكما عليه إذا حضر، وأستمع ما يجري بينكما وبينه، فأُظْهركما وأغلبكما وأكسر شوكته عنكما وأنكسه، فإن قلت: لم جعلت ﴿مُّسْتَمِعُونَ﴾ قرينة ﴿مَعَكُم﴾ في كونه من باب المجاز، والله يوصف علىٰ الحقيقة بأنه سميعٌ وسامعٌ؟ قلت: ولكن لا يوصف بالمستمع علىٰ الحقيقة؛ لأنَّ الاستماع جار مجرىٰ الإصغاء، والاستماع من السمع بمنزلة النَّظر من الرؤية».اهـ

وتوضيح ما أشار إليه: أنَّ الاستماع إلىٰ الشيء، معناه: الإصغاء والإمالة إليه، والله سبحانه منزَّهٌ عن ذلك، بل يتعلَّق سمعه بجميع المسموعات من غير إصغاءٍ وإمالةٍ، وكذلك النَّظر، معناه: تأمُّل الشيء بالعين والناظر في المُقْلة السواد الأصغر الذي فيه إنسان العين، فمن هنا كان النظر مستلزمًا للمقابلة، والله تعالىٰ أعلم.

ومن هنا جاء التعبير بالنظر عن المقابلة، في قوله تعالىٰ: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾[الأعراف: ١٩٨] وتراهم أي: الأصنام يقابلونك بعيونٍ كأنَّها حقيقيَّة، وهم لا يبصرون حقيقة؛ لأنَّ عيونهم مصنوعة.

٢- قوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ﴾ بفتح الهمزة أي: بأنه. وبكسرها على الاستئناف ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠].

قال الزمخشريُّ: «كرَّر المخذول المعنى الواحد ثلاث مراتٍ، في ثلاث عبارات[1] حرصًا على القبول، ثُمَّ لم يقبل منه حيث أخطأ وقته، وقاله حين لم يبقَ له اختيارٌ قطُّ، وكانت المرَّة الواحدة كافية في حال الاختيار وعند بقاء التكليف».

﴿ءَآلْـَٰٔنَ﴾ أتؤمن السَّاعة في وقت الاضطرار حين أدركك الغرق، وأيِسْتَ من نفسك ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١] الضَّالِّين المُضلِّين عن الإيمان ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ﴾ نبعدك ممَّا وقع فيه قومك من قعر البحر حال كونك ﴿بِبَدَنِكَ﴾ أي: جسمًا لا روح فيه ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ﴾ بعدك ﴿ءَايَةً﴾ [يونس: ٩٢] عبرة فيعرفوا عبوديتك ومهانتك، وليتيقَّن بنو إسرائيل هلاكه؛ لأنَّهم كانوا في شكٍّ منه حتى رأوه مطروحًا على السَّاحل. ففرعون مات كافرًا عدوًّا لله ورسوله، وأجمع العلماء على ذلك منذ الصَّحابة والتّابعين وهلمَّ. لكن القاضي عبدالصمد الحنفي -وكان موجودًا سنة ثلاثين وأربعمائة- حكى في "تفسيره" عن مذهب الصُّوفيَّة: إنَّ الإيمان

---

(١) هي: ﴿آمَنْتُ إنَّه لا إلَهَ إلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إسْرائِيلَ وأنا مِن المُسْلِمين﴾. هذا على قراءة كسر همزة «إنَّه»، باعتبارها جملة مستأنفة، وعلى فتحها تكون مفعولًا لآمنت في قوة المفرد.

ينتفع به ولو عند معاينة العذاب».

قلت: ومن هنا قال الشيخ محيي الدين بن العربي الحاتمي في "الفتوحات المكية"، بصحَّة إيمان فرعون ونجاته من العذاب. وإليك حاصل كلامه في هذا المعنى: «لما حال الغرق بين فرعون وبين أطماعه لجأ إلى الله تعالى، وإلى ما أعطاه باطنه مما كان عليه من الذلَّة والافتقار، فقال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ لرفع الإشكال، كما قالت السَّحَرة لمَّا آمنت: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الشعراء: ٤٧ – ٤٨] لرفع الارتياب وإزاحة الإشكال، ثُمَّ قال: ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ فخاطبه بلسان العتب: ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ﴾ أظهرت ما كنت قبل قد علمته ﴿وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ في أتباعك ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ﴾ فبشَّره قبل قبض روحه ﴿لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗ﴾ أي: لتكون النَّجاة علامة له إذا قال ما قلته كانت له النَّجاة مثل ما كانت لك، إذ العذاب ما يتعلَّق إلَّا بظاهرك وقد أريت الخلق نجاتك من العذاب، فكان ابتداء الغرق عذابًا، وصار الموت فيه شهادة خالصة، كلُّ ذلك حتى لا ييأس أحدٌ من رحمة الله تعالى، فـ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧] والأعمال بالخواتيم.

وأمَّا قوله تعالى: ﴿فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ﴾ فكلامٌ محقَّق في غاية الوضوح فإنَّ النَّافع هو الله، فما نفعهم إلَّا الله وقوله تعالى: ﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ﴾[غافر: ٨٥] يعني الإيمان عند رؤية البأس، وإنَّما قُبض فرعون ولم يؤخَّر

في أجله في حال إيمانه لئلَّا يرجع إلى ما كان عليه من الدعوى.

وأمَّا قوله تعالى: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ [هود: ٩٨] فما فيه نصٌّ أنه يدخلها معهم، بل قال الله تعالى: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ [غافر: ٤٦] ولم يقل: أدخلوا فرعون، ورحمة الله أوسع من حيث أن لا يقبل إيمان فرعون المضطر، وأيُّ اضطرارٍ أعظم من اضطرار فرعون في حال الغَرَق؟ والله تعالى يقول: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢] فقرَّر للمضطر إذا دعاه الإجابة وكشف السُّوء عنه: فلم يكن عذابه أكثر من الغرق في الماء».اهـ

قلت: الذي يدل عليه القرآن والحديث: إنَّ الإيمان عند المعاينة لا يُقبل، فإنَّ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: ٩٦ – ٩٨] يفيد أنَّ الإيمان عند المعاينة لا ينفع أصحابه إلَّا قوم يونس فقط نفعهم إيمانهم عند المعاينة، ولو كان ينفع كما نقل عن الصُّوفيَّة لم يكن لاستثناء قوم يونس معنى.

وفي "مسند أحمد" و"سنن الترمذي" و"ابن ماجه" و"صحيح ابن حِبَّان" و"مستدرك الحاكم" من حديث ابن عمر: «**إنَّ الله يقبلُ توبةَ العبدِ ما لم يُغَرْغِرْ**». وهذا الحديث مثل قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ [النساء: ١٨].

وفرعون إنَّما آمن عند الغَرْغَرة ومُعاينة العذاب، فكان إيمانه غير مقبول لهذا؛ ولأنَّه لم يؤمن بموسىٰ، وقياسه علىٰ السَّحرة غلطٌ، فإنَّهم صرَّحوا بأنَّهم آمنوا بربِّ العالمين، ثُمَّ صرَّحوا بخصوص ربوبيته لموسىٰ وهارون، وفي ذلك تصريحٌ بإيمانهم بهما، ولكنَّ فرعون لم يذكر موسىٰ تصريحًا ولا إشارةً؛ لأنَّه كان يراه ربيب نعمته وقوله تعالىٰ: ﴿ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١] خطاب تقريعٍ وتوبيخٍ، بدليل تذكيره بعصيانه وإفساده، وذلك يدل علىٰ غضب الله عليه وبغضه له، كما قال تعالىٰ في آيةٍ أخرىٰ: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الزخرف: ٥٥] ولو قبل إيمانه لما عيَّره بعصيانه وإفساده، بل كان يقول له: الآن نقبلك ونكرِّمك، جريًا علىٰ عادة الله مع عباده حين يتوبون إليه ويقبل توبتهم، فإنَّه يعرض عن ذكر ما مضىٰ من كفرهم وعصيانهم.

ومن حِكَم الصوفيَّة: «ذكر الجفاء وقت الصَّفاء من الجفاء». والعتاب إنَّما يكون بين الأحباب إبقاءً علىٰ المودَّة التي بينهم، كما قال الشاعر: «ويَبْقَىٰ الوُدُّ ما بَقِيَ العِتابُ».

وفرعون كان عدوَّ الله إلىٰ آخر لحظةٍ من حياته، فكيف يعاتبه الله الذي إنَّما يعاتب أصفياءه؟! ثُمَّ ما سمعنا عتابًا يذكر فيه لفظ العصيان والإفساد، وفي الآية نكتةٌ تفيد القطع بأنَّها ليست خطاب عتابٍ، وهي أنَّ الله تعالىٰ لم يقل له: وكنت مفسدًا، بل قال: وكنت من المفسدين، وهذه الجملة أبلغ؛ لأنَّها تفيد أنَّ فرعون عريقٌ في الإفساد بحيث أنَّه صار لعراقته فيه من جملة المفسدين الذين

صار الفساد والإفساد دأبًا لهم وعادة، وإنجاؤه ببدنه الخالي من الروح، ليكون آيةً على فساد دعواه الألوهية، فالضمير في ﴿لِتَكُونَ﴾ لفرعون؛ لأنَّ الخطاب موجَّهٌ إليه، وجعله عائدًا على النَّجاة المأخوذة من لفظ ﴿نُنَجِّيكَ﴾ يردُّه أمران:

١- أنه تشتيتٌ للضمائر من غير ضرورةٍ تدعو إليه.

٢- أنَّه إن أريد النَّجاة من الغرق فهو لم ينج منه، وإن أريد النَّجاة من عذاب يوم القيامة، فرميُ جسمه على السَّاحل لا يدل عليها ولا يقتضيها؛ لأنَّ جسم الميت لا يظهر عليه أثر عذابٍ ولا نعيم.

فالخلق لم يروا نجاة فرعون، وإنَّما رأوا جسمه خاليًا من الرّوح مطروحًا على الشَّاطئ، كما نرى نحن جسم الكافر الميت سليمًا ليس فيه شيءٌ، وروحه تعذَّب عند الله تعالى.

وكذلك فرعون وقومه تُعذَّب أرواحهم عند الله كما قال تعالى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾[غافر: ٤٥ - ٤٦] فروح فرعون معذَّبَة الآن بعرضها على النَّار صباحًا ومساءً وعبرت الآية ﴿بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ﴾ لأمرين:

١- الإشارة إلى أنَّ آلَهُ إذا عُذِّبُوا أشدَّ العذاب كان هو أولى بذلك منهم؛ لأنَّهم إنَّما كفروا بإضلاله وحملهم على عبادته، وقوله لهم: أنَا ربكم الأعلى.

٢- الاستهزاء به والطَّعْن عليه، وذلك أغيظ له وأشدُّ لعذابه، وهذا كما يُقال لأبي جهلٍ يوم القيامة وهو في أشدِّ العذاب: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ

ٱلْكَرِيمُ ﴾ [الدخان: ٤٩] استهزاء به وسخرية منه.

وقوله تعالىٰ: ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ﴾ [غافر: ٨٥] يدلُّ أيضًا علىٰ أنَّ الإيمان عند معاينة العذاب لا ينفع صاحبه، وسياق الآية يقتضي ذلك ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ﴾ في الأمم التي لا ينفعهم الإيمان عند معاينة العذاب ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [غافر: ٨٣ – ٨٥] فهؤلاء الأقوام آمنوا عند معاينة البأس وهو العذاب كما آمن فرعون فلم يقبل منهم وخسروا.

ولمَّا كان الإيمان المقبول سببًا لنجاة صاحبه من العذاب نسب النَّفع إليه علىٰ عادة القرآن والسُّنَّة في نسبة الأمور إلىٰ أسبابها الشَّرعيَّة أو العاديَّة، وإن كان النَّافع في الحقيقة هو الله في كلِّ شيءٍ لا في الإيمان وحده، فالتمسُّك به في هذه الآية مخالفٌ لنظمها وسياقها، كما هو مخالفٌ لعادة القرآن والسُّنَّة علىٰ ما مرَّ.

وقوله تعالىٰ: ﴿ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ﴾ نصٌّ في دخولها، وذلك أنَّ الله تعالىٰ يقول: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴾ [هود: ٩٦ – ٩٧] بمحمود العاقبة، ثُمَّ بيَّن عدم رشاده بقوله: ﴿يَقْدُمُ﴾ يتقدَّم ﴿ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ وهم يتبعونه كما كانوا يتبعونه في الدنيا ﴿ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ﴾ [هود: ٩٨] وهو سابقهم إليها وهم وراءه، ولا أحد يفهم من هذه العبارة أنه أدخلهم النَّار وعاد؛ لأنَّ إدخال

الكفَّار والعصاة للنَّار يوم القيامة وظيفة الزَّبانية، وهم طائفة من الملائكة خصَّهم الله بهذا العمل لا يتولَّاه غيرهم، حتىٰ إنَّ الرسل المكرمين لا يقدرون أن يدخلوا مكذِّبيهم النَّار؛ لأنَّهم غير مأذونٍ لهم في ذلك، فكيف يتأتَّىٰ لفرعون أن يورد قومه النَّار ثُمَّ يرجع؟!! أأعطي في ذلك اليوم ما لم يعطَ الرسل؟ أم جعل مساعدًا للزبانية؟ أم ماذا؟ والله تعالىٰ يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السُّوء ولو كان كافرًا، لكن لا يقبل إيمان الكافر إذا آمن عند معاينة العذاب، ولا توبة العاصي إذا غَرْغَر[1]، فمقام الإيمان غير مقام الدُّعاء، وخَلْطُ أحدهما بالآخر غلطٌ واضحٌ.

وبعد: فالدَّليل علىٰ موت فرعون كافرًا -سوىٰ ما مرَّ- قوله تعالىٰ يخاطب أُمَّ موسىٰ عليهما السَّلام: ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾ [طه: ٣٩] تخبر هذه الآية بأنَّ فرعون عدوٌّ لله وعدوٌّ لرسوله موسىٰ، وخبر الله تعالىٰ لا يدخله نسخٌ ولا تغييرٌ، وهذا الدليل لم

---

(١) شرط قبول إيمان الكافر أو توبة العاصي أمران: أن يكون مختارًا غير مضطرٍ، وأنَّ يكون غائبًا عنه العذاب المتوَعَّد به علىٰ الكفر أوالمعصية، فإذا عاين العذاب كحال فرعون عند الغرق، أو المحتضر عند الغَرْغَرة كان إيمانه أو توبته حينئذٍ عن اضطرارٍ، فلم يُقبل منه لفقد الشرطين. أمَّا الدعاء فإجابته منوطةٌ بالاضطرار، فكلَّما كان الدَّاعي أشد ضرورة، وأكثر مصائب كان أقرب إلىٰ الإجابة، ولوكان كافرًا؛ لأنَّه خاصٌّ بالدنيا ولا علاقة له بالآخرة. ولو أنَّ فرعون دعا الله عند الغرق لأنجاه، وأعطاه فرصة الحياة مرةً أخرىٰ، كما أنجىٰ غيره من المشركين عند اضطرارهم، لكنَّه لم يوفَّق للدعاء ولجأ إلىٰ الإيمان مضطرًا، فلم يُقبل منه، ولم ينجُ من الغرق.

يتفطَّن له جميع من تكلَّم في إيمان فرعون وكفره[١]، وانظر تتمة هذا البحث في كتابنا "خواطر دينية".

٣- قوله تعالىٰ: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ علىٰ سبيل الفرض والتقدير ﴿فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ [يونس: ٩٤] وهم علماء اليهود؛ لأنَّ أمرك مكتوبٌ عندهم في كُتُبهم، وهم يعرفونك كما يعرفون أبناءهم.

والآية لا تقتضي وقوع الشكِّ منه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم؛ لأنَّ حرف «إن» لا يفيد حصول شرطه، بل يفيد الشكَّ في حصوله، ولهذا يدخل علىٰ المستحيل كما في هذه الآية. وهي مثل قوله تعالىٰ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[الزمر: ٦٥] ومن المعلوم بالضرورة أنَّ وقوع الشكِّ أو الشِّرك منه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم محالٌ.

وقيل: الخطاب في الآية موجَّهٌ للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم والمراد أمَّته مثل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الطلاق: ١] والمعنىٰ علىٰ هذا، فإن كنتم في شكٍّ ممَّا أنزلنا إليكم كقوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤].

وقيل: الخطاب لأيِّ سامعٍ ممَّن يجوز عليه الشك، وهذا كقول العرب: «إذا عَزَّ أخوك فَهُنْ».

ومن بِدَع التفاسير: قول من قال: «إن» نافية بمعنىٰ «ما» وتقديرًا لكلامه علىٰ هذا: فما كنت في شكٍّ مما أنزلنا إليك. لكنَّه لا يتلاقىٰ مع قوله: ﴿فَسْـَٔلِ﴾.

ووجَّهَهُ الزمخشريُّ بأنَّ المعنىٰ: فما كنت في شكٍّ فاسأل، يعني: لا نأمرك

---

(١) ألَّف العلَّامة الجلال الدواني الصديقي رسالة "إيمان فرعون" أيد فيها رأي ابن العربي الحاتمي، طبعت أخيرًا. وألَّف ابن سلطان القاري رسالة في كفر فرعون، لم تطبع بعد.

بالسؤال لأنك شاكٌّ، ولكن لتزداد يقينًا كما ازداد إبراهيم عليه السَّلام بمعاينة إحياء الموتىٰ، وفي هذا الوجه تكلُّفٌ لا يخفىٰ.

ووجَّهَهُ المرتضىٰ بأنه تعالىٰ لو أمره بسؤال أهل الكتاب من غير أن ينفي شكَّه، لأوهم أمره بالسؤال أنه شاكٌّ في صِدْقه، وصحَّة ما أنزل عليه. فقدَّم نفي الشكِّ عنه، ليعلم أنَّ أمره بالسؤال ليزول الشك عن غيره لا عنه.

قلت: الإيهام المشار إليه باطلٌ لما مرَّ، وغفل المرتضىٰ والزمخشريُّ عن أنَّ تعقيب النَّفي بالأمر لا يحسن في اللغة العربيَّة؛ لأنه يورث ركاكةً لا يجوز تخريج القرآن عليها، وإنَّما يحسن تعقيب النَّفي بالفعل المضارع كما هومعلوم.

ومن ﴿سورة هود﴾

١- قوله تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: ما كانوا يعجزون الله في الدنيا لو أراد أن يعاقبهم فيها ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ أنصار ينصرونهم منه، ويمنعون عنهم عقابه، لكنَّه أراد تأخيرهم إلىٰ هذا اليوم ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ﴾؛ لأنَّهم أضلُّوا غيرهم؛ ولأنَّهم ﴿مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ﴾ [هود: ٢٠] أي: أنَّهم لفرط تصامهم عن استماع الحق، وشدة كراهتهم له كأنَّهم لا يستطيعون السَّمع والإبصار[1]، وفي

---

(١) يؤيِّد هذا التأويل قوله تعالىٰ في سورة الكهف: ﴿وَعَرَضۡنَا جَهَنَّمَ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡكَٰفِرِينَ عَرۡضًا ١٠٠ ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا﴾ [الكهف: ١٠٠ - ١٠١] فهذه الآية تفيد أنَّهم -لكراهتهم الحقَّ وبغضهم له- كانت أعينهم مغطَّاة عنه، لا تراه

الآية وجوهٌ أخرىٰ.

ومن بِدَع التفاسير: جعل «ما» مصدريَّة، والمعنىٰ: يضاعف لهم العذاب في الآخرة مدَّة كونهم يستطيعون السَّمع والأبصار، أي: ما داموا أحياء، فجعل استطاعة السَّمع والإبصار كناية عن حياتهم، ذكر هذا الوجه المرتضىٰ في "أماليه"، وهو ضعيفٌ لا يفيده سياق الآية.

٢- قوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ [هود: ٤٠] المراد بالتَّنُّور: الذي يُختبز فيه. وهو تنُّورٌ كان بدار نوحٍ عليه السَّلام، جعل فَوران الماء منه علامة علىٰ الطوفان الذي أغرق قومه. وهذا القول هو الرَّاجح؛ لأنَّه الحقيقة وهي الأصل؛ ولأنَّه قول ابن عباسٍ والحسن ومجاهد؛ ولأنَّ فوران الماء من مكان النَّار أقوىٰ في المعجزة، وأبلغ في الدَّلالة علىٰ ما أعقبه من طوفانٍ لم يحصل مثله في العالم.

وقيل: التنُّور وجه الأرض، وأنَّ الماء نبع وفار علىٰ وجه الأرض وهذا قول عكرمة، ويروىٰ عن ابن عباسٍ أيضًا، قال المرتضىٰ: والعرب تسمِّي وجه الأرض تنُّورًا.

وقيل: أعالي الأرض، روي عن قتادة في قوله تعالىٰ: ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ قال: ذكر لنا أنَّه أرفع الأرض وأشرفها.

وقيل: معنىٰ ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾: برز النُّور وظهر الضوء، وتكاثفت حرارة دخول النَّهار، وتقضَّىٰ الليل.

وكانوا لا يستطيعون سماعه.

وقيل: معنىٰ ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾: اشتد غضب الله عليهم وحلَّ وقوع نقمته بهم. فذكر تعالىٰ ﴿ٱلتَّنُّورُ﴾ مثلًا لحضور العذاب، كما قال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**الآن حَمِيَ الوَطِيسُ**» حين اشتدَّت الحرب يوم بدرٍ.

وهذا التأويل والذي قبله من بِدَع التفاسير؛ لأنَّهما مجازان بعيدان؛ ولأنَّنا لا نجزم بأنَّ اللغة التي خاطب الله بها نوحًا، كان فيها مثل هذه المجازات المعروفة في لغة العرب.

تنبيه إلى قاعدةٍ هامَّةٍ

ولهذه المناسبة نُنبِّه إلىٰ قاعدةٍ هامَّةٍ غفل عنها المفسِّرون قاطبةً فيما أعلم، إذ لم أجد منهم مَن فَطَن لها أو نبَّه إليها، وبسبب غفلتهم عنها وقع كثيرٌ منهم في تفسيراتٍ مخطئةٍ، مثل التفسيرَين المذكورَين؛ لجنوحهم إلىٰ المجاز أو الاستعارة أو الكناية في معظم الآيات التي يفسِّرونها، غير مفرِّقين بين موضوعاتها، مع أنَّ الآيات التي يكون موضوعها الحديث عن الأُمم التي لا تتكلَّم العربيَّة، مثل قوم نوحٍ وإبراهيم وبني إسرائيل، وحكاية ما حصل بين رسلهم وبينهم من مجادلاتٍ، وما توجَّه إليهم من خطاباتٍ تكليفيَّة وغيرها، لا يجوز حملها علىٰ المجاز كما مرَّ في المقدِّمة، بل يجب حملها علىٰ الحقيقة؛ لأنَّها مجزومٌ بإرادتها رغم اختلاف اللغات، ورغم تباين التقاليد والعادات، فنحن حين نحمل التنُّور علىٰ تنُّور الخبز، نجزم بأنَّه كان عند نوحٍ وقومه تنانير يخبزون فيها وإن كانوا قد يسمُّونها باسمٍ آخر، فنكون قد أصبنا المعنىٰ المراد حتمًا، ولكن حين نحمل التنُّور علىٰ: «بَرَز النُّور»، أو: «اشتدَّ غضب الله»، أو نحو هذا من المعانىٰ المجازيَّة نكون

مخطئين أشدَّ الخطأ؛ لأنَّنا لا نعرف هل كان في لغة نوحٍ وقومه مجازٌ وكنايةٌ؟ وليس لدينا ما يدلنا على أصول لغتهم وكيفية تخاطبهم، والمعروف على وجه العموم: أنَّ اللغة العربية انفردت من بين اللغات بما فيها من كثرة التجوُّز والاتساع، حتى ادَّعى ابن جنِّي أنَّ أغلب اللغة مجازٌ، وذلك لسيلان أذهان العرب وسلامة فِطْرتهم، وسرعة لمحتهم للمعاني التي يصوغونها في قالب تشبيهٍ أو مجازٍ أو كنايةٍ، وهم أنفسهم ما توصَّلوا إلى هذا الرُّقِي اللغوي حتى تهذَّبت طباعهم ورقَّ إحساسهم، واكتسبوا برحلاتهم إلى الشام واليمن والبحرين وأطراف الجزيرة العربية معارف وحضارات نقلوها إلى لغتهم، وأضافوها إلى كلامهم، وتعريبهم لكلمات فارسيَّة وروميَّة وحبشيَّة ونبطيَّة شاهدُ صدقٍ على ذلك، ولهذا لا تجد في لغة العرب القدماء -هم العرب العاربة وهي البائدة- ما تجده في لغة العرب المستعربة، من الثروة اللسانية التي بلغت ذروتها زمن البعثة المحمديَّة، بحيث يكاد يجزم الباحث في لغاتهم أنَّ العرب جنسان مختلفان.

وإذا كان الفرق بين متقدِّمي العرب ومتأخريهم بهذه المنزلة من البعد، فالفرق بينهم وبين من لا يتكلَّم بلغتهم أشدُّ بعدًا وأبعد منزلةً، إذن فمن الخطأ البيِّن حمل ما يحكيه القرآن من كلام الإسرائيليين وغيرهم على مذاهب العرب في التجوُّز والاتساع، لما قرَّرناه وأوضحناه، فشد يدك على هذه القاعدة التي لا تجدها في غير هذا الكتاب.

٣- قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [هود: ٤٦] وعد الله تعالى نوحًا عليه السَّلام بإنجاء أهله من الطوفان، فلما هَلَك ابنه مع الهالكين فيه، قال

نوحٌ يخاطب ربه: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾ الذين وعدتني بإنجائهم، ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ﴾[هود: ٤٥]، لا يدخله خلف، فكيف هلك ابني؟! فقال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾[هود: ٤٦] الموعود بنجاتهم؛ لأنَّه كافر، ولا نجاة لكافرٍ.

ومن بِدَع التفاسير: قول بعض الجهلة ممن تسوَّروا علم التفسير بغير علمٍ: ليس من أهلك، أي: هو ابن زنا. وهذا قولٌ شنيعٌ يدل علىٰ الجهل بمقام النُّبوَّة، ثُمَّ هو مردودٌ بنصِّ القرآن(١)، فإنَّ الله تعالىٰ قال قبل هذه الآية: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ﴾[هود: ٤٢] فنسب الابن إليه، وهذا دليلٌ قاطعٌ علىٰ أنه ابنه لصلْبه، إذ من المستحيل أن يكون ابن زنا وينسبه الله إليه وأمَّا قوله: ﴿لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ فهو من حذف الصِّفة للعلم بها كما تقدَّم.

٤- قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ﴾ هداية الخلق ﴿لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أهل دينٍ واحدٍ، وهو دين الإسلام ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾[هود: ١١٨] علىٰ أديانٍ شتَّىٰ ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ فهداهم للاتفاق علىٰ دين الحقِّ ﴿وَلِذَٰلِكَ﴾ المذكور من الاختلاف والرحمة ﴿خَلَقَهُمْ﴾ خلق أهل الاختلاف لتكون عاقبتهم الاختلاف، وأهل الرَّحمة لتكون عاقبتهم الرَّحمة، فاللام للعاقبة ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ

---

(١) في الآية نكتة ترد هذا القول الشنيع، لم أر من تعرَّض لها، وهي أنَّ نوحًا قال: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾، فاشتمل كلامه علىٰ أمرين: نسبة الإبن إليه، وأنَّه من أهله، وردَّ الله عليه قال: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾، فأقرَّ ببنوته، ونفي أنَّه من أهله النَّاجين، ولو لم يكن ابنه لقال له: ليس ابنك ولا من أهلك.

رَبِّكَ﴾ وهي: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩].

ومن بِدَع التفاسير: قول أبي مسلمٍ الأصفهاني: معنىٰ ﴿مُخْتَلِفِينَ﴾: أنَّ خلف هؤلاء الكفَّار يخلف سلفهم في الكفر؛ لأنه سواء قولك: خلف بعضهم بعضًا، وقولك: اختلفوا. وسواء قولك: قتل بعضهم بعضًا، وقولك: اقتتلوا. ومنه قولهم: لا أفعل كذا ما اختلف الجديدان.

قلت: إن صحَّ أنَّ «اختلفوا» بمعنىٰ خَلَف بعضهم بعضًا، فالسِّياق لا يساعد عليه ولا يناسبه، وإنَّما يناسب الاختلاف بالمعنىٰ السَّابق، وهو المشهور والمتعارَف.

ومن ﴿سورة يوسف﴾

١- قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ﴾ أي: همَّت بمخالطته ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ همَّ بمخالطتها ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: ٢٤] لخالطها، والمراد: أنَّ نفسه مالت إليها بحكم الطبيعة البشريَّة، كما يميل الصَّائم للماء البارد مثلًا، لكنَّه لا يعزم، بل امتنع عن قربانها خوفًا من الله تعالىٰ، ورعايةً لزوجها الذي تركه معها مؤتمنًا له، فلم يكن ليخونه، فقد تبيَّن أنَّ همَّ يوسف علىٰ حقيقته، وأنَّ جواب ﴿لَوْلَآ﴾ محذوفٌ، تقديره: ما ذكرناه. وأنَّ البرهان الذي رآه خشية الله المطلع علىٰ سرِّه ونَجْواه، وقُبح خيانة سيِّدها الذي أكرم مَثْواه.

ومن بِدَع التفاسير: جعل ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ جواب ﴿لَوْلَآ﴾ مقدَّمًا عليها، والتقدير: ولولا أن رأىٰ برهان ربِّه لهمَّ بها، امتنع همُّه بها لرؤية برهان ربِّه، فلم يقع همٌّ أصلًا وهو مردودٌ بوجهين.

أحدهما: أنَّ جواب ﴿لَوْلَآ﴾ لا يتقدَّم عليها؛ لأنَّها في حكم الشَّرط، وللشَّرط صدر الكلام؛ ولأنَّها مع ما في حيِّزها من الجملتين مثل كلمة واحدة، ولا يجوز تقديم بعض الكلمة على بعض، أمَّا حذف بعضها إذا دلَّ عليه دليلٌ فجائزٌ.

ثانيهما: أنَّه لو لم يقع منه أصلًا لما كان ممدوحًا عند الله تعالى، ولا كان له ثواب؛ لأنَّ استعظام الصَّبر على الابتلاء على حسب عِظم الابتلاء، وكذلك الثَّواب على قَدْر المشقَّة، ولا مشقَّة في عدم الهمَّ، ولو كان همُّه كهمِّها عن عزيمةٍ، لما مدحه الله بأنَّه من عباده المُخلَصين.

وقيل: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ أي: همَّ بضربها، لولا أن رأى أنَّ ضربها يؤدِّي إلى اتهامه بأنَّه أراد بها سوءًا فامتنعت منه، وهذا من بِدَع التفاسير أيضًا، وهو قولٌ سخيفٌ. وكيف يضربها وهو خادمٌ عندها؟ غريبٌ في بيتها؟ بل قوله لها: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣] يدلُّ على أنَّه كان يخاطبها بأسلوبٍ مؤدَّبٍ مهذَّبٍ، وهذا هو اللائق بمقامه والمناسب لموقفه منها.

قال الزمخشريُّ: «وقد فُسِّر همُّ يوسف بأنَّه حلَّ الهِمْيان، وجلس منها مجلس المُجامِع، وبأنَّه حلَّ تِكَّة سراويله وقعد بين شعبها الأربع، وهي مستلقية على قفاها. وفُسِّر البرهان بأنه سمع صوتًا: إيَّاك وإيَّاها. فلم يكترث له، فسمعه ثانيًا فلم يعمل به، فسمع ثالثًا: أَعْرِض عنها. فلم ينجع فيه حتى مُثِّل له يعقوب عاضًّا على أنملته، وقيل: ضرب بيده في صدره، فخرجت شهوته من أنامله. وقيل: صِيحَ به: يا يوسف لا تكن كالطَّائر كان له ريشٌ، فلما زنى قعد لا ريش له.

وقيل: بدت كفٌّ فيما بينهما ليس لها عضدٌ ولا معصمٌ، مكتوب فيها: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾ [الانفطار: ١٠ - ١١] فلم ينصرف، فرأىٰ فيها: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]، فلم ينتبه، ثُمَّ رأىٰ فيها: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ﴾ [البقرة: ٢٨١] فلم ينجع فيه. فقال الله لجبريل عليه السَّلام: أدرك عبدي قبل أن يصيب الخطيئة. فانحطَّ جبريل وهو يقول: يا يوسف أتعمل عمل السُّفهاء وأنت مكتوبٌ في ديوان الأنبياء؟!

وقيل: رأىٰ تمثال العزيز. وقيل: قامت المرأة إلىٰ صنم لها كان هناك، فسترته. وقالت: أستحي منه أن يرانا. فقال يوسف: استحييت ممَّن لا يسمع ولا يبصر، ولا أستحي من السَّميع البصير العليم بذوات الصُّدور».

قلت: هذه الأقاويل من بِدَع التفاسير، وقد أحسن ردَّها الزمخشريُّ حيث قال: «ولو وُجِدت من يوسف عليه السَّلام أدنىٰ زلَّة لنُعِيت عليه وذُكِرت توبته واستغفاره، كما نُعيت علىٰ آدم زلَّته، وعلىٰ داود، وعلىٰ نوحٍ، وعلىٰ أيوب، وعلىٰ ذي النون، وذُكرت توبتهم واستغفارهم. كيف وقد أثني عليه وسُمِّي مُخلَصًا فعلم بالقطع أنه ثبت في ذلك المقام الدَّحض، وأنَّه جاهد نفسه مجاهدة أولي القوة والعزم، ناظرًا في دليل التحريم ووجه القبح حتىٰ استحقَّ من الله الثَّناء فيما أنزل من كتب الأولين، ثُمَّ في القرآن الذي هو حُجَّةٌ علىٰ سائر كتبه، ومصداق لها، ولم يقتصر إلَّا علىٰ استيفاء قصته وضرب سورة كاملة عليها[1] ليجعل له لسان

---

(١) ولم يضرب سورة لأيوب عليه السَّلام مع عظيم ما أصابه من الضُّر حتىٰ أثنىٰ الله عليه بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤] ويؤخذ من هذا أنَّ

صِدْقٍ في الآخرين، كما جعله لجدِّه إبراهيم عليه السَّلام، وليقتدي به الصَّالحون إلى آخر الدهر في العِفَّة وطيب الإزار والتثبُّت في مواقف العِثار».

قلت: ويعجبني قول الإمام الرَّازي في هذا المقام: إنَّ يوسف عليه السَّلام برَّأه الله تعالى بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤] وبرَّأته النِّسوة ﴿قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ﴾ [يوسف: ٥١] وبرَّأته إمرأة العزيز، قالت: ﴿ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [يوسف: ٥١] وبرَّأه الشَّيطان: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر: ٣٩ - ٤٠] فمن يتهمه بعد ذلك؟!

٢- قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ﴾ [يوسف: ٣١] الآية، أي: فلمَّا رأين يوسف أعظمنه وهِبْنَ حُسنه الرَّائع.

ومن بِدَع التفاسير: ما حكاه الزمخشريُّ فقال: وقيل: «أَكْبَرن» بمعنى: حِضْن، والهاء للسكت يقال: أكبرت المرأة إذا حاضت. وحقيقته: دخلت في الكِبر؛ لأنَّها بالحيض تخرج من حدِّ الصِّغَر إلى حدِّ الكِبَر. وكأنَّ أبا الطيب أخذ من هذا التفسير قوله:

خَفِ اللهَ واسْتُرْ ذا الجَمالَ ببُرْقُعٍ ... فإنْ لُحْتَ حاضَتْ في الخُدُورِ العَواتِقُ

الصبر عن المعصية مع قوة الشَّهوة الداعية إليها أعظم عند الله من الصبر على البليَّة في جسمٍ أو مالٍ أو ولدٍ. وجاء في حديثٍ ضعيفٍ: «**إنَّ الصبر على فعل الطَّاعة بثلاثمائة حسنة، والصَّبر على المصيبة بستمائة، والصَّبر عن المعصية بتسعمائة**».

قلت: هذ التفسير -وإن لم يتعقَّبه هو ولا البيضاوي- بعيدٌ من السِّياق، بل هو من غريب اللغة الذي يجب اجتنابه في تفسير القرآن الكريم.

٣- قوله تعالى: ﴿وَقَالَ﴾ يوسف ﴿لِلَّذِي ظَنَّ﴾ أيقن ﴿أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾ وهو السَّاقي ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ سيِّدك فقل له: إنَّ في السِّجن غلامًا محبوسًا ظُلْمًا، فخرج ﴿فَأَنسَاهُ﴾ أي: السَّاقي ﴿الشَّيْطَانُ ذِكْرَ﴾ يوسف عند ﴿رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: ٤٢].

فمعنى الآية: أنسى الشَّيطانُ السَّاقي أن يذكر يوسف عند الملِك؛ فمكث يوسف في السِّجن بضع سنين، ونسب الإنساء للشَّيطان؛ لأنَّ ما ترتَّب عليه من مكث يوسف في السِّجن مظلومًا يُحبُّه الشَّيطان.

ومن بِدَع التفاسير: أنَّ الضمير في «أنساه» يعود على يوسف، والمعنى أنسَى الشَّيطانُ يوسفَ ذكر ربِّه عزَّ وجلَّ حين استغاث بمخلوقٍ، فعوتب ببقائه في السِّجن بضع سنين.

وهذا باطلٌ؛ لأنَّ الله تعالى أخبر عن يوسف في أول السُّورة بأنه من عباده المخلَصين، فكيف يخبر عنه هنا بأنَّ الشيطان تمكَّن منه وأنساه ذكر ربِّه تعالى؟! هذا تناقضٌ يتنزَّه عنه القرآن، وقوله للسَّاقي: اذكرني عند الملِك ليس استغاثةً بمخلوقٍ، لكنَّه سعيٌ مشروعٌ لبيان حاله عند الملِك، حتى يتخلَّص من الظلم الواقع عليه، وكيف ينسى الله أويستغيث بسواه وهو الذي يدعو في السِّجن إلى توحيده وعبادته؟!

٤- قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا

مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ [يوسف: ٩٩] أي: ادخلوا مصر آمنين إن شاء الله، فالمشيئة تعلَّقت بالدخول مكيفًا بالأمن، وهذا نحو قوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ [الفتح: ٢٧].

قال الزمخشريُّ: «ومن بِدَع التفاسير: أنَّ قول: ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ من باب التقديم والتأخير، وأنَّ موضعها ما بعد قوله: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾ [يوسف: ٩٨] في كلام يعقوب -أي سوف أستغفر لكم ربي إن شاء الله- ولا أدري ما أقول فيه وفي نظائره؟».

قلت: ومن بِدَع التفاسير أيضًا استنباط بعض الجهلة من الآية أنَّ كلَّ من دخل مصر آمِن، وهي لا تدل على ذلك؛ لأنَّها خطابٌ من يوسف لأهله، وإنَّما يستفاد الأمان من قوله تعالى عن البيت الحرام: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧] فهذه الآية تعمُّ كلَّ داخلٍ للبيت الحرام كما هو ظاهرٌ.

ومن ﴿سورة الرعد﴾

١- قوله تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾ [الرعد: ١٣] تسبيح الرَّعْد إمَّا أن يراد به: تسبيح سامعيه، فيكون من مجاز الحذف.

أو يراد به: دلالته على قُدْرة الله تعالى متلبِّسة بدلالته على نعمة المطر التي يُحمد عليها، فيكون من قبيل الاستعارة.

أو: أنَّه يسبِّح حقيقةً، وإن كنَّا لا نفْقَه تسبيحَه.

أو: هو اسم مَلَكٍ موكَّلٍ بالسَّحاب كما جاء في حديث ابن عباسٍ عند أحمد

والترمذيِّ والنَّسائيِّ، ولفظه عن ابن عباسٍ، قال: أقبلت يهود إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقالوا: أخبرنا يا أبا القاسم عن الرَّعد؟ قال: «**مَلَكٌ مِن الملائكة مُوَكَّلٌ بالسَّحابِ، معه مَجاديف من نارٍ يَسوقُ بها السَّحاب**» قالوا: فما هذا الصوت؟ قال: «**زَجْرُه للسَّحاب**» قالوا: صدقت.

وروى الطبرانيُّ في "الأوسط" من طريق أبي عمران الكوفي، عن ابن جريج وعطاء، عن جابر: أنَّ خزيمة بن ثابت -وليس بالأنصاري- سأل النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن الرَّعد؟ فقال: «**هو مَلَكٌ بيده مِخْرَاقٌ إذا رفع بَرَقَتْ، وإذا زَجَر رَعَدَتْ وإذا ضرب صَعِقَتْ**» والحديث ضعيفٌ.

قال الزمخشريُّ: «ومن بِدَع المتصوِّفة، الرَّعد صعقات الملائكة، والبرق زفرات أفئدتهم، والمطر بكاؤهم».

ومن ﴿سورة إبراهيم﴾

١- قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٩] أي: هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره، إقناطًا لهم من التصديق بهم، وهذا التأويل واضحٌ قويٌّ، يتفق مع سِياق الآية ونظمها.

وقد أبدى الشريف المرتضى وجوهًا من التأويل تعتبر من بِدَع التفاسير.

منها: أنَّ المعنى: فرَدُّوا أيديهم في أفواههم عاضِّين عليها غيظًا وحنقًا على الأنبياء.

ومنها: فرَدُّوا أيديهم في أفواههم مشيرين إلى رسلهم بأن يكفُّوا عن الكلام، ويمسكوا عنه، وهذه عادة من يريد أن يُسكت غيره.

وسياق الآية لا يناسب هذين الوجهين، وإنَّما يناسب إقناط الرسل من الإيمان كما قدَّمنا.

ومنها: أن يكون الضمير في ﴿أَفْوَٰهِهِمْ﴾ يعود على الرُّسل، والمعنى: أنَّ الكفَّار رَدُّوا أيديهم في أفواه الرُّسل مانعين لهم من الكلام، كما يفعل المُسْكِت منًّا لصاحبه الراد لقوله، وهذا ينافي سياق الآية كما سبق، وينافي نظمها الذي يقتضي عود الضمير في ﴿أَيْدِيَهُمْ﴾ و﴿أَفْوَٰهِهِمْ﴾ على الكفَّار.

ومنها: أنَّ الضميرين يعودان على الرُّسل، والمعنى: أنَّ الكفَّار ردُّوا أيدي الرُّسل في أفواههم، ليُسْكِتوهم ويقطعوا كلامهم، وهذا -مع بعده- ينافي سياق الآية ونظمها.

ومنها: أنَّ الضمير في ﴿أَفْوَٰهِهِمْ﴾ يعود على الرُّسل، والمعنى: أنَّ الكفَّار ردُّوا أيديهم في أفواه الرُّسل مكذِّبين لهم، وليست الأيدي على حقيقتها، وإنَّما ذكرت كناية عن التكذيب وعدم الإصغاء إلى قول الرُّسل، وفي هذا الوجه تعسُّفٌ ومخالفةٌ لنظم الآية.

ومنها: أنَّ المراد بالأيدي النِّعم، والضمير المضافة هي إليه يعود على الرُّسل، و﴿فِىٓ﴾ بمعنى الباء، والضمير في ﴿أَفْوَٰهِهِمْ﴾ يعود على الكفَّار، والمعنى: فردُّوا نِعَم الرسل بأفواههم، أي: ردُّوا وعظهم وإنذارهم. وفي هذا الوجه تعسُّفٌ كبيرٌ وخروجٌ على نظم الآية.

ومنها: أن تكون الأيدي بمعنى النِّعم أيضًا، والضمير فيها يعود على الكفَّار. والمعنى: فرَدُّوا بأفواههم نعمهم التي جاء بها الرُّسل وأضيفت النِّعم إليهم؛ لأنَّها من نِعَم الله تعالى عليهم، وهذا الوجه أكثر تعسُّفًا من سابقه وكيف تضاف النِّعم إليهم وهم منسلخون منها، بل رافضون لها كلَّ الرَّفض.

ومنها: وجهٌ نقله عن أبي مسلمٍ الأصفهاني في "تفسيره" وهو: عَوْد الضميرين في ﴿أَيْدِيَهُمْ﴾ و ﴿أَفْوَاهِهِمْ﴾ على الرُّسل.

والمراد بالأيدي ما نطق به الرُّسل من البيِّنات والحجج التي جاءوا بها قومهم؛ لأنَّها من نِعَم الله تعالى. ولمَّا كان ما يعظ به الأنبياء قومهم وينذرونهم به إنَّما يخرج من أفواههم، فرَدُّوه وكذَّبُوه. قيل: إنَّهم ردُّوا أيديهم في أفواههم، أي: أنَّهم ردُّوا القول من حيث جاء، قال: ولا يجوز أن يكون الضمير في ذلك للمرسل إليهم، كما تأوَّله بعض المفسِّرين. وذُكر أنَّ معناه: أنَّهم عَضُّوا عليهم أناملهم غيظًا؛ لأنَّ رافع يده إلى فيه والعاضَّ عليها لا يُسمَّى رادًّا ليده إلى فِيه، إلَّا إذا كانت يده في فِيه فيخرجها ثمَّ يردُّها.

قلت: هذا الوجه بعيدٌ متكلَّفٌ، وهو ينافي نظم الآية أيضًا، وما اعترض به، أجاب عنه المرتضى بأنَّه قد يُقال: ردَّ يده إلى فيه وإلى وجهه، وعاد فلان يقول كذا، ورجع يفعل كذا، وإن لم يتقدَّم ذلك الفعل منه، ولو لم يسغ هذا القول تحقيقًا لساغ تجوُّزًا واتساعًا، على أنه يمكن أن يكون المراد بذلك أنهم فعلوا الفعل شيئًا بعد شيءٍ، وتكرَّر منهم، فلهذا جاز أن يقول: ردُّوا أيديهم في أفواههم؛ لأنَّه قد تقدَّم مثل هذا الفعل، فلما تكرَّر جازت العبارة عنه بالردِّ.

قلت: يؤيِّد جوابه الأوَّل قوله تعالى حكايةً عن شعيب عليه السَّلام: ﴿قَدِ

﴿ٱفۡتَرَيۡنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنۡ عُدۡنَا فِي مِلَّتِكُم بَعۡدَ إِذۡ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنۡهَاۚ﴾ [الأعراف: ٨٩] وشعيب لم يكن في ملَّتهم قطُّ.

ومن ﴿سورة النحل﴾

١- قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفۡرَطُونَ﴾ [النحل: ٦٢] قال الفراء: لا جرم هي كلمة كانت في الأصل بمنزلة لا بد، ولا محاله، فجرت على ذلك وكثرت، حتى تحوَّلت إلى معنى القسم، وصارت بمنزلة حقًّا، فلذلك يجاب عنها باللام كما يجاب بها عن القسم، ألَا تراهم يقولون لا جرم لآتينَّك! وليس قول من قال: جرمت، حققت بشيء.

قلت: ومعنى الآية على هذا واضحٌ، فبعد أن حكى الله تعالى قولهم: ﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۖ﴾ [النحل: ٦٢] ردَّ عليهم بصيغة تفيد التأكيد فقال: ﴿لَا جَرَمَ﴾ أي: حقًّا أنَّ لهم النَّار، فـ﴿لَا﴾ نافيةٌ للجنس، و﴿جَرَمَ﴾ مبنيٌّ على الفتح في محلِّ نصب اسمها، و﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ في موضع خبرها، وقيل في ﴿لَا جَرَمَ﴾ وجهان آخران:

أحدهما: أنَّ ﴿لَا﴾ نفي لكلام الكفَّار السَّابق، و﴿جَرَمَ﴾ فعلٌ ماضٍ بمعنى: حق وثبت. و﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ في موضع رفع فاعل، وتقدَّم قول الفراء: أنَّ من جعل ﴿جَرَمَ﴾ معنى حق، ليس كلامه بشيءٍ.

والثاني: أنَّ ﴿لَا﴾ نفي لكلام الكفَّار أيضًا، و﴿جَرَمَ﴾ فعلٌ ماض

معناه كسب، و﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ في موضع نصب مفعول، والفاعل محذوفٌ يُفهم من السِّياق.

والتقدير على الوجهين: ﴿لَا﴾ ردٌّ لكلام الكفَّار. ثُمَّ ابتدأ: حق ﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ﴾، أو كسب قولهم: ﴿أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ﴾.

والتقدير فيه تكلُّفٌ ظاهرٌ، وهو يقتضي الوقف على: ﴿لَا﴾. وليس أحد من القرَّاء وقف عليها، فالوجهان جديران بأن يكونا من بِدَع التفاسير.

(تنبيه): في ﴿لَا جَرَمَ﴾ لغاتٌ: بفتح الجيم والرَّاء وهي المشهورة. وبضمِّ الجيم وسكون الراء. ولا جر، بحذف الميم. ولا ذا جرم، قال الشاعر:

إنَّ كلابًا والِدِي لا ذا جَرمْ
لأهدرنَّ اليومَ هَدْرًا في النِّعَمْ
هَدْرَ المُعَنَّى ذي الشَّقاشِقِ اللَّهِم[1]

والتصرف فيها على هذا الوجه يؤيِّد قول الفراء، ولو كان جرم فعلًا ماضيًا، ما تصرفوا فيه بحذف آخره، وتغير بنيته.

٢- قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨] الآية. النَّحل معروف،

---

(١) لأهدرنَّ: لأصوتنَّ، من الهدير، وهو تردُّد صوت البعير في حنجرته. والمعنى -بصيغة اسم المفعول- الفحل من الإبل يُحبس في الحظيرة إذا هاج حتى لا يضرب في النُّوق. والشَّقَاشِق جمع شِقْشِقَة وهي كالرئة تخرج من فم البعير عند هيجانه، واللهِم بكسر الهاء الذي يلتهم أي يبتلع ما يعرض له.

والشَّراب الذي يخرج من بطنه معروفٌ أيضًا، وهما المرادان بهذه الآية عند جميع المفسِّرين.

قال الزمخشريُّ: «ومن بِدَع تأويلات الرَّافضة أنَّ المراد بالنَّحل: عليٌّ وقومه. وعن بعضهم: أنَّه قال عند المهدي الخليفة: إنَّما النَّحل بنو هاشم، يخرج من بطونهم العلم، فقال له رجلٌ: جعل الله طعامك وشرابك ما يخرج من بطونهم. فضحك المهدي، وحدَّث به المنصور فاتخذوه أضحوكة».

قلت: لهم كثيرٌ من مثل هذه التأويلات المُضحكة.

ومن ﴿سورة الإسراء﴾

١- قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١] معنى الآية: أنَّ النَّاس ينادَون يوم القيامة بإمامهم الذين اقتدوا به في الدنيا. فيقال: يا أتباع القرآن، يا أتباع إبراهيم، ومن هنا كان في هذه الآية فضيلة كبيرة لأهل الحديث جعلنا الله منهم؛ لأنَّهم أتباع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم تبعيَّة خاصَّة.

قال الزمخشريُّ: «ومن بِدَع التفاسير: أنَّ الإمام جمع أُمٍّ، وأنَّ النَّاس يُدعون يوم القيامة بأمَّهاتهم، وأنَّ الحكمة في الدُّعاء بالأمهات دون الآباء، رعاية حق عيسى عليه السَّلام، وإظهار شرف الحسن والحسين، وأن لا يفتضح أولاد الزِّنا[1] وليت شعري أيهما أبدع؟ أصحَّة لفظه، أم بهاء حكمته؟!»

---

(١) روى الطبراني في "الكبير" عن ابن عباسٍ مرفوعًا: «**أنَّ الله يدعو النَّاس يوم القيامة**

قلت: قد وفَّاه حقَّه من التهكُّم؛ لأنَّ جمع الأم أُمَّات وأُمَّهات، وولادة عيسىٰ من غير أبٍ جعلها الله شرفًا له وآية، ولم يذكره الله في القرآن إلَّا منسوبًا لأمِّه تنبيهًا لعابديه علىٰ أنَّه مخلوق، وشرف الحسن والحسين لا يحتاج إلىٰ هذه الحكمة المخترَعة، وأولاد الزِّنا إن كانوا صالحين لا يضيرهم أن يُدعوا بأمَّهاتهم، بل بركة صلاحهم تنفعهم في ذلك الموقف فلا يفضحهم الله تعالىٰ.

والعجيب أنَّ البيضاوي -وهو مُلَخِّص "للكشاف"- اعتمد هذا التفسير! ووجَّهَهُ بأنَّ الأم تجمع علىٰ إمام، كخُفٍّ وخِفاف، وإن صحَّ له هذا

بأمَّهاتهم سترًا منه على عباده». في إسناده وضَّاع. وورد نحوه من حديث عائشة وأنس بأسانيد ضعيفة، ولذا ذكره ابن الجوزي في "الموضوعات".

وهو معارضٌ بحديث أبي الدرداء مرفوعًا: «**إنَّكم تُدْعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فحسِّنوا أسماءكم**». رواه أبو داود بإسنادٍ جيدٍ، وفي "صحيح البخاري" عن ابن عمر مرفوعًا: «**إذا جمع الله الأوَّلين والآخرين يوم القيامة، يرفع لكل غادرٍ لواء، فيقال: هذه غدرة فلان ابن فلان**».

فهذا الحديثان الصَّحيحان يفيدان أنَّ النَّاس يُدعون يوم القيامة بأسماء آبائهم، وهم في ذلك اليوم مشغولون بأنفسهم، يفرُّ أحدهم من أخيه وأمِّه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذٍ شأنٌ يغنيه، فكيف يتفرَّغ للبحث في أنَّ هذا ابن زنا أو ابن حلال؟!!

وإنَّما يكون هذا في الدنيا حيث يتفرَّغ النَّاس للطعن في الأنساب، والبحث في العورات، ولهذا جاء في حديث تلقين الميت أن يقال له: «**يا فلان بن فلانة،... فإن لم يعرف اسمها فليقل يا فلان ابن حواء**». والحكمة في هذا: ستر الميت من قَالَة النَّاس وعيبهم له.

فكيف يفعل بقراءة الحسن «بكتابهم»؟ وهي وإن كانت شاذَّة، تجري مجرى الآحاد، في تعيين المعنى المراد حسبما تقرَّر في علم الأصول، وأيضًا فإنَّ الآية تفيد دعاء ﴿كُلَّ أُنَاسٍ﴾ باعتبارهم جماعة يتبعون داعيًا من الدُّعاة، أو كتابًا من الكتب، وحكمة الدُّعاء على هذا الوجه: إظهار فضل أهل الحقِّ وفوزهم، وهم أتباع القرآن ودين الإسلام، وإظهار خسران غيرهم، وهم أتباع أي دينٍ غير دين الإسلام، والحديث الصحيح يؤيِّد هذا أيضًا.

٢- قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ﴾ الدُّنيا ﴿أَعْمَىٰ﴾ عن الحقِّ لا يبصر رشده ﴿فَهُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ عن طريق النَّجاة ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٢] أبعد طريقًا عنه، والعمى كناية عن عمى قلوب الكفَّار، وعدم اهتدائهم لطريق الحقِّ، وهذه الآية في معنى: ومن أوتي كتابه بشماله فهو لا يهتدي لقراءة كتابه قراءة تسرُّه وتُنجيه؛ لأنَّها ذُكرت في مقابلة قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [الإسراء: ٧١].

ومن بِدَع التفاسير: جعل الآية مرتبطة بقوله تعالى: ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِي يُزْجِي لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِي ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [الإسراء: ٦٦] إلى قوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠] ثم قال: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ﴾ يعني: عن هذه النِّعم وعن هذه العبر ﴿أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ يعني فهو عمَّا يغيب عنه من أمر الآخرة ﴿أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ونُسب هذا التفسير إلى ابن

عباسٍ ولا يصح عنه، وهو تأويل ركيك.

٣- قوله تعالىٰ: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥]. ذكر المرتضىٰ في هذه الآية وجهين، ثُمَّ قال:

«وثالثها: أنَّهم سألوا عن الرُّوح الذي هو القرآن، وقد سمَّىٰ الله القرآن روحًا في مواضع من الكتاب، وإذا كان السؤال عن القرآن فقد وقع الجواب موقعه؛ لأنه قال لهم: الرُّوح الذي هو القرآن من أمر ربي، وممَّا أنزله علىٰ نبيِّه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، ليجعله دلالةً وعَلَمًا علىٰ صِدْقه، وليس من فعل المخلوقين ولا ممَّا يدخل في إمكانهم، وهذا جواب الحسن البصري.

ويقويِّه قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٦] فكأنَّه تعالىٰ قال: إنَّ القرآن من أمري وفعلي، وممَّا أنزلته عَلَمًا علىٰ نبوة رسولي، ولو شئت لرفعته وأزلته وتصرفت فيه كما يتصرَّف الفاعل فيما يفعله».

قلت: ليس في الآية دلالة بالمطابقة ولا بالتضمن ولا بالإشارة علىٰ أنَّ القرآن من فعل الله، وأنَّه يتصرف فيه تصرُّف الفاعل فيما يفعله. وتسميته في غير هذه الآية روحًا مجاز؛ لأنَّ النَّاس يحيون به في دينهم كما يحيا الجسد بالرُّوح.

فما ذكره في هذا الوجه من بِدَع التفاسير؛ لأنَّه حمَّل الآية مالا تحتمله واستخرج منها -بطريق التعمُّد الخاطيء- الإفادة بخلق القرآن، وهوالقول الذي خالف به المعتزلة ومن وافقهم من الإماميَّة إجماع علماء المسلمين، من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، والرُّوح الذي سألت عنه قريش -بإشارة

اليهود كما في "سيرة ابن هشام" هو الرُّوح الذي به قوام الجسم وحياته، كما تقدَّم للمرتضىٰ في الوجهين السَّابقين، أمَّا القرآن فلا معنىٰ لسؤالهم عنه؛ لأنَّهم إمَّا أن يؤمنوا به فيعلموا أنَّه وحيٌ من الله تعالىٰ، وإمَّا أن لا يؤمنوا به فيقولوا: سِحْرٌ، أو شِعْرٌ، أو كهانةٌ، كما حكىٰ الله قولهم في غير آيةٍ وردَّ عليهم.

ومن ﴿سورة الكهف﴾(١)

١- قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣ - ٢٤] نزلت الآية تأديبًا من الله لنبيِّه، حين قالت قريش- بإشارة اليهود-: أخبرنا عن الرُّوح وذي القرنين وأصحاب الكهف، فقال: «**ائتوني غدًا أخبركم**» ولم يستثن، فأبطأ عليه الوحي خمسة عشر يومًا حتىٰ شقَّ عليه، وكذَّبته قريش، والاستثناء من النَّهي، أي: ولا تقولن لأجل شيءٍ تعزم عليه: إنِّي فاعله فيما يستقبل، إلَّا أن يشاء الله، أي: إلَّا متلبسًا بمشيئته قائلًا: إن شاء الله، أو: ولا تقولنَّ ذلك إلَّا أن يشاء الله أن تقوله، بأن يأذن لك فيه، وفيه لفظ «وقت» محذوف للعلم به، تقديره: إلَّا وقت أن يشاء الله أن تقوله.

حكىٰ الزمخشريُّ هذين الوجهين، وقال:

«وفيه وجهٌ ثالث: وهو أن يكون إن شاء الله في معنىٰ كلمة تأييد، كأنه قيل: ولا تقولنَّه أبدًا، ونحوه قوله: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ

---

(١) من بدع التفاسير في كلب أهل الكهف: إنَّه كان أسدًا، وقيل: كان رجلًا، سُمِّي بالكلب لملازمته للحراسة. حكاهما الحلبي في "سيرته"، والصواب أنَّه كان كلبًا حقيقةً.

رَبُّنَا﴾ [الأعراف: ٨٩].

قلت: هذا من بِدَع التفاسير؛ لأنَّه صرفٌ للآية عن ظاهرها، إذ معناها الظَّاهر والمناسب لسبب نزولها، هو ما تقدَّم؛ ولأنَّ جعل المشيئة لتأييد النَّهي، مبنيٌّ على مذهبه الاعتزالي في أنَّ مشيئة الله لا تتعلق بجميع أفعال المكلَّفين، كما سبق في خطبة الكتاب، بل ببعضها.

وحكى المرتضى وجهًا آخر عن الفراء، وهو جعل الاستثناء متصلًا بفاعلٍ والتقدير: ولا تقولنَّ إنَّك فاعلٌ إلَّا ما يشاء الله. قال: وما رأيته -أي هذا التأويل- إلَّا له، ومن العجب تغلغله إلى مثل هذا!! مع أنه لم يكن متظاهرًا بالقول بالعدل.

قلت: هذا التأويل اعتزاليٌّ محضٌ، إذ معناه أنَّ الله تعالى ينهى أن يقول أحدٌ: إنِّي أفعل ذلك إلَّا أن يشاء الله، معلِّقًا فعله على مشيئة الله؛ لأنَّه تعالى لا يشاء جميع ما يفعله النَّاس.

وهذا من بِدَع التفاسير؛ لأنَّه ينافي مدلول الآية، ولا يتفق مع سبب نزولها، ويظهر أنَّ الفراء كان معتزليًّا يُخفي مذهبه، كما كان أبوعبيدة خارجيًّا يُخفي مذهبه، إلَّا عن أصدقائه الخاصِّين به، وكان يغضب من أحدهم إذا لم يقل عن قطري بن الفجاءة: أمير المؤمنين.

وقال أبوعليٍّ الجبّائي في "تفسيره": «إنَّما عني بذلك أنَّ من كان لا يعلم أنَّه يبقى إلى غدٍ حيًّا، فلا يجوز أن يقول: إنِّي سأفعل غدًا كذا وكذا. فيطلق الخبر بذلك وهو لا يدري لعلَّه سيموت ولا يفعل ما أخبر به؛ لأنَّ هذا الخبر إذا لم

يوجد مخبره على ما أخبر به فهو كذبٌ، وإذا كان المخبر لا يأمن أن لا يوجد مخبره لحدوث أمرٍ من فعل الله نحو الموت أو العجز أو بعض الأمراض، أو لا يحدث ذلك بأن يبدو له هو في ذلك، فلا يأمن أن يكون خبره كذِبًا في معلوم الله عزَّ وجلَّ. وإذا لم يأمن ذلك لم يجز أن يخبر به.

ولا يعدُّ خبره هذا من الكذب إلَّا بالاستثناء الذي ذكره الله تعالى، فإذا قال: إنِّي صائرٌ غدًا إلى المسجد إن شاء الله، فاستثنى في مصيره مشيئة الله أمن أن يكون خبره في هذا كذبًا؛ لأنَّ الله إن شاء أن يُلجئه إلى المصير إلى المسجد غدًا ألجأه إلى ذلك، وكان المصير منه لا محالة، فإذ كان ذلك على ما وصفنا لم يكن خبره هذا كذبًا وإن لم يوجد منه المصير إلى المسجد؛ لأنه لم يوجد ما استثناه في ذلك من مشيئة الله تعالى -يعني مشيئة الإلجاء.

قال: وينبغي ألَّا يستثني مشيئته دون مشيئة؛ لأنه إن استثنى في ذلك مشيئة الله لمصيره إلى المسجد على وجه التعبُّد فهو لا يأمن أنْ يكون خبره كذبًا؛ لأنَّ الإنسان قد يترك كثيرًا مما يشاؤه الله تعالى منه ويتعبَّده به، ولو كان استثناء مشيئة الله لأن يبقيه ويقدره ويرفع عنه الموانع ما كان أيضًا لا يأمن أن يكون خبره كذبًا؛ لأنه قد يجوز ألَّا يصير إلى المسجد مع تبقية الله تعالى له قادرًا مختارًا، فلا يأمن من الكذب في هذا الخبر دون أن يستثني المشيئة العامَّة التي ذكرناها، فإذا دخلت هذه المشيئة في الاستثناء فقد أمن أن يكون خبره كذبًا، إذ كانت هذه المشيئة متى وُجِدت وجب أن يدخل المسجد لا محالة».

قلت: هذا التأويل رغم ما أطال صاحبه في تقديره باطلٌ لأربعة أمور:

أحدها: تخصيص لفظ «شيء» وهو أعمُّ ألفاظ العموم بعمل الطاعة.

ثانيها: جعل مذهبه الاعتزالي -وهو أنَّ مشيئة الله لا تتعلَّق بأفعال المكلَّف المحرَّمة والمكروهة والمباحة- دليلًا على التخصيص المذكور.

ثالثها: تقييد المشيئة بمشيئة الإلجاء.

رابعها: اتخاذ مذهبه في أنَّ العبد يفعل باختياره ما لا يشاؤه الله منه دليلًا على التقييد المذكور.

ومن بِدَع التفاسير أن يجعل المفسِّر مذهبه دليلًا على تخصيص لفظٍ في الآية، أو تقييده، مضافًا إلى غفلته عمَّا يفيده سياق الآية، وسبب نزولها.

٢- قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ [الكهف: ٦٠] هو المكان الذي وعد موسى لقاء الخَضِر عنده، وهو ملتقى بحر فارس والروم ممَّا يلي المشرق وقيل: طنجة، وقيل: إفريقيا.

قال الزمخشريُّ: ومن بِدَع التفاسير أنَّ البحرين موسى والخَضِر؛ لأنَّهما كانا بحرين في العلم.

قلت: حكاه البيضاوي مصرِّحًا بأنَّ موسى بحرٌ في علم «الظَّاهر» والخَضِر بحرٌ في علم «الباطن» وقد قدَّمنا أنَّ ما يحكيه القرآن عن السَّابقين من الأنبياء وغيرهم يجب حمله على الحقيقة كما هنا، فإنَّنا لا ندري هل كان في لغة موسى التي خاطب بها فتاه إطلاق البحر على العالِم مجازًا أو كنايةً كما في لغة العرب؟ وعلى هذا فالمتيقَّن في ﴿مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ هوالمعنى الحقيقي الذي ذكره المفسِّرون جميعهم، وما عداه من بِدَع التفاسير حتمًا[1].

---

(١) نعم يصح أنْ يكون تفسيرًا إشاريًّا، وهونوعٌ من التفسير بيَّنته في الخاتمة.

ومن ﴿سورة مريم﴾

١- قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧] معنى الآية: أنَّ الله تعالى أرسل جبريل -عليه السَّلام- إلى مريم، فظهر لها في صورة بشرٍ، إلى آخر القِصَّة.

وروى أبو جعفر الرَّازي، عن الرَّبيع بن أنس، عن أُبيِّ بن كعبٍ، في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] الآية. وذكر حديثًا طويلًا في استنطاق الأرواح وهي في عالم الذَّرِّ، وفيه: وكان روح عيسى -عليه السَّلام- من تلك الأرواح التي أخذ عليها العهد والميثاق في زمن آدم. فأرسل ذلك الرُّوح إلى مريم حين انتبذت من أهلها مكانًا شرقيًّا، فأرسله الله في صورة بشرٍ، فتمثَّل لها بشرًا سويًّا، فحملت الذي يخاطبها، فدخل من فيها!! قال ابن تيمية: هذا غلطٌ، فإنَّ الذي أُرسل إليها: الملَك الذي قال لها: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ [مريم: ١٩] ولم يكن الذي خاطبها بهذا عيسى ابن مريم، هذا محالٌ.

قلت: أبو جعفر الرَّازي ضعيفٌ، ضعَّفه أحمد وغيره، وقال ابن حِبَّان: كان ينفرد بالمناكير عن المشاهير، وهذا من مناكيره الواصلة إلى حدِّ الاستحالة وعدم الإمكان، فهو من بِدَع التفاسير(١).

---

(١) من بدع التفاسير في مسألة مريم: رأيٌ أبداه لي طبيب في كلية الطب وكان يُعنَى بالمسائل الدينيَّة، وحاصل ذلك الرأي: أنَّ مريم كانت خُنثى، عندها عضو الذَّكر

٢- قوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ يعني: يوم القيامة ﴿لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ﴾ يعني: في حياتهم الدنيا ﴿فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [مريم: ٣٨] في ذهاب عن العلم بالله ودينه.

وصيغة ﴿أَسْمِعْ﴾ و﴿وَأَبْصِرْ﴾ تفيد التعجُّب، والمراد: أنَّ أسماع الكفَّار وأبصارهم جديرٌ بأن يُتعجَّب منها يوم القيامة، لعلمها بما كانت عنه صمًّا وعميًا في الدنيا.

وعضو الأنثى، والدَّليل على هذا: أنَّ أمَّ مريم لمَّا وضعتها قالت: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى﴾ [آل عمران: ٣٦]، فردَّ الله كلامها بقوله: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ [آل عمران: ٣٦] أي: ليست أنثى كما فهمت، بل خُنثى فلما بعث الله لها جبريل في صورة بشر، علَّمها الاستمناء فخرج المني من عضو الذَّكر ودخل في عضو الأنثى فحملت.

وهذا معنى قوله: ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾. بتعليمك طريق التناسل بين العضوين، وبسببه جاء الغلام، وهو أيضًا معنى النفخ في فرجها على سبيل الكناية فأوردت عليه قراءة حمزة: «والله أعلم بما وضعتُ» بضم التاء من وضعت، والقراءات يفسِّر بعضها بعضًا فالجملة على القراءتين المتواترتين تفيد توجُّع أمِّ مريم وتأسُّفها على فوات مطلوبها حيث نذرت لخدمة بيت المقدس ذكرًا فجاء المولود أنثى، ولهذا حصل التعقيب بجملة ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ [آل عمران: ٣٦] أي: ليس الذَّكر المطلوب كالأنثى المعطاة. فلم يجد مخلصًا من هذا الإيراد.

والحقيقة أنَّه رأيٌ باطلٌ جدًّا، ويكفي في بطلانه قول الملائكة لمريم: ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢]. وقوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ [التحريم: ١٢].

قال المرتضىٰ: «أمَّا قوله تعالىٰ: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ فهو علىٰ مذهب العرب في التعجُّب، ويجري مجرىٰ قولهم: ما أسمعه! وما أبصره! والمراد بذلك الإخبار عن قوة علومهم بالله في تلك الحال، وأنهم عارفون به علىٰ وجهٍ لا اعتراض للشبهة عليه، وهذا يدل علىٰ أنَّ أهل الآخرة عارفون بالله تعالىٰ ضرورة، ولا تنافي بين هذه الآية وبين الآيات التي أخبر عنهم فيها بأنَّهم لا يسمعون ولا يبصرون، وبأنَّ علىٰ أبصارهم غِشاوَةً؛ لأنَّ تلك الآيات تناولت أحوال التكليف، وهي الأحوال التي كان الكفَّار فيها ضُلَّالًا عن الدِّين، جاهلين بالله وصفاته.

وهذه الآية تناولت يوم القيامة وهو المعني بقوله: ﴿يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ وأحوال يوم القيامة لا بدَّ فيها من المعرفة الضروريَّة، وتجري هذه الآية مجرىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[ق: ٢٢].

فأمَّا قوله تعالىٰ: ﴿لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ فيحتمل أن يريد تعالىٰ بقوله: ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ الدنيا وأحوال التكليف، ويكون الضَّلال المذكور إنَّما هو الذِّهاب عن الدِّين والعُدُول عن الحقِّ. فأراد تعالىٰ أنَّهم في الدنيا جاهلون، وفي الآخرة عارفون، بحيث لا تنفعهم المعرفة.

ويحتمل أن يريد تعالىٰ بـ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ يوم القيامة، ويعني تعالىٰ بالـ«ضَّلال» العُدُول عن طريق الجنَّة ودار الثَّواب إلىٰ دار العقاب، فكأنَّه تعالىٰ قال: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ غير أنَّهم مع معرفتهم هذه وعلمهم يصيرون في هذا

اليوم إلى العقاب، ويعدل بهم عن طريق الثَّواب».

قلت: في هذا الوجه بعدٌ لا يخفى.

وقال الزمخشريُّ: معناه -أي ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾-: التهديد بما سيسمعون ويبصرون ممَّا يسوءهم ويصدِّع قلوبهم.

ومن بِدَع التفاسير: ما ذكره أبو عليٍّ محمد بن عبد الوهَّاب الجبَّائي في تفسيره، فقال: «﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ أي: أسمعهم وبصِّرهم وبيِّن لهم أنَّهم إذا أتوا مع النَّاس إلى موضع الجزاء، يكونون في ضلالٍ عن الجنَّة وعن الثَّواب الذي يناله المؤمنون، والظَّالمون الذين ذكرهم الله هم هؤلاء الذين توعَّدهم الله بالعذاب في ذلك اليوم.

ويجوز أيضًا أن يكون عَنَى بقوله: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ أي: أسمع النَّاس بهؤلاء الأنبياء وأبصرهم بهم ليعرفوهم ويعرفوا خبرهم، فيؤمنوا بهم ويقتدوا بأعمالهم، وأراد بقوله تعالى: ﴿لَكِنِ الظَّالِمُونَ﴾ لكن من كفر بهم من الظَّالمين اليوم -وهو يعني يوم القيامة- في ضلالٍ عن الجنَّة وعن نيل الثَّواب المبين».

قلت: هذان الوجهان باطلان، تولَّى ردَّهما الشَّريف المرتضى، فقال في الوجه الأول: «أنَّ الكلام -وإن كان محتملًا لما ذكره بعض الاحتمال من بعد- فإنَّ الأولى والأظهر ما تقدَّم ذكره من المبالغة في وصفهم -يعني بإفادة التعجُّب- وقوله: ﴿لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ بعد ما تقدَّم لا يليق إلَّا بالمعنى المذكور، لا سيِّما إذا حمل اليوم على أنَّ المراد به يوم القيامة، على أنَّ أبا عليٍّ جعل قوله تعالى: ﴿لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ صلة ومتعلِّقا بقوله

تعالىٰ: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ والمعنىٰ: أعلمهم وبصِّرهم بأنَّهم يوم القيامة في ضلالٍ عن الجنَّة، والكلام يشهد بأنَّ ذلك لا يكون من صلة الأوَّل، وأنَّ قوله تعالىٰ: ﴿لَٰكِنِ﴾ استئناف لكلامٍ ثانٍ.

قال: فأمَّا الوجه الثَّاني الذي ذكره فباطلٌ؛ لأنَّ قوله تعالىٰ: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ إذا تعلَّق بالأنبياء الذين ذكرهم الله تعالىٰ، بقي قوله: ﴿يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ بلا عامل، ومحال أن يكون ظرف لا عامل له: فالأقرب والأولىٰ أن يكون علىٰ الوجه الأوَّل مفعولًا.

ومن ﴿سورة طه﴾

١- قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ [طه: ١٥] أي: أريد أخفيها: فأكاد بمعنىٰ: أريد. كما جاء يريد بمعنىٰ يكاد في قوله تعالىٰ: ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ [الكهف: ٧٧] وهذا من لطائف اللغة العربية: أن تُستعمَل كلمةٌ مكان أخرىٰ لتناسبٍ بينهما، فإنَّ «كاد» تدل علىٰ قرب وقوع الفعل، وكذلك من أراد شيئًا فقد قرب فعله له.

وروي عن سعيد بن جُبيرٍ، أنَّه كان يقرأ: ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ بفتح الهمزة، أي: أُظهرها يقال: خفي الشَّيء يخفيه إذا أظهره، وهذه قراءةٌ شاذَّةٌ تردُّها القراءة المتواترة.

وفي ﴿أَكَادُ﴾ زائدة، والمعنىٰ: أنَّ السَّاعة آتية أخفيها.

قال المرتضىٰ في "الأمالي": «وقد قيل فيه وجه آخر، وهو: أن يتم الكلام

عند قوله تعالىٰ: ﴿ءَاتِيَةٌ أَكَادُ﴾ ويكون المعنىٰ: أكاد آتي بها. ويقع الابتداء بقوله: ﴿أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ وممَّا يشهد لهذا الوجه، قول ضابئ البُرْجُمي:

هَمَمْتُ ولَمْ أَفْعَلْ وكِدْتُ ولَيْتَنِي تَرَكْتُ علىٰ عثمانَ تَبْكِي حَلَائِلُهْ

أراد: وكدت أقتله، فحذف الفعل لبيان معناه».

قلت: هذا الوجه بعيدٌ؛ ولو كان صحيحًا لكان نظم الآية: ﴿أَكَادُ﴾، و﴿أُخْفِيهَا﴾ كما جاء في البيت: كدت، وليتني؛ لأنَّ وجود الواو يُبين أنَّ الخبر محذوف، ودعوىٰ زيادة ﴿أَكَادُ﴾ ضعيفة وإن ارتضاها المرتضىٰ، فالوجهان من بِدَع التفاسير.

وأرىٰ أنَّ ادعاء زيادة حرف أو كلمة في آيةٍ من القرآن كادعاء زيادة الكاف في قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورىٰ: ١١] و﴿أَكَادُ﴾ هنا يدل علىٰ ضعف صاحب الادِّعاء، وعدم إدراكه لما في تلك الحروف والكلمات المدَّعىٰ زيادتها من نكاتٍ لطيفة يدركها مَنْ تعمَّق في فهم أسرار القرآن الكريم.

وقال الزمخشريُّ: «أكاد أخفيها فلا أقول: هي آتية، لفرط إرادتي إخفاءها، ولولا ما في الإخبار بإتيانها مع تعمية وقتها من اللُّطف لما أخبرت به».

ومن بِدَع التفاسير: ما حكاه الزمخشريُّ فقال: «وقيل: معناه: «أكاد أخفيها من نفسي»، ولا دليل في الكلام علىٰ هذا المحذوف، ومحذوفٌ لا دليل عليه مطرح، والذي غرَّهم منه: أنَّ في مصحف أُبيٍّ: «أكاد أخفيها من نفسي». وفي بعض المصاحف: «أكاد أخفيها من نفسي»، فكيف أظهركم عليها؟!»

قلت: قد اعتمد هذا التفسير في سورة الأعراف، حيث قال ثمَّة: «﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا﴾ [الأعراف: ١٨٧] أي: علم وقت إرسائِها عنده، قد استأثر به لم يخبر به أحد من ملَكٍ مقرَّبٍ، ولا نبيٍّ مرسلٍ، يكاد يخفيها من نفسه».

وهذا غلطٌ قبيحٌ، وكيف خفي عليه -مع فطنته وذكائه- أنَّ خفاء علم السَّاعة عن الله تعالىٰ مُحالٌ؟! وأنه لا يجوز أن يقال: يكاد يخفيها عن نفسه، ثُمَّ من أكبر عيوب الزمخشريِّ حشد شواذِّ القراءات، والنَّقل عن شواذِّ المصحف، وتكلُّف توجيه تلك الشواذِّ بغرائب الإعراب ونوادر اللغة، بل لا يعيب كثيرًا من التفاسير غير هذا، وغير الاعتماد علىٰ الإسرائيليات.

٢- قوله تعالىٰ: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ﴾ أي: البحر ﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه: ٧٨] أي: البعض الذي غشيهم، والمعنىٰ أنَّ الذي أغرق فرعون وقومه بعض ماء البحر لا جميعه. وهذا تأويل الفراء، واعتمده أبو بكر بن الأنباري.

وقيل: معنىٰ: ﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾ تعظيم الأمر وتفخيمه، المعنىٰ: فغشيهم من اليمِّ ما لا يُدرك لعظمه، ومثله قوله تعالىٰ: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ﴾ [الشعراء: ١٩]. ومنه قول أبي النجم:

أنا أبو النَّجْمِ وشِعري شِعري ... لله دَرِّي ما يُجِنُّ صَدْرِي

قال الزمخشريُّ: «﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾ من باب الاختصار، ومن جوامع الكلم التي تستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة، أي غشيهم ما لا يعلم كنهه إلا الله».

وقيل: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ﴾ جهة ﴿ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ من العطب والهلاك.

ومن بِدَع التفاسير ﴿فَغَشِيَهُم﴾ أي: فرعون وقومه ﴿مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ أي: موسىٰ وقومه. وهو مردودٌ بوجهين:

الأول: تشتيت الضمائر، حيث إنَّ الضمير في ﴿فَغَشِيَهُم﴾ الأولىٰ يعود علىٰ فرعون وقومه وفي ﴿غَشِيَهُمْ﴾ الثَّانية يعود علىٰ موسىٰ وقومه، وتشتيت الضمائر، يورث في الكلام ضعفًا وركاكةً.

الثاني: أنَّ البحر لم يغشَ موسىٰ وقومه، بل انفرق لهم فسلكوا فيه طريقًا يبسًا. قال تعالىٰ في الآية قبل هذه: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾ [طه: ٧٧].

٣- قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [طه: ١١٤] كان النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إذا نزل عليه القرآن، وسمعه من جبريل عليه السَّلام، قرأ معه ما يوحىٰ به إليه أولًا فأولًا قبل انتهاء الوحي، حرصًا علىٰ ضبطه وحفظه، وخوفًا من نسيان بعضه، فأمره الله تعالىٰ في هذه الآية بانتظار ما يوحىٰ إليه حتىٰ ينتهي إلىٰ غايته.

وقال له في آيةٍ اخرىٰ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٦ - ١٩] فضمن تعالىٰ تحفيظ القرآن له وتثبيته في صدره، وهذا خرج مخرج الإشفاق عليه والترفيه عنه، كما أشرت إليه في كتاب "دلالة القرآن المبين علىٰ أنَّ النبيَّ أفضل العالمين".

ومن بِدَع التفاسير: أنَّ المراد نهيُ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن تلاوة القرآن على أمَّته وإبلاغ ما يسمعه منه إليهم قبل أن يوحى إليه ببيانه، والإفصاح عن معناه وتأويله؛ لأنَّ تلاوته على من لا يفهم معناه لا تحسن، ومعنى: ﴿مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ من قبل أن يقضى إليك وحي بيانه، وهذا تفسيرٌ اعتزاليٌّ يخالف سبب النزول، ولا يتلاقى مع سياق الآية ولفظها، وهو -مع هذا- مردودٌ بقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

ومن البدع أيضًا: قول المرتضى: «غير ممتنع أن يريد: لا تعجل بأن تستدعي من القرآن ما لم يوحَ إليك به، فإنَّ الله تعالى إذا علم مصلحةً في إنزال القرآن عليك أمر بإنزاله ولم يدَّخره عنك؛ لأنَّه لا يدَّخر عن عباده الاطلاع لهم على مصالحهم».

قلت: هذا تفسيرٌ اعتزاليٌّ كسابقه، يخالف نظم الآية وسبب نزولها.

٤- قوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١] من الغيِّ ضد الرشد. وكان أكله من الشَّجرة نسيانًا، بدليل الآية السَّابقة: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥].

ومن بِدَع التفاسير: قول بعضهم: فغوى: فبشم من كثرة الأكل.

قال الزمخشريُّ: «وهذا وإن صحَّ على لغة من يقلب الياء المكسور ما قبلها ألف، فيقول في فني وبقي: فنا وبقا وهم بنو طي، تفسيرٌ خبيثٌ».

قلت: لنسبة آدم عليه السَّلام إلى الشَّرَهِ، وهو دالٌّ على الدَّناءة، والأنبياء معصومون من الدَّناءة ومِن كلِّ خُلُقٍ رديء كعصمتهم من المعاصي.

ومن ﴿سورة الأنبياء﴾

١- قوله تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧] كأنَّه خلق منه، لفرط استعجاله، وقلَّة تأنِّيه. كقولك: خُلِق حاتمٌ من الكَرَم، جعل ما طُبِع عليه كالمطبوع هو منه، ففي الآية استعارة بالكناية.

ويشهد لهذا التأويل قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: ١١] وقال أبو عبيدة وقُطْرب بن المستنير: إنَّ في الكلام قلبًا، والمعنى: خلق العجل من الإنسان، وهو مثل قوله تعالى: ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾ [آل عمران: ٤٠] أي: قد بلغت الكبر، وقوله تعالى: ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ﴾ [القصص: ٧٦] أي: أنَّ العصبة تنوء بها.

وتقول العرب: عرضت النَّاقة على الحوض. والأصل: عرضت الحوض على النَّاقة، وهو كثيرٌ في كلامهم، واختار أبو القاسم البلخي المعتزلي هذا التأويل في "تفسيره"، وأيَّده بما ذكر له من الشَّواهد، ثُمَّ أورد على نفسه سؤالًا حاصله: كيف جاز أن يقول: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ [الأنبياء: ٣٧] وهو خلق العجلة فيهم؟! وأجاب بأنَّه قد أعطاهم قدرة على مغالبة طباعهم وكفِّها، وقد يكون الإنسان مطبوعًا عليها وهو مع ذلك مأمورٌ بالتثبُّت، قادرٌ على أن يجانب العَجَلة، وذلك كخَلْقه في البشر شهوة النِّكاح، وأمره في كثيرٍ من الأوقات بالامتناع عنها.

قلت: السؤال والجواب مبنيَّان على قاعدة المذهب الاعتزالي: أنَّ التكليف

لا يتعلَّق إلَّا بفعل المكلَّف المخلوق بقدرته التي خلقها الله فيه، ولكن التأويل الذي اختاره يضعف من جهة أنَّ القلب خلاف الأصل، وإذا كان القصد منه إفادة كثرة وقوع العَجَل من الإنسان فالتأويل الأوَّل أفاد هذا المعنىٰ بطريق الاستعارة التي هي أولىٰ من القلب؛ لأنَّها مجازٌ قريبٌ، وهو مجازٌ بعيدٌ.

ومن التفاسير: قول بعضهم: العَجَل: الطين بلغة حِمْيَر، والمعنىٰ خُلق الإنسان من طينٍ. وروىٰ ثعلب عن ابن الأعرابي قول الشَّاعر:

والنَّبعُ يَنْبُتُ بين الصَّخْرِ ضَاحِيةً والنَّخْلُ يَنْبُتُ بين الماءِ والعَجَلِ

قال الشَّريف المرتضىٰ: وقد حكىٰ صاحب كتاب "العين" عن بعضهم أنَّ العَجَل الحمأة، ولم يستشهد عليه، لكن البيت الذي رواه ثعلب عن ابن الأعرابي يمكن أن يكون شاهدًا له، وذكر البيت السَّابق.

قال: وإذا صحَّ هذا فوجه المطابقة بينه وبين قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ أنَّ من خلق الإنسان مع الحكم الظَّاهرة فيه من الطين، لا يعجزه إظهار ما استعجلوه من الآيات، أو يكون المعنىٰ: أنَّه لا يحب لمن خُلِق من الطين المهين أن يهزأ برسل الله وآياته وشرائعه؛ لأنه قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ [الأنبياء: ٣٦].

قلت: فيما أبداه من وَجْهي المطابقة تكلُّفٌ، والذي يفيده السِّياق ويقتضيه نظم الكلام: أنَّ الله وصف الإنسان بكثرة العَجَلة، توبيخًا للمشركين وتقريعًا لهم، وهدَّدهم بأنه سيريهم آياته، ونهاهم عن الاستعجال باستدعاء الآيات إبقاءً عليهم وإفساحًا لهم في الأمر ليرجعوا، حتىٰ إذا جاءت الآيات التي

استعجلوها، هلكوا ولم يبقَ لهم عُذْرٌ.

وقيل: المراد بالإنسان: آدم عليه السَّلام، ومعنى ﴿مِنْ عَجَلٍ﴾ أي: في سرعةٍ من خَلْقه؛ لأنَّه لم يخلقه من نطفة ثُمَّ من عَلَقَةٍ ثُمَّ من مُضْغَةٍ كما خَلَق غيره، وإنَّما ابتدأه الله ابتداءً، وأنشأه إنشاءً.

وقال مجاهد: «المراد آدم عليه السَّلام، وأنَّ الله خَلَقه بعد خَلْق كلِّ شيءٍ، آخر نهار الجُمعة، على سرعةٍ معاجلًا به غروب الشَّمس».

وهذان التفسيران من بِدَع التفاسير أيضًا؛ لأنَّهما لا يناسبان سياق الآية؛ ولأنَّه لا يجوز أن يقال: خلق الله آدم على سرعةٍ معاجلًا به غروب الشَّمس؛ لأنَّ معاجلة الشَّيء مخافة فوته من صِفات المخلوقات، والله تعالى لا يفوته شيء وهو خالق الزَّمان والمكان.

٢- قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] هو الجلد الذي يضم الكتاب. والآية تبيِّن عظم قدرة الله تعالى، وأنَّ السَّماء مع كبرها وسعتها يطويها يوم القيامة ويضمها، كما يضم السِّجل أوراق الكتاب.

ومن بِدَع التفاسير: ما حكاه الزمخشريُّ وتبعه مختصروا كلامه كالبيضاويِّ والنَّسَفيِّ: أنَّ السِّجل اسم ملَكٍ يكتب صحائف بني آدم، وقيل: اسم صحابي كان يكتب للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وليس في الملائكة ولا في الصحابة من اسمه السِّجل.

٣- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا

عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] معنى الآية: أنَّ الله تعالى كتب في الكتب المنزَّلة بعد الكتابة في اللَّوح المحفوظ: أنَّ أرض الجنَّة يرثها عباده الصَّالحون المتَّقون، وحكى عنهم قولهم حين دخلوها: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ﴾ [الزمر: ٧٤].

ومن بِدَع التفاسير: قول بعض المعاصرين: أنَّ الأرض يعني: أرض الدنيا يرثها عبادي الصَّالحون لعمارتها، والغرض بهذا التأويل تأييد الاستعمار الأوروبي والحضُّ على عدم مقاومته، حيث إنَّ القرآن أخبر بأنَّ لهم وراثة أرض الدنيا، وهذا إلحادٌ في القرآن وكذبٌ على الله وخروجٌ على دينه وحضٌّ على ترك فريضة الجهاد، وإنِّي أبرأ إلى الله من هذا التأويل ومن صاحبه.

ومن ﴿سورة الحج﴾

١- قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ إيمان النَّاس لينجوا من العذاب، ويعظم لهم عند الله الثواب، بدليل قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ قاتلها غمًّا من أجل ﴿أَلَّا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾[الشعراء: ٣] فتمنَّى على حقيقته كما تبيَّن ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِيٓ﴾ طريق ﴿أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ الشبه والشكوك في عقول النَّاس حتى لا يؤمنوا ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي: يبطله بما يبديه الرَّسول من المعجزات والدلائل ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ يثبتها في قلوب النَّاس وعقولهم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما يلقي الشيطان ﴿حَكِيمٌ﴾ [الحج: ٥٢] في تمكينه من ذلك، ليختبر عباده.

وتفسير الآية بهذا المعنى واضحٌ معقولٌ، يتمشَّى مع نظم القرآن، ويوافق حال الرُّسل في حرصهم على إيمان النَّاس، وقد ذكره العارف الكبير السيِّد عبدالعزيز الدَّباغ في كتاب "الإبريز".

ومن بِدَع التفاسير: ما ذكره كثيرٌ من المفسِّرين، فقالوا: معنى تمنَّى: قرأ. واستدلوا بقول الشَّاعر:

تمنَّى كتابَ الله أوَّلَ ليلِه ... تمنِّي داودَ الزَّبورَ على رِسْلِ

قالوا: والمعنى: إلَّا إذا قرأ ألقى الشيطان في قراءته ما ليس من الوحي ممَّا يرضاه المرسل إليهم، قالوا: وقد قرأ النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم سورة ﴿وَٱلنَّجۡمِ﴾[النجم: ١]، بمجلسٍ من قريشٍ، فلمَّا بلغ: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾[النجم: ١٩ – ٢٠] ألقى الشيطان على لسانه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، بغير علمه به: تلك الغرانيق العُلا، وإنَّ شفاعتهنَّ لترتجى. ففرح المشركون، ولما قرأها على جبريل عليه السَّلام قال له: ما أتيتك بهذا، فحزن صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فأنزل الله هذه الآيات من (سورة الحجِّ)، يسلِّيه بهنَّ.

فهذه القصَّة –وتسمى الغَرانيق– باطلةٌ، وإن قال الحافظ ابن حجرٍ –رحمه الله تعالى–: لها طريقان صحيحان مرسلان؛ لأنَّ ما يمس العصمة، ويتصل بصميم العقيدة لا تقبل فيه المسندات الصَّحيحة، فضلًا عن المراسيل.

وأوَّل نكارة في تلك القصة: تسلُّط الشيطان على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بإلقاء شيءٍ على لسانه وهو لا يعلم، مع أنَّ من البدهيات العقليَّة عصمة النبيِّ من الشَّيطان، فكيف تمكَّن منه في هذه الحادثة؟! هل كان نائمًا؟ لنفرض ذلك، فهو معصومٌ في نومه، ولذا كانت رؤيا الأنبياء وحيًا يُعمل بها في التشريع،

كما في قصة الذَّبيح إسماعيل عليه السَّلام.

ثُمَّ كيف خَفِي عليه الفرق بين القاء الملَك وإلقاء الشيطان؟! ولئن جاز الاشتباه عليه في هذه الحادثة جاز الاشتباه في غيرها، فترتفع الثِّقة بالوحي.

ثُمَّ كيف خفي عليه تناقض الكلامين؛ إذ ﴿ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ صفة ذَمٍّ، وكلام الشَّيطان المقحم مدحٌ، وهل يجوز في عقلٍ أن يمتزج كلامان متناقضان، على لسان أفصح العرب وأعلمهم بكلام الله تعالى، ثُمَّ لا يشعر بتنافيهما!! ثُمَّ بعد هذا كلِّه كيف يسلِّي الله نبيَّه بأنَّ جميع الرسل تمكَّن الشيطان أن يلقي على لسانهم ما لم يوح إليهم، وما معنى العصمة الواجبة في حقِّهم عقلًا؟!

وبعضهم كالحافظ ابن حجرٍ، أراد تقليل نكارات القصَّة فقال: لم يقل النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ذلك الكلام، ولا أُلقي على لسانه، وإنَّما كان من عادته أن يسكت عند مقطع كلِّ آيةٍ حين يقرأ القرآن، فتحيَّن الشيطان سكوته عند ﴿ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ فتكلَّم بتلك الجملة، بقراءة تشبه قراءة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وألقاها في أسماع المشركين، فظنُّوها قراءة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ففرحوا.

وهذا وجهٌ قريبٌ، لكن يبطله أمور:

أحدها: أنَّ الشطيان لا يتمثَّل بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في شيءٍ من أموره، بمعنى أنَّه لا يقدر على ذلك ولا يتمكَّن منه؛ حفظًا لمقام النُّبوَّة من الخلط والاشتباه. ولذا صحَّ في الحديث: «**مَن رآني في المنام، فقد رآني حقًّا فإنَّ الشيطان لا يتمثَّل بي**»، وفي روايةٍ: «**فإنَّ الشيطان لا يتكوَّنني**». وهو حديثٌ

مخرَّج في "الصحيحين" وغيرهما. مع أنَّ الشيطان قد يظهر لبعض النَّاس في اليقظة أو المنام، فيدَّعي أنَّه الله، ولا ضرر في ذلك إذ العقل يقضي بتنزُّه الله عن سِمات المُحدَثات. فكَذِب الشيطان في دعواه هذه لا يحتاج إلى بيان.

ثانيها: تنافر كلام الله وكلام الشيطان، والمشركون عربٌ فصحاء، لا يخفى عليهم ذلك.

ثالثها: أنَّ الشيطان لا يفعل ما يؤدِّي إلى التقارب بين النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وبين المشركين، بل هو يعمل على ضدِّ ذلك. وبالجملة فالقصَّة منكرةٌ باطلةٌ، كما قال ابن العربي وعياض وغيرهما.

ومن ﴿سورة النور﴾

١- قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾ [النور: ٤٣] قال أبو الحسن علي بن عيسى الرماني في "تفسيره": معنى ﴿مِنَ﴾ الأولى: ابتداء الغاية؛ لأنَّ السَّماء ابتداء الإنزال، والثانية للتبعيض؛ لأنَّ البَرَد بعض الجبال التي في السَّماء، والثالثة لتبيين الجنس؛ لأنَّ جنس الجبال جنس البَرَد.

قلت: ومفعول «يُنَزِّلُ»، قوله: ﴿مِن جِبَالٍ﴾ والتقدير: وينزِّل من السَّماء بعض جبالٍ فيها من بَرَدٍ. فلفظ ﴿مِنَ﴾ اسم بمعنى بعض، مبنيٌّ على السُّكون في محلِّ نصب مفعول به، وهو مضافٌ، و﴿جِبَالٍ﴾مضاف إليه، وعلى هذا مشى الزمخشريُّ، وهو أوجه. وقيل: ﴿مِنَ﴾ الأولى والثَّانية للابتداء، والآخرة للتبعيض. والمعنى: وينزِّل من السَّماء من جبالٍ فيها بعض بَرَدٍ. حكاه

الزمخشريُّ، ومفعول «يُنَزِّل»، قوله: ﴿مِنۢ بَرَدٍ﴾ ويقال في إعرابه: ما مر.

واختار الشَّريف المرتضىٰ: أنَّ ﴿مِنَ﴾ الأولىٰ والثَّانية للابتداء، والأخيرة زائدة. والمعنىٰ: وينزِّل من السَّماء من جبالٍ فيها بَرَدًا. فـ﴿بَرَدٍ﴾مفعول «يُنَزِّل»، ونصبه مقدَّر في آخره منع من ظهوره اشتغال المحل بحركة حرف الجرِّ الزَّائد.

ويضعِّف هذا الوجه أنَّ: «من» تزاد في النَّفي لإفادة العموم، نحو ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ﴾ [المؤمنون: ٩١] وزيادتها في الإثبات -إن صحَّت- خالية عن الفائدة ولا يصحُّ تخريج القرآن علىٰ وجهٍ لا فائدة فيه.

وقال أبوبكر محمد بن الحسن بن مقسم النحوي في كتاب "الأنوار" «أمَّا «من» الأولىٰ والثانية، فبمعنىٰ حدّ التنزيل، ونسبته إلىٰ الموضع الذي نزل منه، كما يقال: جئتك بكذا، ومن بلد كذا. وأمَّا الثالثة فبمعنىٰ التفسير والتمييز؛ لأنَّ الجبال تكون أنواعًا في ملك الله تعالىٰ، فجاءت «من» لتمييز البَرَد من غيره، وتفسير معنىٰ الجبال التي أنزل منها، وقد يصلح في مثل هذا الموضع من الكلام أن يقال: من جبالٍ فيها بَرَد بغير «من»، يترجم برد عن جبال؛ لأنَّها مخلوقة من بَرَد، كما يقال: الحيوان من لحمٍ ودمٍ، والحيوان لحمٌ ودمٌ بـ«من»، وبغير «من».

قلت: حاصل ما ذكره أنَّ ﴿مِنَ﴾ الأولىٰ والثَّانية للابتداء، والثَّالثة للتبيين، لكن يضعفه أنَّ الكلام علىٰ هذا التقدير، يكون خاليًا من مفعول يُنزِّل.

وقوله تعالىٰ: ﴿مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾ يُحتمل وجهين، ذكرهما الزمخشريُّ.

أحدهما: أن يخلق الله في السَّماء جبال بَرَدٍ، كما خلق في الأرض جبال حجرٍ.

ثانيهما: أن يريد الكثرة بذكر الجبال، كما يُقال: فلان يملك جبالًا من

ذهب. ومن بِدَع التفاسير: قول أبي مسلمٍ الأصفهاني في "تفسيره": الجبال ما جبل الله من بَرَدٍ، وكلُّ جسمٍ شديدٍ مستحجرٍ فهو من الجبال، ألم تر إلى قوله تعالى في خلق الأمم: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٤] والنَّاس يقولون: فلانٌ مجبولٌ على كذا.

قلت: هذا التأويل مردودٌ بوجهين، ذكرهما الشَّريف المرتضى:

أحدهما: خلو الكلام من مفعول يُنزِّل.

ثانيهما: أنَّه لا يُسمِّي أحدٌ من أهل اللُّغة كلَّ جسمٍ شديدٍ مستحجرٍ جبلًا، والجبل مشتقٌّ من الجِبْل -بسكون الباء- وهوالجمع؛ لأنَّ الجبل مجموعٌ من ترابٍ وحجرٍ وارتفاعٍ، ولا يلزم من ذلك تسمية جسم جمع أشياء جبلًا، على أنَّ البرد ماء جمد.

قلت: معنى الآية على تأويل أبي مسلمٍ: وينزِّل من السماء من جبَال بَرَدٍ فيها، و «من» في الموضعين ابتدائيَّة والثالثة بيانيَّة، فلهذا لزمه خلو الكلام من مفعولٍ ينزِّل.

ومن ﴿سورة الشعراء﴾

١- قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨ - ٨٩] معنى الآية: أنَّ يوم القيامة لا ينفع الإنسان فيه ماله ولا أولاده، ولكن ينفعه أن يأتي الله بقلبٍ سليمٍ من الشِّرك والمعاصي، وهذا من دُعاء إبراهيم عليه السَّلام، يطلب من الله ألَّا يخزيه يوم البعث الذي صفته ما ذكر.

قال الزمخشريُّ: ومن بِدَع التفاسير: تفسير بعضهم السَّليم باللديغ من خشية الله.

وقول آخر: هو الذي سَلِم وسَلَّم وأسلم وسالم واستسلم.

قلت: إطلاق السَّليم على اللديغ من باب التفاؤل، كما يقال للبرِّيَّة المُهلِكة: مَفازة. وحمل الآية عليه وعلى المعنى الذي بعده، غير سليمٍ.

ومن ﴿سورة النمل﴾

١ - قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٢٣ - ٢٤] تفيد الآية: أنَّ الهدهد حين أخبر سليمان -عليه السَّلام- بملكة سبأ وصف عرشها بأنَّه عظيمٌ مع أنَّه يعرف عِظم عرش سليمان؛ إمَّا لأنَّه استعظمه بالنِّسبة لها؛ وإمَّا لأنه بالغ، ليلفت نظر سليمان عما توعَّده به.

قال الزمخشريُّ: «ومن نوكى القصَّاص: من يقف على قوله: ولها عرشٌ ثُمَّ يبتدئ: «عظيمٌ وجدتها»، أي: أمرٌ عظيمٌ أن وجدتها وقومها يسجدون للشَّمس، فرَّ من استعظام الهدهد عرشها، فوقع في عظيمة وهي مسخ كتاب الله».

قلت: صدق فيما قال، وتقدَّم ما يناسبه في آية الكرسي.

٢- قوله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾[النمل: ٥٤].

قال الزمخشريُّ: «من بصر القلب، أي: تعلمون أنها فاحشةٌ لم تُسبقوا إليها،

وعلمكم بذلك أعظم لذنوبكم، وأدخل في القبح والسماجة.

وفيه دليلٌ على أنَّ القبيح من الله أقبح منه من عباده؛ لأنه أعلم العالمين وأحكم الحاكمين».

قلت: بئس ما استنبط وساء ما قال، وهي جرأةٌ قبيحةٌ تعدُّ في صدر بِدَع التفاسير، نسأل الله العفو والعافية.

وما دعاه إلى هذا الاستنباط القبيح إلَّا إغراقه في حبِّ مذهب المعتزلة، وتعصُّبه الشَّديد له كما نبَّهت عليه في الخطبة، والله تعالى منزَّهٌ عن القبيح، ولكن للمعتزلة في فهم القبيح وتعيين جزئياته اصطلاحٌ يتمشَّى مع قواعد مذهبهم، التي يحاولون أن يجعلوا آيات القرآن دالَّةً عليها، وناطقةً بها.

ومن ﴿سورة القصص﴾

١- قوله تعالى: ﴿وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِۖ﴾ [القصص: ٣٢] الرَّهب: الخوف. والمعنى: إذا أصابك الرَّهب عند رؤية العصا ثعبانًا فاضمم إليك جناحك. قال الزمخشريُّ: «ومن بِدَع التفاسير أنَّ الرَّهب: الكم، بلغة حِمير[1] وأنَّهم يقولون: أعطني ممَّا في رهبك، وليت شعري كيف صحته في اللغة؟ وهل سمع من الأثبات الذين ترتضى عربيتهم؟ ثُمَّ ليت شعري كيف موقعه في الآية؟ وكيف تطبيقه المفصل كسائر كلمات التنزيل؟ على أنَّ موسى

(١) لكن ذكر أبوعبيد في الرسالة التي ألَّفها لبيان ما ورد في القرآن من لغات قبائل العرب أنَّ الرَّهب: الكم بلغة بني حنيفة.

عليه السَّلام ما كان عليه ليلة المناجاة إلَّا زُرْمانِقة من صوف لا كُمَّي لها.

قلت: الزرمانقة: الجبة قال أبو عبيد: أراها عبرانية.

٢- قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ [القصص: ٦٨] المعنى: أنَّ الله يصطفي من خلقه لرسالته من يعلم أنَّه يصلح لها، نزل ردًّا لقول الوليد بن المغيرة ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١] وما على هذا نافية، أي: ما كان للناس اختيار فيمن يرسله الله إليهم رسولًا.

ومن بِدَع التفاسير: جعل ﴿مَا﴾: موصولة، والمعنى: أنَّ الله يختار لخلقه الأمر الذي لهم الخيرة فيه، وهذا -مع كونه مخالفًا لسبب النزول- يلزم عليه حذف العائد المجرور، في موضع لا يجوز حذفه فيه إذ المقرَّر في علم العربيَّة أنَّ العائد لا يحذف إلَّا إذا جرَّ بحرف جر الموصول بمثله، مع اتحاد المعنى. نحو: ﴿يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٣] أي منه.

فالعائد هنا محذوفٌ لوجود شرط حذفه. ولا يجوز: جاءني الذي مررت به ورأيت الذي رغبت، أي: فيه. لعدم توفر الشَّرط، ويلزم عليه أيضًا نصب ﴿ٱلْخِيَرَةُ﴾ خبرًا لكان، واسمها ضمير عائد على الموصول، ويكون المعنى: أنَّ الله يختار لهم الأمر الذي كان هو الخيرة، لكن لم يقرأ بنصب «الخِيرة» أحدٌ من القرَّاء المشهورين.

ومن البِدَع أيضًا: جعل ﴿مَا﴾ مصدريَّة، تسبك مع ما بعدها بمصدر، والمعنى: يختار اختيارهم فيه، وهو ظاهر البطلان.

ومن ﴿سورة لقمان﴾

قوله تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ ﴾ [لقمان: ١٦] معنى الآية: أنَّ الخصلة من الإساءة أو الإحسان إن كانت في الصِّغر كحبَّة الخَرْدل، وكانت مع شدَّة صغرها في أخفى مكانٍ، كجوف صخرةٍ، أو حيث كانت في العالم العُلويِّ أو السُّفليِّ فإنَّ الله يأتي بها يوم القيامة، فيحاسب عاملها، لا يخفى عليه مكانها.

فالصَّخرة ذكرت مثالًا لأخفى مكان تختفي فيه السَّيئة الصَّغيرة أو الحسنة الصَّغيرة.

ومن بِدَع التفاسير: أنَّ المراد: الصَّخرة التي تحت الأرضين السَّبع، وخضرة السَّماء منها، وأنَّ الأرض خُلقت على حوتٍ، والحوت في الماء على ظهر صفاة، والصَّفاة على ظهر ثور، وهو على الصَّخرة، وهي التي ذكرها لقمان. وهذا من الإسرائيليات التي يكفي في ردِّها حكايتها.

ومن بابه: ما رواه الطبريُّ من طريق أبي وائل، قال: جاء رجلٌ إلى عبدالله بن مسعودٍ رضي الله عنه، فقال: من أين جئت؟ قال: من الشَّام. قال: من لقيت به؟ قال: كعبًا. قال: وما سمعته يقول؟ قال: سمعته يقول: إنَّ السَّماوات على منكب ملك. قال: كذب كعب، ثم قرأ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ ﴾ [فاطر: ٤١].

قلت: هذه الآية دليلٌ على أنَّ السَّماوات والأرض واقعتان في الفضاء ليس يسندهما إلَّا قدرة الله تعالى.

ومن ﴿سورة الأحزاب﴾

١- قوله تعالىٰ: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا﴾ [الأحزاب: ٢٧] يخاطب الله المسلمين بأنَّه أورثهم أرض بني قُريظة وأموالهم وديارهم. واختلف في قوله: ﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا﴾ فقيل: خَيْبَر، وقيل: فارس والروم، وقيل: مكة، وقيل: ما فتح علىٰ المسلمين من البلاد والأقطار فيما بعد.

قال الزمخشريُّ: ومن بِدَع التفاسير: «أنَّه أراد نسائهم».

قلت: هذا تأويلٌ بعث عليه الشَّبق! وانتقل ذهن صاحبه من وطء الأرض، إلىٰ وطء الفرج.

ومن ﴿سورة فاطر﴾

١- قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ﴾ القرآن. حكمنا بتوريثه منك ﴿ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ يعني: علماء الأمَّة من الصَّحابة ومن بعدهم من الأئمَّة، أو الأمَّة جميعهم؛ لأنَّ الله اصطفاهم علىٰ جميع الأمم؛ ولأنَّه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**تركت فيكم ثَقلين كتاب الله وسُنَّتي**»[1] ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ بالتقصير في العمل به ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ يعمل به في أغلب

---

(١) لهذا الحديث طرقٌ تبلغ حدَّ الاستفاضة، وفي بعض طُرُقه «وعِترتي» بدل «وسُنَّتي» وهي صحيحةٌ أيضًا. وحاصل هذه الرِّوايات الصَّحيحة ضمان الهداية في العمل بالكتاب والسُّنَّة وفي حبِّ العِترة النَّبويَّة.

أحواله ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بضمِّ التعليم والإرشاد إلى العمل. وقيل: «الظَّالِم» المجرم، و«المقتصد» الذي خلط صالحًا بسيء، و«السَّابق» الذي رجحت حسناته على سيئاته ﴿ذَٰلِكَ﴾ التوريث أو الاصطفاء أو السَّبق، والأوَّل أقرب؛ لأنَّه محطُّ الكلام ﴿هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢] ﴿هُوَ﴾ ضمير فصل وما بعده خبر ذلك. خُتمت الآية بهذه الجملة، بيانًا لما في إيراث القرآن من ميزةٍ وفضل ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ [فاطر: ٣٣] مبتدأ وخبر. والضمير يعود على الثَّلاثة: الظَّالِم والمقتصد والسَّابق.

هذا التفسير هو الذي يقتضيه ظاهر الآية، وتؤيِّده الأدلة.

وروى البيهقيُّ في "شعب الإيمان" من طريق ميمون بن سِيَاه، عن عمر رضي الله عنه مرفوعًا: «**سابقنا سابقٌ، ومقتصدنا ناجٍ، وظالمنا مغفورٌ له**».

ورواه الثعلبي وابن مَرْدُويه من طريق آخر عن ميمون بن سِياه، عن أبي عثمان النهدي عن عمر أيضًا، وسنده ضعيف(١).

ورواه سعيد بن منصور، عن فرج بن فضالة، عن أزهر بن عبدالله الحرازي، عمن سمع عمر يقول... فذكره موقوفًا، وهو في حكم المرفوع.

وأبدى بعضهم تأويلات هي في الواقع من بِدَع التفاسير، ونحن نذكرها مع بيان ما فيها:

قال المرتضى وهوشيعيٌّ إماميٌّ: أنَّ المورَّثين الكتاب هم الأئمَّة من ولد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؛ لأنَّهم المتعبَّدون بحفظه وبيانه، والعمل بأحكامه.

---

(١) وحسَّنه السُّيوطيُّ بالنظر لمجموع طرقه، فهو من قبيل الحسن لغيره.

قلت: هذا تخصيصٌ للآية من غير دليلٍ، بل الدليل يقتضي نقيض هذه الدعوىٰ؛ لأنَّ العمل بأحكام القرآن تعبَّد الله به جميع الأمَّة، كما أنَّه قام بحفظه وبيانه علماء أجلاء من الصَّحابة والتَّابعين وغيرهم ممَّن لا يحصيهم العدُّ، وللشيعة في شأن أهل البيت عليهم السَّلام دعاوىٰ تشتمل علىٰ غُلُوٍّ وإسرافٍ.

ثُمَّ جعل الضمير في ﴿فَمِنْهُمْ﴾ يعود علىٰ ﴿عِبَادِنَا﴾ لا علىٰ ﴿ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا﴾ وأورد علىٰ نفسه سؤالًا، وهو: أيُّ فائدةٍ في وصف العباد بهذه القسمة؟ وكيف عدل عن وصف الذين اصطفاهم وورَّثهم الكتاب؟

وأجاب بأنَّه تعالىٰ لما علَّق توريث الكتاب بمن اصطفاهم من عباده، أراد أن يبيِّن وجه الاختصاص، وإنَّما علَّق وِراثة الكتاب ببعض العباد دون بعض؛ لأنَّ في العباد من هو ظالمٌ لنفسه، ومن هو مقتصدٌ، ومن هو سابقٌ بالخيرات، فوجه المطابقة بين الكلام واضحٌ.

قلت: لا وضوح ولا مطابقة، بل الذي يقتضيه السِّياق ويفيده دخول فاء التفريع علىٰ «منهم»: أن يكون التقسيم تفريعًا علىٰ الذين اصطفوا، بهذا ينسجم الكلام، ويتحد سياقه ولا ينافي اصطفاءهم وجود ظالمٍ لنفسه فيهم؛ لأنَّ المراد أنَّ الله اصطفاهم واختارهم لتوحيده وإقامة دينه؛ لأنَّ أهل الكتاب تركوا دينهم، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله، فاختار الله هذه الأمَّة المحمديَّة لحمل القرآن والعمل به، وأخبر سبحانه أنَّ فيهم من هو ظالمٌ لنفسه بما دون الشِّرك الذي وقع فيه أهل الكتاب قبلهم.

وفي "المسند" وغيره: عن أبي بصرة الغِفَاريِّ، عن النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله

وسلَّم: «سألتُ ربِّي أنْ لا تجتمع أمَّتي على ضَلالةٍ فأعْطَانِيها».

وله طرقٌ كثيرةٌ بيَّنتها في تخريج أحاديث "منهاج البيضاوي" وهو من أدلة حُجِّيَّة الإجماع، وعدم اجتماعهم على ضلالة من أدلَّة اصطفائهم للتوحيد وإقامة الدِّين الحق، وأنَّ الله حماهم من أن يجتمعوا على ضلالةٍ كما اجتمع عليها اليهود والنصارى، أمَّا جعل التقسيم للعباد، فيرده مخالفته للسِّياق، وعدم الارتباط بين التقسيم والاصطفاء؛ لأنَّ الأقسام الثلاثة موجودة في العباد، سواء أحصل الاصطفاء أم لا؟ ولأنَّ السَّابق بالخيرات إن كان من المصطفَين فلم ذُكر في غيرهم؟ وإن لم يكن منهم، فكيف يعقل أن يكون سابقٌ بالخيرات غير مصطفًى؟

ذكر أبو علي الجبّائي في "تفسيره": «أنَّ المراد بـ﴿ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا﴾: الأنبياء عليهم السَّلام، والظَّالم لنفسه من ارتكب الصَّغيرة منهم، وإنَّما وصف بذلك من حيث فوت نفسه الثَّواب الذي زال عنه، بارتكاب الصغيرة ويؤدِّي سائر الواجبات، والسَّابق إلى الخير، هو الذي استكثر من فعل النوافل».

قال المرتضى: وهذا التأويل يفسد من جهة أنَّ الدليل قد دلَّ على أنَّ الأنبياء عليهم السَّلام لا يقع منهم شيءٌ من المعاصي والقبائح، ولو عدلنا عن ذلك لم يجز ما قاله؛ لأنَّ قولنا: فلانٌ ظالمٌ لنفسه من أوصاف الذَّمِّ، والذَّمُّ لا يستحقه فاعل الصَّغيرة فكيف تجري عليه أوصاف الذَّمِّ؟!

ذكر بعضهم: أنَّ ﴿ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا﴾ هم الأنبياء أيضًا، وتأوَّل ﴿فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾ على أنَّ المراد: أجهد نفسه في العبادة وحمل عليها، وهذا يليق

بأوصاف الأنبياء ولا تمنع النُّبوة منه.

وردَّه المرتضىٰ أيضًا بأنَّ لفظة ﴿ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ يُذمُّ بها، فكيف تجري علىٰ المدح؟ وبأنَّ السَّابق إلىٰ الخيرات هو المجتهد في العبادة، الحامل علىٰ نفسه فيها، فأيُّ معنىٰ للتكرار؟ وبأنَّ هذا التأويل يفسد التقسيم.

قال أبو القاسم البلخي المعتزلي في "تفسيره": «أنَّه تعالىٰ أراد العقلاء البالغين، ويجوز أن يكونوا عند الاصطفاء أخيارًا أتقياء، ثمَّ ظلم بعضهم نفسه. فيكون كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾ [المائدة: ٥٤] وهو في وقت الارتداد غير مؤمنٍ، كذلك يكون في حال ظُلْمه نفسه ليس من المصطفَين. ويجوز أيضًا أن يكون فيهم من ظَلم نفسه ثُمَّ تاب وأصلح، ويكون قوله: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ أي: منهم من كان قد ظلم نفسه، ليس أنه في هذا الوقت ظالمٌ لها».

قال المرتضىٰ: «هذا فاسدٌ؛ لأنَّ من كان منهم ظالمًا فاعلًا للقبيح لا يوصفون علىٰ الإطلاق بأنَّ الله تعالىٰ اصطفاهم، فهذا الوصف يقتضي أن تكون الجماعة أخيارًا.

وقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾ بخلاف هذا؛ لأنَّ وصفهم بأنَّهم آمنوا في الماضي لا يمنع من الرِدَّة في المستقبل، وقوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا﴾ يمنع أن يكون فيهم من ليست هذه صفته، وأمَّا حمل ذلك علىٰ من ظلم ثُمَّ تاب فهو غير صحيحٍ؛ لأنَّ من تاب لا يوصف بعد التوبة بأنه

ظالمٌ لنفسه؛ لأنَّ التوبة تمنع من إجراء ألفاظ الذَّمِّ».

قلت: بينَّا معنى الاصطفاء بما لا يتنافي مع قوله: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ وهو بيان مؤيَّد بالدليل كما مرَّ.

قال الزمخشريُّ: «فإن قلت: فكيف جعلت ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ بدلًا من ﴿ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ الذي هو السَّبق بالخيرات المشار إليه؟

قلت: لما كان في نيل الثَّواب نزل منزلة السَّبب كأنَّه هو الثَّواب، فأُبدلت عنه ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾، وفي اختصاص السَّابقين -بعد التقسيم- بذكر ثوابهم، والسُّكوت عن الآخرين ما فيه من وجوب الحَذَر، فليحذر المقتصد، وليملك الظَّالم لنفسه حذرًا، وعليهما بالتوبة النصوح المخلِّصة من عذاب الله.

ولا يغتر بما رواه عمر رضي الله عنه، عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**سابقنا سابقٌ ومقتصدنا ناجٍ وظالمنا مغفورٌ له**».

فإنَّ شرط ذلك صحَّة التوبة، لقوله تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٢] وقوله: ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾[التوبة: ١٠٦] ولقد نطق القرآن بذلك في مواضع، من استقرأها اطَّلع على حقيقة الأمر، ولم يعلِّل نفسه بالخدع».

قلت: تمحَّل بجعل ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ بدلًا من ﴿ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾، وجعل الإشارة بذلك قاصرة على السَّبق بالخيرات لتفيد الآية مذهبه الاعتزالي: أنَّ «الظَّالم لنفسه» و«المقتصد» لا يدخلان الجنَّة لكن يبطل تأويله أنَّ جنَّات عدنٍ ليست هي الفضل الكبير، إلَّا بتجوُّزٍ لا ضرورة تقتضيه، ولا

حاجة إليه، وذلك لكونه اسم إشارة للبعيد، مشار به إلى توريث الكتاب، و﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾ جملة استئنافية ذكرت لبيان جزاء المصطفَين، وضمير الجمع دليلٌ على ذلك، وعودة للسَّابق بالخيرات -كما زعم الزمخشريُّ- نظرًا إلى أنَّ «سابقًا» في معنى سابقين تكلُّفه ظاهر.

ولا داعي لارتكاب مثل هذا التكلُّف في إعراب الآية إلَّا الحرص على موافقة المذهب، ثُمَّ يلزم على قصر الإشارة في ﴿ذَٰلِكَ﴾ على السَّبق بالخيرات خلوُّ الكلام من الإشارة إلى ما في توريث الكتاب من الفضل، مع أنَّه مقصد الكلام ومحطُّ الفائدة.

ومن ﴿سورة يس﴾

١- قوله تعالى: ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا ﴾ هم العرب ﴿مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ ﴾ الأوَّلون الذين كانوا في زمن الفترة ﴿فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [يس: ٦] عن معرفة الله وعبادته فـ﴿مَّآ﴾ نافية، وهي مثل ما في قوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾[القصص: ٤٦]. ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴾ [سبأ: ٤٤].

ومن بِدَع التفاسير: جعل ﴿مَّآ﴾ موصولة، وهي مفعولٌ ثانٍ لتنذر، والمعنى: لتنذر قومًا الإنذار الذي أُنذر به آباؤهم وفيه تكلُّف، بحذف الموصوف، وحذف العائد المجرور في مكانٍ لا يجوز فيه حذفه، وقد نبَّهنا عليه في (سورة القصص).

أو جعلها مصدريَّة. والمعنى: لتنذر قومًا إنذار آبائهم، وهو لا يلتئم مع

سياق الآية إلَّا بتكلُّفٍ لا داعي إليه، على أنَّ العرب لم يأتهم نذيرٌ من عهد إسماعيل عليه السَّلام، وقيل: ﴿مَآ﴾ نافية، لكن المعنى: لتنذر قومًا أنت منهم، ما أنذر آباءهم من هو منهم، وهذا في غاية البُعد.

وقال المرتضى: يمكن في ﴿مَآ﴾ وجهٌ آخر، وهو: أن يراد بها التنكير، كأنَّه قال ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ﴾ وتقف، ثُمَّ تبتدئ فتقول: ﴿أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ كما يقول القائم: أكلت طعامًا ما، ولقيت جماعة ما، يكون الغرض التنكير والإجمال.

قلت: هذا التأويل أشد بُعدًا ممَّا قبله. وحمل الآية عليه يوجب ركَّة يتنزَّه عنها القرآن، ثمَّ لا يجوز الوقوف على ﴿مَآ﴾.

ومن ﴿سورة ص﴾

١- قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ﴾ خبرهم ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾ محراب داود عليه السَّلام، وهو مسجده الذي أعدَّه للصَّلاة في بيته. وكان قد رتَّب أيام الأسبوع، فجعل يومًا للقضاء بين الناس، ويومًا لأهله، ويومًا ينظر في شؤون معايشه؛ لأنَّه كان يأكل من عمل يده، كما جاء في الحديث الصَّحيح(١) وجاء هؤلاء الخصوم في يوم العبادة، فمنعهم الحرس من

---

(١) في "صحيح البخاري" عن المقدام بن مَعْدِي كَرِب عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ما أكل أحدٌ طعامًا قطُّ خيرًا من أنْ يأكلَ مِن عمل يَدِه، وإنَّ نبيَّ الله داودَ كان يأكلُ من عمل يَدِه**». وكان عمله صنعة الدُّروع التي تُلبس في الحرب. قال

الدخول، وهم مستعجلون يريدون الفَصْل في قضيَّتهم. فتسوَّروا المحراب ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ حيث نزلوا من جهة السَّقف، وظنَّ أنَّهم يريدون به شرًّا، إذ الملِك لا يخلو في العادة ممَّن يقصده بشرٍّ مِن رعاياه ﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ﴾ لا نقصدك بشرٍّ، نحن ﴿خَصْمَانِ﴾ فريقان أو شخصان، كانت بيننا مشاركة في نعاجٍ واختلفنا فيها بحيث ﴿بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾ لا تَـجُرْ، وهذا تعبيرٌ فيه جفاء لا يليق بمقام النُّبوَّة، وهو يدل على ما كان يتمتع به الشَّعب الإسرائيلي في حكم داود من حريَّة في التعبير ﴿وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ أرشدنا إلى وسط الطريق الصواب.

فاطمأنَّ وسألهم عن قضيَّتهم، فقال أحدهم: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى﴾ أي: اسرائيلي مثلي ﴿لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ حقيقةً، لا كنايةً عن النِّساء كما قيل ﴿وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾ اجعلني كافلها بأن أضمَّها إلى نِعاجي ﴿وَعَزَّنِى﴾ غلبني ﴿فِى ٱلْخِطَابِ﴾ أي: الجدال بقوة منطقه ﴿قَالَ﴾ داود مصدرًا لحكمه بعد موافقة الخصم واعترافه، أو ثبوت الحُجَّة عليه ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ﴾ ليضمها ﴿إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ﴾ الشُّركاء ﴿لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فلا يبغون، والبغي: الظُّلم ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ﴾ ما لتأكيد القِلَّة ﴿وَظَنَّ﴾ أيقن ﴿دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ ابتليناه بالفزع الذي حصل منه حين تسَّور

تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ﴾ [الأنبياء: ٨٠].

الخصوم عليه المحراب، وما كان ينبغي له الفَزَع من المخلوق وهو في حضرة الخالق وعبادته ﴿فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ﴾ مِن فَزَعِه الذي لا يليق به ﴿وَخَرَّ رَاكِعٗا﴾ ساجدًا ﴿وَأَنَابَ﴾ رجع إلى الله تعالى. [سورة ص: ٢١-٢٤]

فتبيَّن من سياق القصة أنه كانت خصومة بين شركاء في نِعاجٍ حقيقيةٍ، وأنَّه لم يحصل من داود قبلها ما يستوجب لومه أو عِتابه، وكلُّ ما حصل منه خوفًا من الخصوم الذين تسُّوروا عليه المحراب، والخوف غريزةٌ بشريَّة، فقد قال موسى وهرون من قبله وهما أفضل: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ﴾ [طه: ٤٥] وما من رسولٍ إلَّا وقد خاف إذاية قومه، غير أنه اعتبر فزعه من المخلوق وهو بين يدي الخالق لا يليق بمنصبه الكريم، وعَدَّه ابتلاءً وامتحانًا فاستغفر الله منه.

ومن بِدَع التفاسير: ما ذكره كثيرٌ من المفسِّرين أنه نظر من طاقٍ في بيته، فرأى امرأةً عريانة تغتسل فأعجبته، فسأل عنها، فقيل له: إنها امرأة شخصٍ يقال له: أوريا، فبعثه إلى حربٍ، وأمر بأن يحمل التابوت، وكان حامل التابوت لا يحل له أن يرجع حتى ينتصر الجيش أو يُقتل هو، فانتصر الجيش وعاد أوريا.

فبعثه مرةً ثانية وثالثة، فقُتل فتزوَّج امرأته، وكان له تسع وتسعون امرأة، وقيل: بل كانت خطيبة أوريا، فبعث داود يخطبها -ولم يعلم بخطبتها- فآثره أهلها على خاطبها الأول فزوَّجوها له، وهي أمُّ سُليمان، فبعث الله إليه ملَكين في صورة رجلين يختصمان في نعاجٍ، كنَّيا بها عن الزَّوجات، فلما قضى صعدا إلى السَّماء وهما يقولان: قضى الرجل على نفسه، فأدرك خطأه وتاب.

وهذه القصَّة مأخوذةٌ عن الإسرائيليات وفيها مساسٌ بمقام النُّبوَّة، وخَدْشٌ للعصمة الواجبة للأنبياء.

وقال بعضهم في خطإ داود: إنَّه قضىٰ للخصم قبل أن يسمع كلام خصمه، وبعد الحكم أدرك خطأه وتاب. وهذا أيضًا باطلٌ؛ لأنَّ من البدهيات في القضاء: ألَّا يحكم القاضي إلَّا بعد سماع الخصمين وإبداء حُجَجِهما، والموازنة بينهما، فكيف يخفي هذا علىٰ نبيٍّ آتاه الله المُلْك والحِكْمة وفَصْلَ الخِطاب؟

(تنبيه): قوله تعالىٰ عقب هذه القصة: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾[ص: ٢٦] يدلُّ علىٰ أنَّ الله رضى حكمه في القضية، وأنَّه وفَّق فيها إلىٰ إصابة الصواب. ولهذا قال: احكم بالحقِّ أي: دُمْ علىٰ الحكم بالحقِّ.

أمَّا قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦] فلا يدلُّ علىٰ أنَّ داود اتبع الهوىٰ أبدًا، وإنَّما المراد به الأمر بمداومة اجتناب الهوىٰ، أي: دُمْ علىٰ اجتناب الهوىٰ في أحكامك. لما تقرَّر في الأصول: أنَّ النهي عن الشَّيء يستلزم الأمر بضدِّه. ونظير هذا قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٤] فإنَّ معناه: دُمْ علىٰ توحيدك، واجتناب الشِّرك؛ لأنَّ النبيَّ معصومٌ من الشِّرك ومن المعاصي.

٢- قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: ٣٤] ثبت في الحديث الصحيح المخرَّج في "الصَّحيحين" عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**قال سليمان: لأطوفنَّ**

اللَّيلة على مائة امرأةٍ كلهنَّ يأتي بفارسٍ يُجاهد في سبيلِ الله تعالى، فقال له صاحبُه: قل إنْ شاء الله. فلم يَقُلْ» نسيانًا أو عرضت له مسألة شغلته أو رأى أنَّ أمنيته خير سيحقِّقها الله ولو لم ينطق بالمشيئة، **«فطاف عليهنَّ جميعًا فلم تحمل منهنَّ إلَّا إمرأةٌ واحدةٌ جاءت بشِقِّ رجلٍ، وايْمُ الله الذي نفسى بيده لوقال: إنْ شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانًا أجمعون»** قال العلماء: والشِّق الجسد الذي ألقي على كرسيه، وفتنته نسيان المشيئة، فامتُحِن بهذا وتاب، وحصل نظير هذا للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقد سأله أهل مكَّة عن قصة أهل الكهف، فقال: **«أجيبكم غدًا»** ولم يقل: إن شاء الله: فأبطأ عنه الوحي خمسة عشر يومًا، ثُمَّ نزل قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الكهف: ٢٣ – ٢٤].

والحكمة في هذا: أنَّ الله تعالى يحبُّ من عباده أن يردُّوا المشيئة إليه في كلِّ أمورهم، فإذا غفلوا نبَّههم بمثل ما هنا[١]. بل هو نفسه سبحانه وتعالى ذكر

---

(١) وحصل لنا مثل هذا أيضًا. فقد كنت أدرِّس "المقدمة الآجرومية" لشقيقي السيِّد محمَّد الزمزمي –ونحن بالمركب في طريقنا إلى مصر– وبعد أربعة أيامٍ مضت علي قيامنا من جبل طارق قرأنا في النَّشرة التي يصدرها قائد الباخرة أنَّنا سنصل إلى الإسكندرية في الخامسة من صباح اليوم التَّالي. وحين جلسنا إلى درس "الآجرومية" بعد صلاة العصر كالمعتاد –وكنا وصلنا إلى ظرف الزمان وظرف المكان– فقلت لشقيقي المذكور ممثلًا لظرف الزمان: نصل غدًا إلى الإسكندرية فقال لي شقيقنا الحافظ أبوالفيض رحمه الله: قل: إن شاء الله. فقلت مداعبًا: علام أقولها؟ المسافة قربت، وشبح الإسكندرية لاح على بعدٍ. وفي منتصف اللَّيل هاج البحر، وعلت أمواجه حتى كانت الموجة تلف

المشيئة في فعله إرشادًا لعباده وتعليمًا لهم فقال تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الفتح: ٢٧].

وليس لأحدٍ أن يقول: كيف يكون سليمان متزوِّجًا بمائة امرأة؟ وكيف يستطيع الطواف عليهنَّ في ليلةٍ؟ لأنَّا نقول: ليس بممتنع أن يخصَّ الله تعالى رسوله سليمان بجواز الزَّواج بمائة امرأة وأكثر، كما خصَّ أباه داود بذلك من قبل، وكما أباح لرسوله محمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم التزوج بأكثر من أربع نسوة خصوصيَّةً له، وأمَّا الطَّواف عليهنَّ في ليلةٍ، فيحتمل أن يكون الله أقدره عليه آيةً له أو ليبيِّن له أنَّ ما تمنَّاه من ولادة فرسان مجاهدين لا يكون عن مجرَّد الإطافة بنسائه إن لم يشأه الله، ويحتمل أنَّ الجنَّ المسخَّرين له، استنبطوا له أدويةً وعقاقير للتقوية، كما استنبطوا له النورة لإزالة الشَّعر، حين أراد أن يتزَّوج بملكة سبأ، ووجد في رجليها شعرًا كثيرًا.

ومن بِدَع التفاسير: ما ذكره كثيرٌ من المفسِّرين أيضًا: أنَّ سليمان تزوَّج امرأةً أحبَّها، وكانت تعبد الصَّنم في بيته بغير علمه، وكان ملكه في خاتمه، فنزعه عند إرادة الخلاء، ووضعه عند امرأته المسماة بالأمينة فجاءها جنيٌّ في

الباخرة لفًّا، وهي تميل وتتأرجح كالقشرة. ونحن لا نملك أنفسنا من دوار البحر وكانت أمامنا باخرة بعثت إشارة إلى الإسكندرية تستغيث، لكنها غرقت قبل وصول النَّجدة. ثُمَّ لطف الله ووصلنا إلى الإسكندرية في السَّاعة الثانية عشر ظهرًا بعد أن رأينا الموت عيانًا. وأخبرنا قائد الباخرة أنه قضى في البحر خمسًا وثلاثين سنة لم يرَ فيها عاصفةً مثل هذه في شدَّتها ومفاجأتها، فتأكَّدنا أنَّها تأديبٌ من الله تعالى لنا.

صورته وأخذه منها، وقعد على كرسيِّه وعكفت عليه الطَّير وغيرها وجاء سليمان في غير هيئته، وقال: أنا سليمان، فأنكره النَّاس، ثُمَّ توصَّل إلى الخاتم - لعلَّه وجده في بطن سمكة- فرجع إليه ملكه.

وهذه القصَّة رواها النَّسائيُّ في "التفسير" من طريق المِنهال بن عمرو، عن سعيد بن جُبيرٍ، عن ابن عباسٍ، وهذا إسنادٌ قويٌّ كما قال الحافظ، لكنَّ ابن عباسٍ تلقَّاها عن كعبٍ، فهي من الإسرائيليات، وبطلانها يظهر بوجوهٍ.

أحدها: أنَّ الجنيَّ لا يسمَّى جسدًا؛ لأنَّه كان حيًّا، والجسد الذي يُلقى لا يكون إلَّا ميتًا.

ثانيها: أنَّ الجنِّي لا يمكن أن يتصوَّر في صورة نبيٍّ ولا يَقْدر على ذلك لما يترتَّب عليه من المفاسد.

ثالثها: لو جاز للجنِّي أن يأتي امرأة سليمان في صورته، ويأخذ منها خاتم ملكه، لجاز أن يزني بها وبغيرها من نسائه، وذلك يبطله العقل والنقل أيضًا.

رابعها: أنَّ الخاتم -لوسلم أنَّه خاتم المُلْك يذهب بذهابه- فلا يجوز أن يكون خاتم هيئته أيضًا، بحيث حين ذهب منه أنكره النَّاس، وحين رجع إليه عرفوه.

خامسها: أنَّ هذه القصَّة -مع كونها كذبًا غير محبوكٍ- خاليةٌ من العبرة[1]،

---

(١) قد يقال: العبرة فيها مؤاخذة سليمان بعبادة الصَّنم في بيته وإن كانت بغير علمه؛ لأنه كان يمكنه منعها لو استعمل التشدد والرقابة في بيته على نسائه، وهذا غير صحيحٍ؛ لأنَّه كان مباحًا للرُّسل تزَّوج المشركات، وقد كانت امرأتا نوحٍ ولوطٍ -عليهما

والله تعالىٰ يقول: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [يوسف: ١١١].

(تنبيه): كان المعرِّي إذا ذكر الشُّعراء، يقول: قال: أبو نواس، قال: البُحتريُّ، قال: أبو تمَّام، فإذا ذكر المتنبِّي، يقول: قال: الشَّاعر؛ وذلك لإعجابه به. فقيل له يومًا: لقد أسرفت في وصفك المتنبِّي، أليس هو القائل:

بُلِيتُ بِلىٰ الأَطْلَالِ إنْ لمْ أقِفْ بها وقوفَ شَحِيحٍ ضَاعَ في التُّرْبِ خَاتمُه

كم قدر ما يقف الشَّحيح علىٰ الخاتم؟ قال: أربعين يومًا، فقيل له: ومِن أين علمت ذلك؟ فقال: سليمان بن داود عليهما السَّلام وقف علىٰ طلب الخاتم أربعين يومًا. فقيل له: ومن أين تعلم أنَّه بخيل؟ قال: من قوله تعالىٰ: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾[ص: ٣٥]. وما عليه أن يهب الله لعباده أضعاف ملكه؟

قلت: قرأت هذا في كتب الأدب التي كتبت عن المتنبِّي، وهو يشتمل علىٰ خطأين:

أحدهما: أنَّ سليمان عليه السَّلام وقف علىٰ طلب الخاتم أربعين يومًا، وهذا مبنيٌّ علىٰ الخرافة الإسرائيليَّة التي مرَّ بيان بطلانها.

ثانيهما: نسبة سليمان عليه السَّلام إلىٰ الشُّحِّ، وهي جراءةٌ قبيحةٌ وإزراءٌ بمقام نبيٍّ كريم، وجهلٌ بحِكْمة طلبه، كما جهلها الحجَّاج بن يوسف الثَّقفي فسمَّاه حاسدًا.

السَّلام- مشركتين، فلم يكن الله ليؤاخذ سليمان بكفر امرأته وقد أباح له التزوُّج بها.

وقد برَّأ الله نبيَّه سليمان ممَّا زعم الزَّاعمون، وكان عنده وجيهًا، فهو طلب الملْك الذي لا ينبغي لأحدٍ من بعده ليكون معجزته على رسالته، كما كانت العصا معجزة موسى عليه السَّلام، والمعجزة لابدَّ أن تكون خاصَّةً بالنبيِّ لا ينالها غيره، وإلَّا بَطَل الإعجاز وبَطَلت النُّبوَّة، وإنَّما طلب خصوص الملْك معجزة؛ لأنه عليه السَّلام كان رسولًا إلى اليهود، وهم عبيد المال وخدَّام الدنيا، يبهرهم بريق الذهب ويخضعهم هيبة السُّلطان وأبَّهة الملْك، تمرَّدوا على الله وقتلوا أنبياءه، فلا يَنْجَع فيهم إلَّا مثل ملْك سليمان معجزة، والدليل على ما نقول أمران:

الأول: أنَّ الله سخَّر له الجنَّ والشَّياطين والريح، وعلَّمه منطق الوحوش وسخَّرها له، وهذا لا يتأتَّى لملكٍ إلَّا أن يكون معجزةً.

الثاني: أنَّ الله تعالى أعطاه ما طلب وقال له: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص: ٣٩ – ٤٠].

ولو كان سليمان شحيحًا لم يقل الله هذا في حقِّه، ولا قال عنه: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[ص: ٣٠] وكيف يمدح شحيحًا وهو الذي قال: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩] وسمَّى البخل فحشاء في قوله تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ﴾ [البقرة: ٢٦٨] وذمَّ البخلاء في غير آيةٍ من الكتاب الكريم.

٣- قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢] أي: حتى غابت

الشمس، واختفت بما يحجبها عن الأنظار.

ومن بِدَع التفاسير -كما قال الزمخشريُّ-: «إنَّ الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشَّمس من ورائه».

قلت: حكاه الصاوي في حاشية "تفسير الجلالين" ولم يتعقَّبه، وهو واضح البطلان.

٤- قوله تعالى: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ [ص: ٣٣] الضمير يعود على الصَّافنات، والمعنى: أنَّ سليمان أمر أتباعه بردِّ الخيل عليه، ليمسحها ويختبر عيوبها.

لطيفة: روى إبراهيم الحربي في "غريب الحديث" من طريق مغيرة عن الشعبي، قال: كان رهانٌ، فقال رجلٌ لبلال رضي الله عنه: من سبق؟ قال: رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم. قال: فمن صلَّى؟ قال: أبوبكرٍ قال: إنَّما أعني في الخيل، قال: وأنا أعني في الخير.

قلت: يقال للفرس السَّابق: مُجلِّي، وللذي يليه مُصلِّي، وصلَّى الفرس إذا جاء تاليًا للسَّابق، وحقيقة الكلمة: أنَّ رأسه عند صلاه، وهو مغرز ذنبه، أي: رأس المصلِّي عند مغرز ذنب المجلِّي.

ومن بِدَع التفاسير: ما حكاه الصَّاوي في "حاشية الجلالين"، وعبارته:

«وقيل: الضمير في قوله: ﴿رُدُّوهَا﴾ عائدٌ على الشَّمس، والخطاب للملائكة الموكَّلين بها فردوها، فصلَّى العصر في وقته».

قلت: لم يكن سليمان عليه السَّلام ملكًا في السَّماء، ولم تكن له سلطة على الملائكة يأمرهم بردِّ الشَّمس فيردوها، وهي لم تُرد على أحدٍ قبله منذ خلق الله

الدنيا، ثمَّ لو صحَّ هذا التفسير، لوجب أن يكون نظم الآية: ردُّوها عليَّ فصلَّىٰ، لكن نظمها الحالي يؤكد أنَّ المردود عليه: الخيل التي طفق بمسح سُوقها وأعناقها.

نعم ثبت في "الصحيح" عن أبي هريرة عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أنَّ نَّبي الله يوشع حينما ذهب لقتال الجبَّارين، وكان في يوم الجُمعة، وخاف أن تغرب الشَّمس قبل الفراغ من قتالهم؛ فدعا الله فحبسها عليه ساعةً من النَّهار.

وفي "أوسط معاجم الطبراني" باسنادٍ حسنٍ عن جابر بن عبدالله: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أمر الشَّمس فتأخَّرت ساعةً من نهارٍ.

وسبب ذلك: ما جاء في "مغازي ابن إسحاق": لما أسري برسول الله صلَّىٰ لله عليه وآله وسلَّم وأخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير، قالوا: متىٰ تجيء؟ قال: «**يوم الأربعاء**». فلمَّا كان ذلك اليوم، أشرفت قريش ينظرون، وقد ولَّىٰ النَّهار ولم تجئ. فدعا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فزيد له في النَّهار ساعة، وحُبست عليه الشَّمس.

وروىٰ الطبراني في "الكبير" والحاكم في "المستدرك" والبيهقي في "الدلائل" عن أسماء بنت عُميس أنَّه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم دعا -وكان نائمًا علىٰ ركبة عليٍّ، ففاتته صلاة العصر- فردَّت الشَّمس حتىٰ صلَّىٰ عليٌّ، ثُمَّ غربت[1]، صحَّحه الطَّحاوي وعياض وغيرهما، وانظر هذا البحث في كتابنا "الأحاديث المنتقاة في فضائل سيدنا رسول الله".

وللحافظ الحسكاني مجلس إملاء علىٰ حديث ردِّ الشَّمس، ذكره الذهبيُّ في

---

(١) وقال ابن تيمية في "منهاج السُّنَّة": إنه باطلٌ، وخطَّأه الحافظ ابن حجرٍ في "فتح الباري".

"تذكرة الحفَّاظ".

قال الزرقاني في "شرح المواهب": «ومن لطائف الاتفاقات الحسنة: أنَّ أبا المظفر الواعظ ذكر يومًا قرب الغروب فضائل عليٍّ عليه السَّلام وردَّ الشَّمس له، والسَّماء مغيمة غيمًا مُطبقًا، فظنُّوا أنَّها غربت وهمُّوا بالانصراف، فأصْحَت السَّماء ولاحت الشمس صافية الإشراق، فأشار إليهم بالجلوس وقال ارتجالًا:

لا تَغْـرُبي يـا شَـمْسُ حتَّـىٰ يَنتهـي ... مَـدْحِي لآلِ المصـطفَىٰ ولنَجْلِـهِ
واثنِـي عِنَانَـكِ إنْ أردتِ ثَنـائهمْ ... أَنَسِيتِ إذْ كَـانَ الوُقـوفُ لأجلِـهِ؟
إنْ كَـانَ للمَـوْلَىٰ وقُوفُـكِ فلـيكنْ ... هـذا الوقـوفُ لخيلِـهِ ولرَجلِـهِ

يشير نجله إلىٰ أنَّ عليًّا عليه السَّلام تربَّىٰ في بيت النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وبالمولىٰ إلىٰ حديث: «**من كنتُ مَوْلاهُ فعليٌّ مَوْلاهُ**».

«**فائدة**»: قال بعض العلماء: كان علم النجوم صحيحًا، فلما توقَّفت الشَّمس ليوشع بطل أكثره، ولما رُدَّت لعليٍّ بطل جميعه[1].

والشِّيعة يزعمون أنَّ الشَّمس رُدَّت لعليٍّ -عليه السَّلام- مرَّة أخرىٰ غير هذه وهو في أرض بابل أيام خلافته، وقد فاتته صلاة العصر أيضًا، قال السيِّد إسماعيل ابن محمد الحميري في قصيدته المذهبة، يذكر الحادثتين في بيتين، وهما:

---

(١) علم النجوم مبنيٌّ علىٰ حساب سير الكواكب وتقابلها وحلول كل منها في برج كذا ساعة كذا، فلما توقفت الشَّمس ساعة ليوشع عليه السَّلام اختلَّ حساب المنجِّمين بالنِّسبة لسير الشَّمس، ولما ردَّت بعد الغروب اختل حسابها بالنسبة لها ولسير الكواكب الليلية.

رُدَّتْ عليــه الشــمسُ لَمَّــا فاتَــهُ وقتُ الصَّلاةِ وقَدْ دَنَتْ للمَغْـرِبِ
وعليــه قــد حُبِســتْ ببابــلَ مــرَّةً أُخرَىٰ وما حُبِسَتْ لخَلْـقٍ مُغْـرِبِ

وانظر شرحهما في "أمالي" الشريف المرتضىٰ (ج ٢ ص ٣٤٠-٣٤٣).

٥- قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ﴾ [ص: ٧٥] في هذه الآية وما شابهها طريقتان، أشرنا إليهما في المقدِّمة:

إثبات اليدين صفة لله تعالىٰ، كما جاء به السَّمع، مع اعتقاد التنزيه عن الجارحة وتفويض المعنىٰ المراد لله تعالىٰ إليه، هذه طريقة السَّلف، وهي مذهب أبي الحسن الأشعري إمام الأشعريَّة، والقاضي أبو بكر الباقلاني من أئمَّتهم. والتأويل بصرف الكلام إلىٰ بعض وجوه المجاز التي يقتضيها السِّياق، وهذه طريقة الخَلَف. فيكون قوله: ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ كناية عن قوله: لما تولَّيتُ إحداثه ولم يَقْدِر علىٰ تولِّيه غيري.

قال الزمخشريُّ: «فإن قلت: ما وجه قوله ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾؟ قلت: سبق لنا أنَّ ذا اليدين يباشر أكثر أعماله بيديه، فغلب العمل باليدين علىٰ سائر الأعمال التي تباشر بغيرهما، حتىٰ قيل في عمل القلب: هو مما عملت يداك، وحتىٰ قيل لمن لا يدي له: يداك أوكتا، وفوك نفخ، وحتىٰ لم يبقَ فرقٌ بين قولك: هذا مما عملته، وهذا مما عملته يداك، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿مِمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ﴾ [يس: ٧١]، و﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾.

قلت: ففي الكلام استعارةٌ، شبَّه تصوير الله جسم آدم وتسويته إيَّاه، بما ينحته النحَّات بيديه من التماثيل، واستعير له لفظ «يَدَي»، علىٰ طريق

الاستعارة التصريحيَّة الأصلية. وقيل: معنىٰ ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾. لما خلقت بغير واسطة أبٍ أو أمٍّ. وجوَّز إمام الحرمين وغيره أن يكون معنىٰ ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾: لما خلقت بقدرتي، فاليد بمعنىٰ القدرة، والتثنية للتعظيم.

وأن يكون معنىٰ اليد: النِّعمة، والباء بمعنىٰ اللام، والمراد: لما خلقت لنعمتي، وتثنية اليد لأنه أريد نعمة الدنيا والآخرة.

ويُضعِّف الوجه الأوَّل: أنَّ المخلوقات كلها مخلوقة بقدرة الله تعالىٰ، فما فائدة تخصيص خلق آدم بها؟ إلَّا أن يقال: فائدته: التلويح بتهديد إبليس، ويكون المعنىٰ: ما منعك أن تسجد لما خلقت بقدرتي التي بها أعذِّبك إن لم تُطِع أمري والوجه الثَّاني فيه تكلُّفٌ.

وفي "تفسير الكشَّاف": «فإن قلت: فما معنىٰ قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾. قلت: الوجه الذي استنكر له إبليس السُّجود لآدم، واستنكف منه: أنَّه سجودٌ لمخلوقٍ، فذهب بنفسه، وتكبَّر أن يكون سجوده لغير الخالق، وانضمَّ إلىٰ ذلك أنَّ آدم مخلوقٌ من طينٍ، وهو مخلوقٌ من نارٍ، ورأىٰ للنَّار فضلًا علىٰ الطين، فاستعظم أن يسجد لمخلوقٍ مع فضله عليه في المنصب، وزلَّ عنه أنَّ الله سبحانه حين أمر به أعزَّ عباده عليه وأقربهم منه زلفي وهم الملائكة وهم أحقُّ بأنْ يذهبوا بأنفسهم عن التواضع للبشر الضئيل، ويستنكفوا من السُّجود له من غيرهم، ثُمَّ لم يفعلوا، واتبعوا أمر الله، ولم يلتفتوا إلىٰ التفاوت بين السَّاجد والمسجود له تعظيمًا لأمر ربهم وإجلالًا لخطابه، كان هو -مع انحطاطه عن مراتبهم- حريًّا بأن يقتدي بهم، ويعلم أنهم في السُّجود لمن هو

دونهم بأمر الله أوغل في عبادته منهم في السُّجود له، لما فيه من طرح الكبرياء، وخفض الجناح. فقيل له: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ أي: ما منعك من السُّجود لشيءٍ هو كما تقول مخلوق خلقته بيديَّ امتثالًا لأمري، كما فعلت الملائكة، فذكر له ما تركه من السُّجود، مع العلَّة التي تشبث بها في تركه.

وقيل له: لم تركت مع وجود هذه العلَّة وقد أمرك الله به؟! يعني: كان عليك أن تعتبر أمر الله ولا تعتبر هذه العلَّة، ومثاله: أن يأمر الملِك وزيره أن يزور بعض سقاط الحشم، فيمتنع اعتبارًا لسقوطه، فيقول له: ما منعك أن تتواضع لمن لا يخفى علي سقوطه؟ يريد هلا اعتبرت أمري، وتركت اعتبار سقوطه، وفيه أني خلقته بيدي، فأنَّا أعلم بحاله ومع ذلك أمرت الملائكة بأن يسجدوا له، لداعي حِكْمةٍ دعاني إليه من إنعام عليه بالتكرمة السَّنية، وابتلاء للملائكة، فمن أنت حتى يصرفك عن السجود له مالم يصرفني عن الأمر بالسُّجود له؟».اهـ

قلت: في هذا الكلام أمور:

الأول: تفضيل الملائكة على الأنبياء، وهذه مسألة فيها خلافٌ معروف، ولنا فيها رأي يخالف مذهبي الأشعريَّة والمعتزلة.

الثاني: ذكر الأمر بزيارة بعض سقاط الحشم مثلًا لآدم عليه السَّلام، وهي إساءةٌ بالغةٌ في حقِّ أبي البَشَر، وأصل الأنبياء، وإقامة العذر لإبليس في ظنِّه خيريته على آدم، وأنَّ الله تعالى أقرَّه على ظنِّه الباطل، وإنَّما عابه على ترك السُّجود اتباعًا للأمر به، والواقع أنَّ جملة ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ ذكرت ردًّا على إبليس، لا إقرارًا له، وبيانًا لتكريم آدم، بأنَّ الله خلقه بيده، وتلك مزيَّة تقتضي

الإسراع بالسُّجود له، ولم يكن لإبليس ولا لغيره أن يتعاظم على من كرَّمه الله بهذا التكريم الذي أدركه الملائكة، فبادروا إلى امتثال الأمر بالسجود.

الثالث: قوله: «لداعي حِكْمةٍ دعاني إليه» وهذه جرأةٌ لا تصدر إلَّا من معتزليٍّ جلد كالزمخشريِّ، والله تعالى لا يدعوه شيء إلى فعل شيء؛ لأنَّ الدَّاعي إلى الشيء والباعث عليه، الوصول إلى غرضٍ من تكميل نقصٍ، أو جلب مصلحةٍ، أو درء مضرَّة والله تعالى منزَّهٌ عن ذلك، ومن ثَمَّ قال أهل الأصول - في الكلام على علَّة القياس-: إنَّها الوصف المناسب، ومن مناسبته أن يكون باعثًا للمكلَّف على علَّة الامتثال. ولا يجوز أن يكون باعثًا للشَّارع على تشريع الحكم، انظر "جمع الجوامع" وما كتب عليه والمقصود أنَّ كلام "الكشَّاف" في هذا الموضع من بِدَع التفاسير.

ومن ﴿سورة الزمر﴾

١- قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾ [الزمر: ٦٧] من الطيِّ ضد النَّشر، «بيمينه»: بقدرته، أو هي صفةٌ لله تعالى مع التنزيه والتفويض. والمقصود: بيان سعة قدرة الله تعالى، وأنَّ الأمور العظام، كالسَّماوات والأرض هيِّنةٌ عنده لا يُعْييه طيُّها وقبضها(١).

ومن بِدَع التفاسير: أنَّ معنى ﴿مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾: مفنيَّات بقسمه؛

---

(١) وتقدَّم قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِۚ﴾[الأنبياء: ١٠٤] وهو يؤكِّد بطلان التفسير المحكيِّ هنا.

لأنَّه أقسم أن يفنيها.

قال الزمخشريُّ: «ومن اشتمَّ رائحةً من عِلْمنا هذا -يعني علم البيان- فليعرض عليه هذا التأويل، ليتلهى بالتعجُّب منه ومن قائله!! ثمَّ يبكي حميَّةً لكلام الله المُعجز بفصاحته، وما مُني به من أمثاله؛ وأثقل منه على الروح وأصدع للكبد تدوين العلماء قوله واستحسانهم له، وحكايته على فروع المنابر، واستجلاب الاهتزاز من السَّامعين».

قلت: وقع مثل هذا وأشد منه في تفاسير مبتدعة العصر التي أشرنا إلى بعضها في الخطبة، وتمكَّنوا من نشرها وإشاعتها فعمَّت بها البليَّة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ومن ﴿سورة غافر﴾

١- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ وهم أربعة وعشرون: آدم وإدريس ونوحٌ وهودٌ وصالحٌ وإبراهيم ولوطٌ وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وموسى وهرون وشعيبٌ وأيوب وإلياس واليسع وذوالكفل وداود وسليمان وزكريّا ويحيي وعيسى ويونس عليهم السَّلام ﴿وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾[غافر: ٧٨] وهم كثيرون ففي مسندي أحمد وإسحاق بن راهويه عن أبي أُمامة أنَّ أبا ذرٍّ سأل النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: كم الأنبياء؟ فقال: «**مائة ألفٍ وأربعة وعشرون ألفًا**»، قال: كم الرُّسل منهم، قال: «**ثلاثمائة وثلاثة عشر جمًّا غفيرًا**». إسناده ضعيف.

ورواه ابن حِبَّان، والحاكم من طريقين ضعيفين أيضًا عن أبي ذرٍّ في حديثٍ طويل، وله طرقٌ ذكرها الحافظ السُّيوطي في أماليه في "التفسير"، وانظر كتاب

"تنزيه الشَّريعة" لابن عراق.

وروى الطبري والطبراني في "الأوسط" وابن مَرْدُويه في "تفسيره" عن عليٍّ عليه السَّلام قوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ قال: أرسل الله عبدًا حبشيًّا، فهو الذي لم نقصص عليك.

قلت: لم يصح عن عليٍّ هذا الكلام، في سنده جابر الجعفي، وهو مطعونٌ فيه. وهذا من بِدَع التفاسير؛ لأنَّه تخصيصٌ لعموم الآية بدون دليلٍ، ثُمَّ مَن هذا الحبشي الذي أرسله الله؟ لم يقم على تعيينه دليل، وإذا لم يقصُّه الله علينا ولا رسوله، فكيف عرفنا أنَّه رسولٌ؟!

ومن ﴿سورة فصلت﴾

١- قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا﴾ أي: النَّار ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٠] بأن يخلق الله فيها النُّطق فتنطق بما فعلته من المعاصي مُقرَّةً به.

ومن بِدَع التفاسير: أنَّ شهادة الجوارح كناية عن ظهور أثر المعاصي عليها، بأن يظهر الله عليها علامات دالَّة على ما كانت تعمله في الدنيا، كنتانة فروج الزُّناة مثلًا، وهذا التأويل حكاه الألوسي وغيره، وهو باطلٌ لوجوه:

أحدها: أنَّه مجازٌ، وهو خلاف الأصل.

ثانيها: أنَّ الآية تتحدَّث عن الآخرة، وقد قدَّمنا في المقدِّمة أنَّ ما كان من هذا القبيل يمتنع حمله على المجاز.

ثالثها: أنَّ بقيَّة الآية تدلُّ على أنَّ النطق حقيقي ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ

شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ [فصلت: ٢١] أبعد هذه المراجعة الصَّريحة بين الكفَّار وأعضائهم يقال: الشَّهادة كناية.

رابعها: أنَّ قوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [يس: ٦٥] يفيد أنَّ كلام أعضائهم إنَّما يكون بعد ختم أفواههم ومنعها من النطق، لما سيأتي بعده.

خامسها: أنَّ الحديث الصَّحيح صرَّح بأنَّ نطق الجوارح حقيقة، ففي "صحيح مسلم" و"سنن النَّسائي" عن أنسٍ رضي الله عنه، قال: كنَّا عند رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فضحك حتى بدت نواجذه. قال: «**أتدرون ممَّ أَضْحَكُ**»؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «**مِن مُخاطبة العبدِ ربَّه، يقول: يا ربِّ ألم تُجرني من الظُّلم؟ قال: بلى. قال: فإنِّي لا أجيز اليوم عليَّ شاهدًا إلَّا مِن نفسي، فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيدًا، وبالكرام الكاتبين شهودًا. فيختم على فيه ويقول لأركانه: انطقي فتنطق بأعماله. ثُمَّ يُخلَّى بينه وبين الكلام فيقول: بعدًا لكُنَّ وسحقًا فعنكُنَّ كنت أُناضل**».

وروى أحمد والنَّسائي والبيهقيُّ بإسنادٍ جيدٍ عن معاوية بن حيدة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يجيئون يوم القيامةِ على أفواهِهم الفِدَامُ**[1] **فأوَّل ما يتكلَّم من العبد فَخِذُهُ ويَداهُ**». ورواه الحاكم من حديث معاوية بن حيدة.

---

(١) بكسر الفاء ما يوضع في فم الإبريق ليصفي به ما فيه من الشَّراب، وهوكناية عن منعهم من الكلام بألسنتهم لتنطق جوارحهم.

ومن ﴿سورة الشورى﴾

١- قوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ﴾ من الأولاد ﴿إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ﴾ [الشورى: ٤٩ - ٥٠] في الآية تقسيم حاصر، وهي تفيد عموم قدرته، ونفاذ إرادته في مخلوقاته، وأنَّه يفعل ما يشاؤه هو لا ما يشاؤون، فيهبهم من الأولاد حسبما تقتضيه حكمته ومشيئته.

ومن بِدَع التفاسير: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا﴾ يريد: لوطًا وشعيبًا عليهما السَّلام لم يكن لهما إلَّا البنات ﴿وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ يريد: إبراهيم عليه السَّلام لم يكن له إلَّا الذُّكور ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ﴾ يريد: النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان له ذكور وبنات ﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ﴾ يريد: يحيى وعيسى عليهما السَّلام

وهذا التأويل باطلٌ؛ لأنَّه تخصيصٌ للآية بدون دليل، ثُمَّ تخصيصها بهؤلاء الأنبياء دون غيرهم لا دليل عليه، ثُمَّ العقيم من تزوَّج ولم يولد له، ويحيى وعيسى لم يتزوَّجا أصلًا.

٢- قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ وما صحَّ لأحدٍ من البشر ﴿أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا﴾ أن يوحي إليه ﴿وَحْيًا﴾ في المنام، أو بطريق الإلهام فرؤيا الأنبياء حقٌّ يعمل بها في التشريع، وكذلك إلهامهم ﴿أَوْ﴾ إلَّا ﴿مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ بأن يُسمعه كلامه ولا يراه، كما وقع لموسى عليه السَّلام ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ مَلَكًا

كجبريل عليه السَّلام ﴿فَيُوحِيَ﴾ الرَّسول الملَك إلى النبيِّ المرسل إليه ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ أي: الله ﴿مَا يَشَآءُ﴾ [الشورى: ٥١] الله إلقاءه إليه من الأحكام وغيرها.

وقيل: معنى ﴿وَحْيًا﴾ كما أوحى إلى الرُّسل بواسطة الملائكة ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ بشرًا كما كلَّم الأمم على ألسنة رسلهم.

وقال أبو علي الجبّائي في "تفسيره": ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ﴾ إلَّا مثل ما يكلِّم به عباده من الأمر بطاعته، والنَّهي لهم عن معاصيه، وتنبيه إياهم على ذلك من جهة الخاطر أو المنام، وما أشبه ذلك على سبيل الوحي وإنَّما سمى الله تعالى ذلك وحيًا؛ لأنَّه خاطرٌ وتنبيه، وليس كلامها لهم على سبيل الإفصاح، كما يفصح الرَّجل منَّا لصاحبه إذا خاطبه، والوحي في اللَّغة إنَّما هو ما جرى مجرى الإيماء والتنبيه من غير أن يفصح به، فهذا هو معنى ما ذكره الله تعالى في هذه الآية.

وعَنَى بقوله: ﴿أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ أن يحجب ذلك الكلام عن جميع خَلْقه، إلَّا من يريد أن يكلِّمه به، نحو كلامه تعالى لموسى عليه السَّلام؛ لأنَّه حجب ذلك عن جميع الخلق إلَّا موسى عليه السَّلام وحده في كلامه إيَّاه أوَّلًا، فأمَّا كلامه إيَّاه في المرة الثانية، فإنَّه أسمع ذلك موسى والسبعين الذين كانوا معه، وحجب عن جميع الخلق سواهم، فهذا معنى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾؛ لأنَّ الكلام هو الذي كان محجوبًا عن الخلق، وقد يقال: أنَّه تعالى حجب عنهم موضع الكلام الذي أقام الكلام فيه، فلم يكونوا يدرون

من أين يسمعونه؟ لأنَّ الكلام عرضٌ لا يقوم إلَّا في جسمٍ، ولا يجوز أن يكون أراد بقوله تعالىٰ: ﴿أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾: يكلِّم عباده؛ لأنَّ الحجاب لا يجوز إلَّا علىٰ الأجسام المحدودة، وعنىٰ بقوله: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ إرساله ملائكته بكتبه وبكلامه إلىٰ أنبيائه عليهم السَّلام، ليبلِّغوا ذلك عنه عباده، علىٰ سبيل إنزاله القرآن علىٰ عبده محمَّد صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وإنزاله الكتب علىٰ أنبيائه، فهذا أيضًا ضربٌ من الكلام الذي يكلِّم الله به عباده، ويأمرهم فيه بطاعته، وينهاهم عن معاصيه من غير أن يكلِّمهم علىٰ سبيل ما كلَّم به موسىٰ، وهذا الكلام هو خلاف الوحي الذي ذكره الله تعالىٰ في أوَّل الآية؛ لأنَّه قد أفصح لهم في هذا الكلام بما أمرهم به ونهاهم عنه، والوحي الذي ذكره الله تعالىٰ في أوَّل الآية، إنَّما هو تنبيهٌ وخاطرٌ، وليس فيه إفصاح.

قلت: اشتمل هذا الكلام علىٰ أمرين، يعتبران من بِدَع التفاسير:

أحدهما: تفسير ﴿وَحْيًا﴾ بما يلقيه الله إلىٰ عباده من جهة الخاطر أو المنام، وهذا ينافي سياق الآية؛ لأنَّ الله تعالىٰ أراد بها أن يبيِّن أنواع كلامه لرسله المبلِّغين عنه، وأنَّ ما يلقيه إليهم من إلهامٍ، أو ما يريه إيَّاهم في المنام يجب اتباعه والعمل به، كما قال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧] الآية، وكما قال إبراهيم لابنه إسماعيل عليهما السَّلام: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢] وقال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ روح القدس نفث في رَوعي أنَّ نفسًا لنْ تموت حتَّى**

تستكمل رِزْقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطَّلَب»[١] ولذا عقَّب هذه الآية بقوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورىٰ: ٥٢] فأخبر أنَّه سلك به مسلك الرُّسل من قبله، وأنَّ الوحي إليه نوعٌ من أنواع الكلام الثَّلاثة المشار إليها، فكانت الآيتان متناسبتين أمَّا ما يلقىٰ في خواطر النَّاس، أو ما يرونه في منامهم، فلا معنىٰ لذكره هنا، ولا مصلحة تتعلَّق به.

ثانيهما: تفسير ﴿مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ بأنَّه حجب الخلق جميعًا عن الكلام الذي تكلَّم إلَّا من يريد أن يكلِّمه به، فإنَّه يسمعه من وراء الحجاب الذي حجب غيره من النَّاس، وهذا خلافُ الظَّاهر المتبادر من اللَّفظ، فإنَّ الذي يفهم بادئ ذي بدء من عبارة ﴿أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ أن يُسْمِع الله كلامه لرسوله من غير أن يراه. فالرَّسول حين يسمع الكلام محجوبٌ عن رؤية المتكلِّم، ولا معنىٰ لذكر المخلوقات هنا؛ لأنَّهم محجوبون عن كلام الله دائمًا حال كلامه مع رسوله وقبله وبعده.

قال الزمخشريُّ: «وأمَّا علىٰ أن يسمعه كلامه الذي يخلقه في بعض الأجرام من غير أن يبصر السَّامع من يكلِّمه؛ لأنَّه في ذاته غير مرئيٍّ، وقوله: ﴿مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾: مثل. أي: كما يكلِّم الملك المحتجب بعض خواصِّه وهو من وراء الحجاب، فيسمع صوته ولا يرىٰ شخصه».

بقي أمرٌ ثالثٌ نُنبِّه عليه؛ لأنَّه بدعة البِدَع وهو قوله: «لأنَّ الكلام عرضٌ لا يقوم إلَّا بجسمٍ»، وهذا مبنيٌّ علىٰ مذهب المعتزلة في إنكار أن يكون لله تعالىٰ

---

(١) رواه الحاكم عن ابن مسعود في جملة من حديث، وهوصحيح.

كلامٌ نفسيٌّ قديمٌ. وقالوا: معنىٰ أنَّ الله متكلِّم: خالقٌ للكلام في جسمٍ كشجرةٍ مثلًا، ومن هنا قالوا بخلق القرآن، فخالفوا إجماع الصَّحابة والتَّابعين وسائر علماء السُّنَّة. وهذا بحثٌ طويلٌ، يُطلب تحريره في كتب الكلام.

وفي كلام الزمخشريِّ بدعةٌ نُنبِّه عليها أيضًا، وهي قوله: «لأنَّه في ذاته غير مرئيٍّ» يشير إلىٰ مذهبه الاعتزاليِّ أنَّ الله لا تجوز رؤيته عقلًا، وقد صرَّح بهذا في (سورة الأعراف)، ورمىٰ الأشعريَّة المجوِّزين للرؤية بأنَّهم حُمُر موكفةٌ، ونحن لا نعجب من وقيعته في الأشعريَّة مثل عجبنا من إصراره علىٰ إنكار الرؤية التي ثبت وقوعها في الآخرة بالسُّنَّة المتواترة، وأجمع عليها الصَّحابة قبل ظهور شيوخ الزمخشريِّ بسنين!!

ومن ﴿سورة الزخرف﴾

١- قوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلُوا لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا﴾ [الزخرف: ١٥] أي: ولدًا. حيث قالوا: الملائكة بنات الله، فجعلوهم جزءًا له وبعضًا منه، كما يكون الولد بضعةً من أبيه.

قال الزمخشريُّ: «ومن بِدَع التفاسير: تفسير الجزء بالإناث، وادِّعاء أنَّ الجزء في لغة العرب اسم للإناث، وما هو إلَّا كذبٌ علىٰ العرب، ووضع مُستحدَثٌ منحولٌ، ولم يقنعهم ذلك حتىٰ اشتقُّوا منه: أجزأت المرأة. ثُمَّ صنعوا بيتًا وبيتًا:

١- إِنْ أَجْزَأَتْ حُرَّةٌ يومًا فلا عَجَبٌ

٢- زُوِّجْتُهَا مِنْ بَنَاتِ الأَوْسِ مُجْزِئَةً

قلت: الصنعة ظاهرةٌ على هذين البيتين، ومعناهما ركيكٌ.

٢- قوله تعالى: ﴿ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴾ [الزخرف: ٢٩] يخبر الله تعالى أنَّه متَّع أهل مكَّة -وهم من عقب إبراهيم- ومتَّع آباءهم أيضًا بالأمن والنِّعمة، فاغتروا وشغلوا بالشَّهوات وعبادة الأوثان عن التوحيد، حتَّى جاءهم القرآن والنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فكذبوا، وجَحَدُوا.

قال الزمخشريُّ: فإن قلت: ما وجه قراءة من قرأ: متَّعت، بفتح التاء؟

قلت: كأنَّ الله تعالى اعترض على ذاته في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٨] فقال: بل متعتهم بما متعتهم به من طول العمر والسَّعة في الرِّزق، حتى شغلهم ذلك عن التوحيد. وأراد بذلك الإطناب في تعبيرهم...» إلخ

قلت: القراءة المشار إليها شاذَّة، وتوجيهها بما ذكره قبيح وكيف يعترض الله على ذاته؟! وقد أغنانا الله بالقراءة المتواترة المعروفة، عن هذا التوجيه الذي هو أقبح من بِدَع التفاسير.

والمقرَّر في علم الأصول: أنَّ القراءة الشَّاذَّة ليست من القرآن، لفقدها شرط التواتر، ولا تجوز الصَّلاة بها، كما لا تجوز بأي كلامٍ غير القرآن، وقد حكم العلماء بتعزير ابن شنبوذ؛ لأنَّه كان يقرأ بها في صلاة التراويح.

٣- قوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ ﴾ [الزخرف: ٤٥] إذا لقيتهم ليلة الإسراء كما قيل في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا

تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾[السجدة: ٢٣] يعني: في ليلة الإسراء أيضًا، فقد صحَّ أنَّه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم اجتمع في تلك الليلة بالأنبياء وصلَّىٰ بهم وعرَّفه بهم جبريل، والحكمة في أمره بالسؤال التقرير لمشركي قريش علىٰ أنَّه لم يأتِ رسولٌ ولا كتاب إلَّا بتوحيد الله وعبادته.

وقيل المراد: واسأل أتباع من أرسلنا، وهم علماء أهل الكتابين، ففي الكلام مجاز بالحذف، مثل ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾[يوسف: ٨٢] أي: أهلها.

وقال ابن قتيبة: معنىٰ الآية. واسأل من أرسلنا إليه قبلك من رسلنا وهم الأتباع من أهل الكتابين أيضًا، غير أنَّه جعل كلمة ﴿إِلَيْهِ﴾ مقدَّرة محذوفة، فأخطأ وكان تأويله من بِدَع التفاسير؛ لأنَّ المقرَّر في علم العربية: أنَّ الضمير المنفصل لا يجوز حذفه، فلا يقال: الذي جلست زيد، علىٰ معنىٰ: الذي جلست إليه زيد، وكذلك لا يصح أن يقال: الذي رغبت محمَّد، بمعنىٰ: الذي رغبت فيه محمَّد، وإنَّما يجوز حذف الضمير المتصل، نحو الذي أكرمت صديقك، أي: أكرمته. وجاء من قابلت أمس، أي: قابلته. والسِّر في ذلك أنَّ الضمير المتصل يدلُّ عليه الموصول العائد هو عليه، فلذا جاز حذفه، بخلاف المنفصل، فإنَّه -وإن دلَّ الموصول عليه- لا يدرىٰ عين الحرف الجار له هل هو إلىٰ أو في أو عن مثلًا؟ وقد يكون ظرفًا نحو جلست معه فلذا لم يجز حذفه.

وقد وقع الجلال المحلي في هذا أيضًا، عند تفسير قوله تعالىٰ -أول هذه السُّورة- ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ﴾[الزخرف: ١٢] فإنَّه قال: حذف العائد اختصارًا وهو مجرورٌ في الأوَّل، أي: فيه. منصوبٌ في الثَّاني.

قلت: يعني أنَّ التقدير: وجعل لكم من الفلك ما تركبون فيه ومن الأنعام ما تركبونه.

وتقدير ﴿فِيهِ﴾ خطأ لما مرَّ، والصَّواب تقدير العائد المحذوف ضميرًا متصلًا منصوبًا فيهما، ويجوز في اللُّغة أن يقال: ركب الفلك، كما يقال: ركب فيها.

ومن ﴿سورة ق﴾

١- قوله تعالىٰ: ﴿قٓ﴾ [ق: ١] الكلام في حروف الهجاء المفتتح بها بعض السور معروفٌ، بسطه الزمخشريُّ في أوَّل سورة البقرة، وفصَّله تفصيلًا وافيًا. ونحن ننقل وجهًا ممَّا ذكره؛ لأنَّه من بديع ما كتبه.

قال: «الوجه الثاني: أن يكون ورود هذه الأسماء هكذا مسرودة علىٰ نمط التعديد، كالإيقاظ وقرع العصا لمن تحدَّىٰ بالقرآن، وبغرابة نظمه، وكالتحريك للنَّظر في أنَّ هذا المتلو عليهم -وقد عجزوا عنه عن آخرهم- كلامٌ منظومٌ من عين ما ينظمون منه كلامهم، ليؤديهم النَّظر إلىٰ أن يستيقنوا أن لم تتساقط مقدرتهم دونه، ولم تظهر مَعْجزتهم عن أن يأتوا بمثله، بعد المراجعات المتطاولة، وهم أمراء الكلام وزعماء الحوار، وهم الحرَّاص علىٰ التساجل في اقتضاب الخطب، والمتهالكون علىٰ الافتنان في القصيد والرجز، ولم يبلغ من الجزالة وحسن النَّظم، المبالغ التي بزَّت بلاغة كل ناطق، وشقَّت غبار كلّ سابقٍ، ولم يتجاوز الحد الخارج من قوىٰ الفصحاء، ولم يقع وراء مطامح أعين البصراء؛ إلا لأنَّه ليس بكلام البشر، وأنَّه كلام خالق القوىٰ والقدر».

قلت: قد أبدع في هذا الوجه غاية الإبداع.

ومن بِدَع التفاسير: أنَّ ﴿قٓ﴾ جبلٌ محيطٌ بالأرض، من زمرُّدةٍ خضراء، اخضرت السَّماء منه، وعليه طرفا السَّماء، والسَّماء عليه مقبَّبة، وما أصاب النَّاس من زمرد، كان ممَّا تساقط من ذلك الجبل!!

وهذا الكلام أبطل من أن يشتغل بردِّه. والعجب ممن يكتبه في التفسير!! ويحمل عليه آيات القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه!!

٢- قوله تعالى: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩] إن كانت الإشارة للموت، فالخطاب للإنسان المذكور في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ [ق: ١٦] على طريق الالتفات، وإن كانت الإشارة للحقِّ، فالخطاب للكافر.

ومن بِدَع التفاسير: أنَّ الخطاب للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

عن بعضهم: أنَّه سأل زيد بن أسلم عن ذلك؟ فقال: الخطاب لرسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم. فحكاه لصالح بن كَيسان، فقال: والله ما سِنٌّ عالية ولا لسانٌ فصيح، ولا معرفة بكلام العرب، هو للكافر.

ثمَّ حكاهما للحسين بن عبدالله بن عبيد الله بن عبَّاس، فقال: أخالفهما جميعًا، هو للبرِّ والفاجر.

قلت: لا شكَّ أنَّ تفسير زيد بن أسلم غير مقبولٍ ولا معقولٍ، وهو بعيد من سياق الآية غاية البعد، وكيف يحيد النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن الموت؟ وهو الذي خيَّره الله بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عند الله كما ثبت في الصَّحيحين.

أمَّا تفسير صالح بن كيسان، فهو أقرب من تفسير الحسين بن عبدالله؛ لأنَّ البر لا يحيد من الموت، ولا يهرب منه وإنَّما الذي يهرب منه ويحيد، هو الفاجر الكافر.

ومن ﴿سورة الرحمن﴾

١- قوله تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ [الرحمن: ٣٣] تتحدَّى الآية الثقلين أن ينفذوا من جوانب السَّموات والأرض إن استطاعوا، ويهربوا من قضاء الله وحكمه، وتخبر الآية أيضًا أنَّ نفوذهم لا يمكن إلَّا بقوَّةٍ وهي غير موجودةٍ عندهم، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [العنكبوت: ٢٢] ومثل قول الجنِّ: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا﴾ [الجن: ١٢] ثُمَّ أكَّدت الآية التحدِّي بهذه الجملة ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ﴾ هو لهبها الأحمر ﴿وَنُحَاسٌ﴾ دخان لا لهب فيه ﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ [الرحمن: ٣٥].

ومن بِدَع التفاسير: قول بعض المعاصرين: ﴿بِسُلْطَٰنٍ﴾: بعلمٍ وأنَّ الآية تشير إلى سفن الفضاء التي تحاول بطريق العلم الوصول إلى القمر، أو غيره من الكواكب على ما يقال.

وهذا تحريفٌ للآية يوقع في الإثم، وذاك المفسِّر لا يفهم -لجهله بقواعد اللغة العربية- أنَّ عبارة ﴿إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ تفيد التحدِّي والتعجيز، وأنَّ لفظ ﴿مِنْ أَقْطَارِ﴾ يفيد مجاوزة جوانب السَّماوات والأرض إلى ما بعدهما، كما يقال:

نفذ السَّهم من الرميَّة أي: جاوزها. وقد أخبر الله تعالىٰ في (سورة الجن): أنَّهم كانوا يصعدون إلىٰ السَّماء، ويتخذون منها مقاعد لاستراق السَّمع، وهذا يبيِّن أنَّ الله تحدَّاهم هنا مع الإنس بما هو أبعد من ذلك وأقوىٰ مما لا تبلغه قدرتهم، وهو ما أوضحناه.

ومن الابتداع الخاطئ: حمل ألفاظ الكتاب والسُّنَّة علىٰ معانٍ تنافي مدلولها اللغويَّ، وتباين السِّياق الذي سيقت له الآية أو الحديث، ونحن لا ننكر أنَّ في القرآن والحديث إشارات إلىٰ كثيرٍ من المخترعات الحديثة، لكن تدلُّ عليها في حدود المدلول اللغوي، وداخل نطاق الأسلوب الكلامي عند العرب، وقد ذكرنا أمثلة لذلك في "خواطر دينية" وانظر كتاب " مطابقة الأحوال العصرية لما أخبر به سيد البرية" لشقيقنا الحافظ أبي الفيض رحمه الله تعالىٰ ورضي عنه.

ومن ﴿سورة التحريم﴾

١- قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ﴾ [التحريم: ١] اختُلِف في سبب نزول هذه الآية. فقيل: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم خلا بمارية في يوم حفصة وفي بيتها، ووطئها، فعثرت حفصة علىٰ ذلك، فقالت: يا رسول الله لقد جئت أمرًا ما جئته إلىٰ أحدٍ من نسائك، في بيتي وعلىٰ فراشي وفي دولتي؟ فقال: «**أيرضيك أنْ أحرِّمها فلا أمسّها أبدًا؟**» قالت: نعم. فحرَّمها علىٰ نفسه[1] وقال: «**لا تذكريه لأحدٍ من النَّاسِ**». فأخبرت

(١) جاء هذا في حديث رواه الطبرانيُّ في عشرة النِّساء وابن مَرْدُويه في "التفسير" عن أبي

حفصة عائشة بذلك، وكانتا صديقتين.

وقيل: إنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم شرب العسل عند زينب بنت جحش إحدى أمهات المؤمنين فتواطأت عائشة وحفصة فقالتا له: إنَّا نشم منك ريح مغافير، وكان يشتد عليه أن يوجد منه الريح، فحرم العسل على نفسه.

قال الحافظ ابن حجرٍ: «يجوز أن تكون الآية نزلت للسببين معًا».

ومعنى الآية على هذا أنَّ الله تعالى يقول لنبيِّه: لِم تمتنع ممَّا أحل الله لك من قربان جاريتك ومن شرب العسل، تبتغي مرضاة أزواجك؟ والكلام خرج مخرج الإشفاق عليه، والتوجع له صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فكأنَّه تعالى يقول: لِم تبتغي مرضاة أزواجك بإدخال المشقَّة على نفسك؟ هذا هو الظَّاهر، كما قال الشَّريف المرتضى في "غرر الفوائد" ثُمَّ بيَّن الله كيفية التحلل من اليمين، فقال تعالى: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ [التحريم: ٢] فالتحريم هنا معناه: الامتناع ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ [القصص: ١٢].

ومن بِدَع التفاسير: قول الزمخشريُّ: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ من مِلْك اليمين أو العسل، و﴿تَبْتَغِى﴾ إمَّا تفسير لتحرم، أو حال، أو استئناف.

وكان هذا زلَّة منه؛ لأنَّه ليس لأحدٍ أنْ يحرِّم ما أحلَّ الله؛ لأنَّ الله عزَّ وجلَّ إنَّما أحلَّ ما أحلَّ، لحكمةٍ ومصلحةٍ عرفها في إحلاله، فإذا حرم كان ذلك قلب

هريرة، وفيه زيادة: أنَّ النبيَّ -صلَّى الله عليه وآله وسلَّم- قال لحفصة: «**ألا أبشِّرك؟**» قالت: بلى. قال: «**يَلِي هذا الأمرَ مِن بعدي أبوبكرٍ ويَلِيه مِن بعد أبوك واكْتُمي هذا عليَّ**». وهذه زيادةٌ منكرةٌ لا تصح.

المصلحة مفسدة ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ قد غفر لك ما زللت فيه ﴿رَّحِيمٌ﴾ قد رحمك فلم يؤاخذك به.

ووجه البدعة في هذا التفسير: أنَّه حمل التحريم على اعتقاد الحلال حرامًا، وسياق الآية لا يقتضيه، ولا يدل عليه، ثُمَّ حكم بأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم زلَّ في هذا التحريم.

والواقع أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لم يَزِل؛ لأنَّه لم يعتقد ما أحلَّه الله حرامًا، كما زعم الزمخشريُّ، بل امتنع منه بيمين[1]، على أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لو قال في شيءٍ: إنه حرامٌ كان حرامًا؛ لأنه مُبلِّغٌ عن الله، وقد حرَّم أشياء لم تأتِ في القرآن، مثل السِّباع والحُمُر الأهليَّة، وقال في الحديث الصحيح: «**ألا وإنَّ ما حرَّم رسولُ الله مثل ما حرَّم اللهُ**» فإذا اعتقد في شيءٍ أنه حرام فهو حرامٌ

---

(١) ولأجل اليمين قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ إشارة إلى أنَّه ما كان ينبغي أنْ يستعمل اليمين لإرضاء أزواجه، ويكفي إرضاؤهن بغير يمين، وإنَّما تستعمل اليمين في الأمور المهمة، مثل ما أمره بها في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ وقوله تعالى: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ مبنيٌّ على ما قبله بناء المسبب على سببه، أي من أجل أنَّه غفورٌ رحيم، جعل لكم تحلَّة لأيمانكم تتحللون بها، فلا يلحقكم إثمٌ في حنثها، ولذا جاء في "المراسيل" لأبي داود عن قتادة عن الحسن -في تحريم أم إبراهيم- قال: فأمر أنْ يكفر عن يمينه. وقال ابن اسحق في "السيرة": أخبرني بعض آل عمر قال: أصاب النبيُّ -صلَّى الله عليه وآله وسلَّم- جاريته القبطية أم إبراهيم في بيت حفصة، وفي يومها، وذكر القصَّة إلى أنْ قال: فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾ فكفَّر عن يمينه وقرب جاريته.

حقيقة؛ لأنَّ اعتقاده لا يكون إلَّا مطابقة للواقع. فالزمخشريُّ هو الذي زلَّ في هذا المكان وضلَّ، سامحه الله.

(تنبيه): قول الزمخشريُّ: «لحكمةٍ ومصلحةٍ عرفها» فيه إطلاق المعرفة على علم الله تعالى وهوخطأ؛ لأنَّه لا يجوز شرعًا أن يقال: عرف الله كذا، وهو عارفٌ، وإنَّما يقال: علم كذا، وهو عالمٌ، وتجويز الشيخ زكريّا الأنصاري إطلاق المعرفة في حقِّ الله لورود ذلك، يقال عليه: لا يكفي الورود، بل لابدَّ من الثبوت ولم يثبت في إطلاقها عليه تعالى حديثٌ صحيحٌ.

٢- قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ [التحريم: ١٠]. زعم بعض المعاصرين ممَّن أقحم نفسه في التفسير بغير علمٍ: أنَّ المراد بالخيانة: الزِّنا. وهذا من بِدَع التفاسير، وهو يدل على جهل صاحبه وغباوته. فليست الخيانة هنا إلَّا المخالفة في العقيدة، ومساعدة الكفَّار على زوجيهما، وهو خلاف ما تقتضيه العشرة الزوجية من صفاء المودَّة، وحسن المراعاة.

والدليل على هذا أمور:

الأول: أنَّ امرأة نوحٍ كانت ترمي زوجها بالجنون، وتساعد قومه عليه من شتمه وإيذائه، وامرأة لوطٍ كانت تدل قومه على ضيوفه إذا كانوا حسان الوجوه، لم ينقل عنهما غير ذلك.

الثاني: لو ثبت عليهما شيءٌ من الزِّنا، لأسرع قوم نوحٍ وقوم لوطٍ إلى

تعييرهما، والتشنيع عليهما، لكنهم لم يعرِّجوا على ذلك بحالٍ.

الثالث: أنَّ من يقع الزِّنا في بيته بأهله -وهو لا يشعر- كيف يكون أهلًا لأن يدعو أمَّةً؟ ويتزعَّم شعبًا!

الرابع: أنَّ أكبر عارٍ يلحق بالرجل، ويسقط حرمته وكرامته وقوع الزِّنا في أهله، فكيف يُنسب إلى رسولين كريمين؟! كان أحدهما يكافح جريمة اللواط، وكان من السَّهل جدًّا أن يقول له قومه: اذهب إلى بيتك فطهِّره من الفاحشة، ثُمَّ تعال فطهرنا!

الخامس: لا يجوز أن يقع الزِّنا في بيت نبيٍّ يوحى إليه، ولا ينبِّهه الله عليه، هذا محالٌ؛ لأنَّ الله تعالى غيورٌ، كما ثبت في "الصَّحيحين" عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ الله عزَّ وجلَّ يَغارُ وغيرةُ الله أنْ يأتي المؤمنُ ما حرَّم الله عليه**»، وفي "صحيح البخاري" عن ابن عباسٍ في قصَّة قذف هلال بن أمية امرأته، ونزول قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ [النور: ٦] الآية، وقول سعد بن عبادة: لو رأيت رجلًا مع امرأتي لضربته بالسَّيف غير مُصْفَح[1] قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أتعجبون من غيرة سعدٍ؟! لأنا أغير منه، والله أغير مِنِّي، ومن أجل غيرة الله حرَّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن**» فكيف يرضاها في بيت رسول يختاره لتلقِّي وحيه؟ ودعوة النَّاس إلى توحيده؟ وإقامة دينه؟!

---

(١) بضم الميم وسكون الصَّاد وفتح الفاء أي: ممال على صفحته. أي: جانبه. والمعنى: لو وجدت رجلًا مع امرأتي لضربته بحدِّ السَّيف لأقتله؟ ولم أضربه بجانبه الذي لا يقتل.

السادس: أنَّ من الشُّروط التي يجب عقلًا وجودها في الرَّسول: الفطنة والذَّكاء، والذي يقع الزِّنا في أهله -وهو لا يشعر- يكون بالغ النِّهاية في الغفلة والبلاهة، ولا يجوز أن يكون الرَّسول مغفَّلًا ولا أَبله، بل الغفلة مذمومةٌ في عموم الصَّالحين، ألا ترىٰ إلىٰ قول عمر رضي الله عنه: لست بخبٍّ، والخبُّ لا يخدعني، تجده يتبرَّأ من الغفلة كما يتبرَّأ من الخبث. فهو ليس بخبيثٍ، لكنَّه ليس من الغفلة بحيث يخدعه خبيث؛ لأنَّه مؤمنٌ، والمؤمن فَطِنٌ. كما جاء في "مسند الشهاب" للقضاعي من حديث أنس: «**المؤمن كيِّسٌ فَطِنٌ حذِرٌ**».

السابع: أنَّ كفر المرأة لا يعيبها ولا يلحق زوجها عارٌ بسببه؛ لأنه ينشأ عن عنادٍ في الرَّأي، أو اعتدادٍ به، أو تقليدٍ للآباء، لكن زناها يعيبها ويعيب أهلها؛ لأنَّ سببه اغتلام الشَّهوة، وانحطاط الخلق، ودناءة الهمَّة، وسوء التربية، ولهذا لَمَّا جاءت هند زوج أبي سفيان، لتُسْلِم -وكانت من العنيدات في الشِّرك، والمعتزّات به- وعرض عليها النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فيما عرض «**ولا تزنين**» قالت مُستنكِرة: أوَ تزني الحُـرَّة؟!

فمن ثَمَّ جاز أن تكون زوج النبيِّ كافرةً، ولم يجز أبدًا بحالٍ أن تكون زانية. وهذا معنىٰ ما رواه عبدالرزَّاق والطبري وابن مَرْدُويه من طرقٍ عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: «ما بَغَتْ امرأةُ نبيٍّ قطُّ» أي: ما زَنَت(١).

٣- قوله تعالىٰ: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن

---

(١) لا لعصمتها كما فهم بعض الجهلة وأنكر هذا الأمر، بل لدناءة الزِّنا ودناءة فاعله، وقد تكون زوجة النبيِّ كافرةً أوقاتلةً لكنَّها حرَّة.

رُوحِنَا﴾[التحريم: ١٢] تثني الآية على مريم -عليها السَّلام- بإحصان فرجها، وعفَّتها عن الحرام، وأنَّ الله تعالى نفخ فيه من روحه... إلخ قصَّتها.

قال الزمخشريُّ: «ومن بِدَع التفاسير: أنَّ الفرج جيب الدِّرع، ومعنى أحصنته: منعته جبريل. وأنَّه جمع في التمثيل بين التي لها زوج -وهي امرأة فرعون- والتي لا زوج لها، وهي مريم، تسليةً للأرامل، وتطييبًا لأنفسهنَّ».

قلت: جبريل نفخ في جيب دِرعها أو قميصها بنصِّ القرآن، ولم تمنعه من ذلك.

وإحصان الفرج لا يراد به إلَّا الكناية عن العفَّة والطهارة من الزِّنا، فإطلاقه على جيب الدِّرع في غاية البعد، ويظهر أنَّ صاحب هذا التأويل كان نصرانيًّا رسخت فيه عقيدة النصارى: أنَّ الله نفخ في مريم مباشرة من غير واسطة جبريل، فلذلك يقولون في عيسى: ابن الله، تعالى عن ذلك عُلُوًّا كبيرًا.

وحكمة تسلية الأرامل وتطييب أنفسهنَّ ليس لها قيمة في هذا الموضع، وماذا يضير الأرامل لو لم تذكر مريم[1]؟!

ومن ﴿سورة الملك﴾

١- قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠] معنى الآية: أنَّ الكفَّار حين يدخلون النَّار، يقولون -متحسرين-: لو كنَّا نسمع إنذار الرُّسل سماع قبول، ونعقل معناه: عقل متأمِّلٍ منصف، لآمنَّا وما دخلنا النَّار.

---

(١) على أنَّ مريم لم تتزوَّج، والأرملة هي التي مات عنها زوجها.

قال الزمخشريُّ: ومن بِدَع التفاسير: أنَّ المراد: لو كنَّا على مذهب أصحاب الحديث، أو على مذهب أصحاب الرَّأي، كأنَّ هذه الآية نزلت بعد ظهور هذين المذهبين، وكأنَّ سائر أصحاب المذاهب والمجتهدين، قد أنزل الله وعيدهم: وكأنَّ من كان من هؤلاء، فهو من النَّاجين لا محالة.

وعدَّة المُبشَّرين من الصَّحابة عشرة، لم يضم إليهم حادي عشر[1]، وكان من يجوز على الصِّراط أكثرهم لم يسمعوا باسم هذين الفريقين.

قلت: وجه البدعة في هذا التفسير: أنَّ صاحبه حمل الآية على معنى لم يكن معروفًا وقت التنزيل، وإنَّما حدث بعد ظهور المجتهدين، وافتراقهم في فهم الكتاب والسُّنَّة إلى هذين الفريقين.

وقد نبَّهنا إلى هذا في سورتي (البقرة) و(الرَّحمن).

ومن ﴿سورة القلم﴾

١- قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ [القلم: ٣] قال الزمخشريُّ: غيرُ مقطوعٍ كقوله: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨].

أو: غير ممنون به عليك؛ لأنَّه ثوابٌ تستوجبه على عملك، وليس بتفضُّلٍ ابتداء، وإنَّما تُمنُّ الفواضل، لا الأجور على الأعمال.

---

(١) يعني: في حديثٍ واحدٍ، وهذا لا ينافي أفرادًا بُشِّروا في أحاديث متفرِّقة، مثل الحسن والحسين وفاطمة وخديجة وبلال وعبدالله بن سلام، وقد استوعبت أسماءهم في "خواطر دينية".

قلت: الرَّأي الثَّاني من بِدَع التفاسير، مع ما فيه من إساءة الأدب في حقِّ الله سبحانه وتعالىٰ، وقد تكرَّر هذا منه في غير موضعٍ من "كشَّافه"، والله تعالىٰ لا يجب عليه شيءٌ، إذ هو الخالق للخلق، ومبتدئهم بنعمه، فكيف يجب لهم عليه شيءٌ إلَّا ما أوجبه علىٰ نفسه تفضلًا؟ وما يعطيه من أجورٍ لعباده الصَّالحين، فله فيه المنَّة والفضل سواء أكان ابتداء؟ أم في مقابلة عمل؟! وفي الحديث الصَّحيح عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لنْ يدخل أحدٌ منكم الجنَّة بعمله**» قالوا: ولا أنت يارسول الله؟ قال: «**ولا أنا إلَّا أنْ يتغمَّدني الله برحمةٍ منه وفضلٍ**».

وفي "معجم الطبراني" عن واثلة رضي الله عنه، عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال:«**يبعث الله يوم القيامة عبدًا لا ذنب له، فيقول الله: أيُّ الأمرين أحبُّ إليك؟ أنْ أجزيك بعملك؟ أو بنعمتى عندك؟ قال: يارب إنَّك تعلم أنَّى لم أعصِك. قال: خذوا عبدي بنعمةٍ من نعمي. فما تبقَّى له حسنة إلَّا استغرقتها تلك النِّعمة. فيقول: ربِّ بنعمتك ورحمتك. فيقول بنعمتي ورحمتي**».

وأمَّا مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣] فالباء فيه للسببيَّة الجعليَّة، بمعنىٰ أنَّ الله تعالىٰ جعل العمل الصَّالح سببًا شرعيًّا لدخول الجنَّة، وهذا الجعل تفضُّل منه، ولهذا يقول أهل الجنَّة حين يدخلونها: ﴿ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ [فاطر: ٣٥].

ويعجبني في هذا المعنىٰ قول صاحب "الحكم": «إذا أراد إظهار فضله عليك، خَلَقَ ونَسبَ إليك».

والسرُّ في ذلك أنَّ الله تعالىٰ ابتدأ خلقه بنعمه تفضُّلًا، أولاها: نعمة الإيجاد، ثُمَّ نعمة الإمداد بالحواس وبالصِّحة والتوفيق إلىٰ الطَّاعة وغيرها ممَّا لا يحصىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤] فلو أنَّ الإنسان عَبَدَ الله طول حياته ما أدَّىٰ شُكْر نعمةٍ من تلك النِّعم.

كما جاء في "مسند البزَّار" عن أنسٍ رضي الله عنه، عن النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**يخرجُ لابن آدم يوم القيامةِ ثلاثة دواوين: ديوانٌ فيه العمل الصَّالح، وديوانٌ فيه ذنوبه، وديوانٌ فيه النِّعم من الله عليه. فيقول الله عزَّ وجلَّ لأصغر نعمةٍ -أحسبه قال: في ديوان النِّعم- خذي ثمنك من عمله الصَّالح. فتستوعب عمله الصَّالح، ثُمَّ تتنحَّى، وتقول: وعزَّتك ما استوفيت. وتبقى الذنوب والنِّعم، وقد ذهب العمل الصَّالح، فإذا أراد الله أن يرحم عبدًا قال: يا عبدي قد ضاعفت لك حسناتك، وتجاوزت عن سيئاتك، ووهبت لك نعمي**».

فكيف استوجب العبد علىٰ الله -وهو مقصِّرٌ في شكر نعمه- أن يدخله الجنَّة بعمله؟! وممَّا يُعاب به الزمخشريُّ، محاولته تطبيق آيات القرآن علىٰ مذهبه الاعتزاليِّ، ويركب في تحقيق محاولته كل صعبٍ وذلول، ولولا ذلك، لم يكن لتفسيره نظير؛ لأنَّه أظهر وجوه إعجاز القرآن، وبيَّنها غاية البيان، حتىٰ قيل -فيه وفي السَّكاكي صاحب "مفتاح العلوم"-: «لولا الأعرجان لذهبت بلاغة القرآن».

٢- قوله تعالىٰ: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ [القلم: ١٦] هذه العبارة كناية عن غاية الإذلال؛ لأنَّ الوسم علىٰ الوجه شين، فكيف به علىٰ أكرم موضع منه؟

والضمير يعود على الوليد بن المغيرة، وقد خطم بالسيف يوم بدرٍ، فبقيت سمة على خرطومه، وهي من الإهانة والإذلال وقيل: سنعلمه يوم القيامة بعلامة مشوَّهة، يبين بها عن سائر الكفَّار، كما عادى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عداوة بان بها عنهم.

ومن بِدَع التفاسير: أنَّ الخرطوم الخمر، وأنَّ المعنى: سنحُدُّه على الخمر، أي: على شربها. وهذا المعنى -وإن نقل عن النضر بن شميل الإمام اللغوي الثِّقة وما أظنُّه يصح عنه- بعيدٌ عن سياق الآية، لا يتلاقى معها بأيِّ وجهٍ.

ومن ﴿سورة المزمل﴾

١- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾ [المزمل: ١] نادى الله تعالى نبيَّه بهذا الوصف، تسجيلًا لحالته حين رجع إلى خديجة رضي الله عنها، وفؤاده يرجف بعد إذ نزل عليه قوله: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١] -وهو أوَّل وحي يتلقَّاه- وقال: «**زمِّلوني**» والحكمة في هذا النداء إيناسه، وإزالة ما علق بقلبه من هيبة الوحي، حتى قال لخديجة: «**لقد خشيت على نفسي**» كما ثبت في "الصحيحين".

وأعقبه بالأمر بقيام الليل استعدادًا لما يتتابع عليه من نزول الوحي: ﴿إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥].

ومن بِدَع التفاسير: قول الزمخشريِّ: كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نائمًا بالليل، متزمِّلًا في قطيفته، فنبِّه ونودي بما يهجن إليه الحالة التي كان عليها من التزمُّل في قطيفته، واستعداده للاستثقال في النَّوم، كما يفعل من لا

يهمه أمر، ولا يعنيه شأنٌ، وفي أمثالهم:

أَوْرَدَها سعدٌ وسعدٌ مُشتمِل ما هكذا توردُ يا سعدُ الإبل

فذمَّه بالاشتمال بكسائه، وجعل ذلك خلاف الجلد والكيس، وأمر بأن يختار على الهُجُود التهجُّد، وعلى التزمُّل التشمُّر والتخفُّف للعبادة والمجاهدة في سبيل الله.

قلت: قلَّده البيضاوي من غير تبصُّرٍ، وهو مخالفٌ لسبب النزول، وفيه سوء أدبٍ في حقِّ الجناب النبويِّ الكريم، وإذا كان الله لم يناده باسمه المجرَّد - كما نادى غيره من الأنبياء- تكريمًا له، فكيف يعقل أن يناديه بوصفٍ يذمُّه به؟! سامح الله الزمخشريَّ على هذه الجرأة التي لم يقصدها فيما أحسب.

ومن ﴿سورة المدثر﴾

١- قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ۝٣٥ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٣٥ - ٣٦] نذيرًا حال من إحدى، والضمير يعود على سقر. والمعنى: أنَّ الله تعالى أقسم بالقمر واللَّيل إذ أدبر والصُّبح إذا أسفر، على أنَّ سقر إحدى الدَّواهي الكُبر، حال كونها نذيرًا للبشر، وذكرُ ﴿نَذِيرًا﴾: إمَّا لأنَّه بمعنى إنذار؛ وإمَّا لأنَّ سقر بمعنى العذاب؛ وإمَّا لأنَّ ﴿نَذِيرًا﴾ يستوي فيه المذكَّر والمؤنَّث.

وقيل في ﴿نَذِيرًا﴾: إنه تمييز لإحدى الكُبر. وقيل: ممَّا دلَّت عليه الجملة أي: كبرت سقر منذرة.

ومن بِدَع التفاسير -كما قال الزمخشريُّ-: أنَّ نذيرًا حال من قوله في أوَّل السُّورة ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المدثر: ٢] وهو إعرابٌ في غاية البُعد، لا يليق إلَّا

بالمختصرات الشَّديدة الاختصار، مثل "مختصر خليل" في فقه المالكية، و"الروض" لابن المقري في فقه الشافعية، و"لب الأصول اختصار جمع الجوامع" لزكريا الأنصاري، ففي هذه الكتب وأمثالها تجد بين المبتدأ وخبره صفحتين كاملتين، وبين الحال وصاحبها ثلاث صحائف، ونحو ذلك من التعقيدات التي صعَّبت العلم، وصيَّرته أشبه بالرموز والألغاز.

ومن ﴿سورة الإنسان﴾

١ - قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغۡلَٰلٗا﴾ [الإنسان: ٤] قال الزمخشريُّ: قُرئ ﴿سَلَٰسِلَاْ﴾ غير منونٍ، و«سلاسلًا» بالتنوين. وفيه وجهان:

أحدهما: أنْ تكون هذه النون بدلًا من حرف الإطلاق، ويجري الوصل مجرىٰ الوقف.

والثاني: أن يكون صاحب القراءة به ممن ضَرِي برواية الشِّعر، ومرَن لسانه علىٰ صرف غير المنصرف.

قلت: هذا من بِدَع التفاسير. فإن القراءات السَّبعة، بل العشرة ليست مبنيَّة علىٰ اجتهاد القرَّاء واختيارهم، ولكنَّها منقولة نقل تواتر عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حسبما تقرَّر في علم الأصول، وبسطه شيخ المقرئين الحافظ ابن الجزري في كتاب "النَّشر"[1].

---

(١) وبسطه أيضًا العلَّامة المقرئ المحقِّق محمَّد بن عبدالسَّلام الفاسي في كتاب "المحاذي" وهو كتابٌ في القراءات نفيسٌ مخطوط، رأيته في مكتبتنا.

وتنوين «سلاسل» قرأ به نافع[١] إمام قراء أهل المدينة، وهو أبعد النَّاس عن رواية الشِّعر.

ووجهه: أنَّه لمناسبة قوله: ﴿وَأَغْلَٰلًا﴾ ورعاية المناسبة، لهجة عربيَّة فصيحة، ومنها: قوله عليه الصَّلاة والسَّلام -يخاطب النِّسوة اللاتي تبعن الجنازة-: «**ارجعن مأزوراتٍ غير مأجوراتٍ**» أصل «مأزورات»: موزورات؛ لأنَّه من الوزر. لكن قيل بالهمزة: لرعاية مأجورات وكثيرًا ما تجد في كتب الأدب واللغة العربية توجيه صرف كلمةٍ غير منصرفةٍ بأنَّه لرعاية المناسبة.

٢- قوله تعالىٰ: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ [الإنسان: ١٨] معنىٰ ﴿سَلْسَبِيلًا﴾: سلسة الانحدار في الحَلْق، سهلة المساغ. قال الزجَّاج: السلسبيل في اللغة: صفة لما كان في غاية السلاسة.

قال الزمخشريُّ: «وقد عزوا إلىٰ عليٍّ رضي الله عنه: أنَّ معناه: سل سبيلًا إليها، وهذا غير مستقيم علىٰ ظاهره، إلَّا أن يراد أنَّ جملة قول القائل: سل سبيلًا، جعلت علمًا للعين. كما قيل: تأبَّط شرًّا، وذرَّىٰ حبًّا. وسُمِّيت بذلك؛ لأنَّه لا يشرب منها إلَّا من سأل إليها سبيلًا بالعمل الصَّالح. وهو مع صحَّته في العربية تكلُّفٌ وابتداعٌ، وعزوه إلىٰ مثل علي عليه السَّلام أبدع، وفي شعر بعض المحدثين:

سل سَبِيلًا فيه إلىٰ راحة النَّفس براح كأنَّها سَلْسَبِيلُ

قلت: في البيت جناسٌ تامٌّ، وهو من المحسِّنات اللفظيَّة في علم البديع، وما نقل عن عليٍّ عليه السَّلام لم يصح عنه، ولا شكَّ أنه من بِدَع التفاسير.

---

(١) هو نافع بن أبي نعيم، توفي سنة ١٦٩ وهو غير نافع مولىٰ ابن عمر وشيخ مالك.

ومن ﴿سورة النبأ﴾

١- قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: ٣٨] اختُلِف في الرُّوح. فقيل: جبريل عليه السَّلام، وقيل: مَلَكٌ عظيمٌ من الملائكة، وقيل: صنفٌ من الملائكة يقال لهم: الرُّوح. والآية تُصَوِّر هول يوم القيامة، وما يعتري الخلق من خشوعٍ وخضوعٍ لهيبة الله تعالى فيه.

ومن بِدَع التفاسير: ما جاء عن وهب بن منبِّه، قال: أشرف ذو القرنين(١) على جبل قاف، فرأى تحته جبالًا صغارًا. فقال له: ما أنت قال: أنا قاف. قال:

---

(١) هذا الكلام مبنيٌّ على أنَّ ذا القرنين مَلَك الدُّنيا وطاف أرجاءها من مشرقها إلى مغربها. وروى ابن أبي شيبة عن مجاهدٍ قال: ملك الدُّنيا أربعة: مؤمنان: ذو القرنين وسليمان، وكافران: نمروذ وبُخْتنَصَّر. وهذا غير صحيحٍ، فلم يملك الدنيا كلها أحد، لا هؤلاء ولا غيرهم، ولقد كان ملك العباسيين زمن الرَّشيد والمأمون أكبر من ملك ذي القرنين الذي كان ملكًا على فارس، واتَّجه في سيره إلى المغرب حتى وصل إلى أزمير، وهناك في مكانٍ عند الشاطئ منعزل وجد الشَّمس تغرب في عينٍ حمئة. والقوم الذين وجدهم هناك هم اليونان وكانوا أصحاب حضارةٍ وعلوم. ثمَّ واصل سيره إلى جهة المشرق حتى بلغ الهند ووجد بعض أصقاعها سهولًا منبسطة ليس فيها ما يستر أهلها من الشَّمس، لا جبال ولا أشجار، ثمَّ واصل السَّير إلى جهة شمال فارس، حتى بلغ أرمينية فاشتكى إليه أهلها إفساد يأجوج ومأجوج وإغارتهم عليهم، فبنى ردما في ممرٍّ بين جبلين، منعهم من الإغارة عليهم طوله نحو مائة متر، وعلوه نحو ثلاثين مترًا، وهو موجودٌ في هذا المكان إلى الآن. ويأجوج من الروس، ومأجوج من المغول. وسمي ذوالقرنين بهذا الاسم؛ لأنَّه كان في تاجه قرنان.

فما هذه الجبال حولك؟ قال: هي عروقي، وما من مدينة إلَّا وفيها عرق من عروقي. فإذا أراد الله أن يزلزل مدينة، أمرني فحرَّكت عرقي ذلك فتزلزلت تلك الأرض. فقال له: يا قاف أخبرني بشيءٍ من عظمة الله. قال: إنَّ شأن ربنا لعظيم، وإنَّ ورائي أرضًا مسيرة خمسمائة عام، في خمسمائة من جبال ثلج، يحطم بعضها بعضًا، لولا هي لاحترقت من حرِّ جهنَّم. قال: زدني. قال: إنَّ جبريل -عليه السَّلام- واقفٌ بين يدي الله تعالى ترتعد فرائصه، يخلق الله من كل رعدة ألف ملك. فهؤلاء الملائكة واقفون بين يدي الله تعالى، منكِّسون رؤوسهم، فإذا أذن الله لهم في الكلام، قالوا: لا إله إلا الله. وهوقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾.

قلت: أنعم بهذا التفسير الذي تلقاه ذو القرنين من الإمام جبل قاف! وقد قاله قبل نزول القرآن! ثُمَّ أنعم بالعقول التي تقبل هذا التخريف، وتكتبه في مؤلفاتها!

ولو قرأت رسالة "الصلصلة في الزلزلة" لعرفت كيف يقع بعض كبار العلماء في الخرافات، معتقدين أنَّها نهاية التحقيق؟! والكمال لله تعالى.

ومن ﴿سورة عبس﴾

١- قوله تعالى: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا﴾ [عبس: ٢٥] أي: أنزلنا الغيث ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا﴾ [عبس: ٢٦] أي: شققناها بإخراج النَّبات منها.

قال الزمخشريُّ: ويجوز أن يكون من شقِّها بالكراب على البقر، وأسند الشق إلى نفسه، إسناد الفعل إلى السبب.

قلت: هذا على عقيدته الاعتزالية في أنَّ العبد يخلق أفعاله. وقد علَّق عليه

ابن المنير بقوله: «ما رأيت كاليوم قطُّ عبدًا ينازع ربَّه؛ الله تعالىٰ يقول: ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا﴾ فيضيف فعله إلىٰ ذاته حقيقةً، كما أضاف بقيَّة أفعاله من عند قوله: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ﴾ [عبس: ١٩] وهلمَّ جرّا. والزمخشريُّ يجعل الإضافة مجازية، من باب إسناد الفعل إلىٰ سببه.

وإذا جعل «شقَّ الأرض» مضافًا إلىٰ الحراث حقيقة وإلىٰ الله مجازًا، فما يمنعه أن يجعل الحراث هو الذي صبَّ الماء، وأنبت الحبَّ والعنب والقضب حقيقةً؟ وهل هما إلَّا واحد؟!

قلت: أظنُّ أنَّ الزمخشريَّ لو أدرك هذا الزمان الذي توصَّلوا فيه إلىٰ إنزال المطر الصِّناعي لسقي الأرض وزرعها، لأسند صب الماء إلىٰ الحراث حقيقة! وبعد: فحمل آيات القرآن علىٰ عقيدةٍ معيَّنة، أو مذهبٍ معينٍ، هو -ولا شكَّ- من بِدَع التفاسير.

ومن ﴿سورة الغاشية﴾

١- قوله تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧] المراد بالإبل: الحيوان المعروف.

ومن بِدَع التفاسير: أنَّ الإبل: هي السَّحاب.

قال الزمخشريُّ: «لعلَّه لم يرد أنَّ الإبل من أسماء السَّحاب، كالغمام والمزن والرباب والغيم والغين، وغير ذلك. وإنَّما رأىٰ السَّحاب مُشَبَّهًا بالإبل كثيرًا في أشعارهم، فجوز أن يراد به السَّحاب علىٰ طريق التشبيه والمجاز».

قلت: هذا توجيهٌ بعيدٌ.

ومن ﴿سورة الفجر﴾

١- قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ﴾ عطف بيان لعادٍ. إعلامًا بأنَّهم عاد الأولى، وإرم: جدهم الأدنى، ثُمَّ صار علمًا للقبيلة ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ [الفجر:٦- ٧] صفة للقبيلة التي هي: ﴿إِرَمَ﴾. والمعنى: أنَّهم كانوا طوال الأجسام، تشبيهًا لهم بالأعمدة، وقد شبهوا في سورة القمر بـ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القمر: ٢٠]، وفي (سورة الحاقة) بـ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧] ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ [الفجر: ٨] في البطش والقوَّة.

فقد حكى الله عنهم أنَّهم استكبروا في الأرض بغير الحقِّ، وقالوا: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥].

ومن بِدَع التفاسير: أنَّ شدَّاد بن عاد، كان ملِكًا قهر ملوك الدنيا، فدانوا له، وسمع بذكر الجنَّة، فقال: أبني مثلها. فبنى إرم في بعض صحاري عدن، وهي مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضَّة، وأساطينها من الزبرجد والياقوت، وفيها أصناف الأشجار والأنهار المطَّردة. بناها في ثلاثمائة سنة، ولمَّا تَمَّ بناؤها، ذهب إليها بأهل مملكته. فلما كان منها على مسيرة يومٍ وليلةٍ، بعث الله عليهم صيحةً من السَّماء، فهلكوا. وهي المراد من الآية. وأنَّ عبدالله بن قلابة، خرج في طلب إبلٍ له، فوقع عليها، فحمل ما قدر عليه مما ثَمَّ. وبلغ خبره معاوية، فاستحضره، فقصَّ عليه، فبعث إلى كعبٍ، فسأله؟ فقال: هي ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾. وسيدخلها رجلٌ من المسلمين في زمانك، أحمر أشقر قصير، على

حاجبه خال، وعلى عنقه خال، يخرج في طلب إبلٍ له، ثُمَّ التفت، فرأى ابن قلابة، فقال: هذا والله ذلك الرجل.

قلت: أخرج الثعلبي من طريق عثمان الدارمي، عن عبدالله بن صالح كاتب الليث، عن ابن لَهيعة، عن خالد بن أبي عمران، عن وهب بن منبِّه، عن عبدالله بن قلابة، أنَّه خرج في طلب إبلٍ له شردت... فذكر القصَّة السَّابقة. قال الحافظ: «آثار الوضع عليه لائحةٌ».

قلت: لا شكَّ أنَّ هذا كذبٌ مفضوحٌ، يجب تنزيه كتب التفسير عنه؛ لأنَّه يشوِّه جماله. والعجيب في هذا الكذب أن يعرف كعب صفة ابن قلابة بتلك الدِّقة المدهشة! كأنَّه حضر ولادته! ولعلَّه قرأ صفته في بعض الكتب التي تدلُّ على الكنوز، وتصف من يكون فتحها على يده!

ومن ﴿سورة الضحى﴾

١- قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ [الضحى: ٦] المعنى: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نشأ يتيمًا، مات أبوه وهو جنينٌ، فآواه الله وربَّاه.

قال الزمخشريُّ: «ومن بِدَع التفاسير أنَّه من قولهم: درَّةٌ يتيمةٌ، وأنَّ المعنى: ألم يجدك واحدًا في قريش، عديم النظير؟ فآواك!».

قلت: يجوز أن يكون من باب الإشارة. والمعنى: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان عديم النظير في قريش، يبغض الأصنام وهم يعبدونها، ويجتنب قبائح الجاهلية، وهم منغمسون فيها، وينشد معالي الأمور، وهم يحبون سفاسفها، فهو دُرَّةٌ يتيمةٌ وسط معادن غير كريمة، وأشق شيءٍ على

الشَّخص وجوده بين ناس غير موافقين. فآواه الله إليه وآنسه بوحيه.

ومثل هذا من الإشارة يقال -في قوله-: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: ٧] أي: وجدك محبًّا لتوحيده، مفكرًا فيما يعرِّفك به، ويجمعك عليه، فهداك به إليه، وعرَّفك نفسه، فجمعك عليه.

﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى: ٨] أي: وجدك فقيرًا إلى مزيد فضله، متشوِّقًا إلى وصله. فأغناك بما أولاك، ووصلك إلى حضرته وأدناك.

ومن ﴿سورة ألم نشرح﴾

١ - قوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ﴾ [الشرح: ٧] أي: إذا فرغت من صلاتك فاجتهد في الدُّعاء.

أو: فإذا فرغت من الغزو فاجتهد في العبادة.

أو: فإذا فرغت من دنياك فانصب في صلاتك.

قال الزمخشريُّ: «ومن البِدَع: ما روى عن بعض الرَّافضة: أنَّه قرأ «فانصِب»، بكسر الصَّاد، أي: فانصب عليًّا للإمامة. ولو صحَّ هذا للرَّافضي لصحَّ للنَّاصبي أن يقرأ هكذا، ويجعله أمرًا بالنَّصب الذي هو بغض عليٍّ وعداوته».

ومن ﴿سورة قريش﴾

١ - قوله تعالى: ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ [قريش: ٤] معنى الآية: أنَّ الله تعالى آمن قريشًا من خوف أصحاب الفيل، ومن خوف التخطف في بلدهم.

قال الزمخشريُّ: «ومن بِدَع التفاسير. ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾: من أن تكون

الخلافة في غيرهم.

قلت: لا شكَّ أنَّ هذا تفسيرٌ مبتدعٌ؛ لأنَّ اللَّفظ لا يدل عليه، والسِّياق لا يقتضيه.

ومن غرائب القراءات: ما حكاه أيضًا بقوله: وقرئ: ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ بإخفاء النون[1].

ومن ﴿سورة الفلق﴾

١- قوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ٢] قرأه بعض الغالين في الاعتزال، «من شرٍّ» بتنوين ﴿شَرِّ﴾، وجعل ﴿مَا﴾ نافية. والمعنى: قل أعوذ بربِّ الفلق من شرٍّ ما خلقه، بل خلقه فاعله. بناءً على قولهم: أنَّ العبد يخلق أفعاله. وهذا تحريفٌ آثمٌ، يهوي بصاحبه في النَّار، نسأل الله السَّلامة والعافية.

---

(١) وجه الغرابة أنَّ الخاء من حروف الحلق الستة، وحكم النون معها هو الإظهار.

خاتمة

تشتمل على مسائل ثلاثة

المسألة الأولى

علمت مما عرضناه من نماذج بِدَع التفاسير أنَّها لا تخلو من أن تكون مخالفة للفظ الآية، أو منافية لإعرابها، أو منافرة لسياق الكلام، أو غير متلاقية مع سبب النزول، أو مصادمة للدَّليل، ومِن ثَمَّ كانت بدعيَّتها ووجب إبعادها عن كتب التفسير، وتنقيته منها، وهي نوعٌ من التفسير فتحنا أبوابه وبيَّنا أسبابه، وكشفنا عمَّا غمض منه حجابه، فمن أراد أن يكتب فيه فلينهج ما نهجناه، وليقتف ما مهَّدناه، وليبنِ على ما أسَّسناه، وليفرِّع على ما أصَّلناه، وإنَّنا نحمد الله على أن هدانا لهذا وما كنَّا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

والمرجو ممن اطلع عليه من أولي العلم، أن يغضي عما عسى أن يكون فيه من خطأ أو سهوٍ، فإنَّ الخطأ والسَّهو طبيعة في الإنسان، لا سيَّما وقد كتبناه في ظروفٍ توالت علينا بالهموم والأكدار، وقضت بتشريد العقل وتشتيت الفكر، مع عدم الصديق الموافي، والزَّمان المواتي، ممَّا يتعذر مع وجود بعضه إنشاء خطاب عادي، فضلًا عن تأليف كتابٍ مستقلٍّ في موضوعٍ مبتكر، لم يوجد منه إلَّا أمثلة، ذُكرت في تفسير "الكشَّاف" على سبيل الاستطراف.

واللهُ المسئول أن يبدِّل همومنا سرورًا، وأكدارنا صفوًا وحُبُورًا، وأن يديم علينا نعمة العقل، وأن يجمع فكرنا على التأمُّل في آياته، إنَّه قريبٌ مجيبٌ.

المسألة الثانية

من أنواع التفسير التفسير الإشاري الذي يسلكه الصُّوفيَّة في تفاسيرهم، وذلك أنَّهم حين يتكلَّمون على آيةٍ من القرآن، يقرُّون تفسيرها اللَّفظي كما ذكره المُفسِّرون، ويأخذون منها بعد ذلك معنىً إشاريًّا يتصل بما يفيضون فيه من مقاماتٍ وأحوالٍ، ومعارف وأسرارٍ.

وقد ذكرنا مثالًا لذلك في (سورة الضُّحى)، وهو بالنسبة للتفسير اللَّفظي كنسبة المفهوم إلى المنطوق، فكما أنَّ المنطوق هو ما دلَّ عليه اللَّفظ في محلِّ النطق، مثل وجوب الصَّلاة المدلول عليه بلفظ: ﴿أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[الأنعام: ٧٢] كذلك التفسير اللفظي للآية، هو ما أفاده نظمها، واقتضاه سياقها، وكما أنَّ المفهوم هو ما دلَّ عليه اللَّفظ لا في محل النطق، مثل تحريم الضَّرب للوالدين المدلول عليه بقوله: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾[الإسراء: ٢٣] لكن لا في محلِّ النطق؛ لأنَّه غير منطوق به. كذلك التفسير الإشاري هو ما استفيد من الآية لا بطريق لفظها وعبارتها.

ودلالة الإشارة معتبرة عند علماء الأصول، فإنَّهم لَمَّا تكلَّموا على ألفاظ الكتاب والسُّنّة، وقسَّموا دلالتها إلى نوعين: منطوقٍ، ومفهومٍ.

قسَّموا دلالة المنطوق إلى دلالة اقتضاء، ودلالة إشارة، ومثلوا للأخيرة بقوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧] وقالوا: دلَّت الآية بطريق المنطوق على إحلال الجماع طول ليلة الصيام، ويؤخذ منها بطريق الإشارة صحَّة صوم من أصبح جنبًا[1] وأخذ العلماء من قوله

---

(١) لأنَّ الليلة تصدق بكل جزء من أجزائها، فمن جامع في آخر جزءٍ منها بحيث يكون

تعالىٰ: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٦] -بطريق الإشارة- أنَّ الإنسان لو وجد ابنه رقيقًا، فاشتراه عتق عليه بمجرد الشِّراء؛ لأنَّ الولدية والعبودية لا تجتمعان، فكما استخرج علماء الأصول والفقه من ألفاظ القرآن والسُّنَّة بطريق الإشارة أحكامًا تشريعيَّة، كذلك استخرج الصُّوفيَّة بطريقها علومًا ربانيَّة.

وممن استعمل التفسير الإشاري من العلماء غير الصُّوفيَّة: النيسابوريُّ في "تفسيره" المطبوع بهامش "تفسير الطبري"، وإسماعيل حقي في تفسيره "روح البيان"، والآلوسيُّ في تفسيره "روح المعاني"، وهذان التفسيران مطبوعان أيضًا، لكن الصوفيَّة في هذا الباب أمكن، وعلىٰ الإشارات الدقيقة أغوص ولهم تفاسير تختلف باختلاف عباراتهم بين عويصةٍ مستغلقةٍ، مثل: "عرائس البيان" للورتجبي، و"إعجاز البيان في تفسير فاتحة القرآن" للقونويِّ ربيب ابن العربي الحاتمي وتلميذه، وبين واضحةٍ محكمةٍ، كـ"تفسير النخجواني"، ولم أرَ فيها أوضح عبارةً وأقرب فهمًا وأحسن سياقًا وأسلس عذوبةً من كتاب "البحر المديد في تفسير القرآن المجيد" لجدِّنا مِن قِبل الأُمِّ، الإمام العلَّامة الوليِّ الكبير أبي العباس أحمد بن محمد بن عجيبة الحسنيِّ رضي الله عنه، فإنَّه يعتبر بحقٍّ لسان الصوفيَّة والمعبِّر عنهم في هذا الفنِّ، يذكر الآية، ويذكر ما فيها من وجوه الإعراب، ويتبع ذلك بذكر المعنىٰ ومصادره "تفسير البيضاوي"

ملاصقًا لآذان الفجر، لا يستطيع أن يغتسل إلَّا بعد الفجر فيمضي عليه جزءٌ من النَّهار وهو جُنبٌ، فمن هنا كانت الآية تشير إلىٰ صحَّة صومه.

و"تفسير ابن جُزيٍّ" و"حاشية العارف أبي زيد عبدالرحمن الفاسي على تفسير الجلالين" وما يفتح الله به عليه، ثمَّ يذكر المعنى الإشاري بعبارةٍ سلسةٍ، وبيانٍ عذبٍ حتى يشعر القارئ أنَّ الآية لم تنزل إلَّا في هذا المعنى، ولم يقصد منها سواه.

وكتب على "المقدمة الآجرومية" شرحًا بهذه الطريقة أيضًا، يذكر عبارة المؤلِّف، ويشرحها بمقتضى علم النحو، ويتبعها بالمعنى الإشاري، فيندهش القارئ لحسن تنزيله عبارة المتن على المعاني الصوفيَّة، ويخيل إليه أنَّ ابن آجروم، ألَّف مقدَّمته في علم التصوف.

وللعارف أبي الحسن علي بن ميمون الغماري -شيخ ابن عراق- شرحٌ على "الآجرومية" بالتصوف أيضًا، اطلعت عليه، لكنَّه عويص مستغلق، يتعب القارئ في فهمه.

وقد كتب بعض المعاصرين من المتصوِّفة شرحًا على "منظومة عبدالواحد بن عاشر" في فقه المالكية، بطريق التصوف، مقلدًا خطَّة ابن عجيبة، اطلعت عليه، وهو مطبوعٌ، لكن بينهما بونٌ شاسعٌ، فليست النائحة المأجورة كالثكلى، ولا الحاكي مثل الذَّائق.

والمقصود: أنَّ الصوفيَّة لهم في فهم القرآن والسُّنَّة تلميحاتٌ وإشاراتٌ تدلُّ على إلهاماتٍ إلهيَّة، وتنزُّلاتٍ قدسيَّة.

وقد كنت في بداية طلبي للعلم أقرأ شرح العارف أبي محمد بن أبي جمرة على "مختصره" للبخاري، على سيدنا الأستاذ الإمام الوالد رضي الله عنه، فكان يلفت نظري إلى ما فيه من دقائق الاستنباطات التي لم يتفطَّن لها شرَّاح

البخاري قبله، وهي مما ألهمه الله إيَّاها وفتح بها عليه، ويقول لي: إنَّ الحافظ ابن حجرٍ ينقل عنه كثيرًا منها في "فتح الباري" ويحليه بلقب «العارف» مع أنَّه ليس من أنصار الصُّوفيَّة.

وما ذاك إلَّا لأنه يقدر علمه وفهمه، ويعترف بما فتح الله به عليه وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذوالفضل العظيم.

المسألة الثالثة

أردت أن أتكلَّم عن التفاسير المشهورة المتداولة التي اطَّلعتُ عليها، وأبيِّن خصائص كلِّ تفسيرٍ منها حسبما يظهر لي، غير متقيِّدٍ برأي، ولا متأثِّرٍ بعقيدةٍ معيَّنةٍ، متحرِّيًا للصَّواب فيما أقرِّره وأبديه، والله الموفق.

١ - "تفسير الطبري": تفسيرٌ جليلُ القَدْر، يعتبر من التفاسير التي تعنى بالتفسير المأثور. مثل تفسير عبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن المنذر وأبي الشَّيخ ابن حَيَّان[1] وابن مَرْدُويه، ونحوهم ممَّن يروون بأسانيدهم ما ورد في تفسير

---

(١) بفتح الحاء المهملة وتشديد المثناة التحتية، واسمه عبدالله بن جعفر بن حيَّان الأصبهاني، شيخ أبي نعيم، من مؤلفاته كتاب "العظمة" في مكتبتنا مختصره في مجلَّد، وكتاب "النوادر" و"النتف"، وكتاب "التوبيخ" علقت منهما فوائد، وهما في مكتبتنا، وكتاب "أخلاق النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم" طبع بتعليقاتي عليه وهو غير أبي حاتم محمد بن حاتم بن حِبَّان بكسر الحاء المهملة وتشديد التحتية الموحدة، البستي، له كتاب "الضعفاء"، اطلعت عليه وهوفي مجلَّدٍ متوسِّط، وكتاب "الثقات"، اطلعت على نصف ترتيبه في مجلَّدٍ ضخمٍ للحافظ الهيثميِّ، رتَّبه على حروف المعجم. وكتاب "الصحيح" اطلعت على ترتيبه لابن بلبان. وانتخبت منه أحاديث في نزول عيسى

الآية عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم -وهو قليل- وعن الصَّحابة الذين تكلَّموا في التفسير، مثل عليٍّ وابن عباسٍ وابن مسعودٍ وأُبيِّ بن كعبٍ وعبدالله بن عمرٍو، وعن التَّابعين كذلك، مثل سعيد بن جبيرٍ وعكرمة ومجاهدٍ وطاوسٍ والحسن وسعيد بن المسيِّب وقتادة وأبي مالكٍ الطائيِّ والباقر وعطاء وعلقمة وعبيد بن عمير والشَّعْبيِّ، وزيد بن أسلم، والسُّدِّي الكبير. غير أنَّ تفسير الطَّبَريِّ يمتاز بثلاثة أشياء:

١- ذكر اللغات، ووجوه الإعراب، والاستشهاد بأشعار العرب.

٢- الترجيح بين الأقوال المختلفة.

٣- إبداء رأيه في تفسير الآية بصراحةٍ واستقلال، لا يتقيد إلَّا بالدليل من الكتاب أو السُّنَّة أو لغة العرب.

وإن كان لي عليه انتقادٌ، فهو على ترجيحه بين القراءات وتضعيف بعضها، وهذا منه يقتضي أنَّه يرى القراءات موكولة إلى رأي القرَّاء، واجتهادهم فيما يختارونه من لغات العرب ولهجاتهم. والصَّواب: أنَّ القراءات موقوفةٌ على النَّقل، وحيث تواترت قراءة عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كقراءة نافع وحمزة وابن كثير وغيرهم من القرَّاء المشهورين، لم يجز تضعيفها؛ لأنَّ القراءة

وغيره. طبعت منه قطعة، وكتاب "روضة العقلاء"، وهو مطبوع، وغير ذلك، وفي كتب الحديث المطبوعة تصحيف تواطأ عليه المصحِّحون، وهو كتابة أبي الشيخ ابن حَيَّان بالباء الموحدة، حتى كتاب "الترغيب والترهيب" الذي قام الشيخ مصطفي عمارة بضبطه وتصحيحه، فيه هذا التصحيف من أول الكتاب إلى آخره وفيه تصحيفات أخرى كثيرة، بل فيه لحنٌ في تشكيل الأحاديث.

سُنَّـةٌ متَّبعةٌ. نعم يجوز أن يكون فيها فصيحٌ وأفصح، وبليغٌ وأبلغ.

أمَّا اعتماده على ما ينقله عن كعب الأحبار ووهب بن مُنبِّه وغيرهما من مسلمة أهل الكتاب، فذاك انتقاد يتوجَّه على أغلب كتب التفسير، وإني لشديد العجب مِن علمائنا المتقدِّمين الذين اعتمدوا على الإسرائيليَّات في التفسير وغيره، ناسين أنَّ الله تعالى أخبر عن أهل الكتاب أنَّهم حرَّفوا كتبهم وبدَّلوا فيها!! وأنَّ رسولنا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حذَّرنا مِن تصديقهم!!

وأعجب من هذا أنَّ تلك الإسرائيليات تغلغلت في كتب العلماء، وتسلَّطت على عقولهم حتى صارت عندهم عقيدة!! على أساسها يفهمون القرآن، وبتفاصيلها يفسِّرون ما غمض من آياته! فابتلاء أيوب عليه السَّلام لم يفسَّر إلَّا بما جاء عن أهل الكتاب، وكذلك فتنة داود وسليمان، وهَمُّ يوسف عليهم السَّلام.

وفي القرآن دلالةٌ قاطعةٌ على أنَّ الذبيح إسماعيل عليه السَّلام، وكذلك مناسك الحجِّ وشعائره، تدلُّ على ذلك أيضًا، ومع هذا فإنَّ كثيرًا من العلماء منهم الطبريُّ، ذهبوا إلى أنَّ الذبيح إسحاق عليه السَّلام، لا لدليلٍ من الكتاب أو السُّنَّة، ولكن اعتمادًا على كذب أهل الكتاب وتحريفهم. والحافظ السيوطيُّ كتب رسالة في تعيين الذَّبيح، حكى فيها القولين، وذكر أحاديث تؤيِّد الفريقين -وهي أحاديث واهية لا تساوي سماعها- ثمَّ اختار التوقُّف عن تعيين الذَّبيح؛ لتعارض الأدلة!![1]

---

(١) يعجبني في هذا المقام ما جاء عن الأصمعي، قال: سألت أبا عمرو بن العلاء عن

فانظر إلى أيِّ حدٍّ سيطرت الإسرائيليات على عقول علمائنا وتفكيرهم؟! ومثل هذا ما حكوه عن هاروت وماروت، وشدَّاد بن عاد، وبنائه إرم ذات العماد، وطول عوج بن عنق، وغير ذلك مما شوَّه كتب علمائنا، وكان ثغرة نفذ منها الطاعنون الحاقدون.

٢- "تفسير البغوي": يعتبر من تفاسير السَّلف؛ لأنَّ مؤلِّفه من أهل الحديث، كتب تفسيره على طريقتهم، يذكر معنى الآية، ويؤيِّده بحديثٍ مرفوعٍ يسنده، أو بقول صحابيٍّ أو تابعيٍّ من علماء التفسير، وقد يحكي الأقوال، ويرجِّح بعضها لدليل يبديه، ويميل في الصفات المتشابهة إلى تفويض علمها لله تعالى، مع إثباتها كما جاءت في القرآن.

٣- "تفسير النيسابوري": تفسيرٌ جليلٌ، يشتمل على فوائد وتحقيقات، يحكي القراءات المشهورة، ويوجِّه ما يحتاج منها إلى توجيه، ويميل إلى تأويل المتشابه على طريقة المتأخِّرين، ثُمَّ يذكر التفسير الإشاري في ختام السُّورة أو الجزء. وبالجملة هو تفسيرٌ مفيدٌ، لا يُستغنَى عنه.

٤- "تفسير الزمخشريُّ": سماه "الكشَّاف"، وهو كشَّافٌ حقيقةً كشف النقاب عن وجوه إعجاز القرآن، وأبدع في بيان نكتها ماشاء الله له أن يُبْدِع، خصوصًا النِّصف الأول منه، فقد اعتراه في النِّصف الثَّاني ملال، وفسَّر ما في القرآن من الآيات المتشابهة في الصِّفات وغيرها بوجوهٍ من المجاز أو الاستعارة

الذَّبيح؟ فقال: يا أصمعي. أين عزب عنك عقلك؟! ومتى كان إسحاق بمكَّة؟ وإنَّما كان إسماعيل بمكَّة، وهو الذي بنى البيت مع أبيه، والمنحر بمكَّة.

التمثيليَّة على طريقة علماء البيان، ومكَّنه رسوخه في هذا العلم من تطبيق ذلك في يسرٍ وسهولةٍ، من غير تعسُّفٍ ولا استكراهٍ، مع ما يبديه أحيانًا من تناسبٍ بين جملٍ من الآيات حتى تبدو للقارئ واضحة الترابط، آخذًا بعضها بحجزة بعض، ويمكن أن نقول غير مسرفين: كل من كتب في التفسير بعده -من النَّاحية البلاغيَّة- فهو عالةٌ عليه، لكن تنتقد عليه أشياء:

١- محاولته تطبيق آيات القرآن على مذهبه الاعتزاليِّ، كما سبق التنبيه عليه.

٢- ولَعه بحكاية القراءات الشَّاذَّة، وتكلُّف توجيهها بغرائب اللغة ونوادر الإعراب، وقد يمدح بعضها بأنَّ القارئ بها من أفصح النَّاس، وأمضغهم للشيح والقَيصُوم، يكني بذلك عن خلوص عربيته، وسلامتها من أيِّ لكنةٍ.

٣- تهجُّمه على بعض القراءات المتواترة[1]، أو توجيهه لبعضها بما يفيد أنَّ القراءة مسألة اجتهادية، فمن الأوَّل ما تفوَّه به عن قراءة ابن عامر عند قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٧]. ومن الثَّاني ما ذكره في ﴿سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا﴾ [الإنسان: ٤] وللعلَّامة الطِّيبي عليه حاشيةٌ كبيرةٌ ممتعةٌ، تقع في نحو ستة مجلَّدات،

---

(١) ولما تكلَّم الفقيه ابن حجرٍ الهيتميُّ في "الزَّواجر" على قوله تعالى: ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢١٩] ووجَّه قراءتي «كبير» و«كثير»، قال: «وممَّا يجب على المتكلِّم في توجيه القراءات أن يوجِّه كلًّا من غير تعرُّضٍ لتضعيف قراءةٍ متواترةٍ، وما وقع من ذلك للزمخشريِّ وغيره في مواضع، فهو مِن زَلَلهم وخطئهم».اهـ

كثيرة الفوائد والتحقيقات، فيها مناقشات قيمة، وتمحيصات لآراء الزمخشريِّ.

وكان الطِّيبي مع تقدُّمه في علوم البلاغة والعربية والكلام والمنطق ذا خبرةٍ جيدةٍ بالحديث، فعزا معظم أحاديث الكشَّاف عزوًا يدلُّ على اطلاعه ومشاركته، وهذه الحاشية جديرة بأن تطبع، وقد كان سيدنا الأستاذ الإمام الوالد -رضي الله عنه- معجبًا بها وهو الذي لفت نظري إليها.

٤- "تفسير الرَّازي": تفسيرٌ قيِّمٌ يعنى بتحرير المسائل الكلاميَّة، وهذا فنُّه الذي برز فيه، وقد قيل عنه: فيه كلُّ شيءٍ إلَّا التفسير، وفي هذا القول غلوٌّ ومبالغةٌ، وإلَّا فهو من جهة الكلام على الآيات، وما فيها من اللُّغات والفوائد، لا يقل عن أيِّ تفسيرٍ من التفاسير المهمَّة، إن لم يفُق عليه، وإن كان يؤخذ عليه شيءٌ، فهو أنَّه يقصر في بعض الآيات أو السُّور تقصيرًا لا يليق بمثله، كما يؤخذ عليه أيضًا أنَّه قد يقرِّر في الآية معنى صحَّ الحديث فيها بخلافه، وعذره في هذا أنَّه لا يعرف علم الحديث(١).

٥- "تفسير القرطبي": تفسيرٌ عظيمٌ، عُنِيَ ببيان الأحكام المستخرجة من الآيات، مع ذكر الأحاديث الواردة في الموضوع، وبيان اللغات والإعراب الذي يتوقَّف عليه فهم الآية وتحليل نظمها، ولا عيب فيه إلَّا انسياقه مع الإسرائيليات في بعض الأحيان.

---

(١) كما أنه يتهجَّم على بعض علماء الحديث أحيانا. فقد تهجَّم على ابن خزيمة، وقال عن كتاب "التوحيد" له كلمة شديدة، وذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ في (سورة الشورى).

٦- "تفسير الخازن": مختصر من "تفسير البغوي"، وهو كافٍ في فهم القرآن، يذكر الأحكام والأحاديث منسوبة إلى مخرِّجيها من أصحاب الكتب السِّتة، أو البغوي إن لم يجد الحديث عند غيره، وعيبه الوحيد: ذكر القصص المأخوذة عن الإسرائيليات، ولو حذفت منه تلك القصص، لكان تفسيرًا في غاية الجودة.

٧- "تفسير البيضاوي": مختصر من "الكشَّاف"، غير أنَّه أعرض عن حكاية القراءات الشَّاذة إلَّا في القليل، والتزم مذهب الأشعريَّة، وقد ينساق مع الزمخشريِّ أحيانًا تقليدًا من غير تمحيصٍ، وفيه تحقيقات رائعة، وعليه حواشي للقونويِّ وزاده والشهاب الخفاجي، فيها بحوث وتحقيقات، والأخيرة أوسعها وأكثرها فوائد.

٨- "تفسير أبي السُّعود"[1].

٩- "تفسير النسفي": مختصران من تفسير "الكشَّاف"، مع استبدال آراء المعتزلة بآراء الأشعريَّة. وفيهما مع ذلك تحقيقات نفيسة.

١٠- "تفسير ابن كثير": تفسيرٌ سلفيٌّ متشدِّدٌ في سلفيَّته، يُعنَى بذكر الأحاديث الواردة في موضوع الآية، مع بيان رتبتها غالبًا، ويذكر أقوال الصَّحابة والتَّابعين، وينبِّه على الإسرائيليات، وقد يُقصِّر في بعض الآيات، فلا يستوفي الكلام عليها كما ينبغي، ومِن تشدُّده في سلفيَّته: أنَّه جعل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ جملة مستقلة، وقوله تعالى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ

(١) للشيخ عليش عليه حاشية في تسعة أجزاء اطَّلعت عليها وهي مخطوطة.

وَجَهْرَكُمْ ﴾[الأنعام: ٣] جملة مستأنفة، لبيان شمول علم الله لجميع المخلوقات، وحكى الإجماع على أنَّ الله في السَّماء، ووَسَمَ مَن قال خلاف ذلك بأنَّه من الحشويَّة، وهو متأثرٌ بابن تيمية.

١١- "تفسير أبي حيَّان الأندلسي": تفسيرٌ جميلٌ جدًّا، عني بحكاية القراءات المشهورة وتوجيهها مع بيان الإعراب بيانًا شافيًّا، ومناقشة الزمخشريِّ فيما أخطأ فيه من ذلك، ويتحرَّى التنبيه على الإسرائيليات، مع اشتماله على تحقيقات نفيسة، وقد تعرَّض لابن تيمية، وذكر أنه اغترَّ به أول الأمر فمدحه، ثمَّ تبيَّن له خلاف ذلك، فذمَّه وحطَّ عليه، وذكر بعض عيوبه، لكن القائمين على طبع التفسير حذفوا منه ذم ابن تيمية، غيرة منهم عليه(١).

١٢- ومن مصادر أبي حيَّان: "تفسير ابن عطية" وهو تفسيرٌ مهمٌ جدًّا. طبعت مقدمته، وهي تدلُّ على علُّو قدره.

١٣- "تفسير البرهان" للبقاعي، تفسيرٌ جميلٌ جدًّا، فيه بحوث قيِّمة، وأهم ما يمتاز به التزام بيان المناسبة بين السُّور والآيات، وهذا شيءٌ لم يسبق إليه أحدٌ، وقد وفقني الله تعالى إلى تأليف كتاب بينت فيه المناسبة بين سور القرآن، وأرجو أن يوفقني إلى تأليف كتاب آخر، في بيان المناسبة بين آياته.

١٤- "تفسير الخطيب الشربيني": تفسيرٌ جيدٌ، يشتمل على فوائد ونفائس، ومما يمتاز به أنَّه فسَّر كل بسملةٍ في القرآن، تفسيرًا غير تفسير سابقتها.

---

(١) كما حذف المرحوم أمين الخانجي حين طبع "الميزان" للذهبي كلمة: «علي» من أثرٍ وقع في ترجمة ابن أبي داود، وكتب بدلها كلمة فلان. مع أنَّ الأثر غير صحيحٍ.

١٥- "تفسير الطبرسي" الشيعي، تفسيرٌ جميلٌ جدًّا، يتكلَّم على الإعراب وتوجيه القراءات بما يدلُّ على اطلاعٍ في علوم اللُّغة العربيَّة، وكلامه على معاني الآيات يدلُّ على تحقيقه، ودقَّة نظره، غير أنَّه يرجِّح آراء شيعيَّة كما يفعل الزمخشريُّ في ترجيح آرائه الاعتزاليَّة.

١٦- "تفسير الثعالبي"، مختصر من "تفسير ابن عطيَّة"، وفيه فوائد وتحقيقات، بحيث يكفي من يقتصر عليه.

١٧- "تفسير ابن جُزَيٍّ"، تفسيرٌ مختصرٌ مفيدٌ، يحكي أصحَّ الأقوال ويذكر أصحَّ الأعاريب، كتب في أوَّله مقدِّمة من علم التفسير في غاية الإفادة.

١٨- "تفسير الجلالين": تفسيرٌ مختصرٌ جدًّا، لا يفيد المبتدئ، ولا يحتاج إليه المنتهي، ينساق مع الإسرائيليات، ولا يحرِّر موضوعًا، كما لا يكشف عن نكتة في آيةٍ.

١٩- وللعارف أبي زيد عبدالرحمن الفاسي عليه حاشية، فيها تحقيقات مفيدة، وهو أوَّل من كتب عليه حاشية.

٢٠- ثمَّ كتب الشيخ الجمل حاشية كبيرة، تعتبر تتميمًا له بما تنقله في معظم الآيات، عن كثيرٍمن كتب التفاسير ما يوضح المعنى، ويبيِّن المراد.

٢١- ثُمَّ كتب تلميذه العارف الصاوي حاشية فيها تحقيقات رائعة، إلَّا أنه يعتمد الإسرائيليات.

٢٢- أمَّا "حاشية الجمالين" على "الجلالين"، فلا بأس بها في الجملة، ولا تخلوا من فوائد.

٢٣- تفسير السيوطي، اسمه "الدر المنثور في التفسير بالمأثور" يذكر في

كل آيةٍ ما ورد فيها من الأحاديث والآثار، مستوعبًا في ذلك غاية الاستيعاب، غير أنَّه لا يبيِّن رتبة الأحاديث إلَّا قليلًا، ومع كونه التزم أن لا يذكر فيه حديثًا واهيًا أو موضوعًا، لم يفِ بما التزم به، والكمال لله تعالى.

٢٤- "تفسير ابن عجيبة"، سبق الكلام عليه.

٢٥- "تفسير روح البيان": تفسيرٌ جيدٌ، أحسن تلخيص ما في "البيضاوي" وحواشيه و"أبي السُّعود" من نكات وفوائد، مع إضافة بعض الإشارات الصُّوفيَّة. وبعد تفسير الآية باللغة العربية، يذكر تفسيرها باللغة التركيَّة، وهذا عملٌ مفيدٌ.

٢٦- "تفسير الشوكاني": تفسيرٌ وسطٌ بين الإيجاز والإطناب، يُعنى ببيان المفردات اللغويَّة، ويتكلَّم على معنى الآية جملة، مع الإشارة إلى القراءات المشهورة، وذكر الأحاديث والآثار، منقولة من تفسير "الدر المنثور"، فهو تفسيرٌ جيدٌ مفيدٌ.

٢٧- "تفسير الفوتي" تفسيرٌ مستمدٌ من "تفسير البيضاوي". لكنَّه سهلٌ مبسوط العبارة، ولا يخلو من فوائد. وهو مخطوطٌ لم يطبع.

٢٨- "تفسير الميرغني": تفسيرٌ مختصرٌ لكنَّه مفيدٌ، سهل العبارة، خالٍ من الاصطلاحات العلميَّة المعقَّدة، يستفيد منه المبتدئ ومن في حكمه، لوضوح أسلوبه.

٢٩- "تفسير الآلوسي": تفسيرٌ مهمٌ بديعٌ، لخَّص ما في "الكشَّاف" و"حاشية الشِّهاب" على "البيضاوي" من نكات بيانيَّة، ومباحث فنيَّة، كما لخَّص ما في "تفسير الرَّازي" من بحوث عقليَّة وكلاميَّة، ومزج ذلك كله

بأسلوبه الأدبي البليغ، وأضاف إليه ما نقله عن "تفسير السُّيوطي" من الأحاديث والآثار، وما ذكره من بعض الإشارات الصوفيَّة، فكان تفسيرًا منقطع النظير.

٣٠- "تفسير القنوجي": ملك بهوبال بالهند: تفسير ملخَّص من "تفسير ابن كثير"، وهو سلفيٌّ أيضًا على طريقته، ولا يخلو من نكات وفوائد.

٣١- "تفسير القاسمي": تفسيرٌ لا بأس به، يميل إلى وضوح العبارة، وتبسيط البحث الذي يتعرَّض له، مع جنوحٍ إلى الاجتهاد والاستقلال في الرَّأي، وقد ينساق مع الإسرائليات أحيانًا، وحين أريد تقديمه إلى المطبعة، أشرف على طبعه شخص في عقله شيءٌ، زرته مرة ببيته، فأطلعني على نسخة التفسير بخط القاسمي، سلَّمها إليه ابنه ليشرف على طبعها، فإذا هو قد ضرب بالقلم الأحمر على بحث النَّسخ الذي ذكره المؤلف عند قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾ [البقرة: ١٤٢] فسألته عن سبب شطب هذا البحث؟ فقال: لأنَّه لا يليق بمقام القاسمي الذي كان يسميه الشيخ رشيد رضا: عالم الشَّام، فحذفته وحذفت ما كان من قبيله عديم الفائدة، قليل الجدوى. قلت له: لكن هذا ينافي الأمانة العلميَّة.

فقال: التفسير لم يطبع قبل الآن، ولا أحد يعرف ما حذف منه، ونجل المفسِّر -وهونقيب المحامين بدمشق- أباح لي التصرُّف فيه حسبما أراه مصلحة، وهذه البحوث لا تليق بالقاسمي وبشهرته العلميَّة. قلت له: اتركها كما كتبها المؤلف، وعلِّق عليها برأيك. فأبى وأصرَّ على حذفها، وبناءً على هذا

فالتفسير المذكور ناقصٌ في عدَّة مواضع، وهذه خيانةٌ علميَّةٌ، ما كان ينبغي أن تحصل[١]، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العلي العظيم.

تمَّ تبييضه صباح يوم الأحد السَّادس والعشرين من جمادىٰ الآخرة سنة أربع وثمانين وثلاثمائة وألف هجرية.

---

(١) لم أذكر تفسير الشَّيخ طنطاوي جوهري المسمىٰ "جواهر القرآن"؛ لأنَّه ليس تفسيرًا بالمعنىٰ المفهوم من لفظ تفسير، وإنَّما حشر فيه حقائق علميَّة عن الفلك والنَّبات والحيوان، ولم يراعي ربطها بألفاظ القرآن وآياته، فجاءت مبعثرة غير متناسقة، وقد اجتمعت به فوجدته بسيطًا في تفكيره، وكان نباتيًّا كالمعري، وأخبرته بأنَّ تفسيره متداول عندنا بالمغرب، فأبدىٰ لي عجبه من أن يكون في المغرب ناس يفهمون كلامه!! ثُمَّ وجدت تلميذه الأستاذ حنفي أحمد أخذ عليه مثل هذا في مقدمة كتابه "التفسير العلمي للآيات الكونيَّة في القرآن".

ترجمة المصنف

هذا وأنا العبد الفقير إلى عفو الله ورحمته أبو الفضل عبدالله بن الإمام الحافظ المجتهد القطب الرباني شمس الدين أبي عبدالله محمَّد بن الولي الكبير السيِّد الصِّديق بن العلَّامة الكبير والقطب الشَّهير السيِّد أحمد بن العارف بالله السيِّد محمَّد بن السيِّد قاسم بن السيد محمد ابن الولي الشَّهير السيِّد عبدالمؤمن بن السيِّد محمَّد ابن السيِّد عبدالمؤمن ابن القطب الكبير السيِّد عبدالمؤمن صاحب الكرامات في حياته وبعد وفاته ابن السيِّد الحسن ابن السيِّد محمد ابن السيِّد عبدالله ابن السيِّد أحمد ابن السيِّد عبدالله ابن السيِّد عيسى ابن السيِّد سعيد ابن السيِّد مسعود ابن السيِّد الفضيل ابن السيِّد علي ابن السيِّد عمر ابن السيِّد العربي ابن السيِّد علال ابن السيِّد موسى ابن السيِّد أحمد ابن السيِّد داود ابن مولانا إدريس دفين فاس ويسمى إدريس الأزهر ابن مولانا إدريس الأكبر، مؤسس دولة الأدارسة بالمغرب، وناشر لواء الإسلام في أصقاعه، ابن الإمام السيِّد عبدالله المحصَّن -أحد شيوخ الإمام مالك- ابن السيِّد الحسن المثنَّى ابن سيدنا الحسن السِّبط ابن سيدنا علي وفاطمة الزَّهراء عليهم السَّلام.

ووالدتي: هي التقيَّة الصَّالحة العفيفة القانتة الطَّاهرة الشريفة الكريمة الخلق، السَّخية اليد[1] بنت العارف بالله، التالي لكتاب الله المكثر ذكر الله السيد

---

(١) كانت لها فراسةٌ حادَّةٌ، ونظرٌ صائبٌ، فهي تنظر بنور الله كما جاء في الحديث توفِّيت شهيدة بجمع، ليلة الإثنين السَّابع والعشرين من رمضان سنة ١٣٤٠ ودفنت بالزَّاوية الصِّدِّيقيَّة، ولما توفِّي سيِّدنا الإمام الوالد -رضى الله عنه- يوم الأربعاء سنة ١٣٥٤ أردنا أن ننقلها لتدفن بجانبه، وفتحنا قبرها ونزلت فيه أنا وخالي السيِّد أحمد بن

عبدالحفيظ ابن العلَّامة الولي الكبير السيِّد أحمد -سلك طريق التصوف على جدِّي سيدي الحاج أحمد، وفتح له على يديه، كما أنَّ جدِّي أخذ عنه المنطق- ابن الإمام العلَّامة الولي الشَّهير السيِّد أحمد بن عجيبة الحسني، صاحب التفسير المشار إليه، وقد ذكر نسبه في فهرسته، فأنا أتصل بالحسن بن عليٍّ عليهما السَّلام من جهة الأب والأم والحمد لله.

ولدت بمدينة طنجة، وهي من أحسن مدن المغرب موقعًا، وأعدلها مناخًا، وأبهجها منظرًا، وأصل إقامة عائلتنا بقبيلة بني منصور من قبائل غُمارة -بضم الغين- ففي قرية تُجْكان منها -بضم التاء وسكون الجيم- بيتنا وزاويتنا وضوارح أجدادنا، ولنا الزَّعامة الدينيَّة في قبائل غُمارة كلها، لا يقطعون في أمرٍ من الأمور التي تهمهم في مصالحهم إلَّا بعد الرجوع إلينا.

ولما خطب مولانا الإمام الوالد -رضي الله عنه- بنت خاله السيِّد عبدالحفيظ -وكان مقيمًا بطنجة- شرط عليه الإقامة بها، فوافقه وأقام بطنجة، وبنى بها زاوية كبيرة، درَّس فيها التفسير، كما درَّس في الجامع الكبير بطنجة "صحيح البخاري"، و"مختصر خليل" في فقه المالكية، و"ألفية ابن مالك" في علوم العربيَّة، و"همزية البوصيري" في السِّيرة النبويَّة، وغير ذلك. وأقام للعلم

عبدالحفيظ، فوجدنا جسمها سليمًا، وكفنها سيلما كأنَّها دفنت في تلك السَّاعة. وقد صحَّ في الحديث عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**الشَّهادة سبعٌ سوى القتل في سبيل الله: المبطون شهيدٌ، والغريق شهيدٌ، وصاحبُ ذات الجَنبِ شهيدٌ، والمَطعون شهيدٌ، وصاحب الحريق شهيدٌ، والذي يموت تحت الهَدْمِ شهيدٌ، والمرأة تموت بجمعٍ شهيدٌ**». يقال: ماتت المرأة بجمعٍ -مثلثة الجيم- إذا ماتت بالنِّفاس وولدها في بطنها.

والتصوف سوقًا رائجة، وتخرَّج به علماء، كان منهم مدرِّسون وقضاة وغيرهم، وانتشر بسببه في أرجاء البلدة ذكر الله[١].

في هذا البيت -بيت العلم والصَّلاح والولاية- نشأت، وبلبان الفضل غذيت، حفظت القرآن بقراءة ورش، وأتقنت رسمه، حتى كان يرجع إليَّ فيه كبار القرَّاء، ثُمَّ شرعت في حفظ بعض المتون كـ"ألفية ابن مالك" في العربية، و"مختصر خليل" في الفقه، و"الأربعين النووية"، و"بلوغ المرام" في الحديث.

ثُمَّ حضرت "المقدمة الآجرومية" بشرح الأزهريِّ على ابن عمتنا الفقيه الأجل السيِّد محمد بن عبدالصمد، وعلى شقيقنا الحافظ أبي الفيض رحمه الله.

ثُمَّ رحلت إلى فاس لقراءة العلم بجامع القرويين، أكبر جامع بالشَّمال الإفريقي، وهو أكبر من الأزهر وأقدم، وفيه تخرَّج علماء المغرب، ودرس فيه أبو بكر ابن العربي المعافري، ومحيي الدين ابن العربي الحاتمي، وابن خلدون، وأبوالحسن الشَّاذلي، وابن غازي، وزرُّوق وغيرهم.

فحضرت "الألفية" بشرح المكودي على العلَّامة الحسيب النسيب السيِّد الحبيب المهاجي كما حضرت عليه في "مختصر خليل" بشرح الخرشي، و"السلم" بشرح القويسني في المنطق.

وحضرت "الألفية" بـ"شرح ابن عقيل" على العلَّامة الشيخ مَحمد -بفتح

---

(١) وأقام بها قبله عمنا العلَّامة الولي الصَّالح السيِّد القاضي، ونشر العلم والطريق لكن على نطاقٍ ضيقٍ، وكان كثير الأسقام، توفي سريعًا ودفن بالزَّاوية الحراقية بشارع دار البارود، وعليه ضريحٌ يُزار. كان صالحًا تقيًّا، له كرامات، وكان أسن من سيِّدنا الوالد رحمهما الله ورضي عنهما.

الميم الأولى- ابن الحاج، مع مراجعة حاشيتي السجاعي والخضري.

وحضرت "الألفية" أيضًا بـ"شرح التوضيح" لابن هشام، مع مراجعة "التصريح" للأزهري، و"حاشية الطيب بن كيران على التوضيح" أيضًا، وبـ"شرح المكودي" مع مراجعة "حاشية ابن الحاج" على ابن المحشي العلَّامة الشيخ محمد بن الحاج، كما حضرت عليه في "مختصر خليل" بشرح الخرشي، وحضرت عليه جملة كبيرة من "صحيح البخاري" بالجامع الإدريسي، وكان قوي الحافظة، يبدي إعجابه بالحافظ ابن حجرٍ، ويتورَّك على العيني في اعتراضاته عليه، ويقول عنه بعد حكاية اعتراضه: كأني به لم يفهم كلام الحافظ، ثُمَّ يجيب عنه.

ولما وصل في قراءة "البخاري" إلى كتاب الجهاد والمغازي، بعث إليه حاكم فاس الفرنسي وطلب منه أن يتخطَّى هذا الباب إلى غيره، ويقرأ ما بعده، فامتنع عن الدرس أيامًا، وبعد مراجعة وكلام حصل الاتفاق على أن يقرأ كتاب الجهاد، على ألَّا يتوسَّع في الشَّرح، وهذا نوعٌ من الضَّغط الذي كان يمارسه الاستعمار الفرنسي في المغرب.

وحضرت باب الجنايات والقصاص من "مختصر خليل" بشرح الخرشي على العلَّامة المحقِّق السيِّد أحمد القادري.

وحضرت في المختصر أيضًا على إمام جامع القرويين العلَّامة السيِّد إدريس المراكشي وكان على علمه وفضله فيه غفلة.

كما حضرت في "المختصر" أيضًا على العلَّامة الشيخ محمد الصنهاجي، وحضرت من باب الإجارة إلى الآخر من "شرح الدردير" لخليل، على العلَّامة الشَّيخ عبدالرحمن ابن القرشي، وحضرت مواضع من "مختصر خليل" بشرح

عبدالباقي على شيخ الجماعة العلَّامة السيِّد عبدالله الفضيلي، كما حضرت عليه "رسالة الوضع"، وكان محققًا بارعًا.

وحضرت فرائض "مختصر خليل" بشرح الخرشي، و"حاشية" شيخ الجماعة السيِّد أحمد بن الخياط، على العلَّامة الشيخ أبي الشتاء الصنهاجي، وكان صالحًا خشن المعيشة والملبس، وهو شقيق الشَّيخ محمد الصنهاجي السَّابق.

وحضرت "المقدمة الآجرومية" على شيخ الجماعة بفاس العلَّامة السيِّد أحمد بن الجيلاني الأمغاري، وحضر عليه معظم العلماء تبركًا، كما حضرت عليه مواضع من "مختصر خليل" بشرح الخرشي.

وحضرت على العلَّامة القاضى السيِّد الحسين العراقي "جمع الجوامع بشرح المحلي"، و"تفسير الجلالين بحاشية الصاوي".

وحضرت مبحث الآداء والقضاء من مقدِّمة "جمع الجوامع"، على العلَّامة المحقِّق السيِّد الراضى الحنش، وكان منقطع النظير في التحقيق.

وحضرت مقدِّمة "جمع الجوامع بشرح المحلي" على العلَّامة المحقِّق القاضى العباس بن أبي بكر البناني، كما حضرت عليه قسم التوحيد من "منظومة ابن عاشر" وذكر مرَّة في درس الأصول حديثًا لم يعرف رتبته، فبينتها له، فسألني من أنت؟ فانتسبت له، فقال: تبارك الله، الدُّرُّ من معدنه لا يُستغرَب، وطلبت منه مرَّة فتوى فقهيَّة في خصومة كانت بين بعض الإخوان، فسألني هل يطلع عليها والدك؟ قلت: نعم. قال: إذًا يجب التدقيق فيها؛ لأنَّ والدك في العلم مخيف.

وأخذت عنه أيضًا "شرح البناني على السلم" في المنطق. كما أخذت عنه

"المقولات"، وأجاز لي إجازة عامَّة كتبها لي بخطِّه، كما أجاز لي الشيخ محمد ابن الحاج السَّابق، والسيد المهدي العزوزي الذي يروي عن السيِّد المرتضىٰ الزبيدي شارح "القاموس"، بواسطتين.

ثمَّ رجع من الشَّام إلىٰ فاس العلَّامة المحدِّث الولي الصَّالح السيِّد محمد بن جعفر الكَتَّاني، فلازمته واستفدت منه.

ثُمَّ رجعت إلىٰ طنجة، فدرَّستُ بالزَّاوية الصِّدِّيقيَّة لبعض نجباء الطَّلبة والإخوان "المقدمة الآجرومية" و"رسالة ابن أبي زيد" بشرح أبي الحسن، وكتبت إذ ذاك شرحًا علىٰ "الآجرومية"، يعتبر أكبر شرح وأكثره فوائد، بعد أن راجعت من شروحها وحواشيها ما ينيفُ علىٰ العشرين، منها شرح الراعي وهو مخطوطٌ، وشرح الشَّيخ أحمد بابا السوداني، وهو مطبوعٌ بفاس مع حاشية السيِّد المهدي الوزاني عليه، وشرح الشَّيخ علي بركة التطواني، وعليه ضريحٌ يزار بمدينة تطوان، وشرحه هذا مخطوطٌ، وشرح سيدي أحمد بن عجيبة، وحاشية الفيشي علىٰ الأزهري وهما مخطوطان أيضًا، وعرضته علىٰ سيدنا الأستاذ الإمام الوالد -رضي الله عنه- فأصلح فيه مواضع بخطِّه وأقرَّه وسمَّاه شقيقنا الحافظ أبو الفيض رحمه الله تعالىٰ "تشييد المباني لتوضيح ما حوته المقدمة الآجرومية من الحقائق والمعاني".

وكنت إلىٰ جانب هذا أقوم باختصار كتاب "إرشاد الفحول إلىٰ تحقيق الحقِّ من علم الأصول" للشوكاني بأسلوبٍ غير أسلوب "حصول المأمول" للقنوجيِّ، مع حضوري علىٰ سيِّدنا الإمام الوالد -رضي الله عنه- في "رسالة ابن أبي زيد" بشرح أبي الحسن، وفي شرح العارف أبي محمد ابن أبي جمرة

لـ"مختصره للبخاري" قبل أن يطبع، وكنت أرجع إليه في مواضع من كتاب "مغني اللبيب" كانت تشكل عليَّ، فيشرحها لي، وقد قرأت هذا الكتاب مع مراجعة شرح الدماميني وحواشي الأمير والدسوقي وعبدالهادي نجا الإبياري، وانتفعت به كثيرًا كما انتفعت بكتاب "الأشباه والنظائر النحويَّة" للسيوطيِّ وكان من مراجعي في شرح "الآجرومية"[١].

وكتبت بحوثًا أخرىٰ في مسائل نحويَّة عويصة، بإشارة سيِّدنا الإمام الوالد رضي الله عنه، الذي كان يشجِّعني علىٰ البحث والكتابة، ويدرِّبني علىٰ معرفة المظانِّ، واتخذني كاتبه، أكتب له الفتاوىٰ التي يحرِّرها إلىٰ الجهات المختلفة من أنحاء المغرب[٢]، وتارة يأمرني فأمضيها باسمي، وكان مع أصدقائه يثني علىٰ معرفتي وفهمي.

---

(١) قرأت في كتب النحو كثيرًا، مثل شرح المرادي وبدر الدين ابن مالك والسيوطي ودحلان علىٰ "الألفية"، والأول مخطوط، والثلاثة بعده مطبوعة، وحاشيتي الطرنباطي ويس العليمي عليها أيضًا وشرح "التسهيل" لابن عقيل مخطوط، و"همع الهوامع شرح جمع الجوامع" للسيوطي، و"الاقتراح في أصول النحو" له أيضًا، وشرح ابن زكري علىٰ "الفريدة" وهي "ألفية السيوطي" في النَّحو. وكنت شديد الشَّوق للاطلاع علىٰ كتاب "شرح المفصل" لابن يعيش حتىٰ طبع وحقق الله أمنيتي بالاطلاع عليه، وقرأت "شرح الجمل" للمجرادي، وغير ذلك.

(٢) وكانت فتاواه في نهاية الدِّقة والتحرير وكان لا يتقيَّد بمذهب مالك الذي بلغ فيه رتبة الاجتهاد، بل كان يفتي ببقيَّة المذاهب الأربعة، وكان مع هذا واسع الاطلاع في فقه الزيديَّة والإماميَّة والإباضيَّة.

وجاءه مرَّة الأستاذ الأديب الشيخ محمد بن العياشي سكيرج -وهو من تلاميذه، وله مؤلفات- برسالة شرح فيها أبيات ابن مالك التي مطلعها:

إنِّي أقــول لمــن تُرجــى وقايتــه قِ المُستجيرَ قِياه قُوه قِي قِينا[1]

وعرضها عليه ليبدي رأيه فيها، فقال له: اعرضها على فلان -يعنيني- فله بهذا العلم معرفة جيدة، فجاءني بالرِّسالة، وقال لي: إنَّ السيِّد أمرني بعرض الرسالة عليك، وأثنى على علمك وفهمك، فقرأتها وأبديت له رأيي فيها.

وكان يتحدَّث إليَّ ساعات طويلة عن الكتب العلميَّة في مختلف العلوم، فيعطيني فكرة عن كلِّ كتابٍ وما يمتاز به عن غيره، المطبوع منها والمخطوط، وكانت حافظته قويَّة جدًّا، إذا أفاض في موضوعٍ أتى فيه بما يدهش السَّامع، وكنت أتكلَّم معه مرَّة في مسائل نحويَّة، وجاء ذكر لفظ «البته» وهل هو بهمزة وصل؟ أو قطع؟ فقال لي: تكلَّم عليه الحافظ ابن حجرٍ في "الفتح" وحكى فيه الوجهين واختار الوصل، كما حكاهما الأزهري في "التصريح" واختار القطع، وعيَّن لي الموضع في الكتابين، فوجدتهما كما قال.

وقال لي مرَّة في بعض خطاباته إليَّ: أنت فقيه محدِّثٌ صوفيٌّ، وتلقنت منه طريق الشَّاذلية، كما تلقنته من شيخه القطب الكبير سيدي محمد بن إبراهيم، عن شيخه العارف المحبِّ الربَّاني سيِّدي عبدالواحد بناني، عن شيخه العارف المحبوب سيِّدي محمد أيوب، عن جدِّنا القطب الغوث الجامع سيدي الحاج

---

(١) وهي في الأفعال التي يجيء فعل الأمر منها على حرفٍ واحد؛ لأنَّها معتلَّة الفاء واللَّام، نحو وقى ورعى ووشى ووفى، وقرأت رسالة في شرحها أيضًا للشيخ مصطفي البدري الدمياطي.

أحمد بن عبدالمؤمن الغُمَاري، عن قطب الواصلين مولاي العربي الدَّرقاوي، وبقيَّة السِّلسلة مذكورة في أول "إيقاظ الهمم بشرح الحكم" لجدنا سيدي أحمد ابن عجيبة.

ثُمَّ أذَّن مؤذِّن الرحيل إلى مصر، فركبنا باخرةً يابانية من جبل طارق أنا وشقيقي الأكبر الحافظ أبو الفيض -رحمه الله- وشقيقي الأصغر مني العلَّامة السيِّد محمد الزمزمي، ومعنا أحد الإخوان الصِّدِّيقيين اسمه أحمد عبدالسَّلام الشرقي، وشهرته الحاج شكاره رحمه الله[١].

وقفت الباخرة بنا في مالطة، فنزلنا إليها وشهدنا شوارعها ومعالمها، ولغة أهلها، ثلثها عربي وثلثاها إنجليزي؛ لأنَّهم كانوا مسلمين[٢] يتكلَّمون العربية لغة القرآن، لكن الاستعمار الإنجليزي تمكَّن منهم، فسلبهم دينهم ولغتهم، وهكذا فعل الاستعمار الإسباني في الأندلس، والاستعمار الإيطالي في صقلِّية، وهكذا حاول أن يفعل الاستعمار الفرنسي في البربر بالمغرب، وهذه هي خطة

---

(١) كان ملازمًا لخدمة شقيقي الحافظ أبي الفيض منذ صغره، وحفظ معه القرآن في الكُتَّاب الذي كان بزاويتنا، وهو من تلاميذ سيِّدنا الإمام الوالد -رضى الله عنه- في الطريقة الصِّدِّيقيَّة، توفِّي بمحطَّة كفر الزيات ودفن بمشلة، قرية قريبة منها، يقام له موسم ثان خميس من شهر رجب كل سنة، وأهل تلك البلدة يحكون عنه كرامات.

(٢) فتحت جزيرة مالطة سنة ٢٥٥ هجرية، فتحها أبو الغرانيق محمد بن أحمد بن الأغلب، وأسر ملكها، وفتحت صقلية سنة ٢١٢هـ فتحها زيادة الله بن إبراهيم ابن الأغلب، أرسل لفتحها جيشًا بقيادة أسد بن الفرات صاحب كتاب "الأسدية" في مذهب مالك.

الاستعمار في كلِّ مكانٍ وزمانٍ.

ثُمَّ واصلت الباخرة سيرها، فوصلت إلى الإسكندرية أواخر شعبان سنة ١٣٤٩ هجرية، نزلنا فيها عند قريبٍ لنا اسمه الحاج محمد أجزناي، وفي الأسبوع الأول من رمضان وصلنا إلى القاهرة المعزية، واستأجرنا بيتًا في شارع الكحكيين، بجوار الشيخ الدردير، وبعد انتهاء رمضان وإجازة العيد، التحقت بالأزهر. فحضرت بالقسم العالي "منهاج البيضاوي بشرح الإسنوي" في الأصول على الشيخ حامد جاد.

وحضرت "جمع الجوامع بشرح المحلي" من كتاب القياس إلى الآخر، على العلَّامة المحقِّق الشيخ محمد حسانين مخلوف العدوي، كما حضرت عليه رسالة "آداب البحث والمناظرة"، واستجزته فوجدته لا يعرف معنى الإجازة.

وحضرت "السلم" بشرح الملوي و"حاشية الصبان" على الشيخ عبدالقادر الزنتاني برواق المغاربة. وحضرت "التهذيب بشرح الخبيصي" في المنطق على العلَّامة المحقِّق البارع الشيخ محمود الإمام عبدالرحمن المنصوري، أعجبت بشدَّة تحقيقه، وسعة اطلاعه في علوم المعقول، والفقه الحنفي، فتعرَّفت به وزرته في بيته بشبرا، وأطلعني على مكتبته القيمة.

ولَمَّا علم أنَّ عندنا تخريج أحاديث "الكشَّاف" للزيلعي، طلب مني إعارته إيَّاه لينسخه. كما طلب مني أن أبحث له عن "حاشية ابن سعيد التونسي" على الأشموني ولو باستحاضرها من تونس؛ لأنَّه كان معجبًا بها غاية الإعجاب[1].

---

(١) وهي من حيث علم النحو أفيد وأحسن من "حاشية الصبان"، والحقيقة أنَّ الصبان

سمعت منه حديث الرحمة المسلسل بالأولية، كما سمعه الشيخ أحمد الحلواني، وكتب لي سنده فيه بخطه، ولم تكن عنده إجازة، رحمه الله وأكرم مثواه.

وحضرت الربع الأول من "شرح الدرير لمختصر خليل"، على شيخٍ اسمه الشيخ عمران[1]، وكان سيِّدنا الأستاذ الإمام الوالد -رضي الله عنه- قد أوصاني بقراءة فقه الإمام الشَّافعي رضي الله عنه، فقرأت "شرح الخطيب لمتن أبي شجاع" على الشيخ عبدالمجيد الشرقاوي، وكان يتقن فقه الشَّافعية اتقانًا ما عليه مزيد، وهو من ذرية الشيخ عبدالله الشرقاوي شارح "مختصر الزبيدي".

أفسد حاشيته بكثرة مناقشته للحفني تعنتًا واعتسافًا، وفعل مثله ابن الحاج في "حاشيته" على "المكودي"، فقد أكثر من الاعتراض عليه بحقٍّ وبغير حقٍّ، ولذلك كانت "حاشية المهدي الوزاني" على "المكودي" أفيد، وهي مطبوعة بفاس في جزءين وذكر لي سيدنا الإمام الوالد رضى الله عنه أنَّه رأى المكودي في رؤيا يشكو إليه من اعتراضات ابن الحاج وطلب منه أنْ ينتصر له، ولما حكاها لي، كلَّفني أنْ أقوم بهذه المهمَّة عنه.

(١) مما لاحظته أنَّ علماء المغاربة أعلم بالفقه المالكي وأعرف بقواعده وأوسع اطلاعًا على كتبه من علماء مصر، بل مما لاحظته بوجهٍ عام أنَّ العالم المغربي يعطي الدَّرس حقَّه من البحث والاطلاع على الكتب المتصلة به، ما لا يوجد مثله عند العالم الأزهري الذي لا يتجاوز في درسه حل عبارة المتن والشَّرح، فطريقة المغاربة في التدريس تعطي الطالب مَلَكة الفهم، وتعلمه كيفية البحث في كتب العلم وقواعده، وطريقة الأزهريين تعطي ملكة الفهم فقط. نعم كان الشيخ محمود الإمام على طريقة المغاربة، حضرنا عليه "تهذيب السعد بشرح الخبيصي"، فكان لا يدع شيئًا يتصل بالكتاب وشروحه وحواشيه، وبالعلم وقواعده إلَّا أتى به وناقشه وقرَّره. وبهذه الطريقة حضرت ثلاث سنوات بفاس، حصلت فيها ما يمكن تحصيله في عشر سنين.

وقرأت الربع الأول من "المنهج" بشرح زكريا الأنصاري، و"حاشية البجيرمي"، على الشيخ محمد عزت، وهو متين في الفقه الشافعي جدًّا.

وحضرت دروسًا في "جمع الجوامع"، على الشيخ دسوقي العربي المالكي، وكان يعني بمناقشة عبارات الشَّارح، وما كتب عليه النَّاصر اللقاني، وما أجاب به ابن قاسم العبادي. إلخ

وحضرت دروسًا من "شرح الهداية" في الفقه الحنفي، على مفتي الديار المصرية وشيخ علمائها الشَّيخ محمد بخيت المطيعي الحنفي، كما حضرت عليه دروسًا في التفسير، وزرته ببيته في الزيتون غير مرة، واستجزته فأجاز لي إجازة عامَّة، وكان يزورنا بالبيت ويسأل شقيقنا الحافظ أبا الفيض عن أحاديث تعرض له، وكان واسع العلم، غزير الإطلاع، حاضر البديهة، سريع النكتة، كريم الخلق، سخي اليد، رحمه الله، وأثابه رضاه.

وسمعت حديث الأولية من مسند الديار المصرية السيد أحمد رافع الطهطاوي، وأجاز لي بما حواه ثبته "المسعى الحميد إلى بيان وتحرير الأسانيد"[1] وأجاز لي الشَّيخ محمد إمام السَّقا خطيب الجامع الأزهر، والشيخ محمد السمالوطي، بعد أنْ حضرت عليه دروسًا في "سنن الترمذي".

وأجاز لي الشَّيخ عويد نصر الخزاعي المكّي عن الشَّيخ عبدالهادي نجا الأبياري بمؤلفاته ومروياته، والشَّيخ طه الشعبيني شيخ الطريقة الشَّاذلية، وكان عالمًا صالحًا فاضلًا، ومن شيوخه الشَّيخ أحمد الرِّفاعي شيخ المالكيَّة،

---

(١) وهو كتابٌ نفيسٌ، نبَّه فيه على أوهام وقعت في كثيرٍ من الأثبات، خصوصًا "فهرس الفهارس" للشيخ عبدالحي الكتاني.

والشَّيخ عبدالقادر الشفشاوني صاحب كتاب "سعد الشموس والأقمار".

وممن أجاز لي من شيوخ مصر: الشَّيخ عبدالغني طموم إمام المسجد الحسيني، والسيِّد محمد الببلاوي خطيب المسجد الحسيني ونقيب الأشراف.

والشَّيخ عبدالمجيد اللبان، زرته بمعهد الإسكندرية، وكان شيخًا له، وذلك بعد ما نزلنا من الباخرة بيومين فهو أول شيخ بمصر أجاز لي، ثُمَّ لما عُيِّن عميدًا لكلية أصول الدين، حصل حادث علمي(١)، خدمته فيه خدمةً قيمةً

---

(١) لما طبع رد الدارمي على بشر المريسي، وكانت فيه عبارات صريحة في التجسيم، كتب الشيخ اللبان مذكِّرة لمشيخة الأزهر يطلب فيها منع تداول الكتاب باعتباره خطرًا على عقائد العامَّة، ونقل منه حديث الأوعال نموذجًا لما فيه، وفاته أن يذكر ما هو أصرح منه، فحوَّلت المشيخة مذكرته إلى لجنةٍ، من أعضائها محمود أبو دقيقة وعيسى منون، فكتبت اللجنة تقريرًا في ثمان صفحات، قالت فيه عن حديث الأوعال: رواه أبو داود وصحَّحه بعض الحفَّاظ، ونقلت كلام ابن القيم في "شرح تهذيب السُّنن"، كما نقلت عبارات من "تهذيب التهذيب" في توثيق بعض رجال السَّند، وانتهت إلى أنَّ الكتاب لا خطر فيه على العامَّة؛ فلا يمنع، ووزع التقرير -بعد طبعه- على جماعة كبار العلماء، فأُحرج اللبان وسقط في يده، وزاره صديق له فأخبره بالقصَّة، وقال له: لوطلبت من الشيخ الشنقيطي أن يرد على التقرير، فإنَّه يفضحني بكلامه في المجالس. قلت: ما كان الشَّيخ حبيب الله يستطيع الرد على التقرير؛ لأنَّه لا خبرة له إطلاقًا بالرجال والأسانيد، وإنَّما كان يستطيع الرد بحقٍّ الشيخ الكوثري الذي كان مريضًا فقال له ذلك الصديق: أعرف عالمًا شابًّا يرد على التقرير ويبطله فقال: أدركني به. وجاءني وأخبرني بالقصَّة، وطلب مني زيارة الشَّيخ اللبان، فزرناه في بيته بالعباسيَّة، وسلمني التقرير وهو متجهِّم الوجه مهمومٌ، فقرأته وقلت له: إبطاله سهلٌ. فسرَّ وانبسطت أسارير وجهه، وبعد

فتوكَّدت أواصر المودة بيننا، وجهد أن يعيِّنني مدرسًا للحديث عنده في الكلِّية فلم يستطع؛ لشدَّة معارضة الشَّيخ المراغي شيخ الأزهر إذ ذاك.

والشَّيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الأزهر، ورئيس جمعية الهداية الإسلامية، وكان يزورني بالبيت، ويسألني عن أحاديث يحتاج إليها في مواضع يكتب فيها. والشيخ محمد دويدار الكفراوي، زرته ببيته في تلا، وكان قد جاوز المائة بسنتين، فناولني ثبت الشبراوي، وأجاز لي بما فيه، وكتب الإجازة بخطِّه. وهو يروي عن الشيخ إسماعيل الحامدي محشي الكفراوي، وصاحب الرسالة في الحمالة، والشَّيخ عيسى القلماوي، والشَّيخ الأنباني والشَّيخ الشِّربيني وغيرهم، ويروي بالعامَّة عن الشيخ إبراهيم الباجوري، وأجاز لي الشَّيخ أبو النصر القاوقجي عن والده أبي المحاسن وغيره، وأخوه كمال الدين، باستدعاء شقيقي الحافظ أبي الفيض؛ لأنَّه تُوفي قبل حضوري إلى مصر (١).

أربعة أيام سلمته ردًّا في خمس وعشرين صفحة، بيَّنت فيه ضعف الحديث وسقوطه من جهة انقطاعٍ في سنده، وضعف بعض رجاله، واضطرابٍ في متنه، ونكارة معناه من عدَّة وجوه، وبيَّنت خطأ أعضاء اللجنة في فهم نصوص الحفَّاظ، وجهلهم باصطلاح أهل الجرح والتعديل، فطبعه وقدَّمه إلى المشيخة التي قدمته إلى اللَّجنة، فاجتمع أعضاؤها ثانيًا وكتبوا تقريرًا آخر عدلوا فيه عن رأيهم الأول، ووافقوا على منع الكتاب، وأطلعني الشَّيخ على هذا التقرير وهو مسرورٌ بانتصاره، وشكرني كثيرًا رحمه الله. وحاصل حديث الأوعال: أنَّ أربعةً من الملائكة على صورة الأوعال - والوعل التيس الجبلي - يحملون العرش على أكتافهم، والله فوق العرش.

(١) وممَّن أجاز لي السيِّد أبو القاسم الدبَّاغ وكان مجتهدًا لا يقلِّد، والشَّيخ محسن ناصر شيخ رواق اليمن عن صاحب "عقد اليواقيت الجوهرية" ومن طريقه يتصل سندنا

وفي سنة ١٣٥٠ تقدَّمت لامتحان شهادة العالميَّة الخاصَّة بالغرباء، والامتحان فيها يكون في اثني عشر علمًا، هي: النحو والصرف، والمعاني، والبيان، والبديع، والأصول، والمنطق، والتوحيد، والفقه، والتفسير، والحديث، ومصطلح الحديث. فنجحت في الامتحان، وحصلت على الشَّهادة، ممضاة باسم شيخ الأزهر، وهو الشيخ محمد الأحمدي الظواهري في ذلك الوقت، وكان عالمًا ذكيًّا صوفيًّا، إلَّا إنَّه ضعيفٌ.

وفي هذه السَّنة طلب مني كثيرٌ من الطلبة أنْ أدرِّس لهم بعض العلوم،

بالسَّادة آل باعلوي وغيرهم من أشراف حضرموت وعلمائها. والشيخ الرحلة عمر حمدان التونسي، بعث لي بالإجازة من مكَّة وبها توفي، وهو يروي عن أكثر من مائة شيخ من مختلف البلاد الإسلاميَّة. والشيخ محمد عبدالباقي الأنصاري بعث لي من المدينة المنوَّرة بكتابه في المسلسلات، وأجاز لي به وبسائر مروياته، ومن شيوخه خاله علَّامة الهند أبو الحسنات محمد عبدالحي اللكنوي. وشيخ علماء دمياط الشَّيخ محمَّد محمود خفاجة، كتب لي بالإجازة على ظهر كتاب أوائل بعض الكتب الحديثيَّة لشيخه أبي المحاسن القاوقجي. والشَّيخ بدر الدين الدمشقي والشَّيخ توفيق الأيوبي. والشَّيخ سعيد الفرا وغيرهم من علماء الشَّام. والشَّيخ عبدالواسع اليمني، بعث لي بالإجازة من صنعاء، ثمَّ قابلته بمصر، وله مؤلفات مطبوعة. وشيخ المالكيَّة بتونس الشَّيخ الطَّاهر بن عاشور، بعث لي بالإجازة وبعض مؤلفاته من تونس. والسيِّد هبة الله الحسيني، بعث لي بالإجازة من النَّجف، وعن طريقه يتصل سندنا بعلماء الشِّيعة الإماميَّة. وأجاز لي أيضًا شقيقنا الحافظ أبو الفيض بعد أنْ أخذت عنه "نخبة الفكر" و"مقدمة ابن الصلاح" و"سنن أبي داود" سماعا. ومواضع من "جامع الترمذي" وبعض المسلسلات ودرسا في السيرة وفي "نيل الأوطار" و"إرشاد الفحول".

فشرعت في تدريس "المكودي على الألفية"، وأنا أوَّل من درَّسه بالأزهر، ودرَّست لهم "الجوهر المكنون" في البلاغة، و"السُّلَّم" في المنطق بشرح البناني، و"سلم الوصول إلى علم الأصول" لابن أبي حجاب، ثُمَّ درَّست "جمع الجوامع" بالرواق العباسي بين العشائين، فختمته في أربع سنوات.

وحضر عليَّ الطلبة من أندونيسيا والهند وتركيا ويوغوسلافيا ورومانيا وألبانيا والشَّام والحجاز واليمن والحبشة والصومال والسودان وشمال أفريقيا وغيرها، وكان الطالب من أندونيسيا والحبشة والصومال إذا تخرَّج وسافر إلى بلده، يوصي إخوانه القادمين إلى مصر بالحضور عليَّ، وكنت أذاكر دروس امتحان العالميَّة لطلبة القسم العالي المصريين، وجميع من ذاكرت لهم نجحوا، وهم يتولون الآن وظائف في الأزهر وغيره بل الطلبة الغرباء الذين حضروا عليَّ، أو ذاكرت لهم نجحوا، وتولوا في بلادهم وظائف كبيرة.

وفي سنة ١٣٥١ زارنا بالبيت الأستاذ حسن قاسم -من ذريَّة الشيخ عبدالقادر الكوهن- وطلب مني أن أكتب مقالات لمجلة الإسلام التي كان محرِّرًا فيها -وهي أكبر المجلات الإسلامية إذ ذاك- فكتبت فيها بحوثًا حديثيَّة، أعجب بها القُرَّاء أيما إعجاب، وانهالت على إدارة المجلَّة، خطابات الاستحسان والاستزادة من الشَّام والسُّودان والمغرب والجزائر والبحرين وغيرها، وكتب إليَّ الشَّيخ محمود شويل -إمام المسجد النبوي بالمدينة المنوَّرة- كتابًا مُطوَّلًا يثني فيه على علمي واطلاعي، ويقول: كنَّا نعد علم الحديث، ينتهي في مصر بعد الشَّيخ رشيد رضا والشَّيخ أحمد شاكر[1] لكن حين قرأنا

---

(١) مع أنَّه لم يكن من علماء الحديث، وترتيبه لـ"مسند" أحمد ليس فيه شيءٌ من

بحوثك ضمَّناك إليهما، فأنت عندنا في الرتبة بعد الشَّيخ شاكر.

وقابلت مرَّة طالبًا سودانيًّا عند أحد الكتبية بالأزهر، فلما عرفني أبدىٰ إعجابه بما قرأ لي، وقال: عندنا في السُّودان، إذا جاء مقالٌ أو إفتاء من مصر باسم أحد شيوخ ثلاث، سلَّموه بدون مناقشة.

قلت: من هم؟ قال: الشَّيخ بخيت والدجوي والغُماري، ولما مرَّ بمصر في طريقه إلىٰ الحجاز العلَّامة المحدِّث السيِّد عبدالحي الكتاني، وذهبت لزيارته، هنَّأني بالحصول علىٰ شهادة العالميَّة، وأبدىٰ إعجابه ببحوثي، وقال: نحن نفخر بما تكتبه، وكنت قبل ذلك سمعت منه حديث الأولية، وحضرت عليه دروسًا في "حاشية الشنواني" علىٰ "مختصر ابن أبي جمرة"، بجامع القرويين، وأجاز لي إجازة عامَّة.

واستمرت كتاباتي بمجلَّة الإسلام عشر سنوات، حصلت فيها مناقشات

الصناعات الحديثيَّة، بل فيه أغلاط كثيرة في الكلام علىٰ تصحيح الأحاديث وتضعيفها، وأحيانًا يتكلَّم في الرجال بلسان العصبيَّة الوطنيَّة، مثلًا عبدالله بن لَهيعة المصري، يقول عنه: ثقةٌ حُجَّةٌ، فيرفعه إلىٰ درجة رجال الصَّحيح، مع أنَّ آخر ما وصل إليه نقد الحافظ الهيثمي فيه: أنَّ حديثه حسنٌ، لكن ينبغي تقييده بما صرَّح فيه بالسَّماع؛ لأنَّه مدلِّسٌ، ذكره الحافظ في "طبقات المدلسين"، وصرَّح بضعفه في "التلخيص الحبير"، و"الكافي الشاف": ولذا كان الحافظ المنذري أدق من الهيثمي، حيث صرَّح في "الترغيب" بأن حديث ابن لَهيعة حسنٌ في المتابعات، وقد كان للشيخ أحمد شاكر في اللَّيث بن سعد وعبدالله بن وهب وعبدالرحمن بن القاسم المصريين الثقات الأئمة غناء عن توثيق ابن لَهيعة، نعم كان الشيخ رشيد رضا ذا خبرةٍ بالصِّناعة الحديثيَّة. تبيَّن لي بعد ذلك أنَّ الشيخ أحمد شاكر محدِّثٌ ناقدٌ رحمه الله.

بيني وبين بعض العلماء في مسائل متعدِّدة، وكتبت أيضًا في مجلَّة نشر الفضائل والآداب الإسلامية، ومجلة هدي الإسلام، ومجلة الرابطة الإسلامية، ومجلة الشَّرق العربي، ومجلة الإرشاد التي يصدرها خطباء وأئمة المساجد بمصر، ومجلة المسلم التي تصدرها العشيرة المحمَّديَّة، وهي جمعيةٌ صوفيَّةٌ فاضلةٌ مباركة، ونشرت مجلة التمدُّن الإسلامي التي تصدر في دمشق مقالًا لي في شرح حديث نقلًا عن مجلة الشَّرق العربي.

وتعرَّفت بالأستاذ العلَّامة المطَّلع البارع الشيخ محمد زاهد الكوثري رحمه الله، فتوطَّدت بيننا أواصر المودَّة والصداقة، وكان يسألني عن بعض الأحاديث التي يُسأل هو عنها، وكنَّا مرة عند فضيلة المرحوم الشيخ يوسف الدجوي بعزبة النخل، وكان المجلس غاصًّا بالعلماء وغيرهم، وهو يتكلَّم في مسائل علميَّة متنوِّعة، فوجَّه إليه أحد الحاضرين سؤالًا عن حديثٍ، فوجَّه السؤال إليَّ، وقال: لا يُفتَىٰ ومالكٌ في المدينة، ولما استجزته ببيته بالعباسيَّة أجاز لي، واستجازني وألحَّ عليَّ أن أجيز له بل بلغ من وثوقه بعلمي أن نشر مقالًا[1]

---

(١) جمع بعض محبيه وتلاميذه مقالاته ونشروها في كتابٍ خاصٍّ ومع أنَّهم نشروا جميع مقالاته المطبوعة في مجلة الإسلام لم ينشروا المقال المشار إليه؛ لأنَّ فيهم حاقدًا أشار بعدم نشره، ولم يكن منَّا إساءة لذلك الحاقد إلَّا أننا فتحنا له بيتنا يأوي إليه متىٰ شاء، ونفعناه بعلمنا ومكتبتنا ومائدتنا قبل أن يعرف الكوثري ببضع سنوات، ولما عرفه أخيرًا، سعىٰ كالشَّيطان ليفسد الصداقة التي بيننا، لكن المرحوم الكوثري كان عاقلًا لا يصدق كلام الحَقَدة الكَذَبة، وظلَّت صداقتنا علىٰ حالها نتزاور ونتقابل يوم الجمعة بمسجد محمد بك أبي الذَّهب، ويوم الإثنين بمكتبة الخانجي، وإذا زرته في بيته

وحضرت صلاة المغرب أو العشاء قدَّمني للصَّلاة بالحاضرين، ولم يتقدَّم قطُّ رغم إلحاحي عليه، وأذن لجماعةٍ من علماء الهند في ترجمة كتابي "إقامة البرهان على نزول عيسى في آخر الزَّمان" إلى اللغة الأردية قبل أن يستأذنني، ثُمَّ أخبرني بذلك، وكان إذا تقابلنا في مكتبة الخانجي، يخرج من جيبه خطابًا لذلك الحاقد، ويسألني عن أحاديث سأله عنها، فأجيبه بما أعلم فيها، كل هذا وأكثر منه حصل بعد سعي ذلك الحاقد -أسخن الله عينه- في إفساد المودَّة بيننا، وكنا نعجب بالكوثري لعلمه وسعة اطلاعه وتواضعه، كما كنَّا نكره منه تعصّبه الشَّديد للحنفيَّة، تعصُّبًا يفوق تعصُّب الزَّمخشري لمذهب الاعتزال، حتى كان يقول عنه شقيقنا الحافظ أبو الفيض: هو مجنون أبي حنيفة، ولما أهداني رسالته "إحقاق الحق" في الردِّ على رسالة إمام الحرمين في ترجيح مذهب الشَّافعي، وقرأتها، وجدته غمز نسب الإمام الشَّافعي، ونقل عبارة عن زكريا السَّاجي في ذلك، فلُمْته على هذا الغَمْز، وقلت له: إنَّ الطَّعن في الأنساب ليس بردٍّ علميٍّ، فقال لي: متعصِّبٌ ردَّ على متعصِّبٍ، هذه عبارته فاعترف بتعصُّبه، وزرته مرة ببيته أنا والشَّريف الجليل السيِّد محمد الباقر الكتاني، وجرى الحديث بيننا في مسائل علميَّة، وجاء ذكر الحافظ ابن حجرٍ، فأبدى السيِّد الباقر إعجابه بحفظه وبشرحه للبخاري، وأيدته في ذلك، فقلَّل من قيمة شرحه المذكور، وقال: كان يعتمد على الأطراف في جمعه لطرق الحديث -وهذا غير صحيح- وذكر أنَّه أي الحافظ ابن حجرٍ كان يتبع النساء في الطريق ويتغزَّل فيهنَّ، وأنَّه تبع امرأة ظنَّها جميلة حتى وصلت إلى بيتها وهو يمشي خلفها وكشفت له البرقع فإذا هي سوداء دميمة فرجع خائبًا!!! وسِرُّ هذه الحملة أنَّ الحافظ كان يحمل على بعض الحنفيَّة في كتب التراجم، مثل "الدرر الكامنة" و"رفع الإصر". وقال عن العيني الحنفي: كان يأخذ كراريس من "فتح الباري" من بعض طلبته، فيستفيد بها في شرحه، فلما علم الحافظ ذلك منع إعطاء الكراريس للطلبة، وأكبر من هذا أنَّ الكوثري رمى أنس بن مالكٍ -رضي الله

بمجلة الإسلام يقرِّظ فيه كتابي "إقامة البرهان على نزول عيسى في آخر الزمان" الذي رددت به على الشيخ محمود شلتوت قبل أن يراه، مع أنَّه كان ضنينًا جدًّا بالتقريظ[1]، ثمَّ تقدَّمت لامتحان شهادة العالميَّة الأزهريَّة، ويكون

عنه- بالخرف؛ لأنَّه روى حديثًا يخالف مذهب أبي حنيفة.

وأقبح من هذا أنَّه حاول تصحيح حديثٍ موضوعٍ؛ لأنه قد يفيد البشارة بأبي حنيفة، وهو حديث: «**لو كان العلم بالثريا لتناوله رجالٌ من فارس**» فإنَّ الحديث في الصَّحيحين بلفظ: «**الإيمان**»، والنَّبيُّ -صلَّى الله عليه وآله وسلَّم- لما قاله وضع يده على كتف سلمان -رضي الله عنه-، فغيَّر بعض الوضَّاعين لفظ «الإيمان» بـ«العلم»، كما بيَّنه شقيقنا الحافظ أبو الفيض في "المثنوني والبتار" وقال: لو فرض صحَّته لم يكن فيه إشارة إلى أبي حنيفة، ولكن إلى حفَّاظ الحديث الذين خرجوا من فارس، مثل أبي الشَّيخ وأبي نُعيم؛ لأنَّ العلم في عرف الشَّرع يراد به الكتاب والسُّنَّة، لا الرَّأي والقياس، فتعرَّض له الكوثري في "تأنيب الخطيب" ورد عليه بعبارة فيها جفاء، فكتب شقيقنا ردًّا عليه، جمع فيه سقطاته العلميَّة، وتناقضاته التي منشأها تعصُّبه البغيض، وقسا عليه بعض القسوة، وهو مع هذا معترفٌ بعلمه واطلاعه، ولم يقدم الرَّد للطبع، احترامًا لصداقته، والعالمان المختلفان في الرَّأي لا تنفصم صداقتهما، كالمحاميين يختلفان في ساحة المحكمة، ويجتمعان خارجها صديقين. لكن بعض الجهلة مثل ذلك الحاقد -أسخن الله عينه- اتخذوا هذا الخلاف العلمي سببًا لإشعال نار العداوة بيننا، فخيَّب الله مسعاهم، وردَّهم خاسئين، رحم الله شقيقنا والكوثري عالمي عصرهما بدون مزاحم، وجمعنا وإياهم في دار رحمته.

(١) وقد ألح عليه الشيخ عبد القادر بن بدران في تقريظ بعض كتبه كـ"تهذيب تاريخ ابن عساكر"، فامتنع.

الامتحان فيها في العلوم السَّابقة، مضافًا إليها علم الوضع، وعلم العروض والقوافي، وعلم الأخلاق. فنجحت وكنت الثَّالث من ستةٍ نجحوا، وكان المتقدِّمون للامتحان ستة وثمانين ومائتين.

وحصلت على الشَّهادة وهي ممضاة باسم الملك فاروق، ورأى المرحوم الكوثري اسمي في جريدة الأهرام، فأسرع إلى بيتي بسوق السِّلاح، وكان أوَّل من هنَّأني بالنَّجاح، وبعد هذا بأيام زرت الشيخ محمود شلتوت في بيته بدعوةٍ منه -وكان إذ ذاك وكيلًا لكليَّة الشَّريعة- فهنَّأني بعض الأصدقاء عنده، فقال له الشيخ شلتوت: نحن نُهنِّئ الأزهر والشَّهادة الأزهريَّة بحصول الشَّيخ عبدالله عليها، وكنت قبل ذلك زرته في كليَّة الشَّريعة باستدعائه أيضًا، ليتعرَّف بي، بعد أن قرأ ردودي عليه بمجلة الإسلام، في نزول عيسى عليه السَّلام، وأحدثت دويًّا كبيرًا في الأوساط العلميَّة، وقال لي حين رآني: كنت أظنُّك شيخًا كبيرًا، لكنَّك شابٌّ، قلت: أنا كما يقول المثل العربي: «تسمع بالمعيدي خير من أن تراه». قال: لا أقصد هذا، وإنَّما أقصد أنَّ سنَّك دون مقالاتك التي تدلُّ على علمٍ كبيرٍ واطلاع واسعٍ، لا يتأتَّيان إلَّا من رجلٍ تقدَّمت به السِّن، مع طول الدِّراسة. قلت: هذا من فضل الله عليَّ، وكان سنِّي حينئذٍ ٣٣ سنة، ثُمَّ نادى علي الشَّيخ محمَّد المدني وعرَّفه بي، وحصلت بيننا مناقشة في مسائل علميَّة متعدِّدة. وصارت بعدها معرفة، على خلاف الرَّأي بيننا، ولما تمَّ طبع "إقامة البرهان" قدَّمت له نسخة في بيته، فكتب ردًّا عليه بضع مقالات في مجلة الرِّسالة، فكتبت كتابًا آخر سميته "عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه السَّلام" وطبع، وقدَّمته إليه أيضًا في بيته، فلم يكتب شيئًا بعده.

وقد وفَّقني الله إلى كتابة عدِّة مؤلفات، وهي:

١- "اتحاف الأذكياء بجواز التوسل بسيِّد الأنبياء" طبع ونفد.

٢- "الأربعون حديثًا الغماريَّة في شكر النعم" طبع ونفد.

٣- "الأحاديث المنتقاة في فضائل سيدنا رسول الله" طبع ونفد.

٤- "الأربعون حديثا الصديقية في مسائل اجتماعية" طبع مرتين.

٥- "الاستقصاء لأدلة تحريم الاستمناء" طبع ونفد.

٦- "إقامة البرهان على نزول عيسى في آخر الزمان" طبع مرتين، وترجم إلى اللغة الأردية.

٧- "الرد المحكم المتين على كتاب القول المبين" طبع ثلاث مرات.

٨- "عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه السَّلام" طبع.

٩- "سمير الصالحين ج١" طبع مرتين.

١٠- "سمير الصالحين ج٢" طبع.

١١- "حسن البيان في ليلة النصف من شعبان" طبع مرات.

١٢- "فضائل القرآن" طبع.

١٣- "شرح الآجرومية" مخطوط.

١٤- "فضائل رمضان" طبع.

١٥- "تخريج أحاديث منهاج البيضاوي في الأصول" طبع.

١٦- "مصباح الزجاجة في صلاة الحاجة" طبع.

١٧- "تخريج أحاديث اللمع" طبع.

١٨- "قصة آدم عليه السَّلام" طبع.

١٩- "قرة العين بأدلة إرسال النبي إلى الثقلين" مخطوط.

٢٠- "قصة إدريس وهاروت وماروت عليهم السَّلام" طبع

٢١- "خواطر دينية" طبع.

٢٢- "جواهر البيان في تناسب سور القرآن" طبع.

٢٣- "نهاية الآمال في صحة حديث عرض الأعمال" طبع.

٢٤- "بِدَع التفاسير" طبع.

٢٥- "الحجج البينات في إثبات الكرامات" طبع.

٢٦- "واضح البرهان على تحريم الخمر في القرآن" طبع.

٢٧- "دلالة القرآن المبين على أن النبي أفضل العالمين" طبع.

٢٨- "النفحة الإلهية في الصلاة على خير البرية" طبع.

٢٩- "شرح وجيز على الإرشاد في فقه المالكية" طبع مرات.

٣٠- "إعلام النبيل بجواز التقبيل" طبع مرتين.

٣١- "الكنز الثمين في حديث النبي الأمين" طبع.

هذا سوى ما كتبته من مقالاتٍ إذا جُمِعَت جاءت في مجلَّدٍ.

ومن تعليقاتٍ على كتاب "أخلاق النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم" لأبي الشيخ ابن حَيَّان، وكتاب "إعجاز القرآن" للخطابي، و"المقاصد الحسنة" للسخاوي وكتاب "تنزيه الشريعة المرفوعة" لابن عراق، و"تأييد الحقيقة العَلِيَّة" للسيوطي، ورسائل أخرى له أيضًا، و"شرح الأمير على مختصر خليل" في فقه المالكيَّة، وغير ذلك، ونسأل الله المزيد من فضله.

ولما ذهبت إلى فاس أوَّل مرة صعب عليَّ العلم، واستغلقت أبوابه فكتبت

إلى مولانا الأستاذ الإمام الوالد -رضي الله عنه- أشكو إليه حالتي، وأستشيره في اتخاذ مدرِّسٍ خاصٍّ يفهمني الدروس، فأجابني بألَّا أستعين بمدرسٍ إطلاقًا، وأمرني باستذكار الدروس والحضور على المشايخ، سواء أفهمت أم لم أفهم، وقال لي: العلم لنا مضمون، وعمَّا قريبٍ يفتح الله عليك. وكذلك كان، فلم تمر سنة حتى فتح الله عليَّ وله الحمد، ثُمَّ تاقت نفسي للسَّفر إلى مصر، وطلبت منه ذلك، قال لي: ستذهب إليها إن شاء الله، ولكن أحب أن تذهب إليها عالمًا يحتاج إليك علماء مصر.

وقد حقَّق الله كلامه، فاحتاج إليَّ منهم كثيرون في مقدِّمتهم المرحومون المشايخ بخيت والدجوي واللَّبان والخضر حسين.

وكذلك حقَّق الله بشارته لي في كتابٍ بعث به إليَّ وأنا بمصر، قال فيه: ولا بد أن تكون عالمًا كبيرًا، ومحققًا شهيرًا، وقد رزقني الله والمنَّة له التحقيق في علوم النَّحو والأصول والمنطق والحديث بفنونه الثَّلاثة، مع المشاركة التامَّة في علوم الفقه والبلاغة وغيرها(١).

---

(١) مع أني لم أتلقَّ علوم البلاغة عن أحدٍ إلا مواضع من شروح أوضحها لي سيِّدنا الأستاذ الوالد رضي الله عنه، بل عكفت على مطالعة "عقود الجمان" وشرحه، و"المقامات الحريرية" وشرحها للشريشي، وهي ملأى بأنواع البديع، ومما ساعدني على فهم علوم البلاغة تمكُّني في علم العربية الذي يعتبر أساسًا لها ومهادًا ودرَّست "الجوهر المكنون" للطلبة بالأزهر، كما ذاكرت لطلبة العالميَّة بالقسم العالي للأزهر "مختصر السَّعد بحاشية البناني" وتقرير الإنبابي، ومما يذكر أنَّ بعض أولئك الطلبة رغب إلى شقيقنا الحافظ أبي الفيض أن يذاكر له العلوم المقرَّرة عليهم في الامتحان

وحافظتي قويَّة والحمد لله، واطلاعي كبيرٌ بفضل الله، ولهذا أعجبت بالمرحوم الكوثري الذي كان يرضيني اطلاعه الواسع، وخبرته التامَّة بالرجال، ويمكن أن أقول تقريرًا للواقع: بعد وفاة سيِّدنا الأستاذ الإمام الوالد رضي الله عنه، وشقيقنا الحافظ أبي الفيض، والشَّيخ بخيت، والشَّيخ الكوثري، والشَّيخ محمَّد الخضر حسين، لا يوجد عالم يحوز تقديري، ويُرضي معرفتي واطلاعي، وكنت أعد نفسي ثالثًا للكوثري والخضر حسين.

ولا أقول هذا فخرًا؛ وأيُّ فخرٍ لمن ينتظر الموت بين لحظةٍ وأخرىٰ؟!

وإنَّما أقوله تعريفًا بنفسي واقتداءً بيوسف الصِّدِّيق الذي قال لملك مصر: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ [يوسف: ٥٥] وتأسِّيا بعلماء هذه

وهي "تفسير النَّسفي"، و"الإحكام" للآمدي في الأصول، و"مختصر السَّعد علىٰ التلخيص" في البلاغة، و"المسايرة" في التوحيد، و"الخبيصي علىٰ تهذيب السَّعد" في المنطق، فاعتذر له، وأحاله عليَّ، فاستقلَّني في نظره -وكنَّا حديثي عهدٍ بالحضور إلىٰ مصر، لم يمر علينا فيها أكثر من سنة- لكنَّه اضطر أن يأتي إليَّ، فذاكرت له ولإخوانه هذه العلوم في مدىٰ أربع سنواتٍ هي مدَّة القسم العالي، وصار من إعجابه بي ووثوقه بعلمي، لا يثق بفهمه في أيِّ مسألةٍ حتىٰ يعرضه عليَّ وأوافقه عليه.

ودرَّست لبعض الطلبة الألبانيين (الفاتحة) وأوائل (سورة البقرة) من "تفسير البيضاوي"، وأوائل "شرح التحرير" لابن أمير الحاج في الأصول، واطلعت من كتب الحديث والأصول والتفسير وغيرها علىٰ شيءٍ كثيرٍ جدًّا. وكذلك كتب التراجم والرجال والطبقات علىٰ اختلاف أنواعها واستدركت علىٰ الحفَّاظ صحابيًّا لم يذكروه، وهو الحارث بن سعيد عمِّ عُمير بن سعيد، وحديثه في "مستدرك الحاكم" بإسنادٍ صحيحٍ، ولي استدراكات أخرىٰ غيره. وبالله التوفيق.

الأمَّة وصلحائها، ولا يفوتني أن أذكر حصولي على إجازات من علماء الحجاز واليمن وتونس وغيرها، وحُجَّ بي وأنا صغير حين حجَّت العائلة، ثُمَّ أدَّيت فريضة الحجِّ سنة ١٣٧٨ وكنت مالكيًّا، ثُمَّ صرت شافعيًّا، ثُمَّ تركت التقليد، لا إزراء على الأئمَّة رضي الله عنهم؛ ولكن لأنَّ التقليد إنَّما هو للعوام الذين لا يعرفون قواعد الاستنباط والاستدلال، ومن عرفها وتمكَّن في معرفتها لا حاجة به إلى التقليد على أني لا أفتي إلَّا على مذهب مالكٍ أو الشَّافعيِّ؛ لأنِّي لا أحب أن أحمل أحدًا على اجتهادي ورأيي، إلَّا في مسألةٍ وضح دليلها وعرف طريقها.

ورأيت مُبشِّراتٍ متعدِّدة فرأيت النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ومعه الشَّيخان وغيرهما، ورأيت جبريل عليه السَّلام وأخبرني أنَّه جاء من الأبواء.

ورأيت عليًّا عليه السَّلام، ورأيت الحافظ ابن حزم مرَّات وابن العربي المعافري، وعزَّ الدين ابن عبدالسلام وحصلت بيننا مذاكرة في قاعدة علمية والسيِّد أحمد البدوي رأيته مرَّتين، ورأيت أبا الحسن الشَّاذلي شارح "الرسالة" والجمل محشي "الجلالين"، وجدَّنا أبا العباس ابن عجيبة.

ورُؤيت لي مُبشِّراتٌ كثيرة، منها أنِّي زرت مرَّة قرية أويش الحجر من جملة زياراتي لها، وألقيت درسًا حديثيًّا كعادتي مع أهل البلدة، وانجر الكلام إلى موضوعات متنوِّعة حتى انتهى إلى أشراف المغاربة وهل هم ينتمون إلى الحسين؟ فأخبرتهم أنَّ معظم الأشراف عندنا ينتمون إلى الحسن بن عليٍّ عليهما السَّلام، وقليلٌ منهم ينتمي إلى أخيه الحسين عليه السَّلام، وسألوني أن أملي عليهم نسبي فأمليته عليهم؛ لأنِّي حفظته وأنَّا في الكتَّاب، فقال لي الشَّيخ

الحسيني -وكان إمام مسجد وسط البلد ومعلِّم القرآن يتبرك به أهل البلد لصلاحه وعزوفه عن الدُّنيا رحمه الله -: أشهد أنَّك شريف منسب حقًّا. قلت: وما ذاك؟ قال: رأيت اللَّيلة الماضية النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وقبلت يده، ووجدت شخصًا يقعد بجانبه فسألت عنه، فقال لي: هذا ولدي وسيتلو عليك نسبه، فأصبحت بيننا علىٰ غير ميعادٍ، وتلوت علينا نسبك.

والله يقول الحقَّ، وهو يهدي السَّبيل، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

موسوعـــة

العلَّامة المُـتَفَنِّن الجامع بين المَعْقُولِ والمَنْقُولِ

سيِّدي الشَّريف عبدالله بن محمَّد بن الصِّدِّيق

الغُمَاريِّ الحَسنيِّ (١٣٢٨ - ١٤١٣) رحمه الله

قدَّم لها

الشَّريف الدكتور

عبدالمُنعم بن عبدالعزيز بن الصِّدِّيق

إشراف

الدكتور محمود سعيد بن محمد ممدوح

المجلد الخامس

قصص الأنبياء عليهم السلام

قصص الأنبياء عليهم السَّلام

وتحتوي على:

١ - قِصَّة آدمَ عليه السَّلام.

٢ - قِصَّة إدريسَ عليه السَّلام.

٣- قِصَّة داودَ عليه السَّلام.

٤ - قِصَّة سُلَيمانَ عليه السَّلام.

٥ - قِصَّة هَارُوتَ ومَارُوتَ.

١ - قِصَّةُ آدمَ عليه السَّلام

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ
نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ
ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ [الفاتحة: ١ - ٧].

«اللهمَّ صَلِّ وسَلِّم على نبيِّك المُصْطَفى، ورَسُولِكَ المُرتضَى، سيِّدنا محمَّدٍ سيِّد وَلَدِ آدمَ، ورَحْمَتِكَ المُهْدَاةِ إلى جميع العَالَمِ، وارضَ اللهمَّ عن آلِهِ وعِتْرَتِهِ وصَحَابَتِهِ، وعن كلِّ مَن اتَّبَع هَدْيَهُ وسَلَكَ نَهْجَ شَريعَتِهِ».

مقدمة

عُنِيَ القرآنُ الكَريمُ بقَصَصِ الأنبياء عِنايةً بالغةً، يدل عليها ذِكْرُه للقِصَّة ثُمَّ إعادتها مرَّتين أو أكثر بأساليب وإن اختلفت بالإجمال والتفصيل تتشابه في إشراق الدِّيباجة، ونُصوع اللفظ، وسُمُوِّ المعنى وجلال العِبْرة، وهذا من الأدلة على أنه كلام الله جلَّ عُلاه؛ لأنه لا يتيسَّر لشخصٍ -كيفما كانت فصاحته- أن يكتب قصَّةً واحدةً مرَّتين تتساوى أجزاؤهما في قوَّة الأسلوب، وبلاغة التعبير.

ومن الحِكْمة في تكرير القِصَّة في الكتاب الكريم -إلى جانب الإعجاز الذي تتضمَّنه- تثبيت القلب، وتقوية الإيمان فيه، وتمكين العِظَة منه، والثِّقة بنصر الله لعباده المُخلِصين المُصلِحين والتأسِّي بالصَّفْوة المُختارة من المُقرَّبين، هذا إلى ما تفيده من أحكام شرعيَّة، ومسائل عِلْميَّة، وأخلاق كريمة، وآداب قويمة، ومعرفة بسير الماضين، تُمكِّن من دَرْسِ أحوالهم وعاداتهم، وما اعتراهم من تقلُّبات الكون، وحوادث الزمان.

تلك مقاصد في الذِّكْر الحكيم قلَّما يعرض لغيرها ممَّا يعتبر من المُتمِّمات، ولا يدخل في الصميم. لكن إذا ورد بيانه على لسان النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في حديثٍ صحيحٍ أو حسنٍ -كتسمية صاحب موسى بالخَضِر، وفَتاهُ بيُوشَع، عليهم السَّلام- لم يكن بد من قبوله والتصديق به، وليس من الجائز رَدُّه بعُذْرٍ من الأَعْذار- كما فعل بعض[1] المعاصرين- لأنه ابتداعٌ وفُسُوقٌ،

---

(١) فمنهم مَن رَدَّ الحديث الوارد في "الصحيحين" وغيرهما من طُرُقٍ: عن ابن عبَّاسٍ، عن أُبيِّ بن كعبٍ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في قوله تعالى: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا

مِّنْ عِبَادِنَآ﴾ [الكهف: ٦٥] قال: «هو الخَضِر». وذكر قصته مع موسىٰ عليهما السَّلام.

وهذا الحديث بَلَغَ حَدَّ الشُّهرة والاستِفاضَة، ومع ذلك رَدَّه بعض الجهلة الأزهريين؛ بدعوىٰ أنَّ القرآن لم يُعيِّن الخَضِر ولا يُوشَع فتىٰ موسىٰ!!

وهو جهلٌ بالقواعد الأصوليَّة، وانحرافٌ عن السُّنَّة النبويَّة.

ومثله في ذلك ردُّ الشيخ عبدالوهاب النجَّار بعض الأحاديث في "الصحيحين" بدَعْوَىٰ أنها آحادٌ لا تفيد اطمئنان القلب، وسنعرض لدحض دعواه بالتفصيل في مواضعها من هذه القصص إن شاء الله.

بل ذكر في القواعد التي سار علي ضوئها في "قصص الأنبياء" قاعدتين هما:

(رقم ٤) ونصُّها: «الخبر إذا كان روايته آحادٌ فلا يصلح أن يكون دليلًا علي ثبوت الأمور الاعتقاديَّة؛ لأن الأمور الاعتقاديَّة الغَرَضُ منها القَطْعُ، والخبر الظنِّيُّ الثُّبوت أو الدلالة لا يُفيد القَطْعَ».

(ورقم ٧) ونصُّها: «المعجزات لا تثبت بخبر الآحاد؛ لأن المطلوب فيها اليقين، وخبر الآحاد لا يقين فيه».

وعلىٰ أساس هاتين القاعدتين استباح لنفسه أن يردَّ الأحاديث الصحيحة الثابتة في الكتب الستة وغيرهما، وقد يكون ردُّه في بعض الأحيان مصحوبًا بسخرية من الحديث المردود في نظره، وتلك وقاحةٌ قبيحةٌ.

أَضِفْ إلىٰ ذلك أن تينك القاعدتين بالإطلاق الذي أراده يُخالف إجماع العلماء، ولا يسندهما شيءٌ من القواعد.

ذلك لأنَّ الاعتقادات علىٰ ثلاثة أقسام:

إلهيَّات: وهي ما تتعلَّق بالإله سبحانه وتعالىٰ وجوبًا واستحالة وجوازًا.

ونبويَّات: وهي ما تتعلَّق بالأنبياء والملائكة كذلك.

وسَمْعيَّات: وهي ما تتعلَّق بها بعد الموت من حَشْرٍ وحسابٍ وعذابٍ ونعيمٍ وما إلى ذلك.

فالإلهيَّات يعتمِدُ قسم الواجب منها على الدليل القطعيِّ، وأمَّا القسم الجائز فيكتفى فيه بالخبر الصحيح، لأنه فرعٌ عن ثبوت القُدْرة لله تعالى، وشمولها لكلِّ مَقْدُورٍ، وقد أثبتها الدليل القطعيُّ في قسم الواجب.

والنبويَّات يعتمِد منها علي الدليل القطعيِّ شيئان:

١ - إثبات النبوَّة وحاجة الناس إليها.

٢ - إثبات نبوة شخصٍ مُعيَّنٍ، أو تعين مَلَكٍ بالذات، فلا تجزم بأنَّ شخصًا نبيٌّ أو من الملائكة إلَّا إذا ثبت بالخبر الذي يفيد اليقين.

وأمَّا المعجزات وسائر السمعيَّات فيكتفى فيها بالحديث الصحيح بلا نزاعٍ بين أهل السُّنَّة، لأنهم أجمعوا على أنَّ ما جاز في العقل وورد بوقوعه السمع وجب وقوعه وحمله علي ظاهره، وممَّن صرَّح بهذا: القاضي أبو بكر ابن العربي في "الأحكام"، والقاضي عياض في "الشفا" و"شرح مسلم"، والإمام النووي في "شرح مسلم"، والإمام ابن المنير في"حاشية الكشاف"، والحافظ ابن حجرٍ في "شرح البخاري"، والعلَّامة السنوسيُّ في "شرح الكبرى"، وغيرهم .

وصرَّح الحافظ ابن كثيرٍ في مقدِّمة "تاريخه" أنَّ الاعتماد والاستناد فيما يذكر من مبدأ الخَلْقِ، وأخبار الأنبياء، وأشراط الساعة، وأحوال القيامة، وصِفَة الجنَّة والنَّار على كتاب الله وسُنَّة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ما صحَّ نقله أو حَسُن.

وسبقه إلى هذا المعنى أيضًا الحافظ البيهقيُّ في كتاب "الاعتقاد"، و"دلائل النبوة"، و"الأسماء والصفات" بل هو إجماعٌ كما أسلفنا.

وهو بالتالي ردٌّ لكلام الله تعالىٰ حيث وكَلَ لنبيِّه عليه السلام بيان ما نزل في الذِّكر الحكيم: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]. ومن المُسلَّم به أنَّ أخبار المعصوم لا يمكن احتمال تطرُّق الخطأ إلىٰ شيءٍ منها، كما قيل باحتمال ذلك في اجتهاده عليه السَّلام، علىٰ رأي[1] شاذٍّ

وممَّا لا شك فيه أنَّ القرآن الكريم أثبت نبوة نبيِّنا عليه السلام ونبوَّة غيره من الأنبياء، وسَجَّل معجزاتهم التي تحدّوا بها قومهم، فكلُّ معجزةٍ بعد ذلك رَوَتْها كتب السُّنَّة صادرةٌ عن أحد الأنبياء، ومنهم نبينا -عليهم السلام- لا يشترط فيها اليقين؛ لأنها لم يقع بها تحدٍّ، ولا توقَّف عليها إثبات النبوة.

فلهذا أجمع أهل السُّنَّة علي الاكتفاء فيها بخبر الآحاد إجماعًا عمليًّا مُستمِرًّا، تلقَّاه الخَلَفُ عن السَّلَفِ، وحَذَا فيه الآخِر حَذْوَ الأوَّل.

علىٰ أنَّ خبر الآحاد المحتفَّ بالقرائن -ومنه خبر "الصحيحين"- يفيد اليقين عند جمهور المحقِّقين، ولم يأتِ مَن خالفهم بحُجَّةٍ ناهِضَةٍ، وانظر كتابنا "عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسىٰ عليه السلام".

(تنبيه): الأمر الخارق للعادة إذا وَقَعَ به التحدِّي كناقة صالحٍ، وعصا موسىٰ، وإحياء الموتىٰ، والقرآن الكريم؛ سُمِّي معجزةً، وإذا لم يقع به التحدِّي كالخوارق المرويَّة في كتب السُّنَّة عن كثيرٍ من الأنبياء؛ سُمِّي آيةً.

ففرَّق الله ما بين الآية والمعجزة فرق ما بين الأعمِّ والأخصِّ، فكلُّ معجزةٍ آيةٌ دون عكسٍ؛ قال العلَّامة الأُبِّي في "شرح مسلم" في الكلام علي حديث رَدِّ الشمس ليوشع: «وقد علمتَ ممَّا قدَّمنا أنَّ الذي يطلب فيه اليقين هو المعجزة لا الآية»، والله تعالىٰ أعلم.

(١) وأشار التاج السبكيُّ في "جمع الجوامع" إلىٰ خطأ هذا الرأي الشاذِّ، بقوله: «والصواب أنَّ اجتهاده عليه السلام لا يخطئ».

لبعض العلماء، لأن دخول الخطأ في الخبر لا يكون إلَّا عن غفلةٍ أو قلَّة ضبطٍ، والعقل يقضي بنفيهما عنه عليه السَّلام نفيًا جازمًا.

أمَّا ما جاء في الإسرائيليَّات فمن المحتَّم ردُّه إذا خالف ظاهر القرآن أو ما ثبت في السُّنَّة، وإن وافقهما فالاعتماد عليهما دونه.

وقد يُستأنس بما ينفرد به دونهما إذا كان يدخل في باب الوعظ وترقيق القلوب، ومن ذلك قول عمر رضي الله عنه لكعب الأحبار: خوِّفنا يا كعب.

وقد انتُقد كثيرٌ من كتب التفسير -كـ"تفسير الخازن"- لحشوها كثيرًا من الإسرائيليَّات وإقحامها في تفسير جملٍ من الآيات، وهو صادف محلَّه، لا سيما إذا لاحظنا أن فيها مخالفةً للمعقول ومَساسًا بمقام الأنبياء عليهم السلام.

مثل ما جاء فيها من مرض أيوب، وفتنة داود، وخاتم سليمان، وغير ذلك ممَّا رسخ في أذهان قرَّاء تلك التفاسير، حتى ارتقى إلى درجة اليقينيَّات أو المُسلَّمات بحيث لا يجري علي لسانهم ذكر نبيٍّ في محاضرةٍ أو محاورةٍ حتى ترتسم في مُخيِّلتهم صورته ملفوفةٌ في إطارٍ مِن تلك الخُرافات، مع أنهم لو تأمَّلُوا سِياق القرآن لوجدوه ينفي أغلب ما نقلوه، أو لا يفيده على أقلِّ تقدير.

وممَّا لا جِدال فيه أن مقام الأنبياء لا يجوز أن يوصَم بما يَخْدِشُ العِصْمة، ولا ينبغي أن تؤوَّل أعمالهم بما يُنزِلها عن درجة القُدْوة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ

ومن الإجرام القبيح ما هَذَى به بعض مُبتدِعة الأزهر في كُتيِّب آثمٍ سمَّاه "اجتهاد الرسول"، ولو أراد مُستشرِقٌ أن يطعن في الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ما استطاع أن يطعن بأكثر ممَّا فعل ذلك المبتدِع الجاهل، وقد شرعت في دحض مفترياته وكشف سوآته.

فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾ [الأنعام: ٩٠].

فعلى الباحث أن يراعي ذلك كل المراعاة، مضافًا إلى وجوب التقيد بظاهر القرآن الكريم وصحيح الأحاديث.

وهذه سلسلةٌ من قَصَصِ الأنبياء وافيةٌ بالشروط السابقة، خاليةٌ ممَّا انتُقد على غيرها من كتب القَصَص والتفسير، حاليةٌ بتحقيقاتٍ رائِقةٍ، ونِكاتٍ شَائِقَةٍ استنبطتها بفَضْل الله من مكنون الآيات القرآنيَّة، ومَضْمُون الأخبار النبويَّة.

وتناولنا بعض ظواهر النُّصوص بما يزيل عنها الغُموض ويُجلي الإشكال، وكشفنا ما انحدر فيه بعض المعاصرين من انحرافٍ عن الجادَّة، وميلٍ عن الصواب، عامدين إلى تحقيق البحث العلميِّ مُجَرَّدًا عن الانحياز لرأيٍ مُعيَّنٍ ما لم يسنده دليل، مُستمدِّين من الله التوفيق فيما نقصد إليه.

ونبتدئ الكلام بقصة آدم عليه السلام، بما يجد القارئ تفصيله في الفصول التالية.

قبل خلق العالم

كان الله ولم يكن شيءٌ غيره، فلم يكن زمانٌ ولا مكانٌ، ولا قطرٌ ولا أوانٌ، ولا عَرْشٌ ولا مَلَكٌ، ولا كوكبٌ ولا فَلَكٌ. ثُمَّ أَوْجَدَ العالَمَ مِن غير احتياجٍ إليه، ولو شاء ما أوجده.

فهذا العالَمَ كلُّه بما فيه من جواهر وأعراضٍ حادثٌ عن عدمٍ، ليس فيه شائبةٌ مِن قِدَمٍ حسبما اقتضته قضايا العقول وأيَّدته دلائل النُّقول وأجمع عليه المِلِّيون قاطبة إلا شذَّاذًا من الفلاسفة قالوا بقِدَم العالم، وهم كُفَّارٌ بلا نزاعٍ.

قال ابن حزمٍ في "مراتب الإجماع": «بابٌ: من الإجماع في الاعتقادات بما يكفر مَن خالفه بإجماعٍ: اتفقوا أنَّ الله عزَّ وجلَّ وحده لا شريك له، خالق كلِّ شيءٍ غيره، وأنه تعالى لم يزل وحده ولا شيء غيره معه، ثُمَّ خَلَقَ الأشياء كلَّها كما شاء، وأنَّ النَّفْس مخلوقةٌ، والعرش مخلوقٌ والعالَمَ كلَّه مخلوقٌ».اهـ

ونازعه بعض العلماء في هذا الإجماع القطعيِّ لزعمه الفاسد وجود حوادث لا أول لها، يعني بذلك قِدَم العالم بالنوع، وهذا من مستشنع المسائل المنسوبة له، كما قال الحافظ ابن حجرٍ في "فتح الباري".

أول المخلوقات

في "صحيح البخاري": عن عمران بن حصينٍ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**كان اللهُ ولم يكن شيءٌ غَيْرُهُ، وكان عَرْشُهُ على الماءِ، وكَتَبَ في الذِّكْرِ كلَّ شيءٍ، ثُمَّ خَلَقَ السمواتِ والأرضَ**».

قال العلماء: المراد بـ«كان» في الجملة الأولى: الأزليَّة، وفي الثانية: الحدوث بعد العَدَم.

وفي "صحيح مسلم": عن عبدالله بن عمرٍو، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ اللهَ كَتَبَ مَقاديرَ الخلائق قبل أن يَخلُقَ السمواتِ والأرضَ بخمسين ألف سنةٍ وكان عَرْشُهُ على الماءِ**».

وفي "مسند الإمام أحمد": عن أبي رزين العقيليِّ مرفوعًا: «**إنَّ الماءَ خُلِقَ قبل العَرْشِ**». صحَّحه الترمذيُّ.

يؤخذ من هذه الأحاديث أنَّ أوَّل المخلوقات: الماء، ثُمَّ العَرْش، ثُمَّ القَلَم.

لأن الكتابة حصلت بعد كون العرش علىٰ الماء، بل جاء ذلك صريحًا فيما رواه ابن شاهين في "الصحابة": عن نافع بن يزيد الحميريِّ أنه أتىٰ مع وفدٍ من اليمن -غير الأشعريين- إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فسألوه عن أول هذا الأمر، فقال: «**كان اللهُ لا شيء غيره، وكان عَرْشُهُ على الماء، ثُمَّ خَلَقَ القَلَمَ، فقال: اكتب ما هو كائنٌ، ثُمَّ خَلَقَ السمواتِ والأرضَ وما فيهنَّ**». فهذا صريحٌ في ترتيب المخلوقات.

ولا يُعارضه ما رواه أحمد، وصحَّحه الترمذيُّ: عن عبادة بن الصامت مرفوعًا: «**أوَّلُ ما خَلَقَ اللهُ القَلَمَ، ثُمَّ قال: اكتب، فجرى بما هو كائنٌ إلى يوم القيامةِ**».

لأنَّ أوَّلية القَلَم إضافيَّةٌ بالنسبة لما عَدَا الماء والعرش، أو المراد: أوَّل ما خَلَقَ اللهُ من نوع ما يكتب به، فهي أوليَّة نوعيَّة.

ولم يصح غير هذا في ترتيب المخلوقات عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فلا نجزم فيه بشيءٍ ،ونَكِلُ علمه إلىٰ الله تعالىٰ.

وروىٰ البيهقيُّ وغيره بإسنادٍ ضعيفٍ عن ابن عبَّاسٍ: أنه سئل عن قوله

تعالىٰ: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧]. علىٰ أي شيءٍ كان الماء؟ قال: «علىٰ متن الرِّيح».

وروىٰ البيهقيُّ أيضًا عن مجاهدٍ قال: «بدء الخَلْقِ: العرش والماء والهواء».

أمَّا حديث: «**أوَّلُ ما خَلَقَ اللهُ العَقْلَ**»، فهو حديثٌ واهٍ بجميع طُرُقه، لا يصح اعتماده، وعلىٰ فرض ثبوته فهو مؤوَّلٌ بنحو ما أولت به أوَّلية القلم.

وكذلك لم يصح أنَّ أوَّل المخلوقات اللوح المحفوظ أو الروح.

وحديث: «**أوَّلُ ما خَلَقَ اللهُ نورُ نبيِّك يا جابر**» ذكره غير واحدٍ من أصحاب السِّير والمولد النبويِّ، وعزوه إلىٰ عبدالرزَّاق والبيهقيِّ في "الدلائل"، وهو عزوٌ غلطٌ فلا وجود له فيهما، ونصَّ السيوطيُّ في "الحاوي" علىٰ أنه ليس له إسنادٌ يُعتمَد عليه.

وأزيد علىٰ ذلك أنه حديثٌ موضوعٌ، وقفت عليه في كتاب "تلقيح الأذهان ومفتاح معرفة الإنسان" لمحيي الدين ابن العربي[1] فإذا هو حديثٌ طويلٌ ركيكٌ، يجزم من قرأه ببطلانه.

وكذلك حديث: «**كنتُ نورًا بين يدي ربِّي قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عامٍ**». هو موضوعٌ، وإن رُوي من طريق زين العابدين عن أبيه عن جدِّه

---

(١) بـ(ال) كما هو مكتوب بخطه علىٰ أجزاء من "الفتوحات المكية" بدار الكتب المصرية، وكما قرأته بخطه علىٰ أجزاء حديثية، ولأن أهل الأندلس يسمون «العربي» كما لا يزال المغاربة يسمون بذلك إلىٰ الآن، أمَّا الذين يقولون: ابن عربي، فهم واهمون ويزعم بعضهم أنَّ هذا للفرق بينه وبين ابن العربي المعافري المالكيِّ، وهو وهمٌ علىٰ وهمٍ، وقد وقع في هذا الوهم كثيرون منهم صاحب "القاموس".

عليهم السَّلام، فإنَّ الآفة فيه ممن قبل زين العابدين، وهو مكذوبٌ عليه.

نعم صحَّ في الحديث من طرق أنه عليه السَّلام كان نبيًّا وآدم بين الرُّوح والجسد، وهو يفيد تقدُّم خلق روحة الشريفة وإفاضة وصف النبوَّة عليها قبل نفخ الرُّوح في آدم.

ومن حمل ذلك على ثبوت العلم بنبوته فهو مخطئ من عِدَّة وجوهٍ بينتها في "الأحاديث المنتقاة في فضائل رسول الله"، أوضحها: أنَّ المخلوقات كلها ثابتةٌ في عِلْم الله أزلًا، فلا معنى لتخصيص النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بذلك.

ومن اللطائف قول الحافظ ابن رجب في "لطائف المعارف": «وسمَّاه الله مُبشِّرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، فقيل سراجًا للمؤمنين في الدنيا، ومُنيرًا للمذنبين يوم القيامة بالشفاعة، وسُمِّي سراجًا لأن السراج الواحد يوقد منه ألف سراجٍ ولا ينقص من نوره شيءٌ، كذلك خَلَقَ الله الأنبياء من نور محمدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ولم ينقص من نوره شيءٌ». اهـ

عناصر خلق المخلوقات

في "صحيح مسلم": عن عائشة رضي الله عنها، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**خُلِقت الملائكة من نورٍ، وخلق الجانُّ من مارجٍ من نارٍ، وخُلق آدم ممَّا وُصِفَ لكم**».

وأخرج عبدالرزَّاق وإسحاق بن راهويه والحاكم والبيهقيُّ: عن طاووس قال: جاء رجلٌ إلى عبدالله بن عمرٍو فسأله: ممَّ خُلِقَ الخَلْق؟ قال: «من الماء والنور والظُّلْمة والرِّيح والتراب». قال الرجل: فممَّ خُلق هؤلاء؟ قال: «لا

أدري».

ثُمَّ أتىٰ الرجل عبدالله بن الزبير فسأله، فقال له مثل قول عبدالله بن عمرٍو.

قال: فأتىٰ الرجل عبدالله بن عبَّاسٍ فسأله: ممَّ خُلِقَ الخَلْقُ؟ قال: «من الماء والنور والظلمة والرِّيح والتراب». قال الرجل: فممَّ خُلق هؤلاء؟

فتلا عبدالله بن عبَّاسٍ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣] فقال الرجل: ما كان ليأتي بهذا إلَّا رجلٌ من بيت النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

قال البيهقيُّ: «أراد أنَّ مصدر الجميع منه، أي من خلقه وإبداعه واختراعه، خَلَقَ الماءَ أوَّلًا، أو الماء وما شاء من خَلْقه لا عن أصلٍ، ولا علىٰ مثالٍ سَبَقَ ثُمَّ جعله أصلًا لِما خَلَقَ بعده».اهـ

والخلاصة: أن الله أوجد هذه العناصر مِن عدمٍ ثُمَّ جعلها مادَّةً لسواها من المخلوقات.

الملائكة

مخلوقون مِن نورٍ كما سبق، وهم أجسامٌ لطيفةٌ أُعطيت قُدْرة علىٰ التشكُّل بأشكالٍ مختلفةٍ غير زريةٍ[1]، لا يأكلون ولا يشربون ولا يتناكحون ولا يتناسلون ولا ينامون، يسبِّحون الليل والنهار لا يَفْترون، عباد الله المُكْرَمون لا

---

(١) فلا يظهر الملك في صورة كلبٍ أو ثعبانٍ مثلًا، بخلاف الجنِّ فإنَّ أغلب تشكُّلهم في صور زرية .

يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، رسلٌ معصومون[١] لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [فاطر: ١] وهم كثيرٌ لا يحصيهم العد ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٣١] مسكنهم السموات وما فوقها إلى سدرة المنتهى، وينزلون إلى الأرض لتنفيذ ما أمروا به من أعمال، لا يضعفون ولا يهرمون ولا تعتريهم آفةٌ من الآفات، ولا يموتون إلَّا عند النفخة الأولى نفخة الموت لجميع الأحياء في هذا الوقت، وهم أفضل من جميع البشر خواصِّهم وعوامِّهم إلَّا الأنبياء، ومن زعم أنَّ بعض البشر -غير الأنبياء- أفضل منهم أو بعضهم فقد أخطأ خطأً كبيرًا وحاد عن الصواب. ومن زعم أن لا عقل لهم أو نفى عنهم الاختيار فقد دخل في الضلال من أوسع باب.

ومن الخرافات: ما يُحكى في بعض الكرامات أنَّ وليَّ الله سيِّدي عبدالرحيم الغُماريَّ الشهير بالقنائي رضي الله عنه شفع إلى الله في مَلَكٍ استشفع به، فقبل الله شفاعته!!.

---

(١) وكثير من الأشاعرة يزعم عدم عصمتهم، وهو خطأ كبير، وإذا تتبَّعت آيات القرآن وجدته يشفع ذكر الملائكة بالثناء عليهم، ومدحهم بالطاعة لله والانقياد لأوامره، ولم ينسب إلى واحدٍ منهم تقصيرًا أو عصيانًا، والسُّنَّة على منوال القرآن في ذلك، فلم يذكر مَلَكٌ في حديثٍ صحيحٍ إلَّا مَقْرونًا بالتعظيم والتبجيل، إلَّا هاروت وماروت ففي كونهما من الملائكة خلافٌ، وعلى القول بكونهما مَلَكين فما ذكر في قصتهما مع الزهرة من نسج الإسرائيليات، وإن رفعت أحاديث بذلك إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فرفعها خطأ من بعض الرواة، وسنبيِّن ذلك في محله من هذه القصص بحول الله.

ومقام سيِّدي عبدالرحيم في غير حاجةٍ إلى هذه الترَّهات، ولكن قاتل الله الغُلُوَّ والجهل، وليس لأحدٍ أن يحتجَّ في نفي العصمة عنهم بقصة هاروت وماروت فإنها من نسج خيال الإسرائيليَّات، وسيأتي بيان ذلك في موضعه بحول الله تعالى.

الجـن

مخلوقون مِن مارِجٍ مِن نارٍ، أُعطوا قدرة التشكُّل على أشكالٍ مختلفةٍ يتناكحون ويتناسلون، وإبليس أبوالجن ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢ﴾ [الكهف: ٥٠] فيهم المسلم والكافر والطائع والعاصي، طائعهم يُثاب بالجنَّة[1]، وعاصيهم يعاقب بالنَّار.

وقد ذُكر شيءٌ من أحوالهم في سورتَي (الرحمن) و(الجن)، واختلف في جواز التزاوج بينهم وبين الإنس عقلًا والراجح إمكانه، وقال الثعالبيُّ: «زعموا أنَّ التناكح والتلاقح قد يقعان بين الإنس والجنِّ وقال الله تعالى ﴿وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ﴾ [الإسراء: ٦٤].

وقال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا جامَعَ الرَّجُلُ امرأتَهُ ولم يُسَمِّ؛ انطوى**

---

(١) وبعض العلماء زعم أنَّ الجنَّ لا يدخلون الجنَّة، وثواب مطيعهم أن يجار من النَّار، وهذا القول لا دليل عليه، بل القرآن يردُّه فإنَّ سورة (الرحمن) كلها خطابٌ للإنس والجنِّ، وفيها قوله تعالى: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۝٤٦ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦ - ٤٧] إلى أخر السورة، وذلك صريحٌ في دخول الجنِّ للجنَّة، كما يدخلها الإنس.

الشيطانُ على إحْلِيلِه فجامَعَ مَعَهُ».

وقال ابن عبَّاسٍ: «إذا أتىٰ الرجل امرأته وهي حائضٌ سَبَقَهُ الشيطانُ إليها فحملت فجاءت بالمُخنَّث، فالمخنَّثون أولاد الجنِّ».اهـ رواه ابن جريرٍ

قلت: والحديث المذكور هو من كلام مجاهدٍ وليس من كلام النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

وأمَّا الزواج الشرعيُّ؛ فقد كَرِه الحسن البصريُّ وقتادة والحكم بن عتيبة وإسحاق بن راهويه نكاح الجنِّ، وفي "الفتاوىٰ السراجية" من كتب الحنفية: «لا تجوز المناكحة بين الإنس والجنِّ وإنسان الماء لاختلاف الجنس».

وكذا أفتىٰ قاضي القضاة شرف الدين ابن البارزيِّ الشافعيُّ بعدم زواج الإنس من الجنِّ مُستدلًّا بقوله تعالىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا ﴾ [النحل: ٧٢] وهو يؤول إلىٰ التعليل باختلاف الجنس كما سبق عن "الفتاوىٰ السراجية".

وروىٰ حرب الكرمانيُّ في "مسائله" عن أحمد وإسحاق من طريق ابن لَهيعة، عن يونس بن يزيد، عن الزهريِّ قال: «نهىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن نكاح الجنِّ». وهذا مرسلٌ، وابن لَهيعة فيه كلامٌ.

وروىٰ حربٌ أيضًا عن زيد العمِّي قاضي هراة، أنه قال: اللهمَّ ارزقني جنيَّةً أتزوَّجها، قيل له يا أبا الحواري وما تصنع بها؟ قال: تصحبني في أسفاري، حيث كنت كانت معي.

وروىٰ أبو عثمان سعيد بن العباس الرازيُّ في كتاب "الإلهام والوسوسة" في باب نكاح الجن منه، قال: «حدَّثنا مقاتل: حدَّثني سعد بن داود الزبيديُّ،

قال: كتب قومٌ من اليمن إلى مالك بن أنسٍ رضي الله عنه يسألونه عن نكاح الجنِّ، وقالوا: إنَّ هنا رجلًا من الجنِّ يخطب إلينا جاريةً، يزعم أنه يريد الحلال، فقال: ما أرى بذلك بأسًا في الدِّين، ولكن أكره إذا وجدت امرأة حامل، قيل لها: من زوجك؟ قالت: من الجنِّ! فيكثر الفساد في الإسلام بذلك».اهـ

وهذا قولٌ يدل على الحِكْمة وبُعْد النظر، وهو يتفق مع الأخذ بسَدِّ الذَّريعة الذي اعتبره الإمام مالكٌ في كثير من المسائل.

خلق السموات والأرض

بعد كتابة مقادير الأشياء بخمسين ألف سنةٍ خلق الله السموات والأرض، وكان خلق الأرض قبل خلق السموات، لكن دَحْوها كان بعد خلق السموات ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [النازعات: ٢٧ - ٣٣] والأرضون سبع مثل السموات ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢] وهي متراكبةٌ بعضها تحت بعضٍ، كما يفيد ظاهر لفظ «مثل» في الآية السابقة.

وجاء صريحًا في بعض الأحاديث والآثار، ومَن حَمَلها على القارَّات أبعد وقال ما لا دليل عليه.

خلق آدم عليه السلام

لَمَّا أراد الله أن يخلق آدم أمر مَلَك الموت فقبض قبضةً مِن الأرض من ترابٍ، فجعله طينًا أي مخلوطًا بماءٍ ثُمَّ تركه حتى إذا كان حمأً مَسْنونًا، أي مُتغيِّرًا خَلَقَه وصوَّره جسمًا كاملًا بلا روحٍ، ثُمَّ تركه حتى صار صَلْصَالًا كالفخَّار -

أي يصل ويصوت إذا ضرب- وكان يمر به إبليس فيفزع منه ويقول: «لقد خلقت لأمرٍ عظيمٍ»، فلمَّا رآه مُجوَّفًا عَلِم أنه خَلْقٌ لا يتمالك.

ثُمَّ نفخ الله فيه من روحه وكان أول ما جرىٰ فيه الروح بصره وخياشيمه فعطس، فألهم أن يقول: «الحمد لله». فقال الله: «يرحمك ربُّك».

فسمِّي آدم لأنه خُلِق من أديم الأرض، وكانت القبضة التي خلق منها مأخوذةٌ من سلالة الأرض المشتملة علىٰ خلاصة ما فيها، فجاء أولاده علىٰ قدر الأرض، منهم الأبيض والأحمر والأسمر والأسود، والسهل والحزن وبين ذلك، والخبيث والطيِّب وبين ذلك(١).

سجود الملائكة لآدم عليهم السلام

قال الله تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٢٨

---

(١) روىٰ الديلميُّ بسندٍ ضعيفٍ عن أبي هريرة مرفوعًا: «الهَوَىٰ والبَلاءُ والشَّهْوةُ مَعْجُونةٌ بطينة آدمَ». وفي "مسند أحمد" عن أبي موسىٰ الأشعري قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «إنَّ اللهَ خَلَقَ آدمَ مِن قَبْضَةٍ قَبَضَها مِن جميع الأرضِ فجاء بنو آدمَ على قَدْرِ الأرضِ، منهم الأبيض والأحمر والأسمر والأسود وبين ذلك، والسَّهْلُ والحَزَنُ وبين ذلك، والخبيث والطيِّب وبين ذلك».

ورواه أبو داود، والترمذيُّ، وابن حِبَّان في "صحيحه"، وقال الترمذيُّ: «حسنٌ صحيحٌ».

- ٣١] الآيات.

وكان هذا سجود التكريم والتحية في جميع الشرائع، حتى حرمته شريعة الإسلام، فلا يجوز الآن سجود أحدٍ لأحدٍ لا على وجه التكريم ولا على وجه التحية، كما قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لمعاذٍ حين أراد أن يسجد له: «**لا يسجد أحدٌ لأحدٍ ولو كنت آمِرًا أحدًا أن يسجدَ لأحدٍ لأمرتُ المرأة أن تسجدَ لزوجِها مِن عِظَمِ حَقِّهِ عليها**».

نكتة علميَّة في سجود الملائكة

نقل المقري في "نفح الطيب" عن القاضي أبي البركات محمد بن الحاج السلميِّ، وهو من شيوخ ابن خلدون، أنه استدل لتفضيل الملائكة على البشر بأن الله أسجدهم لآدم، فنظر بعض الحاضرين إلى بعض وقال جُنَّ القاضي. قال: أتقولون إنَّ أمر الله الملائكة بالسجود لآدم أمر ابتلاءٍ واختبارٍ؟ قالوا: نعم، قال: أفيُختبَر تواضع العبد بالخضوع لسيِّده؟ أم الأمر بالعكس؟ قالوا: إنما يختبر تواضع السيِّد بالخضوع لعبده. قال: فكذا الملائكة وآدم لو لم يكونوا أفضل منه ما اختبر حالهم بالأمر بالسجود له. فأذعنوا بذلك».اهـ

ونظر فيه ابن الحاج في "حاشية المرشد المعين" «بأن الظاهر أنَّ السجود إكرام لا اختبار».اهـ

ولا مانع أن يكون اختبارًا أيضًا للملائكة، لأن أوامر الله لا تخلو أن تكون اختبارات للمكلَّفين بالإضافة إلى ما فيها من المصالح والحِكَم لهم.

وإذا لوحظ أنَّ عنصر الملائكة وهو النور، أفضل من الطين كان في سجودهم لآدم امتحانٌ أيُّ امتحان، ولولا أنهم معصومون لتمسَّكوا بأفضليَّة

عنصرهم كما تمسَّك إبليس لعنه الله بكونه خُلِق من نارٍ.

ومن الأدلة في هذا الموضوع قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠] ولا شك أنَّ بني آدم أفضل من الجنِّ والحيوان بلا نزاع، ولو كانوا أفضل من الملائكة لعبرت الآية بـ«جميع» ولكن التعبير بـ«كثير» للتنصيص علىٰ إخراج الملائكة، وأنهم أعلىٰ من أن يدخلوا في هذه المفاضلة.

خلافة آدم في الأرض

قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

تخبر هذه الآية الكريمة أنَّ الله قضىٰ باستخلاف آدم في الأرض لعمارتها، والانتفاع بما أودعه فيها من نباتٍ وحيوانٍ ومعادن وغير ذلك ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩] ولإقامة الحقِّ، والحكم بالعدل بين أهلها إذا اختلفوا، والاختلاف ضرورة من ضروريات الحياة في هذه الدنيا ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨ - ١١٩].

كيف عرف الملائكة أن بني آدم يفسدون

لَمَّا أخبر الله الملائكة بأنه جاعلٌ في الأرض خليفةً قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة: ٣٠]. فمن أين علموا ذلك؟

للعلماء في الجواب عن هذا السؤال وجوه:

منها: أنهم ألهموا ذلك إلهامًا؛. قاله الحسن البصريُّ.

ومنها: أنهم اطَّلعوا عليه في اللوح المحفوظ. قاله أبو جعفرٍ الباقر عليه السَّلام.

ومنها: أنهم علموا أنَّ الأرض لا يخلق منها إلَّا من يكون بهذه المثابة غالبًا. نقله الحافظ ابن كثيرٍ.

ومنها: أنهم قالوا ذلك بالقياس على الجنِّ الذين سكنوا الأرض قبل آدم فأفسدوا فيها وسفكوا الدِّماء فبعث الله عليهم جندًا من الملائكة فأجلوهم إلى جزائر البحور وشعف الجبال وبطون الأودية.

قاله ابن عبَّاسٍ وابن عمر.

ومنها: أنهم استنبطوه من لفظ: ﴿خَلِيفَةً﴾ لأن الخليفة من يكون نائبًا في الحكم، وذلك يكون عند التظالم.

ومنها: أنَّ الله أخبرهم بذلك، وإن لم يُشر إليه القرآن على طريقته في الإيجاز وحذف ما يعلم بالقرائن؛ لأن الملائكة لا يعلمون الغيب ولا يسبقون الله بالقول، فلم يعلموا إلَّا بإخباره سبحانه وتعالى[1].

---

(١) أخرج ابن جريرٍ عن ابن زيدٍ قال: لَمَّا خلق اللهُ النَّار ذعرت منها الملائكة ذعرًا شديدًا وقالوا: ربَّنا لم خلقت هذه؟ قال: لمن عصاني مِن خَلْقي. ولم يكن لله خَلَقَ يومئذٍ إلَّا الملائكة، قالوا: يا ربِّ ويأتي علينا دهرٌ نعصيك فيه؟! قال: لا إني أريد أن أخلق في الأرض خَلْقًا، وأجعل فيها خليفةً، يسفكون الدِّماء ويفسدون في الأرض، قالوا:

كيف ساغ للملائكة أن يراجعوا الله وهم معصومون؟

قال أبو حَيَّان في تفسيره "البحر المحيط": «لَمَّا كان ظاهر قول الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠] الآية ، ممَّا لا يناسب أن يُجاوبوا به الله، وكان من القواعد الشرعيَّة والعقائد الإسلاميَّة عصمة الملائكة من المعاصي والاعتراض -لم يخالف في ذلك إلَّا طائفة من الحشوية- احتاج أهل العلم إلى إخراج الآية عن ظاهرها ، وحملها كلُّ قائلٍ على ما سنح له وقوي عنده من التأويل الذي هو سائغٌ في عِلْم اللسان».اهـ

ولهم في تخريج الآية أوجه:

أحدها: أنهم سألوا استفهامًا عن الحكمة في جعل خليفةٍ في الأرض يُفسد فيها ويسفك الدماء ، مع علمهم بأنَّ الله يبغض الفساد وسفك الدماء، وقالوا: إن كانت الحِكْمة في خلقهم أن يعبدوك فنحن نُسَبِّح بحمدك ونُقَدِّس لك ، لا نَفْتُرُ عن عبادتك؟

ثانيها: أنهم سألوا تعجُّبًا واستعظامًا لحصول هذا من بني آدم، مع إكرام الله لهم بالخلافة.

ثالثها: أنَّ الملائكة لَمَّا توهَّموا أنَّ الله تعالى أقامهم في مقام المشورة ، بان لهم وجه المصلحة في بقاء الخلافة فيمن يُسبِّح ويُقدِّس، وأن لا ينقلها إلى من يُفسد

«أتجعل فيها من يفسد فيها...» الآية.

وجاء عن ابن عبَّاسٍ أيضًا أنَّ الله أخبر الملائكة بفعل البشر فلذلك قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ الآية.

فيها ويسفك، فعرضوا ذلك على الله، وكان ذلك من جملة النصح في الاستشارة والنصح واجبٌ على المُستشار، ولله تعالى الحكم فيما يمضي من ذلك ويختار. قاله بعض أهل الإشارات من الصوفيَّة.

رابعها: قال صفي الدين أبو عبدالله الحسين ابن الوزير أبو الحسن عليُّ ابن أبي المنصور الخزرجيُّ، في كتاب "فك الأزرار": «ظاهر كلام الملائكة يشعر بنوعٍ من الاعتراض وهم منزَّهون عن ذلك، والبيان: أنَّ الملائكة كانوا حين ورود الخطاب عليهم مجملين، وكان إبليس مندرجًا في جملتهم فورد منهم الجواب مجملًا فلما انفصل إبليس عن جملتهم بإبائه وظهور إبليسيته واستكباره، انفصل الجواب إلى نوعين: فنوع الاعتراض منه كان عن إبليس وأنواع الطاعة والتسبيح والتقديس كان عن الملائكة فانقسم الجواب إلى قسمين، كانقسام الجنس إلى جنسين، وناسب كلُّ جواب من ظهر عنه والله أعلم». اهـ

قال أبو حَيَّان: وهو تأويلٌ حسنٌ ، وصار شبيهًا بقوله ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ﴾ [البقرة: ١٣٥] الآية، لأن الجملة كلها مقولة والقائل نوعان، فرد كل قول لمن ناسبه».اهـ

تعليم آدم الأسماء كلها

لَمَّا صدر من الملائكة ذلك السؤال، وقد قيل: إنه كان منهم على سبيل الإدلال، إذ كانوا في حضرة الجمال، أراد الله أن يظهر لهم الحكمة في إيجاد الخليفة، وما يترتب على ذلك من مقاصد سامية شريفة، مع بيان إحاطة علمه

تعالىٰ بما لم يعلموه، رغم اطلاعهم علىٰ اللوح المحفوظ الذي خط القلم فيه ما هو كائن.

فعلَّم آدم الأسماء كما قال تعالىٰ: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: ٣١].

وماذا علَّمه؟ قال ابن عبَّاسٍ: هي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس: إنسانٌ ودابَّةٌ وأرضٌ وسهلٌ وبحرٌ وجبلٌ وجملٌ وحمارٌ، وما أشبه ذلك من الأُمَمِ وغيرها. وكذا قال مجاهدٌ وقتادة وسعيد بن جُبيرٍ وغيرهم.

ثُمَّ عرض مُسمَّيات الأسماء علىٰ الملائكة فقال: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ المُسمَّيات ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: ٣١] في ظنِّكم أنكم أعلم ممن أخلقه بعدكم لاطلاعكم علىٰ اللوح المحفوظ والجنَّة والسماوات وما فيهنَّ قبل خلق آدم.

فلمَّا عجزوا في هذه الناحية وهم علماء، قال الله: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم ﴾ آدم ﴿بِأَسْمَآئِهِمْ ﴾ المُسمَّيات بأن قال: هذا شجرٌ وهذا جبلٌ وهذا كذا... إلخ. قال الله لهم: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ وأنتم علمتم ظواهرهما ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ ﴾ من قولكم: «أتجعل فيها...» ﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [البقرة: ٣٣] مِن ظنِّكم أني لا أخلق أعلم منكم، ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ ﴾ [البقرة: ٣٢] عِلْمًا استقلاليًّا بل هو مستمدٌّ منك، وهو معنىٰ الاستثناء الآتي ﴿إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴾ بالوحي أو الاطلاع علىٰ اللوح

المحفوظ ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢].

وهنا نكاتٌ علميَّةٌ نُشير إليها تتميمًا للفائدة:

إحداها: روى الديلميُّ وابن عساكر عن عطية بن بُسْرٍ مرفوعًا في قوله: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١] قال: «علَّمه الله في تلك الأسماء ألف حِرْفَةٍ مِن الحِرَف، وقال: قل لولدك وذريتك يا آدم: إن لم تصبروا عن الدنيا فاطلبوا الدنيا بهذه الحرف ولا تطلبوها بالدِّين، فإنَّ الدين لي وحدي خالصًا، ويلٌ لمن طلب الدُّنيا بالدِّين، ويلٌ له».

وهذا الحديث وإن كان ضعيفًا يشتمل على تهديدٍ شديدٍ لأولئك الذين يتخذون الدِّين مَطِيَّةً لأغراضهم الدنيوية، ومطامعهم الشخصية، وقد توعَّد الله بني إسرائيل بالويل لاتخاذهم آيات الله تجارةً ومكسبًا.

ومما لا شك فيه أنَّ الله علَّم آدم كثيرًا من الحِرَف التي يحتاج إليها في حياته هو وأولاده، بل ورد ذلك في كثيرٍ من الآثار[1] وكُتُبِ التاريخ.

ثانيتها: استُنبط من الآية مَزيَّة العِلْم وفضله على العبادة، وأنه شرطٌ في الخلافة بل هو عمدتها وأساسها، والأدلة على هذا كثيرةٌ مبسوطةٌ في محلِّها، وفي القرآن الكريم آيٌ كثيرةٌ تُنوِّه بفضل العِلْم وأهله.

ثالثتها: أخذ الأشعريُّ وأتباعه وابن فورك من تعليم الله الأسماء آدم: أنَّ

---

(١) روى البزار والطبراني عن أبي موسى يرفعه قال: «لما أخرج الله آدم من الجنة زوده من ثمار الجنة وعلمه صنعة كل شيء، فثماركم هذه من ثمار الجنة غير أن هذه تغير وتلك لا تغير». رجال إسناده ثقات، لكن رواه عبد الرزاق فجعله موقوفًا من قول أبي موسى.

اللغات توقيفيةٌ، أي بتوقيف من الله ووحي منه إلى آدم عليه السلام، وهو أحد أقوال في المسألة.

والقول الثاني: أنها اصطلاحيةٌ نشأت بين الناس بحسب احتياجهم إلى التعارف وتفهيم بعضهم مقاصد بعضٍ، فهي من وضع البشر. ودليل هذين مع بقية الأقوال مبسوطةٌ في علم أصول الفقه.

امتناع الشيطان من السجود وطرده من الجنة

امتنع الشيطان من السجود لآدم عليه السلام مُعتزًّا بعُنصره الناري، وقال: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [الأعراف: ١٢] وكان امتناعه مسبوقًا بإصراره على عصيان آدم حيث كان يطيف به وهو صَلْصَالٍ كالفَخَّار فيفرغ منه ويقول: لأمرٍ ما خُلِقْتَ، ولئن سُلِّطتُ عليك لأُهْلِكَنَّك، ولئن سُلِّطتَ عليَّ لأعْصِيَنَّك.

فعارض أمر الله بالسجود واستكبر وكان مِن العالِين، فأبلسه الله من رحمته ولعنه، فسأل الله أن يُنْظِره -أي يؤخِّره- فأنظره إلى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الأولى حين تفنى جميع المخلوقات ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ٧٥ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُۖ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ٧٦ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٧٧ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٧٨ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ٧٩ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ٨٠ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ﴾ [ص: ٧٥ - ٨١].

ويلاحظ أنَّ الخبيث طلب الإنظار إلى يوم البعث لينجو من الموت، إذ لا موت بعد البعث ولكن الله لم يجبه إلى ذلك، بل أخَّره إلى النفخة الأولى ليذوق

الموت الذي حكم الله به على خَلْقِهِ ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]

استشكال في سجود الشيطان والجواب عنه

يستشكل كثيرٌ من الناس دخول إبليس في الأمر الموجَّه للملائكة بالسجود، مع أنه كان من الجنِّ، وهو استشكالٌ وجيهٌ، وجوابه من وجوهٍ:

أحدها: أنه وإن لم يكن من عنصرهم فقد تشبَّه بهم، وتوسَّم بأفعالهم وكان مُندمجًا فيهم لعبادة الله، فشمله الخطاب معهم.

ثانيها: أنَّ الأمر للأعلى -وهم الملائكة- يشمل الأدنى -وهو الشيطان- من باب أولى، ولهذا اتفق الجمهور على أنَّ الخطاب المُوجَّه للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يشمل أُمَّته معه، إلَّا إذا قام الدليل على أنه خاصٌّ به.

ثالثها: أنَّ الحِكْمة في الأمر بالسجود: تحية آدم عليه السلام وتكريمه، وهو معنى يشمل الحاضرين إذ ذاك ومنهم إبليس.

رابعها: أنَّ قول الله تعالى مخاطبًا إبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ صريحٌ في أنه كان مأمورًا بالسجود مع الملائكة ؛ولهذا لم يقل إبليس: لم يتوجَّه الأمر إليَّ، بل عَدَلَ إلى قوله: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢]، وذلك اعترافٌ منه بأنه مأمورٌ بالسجود.

(نكتة علمية): استنبط علماء الأصول وفقهاء الأمصار مِن ذَمِّ الله لإبليس على ترك السجود الذي أُمِر به: أنَّ الأمر يقتضي الوجوب؛ لأنه لا ذمَّ إلَّا على ترك الواجب، ولو كان الأمر للندب لما ذَمَّ الله إبليس على تركه ولكان لإبليس أن يقول: إنك لم توجبه عليَّ، لكنه عَدَلَ إلى قوله: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ الآية. فدلَّ على

أنَّ الأمر المُطْلَق للوجوب ؛ أي يدل عليه حقيقةً، ويكون استعماله في الندب أو غيره من المعاني مجازًا يحتاج إلىٰ قرينةٍ.

(نكتة ثانية): قال الحسن البصريُّ: أول مَن قاسَ إبليس.

وكذا قال محمد بن سيرين وزاد: وما عبدت الشمس ولا القمر إلَّا بالمقاييس.

ومعنىٰ هذا أنَّ الشيطان نظر نفسه بالمقايسة بينه وبين آدم، فرأىٰ نفسه أفضل لشرف عنصره في نظره، فتكبَّر وامتنع عن السجود لذلك، وهو قياسٌ في مقابلة النصِّ فيكون فاسد الاعتبار.

خلق حواء

قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء: ١] هذه الآية الكريمة تخبر أنَّ الله خَلَقَ من آدم زوجه، وكان بدء ذلك أنَّ آدم عليه السلام لما عَلَّمَ الملائكةَ أسماء المسمَّيات نام فخلق الله من ضلعه الأيسر امرأةً، فلما صحا وجدها بجانبه، فقال لها مَن أنت؟ قالت: امرأة، قال: ولِمَ خلقت؟ قالت: لتسكن إليَّ، قالت له الملائكة - ينظرون ما يبلغ علمه-: ما اسمها يا آدم؟ قال: حوَّاء، قالوا: لِمَ سمِّيت حوَّاء، قال: لأنها خلقت مِن حيٍّ.

وفي "الصحيحين" عن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**اسْتَوْصُوا بالنِّسَاءِ، فإنَّ المرأةَ خُلِقَتْ مِن ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيءٍ في الضِّلَعِ أَعْلاهُ، إن ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وإن تَرَكْتَهُ لم يَزَلْ أَعْوَجَ، اسْتَوْصُوا بالنِّساءِ خيرًا**». وفي رواية لمسلم: «**فإن ذهبتَ تُقيمَها كَسَرْتَها وكَسْرُها طَلاقُها**».

وقال ابن عبَّاسٍ: «إنما سمِّيت المرأة مرأةً لأنها خُلقت من المرء، وإنما سمِّيت حوَّاء لأنها أمُّ كلِّ حيٍّ». رواه أبو الشيخ ابن حَيَّان وابن عساكر.

(**نكتة علمية**): أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتمٍ والبيهقيُّ في "الشعب" عن ابن عبَّاسٍ قال: «خُلقت المرأة من الرجل فجعلت نهمتها في الرجال، فاحبسوا نساءكم، وخُلق الرجل من الأرض فجعلت نهمته في الأرض». يعني الحراثة والبناء واستخراج ما في بطنها من الكنوز والمعادن.

سكنى آدم وزوجه الجنة

بعد أن طرد الله الشيطان من الجنة لكفره وتكبُّره على أمر الله أمر آدم بسُكْنَى الجنَّة: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا ﴾ أي هنيًّا ﴿ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٣٥].

أباح الله لهما سُكْنَى الجنة والأكل من ثمارها ومن جميع ما فيها من غير مشقَّةٍ ولا تعبٍ يلحقهما في الحصول على ما يريدان من طعامٍ وشرابٍ إلَّا شجرةً واحدةً حرَّمها عليهما واختلف في تعينها فقيل الحنطة وقيل النخلة، وقيل التين، وقيل غير ذلك. وهذا من الخلاف الذي لا طائل تحته؛ لأنه لا يتعلَّق بتعينها حكمٌ شرعيٌّ ولا فائدةٌ تاريخيةٌ، وإلَّا لعيَّنها القرآن الكريم.

وفي آيةٍ أخرى: ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾ [طه: ١١٧ - ١١٩].

وفي المقابلة بين الجوع والعري والظمأ والضحاء مناسبةٌ لطيفةٌ، هي أنَّ

الجوع ذلُّ الباطن والعري ذلُّ الظاهر وبعبارةٍ أخرىٰ الجوع خلو الباطن من الطعام، والعري خلو الظاهر من الثياب، كما أنَّ الظمأ حرُّ الباطن والضحاء حرُّ الظاهر.

(نكتة علمية): في قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ أي تتعب في الحصول علىٰ المعيشة وما يتعلَّق بها إشارةٌ واضحةٌ علىٰ اختصاص الرجل بشؤون الحياة ومتاعبها ومشاقِّها خارج المنزل، أمَّا المرأة مكانها البيت، لا شأن لها بالسياسة ولا بالعمل الذي يدعو إلىٰ اختلاطها بالرجال، ويكفيها أن تُعنَىٰ بإدارة منزلها، وتربية أطفالها والعناية بهم حتىٰ يكونوا عُدَّة المستقبل، وهذا واضحٌ في قوله: ﴿فَتَشْقَىٰٓ﴾ حيث أسند الشقاء إلىٰ آدم دون حوَّاء، مع ملاحظة توجيه الخطاب إليها معه في سكنىٰ الجنَّة، والأكل من ثمرها، وتحريم شجرةٍ منها، والخروج من الجنة ؛ لأن هذه الأشياء يصح اشتراكهما فيها.

الجنة التي سكنها آدم عليه السلام

اختلف العلماء في الجنة التي سكنها آدم وحواء عليهما السلام، فالجمهور علىٰ أنها التي في السماء وهي جنَّة المأوىٰ التي أعدها الله دار ثواب لعباده المؤمنين.

وقيل: جنَّةٌ أخرىٰ غير جنة الخلد؛ لأنه كُلِّف فيها ونام ودخل عليه إبليس فيها، وهذا ينافي أن تكون جنَّة الخلد.

وهذا القول محكيٌّ عن أُبيِّ بن كعب وابن عبَّاسٍ ووهب بن مُنبِّه وسفيان بن عُيَيْنَة، واختاره ابن قتيبة في كتاب "المعارف"، وحكاه الرازي في "تفسيره" عن أبي القاسم البلخيِّ وأبي مسلمٍ الأصفهانيِّ، ونقله القرطبيُّ في "تفسيره" عن

المعتزلة والقَدَرية، ثُمَّ اختلف أصحاب هذا القول على رأيين:

أحدهما: أنها كانت في السماء لقوله تعالى: ﴿ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا﴾ وهو رأي الحسن البصريِّ.

ثانيهما: أنها كانت في الأرض في جهةٍ عاليةٍ منها؛ وهو قول أكثرهم، واختاره القاضي منذر بن سعيد البلوطيُّ الأندلسيُّ في "تفسيره"، ثُمَّ أفرد له كتابًا مستقلًا أطال فيه الاستدلال، وحكاه عن أبي حنيفة وأصحابه.

قال القاضي الماورديُّ في "تفسيره": «واختلف في الجنَّة التي أُسكناها - يعني آدم وحواء- على قولين:

أحدهما: أنها جنة الخلد.

الثاني: جنَّةٌ أعدَّها الله لهما وجعلها دار ابتداء، وليست جنة الخلد التي جعلها الله دار جزاء. ومن قالوا بهذا اختلفوا على قولين:

أحدهما: أنها في السماء لأنه أهبطهما منها؛ وهذا قول الحسن.

والثاني: أنها في الأرض لأنه امتحنهما فيها بالنهي عن الشجرة التي نهيا عنها دون غيرها من الثمار، وهذا قول ابن بحرٍ، وكان ذلك بعد أمر إبليس بالسجود لآدم، والله أعلم بالصواب من ذلك».اهـ

وممن حكى الخلاف في المسألة أيضًا أبو محمد ابن حزمٍ في "الملل والنحل" وأبو محمد ابن عطية في "تفسيره"، وأبو عيسى الرمانيُّ في "تفسيره"، والإمام الرازي في "تفسيره"، وابن القيِّم في "حادي الأرواح" وأطال في ذكر أدلة القولين ولم يصرِّح بترجيح أحد القولين، فكأنه مال إلى التوقف كما مال إليه أبو الحسن الماوردي في عبارته السابقة.

واختاره الإمام الرازي في "تفسيره"، وجعله قولًا رابعًا حيث قال: «والقول الرابع أنَّ الكل ممكنٌ، والأدلة متعارضةٌ، لأنه لم يسلم دليل لأحد الأقوال من احتمال قويٍّ، أو معارضةٍ جيدةٍ تمنع التمسُّك بظاهره».

على أنَّ هذا الخلاف لا يمس العقيدة، ولا ينبني عليه حكمٌ شرعيٌّ، وإنما الذي يجب اعتقاده: أنَّ الجنة والنار مخلوقتان الآن، للأدلة الدالة على ذلك من الكتاب والسُّنَّة المتواترة.

وسوسة الشيطان لآدم وحواء

قال الله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [البقرة: ٣٦].

ومعنى ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾: أزالهما ونحَّاهما عن الجنَّة لأنهما حين أكلا من الشجرة أهبطهما الله من الجنة. وبيان ذلك أنَّ الشيطان عرض أولًا لآدم عليه السلام يُزَيِّن له الأكل من الشجرة فلم يَنْجَع فيه، فيمَّم نحو حوَّاء عليها السلام فسمعت كلامه وأكلت من الشجرة وزيَّنتها له حتى أكل منها.

وفي "صحيح البخاري" عن أبي هريرة عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لولا بنو إسرائيلَ لم يخنزْ اللحمُ ولولا حوَّاءُ لم تخن أنثى زوجها**».

أمَّا بنو إسرائيل فكانوا نهوا عن ادِّخار لحم السَّلْوَى فادَّخروه جَشَعًا وحِرْصًا فعوقبوا بخَنْزِه، أي نتنه.

وقيل في معناه: لولا أنهم سَنُّوا ادِّخار اللَّحْم حتى أنتن لما ادُّخر فلم ينتن. وفي "الحلية" عن وهب ابن مُنبِّهٍ قال: في بعض الكتب: لولا أني كتبتُ الفسادَ على الطَّعامِ لخَزَّنه الأغنياءُ عن الفقراء.

وأمَّا حوَّاء فكانت خيانتها أنها زيَّنت لزوجها الأكل من الشجرة حتى

أوقعته في المحذور، ثُمَّ سرت الخيانة في بناتها بحكم الوراثة، وإن كانت الخيانة تختلف في كلٍّ أنثىٰ بحسبها.

وفي حديثٍ ضعيفٍ رواه البيهقيُّ في "دلائل النبوة" عن ابن عمر مرفوعًا: «**فُضِّلْتُ على آدمَ -عليه السَّلام- بخَصْلَتَيْنِ: كان شَيْطَاني كافِرًا فأعانني اللهُ عليه حتَّى أَسْلَمَ، وكُنَّ أَزْوَاجي عَوْنًا لي، وكان شَيْطَانُ آدمَ كافِرًا وزَوْجَتُهُ كانتْ عَوْنًا لَهُ على خَطِيئَتِهِ**».

وروىٰ ابن عساكر عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم قال: ذكر آدمُ محمدًا رسول الله عليهما الصلاة والسلام فقال: «إنَّ أفضل ما فُضِّل به عليَّ ابنِي صاحب البعير أنَّ زوجته كانت عَوْنًا له علىٰ دينه، وكانت زوجتي عَوْنًا لي علىٰ الخطيئة».

ولا تفهمنَّ مِن خيانة حوَّاء عليه السلام إتيان الفاحشة فإنَّ هذا الفهم باطلٌ لوجوهٍ:

منها: أنه لم يكن معها في الجنَّة مخلوقٌ غير زوجها.

ومنها: أنَّ زوجها نفسه لم يقربها إلَّا بعد الخروج من الجنَّة كما جاء في بعض الآثار[1].

ومنها: أن حوَّاء عليها السلام من جملة النِّساء اللَّاتي قيل بنبوتهنَّ[2].

---

(١) ونحن لا نرىٰ مانعًا من قربانه لها في الجنَّة كما قيل بذلك أيضًا بل قد قيل إنَّ قابيل وُلِدَ في الجنَّة.

(٢) وهنَّ حوَّاء، وأمُّ موسىٰ، وسارة أمُّ إسحاق، ومريم أمُّ عيسىٰ عليهم السلام، قال بنبوتهنَّ ابن حزمٍ وجماعةٌ من العلماء، والجمهور علىٰ أنَّ النبوة خاصَّةٌ بالرجال، قال

والمقصود أنها خانت زوجها بحمله على الأكل من الشجرة، فلمَّا أكلا منها نزع عنهما لباسهما الذي كانا يلبسانه في الجنَّة فبدت لهما سوءاتهما وطَفِقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ليسترا عوراتهما.

قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآ ﴾ [الأعراف: ٢٧]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ﴾ [طه: ١١٨].

ففي هاتين الآيتين دليلٌ على أنهما كانا كاسيين في الجنَّة حتى وقعا في الخطيئة فعوقبا بنزع لباسهما، ثُمَّ أمر الله آدم وحوَّاء وإبليس بالهبوط إلى الأرض مع الإخبار بثبوت عداوة بعضهم لبعضٍ، وهي ساريةٌ في ذريَّتهم، فقال الله تعالى: ﴿ قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٣٨].

والصحيح أنَّ الأمرين بالهبوط واحدٌ غير أنه نيط بالأول الإخبار بثبوت عداوة بعضهم لبعضٍ، وبالثاني الاشتراط عليهم أنَّ مَن اتبع هداه الذي ينزله بعد ذلك[1] سعد وفاز، ومن أعرض عنه شقي وهلك.

في "بدء الأمالي":

وما كانَتْ نَبِيًّا قَطُّ أُنْثَى ... ولا عَبْدٌ وشَخْصٌ ذو افتعَال

ولشقيقنا الحافظ أبي الفيض كتاب "الائتساء بإثبات نبوة النساء".

(١) قال أبو العالية: «الهدى: الأنبياء والرسل والبيان».

وهذا من الحِكْمة في تكرار الأمر بالهبوط، وقد جُمعا معًا في قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ [طه: ١٢٣] وهو يؤيِّد ما أبديناه.

أمَّا قوله: ﴿ٱهْبِطَا﴾ بالتثنية، فالخطاب فيه موجه لآدم وإبليس، وحوَّاء تابعة لآدم عليهما السلام، ومُنطويةٌ تحت لوائه.

كيف توصل الشيطان إلى الوسوسة؟

سؤال تردَّد على الألسنة والشِّفاه، وإشكالٌ لم يجد المُستشكِل له حلًّا يرضاه، وعرض له المُفسِّرون وغيرهم بأجوبةٍ لا تروي غليلًا، ولا تشفي عليلًا.

فقيل: أنه كلَّمهما في الأرض وهما في السماء فسمعا كلامه ووسوسته.

وقيل: كلَّمها من باب الجنَّة.

وقيل: دخل في فم الحية، ويحكون في ذلك حكايةً طويلةً مأخوذةً من الإسرائيليَّات.

وفي "الحلية" بإسنادٍ ضعيفٍ عن ابن عبَّاسٍ مرفوعًا: «قال إبْلِيسُ لرَبِّهِ عزَّ وجلَّ: يا ربِّ قد أُهْبِطَ آدَمُ، وقد عَلِمْتُ أَنَّهُ سيكون له كتابٌ ورُسُلٌ، فما كتابُهُمْ ورُسُلُهُمْ؟ قال اللهُ تعالى: رُسُلُهُمُ الملائكةُ والنَّبيُّون منهم، وكُتُبُهُمُ التَّوراةُ والإنجِيلُ والزَّبُورُ والفُرْقَانُ، قال: فما كتابي؟ قال: كتابك الوَشْمُ، وقُرْآنُكَ الشِّعْرُ، ورُسُلُكَ الكَهَنَةُ، وطعامُكَ ما لم يُذْكَرِ اسمُ الله عليه، وشَرَابُكَ كُلُّ مُسْكِرٍ، وحَدِيثُكَ الكذبُ، وبيتك الحَمَّامُ، ومَصَائِدُكَ النِّسَاءُ، ومُؤَذِّنُكَ المِزْمَارُ، ومَسْجِدُكَ الأَسْوَاقُ».

وقيل: أوقع في قلبهما الوسوسة بطريق الإلهام مع بعده عنهما، وقيل غير ذلك.

والصواب في الجواب: أنه دخل الجنَّة عاصيًا، ووسوس لهما مشافهةً.

ذلك أنَّ الأمر نوعان:

الأول: أمرٌ تكليفيٌّ يوجب الفعل على المُكلَّف مع بقاء اختياره في أن يفعل وأن لا يفعل.

مثلًا قوله تعالى: ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء: ١٠٣] يوجب الصلاة على عموم المكلَّفين مع بقاء اختيارهم في أن يصلُّوا فيفوزوا برضا الله، وأن لا يصلُّوا فيبوؤا بغضب الله، ولا إجبار فيه، ولهذا تجد كثيرًا من المكلَّفين لا يصلُّون، وهكذا سائر الأوامر التكليفية في القرآن والسُّنَّة.

الثاني: أمرٌ تكوينيٌّ أو قدريٌّ، وهو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] وهذا لابد من وقوعه حتمًا من غير أن يكون للشخص في وقوعه اختيار أو إرادة، نحو قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [البقرة: ٦٥] فكانوا قِرَدَةً. لا يجوز أن يقع غير ذلك.

ولا شك أنَّ قوله تعالى للشيطان: ﴿فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [الحجر: ٣٤] ﴿فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ [الأعراف: ١٣] من النوع الأول، وهو نظير أمره بالسجود لآدم عليه السلام، فكما أنه عصى بترك السجود، كذلك عصى بدخول الجنَّة بعد أمره بالخروج منها.

وفي قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ

﴿ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: ١١٧] إشارةٌ واضحةٌ إلى أنَّ في إمكانه دخول الجنَّة، وتمكنه من إخراجهما بوسوسته، ولو لم يكن قادرًا على ذلك لما حذَّرهما الله منه.

وقد جعل ابن القيِّم وابن كثيرٍ الأمر بخروج الشيطان، من النوع الثاني، وهو سهوٌ منهما عما قرَّرناه.

ومما يؤيِّد أنه من النوع الأول اقترانه بالتعليل ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾، ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾، والتعليل لا يقترن إلَّا بالأمر التكليفيِّ، لبيان سبب توجيهه إلى المكلَّف أو لترغيبه في امتثاله.

ولا ريب في أنَّ سبب أمر الشيطان بالخروج من الجنَّة كونه رجيمًا، وكونه تكبَّر في مكانٍ لا ينبغي فيه التكبُّر كما أفادته الآيتان السابقتان، أمَّا الأمر التكوينيُّ فلا يمكن اقترانه بالتعليل؛ لأنه لا دخل فيه لفعل الشخص ولا لاختياره كما سبق.

كيف وقعت المخالفة من آدم عليه السلام

سؤالٌ طالما خاض الناس في السؤال عنه، ملتمسين المخرج مما فيه من إشكال، وكلٌّ قال حسب اجتهاده وما ظهر له صوابه.

فقيل: أكل من الشجرة وهو سكران، وهذا قولٌ باطلٌ، حكيناه لنُنبِّه على فساده.

وقيل: أكل من جنس الشجرة لا من عينها، كأنَّ إبليس غرَّه بالأخذ بالظاهر.

وهذا ضعيفٌ لمخالفته لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ [البقرة: ٣٥] فهذا تعيينٌ لشجرةٍ بعينها.

وقيل: حمل النهي على التنزيه دون التحريم، وهو ضعيفٌ أيضًا؛ لأن قوله تعالى: ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥] قرينةٌ على التحريم.

وقيل: أكل متأوِّلًا لرغبة الخلد؛ لأن الله حين أباح له الجنَّة يأكل منها رَغَدًا حيث شاء، وأخبره أنه لا يجوع فيها ولا يَعْرَى ولا يظمأ فيها ولا يَضْحَى لم يُشِر إلى خلوده فيها، فوسوس إليه الشيطان من هذه الجهة.

وهو ضعيفٌ أيضًا، إذ كيف يقال له: «لا تأكل منها فتكون من الظالمين»، ثُمَّ هو يرجو أن يكون من الخالدين؟!.

وقيل: هو من باب «حسنات الأبرار سيِّئات المقرَّبين»، وهذا كلامٌ خطابيٌّ يُقصَد به الاسترواح، ثُمَّ هو يشتمل على تناقضٍ، فإنَّ الحسنة لا يمكن أن تكون سيِّئةً، لا بالنسبة للمقرَّبين ولا غيرهم.

وقيل: أكل قبل النبوة وهذا ضعيفٌ؛ لأن الله نبَّأه حين علَّمه الأسماء.

وقيل: أكل ناسيًا ؛بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥]، «أي: عهد إليه ألَّا يقرب الشجرة»، كما قال ابن عبَّاسٍ وغيره.

وأخرج عبد الرزاق وابن المنذر والبيهقيُّ في "الأسماء والصفات" عن ابن عبَّاسٍ قال: «خلق الله آدمَ مِن أَدِيمِ الأرضِ يوم الجُمُعَةِ بعد العصر فسمَّاه آدم، ثُمَّ عهد إليه فنسي فسمَّاه الإنسان».

قلت: ثبت أنَّ الله خلق آدم يوم الجمعة، ففي "صحيح مسلم" عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عليه**

الشَّمْسُ يومُ الجُمُعَةِ، فيه خُلِقَ آدمُ، وفِيهِ أُدْخِلَ الجَنَّةَ، وفيه أُخْرِجَ منها، ولا تَقُومُ السَّاعَةُ إلَّا في يومِ الجُمُعَةِ».

وفي "سنن الترمذيِّ" و"مستدرك الحاكم" عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «لَمَّا خَلَقَ الله آدَمَ مَسَحَ ظَهْرَهُ، فسَقَطَ مِن ظَهْرِهِ كُلُّ نَسَمَةٍ هو خَالِقُها مِن ذُرِّيَّتِهِ إلى يومِ القِيامَةِ، وجعل بين عَيْنَيْ كلِّ إنسانٍ منهم وَبِيصًا مِن نُورٍ، ثُمَّ عَرَضَهُمْ على آدَمَ فقال: أيْ رَبِّ، مَن هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذُرِّيَّتُكَ، فرأى رَجُلاً منهم فأَعْجَبَهُ وبِيصُ ما بين عَيْنَيْهِ، فقال: أيْ رَبِّ مَن هذا؟ فقال: هذا رَجُلٌ مِن آخِرِ الأُمَمِ مِن ذُرِّيَّتِكَ يُقالُ له داودُ فقال: رَبِّ كم جَعَلْتَ عُمْرَهُ؟ قال: سِتِّينَ سَنَةً، قال: أيْ رَبِّ، زِدْهُ مِن عُمْرِي أربعينَ سَنَةً، فلمَّا قُضِيَ عُمْرُ آدَمَ جاءَهُ مَلَكُ الموتِ، فقال: أَوَلَمْ يَبْقَ مِن عُمْرِي أربعون سَنَةً؟ قال: أَوَلَمْ تُعْطِها ابنَكَ داودَ قال: فجَحَدَ آدَمُ فجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ، ونَسِيَ آدَمُ فنسِيَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وخَطِئَ آدمُ فخَطِئَتْ ذُرِّيَّتُهُ». قال الترمذيُّ: «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ»، وصحَّحه الحاكم على شرط مسلمٍ.

وللحديث طرقٌ جاء في بعضها: قال: «فأَخْرَجَ اللهُ الكتاب وأقام عليه البَيِّنة -يعني بهِبَتِهِ لداود- فأتمَّها لداود مائة سنة وأتمها لآدم عمره ألف سنةٍ».

والمقصود: أنَّ آدم عليه السلام أكل من الشجرة ناسيًا غير متعمِّدٍ مخالفة ما نهاه الله عنه. وهذا هو الجواب الصحيح المؤيَّد بالأدلة.

فإن قيل: إذا كان الأمر كذلك، فَلِمَ وسمه الله بالعصيان في قوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢١ - ١٢٢]؟

فالجواب: أنَّ المحذور هو أن يقع الشخص في الذنب عامدًا إليه مقتحمًا له مع العلم به، وقد عصم الله آدم من هذا ونزَّهه عنه.

قال القاضي أبو بكر ابن العربي المعافري: «إنَّ الباري سبحانه وتعالىٰ بحكمه النافذ وقضائه السابق، أسلم آدم إلىٰ المخالفة، فوقع فيها متعمِّدًا ناسيًا، فقيل في تعمُّده: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ وقيل في بيان عُذْره: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ﴾. ونظيره أن يحلف الرجل لا يدخل دار أبدًا، فيدخلها متعمِّدًا ناسيًا ليمينه، أو مخطئًا في تأويله، فهو عامِدٌ ناسٍ، ومتعلق العمد غير متعلق النسيان وجاز للمولىٰ أن يقول في عبده: «عصىٰ» تحقيرًا وتعذيبًا ويعود عليه بفضله فيقول: «نسي» تنزيهًا.

ولا يجوز لأحدٍ منا أن يخبر بذلك عن آدم إلَّا إن ذكرناه في أثناء قول الله عنه، أو قول نَبِيِّه، وأمَّا أن نبتدئ في ذلك من قِبَل أنفسنا فليس بجائزٍ لنا في آبائنا الأدنين إلينا المماثلين لنا، فكيف بأبينا الأقدم الأعظم النبي المقدَّم الذي عذره الله وتاب عليه وغفر له؟!».اهـ وهو حسنٌ جيِّدٌ.

يُضاف إليه أنَّ المؤاخذة بالنِّسيان رفعت عن هذه الأُمَّة.

فقد ورد عن أبي ذرٍّ وثوبان وابن عبَّاسٍ وغيرهم من طرق عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ اللهَ تَجاوزَ عن أُمَّتي الخطأ والنِّسيان وما اسْتُكْرِهُوا عليه**».

وروىٰ ابن أبي حاتمٍ من طريق أبي بكر الهذلي، عن شهر، عن أم الدرداء، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ اللهَ تَجاوَزَ لي لأُمَّتي عن ثلاث: عن الخطأ والنِّسيان والاسْتِكْراه**».

قال أبو بكر: فذكرت ذلك للحسن فقال: أجل أما تقرأ بذلك قرآنًا: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وفي "صحيح مسلم" عن أبي هريرة في نزول: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] «**قال الله: نعم**».

وفيه أيضًا عن ابن عبَّاسٍ: «**قال الله: قد فعلت**».

وفي "صحيح مسلم" أيضًا عن أبي هريرة، عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ اللهَ تَجاوَزَ لأُمَّتي ما حَدَّثَتْ به أنفُسَها ما لم يَتكَّلموا أو يَعْمَلُوا به**».

قال الأُبِّيُّ في "شرح مسلم": «في العتبية: قال رجل من أصحاب عيسى لعيسى عليه السلام: إنك تمشي على الماء!، فقال له عيسى: وأنت إن كنت لم تخط تمشي على الماء، فقال: لم أخط خطيئة قطُّ، فقال له عيسى عليه السلام: فامشِ على الماء، فمشى ذاهبًا فلمَّا رجع غرق ببعض الطريق، فدعى عيسى عليه السلام فأخرجه، فقال له عيسى: ألم تزعم أنك لم تخط؟ فقال: لم أخط قطُّ، ولكن وقع في نفسي أني مثلك. قال ابن رشدٍ في "البيان": «هذا الذي عوقب به صاحب عيسى عليه السلام، تجاوز الله سبحانه لهذه الأُمَّة عنه».اهـ» قال الأُبِّي: «وكذلك نصَّ غيره على أنه خاصٌّ بهذه الأُمَّة».اهـ

لطيفتان

(**اللطيفة الأولى**): روى البيهقيُّ في "الشعب" عن عبدالله المغربي يقول: «تفكَّر إبراهيم عليه السلام ليلةً من الليالي في شأن آدم عليه السَّلام قال: يا رب خلقته ونفختَ فيه من روحك، وأسجدتَ له ملائكتك، ثمَّ بذنبٍ واحدٍ

ملأتَ أفواه الناس حتىٰ يقولوا: {وعصىٰ آدم ربه فغوىٰ} [طه: ١٢١] قال: فأوحىٰ الله أن يا إبراهيم أما علمت أن مخالفة الحبيب علىٰ الحبيب شديدةٌ».

قلت: في هذا الأثر عبرةٌ بالغةٌ تفيد أنَّ الله يكره من أحبابه أن يُخالفوه، ولذا أعلن مخالفة آدم عليه السلام، ليحرصوا علىٰ تجنُّب المخالفة لله إن أرادوا أن يكونوا أحبابه(١).

(اللطيفة الثانية): روىٰ الزبير بن بكار في "الموفقيات" عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: سألت عمر عن قول الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ [المائدة: ١٠١]. قال: كان رجالٌ من المهاجرين في أنسابهم شيءٌ فقالوا يومًا: والله لوددنا أن الله أنزل قرآنًا في نسبنا، فأنزل الله ما قرأتَ. ثُمَّ قال: إنَّ صاحبكم -يعني عليًّا عليه السلام- إن وَلِي زهد، ولكن أخشىٰ عجب نفسه(٢) أن يذهب به.

---

(١) ومن الإشارات في هذا المعنىٰ ما ذكره ابن القيم في كتاب "الفوائد" حيث قال: «تالله ما نفعه عند معصيته عِزُّ ﴿ٱسْجُدُواْ﴾ ولا شَرَف ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ﴾ ولا خِصِّيصَة ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾ ولا فَخْر ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾، وإنما انتفع بذُل ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا ﴾. لما لبس درع التوحيد علىٰ بدن الشكر، وقع سهم العدو -يعني إبليس- منه في غير مقتل، فجرحه، فوضع عليه جبار الانكسار فعاد كما كان، فقام الجريح كأن لم يكن به قَلَبَة».اهـ.

«قَلَبَة» بفتحات: ألم.

(٢) في هذا التعبير تجاوزٌ وتسامحٌ، فلم يكن عند عليٍّ عليه السلام إعجاب بنفسه، ولا زهو

قلت: يا أمير المؤمنين إنَّ صاحبنا من قد علمت، والله ما نقول إنه غيَّر ولا بدَّل ولا أسخط رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أيام صحبته.

فقال: ولا في بنت أبي جهلٍ وهو يريد أن يخطبها على فاطمة؟

قلت: قال الله في معصية آدم عليه السلام ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥] وصاحبنا لم يعزم على إسخاط رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ولكن الخواطر التي لم يقدر أحدٌ على دفعها بنفسه، ربما كانت من الفقيه في دين الله العالم بأمر الله، فإذا نُبِّه إليها رجع وأناب.

فقال: يا ابن عبَّاسٍ! من ظن أنه يَرِد بحوركم فيغوص فيها معكم حتى يبلغ قعرها فقد ظنَّ عجزًا.

في الأثر تقرير عمر لزهد عليٍّ، واعترافه بسعة علوم آل البيت النبويِّ،

بحاله، كما شهد له رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقد قال الزبير لرسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: لا يدع ابن أبي طالب زهوه، فردَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّه ليس به زَهْوٌ ولتُقاتِلَنَّهُ وأنتَ له ظالمٌ**»؛ يشير إلي وقعة الجمل، ولكنها الثقة والاعتداد، ثقةٌ بشجاعته الفائقة، واعتدادٌ بعِلْمِهِ الذي لم يبلغ شأوه فيه أحدٌ. قال ابن عبَّاسٍ: سلم الصحابة لعليٍّ تسعة أعشار العلم، وشاركهم في العشر العاشر. فهذه الثقة والاعتداد يسميها مثل عمر والزبير رضي الله عنهما إعجابًا وزهوًا، على سبيل التجوُّز، ولكن الحاسدين والحاقدين يتخذون مثل هذه التسمية منقصةً له عليه السلام، وقد برَّأه الله من ذلك وطهَّره، كيف وقد نزل فيه وفي ولديه الحسن والحسين وزوجه فاطمة عليهم السلام، قول الله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

بحيث يعجز من حاول بلوغ مداها، وفيه ما يتعلَّق بمسألتنا أن ابن عبَّاسٍ يروي في قوله تعالىٰ: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ أن معناه: لم نجد له عزمًا علىٰ المعصية، وفي هذا تأكيدٌ بالغٌ لمعنىٰ النِّسيان الذي رجَّحناه وأيَّدناه.

توبة آدم عليه السلام

قال الله تعالىٰ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧] فما هي تلك الكلمات التي تلقَّاها؟

في تعيينها أحاديث وآثار:

منها: ما روي عن مجاهدٍ وسعيد بن جُبيرٍ وأبي العالية والربيع بن أنسٍ وقتادة والحسن ومحمد بن كعبٍ وخالد بن معدان وعطاءٍ الخراسانيِّ وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم أنهم قالوا: هي قوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

ومنها: ما رواه الحاكم وصحَّحه: عن ابن عبَّاسٍ في قوله: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾: «قال: أي ربِّ ألم تخلقني بيدك؟ قال: بلىٰ، قال: أي ربِّ ألم تَنفُخ فيَّ مِن رُوحك؟ قال: بلىٰ، قال: أي ربِّ ألم تسبق إليَّ رحمتك قبل غضبك؟ قال: بلىٰ، قال: أي ربِّ أرأيت إن تبتُ وأصلحتُ أراجِعي أنت إلىٰ الجنَّة؟ قال: نعم».

ومنها: ما رواه الطبرانيُّ في "الأوسط" والبيهقيُّ في "الدعوات" وابن عساكر بسند لا بأس به: عن بريدة رضي الله عنه: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لمَّا أهبطَ اللهُ آدمَ إلى الأرضِ طافَ بالبيتِ أسبوعًا وصلَّى حِذاءَ البيتِ ركعتين، ثُمَّ قال: اللهمَّ أنتَ تَعْلَمُ سِرِّي وعَلانِيتي، فاقبل مَعْذِرَتي،**

وتَعْلَمُ حاجَتي فأعْطِني سُؤْلي، وتَعْلَمُ ما عندي فاغْفِرْ لي ذَنْبِي، أسألك إيمانًا يُباشِر قَلْبي، ويَقِينًا صادقًا حتى أعلم أنه لا يُصِيبني إلَّا ما كتبتَ عليَّ، ورَضِّني بقضائك.

فأوحى الله: يا آدم إنك دعوتنا بدعاءٍ فاستجبتُ لك فيه، ولن يدعوني به أحدٌ مِن ذُرِيَّتك إلَّا استجبتُ له وغفرتُ له ذنبه وفرَّجتُ همَّه وغَمَّهُ واتجرت له مِن وراء كلِّ تاجرٍ وأتته الدُّنيا راغمةً وإن كان لا يُريدها».

وورد نحوه عن عائشة رضي الله عنها مرفوعًا وموقوفًا.

ومنها: ما رواه أبو نعيم في "الحلية" عن عبيد بن عمير قال: «قال آدم: يا ربِّ أرأيت ما أتيتُ أشيء كتبته عليَّ قبل أن تخلقني، أو شيءٌ ابتدعته على نفسي؟ قال: بل شيءٌ كتبته عليك قبل أن أخلقك. قال: يا ربِّ فكما كتبته عليَّ فاغفره لي. فذلك قوله: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾

ومنها: ما رواه الطبرانيُّ والحاكم والبيهقيُّ وابن عساكر، من طريق عبدالرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن جدِّه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «لَمَّا اقْتَرَفَ آدَمُ الخَطِيئَةَ قال: يا ربِّ أسألُكَ بحَقِّ محمَّدٍ لما غَفَرْتَ لي، فقال الله: يا آدمُ، وكيف عَرَفْتَ محمَّدًا ولم أَخْلُقْهُ؟ قال: يا رَبِّ، لأَنَّك لَمَّا خَلَقْتَني بيدِك ونَفَخْتَ فيَّ مِن رُوحِك رَفَعْتُ رأسي فرأيتُ على قوائمِ العرشِ مَكْتُوبًا لا إلهَ إلَّا الله محمَّدٌ رسولُ الله فعَلِمْتُ أَنَّك لم تُضِفْ إلى اسمِك إلَّا أحبَّ الخَلْقِ إليك، فقال اللهُ: صَدَقْتَ يا آدمُ، إنَّهُ لأحبُّ الخَلْقِ إليَّ ادعُني بحَقِّهِ فقد غَفَرْتُ لك ولولا محمَّدٌ ما خَلَقْتُكَ».

قال البيهقيُّ في "دلائل النبوة": «تفرَّد به عبدالرحمن بن زيد بن أسلم من

هذا الوجه، وهو ضعيفٌ».اهـ ووافقه الحافظ ابن كثير في "البداية والنهاية".

وعندي أنه حديثٌ حسنٌ لتأيده بشاهدين:

أحدهما: ما رواه أبو الحسين بن بشران ومن طريقه ابن الجوزيِّ في كتاب "الوفا بفضائل المصطفى" عن ميسرة الفَجْر قال: قلت: يا رسول الله متى كنت نبيًّا؟

قال: «**لَمَّا خَلَقَ اللهُ تعالى الأرضَ واسْتَوَى إلى السَّماءِ فسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَواتٍ، وخَلَقَ العَرْشَ، كَتَبَ على سَاقِ العرشِ: محمَّدٌ رسولُ الله خاتِمُ الأنبياءِ، وخَلَقَ الله تعالى الجنَّة التي أَسْكَنَها آدمَ وحَوَّاءَ، فكتبَ اسمي على الأبوابِ والأوْراقِ والقِبابِ والخِيام، وآدمُ بين الرُّوحِ والجَسَدِ، فلمَّا أَحْياهُ الله تعالى نَظَرَ إلى العرشِ فرأى اسمي، فأَخْبَرَهُ الله تعالى أَنَّه سَيِّدُ وَلَدِكَ. فلمَّا غَرَّهُما الشيطانُ تابا واستَشْفَعا باسمي إليه**». «إسناده قويٌّ» كما قال الحافظ ابن حجرٍ.

ثانيهما: ما رواه ابن المنذر في "تفسيره": عن محمد بن عليِّ بن حسين بن عليِّ بن أبي طالبٍ عليهم السلام قال: «لَمَّا أصاب آدمُ الخَطِيئَةَ عَظُمَ كَرْبُهُ، واشتدَّ نَدَمُهُ، فجاءه جبريلُ، فقال: يا آدمُ، هل أدلُّك على باب تَوْبَتِك الذي يتوبُ اللهُ عليك منه؟ قال: بلى. قال: قُمْ في مَقامِكَ الذي تُناجي فيه ربَّك فمَجِّدْهُ وامْدَحْ، فليس شيءٌ أحب إلى الله مِن المَدْحِ. قال: فأقول ماذا يا جبريل؟ قال: فقل: لا إله إلَّا الله وَحْدَهُ لا شَريكَ له، له المُلْكُ وله الحَمْدُ يُحيي ويُميتُ، وهو حيٌّ لا يموتُ بيده الخَيْرُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ.

ثُمَّ تَبُوءُ بخَطِيئتك فتقول: سبحانك اللهمَّ وبحَمْدِكَ لا إله إلَّا أنتَ ،ربِّ إنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وعَمِلْتُ السُّوء فاغْفِرْ لي إنَّه لا يَغْفِرُ الذُّنوبَ إلَّا أنت، اللهمَّ إنِّي أسألك بجاه محمَّدٍ عَبْدِكَ وكَرَامَتِهِ عليك أن تَغْفِرَ لي خَطِيئتي.

قال: ففعل آدم، فقال الله: يا آدم من علَّمك هذا؟ قال: يا ربِّ إنَّك لَمَّا نَفَخْتَ فِيَّ الرُّوحَ، فقُمْتَ بَشَرًا سَوِيًّا أسمع وأعْقِلُ وأنظُرُ، رأيتُ على ساق عَرْشِكَ مَكْتوبًا: «بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلَّا الله وَحْدَهُ لا شَريك له، محمَّدٌ رسول الله»، فلما لم أرَ على إثْرِ اسمك اسم مَلَكٍ مُقرَّبٍ ولا نبيٍّ مرسلٍ غير اسمه، علمتُ أنَّه أكرم خَلْقِكَ عليك. قال: صَدَقْتَ، وقد تبتُ عليك وغَفَرْتُ لك خطيئتك. قال: فحمد آدم ربَّه وشكره، وانصرف بأعظم سرورٍ، لم ينصرف به عبدٌ من عند ربِّه، وكان لباسه النور

قال الله تعالى: ﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَآ﴾ [الأعراف: ٢٧] ثياب النور. قال: فجاءته الملائكة أفواجًا تُهنِّئه يقولون: لتهنك التوبة يا أبا محمَّدٍ».

وقد يقول قائل: كيف نجمع بين هذه الأخبار؟ وأيها نرجح أنَّ آدم قاله؟

فيقال له: إنما يلجأ إلى الترجيح إذا وجد تدافعٌ بين مضمون الأخبار، وتعذَّر الجمع بينها. وأنت إذا تأمَّلت الآثار السابقة وجدتها متوافِقةً متناسقةً؛ لأنها تشتمل على إقرارٍ بوحدانية الله، وثناءٍ عليه بنِعَمِهِ، واعترافٍ بالذنب، ودعاءٍ وتضرُّعٍ وتوسُّلٍ إليه في قبول التوبة، فلا مانع أن يكون آدم عليه السلام تقرَّب إلى الله بتلك المعاني كلِّها، كما في أثر جعفرٍ الباقر المشتمل على معظمها.

كما جاء عن قتادة في قوله: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ قال: «ذكر لنا أنه قال: يا ربِّ أرأيت إن تبتُ وأصلحتُ؟ قال: فإنِّي إذا أرجعك إلى الجنَّة؟ قالا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾، فاستغفر

آدم ربَّه، وتابَ إليه، فتابَ عليه. وأمَّا عدوُّ الله إبليس فوالله ما تنصَّل مِن ذنبه، ولا سأل التوبة حين وقع بما وقع به، ولكنه سأل النظرة إلى يوم الدِّين، فأعطى اللهُ كلَّ واحدٍ منهما ما سأل». رواه البيهقيُّ في "الشعب".

ففي هذا الأثر إشارةٌ إلى ما قلناه آنفًا، غاية ما في الأمر أنَّ الرواة اقتصر كلٌّ واحدٍ منهم على بعض الكلمات. ولهذا رغَّب أهل الحديث في جمع طرق الحديث واستيفائها ليمكن حصر ألفاظه، وتفهُّم معناه، واقتصار القرآن على قوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ لا ينفي غيره من الكلمات، كما قد يتوهَّم مَن لا تحقيق لديه.

وإنما اقتصر على تلك الكلمة -فيما نرى- ليوازن بين آدم حيث اعترف بذنبه، طالبًا غفران ربِّه، وبين إبليس الذي استمرَّ على عصيانه، طالبًا النظرة ليغوي الناس ويجرُّهم إلى عذاب الله وهوانه.

يضاف إلى ذلك: إنَّ الاعتراف بالذنب هو المقصود من التوبة، وما عداه من الحمد والثناء والتوسل والدعاء فكله استشفاعٌ يقدِّمه العبد بين يدي رغبته، ليحظى بقبول توبته، وفي الأمثال السائرة: مَن أقرَّ بذنبه غَفَرَ اللهُ له.

ومن مقتضيات الإيجاز في أسلوب القرآن الكريم الاكتفاء من الخبر بفائدته، ومن القصة بخُلاصتها.

نبوة آدم عليه السلام

ظهر في هذا الوقت العصيب بعض الدُّخلاء على العِلْم والدِّين بمظهر المصلح المُجدِّد وكان من إصلاحه وتجديده أن أنكر نبوة آدم عليه السلام

فصدق عليه المثل العربي: «أَوَّلُ الدَّنِّ دُرْدِيٌّ».

وحكمت محكمة دمنهور الشرعية بالتفريق بينه وبين زوجه لِرِدَّته بهذا الإنكار، واستأنف في محكمة الإسكندرية واعترف بأنه لم يرَ القرآن ذكر آدم بالنبوة، وأنه يعتقدها ، وهذا اعترافٌ بجهله الفاضح وتقليده الأعمى، وكيف ساغ له أن يعتقد مالا دليل عليه في نظره؟ أليس هذا هو التقليد الأعمى في أقبح صورةٍ ؟!.

ثُمَّ جاء آخر من بعده كتب في قصص الأنبياء فاعترف بنبوة آدم عليه السلام، لكنه توقَّف في رسالته وفوَّض علمها إلى الله تعالى، فوقع في غفلةٍ كبيرةٍ عن دلالة القرآن، وأبان عن جهلٍ بنصوص السُّنَّة وإجماع الأئمَّة، بل مما أكد له عدم رسالته -حسب فهمه- أنه رأى في حديث أبي هريرة في الشفاعة الوارد في "صحيح مسلم" أنَّ الناس يذهبون إلى نوحٍ فيقولون له: أنت أول رسل الله إلى الأرض، قال: «فلو كان آدم رسولًا لما ساغ هذا القول».

قال أيضا: «والعلماء القائلون برسالة آدم يؤوِّلون ذلك بأنه أول رسول بعد الطوفان، وهو تأويلٌ متكلَّفٌ». هذا كلامه.

وهو باطلٌ حسبما يتبيَّن مما يأتي بحول الله تعالى.

دلالة القرآن على نبوته

قال الله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة: ٣١] الآية.

أخبر الله في هذه الآية الكريمة أنه علَّمه أسماء المُسمَّيات بدون واسطةٍ، وأمره أن يُنبئ بها الملائكة عليهم السلام، وهذا تسجيلٌ لنبوَّته.

وقال تعالىٰ: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [البقرة: ٣٥] الآية، ففي هذه الآية أباح الله له وحرَّم عليه بدون واسطة، وهذا تسجيلٌ ثانٍ لنبوَّته، والخطاب متوجِّهٌ لآدم، وحوَّاء تابعة له، وبواسطته توجَّه عليها الخطاب، فهو رسولٌ إليها من هذه الحيثيَّة.

ودليل آخر من القرآن علىٰ رسالته، وهو:

قصة هابيل وقابيل

قال الله تعالىٰ: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾ [المائدة: ٢٧ - ٣١].

ذكر السُّدِّي عن أبي مالكٍ وأبي صالحٍ عن ابن عبَّاسٍ، وعن مُرَّة، عن ابن مسعودٍ، وعن ناسٍ من الصحابة: أنَّ آدم كان يُزوِّج ذكر كل بطنٍ بأنثىٰ الأخرىٰ، وأنَّ هابيل أراد أن يتزوَّج بأخت قابيل، وكان أكبر من هابيل وأخت قابيل أحسن فأراد قابيل أن يستأثر بها علىٰ أخيه وأمره آدم عليه السلام أن يزوِّجه إياها فأبىٰ، فأمرهما أن يُقرِّبا قُرْبانًا وذهب آدم إلىٰ مكَّة ليحج،

واستحفظ السموات على بنيه فأَبَيْن، والأرضين والجبال فأَبَيْن فتقبَّل قابيل بحفظ ذلك فلمَّا ذهب قَرَّبا قربانهما، فقرَّب هابيل جذعةً سَمينةً وكان صاحب غنمٍ، وقرَّب قابيل حِزْمَةً من زرعٍ مِن رديء زَرْعِهِ، فنزلت نارٌ فأكلت قُرْبان هابيل وتركت قُرْبان قابيل، فغضب وقال: ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ حتى لا تنكح أختي فقال: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]، ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ [المائدة: ٣٠] فأتاه وهو نائمٌ فرفع صخرةً فشدخ بها على رأسه، وقيل خنقه خَنْقًا شديدًا وعَضَّه عَضًّا كما تفعل السِّباع.

ثُمَّ ندم فضمَّه إليه حتى أروح -تغيرت رائحته- وعكفت عليه الطير والسِّباع تنتظر متى يرمي به فتأكله، وكره أن يأتي به آدم فيحزنه، فبعث الله غُرابين فاقْتتلا، فقَتَل أحدهما الآخر، ثُمَّ حَفَرَ له بمنقاره وجعل يَحْثي عليه التراب حتى واراه فقال قابيل: ﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِي﴾ [المائدة: ٣١]. وكان أول قتلٍ وقع في الأرض؛ ولهذا لم يهتد لدفن أخيه حتى تعلَّم من الغراب.

وفي "الصحيحين" و"السنن" غير "أبي داود" عن ابن مسعودٍ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا إلَّا كان على ابن آدمَ الأوَّلِ كِفْلٌ مِن دَمِها؛ لأنَّه كان أوَّلَ مَن سَنَّ القَتْلَ**».

وقول الحسن في قوله: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ﴾ [المائدة: ٢٧]: «كانا من بني إسرائيل، ولم يكونا ابني آدم لصلبه وإنما كان القُربان في بني إسرائيل، وكان أول من مات».

باطلٌ وغلطٌ قطعًا إذ كيف يكون من بني إسرائيل ويكون أول من مات؟!! وبين آدم وبني إسرائيل مئات القرون من الزمان مات وقتل فيها ألوف من الناس، فهل بقي أولئك الألوف من غير دفنٍ، حتى تعلَّمه بنو إسرائيل من الغراب ؟!!

والمقصود: أنَّ القصة وقعت لابني آدم لصُلْبه بنصِّ القرآن والحديث الصحيح، إذا عرف هذا فالآية تفيد أنهما قرَّبا إلى الله قُرْبانًا، وأنَّ أحد الأخوين أخبر أخاه بأنَّ الله إنما يتقبَّل من المتقين، وأنه إن قتله يبوء بإثمهما وأنه يكون من أصحاب النار، وأنَّ النار جزاء الظالمين، وأن خوف الله ربِّ العالمين منعه أن يبسط إليه يده بالقتل.

فهذه عِدَّة أحكامٍ دينيَّةٍ شرعيَّةٍ لا تُدرَك ولا تُعرَف إلَّا من طريق رسولٍ، ولا رسول في ذلك الوقت إلَّا آدم عليه السلام، فكان هو الرسول إلى أولاده وأهل بيته، وهذه الدلالة من الوضوح بالمكان الذي لا يخفى.

دلالتان من القرآن أيضًا

قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

في هذه الآية دلالةٌ على رسالة آدم من وجهين:

الأول: في قوله: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ﴾، فإنَّ الإشارة بـ﴿تِلْكَ﴾ إلى الرسل السابق ذكرهم في سورة (البقرة)، وهم آدم وموسى وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وداود.

ثُمَّ أجمل عددهم في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٢].

الثاني: في قوله: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ وهم آدم وموسىٰ والنبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

أمَّا آدم فقد سبق أنَّ الله علَّمه الأسماء، وأمره ونهاه، وكلُّ ذلك بغير واسطةٍ كما سيأتي في الحديث، وأمَّا موسىٰ فلقول الله تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وأمَّا النبيُّ فكان تكليم الله له ليلة المعراج.

دلالة أخرى من القرآن

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣]. ﴿وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ﴾: إسماعيل وإسحاق، و﴿وَءَالَ عِمْرَٰنَ﴾: موسىٰ وهارون.

ومَن فسَّرهما بغير هذا فقد ذَهَلَ؛ لأنَّ الله اقتصر علىٰ هؤلاء لحِكْمةٍ ظاهرةٍ، هي أنَّ آدم أبو البشر، ونوحًا أبوهم الثاني، وإبراهيم جعل الله في ذريَّته النبوة والكتاب بواسطة ولَدَيْه إسماعيل وإسحاق، وموسىٰ أتىٰ بالتوراة فيها تفصيل كلِّ شيءٍ، وأمَّته أكثر الأمم من عهد آدم إلىٰ نبيِّنا عليه الصلاة والسلام، وأنبياء بني إسرائيل بعده كلُّهم تابعون له حتىٰ عيسىٰ عليه السلام، ولهذا لما سمع نفرٌ مِن الجِنِّ القرآنَ من النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: ﴿وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٢٩ - ٣٠].

ولم يشيروا إلى عيسى عليه السلام؛ لأنَّ الإنجيل غالبه مواعظ، وما فيه من الأحكام لا يخرج عن التوراة إلَّا في النادر، كما قال تعالى على لسان عيسى: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠].

إذا عُلِمَ هذا فالاصطفاء في الآية اصطفاء رسالةٍ، كما في قوله تعالى: ﴿يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥].

وقوله تعالى في إبراهيم: ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ [البقرة: ١٣٠] وقوله تعالى في جملةٍ من الرسل: ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ [ص: ٤٧]، وقوله تعالى لموسى: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٤].

ولا يَرِدُ على هذا قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢] فإنَّ هذا ليس اصطفاء رسالةٍ بالإجماع؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾ [النحل: ٤٣ - ٤٤].

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧].

بل قوله: ﴿وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢] يؤكِّد ذلك أيضًا إذ لو كان اصطفاء رسالةٍ لقال: «واصطفاكِ على العالمين»؛ لأن الرسول مُفضَّلٌ على العالمين رجالًا ونساءً كما هو معلومٌ بالضرورة.

وأيضًا فإنَّ الله قال عنها: ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة: ٧٥] وهذا قاطعٌ في أنَّ اصطفاءها ليس اصطفاء رسالةٍ ولا نبوَّةٍ.

دلالة السُّنَّة النبوية

١- روىٰ الترمذيُّ وابن جريرٍ وابن مَرْدُويَه عن أبي سعيدٍ الخدريِّ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أنا سَيِّدُ وَلَدِ آدمَ يَوْمَ القِيامَةِ ولا فَخْرَ، بيَدِي لِواءُ الحَمْدِ ولا فَخْرَ، وما مِن نبيٍّ يومئذٍ آدمَ فمَن سِواهُ إلَّا تحتَ لوائي، وأنا أوَّلُ مَن تَنْشَقُّ عنه الأرضُ ولا فَخْرَ...**» الحديث. قال الترمذيُّ: «حديثٌ حسنٌ».

٢- روىٰ أحمد والنَّسائيُّ عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: أتيتُ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وهو في المسجد فجلستُ فقال: «**يا أبا ذَرٍّ هل صَلَّيْتَ؟**». قلتُ: لا. قال: «**قُمْ فصَلِّ**». فقمتُ فصَلَّيتُ ثُمَّ جلستُ، فقال: «**يا أبا ذَرٍّ تعوَّذْ بالله مِن شَرِّ شياطين الإنسِ والجِنِّ**». قلتُ: يا رسول الله أو للإنس شياطينٌ؟ قال: «**نَعَمْ**». قلتُ: يا رسول الله الصَّلاةُ؟ قال: «**خَيْرٌ موضوعٌ، مَن شاءَ أقلَّ ومَن شاءَ أكثر**». قلت: يا رسول الله فالصومُ؟ قال: «**فرضٌ مُجزئٌ وعند الله مَزيدٌ**». قلت: يا رسول الله فالصَّدَقَةُ؟ قال: «**أضعافٌ مُضاعَفَةٌ**». قلت: يا رسول الله فأيها أفضل؟ قال: «**جُهْدٌ مِن مُقِلٍّ أو سِرٌّ إلى فَقِيرٍ**». قلتُ: يا رسول الله أيُّ الأنبياء كان أوَّل؟ قال: «**آدمُ**» قلتُ: يا رسول الله ونبيًّا كان؟ قال: «**نَعَمْ نبيٌّ مُكَلَّمٌ**». قلتُ يا رسول الله كم المرسلون؟ قال: «**ثَلاثُمائةٍ وبِضْعَةَ عَشَرَ جَمًّا غَفِيرًا**» وقال مرَّةً: «**وخَمْسَةَ عَشَرَ**». قلتُ: يا رسول الله أيما أنزل عليك أعظم؟

قال: «آيةُ الكرسيِّ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾». صحَّحه ابن حِبَّان والحاكم، وسلَّمه الذهبيُّ، وهذا مما رواه المسعوديُّ قبل اختلاطه.

٣- روىٰ ابن حِبَّان في "صحيحه" عن أبي ذرٍّ قال: قلتُ: يا رسول الله كم الأنبياءُ؟ قال: «**مائة ألفٍ وأربعة وعشرون ألفًا**». قلتُ: يا رسول الله كم الرُّسُلُ منهم؟ قال: «**ثلاثمائة وثلاثةَ عَشَرَ جَمًّا غَفِيرًا**». قلتُ: يا رسول الله من كان أولهم؟ قال: «آدمُ». قلت: يا رسول الله نبيٌّ مرسلٌ؟ قال «**نَعَمْ، خَلَقَهُ اللهُ بيده ونَفَخَ فيه مِن رُوحِهِ ثُمَّ سَوَّاه قِبَلًا**».

وافق علىٰ تصحيحه الحافظ ابن كثيرٍ والحافظ ابن حجرٍ. ورواه عبد بن حُميد في "تفسيره" والآجريُّ في "الأربعين".

٤- روىٰ الطبرانيُّ وأبو الشيخ في "العظمة" وابن مَرْدُويَه عن أبي ذرٍّ قال: قلت: يا رسول الله أرأيتَ آدمَ، أنبيًّا كان؟ قال: «**نَعَمْ، كان نبيًّا رَسُولًا، كلَّمه اللهُ قِبلًا، قال له: يا آدمُ اسْكُنْ أنتَ وزَوْجُكَ الجنَّةَ**». والحديث يُشير إلىٰ أنه كان رسولًا إلىٰ زوجته.

٥- روىٰ أحمد، والبخاريُّ في "التاريخ"، والبزَّار، البيهقيُّ في "الشعب": عن أبي ذرٍّ قال: قلت: يا رسول الله أيُّ الأنبياء كان أوَّل؟ قال: «آدمُ». قلت: يا رسول الله ونبيًّا كان؟ قال: «**نَعَمْ، نبيٌّ مُكَلَّمٌ**». قلت: كم كان المرسلون؟ قال: «**ثلاثمائة وخمسة عشر جمًّا غفيرًا**».

٦- روىٰ ابن أبي حاتم، والطبرانيُّ، والبيهقي في "الأسماء والصفات": عن أبي أُمامة رضي الله عنه أنَّ رجلًا سأل رسولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: يا رسول الله أنبيًّا كان آدم؟ قال: «**نَعَمْ، نبيٌّ مُعَلَّمٌ مُكَلَّمٌ**». قال: كم بينه

وبين نوحٍ؟ قال: «**عشرة قرونٍ**» قال: يا رسول الله كم الأنبياء؟ قال: «**مائة ألفٍ وأربعة عشر جمًّا غفيرًا**». صحَّحه ابن حِبَّان والحاكم على شرط مسلمٍ، وسلَّمه الذهبيُّ.

٧- روى أحمد وابن المنذر والطبرانيُّ وابن مَرْدُويَه عن أبي أُمامة: أنَّ أبا ذرٍّ قال: يا نبيَّ الله أيُّ الأنبياء كان أوَّل؟ قال: «آدمُ». قال أوَنبيًّا كان آدم؟ قال «**نَعَمْ، نبيٌّ مُكَلَّمٌ خَلَقَهُ اللهُ بيَدِهِ ثُمَّ نَفَخَ فيه مِن رُوحِهِ ثُمَّ قال له: يا آدمُ، قِبلًا**». قال: يا رسول الله كم عِدَّة الأنبياء؟ قال: «**مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا، الرُّسلُ مِن ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جمًّا غفيرًا**». ولهذه الأحاديث طرقٌ ذكرها الحافظ السيوطيُّ في "الأمالي التفسيرية" بتوسُّعٍ.

وقد زعم بعض الناس أنَّ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨] يعارض بعض هذه الأحاديث التي عينت عدد الأنبياء والرسل.

وهو زعمٌ باطلٌ، ومعاذ الله أن يكون بين القرآن والحديث تناقضٌ وتدافعٌ، والأمر هنا واضحٌ لولا الغفلة أو الغرض، فالحديث عرض لعددهم، والقرآن إنما عرض لقصصهم ولم يُشِر لعددهم، فأين التناقض المزعوم ؟!!

الإجماع

قال ابن حزمٍ في كتاب "مراتب الإجماع" تحت ترجمة: «باب من الإجماع في الاعتقادات يكفر من خالفه بإجماعٍ»، ما نصُّه: «واتفقوا أنَّ كلَّ نبيٍّ ذُكِرَ في القرآن حَقٌّ؛ كآدمَ وإدريسَ ونوحٍ وهودٍ وصالحٍ وشعيبٍ ويونسَ وإبراهيمَ

وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ ويوسفَ وهارونَ وداودَ وسليمانَ وإلياسَ واليسعَ ولوطٍ وزكريَّا ويحيىٰ وعيسىٰ وأيوب وذا الكِفْلِ».اهـ وكذا نقل الإجماع غير واحدٍ من العلماء.

استشكال حول رسالة آدم عليه السلام والجواب عنه

ثبت في "الصحيحين" في حديث الشفاعة الطويل: أنَّ الناس يطلبون من يشفع لهم فيذهبون إلىٰ آدم فيعتذر ويدلهم علىٰ نوحٍ فيذهبون إليه ويقولون: «أنت أوَّل رسول إلىٰ أهل الأرض».

فأخذ بعض الناس من هذا أنَّ آدم ليس برسول، وإلَّا لم يصح ذلك القول منهم، ولو تأمَّلوا لفظ الحديث جيِّدًا لوجدوا فيه جواب ما استغلق عليهم، فإنَّ آدم عليه السلام كان رسولًا إلىٰ زوجه في الجنة وبعد خروجه منها استمرَّت رسالته لأولاده، فلم تتعدَّ رسالته محيط بيته، أمَّا نوحٌ عليه السلام فهو أوَّل رسول إلىٰ أهل الأرض كما في الحديث؛ لأنَّ رسالته تجاوزت أهل بيته وأقاربه إلىٰ الأباعد والأجانب، فكان مرسلًا إلىٰ أُمَّةٍ مِن الناس، سمَّاهم الله قومه كما سمَّىٰ قوم هودٍ وصالحٍ، وكثر فيهم الكفر والعناد واللجاج حتىٰ دعا عليهم بقوله: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٦ - ٢٧].

آدم هو أبو البشر

يزعم بعض الناس أنَّ آدم ليس هو أول النوع الإنساني بل كان قبله أوادم كثيرة، ويستأنسون لهذا الزعم بأمور ثلاثة:

الأول: حديث يروونه عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يفيد هذا المعنى وهو مذكور في "السيرة الحلبية" وغيرها.

الثاني: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] الآية، فآدم إنما خلف غيره من الأمم التي كانت تعمر الأرض قبله وبادت.

الثالث: أنَّ علماء الجيولوجيا يرون بقايا عظام لآدميين تخالف عظام الآدميين الموجودين الآن، يرجع تاريخ وجودها إلى مئات الآلاف من السنين، وأنَّ الجنس الآدميَّ الموجود الآن لا يمتُّ إلى ذلك الجنس الآدميِّ السابق بصلةٍ ولا قرابةٍ.

والذي يقتضيه التحقيق العلميُّ أنَّ آدم عليه السلام هو أبو البشر وأول النوع الإنسانيِّ على وجه الأرض، هذا ما يفيده القرآن والسُّنَّة الصحيحة بل المتواترة، فالقرآن ذكر غير مرةٍ أنَّ الله خَلَقَ آدمَ من طينٍ للدلالة على كمال قدرته، حيث خلق من طينٍ بشرًا سويًّا يسمع ويُبصر ويعقل، ولو كان هناك أوادم آخرون لكان ذكرهم أولى في إفادة هذا المعنى وأوكد.

وانظر إلى عيسى عليه السلام حيث وجد من غير أبٍ كيف شبَّهه الله بآدم فقال: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩] فهذا صريحٌ في أنَّ آدم أول البشر على الإطلاق.

يُضاف إليه مثل قوله تعالى: ﴿ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء: ١].

وقوله تعالىٰ: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ ﴾[الأعراف: ٢٧].

وفي حديث الشفاعة المُخرَّج في "الصحيحين" وغيرهما عن أنسٍ، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أنَّ النَّاسَ يأتون آدمَ فيقولون: أنتَ أبو البشر خَلَقَكَ اللهُ بيَدِهِ...**» الحديث.

وفي "الصحيحين" أيضًا مِن طرقٍ تزيد علىٰ عشرةٍ، عن أبي هريرة وغيره، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في محاجَّة موسىٰ وآدم: «**أنَّ موسى عليه السلام قال لآدمَ: أنتَ أبونا خَيَّبتَنا وأَخْرَجْتَنا مِن الجنَّة...**».

وفي روايةٍ: «**أنتَ أبو البشر...**» الحديث، وسيأتي بتمامه إن شاء الله.

وفي "الصحيحين" أيضًا عن أبي هريرة: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**أوَّل ما يُدْعَى يومَ القِيامَةِ آدمُ، فتراءَى ذُرِّيَّتُهُ، فيقال: هذا أبوكم فيقول: لبَّيكَ وسَعْدَيْكَ. فيقول: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ مِن ذُرِّيَّتِكَ، فيقول: يا ربِّ كم أُخْرِجُ؟ فيقول: أَخْرِجْ مِن كلِّ مائةٍ تسعةً وتسعين**».

فقالوا: يا رسول الله إذا أخذ منا من كلِّ مائةٍ تسعةً وتسعين فماذا يبقىٰ مِنَّا؟! قال: «**إنَّ أُمَّتي في الأُمَمِ كالشَّعْرَةِ البيضاء في الثورِ الأسودِ**».

وعند ابن أبي الدنيا: عن الحسن البصريِّ، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**يقول الله لآدمَ: يا آدمُ، أنتَ اليومَ عَدْلٌ بيني وبين ذُرِّيَّتكَ، قُمْ فانظر ما يُرفَعُ إليك مِن أعمالهم**».

وروىٰ الطبرانيُّ في "المعجم الصغير": عن الحسن البصريِّ قال: خطبنا أبو

هريرة على منبر رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**لَيَعْتَذِرَنَّ الله تعالى يومَ القِيامَةِ إلى آدمَ ثلاثَ مَعَاذِيرَ يقول اللهُ تعالى: «يا آدمُ، لولا أنِّي لَعَنْتُ الكَذَّابينَ، وأَبْغَضْتُ الكَذِبَ والخُلْفَ، وأُعَذِّبُ عليه لرَحِمْتُ اليومَ ولَدَكَ أجمعين مِن شِدَّةِ ما أَعْدَدْتُ لهم مِن العذابِ، ولكن حَقَّ القولُ مِنِّي: لأَنْ كُذِّبَتْ رُسُلِي وعُصِيَ أَمْرِي لأملأنَّ جهنَّمَ مِن الجنَّةِ والنَّاس أجمعين»، ويقول الله عزَّ وجلَّ: «يا آدمُ، اعْلَمْ أنِّي لا أُدْخِلُ مِن ذُرِّيَّتِكَ النَّارَ أحدًا، ولا أُعَذِّبُ بالنَّارِ إلَّا مَن قد عَلِمْتُ بعِلْمِي أنِّي لو رَدَدْتُهُ إلى الدُّنيا لعادَ إلى شَرِّ ما كان فيه، ولم يَرْجِعْ، ولم يَعْتَبْ»، ويقولُ اللهُ: «يا آدمُ، قد جَعَلْتُكَ حَكَمًا بيني وبين ذُرِّيَّتِكَ، قُمْ عند الميزانِ، فانظُرْ ما يُرْفَعُ إليك مِن أعمالهم، فمَنْ رَجَحَ منهم خَيْرُهُ على شَرِّهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فله الجنَّةُ حتَّى تَعْلَمَ أنِّي لا أُدخِلُ منهم النَّارَ إلَّا ظالِمًا»**.

فهذه النصوص صريحةٌ لا تحتمل التأويل، ومثلها نصوصٌ كثيرةٌ لا تكاد تنحصر، فدعوى وجود أوادم قبل آدم دعوى باطلةٌ، تخالف ما هو معلومٌ بالضرورة للمسلمين، بل للمِلِّيين قاطبةً.

وما استأنس به أولئك الزاعمون لا ينهض، أمَّا الحديث الذي أوردوه فهو باطلٌ موضوعٌ لا أصل له بجميع ألفاظه وأمَّا قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] فالمراد به خليفةٌ عن الله في إقامة الأحكام وتبليغ الشرائع، والقيام بحفظ مصالح الخَلْقِ بما يكفل ذلك الحفظ ويصونه، أو خليفة من الجنِّ الذين سكنوا الأرض قبل آدم عليه السلام.

وما بقايا العظام التي تكلَّم عنها الجيولوجيون أنها وجدت لجنسٍ يرجع تاريخه إلى مئات الألوف من السنين إلَّا عظام أولئك الجنِّ وبقاياهم، يؤيِّد هذا ويؤكِّده قولهم أيضًا: «إنَّ بقايا عظام ذلك الجنس لا تمت إلى الجنس الآدميِّ الموجود الآن بصلةٍ أو قرابةٍ»، وهذا صحيحٌ، لاختلاف عنصري الجنسين، فالجنُّ من عنصر النار والإنسان من عنصر التراب، فالجيولوجيون أخطأوا في تسمية ذلك الجنس بالآدميِّ، والصواب أنه الجنُّ كما بينَّا، والله أعلم.

هل أصل الإنسان قرد ؟!!

ظهرت نظرية في البلاد الأوروبية تقول: إنَّ الإنسان أصله قردٌ، ثُمَّ ترقَّى بسبب عوامل مجهولةٍ حتى صار هذا الإنسان، وهي نظرية النشوء والارتقاء التي ابتدعها داروين، وتلقَّفها المفتونون بكلِّ جديدٍ ولو كان سخيفًا باطلًا، كهذه النظرية التي تردُّها دلائل النقل والعقل.

منها: أنَّ نصوص القرآن الكريم صريحةٌ في أنَّ آدم أبو البشر، وأنه مخلوقٌ من طينٍ.

ومنها: ما جاء في "الصحيحين" وغيرهما عن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**خَلَقَ اللهُ آدمَ على صُورَتِهِ، وطولُهُ ستون ذراعًا...**» الحديث. والضمير في صورته يعود على آدم.

وبعض الرواة فهم أنه يعود على الله فوهم، وزاد بعضهم في الوهم وروى الحديث بالمعنى فقال: «**خَلَقَ اللهُ آدمَ على صورة الرحمن**»، وهو وهمٌ مبنيٌّ على وهمٍ، والمقصود: أنَّ الحديث يُشير إلى أنَّ آدم خُلِقَ على صورته الأصلية، لم

يترقَّ مِن قردٍ إلى أن صار إنسانًا، كما لم يتدرَّج في أطوار الصبا والشباب والكهولة والشيخوخة.

ومنها: أنَّ الله جعل عوالم المُكلَّفين ثلاثة: الملائكة والإنس والجن، فالملائكة مِن نورٍ، والجنُّ من نارٍ، والإنس من طينٍ، كما صحَّ في الحديث، بل صرَّح القرآن بذلك في الجنِّ والإنس، فحدَّد لكلِّ عالَمٍ عنصرًا خاصًّا به، منه تكوَّن حسبما اقتضته المشيئة الإلهية، ولو كان الإنسان ترقَّى من قردٍ أو غيره، لبيَّنه الله حينما عرض لبيان عنصري الثقلين، أو لبيَّنه الرسول المبلغ عنه حينما عرض لبيانهما مع بيان عنصر الملائكة، ولا يجوز السكوت عنه أبدًا بحال؛ لأنه إخبارٌ بخلاف الواقع، وإيقاع للناس في الغموض والإشكال، وذلك في حقِّ الله ورسوله محالٌ.

ومنها: أنه لا يجوز في قضايا العقول أن يتطوَّر حيوانٌ ما تطوُّرًا تلقائيًّا يخرج به عن حقيقته إلى حقيقةٍ أخرى تباينها تباينًا تامًّا في الذاتيات والعوارض، فالقرد قردٌ منذ أوجده الله في هذا العالم لم يتحوَّل إلى حيوانٍ آخر فيما مضى، ولن يتحوَّل إليه في المستقبل ولو مضى عليه ملايين السنين، والإنسان إنسانٌ كذلك، والفرس فرسٌ، وهكذا كلُّ ما في هذا العالم من أنواع الموجودات لا يمكن نوع منه أن ينقلب تلقائيًّا إلى نوعٍ آخر يُباينه، اللهمَّ إلَّا ما جاء في القرآن مِن مسخ بعض اليهود قردةً وخنازير، وهذه حالةٌ نادرةٌ جعلها الله عبرةً ونكالًا، كما قال الله تعالى: ﴿ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٦٦].

على أنَّ أولئك الممسوخين لم يعيشوا أكثر من ثلاثة أيام ثمَّ ماتوا ولم يتركوا نسلًا مِن جنس ما مسخوا إليه، والعجيب أنَّ بعض المعاصرين وقف في كتابه "قصص الأنبياء" من هذه النظرية السخيفة موقف التردُّدِ والخَوَرِ، وأبدى استعداده لتأويل القرآن إذا ثبت بالأدلة القاطعة، بل فتح باب التأويل مقدمًا حيث صرَّح بأنَّ: «نصوص القرآن الظاهرة تدل على أنَّ أصل الإنسان آدم، ولم يكن قِردًا» إلخ.

فقوله: «الظاهرة» فتح لباب التأويل على مصراعيه، وهذا منه يدل على فقد إيمانه بعقله، وضعف ثقته بالقرآن، حيث توجَّس أن يأتي يوم تثبت فيه هذه النظرية وتصطدم بنصوصه.

ولكنا نؤمن جازمين أنه لن يأتي يومٌ يكون لها فيه نصيبٌ من الواقع، إلا إذا صار العلم جهلًا، والنور ظلامًا والنهار ليلًا.

أصل نظرية النشوء والارتقاء

قال العلامة ابن خلدون في مقدمة "تاريخه": «اعلم أرشدنا الله وإياك أنا نشاهد هذا العالم بما فيه من المخلوقات كلها على هيئةٍ من الترتيب والإحكام، وربط الأسباب بالمُسبِّبات، واتصال الأكوان بالأكوان، واستحالة بعض الموجودات إلى بعض، لا تنقضي عجائبه في ذلك ولا تنتهي غاياته، وأبدأ من ذلك بالعالم المحسوس الجثماني، وأولا عالم العناصر المشاهدة كيف تدرج صاعدًا من الأرض إلى الماء ثُمَّ إلى الهواء ثُمَّ إلى النار متصلًا بعضها ببعضٍ، وكلُّ واحدٍ منها مستعد إلى أن يستحيل إلى ما يليه صاعدًا وهابطًا، ويستحيل

بعض الأوقات، والصاعد منها ألطف مما قبله إلى أن ينتهي إلى عالم الأفلاك وهو ألطف من الكل».

إلى أن قال: «ثُمَّ انظر إلى عالم التكوين، كيف ابتدأ من المعادن ثُمَّ النبات ثُمَّ الحيوان، على هيئةٍ بديعةٍ من التدريج، آخر أفق المعادن متصل بأول أفق النبات مثل الحشائش وما لا بذر له، وآخر أفق النبات مثل النخل والكرم متصل بأول أفق الحيوان مثل الحلزون والصدف ولم يوجد لهما إلا قوة اللمس فقط ،ومعنى الاتصال في هذه المكونات أنَّ آخر أفق منها مستعدٌّ بالاستعداد القريب أن يصير أول أفق الذي بعده، واتسع عالم الحيوان وتعدَّدت أنواعه، وانتهى في تدريج التكوين إلى الإنسان صاحب الفكر، والروية ترتفع إليه من عالم القدرة الذي اجتمع فيه الحسُّ والإدراك، ولم ينته إلى الروية والفكر بالفعل، وكان ذلك أول أفق من الإنسان بعده، وهذا غاية شهودنا».اهـ

وراجعه في مبحث الكلام على حقيقة النبوة، وهو يقصد به إلى ترابط العالم وتناسقه في ترتيبٍ بديعٍ، واتصال عجيبٍ يدل على وحدته، وتماسك أجزائه، فأخذه داروين، ومسخه إلى ما ابتدعه، على أنَّ بعض العلماء الألمان ادَّعى أنَّ القرد إنسانٌ تقهقر، وليس الإنسان قردًا مترقيًّا، وجعل أدلة داروين أدلةً على صحَّة نظريته، وقد يكون هذا أقرب إلى الصواب، فإنَّ الله أخبر بأنه مسخ اليهود الذين اعتدوا في السبت قردة. وإن كنا لا نقر هذه النظرية ولا تلك.

مسائل منثورة

المسألة الأولى

تقدَّم في الحديث الذي رويناه عن "صحيح مسلم" أنَّ آدم خُلِقَ يوم الجمعة، ومعنى ذلك أنَّ الله تعالى بعد أن صوَّره من طينٍ وتركه حتى صار حمأً مسنونًا، نفخ فيه الروح يوم الجمعة.

وفيها أيضًا أُهبط من الجنة، قال ابن عبَّاسٍ: «ما سكن آدم الجنة إلَّا ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس». صحَّحه الحاكم.

وقال موسى بن عقبة: «مكث آدم في الجنة ربع النهار، وذلك ساعتان ونصف، وذلك مائتا سنة وخمسون سنة، فبكى على الجنة مائة سنة». رواه عبدالله بن أحمد في زوائد "الزهد"[1].

المسألة الثانية

كان طول آدم ستين ذراعًا وعرضه سبعة أذرع، ثُمَّ لم يزل الخَلْقُ يتناقصُ شيئًا فشيئًا حتَّى وصل إلى الأحجام المُشاهدَة الآن.

ففي "الصحيحين" وغيرهما عن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**خَلَقَ اللهُ آدمَ على صُورَتِهِ، وطولُهُ ستون ذراعًا، فلمَّا خَلَقَهُ قال:**

---

(١) لكن قال ابن جريرٍ: «ومعلومٌ أنه خُلق في آخر ساعةٍ من يوم الجمعة –والساعة منه ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر– فمكث مصوَّرًا طينًا قبل أن ينفخ فيه الروح أربعين سنة، وأقام في الجنة قبل أن يهبط ثلاثًا وأربعين سنة وأربعة أشهر، والله تعالى أعلم».اهـ

اذهبْ فسَلِّم على أولئك مِن الملائكة، فاستمِع ما يُحيِّونك به فإنها تحيَّتُك وتحيَّة ذُرِّيَّتك فقال: السَّلام عليكم، فقالوا السَّلام عليك ورحمة الله، فزادوه: ورحمة الله، فكلُّ مَن يدخلُ الجنَّةَ على صورة آدمَ، فلم يزل الخَلْقُ ينقصُ حتَّى الآن».

وفي "مسند أحمد" بإسنادٍ حسنٍ عن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «كان طول آدمَ ستين ذراعًا في سبعة أذرعٍ عَرْضًا».

وأمَّا ما جاء في بعض الآثار: أنَّ آدم لما أُهبط كانت رجلاه في الأرض ورأسه في السماء فحَطَّهُ اللهُ إلى ستين ذراعًا فلا يعوَّل عليه؛ لمخالفته للحديث الصحيح.

المسألة الثالثة

تقدَّم في الحديث الذي رويناه عن "الصحيحين" أنَّ آدم عاش ألف سنةٍ، وأنه وَهَبَ من عمره أربعين سنةً لداود، فلما جاءه مَلَكُ الموتِ، قال له: بقي من عمري أربعون سنةً، ونسي هبته السابقة، فأكمل الله له الألف، وأبقى لداود المائة.

ولم يرد في عمر حوَّاء حديثٌ ولا أثرٌ، ويظهر أنها عاشت ألفًا أو ما يقرب منها، وعاشت بعد آدم مدةً لم يرد في تعينها شيءٌ يُعتمَد عليه، وفي "تاريخ ابن كثير" أنها ماتت بعده بسنةٍ واحدةٍ.

المسألة الرابعة

لم يتعرَّض القرآن ولا السُّنَّة الصحيحة لتعيين المكان الذي أهبط إليه آدم، وجاء في تعيينه أحاديث ضعيفةٌ، وآثارٌ عن بعض الصحابة والتابعين، لا بأس أن نشير إليها:

فروى الطبرانيُّ، وأبو نعيمٍ في "الحلية" وابن عساكر عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**نَزَلَ آدمُ عليه السلام بالهند فاسْتَوْحَشَ، فنَزَلَ جبريلُ عليه السَّلام فنادى بالآذان، الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله، مرَّتين. أشهد أنَّ محمَّدًا رسول الله مرَّتين. فقال: ومَن محمَّدٌ هذا؟ قال هذا آخر الأنبياء مِن ذُرِّيَّتك**». حديثٌ غريبٌ منكرٌ.

وصحَّ عن ابن عبَّاسٍ أنَّ أوَّل ما أهبط الله آدم إلى أرض الهند.

وروى ابن جريرٍ والبيهقيُّ في "البعث" عن ابن عبَّاسٍ قال: قال عليُّ بن أبي طالبٍ عليه السلام: «أطيب ريح الأرض: الهند، أُهبط بها آدم فعلق ريحها من شجر الجنة». صحَّحه الحاكم.

وجاء عن ابن عبَّاسٍ أيضًا قال: «أُهبط آدم بالهند وحوَّاء بجدة، فجاء في طلبها حتى أتى جمعًا، فازدلفت إليه حواء فلذلك سُمِّيت المزدلفة، واجتمعا بجمع فلذلك سمِّيت جمعًا».

وممن قال «هبط بالهند»: جابر بن عبدالله، وابن عمر، وعطاء بن أبي رباح، والحسن البصريُّ، والسُّدِّيُّ.

وفي روايةٍ عن ابن عمر قال: «أهبط اللهُ آدمَ بالصفا وحوَّاء بالمروة». رواهما ابن أبي حاتمٍ.

وفي روايةٍ ثالثةٍ عن ابن عبَّاسٍ: «إنَّ آدم هبط بدُجناء أرض الهند». رواها ابن أبي حاتمٍ والحاكم.

و«دجناء»: بضم الدال وكسرها، يقال بالجيم والحاء، يمد ويقصر.

المسألة الخامسة

قال ابن إسحاق: «ولما حضرت آدم الوفاة عهد إلى ابنه شيث، وعلَّمه ساعات الليل والنهار، وعلَّمه عبادات تلك الساعات، وأعلمه بوقوع الطوفان، وكانت وفاته يوم الجمعة، وتولَّت الملائكة تجهيزه ودفنه».

روى عبدالله بن أحمد بإسنادٍ صحيحٍ عن أُبيِّ بن كعبٍ رضي الله عنه قال: «إنَّ آدم لما حضره الموت قال لبنيه: أي بني إنِّي أشتهي من ثمار الجنة، فذهبوا يطلبون له فاستقبلتهم الملائكة ومعهم أكفانه وحَنُوطُهُ، ومعهم الفؤوس والمساحي والمكاتل، فقالوا لهم يا بني آدم ما تريدون؟ قالوا أبونا مريضٌ واشتهي من ثمار الجنة، فقالوا لهم: ارجعوا فقد قضى أبوكم، فجاءوا فلما رأتهم حوَّاء عرفتهم فلاذت بآدم، فقال إليك عنِّي فإنِّي إنما أتيتُ مِن قِبلَكِ، فخَلِّي بيني وبين ملائكة ربِّي عزَّ وجلَّ، فقبضوه وغسَّلوه وكفَّنوه وحَنَّطوه وحفروا له ولحَّدوه وصلُّوا عليه، ثُمَّ أدخلوه قبره فوضعوه فيه ثُمَّ حَثَوا عليه، ثُمَّ قالوا: يا بني آدم هذه سنَّتكم».

واختُلف في موضع دفنه قال ابن كثيرٍ: «والمشهور أنه دفن عند الجبل الذي أهبط فيه في الهند، وقيل: بجبل أبي قبيس بمكة، وقيل إنَّ نوحًا عليه السلام لما كان زمن الطوفان حمله هو وحواء في تابوت فدفنهما ببيت المقدس، حكاه ابن جريرٍ. وروى ابن عساكر عن بعضهم أنه قال: رأسه عند مسجد إبراهيم، ورجلاه عند صخرة بيت المقدس.

وذكر أهل التاريخ أنَّ آدم لم يمت حتى رأى مِن ذريته -من أولاده وأولاد

أولاده- أربعمائة ألف نسمةٍ، وشيث ولد له بعد قتل هابيل، واسمه هبة الله وكان نبيًّا، فقد روى أبو ذرٍّ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنه أنزل عليه خمسون صحيفةً. صحَّحه ابن حِبَّان.

المسألة السادسة

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٩ - ١٩٠] ليس المراد به آدم وحوَّاء، وإنما المراد به المشركون مِن ذريَّتهما، كما قال الحسن: «عني بها مِن ذرِّيَّة آدم ومَن أشرك منهم بعده، يعني: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾».

قال أيضًا: «هم اليهود والنصارى، رزقهم الله أولادًا فهوَّدوا ونصَّروا».

ويؤيِّده قوله عليه الصلاة والسلام كما في "الصحيحين": «**كلُّ مولودٍ يُولَدُ على الفِطْرَةِ فأبَوَاهُ يُهوِّدَانِهِ أو يُنَصِّرانِهِ أو يُمَجِّسانِهِ، كما تُنْتَجُ البهيمةُ بهيمةً جَمْعاءَ، هل تُحِسُّون فيه مِن جَدْعَاءَ؟ حتَّى تكونوا أنتم تَجْدَعُونها**».

وإنما ذكر الله آدم وحوَّاء أولًا توطئةً وتمهيدًا لما بعدهما من الوالدين، فهو استطرادٌ من ذكر الشخص إلى الجنس، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥].

ومعلومٌ أنَّ المصابيح وهي النجوم التي زُيِّنت بها السماء ليست هي التي يرمى بها، وإنما هذا استطرادٌ من شخص المصابيح إلى جنسها، ولهذا نظائر في

القرآن؛ قاله ابن كثيرٍ.

أمَّا الحديث الذي رواه أحمد عن سمرة مرفوعًا: «**لَمَّا وَلَدَتْ حوَّاء طافَ بها إبليسُ، وكان لا يعيشُ لها وَلَدٌ، فقال لها: سَمِّيه عبدالحارث فإنه يعيش، فسَمَّته عبدالحارث فعاش، وكان ذلك مِن وحي الشيطان وأمره**».

فقد اعتمده كثيرٌ من المُفسِّرين، وحملوا الآية على آدم وحواء عليهما السلام، وأيَّدوه بما ورد في ذلك عن ابن عبَّاسٍ وأُبيٍّ، وتلك غفلةٌ منهم كبيرةٌ، فالحديث – وإن حسَّنه الترمذيُّ وصحَّحه الحاكم – مُنكَرٌ لا يصح لوجوهٍ:

أحدها: أنه روي من قول سمرة غير مرفوعٍ كما قال الترمذيُّ، رواه كذلك ابن جريرٍ وغيره.

ثانيها: كيف يقال كان لا يعيش لها ولد حتى سمَّته عبدالحارث، والله تعالى إنما أهبطهما إلى الأرض لتكون لهما الذرية والخلف؟!

ثالثها: تقدَّم في الحديث الصحيح من طرقٍ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لَمَّا خَلَقَ اللهُ آدمَ مَسَحَ ظَهْرَهُ فسَقَطَ مِن ظَهْرِهِ كلُّ نَسَمَةٍ هو خالِقُها مِن ذُرِّيَّته إلى يومِ القِيامَةِ؛ ثُمَّ عَرَضَهُمْ على آدمَ، فقال أي ربِّ مَن هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذُرِّيَّتُكَ...**» الحديث، وهذا العرض كان في الجنَّة، فكيف يتأتَّى بعد هذا أن يقبل آدم وحوَّاء قول الشيطان: لا يعيش لهما ولدٌ... إلخ؟! وهل هذا إلا تكذيب لخبر الله تعالى لا يليق صدوره من مطلق المؤمنين فضلًا عن أبوي البشر عليهما السلام.

رابعها: أنَّ الله تعالى قال: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِ﴾ [البقرة: ٣٧] وقال: ﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢٢] فسجَّل الله توبته

وهدايته، فكيف يقع في حبالة الشيطان بعد أن اجتباه الله وهداه؟!.

خامسها: أنه لو فرض حصول هذا منهما لأخبر بتوبتهما منه كما أخبر بتوبتهما من الأكل من الشجرة الذي حصل نسيانًا، لكنه لم يخبر بتوبتهما لا في القرآن ولا في السُّنَّة، فهل معنى ذلك أنهما ماتا عاصيين، بل مشركين؟!! من اعتقد فيهما ذلك فليس بمسلمٍ.

سادسها: أنَّ إجماع المسلمين المستند إلى الأدلة القطعية منعقدٌ على أنَّ الأنبياء معصومون من الشرك وما يؤول إليه، قبل النبوة وبعدها؛ لأنهم مفطورون على التوحيد، فكيف يقرُّ آدم على شركٍ يقع في بيته تحت سمعه وبصره؟!!.

سابعها: أنَّ قول الله تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٠] دليل على أنَّ المراد ذريَّة آدم من المشركين واليهود والنصارى.

والمقصود: أنَّ ذلك الحديث منكرٌ بجميع طرقه وألفاظه، لا يصح رفعه إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، بل هو مأخوذٌ من الإسرائيليات، حدَّث به عن مسلمة أهل الكتاب: سمرة وابن عبَّاسٍ وأُبيٌّ وغيرهم من التابعين.

المسألة السابعة

قيل إنَّ آدم عليه السلام أول من قال الشعر: وذلك حين قتل قابيل أخاه هابيل فبكى وقال:

تَغَيَّرتِ البِلادُ ومَن عليها ... فوَجْهُ الأرضِ مُغْبَرٌّ قَبِيحُ
تَغَيَّرَ كُلُّ ذي لَوْنٍ وطَعْمٍ ... وقَلَّ بَشَاشَةُ الوَجْهِ المَلِيحِ[1]

---

(١) من الفوائد العَرُوضيَّة المتعلِّقة بهذه الأبيات ما ذكره ياقوت في "معجمه" حيث قال:

فأجابه إبليس لعنه الله:

تَـنَحَّ عـن الـبِلادِ وسَـاكِنيها فبي في الخُلْدِ ضَاقَ بِـكَ الفَسِيحُ
وكنـتَ بهـا وزَوْجُـكَ في رَخَـاءٍ وقَلْبُـكَ مِـن أذَىٰ الـدُّنيا مـريحُ
فـما انفكَّـتْ مُكايَـدَتي ومَكْـرِي إلىٰ أنْ فَاتَـكَ الـثَّمَنُ الـرَّبيحُ

رواه الخطيب وابن عساكر عن ابن عبَّاسٍ.

قال الحافظ ابن كثيرٍ: «وهذا الشعر فيه نظرٌ، وقد يكون آدم قال كلامًا يتحزَّن به بلغته، فألَّفه بعضهم إلىٰ هذا». اهـ.

المقصود: أنَّ نسبته إلىٰ آدم غير صحيحةٍ.

حدَّثني شيخنا الإمام علم الدين القاسم بن أحمد الأندلسيُّ قال: حدَّثني شيخنا تاج الدين أبو اليمن زيد بن الحسن الكنديُّ قال: بلغني أنَّ أبا سعيد السيرافيَّ دخل علىٰ ابن دريد وهو يقول: أول من قال الشعر أبونا آدم عليه السلام في قوله:

تَغَـيَّرتِ الـبِلادُ ومَـن عليهـا فوَجْـهُ الأرضِ مُغْـبَرٌّ قَبِـيحُ
تَغَـيَّرَ كُـلُّ ذي لَـوْنٍ وطَعْـمٍ وقَـلَّ بَشَاشَـةُ الوَجْـهِ المَلِـيحِ

فقال أبو سعيد: يمكن إنشاده علىٰ وجه لا يكون فيه إقواء، فقال وكيف ذلك؟ فقال: بأن ينصب «بشاشة» علىٰ التمييز ويرفع «المليح» بـ«قَلَّ» ويكون قد حذف التنوين لالتقاء الساكنين كما حذف في قوله:

فألْفَيْـتُهُ غـير مُسْـتَعْتِبٍ ولا ذاكِـر اللهَ إلَّا قَلِـيلا

قال: فرفعني حتىٰ أقعدني بجانبه.

قلت: الإقواء اختلاف الروي باختلاف حركة الإعراب كما هنا. فلفظ قبيح مرفوع ولفظ «المليح» مجرورٌ، وهو من العيوب الشعرية كالإيطاء والتضمين.

المسألة الثامنة

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٢ - ١٧٤].

هو كما قال الزمخشريُّ والبيضاويُّ وأبو حَيَّان من باب التمثيل، ومعنى ذلك أنه تعالى نصب لهم الأدلة على ربوبيته ووحدانيته، وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركَّبها فيهم وجعلها مميزةً بين الضلالة والهدى، فكأنه سبحانه أشهدهم على أنفسهم وقرَّرهم وقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ وكأنهم قالوا: «بلى أنت ربنا شهدنا على أنفسنا وأقررنا لوحدانيتك».

وباب التمثيل واسعٌ في كلام الله تعالى ورسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وفي كلام العرب.

ونظيره قوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠] ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١].

ومعلومٌ أنه لا قول ثَمَّ، وإنما هو تمثيلٌ وتصويرٌ للمعنى.

وقوله تعالى: ﴿أَن تَقُولُوا۟﴾، أي: فعلنا ذلك من نصب الأدلة كراهة أن تقولوا يوم القيامة: إنا كنا عن هذا غافلين لم نُنَبَّه عليه. أو كراهة أن تقولوا: إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذريةً من بعدهم؛ فاقتدينا بهم.

لأن نصب الأدلة على التوحيد وما نبهوا عليه قائم معهم، فلا عذر لهم في

الاقتداء بالآباء وتقليدهم، كما لا عذر لآبائهم في الشرك وأدلة التوحيد منصوبة لهم، واستعير كون أخذ الميثاق بالتوحيد من ظهور ذريات بني آدم، كأن الميثاق لصعوبته وللارتباط به والوقوف عنده شيءٌ ثقيلٌ يحمل على الظهور، وهذا من تمثيل المعنى.

أمَّا الحديث الذي في "الصحيحين" عن أنسٍ: أنَّ نبيَّ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ لأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يومَ القِيامَةِ: لو أنَّ لكَ ما في الأرضِ مِن شيءٍ أكنتَ تَفْتَدِي بهِ؟ فيقولُ: نَعَمْ. فيقولُ: أردتُ مِنكَ أهونَ مِن هذا وأنتَ في صُلْبِ آدمَ؛ أن لا تُشْرِكَ بي شيئًا فأبيتَ إلَّا أن تُشْرِكَ بي**».

فقال عياض وغيره: « يُشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] الآية، فهذا الميثاق الذي أخذ عليهم في صلب آدم؛ فمن وفَّى به بعد وجوده في الدنيا فهو مؤمنٌ، ومن لم يوفِّ به فهو الكافر».اهـ

قلت: وهذا يفيد أنَّ الميثاق أخذ على ذريَّة آدم وهم في صلبه.

والذي دعا عياضًا وغيره إلى حمل الحديث والآية على هذا المعنى ما رواه أحمد والنَّسائيُّ عن ابن عبَّاسٍ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ اللهَ أَخَذَ المِيثاقَ مِن ظَهْرِ آدمَ عليه السلام بنَعْمانَ -يعني عَرَفَةَ- فأَخْرَجَ مِن صُلْبِهِ كلَّ ذُرِّيَّةٍ ذَرَأَهَا فنَثَرَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ كَلَّمَهُمْ قِبلًا قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾**». صحَّحه الحاكم.

وما رواه ابن جريرٍ وغيره عن عبدالله بن عمرٍو قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ قال: «أُخِذُوا مِن ظَهْرِهِ كما يُؤخَذُ بالمِشْطِ مِن الرَّأْسِ فقال لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ قالوا: ﴿بَلَىٰ﴾ قالتِ الملائكةُ: ﴿شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ﴾.

ولكن هذين الحديثين معلولان، فحديث ابن عبَّاسٍ اضطرب راويه كلثوم ابن جبر فرفعه مرةً، ووقفه أخرىٰ، والوقف أكثر وأثبت كما قال الحافظ ابن كثيرٍ؛ إذ رواه كذلك عطاء بن السائب وحبيب بن أبي ثابتٍ وعليُّ بن بذيمة، عن سعيد بن جُبيرٍ، عن ابن عبَّاسٍ.

وكذلك رواه العوفيُّ وعلي ابن طلحة عن ابن عبَّاسٍ أيضًا، فهو من كلامه لا من كلام النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

وحديث عبدالله بن عمرٍو في سنده أبو محمد الجرجانيُّ -واسمه أحمد بن أبي طيبة- قاضي قومس، كان مع زهده يحدِّث بأحاديث كثيرة غرائب كما قال ابن عديٍّ، وقول أبي حاتمٍ: «يكتب حديثه»، لا يفيد اعتماده، إذ يقصد كتابة حديثه للاعتبار لا للاحتجاج.

ثُمَّ إنَّ هذا الحديث روي من طريقين ثابتين عن عبدالله بن عمرٍو موقوفًا عليه، أي من كلامه.

وعندي أنَّ حديث أنسٍ السابق يشير إلىٰ ما رواه مالكٌ، ومن طريقه أحمد وأبو داود والترمذيُّ والنَّسائيُّ وابن جريرٍ وابن أبي حاتمٍ وابن حِبَّان في

"صحيحه" عن عمر رضي الله عنه سُئل عن هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ الآية، فقال عمر رضي الله عنه: سمعتُ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم- سُئل عنها فقال: «**إنَّ اللهَ خَلَقَ آدمَ عليه السلام ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بيَمِينِهِ فاسْتَخْرَجَ مِنهُ ذُرِّيَّةً قال: خَلَقْتُ هؤلاءِ للجَنَّةِ وبعَمَلِ أهلِ الجنَّةِ يَعْمَلُونَ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ فاسْتَخْرَجَ مِنه ذُرِّيَّةً قال: خَلَقْتُ هؤلاءِ للنَّارِ وبعَمَلِ أهلِ النَّارِ يَعْمَلُونَ**». فقال رجلٌ: ففيمَ العَمَلُ يا رسول الله؟ قال: «**إذا خَلَقَ اللهُ العَبْدَ للجَّنَةِ اسْتَعْمَلَهُ بأعمالِ أَهْلِ الجنَّةِ حتَّى يَمُوتَ على عَمَلٍ مِن أعمالِ أَهْلِ الجنَّةِ، فيُدْخِلَهُ بِهِ الجنَّةَ، وإذا خَلَقَ اللهُ العَبْدَ للنَّارِ اسْتَعْمَلَهُ بأعمالِ أهلِ النَّارِ حتَّى يموتَ على عملٍ مِن أعمالِ أهلِ النَّارِ فيُدْخِلَهُ به النَّارَ**». حسَّنه الترمذيُّ، وللحديث طرقٌ وشواهد.

وهو يفيد أنَّ الله استخرج ذرية آدم من صلبه، وميَّز بين أهل الجنة والنار من غير أن يشهد عليهم، وهذا تخصيصٌ لعموم الآية؛ لأنها دالَّةٌ كما سبق على أنَّ الله نصب الأدلَّة على ربوبيَّته ووحدانيَّته، فبيَّن هذا الحديث أنَّ تلك الأدلة إنما ينتفع بها ويهتدي إليها من كان من أهل الجنة الذين ميَّزهم الله حين استخرجهم من صلب آدم، وقال: «**خلقتُ هؤلاءِ للجنَّةِ**»، أمَّا الطائفة الأخرى التي قال الله فيها: «**خلقتُ هؤلاءِ للنَّارِ**»، فلا ينتفعون بأدلة التوحيد، بل يصدُّون عنها ويأبون قبولها، وهم الذين يقول الله للواحد منهم يوم القيامة: «**لو كان لك ما في الأرض أكنتَ تَفْتَدِي به؟**»؛ فيقول: نَعَمْ، فيقول الله: «**أردتُ منك أهونَ مِن هذا وأنتَ في صُلْبِ آدمَ أن لا تُشْرِكَ بي شيئًا، فأبيتَ إلَّا**

أن تشركَ بي». جعل أهليته للنار واستعداده لها وهو في صلب آدم بمنزلة الإباء والامتناع، فكأنه سبحانه طلب منه التوحيد، وكأن الكافر أبىٰ إلَّا الشرك، فهو من باب تمثيل المعنىٰ وتصويره علىٰ وِزان ما سبق من الآية، وبهذا يزول الإشكال.

وقال الحافظ ابن كثيرٍ بعد أن أورد جملةً من الأحاديث في استخراج الذرية من صُلْبِ آدمَ ما نصُّه: «فهذه الأحاديث دالَّةٌ علىٰ أنَّ الله عزَّ وجلَّ استخرج ذريَّةَ آدمَ مِن صُلْبِهِ وميَّز بين أهل الجنة والنار، وأمَّا الإشهاد عليهم هناك بأنه ربهم فما هو إلَّا في حديث كلثوم بن جبرٍ، عن سعيد بن جُبيرٍ، عن ابن عبَّاسٍ، وفي حديث عبدالله بن عمرٍو، وقد بينَّا أنهما موقوفان لا مرفوعان كما تقدَّم، ومِن ثَمَّ قال قائلون من السلف والخلف: أنَّ المراد بهذا الإشهاد -يعني في الآية- إنما هو فطرهم علىٰ التوحيد، وقد فسَّر الحسن الآية، قالوا: ولهذا قال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ ولم يقل من آدم، ﴿مِن ظُهُورِهِمْ﴾ ولم يقل من ظهره ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] أي جعل نسلهم جيلًا بعد جيلٍ، وقرنًا بعد قرنٍ.

كقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

وقال: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل: ٦٢].

وقال: ﴿كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٣].

ثم قال: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢] أي أوجدهم شاهدين بذلك، قائلين له حالًا، والشهادة تارةً تكون بالقول،

كقوله: ﴿قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٠] الآية.

وتارةً تكون حال كقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٧] أي حالهم شاهدٌ عليهم بذلك لا أنهم قائلون ذلك.

وكذا قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ [العاديات: ٧].

كما أنَّ السؤال يكون تارةً بالمقال، وتارةً يكون بالحال كقوله: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

قالوا: هذا يدل على أنَّ المراد بهذا هذا: أن جعل هذا الإشهاد حُجَّةً عليهم في الإشراك، فلو كان قد وقع هذا كما قال مَن قال بأن الإشهاد حقيقي لكان كل أحد يذكره ليكون حُجَّةً عليه».اهـ

المسألة التاسعة

في "الصحيحين" وغيرهما: عن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**احْتَجَّ آدمُ وموسى، فقال له موسى: يا آدمُ، أنتَ أبونا خيَّبْتَنا وأَخْرَجْتَنا مِن الجنَّةِ، قال له آدمُ: يا موسى، اصْطَفاكَ اللهُ بكِلامِهِ وخَطَّ لك بيَدِهِ أَتَلُومُني على أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللهُ عليَّ قَبْلَ أن يَخْلُقَنِي بأربعين سنةً، فحَجَّ آدمُ موسى، فحَجَّ آدمُ موسى**» ثلاثًا.

ولهذا الحديث عشرة طرقٍ عن أبي هريرة، ورواه عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم غير أبي هريرة: عمر، وجندب بن عبدالله، وأبو سعيدٍ الخدريُّ.

قال الحافظ ابن عبدالبر: «هذا الحديث ثابتٌ بالاتفاق، رواه عن أبي هريرة جماعةٌ من التابعين، ورُويَ عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مِن وجوهٍ أخرىٰ مِن رواية الأئمَّة الثِّقات الأثبات».اهـ

وله ألفاظٌ كثيرةٌ في الكتب الستة و"مسند أحمد" وغيرها.

وفيه إشكالٌ، وحاصله أن يقال: كيف حكم النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لآدم بالحُجَّة مع أنه احتجَّ بالقَدَر، والاحتجاج بالقَدَر لا يفيد حسبما دلَّ عليه القرآن والسُّنَّة المتواترة؟ وقد أجاب العلماء عن ذلك بأجوبةٍ:

منها: قال القرطبيُّ: «إنما غلبه بالحُجَّة؛ لأنه علم من التوراة أنَّ الله تاب عليه، فكان لومه علىٰ ذلك نوع جفاءٍ، كما يقال: ذِكْرُ الجفاءِ بعد حصول الصَّفاءِ جفاءٌ، ولأن أثر المخالفة بعد الصفح ينمحي حتَّىٰ كأنه لم يكن، فلا يصادف اللوم من اللائم حينئذٍ محلًّا».اهـ

قال الحافظ ابن حجرٍ: «وهو محصل ما أجاب به المازريُّ وغيره من المحقِّقين، وهو المعتمَد».اهـ

ومنها: قال الداوديُّ في "شرح البخاري": «إنما قامت حُجَّة آدم؛ لأنَّ الله خلقه ليجعله في الأرض خليفةً، فلم يحتج آدم في أكله من الشجرة بسابق العلم؛ لأنه كان علىٰ اختيارٍ منه، وإنما احتجَّ بالقَدَر لخروجه، لأنه لم يكن بد من ذلك».اهـ

ويؤيِّد هذا ما رواه عبدالرزَّاق وعبد بن حُميد وغيرهما عن ابن عبَّاسٍ قال: إنَّ الله أخرج آدمَ من الجنة قبل أن يخلقه ثُمَّ قرأ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].

المسألة العاشرة

يؤخذ من قصة آدم عليه السلام أمور:

الأول: إنَّ حِكْمَة الله تخفى على أقرب الخَلْقِ إليه، كما خفيت حِكْمَة استخلاف آدم في الأرض على الملائكة؛ حتى اشتاقوا إلى معرفة الحِكمة في هذا الاختيار.

الثاني: إنَّ عناية الله إذا توجَّهت إلى الشيء الحقير المهين خلعت عليه حُلل البهاء وأهَّلته لرتبة الاجتباء، ألا ترى كيف توجَّهت عنايته إلى التراب الذي خُلق منه آدم فصيرته بشرًا سويًّا، وجعلته مظهرًا لأسرار قدرته، وعلمه الواسع، بحيث اعترفت الملائكة بالقصور عن إدراك مداه.

الثالث: إنَّ طاعة المرأة تُعقِب الندم، ألا ترى إلى آدم عليه السلام حين وافق حوَّاء على الأكل من الشجرة، وقع فيما وقع.

وقد ورد حديثٌ ضعيفٌ عن أنسٍ مرفوعًا: «**لا يفعلنَّ أحدُكم أمرًا حتَّى يَسْتَشِيرَ، فإن لم يَجِدْ مَن يَسْتَشِيرُه فليَسْتَشِرْ امْرأةً ثُمَّ ليُخالفها؛ فإنَّ في خِلافها البركةَ**». رواه ابن لال والديلميُّ.

وروى العسكريُّ عن عمر رضي الله عنه قال: خالفوا النِّساء فإنَّ في خلافهنَّ البركة.

وروي أيضًا عن معاوية قال: عوِّدوا النِّساء: «لا»، فإنها ضعيفةٌ؛ إن أطعتها أهلكتك.

الرابع: أنَّ الإنسان -وإن سَمَتْ منزلته وعَظُمَتْ رتبته- لا يخلو من هفوةٍ تقع منه، لنسيانٍ يعرض له، أو تأويلٍ يراه كما وقع لآدم عليه السلام، حيث

أكل من الشجرة ناسيًا كما سجله القرآن الكريم، أو متأوِّلًا كما قال كثيرٌ من العلماء.

الخامس: أنَّ وقوع المخالفة من العبد تُجبَر بالتوبة والإنابة إلى الله كما وقع من آدم، فإنه حين اعترف وتاب تاب الله عليه واجتباه وهداه، وهذه سُنَّة الله مع العُصاة مِن عباده؛ يقبلهم إذا تابوا ويفتح لهم باب رحمته: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

السادس: أنَّ أصول الخطايا ثلاثة: الكِبْرُ، والحِرْصُ، والحَسَدُ.

فالكِبر: هو الذي صيَّر إبليس إلى معارضة الأمر بالسجود.

والحِرْص: هو الذي سبَّب خروج آدم من الجنَّة.

والحَسَد: هو الذي جرَّأ أحد ابني آدم على قتل أخيه.

فمن وُقي شرَّ هذه الثلاثة فقد وُقي الشرَّ؛ فالكفر من الكِبر، والمعاصي من الحِرص، والبَغْيُ والظُّلم مِن الحَسَد.

السابع: أنَّ ترك الأمر أعظم عند الله من ارتكاب النهي؛ لأن آدم نُهي عن أكل الشجرة فأكل منها فتاب عليه، وإبليس أمر بالسجود لآدم فلم يسجد فلم يتب عليه. قاله سهل بن عبدالله.

قال ابن القيِّم: «هذه مسألةٌ عظيمةٌ لها شأنٌ، وهي أن ترك الأوامر أعظم عند الله من ارتكاب المناهي، وذلك من وجوهٍ عديدةٍ، وذكرها فأوصلها إلى ثلاثة وعشرين وجهًا:

منها: أنَّ ارتكاب ذنب النهي مصدره في الغالب الشهوة والحاجة، وذنب ترك الأمر مصدره في الغالب الكِبر والعِزَّة، ولا يدخل الجنة مَن في قلبه مِثقال ذرَّةٍ من كِبْرٍ، ويدخلها من مات على التوحيد وإن زَنَى وسَرَقَ.

ومنها: أنَّ الله سبحانه جعل جزاء المأمورات عشرة أمثال فعلها، وجزاء المنهيات مثل واحد، وهذا يدل على أنَّ فعل ما أمر به أحب إليه من ترك ما نهى عنه، ولو كان الأمر بالعكس لكانت السيئة بعشرة والحسنة بواحدةٍ، أو تساويا».

الثامن: قال القشيريُّ: «كل ما مُنع منه، توفَّرت دواعي ابن آدم للاقتراب منه، هذا آدم عليه السلام أُبيحت له الجنة بجملتها، ونهي عن شجرةٍ واحدةٍ، فليس في المنقول أنه مَدَّ يده إلى شيءٍ من جملة ما أُبيح له، وكأنه عيل صبره حتى ذاق ما نهي عنه، هكذا صفة الخلق».اهـ

التاسع: قال بعض أهل الإشارات: «الذي يليق بالخلق عدم السكون إلى الخلق، وما زال آدم وحده بكلِّ خيرٍ وبكلِّ عافيةٍ؛ فلمَّا جاءه الشكل والزوج، ظهر إتيان الفتنة، وافتتاح باب المِحنة، وحين ساكَن حوَّاء أطاعها فيما أشارت عليه من الأكل فوقع فيما وقع».اهـ

العاشر: قال بعض العلماء: «لما سلم لآدم أصل العبودية، لم يقدح فيه الذنب: «**ابن آدم، لو لَقِيتَني بقُرابِ الأرضِ خَطَايا ثُمَّ لَقِيتَني لا تُشْرِكُ بي شيئًا لأَتَيْتُكَ بقُرابِها مَغْفِرَةً**».

ولما علم السيِّد أن ذنب عبده لم يكن قصدًا لمخالفته، ولا قدحًا في حِكْمته، علَّمه كيف يعتذر إليه: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِ﴾ [البقرة: ٣٧]».اهـ

خاتمة

ونختم هذه القصة بكلمةٍ لابن القيِّم الحافظ؛ تشتمل على إشاراتٍ لطيفةٍ، وحِكَمٍ صوفيَّةٍ شريفةٍ.

قال في كتاب "الفوائد": «تأمَّل كيف كتب سبحانه عذر آدم قبل هبوطه إلى الأرض، ونبَّه الملائكة على فضله وشرفه، ونوَّه باسمه قبل إيجاده بقوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].

وتأمَّل كيف وسمه بالخلافة؛ وتلك ولايةٌ له قبل وجوده، وأقام عذره قبل الهبوط بقوله: ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾، والمحب يُقيم عذر المحبوب قبل جنايته، فلما صوَّره ألقاه على باب الجنة أربعين سنة؛ لأن دأب المحبِّ الوقوف على باب الحبيب، ورمى به في طريق ذل ﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا﴾ [الإنسان: ١] لئلا يعجب يوم ﴿ٱسْجُدُواْ﴾ [البقرة: ٣٤].

كان إبليس يمرُّ على جسده فيعجب منه، ويقول: «لأمرٍ قد خُلقت»، ثُمَّ يدخل من فيه ويخرج من دبره، ويقول: «لئن سُلِّطتُ عليك لأُهلِكنَّك، ولئن سُلِّطتَ عليَّ لأعْصِينَّك».

ولم يعلم أنَّ هلاكه على يده، رأى طينًا مجموعًا فاحتقره، فلما صُوِّر الطين صورةً دَبَّ فيه داء الحسد، فلما نفخ فيه الروح مات الحاسد.

فلما بسط له بساط العِزِّ، عرضت عليه المخلوقات، فاستحضر مُدَّعي ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ﴾ [البقرة: ٣٠] إلى حاكم ﴿أَنۢبِـُٔونِي﴾ [البقرة: ٣١] وقد أخفى الوكيل عنه بينة ﴿وَعَلَّمَ﴾ [البقرة: ٣١] فنكسوا رؤوس الدعاوي على صدور

الإقرار، فقام منادي التفضيل في أندية الملائكة ينادي ﴿ٱسۡجُدُواْ﴾ [البقرة: ٣٤] فتطهروا من حدث دعوىٰ ﴿وَنَحۡنُ﴾ [البقرة: ٣٠] بماء العذر في آنية ﴿لَا عِلۡمَ لَنَآ﴾ [البقرة: ٣٢] فسجدوا علىٰ طهارة التسليم، وقام إبليس ناحية لم يسجد، لأنه خبث، وقد تلوث بنجاسة الاعتراض، وما كانت نجاسته تتلافىٰ بالتطهير لأنها عينيَّة، فلما تمَّ كمال آدم قيل: لابد من خال جمال علىٰ وجه ﴿ٱسۡجُدُواْ﴾ فجرىٰ القَدَر بالذنب ليتبيَّن أثر العبودية في الذلِّ.

يا آدم، لو عفي لك عن تلك اللقمة لقال الحاسدون: كيف فضل ذو شَرَهٍ لم يصبر علىٰ شجرة ؟!! لولا نزولك ما تصاعدت صعداء الأنفاس، ولا نزلت رسائل «**هل مِن سائلٍ؟**» ولا فاحت روائح «**ولخلُوفُ فُمِ الصَّائمِ**» فتبيَّن حينئذٍ أن ذلك التناول لم يكن عن شَرَهٍ.

يا آدم، ضحكك في الجنة لك، وبكاؤك في دار التكليف لنا، ما ضر من كسره عِزِّي، إذا جبره فضلي، إنما تليق خلعة العزِّ ببدن الانكسار «**أنا عند المُنكَسِرةِ قلوبُهم مِن أجلي**» ما زالت تلك الأُكلة تُعادُّه حتىٰ استولىٰ داؤه علىٰ أولاده، فأرسل إليهم اللطيف الخبير الدواء علىٰ أيدي أطباء الوجود ﴿فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣]

فحماهم الطبيب بالمناهي، وحفظ القوة بالأوامر، واستفرغ أخلاطهم الرديئة بالتوبة، فجاءت العافية من كلِّ ناحيةٍ».اهـ وهي كلمةٌ في غاية الحسن.

والحمد لله ربِّ العالمين، وصلاته وسلامه علىٰ سيِّدنا محمَّدٍ وآله وصحبه وسلم والتابعين.

(تنبيه): حينما عرضنا لقصة هابيل وقابيل فاتنا أن ننبِّه على مسألةٍ تتعلَّق بها، وهي ما رواه الثعلبيُّ في "تفسيره" عن معاوية بن عمران قال: سألت جعفر الصادق عليه السلام: أكان آدم يُزوِّج ابنته من ابنه؟ فقال: معاذ الله، وإنما زوَّج قابيل جنيَّةً وزوَّج هابيل حوريَّةً فغضب قابيل، فقال آدم: يا بني ما فعلته إلَّا بأمر الله، فكان من خبرهما ما قَصَّهُ الله في القرآن.

قال الحافظ ابن حجرٍ: «إسناده واهٍ ولا يثبت هذا عن جعفرٍ ولا عن غيره، ويلزم منه أنَّ بني آدم من ذرية إبليس؛ لأنه أبو الجنِّ كلهم، أو مِن ذريَّة حور العين، وليس لذلك أصلٌ ولا شاهدٌ».اهـ وهو واضحٌ والله أعلم.

٢ - قِصَّةُ إدريسَ عليه السَّلام

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ

وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ

ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ [الفاتحة: ١-٧]

إدريس عليه السلام

هو في قول الأكثر: خَنُوخ، بوزن رسول. وقيل: أخنوخ بألف وخاء ساكنة، وقيل: أهنوخ -بالهاء بدل الخاء- ابن يرد -ويقال: يارد- بن مهلاييل -وهو الذي يزعم الأعاجم من الفرس أنه ملك الأقاليم السبعة، وأنه أول من قطع الأشجار وبنى المدائن والحصون الكبار، وأنه بنى مدينة بابل ومدينة السوس الأقصى، وكان يخاطب الناس، وله تاجٌ عظيمٌ، ودامت دولته أربعين سنة.

ابن قينان بن أنوش -بوزن خنوخ- ابن شيث، ومعناه هبة الله، سمَّاه آدم بذلك لكونه ولد له بعد قتل هابيل.

لم سمى إدريس؟ وما معناه؟

اختلف في لفظ إدريس فقيل: هو عربيٌّ مشتقٌّ من الدراسة، وقيل له ذلك لكثرة درسه صحف آدم وشيث عليهم السلام.

ويقال له أيضًا: إدراسين بوزن إلياسين.

وقيل: هو اسمٌ سريانيٌّ، وفي تفسير "البحر المحيط": «وإدريس اسمٌ أعجميٌّ مُنع من الصرف للعَلَمِيَّة والعُجْمَة، ولا جائز أن يكون إِفْعِيلًا مِن الدَّرْسِ كما قال بعضهم؛ لأنه كان يجب صرفه إذ ليس فيه إلَّا سببٌ واحدٌ وهو العَلَمِيَّةُ.

قال الزمخشريُّ: «ويجوز أن يكون معنى إدريس في تلك اللغة قريبًا من

ذلك -أي من معنى الدرس- فحسبه القائل مشتقًّا مِن الدرس».اهـ

هل أدرك آدم عليه السلام

ذكر ابن كثيرٍ وغيره أنه أدرك من حياة آدم ثلثمائة وثماني سنين. لكن هذا مأخوذٌ من كتاب التوراة المسمَّى عند الكتابيين بـ"العهد القديم" فلا يُعوَّل عليه.

نبوته ورسالته

أمَّا نبوته فثابتةٌ بالقرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ٥٦ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ٥٧﴾ [مريم: ٥٦ – ٥٧].

وفي حديث أبي ذرٍّ الطويل الذي صحَّحه ابن حِبَّان: «**إنَّ إدريسَ كان نبيًّا رَسُولًا**».

وحديث أبي ذرٍّ رواه أيضًا ابن مَرْدُويَه في "تفسيره"، والآجريُّ في "الأربعين" وهو حديثٌ طويلٌ في مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب.

ولفظ المقصود منه: قلت يا رسول الله كم الأنبياء؟ قال: «**مائة ألفٍ وأربعة وعشرون ألفًا**». قلت: يا رسول الله كم الرسل من ذلك؟ قال: «**ثلثمائة وثلاثة عشر جَمٌّ غفيرٌ كثيرٌ طيِّبٌ**». قلت: فمن كان أولهم؟ قال: «**آدم**». قلت: أنبي مرسلٌ؟ قال: «**نَعَمْ، خَلَقَهُ اللهُ بيَدِهِ ونَفَخَ فيه مِن رُوحِهِ وسوَّاه قِبلًا**».

ثم قال: «**ياأبا ذرٍّ، أربعةٌ سريانيِّون: آدمُ وشيث وخنوخ -وهو إدريس- وهو أوَّل مَن خَطَّ بالقَلَم، ونوحٌ، وأربعةٌ من العرب: هودٌ وشعيبٌ وصالحٌ**

ونبيُّك، يا أبا ذرٍّ، وأوَّل أنبياءِ بني إسرائيل موسى وآخرهم عيسى، وأوَّل الرُّسُلِ آدمُ وآخرهم محمَّدٌ».

قال: قلت: يا رسول الله كم كتاب أنزل الله؟ قال: «**مائة كتاب وأربعة كتب، أنزل الله على شيث خمسين صحيفة، وعلى خنوخ ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم عشر صحائف، وعلى موسى قبل التوراة عشر صحائف، وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان**».

وهذا الحديث وإن كان ضعيفًا؛ له طرقٌ كثيرة تقدَّم بعضها في قصة آدم عليه السلام، ووردت جمل منه في أحاديث متفرِّقة.

وروى ابن أبي حاتمٍ من طريق يزيد بن أبي حبيبٍ، عن عبدالله بن عمرو قال: إدريس أقدم من نوحٍ، بعثه الله إلى قومه فأمرهم أن يقولوا: «لا إله إلَّا الله» ويعملوا ما شاءوا، فأبوا فأهلكهم الله عزَّ وجلَّ.

أوَّلِيَّاته

هو أوَّل مَن أُعطي النبوة بعد شيث، وأوَّل الرسل بعد آدم عليهم السلام، وأوَّل من نظر في النجوم والحساب وجعله الله مِن معجزاته، وأوَّل مَن خاط الثِّياب ولبس المَخيط- وكان خيَّاطًا- وكانوا قبله يلبسون الجلود، وأوَّل من اتخذ المكاييل والموازين والأسلحة فقاتل بني قابيل وهم قومه، وأوَّل مَن خَطَّ بالقَلَم كما تقدَّم في حديث أبي ذرٍّ.

وفي "مسند البزار" عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**قد كان نبيٌّ مِن الأنبياء يخطُّ، فمَن وافق خَطَّه ذلك الخطِّ عَلِم**».

وفي "صحيح مسلم" و"سنن أبي داود" و"النَّسائي" عن معاوية بن الحكم السلميِّ قال: قلت: يا رسول الله إني حديث عهدٍ بجاهلية وقد جاء الله بالإسلام، وإنَّ مِنَّا رجالًا يأتون الكُهَّان. قال: «**فلا تأتهم**». قال: ومِنَّا رجالٌ يَتَطَيَّرون. قال: «**ذاك شيءٌ يجدونه في صُدُورِهم فلا يَصُدَّنَّهم**». قال: قلت: ومِنَّا رجال يخطُّون. قال: «**كان نبيٌّ مِن الأنبياء يخطُّ فمَن وافقَ خَطَّهُ فذاك**».

قوله: «ومِنَّا رجالٌ يخطُّون»: يقصد به الخط في الرمل كما فسَّره ابن الأعرابيِّ وغيره.

وقوله: «**فمَن وافقَ خَطَّهُ فذاك**»: قال الخطابيُّ: «يشبه أن يكون أراد به الزجر عنه وترك التعاطي له، إذ كانوا لا يصادفون معنى خط ذلك النبيِّ؛ لأن خَطَّهُ كان عَلَمًا لنبوته، وقد انقطعت نبوته فذهبت معالمها».اهـ

وقال النوويُّ: «اختلف العلماء في معناه، والصحيح: أنَّ معناه من وافق خطَّه فهو مباحٌ له، ولكن لا طريق لنا إلى العلم اليقيني بالموافقة فلا يباح، والمقصود: أنه حرامٌ؛ لأنه لا يباح إلَّا بيقين الموافقة وليس لنا يقينٌ بها، وإنما قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**فمَن وافقَ خَطَّهُ فذاك**»، ولم يقل: هو حرامٌ لئلَّا يتوهَّم متوهِّمٌ أنَّ هذا النهي يدخل فيه ذاك النبيُّ الذي كان يخطُّ، فحافظ النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم على حرمة ذاك النبيِّ مع بيان الحُكْم في حقِّنا، فالمعنى: أنَّ ذاك النبيَّ لا منع في حقِّه وكذا لو علمتم موافقته، ولكن لا علم لكم بها.

وقال القاضي عياض: «المختار أنَّ معناه: أنَّ مَن وافق خَطَّه فذاك الذي

يجدون إصابته فيما يقول؛ لا أنه أباح ذلك لفاعله». قال: «ويحتمل أن هذا نُسِخَ في شرعنا». قال النوويُّ: فحصل من مجموع كلام العلماء فيه الاتفاق على النهي عنه الآن».اهـ

هل رفع إلى السماء؟

عن هلال بن يَسَافٍ قال: سأل ابن عبَّاسٍ كعبًا وأنا حاضر فقال له: ما قول الله عزَّ وجلَّ لإدريس: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧] ؟

فقال كعبٌ: أمَّا إدريس فإنَّ الله أوحى إليه: إني أرفع لك كلَّ يومٍ مثل عمل جميع بني آدم؛ فأحبُّ أن تَزْدادَ عَمَلًا، فأتاه خليلٌ له من الملائكة فقال له: إنَّ الله أوحى إليَّ كذا وكذا، فكلِّم لي مَلَك الموتِ فليؤخِّرني حتَّى أزداد عَمَلًا.

فحمله بين جناحيه حتى صعد به إلى السماء، فلما كان في السماء الرابعة تلقَّاهم مَلَكُ الموت مُنحَدِرًا، فكلَّم مَلَكَ الموتِ في الذي كلَّمه فيه إدريس فقال: وأين إدريس؟ قال: هو ذا على ظهري. قال مَلَكُ الموت: فالعجب!! بعثتُ وقيل لي: اقبض روح إدريس في السماء الرابعة، فجعلت أقول: كيف أقبض روحه هناك. فذلك قول الله: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾ [مريم: ٥٧]. رواه ابن جريرٍ.

ورواه ابن أبي حاتمٍ من طريقٍ آخر وزاد فيه: إنَّ إدريس قال لذلك الملَك: هل لك أن تسأله -يعني ملك الموت- كم بقي مِن أجلي؟ لكي أزداد من العمل. فلما سأله عما بقي من أجله قال: لا أدري حتى أنظر، فنظر فقال: إنك

تسألني عن رجلٍ ما بقي من عمره إلَّا طرفة عينٍ. فنظر الملَك تحت جناحه، فإذا هو قد قُبض عليه السلام.

قال الحافظ ابن كثيرٍ: هذا من الإسرائيليات وفي بعضه نكارة.

قلت: لكن ثبت في حديث المعراج في "الصحيحين" أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وجد إدريس عليه السلام في السماء الرابعة، ثُمَّ تلا قوله تعالى ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧]. ولا مانع أن يعرج به الملك إلى ذلك المكان.

وروى ابن أبي حاتمٍ أيضًا عن ابن عبَّاسٍ قال: إنَّ مَلَكًا استأذن ربَّه أن يهبط إلى إدريس، فأتاه فسلَّم عليه، فقال له إدريس: هل بينك وبين ملك الموت شيءٌ ؟ قال: ذاك أخي من الملائكة. قال: هل تستطيع أن تنفعني عنده بشيءٍ؟ قال: أما أن يؤخِّر شيئًا أو يقدِّمه فلا، ولكن سأكلِّمه لك فيرفق بك عند الموت. قال: اركب بين جناحي، فركب إدريس فصعد إلى السماء العليا، فلقي ملك الموت وإدريس بين جناحيه، فقال له الملك: إن لي إليك حاجةً. قال: قد علمت حاجتك، تكلِّمني في إدريس وقد محي اسمه ولم يبقَ من أجله إلَّا نصف طرفة عينٍ. فمات إدريس بين جناحي الملَك.

ثُمَّ رواه من وجهٍ آخر عن ابن عبَّاسٍ قال: كان إدريس خيَّاطًا، وكان لا يغرز إبرةً إلَّا قال: سبحان الله، فكان يمسي -حين يمسي- وليس في الأرض أحدٌ أفضل عملًا منه، فاستأذن مَلَكٌ ربَّه أن يزوره... وذكر نحو ما تقدَّم.

وروى ابن أبي شيبة في "المصنف" وابن أبي حاتمٍ عن ابن عبَّاسٍ قال: سألت كعبًا عن رفع إدريس مكانًا عليًّا، فقال: كان عبدًا تقيًّا يرفع له من

العمل الصالح ما يرفع لأهل الأرض من أهل زمانه، فعجب الملَك الذي كان يَصْعَدُ عليه عَمَلُهُ، فاستأذن ربَّه فقال: يا ربِّ، ائذن لي آتي عبدك هذا فأزوره. فأذن له فنزل، فقال: يا إدريس، أبشر؛ فإنه يرفع لك من العمل الصالح ما لا يرفع لأهل الأرض، قال: وما عملك؟ قال: إني مَلَكٌ. قال: وإن كنت مَلَكًا؟ قال: فإني على الباب الذي يصعد عليه عملك. قال: أفلا تشفع لي إلى ملك الموت فيؤخِّر أجلي لأزداد شكرًا وعبادةً. فقال الملك: لا يؤخِّر اللهُ نَفْسًا إذا جاء أجلها. قال: قد علمت ولكنه أطيب لنفسي، فحمله الملك على جناحه فصعد به إلى السماء، فقال: يا ملك الموت، هذا عبدٌ تقيٌّ نبيٌّ يرفع له من العمل الصالح ما لا يرفع لأهل الأرض، وإني أعجبني ذلك فاستأذنت ربي إليه فأذن لي، فلما بشَّرته بذلك سألني لأشفع له إليك لتؤخِّر له أجله ليزداد شكرًا وعبادة. قال: ومَن هذا؟ قال: إدريس. فنظر في كتابٍ معه مرَّ باسمه، فقال: والله ما بقي من أجل إدريس شيْء . فمحاه -يعني محا اسمه من الكتاب- فمات مكانه.

وروى محمد بن نصر في كتاب "قيام الليل"، عن القاسم بن عوف الشيبانيِّ قال: بينا أنا عند خالد بن عرعرة وأبي عجيل وزارهما الربيع بن خَيْثَم، فقال أحدهما لصاحبه: حدِّث أبا يزيد ما سمعت من كعبٍ. فقال: بينا نحن عند كعبٍ إذ جاءه رجلٌ بين بردي حبرة، فإذا هو ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما فقال لكعبٍ: إني سائلك عن أشياء أجدها في كتاب الله. فسأله عن إدريس ورفع مكانه؟ فقال: إنَّ إدريس كان رجلًا خيَّاطًا، وكان يكسب، وكان يتصدَّق بثلث

كسبه، وكان لا ينام الليل ولا يفطر النهار، ولا يفتر عن ذكر الله، فأتاه إسرافيل فبشَّره، وقال: هل لك من حاجةٍ؟ قال: وددتُ لو أعلم متىٰ أجلي؟ قال: ما أعلم ذلك. فصعد به إلىٰ السماء، فإذا ملَك الموت فسأله: متىٰ أجله؟ فنظر ملك الموت في الكتاب، فوجده لم يبقَ من أجله إلَّا ست ساعات أو سبع، وقال: أمرت أن أقبض روحه ههنا. فقبض روحه في السماء فذلك رفع مكانه.

وروىٰ ابن أبي حاتمٍ في "تفسيره" عن السُّدِّيِّ في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝٥٦ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٦ – ٥٧] قال: كان إدريس أول نبيٍّ بعثه الله في الأرض، وإنه كان يعمل فيرفع عمله مثل ضعف أعمال الناس، ثُمَّ إنَّ مَلَكًا من الملائكة أحبَّه، فسأل الله أن يأذن له فيأتيه؟ فأذن له فأتاه فحدَّثه بكرامته علىٰ الله. فقال: يا أيها الملك أخبرني كم بقي من أجلي، لعلِّي أجتهد لله في العمل، قال: لا إلَّا أن تشفع. فتشفع فأمر به فحمله تحت جناحه فصعد به، حتىٰ إذا بلغ السماء السادسة استقبل ملك الموت نازلًا من عند الله فقال: يا ملك الموت أين تريد؟ قال: أقبض نفس إدريس. قال وأين أمرت أن تقبض نفسه؟ قال: في السماء السادسة، فذهب الملك ينظر إلىٰ إدريس، فإذا هو قد مات، فوضعه في السماء السادسة.

وقال ابن أبي نجيحٍ، عن مجاهدٍ في قوله: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾، قال: إدريس رفع ولم يمت كما رفع عيسىٰ.

قال الحافظ ابن كثيرٍ: «إن أراد أنه لم يمت إلىٰ الآن ففي هذا نظر، وإن أراد أنه رفع حيًّا إلىٰ السماء ثُمَّ قُبض هناك، فلا ينافي ما تقدَّم عن كعب الأحبار».اهـ

وقال العوفي عن ابن عبَّاسٍ في قوله: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾، قال: رفع إلى السماء السادسة فمات بها، وكذا قال الضَّحَّاك.

قلت: بل هو في السماء الرابعة كما تقدَّم في حديث "الصحيحين".

قال الحافظ ابن كثيرٍ: «وقال قائلون: رفع في حياة أبيه يارد بن مهلاييل».اهـ

وقال العلامة السعد التفتازانيُّ في "شرح المقاصد": ذهب العظماء من العلماء إلى أنَّ أربعةً من الأنبياء في زمرة الأحياء: الخَضِر، وإلياس في الأرض، وإدريس، وعيسى في السماء».اهـ

قلت: أمَّا عيسى عليه السلام فهو حيٌّ في السماء الثانية، وسينزل في آخر الزمان كما أشار إليه القرآن الكريم وصرَّحت به السُّنَّة المتواترة، حسبما بينَّا ذلك في كتاب "عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه السلام"، وأمَّا الخَضِر وإلياس عليهما السلام فسيأتي تحقيق البحث في حياتهما من هذه السلسلة إن شاء الله، وأمَّا إدريس عليه السلام فالذي نرجِّحه فيه أنه رُفع إلى السماء لقوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ وأخبر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنه رآه في السماء الرابعة كما صحَّ في حديث المعراج.

وروى الترمذيُّ وابن المنذر وابن مَرْدُويَه عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ قال قتادة: حدَّثنا أنس بن مالكٍ أنَّ نبيَّ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لمَّا عُرِجَ بي رأيتُ إدريسَ في السماء الرابعة**». صحَّحه الترمذيُّ.

وروى ابن مَرْدُويَه عن أبي سعيدٍ الخدريِّ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله

وسلَّم في قوله: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ قال: «في السماء الرابعة».

وليس بعد بيان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بيانٌ، والذين أوَّلوا الآية علىٰ رِفعة المكانة وشرف النبوة والزُّلفَىٰ لا نوافقهم علىٰ هذا التأويل، بل نرده لوجهين:

أحدهما: أنه مخالفٌ لكلام النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

ثانيهما: أنَّ ذلك المعنىٰ مشتركٌ بين جميع الأنبياء عليهم السلام كما هو معلومٌ بالضرورة، بل لفظ «النبيِّ» معناه مرفوع الرتبة والمكانة؛ لأنه مأخوذٌ من النبوة وهي الرفعة، فلولا أنَّ إدريس رفع حقيقة لم يكن لذكر الرفع بجانبه معنىٰ، ولكان أولىٰ به إبراهيم خليل الله أو موسىٰ كليم الله، مع أنه لم يذكر الرفع بجانب اسمهما كما ذكر بجانب إدريس عليهم السلام.

وأمَّا حياته في السماء إلىٰ الآن فلا نقول بها؛ لأنه لم يقم عليها دليلٌ ولا حِكْمة فيها، بخلاف عيسىٰ فإن بقاءه حيًّا ليقتل الدَّجَّال وليكذِّب اليهود فيما زعموه من صَلْبِه، والنصارىٰ فيما ادَّعوه من ألوهيته.

صداقته لملك الشمس

روىٰ أبو الشيخ في "العظمة" عن وهبٍ قال: إنَّ رجلًا كان يدعو لملك الشمس عليه السلام، فداوم علىٰ ذلك زمانًا حتىٰ أتاه مَلَكُ الشمس فقال: ما تريد بدعاءك؟ قال: أخبرت أنك أكرم الملائكة وأمكن الملائكة عند ملك الموت فاشفع لي إليه.

وتفصيل هذا علىٰ ما جاء في روايةٍ أخرىٰ:

أنَّ إدريس سار ذات يومٍ فأصابه وهج الشمس فقال: ياربِّ، إني مشيت

في الشمس يومًا فتأذَّيت فكيف بمن يحملها؟ اللهمَّ خَفِّف عنه ثقلها واحمل عنه حرَّها، فلما أصبح الملك وجد من نفسه خفَّة الشمس وحرها، فقال: يا رب خفَّفت عنِّي حرَّ الشمس فما الذي قضيت عليَّ فيه؟ فقال تعالىٰ: إنَّ عبدي إدريس سألني أن أُخَفِّف عنك ثِقَلَها وحَرَّها فأجبتُه إلىٰ ذلك، فقال: يا ربِّ، اجمع بيني وبينه واجعل بيني وبينه خُلَّةً. فأذن الله له فكان إدريس يسأله، وكان مما سأله أن قال: أخبرت أنك أكرم الملائكة علىٰ ملك الموت وأمكنهم عنده فاشفع لي إليه يؤخِّر أجلي فأزداد شكرًا وعبادةً. فقال الملَك: لا يؤخِّر اللهُ نَفْسًا إذا جاء أجلها. قال: قد علمتُ ذلك ولكنه أطيب لنفسي. فقال: أنا أكلمه لك، وما كان يستطيع أن يفعله لأحدٍ من بني آدم فهو فاعله لك. ثُمَّ حمله الملك علىٰ جناحه حتىٰ رفعه إلىٰ السماء ووضعه عند مطلع الشمس، ثُمَّ إنه أتىٰ إلىٰ ملك الموت فقال له: لي إليك حاجةٌ؟ فقال له: أفعل لك كلَّ شيءٍ أستطيعه، فقال: لي صديقٌ من بني آدم تشفَّع بي إليك لتؤخِّر أجله. فقال: ليس ذلك إليَّ، ولكن إن أحببت أعلمته أجله، ومتىٰ يموت فيتقدَّم في نفسه. قال: نعم. فنظر في ديوانه فأخبره باسمه وقال: إنك كلمتني في رجلٍ ما أراه يموت أبدًا،. قال: وكيف ذلك؟ قال: إني لأجده يموت عند مطلع الشمس. قال فإني أتيتك وتركته هناك. فقال له: انطلق فلا أراك تجده إلَّا وقد مات والله ما بقي من أجل إدريس شيءٌ. فرجع الملَك فوجده ميتًا.

صداقته لملك الموت

عن أمِّ سلمة رضي الله عنها: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: **«إنَّ إدريسَ كان صديقًا لملَكِ الموتِ فسأله أن يُرِيَهُ الجنَّةَ والنَّارَ، فصعد بإدريس**

فأراه النَّارَ، ففَزِعَ منها وكاد يُغْشَى عليه، فالتفَّ عليه مَلَكُ الموتِ بجناحِهِ، فقال مَلَكُ الموتِ: أليس قد رأيتها؟ قال: بلى، ولم أرَ كاليوم قَطُّ. ثُمَّ انطلق به حتَّى أراه الجنة فدخلها، فقال مَلَكُ الموتِ: انطلق قد رأيتها. قال: إلى أين؟ قال مَلَكُ الموت: حيث كنت. قال إدريس: لا والله لا أخرجُ منها بعد أن دَخَلْتها. فقيل لملَكِ الموتِ: أنتَ أدخلتَهُ إيَّاها، وإنه ليس لأحدٍ دَخَلَها أن يخرجَ منها». رواه الطبرانيُّ في "الأوسط" بإسنادٍ ضعيفٍ.

وسبب صداقته له على ما ذكره وهبٌ وغيره: أنَّ إدريس عليه السلام كان يرفع له كلَّ يومٍ من العبادة مثل ما يرفع لأهل الأرض جميعهم في زمانه، فعجبت الملائكة واشتاق إليه ملك الموت، فاستأذن الله في زيارته، فأذن له فأتاه في صورة بني آدم، وكان إدريس يصوم الدهر فلما كان وقت إفطاره دعاه إلى طعامه فأبى أن يأكل، وفعل ذلك ثلاث ليال، فأنكره، وقال له في الليلة الثانية: إني أريد أن أعلم مَن أنت؟ قال: أنا ملك الموت استأذنت ربي أن أزورك وأصاحبك، فأذن لي في ذلك. فقال إدريس: لي إليك حاجةٌ. قال: وما هي؟ قال: اقبض روحي فأوحى الله تعالى إليه: أن اقبض روحه. ثُمَّ رَدَّها الله تعالى إليه بعد ساعة، فقال له مَلَكُ الموتِ: فما الفائدة في سؤالك قبض الروح؟ قال: لأذوق كرب الموت وغمه فأكون له أشد استعدادًا. ثُمَّ قال له: لي إليك حاجةٌ أخرى. قال: وما هي؟ قال: ترفعني إلى السماء لأنظر إليها وإلى الجنة. فأذن له في ذلك، فلما قرب من النَّار قال: لي إليك حاجةٌ. قال: وما تريد؟ قال: تسأل مَالِكًا يفتح لي أبواب النَّارِ حتى أراها. ففعل ذلك ثُمَّ قال: فكما أريتني النار فأرني الجنة. فذهب به إلى الجنة فاستفتح ففتحت له أبوابها فدخلها، فقال له

ملك الموتِ: اخرج لتعود إلى مَقَرِّك. فتعلق شجرة وقال: لاأخرج منها، فبعث الله ملكًا حَكَمًا، فقال له الملك: ما لك لا تخرج؟ قال: لأن الله تعالى قال: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥]وقد ذقته. وقال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١]وقد وردتها. وقال تعالى: ﴿ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ [الحجر: ٤٨] فلست أخرج. فقال الله تعالى لملك الموت: دعه فإنه بإذني دخل الجنة، وبأمري لا يخرج منها. فهو حيٌّ هناك فتارةً يعبد الله في السماء الرابعة وتارة يتنعَّم في الجنة.

ولهذا الأثر طريقٌ آخر مرفوعٌ سيأتي في قصة هاروت وماروت بحول الله.

وروى ابن أبي حاتمٍ من طريق داود بن أبي هند، عن بعض أصحابه قال: كان ملك الموت صديقًا لإدريس عليه السلام فقال له إدريس يومًا: يا ملك الموت، قال: لبَّيك، قال: أمتني فأرني كيف الموت؟ قال له ملك الموت: سبحان الله يا إدريس إنما يفرُّ أهل السموات والأرض من الموت وتسألني أن أريك كيف الموت؟ قال: إني أحب أن أراه، فلما ألحَّ عليه قال له: يا إدريس، إنما أنا عبدٌ مملوكٌ مثلك وليس إليَّ من الأمر شيءٌ، فصعد ملك الموت فقال: يا رب، إنَّ عبدك سألني أن أريه الموت كيف هو؟ فقال الله: فأمته، قال له ملك الموت: إنما يفرُّ الخلق من الموت، قال: فأرني. فلما مات بقي ملك الموت لا يستطيع أن يرد روحه إليه، فقال: يا رب، قد ترى ما إدريس فيه، فرد الله روحه إليه فمكث ما شاء الله حيًّا، ثُمَّ قال: يا ملك الموت، أدخلني الجنة فأنظر إليها. قال له: يا إدريس، إنما أنا عبدٌ مملوكٌ مثلك ليس إليَّ من الأمر شيءٌ فألحَّ عليه. فقال مَلَكُ

الموت: يا ربِّ، إنَّ عبدك إدريس قد ألحَّ يسألني أن أدخله الجنة فيراها، وقد قلت له: إنما أنا عبدٌ مملوكٌ مثلك وليس إليَّ من الأمر شيءٌ. قال الله: فأدْخِلْهُ الجنَّة. فكان فيها ما شاء الله، فقال له ملك الموت: اخرج بنا. قال: لا والله، قال الله: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ۝٥٨ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ﴾ [الصافات: ٥٨ – ٥٩]، وقال الله: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨] وما أنا بخارجٍ منها. قال ملك الموت: يا ربِّ، قد تسمع ما يقول عبدك إدريس. قال الله: صدق عبدي هو أعلم منك، فاخرج منها ودعه فيها. فقال الله: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧].

وعن الحسن في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧]قال: الجنة.

هل يدخل أحد الجنة قبل يوم القيامة؟

قال العلَّامة المُحدِّث الشيخ محمد بن عبدالباقي الزرقانيُّ المالكيُّ في "الأجوبة المصرية عن الأسئلة المغربية" في جواب السؤال التاسع والثلاثين وهو: هل يدخل أحد الجنة أو النار قبل يوم القيامة؟ الجواب: دخول الاستقرار إنما يكون يوم القيامة، أمَّا الدخول العارض فلا مانع منه للمعصوم، فقد دخل النبيُّ عليه الصلاة والسلام الجنة ليلة الإسراء، وأخبر عنها واطلع على النار، نعم قيل في قوله تعالى في إدريس عليه الصلاة والسلام: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧] إنه الجنة وإنه حيٌّ فيها. حكاه البغويُّ وغيره.

وأمَّا من ادَّعى من غير المعصوم أنه يدخل الجنة ويأكل من ثمارها فهذا مرتدٌّ كما نصَّ عليه القرافيُّ في "الذخيرة" وتبعوه عليه، واستظهر العارف الشعرانيُّ مثل

ذلك في مدعي دخول النار، وتبعه عليه بعض المشايخ المالكية».اهـ

اسم ملك الموت

اشتهر اسم ملك الموت بعزرائيل، ولم يرد تسميته بذلك الاسم إلَّا في حديثٍ موضوعٍ، نعم ورد في أثرٍ عن أشعث بن سليم رواه ابن أبي الدُّنيا وأبو الشيخ.

وقال الحافظ ابن كثيرٍ في "التاريخ": «وأمَّا مَلَكُ الموتِ فلم يُصَرَّح باسمه في القرآن ولا في الأحاديث الصِّحاح، وقد جاء في بعض الآثار تسميته بعزرائيل والله أعلم».اهـ

هل كان إدريس حكيمًا؟

جاء في "مختصر الزوزنيِّ" المسمَّى بـ"المنتخبات الملتقطات" من كتاب "إخبار العلماء بأخبار الحكماء" لجمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطيِّ ما نلخِّصه فيما يلي: إدريس اختلف الحكماء في مولده ومنشئه وعمن أخذ العلم قبل النبوة، فقالت فرقة: ولد بمصر وسموه هرمس الهرامسة ومولده بمنف.

وقالوا: هو باليونانية «أرميس»، وعرب «بهرمس»، ومعنى أرميس: عطارد.

وقال آخرون: اسمه باليونانية «طرميس»، وهو عند العبرانيين «خنوخ»، وعرب «أخنوخ»، وسماه الله عزَّ وجلَّ في كتابه: «إدريس».

وقال هؤلاء: إنَّ معلمه «إغثاذيمون» المصري، ولم يذكروا من كان هذا الرجل؟ لكنهم قالوا: كان أحد الأنبياء، وسموه أيضًا «أورين الثاني». وإدريس عندهم «أورين الثالث»، وتفسير «إغثاذيمون»: السعيد الجد.

قالوا: وخرج هرمس من مصر وجاب الأرض كلها ثمَّ عاد إليها ورفعه الله إليه بها، وذلك بعد اثنتين وثمانين من عمره[١].

وقالت فرقةٌ أخرىٰ: إنَّ إدريس ولد ببابل وبها نشأ، وإنه أخذ في أول عمره بعلم شيث بن آدم وهو جد أبيه.

قال الشهرستانيُّ: إنَّ «إغثاذيمون»: هو شيث، ولما كبر إدريس آتاه الله النبوة فنهىٰ المفسدين من بني آدم علىٰ مخالفتهم شريعة آدم وشيث عليهما السلام، فأطاعه أقلهم، وخالفه جُلُّهم، فنوىٰ الرحلة عنهم، وأمر من أطاعه منهم بذلك فثقل عليهم الرحيل، وقالوا له: وأين نجد -إذا رحلنا- مثل بابل؟ وبابل بالسريانية: النهر، وكأنهم عنوا بذلك دجلة والفرات. فقال: إذا هاجرنا لله رزقنا غيره، فخرج وخرجوا، وساروا إلىٰ أن وافوا هذا الإقليم الذي يسمىٰ بابليون، فرأوا النيل ورأوا واديًا خاليًا من ساكنٍ، فوقف علىٰ النيل وسبَّح لله، وقال لجماعته: بابليون: أي نهر كنهر. وقيل: نهر كنهركم. وقيل: نهر مبارك. وقيل: يون -في السريانية- مثل أفعل التفضيل عند العرب، فكأن معناه نهر أكبر، فسمي عند جميع الأمم «بابليون» إلَّا العرب فإنهم يسمونه إقليم مصر نسبة إلىٰ مصر بن حام الذي نزل به بعد الطوفان.

وأقام إدريس بمصر يدعو الخلق إلىٰ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وطاعة الله عزَّ وجلَّ، وتكلَّم الناس في أيامه باثنين وسبعين لسانًا، ورسم لهم

---

(١) وذكر ابن قتيبة أنه رفع وهو ابن ثلاثمائة وخمسين سنة. نقله الحافظ ابن حجرٍ في "فتح الباري".

تمدين المدن، وجمع طالبي العلم بكل مدينة فعرفهم السياسة المدنية وقرَّر لهم قواعدها، فبنت كلُّ فرقةٍ من الأمم مُدُنًا في أرضها، فكانت عدة المدن التي بنيت في زمانه مائة وثماني وثمانين مدينة، أصغرها الرها[1]، وعلمهم العلوم، وهو أول من استخرج الحِكْمة وعلَّم النجوم، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ أفهمه أسرار الفَلَك وتركيبه ونقط اجتماع الكواكب فيه، وأفهمه عدد السنين والحساب، ولولا ذلك لم تصل الخواطر باستقرائها إلى ذلك، وأقام للأمم سننًا، في كل إقليم سنة تليق بأهله.

بعض ما سَنَّه لقومه

دعا إلى دين الله والقول بالتوحيد، وعبادة الخالق، وتخليص النفوس من العذاب في الآخرة بالعمل الصالح في الدنيا، وحَضَّ على الزهد في الدنيا والعمل بالعدل، وأمرهم بصلوات بيَّنها لهم، وأمرهم بصيام أيامٍ مُعيَّنةٍ مِن كلِّ شهرٍ، وحثَّهم على الجهاد لأعداء الدين، وأمرهم بزكاة الأموال معونةً للضعفاء، وغَلَّظ عليهم في الطهارة من الجنابة والكلب والخنزير، وحَرَّم المُسكِر من المشروبات وشدَّد فيه أعظم تشديدٍ، وجعل لهم أعيادًا كثيرةً في أوقاتٍ معروفةٍ، وقربانات، منها: لدخول الشمس رؤوس البروج، ومنها لرؤية الهلال، وكلما صارت الكواكب في بيوتها وشرفها وناظرت كواكب أخر.

---

(١) بضم الراء: بلد ينسب إليه جماعة من الحفَّاظ منهم عبدالقادر الرهاوي.

ما أمر به من القرابين لله تعالى

أمر بتقريب البخور والذبائح وكل باكورة، فمن الرياحين الورد، ومن الحبوب القمح، ومن الفواكه العنب، ووعد أهل دينه أنبياء عدة يأتون من بعده، ووصف لهم النبيَّ فقال: يكون بريئًا من المذمَّات والآفات كلِّها، كاملًا في الفضائل الممدوحات، لايقصر عن مسألةٍ يُسألُ عنها ممَّا في الأرض والسماء، وما فيه دواءٌ وشفاءٌ مِن كلِّ ألمٍ، وأن يكون مستجاب الدعوة في كلِّ ما يطلبه، وأن يكون مذهبه ودعوته المذهب الذي يصلح به العالم.

فلم يزالوا على هذه القاعدة من الفعل في العبادة وأدب الائتمار بهذه الشريعة إلى أن رفع الله إدريس إليه، وخلفه أصحابه على شريعته، وكانت قبلته إلى حقيقة الجنوب على خطِّ نصف النهار، وشريعته تعرف عند الصابئين بالقيِّمة.

صفة هرمس الهرامسة وهو إدريس

قيل: إنه كان رجلًا آدم، تامَّ القامَة، أَجْلَح، حَسَنَ الوجه، كثَّ اللحية، مَليحَ الشَّمائل والتخاطيط، تامَّ الباع، عريض المَنْكَبين، ضَخْمَ العِظام، قليل اللحم، برَّاق العينين أكحلهما، متأنيًّا في كلامه كثير الصَّمْتِ، ساكِنَ الأعضاءِ، إذا مشى أكثر نظره إلى الأرض، كثير الفِكْرة، به عبسة، وإذا اغتاظ احتد يحرك سبابته إذا تكلم(١).

---

(١) هذه صفته على ما جاء عند الحكماء، و أما ما جاء في السُّنَّة فلم نقف إلَّا على أثرٍ واحدٍ يخالف ما هنا: روى الحاكم في "المستدرك" عن سمرة بن جندب قال: كان إدريس رجلًا أبيض طويلًا، ضَخْمَ البطن، عريض الصدر، قليل شعر الجسد، كثير شعر

نقش فص خاتمه

و كان على فصِّ خاتمه: «الصبر مع الإيمان بالله يورث الظَّفَر».

وعلى المنطقة التي يلبسها: «الأعياد في حفظ الفروض، والشريعة من تمام الدين، وتمام الدين كمال المروءة».

وعلى المنطقة التي يلبسها وقت الصلاة على الميت: «السعيد من نظر لنفسه وشفاعته عند ربِّه أعماله الصالحة».

مواعظه وحكمه

كانت له مواعظ وآداب استخرجتها كلُّ فرقةٍ بلسانها، تجري مجرى الأمثال والرموز، منها:

- لن يستطيع أحدٌ أن يشكر الله على نعمةٍ بمثل الإنعام على خَلْقِهِ.

- مَن أراد بلوغ العِلْمِ وصالح العمل فليترك من يده أداة الجهل وسيِّء العمل، كما ترى الصانع الذي يعرف الصنائع كلها إذا أراد الخياطة أخذ آلتها وترك آلة النجارة، فحبُّ الدنيا وحبُّ الآخرة لا يجتمعان في قلبٍ أبدًا.

- خير الدنيا حسرةٌ، وشرُّها ندمٌ.

- إذا دعوتم الله فأخلصوا النيَّة، وكذا الصِّيام والصَّلَوات فافعلوا.

- لا تحلِفوا كاذبين، ولا تهجموا على الله باليمين، ولا تُحلِّفوا الكاذبين فتشاركوهم في الإثم.

الرأس، وكانت إحدى عينيه أعظم من الأخرى، وكانت في صدره نكتةٌ بيضاء من غير برص، فلما رأى الله من أهل الأرض ما رأى من جورهم واعتدائهم في أمر الله رفعه الله إلى السماء السادسة، فهو حيث يقول: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧].

- تجنَّبوا المكاسب الدنيئة.
- أطيعوا ملوككم، واخضعوا لأكابركم، واملؤوا أفواهكم بحمد الله.
- حياة النفس الحِكْمة.
- لا تحسدوا الناس على مواتاة الحظِّ، فإنَّ استمتاعهم به قليلٌ.
- مَن تجاوز الكفاف لم يغنه شيءٌ.

هذا ملخَّص ما جاء في الكتاب[1] المذكور مما ذكره الحكماء عن إدريس عليه السلام، أو «هرمس الهرامسة» كما يسمُّونه.

وذكروا أيضًا أنه أوَّل من نظر في علم الطب، وألَّف لأهل زمانه قصائد موزونة في الأشياء الأرضية والسماوية، وأنه أول من أنذر بالطوفان.

هل هو إلياس؟

في "صحيح البخاري": «ويذكر عن ابن مسعودٍ وابن عبَّاسٍ: أنَّ إلياس هو إدريس».

أمَّا قول ابن مسعود فرواه عبد بن حُميد وابن أبي حاتمٍ عنه قال: «إلياس هو إدريس، ويعقوب هو إسرائيل». وإسناده حسنٌ كما قال الحافظ ابن حجرٍ.

وأمَّا قول ابن عبَّاسٍ فرواه جُويبر في "تفسيره" عن الضَّحَّاك، وإسناده ضعيفٌ منقطعٌ.

---

(١) وهو كتاب "المنتخبات الملتقطات" لمحمد بن علي بن محمد الخطيبي الزوزني، طبع في ليبسك سنة ١٩٠٣م، ثم في مصر سنة ١٣٢٦هـ. وأصله "إخبار العلماء بأخبار الحكماء" للوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي، لم يطبع.

فإدريس على هذا ليس بجدٍّ لنوحٍ بل هو من بني إسرائيل من ذرية هارون أخي موسى عليهما السلام؛ لأن إلياس ابن نسي بن فنحاص بن العيزار بن هارون.

ورجَّح هذا الرأي أبو بكر بن العربي المعافري واستشهد له بحديث الإسراء، فإنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حين لقيه في السماء الرابعة قال له: «مرحبًا بالنبيِّ الصالح والأخ الصالح». ولو كان من أجداد نوحٍ لكان جدًّا له صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ولقال له: مرحبًا بالنبيِّ الصالح والابن الصالح كما قال له آدم وإبراهيم عليهما السلام.

ووافقه تلميذه الحافظ السهيليُّ فقال في "الروض الأُنُف": «وهذا القول عندي أنبل، والنفس إليه أميل لما عضده من هذا الدليل».

وتعقَّبه الحافظ ابن حجرٍ بقوله: «وهو استدلال جيِّدٌ إلَّا أنه قد يُجاب عنه بأنه قال ذلك على سبيل التواضع والتلطُّف، فليس ذلك نصًّا فيما زعم».اهـ

وقال الحافظ ابن كثير: «وهذا لا يدل ولابد؛ لأنه قد لا يكون الراوي حفظه جيِّدًا، أو لعلَّه قاله له على سبيل الهضم والتواضع ولم ينتصب له في مقام الأبوة كما انتصب آدم أبو البشر، وإبراهيم الذي هو خليل الرحمن وأكبر أولي العزم بعد محمَّدٍ صلوات الله عليهم أجمعين».

ونحا العلامة الجامي منحى آخر في كون إدريس هو إلياس حيث قال: «النفس الناطقة الكاملة إذا تحقَّقت بمظهرية الاسم الجامع تظهر في صورٍ كثيرةٍ من غير تقيدٍ وانحصارٍ، فتصدق تلك الصور عليها وتتصادق لاتحاد عينها، كما تتعدَّد لاختلاف صورها، ولذلك قيل في إدريس عليه السلام إنه هو إلياس

المرسل إلى بعلبك، لا بمعنى أنَّ العين خلع الصورة الإدريسية ولبس لباس الصورة الإلياسية -وإلَّا لكان قولًا بالتناسخ- بل إن هوية إدريس عليه السلام مع كونها قائمةً في إنيةٍ وصورةٍ في السماء الرابعة ظهرت وتعيَّنت في إنية إلياس الباقي إلى الآن، فيكون من حيث العين والحقيقة واحدًا ومن حيث التعيين الصوري اثنين كنحو جبريل وميكائيل وعزرائيل يظهرون في الآن الواحد في مائة ألف مكان بصورٍ شتَّى كلها قائمٌ بهم، وكذلك أرواح الكُمَّل، كما يروى عن قضيب البان الموصلي أنه كان يرى في زمانٍ واحدٍ في مجالس متعدِّدة مشتغلًا في كلٍّ بما يغاير ما في الآخر، ولما لم يسع هذا الحديث أوهام المتوغِّلين في الزمان والمكان تلقَّوه بالردِّ والعناد، وحكموا عليه بالبطلان والفساد، وأمَّا الذين منحوا التوفيق للنجاة من هذا المضيق فسلَّموا». اهـ

ويعتبر هذا جمعًا بين القولين في إدريس عليه السلام، لكنه يتمشَّى على مشربٍ خاصٍّ ربما لا تستسيغه عقول كثيرٍ من الناس؛ لأنه ينبني على إثبات عالم المثال المشار له بقوله تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧] وهذا بحثٌ حرَّرناه في كتاب "الحجج البينات في إثبات الكرامات" فلا نعيده هنا.

الخلاصة

أوردنا في هذه القصة ما جاء عن الصحابة والتابعين ومشى عليه كثيرٌ من المُفسِّرين، وضممنا إليه ما قاله الحكماء، ولم يكن قصدنا التعويل على كلِّ ما قيل أو نُقِل؛ لعلمنا أنَّ في ذلك كثيرًا من المدخول والمنحول، وإنما أردنا أن ننوِّع وجوه المعرفة للقرَّاء ثُمَّ نتبعها بتمحيص الآراء، فلا نعتمد منها إلَّا ما أيَّده الدليل،

تاركين سواه في دائرة الجواز والإمكان، لا نقطع بأحد طرفيه إلَّا ببرهان.

والذي نعتمده هنا أمور:

الأول: نبوَّة إدريس عليه السلام لتصريح القرآن بها.

الثاني: رسالته لتصريح الحديث لها، لكن مُنكِرها لا يكفر بخلاف مُنكِر نبوته، فإنه يكفر لتكذيبه القرآن الكريم.

الثالث: إنه جد نوحٍ وأنه غير إلياس عليهم السلام، وقد استفاض هذا بين المؤرخِّين والإخباريين والنسَّابيين، حتىٰ نقل فيه الإجماع وإن كان غير صحيحٍ.

الرابع: إنه أوَّل مَن خَطَّ بالقَلَم ونظر في علوم النجوم وما ينبني عليه.

الخامس: إنه رُفِعَ؛ لظاهر خبر القرآن، وأنه في السماء الرابعة بنصِّ الحديث الصحيح، والقول بأنه في السماء السادسة غير معتمدٍ، وكلُّ قول يخالف الحديث الصحيح نردُّه ولا نعتمده كائنًا مَن كان قائله.

السادس: إنه كان صَدِيقًا لملَك الموتِ.

السابع: إنه مات وليس بحيٍّ الآن إلَّا الحياة البرزخية التي يحياها الأنبياء بعد وفاتهم، وهي حياةٌ معنويَّةٌ كاملةٌ، ولهذا لا تبلىٰ أجساد الأنبياء كما ورد في السُّنَّة المتواترة وأجمع عليه العلماء.

(تنبيه): لا يَرِد علىٰ القول برسالة إدريس قول الناس لنوحٍ: أنت أول رسول إلىٰ أهل الأرض كما في حديث الشفاعة؛ لأنه بعد الطوفان لم يبقَ علىٰ الأرض إلَّا قوم نوحٍ فكانت رسالته عامَّةً لأهل الأرض إذ ذاك وهم قومه، فصح أنه أول رسول إلىٰ أهل الأرض بهذا المعنىٰ، أمَّا إدريس فكان رسولًا إلىٰ

قومه مع وجود غيرهم ولم يرسل إليهم.

والحاصل: أنَّ عموم رسالة نوحٍ لأهل الأرض كان اتفاقيًّا بعد حادثة الطوفان، بخلاف رسالة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فهي عامَّةٌ أصالةً لا اتفاقًا.

٣- قِصَّةُ داودَ عليه السَّلام

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على أشرف المرسلين سيِّدنا محمَّدٍ وآله الأكرمين، ورضي الله عن صحابته والتابعين.

أمَّا بعد: فهذا جزءٌ كتبته في شرح قصة داود عليه السَّلام، أتيتُ فيه بما لم أُسبق إليه بحمد الله، ممَّا أنعم الله به عليَّ وألهمني إيَّاه، بعد أن طالعت جملةً من كتب التفسير وغيرها، فلم أجدها عرَّجت على المعنى الذي ابتكرته ولا حامت حوله، لغفلة أصحابها عن مراعاة السِّياق، وهو أمرٌ لازمٌ لمن يريد أن يكتب التفسير، ويفهم آيات القرآن فهمًا دقيقًا بقدر الإمكان، واللهُ المسئول أن يرزقني التوفيق، والهداية إلى أقوم طريق.

تمهيد

بيَّن العلماء ما يحتاج إليه المُفسِّر، من أنواع المعرفة الواجبة في التفسير ولا يتمُّ إلَّا بها، فذكروا منها: علم العربية الشامل للنحو والصرف والمفردات اللغوية، وعلوم البلاغة، والقراءات، ووقوف القرآن، وأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والحديث، والأصول، وأوصلها بعضهم إلى أربعة عشر عِلْمًا.

وغفلوا عن مراعاة السِّياق فلم يذكروها، وأهملها المُفسِّرون في تفسيرهم للقرآن سواء منهم المتقدِّمون والمتأخِّرون، ووقعوا بسبب إهمالهم لها في أغلاطٍ، نُنبِّه على بعضها على سبيل المثال، لا الحصر:

١- قال الله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [البقرة: ٩٦] الآية، سياق الكلام هنا على اليهود لعنهم الله، تحدَّاهم في أوَّل الآية أن يتمنَّوا الموت إن كانت الجنَّة مضمونةً لهم دون المسلمين، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٩٤].

لأنكم إذا متم ستذهبون إلى الجنة بزعمكم، وفي اعتقادكم، ثُمَّ أخبر أنهم لا يتمنَّونه أبدًا، لأنهم يعلمون ما ينتظرهم من العذاب لكفرهم وقتلهم الأنبياء والصالحين، فقال جلَّ شأنه: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٩٥]، فكانت هذه معجزةً، حيث أخبر القرآن أنهم لا يتمنَّون الموت مع تحدِّيه لهم، فلم يتمنَّونه.

ثُمَّ أخبر أنهم يحرصون على الحياة أشدَّ الحرص فقال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ﴾ أي: ولتعلمنَّهم ﴿أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ ﴿وَ﴾ أحرص ﴿مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ خصَّ الذين أشركوا بالذكر لأنَّ حرصهم شديدٌ، وفي هذا توبيخٌ عظيمٌ، لأنَّ الذين أشركوا لا يؤمنون بالبعث ولا يعرفون إلَّا الحياة الدنيا، فحرصهم عليها لا يُستبعد لأنها جنَّتهم فإذا زاد عليهم في الحرص من عنده كتاب، وهو مُقِرٌّ بالبعث كان حقيقًا بأعظم التوبيخ.

والوقف على لفظ: ﴿أَشْرَكُوا﴾؛ لأنَّ به يتم المعنى، وجملة ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾ أي: اليهود ﴿لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ بيان لشدَّة حرصهم بأنَّ الواحد منهم يتمنى لو عاش ألف سنةٍ، وهي جملةٌ مُستأنفة، وهذا التفسير هو المتعيِّن، لأنه موافقٌ لنظم الآية، وسياق الكلام.

ومن المفسِّرين من سلك وجهًا آخر في الآية فقال: إنَّ الكلام تمَّ عند قوله: ﴿عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾، و ﴿مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ كلامٌ مستأنفٌ، أريد به المجوس الذين كانوا يقولون لملوكهم: عِشْ ألف نيروز وألف مهرجان.

وهذ الوجه حكاه الزمخشريُّ، وابن كثيرٍ، وابن جُزَي وغيرهم، ورجَّحوا عليه التفسير الأول، لكن لم يُبطلوا هذا الوجه، وهو باطل لأنَّ إدخال المشركين هنا مع كونه قليل الفائدة يُغيِّر معنى الآية، ويُخالف نظمها، ويقطع الترابط بينها وبين ما سبقها وما تأخَّر عنها من الآيات.

ذلك أنَّ سياق الكلام، من قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠] إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟

مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ﴾ [البقرة: ١٠٢] كلُّه على اليهود بطريق الخطاب لهم تارةً، وبطريق الغيبة أخرى، وفي هذه الآية تحدَّاهم أن يتمنَّوا الموت إن كانت لهم الجنَّة كما يزعمون، وأخبر أنهم يحبُّون الحياة ويحرصون عليها أكثر من المشركين الذين لا يعرفون البعث ولا حياة غير هذه الحياة، وتوعَّدهم بالعذاب الذي ينتظرهم ولو عاشوا ألف سنةٍ، وهذا لا ينطبق على المجوس الأُمِّيين الذين لا كتاب لهم، وتمنيهم للحياة الطويلة ليس خوفًا من العذاب كاليهود لأنهم لا يعرفون حياة أخرى ولكن لمزيد التمتع بهذه الحياة الدنيا، فإقحامهم هنا لا معنى له ولا فائدة وإنما سببه الغفلة عن مراعاة السياق وبالله التوفيق.

٢- قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

قيل: إنَّ هذه الآية نزلت في تحريم الكلام في الصَّلاة، وقيل: نزلت في السكوت عن الخطبة يوم الجمعة، وقيل: نزلت في ترك الجهر بالقراءة خلف الإمام، وقيل: في الإنصات يوم عيد الأضحى ويوم عيد الفطر ويوم الجمعة، وفيما يجهر به الإمام.

ويُضعِّف هذه الأقوال أنَّ الآية مكيَّة، وهذه الأمور لم تُشرع إلَّا في المدينة، وقال القاضي عبدالجبَّار بن أحمد في كتاب "فوائد القرآن": «إنَّ المشركين كانوا يُكثرون اللَّغط والشَّغب، تعنُّتًا وعِنادًا، على ما حكاه الله عنهم: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ [فصلت: ٢٦]، فأمر الله المسلمين

-حالة أداء الوحي- أن يكونوا على خلاف هذه الحالة وأن يستمعوا، ومدح الجنَّ على ذلك فقال: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الأحقاف: ٢٩] الآية».

قال الإمام الرازيُّ في "التفسير الكبير": «وفي الآية قولٌ آخر وهو: إنَّ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟﴾ [الأعراف: ٢٠٤] خطابٌ مع الكفَّار في ابتداء التبليغ وليس خطابًا مع المسلمين، وهذا قولٌ حسنٌ مناسبٌ.

وتقريره أنَّ الله تعالى حكى قبل هذه الآية أنَّ قومًا من الكفَّار يطلبون آياتٍ مخصوصةً، ومعجزاتٍ مخصوصةً، فإذا كان النبيُّ عليه الصَّلاة والسَّلام لا يأتيهم بها ﴿قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا﴾ [الأعراف: ٢٠٣]، فأمر الله رسوله أن يقول جوابًا عن كلامهم، إنه ليس لي أن أقترح على ربِّي، وليس لي إلَّا أن أنتظر الوحي.

ثُمَّ بيَّن الله تعالى أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إنما ترك الإتيان بتلك المعجزات التي اقترحوها في صحَّة النبوة، لأنَّ القرآن معجزةٌ تامَّةٌ كافيةٌ في إثبات النبوة، وعبَّر الله تعالى عن هذا المعنى بقوله: ﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٣].

فلو قلنا: إنَّ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟﴾ [الأعراف: ٢٠٤] المراد منه القراءة خلف الإمام، لم يحصل بين هذه الآية وبين ما قبلها تعلُّقٌ بوجهٍ من الوجوه، وانقطع النظم، وفسد الترتيب، وذلك لا يليق بكلام الله تعالى، فوجب أن يكون المراد منه شيئًا آخر سوى ما تقدَّم.

وتقريره: إنه لما ذكر كون القرآن بصائر وهدًى ورحمةً من حيث أنه معجزةٌ دالَّةٌ على صِدْقِ محمَّدٍ عليه الصَّلاة والسَّلام، وكونه كذلك لا يظهر إلَّا بشرطٍ مخصوصٍ، وهو أنَّ النبيَّ عليه الصلاة والسَّلام إذا قرأ القرآن على أولئك الكفَّار، استمعوا له وأنصتوا حتى يقفوا على فصاحته، ويحيطوا بما فيه من العلوم الكثيرة، فحينئذٍ يظهر لهم كونه معجزًا دالًّا على صدق محمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فيستغنوا بهذا القرآن عن طلب سائر المعجزات، ويظهر لهم صِدْق قوله في صفة القرآن أنه بصائر وهدى ورحمةٌ، فثبت أنَّا إذا حملنا الآية على هذا الوجه استقام النظم وحصل الترتيب الحسن المفيد.

ومما يؤكِّد هذا الوجه ويُقوِّيه أمران:

الأول: أنه تعالى حكى عن الكفَّار أنهم قالوا: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦] فناسب أن يأمرهم بالاستماع والسكوت، حتى يُمكنهم الوقوف على ما في القرآن من الوجوه الكثيرة البالغة حدَّ الإعجاز.

والآخر: أنه تعالى قال قبل هذه الآية: ﴿هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٣]، فحكم تعالى بكون هذا القرآن رحمة للمؤمنين على سبيل القطع والجزم ولو كان المخاطبون بقوله: ﴿فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا﴾ هم المؤمنون لما قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾؛ لأنه جزم تعالى قبل هذه الآية بكون القرآن رحمةً للمؤمنين قطعًا، فكيف يقول بعده من غير فصل: لعل استماع القرآن يكون رحمةً للمؤمنين؟!. فثبت أنَّ الخطاب موجَّهٌ للكفار، لأنهم باستماعهم للقرآن ووقوفهم على ما فيه من وجوه الإعجاز يؤمنون فيكونون مرحومين». اهـ

هذا كلام الإمام الرازي وهو في غاية الجودة، وقد فطن لمراعاة السِّياق ولم يتفطَّن لها غيره، والله أعلم.

ثالثًا: قول الله: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان: ٢٧] الآية. نزلت في أُبيِّ بن خلف وعقبة بن أبي معيط، وكانا خليلين وكان أُبيٌّ يجلس مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لا يُؤذيه وكان رجلًا حليمًا، فصنع طعامًا، ودعا إليه النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال له: «**لا أذهب حتى تشهد أن لا إله إلَّا الله وأني رسول الله**». فتشهد، وذهب النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى بيته وأكل طعامه، فلقي أُبيًّا خليله عقبة بن أبي معيطٍ، وكان سفيهًا شرسًا، فقال له: لا أرضى عنك، حتى تأتي محمَّدًا فتتفل في وجهه، وتشتمه وتكذِّبه، فلم يسلطه الله على ذلك، فلما كان يوم بدرٍ، أُسِر عقبة، فأمر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عليًّا أن يقتله، فقال عقبة: يا محمَّد أَمِن بين هؤلاء أُقتل؟ قال: «**نعم**». قال: بِمَ؟ قال: «**بكفرك وفجورك وعُتُوِّك على الله ورسوله**». فقام إليه عليّ بن أبي طالبٍ فضرب عنقه، وأمَّا أُبي فإنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قتله يوم أُحدٍ.

فالظالم في الآية مرادٌ به المشرك وهو أُبيُّ بن خلف، والشِّرك ظلمٌ، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣]، والآية عامَّةٌ في كلِّ مُشرِكَين اصطحبا على الشِّرك، وكثيرٌ من المفسِّرين عمَّموا الآية في المسلمين أيضًا، فقالوا: إنها تشمل كلَّ مسلِمَين تصاحبا على فسقٍ كشرب خمرٍ أو زنا أو نحو ذلك من الكبائر.

وهذا خطأ كبيرٌ وبيانه من وجوهٍ:

أولًا: أنه مخالفٌ للسِّياق الذي بمراعاته يظهر تناسب الآيات وتناسقها، فإنَّ الكلام من أول قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ [الفرقان: ٢١] في المشركين، وهو عام في كلِّ مشركٍ.

ثانيًا: أنَّ المسلم العاصي لا يَعَضُّ علىٰ يديه يوم القيامة؛ لأنه يأمل شفاعةً تلحقه، أو عفوًا يشمله، أمَّا المشرك فإنه آيسٌ من رحمة الله تعالىٰ؛ فلذلك يَعَضُّ علىٰ يديه ندمًا وأسفًا.

ثالثًا: أنَّ المسلم العاصي اتَّخذ مع الرسول سبيلًا بإيمانه، ومعاصيه لا تُخرجه من حظيرة الإيمان، فلذلك لا يقول: ﴿يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾، وإنما يقولها المشرك الذي كان يُكذِّب الرسول ويُعارضه.

ويجب أن ننبِّه على غلطٍ آخر وقع من المفسِّرين في آيةٍ أخرى:

قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ الذين اتقوا الشرك ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الزخرف: ٦٧ - ٦٨].

روىٰ ابن جريرٍ، عن المعتمر بن سليمان، عن أبيه قال: سمعت أنَّ النَّاس حين يُبعثون، ليس منهم إلَّا فَزِع؟ فيُنادي منادٍ في العَرَصَات: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الزخرف: ٦٨] فيرفع أهل العَرْصَةِ رؤوسهم، فيقول المنادي: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾ [الزخرف: ٦٩] فيُنكِّس أهل الأديان رؤوسهم غير المسلمين.

فتبيَّن أنَّ المتقين في الآية مرادٌ بهم الذين اتقوا الشِّرك وهم المسلمون، وهذا واضحٌ من لفظ الآية ونَظْمِها، ومع ذلك حمل كثيرٌ من المفسِّرين لفظ المتقين على المتقين للمعاصي، وهو غلطٌ ظاهرٌ، والله أعلم.

(تنبيه): لا نُنكر أنَّ أهل المعاصي المسلمين إذا تصاحبوا على معاصيهم في الدنيا يتلاومون يوم القيامة، ويَعْتِبُ بعضهم على بعضٍ لكن لا يَتعادون، ولا يلعن بعضهم بعضًا، ولا يتبرَّأ تابعهم من متبوعهم، بل ذلك إنما يقع مع الكفَّار كما حكاه الله عنهم في كتابه.

روى ابن مَرْدُويَه عن سعد بن معاذٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا كان يومُ القيامة انقطعتْ الأرحامُ، وقلَّتْ الأنسابُ، وذهبتْ الأُخوَّة إلَّا الأُخوَّة في الله**».

وذلك قوله تعالى: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف: ٦٧].

وهي أخوَّة الإسلام، ويوم القيامة تظهر فضيلة تلك الأخوَّة وميزتها، فلا يمكن لمسلمٍ أن يلعن أخاه أو يتبرَّأ منه أو يُعاديه، لأنهما سيصيران إلى الجنَّة، وإنما يلومه أو يعاتبه، كما يحصل بين الأخ وأخيه في الدنيا.

قصة داود عليه السلام

وبعد انتهاء الكلام في التمهيد، ننتقل إلى الكلام فيما أنشأنا هذا الجزء لأجله، وهي قصة داود عليه السَّلام، أعني قصة الخصم المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾ [ص: ٢١] الآية.

وقد افترق المفسِّرون ثلاث فرقٍ في تفسيرها:

١- فرقةٌ اقتصرت على تفسير المفردات وأعرضت عن تفصيل القصة:

منهم أبو حَيَّان، قال في "تفسيره": «وذكر المفسِّرون في هذه القصة أشياء لا تُناسب مناصب الأنبياء، ضربنا عن ذكرها صفحًا، وتكلَّمنا على ألفاظ الآية».اهـ

ومنهم ابن كثيرٍ، قال في "تفسيره": «قد ذكر المفسِّرون ههنا قصةً أكثرها مأخوذٌ من الإسرائيليات، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديثٌ يجب اتباعه، ولكن روى ابن أبي حاتمٍ هنا حديثًا لا يصحُّ سنده؛ لأنه من رواية يزيد الرَّقاشيِّ، عن أنسٍ رضي الله عنه، ويزيد وإن كان من الصالحين لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة، فالأولى أن يُقتصر على مُجرَّد تلاوة هذه القصة، وأن يُردَّ علمها إلى الله عزَّ وجلَّ، فإنَّ القرآن حقٌّ، وما تَضَمَّنَ فهو حقٌّ أيضًا».اهـ

٢- وفرقةٌ ذكرت القصة مبسوطةً أو مختصرةً:

منهم: الزمخشريُّ، والقرطبيُّ، والخازن، وأبو السُّعود، والنَّسَفيُّ، والبيضاويُّ، وابن جُزَي، والثعالبيُّ.

ومستندهم في ذكرها أنها رويت عن ابن عبَّاسٍ، ومجاهدٍ، وأبي عمران

الجونيِّ، والسُّدِّي، بل ورد فيها حديثٌ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، لكنه غير صحيحٍ كما قال ابن كثيرٍ.

وأنا أذكر تلك الروايات، وأُبيِّن ما فيها بحول الله:

١- روى ابن أبي شيبة وابن أبي حاتمٍ عن ابن عبَّاسٍ: أنَّ داود عليه السَّلام، حدَّثَ نفسه، إن ابْتُلي أن يَعْتَصِم، فقيل له إنك ستُبتلى وستعلم اليوم الذي تُبتلى فيه، فخذ حِذْرك، فقيل له: هذا اليوم الذي تُبتلى فيه، فأخذ الزبور ودخل المحراب، وأغلق باب المحراب، وأدخل الزبور في حجره، وأقعد حارسًا على الباب، وقال: لا تأذن لأحدٍ عليَّ اليوم، فبينما هو يقرأ الزبور، إذ جاء طائرٌ مُذهَّبٌ كأحسن ما يكون الطير، فيه من كلِّ لونٍ، فجعل يَدْرجُ بين يديه، فدنا منه فأمكن أن يأخذه، فتناوله بيده ليأخذه فطار، فوقع على كُوَّة المحراب، فدنا منه ليأخذه، فطار، فأشرف عليه، لينظر أين يقع، فإذا هو بامرأةٍ عند بِرْكتها تغتسل من الحيض، فلما رأت ظِلَّه، حرَّكت رأسها فغطَّت جسدها أجمعه بشعرها.

وكان زوجها غازيًا في سبيل الله، فكتب داود عليه السَّلام إلى رأس الغُزَاة: «انظر فاجعله في حملة التابوت إمَّا أن يُفتح عليهم، وإما أن يُقتلوا».

فقدَّمه في حَمَلة التابوت فقُتل، فلما انقضت عِدَّتها، خطبها داود عليه السَّلام، فاشترطت عليه إن وَلَدت غلامًا أن يكون خليفته من بعده، وأشهدت عليه خمسين من بني إسرائيل وكتبت عليه بذلك كتابًا، فأشهد بنفسه أنه كتب، حتى ولدت سليمان عليه السَّلام، فتسوَّر عليه المَلَكان المحراب، فكان شأنهما ما قصَّ الله تعالى في كتابه، وخرَّ داود عليه السَّلام ساجدًا فغفر الله له وتاب عليه.

وهذه القصة منكرةٌ، وأنكر ما فيها أنَّ الله يُخبر داود أنه سيبتليه يوم كذا، فيستعد داود لذلك، ويظهر قدرته على مقاومة ما يبتليه الله، وهذا لا يليق بمطلق مؤمنٍ، فضلًا عن نبيٍّ كريمٍ.

والطريف في هذه القصة أنَّ داود عليه السَّلام نسي الابتلاء الذي استعدَّ له، وعشق امرأةً عشقًا حمله على أن يُعرِّض زوجها للقتل!!.

ويظهر أنَّ المرأة عرفت غرامه بها فشرطت عليه أن يكون ابنها منه خليفة بعده، ولم تكتف بموافقته وكتابة عقد بذلك، حتى أشهدت عليه خمسين من الرجال لئلَّا يرجع في كلامه!!.

وأطرف من هذا أنَّ الله لم يُعاتبه حتى ولدت له تلك المرأة!!.

وهنا يأتي سؤالٌ: وهو إن كان ما فعله داود عليه السَّلام معصيةً؛ فكيف أقرَّه الله عليها مدَّةً حتى أثمرت ولدًا يكون خليفةً له؟ وإن لم يكن ما فعله معصيةً فكيف عاتبه الله عليه؟

٢- روى الحاكم، والبيهقيُّ، عن ابن عبَّاسٍ، قال: «ما أصاب داود ما أصابه بعد القَدَر إلَّا من عُجْبٍ عَجِبَ به من نفسه، وذلك أنه قال: يا ربِّ ما من ساعةٍ من ليلٍ ونهارٍ إلَّا وعابد من بني إسرائيل يعبدك يُصلِّي لك أو يُسبِّح أو يُكبِّر وذكر أشياء، فكَرِه الله ذلك، فقال: «يا داود إنَّ ذلك لم يكن إلَّا بي فلولا عَوْني ما قَوِيتَ عليه، وجلالي لأكلك إلى نفسك يومًا، قال: يا ربِّ فأخبرني به، فأصابته الفتنة ذلك اليوم».

وهذ القصة أنكر من الأولى؛ فيها نسبة العُجْب إلى داود!! والعُجْب من الكبائر.

وفيها أنَّ داود قَبِل من الله أن يَكِلَه إلى نفسه!! وهذه من الكبائر أيضًا، فهذه القصة لا تصحُّ عن ابن عبَّاسٍ، ولا تليق بمقام داود عليه السَّلام.

٣- روى ابن جريرٍ عن ابن عبَّاسٍ في قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾ [ص: ٢١] قال: «إنَّ داود قال: قد أعطيت إبراهيم وإسحاق ويعقوب من الذكر ما وددت أنك لو أعطيتني مثله. قال الله عزَّ وجلَّ: إني ابتليتهم بما لم أبتلك به، فإن شئت ابتليتك بمثل ما ابتليتهم به، وأعطيتك كما أعطيتهم؟ قال: نعم. قال له: فاعمل حتى أرى بلاءك، فكان ما شاء الله أن يكون وطال ذلك عليه فكاد ينساه، فبينما هو في محرابه، إذ وقعت عليه حمامةٌ فأراد أن يأخذها فطارت على كُوَّة المحراب، فذهب ليأخذها فطارت، فاطَّلع من الكُوَّة فرأى امرأةً تغتسل، فنزل من المحراب، فأرسل إليها فجاءته، فسألها عن زوجها وعن شأنها، فأخبرته أنَّ زوجها غائبٌ.

فكتب إلى أمير تلك السَّرِيَّة أن يؤمِّره على السرايا ليُهلك زوجها، ففعل فكان يُصاب أصحابه وينجو، وربما نُصر.

وأنَّ الله عزَّ وجلَّ لما رأى الذي وقع فيه داود عليه السَّلام أراد أن ينفذ أمره، فبينما داود عليه السَّلام ذات يومٍ في محرابه إذ تَسوَّر عليه المَلَكان من قِبل وجهه، فلما رآهما فَزِع، فقالا له: لا تخف، خصمان بغى بعضنا على بعضٍ، ولم يكن لنا بدٌّ من أن نأتيك، فاسمع منَّا، قال أحدهما: إنَّ هذا أخي له تسعٌ وتسعون نعجةً، ولِي نَعْجَةٌ واحدةٌ فقال: أكفلنيها يريد أن يتمَّ مائةً، ويتركني ليس لي شيءٌ فقال: إن دعوت ودعا كان أكثر مني، وإن بطشت وبطش كان

أشدَّ مني، فذلك قوله: ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٣].

قال له داود عليه السَّلام: أنت كنت أحوج إلى نعجتك منه، لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه -ونسي نفسه- فنظر الملكان أحدهما إلى الآخر، فرآه داود فظنَّ أنه فُتن فاستغفر ربَّه.

وهذه القصة تُخالف القصتين السابقتين في سبب وقوعها، وفي مضمونها.

وقد اتفقت الروايات عن الحسن والسُّدِّي وأبي عمران الجونيِّ ومجاهدٍ على أنَّ قصة داود عليه السَّلام، سببها تعلقه بزوجة أوريا.

زاد مجاهد: إن خطيئة داود أنه لما أبصرها، أمر بها فعزلها فلم يقربها، فأتاه الخصمان. . . إلخ.

وهوَّل أصحاب الروايات في توبة داود، بأنه مكث ساجدًا أربعين يومًا، وعيناه تنطقان دمعًا، حتى أكلت الأرض جبينه ونبت الزرع من دموعه!! وهذه مبالغةٌ غير معقولةٍ.

ثُمَّ اختلف المفسِّرون الذين اعتمدوا هذه الإسرائيليات في سبب امتحان داود واستغفاره، فقال المحقِّقون: إنه قال للرجل: «انزل عن امرأتك وأكفلنيها». وهو مرويٌّ عن ابن مسعودٍ.

وكان ذلك جائزًا في شريعة داود معتادًا فيما بين أُمَّته غير مُخِلٍّ بالمرؤة، غير أنَّ داود لعظيم منزلته وارتفاع رتبته وعُلوِّ شأنه، نُبِّه بالتمثيل على أنه لم يكن ينبغي له أن يتعاطى ما يتعاطاه آحاد أمته، ويسأل رجلًا ليس له إلا امرأة واحدة أن يَنزِل عنها فيتزوَّجها مع كثرة نسائه.

وقيل: نظر إليها حتىٰ شَبِعَ منها. عن سعيد بن جُبيرٍ.

وقيل: أَغْزَىٰ زوجها في حملة التابوت. عن ابن عبَّاسٍ.

وقيل: خطبها بعد خطبة أوريا لها فزُوِّجت منه لجلالته، فاغتم لذلك أرويا.

وقيل: لم يجزع علىٰ قتل أوريا كما كان يجزع علىٰ من هلك من الجند، ثم تزوج امرأته.

وقيل: حكم لأحد الخصمين قبل أن يسمع من الآخر.

قال ابن العربي: «أمَّا قول من قال: أنه حكم لأحد الخصمين قبل أن يسمع من الآخر فلا يجوز علىٰ الأنبياء، وكذلك تعريض زوجها للقتل، وأمَّا من قال: أنه نظر إليها حتىٰ شبع فلا يجوز ذلك عندي بحالٍ؛ لأنَّ طموح النظر لا يليق بالأولياء المتجرِّدين للعبادة؛ فكيف بالأنبياء الذين هم وسائط الله المُكاشَفون بالغيب.

وحكىٰ السُّدِّي عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «لو سمعت رجلًا يذكر أنَّ داود عليه السَّلام قارف من تلك المرأة مُحَرَّمًا لجلدته ستين ومائة؛ لأنَّ حدَّ قاذف الناس ثمانون، وحد قاذف الأنبياء ستون ومائة».

وذكره الماورديُّ والثعلبيُّ أيضًا.

وقال الحارث الأعور عن عليٍّ: «من حدَّث بحديث داود علىٰ ما ترويه القُصَّاص جلدته حدَّين؛ لعظم ما ارتكب!! برمي من قد رفع الله محلَّه؟!. وهذا مما لم يصح عن عليٍّ».

قال: «فإن قيل: ما حكمه عندكم؟ قلنا: أمَّا من قال: «إنَّ نبيًّا زنىٰ» فإنه

يُقتل، وأمَّا من نسب إليه ما دون ذلك من النظر والملامسة فقد اختلف نقل الناس في ذلك، فإن صمَّم أحدٌ على ذلك فيه ونسبه إليه قتلته، فإنه يُناقض التعزير المأمور به.

فأمَّا قولهم: «إنه وقع بصره على امرأةٍ تغتسل عريانة، فلما رأته أسبلت شعرها، فسترت جسدها» فهذا لا حرج عليه فيه بإجماع من الأئمة، لأنَّ النظرة الأولى تكشف المنظور إليه، ولا يأثم الناظر بها، فأمَّا النظرة الثانية فلا أصل لها.

فأمَّا قولهم: «إنه نوى إن مات زوجها أن يتزوَّجها». فلا شيء فيه، إذ لم يُعرِّضه للموت.

وأمَّا قولهم: «إنه خطب على خطبة أوريا». فباطلٌ يردُّه القرآن، والآثار التفسيرية كلُّها.

وأمَّا قول المفسِّرين: «إنَّ الطائر درج عنده، فهم بأخذه وأتبعه بصره» فهذا لا يُناقض العبادة، لأنه مباحٌ فعله، لا سيِّما وهو حلالٌ، وطلب الحلال فريضة». اهـ كلام ابن العربي.

قلت: وقولهم: إنَّ داود ما زاد على أن قال لأوريا: انزل عن زوجتك وأكفلينها، وأنَّ هذا كان جائزًا في شريعتهم، وأنه لا شيء فيه، ورأوا هذا مُخلِّصًا من الإشكال.

يقال عليه: طلب المَلِك يعتبره الشخص المطلوب منه أمرًا حتمًا، ففيه معنى الإكراه، وإن قامت عنده قرينة على أنه مُجرَّد رغبة لا حتم فإنه يفعله حياءً، و«سيف الحياء أشدُّ من سيف الغصب»، كما يقال في المثل.

وفرقةٌ ثالثة من المفسِّرين: أنكرت هذه الإسرائيليات جملةً وتفصيلًا، وشرحت

قصة داود عليه السَّلام شرحًا خاليًا مما يمسُّ مقام النبوة ويُنافي العصمة.

منهم أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسيُّ، صاحب التفسير المسمَّى "مجمع البيان لعلوم القرآن"، وهو من مجتهدي علماء الشيعة.

قال في تفسيره المذكور: «واختُلف في استغفار داود من أيِّ شيءٍ كان، فقيل: إنه حصل منه على سبيل الانقطاع إلى الله تعالى والخضوع، والتذلل بالعبادة، والسجود، كما أخبر سبحانه عن إبراهيم بقوله: ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾ [الشعراء: ٨٢].

وأمَّا قوله: ﴿ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ﴾ [ص: ٢٥] فالمعنى: أنَّا قبلناه منه وأثبتناه فأخرجه على لفظ الجزاء، مثل قوله: ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ ﴾ [النساء: ١٤٢]، وقوله: ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ [البقرة: ١٥] فلما كان المقصود من الاستغفار والتوبة القبول، قيل في جوابه: غفرنا».

وهذا قول من يُنزِّه الأنبياء عن جميع الذنوب عند الإمامية وغيرهم، ومن جوَّز على الأنبياء الصغائر قال: «إنَّ استغفاره كان لذنبٍ صغيرٍ وقع منه».

ثُمَّ إنهم اختلفوا في ذلك على وجوهٍ:

أحدها: أنَّ أُورِيا بن حَنَان، خطب امرأةً، وكان أهلها أرادوا أن يزوِّجوها منه، فبلغ داود جمالها، فخطبها أيضًا، فزوَّجوها منه، فقدَّموه على أوريا، فعوتب داود على ذلك. عن الجبائي.

وثانيها: أنه خرج أوريا إلى بعض ثغوره، فقتل فلم يجزع على أمثاله من جنده، إذ مالت نفسه إلى نكاح امرأته، فعوتب على ذلك بنزول الملَكَين.

وثالثها: أنه كان في شريعته أنَّ رجلًا إذا مات وخلَّف امرأته فأولياؤه أحقُّ بها، إلَّا أن يرغبوا عن التزوُّج بها، فحينئذٍ يجوز لغيرهم أن يتزوَّج بها. فلما قُتل أوريا خطب داود امرأته، ومنعت هيبة داود وجلالته أولياؤه أن يخطبوها فعوتب على ذلك.

ورابعها: أنَّ داود كان متشاغلًا بالعبادة، فأتاه رجلٌ وامرأةٌ متحاكمين فنظر إلى المرأة ليعرفها بعينها، وذلك مباحٌ، فمالت نفسه إليها ميل الطِّبَاع، ففصل بينهما، وعاد إلى عبادة ربِّه، فشغله الفكر في أمرها عن بعض نوافله، فعوتب.

وخامسها: أنه عوتب على عجلته في الحكم قبل التثبُّت، وكان يجب عليه حين سمع الدعوى من أحد الخصمين أن يسأل الآخر عما عنده فيما يحكم عليه بعد ذلك.

وإنما أنساه التثبُّت في الحكم فزعه من دخولهما عليه في غير وقت العادة.

وأمَّا ما ذكر في القصة: «أنَّ داود كان كثير الصَّلاة، فقال: يارب فضَّلت على إبراهيم فاتخذته خليلًا، وفضلَّت على موسى فكلمته تكليمًا، فقال تعالى: يا داود إني ابتليتهم بما لم نبتلك بمثله، فإن شئت ابتليت، فقال: نعم يا رب فابتليني، فبينما هو في محرابه ذات يوم وقعت حمامةٌ، فأراد أن يأخذها فطارت إلى كوَّة المحراب، فذهب ليأخذها، فاطَّلع من الكوَّة، فإذا امرأة أوريا بن حنان تغتسل، فهواها وهمَّ بتزوُّجها، فبعث بأوريا إلى بعض سراياه، وأمر بتقديمه أمام التابوت الذي فيه السَّكِينَة، ففعل ذلك وقتل، فلما انقضت عدتها تزوَّجها وبنى بها فولد منها سليمان، فبينما هو ذات يوم في محرابه يقرأ إذ دخل عليه

رجلان ففزع منهما، فقالا: ﴿لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ إلى قوله: ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص: ٢٢- ٢٤]، فنظر أحد الرجلين إلى صاحبه ثُمَّ ضحك، فتنبَّه داود على أنهما مَلَكان بعثهما الله إليه في صورة خصمين، ليُبكِّتاه على خطيئته، فتاب وبكى حتى نبت الزرع من كثرة دموعه».

فمما لا شبهة في فساده، فإنَّ ذلك ممَّا يقدح في العدالة فكيف يجوز أن يكون أنبياء الله تعالى الذين هم أمناؤه على وحيه وسفراؤه بينه وبين خلقه، بصفة مَنْ لا تُقبل شهادته وعلى حالةٍ تُنفِّر عن الاستماع إليه والقبول منه؟! جلَّ أنبياء الله عن ذلك.

وقد رُوي عن أمير المؤمنين: أنه قال: «لا أوتى برجلٍ يزعم أنَّ داود تزوَّج امرأة أوريا، إلَّا جلدته حدَّين حدًّا للنبوة وحدًّا للإسلام». اهـ

ومنهم الإمام الرازي، قال في تفسيره: «أمَّا قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ﴾ فهو نظير قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ [النازعات: ١٥]، وفائدة هذا الاستفهام التنبيه على جلالة القصة المستفهم عنها، ليكون داعيًا إلى الإصغاء لها، والاعتبار بها.

وأقول: للناس في هذه القصة ثلاثة أقوالٍ:

أحدهما: ذكر هذه القصة على وجهٍ يدل على صدور الكبيرة عنه.

وثانيها: دلالتها على الصغيرة.

وثالثها: بحيث لا تدل على الكبيرة، ولا على الصغيرة.

فأمَّا القول الأول، فحاصل كلامهم فيها: أنَّ داود عشق امرأة أوريا

فاحتال بالوجوه الكثيرة، حتى قتل زوجها، ثُمَّ تزوَّج بها.

فأرسل الله إليه ملكين في صورة المتخاصمين، في واقعةٍ شبيهة بواقعته وعرضا الواقعة عليه، فحكم داود بحكمٍ لزم منه اعترافه بكونه مذنبًا، ثُمَّ تنبَّه لذلك فاشتغل بالتوبة.

الذي أدين به وأذهب إليه أنَّ ذلك باطلٌ، ويدل عليه وجوه:

الأول: أنَّ هذه الحكاية لو نسبت إلى أفسق الناس، وأشدهما فجورًا لاستنكف منها، والرجل الحشويُّ الخبيث الذي يقرِّر تلك القصة لو نُسب إلى مثل هذا العمل لبالغ في تنزيه نفسه، وربما لعن من ينسبه إليها، وإذا كان الأمر كذلك، فكيف يليق بالعاقل نسبة المعصوم إليه؟!

الثاني: أنَّ حاصل القصة يرجع إلى أمرين: إلى السعي في قتل رجلٍ مسلمٍ بغير حقٍّ، وإلى الطمع في زوجته.

أمَّا الأول: فأمرٌ منكرٌ، قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَنْ سعى في دم مسلمٍ ولو بشَطْر كلمةٍ جاء يوم القيامة مكتوبًا بين عينيه: آيسٌ من رحمة الله**».

وأمَّا الثاني: فمنكرٌ عظيمٌ، قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**المسلم مَن سَلِم المسلمون من لسانه ويده**».

وإنَّ أوريا لم يَسْلَم من داود، لا في روحه ولا في زوجته.

والثالث: أنَّ الله تعالى وصف داود قبل هذه القصة بالصفات العشرة المذكورة، ووصفه أيضًا بصفاتٍ كثيرةٍ بعد ذكر هذه القصة، وكل الصفات تنافي كونه عليه السَّلام موصوفًا بهذا الفعل المنكر والعمل القبيح.

ولا بأس بإعادة هذه الصفات لأجل المبالغة في البيان، فأقول:

أمَّا الصفة الأولى: فهي أنه تعالىٰ أمر محمدًا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أن يقتدي بداود في المُصابرة مع المُكابدة، ولو قلنا أنَّ داود لم يصبر علىٰ مخالفة النفس، بل سعىٰ في إراقة دم امريءٍ مسلمٍ لغرض شهوته، فكيف يليق بأحكم الحاكمين أن يأمر محمَّدًا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بأن يقتدي بداود في الصبر علىٰ طاعة الله؟!.

وأما الصفة الثانية: فهي أنه وصفه بكونه عبدًا له، وقد بينا أنَّ المقصود من هذا الوصف بيان كون ذلك الموصوف كاملًا في موقف العبودية تامًّا في القيام بأداء الطاعات والاحتراز عن المحظورات، ولو قلنا: أنَّ داود عليه السَّلام اشتغل بتلك الأعمال الباطلة فحينئذٍ ما كان داود كاملًا في عبوديته لله تعالىٰ بل كان كاملًا في طاعة الهوىٰ والشهوة.

الصفة الثالثة: هو قوله: ﴿ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ [ص: ١٧] أي ذا القوة، ولا شك أنَّ المراد منه القوة في الدين، وأنَّ القوة في غير الدين كانت موجودة في ملوك الكفَّار ولا معنىٰ للقوة في الدين إلَّا القوة الكاملة علىٰ أداء الواجبات والاجتناب عن المحظورات، وأي قوةٍ لمن لم يملك نفسه عن القتل، والرغبة في زوجة المسلم؟!

الصفة الرابعة: كونه أوَّابًا كثير الرجوع إلىٰ الله تعالىٰ، وكيف يليق هذا بمن يكون قلبه مشغوفًا بالقتل والفجور؟!

الصفة الخامسة: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ﴾ [ص: ١٨] أفترىٰ أنه سُخِّرت له الجبال، ليتَّخذه وسيلةً إلىٰ القتل والفجور؟!

الصفة السادسة: قوله: ﴿وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾ [ص: ١٩]، وقيل أنه كان محرَّمًا عليه صيد شيءٍ من الطير، كيف يعقل أن يكون الطير آمنًا منه، ولا ينجو منه الرجل المسلم؟!

الصفة السابعة: قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ [ص: ٢٠] ومحالٌ أن يكون المراد أنه تعالى شدَّ ملكه بأسباب الدنيا، بل المراد أنه تعالى شدَّ ملكه بما يقوِّي الدين وأسباب سعادة الآخرة، والمراد تشديد ملكه في الدين والدنيا، ومن لا يملك نفسه عن القتل والفجور كيف يليق به ذلك؟!

الصفة الثامنة: قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٠] والحكمة: اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما ينبغي علمًا وعملًا، فكيف يجوز أن يقول الله تعالى: إنَّا آتيناه الحكمة وفصل الخطاب، مع إصراره على ما يستنكف منه الخبيث الشيطان من مزاحمة أخلص أصحابه في الروح والزوجة؟!

فهذه الصفات المذكورة قبل شرح تلك القصة دالة على براءة ساحته من تلك الأكاذيب.

وأمَّا الصفات المذكورة بعد ذكر القصة، فهي عشرة:

الأولى: قوله: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص: ٢٥] وذكر هذا الكلام إنما يُناسب لو دلَّت القصة المتقدِّمة على قوته في طاعة الله، أمَّا لو كانت القصة المتقدِّمة دالَّة على سعيه في القتل والفجور، لم يكن قوله: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾ لائقًا به.

الثانية: قوله تعالىٰ: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [ص: ٢٦].

وهذا يدل على كذب تلك القصة من وجوهٍ:

أحدها: أنَّ الملك الكبير إذا حكىٰ عن بعض عبيده، أنه قصد دماء الناس وأموالهم وأزواجهم، فبعد فراغه من شرح تلك القصة علىٰ ملأ من الناس، يقبح منه أن يقول عقبه: أيها العبد إني فوضت إليك خلافتي ونيابتي؛ وذلك لأنَّ ذكر تلك القبائح والأفعال المُنكرة، يُناسب الزَّجر والحَجْر، فأمَّا جعله نائبًا وخليفةً لنفسه، فذلك البتَّة لا يليق.

وثانيها: أنه ثبت في أصول الفقه أنَّ ذكر الحُكْم عقب الوصف يدل علىٰ كون ذلك الحكم معلَّلًا بذلك الوصف.

فلمَّا حكىٰ الله تعالىٰ عنه تلك الواقعة القبيحة، ثُمَّ قال بعدها: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أشعر هذا بأنَّ الموجب لتفويض هذه الخلافة هو إتيانه بتلك الأفعال المُنكرة، ومعلومٌ أنَّ هذا فاسدٌ.

أمَّا لو ذكر تلك القصة علىٰ وجوه تدل علىٰ براءة ساحته عن المعاصي والذنوب، وعلىٰ شدة مصابرته علىٰ طاعة الله تعالىٰ، فحينئذٍ يُناسب أن يذكر عقبه: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾، فثبت أنَّ هذا الذي نختاره أولىٰ.

الثالثة: وهو أنه لما كانت مقدِّمة الآية دالَّةً علىٰ ملامح داود عليه السَّلام وتعظيمه، ومؤخِّرتها أيضًا دالَّة علىٰ ذلك، فلو كانت الواسطة دالَّة علىٰ القبائح والمعايب، يجري مجرىٰ أن يقال: فلان عظيم الدرجة عالي المرتبة في طاعة الله يقتل ويزني ويسرق، وقد جعله خليفةً في أرضه وصوب أحكامه!!.

وكما أنَّ هذا الكلام ممَّا لا يليق بالعاقل، فكذا ههنا، ومن المعلوم أنَّ ذكر العشق والسعي في القتل من أعظم العيوب.

الرابعة: وهو أنَّ القائلين بهذا القول ذكروا في هذه الرواية أنَّ داود عليه السَّلام تمنَّىٰ أن يحصل له في الدين كما حصل للأنبياء المتقدِّمين من المنازل العالية، مثل ما حصل للخليل من الإلقاء في النار، وحصل للذبيح من الذبح، وحصل ليعقوب من الشدائد الموجبة لكثرة الثواب، فأوحىٰ الله إليه: أنهم إنما وجدوا تلك الدرجات لأنهم لما ابتلوا صبروا، فعند ذلك سأل داود الابتلاء، فأوحىٰ الله إليه أنك ستُبتلىٰ في يوم كذا، فبالغ في الاحتراز ثُمَّ وقعت الواقعة.

فنقول: أول حكايتهم يدل علىٰ أنَّ الله تعالىٰ يبتليه بالبلاء الذي يزيد في منقبته، ويكمل مراتب إخلاصه، فالسعي في قتل النفس بغير الحقِّ، والإفراط في العشق كيف يليق بهذه الحالة؟! ويثبت أنَّ الحكاية التي ذكروها يناقض أولها آخرها.

الخامسة: أنَّ داود عليه السَّلام قال: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [ص: ٢٤] استثنىٰ الذين آمنوا عن البغي.

فلو قلنا: إنه كان موصوفًا بالبغي، لزم أن يقال: إنه حكم بعدم الإيمان علىٰ نفسه وذلك باطلٌ.

السادسة: حضرتُ بعض المجالس وحضر فيها بعض أكابر الملوك، وكان يريد أن يتعصَّب لتقرير ذلك القول الفاسد والقصة الخبيثة لسببٍ اقتضىٰ ذلك، فقلت له: لا شكَّ أنَّ داود عليه السَّلام كان من أكابر الأنبياء ولقد قال تعالىٰ:

﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤] ومن مدحه الله تعالى بمثل هذا المدح العظيم، لم يجز لنا أن نُبالغ في الطعن فيه.

وأيضًا بتقدير أنه ما كان نبيًّا فلا شك أنه كان مسلمًا ولقد قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لا تَذْكُروا موتاكُم إلَّا بخيرٍ**».

ثُمَّ على تقدير أنَّا لا نلتفت إلى شيءٍ من هذه الدلائل إلَّا أنَّا نقول: إنَّ من المعلوم بالضرورة أنَّ بتقدير أن تكون القصة التي ذكرتموها حقًّا صحيحةً، فإنَّ روايتها وذكرها لا يوجب شيئًا من الثواب، وأمَّا بتقدير أن تكون هذه القصة باطلةً فاسدةً، فإنَّ ذكرها يستحقُّ أعظم العقاب، والواقعة التي هذا شأنها وصفتها فإنَّ صريح العقل يوجب السكوت عنها.

فثبت أنَّ الحقَّ ما ذهبنا إليه، وإنَّ شرح تلك القصة محرَّمٌ محظورٌ.

فلما سمع ذلك المَلِك هذا الكلام سكت ولم يذكر شيئًا.

السابعة: أنَّ ذكر هذه القصة، وذكر قصة يوسف عليه السَّلام يقتضي إشاعة الفاحشة فوجب أن يكون محرَّمًا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [النور: ١٩].

الثامنة: لو سعى داود في قتل ذلك الرجل، لدخل تحت قوله: «**ومَنْ سَعَى في دمِ مُسْلِمٍ ولو بشَطْرِ كلمةٍ جاء يومَ القِيامَةِ مَكْتوبًا بين عَيْنَيهِ آيسٌ مِن رحمة الله**».

وأيضًا: لو فعل ذلك لكان ظالمًا، فكان يدخل تحت قوله: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

التاسعة: عن سعيد بن المسيب أنَّ عليّ بن أبي طالب عليه السَّلام قال: «مَن

حدَّثكم بحديث داود على ما يرويه القُصَّاص، جلدته مائة وستين، وهو حدُّ الفِرية على الأنبياء».

العاشرة: روي أنَّ بعضهم ذكر هذه القصة على ما في كتاب الله تعالى فقال: لا ينبغي أن يُزاد عليها وإن كانت الواقعة على ما ذكرت، ثُمَّ إنه تعالى لم يذكرها لأجل أن يستر تلك الواقعة على داود عليه السَّلام فلا يجوز للعاقل أن يسعى في هتك ذلك الستر، فقال عمر: سماعي هذا الكلام أحبُّ إليَّ مما طلعت عليه الشمس[1].

فثبت بهذه الوجوه التي ذكرناها أنَّ القصة التي ذكروها فاسدةٌ باطلةٌ.

وأمَّا الاحتمال الثالث: وهو أن تحمل هذه القصة على وجه لا يلزم إلحاق الكبيرة أو الصغيرة بداود عليه السَّلام، بل يوجب إلحاق أعظم أنواع المدح والثناء به وهو أن نقول: روي أنَّ جماعة من الأعداء طمعوا في أن يقتلوا نبيَّ الله داود عليه السَّلام وكان له يوم يخلو فيه بنفسه ويشتغل بطاعة ربِّه، فانتهزوا الفرصة في ذلك اليوم وتسوَّروا المحراب، فلما دخلوا عليه وجدوا عنده أقوامًا عنده يمنعونه منهم، فخافوا فوضعوا كذبًا فقالوا: خصمان بغى بعضنا على بعض إلى آخر القصة، وليس في لفظ القرآن ما يمكن أن يُحتجَّ به في إلحاق الذنب لداود إلَّا ألفاظ أربعة:

---

(١) في تفسير النَّسَفيِّ: «روي أنه حدَّث بذلك بعضهم عند عمر بن عبدالعزيز وعنده رجلٌ مِن أهل الحقِّ، فكذَّب المحدِّث به وقال: إن كانت القصة على ما في كتاب الله فما ينبغي أن يلتمس خلافها وأعظم أن يقال خلاف ذلك، وإن كانت على ما ذكرت وكفَّ الله عنها سترًا على نبيِّه فما ينبغي إظهارها فقال عمر: لسامعي هذا الكلام...»إلخ.

إحداها: قوله: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾.

ثانيها: قوله تعالىٰ: ﴿فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ﴾.

وثالثها: قوله: ﴿وَأَنَابَ﴾.

ورابعها: قوله: ﴿فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾.

وهذه ألفاظٌ لا يدل شيءٌ منها علىٰ ما ذكروه، وتقريره من وجوهٍ:

الأول: أنهم لما دخلوا عليه لطلب قتله وعلم داود عليه السَّلام ذلك، دعاه الغضب إلىٰ أن يشتغل بالانتقام منهم، إلَّا أنه مال إلىٰ الصَّفْحِ والتجاوز عنهم طلبًا لمرضاة الله، وكانت هذه الواقعة هي الفتنة لأنها جارية مجرىٰ الابتلاء والامتحان، ثُمَّ إنه استغفر ربَّه ممَّا هَمَّ به من الانتقام منهم، وتاب عن ذلك الهمِّ وأناب، فغفر له ذلك القدر من الهمِّ والعزم.

الثاني: أنه وإن غلب علىٰ ظنِّه أنهم دخلوا عليه ليقتلوه، إلَّا أنه ندم علىٰ ذلك الظن وقال: لَمَّا لم تقم له دلالته ولا أمارةٌ علىٰ أنَّ الأمر كذلك، فبئسما عملت بهم حيث ظننت بهم هذا الظن الرديء فكان هذا هو المراد في قوله: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَأَنَابَ﴾.

الثالث: أنَّ دخولهم كان فتنةً لداود عليه السَّلام إلَّا أنه عليه الصَّلاة والسَّلام استغفر لذلك الداخل العازم علىٰ قتله، كما قال في حقِّ محمَّدٍ عليه الصَّلاة والسَّلام: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩]. فداود عليه السَّلام استغفر لهم وأناب أي رجع إلىٰ الله تعالىٰ في طلب مغفرة ذلك الداخل القاصد للقتل.

وقوله: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾ أي: غفرنا له ذلك الذنب لأجل احترام داود والتعظيم.

الرابع: هَبْ أنه تاب عن زلَّةٍ صدرت منه لكن لا نعلم أنَّ تلك الزلَّة وقعت بسبب المرأة فلم لا يجوز أن يُقال: إنما حصلت لأنه قضىٰ لأحد الخصمين قبل أن يسمع كلام الآخر؟

فثبت بهذا البيان أنَّا إذا حملنا هذه الآيات علىٰ هذا الوجه فإنه لا يلزم إسناد شيءٍ من الذنوب.

ثُمَّ نقول: وحمل الآية عليه أولى لوجوهٍ:

الأول: أنَّ الأصل في حال المسلم البعد عن المناهي، ولا سيما وهو رجلٌ من أكابر الأنبياء والرسل.

والثاني: أنه أحوط.

والثالث: أنه تعالىٰ قال في أول الآية لمحمَّدٍ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ﴾ [ص: ١٧] فإنَّ محمَّدًا عليه الصَّلاة والسَّلام لَمَّا أظهروا السفاهة حيث قالوا: إنه ساحرٌ كذَّابٌ، واستهزؤوا به، حيث قالوا: ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: ١٦] فقال تعالىٰ في أول الآية: اصبر يا محمَّد علىٰ سفاهتهم وتحمَّل وتحلَّم ولا تظهر الغضب، واذكر عبدنا داود، فهذا الذكر إنما يحسن إذا كان داود عليه السَّلام قد صبر علىٰ إيذائهم وتحمَّل سفاهتهم وحَلُم ولم يظهر الطيش والغضب، وهذا المعنىٰ إنما يحصل إذا حملنا الآية علىٰ ما ذكرناه، أمَّا إذا حملناه علىٰ ما ذكروه صار الكلام

متناقضًا فاسدًا.

والرابع: أن تلك الرواية إنما تتمشَّى إذا قلنا الخصمان كانا مَلَكين وإذا كانا من الملائكة ولما كان بينهما مخاصمة وما بغى أحدهما على الآخر كان قولهما: ﴿خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [ص: ٢٢] كذبًا.

فهذه الرواية لا تتم إلَّا بشيئين:

أحدهما: إسناد الكذب إلى الملائكة.

والثاني: أن يتوسَّل بإسناد الكذب للملائكة، إلى إسناد أفحش القبائح إلى رجل من أكابر الأنبياء.

فأمَّا إذا حملنا الآية على ما ذكرنا استغنينا عن إسناد الكذب إلى الملائكة، وعن إسناد القبيح إلى الأنبياء، فكان قولنا أولى، فهذا ما عندنا في هذا الباب».

انتهى كلام الإمام وقد أطال وأطاب، وأتى بنفيس دقائق ينشرح لها صدور أولي الألباب، وتكلَّم في تنزيه مقام النبوة بما يستحقُّ التقدير والإعجاب.

وجاء في أثناء كلامه تلميح إلى مراعاة السِّياق عَرَضًا، لكن لم يُفصح بها ولا تنبَّه لها فيما أظن، وهي العمدة في ربط هذه القصة بما قبلها بل هي المقصودة في هذا الكتاب.

وممن أنكر القصة كما جاءت في الإسرائيليات العلامة أبو الحسن برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعيُّ غير أنه انفرد في شرحها بشيءٍ لم نره لغيره.

ذلك أنه بعد أن تكلَّم على مفردات الآية إلى قوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾

[ص: ٢٤]. قال ما نصُّه: «ولما أتمَّ ذلك ذهب الداخلون عليه فلم يرَ منهم أحدًا، فوقع في قلبه أنه لا خصومة وأنهم إنما أرادوا أن يُجرِّبوه في الحكم ويُدرِّبوه عليه، وأنه يجوز للشخص أن يقول ما لم يقع إذا انبنىٰ عليه فائدةٌ عظيمةٌ، تعيَّن ذلك الكلام طريقًا للوصول إليها، أو كان أحسن الطرق مع خلوِّ الأمر عن فساد، وحاصله أنه يذكر كلامه والمراد بعض لوازمه فهو مثل دلالة التضمُّن في المفردات وهذا مثل قول سليمان عليه السَّلام: «أئتوني بسكين أشقُّه بينهما» وليس مراده إلَّا ما يلزم عن ذلك من معرفة الصادقة والكاذبة بإباء الأمِّ لذلك وتسليم المدَّعية كذبًا.

وتحقيقه: أنه لا ملازمة بين الكلام وإرادة المعنىٰ المطابق لمفردات ألفاظه، بدليل لغو اليمين، وقول النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لصفية رضي الله عنها: «عَقْرَىٰ حَلْقَىٰ»[1]. ولأمِّ سلمه رضي الله عنها «تَرِبَتْ يَمِينُك». وقوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «ثلاثٌ جِدُّهُنَّ جِدٌّ وَهَزْلُهُنَّ جِدٌّ» مشيرًا إلىٰ أن الكلام قد لا يرد به معناه، ومن هنا كان الحكم في ألفاظ الكنايات أنه لا يقع بها شيءٌ إلَّا إن اقترن بقصد المعنىٰ.

ولما كان هذا القدر معلومًا، عطف عليه قوله: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ﴾[2] أي بذهابهم قبل فصل الأمر، وقد دهمه من ذلك أمرٌ عظيمٌ مِن عظمة الله لا عهد

---

(١) كلمة تقال عند الذم.

(٢) الأصل في الظن عدم اليقين وهو الطَرَفُ الراجح من الاعتقادين، وقد يستعمل في اليقين لقرينة، وقد فرَّق بينهما القرآن فقال: ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾ [النساء: ١٥٧].

له بمثله ﴿أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾ أي اختبرناه بهذه الخصومة في الأحكام التي يلزم الملوك مثلها لتبين أمرهم فيها.

واعلم أنه بادر إلى نسبة المدَّعَى عليه أنه ظَلَم من قبل أن يسمع كلامه، ويسأله المدَّعِي الحكم فعاتبه الله على ذلك والأنبياء عليهم السَّلام لعلو مقاماتهم يعاتبون على مثل هذا، وهو من قصر الموصوف على الصفة قلبًا أي هذه القصة مقصورة على الفتنة لا تعلق لها بالخصومة.

ولو كان المراد؛ ما قيل من قصة المرأة التي على كلِّ مسلمٍ تنزيهه وسائر إخوانه عليهم السَّلام عن مثلها؛ لقيل: «وعَلِم داود» ولم يقل: ﴿وَظَنَّ﴾ كما يشهد بذلك كلُّ من له أدنى ذوقٍ في المحاورات، وتلك القصة وأمثالها من كذب اليهود، وأخبر في بعض من أسلم منهم أنهم يتعمدون ذلك في حق داود عليه السَّلام لأن عيسى عليه السَّلام من ذريته ليجدوا السبيل إلى الطعن فيه».اهـ كلام البقاعي في تفسيره "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور".

وحاصل كلامه في القصة: أنها ليست فيها خصومةٌ وإنما هي كناية أُريد بها اختبار داود عليه السَّلام في الحكم وتوبته كانت من مبادرته إلى نسبة الظلم إلى المدَّعى عليه، قبل سماع كلامه.

وقال أيضًا بعد كلامه: «فكانت هذه الدعوى تدريبًا لداود عليه السَّلام في الأحكام، وذكرها للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم تدريبًا له على الأناة في جميع أموره على الدوام».

فشرح القصة على هذا الوجه مما لم نره لغيره، وأنا متفقٌ معه ومع الإمام

الرازيِّ والطبرسيِّ في تنزيه داود عليه السَّلام عما جاء في تلك الروايات الإسرائيلية التي تلصق بنبيٍّ كريمٍ ورسولٍ عظيمٍ ما لا يليق بمقامه.

وإنما أختلف معهم في فهم القصة فهمًا يتناسب مع مقام النبوة فالخلاف بيننا في الوسيلة لا في المقصد؛ والاختلاف في الوسائل لا يضرُّ إذا كان الهدف واحدًا.

وبناءً على هذا أبدأ في شرح نظريتي في قصة داود عليه السَّلام فأقول:

التفسير الصحيح لقصة داود عليه السلام

سورة "ص" مكية في قول الجميع وتُسمَّى «سورة داود».

وافتُتحت بحرف «ص» إشارة لما اشتملت عليه من الخصومات وهي أربع:

١ - خصومة المشركين للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من أول السورة.

٢ - ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ﴾ [ص: ٢١] الآية.

٣ - ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾ [ص: ٦٤].

٤ - ﴿مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [ص: ٦٩].

والأنبياء المذكورون في هذه السورة كلُّهم ابتُلوا وامتُحِنوا وصبروا حتى نجَّاهم الله ونصرهم، فذُكِروا هنا تسليةً للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وتسريةً عنه وتثبيتًا لفؤاده وبدئت السورة بذكر خصومة المشركين: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ [ص: ٢] مع سرد بعض سفاهاتهم وجهالاتهم.

﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ﴾ [ص: ٤].

واستمرَّ السِّياق في تكذيبهم للرسول وتعجُّبهم مما يدعوا إليه من التوحيد والبعث بعد الموت. قالوا على سبيل الاستهزاء: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ﴾ [ص: ١٦].

قال البقاعيُّ: «ولمَّا بلغ السَّيلُ -في ركوبهم الباطل عنادًا- الزُّبى، وتجاوز في طغيانه رؤوس الرُّبى، وكان سؤالهم تعجيل العذاب استهزاءً مع ما قدَّموا من الإكذاب، والكلام البعيد عن الصواب، ربما اقتضى أن يسأل تعجيل ما طلبوا، وربما أوقع في ظن أنَّ إعراضهم والابتلاء بهم ربما كان لشيءٍ في المبلِّغ؛ بيَّن تعالى أنَّ عادته الابتلاء للصالحين رفعةً لدرجاتهم، فقال تعالى مُسلِّيًا ومُعزِّيًا ومؤسِّيًا لهذا النبيِّ الكريم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بمن تقدَّمه من إخوانه الأنبياء والمرسلين، مُذكِّرًا له بما قاسوا من الشدائد وما لاقوا من المِحَن، حاثًّا على العمل بأعمالهم آمرًا بالتأنِّي والتُّؤَدَة والحِلْمِ، محذِّرًا من العَجَلَةِ والتبرُّم والضَّجَر: ﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ [ص: ١٧] أي يُجدِّدون قوله في كلِّ حينٍ من الأقوال المُنكية المُوجعة المُبكية، فإنه ليس لنقصٍ فيك ولكنه لحِكَمٍ جلَّت عن الوصف، مدارها زيادة شرفك ورفعة درجاتك».اهـ

﴿وَٱذۡكُرۡ﴾ على سبيل التسلِّي والتأسِّي ﴿عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِ﴾ أي: القوة على الطاعة والصبر والتحمُّل ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ كثير الرجوع إلى الله في أمور دينه ودنياه ﴿إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ﴾ آخر النهار ﴿وَٱلۡإِشۡرَاقِ﴾ وقت الضحى ﴿وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗ﴾ مجموعةً سخَّرناها معه أيضًا ﴿كُلّٞ﴾ من الجبال والطير لأجل

داود ﴿أَوَّابٌ﴾ رَجَّاع يرجِّع بتسبيح داود عليه السَّلام كلما سبَّح ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ قوَّيناه وأيَّدناه. قيل: كان يحرسه ستة وثلاثون ألفًا وهذه مبالغةٌ غير معقولةٍ فإنَّ أفراد مملكته لم يبلغوا هذا العدد.

﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾ النبوة ﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ يعني الفصل في القضاء.

ثُمَّ ذكر قصَّةً تدل على صبره وتحمُّله واستفتحها بحرف الاستفهام فقال: ﴿وَهَلْ﴾ ومعناه في هذا الموضوع التعجُّب والتشويق إلى استماع قصة خصومةٍ أساء الخصوم فيها الأدب على داود عليه السَّلام، فصبر على سوء أدبهم ولم يعاقبهم مع أنهم يستحقُّون العقاب ﴿أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ لنزولهم من السُّور ولم يأتوا من الباب وهذا غير جائزٍ عُرْفًا وشرعًا.

وهو أول أخطائهم التي ارتكبوها في حقِّ مَلِكِهم ونبيِّهم عليه السَّلام.

وخطأ ثاني: وهو أنهم لما رأوه فزع منهم، لم يعتذروا له بقول ليِّن مثل أن يقولوا: سامحنا فيما فعلناه، أو لا تؤاخذنا، أو نحو هذا من الكلام الليِّن اللطيف الذي يعطف قلبه عليهم.

ولكنهم قالوا عبارةً جافَّةً، لا أدب فيها ولا ذوق، تجاوز عنها داود أيضًا ﴿خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾ وهذه خطيئةٌ ثالثةٌ، وهي أنهم خاطبوا نبيًّا معصومًا ومَلِكًا عظيمًا بقولهم: ﴿لا تُشْطِطْ﴾ مع أنهم بعض أُمَّته، ومن رعاياه وقد غصب النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ممَّن قال له: «اعدل» لأنَّ كلمة اعدل أو احكم بالحقِّ، أو لا تجر، لا يجوز أن تقال للنبيِّ

لعصمته، ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى﴾ أي: إسرائيلي مثلي ﴿لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ أنثى الضَّأن ﴿وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾ وهنا جملةٌ مقدَّرة، وهي: وتمَّت الحُجَّة للمدَّعي ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ [ص: ١٧-٢٤].

هذه خلاصة القصة، وهي حقيقية، وذكرت هنا في سياق الكلام على صبر داود وتحمُّله، وخُصَّت هذه بالذات لأنَّ داود كان يمكنه أن يُعاقب مَن أساءوا إليه، وهم يستحقُّون العقاب، لكنه فَضَّل الصَّبر والتحمُّل، لأجل أن يتسلَّى النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ويتأسَّى بداود عليه السَّلام، ولهذا كان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لا ينتقم لنفسه.

وقوله تعالى: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ [ص: ٢٤] أي ابتليناه وامتحنَّاه حيث خاف من الخصمين حين تسوَّروا عليه، وهو في حضرة الله يعبده، وللملوك أعداء من رعاياهم.

ويقول ابن الورديِّ في لاميَّته:

إنَّ نصف النَّاسِ أعداءٌ لمن ... وَلِيَ الأحكامَ هذا إنْ عَدَل

والخوف غريزةٌ في البشر، خاف الأنبياء قبل داود عليهم السَّلام.

حكى الله عن إبراهيم عليه السَّلام أنه قدم لضيوفه الطعام: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ [هود: ٧٠].

وقال موسى وهارون حينما أمرهما الله بالذهاب إلى فرعون: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ [طه: ٤٥].

وقال موسىٰ لفرعون وزملائه: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ [الشعراء: ٢١].

وكان النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يُحرس خوفًا من الأعداء ولما نزل قوله تعالىٰ: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] قال لحرَّاسه: «**اذْهَبُوا فقد عَصَمني اللهُ**».

ولكن داود اعتبر خوفه من المخلوق وهو في حضرة الخالق نقصًا لا يليق ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤] ممَّا ظنَّه ابتلاءً، ورآه نقصًا ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ﴾ [ص: ٢٥] جوابٌ علىٰ سبيل المُشاكلة، نحو قوله تعالىٰ: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورىٰ: ٤٠]. وقوله تعالىٰ: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤].

وقول الشاعر:

قالوا اقْتَرِحْ شيئًا نُجِدْ لَكَ طَبْخَهُ ... قلتُ اطبُخُوا لي جُبَّةً وقَميصا

وباب المُشاكلة في اللغة واسعٌ وهو من أنواع البديع.

فتبيَّن مما ذكرناه أمور:

أحدها: أنَّ قصة الخصومة قصةٌ حقيقيةٌ، حصلت بين خصوم إسرائيليين كانوا خُلَطاءَ في نِعاجٍ، ولم يكن الخصوم ملائكةً، ولا النِّعاج نساءً، كما جاء في الإسرائيليات.

ثانيها: أنَّ القصة ذُكرت في سِياق بيان صبر داود وقوة تحمُّله، وأنَّ الذين فسَّروها بغير ذلك غفلوا عن مراعاة السِّياق، فأخطأوا في فهم المعنىٰ ولم يظهر بين القصة والآيات قبلها تناسبٌ وترابطٌ.

ثالثها: أنَّ داود عليه السَّلام لم يرتكب معصيةً أصلًا، وأنَّ استغفاره إنما كان من الخوف الذي اعتبره نقصًا، وليس هو بنقصٍ، لأنه غريزةٌ بشريةٌ كالحبِّ والكُرْه.

أصل القصة عند أهل الكتاب

قال الشيخ عبد الوهاب النجَّار تعليقًا على قول البيضاويِّ في "تفسيره": «إنَّ داود خطب على خطبة رجلٍ، أو طلب إليه أن ينزل له عن زوجته» ما نصُّه: «إنما هو قول تلطَّف به المسلمون، وأمَّا أهل الكتاب فإنهم يقولون: إنَّ داود نظر وهو يمشي على سطح داره إلى امرأةٍ تستحم، فأعجبته وأغرم بها، وأتى بها واضطجع معها فحملت منه وأعلمته، وكان زوجها أوريا الحبشي في الحرب فأتى به ليسأله عن أمر الحرب في الظاهر وليحدث الرجل بامرأته عهدًا حتى لا يرتاب بأمرها إذا علم فيما بعد أنها حاملٌ، ولكنَّ الرجل كان نقيًّا جدًّا، فبات بباب داود ولم يزر امرأته لأنه رأى من عدم التقوى أن يتمتَّع بزوجته وإخوانه في الحرب بعيدون عن أزواجهم، فلما علم داود بأمره لم يرَ وسيلة بعد افتضاح أمره إلَّا تعريض أوريا لجبهة القتال حاملًا الراية، وأن يتأخَّر عنه الجند بعد التقدَّم، وبهذه الوسيلة قتل الرجل وأتت امرأته بولد من تلك الزنية وتزوَّجها داود، ثُمَّ مرض الولد فحزن داود عليه حزنًا شديدًا حتى لا يقدر أحد على تسرية همه، ثُمَّ مات الولد، ومن هذه المرأة كان سليمان.

هذه هي القصة كما يقولها اليهود لعنهم الله، وهي كلُّها كذبٌ وافتراءٌ، وأظنُّ اليهود الذين أسلموا لطَّفوها حتى قبلها المسلمون، وذكروها في تفاسيرهم وغيرها».

فضائل داود عليه السَّلام

وهي نوعان:

١- فضائل ذكرها الله في القرآن الكريم.

٢- فضائل ثبتت عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

الفضائل القرآنية

سورة البقرة: ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٥١]. والمراد بالحكمة: النبوة.

سورة النساء: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣]. والزبور: كتاب يشتمل على مواعظ وتسبيحات لله، وليس فيه أحكام ولا تشريعات، ويسمِّيه أهل الكتاب مزامير، جمع مزمور، وفيه مائة وخمسون مزمورًا، وداود كان على شريعة موسى عليهما الصَّلاة والسَّلام.

سورة الإسراء: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥].

سورة الأنبياء: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ [الأنبياء: ٧٩ - ٨٠]

سورة النمل: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ١٥].

سورة سبأ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ

ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [سبأ: ١٠ - ١١].

أَلان الله الحديد لداود فكان في يده كالعجين، و«سابغاتٍ» صفةٌ لدروعٍ مقدَّرة، والسَّرد نسج الدروع، بحيث تكون حلقاتها متساوية.

سورة ص: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: ١٧ - ٢٠].

﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٥ - ٢٦].

قال المفسِّرون: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾ خطابٌ لداود؛ والمراد غيره من الحُكَّام.

الفضائل الثابتة في الحديث

في "صحيح البخاريِّ" عن عبدالله بن عمرو بن العاص: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال له: «**أَحَبُّ الصَّلاةِ إلى الله صَلاةُ داودَ عليه السَّلام، وأَحَبُّ الصِّيامِ إلى الله صِيامُ داودَ، وكان يَنامُ نِصْفَ اللَّيلِ ويَقُومُ ثُلُثَهُ وينامُ سُدُسَهُ، ويُصُومُ يومًا ويُفْطِرُ يومًا**».

وفي "صحيح البخاريِّ" أيضًا عن المقدام بن مَعْدِي كَرِب، عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ما أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِن أن يَأْكُلَ مِن عَمَلِ يَدِهِ، وإنَّ نبيَّ الله داودَ كان يَأْكُلُ مِن عَمَلِ يَدِهِ**».

وروىٰ أيضًا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**وأنَّ داود عليه السَّلام، كان لا يَأْكُلُ إلَّا مِن عَمَلِ يَدِهِ**».

قال الحافظ ابن حجرٍ: «وهو صريحٌ في الحصر، قال: والحكم في تخصيص داود بالذِّكر أنَّ اقتصاره في أكله علىٰ ما يعمله بيده، لم يكن من الحاجة؛ لأنه كان خليفةً في الأرض كما قال الله تعالىٰ، وإنما ابتغىٰ الأكل من طريق الأفضل».اهـ

وفي "المستدرك" من حديث ابن عبَّاسٍ: وكان داود زرَّادًا[1] وكان آدم حرَّاثًا، وكان نوح نجَّارًا، وكان إدريس خيَّاطًا، وكان موسىٰ راعيًا.

وفي "صحيح البخاريِّ": عن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**خُفِّفَ على داودَ عليه السَّلام القُرْآنُ، فكان يَأْمُرُ بدَوَابِّهِ فتُسْرَجَ، فيَقْرَأَ القُرْآنَ قبل أن تُسْرَجَ دَوَابُّهُ، ولا يَأْكُلُ إلَّا مِن عَمَلِ يَدِهِ**».

المراد بالقرآن: الزَّبور، وقيل التوراة، وقراءة كلِّ نبيٍّ تطلق علىٰ الكتاب الذي أوحي إليه.

نسبه عليه السلام

هو دواد ابن إِيْشا -بكسر الهمزة وسكون المثنَّاة التحتية- ابن عَوْبَد -بوزن جعفر- ابن باعَر -بفتح العين المهملة- ابن سلْمون -بسكون اللام- ابن يارِب -بكسر الراء- ابن رام ابن حصرون ابن فارص-بصاد مهملة- ابن يهوذا بن يعقوب عليه السَّلام.

---

(١) يضع الزَّرد في الدروع.

صفته عليه السلام

قال ابن إسحاق، عن بعض أهل العلم، عن وَهْب بن مُنَبِّه: كان داود عليه السَّلام قصيرًا، أزرق العينين، قليل الشعر، طاهر القلب نقيه.

عمره عليه السلام

روىٰ الترمذيُّ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لَمَّا خَلَقَ اللهُ آدمَ مَسَحَ ظَهْرَهُ، فسَقَطَ مِن ظَهْرِهِ كلُّ نَسَمَةٍ هو خَالِقُهَا مِن ذُرِّيَّتِهِ إلى يومِ القِيامَةِ، وجعل بَيْنَ عَيْنَي كلِّ إنسانٍ منهم وَبِيصًا مِن نُورٍ، ثُمَّ عَرَضَهُمْ على آدمَ فقال: أي رَبِّ، مَن هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذُرِّيَّتُكَ، فرَأَى رَجُلاً منهم فأَعْجَبَهُ وَبِيصُ ما بَيْنَ عَيْنَيْهِ، فقال: أي ربِّ مَن هذا؟ فقال: هذا رَجُلٌ مِن آخِرِ الأُمَمِ مِن ذُرِّيَّتِكَ يُقال له داودُ فقال: رَبِّ كم جعلتَ عُمْرَهُ؟ قال: سِتِّينَ سَنَةً، قال: أي رَبِّ، زِدْهُ مِن عُمْرِي أربعين سَنَةً، فلمَّا قُضِيَ عُمْرُ آدمَ جاءَهُ مَلَكُ المَوْتِ، فقال: أوَلَمْ يَبْقَ مِن عُمْرِي أربعون سَنَةً؟ قال: أوَلَمْ تُعْطِها ابنَكَ داودَ قال: فجَحَدَ آدَمُ فجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ، ونُسِيَ آدمُ فنَسِيَتْ ذُرِّيَّتُهُ**».

قال الترمذيُّ: «حديثٌ حسنٌ صحيح، وقد روىٰ من غير وجهٍ عن أبي هريرة». وصحَّحه الحاكم علىٰ شرط مسلمٍ.

ورواه أحمد من حديث ابن عبَّاسٍ، وفي آخره: «**فأتمَّهَا لداودَ مائةَ سَنَةٍ، وأَتَمَّ لآدمَ عُمْرَهُ ألفَ سَنَةٍ**».

وللحديث طرقٌ عن أبي هريرة، وعبدالله بن سَلَام، وابن عبَّاسٍ.

وعلىٰ هذا فداود عليه السَّلام عاش مائة سنةٍ.

وروى ابن أبي حاتمٍ في "تفسيره" بإسنادٍ ضعيفٍ: عن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في حديث استخراج ذريَّة آدم من ظهره وفيه: «**ثُمَّ عَرَضَهُمْ على آدمَ فقال: يا آدمُ، هؤلاء ذُرِّيَّتُكَ، وإذا فيهم الأَجْذَمُ والأَبْرَصُ والأَعْمَى وأنواعُ الأَسْقَامِ، فقال آدمُ: يا ربِّ، لم فَعَلْتَ هذا بذُرِّيَّتي؟ قال: كي تَشْكُرَ نِعْمَتي**».

حسن صوت داود عليه السلام

قال الأوزاعيُّ: حدَّثني عبدالله بن عامرٍ، قال: «أُعطي داود من حُسْنِ الصوت ما لم يُعطَ أحدٌ قطُّ، حتى إن كان الطير والوحش ينعكف حوله حتى يموت عطشًا وجوعًا وحتى إنَّ الأنهار لتقف».

وقال وهب بن مُنَبِّه: «كان لا يسمعه أحدٌ إلَّا حَجَل كهيئة الرقص، وكان يقرأ الزبور بصوتٍ لم تسمع الآذان بمثله فيعكف الجنُّ والإنس والطير والدوابُّ على صوته، حتى يهلك بعضها جوعًا».

وروى عبدالرزاق عن ابن جريج، قال: سألت عطاء عن القراءة على الغناء، فقال: وما بأس بذلك، سمعت عبيد بن عمير يقول: «كان داود عليه السَّلام يأخذ المِعْزَفة، فيضرب بها فيقرأ عليها، فتردَّ عليه صوته، يريد بذلك أن يَبكي ويُبكي».

وفي "مسند" أحمد بإسنادٍ صحيحٍ عن عائشة رضي الله عنها، قالت: سمع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم صوت أبي موسى وهو يقرأ، فقال: « **لقد أوتي أبو موسى مِزْمارًا من مَزامير آل داودَ**».

وكان أبو موسى الأشعريُّ حَسَنَ الصوت، حتى قال بعض التابعين: سمعت البَرْبَط[1] والمزمار فما سمعت صوتًا أحسن من صوت أبي موسى الأشعريِّ.

بعض أحكامه

(١)

قال تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٨ - ٧٩].

اختلف في الحَرْث هل كان كَرْمًا أو زرعًا؟ فقال ابن مسعودٍ، وابن عبَّاسٍ وأكثر المفسِّرين: «كان الحرث كَرْمًا». وقال قتادة: «كان زرعًا».

وحاصل القصة على رأي الجمهور: أنَّ رجلًا كان له كَرْمٌ تدلَّت عناقيده، نفشت فيه غنمٌ أي رعته ليلًا فأفسدته، فتحاكم أصحاب الكَرْم والغنم إلى داود عليه السَّلام، فحكم بإعطاء الغنم لصاحب الحَرْث، وعلم سليمان بقضاء والده فقال: غير هذا أرفق بالفريقين. فأُخبر داود بذلك، فدعاه فقال: بحقِّ البنوَّة والأبوَّة إلَّا أخبرتني بالذي هو أرفق بالفريقين؟ قال: ادفع الغنم إلى صاحب الحرث لينتفع بدرها وصوفها ومنافعها ويبذر صاحب الغنم لصاحب الحرث، مثل حرثه، فإذا صار الحرث كهيئته يوم أُكِل دُفع إلى أهله،

---

(١) والبربط بوزن جعفر، وهو العود.

وأخذ صاحب الغنم غنمه. فقال داود: القضاء ما قضيت. وحكم بذلك.

وهذا معنى قوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾ أي: فهَّمنا القضيةَ سليمانَ فهي فضيلةٌ له على داود، وفضيلةٌ راجعةٌ إليه أيضًا؛ لأنَّ الوالد تَسُرُّه زيادة ولده عليه، ثُمَّ أثنى الله عليهما: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾.

واستدل بهذه الآية من قال من الأصوليين: «كلُّ مجتهدٍ مصيبٌ» ولا دلالة فيها على ذلك لاحتمال أن يكون حكمهما بوحيٍ، ويكون حكم سليمان ناسخًا لحكم داود، وأثنى الله عليهما لأنهما حكما بما أوحي إليهما، ولو فرض أنَّ كلَّ واحدٍ منهما حكم باجتهاده على القول بجواز الاجتهاد للأنبياء، وأنَّ داود - عليه السَّلام- أخطأ فإنَّ المجتهد المخطيء لا يُذمُّ ولا يُعنَّف، بل يُثيبه الله على اجتهاده؛ لأنَّ الاجتهاد في طلب الحكم عبادة.

وفي "صحيح مسلمٍ" عن عمرو بن العاص: أنه سمع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**إذا حَكَمَ الحَاكِمُ فاجْتَهَدَ ثُمَّ أصابَ فله أَجْرانِ، وإذا حَكَمَ فاجْتَهَدَ ثُمَّ أخطأ فله أَجْرٌ**».

ثُمَّ الحكم المشار إليه في الآية الكريمة، إنما هو في تلك الشريعة، أمَّا في شريعتنا فالحكم فيها ما رواه مالكٌ، عن الزهريِّ، عن حرام بن سعد بن محيصة: أنَّ ناقةً للبراء دخلت حائط رجلٍ، فأفسدت فيه، فقضى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنَّ على أهل الحوائط حفظها بالنهار، وأنَّ ما أفسدت المواشي بالليل ضامن – مضمون- على أهلها. وفي المسألة خلافٌ بين الحنفية وغيرهم.

(٢)

روىٰ الشيخان عن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**بينما امرأتانِ معهما ابناهُما، جاءَ الذِّئْبُ، فذَهَبَ بابن إحداهُما، فقالت هذه لصاحِبَتِها: إنَّما ذَهَبَ بابنِكِ أنتِ، وقالتِ الأُخرى: إنَّما ذَهَبَ بابنِكِ، فتَحاكَمَتَا إلى داودَ، فقضَى به للكُبْرَى، فخَرَجَتَا على سليمانَ بن داودَ عليهما السَّلام، فأَخْبَرَتَاهُ، فقالَ: ائْتُونِي بالسِّكِّينِ أَشُقُّهُ بينكما، فقالتِ الصُّغْرَى: لا، يَرْحَمُكَ اللهُ، هو ابنُها، فقَضَى به للصُّغْرَى**».

قال أبو هريرة: «والله إن سمعت بالسكين قطُّ إلَّا يومئذٍ، ما كنَّا نقول إلَّا المُدْيَةُ».

إنما حكم داود بالولد للكبرىٰ لدليلٍ قام عنده وإن لم يذكر في الحديث، وسليمان لم يقصد نقض حكم والده، وإنما تلطَّف بحيلةٍ يدرك بها الحقَّ في نفس الأمر، فطلب سكِّينًا يشقُّ به الولد، ولم يكن ليفعل ذلك، ولكن حين طلبه أسرعت الصُّغرىٰ تقول: لا تفعل يرحمك الله، فقضىٰ لها به.

قال الأُبِّيُّ: «أمَّا التلطُّف الذي يستخرج به الاعتراف فواضحٌ، وأمَّا الإرهاب ففي جوازه نظر، خوف أن يكون إكراهًا، ولذلك لم يضر الصغرىٰ اعترافها أنَّه ابن الكبرىٰ لأنها في اعترافاتها كالمكرهة.

واتفق في أيام - ابن عبد السَّلام- لقاضي تَوْزَر: أن رفع إليه رجلٌ وامرأةٌ منكشفة غائبة عن حسِّها، وقيل: إنَّ الرجل سحرها، فسأل القاضي هل يعرف أن يكتب؟ فأنكرها فأعرض عنه القاضي ساعةً، واستغفله ثُمَّ عرض له

بالكتابة، فظهر منه ما يدل أنه يكتب، فخوَّفه القاضي إن لم يُقر بالحقِّ، فاعترف أنه سحرها، فبعث معه القاضي الأعوان لإزالة السِّحر وإفساد آلته، والمرأة جالسةٌ منكشفة في سقيفة القاضي، فلمَّا أُفسدت آلة السحر، رجعت المرأة إلى حالتها، فقامت وانزوت إلى ركن السقيفة، وجعلت تضم عليها ثيابها وتستتر وكأنها لم تعرف أنها منكشفةٌ إلَّا الآن.

وبعث القاضي لابن عبدالسَّلام، يستفتيه في حكم الرجل السَّاحر.

قال الأبي: وهذا من التحيُّل في استخراج ما يستند إليه القاضي من الاعتراف وغيره، وأمَّا أنَّ القاضي يستند في الحكم إلى التحيُّل، فلا يجوز وإن ظهر الحقُّ.

وكذا ذكر أبو العباس الغبريني في كتابه المسمى بـ"عنوان الدراية في التعريف بمن حلَّ من العلماء ببجاية": أن بعض قضاة بجاية استخلف رجلًا على الأحكام، فأخبره الرجل يومًا أنه تحيَّل في استخراج حقٍّ فعزله.

ومن التحيُّل في استخراج الاعتراف، ما رُوي أنَّ رجلين تحاكما إلى إياسٍ القاضي؛ ادَّعى أحدهما أنه أودع صاحبه نقودًا في مكان قرب شجرةٍ، وقال الآخر: إنَّ ما ادَّعاه غير صحيحٍ، وأنه لا يعرف المكان الذي ذكره، ولم يكن للمدَّعي بينة، فقال له إياسٌ اذهب إلى ذلك المكان، وابحث حول الشجرة، لعلك وضعت النقود هناك ونسيت، وأمسك المدعى عليه عنده، واشتغل عنه بقضية أخرى، وبعد ساعة استغفله وسأله: هل يمكن أن يكون وصل صاحبك إلى الشجرة؟ قال: لا، فخوَّفه فاعترف وردَّ النقود إلى صاحبها.

قال الأُبِّيُّ: وعكس عدم تثبُّت الرجل الساحر، وأنه استغفل فغفل، ما

اتفق للقاضي، أبي البركات البلفيقي -أحد قضاة الأندلس- وكان صاحب نوادر ودعابات أنَّ الأمير أبا عنان ملك المغرب، سأله عن عمره؟ فقال: ليس نخبر بعمري أحدًا فاستغفله الأمير ساعةً ثُمَّ قال له: وقعة كذا ابن كم كنت فيها؟ فتفطَّن له القاضي فقال له تستغفلني ألم أقل أني لا أخبر بعمري أحد؟!

(تنبيه): قول أبي هريرة: «والله ما سمعت بالسكِّين قطُّ إلَّا يومئذٍ، ما كنَّا نقول إلَّا المُدْية».

قال الأبي: معلِّقًا عليه: «انظر كيف قال ذلك؟ وقد قال الله تعالى: ﴿وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا﴾ [يوسف: ٣١]. وسورة يوسف مكية، وإسلام أبي هريرة متأخِّر، كان بالمدينة عام خيبر، إلَّا أن يقال: أنه لم يسمع بالآية وحدها».اهـ

(٣)

روى ابن جريرٍ، وابن أبي حاتمٍ من طريق عِلْباء بن أحمر، عن عكرمة، عن ابن عبَّاسٍ: أنَّ نفرين من بني إسرائيل، استعدى أحدهما على الآخر إلى داود عليه السَّلام، وأنه اغتصبه بقرًا فأنكر الآخر، ولم يكن للمدَّعي بينة، فأرجأ أمرهما، فلما كان الليل أُمِر داود عليه السَّلام بقتل المدَّعي، فلما كان النهار طلبهما وأمر بقتل المدَّعي فقال: يا نبي الله علام تقتلني وقد اغتصبني هذا بقري؟! فقال له: إنَّ الله تعالى أمرني بقتلك، فأنا قاتلك لا محالة.

فقال: والله يا نبيَّ الله إنَّ الله لم يأمرك بقتلي لأجل هذا الذي ادَّعيت عليه، وإني لصادقٌ فيما ادَّعيت، ولكني كنت قد اغتلت أباه وقتلته، ولم يشعر بذلك

أحدٌ. فأمر به داود فقُتل.

قال ابن عبَّاسٍ: فاشتدَّت هيبته في بني إسرائيل، وهو الذي يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ [ص: ٢٠].

(٤)

روى الحسن بن سفيان، عن طريق سعيد بن بشير، عن قتادة، عن مجاهدٍ، عن ابن عبَّاسٍ: أنَّ امرأةً حسناء في زمان بني إسرائيل راودها عن نفسها أربعةٌ من رؤسائهم فامتنعت عن كلٍّ منهم، فاتفقوا فيما بينهم عليها، فشهدوا عند داود عليه السَّلام أنها مكَّنت من نفسها كلبًا لها قد عوَّدته ذلك منها فأمر برجمها.

فلما كان عشيَّة ذلك اليوم، جلس سليمان واجتمع معه ولدان مثله فانتصب حاكمًا وتزيَّى أربعة منهم بزيِّ أولئك وآخر بزيِّ المرأة، وشهدوا عليها أنها مكنت من نفسها كلبًا فقال سليمان: فرِّقوا بينهم. فسأل أولهم: ما كان لون الكلب؟ فقال: أسود، فعزله واستدعى الآخر فسأله عن لونه، فقال: أحمر، وقال الآخر: أعبس، وقال الآخر: أبيض، فأمر عند ذلك بقتلهم.

فحكي ذلك لداود عليه السَّلام فاستدعى من فوره أولئك الأربعة فسألهم متفرِّقين عن لون الكلب؟ فاختلفوا عليه فأمر بقتلهم.

قلت: من هذه القصة، أخذ الحُكَّام بمبدأ تفريق الشُّهود، وهو من أوَّليَّات سليمان عليه السَّلام.

(٥)

قال وهب بن مُنَبِّه: «لما كثر الشر وشهادات الزُّور في بني إسرائيل، أُعطي داود سلسلة لفصل القضاء، فكانت ممدوةً من السماء إلى صخرة بيت المقدس، وكانت من ذهب فإذا تشاجر الرجلان في حقٍّ، فأيها كان محقًّا نالها والآخر لا يصل إليها، فلم تزل كذلك حتى أودع رجلٌ عند رجلٍ لؤلؤةً، فجحدها منه واتَّخذ عكَّازًا وأودعها فيه، فلما حضر عند الصخرة تناولها المدَّعي فلما قيل للآخر خذها بيدك، عمد إلى العكَّاز فأعطاه المدَّعي وفيه تلك الؤلؤة، وقال: اللهم إنك تعلم أني دفعتها إليه، ثُمَّ تناول السلسلة فنالها، فأشكل أمرها على بني إسرائيل، ثُمَّ رفعت سريعًا من بينهم».

قلت: مثل هذا من الإسرائيليات، لا بأس بروايته لأنه لا يتعلَّق بحكمٍ، ولا يُخالف ما عندنا، بل هو من الأعاجيب التي أذن لنا في التحدُّث عنها.

وفي "سنن أبي داود" من حديث أبي هريرة: «**حدِّثُوا عن بني إسرائيلَ ولا حَرَجَ**». وفي "مسند أحمد بن منيع" من حديث جابرٍ: «**حَدِّثُوا عن بني إسرائيلَ، فإنَّهُ كانتْ فيهِمْ أعاجِيبُ**».

بعض كلام داود عليه السَّلام

روىٰ ابن أبي الدُّنيا في "كتاب الشكر" عن أبي الجلد، قال: قرأت في مسألة داود عليه السَّلام: أنه قال: «يا ربِّ كيف لي أن أشكرك وأنا لا أصل إلىٰ شكرك إلَّا بنعمتك؟ قال فأتاه الوحي: أن يا داود ألست تعلم أنَّ الذي بك من النِّعم منِّي؟ قال: بلىٰ يا ربِّ، قال: فإني أرضى بذلك منك».

وروىٰ ابن المبارك في "الزهد" عن وهب بن مُنَبِّه: «الحمد لله كما ينبغي لكرم وجهه وعزِّ جلاله، فأوحىٰ الله إليه: إنك أتعبت الحَفَظَةَ يا داود».

وروىٰ ابن المبارك في "الزهد" عن وهب بن مُنبِّه، قال: «إنَّ في حكمة آل دواد: حقٌّ علىٰ العاقل ألَّا يغفل عن أربع ساعاتٍ: ساعةٌ يُناجي فيها ربَّه، وساعةٌ يُحاسب فيها نفسه، وساعةٌ يفضي فيها إلىٰ إخوانه الذين يُخبرونه بعيوبه ويصدقونه عن نفسه، وساعةٌ يُخلِّي بين نفسه وبين لذاتها فيما يحلُّ ويَجْمُل، فإنَّ هذه الساعة عونٌ علىٰ تلك الساعات وإجمامٌ للقلوب. وحق علىٰ العاقل أن لا يظعن[1] إلَّا في إحدىٰ ثلاثٍ: زادٍ لمعاده، ومَرمَّةٍ لمعاشه، ولذَّةٍ في غير محرم. وحقٌّ علىٰ العاقل أن يعرف زمانه، ويحفظ لسانه، ويقبل علىٰ شأنه».

قال ابن كثيرٍ: «وقد روىٰ الحافظ ابن عساكر في ترجمة داود أشياء كثيرةً مليحةً منها قوله: «كُن لليتيم كالأب الرحيم».

- و«اعلم أنك كما تزرع كذلك تحصد».

- «يا زارع السيِّئات أنت تحصد شوكها وحَسَكَهَا».

---

(١) أن لا يسافر.

- «مثل الخطيب الأحمق في نادي القوم كمثل المغنِّي عند رأس الميت».
- «ما أقبح الفقر بعد الغنىٰ، وأقبح من ذلك الضلالة بعد الهدىٰ».
- «انظر ما تكره أن يذكر عنك في نادي القوم، فلا تفعله إذا خلوت».
- «لا تَعِدَنَّ أخاك بما لا تُنجِزه له فإنَّ ذلك عداوةٌ ما بينك وبينه».

وروىٰ البيهقيُّ في "الزهد" عن ابن عبَّاسٍ، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**قال داود فيما يناجي ربَّه: «يا ربِّ أيُّ عبادك أحبُّ إليك أُحبُّه بحبِّك، قال: يا داود، أَحبُّ عبادي إليَّ تقيُّ القلبِ، نقيُّ الكفَّين، لا يأتي إلى أحدٍ سوءًا، ولا يمشي بالنَّميمة، تزول الجبالُ ولا يزولُ، أحبَّني وأَحبَّ مَن يُحبِّني وحَبِّبني إلى عبادي. قال داود: يا ربِّ، إنك لتعلمُ أنِّي أحبُّك وأحبُّ من يحبُّك فكيف أحبِّبك إلى عبادك؟ قال: ذَكِّرْهُمْ بآلائي وبلائي**».

وروىٰ أحمد عن عثمان بن أبي العاص، قال سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**كان لداودَ نبيِّ الله صلوات الله وسلامه عليه مِن الليلِ ساعةٌ يوقِظُ فيها أهلَهُ يقول: يا آل داود، قوموا فإنَّ هذه الساعَةَ يَسْتَجيبُ اللهُ فيها الدُّعاءَ إلَّا لساحِرٍ أو عاشِرٍ**[1]».

وروىٰ ابن عساكر عن صدقة الدمشقي: أنَّ رجلًا سأل ابن عبَّاسٍ عن الصيام، فقال: لأُحدثنَّك بحديثٍ كان عندي في التخت مخزونًا، إن شئت أنبأتك بصوم داود، فإنه كان صوَّامًا قوَّامًا، وكان شجاعًا لا يفرُّ إذا لاقىٰ، وكان يصوم يومًا ويفطر يومًا، وقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أفضل الصِّيامِ**

---

(١) صاحب الجمرك.

صيامُ داودَ». وكان يقرأ الزَّبور بسبعين صوتًا، وكانت له ركعةٌ من الليل يبكي فيها نفسه، ويبكي ببكائه كلُّ شيءٍ، ويصرف صوته الهموم والغموم».

وفاته عليه السلام

روىٰ أحمد في "مسنده" بإسنادٍ جيِّدٍ قويٍّ -كما قال ابن كثيرٍ- عن أبي هريرة: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**كان داود عليه السَّلام فيه غَيْرةٌ شديدةٌ، فكان إذا خَرَجَ أَغْلَقَ الأبوابَ، فلم يَدْخُلْ على أَهْلِهِ أَحَدٌ حتَّى يَرْجِعَ، فخَرَجَ ذات يومٍ وغُلِّقِتِ الدارُ، فأقبلتِ امرأتُهُ تَطَّلِعُ إلى الدار فإذا رَجُلٌ قائمٌ وَسَطَ الدارِ، فقالت لمن في البيتِ: مِن أين دَخَلَ هذا الرَّجُلُ والدارُ مُغْلَقَةٌ؟ والله لنَفْتَضِحَنَّ بداود.**

فجاء داودُ فإذا الرَّجُلُ قائمٌ في وسطِ الدارِ، فقال له داودُ: مَن أنتَ؟ قال: أنا الذي لا أهابُ المُلوكَ، ولا أُمنعُ مِن الحُجَّاب. فقال داود: أنتَ والله إذًا مَلَكُ الموتِ، مَرْحَبًا بأمر الله.

ثُمَّ مَكَثَ حتَّى قَبَضَ رُوحَهُ، فلما غُسِّلَ وكُفِّنَ وفُرِغَ مِن شأنه طلعت عليه الشمسُ، فقال سليمان للطير: أظلِّي على داودَ فأظلَّته الطير حتَّى أظلمت عليه الأرض، فقال سليمان للطير: اقبضي جناحًا».

قال أبو هريرة: «فطفِق رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يرينا كيف فعلت الطير، وقبض رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يده، وغلبت عليه يومئذٍ المَضْرحِية».

أي وغلبت علىٰ التظليل عليه الصقور الطويلة الأجنحة، واحدها مَضْرَحي بفتح الميم والراء بينهما ضادٌ معجمةٌ ساكنةٌ.

رسالته عليه السلام

كان داود عليه الصَّلاة والسَّلام رسولًا إلى بني إسرائيل على شريعة موسى عليه الصَّلاة والسَّلام.

وقد أشار القرآن إلى رسالته في مواضع: منها قول الله تعالى في سورة البقرة: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

«تلك» اسم إشارة، والمشار إليه الرسل المذكورون من أول السورة إلى هذا الموضع، وهم عشرةٌ:

١ - النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ذكر في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: ٤].

٢ - آدم عليه الصَّلاة والسَّلام: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١].

وكثير من العوام لا يعرفون أنه نبيٌّ، وبلغني أنَّ أحد المثقَّفين بمصر أنكر نبوَّة آدم، وحكمت المحكمة بردَّته، ثُمَّ استأنف فأبطل الاستئناف الحكم بدعوى أنه ليس في القرآن دليلٌ على نبوته، وهذا جهلٌ كبيرٌ، فإنَّ نبوَّته ثابتةٌ بالإجماع المعلوم من الدين بالضرورة، وهو نبيٌّ مُكلَّمٌ، كلَّمه الله كما في القرآن.

ورسولٌ إلى أولاده بدليل قوله: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ [المائدة: ٢٧] الآيات، فيها تشريعٌ تلقَّاه ابناه من أبيهما عليه الصَّلاة والسَّلام.

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣] فمنكر نبوة آدم مرتدٌّ يُستتاب.

٣- موسى عليه الصَّلاة والسَّلام: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ

أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ [البقرة: ٦٧].

٤- عيسى عليه الصَّلاة والسَّلام: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ [البقرة: ٨٧].

٥- سليمان عليه الصَّلاة والسَّلام: ﴿وَٱتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ ﴾ [البقرة: ١٠٢].

٦،٧ - إبراهيم وإسماعيل عليهما الصَّلاة والسَّلام: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ ﴾ [البقرة: ١٢٧].

٨، ٩- إسحاق ويعقوب عليهما الصَّلاة والسَّلام: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ﴾ [البقرة: ١٣٣].

١٠- داود عليه الصَّلاة والسَّلام: ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ﴾ [البقرة: ٢٥١].

ومنها قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ [النساء: ١٦٣].

ومنها قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام: ٨٣- ٨٦].

وهؤلاء كلُّهم رسلٌ، وداود أحد الرسل المذكورين باسمهم في القرآن

الكريم وهم: آدم، ونوحٌ، وهودٌ، وصالحٌ، وإبراهيم، ولوطٌ، وشعيبٌ، وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وموسىٰ وهارون وأيوب وإدريس وداود وسليمان ويونس وإلياس واليسع وذو الكفل وزكريا ويحيىٰ وعيسىٰ ونبينا صلَّىٰ الله عليه وعليهم وسلَّم.

العبرة من قصة داود عليه السلام

يؤخذ من قصة داود عليه الصَّلاة والسَّلام عِبَرٌ:

إحداها: أنه مع كونه مَلِكًا وخليفةً بيده المال الوفير كان يعمل الدروع - كما في القرآن- ويأكل من ثمنها.

وفي "صحيح البخاريِّ" عن المقدام بن مَعْدِي كَرِب، عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ما أَكَلَ أَحَدٌ طعامًا قَطُّ خَيْرًا مِن عَمَلِ يَدِهِ، وإنَّ نبيَّ الله داود عليه السَّلام كان يَأْكُلُ مِن عَمِلِ يَدِهِ**». وتقدَّم هذا.

وفيه أيضًا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ داودَ عليه السَّلام كان لا يأكُلُ إلَّا مِن عَمَلِ يَدِهِ**». وتقدَّم أيضًا.

ومعنىٰ هذا: أنَّ داود عليه السَّلام لم يأخذ لنفسه ولا لأولاده شيئًا من مال الدولة الذي كان تحت يده، بل كان يصرف ذلك المال في الوجوه التي كان يأمره الله بصرفه فيها.

ثانيها: إنَّ التكسُّب لا يَقْدَحُ في التوكُّل.

فداود عليه السَّلام كان رسولًا كريمًا، والرسل سادات المتوكِّلين، ومع ذلك كان يتكسَّب للحصول علىٰ قوت نفسه وأولاده.

ثالثتها: قوة تحمُّله ممن يؤذيه، وتفضيله العفو علىٰ العقوبة، فالخصوم الذين

تحاكموا إليه تسوَّروا عليه المحراب وخاطبوه بلغةٍ فيها سوء أدبٍ وقلَّة حياءٍ، ولو عاقبهم على إذايتهم له كان مصيبًا، لكنه سامحهم وتغاضى عن جهلهم وحكم بينهم حكمًا صوابًا، فاستحق ثناء الله عليه بأنه ذو الأيد، أي: القوة في الطاعة والصبر والتحمُّل.

رابعتها: أنَّ الله تعالى هيَّأه لقتال جالوت ذلك الجبار الذي تحامته الأبطال، ولم يقتله بسيفٍ ولا رمحٍ، بل قتله بحجرٍ أرسله من المقلاع، وكان داود إذ ذاك راعي غنم لم تُعرف عنه بطولةٌ ولا فروسيةٌ، ولكنَّ قُدْرة الله جعلت منه بطلًا قويًّا، وهيَّأته لأن يكون ملِكًا فيما بعد ونبيًّا.

خامستها: إنَّ داود لم يغيِّره المُلْك عن خُلُقِ التواضع والصبر والمسامحة، بل استمر على هذه الأخلاق الحميدة طول حياته.

سادستها: إنَّ طاعة الله وشكر نعمه يوجب المزيد منها، فإنَّ الله تعالى لما رأى طاعة داود وشكره زاده من نعمه، فألان له الحديد، وسخَّر له الجبال والطير، وعلمه صنعة الدروع، ووهب له سليمان رسولًا وملِكًا.

سابعتها: إنَّ الإنسان الضعيف لا ييأس من فضل الله ورحمته، بل يسعى إلى النجاح، مستعينًا بطاعة الله وتقواه، فمن جَدَّ في الطلب وَجَدَ، ومن سار على الدَّرْب وَصَلَ.

وهذا آخر القصة والحمد لله في البدء والختام، والصَّلاة والسَّلام على خير الأنام وآله الكرام.

٤ - قِصَّةُ سُليمانَ عليه السَّلام

مقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمدٍ وآله الأكرمين.

وبعد: فهذه "قصة سليمان عليه السلام" كتبتها على نَمَطِ القَصَصِ التي كتبتها، وهي قصة "آدم" و"إدريس" و"داود" عليهم السلام، أبيِّن ما صحَّت به الرواية، أو ساعد عليه لفظ الآية، وأنفي ما جاء في الإسرائيليات، مما يدخل في باب الخُرافات، وأحل مشكلة ما يتعلَّق بالنبيِّ مما ينافي العصمة، أو يحطُّ مِن قَدْرِ النبوَّة.

واللهُ المسئول أن يوفِّقني ويعصمني من الزَّلل، إنه قريبٌ مجيبٌ.

وأحب أن أفتتح هذه القصة ببيان تناسب آيات سورة (ص) وارتباط بعضها ببعض ليعرف موضع القصص المشار إليها في تلك السورة المبدوءة بذكر خصومة المشركين للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ورميهم إياه بالسحر والكذب وغير ذلك من التهم الباطلة، حتى قالوا على سبيل العناد والاستهزاء: ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [ص: ١٦].

فقال الله له: ﴿اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ [ص: ١٧] وأمره بما يُعينه على الصبر، ويسليه عما أصابه من أذى قومه وعنادهم، وهو ذكر حال جماعة من الأنبياء قبله كيف امتحنوا بأذى قومهم، أو ابتلوا في أنفسهم أو أهليهم أو أموالهم فصبروا حتى فازوا برضا الله، والدرجات العلا في جنات النعيم.

وبدأ بداود عليه السلام فقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٧] وذكر نبأ الخَصم الذي فسَّرناه في "قصة داود".

ثُمَّ ثنَّىٰ بقصَّة سليمان عليه السلام وافتتحها بالثناء عليه حيث قال جلَّ شأنه: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص: ٣٠].

ثُمَّ ثلَّث بذكر أيوب عليه السلام: ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص: ٤١ – ٤٤].

ثُمَّ ذكر بقيَّتهم فقال سبحانه: ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [ص: ٤٥]، ﴿ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾ [ص: ٤٨].

فإيراد هؤلاء الأنبياء في سِياق المَدْحِ والثَّناءِ يُستفاد منه أمورٌ:

الأول: حَثُّ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ التَسَلِّي بحالهم والتأَسِّي بهم.

الثاني: بُطلان ما جاء في الإسرائيليَّات عن داود وسليمان وأيوب عليهم السلام؛ لأن دلالة السِّياق لها الاعتبار الأوَّل، وغَلَطُ المفسِّرين المتقدِّمين والمتأخِّرين سببه غفلتهم عن دلالة السِّياق التي هي أكبر عونٍ علىٰ تفسير الآيات وفهمها فهمًا صحيحًا يوافق ما سِيقت لأجله، ونبَّهت علىٰ ذلك مع بعض الأمثلة في قصة داود عليه السلام.

الثالث: ينبغي للعامل بالسُّنَّة والدَّاعي إليها أن يتمسَّك بالصبر وتحمل المشاقِّ في دعوته اقتداءً بهؤلاء العُظماء، وهكذا كلُّ داعٍ إلىٰ خيرٍ وحقٍّ يلزمه أن يتَّخِذ هذا شِعاره ولا ينحرف عنه لغرضٍ من الأغراض.

إذا تقرَّرت هذه المقدمة الوجيزة أمكن أن نتكلَّم في قصة سليمان عليه السلام، وفتنته، والجسد الذي ألقي على كرسيِّه، والصَّافِنات التي عُرضت عليه، والمُلْك الذي طلبه وغير ذلك على هدىٰ وبصيرةٍ، نقبل ما يوافق السِّياق واستقام مع نظم الآية، ونردُّ سوىٰ ذلك، والله الموفِّق والهادي.

رسالة سليمان عليه السلام

سليمان عليه السلام رسولٌ كريمٌ، ذُكِر بوصف الرِّسالة في عِدَّة آياتٍ:

الأولى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] وهم الرسل العشرة المذكورة في سورة (البقرة): النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وآدم، وموسى، وعيسى، وسليمان، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، وداود، ذكرتهم على ترتيب ذكر أسمائهم في سورة (البقرة).

الآية الثانية: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣].

الآية الثالثة: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأنعام: ٨٤].

فسليمان رسولٌ كريمٌ ابن رسول كريمٍ عليهما السلام، وتقدَّم نسبه في قصة أبيه داود.

الصافنات

قال الله تعالى: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ [ص: ٣١-٣٣]. **الصَّافِنات:** جمع صَافِن.

والجِياد: جمع جَوَاد -بتخفيف الواو- للفرس الشديد أي: السريع، وقيل

للفرس: «جواد» لطول جِيده -أي عُنقه- وطول العنق في الفرس محمودٌ.

وفي الصَّافِن وجهان:

أحدهما: أنَّ صُفُون الخيلِ قيامها، والصَّافِن في كلام العرب: الواقف من الخيل وغيرها، وفي الحديث: «إذا رَفَعَ رَأسَهُ مِن الرَّكُوعِ قُمْنا خَلْفَهُ صُفُونا».

والآخر: أنَّ صُفونها: رفع إحدىٰ اليدين علىٰ طرف الحافِر، حتَّىٰ يقوم علىٰ ثلاث، قال عمرو بن كلثوم:

تَرَكْنَا الخَيْلَ عَاكِفَةً عَلَيْهِ مُقَلَّدَةً أَعِنَّتُها صُفُونًا

قال مقاتل: «وَرِثَ سليمان من أبيه داود ألف فرسٍ، وكان أبوه أصابها من العمالقة».

وقال الكلبيُّ: «غزا سليمان أهل دمش ونصيبين فأصاب منهم ألف فرسٍ».

وقال الحسن: «بلغني أنها كانت خيلًا خرجت من البحر لها أجنحةٌ».

وقال الضَّحَّاك: «إنها كانت خيلًا أُخرِجت لسليمان من البحر منقوشةً ذات أجنحةٍ».

وقال ابن زيدٍ: «أخرج الشيطان لسليمان الخيل من مروج البحر وكانت لها أجنحةٌ».

وقيل: كانت مائة فرسٍ، وقال ابراهيم التيميُّ: «كانت عشرين ألفًا، وقيل: عشرة آلاف فرس، وقيل: كان فيها عشرون فرسًا من ذوات الأجنحة».

قال أبو حَيَّان في "البحر": «وقد اختلفوا في عدد هذه الخيل علىٰ أقوال متكاذبةٍ سوَّدوا الورق بذكرها».اهـ

روىٰ أبو داود في "سننه" عن عائشة قالت: قَدِمَ رسول صلَّىٰ الله عليه وآله

وسلَّم من غزوة تبوك أو خيبر، وفي سَهْوَتها سِتْرٌ، فهبَّت الرِّيح فكشفت ناحية السِّتر عن بناتٍ لعائشة، فقال: «**ما هذا يا عائشةُ؟**» فقالت: بناتي، ورأىٰ بينهنَّ فرسًا له جناحان من رقاع، فقال: «**ما هذا الذي أرى وَسْطَهُنَّ؟**» قالت: فرسٌ. قال «**و ما الذي عليه هذا؟**» قالت جناحان، قال: «**فرسٌ له جِناحان؟**» قالت: أما سمعتَ أنَّ لسليمان خيلًا لها أجنحةٌ؟ قالت: فضَحِك حتىٰ رأيت نواجِذَهُ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم. ورواه النَّسائيُّ أيضًا.

وضَحِكَ النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لقول عائشة حيث احتجَّت بما لم يثبت نقله، وإن كان وجود خيلٍ بأجنحةٍ جائزًا في القُدْرَةِ الإلهيَّة.

وكان لسليمان ميدانٌ يُسابِق فيه بين الخيل حتَّىٰ تتوارىٰ عن بصره، وتدخل اصطبلاتها وهو الحِجاب، وكان له ذِكْرٌ شغلته عنه في ذلك اليوم فقال: رُدُّوها عليَّ فطَفِقَ يَمْسَحُ سُوقها وأعناقها اعتناءً بها وتكريمًا لها.

وفي "الموطأ" عن يحيىٰ بن سعيدٍ: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم رُؤي وهو يَمْسَحُ وجْهَ فرسه بردائه، فسُئل عن ذلك، فقال «**إنِّي عُوتبت الليلةَ في الخيلِ**».

ووصله ابن عبدالبر من طريق مالكٍ، عن يحيىٰ، عن أنسٍ رضي الله عنه.

ورواه أبو عبيدة في "كتاب الخيل" من طريق عبدالله بن دينار بلفظ: «**إنَّ جبريل باتَ الليلةَ يُعاتِبُني في إذالة الخيلِ**». أي: امْتِهانِها.

وروىٰ النَّسائيُّ عن أبي وهبٍ الجشميِّ -و كانت له صحبةٌ- قال: قال رسولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ارْتَبِطُوا الخيلَ وامْسَحُوا بنواصِيها وأكْفَالِها**».

وما قيل: إنَّ سليمان فاتته صلاة العصر فعَرْقَبَ الخيلَ وذَبَحَها ليس بصحيحٍ، ولم تكن صلاة العصر مفروضةً في تلك الشريعة.

وروى الطبرانيُّ في "الأوسط" عن أُبيِّ بن كعبٍ مرفوعًا: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ [ص: ٣٣]، قال: «**قَطَعَ سُوقَها وأعناقَها**». فيه سعيد بن بشيرٍ وهو ضعيفٌ.

قال ابن العربي في "الأحكام": «عُرضت الخيل على سليمان عليه السلام فشغلته عن صلاة العشيِّ. قال المُفسِّرون: هي صلاة العصر، وقد روى المُفسِّرون حديثًا: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**صلاةُ الوُسْطَى صَلاةُ العَصْرِ، وهي التي فاتَتْ سُليمانُ**» وهو حديثٌ موضوعٌ».اهـ

قلت: المعروف في الحديث الصحيح عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**الصَّلاةُ الوُسْطَى صَلاةُ العَصْرِ**».

وله طرقٌ في "المسند" والستة عن عليٍّ، وابن مسعودٍ، وسمرة، وعمر، وأبي هريرة، وغيرهم.

(**تنبيه**): استدل الشبليُّ وغيره من الصوفية بناءً على القول بأنَّ سليمان عَرْقَبَ الخيلَ وذَبَحَها على تقطيع ثيابهم وتخريقها بفعل سليمان، قال القرطبيُّ: «وهو استدلالٌ فاسدٌ؛ لأنه لا يجوز أن ينسب إلى نبيٍّ معصومٍ أنه فعل الفساد.

والمُفسِّرون اختلفوا في معنى الآية، فمنهم من قال: مَسَحَ على أعناقها وسُوقِها إكرامًا لها، وقال: أنتِ في سبيل الله. فهذا إصلاح، ومنهم من قال: عَرْقَبَها ثُمَّ ذَبَحَها -وذَبْحُ الخيلِ وأكل لحمها جائزٌ- وعلى هذا فما فعل شيئًا

عليه فيه جناحٌ، فأمَّا إفساد ثوبٍ صحيحٍ لا لغرضٍ صحيحٍ فإنه لا يجوز، ومِن الجائز أن يكون في شريعة سليمان جواز ما فعل، ولا يكون في شَرْعِنا».اهـ

والصحيح: أنَّ شرعَ مَن قبلنا ليس شرعًا لنا إلَّا إذا أقرَّه القرآنُ أو السُّنَّةُ، لقوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

فتنة سليمان عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: ٣٤]. قال أبو حَيَّان: «نقل المُفسِّرون في هذه الفِتنة وإلقاء الجسد أقوالًا يجب براءة الأنبياء منها، يوقف عليها في كتبهم، وهي مما لا يحل نقلها وإنما هي من أوضاع اليهود والزنادقة.

ولما أمر تعالى نبيَّه عليه السلام بالصبر على ما يقول كفَّار قريشٍ وغيرهم أمره بأن يذكر مَن ابُتلِيَ فصَبَر، فذكر قصة داود وقصة سليمان وقصة أيوب ليتأسَّى بهم، وذكر ما لهم عنده من الزُّلْفَى والمكانة، فلم يكن ليذكر من يتأسَّى به ممن نسب المُفسِّرون إليه ما يعظم أن يتفوَّه به، ويستحيل عقلًا وجود بعض ما ذكروه كتمثُّل الشيطان بصورة سليمان حتى يتلبَّس أمره عند الناس، ويعتقدون أنَّ ذلك المُتصوَّر هو النبيُّ، ولو أمكن وجود هذا لم يوثق بإرسال نبيٍّ، وإنما هذه مقالةٌ مُسْتَرَقَةٌ مِن زنادقة السوفسطائية، نسأل الله سلامة عقولنا وأذهاننا».

وقال ابن العربي في "الأحكام": «ولقد كان من حسن الأدب مع الأنبياء صلوات الله عليهم ألا تُبَثَّ عَثَرَاتُهم لو عَثَرُوا، ولا تُبَثَّ فَلَتَاتُهم لو اسْتَفْلَتُوا،

فإن إسبال السِّتر على الجار والولد والأخ لفضيلةٌ وأكبر فضيلةٍ، فكيف سترت على جارك حتى لم تقصَّ نبأه في أخبارك وعكفت عن أنبيائك وأحبارك تقول عنهم ما لم يفعلوا، وتنسب إليهم ما لم يتلبَّسوا به ولا تلوَّثوا به؟ نعوذ بالله من هذا التعدِّي والجهل بحقيقة الدِّين في الأنبياء والمرسلين والعلماء والصالحين».اهـ

وروى عبدالرزَّاق وابن المنذر عن ابن عبَّاسٍ قال: أربع آياتٍ من كتاب الله لم أدر ما هي حتى سألت عنها كعبَ الأحبار، فذكر منها: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: ٣٤].

وهذا يفيد أنَّ ما ذكره ابن عبَّاسٍ في الفتنة ونحوها مأخوذٌ عن كعبٍ، وعلى هذا فلا بأس أن نخالفه في ذلك؛ لأنه من الإسرائيليَّات.

ويظهر أنَّ كعب الأحبار كان قبل إسلامه لا يعتقد عصمة الأنبياء مثله في ذلك مثل سائر اليهود، فلما أسلم استمرَّ على هذه العقيدة، فكان يروي في قصص الأنبياء ما ينافي عصمتهم ولا يرى في ذلك بأسًا.

وقد حكى ابن حزمٍ في "الفِصَل" عن اليهود والنصارى وعن الكرامية جواز المعصية على الأنبياء، ولكني أعجب من أئمة التفسير مثل مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير ينقلون عن كعب أشياء تمس مقام الأنبياء ولا ينتبهون لما فيها من نكارة!! مع أنَّ المُقرَّر عند العلماء بالاتفاق: أنَّ الاسرائيليَّات مردودةٌ إذا كانت من هذا القَبيل.

وقال ابن حزمٍ في "الفِصَل" في الجواب عمَّا نُسب إلى بعض الأنبياء ممَّا ينافي مقامهم: «وذكروا قول الله عزَّ وجلَّ عن سليمان عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا

سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾ [ص: ٣٤] قال: ولا حُجَّة لهم في هذا إذ معنى قوله تعالى: ﴿فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾ أي: آتيناه مِن المُلْك ما اختبرنا به طاعته، كما قال تعالى مُصَدِّقًا لموسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ﴾ [الأعراف: ١٥٥] أنَّ مِن الفِتنة أن يهدي الله مَن يشاء.

وقال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١ – ٣] فهذه الفتنة هي الاختبار حتَّى يَظْهَرَ المُهتدي من الضالِّ.

فهذه فتنة الله تعالى لسليمان إنما هي اختباره حتَّى ظهر فضله فقط، وما عدا هذا فخُرافاتٌ وَلَدَها زنادقةُ اليهود وأشباههم، وأمَّا الجسد المُلْقَى على كرسيِّه فقد أصاب الله تعالى به ما أراد، نؤمن بهذا كما هو ونقول صدق الله عزَّ وجلَّ.

ولو جاء نصٌّ صحيحٌ في القرآن أو عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بتفسير الجسد ما هو لقُلْنا به، إلَّا أننا لا نشكُّ البتَّة في بُطلان قول مَن قال إنه جِنيًّا تصوَّر له بصورته، بل نقطع على أنه كذبٌ، والله تعالى لا يَهْتِكُ سِتْرَ رسوله عليه السلام هذا الهَتْك، وكذلك نُبعِد قول مَن قال: كان ولدًا له أرسله إلى السحاب ليربِّيه، فسليمان عليه السلام كان أعلم من أن يربي ابنه بغير ما طبع الله عزَّ وجلَّ بِنْيَةَ البشر عليه من اللبن والطعام، وهذه كلُّها خرافاتٌ موضوعةٌ مكذوبةٌ لم يصح إسنادها قَطُّ».اهـ

وروى الطبرانيُّ في "الأوسط" عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**وُلِدَ لسُليمانَ بن داودَ ابنٌ، فقالَ للشَّياطينِ: أين نُوَارِيهِ مِن**

المَوْتِ؟ فقالوا: نَذْهَبُ به إلى المَشْرِقِ. قال: يَصِلُ إليه المَوْتُ. قالوا: فإلى المَغْرِبِ. قال: يَصِلُ إليه المَوْتُ. قالوا: إلى البِحَارِ قال: يَصِلُ إليه، قالوا: نَضَعُهُ بين السَّماءِ والأرضِ، ونَزَلَ عليه مَلَكُ المَوْتِ، فقال: يا ابنَ داودَ: إنِّي أُمِرْتُ بقَبْضِ نَسَمَةٍ طَلَبْتُهَا في المَشْرِقِ فلم أُصِبْهَا، فطَلَبْتُهَا في المَغْرِبِ فلم أُصِبْها، وطَلَبْتُها في البِحَارِ، وطَلَبْتُها في تُخُومِ الأَرَضِينَ فلم أُصِبْهَا، فبَيْنَا أنا أَصْعَدُ إذ أَصَبْتُهَا، فقَبَضْتُهَا، وجاء جَسَدُهُ حتَّى وَقَعَ على كُرْسِيِّهِ، فهو قولُ الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: ٣٤]».

في سنده يحيىٰ بن كثيرٍ صاحب البصري؛ متروكٌ والحديث مُنكَرٌ.

والمقصود: أنَّ ما ذكره المُفسِّرون في فتنة سليمان وإلقاء الجسد علىٰ كرسيِّه لا يصح.

وجاء عبدالوهاب النجَّار فأبدىٰ في "قصص الأنبياء" وجهًا لم يذكره أحدٌ من العلماء كما قال، وهو أنَّ كرسيَّ داود إنما هو كرسي سليمان؛ لأن داود كان يرشح سليمان للملك والجلوس علىٰ كرسيِّه، وقد قام أبشالوم ابن داود وثار علىٰ والده وانتزع الملك من داود، وجلس علىٰ الكرسيِّ الذي هو في الواقع كرسي سليمان، وهرب منه داود إلىٰ شرق الأردن، وسرح الجيوش لمقاتلته وباشر أبشالوم الحرب بنفسه، فقتل أبشالوم إذ مر به بغله تحت بُطْمَةٍ فتعلَّق في أغصانها من شعره فأتىٰ رئيس الجند وقتله، وعاد سليمان إلىٰ كرسيِّه بعد أن تزعزع بفعل أخيه أبشالوم، وتضرَّع إلىٰ الله وسأله مُلْكًا لا ينبغي لأحدٍ من بعده، لا شك في أنَّ سليمان في تلك البرهة كان يعتقد اعتقادًا جازمًا أنَّ الكرسيَّ المَلَكيَّ أفلت من يده، فاستغفر الله لما أسلف من هواجس نَفْسِيَّة لا يخلو منها مَن كان

مثله في زمن الصِّبا من زَهْوٍ بذلك الكرسيِّ الذي ينتظره، فامتحنه الله بمن اغتصب ذلك الكرسيَّ وتسرَّب إلىٰ نفسه دبيب اليأس، فاستغفر ربَّه لتلك الهواجس التي تُعَدُّ علىٰ المُقرَّبين ذنوبًا وهي غير ذنوبٍ».

قلت: هذا وجهٌ بعيدٌ، بل باطلٌ فإنَّ أبشالوم ثار علىٰ والده وانتزع منه كرسيَّ المملكة، فلمَّا هُزم رجع الكرسيُّ إلىٰ داود، وسليمان كان إذ ذاك صبيًّا، والصبيُّ لا يلحقه امتحانٌ لعدم تكليفه، ودعوىٰ أنَّ نسبة الكرسيِّ إلىٰ سليمان من باب مجاز الأول مثل: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ﴾ [يوسف: ٣٦] باطلةٌ؛ لأن المجاز لا بد له من قرينة، وآية فتنة سليمان لا قرينة فيها علىٰ هذا المجاز، ثُمَّ ما الحِكْمة في أن يترك الله نسبة الكرسيِّ إلىٰ داود الذي هو صاحبه ومنه انتُزع ورجع إليه وينسبه إلىٰ سليمان الذي سيئول إليه بعد موت والده؟!.

وتقدَّم أنَّ سليمان عليه السلام ذُكِر للتأسِّي به في صبره علىٰ ما امتُحن به، والفِتنة هي المقصودة بالتأسِّي والتَّسَلِّي، والصبيُّ لا يُتَسَلَّىٰ به ولا يُتَسَلَّىٰ بفعله.

ثُمَّ إنَّ جميع ما ذُكِر في قصته من عرض الصَّافِنات الجِياد، وتسخير الرِّيح والجنِّ والشياطين وغير ذلك حصل له وهو بالغٌ، فكذلك الفِتنة حصلت له وهو بالغٌ مُكَلَّفٌ لا سيِّما وهي محل العبرة والتأسِّي.

ويجب أن نُنبِّه علىٰ مسألةٍ مهمَّةٍ غفل عنها النجَّار كما غفل عنها غيره، وهي أنَّ الذي يحاول دفع إشكال في آيةٍ قرآنيَّةٍ أو حل معنىٰ غامضٍ فيها يجب عليه أن يراعي السِّياق الذي جاءت الآية فيه ليكون كلامًا موافقًا لموضوع الآية وسياقها مستوفيًا لجوانبها. . . إلخ. ولا يجوز أن يقتصر علىٰ ألفاظ الآية فقط، فهو حلٌّ غير سليمٍ ولا مقبول.

والذي أرجِّحه في فِتنة سليمان عليه السلام وإلقاء الجسد على كرسيِّه: ما رواه الشيخان مِن طُرقٍ عن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**قال سليمانُ بن داودَ: لأطُوفَنَّ الليلةَ على سبعين امرأةً تَحْمِلُ كلُّ امرأةٍ فارِسًا يُجاهِدُ في سبيل الله، فقال له صاحِبُهُ: إن شاء اللهُ. فلم يَقُلْ، ولم تَحْمِلْ مِنهُنَّ شيئًا إلَّا واحِدًا ساقطًا أَحَدُ شِقَّيْهِ**». فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لو قالها لجاهَدُوا في سبيلِ الله**».

وفي روايةٍ: «**فلم يحمل مِنْهُنَّ إلَّا امرأةٌ واحِدَةٌ جاءت بشِقِّ رَجُلٍ**».

وفي روايةٍ: «**وَلَدَتْ شِقَّ غُلامٍ**». وكلُّها في "الصحيح".

و حكى النقاش في "تفسيره": أنَّ الشِّقَ المذكور هو الجسد الذي أُلقِيَ على كرسيِّه، ففِتنة سليمان أنه لم يَقُلْ إن شاء اللهُ حين تمنَّى أن يُرزَق أولادًا يُجاهدون في سبيل الله، ولم يقلها نسيانًا مع قوة رجائه في أن يُحقِّقَ اللهُ له ما تمنَّاه مِن الخير، وكان إلقاء الشِّقِّ على كرسيِّه تنبيهًا له على ما غَفَلَ عنه ونَسِيَهُ.

قال الحافظ في "فتح الباري": «قوله: «**لو قال: إن شاء اللهُ لجاهَدُوا في سبيل الله فُرْسَانًا أجمعون**»، ولا يلزم من إخباره صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بذلك في حَقِّ سليمان في هذه القصة أن يقع ذلك لكلِّ مَن استثنى مِن أُمنيَّته، بل الاستثناء رجو الوقوع، وفي ترك الاستثناء خشية عدم الوقوع».اهـ

قلت: ومن القواعد المُقرَّرة أن العلامة لا يلزم اطرادها.

قال الحافظ: «وفي الحديث فضل فعل الخير وتعاطي أسبابه، وأنَّ كثيرًا من المباح والملاذِّ يصير مستحبًّا بالنيَّة والقصد، وفيه استحباب الاستثناء لمن قال سأفعل كذا، وأن اتِّباع المشيئة اليمينَ يرفع حُكْمها، وهو متفقٌ عليه بشرط

الاتصال، وفيه أنَّ الاستثناء لا يكون إلَّا باللفظ ولا يكفي فيه النيَّة، وفيه ما خُصَّ به الأنبياء من القوة على الجماع الدالِّ على صِحَّة البِنية وقوَّة الفُحُوليَّة وكمال الرُّجُوليَّة، مع ما هم فيه من الاشتغال بالعبادة والعلوم، وقد وقع للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من ذلك أبلغ المعجزة؛ لأنه مع اشتغاله بعبادة ربِّه وعلومه ومعالجة الخَلْق كان مُتقَلِّلًا من المآكل والمشارب المقتضية لضعف البدن على كثرة الجماع، ومع ذلك فكان يطوف على نسائه في ليلةٍ بغسلٍ واحدٍ وهنَّ إحدى عشرة إمرأة».اهـ

ولعبدالوهاب النجَّار في "قصص الأنبياء" موقفٌ غير كريمٍ مِن هذا الحديث الصحيح، وهو مُعاقَبٌ عليه عند الله إن لم يتداركه بعفوه، فإنه اعترض على الحديث بوقاحةٍ وقِلَّة حياءٍ مع جهلٍ كبيرٍ، وبلغ منتهى الوقاحة والجهل حيث قال: «ولم يجعل الله تعالى معجزة الأنبياء في السفاد وغَشَيَانِ النِّساءَ، ومسابقة الحيوان في هذا الضرب، ولا يوجد متحدٍّ بمثل هذا حتى تتمَّ المعجزة»، وزعم أنَّ الليلة لا تسع ذلك أصلًا مهما قدرت حظًّا صغيرًا لكلِّ امرأةٍ مِن الزَّمَن.

وغَفَلَ عن طيِّ الزمان الذي جعله الله آيةً للأنبياء، فعرش ملكة سبأ نقل من محلِّه إلى الشام في طَرْفَة عَيْنٍ وبينهما أكثر من شهرٍ، والنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أُسري به من مكة إلى بيت المقدس مسيرة شهرٍ في جزءٍ من الليل، وداود يُسِّرت له قراءة الزَّبُور فكان يأمر بدوابِّه تسرج فيقرأه قبل إسراجها.

وليس كلُّ خارقٍ لنبيٍّ معجزةً له قُصِدَ بها التحدِّي، بل المسألة فيها تفصيلٌ نوجِزُه فيما يلي:

قال العلماء: الخارق سبعة أنواعٍ:

١- **إرهاصٌ**: هو ما يقع للنبيِّ قبل النبوة، مثل: كلام عيسىٰ في المهد، وشقِّ صدر النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وهو عند مرضعته كما ثبت في "صحيح مسلم".

٢- **معجزةٌ**: وهي ما يقع للنبيِّ يتحدَّىٰ به قومه، مثل عصا موسىٰ التي انقلبت ثعبانًا، وإبراء الأَكْمَهِ والأَبْرَصِ وإحياء الموتىٰ لعيسىٰ، والقرآن الكريم وانشقاق القمر للنبيِّ، وهذا الخارق يكون بطلب النبيِّ ورغبته.

٣- **آيةٌ**: وهي ما يقع للنبيِّ لا بقصد التحدِّي مثل: نبع الماء من أصابع النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وحنين الجِذْع له.

وقد يحصل بغير رضا النبيِّ لِحِكْمة مثل: فرار الحَجَر بثوب موسىٰ كما ثبت في "الصحيحين" حتَّىٰ مرَّ علىٰ ملأ مِن بني إسرائيل وهو عريان فرأوا جسده سالمًا لا عيب فيه.

وهذا الحديث ذكره النجَّار في قصة موسىٰ وأنكره بأسلوبٍ فيه وقاحةٌ واستهزاءٌ.

ومثل حمل مريم بعيسىٰ وهي بكرٌ لم يمسَّها بشرٌ وساءها ذلك حتىٰ قالت: ﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا﴾ [مريم: ٢٣]، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةٗ﴾ [المؤمنون: ٥٠].

ومثل حديث فِتنة سليمان المذكور.

٤- **الكرامةُ**: وهي ما يقع لوليٍّ معروفٍ بالتقوىٰ والصلاح، مثل ما وقع

لأهل الكهف من قيامهم من النوم بعد مئات السنين.

ومثل ما وقع من الكرامات لكثير من الصحابة، ولي كتاب "الحُجَجُ البيِّنات في إثبات الكرامات".

٥- **معونةٌ**: وهي ما يقع لمؤمنٍ من تفريج كربةٍ، أو إنقاذٍ مِن أزمةٍ من غير سعي منه ولا استعانةٍ بأحدٍ.

٦- **إهانةٌ**: وهي ما يقع للمتنبِّي بنقيض قصده مثل: ما يُحكَىٰ أن مُسَيْلَمَةَ الكذَّاب مَسَحَ بيده رأس صبيٍّ فقرع، وتَفَلَ في بئرٍ فنَضَبَ ماؤُها وصار مِلْحًا.

٧- **السِّحْرُ**: وهو معروفٌ.

فتبيَّن من هذا: أنَّ الخارِقَ بالنسبة للنبيِّ ثلاثة أنواعٍ: إرهاصٍ، ومعجزةٍ وآيةٍ، وأنَّ الآية لا يلزم أن تكون بطلب النبيِّ بل قد تكون بغير إرادته لِحِكْمَةٍ، كفرار الحَجَر بثوب موسىٰ؛ فإن الحِكْمَة فيه براءة موسىٰ، وكإلقاء الجسد علىٰ كرسيِّ سليمان فإنَّ حِكْمَته تنبيهه علىٰ ترك الاستثناء.

والمعجزة تثبت بالحديث الصحيح كما اتفق عليه علماء الحديث والأصول، وكتب الصِّحاح والسُّنن والمسانيد مَلْأىٰ بالأحاديث الصحيحة المُثبِتة لمعجزات الأنبياء، وكذلك كتب الدلائل والسِّيرة مثل "دلائل النبوة" لأبي نُعيم، والبيهقيِّ، و"سيرة ابن إسحاق" وغيرها.

والمُقرَّر عند العلماء أنَّ خبر الآحاد يعمل به في العمليَّات التي لا تتعلَّق بالذَّات والصِّفات، وتوضيح ذلك:

أنَّ ما يتعلَّق بوجود الله تعالىٰ وتوحيده وحياته وعلمه وقدرته ووجوب اتصافه بالكمال المطلَق، إنما يثبت بالدليل العقليِّ والنقليِّ القطعيِّ، وما عدا ذلك

كالمعجزات وخبر ما بعد الموت من نعيمٍ وعذابٍ فإنه يثبت بخبر الآحاد من غير خلافٍ بين العلماء.

وعبدالوهاب النجَّار لا يعرف هذه الأشياء المتفق عليها فهو يرد الأحاديث التي تفيد حصول خارقٍ لنبيٍّ بدعوىٰ أنَّ المعجزة لا تثبت إلَّا بدليلٍ قطعيِّ الثبوت والدلالة.

وهذا جهل من جهات:

إحداها: أنه خرقٌ لإجماع العلماء حسبما مَرَّ بيانه.

ثانيتها: أنه يردُّ الأحاديث المُخرَّجة في "الصحيحين" ويحاول تضعيفها، وهذا خرقٌ لإجماع العلماء علىٰ صحَّة ما في "الصحيحين" وتلقِّيه بالقبول، بل ذهب أبو إسحاق وأبو حامد الإسفراينيَّان وأبو الطيب الطبريُّ وأبو إسحاق الشيرازيُّ الشافعيون، والقاضي عبدالوهاب المالكيُّ، والسرخسيُّ الحنفيُّ، وأبو يعلىٰ وأبو الخطاب وابن الزَّاغُوني الحنبليون، وابن فورك مِن المتكلِّمين، وابن طاهر المقدسي وأبو نصر عبدالرحيم بن عبدالخالق بن يوسف وابن الصلاح وابن تيمية وابن القيِّم من الحُفَّاظ إلىٰ أنَّ خبر "الصحيحين" يفيد العلم، وهو الراجح عند جماعة المُحقِّقين، فأي جهالةٍ وأي وقاحةٍ أقدم عليها النجَّار بطعنه في أحاديث "الصحيحين"؟!!

ثالثتها: أنَّ خبر الآحاد الذي لا يُعمَل به في العمليَّات يُعمَل به فيما يُفيدُه من أحكامٍ وآدابٍ، ولا يجوز إهماله كما فعل عبدالوهاب النجَّار، فإنه لجهله المطلق ردَّ أحاديث "الصحيحين" وأهملها إهمالًا تامًّا، ولا يُعْذَر بجهله، بل هو مؤاخَذٌ ومعاقَبٌ.

كرسى سليمان عليه السلام

قال وهب بن مُنبِّهٍ وكعبٍ الأحبار وغيرهما: إنَّ سليمان عليه السلام لما مَلَكَ بعد أبيه، أمر باتِّخاذ كرسيٍّ ليجلس عليه للقضاء، وأمر أن يُعمَل بديعًا مَهُولًا بحيث إذا رآه مُبطِلٌ أو شاهد زورٍ ارتدع وتهيَّب، فأمر أن يُعمَل مِن أنياب الفِيَلَة مُفَصَّصةً بالدُّرِّ والياقوت والزبرجد وأن يحفَّ بنخيل الذهب.

وأفاضوا في صفة الكرسيِّ بكلامٍ طويلٍ فيه كثيرٌ من المبالغة والغرابة والطرافة، بل هو أشبه بمقامة أدبية مثل مقامات بديع الزمان الهمذانيِّ، أو مقامات أبي القاسم الحريريِّ.

﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ﴾ [ص: ٣٥] استُشكِل سؤال سليمان مُلْكًا لا ينبغي لأحدٍ من بعده.

وقلت جوابًا عن ذلك في "خواطر دينية":

«أمَّا سؤال سليمان مُلْكًا لا ينبغي لأحدٍ من بعده فليس حَسَدًا أو حُبًّا للاستئثار كما قال بعض المارقين، بل ليكون معجزته على نبوته كما كانت الناقة معجزة صالحٍ والعصا معجزة موسى، وإنما طلب المُلْكَ معجزةً؛ لأنه رسولٌ إلى اليهود وهم عبيد المال، فلا يُخضِعهم إلَّا مظاهر المُلْك وبريق الذهب، وانظر إلى عيسى عليه السلام حين جاءهم بالزهد والتقلُّل حاولوا قتله كما قتلوا زكريَّا ويحيى عليهما السلام، وما خضعوا لموسى عليه السلام إلَّا لشدَّته عليهم، فقد كان يسوقهم سوق العبيد بالعصا، وكانوا يستضعفون هارون عليه السلام كما جاء في قوله ﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي ﴾ [الأعراف: ١٥٠]». اهـ

روى أبو عبيد عن صالح بن مسمار قال: لما مات نبيُّ الله داود عليه السلام أوحى الله إلى سليمان عليه السلام: أن سلني حاجتك. قال: أسألك أن تجعل لي قلبًا يخشاك كما كان قلب أبي، وأن تجعل قلبي يحبك كما كان قلب أبي. فقال الله تعالى: أرسلت إلى عبدي وسألته حاجته فكانت حاجته أن أجعل قلبه يخشاني وأن أجعل قلبه يحبني، لأهبنَّ له مُلْكًا لا ينبغي لأحدٍ من بعده، فألهمه سؤال الملك المذكور.

وروى الطبرانيُّ عن رافع بن عمير قال: سمعتُ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**قال اللهُ عزَّ وجلَّ لداودَ عليه السَّلام: ابْنِ لي بَيْتًا في الأرضِ، فبَنَى داودُ بَيْتًا لنَفْسِهِ قبلَ البيتِ الذي أُمِرَ به، فأوحَى اللهُ عزَّ وجلَّ إليه: يا داودُ، نَصَبْتَ بيتِكَ قبلَ بيتي، قال: يا رَبِّ هكذا قلتَ فيما قضيتَ: مَنْ مَلَكَ اسْتَأْثَرَ، ثُمَّ أَخَذَ في بِنَاءِ المسجدِ، فلمَّا تَمَّ السُّورُ سَقَطَ ثُلُثَاهُ، فشكا ذلك إلى الله عزَّ وجلَّ فأوحَى اللهُ عزَّ وجلَّ إليه أنَّهُ لا يَصْلُحُ أن تَبْني لي بَيْتًا، قال: أي رَبِّ، ولِمَ؟ قال: لِمَا جَرَتْ على يدَيْكَ مِن الدِّمَاءِ، قال: أي رَبِّ، أوَ لم يكن في هواكَ ومَحَبَّتِكَ؟ قال: بلى، ولكنَّهم عبادي وأنا أرحَمُهُمْ، فشَقَّ ذلِكَ عليه، فأَوْحَى اللهُ إليه: لا تَحْزَنْ فإنِّي سأَقْضِي بِناءَهُ على يَدَي ابنِكَ سُليمانَ، فلمَّا ماتَ داودُ أَخَذَ سُليمانُ في بِنائِهِ، فلمَّا تَمَّ قَرَّبَ القَرَابِينَ وذَبَحَ الذَّبَائِحَ وجَمَعَ بني إسرائيلَ، فأَوْحَى اللهُ عزَّ وجلَّ إليه: قد أَرَى سُرُورًا ببُنْيانِ بَيْتي فسَلْنِي أُعْطِكَ، قال: أَسْأَلُكَ ثلاثَ خِصَالٍ: حُكْمًا يُصَادِفُ حُكْمَكَ، ومُلْكًا لا يَنْبَغي لأَحَدٍ مِن بعدي، ومَن أَتَى هذا البيتَ لا يُرِيدُ إلَّا الصَّلاةَ فيه خَرَجَ مِن ذُنُوبِهِ كيومِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**». قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أمَّا اثْنَتَيْنِ فقد أُعْطِيَهُما وأنا أرجو أن يكون قد أُعْطِيَ الثالثةَ**».

هكذا رواه الطبرانيُّ في "مجمعه الكبير" من طريق محمد بن أيوب بن سويد، عن أبيه، عن إبراهيم بن أبي عُلْبَةَ، عن أبي الزاهرية، عن رافع بن عُميرٍ.

ومحمد بن أيوب؛ قال ابن حِبَّان: «يضع الحديث». وقال الحاكم وأبو نعيم: «روىٰ عن أبيه أحاديث موضوعةً». ونصُّ الذهبيِّ علىٰ أنَّ هذا الحديث مِن وَضْعِهِ.

وروىٰ النَّسائيُّ عن عبدالله بن عمرو بن العاص، عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أنَّ سليمانَ بن داودَ عليهما السلام لَمَّا بنى بيتَ المَقْدِسِ سَأَلَ الله عزَّ وجلَّ خِلالًا ثلاثةً: سَأَلَ الله عزَّ وجلَّ حُكْمًا يُصادِفُ حُكْمَهُ فأُوتِيه، وسَأَلَ الله عزَّ وجلَّ مُلْكًا لا يَنْبَغي لأَحَدٍ مِن بعدِه فأُوتيه، وسَأَلَ الله عزَّ وجلَّ حين فَرَغَ مِن بناءِ المسجدِ ألَّا يأتيه أَحَدٌ لا يَنْهَزُهُ إلَّا الصَّلاةُ فيه أن يُخْرِجَهُ مِن خَطِيئَتِهِ كيومِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**». إسناده صحيحٌ.

هل سليمان بنى المسجد الأقصى؟

هذا ما أفاده الحديث المذكور، وأفاد القرآن الكريم أنَّ إبراهيم عليه السلام بنىٰ البيت الحرام ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧] وأنه أوَّل بيت قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦]. وهذا واضحٌ لا إشكال فيه.

لكن ثبت في "صحيح البخاري" عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قلتُ: يا رسول الله، أي مسجدٍ وُضِعَ في الأرضِ أوَّل؟ قال: «**المسجدُ الحرامُ**». قلتُ: ثُمَّ أي؟ قال: «**المسجدُ الأقصى**» قلت: كم كان بينهما؟ قال: «**أربعون سنةً ثُمَّ**

أينما أَدْرَكَتْكَ الصَّلاةُ بعدُ فصَلِّهْ».

قال ابن الجوزيِّ: «فيه إشكالٌ؛ لأن إبراهيم بنىٰ الكعبة وسليمان بنىٰ بيت المقدس وبينهما أكثر من ألف سنةٍ».

وقد نقل الحافظ في "فتح الباري" عِدَّة أجوبة عن هذا الإشكال ومنها - وهو جواب ابن الجوزيِّ نفسه- قال: «ليس إبراهيم أول من بنىٰ الكعبة، ولا سليمان أول من بنىٰ بيت المقدس، فقد روينا أنَّ أوَّل مَن بنىٰ الكعبة آدم عليه السلام، ثُمَّ انتشر ولده في الأرض، فجائزٌ أن يكون بعضهم قد وضع بيت المقدس، ثُمَّ بنىٰ إبراهيم الكعبة بنصِّ القرآن. ومنها قول الخطابي: يشبه أن يكون المسجد الأقصىٰ أول ما وضع بناءه بعض أولياء الله قبل داود وسليمان، ثُمَّ داود، ثُمَّ سليمان فزادا فيه ووسَّعَاهُ فنُسب إليهما بناؤه.

ومنهما: ما نقله الحافظ عن ابن هشامٍ قال في كتاب "التيجان": «إنَّ آدمَ لَمَّا بنىٰ الكعبة أمره الله بالسير إلىٰ بيت المقدس، وأن يبنيه فبناه ونسك فيه، قال الحافظ أيضًا: وقيل إنَّ آدم لما صلَّىٰ إلىٰ الكعبة، أمر بالتوجُّه إلىٰ بيت المقدس، فاتخذ فيه مسجدًا وصلَّىٰ فيه ليكون قبلةً لبعض ذريِّته».اهـ

وقال القرطبيُّ في "تفسيره": «وقد رُوي أنَّ أوَّل مَن بنىٰ البيتَ آدمُ عليه السلام، فيجوز أن يكون غيره من ولده وضع بيت المقدس من بعده بأربعين عامًا، ويجوز أن تكون الملائكة أيضًا بنته بعد بنائها البيت بإذن الله».اهـ

وقال ابن القيِّم في "الهدي": «فإنَّ سليمان إنما كان له من المسجد الأقصىٰ تجديدُه لا تأسيسُه، والذي أَسَّسَهُ هو يعقوب بن إسحاق صلىٰ الله عليهما وسلَّم بعد بناء إبراهيم الكعبة بهذا المقدار».اهـ ومثله لابن كثيرٍ في "تاريخه".

مُلْكُ سليمان عليه السَّلام

سَخَّرَ اللهُ لسليمانَ الجنَّ والشياطين والرِّيحَ كما ثبت في القرآن الكريم، وللإسرائيليَّات في هذا المجال مبالغاتٌ وتهويلاتٌ هي أقرب إلى الخيال مَن أن تكون حقيقةً.

ما أُعطيه سليمان عليه السلام

روى ابن أبي حاتمٍ عن قتادة قال: كان داود أعطي ثلاثًا: سُخِّرت له الجبال يُسبِّحْنَ معه، وأُلِين له الحديد، وعُلِّمَ مَنْطِقَ الطيرِ.

وأُعطي سليمان مَنْطِقَ الطيرِ، وسُخِّرت له الجنُّ وكان ذلك ممَّا ورث عنه، ولم تُسَخَّر له الجبال، ولم يُلن له الحديد.

احترام النبى دعوة سليمان عليهما الصلاة والسلام

روى الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ عِفْريتًا مِن الجِنِّ تفلَّتَ عليَّ البارحَةَ ليَقْطَعَ عليَّ صلاتي، وإنَّ اللهَ تعالى أَمْكَنَني منه، فلقد هَمَمْتُ أن أَرْبِطَهُ إلى ساريةٍ مِن سَوَاري المسجدِ حتَّى تُصْبِحُوا فتَنْظُروا إليه كلُّكُم، فذَكَرْتُ قول أخي سليمان: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾** [ص: ٣٥] **فرَدَّهُ اللهُ خاسِئًا**».

وروى أحمد وعبدُ بن حُميد والبيهقيُّ عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم «**مرَّ عليَّ الشيطانُ فتناوَلْتُهُ فخَنَقْتُهُ حتَّى وجدتُ بَرْدَ لسانِهِ على يدي فقال: أَوْجَعْتَني أَوْجَعْتَني. ولولا ما دعا به سليمان لأصبح مُناطًا إلى أسطوانةٍ مِن أساطين المسجدِ ينظُرُ إليه وِلْدانُ أهلِ المدينة**». وللحديث طرقٌ وألفاظ.

وادي النمل

قال الله تعالى: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [النمل: ١٧ – ١٨].

قال قتادة في وادي النمل: ذكر لنا أنه وادٍ بأرض الشام.

وقال ياقوت في "معجم البلدان": «وادي النمل الذي خاطب سليمان عليه السلام النمل فيه، قيل: هو بين جبرين وعسقلان».اهـ

وقال ابن بطوطة في رحلته: «بظاهر عسقلان وادي النمل ويقولون: إنه المذكور في الكتاب العزيز».اهـ

مسائل

الأولى

قال السهيليُّ: «ذكروا اسم النملة المُكلِّمة لسليمان عليه السلام وقالوا: اسمها حرميا، ولا أدري كيف يُتصَوَّر للنملة اسم علمٍ؟!!

والنمل لا يُسمِّي بعضهم بعضًا، ولا الآدميون يمكنهم تسمية واحدةٍ منهم باسم علمٍ؛ لأنه لا يتميَّز للآدميين بعضهم من بعضٍ، ولا هم أيضًا واقعون تحت ملكية بني آدم كالخيل والكلاب ونحوها، فإنَّ العَلَمِيَّة فيما كان كذلك موجودة عند العرب».اهـ

يعني عَلَمِيَّة الجنس لا عَلَمِيَّة الشخص. وفي "الألفيَّة":

ووَضَعُوا لبَعْضِ الأجْنَاسِ عَلَمَا

الثانية

قول النملة: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾. قال القرطبيُّ: «الْتِفَاتَةُ مؤمنٍ، أي: من عدل سليمان وفضله وفضل جنوده لا يَحْطِمُون نملةً فما فوقها إلَّا بألَّا يشعروا».اهـ

ونظير قولها: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ قول الله تعالى في جند النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: ﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الفتح: ٢٥]. التفاتًا إلى أنهم لا يقصدون هدر مؤمنٍ، إلَّا أنَّ المُثني على جُند سليمان هي النملة بإذن الله، والمُثني على جُند النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم هو الله عزَّ وجلَّ، لما لجنوده من

الفضل على جنود غيره من الأنبياء، كما للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وسلم فضل على جميع الأنبياء.

الثالثة

روى أبو نعيمٍ في "الحلية" وابن أبي حاتمٍ عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: «كنتُ مع كعب الأحبار وهو عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال كعب: يا أمير المؤمنين ألا أخبرك بأغرب شيءٍ قرأته في كتب الأنبياء عليهم السلام؟ إنَّ هامَة جاءت إلى سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام فقالت: السلام عليك يا نبيَّ الله. فقال: وعليك السلام يا هامَة أخبريني: كيف لا تأكلين الزرع؟ قالت: يا نبيَّ الله إنَّ آدم أُخرج من الجنَّة بسببه. قال: فكيف لا تشربين الماءَ؟ قالت: يا نبيَّ الله لأنه غرق فيه قوم نوحٍ. قال: كيف تركتِ العمران وسكنت الخراب؟ قالت: لأن الخراب ميراث الله، فأنا أسكن ميراث الله. قال: فما تقولين إذا جلست فوق خربة؟ قالت أقول: أين الذين كانوا يتنعَّمون فيها؟ قال سليمان: فما صياحك في الدور إذا مررت عليها؟ قالت أقول: ويل لبني آدم كيف ينامون وأمامهم الشدائد. قال: فمالك لا تخرجين بالنهار؟ قالت: من كثرة ظلم بني آدم لأنفسهم. قال: فأخبريني ما تقولين في صياحك؟ قالت: أقول: تزوَّدوا يا غافلين وتهيَّئوا لسفركم سبحان خالق النور. فقال سليمان عليه السلام: لَلْهَامَةُ على ابن آدمَ أشفقُ وأحذَرُ عليه، وليس مِن الطُّيورِ طيرٌ أنصحُ لابن آدمَ وأشفَقُ عليه مِن الهامَةِ، وما في قُلُوبِ الجُهَّالِ أبغضُ مِن الهامَةِ».اهـ

قلت: هذه القصة من نوع "كَلِيلَةَ ودِمْنَةَ" التي تحكى فيها قصص وحكم على ألسنة الحيوانات.

الرابعة

قال الله تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ﴾ [سبأ: ١٢].
معنى الآية: وسخرنا لسليمان الريح غدوها في الصباح مسيرة شهر ورواحها في المساء مسيرة شهر.

قال السُّدِّيُّ: كانت تسير به في يوم مسيرة شهرين.

وقال الحسن: كان يغدو من دمشق فيقيل باصطخر وبينهما مسيرة شهرٍ للمسرع، ثم يروح من اصْطَخْر ويبيت بكابُل وبينهما شهرٌ للمسرع.

قال وهب بن مُنبِّه: ذكر لي أن منزلًا بناحية دجلة مكتوبًا فيه – كتبه بعض صحابة سليمان -: نحن نزلنا وما بنيناه، ومبنيًّا وجدناه، غدونا من اصطخر فقلناه، ونحن رائحون منه إن شاء الله تعالى فبائتون في الشام.

وقال ابن زيد: كان مستقر سليمان بمدينة تدمر، وكان قد أمر الشياطين قبل شخوصه من الشام إلى العراق فبنوها له بالصُّفاح -كرمان- والعمد والرخام الأبيض والأصفر. وفيه يقول النابغة:

إلا سليمان إذا قال الإلهُ له ... قُمْ في البَرِيَّةِ فاحْدُدْها عن الفَنَدِ
وخَيِّثِ الجِنَّ إنِّي قد أَذِنْتُ لهم ... يَبْنُونَ تَدْمُرَ بالصُّفَّاحِ والعَمَدِ
فمَنْ أَطَاعَكَ فانْفَعْهُ بطَاعَتِهِ ... كما أَطَاعَكَ وادْلُلْهُ على الرَّشَدِ
ومَنْ عَصَاكَ فعَاقِبْهُ مُعَاقَبَةً ... تَنْهَى الظَّلُومَ ولا تَقْعُدْ على ضَمَدِ

ووجدتُ هذه الأبيات منقورةً في صخرةٍ بأرض يَشْكُر:

ونحنُ ولا حولَ سِوىٰ حولِ ربِّنا نروحُ إلىٰ الأوطانِ من أرضِ تَدْمُرِ
إذا نحنُ رُحْنا كان ريثُ رواحِنا مَسيرةَ شهرٍ والعدوُّ لآخرِ
أناس شَرَوْا لله طوعًا نفوسَهم بنصرِ ابنِ داود النبيِّ المُطَهَّرِ
لهم في معالي الدِّين فضلٌ ورفعةٌ وإن نُسبوا يومًا فَمِنْ خيرِ مَعْشَرِ
متىٰ يركبوا الرِّيحَ المُطيعَةَ أسرعَتْ مُبادِرَةً عن شهرها لم تقصر
تُظِلُّهُمُ طيرٌ صُفُوفٌ عليهم متىٰ رَفْرَفَتْ مِن فوقهم لم تُنَفَّرِ

وقال ياقوت في "معجم البلدان": «اصْطخِر: بالكسر وسكون الخاء: بلدة بفارس، وهي من أعيان حصون فارس ومدنها وكنوزها.

وفي بعض الأخبار: أنَّ سليمان بن داود عليه السلام كان يسير من طبرية إليها غدوة إلىٰ عشية، وبها مسجد يعرف بمسجد سليمان عليه السلام، وزعم قوم من عوام الفرس أنَّ الملك الذي كان قبل الضَّحَّاك هو سليمان بن داود».اهـ

وفي "معجم البلدان" أيضًا: «تَدْمُر -بالفتح ثم السكون وضم الميم-: مدينةٌ قديمةٌ مشهورةٌ في برية الشام، بينها وبين حلب خمسة أيام، وهي من عجائب الأبنية موضوعة علىٰ العمد الرخام، زعم قومٌ أنها فيما بنته الجنُّ لسليمان عليه السلام، ونعم الشاهد علىٰ ذلك قول النابغة الذبياني». وذكر بيتين من أبياته التي تقدمت آنفًا.

و«كابُل»: بضم الباء وباللام: هي عاصمة أفغانستان اليوم. و«يَشْكُر»؛ بوزن الفعل المضارع: بلد بالشام.

بساط سليمان عليه السلام

ذكر الله تسخير الريح لسليمان، فكانت طوع أمره يُسخِّرها كما يسخرُّ الراكب دابته حيث يريد، وكان له بساطٌ يجلس عليه، وتحمله الريح إلى الجهة التي يريدها، لكن الإسرائيليَّات هَوَّلت في وصف البساط وبالغت في تفاصيله مبالغةً غير مقبولةٍ ولا معقولةٍ، من جملة ذلك: أنَّ للبساط ألف ركنٍ، في كلِّ ركنٍ مئات الكراسي، وأنه يحمل من الإنس والجنِّ ما يبلغ مليوني نسمة، وأما طوله فعدَّة فراسخ لو حسبت بتقديرات اليوم كانت نحو مائة كيلومتر، وهذه أكاذيب يتنزَّه القلم عن تسطيرها.

فلذلك أعرضتُ عن ذكرها، وألقيت بالتنبيه على كذبها، لئلا يغتر بها الناس.

هل ملك سليمان الدنيا؟

روى وكيع في "تفسيره" عن مجاهدٍ قال: ملك الدنيا أربعة: مؤمنان وكافران: نمروذ، وبُخْتَنَصَّر، وسليمان، وذو القرنين.

وهذا غير صحيحٍ فلم يملك الدنيا أحد قَطُّ، وسليمان عليه السلام كان مَلِكًا على الشام ولم يملك غيرها، ولم يعلم بمملكة سبأ في اليمن حتى أخبره بها الهدهد.

أخبار منكرة

روى ابن جريرٍ عن قتادة: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِيٓ﴾ [ص: ٣٥] قال: لا أسلبه كما سلبته.

وروى عبد بن حميد عن الحسن في الآية قال: لا تسلبينه كما سلبتنيه.

وهذا خطأ، وسليمان لم يسلبه الله ملكه أبدًا، ولكن عيب المتقدِّمين رحمهم الله أنهم يعتمدون الإسرائيليات ويُفسِّرون بها آيات القرآن الكريم.

وروى عبد بن حميد عن وهب بن مُنبِّه: أنه ذكر مِن مُلْكِ سليمان وتعظيم مُلْكِهِ: أنه كان في رباطه اثنا عشر ألف حصان، وكان يذبح على غذائه سبعين ثورًا كلَّ يومٍ سوى الكباش والطير والصيد. فقيل لوهب: أكان هذا يسع ماله؟ قال: كان إذا ملك الملك على بني إسرائيل اشترط عليهم أنهم رقيقه، وأن أموالهم له، ما شاء أخذ منها وما شاء ترك.

قلت: إذا كان هذا عمل ملوك بني إسرائيل فلا يجوز في حقِّ سليمان النبيِّ المعصوم، والعجب من وهب كيف استجاز هذا الظلم في حقِّ سليمان عليه السلام؟!

والذي يجب ذكره في هذا الموضع: ما رواه أحمد في "الزهد" عن عطاء قال: «كان سليمان عليه السلام يعمل الخوص بيده ويأكل خبز الشعير، ويطعم بني إسرائيل الحواري».

وروى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد عن سليمان بن عامر الشيبانيِّ قال: بلغني أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**أرأيتم سليمان وما أعطاه الله تعالى**

مِن مُلْكِهِ؟ فلم يكن يرفع طَرْفَهُ إلى السَّماءِ تَخشُّعًا حتَّى قبضهُ الله تعالى».

وروى ابن أبي حاتمٍ عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «ما رَفَعَ سليمانُ عليه السلام طَرْفَهُ إلى السَّماءِ تَخشُّعًا حيث أعطاهُ اللهُ تعالى ما أعطاهُ».

وروى ابن المنذر عن ابن جريجٍ قال: زعموا أنَّ سليمان عليه السلام يدخل الجنَّة بعد الأنبياء بأربعين سنةً لما أُعطي مِن المُلْك في الدنيا.

قلت: هذا زعمٌ باطلٌ، فإنَّ الله تعالى قال لسليمان: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص: ٣٩].

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠].

قال الحسن في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا﴾: الملك الذي أعطيناك فأعطِ ما شئت وامنع ما شئت، فليس عليك تبعة، ولا حساب عليك في ذلك.

فكيف يزعم زاعمٌ بعد هذا المدح والثناء أنَّ سليمان يتأخَّر في دخول الجنة أربعين عامًا بعد الأنبياء؟!!

قال القرطبي في "تفسيره": «وفي بعض الأخبار: يدخل الجنة بعد الأنبياء بأربعين خريفًا. ذكره صاحب "القوت"، وهو حديث لا أصل له؛ لأنه سبحانه إذا كان عطاؤه لا تبعة فيه لأنه من طريق المنة، فكيف يكون آخر الأنبياء دخولًا الجنة وهو سبحانه يقول: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص: ٤٠]».اهـ

ويقرب من هذا: الحديث الذي فيه أنَّ عبدالرحمن بن عوفٍ يدخل الجنَّة حَبْوًا، وهو حديثٌ باطلٌ؛ لأن عبدالرحمن أحد العشرة المُبشَّرين بالجنَّة وأحد

الستة الذين توفِّي رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وهو عنهم راضٍ ومن أهل بدرٍ، ومن المهاجرين، وتَصَدَّق صدقاتٍ عظيمةً، فكيف يدخل الجنَّة حَبْوًا؟!

ملكة سبأ

جاء ذكرها في قصة الهدهد الذي دلَّ عليها وعلى مملكتها سبأ، وذكر القرآن من صفتها ما دلَّ على أنها عاقلةٌ حكيمةٌ ذكيةٌ، وأنها لم تكن تنفرد عن رعيتها بأمرٍ بل ترجع إليهم فيما يهمها من المسائل العظيمة، وتستطلع ما عندهم من الرأي والمشورة: ﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ [النمل: ٣٢] وكان الرعيَّة يولونها تقديرًا وطاعةً: ﴿قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ [النمل: ٣٣].

ومِن حِكْمتها: أنها لم تتسرع في الردِّ على سليمان حتى تتأكَّد مِن أمره أَمَلِكٌ هو أم نبيٌّ؟ فلما تحقَّقت نبوته أجابته، وذهبت للقائه، وأراد سليمان أن يريها معجزةً تزيد بها يقينًا ومعرفةً: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَؤُا أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ [النمل: ٣٨ - ٣٩]وكان يجلس لتصريف أمول الدولة صباحًا ويقوم من مجلسه ذلك عند الزوال -وهو مقدار أربع ساعات- لكن سليمان كان يريد أسرع من هذا: ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٤٠]، وهذه سرعةٌ غير عاديةٍ تشبه سرعة الصوت أو أسرع منها.

(تنبيه): قال الجلال المحلِّي في "تفسير الجلالين" تعليقًا على قول سليمان: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣٨] ما نصُّه: «منقادين

طائعين فَلِي أَخْذه قبل ذلك لا بعده». وهذا خطأ والسِّياق يردُّه؛ لأن سليمان عليه السلام ردَّ الهدية وقال: ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ [النمل: ٣٦] فكيف يردها ثُمَّ يطمع في عرشها؟!

وأيضًا فملكة سبأ لم تكن محاربة، بل أتت مُلَبِّيَةً دعوته، وأيضًا عرشه أعظم من عرشها، كما أنَّ مقام سليمان النبيِّ يتنزَّه عن الحرص والطمع في اقتناء المال.

ويُبطِل كلام المحلِّي أيضًا قول سليمان عليه السلام: ﴿نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٤١]، وقوله لها: ﴿أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ﴾ [النمل: ٤٢]، فلو كان طلب إتيان العرش ليأخذه لم يكن لكلامه هذا فائدةٌ؛ لأنه حيث امتلكه لا يهمه أتهتدي أم لا.

لكنه طلب الإتيان بالعرش بتلك السرعة المذهلة لإظهار معجزته كما قدَّمنا، ثُمَّ عرضه عليها بعد تغيير منه ليختبر ذكاءها فوجدها ذكيَّةً فَطِنةً، ومِن تمام فِطْنتها أنها حين ظنَّت الصرح لُجَّة ماءٍ وكشفت عن ساقيها لتعبره، وأخبرها أنه من زجاجٍ شفَّافٍ أدركت من غلطها هنا خطأها في عبادة الشمس، وفيما كانت تنسبه لها من منافع ومضار ليست صادرة عنها بالاختبار، وإنما هي مُسَخَّرةٌ لخالقها وخالق العالم كلِّه، فقالت: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى﴾ بعبادة الشمس ووصفها بالألوهية ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

وأسلمت بلقيس بنت السيرح بن ذي جدن بن السيرح بن الحارث بن قيس بن صيفي بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

وكان أبوها من أكابر الملوك، وكان يأبى أن يتزوَّج من أهل اليمن، فيقال إنه

تزوَّج امرأة مِن الجنِّ اسمها ريحانة بنت السكن فولدت له بلقمة وهي بلقيس.

روى الثعلبي من طريق سعيد بن بشير، عن قتادة، عن النضر بن أنسٍ، عن بشير بن نهيك، عن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنه قال: «**كان أحد أبوي بلقيس جِنِّـيًّا**». قال ابن كثيرٍ: «هذا حديثٌ غريبٌ، وفي إسناده ضعفٌ».

هل يجوز التزاوج بين الإنس والجن؟

قال حرب الكرماني في كتاب "مسائل أحمد وإسحاق": حدَّثنا محمد بن يحيى القطعيُّ: حدَّثنا بشر بن عمر: حدثنا ابن لَهيعة، عن يونس بن يزيد، عن الزهريِّ، قال: نهى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن نكاح الجنِّ.

هذا حديثٌ مرسلٌ فيه عنعنة ابن لَهيعة.

وروى حرب أيضًا عن الحكم: أنه كره نكاح الجنِّ، وعن قتادة والحسن أنهما كرهاه أيضًا.

وقال حرب: قلت لإسحاق بن راهويه: رجلٌ ركب البحر فكسر به فتزوَّج جِنِّـيَّةً؟ قال: مناكحة الجِنِّ مكروهةٌ.

وقال ابن أبي الدنيا: حدَّثنا الفضل ابن إسحاق: حدَّثنا أبو قتيبة، عن عقبة الأصمِّ وقتادة؛ وسُئلا عن تزويج الجنِّ؟ فكرهاه.

وقال جمال الدِّين السجستانيُّ من أئمَّة الحنفية في كتاب "منية المفتي" نقلًا عن السراجية: لا يجوز المناكحة بين الإنس والجنِّ وإنسان الماء لاختلاف الجنس.

وذكر نجم الدين الزاهديُّ الحنفيُّ في "منية المفتي" قال: سُئل الحسن

البصريُّ عن التزوُّج بجنِّـيَّةٍ؟ فقال: يجوز بشهود رجلين.

وقال الإسنوي الشافعي ناقلًا عن القاضي أبي القاسم ابن البارزي الشافعي: لا يجوز التزوُّج من الجنِّ.

وقال أبو عثمان سعيد بن العباس الرازي في كتاب "الإلهام والوسوسة" في باب نكاح الجنِّ: حدَّثنا مقاتل: حدَّثني سعد بن داود الزبيدي قال: كتب قوم من اليمن إلى مالك بن أنسٍ رضي الله عنه يسألونه عن نكاح الجنِّ وقالوا: إنَّ هاهنا رجلًا من الجنِّ يخطب إلينا جاريةً يزعم أنه يريد الحلال؟ فقال: ما أرى بذلك بأسًا في الدين، ولكن أكره إذا وجدت امرأة حامل قيل لها من زوجك؟ قالت من الجنِّ، فيكثر الفساد في الإسلام بذلك.

وروى عثمان بن سعيد الدارميُّ في كتاب "اتباع السنن والآثار" عن الأعمش قال: حدَّثني رجلٌ من بجيل قال: علق رجل مِن الجنِّ جاريةً لنا، ثُمَّ خطبها إلينا وقال: إني أكره أن أنال منها محرَّمًا. فزوَّجناها منه، قال: فظهر معنا يُحدِّثنا، فقلنا: ما أنتم؟ قال: أُمَمٌ أمثالكم وفينا قبائل كقبائلكم. قلنا: فهل فيكم هذه الأهواء؟ قال: نعم فينا من كلِّ الأهواء القَدَرِيَّة والمُشَبِّهة والمُرجئة. قلنا: من أيها أنت؟ قال: مِن المرجئة.

وروى أحمد بن سليمان النجَّاد في "أماليه" عن أبي معاوية قال: سمعت الأعمش يقول: تزوَّج إلينا جنيٌّ، فقلت له: ما أحب الطعام إليكم؟ قال: الأرز. قال: فأتيناه به، فجعلت أرى اللقم ترفع ولا أرى أحدًا. فقلت: فيكم من هذه الأهواء التي فينا؟ قال: نعم. قلت: فما الرافضة فيكم؟ قال: شرنا. قال الحافظ المِزِّيُّ: «هذا إسنادٌ صحيحٌ إلى الأعمش».

ورواه أيضًا الخرائطيُّ عن الرماديِّ، عن داود الضبيِّ، عن أبي معاوية الضرير، عن الأعمش قال: شهدت نكاحًا للجنِّ، بكُوثىٰ، قال تزوَّج رجلٌ منهم إلىٰ الجنِّ، فقيل لهم: أي الطعام أحب إليكم؟ قالوا: الأرز. قال الأعمش: فجعلوا يأتون بالجفان فيها الأرز فيذهب ولا نرىٰ الأيدي.

«كُوثىٰ» بالضم والقصر: قرية بالعراق.

قلت: هذه الحوادث تدل علىٰ أنَّ الجنَّ في عهد السلف كان عندهم خوفٌ من عذاب الله وبعد عما يوجب عقابه، بحيث كان الجنُّ إذا عشق إنسيَّةً خطبها من أهلها طلبًا للحلال، أمَّا في عصرنا فقد كثر الفساد في الإنس والجنِّ وضعف الدين عندهم وذهبت خشية الله من قلوبهم، وصار الجنِّيُّ إذا أحب إنسيَّةً وعَشِقها إمَّا أن يؤذيها في ذاتها بالصرع والتخبيل كما هو مشاهدٌ في كثيرٍ مِن النِّساء وقد عالجنا بعض هذه الحالات، وإمَّا أن يأتيها اغتصابًا وإن كانت متزوِّجةً.

وقد عُرضت عليَّ حالتان مِن هذا القَبيل:

إحداهما: بقبيلة بني سعيد -إقليم تطوان- إمرأةٌ عشقها جنيٌّ فكان يأتيها وهي في عملها في الحقل، تراه حين يأتي فتقول: ها هو جاء. فيجامعها، والناس لا يرونه ولا زوجها.

والأخرى: في العرائش: عشق جنيٌّ امرأةً مُتزوِّجةً فيواقعها في بيتها وزوجها حاضر لا يراه. وقد سُئلتُ عن حكم هذه الحالة.

فأجبت: إذا كان جماعه مثل البشر وشهوة منها ومنه وإنزال؛ وجب علىٰ زوجها ألَّا يقربها حتىٰ تحيض حيضتين وهي امرأته، وإن لم يكن مثل جماع البشر فلا شيء فيه، والجنُّ آثمٌ في الحالتين.

هذه فوائد استطردناها بمناسبة كون أمِّ بلقيس جِنيَّةً.

روي أنَّ سليمان عليه السلام أراد أن يتزوَّجها فقيل له: إن مؤخر قدميها مثل حافر الدابة. فعمل الصرح الممرد من قوارير ليرىٰ قدميها، فلم يجد عليهما إلَّا شعرًا خفيفًا، فأمر الشياطين فاتخذوا الحمام والنورة، وطلوا ساقيها بالنورة، فصارتا كالفضة فتزوَّجها، وأرادت منه أن يردها إلىٰ ملكها، ففعل ذلك وأمر الشياطين فبنوا لها باليمن ثلاثة قصور: غمدا وسالحين وبيتون. وكان يزورها كل شهرٍ فيمكث عندها ثلاثة أيامٍ ثُمَّ يعود علىٰ البساط.

وذكر وهب بن مُنبِّه أنَّ سليمان لم يتزوَّج بلقيس بل زوَّجها بملك همدان، وأقرَّها علىٰ ملك اليمن، وسخَّر زوبعة ملك جنِّ اليمن فبنىٰ لها القصور الثلاثة المذكورة. قال ابن كثيرٍ: «والأول أشهر وأظهر».

أوائل سليمان عليه السلام

(١) هو أول مَن حَكَمَ الجِنَّ واستخدمها في البناء وغوص البحر لاستخراج لآلئه ونفائسه.

وقد أخبر القرآن بذلك في عِدَّة آياتٍ منها قوله تعالىٰ: ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ﴾ [سبأ: ١٣].

«المحاريب»: الأبنية المرتفعة يصعد إليها بدَرَجٍ. و«التماثيل»: الصور الممثَّلة، ولم تكن حرامًا في شريعته بخلاف شريعتنا. و«الجِفان»: جمع جفنة، والجفنة مثل الجابية -أي الحوض- في الكبر يجلس عليها ألف شخصٍ.

وقال تعالىٰ فيما سخَّره لسليمان: ﴿ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ

مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴾ [ص: ٣٧ - ٣٨]وقال أيضًا: ﴿ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٢].

(٢) وهو أوَّل من استخدم الجوَّ في أسفاره.

كان يسافر على بساط الريح إلى اصْطخر، وإلى كابُل، وإلى اليمن كما سبق بيان ذلك، فبساطه سبق الطائرات الموجودة في هذا العصر.

تنبيه: عروج النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ليلة الإسراء سبق به أولئك الذين يحاولون غزو الفضاء ويحاولون الوصول إلى الكواكب أو بعضها، مع أنَّ هذه الكواكب التي يحاولون الوصول إليها تسبح في الفضاء الذي بين السماء والأرض، وقد تحدَّى اللهُ الجِنَّ والإنس أن يتجاوزوا أقطار السموات وينفذوا منها إن استطاعوا قال تعالى: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴾ [الرحمن: ٣٣]أي بقوةٍ، وهم لا يملكون القوة مع أنَّ الجِنَّ كانوا يصلون إلى السماء ويقعدون منها مقاعد للسمع كما في سورة الجنِّ، لكن التحدِّي وقع بما هو أبعد من ذلك؛ أن يتجاوزوا السموات ويخرجوا منها، وهذا لا يستطيعونه.

والنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حين عرج إلى سدرة المنتهى تجاوز السموات السبع وفعل ما عجز عنه الثقلان، فكانت معجزته أعظم، ولهذا أعتبر معجزة المعراج أعظم المعجزات بعد القرآن، تحدَّى الله بها الجنَّ والإنس، كما تحدَّاهما بالقرآن الكريم.

(٣) وسليمان عليه السلام أول من استعمل القِطْر.

بكسر القاف، وهو النحاس المذاب في البناء وغيره.

قال الله تعالى: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ [سبأ: ١٢] قال البيضاويُّ: «أساله اللهُ مِن مَعْدِنه ينبع منه نبوع الماء من الينبوع ولذلك سمَّاه عينًا، وكان ذلك باليمن».اهـ وقال القرطبيُّ: «والظاهر أنَّ الله جعل النحاس لسليمان في معدنه عينًا تسيل كعيون الماء دلالةً على نبوته».اهـ

وممن استعمل القِطْر بعد سليمان ذو القرنين عليهما السلام، جاء الخبر عنه بذلك في (سورة الكهف): ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف: ٩٦].

(٤) وهو أول من استعرض الخيل.

قال تعالى: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص: ٣١ – ٣٢] الآية.

قال القرطبيُّ: «وذلك أنَّ سليمان كان له ميدانٌ مستديرٌ يُسابق فيه بين الخيل حتى توارت عنه، وتغيب عن عينه في المسابقة، قال: ﴿رُدُّوهَا عَلَىَّ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ [ص: ٣٣]. جعل يمسح سوقها وأعناقها تكريمًا لها، وينظر هل فيها مرضٌ أو عيبٌ.

وفي "الموطأ" عن يحيى بن سعيدٍ مرسلًا: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رؤي وهو يمسح فرسه بردائه، وقال: «**إني عُوتبت الليلة في الخيلِ**». وثبت متصلًا عن مالكٍ، عن يحيى بن سعيدٍ، عن أنسٍ.

وروى النَّسائيُّ عن أبي وهبٍ الجشميِّ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**تَسَمَّوا بأسماء الأنبياءِ، وأحب الأسماء إلى الله عزَّ وجلَّ: عبدالله وعبدالرحمن. وارتبطوا الخيل وامسحوا بنواصيها وأكفالها...**». الحديث.

(٥) وهو أول من استعمل الماس في قطع الحجارة.

قال سعيد بن أبي عروبة: عن قتادة قال: أمر سليمان عليه الصلاة والسلام ببناء بيت المقدس، فقيل له: ابْنِه ولا يُسْمَع فيه صوت حديد. فطلب ذلك فلم يقدر عليه، فقيل له: إنَّ شيطانًا في البحر يقال له صخر. فطلبه فأُتِيَ به، فقال له سليمان: إنا قد أمرنا ببناء هذا البيت وقيل لنا: لا يُسْمَعُ فيه صوت حديد. قال: فجاء ببيض الهدهد فجعل عليه زجاجة، فجاء الهدهد فدار حولها فجعل يرى بيضه ولا يقدر عليه، فجاء بالماس فوضعه عليها فقطعها به، حتى أفضى إلى بيضه، فأخذوا الماس فجعلوا يقطعون به الحجارة.

(٦) وهو أول من أنشأ أسطولًا بحريًّا للتجارة.

ففي ميناء «عصيون جابر» عزم سليمان بمشورة «حيرام» رئيس البنائين أن ينشيء مصنعًا لبناء أسطول عظيمٍ لم يسبق له مثيل، وسمَّى ذلك الأسطول باسم «أسطول ترشيش»، وتولى الفينيقيون تدريب العبرانيين على الملاحة، والتمرُّس بالبحر، واكتمل أول أسطول في خلال سنتين، وأخذ يمخر البحر حتى وصل إلى نهر السند، وكانوا يتقايضون بالسلع التجارية التافهة القيمة التبر الذي يجدونه عند تلك الشعوب، وعاد الأسطول بعدما غاب ثلاث سنوات مثقلًا بالكنوز التي جلبها من تلك الأصقاع الشاسعة في «عصيون جابر»، ونقل ما جاء به على ظهور الجمال والهجان، وكان فيما أتى به ذلك

الأسطول -سوىٰ الذهب والفضة- جملة من القردة والطواويس.

وفي سفر الملوك من أسفار التوراة: «وبنىٰ الملك سليمان سفنًا في عصيون جابر التي بجانب أيلة عند شاطئ بحر القلزم في أرض أدوم».

(٧) روىٰ الطبرانيُّ في "الأوائل" و"المعجم الكبير" عن أبي موسىٰ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أول مَن صُنعت له النُّورَةُ ودَخَلَ الحَمَّامَ سليمانُ ابن داود عليهما السلام، فلمَّا دَخَلَ ووجَدَ حَرَّه قال: أوه مِن عذاب الله عزَّ وجلَّ، أوه أوه مِن قبل ألَّا ينفع أوه**».

في سنده إسماعيل بن عبدالله الكنديُّ و هو ضعيفٌ.

(٨) روىٰ ابن أبي حاتمٍ في "تفسيره" عن بريدة قال: كنت أمشي مع رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**إنِّي أعلم آيةً لم تنزل على نبيٍّ قبلي بعد سليمان بن داود**». قلت: يا نبيَّ الله أي آيةٍ؟ قال: «**سأُعَلِّمَكَهَا قبل أن أخرجَ مِن المسجد**». قال: فانتهىٰ إلىٰ الباب، فأخرج إحدىٰ قدميه، فقلت: نسي. ثُمَّ التفت إليَّ وقال: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠]. حديثٌ ضعيفٌ.

(٩) وسليمان عليه السلام أوَّل من فَرَّقَ الشُّهودَ.

روىٰ ابن عساكر في "تاريخ الشام" بإسنادٍ ضعيفٍ عن ابن عبَّاسٍ قال: كانت إمرأة حسناء في زمان بني إسرائيل، راودها عن نفسها أربعة من رؤسائهم، فامتنعت علىٰ كلٍّ منهم، فاتفقوا فيما بينهم عليها، فشهدوا عليها عند داود عليه السلام: أنها مَكَّنت من نفسها كَلْبًا لها قد عَوَّدته ذلك منها، فأمر برجمها، فلما كان عشية ذلك اليوم، جلس سليمان واجتمع معه ولدان مثله،

فانتصب حاكمًا، وتزيًّا أربعة منهم بزيِّ أولئك الشُّهود، وآخر بزيِّ المرأة، وشهدوا عليها بأنها مَكَّنت من نفسها كلبًا، فقال سليمان: فَرِّقوا بينهم، فسأل أولهم ما كان لون الكلب؟ فقال: أسود. فعزله، واستدعىٰ الآخر فسأله عن لونه؟ فقال: أحمر. وقال الآخر: أغبش. وقال الآخر: أبيض. فأمر عند ذلك بقتلهم، فحكىٰ ذلك لداود عليه السلام فاستدعىٰ من فوره بأولئك الأربعة، فسألهم مُتفرِّقين عن لون ذلك الكلب، فاختلفوا عليه، فأمر بقتلهم.

قلت: يؤخذ من هذه القصة ما شاع عند النصارىٰ من تمكين النصرانية كلبها من نفسها، وهي عادةٌ مأخوذةٌ عن اليهود لعنهم الله، وقد استعملها بعض المسلمات مع الأسف.

وفاة سليمان عليه السلام

ورَدَ في وفاته حديثٍ مرفوع إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لكنه غير صحيحٍ، وأنا أذكره وأبيِّن ما فيه:

روىٰ ابن جريرٍ في "تفسيره" عن ابن عبَّاسٍ، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**كان نبيُّ الله سليمان عليه السلام إذا صَلَّى رأى شجرةً نابتةً بين يديه، فيقول لها: ما اسمك؟ فتقول: كذا. فيقول: لأي شيءٍ أنت؟ فإن كانت لغَرْسٍ غُرسَتْ، وإن كانت لدواءٍ نبتت، فبينما هو يُصلِّي ذات يومٍ إذ رأى شجرةً نابتةً بين يديه، فقال لها: ما اسمك؟ قالت: الخروب. قال: لأي شيءٍ أنت؟ قالت: لخراب هذا البيت. قال سليمان عليه السلام: اللهمَّ عمِّ على الجنِّ موتي حتى يعلم الإنس أنَّ الجِنَّ لا يعلمون الغيب. فنحتها عصًا فتوكَّأ عليها حولًا ميتًا والجنُّ تعمل، فأكلتها الأرضة، فتبيَّنت الإنس أنَّ الجنَّ لو كانوا**

يعلمون الغيب ما لَبِثُوا حولًا في العذاب المهين».

في إسناده عطاء الخراسانيُّ وهو ضعيفٌ مُنكَر الحديث، ورواه البزَّار، والحاكم عن ابن عبَّاسٍ موقوفًا وهو أصح.

وروىٰ السُّدِّيُّ عن أبي مالكٍ، عن أبي صالحٍ، عن ابن عبَّاسٍ وعن مرة الهمدانيِّ، عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه، وعن ناسٍ من أصحاب رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ورضي عنهم قالوا: كان سليمان عليه الصلاة والسلام يتحرَّر في بيت المقدس السنة والسنتين، والشهر والشهرين، وأقل من ذلك وأكثر، فيدخل فيه ومعه طعامه وشرابه، فدخله في المرة التي توفِّي فيها، فكان بدء ذلك أنه لم يكن يصبح يوم إلَّا ينبت الله له شجرةً فيأتيها فيسألها: ما اسمك؟ فتقول: اسمي كذا، فإن كانت لغَرْسٍ غرسها، وإن كانت لدواء قالت: نبت لدواء كذا. فيجعلها كذلك، حتىٰ نبتت شجرة الخروبة، فسألها: ما اسمك؟ قالت: الخروبة. قال: ولأي شيء نبت؟ قالت لخراب هذا المسجد. قال سليمان عليه الصلاة والسلام: ما كان الله ليخربه وأنا حيٌّ، أنت التي علىٰ وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس. فنزعها وغرسها في حائطٍ له، ثُمَّ قام يُصَلِّي مُتَّكِئًا علىٰ عصاه، فمات ولم تعلم به الشياطين، وهم في ذلك يعملون له ويخافون أن يخرج عليهم فيعاقبهم، وكانت الشياطين تجتمع حول المحراب، وكان له كوًىٰ من بين يديه ومن خلفه، فكان الشيطان الذي يريد أن يخلع يقول: ألست جلدًا إن دخلت فخرجت من ذلك الجانب. فيدخل حتىٰ يخرج من الجانب الآخر، فدخل شيطان من أولئك فمر ولم يسمع صوت سليمان، ثُمَّ رجع ولم يسمع، ثُمَّ رجع فوق البيت ولم يحترق، ونظر إلىٰ سليمان عليه السلام

قد سقط ميتًا، فخرج فأخبر الناس أنَّ سليمان قد مات، ففتحوا عليه فأخرجوه، ووجدوا مِنسأته -وهي العصا بلسان الحبشة- قد أكلتها الأرضة.

وهذا منقولٌ عن أهل الكتاب فلا يلزم تصديقه لا سيما وفيه أشياء مُنكَرةٌ لم أذكرها؛ لأنها من قبيل الخرافة التي لا يقبلها العقل، وما أظن أنها تصح عن ابن عبَّاسٍ وغيره لأنهم أجل من أن ينطقوا بهذا.

ويكفينا الوقوف عند ما أفادته الآية الكريمة: مِن أنَّ سليمان عليه السلام مات مُتوِّكئًا على عصاه فلما أكلت الأرضة عصاه وخَرَّ علمت الجنُّ أنهم لا يعلمون الغيب، هذا ما يجب الوقوف عنده، وهو محل الفائدة التي هي بيان جهل الجنِّ بالأمور الغيبية المستقبلة على خلاف ما يعتقده كثيرٌ من الناس.

أما أنه مكث ميتًا سنة أو أقل فهذا لا يعنينا؛ لأنه لا فائدة فيه.

نعم، يؤخذ من الآية أنَّ الأنبياء لا تبلى أجسادهم إذا ماتوا، وبهذا جاءت الأحاديث المتواترة، فهو مما دلَّ عليه القرآن والسُّنَّة.

ومِن أفراد القرآن: أنَّ لفظ الأرض حيث وقع فالمراد به الأرض المعروفة إلَّا في هذه الآية فالمراد به الأرضة.

العبرة من قصة سليمان عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [يوسف: ١١١]، والعبرة من قصة سليمان عليه السلام تظهر في الأمور الآتية:

(١) أنَّ سليمان عليه الصلاة والسلام لم يشغله المُلْك الذي أُعطيه عن عبادة مولاه والالتجاء إليه في كلِّ حال، ولذلك وصفه الله بأنه أوَّابٌ، أي: رَجَّاعٌ إلى الله في كلِّ شيءٍ.

(٢) أنه حين تمنَّى أن يرزق أولادًا يجاهدون في سبيل الله ولم يستثن بذكر المشيئة لم يُعطِه الله ما تمنَّاه، مع أنه أعطاه مُلْكًا لا ينبغي لأحدٍ من بعده، تنبيهًا له أن الإنسان لا ينبغي له أن يترك مشيئة الله فيما يعزم عليه من أفعال وتروكٍ.

(٣) أنه حين علم بملكة سبأ كان أول ما فعل أن دعاها إلى الإسلام، فلم يشغله المُلْك عن واجبه الديني، فيجب على كلِّ داعٍ إلى الله أن يقدم واجب الدعوة على جميع مهامِّه وشؤنه.

(٤) قول الله لسليمان: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص: ٣٩]، أفاد مسألة أصولية وهي: جواز أن يقال لنبيٍّ: احكم بما تشاء فهو صوابٌ.

(٥) أنَّ ما أعطيه من المُلْك ونفوذ الكلمة وتسخير الريح والشياطين، وغير ذلك مما لم يكن لغيره كلُّ هذا لم يصرف عنه ذوق كأس الموت، فحين انتهى أجله حقَّ عليه قول الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وذهب إلى ربِّه في جملة إخوانه النبيين والمرسلين، فسبحان من له الدوام.

تمت قصة سليمان عليه الصلاة والسلام وكان الفراغ منها يوم الأربعاء، الرابع والعشرين من شهر رمضان المعظم، سنة ثمان وأربعمائة وألف هجرية.

والحمد لله ربِّ العالمين.

٥- قِصَّةُ هَارُوتَ ومَارُوتَ

مقدمة

اختلفت أنظار الحُفَّاظ في هذه القِصَّة اختلافًا مُتباينًا، فأنكرها البيهقيُّ وابن العربيِّ المعافريُّ وعياض، والمنذريُّ، وذكرها ابن الجوزيِّ في "الموضوعات".

ومال إلى إثباتها ابن جريرٍ في "التفسير" وأكثر من تخريج طُرُقها وأغلبها موقوفاتٌ.

وجاء الحافظ ابن حجرٍ فجمع ما رواه ابن جريرٍ وضَمَّ إليه بعض الطُّرُق الأخرى فأوصلها إلى بضعة عشر طريقًا جمعها في جزءٍ منفردٍ، وقال في "القول المُسَدَّد": «وله - يعني حديث ابن عمر الذي حكم بوَضْعِهِ ابن الجوزيِّ - طُرُقٌ كثيرة جمعتها في جزءٍ مُفرَدٌ يكاد الواقف عليه أن يقطع بوقوع هذه القصَّة، لكثرة الطُّرُق الواردة فيها وقوة مخارج أكثرها والله أعلم».أهـ

وتتبَّع الحافظ السيوطيُّ طُرُقها في التفسير المُسنَد وفي "الدر المنثور" فأوصلها إلى نيِّف وعشرين طريقًا أغلبها ضعيفٌ أو واهٍ.

وقد تتبَّعتُ طُرُقَها المُشار إليها وأعملت فيها فكري، فوجدتها قصَّةً شاذَّةً مُنكَرة المعنى، تُخالِف القرآن والسُّنَّة وقواعد العِلْم، هذا إلى تضارب ألفاظها ورواياتها، وليس فيها حديثٌ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم صحيحٌ سالمٌ مِن عِلَّةٍ.

قال الحافظ ابن كثيرٍ في "تفسيره": «وقد روي في قصة هاروت وماروت عن جماعةٍ من التابعين كمجاهدٍ والسُّدِّي والحسن البصريِّ وقتادة وأبي العالية والزهريِّ والربيع بن أنسٍ ومقاتل بن حيَّان وغيرهم، وقَصَّها خَلْقٌ مِن

المُفسِّرين مِن المتقدِّمين والمتأخِّرين، وحاصلها راجعٌ في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل؛ إذ ليس فيها حديثٌ مرفوعٌ صحيحٌ متصل الإسناد إلى الصادق المَصْدُوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، وظاهر سِياق القرآن إجمال القصة من غير بسطٍ ولا إطنابٍ فيها، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراده الله تعالى والله أعلم بحقيقة الحال».اهـ

وأنا مورد بحول الله بعض طرق القصة -وهي أجمع الطرق وأوسعها- ثُمَّ أُبيِّن ما فيها من شذوذٍ ونَكَارَةٍ ومخالفةٍ وتناقضٍ، سائلًا مِن الله التوفيق فيما قصدت إليه.

١- عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه سمع نبيَّ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**إنَّ آدمَ عليه السلام لَمَّا أَهْبَطَهُ اللهُ إلى الأرضِ قالت الملائكةُ: أي ربنا** ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ **قال:** ﴿قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

قالوا: رَبَّنا نحنُ أَطْوَعُ لَكَ مِن بني آدَمَ. قالَ اللهُ تعالى للملائكة: هَلُمُّوا مَلَكَيْنِ مِن الملائكة، حتَّى يُهْبَطَ بهما إلى الأرضِ، فننْظُرَ كيف يَعْمَلَان. قالوا: رَبَّنا، هَارُوتُ ومَارُوتُ. فأُهْبِطَا إلى الأرضِ، ومُثِّلَتْ لهما الزُّهَرَةُ امرأةً مِن أحسنِ البَشَرِ، فجاءَتْهُما، فسألَاها نَفْسَها، فقالت: لا والله، حتَّى تَكَلَّمَا بهذه الكلمةِ مِن الإشراك. فقالا: والله لا نُشْرِكُ بالله أبدًا. فذهَبَتْ عنهما ثُمَّ رَجَعَتْ بصَبِيٍّ تَحْمِلُهُ، فسألاها نَفْسَها، فقالت: لا والله، حتَّى تَقْتُلا هذا الصَّبيَّ، فقالا: والله لا نَقْتُلُهُ أبدًا. فذهَبَتْ ثُمَّ رَجَعَتْ بقَدَحِ خَمْرٍ تَحْمِلُهُ، فسألاها نَفْسَها،

فقالت: لا والله، حتَّى تَشْرَبَا هذا الخَمْرَ. فشَرِبَا، فسَكِرَا فوَقَعَا عليها، وقتلا الصَّبيَّ، فلمَّا أفَاقَا، قالتِ المرأةُ: والله ما تركتما شيئًا ممَّا أبيتُماهُ عليَّ إلَّا قد فعلتما حين سَكِرْتُمَا، فخُيِّرَا بين عَذَاب الدُّنيا والآخِرَة، فاخْتَارَا عَذَابَ الدُّنيا».

رواه أحمد بن حنبل في "مسنده" وابن حِبَّان في "صحيحه" وغيرهما.

٢- عن نافعٍ قال: سافرتُ مع ابن عمر فلمَّا كان آخر الليل، قال: انظر هل طَلَعَتِ الحَمْراءُ؟ قلتُ: لا. مرَّتين أو ثلاثًا، ثُمَّ قلت: قد طَلَعَتْ، قال: لا مَرْحبًا بها ولا أهلًا، قلتُ: سبحان الله!! نَجْمٌ سامعٌ مطيعٌ، قال: ما قلت إلَّا ما سمعتُ من رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وقال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «إنَّ الملائكة قالت: يا ربِّ كيف صَبْرُكَ على بني آدمَ في الخَطايا والذُّنوب، قال: إني ابْتَلَيْتُهم وعافَيْتُكم، قالوا: لو كنَّا مكانهم ما عَصَيْناك، قال: فاخْتارُوا مَلَكَيْنِ مِنْكُم، فلم يَأْلُوا جهدًا أن يختاروا، فاختاروا هارُوتَ ومارُوتَ، فنَزَلا فأَلْقَى الله تعالى عليهما الشَّبَق». -بفتح الشين والباء- قلتُ: وما الشَّبَق؟ قال: «الشَّهْوَةُ، فجاءت امرأةٌ يقال لها الزهرة، فوقَعَتْ في قُلُوبهما فجَعَلَ كُلُّ واحدٍ منهما يُخْفِي عن صاحِبِهِ ما في نَفْسِهِ، ثُمَّ قال أحدهما للآخَر: هل وَقَعَ في نَفْسِكَ ما وَقَعَ في قَلْبِي؟ قال: نعم، فطَلَبَاها لأنفُسِهما، فقالت: لا أُمَكِّنكما حتى تُعَلِّماني الاسم الذي تَعْرُجان به إلى السماء وتَهْبِطان، فأبَيَا، ثُمَّ سَأَلَاها أيضًا فأبَتْ، ففَعَلا، فلما استطيرت طَمَسَها اللهُ كَوْكَبًا، وقَطَعَ أجنحتهما ثُمَّ سَأَلَا التوبةَ مِن ربِّهما، فخيَّرهما فقال: إن شِئتما رَدَدْتُكما إلى ما كنتما عليه، فإذا كان يوم القِيامَةِ عَذَّبتُكما وإن شِئتما عَذَّبتُكما في الدُّنيا فإذا كان يوم

القيامَةِ رَدَدْتُكما إلى ما كنتما عليه فقال أحدهما لصاحبه: إنَّ عَذَاب الدُّنيا يَنْقَطِعُ ويَزُولُ، فاخْتَارَا عَذَابَ الدُّنيا على الآخِرة، فأوحى الله إليهما أن ائتيا بابل، فانْطَلَقا إلى بابل فخُسِفَ بهما فهما مَنْكُوسان بين السماء والأرض مُعَذَّبان إلى يومِ القِيامَةِ».

رواه سُنَيد بن داود في "تفسيره"، وعنه ابن جريرٍ في "تفسيره" أيضًا.

عن عمر مولى غُفْرة -بضم الغين وسكون الفاء- يرفع الحديث إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «إنَّ إدريس كان نبيًّا تقيًّا زكيًّا، وكان يَقْسِمُ دَهْرَهُ على نِصفين: ثلاثة أيام يُعَلِّمُ النَّاسَ الخَيْرَ وأربعة أيامٍ يَسِيحُ في الأرضِ ويَعْبُدُ اللهَ مُجْتَهِدًا، وكان يَصْعَدُ مِن عَمَلِهِ وَحْدَهُ إلى السماءِ مِن الخَيْرِ مثل ما يَصْعَدُ مِن جَميعِ أعْمالِ بني آدمَ، وأنَّ مَلَكَ المَوتِ أَحَبَّهُ في الله، فأتاهُ حين خَرَجَ للسِّياحَةِ. فقال له: يا نبيَّ الله، إنِّي أُريدُ أن تأذَنَ لي في صُحْبَتِكَ، فقال له إدريس -وهو لا يعرفه-: إنَّك لا تَقْوَى على صُحْبَتي، قال: بلى، إنِّي أرجو أن يُقَوِّيني الله على ذلك.

فخَرَجَ مَعَهُ يومه حتَّى إذا كان مِن آخِر النَّهارِ مَرَّا براعي غَنَمٍ، فقال له مَلَكُ الموتِ: يا نبيَّ الله إنَّا لا ندري حيث نُمْسِي، فلو أخَذْنا جفرة -يعني شاةً- من هذا الغَنَم، فأفْطَرنا عليها، فقال له إدريس: لا تَعُد إلى مثل هذا؛ تَدْعُوني إلى أَخْذ ما ليس لنا؟ حيث نُمْسِي يأتيني الله برِزْقِهِ.

فلمَّا أمسى أتاه الله بالرِّزق الذي كان يأتيه، فقال لمَلَكِ الموت تقدَّم فكُلْ. فقال مَلَكُ الموتِ: لا والذي أكْرَمَكَ بالنبوة ما أشتهي، فأَكَلَ إدريس، وقاما جميعًا إلى الصَّلاة، ففَتَرَ إدريس وَكَلَّ ومَلَّ ونَعَسَ، ومَلَكُ الموتِ لا يَفْتَر ولا يَمَلَّ

ولا يَنْعَسَ فعَجِبَ منه وقال: قد كنتُ أظنُّ أنِّي أقوى النَّاسِ على العبادة، فهذا أقوى مِنِّي، فصَغُرت عنده عبادته عندما رأى منه.

ثُمَّ أصبحا فساحا، فلمَّا كان آخِر النَّهارِ مَرَّا بحديقة عِنَبٍ، فقال مَلَكُ الموت لإدريس، يا نبيَّ الله لو أخذنا قَطْفًا مِن هذا العِنَبِ لأنَّا لا نَدْري أين نُمْسِي. فقال له إدريس: ألم أَنْهَك عن هذا؟! وأنا وأنت حيث نُمْسِي يأتينا اللهُ برزقٍ. فلمَّا أَمْسَيا أتاه اللهُ بالرِّزقِ الذي كان يأتيه، فأكَلَ إدريسُ، فقال لمَلَكِ الموت هَلُمَّ فكُلْ، فقال: لا والذي أكرمك بالنبوة ما أشتهي، فعَجِبَ ثُمَّ قام إلى الصَّلاة، ففَتَرَ إدريسُ أيضًا وكَلَّ ومَلَّ، ومَلَكُ الموتِ لا يَفْتَرُ ولا يَكَلُّ ولا يَنْعَسُ، فقال له عند ذلك إدريس: لا والذي نفسي بيده ما أنت من بني آدم؟! فقال له مَلَكُ الموتِ عند ذلك: أَجَل لست من بني آدم، فقال له إدريس: فمَن أنت؟ قال: أنا مَلَكُ الموتِ، فقال له إدريس: أُمِرْتَ فيَّ بأمرٍ؟ قال: لو أُمرتُ فيك بأمرٍ ما ناظرتك ولكني أحببتك في الله وصَحِبتك له، فقال له إدريس: يا مَلَكَ الموتِ إنَّك معي منذ ثلاثة أيامٍ بلياليها لم تَقْبِض رُوحَ أحدٍ مِن الخَلْقِ؟ قال: بلى والذي أكرمك بالنبوة يا نبيَّ الله إني معك حيث رأيت، وإنِّي أَقْبِضُ نَفْسَ مَن أُمِرتُ بقَبْضِ نَفْسِهِ في مَشارِقِ الأرض ومَغَارِبِها، وما الدُّنيا كلها عندي إلَّا بمنزلة المائدة بين يدي الرَّجُل يَمُدُّ يده يتناول منها ما يشاء، فقال له إدريس: يا مَلَكَ الموتِ أسألك بالذي أَحْبَبْتني له وفيه إلَّا قضيت لي حاجةً أسألكها، فقال له مَلَكُ الموت: سَلْنِي يا نبيَّ الله ما أَحْبَبْتَ، فقال: أحبُّ أن تُذِيقني الموت وتفرِّق بين روحي وجَسَدِي حتَّى آخُذَ طَعْمَ الموتِ، ثُمَّ تَرُد إليَّ روحي، فقال له مَلَكُ الموت: ما أقدر على ذلك إلَّا أن أستأذن فيه ربِّي، فقال له إدريس: فاستأذنه في ذلك.

فعرج مَلَكُ الموت إلى ربِّه فأذن له، فقَبَضَ نَفْسَهُ، وفَرَّقَ بين روحه وجسده، وطَفِقَ يمسح وجهه وهو يقول: يا نبيَّ الله ما كنتُ أريد أن يكون هذا حَظُّك مِن صُحْبَتي، فلمَّا أفاق قال لمَلَكِ الموت: قد كنت أُحَدَّثُ وأَسْمَعُ فإذا هو أعظم ممَّا كنت أُحَدَّث وأَسْمَع.

ثُمَّ قال يا مَلَك الموت أريد منك حاجةً أخرى، قال: وما هي؟ قال: تريني النَّارَ حتى أنظر إلى لمحةٍ منها، فقال له ملكُ الموت: ومالَكَ والنَّار؟ إني لأرجو ألَّا تراها ولا تكون من أهلها، قال: بلى، أريد ذلك ليكون أشد لرَهْبَتي وخوفي منها، فانطلق إلى بابٍ من أبواب جهنم فنادى بعض خَزَنَتِها، فأجابوه وقالوا: مَن هذا؟ قال: أنا مَلَكُ الموت، فارْتَعَدَتْ فَرائِصُهم، قالوا: أُمِرْتَ فينا بشيءٍ؟ قال: لو أُمرت فيكم بأمرٍ ما ناظرتكم، ولكن نبيَّ الله إدريس سألني أن تروه لمحةً من النار، ففتحوا له قدر ثُقْبِ المِخْيَط فأصابه مِن حَرِّها ولَهَبها وزَفِيرها ما صُعِقَ له، فقال مَلَكُ الموت: أَغْلِقُوا، فأَغْلَقُوا.

فمَسَحَ مَلَكُ الموت وجهه وهو يقول: يا نبيَّ الله ما كنت أحب أن يكون هذا حظُّك من صُحْبتي، فلمَّا أفاق قال له مَلَكُ الموت: يا نبيَّ الله كيف رأيت؟ قال: يا مَلَكَ الموتِ قد كنتُ أُحَدَّثُ وأَسْمَع فإذا هي أَعْظَمُ ممَّا كنتُ أُحَدَّث وأَسْمَع.

فقال له: يا مَلَكَ الموتِ قد بَقِيت حاجةٌ أخرى لم يَبْقَ لي غيرها، قال: وما هي؟ قال: تريني لمحةً من الجنَّة. قال له مَلَكُ الموت: يا نبي الله أَبشِر فإنَّك إن شاء الله مِن خِيار أهلها، وإنها إن شاء الله مصيرك ومَقيلك، فقال: يا مَلَكَ الموت إني أحبُّ أن أنظر إليها، ولعل ذلك يكون أشد لشوقي وحرصي وطلبي.

فذهب به إلى باب الجنَّة فنادى بعض خَزَنَتِها، فأجابوه فقالوا: مَن هذا؟ فقال: مَلَكُ الموتِ، فارْتَعَدَتْ فرائِصُهم وقالوا: أمرت فينا بشيءٍ؟ فقال: لو أُمرتُ فيكم بأمرٍ ما ناظرتكم، ولكن نبيَّ الله إدريس سأل أن ينظر لمحةً من الجنَّة، فافتحوا له، فلما فتحوا أصابه مِن بَرْدِها وطِيبها ورَيْحانِها ما أخذ بقلبه فقال: يا مَلَكَ الموتِ فإنِّي أحبُّ أن أدخل الجنَّة، فآكُلَ أَكْلَةً مِن ثِمارها وأَشْربَ شَرْبَةً مِن مائها فلعلَّ ذلك يكون أشد لطلبتي ورغبتي وحرصي، فقال له: ادخل، فدخل فأكلَ ثمارها وشرب من مائها، فقال له مَلَكُ الموت: اخرج يا نبيَّ الله، قد أصبت حاجتك حتى يردك الله مع الأنبياء يوم القيامة، فاحتضن بشجرةٍ من شجر الجنَّة، وقال: ما أنا بخارجٍ منها، وإن شئتَ أن أخاصِمُك خاصَمْتُك، فأوحى الله إلى ملك الموت: قاضِه الخصومة.

فقال له ملك الموت: ما الذي تُخاصِمني فيه يا نبيَّ الله؟ قال إدريس: قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] فقد ذُقْتُ الموتَ الذي كتبه الله على خَلْقِهِ مرَّةً واحدةً. وقال الله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١] وقد وردتها، وقال الله لأهل الجنة: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨] أفأخرجُ من شيءٍ ساقه الله إليَّ ؟!

فأوحى الله إلى مَلَكِ الموتِ: خَصَمَك -أي غلبك- عبدي إدريس، وعِزَّتي وجلالي إنَّ في سابق عِلْمِي قبل أن أَخْلُقَهُ أنه لا موت عليه إلَّا الموتة التي ماتها، وأنه لا يرى جهنَّم إلَّا الورد الذي ورَدَها، وأنه يدخل الجنَّة في الساعة التي دَخَلَها، وأنه ليس بخارجٍ منها، فدَعْهُ يا مَلَكَ الموت فقد خَصَمَكَ واحتجَّ

عليك بحُجَّةٍ قويَّةٍ.

فلمَّا قَرَّ قرار إدريس في الجنة، وألزمه الله دخولها قبل الخلائق، عَجَّ الملائكة إلى ربِّهم فقالوا: ربَّنا خلقتنا قبل إدريس بكذا وكذا ألف سنةٍ، ولم نعصك طَرْفَة عينٍ، وإنما خَلَقْتَ إدريس منذ أيام قلائل فأدخلته الجنَّة قبلنا، فأوحى الله إليهم: يا ملائكتي إنما خلقتكم لعبادتي وتَسْبِيحي وذِكْرِي، وجعلتُ فيها لذَّتكم، ولم أجعل لكم لذَّةً في مَطْعَمٍ ولا مَشْرَبٍ ولا في شيءٍ سواها وقوَّيتكم عليها.

وجعلتُ في الأرض الزينة والشهوات واللذَّات والمعاصي والمَحارِم، وإنه اجْتَنَبَ ذلك كلَّه مِن أجلي، وآثَر هواي على هواه، ورِضايَ ومَحبَّتي على رِضاه ومَحبَّته فمن أراد منكم أن يدخل مدخل إدريس فليهبط إلى الأرض فليَعْبُدني بعبادة إدريس وبعمل إدريس.

فقالت الملائكة: ربَّنا لا نطلب ثوابًا، ولا تصيبنا بعقابٍ، رضينا بمكاننا منك يارب، وفضيلتنا عندك.

وانتدب ثلاثة من الملائكة هاروت وماروت وملك آخَر، رضوا به فأوحى الله إليهم، أما إذا أجمعتم على هذا فاحذروا إن نفعكم الحَذَرُ، فإني أُنْذِرُكم: اعلموا أنَّ أكبر الكبائر عندي أربع، فما عَمِلْتُم سواها غَفَرْتُهُ لكم وإن عملتموها لم أغفر لكم، قالوا: وما هي؟ قال: ألَّا تعبدوا صَنَمًا ولا تَسْفِكُوا دمًا، ولا تَشْرَبُوا خَمرًا، ولا تَطَؤا مُحَرَّمًا، فهَبَطُوا إلى الأرض على ذلك.

فكانوا في الأرض على مثل ما كان عليه إدريس يقيمون أربعة أيامٍ في سياحتهم، وثلاثة أيام يعلمون الناس الخَيْرَ، ويدعونهم إلى عبادة الله وطاعته، حتى ابتلاهم الله بالزهرة -وكانت من أجمل الناس- فلما نظروا إليها افتتنوا بها

لما أراد الله، ولما سبق في علمه عليهم مع خذلان الله إياهم، فنسوا ما تقدَّم إليهم، فسألوها نَفْسَها فقالت لهم: نعم، ولكن لي زوجٌ لا أقدر على ما تريدون مِنِّي إلَّا أن تقتلوه وأكون لكم، فقال بعضهم لبعضٍ: إنا قد أُمرنا ألا نَسْفِكَ دمًا ولا نطأ محرَّمًا، ولكنَّا نفعل هذا مع هذا ثُمَّ نتوب من ذلك كلِّه. فلمَّا أحسَّ الثالث بالفتنة عصمه الله من ذلك، وأقام هاروت وماروت لما كتب عليهما، فشدَّا على زوجها فقتلاه؛ فلمَّا أرادَاها قالت: لي صنمٌ أعبده وأنا أكره معصيته وخلافه، فإن أردتما فاسْجُدَا له سَجْدَةً واحِدةً فدعتهما الفِتْنَةُ إلى ذلك، فقال أحدهما لصاحبه: إنَّا أُمرنا ألا نسجد لصَنَمٍ ولا نَسْفِكَ دمًا ولا نطأ مُحرَّمًا، ولكن نفعله ثُمَّ نتوب من جميعه فنسجد لذلك الصَّنَم.

فلمَّا أرادَاها قالت لهما: قد بقيت لي حاجةٌ، قالا: وما هي؟ قالت: لي شرابٌ لا يطيبُ لي شيءٌ من العَيْشِ إلَّا به، فقالا: وما هو؟ قالت: الخمر، فدعتهما الفتنة إلى ذلك، فقال أحدهما لصاحبه: إنا قد أمرنا ألا نَشْرَبَ خمرًا، فقال له الآخر: إنَّا أمرنا ألَّا نَسْفِكَ دمًا ولا نطأ محرَّمًا، ولكنَّا نفعله ثُمَّ نتوب مِن جميعه، فشربا الخمر، فلما أراداها قالت: قد بقيت لي حاجة أخرى، قالا: وما هي؟ قالت: تُعَلِّماني الكلام الذي تعرجان به إلى السماء، فعلَّماها إيَّاه، فلما تكلَّمت به عَرَجَتْ إلى السماء، فلمَّا انتهت إلى السماء مُسِخَتْ نَجْمًا، فلمَّا ابتُليا فيما ابتُليا به عَرَجا إلى السماء فغُلِقت أبواب السماء دونهما، وقيل لهما: إنَّ السماء لا يدخلها خَطَّاء، فلمَّا مُنِعا مِن دخول السماء، وعَلِما أنهما قد افتُتنا وابتُليا، عَجَّا إلى الله بالدُّعاء والتضرُّع والابتهال، فأوحى الله إليهما: حَلَّ عليكما سَخَطِي، ووَجَبَتْ لكما عُقوبتي بما تعرضتما له، وقد كنتما مع ملائكتي في طاعتي وعبادتي، حتى

عَصَيْتُما فصِرْتُما إلى ما صِرْتُما إليه مِن مَعْصِيتي وخلاف أمري، فاختارا إن شئتما عذاب الدنيا -وإن طال- فمصيره إلى زوالٍ، وإنَّ عذاب الآخرة ليس له زوالٌ ولا انقطاع فاختارا عذاب الدُّنيا، فهما ببابل معلَّقين مَنكُوسين مُقرَّنين إلى يوم القيامة». رواه ابن المنذر في "تفسيره".

فهذه ثلاثة أحاديث مرفوعة هي أجمع ما ورد في هذه القصة، أمَّا الموقوفات والمقطوعات فكثيرةٌ، وفيها كثيرٌ من الغرابة والاختلاف يطول بنا الحال إذا تتبَّعناها، فاقتصرنا على الكلام في المرفوع لأنه الأصل وما عداه فرعٌ وتابعٌ.

ولأنه إذا صحَّ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حديثٌ في شيءٍ وجب اتباعه ولا يجوز رده بحالٍ من الأحوال.

أمَّا إذا لم يصح في الموضوع حديثٌ فالإنسان في حِلٍّ من أن يبدي رأيه، ولا يجب عليه أن يُقَلِّد أحدًا من العلماء، بل لا يجوز التقليد في نظرنا وهو الراجح المؤيَّد بالأدلَّة المتكاثرة.

بيان عِلل الأحاديث المذكورة

وفيما يلي بيان ما في الأحاديث المذكورة من العِلل التي تَقْضِي بعدم صحَّتها:

فالحديث الأول: صحَّحه ابن حِبَّان، وحسَّنه الحافظ في "فتح الباري" بناءً على قاعدةٍ ذكرها في "لسان الميزان"، لكنه عند التحقيق بعيدٌ عن الصحَّة والحسن.

وبيان ذلك أنه من رواية موسى بن جبير الأنصاريِّ، عن نافعٍ، عن ابن عمر، وموسى ذكره ابن أبي حاتمٍ في كتاب "الجرح والتعديل"، ولم يحكِ فيه

جرحًا ولا تعديلًا، وقال ابن القطَّان: «لا يُعرف حاله»، فهو مجهول الحال.

وابن حِبَّان -وإن ذكره في "الثقات"- فقد قال فيه: «يخطئ ويخالف».

وتابعه موسىٰ بن سَرْجِسَ، عن نافعٍ ابن عمر، أخرجه ابن مَرْدُويَه في "تفسيره". وموسىٰ بن سَرْجِسَ حِجازيٌّ مجهولٌ أيضًا؛ فهذه عِلَّة الحديث.

وعِلَّةٌ أخرىٰ: وهي أنه من رواية ابن عمر عن كعب الأحبار، لا عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله سلَّم.

كذلك رواه عبدالرزَّاق في "تفسيره" عن الثوريِّ، عن موسىٰ بن عقبة، عن سالمٍ، عن ابن عمر، عن كعب الأحبار قال: ذَكَرتْ الملائكةُ أعمال بني آدم وما يأتون من الذُّنوب، فقيل لهم اختاروا منكم اثنين، فاختاروا هارُوتَ ومارُوتَ، فقال لهما: إني أرسل إلىٰ بني آدم رُسُلًا، وليس بيني وبينكم رسولٌ، انزلا، لا تُشْرِكا بي شيئًا ولا تَزْنِيَا ولا تَشْرَبا الخَمْرَ.

قال كعبٌ: فوالله ما أَمْسَيَا مِن يومها الذي أُهْبِطَا فيه حتىٰ اسْتَكْمَلا جميع ما نُهِيَا عنه.

رجال الإسناد أئمَّةٌ أثباتٌ علىٰ شرط "الصحيحين".

ورواه ابن جريرٍ من طريقين عن عبدالرزَّاق.

ورواه ابن أبي حاتمٍ في "تفسيره" عن أحمد بن عصام، عن مؤمل، عن سفيان الثوريِّ به.

ورواه ابن جريرٍ من طريق عبدالعزيز بن المختار، عن موسىٰ بن عقبة: حدَّثني سالمٌ: أنه سمع عبدالله يُحدِّث عن كعب الأحبار فذكره.

قال ابن كثيرٍ: «فهذا أصح وأثبت إلىٰ عبد الله بن عمر من الإسنادين

المتقدِّمين -يعني المرفوعين إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم- وسالمٌ أثبت في أبيه من مولاه نافعٍ، فدار الحديث ورجع إلى نقل كعب الأحبار عن كتب بني إسرائيل والله أعلم».اهـ قلت: بل رواه نافعٌ أيضًا كما رواه سالمٌ.

أخرجه البيهقيُّ في الرابع والأربعين من "شعب الإيمان" من طريق أبي حذيفة، عن الثوريِّ عن موسى بن عقبة، عن نافعٍ، عن ابن عمر، عن كعب الأحبار به. وقال: «هذا هو الصحيح من قول كعبٍ».اهـ

فقد توافق سالمٌ ونافعٌ بأصح طريقٍ إليهما على روايته عن ابن عمر، عن كعبٍ.

وجاء الحديث أيضًا من طريق مجاهدٍ، عن ابن عمر موقوفًا عليه غير مرفوعٍ إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

رواه ابن أبي حاتمٍ في "تفسيره" مُطوَّلًا بإسنادٍ جيِّدٍ كما قال ابن كثيرٍ.

ورواه الحاكم مُختصَرًا وصحَّحه.

فهذه دلائل تقضي بأن الحديث لا يصح رفعه إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

والحديث الثاني: هو في الحقيقة روايةٌ ثانيةٌ للحديث الأول، وليس حديثًا مُستقِلًّا قائمًا بنفْسِهِ.

وهو من طريق الفرج بن فَضَالَة، عن معاوية بن صالحٍ، عن نافعٍ.

وقد اعتبر السخاويُّ رواية معاوية بن صالحٍ هذه متابعةٌ لرواية موسى بن جُبير عن نافعٍ في الحديث الأول، وبعبارة أصح: في الطريق الأول لحديث ابن عمر.

ومعاوية بن صالحٍ ثقةٌ من رجال مسلمٍ، فمتابعته قويَّةٌ لو صحَّت، ولكن الآفة من الفرج بن فَضَالَة فإنه ضعيفٌ مُنكَر الحديث، ومن أجله أورده ابن الجوزيِّ في "الموضوعات" وقال: «الفرج ضعَّفه يحيىٰ -وهو ابن معينٍ- وقال ابن حِبَّان يَقْلِب الأسانيد ويلزق المتون الواهية بالأسانيد الصحيحة، وسُنَيد ضعَّفه أبو داود والنَّسائيُّ».اهـ

قلت: وممَّن ضعَّف الفرج أيضًا البخاريُّ ومسلمٌ والنَّسائيُّ والدارقطنيُّ، وسُنَيد هو ابن داود أخرج الحديث في "تفسيره" عن شيخه الفرج بن فَضَالَة، ومن طريقه رواه ابن جريرٍ، ولا يُعرف إلَّا من طريقه، وقد ضعَّفه أبو داود والنَّسائيُّ كما قال ابن الجوزيِّ، وضعَّفه أبو حاتمٍ أيضًا.

فهذا الطريق معلولٌ كما ترىٰ، ثُمَّ لا تنسَ أنَّ الحديث من رواية ابن عمر عن كعب الاحبار، لا عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، حسبما سبق بيانه بإيضاحٍ، والله تعالىٰ أعلم.

والحديث الثالث: مرسلٌ، والمرسل ضعيفٌ عند المحدِّثين، ومُرسِلُهُ عمر بن عبدالله أبو حفصٍ المَدنيُّ مَوْلَىٰ غُفْرة.

قال ابن معينٍ: «لم يسمع من أحدٍ من الصحابة». وضعَّفه هو والنَّسائيُّ، وتركه مالكٌ.

وقال ابن حِبَّان: «يقلب الأخبار لا يحتجُّ به»، ووثَّقه ابن سعدٍ، وقال أحمد: «ليس به بأسٌ»، وكذا قال البزَّار.

واتفقوا علىٰ أنَّ أكثر أحاديثه مَراسيل، ثُمَّ مراسيله عن التابعين فهي في عديد الحديث المُعضَل، فهذا الحديث مُعْضَلٌ وهو أضعف مِن المُرسَل.

أمَّا التناقض في تلك الأحاديث فمن جهاتٍ:

إحداها: في سبب نزول هاروت وماروت إلى الأرض:

فبينما يذكر الطريق الأول لحديث ابن عمر سبب نزولهما قول الملائكة حين أهبط آدم إلى الأرض: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠].

يذكر الطريق الثاني للحديث سببًا آخَر، وهو قول الملائكة: يا رب كيف صبرك على بني آدم في الخطايا والذُّنوب؟

قال: إني ابتليتهم وعافيتكم، قالوا: لو كنَّا مكانهم ما عصيناك.

أمَّا الحديث الثالث فيذكر غير هذين السببين، وهو أنَّ إدريس لَمَّا دخل الجنَّة عَجَّ الملائكة إلى الله يقولون: ربَّنا خلقتنا قبل إدريس بكذا وكذا ألف سنةٍ ولم نَعْصِكَ طَرْفَة عينٍ، وإنما خلقت إدريس منذ آيام قلائل فأدخلته الجنَّة قَبْلنا..» إلخ المحاورة السابقة.

ثانيتها: يذكر الطريق الأول للحديث أنَّ الزهرة طلبت من المَلَكين النُّطق بكلمة الشرك، ثُمَّ قَتْلَ صَبيٍّ معها، ثُمَّ شُرْبَ الخَمْرِ، بينما يذكر الطريق الثاني أنها طلبت منهما الاسم الذي يَعْرُجان به إلى السماء، أمَّا الحديث الثالث فذكر أنها طلبت منهما السُّجودَ للصَّنَم، ثُمَّ قَتْلَ زَوْجِها، لا قتل صَبيٍّ.

ثالثتها: يفيد الحديث الأول أنهما استخفَّا شأن الخمر فشرباها فسَكِرا فقتلا الصَّبِيَّ وواقَعَاها، بينما يذكر الحديث الثالث أنهما قتلا زوجها أولًا، ثُمَّ سَجَدَا للصَّنَمِ ثانيًا، ثُمَّ شَرِبا الخمر ثالثًا، ثُمَّ علَّماها الاسم الذي يعرجان به.

رابعتها: يذكر الحديث الأول أنهما واقعاها، بينما يذكر الحديث الثالث أنها بمجرَّد معرفتها الاسم تكلَّمت به فعرجت ولم يواقِعاها.

خامستها: يذكر الحديث الأول أنهما مَلَكان اثنان ولكن الحديث الثالث ذكر أنهم كانوا ثلاثةً استقال أحدهم وبقي اثنان.

وفي بقيَّة طُرُق القِصَّة تناقُضَات عديدة:

منها: أنهما حين أذنبا طلبا من إدريس أن يشفع لهما إلى الله تعالى، بينما جاء في طُرُقٍ أخرى أنَّ القصة وقعت في عهد داود وسليمان عليهما السَّلام.

ومنها: أنهما حين واقَعَاها وجَدَا رَجُلًا اطلع عليهما فخشيا أن يفشي سرَّهما فقَتَلَاهُ.

ومنها: أنهما نزلا للحُكْم بين الناس، وأنَّ الزهرة تخاصمت إليهما مع زوجها فحكما عليها، ثُمَّ اتصلا بها وواعداها أن يحكما لها في نظير مواقعتها.

وفي روايةٍ: أنهما حَكَما لها مُقدَّمًا ثُمَّ اتصلا بها وراودَاها، إلى غير هذه التناقضات التي لا تَدَع مجالًا للشكِّ في بطلان هذه القصة.

مخالفة الأحاديث المذكورة للقرآن ولقواعد العلم

بقي بعد هذا كلِّه مخالفتها للقرآن ولقواعد العلم.

ويتبيَّن ذلك بوجوهٍ:

الأول: ذكر الحديث الأول أنَّ الملائكة قالوا -حين أهبط آدم إلى الأرض- ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠]. والقرآن يفيد أنَّ هذا القول صَدَرَ منهم قبل خَلْقِ آدم،

وأنَّ الله تعالىٰ أراد أن يُظْهِر لهم شرف آدم عليه السَّلام فعلَّمه الأسماء كلَّها، ثُمَّ عَرَضَهُم علىٰ الملائكة فقال: أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين، ثُمَّ بعد هذا أكل آدم من الشجرة فأُهْبِطَ إلىٰ الأرض.

الثاني: أفادت مُعظم طُرُق القصة أنَّ المرأة حين عرجت إلىٰ السماء مُسِخَتْ نَجْمًا وهي كوكب الزهرة أحد الكواكب السبعة السيَّارة، وهذا يخالف المعقول والمنقول، فإنَّ الله خلق السموات والكواكب والشُّهُب قبل خلق آدم بآلاف السِّنين، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ [الملك: ٥].

وقال جلَّ شأنه: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ١٢].

وكذلك جاء في أحاديث مُنكَرةٍ أوردها ابن الجوزيِّ في "الموضوعات" أنَّ سهيلًا كان عشارًا باليمن فمسخه الله شهابًا هو سهيل اليماني، فهذا وأمثاله مأخوذ من الإسرائيليات، كما في "تاريخ ابن كثير" وغيره(١).

---

(١) وروىٰ ابن شاهين وابن مَرْدُويَه عن عليٍّ عليه السَّلام قال: سُئل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عن المُسوخ فقال: «اثنا عشر: الفَيلُ والدُّبُّ والخِنْزيرُ والقِرْدُ والأرْنَبُ والضَبُّ والوُطْوَاطُ والعَقْربُ والعَنْكَبوتُ والدُّعْمُوص وسُهَيلٌ والزُّهْرة». فقيل: ما سبب مَسْخِهم؟ قال: «أمَّا الفيلُ فكان جَبَّارًا لُوطِيًّا، وأمَّا الدُّبُّ فكان رَجُلًا مُؤنَّثًا يدعو الرِّجال إلىٰ نَفْسِهِ، وأمَّا الخِنْزيرُ فكان مِن قومٍ نصارىٰ فسألوا ربَّهم نزول المائدة فلمَّا نزلت عليهم كانوا أشدَّ كُفْرًا وتَكْذيبًا، وأمَّا القِرْدُ فيَهُودُ اعْتَدَوا في السَّبتِ، وأمَّا الأرْنَبُ فكانت امْرأةً لا تَطْهُرُ مِن حَيْضٍ ولا غيره، وأمَّا الضَّبُّ فكان أعرابيًّا يَسْرِقُ الحاجَّ مِحْجَنَهُ، وأمَّا الوُطْواطُ فكان يَسْرِقُ الثِّمارَ مِن رؤوسِ النَّخْلِ، وأمَّا العَقْربُ

الثالث: أنَّ الله تعالى ذكر الملائكة في القرآن أكثر من ثمانين مرة، يُثني عليهم في كلِّ مرَّةٍ بالطاعة والتسبيح وغير ذلك، نحو:

﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ [النساء: ١٧٢].

﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٦ - ٢٧].

﴿ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴾ [عبس: ١٥ - ١٦].

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴾ [الانفطار: ١٠ - ١١].

﴿ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٦].

ويلاحظ في هذه الآية ترتيب طاعتهم على كونهم ملائكة[1] فيجب تعميم وصفهم بالطاعة لا خصوص خَزَنة النَّارِ، ولم يجئ في القرآن قطُّ وصف مَلَكٍ بتقصيرٍ، أو توجيه عتابٍ إليه، والسُّنَّة المتواترة على نمط القرآن في الثَّناء عليهم والتنويه بقَدْرهم، وحديث هارُوتَ ومارُوتَ يُخالف القرآن والسُّنَّة في هذه الناحية، فيكون مُنكَرًا شاذًّا يجب رده ولو صحَّ سنده.

فكان رَجُلًا لدَّاغًا لا يَسْلَمُ مِن لسانِهِ أحدٌ، وأمَّا العنكبوتُ فكانت امرأةً سَحَرتْ زوجَها، وأمَّا الدُّعْمُوصُ فكان نمَّامًا بين الأحِبَّة، وأمَّا سُهَيلٌ فكان عَشَّارًا باليمن، وأمَّا الزُّهَرة فكانت نَصْرانيَّةً وهي التي فُتِنَ بها هارُوتُ ومارُوتُ وكان اسمها أناهيد». هذا حديثٌ باطلٌ، أورده ابن الجوزيِّ في "الموضوعات".

(١) ووصفا: «غلاظ، شداد» طرديان لا مناسبة فيهما.

الرابع: أنَّ الملائكة معصومون لا يجوز في حقِّهم أن يراجعوا الله ويقولوا: «نحن أَطْوَعُ لك من بني آدم، لو كنَّا مكانهم ما عَصَيْناك».

ثُمَّ ينتقلون من المراجعة القوليَّة إلى المراجعة الفعليَّة فيختارون مَلَكين ينزلان إلى الأرض ولماذا؟، ليُثبتا لله أنهما أطوع له من بني آدم!!

نعم لا يجوز في حَقِّهم هذا، كيف والله يقول في حَقِّهم: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٧].

الخامس: كذلك لا يجوز في حَقِّهم أن يقولوا لله: «ربَّنا خَلَقْتنا قبل إدريس بكذا وكذا ألف سنةٍ، وإنما خَلَقت إدريس منذ أيام قلائل فأدخلته الجنَّة قبلنا».

لأن هذا القول لا يصدر إلَّا من حاقدٍ، والملائكة مُنزَّهون عن الحِقْد، أو جاهلٍ بمقام النبوَّة، والملائكة أعرف بقَدْرِ هذا المقام.

وأيضًا فالملائكة غير ممنوعين من دخول الجنَّة بل هم سُكَّانها وسُكَّان السموات العُلَى وما حول العَرْشِ.

وأيضًا فما في الجنَّة من النعيم الجسمانيِّ الحِسِّيِّ لا شأن لهم به، ولا يمكن أن يلتفتوا إليه، ولا ينافسوا البَشَر فيه، لأنه ليس في طبيعة خِلْقتهم قُبولُه.

السادس: أفاد الحديث الثالث أنهما سَجَدا للصَّنَم وهذا شركٌ لا يحصل من الملائكة، فإنَّ الإجماع مُنعَقِدٌ على عِصمة الأنبياء والملائكة مِن الشِّرك.

السابع: ذكر الحديث الثاني والثالث أنَّ الله ألقَى عليهما الشَّهوة فوقَعا في المعصية، وهذا مبنيٌّ على ما يفهمه كثيرٌ من الناس: أنَّ عَدَمَ وقوع المعصية من الملائكة، لعدم وجود الشهوة عندهم، والواقع أنَّ عدم وقوع المعصية منهم

لعصمتهم منها، والعصمة صفةٌ قائمةٌ بالعبد تمنعه من الوقوع في المعاصي مع بقاء التكليف والاختيار، فالمعصوم لا تحصل منه معصيةٌ سواء أوجدت عنده الشهوة أم لا، ألا ترىٰ إلىٰ الأنبياء عليهم السَّلام عندهم شهوة الأكل والشرب والجِماع، وهم مع ذلك معصومون لا يعصون الله أبدًا؟!، فالملائكة مثلهم سواء بسواء.

الثامن: جاء في طريق عن ابن عمر موقوفًا عليه قال: «فأقرَّا لها بدينها – يعني المجوسيَّة- وتقدَّم إبطال هذا وأتياها فيما يريان» ومعنىٰ هذه الجملة أنهما لم يَزْنِيَا بها وإنما خُيِّل لهما ذلك، وعلىٰ هذا فليس من المعقول أن يُشْرِكا بالله في سبيل شهوةٍ تخيَّلَاها ولم تكن حقيقيةً.

التاسع: جاء في كثيرٍ من طُرُق القصة أنهما علَّماها الاسم الذي يعرجان به إلىٰ السماء، وفي رواية عن عليٍّ أنه اسم الله الأعظم، وهذا لا يصح لوجهين:

أحدهما: أنَّ الملائكة لا يحتاجون في عُرُوجهم إلىٰ السماء وهُبُوطهم منها إلىٰ تلاوة أسماء؛ لأن الله جعلهم سُكَّان السموات وأعطاهم قدرة التنقُّل بينها وبين الأرض في أقلِّ من لَمحِ البَصَر.

ثانيهما: أنَّ الاسم الأعظم ليس من السُّهولة بحيث يعلِّمانه المجوسيَّة في سبيل شهوةٍ دَنِـيَّةٍ.

العاشر: جاء عن ابن عمر أنهما صَعدا بها إلىٰ السماء وهذا لا يصح لوجوهٍ:

أحدها: أنه يناقض الرِّوايات التي تقول إنها صَعدت وحْدَها إلىٰ السماء وكان صعودها قبلهما.

الثاني: إذا صح أنهما صَعدا بها فلِمَ عَلَّماها الاسم الأعظم؟! بل كان يكفي وعدها بإصعادها معهما.

الثالث: ما معنى إصعادها معهما؟ هل صَعَدا بها ليشفعا لها إلى الله؟! أو ليشفعا لأنفسهما بوجودها معهما؟! أو ليقدِّما دليلًا ماديًّا على جرمها؟!

وإذا كان صعود إدريس مع مَلَك الموت أو غيره على سبيل التشريف والتكريم، فعلى أي معنى يحمل صعود هذه المرأة المجوسيَّة مع هاروت وماروت؟!! إلى غير ذلك من وجوه النَّكَارة والشُّذوذ.

وقد أحسَّ الحافظ بشيءٍ من ذلك فقال في "فتح الباري": «وقصة هاروت وماروت جاءت بسندٍ حسنٍ من حديث ابن عمر في "مسند أحمد"، وأطنب الطبريُّ في إيراد طُرُقها، بحيث يقضي بمجموعها على أنَّ للقصة أصلًا، خلافًا لمن زعم بطلانها كعياض ومن تبعه، ومحصلها: أنَّ الله رَكَّب الشهوة في مَلَكين من الملائكة اختبارًا لهما، وأَمَرَهُما أن يَحْكُما في الأرض فنزلا على صورة البَشَر، وحَكَما بالعدل مُدَّةً، ثُمَّ افتُتنا بإمرأةٍ جميلةٍ، فعوقبا بسبب ذلك بأن حُبِسا في بئرٍ ببابل مُنكَّسين، وابتُليا بالنطق بعلم السِّحْر، فصار يقصدهما من يطلب ذلك ليتعلَّم منهما ذلك وهما قد عرفا ذلك، فلا ينطقان بحضرة أحدٍ حتى يُحَذِّراه ويَنْهياه، فإذا أصرَّ، تكلَّما بذلك، فيتعلَّم منها ما قصَّ الله عنهما، والله أعلم».اهـ

فتلخيص القصة على هذا الوجه يُقرِّبها من المعقول، ويجعلها مُحتملة القبول، ومال إلى نحو هذا ابن كثيرٍ، وزاد: «وعلى هذا فيكون الجمع بين هذا وبين ما ورد من الدلائل على عصمة الملائكة أنَّ هذين سَبَقَ في عِلْم الله لهما هذا، فيكون تخصيصًا لهما فلا تعارض حينئذٍ».اهـ

فيكون الله قد سلبهما العصمة لما أراد بهما في سابق علمه، ولله أن يمتحن عباده بما شاء سبحانه وتعالى.

وقال الحافظ ابن كثيرٍ في "التاريخ": «وأمَّا ما يذكره كثيرٌ من المفسِّرين في قصة هاروت وماروت من أنَّ الزهرة كانت امرأةً فراودَاها عن نفسها فأبت إلَّا أن يُعَلِّماها الاسم الأعظم فعلَّماها، فقالته فرُفعت كَوْكَبًا إلى السماء، فهذا أظنُّه من وَضْعِ الإسرائيلين، وإن كان قد أخرجه كعب الأحبار وتلقَّاه عنه طائفةٌ مِن السَّلَف، فذكروه على سبيل الحِكاية والتحديث عن بني إسرئيل».اهـ

تفسير الآية التي ذُكِرَ بها هارُوت ومارُوت

وبهذه المناسبة نُفسِّر الآية التي جاء فيها ذكر هاروت وماروت، قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ﴾ أي: اليهود ﴿مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ أى على شرع سليمان، أو على عهده.

قال الحسن: «تَلَتْ الشِّعْرَ، وتَلَتْ السِّحْرَ، وتَلَتْ الكَهَانَةَ». رواه ابن أبي حاتمٍ.

وعن محمد بن إسحاق بن يسارٍ قال: عمدت الشياطين حين عرفت موت سليمان بن داود عليهما السلام، فكتبوا أصناف السِّحْر: من كان يحب أن يبلغ كذا فليفعل كذا وكذا، حتى إذا صنَّفوا أصناف السِّحْر جعلوه في كتابٍ، ثُمَّ ختموه بخاتم على نقش سليمان، وكتبوا في عنوانه: هذا ما كتب آصف بن بَرْخِيا الصِّدِّيق للمَلِك سليمان بن داود، مِن ذخائر كنز العِلْم، ثُمَّ دفنوه تحت كرسيِّه، واستخرجته بعد ذلك بقايا بني إسرائيل حتى أحدثوا ما أحدثوا، فلمَّا عثروا عليه قالوا: والله ما كان مُلْك سليمان إلَّا بهذا، فأفشوا السِّحْر في الناس فتعَلَّمُوه وعَلَّمُوه، فليس هو في أحدٍ أكثر منه في اليهود لعنهم الله.

فلمَّا ذكر رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فيما نزل عليه من الله سليمان بن داود، وعدَّه فيمن عَدَّ من المرسلين، قال من كان بالمدينة من اليهود: ألا تعجبون مِن محمَّدٍ يزعم أنَّ ابن داود كان نبيًّا، والله ما كان إلَّا ساحرًا.

فأنزل الله في ذلك: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ﴾ بتعاطي السِّحْر واستعماله، بل كان نبيًّا مُطهَّرًا معصومًا.

ولما نَفَىٰ الكُفْرَ عن سليمان، وكانت الشياطين قد سُخِّرت لسليمان يستعملهم فيما يشاء، فربَّما يتوهَّم أنهم لا يكفرون إذ هم في خدمة نبيٍّ فاستدرك بقوله تعالىٰ: ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ﴾ بتعليم السِّحْر، وبنسبة سليمان إلىٰ استعماله، وبغير ذلك من أنواع الكفر.

ثُمَّ استأنف يخبر عنهم بعد الإخبار بكفرهم: ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ بالإلقاء والإغواء، وبأصناف السِّحْر التي كتبوها كما سبق آنفًا عن محمَّد بن إسحاق.

وروىٰ ابن أبي حاتمٍ، عن ابن عبَّاسٍ قال: كان آصِف كاتب سليمان، وكان يَعْلَمُ الاسم الأعظم، وكان يكتب كلَّ شيءٍ بأمر سليمان ويدفنه تحت كرسيِّه، فلمَّا مات سليمان أخرجته الشياطين فكتبوا بين كلِّ سطرين سِحْرًا وكُفْرًا، وقالوا: كان سليمان يعمل بها.

وأخذ المالكيَّة من هذه الآية أنَّ السِّحْرَ كُفْرٌ، وأنَّ السَّاحِرَ كافِرٌ.

﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾؛ «ما» بمعنىٰ «الذي»، معطوف علىٰ السِّحْر، أي يعلمون الناس السِّحْر ويُعلِّمون الذي أنزل علىٰ المَلَكين، والمراد بهما واحد

والعطف لتغاير الاعتبار، أو معطوف ما تَتْلُوا، أي واتبعوا ما تَتْلُوا الشياطين والذي أنزل على المَلَكين واختلف في هذا المُنَزَّل الذي عُلِّم، أو الذي اتبع.

فقيل: هو عِلْم السِّحْر أُنزل على المَلَكين وأُذن لهما في تعليمه اختبارًا من الله لعباده وتمييزًا بينه وبين المعجزة، فمن تعلَّمه وعمل به كان كافرًا، ومن تعلمه ليتوقَّاه أو لئلَّا يغتر به كان مؤمنًا، كما ابتلى قوم طالوت بالنهر، وهذا اختيار الزمخشريِّ والبيضاويِّ، وسبق إلى شيءٍ منه ابن جريرٍ في "تفسيره".

وقيل: هو الشيء الذي يفرق به بين المرء وزوجه، وهو دون السِّحْر. قاله مجاهدٌ وغيره.

وقيل: المَلَكان رجلان، وأطلق عليهما ذلك باعتبار صلاحهما، وأُيِّد بقراءة «مَلِكين» بكسر اللام، فقيل هما داود وسليمان، وقيل غيرهما وهذا ضعيفٌ.

﴿بِبَابِلَ﴾ وهي بأرض العراق، لا بابل ديناوند، خلافًا للسُّدِّي وغيره.

وفي "سنن أبي داود" عن أبي صالحٍ الغفاري: أنَّ عليًّا مَرَّ ببابل وهو يسير فجاءه المؤذِّن يؤذنه بصلاة العصر، فلما برز منها أمر المؤذِّن فأقام الصلاة، فلمَّا فَرَغَ، قال: «إنَّ حبيبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نهاني أن أصَلِّي في المقبرة، ونهاني أن أصلِّي بأرض بابل فإنها ملعونةٌ».

أبو صالحٍ الغفاري لم يسمع من عليٍّ عليه السلام، فروايته مرسلة.

وقال الخطابيُّ: «إسناد هذا الحديث فيه مقالٌ».اهـ

واختُصَّت بابل في الآية بالإنزال لأنها كانت أكثر البلاد سِحْرًا، ولعلَّها لهذا كانت ملعونةً كما في الحديث المذكور ﴿هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ﴾ بيان للملَكين ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ﴾ أي الملَكان ﴿مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ﴾ له قبل تعليمه ﴿إِنَّمَا نَحْنُ

فِتْـنَةٌ ﴾ أي ابتلاء واختبار ﴿فَلَا تَكْفُرْ ﴾ بتعلُّمه للعمل به، أو باعتقاد أنه حَقٌّ.

قال عليٌّ عليه السلام: «كانا يُعَلِّمان تعليم إنذار، لا تعليم دعاءٍ إليه». وعن ابن عبَّاسٍ قال: إذا أتاهما الآتي يريد السِّحْر نهياه أشدَّ النهي وقالا له: إنما نحن فتنةٌ فلا تكفر، وذلك أنهما علما الخير والشر والكفر والإيمان، فعرفا أنَّ السِّحْر من الكفر.

وقال الحسن البصري: أنزل الملكان بالسِّحْر ليعلِّما الناس البلاء الذي أراد الله أن يبتلي به الناس فأخذ عليهما الميثاق أن لا يعلما أحدًا حتىٰ يقولا: «إنما نحن فتنة فلا تكفر». وعن قتادة نحوه.

وحكىٰ المهدوي: «أنَّ قولهما: «إنما نحن فتنة فلا تكفر» استهزاءٌ، لأنهما إنما يقولانه لمن قد تحقَّقا ضلاله».اهـ والراجح الأول.

وقد ذكر المفسِّرون قصصًا فيما يجري من المحاورة بين الملَكين وبين من يتعلَّم منهما، وروىٰ ابن جريرٍ في ذلك أثرًا غريبًا نثبته هنا ليُستَفاد:

عن عائشة أُمِّ المؤمنين رضي الله عنها قالت: قدمت عليَّ امرأة من أهل دومة الجندل، جاءت تبتغي رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بعد موته حداثة ذلك، تسأله أشياء دخلت فيها من أمر السِّحْر ولم تعمل به، قالت عائشة لعروة بن الزبير: يا ابن أختي فرأيتها تبكي حين لم تجد رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فيشفيها، فكانت تبكي حتىٰ أني لأرحمها، وتقول: إني أخاف أن أكون قد هَلَكْتُ، كان لي زوجٌ قد غاب عنِّي، فدخلت علي عجوزٍ فشكوت ذلك إليها فقالت: إن فعلت ما آمرك به فأجعله يأتيك، فلمَّا كان الليل جائتني بكَلْبين أسودين فرَكِبتْ أحدهما ورَكِبْتُ الآخر، فلم يكن كشيءٍ حتىٰ وقفنا

ببابل، وإذا برجلين مُعَلَّقين بأرجلهما، فقالا: ما جاء بك؟ قلت: نتعلَّم السِّحْر، فقالا: إنما نحن فتنةٌ فلا تكفري فارجعي، فأَبَيْتُ، وقلت: لا، قالا: فاذهبي إلى ذلك التَّنُّور، فبُولي فيه، فذهبتُ ففَزِعْتُ ولم أفعل، فرجعت إليهما فقالا: أفعلت؟ فقلت: نعم، فقالا: هل رأيت شيئًا؟ فقلت: لم أرَ شيئًا، فقالا: لم تفعلي، ارجعي إلى بلادك ولا تكفري، فأبيت، فقالا: اذهبي إلى ذلك التَّنُّور فبُولي فيه، فذهبت فاقْشَعْرَرْتُ وخِفْتُ، ثُمَّ رجعت إليهما وقلت: قد فعلت. فقالا: فما رأيت؟ قلت: لم أرَ شيئًا، فقالا: كذبت لم تفعلي، ارجعي إلى بلادك ولا تكفري، فإنك على رأس أمرك، فأبيتُ فقالا: اذهبي إلى التنور فبُولي فيه، فذهبت إليه فبُلْتُ فيه فرأيت فارسًا مُقنَّعًا بحديدٍ خرج مِنِّي فذهب في السماء فغاب حتى ما أراه، فجئتهما فقلت: قد فعلت، فقالا: فما رأيت؟ قلت: رأيت فارسًا مُقنَّعًا بحديدٍ خرج مِنِّي في السماء وغاب حتى ما أراه، فقالا: صدقت، ذلك إيمانك خرج منك، اذهبي.

فقلت للمرأة: والله ما أعلم شيئًا، وما قالا لي شيئًا، فقالت: بلى لم تريدي شيئًا إلَّا كان، خذي هذا القمح فابذري، فبذرت، وقلت: اطلعي فطلعت. وقلت: احقلي فأحقلت، ثُمَّ قلت: افركي فأفركت، ثُمَّ قلت: ايبسي فأيبست، ثُمَّ قلت: اطحني فأطحنت، ثُمَّ قلت: اخبزي فأخبزت، فلما رأيتُ أني لا أريد شيئًا إلَّا كان سُقِط في يدي، وندمت والله يا أمَّ المؤمنين، ما فعلت شيئًا ولا أفعله أبدًا، فسألت أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حداثة وفاته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وهم يومئذٍ متوافرون، فما دروا ما يقولون لها؟ وكلهم هاربٌ وخائفٌ أن يفتيها بما لا يعلمه، إلَّا أنه قد قال لها ابن عبَّاسٍ، أو

بعض من كان عنده: لو كان أبواك حيين أو أحدهما.

قال هشام -بن عروة-: إنهم كانوا من أهل الورع والخشية من الله، ولو جائتنا مثلها اليوم لوجدت نَوكَىٰ - بفتح النون والكاف - أهل حمقٍ وتكلُّفٍ بغير علمٍ. وهكذا رواه ابن أبىٰ حاتمٍ في "تفسيره"، وإسناده جيدٌ كما قال الحافظ ابن كثيرٍ، لكنه غريبٌ منكرٌ، والله أعلم.

و قال السُّدِّي: إذا أتاهما إنسانٌ يريد السِّحْر، وعَظَاهُ وقالا له: لا تكفر، إنما نحن فتنةٌ، فإذا أبىٰ قالا له: ائتِ هذا الرَّماد فَبُل عليه، فإذا بال خرج منه نورٌ فسَطَعَ حتىٰ يدخل السماء، وذلك الإيمان، وأقبل شيءٌ أسود كهيئة الدُّخَان، حتىٰ يدخل في مسامعه، وذلك غضب الله فإذا أخبرهما بذلك علَّماه السِّحْر، فذلك قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢] فإذا أبىٰ طلاب السِّحْر أن يرجعوا علَّماهم ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ﴾ أي الناس الطالبون للسِّحْر ﴿مِنْهُمَا﴾ أي المَلَكين ﴿مَا﴾ أي الشيء الذي يفعلونه ﴿يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ أي الرجل وامرأته، وهو الظاهر.

وقيل: المراد بالزوج هنا الصنف الملائم كالأقارب والإخوان، ومنه: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾.

وقد يؤيِّد الأول بما في "صحيح مسلم": عن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ الشَّيْطانَ ليَضَعُ عَرْشَهُ على الماءِ ثُمَّ يَبْعَثُ سَرايَاهُ في النَّاسِ، فأَقْرَبُهم عنده مَنْزِلَةً أَعْظَمُهم عنده فِتْنَةً يجئ أحدهم فيقول: ما زلت بفلانٍ حتى تركته وهو يقول كذا وكذا فيقول إبليس:**

لا والله ما صَنَعْتَ شيئًا. ويجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرَّقْتُ بينه وبين أَهْلِهِ، قال: فيُقَرِّبُهُ ويُدْنِيهِ ويَلْتَزِمَهُ، ويقول: نِعْمَ أنتَ».

﴿وَمَا هُم﴾ أي: الذين يتعلَّمون السِّحْر ﴿بِضَآرِّينَ بِهِۦ﴾ أي بما يفرق بين المرء وزوجه، فلا تحصل الفرقة بينهما ﴿مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾.

والمعنى: أن ما يتعاطونه من السِّحْر ليفرِّقوا به بين المرء وزوجه، لا يضرون به أحدًا إلَّا بإذن الله ومشيئته، فللسِّحْر تأثيرٌ لكنه لا يكون إلَّا وفق المشيئة الإلهيَّة.

(تنبيه): يجوز استعمال كتابةٍ تؤلِّف بين الرجل وامرأته، فقد قال ابن أبي زيدٍ القيروانيِّ: «مَن يعرف الجنَّ[1] وعنده كتبٌ فيها جَلْبَ أمرائهم فيصرع الصارع، ويزجر مَرَدَة الجنِّ عن الصَّرَع، ويحلُّ من عُقِدَ عن امرأته، ويكتب كتابة عَطْفِ الرجل على المرأة، لا بأس بهذا إذا كان لا يؤذي أحدًا، وينهى ابتداء أن يتعلَّمه».اهـ

قال البرزليُّ: «والصواب أنَّ التقرُّب إلى الرُّوحانيات وخدمة ملوك الجنِّ، مِن السِّحْر، وهو الذي أضلَّ الحاكم العبيديَّ حتى ادَّعى الألوهيَّة ،ولعبت به الشياطين حتى طلب المحال، وفعل أفاعيل من لا يؤمن بالآخرة».اهـ

ثُمَّ قال تعالى: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ فالمتعلِّمون للسِّحْر كما يضرُّون غيرهم بالتفريق بين المرء وزوجه، يضرون أنفسهم أيضًا بإحلال سخط الله وعقابه عليهم.

---

(١) أي: يعرف تصريف الجنِّ و استخدامهم.

﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾ أي: اليهود الذين استبدلوا السِّحْر بمتابعة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ﴿لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾ أي: السحر ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾أي: نصيبٍ.

قال قتادة في معنى هذه الآية: «ولقد علم أهل الكتاب فيما عهد الله إليهم أنَّ الساحر لا خَلَاق له في الآخرة».

﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[البقرة: ١٠٢].

قال بكر بن العلاء في "أحكام القرآن": «في هذه الآية أنَّ الساحر يُقتل، ووجهه أنه قال: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: باعوا أنفسهم للقتل بالسِّحْر الذي فعلوه، كما قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ [التوبة: ١١١]».اهـ

وفي "صحيح البخاري": عن بَجَالة بن عبدة -بفتحات- قال: كتب عمر رضي الله عنه: أن اقتلوا كلَّ ساحرٍ وساحرة، فقتلنا ثلاث سواحر.

وصحَّ عن حفصة أمِّ المؤمنين رضى الله عنها أنَّ جاريةً لها سحرتها، فأُمرت بها فقُتلت.

وروى الخلال بإسنادٍ صحيحٍ عن حارثة قال: كان عند بعض الأمراء رجلٌ يلعب، فجاء جندب -وهو صحابيٌّ- مشتملًا على سيفه فقتله، وقال: أراه كان ساحرًا.

ورُوي مِن طُرُقٍ مُتعدِّدة: أنَّ الوليد بن عقبة الأموي كان عنده ساحرٌ

يلعب بين يديه، فكان يضرب رأس الرَّجُل ثُمَّ يصيح به فيرد إليه رأسه، فقال الناس: سبحان الله يحيى الموتى!!، ورآه رجلٌ من صالحي المهاجرين، فلمَّا كان الغد جاء مشتملًا على سيفه، وذهب يلعب لعبه ذلك، فاخترط الرجل سيفه فضرب عنق الساحر، وقال: إن كان صادقًا فليُحْيي نفسه، وتلا قوله تعالى: ﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٣] فغضب الوليد إذ لم يستأذنه في ذلك فسجنه ثُمَّ أطلقه.

قال الإمام أحمد: «صحَّ عن ثلاثةٍ من أصحاب النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في قتل الساحر».اهـ

وورد عن جُنْدَبٍ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبُهُ بالسَّيْفِ**». رواه الترمذيُّ وقال: «الصحيح عن جُنْدَبٍ موقوفًا».اهـ

وسنعرض بمشيئة الله تعالى لبيان السِّحْر وأنواعه في قصة موسى عليه السلام، وإنما اقتصرنا هنا على تفسير الآية المتعلِّقة بهاروت وماروت، لنبيِّن أنه ليس فيها إشارةٌ إلى تلك القصة الطويلة، وإن كان كثيرٌ من المفسِّرين فسَّر بها الآية وحملها عليها، ولو صحَّ ذلك عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لما تأخَّرنا عن القول به، ونسأل الله التوفيق والهداية لأقوم طريق.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

١ - بِدَعُ التَّفاسِير

مقدِّمة ١١
ذكر التفاسير التي تكثُر فيها البِدَع والسَّبب في ذلك ١٢
ردُّ بعض المعاصرين لأحاديث في "صحيح البخاريِّ" ١٤
مقدِّمة: تشتمل على مسائل هامَّة، تنفع النَّاظِر في هذا الكتاب خاصَّةً وفي كُتُب التفسير والحديث عامَّةً ١٧
المسألة الأولى: ألفاظ القرآن الكريم، والأحاديث النبويَّة الشريفة لها حالتان من حيث حملها على الحقيقة أوالمجاز ١٧
المسألة الثانية: يجب على المتصدِّي لتفسير القرآن الكريم، أن يتجرَّد من الآراء المذهبيَّة، ويوطِّن نفسه على تَقبُّل ما تفيده الآية وتدلُّ عليه ١٩
المسألة الثالثة: في أمور يجب على المفسِّر مراعاتها ٢٠
أحدها: ألَّا يُخالف ما صحَّ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في تفسير آيةٍ ٢٠
ثانيها: أن يفسِّر الآيات بالمعاني التي كانت معروفة للعرب وقت نزوله، حقائق كانت أو مجازات ٢١
ثالثها: أن يجتنب تفسير ألفاظه باللغات الغريبة، أو تخريج إعرابه على الوجوه الضعيفة أو الشَّاذة بحسب القواعد النحوية ٢١
من ﴿سورة البقرة﴾ ٢٣
الدليل على أن اللغة توقيفية (ت) ٢٤

حكم المرتد في الشريعة الإسلامية (ت) ٢٧
تنبيه: تكلَّم المصنِّف على قصَّة هاروت وماروت في كتاب "قصَّة إدريس" فليراجعها من أرادها هناك ٣٣
كلام للشيخ محمد عبده عن معنى إحياء الموتى في القرآن والرد عليه (ت) .٣٩
تنبيه: ثبت في السُّنَّة إطلاق الذلّ كنايةً عن الاحتلال ٤١
ومن ﴿سورة آل عمران﴾ ٤٧
تنبيه: صحَّ أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم آثر في قسمة الفيء في بعض المغازي ٥٣
من ﴿سورة النساء﴾ ٥٣
من ﴿سورة المائدة﴾ ٥٧
تنبيه: قوله: ﴿بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾ معناه: بإثم قتلي، وإثمك الذي لم يقبل قربانك لأجله، فإضافة إثم الأوَّل إلى مفعوله، وهي سائغةٌ شائعةٌ في اللغة العربية، وإضافة الثاني إلى فاعله ٥٩
من ﴿سورة الأنعام﴾ ٥٩
ومن ﴿سورة الأعراف﴾ ٦٢
من ﴿سورة الأنفال﴾ ٧١
من ﴿سورة التوبة﴾ ٧٥
تنبيه: حول ذكر أسماء الله عزَّ وجلَّ بالسريانية ٧٥

من ﴿سورة يونس﴾ ٧٨
الدَّليل على موت فرعون كافرًا ٨٦
شرط قبول إيمان الكافر أو توبة العاصي أمران (ت) ٨٦
من ﴿سورة هود﴾ ٨٨
تنبيه إلى قاعدةٍ هامَّةٍ حول حمل معاني الأيات على المجاز ٩٠
من ﴿سورة يوسف﴾ ٩٣
من ﴿سورة الرعد﴾ ٩٨
من ﴿سورة إبراهيم﴾ ٩٩
من ﴿سورة النحل﴾ ١٠٢
من ﴿سورة الإسراء﴾ ١٠٤
حديثان صحيحان يفيدان أنَّ النَّاس يُدعون يوم القيامة بأسماء آبائهم (ت) ١٠٤
من ﴿سورة الكهف﴾ ١٠٨
من بدع التفاسير في كلب أهل الكهف: أنَّه كان أسدًا، وقيل: كان رجلًا، سُمِّي بالكلب لملازمته للحراسة (ت) ١٠٨
من ﴿سورة مريم﴾ ١١٢
من بدع التفاسير في مسألة مريم: رأيٌ أبداه لي طبيب في كلية الطب وكان يُعنَى بالمسائل الدينيَّة، وحاصل ذلك الرأي: أنَّ مريم كانت خُنثى (ت) ١١٢

من ﴿ سورة طه ﴾ ١١٦
من ﴿سورة الأنبياء ﴾ ١٢١
من ﴿سورة الحج ﴾ ١٢٤
من ﴿سورة النور ﴾ ١٢٧
من ﴿سورة الشعراء ﴾ ١٢٩
من ﴿سورة النمل ﴾ ١٣٠
من ﴿سورة القصص ﴾ ١٣١
من ﴿سورة لقمان ﴾ ١٣٣
من ﴿سورة الأحزاب ﴾ ١٣٤
من ﴿سورة فاطر ﴾ ١٣٤
من ﴿سورة يس ﴾ ١٤٠
من ﴿سورة ص ﴾ ١٤١
حادثة حصلت للمصنف بتركه المشيئة ١٤٥
تنبيه: كان المعرِّي إذا ذكر الشُّعراء، يقول: قال: أبو نواس، قال: البُحتريُّ، قال: أبو تمَّام، فإذا ذكر المتنبِّي، يقول: قال: الشَّاعر ١٤٨
فائدة: قال بعض العلماء: كان علم النجوم صحيحًا، فلما توقَّفت الشَّمس ليوشع بطل أكثره، ولما رُدَّت لعليٍّ بطل جميعه ١٥٢
من ﴿سورة الزمر ﴾ ١٥٦

من ﴿سورة غافر﴾ ١٥٧
من ﴿سورة فصلت﴾ ١٥٨
من ﴿سورة الشورىٰ﴾ ١٦٠
من ﴿سورة الزخرف﴾ ١٦٤
من ﴿سورة ق﴾ ١٦٧
ومن ﴿سورة الرحمن﴾ ١٦٩
من ﴿سورة التحريم﴾ ١٧٠
من ﴿سورة الملك﴾ ١٧٦
من ﴿سورة القلم﴾ ١٧٧
من ﴿سورة المزمل﴾ ١٨٠
ومن ﴿سورة المدثر﴾ ١٨١
من ﴿سورة الإنسان﴾ ١٨٢
من ﴿سورة النبأ﴾ ١٨٤
تحقيق حول ملك ذي القرنين (ت) ١٨٤
من ﴿سورة عبس﴾ ١٨٥
من ﴿سورة الغاشية﴾ ١٨٦
من ﴿سورة الفجر﴾ ١٨٧

من ﴿سورة الضحىٰ﴾ ١٨٨
من ﴿سورة ألم نشرح﴾ ١٨٩
من ﴿سورة قريش﴾ ١٨٩
من ﴿سورة الفلق﴾ ١٩٠
خاتمـــــة: تشتمل علىٰ مسائل ثلاثة ١٩١
المسألة الأولىٰ: ما ذُكر من نماذج بِدَع التفاسير لا تخلو من أن تكون مخالفة للفظ الآية، أو منافية لإعرابها، أو منافرة لسياق الكلام، أو غير متلاقية مع سبب النزول، أو مصادمة للدَّليل، ومِن ثَمَّ كانت بدعيَّتها ووجب إبعادها عن كتب التفسير ١٩١
المسألة الثانية: من أنواع التفسير التفسير الإشاري الذي يسلكه الصُّوفيَّة في تفاسيرهم ١٩٢
ذكر من استعمل التفسير الإشاري من العلماء غير الصُّوفيَّة ١٩٣
المسألة الثالثة: الكلام علىٰ التفاسير المشهورة المتداولة التي اطَّلع عليها المصنِّف، وبيان خصائص كلِّ تفسيرٍ منها ١٩٥
تفسير الشَّيخ طنطاوي جوهري المسمىٰ "جواهر القرآن" ليس تفسيرًا بالمعنىٰ المفهوم من لفظ تفسير (ت) ٢٠٦
ترجمة المصنف ٢٠٧
نسب المصنف ٢٠٧

الرحلة إلى فاس لقراءة العلم بجامع القرويين ٢٠٩
العودة إلى طنجة والتدريس بالزَّاوية الصِّدِّيقيَّة ٢١٢
الرحلة إلى مصر ٢١٥
علماء المغاربة أعلم بالفقه المالكي وأعرف بقواعده وأوسع اطلاعًا على كتبه من علماء مصر (ت) ٢١٧
ذكر بعض من أجاز للمصنف من شيوخ مصر ٢١٩
الرد على بشر المريسي والكلام على حديث الأوعال (ت) ٢١٩
تدريس المصنف لبعض العلوم في الأزهر ٢٢١
الكتابة بمجلة الإسلام ٢٢٢
الكلام على الشيخ أحمد شاكر ودرجته في الحديث ٢٢٢
التعرف على العلامة الشيخ الكوثري وسؤاله للمصنف عن بعض الأحاديث التي يُسأل هو عنها ٢٢٤
حصول المصنف على شهادة العالمية من الأزهر ٢٢٧
ذكر بعض مؤلفات المصنف ٢٢٨
ذكر بعض المبشِّرات التي رآها المصنف ورُؤيت له ٢٣٢
خاتمة الكتاب ٢٣٣

قصص الأنبياء عليهم السلام

١- قِصَّةُ آدمَ عليه السَّلام.

مقدمة ٢٤٣
في عناية القرآن الكريم بقصص الأنبياء ٢٤٣
رد بعض المعاصرين لأحاديث في الصحيحين، والكلام على العقائد وطريقة الاستدلا لها (ت) ٢٤٣
انتقاد كثيرٍ من كتب التفسير -كـ"تفسير الخازن"- لحشرها كثيرًا من الإسرائيليَّات وإقحامها في تفسير ٢٤٧
ممَّا لا جِدال فيه أن مقام الأنبياء لا يجوز أن يوصَم بما يَخْدِشُ العِصْمة، ولا ينبغي أن تؤوَّل أعمالهم بما يُنزِلها عن درجة القُدْوة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ ٢٤٧
قبل خلق العالم ٢٤٩
أول المخلوقات ٢٤٩
عناصر خلق المخلوقات ٢٥٢
الملائكة ٢٥٣
كثير من الأشاعرة يزعم عدم عصمة الملائكة وهو خطأ كبير (ت) ٢٥٣
من الخرافات: ما يُحكى في بعض الكرامات أنَّ وليَّ الله سيِّدي عبدالرحيم الغُماريَّ الشهير بالقنائي رضي الله عنه شفع إلى الله في مَلَكٍ استشفع به، فقبل الله شفاعته!! ٢٥٤

بعض العلماء زعم أنَّ الجنَّ لا يدخلون الجنَّة، وثواب مطيعهم أن يجار من النَّار، وهذا القول لا دليل عليه (ت) ٢٥٥
الجن ٢٥٥
حكم المناكحة بين الإنس والجنِّ ٢٥٦
خلق السموات والأرض ٢٥٧
خلق آدم عليه السلام ٢٥٧
سجود الملائكة لآدم عليهم السلام ٢٥٨
نكتة علميَّة في سجود الملائكة ٢٥٩
خلافة آدم في الأرض ٢٦٠
كيف عرف الملائكة أن بني آدم يفسدون ٢٦٠
كيف ساغ للملائكة أن يراجعوا الله وهم معصومون؟ ٢٦٢
تعليم آدم الأسماء كلها ٢٦٣
الإشارة لبعض النكات العلمية في قوله تعالى ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ ٢٦٥
امتناع الشيطان من السجود وطرده من الجنة ٢٦٦
استشكال في سجود الشيطان والجواب عنه ٢٦٧
نكتة علمية: حول ما استنبط علماء الأصول وفقهاء الأمصار مِن ذَمِّ الله لإبليس على ترك السجود الذي أُمِر به ٢٦٧
نكتة ثانية: قال الحسن البصريُّ: أول مَن قاسَ إبليس ٢٦٨

خلق حواء ٢٦٨
سكنى آدم وزوجه الجنة ٢٦٩
نكتة علمية: في قوله تعالى: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ ٢٧٠
الجنة التي سكنها آدم عليه السلام ٢٧٠
وسوسة الشيطان لآدم وحواء ٢٧٢
معنى خيانة حواء لآدم عليه السلام ٢٧٣
حول نبوة النساء (ت) ٢٧٣
كيف توصل الشيطان إلى الوسوسة ؟ ٢٧٥
كيف وقعت المخالفة من آدم عليه السلام ٢٧٧
لطيفتان ٢٨١
اللطيفة الأولى: في أثر تفكّر إبراهيم عليه السَّلام في شأن آدم عليه السلام عبرةٌ بالغةٌ تفيد أنَّ الله يكره من أحبابه أن يُخالفوه ٢٨١
اللطيفة الثانية: في قول الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ ٢٨٢
توبة آدم عليه السَّلام ٢٨٤
نبوة آدم عليه السَّلام ٢٨٨
دلالة القرآن على نبوَّته ٢٨٩
قصة هابيل وقابيل ٢٩٠
دلالتان من القرآن أيضًا ٢٩٢
دلالة أخرى من القرآن ٢٩٣

دلالة السُّنَّة النبوية ٢٩٥
الإجماع ٢٩٧
استشكال حول رسالة آدم عليه السلام والجواب عنه ٢٩٨
آدم هو أبو البشر ٢٩٨
هل أصل الإنسان قرد ؟!! ٣٠٢
أصل نظرية النشوء والارتقاء ٣٠٤
مسائل منثورة: المسألة الأولى مكوث آدم في الجنة ٣٠٦
المسألة الثانية: طول آدم عليه السلام ٣٠٦
المسألة الثالثة: عمر آدم عليه السلام ٣٠٧
المسألة الرابعة: لم يتعرَّض القرآن ولا السُّنَّة الصحيحة لتعيين المكان الذي أهبط إليه آدم ٣٠٧
المسألة الخامسة في وفاة آدم عليه السلام ٣٠٩
المسألة السادسة في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ﴾ ٣١٠
المسألة السابعة: قيل إنَّ آدم عليه السلام أول من قال الشعر ٣١٢
المسألة الثامنة: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾ ٣١٤
المسألة التاسعة: حديث: «احْتَجَّ آدمُ وموسى، فقال له موسى: يا آدمُ، أنتَ أبونا خيَّبْتَنا وأَخْرَجْتَنا مِن الجنَّةِ...» الحديث ٣١٩

المسألة العاشرة: ما يؤخذ من قصة آدم عليه السلام ٣٢١
تنبيه: حول حديث لا يثبت في قصة هابيل وقابيل ٣٢٦
خاتمة الكتاب ٣٢٦

٢- قِصَّةُ إدريسَ عليه السَّلام

إدريس عليه السلام ٣٣١
لم سمي إدريس؟ وما معناه؟ ٣٣١
هل أدرك آدم عليه السلام ٣٣٢
نبوته ورسالته ٣٣٢
أوَّلِيَّاته ٣٣٣
هل رفع إلى السماء؟ ٣٣٥
صداقته لملك الشمس ٣٤٠
صداقته لملك الموت ٣٤١
هل يدخل أحد الجنة قبل يوم القيامة؟ ٣٤٤
اسم ملك الموت ٣٤٥
هل كان إدريس حكيمًا؟ ٣٤٥
بعض ما سَنَّه لقومه ٣٤٧
ما أمر به من القرابين لله تعالى ٣٤٨
صفة هرمس الهرامسة وهو إدريس ٣٤٨
نقش فص خاتمه ٣٤٩

مواعظه وحكمه ٣٤٩
هل هو إلياس؟ ٣٥٠
الخلاصة ٣٥٢
ذكر الأمور المعتمدة في قصة إدريس عليه السلام..... ٣٥٣
تنبيه: لا يَرِد على القول برسالة إدريس قول الناس لنوحٍ: أنت أول رسول إلى أهل الأرض كما في حديث الشفاعة..... ٣٥٣
خاتمة الكتاب ٣٥٤

٣- قِصَّةُ داودَ عليه السَّلام.

مقدِّمة ٣٥٧
تمهيدٌ..... ٣٥٨
تنبيه: حول تلاوم أهل المعاصي يوم القيامة..... ٣٦٥
قصة داود عليه السلام ٣٦٦
افترق المفسِّرون في قصة الخصم إلى ثلاث فرقٍ في تفسيرها ٣٦٦
الصفات التي وصف الله بها داود عليه السلام ٣٧٧
التفسير الصحيح لقصة داود عليه السلام..... ٣٨٨
أصل القصة عند أهل الكتاب ٣٩٣
فضائل داود عليه السَّلام ٣٩٤
الفضائل القرآنية ٣٩٤
الفضائل الثابتة في الحديث ٣٩٥

نسبه عليه السلام ٣٩٦
صفته عليه السلام ٣٩٧
عمره عليه السلام..... ٣٩٧
حسن صوت داود عليه السلام..... ٣٩٨
بعض أحكامه..... ٣٩٩
(١) قال تعالىٰ: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ ٣٩٩
(٢) حكمه عليه السلام بين امرأتين ذَهَبَ الذئب بابن إحداهما..... ٤٠١
تنبيه: حول قول أبي هريرة: «والله ما سمعت بالسكِّين قطُّ إلَّا يومئذٍ، ما كنَّا نقول إلَّا المُدْية» ٤٠٣
(٣) حكمه في نفرين من بني إسرائيل، استعدىٰ أحدهما علىٰ الآخر..... ٤٠٣
(٤) حكمه في أربعة من بني إسرائيل شهدوا علىٰ امرأة أنها مكَّنت من نفسها كلبًا لها قد عوَّدته ذلك..... ٤٠٤
(٥) حكمه في رجل أودع عند رجلٍ لؤلؤةً فجحدها منه ٤٠٥
بعض كلام داود عليه السَّلام..... ٤٠٦
وفاته عليه السلام..... ٤٠٨
رسالته عليه السلام ٤٠٩
العبرة من قصة داود عليه السلام ٤١١
خاتمة الكتاب ٤١٢

٤ - قِصَّةُ سُلَيمانَ عليه السَّلام

مقدِّمة ٤١٥
رسالة سليمان عليه السَّلام..... ٤١٨
الصافنات..... ٤١٨
فتنة سليمان عليه السَّلام ٤٢٢
موقفٌ غير كريمٍ من حديثٍ صحيحٍ لعبدالوهاب النجَّار في "قصص الأنبياء" ٤٢٨
الخارق سبعة أنواعٍ ٤٢٩
عبدالوهاب النجَّار لا يعرف هذه الأشياء المتفق عليها فهو يرد الأحاديث التي تفيد حصول خارقٍ لنبيٍّ بدعوىٰ أنَّ المعجزة لا تثبت إلَّا بدليلٍ قطعيِّ الثبوت والدلالة، ، وهذا جهل من جهات..... ٤٣١
كرسي سليمان عليه السلام..... ٤٣٢
هل سليمان بنىٰ المسجد الأقصىٰ؟ ٤٣٤
مُلْكُ سليمان عليه السَّلام..... ٤٣٦
ما أُعطيه سليمان عليه السلام ٤٣٦
احترام النبي دعوة سليمان عليهما الصلاة والسلام..... ٤٣٦
وادي النمل..... ٤٣٧
مسائل: (١) اسم النملة المُكلِّمة لسليمان عليه السلام ٤٣٨
(٢) في قول النملة: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾..... ٤٣٨
(٣) في هامَة جاءت إلىٰ سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام..... ٤٣٩

(٤) معنى قول الله تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ﴾ ٤٤٠
بساط سليمان عليه السلام ٤٤٢
هل ملك سليمان الدنيا؟ ٤٤٢
أخبار منكرة في قصة سليمان عليه السلام ٤٤٣
ملكة سبأ ٤٤٥
هل يجوز التزاوج بين الإنس والجن؟ ٤٤٧
أوائل سليمان عليه السلام ٤٥٠
وفاة سليمان عليه السلام ٤٥٥
العبرة من قصة سليمان عليه السلام ٤٥٧
خاتمة الكتاب ٤٥٨

٥- قِصَّةُ هَارُوتَ ومَارُوتَ.

مقدِّمة ٤٦١
ذكر ما رُوي في قصة هاروت وماروت ٤٦٢
بيان عِلل الأحاديث المذكورة ٤٧٠
ذكر التناقض في تلك الأحاديث ٤٧٤
مخالفة الأحاديث المذكورة للقرآن ولقواعد العلم ٤٧٥
تفسير الآية التي ذُكِرَ بها هارُوت ومارُوت ٤٨١
خاتمة الكتاب ٤٨٩
فهرس الموضوعات ٤٩٣

موسوعة

العلامة المحدث المتفنن

سيدي الشريف عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري الحسيني

(١٣٢٨ - ١٤١٣هـ) رحمه الله تعالى

قدم لها

الشريف الدكتور

عبد المنعم بن عبد العزيز بن الصديق

إشراف

الدكتور محمود سعيد بن محمد ممدوح

المجلد السادس

الحديث الشريف وعلومه

الكنز الثمين في أحاديث النبي الأمين

موسوعة

العلامة المحدث المتفنن

سيدي الشريف عبد الله بن محمد الصديق الغماري الحسني

(١٣٢٨ - ١٤١٣هـ) رحمه الله تعالى

٦

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية
عام / ١٤٣٨

قام بطباعتها وإخراجها: مركز البحوث والدِّراسات
بكُليَّة الصَّفا الإسلاميَّة بماليزيا

يطلب من:

دار السَّلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

جمهورية مصر العربية: القاهرة – الإسكندرية.
الإدارة: القاهرة ٤٠ شارع أحمد أبو العلا – المتفرِّع من شارع نور الدين بهجت – الموازي لامتداد شارع مكرم عبيد – مدينة نصر.
هاتف: ٢٢٨٧٣٢٤٦ - ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ (٢٠٢+)
فاكس: ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢+)
البريد الإلكتروني: info@dar-alsalam.com
موقعنا على الإنترنت: www.dar-alsalam.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعلنى من خَدَمة السنة النبوية ، ووفقنى لاتباع سبيل أهلها المرضية ، والشكر له على أن جنبنى طرائق البدع المردية ، فى المعتقدات التى هى مسائل الدين الضرورية ، والصلاة والسلام على خير البرية ، سيدنا ومولانا محمد صاحب الملة السمحة الحنيفية ، وعلى آله أولى الرتب السنية ، والرضا عن صحابته ذوى الأقدار العلية .

أما بعد : فإن الحافظ السيوطى رحمه الله تعالى ، ذكر فى خطبة كتابه : « الجامع الصغير » أنه صانه عما انفرد به وضاع أو كذاب ، لكنه لم يف بما قال ، لسهو أو غفلة ، فذكر فيه أحاديث موضوعة وأخرى واهية ، وقد كان شقيقنا الحافظ أبو الفيض رحمه الله جرد منه الأحاديث الموضوعة فى جزء مطبوع سماه : « المغير على الأحاديث الموضوعة فى الجامع الصغير » .

وهذا كتاب جردت فيه الأحاديث الثابتة من الكتاب المذكور ، وسميته : « الكنز الثمين فى أحاديث النبى الأمين » .

وترتيبه كترتيب أصله ، والله المسئول أن يوفقنا للصواب بفضله ، إنه قريب مجيب ؟

ذَرْ عَنْكَ آرَاءَ الرِّجَالِ وَقَوْلَهُمْ ... وَارْجِعْ إِلَى قَوْلِ النَّبِيِّ الهَادِي

فَعَلَيْهِ مِنْ نُورِ النُّبُوَّةِ رَوْنَقٌ ... يَجْلُو عَنِ العَيْنِ الغِشَاءَ البَادِي

وَيُطَهِّرُ القَلْبَ الرَّدِيءَ مِنَ الصَّدَا ... فَالزَمْهُ تَحْظَ بِنِعْمَةٍ وَسَدَادِ

وَعَلَيْكَ بِالكَنْزِ الثَّمِينِ فَإِنَّهُ ... نِعْمَ الدَّلِيلُ لِسَالِكٍ مُرْتَادِ

ضَمَّ السَّلِيمَ مِنَ الحَدِيثِ مُخَلِّفاً ... مَا كَانَ مِنْهُ مُضَعَّفَ الإِسْنَادِ

فَالزَمْ قِرَاءَتَهُ وَحِفْظَ مُتُونِهِ ... تَسْمُو عَلَى العُلَمَاءِ وَالأَجْوَادِ

وَاطْلُبْ لِجَامِعِهِ سَلَامَةَ دِينِهِ ... وَعُمُومَ غُفْرَانٍ لِيَوْمِ مَعَادِ

وَاللهَ نَرْجُو أَنْ يُنِيلَ مُرَادَنَا ... بِشَفَاعَةِ المُخْتَارِ خَيْرِ مُرَادِ

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله الوهاب الكريم ، يختص من يشاء من عباده بفضله العظيم . والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد المنعوت بأنه بالمؤمنين رؤف رحيم ، ورضى الله عن آله أولى السيادة والتكريم ، وبعد :

فإن علم الحديث النبوى الشريف ، جليل المقدار ، عالى المنار ، فضائله بادية ، ومآثره على مدى الدهر باقية ، من عرفه وأتقن معرفته : قويت حجته ، وعلت منزلته ، وكان سلفنا الصالح يعتنون به ، ويحرصون على معرفة فنونه ، وحفظ متونه يقصدون بذلك خدمة الدين ، والتشرف بحفظ كلام سيد المرسلين .

وكانوا يمنحون لقب « أمير المؤمنين فى الحديث » لبعض الحفاظ إذا بلغوا درجة خاصة فى الحفظ والإتقان . مثل شعبة ومالك وسفيان الثورى والبخارى وابن حجر رضى الله عنهم. ذلك لأن النبى صلى الله عليه وآله وسلم سمى حفاظ الحديث خلفاؤه ، ثم ضعف الدين فى نفوس الناس ، وقلّ اشتغالهم بعلومه ، خصوصاً علم الحديث . فقد هجروه هجرًا تامًا ، مكتفين عنه بالتقليد . حتى قال صاحب الجوهرة غفر الله له «فواجب تقليد حبر منهمو». يعنى الأئمة الأربعة ، ولا أدرى مادليل هذا الوجوب ؛ وصارت كتب الحديث ، كصحيح البخارى ، تقرأ للتبرك ، لا للتفهم والعمل ، لأن التقليد حال بينهم وبين الانتفاع بالتراث المحمدى ، والنور النبوى ، فأخطأوا ومعهم الدليل ، وعموا وبيدهم المصباح ، وبقيت طائفة على قلتها متمسكة بالحق ، داعية إليه ، تحقيقاً لقول الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم «لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله » .

ومن هذه الطائفة القائمة بالحق والداعية إليه : آل الصديق من الأشراف الأدارسة بالمغرب ، فإنهم خدموا العلم والدين والتصوف عامة ، وعلم الحديث خاصة فجدهم الأقرب القطب سيدى الحاج أحمد بن عبد المؤمن ، كان — مع إمامته فى القراءات وعلوم العربية — حافظاً لصحيح البخارى . وورث القطبانية من شيخه القطب مولاى العربى الدرقاوى ، وله رسائل فى الطريق تدل على ذوق عال ، ونفس قوى ، وحفيده الإمام أبو عبد الله السيد محمد بن الصديق ، كان جبلا راسخاً فى العلم والولاية ، مكث بطنجة مدة خمس وثلاثين سنة ينشر العلم والطريق فتخرج به علماء أجلاء ، وربى فى زاويته أولياء عارفين بالله ، وكان يدعو فى دروسه إلى العمل بالدليل ، فكم سُنَّة أميتت بالمغرب أحياها ونشرها بين أتباعه ومريديه . وكان فى تدريسه لصحيح البخارى يحكى المذاهب وأدلتها ويرجح بينها مع إنصاف تام ، ولقد سافر بعض تلامذته إلى فاس لحضور العلم بجامعة القرويين أكبر جامعة فى الشمال الإفريقى لكنه عاد بعد مدة وجيزة ، فسئل عن سبب عودته سريعاً ؟ فأجاب : الحقيقة أن السيد صغر فى أعيننا العلماء . فلم يعد عالم يشبعنا علمه ، ولم نجد مدرساً يعجبنا تدريسه بعد ما عودنا السيد فى دروسه كثرة الاطلاع ، وسعة المعلومات ،وحرية البحث ، والتدليل لما يختاره ، والترجيح بين ما يبديه من الأدلة، وافتتح درس التفسير بزاويته الصديقية ، ففسر الفاتحة فى شهر رمضان كله ، أتى فيه بالمعجب المطرب من حقائق العلوم والمعارف .

وقد أنجب هذا القطب الكبير عالمين جليلين هما ابنه الأكبر الإمام المجتهد أبو الفيض السيد أحمد الذى بلغ درجة إمارة المؤمنين فى علم الحديث ، وقد شاهدت من سعة حفظه ما يذكر بالحفاظ المتقدمين فإنه أحيا بمصر سنة الإملاء عند المحدثين ، فأملى بالمسجد الحسينى وبجامع الكخيا مجالس حديثية من حفظه ، أذكرتنا بما حكاه الجبرتى فى تاريخه عن مجالس الإملاء التى أملاها السيد مرتضى الزبيدى . لكن لو قارنت بين الإملاءين لوجدت إملاء السيد أحمد أوسع وأكبر من إملاء السيد

مرتضى ، وسنقوم ـ بتوفيق الله تعالى ـ بطبعه قريباً لينهل محبى الحديث الشريف من المشرع الروى .

وأما الثانى فهو العالم المحدث الفقيه الصوفى السيد ـ عبد الله بن الصدِّيق الذى يسعدنا فى هذا المقام أن نقدم للعالم الإسلامى كتابه : « الكنز الثمين فى أحاديث النبى الأمين » يشتمل على أكثر من أربعة آلاف حديث ليس فيها حديث ضعيف أو موضوع ، بل كلها دائرة بين الصحيح والحسن . وقد جمع فى هذا الكتاب أحاديث فى الأحكام والأخلاق والآداب والترغيب والترهيب، مرتبة على حروف المعجم ، وضبطها بالشكل ، ليسهل حفظها ، ويؤمن اللحن فيها . وتلك خدمة كبيرة ، قدمها لعشاق السنة المحمدية النبوية وكم له مثلها من خدمات ، قدمها فى مؤلفاته ومقالاته التى كتبها دفاعاً عن السنة ، وعن عقيدة أهلها ، يسعفه إطلاع واسع ، وقلم سيال . وهو شجاً فى حلوق المبتدعة عموماً ، وكان كثير من كبار العلماء بالأزهر يرجعون إليه فى معضلات علمية ، فيجدون عنده الحل الصحيح ، وكان هذا تحقيقاً لكلام والده الإمام السيد محمد الصديق . فإنه لما طلب منه أن يسمح له بالذهاب إلى مصر ، فقال له : ستذهب ، ولكنى أحبك أن تذهب عالماً بحيث يحتاج إليك علماء الأزهر ، فكانت كرامة من كرامات الشيخ رضى الله عنه ، وهى كثيرة .

والمؤلف حفظه الله ـ مع براعته فى علوم الحديث ـ يجيد علم التفسير إجادة تامة ، وله فيه إشارات رقيقة ، واستنباطات دقيقة ، لا توجد فى كتب التفسير على كثرتها. وكتابه «جواهر البيان فى تناسب سور القرآن» يؤيد ذلك ويؤكده، لاسيما إذا لاحظنا أن فن المناسبة بين السور لم يؤلف فيه منذ نزول القرآن إلى يومنا هذا غير كتابين ، لا يتيسر الاطلاع عليهما. لأنهما غير مطبوعين، وأحدهما يعتبر مفقوداً . جزى الله المؤلف خير الجزاء ، وأكثر مثله فى العلماء . وقد نبغ السيد ـ عبد الله

فى علم الحديث نبوغاً اعترف به الجميع . وقد وصفه والده الإمام : بالفقيه المحدث الصوفى . وشهد له شقيقه الإمام أبو الفيض بالتبريز فى علم الحديث ، ولما ألف كتاب نهاية الآمال فى صحة حديث عرض الأعمال ، قال له شقيقه : أسلوبك فى هذا الكتاب يشبه أسلوب الحافظ الذهبى . وكان الشيخ الجليل محمد زاهد الكوثرى يصفه بالمحدث الناقد الواعى . ولشدة وثوقه بعلمه قرظ كتابه « إقامة البرهان على نزول عيسى عليه السلام فى آخر الزمان » ، ونشر التقريظ بمجلة الإسلام ، قبل أن يرى الكتاب . هذا إلى أنه درّس علوم الأصول والبلاغة والمنطق والتفسير والحديث والنحو وغيرها بالأزهر للطلبة بمصر وليبيا وتونس والجزائر ومراكش والسودان والصومال والحبشة واليمن وسوريا وفلسطين والحجاز ويوغوسلافيا وألبانيا وتركيا ورومانيا وجاوه والهند . ومن تلامذته علماء يتولون فى بلادهم مناصب القضاء والإفتاء والتدريس ، وتلاميذه فى مصر يتولون وظائف هامة . ووردت عليه أسئلة من الحجاز وسوريا والبحرين والسودان وأفريقيا .

ونسجل هنا كلمة منصفة صدرت من عالم أزهرى : لما نجح السيد ـ عبد الله فى شهادة العالمية الأزهرية ، قابله أحد أصدقائه فى منزل الشيخ محمود شلتوت وكان وكيلا لكلية الشريعة إذ ذاك ، وهنأه على نيله الشهادة ، فقال له الشيخ شلتوت : نحن نهنىء الشهادة الأزهرية بالشيخ عبد الله لأنه عالم من بلده ، لا حاجة له إلى الشهادة . وقال أحد أفاضل العلماء بمصر : يعجبنى فى السيد ـ عبد الله الصديق أن علمه حاضر ، إذا سئل أجاب ، لكن إذا سئل أزهرى لا يجيب ، بل يقول : لما أراجع ، وقال أديب صحفى كبير : السيد ـ عبد الله خزانة علم . ولزيادة التبرك بهذه الشجرة المباركة ، فإننا نضيف نسبه لأمه بعد أن أتينا على سلسلة نسبه لأبيه (فنقول) إن جده من قبل والدته ، هو العلامة القطب الشهير أبو العباس سيدى أحمد بن عجيبة الحسنى صاحب شرح الحكم ، والمباحث الأصيلة والتفسير ، وله تفسير خاص بالفاتحة ، وحاشية على الجامع الصغير وغير ذلك من المؤلفات .

وكان لسان الصوفية المعبر عن أذواقهم ومواجيدهم بعبارات فصيحة رائعة تنبىء عن ذوق وتمكن تامين . وكان قبل تصوفه يشغل وقته بالتدريس لطلبة العلم مع عبادة كثيرة وتصوف وعفاف .

وجميع مؤلفاته أو معظمها كتبها بأمر من شيخه القطب الكبير : سيدى محمد البوزَيدى- بفتح الزاى- الحسنى، وابنه العلامة الولى الكبير سيدى أحمد بن أحمد ابن عجيبة ، تلميذ القطب الكبير سيدى الحاج أحمدبن عبد المؤمن المار ذكره . كان محققاً فى علوم الأصول والمنطق والعربية والتفسير وغيرها ، ثم نال الولاية الكبرى على يد شيخه المذكور ، وله كتاب فى المواجيد والحب الإلهى اسمه : بحر الدموع .

هذه بعض مآثر آل الصديق ، وهى تدل على ما امتازت به هذه العائلة من حيازتها لشرف النسب من الجهتين، وشرف العلم بنوعيه : الكتاب ، والسنة والظاهر والباطن . وقد بارك الله فى هذه الشجرة ، فقد أنجب والدها المشار إليه ستة أخوة كلهم عالم حافظ ناقد مؤلف :

فروع أصابت مغرساً متمكناً وأصلا ، فطابت حيث وجهها الأصل

هذا هو السيد العلامة أبو الفضل عبد الله الصديق ، الذى يسرنا أن نقدم إلى العالم الإسلامى كتابه هذا ، سائلين الله أن ينفع به الإسلام والمسلمين ، وأن يجزى كل من أسهم فى إبراز هذا الكتاب وتيسير وصوله للقراء خير الجزاء ، آمين ؟

أحمد محمد مرسى
النقشبندى

مقدمة

تشتمل على مسائل

الأولى

الحديث الثابت — فى اصطلاح أهل الحديث — يشمل الصحيح ، كما نقل الحافظ السخاوى عن شيخه الحافظ ابن حجر ، فى الكلام على حديث « السخى قريب من الله » من كتاب المقاصد الحسنة ، وهو أعم منه ، لأنه يشمل الجيد والحسن وغيرهما مما يأتى ، وأعلى أنواع الثابت ـ وهو أعلى أنواع الصحيح أيضاً ـ : ما رواه الشيخان البخارى ومسلم ، وهو المسمى بالمتفق عليه ، يليه ما انفرد به البخارى ثم ما انفرد به مسلم ، ثم ما كان على شرطهما ، ثم ما كان على شرط البخارى ، ثم ما كان على شرط مسلم ، ثم ما صححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم مجتمعين ، ثم ما قيل فيه : إسناده صحيح ، ثم : إسناده على شرط الصحيح ، ثم : رجاله رجال الصحيح ، أو : محتج بهم فى الصحيح ، ثم : رواته ثقات ، ثم : رواته ثقات وفى بعضهم كلام لا يضر ، ثم : رواته ثقات وفى بعضهم ضعف لا يضر ، أو : ضعف خفيف ، ثم : ما انفرد بتصحيحه ابن خزيمة أو الترمذى أو ابن حبان أو الحاكم من غير تعقب عليه ، ثم : إسناده جيد قوى أو : حسن جيد ، ثم : إسناده جيد ، أو قوى ، ثم : إسناده حسن ، أو لا بأس به ، أو رجاله موثقون ، أو موثوقون ، ثم : حسن إن شاء الله ، أو : إسناده صالح ، أو : مقارب ، أو : حسن فى المتابعات ، أو : لا بأس به فى الشواهد .

فكل نوع من هذه الأنواع يسمى ثابتاً ، ويعمل به فى العقائد والأحكام ، وليس بعد هذا إلا الضعيف ، وأعلى أنواعه ـ أى أقلها ضعفاً ـ ما قيل فيه : إسناده محتمل للتحسين ، أو فى إسناده احتمال للتحسين ، ثم : إسناده قريب من

الحسن ، أو : فى إسناده لين ، أو : ضعف خفيف ، ثم : إسناده لين ، ثم : فى إسناده ضعف ، ثم : إسناده ضعيف ، ثم : فى إسناده مجهول ، ثم : ليس فى إسناده متروك ، أو : من ترك ، أو : من أجمع على ضعفه ، وهكذا إلى آخر المراتب ، وهى أن يقال : إسناده واه ، أو ضعيف جداً ، أو ساقط ، أو هالك ، أو مظلم ، وهذا النوع مثل الذى يليه فى الرتبة ، وهو الموضوع ، لا يجوز العمل به فى الفضائل ، ولا تجوز روايته إلا مع بيان حاله ، ثم بعد الموضوع رتبة أخيرة، وهو ما يقال فيه : لا أصل له .

الثانية

أول من جمع أحاديث مرتبة من غير عزو ـ فيما أعلم ـ أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعى ، تلميذ الحافظ عبد الغنى بن سعيد ، ألف كتاب « الشهاب فى الأمثال والحكم والآداب » فيه مائتان وألف حديث ، فى ستة أبواب ، وهى مسرودة من غير ذكر الصحابى ، وهو مطبوع بفاس ، ثم تلاه الحافظ أبو شجاع شَيْرَوَيْه الديلمى ، فألف كتاب « الفردوس » يذكر الحديث ويذكر بعده الصحابى الذى رواه ، لكن من غير عزو أيضاً . وهو مخطوط فى جزءين بمكتبتنا . ثم الحافظ الأقليشى الأندلسى . ألف كتاب « النَّجَم من كلام سيد العرب والعجم » وهو على نمط الشهاب . وقد طبع بمصر . ثم الحافظ ابن الجزرى . ألف كتاب « عدة الحصن الحصين » غير أنه خرج الأحاديث ورمز لرواتها بحروف . ثم الحافظ السيوطى ألف كتاب « الجامع الصغير » ورمز للرواة بحروف تبع فيها ابن الجزرى . ثم المناوى ألف كتاب « كنوز الحقائق فى حديث خير الخلائق » وهو على نمط الجامع الصغير . غير أنه لا يذكر الصحابى . وقد طبع مرات . ثم ضياء الدين الكمشخانوى . ألف كتاب « راموز الأحاديث » . وهو على نمط الجامع الصغير . ومأخوذ منه . وقد طبع .

أما « الشهاب » فقد أسند مؤلفه أحاديثه فى كتاب « مسند الشهاب » وهو

مخطوط فى مجلد متوسط ، لكنه لا يبين رتبة الحديث ، ثم ألف الحافظ بن طاهر كتابا للكلام على أحاديث الشهاب من حيث الصحة وعدمها ، وصرح فيه بأن القضاعى لم يكن من الحفاظ . ثم خرج أحاديثه المناوى تخريجاً مختصراً فى ثلاث كراسات تقريباً ، يرمز للرواة بالحروف ، اطلعت عليه بمكتبتنا ، وهو غير مفيد ولا محرر . ثم العلامة المحدث السيد محمد بن جعفر الكتانى ، لكنه لم يتم تخريجه لأنه توقف فى عدة أحاديث لم يجد لها مخرجا ، فأوقف التخريج حتى يقف عليها ولم يتيسر له ذلك حتى توفى فى رمضان سنة ألف وثلثمائة وخمس وأربعين رحمه الله . ثم شقيقنا الحافظ أبو الفيض كتب تخريجاً سماه « فتح الوهاب بتخريج أحاديث الشهاب » فى مجلد وبه تدرب فى علم التخريج ، لأنه أول ما كتب فيه وألف بعده تخريجاً واسعاً ممتعاً سماه « الإسهاب » وهو فى مجلدين كبيرين ، يذكر الحديث وطرقه وشواهده ومتابعاته بأسانيده على عادة الحفاظ المسندين ، مثل الحافظ ابن عساكر فى تاريخ دمشق .

ولما كنت أطلب العلم بفاس اتصل بى العلامة الشريف السيد أحمد العمرانى ـ وكان يشتغل بالتجارة ـ وأخبرنى أنه يشرح كتاب الشهاب شرحاً كبيراً واسعا ، وتوقف فى أحاديث لم يستطع تخريجها ـ وكان مصدره فى التخريج الجامع الكبير للسيوطى ـ قال : وقد علمت أن شقيقك خرج أحاديثه ، فبعثت إليه بها ليخرجها ، فكتبت إلى شقيقنا الحافظ أبى الفيض بمصر ، فأخبرنى أنه بعث إليه بتخريج الأحاديث المطلوبة ، بعد أن اشترط عليه عزوها إليه فقبل ، رحمهما الله تعالى .

وأما الفردوس فقد أسند أحاديثه نجل مؤلفه الحافظ أبو منصور شهردار بن شيرويه الديلمى فى كتاب «مسند الفردوس» وقد بيض لأحاديث لم يسندها ، لأنه لم يقف لها على إسناد، وقد خرج بعضها الحافظ السيوطى فى الجامع الصغير منبهاً عليه .

وللحافظ ابن حجر كتاب « زهر الفردوس » عندنا منه نسخة ناقصة ، وكتاب « تسديد القوس لأحاديث الفردوس » اطلعت عليه بمكتبة الأزهر ،

وأما كتاب « النجم » فلم يخرج أحاديثه أحد ، وأما كتاب « كنوز الحقائق » فعديم الفائدة لأنه ملآن بالأحاديث الواهية والموضوعة ، ومن غلط مؤلفه أنه يعزو الأحاديث إلى الغزالى مشيراً له برمز « غز » مع أن الغزالى ليس من أهل التخريج ، وكتابه « الإحياء » ممتلىء بالأحاديث الواهية والموضوعة أيضاً ، وفيه مائة حديث لا أصل لها ، ذكرها التاج السبكى فى ترجمته من طبقات الشافعية .

وحصل مثل هذا الغلط للسيوطى ، فإنه عزا حديث : « الذهب حلية المشركين ، والفضة حلية المسلمين ، والحديد حلية أهل النار » إلى الزمخشرى فى جزئه عن أنس مع أنه ليس من أهل التخريج ، وقد وقفت له على جزء فى خصائص العشرة ، أردت أن أقدمه للطبع ، ثم عدلت ، لأنى وجدت جل أحاديثه موضوعة ، على أنه قد قرأ صحيح مسلم ، كما أخبر عن نفسه فى تفسير الكشاف .

الثالثة

لا شك أن كتاب « الجامع الصغير » أحسن الكتب المؤلفة فى نوعه ، وأكثرها جمعاً وأغزرها مادة ، من قرأه ومارسه اطلع على جمهرة كبيرة من الأحاديث ، مختلفة المراتب معزوة إلى مختلف كتب الحديث من صحاح وسنن ومصنفات ومسانيد ومعاجم ومشيخات ومسلسلات وطبقات وتواريخ وفوائد وأجزاء وأربعينيات وكتب فى أنواع معينة ، مثل « كتاب العلم » لأبى خيثمة ، و « كتاب قضاء الحوائج » لأبى الغنائم النرسى ، و « كتاب التائبين » لأبى العباس ابن تركان الهمذانى ، و « كتاب فضل الرمى » للعرّاب ، و « الأمالى » لأبى المظفر السرجانى .

فمن ثم اعتنى العلماء بشرحه وتحشيته واختصاره ، فمن شرحه تلميذ المؤلف شمس الدين العلقمى ، وشرحه مفيد ، طبعت قطعة منه . وشرحه المناوى شرحين :

كبيراً اسمه « فيض القدير » وصغيراً اسمه « التيسير » وهما مطبوعان . وشرحه العزيزى ، وشرحه مطبوع أيضاً . وينقل عن شيخه الشيخ حجازى الواعظ صحة الحديث أو حسنه ، وذلك لا يعتمد لأنه ليس من أهل التصحيح والتحسين وإن كان هو وشيخه عالمين فاضلين فقيهين شافعيين .

وممن كتب عليه حاشية : العلامة الصوفى الشيخ الحفنى ، وحاشيته مطبوعة . وجدنا العلامة الصوفى أبو العباس احمد بن عجيبة وحاشيته مخطوطة .

ثم إن أحسن شروحه من حيث الصناعة الحديثية : التيسير على أغلاط كثيرة وقعت من صاحبه فى التصحيح والتحسين ، وفى مناقشة صاحب المتن فيهما. ولذلك كتب عليه شقيقنا الحافظ أبو الفيض حاشية سماها « المداوى لعلل المناوى » وهى فى أربعة مجلدات .

وأما من قام باختصاره فإن الشيخ الجردانى رحمه الله جرد منه نحو سبعمائة حديث وشرحها ، وسمى كتابه « مصباح الظلام فى حديث خير الأنام » والشيخ الجردانى عالم فقيه شافعى فاضل ، فى كتبه فوائد. وأخبرنى شقيقنا الحافظ أبو الفيض أنه رأى سيدنا الأستاذ الإمام الوالد رضى الله عنه فى رؤيا يأمره بقراءة كتبه. لكنه لم يكن يعرف الحديث ، فلذلك يوجد فى كتابه المذكور أحاديث ضعيفة وَوَاهية وإن قال إنها كلها صحيحة أو حسنة .

ثم جرد الشيخ النبهانى منه — أعنى الجامع الصغير — أحاديث الترغيب والترهيب المعزوة للصحيحين ، وسمى كتابه « إتحاف المسلم بأحاديث الترغيب والترهيب من البخارى ومسلم » ، ثم جرد منه الشيخ حبيب الله الشنقيطى أحاديث الصحيحين ، وسمى كتابه « زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى ومسلم « وحصل » حين قدمه للطبع أن زاره شقيقنا الحافظ أبو الفيض ، فوجد عنده ملزمة يصححها وقرأها فوجد فيها حديث « إن الماء طهور لا ينجسه شىء » فقال له : هذا الحديث غير موجود فى الصحيحين ولا فى أحدهما ، فكيف ذكرته هنا ؟ فأخذ منه الملزمة

وتأملها قليلا ، ثم شطب على الحديث واعتذر بأنه خطأ من الناسخ ، فتعجب شقيقنا لهذا الاعتذار ولم يفهم سره ، لأن الناسخ لا يزيد الحديث من عنده . ثم تبين السر فيما بعد حيث أخبرنا السيد محمد على الأهدل الحسينى شيخ رواق اليمن بالأزهر : أنه كان ملازما للشيخ الشنقيطى هو والشيخ محمد طاهر الكردى ، وأنه كلفهما بأن يراجع كل واحد منهما جزءاً من الجامع الصغير وينقل الحديث الذى بجانبه حرف « ق » وهو رمز للمتفق عليه ، وحديث « إن الماء طهور » وقع فى الجامع الصغير بجانب حديث مرموز له بالحرف المذكور فاشتبه الأمر على أحدهما ونقله خطأ . وهذا سر اعتذار الشيخ بنسبة الخطأ إلى الناسخ ، يعنى الناسخ الذى نقل الحديث من الجامع الصغير .

الرابعة

تركْتُ أحاديث صحيحة وحسنة فى الجامع الصغير لم أذكُرها هنا لأسباب :

أحدها — أنى لم أقصد الاستيعاب .

ثانيها — أن فى بعض الأحاديث التى تركْتها نكارة أو شذوذ أو مخالفة لما هو أصح منها. ولا يكفى فى صحة الحديث أو حسنه مجرد ثقات رجاله، بل لا بد أن يكُون مع ذلك سالماً من النكارة والشذوذ والمخالفة ، كما هو مبين فى علوم الحديث .

ثالثها : أنها لا تمس مجتمعنا الذى نعيش فيه ، والذى هو فى حاجة شديدة إلى الأحاديث التى تهذب أخلاقه ، وتقوِّم طباعه ، وتربى فيه خشية الله ومراقبته ولم أتقيد بالسيوطى — مع إعجابى بحفظه واطلاعه — بل خالفته أحياناً فى عزو الحديث، أو فى لفظه. فإذا وجد القارىء ذلك فليعلم أنى عمداً فعلته ،وأنه صواب .

ثم إنى ضَمَمْت إليه أحاديث من المصادر الآتية :

١ — كتاب الترغيب والترهيب للحافظ المنذرى .

٢ — كتاب الكافى الشاف فى تخريج أحاديث الكشاف للحافظ ابن حجر .

٣ — كتاب المقاصد الحسنة للحافظ السخاوى . ٤ — بعض مؤلفاتى ، وهى :

الأحاديث المنتقاه ، فى فضائل سيدنا رسول الله .

الرد المحكم المتين على كتاب القول المبين .

عقيدة أهل الإسلام فى نزول عيسى عليه السلام .

واضح البرهان على تحريم الخمر فى القرآن .

٥ — محفوظاتى ، فقد كتبت من حفظى أحاديث لم أجدها فى الجامع الصغير ولا فى المصادر السابقة . فهذا الكتاب لم يقتصر على أحاديث الجامع الصغير ، بل زاد عليها من مصادر مختلفة كما قد علمت . ولم أعتمد فى صحة الحديث أو حسنه على العلامات الموجودة بجانب الحديث وهى (صح) أو (ج) لأمرين :

أحدهما — أن هذه العلامات دخلها تحريف النساخ ، وخطأ المطابع .

ثانيهما — أن السيوطى قد يتساهل، فيرمز بالصحة أو الحسن لما لم يبلغ درجتهما.

لكنى أعتمد على تصريح الحفاظ ، أو على ما تقتضيه القواعد ، أو ما كان للحديث من المتابعات والشواهد ورموز وواة الحديث كرموز الأصل،وهذا بيانها:

(خ) للبخارى (م) لمسلم (ق) لاتفاقهما (د) لأبى داود (ت) للترمذى (ن) للنسائى (ه) لابن ماجه (٤) لهؤلاء الأربعة (٣) لهم إلا ابن ماجه (حم) لأحمد فى مسنده (عم) لابنه عبد الله فى زوائده (خد) للبخارى فى الأدب المفرد (تخ) له فى التاريخ (ك) للحاكم فى المستدرك (حب) لابن حبان فى الصحيح (ش) لابن أبى شيبة فى مصنفه (ص) لسعيد بن منصور فى سننه (عب) لعبد الرزاق فى الجامع (ع) لأبى يعلى فى مسنده (قط) للدارقطنى فى سننه (طب) للطبرانى فى المعجم الكبير (طس) له فى الأوسط (طص) له فى الصغير (حل) لأبى نعيم فى الحلية (هب) للبيهقى فى الشعب والزهد (هق) له فى السنن (عد) لابن عدى فى الكامل (عق) للعقيلى فى الضعفاء (د) للديلمى فى مسند الفردوس (خط) للخطيب فى تاريخ بغداد .

وقد يعزَى الحديث إلى الحاكم فى الكنى ، وهو الحافظ أبو أحمد الحاكم ، أقدم من الحافظ أبى عبد الله الحاكم صاحب المستدرك، وكتاب الكنى لأبى بشر الدولابى وهو المطبوع بالهند ، انتقيت منه فوائد .

وليس لفظ الحاكم من ألقاب الحفظ ، خلافا لما نقله الباجورى فى أول حاشية الشمائل عن المطرزى . وقد بينت ألقاب الحفظ فى مقدمة تعليقاتى على كتاب « بيان إعجاز القرآن » للخطابى .

الخامسة

يمتاز هذا الكتاب بأمور :

منها : أنه ليس مقتصراً على أحاديث الصحيحين ، مثل كتابى : إتحاف المسلم ، وزاد المسلم .

ومنها : أنه ليس فيه أحاديث ضعيفة أو واهية ، مثل كتابى: راموزالأحاديث ومصباح الظلام .

ومنها : أن فيه أحاديث غير موجودة فى الجامع الصغير .

ومنها : أن قارىء يستفيد منه أحاديث صحيحة وحسنة فى كتب غير مخصصة للصحيح والحسن ، مثل مسانيد البزار وأبى يعلى ومعاجم الطبرانى ، وهذه فائدة مهمة جداً ، لها قيمتها العلمية . ذلك أن أحاديث الصحيحين أو أحدهما ، يستوى فى العلم بصحتها العالم بالحديث وغيره ، فجمع أحاديثهما أو أحاديث أحدهما فى كتاب مثل مشارق الأنوار للصغانى ، والتجريد الصريح للزبيدى ، ليس له من فائدة إلا تقريب تلك الأحاديث حتى يمكن الاطلاع عليها للعامة وأشباههم فمن لم يرتق به تعليمه إلى درجة تؤهله للبحث والاطلاع .

نعم ، اختصار صحيح مسلم للمنذرى يمتاز بأنه يذكر بعد كل حديث من رواه من بقية الستة ، وإن لم يروه أحد منهم نبه عليه ، وهذه فائدة يعرف قيمتها أهل الحديث .

أما العلم بصحة حديث أو حسنه فى معجم الطبرانى أو مسند البزار ، أو تاريخ الخطيب ، فلا يتيسر إلا للمتمكن فى علم الحديث ، المبرز فيه ، ولا يتيسر لغيره ولو بلغ رتبة الإمامة فى علوم أخرى ، كالتفسير والفقه والكلام . فمن هنا كان هذا الكتاب يفيد المفسر والفقيه والمتكلم والواعظ وغيرهم من سائر طبقات العلماء ومع هذا لست أدعى فيه بلوغ الكمال ، ولا العصمة من الخطأ . فإنما الكمال لله سبحانه وتعالى ، وإنما العصمة لأنبيائه عليهم السلام . وإن الإنسان محل الخطأ والسهو والنسيان . فالمطلوب ممن وجد فيه خطأ أن يغضى ولا يعنف ، ويبين الصواب ولا يثرّب . وليَعلم أنى كتبتَه غريباً عن أهلى بعيداً عن كتبى ، معتمداً على فضل الله — وفيه غناء — ثم على ما جادت به ذاكرتى ، وسمحت به حافظتى ، مما اختزنته فيها من مطالعات لكتب الحديث ، ومراجعات لقواعدِه .

وأسأل الله الذى ألهمنى كتابته ، ووفقنى فيه ، أن يجعله خالصًا له ، وينفع به كما نفع بأصله ، وأن يدخر لى ثوابه عندَه يوم لقائه ، ببركة سيد رسله ، وخاتم أنبيائه . إنه سميع الدعاء ، فعال لما يشاء ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

حرف الألف

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

١ — إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ[1]، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِىءٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ (ق ٤) عن عُمَرَ بن الخطاب رضى الله عنه .

٢ — آتِى بَابَ الْجَنَّةِ فَأَسْتَفْتِحُ فَيَقُولُ الْخَازِنُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَأَقُولُ : مُحَمَّدٌ . فَيَقُولُ : بِكَ أُمِرْتُ أَنْ لاَ أَفْتَحَ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ (حم م) عن أَنَسٍ .

٣ — آكِلُ الرِّبَا وَمُؤْكِلُهُ وَكَاتِبُهُ وَشَاهِدَاهُ ، إِذَا عَلِمُوا ذَلِكَ ، وَالْوَاشِمَةُ وَالْمَوْشُومَةُ لِلْحُسْنِ ، وَلاَوِى[2] الصَّدَقَةِ ، وَالْمُرْتَدُّ أَعْرَابِيًّا[3] بَعْدَ

---

(١) هذه الجملة تفيد وجوب النية فى العبادات من وضوء وغسل وتيمم وصلاة وصيام وزكاة وحج وجهاد فلا تصح هذه العبادات وغيرها إلا بالنية ، والأعمال العادية كالأكل تصير عبادة بالنية ، وألفاظ الكناية لايقع بها الطلاق إلا بالنية ، وجملة : وإنما لكل امرىء ما نوى ، أصل للقاعدة الفقهية المقررة وهى : الأمور بمقاصدها . وهذا حديث عظيم لا يكاد يخلو منه باب من أبواب الفقه ، حتى إن البخارى ذكره فى ثلاثة عشر موضعا من الصحيح مسندا ومعلقا ، وأفرده العلماء بالتأليف منهم السيوطى ومرتضى الزبيدى .

(٢) أى مانع .

(٣) والمرتد أعرابيا . الأعراب سكان البادية ، والعرب سكان الحضر . وسكان =

الهِجْرَةِ مَلْعُونُونَ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَوْمَ الْقِيَامَةِ (ن وابنَ خُزَيْمَةَ) عن ابنِ مسعود .

٤ — آكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ (ع حب) عن عائشةَ .

٥ — آمِرُوا النِّسَاءَ فِي بَنَاتِهِنَّ (دهق) عن ابنِ عمرَ .

٦ — آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ (حم ق ن) عن أنسٍ .

٧ — آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ (ق ت ن) عن أبي هُرَيرة .

٨ — ائْتِ حَرْثَكَ أَنَّى[1] شِئْتَ ، وَأَطْعِمْهَا إِذَا طَعِمْتَ ، وَاكْسُهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ ، وَلَا تُقَبِّحِ الْوَجْهَ ، وَلَا تَضْرِبْ (د) عن بَهْزِ بن حَكِيم عن أبيه عن جده مُعاويةَ بنِ حَيْدَةَ .

٩ — ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا ، وَهَوًى مُتَّبَعًا ، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً ، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ ،

= البادية قساة القلوب ، غلاظ الطباع ، يغلب عليهم الجهل لبعدهم عن مشاهدة العلماء ومعرفة الكتاب والسنة ولذا قال تعالى (الأعراب أشد كفرا ونفاقا) من أهل الحضر (وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله) فالذى يترك المدينة بعد الهجرة إليها ويرتد أعرابيا أى يختار سكنى البادية ، يكون ملعونا . لأنه ترك الجماعة والجمعة ومجالس القرآن والعلم ، وآثر مساكنة الكفار والمنافقين ، ومن آثر قوما كان منهم .

(١) أى متى شئت أوكيف شئت أوأين شئت إلا فى حالة الحيض أوفى الدبر .

فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ وَدَعِ[1] الْعَوَامَّ ، وَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّاماً ، الصَّبْرُ فِيهِنَّ كَالْقَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلاً يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِهِ . قِيلَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَجْرُ خَمْسِينَ مِنَّا أَوْ مِنْهُمْ ؟ قَالَ : لاَ ، بَلْ مِنْكُمْ (د ت ه ع حب ك طب) عن أبى ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِى .

١٠ — اتْقُوا الدَّعْوَةَ إِذَا دُعِيتُمْ (م) عن ابنِ عُمَر .

١١ — ائْذَنُوا لِلنِّسَاءِ بِاللَّيْلِ إِلَى الْمَسَاجِدِ (حم م د ت) عن ابن عُمَر .

١٢ — أَبَى اللهُ أَنْ يَجْعَلَ لِقَاتِلِ الْمُؤْمِنِ تَوْبَةً (طب والضياء فى المختارة) عن أَنَسٍ .

١٣ — أَبَى اللهُ أَنْ يَقْبَلَ عَمَلَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ حَتَّى يَدَعَ بِدْعَتَهُ (ه وابنُ أبى عاصمٍ فى السنة) عن ابن عبَّاسٍ .

١٤ — ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَتَصَدَّقْ عَلَيْهَا ، فَإِنْ فَضَلَ شَىْءٌ فَلِأَهْلِكَ ، فَإِنْ فَضَلَ عَنْ أَهْلِكَ شَىْءٌ فَلِذِى قَرَابَتِكَ ، فَإِنْ فَضَلَ عَنْ ذِى قَرَابَتِكَ شَىْءٌ فَهَكَذَا وَهَكَذَا (م ن) عن جابر .

١٥ — أَبْرِدُوا بِالظُّهْرِ فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ (خ ه) عن أبى سعيد (ن) عن أبى موسى (ه) عن الْمُغِيرة بن شُعْبة .

---

(١) ليس المراد بالعوام غير المتعلمين، ولكن المراد به غير الخواص ، ومعنى الحديث إذا تغير الزمان ، وفسدت الأحوال . وكنت أيها المخاطب ممن توجه العوام وتنصحهم . بفضل علم أو رأى عندك . فدعهم عنك . ولا تشتغل بتوجيههم ، لأن آراءهم كثرت . وأعجب كل واحد برأيه ، ففى توجيه النصح لهم فتح باب جدل لاينتهى . والجدل منهى عنه ، لأنه شر لاخير فيه غالبا.

١٦ — أَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ ، فَوَاللهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ ، وَلَكِنْ أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ (ق) عن عمرو بن عوف الأنصارى .

١٧ — أَبْشِرُوا وَبَشِّرُوا مَنْ وَرَاءَكُمْ أَنَّهُ مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ صَادِقًا بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ (حم طب) عن أبى موسى .

١٨ — أَبْشِرِى يَا أُمَّ الْعَلاَءِ فَإِنَّ مَرَضَ الْمُسْلِمِ يُذْهِبُ اللهُ بِهِ خَطَايَاهُ كَمَا تُذْهِبُ النَّارُ خَبَثَ الْفِضَّةِ (د) عن أمّ العلاء .

١٩ — أَبْغَضُ الرِّجَالِ إِلَى اللهِ الأَلَدُّ الْخَصِمُ (ق حم ت ن) عن عائشة .

٢٠ — أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللهِ ثَلاَثَةٌ : مُلْحِدٌ فِي الْحَرَمِ ، وَمُبْتَغٍ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَمُطَّلِبٌ دَمِ امْرِىءٍ بِغَيْرِ حَقٍّ لِيُهْرِيقَ دَمَهُ (خ) عن ابن عباس .

٢١ — ابْغُونِي فِي الضُّعَفَاءِ ، فَإِنَّمَا تُرْزَقُونَ وَتُنْصَرُونَ بِضُعَفَائِكُمْ (حم م حب ك) عن أبى الدَّرْداء .

٢٢ — ابْغُونِي فِي ضُعَفَائِكُمْ فَإِنَّمَا تُرْزَقُونَ وَتُنْصَرُونَ بِضُعَفَائِكُمْ (٣) عن أبى هريرة .

٢٣ — ابْنُ أُخْتِ الْقَوْمِ مِنْهُمْ (حم ق ت ن) عن أنس (د) عن أبى موسى (البزار) عن عائشة (طب) عن جُبَير بن مُطعم .

٢٤ — أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ

فِي الْجَنَّةِ ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي الْجَنَّةِ ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ فِي الْجَنَّةِ ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ (حم والضياء) عن سعيد بن زيد (ت) عن عبد الرحمن بن عوف .

٢٥ — أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ هُمْ أَضْعَفُ قُلُوبًا وَأَرَقُّ أَفْئِدَةً ، الْفِقْهُ يَمَانٍ وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ (ق ت) عن أبي هريرة .

٢٦ — أَتَانِي آتٍ وَأَنَا بِالْعَقِيقِ[1] ، فَقَالَ : إِنَّكَ بِوَادٍ مُبَارَكٍ (البزار) عن عائشة .

٢٧ — أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتٍ مِنْ رَبِّي وَأَنَا بِالْعَقِيقِ : أَنْ صَلِّ فِي هٰذَا الْوَادِي الْمُبَارَكِ (ابن خزيمة) عن عمر رضى الله عنه .

٢٨ — أَتَانِي آتٍ مِنْ عِنْدِ رَبِّي فَخَيَّرَنِي بَيْنَ أَنْ يُدْخِلَ نِصْفَ أُمَّتِي الْجَنَّةَ ، وَبَيْنَ الشَّفَاعَةِ ، فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ ، وَهِيَ لِمَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا (حم) عن أبي موسى (ت حب) عن عوف بن مالك الأشجعي .

٢٩ — أَتَانِي آتٍ مِنْ عِنْدِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ : مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ مِنْ أُمَّتِكَ صَلَاةً كَتَبَ اللهُ لَهُ بِهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ ، وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ ، وَرَفَعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ ، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَهَا (حم ن) عن أبي طلحة .

٣ — أَتَانِي جِبْرِيلُ فَقَالَ : بَشِّرْ أُمَّتَكَ أَنَّهُ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ . قُلْتُ : يَا جِبْرِيلُ ، وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى ؟ قَالَ : نَعَمْ . قُلْتُ : وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى ؟ قَالَ : نَعَمْ . قُلْتُ : وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَإِنْ شَرِبَ الْخَمْرَ (حم ت ن حب) عن أبي ذر .

---

(١) واد بظاهر المدينة .

٣١ — أَتَانِي جِبْرِيلُ فَبَشَّرَنِي أَنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ لاَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ . فَقُلْتُ : وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ ؟ قَالَ : وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ (ق) عن أبي ذر .

٣٢ — أَتَانِي جِبْرِيلُ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، كُنْ عَجَّاجًا ثَجَّاجًا[1] (حم والضياء) عن السائب بن خلاّد .

٣٣ — أَتَانِي جِبْرِيلُ فَقَالَ : إِنَّ رَبِّي وَرَبَّكَ يَقُولُ لَكَ : تَدْرِي كَيْفَ رَفَعْتُ ذِكْرَكَ ؟ قُلْتُ : اللهُ أَعْلَمُ . قَالَ : لاَ أُذْكَرُ إِلاَّ ذُكِرْتَ مَعِي (ع حب والضياء) عن أبي سعيد .

٣٤ — أَتَانِي جِبْرِيلُ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّ اللهَ لَعَنَ الْخَمْرَ وَعَاصِرَهَا وَمُعْتَصِرَهَا وَشَارِبَهَا وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ وَبَائِعَهَا وَمُبْتَاعَهَا وَسَاقِيَهَا وَمُسْقَاهَا (حم حب ك) عن ابن عباس .

٣٥ — أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ فَأَبْعَدَهُ اللهُ ، فَقُلْتُ : آمِينْ . وَمَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللهُ . فَقُلْتُ : آمِينْ . وَمَنْ ذُكِرْتَ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ فَأَبْعَدَهُ اللهُ . قُلْ : آمِينْ . فَقُلْتُ : آمِينْ (حب) عن مالك بن الحسن بن مالك بن الْحُوَيْرِثِ عن أبيه عن جده (ابن خزيمة حب) عن أبي هريرة .

٣٦ — أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَمَرَنِي أَنْ آمُرَ أَصْحَابِي وَمَنْ مَعِي أَنْ يَرْفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالإِهْلاَلِ وَالتَّلْبِيَةِ (مالك حم ٤حب ك هق) عن السائب بن خلاّد .

---

(١) العج رفع الصوت بالتلبية، والثج إسالة دماء الهدى .

٣٧ — أَتَانِي جِبْرِيلُ فَقَالَ لِي : إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَأْمُرَ أَصْحَابَكَ أَنْ يَرْفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّلْبِيَةِ ، فَإِنَّهَا مِنْ شَعَائِرِ الْحَجِّ[1] (حم ٥ حب ك) عن زيد بن خالد .

٣٨ — أَتَانِي جِبْرِيلُ فَقَالَ : إِنِّي كُنْتُ أَتَيْتُكَ الْبَارِحَةَ فَلَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَكُونَ دَخَلْتُ عَلَيْكَ الْبَيْتَ الَّذِي كُنْتَ فِيهِ إِلاَّ أَنَّهُ كَانَ فِي بَابِ الْبَيْتِ تِمْثَالٌ ، وَكَانَ فِي الْبَيْتِ قِرَامُ سِتْرٍ فِيهِ تَمَاثِيلُ ، وَكَانَ فِي الْبَيْتِ كَلْبٌ ، فَمُرْ بِرَأْسِ التِّمْثَالِ الَّذِي فِي الْبَابِ ، فَلْيُقْطَعْ فَيَصِيرَ كَهَيْئَةِ الشَّجَرَةِ ، وَمُرْ بِالسِّتْرِ فَلْيُقْطَعْ وَيُجْعَلْ مِنْهُ وِسَادَتَيْنِ مُنْتَبَذَتَيْنِ تُوطَآنِ ، وَمُرْ بِالْكَلْبِ فَيُخْرَجَ (٣ حب) عن أبي هريرة .

٣٩ — أَتَى اللهُ بِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ آتَاهُ اللهُ مَالاً ، فَقَالَ لَهُ : مَاذَا عَمِلْتَ فِي الدُّنْيَا ؟ قَالَ — وَلاَ يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثًا — : يَا رَبِّ آتَيْتَنِي مَالاً فَكُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ ، وَكَانَ مِنْ خُلُقِي الْجَوَازُ ، فَكُنْتُ أَيَسِّرُ عَلَى الْمُوسِرِ ، وَأُنْظِرُ الْمُعْسِرَ . فَقَالَ اللهُ تَعَالَى : أَنَا أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْكَ ، تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِي (م) عن عُقبة وأبي مسعود الأنصاري .

٤٠ — أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ ؟ إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ ، وَيَأْتِي وَقَدْ شَتَمَ هٰذَا وَقَذَفَ هٰذَا وَأَكَلَ مَالَ هٰذَا وَسَفَكَ دَمَ هٰذَا وَضَرَبَ هٰذَا ، فَيُعْطَى هٰذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهٰذَا مِنْ

---

(١) شعائر الحج : أعماله ، كالتلبية والهدى والطواف والسعى . مفردها : شعيرة والشعيرة عند الأصوليين هى الطاعة التى أمر الشارع (صلى الله عليه وسلم) بإظهارها والاجتماع عليها . ولم تبلغ حد الفرضية كصلاة العيدين فهى أعلى من السنة . وأدون من الفريضة . والمشاعر مواضع المناسك كعرفة ومنى والمزدلفة . واحدها : مشعر

حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ (م ت) عن أبي هريرة .

٤١ — اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا ، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ (حم ت ك هب) عن أبي ذر (حم ت هب) عن مُعاذ .

٤٢ — اتَّقِ اللهَ وَلاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئاً ، وَلَوْ أَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ الْمُسْتَسْقِي وَأَنْ تَلْقَى أَخَاكَ وَوَجْهُكَ إِلَيْهِ مُنْبَسِطٌ ، وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الإِزَارِ فَإِنَّ إِسْبَالَ الإِزَارِ مِنَ الْمَخِيلَةِ وَلاَ يُحِبُّهَا اللهُ ، وَإِنِ امْرُؤٌ شَتَمَكَ وَعَيَّرَكَ بِأَمْرٍ لَيْسَ هُوَ فِيكَ ، فَلاَ تُعَيِّرْهُ بِأَمْرٍ هُوَ فِيهِ ، وَدَعْهُ يَكُونُ وَبَالُهُ عَلَيْهِ وَأَجْرُهُ لَكَ ، وَلاَ تَسُبَّنَّ أَحَداً (الطيالسى حب) عن جابر بن سُليم الهُجَيْمِي .

٤٣ — اتَّقُوا اللهَ فِي الْبَهَائِمِ الْمُعْجَمَةِ ، فَارْكَبُوهَا صَالِحَةً ، وَكُلُوهَا صَالِحَةً[1] (حم د وابن خُزيمة حب) عن سهل بن الحَنْظَلِية .

٤٤ — اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ (ت) عن ابن عباس ورواه (ق د ن) فى حديثٍ .

٤٥ — اتَّقُوا اللهَ وَاعْدِلُوا فِي أَوْلاَدِكُمْ[2] (ق) عن النُّعمان بن بَشِير .

٤٦ — اتَّقُوا اللهَ وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ ، وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ طَيِّبَةً بِهَا أَنْفُسُكُمْ ، وَأَطِيعُوا ذَا أَمْرِكُمْ تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ (ت حب ك) عن أبي أُمامة .

---

(١) يؤخذ منه وجوب الرفق بالحيوانات والمحافظة على صحتها .

(٢) سببه أن بشيرا ميز النعمان على إخوته بمال أعطاه أباه .

٤٧ — اتَّقُوا البَوْلَ فَإِنَّهُ أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ فِي القَبْرِ (طب) عن أبي أمامة .

٤٨ — اتَّقُوا الظُّلْمَ ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ (حم خد م) عن جابر .

٤٩ — اتَّقُوا اللاَّعِنَيْنِ : الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ ، أَوْ فِي ظِلِّهِمْ (حم م د) عن أبي هريرة .

٥٠ — اتَّقُوا المَلاَعِنَ الثَّلاَثَ : البِرَازَ[1] فِي المَوَارِدِ وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ وَالظِّلِّ (د هـ ك هق) عن مُعاذٍ .

٥١ — اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ (ق ن) عن عَدِيِّ بن حاتم (ك) عن ابن عباس (حم) عن عائشة .

٥٢ — اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَبِكَلِمَةٍ[2] طَيِّبَةٍ (حم ق) عن عَدِيِّ بن حاتم .

---

(١) البراز فى الموارد ، أى قضاء الحاجة فى أماكن ورود الماء كحافة العيون والآبار والترع فإن ذلك يوجب اللعنة لأنه يؤذى المسلمين فى مواضع سقيهم وشربهم واستراحتهم فى ظلهم .

(٢) فبكلمة طيبة ، كأن تقول للسائل سهل الله لنا ولك كل خير أو ما أشبه ذلك . والكلمة الطيبة عند بعض السادة الصوفية أن يقول للسائل : استدن على كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول للسائل : ما عندى شيء ولكن ابتع على . فقال له عمر رضى الله عنه مرة يارسول الله ما كلفك الله هذا فانقبض من هذه الكلمة ، فقال له رجل : أنفق يارسول الله ولا تخش من ذى العرش إقلالا فسر واستنار وجهه عليه الصلاة والسلام فتأمل هذا المقام السامى رزقنا الله التأسى بهذا الخلق العظيم آمين .

٥٣ — اتقوا دعوة المظلوم ، فإنها تصعد إلى السماء كأنها الشرار (ك والضياء فى المختارة) عن ابن عمر .

٥٤ — اتقوا دعوة المظلوم ، وإن كانت من كافر ، فإنها ليس دونها حجاب (حم ع والضياء) عن أنس .

٥٥ — اتقوا فراسة المؤمن ، فإنه ينظر بنور الله عز وجل (تخ ت) عن أبى سعيد (الحكيم وتمويه طب عد) عن أبى أمامة ، وحسنه الهيثمى (ابن جرير) عن ابن عمر .

٥٦ — اتقى الله يا فاطمة وأدى فريضة ربك واعملى عمل أهلك ، وإذا أخذت مضجعك فسبحى ثلاثا وثلاثين ، واحمدى ثلاثا وثلاثين ، وكبرى أربعا وثلاثين ، فتلك مائة ، خير لك من خادم (ق د ت) عن على عليه السلام .

٥٧ — أتموا الركوع والسجود ، فوالذى نفسى بيده إنى لأراكم من وراء ظهرى إذا ركعتم وإذا سجدتم (حم ق ن) عن أنس .

٥٨ — أتموا الصفوف ، فإنى أراكم خلف ظهرى (م) عن أنس .

٥٩ — أتموا الصف المقدم ، ثم الذى يليه ، فما كان من نقص فليكن فى الصف المؤخر (حم د ن حب وابن خزيمة والضياء) عن أنس .

٦٠ — أتيت بالبراق ، وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل ، يضع حافره عند منتهى طرفه فركبت فسار بى حتى أتيت بيت المقدس ، فربطت الدابة بالحلقة التى يربط بها الأنبياء[1] ، ثم دخلت

---

(١) إذا زاروا بيت المقدس ، وهذا لا يقتضى أنه أسرى بهم إليه فى حياتهم .

فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ قَالَ جِبْرِيلُ : أَخَذْتَ الفِطْرَةَ .

ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ، قِيلَ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ جِبْرِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ؛ قِيلَ : وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ .

ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ، فَقِيلَ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ جِبْرِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قِيلَ : وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ . فَفُتِحَ لَنَا ، فَإِذَا أَنَا بِابْنَيِ الخَالَةِ يَحْيَى وَعِيسَى ، فَرَحَّبَا بِي وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ .

ثُمَّ عَرَجَ[1] بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ، فَقِيلَ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قِيلَ : وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ . فَفُتِحَ لَنَا ، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ ، وَإِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الحُسْنِ ، فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ .

ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ، فَقِيلَ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قِيلَ : وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ، فَفُتِحَ لَنَا ، فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ ، فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ .

ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الخَامِسَةِ ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ، فَقِيلَ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قِيلَ : وَقَدْ بُعِثَ

---

(١) الضمير يعود على البراق ، أوعلى جبريل وهو أرجح لما يأتي .

إِلَيْهِ ؟ قَالَ : قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ . فَفُتِحَ لَنَا ، فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ ، فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ .

ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ، فَقِيلَ : مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ : قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، فَقِيلَ : وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟ فَفُتِحَ لَنَا ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى ، فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ .

ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ، فَقِيلَ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قِيلَ : وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ، فَفُتِحَ لَنَا ، فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ ، فَإِذَا هُوَ مُسْتَنِدٌ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ ثُمَّ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ .

ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ، فَإِذَا أَوْرَاقُهَا كَآذَانِ الْفِيَلَةِ ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ ، فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا غَشِيَهَا تَغَيَّرَتْ فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ يَسْتَطِيعُ يَصِفُهَا مِنْ حُسْنِهَا ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى ، وَفَرَضَ اللهُ عَلَيَّ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَمْسِينَ صَلَاةً ، فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ : مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ ؟ قُلْتُ : خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، قَالَ : ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ ، وَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ .

فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي ، فَقُلْتُ : أَيْ رَبِّ ، خَفِّفْ عَنْ أُمَّتِي ، فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى ، فَقَالَ : مَا فَعَلْتَ ؟ قُلْتُ : قَدْ حَطَّ عَنِّي خَمْسًا ، قَالَ : إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ .

فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي وَبَيْنَ مُوسَى وَيَحُطُّ عَنِّي خَمْساً خَمْساً ، حَتَّى قَالَ : يَا مُحَمَّدُ هِيَ خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، بِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ ، فَتِلْكَ خَمْسُونَ صَلَاةً ، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً ، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ وَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ ، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً .

فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ : ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ ، فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ ، فَقُلْتُ : قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَاسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ (ق) عن أنس .

٦١ — أُتِيتُ بِمَقَالِيدِ الدُّنْيَا[1] عَلَى فَرَسٍ أَبْلَقَ ، جَاءَنِي بِهِ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ قَطِيفَةٌ مِنْ سُنْدُسٍ (حم حب والضياء) عن جابر .

٦٢ — اثْنَانِ خَيْرٌ مِنْ وَاحِدٍ ، وَثَلَاثَةٌ خَيْرٌ مِنِ اثْنَيْنِ ، وَأَرْبَعَةٌ خَيْرٌ مِنْ ثَلَاثَةٍ ، فَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ فَإِنَّ اللهَ لَنْ يَجْمَعَ أُمَّتِي إِلَّا عَلَى هُدًى (حم) عن أبي ذر .

٦٣ — اثْنَانِ لَا تُجَاوِزُ صَلَاتُهُمَا رُءُوسَهُمَا : عَبْدٌ أَبَقَ مِنْ مَوَالِيهِ حتى يَرْجِعَ ، وَامْرَأَةٌ عَصَتْ زَوْجَهَا حتى تَرْجِعَ (طس ك) عن ابن عمر .

٦٤ — اثْنَانِ يَكْرَهُهُمَا ابْنُ آدَمَ : يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَالْمَوْتُ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْفِتْنَةِ[2] ، وَيَكْرَهُ قِلَّةَ الْمَالِ وَقِلَّةُ الْمَالِ أَقَلُّ لِلْحِسَابِ (ص حم) عن محمود بن لبيد .

---

(١) إخبار بما فتح الله على أمته بالأقطار والأمصار .
(٢) الكفر أو الضلال .

٦٥ — اثْنَتَانِ فِى النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ : الطَّعْنُ فِى الأَنْسَابِ وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ (حم م) عن أبى هريرة .

٦٦ — اجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ يُبَارَكْ لَكُمْ فِيهِ (حم ده حب ك) عن وَحْشِى بن حرب .

٦٧ — اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ : الشِّرْكُ بِاللهِ ، وَالسِّحْرُ ، وَقَتْلَ النَّفْسِ الَّتِى حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ، وَأَكْلَ الرِّبَا ، وَأَكْلَ مَالَ الْيَتِيمِ ، وَالتَّوَلِّى يَوْمَ الزَّحْفِ ، وَقَذْفَ الْمُحْصَنَاتِ الغَافِلاَتِ الْمُؤْمِنَاتِ (ق د ن) عن أبى هريرة .

٦٨ — اجْتَنِبُوا الْخَمْرَ فَإِنَّهَا مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ (ك هب) عن ابن عباس .

٦٩ — اجْتَنِبُوا هٰذِهِ القَاذُورَاتِ الَّتِى نَهَى اللهُ عَنْهَا ، فَمَنْ أَلَمَّ بِشَىْءٍ مِنْهَا فَلْيَسْتَتِرْ بِسِتْرِ اللهِ وَلْيَتُبْ إِلَى اللهِ ، فَإِنَّهُ مَنْ يُبْدِ لَنَا صَفْحَتَهُ نُقِمْ عَلَيْهِ كِتَابَ اللهِ (ك هق) عن ابن عمر .

٧٠ — اجْعَلُوا آخِرَ صَلاَتِكُمْ بِاللَّيْلِ وِتْرًا (ق د) عن ابن عمر .

٧١ — اجْعَلُوا مِنْ صَلاَتِكُمْ فِى بُيُوتِكُمْ وَلاَ تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا (حم ق د) عن ابن عمر .

٧٢ — اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْحَرَامِ سِتْرًا مِنَ الْحَلاَلِ ، مَنْ فَعَلَ ذٰلِكَ اسْتَبْرَأَ لِعِرْضِهِ وَدِينِهِ ، وَمَنْ أَرْتَعَ فِيهِ كَانَ كَالْمُرْتِعِ إِلَى جَنْبِ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ ، وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى ، وَإِنَّ حِمَى اللهِ فِى الأَرْضِ مَحَارِمُهُ (حب طب) عن النُّعمان بن بَشِير .

٧٣ — أَجِلُّوا اللهَ[1] يَغْفِرْ لَكُمْ (حم ع طب) عن أبى الدَّرْدَاء .

٧٤ — أَجِيبُوا هٰذِهِ الدَّعْوَةَ إِذَا دُعِيتُمْ لَهَا (ق) عن ابن عمر .

٧٥ — أَجِيبُوا الدَّاعِيَ وَلاَ تَرُدُّوا الهَدِيَّةَ وَلاَ تَضْرِبُوا الْمُسْلِمِينَ (حم خد طب هب) عن ابن مسعود

٧٦ — أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ الصَّلاَةُ لِوَقْتِهَا ، ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ ، ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ (حم ق د ن) عن ابن مسعود .

٧٧ — أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ (ق) عن عائشة .

٧٨ — أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ أَنْ تَمُوتَ وَلِسَانُكَ رَطْبٌ مِنْ ذِكْرِ اللهِ (حب طب هب) عن مُعاذ .

٧٩ — أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ الْحُبُّ فِي اللهِ وَالْبُغْضُ فِي اللهِ (حم) عن أبى ذر .

٨٠ — أَحَبُّ أَهْلِي إِلَيَّ فَاطِمَةُ (ت ك) عن أسامة .

٨١ — أَحَبُّ أَهْلِ بَيْتِي إِلَيَّ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ (ت) عن أنس .

٨٢ — أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ عَائِشَةُ وَمِنَ الرِّجَالِ أَبُوهَا (ق ت) عن عمرو ابن العاص (ت ه) عن أنس .

٨٣ — أَحَبُّ الأَسْمَاءِ إِلَى اللهِ عَبْدُ اللهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ (م د ت ه) عن ابن عمر .

٨٤ — أَحَبُّ الأَدْيَانِ إِلَى اللهِ تَعَالَى الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ (حم خد طب) عن ابن عباس .

---

(١) عظموه باستعظام ارتكاب معاصيه .

٨٥ — أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللهِ مَسَاجِدُهَا وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللهِ أَسْوَاقُهَا[١] (م) عن أبي هريرة (حم ك) عن جُبير بن مُطْعِم .

٨٦ — أَحَبُّ الْجِهَادِ إِلَى اللهِ كَلِمَةُ حَقٍّ تُقَالُ لِإِمَامٍ جَائِرٍ (حم طب) عن أبي أمامة .

٨٧ — أَحَبُّ الْحَدِيثِ إِلَيَّ أَصْدَقُهُ (حم خ) عن الْمِسْوَرِ بن مَخْرَمَةَ ومَرْوَانَ معاً .

٨٨ — أَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللهِ صِيَامُ دَاوُدَ ، كَانَ يَصُومُ يَوْماً وَيُفْطِرُ يَوْماً ، وَأَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللهِ صَلَاةُ دَاوُدَ ، كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ وَيَنَامُ سُدُسَهُ (حم ق د ن) عن ابن عمرو .

٨٩ — أَحَبُّ الطَّعَامِ إِلَى اللهِ مَا كَثُرَتْ عَلَيْهِ الْأَيْدِي (ع حب هب والضياء) عن جابر .

٩٠ — أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ : سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ (حم م ت) عن أبي ذر .

٩١ — أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَرْبَعٌ : سُبْحَانَ اللهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَاللهُ أَكْبَرُ — لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ — لَا تُسَمِّيَنَّ[٢]

---

(١) لما فيها من كثرة الصخب وكثرة الحلف الكاذب .

(٦) لاتسمين غلامك الذى يخدمك باحد هذه الاسماء الاربعة ، وعلل النهى بأنك تسأل عنه فتقول : أثم هو ؟ فيقال لك : لا. فتتشاء بأن اليسار أو الرباح غير موجود ومن الطرائف أنه قد حصل مرة أن رجلا سأل المرحوم السيد محمد أمين الخانجى الكتبي : عندك الدين الخالص ؟ فاجابه : نعم عندى والحمد لله ، لكن الكتاب ليس عندى . (يعنى كتابا بهذا الاسم للقنوجى ملك بهوبال) والنهى فى الحديث للارشاد حتى لايقع الناس فى التشاؤم المنهى عنه ، فسأله بعض الصحابة : هل كذلك اسم فايز مثلا ؟

غُلاَمَكَ يَسَاراً وَلاَ رَبَاحاً وَلاَ نَجَاحاً وَلاَ أَفْلَحَ ، فَإِنَّكَ تَقُولُ : أَثَمَّ هُوَ ؟ فَلاَ يَكُونُ ، فَيَقُولُ : لاَ . إِنَّمَا هُنَّ أَرْبَعٌ فَلاَ تَزِيدَنَّ عَلَيَّ (حم م) عن سَمُرَةَ بن جُنْدُب.

٩٢ — أَحِبُّوا اللهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ بِهِ مِنْ نِعَمِهِ ، وَأَحِبُّونِي لِحُبِّ اللهِ ، وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي لِحُبِّي (ت ك) عن ابن عباس .

٩٣ — أَحْثُوا فِي وُجُوهِ المَدَّاحِينَ[1] التُّرَابَ (حم م د) عن المِقْدَاد .

٩٤ — أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ (خ) عن سهل بن سعد (ت) عن أنس .

٩٥ — أَحْسِنُوا إِقَامَةَ الصُّفُوفِ فِي الصَّلاَةِ (حم حب) عن أبي هريرة .

٩٦ — أَحْسِنُوا لِبَاسَكُمْ ، وَأَصْلِحُوا رِحَالَكُمْ حَتَّى تَكُونُوا كَأَنَّكُمْ شَامَةٌ فِي النَّاسِ[2] (ك) عن سهل بن الحَنْظَلِيَّة .

٩٧ — أَحْصُوا هِلاَلَ شَعْبَانَ لِرَمَضَانَ (ت ك) عن أبي هريرة .

٩٨ — أَحْضُرُوا الجُمُعَةَ ، وَأَدْنُوا مِنَ الإِمَامِ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ لاَ يَزَالُ

= فقال عليه الصلاة والسلام: لا تزيد على في الأسماء . إنما هن أي الأسماء التي نهيت عنها أربعة . ومازاد عليها يرجع إليها فرباح يجمع معنى فايز وفواز ونحوهما ، ويسار يجمع معنى أبي اليسر وسهل وغيرهما وهكذا . وهو ينبههم إلى أنه لا يجوز لهم أن يعقبوا على كلامه باستدراك أو تتميم ، لأنه ينطق بجوامع الكلم . ولوامع الحكم ، صلى الله تعالى عليه وآله وسلم .

(١) الذين يمدحون نفاقا أو طمعا في منفعة .

(٢) يحث على نظافة البدن والثياب وتحسينهما .

يَتَبَاعَدُ حتى يُؤَخَّرَ فِي الْجَنَّةِ وَإِنْ دَخَلَهَا (حم د ك هق) عن سَمُرة .

٩٩ — أُحْفَظْ مَا بَيْنَ لَحْيَيْكَ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْكَ (ع وابن قانع وابن مَنْدَهْ والضياء) عن صَعْصَعَةَ الْمُجَاشِعِي .

١٠٠ — أُحْفَظْ عَوْرَتَكَ إِلاَّ مِنْ زَوْجِكَ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ، قِيلَ : إِذَا كَانَ الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ ؟ قَالَ : إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لاَ يَرَيَنَّهَا أَحَدٌ فَلاَ يَرَيَنَّهَا . قِيلَ : إِذَا كَانَ أَحَدُنَا خَالِيًا ؟ قَالَ : اللهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ مِنَ النَّاسِ (حم ٤ ك هق) عن بَهْزِ بن حكيم عن أبيه عن جده معاوية ابن حَيْدَةَ

١٠١ — أَحْفُوا الشَّوَارِبَ وَأَعْفُوا اللِّحَى (م ت ن) عن ابن عمر .

١٠٢ — أُحِلَّ الذَّهَبُ وَالْحَرِيرُ لِإِنَاثِ أُمَّتِي وَحُرِّمَ عَلَى ذُكُورِهَا (حم ن) عن أبي موسى .

١٠٣ — أُخْبِرُكَ بِمَا هُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكَ مِنْ هٰذَا أَوْ أَفْضَلُ ؟ سُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ اللهُ فِي السَّمَاءِ ، سُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي الأَرْضِ ، سُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ مَا بَيْنَ ذٰلِكَ ، سُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ مَا هُوَ خَالِقٌ ، واللهُ أَكْبَرُ مِثْلُ ذٰلِكَ ، وَالْحَمْدُ للهِ مِثْلُ ذٰلِكَ ، وَلاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ مِثْلُ ذٰلِكَ وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ مِثْلُ ذٰلِكَ (٣ حب ك) عن سعد

١٠٤ - أَخْبِرُونِي بِشَجَرَةٍ شَبَهِ الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ ، لاَ يَتَحَاتُّ وَرَقُهَا ، وَلاَ ، وَلاَ ، وَلاَ . . تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ ؟ ؟ هِيَ النَّخْلَةُ (خ) عن ابن عمر .

١٠٥ — أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ يُحِبُّهُ (١) (ق ن) عن عائشة .

---

(١) يريد الرجل الذى كان يحب سورة الإخلاص ويقرأ بها فى كل صلاة .

١٠٦ — أَخْتَتَنَ إِبْرَاهِيمُ[1] وَهُوَ ابْنُ ثَمَانِينَ سَنَةً بِالْقَدُومِ (حم ق) عن أبي هريرة .

١٠٧ — أَخْنَعُ الأَسْمَاءِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الأَمْلاَكِ ، لاَ مَالِكَ إِلاَّ اللهُ (ق د ت) عن أبي هريرة .

١٠٨ — إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ جَعَلَهُمُ اللهُ قُنْيَةً تَحْتَ أَيْدِيكُمْ ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِنْ طَعَامِهِ وَلْيُلْبِسْهُ مِنْ لِبَاسِهِ ، وَلاَ يُكَلِّفْهُ مَا يَغْلِبُهُ ، فَإِنْ كَلَّفَهُ مَا يَغْلِبُهُ فَلْيُعِنْهُ (حم ق د ت ه) عن أبي ذرّ .

١٠٩ — أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ ، وَلاَ تَخُنْ مَنْ خَانَكَ (تخ د ت ك) عن أبي هريرة (د) عن رجل من الصحابة .

١١٠ — أَدْخَلَ اللهُ الْجَنَّةَ رَجُلاً كَانَ سَهْلاً مُشْتَرِيًا ، وَبَائِعًا ، وَقَاضِيًا وَمُقْتَضِيًا (حم ن ه هب) عن عثمان .

١١١ — ادْعُوا اللهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ لاَ يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لاَهٍ (ت ك) عن أبي هريرة .

١١٢ — أَدْنَى أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَنْتَعِلُ بِنَعْلَيْنِ مِنْ نَارٍ ، يَغْلِي دِمَاغُهُ مِنْ حَرَارَةِ نَعْلَيْهِ (م) عن أبي سعيد .

١١٣ — أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً الَّذِي لَهُ ثَمَانُونَ أَلْفَ خَادِمٍ وَاثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ زَوْجَةً وَتُنْصَبُ لَهُ قُبَّةٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ وَيَاقُوتٍ ، كَمَا بَيْنَ

---

(١) هو أول من شرع له الختان .

الْجَابِيَةِ [1] وَصَنْعَاءَ (حم ت حب والضياء) عن أبى سعيد .

١١٤ — إِذَا آتَاكَ اللهُ مَالاً فَلْيُرَ عَلَيْكَ ، فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَهُ عَلَى عَبْدِهِ حَسَناً [2] ، وَلاَ يُحِبُّ الْبُؤْسَ وَلاَ التَّبَاؤُسَ (تخ طب والضياء) عن زهير بن أبى عَلْقَمة .

١١٥ — إِذَا آمَنَكَ الرَّجُلُ عَلَى دَمِهِ فَلاَ تَقْتُلْهُ (حم ٥) عن سليمان ابن صُرَدٍ .

١١٦ — إِذَا ابْتَلَى اللهُ الْعَبْدَ الْمُسْلِمَ بِبَلاَءٍ فِى جَسَدِهِ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْمَلَكِ : اُكْتُبْ لَهُ صَالِحَ عَمَلِهِ الَّذِى كَانَ يَعْمَلُ ، وَإِنْ شَفَاهُ غَسَلَهُ وَطَهَّرَهُ ، وَإِنْ قَبَضَهُ غَفَرَ لَهُ وَرَحِمَهُ (حم) عن أنس

١١٧ — إِذَا أَبَقَ الْعَبْدُ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاَةٌ (م) عن جرير .

١١٨ — إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلاَةِ ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ ، ثُمَّ قُلْ :

« اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْلَمْتُ نَفْسِى إِلَيْكَ ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِى إِلَيْكَ ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِى إِلَيْكَ ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِى إِلَيْكَ ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ ، لاَ مَنْجَى وَلاَ مَلْجَأَ مِنْكَ إِلاَّ إِلَيْكَ ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِى أَنْزَلْتَ ، وَنَبِيِّكَ الَّذِى أَرْسَلْتَ » . فَإِنْ مِتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ فَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ (ق ٤) عن البراء .

---

(١) بالشام . وصنعاء عاصمة اليمن .

(٢) فى أكله ولبسه وسكناه وصدقته على المحتاج .

١١٩ — إِذَا أَتَى أَحَدُكُمْ أَهْلَهُ ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَعُودَ فَلْيَتَوَضَّأْ (حم م ع) عن أبي سعيد . زاد (حب ك هق) فَإِنَّهُ أَنْشَطُ لِلْعَوْدِ .

١٢٠ — إِذَا أَتَى أَحَدُكُمْ أَهْلَهُ فَلْيَسْتَتِرْ ، وَلاَ يَتَجَرَّدَا تَجَرُّدَ الْعِيرَيْنِ (ش طب هق) عن ابن مسعود (ه) عن عُتْبة بن عبد (ن) عن عبد الله بن سَرْجِس (طب) عن أبي أمامة .

١٢١ — إِذَا أَتَى أَحَدُكُمُ الغَائِطَ (١) فَلاَ يَسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ ، وَلاَ يُوَلِّهَا ظَهْرَهُ ، وَلٰكِنْ شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا (حم ق ٤) عن أبي أيوب .

١٢٢ — إِذَا أَتَى أَحَدُكُمْ خَادِمُهُ بِطَعَامٍ قَدْ كَفَاهُ عِلاَجَهُ وَدُخَانَهُ ، فَلْيُجْلِسْهُ مَعَهُ ، فَإِنْ لَمْ يُجْلِسْهُ فَلْيُنَاوِلْهُ أُكْلَةً أَوْ أُكْلَتَيْنِ (ق د ت ه) عن أبي هريرة .

١٢٣ — إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ فَزَوِّجُوهُ ، إِنْ لاَ تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ (٢) وَفَسَادٌ عَرِيضٌ (ت ه ك) عن أبي هريرة (ت هق) عن أبي حاتم المُزَنى ، وقاله غيرُه .

١٢٤ — إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَبْداً حَمَاهُ الدُّنْيَا ، كَمَا يَظَلُّ أَحَدُكُمْ يَحْمِي سَقِيمَهُ الْمَاءَ (طب) عن رافع بن خَدِيج (حب ك) عن أبي قَتَادة .

١٢٥ — إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْداً عَسَلَهُ ، قِيلَ : مَا عَسَلَهُ ؟ قَالَ : يُوَفِّقُ لَهُ عَمَلاً صَالِحاً بَيْنَ يَدَيْ رِحْلَتِهِ حَتَّى يَرْضَى عَنْهُ جِيرَانُهُ وَمَنْ حَوْلَهُ (حب ك هب) عن عَمْرو بن الحَمِق .

---

(١) وهو فى فضاء من الأرض ليس به بنيان ، لأن العرب كانوا يقضون حاجتهم فى ذلك .

(٢) أخذ منه جواز الاقتباس من القرآن الكريم ، والاقتباس من أنواع البديع .

١٢٦ — إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُعْلِمْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ (حم خد د ت ن حب ك) عن المِقْدَام بن مَعْدِيكَرب (خد) عن رجل من الصحابة .

١٢٧ — إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ صَاحِبَهُ فَلْيَأْتِهِ فِي مَنْزِلِهِ فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ لِلَّهِ (حم والضياء) عن أبي ذر .

١٢٨ — إِذَا أَحْدَثَ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ فَلْيَأْخُذْ بِأَنْفِهِ ثُمَّ لِيَنْصَرِفَ (٥ حب ك هق) عن عائشة .

١٢٩ — إِذَا أَحْسَنَ الرَّجُلُ الصَّلَاةَ فَأَتَمَّ رُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا ، قَالَتِ الصَّلَاةُ : حَفِظَكَ اللهُ كَمَا حَفِظْتَنِي ، فَتُرْفَعُ . وَإِذَا أَسَاءَ الصَّلَاةَ فَلَمْ يُتِمَّ رُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا ، قَالَتِ الصَّلَاةُ : ضَيَّعَكَ اللهُ كَمَا ضَيَّعْتَنِي ، فَتُلَفُّ كَمَا يُلَفُّ الثَّوْبُ الْخَلَقُ فَيُضْرَبُ بِهَا وَجْهُهُ (الطيالسى) عن عُبَادة بن الصَّامت .

١٣٠ — إِذَا اخْتَلَفْتُمْ فِي الطَّرِيقِ[1] فَاجْعَلُوهُ سَبْعَةَ أَذْرُعٍ (حم م د ت ٥) عن أبي هريرة (حم ه هق) عن ابن عباس .

١٣١ — إِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ مِنَ اللَّيْلِ فَاقْرَأْ (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ) ثُمَّ نَمْ عَلَى خَاتِمَتِهَا ، فَإِنَّهَا بَرَاءَةٌ مِنَ الشِّرْكِ (حم د ت ك هب) عن نوفل ابن معاوية (ن والضياء) عن جَبَلة بن حارثة .

١٣٢ — إِذَا أَدَّى الْعَبْدُ حَقَّ اللهِ وَحَقَّ مَوَالِيهِ كَانَ لَهُ أَجْرَانِ (حم م) أبي هُريرة .

١٣٣ — إِذَا أَدَّيْتَ زَكَاةَ مَالِكَ فَقَدْ قَضَيْتَ مَا عَلَيْكَ (ت ه ك) عن أبي هُريرة .

---

(١) من جهة السعة والضيق ، وذكر السبعة لبيان أنه لايكون أقل منها .

١٣٤ — إِذَا أَدَّيْتَ زَكَاةَ مَالِكَ فَقَدْ أَذْهَبْتَ عَنْكَ شَرَّهُ (ابن خزيمة ك) عن جابر .

١٣٥ — إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْراً اسْتَعْمَلَهُ . قِيلَ : كَيْفَ يَسْتَعْمِلُهُ ؟ قَالَ : يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ الْمَوْتِ ، ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ (حم ت حب ك) عن أنس .

١٣٦ — إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا ، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (ت ك) عن أنس (طب ك هب) عن عبد الله بن مُغَفَّلٍ (طب) عن عمار بن ياسر (عد) عن أبي هُريرة .

١٣٧ — إِذَا أَرَادَ اللهُ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْراً أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الرِّفْقَ (حم تخ هب) عن عائشة (البزار) عن جابر .

١٣٨ — إِذَا أَرَادَ اللهُ بِالأَمِيرِ خَيْراً جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ صِدْقٍ ، إِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ ، وَإِذَا أَرَادَ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ سُوءٍ إِنْ نَسِيَ لَمْ يُذَكِّرْهُ ، وَإِنْ ذَكَرَ لَمْ يُعِنْهُ (د هب) عن عائشة .

١٣٩ — إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْراً فَقَّهَهُ فِي الدِّينِ وَأَلْهَمَهُ رُشْدَهُ (البزار طب) عن ابن مسعود .

١٤٠ — إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ شَرًّا خَضَّرَ لَهُ فِي اللَّبِنِ وَالطِّينِ (١) حَتَّى يَبْنِيَ (طب) عن جابر .

---

(١) المراد نهى المسلم أن يبنى زيادة على ما يكفى لسكناه وأسرته لأنه إسراف . كما نهاه الله عن الأكل والشرب زيادة على كفايته فقال تعالى (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا =

١٤١ — إِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ عَذَابًا أَصَابَ الْعَذَابُ مَنْ كَانَ فِيهِمْ ثُمَّ بُعِثُوا عَلَى أَعْمَالِهِمْ (ق) عن ابن عمر .

١٤٢ — إِذَا أَرَادَ اللهُ خَلْقَ[1] شَيْءٍ لَمْ يَمْنَعْهُ شَيْءٌ[2] (م) عن أبي سعيد .

١٤٣ — إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الْخَلَاءِ وَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَلْيَذْهَبْ إِلَى الْخَلَاءِ (حم د ن ه حب ك) عن عبد الله بن الأرقم .

١٤٤ — إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَبْزُقَ فَلَا تَبْزُقْ عَنْ يَمِينِكَ ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِكَ إِنْ كَانَ فَارِغًا ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَارِغًا فَتَحْتَ قَدَمِكَ (البزار) عن طارق بن عبد الله .

١٤٥ — إِذَا أَسَأْتَ فَأَحْسِنْ (ك هب) عن ابن عمرو .

= أنه لا يحب المسرفين) وإنه لمن السرف الذى لا يحبه الله أغلب قصور الأثرياء وما فيها من حجرات تكفى لسكنى أسر كثيرة. وقد يخصصون منها حجرة فخمة لشرب القهوة أو الشاى بعد تناول الطعام . فالحديث ينهى عن مثل هذا البناء لما فيه من إسراف وتفاخر أما البناء بقصد إيجارها للسكنى ، فهو نوع من التجارة المباحة فلا يشمله الحديث ، وكذا كل بناء لمصلحة تقتضيه .

(١) كان بعض الصحابة يأخذون إماءهن فى الغزوات، يستعفون بهن من الزنا وذلك بعد تحريم نكاح المتعة فى غزوة خيبر ، وكانوا يعزلون أى يمنون خارج الفرج خشية أن تحمل الأمة من سيدها وتلد ، فاذا ولدت منه عتقت . وهو فى حاجة إلى خدمتها مثلا ، فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إذا أراد الله خلق شيء لم يمنعه شيء من عزل أو غيره ، أخذ منه العلماء جواز العزل عن الأمة بغير إذنها . أما الزوجة فلا يجوز العزل عنها إلا برضاها .

(٢) قال هذا الحديث حين سئل عن العزل

١٤٦ — إِذَا اسْتَأْذَنَ أَحَدُكُمْ ثَلَاثًا فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ فَلْيَرْجِعْ (مالك حم ق د) عن أبي موسى وأبي سعيد .

١٤٧ — إِذَا اسْتَأْذَنَتْ أَحَدَكُمُ امْرَأَتُهُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَلَا يَمْنَعْهَا (حم ق ن) عن ابن عمر .

١٤٨ — إِذَا اسْتَجْمَرَ أَحَدُكُمْ فَلْيُوتِرْ (حم م) عن جابر .

١٤٩ — إِذَا اسْتَيْقَظَ الرَّجُلُ مِنَ اللَّيْلِ وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ وَصَلَّيَا رَكْعَتَيْنِ كُتِبَا مِنَ الذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ (د ن ه حب ك) عن أبي هريرة وأبي سعيد .

١٥٠ — إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ فَلَا يُدْخِلْ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ حَتَّى يَغْسِلَهَا ثَلَاثًا ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ[1] ؟ (مالك والشافعي حم ق ع) عن أبي هريرة .

١٥١ — إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَنَامِهِ فَتَوَضَّأَ فَلْيَسْتَنْثِرْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَبِيتُ عَلَى خَيَاشِيمِهِ (ق ن) عن أبي هريرة .

١٥٢ — إِذَا أَسْلَمَ الْعَبْدُ فَحَسُنَ إِسْلَامُهُ يُكَفِّرُ اللهُ عَنْهُ كُلَّ سَيِّئَةٍ كَانَ أَزْلَفَهَا ، وَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ الْقِصَاصُ . الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ ، وَالسَّيِّئَةُ بِمِثْلِهَا . إِلَّا أَنْ يَتَجَاوَزَ اللهُ (خ ن) عن أبي سعيد .

١٥٣ — إِذَا أَشَارَ الرَّجُلُ عَلَى أَخِيهِ بِالسِّلَاحِ فَهُمَا عَلَى حَرْفِ جَهَنَّمَ ، فَإِذَا قَتَلَهُ وَقَعَا فِيهِ جَمِيعاً (الطيالسي ن) عن أبي بكرة .

---

(١) كان الغالب على العرب الاستجمار بالأحجار ، فلا يأمن أحدهم وهو نائم أن تقع يده على دبره أو ذكره أو على دمل في جسمه فتتلوث .

١٥٤ — إِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ فَأَبْرِدُوا بِالصَّلَاةِ[1] ، فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ (حم ق ٣) عن أبى هريرة (حم ق د ت) عن أبى ذر (ق) عن ابن عمر .

١٥٥ — إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ مُصِيبَةٌ فَلْيَقُلْ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، اللَّهُمَّ عِنْدَكَ أَحْتَسِبُ مُصِيبَتِي فَأْجُرْنِي فِيهَا وَأَبْدِلْنِي خَيْراً مِنْهَا (د ك) عن أم سلمة (ت ه) عن أبى سلمة .

١٥٦ — إِذَا اشْتَكَى الْمُؤْمِنُ أَخْلَصَهُ اللهُ مِنَ الذُّنُوبِ كَمَا يُخَلِّصُ الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ (خد طب حب) عن عائشة .

١٥٧ — إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُفَكِّرُ[2] اللِّسَانَ ، تَقُولُ : اتَّقِ اللهَ فِينَا ، فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ ، فَإِنِ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا ، وَإِنِ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا (ابن خزيمة ت هب) عن أبى سعيد .

١٥٨ — إِذَا أَطَالَ أَحَدُكُمُ الْغَيْبَةَ فَلَا يَطْرُقْ أَهْلَهُ لَيْلاً (حم ق) عن جابر .

١٥٩ — إِذَا اطْمَأَنَّ الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ ، ثُمَّ قَتَلَهُ بَعْدَمَا اطْمَأَنَّ إِلَيْهِ نُصِبَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِوَاءُ غَدْرٍ[3] (ك) عن عمرو بن الحمق .

١٦٠ — إِذَا أَعْطَى اللهُ أَحَدَكُمْ خَيْراً فَلْيَبْدَأْ بِنَفْسِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ (حم م) عن جابر بن سمرة .

---

(١) صلاة الظهر .
(٢) فى رواية : تكفر ، أى تعظمه بهذا الكلام .
(٣) ولو كان المقتول كافرا .

١٦١ — إِذَا أُعْطِيتَ شَيْئاً مِنْ غَيْرِ أَنْ تَسْأَلَ فَكُلْ وَتَصَدَّقْ (م د ن) عن عُمَر .

١٦٢ — إِذَا أَفْطَرَ أَحَدُكُمْ فَلْيُفْطِرْ عَلَى تَمْرٍ فَإِنَّهُ بَرَكَةٌ ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ تَمْراً فَلْيُفْطِرْ عَلَى الْمَاءِ فَإِنَّهُ طَهُورٌ (حم ع ابن خزيمة حب) عن سلمان ابن عامر الضَّبِّي .

١٦٣ — إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ مِنْ هَا هُنَا ، وَأَدْبَرَ النَّهَارُ مِنْ هَا هُنَا ، وَغَرَبَتِ الشَّمْسُ فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ (ق د ت) عن عمر .

١٦٤ — إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ تَكْذِبُ وَأَصْدَقُهُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُهُمْ حَدِيثاً (ق ه) عن أبي هريرة .

١٦٥ — إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَلَا صَلَاةَ إِلَّا الْمَكْتُوبَةُ (م ع) عن أبي هريرة .

١٦٦ — إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَلَا تَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَسْعَوْنَ ، وَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَمْشُونَ وَعَلَيْكُمُ السَّكِينَةَ ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا ، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا (حم ق ع) عن أبي هريرة .

١٦٧ — إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَلَا تَقُومُوا حَتَّى تَرَوْنِي (حم ق د ن) عن أبي قتادة زاد (٣) : قَدْ خَرَجْتُ إِلَيْكُمْ .

١٦٨ — إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ وَحَضَرَ الْعَشَاءُ فَابْدَأُوا بِالْعَشَاءِ (حم ق ت ن ه) عن أنس (ق ه) عن ابن عمر (خ ه) عن عائشة (حم طب) عن سَلَمة بن الأكوع (طب) عن ابن عباس .

١٦٩ — إِذَا أَكْفَرَ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا (م) عن ابن عمر .

١٧٠ — إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَاماً فَلْيَذْكُرِ اسْمَ اللهِ ، فَإِنْ نَسِيَ أَنْ يَذْكُرَ اسْمَ اللهِ فِي أَوَّلِهِ فَلْيَقُلْ : بِسْمِ اللهِ عَلَى أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ (د ت ك) عن عائشة .

١٧١ — إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَاماً فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ ، وَزِدْنَا خَيْراً مِنْهُ ، وَإِذَا شَرِبَ لَبَناً فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيهِ وَزِدْنَا مِنْهُ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يُجْزِىءُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ إِلاَّ اللَّبَنُ (حم د ت ه هب) عن ابن عباس .

١٧٢ — إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ ، وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ (حم م د) عن ابن عمر (ن) عن أبي هريرة

١٧٣ — إِذَا أَكَلْتُمُ الطَّعَامَ فَاخْلَعُوا نِعَالَكُمْ ، فَإِنَّهُ أَرْوَحُ لِأَقْدَامِكُمْ (طس ع ك) عن أنس .

١٧٤ — إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَقَتَلَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ ، فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ . قِيلَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، هٰذَا الْقَاتِلُ فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ ؟ قَالَ : إِنَّهُ كَانَ حَرِيصاً عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ (حم ق د ن) عن أبي بَكْرَةَ (٥) عن أبي موسى .

١٧٥ — إِذَا أَمَّ أَحَدُكُمُ النَّاسَ فَلْيُخَفِّفْ فَإِنَّ فِيهِمُ الصَّغِيرَ وَالْكَبِيرَ وَالضَّعِيفَ وَالْمَرِيضَ وَذَا الْحَاجَةِ ، وَإِذَا صَلَّى لِنَفْسِهِ فَلْيُطَوِّلْ مَا شَاءَ (حم ق ت) عن أبي هريرة .

١٧٦ — إِذَا أَمَّنَ الإِمَامُ فَأَمِّنُوا . فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ المَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ (مالك حم ق ع) عن أبي هريرة .

١٧٧ — إِذَا انْتَصَفَ شَعْبَانُ فَلَا صَوْمَ حَتَّى رَمَضَانَ (حم ع حب أبو عوانة) عن أبي هريرة .

١٧٨ — إِذَا انْتَعَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِالْيُمْنَى ، وَإِذَا خَلَعَ فَلْيَبْدَأْ بِالْيُسْرَى ، لِتَكُنِ الْيُمْنَى أَوَّلَهُمَا تُنْعَلُ وَآخِرَهُمَا تُنْزَعُ (حم م د ت ه) عن أبي هريرة .

١٧٩ — إِذَا انْتَهَى أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَجْلِسِ فَلْيُسَلِّمْ ، فَإِنْ بَدَا لَهُ أَنْ يَجْلِسَ فَلْيَجْلِسْ ، ثُمَّ إِذَا قَامَ فَلْيُسَلِّمْ ، فَلَيْسَتِ الأُولَى بِأَحَقَّ مِنَ الآخِرَةِ (حم ٣ حب ك) عن أبي هريرة .

١٨٠ — إِذَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةً وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً (حم ق ت ن) عن أبي مسعود البدريّ .

١٨١ — إِذَا أَنْفَقَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ بَيْتِ زَوْجِهَا غَيْرَ مُفْسِدَةٍ كَانَ لَهَا أَجْرُهَا بِمَا أَنْفَقَتْ ، وَلِزَوْجِهَا أَجْرُهُ بِمَا كَسَبَ ، وَلِلْخَازِنِ مِثْلُ ذَلِكَ ، لَا يَنْقُصُ بَعْضُهُمْ مِنْ أَجْرِ بَعْضٍ شَيْئًا (ق ع) عن عائشة .

١٨٢ — إِذَا أَنْفَقَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ بَيْتِ زَوْجِهَا عَنْ غَيْرِ أَمْرِهِ فَلَهَا نِصْفُ أَجْرِهِ (ق د) عن أبي هريرة

١٨٣ — إِذَا انْقَطَعَ شِسْعُ نَعْلِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَمْشِ فِي الْأُخْرَى حَتَّى يُصْلِحَهَا (خد م ن) عن أبي هريرة (طب) عن شداد بن أوس .

١٨٤ — إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَنْفُضْهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ ، فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِى مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ لِيَضْطَجِعْ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَنِ ، ثُمَّ لِيَقُلْ : بِاسْمِكَ رَبِّى وَضَعْتُ جَنْبِى وَبِكَ أَرْفَعُهُ إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِى فَارْحَمْهَا ، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ (ق د) عن أبى هريرة .

١٨٥ — إِذَا بَاتَتِ الْمَرْأَةُ هَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا لَعَنَتْهَا الْمَلاَئِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ (حم ق) عن أبى هريرة .

١٨٦ — إِذَا بَالَ أَحَدُكُمْ فَلاَ يَمَسَّ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ ، وَإِذَا دَخَلَ الْخَلاَءَ فَلاَ يَتَمَسَّحْ بِيَمِينِهِ ، وَإِذَا شَرِبَ فَلاَ يَتَنَفَّسْ فِى الإِنَاءِ (حم ق ع) عن أبى قتادة .

١٨٧ — إِذَا بَلَغَ الْمَاءُ قُلَّتَيْنِ لَمْ يَحْمِلِ الْخَبَثَ[1] (حم ٣ حب قط ك هق) عن ابن عمر .

١٨٨ — إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلاًّ لاَ يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ (د) عن ابن عمر .

١٨٩ — إِذَا تَبِعْتُمُ الْجَنَازَةَ فَلاَ تَجْلِسُوا حَتَّى تُوضَعَ (م) عن أبى سعيد .

---

(٩) الخبث النجاسة . والمعنى أن الماء إذا بلغ قلتين ، والقلة إناء عند العرب كالجرة، ثم وقعت فيه قطرة نجاسة كبول مثلا فانها لاتنجسه ، وفى الحديث كلام كثير . وخلاف كبير حتى قيل لايعمل به لأنه من قبيل المجمل .

١٩٠ — إِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَرُدَّهُ مَا اسْتَطَاعَ ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَالَ : هَا ، ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ (خ) عن أبى هُريرة .

١٩١ — إِذَا تَنَخَّمَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ فَلْيُغَيِّبْ نُخَامَتَهُ لاَ تُصِيبُ جِلْدَ مُؤْمِنٍ أَوْ ثَوْبَهُ فَتُؤْذِيَهُ (حم ع ابن خزيمة هب والضياء) عن سعد .

١٩٢ — إِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ لاَ يَنْزِعُهُ إِلاَّ الصَّلاَةُ ، لَمْ تَزَلْ رِجْلُهُ الْيُسْرَى تَمْحُو عَنْهُ سَيِّئَةً ، وَتَكْتُبُ لَهُ الْيُمْنَى حَسَنَةً حَتَّى يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ ، وَلَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْواً (طب ك هب) عن ابن عُمر .

١٩٣ — إِذَا تَوَضَّأَ الرَّجُلُ كَمَا أُمِرَ ذَهَبَ الإِثْمُ مِنْ سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ (طب) عن أبى أمامة .

١٩٤ — إِذَا تَوَضَّأْتُمْ فَابْدَأُوا بِمَيَامِنِكُمْ (ه) عن أبى هُريرة .

١٩٥ — إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْجُمُعَةَ فَلْيَغْتَسِلْ (مالك ف ن) عن ابن عمر .

١٩٦ — إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالإِمَامُ يَخْطُبُ فَلْيُصَلِّ رَكْعَتَيْنِ وَلْيَتَجَوَّزْ فِيهِمَا (حم ق د ن ه) عن جابر .

١٩٧ — إِذَا جَمَعَ اللهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ ، فَقِيلَ : هٰذِهِ غَدْرَةُ فُلاَنِ بْنِ فُلاَنٍ (خ) عن ابن عمر .

١٩٨ — إِذَا جَمَعَ اللهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ — لِيَوْمٍ لاَ رَيْبَ فِيهِ — نَادَى مُنَادٍ : مَنْ كَانَ أَشْرَكَ فِي عَمَلِهِ للهِ أَحَداً فَلْيَطْلُبْ ثَوَابَهُ مِنْ عِنْدِهِ ، فَإِنَّ اللهَ أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ (ت ه حب هب) عن أبى سعيد بن أبى فضالة .

١٩٩ — إِذَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ فَدَعْهُ (حم حب ك) عن أبي أمامة .

٢٠٠ — إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ بِحَدِيثٍ ثُمَّ الْتَفَتَ فَهِيَ أَمَانَةٌ (حم د ت والضياء) عن جابر (ع) عن أنس .

٢٠١ — إِذَا حَضَرْتُمْ مَوْتَاكُمْ فَأَغْمِضُوا الْبَصَرَ ، فَإِنَّ الْبَصَرَ يَتْبَعُ الرُّوحَ ، وَقُولُوا خَيْرًا فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تُؤَمِّنُ عَلَى مَا يَقُولُ أَهْلُ الْبَيْتِ (حم ه ك) عن شدّاد بن أوس .

٢٠٢ — إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ وَاحِدٌ (حم ق د ن ه) عن عمرو بن العاص (حم ق ٤) عن أبي هريرة .

٢٠٣ — إِذَا حَلَمَ أَحَدُكُمْ فَلَا يُحَدِّثِ النَّاسَ بِتَلَعُّبِ الشَّيْطَانِ بِهِ فِي الْمَنَامِ (م ه) عن جابر .

٢٠٤ — إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ : بِسْمِ اللهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ ، يُقَالُ لَهُ : حَسْبُكَ ، هُدِيتَ ، وَكُفِيتَ ، وَوُقِيتَ ، وَتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيْطَانُ (٣ حب) عن أنس .

٢٠٥ — إِذَا خَرَجَ ثَلَاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ (ه والضياء) عن أبي هريرة ، وعن أبي سعيد .

٢٠٦ — إِذَا خَرَجَتِ الْمَرْأَةُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَلْتَغْتَسِلْ مِنَ الطِّيبِ كَمَا تَغْتَسِلُ مِنَ الْجَنَابَةِ (ن) عن أبي هريرة .

٢٠٧ — إِذَا خَطَبَ أَحَدُكُمُ الْمَرْأَةَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهَا إِذَا كَانَ إِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَيْهَا لِخِطْبَتِهِ ، وَإِنْ كَانَتْ لَا تَعْلَمُ (حب طب) عن أبي حميد الساعدي .

٢٠٨ — إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ فَلَا يَجْلِسْ حَتَّى يُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ (حم ق ٤) عن أبي قتادة (٥) عن أبي هريرة

٢٠٩ - إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ (م ع) عن جابر .

٢١٠ - إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا ؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنْجِنَا مِنَ النَّارِ ؟ فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ ثُمَّ تَلَا هٰذِهِ الْآيَةَ (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ) (م ت ن) عن صُهَيْبٍ .

٢١١ — إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ وَأَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يُضَحِّيَ فَلَا يَمَسَّ مِنْ شَعَرِهِ وَلَا مِنْ بَشَرِهِ شَيْئًا[1] (م ن ه) عن أُمِّ سلمة .

٢١٢ — إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ يُنَادِي مُنَادٍ : إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا وَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ : (وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (م ت) عن أبي سعيد وأبي هُريرة .

---

(١) تشبها بالحجاج في تفثهم ، ويؤخذ منه سنية التشبه بالصالحين .

٢١٣ — إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ فُتِحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ (حم ق) عن أبى هُريرة .

٢١٤ — إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ وَلاَ يَقُلْ : اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ فَأَعْطِنِى فَإِنَّ اللهَ لاَ مُسْتَكْرِهَ لَهُ (حم ق ن) عن أنس .

٢١٥ — إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا . لَعَنَتْهَا الْمَلاَئِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ (حم ق د) عن أبى هُريرة .

٢١٦ — إِذَا دُعِىَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْوَلِيمَةِ فَلْيَأْتِهَا (ق د) عن ابن عُمر .

٢١٧ — إِذَا دُعِىَ أَحَدُكُمْ إِلَى وَلِيمَةِ عُرْسٍ فَلْيُجِبْ . (م ٥) عن ابن عُمر .

٢١٨ — إِذَا دُعِىَ أَحَدُكُمْ إِلَى طَعَامٍ فَلْيُجِبْ فَإِنْ كَانَ مُفْطِراً فَلْيَأْكُلْ وَإِنْ كَانَ صَائِماً فَلْيُصَلِّ[1] (حم م د ت ٥) عن أبى هريرة .

٢١٩ — إِذَا دُعِىَ أَحَدُكُمْ إِلَى طَعَامٍ وَهُوَ صَائِمٌ فَلْيَقُلْ : إِنِّى صَائِمٌ (م د ت ٥) عن أبى هُريرة .

٢٢٠ — إِذَا دُعِىَ أَحَدُكُمْ إِلَى طَعَامٍ فَلْيُجِبْ فَإِنْ كَانَ مُفْطِراً فَلْيَأْكُلْ وَإِنْ كَانَ صَائِماً فَلْيَدْعُ بِالْبَرَكَةِ (طب) عن ابن مسعود .

٢٢١ — إِذَا دُعِىَ أَحَدُكُمْ إِلَى طَعَامٍ فَلْيُجِبْ فَإِنْ شَاءَ طَعِمَ وَإِنْ شَاءَ لَمْ يَطْعَمْ (م د) عن جابر .

٢٢٢ — إِذَا دُعِيتُمْ إِلَى كُرَاعٍ فَأَجِيبُوا (م) عن ابن عُمرَ .

---

(١) فليدع لأهل الوليمة .

٢٢٣ — إِذَا رَأَى أَحَدُكُمُ الرُّؤْيَا يَكْرَهُهَا فَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا ، وَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ وَلْيَتَحَوَّلْ عَنْ جَنْبِهِ الذِى كَانَ عَلَيْهِ (م د ه) عن جابر .

٢٢٤ — إِذَا رَأَى أَحَدُكُمُ رُؤْيَا يَكْرَهُهَا فَلْيَتَحَوَّلْ ، وَلْيَتْفُلْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا ، وَلْيَسْأَلِ اللهَ مِنْ خَيْرِهَا ، وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْ شَرِّهَا (ه) عن أبى هريرة .

٢٢٥ — إِذَا رَأَى أَحَدُكُمُ الرُّؤْيَا يُحِبُّهَا فَإِنَّمَا هِىَ مِنَ اللهِ ، فَلْيَحْمَدِ اللهَ عَلَيْهَا وَلْيُحَدِّثْ بِهَا ، وَإِذَا رَأَى غَيْرَ ذٰلِكَ مِمَّا يَكْرَهُ فَإِنَّمَا هِىَ مِنَ الشَّيْطَانِ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ وَلَا يَذْكُرْهَا لِأَحَدٍ فَإِنَّهَا لَا تَضُرُّهُ (حم خ ت) عن أبى سعيد .

٢٢٦ — إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مِنْ نَفْسِهِ أَوْ مَالِهِ أَوْ مِنْ أَخِيهِ مَا يُعْجِبُهُ فَلْيَدْعُ لَهُ بِالْبَرَكَةِ فَإِنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ (ع طب ك) عن عامر بن ربيعة .

٢٢٧ — إِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ قَدْ مَرَجَتْ عُهُودُهُمْ ، وَخَفَّتْ أَمَانَاتُهُمْ ، وَكَانُوا هٰكَذَا — وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ — فَالْزَمْ بَيْتَكَ وَامْلِكْ لِسَانَكَ ، وَخُذْ مَا تَعْرِفُ وَدَعْ مَا تُنْكِرُ ، وَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ أَمْرِ نَفْسِكَ وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ الْعَامَّةِ (ك) عن ابن عمرو .

٢٢٨ — إِذَا رَأَيْتَ أُمَّتِي تَهَابُ الظَّالِمَ أَنْ تَقُولَ لَهُ : إِنَّكَ ظَالِمٌ فَقَدْ[1]

---

(١) فقد تودع منهم : أى تركهم الله وتخلى عنهم . حيث خافوا الظالم ولم يخافوا الله تعالى . ومعنى تخليه عنهم أن يصابوا فى دينهم ، أو فى أنفسهم وأهليهم ، وهذا معنى العقاب فى الحديث الآتى « أن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه » .

تُوُدِّعَ مِنْهُمْ (حم طب ك هب) عن ابن عَمْرو (طس) عن جابر .

٢٢٩ — إِذَا رَأَيْتَ اللهَ تَعَالَى يُعْطِي العَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا مَا يُحِبُّ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعَاصِيهِ فَإِنَّمَا ذٰلِكَ مِنْهُ اسْتِدْرَاجٌ (حم طب هب) عن عُقْبَة بن عامر .

٢٣٠ — إِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَبِيعُ أَوْ يَبْتَاعُ فِي المَسْجِدِ فَقُولُوا : لاَ أَرْبَحَ اللهُ تِجَارَتَكَ ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَنْشُدُ فِيهِ ضَالَّةً فَقُولُوا : لاَ رَدَّ اللهُ عَلَيْكَ ضَالَّتَكَ (ت ن ابن خزيمة ك) عن أبي هريرة .

٢٣١ — إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَتَعَزَّى بِعَزَاءِ الجَاهِلِيَّةِ فَأَعِضُّوهُ بِهَنِ أَبِيهِ وَلاَ تَكْنُوا (حم ت) عن أُبَيّ .

٢٣٢ — إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَعْتَادُ المَسَاجِدَ فَاشْهَدُوا لَهُ بِالإِيمَانِ (حم ت ه ابن خُزَيمة حب ك ن هق) عن أبي سعيد .

٢٣٣ — إِذَا رَأَيْتُمُ الجَنَازَةَ فَقُومُوا لَهَا حَتَّى تُخَلِّفَكُمْ أَوْ تُوضَعَ (حم ق ٤) عن عامر بن ربيعة .

٢٣٤ — إِذَا رَأَيْتُمُ المَدَّاحِينَ[1] فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ (حم خد م د ت) عن المقداد (طب هب) عن ابن عمر (طب) عن ابن عمرو (أبو أحمد الحاكم في الكنى) عن أنس.

---

(١) المداحون : طائفة من الناس يدخلون على الولاة وأصحاب الرياسة . فيثنون عليهم وعلى أعمالهم بكلام كله نفاق وكذب ، ليتوصلوا إلى منفعة مادية أو مصلحة شخصية وفي هذا النوع ،مايعرف عند العامة بماسح جوخ أومطيباتي فجزاء هؤلاء رميهم بالتراب في وجوههم إعلاما لهم بخسارتهم وتحذيرا وتأديبا لغيرهم .

٢٣٥ — إِذَا رَأَيْتُمْ هِلَالَ ذِى الْحِجَّةِ وَأَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يُضَحِّىَ فَلْيُمْسِكْ عَنْ شَعَرِهِ وَأَظْفَارِهِ (م) عن أم سلمة

٢٣٦ — إِذَا زَنَى الْعَبْدُ خَرَجَ مِنْهُ الإِيمَانُ فَكَانَ عَلَى رَأْسِهِ كَالظُّلَّةِ ، فَإِذَا أَقْلَعَ رَجَعَ إِلَيْهِ (د ك) عن أبى هُريرة .

٢٢٧ — إِذَا سَافَرْتُمْ فِى الْخِصْبِ فَأَعْطُوا الإِبِلَ حَظَّهَا مِنَ الأَرْضِ ، وَإِذَا سَافَرْتُمْ فِى السَّنَةِ فَأَسْرِعُوا عَلَيْهَا السَّيْرَ ، وَإِذَا عَرَّسْتُمْ بِاللَّيْلِ فَاجْتَنِبُوا الطَّرِيقَ ، فَإِنَّهَا طُرُقُ الدَّوَابِّ ، وَمَأْوَى الهَوَامِّ (م د ت) عن أبى هُريرة .

٢٣٨ — إِذَا سَجَدَ الْعَبْدُ سَجَدَ مَعَهُ سَبْعَةُ آرَابٍ : وَجْهُهُ ، وَكَفَّاهُ ، وَرُكْبَتَاهُ ، وَقَدَمَاهُ (حم م ٤) عن العباس (عبد بن حميد) عن سعد .

٢٣٩ — إِذَا سَجَدَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَبْرُكْ كَمَا يَبْرُكُ الْبَعِيرُ ، وَلْيَضَعْ يَدَيْهِ قَبْلَ رُكْبَتَيْهِ (د ن) عن أبى هُريرة .

٢٤٠ — إِذَا سَجَدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَعْتَدِلْ ، وَلَا يَفْتَرِشْ ذِرَاعَيْهِ افْتِرَاشَ الْكَلْبِ (حم ت ه ابن خزيمة والضياء) عن جابر .

٢٤١ — إِذَا سَجَدْتَ فَضَعْ كَفَّيْكَ وَارْفَعْ مِرْفَقَيْكَ (حم م) عن البراء .

٢٤٢ — إِذَا سَرَّتْكَ حَسَنَتُكَ ، وَسَاءَتْكَ سَيِّئَتُكَ فَأَنْتَ مُؤْمِنٌ (حم حب طب ك هب والضياء) عن أبى أمامة .

٢٤٣ — إِذَا سَقَى الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ الْمَاءَ أُجِرَ (تخ طب) عن العِرْباضِ ابن سارية .

٢٤٤ — إِذَا سَلَّ أَحَدُكُمْ سَيْفاً لِيَنْظُرَ إِلَيْهِ ، فَأَرَادَ أَنْ يُنَاوِلَهُ أَخَاهُ فَلْيُغْمِدْهُ ثُمَّ يُنَاوِلْهُ إِيَّاهُ (حم طب ك) عن أبى بكرة .

٢٤٥ — إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَقُولُوا : عَلَيْكُمْ (حم ق د ت ه) عن أنس

٢٤٦ — إِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ : هَلَكَ[1] النَّاسُ ، فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ (مالك حم خد م د) عن أبى هريرة .

٢٤٧ — إِذَا سَمِعْتُمُ النِّدَاءَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ الْمُؤَذِّنُ (مالك حم ق ٤) عن أبى سعيد .

٢٤٨ — إِذَا سَمِعْتُمْ أَصْوَاتَ الدِّيَكَةِ فَسَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ ، فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكاً ، وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهِيقَ الْحِمَارِ فَتَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ، فَإِنَّهَا رَأَتْ شَيْطَاناً (حم ق د ن) عن أبى هريرة .

٢٤٩ — إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونِ بِأَرْضٍ فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِ ، وَإِذَا وَقَعَ وَأَنْتُمْ بِأَرْضٍ فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا فِرَاراً مِنْهُ (حم ق ن) عن أسامة بن زيد .

٢٥٠ — إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً ، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِي الْوَسِيلَةَ ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ ، وَأَرْجُو أَنْ

---

(١) إذا سمعت الرجل يقول هلك الناس ، فهو أهلكهم أى أحقهم بالهلاك . لأنه لم يقل تلك الكلمة (غالبا) إلا لازدرائه بالناس واحتقاره لأعمالهم . فاذا كان فى الناس من يستحق الهلاك لعصيانه كان هو أحق بالهلاك لإعجابه بعمله بما زين له الشيطان أعماله ونبس عليه حاله فيجرى على لسانه لحمقه أنه أعبد الناس وأذوقهم حالا وأوسعهم علما نسأل الله القدير أن يعافينا مما أبتلى به أمثال هؤلاء الجهلة . ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ووقانا سوء العجب والغرور . وفى الحكم العطائية : رب معصية أورثت ذلا وانكسارا ، خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا .

أَكُونَ أَنَا هُوَ ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ عَلَيْهِ الشَّفَاعَةُ (حم م ٣) عن ابن عَمْرو .

٢٥١ — إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَتَنَفَّسْ فِي الإِنَاءِ ، وَإِذَا أَتَى الْخَلَاءَ فَلَا يَمَسَّ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ ، وَلَا يَتَمَسَّحْ بِيَمِينِهِ (خ ت) عن أبي قتادة .

٢٥٢ — إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَتَنَفَّسْ فِي الإِنَاءِ ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَعُودَ فَلْيُنَحِّ الإِنَاءَ ، ثُمَّ لْيَعُدْ إِنْ كَانَ يُرِيدُ (٥) عن أبي هريرة .

٢٥٣ — إِذَا شَرِبْتُمُ اللَّبَنَ فَتَمَضْمَضُوا مِنْهُ ، فَإِنَّ لَهُ دَسَمًا (٥) عن أُمِّ سلمة .

٢٥٤ — إِذَا شَهِدَتْ إِحْدَاكُنَّ الْعِشَاءَ ، فَلَا تَمَسَّ طِيبًا (حم م ن) عن زينب الثَّقَفِيَّةِ .

٢٥٥ — إِذَا شَهِدَتْ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ[1] ، وَهُمْ أَرْبَعُونَ فَصَاعِدًا أَجَازَ اللهُ تَعَالَى شَهَادَتَهُمْ (طب والضياء) عن وَالِدِ أبي المليح .

٢٥٦ — إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ ، وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ جِيءَ[2] بِالْمَوْتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، فَيُذْبَحَ ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ ، يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ . يَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ ، فَيَزْدَادُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ ، وَأَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ (ق) عن ابن عمر .

---

(١) لمسلم ميت .

(٢) جيء بالموت أى فى صورة كبش أملح . كما ثبت فى حديث يأتى . فيذبح كما يذبح الكبش. وبعبارة أخرى يذبح الكبش الذى هو جسم الموت وصورته، واعلم أن فى الآخرة تتجسم المعانى ، وتتجسد الأعراض ، وللحافظ السيوطى فى هذا الموضوع رسالة لطيفة .

٢٥٧ — إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ إِلَى شَيْءٍ يَسْتُرُهُ مِنَ النَّاسِ ، فَأَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَجْتَازَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلْيَدْفَعْ[1] فِي نَحْرِهِ ، فَإِنْ أَبَى فَلْيُقَاتِلْهُ ، فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ (ق) عن أبي سعيد .

٢٥٨ — إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ اللهِ تَعَالَى وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ ، ثُمَّ لْيُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثُمَّ لْيَدْعُ بَعْدُ بِمَا شَاءَ (د ت حب ك هق) عن فَضَالَةَ بن عُبَيد .

٢٥٩ — إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيُصَلِّ إِلَى سُتْرَةٍ ، وَلْيَدْنُ مِنْ سُتْرَتِهِ لاَ يَقْطَعُ الشَّيْطَانُ عَلَيْهِ صَلاَتَهُ (حم د ن حب ك) عن سهل بن أبي حَثْمة .

٢٦٠ — إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ فَلْيَضْطَجِعْ[2] عَلَى جَنْبِهِ الأَيْمَنِ (د ت حب) عن أبي هُريرة .

٢٦١ — إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمُ الْجُمُعَةَ فَلْيُصَلِّ بَعْدَهَا أَرْبَعاً (هم م ن) عن أبي هريرة .

٢٦٢ — إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا ، وَحَصَّنَتْ فَرْجَهَا ، وَأَطَاعَتْ بَعْلَهَا ، دَخَلَتْ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَتْ (حب) عن أبي هريرة .

٢٦٣ — إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا ، وَصَامَتْ شَهْرَهَا ، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا ،

---

(١) فليدفع في نحره أي يرده بشيء من العنف ، لأنه حيث أراد أن يمر بين المصلي وسترته جاوز حد اللياقة ، وخالف الذوق العام . وانتهك حرمة العبادة فلا أقل من أن يضرب في صدره توبيخا وتقريعا .

(٢) فليضطجع على جنبه الأيمن ، يقول في ضجعته : يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت برحمتك أستغيث .

وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا قِيلَ لَهَا : ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ (حم) عن عبد الرحمن بن عوف (البزار) عن أنس (طب) عن عبد الرحمن ابن حَسَنَةٍ .

٢٦٤ — إِذَا صَلَّيْتَ فَلَا تَبْزُقَنَّ بَيْنَ[1] يَدَيْكَ وَلَا عَنْ يَمِينِكَ ، وَلَكِنْ ابْزُقْ تِلْقَاءَ شِمَالِكَ إِنْ كَانَ فَارِغاً ، وَإِلَّا فَتَحْتَ قَدَمِكَ الْيُسْرَى وَادْلُكْهُ (حم ع حب ك) عن طارق بن عبد الله المُحاربى .

٢٦٥ — إِذَا صَلَّيْتَ الصُّبْحَ فَقُلْ قَبْلَ أَنْ تُكَلِّمَ أَحَداً مِنَ النَّاسِ : اللَّهُمَّ أَجِرْنِي مِنَ النَّارِ ، سَبْعَ مَرَّاتٍ فَإِنَّكَ إِنْ مِتَّ مِنْ يَوْمِكَ ذَلِكَ كَتَبَ اللهُ لَكَ جِوَاراً مِنَ النَّارِ ، وَإِذَا صَلَّيْتَ الْمَغْرِبَ فَقُلْ قَبْلَ أَنْ تُكَلِّمَ أَحَداً مِنَ النَّاسِ : اللَّهُمَّ أَجِرْنِي مِنَ النَّارِ ، سَبْعَ مَرَّاتٍ ، فَإِنَّكَ إِنْ مِتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ كَتَبَ اللهُ لَكَ جِوَاراً مِنَ النَّارِ (حم د ن حب) عن الحارث التميمى .

٢٦٦ — إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَى الْمَيِّتِ فَأَخْلِصُوا لَهُ الدُّعَاءَ (د ه حب) عن أبى هريرة .

٢٦٧ — إِذَا صُمْتَ مِنَ الشَّهْرِ ثَلَاثاً فَصُمْ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ وَخَمْسَ عَشْرَةَ (حم ت ن حب) عن أبى ذر .

٢٦٨ — إِذَا ضَحَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ مِنْ ضَحِيَّتِهِ (حم) عن أبى هريرة .

---

(١) ولكن ابزق عن شمالك إن كان فارغا ليس فيه شخص يتقذر ببزاقك . وإلايكن فارغا فابزق تحت قدمك اليسرى وادلكه برجلك إذا كنت تصلى فى براح من الأرض . اما اذا كنت تصلى فى مسجد ولوغير مفروش فلا يجوز البزاق ، لحديث « البصاق فى المسجد خطيئة » ولكن ابزق فى منديلك أو طرف ثوبك ..

٢٦٩ — إِذَا ضَرَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَجْتَنِبِ الوَجْهَ (خ ن) عن أبى هريرة .

٢٧٠ — إِذَا ضَنَّ النَّاسُ بِالدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَتَبَايَعُوا[1] بِالْعِينَةِ ، وَتَبِعُوا أَذْنَابَ الْبَقَرِ ، وَتَرَكُوا الْجِهَادَ فِى سَبِيلِ اللهِ أَدْخَلَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ ذُلاًّ لاَ يَرْفَعُهُ عَنْهُمْ حَتَّى يُرَاجِعُوا دِينَهُمْ (حب طب هب) عن ابن عمر .

٢٧١ — إِذَا ظَهَرَ الزِّنَا وَالرِّبَا فِى قَرْيَةٍ فَقَدْ أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ عَذَابَ اللهِ (طب ك) عن ابن عباس .

٢٧٢ — إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَضَعْ كَفَّيْهِ عَلَى وَجْهِهِ وَلْيَخْفِضْ صَوْتَهُ (ك هب) عن أبى هريرة .

٢٧٣ — إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَحَمِدَ اللهَ فَشَمِّتُوه ، وَإِذَا لَمْ يَحْمَدِ اللهَ فَلاَ تُشَمِّتُوهُ (حم خد م) عن أبى موسى .

٢٧٤ — إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ : الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَلْيُقَلْ لَهُ : يَرْحَمُكَ اللهُ ، وَلْيَقُلْ هُوَ : يَغْفِرُ اللهُ لَنَا وَلَكُمْ (طب ك هب) عن ابن مسعود (حم ٣ ك هب) عن سالم بن عُبيد الأشجعى .

---

(١) بيع العينة أن يبيع الشخص سلعة بعشرة دنانير إلى أجل . ثم يشتريها قبل الأجل بخمسة دنانير نقدا ، وهى نوع من الربا . لأن البائع الثانى أخذ خمسة دنانير بدون مقابل . وإنما استغل حاجة صاحبها إليها . وهذا كما يستغل المدين حاجة صاحب الدين إلى مال . فيقول له : ضع وتعجل أى ضع عنى بعض دينك وأعطيك بقيته حالا فيضع عنه من عشرة دنانير ثلاثة ، ويأخذ سبعة . فالمدين استفاد ثلاثة الدنانير بدون مقابل . وخلاصة المعنى : أن الناس إذا بخلوا بإنفاق المال فى مصلحة الدين . وسعوا فى اكتسابه بغير حق وتبعوا أذناب البقر أى خرجوا إلى البادية بعيدين عن العلم والعلماء وتركوا الجهاد . أدخل الله عليهم ذل الاحتلال . لفقدهم عزة الإيمان المذكورة فى قوله عز وجل (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) لايرفع عنهم ذلك الذل حتى يراجعو دينهم فترجع إليهم عزتهم .

٢٧٥ — إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيُشَمِّتْهُ جَلِيسُهُ ، فَإِنْ زَادَ عَلَى ثَلَاثٍ فَهُوَ مَزْكُومٌ ، وَلَا يُشَمَّتُ بَعْدَ ثَلَاثٍ (د) عن أبى هريرة .

٢٧٦ — إِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً فَأَتْبِعْهَا حَسَنَةً تَمْحُهَا (حم) عن أبى ذر .

٢٧٧ — إِذَا عُمِلَتِ الْخَطِيئَةُ فِي الْأَرْضِ كَانَ مَنْ شَهِدَهَا فَكَرِهَهَا كَمَنْ غَابَ عَنْهَا ، وَمَنْ غَابَ عَنْهَا فَرَضِيَهَا كَانَ كَمَنْ شَهِدَهَا (د) عن العُرْسِ ابن عَمِيرَة .

٢٧٨ — إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْكُتْ (حم) عن ابن عباس .

٢٧٩ — إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ ، فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلَّا فَلْيَضْطَجِعْ (حم د حب) عن أبى ذر .

٢٨٠ — إِذَا فُتِحَتْ مِصْرُ فَاسْتَوْصُوا بِالْقِبْطِ خَيْراً ، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا (طب ك) عن كعب بن مالك .

٢٨١ — إِذَا فَزِعَ أَحَدُكُمْ فِي النَّوْمِ فَلْيَقُلْ : أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ وَشَرِّ عِبَادِهِ ، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ، وَأَنْ يَحْضُرُونِ ، فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ (٣ ك) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده .

٢٨٢ — إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ : يَا كَافِرُ ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا ، فَإِنْ كَانَ كَمَا قَالَ وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ (مالك ق د ت) عن ابن عمر .

٢٨٣ — إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِلْمُنَافِقِ : يَا سَيِّدِي[1] ، فَقَدْ أَغْضَبَ رَبَّهُ (ك هب) عن بُرَيْدَة .

---

(١) إذا قال الرجل المسلم للمنافق يا سيدى ، فأضافه إلى نفسه فقد أغضب ربه =

٢٨٤ — إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ فَاسْتَعْجَمَ الْقُرْآنُ عَلَى لِسَانِهِ ، فَلَمْ يَدْرِ مَا يَقُولُ ، فَلْيَضْطَجِعْ (حم م د ه) عن أبى هريرة .

٢٨٥ — إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ ، فَلْيَفْتَتِحْ صَلَاتَهُ بِرَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ (حم م) عن أبى هريرة .

٢٨٦ — إِذَا قَامَ الرَّجُلُ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ (حم خد م د ه) عن أبى هريرة (حم) عن وهب بن حذيفة .

٢٨٧ — إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ ، فَإِنَّ الرَّحْمَةَ تُوَاجِهُهُ ، فَلَا يَمْسَحِ الْحَصَى (حم ٤ حب) عن أبى ذر .

٢٨٨ — إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِى ، يَقُولُ : يَا وَيْلَهُ أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَعَصَيْتُ فَلِيَ النَّارُ (حم م ه) عن أبى هريرة .

٢٨٩ — إِذَا قَرَأَ الإِمَامُ فَأَنْصِتُوا (م) عن أبى موسى .

٢٩٠ — إِذَا قَضَى اللهُ لِعَبْدٍ أَنْ يَمُوتَ بِأَرْضٍ جَعَلَ لَهُ إِلَيْهَا حَاجَةً (ت عم ك) عن مَطَر بن عُكَامِس (ت حب ك) عن أبى عَزَّة .

٢٩١ — إِذَا قَضَى أَحَدُكُمُ الصَّلَاةَ فِى مَسْجِدِهِ فَلْيَجْعَلْ لِبَيْتِهِ نَصِيبًا مِنْ صَلَاتِهِ ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى جَاعِلٌ فِى بَيْتِهِ مِنْ صَلَاتِهِ خَيْرًا (حم م ه) عن جابر (ابن خزيمة) عن أبى سعيد .

= لأنه سود منافقا على مسلم . نعم لا بأس أن يخاطب المنافق بلفظ السيد، رعاية لمركزه، ومجاراة لعرف التخاطب ، لكن لا يقل له : سيدى . فإنه يوجب غضب الله عليه . والله ورسوله أعلم .

٢٩٢ – إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ وَالإِمَامُ يَخْطُبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ : أَنْصِتْ ، فَقَدْ لَغَوْتَ (مالك حم ق د ن ه) عن أبى هريرة .

٢٩٣ – إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلاَةِ فَأَسْبِغِ الْوُضُوءَ ثُمَّ اسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ ، فَكَبِّرْ ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعاً ، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَسْتَوِيَ قَائِماً ، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِداً ، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا ، ثُمَّ افْعَلْ ذٰلِكَ فِي صَلاَتِكَ كُلِّهَا (ق) عن أبى هريرة .

٢٩٤ – إِذَا قُمْتَ فِي صَلاَتِكَ فَصَلِّ صَلاَةَ مُوَدِّعٍ ، وَلاَ تَكَلَّمْ بِكَلاَمٍ تَعْتَذِرُ مِنْهُ ، وَاجْمِعِ الإِيَاسَ[1] مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ (حم ه) عن أبى أيوب .

٢٩٥ – إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ كَانَ عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ مَلاَئِكَةٌ يَكْتُبُونَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ مَنَازِلِهِمْ ، الأَوَّلَ فَالأَوَّلَ ، فَإِذَا جَلَسَ الإِمَامُ طَوَوُا الصُّحُفَ وَجَاءُوا يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ ، وَمَثَلُ الْمُهَجِّرِ كَمَثَلِ الَّذِي يُهْدِي بَدَنَةً ، ثُمَّ كَالَّذِي يُهْدِي بَقَرَةً ، ثُمَّ كَالَّذِي يُهْدِي الْكَبْشَ ، ثُمَّ كَالَّذِي يُهْدِي الدَّجَاجَةَ ، ثُمَّ كَالَّذِي يُهْدِي الْبَيْضَةَ (ق ن ه) عن أبى هريرة .

٢٩٦ – إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أُتِيَ بِالْمَوْتِ كَالْكَبْشِ الأَمْلَحِ فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَيُذْبَحُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ فَلَوْ أَنَّ أَحَدًا مَاتَ فَرَحاً لَمَاتَ

---

(١) واجمع الإياس ، يقال : أجمع الأمر أى عزم عليه ، قال نوح لقومه (فاجمعوا أمركم) أى اعزموا عليه ، وافعلوا ماتقدرون عليه بى . ومعنى الحديث : اعزم على اليأس مما فى أيدى الناس واقطع طمعك فيهم . والجأ إلى معطيهم يغنك فى فضله .

أَهْلُ الْجَنَّةِ ، وَلَوْ أَنَّ أَحَدًا مَاتَ حُزْنًا لَمَاتَ أَهْلُ النَّارِ (ت) عن أبى سعيد .

٢٩٧ — إِذَا كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ فَكُفُّوا صِبْيَانَكُمْ فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ فَخَلُّوهُمْ وَأَغْلِقُوا الأَبْوَابَ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَفْتَحُ بَابًا مُغْلَقًا وَأَوْكِئُوا قِرَبَكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ ، وَخَمِّرُوا آنِيَتَكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ ، وَلَوْ أَنْ تَعْرِضُوا عَلَيْهِ شَيْئًا ، وَأَطْفِئُوا مَصَابِيحَكُمْ (حم ق د ن) عن جابر .

٢٩٨ — إِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلاَ يَرْفُثْ وَلاَ يَجْهَلْ ، فَإِنِ امْرُؤٌ شَاتَمَهُ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ : إِنِّى صَائِمٌ ، إِنِّى صَائِمٌ (مالك ق د ه) عن أبى هريرة .

٢٩٩ — إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ فَقِيرًا فَلْيَبْدَأْ بِنَفْسِهِ . فَإِنْ كَانَ فَضْلٌ فَعَلَى عِيَالِهِ فَإِنْ كَانَ فَضْلٌ فَعَلَى ذِى قَرَابَتِهِ فَإِنْ كَانَ فَضْلٌ فَهٰهُنَا وَهٰهُنَا (حم م د ن) عن جابر .

٣٠٠ — إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّى فَلاَ يَبْصُقْ قِبَلَ وَجْهِهِ ، فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ إِذَا صَلَّى (مالك ق ن) عن ابن عمر .

٣٠١ — إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ كُنْتُ إِمَامَ النَّبِيِّينَ وَخَطِيبَهُمْ وَصَاحِبَ شَفَاعَتِهِمْ غَيْرَ فَخْرٍ (حم ت ه ك) عن أُبَىٍّ بن كعب .

٣٠٢ — إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَعْطَى اللهُ تَعَالَى كُلَّ رَجُلٍ مِنْ هٰذِهِ الأُمَّةِ رَجُلاً مِنَ الْكُفَّارِ فَيُقَالُ لَهُ : هٰذَا فِدَاؤُكَ مِنَ النَّارِ (م) عن أبى موسى .

٣٠٣ — إِذَا كَانَتْ عِنْدَ الرَّجُلِ امْرَأَتَانِ فَلَمْ يَعْدِلْ بَيْنَهُمَا ، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشِقُّهُ سَاقِطٌ (ت ك) عن أبى هريرة .

٣٠٤ — إِذَا كَانُوا ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَ اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ (مالك ق) عن ابن عمر .

٣٠٥ — إِذَا كَانُوا ثَلَاثَةً فَلْيَؤُمَّهُمْ أَحَدُهُمْ ، وَأَحَقُّهُمْ بِالْإِمَامَةِ أَقْرَؤُهُمْ (حم م ن) عن أبى سعيد .

٣٠٦ — إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَ اثْنَانِ دُونَ الْآخَرِ حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ ، فَإِنَّ ذٰلِكَ يُحْزِنُهُ (حم ق ت ه) عن ابن مسعود .

٣٠٧ — إِذَا كُنْتُمْ فِي الْمَسْجِدِ فَنُودِيَ بِالصَّلَاةِ فَلَا يَخْرُجْ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُصَلِّيَ (حم م ع) عن أبى هريرة .

٣٠٨ — إِذَا كَذَبَ الْعَبْدُ تَبَاعَدَ الْمَلَكُ عَنْهُ مِيلاً مِنْ نَتْنِ مَا جَاءَ بِهِ (ت وابن أبى الدنيا فى كتاب الصمت) عن ابن عمر .

٣٠٩ — إِذَا لَبِسْتُمْ وَإِذَا تَوَضَّأْتُمْ فَابْدَءُوا بِمَيَامِنِكُمْ (د حب) عن أبى هُريرة .

٣١٠ — إِذَا لَقِيَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ فَإِنْ حَالَتْ بَيْنَهُمَا شَجَرَةٌ أَوْ حَائِطٌ أَوْ حَجَرٌ ثُمَّ لَقِيَهُ فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ (د ه هب) عن أبى هُريرة .

٣١١ — إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ : صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ (خد م ٣) عن أبى هريرة .

٣١٢ — إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ ، يُقَالُ : هٰذَا مَقْعَدُكَ حتى يَبْعَثَكَ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (ق ت ه) عن ابن عمر .

٣١٣ — إِذَا مَاتَ صَاحِبُكُمْ فَدَعُوهُ ، لاَ تَقَعُوا فِيهِ (د) عن أم المؤمنين عائشة .

٣١٤ — إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ قَالَ اللهُ تَعَالَى لِلْمَلاَئِكَتِهِ : قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ ، فَيَقُولُ : قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ فَيَقُولُ : مَاذَا قَالَ عَبْدِي ؟ فَيَقُولُونَ : حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ ، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى : ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ (ت حب) عن أبي موسى .

٣١٥ — إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا ، قَالُوا : وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ ؟ قَالَ : حَلَقُ الذِّكْرِ (حم ت هب) عن أنس .

٣١٦ — إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا ، قُلْتُ : وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ قَالَ : الْمَسَاجِدُ ، قُلْتُ : وَمَا الرَّتْعُ ؟ قَالَ : سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ وَلاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ (ت) عن أبي هريرة .

٣١٧ — إِذَا مَرَّ أَحَدُكُمْ فِي مَسْجِدِنَا أَوْ سُوقِنَا وَمَعَهُ نَبْلٌ فَلْيُمْسِكْ عَلَى نِصَالِهَا بِكَفِّهِ لاَ يَعْقِرْ مُسْلِماً (ق د ه) عن أبي موسى .

٣١٨ — إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ كَتَبَ اللهُ تَعَالَى لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلَ مَا كَانَ يَعْمَلُ صَحِيحاً مُقِيماً (حم خ ر) عن أبي موسى .

٣١٩ - إِذَا مَضَى شَطْرُ اللَّيْلِ أَوْ ثُلُثَاهُ يَنْزِلُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ[1] الدُّنْيَا فَيَقُولُ : هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَيُعْطَى ، هَلْ مِنْ دَاعٍ فَيُسْتَجَابَ لَهُ ، هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ يُغْفَرُ لَهُ ، حَتَّى يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ (م) عن أبي هُرَيرة .

٣٢٠ - إِذَا نَادَى الْمُنَادِي فُتِحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، وَاسْتُجِيبَ الدُّعَاءُ (ع ك) عن أبي أُمامة .

٣٢١ - إِذَا نَزَلَ أَحَدُكُمْ مَنْزِلاً فَلْيَقُلْ : أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ، فَإِنَّهُ لاَ يَضُرُّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ عَنْهُ (م) عن خَوْلَةَ بنت حكيم .

---

(١) إذا مضى شطر الليل أو ثلثاه ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا . من البدهيات العقلية : أن الله تعالى منزه عن المكان والزمان . لأنه خالقهما لمصلحة عباده المحصورين فى دائرتهما . ثم تكرم سبحانه فجعل لصالحى عباده وقتا ومكانا يتجلى عليهم فيهما بما يشاء من هباته أما الوقت فجوف الليل . وأما المكان فنوعان : علوى وهو سدرة المنتهى ، يتجلى فيه على أرواح رسله وأنبيائه . ولم يتجل فيه على أحد يقظة فى حياته إلا النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج خصوصية له . وسفلى وهو السماء الدنيا . وهى مبتدأ العالم العلوى . ولهذا لا تفتح أبوابها للكفار كما قال تعالى (إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لاتفتح لهم أبواب السماء) لأنهم ليس لهم فى العالم العلوى نصيب . والله سبحانه يتجلى على أرواح رسله وأنبيائه حيث هم عند السدرة تجليا دائما بما يناسب مقاماتهم عنده ، وقربهم منه . فإذا مضى شطر الليل نزل بتجليه إلى السماء الدنيا ، فشمل عباده الصالحين بما شاء ، فيجيب الداعى ويعطى السائل ، ويغفر للمستغفر ، ويجبر الكسير . ويجير المستجير . فهو نزول تجل وتنزل فيه بحسب مقامات المتجلى عليهم ، إما بحسب المتجلى سبحانه فهو هو ، حيث هو ، لايشغله شأن عن شأن ، جل جلاله .

٣٢٢ — إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي الْمَالِ وَالْخَلْقِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلُ مِنْهُ (حم ق) عن أبي هُرَيرة .

٣٢٣ — إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ يُصَلِّي فَلْيَرْقُدْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعِسٌ لاَ يَدْرِي لَعَلَّهُ يَذْهَبُ يَسْتَغْفِرُ فَيَسُبَّ نَفْسَهُ (مالك ق د ت ه) عن عائشة .

٣٢٤ — إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ فَلْيَتَحَوَّلْ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ إِلَى غَيْرِهِ (د ت) عن ابن عمر .

٣٢٥ — إِذَا نُودِيَ بِالصَّلاَةِ فُتِحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَاسْتُجِيبَ الدُّعَاءُ (الطيالسي ع والضياء) عن أنس .

٣٢٦ — إِذَا نُودِيَ بِالصَّلاَةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لاَ يَسْمَعَ التَّأْذِينَ، فَإِذَا قُضِيَ الأَذَانُ أَقْبَلَ، فَإِذَا ثُوِّبَ أَدْبَرَ، فَإِذَا قُضِيَ التَّثْوِيبُ أَقْبَلَ حَتَّى يَخْطِرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ يَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا، اذْكُرْ كَذَا، لِمَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ مِنْ قَبْلُ، حَتَّى يَظَلَّ الرَّجُلُ لاَ يَدْرِي كَمْ صَلَّى؟ (مالك ق د ن) عن أبي هريرة .

٣٢٧ — إِذَا وَجَدَ أَحَدُكُمُ الْقَمْلَةَ فِي الْمَسْجِدِ فَلْيَصُرَّهَا فِي ثَوْبِهِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ (حم) عن أبي هريرة .

٣٢٨ — إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ (خ) عن أبي هريرة .

٣٢٩ — إِذَا وَزَنْتُمْ فَأَرْجِحُوا (ه والضياء) عن جابر .

٣٣٠ — إِذَا وُضِعَ السَّيْفُ فِي أُمَّتِي لَمْ يَرْتَفِعْ عَنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ (ت) عن ثَوْبان .

٣٣١ — إِذَا وَضَعْتُمْ مَوْتَاكُمْ فِي قُبُورِهِمْ فَقُولُوا : بِسْمِ اللهِ وَعَلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ (حم حب طب ك هق) عن ابن عمر .

٣٣٢ — إِذَا وَقَفَ الْعِبَادُ لِلْحِسَابِ جَاءَ قَوْمٌ وَاضِعُوا سُيُوفِهِمْ عَلَى رِقَابِهِمْ تَقْطُرُ دَمًا فَازْدَحَمُوا عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ ، فَقِيلَ : مَنْ هٰؤُلَاءِ ؟ قِيلَ : الشُّهَدَاءُ كَانُوا أَحْيَاءً مَرْزُوقِينَ ، ثُمَّ نَادَى مُنَادٍ : لِيَقُمْ مَنْ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ ، فَلْيَدْخُلِ الْجَنَّةَ ، ثُمَّ نَادَى الثَّانِيَةَ : لِيَقُمْ مَنْ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ فَلْيَدْخُلِ الْجَنَّةَ ، قِيلَ : وَمَنْ ذَا الَّذِي أَجْرُهُ عَلَى اللهِ ؟ قِيلَ : الْعَافُونَ عَنِ النَّاسِ ، ثُمَّ نَادَى الثَّالِثَةَ : لِيَقُمْ مَنْ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ فَلْيَدْخُلِ الْجَنَّةَ ، فَقَامَ كَذَا وَكَذَا أَلْفًا ، فَدَخَلُوهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (طب) عن ابن عباس .

٣٣٣ — إِذَا وَلِيَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُحْسِنْ كَفَنَهُ (حم م د ن) عن جابر (ت ه) عن أبي قتادة .

٣٣٤ — اذْبَحُوا لِلهِ فِي أَيِّ شَهْرٍ كَانَ ، وَبَرُّوا لِلهِ وَأَطْعِمُوا (د ن ه ك) عن نُبَيْشَةَ .

٣٣٥ — اذْكُرِ الْمَوْتَ فِي صَلَاتِكَ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا ذَكَرَ الْمَوْتَ فِي صَلَاتِهِ لَحَرِيٌّ أَنْ تَحْسُنَ صَلَاتُهُ ، وَصَلِّ صَلَاةَ رَجُلٍ لَا يَظُنُّ أَنَّهُ يُصَلِّي صَلَاةً غَيْرَهَا ، وَإِيَّاكَ وَكُلُّ مَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ (أبو الشيخ فر) عن أنس .

٣٣٦ — اذْكُرُوا مَحَاسِنَ مَوْتَاكُمْ وَكُفُّوا عَنْ مَسَاوِيهِمْ (د ت ك هق) عن ابن عمر .

٣٣٧ — أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ تَعَالَى مِنْ

حَمَلَةِ الْعَرْشِ[1] مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِمِائَةِ سَنَةٍ (د والضياء) عن جابر .

٣٣٨ — أَرْبَعٌ إِذَا كُنَّ فِيكَ فَلَا عَلَيْكَ مَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا : صِدْقُ الْحَدِيثِ ، وَحِفْظُ الأَمَانَةِ ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ ، وَعِفَّةُ مَطْعَمٍ (حم طب ك هب) عن ابن عمرو (طب) عن ابن عمر .

٣٣٩ — أَرْبَعٌ حَقٌّ عَلَى اللهِ أَنْ لَا يُدْخِلَهُمُ الْجَنَّةَ ، وَلَا يُذِيقَهُمْ نَعِيمَهَا : مُدْمِنُ الْخَمْرِ ، وَآكِلُ الرِّبَا ، وَآكِلُ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَالْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ (ك) عن أبي هريرة .

---

(١) ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة سنة ، بسير الشخص العادى . ولايستبعد هذا بالنسبة للملائكة خصوصا حملة العرش الذى هو أعظم المخلوقات . فقد ثبت فى صحيح البخارى أن جبريل عليه السلام له ستمائة جناح . وثبت فى حق كثير من الملائكة صفات غير معهودة لنا . وأثبت علم الفلك الحديث عن النجوم والكواكب وعددها وبعدها عنا وبعد بعضها عن بعض حقائق أشبه بالخيال . ولكن إذا قرأها الشخص ازداد إعجابا بعظمة قدرة الله تعالى . وإليك مثلا من القران الكريم قال تعالى فى الحديث عن سقر (عليهما تسعة عشر) لما نزلت هذه الآية . قال أبو جهل لقريش : ثكلتكم أمهاتكم أسمع ابن أبى كبشة يخبركم أن خزنة النار تسعة عشر . وأنتم الدهم . أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم ؟ ! فقال أبو الأشد — وكان شديد البطش — أنا أكفيكم سبعة عشر . فاكفونى أنتم أثنين . أستبعد هذان المشركان بعقلهما المحصور أن تكون النار التى سيدخلها آلاف الملايين من الخلق . خزنتها تسعة عشر فقط . وحاولا أن يخرجا من النار بالغلبة عليهم فإن عشرة يغلبون واحد اكيفما كانت قوته . ولكن الله تعالى أنزل ردا حاسما فى كلمة جامعة (وماجعلنا أصحاب النار إلا ملائكة) فأصحاب النار أى خزنتها ليسوا من الإنس ولامن الجن ، ولكنهم خلق غير معهود فى شكله وصفته ، غير معهود فى قوته وبطشه ، غير معهود فى كل مايتصل به هم ملائكة وكفى !

٣٤٠ — أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لاَ يَتْرُكُونَهُنَّ : الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ ، وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ ، وَالنِّيَاحَةُ (م) عن أبي مالك الأشعري .

٣٤١ — أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقاً خَالِصًا ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ (حم ق ٣) عن ابن عمرو بن العاص .

٣٤٢ — أَرْبَعٌ مَنْ أُعْطِيَهُنَّ فَقَدْ أُعْطِيَ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ : لِسَانٌ ذَاكِرٌ ، وَقَلْبٌ شَاكِرٌ ، وَبَدَنٌ عَلَى الْبَلَاءِ صَابِرٌ ، وَزَوْجَةٌ لاَ تَبْغِيهِ حُوباً فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ (طب هب) عن ابن عباس .

٣٤٣ — أَرْبَعٌ مِنَ السَّعَادَةِ : الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ ، وَالْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ ، وَالْجَارُ الصَّالِحُ ، وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيءُ . وَأَرْبَعٌ مِنَ الشَّقَاءِ : الْجَارُ السُّوءُ ، وَالْمَرْأَةُ السُّوءُ ، وَالْمَرْكَبُ السُّوءُ ، وَالْمَسْكَنُ الضَّيِّقُ (حب) عن سعد .

٣٤٤ — أَرْبَعٌ مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلِينَ : الْحَيَاءُ ، وَالتَّعَطُّرُ ، وَالنِّكَاحُ ، وَالسِّوَاكُ (ت) عن أبي أيوب .

٣٤٥ — أَرْبَعٌ قَبْلَ الظُّهْرِ لَيْسَ فِيهِنَّ تَسْلِيمٌ ، تُفْتَحُ لَهُنَّ أَبْوَابُ السَّمَاءِ (د ت في الشمائل ابن خزيمة) عن أبي أيوب .

٣٤٦ — أَرْبَعٌ أَفْضَلُ الْكَلَامِ لاَ يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ : سُبْحَانَ اللهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، وَاللهُ أَكْبَرُ (٥) عن سَمُرة .

٣٤٧ — أَرْبَعَةٌ يُبْغِضُهُمُ اللهُ تَعَالَى : البَيَّاعُ الحَلَّافُ ، وَالفَقِيرُ المُخْتَالُ ، وَالشَّيْخُ الزَّانِي ، وَالإِمَامُ الجَائِرُ (ن هب) عن أبي هريرة .

٣٤٨ — أَرْبَعَةٌ تَجْرِي عَلَيْهِمْ أُجُورُهُمْ بَعْدَ المَوْتِ : مَنْ مَاتَ مُرَابِطاً فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَمَنْ عَلَّمَ عِلْماً أُجْرِيَ لَهُ عِلْمُهُ ، وَمَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَجْرُهَا يَجْرِي لَهُ مَا وُجِدَتْ ، وَرَجُلٌ تَرَكَ وَلَداً صَالِحاً فَهُوَ يَدْعُو لَهُ (حم طب) عن أبي أمامة .

٣٤٩ — أَرْبَعُونَ خَصْلَةً أَعْلَاهُنَّ مَنِيحَةُ العَنْزِ (١) ، لاَ يَعْمَلُ عَبْدٌ بِخَصْلَةٍ مِنْهَا رَجَاءَ ثَوَابِهَا وَتَصْدِيقَ مَوْعُودِهَا إِلاَّ أَدْخَلَهُ اللهُ تَعَالَى بِهَا الجَنَّةَ (خ د) عن ابن عمرو

٣٥٠ — أَرْجِعْ إِلَيْهِمَا فَأَضْحِكْهُمَا كَمَا أَبْكَيْتَهُمَا (د) عن (٢) عن ابن عمرو .

٣٥١ — أَرْحَامَكُمْ أَرْحَامَكُمْ (حب) عن أنس .

٣٥٢ — أُرْحَمْ مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكَ مَنْ فِي السَّمَاءِ (طب) عن جرير (طب ك) عن ابن مسعود .

٣٥٣ — أُرْحَمُوا تُرْحَمُوا ، وَاغْفِرُوا يُغْفَرْ لَكُمْ . . . . وَيْلٌ لِأَقْمَاعِ

---

(١) أربعون خصلة كالبدء بالسلام ورده ، وتشميت العاطس ، وإرشاد الضال ، وهداية الأعمى ، وإعانة الشخص فى الحمل على دابته، وعيادة المريض . وتشييع الجنازة ومساعدة الأخرق . ورفع الأذى عن طريق المارة . وغير ذلك أعلاهن منيحة العنز ، هى أنثى المعز . ومنيحتها : أن يمنح حلبها لجيرانه أو غيرهم أسبوعا أو شهرا مثلا ، فينتفعون بلبنها تلك المدة . وإنما كانت أعلى لأن فيها بذل طعام محبوب .

(٢) قاله للرجل الذى أراد الجهاد وترك والديه يبكيان .

القَوْلِ[1] ، وَيْلٌ لِلْمُصِرِّينَ الَّذِينَ يُصِرُّونَ عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (حم خد هب) عن ابن عَمْرو .

٣٥٤ — أَرْضَخِي[2] مَا اسْتَطَعْتِ ، وَلاَ تُوعِي فَيُوعِيَ اللهُ عَلَيْكِ (م ن) عن أسماء بنت أبى بكر .

٣٥٥ — أَرْضُوا مُصَدِّقِيكُمْ (حم م د ن) عن جرير .

٣٥٦ — ارْكَبُوا هٰذِهِ الدَّوَابَّ سَالِمَةً وَلاَ تَتَّخِذُوهَا كَرَاسِيَّ لِأَحَادِيثِكُمْ فِي الأَسْوَاقِ والطُّرُقِ فَرُبَّ مَرْكُوبَةٍ خَيْرٌ مِنْ رَاكِبِهَا وَأَكْثَرُ ذِكْراً للهِ مِنْهُ (حم ع طب ك) عن معاذ بن أنس .

٣٥٧ — ارْمُوا الجَمْرَةَ بِمِثْلِ حَصَى الخَذْفِ (حم وابن خزيمة والضياء) عن رجل من الصحابة .

٣٥٨ — أُرِيتُ مَا تَلْقَى أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي ، وَسَفْكَ بَعْضِهِمْ دِمَاءَ بَعْضٍ ، فَأَحْزَنَنِي،وَسَبَقَ ذَلِكَ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ كَمَا سَبَقَ فِي الأُمَمِ قَبْلَهُمْ ،فَسَأَلْتُهُ أَنْ يُولِيَنِي شَفَاعَةً فِيهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ فَفَعَلَ (البيهقى فى البعث) عن أمّ حبيبة .

٣٥٩ — أُزْرَةُ المُؤْمِنِ إِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ (ن) عن أبى هُريرةِ وأبى سعيد وابن عُمر (الضياء) عن أنس .

---

(١) ويل لاقماع القول . أقماع جمع قمع ، بفتح القاف وكسرها وهو مايصب فيه الدهن وغيره . شبه الذين يسمعون القول الحسن من وعظ وغيره ، ولايعملون به ، بالقمع الذى يمرمنه الدهن ولايمكث فيه . ففى الحديث استعارة تصريحة أصلية .

(٢) ارضخى أى أعطى قليلا ، والرضخ العطاء القليل . واستعمال رضخ بمعنى خضع ، استعمال حادث مولد .

٣٦٠ – أُسَامَةُ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ (حم طب) عن ابن عُمر .

٣٦١ – إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ فِي الْمَكَارِهِ وَإِعْمَالُ الْأَقْدَامِ إِلَى الْمَسَاجِدِ وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ يَغْسِلُ الْخَطَايَا غَسْلاً (ع ك هب) عن عَلِيّ عليه السلام .

٣٦٢ – إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ شَطْرُ الإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ وَالتَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ يَمْلَأُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالصَّلَاةُ نُورٌ وَالزَّكَاةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُوا فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا (حم ن ه حب) عن أَبِي مَالِكٍ الأَشعرى ورواه(م) بلفظ : الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ .

٣٦٣ – اسْتَتِرُوا فِي صَلَاتِكُمْ وَلَوْ بِسَهْمٍ (حم ك هق) عن الرَّبِيع ابن سَبْرة .

٣٦٤ – اسْتَحْيُوا فَإِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَلَا تَأْتُوا النِّسَاءَ فِي أَدْبَارِهِنَّ (ع) عن عُمر رضى الله عنه .

٣٦٥ – اسْتَعِدَّ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نُزُولِ الْمَوْتِ (طب ك هب) عن طَارِقٍ الْمُحاربى .

٣٦٦ – اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ طَمَعٍ يُؤَدِّى إِلَى طَبَعٍ[1] ، وَمِنْ طَمَعٍ يَهْدِى إِلَى غَيْرِ مَطْمَعٍ ، وَمِنْ طَمَعٍ حَيْثُ لَا مَطْمَعَ (حم طب ك) عن معاذ بن جبل .

---

(١) خنوع وذل .

٣٦٧ — اسْتَعِينُوا بِطَعَامِ السَّحَرِ عَلَى صِيَامِ النَّهَارِ وَبِالْقَيْلُولَةِ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ (ه طب ك هب) عن ابن عباس .

٣٦٨ — اسْتَغْنُوا عَنِ النَّاسِ وَلَوْ بِشَوْصِ السِّوَاكِ (البزار طب هب) عن ابن عباس .

٣٦٩ — اسْتَقِمْ وَلْيَحْسُنْ خُلُقُكَ لِلنَّاسِ (طب ك هب) عن ابن عَمْرو .

٣٧٠ — اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا[1] وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ (حم ش ع حب طب ه ك هق) عن ثَوْبَانَ (ك) عن جابر (طب) عن سَلَمَةَ بن الأَكْوع (حم ه ش ع إسحاق البزار طب) عن ابن عَمرو .

٣٧١ — اسْتَكْثِرُوا مِنَ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ : التَّسْبِيحُ والتَّحْمِيدُ وَالتَّهْلِيلُ وَالتَّكْبِيرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ (حم ن ع حب ك) عن أبى سعيد .

٣٧٢ — اسْتَكْثِرُوا مِنَ النِّعَالِ[2] فَإِنَّ الرَّجُلَ لَا يَزَالُ رَاكِبًا مَا دَامَ مُنْتَعِلًا (حم تخ م ن) عن جابر (طب) عن عِمْرانَ (طى) عن ابن عمر .

٣٧٣ — اسْتَنْثِرُوا مَرَّتَيْنِ بَالِغَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا (حم د ه ك) عن ابن عباس.

٣٧٤ — أَسْتَوْدِعُ اللهَ دِينَكَ وَأَمَانَتَكَ وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ (د ت) عن ابن عُمر .

---

(١) لن تستطيعوا الاستقامة كاملة لكن بقدر استطاعتكم .
(٢) فيه حث على الإكثار فى النعال وترك الحفاء .

٣٧٥ — اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْراً فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ[1] فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْراً (ق) عن أبي هُرَيرة .

٣٧٦ — اسْتَوُوا[2] وَلَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ وَلْيَلِنِي مِنْكُمْ أُولُوا الْأَحْلَامِ وَالنُّهَى ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ (حم م ن) عن أبي مسعود .

٣٧٧ — أَسْرَعُ الدُّعَاءِ إِجَابَةً دَعْوَةُ غَائِبٍ لِغَائِبٍ (خد دطب) عن ابن عَمْرو .

٣٧٨ — أَسْرِعُوا بِالْجَنَازَةِ فَإِنْ تَكُ صَالِحَةً فَخَيْرٌ تُقَدِّمُونَهَا إِلَيْهِ وَإِنْ تَكُ سِوَى ذَلِكَ فَشَرٌّ تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ (حم ق ع) عن أبي هُرَيرةِ .

٣٧٩ — أَسْرَقُ النَّاسِ الَّذِي يَسْرِقُ صَلَاتَهُ لَا يُتِمُّ رُكُوعَهَا وَلَا سُجُودَهَا وَأَبْخَلُ النَّاسِ مَنْ بَخِلَ بِالسَّلَامِ (طب) عن عبد الله بن مُغَفَّلٍ

٣٨٠ — أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ (خ) عن أبي هُرَيرةِ .

٣٨١ — أَسْفِرُوا بِالْفَجْرِ فَإِنَّهُ أَعْظَمُ لِلْأَجْرِ (ت ن حب) عن رَافِعٍ .

٣٨٢ — أَسْلِمْ ثُمَّ قَاتِلْ[3] (خ) عن البَرَاء .

---

(١) وأعلى ما فى المرأة رأسها وهو أعوج فى التفكير .

(٢) فى الصف فى الصلاة .

(٣) قاله لمشرك أراد القتال مع المسلمين .

٣٨٣ — أَسْلِمْ وَإِنْ كُنْتَ كَارِهًا (حم ع والضياء) عن أنس .

٣٨٤ — أَسْلَمُ سَالَمَهَا اللهُ وَغِفَارُ غَفَرَ اللهُ لَهَا أَمَا وَاللهِ مَا أَنَا قُلْتُهُ وَلَكِنَّ اللهَ قَالَهُ (حم طب ك) عن سَلَمَةَ بن الأَكْوع (م) عن أبى هُرَيرةٍ .

٣٨٥ — أَسْلَمْتَ عَلَى[1] مَا أَسْلَفْتَ مِنْ خَيْرٍ (حم ق) عَنْ حَكِيم ابن حِزَامٍ .

٣٨٦ — اسْمُ اللهِ الأَعْظَمُ الَّذِى إِذَا دُعِىَ بِهِ أَجَابَ فِى ثَلَاثِ سُوَرٍ مِنَ الْقُرْآنِ فِى الْبَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ وَطَهَ (ه طب ك) عن أبى أمامةَ .

٣٨٧ — اسْمَعْ يُسْمَعْ لَكَ (حم طص هب) عن ابن عباس .

٣٨٨ — أَسْمَعُ الدُّعَاءِ جَوفُ اللَّيْلِ الاخِيرُ وَدُبُرُ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ (ت) عن أبى أمامة .

٣٨٩ — اسْمَعُوا إِنَّهُ سَيَكُونُ بَعْدِى أُمَرَاءُ فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَلَا تُعِينُوهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَإِنَّ مَنْ صَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ لَمْ يَرِدْ عَلَىَّ الْحَوْضَ (طب حب) عن عبد الله بن خَبَّابٍ عن أبيه .

٣٩٠ — اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنْ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِىٌّ[2] كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ (حم خ ه) عن أنس .

---

(١) سأل حكيم بن حزام عن أعمال خير كان يفعلها قبل الاسلام كبذل الطعام وإكرام الضيف وإنصاف المظلوم : هل يؤجر فيها ؟ فقال له النبى صلى الله عليه وسلم . اسلمت على ما أسلفت من خير . يعنى أن الله تعالى كتبها له حيث أسلم ، تفضلا منه سبحانه ، لأنها مكارم أخلاق ، لاتحتاج إلى نية . أما لو كانت عبادة كالطواف والسعى والهدى ، فلا تصح إلا بعد الإسلام .

(٢) وإن استعمل عليكم عبد حبشى الغرض بهذا العبارة بيان وجوب طاعة =

٣٩١ — أَسْوَأُ النَّاسِ سَرِقَةً[1] الَّذِى يَسْرِقُ مِنْ صَلاَتِهِ لاَ يُتِمُّ رُكُوعَهَا وَلاَ سُجُودَهَا وَلاَ خُشُوعَهَا (حم ك) عن أبى قتادة (الطيالسى حم ع) عن أبى سعيد .

٣٩٢ — أَشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً لِلنَّاسِ فِى الدُّنْيَا : أَشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (حم حب) عن خالد بن الوليد (ك) عن عياض ابن غنم وهشام بن حكيم .

٣٩٣ — أَشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ خَلْقَ اللهِ[2] (حم ق ن) عن عائشة .

٣٩٤ — أَشَدُّ النَّاسِ بَلاَءً الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَإِنْ كَانَ فِى دِينِهِ صَلْباً اشْتَدَّ بَلاَؤُهُ وَإِنْ كَانَ فِى دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِىَ عَلَى قَدْرِ دِينِهِ ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلاَءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِى عَلَى الأَرْضِ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ (حم حب ك ت ن ه) عن سعد .

= الأمير إذا كان مستجمعا لشروط الإمارة ، من غير نظر إلى شخصه وقد تقدم فى الحديث قبل هذا : أنه سيكون بعدى أمراء ـ يعنى ظلمة ـ فلا تصدقوهم بكذبهم ولاتعينوهم على ظلمهم . أى لاتطيعوهم لأنهم ظالمون فيستفاد من الحديثين : أن المدار فى طاعة الأمير على عدله واستقامته ، لاعلى لونه أوقبيلته .

(١) أسوأ الناس سرقة أى أقبحهم سرقة ،لأنه أخل بالركوع والسجود والخشوع وقال ، فى حديث ٣٧٩ : أسرق الناس أى أكثرهم سرقة الذى وصلت سرقته إلى عبادته . فالذى يخل بصلاته يكون أسرق الناس واقبحهم سرقة . فتجتمع فيه الخصلتان وفى غير هذه الحالة لايلزم أن يكون أسرق الناس أسوأهم سرقة ، ولاالعكس . على أن فى الحديث الماضى زيادة فائدة على ماهنا ، وهى بيان أبخل الناس .

(٢) وهم المصورون بأيديهم رسما أو نحتا أو تطريزا يشبه مخلوقا فيه روح كحيوان .

٣٩٥ - أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً الأَنْبِيَاءُ ، ثُمَّ العُلَمَاءُ ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ ، كَانَ أَحَدُهُمْ يُبْتَلَى بِالْقَتْلِ حَتَّى يَقْتُلَهُ ، وَيُبْتَلَى أَحَدُهُمْ بِالْفَقْرِ حَتَّى مَا يَجِدُ إِلاَّ العَبَاءَةَ يَلْبَسُهَا ، وَلَأَحَدُهُمْ كَانَ أَشَدُّ فَرَحاً بِالْبَلَاءِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِالْعَطَاءِ (ه ع ك) عن أبى سعيد .

٣٩٦ - أَشَدُّ النَّاسِ عَلَيْكُمْ الرُّومُ ، وَإِنَّمَا هَلَكَتُهُمْ مَعَ السَّاعَةِ (حم) عن المُسْتَوْرِدِ .

٣٩٧ - أَشْفَعُ لِأُمَّتِي حَتَّى يُنَادِينِي رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى : أَقَدْ رَضِيتَ يَا مُحَمَّدُ ؟ فَأَقُولُ : إِى رَبِّ قَدْ رَضِيتُ (البزار طب) عن علىّ عليه السلام .

٢٩٨ - أُشْفَعُوا تُؤْجَرُوا وَيَقْضِى اللهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا شَاءَ (ق ٣) عن أبى موسى .

٣٩٩ - أَشْكَرُ النَّاسِ للهِ أَشْكَرُهُمْ لِلنَّاسِ (حم طب هب والضياء) عن الأشعث بن قيس (طب هب) عن أُسامة (عد) عن ابن مسعود .

٤٠٠ - اُصْبِرُوا وَأَبْشِرُوا ، فَإِنِّي قَدْ بَارَكْتُ عَلَى صَاعِكُمْ وَمُدِّكُمْ ، وكُلُوا وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فإِنَّ طَعَامَ الْوَاحِدِ يَكْفِي الإِثْنَيْنِ وَطَعَامُ الإِثْنَيْنِ يَكْفِي الأَرْبَعَةَ وَطَعَامُ الأَرْبَعَةِ يَكْفِي الْخَمْسَةَ وَالسِّتَّةَ ، وَإِنَّ البَرَكَةَ فِي الْجَمَاعَةِ . فَمَنْ صَبَرَ عَلَى لَأْوَائِهَا - يعنى المدينة - وَشِدَّتِهَا كُنْتُ لَهُ شَفِيعاً وَشَهِيداً يَوْمَ القِيَامَةِ ، وَمَنْ خَرَجَ عَنْهَا رَغْبَةً عَمَّا فِيهَا أَبْدَلَ اللهُ بِهِ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ فِيهَا ، وَمَنْ أَرَدَهَا بِسُوءٍ أَذَابَهُ اللهُ كَمَا يَذُوبُ المِلْحُ فِي المَاءِ (البزار) عن عمر رضى الله عنه .

٤٠١ — أَصْبِرِي، فَإِنَّهَا - يعني الحمّى - تُذْهِبُ خَبَثَ ابْنِ آدَمَ كَمَا يُذْهِبُ الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ (طب) عن فاطمة الخزاعية.

٤٠٢ — أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ كَلِمَةُ لَبِيدٍ: أَلاَ كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلاَ اللهَ بَاطِلُ (ق ه) عن أبي هريرة.

٤٠٣ — أَصْدَقُ الرُّؤْيَا بِالأَسْحَارِ (حم ت حب ك هب) عن أبي سعيد.

٤٠٤ — أَصْرِفْ بَصَرَكَ[1] (حم م ٣) عن جرير.

٤٠٥ — أَصْنَعُوا لآلِ جَعْفَرٍ[2] طَعَامًا فَإِنَّهُ قَدْ أَتَاهُمْ مَا يَشْغَلُهُمْ (حم د ت ه ك) عن عبد الله بن جعفر.

٤٠٦ — أَضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمُ الجَنَّةَ: أَصْدِقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا أُتْمِنْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ (حم حب ك هب) عن عبادة بن الصامت.

٤٠٧ — أَطِبِ الكَلاَمَ، وَأَفْشِ السَّلاَمَ، وَصِلِ الأَرْحَامَ، وَصَلِّ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، ثُمَّ ادْخُلِ الجَنَّةَ بِسَلاَمٍ (حب حل) عن أبي هريرة.

٤٠٨ — أَطْفِئُوا المَصَابِيحَ إِذَا رَقَدْتُمْ، وَأَغْلِقُوا الأَبْوَابَ، وَأَوْكِئُوا

---

(١) قاله حين سئل عن رجل يقع بصره على أجنبية.

(٢) قاله حين أتى نعي جعفر بن أبي طالب ويؤخذ منه استحباب صنع الطعام لأهل الميت من أقاربهم وجيرانهم. وأهل المغرب وكثير من أهل الريف المصري يفعلون ذلك.

الأَسْقِيَةَ ، وَخَمِّرُوا الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ ، وَلَوْ بِعُودٍ تَعْرِضُهُ عَلَيْهِ (خ) عن جابر .

٤٠٩ — أُطَّلِعْتُ فِي الجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الفُقَرَاءَ ، وَأُطَّلِعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ (حم م ت) عن ابن عباس (خ ت) عن عِمْران ابن حصين .

٤١٠ — أَطْيَبُ الطِّيبِ المِسْكُ (حم د ن) عن أبي سعيد .

٤١١ — أَطْيَبُ الكَسْبِ عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ ، وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ (حم طب ك) عن رافع بن خديج (طب) عن ابن عمر .

٤١٢ — أَطْيَبُ اللَّحْمِ لَحْمُ الظَّهْرِ (حم ه ك هب) عن عبد الله بن جعفر .

٤١٣ — أَعَاذَكَ اللهُ مِنْ إِمَارَةِ السُّفَهَاءِ أُمَرَاءَ يَكُونُونَ بَعْدِي ، لاَ يَهْتَدُونَ بِهَدْيِي وَلاَ يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي ، فَمَنْ صَدَّقَهُمْ بِكِذْبِهِمْ ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَأُولَئِكَ لَيْسُوا مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُمْ ، وَلاَ يَرِدُونَ عَلَيَّ حَوْضِي ، وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكِذْبِهِمْ وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَأُولَئِكَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ ، وَسَيَرِدُونَ عَلَيَّ حَوْضِي . يَا كَعْبُ بْنَ عُجْرَةَ : الصِّيَامُ جُنَّةٌ ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ ، وَالصَّلاَةُ قُرْبَانٌ . يَا كَعْبُ بْنَ عُجْرَةَ : النَّاسُ غَادِيَانِ فَمُبْتَاعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا ، وَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُوبِقُهَا (حم والبزار) عن كعب .

٤١٤ — اعْبُدِ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، وَعُدَّ نَفْسَكَ فِي المَوْتَى ، وَإِيَّاكَ

ودَعَوَاتِ المَظْلُومِ فَإِنَّهُنَّ مُجَابَاتٌ ، وَعَلَيْكَ بِصَلَاةِ الغَدَاةِ وَصَلَاةِ العِشَاءِ فاشْهَدْهُمَا ، فَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَاتَيْتُمُوهُمَا وَلَوْ حَبْـــواً (طب) عن أبي الدّرداء .

٤١٥ — أعْبُدِ اللهَ كأنَّكَ تَرَاهُ ، وَأعْدُدْ نَفْسَكَ فِي المَوْتَى ، وَإِنْ شِئْتَ أُنَبِّئْكَ بِمَا هُوَ أَمْلَكُ بِكَ مِنْ هٰذَا كُلِّهِ ؟ هٰذَا — يَعْنِي اللســانَ — (ابن أبي الدنيا) عن معاذ بن جبل .

٤١٦ — أعْبُدُوا الرَّحْمٰنَ ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ ، وَأَفْشُوا السَّلَامَ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلَامٍ (ت) عن أبي هُريرة .

٤١٧ — أعْتَدِلُوا فِي السُّجُودِ وَلَا يَبْسُطُ أَحَدُكُمْ ذِرَاعَيْهِ انْبِسَاطَ الـكَلْبِ (حم ق ٤) عن أنس .

٤١٨ — أَعْتَقَـــتْ أُمَّ إِبْرَاهِيمَ[1] وَلَدُهَا (٥ قط ك هق) عن ابن عباس .

٤١٩ — أَعْتِقُوا عَنْهُ رَقَبَةً يُعْتِقُ اللهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهَا عُضْوًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ (د ك) عن واثلة .

٤٢٠ — أَعْذَرَ اللهُ إِلَى امْرِىءٍ أَخَّرَ أَجَلَهُ حَتَّى بَلَغَ سِتِّينَ سَنَةً[2] (خ) عن أبي هريرة .

---

(١) كان الصحابة لا يعرفون : هل مارية زوجة فتكون من أمهات المؤمنين ! أو سرية — وهى الأمة التى تبوأ بيتا فلما قال أعتق أم إبراهيم ولدها . تبين لهم : أنها سرية .

(٢) أى لم يبق له عذر فى ارتكاب المعصية لأنه تجاوز سن الشباب والكهولة إلى سن الشيخوخة .

٤٢١ — أَعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ ، لاَ بَأْسَ بالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهَا شِرْكٌ (م د) عن عَوْفِ بن مالكٍ .

٤٢٢ — أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ الدُّعَاءِ ، وَأَبْخَلُ النَّاسِ مَنْ بَخِلَ بالسَّلاَمِ (طس هب) عن أبى هُريرة (الطبرانى فى الدعاء) عن عبد الله بن مُغَفَّل .

٤٢٣ — أَعْزِلِ الأَذَى عَنْ طَرِيقِ المُسْلِمِينَ (م ه) عن أبى بَرْزَةَ .

٤٢٤ — أَعْزِلْ عَنْهَا إِنْ شِئْتَ فَإِنَّهُ سَيَأْتِيهَا مَا قُدِّرَ لَهَا[1] (م) عن جابر .

٤٢٥ — أَعْطُوهُ ، فَإِنَّ خَيْرَكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً[2] (ق ت ه) عن أبى هريرة .

٤٢٦ — أَعْطِهِ إِيَّاهُ ، فَإِنَّ خِيَارَ النَّاسِ أَحْسَنُهُمْ قَضَاءً (مالك م ٤) عن أبى رافع .

٤٢٧ — أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ ، وَاخْتُصِرَ لِيَ الكَلاَمُ اخْتِصَاراً (ع) عن عمر .

٤٢٨ — أُعْطِيتُ مَا لَمْ يُعْطَ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي : نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ وَأُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الأَرْضِ ، وَسُمِّيتُ أَحْمَدَ ، وَجُعِلَ لِيَ التُّرَابُ طَهُورًا ، وَجُعِلَتْ أُمَّتِي خَيْرَ الأُمَمِ (حم) عن علىّ كرم الله وجهه .

---

(١) كان هذا جوابا لمن سأل عن الرجل يعزل عن جاريته مخافة أن تحبل منه .

(٢) فى هذا والذى بعده جواز أن يقضى المدين أحسن مما استدانه مالم يكن عن شرط أو اعتياد .

٤٢٩ — أُعْطِيتُ فَوَاتِحَ الكَلِمِ وَجَوَامِعَهُ وَخَوَاتِمَهُ (ش ع طب) عن أبي موسى .

٤٣٠ — أُعْطِيتُ مَكَانَ التَّوْرَاةِ السَّبْعَ الطِّوَالَ ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الزَّبُورِ المِئِينَ ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الإِنْجِيلِ المَثَانِيَ ، وَفُضِّلْتُ بِالمُفَصَّلِ[1] (حم طب) عن واثلة بن الاسقع .

٤٣١ — أُعْطِيتُ هٰذِهِ الآيَاتِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ العَرْشِ لَمْ يُعْطَهَا نَبِيٌّ قَبْلِي (حم طب هب) عن حُذَيْفَةَ (م) عن أبي ذر .

٤٣٢ — أُعْطِيتُ خَمْساً لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي : نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً ، فَأَيُّمَا رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ ، وَأُحِلَّتْ لِي الغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً (ق ن) عن جابر .

٤٣٣ — أُعْطِيَ يُوسُفُ شَطْرَ الحُسْنِ (ش حم ع ك) عن أنس .

٤٣٤ — أَعْظَمُ الأَيَّامِ عِنْدَ اللهِ يَوْمُ النَّحْرِ ثُمَّ يَوْمُ الفِطْرِ (حم د ك) عن عبد الله بن قُرْط .

٤٣٥ — أَعْظَمُ الغُلُولِ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ذِرَاعٌ مِنَ الأَرْضِ ، تَجِدُونَ الرَّجُلَيْنِ جَارَيْنِ فِي الأَرْضِ أَوْ فِي الدَّارِ فَيَقْتَطِعُ أَحَدُهُمَا مِنْ حَظِّ صَاحِبِهِ ذِرَاعاً ، إِذَا اقْتَطَعَهُ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ[2] (حم) عن أبي مالك الأشعري .

---

(١) من أول الحجرات إلى آخر القرآن .

(٢) يفيد أن الأرضين سبعة ، والقرآن يفيد ذلك أيضا .

٤٣٦ — أَعْظَمُ النَّاسِ أَجْراً فِي الصَّلاَةِ أَبْعَدُهُمْ إِلَيْهَا مَمْشَى فَأَبْعَدُهُمْ ، وَالَّذِي يَنْتَظِرُ الصَّلاَةَ حَتَّى يُصَلِّيَهَا مَعَ الإِمَامِ أَعْظَمُ أَجْراً مِنَ الَّذِي يُصَلِّي ثُمَّ يَنَامُ (ق) عن أبي موسى (٥) عن أبي هريرة .

٤٣٧ — أَعْظَمُ النَّاسِ حَقًّا عَلَى الْمَرْأَةِ زَوْجُهَا ، وَأَعْظَمُ النَّاسِ حَقًّا عَلَى الرَّجُلِ أُمُّهُ (ك) عن عائشة .

٤٣٨ — أَعْظَمُ النِّسَاءِ بَرَكَةً أَيْسَرُهُنَّ مُؤْنَةً (حم ك هب) عن عائشة .

٤٣٩ — اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ[1] (حب حل) عن عمرو بن أميه الضمرى .

٤٤٠ — اعْلَمْ أَنَّكَ لاَ تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلاَّ رَفَعَ اللهُ لَكَ بِهَا دَرَجَةً ، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً (حم ع حب طب) عن أبي أمامة .

٤٤١ — اعْلَمْ يَا أَبَا مَسْعُودٍ أَنَّ اللهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هٰذَا الْغُلاَمِ[2] (م) عن أبي مسعود .

٤٤٢ — اعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ مَالُ وَارِثِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ ، مَالُكَ مَا قَدَّمْتَ وَمَالُ وَارِثِكَ مَا أَخَّرْتَ (ن) عن ابن مسعود .

٤٤٣ — أَعْلِنُوا النِّكَاحَ (حم حب طب ك حل) عن ابن الزبير .

٤٤٤ — أَعْلِنُوا النِّكَاحَ وَاجْعَلُوهُ فِي الْمَسَاجِدِ وَاضْرِبُوا عَلَيْهِ بِالدُّفِّ (ت ٥) ابن مَنِيع عن عائشة .

٤٤٥ — أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَى السَّبْعِينَ وَأَقَلُّهُمْ مَنْ يَجُوزُ ذَلِكَ (ت ٥ حب ك) عن أبي هريرة (ع) عن أنس .

---

(١) يفيد أن التوكل مباشرة الأسباب مع الاعتماد على مسببها وخالقها .

(٢) قاله لأبي مسعود حين رآه يضرب عبدا له .

٤٤٦ — اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ (طب) عن ابن عباس ، وعن عمران بن حُصَيْنٍ .

٤٤٧ — اغْزُوا تَغْنَمُوا ، وَصُومُوا تَصِحُّوا ، وَسَافِرُوا تَسْتَغْنُوا (طى) عن أبى هُريرة .

٤٤٨ — اغْسِلُوهُ[1] بِمَاءٍ وَسِدْرٍ ، وَكَفِّنُوهُ بِثَوْبَيْهِ ، وَلاَ تُحَنِّطُوهُ وَلاَ تُخَمِّرُوا رَأْسَهُ فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَبِّيًا (ق ابن خزيمة) عن ابن عباس .

٤٤٩ — افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، وَتَفَرَّقَتِ النَّصَارَى عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً (ع) عن أبى هريرة (حم د ك) عن معاوية .

٤٥٠ — أَفْشُوا السَّلاَمَ تَسْلَمُوا (خد ع حب هب) عن البراء .

٤٥١ — أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ تَحَابُّوا (ك) عن أبى موسى .

٤٥٢ — أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ الصَّلاَةُ لِوَقْتِهَا ، وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ (م) عن ابن مسعود .

٤٥٣ — أَفْضَلُ الأَعْمَالِ الصَّلاَةُ فِي أَوَّلِ وَقْتِهَا (د ت ك) عن أم فروة .

٤٥٤ — أَفْضَلُ الأَعْمَالِ إِيمَانٌ بِاللهِ وَحْدَهُ ، ثُمَّ الْجِهَادُ ، ثُمَّ حَجَّةٌ بَرَّةٌ تَفْضُلُ سَائِرَ الأَعْمَالِ ، كَمَا بَيْنَ مَطْلَعِ الشَّمْسِ إِلَى مَغْرِبِهَا (حم طب) عن ماعز .

---

(١) قاله فى رجل مات وهو محرم بالحج .

٤٥٥ — أَفْضَلُ الأَعْمَالِ الْحُبُّ فِي اللهِ ، وَالْبُغْضُ فِي اللهِ (د) عن أبي ذر .

٤٥٦ — أَفْضَلُ الأَعْمَالِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى إِيمَانٌ لاَ شَكَّ فِيهِ ، وَغَزْوٌ لاَ غُلُولَ فِيهِ ، وَحَجٌّ مَبْرُورٌ (حب) عن أبي هريرة .

٤٥٧ — أَفْضَلُ الْجِهَادِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يَلْتَقُونَ فِي الصَّفِّ الأَوَّلِ فَلاَ يَلْفِتُونَ وُجُوهَهُمْ حَتَّى يُقْتَلُوا أُولَئِكَ يَتَلَبَّطُونَ فِي الْغُرَفِ مِنَ الْجَنَّةِ ، يَضْحَكُ إِلَيْهِمْ رَبُّكَ[1] ، وَإِذَا ضَحِكَ إِلَى قَوْمٍ فَلاَ حِسَابَ عَلَيْهِمْ (طب) عن أبي سعيد .

٤٥٨ — أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ (ه) عن أبي سعيد (حم ه طب هب) عن أبي أمامة (حم ن هب) عن طارق بن شهاب .

٤٥٩ — أَفْضَلُ الدُّعَاءِ أَنْ تَسْأَلَ رَبَّكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، فَإِنَّكَ إِذَا أُعْطِيتَهُمَا فِي الدُّنْيَا ثُمَّ أُعْطِيتَهُمَا فِي الآخِرَةِ فَقَدْ أَفْلَحْتَ (حم هنا د ت ه) عن أنس .

٤٦٠ — أَفْضَلُ الدَّنَانِيرِ دِينَارٌ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ عَلَى عِيَالِهِ ، وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ عَلَى دَابَّتِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ (حم م ت ن ه) عن ثوبان .

٤٦١ — أَفْضَلُ الذِّكْرِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ[2] (ت ن ه حب ك) عن جابر .

---

(١) في الموقف .

(٢) إذا أثنى العبد على الله أعطاه مايريد من غير مسألة، لأن الله يحب الحمد والثناء.

٤٦٢ — أَفْضَلُ الرِّقَابِ أَغْلَاهَا ثَمَنًا وَأَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا (حم ق ن ه) عن أبي ذر (حم طب) عن أبي أُمامةَ .

٤٦٣ — أَفْضَلُ السَّاعَاتِ جَوْفُ اللَّيْلِ الآخِرُ (طب) عن عَمْرو ابن عَبَسَةَ .

٤٦٤ — أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ مَنْ سُفِكَ دَمُهُ وَعُقِرَ جَوَادُهُ (طب) عن أبي أُمامةَ .

٤٦٥ — أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَأْمُلُ الْغِنَى وَتَخْشَى الْفَقْرَ وَلَا تُمْهِلُ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ قُلْتَ : لِفُلَانٍ كَذَا وَلِفُلَانٍ كَذَا ، أَلَا وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ (حم ق د ن) عن أبي هُريرةِ .

٤٦٦ — أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ جُهْدُ الْمُقِلِّ وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ (د ك) عن أبي هُريرةِ .

٤٦٧ — أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنًى وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ (حم م ن) عن حَكِيمِ بن حِزَام .

٤٦٨ — أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ سَقْيُ الْمَاءِ (حم د ه ن حب ك) عن سَعد بن عُبادةَ (ع) عن ابن عباس .

٤٦٩ — أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ أَنْ يَتَعَلَّمَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ عِلْمًا ثُمَّ يُعَلِّمَهُ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ(٥) عن أبي هُريرة من طريق الحسن وقد سمع منه .

٤٧٠ — أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ : الصَّدَقَةُ عَلَى ذِي الرَّحِمِ الْكَاشِحِ حم طب) عن أبي أيوب وعن حكيم بن حِزَامٍ (خد د ت) عن أبي سعيد (طب ك) عن أم كُلثوم بنت عُقبةَ .

٤٧١ — أَفْضَلُ الصَّدَقَاتِ ظِلُّ فُسْطَاطٍ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَوْ مِنْحَةُ خَادِمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ طَرُوقَةُ فَحْلٍ فِي سَبِيلِ اللهِ (حم ت) عن أبي أُمامةَ (ت) عن عَدِيّ بن حاتم .

٤٧٢ — أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْمَكْتُوبَةِ الصَّلَاةُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ وَأَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ شَهْرُ اللهِ الْمُحَرَّمُ (م ٤) عن أبي هُريرةِ (الروماني في مسنده طب) عن جُنْدَبٍ .

٤٧٣ — أَفْضَلُ الصَّلَاةِ طُولُ الْقُنُوتِ (حم م ت ه) عن جابر (طب) عن أبي موسى وعن عَمْرو بن عَبَسَةَ وعن عُمير ابن قَتادةَ اللَّيثي .

٤٧٤ — أَفْضَلُ الصَّلَاةِ صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا الْمَكْتُوبَةَ (ن طب) عن زيد بن ثابت .

٤٧٥ — أَفْضَلُ الصَّوْمِ صَوْمُ أَخِي دَاوُدَ كَانَ يَصُومُ يَوْماً وَيُفْطِرُ يَوْماً وَلَا يَفِرُّ إِذَا لَاقَى (ت ن) عن ابن عَمرو .

٤٧٦ — أَفْضَلُ الْعِبَادِ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيراً (حم ت) عن أبي سعيد .

٤٧٧ — أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ الدُّعَاءُ (ك) عن ابن عباس (عد) عن أبي هُريرةِ (ابن سعد) عن النُّعمانِ بن بشير .

٤٧٨ — أَفْضَلُ الْعَمَلِ إِيمَانٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ حَجٌّ مَبْرُورٌ (ق) عن أبي هُريرةِ .

٤٧٩ — أَفْضَلُ الْقُرْآنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (حب ك هب) عن أنس .

٤٨٠ — أَفْضَلُ الْكَلاَمِ سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلهِ وَلاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ (حم) عن رجل من الصحابة .

٤٨١ — أَفْضَلُ الْمُسْلِمِينَ إِسْلاَماً مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَأَفْضَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَاناً أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً . وَأَفْضَلُ الْمُهَاجِرِينَ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ. وَأَفْضَلُ الْجِهَادِ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ[1] فِي ذَاتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ (طب) عن ابن عمرو .

٤٨٢ — أَفْضَلُ الْمُؤْمِنِينَ رَجُلٌ سَمْحُ الْبَيْعِ سَمْحُ الشِّرَاءِ سَمْحُ الْقَضَاءِ سَمْحُ الاقْتِضَاءِ (طب) عن أبى سعيد .

٤٨٣ — أَفْضَلُ الْمُؤْمِنِينَ أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً (ه ك) عن ابن عمر .

٤٨٤ — أَفْضَلُ النَّاسِ مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ ثُمَّ مُؤْمِنٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَتَّقِي اللهَ وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ (حم ق ت ه) عن أبى سعيد .

٤٨٥ — أَفْضَلُ أَيَّامِ الدُّنْيَا الْعَشْرُ[2] - يَعْنِي عَشْرَ ذِي الْحِجَّةِ - قِيلَ : وَلاَ مِثْلُهُنَّ فِي سَبِيلِ اللهِ ؟ قَالَ : وَلاَ مِثْلُهُنَّ فِي سَبِيلِ اللهِ إِلاَّ رَجُلٌ عُفِّرَ وَجْهُهُ بِالتُّرَابِ[3] (البزار) عن جابر .

---

(١) يفيد فضل المجاهدة على الجهاد . والقرآن يفيد ذلك أيضا .

(٢) العشر . يعنى فى العبادة وذكر الله تعالى قيل ؛ ولامثلهن فى سبيل الله ! أى لاتفضلهن أيام أخرى فى العبادة ، ولاعشرة أيام مثلهن فى الجهاد ! قال ؛ ولامثلهن فى الجهاد إلا فى حالة واحدة وهو أن يقع المجاهد قتيلا يتعفر وجهه فى التراب فهذا أفضل . لأنه بذل نفسه وروحه لله سبحانه .

(٣) يعنى وقع على الأرض شهيدا .

٤٨٦ — أَفضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ (حم طب ك) عن ابن عباس .

٤٨٧ — أَفْطَرَ الْحَاجِمُ وَالْمَحْجُومُ[1] ، (حم د ن ه حب ك) ، عن ثَوْبَانَ .

٤٨٨ — أَفْطَرَ عِنْدَكُمُ الصَّائِمُونَ وَأَكَلَ طَعَامَكُمُ الأَبْرَارُ وَصَلَّتْ عَلَيْكُمُ الْمَلَائِكَةُ (ه حب) عن الزُّبَير .

٤٨٩ — أَفْلَحَ مَنْ هُدِيَ إِلَى الإِسْلَامِ وَكَانَ عَيْشُهُ كَفَافاً وَقَنَعَ بِهِ (طب ك) عن فُضَالَةَ بن عُبَيْد .

٤٩٠ — أَفْلَحْتَ يَا قُدَيْمُ[2] إِنْ مِتَّ وَلَمْ تَكُنْ أَمِيراً وَلَا كَاتِباً وَلَا عَرِيفاً[3] (د) عن الْمِقْدَامِ بن مَعْدِيكَرِبَ .

---

(١) كناية عن كونهما فعلا فعلا يؤدى إلى الافطار .

(٢) معناه : كان النبي صلى الله عليه وسلم يعامل أصحابه رضى الله عنهم بحسب استعداداتهم ، فيولى بعضهم كعلى ومعاذ رضى الله عنهما ، لقدرتهما على القيام بمهام ولايتهما . وينهى بعضهم عن مناصب الولاية . لضعفهم عن تحملها . كأبى ذر رضى الله عنه فأنه طلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يوليه كما ولى غيره . فقال له : ياأبا ذر أنها أمانة وأنك ضعيف ، وإنى أحب لك ماأحب لنفسى ، فلا تلين شيئا . وكذلك المقدام راوى هذا الحديث ، حضه النبي صلى الله عليه وسلم على الابتعاد عن مناصب الولاية ، وخاطبه بقديم — بصيغة التصغير — تلميحا إلى ضعفه عن تحملها . ومما لاشك فيه أن الامارة والكتابة والعرافة وما إليها يجب أن لايتولاها إلا الكفء القادر الأمين .

(٣) هو شيخ البلد أو العمدة .

٤٩١ — أَفَلَا أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً (ق ت ن) عن المُغيرةِ بن شُعْبة [ابن خُزَيمة] عن أبي هُرَيرة .

٤٩٢ — أَفَلَا تَتَّقِي اللهَ فِي هٰذِهِ البَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللهُ إِيَّاهَا فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ[1] (حم د) عن عبد الله بن جعفر .

٤٩٣ — إِقَامَةُ حَدٍّ بِأَرْضٍ خَيْرٌ لِأَهْلِهِ مِنْ مَطَرِ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً (حم ن ه طب حب) عن أبي هريرة .

٤٩٤ — إِقَامَةُ حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ تَعَالَى خَيْرٌ مِنْ مَطَرِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً (ه) عن ابن عمر .

٤٩٥ — اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي : أَبِي بَكْرٍ ، وَعُمَرَ (حم ت ه) عن حذيفة .

٤٩٦ — اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَلَا يَزْدَادُ النَّاسُ عَلَى الدُّنْيَا إِلَّا حِرْصاً ، وَلَا تَزْدَادُونَ مِنَ اللهِ إِلَّا بُعْداً (ك طب) عن ابن مسعود .

٤٩٧ — اقْتُلُوا الْأَسْوَدَيْنِ فِي الصَّلَاةِ الْحَيَّةَ وَالْعَقْرَبَ (د ت حب ك) عن أبي هريرة (طب) عن ابن عباس .

٤٩٨ — اقْتُلُوا الْحَيَّاتِ كُلَّهُنَّ ، فَمَنْ خَافَ ثَأْرَهُنَّ فَلَيْسَ مِنَّا (د ن طب) عن ابن مسعود (طب) عن جرير ، وعن عثمان بن أبي العاصي .

٤٩٩ — اقْتُلُوا ذَا الطُّفْيَتَيْنِ وَالْأَبْتَرَ ، فَإِنَّهُمَا يَطْمِسَانِ الْبَصَرَ ، وَيُسْقِطَانِ الْحَبَلَ (حم ق د ت ه) عن ابن عمر .

---

(١) يفيد أنه عليه الصلاة والسلام يعرف لغة الحيوان أيضا .

٥٠٠ — اقْتُلُوا شُيُوخَ الْمُشْرِكِينَ ، وَاسْتَبْقُوا شَرْخَهُمْ (حم د ت) عن سَمُرة .

٥٠١ — اقْدُرِ الْقَوْمَ بِأَضْعَفِهِمْ ، فَإِنَّ فِيهِمُ الْكَبِيرَ وَالسَّقِيمَ وَالْبَعِيدَ وَذَا الْحَاجَةِ (ت ه ابن خزيمة) عن عثمان بن أبى العاصى .

٥٠٢ — اقْرَإِ الْقُرْآنَ فِى كُلِّ شَهْرٍ ، اقْرَأْهُ فِى عِشْرِينَ لَيْلَةً ، اقْرَأْهُ فِى عَشْرٍ ، اقْرَأْهُ فِى سَبْعٍ ، وَلاَ تَزِدْ عَلَى ذَلِكَ (ق د) عن ابن عمرو .

٥٠٣ — اقْرَإِ الْمُعَوِّذَاتِ فِى دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ (د حب) عن عقبة ابن عامر .

٥٠٤ — اقْرَؤُا الْقُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ فَقُومُوا (حم ق ن) عن جندب .

٥٠٥ — اقْرَؤُا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعاً لِأَصْحَابِهِ ، اقْرَؤُا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ ، فَإِنَّهُمَا يَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ ، أَوْ غَيَايَتَانِ ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانٌ[1] مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ يُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا ، اقْرَؤُا سُورَةَ الْبَقَرَةِ ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ وَلاَ تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ[2] (حم م) عن أبى أمامة .

٥٠٦ — اقْرَؤُا الْقُرْآنَ وَاعْمَلُوا بِهِ ، وَلاَ تَجْفُوا عَنْهُ ، وَلاَ تَغْلُوا فِيهِ ، وَلاَ تَأْكُلُوا بِهِ ، وَلاَ تَسْتَكْثِرُوا بِهِ (حم ع طب هب) عن عبد الرحمن بن شبل .

---

(١) فى رواية خارج الصحيح : حزقان ، والمراد بالروايتين جماعة الطير .
(٢) السحرة .

٥٠٧ — اقْرَؤُا الْقُرْآنَ وَابْتَغُوا بِهِ اللهَ تَعَالَى مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمٌ يُقِيمُونَهُ إِقَامَةَ الْقَدَحِ يَتَعَجَّلُونَهُ وَلاَ يَتَأَجَّلُونَهُ (حم د) عن جابر .

٥٠٨ — اقْرَؤُا عَلَى مَوْتَاكُمْ يٰسٓ (حم د ه حب ك) عن معقل ابن يسار .

٥٠٩ — أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ فَرَاجَعْتُهُ فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ فَيَزِيدُنِي حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ (حم ق) عن ابن عباس .

٥١٠ — أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ ، فَأَكْثِرُوا فِيهِ الدُّعَاءَ (م د ن) عن أبي هريرة .

٥١١ — أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ الْعَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الآخِرِ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ (د ت ن ك) عن عمرو بن عبسة .

٥١٢ — أَقِرُّوا الطَّيْرَ عَلَى مَكِنَاتِهَا[1] (د ك) عن أم كرز .

٥١٣ — اقْضُوا اللهَ فَاللهُ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ (خ) عن ابن عباس .

٥١٤ — أَقَلُّ سَاكِنِي الْجَنَّةِ النِّسَاءُ (م) عن عمران بن حصين .

٥١٥ — أَقِلُّوا الْخُرُوجَ بَعْدَ هَدْأَةِ الرِّجْلِ ، فَإِنَّ لِلهِ تَعَالَى دَوَابَّ يَبُثُّهُنَّ فِي الأَرْضِ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ (حم د ن) عن جابر .

٥١٦ — أَقِلُّوا الدُّخُولَ عَلَى الأَغْنِيَاءِ ، فَإِنَّهُ أَحْرَى أَلاَّ تَزْدَرُوا نِعَمَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ (ك هب) عن عبد الله بن الشِّخِّير .

---

(١) أوكارها . والطير لا تضر ولا تنفع سواء أطارت إلى جهة اليمين أم إلى جهة الشمال .

٥١٧ — أَقِمِ الصَّلاَةَ ، وَأَدِّ الزَّكَاةَ ، وَصُمْ رَمَضَانَ ، وَحُجَّ الْبَيْتَ ، وَاعْتَمِرْ ، وَبَرَّ وَالِدَيْكَ ، وَصِلْ رَحِمَكَ ، وَاقْرِ الضَّيْفَ ، وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَزُلْ مَعَ الْحَقِّ حَيْثُ زَالَ (تخ ك) عن ابن عباس .

٥١٨ — أَقِيمُوا الصُّفُوفَ فَإِنَّمَا تَصُفُّونَ بِصُفُوفِ الْمَلاَئِكَةِ وَحَاذُوا بَيْنَ الْمَنَاكِبِ وَسُدُّوا الْخَلَلَ ، وَلِينُوا فِي أَيْدِي إِخْوَانِكُمْ ، وَلاَ تَذَرُوا فُرُجَاتٍ لِلشَّيْطَانِ ، وَمَنْ وَصَلَ صَفًّا وَصَلَهُ اللهُ وَمَنْ قَطَعَ صَفًّا قَطَعَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ (حم د طب) عن ابن عمر .

٥١٩ — أَقِيمُوا الصُّفُوفَ فِي الصَّلاَةِ ، فَإِنَّ إِقَامَةَ الصُّفُوفِ مِنْ حُسْنِ الصَّلاَةِ (م) عن أبي هريرة .

٥٢٠ — أَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ ، فَوَاللهِ لَتُقِيمُنَّ صُفُوفَكُمْ أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ (د) عن النُّعْمان بن بَشِير .

٥٢١ — أَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ وَتَرَاصُّوا ، فَإِنِّي أَرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي (خ ن) عن أنس .

٥٢٢ — أَقِيمُوا الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ ، فَوَاللهِ إِنِّي لَأَرَاكُمْ مِنْ بَعْدِ ظَهْرِي إِذَا رَكَعْتُمْ وَإِذَا سَجَدْتُمْ (ق) عن أنس .

٥٢٣ — أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ الإِشْرَاكُ بِاللهِ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ (خ) عن أنس .

٥٢٤ — أَكْثَرُ خَطَايَا ابْنِ آدَمَ فِي لِسَانِهِ (أبو الشيخ طب هب) عن ابن مسعود .

٥٢٥ — أَكْثَرُ عَذَابِ الْقَبْرِ مِنَ الْبَوْلِ (حم ه ك) عن أبي هريرة .

٥٢٦ — أَكْثَرُ مَنْ يَمُوتُ مِنْ أُمَّتِي بَعْدَ قَضَاءِ اللهِ تَعَالَى وَقَدَرِهِ بِالأَنْفُسِ[1] (الطيالسى تخ البزار والحكيم والضياء) عن جابر .

٥٢٧ — أَكْثَرْتُ عَلَيْكُمْ[2] فِي السِّوَاكِ (حم خ ن) عن أنس .

٥٢٨ — أَكْثِرِ الدُّعَاءَ بِالْعَافِيَةِ (ك) عن ابن عباس.

٥٢٩ — أَكْثِرْ مِنْ قَوْلِ لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ فَإِنَّهَا مِنْ كَنْزِ الْجَنَّةِ (ع طب حب) عن أبى أيوبَ (ت) عن أبى هُريرة .

٥٣٠ — أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَادِمِ اللَّذَّاتِ : الْمَوْتُ (ت ن ه حل) عن ابن عُمَر (حم ت ن ه حب ك هب) عن أبى هريرة (طس حل هب) عن أنس بن مالك .

٥٣١ — أَكْثِرُوا ذِكْرَ اللهِ حَتَّى يَقُولُوا مَجْنُونٌ[3] (حم ع حب ك هب) عن أبى سعيد .

٥٣٢ — أَكْثِرُوا مِنَ الصَّلاَةِ عَلَيَّ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَإِنَّهُ يَوْمٌ مَشْهُودٌ تَشْهَدُهُ الْمَلاَئِكَةُ ، وَإِنَّ أَحَداً لَنْ يُصَلِّي عَلَيَّ إِلاَّ عُرِضَتْ عَلَيَّ صَلاَتُهُ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهَا (ه) عن أبى الدرداء .

---

(١) أى بالعين .

(٢) أى فى الترغيب فى استعماله . وثبت له فى الطب فوائد مهمة .

(٣) حتى يقولوا مجنون . الصوفية يستدلون به لجواز الرقص ، فمعناه عندهم : أكثر ذكر الله حتى يحصل لك وجد وشوق فتمايل طربا . فيقول الناس : مجنون . وغيرهم أن معناه : أكثر ذكر الله والهج به . حتى يقول الناس : مجنون بالذكر ، فان من أكثر ذكر شيء ولهج به قيل عنه مجنون بكذا .

٥٣٣ — أَكْثِرُوا مِنَ الصَّلاَةِ عَلَيَّ فِي كُلِّ يَوْمِ جُمُعَةٍ ، فَإِنَّ صَلاَةَ أُمَّتِي تُعْرَضُ عَلَيَّ فِي كُلِّ يَوْمِ جُمُعَةٍ ، فَمَنْ كَانَ أَكْثَرَهُمْ عَلَيَّ صَلاَةً كَانَ أَقْرَبَهُمْ مِنِّي مَنْزِلَةً (هب) عن أبي أمامة .

٥٣٤ — أَكْثِرُوا مِنْ شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ قَبْلَ أَنْ يُحَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهَا (ع) عن أبي هريرة .

٥٣٥ — أَكْثِرُوا مِنْ غِرَاسِ الْجَنَّةِ فَإِنَّهُ عَذْبٌ مَاؤُهَا طَيِّبٌ تُرَابُهَا ، فَأَكْثِرُوا مِنْ غِرَاسِهَا : مَا شَاءَ اللهُ لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ (طب) عن ابن عمر .

٥٣٦ — أَكْرَمُ النَّاسِ أَتْقَاهُمْ (ق) عن أبي هريرة .

٥٣٧ — أَكْرَمُ النَّاسِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ (ق) عن أبي هريرة (طب) عن ابن مسعود .

٥٣٨ — أَكْرِمُوا الْخُبْزَ[1] (ك هب) عن عائشة .

---

(١) أكرموا الخبز ، لم يصح فى الخبز إلا هذا الحديث ، وكل ماورد سواه ضعيف أو موضوع . وأكرامه بعدم القائه فى القاذورات وإلا يداس بالقدم . وقد ذكر سيدنا العارف بالله الكبير أبو العباس السيد أحمد بن عجيبة فى فهرسته أن المعصية التى فعلها وهو شاب أنه دخل البيت مرة والزرع - يعنى القمح - فى ركن منه . فداس عليه برجله . وليس من الإهانة قطعه بالسكين . كما أن قطع اللحم بالسكين ساعة الأكل . ليس بمكروه . وقد ثبت فى الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم أحتز - أى قطع بالسكين - من كتف شاة . وفى السنن عن المغيرة قال : بت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يحزلى من جنب حتى أذن بلال ، فطرح السكين ، وقال « ماله تربت يداه » لأنه أذن قبل الوقت . وحديث لاتقطعوا اللحم بالسكين فأنه من صنيع

٥٣٩ — أَكْرِمُوا بُيُوتَكُمْ بِبَعْضِ صَلَاتِكُمْ ، وَلَا تَتَّخِذُوهَا قُبُوراً (عب وابن خزيمة ك) عن أنس .

٥٤٠ — اُكْفُلُوا لِي بِسِتٍّ أَكْفُلْ لَكُمْ بِالْجَنَّةِ : الصَّلَاةُ ، والزَّكَاةُ وَالأَمَانَةُ ، وَالفَرْجُ ، وَالبَطْنُ ، وَاللِّسَانُ (طس) عن أبي هريرة .

٥٤١ — اُكْلَفُوا مِنَ العَمَلِ مَا تُطِيقُونَ فَإِنَّ اللهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا ، وَإِنَّ أَحَبَّ العَمَلِ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ (حم ق ن) عن عائشة .

٥٤٢ — أَكْمَلُ المُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا (حم د حب ك) عن أبي هريرة .

٥٤٣ — أَكْمَلُ المؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا ، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ (ت حب) عن أبي هريرة .

٥٤٤ — اللَّهُمَّ اُكْفِهِمْ مَنْ دَهَمَهُمْ بِبَأْسٍ — يَعْنِي أَهْلَ المَدِينَةِ — وَلَا يُرِيدُهَا أَحَدٌ بِسُوءٍ إِلَّا أَذَابَهُ اللهُ كَمَا يَذُوبُ المِلْحُ فِي المَاءِ (البزار) عن سعد .

٥٤٥ — اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا — ثلاثاً — قِيلَ : وَفِي نَجْدِنَا ، قَالَ : هُنَاكَ الزَّلَازِلُ وَالفِتَنُ ، وَمِنْهَا يَخْرُجُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ (خ ت) عن ابن عمر .

الأعاجم وأنهشوه نهشا فأنه أهنأوامرأ » ضعيف أنكره الحفاظ على راوية أبي معشر وعدوه من خطئه .

٥٤٦ — اللَّهُمَّ لاَ عَيْشَ إِلَّا عَيْشَ الآخِرَةِ [حم ق ٣] عن أنس [حم ق] عن سهل بن سعد .

٥٤٧ — اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ محمدٍ فِي الدُّنْيَا قُوتاً [ق ت ه] عن أبي هريرة .

٥٤٨ — اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ وَمُحَمَّدٍ نَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ [طب ك] عن والد أبي المليح .

٥٤٩ — اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لاَ يَنْفَعُ وَعَمَلٍ لاَ يُرْفَعُ وَدُعَاءٍ لاَ يُسْمَعُ [حم حب ك] عن أنس .

٥٥٠ — اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِيناً(١) وَتَوَفَّنِي مِسْكِيناً وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ المَسَاكِينِ [الطبرانى فى الدعاء] عن عبادة بن الصامت .

٥٥١ — اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ [الطيالسى طب] عن جابر بن سَمُرَةَ

٥٥٢ — اللَّهُمَّ أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الأُمُورِ كُلِّهَا وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الآخِرَةِ [حم حب ك] عن بُسْرِ بن أَرْطَاة .

٥٥٣ — اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا [حم ع حب] عن صَخْر الغامدى .

---

(١) متواضعا لله ومتواضعا مع صالحى عباده .

٥٥٤ — اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنْ جَارِ السُّوءِ فِى دَارِ الْمُقَامَةِ[1] ، فَإِنَّ جَارَ الْبَادِيَةِ يَتَحَوَّلُ (حب ك) عن أبى هُريرة .

٥٥٥ — اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِى ، وَارْحَمْنِى ، وَأَلْحِقْنِى بِالرَّفِيقِ الأَعْلَى (ق ت) عن عائشة .

٥٥٦ — اللَّهُمَّ مَنْ وَلِىَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِى شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ ، وَمَنْ وَلِىَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِى شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ ، فَارْفُقْ بِهِ (م ن) عن عائشة رضى الله عنها .

٥٥٧ — اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلْتُ ، وَمِنْ شَرِّ مَالَمْ أَعْمَلْ (م د ن ه) عن عائشة رضى الله عنها .

٥٥٨ — اللَّهُمَّ أَعِنِّى عَلَى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَسَكَرَاتِ الْمَوْتِ (ت ه ك) عن عائشة رضى الله عنها .

٥٥٩ — اللَّهُمَّ زِدْنَا وَلاَ تَنْقُصْنَا ، وَأَكْرِمْنَا وَلاَ تُهِنَّا ، وَأَعْطِنَا وَلاَ تُحْرِمْنَا ، وَآثِرْنَا وَلاَ تُؤْثِرْ عَلَيْنَا ، وَأَرْضِنَا وَارْضَ عَنَّا (ت ك) عن عمر رضى الله عنه .

٥٦٠ — اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنْ قَلْبٍ لاَ يَخْشَعُ ، وَمِنْ دُعَاءٍ لاَ يُسْمَعُ وَمِنْ نَفْسٍ لاَ تَشْبَعُ ، وَمِنْ عِلْمٍ لاَ يَنْفَعُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ هٰؤُلاَءِ الأَرْبَعِ (ت ن) عن ابن عمرو (د ن ه ك) عن أبى هريرة (ن) عن أنس .

---

(٣٣) دار المقامة يعنى فى المدن . حيث السكنى فيها مستديمة . فان جار البادية يتحول . يضربون خيامهم طلبا للماء . وانتجاعا للكلأ . فيوما هنا . ويوما هناك . لايقرون فى مكان معين .

٥٦١ — اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يَنْفَعُنِي حُبُّهُ عِنْدَكَ ، اللَّهُمَّ مَا رَزَقْتَنِي مِمَّا أُحِبُّ فَاجْعَلْهُ قُوَّةً لِي فِيمَا تُحِبُّ ، وَمَا زَوَيْتَ عَنِّي مِمَّا أُحِبُّ فَاجْعَلْهُ لِي فَرَاغاً فِيمَا تُحِبُّ (ت) عن عبد الله بن يزيد الخطمي .

٥٦٢ — اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي ، وَوَسِّعْ لِي فِي دَارِي ، وَبَارِكْ لِي فِي رِزْقِي (ت) عن أبي هريرة .

٥٦٣ — اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ وَجَمِيعِ سَخَطِكَ (م د ت) عن ابن عمر .

٥٦٤ — اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الأَخْلَاقِ ، والأَعْمَالِ ، والأَهْوَاءِ ، وَالأَدْوَاءِ (ت طب ك) عن عمّ زياد بن علاقة .

٥٦٥ — اللَّهُمَّ مَتِّعْنِي بِسَمْعِي وَبَصَرِي ، وَاجْعَلْهُمَا الْوَارِثَ مِنِّي[1] ، وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ ظَلَمَنِي وَخُذْ مِنْهُ بِثَأْرِي (ت ك) عن أبي هريرة .

٥٦٦ — اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي شَكُوراً ، وَاجْعَلْنِي صَبُوراً ، وَاجْعَلْنِي فِي عَيْنِي صَغِيراً وَفِي أَعْيُنِ النَّاسِ كَبِيراً (البزار) عن بريدة .

٥٦٧ — اللَّهُمَّ كَمَا حَسَّنْتَ خَلْقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي (حم) عن ابن مسعود.

٥٦٨ — اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ ، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ ، وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ ، وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ ، والْفَوْزَ بِالْجَنَّةِ وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ (ك) عن ابن مسعود .

٥٦٩ — اللَّهُمَّ أَمْتِعْنِي بِسَمْعِي وَبَصَرِي حَتَّى تَجْعَلَهُمَا الْوَارِثَ مِنِّي ،

---

(١) الباقي .

وَعَافِنِي فِي دِينِي وَفِي جَسَدِي ، وَانْصُرْنِي مِمَّنْ ظَلَمَنِي حَتَّى تُرِيَنِي فِيهِ ثَأْرِي، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ ، وَخَلَّيْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ ، لاَ مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجَى مِنْكَ إِلاَّ إِلَيْكَ ، آمَنْتُ بِنَبِيِّكَ الذِي أَرْسَلْتَ وَبِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ (ك) عن على عليه السلام .

٥٧٠ — اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ وَالكَسَلِ وَالجُبْنِ وَالبُخْلِ وَالقَسْوَةِ وَالغَفْلَةِ وَالعَيْلَةِ وَالذِّلَّةِ وَالمَسْكَنَةِ[1] ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الفَقْرِ وَالكُفْرِ وَالفُسُوقِ وَالشِّقَاقِ وَالنِّفَاقِ وَالسُّمْعَةِ وَالرِّيَاءِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الصَّمَمِ وَالبَكَمِ وَالجُنُونِ وَالجُذَامِ وَالبَرَصِ وَسَيِّءِ الأَسْقَامِ (ك البيهقى فى الدعاء) عن أنس .

٥٧١ — اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَوْسَعَ رِزْقِكَ عَلَيَّ عِنْدَ كِبَرِ سِنِّي وَانْقِطَاعِ عُمُرِي (ك) عن عائشة رضى الله عنها .

٥٧٢ — اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ عَبْدَكَ وَخَلِيلَكَ دَعَاكَ لِأَهْلِ مَكَّةَ بِالبَرَكَةِ ، وَأَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ أَدْعُوكَ لِأَهْلِ المَدِينَةِ أَنْ تُبَارِكَ لَهُمْ فِي مُدِّهِمْ وَصَاعِهِمْ مِثْلَيْ مَا بَارَكْتَ لِأَهْلِ مَكَّةَ مَعَ البَرَكَةِ بَرَكَتَيْنِ (ت) عن على كرّم الله وجهه .

٥٧٣ — اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ فَجَعَلَهَا حَرَاماً ، وَإِنِّي حَرَّمْتُ المَدِينَةَ مَا بَيْنَ مَأْزِمَيْهَا أَلاَّ يُرَاقَ فِيهَا دَمٌ ، وَلاَ يُحْمَلَ فِيهَا سِلاَحٌ لِقِتَالٍ، وَلاَ يُخْبَطَ فِيهَا شَجَرٌ إِلاَّ لِعَلَفٍ ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا

---

(١) الخضوع لغير الله .

فِي صَاعِنَا ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ مَعَ الْبَرَكَةِ بَرَكَتَيْنِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنَ الْمَدِينَةِ شِعْبٌ وَلَا نَقْبٌ إِلَّا عَلَيْهِ مَلَكَانِ ، يَحْرُسَانِهَا حَتَّى تَقْدَمُوا إِلَيْهَا (١) (م) عن أبي سعيد .

٥٧٤ — اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَالْهَرَمِ وَالْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ ، وَمِنْ فِتْنَةِ النَّارِ وَعَذَابِ النَّارِ ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْغِنَى ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْفَقْرِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ عَنِّي خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ ، وَنَقِّ قَلْبِي مِنَ الْخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ وَبَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ (ق ت ن ه) عن عائشة رضى الله عنها.

٥٧٥ — اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَاذَ بِهِ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لِي خَيْرًا (٥) عن عائشة رضى الله عنها.

٥٧٦ — اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الطَّاهِرِ الطَّيِّبِ الْمُبَارَكِ الْأَحَبِّ إِلَيْكَ الَّذِي إِذَا دُعِيتَ بِهِ أَجَبْتَ ، وَإِذَا سُئِلْتَ بِهِ أَعْطَيْتَ ، وَإِذَا اسْتُرْحِمْتَ بِهِ رَحِمْتَ ، وَإِذَا اسْتُفْرِجْتَ بِهِ فَرَجْتَ (٥) عن عائشة رضى الله عنها .

٥٧٧ — اللَّهُمَّ مَنْ آمَنَ بِكَ وَشَهِدَ أَنِّي رَسُولُكَ ، فَحَبِّبْ إِلَيْهِ لِقَاءَكَ ،

---

(١) قاله حين رأى المدينة فى رجوعه من بعض أسفاره عليه الصلاة والسلام .

وَسَهِّلْ عَلَيْهِ قَضَاءَكَ ، وَأَقْلِلْ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِكَ وَيَشْهَدْ أَنِّي رَسُولُكَ ، فَلَا تُحَبِّبْ إِلَيْهِ لِقَاءَكَ ، وَلَا تُسَهِّلْ عَلَيْهِ قَضَاءَكَ ، وَأَكْثِرْ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا (حب طب) عن فَضَالَةَ بن عُبَيْدٍ .

٥٧٨ — اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ ، وَأَسْأَلُكَ عَزِيمَةَ الرُّشْدِ ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ ، وَأَسْأَلُكَ لِسَانًا صَادِقًا وَقَلْبًا سَلِيمًا ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ ، وَأَسْتَغْفِرُكَ مِمَّا تَعْلَمُ ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (ت ن) عن شَدَّادِ بن أَوْسٍ .

٥٧٩ — اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ . اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ . وَالْإِنْسُ وَالْجِنُّ يَمُوتُونَ (م) عن ابن عباس.

٥٨٠ — اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي جَسَدِي ، وَعَافِنِي فِي بَصَرِي ، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنِّي ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ ، سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (ت ك) عن عائشة رضى الله عنها .

٥٨١ — اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا يُهَوِّنُ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا ، وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا ، وَاجْعَلْهُ[1] الْوَارِثَ مِنَّا ، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا ، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا ، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا ، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا ، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا (ت ك) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

---

(١) أى المذكور من الأسماع والأبصار .

٥٨٢ — اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ (ت ك) عن عليٍّ عليه السلام .

٥٨٣ — اللَّهُمَّ انْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي ، وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي ، وَزِدْنِي عِلْماً ، الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ حَالِ أَهْلِ النَّارِ (ت ه) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

٥٨٤ — اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ، يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَـٰذِهِ لِتُقْضَى لِي ، اللَّهُمَّ فَشَفِّعْهُ فِيَّ (ت ه ك) عن عثمان بن حُنيف .

٥٨٥ — اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَدَنِي ، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي سَمْعِي ، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَصَرِي ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ (د ك) عن أبي بكْرة .

٥٨٦ — اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِيشَةً نَقِيَّةً ، وَمِيتَةً سَوِيَّةً ، وَمَرَدًّا غَيْرَ مُخْزٍ وَلاَ فَاضِحٍ (البزار طب ك) عن ابن عمر رضي الله عنهما .

٥٨٧ — اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُوراً ، وَفِي لِسَانِي نُوراً ، وَفِي بَصَرِي نُوراً ، وَفِي سَمْعِي نُوراً ، وَعَنْ يَمِينِي نُوراً ، وَعَنْ يَسَارِي نُوراً ، وَمِنْ فَوْقِي نُوراً ، وَمِنْ تَحْتِي نُوراً ، وَمِنْ أَمَامِي نُوراً ، وَمِنْ خَلْفِي نُوراً ، وَاجْعَلْ لِي فِي نَفْسِي نُوراً ، وَأَعْظِمْ لِي نُوراً (حم ق ن) عن ابن عباس رضي الله عنهما .

٥٨٨ — اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي ، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي ، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي ، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

٥٨٩ — اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الهُدَى وَالتُّقَى وَالعَفَافَ وَالغِنَى (م ت ه)
عن ابن مسعود رضى الله عنه .

٥٩٠ — اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ يَوْمِ السُّوءِ ، وَمِنْ لَيْلَةِ السُّوءِ ، وَمِنْ سَاعَةِ السُّوءِ ، وَمِنْ صَاحِبِ السُّوءِ ، وَمِنْ جَارِ السُّوءِ ، فِي دَارِ المُقَامَةِ (طب)
عن عقبة بن عامر .

٥٩١ — اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ (م ٤) عن عائشة رضى الله عنهما .

٥٩٢ — اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ صِحَّةً فِي إِيمَانٍ، وَإِيمَانًا فِي حُسْنِ خُلُقٍ، وَنَجَاحًا يَتْبَعُهُ فَلاَحٌ ، وَرَحْمَةً مِنْكَ وَعَافِيَةً وَمَغْفِرَةً مِنْكَ وَرِضْوَانًا (طى ك)
عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٥٩٣ — اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الغَيْبَ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الخَلْقِ أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الحَيَاةَ خَيْراً لِي ، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الوَفَاةَ خَيْراً لِي ، اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الإِخْلاَصِ فِي الرِّضَا وَالغَضَبِ ، وَأَسْأَلُكَ القَصْدَ فِي الفَقْرِ وَالغِنَى ، وَأَسْأَلُكَ نَعِيماً لاَ يَنْفَدُ ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لاَ تَنْقَطِعُ ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَا بِالقَضَاءِ ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ العَيْشِ بَعْدَ المَوْتِ ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ ، وَلاَ فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ ، اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الإِيمَانِ ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ (ن ك) عن عمار بن ياسر رضى الله عنه .

٥٩٤ — اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَرَبَّ إِسْرَافِيلَ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ حَرِّ النَّارِ ، وَمِنْ عَذَابِ القَبْرِ (ن) عن عائشة رضى الله عنه .

٥٩٥ — اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ ، وَغَلَبَةِ الْعَدُوِّ وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ (ن ك) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

٥٩٦ — اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّرَدِّى وَالْهَدْمِ وَالْغَرَقِ وَالْحَرَقِ ، وَأَعُوذ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِى الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ فِى سَبِيلِكَ مُدْبِراً ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ لَدِيغاً (ن ك) عن أبى اليسر .

٥٩٧ — اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ وَالْقِلَّةِ وَالذِّلَّةِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ (د ن ه ك) عن أبى هُريرة رضى الله عنه .

٥٩٨ — اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ[1] الدَّجَّالِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ (مالك م ٣) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٥٩٩ — اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشِّقَاقِ وَالنِّفَاقِ وَسُوءِ الأَخْلَاقِ (د ن) عن أبى هُريرة .

٦٠٠ — اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبَرَصِ وَالْجُنُونِ وَالْجُذَامِ ، وَمِنْ سَيِّءِ الأَسْقَامِ (حم د ن) عن أنس .

٦٠١ — اللَّهُمَّ اجْعَلْ بِالْمَدِينَةِ ضِعْفَىْ مَا جَعَلْتَ بِمَكَّةَ مِنَ الْبَرَكَةِ (حم ق) عن أنس .

٦٠٢ — اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ مُذْهِبَ الْبَأْسِ اشْفِ أَنْتَ الشَّافِى ، لاَ شَافِىَ إِلاَّ أَنْتَ اشْفِ شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَماً (حم خ ٣) عن أنس .

---

(١) بالحاء المهملة لأنه ممسوح أحدى العينين ، ولم يرد بالخاء المعجمة فى شىء من الروايات الصحيحة .

٦٠٣ — اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً ، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (ق) عن أنس .

٦٠٤ — اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحُزْنِ وَالعَجْزِ وَالكَسَلِ وَالبُخْلِ وَالجُبْنِ وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ (حم ق ٣) عن أنس .

٦٠٥ — اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ وَالكَسَلِ وَالبُخْلِ وَالجُبْنِ وَالهَرَمِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ (حم ق ٣) عن أنس .

٦٠٦ — اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ (خ ن) عن أبي هُريرة

٦٠٧ — اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ وَالكَسَلِ وَالجُبْنِ وَالبُخْلِ وَالهَرَمِ وَعَذَابِ القَبْرِ وَفِتْنَةِ الدَّجَّالِ ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا (حم عبد بن حميد م ن) عن زيد بن أرقم .

٦٠٨ — اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَّخِذُ عِنْدَكَ عَهْداً لَنْ تُخْلِفَنِيهِ ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ آذَيْتُهُ أَوْ شَتَمْتُهُ أَوْ جَلَدْتُهُ أَوْ لَعَنْتُهُ فَاجْعَلْهَا لَهُ صَلَاةً وَزَكَاةً وَقُرْبَةً تُقَرِّبُهُ بِهَا إِلَيْكَ يَوْمَ القِيَامَةِ (ق) عن أبي هريرة .

٦٠٩ — اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَئِي وَعَمْدِي وَهَزْلِي وَجِدِّي ، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ ، وَمَا أَخَّرْتُ ، وَمَا أَسْرَرْتُ ،

وَمَا أَعْلَنْتُ ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (ق) عن أبي موسى .

٦١٠ — اللَّهُمَّ أَنْتَ خَلَقْتَ نَفْسِي وَأَنْتَ تَوَفَّاهَا ، لَكَ مَمَاتُهَا وَمَحْيَاهَا إِنْ أَحْيَيْتَهَا فَاحْفَظْهَا ، وَإِنْ أَمَتَّهَا فَاغْفِرْ لَهَا ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ (م) عن ابن عمر .

٦١١ — اللَّهُمَّ لَا سَهْلَ إِلَّا مَا جَعَلْتَهُ سَهْلاً ، وَأَنْتَ إِنْ شِئْتَ جَعَلْتَ الْحَزْنَ[1] سَهْلاً (حب ك والضياء) عن أنس .

٦١٢ — الْبَسُوا الثِّيَابَ الْبِيضَ فَإِنَّهَا أَطْهَرُ وَأَطْيَبُ ، وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ (حم ت ن ه ك) عن سمرة .

٦١٣ — الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمُ الْبَيَاضَ فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ ، وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ (د ت حب) عن ابن عباس .

٦١٤ — التَقَى مُؤْمِنَانِ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ : مُؤْمِنٌ غَنِيٌّ ، وَمُؤْمِنٌ فَقِيرٌ ، كَانَا فِي الدُّنْيَا . فَأُدْخِلَ الْفَقِيرُ الْجَنَّةَ ، وَحُبِسَ الْغَنِيُّ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يُحْبَسَ ، ثُمَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ فَلَقِيَهُ الْفَقِيرُ فَقَالَ : يَا أَخِي مَاذَا حَبَسَكَ ؟ وَاللهِ لَقَدْ حُبِسْتَ حَتَّى خِفْتُ عَلَيْكَ ، فَيَقُولُ : يَا أَخِي إِنِّي حُبِسْتُ بَعْدَكَ مَحْبَساً فَظِيعاً كَرِيهاً ، مَا وَصَلْتُ إِلَيْكَ حَتَّى سَالَ مِنِّي مِنَ الْعَرَقِ مَا لَوْ وَرَدَهُ أَلْفُ بَعِيرٍ كُلُّهَا أَكَلَةُ حِمْضِ النَّبَاتِ لَصَدَرَتْ عَنْهُ رِوَاءً (حم) عن ابن عباس .

٦١٥ — الْتَمِسْ وَلَوْ خَاتَماً مِنْ حَدِيدٍ[2] (حم ق د) عن سهل بن سعد .

---

(١) الصعب .

(٢) قاله لمن أراد الزواج .

٦١٦ — أَلْحِقُوا الفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا فَمَا بَقِيَ فَلِأَوْلَى[1] رَجُلٍ ذَكَرٍ (حم ق ت) عن ابن عباس .

٦١٧ — أَلِظُّوا بِيَا ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ (ت) عن أنس (حم ن ك) عن ربيعة بن عامر .

٦١٨ — أَلَيْسَ تَشْهَدُونَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ ؟ إِنَّ هٰذَا القُرْآنَ طَرَفُهُ بِيَدِ اللهِ وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ. فَتَمَسَّكُوا بِهِ. فَإِنَّكُمْ لَنْ تَضِلُّوا وَلَنْ تَهْلِكُوا بَعْدَهُ أَبَداً (طب) عن أبي شريح الخزاعي .

٦١٩ — أَلَيْسَ قَدْ صَامَ بَعْدَهُ رَمَضَانَ[2] ؟ وَصَلَّى سِتَّةَ آلَافِ رَكْعَةٍ وَكَذَا وَكَذَا رَكْعَةً ، صَلاَةَ سَنَةٍ (حم) عن أبي هريرة .

٦٢ — أَلَيْسَ الذِي أَمْشَاهُ عَلَى رِجْلَيْهِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمْشِيَهِ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ ؟ (ق) عن أنس .

٦٢١ — أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتِ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ ؟ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (م ت ن) عن عقبة بن عامر .

٦٢٢ — أَمَا إِنَّ رَبَّكَ يُحِبُّ المَدْحَ (حم خد ن ك) عن الأَسْوَدِ ابن سَرِيع .

---

(١) لأقرب وهو العاصب .

(٢) سبب هذا الحديث : أن رجلين من قضاعة أسلما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم . فاستشهد أحدهما . ومات الآخر بعده بسنة ، فرأى طلحة بن عبد الله المؤخر منهما أدخل الجنة قبل الشهيد . قال فتعجبت لذلك ، فاصبحت فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : اليس قد صام بعده » الحديث وهو يبين فضل طول العمر مع العمل الصالح ، رزقنا الله طول العمر مع صحة البدن وحسن العمل

٦٢٣ — أَمَا إِنَّكَ لَوْ قُلْتَ حِينَ أَمْسَيْتَ : أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ تَضُرَّكَ (م) عن أبي هُرَيرة.

٦٢٤ — أَمَا إِنَّكَ لَوْ لَمْ تَفْعَلْ[1] لَلَفَحَتْكَ النَّارُ (م د ت) عن أبي مسعود .

٦٢٥ — أَمَا إِنَّهُ لَوْ قَالَ حِينَ أَمْسَى : أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ مَا ضَرَّهُ لَدْغُ عَقْرَبٍ حَتَّى يُصْبِحَ (ه) عن أبي هريرة .

٦٢٦ — أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَنَا الآخِرَةُ (ق ه) عن عمر رضي الله عنه.

٦٢٧ — أَمَا كَانَ يَجِدُ هٰذَا مَا يُسَكِّنُ بِهِ رَأْسَهُ ؟ أَمَا كَانَ يَجِدُ هٰذَا مَا يَغْسِلُ بِهِ ثِيَابَهُ ؟[2] (حم د حب ك) عن جابر .

٦٢٨ — أَمَا وَاللهِ لَوْلَا أَنَّ الرُّسُلَ لَا تُقْتَلُ لَضَرَبْتُ أَعْنَاقَكُمَا ، (د ك هق) عن نعيم بن مسعود الأشجعي[3] .

٦٢٩ — أَمَا يَخْشَى أَحَدُكُمْ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ قَبْلَ الإِمَامِ أَنْ يَجْعَلَ اللهُ رَأْسَهُ رَأْسَ حِمَارٍ ، أَوْ يَجْعَلَ اللهُ صُورَتَهُ صُورَةَ حِمَارٍ ؟؟ (ق ٤) عن أبي هريرة .

---

(١) لولم تعتق العبد جزاء ضربك له . وهذا متمم لحديث ٤٤١ وفيه حث على الاعتاق .

(٢) قاله لرجل شعره منفوش وثيابه قذرة .

(٣) قاله لرسولي مسيلمة الكذاب حين شهدا أن مسيلمة رسول الله .

٦٣٠ — أَمَا يَخْشَى أَحَدُكُمْ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ فِي الصَّلَاةِ أَنْ لَا يَرْجِعَ إِلَيْهِ بَصَرُهُ (حم م ٥) عن جابر بن سمرة .

٦٣١ — أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ ، وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا ، وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ (م) عن عمرو بن العاص .

٦٣٢ — أَمَّا أَنَا فَلَا آكُلُ مُتَّكِئًا (ت) عن أبي جُحَيفَةَ .

٦٣٣ — أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ . وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ فَأَمَاتَتْهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ فَبُثُّوا عَلَى أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ ، ثُمَّ قِيلَ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ (حم م ٥) عن أبي سعيد .

٦٣٤ — أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْمَشْرِقِ فَتَحْشُرُ النَّاسَ إِلَى الْمَغْرِبِ ، وَأَمَّا أَوَّلُ مَا يَأْكُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ الْحُوتِ وَأَمَّا شَبَهُ الْوَلَدِ أَبَاهُ وَأُمَّهُ ، فَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ نَزَعَ إِلَيْهِ الْوَلَدُ ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الْمَرْأَةِ مَاءَ الرَّجُلِ نَزَعَ إِلَيْهَا (حم خ ن) عن أنس .

٦٣٥ — أَمَّا صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي بَيْتِهِ فَنُورٌ ، فَنَوِّرُوا بِهَا بُيُوتَكُمْ (حم ٥) عن عمر رضي الله عنهُ .

٦٣٦ — أَمَّا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ فَلَا يَذْكُرُ أَحَدٌ أَحَدًا : عِنْدَ الْمِيزَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَيَخِفُّ مِيزَانُهُ أَمْ يَثْقُلُ ؟ وَعِنْدَ الْكِتَابِ حِينَ يُقَالُ : هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ، حَتَّى يَعْلَمَ أَيْنَ يَقَعُ كِتَابُهُ ؟ أَفِي يَمِينِهِ ؟ أَمْ فِي شِمَالِهِ ؟

أمْ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ؟ وَعِنْدَ الصِّرَاطِ إِذَا وُضِعَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ ، حَافَتَاهُ كَلَالِيبُ كَثِيرَةٌ وَحَسَكٌ كَثِيرٌ ، يَحْبِسُ اللهُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ حَتَّى يَعْلَمَ أَيَنْجُو ؟ أمْ لاَ ؟ (د ك) عن عائشة .

٦٣٧ — أمَّا بَعْدُ : فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ، وَإِنَّ أَفْضَلَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ، وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ ، فِي النَّارِ . أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً ، بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ هٰكَذَا . صَبَّحَتْكُمُ السَّاعَةُ وَمَسَّتْكُمْ ، أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ ، مَنْ تَرَكَ مَالاً فَلِأَهْلِهِ ، وَمَنْ تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضَيَاعًا فَإِلَيَّ وَعَلَيَّ وَأَنَا وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (حم م ن ه) عن جابر .

٦٣٨ — أمَّا بَعْدُ : فَوَاللهِ إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ وَأَدَعُ الرَّجُلَ ، وَالَّذِي أَدَعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي ، وَلٰكِنْ أُعْطِي أَقْوَامًا لِمَا أَرَى فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْجَزَعِ وَالْهَلَعِ . وَأَكِلُ أَقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ اللهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْغِنَى وَالْخَيْرِ مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ (خ) عن عمرو بن تغلب .

٦٣٩ — أمَّا بَعْدُ : فَمَا بَالُ أَقْوَامٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللهِ ، مَا كَانَ مِنْ شَرْطٍ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللهِ فَهُوَ بَاطِلٌ ، وَإِنْ كَانَ مِائَةَ شَرْطٍ ، قَضَاءُ اللهِ أَحَقُّ وَشَرْطُ اللهِ أَوْثَقُ ، وَإِنَّمَا الْوَلَاءُ لِمَنْ أَعْتَقَ (ق ٤) عن عائشة .

٦٤٠ — أَمَّا بَعْدُ فَمَا بَالُ الْعَامِلِ نَسْتَعْمِلُهُ فَيَأْتِينَا فَيَقُولُ : هَذَا عَمَلُكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ إِلَيَّ ، أَفَلَا قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ فَيَنْظُرُ هَلْ يُهْدَى إِلَيْهِ أَمْ لَا ؟ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَغُلُّ أَحَدُكُمْ مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى عُنُقِهِ : إِنْ كَانَ بَعِيراً جَاءَ بِهِ لَهُ رُغَاءٌ ، وَإِنْ كَانَتْ بَقَرَةً جَاءَ بِهَا لَهَا خُوَارٌ ، وَإِنْ كَانَتْ شَاةً جَاءَ بِهَا تَيْعَرُ . فَقَدْ بَلَغْتُ (حم ق د) عن أبي حميد الساعدي .

٦٤١ — أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَنَاظِرٌ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ؟ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ. أَلاَ إِنَّ بَنِي آدَمَ خُلِقُوا عَلَى طَبَقَاتٍ شَتَّى . فَمِنْهُمْ مَنْ يُولَدُ مُؤْمِناً ، وَيَحْيَا مُؤْمِناً ، وَيَمُوتُ مُؤْمِناً . وَمِنْهُمْ مَنْ يُولَدُ كَافِراً ، وَيَحْيَا كَافِراً ، وَيَمُوتُ كَافِراً . وَمِنْهُمْ مَنْ يُولَدُ مُؤْمِناً ، وَيَحْيَا مُؤْمِناً ، وَيَمُوتُ كَافِراً ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُولَدُ كَافِراً ، وَيَحْيَا كَافِراً ، وَيَمُوتُ مُؤْمِناً . أَلاَ إِنَّ الغَضَبَ جَمْرَةٌ تَوَقَّدُ فِي جَوْفِ ابْنِ آدَمَ أَلاَ تَرَوْنَ إِلَى حُمْرَةِ عَيْنَيْهِ وَانْتِفَاخِ أَوْدَاجِهِ ؟ فَإِذَا وَجَدَ أَحَدُكُمْ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ فَالأَرْضَ الأَرْضَ . أَلاَ إِنَّ خَيْرَ الرِّجَالِ مَنْ كَانَ بَطِيءَ الْغَضَبِ سَرِيعَ الرِّضَا ، وَشَرَّ الرِّجَالِ مَنْ كَانَ سَرِيعَ الْغَضَبِ بَطِيءَ الرِّضَا ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ بَطِيءَ الْغَضَبِ بَطِيءَ الْفَيْءِ . وَسَرِيعَ الْغَضَبِ سَرِيعَ الْفَيْءِ فَإِنَّهَا بِهَا . أَلاَ إِنَّ خَيْرَ التُّجَّارِ مَنْ كَانَ حَسَنَ الْقَضَاءِ حَسَنَ الطَّلَبِ ، وَشَرَّ التُّجَّارِ مَنْ كَانَ سَيِّءَ الْقَضَاءِ سَيِّءَ الطَّلَبِ ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ حَسَنَ الْقَضَاءِ سَيِّءَ الطَّلَبِ ، أَوْ كَانَ سَيِّءَ الْقَضَاءِ حَسَنَ الطَّلَبِ ، فَإِنَّهَا بِهَا . أَلاَ إِنَّ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقَدْرِ غَدْرَتِهِ ، أَلاَ وَأَكْبَرُ الْغَدْرِ غَدْرُ أَمِيرِ عَامَّةٍ. أَلاَ لاَ يَمْنَعَنَّ رَجُلاً مَهَابَةُ النَّاسِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِالْحَقِّ إِذَا عَلِمَهُ ، أَلاَ إِنَّ أَفْضَلَ الْجِهَادِ كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ . أَلاَ إِنَّ مَثَلَ مَا بَقِيَ مِنَ الدُّنْيَا فِيمَا مَضَى مِنْهَا مِثْلُ مَا بَقِيَ مِنْ يَوْمِكُمْ هٰذَا فِيمَا مَضَى مِنْهُ[1] (حم ت ك هب) عن أبي سعيد .

(١) كانت هذه الخطبة بعد صلاة العصر .

٦٤٢ — أمَّا بَعْدُ : ألاَ أيُّهَا النَّاسُ فَإنَّمَا أنَا بَشَرٌ ، يُوشِكُ أنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّى فَأُجِيبَ ، وَأنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ أوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ ، فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ ، مَنِ اسْتَمْسَكَ بِهِ وَأخَذَ بِهِ كَانَ عَلَى الْهُدَى ، وَمَنْ أخْطَأَهُ ضَلَّ ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ تَعَالَى وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ ، وَأهْلُ بَيْتِى أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِى أهْلِ بَيْتِى ، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِى أهْلِ بَيْتِى (حم عبد ابن حميد م) عن زيد بن أرقم .

٦٤٣ — أمَامَكُمْ عَقَبَةٌ كَئُودٌ لاَ يَجُوزُهَا الْمُثْقَلُونَ (تمَّام فى فوائده ك) عن أبى الدرداء .

٦٤٤ — أُمِرْتُ أنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أنْ لاَ إلَهَ إلاَّ اللهُ وَأنِّى رَسُولُ اللهِ ، فَإذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّى دِمَاءَهُمْ وَأمْوَالَهُمْ إلاَّ بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ (ق ع) عن أبى هريرة وهو متواتر .

٦٤٥ — أُمِرْتُ أنْ أُبَشِّرَ خَدِيجَةَ بِبَيْتٍ فِى الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ[1] لاَ صَخَبَ فِيهِ وَلاَ نَصَبَ (حم حب ك) عن عبد الله بن جعفر .

٦٤٦ — أُمِرْتُ بِيَوْمِ الأضْحَى عِيداً جَعَلَهُ اللهُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ (حم د ن ك) عن ابن عمرو .

٦٤٧ — أُمِرْتُ أنْ أسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أعْظُمٍ عَلَى الْجَبْهَةِ وَالْيَدَيْنِ وَالرُّكْبَتَيْنِ وَأطْرَافِ الْقَدَمَيْنِ وَلاَ نَكْفِتَ الثِّيَابَ وَلاَ الشَّعَرَ (ق د ن ه) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

---

(١) أنابيب من جوهر . وجوزيت بهذا لأنها أسلمت من غير صخب ، وكانت تريح الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من تعب ما يلاقيه من المشركين .

٦٤٨ — أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ الْقُرَى يَقُولُونَ . يَثْرِبُ وَهِيَ الْمَدِينَةُ تَنْفِي النَّاسَ[1] كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ (ت) عن أبى هُريرةٍ .

٦٤٩ — أَمْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ وَأَطْعِمِ الْمِسْكِينَ (حم) عن أبى هُريرةٍ

٦٥٠ — أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ[2] (ق ٣) ، عن كعب بن مالك .

٦٥١ — أَمِطِ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ فَإِنَّهُ لَكَ صَدَقَةٌ (خد) عن أبى برزه .

٦٥٢ — أُمَّكَ ثُمَّ أُمَّكَ ثُمَّ أُمَّكَ ثُمَّ أَبَاكَ ثُمَّ الْأَقْرَبَ فَالْأَقْرَبَ (حم د ت ك) عن مُعاويةَ بن حَيْدة (٥) عن أبى هُريرةٍ .

---

(١) الخبثاء بدليل بقية الحديث .

(٢) أمسك عليك بعض مالك . قاله لكعب بن مالك لما نزلت توبته فى قوله تعالى (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) فأراد أن يتصدق بجميع ماله ، شكرا لله على توبته عليه . وعرفه أن التصدق ببعض ماله يكفيه فى الشكر . ويمسك البعض الآخر . يطعم منه أهله ويغنيه عن تكفف الناس ، والتطلع إلى ماعندهم . وهذا بالنسبة لمن كان مثل كعب فى حاله وشبابه وصحته ، فإن كان الشخص مريضا مرضا يظن منه الموت . فقد أجازله الشرع أن يتصدق بثلث ماله . ولهذا لما أراد سعد بن أبى وقاص أن يتصدق بماله كله ـ وكان مريضا مرضا خاف منه الموت ـ قال له النبى صلى الله عليه وسلم « لا . الثلث والثلث كثير » الحديث . أما قبوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من أبى بكر رضى الله تعالى عنه جميع ماله ، بعد أن سأله « ماتركت لأهلك ؟ » قال : تركت لهم الله ورسوله . فذاك مقام خاص ، لايقدر عليه إلا المتحلى بمقام التوكل ، ألا ترى أن عمر رضى الله عنه أتى بنصف ماله ، فقبله صلى الله عليه وسلم ، ولم يأمره أن يفعل مثل صاحبه . فالإسلام يعطى لكل رتبة حقها .

٦٥٣ — أَمْلِكَ هٰذَا - يعنى اللِّسَانَ - (طب) عن الحارث بن هشام .

٦٥٤ — إِنَّ اللهَ أَبَى عَلَىَّ فِيمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً ثَلاَثاً (حم ن ك) عن عُقبةَ بن مالك .

٦٥٥ — إِنَّ اللهَ حَجَبَ التَّوْبَةَ عَنْ كُلِّ صَاحِبِ بِدْعَةٍ حَتَّى يَدَعَ بِدْعَتَهُ (طب هب والضياء) عن أنس رضى الله عنه .

٦٥٦ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى إِذَا أَنْزَلَ سَطَوَاتِهِ عَلَى أَهْلِ نِقْمَتِهِ فَوَافَتْ آجَالَ قَوْمٍ صَالِحِينَ فَأَهْلَكُوا بِهَلاَكِهِمْ ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ (هب) عن عائشة رضى الله عنها .

٦٥٧ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى إِذَا أَنْعَمَ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ النِّعْمَةِ عَلَيْهِ وَيَكْرَهُ الْبُؤْسَ وَالتَّبَاؤُسَ(١) وَيُبْغِضُ السَّائِلَ الْمُلْحِفَ وَيُحِبُّ الْحَيِيَّ الْعَفِيفَ الْمُتَعَفِّفَ (هب) عن أبى هُريرةٍ رضى الله عنه .

٦٥٨ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْداً دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ : إِنِّى أُحِبُّ فُلاَناً فَأَحِبَّهُ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ، ثُمَّ يُنَادِى فِى السَّمَاءِ فَيَقُولُ : إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلاَناً فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِى الْأَرْضِ ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْداً دَعَا جِبْرِيلَ ، فَقَالَ : إِنِّى أُبْغِضُ فُلاَناً فَأَبْغِضْهُ ، فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ ، ثُمَّ يُنَادِى فِى أَهْلِ السَّمَاءِ . إِنَّ اللهُ تَعَالَى يُبْغِضُ فُلاَناً فَأَبْغِضُوهُ ، فَيُبْغِضُونَهُ ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِى الْأَرْضِ (م) عن أبى هُريرةٍ .

٦٥٩ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى إِذَا أَرَادَ رَحْمَةَ أُمَّةٍ مِنْ عِبَادِهِ قَبَضَ نَبِيَّهَا قَبْلَهَا

---

(١) سبب هذا الحديث أنه رأى رجلا عليه ثياب رثة وحالته حالة بؤس ، مع أن عنده مالا وإبلا ورقيقا . (وله طرق يأتى بعضها) .

فَجَعَلَهُ فَرَطًا لَهَا وَسَلَفًا بَيْنَ يَدَيْهَا. وَإِذَا أَرَادَ هَلَكَةَ أُمَّةٍ عَذَّبَهَا . وَنَبِيُّهَا حَيٌّ فَأَهْلَكَهَا وَهُوَ يَنْظُرُ. فَأَقَرَّ عَيْنَهُ بِهَلَكَتِهَا حِينَ كَذَّبُوهُ وَعَصَوْا أَمْرَهُ (م) عن أبي موسى .

٦٦٠ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ (م ت) عن واثلة .

٦٦١ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى اصْطَفَى مِنَ الْكَلَامِ أَرْبَعًا : سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ . فَمَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللهِ كُتِبَتْ لَهُ عِشْرُونَ حَسَنَةً وَحُطَّتْ عَنْهُ عِشْرُونَ سَيِّئَةً وَمَنْ قَالَ : اللهُ أَكْبَرُ مِثْلُ ذَلِكَ وَمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مِثْلُ ذَلِكَ وَمَنْ قَالَ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ كُتِبَتْ لَهُ ثَلَاثُونَ حَسَنَةً وَحُطَّ عَنْهُ ثَلَاثُونَ خَطِيئَةً (حم ن ك والضياء) عن أبي سعيد وأبي هريرة معاً .

٦٦٢ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى اصْطَفَى مُوسَى بِالْكَلَامِ وَإِبْرَاهِيمَ بِالْخُلَّةِ (ك) عن ابن عباس رضي الله عنهما .

٦٦٣ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى أَرْسَلَنِي مُبَلِّغًا وَلَمْ يُرْسِلْنِي مُتَعَنِّتًا (م) عن عائشة رضي الله عنها .

٦٦٤ — إِنَّ اللهَ أَذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ دِيكٍ[1] قَدْ مَرَقَتْ رِجْلَاهُ الْأَرْضَ وَعُنُقُهُ مَثْنِيٌّ تَحْتَ الْعَرْشِ وَهُوَ يَقُولُ : سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَكَ رَبَّنَا فَيَرُدُّ عَلَيْهِ : مَا عَرَفَ ذَلِكَ مَنْ حَلَفَ بِي كَاذِبًا (طب ك) عن أبي هريرة .

---

(١) يعني ملكا على صورة ديك .

٦٦٥ — إنَّ اللهَ تعالَى اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ : اعْمَلوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ (ك) عن أبي هُرَيرةٍ رضى الله عنه .

٦٦٦ — إنَّ اللهَ تعالَى أَمَرَنِي بِحُبِّ أَرْبَعَةٍ وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ يُحِبُّهُمْ عَلِيٌّ مِنْهُمْ وَأَبُو ذَرٍّ وَالمِقْدَادُ وَسَلْمَانُ (ت ه ك) عن بُرَيْدَةَ رضى الله عنه .

٦٦٧ — إنَّ اللهَ أَوْحَى إلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لاَ يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلاَ يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ (م د ه) عن عِيَاضِ بن حِمَارٍ رضى الله عنه .

٦٦٨ — إنَّ اللهَ تعالَى تَجَاوَزَ لأُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَالَمْ تَتَكَلَّمْ بِهِ أَوْ تَعْمَلْ بِهِ (ق ع) عن أبي هُرَيرةٍ (طب) عن عمرانَ بن حُصَين رضى الله عنه.

٦٦٩ — إنَّ اللهَ تعالَى تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي الخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ (ه) عن أبي ذر (طب ك) عن ابن عباس (طب) عن ثَوْبَانَ رضى الله عنه.

٦٧٠ — إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ جَزَّأَ القُرْآنَ ثَلاَثَةَ أَجْزَاءٍ[1] فَجَعَلَ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ جُزْءاً مِنْ أَجْزَاءِ القُرْآنِ (م) عن أبي الدرداء رضى الله عنه .

٦٧١ — إنَّ اللهَ جَعَلَ الحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ (حم ت) عن ابن عُمر (حم د ك) عن أبي ذر (ع ك) عن أبي هُرَيرةٍ (طب) عن بلال وعن معاوية .

٦٧٢ — إنَّ اللهَ تعالَى جَعَلَ مَا يَخْرُجُ مِنْ ابْنِ آدَمَ مَثَلاً لِلدُّنْيَا (حم طب هب) عن الضَّحاكِ بن سُفْيان .

٦٧٣ — إن اللهَ تعالَى جَعَلَنِي عَبْداً كَرِيماً وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً عَنِيداً (د ه) عن عبد الله بن بُسر .

---

(١) هى التوحيد ، والأحكام ، وقصص الأنبياء والأمم . .

٦٧٤ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ (م ت) عن ابن مسعود (طب) عن أبى أمامةَ (ك) عن ابن عُمر رضى الله عنهما .

٦٧٥ — إِنَّ اللهَ حَرَّمَ الْخَمْرَ وَثَمَنَهَا ، وَحَرَّمَ الْمَيْتَةَ وَثَمَنَهَا ، وَحَرَّمَ الْخِنْزِيرَ وَثَمَنَهُ (د) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٦٧٦ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى حَرَّمَ مِنَ الرَّضَاعِ مَا حَرَّمَ مِنَ النَّسَبِ (ت) عن على عليه السلام.

٦٧٧ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ ، وَوَأْدَ الْبَنَاتِ ، وَمَنْعَ وَهَاتِ ، وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ[1] (ق) عن المغيرة بن شعبة .

٦٧٨ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى حَيِيٌّ سِتِّيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ ، فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ (حم د ن) عن يَعْلَى بن أمية .

٦٧٩ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْراً خَائِبَتَيْنِ[2] (حم د ت ه ك) عن سلمان رضى الله عنه .

٦٨٠ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى خَتَمَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ بِآيَتَيْنِ أُعْطَانِيهِمَا مِنْ كَنْزِهِ الَّذِي تَحْتَ الْعَرْشِ ، فَتَعَلَّمُوهُنَّ وَعَلِّمُوهُنَّ نِسَاءَكُمْ ، فَإِنَّهُمَا صَلَاةٌ وَقُرْآنٌ وَدُعَاءٌ (ك) عن أبى ذر رضى الله عنه .

٦٨١ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ فَأَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ ، فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ يَوْمَئِذٍ اهْتَدَى ، وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ (حم ت ك) عن ابن عمرو .

---

(١) يؤخذ منه الفرق بين المحرم والمكروه .
(٢) يؤخذ منه استحباب رفع اليدين فى الدعاء .

٦٨٢ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الأَرْضِ ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الأَرْضِ جَاءَ مِنْهُمُ الأَحْمَرُ وَالأَبْيَضُ وَالأَسْوَدُ وَبَيْنَ ذَلِكَ ، وَالسَّهْلُ[1] وَالْخَشِنُ ، وَالْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَبَيْنَ ذَلِكَ (حم د ت ك هق) عن أبي موسى .

٦٨٣ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ ، فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِ فِرَقِهِمْ وَخَيْرِ الْفِرْقَتَيْنِ ، ثُمَّ تَخَيَّرَ الْقَبَائِلَ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِ قَبِيلَةٍ ، ثُمَّ تَخَيَّرَ الْبُيُوتَ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِ بُيُوتِهِمْ ، فَأَنَا خَيْرُهُمْ نَفْسًا ، وَخَيْرُهُمْ بَيْتًا (ت) عن العباس رضى الله عنه .

٦٨٤ — إِنَّ اللهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ قَامَتِ الرَّحِمُ ، فَقَالَ : مَهْ ، فَقَالَتْ : هٰذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ ، قَالَ : نَعَمْ ، أَمَا تَرْضِينَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ ؟ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ ؟ قَالَتْ : بَلَى يَا رَبِّ ، قَالَ : فَذَلِكِ لَكِ (ق ن) عن أبي هُرَيْرَةَ .

٦٨٥ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ[2] ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً ، وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً وَاحِدَةً ، فَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ لَمْ يَيْأَسْ مِنَ الْجَنَّةِ ،

---

(١) السهل والخشن بالخاء والشين المعجمين ، مقابل السهل .

(٢) لما أخبر الحديث بما عند الله من الرحمة الكثيرة العظيمة ، حتى إن الكافر لوعلمها لما أيس من الجنة . أراد أن يحذر المؤمن من الاتكال على سعة الرحمة . والاسترواح إليها . لاسيما والرحمة فى الآخرة خاصة بالمؤمنين . فقال : ولو يعلم المؤمن بالذى عند الله من العذاب لم يأمن من النار . فهذه الجملة للتحذير من أن يأمن المؤمن مكر الله . اغترارا بسعة رحمته .

وَلَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ بِالَّذِى عِنْدَ اللهِ مِنَ الْعَذَابِ لَمْ يَأْمَنْ مِنَ النَّارِ (ق) عن أبى هريرة .

٦٨٦ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ مِائَةَ رَحْمَةٍ كُلُّ رَحْمَةٍ طِبَاقُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ، فَجَعَلَ مِنْهَا فِى الأَرْضِ رَحْمَةً ، فَبِهَا تَعْطِفُ الْوَالِدَةُ عَلَى وَلَدِهَا ، وَالْوَحْشُ وَالطَّيْرُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ ، وَأَخَّرَ تِسْعًا وَتِسْعِينَ ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَكْمَلَهَا بِهٰذِهِ الرَّحْمَةِ (حم م) عن سلمان (حم ٥) عن أبى سعيد .

٦٨٧ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ الْجَنَّةَ وَخَلَقَ النَّارَ ، فَخَلَقَ لِهٰذِهِ أَهْلاً ، وَلِهٰذِهِ أَهْلاً (م) عن عائشة رضى الله عنها .

٦٨٨ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى رَضِىَ لِهٰذِهِ الأُمَّةِ الْيُسْرَ ، وَكَرِهَ لَهَا الْعُسْرَ (طب) عن مِحْجَن بن الأورع .

٦٨٩ — إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِى الأَمْرِ كُلِّهِ (ق) عن عائشة رضى الله عنها .

٦٩٠ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيُعْطِى عَلَيْهِ مَا لاَ يُعْطِى عَلَى الْعُنْفِ (خد د) عن عبد الله بن مغفل (٥ حب) عن أبى هُريرة (حم هب) عن على (طب) عن أبى أمامة (البزار) عن أنس .

٦٩١ — إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ زَادَكُمْ صَلاَةً فَصَلُّوهَا مَا بَيْنَ الْعِشَاءِ إِلَى الصُّبْحِ : الْوِتْرَ الْوِتْرَ (حم طب) عن أبى بصرة الغفارى .

٦٩٢ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى سَائِلٌ كُلَّ رَاعٍ عَمَّا اسْتَرْعَاهُ أَحَفِظَ ذٰلِكَ أَمْ ضَيَّعَهُ ؟ حَتَّى يَسْأَلَ الرَّجُلَ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ (ن حب) عن أنس .

٦٩٣ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى سَمَّى الْمَدِينَةَ طَابَةَ (حم م ن) عن جابر بن سمرة .

٦٩٤ — إنَّ اللهَ تَعَالَى صَانِعٌ[1] كُلَّ صَانِعٍ وَصَنْعَتِهِ (خ فى خلق أفعال العباد ك والبيهقى فى الأسماء) عن حذيفة .

٦٩٥ — إنَّ اللهَ تَعَالَى طَيِّبٌ يُحِبُّ الطِّيبَ ، نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الكَرَمَ ، جَوَادٌ يُحِبُّ الجُودَ ، فَنَظِّفُوا أَفْنِيَتَكُمْ ، وَلاَ تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ (ت) عن سعد .

٦٩٦ — إنَّ اللهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إلاَّ طَيِّبًا ، وَإنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ ، فَقَالَ : يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ، وَقَالَ : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ : يَا رَبِّ ، يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ ، وَغُذِّىَ بِالْحَرَامِ ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ (م ت) عن أبى هريرة .

٦٩٧ — إنَّ اللهَ تَعَالَى عَفُوٌّ يُحِبُّ الْعَفْوَ (ك) عن ابن مسعود (عد) عن عبد الله بن جعفر .

٦٩٨ — إنَّ اللهَ تَعَالَى فَرَضَ صِيَامَ رَمَضَانَ ، وَسَنَنْتُ لَكُمْ قِيَامَهُ ، فَمَنْ صَامَهُ وَقَامَهُ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ (ن) عن أبى هريرة .

٦٩٩ — إنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ : مَنْ عَادَى لِى وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَىَّ عَبْدِى بِشَىْءٍ أَحَبَّ إِلَىَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ

---

(١) أخذ منه السيوطى جواز إطلاق الصانع على الله تعالى : وفيه بحث .

عَبْدِى يَتَقَرَّبُ إِلَىَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِى يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِى يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِى يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِى يَمْشِى بِهَا ، وَلَئِنْ سَأَلَنِى لَأُعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِى لَأُعِيذَنَّهُ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَىْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِى[1] عَنْ قَبْضِ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ (خ) عن أبى هريرة .

٧٠٠ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ لِى : أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٧٠١ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ : خَلَقْتُ خَلْقًا . أَلْسِنَتُهُمْ[2] أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ ، وَقُلُوبُهُمْ أَمَرُّ مِنَ الصَّبِرِ ، فَبِى حَلَفْتُ لَأُتِيحَنَّهُمْ فِتْنَةً تَدَعُ الْحَلِيمَ مِنْهُمْ حَيْرَانَ . فَبِى يَغْتَرُّونَ ؟ أَمْ عَلَىَّ يَجْتَرِئُونَ ؟ (ت) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٧٠٢ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ : يَا عِيسَى إِنِّى بَاعِثٌ مِنْ بَعْدِكَ أُمَّةً إِنْ

---

(١) يزيد الله فى عمر المؤمن بأعماله الصالحة كالبر والصلة فكنى عن هذه الزيادة المستلزمة لتأخير الموت بالتردد ، لأن المتردد فى فعل شىء يؤخر فعله .

(٢) قوله ألسنتهم أحلى من العسل ، لحسن كلامهم . وطيب خطابهم . وقلوبهم أمر من الصبر . لانطوائها على الحقد وبغض إخوانهم ، وحب إذايتهم ، فبى حلفت وهذا قسم عظيم لأتيحنهم لاعطينهم فتنة فى مالهم أو أنفسهم أو أهليهم تجتاحهم فتدع الحليم منهم الهادىء الرزين الثابت ، حيران شارد الذهن لايدرى مايفعل ؟ لأن الفتنة أطارت عقله ، وأذهبت صوابه . فبى يغترون ؟ حيث أمهلتهم . أم على يجترئون ؟ حيث طووا قلوبهم على تلك الخبائث . والمراد بالاستفهام إنكار اغترارهم بالله . واجترائهم عليه نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا آمين .

أَصَابَهُمْ[١] مَا يُحِبُّونَ حَمِدُوا اللهَ ، وَإِنْ أَصَابَهُمْ مَا يَكْرَهُونَ احْتَسَبُوا وَصَبَرُوا وَلاَ حِلْمَ وَلاَ عِلْمَ ، فَقَالَ : يَا رَبِّ كَيْفَ يَكُونُ هٰذَا ؟ قَالَ : أُعْطِيهِمْ مِنْ حِلْمِي وَعِلْمِي (حم طب ك هب) عن أبى الدرداء رضى الله عنه .

٧٠٣ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَبَضَ أَرْوَاحَكُمْ حِينَ شَاءَ ، وَرَدَّهَا عَلَيْكُمْ حِينَ شَاءَ يَا بِلاَلُ قُمْ فَأَذِّنِ النَّاسَ بِالصَّلاَةِ[٢] (حم خ د ن) عن أبى قتادة رضى الله عنه .

٧٠٤ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ حَرَّمَ النَّارَ عَلَى مَنْ قَالَ : لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ (ق) عن عِتْبَانَ بن مالك .

٧٠٥ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ ، فَلاَ وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ (٥) عن أنس .

٧٠٦ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ أَوْقَعَ أَجْرَهُ عَلَى قَدْرِ نِيَّتِهِ[٣] (مالك حم د ن حب ٥ ك) عن جابر بن عتيك .

٧٠٧ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ

---

(١) أن أصابهم ما يحبون حمدو الله وإن أصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا . وهذا نتيجة إيمانهم ، وصدق يقينهم . لأن الحمد على السراء ، والصبر على الضراء ، لا يكون إلا عن قوة إيمان . أعطيهم من حلمى وعلمى . أى أفيض عليهم من عندى حلما وعلما . فى الحديث ثناء على هذه الأمة بحمدها عند النعمة . وصبرها واحتسابها عند النقمة . فيه تشريفها بما يفاض عليها من حلم وعلم ، وهما أشرف الصفات ، التى يتحلى بها المخلوقات . وفيه أن الإيمان أصل كل خير يصيب المؤمن .

(٢) قاله حين كانوا فى سفر وناموا عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس .

(٣) قاله لرجل نوى الغزو وتجهز له ، لكنه مات قبل الغزو .

فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ (حم م ع) عن شداد بن أوس .

٧٠٨ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَا أَدْرَكَ ذَلِكَ لاَ مَحَالَةَ ، فَزِنَا الْعَيْنِ النَّظَرُ ، وَزِنَا اللِّسَانِ الْمَنْطِقُ ، وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ (ق د ن) عن أبى هريرة .

٧٠٩ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ(١) فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً ، فَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ ، وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً ، فَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً ، وَلاَ يَهْلِكَ عَلَى اللهِ إِلاَّ هَالِكٌ (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

---

(١) فمن هم بحسنة فلم يعملها ، لمانع ، كتبها الله عنده حسنة كاملة . أمالو لم يعملها انصرافا عنها أو تكاسلا ، فلا تكتب له . فإن هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات ، ثم ضاعفها إلى سبعمائة ضعف ـ ثم ضاعفها إلى أضعاف كثيرة ـ وإن هم بسيئة فلم يعملها . بأن تركها لله خشية منه . وطمعا فى ثوابه . كما ثبت فى رواية أخرى « إنما تركها من جرائى » أى من أجلى ، كتبها الله عنده حسنة كاملة . أما أن تركها لمانع منعه . مع همه بها فتكتب عليه سيئة ، فإن هم بها فعملها كتبها الله عنده سيئة واحدة . أكد تقليلها بواحدة . كما أكد تعظيم الحسنة وتكثيرها بكاملة . ولا يهلك ، بعد هذا التفضل الكبير ، على الله ، أى على كرمه وحسن ثوابه ، إلا هالك لم يعمل حسنة أو كانت سيئاته غالبة على حسناته ، فلا يدخل الجنة إلا بشفاعة أو بمجرد رحمة الله تعالى ، بعد أن تنال النار منه نصيبها . ولا يكون من الذين يقال لهم (وتلك الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون) جعلنا الله منهم بفضله من غير سابقة عذاب .

٧١٠ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِأَلْفَيْ عَامٍ ، وَهُوَ عِنْدَ العَرْشِ ، وَإِنَّهُ أَنْزَلَ مِنْهُ آيَتَيْنِ خَتَمَ بِهِمَا سُورَةَ البَقَرَةِ ، وَلاَ يُقْرَآنِ فِي دَارٍ ثَلاَثَ لَيَالٍ فَيَقْرَبَهَا شَيْطَانٌ (ت ن حب ك) عن النعمان بن بشير رضى الله عنه .

٧١١ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى كَتَبَ مَقَادِيرَ الخَلْقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ (م) عن ابن عمرو .

٧١٢ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى كَرِيمٌ يُحِبُّ الكَرَمَ ، وَيُحِبُّ مَعَالِيَ الأَخْلاَقِ ، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا (طب حل ك هب) عن سهل بن سعد .

٧١٣ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا وَلاَ خَلِيفَةً إِلاَّ وَلَهُ بِطَانَتَانِ بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَاهُ عَنِ المُنْكَرِ ، وَبِطَانَةٌ لاَ تَأْلُوهُ خَبَالاً ، وَمَنْ يُوقَ بِطَانَةَ السُّوءِ فَقَدْ وُقِيَ (خد ث) عن أبى هريرة .

٧١٤ — إِنَّ اللهَ لَمْ يَجْعَلْ شِفَاءَكُمْ فِيمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ (حب طب ع هق) عن أم سلمة رضى الله عنها.

٧١٥ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يَفْرِضِ الزَّكَاةَ إِلاَّ لِيُطَيِّبَ بِهَا مَا بَقِيَ مِنْ أَمْوَالِكُمْ ، وَإِنَّمَا فَرَضَ المَوَارِيثَ لِتَكُونَ لِمَنْ بَعْدَكُمْ ، أَلاَ أُخْبِرُكَ بِخَيْرِ مَا يَكْنِزُ المَرْءُ ؟ المَرْأَةُ الصَّالِحَةُ ، إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتْهُ ، وَإِذَا أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ ، وَإِذَا غَابَ عَنْهَا حَفِظَتْهُ (د ك هق) عن ابن عباس رضى الله عنهما.

٧١٦ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يَبْعَثْنِي مُعَنِّتًا وَلاَ مُتَعَنِّتًا وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مُيَسِّرًا (م) عن عائشة رضى الله عنها .

٧١٧ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يَأْمُرْنَا فِيمَا رَزَقَنَا (١) أَنْ نَكْسُوَ الْحِجَارَةَ وَاللَّبِنَ وَالطِّينَ (م د) عن عائشة رضى الله عنها .

٧١٨ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يَجْعَلْ لِمَسْخٍ نَسْلاً وَلاَ عَقِباً وَقَدْ كَانَتْ الْقِرْدَةُ وَالْخَنَازِيرُ قَبْلَ ذَلِكَ (حم م) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

٧١٩ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يُنْزِلْ دَاءً إِلاَّ أَنْزَلَ لَهُ دَوَاءً عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ إِلاَّ السَّامُ وَهُوَ الْمَوْتُ (ك) عن أبى سعيد رضى الله عنه.

٧٢٠ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَمَّا خَلَقَ الْخَلْقَ كَتَبَ بِيَدِهِ عَلَى نَفْسِهِ : إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي (ت ه) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٧٢١ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَيُؤَيِّدُ الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ (طب) عن عمرو ابن النُّعْمان بن مُقَرِّن .

٧٢٢ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَ اللهَ عَلَيْهَا (حم م ت ن) عن أنس رضى الله عنه .

٧٢٣ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَيَسْأَلُ الْعَبْدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَسْأَلَهُ : مَا مَنَعَكَ

---

(١) إن الله تعالى لم يأمرنا فيما رزقنا أن نكسو الحجارة إلخ دخل النبى صلى الله تعالى عليه وإله وسلم على عائشة رضى الله عنها فوجدها سترت جانبا فى البيت بقرام — أى ستر فيه نقوش — فجذبه مغضبا ، وقال هذا الحديث ، وهو يفيد عدم جواز وضع الستائر فى البيوت وعلى الضوارح ومقامات الأولياء ، كل ذلك وما فى معناه لا يجوز . لأنه إسراف وترفه . والله لا يحب المسرفين .وتستثنى الكعبة المشرفة . لأن النبى صلى الله تعالى عليه وإله وسلم أقر كسوتها ، كما ذكران من علامات الساعة أن يستر الناس بيوتهم . كما تستر الكعبة ، واستثنى بعض كبار العلماء ستائر الروضة الشريفة أيضا . فقط والله الموفق لما فيه رضاه ورزقنا حسن الاتباع وباعدنا عن الابتداع .

إِذْ رَأَيْتَ الْمُنْكَرَ أَنْ تُنْكِرَ ؟ فَإِذَا لَقَّنَ اللهُ الْعَبْدَ حُجَّةً قَالَ : يَا رَبِّ ، رَجَوْتُكَ وَفَرِقْتُ مِنَ النَّاسِ (حم ٥ حب) عن أبى سعيد .

٧٢٤ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَيَعْجَبُ (١) مِنَ الشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبْوَةٌ (حم ع طب) عن عقبة بن عامر .

٧٢٥ — إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَيَعْجَبُ مِنَ الصَّلَاةِ فِى الْجَمْعِ (حم) عن عمر (طب) عن ابنه رضى الله عنهما .

٧٢٦ — إِنَّ اللهَ لَيُعَمِّرُ بِالْقَوْمِ الدِّيَارَ وَيُثَمِّرُ لَهُمُ الأَمْوَالَ وَمَا نَظَرَ إِلَيْهِمْ مُنْذُ خَلَقَهُمْ بُغْضًا لَهُمْ ، بِصِلَتِهِمْ أَرْحَامَهُمْ (طب ك) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٧٢٧ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ (ق ت ٥) عن أبى موسى .

٧٢٨ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى مَعَ الْقَاضِى مَا لَمْ يَجُرْ ، فَإِذَا جَارَ تَبَرَّأَ اللهُ مِنْهُ وَأَلْزَمَهُ الشَّيْطَانَ (ك هق) عن ابن أبى أوفى .

٧٢٩ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى مَعَ الْمَدِينِ حَتَّى يَقْضِىَ دَيْنَهُ مَا لَمْ يَكُنْ دَيْنُهُ فِيمَا يَكْرَهُ اللهُ (تخ ه ك) عن عبد الله بن جعفر .

٧٣٠ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى هُوَ الْخَالِقُ ، الْقَابِضُ ، الْبَاسِطُ ، الرَّازِقُ ، الْمُسَعِّرُ ، وَإِنِّى لأَرْجُو أَنْ أَلْقَى اللهَ وَلاَ يَطْلُبُنِى أَحَدٌ بِمَظْلَمَةٍ ظَلَمْتُهَا

---

(١) العجب كناية عن الرضا . وقد صح فى حديث آخر : عد الشاب الناشىء فى طاعة الله ثانى السبعة الذين يظلهم فى ظل العرش يوم لاظل إلا ظله .

إِيَّاهُ مِنْ دَمٍ وَلاَ مَالٍ[1] (م د ت ه ع حب هق) عن أنس .

٧٣١ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى وَضَعَ عَنِ الْمُسَافِرِ الصَّوْمَ وَشَطْرَ الصَّلاَةِ (حم ٤) عن أنس بن مالك القُشَيرى ، وما له غيره .

٧٣٢ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكاً يَقُولُ : أَيْ رَبِّ نُطْفَةٌ ؟ أَيْ رَبِّ عَلَقَةٌ ؟ أَيْ رَبِّ مُضْغَةٌ ؟ فَإِذَا أَرَادَ اللهُ خَلْقَهَا قَالَ : أَيْ رَبِّ شَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ؟ ذَكَرٌ أَوْ أُنْثَى ؟ فَمَا الرِّزْقُ ؟ فَمَا الأَجَلُ ؟ فَيُكْتَبُ ذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ (ق) عن أنس رضى الله عنه .

٧٣٣ — إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الَّذِينَ يَصِلُونَ الصُّفُوفَ ، وَمَنْ سَدَّ فُرْجَةً رَفَعَهُ اللهُ بِهَا دَرَجَةً (حم ه حب ك) عن عائشة رضى اللهُ عنها .

٧٣٤ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصَّفِّ الأَوَّلِ (حم د ه ك) عن البراء (ه) عن عبد الرحمن بن عَوْف (طب) عن النعمان بن بشير (البزار) عن جابر .

٧٣٥ — إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى مَيَامِنِ الصُّفُوفِ (د ه حب) عن عائشة رضى الله عنها .

٧٣٦ — إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصَّفِّ الْمُقَدَّمِ ، وَالْمُؤَذِّنُ يُغْفَرُ لَهُ مَدَى صَوْتِهِ ، وَصَدَّقَهُ مَنْ سَمِعَهُ مِنْ رَطْبٍ وَيَابِسٍ ، وَلَهُ أَجْرُ مَنْ صَلَّى مَعَهُ (حم ن) عن البراء .

---

(١) قاله حين غلا السعر بالمدينة ، وطلبوا منه أن يسعر لهم .

٧٣٧ — إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الْمُتَسَحِّرِينَ (طس حب) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٧٣٨ — إِنَّ اللهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ ، فَأَوْتِرُوا يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ (ع ابن خزيمة) عن علىّ عليه السلام .

٧٣٩ — إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْفَاحِشَ الْمُتَفَحِّشَ ، وَلاَ الصَّيَّاحَ فِى الْأَسْوَاقِ (خد) عن جابر رضى الله عنه .

٧٤٠ — إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ هٰذَا[1] وَضَرْبَهُ يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ[2] لِلنَّاسِ لَىَّ الْبَقَرِ بِلِسَانِهَا الْمَرْعَى ، كَذَلِكَ يَلْوِى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَلْسِنَتَهُمْ وَوُجُوهَهُمْ فِى النَّارِ (طب) عن واثلة رضى الله عنه .

٧٤١ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى لاَ يَجْمَعُ أُمَّتِى عَلَى ضَلاَلَةٍ ، وَيَدُ اللهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ وَمَنْ شَذَّ ، شَذَّ إِلَى النَّارِ (ت) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٧٤٢ — إِنَّ للهَ لاَ يَرْضَى لِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ إِذَا ذَهَبَ بِصَفِيَّيْهِ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ فَصَبَرَ وَاحْتَسَبَ بِثَوَابٍ دُونَ الْجَنَّةِ (ن) عن ابن عمرو .

---

(١) قاله لمنافق كان يتفصح فى كلامه .

(٢) يقول وأثلة : كنت فى أصحاب الصفة ، فلقد رأيتنا وما منا إنسان عليه ثوب تام ، إذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ليبشر فقراء المهاجرين » إذ أقبل عليه رجل عليه شارة حسنة ، فجعل النبى صلى الله عليه وسلم لا يتكلم بكلام ، إلا كلفته نفسه أن يأتى بكلام يعلو كلام النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما انصرف قال : إن الله لا يحب هذا وضربه ، أى مثله يلوون ألسنتهم للناس يهرج القول وزيفه تفصحا وترفعا لى البقر بلسانها المرعى فتجمع بين الجيد والردىء ، كذلك يلوى الله عز وجل ألسنتهم ووجوههم فى النار ، لتكبرهم وحبهم الترفع والظهور .

٧٤٣ — إِنَّ اللهَ لاَ يَسْتَحْيِ مِنَ الْحَقِّ - ثَلاَثَ مَرَّاتٍ - لاَ تَأْتُوا النِّسَاءَ فِي أَدْبَارِهِنَّ (ن ٥) عن خُزَيْمَةَ بن ثابتٍ رضى الله عنه .

٧٤٤ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى لاَ يَظْلِمُ الْمُؤْمِنَ حَسَنَةً ، يُعْطَى عَلَيْهَا فِي الدُّنْيَا وَيُثَابُ عَلَيْهَا فِي الآخِرَةِ ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِهِ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُعْطَى بِهَا خَيْراً (حم م) عن أنس رضى الله عنه .

٧٤٥ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى لاَ يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعاً يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِماً اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤَسَاءَ جُهَّالاً ، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا (حم ق ت ٥) عن ابن عمرو .

٧٤٦ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى لاَ يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلاَّ مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا ، وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ (د ن) عن أبى أمامة .

٧٤٧ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى لاَ يَنَامُ ، وَلاَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ ، بِيَدِهِ الْمِيزَانُ يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ ، حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ[1] ، وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ (م ٥) عن أبى موسى .

٧٤٨ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى لاَ يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ (م ٥) عن أبى هريرة .

٧٤٩ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى لاَ يَنْظُرُ إِلَى مَنْ يَجُرُّ إِزَارَهُ بَطَراً (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

---

(١) أى جلالته .

٧٥٠ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى لاَ يَنْظُرُ إِلَى مُسْبِلِ إِزَارِهِ (حم ن) ، عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٧٥١ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُؤَيِّدُ هٰذَا الدِّينَ بِأَقْوَامٍ لاَ خَلاَقَ لهُمْ (ن حب) عن أنس (حم طب) عن أبى بَكْرَةَ .

٧٥٢ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُبَاهِى مَلاَئِكَتَهُ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ بِأَهْلِ عَرَفَةَ يَقُولُ : انْظُرُوا إِلَى عِبَادِى أَتَوْنِى شُعْثاً غُبْراً (حم طب) عن ابن عمرو (حم حب ك) عن أبى هُرَيرةَ .

٧٥٣ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَبْتَلِى عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ بِالسَّقَمِ حَتَّى يُكَفِّرَ عَنْهُ كُلَّ ذَنْبٍ (طب) عن جُبَيْر بن مُطْعِمٍ (ك) عن أبى هريرةَ .

٧٥٤ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِىءُ النَّهَارِ وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِىءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا (حم م ن) عن أبى موسى .

٧٥٥ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَبْعَثُ لِهٰذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا (د ك طى) عن أبى هريرةَ .

٧٥٦ — إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْمُتَفَحِّشَ (حم) عن أسامة .

٧٥٧ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِىَّ الْغَنِىَّ الْخَفِىَّ (حم م) عن سعد ابن أبى وقاص رضى الله عنه .

٧٥٨ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُحِبُّ الْعُطَاسَ وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ (خ د ت) عن أبى هريرةَ .

٧٥٩ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخَصُهُ كَمَا يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى

عَزَائِمُهُ (حم حب طب هل هق) عن ابن عباس (هل طب عق) عن ابن مسعود (حم والبزارع حب) عن ابن عُمَر .

٧٦٠ — إنَّ اللهَ تعَالَى يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ (ت ك) عن ابن عَمْرو .

٧٦١ — إنَّ اللهَ تعَالَى يُحِبُّ سَمْحَ الْبَيْعِ سَمْحَ الشِّرَاءِ سَمْحَ الْقَضَاءِ (ت ك) عن أبى هُرَيرةِ .

٧٦٢ — إنَّ اللهَ تعَالَى يُحِبُّ كُلَّ قَلْبٍ حَزِينٍ (طب ك) عن أبى الدرداء

٧٦٣ — إنَّ اللهَ تعَالَى يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ وَأَشْرَافَهَا وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا (ابن حِبَّانَ فى رَوْضة العقلاء طب) عن الحسين بن على عليهما السلام .

٧٦٤ — إنَّ اللهَ تعَالَى يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخَصُهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ تُؤْتَى مَعْصِيَتُهُ (حم حب هب) عن ابن عُمر رضى الله عنهما .

٧٦٥ — إنَّ اللهَ تعَالَى يُدْخِلُ بِالسَّهْمِ الْوَاحِدِ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ الْجَنَّةَ صَانِعَهُ يَحْتَسِبُ فِى صَنْعَتِهِ الْخَيْرَ وَالرَّامِيَ بِهِ وَمُنْبِلَهُ[1] ، (حم ٣) عن عقبة بن عامر .

٧٦٦ — إنَّ اللهَ تعَالَى يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَسِتْرَهُ مِنَ النَّاسِ وَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ ، فَيَقُولُ : أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا ؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ أَيْ رَبِّ حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَى فِى نَفْسِهِ أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ ، قَالَ : فَإِنِّى قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِى الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ

---

(١) يمثل الحديث صناعة الأسلحة الحديثة إذا كانت بقصد الجهاد أو الدفاع عن حق شرعى .

الْيَوْمَ ، ثُمَّ يُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ بِيَمِينِهِ وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ ، فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ : هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ . أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (حم ق ن ه) عن ابن عُمر رضى الله عنهما .

٧٦٧ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا يَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا . وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا . وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللهُ أَمْرَكُمْ . وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ . وَإِضَاعَةَ الْمَالِ (حم م) عن أبى هُريرة .

٧٦٨ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ (م ه) عن عُمر رضى الله عنه .

٧٦٩ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَسْتَخْلِصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا ؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ ؟ فَيَقُولُ : لَا يَا رَبِّ ؟ فَيَقُولُ : أَفَلَكَ عُذْرٌ ؟ فَقَالَ : لَا يَا رَبِّ ؟ فَيَقُولُ : اللهُ تَعَالَى : بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً . فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ . فَتُخْرَجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، فَيَقُولُ : احْضُرْ وَزْنَكَ ، فَيَقُولُ : يَارَبِّ مَاهَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ ، فَقَالَ : فَإِنَّكَ لَا تُظْلَمُ فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ (ت ه حب ك هب) عن عبد الله بن عَمْرو .

٧٧٠ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُعَذِّبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا (حم م د ن) عن هشام بن حكيم (حم هب) عن عِيَاض بن غَنْم .

٧٧١ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَغَارُ وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَغَارُ . وَغَيْرَةُ اللهِ أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ (حم ق ت) عن أبي هُرَيْرَةَ .

٧٧٢ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ وَيَأْخُذُهَا بِيَمِينِهِ ، فَيُرَبِّيهَا لِأَحَدِكُمْ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ مُهْرَهُ حَتَّى إِنَّ اللُّقْمَةَ لَتَصِيرُ مِثْلَ أُحُدٍ (ت) عن أبي هريرة .

٧٧٣ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا : لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ كُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَقَدْ سَأَلْتُكَ مَا هُوَ أَهْوَنُ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ : أَلَّا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا فَأَبَيْتَ إِلَّا الشِّرْكَ (ق) عن أنس رضى الله عنه.

٧٧٤ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ : إِنَّ الصَّوْمَ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ إِنَّ لِلصَّائِمِ فَرْحَتَيْنِ إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ وَإِذَا لَقِيَ اللهَ تَعَالَى فَجَزَاهُ فَرِحَ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ (حم م ن) عن أبي هُرَيْرَةَ وأبي سعيد معا رضى الله عنهما .

٧٧٥ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ أَنَا ثَالِثُ الشَّرِيكَيْنِ مَا لَمْ يَخُنْ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ ، فَإِذَا خَانَهُ خَرَجْتُ مِنْ بَيْنِهِمَا (د ك) ، عن أبي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه .

٧٧٦ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ : يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلَأْ صَدْرَكَ غِنًى وَأَسُدَّ فَقْرَكَ . وَإِلَّا تَفْعَلْ مَلَأْتُ يَدَيْكَ شُغْلًا وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ (حم ت ه ك) عن أبي هُرَيْرَةَ .

٧٧٧ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ : إِذَا أَخَذْتُ كَرِيمَتَيْ[1] عَبْدِي فِي الدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ لَهُ جَزَاءٌ عِنْدِي إِلاَّ الْجَنَّةُ (ت) عن أنس .

٧٧٨ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ لِجَلاَلِي ؟ الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلِّي (حم م) عن أبي هريرة .

٧٧٩ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ : أَنَا مَعَ عَبْدِي مَا ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ (حم ه حب ك) عن أبي هريرة .

٧٨٠ — إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي (ق ت ن ه) عن أبي هريرة .

٧٨١ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ : أَنَا خَيْرُ قَسِيمٍ لِمَنْ أَشْرَكَ بِي ، مَنْ أَشْرَكَ بِي شَيْئاً فَإِنَّ عَمَلَهُ قَلِيلَهُ وَكَثِيرَهُ لِشَرِيكِهِ الَّذِي أَشْرَكَ بِي أَنَا عَنْهُ غَنِيٌّ (الطيالسي حم) عن شداد بن أوس .

٧٨٢ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ : إِنَّ عَبْداً صَحَّحْتُ لَهُ جِسْمَهُ ، وَوَسَّعْتُ عَلَيْهِ فِي الْمَعِيشَةِ تَمْضِي عَلَيْهِ خَمْسَةُ أَعْوَامٍ لاَ يَفِدُ إِلَيَّ لَمَحْرُومٌ[2] (ع حب) عن أبي سعيد .

---

(١) إذا أخذت كريمتي عبدي - يعني عينيه - في الدنيا ؛ لم يكن له جزاء عندي إلا الجنة ؛ بشرط أن يموت على الإيمان ، والعمل الصالح ، مع الصبر وعدم الجزع ؛ أما الكافر أو الملحد في عقيدته فلا نصيب له في هذا الثواب البتة إذا عمي في الدنيا ؛ ولايكفي في ثبوت إيمانه تسميته بأسماء المؤمنين ؛ فكم من مسلم فسدت عقيدته فكان أشد كفرا وعنادا من اليهود ، وهو يسمى بعلي أو طه مثلا ؛

(٢) أخذ منه سنية الحج مرة كل خمس سنين لمن أدى الفريضة .

٧٨٣ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، فَيَقُولُونَ لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ ، فَيَقُولُ هَلْ رَضِيتُمْ ؟ فَيَقُولُونَ وَمَالَنَا لَا نَرْضَى ، وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ ؟ فَيَقُولُ : أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ؟ فَيَقُولُونَ : يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ ؟ فَيَقُولُ : أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا (حم ق ت) عن أبي سعيد .

٧٨٤ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : يَا ابْنَ آدَمَ ، مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي ، قَالَ : يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ قَالَ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ ؟ . يَا ابْنَ آدَمَ ، اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي ، فَقَالَ : يَا رَبِّ ، وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ قَالَ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي ؟ . يَا ابْنَ آدَمَ ، اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي ، قَالَ : يَا رَبِّ ، كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ قَالَ : اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي (م) عن أبي هريرة .

٧٨٥ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُمْهِلُ حَتَّى إِذَا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ نَزَلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَنَادَى : هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ الْفَجْرُ (حم م) عن أبي سعيد وأبي هريرة معاً .

٧٨٦ — إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَنْزِلُ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ إِلى سَمَاءِ الدُّنْيَا فَيَغْفِرُ لِأَكْثَرَ مِنْ عَدَدِ شَعْرِ غَنَمِ بَنِي كَلْبٍ (م ت ه) عن عائشة رضى الله عنها .

٧٨٧ — إِنَّ اللهَ تَعَالى يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ ، مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أَوْ لِيَصْمُتْ (حم مالك ق ع) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٧٨٨ — إِنَّ اللهَ تَعَالى يُوصِيكُمْ بِأُمَّهَاتِكُمْ ، ثَلَاثًا ، إِنَّ اللهَ تَعَالى يُوصِيكُمْ بِآبَائِكُمْ ، مَرَّتَيْنِ . إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُوصِيكُمْ بِالْأَقْرَبِ فَالْأَقْرَبِ (حذ ه طب ك) عن المقداد .

٧٨٩ — إِنَّ الإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ (م ه) عن أبى هريرة (ت ه) عن ابن مسعود (ه) عن أنس (طب) عن سلمان وسهل بن سعد وابن عباس رضى الله تعالى عنهم .

٧٩٠ — إِنَّ الإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ ، وَهُوَ يَأْرِزُ[1] بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا (م) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٧٩١ — إِنَّ الإِيمَانَ لَيَأْرِزُ إِلى الْمَدِينَةِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلى جُحْرِهَا (حم ق ه) عن أبى هريرة .

٧٩٢ — إِنَّ الْبَرَكَةَ تَنْزِلُ فِي وَسَطِ الطَّعَامِ ، فَكُلُوا مِنْ حَافَتِهِ وَلَا تَأْكُلُوا مِنْ وَسَطِهِ (ت ك) عن ابن عباس رضى الله عنهما.

---

(١) ينضم . والمسجدان : مسجدا مكة والمدينة .

٧٩٣ — إِنَّ البَيْتَ الَّذِى فِيهِ الصُّوَرُ لاَ تَدْخُلُهُ المَلاَئِكَةُ (مالك ق) عن عائشة رضى الله عنها .

٧٩٤ — إِنَّ الخَصْلَةَ الصَّالِحَةَ تَكُونُ فِى الرَّجُلِ فَيُصْلِحُ اللهُ بِهَا عَمَلَهُ كُلَّهُ ، وَطُهُورُ الرَّجُلِ لِصَلاَتِهِ يُكَفِّرُ اللهُ بِهِ ذُنُوبَهُ وَتَبْقَى صَلاَتُهُ لَهُ نَافِلَةً (ع طس هب) عن أنس رضى الله عنه .

٧٩٥ — إِنَّ الدَّالَّ عَلَى الخَيْرِ كَفَاعِلِهِ (ت والبزَّارُ) عن أنس .

٧٩٦ — إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ؟ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ (م ن) عن أبى سعيد ، زاد (ن) : فَمَا تَرَكْتُ بَعْدِى فِتْنَةً أَضَرُّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ .

٧٩٧ — إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلاَّ ذِكْرَ اللهِ وَمَا وَالاَهُ وَعَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا (ت ه) عن أبى هريرة رضى الله عنه.

٧٩٨ — إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ (حم م د ن) عن تميم الدَّارى (ت ن) عن أبى هريرة (حم) عن ابن عباس .

٧٩٩ — إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا ، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَىْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ (خ ن) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٨٠٠ — إِنَّ الرَّجُلَ لَيَشْفَعُ لِلرَّجُلَيْنِ وَالثَّلاَثَةِ (البزار) عن أنس .

٨٠١ — إنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ الْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ (ق) عن سهل بن سعد . زاد (خ) وَإِنَّمَا الأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا .

٨٠٢ — إنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ (م) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

٨٠٣ — إنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ تَعَالَى مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ اللهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ اللهُ عَلَيْهِ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ (مالك حم ت ن ه حب ك) عن بلال بن الحارث .

٨٠٤ — انَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ ، وَلاَ يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ ، وَلاَ يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِلاَّ الْبِرُّ (حم ن ه حب ك) عن ثوبان .

٨٠٥ — إنَّ الرَّجُلَ لَيَنْصَرِفُ وَمَا كُتِبَ لَهُ إِلَّا عُشْرُ صَلاَتِهِ ، تُسْعُهَا ، سُبُعُهَا ، سُدُسُهَا ، خُمُسُهَا ، رُبُعُهَا ، ثُلُثُهَا ، نِصْفُهَا[1] (حم د حب) عن عمار بن ياسر رضى الله عنه .

---

(١) يكتب للرجل من صلاته ما خشع فيه لله . والخشوع عزيز جعلنا الله من عباده الخاشعين .

٨٠٦ — إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ أَوِ الْمَرْأَةَ بِطَاعَةِ اللهِ تَعَالَى سِتِّينَ سَنَةً ، ثُمَّ يَحْضُرُهُمُ الْمَوْتُ فَيُضَارَّانِ فِي الْوَصِيَّةِ ، فَتَجِبُ لَهُمَا النَّارُ (د ت) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

٨٠٧ — إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ[1] لاَ يَرَى بِهَا بَأْسًا يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا (ت ه ك) عن أبي هريرة .

٨٠٨ — إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لاَ يَرَى بِهَا بَأْسًا ، وَإِنَّهُ لَيَقَعُ بِهَا أَبْعَدَ مِنَ السَّمَاءِ (حم) عن أبي سعيد .

٨٠٩ — إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا مَاتَ بِغَيْرِ مَوْلِدِهِ قِيسَ لَهُ مِنْ مَوْلِدِهِ إِلَى مُنْقَطَعِ أَثَرِهِ ، فِي الْجَنَّةِ (حم ن ه حب) عن ابن عمرو .

٨١٠ — إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا صَلَّى مَعَ الإِمَامِ[2] حَتَّى يَنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ (حم ٤ حب) عن أبي ذر رضى الله عنه .

٨١١ — إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ عِلِّيِّينَ لَيُشْرِفُ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَتُضِيءُ الْجَنَّةُ لِوَجْهِهِ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ (د) عن أبي سعيد رضى الله عنه.

٨١٢ — إِنَّ الرَّجُلَ لَيُلْجِمُهُ الْعَرَقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ أَرِحْنِي وَلَوْ إِلَى النَّارِ (طب) عن ابن مسعود ، ورواه (ع حب) فقالا : إِنَّ الْكَافِرَ .

٨١٣ — إِنَّ الرَّجُلَ لَتُرْفَعُ دَرَجَتُهُ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ : أَنَّى لِي هٰذَا ؟ فَيُقَالُ : بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ (حم ه هق) عن أبي هريرة رضى الله عنه.

---

(١) على سبيل المزاح والتنكيت أو غير ذلك .
(٢) صلاة العشاء .

٨١٤ — إِنَّ الرَّجُلَ لَيَكُونُ لَهُ عِنْدَ اللهِ الْمَنْزِلَةُ فَمَا يَبْلُغُهَا بِعَمَلٍ ، فَمَا يَزَالُ يَبْتَلِيهِ بِمَا يَكْرَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ إِيَّاهَا (ع حب) عن أبي هريرة .

٨١٥ — إِنَّ الرَّحِمَ شُجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ تَقُولُ : يَا رَبِّ ، إِنِّي قُطِعْتُ ، يَا رَبِّ ، إِنِّي أُسِيءُ إِلَيَّ يَا رَبِّ ، إِنِّي ظُلِمْتُ يَا رَبِّ ، فَيُجِيبُهَا : أَلاَ تَرْضِينَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ (حم حب) عن أبي هريرة .

٨١٦ — إِنَّ الرِّزْقَ لَيَطْلُبُ الْعَبْدَ كَمَا يَطْلُبُهُ أَجَلُهُ (البزار حب) عن أبي الدرداء .

٨١٧ — إِنَّ الرِّسَالَةَ وَالنُّبُوَّةَ قَدِ انْقَطَعَتْ ، فَلاَ رَسُولَ بَعْدِي وَلاَ نَبِيَّ ، وَلَكِنِ الْمُبَشِّرَاتُ : رُؤْيَا الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ ، وَهِيَ جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ النُّبُوَّةِ (حم ت ك) عن أنس رضى الله عنه .

٨١٨ — إِنَّ الرُّؤْيَا عَلَى مَا تُعَبَّرُ ، وَمَثَلُ ذَلِكَ مَثَلُ رَجُلٍ رَفَعَ رِجْلَهُ فَهُوَ يَنْتَظِرُ مَتَى يَضَعُهَا ؟ فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ رُؤْيَا فَلاَ يُحَدِّثْ بِهَا إِلاَّ نَاصِحاً أَوْ عَالِماً (ك) عن أنس .

٨١٩ — إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ ، وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ (م) عن عائشة رضى الله عنها.

٨٢٠ — إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ[1] شِرْكٌ (حب) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

٨٢١ — إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ (حم م ٥) عن أم سلمة .

---

(١) شيء تتخذه المرأة ليحبها زوجها .

٨٢٢ — إِنَّ السَّاعَةَ لاَ تَقُومُ حَتَّى تَكُونَ عَشْرُ آيَاتٍ : الدُّخَانُ ، وَالدَّجَّالُ ، وَالدَّابَّةُ ، وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَثَلاَثَةُ خُسُوفٍ : خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ ، وَنُزُولُ عِيسَى ، وَفَتْحُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدَنَ تَسُوقُ النَّاسَ إِلَى الْمَحْشَرِ تَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا وَتَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا (حم م ع) عن حذيفة بن أُسَيد .

٨٢٣ — إِنَّ السَّحُورَ بَرَكَةٌ أَعْطَاكُمُوهَا اللهُ فَلاَ تَدَعُوهَا (حم ن) عن رجل من الصحابة .

٨٢٤ — إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ ، وَلَمَنِ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ (د) عن المقداد بن الأسود .

٨٢٥ — إِنَّ السَّلاَمَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى وُضِعَ فِي الأَرْضِ فَأَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ (خد) عن أنس .

٨٢٦ — إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لاَ يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ ، وَلَكِنَّهُمَا آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ يُخَوِّفُ اللهُ بِهِمَا عِبَادَهُ[1] ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَصَلُّوا وَادْعُوا حَتَّى يَنْكَشِفَ مَا بِكُمْ (خ ن) عن أبي بكرة (ق ن ٥) عن أبي مسعود (ق ن) عن ابن عمر (ق) عن المغيرة .

٨٢٧ — إِنَّ الشَّهْرَ يَكُونُ تِسْعَةً وَعِشْرِينَ يَوْماً[2] (خ ت) عن أنس (ق) عن أم سلمة (م) عن جابر وعائشة رضى الله عنهم.

---

(١) قاله يوم مات ابنه إبراهيم ،وكسفت الشمس، وتحدث الناس أن كسوفها لموته

(٢) آلى عليه الصلاة والسلام من نسائه شهرا ثم دخل على عائشة بعد تسعة وعشرين يوما فقالت له فى ذلك فأجابها بهذا الحديث .

٨٢٨ — إِنَّ الشَّيْطَانَ ذِئْبُ الإِنْسَانِ كَذِئْبِ الْغَنَمِ يَأْخُذُ الشَّاةَ الْقَاصِيَةَ وَالنَّاحِيَةَ ، فَإِيَّاكُمْ وَالشِّعَابَ ، وَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَالْعَامَّةِ وَالْمَسْجِدِ (حم) عن مُعاذ رضى الله عنه.

٨٢٩ — إِنَّ الشَّيْطَانَ يَحْضُرُ أَحَدَكُمْ عِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ شَأْنِهِ حَتَّى يَحْضُرَهُ عِنْدَ طَعَامِهِ ، فَإِذَا سَقَطَتْ[1] مِنْ أَحَدِكُمُ اللُّقْمَةُ فَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَذًى ثُمَّ لِيَأْكُلْهَا ، وَلاَ يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ ، فَإِذَا فَرَغَ فَلْيَلْعَقْ أَصَابِعَهُ فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِى فِي أَيِّ طَعَامِهِ تَكُونُ الْبَرَكَةُ ؟ (م) عن جابر رضى الله عنه.

٨٣٠ — إِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْتِي أَحَدَكُمْ فِي صَلاَتِهِ فَيَلْبِسُ عَلَيْهِ حَتَّى لاَ يَدْرِيَ كَمْ صَلَّى ؟ فَإِذَا وَجَدَ ذَلِكَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَ ، ثُمَّ يُسَلِّمُ (ت ه) عن أبى هريرة رضى الله عنه.

٨٣١ — إِنَّ الشَّيْطَانَ قَالَ : وَعِزَّتِكَ يَا رَبِّ لاَ أَبْرَحُ أُغْوِي عِبَادَكَ مَا دَامَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ ، فَقَالَ الرَّبُّ : وَعِزَّتِي وَجَلاَلِي لاَ أَزَالُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي (حم ع ك) عن أبى سعيد رضى الله عنه.

---

(١) إذا اسقطت من أحدكم اللقمة فليمط أى فليزل ما كان بها من أذى إن أمكن إزالته فان لم يمكن إزالته فليرمها لهرة مثلا ؛ وكان أغلب أكل الصحابة التمر ، فاذا وقعت تمرة على المائدة ، أمكن تنظيفها وأكلها وكانوا يلعقون أصابعهم بعد أكل التمر لاذهاب لزوجته عنها ؛ أما إذا كان الطعام مطبوخا بسمن أو زيت ؛ فقد علمهم النبى صلى الله عليه وسلم أن يغسلوا أيديهم قبل الأكل وبعده ؛ قال سلمان الفارسى : قرأت فى التوراة : بركة الطعام الوضوء بعده ؛ أى غسل اليد بعده ؛ فذكرت للنبى صلى الله عليه وسلم ، فقال « بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده » ونهى عليه الصلاة والسلام أن ينام الرجل بالليل قبل غسل يده من طعام العشاء . وتقدم ذلك فى حديث أبى هريرة ؛

٨٣٢ — إِنَّ الشَّيْطَانَ حَسَّاسٌ لَحَّاسٌ فَاحْذَرُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، مَنْ بَاتَ وَفِي يَدِهِ رِيحُ غَمْرٍ فَأَصَابَهُ شَيْءٌ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ (هب البغوى) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٨٣٣ — إِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا سَمِعَ النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ أَحَالَ وَلَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لَا يَسْمَعَ صَوْتَهُ[1] ، فَإِذَا سَكَتَ رَجَعَ فَوَسْوَسَ ، فَإِذَا سَمِعَ الإِقَامَةَ ذَهَبَ حَتَّى لَا يَسْمَعَ صَوْتَهُ ، فَإِذَا سَكَتَ رَجَعَ فَوَسْوَسَ (م) عن أبى هُريرة .

٨٣٤ — إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يُعْبَدَ بِأَرْضِكُمْ ، وَلَكِنْ رَضِيَ[2] أَنْ يُطَاعَ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِمَّا تَحَاقَرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ ، فَاحْذَرُوا إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ ، فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَداً : كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ (ك) عن ابن عباس .

٨٣٥ — إِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْتِي أَحَدَكُمْ ، فَيَقُولُ : مَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ ؟ فَيَقُولُ : اللهُ . فَيَقُولُ : مَنْ خَلَقَ الأَرْضَ ؟ فَيَقُولُ : اللهُ . فَيَقُولُ : مَنْ خَلَقَ اللهَ ؟ فَإِذَا وَجَدَ ذَلِكَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ : آمَنْتُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ (طب) عن ابن عمرو .

---

(١) لئلا يشهد له يوم القيامة ، لأن المؤذن يشهد له من يسمع صوته من ناطق وصامت .

(٢) ولكن رضى أن يطاع فيما سوى ذلك المذكور فى عبادته ، مما تحاقرون أى تعدونه حقيرا هينا من أعمالكم ، كان يوحى إلى بعضكم بابتداع رأى أو عبادة فى الدين بدعوى الفضل والخير ، فاحذروا أن تطيعوه فيما تعدونه حقيرا هينا أنى تركت فيكم ما أن أعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنة نبيه . فلا عبادة ولا فضل ولا خير إلا من طريقهما .

٨٣٦ — إنّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ بِطَرِيقِ الإِسْلَامِ ، فَقَالَ : تُسْلِمُ وَتَذَرُ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ فَعَصَاهُ فَأَسْلَمَ ، فَغُفِرَ لَهُ . فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الهِجْرَةِ ، فَقَالَ : تُهَاجِرُ وَتَذَرُ دَارَكَ وَأَرْضَكَ وَسَمَاءَكَ ؟ فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ . فَقَعَدَ بِطَرِيقِ الجِهَادِ ، فَقَالَ : تُجَاهِدُ وَهُوَ جَهْدُ النَّفْسِ وَالمَالِ ، فَتُقَاتِلُ ، فَتُقْتَلُ فَتُنْكَحُ المَرْأَةُ وَيُقْسَمُ المَالُ ، فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ . فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَمَاتَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ ، وَإِنْ غَرِقَ[1] كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ ، وَإِنْ وَقَصَتْهُ دَابَّتُهُ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ (حم ن حب هب) عن سَبْرَة بن الفاكِهِ .

٨٣٧ — إنَّ الشَّيْطَانَ عَرَضَ لِي فَشَدَّ عَلَيَّ لِيَقْطَعَ الصَّلَاةَ عَلَيَّ فَأَمْكَنَنِي اللهُ مِنْهُ[2] فَذَعَتُّهُ ، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أُوثِقَهُ إِلَى سَارِيَةٍ حَتَّى تُصْبِحُوا فَتَنْظُرُوا إِلَيْهِ ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ سُلَيْمَانَ : رَبِّ هَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ، فَرَدَّهُ اللهُ خَاسِئاً (ح) عن أبي هريرة .

٨٣٨ — إنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ[3] أَنْ يَعْبُدَهُ المُصَلُّونَ ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ (حم م ت) عن جابر .

---

(١) يؤخذ منه مشروعية ركوب البحر للجهاد والهجرة وغيرهما فى الطاعات ؛

(٢) فذعته أى خنقته . جاء فى رواية أخرى : حتى سال لعابه على يدى . ولاعجب فى ذلك . فالشيطان جسم كاجسامنا غيرانه يرانا هو وقبيله من حيث لانراهم ، واعطوا قوة التشكل فى صور مختلفة

(٣) أن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون . لأن من يصلى لله تعالى خمس مرات فى اليوم ، يشهد له فيها بالوحدانية ، لايعبد غيره أبدا . ولكن كل همه وسعيه فى التحريش والأغراء والوقيعة بينهم حتى يتخاصموا ويتنازعوا ويتفرقوا شيعا وأحزابا . وقد نجح فى ذلك نجاحا كبيرا ، فاغرى أهل صفين وأهل النهروان بالخروج على على

٨٣٩ — إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِى مِنِ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ (حم ق د) عن أنس (ق د ه) عن صَفِيَّةَ رضى الله عنها .

٨٤٠ — إِنَّ الشَّيْطَانَ لَيَفْرَقُ مِنْكَ يَا عُمَرُ (حم ت حب) عن بُرَيدة رضى الله عنه .

٨٤١ — إِنَّ الصَّائِمَ إِذَا أُكِلَ عِنْدَهُ لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّى عَلَيْهِ حَتَّى يُفْرَغَ مِنْ طَعَامِهِ (حم ت ابن خُزيمة حب هب) عن أم عمارة الأنصارية رضى الله عنها .

٨٤٢ — إِنَّ الصَّالِحِينَ يُشَدَّدُ عَلَيْهِمْ ، وَإِنَّهُ لاَ يُصِيبُ مُؤْمِناً نَكْبَةٌ مِنْ شَوْكَةٍ ، فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ إِلاَّ حُطَّتْ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ ، وَرُفِعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ (حم حب ك هب) عن عائشة رضى الله عنها .

٨٤٣ — إِنَّ الصَّبْرَ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى (حم ق ع) عن أنس رضى الله عنه.

عليه السلام . وحصل قتال عظيم . وأغرى بين الأمويين والعباسيين . وأغرى المعتزلة على القول بخلق القرآن فى عهد المأمون . وكانت فتنة أمتحن فيها كثير من أهل السنة بالضرب والسجن ؛ وأغرى بين الشافعية والحنفية فى بلاد خراسان وما والاها حتى حصل بينهم قتال بالسلاح ؛ وأفتى متعصبوهم بعدم جواز الشافعية بالحنفى، والحنفية بالشافعى . وأغرى سفهاء الحنابلة بأهل السنة الذين لايقولون بالتجسيم (تعالى الله) حتى هجموا على ابن جرير الطبرى وحبسوه فى بيته وردموا بابه بالحجارة . وأغرى بين الفقهاء والصوفية حتى صارت الخلافات بينهم تقليدية متوارثة . بل أغرى بين الصوفية . مع أنهم أعبد الناس وأبعدهم عن أغراثه وأغرى بين طوائف المسلمين : شيعيين وسنيين وأباضية وعرب وغيرهم . ومازال يغرى بينهم بمختلف الوسائل والأساليب ، حتى تفرقت كلمتهم . ووهن جمعهم . وصارمن المعروف عنهم أنهم أجتمعوا على التفرق واتفقوا على الأختلاف ! إلخ .

٨٤٤ — إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا ، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا (ق) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

٨٤٥ — إِنَّ الصَّدَقَةَ لاَ تَنْبَغِي لِآلِ مُحَمَّدٍ ، إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ (حم م) عن عبد المطلب بن ربيعة .

٨٤٦ — إِنَّ الصَّدَقَةَ لاَ تَحِلُّ لَنَا ، وَإِنَّ مَوْلَى الْقَوْمِ مِنْهُمْ (ت ن ك) عن أبى رافع .

٨٤٧ — إِنَّ الصَّعِيدَ الطَّيِّبَ[1] طَهُورٌ مَالَمْ تَجِدْ الْمَاءَ ، وَلَوْ إِلَى عَشْرِ حِجَجٍ ، فَإِذَا وَجَدْتَ الْمَاءَ فَأَمِسَّهُ بَشَرَتَكَ (حم د ت) عن أبى ذر رضى الله عنه .

٨٤٨ — إِنَّ الصَّلاَةَ وَالصِّيَامَ وَالذِّكْرَ يُضَاعَفُ عَلَى النَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ بِسَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ[2] (د ك) عن معاذ بن أنس .

---

(١) أن الصعيد ـ ماصعد على وجه الأرض من تراب ورمل وحجر وملح لم ينقل من مكانه. ورخام وشجر لم تدخلها صنعة ـ الطيب الخالى من النجاسة طهور مالم تجد الماء . تتيمم عن الحدث الأصغر أو الأكبر ولو إلى عشر سنين ، ويتصور هذا فى الصحراء حيث يقل الماء.ولايوجد منه بعد مسافات طويلة إلا مايكفى للشرب وحاجتك الضرورية . فاذا وجدت الماء الكافى للشرب والأستعمال فالمسه بشرتك أى أغتسل ولولم تكن جنبا . لأن حقا على المسلم أن يستحم (ولو) يوما فى الأسبوع يفيض الماء على رأسه وسائر جسده . كذا صح فى الحديث . وذلك اليوم هو يوم الجمعة . حيث يجتمع بالناس .

(٢) إذا كان الجهاد غير متعين . أما إذا تعين للدفاع عن الدين فالنفقة فيه لايعدلها شىء . وقد يراد بسبيل الله . الحج . وحينئذ فلا حاجة إلى تأويل والله أعلم .

٨٤٩ — إنَّ الطَّعْنَ شَهَادَةٌ ، وَالْبَطْنُ شَهَادَةٌ ، وَالطَّاعُونُ شَهَادَةٌ ، وَالنُّفَسَاءُ بِجُمْعٍ شَهَادَةٌ وَالحَرَقُ شَهَادَةٌ وَالغَرَقُ شَهَادَةٌ وَذَاتُ الجَنْبِ[1] شَهَادَةٌ (طب) عن ربيع الأنصارى .

٨٥٠ — إنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (ق ت) ، عن ابن عُمر رضى الله عنهما .

٨٥١ — إنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ لاَ يُلْقِى لَهَا بَالاً يَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ لاَ يُلْقِى لَهَا بَالاً يَهْوِى بِهَا فِى جَهَنَّمَ (مالك حم خ ن) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٨٥٢ — إنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ مِنْهَا ، يَزِلُّ بِهَا فِى النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ (حم ق ن) عن أبى هُريرة رضى الله عنه .

٨٥٣ — إنَّ الْعَبْدَ إِذَا نَصَحَ لِسَيِّدِهِ وَأَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ كَانَ لَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ (مالك حم ق د) عن ابن عُمر رضى الله عنهما .

٨٥٤ — إنَّ الْعَبْدَ إِذَا تَسَوَّكَ ثُمَّ قَامَ يُصَلِّى قَامَ الْمَلَكُ خَلْفَهُ فَيَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِهِ فَيَدْنُو مِنْهُ حَتَّى يَضَعَ فَاهُ عَلَى فِيهِ فَمَا يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ شَىْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ إِلاَّ صَارَ فِى جَوْفِ الْمَلَكِ فَطَهِّرُوا أَفْوَاهَكُمْ لِلْقُرْآنِ (البزار) عن على عليه السلام .

٨٥٥ — إنَّ الْعَبْدَ إِذَا كَانَ عَلَى طَرِيقَةٍ حَسَنَةٍ مِنَ الْعِبَادَةِ ، ثُمَّ مَرِضَ قِيلَ لِلْمَلَكِ الْمُوَكَّلِ بِهِ : اكْتُبْ لَهُ مِثْلَ عَمَلِهِ إِذَا كَانَ طَلِيقًا حَتَّى أُطْلِقَهُ أَوْ أَكْفِتَهُ إِلَىَّ (حم) عن ابن عُمرَ رضى الله عنهما .

---

(١) هى مرض السل .

٨٥٦ — إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئاً صَعِدَتِ اللَّعْنَةُ إِلَى السَّمَاءِ فَتُغْلَقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ دُونَهَا. ثُمَّ تَهْبِطُ إِلَى الْأَرْضِ. فَتُغْلَقُ أَبْوَابُهَا دُونَهَا ثُمَّ تَأْخُذُ يَمِيناً وَشِمَالاً ، فَإِذَا لَمْ تَجِدْ مَسَاغاً رَجَعَتْ إِلَى الَّذِى لُعِنَ فَإِنْ كَانَ لِذَلِكَ أَهْلاً وَإِلاَّ رَجَعَتْ إِلَى قَائِلِهَا (د) عن أبى الدرداء رضى الله عنه .

٨٥٧ — إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِى قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فَإِنْ هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ صُقِلَ قَلْبُهُ وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ عَلَى قَلْبِهِ. وَهُوَ الرَّانُ. الَّذِى ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى (كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (حم ت ن ه حب ك هب) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٨٥٨ — إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِى قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ يَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ ، فَيَقُولاَنِ لَهُ : مَا كُنْتَ تَقُولُ فِى هٰذَا الرَّجُلِ ؟ - لِمُحَمَّدٍ - فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ ، فَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ ، فَيُقَالُ : انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَداً مِنَ الْجَنَّةِ فَيَرَاهُمَا جَمِيعاً ، وَأَمَّا الْكَافِرُ أَوِ الْمُنَافِقُ فَيُقَالُ لَهُ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِى هٰذَا الرَّجُلِ ؟ فَيَقُولُ : لاَ أَدْرِى كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ ، فَيُقَالُ لَهُ لاَ دَرَيْتَ وَلاَ تَلَيْتَ ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَاقٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ وَيَضِيقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ أَضْلاَعُهُ (حم ق د ن) عن أنس رضى الله عنه .

٧٥٩ — إِنَّ الْعَرَقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيَذْهَبُ فِى الْأَرْضِ سَبْعِينَ بَاعاً وَإِنَّهُ لَيَبْلُغُ إِلَى أَفْوَاهِ النَّاسِ أَوْ إِلَى آذَانِهِمْ (م) عن أبى هُريرة رضى الله عنه .

٨٦٠ — إِنَّ الْغَادِرَ يُنْصَبُ لَهُ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُقَالُ : أَلاَ هَذِهِ

غَدْرَةُ فُلاَنِ بْنِ فُلاَنٍ[1] (مالك ق د ت) عن ابن عُمر رضى الله عنه .

٨٦١ — إنَّ الغُسْلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لَيَسُلُّ الْخَطَايَا مِنْ أُصُولِ الشَّعَرِ اسْتِلاَلاً (طب) عن أبى أُمامةَ رضى الله عنه .

٧٦٢ — إنَّ الغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ . وَإنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ وَإنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالمَاءِ . فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ (حم د) عن عُرْوَةَ بن محمد ابن عَطِيَّةَ السَّعدى عن أبيه عن جده .

٨٦٣ — إنَّ الفُحْشَ وَالتَّفَحُّشَ لَيْسَا مِنَ الإِسْلاَمِ فِى شَىْءٍ وَانَّ أَحْسَنَ النَّاسِ إِسْلاَماً أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً (حم ع طب) عن جابر بن سَمُرَةَ .

٨٦٤ — إنَّ الفَخِذَ عَوْرَةٌ (ك) جَرْهَدٍ .

٨٦٥ — إنَّ القَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الآخِرَةِ فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْه وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْه فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْه (ت ه ك) ، عن عُثمان رضى الله عنه .

٨٦٦ — إنَّ القُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ يُقَلِّبُهَا (م ت ك) عن أنس رضى الله عنه .

٨٦٧ — إنَّ الكَرِيمَ ابْنَ الكَرِيمِ ابْنِ الكَرِيمِ ابْنِ الكَرِيمِ يُوسُفُ ابْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ (ت ن ك) عن أبى هريرةٍ رضى الله عنه .

٨٦٨ — إنَّ الَّذِى أَنْزَلَ الدَّاءَ أَنْزَلَ الشِّفَاءَ[2] (ك) عن أبى هريرةٍ رضى الله عنه .

---

(١) يؤخذ منه أن الناس يوم القيامة ينسبون إلى آبائهم لا إلى أمهاتهم .

(٢) فيه حض على التداوى .

٨٦٩ — إِنَّ الَّذِى يَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَيُفَرِّقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ بَعْدَ خُرُوجِ الإِمَامِ كَالْجَارِّ قَصَبَهُ فِى النَّارِ (حب طب ك) عن الأرقم .

٨٧٠ — إِنَّ الَّذِى يَأْكُلُ أَوْ يَشْرَبُ فِى آنِيَةِ الفِضَّةِ وَالذَّهَبِ إِنَّمَا يُجَرْجِرُ فِى بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ (م ٥) عن أم سلمة ، زاد (طب) إِلاَّ أَنْ يَتُوبَ .

٨٧١ — إِنَّ الَّذِين لَيْسَ فِى جَوْفِهِ شَىْءٌ مِنَ القُرْآنِ كَالبَيْتِ الخَرِبِ (حم ت ك) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٨٧٢ — إِن الَّذِينَ يَصْنَعُونَ هَذِهِ الصُّوَرَ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُقَالُ لَهُمْ أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ (ق ن) عن عمر رضى الله عنه .

٨٧٣ — إِنَّ المَاءَ طَهُورٌ لاَ يُنَجِّسُهُ شَىْءٌ (حم ٣ قط هق) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

٨٧٤ — إِنَّ المَاءَ لاَ يُجْنِبُ (د ت حب ك هق) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٨٧٥ — انَّ المُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ الخُلُقِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ القَائِمِ (د حب) عن عائشة رضى الله عنها .

٨٧٦ — انَّ المُؤْمِنَ لاَ يَنْجُسُ (ق ع) عن أبى هريرة (حم م د ن ٥) عن حذيفة (ن) عن ابن مسعود (طب) عن أبى موسى رضى الله عنه .

٨٧٧ — إِنَّ المُؤْمِنَ يُجَاهِدُ بِسَيْفِهِ وَلِسَانِهِ (عب حم طب) عن كعب ابن مالك رضى الله عنه .

٨٧٨ — إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ يُشَدَّدُ عَلَيْهِمْ ، لِأَنَّهُ لاَ تُصِيبُ الْمُؤْمِنَ نَكْبَةٌ مِنْ شَوْكَةٍ فَمَا فَوْقَهَا ، وَلاَ وَجَعٌ إِلاَّ رَفَعَ اللهُ لَهُ بِهِ دَرَجَةً ، وَحَطَّ عَنْهُ خَطِيئَةً (ابن سعد ك هب) عن عائشةَ رضى الله عنها .

٨٧٩ — إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ لَنْ تَسْتَقِيمَ لَكَ عَلَى طَرِيقَةٍ ، فَإِذَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَبِهَا عِوَجٌ ، وَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهَا كَسَرْتَهَا ، وَكَسْرُهَا طَلَاقُهَا (م ت) عن أبى هريرةٍ رضى الله عنه .

٨٨٠ — إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ ، وَإِنَّكَ إِنْ تُرِدْ إِقَامَةَ الضِّلَعِ تَكْسِرْهَا فَدَارِهَا تَعِشْ بِهَا (حم حب ك) عن سَمُرةَ رضى الله عنه.

٨٨١ — إِنَّ الْمَرْأَةَ تُقْبِلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ ، وَتُدْبِرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمُ امْرَأَةً فَأَعْجَبَتْهُ فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِهِ (حم م د) عن جابر رضى الله عنه .

٨٨٢ — إِنَّ الْمَرْأَةَ تُنْكَحُ لِدِينِهَا وَمَالِهَا وَجَمَالِهَا ، فَعَلَيْكَ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ (حم م ت ن) عن جابر رضى الله عنه .

٨٨٣ — إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لاَ تَحِلُّ إِلاَّ لِأَحَدِ ثَلاَثَةٍ : لِذِي دَمٍ مُوجِعٍ ، أَوْ لِذِي غُرْمٍ مُفْظِعٍ ، أَوْ لِذِي فَقْرٍ مُدْقِعٍ (حم ٤) عن أنس رضى الله عنه.

٨٨٤ — إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا عَادَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ لَمْ يَزَلْ فِي مَخْرَفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ (حم م ت) عن ثَوْبانَ رضى الله عنه .

٨٨٥ — إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا لَقِيَ أَخَاهُ فَأَخَذَ بِيَدِهِ تَحَاتَّتْ عَنْهُمَا ذُنُوبُهُمَا كَمَا يَتَحَاتُّ الْوَرَقُ عَنِ الشَّجَرَةِ الْيَابِسَةِ فِي يَوْمِ رِيحٍ عَاصِفٍ . وَغُفِرَ لَهُمَا وَلَوْ كَانَتْ ذُنُوبُهُمَا مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ (طب) عن سَلْمانَ رضى الله عنه .

٨٨٦ — إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمٰنِ ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ : الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا لِهِمْ (حم م ن) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

٨٨٧ — إِنَّ الْمُكْثِرِينَ هُمُ الْمُقِلُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلاَّ مَنْ أَعْطَاهُ اللهُ خَيْراً فَنَفَخَ فِيهِ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ وَوَرَاءَهُ وَعَمِلَ فِيهِ خَيْراً (ق) عن أبى ذر رضى الله عنه .

٨٨٨ — إِنَّ الْمَلاَئِكَةَ لاَ تَدْخُلُ بَيْتاً فِيهِ تَمَاثِيلُ[1] أَوْ صُورَةٌ (حم ت حب) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

٨٨٩ — إِنَّ الْمَلاَئِكَةَ لاَ تَحْضُرُ جَنَازَةَ الْكَافِرِ[1] بِخَيْرٍ ، وَلاَ الْمُتَضَمِّخِ بِالزَّعْفَرَانِ وَلاَ الْجُنُبِ (حم د) عن عمار بن ياسر رضى الله عنه .

---

(١) أن الملائكة لاتدخل بيتا فيه تماثيل ، وهى الصور المنحوتة من الحجارة أو المعمولة من الجبس أو الخشب أو المنقوشة على ثوب بتطريز ، أو صورة واحدة إذا كانت فى البيت . لاتدخله الملائكة أيضا . وعبر فى المفرد بصورة لأنها أخف من تمثال. وهذا كما يعبر القرآن العظيم بالألباب فى الجمع . وبالعقل فى المفرد لخفته (فى النطق) دون لب لثقله . وتستثنى الصور المعمولة من الحلواء وغيرها للعب الأطفال . كعرائس الموالد . فأنها جائزة . لأن عائشة رضى الله عنها كانت عندها عرائس تلعب بها (وهى صغيرة) وكان النبى صلى الله عليه وسلم يسرب إليها بنات يلعبن معها . فدخل عليها مرة وهى تلعب بعرائسها ومعها فرس له أجنحة . فسألها : ماهذا ؟ قالت : فرس . قال فرس له أجنحة ؟ قالت نعم . أما سمعت أن سليمان كان له فرس بأجنحة ؟ فضحك صلى الله عليه وآله وسلم .

(٢) أن الملائكة لاتحضر جنازة الكافر بخير لجحوده نعمة أسديت إليه . وعدم شكر من قدمها له . ولا المتضمخ بالزعفران ؛ لأن التضمخ به منهى عنه للرجال ؛ ولا

٨٩٠ — إِنَّ المَوْتَ فَزَعٌ ، فَإِذَا رَأَيْتُمُ الجَنَازَةَ فَقُومُوا (حم م د) عن جابر رضى الله عنه .

٨٩١ — إِنَّ المَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ الحَيِّ[1] (ق) عن عُمر رضى الله عنه .

٨٩٢ — إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ (٤ حب) عن أبى بكر رضى الله عنه .

٨٩٣ — إِنَّ النَّاسَ دَخَلُوا فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً وَسَيَخْرُجُونَ مِنْهُ أَفْوَاجاً (حم) عن جابر رضى الله عنه .

٨٩٤ — إِنَّ النَّذْرَ لاَ يُقَرِّبُ مِنِ ابْنِ آدَمَ شَيْئاً لَمْ يَكُنِ اللهُ تَعَالَى قَدَّرَهُ لَهُ ، وَلَكِنِ النَّذْرُ يُوَافِقُ القَدَرَ ، فَيُخْرِجُ ذَلِكَ مِنَ البَخِيلِ مَا لَمْ يَكُنِ البَخِيلُ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَ (م ٥) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٨٩٥ — إِنَّ النَّذْرَ لاَ يُقَدِّمُ شَيْئاً وَلاَ يُؤَخِّرُ ، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ البَخِيلِ (حم ك) عن ابن عُمر رضى الله عنهما .

٨٩٦ — إِنَّ النُّهْبَةَ لاَ تَحِلُّ (٥ حب ك) عن ثَعْلَبَةَ بنِ الحَكَمِ رضى الله عنه .

٨٩٧ — إِنَّ الهِجْرَةَ لاَ تَنْقَطِعُ مَا دَامَ الجِهَادُ (حم) عن جُنادةَ رضى الله عنه .

الجنب ؛ إذا أهمل بتأخير الغسل؛لأن تأخيره للغسل يؤذن بتكاسله فى العبادة؛ والحكمة فى النهى عن الزعفران أن لونه زاهى فاقع لايليق إلا بالنساء ؛ وسيأتى حديث « طيب الرجال ماظهر ريحه وخفى لونه ؛ وطيب النساء ماظهر لونه وخفى ريحه » ؛

(١) إذا وصى بذلك أو كان يعلم أنهم يفعلون ولم ينههم .

٨٩٨ — إِنَّ الْيَدَيْنِ يَسْجُدَانِ كَمَا يَسْجُدُ الْوَجْهُ ، فَإِذَا وَضَعَ أَحَدُكُمْ وَجْهَهُ فَلْيَضَعْ يَدَيْهِ ، وَإِذَا رَفَعَهُ فَلْيَرْفَعْهُمَا (د ن ك) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٨٩٩ — إِنَّ الْيَهُودَ قَدْ سَئِمُوا دِينَهُمْ وَهُمْ قَوْمٌ حُسَّدٌ ، وَلَمْ يَحْسُدُوا الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَفْضَلَ مِنْ ثَلَاثٍ : رَدِّ السَّلَامِ ، وَإِقَامَةِ الصُّفُوفِ ، وَقَوْلِهِمْ خَلْفَ إِمَامِهِمْ فِي الْمَكْتُوبَةِ : آمِينْ (طس) عن عائشة رضى الله عنها .

٩٠٠ — إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى لَا يَصْبُغُونَ[1] ، فَخَالِفُوهُمْ (ق د ن ه) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٩٠١ — إِنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ بَعْدَ أَنْ يُوَلِّيَ الْأَبُ (حم خد م د ت) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٩٠٢ — إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ بَيْتَ اللهِ وَأَمَّنَهُ ، وَإِنِّي حَرَّمْتُ الْمَدِينَةَ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا لَا يُقْطَعُ عِضَاهُهَا ، وَلَا يُصَادُ صَيْدُهَا (م) عن جابر رضى الله عنه .

٩٠٣ — إِنَّ إِبْرَاهِيمَ ابْنِي ، وَإِنَّهُ مَاتَ فِي الثَّدْيِ ، وَإِنَّ لَهُ ظِئْرَيْنِ يُكْمِلَانِ رَضَاعَهُ فِي الْجَنَّةِ (حم م) عن أنس رضى الله عنه .

٩٠٤ — إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ : فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا . فَيَقُولُ : مَا صَنَعْتَ شَيْئًا ، وَيَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ : مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِهِ فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ : نِعْمَ أَنْتَ (حم م) عن جابر .

---

(١) أى لا يخضبون لحيتهم .

٩٠٥ — إِنَّ ابْنِي هٰذَا سَيِّدٌ[1]، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (حم خ ٣) عن أبي بَكْرة رضى الله عنه .

٩٠٦ — إِنَّ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ تَحْتَ ظِلاَلِ السُّيُوفِ (حم م ت) عن أبي موسى رضى الله عنه .

٩٠٧ — إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللهِ أَنَا (خ) عن عائشة رضى الله عنها .

٩٠٨ — إِنَّ أَثْقَلَ صَلاَةٍ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلاَةُ الْعِشَاءِ وَصَلاَةُ الْفَجْرِ ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْواً ، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلاَةِ فَتُقَامَ ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلاً فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لاَ يَشْهَدُونَ الصَّلاَةَ ، فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

٩٠٩ — إِنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى اللهِ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَجْلِسًا : إِمَامٌ عَادِلٌ ، وَأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللهِ تَعَالَى وَأَبْعَدُهُمْ مِنْهُ : إِمَامٌ جَائِرٌ (حم ت) عن أبي سعيد رضى الله عنه .

٩١٠ — إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجَالِسَكُمْ أَخْلاَقاً ، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي فِي الآخِرَةِ أَسْوَؤُكُمْ أَخْلاَقاً الثَّرْثَارُونَ

---

(١) أن أبي هذا — يعني الحسن بن علي عليهما السلام — سيد — لاستجماعه خصال الشرف والفضل . ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين (أي عظيم عددهما) فقد أصلح الله بتنازله عن الخلافة لمعاوية بين أهل العراق والشام . وكان عددهم نحو ألف ألف من المسلمين . ثم سعى معاوية في سمه . فمات شهيدا بالسم رضى الله تعالى عنه .

الْمُتَفَيْهِقُونَ الْمُتَشَدِّقُونَ[1] (م حب طب) عن أبي ثعلبة الخشني .

٩١١ — إِنَّ أَحَبَّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ : سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ (م ن) عن أبي ذر رضى الله عنه .

٩١٢ — إِنَّ أُحُداً جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ (ق) عن أنس رضى الله عنه .

٩١٣ — إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا كَانَ فِي صَلَاتِهِ فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ فَلَا يَبْزُقَنَّ[2] بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَلَا عَنْ يَمِينِهِ ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ ، وَتَحْتَ قَدَمِهِ (ق) عن أنس رضى الله عنه .

٩١٤ — إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ ، فَيُقَالُ : هٰذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (ق) عن ابن عمر رضى الله عنه .

٩١٥ — إِنَّ أَحَدَكُمْ يَأْتِيهِ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ : مَنْ خَلَقَكَ ؟ فَيَقُولُ : اللهُ ، فَيَقُولُ : مَنْ خَلَقَ اللهَ ؟ فَإِذَا وَجَدَ ذَلِكَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ آمَنْتُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَذْهَبُ عَنْهُ (حم ع البزار) عن عائشة رضى الله عنها (طب) عن ابن عمرو (حم) عن خزيمة بن ثابت .

---

(١) الثرثار كثير الكلام لغير فائدة والمتفيهق المتكبر والمتشدق الذى يمط شدقيه عند الكلام مبالغة فى التفصح .

(٢) فلا يبزقن بين يديه ولا عن يمينه ولكن عن يساره وتحت قدمه . قد منا فى حديث رقم ٢٦٤ : أن المصلى يبزق عن يساره أو تحت قدمه إذا كان يصلى فى براح من الأرض . أما فى المسجد فلا . وإذا كان الجنب ـ وهو نظيف الجسم ـ يحرم عليه المكث فى المسجد . فكيف يجوز تقديره بالبزاق أو غيره .

٩١٦ — إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْماً نُطْفَةً ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذٰلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذٰلِكَ ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ إِلَيْهِ مَلَكاً وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ ، وَيُقَالُ لَهُ : اُكْتُبْ عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُ النَّارَ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلُ الجَنَّةَ (ق ٤) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

٩١٧ — إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ يُصَلِّي إِنَّمَا يُنَاجِي رَبَّهُ ، فَلْيَنْظُرْ كَيْفَ يُنَاجِيهِ ؟ (ك) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٩١٨ — إِنَّ أَحْسَابَ[1] أَهْلِ الدُّنْيَا الَّذِينَ يَذْهَبُونَ إِلَيْهِ : هَذَا المَالُ (حم ن حب ك) عن بُرَيْدَةَ رضى الله عنه .

٩١٩ — إِنَّ أَحْسَنَ مَا غَيَّرْتُمْ بِهِ هَذَا الشَّيْبَ الحِنَّاءُ وَالكَتَمُ (حم ع حب) عن أبى ذر رضى الله عنه .

٩٢٠ — إِنَّ أَحَقَّ مَا أَخَذْتُمْ عَلَيْهِ أَجْراً كِتَابُ اللهِ (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

---

(١) أن أحساب أهل الدنيا ـ جمع حسب بفتح الحاء والسين ـ وهو مايعد من مفاخر الأنسان كدينه أو علمه أو أمانته أو نحو ذلك من الصفات الفاضلة التى تستحسنها العقول السليمة . وأحساب أهل الدنيا الذين يذهبون إليه هذا المال . به يتمدحون ، وبكثرته يتفاخرون . لايعرفون معنى للقيم الخلقية ولا السمات الروحية .

٩٢١ — إِنَّ أَحَقَّ الشُّرُوطِ أَنْ تُوفُوا بِهِ مَا اسْتَحْلَلْتُمْ بِهِ الفُرُوجَ(١) (حم ق ٤) عن عقبة بن عامر .

٩٢٢ — إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الأَمْلَاكِ لَا مَلِكَ إِلَّا اللهُ (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه.

٩٢٣ — إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ (حم) عن عمر رضى الله عنه .

٩٢٤ — إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ على أُمَّتِي الأَئِمَّةُ المُضِلُّونَ (حم طب) عن أبي الدرداء رضى الله عنه.

٩٢٥ — إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي عَمَلُ قَوْمِ لُوطٍ (حم ت ه ك) عن جابر رضى الله عنه .

٩٢٦ — إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ (البزار طب) عن عمرانَ بن حُصَين رضى الله عنه .

٩٢٧ — إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ : الرِّيَاءُ ، يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا جَزَى النَّاسَ بِعَمَلِهِمْ : اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً (حم ابن خزيمة) عن محمود بن لبيد .

٩٢٨ — إِنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَعْلُقُ مِنْ ثَمَرِ الجَنَّةِ أَوْ شَجَرِ الجَنَّةِ (ت) عن كعب بن مالك .

---

(١) فلا يحل للزوج أن يأخذ بعض صداق المرأة إلا أن سمحت به من غير وعد أو وعيد وإذا شرط لها شرطا وفى به حتما .

٩٢٩ — إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ القِيَامَةِ المُصَوِّرُونَ (حم ق) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

٩٣٠ — إِنَّ أَصْحَابَ هٰذِهِ الصُّوَرِ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُقَالُ لَهُمْ : أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ (ق) عن عائشة رضى الله عنها .

٩٣١ — إِنَّ أَطْيَبَ مَا يَأْكُلُ المَرْءُ مِنْ كَسْبِهِ ، وَإِنَّ وَلَدَهُ مِنْ كَسْبِهِ (عب حم ش ع واسحاق والبزار ع حب ك) عن عائشة رضى الله عنها .

٩٣٢ — إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلْتُمْ مِنْ كَسْبِكُمْ ، وَإِنَّ أَوْلَادَكُمْ مِنْ كَسْبِكُمْ (خ ت ن ه) عن عائشة رضى الله عنها .

٩٣٣ — إِنَّ أَعْظَمَ الذُّنُوبِ عِنْدَ اللهِ أَنْ يَلْقَاهُ بِهَا عَبْدٌ بَعْدَ الكَبَائِرِ التِى نَهَى اللهُ عَنْهَا : أَنْ يَمُوتَ الرَّجُلُ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ لَا يَدَعُ لَهُ قَضَاءً (حم د) عن أبى موسى رضى الله عنه .

٩٣٤ — إِنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ أَجْراً فِى الصَّلَاةِ أَبْعَدُهُمْ إِلَيْهَا مَمْشًى فَأَبْعَدُهُمْ وَالَّذِى يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ حَتَّى يُصَلِّيهَا مَعَ الإِمَامِ أَعْظَمُ أَجْراً مِنَ الَّذِى يُصَلِّيهَا ثُمَّ يَنَامُ (ق) عن أبى موسى رضى الله عنه .

٩٣٥ — إِنَّ أَعْمَالَ العِبَادِ تُعْرَضُ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ وَالخَمِيسِ (حم د) عن أسامة بن زيد رضى الله عنه .

٩٣٦ — إِنَّ أَعْمَالَ بَنِى آدَمَ تُعْرَضُ عَلَى اللهِ تَعَالَى عَشِيَّةَ كُلِّ خَمِيسٍ لَيْلَةَ الجُمُعَةِ فَلَا يُقْبَلُ عَمَلُ قَاطِعِ رَحِمٍ (حم خد) عن أبى هُرَيرة رضى الله عنه .

٩٣٧ — إِنَّ أَغْبَطَ النَّاسِ عِنْدِي لَمُؤْمِنٌ خَفِيفُ الْحَاذِ ذُو حَظٍّ مِنَ الصَّلَاةِ أَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ وَأَطَاعَهُ فِي السِّرِّ وَكَانَ غَامِضاً فِي النَّاسِ لَا يُشَارُ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ ، وَكَانَ رِزْقُهُ كَفَافاً فَصَبَرَ عَلَى ذَلِكَ ، عَجِلَتْ مَنِيَّتُهُ وَقَلَّتْ بَوَاكِيهِ وَقَلَّ تُرَاثُهُ (حم ت ه ك) عن أبي أمامة رضى الله عنه .

٩٣٨ — إِنَّ أَفْضَلَ الضَّحَايَا أَغْلَاهَا وَأَسْمَنُهَا (حم ك) عن رجل من الصحابة .

٩٣٩ — إِنَّ أَقَلَّ سَاكِنِي الْجَنَّةِ النِّسَاءُ [1] (حم م) عن عمران بن حصين رضى الله عنه .

٩٤٠ — إِنَّ أَقْوَاماً خَلَّفْنَا بِالْمَدِينَةِ مَا سَلَكْنَا شِعْباً وَلَا وَادِياً إِلَّا وَهُمْ مَعَنَا حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ (خ) عن أنس رضى الله عنه .

٩٤١ — إِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ شِبَعاً فِي الدُّنْيَا أَكْثَرُهُمْ جُوعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ (ه ك) عن سلمان رضى الله عنه .

٩٤٢ — إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرّاً مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

٩٤٣ — إِنَّ أُنَاساً مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ بَعْدِي يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوِ اشْتَرَى رُؤْيَتِي بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ (ك) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

٩٤٤ — إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَتَهُ فَعَرَفَهَا ، قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى

---

(١) يعنى من نساء الدنيا لكثرة مخالفهن أما الحور العين فهن أكثر من الرجال قطعا .

اسْتُشْهِدْتُ ، قَالَ : كَذَبْتَ. وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ هُوَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا ، قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ ، قَالَ : كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ لِيُقَالَ : عَالِمٌ ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ : هُوَ قَارِئٌ ، وَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا ، قَالَ . فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا ، قَالَ : كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ : هُوَ جَوَادٌ[1] ، فَقَدْ قِيلَ : ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ (م ت ن حب) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

٩٤٥ — إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ الْمُصَلُّونَ وَمَنْ يُقِيمُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ التي كَتَبَهُنَّ اللهُ عَلَيْهِ وَيَصُومُ رَمَضَانَ وَيَحْتَسِبُ صَوْمَهُ وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ مُحْتَسِباً طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ وَيَجْتَنِبُ الْكَبَائِرَ الَّتِي نَهَى اللهُ عَنْهَا ، قيل : وَكَمِ الْكَبَائِرُ ؟ قَالَ : تِسْعٌ أَعْظَمُهُنَّ الإِشْرَاكُ بِاللهِ فَقَتْلُ الْمُؤْمِنِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَالْفِرَارُ مِنَ الزَّحْفِ وَقَذْفُ الْمُحْصَنَةِ وَالسِّحْرُ وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَأَكْلُ الرِّبَا وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ الْمُسْلِمَيْنِ وَاسْتِحْلَالُ الْبَيْتِ الْحَرَامِ قِبْلَتِكُمْ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتاً ، لَا يَمُوتُ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ هَؤُلَاءِ الْكَبَائِرَ وَيُقِيمُ الصَّلَاةَ وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ إِلَّا رَافَقَ مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بُحْبُوحَةِ جَنَّةٍ أَبْوَابُهَا مَصَارِيعُ الذَّهَبِ (طب) عن عُبيد بن عُمير الليثي عن أبيه.

---

(١) بتخفيف الواو، وكذلك الجواد في أسماء الله تعالى، وتشديد الواو لحن قبيح.

٩٤٦ — إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ وَلاَ يَتَفُلُونَ وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ وَلاَ يَبُولُونَ وَلا يَمْتَخِطُونَ وَلَكِنْ طَعَامُهُمْ ذَلِكَ جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشْحِ الْمِسْكِ يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ كَمَا تُلْهَمُونَ أَنْتُمُ النَّفَسَ (حم م د) عن جابر رضى الله عنه .

٩٤٧ — إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الغُرَفِ فِى الْجَنَّةِ كَمَا تَرَاءَوْنَ الْكَوْاكِبَ فِى السَّمَاءِ (حم ق) عن سَهْل بن سعد .

٩٤٨ — إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا تَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّىَّ الغَابِرَ فِى الْأُفُقِ مِنَ الشَّرَقِ إِلَى الغَرْبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ ، قَالُوا : تِلْكَ مَنَازِلُ الأَنْبِيَاءِ لاَ يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ ، قَالَ : بَلَى وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ[1] (حم ق) عن أبى سعيد (ت) عن عن أبى هريرة (حم) عنه بنحوه .

٩٤٩ — إِنَّ أَهْلَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى مِنَ الْجَنَّةِ لَيَرَاهُمْ مَنْ هُوَ أَسْفَلُ مِنْهُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْكَوْكَبَ الطَّالِعَ فِى أُفُقِ السَّمَاءِ وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ مِنْهُمْ وَأَنْعِمَا (حم ت ه حب) عن أبى سعيد (طب) عن جابر بن سَمُرَةَ (ابن عساكر) عن ابن عُمر وعن أبى هريرة رضى الله عنهم .

٩٥٠ — إِنَّ أَهْلَ النَّارِ لَيَبْكُونَ حَتَّى لَوْ أُجْرِيتِ السُّفُنُ فِى دُمُوعِهِمْ جَرَتْ وَإِنَّهُمْ لَيَبْكُونَ الدَّمَ (ك) عن أبى موسى رضى الله عنه .

٩٥١ — إِنَّ أَوْثَقَ عُرَى الإِسْلاَمِ أَنْ تُحِبَّ فِى اللهِ وَتُبْغِضَ فِى اللهِ (حم ش هب) عن البَرَاء رضى الله عنه .

---

(١) هذا موافق لقوله تعالى (والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون) ؛

٩٥٢ — إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاللهِ مَنْ بَدَأَهُمْ بِالسَّلَامِ (د) عن أبى أمامة رضى الله عنه .

٩٥٣ — إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي يَوْمَ القِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً (تخ ت حب) عن ابن مسعود .

٩٥٤ — إِنَّ أَوَّلَ الآيَاتِ خُرُوجاً طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى فَأَيَّتُهُمَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا فَالأُخْرَى عَلَى أَثَرِهَا قَرِيباً (حم م د ه) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

٩٥٥ — إِنَّ أَوَّلَ هٰذِهِ الأُمَّةِ خِيَارُهُمْ وَآخِرُهَا شِرَارُهُمْ مُخْتَلِفِينَ مُتَفَرِّقِينَ فَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يَأْتِي إِلَى النَّاسِ مَا يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ (طب) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

٩٥٦ — إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسْأَلَ عَنْهُ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ النَّعِيمِ أَنْ يُقَالَ لَهُ : أَلَمْ نُصِحَّ لَكَ جِسْمَكَ وَنُرْوِكَ مِنَ المَاءِ البَارِدِ (ت ك) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٩٥٧ — إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا هَلَكُوا قَصُّوا[1] (طب والضياء) عن خَبَّابٍ رضى الله عنه .

---

(١) أن بنى أسرائيل لما هلكوا ، بمخالفة دينهم . وقتل أنبيائهم . قصوا . أى أشتغلوا بقصص السابقين ، لا للاتعاظ والذكرى . ولكن للتفكه . وليجدوا تشبيها لمخازيهم فيما فعله مجرموا الأمم السابقة قبلهم . مع زيادات أضافوها إلى تلك القصص . وهى منشأ الإسرائيليات التى أفسدت بعض التفاسير ، بل كثيرا منها . والقاص لايخلو من الكذب فى قصصه غالبا ، انظر كتاب « تحذير الخواص من أكاذيب القصاص » للحافظ السيوطى رحمه الله .

٩٥٨ — إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ كَذَّابِينَ فَاحْذَرُوهُمْ (حم م) عن جابر ابن سَمُرَةَ رضى الله عنه .

٩٥٩ — إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ لَأَيَّاماً يَنْزِلُ فِيهَا الْجَهْلُ وَيُرْفَعُ فِيهَا الْعِلْمُ وَيَكْثُرُ فِيهَا الْهَرْجُ وَالْهَرْجُ الْقَتْلُ (حم ق) عن ابن مسعود وأبى موسى رضى الله عنهما .

٩٦٠ — إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً رَجُلٌ فِي أَخْمَصِي قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَمَا يَغْلِي الْمِرْجَلُ بِالْقُمْقُمِ (ق) عن النُّعمان ابن بَشِير رضى الله عنه .

٩٦١ — إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَى أَضْوَءِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ وَلِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ اثْنَتَانِ يُرَى مُخُّ سَاقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ وَمَا فِي الْجَنَّةِ أَعْزَبُ (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٩٦٢ — إِنَّ جِبْرِيلَ قَالَ لِي أَلاَ أُبَشِّرُكَ ؟ إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ صَلَّيْتُ عَلَيْهِ وَمَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ (حم ك) عن عبد الرحمن بن عَوْف رضى الله عنه .

٩٦٣ — إِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ بِاللهِ مِنْ حُسْنِ عِبَادَةِ اللهِ (حم ت ك) عن أبى هُرَيرةِ رضى الله عنه .

٩٦٤ — إِنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ الإِيمَانِ (ك) عن عائشة رضى الله عنها وهو فى (خ) ضمن حديث .

٩٦٥ — إِنَّ حَقًّا عَلَى اللهِ أَلاَ يَرْفَعَ شَيْئاً مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا إِلاَّ وَضَعَهُ (حم خ د ن) عن أنس رضى الله عنه .

٩٦٦ — إنَّ حَوْضِى مَا بَيْنَ عَدَنَ إِلَى عَمَّانَ الْبَلْقَاءِ مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ ، أَكَاوِيبُهُ عَدَدُ النُّجُومِ ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَداً ، أَوَّلُ النَّاسِ وُرُوداً عَلَيْهِ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ الشُّعْثُ رُؤُساً الدُّنُسِ ثِيَاباً الَّذِينَ لاَ يَنْكِحُونَ الْمُتَنَعِّمَاتِ ، وَلاَ تُفْتَحُ لَهُمُ السُّدَدُ الَّذِينَ يُعْطُونَ الْحَقَّ الَّذِى عَلَيْهِمْ ، وَلاَ يُعْطَوْنَ الَّذِى لَهُمْ (حم ت ه ك) عن ثَوْبان رضى الله عنه .

٩٦٧ — إنَّ خِيَارَكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً[1] (حم خ ن ه) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٩٦٨ — إنَّ خَيْرَ مَا رُكِبَتْ إِلَيْهِ الرَّوَاحِلُ مَسْجِدِى هٰذَا وَالْبَيْتُ الْعَتِيقُ (ع حب) عن جابر رضى الله عنه .

٩٦٩ — إنَّ رَبَّكَ لَيَعْجَبُ مِنْ عَبْدِهِ إِذَا قَالَ : رَبِّ اغْفِرْ لِى ذُنُوبِى ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ غَيْرِى (د ت) عن علىّ عليه السلام .

٩٧٠ — إنَّ رِجَالاً يَتَخَوَّضُونَ[2] فِى مَالِ اللهِ بِغَيْرِ حَقٍّ فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (خ) عن خَوْلَةَ .

---

(١) يقضى الدين الذى عليه من غير مطل ولا نقص .

(٢) أن رجالا ممن يتولون الأعمال العامة كجباية الزكاة ونظارة أوقاف المسلمين وولاية بيت المال وما إلى ذلك . يتخوضون فى مال الله ، يتصرفون فيه بأكل ولبس وأهداء ، بغير حق ، بأن أخذوا أكثر مما يستحقون ، فلهم النار يوم القيامة ، على أكلهم مال الله بغير حق . والأصل فى الولايات الإسلامية كالخلافة والقضاء ونظارة الأوقاف وغيرها أن يتولاها الشخص حسبة لله سبحانه وتعالى ، فأن كان فقيرا قدر له فى بيت المال ما يكفيه بالمعروف فأن أخذ أكثر من ذلك كان سارقاً .

٩٧١ — إِنَّ رَجُلاً مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَتَاهُ الْمَلَكُ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ فَقَالَ : هَلْ عَمِلْتَ مِنْ خَيْرٍ ؟ قَالَ : مَا أَعْلَمُ ، قِيلَ لَهُ : انْظُرْ ، قَالَ : مَا أَعْلَمُ شَيْئاً ، غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا ، فَأُنْظِرُ الْمُوسِرَ ، وَأَتَجَاوَزُ عَنِ الْمُعْسِرِ فَأَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ (ق) عن حُذَيفة وأبى مسعود رضى الله عنهما .

٩٧٢ — إِنَّ رَجُلاً كَانَ قَبْلَكُمْ رَغَسَهُ[1] اللهُ مَالاً ، فَقَالَ لِبَنِيهِ لَمَّا حُضِرَ : أَيَّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ ؟ قَالُوا : خَيْرَ أَبٍ ، قَالَ : فَإِنِّي لَمْ أَعْمَلْ خَيْراً قَطُّ ، فَإِذَا مِتُّ فَأَحْرِقُونِي ، ثُمَّ اسْحَقُونِي ، ثُمَّ ذَرُّونِي فِي رِيحٍ عَاصِفٍ ، فَفَعَلُوا فَجَمَعَهُ اللهُ ، فَقَالَ : مَا حَمَلَكَ ؟ فَقَالَ : مَخَافَتُكَ . فَتَلَقَّاهُ بِرَحْمَتِهِ (ق) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

٩٧٣ — إِنَّ رَجُلاً أَسْرَفَ عَلَى نَفْسِهِ فَلَقِيَ رَجُلاً ، فَقَالَ : إِنَّ الآخَرَ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا كُلَّهُمْ ظُلْماً ، فَهَلْ تَجِدُ لِي مِنْ تَوْبَةٍ ؟ فَقَالَ : إِنْ حَدَّثْتُكَ أَنَّ اللهَ لاَ يَتُوبُ عَلَى مَنْ تَابَ كَذَبْتُكَ ، هٰهُنَا قَوْمٌ يَتَعَبَّدُونَ فَأْتِهِمْ تَعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ ، فَتَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ ، فَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ ، فَاجْتَمَعَتْ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلاَئِكَةُ الْعَذَابِ ، فَبَعَثَ اللهُ إِلَيْهِمْ مَلَكاً ، فَقَالَ :

---

(١) أن رجلا كان قبلكم من بنى أسرائيل . رغسه الله . أكثر الله له مالا فقال لبنيه لما حضر ، أى حضره الموت ، أى أب كنت لكم ؟ قالوا : خير أب ، كان بارا بأولاده ، قال : فأنى لم أعمل خيرا قط ، أى لم أعمل حسنة أصلا ، (لكنه مؤمن) فأذا مت فاحرقونى ،حتى يصير جسمى رمادا ، ثم أسحقونى ثم ذرونى فى ريح عاصف. ليتفرق رماد الجسم فى كل جهة ، وكان أحراق الميت جائزا عندهم ، ففعلوا فجمعه الله سبحانه فقال له : ما حملك على أحراق جسمك ؟ قال مخافتك . وهذا دليل إيمانه . فتلقاه برحمته . أى غفر له . والحديث يفيد فضل الخوف من الله تعالى ، ويرد على المعتزلة الذين يزعمون أن العاصى لايدخل الجنة .

قِيسُوا مَا بَيْنَ المَكَانَيْنِ فَأَيُّهُمَا كَانَ أَقْرَبَ فَهُوَ مِنْهُمْ ؟ فَوَجَدُوهُ أَقْرَبَ إِلَى دِيرِ التَّوَّابِينَ بِأُنْمُلَةٍ فَغُفِرَ لَهُ (طب) عن مُعاوية .

٩٧٤ — إِنَّ سَاقِيَ الْقَوْمِ آخِرُهُمْ شُرْبًا (حم م) عن أبي قَتادة رضى الله عنه .

٩٧٥ — إِنَّ سُبْحَانَ اللهِ ، وَالْحَمْدُ لِلهِ ، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، وَاللهُ أَكْبَرُ تَنْفُضُ الْخَطَايَا كَمَا تَنْفُضُ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا (حم خد) عن أنس رضى الله عنه .

٩٧٦ — إِنَّ سُورَةً مِنَ الْقُرْآنِ ثَلاَثُونَ آيَةً شَفَعَتْ لِرَجُلٍ حَتَّى غُفِرَ لَهُ ، وَهِيَ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ (حم ع حب ك) عن أبي هُريرةَ رضى الله عنه .

٩٧٧ — إِنَّ سِيَاحَةَ أُمَّتِي الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ (د ك هب) عن أبي أُمامةَ رضى الله عنه .

٩٧٨ — إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ (ق د ت) عن عائشة رضى الله عنها .

٩٧٩ — إِنَّ شَرَّ الرِّعَاءِ الْحُطَمَةُ[1] (حم م) عن عائذ بن عَمْرو رضى الله عنه .

٩٨٠ — إِنَّ صَاحِبَ الْمَكْسِ[2] فِي النَّارِ (حب طب) عن رُوَيْفِع ابن ثابتٍ .

---

(١) الذى يأكل كثيرا ، فأن كثرة الأكل تدعو إلى النوم والتكاسل عن العمل .
(٢) هو الذى يأخذ على بضائع المسلمين مالا بغير حق .

٩٨١ — إِنَّ صَلاَتَهُ سَتَنْهَاهُ[٣] (حم وإسحاق والبزار ع حب) عن أبي هُريرةٍ (البزار ع) عن جابر رضى الله عنه .

٩٨٢ — إِنَّ طُولَ صَلاَةِ الرَّجُلِ وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ مَئِنَّةٌ مِنْ فِقْهِهِ ، فَأَطِيلُوا الصَّلاَةَ وَأَقْصِرُوا الْخُطْبَةَ ، وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْراً (حم م) عن عمار بن ياسر رضى الله عنه .

٩٨٣ — إِنَّ طَيْرَ الْجَنَّةِ كَأَمْثَالِ الْبُخْتِ تَرْعَى فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ (حم) عن أنس رضى الله عنه .

٩٨٤ — إِنَّ عَامَّةَ عَذَابِ الْقَبْرِ مِنَ الْبَوْلِ فَتَنَزَّهُوا مِنْهُ (عبد بن حميد والبزار طب ك) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٩٨٥ — إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلاَءِ ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْماً ابْتَلاَهُمْ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَى ، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ (ت ه) عن أنس رضى الله عنه .

٩٨٦ — إِنَّ غِلَظَ جِلْدِ الْكَافِرِ اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ ذِرَاعاً ، وَإِنَّ ضِرْسَهُ مِثْلُ أُحُدٍ ، وَإِنَّ مَجْلِسَهُ مِنْ جَهَنَّمَ مَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ (ت) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

٩٨٧ — إِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ (حم ق ت ن ه) عن أنس (ن) عن أبي موسى (ن) عن عائشة رضى الله عنها .

---

(١) قاله عن رجل قيل عنه : يصلى بالنهار ويسرق بالليل .

٩٨٨ — إِنَّ فُقَرَاءَ أُمَّتِي يَسْبِقُونَ الأَغْنِيَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِأَرْبَعِينَ خَرِيفاً (م حب) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٩٨٩ — إِنَّ فِي الْجُمُعَةِ لَسَاعَةً لاَ يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللهَ فِيهَا خَيْرًا إِلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ (مالك حم م ن ه) عن أبى هُريرة رضى الله عنه .

٩٩٠ — إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَاباً يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ لاَ يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ يُقَالُ : أَيْنَ الصَّائِمُونَ ؟ فَيَقُومُونَ فَيَدْخُلُونَ مِنْهُ ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ (حم ق) عن سهل ابن سعد .

٩٩١ — إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرُفاً يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا أَعَدَّهَا اللهُ تَعَالَى لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ ، وَأَلاَنَ الْكَلاَمَ ، وَتَابَعَ الصِّيَامَ ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ (حم حب هب) عن أبى مالك الأشعرى (ن) عن علىّ كرم الله وجهه .

٩٩٢ — إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ لَوْ أَنَّ العَالَمِينَ اجْتَمَعُوا فِي إِحْدَاهُنَّ لَوَسِعَتْهُمْ (ت) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

٩٩٣ — إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ (خ) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٩٩٤ — إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مَرَاغاً مِنْ مِسْكٍ مِثْلَ مَرَاغِ دَوَابِّكُمْ فِي الدُّنْيَا (طب) عن سهل بن سعد .

٩٩٥ — إِنَّ فِي الجَنَّةِ بَحْرَ المَاءِ وَبَحْرَ العَسَلِ وَبَحْرَ اللَّبَنِ وَبَحْرَ الخَمْرِ، ثُمَّ تُشَقَّقُ الأَنْهَارُ مِنْهَا بَعْدُ (حم ت) عن معاوية بن حَيْدَةَ رضى الله عنه.

٩٩٦ — إِنَّ فِي الجَنَّةِ لَشَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ الجَوَادِ المُضَمَّرِ السَّرِيعِ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ مَا يَقْطَعُهَا (حم خ ت) عن أنس (ق) عن سهل بن سعد (حم ق ت) عن أبى سعيد (ق ت ه) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنهم. زاد (خ ت) عن أنس: إِنْ شِئْتُمْ فَاقْرَءُوا (وَظِلٍّ مَمْدُودٍ وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ).

٩٩٧ — إِنَّ فِي الجَنَّةِ لَسُوقًا يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالاً، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدْ ازْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالاً، فَتَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالاً، فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ - وَاللهِ - لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالاً (م) عن أنس رضى الله عنه.

٩٩٨ — إِنَّ فِي جَهَنَّمَ وَادِيًا، وَفِي الوَادِي بِئْرٌ يُقَالُ لَهُ هَبْهَبٌ، حَقٌّ عَلَى اللهِ أَنْ يُسْكِنَهُ كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (ع طب ك) عن أبى موسى رضى الله عنه.

٩٩٩ — إِنَّ فِي الحَجْمِ شِفَاءً (م) عن جابر رضى الله عنه.

١٠٠٠ — إِنَّ فِي الصَّلاَةِ شُغْلاً (ش حم ق د ه) عن ابن مسعود رضى الله عنه.

١٠٠١ — إِنَّ فِي القَتْلِ شَهَادَةً، وَفِي الطَّاعُونِ شَهَادَةً، وَفِي البَطْنِ

شَهَادَةٌ . وَفِي الغَرَقِ شَهَادَةٌ ، وَفِي النُّفَسَاءِ يَقْتُلُهَا وَلَدُهَا جَمْعاً [١] شَهَادَةٌ (حم طب) عن عُبادة رضى الله عنه .

١٠٠٢ — إنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً لاَ يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى فِيهَا خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ ، وَذٰلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ (حم م) عن جابر .

١٠٠٣ — إنَّ فِي ثَقِيفٍ كَذَّاباً وَمُبِيراً [٢] (حم م) عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها .

١٠٠٤ — إنَّ فِي مَالِ الرَّجُلِ فِتْنَةً ، وَفِي زَوْجِهِ فِتْنَةٌ ، وَوَلَدِهِ (طب) عن حذيفة .

١٠٠٥ — إنَّ فِي مَعَارِيضِ الكَلَامِ مَنْدُوحَةً عَنِ الكَذِبِ (ابن السنى) عن عمران بن حُصَين رضى الله عنه .

١٠٠٦ — إنَّ فِيكَ لَخَصْلَتَيْنِ [٣] يُحِبُّهُمَا اللهُ تَعَالَى : الحِلْمُ وَالأَنَاةُ (م ت) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

١٠٠٧ — إنَّ قَدْرَ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ وَصَنْعَاءَ مِنَ اليَمَنِ ، وَإِنَّ فِيهِ مِنَ الأَبَارِيقِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ (حم ق) عن أنس رضى الله عنه .

---

(١) هى التى تموت بالنفاس وولدها فى بطنها .

(٢) الكذاب هو المختار بن أبى عبيد والمبير هو الحجاج بن يوسف .

(٣) أن فيك لخصلتين ، خاطب به الأشج ـ وأسمه عبد الله بن عوف رئيس وفد عبد القيس ، فقال : يارسول الله أنا أتخلق بهما ؟ أم الله جبلنى عليهما ؟ قال (بل الله جبلك عليهما) فقال : الحمد لله الذى جبلنى على خصلتين يحبهما الله ورسوله . والأناة : التؤدة والتأنى .

١٠٠٨ — إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ شَاءَ (حم م) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

١٠٠٩ — إِنَّ كَذِباً عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ (ق) عن المغيرة (ع) عن سعيد بن زيد .

١٠١٠ — إِنَّ كَسْرَ عَظْمِ الْمُسْلِمِ مَيِّتاً كَكَسْرِهِ حَيًّا (عب ص د ه) عن عائشة رضى الله عنها .

١٠١١ — إِنَّ كُلَّ صَلَاةٍ تَحُطُّ مَا بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ خَطِيئَةٍ [1] (حم طب) عن أبى أيوب رضى الله عنه.

١٠١٢ — إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى جُلَسَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ - وَكِلْتَا يَدَيِ اللهِ يَمِينٌ - عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ ، وُجُوهُهُمْ مِنْ نُورٍ ، لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ وَلَا صِدِّيقِينَ ، قِيلَ : مَنْ هُمْ؟ قَالَ : هُمُ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى (حم) عن ابن عباس رضى الله عنهما.

١٠١٣ — إِنَّ لِلَّهِ عِبَاداً يُجْلِسُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ ، يَغْشَى وُجُوهَهُمُ النُّورُ حَتَّى يَفْرَغَ مِنْ حِسَابِ الْخَلَائِقِ (طب) عن أبى أمامة رضى الله عنه .

١٠١٤ — إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى عِبَاداً يَعْرِفُونَ النَّاسَ بِالتَّوَسُّمِ (البزار طب) عن أنس رضى الله عنه .

١٠١٥ — إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى عِبَاداً خَلَقَهُمْ لِحَوَائِجِ النَّاسِ يَفْزَعُ النَّاسُ إِلَيْهِمْ

---

(١) يعنى من الصغائر .

فِي حَوَائِجِهِمْ ، أُولَئِكَ الآمِنُونَ مِنْ عَذَابِ اللهِ (طب أبو الشيخ) عن ابن عُمر رضى الله عنهما (ابن أبى الدُّنيـا فى اصطناع المعروف) عن الحسن مرسلا .

١٠١٦ — إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا ، مِائَةً إِلاَّ وَاحِداً مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ (ق ت ه) عن أبى هريرة رضى الله عنه (ابن عساكر) عن عُمَر رضى الله عنه .

١٠١٧ — إِنَّ للهِ تَعَالَى تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِـداً لاَ يَحْفَظُهَا أَحَدٌ إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَهُوَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ (ق) عن أبى هريرةِ رضى الله عنه.

١٠١٨ — إِنَّ للهِ عَزَّ وَجَلَّ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ : هُوَ اللهُ الَّذِى لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ، المَلِكُ ، القُدُّوسُ ، السَّلاَمُ ، المُؤْمِنُ ، المُهَيْمِنُ ، العَزِيزُ ، الجَبَّارُ ، المُتَـكَبِّرُ ، الخَـالِقُ ، البَـارِىءُ ، المُصَوِّرُ ، الغَفَّارُ ، القَهَّارُ ، الوَهَّابُ ، الرَّزَّاقُ ، الفَتَّاحُ ، العَلِيمُ ، القَابِضُ البَاسِطُ ، الخَافِضُ ، الرَّافِعُ ، المُعِزُّ ، المُذِلُّ ، السَّمِيعُ ، البَصِيرُ ، الحَـكَمُ ، العَدْلُ ، اللَّطِيفُ ، الخَبِيرُ ، الحَلِيمُ ، العَظِيمُ ، الغَفُورُ ، الشَّكُورُ ، العَلِيُّ ، الـكَبِيرُ ، الحَفِيظُ ، المُقِيتُ ، الحَسِيبُ ، الجَلِيلُ ، الـكَرِيمُ ، الرَّقِيبُ ، المُجِيبُ ، الوَاسِعُ ، الحَـكِيمُ ، الوَدُودُ ، المَجِيدُ ، البَاعِثُ ، الشَّهِيدُ ، الحَقُّ الوَكِيلُ ، القَوِىُّ ، المَتِينُ ، الوَلِىُّ ، الحَمِيدُ ، المُحْصِى ، المُبْدِىءُ ، المُعِيـدُ ، المُحْـيِى المُمِيتُ ، الحَىُّ القَيُّومُ ، الوَاجِدُ ، المَاجِدُ ، الوَاحِدُ الصَّمَدُ ، القَادِرُ ، المُقْتَدِرُ ، المُقَدِّمُ ، المُؤَخِّرُ ، الأَوَّلُ ، الآخِرُ ، الظَّاهِرُ ، البَـاطِنُ ، الوَالِى ،

المتعالى ، البرُّ ، التوَّابُ ، المُنتقِمُ ، العفوُّ ، الرَّؤوفُ ، مالِكُ المُلْكِ ، ذُو الجَلالِ والإكرامِ ، المقسِطُ ، الجامِعُ ، الغنيُّ ، المُغنى ، المانِعُ ، الضَّارُّ ، النَّافِعُ ، النُّورُ ، الهادِى ، البَديعُ ، الباقِى ، الوارِثُ ، الرَّشِيدُ ، الصَّبُورُ (ت حب ك هب) عن أبى هُريرةَ رضى الله عنه .

١٠١٩ — إنَّ للهِ تعالَى مَلائِكةً سَيَّاحِينَ فى الأرْضِ يُبَلِّغُونى مِنْ أُمَّتِى السَّلامَ (حم ن البزار حب ك) عن ابن مسعود رضى عنه الله .

١٠٢٠ — إنَّ للهِ تعالَى مَلَكاً يُنادِى عِنْدَ كُلِّ صَلاةٍ : يا بَنِى آدَمَ قُومُوا إلى نِيرانِكُمُ التى أوْقَدْتُمُوها فأطْفِئُوها (طس والضياء) عن أنس رضى الله عنه .

١٠٢١ — إنَّ للهِ تعالَى مَلَكاً مُوَكَّلاً بِمَنْ يَقُولُ : يا أرْحَمَ الرَّاحِمِينَ فَمَنْ قالَها ثلاثاً قالَ لَهُ المَلَكُ : إنَّ أرْحَمَ الرَّاحِمِينَ قَدْ أقْبَلَ عَلَيْكَ فَسَلْ (ك) عن أبى أمامة رضى الله عنه.

١٠٢٢ — إنَّ للهِ تعالَى مَلائِكةً فى الأرْضِ تَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَةِ بَنى آدَمَ بِما فى المَرْءِ[1] مِنَ الخَيْرِ والشَّرِّ (ك) عن أنس رضى الله عنه .

١٠٢٣ — إنَّ للهِ تبارَكَ وتعالَى مُلائِكةً سَيَّارَةً فُضلاءَ يَبْتَغُونَ مَجالِسَ الذِّكْرِ ، فإذا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ ، وحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأجْنِحَتِهِمْ حَتَّى يَمْلأُوا ما بَيْنَهُمْ وبَيْنَ السَّماءِ ، فإذا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا ، وصَعَدُوا إلى السَّماءِ فَيَسْأَلُهُمُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ - وهُوَ أعْلَمُ - مِنْ أيْنَ جِئْتُمْ ؟

---

(١) الملهمين المحدثين بفتح الدال المشددة كما ثبت فى الصحيحين .

فَيَقُولُونَ : جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادِكَ فِي الأَرْضِ يُسَبِّحُونَكَ ، وَيُكَبِّرُونَكَ ، وَيُهَلِّلُونَكَ ، وَيَحْمَدُونَكَ ، وَيَسْأَلُونَكَ ، قَالَ : فَمَا يَسْأَلُونِي ؟ قَالُوا : يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ ، قَالَ ، وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي ؟ قَالُوا : لاَ يَا رَبِّ ، قَالَ : وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي ؟ قَالُوا : وَيَسْتَجِيرُونَكَ ، قَالَ : وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونِي ؟ قَالُوا : مِنْ نَارِكَ ، قَالَ : وَهَلْ رَأَوْا نَارِي ؟ قَالُوا : لاَ يَا رَبِّ ، قَالُوا : وَيَسْتَغْفِرُونَكَ ، فَيَقُولُ : قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ ، وَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا ، فَيَقُولُونَ : رَبِّ فِيهِمْ فُلاَنٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ فَيَقُولُ : وَلَهُ قَدْ غَفَرْتُ ، هُمُ الْقَوْمُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ (ق) عن أبي هُريرةٍ رضى الله عنه .

١٠٢٤ — إِنَّ للهِ تَعَالَى أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ (حم ن ه ك) عن أنس رضى الله عنهُ .

١٠٢٥ — إِنَّ الإِسْلاَمَ صُوًى وَمَنَارًا كَمَنَارِ الطَّرِيقِ (ك) عن أبي هُريرةٍ رضى الله عنه .

١٠٢٦ — إِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً بِابْنِ آدَمَ وَلِلْمَلَكِ لَمَّةٌ ، فَأَمَّا لَمَّةُ الشَّيْطَانِ فَإِيعَادٌ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبٌ بِالْحَقِّ ، وَأَمَّا لَمَّةُ الْمَلَكِ فَإِيعَادٌ بِالْخَيْرِ وَتَصْدِيقٌ بِالْحَقِّ ، فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ اللهِ تَعَالَى ، فَلْيَحْمَدِ اللهَ ، وَمَنْ وَجَدَ الأُخْرَى فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ (ت ن حب) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

١٠٢٧ — إِنَّ لِلصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ لَدَعْوَةً مَا تُرَدُّ (ه ك) عن ابن عَمْرو .

١٠٢٨ — إِنَّ لِلطَّاعِمِ الشَّاكِرِ مِنَ الأَجْرِ مِثْلَ مَا لِلصَّائِمِ الصَّابِرِ (ك) عن أبى هُرَيرةَ رضى الله عنه .

١٠٢٩ — إِنَّ لِلقَبْرِ ضَغْطَةً لَوْ كَانَ أَحَدٌ نَاجِياً مِنْهَا نَجَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ (حم) عن عائشةَ رضى الله عنها .

١٠٣٠ — إِنَّ لِصَاحِبِ الحَقِّ مَقَالاً (حم) عن عائشة رضى الله عنها (حل) عن أبى حميد الساعدى .

١٠٣١ — إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً ، وَفِتْنَةُ أُمَّتِي المَالُ (ت حب ك) عن كعب بن عِيَاض.

١٠٣٢ — إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ سَيِّداً وَإِنَّ سَيِّدَ المَجَالِسِ قُبَالَةُ القِبْلَةِ (طس) عن أبى هُرَيرة رضى الله عنه.

١٠٣٣ — إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِى الجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ طُولُهَا فِى السَّمَاءِ سِتُّونَ مِيلاً ، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ يَطُوفُ عَلَيْهِمُ المُؤْمِنُ فَلاَ يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضاً (ق ت) عن أبى موسى رضى الله عنه .

١٠٣٤ — إِنَّ لِلمُهَاجِرِينَ مَنَابِرَ مِنْ ذَهَبٍ يَجْلِسُونَ عَلَيْهَا يَوْمَ القِيَامَةِ ، قَدْ أَمِنُوا مِنَ الفَزَعِ (البزار ك) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

١٠٣٥ — إِنَّ لِلْوُضُوءِ شَيْطَاناً يُقَالُ لَهُ الوَلْهَانُ ، فَاتَّقُوا وَسْوَاسَ المَاءِ (ت ه ك) عن أُبَىّ رضى الله عنه .

١٠٣٦ — إِنَّ لَكِ مِنَ الأَجْرِ عَلَى قَدْرِ نَصَبِكِ وَنَفَقَتِكِ[1] (ك) عن عائشة رضى الله عنها .

---

(١) قاله لعائشة فى عمرة اعتمرتها ومعها أخوها .

١٠٣٧ — إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا وَإِنَّ أَمِينَ هٰذِهِ الأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ (خ) عن أنس رضى الله عنه .

١٠٣٨ — إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةً ، وَلاَ يَبْلُغُ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الإِيمَانِ . حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ (حم طب) عن أبى الدرداء رضى الله عنه .

١٠٣٩ — إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ سِنَامًا وَإِنَّ سِنَامَ الْقُرْآنِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ مَنْ قَرَأَهَا فِى بَيْتِهِ لَيْلاً لَمْ يَدْخُلِ الشَّيْطَانُ بَيْتَهُ ثَلاَثَ لَيَالٍ ، وَمَنْ قَرَأَهَا نَهَارًا لَمْ يَدْخُلِ الشَّيْطَانُ بَيْتَهُ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ (ع حب طب هب) عن سهل ابن سعد رضى الله عنه .

١٠٤٠ — إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ شِرَّةً[1] . وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ ، فَإِنْ صَاحِبُهَا سَدَّدَ وَقَارَبَ فَارْجُوهُ ، وَإِنْ أُشِيرَ إِلَيْهِ بِالأَصَابِعِ فَلاَ تَعُدُّوهُ (ت) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٠٤١ — إِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةً وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ ، فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِى فَقَدْ اهْتَدَى وَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ (ابن أبى عاصم حب) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

١٠٤٢ — إن لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا[2] وَإِنَّ حَوَارِيِّ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ (خ ت) عن جابر رضى الله عنه (ت ك) عن على عليه السلام .

---

(١) نشاطا وحرصاً ، ثم يفتر .

(٢) ناصرا ومساعدا .

١٠٤٣ — إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا. وَإِنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ وَارِدَةً وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ وَارِدَةً (ت) عن سَمُرَةَ رضى الله عنه .

١٠٤٤ — إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةً قَدْ دَعَا بِهَا فِي أُمَّتِهِ فَاسْتُجِيبَ لَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ (حم ق) عن أنس بن مالك رضى الله عنه .

١٠٤٥ — إِنَّ لِي خَمْسَةَ أَسْمَاءٍ : أَنَا مُحَمَّدٌ ، وَأَنَا أَحْمَدُ ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللهُ بِي الْكُفْرَ ، وَأَنَا الْعَاقِبُ (مالك ق ت ن) عن جُبَيْر بن مُطعم رضى الله عنه .

١٠٤٦ — إِنَّ لِي وَزِيرَيْنِ مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ . وَوَزِيرَيْنِ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ فَوَزِيرَايَ مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ ، وَوَزِيرَايَ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ (ك) عن أبى سعيد رضى الله عنه (الحكيم) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

١٠٤٧ — إِنَّ مَا قَدْ قُدِّرَ فِي الرَّحِمِ سَيَكُونُ[1] (ن) عن أبى سعيد الزُّرَقى .

١٠٤٨ — إِنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ فِي الْجَنَّةِ لَمَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً (حم ع) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

١٠٤٩ — إِنَّ مَثَلَ الْعُلَمَاءِ فِي الْأَرْضِ كَمَثَلِ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ يُهْتَدَى

---

(١) قيل هذا الحديث لمناسبة السؤال عن العزل فى الجماع .

بهَا فِي ظُلُمَاتِ البَرِّ وَالبَحْرِ ، فَإِذَا انْطَمَسَتِ النُّجُومُ. أَوْشَكَ أَنْ تَضِلَّ الْهُدَاةُ (حم) عن أنس رضى الله عنه .

١٠٥٠ — إِنَّ مَسْحَ الْحَجَرِ الأَسْوَدِ وَالرُّكْنِ الْيَمَانِي يُحِطَّانِ الْخَطَايَا حَطًّا (حم) عن ابن عُمر رضى الله عنهما .

١٠٥١ — إِنَّ مَطْعَمَ ابْنَ آدَمَ جُعِلَ مَثَلاً لِلدُّنْيَا ، وَإِنْ قَزَّحَهُ وَمَلَحَهُ فَانْظُرْ إِلَى مَا يَصِيرُ ؟ (عم حب) عن أُبيّ رضى الله عنه .

١٠٥٢ — إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْراً (مالك حم خ د ت) عن ابن عُمر رضى الله عنهما .

١٠٥٣ — إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْراً وَمِنَ الشِّعْرِ حِكَماً (حم د) عن ابن عَباس رضى الله عنهما .

١٠٥٤ — إِنَّ مِنَ الفِطْرَةِ[1] الْمَضْمَضَةَ وَالاسْتِنْشَاقَ وَالسِّوَاكَ وَقَصَّ الشَّارِبِ وَتَقْلِيمَ الأَظْفَارِ وَنَتْفَ الإِبْطِ وَالاسْتِحْدَادَ وَغَسْلَ الْبَرَاجِمِ وَالانْتِضَاحَ بِالْمَاءِ وَالاخْتِتَانَ (حم ش د ه) عن عَمَّار بن ياسر رضى الله عنه .

١٠٥٥ — إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاَقًا (خ) عن ابن عمرو .

١٠٥٦ — إِنَّ مِنْ إِجْلاَلِ اللهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الغَالِي فِيهِ وَلاَ الْجَافِي عَنْهُ وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ (د) عن أبى موسى

١٠٥٧ — إِنَّ مِنْ أَرْبَى الرِّبَا الاسْتِطَالَةَ فِي عِرْضِ الْمُسْلِمِ بِغَيْرِ حَقٍّ (حم د) عن سعيد بن زيد ، ورواه (حم والبزار) بزيادة : وَإِنَّ هَذِهِ الرَّحِمَ شُجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ فَمَنْ قَطَعَهَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ .

---

(١) الدين ، والبراجم مفاصل الأصابع والاستحداد حلق العانة والانتضاح الاغتسال.

١٠٥٨ — إِنَّ مِنَ الإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ الرَّجُلُ رَجُلاً لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ لِلَّهِ مِنْ غَيْرِ مَالٍ أَعْطَاهُ فَذَلِكَ الإِيمَانُ (طى) عن عبد الله رضى الله عنه .

١٠٥٩ — إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكْمَةً (٩) عن أُبَيٍّ (ت) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

١٠٦٠ — إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ وَيَفْشُوَ الزِّنَا وَيُشْرَبَ الْخَمْرُ وَيَذْهَبَ الرِّجَالُ وَتَبْقَى النِّسَاءُ حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً قَيِّمٌ وَاحِدٌ (حم ق ت ن ه) عن أنس رضى الله عنه .

١٠٦١ — إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الأَمَانَةِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلَ يُفْضِى إِلَى امْرَأَتِهِ وَتُفْضِى إِلَيْهِ ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا (حم م د) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

١٠٦٢ — إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْفِرَى . أَنْ يَدَّعِيَ الرَّجُلُ إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ ، أَوْ يُرِيَ عَيْنَيْهِ مَا لَمْ تَرَيَا . أَوْ يَقُولَ عَلَى رَسُولِ اللهِ مَا لَمْ يَقُلْ (خ) عن واثلة .

١٠٦٣ — إِنَّ مِنْ أَفْرَى الْفِرَى أَنْ يُرِيَ الرَّجُلُ عَيْنَهُ فِي الْمَنَامِ مَا لَمْ تَرَ (حم) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

١٠٦٤ — إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ الشِّرْكَ بِاللهِ . وَعُقُوقَ الْوَالِدَيْنِ . وَالْيَمِينَ الْغَمُوسَ . وَمَا حَلَفَ حَالِفٌ بِاللهِ يَمِينَ صَبْرٍ فَأَدْخَلَ فِيهَا مِثْلَ جَنَاحِ بَعُوضَةٍ إِلاَّ جُعِلَتْ نُكْتَةً فِي قَلْبِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ (حم ت حب ك) عن عبد الله بن أُنيس رضى الله عنه .

١٠٦٥ — إِنَّ مِنْ أَكْمَلِ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا وَأَلْطَفَهُمْ بِأَهْلِهِ (ت ك) عن عائشة رضى الله عنها .

١٠٦٦ — إِنَّ مِنْ تَمَامِ الصَّلَاةِ إِقَامَةَ الصَّفِّ (حم) عن جابر رضى الله عنه .

١٠٦٧ — إِنَّ مِنْ خَيْرِ أَكْحَالِكُمُ الإِثْمِدَ . إِنَّهُ يَجْلُو الْبَصَرَ وَيُنْبِتُ الشَّعَرَ (ت حب) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

١٠٦٨ — إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا (ق ت) عن ابنِ عَمرو رضى الله عنه .

١٠٦٩ — إِنَّ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَتِهِ أَكْثَرُ مِنْ مُضَرَ وَإِنَّ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَعْظُمُ لِلنَّارِ حَتَّى يَكُونَ أَحَدَ زَوَايَاهَا (حم ه ك) عن الحارث بن أقيس.

١٠٧٠ — إِنَّ مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ أَنْ يَطُولَ عُمُرُهُ وَيَرْزُقَهُ اللهُ الإِنَابَةَ (ك) عن جابر رضى الله عنه .

١٠٧١ — إِنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا (م) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

١٠٧٢ — إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ (حم ق د ن ه) عن أنس رضى الله عنه .

١٠٧٣ — إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ لَأُنَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ الأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَكَانِهِمْ مِنَ اللهِ . قَالُوا فَخَبِّرْنَا مَنْ هُمْ ؟ قَالَ : هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِنُورِ اللهِ مِنْ غَيْرِ أَرْحَامٍ وَلَا أَنْسَابٍ وُجُوهُهُمْ نُورٌ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ

النَّاسُ ثُمَّ قَرَأَ (أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (ن حب) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

١٠٧٤ — إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ قِيلَ : وَكَيْفَ يَلْعَنُهُمَا ؟ قَالَ : يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ (خ) عن ابن عمر رضي الله عنهما .

١٠٧٥ — إِنَّ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَوْ جَاءَ أَحَدَكُمْ يَسْأَلُهُ دِينَاراً لَمْ يُعْطِهِ وَلَوْ سَأَلَهُ دِرْهَماً لَمْ يُعْطِهِ . وَلَوْ سَأَلَهُ فَلْساً لَمْ يُعْطِهِ . فَلَوْ سَأَلَ اللهَ الْجَنَّةَ أَعْطَاهَا إِيَّاهُ . ذُو طِمْرَيْنِ لاَ يُؤْبَهُ لَهُ . لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ (طب) عن ثَوْبَان .

١٠٧٦ — إِنَّ مِمَّا تَذْكُرُونَ مِنْ جَلاَلِ اللهِ التَّسْبِيحَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّحْمِيدَ يَنْعَطِفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ لَهُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ تُذَكِّرُ بِصَاحِبِهَا . أَمَا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ مَا يُذَكِّرُ بِهِ (ه ابن أبي الدنيا . ك) عن النُّعمان بن بَشير رضي الله عنه .

١٠٧٧ — إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلاَمِ النُّبُوَّةِ الأُولَى، إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ (حم خ د ه) عن أبي مسعود رضي الله عنه (حم) عن حُذَيفة رضي الله عنه .

١٠٧٨ — إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْماً عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ ، وَوَلَداً صَالِحاً تَرَكَهُ ، أَوْ مُصْحَفاً وَرَّثَهُ ، أَوْ مَسْجِداً بَنَاهُ ، أَوْ بَيْتاً لاِبْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ . أَوْ نَهْراً أَجْرَاهُ . أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ تَلْحَقُهُ بَعْدَ مَوْتِهِ (ه) عن أبي هُريرة رضي الله عنه .

١٠٧٩ — إِنَّ مِنْ يُمْنِ الْمَرْأَةِ تَيْسِيرَ خِطْبَتِهَا وَتَيْسِيرَ صَدَاقِهَا وَتَيْسِيرَ رَحِمِهَا (حم ك طس هق) عن عائشة رضي اللهُ عنها .

١٠٨٠ — إنَّ نَاساً مِنْ أُمَّتِي سَيَتَفَقَّهُونَ فِي الدِّينِ. يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ يَقُولُونَ : نَاتِي الأُمَرَاءَ فَنُصِيبُ مِنْ دُنْيَاهُمْ وَنَعْتَزِلُهُمْ بِدِينِنَا. وَلاَ يَكُونُ ذَلِكَ. كَمَا لاَ يُجْتَنَى مِنَ الْقَتَادِ[1] إلاَّ الشَّوْكُ كَذَلِكَ لاَ يُجْتَنَى مِنْ قُرْبِهِمْ إلاَّ الْخَطَايَا (ه) عن ابن عباس رضى الله عنه .

١٠٨١ — إنَّ هَاتَيْنِ الصَّلاَتَيْنِ[2] ، أَثْقَلُ الصَّلَوَاتِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْواً عَلَى الرُّكَبِ ، وَإِنَّ الصَّفَّ الأَوَّلَ عَلَى مِثْلِ صَفِّ الْمَلاَئِكَةِ . وَلَوْ عَلِمْتُمْ مَا فَضِيلَتُهُ لاَبْتَدَرْتُمُوهُ . وَإِنَّ صَلاَةَ الرَّجُلِ مَعَ الرَّجُلِ أَزْكَى مِنْ صَلاَتِهِ وَحْدَهُ وَصَلاَتُهُ مَعَ الرَّجُلَيْنِ أَزْكَى مِنْ صَلاَتِهِ مَعَ الرَّجُلِ وَكُلُّ مَا كَثُرَ فَهُوَ أَحَبُّ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ (حم وابن خُزيمة د ن حب ك) عن أبى بن كَعْبٍ رضى الله عنه .

١٠٨٢ — إنَّ مَلِكاً مِنْ مُلُوكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَخَذَ رَجُلاً فَخَيَّرَهُ بَيْنَ أَنْ يَشْرَبَ الْخَمْرَ أَوْ يَقْتُلَ نَفْساً أَوْ يَأْكُلَ لَحْمَ خِنْزِيرٍ أَوْ يَقْتُلُوهُ فَاخْتَارَ الْخَمْرَ وَإِنَّهُ لَمَّا شَرِبَ الْخَمْرَ لَمْ يَمْتَنِعْ مِنْ شَيْءٍ أَرَادُوهُ مِنْهُ (طب ك) عن ابن عَمْرو .

١٠٨٣ — إنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ. فَأَوْغِلُوا فِيهِ بِرِفْقٍ (حم) عن أنس رضى الله عنه .

١٠٨٤ — إنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ[3] ، فَاقْرَؤُا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ (حم ق ٣) عن عُمر رضى الله عنه .

---

(١) شجر له شوك .

(٢) العشاء والصبح .

(٣) سبع لهجات عربية ، تشملها القراءات المتواترة

١٠٨٥ — إِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ مَنِ اتَّبَعَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ وَمَنْ تَرَكَهُ أَوْ أَعْرَضَ عَنْهُ زَجَّ فِي قَفَاهُ إِلَى النَّارِ (البزار) عن جابر رضى الله عنه .

١٠٨٦ — إِنَّ هٰذَا الْمَالَ خَضِرٌ حُلْوٌ فَمَنْ أَخَذَهُ بِحَقِّهِ بُورِكَ لَهُ فِيهِ. وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ . وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ . وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى (حم ق ت ن) عن حَكِيم ابن حِزَام رضى الله عنه .

١٠٨٧ — إِنَّ هٰذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ فَمَنْ أَصَابَهُ بِحَقِّهِ بُورِكَ لَهُ فِيهِ وَرُبَّ مُتَخَوِّضٍ فِيمَا شَاءَتْ نَفْسُهُ مِنْ مَالِ اللهِ وَرَسُولِهِ. لَيْسَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلاَّ النَّارُ (حم ت) عن خَوْلَةَ بنت قيس رضى الله عنها .

١٠٨٨ — إِنَّ هٰذِهِ النَّارَ إِنَّمَا هِيَ عَدُوٌّ لَكُمْ. فَإِذَا نِمْتُمْ فَأَطْفِئُوهَا عَنْكُمْ (ق ه) عن أبى موسى رضى الله عنه .

١٠٨٩ — إِنَّ هٰذِهِ النَّارَ جُزْءٌ مِنْ مِائَةِ جُزْءٍ مِنْ جَهَنَّمَ (حم) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢٠٩٠ — إِنَّ هٰذِهِ ضَجْعَةٌ[1] يُبْغِضُهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ (د) عن يَعِيشَ عن طَخْفَةَ ابن قَيْس الغِفَارى عن أبيه .

١٠٩١ — إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لاَ نَكْتُبُ وَلاَ نَحْسُبُ (ق د ه) عن ابن عُمَر رضى الله عنهما .

---

(١) كان طخفة نائما على بطنه، فحركه النبي صلى الله عليه وسلم وقال له هذا الحديث.

١٠٩٢ — إِنَّا لَنْ نَسْتَعْمِلَ عَلَى عَمَلِنَا مَنْ أَرَادَهُ (حم ق د ن) عن أبي موسى رضى الله عنه .

١٠٩٣ — إِنَّا لاَ نَقْبَلُ شَيْئًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (حم ك) عن حكيم ابن حِزَامٍ رضى الله عنه .

١٠٩٤ — إِنَّا لاَ نَسْتَعِينُ بِمُشْرِكٍ[1] (حم د ه) عن عائشة رضى الله عنها .

١٠٩٥ — إِنَّا آلَ مُحَمَّدٍ لاَ تَحِلُّ لَنَا الصَّدَقَةُ (حم حب) عن الحسن ابن علىّ عليهما السلام .

١٠٩٦ — إِنَّا مَعْشَرَ الأَنْبِيَاءِ أُمِرْنَا أَنْ نُعَجِّلَ إِفْطَارَنَا ، وَنُؤَخِّرَ سُحُورَنَا ، وَنَضَعَ أَيْمَانَنَا عَلَى شَمَائِلِنَا فِي الصَّلاَةِ (الطيالسى طب) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

١٠٩٧ — إِنَّا مَعْشَرَ الأَنْبِيَاءِ لاَ نُورَثُ (حم) عن أبي هريرة (ن فى الكبرى) عن عُمَر ، وعبد الرحمن بن عَوف ، وسعد ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير رضى الله عنهم .

١٠٩٨ — إِنَّا كُنَّا نَهَيْنَاكُمْ عَنْ لُحُومِ الأَضَاحِي أَلاَّ تَأْكُلُوهَا فَوْقَ ثَلاَثٍ لِكَيْ يَسَعَكُمْ ، وَقَدْ جَاءَ اللهُ بِالسَّعَةِ فَكُلُوا وَادَّخِرُوا (حم م د ن ه) عن عُتبةَ . زاد (د) : وَائْتَجِرُوا .

١٠٩٩ — إِنَّكَ جِئْتَنِي وَفِي يَدِكَ جَمْرَةٌ مِنْ نَارٍ[2] (ن) عن أبي سعيد رضى الله عنه .

---

(١) قاله لمشرك أحب أن يقاتل مع المسلمين وهو على شركه .
(٢) أنك جئتنى وفى يدك جمرة من نار. قاله لرجل سلم وفى يده خاتم من ذهب، =

١١٠٠ — إِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ (خ) عن أنس رضى الله عنه .

١١٠١ — إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئاً اتِّقَاءَ اللهِ إِلاَّ أَعْطَاكَ اللهُ خَيْراً مِنْهُ (حم) عن رجل من أهل البادية .

١١٠٢ — إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ[1] رِجَالاً وَرُكْبَاناً ، وَتُجَرُّونَ عَلَى وُجُوهِكُمْ (ت ن) عن بَهْز بن حَكِيم عن أبيه عن جده .

١١٠٣ — إِنَّكُمْ تُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَسْمَائِكُمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِكُمْ ، فَأَحْسِنُوا أَسْمَاءَكُمْ (حم د) عن أبى الدرداء رضى الله عنه .

١١٠٤ — إِنَّكُمْ تُتِمُّونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ (حم ت ه ك) عن مُعاوية بن حَيْدَةَ .

١١٠٥ — إِنَّكُمْ سَتُبْتَلُونَ فِي أَهْلِ بَيْتِي مِنْ بَعْدِي (طب) عن خالد بن عرفطةَ رضى الله عنه .

١١٠٦ — إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً ، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي غَداً عَلَى الْحَوْضِ (حم ق ت ن) عن أُسَيد بن حُضَير (حم ق) عن أنس رضى الله عنه .

= فلم يرد عليه السلام حتى نزعه ، وهو يفيد تأديب العاصى بهجره ، واستعمال الذهب ، للرجال حرام حرمة لاهوادة فيها . فلا يجوز للرجل لبس خاتم الذهب ، ولا استعمال زرار ذهب فى قميصه مثلا ، ولا الشرب فى آنية الذهب ، ولا حمل ساعة ذهب ، لأن ذلك ترفه وتنعم زائد لايليق إلا بالنساء . وكذلك دبلة الخطوبة لايجوز للرجل لبسها بل يضعها فى مكان بالبيت تحفظ فيه ،(إن كان ولابد) .

(١) إنكم معشر الخلق ـ تحشرون ، يوم القيامة ثلاثة أصناف ، رجالا وهم عامة المؤمنين ، وركبانا ، وهم المتقون ، ويجرون على وجوههم ، وهم الكفار . والعياذ بالله تعالى .

١١٠٦ — إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هٰذَا الْقَمَرَ لاَ تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ، وَصَلاَةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا (حم ق ٤) عن جرير .

١١٠٧ — إِنَّكُمْ سَتَحْرِصُونَ عَلَى الإِمَارَةِ ، وَإِنَّهَا سَتَكُونُ نَدَامَةً وَحَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَنِعْمَتِ الْمُرْضِعَةُ وَبِئْسَتِ الْفَاطِمَةُ (خ ن) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

١١٠٨ — إِنَّكُمْ قَادِمُونَ عَلَى إِخْوَانِكُمْ فَأَصْلِحُوا رِحَالَكُمْ[1] ، وَأَصْلِحُوا لِبَاسَكُمْ حَتَّى تَكُونُوا كَأَنَّكُمْ شَامَةٌ فِي النَّاسِ ، فَإِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلاَ التَّفَحُّشَ (حم د ك هب) عن سهل بن الحنظلية رضى الله عنه .

١١٠٩ — إِنَّكُمْ مُصَبِّحُوا عَدُوِّكُمْ ، وَالْفِطْرُ أَقْوَى لَكُمْ فَأَفْطِرُوا (حم م) عن أبي سعيد رضى الله عنه .

١١١٠ — إِنَّكُمْ لاَ تَرْجِعُونَ إِلَى اللهِ تَعَالَى بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِمَّا خَرَجَ مِنْهُ يَعْنِي الْقُرْآنَ (ك) عن أبي ذر رضى الله عنه .

---

(١) إنكم قادمون من سفر على إخوانكم فأصلحوا رحالكم وأصلحوا لباسكم . بغسلهما وتنظيفهما من الغبار وغيره حتى تكونوا كأنكم شامة خال وهى الحسنة . فإن الله لايحب الفحش . وهو ماجاوز الحد فى القبح . وأراد به هنا وسخ ثيابهم ورحالهم بتراكم ماعليها من غبار الطريق ورائحة عرق الأبل ، ولا التفحش تعمد إبقاء الثياب قذرة وعدم تغييرها بأخرى نظيفة . والحديث يفيد الحض على نظافة الثياب والفراش. ويرد على أولئك المتزمتين الذين يلبسون ثيابا قذرة وينامون على فراش قذر . يزعمون ذلك زهدا ودينا . والله يعلم أن الدين من عملهم براء .

١١١٢ — إِنَّكُمْ لَنْ تَسَعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ ، وَلَكِنْ يَسَعُهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ (ع البزار حل ك هب) عن أبى هُريرة رضى الله عنه .

١١١٣ — إِنَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ سَيِّدُ الأَيَّامِ وَأَعْظَمُهَا عِنْدَ اللهِ ، وَهُوَ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ مِنْ يَوْمِ الأَضْحَى وَيَوْمِ الْفِطْرِ ، وَفِيهِ خَمْسُ خِلاَلٍ : خَلَقَ اللهُ فِيهِ آدَمَ ، وَأَهْبَطَ اللهُ فِيهِ آدَمَ إِلَى الأَرْضِ ، وَفِيهِ تَوَفَّى اللهُ آدَمَ ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لاَ يَسْأَلُ اللهَ فِيهَا الْعَبْدُ شَيْئًا إِلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ مَالَمْ يَسْأَلْ حَرَامًا ، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ مَا مِنْ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ وَلاَ سَمَاءٍ وَلاَ أَرْضٍ وَلاَ رِيَاحٍ وَلاَ جِبَالٍ وَلاَ بَحْرٍ إِلاَّ وَهُنَّ يُشْفِقْنَ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ (حم ه) عن أبى لُبابة ابن عبد المنذر رضى الله عنه .

١١١٤ — إِنَّمَا الأُمُورُ ثَلاَثَةٌ : أَمْرٌ تَبَيَّنَ لَكَ رُشْدُهُ فَاتَّبِعْهُ ، وَأَمْرٌ تَبَيَّنَ لَكَ غَيُّهُ فَاجْتَنِبْهُ ، وَأَمْرٌ اخْتُلِفَ فِيهِ فَرُدَّهُ إِلَى عَالِمٍ (طب) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

١١١٥ — إِنَّمَا الْبَيْعُ عَنْ تَرَاضٍ (ه) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

١١١٦ — إِنَّمَا الْحَلِفُ حِنْثٌ أَوْ نَدَمٌ (ه حب) عن ابن عُمر رضى الله عنهما .

١١١٧ — إِنَّمَا الرِّبَا فِي النَّسِيئَةِ (حم م ن ه) عن أُسامةَ رضى الله عنه .

١١١٨ — إِنَّمَا الشُّؤْمُ فِي ثَلاَثَةٍ : فِي الْفَرَسِ ، وَالْمَرْأَةِ ، وَالدَّارِ (خ د ه) عن ابن عُمر رضى الله عنهما .

١١١٩ — إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ (حم ق) عن عَلِىّ عليه السلام .

١١٢٠ — إِنَّمَا الْعُشُورُ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى ، وَلَيْسَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ عُشُورٌ (د) عن رجل صحابى .

١١٢١ — إِنَّمَا الْمَاءُ مِنَ الْمَاءِ (م د) عن أبى سعيد (حم ن ه) عن أبى أيوبَ رضى الله عنهما .

١١٢٢ — إِنَّمَا الْمَدِينَةُ كَالْكِيرِ تَنْفِى خَبَثَهَا ، وَيَنْصَعُ طِيبُهَا (حم ق ت ن) عن جابر رضى الله عنه .

١١٢٣ — إِنَّمَا النَّاسُ كَإِبِلٍ مِائَةٍ[1] لَا تَكَادُ تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً (حم ق ت ه) عن ابن عُمر رضى الله عنهما .

١١٢٤ — إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ[2] الرِّجَالِ (حم د ت) عن عائشة (البزار) عن أنس رضى الله عنهما .

١١٢٥ — إِنَّمَا الْوَلَاءُ لِمَنْ أَعْتَقَ (خ) عن ابن عُمر رضى الله عنهما .

١١٢٦ — إِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ (ت) عن ثَوْبانَ رضى الله عنه .

---

(١) تجر بأزمتها وتقاد، وتسمى جارة بمعنى مجرورة كما تسمى جرجوراه والراحلة الناقة التى تصلح لأن يشد عليها الرحل وهو أثاث المنزل وليست كل ناقة تصلح لذلك .

(٢) إنما النساء شقائق الرجال . شقائق جمع شقيقة وهى الأخت لأب وأم. والمراد بالشقائق هنا أن النساء تشترك مع الرجال فى ميراث ماخلفه النبى صلى الله عليه وسلم من القرآن والسنة والأحكام ، كما تشترك الإخوة الأشقاء فى ميراث ما تركه أبوهم بعد موته . وكما أن الذكور يفضلون على الأناث فى الميراث ، كذلك الرجال يزيدون على النساء فى الأحكام . فلايجب عليهن جهاد ولاجمعة ولا كفارة الجماع فى نهار رمضان ، ولايلين الخلافة ولا القضاء ولا نحوها من الولايات العامة . وعلى هذا يصح للمرأة تعلم الكتاب والسنة وبقية العلوم الشرعية ويصح لها أيضا تعلم القراءة والكتابة. وحديث (لاتسكنوهن العلالى ولاتعلموهن الكتابة وعلموهن الغزل وسورة النور) حديث واه رواه الحاكم عن عائشة ، وفى إسناده عبد الوهاب بن الضحاك . وهو كذاب .

١١٢٧ — إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ ، فَإِذَا نَسِيَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ (حم ٥) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

١١٢٨ — إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ(١) إِلَيَّ ، فَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ ، فَأَقْضِيَ لَهُ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ مُسْلِمٍ ، فَإِنَّمَا هِيَ قِطْعَةٌ مِنَ النَّارِ فَلْيَأْخُذْهَا أَوْ لِيَتْرُكْهَا (مالك حم ق ٤) عن أم سلمة رضى الله عنها .

١١٢٩ — إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ وَإِنِّي اشْتَرَطْتُ عَلَى رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ : أَيُّ عَبْدٍ

---

(١) فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته . أى أفطن لها من بعض فأقضى له على نحو ما أسمع من حجته الواضحة التى تسكت الخصم . فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هى قطعة من النار فليأخذها أوليتركها ـ استنبط منه العلماء أن حكم القضاء لايحل الحرام. فلو حكم القاضى بدينار لزيد بناء على حجة وجيهة أدلى بها، لكن الدينار فى الواقع لعمرو الذى عجز عن إثبات ملكيته له ، فلا يحل لزيد أخذ الدينار استنادا إلى حكم القاضى. بل يجب رده إلى صاحبه عمرو . ثم القصد بهذا الحديث مع هذا : أن النبى صلى الله عليه وسلم له شخصية القاضى وهى إحدى الشخصيات الأربع التى أثبتها القرافى له صلى الله عليه وسلم . والثانية شخصية الرسول . والثالثة شخصية الخليفة . والرابعة شخصية المفتى . وهو صلى الله عليه وسلم حين تكلم هنا على شخصه قاضيا. ذكر مايجوز على القاضى من مخالفة حكمه للواقع . باعتباره يحكم بالظاهر لكن لم يثبت أنه صلى الله عليه وسلم حكم بخلاف الواقع مطلقا . أو رجع عن حكم حكم به . أو استدرك نقصا فى حكم له . (راجع أقضية الرسول للحافظ القرطبى ولغيره) وقوله تعالى (فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) يفيد أنه عليه الصلاة والسلام لا يخطىء أبدا ؛ إذ لو كان يخطىء لما أوجب الله التسليم لحكمه تسليما مطلقا ، لأن الخطأ لايجب التسليم به ، بل يجب إصلاحه والله الهادى إلى سواء السبيل .

مِنَ الْمُسْلِمِينَ شَتَمْتُهُ أَوْ سَبَبْتُهُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ لَهُ زَكَاةً وَأَجْراً (حم م) عن جابر رضى الله عنه .

١١٣٠ — إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ[1] مِنْ دِينِكُمْ فَخُذُوا بِهِ ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ رَأْيِي فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ (م ن) عن رَافِعِ بن خَدِيجٍ رضى الله عنه .

١١٣١ — إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ، وَإِنَّ الظَّنَّ[2] يُخْطِيءُ وَيُصِيبُ ، وَلَكِنْ مَا قُلْتُ لَكُمْ : قَالَ اللهُ ، فَلَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللهِ (حم ٥) عن طلحةَ رضى الله عنه .

---

(١) إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به من غير مراجعة فيه. وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر فلكم أن تراجعوا فيه سائلين عن حكمته إذا خفيت عليكم . فهذا الحديث بين حالتين من حالاته عليه أفضل الصلاة وأتم السلام : حالة تبليغه عن الله تعالى . لايراجع فيما بلغ . وحالة كلامه من قبل نفسه . وفى هذه الحالة أعطى للصحابة حرية المراجعة للاستفسار والتشاور . عملا بقوله سبحانه وتعالى (فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر) .

(٢) إنما أنا بشر وإن الظن من البشر ، يخطىء ويصيب لا من النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان بشرا ، لعصمته بالوحى . وإنما أخرج الكلام بأسلوب التعميم ، إيناسا للمخاطبين . وتشجيعا لهم على مراجعته فيما ليس من قبيل الوحى . لأنه كان كثير المشاورة لأصحابه بعد نزول الآية السابقة . وكان كثير منهم يحجم عن إبداء رأيه هيبة لمنصب النبوة . فكان يشجعهم بمثل هذا الحديث . ولكن ماقلت : قال الله فلن أكذب على الله فلا تراجعونى فيه . وهذا الاستدراك يؤيد ماقررناه فى الجملة السابقة: إن خطأ الظن وصوابه منصرفان للبشر عامة دونه عليه الصلاة والسلام . وأن التعميم فى الأسلوب لتعضيض المراجعة . لأن مراجعته فيما بلغه عن الله شك فى صدقه . وهو لايكذب أبدا طول حياته ولو كان خطأ الظن فى الجملة السابقة منصرفا إليه فى عموم البشر ، لقال فى الاستدارك ولكن ماقلت قال الله . فلن أخطىء على الله . فلما عدل عن أخطىء إلى أكذب ، تبين أن المراد ما أوضحناه ، والحمد لله رب العالمين .

١١٣٢ — إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ أُعَلِّمُكُمْ ، فَإِذَا أَتَى أَحَدُكُمُ الْغَائِطَ ، فَلاَ يَسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ وَلاَ يَسْتَدْبِرْهَا ، وَلاَ يَسْتَطِبْ بِيَمِينِهِ (حم د ن ه حب) عن أبى هُرَيرة رضى الله عنه .

١١٣٣ — إِنَّمَا أَجْرُكِ فِى عُمْرَتِكِ[1] عَلَى قَدْرِ نَفَقَتِكِ (ك) عن عائشة رضى الله عنها .

١١٣٤ — إِنَّمَا أَجَلُكُمْ فِيمَا خَلاَ مِنَ الأُمَمِ كَمَا بَيْنَ صَلاَةِ الْعَصْرِ إِلَى مَغْرِبِ الشَّمْسِ ، وَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ أُجَرَاءَ فَقَالَ : مَنْ يَعْمَلُ مِنْ غُدْوَةٍ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ ؟ فَعَمِلَتِ الْيَهُودُ ، ثُمَّ قَالَ : مَنْ يَعْمَلُ مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلاَةِ الْعَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ ؟ فَعَمِلَتِ النَّصَارَى ، ثُمَّ قَالَ : مَنْ يَعْمَلُ مِنَ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ عَلَى قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ ؟ فَأَنْتُمْ هُمْ ، فَغَضِبَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَقَالُوا : مَالَنَا أَكْثَرُ عَمَلاً وَأَقَلُّ عَطَاءً ؟ قَالَ : هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ شَيْئًا ؟ قَالُوا : لاَ . قَالَ : فَذَلِكَ فَضْلِى أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ (مالك حم خ ت) عن ابن عُمر رضى الله عنهما .

١١٣٥ — إِنَّمَا أَخْشَى عَلَيْكُمْ شَهَوَاتِ الْغَيِّ[2] فِى بُطُونِكُمْ وَفُرُوجِكُمْ وَمُضِلاَّتِ الْهَوَى (حم البزار طب) عن أبى بَرْزة رضى الله عنه .

---

(١) إنما أجرك فى عمرتك على قدر نفقتك ، وفى رواية صحيحة : على قدر نصبك ـ أى تعبك ـ ونفقتك . قاله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لعائشة رضى الله تعالى عنها فى عمرتها التى اعتمرتها صحبة أخيها . ولم تعتمر على نفقتها امرأة أخرى .

(٢) إنما أخشى عليكم : ثلاثة أشياء ، شهوات الغى فى بطونكم . بالإخلاد إلى أطايب الطعام ، وتكثير أنواعه ، والتفنن فيها . وفروجكم هذه الثانية. وهى شهوة =

١١٣٦ — إِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الدِّينَارُ وَالدِّرْهَمُ وَهُمَا مُهِلِكَاكُمْ (البزار) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

١١٣٧ — إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفَ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ (حم ق ع) عن عائشة رضى الله عنها .

١١٣٨ — إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلَاقِ (ابن سعد خد ك هب) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١١٣٩ — إِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً وَلَمْ أُبْعَثْ عَذَابًا (تخ) عن أبى هُريرة رضى الله عنه .

١١٤٠ — إِنَّمَا جَزَاءُ السَّلَفِ الْحَمْدُ وَالْوَفَاءُ (حم ن ه) عن عبد الله بن أبى ربيعة .

١١٤١ — إِنَّمَا جُعِلَ الطَّوَافُ بِالْبَيْتِ وَبَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ وَرَمْيِ الْجِمَارِ لِإِقَامَةِ ذِكْرِ اللهِ (د ك) عن عائشة رضى الله عنها .

١١٤٢ — إِنَّمَا جُعِلَ الاسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ (حم ق ت ن) عن سهل بن سعد رضى الله عنه .

= الزنا واللواط ، وهى تنشأ عن الأولى غالبا .والثالثة مضلات الهوى : وهى أقبح من سابقتيها . والمراد بها الآراء الأبتداعية التى ضل بها أصحابها وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وفيها، مثل آراء الخوارج والمعتزلة والقدرية والقاديانية والبهائية والشيوعية وغير ذلك كثير جدا .

١١٤٣ — إِنَّمَا حَرُّ جَهَنَّمَ عَلَى أُمَّتِي كَحَرِّ الْحَمَّامِ (طس) عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

١١٤٤ — إِنَّمَا سُمِّيَ[1] الْبَيْتُ الْعَتِيقَ لأَنَّ اللهَ أَعْتَقَهُ مِنَ الْجَبَابِرَةِ فَلَمْ يَظْهَرْ عَلَيْهِ جَبَّارٌ قَطُّ (ت ك هب) عن ابن الزبير رضى الله عنه .

١١٤٥ — إِنَّمَا سُمِّيَ الْخَضِرُ خَضِراً لأَنَّهُ جَلَسَ عَلَى فَرْوَةٍ بَيْضَاءَ فَإِذَا هِيَ تَهْتَزُّ تَحْتَهُ خَضْرَاءَ (حم ق ت) عن أبى هريرة رضى الله عنه (طب) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

١١٤٦ — إِنَّمَا مَثَلُ الْعَبْدِ حِينَ يُصِيبُهُ الْوَعْكُ وَالْحُمَّى كَحَدِيدَةٍ تُدْخَلُ النَّارَ فَيَذْهَبُ خَبَثُهَا وَيَبْقَى طِيبُهَا (ك) عن عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنه .

١١٤٧ — إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الإِبِلِ الْمُعْقَلَةِ إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ (حم ق ن ه) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

١١٤٨ — إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَجَلِيسِ السُّوءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً طَيِّبَةً ، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ

---

(١) نائب الفاعل ضمير يعود على البيت مفهوم من قرينة الكلام ، ويجوز أن يكون البيت مرفوعا نائب فاعل ، وعلى الوجهين يتعين نصب العتيق ، لأنه محط الحصر .

رِيحاً خَبِيثَةً (ق) عن أبي موسى رضى الله عنه .

١١٤٩ — إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ أُمَّتِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَاراً فَجَعَلَتِ الدَّوَابُّ وَالفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا ، فَأَنَا آخُذُ بِحُجَزِكُمْ وَأَنْتُمْ تَقَحَّمُونَ فِيهَا (ق) عن أبي هُريرة رضى الله عنه .

١١٥٠ — إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِاخْتِلَافِهِمْ فِي الكِتَابِ (م) عن ابن عمرو .

١١٥١ — إِنَّمَا هُمَا قَبْضَتَانِ فَقَبْضَةٌ فِي النَّارِ وَقَبْضَةٌ فِي الجَنَّةِ (حم طب) عن معاذ رضى الله عنه .

١١٥٢ — إِنَّمَا هُمَا اثْنَتَانِ : الكَلَامُ ، وَالهَدْيُ ، فَأَحْسَنُ الكَلَامِ كَلَامُ اللهِ ، وَأَحْسَنُ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ . أَلَا وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ ، فَإِنَّ شَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ، أَلَا لَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمُ الأَمَدُ فَتَقْسُو قُلُوبُكُمْ ، أَلَا إِنَّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ ، وَإِنَّمَا البَعِيدُ مَا لَيْسَ بِآتٍ ، أَلَا إِنَّمَا الشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ، وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ ، أَلَا إِنَّ قِتَالَ المُؤْمِنِ كُفْرٌ وَسِبَابُهُ فُسُوقٌ ، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ ، أَلَا وَإِيَّاكُمْ وَالكَذِبَ فَإِنَّ الكَذِبَ لَا يَصْلُحُ بِالجِدِّ وَلَا بِالهَزْلِ ، وَلَا يَعِدُ الرَّجُلُ صَبِيَّهُ ثُمَّ لَا يَفِي بِهِ ، وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ ، وَإِنَّهُ يُقَالُ لِلصَّادِقِ : صَدَقَ وَبَرَّ ، وَيُقَالُ لِلكَاذِبِ : كَذَبَ وَفَجَرَ ، أَلَا وَإِنَّ العَبْدَ يَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّاباً (ه) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

١١٥٣ — إِنَّمَا يُبْعَثُ النَّاسُ عَلَى نِيَّاتِهِمْ (ه) عن أبى هريرة وعن جابر رضى الله عنهما .

١١٥٤ — إِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ (ق) عن أسامة بن زيد (طب) عن جرير .

١١٥٥ — إِنَّمَا يُغْسَلُ مِنْ بَوْلِ الأُنْثَى وَيُنْضَحُ مِنْ بَوْلِ الذَّكَرِ (حم د ه ك) عن أم الفضل .

١١٥٦ — إِنَّمَا يَكْفِي أَحَدَكُمْ مَا كَانَ فِي الدُّنْيَا مِثْلَ زَادِ الرَّاكِبِ (طب هب) عن خَبَّاب رضى الله عنه .

١١٥٧ — إِنَّمَا يَلْبَسُ الْحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا مَنْ لاَخَلاَقَ لَهُ فِي الآخِرَةِ (حم ق د ن ه) عن عمر رضى الله عنه .

١١٥٨ — إِنَّمَا يَنْصُرُ اللهُ هَـذِهِ الأُمَّةَ بِضُعَفَائِهَا بِدُعَائِهِمْ وَصَلاَتِهِمْ وَإِخْلاَصِهِمْ (ن) عن سعد . ورواه (خ) دون ذكر الإخلاص .

١١٥٩ — إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي وإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ (حم م د ن) عن الأغرِّ المُزْنى .

١١٦٠ — إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلاَ يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ (ق) عن أبى هُريرة رضى الله عنه .

١١٦١ — إِنَّهُ مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ (ت) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١١٦٢ — إِنَّهُ مَنْ تَكُنِ الدُّنْيَا نِيَّتَهُ يَجْعَلِ اللهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَيُشَتِّتْ

عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ وَلاَ يُؤْتِيهِ مِنْهَا الاَّ مَا كُتِبَ لَهُ . وَمَنْ تَكُنِ الآخِرَةُ نِيَّتَهُ يَجْعَلِ اللهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَيَكْفِهِ ضَيْعَتَهُ وَتَأْتِهِ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ (طب) عن زيد بن ثابت .

١١٦٣ — انَّهَا بَرَكَةٌ أَعْطَاكُمُ اللهُ اِيَّاهَا فَلاَ تَدَعُوهُ - يَعْنِي السُّحُورَ - (ن) عن عبد الله بن الحارث عن رجل من الصحابة.

١١٦٤ — انِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلاَنِ مِنْكُمْ (حم م) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

١١٦٥ — انِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّاناً وَانَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً (خد م) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١١٦٦ — إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لاَ يَقُولُهَا عَبْدٌ حَقًّا مِنْ قَلْبِهِ فَيَمُوتُ عَلَى ذَلِكَ إِلاَّ حُرِّمَ عَلَى النَّارِ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ (ك) عن عَمْرو رضى الله عنه .

١١٦٧ — إِنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ ذَا أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ [1] (ق) عن سُليمان بن صُرَد .

١١٦٨ — إِنِّي لأُعْطِي رِجَالاً وَأَدَعُ مَنْ هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُمْ لاَ أُعْطِيهِ شَيْئاً مَخَافَةَ أَنْ يُكَبُّوا فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ (حم ن) عن أبى سعد رضى الله عنه .

١١٦٩ — إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ خَلِيفَتَيْنِ كِتَابُ اللهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ، وَعِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي وَإِنَّهُمَا لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ (حم طب) عن زيد بن ثابت .

---

(١) قاله عن رجل غضب فى خصومة واشتد غضبه .

١١٧٠ — إِنِّى نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا فَإِنَّ فِيهَا عِبْرَةً (حم) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

١١٧١ — إِنِّى نُهِيتُ عَنْ قَتْلِ الْمُصَلِّينَ[1] (د ه) عن أبى هُرَيرةِ رضى الله عنه .

١١٧٢ — إِنِّى نُهِيتُ عَنْ زَبَدِ[2] الْمُشْرِكِينَ (د ت) عن عياض ابن حِمَارٍ رضى الله عنه .

١١٧٣ — إِنِّى وَإِنْ دَاعَبْتُكُمْ فَلاَ أَقُولُ إِلاَّ حَقًّا (حم ت) عن أبى هريرةِ رضى الله عنه .

١١٧٤ — إِنِّى لاَ أَقْبَلُ هَدِيَّةَ مُشْرِكٍ (طب) عن كعب بن مالك رضى الله عنه .

١١٧٥ — إِنِّى لاَ أُصَافِحُ النِّسَاءَ (ت ن ه) عن أُمَيْمَةَ بنت رقيقة رضى الله عنها .

١١٧٦ — إِنِّى لَمْ أُومَرْ أَنْ أُنَقِّبَ على قُلُوبِ النَّاسِ وَلاَ أَشُقَّ بُطُونَهُمْ (حم خ) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

١١٧٧ — إِنِّى حَرَّمْتُ مَا بَيْنَ لاَبَتَيِ الْمَدِينَةِ كَمَا حَرَّمَ إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ (م) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

١١٧٨ — إِنِّى لأَدْخُلُ فِى الصَّلاَةِ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُطِيلَهَا فَأَسْمَعُ بُكَاءَ

---

(١) قاله حين سألوه أن يقتل مخنثا .
(٢) هدية المشركين .

الصَّبِيِّ فَأَتَجَوَّزُ فِى صَلَاتِى مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ بِبُكَائِهِ (حم ق ٥) عن أنس رضى الله عنه.

١١٧٩ — إِنِّى لأَرْجُو إِنْ طَالَ بِى عُمُرٌ أَنْ أَلْقَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنْ عَجَّلَ بِى مَوْتٌ فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ فَلْيُقْرِئْهُ مِنِّى السَّلَامَ (حم) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١١٨٠ — إِنِّى لاَ أَشْهَدُ على جَوْرٍ[1] (ق ك) عن النُّعمان بن بَشير رضى الله عنه .

١١٨١ — إِنِّى لأَعْرِفُ حَجَراً بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ علىَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ (حم م ت) عن جابر بن سَمُرةَ .

١١٨٢ — إِنِّى أُحَدِّثُكُمُ الْحَدِيثَ فَلْيُحَدِّثِ الْحَاضِرُ مِنْكُمُ الْغَائِبَ (طب) عن عِبَادةَ بن الصامت .

١١٨٣ — إِنِّى لاَ أَحْبِسُ بِالْعَهْدِ وَلاَ أَحْبِسُ الْبُرُدَ (حم د ن حب ك) عن أبى رافع رضى الله عنه .

١١٨٤ — إِنِّى أُحَرِّجُ عَلَيْكُمْ حَقَّ الضَّعِيفَيْنِ الْيَتِيمِ وَالْمَرْأَةِ (ك هب) عن أبى هُريرة رضى الله عنه .

١١٨٥ — إِنْ أَرَدْتِ اللُّحُوقَ بِى فَلْيَكْفِكِ مِنَ الدُّنْيَا كَزَادِ الرَّاكِبِ وَإِيَّاكِ وَمُجَالَسَةَ الأَغْنِيَاءِ وَلاَ تَسْتَخْلِقِى ثَوْباً حَتَّى تُرَقِّعِيهِ (ت ك) عن عائشة رضى الله عنها .

---

(١) قاله حين سأله بشير أن يشهد على عطاء خص به ابنه النعمان دون إخوته .

١١٨٦ — إِنْ بَيَّتَكُمُ العَدُوُّ فَلْيَكُنْ شِعَارُكُمْ : حَمِ لاَ يُنْصَرُونَ (ن ك) عن البراء رضى الله عنه .

١١٨٧ — إِنْ تَصْدُقِ اللهَ يَصْدُقْكَ[1] (ن ك) عن شَدَّاد بن الهاد .

١١٨٨ — إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وَأَىُّ عَبْدٍ لَكَ لاَ أَلَمَّا ؟ (ت ك) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

١١٨٩ — إِنْ رَحِمْتَهَا[2] رَحِمَكَ اللهُ (ك) عن مُعاوية بن قُرَّةَ عن أبيه رضى الله عنه .

١١٩٠ — إِنْ شِئْتُمْ أَنْبَأْتُكُمْ مَا أَوَّلُ مَا يَقُولُ اللهُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ القِيَامَةِ ؟ وَمَا أَوَّلُ مَا يَقُولُونَ لَهُ ؟ فإِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ : هَلْ أَحْبَبْتُمْ لِقَائِى ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ يَا رَبَّنَا ، فَيَقُولُ : لِمَ ؟ فَيَقُولُونَ : رَجَوْنَا عَفْوَكَ وَمَغْفِرَتَكَ ، فَيَقُولُ: قَدْ أَوْجَبْتُ لَكُمْ عَفْوِى وَمَغْفِرَتِى[3] (حم طب) عن مُعاذ بن جبل رضى الله عنه .

١١٩١ — إِنْ شِئْتُمْ أَنْبَأْتُكُمْ عَنِ الإِمَارَةِ وَمَا هِىَ ؟ أَوَّلُهَا مَلاَمَةٌ ، وَثَانِيهَا نَدَامَةٌ ، وَثَالِثُهَا عَذَابٌ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلاَّ مَنْ عَدَلَ وَكَيْفَ يَعْدِلُ مَعَ قَرِيبِهِ ؟ (البزار طب) عن عوف بن مالك .

١١٩٢ — إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وُلْدِهِ صِغَاراً فَهُوَ فِى سَبِيلِ اللهِ ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِى سَبِيلِ اللهِ ،

---

(١) قاله لرجل طلب الاستشهاد فى الجهاد . واللفظ عام فى كل عمل .

(٢) قاله لرجل قال له إنى أرحم الشاة أن أذبحها . وفيه حض على الرحمة بالحيوان .

(٣) يفيد أن أهل الجنة إنما دخلوها بعفو الله .

وَإِنْ كَانَ خَرَجَ عَلَى نَفْسِهِ يَعُفُّهَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى رِيَاءً وَمُفَاخَرَةً فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ (طب) عن كعب بن عجرة رضى الله عنه .

١١٩٣ — إِنْ كَانَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَدْوِيَتِكُمْ خَيْرٌ فَفِي شَرْطَةِ مِحْجَمٍ أَوْ شَرْبَةٍ مِنْ عَسَلٍ أَوْ لَذْعَةٍ بِنَارٍ تُوَافِقُ دَاءً ، وَمَا أُحِبُّ أَنْ أَكْتَوِيَ (حم ق ن) عن جابر رضى الله عنه .

١١٩٤ — إِنْ كَانَ الشُّؤْمُ فِي شَيْءٍ فَفِي الدَّارِ وَالْمَرْأَةِ وَالْفَرَسِ (مالك حم خ ٥) عن سهل بن سعد (ق) عن ابن عمر (م ن) عن جابر رضى الله عنهم .

١١٩٥ — إِنْ كُنْتَ عَبْدَ اللهِ فَارْفَعْ إِزَارَكَ (طب هب) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

١١٩٦ — إِنْ كُنْتَ صَائِمًا فَعَلَيْكَ بِالْغُرِّ الْبِيضِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ وَخَمْسَ عَشْرَةَ (ن) عن أبي ذر رضى الله عنه .

١١٩٧ — إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ حِلْيَةَ الْجَنَّةِ وَحَرِيرَهَا فَلَا تَلْبَسُوهُمَا [1] فِي الدُّنْيَا (حم ن ك) عن عقبة بن عامر .

١١٩٨ — أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ (حم ق ن) عن البراء .

١١٩٩ — أَنَا أَبُو الْقَاسِمِ ، اللهُ يُعْطِي وَأَنَا أَقْسِمُ (ك) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

---

(١) يعنى الحرير والذهب .

١٢٠٠ — أَنَا أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَبَعاً يَوْمَ القِيَامَةِ ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الجَنَّةِ (م) عن أنس رضى الله عنه .

١٢٠١ — أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجاً إِذَا بُعِثُوا ، وَأَنَا خَطِيبُهُمْ إِذَا وَفَدُوا ، وَأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا أَيِسُوا ، لِوَاءُ الحَمْدِ يَوْمَئِذٍ بِيَدِى ، وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّى وَلاَ فَخْرَ (ت) عن أنس رضى الله عنه .

١٢٠٢ — أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ فَأُكْسَى حُلَّةً مِنْ حُلَلِ الجَنَّةِ ثُمَّ أَقُومُ عَنْ يَمِينِ العَرْشِ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الخَلاَئِقِ يَقُومُ ذٰلِكَ المَقَامَ غَيْرِى[1] (ت) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٢٠٣ — أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَفْتَحُ بَابَ الجَنَّةِ ، إِلاَّ أَنِّى أَرَى امْرَأَةً تُبَادِرُنِى فَأَقُولُ لَهَا : مَالَكِ ؟ وَمَنْ أَنْتِ ؟ فَتَقُولُ : أَنَا امْرَأَةٌ قَعَدْتُ عَلَى أَيْتَامٍ لِى (ع) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٢٠٤ — أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَأَشْفَعُ ، وَسَيُدْرِكُ رِجَالٌ مِنْ أُمَّتِى عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ وَيَشْهَدُونَ قِتَالَ الدَّجَّالِ (طب ع ك) عن أنس رضى الله عنه .

١٢٠٥ — أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِى وَسَطِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحاً (هب) عن أبى أمامة .

١٢٠٦ — أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِى رَبَضِ الجَنَّةِ[2] لِمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا ، وَبِبَيْتٍ فِى وَسَطِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحاً ، وَبِبَيْتٍ فِى أَعْلَى الجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ (د ه) عن أبى أمامة .

---

(١) يفيد أفضليته على الملائكة ، وهو أجماع . (٢) ماحول بابها من الداخل .

١٢٠٧ — أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ وَهُوَ مُحِقٌّ ، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الكَذِبَ وَهُوَ مَازِحٌ ، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الجَنَّةِ لِمَنْ حَسُنَتْ سَرِيرَتُهُ (طس) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

١٢٠٨ — أَنَا زَعِيمٌ - وَالزَّعِيمُ الحَمِيلُ - لِمَنْ آمَنَ بِي وَأَسْلَمَ وَهَاجَرَ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الجَنَّةِ ، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الجَنَّةِ ، وَأَنَا زَعِيمٌ لِمَنْ آمَنَ بِي وَأَسْلَمَ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الجَنَّةِ وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الجَنَّةِ ، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى غُرَفِ الجَنَّةِ ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ يَدَعْ لِلْخَيْرِ مَطْلَباً وَلاَ مِنَ الشَّرِّ مَهْرَباً يَمُوتُ حَيْثُ شَاءَ أَنْ يَمُوتَ (ن حب) عن فضالة بن عبيد .

١٢٠٩ — أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ القَبْرُ ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ (م د) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٢١٠ — أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلاَ فَخْرَ ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الحَمْدِ وَلاَ فَخْرَ ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ آدَمُ فَمَنْ سِوَاهُ إِلاَّ تَحْتَ لِوَائِي ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ وَلاَ فَخْرَ (حم ت ه) عن أبى سعيد .

١٢١١ — أَنَا قَائِدُ المُرْسَلِينَ وَلاَ فَخْرَ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَلاَ فَخْرَ وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ وَلاَ فَخْرَ (الدارمى) عن جابر .

١٢١٢ — أَنَا فِئَتُكُمْ وَأَنَا فِئَةُ المُسْلِمِينَ [1] (د) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

---

(١) خرج ابن عمر فى سرية لجهاد بعض المشركين . فى مكان قريب من المدينة . فحصل أضطراب فى صفوف المسلمين . وفر بعضهم ومنهم ابن عمر . فرجعوا إلى المدينة ثم أدركوا أنهم فروا من الزحف وهو كبيرة . فقالوا نعرض أنفسنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فإن كانت لنا توبة ، وإلا ذهبنا . فصلوا معه الصبح . فقال « من القوم » ؟ قال ابن عمر : نحن الفرارون . قال « بل أنتم العكارون أنا فئتكم وأنا فئة المسلمين » قال ابن عمر فقبلنا يده العكارون أى الراجعون إلى الجهاد مرة بعد أخرى.

١٢١٣ — أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ (م ق) عن جندب (خ) عن ابن مسعود (م) عن جابر بن سَمُرَةَ .

١٢١٤ — أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ وَالْمُقَفَّى وَالْحَاشِرُ وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ (حم م) عن أبي موسى ، زاد (طب) وَنَبِيُّ الْمَلْحَمَةِ .

١٢١٥ — أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا ، فَمَنْ أَتَى الْعِلْمَ فَلْيَأْتِ الْبَابَ (أبو الشيخ فى السنة طب ك) عن ابن عباس (عد ك) عن جابر رضى الله عنهم .

١٢١٦ — أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ ، وَالْأَنْبِيَاءُ أَوْلَادُ عَلَّاتٍ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ (حم ق د) عن أبي هُريرة رضى الله عنه .

١٢١٧ — أَنَا أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، فَمَنْ تُوُفِّيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَتَرَكَ دَيْنًا فَعَلَيَّ قَضَاؤُهُ[1] ، وَمَنْ تَرَكَ مَالًا فَهُوَ لِوَرَثَتِهِ (حم ق ن ت ه) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

١٢١٨ — أَنَا بَرِيءٌ مِمَّنْ حَلَقَ وَسَلَقَ وَخَرَقَ[2] (م ن ه) عن أبي موسى رضى الله عنه .

=أنا فئتكم وأنا فئة المسلمين. معناه :أن من رجع من القتال إلى النبي صلى الله عليه وسلم لايكون فارا من الزحف بل يكون متحيزا إلى فئة فلا إثم عليه كما جاء فى القرآن الكريم وهذا الحكم باعتباره خليفة . ولذا كان عمر رضى الله عنه يقول : أنا فئة المسلمين .لأن الخليفة هو الذى يمد الجيوش بالرجال والسلاح والمؤنة وغير ذلك .

(١) يفيد أن الإمام يتحمل ديون موتى فقراء المسلمين .

(٢) أنا برىء ممن حلق رأسه عند المصيبة . وكانت نساء العرب يحلقن رؤسهن عند موت عزيز لهن. إظهاراً للحزن وسلق بالسين والصاد هو رفع الصوت بالبكاء=

١٢١٩ — أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا[1] (حم خ د ت) عن سهل بن سعد .

١٢٢٠ — أَنْتَ أَحَقُّ بِصَدْرِ دَابَّتِكَ مِنِّي إِلاَّ أَنْ تَجْعَلَهُ لِي (حم د ت) عن بُرَيدة رضى الله عنه .

١٢٢١ — أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ (ق) عن أنس رضى الله عنه .

١٢٢٢ — أَنْتَ يَا أَبَا ذَرٍّ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ (د) عن أبى ذر رضى الله عنه .

١٢٢٣ — أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ إِنَّ أَوْلَادَكُمْ مِنْ أَطْيَبِ كَسْبِكُمْ ، فَكُلُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ (حب) عن عائشة (حم والطحاوى) عن عمرو بن شُعَيب عن أبيه عن جده رضى الله عنهم .

١٢٢٤ — أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأُمُورِ دُنْيَاكُمْ[2] (م) عن أنس وعائشة رضى الله عنهما .

على الميت وندبه . وخرق أى شق ثيابه عند الموت أيضا ـ وهذه الأعمال ومثلها ـ مع كونها من بقايا الجاهلية ـ تدل على تسخط قضاء الله تعالى ومعارضة حكمه . ومثلها صبغ الوجه بالزرقة (النيلة) ولبس السواد وغير ذلك مما هو شائع بين الناس . جنبنا الله ما يكره ووفقنا لما يحب وبصرنا جل شأنه لحكمته حتى نرضى بقضائه إنه سميع قريب مجيب .

(١) وأشار بالوسطى والسبابة .

(٢) أنتم أعلم بامور دنياكم . قال هذا الحديث بمناسبة تلقيح النخل . والخطاب فيه للانصار . وكان ذلك فى أوائل ما قدم صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ولا شك أنه ترقى بعد ذلك درجات كبيرة . فلم ينتقل صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى حتى أفاض الله عليه من العلوم والمعارف مالا يخطر على بال. أرجع إلى ما كتبناه على الحديث رقم ١٦٩٥ بعد ذلك تقر عينك ويطمئن قلبك هدانا الله وإياك للصراط المستقيم .

١٢٢٥ — أَنْتُمُ الْغُرُّ الْمُحَجَّلُونَ مِنْ إِسْبَاغِ الْوُضُوءِ ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ فَلْيُطِلْ غُرَّتَهُ وَتَحْجِيلَهُ (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٢٢٦ — أَنْتُمُ الْقَوْمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا[1] ؟ أَمَا وَاللهِ إِنِّى لَأَخْشَاكُمْ لِلهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ ، لَكِنِّى أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّى وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِى فَلَيْسَ مِنِّى (ق) عن أنس رضى الله عنه .

١٢٢٧ — أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ (حم ت) عن أُبَىٍّ (حم) عن حُذيفة رضى الله عنهما .

١٢٢٨ — أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ[2] لِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهَا ظَهْرٌ وَبَاطِنٌ ، وَلِكُلِّ حَرْفٍ حَدٌّ ، وَلِكُلِّ حَدٍّ مَطْلَعٌ (طب)

---

(١) قاله لعبد الله بن عمرو ، وجماعة تعاهدوا أن يقوموا الليل ويصوموا النهار وألا يقربوا النساء ولا يأكلوا اللحم .

(٢) أنزل القرآن على سبعة أحرف : اختلف فى معنى سبعة أحرف على أقوال كثيرة ، بلغت أربعين قولا . كثير منها متداخل . وأقربها أن المراد سبعة أوجه من المعانى المتفقة بألفاظ مختلفة نحو لنبوئنهم ، لنثوينهم ، يقص الحق . يقض الحق . ونحو ذلك مما لا يزيد الخلاف فيه على سبعة أوجه ، لكل حرف منها ، أى لكل آية فيها حرف . بدليل رواية أخرى : لكل آية ظهر وبطن . اختلف فيها على أقوال أقربها ما حكاه ابن النقيب فى تفسيره : إن ظهرها ما ظهر من معانيها لأهل العلم بالظاهر ، وبطنها ما تضمنته من الأسرار التى أطلع الله عليها أرباب الحقائق . قال تاج الدين ابن عطاء الله فى لطائف المنن : اعلم أن تفسير هذه الطائفة لكلام الله وكلام رسوله بالمعانى الغريبة ، ليس احالة للظاهر عن ظاهره ، ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جلبت الآية له ، ودلت عليه فى عرف اللسان ، وثم أفهام باطنة تفهم عند الآية والحديث لمن فتح الله قلبه ، فلا يصدنك عن تلقى هذه المعانى منهم أن يقول لك ذوجدل

١٢٢٩ — أُنْزِلَ الْقُرْآنُ مِنْ سَبْعَةِ أَبْوَابٍ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ كُلُّهَا شَافٍ كَافٍ (طب) عن معاذ رضى الله عنهُ .

١٢٣٠ — أُنْزِلَ عَلَيَّ آيَاتٌ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ ، قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (م ت ن) عن عُقْبَة بن عامر .

١٩٣١ — أُنْزِلَ عَلَيَّ عَشْرُ آيَاتٍ مَنْ أَقَامَهُنَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ) الآيَاتِ (ت) عن عمر رضى الله عنه .

١٢٣٢ — أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ (م د) عن عائشة رضى الله عنها .

١٢٣٣ — انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِماً أَوْ مَظْلُوماً ، قِيلَ : كَيْفَ أَنْصُرُهُ ظَالِماً ؟ قَالَ : تَحْجِزُهُ عَنِ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ (حم خ ت) عن أنس .

١٢٣٤ — انْطَلِقُوا بِنَا إِلَى بَنِي وَاقِفٍ نَزُورُ الْبَصِيرَ ، رَجُلٌ كَانَ مَكْفُوفَ الْبَصَرِ (البزار) عن جُبَير بن مُطعِم .

١٢٣٥ — انْظُرْ فَإِنَّكَ لَسْتَ بِخَيْرٍ مِنْ أَحْمَرَ وَلاَ أَسْوَدَ إِلاَّ أَنْ تَفْضُلَهُ بِتَقْوَى (حم) عن أبى ذر رضى الله عنه .

١٢٣٦ — انْظُرْ إِلَيْهَا فَأَنَّهُ أَحْرَى أَنْ يُؤْدَمَ بَيْنَكُمَا (حم ش ت ن ه البزار حب ك) عن المُغيرة .

= ومعارضة : هذا إحالة لكلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم. فليس ذلك إحالة ، وإنما يكون أحالة لو قالوا : لا معنى الآية إلا هذا . وهم لم يقولوا ذلك ، بل يقرون الظواهر على ظواهرها مرادا بها موضوعاتها . (أدبا مع مراد الله فى خلقه) ويفهمون عن الله تعالى ما أفهمهم (من فضله) ولكل حرف حد ، أى منتهى فيما أراد الله من معناه . ولكل حد مطلع أى لكل غامض من المعانى والأحكام مطلع يتوصل به إلى معرفته ، ويوقف على المراد منه ، الخ .

١٢٣٧ — انْظُروا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلُ مِنْكُمْ وَلاَ تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لاَ تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ (حم ق ت ه) عن أبي هُريرةٍ رضى الله عنه .

١٢٣٨ — انْظُرْنَ مَنْ إِخْوَانُكُنَّ ؟ فَإِنَّ الرَّضَاعَةَ[1] مِنَ المَجَاعَةِ (م ق د ن ه) عن عائشة رضى الله عنها .

١٢٣٩ — أَنْفِقْ يَا بِلاَلُ وَلاَ تَخْشَ مِنْ ذِى العَرْشِ إِقْلاَلاً (البزار طب) عن بلال (ع البزار طب) عن أبي هُريرةٍ رضى الله عنه (البزار طب) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

١٢٤٠ — أَنْفِقِي وَلاَ تُحْصِى فَيُحْصِىَ اللهُ عَلَيْكِ وَلاَ تُوعِى فَيُوعِىَ اللهُ عَلَيْكِ (حم ق) عن أسماء بنت أبي بكر .

١٢٤١ — أَنْهَارُ الجَنَّةِ تَخْرُجُ مِنْ تَحْتِ تِلاَلِ المِسْكِ (حب) عن أبي هريرةٍ رضى الله عنه .

١٢٤٢ — أَنْهَى عَنْ كُلِّ مُسْكِرٍ أَسْكَرَ عَنِ الصَّلاَةِ (م) عن أبي موسى رضى الله عنه .

١٢٤٣ — أَنْهَاكُمْ عَنْ صِيَامِ يَوْمَيْنِ الفِطْرِ وَالأَضْحَى (ع) عن أبي سعيد رضى الله عنه .

---

(١) أنظرن من أخوانكن الذين يحل لكن لقاؤهم ، وهذا خطاب لأمهات المؤمنين فإن الرضاعة التى تحصل بها الأخوة تكون من المجاعة أى جوع الطفل الرضيع بأن يرضع داخل سنتين من ولادته فتشبعه الرضاعة وتغذيه . أما لو رضع بعد فطامه وأكله الطعام فإن رضاعه لا يكون من جوع فلا تحصل به أخوة بينه وبين أولاد من رضع من لبنها .

١٢٤٤ — أَنْهَاكُمْ عَنْ قَلِيلِ مَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ[١] (ن) عن سعد رضى الله عنه .

١٢٤٥ — أَنْهِرِ الدَّمَ بِمَا شِئْتَ[٢] وَاذْكُرِ اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ (ن) عن عَدِىّ بن حاتم رضى الله عنه .

١٢٤٦ — أَنْهِكُوا الشَّوَارِبَ وَأَعْفُوا اللِّحَى (خ) عن ابن عُمر رضى الله عنهما .

١٢٤٧ — اهْتَزَّ عَرْشُ الرَّحْمَانِ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ (حم م) عن أنس (حم ق ت ه) عن جابر رضى الله عنهما .

١٢٤٨ — اهْجُ الْمُشْرِكِينَ فَإِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ مَعَكَ[٣] (ن) عن البراء رضى الله عنه .

١٢٤٩ — اهْجُوا قُرَيْشًا فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهَا مِنْ رَشْقِ النَّبْلِ (م) عن عائشة رضى الله عنها .

١٢٥٠ — اهْجُرِى الْمَعَاصِى فَإِنَّهَا أَفْضَلُ الْهِجْرَةِ وَحَافِظِى عَلَى الْفَرَائِضِ فَإِنَّهَا أَفْضَلُ الْجِهَادِ وَأَكْثِرِى مِنْ ذِكْرِ اللهِ فَإِنَّكِ لاَ تَأْتِينَ اللهَ بِشَىْءٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ كَثْرَةِ ذِكْرِهِ (طب) عن أم أنس .

---

(١) أنهاكم عن قليل ماأسكر كثيره، يفيد أن قليل مافتر كثيره لاينهى عنه . وهذا يسمى مفهوم المخالفة . لأن التنصيص على قليل ماأسكر كثيره. أفهم أن قليل مافتر كثيره يخالفه فى الحكم . ويسمى دليل الخطاب ، لأن لفظ الحديث دل عليه بواسطة الإفهام المذكور . والله أعلم .

(٢) عام ، خص فى حديث آخر بالسن والظفر ، فلا يجوز الذبح بهما .

(٣) قاله لحسان بن ثابت .

١٢٥١ — أَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُوَفَّقٌ وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ (م) عن عِيَاض بن حِمَارٍ رضى الله عنه .

١٢٥٢ — أَهْلُ الْجَنَّةِ جُرْدٌ مُرْدٌ كُحْلٌ لَا يَفْنَى شَبَابُهُمْ وَلَا تَبْلَى ثِيَابُهُمْ (ت) عن أبى هُرَيرةٍ رضى الله عنه .

١٢٥٣ — أَهْلُ الْجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِائَةُ صَفٍّ ثَمَانُونَ مِنْهَا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَأَرْبَعُونَ مِنْ سَائِرِ الْأُمَمِ (حم ت ه حب ك) عن بُرَيدة (طب) عن ابن عباس وعن ابن مسعود وعن أبى موسى رضى الله عنهم .

١٢٥٤ — أَهْلُ الْجَوْرِ وَأَعْوَانُهُمْ فِى النَّارِ (ك) عن حُذَيفةَ رضى الله عنه .

١٢٥٥ — أَهْلُ النَّارِ كُلُّ جَعْظَرِيٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ وَأَهْلُ الْجَنَّةِ الضُّعَفَاءُ الْمَغْلُوبُونَ (ابن قانع طب ك) عن سُراقةَ بن مالك (حم ك) عن ابن عمرو بزيادة : جَمَّاعٍ مَنَّاعٍ .

١٢٥٦ — أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ وَهُوَ مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ مِنْ نَارٍ يَغْلِى مِنْهُمَا دِمَاغُهُ (حم م) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

١٢٥٧ — أَوْتِرُوا قَبْلَ أَنْ تُصْبِحُوا (حم م ت ه) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

١٢٥٨ — أَوْجَبَ إِنْ خَتَمَ بِآمِينَ (د) عن أبى زُهير النميرى .

١٢٥٩ — أَوْجَبَ هٰذَا[1] (حم) عن عتبةَ بن عبد السُّلمى .

---

(١) قاله فى حق رجل رمى سهما فى سبيل الله ، وذلك فى بعض الغزوات .

١٢٦٠ — أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ فِي سِرِّ أَمْرِكَ وَعلاَنِيَتِهِ وَإِذَا أَسَأْتَ فَأَحْسِنْ وَلاَ تَسْأَلَنَّ أَحَداً شَيْئاً وَلاَ تَقْبِضْ أَمَانَةً وَلاَ تَقْضِ بَيْنَ اثْنَيْنِ (حم) عن أبي ذر رضى الله عنه .

١٢٦١ — أُوصِيكُمْ بِأَصْحَابِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ يَفْشُو الكَذِبُ حَتَّى يَحْلِفَ الرَّجُلُ وَلاَ يُسْتَحْلَفَ وَيَشْهَدَ الشَّاهِدُ وَلاَ يُسْتَشْهَدَ ، أَلاَ لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلاَّ كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانَ، عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الإِثْنَيْنِ أَبْعَدُ ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الْجَمَاعَةَ ، مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَذَلِكُمُ الْمُؤْمِنُ (حم ت ك) عن عُمر رضى الله عنه .

١٢٦٢ — أَوْفُوا بِحِلْفِ الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّ الإِسْلاَمَ لَمْ يَزِدْهُ إِلاَّ شِدَّةً وَلاَ تُحْدِثُوا حِلْفاً فِي الإِسْلاَمِ (حم ت) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

١٢٦٣ — أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ (مالك حم ق ع) عن أنس (خ) عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه .

١٢٦٤ — أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَرْكَبُونَ الْبَحْرَ قَدْ أَوْجَبُوا . وَأَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ مَدِينَةَ قَيْصَرَ مَغْفُورٌ لَهُمْ (خ) عن أم حرام بنت مَلْحان .

١٢٦٥ — أَوَّلُ خَصْمَيْنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَارَانِ (حم طب) عن عُقبة ابن عامر .

١٢٦٦ — أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ وَالثَّانِيَةَ عَلَى لَوْنِ أَحْسَنِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ

عَلَى كُلِّ زَوْجَةٍ سَبْعُونَ حُلَّةً يَبْدُو مُخُّ سَاقِهَا مِنْ وَرَائِهَا (حم ت) عن أبي سعيد رضي الله عنه .

١٢٦٧ — أَوَّلَ زُمْرَةٍ تَلِجُ الْجَنَّةَ صُوَرُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لاَ يَبْصُقُونَ فِيهَا. وَلاَ يَمْتَخِطُونَ وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ آنِيَتُهُمُ الذَّهَبُ . أَمْشَاطُهُمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَمَجَامِرُهُمُ الأُلُوَّةُ . وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ . لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ يُرَى مُخُّ سُوقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الْحُسْنِ . لاَ اخْتِلاَفَ بَيْنَهُمْ وَلاَ تَبَاغُضَ . قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ . يُسَبِّحُونَ اللهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا (ق ت ه) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

١٢٦٨ — أَوَّلُ شَيْءٍ يُرْفَعُ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ الْخُشُوعُ حَتَّى لاَ تَرَى فِيهَا خَاشِعاً (طب) عن أبي الدرداء رضي الله عنه .

١٢٦٩ — أَوَّلَ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الأَمَانَةُ (طب) عن شدَّاد ابن أوس رضي الله عنه .

١٢٧٠ — أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يُقَالَ لَهُ : أَلَمْ أُصِحَّ لَكَ جِسْمَكَ ؟ وَأُرْوِكَ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ ؟ (حب ك) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

١٢٧١ — أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ (حم ق ن ه) عن ابن مسعود رضي الله عنه .

١٢٧٢ — أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ الصَّلاَةُ . وَأَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ فِي الدِّمَاءِ (ن) عن ابن مسعود رضي الله عنه .

١٢٧٣ — أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَلاَتُهُ فَإِنْ كَانَ

أَتَمَّهَا كُتِبَتْ لَهُ تَامَّةً . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَتَمَّهَا قَالَ اللهُ لِمَلَائِكَتِهِ : انْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَتُكَمِّلُونَ بِهِ فَرِيضَتَهُ ثُمَّ الزَّكَاةُ كَذَلِكَ ثُمَّ تُؤْخَذُ الأَعْمَالُ عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ (حم د ه ك) عن تميم الدارى .

١٢٧٤ — أَوَّلُ مَنْ يُدْعَى إِلَى الْجَنَّةِ الْحَمَّادُونَ الَّذِينَ يَحْمَدُونَ اللهَ عَلَى السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ (البزار طب ك هب) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

١٢٧٥ — أَوَّلَ مَا يُهْرَاقُ مِنْ دَمِ الشَّهِيدِ يُغْفَرُ لَهُ ذَنْبُهُ كُلُّهُ إِلاَّ الدَّيْنَ (طب ك) عن سهل بن حُنَيف .

١٢٧٦ — أَوْلَى النَّاسِ بِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلاَةً (تح ت ش حب) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

١٢٧٧ — أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ بِهِ ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ ، قَالُوا : أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَلَهُ فِيهَا أَجْرٌ ؟ قَالَ : أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ كَانَ عَلَيْهِ وِزْرٌ ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلاَلِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ[1] (م ه) عن أبى ذر رضى الله عنه .

١٢٧٨ — أَوْلاَدُ الْمُؤْمِنِينَ فِي جَبَلٍ فِي الْجَنَّةِ يَكْفُلُهُمْ إِبْرَاهِيمُ وَسَارَةُ حَتَّى يَرُدَّهُمْ إِلَى آبَائِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (حب ك) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

---

(١) هذا أصل فى قياس العكس المعروف فى علم الأصول .

١٢٧٩ — أَلاَ أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثاً عَنِ الدَّجَّالِ مَا حَدَّثَ بِهِ نَبِيٌّ قَوْمَهُ إِنَّهُ أَعْوَرُ وَإِنَّهُ يَجِيءُ مَعَهُ بِمِثَالُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَالَّتِي يَقُولُ : إِنَّهَا الْجَنَّةُ ، هِيَ النَّارُ وَإِنِّي أُنْذِرُكُمْ كَمَا أَنْذَرَ بِهِ نُوحٌ قَوْمَهُ (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٢٨٠ — أَلاَ أُخْبِرُكَ بِأَخْيَرِ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ ؟ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (حم) عن عبد الله بن جابر البياضى .

١٢٨١ — أَلاَ أُخْبِرُكَ بِأَكْثَرَ وَأَفْضَلَ مِنْ ذِكْرِكَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ؟ تَقُولُ سُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ ، سُبْحَانَ اللهِ مِلْءَ مَا خَلَقَ ، سُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ مَا فِي الأَرْضِ ، سُبْحَانَ اللهِ مِلْءَ مَا فِي الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ، سُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ مَا أَحْصَى كِتَابُهُ سُبْحَانَ اللهِ مِلْءَ مَا أَحْصَى كِتَابُهُ ، سُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ كُلِّ شَيْءٍ ، سُبْحَانَ اللهِ مِلْءَ كُلِّ شَيْءٍ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِلْءَ مَا خَلَقَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَدَدَ مَا فِي الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِلْءَ مَا فِي الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَدَدَ مَا أَحْصَى كِتَابُهُ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِلْءَ مَا أَحْصَى كِتَابُهُ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَدَدَ كُلِّ شَيْءٍ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِلْءَ كُلِّ شَيْءٍ ، (حم ن ابن أبى الدنيا وابن خزيمة حب ك) عن أبى أمامة رضى الله عنه .

١٢٨٢ — أَلاَ أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلِ مَا تَعَوَّذَ بِهِ الْمُتَعَوِّذُونَ ؟ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (طب) عن عقبة بن عامر .

١٢٨٣ — أَلاَ أُخْبِرُكَ عَنْ مُلُوكِ الْجَنَّةِ ؟ رَجُلٌ ضَعِيفٌ مُسْتَضْعَفٌ ذُو طِمْرَيْنِ لاَ يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ تَعَالَى لَأَبَرَّهُ (٥) عن معاذ رضى الله عنه .

١٢٨٤ — أَلاَ أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلِ القُرْآنِ ؟ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ العَالَمِينَ (حب ك) عن أنس رضى الله عنه .

١٢٨٥ — أَلاَ أُخْبِرُكُمَا بِخَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَانِ ؟ كَلِمَاتٌ عَلَّمَنِيهِنَّ جِبْرِيلُ : تُسَبِّحَانِ اللهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ عَشْراً وَتَحْمَدَانِ عَشْراً وَتُكَبِّرَانِ عَشْراً فَإِذَا أَوَيْتُمَا إِلَى فِرَاشِكُمَا فَسَبِّحَا ثَلاَثاً وَثَلاَثِينَ وَاحْمَدَا ثَلاَثاً وَثَلاَثِينَ وَكَبِّرَا أَرْبَعاً وَثَلاَثِينَ (حم ق د ت) عن على عليه السلام .

١٢٨٦ — أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ أَحْسَنُكُمْ خُلُقاً (حم حب) عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه .

١٢٨٧ — أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ مَا يُكْنَزُ ؟ المَرْأَةُ الصَّالِحَةُ إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتْهُ ، وَإِذَا أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ ، وَإِذَا غَابَ عَنْهَا حَفِظَتْهُ (د ت ك) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

١٢٨٨ — أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعَّفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ . أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ ؟ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ جَعْظَرِيٍّ مُسْتَكْبِرٍ (حم ق ت ن ه) عن حارثة بن وهب .

١٢٨٩ — أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِكُمْ مِنْ شَرِّكُمْ ؟ خَيْرُكُمْ مَنْ يُرْجَى خَيْرُهُ وَيُؤْمَنُ شَرُّهُ ، وَشَرُّكُمْ مَنْ لاَ يُرْجَى خَيْرُهُ وَلاَ يُؤْمَنُ شَرُّهُ (حم ت حب) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٢٩٠ — أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ النَّاسِ وَشَرِّ النَّاسِ ؟ إِنَّ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ رَجُلاً عَمِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى ظَهْرِ فَرَسِهِ ، أَوْ عَلَى ظَهْرِ بَعِيرِهِ ، أَوْ عَلَى قَدَمَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَهُ المَوْتُ ، وَإِنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ رَجُلاً فَاجِراً جَرِيئاً

يَقْرَأُ كِتَابَ اللهِ لاَ يَرْعَوِى إِلَى شَىْءٍ مِنْهُ (حم ن ك) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

١٢٩١ — أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِشَرِّ النَّاسِ ؟ رَجُلٌ يُسْأَلُ بِاللهِ وَلاَ يُعْطِى (ت ن) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

١٢٩٢ — أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِشَىْءٍ إِذَا نَزَلَ بِرَجُلٍ مِنْكُمْ كَرْبٌ أَوْ بَلاَءٌ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا دَعَا بِهِ فَفُرِجَ عَنْهُ ؟ دُعَاءُ ذِى النُّونِ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّى كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (ابن أبى الدنيا فى الفرج ك) عن سعد ابن أبى وقاص رضى الله عنه .

١٢٩٣ — أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ غَداً ؟ عَلَى كُلِّ هَيِّنٍ سَهْلٍ لَيِّنٍ قَرِيبٍ (ع) عن جابر (ت طب) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

١٢٩٤ — أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ الشُّهَدَاءِ ؟ الَّذِى يَأْتِى بِشَهَادَتِهِ[1] قَبْلَ أَنْ يُسْأَلَهَا (مالك حم م د ت) عن زيد بن خالد الْجُهَنِى .

١٢٩٥ — أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلاَةِ وَالصَّدَقَةِ ؟ إِصْلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ ، فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِىَ الْحَالِقَةُ (حم د ت حب) عن أبى الدرداء رضى الله عنه .

١٢٩٦ — أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى جِهَادٍ لاَ شَوْكَةَ فِيهِ ؟ حَجُّ الْبَيْتِ (طب) عن الشفاء .

---

(١) إذا كان فيها إثبات حق ضائع ، أو إبطال باطل .

١٢٩٧ — أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ مِنْ كَنْزِ الْجَنَّةِ ؟ تَقُولُ : لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ ، فَيَقُولُ اللهُ : أَسْلَمَ عَبْدِى وَاسْتَسْلَمَ (ك) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٢٩٨ — أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى غِرَاسٍ هُوَ خَيْرٌ مِنْ هٰذَا ؟ تَقُولُ : سُبْحَانَ اللهِ ، وَالْحَمْدُ لِلهِ ، وَلاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ ، وَاللهُ أَكْبَرُ ، يُغْرَسُ لَكَ بِكُلِّ كَلِمَةٍ مِنْهَا شَجَرَةٌ فِى الْجَنَّةِ (ه ك) عن أبى هُريرة رضى الله عنه .

١٢٩٩ — أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ؟ لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ (حم ت ك) عن قَيْس بن سَعد بن عُبادة (حم طب) عن معاذ رضى الله عنها .

١٣٠٠ — أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا ، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ ؟ إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ ، وَانْتِظَارُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ (مالك حم م ت ن) عن أبى هُريرة رضى الله عنه .

١٣٠١ — أَلاَ أَرْقِيكَ بِرُقْيَةٍ رَقَانِى بِهَا جِبْرِيلُ ؟ تَقُولُ : بِسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ ، اللهُ يَشْفِيكَ مِنْ كُلِّ دَاءٍ يَأْتِيكَ ، مِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِى الْعُقَدِ ، وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ، تَرْقِى بِهَا ثَلاَثَ مَرَّاتٍ (ه ك) عن أبى هُريرة رضى الله عنه .

١٣٠٢ — أَلاَ أُعَلِّمُكَ دُعَاءً تَدْعُو بِهِ ؟ لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلِ أُحُدٍ دَيْنًا لَأَدَّاهُ اللهُ عَنْكَ قُلْ يَا مُعَاذُ : اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِى الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ ، وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ، وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ ، وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ،

بِيَدِكَ الْخَيْرُ ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، رَحْمَنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَرَحِيمَهُمَا تُعْطِيهِمَا مَنْ تَشَاءُ ، وَتَمْنَعُ مِنْهُمَا مَنْ تَشَاءُ ، ارْحَمْنِي رَحْمَةً تُغْنِينِي بِهَا عَنْ رَحْمَةِ مَنْ سِوَاكَ (طص) عن أنس رضى الله عنه .

١٣٠٣ — أَلاَ أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ إِذَا قُلْتَهُنَّ نِمْتَ ؟ قُلْ : اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمٰوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظَلَّتْ ، وَرَبَّ الأَرَضِينَ وَمَا أَقَلَّتْ ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضَلَّتْ ، كُنْ لِي جَاراً مِنْ شَرِّ خَلْقِكَ أَجْمَعِينَ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَوْ أَنْ يَطْغَى ، عَزَّ جَارُكَ وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ وَلاَ إِلٰهَ غَيْرُكَ (طب) عن خالد بن الوليد (ت) عن بُرَيدة رضى الله عنها .

١٣٠٤ — أَلاَ أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلِ صَبِيرٍ دَيْناً أَدَّاهُ اللهُ عَنْكَ ؟ قُلْ : اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلاَلِكَ عَنْ حَرَامِكَ ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ (حم ت ك) عن علىّ عليه السلام .

١٣٠٥ — أَلاَ أُعَلِّمُكَ كَلاَماً إِذَا قُلْتَهُ أَذْهَبَ اللهُ تَعَالَى هَمَّكَ وَقَضَى عَنْكَ دَيْنَكَ ، قُلْ إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالْحُزْنِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ وَالْجُبْنِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ (د) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

١٣٠٦ — أَلاَ أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ إِذَا قُلْتَهُنَّ غَفَرَ اللهُ لَكَ ، وَإِنْ كُنْتَ مَغْفُوراً لَكَ ؟ قُلْ : لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ، لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ ، لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ سُبْحَانَ اللهِ رَبِّ السَّمٰوَاتِ السَّبْعِ ، وَرَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (ت) عن علىّ عليه السلام .

١٣٠٧ — أَلاَ أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُعَلِّمْهُنَّ إِيَّاهُ ثُمَّ لاَ يُنْسِيهِ أَبَدًا ؟ قُلْ : اللَّهُمَّ إِنِّي ضَعِيفٌ فَقَوِّ فِي رِضَاكَ ضُعْفِي ، وَخُذْ إِلَى الْخَيْرِ بِنَاصِيَتِي ، وَاجْعَلِ الإِسْلاَمَ مُنْتَهَى رِضَائِي ، اللَّهُمَّ إِنِّي ضَعِيفٌ فَقَوِّنِي وَإِنِّي ذَلِيلٌ فَأَعِزَّنِي ، وَإِنِّي فَقِيرٌ فَارْزُقْنِي (طب) عن ابن عمرو (ع ك) عن بريدة .

١٣٠٨ — أَلاَ أُعَلِّمُكَ الْكَلِمَاتِ التِي تَكَلَّمَ بِهَا مُوسَى حِينَ جَاوَزَ الْبَحْرَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ : اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ وَإِلَيْكَ الْمُشْتَكَى وَأَنْتَ الْمُسْتَعَانُ ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ (طص) عن ابن مسعود رضى الله عنهُ .

١٣٠٩ — أَلاَ أُعَلِّمُكِ كَلِمَاتٍ تَقُولِينَهُنَّ عِنْدَ الْكَرْبِ : الله ، اللهُ رَبِّي لاَ أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا (حم د ن ه) عن أسماء بنت عميس رضى الله عنها .

١٣١٠ — أَلاَ أُنْبِئُكُمْ بِخَيْرِكُمْ ؟ خِيَارُكُمْ أَطْوَلُكُمْ أَعْمَارًا وَأَحْسَنُكُمْ أَعْمَالاً (حم حب هب) عن أبى هريرة رضى الله عنه (ك) عن جابر رضى الله عنه .

١٣١١ — أَلاَ أُنْبِئُكُمْ بِخِيَارِكُمْ ؟ خِيَارُكُمُ الَّذِينَ إِذَا رُؤُوا ذُكِرَ اللهُ (حم ه) عن أسماء بنت يزيد .

١٣١٢ — أَلاَ أُنْبِئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ ؟ ذِكْرُ اللهِ (حم ت ه ك) عن أبى الدرداء رضى الله عنه .

١٣١٣ — أَلاَ تَرَى إِلَى بَيْتِي مَا أَقْرَبَهُ مِنَ الْمَسْجِدِ ؟ فَلَأَنْ أُصَلِّيَ فِي

بَيْتِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ، إِلاَّ أَنْ تَكُونَ صَلاَةً مَكْتُوبَةً (حم ٥ ابن خزيمة) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

١٣١٤ — أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ : الإِشْرَاكُ بِاللهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ (ق ت) عن أبى بكرة .

١٣١٥ — أَلاَ تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلاَئِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا ؟ يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الأُوَلَ وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ (م د ن ه) عن جابر بن سَمُرة رضى الله عنه .

١٣١٦ — أَلاَ إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً ، وَإِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ ، ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَهِيَ الْجَمَاعَةُ (حم د) عن معاوية ، زاد (د) : وَإِنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَتَجَارَى بِهِمُ الأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ ، لاَ يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلاَ مِفْصَلٌ إِلاَّ دَخَلَهُ .

١٣١٧ — أَلاَ هَلْ عَسَى رَجُلٌ مِنْكُمْ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِالْكَلِمَةِ يُضْحِكُ بِهَا الْقَوْمَ فَيَسْقُطُ بِهَا أَبْعَدَ مِنَ السَّمَاءِ ، أَلاَ هَلْ عَسَى رَجُلٌ مِنْكُمْ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِالْكَلِمَةِ يُضْحِكُ بِهَا أَصْحَابَهُ فَيَسْخَطُ اللهُ بِهَا عَلَيْهِ لاَ يَرْضَى عَنْهُ حَتَّى يُدْخِلَهُ النَّارَ (أبو الشيخ) عن أنس رضى الله عنه .

١٣١٨ — إِيَّاكَ وَكُلَّ أَمْرٍ يُعْتَذَرُ مِنْهُ (أبو الشيخ والضياء) عن أنس رضى الله عنه .

١٣١٩ — إِيَّاكَ وَالتَّنَعُّمَ فَإِنَّ عِبَادَ اللهِ لَيْسُوا بِالْمُتَنَعِّمِينَ (حم هب) عن معاذ رضى الله عنه .

١٣٢٠ — أَلاَ وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا ، فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٍ عِنْدَكُمْ ،

لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئاً غَيْرَ ذَلِكَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْباً غَيْرَ مُبَرِّحٍ ، فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً . أَلاَ إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ حَقًّا ، فَحَقُّكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لاَ يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ ، وَلاَ يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ ، أَلاَ وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ (ت ٥) عن عمرو بن الأحوص الْجُشَمِي .

١٣٢١ — إِيَّاكَ وَالْحَلُوبَ[1] (م ٥) عن أبي هُريرة رضى الله عنه .

١٣٢٢ — إِيَّاكَ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ فَإِنَّ لَهَا مِنَ اللهِ طَالِباً (ن ٥) عن عائشة رضى الله عنها .

١٣٢٣ — إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ ، فَإِنْ أَبَيْتُمْ إِلاَّ الْمَجَالِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا : غَضُّ الْبَصَرِ وَكَفُّ الأَذَى ، وَرَدُّ السَّلاَمِ ، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ (حم ق د) عن أبي سعيد رضى الله عنه .

١٣٢٤ — إِيَّاكُمْ وَالتَّعْرِيسَ عَلَى جَوَادِّ الطَّرِيقِ ، وَالصَّلاَةَ عَلَيْهَا فَإِنَّهَا مَأْوَى الْحَيَّاتِ وَالسِّبَاعِ ، وَقَضَاءَ الْحَاجَةِ عَلَيْهَا فَإِنَّهَا الْمَلاَعِنُ (٥) عن جابر رضى الله عنه .

١٣٢٥ — إِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْفُحْشَ فَإِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْفَاحِشَ وَالْمُتَفَحِّشَ ، وَإِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ دَعَا مَنْ

---

(١) نهى عن ذبح ذات اللبن ، للضيوف .

كَانَ قَبْلَكُمْ فَسَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ (حب ك) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

١٣٢٦ — إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّهُ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ تَحَسَّسُوا وَلاَ تَنَافَسُوا وَلاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَبَاغَضُوا وَلاَ تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا ، وَلاَ يَخْطُبِ الرَّجُلُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ حَتَّى يَنْكِحَ أَوْ يَتْرُكَ (مالك حم ق د ت) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

١٣٢٧ — إِيَّاكُمْ وَالْكِبْرَ فَإِنَّ الْكِبْرَ يَكُونُ فِي الرَّجُلِ وَإِنَّ عَلَيْهِ الْعَبَاءَةَ (طس) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

١٣٢٨ — إِيَّاكُمْ وَالْوِصَالَ ، إِنَّكُمْ لَسْتُمْ فِي ذَلِكَ مِثْلِي ، إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي ، فَاكْلَفُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

١٣٢٩ — إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الْحَلِفِ فِي الْبَيْعِ فَإِنَّهُ يُنَفِّقُ ثُمَّ يَمْحَقُ (حم م ن ه) عن أبي قتادة رضى الله عنه .

١٣٣٠ — إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولِ عَلَى النِّسَاءِ[1] (حم ق ت) عن عقبة ابن عامر .

١٣٣١ — إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالشُّحِّ أَمَرَهُمْ بِالْبُخْلِ فَبَخِلُوا ، وَأَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا ، وَأَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ فَفَجَرُوا ، (د ك) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

---

(١) فإنه ريبة . وكثيرا مايفضى إلى الفاحشة .

١٣٣٢ — إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ (د هب) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

١٣٣٣ — إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالْغُلُوِّ فِي الدِّينِ (حم ن ه ك) عن ابن عباس رضي الله عنهما .

١٣٣٤ — إِيَّاكُمْ وَالتَّعَرِّي فَإِنَّ مَعَكُمْ مَنْ لاَ يُفَارِقُكُمْ إِلاَّ عِنْدَ الْغَائِطِ وَحِينَ يُفْضِي الرَّجُلُ إِلَى أَهْلِهِ فَاسْتَحْيُوهُمْ وَأَكْرِمُوهُمْ (ت) عن ابن عباس رضي الله عنهما .

١٣٣٥ — إِيَّاكُمْ وَسُوءَ ذَاتِ الْبَيْنِ فَإِنَّهَا الْحَالِقَةُ (ت) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

١٣٣٦ — إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الْحَدِيثِ عَنِّي فَمَنْ قَالَ عَلَيَّ فَلْيَقُلْ حَقًّا أَوْ صِدْقًا وَمَنْ تَقَوَّلَ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ (حم ه ك) عن أبي قتادة رضي الله عنه .

١٣٣٧ — إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكْنَهُ كَمَثَلِ قَوْمٍ نَزَلُوا أَرْضَ فَلاَةٍ فَحَضَرَ صَنِيعُ الْقَوْمِ فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِالْعُودِ وَالرَّجُلُ يَجِيءُ بِالْعُودِ حَتَّى جَمَعُوا سَوَاداً وَأَجَّجُوا نَاراً وَأَنْضَجُوا مَا قَذَفُوا فِيهَا (حم طب) عن ابن مسعود رضي الله عنه .

١٣٣٨ — إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ فَإِنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَمَثَلِ قَوْمٍ نَزَلُوا بَطْنَ وَادٍ فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ حَتَّى حَمَلُوا مَا أَنْضَجُوا بِهِ خُبْزَهُمْ وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذْ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكْهُ (حم طب هب والضياء) عن سهل بن سعد رضي الله عنه .

١٣٣٩ — أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ وَبِعَالٍ[1] (حم م) نُبَيْشَة الخير .

١٣٤٠ — أَيُّكُمْ خَلَفَ الْخَارِجَ فِي أَهْلِهِ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ (م د) عن أبي سعيد (حم ٥ ع) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

١٣٤١ — أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لأَخِيهِ : كَافِرٌ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ وَإِلاَّ رَجَعَتْ عَلَيْهِ (م ت) عن ابن عمر رضي الله عنهما .

١٣٤٢ — أَيُّمَا امْرَأَةٍ وَضَعَتْ ثِيَابَهَا فِي غَيْرِ بَيْتِ زَوْجِهَا فَقَدْ هَتَكَتْ سِتْرَ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ (حم ٥ ك) عن عائشة رضي الله عنها .

١٣٤٣ — أَيُّمَا امْرَأَةٍ أَصَابَتْ بَخُوراً فَلاَ تَشْهَدْ مَعَنَا الْعِشَاءَ الآخِرَةَ (حم م د ن) عن أبي هُريرة رضي الله عنه .

١٣٤٤ — أَيُّمَا امْرَأَةٍ أَدْخَلَتْ عَلَى قَوْمٍ مَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ فَلَيْسَتْ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ . وَلَنْ يُدْخِلَهَا اللهُ جَنَّتَهُ. وَأَيُّمَا رَجُلٍ جَحَدَ وَلَدَهُ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ احْتَجَبَ اللهُ تَعَالَى مِنْهُ وَفَضَحَهُ عَلَى رُؤُسِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (د ن ٥ حب ك) عن أبي هُريرة رضي الله عنه .

١٣٤٥ — أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا الطَّلاَقَ مِنْ غَيْرِ مَا بَأْسٍ فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الْجَنَّةِ (حم د ت ٥ حب ك) عن ثوبان رضي الله عنه .

---

(١) ملاعبة الرجل زوجه .

١٣٤٦ — أَيُّمَا إِهَابٍ دُبِغَ فَقَدْ طَهُرَ (حم ت ن ه) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

١٣٤٧ — أَيُّمَا رَجُلٍ كَسَبَ مَالاً مِنْ حَلَالٍ فَأَطْعَمَ نَفْسَهُ أَوْ كَسَاهَا فَمَنْ دُونَهُ مِنْ خَلْقِ اللهِ فَإِنَّهَا لَهُ زَكَاةٌ . وَأَيُّمَا رَجُلٍ مُسْلِمٍ لَمْ تَكُنْ لَهُ صَدَقَةٌ فَلْيَقُلْ فِى دُعَائِهِ : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ وَصَلِّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ . فَإِنَّهَا لَهُ زَكَاةٌ . (ع حب ك) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

١٣٤٨ — أَيُّمَا رَجُلٍ تَزَوَّجَ امْرَأَةً عَلَى مَا قَلَّ مِنَ الْمَهْرِ أَوْ كَثُرَ لَيْسَ فِى نَفْسِهِ أَنْ يُؤَدِّى إِلَيْهَا حَقَّهَا ، خَدَعَهَا فَمَاتَ وَلَمْ يُؤَدِّ إِلَيْهَا حَقَّهَا لَقِىَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ زَانٍ . وَأَيُّمَا رَجُلٍ اسْتَدَانَ دَيْنًا لاَ يُرِيدُ أَنْ يُؤَدِّى إِلَى صَاحِبِهِ حَقَّهُ خَدَعَهُ حَتَّى أَخَذَ مَالَهُ فَمَاتَ وَلَمْ يُؤَدِّ إِلَيْهِ حَقَّهُ لَقِىَ اللهَ وَهُوَ سَارِقٌ (طس) عن ميمون الكردى عن أبيه .

١٣٤٩ — أَيُّمَا ضَيْفٍ نَزَلَ بِقَوْمٍ فَأَصْبَحَ الضَّيْفُ مَحْرُومًا فَلَهُ أَنْ يَأْخُذَ بِقَدْرِ قِرَاهُ وَلاَ حَرَجَ عَلَيْهِ (حم ك) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٣٥٠ — أَيُّمَا رَجُلٍ ظَلَمَ شِبْرًا مِنَ الأَرْضِ كَلَّفَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَحْفِرَهُ حَتَّى يَبْلُغَ بِهِ سَبْعَ أَرَضِينَ ثُمَّ يُطَوِّقَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ (حم طب حب) عن يعلى بن حرة .

١٣٥١ — أَيُّمَا رَجُلٍ أَمَّنَ رَجُلاً عَلَى دَمِهِ ثُمَّ قَتَلَهُ فَأَنَا مِنَ الْقَاتِلِ بَرِىءٌ . وَإِنْ كَانَ الْمَقْتُولُ كَافِرًا (حب) عن عمرو بن الحمق .

١٣٥٢ — أَيُّمَا رَجُلٍ عَاهَرَ بِحُرَّةٍ أَوْ أَمَةٍ فَالْوَلَدُ وَلَدُ زِنَا لاَ يَرِثُ وَلاَ يُورَثُ (ت) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

١٣٥٣ — أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِى خَرَجَ مُجَاهِداً فِى سَبِيلِى ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِى ضَمِنْتُ لَهُ إِنْ رَجَعْتُهُ أَرْجِعُهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ وَإِنْ قَبَضْتُهُ غَفَرْتُ لَهُ (ن) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

١٣٥٤ — أَيُّمَا مُسْلِمٍ شَهِدَ لَهُ أَرْبَعَةُ نَفَرٍ بِخَيْرٍ أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ أَوْ ثَلاَثَةٌ أَوِ اثْنَانِ (حم خ ن) عن عمر رضى الله عنه .

١٣٥٥ — أَيُّمَا مُسْلِمَيْنِ الْتَقَيَا فَأَخَذَ أَحَدُهُمَا بِيَدِ صَاحِبِهِ فَتَصَافَحَا وَحَمِدَا اللهَ تَعَالَى جَمِيعاً تَفَرَّقَا وَلَيْسَ بَيْنَهُمَا خَطِيئَةٌ (حم والضياء) عن البراء رضى الله عنه .

١٣٥٦ — أَيُّمَا رَجُلٍ مُسْلِمٍ أَعْتَقَ رَجُلاً مُسْلِماً فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى جَاعِلٌ وِقَاءَ كُلِّ عَظْمٍ مِنْ عِظَامِهِ عَظْماً مِنْ عِظَامِ مُحَرَّرِهِ مِنَ النَّارِ وَأَيُّمَا امْرَأَةٍ مُسْلِمَةٍ أَعْتَقَتِ امْرَأَةً مُسْلِمَةً فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى جَاعِلٌ وِقَاءَ كُلِّ عَظْمٍ مِنْ عِظَامِهَا عَظْماً مِنْ عِظَامِ مُحَرَّرَتِهَا مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ[1] (د حب) عن أبى نجيح السُّلَمِى رضى الله عنه .

١٣٥٧ — أَيُّمَا قَوْمٍ جَلَسُوا فَأَطَالُوا الْجُلُوسَ ثُمَّ تَفَرَّقُوا قَبْلَ أَنْ

---

(١) فيه حض على إعتاق الرقيق المملوك ، والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة ، والإسلام بهذا يعمل على تقليل الرق وتضييق دائرته ؛ بعد أن وجده منتشرا فى بقاع الأرض ، شرقها وغربها .

يَذْكُرُوا اللهَ تَعَالَى وَيُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِ كَانَتْ عَلَيْهِمْ تِرَةً مِنَ اللهِ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ (ك) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

١٣٥٨ — أَيُّمَا رَجُلٍ ضَافَ قَوْماً فَأَصْبَحَ الضَّيْفُ مَحْرُوماً ، فَإِنَّ نَصْرَهُ حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ حَتَّى يَأْخُذَ بِقِرَى لَيْلَتِهِ مِنْ زَرْعِهِ وَمَالِهِ (حم د ك) عن المِقْدَام .

١٣٥٩ — أَيُّمَا رَجُلٍ كَشَفَ سِتْراً فَأَدْخَلَ بَصَرَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْذَنَ لَهُ . فَقَدْ أَتَى حَدًّا لاَ يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ ، وَلَوْ أَنَّ رَجُلاً فَقَأَ عَيْنَهُ لَهَدَرَتْ ، وَلَوْ أَنَّ رَجُلاً مَرَّ عَلَى بَابٍ لاَ سُتْرَةَ عَلَيْهِ فَرَأَى عَوْرَةَ أَهْلِهِ فَلاَ خَطِيئَةَ عَلَيْهِ ، إِنَّمَا الْخَطِيئَةُ عَلَى أَهْلِ الْبَابِ (حم ت) عن أبي ذر رضى الله عنه .

١٣٦٠ — أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَ لَهَا ثَلاَثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ كَانُوا لَهَا حِجَاباً مِنَ النَّارِ (خ) عن أبي سعيد رضى الله عنه .

١٣٦١ — أَيُّمَا رَجُلٍ مَسَّ فَرْجَهُ فَلْيَتَوَضَّأْ ، وَأَيُّمَا امْرَأَةٍ مَسَّتْ فَرْجَهَا فَلْتَتَوَضَّأْ (حم قط) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

١٣٦٢ — أَيُّمَا امْرِىءٍ مُسْلِمٍ أَعْتَقَ امْرَأً مُسْلِماً فَهُوَ فِكَاكُهُ مِنَ النَّارِ يُجْزَى بِكُلِّ عَظْمٍ مِنْهُ عَظْماً مِنْهُ ، وَأَيُّمَا امْرَأَةٍ مُسْلِمَةٍ أَعْتَقَتِ امْرَأَةً مُسْلِمَةً فَهِيَ فِكَاكُهَا مِنَ النَّارِ تُجْزَى بِكُلِّ عَظْمٍ مِنْهَا عَظْماً مِنْهَا ، وَأَيُّمَا امْرِىءٍ مُسْلِمٍ أَعْتَقَ امْرَأَتَيْنِ مُسْلِمَتَيْنِ فَهُمَا فِكَاكُهُ مِنَ النَّارِ يُجْزَى بِكُلِّ عَظْمَيْنِ مِنْهُمَا عَظْماً مِنْهُ (طب) عن عبد الرحمن بن عوف (حم د) عن كعب بن مُرة السُّلَمى (ت) عن أبي أمامة رضى الله عنهم .

١٣٦٣ — أيُّمَا امْرَأَةٍ زَوَّجَهَا وَلِيَّانِ فَهِيَ لِلْأَوَّلِ مِنْهُمَا ، وَأَيُّمَا رَجُلٍ بَاعَ بَيْعَيْنِ مِنْ رَجُلَيْنِ فَهُوَ لِلْأَوَّلِ مِنْهُمَا (حم ٤ ك) عن سَمُرة رضى الله عنه.

١٣٦٤ — أيُّمَا امْرَأَةٍ زَادَتْ فِي رَأْسِهَا شَعَراً لَيْسَ مِنْهُ ، فَإِنَّهُ زُورٌ تَزِيدُ فِيهِ (ن) عن مُعاوية .

١٣٦٥ — أيُّمَا رَجُلٍ أَعْتَقَ أَمَةً ثُمَّ تَزَوَّجَهَا بِمَهْرٍ جَدِيدٍ فَلَهُ أَجْرَانِ (طب) عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه .

١٣٦٦ — أيُّمَا رَجُلٍ قَامَ إِلَى وَضُوئِهِ يُرِيدُ الصَّلَاةَ ، ثُمَّ غَسَلَ كَفَّيْهِ نَزَلَتْ خَطِيئَتُهُ مِنْ كَفَّيْهِ مَعَ أَوَّلِ قَطْرَةٍ ، فَإِذَا غَسَلَ وَجْهَهُ نَزَلَتْ خَطِيئَتُهُ مِنْ سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ مَعَ أَوَّلِ قَطْرَةٍ ، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ وَرِجْلَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ سَلِمَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ هُوَ لَهُ ، وَمِنْ كُلِّ خَطِيئَةٍ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ ، فَإِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ رَفَعَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا دَرَجَةً ، وَإِنْ قَعَدَ قَعَدَ سَالِماً (حم) عن أبى أُمامةَ رضى الله عنه .

١٣٦٧ — أيُّمَا وَالٍ وَلِيَ شَيْئاً مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي ، فَلَمْ يَنْصَحْ لَهُمْ وَيَجْتَهِدْ لَهُمْ كَنَصِيحَتِهِ وَجَهْدِهِ لِنَفْسِهِ كَبَّهُ اللهُ تَعَالَى عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي النَّارِ (طب) عن مَعْقِل بن يسار .

١٣٦٨ — أَيَحْسَبُ أَحَدُكُمْ مُتَّكِئاً عَلَى أَرِيكَتِهِ[1] أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يُحَرِّمْ

---

(١) أيحسب أحدكم متكأ على أريكته — سريره — أن الله تعالى لم يحرم شيئا إلا ما فى القرآن ، وهذا زعم مبتدعة هذا العصر . إلا وأنى والله قد أمرت ووعظت ونهيت عن أشياء أنها كمثل القرآن أو أكثر . وأن الله تعالى لم يحل لكم أن تدخلوا بيوت أهل الكتاب — اليهود والنصارى — إلا بإذن منهم ، ولا يحل لكم ضرب نسائهم ولا أكل ثمارهم إذا أعطوكم الذى عليهم من الجزية أو الخراج ووفوا لكم بشروط الذمة .

شَيْئًا إِلاَّ مَا فِي هٰذَا الْقُرْآنِ ؟ أَلاَ وَإِنِّي وَاللهِ قَدْ أَمَرْتُ وَوَعَظْتُ وَنَهَيْتُ عَنْ أَشْيَاءَ إِنَّهَا كَمِثْلِ الْقُرْآنِ أَوْ أَكْثَرُ ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يُحِلَّ لَكُمْ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتَ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ بِإِذْنٍ ، وَلاَ ضَرْبَ نِسَائِهِمْ ، وَلاَ أَكْلَ ثِمَارِهِمْ إِذَا أَعْطَوْكُمُ الَّذِي عَلَيْهِمْ (د) عن العرباض رضى الله عنه .

١٣٦٩ — أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ ؟ يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ فَتُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ أَوْ تُحَطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ (م ت ن) عن سعد رضى الله عنه .

١٣٧٠ — أَيُّهَا النَّاسُ ، أَفْشُوا السَّلاَمَ ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ ، وَصِلُوا الأَرْحَامَ ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلاَمٍ (ت ه ك) عن عبد الله بن سلام .

١٣٧١ — أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِالْقَصْدِ ، عَلَيْكُمْ بِالْقَصْدِ ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى لاَ يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا (ه ع حب) عن جابر رضى الله عنه .

١٣٧٢ — الآخِذُ وَالْمُعْطِي سَوَاءٌ فِي الرِّبَا (قط ك) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

١٣٧٣ — الآنَ حَمِيَ الْوَطِيسُ (حم م) عن العباس (ك) عن جابر (طب) عن شيبة رضى الله عنهم .

١٣٧٤ — الآنَ نَغْزُوهُمْ وَلاَ يَغْزُونَا (حم خ) عن سُليمان بن صُرَد رضى الله عنه .

١٣٧٥ — الآيَتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مَنْ قَرَأَهُمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ (حم ق ه) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

١٣٧٦ — الآنَ بَرَدَتْ عَلَيْهِ جِلْدَتُهُ[1] (حم قط ك) عن جابر رضى الله عنه .

١٣٧٧ — الأَبْعَدُ فَالأَبْعَدُ مِنَ المَسْجِدِ أَعْظَمُ أَجْراً (حم د ه ك حب) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٣٧٨ — الإِبِلُ عِزٌّ لِأَهْلِهَا ، وَالغَنَمُ بَرَكَةٌ ، وَالخَيْرُ مَعْقُودٌ فِى نَوَاصِى الخَيْلِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ (ه) عن عروة البارقى .

١٣٧٩ — الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ (م ٣) عن عمر (حم ق ه) عن أبى هريرة رضى الله عنهما .

١٣٨٠ — الأَخِلاَّءُ ثَلاَثَةٌ : فَأَمَّا خَلِيلٌ فَيَقُولُ : أَنَا مَعَكَ حَتَّى تَأْتِىَ قَبْرَكَ . وَأَمَّا خَلِيلٌ فَيَقُولُ : لَكَ مَا أَعْطَيْتَ . وَمَا أَمْسَكْتَ فَلَيْسَ لَكَ ، فَذَلِكَ مَالُكَ ، وَأَمَّا خَلِيلٌ فَيَقُولُ : أَنَا مَعَكَ حَيْثُ دَخَلْتَ وَحَيْثُ خَرَجْتَ فَذَلِكَ عَمَلُهُ ، فَيَقُولُ : وَاللهِ لَقَدْ كُنْتَ أَهْوَنَ الثَّلاَثَةِ عَلَىَّ (ك) عن أنس رضى الله عنه .

١٣٨١ — الأَذَانُ تِسْعَ عَشْرَةَ كَلِمَةً وَالإِقَامَةُ سَبْعَ عَشْرَةَ كَلِمَةً (ن) عن أبى محذورة رضى الله عنه .

---

(١) الآن بردت عليه جلدته . قاله عن ميت مات وعليه ديناران دينا . فتحملهما أبو قتادة ، فقال له بعد يوم « مافعل الديناران » ؟ قال أبو قتادة : يارسول الله إنما مات أمس . فعاد إليه فى الغد ، فقال : قد قضيتهما . فقال صلى الله عليه وسلم « الآن بردت عليه جلدته » حيث كان يعذب فى قبره بسبب الدينارين .

١٣٨٢ — الأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدٌ. إِلاَّ الْمَقْبَرَةَ وَالْحَمَّامَ (حم د ت ه حب ك) عن أبي سعيد رضى الله عنه .

١٣٨٣ — الأَرْضُ أَرْضُ اللهِ وَالعِبَادُ عِبَادُ اللهِ ، مَنْ أَحْيَا مَوَاتاً فَهِيَ لَهُ (طب) عن فضالة بن عبيد .

١٣٨٤ — الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ (خد) عن عائشة (حم د) عن أبي هريرة (طب) عن ابن مسعود رضى الله عنهم .

١٣٨٥ — الاسْتِئْذَانُ ثَلاَثٌ ، فَإِنْ أُذِنَ لَكَ وَإِلاَّ فَارْجِعْ (م ت) عن أبي موسى وأبي سعيد رضى الله عنهما .

١٣٨٦ — الاسْتِجْمَارُ تَوٌّ[1] ، وَرَمْيُ الْجِمَارِ تَوٌّ ، وَالسَّعْيُ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ تَوٌّ ، وَالطَّوَافُ تَوٌّ ، وَإِذَا اسْتَجْمَرَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَجْمِرْ بِتَوٍّ (م) عن جابر رضى الله عنه .

١٣٨٧ — الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَلاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ ، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً (م ٣) عن عمر رضى الله عنه .

١٣٨٨ — الإِضْرَارُ فِي الْوَصِيَّةِ مِنَ الْكَبَائِرِ ، ثُمَّ تَلاَ « تِلْكَ حُدُودُ اللهِ » (ن) ابن عباس رضى الله عنهما .

١٣٨٩ — الإِمَامُ ضَامِنٌ وَالْمُؤَذِّنُ مُؤْتَمَنٌ ، اللَّهُمَّ أَرْشِدِ الأَئِمَّةَ ، وَاغْفِرْ

---

(١) تو : أى وتر .

لِلْمُؤَذِّنِينَ (د ت حب هق) عن أبى هريرة رضى الله عنه (حم) عن أبى أمامة رضى الله عنه .

١٣٩٠ — الإِمَامُ ضَامِنٌ ، فَإِنْ أَحْسَنَ فَلَهُ وَلَهُمْ ، وَإِنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهِ وَلاَ عَلَيْهِمْ (ه ك) عن سهل بن سعد .

١٣٩١ — الأُمَرَاءُ مِنْ قُرَيْشٍ مَا فَعَلُوا ثَلاَثًا : مَا حَكَمُوا فَعَدَلُوا ، وَاسْتَرْحَمُوا فَرَحِمُوا ، وَعَاهَدُوا فَوَفُّوا ، فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْهُمْ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (حم) عن أبى برزة .

١٣٩٢ — الأَمْنُ وَالعَافِيَةُ نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ (طب) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

١٣٩٣ — الأَنَاةُ مِنَ اللهِ تَعَالَى وَالعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ (ت) عن سهل ابن سعد رضى الله عنه .

١٣٩٤ — الأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِى قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ (ع) عن أنس رضى الله عنه .

١٣٩٥ — الأَيْدِى ثَلاَثَةٌ[1] : فَيَدُ اللهِ العُلْيَا ، وَيَدُ المُعْطِى التى تَلِيهَا ،

---

(١) الأيدى ثلاثة . فيد الله العليا ، لأنه المعطى الوهاب ، واليد كناية عن أن إعطاءه سابق لإعطاء المتصدق ، ومنشأ له ، ويد المعطى التى تليها . وهذه رتبة شريفة : أن يكون المتصدق بعد الله تعالى . لأنه اتصف بصفة المعطى ، وهى من صفاته سبحانه . وحيث أن المتصدق بهذه الرتبة الشريفة فأعط الفضل ـ أى الزائد عن حاجتك ـ ولا تعجز عن نفسك أن تهذبها بالبذل ، فترقى بها إلى رتبة المعطى . فتنال محبة الله تعالى والقبول عنده . واعلم أن الصدقة التى تعطيها تقع فى يد الله أى يقبلها منك وينميها عنده حتى تصير كجبل أحد . وهو عز وجل مع هذا يخلفها عليك هنا .

وَيَدُ السَّائِلِ السُّفْلَى فَأَعْطِ الفَضْلَ وَلاَ تَعْجِزْ عَنْ نَفْسِكَ (حم د حب ك) عن مالك بن نضلة .

١٣٩٦ — الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ (م ٣ هب) عن عمر رضى الله عنه ، زاد (هب) وَتُؤْمِنَ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالْمِيزَانِ .

١٣٩٧ — الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً ، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ (ق ٤) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٣٩٨ — الإِيمَانُ يَمَانٍ (ق) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

١٣٩٩ — الإِيمَانُ قَيْدَ الفَتْكِ[1] لاَ يُفْتَكُ مُؤْمِنٌ (تخ د ك) عن أبى هريرة (حم) عن الزبير وعن معاوية .

١٤٠٠ — الأَيِّمُ أَحَقُّ بِنَفْسِهَا مِنْ وَلِيِّهَا ، وَالْبِكْرُ تُسْتَأْذَنُ فِي نَفْسِهَا ، وَإِذْنُهَا صُمَاتُهَا (مالك حم م ٤) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

١٤٠١ — الأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَلِي عَلَيْكُمْ حَقٌّ عَظِيمٌ ، وَلَهُمْ ذَلِكَ مَا فَعَلُوا ثَلاَثًا : إِذَا اسْتُرْحِمُوا رَحِمُوا ، وَإِذَا حَكَمُوا عَدَلُوا ،

---

(١) الإيمان قيد الفتك : أى يقيد الفتك ويمنعه ، والفتك القتل على غرة . لايفتك مؤمن : لايقتل على غرة ، لأن إيمانه يحميه .

وَإِذَا عَاهَدُوا وَفَوْا ، فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (حم طب) عن أنس رضى الله عنه .

١٤٠٢ — الأَيْمَنُ فَالأَيْمَنُ (مالك حم ق ٤) عن أنس رضى الله عنه .

* * *

حرف الباء

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

١٤٠٣ — بَادِرُوا الصُّبْحِ بِالْوَتْرِ (م ت) عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما .

١٤٠٤ — بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَناً كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِناً وَيُمْسِي كَافِرًا ، وَيُمْسِي مُؤْمِناً وَيُصْبِحُ كَافِرًا ، يَبِيعُ أَحَدُهُمْ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا قَلِيلٍ (حم م ت) عن أبى هُرَيرةِ رضى الله عنه .

١٤٠٥ — بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سِتًّا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَالدُّخَانُ ، وَدَابَّةُ الأَرْضِ ، وَالدَّجَّالُ ، وَخُوَيْصَةُ أَحَدِكُمْ ، وَأَمْرُ الْعَامَّةِ (حم م) عن أبى هُرَيرة رضى الله عنه.

١٠٤٦ — بِحَسْبِ امْرِىءٍ يَدْعُو أَنْ يَقُولَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَأَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ (طب) عن السائب بن يزيد .

١٤٠٧ — بَخٍ ، بَخٍ ، لِخَمْسٍ مَا أَثْقَلَهُنَّ فِي الْمِيزَانِ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، وَسُبْحَانَ اللهِ ، وَالْحَمْدُ للهِ ، وَاللهُ أَكْبَرُ ، وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ يُتَوَفَّى لِلْمَرْءِ

الْمُسْلِمُ فَيَحْتَسِبُهُ (البزار) عن ثوبان (ن حب ك) عن أبى سلمى (حم) عن أبى أمامة (طس) عن سفينة رضى الله عنهم .

١٤٠٨ — بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيباً وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيباً فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٤٠٩ — بَرِىءَ مِنَ الشُّحِّ مَنْ أَدَّى الزَّكَاةَ وَقَرَى الضَّيْفَ وَأَعْطَى فى النَّائِبَةِ (هنا د ع طب) عن خالد بن زيد بن حارثة .

١٤١٠ — بِرُّ الْحَجِّ : إِطْعَامُ الطَّعَامِ ، وَطِيبُ الْكَلَامِ (ك) عن جابر رضى الله عنه .

١٤١١ — بَرُّوا آبَاءَكُمْ تَبَرَّكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ ، وَعِفُّوا تَعِفَّ نِسَاؤُكُمْ (طب) عن ابن عُمَر رضى الله عنهما .

١٤١٢ — بَشِّرْ هَذِهِ الأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ وَالرِّفْعَةِ وَالدِّينِ وَالتَّمْكِينِ فِى الأَرْضِ فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ عَمَلَ الآخِرَةِ لِلدُّنْيَا . لَمْ يَكُنْ لَهُ فى الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ (حم حب ك هب) عن أُبَىٍّ بن كعب رضى الله عنه .

١٤١٣ — بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فى الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (د ت) عن بُرَيدة (ه ك) عن أنس (ابن خزيمة ه ك) عن سهل بن سعد رضى الله عنهم .

١٤١٤ — بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ (حم ق ت) عن أنس (حم ق) عن سهل بن سعد رضى الله عنهم .

١٤١٥ — بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِى آدَمَ قَرْناً فَقَرْناً حتى كُنْتُ مِنَ الْقَرْنِ الذى كُنْتُ فِيهِ (خ) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٤١٦ — بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الكَلِمِ ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ ، وَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الأَرْضِ فَوُضِعَتْ فِي يَدِي (ق ن) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

١٤١٧ — بُعِثْتُ فِي نَسَمِ السَّاعَةِ (البزار حل) عن أبي جبير بن الضحاك رضي الله عنه .

١٤١٨ — بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللهُ تَعَالَى وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي ، وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي ، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ (حم ع طب) عن ابن عمر رضي الله عنهما .

١٤١٩ — بَكِّرُوا بِالصَّلاَةِ فِي يَوْمِ الغَيْمِ ، فَإِنَّهُ مَنْ تَرَكَ الصَّلاَةَ فَقَدْ كَفَرَ (حب) عن بُرَيدة رضي الله عنه.

١٤٢٠ — بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً ، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ (حم خ ت) عن ابن عمرو رضي الله عنه .

١٤٢١ — بَلَى وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيُعْطَى قُوَّةَ مِائَةِ رَجُلٍ فِي المَطْعَمِ وَالمَشْرَبِ وَالشَّهْوَةِ وَالجِمَاعِ ، حَاجَتُهُمْ عَرَقٌ يَفِيضُ مِنْ جُلُودِهِمْ مِثْلُ المِسْكِ ، فَإِذَا البَطْنُ قَدْ ضَمَرَ (حب ك) عن زيد بن أرقم رضي الله عنه .

١٤٢٢ — بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ ، وإِقَامُ الصَّلاَةِ ، وإِيتَاءُ الزَّكَاةِ ، وحَجُّ البَيْتِ ، وصَوْمُ رَمَضَانَ (حم ق ت ن) عن ابن عمر رضي الله عنهما .

١٤٢٣ — بَيْتٌ لاَ تَمْرَ فِيهِ جِيَاعٌ أَهْلُهُ (١) (حم م د ت ه) عن عائشة رضى الله عنها .

١٤٢٤ — بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالكُفْرِ تَرْكُ الصَّلاَةِ (م د ت ه) عن جابر رضى الله عنه .

١٤٢٥ — بَيْنَ العَبْدِ وَبَيْنَ الكُفْرِ وَالإِيمَانِ الصَّلاَةُ ، فَإِذَا تَرَكَهَا فَقَدْ أَشْرَكَ (هبة الله الطبرى) عن ثوبان .

١٤٢٦ — بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلاَةٌ لِمَنْ شَاءَ (حم ق ٤) عن عبد الله بن مُغَفَّل رضى الله عنه .

١٤٢٧ — بَيْنَ يَدَىِ السَّاعَةِ فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِمِ (ك) عن أنس رضى الله عنه .

١٤٢٨ — بَيْنَ يَدَىِ السَّاعَةِ يَظْهَرُ الرِّبَا وَالزِّنَا وَالخَمْرُ (طب) عن ابن مسعود رضى الله عنهما .

١١٢٩ — بِئْسَ مَطِيَّةُ الرَّجُلِ زَعَمُوا (حم والخرائطى فى المساوى) عن أبى مسعود رضى الله عنه .

١٤٣٠ بِئْسَمَا لِأَحَدِكُمْ أَنْ يَقُولَ نَسِيتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ ، بَلْ هُوَ

---

(١) بيت لا تمر فيه جياع أهله . لأن التمر يغذى الجسم وينميه . وكان الصحابة فى غزواتهم مع النبى صلى الله عليه وسلم يتزودون التمر غالبا . لقيمته الغذائية . وخفة مؤنته . ولفظ التمر فى الحديث عام ، يشمل أنواعه . والحديث بالنسبة لأهل المدينة وهم الأنصار فقد كان إدامهم التمر . وأما بالنسبة لغيرهم فيقوم مقامه ما تعودوه من غذاء ، ألا ترى أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل على أهله يوما وسأل : هل من طعام ؟ فقيل : لا ، إلا خل ، فجعل يأتدم به ويقول : نعم الإدام الخل .

نُسِّيَ (حم ق ت ن) عن ابن مسعود رضى الله عنه . زاد (خ) اسْتَذْكِرُوا القُرْآنَ فَلَهُوَ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ مِنَ النَّعَمِ بِعُقُلِهَا .

١٤٣١ — بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ فى الجَنَّةِ إِذْ أَنَا بِنَهْرٍ حَافَتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ المجوَّفِ ، فَقُلْتُ : مَا هَذَا يَا جِبْرِيلَ ؟ قَالَ : هَذَا الكَوْثَرُ الذِى أَعْطَاكَ رَبُّكَ ، فَضَرَبَ المَلَكُ بِيَدِهِ فإذا طِينُهُ مِسْكٌ أَذْفَرُ (خ) عن أنس بن مالك رضى الله عنه .

١٤٣٢ — بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أَتَانِى رَجُلَانِ فَأَخَذَا بِضَبْعَىَّ ، فَأَتَيَا بِى جَبَلاً وَعْراً ، فقَالاَ : اُصْعَدْ ، فقلتُ : إِنِّى لاَ أُطِيقُهُ ، فقَالاَ : إِنَّا سَنُسَهِّلُهُ لَكَ ، فَصَعَدْتُ حتى إِذَا كُنْتُ فى سَوَاءِ الجَبَلِ ، فَإِذَا أَنَا بِأَصْوَاتٍ شَدِيدَةٍ ، فَقُلْتُ : مَا هذِهِ الأَصْوَاتُ ؟ قَالُوا : هَذَا عُوَاءُ أَهْلِ النَّارِ ، ثُمَّ انْطُلِقَ بِى ، فإِذَا أَنَا بِقَوْمٍ مُعَلَّقِينَ مِنْ عَرَاقِيبِهِمْ ، مُشَقَّقَةً أَشْدَاقُهُمْ ، تَسِيلُ أَشْدَاقُهُمْ دَماً ، قُلتُ : مَنْ هٰؤُلاَءِ ؟ قِيلَ : هٰؤُلاَءِ الذينَ يُفْطِرُونَ قَبْلَ تَحِلَّةِ صَوْمِهِمْ ، ثُمَّ انْطُلِقَ بى فإِذَا أَنَا بِقَوْمٍ أَشَدَّ شَيْئًا انْتِفَاخًا ، وَأَنْتَنِهِ رِيحًا وَأَسْوَئِهِ مَنْظَرًا ، فقلتُ : مَنْ هٰؤُلاَءِ ؟ قِيلَ : هٰؤُلاَءِ قَتْلَى الكُفَّارِ ، ثُمَّ انْطُلِقَ بِى ، فَإِذَا أَنَا بِقَوْمٍ أَشَدَّ شَيْئًا انْتِفَاخًا ، وَأَنْتَنِهِ رِيحًا كَأَنَّ رِيحَهُمُ المَرَاحِيضُ ، قُلْتُ : مَنْ هٰؤُلاَءِ ؟ قِيلَ : هٰؤُلاَءِ الزَّانُونَ ، ثُمَّ انْطُلِقَ بِى ، فَإِذَا أَنَا بِنِسَاءٍ تَنْهَشُ ثُدِيَّهُنَّ الحَيَّاتُ ، قُلْتُ : مَا بَالُ هٰؤُلاَءِ ؟ قِيلَ : هٰؤُلاَءِ يَمْنَعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ أَلْبَانَهُنَّ ، ثُمَّ انْطُلِقَ بِى ، فَإِذَا بِغِلْمَانٍ يَلْعَبُونَ بَيْنَ نَهْرَيْنِ ، قُلْتُ : مَنْ هٰؤُلاَءِ ؟ قِيلَ : هٰؤُلاَءِ ذَرَارِى المُؤْمِنِينَ ، ثُمَّ شُرِفَ بِى شَرَفًا ، فَإِذَا أَنَا بِثَلاَثَةٍ يَشْرَبُونَ مِنْ خَمْرٍ لَهُمْ ، قُلْتُ : مَنْ هٰؤُلاَءِ ؟ قِيلَ : هٰؤُلاَءِ جَعْفَرٌ ، وَزَيْدٌ ، وَابْنُ رَوَاحَةَ ، ثُمَّ شُرِفَ بِى شَرَفًا آخَرَ ، فَإِذَا أَنَا بِنَفَرٍ ثَلاَثَةٍ ، قُلْتُ : مَنْ هٰؤُلاَءِ ؟ قِيلَ : هٰذَا

إِبْرَاهِيمُ ، وَمُوسَى ، وَعِيسَى ، وَهُمْ يَنْتَظِرُونَكَ (ابن خزيمة حب) عن أبي أُمامةَ رضى الله عنه .

١٤٣٣ — بَيْنَا أَنَا قَائِمٌ عَلَى الْحَوْضِ إِذَا زُمْرَةٌ حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ فَقَالَ : هَلُمَّ ، فَقُلْتُ : إِلَى أَيْنَ ؟ قَالَ : إِلَى النَّارِ وَاللهِ ، فَقُلْتُ : مَا شَأْنُهُمْ ؟ قَالَ : إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَى ، ثُمَّ إِذَا زُمْرَةٌ أُخْرَى حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ ، فَقَالَ لَهُمْ : هَلُمَّ ، قُلْتُ : إِلَى أَيْنَ ؟ قَالَ : إِلَى النَّارِ وَاللهِ ، قُلْتُ : مَا شَأْنُهُمْ ؟ قَالَ : إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ فَلَا أُرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلَّا مِثْلُ هَمَلِ النَّعَمِ (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

١٤٣٤ — بَيْنَا رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ خَرَجَ فِي بُرْدَيْنِ أَخْضَرَيْنِ[1] يَخْتَالُ فِيهِمَا أَمَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الْأَرْضَ فَأَخَذَتْهُ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ (حم والبزار) عن أبي سعيد رضى الله عنه .

١٤٣٥ — بَيْنَمَا رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَجُرُّ إِزَارَهُ مِنَ الْخُيَلَاءِ خُسِفَ بِهِ ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الْأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ (خ ن) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

---

(١) هذا الحديث ليس مكررا مع الحديثين بعده ، بل كل واحد منهما يدل على حادث حصل فيما سبق . بدليل أنه قال هنا « خرج فى بردين أخضرين » والبرد كساء مربع فيه صور . وقال فى الذى بعده « يجر إزاره » والإزار ما يؤتزر به . وقال فى الثالث « يمشى فى حلة تعجبه نفسه » والحلة رداء وإزار . وأيضا جعل سبب هلاك الأول اختياله ببرديه . وسبب هلاك الثانى جر ازاره خيلاء ،وسبب هلاك الثالث أعجابه بنفسه وبحلته وبترجيل شعره .

١٤٣٦ — بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ مُرَجِّلٌ رَأْسَهُ يَخْتَالُ فِي مِشْيَتِهِ إِذْ خَسَفَ اللهُ بِهِ ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ (ق) عن أبي هُريرة رضى الله عنه .

١٤٣٧ — بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ فَأَخَّرَهُ فَشَكَرَ اللهُ لَهُ ، فَغَفَرَ اللهُ لَهُ (ق) عن أبي هُريرة رضى الله عنه .

١٤٣٨ — بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْحَرُّ ، فَوَجَدَ بِئْراً ، فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ ، فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ ، فَقَالَ الرَّجُلُ : لَقَدْ بَلَغَ هٰذَا الْكَلْبُ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلَ الَّذِي كَانَ مِنِّي ، فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلأَ خُفَّهُ مَاءً ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ حَتَّى رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ ، فَغَفَرَ لَهُ (مالك ق د) عن أبي هُريرة رضى الله عنها .

١٤٣٩ — الْبَحْرُ هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ الْحِلُّ مَيْتَتُهُ (٥) عن أبي هُريرة رضى الله عنه .

١٤٤٠ — الْبَخِيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ (حم ن حب ك) عن الحسين (ت) عن عليّ عليه السلام (ك) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

١٤٤١ — الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ ، وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ (خد م ت) عن النَّوَّاس بن سَمْعان .

١٤٤٢ — الْبِرُّ مَا سَكَنَتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ ، وَالإِثْمُ

مَالَمْ تَسْكُنْ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَلَمْ يَطْمَئِنَّ إِلَيْهِ القَلْبُ ، وَإِنْ أَفْتَاكَ الْمُفْتُونَ (حم) عن أبي ثعلبة رضى الله عنه .

١٤٤٣ — البَرَكَةُ فِي نَوَاصِي الْخَيْلِ (حم ق ن) عن أنس رضى الله عنه .

١٤٤٤ — البَرَكَةُ فِي ثَلَاثَةٍ : فِي الْجَمَاعَةِ ، وَالثَّرِيدِ ، وَالسُّحُورِ (طب هب) عن سلمان رضى الله عنه .

١٤٤٥ — البَرَكَةُ مَعَ أَكَابِرِكُمْ (طب حب حل ك) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

١٤٤٦ — الْبُصَاقُ فِي الْمَسْجِدِ خَطِيئَةٌ ، وَكَفَّارَتُهَا دَفْنُهَا (ق ٣) عن أنس رضى الله عنه .

١٤٤٧ — الْبَغَايَا : اللَّاتِي يُنْكِحْنَ أَنْفُسَهُنَّ بِغَيْرِ بَيِّنَةٍ (ت) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

١٤٤٨ — الْبَقَرَةُ عَنْ سَبْعَةٍ ، وَالْجَزُورُ عَنْ سَبْعَةٍ (حم د) عن جابر (طب) عن ابن مسعود ، وزاد : فِي الأَضَاحِي .

١٤٤٩ — الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَالَمْ يَتَفَرَّقَا ، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا ، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا (حم ق ٣) عن حَكِيم بن حِزام .

* * *

حرف التاء

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

١٤٥٠ — تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ ، كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ الْمَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلاَّ الْجَنَّةُ (حم ت ن ابن خزيمة حب) عن ابن مسعود (ه هب) عن عمر رضى الله عنه .

١٤٥١ — تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ ، وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ ، وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلاَلِ لَكَ صَدَقَةٌ ، وَإِمَاطَتُكَ الأَذَى وَالْعَظْمَ وَالشَّوْكَ عَنِ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ . وَإِفْرَاغُكَ مِنْ دَلْوِكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ (خد ت حب) عن أبى ذر زاد (حب) : وَبَصَرُكَ لِلرَّجُلِ الرَّدِيءِ[1] الْبَصَرِ لَكَ صَدَقَةٌ .

١٤٥٢ — تَبْلُغُ الْحِلْيَةُ مِنَ الْمُؤْمِنِ حَيْثُ يَبْلُغُ الْوُضُوءُ (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٤٥٣ — تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ فَخِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلاَمِ إِذَا فَقِهُوا ، وَتَجِدُونَ خَيْرَ النَّاسِ فِي هَذَا الشَّأْنِ أَشَدَّهُمْ لَهُ كَرَاهِيَةً قَبْلَ

---

(١) وبصرك للرجل الردىء البصر ، لك صدقة . يعنى أن الرجل إذا كان ضعيف النظر . فنحيته عن حفرة أو كان يشترى بضاعة ، فأريته عيبا فيها لم يره . أو ناولته شيئاً كان يبحث عنه . ففى هذه الحالات ونحوها أبصرت الأمر الصالح له ودللته عليه. وبعبارة أدق كنت بصره فى تلك الحالات فكان لك صدقة .

أَنْ يَقَعَ فِيهِ ، وَتَجِدُونَ شَرَّ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ عِنْدَ اللهِ ذَا الْوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هٰؤُلَاءِ بِوَجْهٍ وَهٰؤُلَاءِ بِوَجْهٍ (مالك حم ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

١٤٥٤ — تَجِيءُ رِيحٌ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ فَيُقْبَضُ فِيهَا رُوحُ كُلِّ مُؤْمِنٍ (طب ك) عن عيّاش بن أبي ربيعة رضى الله عنه .

١٤٥٥ — تَحَرَّوْا لَيْلَةَ القَدْرِ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ (حم ق ت) عن عائشة رضى الله عنها .

١٤٥٦ — تَحَرَّوْا لَيْلَةَ القَدْرِ فِي السَّبْعِ الأَوَاخِرِ (مالك م د) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

١٤٥٧ — تَحَرَّوْا لَيْلَةَ القَدْرِ فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّيهَا فَلْيَتَحَرَّهَا لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ (حم) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

١٤٥٨ — تَحَرَّوْا لَيْلَةَ القَدْرِ لَيْلَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ (طب) عن عبد الله بن أنيس رضى الله عنه .

١٤٥٩ — تُحْفَةُ المُؤْمِنِ المَوْتُ (طب حل ك هب) عن ابن عمرو رضى الله عنهما .

١٤٦٠ — تَحَوَّلُوا عَنْ مَكَانِكُمُ الَّذِي أَصَابَتْكُمْ فِيهِ الغَفْلَةُ (د هق) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

١٤٦١ — تَجَوَّزُوا فِي الصَّلَاةِ ، فَإِنَّ خَلْفَكُمُ الكَبِيرَ ، وَالضَّعِيفَ ، وَذَا الحَاجَةِ (طب) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

١٤٦٢ — تَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ تَتَكَلَّمُ بِلِسَانٍ طَلْقٍ ذَلْقٍ لَهَا عَيْنَانِ

تُبْصِرُ بِهِمَا ، وَلَهَا لِسَانٌ تَتَكَلَّمُ بِهِ ، فَتَقُولُ : إِنِّي أُمِرْتُ بِمَنْ جَعَلَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ ، وَبِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ، وَبِمَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ ، فَتَنْطَلِقُ بِهِمْ قَبْلَ سَائِرِ النَّاسِ بِخَمْسِ مِائَةِ عَامٍ (طب) عن أبي سعيد رضى الله عنه .

١٤٦٣ — تَخَلَّلْ[1] إِنَّكَ أَكَلْتَ لَحْمَ أَخِيكَ (ش طب) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

١٤٦٤ — تَخَيَّرُوا لِنُطَفِكُمْ فَأَنْكِحُوا الأَكْفَاءَ وَانْكِحُوا إِلَيْهِمْ (٥ قط ك هق) عن عائشة رضى الله عنها .

١٤٦٥ — تَدَاوَوْا عِبَادَ اللهِ ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلاَّ وَضَعَ لَهُ دَوَاءً غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ ، الهَرَمِ (حم ع حب ك) عن أسامة بن شريك رضى الله عنه .

١٤٦٦ — تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ الخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ ، وَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي العَرَقِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ العَرَقُ إِلْجَامًا (م) عن المِقْداد رضى الله عنه .

---

(١) قال ابن مسعود : كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فقام رجل ، فوقع فيه رجل من بعده ، أى أغتابه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم يؤدبه بأسلوب بليغ لاذع « تخلل » بالخاء المعجمة أى استعمل عود الخلال لتنظيف أسنانك . فقال الرجل : ومم اتخلل ! ما أكلت لحما ؟ فقال عليه الصلاة والسلام « أنك أكلت لحم أخيك » وهو كبيرة ، فهذا لفظ الحديث وسببه ومعناه . ومن قرأ « تحلل » بالحاء المهملة ، فقد صحف لفظ الحديث وحرف معناه .

١٤٦٧ — تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا : كِتَابُ اللهِ وَسُنَّتِي وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ (ك) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

١٤٦٨ — تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَمَ (د ن ك) عن مَعْقِلَ بن يسار رضى الله عنه .

١٤٦٩ — تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكَةً (حم ق ت ن ه) عن أنس رضى الله عنه .

١٤٧٠ — تَسَحَّرُوا وَلَوْ بِجُرْعَةٍ مِنْ مَاءٍ (حب) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

١٤٧١ — تَسْلِيمُ الرَّجُلِ بِأُصْبُعٍ وَاحِدَةٍ يُشِيرُ بِهَا . فِعْلُ الْيَهُودِ (ع طب هب) عن جابر رضى الله عنه .

١٤٧٢ — تَسْمَعُونَ وَيُسْمَعُ مِنْكُمْ وَيُسْمَعُ مِمَّنْ يَسْمَعُ مِنْكُمْ (حم د ك) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

١٤٧٣ — تَسَمَّوْا بِاسْمِي وَلَا تَكَنَّوْا بِكُنْيَتِي (حم ق ت ه) عن أنس (حم ق ه) عن جابر ، زاد (م) فَإِنِّي أَنَا أَبُو الْقَاسِمِ أَقْسِمُ بَيْنَكُمْ .

١٤٧٤ — تَسَمَّوْا بِأَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ وَأَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللهِ عَبْدُ اللهِ وَعَبْدُ الرَّحْمٰنِ . وَأَصْدَقُهَا حَارِثٌ وَهَمَّامٌ . وَأَقْبَحُهَا حَرْبٌ وَمُرَّةُ (خد د ن) عن أبي وهب الجُشَمي .

١٤٧٥ — تُسَمُّونَ أَوْلَادَكُمْ مُحَمَّداً ثُمَّ تَلْعَنُونَهُمْ؟ (البزار ع ك) عن أنس رضى الله عنه .

١٤٧٦ — تَصَدَّقُوا فَسَيَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ يَمْشِي الرَّجُلُ بِصَدَقَتِهِ فَيَقُولُ الَّذِي

يَأْتِيهِ بِهَا : لَوْ جِئْتَ بِهَا أَمْسِ لَقَبِلْتُهَا. فَأَمَّا الآنَ فَلاَ حَاجَةَ لِي فِيهَا . فَلاَ يَجِدُ مَنْ يَقْبَلُهَا (حم ق ن) عن حارثة بن وهب .

١٤٧٧ — تَصَدَّقْنَ يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ (ق) عن زينب الثقفية .

١٤٧٨ — تَطَوُّعُ الرَّجُلِ فِي بَيْتِهِ يَزِيدُ عَلَى تَطَوُّعِهِ عِنْدَ النَّاسِ كَفَضْلِ صَلاَةِ الرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ عَلَى صَلاَتِهِ وَحْدَهُ (ش هب) عن رجل من الصحابة .

١٤٧٩ — تَعَافُوا الْحُدُودَ فِيمَا بَيْنَكُمْ. فَمَا بَلَغَنِي مِنْ حَدٍّ فَقَدْ وَجَبَ (د ن ك) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

١٤٨٠ — تَعَاهَدُوا الْقُرْآنَ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَصِّيًا مِنْ قُلُوبِ الرِّجَالِ مِنَ الإِبِلِ مِنْ عُقُلِهَا (حم م) عن أبى موسى رضى الله عنه .

١٤٨١ — تُعْرَضُ أَعْمَالُ النَّاسِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّتَيْنِ يَوْمَ الاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ إِلاَّ عَبْداً بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ فَيُقَالُ : اتْرُكُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَفِيئَا (م)عن أبى هريرة رضى عنه الله .

١٤٨٢ — تُعْرَضُ الأَعْمَالُ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ فَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ (ت) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٤٨٣ — تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُوداً عُوداً فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ . وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا . نُكِتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ . حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ : أَبْيَضُ مِثْلُ الصَّفَا فَلاَ تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمٰوَاتُ وَالأَرْضُ . وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ

مُجَخِّياً لاَ يَعْرِفُ مَعْرُوفاً وَلاَ يُنْكِرُ مُنْكَراً إِلاَّ مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ (م) عن حذيفة رضى الله عنه .

١٤٨٤ — تَعَبَّدَ عَابِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَعَبَدَ اللهَ فِي صَوْمَعَتِهِ سِتِّينَ عَاماً فَأُمْطِرَتِ الأَرْضُ فَاخْضَرَّتْ فَأَشْرَفَ الرَّاهِبُ مِنْ صَوْمَعَتِهِ ، فَقَالَ : لَوْ نَزَلْتُ فَذَكَرْتُ اللهَ فَازْدَدْتُ خَيْراً فَنَزَلَ وَمَعَهُ رَغِيفٌ أَوْ رَغِيفَانِ فَبَيْنَمَا هُوَ فِي الأَرْضِ لَقِيَتْهُ امْرَأَةٌ فَلَمْ يَزَلْ يُكَلِّمُهَا وَتُكَلِّمُهُ حَتَّى غَشِيَهَا ثُمَّ أُغْمِيَ عَلَيْهِ فَنَزَلَ الْغَدِيرَ يَسْتَحِمُّ فَجَاءَ سَائِلٌ فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ أَنْ يَأْخُذَ الرَّغِيفَيْنِ. ثُمَّ مَاتَ فَوُزِنَتْ عِبَادَةُ سِتِّينَ سَنَةً . بِتِلْكَ الزَّنْيَةِ فَرَجَحَتْ . تِلْكَ الزَّنْيَةُ بِحَسَنَاتِهِ . ثُمَّ وُضِعَ الرَّغِيفُ أَوِ الرَّغِيفَانِ مَعَ حَسَنَاتِهِ فَرَجَحَتْ حَسَنَاتُهُ فَغُفِرَ لَهُ (حب) عن أبى ذر رضى الله عنه .

١٤٨٥ — تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ وَعَبْدُ الْقَطِيفَةِ إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ وَإِذَا شِيكَ فَلاَ انْتَقَشَ ، طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ . أَشْعَثَ رَأْسُهُ . مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ ، إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ (خ) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٤٨٦ — تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ ، فَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ فِي الأَهْلِ ، مَثْرَاةٌ فِي الْمَالِ ، مَنْسَأَةٌ فِي الأَثَرِ ، (حم ت ك) عن أبى هريرة (طب) عن العلاء بن خارجة رضى الله عنه .

١٤٨٧ — تَعَلَّمُوا الْفَرَائِضَ وَعَلِّمُوهُ النَّاسَ فَإِنَّهُ نِصْفُ الْعِلْمِ وَهُوَ يُنْسَى وَهُوَ أَوَّلُ شَيْءٍ يُنْزَعُ مِنْ أُمَّتِي (هـ ك) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٤٨٨ — تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ وَاقْرَؤُهُ فَإِنَّ مَثَلَ الْقُرْآنِ لِمَنْ تَعَلَّمَهُ فَقَرَأَهُ كَمَثَلِ جِرَابٍ مَحْشُوٍّ مِسْكاً يَفُوحُ رِيحُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَمَثَلُ مَنْ تَعَلَّمَهُ فَيَرْقُدُ وَهُوَ فِي جَوْفِهِ كَمَثَلِ جِرَابٍ أُوكِيءَ عَلَى مِسْكٍ (ت ن ه حب) عن أبي هُريرة رضى الله عنه .

١٤٨٩ — تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ جَهْدِ الْبَلاَءِ ، وَدَرْكِ الشَّقَاءِ ، وَسُوءِ الْقَضَاءِ ، وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ (خ) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

١٤٩٠ — تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ جَارِ السُّوءِ فِي دَارِ الْمُقَامَةِ فَإِنَّ الْجَارَ الْبَادِيَ يَتَحَوَّلُ عَنْكَ (ن) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

١٤٩١ — تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ جُبِّ الْحُزْنِ قِيلَ : وَمَا جُبُّ الْحُزْنِ ؟ قَالَ : وَادٍ فِي جَهَنَّمَ تَتَعَوَّذُ مِنْهُ جَهَنَّمُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً أَعَدَّهُ اللهُ لِلْقُرَّاءِ الْمُرَائِينَ (البيهقى فى البعث) عن على عليه السلام .

١٤٩٢ — تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ نِصْفَ اللَّيْلِ فَيُنَادِي مُنَادٍ : هَلْ مِنْ دَاعٍ فَيُسْتَجَابَ لَهُ ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَيُعْطَى ؟ هَلْ مِنْ مَكْرُوبٍ فَيُفْرَجَ عَنْهُ ؟ فَلاَ يَبْقَى مُسْلِمٌ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ إِلاَّ اسْتَجَابَ اللهُ تَعَالَى لَهُ إِلاَّ زَانِيَةً تَسْعَى بِفَرْجِهَا . أَوْ عَشَّاراً (طب) عن عثمان بن أبي العاصى رضى الله عنه .

١٤٩٣ — تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ فَيُغْفَرُ فِيهِمَا لِكُلِّ عَبْدٍ لاَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً إِلاَّ رَجُلاً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ ، فَيُقَالُ : أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا (خد م ت ه) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

١٤٩٤ — تُفْتَحُ الْيَمَنُ فَيَأْتِي قَوْمٌ يَبُسُّونَ فَيَتَحَمَّلُونَ بِأَهْلِيهِمْ ، وَمَنْ أَطَاعَهُمْ ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ، وَتُفْتَحُ الشَّامُ فَيَأْتِي قَوْمٌ يَبُسُّونَ فَيَتَحَمَّلُونَ بِأَهْلِيهِمْ وَمَنْ أَطَاعَهُمْ ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ، وَتُفْتَحُ الْعِرَاقُ فَيَأْتِي قَوْمٌ يَبُسُّونَ فَيَتَحَمَّلُونَ بِأَهْلِيهِمْ وَمَنْ أَطَاعَهُمْ ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (مالك ق) عن سفيان ابن أبي زُهير رضى الله عنه .

١٤٩٥ — تَقْعُدُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى أَبْوَابِ الْمَسَاجِدِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَيَكْتُبُونَ الْأَوَّلَ وَالثَّانِي وَالثَّالِثَ حَتَّى إِذَا خَرَجَ الإِمَامُ رُفِعَتِ الصُّحُفُ (حم) عن أبي أُمامة رضى الله عنه .

١٤٩٦ — تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ (حم م) عن الْمُسْتَوْرِد .

١٤٩٧ — تَكَلَّمَ فِي الْمَهْدِ أَرْبَعَةٌ وَهُمْ صِغَارٌ : ابْنُ مَاشِطَةِ بِنْتِ فِرْعَوْنَ ، وَشَاهِدُ يُوسُفَ ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ ، وَعِيسَى بْنُ مَرْيَمَ (حم ش ع البزار حب ك هب) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

١٤٩٨ — تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ[1] (م) عن أبي ذر رضى الله عنه .

١٤٩٩ — تِلْكَ[2] الْمَلَائِكَةُ تَسْتَمِعُ لَكَ ، وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَرَاهَا النَّاسُ مَا تَسْتَتِرُ مِنْهُمْ (ق) عن أبي سعيد رضى الله عنه .

---

(١) قال أبو ذر رضى الله عنه : قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أرايت الرجل الذى يعمل العمل من الخير فيحمده الناس عليه ؟ فقال « تلك عاجل بشرى المؤمن » بأن الله تعالى رضى عمله .

(١) قال أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه : بينما أسيد بن حضير فى ليلة يقرأ فى مربده ـ مكان يوضع فيه التمر ـ إذ جالت فرسه ، فقرأ ، ثم جالت أخرى، فقرأ ، ثم =

١٥٠٠ — تَمَامُ النِّعْمَةِ دُخُولُ الْجَنَّةِ ، وَالْفَوْزُ مِنَ النَّارِ (حم خد) عن معاذ بن جبل رضى الله عنه .

١٥٠١ — تَفَقَّهْ وَتَوَقَّهْ[1] (حب حل) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

١٥٠٢ — تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ : لِمَالِهَا ، وَلِحَسَبِهَا ، وَجَمَالِهَا ، وَلِدِينِهَا ، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ (ق د ن ه) عن أبى هُريرة رضى الله عنه .

١٥٠٣ — تَهَادَوْا تَحَابُّوا (الطيالسى حم خد ت ن فى الكنى حب) عن أبى هُرَيرة رضى الله عنه .

١٥٠٤ — تُوبُوا إِلَى اللهِ فَإِنِّى أَتُوبُ إِلَيْهِ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ (خد) عن ابن عُمر رضى الله عنهما .

١٥٠٥ — تَوَضَّؤُا مِمَّا مَسَّتِ[2] النَّارُ (حم ن) عن أبى هُريرة (حم م ه) عن عائشة رضى الله عنها .

= جالت أخرى ، قال أسيد : فخشيت أن تطأ يحيى - ابنه - فقمت إليها ، فإذا مثل الظلة فوق رأسى ، فيها أمثال السرج عرجت فى الجو ، حتى ما أراها . فلما أصبح أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، فقال « تلك الملائكة تستمع لك ، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم » وفى صحيح ابن حبان عن أسيد بن حضير أنه كان يقرأ سورة البقرة .

(١) تفقه وتوقه . أى تخير صاحبك أورفيقك فى سفر أو معاملة مثلا ، وتوقه أى احترس منه حتى تعرف مدى صدقه وإخلاصه . وروى أبو الشيخ والديلمى فى مسند الفردوس عن على عليه السلام قال : الحزم سوء الظن .

(١) توضئوا مما مست النار . قيل : معناه اغسلوا أيديكم ، لأن ماطبخ بالنار يكون فيه دسم غالبا ، فينبغى غسل اليد منه . بخلاف ما لم تمسه النار كالتمر ، لا تغسل اليد =

١٥٠٦ — التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ (٥ طب) عن ابن مسعود (الحكيم) عن أبى سعيد رضى الله عنهم .

١٥٠٧ — التَّأَنِّى مِنَ اللهِ ، وَالعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ ، وَمَا أَحَدٌ أَكْثَرُ مَعَاذِيرَ مِنَ اللهِ ، وَمَا مِنْ شَىْءٍ أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الحَمْدِ (ش ع) عن أنس رضى الله عنه .

١٥٠٨ — التُّؤَدَةُ فِى كُلِّ شَىْءٍ خَيْرٌ ، إِلاَّ فِى عَمَلِ الآخِرَةِ (د ك هب) عن سعد رضى الله عنه .

١٥٠٩ — التَّاجِرُ الأَمِينُ الصَّدُوقُ المُسْلِمُ مَعَ الشُّهَدَاءِ يَوْمَ القِيَامَةِ (٥ ك) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

١٥١٠ — التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ (ت ك) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

١٥١١ — التَّثَاؤُبُ مِنَ الشَّيْطَانِ ، فَإِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَرُدَّهُ مَا اسْتَطَاعَ ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَالَ : هَا ، ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٥١٢ — التَّسْبِيحُ لِلرِّجَالِ وَالتَّصْفِيقُ لِلنِّسَاءِ (حم) عن جابر رضى الله عنه .

= منه . وقيل : معنى توضؤا هو وضوء الصلاة . وكان ذلك واجبا فى أول الأمر ، ثم نسخ ، بدليل أن النبى صلى الله عليه وسلم بعد هذا الحديث أكل طعاما مسته النار ولم يتوضأ ؛ وهذا مذهب الجمهور . وقيل : الحديث خاص بما مسته النار من لحم الإبل ، لحديث من أكل لحم جزور فليتوضأ وهو مذهب الإمام أحمد وقول للشافعى .

١٥١٣ — التَّسْبِيحُ نِصْفُ الميزَانِ ، وَالحمدُ للهِ تَمْلَؤُهُ ، وَالتَّكْبِيرُ يَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ، وَالصَّوْمُ نِصْفُ الصَّبْرِ ، وَالطُّهُورُ نِصْفُ الإِيمَانِ (ت) عن رجل من بنى سليم .

١٥١٤ — التَّسْبِيحُ نِصْفُ الميزَانِ ، وَالحمدُ للهِ تَمْلَؤُهُ ، وَلاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ لَيْسَ لَهَا دُونَ اللهِ حِجَابٌ حَتَّى تَخْلُصُ إِلَيْهِ (ت) عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه .

١٥١٥ — التَّضَلُّعُ مِنْ ماء زَمْزَمَ بَرَاءَةٌ مِنَ النِّفَاقِ (ه والأزرقى فى تاريخ مكة) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

١٥١٦ — التَّفْلُ فِى المَسْجِدِ خَطِيئَةٌ وَكَفَّارَتُهُ أَنْ يُوَارِيَهُ (د) عن أنس رضى الله عنه .

١٥١٧ — التَّلْبِينَةُ مُجَمَّةٌ لِفُؤَادِ المَرِيضِ تَذْهَبُ بِبَعْضِ الحُزْنِ (حم ق) عن عائشة رضى الله عنها.

١٥١٨ — التَّمْرُ بِالتَّمْرِ ، وَالحِنْطَةُ بِالحِنْطَةِ ، وَالشَّعِيرُ بِالشَّعِيرِ ، وَالمِلْحُ بِالمِلْحِ . مِثْلاً بِمِثْلٍ ، يَدًا بِيَدٍ ، فَمَنْ زَادَ أَوْ اسْتَزَادَ فَقَدْ أَرْبَى ، إِلاَّ مَا اخْتَلَفَتْ أَلْوَانُهُ (حم م ن) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

* * *

حرف الشاء

قال رسول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

١٥١٩ — ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ : أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ . كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ (حم ق ت ن ه) عن أنس رضى الله عنه .

١٥٢٠ — ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ آوَاهُ اللهُ فِي كَنَفِهِ وَنَشَرَ عَلَيْهِ رَحْمَتَهُ وَأَدْخَلَهُ جَنَّتَهُ : مَنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ ، وَإِذَا قَدَرَ غَفَرَ ، وَإِذَا غَضِبَ فَتَرَ (ك هب) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

١٥٢١ — ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ حَاسَبَهُ اللهُ تَعَالَى حِسَاباً يَسِيراً وَأَدْخَلَهُ الجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ : تُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ ، وَتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ ، وَتَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ (البزار طس ك) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٥٢٢ — ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ، وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَحَجَّ وَاعْتَمَرَ وَقَالَ إِنِّي مُسْلِمٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا ائْتُمِنَ خَانَ (ع) عن أبى هريرة رضى الله عنه (رسته فى الإيمان وأبو الشيخ فى التوبيخ) عن أنس رضى الله عنه .

١٥٢٣ — ثَلَاثٌ مِنَ الجَفَاءِ : أَنْ يَبُولَ الرَّجُلُ قَائِماً ، أَوْ يَمْسَحَ جَبْهَتَهُ قَبْلَ أَنْ يَفْرُغَ مِنَ السُّجُودِ ، أَوْ يَنْفُخَ فِي سُجُودِهِ (ن و البزار) عن بُرَيدة رضى الله عنهما .

١٥٢٤ — ثَلاَثٌ مِنْ أَخْلاَقِ النُّبُوَّةِ : تَعْجِيلُ الإِفْطَارِ وَتَأْخِيرُ السُّحُورِ وَوَضْعُ اليمينِ عَلَى الشِّمالِ فِي الصَّلاَةِ (طب) عن أبي لدرداء رضى الله عنه .

١٥٢٥ — ثَلاَثٌ مِنَ الفَوَاقِرِ : إِمَامٌ إِنْ أَحْسَنْتَ لَمْ يَشْكُرْ ، وَإِنْ أَسَأْتَ لَمْ يَغْفِرْ ، وَجَارُ سُوءٍ إِنْ رَأَى خَيْرًا دَفَنَهُ ، وَإِنْ رَأَى شَرًّا أَذَاعَهُ ، وَامْرَأَةٌ إِنْ حَضَرَتْ آذَتْكَ وَإِنْ غِبْتَ عَنْهَا خَانَتْكَ (طب) عن فضالة ابن عبيد .

١٥٢٦ — ثَلاَثٌ أَحْلِفُ عَلَيْهِنَّ : لاَ يَجْعَلُ اللهُ مَنْ لَهُ سَهْمٌ فى الإِسْلاَمِ كَمَنْ لاَ سَهْمَ لَهُ ، وَأَسْهُمُ الإِسلاَمِ ثَلاَثَةٌ : الصَّلاَةُ وَالصَّوْمُ وَالزَّكَاةُ ، وَلاَ يَتَوَلَّى اللهَ عَبْدٌ فِي الدُّنْيَا فَيُولِيهِ غَيْرَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ ، وَلاَ يُحِبُّ رَجُلٌ قَوْماً إِلاَّ جَعَلَهُ اللهُ مَعَهُمْ ، وَالرَّابِعَةُ لَوْ حَلَفْتُ عَلَيْهَا رَجَوْتُ أَنْ لاَ آثَمَ ، لاَ يَسْتُرُ اللهُ عَبْداً فِي الدُّنْيَا إِلاَّ سَتَرَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ (حم ن ك هب) عن عائشة رضى الله عنها (ع طب) عن ابن مسعود (طب) عن أبي أمامة .

١٥٢٧ — ثَلاَثٌ إِذَا خَرَجْنَ لاَ يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا : طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَالدَّجَّالُ ، وَدَابَّةُ الأَرْضِ (م ت) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

١٥٢٨ — ثَلاَثٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ : مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ ، وَلاَ ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً صَبَرَ عَلَيْهَا إِلاَّ زَادَهُ اللهُ عِزًّا ، وَلاَ فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلاَّ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ ، وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثاً فَاحْفَظُوهُ : إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ : عَبْدٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً وَعِلْماً فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ ، وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا ، فَهَذَا بِأَفْضَلِ المَنَازِلِ ، وَعَبْدٌ رَزَقَهُ اللهُ عِلْماً وَلَمْ

يَرْزُقْهُ مَالاً فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ : لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ . فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ ، وَعَبْدٌ رَزَقَهُ اللهُ مَالاً وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْماً يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ لاَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ وَلاَ يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ وَلاَ يَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقًّا ، فَهَذَا بِأَخْبَثِ المَنَازِلِ ، وَعَبْدٌ لَمْ يَرْزُقْهُ اللهُ مَالاً وَلاَ عِلْماً فَهُوَ يَقُولُ : لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلاَنٍ ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ (حم ت) عن أبي كبشة الأنماري .

١٥٢٩ — ثَلاَثٌ جِدُّهُنَّ جِدٌّ وَهَزْلُهُنَّ جِدٌّ : النِّكَاحُ ، وَالطَّلاَقُ ، وَالرَّجْعَةُ (د ت ه) عن أبي هريرة .

١٥٣٠ — ثَلاَثٌ حَقٌّ عَلَى اللهِ أَنْ لاَ يَرُدَّ لَهُمْ دَعْوَةً : الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ ، وَالمَظْلُومُ حَتَّى يَنْتَصِرَ ، وَالمُسَافِرُ حَتَّى يَرْجِعَ (البزار) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

١٥٣١ — ثَلاَثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لاَ شَكَّ فِيهِنَّ : دَعْوَةُ المُسَافِرِ ، وَدَعْوَةُ الوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ ، وَدَعْوَةُ المَظْلُومِ (حم خد د ت) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

١٥٣٢ — ثَلاَثٌ كُلُّهُنَّ حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ : عِيَادَةُ المَرِيضِ ، وَشُهُودُ الجَنَازَةِ ، وَتَشْمِيتُ العَاطِسِ إِذَا حَمِدَ اللهَ (خد) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

١٥٣٣ — ثَلاَثُ خِصَالٍ مِنْ سَعَادَةِ المَرْءِ المُسْلِمِ فِي الدُّنْيَا : الجَارُ الصَّالِحُ وَالمَسْكَنُ الوَاسِعُ ، وَالمَرْكَبُ الهَنِيءُ (حم طب ك) عن نافع بن عبد الحارث .

١٥٣٤ — ثَلَاثٌ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ ، فَهَذَا صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ (م د ن) عن أبى قتادة رضى الله عنه .

١٥٣٥ — ثَلَاثٌ لَا تُؤَخِّرُوهُنَّ : الصَّلَاةُ إِذَا أُذِّنَتْ ، وَالْجَنَازَةُ إِذَا حَضَرَتْ وَالأَيِّمُ إِذَا وَجَدَتْ كُفْؤاً (ت ك) عن على عليه السلام .

١٥٣٦ — ثَلَاثٌ لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَفْعَلَهُنَّ : لَا يَؤُمُّ رَجُلٌ قَوْماً فَيَخُصُّ نَفْسَهُ بِالدُّعَاءِ دُونَهُمْ ، فَإِنْ فَعَلَ فَقَدْ خَانَهُمْ ، وَلَا يَنْظُرُ فِى قَصْرِ بَيْتٍ قَبْلَ أَنْ يَسْتَأْذِنَ ، فَإِنْ فَعَلَ فَقَدْ دَخَلَ ، وَلَا يُصَلِّى وَهُوَ حَقِنٌ حَتَّى يَتَخَفَّفَ (د ت) عن ثوبان (د) عن أبىّ هريرة رضى الله عنه .

١٥٣٧ — ثَلَاثٌ لَا يُمْنَعْنَ : الْمَاءُ ، وَالْكَلَأُ ، وَالنَّارُ (ه) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٥٣٨ — ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ كُنْتُ خَصْمَهُ خَصَمْتُهُ رَجُلٌ أَعْطَى بِى ثُمَّ غَدَرَ ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيراً فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُوَفِّهِ أَجْرَهُ (خ ه) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٥٣٩ — ثَلَاثَةٌ تُسْتَجَابُ دَعْوَتُهُمْ : الْوَالِدُ وَالْمُسَافِرُ وَالْمَظْلُومُ (حم طب) عن عُقبة بن عامر .

١٥٤٠ — ثَلَاثَةٌ حَقٌّ عَلَى اللهِ تَعَالَى عَوْنُهُمْ : الْمُجَاهِدُ فِى سَبِيلِ اللهِ وَالْمُكَاتَبُ الَّذِى يُرِيدُ الأَدَاءَ ، وَالنَّاكِحُ الَّذِى يُرِيدُ الْعَفَافَ (حم ت ن ه ك) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٥٤١ — ثَلاَثَةٌ قَدْ حَرَّمَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْهِمُ الْجَنَّةَ : مُدْمِنُ الْخَمْرِ، وَالعَاقُّ ، وَالدَّيُّوثُ الَّذِى يُقِرُّ الْخُبْثَ فِى أَهْلِهِ (حم ن البزار ك) عن ابن عمر رضى الله عنه .

١٥٤٢ — ثَلاَثَةٌ كُلُّهُمْ ضَامِنٌ عَلَى اللهِ : رَجُلٌ خَرَجَ غَازِياً فِى سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللهِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُ فَيُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ يَرُدَّهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ، وَرَجُلٌ رَاحَ إِلَى الْمَسْجِدِ فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللهِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُ فَيُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ يَرُدَّهُ بِمَا نَالَ مِنَ أَجْرٍ ، وَرَجُلٌ دَخَلَ بَيْتَهُ بِسَلاَمٍ فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللهِ (د حب ك) عن أبى أمامة رضى الله عنه .

١٥٤٣ — ثَلاَثَةٌ لاَ تُجَاوِزُ صَلاَتُهُمْ آذَانَهُمْ : العَبْدُ الآبِقُ حَتَّى يَرْجِعَ وَامْرَأَةٌ بَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَلَيْهَا سَاخِطٌ ، وَإِمَامُ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ (ت) عن أبى أمامة رضى الله عنه .

١٥٤٤ — ثَلاَثَةٌ لاَ تُرْفَعُ صَلاَتُهُمْ فَوْقَ رُؤُسِهِمْ شِبْراً ، رَجُلٌ أَمَّ قَوْماً وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ، وَامْرَأَةٌ بَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَلَيْهَا سَاخِطٌ ، وَأَخَوَانِ مُتَصَارِمَانِ (٥) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

١٥٤٥ — ثَلاَثَةٌ لاَ تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ : الإِمَامُ العَادِلُ وَالصَّائِمُ حِينَ يُفْطِرُ وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا اللهُ فَوْقَ الغَمَامِ وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَيَقُولُ الرَّبُّ : وَعِزَّتِى وَجَلاَلِى لأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ (حم ت ٥ ابن خزيمة حب) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٥٤٦ — ثَلاَثَةٌ مِنَ السَّعَادَةِ الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ تَرَاهَا تُعْجِبُكَ وَتَغِيبُ

فَتَأَمَّنُهَا عَلَى نَفْسِهَا وَمَالِكَ . وَالدَّابَّةُ تَكُونُ وَطِيئَةً تُلْحِقُكَ بِأَصْحَابِكَ . وَالدَّارُ تَكُونُ وَاسِعَةً كَثِيرَةَ المَرَافِقِ . وَثَلَاثَةٌ مِنَ الشَّقَاءِ . المَرْأَةُ تَرَاهَا فَتَسُوءُكَ وَتَحْمِلُ لِسَانَهَا عَلَيْكَ وَإِنْ غِبْتَ عَنْهَا لَمْ تَأْمَنْهَا عَلَى نَفْسِهَا وَمَالِكَ ، وَالدَّابَّةُ تَكُونُ قَطُوفًا فَإِنْ ضَرَبْتَهَا أَتْعَبَتْكَ وَإِنْ تَرَكْتَهَا لَمْ تُلْحِقْكَ بِأَصْحَابِكَ وَالدَّارُ تَكُونُ ضَيِّقَةً قَلِيلَةَ المَرَافِقِ (ك) عن سعد رضى الله عنه .

١٥٤٧ — ثَلَاثَةٌ مِنَ الكُفْرِ بِاللهِ : شَقُّ الجَيْبِ وَالنِّيَاحَةُ وَالطَّعْنُ فِي النَّسَبِ (حب ك) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٥٤٨ — ثَلَاثَةٌ لَا تَسْأَلْ عَنْهُمْ : رَجُلٌ فَارَقَ الجَمَاعَةَ وَعَصَى إِمَامَهُ وَمَاتَ عَاصِيًا . وَأَمَةٌ أَوْ عَبْدٌ أَبَقَ مِنْ سَيِّدِهِ فَمَاتَ . وَامْرَأَةٌ غَابَ عَنْهَا زَوْجُهَا وَقَدْ كَفَاهَا مُؤْنَةَ الدُّنْيَا فَتَبَرَّجَتْ بَعْدَهُ (خد ع طب ك هب) عن فضالة بن عبيد رضى الله عنه .

١٥٤٩ — ثَلَاثَةٌ لَا يُسْأَلُ عَنْهُمْ : رَجُلٌ يُنَازِعُ اللهَ رِدَاءَهُ فَإِنَّ رِدَاءَهُ الكِبْرُ وَإِزَارَهُ العِزُّ . وَرَجُلٌ فِي شَكٍّ مِنْ أَمْرِ اللهِ ، وَالقَانِطُ مِنْ رَحْمَتِهِ (خد ع طب حب) عن فضالة بن عبيد رضى الله عنه .

١٥٥٠ — ثَلَاثَةٌ لَا تَقْرَبُهُمُ المَلَائِكَةُ : جِيفَةُ الكَافِرِ وَالمُتَضَمِّخُ بِالخَلُوقِ وَالجُنُبُ إِلَّا أَنْ يَتَوَضَّأَ (د) عن عمار بن ياسر رضى الله عنهما ورواه (طب) وزاد : وَالجُنُبُ إِلَّا أَنْ يَبْدُوَ لَهُ أَنْ يَأْكُلَ أَوْ يَنَامَ فَلْيَتَوَضَّأْ وُضُوءَهُ لِلصَّلَاةِ .

١٥٥١ — ثَلاَثَةٌ لاَ تَقْرَبُهُمُ المَلاَئِكَةُ : الجُنُبُ وَالسَّكْرَانُ وَالمُتَضَمِّخُ بِالخَلُوقِ (البزار) عن ابن عباس رضى الله عنه .

١٥٥٢ — ثَلاَثَةٌ لاَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ : مُدْمِنُ الخَمْرِ وَقَاطِعُ الرَّحِمِ وَمُصَدِّقٌ بِالسِّحْرِ ، وَمَنْ مَاتَ مُدْمِنَ الخَمْرِ سَقَاهُ اللهُ جَلَّ وَعَلاَ مِنْ نَهْرِ الغُوطَةِ نَهْرٌ يَجْرِى مِنْ فُرُوجِ المُومِسَاتِ يُؤْذِى أَهْلَ النَّارِ رِيحُ فُرُوجِهِنَّ (حم ع حب طب ك) عن أبى موسى رضى الله عنه .

١٥٥٣ — ثَلاَثَةٌ لاَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ : العَاقُّ لِوَالِدَيْهِ وَالدَّيُّوثُ وَرَجُلَةُ النِّسَاءِ (ك هب) عن ابن عمر رضى الله عنه .

١٥٥٤ — ثَلاَثَةٌ لاَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ أَبَداً : الدَّيُّوثُ وَالرَّجُلَةُ مِنَ النِّسَاءِ وَمُدْمِنُ الخَمْرِ (طب) عن عمار بن ياسر رضى الله عنهما .

١٥٥٥ — ثَلاَثَةٌ لاَ يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُمْ صَرْفاً وَلاَ عَدْلاً : عَاقٌّ وَفَتَّانٌ وَمُكَذِّبٌ بِالقَدَرِ (ابن أبى عاصم فى السنة طب) عن أبى أمامة .

١٥٥٦ — ثَلاَثَةٌ لاَ يَقْبَلُ اللهُ لَهُمْ صَلاَةً وَلاَ تُرْفَعُ لَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ حَسَنَةٌ : العَبْدُ الآبِقُ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى مَوَالِيهِ ، وَالمَرْأَةُ السَّاخِطُ عَلَيْهَا زَوْجُهَا ، حَتَّى يَرْضَى ، وَالسَّكْرَانُ حَتَّى يَصْحُوَ (ابن خزيمة حب طس هب) عن جابر رضى الله عنه .

١٥٥٧ — ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ . وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ : المُسْبِلُ إِزَارَهُ وَالمَنَّانُ الَّذِى لاَ يُعْطِى شَيْئاً إِلاَّ مَنَّهُ ، وَالمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالحَلِفِ الكَاذِبِ (حم م ع) عن أبى ذر رضى الله عنهُ .

١٥٥٨ — ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ : رَجُلٌ حَلَفَ عَلَى سِلْعَتِهِ لَقَدْ أُعْطِيَ بِهَا أَكْثَرَ مِمَّا أُعْطِيَ وَهُوَ كَاذِبٌ ، وَرَجُلٌ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ كَاذِبَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ رَجُلٍ مُسْلِمٍ ، وَرَجُلٌ مَنَعَ فَضْلَ مَائِهِ فَيَقُولُ اللهُ : الْيَوْمَ أَمْنَعُكَ فَضْلِي كَمَا مَنَعْتَ فَضْلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ يَدَاكَ (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

١٥٥٩ — ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ : رَجُلٌ عَلَى فَضْلِ مَاءٍ بِالْفَلاَةِ يَمْنَعُهُ مِنِ ابْنِ السَّبِيلِ ، وَرَجُلٌ بَايَعَ رَجُلاً بِسِلْعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ فَحَلَفَ بِاللهِ لَأَخَذَهَا بِكَذَا وَكَذَا فَصَدَّقَهُ ، وَهُوَ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ ، وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لاَ يُبَايِعُهُ إِلاَّ لِدُنْيَا ، فَإِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا وَفَى ، وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ مِنْهَا لَمْ يَفِ (حم ق ٤) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

١٥٦٠ — ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ : شَيْخٌ زَانٍ ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ (م ن) عن أبي هُريرة رضى الله عنه .

١٥٦١ — ثَلاَثَةٌ لاَ يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ ، وَالْمَرْأَةُ الْمُتَرَجِّلَةُ الْمُتَشَبِّهَةُ بِالرِّجَالِ ، وَالدَّيُّوثُ . وَثَلاَثَةٌ لاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ : الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ ، وَالْمُدْمِنُ الْخَمْرِ ، وَالْمَنَّانُ بِمَا أَعْطَى (حم ن ك) عن ابن عُمر رضى الله عنهما .

١٥٦٢ — ثَلاَثَةٌ لاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ : الشَّيْخُ الزَّانِي ، وَالإِمَامُ الْكَذَّابُ ، وَالْعَائِلُ الْمَزْهُوُّ (البزار) عن سَلْمان رضى الله عنه .

١٥٦٣ — ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ ، وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ : أَشْيَمِطٌ زَانٍ ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ ، وَرَجُلٌ جَعَلَ اللهَ بِضَاعَتَهُ لاَ يَشْتَرِى إِلاَّ بِيَمِينِهِ ، وَلاَ يَبِيعُ إِلاَّ بِيَمِينِهِ (طب هب) عن سلمان رضى الله عنه .

١٥٦٤ — ثَلاَثَةٌ لاَ يَهُولُهُمُ الفَزَعُ الأَكْبَرُ ، وَلاَ يَنَالُهُمُ الحِسَابُ ، هُمْ عَلَى كَثِيبٍ مِنْ مِسْكٍ حَتَّى يُفْرَغَ مِنْ حِسَابِ الخَلاَئِقِ : رَجُلٌ قَرَأَ القُرْآنَ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ ، وَأَمَّ بِهِ قَوْماً وَهُمْ بِهِ رَاضُونَ ، وَدَاعٍ يَدْعُو إِلَى الصَّلاَةِ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ ، وَعَبْدٌ أَحْسَنَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ وَفِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَوَالِيهِ (طس) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

١٥٦٥ — ثَلاَثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ : رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ ، وَأَدْرَكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَآمَنَ بِهِ وَصَدَّقَهُ وَاتَّبَعَهُ ، فَلَهُ أَجْرَانِ . وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ أَدَّى حَقَّ اللهِ وَحَقَّ سَيِّدِهِ فَلَهُ أَجْرَانِ . وَرَجُلٌ كَانَتْ لَهُ أَمَةٌ فَغَذَّاهَا فَأَحْسَنَ غِذَاءَهَا ، ثُمَّ أَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا ، ثُمَّ أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا فَلَهُ أَجْرَانِ (حم ق ت ن ه) عن أبى موسى رضى الله عنه .

١٥٦٦ — ثَلاَثَةٌ يُحِبُّهُمُ اللهُ وَثَلاَثَةٌ يُبْغِضُهُمُ اللهُ ، فَأَمَّا الَّذِينَ يُحِبُّهُمُ اللهُ : فَرَجُلٌ أَتَى قَوْماً فَسَأَلَهُمْ بِاللهِ وَلَمْ يَسْأَلْهُمْ لِقَرَابَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ فَمَنَعُوهُ فَتَخَلَّفَ رَجُلٌ بِأَعْقَابِهِمْ فَأَعْطَاهُ سِرًّا لاَ يَعْلَمُ بِعَطِيَّتِهِ إِلاَّ اللهُ وَالَّذِى أَعْطَاهُ ، وَقَوْمٌ سَارُوا لَيْلَتَهُمْ حَتَّى إِذَا كَانَ النَّوْمُ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِمَّا يُعْدَلُ بِهِ فَوَضَعُوا رُؤُسَهُمْ ، فَقَامَ أَحَدُهُمْ يَتَمَلَّقُنِى وَيَتْلُو آيَاتِى ،

وَرَجُلٌ كَانَ فِي سَرِيَّةٍ فَلَقِيَ الْعَدُوَّ فَهُزِمُوا ، فَأَقْبَلَ بِصَدْرِهِ حَتَّى يُقْتَلَ أَوْ يُفْتَحَ لَهُ . وَالثَّلَاثَةُ الَّذِينَ يُبْغِضُهُمُ اللهُ : الشَّيْخُ الزَّانِي ، وَالْفَقِيرُ الْمُخْتَالُ ، وَالْغَنِيُّ الظَّلُومُ (د ابن خزيمة ن ت حب ك) عن أبي ذر ، وفي رواية (حب) : وَيُبْغِضُ الشَّيْخَ الزَّانِيَ ، وَالْبَخِيلَ ، وَالْمُتَكَبِّرَ .

١٥٦٧ — ثَلَاثَةٌ يُحِبُّهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : رَجُلٌ قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتْلُو كِتَابَ اللهِ ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ صَدَقَةً بِيَمِينِهِ يُخْفِيهَا مِنْ شِمَالِهِ ، وَرَجُلٌ كَانَ فِي سَرِيَّةٍ فَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ فَاسْتَقْبَلَ الْعَدُوَّ (ت) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

١٥٦٨ — ثَلَاثَةٌ يُحِبُّهُمُ اللهُ وَيَضْحَكُ إِلَيْهِمْ وَيَسْتَبْشِرُ بِهِمْ : الَّذِي إِذَا انْكَشَفَتْ فِئَةٌ قَاتَلَ وَرَاءَهَا بِنَفْسِهِ لِلهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَإِمَّا أَنْ يُقْتَلَ وَإِمَّا أَنْ يَنْصُرَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَيَكْفِيَهُ ، فَيَقُولُ : انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي هٰذَا كَيْفَ صَبَرَ لِي بِنَفْسِهِ ؟ وَالَّذِي لَهُ امْرَأَةٌ حَسَنَةٌ وَفِرَاشٌ لَيِّنٌ حَسَنٌ ، فَيَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ فَيَقُولُ : يَذَرُ شَهْوَتَهُ وَيَذْكُرُنِي وَلَوْ شَاءَ رَقَدَ ، وَالَّذِي إِذَا كَانَ فِي سَفَرٍ وَكَانَ مَعَهُ رَكْبٌ فَسَهِرُوا ثُمَّ هَجَعُوا فَقَامَ مِنَ السَّحَرِ فِي ضَرَّاءَ وَسَرَّاءَ (طب) عن أبي الدرداء رضى الله عنه .

١٥٦٩ — ثَلَاثَةٌ يَضْحَكُ اللهُ إِلَيْهِمْ : الرَّجُلُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يُصَلِّي ، وَالْقَوْمُ إِذَا صَفُّوا لِلصَّلَاةِ ، وَالْقَوْمُ إِذَا صَفُّوا لِلْقِتَالِ (حم ع) عن أبي سعيد رضى الله عنه .

١٥٧٠ — ثَمَنُ الْكَلْبِ خَبِيثٌ ، وَمَهْرُ الْبَغِيِّ خَبِيثٌ ، وَكَسْبُ الْحَجَّامِ خَبِيثٌ (حم م د ت) عن رافع بن خديج .

١٥٧١ — ثِنْتَانِ لاَ تُرَدَّانِ : الدُّعَاءُ عِنْدَ النِّدَاءِ ، وَعِنْدَ الْبَأْسِ حِينَ يَلْحَمُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً (د حب ك) عن سهل بن سعد رضى الله عنهما .

١٥٧٢ — الثُّلُثُ وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ ، إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ ، وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إِلاَّ أُجِرْتَ بِهَا حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِي امْرَأَتِكَ (مالك حم ق ع) عن سعد رضى الله عنه .

١٥٧٣ — الثَّيِّبُ أَحَقُّ بِنَفْسِهَا مِنْ وَلِيِّهَا ، وَالْبِكْرُ يَسْتَأْذِنُهَا أَبُوهَا فِي نَفْسِهَا ، وَإِذْنُهَا صُمَاتُهَا (م د ن) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

* * *

حرف الجيم

قَالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

١٥٧٤ — جَارُ الدَّارِ أَحَقُّ بِدَارِ الْجَارِ (ن ع حب) عن أنس (حم د ت) عن سَمُرة رضى الله عنهما .

١٥٧٥ — جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ (حم د ن حب ك) عن أنس رضى الله عنه .

١٥٧٦ — جَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ ، فَإِنَّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يُنَجِّي اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهِ مِنَ الْهَمِّ وَالْغَمِّ (حم طب ك) عن عبادة بن الصامت .

١٥٧٧ — جَدِّدُوا إِيمَانَكُمْ أَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ (حم ك) عن أبي هريرةٍ رضى الله عنه .

١٥٧٨ — جُزُّوا الشَّوَارِبَ ، وَأَرْخُوا اللِّحَى ، وَخَالِفُوا الْمَجُوسَ (م) عن أبي هُريرةٍ رضى الله عنه .

١٥٧٩ — جَعَلَ اللهُ الأَهِلَّةَ مَوَاقِيتَ لِلنَّاسِ ، فَصُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ ، فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَعُدُّوا ثَلاَثِينَ يَوْماً (ك) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

١٥٨٠ — جَعَلَ اللهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا وَأَنْزَلَ فِي الأَرْضِ جُزْءًا وَاحِداً فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الْخَلْقُ حَتَّى تَرْفَعُ الفَرَسُ حَافِرَهَا عَلَى وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ (ق) عن أبي هُريرةٍ رضى الله عنه .

١٥٨١ — جُعِلَتْ لِيَ كُلُّ أَرْضٍ طَيِّبَةٍ مَسْجِداً وَطَهُوراً (حم والضياء) عن أنس رضى الله عنه .

١٥٨٢ — جِلْدُ الْكَافِرِ اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ ذِرَاعاً بِذِرَاعِ الْجَبَّارِ[1] وَضِرْسُهُ مِثْلُ أُحُدٍ (حب) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

١٥٨٣ — جِنَانُ الفِرْدَوْسِ أَرْبَعَةٌ : جَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ حِلْيَتُهُمَا وَآنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا ، وَجَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ حِلْيَتُهُمَا وَآنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ

---

(١) ملك كان باليمن ، نسبت إليه الذراع ، كما يقال : المد الهشامى ، نسبة إلى هشام بن عبد الملك .

يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلاَّ رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ ، وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَشْخَبُ مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ ثُمَّ تَصَدَّعُ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْهَاراً (حم طب) عن أبي موسى رضى الله عنه .

١٥٨٤ — جِهَادُ الْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَالضَّعِيفِ وَالْمَرْأَةِ، الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ (ن) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

١٥٨٥ — جَهِّزُوا[1] صَاحِبَكُمْ فَإِنْ الفَرَقَ فَلَذَ كَبِدَهُ (ك هب) عن سهل بن سعد (ابن أبي الدنيا فى الخائفين والأصبهانى) عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه .

١٥٨٦ — الْجَارُ أَحَقُّ بِصَقَبِهِ (خ د ن ه) عن أبي رافع (ن ه) عن الشريد بن سويد .

١٥٨٧ — الْجَاهِرُ بِالْقُرْآنِ كَالْجَاهِرِ بِالصَّدَقَةِ ، وَالْمُسِرُّ بِالْقُرْآنِ كَالْمُسِرِّ بِالصَّدَقَةِ (د ت ن) عن عقبة بن عامر (ك) عن معاذ رضى الله عنه .

١٥٨٨ — الْجَرَسُ مَزَامِيرُ الشَّيْطَانِ (حم م د ن ابن خزيمة) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

---

(١) جهزوا صاحبكم . هو فتى من الأنصار ، دخلته خشية الله فكان يبكى عند ذكر النار ، حتى حبسه ذلك فى البيت ، فذكر ذلك لرسول الله صلى عليه وسلم ، فجاءه فى البيت ، فلما دخل عليه . اعتنقه النبي صلى الله عليه وسلم ، وخرميتا . فقال النبي صلى الله عليه وسلم « جهزوا صاحبكم » فإن الفرق ـ بفتح الفاء والراء الخوف ـ فلذ ـ قطع كبده .

١٥٨٩ — الجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ (حم خ) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

١٥٩٠ — الجَنَّةُ بِنَاؤُهَا لَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ وَلَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ ، وَمِلاَطُهَا المِسْكُ الأَذْفَرُ ، وَحَصْبَاؤُهَا اللُّؤْلُؤُ وَالياقُوتُ ، وَتُرْبَتُهَا الزَّعْفَرَانُ ، مَنْ يَدْخُلُهَا يَنْعَمُ لاَ يَبْأَسُ ، وَيَخْلُدُ لاَ يَمُوتُ ، لاَ تَبْلَى ثِيَابُهُمْ وَلاَ يَفْنَى شَبَابُهُمْ (حم ت البزار حب طس) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

* * *

حرف الحـــاء

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

١٥٩١ — حَافِظْ عَلَى العَصْرَيْنِ : صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلاَةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا (د ك هق) عن فضاله الليثى .

١٥٩٢ — حَامِلاَتٌ (١) وَالِدَاتٌ مُرْضِعَاتٌ رَحِيمَاتٌ بِأَوْلاَدِهِنَّ ، لَوْلاَ مَا يَأْتِينَ إِلَى أَزْوَاجِهِنَّ دَخَلَ مُصَلِّيَاتُهُنَّ الجَنَّةَ (حم ه طب ك) عن أبى أمامة رضى الله عنه .

---

(١) حاملات والدات مرضعات رحيمات بأولادهن ، هذا وصف لما يتحمله النساء من المشاق فى الحمل والولادة والرضاع ولما وضع الله فى قلوبهن من الرحمة والحنان على أولادهن . لولا ما يأتين إلى أزواجهن . من مخالفات لأوامرهم . ونكران لجميلهم . وإرهاق لهم بالمطالب غير الضرورية ، دخل مصلياتهن الجنة . فالمانع لمعظم نساء المسلمين من دخول الجنة امران : التفريط فى حق الزوج ، وترك الصلاة .

١٥٩٣ — حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ النِّسَاءُ وَالطِّيبُ وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ (حم ن ع طس ك هق) عن أنس رضى الله عنه .

١٥٩٤ — حَبِّبُوا اللهَ إِلَى عِبَادِهِ يُحَبِّبْكُمُ اللهُ (طب والضياء) عن أبى أمامة رضى الله عنه .

١٥٩٥ — حُبُّكَ إِيَّاهَا - يَعْنِي قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ - أَدْخَلَكَ الجَنَّةَ (خ ت) عن أنس رضى الله عنه .

١٥٩٦ — حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ وَحُجِبَتِ الجَنَّةُ بِالمَكَارِهِ (خ) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٥٩٧ — حِجَّةٌ خَيْرٌ (١) مِنْ أَرْبَعِينَ غَزْوَةً ، وَغَزْوَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَرْبَعِينَ حِجَّةً (البزار) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

١٥٩٨ — حِجَّةٌ لِمَنْ لَمْ يَحُجَّ خَيْرٌ مِنْ عَشْرِ غَزَوَاتٍ ، وَغَزْوَةٌ لِمَنْ قَدْ حَجَّ خَيْرٌ مِنْ عَشْرِ حِجَجٍ ، وَغَزْوَةٌ فِي البَحْرِ خَيْرٌ مِنْ عَشْرِ غَزَوَاتٍ فِي البَرِّ ، وَمَنْ أَجَازَ البَحْرَ فَكَأَنَّمَا أَجَازَ الأَوْدِيَةَ كُلَّهَا وَالمَائِدُ فِيهِ كَالمُتَشَحِّطِ فِي دَمِهِ (طب هب) عن ابن عمرو .

---

(١) قال ابن عباس رضى الله عنهما راوى الحديث يفسره : إذا حج الرجل حجة الإسلام ، فغزوة خير له من أربعين حجة ، وحجة الإسلام خير له من أربعين غزوة وليس هذا الحديث معارضا للحديث الآخر . لأنه كان ثواب الحج لمن لم يحج يوازى عشر غزوات ، وثواب الغزو لمن قد حج يوازى عشر حجج . ثم تفضل الله تعالى فاضعفه إلى أربعين . وهذا كما قال تعالى (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) ثم أخبر الحديث الصحيح أنه أضعفها إلى سبعمائة وأكثر . فلا تعارض بين الآية والحديث . ولا بين الحديثين .

١٥٩٩ — حُجَّ عَنْ أَبِيكَ وَاعْتَمِرْ (ت ن ه ك) عن أبى رزين العقيلى .

١٦٠٠ — حُجَّ عَنْ نَفْسِكَ ، ثُمَّ حُجَّ عَنْ شُبْرُمَةَ (د) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

١٦٠١ — حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبَةٌ بِالسَّيْفِ (ت ك) عن جُنْدُب رضى الله عنه .

١٦٠٢ — حَدٌّ يُعْمَلُ بِهِ فى الأَرْضِ خَيْرٌ لِأَهْلِ الأَرْضِ مِنْ أَنْ يُمْطَرُوا أَرْبَعِينَ صَبَاحاً (ه) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٦٠٣ — حَدِّثُوا عَنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ (د) عن أبى هريرة ، رضى الله عنه .

١٦٠٤ — حَرَسُ لَيْلَةٍ فِى سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ لَيْلَةٍ يُقَامُ لَيْلُهَا وَ يُصَامُ نَهَارُهَا (طب ك هب) عن عثمان رضى الله عنه .

١٦٠٥ — حَرَّمَ اللهُ الْخَمْرَ وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ (ن) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

١٦٠٦ — حُرِّمَ لِبَاسُ الْحَرِيرِ وَالذَّهَبِ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِى وَأُحِلَّ لإِنَاثِهِمْ (ت) عن أبى موسى رضى الله عنه .

١٦٠٧ — حُرِّمَ عَلَى عَيْنَيْنِ أَنْ تَنَالَهُمَا النَّارُ : عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ الإِسْلاَمَ وَأَهْلَهُ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ (ك هب) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٦٠٨ — حُرِّمَ مَا بَيْنَ لاَبَتَىِ الْمَدِينَةِ عَلَى لِسَانِى (خ) عن أبى هريرة (ن) عن أبى سعيد رضى الله عنهما .

١٦٠٩ — حُرِّمَ عَلَى النَّارِ كُلُّ هَيِّنٍ لَيِّنٍ سَهْلٍ قَرِيبٍ مِنَ النَّاسِ (حم) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

١٦١٠ — حُرِّمَتِ التِّجَارَةُ فِى الْخَمْرِ (خ د) عن عائشةَ رضى الله عنها .

١٦١١ — حُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى عَيْنٍ دَمَعَتْ أَوْ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَحُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى عَيْنٍ سَهِرَتْ فِى سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَحُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى عَيْنٍ غَضَّتْ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ أَوْ عَيْنٍ فُقِئَتْ فِى سَبِيلِ اللهِ (ن طب ك) عن أبى ريحانة .

١٦١٢ — حُرْمَةُ نِسَاءِ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ كَحُرْمَةِ أُمَّهَاتِهِمْ وَمَا مِنْ رَجُلٍ مِنَ الْقَاعِدِينَ يَخْلُفُ رَجُلاً مِنَ الْمُجَاهِدِينَ فِى أَهْلِهِ فَيَخُونُهُ فِيهِمْ إِلاَّ وُقِفَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقِيلَ لَهُ : قَدْ خَانَكَ فِى أَهْلِكَ فَخُذْ مِنْ حَسَنَاتِهِ مَا شِئْتَ فَيَأْخُذُ مِنْ عَمَلِهِ مَا شَاءَ فَمَا ظَنُّكُمْ ؟ (حم م د ن) عن بُرَيدة رضى الله عنه .

١٦١٣ — حُزُقَّةُ حُزُقَّةُ تَرَقَّ عَيْنَ بَقَّةٍ (طب) عن أبى هُريرةِ رضى الله عنه .

١٦١٤ — حَسْبُكَ إِذَا ذَكَرْتَ أَخَاكَ بِمَا فِيهِ (الأصبهانى فى الترغيب) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده .

١٦١٥ — حَسْبُكَ مِنْ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ : مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ (حم ت حب ك) عن أنس رضى الله عنه .

١٦١٦ — حُسْنُ الظَّنِّ مِنْ[1] حُسْنِ العِبَادَةِ (د حب) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٦١٧ — حَسِّنُوا القُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ (خ فى خلق أفعال العباد (د ن حب) عن البراء ، ورواه (الدارمى وابن نصر فى الصلاة ك) بزيادة ، فَإِنَّ حُسْنَ الصَّوْتِ يَزِيدُ القُرْآنَ حُسْناً .

١٦١٨ — حُسَيْنٌ[2] مِنِّى وَأَنَا مِنَ حُسَيْنٍ أَحَبَّ اللهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْناً . الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنِ سِبْطَانِ مِنَ الأَسْبَاطِ (خد حم ت ه ك) عن يَعلَى ابن مُرةَ .

---

(١) حسن الظن ـ بالله تعالى ـ من حسن العباده . والله تعالى عند ظن عبده به ، إن ظن خيراً فله ، وإن ظن شراً فله .

(٢) حسين منى ، بضعة ونسبا ، وأنا من حسين ، محبة وتقديرا وحسبا . وهذا الأسلوب يسمى بالمشاكلة ، والمراد به تمام التمازج بين الذاتين : الذات المصطفوية ، والذات الحسينية ، بحيث تحس إحداهما بما يحصل للاخرى إحساسا وجدانيا كما يحس الشخص من نفسه بالجوع والعطش . ولهذا رأت أم سلمة رضى الله عنها النبي صلى الله عليه وسلم يوم قتل الحسين . وفى يده قارورة فيها دم ، فقال لها : مازلت التقط دم الحسين منذ صباح اليوم . ولم يكن وصل خبر قتله إلى المدينة ، لأن بينها وبين العراق مسيرة شهر . ومعنى ذلك أن الذات المصطفوية ،أحست وهى بالروضة الشريفة بماحصل للذات الحسينية ، فتحرك مثالها لجمع دمها من الأرض . ولم يحصل مثل هذه الرؤيا يوم مات الحسن عليه السلام بالمدينة مسموما شهيدا ، بعد أن لفظ من فمه قطع الدم أمثال الكبد ، لعدم التمازج المذكور . ولتمازج الحسين عليه السلام بجده المصطفى صلى الله عليه وسلم ، سر ليس هذا موضع شرحه.وانظر رعاك الله إلى قوله عليه الصلاة والسلام (وأنا من حسين) يشير (والله أعلم) إلى مابعد انتقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرفيق الأعلى ،حيث امتزجت الحقيقة المحمدية بالذات الحسينية امتزاج تجلى وتخلق ، فكانت تلك الحقيقة باطنة فى ذات الحسين عليه السلام ومن ثم امتنع من قبول ماعرض عليه حين عزم على الخروج إلى العراق لمحاربة يزيد.كما امتنع النبى صلى الله

١٦١٩ — حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ (حم م ت) عن أنس (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

عليه وآله وسلم من قبول ماعرض عليه ليرجع عن دعوته . وقال قولته المشهورة : « لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى شمالى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه» : فالحسين فى عزمه وتصميمه على إقامة الحق منفذ لرغبة الحقيقة التى هى منه بتجليها فيه ، وكمونها فى باطنه . وتحقق فيه قول جده « أو أهلك دونه » فهلك الحسين دون إقامة أمر الخلافة التى أراد أقامتها على الحق تنفيذاً لرغبة جده الباطنة فيه ، وامتثالا لنصوص شريعته ، وهذا المعنى لم يكن لأخيه سيدنا الحسن الذى سماه جده سيدا . فتأمل بامعان .. ويلاحظ أن تجلى الحقيقة وامتزاجها ، بقدر ماتحتمله الذات الحسينية ، للفارق الكبير بين مقام النبوة والشهادة فافهم وللمقام شرح طويل لايتسع له هذا المكان .. أحب الله من أحب حسينا : دعاء أريد به تأكيد التمازج ، الحسن والحسين ، سبطان من الأسباط ، تفيد هذه الجملة شرف الحسن والحسين عليهما السلام . لأن الأسباط أولاد يعقوب عليه السلام ، وهم أشراف بنى إسرائيل . وقد يؤخذ منها أختصاص الشرف بهما دون بقية آل البيت كأولاد العباس وعقيل وجعفر . رضى الله عنهم . وآل البيت يقال فى حقهم : عليهم السلام . لأن الله تعالى قال فى بيت جدهم إبراهيم عليه السلام (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) ولأنه قال فيهم (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) والسلام أمان ، وهم بهذه الآية آمنوا من الرجس وما يتبعه . وأيضا فإن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أشركهم معه فى الصلاة عليه بالتبعية له فصح أن يكون لهم السلام فى حالة الانفراد . وأيضا فإن الترضى يشملهم كما يشمل الصحابة والأولياء ، فجعل السلام شعارا يخص أهل البيت ليعرف انتسابهم إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم .وأيضا فأن السيدة مريم يقال لها عليها السلام ، وهى صديقة بنص القرآن . (وقيل لنبوتها) والسيدة فاطمة صديقة بطهارتها وبنوتها للرسول الأعظم ، وأيضا فإن الله تعالى يقول (والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون) وفاطمة وعلى والحسنان ضموا إلى الصديقية للانتساب إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فهم أحق بالسلام والله الهادى لسبيل الرشاد .

١٦٢٠ — حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ : إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَشَمِّتْهُ ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ (خد م) عن أبي هُرَيرةَ رضى الله عنه .

١٦٢١ — حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ : رَدُّ السَّلَامِ ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ . وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

١٦٢٢ — حَقُّ الزَّوْجِ عَلَى زَوْجَتِهِ لَوْ كَانَتْ بِهِ قُرْحَةٌ فَلَحَسَتْهَا[1] أَوِ انْتَثَرَ مَنْخِرَاهُ صَدِيداً أَوْ دَماً ثُمَّ ابْتَلَعَتْهُ مَا أَدَّتْ حَقَّهُ (البزار حب ك) عن أبي سعيد رضى الله عنه .

١٦٢٣ — حَقُّ الْمَرْأَةِ عَلَى زَوْجِهَا أَنْ يُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمَ. وَيَكْسُوهَا إِذَا اكْتَسَى، وَلَا يَضْرِبِ الْوَجْهَ، وَلَا يُقَبِّحْ، وَلَا يَهْجُرْ إِلَّا فِي الْبَيْتِ (طب ك) عن معاوية بن حَيْدة ورواه (د حب) بلفظ الخطاب.

١٦٢٤ — حَقُّ اللهِ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَغْتَسِلَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ يَوْماً

---

(١) من المقرر المعلوم شرعا أن لحس القرحة باللسان حرام، وكذلك ابتلاع الصديد والدم . لنجاسة تلك الأشياء وضررها. ولكن الشارع يمثل بالشيء القبيح المستكره ، تنفيرا من أمر . كما فى قوله تعالى (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه) (كمثل الكلب أن تحمل عليه يلهث) أو تأكيداً لأمر كما هنا . فأن المراد تأكيد حق الزوج على أمرأته بحيث (لو) فعلت لأرضائه ماتتقذره النفوس ، ما أدت حقه عليها . وكلمة لو تستعمل شرطا فيما لايمكن أن يقع غالبا .

يَغْسِلُ فِيهِ رَأْسَهُ وَجَسَدَهُ (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٦٢٥ — حُلْوَةُ الدُّنْيَا مُرَّةُ الآخِرَةِ وَمُرَّةُ الدُّنْيَا حُلْوَةُ الآخِرَةِ (حم طب ك هب) عن أبى مالك الأشعرى .

١٦٢٦ — حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ شَىْءٌ ، إِلاَّ أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ وَكَانَ مُوسِراً ، وَكَانَ يَأْمُرُ غِلْمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُعْسِرِ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ ، تَجَاوَزُوا عَنْهُ (خد م ت ك هب) عن أبى مسعود البدرى رضى الله عنه .

١٦٢٧ — حَوْضِى كَمَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَالْمَدِينَةِ فِيهِ الآنِيَةُ مِثْلُ الْكَوَاكِبِ (ق) عن حارثة بن وهب والمُسْتَوْرِد .

١٦٢٨ — حَوْضِى مَسِيرَةُ شَهْرٍ وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ . وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لاَ يَظْمَأُ أَبَداً (ق) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

١٦٢٩ — حَوْضِى مِنْ عَدَنَ إِلَى عَمَّانَ الْبَلْقَاءِ مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ ، وَأَكْوَابُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَداً ، أَوَّلُ النَّاسِ وُرُوداً عَلَيْهِ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ ، الشُّعْثُ رُؤُساً ، الدُّنُسِ ثِيَاباً ، الَّذِينَ لاَ يَنْكِحُونَ الْمُتَنَعِّمَاتِ ، وَلاَ تُفْتَحُ لَهُمُ السُّدَدُ (ت ه ك) عن ثوبان رضى الله عنه .

١٦٣٠ — حَيَاتِى خَيْرٌ لَكُمْ تُحْدِثُونَ وَيُحْدَثُ لَكُمْ فَإِذَا أَنَا مِتُّ كَانَتْ وَفَاتِى خَيْراً لَكُمْ تُعْرَضُ عَلَىَّ أَعْمَالُكُمْ فَإِنْ رَأَيْتُ خَيْراً حَمِدْتُ اللهَ

وَإِنْ رَأَيْتُ شَرًّا اسْتَغْفَرْتُ لَكُمْ (البزار) عن ابن مسعود رضى الله عنه (إسماعيل القاضى) عن بكر بن عبد الله مرسلا .

١٦٣١ — حَيْثُمَا كُنْتُمْ فَصَلُّوا عَلَيَّ ، فَإِنَّ صَلاَتَكُمْ تَبْلُغُنِي (طب) عن الحسن بن على عليهما السلام .

١٦٣٢ — الْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلاَّ الْجَنَّةُ (طب) عن ابن عباس رضى الله عنهما (حم) عن جابر بزيادة : قِيلَ : وَمَا بِرُّهُ ؟ قَالَ : إِطْعَامُ الطَّعَامِ وَطِيبُ الْكَلاَمِ .

١٦٣٣ — الْحَجُّ عَرَفَةُ مَنْ جَاءَ قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ مِنْ لَيْلَةِ جَمْعٍ فَقَدْ أَدْرَكَ الْحَجَّ ، أَيَّامُ مِنًى ثَلاَثَةٌ فَمَنْ تَعَجَّلَ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ (حم ٤ حب قط ك هق) عن عبد الرحمن بن يَعْمُرَ الديلمى رضى الله عنه .

١٦٣٤ — الْحُجَّاجُ وَالْعُمَّارُ وَفْدُ اللهِ ، دَعَاهُمْ فَأَجَابُوهُ ، وَسَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ (البزار) عن جابر رضى الله عنه .

١٦٣٥ — الْحُجَّاجُ وَالْعُمَّارُ وَفْدُ اللهِ ، إِنْ دَعَوْهُ أَجَابَهُمْ وَإِنْ اسْتَغْفَرُوهُ غَفَرَ لَهُمْ (ن ٥) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٦٣٦ — الْحَجَرُ الأَسْوَدُ مِنَ الْجَنَّةِ (حم) عن أنس رضى الله عنه (ن) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

١٦٣٧ — الْحَجَرُ الأَسْوَدُ مِنْ حِجَارَةِ الْجَنَّةِ وَمَا فِى الأَرْضِ مِنَ الْجَنَّةِ غَيْرُهُ ، وَكَانَ أَبْيَضَ كَالْمَهَاةِ ، وَلَوْلاَ مَا مَسَّهُ مِنْ رِجْسِ الْجَاهِلِيَّةِ مَا مَسَّهُ ذُو عَاهَةٍ إِلاَّ بَرَأَ (طب) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

١٦٣٨ — اَلْحَجَرُ الأَسْوَدُ يَاقُوتَةٌ بَيْضَاءُ مِنْ يَوَاقِيتِ الْجَنَّةِ وَإِنَّمَا سَوَّدَتْهُ خَطَايَا الْمُشْرِكِينَ ، يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِثْلَ أُحُدٍ يَشْهَدُ لِمَنِ اسْتَلَمَهُ وَقَبَّلَهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا (ابن خزيمة) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

١٦٣٩ — اَلْحَرْبُ خَدْعَةٌ (حم ق د ت) عن جابر (ق) عن أبى هُريرة (حم) عن أنس (د) عن كعب ابن مالك (ه) عن ابن عباس وعن عائشة رضى الله عنهم .

١٦٤٠ — اَلْحَسَدُ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِىءُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِىءُ الْمَاءُ النَّارَ ، وَالصَّلَاةُ نُورُ الْمُؤْمِنِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ ، مِنَ النَّارِ (ه هب) عن أنس رضى الله عنه .

١٦٤١ — اَلْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ (حم ت) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

١٦٤٢ — الحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَأَبُوهُمَا خَيْرٌ مِنْهُمَا، (ه ك) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

١٦٤٣ — الحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، إِلاَّ ابْنَيِ الْخَالَةِ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ وَيَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا ، وَفَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، إِلاَّ مَا كَانَ مِنْ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ (حم ٤ حب طب ك) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

١٦٤٤ — اَلْحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْبَرَكَةِ (ق د ن) عن أبى هريرة رضى الله عنه.

١٦٤٥ — الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ (خ د) عن أبي سعيد بن المعلى .

١٦٤٦ — الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أُمُّ الْقُرْآنِ وَأُمُّ الْكِتَابِ وَالسَّبْعُ الْمَثَانِي (د ت) عن أبي هُريرة رضى الله عنه .

١٦٤٧ — الْحَمْدُ لِلّٰهِ ، مَا دَخَلَ بَطْنِي طَعَامٌ سُخْنٌ مُنْذُ كَذَا وَكَذَا (ه هب) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

١٦٤٨ — الْحُمَّى حَظُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ مِنَ النَّارِ (البزار) عن عائشة رضى الله عنها .

١٦٤٩ — الْحُمَّى كِيرٌ مِنْ جَهَنَّمَ ، فَمَا أَصَابَ الْمُؤْمِنَ مِنْهَا كَانَ حَظُّهُ مِنْ جَهَنَّمَ (حم) عن أبي أمامة رضى الله عنه .

١٦٥٠ — الْحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ فَأَبْرِدُوهَا بِالْمَاءِ (حم خ) عن ابن عباس (حم ق ن ه) عن ابن عمر (ق ت ه) عن عائشة (حم ق ت ن ه) عن رافع بن خديج (ق ت ه) عن أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنهم .

١٦٥١ — الْحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ وَهِيَ نَصِيبُ الْمُؤْمِنِ مِنَ النَّارِ (ابن أبي الدنيا طب) عن أبي ريحانة .

١٦٥٢ — الْحَمَّامُ حَرَامٌ عَلَى نِسَاءِ أُمَّتِي (ك) عن عائشة رضى الله عنها .

١٦٥٣ — الْحَلَالُ بَيِّنٌ ، وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا أَكْثَرُ النَّاسِ ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ ،

وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى ، أَلاَ وَإِنَّ حِمَى اللهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ ، أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ (ق ع) عن النعمان ابن بشير رضى الله عنه .

١٦٥٤ — الْحَلاَلُ مَا أَحَلَّ اللهُ فِي كِتَابِهِ ، وَالْحَرَامُ مَا حَرَّمَ اللهُ فِي كِتَابِهِ ، وَمَا سَكَتَ عَنْهُ فَهُوَ مِمَّا عَفَا عَنْهُ (ت ه ك) عن سلمان رضى الله عنه .

١٦٥٥ — الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ (م د) عن عمران بن حصين رضى الله عنه .

١٦٥٦ — الْحَيَاءُ مِنَ الإِيمَانِ (ق ت) عن ابن عمر (م) عن أبى هريرة رضى الله عنهم .

١٦٥٧ — الْحَيَاءُ مِنَ الإِيمَانِ ، وَالإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ ، وَالْبَذَاءُ مِنَ الْجَفَاءِ ، وَالْجَفَاءُ فِي النَّارِ (حم ت حب ك هب) عن أبى هريرة (خد ه ك هب) عن أبى بكرة (طب) عن عمران بن حصين رضى الله عنهم .

١٦٥٨ — الْحَيَاءُ لاَ يَأْتِي إِلاَّ بِخَيْرٍ (ق) عن عمران بن حصين رضى الله عنه .

١٦٥٩ — الْحَيَاءُ وَالإِيمَانُ قُرِنَا جَمِيعًا ، فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا رُفِعَ الآخَرُ (حل ك هب) عن ابن عمر (طس) عن ابن عباس رضى الله عنهم .

١٦٦٠ — الْحَيَاءُ وَالْعِيُّ شُعْبَتَانِ مِنَ الإِيمَانِ ، وَالْبَذَاءُ وَالْبَيَانُ ، شُعْبَتَانِ مِنَ النِّفَاقِ (حم ت ك) عن أبى أمامة رضى الله عنه .

١٦٦١ — الحَبَّةُ السَّوْدَاءُ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ إِلاَّ السَّامَ ، المَوْتَ (خ) عن أبي هُرَيرةٍ وعن عائشةَ رضى الله عنهما .

* * *

حرف الخاء

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

١٦٦٢ — خَالِفُوا المُشْرِكِينَ ، أَحْفُوا الشَّوَارِبَ ، وَأَوْفِرُوا اللِّحَى (ق) عن ابن عُمر رضى الله عنهما .

١٦٦٣ — خَالِفُوا اليَهُودَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُصَلُّونَ فِي نِعَالِهِمْ وَلاَ خِفَافِهِمْ (د ك هق) عن شداد بن أوس .

١٦٦٤ — خُذِ الحَبَّ مِنَ الحَبِّ ، وَالشَّاةَ مِنَ الغَنَمِ ، وَالبَعِيرَ مِنَ الإِبِلِ ، وَالبَقَرَةَ مِنَ البَقَرِ (د ه ك) عن معاذ رضى الله عنه .

١٦٦٥ — خُذْ عَلَيْكَ ثَوْبَكَ ، وَلاَ تَمْشُوا عُرَاةً (د) عن المِسْوَر ابن مَخْرمة رضى الله عنه .

١٦٦٦ — خُذْ حَقَّكَ فِي عَفَافٍ ، وَافِياً أَوْ غَيْرَ وَافٍ (ه ك) عن أبي هريرة (طب) عن جرير (العسكرى) عن أنس (حب ك) عن ابن عُمر وعائشة بنحوه رضى الله عنهم .

١٦٦٧ — خُذْهَا فَلَعَمْرِي لَمَنْ أَكَلَ بِرُقْيَةِ بَاطِلٍ لَقَدْ أَكَلْتَ بِرُقْيَةِ حَقٍّ (حم ت ن ك) عن عم خارجةَ بن الصلت التميمى .

١٦٦٨ — خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ : مِنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، وَسَالِمٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ (ت ك) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

١٦٦٩ — خُذُوا مَا عَلَيْهَا[1] وَدَعُوهَا فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ (م) عن عِمْران رضى الله عنه .

١٦٧٠ — خُذُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ ، فَإِنَّ اللهَ لاَ يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا (ق) عن عائشة رضى الله عنها .

---

(١) قال عمران بن حصين رضى الله عنه : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره، وأمرأة من الأنصار على ناقة ، فضجرت فلعنتها ، فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال « خذوا ماعليها ودعوها فانها ملعونة » قال عمران : فكأنى أراها الآن تمشى فى الناس مايعرض لها أحد . قوله « فانها ملعونة » ليس إخباراً بأن الناقة أصابتها اللعنة ، ولكنه تبكيت لصاحبتها ، وبيان لسبب حرمانها من الأنتفاع بركوبها وغيره من أوجه الانتفاع . والمعنى ؛ تحرج الناقة عن ملكية المرأة ، وتحرر من خدمتها . لأنها ملعونة عندها . وهذه العقوبة من خصائصه صلى الله عليه وسلم ، لايجوز لغيره أن يعاقب بها . كما أن من خصائصه تحرير الجمل الذى جاء يشكو أصحابه الذين هموا بنحره . بعد أن خدمهم مدة . فدعاهم وقررهم فاقروا . فاشتراه منهم وحرره من النحر والخدمة حتى مات . والسر فى ذلك أن رحمته عليه الصلاة والسلام تنال مايكون فى معيته أو يلتجىء إليه حتى من البهائم العجم. وأيضا حكم صلى الله عليه وسلم على السيد الذى يضرب فتاه بغير حق . بأن كفارة ضربه أن يعتقه ، وعلى وزانه حكم على هذه المرأة التى لعنت ناقتها بغير حق، أن تحرر من خدمتها. وأيضا فمعنى اللعن طرد من الرحمة ، وأبعاد عنها ، والنبى صلى الله عليه وسلم رحمة ، فلا يتفق أن يوجد اللعن فى مجلسه أوفى شىء يصاحبه . للتنافى بينهما وحيث دعت المرأة فى حضرته بلعن ناقتها ، عوقبت بحرمانها منها والله أعلم بمراد رسوله صلى الله عليه وسلم .

١٦٧١ — خُذُوا عَنِّى ، خُذُوا عَنِّى ، قَدْ جَعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلاً : البِكْرُ بِالْبِكْرِ جَلْدُ مِائَةٍ وَنَفْىُ سَنَةٍ ، وَالثَّيِّبُ بِالثَّيِّبِ جَلْدُ مِائَةٍ وَالرَّجْمُ (حم م ٥) عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه .

١٦٧٢ — خُذُوا جُنَّتَكُمْ مِنَ النَّارِ قُولُوا : سُبْحَانَ اللهِ ، وَالْحَمْدُ للهِ ، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، وَاللهُ أَكْبَرُ ، فَإِنَّهُنَّ يَأْتِينَ يَوْمَ القِيَامَةِ مُجَنَّبَاتٍ وَمُعَقِّبَاتٍ وَهُنَّ البَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ (ن ك هب) عن أبى هُريرة ورواه (طص) بلفظ مُنْجِيَاتٍ وَمُجَنَّبَاتٍ .

١٦٧٣ — خُذِى فِرْصَةً مِنْ مِسْكٍ فَتَطَهَّرِى بِهَا (ق ن) عن عائشة رضى الله عنها .

١٦٧٤ — خُذِى مِنْ مَالِهِ بِالمَعْرُوفِ مَا يَكْفِيكِ وَيَكْفِى بَنِيكِ (ق د ن ٥) عن عائشة رضى الله عنها .

١٦٧٥ — خَرَجْتُ مِنْ نِكَاحٍ وَلَمْ أَخْرُجْ مِنْ سِفَاحٍ ، مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى أَنْ وَلَدَنِى أَبِى وَأُمِّى ، لَمْ يُصِبْنِى مِنْ سِفَاحِ الجَاهِلِيَّةِ شَىْءٌ (العدنى طس أبو نعيم فى دلائل النبوة) عن على عليه السلام (ابن سعد طب وأبو نعيم) عن ابن عباس (ابن سعد وابن عساكر) عن عائشة (ابن عساكر) عن أبى هُريرة (ابن مردويه) عن أنس رضى الله عنهم .

١٦٧٦ — خَرَجَ نَبِىٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ بِالنَّاسِ يَسْتَسْقُونَ اللهَ تَعَالَى ، فَإِذَا هُوَ بِنَمْلَةٍ رَافِعَةٍ بَعْضَ قَوَائِمِهَا إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ : ارْجِعُوا فَقَدِ اسْتُجِيبَ لَكُمْ مِنْ أَجْلِ هٰذِهِ النَّمْلَةِ (ك) عن أبى هُريرة رضى الله عنه .

١٦٧٧ — خِصَاءُ أُمَّتِي الصِّيَامُ وَالقِيَامُ (حم طب) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

١٦٧٨ — خَصْلَتَانِ لاَ يَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ : البُخْلُ ، وَسُوءُ الخُلُقِ (خد ت) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

١٦٧٩ — خُفِّفَ عَلَى دَاوُدَ القُرْآنُ[1] فَكَانَ يَأْمُرُ بِدَوَابِّهِ تُسْرَجُ ، فَيَقْرَأُ القُرْآنَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُسْرَجَ دَوَابُّهُ ، وَلاَ يَأْكُلُ إِلاَّ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ (حم خ) عن أبى هُرَيرة رضى الله عنه .

١٦٨٠ — خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ[2] وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعاً ، ثُمَّ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ النَّفَرُ ، وَهُمْ نَفَرٌ مِنَ المَلاَئِكَةِ جُلُوسٌ ، فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ بِهِ ، فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ ، فَذَهَبَ فَقَالَ : السَّلاَمُ

---

(١) خفف على داود القرآن . أى الزبور ولفظ القرآن يطلق فى اللغة على كل مقروء .

(٢) خلق الله آدم على صورته . أى آدم . والمعنى أنه لم يتطور فى خلقته أطوارا كذريته . بل صورته التى صورها الله من الطين هى التى نفخ فيها الروح بطولها وهيئتها . وجاء فى رواية : خلق الله آدم على صورة الرحمن . وهى تصرف من الراوى بحسب فهمه . حيث فهم أن الضمير فى صورته يعود على الله . وهو خطأ لوجوه :

١ ـ أن الضمير فى العربية يعود على أقرب مذكور وهو هنا آدم .

٢ ـ أن الصورة أنما تليق بآدم . ولايطلق على الله إلا بتأويل . والاصل عدم التأويل .

٣ ـ أن قوله . وطوله ستون ذراعا ، بيان لصورته وتفسير لها والله منزه عن الطول ونقيضه .

عَلَيْكُمْ ، فَقَالُوا : السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ ، فَزَادُوهُ : وَرَحْمَةُ اللهِ ، فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ فِي طُولِهِ سِتُّونَ ذِرَاعاً ، فَلَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدَهُ حَتَّى الآنَ (حم ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

١٦٨١ — خَلَقَ اللهُ مِائَةَ رَحْمَةٍ ، فَوَضَعَ رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ خَلْقِهِ يَتَرَاحَمُونَ بِهَا ، وَخَبَّأَ عِنْدَهُ مِائَةً إِلاَّ وَاحِدَةً (م ت) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

١٦٨٢ — خُلِقَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ بَنِي آدَمَ عَلَى سِتِّينَ وَثَلَاثِ مِائَةِ مَفْصِلٍ ، فَمَنْ كَبَّرَ اللهَ وَحَمِدَ اللهَ وَهَلَّلَ اللهَ وَسَبَّحَ اللهَ وَاسْتَغْفَرَ اللهَ وَعَزَلَ حَجَراً عَنْ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ أَوْ شَوْكَةً أَوْ عَظْماً عَنْ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَمَرَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهَى عَنْ مُنْكَرٍ ، عَدَدَ تِلْكَ السِّتِّينَ وَالثَّلَاثِ مِائَةٍ فَإِنَّهُ يُمْسِي يَوْمَئِذٍ وَقَدْ زَحْزَحَ نَفْسَهُ عَنِ النَّارِ (م ن) عن عائشة رضى الله عنها . قال أبو توبة : وَرُبَّمَا قَالَ يَمْشِي .

١٦٨٣ — خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ (حم م) عن عائشة رضى الله عنها .

١٦٨٤ — خَمِّرُوا الآنِيَةَ ، وَأَوْكِئُوا الأَسْقِيَةَ ، وَأَجِيفُوا الأَبْوَابَ ، وَاكْفِتُوا صِبْيَانَكُمْ عِنْدَ الْمَسَاءِ فَإِنَّ لِلْجِنِّ انْتِشَاراً وَخَطَفَةً ، وَأَطْفِئُوا الْمَصَابِيحَ عِنْدَ الرُّقَادِ ، فَإِنَّ الْفُوَيْسِقَةَ رُبَّمَا اجْتَرَّتِ الْفَتِيلَةَ فَأَحْرَقَتْ أَهْلَ الْبَيْتِ (خ) عن جابر رضى الله عنه .

١٦٨٥ — خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللهُ عَلَى الْعِبَادِ فَمَنْ جَاءَ بِهِنَّ لَمْ يُضَيِّعْ مِنْهُنَّ شَيْئاً اسْتِخْفَافاً بِحَقِّهِنَّ ، كَانَ لَهُ عِنْدَ اللهِ عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ

لَمْ يَأْتِ بِهِنَّ، فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللهِ عَهْدٌ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ أَدْخَلَهُ الجَنَّةَ (مالك حم د ن ه حب ك) عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه .

١٦٨٦ — خَمْسُ فَوَاسِقُ يُقْتَلْنَ فِي الحِلِّ وَالحَرَمِ : الحَيَّةُ وَالغُرَابُ الأَبْقَعُ ، وَالفَارَةُ ، وَالكَلْبُ العَقُورُ ، وَالحُدَيَّا (م ن ه) عن عائشة رضى الله عنها .

١٦٨٧ — خَمْسٌ قَتْلُهُنَّ حَلَالٌ فِي الحَرَمِ : الحَيَّةُ ، وَالعَقْرَبُ ، وَالحِدَأَةُ وَالفَارَةُ ، وَالكَلْبُ العَقُورُ (د) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٦٨٨ — خَمْسٌ كُلُّهُنَّ فَاسِقَةٌ يَقْتُلُهُنَّ المُحْرِمُ ، وَيُقْتَلْنَ فِي الحَرَمِ : الفَارَةُ ، وَالعَقْرَبُ ، وَالحَيَّةُ ، وَالكَلْبُ العَقُورُ ، وَالغُرَابُ (حم) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

١٦٨٩ — خَمْسٌ مِنَ الدَّوَابِّ كُلُّهُنَّ فَاسِقٌ يُقْتَلْنَ فِي الحَرَمِ : الغُرَابُ ، وَالحِدَأَةُ ، وَالعَقْرَبُ ، وَالفَارَةُ ، وَالكَلْبُ العَقُورُ (ق ت ن) عن عائشة رضى الله عنها .

١٦٩٠ — خَمْسٌ مِنَ الدَّوَابِّ لَيْسَ عَلَى المُحْرِمِ فِي قَتْلِهِنَّ جُنَاحٌ : الغُرَابُ ، وَالحِدَأَةُ ، وَالفَارَةُ ، وَالعَقْرَبُ ، وَالكَلْبُ العَقُورُ (حم ق مالك د ن ه) عن ابن عمر رضى الله عنهما

١٦٩١ — خَمْسٌ مِنَ الفِطْرَةِ : الخِتَانُ ، وَالاسْتِحْدَادُ ، وقَصُّ الشَّارِبِ وتَقْلِيمُ الأَظْفَارِ ، ونَتْفُ الإِبْطِ (حم ق) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه .

١٦٩٢ — خَمْسٌ مَنْ جَاءَ بِهِنَّ مَعَ إِيمَانٍ دَخَلَ الْجَنَّةَ : مَنْ حَافَظَ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ عَلَى وُضُوئِهِنَّ وَرُكُوعِهِنَّ وَسُجُودِهِنَّ وَمَوَاقِيتِهِنَّ ، وَصَامَ رَمَضَانَ ، وَحَجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ، وَآتَى الزَّكَاةَ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ ، وَأَدَّى الْأَمَانَةَ ، الْغُسْلَ مِنَ الْجَنَابَةِ ، إِنَّ اللهَ لَمْ يَأْمَنِ ابْنَ آدَمَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ دِينِهِ غَيْرِهَا (طب) عن أبى الدرداء رضى الله عنه .

١٦٩٣ — خَمْسٌ مَنْ فَعَلَ وَاحِدَةً مِنْهُنَّ كَانَ ضَامِناً عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ : مَنْ عَادَ مَرِيضاً ، أَوْ خَرَجَ مَعَ جَنَازَةٍ ، أَوْ خَرَجَ غَازِياً ، أَوْ دَخَلَ[1] عَلَى إِمَامٍ يُرِيدُ تَعْزِيرَهُ وَتَوْقِيرَهُ ، أَوْ قَعَدَ فِي بَيْتِهِ فَسَلِمَ النَّاسُ مِنْهُ وَسَلِمَ مِنَ النَّاسِ (حم ع حب ابن خزيمة طب) عن معاذ رضى الله عنه .

١٦٩٤ — خَمْسٌ مَنْ قُبِضَ فِي شَيْءٍ مِنْهُنَّ فَهُوَ شَهِيدٌ : الْمَقْتُولُ فِي سَبِيلِ اللهِ شَهِيدٌ ، وَالْغَرِيقُ فِي سَبِيلِ اللهِ شَهِيدٌ ، وَالْمَبْطُونُ فِي سَبِيلِ اللهِ شَهِيدٌ ، وَالْمَطْعُونُ فِي سَبِيلِ اللهِ شَهِيدٌ ، وَالنُّفَسَاءُ فِي سَبِيلِ اللهِ شَهِيدٌ (ن) عن عُقبة بن عامر .

١٦٩٥ — خَمْسٌ مَنْ عَمِلَهُنَّ فِي يَوْمٍ كَتَبَهُ اللهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ : مَنْ عَادَ مَرِيضاً ، وَشَهِدَ جَنَازَةً ، وَصَامَ يَوْماً ، وَرَاحَ إِلَى الْجُمُعَةِ ، وَأَعْتَقَ رَقَبَةً (ع حب) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

---

(١) أو دخل على أمام ـ خليفة المسلمين ـ يريد تعزيره وتوقيره . أى تعظيمه واحترامه . إذا كان عادلا قائما بحدود الشريعة .

١٦٩٦ — خَمْسٌ لاَ يَعْلَمُهُنَّ إِلاَّ اللهُ[1] : إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ، وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ ، وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ (حم والرويانى) عن بُرَيدة رضى الله عنه .

---

(١) خمس لايعلمهن إلا الله . على وجه الأحاطة والشمول . كليا وجزئيا ، فلا ينافيه إطلاع الله بعض خواصه على كثير من الغيبيات حتى من هذه الخمس ، لأنها جزئيات معدودة . وتمسك الجمهور بهذا الحديث فقالوا : لم يكن صلى الله عليه وسلم يعلم هذه الخمس . لكن قال الحافظ السيوطى فى الخصائص الكبرى : ذهب بعضهم إلى أنه أوتى علم الخمس والروح وأنه أمر بكتم ذلك . وبه جزم كثير من المتاخرين ، وقال العلامة شمس الدين محمد بن عمر الروضى المالكى فى شرح أنموذج اللبيب : الصحيح كما قاله المحققون أنه أوتى علم كل شىء حتى الخمسة وحتى علم الروح وأمر بكتم ذلك . ونحوه فى شرح جوهرة اللقانى لمؤلفها ، وشرح الأربعين النووية للشبرخيتى وغيرهما . وهو صلى الله عليه وسلم لم يزل يترقى فى العلوم والمعارف كل يوم ، فلم يخرج من الدنيا حتى علمه الله هذه الخمس وغيرها . لقوله صلى الله عليه وسلم « رأيت ربى فى صورة حسنة فقال : يامحمد ، قلت : لبيك رب وسعديك . قال : فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت : لاأدرى يارب . فوضع يده بين كتفى ، حتى وجدت بردها فى صدرى ، فتجلى لى كل شىء وعرفت » الحديث . ولأن الله تعالى قال له (وقل رب زدنى علما) وما أمره بهذا الدعاء إلا ليزيده علما زيادة غير محدودة ولامقيدة . ولما فتحت مكة ، وتوجس الأنصار أن يحن النبى صلى الله عليه وسلم إلى بلده ، ويمكث فيها بين أهله وعشيرته ، قال لهم « المحيا محياكم والممات مماتكم » فعلم أنه يموت بالمدينة ، وهى أحدى الخمس المذكورة فى قوله تعالى (وما تدرى نفس بأى أرض تموت) وإذا علم هذه علم البقية ، لعدم الفارق ، ولأن المفيض عليه وهاب لا يمل . كريم لايبخل . وللامام منصور البغدادى كتاب « أقامة شواهد المنقول والمعقول على أحاطة علم نبينا الرسول » وأنظر بقية هذا البحث المفيد فى كتاب « الأحاديث المنتقاة فى فضائل سيدنا رسول الله » للمحدث الجليل السيد عبد الله محمد الصديق عفى الله عنه .

١٦٩٧ — خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ (م) عن عوف بن مالك رضى الله عنه .

١٦٩٨ — خِيَارُكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا (حم ق ت) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

١٦٩٩ — خِيَارُكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي الإِسْلَامِ إِذَا فَقِهُوا (خ) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٧٠٠ — خِيَارُكُمْ أَلْيَنُكُمْ مَنَاكِبَ[1] فِي الصَّلَاةِ (د هق) عن ابن عباس (البزار حب) عن ابن عمر ، ورواه (طب) بزيادة : وَمَا مِنْ خُطْوَةٍ أَعْظَمَ أَجْراً مِنْ خُطْوَةٍ مَشَاهَا رَجُلٌ إِلَى فُرْجَةٍ فِي الصَّفِّ .

١٧٠١ — خِيَارُكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً لِلدَّيْنِ (ت ن) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٧٠٢ — خِيَارُكُمْ أَطْوَلُكُمْ أَعْمَاراً ، وَأَحْسَنُكُمْ أَعْمَالاً (ك) عن جابر رضى الله عنه .

١٧٠٣ — خَيْرُ الأَصْحَابِ عِنْدَ اللهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ ، وَخَيْرُ الْجِيرَانِ عِنْدَ اللهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ (حم ت ابن خزيمة حب ك) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

---

(١) وما من خطوة أعظم أجرا من خطوة مشاها رجل ـ وهو فى الصلاة أو خارجها ـ إلى فرجة فى الصف فسدها .

١٧٠٤ — خَيْرُ الْبِقَاعِ الْمَسَاجِدُ ، وَشَرُّ الْبِقَاعِ الْأَسْوَاقُ (حب طب ك) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

١٧٠٥ — خَيْرُ الْخَيْلِ الْأَدْهَمُ الْأَقْرَحُ الْأَرْثَمُ الْمُحَجَّلُ طَلْقُ الْيَدِ الْيُمْنَى ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَدْهَمَ فَكُمَيْتٌ عَلَى هٰذِهِ الشِّيَةِ (حم ت ه ك) عن أبى قتادة (حب) عنه ، وعقبة بن عامر .

١٧٠٦ — خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (ت) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

١٧٠٧ — خَيْرُ الذِّكْرِ الْخَفِيُّ ، وَخَيْرُ الرِّزْقِ مَا يَكْفِي (حم ع حب أبو عوانة هب) عن سعد رضى الله عنه .

١٧٠٨ — خَيْرُ السُّودَانِ ثَلَاثَةٌ : لُقْمَانُ ، وَبِلَالٌ ، وَمَهْجَعُ [1] (ك) عن واثلة بن الأسقع رضى الله عنه .

١٧٠٩ — خَيْرُ الصَّحَابَةِ أَرْبَعَةٌ ، وَخَيْرُ السَّرَايَا أَرْبَعُمِائَةٍ ، وَخَيْرُ الْجُيُوشِ أَرْبَعَةُ آلَافٍ ، وَلَا تُهْزَمُ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مِنْ قِلَّةٍ (د ت ك) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

١٧١٠ — خَيْرُ الصَّدَاقِ أَيْسَرُهُ (ه ك) عن عُقْبَةَ بن عامر .

---

(١) خير السوادرة ثلاثة . ومهجع ، صحابى فاضل ، من أهل الصفة رضى الله عنهم .

١٧١١ — خَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنًى وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ (خ د ن) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٧١٢ — خِيَارُ عِبَادِ اللهِ الَّذِينَ إِذَا رُءُوا ذُكِرَ اللهُ ، وَشِرَارُ عِبَادِ اللهِ الْمَشَّاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ الْمُفَرِّقُونَ بَيْنَ الأَحِبَّةِ ، الْبَاغُونَ لِلْبُرَآءِ الْعَيْبَ (حم) عن عبد الرحمن بن غَنْم (ش ابن أبى الدنيا فى الصمت) عن أسماء بنت أبى بكر (طب) عن عبادة (ابن أبى الدنيا) عن أبى هُريرة رضى الله عنه .

١٧١٣ — خَيْرُ الْمَجَالِسِ أَوْسَعُهَا (حم خد د ك هب) عن أبى سعيد (البزار ك هب) عن أنس رضى الله عنه .

١٧١٤ — خَيْرُ الْمُسْلِمِينَ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ (م) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

١٧١٥ — خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِى ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ يَجِىءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ (حم ق ت) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

١٧١٦ — خَيْرُ النَّاسِ الْقَرْنُ الَّذِى أَنَا فِيهِ ثُمَّ الثَّانِى ثُمَّ الثَّالِثُ (م) عن عائشة رضى الله عنها .

١٧١٧ — خَيْرُ النَّاسِ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ (حم ت) عن عبد الله بن بُسر .

١٧١٨ — خَيْرُ النَّاسِ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ وَشَرُّ النَّاسِ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَسَاءَ عَمَلُهُ (حم ت ك) عن أبى بكرة .

١٧١٩ — خَيْرُ النَّاسِ فِي الْفِتَنِ رَجُلٌ آخِذٌ بِعِنَانِ فَرَسِهِ خَلْفَ أَعْدَاءِ اللهِ يُخِيفُهُمْ وَيُخِيفُونَهُ ، أَوْ رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ فِي بَادِيَةٍ يُؤَدِّي حَقَّ اللهِ الَّذِي عَلَيْهِ (ك) عن ابن عباس رضى الله عنهما (طب) عن أم مالك البَهْزِية .

١٧٢٠ — خَيْرُ النِّسَاءِ الَّتِي تَسُرُّهُ إِذَا نَظَرَ، وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ، وَلاَ تُخَالِفُهُ فِي نَفْسِهَا وَلاَ مَالِهِ بِمَا يَكْرَهُ (حم ن ك) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٧٢١ — خَيْرُ النِّكَاحِ أَيْسَرُهُ (د) عن عقبة بن عامر .

١٧٢٢ — خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِي بُعِثْتُ فِيهِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ يَخْلُفُ قَوْمٌ يُحِبُّونَ السَّمَانَةَ ، يَشْهَدُونَ قَبْلَ أَنْ يُسْتَشْهَدُوا (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٧٢٣ — خَيْرُ أَكْحَالِكُمُ الإِثْمِدُ يُنْبِتُ الشَّعَرَ وَيَجْلُو الْبَصَرَ (البزار) عن أبىّ هريرة رضى الله عنه .

١٧٢٤ — خَيْرُ ثِيَابِكُمُ الْبَيَاضُ ، فَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ ، وَأَلْبِسُوهَا أَحْيَاءَكُمْ وَخَيْرُ أَكْحَالِكُمُ الإِثْمِدُ ، يُنْبِتُ الشَّعَرَ وَيَجْلُو الْبَصَرَ (ه خب ك) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

١٧٢٥ — خَيْرُ دِينِكُمْ أَيْسَرُهُ (حم خد طب) عن مِحْجَن بن الأدرع (طب) عن عمران بن حصين (طس عد والضياء) عن أنس رضى الله عنهم .

١٧٢٦ — خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا ، وَشَرُّهَا آخِرُهَا ، وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا وَشَرُّهَا أَوَّلُهَا (م ٤) عن أبى هُرَيْرَةَ (طب) عن أبى أمامة وعن ابن عباس رضى الله عنهم .

١٧٢٧ — خَيْرُ مَسَاجِدِ النِّسَاءِ قَعْرُ بُيُوتِهِنَّ (حم ابن خزيمة طب ك) عن أم سلمة رضى الله عنها .

١٧٢٨ — خَيْرُ مَاءٍ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ مَاءُ زَمْزَمَ، فِيهِ طَعَامُ الطُّعْمِ، وَشِفَاءُ السُّقْمِ، وَشَرُّ مَاءٍ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ مَاءٌ بِوَادِي بَرْهُوتٍ بِقُبَّةٍ بِحَضْرَمَوْتَ كَرِجْلِ الْجَرَادِ تُصْبِحُ تَدَفَّقُ وَتُمْسِي لاَ بِلاَلَ فِيهَا (حب طب) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

١٧٢٩ — خَيْرُ مَا أُعْطِيَ الإِنْسَانُ، خُلُقٌ حَسَنٌ (حم ن ه حب ك هب) عن أسامة بن شريك .

١٧٣٠ — خَيْرُ مَا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ الْحِجَامَةُ (حم طب ك) عن سمرة رضى الله عنه.

١٧٣١ — خَيْرُ مَا رُكِبَتْ إِلَيْهِ الرَّوَاحِلُ مَسْجِدُ إِبْرَاهِيمَ وَمَسْجِدِي (حم طب) عن جابر، ورواه (ابن خزيمة) بلفظ : مَسْجِدِي هَـذَا وَالْبَيْتُ الْمَعْمُورُ .

١٧٣٢ — خَيْرُ مَا يُخَلِّفُ الإِنْسَانُ بَعْدَهُ ثَلاَثٌ، وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ، وَصَدَقَةٌ تَجْرِي يَبْلُغُهُ أَجْرُهَا، وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ مِنْ بَعْدِهِ، (ه حب) عن أبى قتادة رضى الله عنه .

١٧٣٣ — خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ أَرْبَعَةٌ : مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ (حم طب) عن أنس رضى الله عنه .

١٧٣٤ — خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ (ق ت) عن على عليه السلام .

١٧٣٥ — خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الإِبِلَ، صَالِحُ نِسَاءِ قُرَيْشٍ، أَحْنَاهُ عَلَى وَلَدٍ فِي صِغَرِهِ، وَأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ (حم ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

١٧٣٦ — خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ أُهْبِطَ، وَفِيهِ تِيبَ عَلَيْهِ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ، مَا عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ إِلاَّ وَهِيَ تُصْبِحُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مُصِيخَةً حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ شَفَقًا مِنَ السَّاعَةِ، إِلاَّ ابْنَ آدَمَ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لاَ يُصَادِفُهَا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ وَهُوَ فِي الصَّلاَةِ يَسْأَلُ اللهَ شَيْئًا إِلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ (مالك حم ٣ حب ك) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

١٧٣٧ — خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا، وَلاَ تَقُومُ السَّاعَةُ إِلاَّ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ (حم م ت) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

١٧٣٨ — خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي (ت حب) عن عائشة رضي الله عنها (٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما (طب) عن معاوية .

١٧٣٩ — خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِلنِّسَاءِ (ك) عن ابن عباس رضي الله عنهما .

١٧٤٠ — خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي مِنْ بَعْدِي (ع ك) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

١٧٤١ — خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَهُمْ قَوْمٌ يَخُونُونَ وَلاَ يُؤْتَمَنُونَ، وَيَشْهَدُونَ وَلاَ يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلاَ يُوفُونَ وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ (ق ٣) عن عمران بن حصين .

١٧٤٢ — خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ (خ ت) عن على عليه السلام (حم ق ٤) عن عثمان رضى الله عنه .

١٧٤٣ — خَيْرُكُمْ مَنْ يُرْجَى خَيْرُهُ وَيُؤْمَنُ شَرُّهُ ، وَشَرُّكُمْ مَنْ لاَ يُرْجَى خَيْرُهُ وَلاَ يُؤْمَنُ شَرُّهُ (٤) عن أنس (حم ت) عن أبى هريرة رضى الله عنهما .

١٧٤٤ — خُيِّرْتُ بَيْنَ الشَّفَاعَةِ وَبَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ شَطْرُ أُمَّتِي الْجَنَّةَ فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ ، لِأَنَّهَا أَعَمُّ وَأَكْفَى ، أَتُرَوْنَهَا لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ ؟ لاَ ، وَلَكِنَّهَا لِلْمُذْنِبِينَ الْخَطَّائِينَ الْمُتَلَوِّثِينَ (حم طب) عن ابن عمر (٥) عن أبى موسى رضى الله عنهم .

١٧٤٥ — الْخَازِنُ الْمُسْلِمُ الأَمِينُ الَّذِى يُعْطِى مَا أُمِرَ بِهِ كَامِلاً مُوَفَّراً طَيِّبَةً بِهِ نَفْسُهُ ، فَيَدْفَعُهُ إِلَى الَّذِى أُمِرَ لَهُ بِهِ ، أَحَدُ الْمُتَصَدِّقَيْنِ (حم ق د ن) عن أبى موسى رضى الله عنه .

١٧٤٦ — الْخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الأُمِّ (ق ت) عن البراء (د) عن علىّ عليه السلام .

١٧٤٧ — الْخَرَاجُ بِالضَّمَانِ (حم ٤ ك) عن عائشةَ رضى الله عنها .

١٧٤٨ — الْخَمْرُ أُمُّ الْخَبَائِثِ ، فَمَنْ شَرِبَهَا لَمْ تُقْبَلْ صَلاَتُهُ أَرْبَعِينَ يَوْماً ، فَإِنْ مَاتَ وَهِيَ فِى بَطْنِهِ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً (طس) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

١٧٤٩ — الْخَمْرُ حَرَامٌ لِعَيْنِهَا ، وَالسُّكْرُ مِنْ كُلِّ شَرَابٍ (ن) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

١٧٥٠ — الخِلَافَةُ فِي أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً ثُمَّ مُلْكٌ بَعْدَ ذَلِكَ (حم ت ٤ حب) عن سفينة رضى الله عنها.

١٧٥١ — الخَوَارِجُ كِلَابُ النَّارِ (حم ه ك) عن ابن أبى أوفى (حم ك) عن أبى أمامة رضى الله عنه .

١٧٥٢ — الخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ (مالك حم ق ن ه) عن ابن عمر (حم ق ت ن ه) عن عروة بن الجعد (خ) عن أنس (م ت ن ه) عن أبى هريرة (حم) عن أبى ذر وعن أبى سعيد (طب) عن سوادة بن الربيع وعن النعمان بن بشير وعن أبى كبشة رضى الله عنهم .

١٧٥٣ — الخَيْرُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِي الخَيْلِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَثَلُ الْمُنْفِقِ عَلَيْهَا كَالْمُتَكَفِّفِ بِالصَّدَقَةِ (٤ طب) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٧٥٤ — الخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَأَهْلُهَا مُعَانُونَ عَلَيْهَا ، وَالْمُنْفِقُ عَلَيْهَا كَالْبَاسِطِ يَدَهُ بِالصَّدَقَةِ (حب طب ك) عن أبى كبشة رضى الله عنه.

١٧٥٥ — الخَيْلُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيهَا الخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ الأَجْرُ وَالْمَغْنَمُ (حم ق ت ن ه) عن عروة بن الجعد البارقى (حم م ن) عن جرير رضى الله عنه .

١٧٥٦ — الخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الخَيْرُ وَالنَّيْلُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَأَهْلُهَا مُعَانُونَ عَلَيْهَا ، فَامْسَحُوا بِنَوَاصِيهَا ، وَادْعُوا لَهَا بِالْبَرَكَةِ ، وَقَلِّدُوهَا ، وَلَا تُقَلِّدُوهَا الأَوْتَارَ (حم) عن جابر رضى الله عنه .

١٧٥٧ — الخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الخَيْرُ أَبَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَمَنِ

ارْتَبَطَهَا عُدَّةً فِي سَبِيلِ اللهِ، وَأَنْفَقَ عَلَيْهَا احْتِسَاباً فِي سَبِيلِ اللهِ، فَإِنَّ شِبَعَهَا وَجُوعَهَا وَرِيَّهَا وَظَمَأَهَا وَأَرْوَاثَهَا وَأَبْوَالَهَا فَلَاحٌ فِي مَوَازِينِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنِ ارْتَبَطَهَا رِيَاءً وَسُمْعَةً وَفَرَحاً وَمَرَحاً، فَإِنَّ شِبَعَهَا وَجُوعَهَا وَرِيَّهَا وَظَمَأَهَا وَأَرْوَاثَهَا وَأَبْوَالَهَا خُسْرَانٌ فِي مَوَازِينِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (حم) عن أسماء بنت يزيد .

١٧٥٨ — الْخَيْلُ ثَلَاثَةٌ : فَرَسٌ لِلرَّحْمٰنِ، وَفَرَسٌ لِلْإِنْسَانِ، وَفَرَسٌ لِلشَّيْطَانِ : فَأَمَّا فَرَسُ الرَّحْمَنِ فَالَّذِي يُرْتَبَطُ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَعَلَفُهُ وَبَوْلُهُ وَرَوْثُهُ فِي مِيزَانِهِ، وَأَمَّا فَرَسُ الشَّيْطَانِ فَالَّذِي يُقَامَرُ عَلَيْهِ وَيُرَاهَنُ وَأَمَّا فَرَسُ الإِنْسَانِ فَالْفَرَسُ يَرْتَبِطُهَا الإِنْسَانُ يَلْتَمِسُ بَطْنَهَا، فَهِيَ سَتْرٌ مِنْ فَقْرٍ (حم) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

١٧٥٩ — الْخَيْلُ ثَلَاثَةٌ : فَرَسٌ يَرْتَبِطُهُ الرَّجُلُ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَثَمَنُهُ أَجْرٌ، وَرُكُوبُهُ أَجْرٌ، وَعَارِيَتُهُ أَجْرٌ، وَفَرَسٌ يُغَالَقُ عَلَيْهِ وَيُرَاهَنُ فَثَمَنُهُ وِزْرٌ، وَرُكُوبُهُ وِزْرٌ، وَعَارِيَتُهُ وِزْرٌ، وَفَرَسٌ لِلْبِطْنَةِ فَعَسَى أَنْ يَكُونَ سِدَاداً مِنَ الْفَقْرِ إِنْ شَاءَ اللهُ، (حم) عن رجل من الأنصار .

١٧٦٠ — الْخَيْلُ ثَلَاثَةٌ هِيَ لِرَجُلٍ أَجْرٌ، وَلِرَجُلٍ سَتْرٌ، وَلِرَجُلٍ وِزْرٌ، فَأَمَّا الَّذِي هِيَ لَهُ أَجْرٌ فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَأَطَالَ لَهَا فِي مَرْجٍ أَوْ رَوْضَةٍ فَمَا أَصَابَتْ فِي طِيلِهَا مِنَ الْمَرْجِ أَوِ الرَّوْضَةِ كَانَتْ لَهُ حَسَنَاتٌ، وَلَوْ أَنَّهَا قَطَعَتْ طِيلَهَا فَاسْتَنَّتْ شَرَفاً أَوْ شَرَفَيْنِ كَانَتْ آثَارُهَا وَأَرْوَاثُهَا حَسَنَاتٍ لَهُ وَلَوْ أَنَّهَا مَرَّتْ بِنَهَرٍ فَشَرِبَتْ وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَسْقِيَهَا كَانَ ذَلِكَ لَهُ حَسَنَاتٍ وَرَجُلٌ رَبَطَهَا تَغَنِّياً وَسَتْراً وَتَعَفُّفاً ثُمَّ لَمْ يَنْسَ حَقَّ اللهِ فِي رِقَابِهَا

وَظُهُورِهَا فَهِيَ لَهُ سَتْرٌ، وَرَجُلٌ رَبَطَهَا فَخْراً وَرِيَاءً وَنِوَاءً لِأَهْلِ الإِسْلَامِ فَهِيَ لَهُ وِزْرٌ (مالك حم ق ت ن ه) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

١٧٦١ — خَلَقَ اللهُ جَنَّةَ عَدْنٍ بِيَدِهِ وَدَلَّى فِيهَا ثِمَارَهَا وَشَقَّ فِيهَا أَنْهَارَهَا ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهَا، فَقَالَ لَهَا: تَكَلَّمِي، فَقَالَتْ: قَدْ أَفْلَحَ المؤْمِنُونَ فَقَالَ: وَعِزَّتِي لَا يُجَاوِرُنِي فِيكِ بَخِيلٌ (طب) عن ابن عباس (ك) عن أنس رضي الله عنهم.

* * *

حرف الدال

قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

١٧٦٢ — دِبَاغُ الأَدِيمِ طَهُورُهُ (حم م) عن ابن عباس (د) عن سلمة بن المحبِّق (ن) عن عائشة (ع) عن أنس (طب) عن المغيرة وعن أبي أمامة رضي الله عنهم.

١٧٦٣ — دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الحَسَدُ، وَالبَغْضَاءُ هِيَ الحَالِقَةُ حَالِقَةُ الدِّينِ لَا حَالِقَةُ الشَّعْرِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِشَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ (حم ت البزار والضياء) عن الزبير بن العوام رضي الله عنه.

١٧٦٤ — دَخَلْتُ الجَنَّةَ فَإِذَا أَنَا بِنَهَرٍ حَافَتَاهُ خِيَامُ اللُّؤْلُؤِ فَضَرَبْتُ بِيَدِي إِلَى مَا يَجْرِي فِيهِ مِنَ المَاءِ، فَإِذَا مِسْكٌ أَذْفَرُ، فَقُلْتُ: مَا هٰذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هٰذَا الكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَهُ اللهُ (حم خ ت ن) عن أنس رضي الله عنه.

١٧٦٥ — دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا أَنَا بِقَصْرٍ مِنْ ذَهَبٍ ، فَقُلْتُ : لِمَنْ هٰذَا الْقَصْرُ ؟ قَالُوا : لِشَابٍّ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَظَنَنْتُ أَنِّي أَنَا هُوَ ، فَقُلْتُ : وَمَنْ هُوَ ؟ قَالُوا : عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، فَلَوْلَا مَا عَلِمْتُ مِنْ غِيرَتِكَ لَدَخَلْتُهُ (حم ت حب) عن أنس (حم ق) عن جابر (حم) عن بُرَيدة وعن معاذ رضى الله عنهم .

١٧٦٦ — دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ ، وَرَأَيْتُ فِيهَا ثَلَاثَةً يُعَذَّبُونَ : امْرَأَةٌ مِنْ حِمْيَرٍ طُوَالَةٌ رَبَطَتْ هِرَّةً لَهَا لَمْ تُطْعِمْهَا وَلَمْ تَسْقِهَا وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ ، فَهِيَ تَنْهَشُ قُبُلَهَا وَدُبُرَهَا ، وَرَأَيْتُ فِيهَا أَخَا بَنِي دَعْدَعٍ الذى كَانَ يَسْرِقُ الْحَاجَّ بِمِحْجَنِهِ ، فَإِذَا فُطِنَ لَهُ قَالَ : إِنَّمَا تَعَلَّقَ بِمِحْجَنِي ، وَالَّذِي سَرَقَ بَدَنَةَ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم (حب) عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه

١٧٦٧ — دَخَلَتِ الْعُمْرَةُ فِي الْحَجِّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ (م د) عن جابر (د ت) عن ابن عباس رضى الله عنهم .

١٧٦٨ — دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ حَتَّى مَاتَتْ (م ق ه) عن أبى هريرة (خ) ابن عمر رضى الله عنهما .

١٧٦٩ — دَخَلَ رَجُلٌ الْجَنَّةَ بِسَمَاحَتِهِ قَاضِيًا وَمُقْتَضِيًا (حم) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

١٧٧٠ — دِرْهَمُ رِبًا يَأْكُلُهُ الرَّجُلُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَشَدُّ مِنْ سِتَّةٍ

وَثَلَاثِينَ زَنْيَةً (حم طب) عن عبد الله بن حنظلة ، غسيل الملائكة ، رضى الله عنه .

١٧٧١ — دُعَاءُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ مُسْتَجَابٌ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ بِهِ ، كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ ، قَالَ الْمَلَكُ : آمِينَ ، وَلَكَ بِمِثْلِ ذَلِكَ (حم م ٥) عن أبى الدرداء رضى الله عنه .

١٧٧٢ — دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ وَإِنْ كَانَ فَاجِراً فَفُجُورُهُ عَلَى نَفْسِهِ (حم) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٧٧٣ — دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ : اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ (حم خد دحب) عن أبى بكرة رضى الله عنه .

١٧٧٤ — دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا بِهَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ : لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ، لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللهُ لَهُ (حم ت ن ك هب والضياء) عن سعد .

١٧٧٥ — دَعْ دَاعِيَ اللَّبَنِ[1] (حم تخ حب ك) عن ضرار بن الأزور رضى الله عنه .

١٧٧٦ — دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ (حم) عن أنس (ن)

---

(١) دع داعى اللبن . أى لاتبالغ فى حلبها حتى تستوفى مافى ضرعها بل أترك فيه بقية تستدعى غيرها عند رضاع ولدها منها .

عن الحسن بن على (طب) عن وابصة وعن واثلة (خط) عن ابن عمر رضى الله عنهم .

١٧٧٧ — دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لاَ يَرِيبُكَ ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ (الطيالسى حم ع والدارمى ت حب ك) عن الحسن بن على عليهما السلام .

١٧٧٨ — دَعْنَا مِنْكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ[1] ، مَنْ جَاهَدَ فِى سَبِيلِ اللهِ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ (طب) عن أبى المنذر .

١٧٧٩ — دَعْهُنَّ يَبْكِينَ مَا دَامَ عِنْدَهُنَّ ، فَإِذَا وَجَبَ فَلاَ تَبْكِيَنَّ بَاكِيَةٌ (مالك ن ك) عن جابر بن عتيك رضى الله عنه .

١٧٨٠ — دَعْهُنَّ يَا عُمَرُ فَإِنَّ الْعَيْنَ دَامِعَةٌ وَالْقَلْبَ مُصَابٌ وَالْعَهْدَ قَرِيبٌ (حم ن ه ك) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٧٨١ — دَعْهُنَّ يَبْكِينَ ، وَإِيَّاكُنَّ وَنَعِيقَ الشَّيْطَانِ ، إِنَّهُ مَهْمَا كَانَ مِنَ الْعَيْنِ وَالْقَلْبِ فَمِنَ اللهِ وَمِنَ الرَّحْمَةِ ، وَمَهْمَا كَانَ مِنَ الْيَدِ وَاللِّسَانِ فَمِنَ الشَّيْطَانِ (حم) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

---

(١) قال أبو المنذر : جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله أن فلانا هلك فصل عليه ، فقال عمر . أنه فاجر فلا تصل عليه . فقال الرجل : يارسول الله ألم تر الليلة التى أصبحت فيها فى الحرس ؟ فأنه كان فيهم . فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى عليه ، ثم تبعه حتى جاء قبره قعد حتى إذا فرغ منه . حثى عليه ثلاث حثيات ، ثم قال : « يثنى عليك الناس شرا وأثنى عليك خيرا » فقال عمر : وماذاك يارسول الله ؟ فقال «دعنا منك يا ابن الخطاب» وذكر الحديث . وهو يفيد أن الجهاد يمحو الذنوب .

١٧٨٢ — دَعُوا لِي أَصْحَابِي ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنْفَقْتُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً مَا بَلَغْتُمْ أَعْمَالَهُمْ (حم) عن أنس رضى الله عنه .

١٧٨٣ — دَعُوهُ فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالاً (خ ت) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٧٨٤ — دَعُوهُ وَأَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلاً مِنْ مَاءٍ فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ (خ) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٧٨٥ — دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ ، وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ أَعْظَمُهَا أَجْراً الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٧٨٦ — الدَّجَّالُ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُسْلِمٍ (م) عن أنس رضى الله عنه .

١٧٨٧ — الدَّجَّالُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُسْرَى جُفَالُ الشَّعْرِ ، مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ فَنَارُهُ جَنَّةٌ وَجَنَّتُهُ نَارٌ (حم م ٥) عن حذيفة رضى الله عنه .

١٧٨٨ — الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ (حم ش خد ع حب ك) عن النعمان بن بشير (ع) عن البراء رضى الله عنهم .

١٧٨٩ — الدُّعَاءُ سِلَاحُ الْمُؤْمِنِ وَعِمَادُ الدِّينِ وَنُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ (ك) عن أبى هريرة (ع ك) عن على عليه السلام .

١٧٩٠ — الدُّعَاءُ لَا يُرَدُّ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ (حم د ت ن حب) عن أنس رضى الله عنه .

١٧٩١ — الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ (ع طب) عن ميمونة (طب) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

١٧٩٢ — الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ فَمَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا بَارَكَ اللهُ لَهُ فِيهَا ، وَرُبَّ مُتَخَوِّضٍ فِيمَا اشْتَهَتْ نَفْسُهُ لَيْسَ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَّا النَّارُ (طب) عن ابن عمرو (طب) عن عمرة بنت الحارث (العسكرى فى الأمثال) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٧٩٣ — الدُّنْيَا سِجْنُ المُؤْمِنِ ، وَجَنَّةُ الكَافِرِ (حم م ت ه) عن أبى هريرة (طب ك) عن سلمان (البزار) عن ابن عمر رضى الله عنهم .

١٧٩٤ — الدُّنْيَا مَتَاعٌ ، وَخَيْرُ مَتَاعِهَا المَرْأَةُ الصَّالِحَةُ (حم م ن ه) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

١٧٩٥ — الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرَ اللهِ ، وَمَا وَالَاهُ ، وَعَالِمًا ، وَمُتَعَلِّمًا (ت ه هب) عن أبى هريرة (طس) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

١٧٩٦ — الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا مَا ابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُ اللهِ تَعَالَى (طب) عن أبى الدرداء رضى الله عنه .

١٧٩٧ — الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا مَا كَانَ مِنْهَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (حل و الضياء) عن جابر رضى الله عنه .

١٧٩٨ — الدُّنْيَا سِجْنُ المُؤْمِنِ وَسِنَتُهُ ، فَإِذَا فَارَقَ الدُّنْيَا فَارَقَ السِّجْنَ وَالسِّنَةَ (حم طب حل ك) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

١٧٩٩ — الدُّنيَا دَارُ مَنْ لاَ دَارَ لَهُ ، وَلَهَا يَجْمَعُ مَنْ لاَ عَقْلَ لَهُ (حم هب) عن عائشة رضى الله عنها .

١٨٠٠ — الدِّينَارُ بِالدِّينَارِ لاَ فَضْلَ بَيْنَهُمَا ، وَالدِّرْهَمُ بِالدِّرْهَمِ لاَ فَضْلَ بَيْنَهُمَا (م ن) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٨٠١ — الدِّينَارُ بِالدِّينَارِ لاَ فَضْلَ بَيْنَهُمَا ، وَالدِّرْهَمُ بِالدِّرْهَمِ لاَ فَضْلَ بَيْنَهُمَا ، فَمَنْ كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ بِوَرِقٍ فَلْيَصْطَرِفْهَا بِذَهَبٍ ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ حَاجَةٌ بِذَهَبٍ فَلْيَصْطَرِفْهَا بِوَرِقٍ ، وَالصَّرْفُ هَاءَ وَهَاءَ (ه ك) عن علىّ عليه السلام .

١٨٠٢ — الدِّينَارُ بِالدِّينَارِ ، وَالدِّرْهَمُ بِالدِّرْهَمِ ، وَصَاعُ حِنْطَةٍ بِصَاعِ حِنْطَةٍ ، وَصَاعُ شَعِيرٍ بِصَاعِ شَعِيرٍ ، وَصَاعُ مِلْحٍ بِصَاعِ مِلْحٍ ، لاَ فَضْلَ بَيْنَ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ (طب ك) عن أبى أسيد الساعدى رضى الله عنه .

١٨٠٣ — الدِّينُ النَّصِيحَةُ (تخ) عن ثَوْبان (البزار) عن ابن عمر رضى الله عنهم .

* * *

حرف الذال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

١٨٠٤ — ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا ، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً (حم م ت) عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه .

١٨٠٥ — ذَاكِرُ اللهِ فِي الْغَافِلِينَ بِمَنْزِلَةِ الصَّابِرِ فِي الْفَارِّينَ (البزار طب) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

١٨٠٦ — ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنِهِ[1] (ق ن ه) عن ابن مسعود (حم) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٨٠٧ — ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خِنْزِبٌ ، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللهِ وَاتْفُلْ عَنْ يَسَارِكَ ثَلَاثًا (م) عن عثمان بن أبى العاصى رضى الله عنه .

١٨٠٨ — ذَاكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ[2] النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ (ن) عن أسامة بن زيد رضى الله عنه .

---

(١) ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل أصبح نائما فلم يصل من الليل فقال : « ذاك رجل بال الشيطان فى أذنه » وبول الشيطان كناية عن قوله للنائم : عليك ليل طويل فارقد . كما سيأتى فى حديث أبى هريرة فى حرف الياء .

(٢) قال أسامة بن زيد رضى الله عنه : قلت يارسول الله لم أرك تصوم فى شهر من الشهور ماتصوم من شعبان ! قال «ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان» ويؤخذ منه أن الناس كانوا يحتفلون برجب ويصومون فيه .

١٨٠٩ — ذَاكَ نَهْرٌ أَعْطَانِيهِ اللهُ - يَعْنِي فِي الْجَنَّةِ - أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ ، فِيهِ طَيْرٌ أَعْنَاقُهَا كَأَعْنَاقِ الْجُزُرِ (ت) عن أنس رضى الله عنه .

١٨١٠ — ذَرَارِي الْمُسْلِمِينَ يَكْفُلُهُمْ إِبْرَاهِيمُ (ابن أبى داود فى البعث) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٨١١ — ذَرِ النَّاسَ يَعْمَلُونَ ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ مِائَةُ دَرَجَةٍ مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَالْفِرْدَوْسُ أَعْلَاهَا دَرَجَةً وَأَوْسَطُهَا ، وَفَوْقَهَا عَرْشُ الرَّحْمٰنِ ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ (حم ت) عن معاذ رضى الله عنه .

١٨١٢ — ذَرُوا الْمِرَاءَ (حم م) عن جابر رضى الله عنه .

١٨١٣ — ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ ، وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ (حم م ن ه) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٨١٤ — ذَكَاةُ الْمَيْتَةِ دِبَاغُهَا (ن) عن عائشة رضى الله عنها .

١٨١٥ — ذَكَاةُ كُلِّ مَسْكٍ دِبَاغُهُ (ك) عن عبد الله بن الحارث رضى الله عنه .

١٨١٦ — ذَكَرْتُ وَأَنَا فِي الصَّلَاةِ تِبْرًا عِنْدَنَا ، فَكَرِهْتُ أَنْ يَبِيتَ عِنْدَنَا ، فَأَمَرْتُ بِقَسْمِهِ (حم خ) عن عُقبة بن الحارث رضى الله عنه .

١٨١٧ — ذِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ يَسْعَى بِهَا أَدْنَاهُمْ ، فَمَنْ أَخْفَرَ مُسْلِماً فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، لاَ يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَدْلاً وَلاَ صَرْفاً (م) عن علىّ عليه السلام .

١٨١٨ — ذَنْبٌ لاَ يُغْفَرُ ، وَذَنْبٌ لاَ يُتْرَكُ ، وَذَنْبٌ يُغْفَرُ ، فَأَمَّا الَّذِى لاَ يُغْفَرُ فَالشِّرْكُ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَمَّا الَّذِى يُغْفَرُ فَذَنْبُ الْعَبْدِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ ، وَأَمَّا الَّذِى لاَ يُتْرَكُ فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً (طب) عن سلمان رضى الله عنه .

١٨١٩ — ذَنْبٌ يُغْفَرُ ، وَذَنْبٌ لاَ يُغْفَرُ ، وَذَنْبٌ يُجَازَى بِهِ ، فَأَمَّا الذَّنْبُ الَّذِى لاَ يُغْفَرُ فَالشِّرْكُ بِاللهِ ، وَأَمَّا الذَّنْبُ الَّذِى يُغْفَرُ فَعَمَلُكَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ رَبِّكَ ، وَأَمَّا الذَّنْبُ الَّذِى يُجَازَى بِهِ فَظُلْمُكَ أَخَاكَ (طس) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٨٢٠ — ذُو الْوَجْهَيْنِ فِى الدُّنْيَا يَأْتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ وَجْهَانِ مِنْ نَارٍ (طس) عن سعد .

١٨٢١ — ذَهَبَ الْمُفْطِرُونَ الْيَوْمَ بِالأَجْرِ (حم ق ن) عن أنس رضى الله عنه .

١٨٢٢ — ذَهَبَتِ النُّبُوَّةُ ، وَبَقِيَتِ الْمُبَشِّرَاتُ (ه) عن أم كرز رضى الله عنها .

١٨٢٣ — ذَهَبَتِ النُّبُوَّةُ فَلاَ نُبُوَّةَ بَعْدِى إِلاَّ الْمُبَشِّرَاتُ : الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الرَّجُلُ أَوْ تُرَى لَهُ (طب) عن حذيفة بن أسيد رضى الله عنه .

١٨٢٤ — الذَّهَبُ بِالْوَرِقِ رِباً إِلاَّ هَاءَ وَهَاءَ ، وَالبُرُّ بِالْبُرِّ رِباً إِلاَّ هَاءَ وَهَاءَ ، وَالتَّمْرُ بِالتَّمْرِ رِباً إِلاَّ هَاءَ وَهَاءَ ، وَالشَّعِيرُ بِالشَّعِيرِ رِباً إِلاَّ هَاءَ وَهَاءَ (مالك ق ٤) عن عُمر رضى الله عنه .

١٨٢٥ — الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ ، وَالفِضَّةُ بِالْفِضَّةِ ، وَالبُرُّ بِالْبُرِّ ، وَالشَّعِيرُ بِالشَّعِيرِ ، وَالتَّمْرُ بِالتَّمْرِ ، وَالْمِلْحُ بِالْمِلْحِ مِثْلاً بِمِثْلٍ ، يَدًا بِيَدٍ ، فَمَنْ زَادَ أَوِ اسْتَزَادَ فَقَدْ أَرْبَى ، الآخِذُ وَالْمُعْطِى سَوَاءٌ (حم م ن) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

١٨٢٦ — الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ ، وَالفِضَّةُ بِالْفِضَّةِ ، وَالبُرُّ بِالْبُرِّ ، وَالشَّعِيرُ بِالشَّعِيرِ ، وَالتَّمْرُ بِالتَّمْرِ ، وَالْمِلْحُ بِالْمِلْحِ مِثْلاً بِمِثْلٍ سَوَاءً بِسَوَاءٍ ، يَداً بِيَدٍ ، فَإِذَا اخْتَلَفَتْ هَذِهِ الأَصْنَافُ فَبِيعُوا كَيْفَ شِئْتُمْ إِذَا كَانَ يَداً بِيَدٍ (حم م د ه) عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه .

١٨٢٧ — الذَّهَبُ وَالْحَرِيرُ حِلٌّ لإِنَاثِ أُمَّتِي، وَحَرَامٌ عَلَى ذُكُورِهَا (طب) عن زيد بن أرحم وعن واثلة .

* * *

حرف الراء

قالَ رسول الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلم :

١٨٢٨ — رَأْسُ الكُفْرِ نَحْوَ المَشْرِقِ ، وَالفَخْرُ وَالخُيَلاَءُ فِي أَهْلِ الخَيْلِ وَالإِبِلِ وَالفَدَادِينِ وَأَهْلِ الوَبَرِ ، وَالسَّكِينَةُ فِي أَهْلِ الغَنَمِ (مالك ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

١٨٢٩ — رَاصُّوا الصُّفُوفَ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَقُومُ فِي الخَلَلِ (حم) عن أنس رضى الله عنه .

١٨٣٠ — رَأَى عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ رَجُلاً يَسْرِقُ ، فَقَالَ لَهُ أَسَرَقْتَ ؟ قَالَ : كَلاَّ وَالَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ، فَقَالَ عِيسَى : آمَنْتُ بِاللهِ وَكَذَّبْتُ عَيْنِي (حم ق ن ه) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

١٨٣١ — رَأَيْتُ جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ مَلَكاً يَطِيرُ فِي الجَنَّةِ ذَا جَنَاحَيْنِ يَطِيرُ مِنْهَا حَيْثُ شَاءَ مُضَرَّجَةً قَوَادِمُهُ بِالدِّمَاءِ (طب) عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما .

١٨٣٢ — رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، قُلْتُ : لَبَّيْكَ رَبِّي وَسَعْدَيْكَ ، قَالَ : هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلأُ الأَعْلَى ؟ قُلْتُ : لاَ أَعْلَمُ ، فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ أَتَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلأُ الأَعْلَى ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، فِي الدَّرَجَاتِ ، وَالكَفَّارَاتِ ، وَنَقْلِ الأَقْدَامِ إِلَى الجَمَاعَاتِ ، وَإِسْبَاغِ الوُضُوءِ فِي السَّبَرَاتِ ، وَانْتِظَارِ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ ،

وَمَنْ حَافَظَ عَلَيْهِنَّ عَاشَ بِخَيْرٍ وَمَاتَ بِخَيْرٍ، وَكَانَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ ، قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، قُلْتُ : لَبَّيْكَ رَبِّ وَسَعْدَيْكَ ، قَالَ : إِذَا صَلَّيْتَ فَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ ، وَإِذَا أَرَدْتَ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً، فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ ، قَالَ وَالدَّرَجَاتُ إِفْشَاءُ السَّلَامِ ، وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ ، وَالصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ (ت) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

١٨٣٣ — رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي مُوسَى رَجُلاً آدَمَ طُوَالاً جَعْدًا كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ ، وَرَأَيْتُ عِيسَى رَجُلاً مَرْبُوعَ الْخَلْقِ ، إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ ، سَبْطَ الرَّأْسِ ، وَرَأَيْتُ مَالِكاً خَازِنَ النَّارِ وَالدَّجَّالَ (حم ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

١٨٣٤ — رَأَيْتُ جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ (طب) عن أبى مسعود رضى الله عنه .

١٨٣٥ — رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ عَامِرٍ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ وَبَحَّرَ الْبَحِيرَةَ (حم ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٨٣٦ — رَأَيْتُ كَأَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ ثَائِرَةَ الرَّأْسِ خَرَجَتْ مِنَ الْمَدِينَةِ حَتَّى نَزَلَتْ مَهْيَعَةَ ، فَتَأَوَّلْتُهَا أَنَّ وَبَاءَ الْمَدِينَةِ نُقِلَ إِلَيْهَا (خ ت ه) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

١٨٣٧ — رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ حم ق) عن أنس (حم ق د ت) عن عُبادة (حم ق ه) عن أبى هريرة رضى الله عنهم .

١٨٣٨ — رُؤْيَا الْمُسْلِمِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ ، وَهِيَ عَلَى رِجْلِ طَائِرٍ مَا لَمْ يُحَدِّثْ بِهَا ، فَإِذَا تَحَدَّثَ بِهَا وَقَعَتْ (حم ت حب ك) عن أبى رزين العقيلى .

١٨٣٩ — رِبَاطُ يَوْمٍ فِى سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا ، وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا ، وَالرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا الْعَبْدُ فى سَبِيلِ اللهِ أَوِ الْغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا (حم ق ت) عن سهل بن سعد .

١٨٤٠ — رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ ، وَإِنْ مَاتَ فِيهِ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِى كَانَ يَعْمَلُ، وَأُجْرِىَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَأَمِنَ مِنَ الْفَتَّانِ (م ت ن طب) عن سلمان الفارسى رضى الله عنه زاد (طب) وَبُعِثَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَهِيدًا .

١٨٤١ — رِبَاطُ يَوْمٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ (حم) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

١٨٤٢ — رِبَاطُ يَوْمٍ فى سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ يَوْمٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الْمَنَازِلِ (ت ن ك) عن عثمان رضى الله عنه .

١٨٤٣ — رِبَاطُ شَهْرٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ دَهْرٍ ، وَمَنْ مَاتَ مُرَابِطًا فى سَبِيلِ اللهِ ، أَمِنَ مِنَ الْفَزَعِ الأَكْبَرِ وَغُدِىَ عَلَيْهِ بِرِزْقِهِ وَرِيحَ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَيَجْرِى عَلَيْهِ أَجْرُ الْمُرَابِطِ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ (طب) عن أبى الدرداء رضى الله عنه .

١٨٤٤ — رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ (حم م) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٨٤٥ — رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِى طِمْرَيْنِ تَنْبُو عَنْهُ أَعْيُنُ النَّاسِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ (حل ك) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٨٤٦ — رُبَّ ذِى طِمْرَيْنِ لاَ يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ (البزار) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

١٨٤٧ — رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلاَّ الْجُوعُ ، وَرُبَّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلاَّ السَّهَرُ (ن ه) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٨٤٨ — رُبَّ صَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ ، وَرُبَّ قَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهَرُ (طب) عن ابن عمر (حم ابن خزيمة ك) عن أبى هريرة رضى الله عنهم .

١٨٤٩ — رَحِمَ اللهُ أَخِى لُوطاً ، كَانَ يَأْوِى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٨٥٠ — رَحِمَ اللهُ لُوطاً[1] كَانَ يَأْوِى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ، وَمَا بَعَثَ

---

(١) رحم الله لوطا كان يأوى إلى ركن شديد ، هو الله تعالى ، وسبب قول لوط لقومه (لو أن لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد) أنه كان غريبا فى قومه ، ليس له فيهم أهل أو عشيرة . فأجمعوا على محاربته ، لم يوجد فيهم من دافع عنه بكلمة ، حتى امرأته كانت ضده ، لأنها منهم . ففى غمرة اليأس من إيمانهم ونصرتهم قال كلمته تلك، ناسيا أن الله مؤيده وناصره . وما بعث الله بعده نبيا إلا فى ثروة : كثرة عدد عشيرة من قومه ، فيهابونه ويحترمونه وإن لم يؤمنوا به . ألا ترى إلى شعيب عليه السلام كيف قال له قومه (ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز) .

اللهُ بَعْدَهُ نَبِيًّا إِلَّا وَهُوَ فِي ثَرْوَةٍ مِنْ قَوْمِهِ (ك) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

١٨٥١ — رَحِمَ اللهُ امْرَأً صَلَّى قَبْلَ العَصْرِ أَرْبَعًا (حم د ت ابن خزيمة حب) عن ابن عمر رضي الله عنهما .

١٨٥٢ — رَحِمَ اللهُ رَجُلاً قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى، وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا المَاءَ، وَرَحِمَ اللهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ المَاءَ (حم د ن ه ابن خزيمة حب ك) عن أبي هريرةِ رضي الله عنه .

١٨٥٣ — رَحِمَ اللهُ عَبْداً كَانَتْ لِأَخِيهِ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ فِي عِرْضٍ أَوْ مَالٍ ، فَجَاءَهُ فَاسْتَحَلَّهُ قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ وَلَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ ، فَإِنْ كَانَتْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ حَمَلُوا عَلَيْهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ (ت) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

١٨٥٤ — رَحِمَ اللهُ عَبْداً سَمْحاً إِذَا بَاعَ، سَمْحاً إِذَا اشْتَرَى، سَمْحاً إِذَا قَضَى، سَمْحاً إِذَا اقْتَضَى، (خ ه) عن جابر رضي الله عنه .

١٨٥٥ — رَحِمَ اللهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ (حم ق) عن ابن مسعود رضي الله عنه .

١٨٥٦ — رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْنَا وَعَلَى مُوسَى ، لَوْ صَبَرَ لَرَأَى مِنْ صَاحِبِهِ العَجَبَ (د ن ك) عن أُبَيِّ بن كعب .

١٨٥٧ — رُصُّوا صُفُوفَكُمْ ، وَقَارِبُوا بَيْنَهَا ، وَحَاذُوا بِالأَعْنَاقِ ،

فَوَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ إِنِّى لَأَرَى الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ مِنْ خَلَلِ الصَّفِّ كَأَنَّهُ الْحَذَفُ (د ن ابن خزيمة حب) عن أنس رضى الله عنه .

١٨٥٨ — رِضَا اللهِ فِى رِضَا الْوَالِدِ ، وَسَخَطُ اللهِ فِى سَخَطِ الْوَالِدِ (ت حب ك) عن ابن عمرو ورجح (ت) وقفه (البزار) عن ابن عمر .

١٨٥٩ — رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَىَّ ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ عِنْدَهُ أَبَوَاهُ الْكِبَرَ فَلَمْ يُدْخِلَاهُ الْجَنَّةَ (ت ك) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٨٦٠ — رَغِمَ أَنْفُهُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَهُ الْكِبَرُ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ (حم م) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٨٦١ — رَفَعَ اللهُ عَنْ أُمَّتِى الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ (أبو القاسم الفضل بن جعفر التميمى) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

١٨٦٢ — رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ : النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ ، وَعَنِ الْمُبْتَلَى حَتَّى يَبْرَأَ ، وَعَنِ الصَّبِىِّ حَتَّى يَكْبَرَ (حم د ن ه ك) عن عائشة رضى الله عنها .

١٨٦٣ — رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ : عَنِ الْمَجْنُونِ الْمَغْلُوبِ عَلَى عَقْلِهِ حَتَّى يَبْرَأَ ، وَعَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ ، وَعَنِ الصَّبِىِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ (حم د ك) عن على وعن عمر رضى الله عنهما .

١٨٦٤ — رَكْعَتَانِ بِالسِّوَاكِ أَفْضَلُ مِنْ سَبْعِينَ رَكْعَةً بِغَيْرِ سِوَاكٍ (أبو نعيم فى كتاب السواك) عن جابر رضى الله عنه .

١٨٦٥ — رَكْعَتَا الْفَجْرِ[1] خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا (م ت ن) عن عائشة رضى الله عنها .

١٨٦٦ — رَوَاحُ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ (ن) عن حفصة رضى الله عنها .

١٨٦٧ — الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمٰنُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ (حم د ت ك) عن ابن عمرو رضى الله عنه زاد : (حم ت ك) وَالرَّحِمُ شِجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ ، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللهُ ، وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ اللهُ .

١٨٦٨ — الرَّاكِبُ شَيْطَانٌ ، وَالرَّاكِبَانِ شَيْطَانَانِ ، وَالثَّلاَثَةُ رَكْبٌ (مالك حم د ت ن ابن خزيمة) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

١٨٦٩ — الرَّاكِبُ يَسِيرُ خَلْفَ الْجَنَازَةِ ، وَالْمَاشِي يَمْشِي خَلْفَهَا وَأَمَامَهَا وَعَنْ يَمِينِهَا وَعَنْ يَسَارِهَا قَرِيبًا مِنْهَا ، وَالسِّقْطُ يُصَلَّى عَلَيْهِ وَيُدْعَى لِوَالِدَيْهِ بِالْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ (حم د ت ك) عن المغيرة .

١٨٧٠ — الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ اللهِ ، وَالْحُلْمُ مِنَ الشَّيْطَانِ ، فَإِذَا رَأَى

---

(١) دخل أبو بكرة رضى الله عنه المسجد ، والنبي صلى الله عليه وسلم راكع يؤم الناس ، فكبر أبو بكرة وركع ومشى راكعا حتى وصل إلى الصف . فلما انتهت الصلاة قال له النبي صلى الله عليه وسلم : زادك الله حرصا على صلاة الجماعة ، ولا تعد إلى التحرم بالصلاة وأنت منفرد خلف الصف ، بل امش حتى تصل إلى الصف ، ثم تحرم بالصلاة . والسر فى ذلك أن صلاة المنفرد خلف الصف لا تجوز ، فكذلك لا يجوز التحرم بها ، لأن بعض الصلاة مثل كلها . وإنما كانت صلاة المنفرد خلف الصف لا تجوز لأنها مؤذنة بالتفرق والانشقاق .

أَحَدُكُمْ شَيْئاً يَكْرَهُهُ، فَلْيَنْفُثْ حِينَ يَسْتَيْقِظُ عَنْ يَسَارِهِ ثَلاثاً، وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْ شَرِّهَا، فَإِنَّهَا لاَ تَضُرُّهُ (ق د ت) عن أبى قتادة رضى الله عنه، زاد (م): وَلاَ يُخْبِرْ بِهَا أَحَداً، فَإِنْ رَأَى رُؤْيَا حَسَنَةً فَلْيَبْشَرْ، وَلاَ يُخْبِرْ بِهَا إِلاَّ مَنْ يُحِبُّ.

١٨٧١ — الرُّؤْيَا ثَلاَثَةٌ فَبُشْرَى مِنَ اللهِ، وَحَدِيثُ النَّفْسِ، وَتَخْوِيفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ رُؤْيَا تُعْجِبُهُ فَلْيَقُصَّهَا إِنْ شَاءَ، وَإِنْ رَأَى شَيْئاً يَكْرَهُهُ، فَلاَ يَقُصَّهُ عَلَى أَحَدٍ، وَلْيَقُمْ يُصَلِّي، وَأَكْرَهُ الْغُلَّ، وَأُحِبُّ الْقَيْدَ، الْقَيْدُ ثَبَاتٌ فِي الدِّينِ (ت ه) عن أبى هريرة رضى الله عنه.

١٨٧٢ — الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءاً مِنَ النُّبُوَّةِ (خ) عن أبى سعيد (م) عن ابن عمر وعن أبى هُرَيرةٍ (حم ه) عن أبى رزين (طب) عن ابن مسعود رضى الله عنهم.

١٨٧٣ — الرِّبَا بِضْعٌ وَسَبْعُونَ بَاباً (ه) عن عبد الله، زاد (البزار): وَالشِّرْكُ مِثْلُ ذَلِكَ.

١٨٧٤ — الرِّبَا وَإِنْ كَثُرَ، فَإِنَّ عَاقِبَتَهُ إِلَى قُلٍّ (ك) عن ابن مسعود رضى الله عنه.

١٨٧٥ — الرَّجُلُ أَحَقُّ بِصَدْرِ دَابَّتِهِ، وَأَحَقُّ بِمَجْلِسِهِ إِذَا رَجَعَ (حم) عن أبى سعيد رضى الله عنه.

١٨٧٦ — الرَّجُلُ أَحَقُّ بِصَدْرِ دَابَّتِهِ، وَصَدْرِ فِرَاشِهِ، وَالصَّلاةِ

فِي مَنْزِلِهِ إِلاَّ إِمَامًا يُجْمِعُ النَّاسُ عَلَيْهِ (طب) عن فاطمة الزهراء عليها السلام .

١٨٧٧ — الرَّجْمُ كَفَّارَةٌ لِمَا صَنَعَتْ (ن والضياء) عن الشريد ابن سويد رضى الله عنه .

١٨٧٨ — الرَّحِمُ شِجْنَةٌ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ (حم طب) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

١٨٧٩ — الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ : مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللهُ ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللهُ (ق) عن عائشة رضى الله عنها .

١٨٨٠ — الرَّحِمُ حِجْنَةٌ مُتَمَسِّكَةٌ بِالْعَرْشِ تَكَلَّمُ بِلِسَانٍ ذَاقٍ : اللَّهُمَّ صِلْ مَنْ وَصَلَنِي ، وَاقْطَعْ مَنْ قَطَعَنِي ، فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : أَنَا الرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ ، وَإِنِّي شَقَقْتُ لِلرَّحِمِ مِنِ اسْمِي ، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ ، وَمَنْ بَتَكَهَا بَتَكْتُهُ (البزار) عن أنس رضى الله عنه .

١٨٨١ — الرَّضَاعُ يُحَرِّمُ مَا تُحَرِّمُ الْوِلاَدَةُ (مالك ق ت) عن عائشة رضى الله عنها .

١٨٨٢ — الرَّهْنُ يُرْكَبُ بِنَفَقَتِهِ ، وَيُشْرَبُ لَبَنُ الدَّرِّ إِذَا كَانَ مَرْهُونًا (خ) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٨٨٣ — الرَّوْحَةُ وَالْغَدْوَةُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَفْضَلُ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا (ق ن) عن سهل بن سعد رضى الله عنه .

١٨٨٤ — الرِّيحُ مِنْ رَوْحِ اللهِ تَأْتِي بِالرَّحْمَةِ وَتَأْتِي بِالْعَذَابِ ، فَإِذَا

رَأَيْتُمُوهَا ، فَلَا تَسُبُّوهَا ، وَاسْأَلُوا اللهَ خَيْرَهَا ، وَاسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ شَرِّهَا (خد د ك) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

* * *

حرف الزاى

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

١٨٨٥ — زَادَكَ اللهُ حِرْصاً ، وَلَا تَعُدْ (حم خ د ن) عن أبي بكرة رضى الله عنه .

١٨٨٦ — زَارَ رَجُلٌ أَخاً لَهُ فِي قَرْيَةٍ ، فَأَرْصَدَ اللهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكاً ، فَقَالَ لَهُ : أَيْنَ تُرِيدُ ؟ قَالَ : أَخاً لِي فِي هٰذِهِ الْقَرْيَةِ ، فَقَالَ لَهُ : هَلْ لَهُ عَلَيْكَ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا ؟ قَالَ : لَا ، إِلَّا أَنِّي أَحْبَبْتُهُ ، قَالَ : فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ إِنَّ اللهَ أَحَبَّكَ ، كَمَا أَحْبَبْتَهُ (حم خد م) عن أبي هُريرةٍ رضى الله عنه .

١٨٨٧ — زُرِ الْقُبُورَ تَذْكُرْ بِهَا الْآخِرَةَ ، وَاغْسِلِ الْمَوْتَى ، فَإِنَّ مُعَالَجَةَ جَسَدٍ خَاوٍ مَوْعِظَةٌ بَلِيغَةٌ ، وَصَلِّ عَلَى الْجَنَائِزِ لَعَلَّ ذَلِكَ أَنْ يُحْزِنَكَ ، فَإِنَّ الْحَزِينَ فِي ظِلِّ اللهِ يَتَعَرَّضُ كُلَّ خَيْرٍ (ك) عن أبي ذر رضى الله عنه .

١٨٨٨ — زَمْزَمُ طَعَامُ طُعْمٍ ، وَشِفَاءُ سُقْمٍ (ش البزار) عن أبي ذر رضى الله عنه .

١٨٨٩ — زَمِّلُوهُمْ بِدِمَائِهِمْ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ كَلْمٍ يُكْلَمُ فِي اللهِ إِلاَّ وَهُوَ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَدْمَى لَوْنُهُ لَوْنُ الدَّمِ ، وَرِيحُهُ رِيحُ الْمِسْكِ (ن) عن عبد الله بن ثعلبة .

١٨٩٠ — زِنْ وَأَرْجِحْ (حم ٤ حب ك) عن سويد بن قيس .

١٨٩١ — زَوَّدَكَ اللهُ التَّقْوَى ، وَغَفَرَ ذَنْبَكَ ، وَيَسَّرَ لَكَ الْخَيْرَ حَيْثُمَا كُنْتَ (ت ك) عن أنس رضى الله عنه .

١٨٩٢ — زُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمُ الآخِرَةَ (ه) عن أبى هُريرة رضى الله عنه .

١٨٩٣ — زُورُوا الْقُبُورَ ، وَلاَ تَقُولُوا هُجْراً (ه) عن زيد بن ثابت رضى الله عنه .

١٨٩٤ — زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ (عب حم د ن ه ك) عن البراء (طب) عن ابن عباس (حب) عن أبى هُريرةِ (حل) عن عائشة رضى الله عنهم .

١٨٩٥ — زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ ، فَإِنَّ الصَّوْتَ الْحَسَنَ يَزِيدُ الْقُرْآنَ حُسْناً (ك) عن البراء رضى الله عنه .

١٨٩٦ — زَيِّنُوا أَصْوَاتَكُمْ بِالْقُرْآنِ (عب) عن البراء رضى الله عنه .

١٨٩٧ — الزَّبِيبُ وَالتَّمْرُ هُوَ الْخَمْرُ (ن) عن جابر رضى الله عنه .

١٨٩٨ — الزَّعِيمُ غَارِمٌ (حم ع حب) عن أبى أمامة رضى الله عنه .

١٨٩٩ — الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا يُرِيحُ الْقَلْبَ وَالْجَسَدَ (طب) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

* * *

حرف السين

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

١٩٠٠ — سَاعَتَانِ تُفْتَحُ فِيهِمَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، وَقَلَّمَا تُرَدُّ عَلَى دَاعٍ دَعْوَتُهُ ، عِنْدَ حُضُورِ النِّدَاءِ ، وَالصَّفِّ فِي سَبِيلِ اللهِ (د حب) عن سهل بن سعد ، وفى رواية عند (حب) سَاعَتَانِ لاَ تُرَدُّ عَلَى دَاعٍ دَعْوَتُهُ حِينَ تُقَامُ الصَّلاَةُ ، وَفِي الصَّفِّ فِي سَبِيلِ اللهِ .

١٩٠١ — سَاقِي الْقَوْمِ آخِرُهُمْ (حم تخ د) عن ابن أبى أوفى (ت ه) عن أبى قتادة بلفظ : آخِرُهُمْ شُرْباً (طس والقضاعى) عن المغيرة ابن شُعبة .

١٩٠٢ — سَأَلْتِ اللهَ لِآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ ، وَأَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ[1] ، وَأَرْزَاقٍ

---

(١) قالت أم حبيبة رضى الله عنها : اللهم متعنى بزوجى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبأبى أبى سفيان وبأخى معاوية . فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم : سألت الله لآجال مضروبة وأيام معدودة وأرزاق مقسومة لن يعجل شيئا منهما قبل أجله ولن يؤخر . ولو كنت سألت الله أن يعيذك من النار ، وعذاب القبر ، كان خيرا وأفضل . وهذا الحديث يفيد أن زيادة العمر فى حديث البر وصلة الرحم ، كناية عن البركة فيه والله أعلم .

مَقْسُومَةٍ ، لَنْ يُعَجِّلَ شَيْئاً مِنْهَا قَبْلَ أَجَلِهِ وَلَنْ يُؤَخِّرَ ، وَلَوْ كُنْتِ سَأَلْتِ اللهَ أَنْ يُعِيذَكِ مِنَ النَّارِ ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ كَانَ خَيْراً وَأَفْضَلَ (م) عن أم حبيبة رضى الله عنها .

١٩٠٣ — سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ (حم ق ت ن ه) عن ابن مسعود (ه) عن أبى هُريرة ، وعن سعد (طب) عن عبد الله بن مُغَفَّل ، وعن عمرو بن النعمان بن مُقَرِّن (قط) فى الأفراد عن جابر رضى الله عنهم .

١٩٠٤ — سُبْحَانَ اللهِ كَأَنَّهَا — مَوْتَ[1] الْفَجْأَةِ — أَخْذَةٌ عَلَى غَضَبٍ، الْمَحْرُومُ مَنْ حُرِمَ وَصِيَّتَهُ (ع) عن أنس رضى الله عنه .

١٩٠٥ — سُبْحَانَ اللهِ مَاذَا أُنْزِلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الْفِتَنِ ؟ وَمَاذَا فُتِحَ مِنَ الْخَزَائِنِ ؟ أَيْقِظُوا صَوَاحِبَ الْحُجَرِ، فَرُبَّ كَاسِيَةٍ فِى الدُّنْيَا عَارِيَةٌ فِى الآخِرَةِ (حم خ ت) عن أم سلمة رضى الله عنها .

١٩٠٦ — سُبْحَانَ اللهِ نِصْفُ الْمِيزَانِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَؤُهُ ، وَاللهُ أَكْبَرُ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ، وَالطُّهُورُ نِصْفُ الإِيمَانِ ، وَالصَّوْمُ نِصْفُ الصَّبْرِ (حم هب) عن رجل من بنى سليم .

---

(١) قال أنس بن مالك رضى الله عنه : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاءه رجل فقال : يارسول الله مات فلان . قال أليس كان معنا آنفا ؟ أى قريبا . قالوا : بلى . قال : سبحان الله كأنها أخذة على غضب . لأن من يموت فجأة قد يكون عليه كفارات لله ، أو ديون للناس لم يكتبها لتقضى عنه ، فلذلك قال : المحروم من حرم وصيته ، فلم يكتبها فينبغى أن يكتب وصية بما عليه . احتياطا لمثل هذه الحالة .

١٩٠٧ — سَبِّحِي اللهَ[1] عَشْرًا ، وَاحْمِدِي اللهَ عَشْرًا ، وَكَبِّرِي اللهَ عَشْرًا ، ثُمَّ سَلِي اللهَ مَا شِئْتِ فَإِنَّهُ يَقُولُ : قَدْ فَعَلْتُ قَدْ فَعَلْتُ (حم ت ن ابن خزيمة حب ك) عن أنس رضى الله عنه .

١٩٠٨ — سَبِّحِي اللهَ[2] مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ ، فَإِنَّهَا تَعْدِلُ لَكِ مِائَةَ رَقَبَةٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ، وَاحْمِدِي اللهَ مِائَةَ تَحْمِيدَةٍ ، فَإِنَّهَا تَعْدِلُ لَكِ مِائَةَ فَرَسٍ مُسْرَجَةً مُلْجَمَةً تَحْمِلِينَ عَلَيْهَا فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَكَبِّرِي اللهَ مِائَةَ تَكْبِيرَةٍ ، فَإِنَّهَا تَعْدِلُ لَكِ مِائَةَ بَدَنَةٍ مُقَلَّدَةً مُتَقَبَّلَةً ، وَهَلِّلِي اللهَ مِائَةَ تَهْلِيلَةٍ ، فَإِنَّهَا تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ، وَلاَ يُرْفَعُ يَوْمَئِذٍ عَمَلٌ أَفْضَلُ مِنْهَا إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِ مَا أَتَيْتِ (حم ت ن طب ك) عن أم هانىء رضى الله عنها ، زاد (ك) : وَقُولِي : لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ ، لاَ تَتْرُكُ ذَنْبًا ، وَلاَ يُشْبِهُهَا عَمَلٌ .

١٩٠٩ — سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ هُمُ الَّذِينَ لاَ يَكْتَوُونَ ، وَلاَ يَكْوُونَ ، وَلاَ يَسْتَرْقُونَ ، وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (البزار) عن أنس رضى الله عنه .

---

(١) سبحى الله عشرا ، الخطاب لأم أنس رضى الله عنها ، ولكن الحديث عام لجميع الناس .

(٢) قالت أم هانىء رضى الله عنها: يارسول الله قد كبرت سنى وضعفت، فمرنى بعمل أعمله وأنا جالسة . قال « سبحى الله مائة تسبيحة » الحديث وهو خاص بالنساء ، ويشمل معهن الضعفاء من الرجال والفقراء الذين لا يستطيعون الجهاد ، ولا الانفاق .

١٩١٠ — سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ : إِمَامٌ عَادِلٌ ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي طَاعَةِ اللهِ ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَسْجِدِ إِذَا خَرَجَ مِنْهُ حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهِ ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللهِ فَاجْتَمَعَا عَلَى ذَلِكَ وَافْتَرَقَا عَلَيْهِ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِياً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ ، فَقَالَ : إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ ، فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ (مالك م ت) عن أبى هريرة وأبى سعيد (حم ق ن) عن أبى هريرة رضى الله عنهم .

١٩١١ — سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفٍ[1] ، رَجُلٌ لَهُ دِرْهَمَانِ أَخَذَ أَحَدَهُمَا فَتَصَدَّقَ بِهِ ، وَرَجُلٌ لَهُ مَالٌ كَثِيرٌ فَأَخَذَ مِنْ عُرْضِهِ مِائَةَ أَلْفٍ فَتَصَدَّقَ بِهَا (ن) عن أبى ذر (ن حب ك) عن أبى هريرة رضى الله عنهما .

١٩١٢ — سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيراً (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٩١٣ — سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ الْمُسْتَهْتَرُونَ بِذِكْرِ اللهِ يَضَعُ الذِّكْرُ عَنْهُمْ أَثْقَالَهُمْ ، فَيَأْتُونَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِفَافاً (ت ك) عن أبى هريرة (طب) عن أبى الدرداء رضى الله عنهما .

---

(١) سبق درهم مائة ألف ، فى الفضل عند الله ، رجل له درهمان أخذ أحدهما فتصدق به ، تصدق بنصف مايملك . قاسم الله ما أعطاه ورجل عنده مال كثير ، ألوف مؤلفة ، فأخذ من عرضه — من بينه — مائة ألف فتصدق بها ، فهذا المبلغ وإن كان كثيرا ، لايقع موقع الدرهم الذى تصدق به صاحبه من درهمين لايملك غيرهما . والسر فى ذلك أن صاحب الدرهم دلت صدقته — مع ضآل مايملك — على صدق إيمانه بثواب الله ، وقوة يقينه بالخلف ، وصاحب مائة الألف ، مطمئن إلى ماله الكثير .

١٩١٤ — سِتَّةٌ لَعَنْتُهُمْ — لَعَنَهُمُ اللهُ ، وَكُلُّ نَبِيٍّ مُجَابٌ — : الزَّائِدُ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَالْمُكَذِّبُ بِقَدَرِ اللهِ ، وَالْمُتَسَلِّطُ عَلَى أُمَّتِي بِالْجَبَرُوتِ لِيُذِلَّ مَنْ أَعَزَّ اللهُ ، وَيُعِزَّ مَنْ أَذَلَّ اللهُ ، وَالْمُسْتَحِلُّ حُرْمَةَ اللهِ ، وَالْمُسْتَحِلُّ مِنْ عِتْرَتِي مَا حَرَّمَ اللهُ ، وَالتَّارِكُ لِسُنَّتِي (ت حب طب ك) عن عائشة (ك) عن ابن عمر رضى الله عنهم .

١٩١٥ — سَبَقَكَ بِهَا عُكَاشَةُ[1] (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

١٩١٦ — سَتْرُ مَا بَيْنَ أَعْيُنِ الْجِنِّ وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ إِذَا دَخَلَ أَحَدُهُمُ الْخَلاَءَ أَنْ يَقُولَ : بِسْمِ اللهِ (حم ت ه) عن علىّ عليه السلام .

١٩١٧ — سَتُفْتَحُ عَلَيْكُمْ أَرَضُونَ وَيَكْفِيكُمُ اللهُ ، فَلاَ يَعْجِزْ أَحَدُكُمْ أَنْ يَلْهُوَ بِأَسْهُمِهِ (حم م) عن عقبة بن عامر .

١٩١٨ — سَتُفْتَحُ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا حَتَّى تُنَجِّدُوا بُيُوتَكُمْ ، كَمَا تُنَجَّدُ الْكَعْبَةُ ، فَأَنْتُمُ الْيَوْمَ خَيْرٌ مِنْ يَوْمَئِذٍ (طب) عن أبى جُحَيفة رضى الله عنه .

---

(١) لما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ، كما تقدم فى الحديث الماضى قبل هذا ببضعة أحاديث ، قال عكاشة : أدع الله أن يجعلنى منهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم «أنت منهم» فقام آخر يطلب مثله ، فقال « سبقك بها » بالدعوة « عكاشة » وقد صار هذا الحديث مثلا . وجاء فى رواية عند الطبرانى عن أم قيس بنت محصن ـ أخت عكاشة ـ قالت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى ، حتى أتينا البقيع ، فقال « يا أم قيس يبعث من هذه المقبرة سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب » وهذه الرواية تفيد أنهم يموتون بالمدينة ، لكن سندها ضعيف ، وعكاشة بتخفيف الكاف ، وتشديدها وهو أفصح .

١٩١٩ — سَتَكُونُ فِتَنٌ القَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ القَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ المَاشِي، وَالمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، وَمَنْ وَجَدَ فِيهَا مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ (حم ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

١٩٢٠ — سَتَكُونُ أُمَرَاءُ فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ ، فَمَنْ كَرِهَ بَرِئَ ، وَمَنْ أَنْكَرَ سَلِمَ ، وَلٰكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ (م د) عن أم سلمة رضى الله عنها .

١٩٢١ — سَتَكُونُ بَعْدِي هِنَاتٌ وَهِنَاتٌ ، فَمَنْ رَأَيْتُمُوهُ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ أَوْ يُرِيدُ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ كَائِنًا مَنْ كَانَ فَاقْتُلُوهُ ، فَإِنَّ يَدَ اللهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ يَرْكُضُ (ن حب) عن عرفجة .

١٩٢٢ — سَتَكُونُ أُمَرَاءُ تَشْغَلُهُمْ أَشْيَاءُ ، يُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ وَقْتِهَا ، فَاجْعَلُوا صَلَاتَكُمْ مَعَهُمْ تَطَوُّعًا (ه) عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه .

١٩٢٣ — سَتَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ يُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ مَوَاقِيتِهَا ، صَلُّوهَا لِوَقْتِهَا ، فَإِذَا حَضَرْتُمْ مَعَهُمُ الصَّلَاةَ فَصَلُّوا (طب) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

١٩٢٤ — سَتَكُونُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ مِنْ بَعْدِي يَأْمُرُونَكُمْ بِمَا لَا تَعْرِفُونَ وَيَعْمَلُونَ بِمَا تُنْكِرُونَ ، فَلَيْسَ أُولَئِكَ عَلَيْكُمْ بِأَئِمَّةٍ ، (طب) عن عبادة رضى الله عنه .

١٩٢٥ — سَتكُونُ أَئِمَّةٌ مِنْ بَعْدِى يَقُولُونَ فَلاَ يُرَدُّ عَلَيْهِمْ ، يَتَقَاحَمُونَ فِى النَّارِ كَمَا تَقَاحَمُ القِرَدَةُ (ع طب) عن معاوية .

١٩٢٦ — سَتكُونُ أَحْدَاثٌ وَفِتْنَةٌ وَفُرْقَةٌ وَاخْتِلاَفٌ ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ المَقْتُولَ لاَ القَاتِلَ فَافْعَلْ (ك) عن خالد بن عرفطة .

١٩٢٧ — سَتَظْهَرُ مَعَادِنُ وَسَيَحْضُرُهَا شِرَارُ النَّاسِ (ك هق) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

١٩٢٨ — سَتكُونُ مَعَادِنُ يَحْضُرُهَا شِرَارُ النَّاسِ (حم) عن رجل من بنى سليم .

١٩٢٩ — سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَاغْدُوا وَرُوحُوا وَشَىْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ ، وَالقَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا (خ) عن أبى هُريرةٍ رضى الله عنه .

١٩٣٠ — سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يُدْخِلَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ الجَنَّةَ ، وَلاَ أَنَا ، إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِى اللهُ بِمَغْفِرَتِهِ وَرَحْمَتِهِ (حم ق) عن عائشة رضى الله عنها .

١٩٣١ — سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يُدْخِلَ أَحَدَكُمْ عَمَلُهُ الجَنَّةَ ، وَإِنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ (ق) عن عائشة رضى الله عنها .

١٩٣٢ — سَلْ رَبَّكَ العَافِيَةَ وَالمُعَافَاةَ فى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، فَإِذَا أُعْطِيتَ العَافِيَةَ فى الدُّنْيَا ، وَأُعْطِيتَهَا فِى الآخِرَةِ فَقَدْ أَفْلَحْتَ (ت ه) عن أنس رضى الله عنه .

١٩٣٣ — سَلِ اللهَ العَفْوَ وَالعَافِيَةَ فى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ (تخ ك) عن عبد الله ابن جعفر رضى الله عنه .

١٩٣٤ — سَلُوا اللهَ العَفْوَ وَالعَافِيَةَ ، فَإِنَّ أَحَداً لَمْ يُعْطَ بَعْدَ اليَقِينِ خَيْرًا مِنَ العَافِيَةِ (حم ت) عن أبى بكر رضى الله عنه .

١٩٣٥ — سَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ ، فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ مِنْ فَضْلِهِ ، وَأَفْضَلُ العِبَادَةِ ، انْتِظَارُ الفَرَجِ (ت هب) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

١٩٣٦ — سَلُوا اللهَ لِى الوَسِيلَةَ : أَعْلَى دَرَجَةٍ فى الجَنَّةِ ، لاَ يَنَالُهَا إِلاَّ رَجُلٌ وَاحِدٌ ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ (ت) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٩٣٧ — سَلُوا اللهَ لِى الوَسِيلَةَ ، فَإِنَّهُ لاَ يَسْأَلُهَا لِى عَبْدٌ فى الدُّنْيَا إِلاَّ كُنْتُ لَهُ شَهِيداً — أَوْ شَفِيعاً — يَوْمَ القِيَامَةِ (ش طس) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

١٩٣٨ — سَلُوا اللهَ بِبُطُونِ أَكُفِّكُمْ ، وَلاَ تَسْأَلُوهُ بِظُهُورِهَا (طب) عن أبى بكرة (د هق) عن ابن عباس بزيادة : فَإِذَا فَرَغْتُمْ فَامْسَحُوا بِهَا وُجُوهَكُمْ .

١٩٣٩ — سَمِّ ابْنَكَ عَبْدَ الرَّحْمٰنِ (خ) عن جابر رضى الله عنه .

١٩٤٠ — سَمُّوهُ بِأَحَبِّ الأَسْمَاءِ إِلَىَّ : « حَمْزَةُ » (ك) عن جابر رضى الله عنهُ .

١٩٤١ — سُورَةٌ مِنَ القُرْآنِ مَا هِىَ إِلاَّ ثَلاَثُونَ آيَةً خَاصَمَتْ

عَنْ صاحِبِها حَتّى أَدْخَلَتْهُ الجَنّةَ ، وَهِيَ تَبارَكَ (طس والضياء) عن أنس رضى الله عنه .

١٩٤٢ — سَمُّوا بِاسْمِي وَلاَ تُكَنُّوا بِكُنْيَتِي (طب) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

١٩٤٣ — سَمُّوا بِاسْمِي وَلاَ تُكَنُّوا بِكُنْيَتِي ، فَإِنِّي إِنَّمَا بُعِثْتُ قَاسِمًا أَقْسِمُ بَيْنَكُمْ (م) عن جابر رضى الله عنه .

١٩٤٤ — سَوُّوا صُفُوفَكُمْ فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصُّفُوفِ مِنْ إِقَامَةِ الصَّلاَةِ (حم ق ٥) عن أنس رضى الله عنه .

١٩٤٥ — سَوُّوا صُفُوفَكُمْ، لاَ تَخْتَلِفْ قُلُوبُكُمْ (الدارمى) عن البراء رضى الله عنه .

١٩٤٦ — سَوُّوا صُفُوفَكُمْ، أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ (٥) عن النعمان بن بشير رضى الله عنه .

١٩٤٧ — سَيَأْتِي عَلَى أُمَّتِي زَمَانٌ يَكْثُرُ فِيهِ القُرَّاءُ ، وَيَقِلُّ الفُقَهَاءُ ، وَيُقْبَضُ العِلْمُ ، وَيَكْثُرُ الهَرْجُ ، ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ زَمَانٌ، يَقْرَأُ القُرْآنَ رِجَالٌ مِنْ أُمَّتِي لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ ، ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ زَمَانٌ يُجَادِلُ المُشْرِكُ بِاللهِ المُؤْمِنَ فِي مِثْلِ مَا يَقُولُ (طس ك) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٩٤٨ — سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يُخَيَّرُ فِيهِ الرَّجُلُ بَيْنَ العَجْزِ وَالفُجُورِ ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ الزَّمَانَ فَلْيَخْتَرِ العَجْزَ عَلَى الفُجُورِ (ك) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٩٤٩ — سَيْحَانُ وَجَيْحَانُ وَالْفُرَاتُ وَالنِّيلُ ، كُلٌّ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ (م) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

١٩٥٠ — سَيِّدُ الاِسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ : اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي ، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ ، مَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ (حم خ ن) عن شداد ابن أوس .

١٩٥١ — سَيِّدُ الأَيَّامِ عِنْدَ اللهِ يَوْمُ الْجُمُعَةِ ، أَعْظَمُ مِنْ يَوْمِ النَّحْرِ وَالْفِطْرِ ، وَفِيهِ خَمْسُ خِصَالٍ : فِيهِ خُلِقَ آدَمُ ، وَفِيهِ أُهْبِطَ مِنَ الْجَنَّةِ ، إِلَى الأَرْضِ ، وَفِيهِ تُوُفِّيَ ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لاَ يَسْأَلُ الْعَبْدُ فِيهَا اللهَ شَيْئًا إِلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ ، مَا لَمْ يَسْأَلْ إِثْمًا أَوْ قَطِيعَةَ رَحِمٍ ، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ ، وَمَا مِنْ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ ، وَلاَ سَمَاءٍ وَلاَ أَرْضٍ وَلاَ رِيحٍ وَلاَ جَبَلٍ وَلاَ حَجَرٍ ، إِلاَّ وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ (الشافعى حم تخ) عن سعد بن عبادة رضى الله عنه .

١٩٥٢ — سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ (ك) عن جابر (طب) عن على عليه السلام .

١٩٥٣ — سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَرَجُلٌ قَامَ إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ فَأَمَرَهُ وَنَهَاهُ فَقَتَلَهُ (ت ك والضياء) عن جابر رضى الله عنه .

١٩٥٤ — سَيُصِيبُ أُمَّتِي دَاءُ الأُمَمِ : الأَشَرُ وَالْبَطَرُ وَالتَّكَاثُرُ

وَالتَّشَاحُنُ فِي الدُّنْيَا، وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ حَتَّى يَكُونَ الْبَغْيُ (ك) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

١٩٥٥ — سَيَكُونُ بَعْدِي سَلاَطِينُ ، الْفِتَنُ عَلَى أَبْوَابِهِمْ كَمَبَارِكِ الإِبِلِ لاَ يُعْطُونَ لِأَحَدٍ شَيْئًا ، إِلاَّ أَخَذُوا مِنْ دِينِهِ مِثْلَهُ (طب ك) عن عبد الله بن الحارث بن جَزْء رضى الله عنه.

١٩٥٦ — سَيَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ يَكُونُ حَدِيثُهُمْ فِي مَسَاجِدِهِمْ، لَيْسَ لِلَّهِ فِيهِمْ حَاجَةٌ (حب) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

١٩٥٧ — سَيَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ نَاسٌ مِنَ أُمَّتِي يُحَدِّثُونَكُمْ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ (م) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

١٩٥٨ — سَيَلِي أُمُورَكُمْ مِنْ بَعْدِي رِجَالٌ يُعَرِّفُونَكُمْ مَا تُنْكِرُونَ، وَيُنْكِرُونَ عَلَيْكُمْ مَا تَعْرِفُونَ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ، فَلاَ طَاعَةَ لِمَنْ عَصَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ (طب ك) عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه .

١٩٥٩ — السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوِ الْقَائِمِ اللَّيْلِ الصَّائِمِ النَّهَارِ (حم ق ت ن ه) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

١٩٦٠ — السِّبَاعُ حَرَامٌ (حم ع هق) عن أبي سعيد رضى الله عنه ، قال ابن لهيعة يعنى به الذى يفتخر بالجماع .

١٩٦١ — السَّبْعُ الْمَثَانِي فَاتِحَةُ الْكِتَابِ (ك) عن أُبَيِّ بن كعب رضى الله عنه .

١٩٦٢ — السَّحُورُ أَكْلُهُ بَرَكَةٌ ، فَلَا تَدَعُوهُ ، وَلَوْ أَنْ يَجْرَعَ أَحَدُكُمْ جُرْعَةً مِنْ مَاءٍ ، فَإِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الْمُتَسَحِّرِينَ (حم) عن أبي سعيد رضى الله عنه .

١٩٦٣ — السَّعِيدُ مَنْ سَعِدَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ، وَالشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ (البزار) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

١٩٦٤ — السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ ، يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَنَوْمَهُ ، فَإِذَا قَضَى أَحَدُكُمْ نَهْمَتَهُ مِنْ وَجْهِهِ فَلْيُعَجِّلْ إِلَى أَهْلِهِ (مالك حم ق ٥) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

١٩٦٥ — السُّفْلُ أَرْفَقُ[1] (حم م) عن أبي أيوب رضى الله عنه .

١٩٦٦ — السَّكِينَةَ عِبَادَ اللهِ السَّكِينَةَ (أبو عوانة) عن جابر رضى الله عنه .

١٩٦٧ — السَّلَفُ فِي حَبَلِ الْحَبَلَةِ رِبًا (حم ن) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

١٩٦٨ — السَّمْتُ الْحَسَنُ ، وَالتُّؤَدَةُ ، وَالِاقْتِصَادُ ، جُزْءٌ مِنْ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ (مالك د) عن ابن عباس (ت) عن عبد الله بن سَرْجِس بلفظ : أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ .

---

(١) لما وصل النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة مهاجرا نزل بدار أبي أيوب الأنصارى رضى الله تعالى عنه ، فعرض عليه أن يقيم بالدور العلوى منها ، فقال «السفل أرفق» بالنسبة له صلى الله عليه وسلم لكثرة زواره من المسلمين وغيرهم من الوفود ، ولإشرافه على بناء مسجده وبيته .

١٩٦٩ — السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ ، حَقٌّ عَلَى المَرْءِ المُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ أَوْ كَرِهَ مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ ، فَلاَ سَمْعَ وَلاَ طَاعَةَ (حم ق ع) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

١٩٧٠ — السِّنَّوْرُ سَبُعٌ (حم قط ك) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٩٧١ — السِّنَّوْرُ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ ، وَإِنَّهُ مِنَ الطَّوَّافِينَ عَلَيْكُمْ وَالطَّوَّافَاتِ (حم) عن أبى قتادة رضى الله عنه.

١٩٧٢ — السِّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ ، مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ (حم) عن أبى بكر رضى الله عنه (الشافعى حم ن ابن خزيمة حب هق) عن عائشة رضى الله عنها .

١٩٧٣ — السَّلاَمُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى ، وَضَعَهُ اللهُ فِى الأَرْضِ ، فَأَفْشُوهُ بَيْنَكُمْ ، فَإِنَّ الرَّجُلَ المُسْلِمَ إِذَا مَرَّ بِقَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ ، فَرَدُّوا عَلَيْهِ ، كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ فَضْلُ دَرَجَةٍ بِتَذْكِيرِهِ إِيَّاهُمُ السَّلاَمَ ، فَإِنْ لَمْ يَرُدُّوا عَلَيْهِ رَدَّ عَلَيْهِ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُمْ (البزار طب) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

١٩٧٤ — السَّيِّدُ اللهُ (حم د) عن عبد الله بن الشِّخِّير رضى الله عنه.

* * *

حرف الشين

قالَ رسولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ :

١٩٧٥ — شَاهَتِ الْوُجُوهُ (م) عن سلمة بن الأكوع (ك) عن ابن عباس رضى الله عنهم .

١٩٧٦ — شَاهِدَاكَ أَوْ يَمِينُهُ (م) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

١٩٧٧ — شَاهِدُ الزُّورِ، لاَ تَزُولُ قَدَمَاهُ، حَتّى يُوجِبَ اللهُ لَهُ النَّارَ (حل ك) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

١٩٧٨ — شِرَارُ أُمَّتِي الَّذِينَ وُلِدُوا فِي النَّعِيمِ وَغُذُوا بِهِ ، يَأْكُلُونَ مِنَ الطَّعَامِ أَلْوَانًا ، وَيَلْبَسُونَ مِنَ الثِّيَابِ أَلْوَانًا ، وَيَرْكَبُونَ مِنَ الدَّوَابِّ أَلْوَانًا ، يَتَشَدَّقُونَ فِي الْكَلاَمِ (ك) عن عبد الله بن جعفر رضى الله عنه .

١٩٧٩ — شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ، يُدْعَى لَهَا الأَغْنِيَاءُ وَيُتْرَكُ الْفُقَرَاءُ، وَمَنْ تَرَكَ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللهَ وَرَسُولَهُ (ق د ن) عن أبى هريرة ، وفى رواية عند (م) شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ يُمْنَعُهَا مَنْ يَأْتِيهَا ، وَيُدْعَى إِلَيْهَا مَنْ يَأْبَاهَا ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللهَ وَرَسُولَهُ .

١٩٨٠ — شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ، يُدْعَى إِلَيْهِ الشِّبْعَانُ ، وَيُحْبَسُ عَنْهُ الْجَائِعُ (طب) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

١٩٨١ — شَرُّ الْكَسْبِ مَهْرُ الْبَغِيِّ ، وَثَمَنُ الْكَلْبِ وَكَسْبُ الْحَجَّامِ ، (حم م ن) عن رافع بن خديج رضى الله عنه .

١٩٨٢ — شَرُّ مَا فِي الرَّجُلِ، شُحٌّ هَالِعٌ، وَجُبْنٌ خَالِعٌ، (حم إسحاق تخ د البزار حب) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

١٩٨٣ — شِرَاكٌ مِنْ نَارٍ أَوْ شِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ (ق دن) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

١٩٨٤ — شِعَارُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ (ت ك) عن المغيرة بن شعبة .

١٩٨٥ — شَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى صَلَاةِ الْعَصْرِ ، مَلَأَ اللهُ قُبُورَهُمْ نَاراً (م) عن على عليه السلام .

١٩٨٦ — شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي (عب حم د ت ابن خزيمة حب ك هب) عن أنس (حم د ن ابن خزيمه حب ك هب) عن جابر (طب) عن ابن عباس (البيهقى فى البعث خط) عن كعب بن عجرة (عد خط) عن ابن عمر رضى الله عنه .

١٩٨٧ — شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا (طب) عن عقبة بن عامر .

١٩٨٨ — شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَالْوَاقِعَةُ وَالْمُرْسَلَاتِ وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (ت ك) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

١٩٨٩ — شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا الْوَاقِعَةُ وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (البيهقى فى الدلائل) عن أبي سعيد رضى الله عنه .

١٩٩٠ — الشَّاهِدُ يَرَى مَا لَا يَرَى الْغَائِبُ (حم حل والضياء) عن على عليه السلام (القضاعى) عن أنس (م) عنه فى حديث (العسكرى فى الأمثال) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

١٩٩١ — الشَّبَابُ شُعْبَةٌ مِنَ الْجُنُونِ، وَالنِّسَاءُ حِبَالَةُ الشَّيْطَانِ (الخرائطى فى اعتلال القلوب والتيمى فى الترغيب) عن زيد بن خالد الجهنى (حل) عن عبد الرحمن بن عائش (ابن لال) عن ابن مسعود (فر) عن عبد الله بن عامر رضى الله عنه .

١٩٩٢ — الشِّتَاءُ رَبِيعُ الْمُؤْمِنِ (حم حل) عن أبى سعيد (ع العسكرى هق) بزيادة : طَالَ لَيْلُهُ فَقَامَهُ وَقَصُرَ نَهَارُهُ فَصَامَهُ .

١٩٩٣ — الشِّرْكُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ الذَّرِّ عَلَى الصَّفَا، فِى اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ، وَأَدْنَاهُ أَنْ تُحِبَّ عَلَى شَىْءٍ مِنَ الْجَوْرِ، وَتُبْغِضَ عَلَى شَىْءٍ مِنَ الْعَدْلِ، وَهَلِ الدِّينُ إِلاَّ الْحُبُّ وَالْبُغْضُ ؟ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : « قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللهُ » (ك) عن عائشة رضى الله عنها .

١٩٩٤ — الشِّفَاءُ فِى ثَلاَثَةٍ : شَرْبَةِ عَسَلٍ، وَشَرْطَةِ مِحْجَمٍ، وَكَيَّةِ نَارٍ، وَأَنْهَى أُمَّتِى عَنِ الْكَىِّ (خ ٥) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

١٩٩٥ — الشُّفْعَةُ فِى كُلِّ شِرْكٍ، فِى أَرْضٍ، أَوْ رَبْعٍ، أَوْ حَائِطٍ، لاَ تَصْلُحُ لَهُ أَنْ يَبِيعَ حَتَّى يَعْرِضَ عَلَى شَرِيكِهِ، فَيَأْخُذَ أَوْ يَدَعَ، فَإِنْ أَبَى فَشَرِيكُهُ أَحَقُّ بِهِ حَتَّى يُؤْذِنَهُ (م د ن) عن جابر رضى الله عنه .

١٩٩٦ — الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مُكَوَّرَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (خ) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

١٩٩٧ — الشَّهَادَةُ سَبْعٌ سِوَى الْقَتْلِ فِى سَبِيلِ اللهِ : الْمَبْطُونُ شَهِيدٌ، وَالْغَرِيقُ شَهِيدٌ، وَصَاحِبُ ذَاتِ الْجَنْبِ شَهِيدٌ، وَالْمَطْعُونُ شَهِيدٌ،

وَصاحِبُ الحَرِيقِ شَهِيدٌ ، وَالَّذِى يَمُوتُ تَحْتَ الْهَدْمِ شَهِيدٌ ، وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ بِجُمْعٍ شَهِيدٌ (مالك حم د ن ه حب ك) عن جابر بن عتيك رضى الله عنه .

١٩٩٨ — الشَّمْسُ تَطْلُعُ وَمَعَهَا قَرْنُ الشَّيْطَانِ ، فَإِذَا ارْتَفَعَتْ فَارَقَهَا ، فَإِذَا اسْتَوَتْ قَارَنَهَا ، فَإِذَا زَالَتْ فَارَقَهَا ، فَإِذَا دَنَتْ للغُرُوبِ قَارَنَهَا ، فَإِذَا غَرَبَتْ فَارَقَهَا (مالك ن) عن عبد الله الصنابحى .

١٩٩٩ — الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ : الْمَطْعُونُ ، وَالْمَبْطُونُ ، وَالغَرِيقُ ، وَصاحِبُ الهَدْمِ ، وَالشَّهِيدُ فِى سَبِيلِ اللهِ (مالك ق ت) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢٠٠٠ — الشُّهَدَاءُ أَرْبَعَةٌ : رَجُلٌ مُؤْمِنٌ جَيِّدُ الإِيمَانِ ، لَقِىَ العَدُوَّ فَصَدَقَ اللهَ حَتَّى قُتِلَ ، فَذَاكَ الَّذِى يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ أَعْيُنَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ هَكَذَا ، وَرَجُلٌ مُؤْمِنٌ جَيِّدُ الإِيمَانِ ، لَقِىَ العَدُوَّ فَكَأَنَّمَا ضُرِبَ جِلْدُهُ بِشَوْكِ طَلْحٍ مِنَ الْجُبْنِ ، فَأَتَاهُ سَهْمٌ غَرْبٌ فَقَتَلَهُ ، فَهُوَ فِى الدَّرَجَةِ الثَّانِيَةِ ، وَرَجُلٌ مُؤْمِنٌ خَلَطَ عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً ، لَقِىَ العَدُوَّ فَصَدَقَ اللهَ حَتَّى قُتِلَ ، فَذَاكَ فِى الدَّرَجَةِ الثَّالِثَةِ ، وَرَجُلٌ مُؤْمِنٌ أَسْرَفَ عَلَى نَفْسِهِ ، لَقِىَ العَدُوَّ فَصَدَقَ اللهَ حَتَّى قُتِلَ ، فَذَاكَ فِى الدَّرَجَةِ الرَّابِعَةِ (حم ت) عن عمر رضى الله عنه .

٢٠٠١ — الشُّهَدَاءُ عَلَى بَارِقٍ ، نَهْرٌ بِبَابِ الْجَنَّةِ فِى قُبَّةٍ خَضْرَاءَ يَخْرُجُ إِلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا (حم طب ك) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٢٠٠٢ — الشَّهْرُ يَكُونُ تِسْعَةً وَعِشْرِينَ ، وَيَكُونُ ثَلَاثِينَ ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَصُومُوا ، وَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَأَفْطِرُوا ، فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا الْعِدَّةَ (ن) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

٢٠٠٣ — الشَّهْوَةُ الْخَفِيَّةُ وَالرِّيَاءُ شِرْكٌ (طب) عن شداد بن أوس رضى الله عنه .

٢٠٠٤ — الشَّهِيدُ لاَ يَجِدُ مَسَّ الْقَتْلِ ، إِلاَّ كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمُ الْقَرْصَةَ يُقْرَصُهَا (ن) عن أبي هريرة (طس) عن أبي قتادة رضى الله عنهما .

٢٠٠٥ — الشَّهِيدُ يَشْفَعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ (د حب) عن أبي الدرداء رضى الله عنه .

٢٠٠٦ — الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا ، فَارْجُمُوهُمَا الْبَتَّةَ ، بِمَا قَضَيَا مِنَ اللَّذَّةِ (طب) عن العجماء (ن ع حب ك) عن أُبَيّ بن كعب (حم حب ك) عن زيد بن ثابت رضى الله عنهم .

* * *

حرف الصاد

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

٢٠٠٧ — صَاحِبُ الدَّابَّةِ أَحَقُّ بِصَدْرِهَا (حب) عن بُرَيدة (حم طب) عن قيس بن سعد ، وحبيب بن مَسلمة (حم) عن عمر (طب) عن عصمة بن مالك (طب الحسن بن سفيان) عن عروة بن مغيث (طس) عن عليّ (البزار) عن أبي هريرة (أبو نعيم) عن فاطمة الزهراء عليها السلام .

٢٠٠٨ — صَاعٌ مِنْ بُرٍّ أَوْ قَمْحٍ عَلَى كُلِّ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ حُرٍّ ، أَوْ عَبْدٍ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى ، غَنِيٍّ أَوْ فَقِيرٍ ، أَمَّا فَقِيرُكُمْ فَيُزَكِّيهِ اللهُ ، وَأَمَّا غَنِيُّكُمْ فَيَرُدُّ اللهُ عَلَيْهِ أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَى (حم د) عن عبد الله بن ثعلبة ، أو ثعلبة ابن عبد الله بن أبي صُعَير عن أبيه رضى الله عنهم .

٢٠٠٩ — صَدَقَ عَمْرٌو ، كُلُّ مَا صَنَعْتَ إِلَى أَهْلِكَ[1] فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِمْ (ع طب) عن عمرو بن مُرة رضى الله عنه .

---

(١) مر عثمان بن عفان أو عبدالرحمن بن عوف رضى الله عنها بمرط ، واستغلاه . ـ المرط بكسر الميم كساء من خز ـ فمر به على عمرو بن مرة ، فاشتراه فكساه امرأته سخيلة ـ بضم السين ـ فمر به عثمان أو عبد الرحمن ، فقال : ما فعل المرط الذى ابتعت ؟ قال عمرو : تصدقت به على سخيلة . فقال : إن كل ماصنعت إلى أهلك صدقه ؟ فقال عمرو : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذاك . فذكر ما قال عمرو لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال « صدق عمرو ، كل ما صنعت إلى أهلك فهو صدقة عليهم » فانظر إلى فضل الإسلام وسماحته يجعل إنفاق الرجل على أهل بيته صدقة ، فيضا عنها الله كما يضاعف الصدقة ، وهذا فضل كبير والله ذو الفضل العظيم .

٢٠١٠ — صُدَاعُ الْمُؤْمِنِ وَشَوْكَةٌ يُشَاكُهَا ، أَوْ شَيْءٌ يُؤْذِيهِ يَرْفَعُهُ اللهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ دَرَجَةً ، وَيُكَفِّرُ عَنْهُ بِهِ ذُنُوبَهُ (ابن أبى الدنيا) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

٢٠١١ — صَدَقَةٌ تَصَدَّقَ اللهُ بِهَا عَلَيْكُمْ فَاقْبَلُوا صَدَقَتَهُ[٢] (ق ع) عن عمر رضى الله عنه .

٢٠١٢ — صِغَارُكُمْ دَعَامِيصُ الْجَنَّةِ يَتَلَقَّى أَحَدُهُمْ أَبَاهُ ، فَيَأْخُذُ بِثَوْبِهِ ، فَلَا يَنْتَهِي حَتَّى يُدْخِلَهُ اللهُ وَإِيَّاهُ الْجَنَّةَ (حم خد م) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢٠١٣ — صِلَةُ الرَّحِمِ ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ ، وَحُسْنُ الْجِوَارِ ، يُعَمِّرْنَ الدِّيَارَ ، وَيَزِدْنَ فِي الْأَعْمَارِ (حم هب) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٠١٤ — صَلِّ قَائِماً ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِداً ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ (حم خ ع) عن عمران بن حصين رضى الله عنه .

---

(١) شرع القصر فى الصلاة أول الأمر للمسافرين حيث كان المشركون يتعرضون للمسلمين فى أسفارهم . قال تعالى (وإذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا) فلما فتحت مكة ، ودخل العرب فى الإسلام ، وأمنت الطرق . قال عمر رضى الله عنه : يا رسول الله كيف نقصر الصلاة وقد أمنا وذهب الخوف عنا ! فقال صلى الله عليه وسلم « صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته » فالقصر فى الصلاة للمسافر منا ، صدقة تفضل الله بها علينا ولو كان السفر مريحا كالسفر بالطائرة أو القطار ، فالذين لا يقصرون الصلاة فى السفر اليوم بحجة أنه سفر مريح ، ردوا صدقة الله سبحانه ، ولم يفهموا روح الشريعة .

٢٠١٥ — صَلُّوا أَيُّهَا النَّاسُ فِي بُيُوتِكُمْ ، فَإِنَّ أَفْضَلَ الصَّلَاةِ صَلَاةُ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا الْمَكْتُوبَةَ (خ) عن زيد بن ثابت رضى الله عنه .

٢٠١٦ — صَلُّوا فِي بُيُوتِكُمْ وَلَا تَتَّخِذُوهَا قُبُوراً (ت ن) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٢٠١٧ — صَلُّوا فِي بُيُوتِكُمْ ، وَلَا تَتَّخِذُوهَا قُبُوراً ، وَلَا تَتَّخِذُوا بَيْتِي عِيداً ، وَصَلُّوا عَلَيَّ ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُمَا كُنْتُمْ (ع والضياء) عن الحسن بن علىّ عليهما السلام .

٢٠١٨ — صَلُّوا فِي مَرَابِضِ الْغَنَمِ ، وَلَا تُصَلُّوا فِي أَعْطَانِ الإِبِلِ (ت) عن أبى هريرة رضى الله عنه (ه) عن عبد الله بن مُغَفل بزيادة : فَإِنَّهَا خُلِقَتْ مِنَ الشَّيْطَانِ .

٢٠١٩ — صَلُّوا فِي نِعَالِكُمْ ، وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ (طب) عن شداد ابن أوس رضى الله عنه .

٢٠٢٠ — صَلُّوا قَبْلَ الْمَغْرِبِ رَكْعَتَيْنِ ، صَلُّوا قَبْلَ الْمَغْرِبِ رَكْعَتَيْنِ لِمَنْ شَاءَ (حم د) عن عبد الله المزنى رضى الله عنه .

٢٠٢١ — صَلُّوا عَلَيَّ وَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، وَقُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ (حم ن ابن سعد ، وسمّويه، والبغوى، والباوردى وابن قانع طب) عن زيد بن خارجة رضى الله عنه .

٢٠٢٢ — صَلَّى فِي مَسْجِدِ الْخَيْفِ سَبْعُونَ نَبِيًّا ، مِنْهُمْ مُوسَى صَلَّى اللهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ ، وَعَلَيْهِ عَبَاءَتَانِ ، قَطَوَانِيَّتَانِ ، وَهُوَ مُحْرِمٌ عَلَى بَعِيرٍ مِنْ إِبِلِ شَنُوءَةَ مَخْطُومٍ بِخِطَامِ لِيفٍ لَهُ ضَفِيرَتَانِ (طس) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٢٠٢٣ — صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ ، وَصَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ (طب) عن أبى أمامة رضى الله عنه .

٢٠٢٤ — صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ ، وَالآفَاتِ وَالْهَلَكَاتِ ، وَأَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا ، هُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الآخِرَةِ (ك) عن أنس رضى الله عنه .

٢٠٢٥ — صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي لَنْ تَنَالَهُمَا شَفَاعَتِي : إِمَامٌ ظَلُومٌ غَشُومٌ ، وَكُلُّ غَالٍ مَارِقٌ (طب) عن أبى أمامة رضى الله عنه .

٢٠٢٦ — صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا : قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ رُؤُسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا (حم م) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢٠٢٧ — صَوْتَانِ مَلْعُونَانِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ : مِزْمَارٌ عِنْدَ نِعْمَةٍ ، وَرَنَّةٌ عِنْدَ مُصِيبَةٍ (البزار والضياء) عن أنس رضى الله عنه .

٢٠٢٨ — صَوْمُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ ، صَوْمُ الدَّهْرِ وَإِفْطَارُهُ (حم م) عن أبى قتادة رضى الله عنه .

٢٠٢٩ — صَوْمُ شَهْرِ الصَّبْرِ ، وَثَلَاثَةُ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ صَوْمُ الدَّهْرِ (حم هق) عن أبى هُريرةٍ رضى الله عنه .

٢٠٣٠ — صَوْمُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ صَوْمُ الدَّهْرِ كُلِّهِ (ق) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

٢٠٣١ — صَوْمُ شَهْرِ الصَّبْرِ ، وَثَلَاثَةُ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ يُذْهِبْنَ وَحَرَ الصَّدْرِ (البزار) عن علىّ ، وعن ابن عباس (طب) عن النَّمِر بن تَوْلَب (حم حب هق) عن الأعرابى ، غير مسمى ، وهو النَّمِر المذكور فيما يظهر لى .

٢٠٣٢ — صَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ مُعَلَّقٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَلَا يُرْفَعُ إِلَّا بِزَكَاةِ الْفِطْرِ (ابن شاهين فى فضائل رمضان) عن جرير رضى الله عنه .

٢٠٣٣ — صَوْمُ يَوْمِ عَرَفَةَ يُكَفِّرُ سَنَتَيْنِ مَاضِيَةً وَمُسْتَقْبَلَةً ، وَصَوْمُ عَاشُورَاءَ يُكَفِّرُ سَنَةً مَاضِيَةً (حم م د) عن أبى قتادة رضى الله عنه .

٢٠٣٤ — صَوْمُ يَوْمِ عَرَفَةَ كَفَّارَةُ السَّنَةِ الْمَاضِيَةِ ، وَالسَّنَةِ الْمُسْتَقْبَلَةِ (طس) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

٢٠٣٥ — صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ ، وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ ، فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا شَعْبَانَ ثَلَاثِينَ (ق ن) عن أبى هريرة (ن) عن ابن عباس (طب) عن البراء رضى الله عنهم .

٢٠٣٦ — صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ ، وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ ، وَانْسُكُوا لَهَا ، فَإِنْ

غُمَّ عَلَيْكُمْ فَأَتِمُّوا ثَلَاثِينَ ، فَإِنْ شَهِدَ شَاهِدَانِ مُسْلِمَانِ فَصُومُوا وَأَفْطِرُوا (حم ن) عن رجال من الصحابة رضى الله عنهم .

٢٠٣٧ — صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ[1] ، وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ ، فَإِنْ حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ سَحَابٌ ، فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ، وَلَا تَسْتَقْبِلُوا الشَّهْرَ اسْتِقْبَالًا ، وَلَا تَصِلُوا رَمَضَانَ بِيَوْمٍ مِنْ شَعْبَانَ (حم ن هق) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٢٠٣٨ — صُومُوا يَوْمَ عَاشُورَاءَ ، وَخَالِفُوا فِيهِ الْيَهُودَ ، صُومُوا قَبْلَهُ يَوْمًا وَبَعْدَهُ يَوْمًا (حم هق) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٢٠٣٩ — صَلَاةُ الْأَوَّابِينَ[2] حِينَ تَرْمَضُ الْفِصَالُ (حم م) عن زيد ابن أرقم (عبد بن حميد وسَمُّويه) عن عبد الله بن أبى أوْفَى رضى الله عنه .

٢٠٤٠ — صَلَاةُ الْجَالِسِ عَلَى النِّصْفِ مِنْ صَلَاةِ الْقَائِمِ (حم) عن عائشة رضى الله عنها .

---

(١) قوله : فإن حال بينكم وبينه ـ أى الهلال ـ سحاب ، فأكملوا عدة شعبان ، ثلاثين يوما . ولا تستقبلوا الشهر بصوم اليوم الثلاثين من شعبان ، استقبالا لرمضان ، فقوله : ولا تصلوا رمضان بيوم من شعبان ، عطف تفسير وبيان ، بين به أن وصل رمضان بصوم يوم من شعبان ، هو معنى استقباله .

(١) صلاة الأوابين ـ أى الراجعين إلى الله تعالى ، وهو صلاة الضحى ، وقتها ـ حين ترمض الفصال ، جمع فصيل ، وهو ولد الناقة الذى فصل عن أمه . والمعنى أن وقت صلاة الضحى ، حين يجد الفصيل حر الشمس على الرمال ، وذلك بعد شروق الشمس بساعتين فى البلاد الحارة كالحجاز والسودان . أما صلاة النافلة ، فتحل بعد طلوع الشمس بثلث ساعة تقريبا .

٢٠٤١ — صَلاَةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلاَةَ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً (مالك حم ق ت ن ه) عن ابن عمر رضى الله عنهما.

٢٠٤٢ — صَلاَةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلاَةَ الْفَذِّ بِخَمْسٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً (حم خ ه) عن أبى سعيد رضى الله عنه.

٢٠٤٣ — صَلاَةُ الْجَمَاعَةِ تَعْدِلُ خَمْساً وَعِشْرِينَ مِنْ صَلاَةِ الْفَذِّ (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه.

٢٠٤٤ — صَلاَةُ الرَّجُلِ فِى جَمَاعَةٍ تُضَعَّفُ عَلَى صَلاَتِهِ فِى بَيْتِهِ وَفِى سُوقِهِ خَمْساً وَعِشْرِينَ ضِعْفاً، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ لاَ يُخْرِجُهُ إِلاَّ الصَّلاَةُ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلاَّ رُفِعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، حَتَّى يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ كَانَ فِى صَلاَةٍ مَا كَانَتِ الصَّلاَةُ تَحْبِسُهُ، وَتُصَلِّى الْمَلاَئِكَةُ عَلَيْهِ مَا دَامَ فِى مَجْلِسِهِ الَّذِى يُصَلِّى فِيهِ، يَقُولُونَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، اللَّهُمَّ تُبْ عَلَيْهِ مَا لَمْ يُؤْذِ فِيهِ، أَوْ يُحْدِثْ فِيهِ (حم ق د ت ه)، عن أبى هريرة رضى الله عنه.

٢٠٤٥ — صَلاَةُ الرَّجُلِ فى جَمَاعَةٍ تَزِيدُ عَلَى صَلاَتِهِ وَحْدَهُ خَمْساً وَعِشْرِينَ دَرَجَةً، فَإِذَا صَلاَّهَا بِأَرْضٍ قِيٍّ، فَأَتَمَّ وُضُوءَهَا وَرُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا بَلَغَتْ خَمْسِينَ صَلاَةً (د عبد بن حميد ع حب) عن أبى سعيد (ك) بلفظ: صَلاَةُ الرَّجُلِ فِى الْفَلاَةِ تُضَاعَفُ عَلَى صَلاَتِهِ فِى الْجَمَاعَةِ.

٢٠٤٦ — صَلاَةُ الرَّجُلِ قَاعِداً نِصْفُ صَلاَةٍ وَلَكِنِّى لَسْتُ كَأَحَدٍ مِنْكُمْ (م د ن) عن ابن عمرو رضى الله عنه.

٢٠٤٧ — صَلاَةُ الرَّجُلِ قَائِمًا ، أَفْضَلُ مِنْ صَلاَتِهِ قَاعِداً وَصَلاَتُهُ قَاعِداً عَلَى النِّصْفِ مِنْ صَلاَتِهِ قَائِمًا ، وَصَلاَتُهُ نَائِمًا عَلَى النِّصْفِ مِنْ صَلاَتِهِ قَاعِداً (حم د) عن عمران بن حصين رضى الله عنه .

٢٠٤٨ — صَلاَةُ الْقَاعِدِ نِصْفُ صَلاَةِ الْقَائِمِ (حم ن ه) عن أنس (ه) عن ابن عمرو (طب) عن ابن عمر وعن عبد الله بن السائب وعن عبد المطلب ابن أبى وَدَاعة .

٢٠٤٩ — صَلاَةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى[1] فَإِذَا خَشِيَ أَحَدُكُمُ الصُّبْحَ صَلَّى رَكْعَةً وَاحِدَةً تُوتِرُ لَهُ مَا قَدْ صَلَّى (مالك حم ق ع) ، عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٢٠٥٠ — صَلاَةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى وَالْوِتْرُ رَكْعَةٌ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ (طب) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٢٠٥١ — صَلاَةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى وَتَشَهُّدٌ فِى كُلِّ رَكْعَتَيْنِ وَتَبَأُّسٌ وَتَمَسْكُنٌ وَتَقَنُّعٌ بِيَدِكَ تَقُولُ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِى فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَهُوَ خِدَاجٌ (حم م ت ه) عن عبد المطلب بن أبى وَدَاعة .

٢٠٥٢ — صَلاَةُ الْمَرْأَةِ فِى بَيْتِهَا أَفْضَلُ مِنْ صَلاَتِهَا فِى حُجْرَتِهَا ، وَصَلاَتُهَا فِى مَخْدَعِهَا أَفْضَلُ مِنْ صَلاَتِهَا فِى بَيْتِهَا (د وابن خزيمة) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

---

(١) صلاة الليل مثنى مثنى ، يسلم من كل ركعتين ، فإذا خشى أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة توتر له ما قد صلى . لأن المطلوب ممن يريد قيام الليل أن يؤخر الوتر ، ليختم به صلاة الليل . فإن صلاه عقب العشاء فلا يصله آخر الليل .

٢٠٥٣ — صَلاَةُ المَرْأَةِ فِي بَيْتِهَا خَيْرٌ مِنْ صَلاَتِهَا فِي حُجْرَتِهَا، وَصَلاَتُهَا فِي حُجْرَتِهَا خَيْرٌ مِنْ صَلاَتِهَا فِي دَارِهَا، وَصَلاَتُهَا فِي دَارِهَا خَيْرٌ مِنْ صَلاَتِهَا فِي مَسْجِدِ قَوْمِهَا (طس) عن أم سلمة رضى الله عنها.

٢٠٥٤ — صَلاَةُ الْوُسْطَى صَلاَةُ العَصْرِ (حم ت) عن سَمُرة (ش ت حب) عن ابن مسعود (هق) عن أبى هريرة (البزار) عن ابن عباس (الطيالسى) عن على عليه السلام.

٢٠٥٥ — صَلاَةُ الرَّجُلَيْنِ يَؤُمُّ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ أَزْكَى عِنْدَ اللهِ مِنْ صَلاَةِ أَرْبَعَةٍ تَتْرَى، وَصَلاَةُ أَرْبَعَةٍ أَزْكَى مِنْ صَلاَةِ ثَمَانِيَةٍ تَتْرَى، وَصَلاَةُ ثَمَانِيَةٍ يَؤُمُّ أَحَدُهُمْ أَزْكَى عِنْدَ اللهِ مِنْ صَلاَةِ مِائَةٍ تَتْرَى (البزار طب هق) عن قُبَاث بن أَشْيم الليثى رضى الله عنه.

٢٠٥٦ — صَلاَةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلاَةٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ المَسَاجِدِ، إِلاَّ المَسْجِدَ الْحَرَامَ (حم ق ت ن ه) عن أبى هريرة (حم م ن ه) عن ابن عمر (م) عن ميمونة (حم) عن جبير بن مطعم وعن سعد وعن الأرقم رضى الله عنهم.

٢٠٥٧ — صَلاَةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلاَةٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ المَسَاجِدِ، إِلاَّ المَسْجِدَ الْحَرَامَ، فَإِنِّي آخِرُ الأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ مَسْجِدِي آخِرُ المَسَاجِدِ (م ن) عن أبى هريرة رضى الله عنه.

٢٠٥٨ — صَلاَةٌ فِي مَسْجِدِي أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلاَةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلاَّ المَسْجِدَ الحَرَامَ، وَصَلاَةٌ فِي المَسْجِدِ الحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ صَلاَةٍ فِيمَا سِوَاهُ (حم ه) عن جابر رضى الله عنه.

٢٠٥٩ — صَلاَةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلاَةٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ المَسَاجِدِ ، إِلاَّ المَسْجِدَ الحَرَامَ ، وَصَلاَةٌ فِي المَسْجِدِ الحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ صَلاَةٍ فِي هَذَا (حم ابن خزيمة حب) ، عن عبد الله بن الزُّبير رضى الله عنه .

٢٠٦٠ صَلاَةٌ فِي مَسْجِدِي خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلاَةٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ المَسَاجِدِ إِلاَّ المَسْجِدَ الأَقْصَى (حم) عن أبي هريرة وعائشة رضى الله عنهما.

٢٠٦١ — صَلاَةٌ فِي المَسْجِدِ الحَرَامِ أَفْضَلُ مِمَّا سِوَاهُ مِنَ المَسَاجِدِ بِمِائَةِ أَلْفِ صَلاَةٍ ، وَصَلاَةٌ فِي مَسْجِدِ المَدِينَةِ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلاَةٍ فِيمَا سِوَاهُ وَصَلاَةٌ فِي مَسْجِدِ بَيْتِ المَقْدِسِ أَفْضَلُ مِمَّا سِوَاهُ مِنَ المَسَاجِدِ بِخَمْسِ مِائَةِ صَلاَةٍ (ابن خزيمة) عن أبي الدرداء رضى الله عنه .

٢٠٦٢ — صَلاَةٌ فِي المَسْجِدِ الحَرَامِ مِائَةُ أَلْفِ صَلاَةٍ وَصَلاَةٌ فِي مَسْجِدِي أَلْفُ صَلاَةٍ ، وَفِي بَيْتِ المَقْدِسِ خَمْسُ مِائَةِ صَلاَةٍ (هب) عن جابر رضى الله عنه .

٢٠٦٣ — صَلاَةٌ فِي مَسْجِدِ قُبَاءَ كَعُمْرَةٍ (ت ه هب) عن أسيد بن ظهير (ك) بلفظ : الصَّلاَةُ .

٢٠٦٤ — صَلاَتَانِ لاَ يُصَلَّى بَعْدَهُمَا : الصُّبْحُ ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ وَالعَصْرُ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ (حم حب) عن سعد رضى الله عنه .

٢٠٦٥ — صَلاَتُكُنَّ فِي بُيُوتِكُنَّ أَفْضَلُ مِنْ صَلاَتِكُنَّ فِي حُجَرِكُنَّ ، وَصَلاَتُكُنَّ فِي حُجَرِكُنَّ أَفْضَلُ مِنْ صَلاَتِكُنَّ فِي دُورِكُنَّ ، وَصَلاَتُكُنَّ فِي

دُورِكُنَّ أَفْضَلُ مِنْ صَلاَتِكُنَّ فِي مَسْجِدِ الْجَمَاعَةِ (حم طب هق) عن أم حميد رضى الله عنها .

٢٠٦٦ — صِيَاحُ الْمَوْلُودِ حِينَ يَقَعُ نَزْغَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢٠٦٧ — صِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ صِيَامُ الدَّهْرِ وَإِفْطَارُهُ (حم البزار حب طب) عن قرة بن إياس .

٢٠٦٨ — صِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ صِيَامُ الدَّهْرِ ، وَهِيَ أَيَّامُ الْبِيضِ صَبِيحَةَ ثَلاَثَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ وَخَمْسَ عَشْرَةَ (ن ع هب) عن جرير رضى الله عنه .

٢٠٦٩ — صِيَامٌ حَسَنٌ صِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ (حم ن حب) عن عثمان بن أبى العاصى .

٢٠٧٠ — صِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ بِعَشْرَةِ أَشْهُرٍ ، وَصِيَامُ سِتَّةِ أَيَّامٍ بَعْدَهُ بِشَهْرَيْنِ فَذَلِكَ صِيَامُ السَّنَةِ (حم ن ابن خزيمة) عن ثوبان .

٢٠٧١ — صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ إِنِّي أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ التى قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ التى بَعْدَهُ ، وَصِيَامُ عَاشُورَاءَ إِنِّي أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ التى قَبْلَهُ (ت ه حب) عن أبى قتادة رضى الله عنه .

٢٠٧٢ — صِيَامُ الْمَرْءِ فِي سَبِيلِ اللهِ ، يُبْعِدُهُ مِنْ جَهَنَّمَ مَسِيرَةَ سَبْعِينَ عَاماً (طب) عن أبى الدرداء رضى الله عنه .

٢٠٧٣ — الصَّائِمُ الْمُتَطَوِّعُ أَمِيرُ نَفْسِهِ ، إِنْ شَاءَ صَامَ وَإِنْ شَاءَ أَفْطَرَ (حم ت ك) عن أم هانىء رضى الله عنها .

٢٠٧٤ — الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى (البزار ع) عن أبي هُريرةٍ رضى الله عنه .

٢٠٧٥ — الصَّبْرُ عِنْدَ أَوَّلِ صَدْمَةٍ (البزار) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٢٠٧٦ — الصَّدَقَةُ عَلَى المِسْكِينِ صَدَقَةٌ ، وَعَلَى ذِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ : صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ (حم ت ن ه ابن خزيمة حب ك) عن سلمان بن عامر رضى الله عنه .

٢٠٧٧ — الصَّعِيدُ الطَّيِّبُ وَضُوءُ المُسْلِمِ وَإِنْ لَمْ يَجِدِ المَاءَ عَشْرَ سِنِينَ (ن حب) عن أبى ذر (البزار) عن أبى هُريرة بزيادة : فَإِذَا وَجَدَ المَاءَ فَلْيَتَّقِ اللهَ وَلْيُمِسَّهُ بَشَرَتَهُ فَإِنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ .

٢٠٧٨ — الصُّلْحُ جَائِزٌ بَيْنَ المُسْلِمِينَ إِلاَّ صُلْحًا أَحَلَّ حَرَامًا أَوْ حَرَّمَ حَلاَلاً (حم د ك) عن أبى هُريرةٍ رضى الله عنه .

٢٠٧٩ — الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهَا ، أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلاً كَانَ يَغْتَمِلُ وَكَانَ بَيْنَ مَنْزِلِهِ وَبَيْنَ مُغْتَمَلِهِ خَمْسَةُ أَنْهَارٍ ، فَإِذَا أَتَى مُغْتَمَلَهُ عَمِلَ فِيهِ مَا شَاءَ اللهُ ، فَأَصَابَهُ الوَسَخُ أَوِ العَرَقُ ، فَكُلَّمَا مَرَّ بِنَهْرٍ اغْتَسَلَ ، مَا كَانَ ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ ؟ فَكَذَلِكَ الصَّلاَةُ كُلَّمَا عَمِلَ خَطِيئَةً فَدَعَا وَاسْتَغْفَرَ غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ قَبْلَهَا (البزار طب) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

٢٠٨٠ — الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ ، وَالجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ مُكَفِّرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَتِ الكَبَائِرُ (حم م ت) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢٠٨١ — الصُّورُ قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ (حم د ت ك) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

٢٠٨٢ — الصَّوْمُ جُنَّةٌ (حم ن) عن معاذ رضى الله عنه .

٢٠٨٣ — الصَّوْمُ فِي الشِّتَاءِ الْغَنِيمَةُ الْبَارِدَةُ (حم ت ابن خزيمة ع طب هق) عن عامر بن مسعود .

٢٠٨٤ — الصَّلَاةُ ثَلَاثَةُ أَثْلَاثٍ : الطُّهُورُ ثُلُثٌ ، وَالرُّكُوعُ ثُلُثٌ ، وَالسُّجُودُ ثُلُثٌ ، فَمَنْ أَدَّاهَا بِحَقِّهَا قُبِلَتْ مِنْهُ وَقُبِلَ مِنْهُ سَائِرُ عَمَلِهِ ، وَمَنْ رُدَّتْ عَلَيْهِ رُدَّتْ عَلَيْهِ صَلَاتُهُ رُدَّ عَلَيْهِ سَائِرُ عَمَلِهِ (البزار) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢٠٨٥ — الصَّلَاةُ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ، وَالْجُمُعَةُ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ جُمُعَةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدِ الْحَرَامَ ، وَشَهْرُ رَمَضَانَ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ شَهْرِ رَمَضَانَ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامِ (هب) عن جابر رضى الله عنه .

٢٠٨٦ — الصِّيَامُ جُنَّةٌ مِنَ النَّارِ كَجُنَّةِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْقِتَالِ (حم ن ه ابن خزيمة) عن عثمان بن أبى العاصى .

٢٠٨٧ — الصِّيَامُ جُنَّةٌ حَصِينَةٌ مِنَ النَّارِ (هب) عن جابر رضى الله عنه .

٢٠٨٨ — الصِّيَامُ جُنَّةٌ يَسْتَجِنُّ بِهَا الْعَبْدُ مِنَ النَّارِ (حم هب) عن جابر (طب) عن عثمان بن أبى العاصى .

٢٠٨٩ — الصِّيَامُ جُنَّةٌ ، مَا لَمْ يَخْرِقْهَا (ن هق) عن أبى عبيدة رضى الله عنه .

٢٠٩٠ - الصِّيَامُ جُنَّةٌ مَا لَمْ يَخْرِقْهَا بِكَذِبٍ أَوْ غِيبَةٍ (طس) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢٠٩١ — الصِّيَامُ جُنَّةٌ ، وَهُوَ حِصْنٌ مِنْ حُصُونِ الْمُؤْمِنِ ، وَكُلُّ عَمَلِ لِصَاحِبِهِ إِلاَّ الصِّيَامَ ، يَقُولُ اللهُ : الصِّيَامُ لِي وَأَنَا أَجْزِى بِهِ (طب) عن أبى أمامة رضى الله عنه .

٢٠٩٢ — الصِّيَامُ جُنَّةٌ مِنَ النَّارِ ، فَمَنْ أَصْبَحَ صَائِمًا فَلاَ يَجْهَلْ يَوْمَئِذٍ وَإِنِ امْرُؤٌ جَهِلَ عَلَيْهِ فَلاَ يَشْتِمْهُ وَلاَ يَسُبَّهُ وَلْيَقُلْ : إِنِّى صَائِمٌ ، وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ (ن) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٠٩٣ — الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَقُولُ الصِّيَامُ : أَىْ رَبِّ مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفِّعْنِى فِيهِ ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِى فِيهِ ، فَيُشَفَّعَانِ (حم ابن أبى الدنيا فى كتاب الجوع طب ك هب) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

* * *

حرف الضاد

قالَ رسول الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلم :

٢٠٩٤ — ضَحِكَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ ، وَقُرْبِ خَيْرِهِ (حم ٥) عن أبى رزين رضى الله عنه .

٢٠٩٥ — ضَرَبَ اللهُ تَعَالَى مَثَلاً صِرَاطاً مُسْتَقِيماً ، وَعَلَى جَنْبَتَيِ الصِّرَاطِ سُورَانِ فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ ، وَعَلَى الأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعاً وَلاَ تَتَعَوَّجُوا ، وَدَاعٍ يَدْعُوا مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ ، فَإِذَا أَرَادَ الإِنْسَانُ أَنْ يَفْتَحَ شَيْئاً مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ قَالَ : وَيْحَكَ لاَ تَفْتَحْهُ ، فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ فَالصِّرَاطُ الإِسْلاَمُ ، وَالسُّورَانِ حُدُودُ اللهِ تَعَالَى ، وَالأَبْوَابُ الْمُفَتَّحَةُ مَحَارِمُ اللهِ تَعَالَى ، وَذَلِكَ الدَّاعِى عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ كِتَابُ اللهِ ، وَالدَّاعِى مِنْ فَوْقُ وَاعِظُ اللهِ فِى قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ (حم ك) عن النَّوَّاس رضى الله عنه .

٢٠٩٦ — ضِرْسُ الْكَافِرِ مِثْلُ أُحُدٍ ، وَغِلَظُ جِلْدِهِ مَسِيرَةُ ثَلاَثٍ (م ت) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢٠٩٧ — ضِرْسُ الْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِثْلُ أُحُدٍ ، وَعَرْضُ جِلْدِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعاً ، وَعَضُدُهُ مِثْلُ الْبَيْضَاءِ ، وَفَخِذُهُ مِثْلُ وَرْقَانَ ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الرَّبَذَةِ (حم ك) عن أبى هُرَيرةِ رضى الله عنه .

٢٠٩٨ — ضِرْسُ الْكَافِرِ مِثْلُ أُحُدٍ ، وَغِلَظُ جِلْدِهِ أَرْبَعُونَ ذِرَاعاً بِذِرَاعِ الْجَبَّارِ (البزار) عن ثوبان رضى الله عنه .

٢٠٩٩ — ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِى تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ وَقُلْ : بِسْمِ اللهِ ثَلَاثًا ، وَقُلْ — سَبْعَ مَرَّاتٍ — : أَعُوذُ بِاللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ (حم ق ٥) عن عثمان بن أبى العاصى الثقفى رضى الله عنه .

٢١٠٠ — ضَعِى فِى يَدِ الْمِسْكِينِ وَلَوْ ظِلْفًا مُحْرَقًا (حم طب) عن أم بجيد .

٢١٠١ — الضَّبُّ لَسْتُ آكُلُهُ وَلَا أُحَرِّمُهُ (حم ق ت ن ٥) عن ابن عمر رضى لله عنهما .

٢١٠٢ — الضَّبُعُ صَيْدٌ ، وَفِيهِ كَبْشٌ (قط هق) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٢١٠٣ — الضَّبُعُ صَيْدٌ فَكُلْهَا ، وَفِيهَا كَبْشٌ مُسِنٌّ إِذَا أَصَابَهَا الْمُحْرِمُ (هق) عن جابر رضى الله عنه .

٢١٠٤ — الضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ ، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ (خ) عن أبى شريح (حم د) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢١٠٥ — الضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ ، فَمَا زَادَ فَهُوَ صَدَقَةٌ (حم ع) عن أبى سعيد (البزار) عن ابن عمر (طس) عن ابن عباس (البزار) عن ابن مسعود بزيادة : وَكُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ .

* * *

حرف الطاء

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

٢١٠٦ — طَاعَةُ اللهِ طَاعَةُ الْوَالِدِ ، وَمَعْصِيَةُ اللهِ مَعْصِيَةُ الْوَالِدِ (طب) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢١٠٧ — طَاعَةُ الإِمَامِ حَقٌّ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ مَالَمْ يَأْمُرْ بِمَعْصِيَةِ اللهِ ، فَإِذَا أَمَرَ بِمَعْصِيَةِ اللهِ فَلاَ طَاعَةَ لَهُ (هب) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢١٠٨ — طَعَامُ الإِثْنَيْنِ كَافِى الثَّلاَثَةِ ، وَطَعَامُ الثَّلاَثَةِ كَافِى الأَرْبَعَةِ (مالك ق ت) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢١٠٩ — طَعَامُ الْوَاحِدِ يَكْفِى الإِثْنَيْنِ ، وَطَعَامُ الإِثْنَيْنِ يَكْفِى الأَرْبَعَةِ ، وَطَعَامُ الأَرْبَعَةِ يَكْفِى الثَّمَانِيَةَ (حم م ت ن) عن جابر رضى الله عنه .

٢١١٠ — طَلَبُ الْحَلاَلِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ (طس) عن أنس رضى الله عنه .

٢١١١ — طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ (عد ابن شاهين فى الأفراد هب) عن أنس (طص خط) عن الحسين بن عَلِىّ (طس) عن ابن عباس (تمّام) عن ابن عمر (طب) عن ابن مسعود (خط) عن علىّ (طس هب) عن أبى سعيد رضى الله عنهم .

٢١١٢ — طُهُورُ إِنَاءِ أَحَدِكُمْ إِذَا وَلَغَ فِيهِ الْكَلْبُ أَنْ يَغْسِلَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ ، أُولاَهُنَّ بِالتُّرَابِ (م د) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢١١٣ — طَوَافُكِ[1] بِالْبَيْتِ وَبَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ يَكْفِيكِ لِحَجِّكِ وَعُمْرَتِكِ (د) عن عائشة رضى الله عنها .

٢١١٤ — طُوبَى لِعَيْشٍ بَعْدَ الْمَسِيحِ يُؤْذَنُ لِلسَّمَاءِ فِي الْقَطْرِ ، وَيُؤْذَنُ لِلْأَرْضِ فِي النَّبَاتِ ، حَتَّى لَوْ بَذَرْتَ حَبَّكَ عَلَى الصَّفَا لَنَبَتَ ، وَحَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ عَلَى الْأَسَدِ فَلَا يَضُرُّهُ ، وَيَطَأَ عَلَى الْحَيَّةِ فَلَا تَضُرُّهُ ، وَلَا تَشَاحَّ ، وَلَا تَحَاسُدَ ، وَلَا تَبَاغُضَ (أبو سعيد النقاش فى فوائد العراقيين) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢١١٥ — طُوبَى لِمَنْ رَآنِي وَآمَنَ بِي مَرَّةً ، وَطُوبَى لِمَنْ لَمْ يَرَنِي وَآمَنَ بِي سَبْعَ[2] مَرَّاتٍ (حم تخ حب ك) عن أبى أمامة (حم) عن أنس رضى الله عنهما .

٢١١٦ — طُوبَى لِمَنْ رَآنِي وَآمَنَ بِي ، ثُمَّ طُوبَى ثُمَّ طُوبَى ثُمَّ طُوبَى لِمَنْ آمَنَ بِي وَلَمْ يَرَنِي (حم حب) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

---

(١) طوافك بالبيت وبين الصفا والمروة يكفيك لحجك وعمرتك ، وليس للعمرة طواف وسعى خاص بها ، لأنها داخلة فى الحج وهذا للقارن بينهما ، كما فعلت عائشة رضى الله عنها . أما المتمتع فإنه يعتمر ويتحلل ، ثم يحرم بالحج يوم التروية . فيكون لكل من عمرته وحجه طواف وسعى .

(٢) إنما أوصل العدد إلى سبعة ، لأن السبعة عدد كامل عند العرب ، وذلك يشير إلى أن نور النبوة ـ لكماله فيه صلى الله عليه وآله وسلم ـ تنسحب بركته وفضله على من رآه أو رأى من رآه إلى سابع شخص . ولذلك ظهر فى بلاد الفرس التى فتحها الصحابة والتابعون . أئمة كبار مثل البخارى ، عادت عليهم بركة رؤية من رآى من رآى النبى صلى الله عليه وآله وسلم .

٢١١٧ — طُوبَى لِمَنْ رَآنِي وَآمَنَ بِي ، وَطُوبَى لِمَنْ رَأَى مَنْ رَآنِي ، وَلِمَنْ رَأَى مَنْ رَأَى مَنْ رَآنِي وَآمَنَ بِي ، طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ (طب ك) عن عبد الله بن بُسر رضى الله عنه .

٢١١٨ — طُوبَى لِمَنْ مَلَكَ لِسَانَهُ ، وَوَسِعَهُ بَيْتُهُ ، وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ (طس) عن ثَوْبان رضى الله عنه .

٢١١٩ — طُوبَى لِمَنْ وُجِدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارٌ كَثِيرٌ (ه هب) عن عبد الله بن بُسر رضى الله عنه .

٢١٢٠ — طُوبَى لِمَنْ هُدِيَ لِلْإِسْلَامِ ، وَكَانَ عَيْشُهُ كَفَافًا وَقَنَعَ بِهِ ، (ت حب ك) عن فَضالة بن عُبيد رضى الله عنه .

٢١٢١ — طِيبُ الرِّجَالِ مَا ظَهَرَ رِيحُهُ ، وَخَفِيَ لَوْنُهُ ، وَطِيبُ النِّسَاءِ مَا ظَهَرَ لَوْنُهُ ، وَخَفِيَ رِيحُهُ (ت) عن أبى هريرة (طب والضياء) عن أنس رضى الله عنهما .

٢١٢٢ — الطَّاعِمُ الشَّاكِرُ ، بِمَنْزِلَةِ الصَّائِمِ الصَّابِرِ (حم ت ه ك) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢١٢٣ — الطَّاعُونُ بَقِيَّةُ رِجْزٍ ، أَوْ عَذَابٍ أُرْسِلَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا ، فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا فِرَاراً مِنْهُ ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَلَسْتُمْ بِهَا ، فَلَا تَهْبِطُوا عَلَيْهَا (ق ت) عن أسامة رضى الله عنه .

٢١٢٤ — الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ (حم ق) عن أنس رضى الله تعالى عنه .

٢١٢٥ — الطَّاعُونُ كَانَ عَذَاباً يَبْعَثُهُ اللهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ، وَإِنَّ اللهَ جَعَلَهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ، فَلَيْسَ مِنْ أَحَدٍ يَقَعُ الطَّاعُونُ فَيَمْكُثُ فِي بَلَدِهِ صَابِراً مُحْتَسِباً ، يَعْلَمُ أَنَّهُ لاَ يُصِيبُهُ إِلاَّ مَا كَتَبَ اللهُ ، إِلاَّ كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ شَهِيدٍ (حم خ) عن عائشة رضى الله عنها .

٢١٢٦ — الطَّاعُونُ وَالْغَرَقُ وَالْبَطْنُ وَالْحَرَقُ وَالنُّفَسَاءُ شَهَادَةٌ لِأُمَّتِي (حم طب والضياء) عن صَفْوَان بن أُمَيَّة .

٢١٢٧ — الطَّعَامُ بِالطَّعَامِ مِثْلاً بِمِثْلٍ (حم م) عن مَعْمر بن عبد الله رضى الله عنه .

٢١٢٨ — الطِّفْلُ لاَ يُصَلَّى عَلَيْهِ ، وَلاَ يَرِثُ ، وَلاَ يُورَثُ ، حَتَّى يَسْتَهِلَّ (ت) عن جابر رضى الله عنه .

٢١٢٩ — الطَّوَافُ بِالْبَيْتِ صَلاَةٌ ، إِلاَّ أَنَّكُمْ تَتَكَلَّمُونَ فِيهِ ، فَمَنْ تَكَلَّمَ فِيهِ فَلاَ يَتَكَلَّمْ إِلاَّ بِخَيْرٍ (ت حب ك هق) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٢١٣٠ — الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ، وَالصَّلاَةُ نُورٌ ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا (حم م ت) عن أبى مالك الأشعرى .

٢١٣١ — الطَّيْرُ تَجْرِي بِقَدَرٍ (ك) عن عائشة رضى الله عنها .

٢١٣٢ — الطِّيَرَةُ شِرْكٌ (حم خد ٤ ك) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

* * *

حرف الظاء

قالَ رسولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ :

٢١٣٣ — ظَهْرُ الْمُؤْمِنِ حِمًى إلاّ بِحَقِّهِ (طب حل) عن عصمة بن مالك رضى الله عنها .

٢١٣٤ — ظَهْرُ الْمُؤْمِنِ حِمًى إلاّ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ (العسكرى فى الأمثال) عن عائشة رضى الله عنها .

٢١٣٥ — الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (ق ت) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٢١٣٦ — الظَّهْرُ يُرْكَبُ بِنَفَقَتِهِ ، إذَا كَانَ مَرْهُونًا ، وَلَبَنُ الدَّرِّ يُشْرَبُ بِنَفَقَتِهِ ، إذَا كَانَ مَرْهُونًا ، وَعَلَى الّذِى يَرْكَبُ وَيَشْرَبُ النَّفَقَةُ (خ ت ه) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

* * *

حرف العين

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

٢١٣٧ — عَائِدُ الْمَرِيضِ يَمْشِي فِي مَخْرَفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ (م) عن ثَوْبان رضى الله عنه .

٢١٣٨ — عَامَّةُ عَذَابِ الْقَبْرِ مِنَ الْبَوْلِ ، فَاسْتَنْزِهُوا مِنَ الْبَوْلِ (البزار طب قط ك) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٢١٣٩ — عِبَادَةٌ فِي الْهَرْجِ ، كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ (م ت ه) عن معقل ابن يسار رضى الله عنه .

٢١٤٠ — عِبَادَ اللهِ لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ ، أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ (ق د ت) عن النعمان بن بشير رضى الله عنه .

٢١٤١ — عَجِلْتَ أَيُّهَا الْمُصَلِّي إِذَا صَلَّيْتَ فَقَعَدْتَ ، فَاحْمَدِ اللهَ[1] بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، وَصَلِّ عَلَيَّ ، ثُمَّ ادْعُهُ (حم ٣ ابن خزيمة حب) عن فضالة ابن عبيد رضى الله عنه .

٢١٤٢ — عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ

---

(١) قال فضالة بن عبيد : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد، إذ دخل رجل فصلى ، فقال : اللهم اغفر لى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «عجلت أيها المصلى» بالدعاء « إذا صليت فقعدت فاحمد الله بماهو أهله ، وصلى على ، ثم ادعه » ثم صلى رجل آخر بعد ذلك ، فحمد الله ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « أيها المصلى أدع تجب » .

لِأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ (م) عن صُهيب رضى الله عنه .

٢١٤٣ — عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قَوْمٍ يُقَادُونَ إِلَى الْجَنَّةِ بِالسَّلاَسِلِ[1] (حم خ د) عن أبى هريرةٍ رضى الله عنه .

٢١٤٤ — عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ رَجُلٍ غَزَا فِي سَبِيلِ اللهِ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ، فَعَلِمَ مَا عَلَيْهِ، فَرَجَعَ حَتَّى أُهْرِيقَ دَمُهُ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَلاَئِكَتِهِ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي رَجَعَ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي، وَشَفَقَةً مِمَّا عِنْدِي حَتَّى أُهْرِيقَ دَمُهُ (د) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

٢١٤٥ — عَجِبْتُ مِنْ قَوْمٍ مِنْ أُمَّتِي يَرْكَبُونَ الْبَحْرَ كَالْمُلُوكِ عَلَى الْأَسِرَّةِ (خ) عن أم حَرام رضى الله عنها .

٢١٤٦ — عَدَلَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ الإِشْرَاكَ بِاللهِ، عَدَلَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ الإِشْرَاكَ بِاللهِ[2]، عَدَلَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ الإِشْرَاكَ بِاللهِ (د ت ه) عن خُرَيم بن فاتك .

٢١٤٧ — عُرَى الإِسْلاَمِ وَقَوَاعِدُ الدِّينِ ثَلاَثَةٌ، عَلَيْهِنَّ أُسِّسَ الإِسْلاَمُ، مَنْ تَرَكَ وَاحِدَةً مِنْهُنَّ فَهُوَ بِهَا كَافِرٌ، حَلاَلُ الدَّمِ: شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَالصَّلاَةُ الْمَكْتُوبَةُ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ (ع) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

---

(١) قاله فى ناس جىء بهم أسرى ثم أسلموا.

(٢) يشير إلى آية ٣٠ من سورة الحج .

٢١٤٨ — عُرِجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ بِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الأَقْلَامِ (خ طب) عن ابن عباس وأبي حَبَّة البدري رضي الله عنهم .

٢١٤٩ — عَرَضَ عَلَيَّ رَبِّي لِيَجْعَلَ لِي بَطْحَاءَ مَكَّةَ ذَهَباً ، فَقُلْتُ : لاَ يَا رَبِّ ، وَلَكِنِّي أَشْبَعُ يَوْماً وَأَجُوعُ يَوْماً ، فَإِذَا جُعْتُ تَضَرَّعْتُ إِلَيْكَ وَذَكَرْتُكَ ، وَإِذَا شَبِعْتُ حَمِدْتُكَ وَشَكَرْتُكَ (حم ت) عن أبي أمامة رضي الله عنه .

٢١٥٠ — عُرِضَ عَلَيَّ أَوَّلُ ثَلاَثَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ، وَأَوَّلُ ثَلاَثَةٍ يَدْخُلُونَ النَّارَ : فَأَمَّا أَوَّلُ ثَلاَثَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ : الشَّهِيدُ ، وَمَمْلُوكٌ أَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ وَنَصَحَ لِسَيِّدِهِ ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ . وَأَمَّا أَوَّلُ ثَلاَثَةٍ يَدْخُلُونَ النَّارَ : فَأَمِيرٌ مُسَلَّطٌ ، وَذُو ثَرْوَةٍ مِنْ مَالٍ لاَ يُؤَدِّي حَقَّ اللهِ فِي مَالِهِ ، وَفَقِيرٌ فَخُورٌ (حم ك هق) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

٢١٥١ — عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ آنِفاً فِي عُرْضِ هٰذَا الْحَائِطِ ، فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً ، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً (م) عن أنس رضي الله عنه .

٢١٥٢ — عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ ، فَذَهَبْتُ أَتَنَاوَلُ مِنْهَا قِطْفاً أُرِيكُمُوهُ ، فَحِيلَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ (ع) عن أبي سعيد رضي الله عنه .

٢١٥٣ — عُرِضَتْ عَلَيَّ أُمَّتِي بِأَعْمَالِهَا حَسَنِهَا وَسَيِّئِهَا ، فَرَأَيْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا ، إِمَاطَةَ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ ، وَرَأَيْتُ فِي سَيِّئِ أَعْمَالِهَا النُّخَامَةَ فِي الْمَسْجِدِ لَمْ تُدْفَنْ (حم م ه) عن أبي ذر رضي الله عنه .

٢١٥٤ — عُرِضَتْ عَلَيَّ أُمَّتِي الْبَارِحَةَ لَدَى هٰذِهِ الْحُجْرَةِ حَتَّى لَأَنَا أَعْرَفُ بِالرَّجُلِ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدِكُمْ بِصَاحِبِهِ صُوِّرُوا لِي فِي الطِّينِ (طب والضياء) عن حُذيفة بن أسيد رضى الله عنه .

٢١٥٥ — عَرَفَ الْحَقَّ لِأَهْلِهِ[1] (حم ك) عن الأسود بن سريع .

٢١٥٦ — عَسَى رَجُلٌ يُحَدِّثُ بِمَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِهِ ، أَوْ عَسَى امْرَأَةٌ تُحَدِّثُ بِمَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ زَوْجِهَا ، فَلَا تَفْعَلُوا ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ مَثَلُ شَيْطَانٍ لَقِيَ شَيْطَانَةً فِي ظَهْرِ الطَّرِيقِ ، فَغَشِيَهَا وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ (طب) عن أسماء بنت يزيد رضى الله عنها .

٢١٥٧ — عَشْرٌ مِنَ الْفِطْرَةِ قَصُّ الشَّارِبِ ، وَإِعْفَاءُ اللِّحْيَةِ ، وَالسِّوَاكُ وَالْمَضْمَضَةُ ، وَاسْتِنْشَاقُ الْمَاءِ ، وَقَصُّ الْأَظْفَارِ ، وَغَسْلُ الْبَرَاجِمِ ، وَنَتْفُ الْإِبْطِ ، وَحَلْقُ الْعَانَةِ ، وَانْتِقَاصُ الْمَاءِ (حم م ٤) عن عائشة رضى الله عنها .

٢١٥٨ — عَشَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ : النَّبِيُّ فِي الْجَنَّةِ ، وَأَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ فِي الْجَنَّةِ ، وَسَعْدُ بْنُ مَالِكٍ فِي الْجَنَّةِ ، وَعَبْدُ الرَّحْمٰنِ ابْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ فِي الْجَنَّةِ (حم د ه والضياء) عن سعيد بن زيد رضى الله عنه .

---

(١) أتى النبى صلى الله عليه وسلم بأسير، فقال : اللهم إنى أتوب إليك . فقال النبى صلى الله عليه وسلم « عرف الحق لأهله خلوا سبيله » وذلك لأن التوبة حق الله على عباده ، لايتاب إلى غيره . وكان بعض الصحابة قال للأسير : تب إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فأبى ، وقال ماسبق .

٢١٥٩ — عِصَابَتَانِ مِنْ أُمَّتِي أَحْرَزَهُمُ اللهُ مِنَ النَّارِ : عِصَابَةٌ تَغْزُو الْهِنْدَ ، وَعِصَابَةٌ تَكُونُ مَعَ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ (حم ن والضياء) عن ثوبان رضى الله عنه .

٢١٦٠ — عَلَى أَنْقَابِ الْمَدِينَةِ مَلَائِكَةٌ ، لَا يَدْخُلُهَا الطَّاعُونُ وَلَا الدَّجَّالُ (مالك حم ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢١٦١ — عَلَى الْيَدِ مَا أَخَذَتْ حَتَّى تُؤَدِّيَهُ (حم ع ك) عن سَمُرَةَ رضى الله عنها .

٢١٦٢ — عَلَى كُلِّ بَعِيرٍ شَيْطَانٌ ، فَإِذَا رَكِبْتُمُوهَا فَسَمُّوا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا تُقَصِّرُوا عَنْ حَاجَاتِكُمْ (حم طب) عن محمد بن حمزة بن عمرو الأسلمى عن أبيه .

٢١٦٣ — عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنِ ابْنِ آدَمَ فِي كُلِّ يَوْمٍ صَدَقَةٌ ، وَيُجْزِى مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ رَكْعَتَا الضُّحَى (طس) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٢١٦٤ — عَلَى كُلِّ رَجُلٍ مُسْلِمٍ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ غَسْلُ يَوْمٍ وَهُوَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ (حم ن حب) عن جابر رضى الله عنه .

٢١٦٥ — عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ رَوَاحُ الْجُمُعَةِ ، وَعَلَى مَنْ رَاحَ الْجُمُعَةَ الْغُسْلُ (د) عن حفصة رضى الله عنهما .

٢١٦٦ — عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَيَعْمَلُ بِيَدِهِ ، فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَيُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَيَأْمُرُ بِالْخَيْرِ ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ ، فَيُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ ، فَإِنَّهُ لَهُ صَدَقَةٌ (حم ق ن) عن أبى موسى رضى الله عنه .

٢١٦٧ — عَلَى كُلِّ مِيسَمٍ مِنَ الإِنْسَانِ صَلاَةٌ كُلَّ يَوْمٍ، أَمْرُكَ بِالمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنِ المُنْكَرِ صَلاَةٌ، وَحَمْلُكَ عَنِ الضَّعِيفِ صَلاَةٌ، وَإِنْحَاؤُكَ القَذَرَ عَنِ الطَّرِيقِ صَلاَةٌ، وَكُلُّ خَطْوَةٍ تَخْطُوهَا إِلَى الصَّلاَةِ، صَلاَةٌ، (ابن خزيمة) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٢١٦٨ — عَلاَمَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ ؟[1] إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مِنْ أَخِيهِ مَا يُعْجِبُهُ، فَلْيَدْعُ لَهُ بِالْبَرَكَةِ (ن ٥) عن أبى أمامة بن سهل ابن حنيف رضى الله عنه .

٢١٦٩ — عَلِّمُوا الصَّبِيَّ الصَّلاَةَ ابْنَ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُ عَلَيْهَا ابْنَ عَشْرٍ (حم ت طب ك) عن سَبْرة رضى الله عنه .

٢١٧٠ — عَلِّمُوا وَيَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا، وَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْكُتْ (حم ش خد) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٢١٧١ — عَلَيْكَ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِى عُسْرِكَ وَيُسْرِكَ وَمَنْشَطِكَ وَمَكْرَهِكَ وَأَثَرَةٍ عَلَيْكَ (حم م ن) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢١٧٢ — عَلَيْكَ بِالصَّعِيدِ فَإِنَّهُ يَكْفِيكَ (ق ن) عن عمران بن حصين رضى الله عنه .

٢١٧٣ — عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لاَ مِثْلَ لَهُ (حم ن حب ك) عن أبى أمامة رضى الله عنه .

٢١٧٤ — عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ، فَإِنَّكَ لاَ تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلاَّ

---

(١) قاله فى رجل عائن

رَفَعَكَ اللهُ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً (حم م ت ن ه) عن ثوبان وأبى الدرداء رضى الله عنهما .

٢١٧٥ — عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ ، فَإِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِى شَىْءٍ إِلاَّ زَانَهُ ، وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَىْءٍ إِلاَّ شَانَهُ (م) عن عائشة رضى الله عنها .

٢١٧٦ — عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ ، وَإِيَّاكِ وَالْعُنْفَ وَالْفُحْشَ (خد) عن عائشة رضى الله عنها .

٢١٧٧ — عَلَيْكِ بِجُمَلِ الدُّعَاءِ وَجَوَامِعِهِ، قُولِى: اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ ، وَأَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ ، وَأَسْأَلُكَ مِمَّا سَأَلَكَ بِهِ مُحَمَّدٌ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِمَّا تَعَوَّذَ بِهِ مُحَمَّدٌ ، وَمَا قَضَيْتَ لِى مِنْ قَضَاءٍ ، فَاجْعَلْ عَاقِبَتَهُ رُشْداً (خد) عن عائشة رضى الله عنها .

٢١٧٨ — عَلَيْكُمْ بِالإِثْمِدِ ، فَإِنَّهُ مَنْبَتَةٌ لِلشَّعَرِ ، وَمَذْهَبَةٌ لِلْقَذَى مَصْفَاةٌ لِلْبَصَرِ (طب) عن علىّ عليه السلام .

٢١٧٩ — عَلَيْكُمْ بِالْبَاءَةِ ، فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ ، فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ (طس والضياء) عن أنس رضى الله عنه .

٢١٨٠ — عَلَيْكُمْ بِالدُّلْجَةِ ، فَإِنَّ الأَرْضَ تُطْوَى بِاللَّيْلِ (د ك هق) عن أنس رضى الله عنه .

٢١٨١ — عَلَيْكُمْ بِالرَّمْيِ ، فَإِنَّهُ مِنْ خَيْرِ لَهْوِكُمْ (البزار طس) عن سعد رضى الله عنه .

٢١٨٢ — عَلَيْكُمْ بِالشِّفَاءَيْنِ، الْعَسَلِ وَالْقُرْآنِ (٥ ك) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

٢١٨٣ — عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ ، فَإِنَّهُ مَعَ الْبِرِّ ، وَهُمَا فِى الْجَنَّةِ ، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ ، فَإِنَّهُ مَعَ الْفُجُورِ ، وَهُمَا فِى النَّارِ (حب) عن أبى بكر رضى الله عنه (حم خد ٥) بزيادة : وَسَلُوا اللهَ الْيَقِينَ وَالْمُعَافَاةَ ، فَإِنَّهُ لَمْ يُؤْتَ أَحَدٌ بَعْدَ الْيَقِينَ خَيْراً مِنَ الْمُعَافَاةِ ، وَلاَ تَحَاسَدُوا ، وَلاَ تَبَاغَضُوا ، وَلاَ تَقَاطَعُوا ، وَلاَ تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا ، كَمَا أَمَرَكُمُ اللهُ .

٢١٨٤ — عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِى إِلَى الْبِرِّ ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِى إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ ، وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا ، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِى إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِى إِلَى النَّارِ ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ ، وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا (حم ق د ت) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

٢١٨٥ — عَلَيْكُمْ بِحَصَى الْخَذْفِ الَّذِى يُرْمَى بِهِ الْجَمْرَةُ (حم ن حب) عن الفضل بن عباس رضى الله عنهما .

٢١٨٦ — عَلَيْكُمْ بِرُخْصَةِ اللهِ الَّتِى رَخَّصَ لَكُمْ (م) عن جابر رضى الله عنه .

٢١٨٧ — عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ ، فَإِنَّهُ دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ

وَقُرْبَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ ، وَمَكْفَرَةٌ لِلسَّيِّئَاتِ ، وَمَنْهَاةٌ عَنِ الإِثْمِ (ت ابن خزيمة ك) عن أبي أمامة (حم ت ك هق) عن بلال بزيادة : وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عَنِ الْجَسَدِ (طب) عن سلمان (ابن السنى) عن جابر (ابن عساكر) عن أبي الدرداء رضى الله عنهم.

٢١٨٨ — عَلَيْكُمْ بِهَذَا السُّحُورِ ، فَإِنَّهُ هُوَ الْغِذَاءُ الْمُبَارَكُ (حم ن) عن المقدام رضى الله عنه .

٢١٨٩ — عَلَيْكُمْ بِهَذِهِ الْخَمْسِ : سُبْحَانَ اللهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، وَاللهُ أَكْبَرُ ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ (طب) عن أبي موسى رضى الله عنه .

٢١٩٠ — عَلَيْكُمْ مِنَ الأَعْمَالِ بِمَا تُطِيقُونَ ، فَإِنَّ اللهَ لاَ يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا (طب) عن عمران بن حُصَين رضى الله عنه .

٢١٩١ — عَلَيْكُمْ هَدْياً قَاصِداً ، فَإِنَّهُ مَنْ يُشَادَّ هٰذَا الدِّينَ يَغْلِبْهُ (حم ك هق) عن بُريدة رضى الله عنه .

٢١٩٢ — عَلَيْهِنَّ - يَعْنِي النِّسَاءَ - جِهَادٌ لاَ قِتَالَ فِيهِ : الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ (ابن خُزيمة) عن عائشة رضى الله عنها .

٢١٩٣ — عَمْداً[1] صَنَعْتُهُ يَا عُمَرُ (حم م ٤) عن بُريدة رضى الله عنه .

---

(١) كان عليه السلام يتوضأ لكل صلاة . فلما كان يوم الفتح صلى اليوم كله بوضوء واحد . فسأله عمر هل فعله نسيانا ؟ فأجابه بهذا الحديث ، ليبين جواز صلوات بوضوء واحد .

٢١٩٤ — عَلِيٌّ مِنِّي وَأَنَا مِنْ[1] عَلِيٍّ، وَلاَ يُؤَدِّي عَنِّي إِلاَّ أَنَا أَوْ عَلِيٌّ (حم ت ن ه) عن حُبْشِيِّ بن جُنادة رضى الله عنه .

---

(١) «على منى وأنا من على» فى هذا الحديث مشاكلة لطيفة ، لأن عليا تربى فى بيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم. فنشأ على التوحيد، ولم يسجد لصنم قط (كرم الله وجهه) ومن هنا آخاه النبى صلى الله عليه وآله وسلم دون سائر الصحابة ، الذين سجدوا للاصنام (فقرابته القريبة من الرسول الأعظم ، ونشأته فى حجره ، ولصوقه به ، جعله الوارث لعلومه . الأمين على شرعه . الحفيظ على رسالته . المتخلق بأخلاقه . المتحقق بصفاته . فكان أعلم الصحابة وأفقههم وأقضاهم وأنفذهم بصيرة فى الدين . وأدقهم فتيا . وأقنعهم حجة . وأهداهم إلى الصواب . وحسبنا فى ذلك قول عمر رضى الله عنه : لولا على لهلك عمر. وقوله: لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن ، وقال الشعبى: مثل على فى هذه الأمة مثل المسيح ابن مريم) فقال له صلى الله عليه وسلم : أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى . وهارون كان خليفة موسى فى قومه إذا غاب فى مهمة . ومات قبل موسى عليهما السلام . فجملة: إلا أنه لا نبى بعدى. جاءت للاشارة إلى أن خلافة على فى العلوم وحقائق العرفان . التى لم تأته بوحى كما ادعى الغالون . (فقد قال له رجل من كلب : لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب. فضحك، وقال: يا أخا كلب ، ليس هو علم غيب وإنما هو تعلم من ذى علم) وإنما أتته بالتلقين والتلقى من أخيه ومعلمه صلى الله عليه وآله وسلم . فهو خليفة فى أمامة العلماء العارفين ، ولهذا لم يسم أحد من الصحابة رضى الله عنهم إماما غيره ، فالمشاكلة فى هذا الحديث، تبين أن عليا بلغ فى إمامته درجة امتزاج التلميذ بأستاذه ، امتزاجا تاما . وناهيك بهذا دليلا على علو مقام على عليه السلام .

وكان إذا غضب الرسول صلى الله عليه وسلم لم يجترىء عليه إلا على . وذلك لسببين : أحدهما ماتقدم من تربيته فى بيته ، وكونه خليفته ووصيه وأخاه . ثانيهما : تحليه بالعلم الذى فاق فيه جميع الصحابة رضى الله عنهم . والنبى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام كان يحض على تكريم العلماء إلخ .

ونسأل الله الهداية إلى صراطه المستقيم ، والاستقامة على اقتضاء نهج نبيه عليه أفضل الصلاة والتسليم . ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم .

٢١٩٥ — عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَعْدِلُ حِجَّةً (حم خ ٥) عن جابر (حم ق د ٥) عن ابن عباس (د ت ٥) عن أم مَعْقل (البزار طب) عن أبي طَليق وهو أبو معقل، وامرأته تكنى أم طليق.

٢١٩٦ — عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَعْدِلُ حِجَّةً مَعِي (حب) عن ابن عباس (تمّويه) عن أنس رضى الله عنهم.

٢١٩٧ — عَمِلَ هٰذَا قَلِيلاً وَأُجِرَ كَثِيراً[1] (ق) عن البراء رضى الله عنه.

٢١٩٨ — عَنِ الْغُلَامِ[2] شَاتَانِ مُكَافَأَتَانِ، وَعَنِ الْجَارِيَةِ شَاةٌ (حم د ن ٥ حب) عن أم كُرز (حم ٥) عن عائشة رضى الله عنها (طب) عن أسماء بنت يزيد.

٢١٩٩ — عَنِ الْغُلَامِ شَاتَانِ، وَعَنِ الْجَارِيَةِ[3] شَاةٌ، لَا يَضُرُّكُمْ أَذُكْرَانًا كَانُوا أَمْ إِنَاثًا (حم د ت ن حب ك) عن أم كُرز (ت) عن سلمان بن عامر، وعن عائشة رضى الله عنهما.

---

(١) قاله عن رجل أتى فى غزوة فأسلم ودخل فى الصف مع المسلمين فقتل.

(٢) عن الغلام شاتان مكافئتان — متساويتان — وعن الجارية شاة، فى العقيقة. وهذا كما أن للذكر مثل حظ الأنثيين فى الإرث.

(٣) لايضركم أذكرانا كانوا — يعنى الأولاد — أم إناثا. والمعنى: لاتتأثروا بآراء الجاهلية فتفرحوا بالمولود إن كان ذكرا، وتغضبوا إن كان أنثى. فإن الله يخلق مايشاء ويختار، (يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما) ويوجد فى هذا الزمن من يخاصم امرأته أو يطلقها، لأنها ولدت له بنتا. ومثل هذا يحتاج إلى تجديد إيمانه، وتصحيح عقيدته فى الله تعالى.

٢٢٠٠ — عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ — وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ — رِجَالٌ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلاَ شُهَدَاءَ يَغْشَى بَيَاضُ وُجُوهِهِمْ نَظَرَ النَّاظِرِينَ يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ بِمَقْعَدِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللهِ تَعَالَى ، هُمْ جُمَاعٌ مِنْ نَوَازِعِ القَبَائِلِ ، يَجْتَمِعُونَ عَلَى ذِكْرِ اللهِ فَيَنْتَقُونَ أَطَايِبَ الكَلاَمِ[1] كَمَا يَنْتَقِي آكِلُ التَّمْرِ أَطَايِبَهُ (طب) عن عمرو بن عبسة رضى الله عنه .

٢٢٠١ — عِنْدَ اللهِ خَزَائِنُ الخَيْرِ وَالشَّرِّ مَفَاتِيحُهَا الرِّجَالُ ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَهُ اللهُ مِفْتَاحاً لِلخَيْرِ مِغْلاَقاً لِلشَّرِّ ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَهُ اللهُ مِفْتَاحاً لِلشَّرِّ مِغْلاَقاً لِلخَيْرِ (طب والضياء) عن سهل بن سعد رضى الله عنه .

٢٢٠٢ — عُودُوا المَرِيضَ (خ) عن أبى موسى رضى الله عنه .

٢٢٠٣ — عُودُوا المَرْضَى وَاتَّبِعُوا الجَنَائِزَ تُذَكِّرْكُمُ الآخِرَةَ (حم والبزار حب هق) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

٢٢٠٤ — عُوذُوا باللهِ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ ، عُوذُوا باللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ ، عُوذُوا باللهِ مِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ[2] ، عُوذُوا باللهِ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ (م ن) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢٢٠٥ — عَوْرَةُ الرَّجُلِ عَلَى الرَّجُلِ كَعَوْرَةِ المَرْأَةِ عَلَى الرَّجُلِ، وَعَوْرَةُ المَرْأَةِ عَلَى المَرْأَةِ كَعَوْرَةِ المَرْأَةِ عَلَى الرَّجُلِ (ك) عن على عليه السلام .

---

(١) أنواع الذكر من استغفار وتهليل وتسبيح وتحميد وتكبير وغيره . والحديث يشمل الصوفية رضى الله عنهم وجعلنا منهم (لا المتصوفة) .

(٢) هذه الثلاثة يعتقدها أهل السنة ، وينكرها مبتدعة اليوم تقليدا للمعتزلة ، وهم محجوجون بالسنة المتواترة .

٢٢٠٦ — عَوِّضُوهُنَّ وَلَوْ بِسَوْطٍ - يعنى فِى الزَّوَاجِ - (طب والضياء) عن سهل بن سعد رضى الله عنه .

٢٢٠٧ — عَهْدُ اللهِ تَعَالَى أَحَقُّ مَا أُدِّىَ (طب) عن أبى أُمامة رضى الله عنه .

٢٢٠٨ — عَيْنَانِ لاَ تَمَسُّهُمَا النَّارُ أَبَدًا : عَيْنٌ بَاتَتْ تَكْلأُ فِى سَبِيلِ اللهِ، وَعَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ (ع والضياء طس) عن أنس بن مالك رضى الله عنه .

٢٢٠٩ — عَيْنَانِ لاَ تَمَسُّهُمَا النَّارُ : عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِى سَبِيلِ اللهِ (ت) عن ابن عباس (طب) عن العباس رضى الله عنهما .

٢٢١٠ — العَائِدُ فِى هِبَتِهِ كَالْعَائِدِ فِى قَيْئِهِ (حم ق د ن ه) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٢٢١١ — العَارِيَةُ مُؤَدَّاةٌ ، وَالْمَنِيحَةُ[1] مَرْدُودَةٌ ، وَالدَّيْنُ مَقْضِىٌّ ، وَالزَّعِيمُ غَارِمٌ (حم د ت ه والضياء) عن أبى أُمامة رضى الله عنه .

٢٠١٢ — العَالِمُ وَالْمُتَعَلِّمُ شَرِيكَانِ فِى الْخَيْرِ، وَسَائِرُ النَّاسِ لاَ خَيْرَ فِيهِ (طب) عن أبى الدرداء رضى الله عنه .

---

(١) هى الناقة أو الماعزة تمنح لأهل بيت للانتفاع بلبنها فقط ، والزعيم الضامن .

٢٢١٣ — العَامِلُ بِالْحَقِّ عَلَى الصَّدَقَةِ ، كَالْغَازِى فى سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتى يَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهِ (حم د ت ه ك) عن رافع بن خديج رضى الله عنه .

٢٢١٤ — العِبَادُ عِبَادُ اللهِ ، وَالبِلَادُ بِلَادُ اللهِ ، فَمَنْ أَحْيَا مِنْ مَوَاتِ الأَرْضِ شَيْئًا فَهُوَ لَهُ، وَلَيْسَ لِعِرْقٍ ظَالِمٍ[1] حَقٌّ (الطيالسى هق) عن عائشة (هق) عن سمرة (طب) عن عبادة وعن ابن عمر رضى الله عنهم .

٢٢١٥ — العِبَادَةُ فى الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ (حم ت ه) عن معقل بن يسار رضى الله عنه .

٢٢١٦ — العَبْدُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ (حم) عن جابر رضى الله عنه .

٢٢١٧ — العَتِيرَةُ[2] حَقٌّ (حم ن) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

٢٢١٨ — العَجَبُ أَنَّ نَاسًا مِنْ أُمَّتِي يَؤُمُّونَ البَيْتَ لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ لَجَأَ بِالْبَيْتِ، حَتّى إِذَا كَانُوا بِالْبَيْدَاءِ خُسِفَ بِهِمْ ، فِيهِمْ الْمُسْتَبْصِرُ وَالْمَجْبُورُ وَابْنُ السَّبِيلِ ، يَهْلِكُونَ مَهْلَكاً وَاحِداً وَيَصْدُرُونَ مَصَادِرَ شَتَّى ، يَبْعَثُهُمْ اللهُ عَلَى نِيَّاتِهِمْ (م) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٢١٩ — العَجْمَاءُ جَرْحُهَا جُبَارٌ ، وَالبِئْرُ جُبَارٌ ، وَفى الرِّكَازِ الْخُمُسُ (مالك حم ق ٤) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢٢٢٠ — العِلْمُ ثَلَاثَةٌ وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ فَضْلٌ ، آيَةٌ مُحْكَمَةٌ ، أَوْ سُنَّةٌ قَائِمَةٌ ، أَوْ فَرِيضَةٌ عَادِلَةٌ (د ه لا) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

---

(١) هو أن يغرس الرجل أو يزرع فى أرض أحياها غيره ليستوجب به الأرض .
(٢) ذبيحة تذبح فى رجب ، ثم نسخت بالأضحية .

٢٢٢١ — العِلْمُ عِلْمَانِ : عِلْمٌ فى الْقَلْبِ فَذَاكَ العِلْمُ النَّافِعُ ، وَعِلْمٌ عَلَى اللِّسَانِ فَذَاكَ حُجَّةُ اللهِ عَلَى ابْنِ آدَمَ (خط) عن جابر (ش والحكيم وابن عبد البر فى العلم) عن الحسن مرسلا .

٢٢٢٢ — العَمْدُ قَوَدٌ ، وَالخَطَأُ دِيَةٌ (طب) عن عمرو بن حزم رضى الله عنه .

٢٢٢٣ — العُمْرَى جَائِزَةٌ لِأَهْلِهَا (حم ق ن) عن جابر (حم ق د ن) عن أبى هريرة (حم د ت) عن سمرة (ن) عن زيد بن ثابت وعن ابن عباس رضى الله عنهم .

٢٢٢٤ — العُمْرَى مِيرَاثٌ لأَهْلِهَا (م) عن جابر وأبى هُريرة رضى الله عنهما .

٢٢٢٥ — العُمْرَى لِمَنْ وُهِبَتْ لَهُ (م د ن) عن جابر رضى الله عنه .

٢٢٢٦ — العُمْرَى[1] جَائِزَةٌ لِمَنْ أَعْمَرَهَا ، وَالرُّقْبَى جَائِزَةٌ لِمَنْ أَرْقَبَهَا ، وَالعَائِدُ فى هِبَتِهِ كَالعَائِدِ فِى قَيْئِهِ (حم ن) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٢٢٢٧ — العُمْرَى وَالرُّقْبَى سَبِيلُهُمَا سَبِيلُ المِيرَاثِ (طب) عن زيد بن ثابت رضى الله عنه .

---

(١) هى أن يهب شخص لآخر دارا أو أرضا مدة عمره . والرقبى أن يقول له : هى للباقى منا ، فكل منها يرقب موت صاحبه . وفيهما كلام مبسوط فى كتب الفقه .

٢٢٢٨ — الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا ، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلاَّ الْجَنَّةَ (مالك حم ق ٤) عن أبي هُرَيرةٍ (حم) عن عامر ابن ربيعة رضى الله عنهما .

٢٢٢٩ — الْعَهْدُ الَّذِى بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلاَةُ ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ (حم ت ن ه ك حب) عن بُريدة رضى الله عنه .

٢٢٣٠ — الْعَيْنُ حَقٌّ (حم ق د ن) عن أبي هريرة (ه) عن عامر ابن ربيعة رضى الله عنه .

٢٢٣١ — الْعَيْنُ حَقٌّ ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابِقَ الْقَدَرِ سَبَقَتْهُ الْعَيْنُ ، وَإِذَا اسْتُغْسِلْتُمْ فَاغْسِلُوا[1] (حم م) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٢٢٣٢ — الْعَيْنُ حَقٌّ تَسْتَنْزِلُ الْحَالِقَ (حم طب ك) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٢٢٣٣ — الْعَيْنُ وِكَاءُ السَّهِ ، فَمَنْ نَامَ فَلْيَتَوَضَّأْ (حم ه) عن علىّ عليه السلام .

٢٢٣٤ — الْعَيْنُ وِكَاءُ السَّهِ ، فَإِذَا نَامَتِ الْعَيْنَانِ اسْتَطْلَقَ الْوِكَاءُ (هق) عن مُعاوية .

---

(١) وإذا استغسلتم فاغسلوا . إذا أصاب الشخص العائن أحدا فالمطلوب لعلاجه أن يغسل العائن أطراف وجهه ويديه ورجليه ومغابنه تحت ابطيه ورفغيه ، ثم يصب ذلك الماء على المعيون . فمعنى الحديث « وإذا استغسلتم » وإذا طلب منكم أيها العائنون أن تغسلوا أطرافكم ومغابنكم ، لصب مائها على المعيون « فاغسلوا » ولا تمتنعوا . وهذا الأمر للوجوب ، يجبر العائن على تنفيذه .

٢٢٣٥ — الْعَيْنَانِ تَزْنِيَانِ ، وَالْيَدَانِ تَزْنِيَانِ ، وَالرِّجْلَانِ تَزْنِيَانِ ، وَالْفَرْجُ يَزْنِي (حم طب) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

٢٢٣٦ — الْعِيَافَةُ وَالطِّيَرَةُ وَالطَّرْقُ مِنَ الْجِبْتِ (د ن حب) عن قَطَن بن قَبيصة عن أبيه رضى الله عنه .

* * *

حرف الغين

قالَ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلم :

٢٢٣٧ — غَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ رَوْحَةٌ ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا (حم ق ه) عن أنس (ق ت ن) عن سهل بن سعد (م ه) عن أبى هُريرة (ت) عن ابن عباس رضى الله عنهم .

٢٢٣٨ — غَزْوَةٌ فِي الْبَحْرِ مِثْلُ عَشْرِ غَزَوَاتٍ فِي الْبَرِّ ، وَالَّذِى يَسْدِرُ فِي الْبَحْرِ ، كَالْمُتَشَحِّطِ فِي دَمِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ (ه) عن أم الدرداء رضى الله عنها .

٢٢٣٩ — غَزْوَةٌ فِي الْبَحْرِ خَيْرٌ مِنْ عَشْرِ غَزَوَاتٍ فِي الْبَرِّ ، وَمَنْ أَجَازَ الْبَحْرَ فَكَأَنَّمَا أَجَازَ الْأَوْدِيَةَ كُلَّهَا ، وَالْمَائِدُ فِيهِ كَالْمُتَشَحِّطِ فِي دَمِهِ (ك) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

٢٢٤٠ — غَسْلُ يَوْمِ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ (مالك حم د ن ه) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

٢٢٤١ — غَطِّ فَخِذَكَ ، فَإِنَّ فَخِذَ الرَّجُلِ مِنْ عَوْرَتِهِ (حم ك) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٢٢٤٢ — غَطُّوا الإِنَاءَ ، وَأَوْكِئُوا السِّقَاءَ ، وَأَطْفِئُوا السِّرَاجَ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَحُلُّ سِقَاءً ، وَلاَ يَفْتَحُ بَاباً ، وَلاَ يَكْشِفُ إِنَاءً ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ أَحَدُكُمْ إِلاَّ أَنْ يَعْرِضَ عَلَى إِنَائِهِ عُوداً ، وَيَذْكُرَ اسْمَ اللهِ فَلْيَفْعَلْ ، فَإِنَّ الْفُوَيْسِقَةَ تُضْرِمُ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ بَيْتَهُمْ (م ٥) عن جابر رضى الله عنه .

٢٢٤٣ — غِفَارُ غَفَرَ اللهُ لَهَا ، وَأَسْلَمُ سَالَمَهَا اللهُ ، وَعُصَيَّةُ عَصَتِ اللهَ وَرَسُولَهُ (حم ق ت) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٢٢٤٤ — غَفَرَ اللهُ لِرَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، كَانَ سَهْلاً إِذَا بَاعَ ، سَهْلاً إِذَا اشْتَرَى ، سَهْلاً إِذَا اقْتَضَى (حم ت هق) عن جابر رضى الله عنه .

٢٢٤٥ — غُفِرَ لِامْرَأَةٍ مُومِسَةٍ مَرَّتْ بِكَلْبٍ عَلَى رَأْسِ رَكِيٍّ يَلْهَثُ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ ، فَنَزَعَتْ خُفَّهَا ، فَأَوْثَقَتْهُ بِخِمَارِهَا ، فَنَزَعَتْ لَهُ مِنَ الْمَاءِ ، فَغُفِرَ لَهَا بِذَلِكَ (خ) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢٢٤٦ — غِلَظُ الْقُلُوبِ وَالْجَفَاءُ فِي أَهْلِ الْمَشْرِقِ[1] ، وَالإِيمَانُ وَالسَّكِينَةُ فِي أَهْلِ الْحِجَازِ (حم م) عن جابر رضى الله عنه .

---

(١) أهل نجد والعراق: إن غلظ القلوب فى أهل المشرق. يعنى أهل نجد لأنهم أصحاب إبل وأصحاب فخر، قست قلوبهم لقساوة طبيعة أرضهم ، وكذلك أهل العراق كانت =

٢٢٤٧ — غَنِيمَةُ مَجَالِسِ الذِّكْرِ، الْجَنَّـةُ (حم طب) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

٢٢٤٨ — غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَى أُمَّتِي مِنَ الدَّجَّالِ : الْأَئِمَّةُ الْمُضِلُّونَ (حم) عن أبى ذر رضى الله عنه .

٢٢٤٩ — غَيِّرُوا الشَّيْبَ ، وَلاَ تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ (حم ن) عن الزبير (ت) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢٢٥٠ — غَـيِّرُوا الشَّيْبَ ، وَلاَ تُقْرِبُوهُ السَّوَادَ (حم) عن أنس رضى الله عنه .

٢٢٥١ — الْغَزْوُ غَزْوَانِ : فَأَمَّا مَنْ غَزَا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ تَعَالَى ، وَأَطَاعَ الإِمَامَ ، وَأَنْفَقَ الْكَرِيمَةَ ، وَيَاسَرَ الشَّرِيكَ ، وَاجْتَنَبَ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ ، فَإِنَّ نَوْمَهُ وَنَبْهَهُ أَجْرٌ كُلُّهُ . وَأَمَّا مَنْ غَزَا فَخْراً وَرِيَاءً وَسُمْعَةً ، وَعَصَى الإِمَامَ ، وَأَفْسَدَ فِي الأَرْضِ ، فَإِنَّهُ لَنْ يَرْجِعَ بِالْكَفَافِ (حم د ن ك هب) عن مُعاذ رضى الله عنه .

= قلوبهم غليظة ، لغلظ الأرض التى يزرعونها ، ويلاحظ على وجه العموم أن أهل مشارق الأرض أقسى قلوبا من أهل مغاربها ، التى قال الله فيها (ومغاربها التى باركنا فيها) وانظر إلى قول الله تعالى فى ذى القرنين (حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة ووجد عندها قوما) لم يصف الله القوم بشىء يشينهم ، لأنهم أهل علم وحضارة . وقال سبحانه فى أهل المشرق (وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا) فوصفهم بالفقر وقحول الأرض ، ليس عندهم بنيان ولا شجر يظلهم ويسترهم من الشمس ومعلوم ان يأجوج ومأجوج يخرجون من المشرق .

٢٢٥٢ — الْغَسْلُ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ فِي سَبْعَةِ أَيَّامٍ ، شَعَرَهُ وَبَشَرَهُ (طب) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٢٢٥٣ — الْغَسْلُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ ، وَأَنْ يَسْتَنَّ ، وَأَنْ يَمَسَّ طِيباً ، إِنْ وَجَدَ (حم م د) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

٢٢٥٤ — الْغَنَمُ بَرَكَةٌ (ع) عن البراء رضى الله عنه .

٢٢٥٥ — الْغَنَمُ بَرَكَةٌ ، وَالإِبِلُ عِزٌّ لِأَهْلِهَا ، وَالْخَيْلُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَعَبْدُكَ أَخُوكَ فَأَحْسِنْ إِلَيْهِ ، وَإِنْ وَجَدْتَهُ مَغْلُوباً فَأَعِنْهُ (البزار) عن حُذيفة رضى الله عنه .

٢٢٥٦ — الْغُلَامُ الَّذِى قَتَلَهُ الْخَضِرُ ، طُبِعَ يَوْمَ طُبِعَ كَافِراً ، وَلَوْ عَاشَ لَأَرْهَقَ أَبَوَيْهِ طُغْيَاناً وَكُفْراً (م د ت) عن أُبَىّ بن كعب رضى الله عنه .

٢٢٥٧ — الْغُلَامُ مُرْتَهَنٌ بِعَقِيقَتِهِ ، تُذْبَحُ عَنْهُ يَوْمَ السَّابِعِ ، وَيُسَمَّى وَيُحْلَقُ رَأْسُهُ (ت ك) عن سَمُرة رضى الله عنه .

٢٢٥٨ — الْغِيبَةُ ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ (م ٣) عن أبى هُريرة رضى الله عنه .

٢٢٥٩ — الْغَيْرَةُ مِنَ الإِيمَانِ ، وَالْمَذَاء مِنَ النِّفَاقِ (البزار هب) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

* * *

حرف الفاء

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

٢٢٦٠ — فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي (خ) عن المِسْوَر رضى الله عنه .

٢٢٦١ — فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي يَقْبِضُنِي مَا يَقْبِضُهَا وَيَبْسُطُنِي مَا يَبْسُطُهَا ، وَإِنَّ الأَنْسَابَ تَنْقَطِعُ يَوْمَ القِيَامَةِ غَيْرَ نَسَبِي وَسَبَبِي وَصِهْرِي (حم ك هق) عن المِسْوَرَ رضى الله عنه .

٢٢٦٢ — فَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ إِلاَّ مَرْيَمَ بِنْتَ عِمْرَانَ (ك) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

٢٢٦٣ — فُتِحَ اليَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ ، وَعَقَدَ بِيَدِهِ تِسْعِينَ (حم ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢٢٦٤ — فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ ، وَمَالِهِ ، وَنَفْسِهِ ، وَوَلَدِهِ ، وَجَارِهِ ، يُكَفِّرُهَا الصِّيَامُ وَالصَّلاَةُ وَالصَّدَقَةُ وَالأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ (ق ت ه) عن حذيفة رضى الله عنه .

٢٢٦٥ — فِتْنَةُ القَبْرِ فِيَّ ، فَإِذَا سُئِلْتُمْ عَنِّي فَلاَ تَشُكُّوا (ك) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٢٦٦ — فِرَاشٌ لِلرَّجُلِ ، وَفِرَاشٌ لامْرَأَتِهِ ، وَالثَّالِثُ لِلضَّيْفِ ، وَالرَّابِعُ لِلشَّيْطَانِ (حم م ن) عن جابر رضى الله عنه .

٢٢٦٧ — فُرِجَ سَقْفُ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ ، فَفَرَجَ صَدْرِي ، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا ، فَأَفْرَغَهُ فِي صَدْرِي ثُمَّ أَطْبَقَهُ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي ، فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَلَمَّا جِئْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا قَالَ جِبْرِيلُ لِخَازِنِهَا : افْتَحْ ، قَالَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا جِبْرِيلُ ، قَالَ : هَلْ مَعَكَ أَحَدٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، مَعِي مُحَمَّدٌ ، قَالَ : فَأُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَافْتَحْ ، فَلَمَّا عَلَوْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَإِذَا رَجُلٌ عَنْ يَمِينِهِ أَسْوِدَةٌ ، وَعَنْ يَسَارِهِ أَسْوِدَةٌ ، فَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَى ، فَقَالَ : مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ ، وَالِابْنِ الصَّالِحِ ، قُلْتُ : يَا جِبْرِيلُ مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا آدَمُ ، وَهَذِهِ الْأَسْوِدَةُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ نَسَمُ بَنِيهِ ، فَأَهْلُ الْيَمِينِ أَهْلُ الْجَنَّةِ ، وَالْأَسْوِدَةُ الَّتِي عَنْ شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ ، فَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَى . ثُمَّ عَرَجَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ فَقَالَ لِخَازِنِهَا : افْتَحْ ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ خَازِنُ السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَفَتَحَ ، فَلَمَّا مَرَرْتُ بِإِدْرِيسَ قَالَ : مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ ، وَالْأَخِ الصَّالِحِ ، قُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا إِدْرِيسُ ، ثُمَّ مَرَرْتُ بِمُوسَى فَقَالَ : مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْأَخِ الصَّالِحِ ، قُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا مُوسَى ، ثُمَّ مَرَرْتُ بِعِيسَى ، فَقَالَ : مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْأَخِ الصَّالِحِ ، قُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ثُمَّ مَرَرْتُ بِإِبْرَاهِيمَ فَقَالَ : مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالِابْنِ الصَّالِحِ ، قُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا إِبْرَاهِيمُ .

ثُمَّ عَرَجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ بِمُسْتَوًى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الْأَقْلَامِ ، فَفَرَضَ

اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلاَةً ، فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ حَتَّى مَرَرْتُ بِمُوسَى ، فَقَالَ مُوسَى : مَاذَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ ؟ قُلْتُ : فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسِينَ صَلاَةً ، قَالَ لِي مُوسَى : فَرَاجِعْ رَبَّكَ ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ ، فَرَاجَعْتُ رَبِّي فَوَضَعَ[1] شَطْرَهَا ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَأَخْبَرْتُهُ ، فَقَالَ : رَاجِعْ رَبَّكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ ، فَرَاجَعْتُ رَبِّي فَقَالَ : هِيَ خَمْسٌ ، وَهِيَ خَمْسُونَ ، لاَ يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ : رَاجِعْ رَبَّكَ ، فَقُلْتُ : قَدِ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي .

ثُمَّ انْطَلَقَ بِي حَتَّى انْتَهَى بِي إِلَى سِدْرَةِ المُنْتَهَى ، فَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لاَ أَدْرِي مَا هِيَ ؟ ثُمَّ أُدْخِلْتُ الجَنَّةَ ، فَإِذَا فِيهَا جَنَابِذُ اللُّؤْلُؤِ ، وَإِذَا تُرَابُهَا المِسْكُ (ق) عن أبي ذر ، إلى قوله : ثُمَّ عُرِجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ بِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الأَقْلاَمِ ، فإنه عن ابن عباس وأبي حبة البدري رضي الله عنهم

٢٢٦٨ — فَرَغَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى كُلِّ عَبْدٍ مِنْ خَمْسٍ : مِنْ أَجَلِهِ ، وَرِزْقِهِ ، وَأَثَرِهِ ، وَمَضْجَعِهِ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ (حم طب) عن أبي الدرداء رضي الله عنه .

٢٢٦٩ — فُرِغَ إِلَى ابْنِ آدَمَ مِنْ أَرْبَعٍ : الخَلْقِ ، وَالخُلُقِ ، وَالرِّزْقِ ، وَالأَجَلِ (طس) عن ابن مسعود رضي الله عنه

٢٢٧٠ — فَصْلُ مَا بَيْنَ الحَلاَلِ وَالحَرَامِ : ضَرْبُ الدُّفِّ ،

---

(١) يفيد حصول النسخ قبل الشروع في العمل .

وَالصَّوْتُ فِي النِّكَاحِ (حم ت ن ه ك) عن محمد بن حاطب رضى الله عنه .

٢٢٧١ — فَضْلُ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الكِتَابِ أَكْلَةُ السَّحَرِ (حم م ٤) عن عمرو بن العاص .

٢٢٧٢ — فَضْلُ الدَّارِ القَرِيبَةِ مِنَ المَسْجِدِ عَلَى الدَّارِ الشَّاسِعَةِ كَفَضْلِ الغَازِي عَلَى القَاعِدِ (حم) عن حذيفة رضى الله عنه .

٢٢٧٣ — فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ ، إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، حَتَّى النَّمْلَةُ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الحُوتُ ، لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ (ت) عن أبى أمامة رضى الله عنه .

٢٢٧٤ — فَضْلُ العِلْمِ خَيْرٌ مِنْ فَضْلِ العِبَادَةِ ، وَخَيْرُ دِينِكُمُ الوَرَعُ (البزار طس ك) عن حذيفة (ك) عن سعد رضى الله عنهما .

٢٢٧٥ — فَضْلُ صَلَاةِ الجَمْعِ عَلَى صَلَاةِ الوَاحِدِ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ دَرَجَةً وَتَجْتَمِعُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ فِي صَلَاةِ الفَجْرِ (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنهُ .

٢٢٧٦ — فَضْلُ صَلَاةِ الرَّجُلِ فِي بَيْتِهِ ، عَلى صَلَاتِهِ ، حَيْثُ يَرَاهُ النَّاسُ ، كَفَضْلُ الفَرِيضَةِ عَلَى التَّطَوُّعِ (هب) عن رجل صحابى (طب) عن صهيب بن النعمان .

٢٢٧٧ — فَضْلُ صَلَاةِ اللَّيْلِ عَلَى صَلَاةِ النَّهَارِ ، كَفَضْلِ صَدَقَةِ

السِّرِّ عَلَى صَدَقَةِ العَلَانِيَةِ (ابن المبارك طب حل) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

٢٢٧٨ — فَضْلُ غَازِى البَحْرِ عَلَى غَازِى البَرِّ كَعَشْرِ غَزَوَاتٍ فِى البَرِّ (طب) عن أبى الدرداء رضى الله عنه .

٢٢٧٩ — فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ : أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ ، وَأُحِلَّتْ لِى الغَنَائِمُ ، وَجُعِلَتْ لِى الأَرْضُ طَهُوراً وَمَسْجِدًا ، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الخَلْقِ كَافَّةً ، وَخُتِمَ بِى النَّبِيُّونَ (م ت) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢٢٨٠ — فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِخَمْسٍ : بُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً ، وَذَخَرْتُ شَفَاعَتِى لِأُمَّتِى ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ شَهْراً أَمَامِى ، وَشَهْراً خَلْفِى ، وَجُعِلَتْ لِى الأَرْضُ طَهُوراً وَمَسْجِدًا ، وَأُحِلَّتْ لِى الغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِى (طب) عن السائب بن يزيد .

٢٢٨١ — فُضِّلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلَاثٍ : جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ المَلَائِكَةِ وَجُعِلَتْ لَنَا الأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِداً ، وَجُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا طَهُوراً إِذَا لَمْ نَجِدِ المَاءَ ، وَأُعْطِيتُ هٰذِهِ الآيَاتِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ العَرْشِ لَمْ يُعْطَهَا نَبِىٌّ قَبْلِى (حم م ن) عن حذيفة رضى الله عنه .

٢٢٨٢ — فِطْرُكُمْ يَوْمَ تُفْطِرُونَ ، وَأَضْحَاكُمْ يَوْمَ تُضَحُّونَ ، وَكُلُّ عَرَفَةَ مَوْقِفٌ ، وَكُلُّ فِجَاجِ مَكَّةَ مَنْحَرٌ ، وَكُلُّ جَمْعٍ مَوْقِفٌ (د هق) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢٢٨٣ — فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ بِخَمْسِمِائَةِ عَامٍ (ت) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

٢٢٨٤ — فُكُّوا الْعَانِيَ ، وَأَجِيبُوا الدَّاعِيَ ، وَأَطْعِمُوا الْجَائِعَ ، وَعُودُوا الْمَرِيضَ (حم خ) عن أبى موسى رضى الله عنه .

٢٢٨٥ — فَمَنْ أَعْدَى الأَوَّلَ ؟ (ق د) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢٢٨٦ — فَهَلاَّ بِكْراً تُلاَعِبُهَا وَتُلاَعِبُكَ وَتُضَاحِكُهَا وَتُضَاحِكُكَ (حم ق د ن ه) عن جابر رضى الله عنه .

٢٢٨٧ — فى الإِبِلِ صَدَقَتُهَا ، وَفى الْغَنَمِ صَدَقَتُهَا ، وَفى الْبَقَرِ صَدَقَتُهَا ، وَفى الْبُرِّ صَدَقَتُهُ ، وَمَنْ رَفَعَ دَنَانِيرَ أَوْ دَرَاهِمَ أَوْ تِبْراً أَوْ فِضَّةً ، لاَ يُعِدُّهَا لِغَرِيمٍ وَلاَ يُنْفِقُهَا فى سَبِيلِ اللهِ ، فَهُوَ كَنْزٌ يُكْوَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (ش حم ك هق) عن أبى ذر رضى الله عنه .

٢٢٨٨ — فى الأَسْنَانِ خَمْسٌ خَمْسٌ مِنَ الإِبِلِ (د ن) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

٢٢٨٩ — فى الأَصَابِعِ عَشْرٌ عَشْرٌ (حم د ن) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

٢٢٩٠ — فى الأَنْفِ الدِّيَةُ إِذَا اسْتُوْعِبَ جَدْعُهُ مِائَةٌ مِنَ الإِبِلِ ، وَفى الْيَدِ خَمْسُونَ ، وَفى الرِّجْلِ خَمْسُونَ ، وَفى الآمَّةِ ثُلُثُ النَّفْسِ ، وَفى الْجَائِفَةِ ثُلُثُ النَّفْسِ ، وَفى الْمُنَقِّلَةِ خَمْسَ عَشْرَةَ ، وَفى الْمُوضِحَةِ خَمْسٌ ، وَفى السِّنِّ خَمْسٌ وَفى كُلِّ أُصْبُعٍ مِمَّا هُنَالِكَ عَشْرٌ ، وَفى الْعَيْنِ خَمْسُونَ (هق) عن عمر رضى الله عنه

٢٢٩١ — فى الإنسانِ ستُّونَ وثلاثُمائةِ مَفْصَلٍ ، فعليهِ أنْ يتصدَّقَ عنْ كُلِّ مَفْصَلٍ منهَا صَدَقَةً . النُّخاعَةُ فى المسجدِ تَدْفِنُهَا ، والشَّىءُ تُنَحِّيهِ عنِ الطَّرِيقِ فإنْ لمْ تقدِرْ فرَكْعتَا الضُّحَى تجزِى عنكَ (حم د حب) عن بريدة رضى الله عنها .

٢٢٩٢ — فى الجنَّةِ ثمانيةُ أبوابٍ، فيهَا بابٌ يُسَمَّى الرَّيَّانَ لاَ يدخُلُهُ إلاَّ الصَّائِمُونَ (خ) عن سهل بن سعد رضى الله عنه .

٢٢٩٣ — فى الجنَّةِ خَيْمَةٌ مِنْ لُؤلُؤَةٍ مُجَوَّفَةٍ عَرْضُهَا ستُّونَ مِيلاً ، فى كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا أهْلٌ ، مَا يَرَوْنَ الآخَرِينَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمُ المُؤمِنُ (حم م ت) عن أبى موسى رضى الله عنه .

٢٢٩٤ — فى الجنَّةِ مِائَةُ دَرَجَةٍ مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّماءِ وَالأرْضِ ، وَالفِرْدَوْسُ أعْلاَهَا دَرَجَةً ، وَمِنْهَا تُفَجَّرُ أنْهَارُ الجنَّةِ الأرْبَعَةُ ، وَمِنْ فَوْقِهَا يَكُونُ عَرْشُ الرَّحْمٰنِ ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ (ش حم ت ك) عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه .

٢٢٩٥ — فى الجنَّةِ مِائَةُ دَرَجَةٍ مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ مِائَةُ عَامٍ (ت) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢٢٩٦ — فى الجنَّةِ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ (البزار طس) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

٢٢٩٧ — فى الحَبَّةِ السَّوْدَاءِ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ ، إلاَّ السَّامَ (حم ق ٥) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢٢٩٨ — فى الْحَجْمِ شِفَاءٌ (سَمُّويه حل والضياء) عن عبد الله بن سَرْجِس رضى الله عنه .

٢٢٩٩ — فى الرِّكَازِ الْخُمُسُ (ه) عن ابن عباس (طب) عن أبى ثعلبة (طس) عن جابر وابن مسعود رضى الله عنهم .

٢٣٠٠ — فى السِّنِّ مِائَةٌ مِنَ الإِبِلِ ، وَفى الْعَقْلِ مِائَةٌ مِنَ الإِبِلِ (هق) عن معاذ رضى الله عنه .

٢٣٠١ — فى الْغُلَامِ عَقِيقَةٌ ، فَأَهْرِيقُوا عَنْهُ دَماً وَأَمِيطُوا عَنْهُ الأَذَى (ن) عن سلمان بن عامر .

٢٣٠٢ — فى الْمُنَافِقِ ثَلَاثُ خِصَالٍ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا أُئْتُمِنَ خَانَ (البزار) عن جابر رضى الله عنه .

٢٣٠٣ — فى أَصْحَابِى[1] اثْنَا عَشَرَ مُنَافِقاً ، مِنْهُمْ ثَمَانِيَةٌ لاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فى سَمِّ الْخِيَاطِ (حم م) عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه .

٣٢٠٤ — فى أُمَّتِى كَذَّابُونَ وَدَجَّالُونَ سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ ، مِنْهُمْ أَرْبَعُ نِسْوَةٍ ، وَإِنِّى خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لاَ نَبِيَّ بَعْدِى (حم طب والضياء) عن حذيفة رضى الله عنه .

٢٣٠٥ — فى ثَقِيفٍ كَذَّابٌ وَمُبِيرٌ (ت) عن ابن عمر (طب) عن سلامة بنت الحر رضى الله عنهما .

---

(١) فى أصحابى اثنا عشر منافقا . لم يعينهم حذيفة راوى الحديث . وقد كان مختصا بمعرفة أسرار المنافقين وإنما برأ عمر بأنه ليس منهم، وقال: لا أبرىء بعدك أحدا.

٢٣٠٦ — فِي ثَلَاثِينَ مِنَ البَقَرِ تَبِيعٌ أَوْ تَبِيعَةٌ ، وَفِي أَرْبَعِينَ مِنَ البَقَرِ مُسِنَّةٌ (ت ٥) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

٢٣٠٧ — فِي جَهَنَّمَ وَادٍ ، وَفِي الْوَادِي بِئْرٌ يُقَالُ لَهَا هَبْهَبْ ، حَقٌّ عَلَى اللهِ أَنْ يُسْكِنَهَا كُلَّ جَبَّارٍ (ك) عن أبى موسى رضى الله عنه .

٢٣٠٨ — فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ حَرَّى أَجْرٌ (خ) عن أبى هُريرةِ (حم ٥) عن سُرَاقة بن مالك (حم) عن ابن عمرو رضى الله عنهم .

٢٣٠٩ — فِي كُلِّ رَكْعَتَيْنِ تَسْلِيمَةٌ (٥) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

٢٣١٠ — فِي كُلِّ رَكْعَتَيْنِ التَّحِيَّةُ (م) عن عائشةَ رضى الله عنها .

٢٣١١ — فِيمَا سَقَتِ السَّمَاءُ وَالأَنْهَارُ وَالعُيُونُ ، أَوْ كَانَ عَثَرِيًّا الْعُشْرُ ، وَفِيمَا سُقِيَ بِالسَّوَانِي أَوِ النَّضْحِ نِصْفُ العُشْرِ (حم خ ٤) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

٢٣١٢ — فِيمَا يَأْكُلُ ابْنُ آدَمَ أَجْرٌ ، وَفِيمَا يَأْكُلُ السَّبُعُ وَالطَّيْرُ أَجْرٌ (ك) عن جابر رضى الله عنه .

٢٣١٣ — فِيهَا - يَعْنِي الْجُمُعَةَ - سَاعَةٌ لاَ يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللهَ شَيْئًا إِلاَّ أَعْطَاهُ ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ يُقَلِّلُهَا (ق ن ٥) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢٣١٤ — فِيهَا - يَعْنِي الْجَنَّةَ - مَالاَ عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، ثُمَّ قَرَأَ هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ : (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ فَلاَ تَعْلَمُ

نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (م) عن سهل رضى الله عنه .

٢٣١٥ — فِيهِمَا فَجَاهِدْ - يَعْنِي الْوَالِدَيْنِ - (حم ق ٣) عن ابن عمرو (م د) عن أُبَيّ بن كعب رضى الله عنهما .

٢٣١٦ — الْفَارُّ مِنَ الطَّاعُونِ كَالْفَارِّ مِنَ الزَّحْفِ ، وَالصَّابِرُ فِيهِ كَالصَّابِرِ فِي الزَّحْفِ (حم وعبد بن حميد) عن جابر رضى الله عنه . ورواه (حم والبزار طب) بلفظ : وَمَنْ صَبَرَ فِيهِ كَانَ لَهُ أَجْرُ شَهِيدٍ .

٢٣١٧ — الْفَجْرُ فَجْرَانِ : فَأَمَّا الْفَجْرُ الَّذِي يَكُونُ كَذَنَبِ السِّرْحَانِ[1] ، فَلَا يُحِلُّ الصَّلَاةَ ، وَلَا يُحَرِّمُ الطَّعَامَ ، وَأَمَّا الَّذِي يَذْهَبُ مُسْتَطِيلاً فِي الْأُفُقِ ، فَإِنَّهُ يُحِلُّ الصَّلَاةَ ، وَيُحَرِّمُ الطَّعَامَ (ك هق) عن جابر رضى الله عنه .

٢٣١٨ — الْفَخْرُ وَالْخُيَلَاءُ فِي أَهْلِ الْإِبِلِ ، وَالسَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ (حم) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

٢٣١٩ — الْفِرْدَوْسُ رَبْوَةُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَاهَا وَأَوْسَطُهَا ، وَمِنْهَا تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ (طب) عن سَمُرة رضى الله عنه .

٢٣٢٠ — الْفِطْرُ يَوْمَ يُفْطِرُ النَّاسُ ، وَالْأَضْحَى يَوْمَ يُضَحِّي النَّاسُ (ت) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٣٢١ — الْفِطْرَةُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ[1] (خط) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

* * *

---

(١) الذئب .

حرف القاف

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

٢٣٢٢ — قَابِلِ اللهَ فِي بِرِّهَا - يَعْنِي الْأُمَّ - فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَأَنْتَ حَاجٌّ ، وَمُعْتَمِرٌ ، وَمُجَاهِدٌ (ع طص) عن أنس رضى الله عنه .

٢٣٢٣ — قَاتَلَ اللهُ الْيَهُودَ ، إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِمُ الشُّحُومَ جَمَلُوهَا(٢) ، ثُمَّ بَاعُوهَا ، فَأَكَلُوا أَثْمَانَهَا (حم ق ٤) عن جابر (ق) عن أبى هريرة (حم ق ن ه) عن عمر رضى الله عنهم .

٢٣٢٤ — قَاتَلَ اللهُ الْيَهُودَ(٣) اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ (ق د) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

---

(١) الفطرة - واجبة - على كل مسلم . وهى زكاة الفطر . (٢) أذابوها .

(٣) إن اليهود لم تكن الصلاة تجوز لهم إلا فى أماكن العبادة . والقبور ليست من أماكن العبادة عندهم . فحين اتخذوا قبور الأنبياء مساجد لعنهم الله لتحريفهم العبادة عن أماكنها المخصصة لها فى دينهم . وهذا لا يسرى على المسلمين، لأن الله جعل لهم الأرض كلها مسجدا بشرط الطهارة . ومن الدليل على ذلك أن كنائس اليهود التى لعنهم الله لأجلها ، يجوز للمسلمين الصلاة فيها ، وكذلك تجوز لهم الصلاة فى المقابر ، فحين نبنى مسجدا على قبر رجل صالح لا نكون قد حرفنا العبادة عن مكانها المخصص لها ، لأنه ليس لها فى ديننا الحنيف مكان مخصص لها إلا من حيث الافضلية ، وليس كلامنا فيها . يضاف إلى ذلك ، إن اليهود مجسمة ومشبهة يصفون الله بصفات البشر، ومن ثم قالوا عزير ابن الله ،فلا مانع أن يعتقدوا أن الله يحل فى قبور أنبيائهم ويجلس فيها كما قالوا إن الله لما خلق السموات والارض ، تعب واستراح يوم السبت باستلقائه على قفاه ، لعنهم الله لعنا كبيرا ، لكن المسلمين الذين يقرؤن قل هو الله أحد السورة لا يمكن أن يعتقدوا حلول الله فى قبر نبى أو صالح الخ . هذا ما يحضرنى الآن لبيان معنى هذا الحديث الشريف .

٢٣٢٥ — قَاتَلَ اللهُ قَوْماً يُصَوِّرُونَ مَالاَ يَخْلُقُونَ (الطيالسى والضياء) عن أسامة رضى الله عنه .

٢٣٢٦ — قَاتِلْ دُونَ مَالِكَ حَتَّى تَحُوزَ مَالَكَ ، أَوْ تُقْتَلَ فَتَكُونَ مِنْ شُهَدَاءِ الآخِرَةِ (حم طب) عن مُخارق .

٢٣٢٧ — قَارِبُوا وَسَدِّدُوا ، فَإِنَّ فِي كُلِّ مَا يُصَابُ بِهِ الْمُسْلِمُ كَفَّارَةً حَتَّى النَّكْبَةُ يُنْكَبُهَا ، وَالشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا (حم م ت) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢٣٢٨ — قَاضِيَانِ فِي النَّارِ ، وَقَاضٍ فِي الْجَنَّةِ : قَاضٍ عَرَفَ الْحَقَّ فَقَضَى بِهِ فَهُوَ فِي الْجَنَّةِ ، وَقَاضٍ عَرَفَ الْحَقَّ فَجَارَ مُتَعَمِّداً ، أَوْ قَضَى بِغَيْرِ عِلْمٍ ، فَهُمَا فِي النَّارِ (ك) عن بُريدة رضى الله عنه.

٢٣٢٩ — قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : يَا ابْنَ آدَمَ ، قُمْ إِلَيَّ أَمْشِ إِلَيْكَ ، وَامْشِ إِلَيَّ أُهَرْوِلْ إِلَيْكَ (حم) عن رجل .

٢٣٣٠ — قَالَ اللهُ تَعَالَى : يَا ابْنَ آدَمَ ، لاَ تَعْجِزْ عَنْ أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ ، أَكْفِكَ آخِرَهُ (حم د) عن نُعيم بن هَمّار (طب) عن النَّوَّاس (ت) عن أبى الدرداء ، وأبى ذر (حم) عن أبى الدرداء رضى الله عنهم

٢٣٣١ — قَالَ اللهُ تَعَالَى : كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلاَّ الصِّيَامَ ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلاَ يَرْفُثْ وَلاَ يَصْخَبْ ، وَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ ، فَلْيَقُلْ : إِنِّي صَائِمٌ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ ، وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا : إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ (ق ن) عن أبى هُريرة رضى الله عنه .

٢٣٣٢ — قَالَ اللهُ تَعَالَى : ثَلاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ ، وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ (حم خ) عن أبي هُريرةٍ رضى الله عنه .

٢٣٣٣ — قَالَ اللهُ تَعَالَى : شَتَمَنِي ابْنُ آدَمَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَشْتِمَنِي ، وَكَذَّبَنِي وَمَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُكَذِّبَنِي ، أَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ ، فَقَوْلُهُ : إِنَّ لِي وَلَداً ، وَأَنَا اللهُ الأَحَدُ الصَّمَدُ لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُواً أَحَدٌ ، وَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ : لَيْسَ يُعِيدُنِي كَمَا بَدَأَنِي ، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ (حم خ ن) عن أبي هُريرةٍ رضى الله عنه .

٢٣٣٤ — قَالَ اللهُ تَعَالَى : كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ ، فَزَعَمَ أَنِّي لاَ أَقْدِرُ أَنْ أُعِيدَهُ كَمَا كَانَ ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ : لِي وَلَدٌ ، فَسُبْحَانِي أَنْ أَتَّخِذَ صَاحِبَةً أَوْ وَلَداً (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٢٣٣٥ — قَالَ اللهُ تَعَالَى : أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ ، مَالاَ عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ (حم ق ت ن ه) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

٢٣٣٦ — قَالَ اللهُ تَعَالَى : إِذَا هَمَّ عَبْدِي بِحَسَنَةٍ وَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبْتُهَا لَهُ حَسَنَةً ، فَإِنْ عَمِلَهَا ، كَتَبْتُهَا لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ ، وَإِذَا هَمَّ بِسَيِّئَةٍ وَلَمْ يَعْمَلْهَا ، لَمْ أَكْتُبْهَا عَلَيْهِ ، وَإِنْ عَمِلَهَا كَتَبْتُهَا عَلَيْهِ سَيِّئَةً وَاحِدَةً (ق ت) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

٢٣٣٧ — قَالَ اللهُ تَعَالَى : إِذَا أَحَبَّ عَبْدِي لِقَائِي أَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ ، وَإِذَا كَرِهَ لِقَائِي كَرِهْتُ لِقَاءَهُ (مالك خ ن) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

٢٣٣٨ — قَالَ اللهُ تَعَالَى : قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ : الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، قَالَ اللهُ : حَمِدَنِي عَبْدِي ، فَإِذَا قَالَ : الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ، قَالَ اللهُ : أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي ، فَإِذَا قَالَ : مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ، قَالَ : مَجَّدَنِي عَبْدِي ، فَإِذَا قَالَ : إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ، قَالَ : هٰذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ ، فَإِذَا قَالَ : اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ، قَالَ : هٰذَا لِعَبْدِي ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ (حم م ٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

٢٣٣٩ — قَالَ اللهُ تَعَالَى : يَا عِبَادِي ، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي ، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا ، فَلَا تَظَالَمُوا ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي ، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي ، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ ، كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا ، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا ، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي ، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ

مَسْأَلَتَهُ ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي ، إِلاَّ كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا ، فَمَنْ وَجَدَ خَيْراً فَلْيَحْمَدِ اللهَ ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلاَ يَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ (م) عن أبي ذر رضي الله عنه .

٢٣٤٠ — قَالَ اللهُ تَعَالَى : إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْداً مِنْ عِبَادِي مُؤْمِناً فَحَمِدَنِي وَصَبَرَ عَلَى مَا ابْتَلَيْتُهُ ، فَإِنَّهُ يَقُومُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ ، كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ مِنَ الْخَطَايَا ، وَيَقُولُ الرَّبُّ لِلْحَفَظَةِ : إِنِّي قَيَّدْتُ عَبْدِي هٰذَا ؟ وَابْتَلَيْتُهُ فَأَجْرُوا لَهُ مَا كُنْتُمْ تُجْرُونَ لَهُ قَبْلَ ذَلِكَ مِنَ الأَجْرِ وَهُوَ صَحِيحٌ (حم ع طب حل) عن شدَّاد بن أوس رضي الله عنه .

٢٣٤١ — قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ (حم ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

٢٣٤٢ — قَالَ اللهُ تَعَالَى : يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ ، يَسُبُّ الدَّهْرَ ، وَأَنَا الدَّهْرُ ، بِيَدِي الأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (حم ق د) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

٢٣٤٣ — قَالَ اللهُ تَعَالَى : يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَقُولُ : يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ ، فَلاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ : يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ ، فَإِنِّي أَنَا الدَّهْرُ أُقَلِّبُ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ فَإِذَا شِئْتُ قَبَضْتُهُمَا (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

٢٣٤٤ — قَالَ اللهُ تَعَالَى : سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

٢٣٤٥ — قَالَ اللهُ تَعَالَى : وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ خَلْقاً كَخَلْقِي ؟ فَلْيَخْلُقُوا حَبَّةً ، أَوْ لِيَخْلُقُوا ذَرَّةً ، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً (حم ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

٢٣٤٦ — قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِي ، وَاللهِ ، لَلهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بِالْفَلاَةِ ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْراً تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعاً ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعاً تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعاً ، وَإِذَا أَقْبَلَ إِلَيَّ يَمْشِي أَقْبَلْتُ إِلَيْهِ أُهَرْوِلُ (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

٢٣٤٧ — قَالَ اللهُ تَعَالَى : لاَ يَأْتِي ابْنَ آدَمَ النَّذْرَ بِشَيْءٍ لَمْ أَكُنْ قَدْ قَدَّرْتُهُ ، وَلَكِنْ يُلْقِيهِ النَّذْرُ إِلَى الْقَدَرِ ، وَقَدْ قَدَّرْتُهُ لَهُ ، أَسْتَخْرِجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ فَيُؤْتِينِي عَلَيْهِ مَا لَمْ يَكُنْ يُؤْتِينِي مِنْ قَبْلُ (حم خ ن) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

٢٣٤٨ — قَالَ اللهُ تَعَالَى : لاَ يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ : أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ ابْنِ مَتَّى (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

٢٣٤٩ — قَالَ اللهُ تَعَالَى : أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ (م ٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

٢٣٥٠ — قَالَ اللهُ تَعَالَى : أَنَا الرَّحْمٰنُ ، أَنَا خَلَقْتُ الرَّحِمَ وَشَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنْ اسْمِي ، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ ، وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعْتُهُ (ك) عن أبي هريرة

(حم خد د ت ك) عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه .

٢٣٥١ — قَالَ اللهُ تَعَالَى : الكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالعَظَمَةُ إِزَارِي ، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِداً مِنْهُمَا ، قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ (حم د ه حب) عن أبى هريرة (ه حب) عن ابن عباس رضى الله عنهم .

٢٣٥٢ — قَالَ اللهُ تَعَالَى : الكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالعِزُّ إِزَارِي ، فَمَنْ نَازَعَنِي فِي شَيْءٍ مِنْهُمَا عَذَّبْتُهُ (سَمُّويهْ) عن أبى سعيد وأبى هريرة رضى الله عنهما .

٢٣٥٣ — قَالَ اللهُ تَعَالَى : أَحَبُّ عِبَادِي إِلَيَّ أَعْجَلُهُمْ فِطراً (حم ت حب) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢٣٥٤ — قَالَ اللهُ تَعَالَى : المُتَحَابُّونَ فِي جَلَالِي لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ ، يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ (ت) عن معاذ رضى الله عنه .

٢٣٥٥ — قَالَ اللهُ تَعَالَى : وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ ، وَالمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ ، وَالمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ (حم طب ك هب) عن معاذ رضى الله عنه (مالك حب) بلفظ : وَالمُتَجَالِسِينَ فِيَّ بَدَلَ : وَالمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ .

٢٣٥٦ — قَالَ اللهُ تَعَالَى : أَحَبُّ مَا تَعَبَّدَنِي عَبْدِي بِهِ إِلَيَّ ، النُّصْحُ لِي (حم) عن أبى أمامة رضى الله عنه .

٢٣٥٧ — قَالَ اللهُ جَلَّ ذِكْرُهُ . لاَ يَذْكُرُنِي عَبْد فِي نَفْسِهِ ، إِلاَّ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ مِنْ مَلاَئِكَتِي ، وَلاَ يَذْكُرُنِي فِي مَلَإٍ إِلَّا ذَكَرْتُهُ فِي المَلَإِ الأَعْلَى (طب) عن معاذ بن أسد رضى الله عنه .

٢٣٥٨ — قَالَ اللهُ تَعَالَى : أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِي يَخْرُجُ مُجَاهِداً فِي سَبِيلِي ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي ضَمِنْتُ لَهُ أَنْ أَرْجِعَهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ ، وَإِنْ قَبَضْتُهُ أَنْ أَغْفِرَ لَهُ وَأَرْحَمَهُ وَأُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ (حم ن) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٢٣٥٩ — قَالَ اللهُ تَعَالَى : افْتَرَضْتُ عَلَى أُمَّتِكَ خَمْسَ صَلَوَاتٍ وَعَهِدْتُ عِنْدِي عَهْداً أَنَّهُ مَنْ حَافَظَ عَلَيْهِنَّ لِوَقْتِهِنَّ أَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهِنَّ فَلَا عَهْدَ لَهُ عِنْدِي (ه) عن أبى قتادة رضى الله عنه .

٢٣٦٠ — قَالَ اللهُ تَعَالَى : حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَوَاصِلِينَ فِيَّ ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَنَاصِحِينَ فِيَّ ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ (حم) عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه (حب طب ك) بزيادة . هُمْ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمْ بِمَكَانِهِمُ النَّبِيُّونَ وَالصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ .

٢٣٦١ — قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : قَدْ حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَحَابُّونَ مِنْ أَجْلِي ، وَقَدْ حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَزَاوَرُونَ مِنْ أَجْلِي ، وَقَدْ حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَبَاذَلُونَ مِنْ أَجْلِي ، وَقَدْ حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَصَادَقُونَ مِنْ أَجْلِي (حم طب ك) عن عمرو بن عَبَسَة رضى الله عنه .

٢٣٦٢ — قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي فِي ظِلِّ عَرْشِي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي (حم) عن العِرْباض بن سارية رضى الله عنه .

٢٣٦٣ — قَالَ اللهُ تَعَالَى : إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ - يَعْنِي عَيْنَيْهِ -

ثمَّ صَبَرَ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ (حم خ) عن أنس رضى الله عنه .

٢٣٦٤ — قَالَ اللهُ تَعَالَى : إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِى الْمُؤْمِنَ، فَلَمْ يَشْكُنِى إِلَى عُوَّادِهِ أَطْلَقْتُهُ مِنْ إِسَارِى، ثُمَّ أَبْدَلْتُهُ لَحْماً خَيْراً مِنْ لَحْمِهِ وَدَماً خَيْراً مِنْ دَمِهِ ثُمَّ يَسْتَأْنِفُ الْعَمَلَ (ك هف) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢٣٦٥ — قَالَ اللهُ تَعَالَى : إِذَا سَلَبْتُ مِنْ عَبْدِى كَرِيمَتَيْهِ — يَعْنِى عَيْنَيْهِ — وَهُوَ بِهِمَا ضَنِينٌ لَمْ أَرْضَ لَهُ ثَوَاباً دُونَ الْجَنَّةِ، إِذَا هُوَ حَمِدَنِى عَلَيْهِمَا (حب طب حل) عن العرباض بن سارية رضى الله عنه .

٢٣٦٦ — قَالَ اللهُ تَعَالَى : يا ابْنَ آدَمَ مَهْمَا عَبَدْتَنِى وَرَجَوْتَنِى وَلَمْ تُشْرِكْ بِى شَيْئاً غَفَرْتُ لَكَ عَلَى ما كَانَ مِنْكَ، وَإِنِ اسْتَقْبَلْتَنِى بِمِلْءِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ خَطَايَا وَذُنُوباً اسْتَقْبَلْتُكَ بِمِلْئِهِنَّ مِنَ الْمَغْفِرَةِ ، وَأَغْفِرُ لَكَ وَلاَ أُبَالِى (طب) عن أبى الدرداء رضى الله عنه .

٢٣٦٧ — قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ تَرَكَ الْخَمْرَ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، لأَسْقِيَنَّهُ مِنْهُ فِى حَظِيرَةِ الْقُدُسِ ، وَمَنْ تَرَكَ الْحَرِيرَ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ ، لأَكْسُوَنَّهُ إِيَّاهُ فِى حَظِيرَةِ الْقُدُسُ (البزار) عن أنس رضى الله عنه .

٢٣٦٨ — قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : يَا ابْنَ آدَمَ إِذَا ذَكَرْتَنِى خَالِياً ذَكَرْتُكَ خَالِياً ، وَإِذَا ذَكَرْتَنِى فِى مَلَإٍ ذَكَرْتُكَ فِى مَلَإٍ خَيْرٍ[1] مِنَ الَّذِينَ تَذْكُرُنِى فِيهِمْ (البزار) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

---

(١) يفيد أفضلية الملائكة على مؤمنى البشر وهو الحق .

٢٣٦٩ — قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِى بِى ، فَلْيَظُنَّ بِى مَا شَاءَ (طب ك) عند واثلة رضى الله عنه .

٢٣٧٠ — قَالَ اللهُ تَعَالَى : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِى بِى إِنْ ظَنَّ خَيْراً فَلَهُ ، وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَهُ (حم حب هب) عن واثلة (حم) عن أبى هريرة رضى الله عنهم .

٢٣٧١ — قَالَ اللهُ تَعَالَى : مَنْ عَلِمَ أَنِّى ذُو قُدْرَةٍ عَلَى مَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ غَفَرْتُ لَهُ وَلاَ أُبَالِى مَا لَمْ يُشْرِكْ بِى شَيْئًا (طب ك) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٢٣٧٢ — قَالَ اللهُ تَعَالَى : يَا ابْنَ آدَمَ إِنْ ذَكَرْتَنِى فى نَفْسِكَ ذَكَرْتُكَ فِى نَفْسِى ، وَإِنْ ذَكَرْتَنِى فى مَلَإٍ ذَكَرْتُكَ فى مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ ، وَإِنْ دَنَوْتَ مِنِّى شِبْرًا دَنَوْتُ مِنْكَ ذِرَاعاً ، وَإِنْ دَنَوْتَ مِنِّى ذِرَاعاً دَنَوْتُ مِنْكَ بَاعاً وَإِنْ أَتَيْتَنِى تَمْشِى أَتَيْتُكَ أُهَرْوِلُ (حم) عن أنس رضى الله عنه .

٢٣٧٣ — قَالَ اللهُ تَعَالَى : يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِى وَرَجَوْتَنِى غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلاَ أُبَالِى ، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِى غَفَرْتُ لَكَ وَلاَ أُبَالِى ، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ أَنَّكَ أَتَيْتَنِى بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِى لاَ تُشْرِكُ بِى شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً (ت والضياء عن أنس رضى الله عنه .

٢٣٧٤ — قَالَ اللهُ تَعَالَى : عَبْدِى أَنَا عِنْدَ ظَنِّكَ بِى ، وَأَنَا مَعَكَ إِذَا ذَكَرْتَنِى (ك) عن أنس رضى الله عنه .

٢٣٧٥ — قَالَ اللهُ تَعَالَى : يَا ابْنَ آدَمَ ثَلَاثَةٌ : وَاحِدَةٌ لِي ، وَوَاحِدَةٌ لَكَ ، وَوَاحِدَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، فَأَمَّا التي لِي فَتَعْبُدُنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئاً وَأَمَّا التي لَكَ فَمَا عَمِلْتَ مِنْ عَمَلٍ جَزَيْتُكَ بِهِ ، فَإِنْ أَغْفِرْ ، فَأَنَا الغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَمَّا التي بَيْنِي وَبَيْنَكَ فَعَلَيْكَ الدُّعَاءُ وَالمَسْأَلَةُ ، وَعَلَيَّ الاسْتِجَابَةُ وَالعَطَاءُ (طب) عن سلمان الفارسي رضي الله عنه .

٢٣٧٦ — قَالَ اللهُ تَعَالَى : أَنَا أَهْلٌ أَنْ أُتَّقَى فَلَا يُجْعَلَ مَعِي إِلَهٌ ، فَمَنِ اتَّقَى أَنْ يَجْعَلَ مَعِي إِلَهاً فَأَنَا أَهْلٌ أَنْ أَغْفِرَ لَهُ (حم ت ن ه طس ع والبزار عد ك) عن أنس رضي الله عنه .

٢٣٧٧ — قَالَ رَبُّكُمْ : لَوْ أَنَّ عِبَادِي أَطَاعُونِي لَأَسْقَيْتُهُمُ المَطَرَ بِاللَّيْلِ ، وَلَأَطْلَعْتُ عَلَيْهِمُ الشَّمْسَ بِالنَّهَارِ وَلَمَا أَسْمَعْتُهُمْ صَوْتَ الرَّعْدِ (حم ك) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

٢٣٧٨ — قَالَ الشَّيْطَانُ لَعَنَهُ اللهُ : لَنْ يَسْلَمَ مِنِّي صَاحِبُ المَالِ مِنْ إِحْدَى ثَلَاثٍ ، أَغْدُو عَلَيْهِ بِهِنَّ وَأَرُوحُ ، أَخْذُهُ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ ، وَإِنْفَاقُهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ ، وَأُحَبِّبُهُ إِلَيْهِ ، فَيَمْنَعُهُ مِنْ حَقِّهِ (طب) عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه .

٢٣٧٩ — قَالَ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ حَسَنَةً قَطُّ لِأَهْلِهِ : إِذَا مُتُّ فَحَرِّقُوهُ ثُمَّ ذَرُّوا نِصْفَهُ فِي البَرِّ وَنِصْفَهُ فِي البَحْرِ ، فَوَاللهِ لَئِنْ قَدَرَ اللهُ عَلَيْهِ لَيُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً لَا يُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ العَالَمِينَ ، فَلَمَّا مَاتَ الرَّجُلُ فَعَلُوا مَا أَمَرَهُمْ بِهِ ، فَأَمَرَ اللهُ البَرَّ فَجَمَعَ مَا فِيهِ ، وَأَمَرَ البَحْرَ أَنْ يَجْمَعَ مَا فِيهِ ، ثُمَّ قَالَ : لِمَ

فَعَلْتَ هٰذَا ؟ قَالَ : مِنْ خَشْيَتِكَ يَا رَبِّ ، وَأَنْتَ أَعْلَمُ ، فَغَفَرَ اللهُ تَعَالَى لَهُ (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢٣٨٠ — قَالَ رَجُلٌ : لَأَتَصَدَّقَنَّ اللَّيْلَةَ بِصَدَقَةٍ ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فى يَدِ سَارِقٍ ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ : تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى سَارِقٍ ، فَقَالَ اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى سَارِقٍ ، لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِى يَدِ زَانِيَةٍ ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ : تُصِدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ ، لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِى يَدِ غَنِيٍّ ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ : تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى غَنِيٍّ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى سَارِقٍ وَزَانِيَةٍ وَغَنِيٍّ ، فَأُتِيَ فَقِيلَ لَهُ : أَمَّا صَدَقَتُكَ عَلَى سَارِقٍ فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعِفَّ عَنْ سَرِقَتِهِ ، وَأَمَّا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا أَنْ تَسْتَعِفَّ عَنْ زِنَاهَا ، وَأَمَّا الغَنِيُّ فَلَعَلَّهُ أَنْ يَعْتَبِرَ فَيُنْفِقَ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ (ق ن) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢٣٨١ — قَالَ لِى جِبْرِيلُ : بَشِّرْ خَدِيجَةَ بِبَيْتٍ فى الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ ، لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ (طب) عن عبد الله بن أبى أوفى رضى الله عنه .

٢٣٨٢ — قَالَ جِبْرِيلُ : قَلَّبْتُ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا فَلَمْ أَجِدْ رَجُلًا أَفْضَلَ مِنْ مُحَمَّدٍ ، وَقَلَّبْتُ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا فَلَمْ أَجِدْ بَنِى أَبٍ أَفْضَلَ مِنْ بَنِى هَاشِمٍ (أبو أحمد الحاكم فى الكنى طب هب وابن عساكر) عن عائشة رضى الله عنها . قال الحافظ ابن حجر : لوامع الصحة على متن هذا الحديث تلوح .

٢٣٨٣ — قَالَ لِى جِبْرِيلُ : مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ

قُلْتُ : وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ ؟ قَالَ : وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ (خ) عن أبى ذر رضى الله عنه .

٢٣٨٤ — قَالَ لى جِبْرِيلُ : قَدْ حُبِّبَتْ إِلَيْكَ الصَّلَاةُ فَخُذْ مِنْهَا مَا شِئْتَ (حم) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٢٣٨٥ — قَالَ لِى جِبْرِيلُ : رَاجِعْ حَفْصَةَ فَإِنَّهَا صَوَّامَةٌ قَوَّامَةٌ وَإِنَّهَا زَوْجَتُكَ فى الجَنَّةِ (ك) عن أنس وعن قيس بن زيد .

٢٣٨٦ — قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ : لأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى مِائَةِ امْرَأَةٍ ، كُلُّهُنَّ تَأْتِى بِفَارِسٍ يُجَاهِدُ فى سَبِيلِ اللهِ ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ : قُلْ إِنْ شَاءَ اللهُ ، فَلَمْ يَقُلْ إِنْ شَاءَ اللهُ ، فَطَافَ عَلَيْهِنَّ فَلَمْ تَحْمِلْ مِنْهُنَّ إِلاَّ امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ جَاءَتْ بِشِقِّ إِنْسَانٍ[1] ، وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ قَالَ إِنْ شَاءَ اللهُ لَمْ يَحْنَثْ ، وَكَانَ دَرْكاً لِحَاجَتِهِ (حم ق ن) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢٣٨٧ — قِتَالُ المُسْلِمِ أَخَاهُ كُفْرٌ وَسِبَابُهُ فُسُوقٌ (ت) عن ابن مسعود (ن) عن سعد رضى الله عنهم .

٢٣٨٨ — قِتَالُ المُسْلِمِ كُفْرٌ وَسِبَابُهُ فُسُوقٌ ، وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ (حم ع طب والضياء) عن سعد رضى الله عنه .

---

(١) وهو الذى قال الله عنه : (وألقينا على كرسيه جسدا) وكانت فتنته نسيان المشيئة .

٢٣٨٩ — قَتَلُوهُ ، قَتَلَهُمُ اللهُ[١] ، أَلَمْ يَكُنْ شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالَ (قط ك) عن ، ابن عباس رضى الله عنهما .

٢٣٩٠ — قَتْلُ الرَّجُلِ[٢] صَبْرًا كَفَّارَةٌ لِمَا قَبْلَهُ مِنَ الذُّنُوبِ (البزار) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢٣٩١ — قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا[٣] لاَ يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِى إِلاَّ هَالِكٌ ، وَمَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلاَفًا كَثِيراً ، فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي ، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ ، وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ ، وَإِنْ عَبْداً حَبَشِيًّا ، فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الأَنِفِ حَيْثُمَا قِيدَ انْقَادَ (حم ه ك) عن عرباض رضى الله عنه .

---

(١) كان الصحابة فى سرية أو غزوة ، فأصبح أحدهم جنبا ، وبه جراح شديدة من أثر الجهاد ، فسأل رفقاءه ، فأفتوه بوجوب الغسل فاغتسل ، فمات . فلما علم النبى صلى الله عليه وسلم بذلك ، غضب وقال « قتلوه قتلهم الله ألم يكن شفاء العى ـ وهو عدم الاهتداء إلى الصواب ـ السؤال » . وفى رواية : هلا سألوا إذلم يعلموا .

(٢) قتل الرجل صبرا ـ أى محبوسا مقيدا ، كما قتل معاوية حجر بن عدى رضى الله عنه كفارة لما قبله من الذنوب . لأنه اجتمع على القتيل إرهاق روحه ، وتقييده والشارع صلى الله عليه وسلم أوجب على ذابح بهيمة أن يريحها فلا يذبحها وهى مقيدة ، فما بالك بالإنسان ؟

(٣) ومن يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا ، لاختلاف الآراء ، وكثرة البدع والأهواء . فعليكم بما عرفتم من سنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ ، كناية عن شدة التمسك بها . وعليكم بالطاعة ، لأميركم ، إذا كان صالحا . ولو كان عبدا حبشيا . ولا تقولوا : ليس قرشيا ولاعربيا . فإنما المؤمن كالجمل الأنف ، بفتح الهمز وضم النون وهو الذى يشتكى أنفه ، فهو منقاد ، حيثما قيد أنقاد .

٢٣٩٢ — قَتْلُ الصَّبْرِ لاَ يَمُرُّ بِذَنْبٍ إِلاَّ مَحَاهُ (البزار) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٣٩٣ — قَتْلُ الْمُؤْمِنِ ، أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ مِنْ زَوَالِ الدُّنْيَا (ن هب والضياء) عن بُريدة رضى الله عنه .

٢٣٩٤ — قَدْ عَجِبَ اللهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا[1] بِضَيْفِكُمَا (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢٣٩٥ — قَدْ كَانَ فِيمَا مَضَى قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ أُنَاسٌ مُحَدَّثُونَ ، فَإِنْ يَكُ فِى أُمَّتِى أَحَدٌ مِنْهُمْ، فَهُوَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ (حم خ) عن أبى هريرة (حم م ت ن) عن عائشة رضى الله عنها

٢٣٩٦ — قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ ، وَرُزِقَ كَفَافًا ، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ ، (حم م ت ه) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

٢٣٩٧ — قَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَقُولُوا مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ ،

---

(١) جاء أبو هريرة إلى النبى صلى الله عليه وسلم ليلة ، يطلب عشاء ، فبعث إلى أمهات المؤمنين فلم يجد عندهن طعاما ، فقال : من يضيف هذا عنده الليلة ؟ فقال أنصارى : أنا يارسول الله . فأخذه إلى بيته ، فقال لامرأته : عندك عشاء لضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : ماعندى إلا عشاء الصبيان . قال : فنوميهم ، وقدم الطعام إلى أبى هريرة ، وعمد إلى السراج كأنه يصلحه ، فأطفأه ، وأوهمه أنه يتعشى مع امرأته ، وباتا طاويين . فلما أصبح قال له النبى صلى الله عليه وسلم « قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما » ونزل قوله تعالى (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) وعجب الله كناية عن رضاه الذى سجلته الآية الكريمة .

وَلَكِنْ قُولُوا مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ مَا شَاءَ مُحَمَّدٌ (الحكيم الترمذى ن والضياء) عن حُذيفة رضى الله عنه .

٢٣٩٨ — قَدِ اجْتَمَعَ فِي يَوْمِكُمْ هٰذَا عِيدَانِ ، فَمَنْ شَاءَ أَجْزَأَهُ مِنَ الْجُمُعَةِ ، وَإِنَّا مُجَمِّعُونَ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى (د ه ك) عن أبى هريرة (٥) عن ابن عباس وعن ابن عمر رضى الله عنهم .

٢٣٩٩ — قَدَّرَ اللهُ الْمَقَادِيرَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرَضِينَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (حم م ت) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

٢٤٠٠ — قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ ، وَلِأَهْلِ الْمَدِينَةِ يَوْمَانِ يَلْعَبُونَ فِيهِمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ أَبْدَلَكُمْ خَيْراً مِنْهُمَا : يَوْمَ الْفِطْرِ ، وَيَوْمَ النَّحْرِ (هق) عن أنس رضى الله عنه .

٢٤٠١ — قَرَصَتْ نَمْلَةٌ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ[1] ، فَأَمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ ، فَأُحْرِقَتْ ، فَأَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَيْهِ : أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ ، أَحْرَقْتَ أُمَّةً مِنَ الْأُمَمِ تُسَبِّحُ (ق د ن ه) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢٤٠٢ — قُصُّوا الشَّوَارِبَ ، وَأَعْفُوا اللِّحَى (حم) عن أبى هُريرة رضى الله عنه .

---

(١) قرصت نملة نبيا من الأنبياء ، من بنى إسرائيل لم يرد تعيينه . فأمر بقرية النمل فأحرقت ، وكان الإحراق جائزا فى شريعته ، بدليل أن الله لم يعاتبه عليه ، وإنما عاتبه على أن عم قرية النمل بالإحراق من أجل قرص نملة . ويؤخذ منه أن النمل يسبح الله حقيقة ، وهو موافق للقرآن . وأن ما آذى من الحشرات غير الضارة . كالنمل والنحل والضفدع ، يرخص فى قتله وحده . بخلاف الحشرات الضارة كالحية والعقرب ، فإنها تقتل حيثما وجدت .

٢٤٠٣ — قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ، تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ (مالك حم خ د ن) عن أبى سعيد (خ) عن قتادة بن النعمان (م) عن أبى الدرداء (ت ه) عن أبى هريرة (ن) عن أبى أيوب (حم ه) عن أبى مسعود الأنصارى (طب) عن ابن مسعود وعن معاذ (حم) عن أم كلثوم بنت عقبة (البزار) عن جابر (أبو عبيد فى فضائل القرآن) عن ابن عباس رضى الله عنهم .

٢٤٠٤ — قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ، تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ ، وَقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ، تَعْدِلُ رُبُعَ الْقُرْآنِ (طب ك) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٢٤٠٥ — قُلْ : اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ أَنْتَ ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي ، وَمِنَ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ ، قُلْهَا إِذَا أَصْبَحْتَ ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ ، وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ (حم د ت حب ك) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٤٠٦ — قُلْ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ نَفْسًا مُطْمَئِنَّةً تُؤْمِنُ بِلِقَائِكَ ، وَتَرْضَى بِقَضَائِكَ ، وَتَقْنَعُ بِعَطَائِكَ (طب والضياء) عن أبى أمامة رضى الله عنه .

٢٤٠٧ — قُلْ : اللَّهُمَّ إِنِّي ضَعِيفٌ فَقَوِّنِي ، وَإِنِّي ذَلِيلٌ فَأَعِزَّنِي ، وَإِنِّي فَقِيرٌ فَارْزُقْنِي (ك) عن بُريدة رضى الله عنه .

٢٤٠٨ — قُلْ : اللَّهُمَّ مَغْفِرَتُكَ أَوْسَعُ مِنْ ذُنُوبِي ، وَرَحْمَتُكَ أَرْجَى عِنْدِي مِنْ عَمَلِي (ك والضياء) عن جابر رضى الله عنه .

٢٤٠٩ — قُلْ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَعَافِنِي وَارْزُقْنِي ، فَإِنَّ

هٰؤُلاَءِ تَجْمَعُ لَكَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ (حم م ٥) عن طارق الأشجعى رضى الله عنه .

٢٤١٠ — قُلْ : اللَّهُمَّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى ظُلْماً كَثِيراً ، وَلاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ ، فَاغْفِرْ لِى مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِى ، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (حم ق ت ن ٥) عن أبى بكر وعن ابن عمر رضى الله عنهم .

٢٤١١ — قُلْ : اللَّهُمَّ اهْدِنِى وَسَدِّدْنِى ، وَاذْكُرْ بِالْهُدَى هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ ، وَبِالسَّدَادِ سَدَادَ السَّهْمِ (م د ن) عن علىّ عليه السلام .

٢٤١٢ — قُلْ : آمَنْتُ بِاللهِ ، ثُمَّ اسْتَقِمْ (حم م ت ن ٥) عن سفيان ابن عبد الله الثقفى رضى الله عنه .

٢٤١٣ — قُلْ : لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ ، فَإِنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ (ق ٤) عن أبى موسى رضى الله عنه .

٢٤١٤ — قَلْبُ الشَّيْخِ شَابٌّ عَلَى حُبِّ اثْنَتَيْنِ : طُولِ الْحَيَاةِ ، وَكَثْرَةِ الْمَالِ (حم ت ك) عن أبى هريرة (عد ابن عساكر) عن أنس رضى الله عنهما .

٢٤١٥ — قَلْبُ الشَّيْخِ شَابٌّ عَلَى حُبِّ اثْنَتَيْنِ : حُبِّ الْعَيْشِ ، وَالْمَالِ (ق ٥) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢٤١٦ — قَلْبُ الْقُرْآنِ يٰس ، لاَ يَقْرَأُهَا رَجُلٌ يُرِيدُ اللهَ وَالدَّارَ الآخِرَةَ إِلاَّ غَفَرَ اللهُ لَهُ ، اقْرَؤُهَا عَلَى مَوْتَاكُمْ (حم د ن ٥ ك) عن مَعقِل بن يسار رضى الله عنه .

٢٤١٧ — قَلْبٌ شَاكِرٌ ، وَلِسَانٌ ذَاكِرٌ ، وَزَوْجَةٌ صَالِحَةٌ تُعِينُكَ عَلَى أَمْرِ دُنْيَاكَ وَدِينِكَ ، خَيْرُ مَا اكْتَنَزَ النَّاسُ (هب) عن أبى أمامة (حم ت ه) عن ثوبان رضى الله عنهما بنحوه .

٢٤١٨ — قُمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ ، فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا الْمَسَاكِينَ ، وَإِذَا أَصْحَابُ الْجَدِّ مَحْبُوسُونَ ، إِلاَّ أَصْحَابَ النَّارِ ، فَقَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ ، وَقُمْتُ عَلَى بَابِ النَّارِ ، فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا النِّسَاءُ (حم ق ن) عن أسامة ابن زيد رضى الله عنه .

٢٤١٩ — قَوَائِمُ مِنْبَرِى ، رَوَاسِبُ فِى الْجَنَّةِ (حم ن حب) عن أم سلمة (طب ك) عن أبى واقد رضى الله عنهما .

٢٤٢٠ — قُولُوا : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ (حم ق د ن ه) عن كعب بن عُجْرة رضى الله عنه .

٢٤٢١ — قُولِى : اللهُ أَكْبَرُ عَشْرَ مَرَّاتٍ ، يَقُولُ اللهُ : هٰذَا لِى ، وَقُولِى : سُبْحَانَ اللهِ عَشْرَ مَرَّاتٍ ، يَقُولُ اللهُ : هٰذَا لِى ، وَقُولِى : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِى ، يَقُولُ : قَدْ فَعَلْتُ ، فَتَقُولِينَ عَشْرَ مَرَّاتٍ ، وَيَقُولُ : قَدْ فَعَلْتُ (طب) عن سلمى أم بنى أبى رافع مولى النبى صلى الله عليه وسلم .

٢٤٢٢ — قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ (ق د) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

٢٤٢٣ — قِيدُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ فِى الْجَنَّةِ ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمِثْلِهَا مَعَهَا ،

وَلَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمِثْلِهَا مَعَهَا ، وَلَنَصِيفٌ امْرَأَةٍ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمِثْلِهَا مَعَهَا (حم) عن أبى هريرة رضى الله عنه

٢٤٢٤ — الْقَبْرُ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الآخِرَةِ ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ (حم ت ه ك) عن عثمان رضى الله عنه

٢٤٢٥ — الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللهِ يُكَفِّرُ كُلَّ خَطِيئَةٍ إِلاَّ الدَّيْنَ (م) عن ابن عمرو (ت) عن أنس رضى الله عنهما .

٢٤٢٦ — الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللهِ شَهَادَةٌ ، وَالطَّاعُونُ شَهَادَةٌ ، وَالْغَرَقُ شَهَادَةٌ ، وَالْبَطْنُ شَهَادَةٌ ، وَالنُّفَسَاءُ يَجُرُّهَا وَلَدُهَا بِسَرَرِهِ إِلَى الْجَنَّةِ ، زاد أبو العوّام : سَادِنَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَالْحَرَقَ ، وَالسِّلُّ (حم) عن راشد ابن حُبَيش رضى الله عنه .

٢٤٢٧ — الْقَتْلَى ثَلاَثَةٌ : رَجُلٌ مُؤْمِنٌ جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَّى إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى يُقْتَلَ ، فَذَلِكَ الشَّهِيدُ الْمُمْتَحَنُ ، فِي جَنَّةِ اللهِ تَحْتَ عَرْشِهِ ، لاَ يَفْضُلُهُ النَّبِيُّونَ ، إِلاَّ بِفَضْلِ دَرَجَةِ النُّبُوَّةِ . وَرَجُلٌ فَرِقَ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا ، جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَّى إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ قَاتَلَ حَتَّى يُقْتَلَ ، فَتِلْكَ مُمَصْمِصَةٌ مَحَتْ ذُنُوبَهُ وَخَطَايَاهُ ، إِنَّ السَّيْفَ مَحَّاءٌ لِلْخَطَايَا ، وَأُدْخِلَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَ ، فَإِنَّ لَهَا ثَمَانِيَةَ أَبْوَابٍ ، وَلِجَهَنَّمَ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ، وَبَعْضُهَا أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ . وَرَجُلٌ مُنَافِقٌ جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ حَتَّى إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ قَاتَلَ حَتَّى

يُقْتَلَ ، فَذَلِكَ فِي النَّارِ ، إِنَّ السَّيْفَ لاَ يَمْحُو النِّفَاقَ (حم طب حب) عن عُتبة بن عبدٍ السلمى رضى الله عنه .

٢٤٢٨ — القُرْآنُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ ، وَمَاحِلٌ مُصَدَّقٌ ، مَنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الجَنَّةِ ، وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَهُ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ (حب هب) عن جابر (طب هب) عن ابن مسعود رضى الله عنهما .

٢٤٢٩ — القُضَاةُ ثَلاَثَةٌ : اثْنَانِ فِي النَّارِ ، وَوَاحِدٌ فِي الجَنَّةِ : رَجُلٌ عَلِمَ الحَقَّ فَقَضَى بِهِ ، فَهُوَ فِي الجَنَّةِ . وَرَجُلٌ قَضَى لِلنَّاسِ عَلَى جَهْلٍ ، فَهُوَ فِي النَّارِ . وَرَجُلٌ عَرَفَ الحَقَّ فَجَارَ فِي الحُكْمِ ، فَهُوَ فِي النَّارِ (٤ طب ك) عن بُريدة (طب) عن ابن عمر رضى الله عنهم .

٢٤٣٠ — القَلْبُ يَجْزَعُ ، وَالعَيْنُ تَدْمَعُ ، وَلاَ نَقُولُ مَا يُسْخِطُ الرَّبَّ : وَإِنَّا عَلَيْكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ (ق) عن أنس رضى الله عنه .

٢٤٣١ — القُلُوبُ أَوْعِيَةٌ ، وَبَعْضُهَا أَوْعَى مِنْ بَعْضٍ ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ ، يَا أَيُّهَا النَّاسُ فَاسْأَلُوهُ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ ، فَإِنَّ اللهَ لاَ يَسْتَجِيبُ لِعَبْدٍ دَعَاهُ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ غَافِلٍ (حم) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

٢٤٣٢ — القِنْطَارُ اثْنَتَا عَشْرَةَ أَلْفَ أُوقِيَّةٍ ، الأُوقِيَّةُ خَيْرٌ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ (٥ حب) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

* * *

حرف الكاف

قالَ رسولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ :

٢٤٣٣ — كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ ، أَوْ لِغَيْرِهِ ، أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ (م) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

٢٤٣٤ — كَانَ دَاوُدَ أَعْبَدَ الْبَشَرِ (ت ك) عن أبي الدرداء رضى الله تعالى عنه .

٢٤٣٥ — كَانَ زَكَرِيَّا نَجَّاراً (حم م ٥) عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه .

٢٤٣٦ — كَانَ نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ يَخُطُّ ، فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ فَذَاكَ (حم م د ن) عن مُعاوية بن الحكم رضى الله عنه .

٢٤٣٧ — كَانَ الطَّاعُونُ عَذَاباً يَبْعَثُهُ اللهُ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، فَجَعَلَهُ اللهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ، مَا مِنْ عَبْدٍ يَكُونُ فِي بَلَدٍ فَيَكُونُ فِيهِ ، فَيَمْكُثُ لاَ يَخْرُجُ ، صَابِراً مُحْتَسِباً ، يَعْلَمُ أَنَّهُ لاَ يُصِيبُهُ إِلاَّ مَا كَتَبَ اللهُ لَهُ ، إِلاَّ كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ شَهِيدٍ (خ) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٤٣٨ — كَانَ الْكِفْلُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ يَتَوَرَّعُ مِنْ ذَنْبٍ عَمِلَهُ ، فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ ، فَأَعْطَاهَا سِتِّينَ دِينَاراً عَلَى أَنْ يَطَأَهَا ، فَلَمَّا أَرَادَهَا عَلَى نَفْسِهَا ، ارْتَعَدَتْ وَبَكَتْ ، فَقَالَ : مَا يُبْكِيكِ ؟ قَالَتْ : لأَنَّ هٰذَا عَمَلٌ مَا عَمِلْتُهُ ، وَمَا حَمَلَنِي عَلَيْهِ إِلاَّ الْحَاجَةُ ، فَقَالَ : تَفْعَلِينَ أَنْتِ هٰذَا مِنْ

مَخَافَةِ اللهِ ؟ فَأَنَا أَحْرَى ، اذْهَبِي فَلَكِ مَا أَعْطَيْتُكِ ، وَوَاللهِ لاَ أَعْصِيهِ بَعْدَهَا أَبَداً ، فَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ ، فَأَصْبَحَ مَكْتُوباً عَلَى بَابِهِ : إِنَّ اللهَ قَدْ غَفَرَ لِلْكِفْلِ ، فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ (ت حب ك) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٢٤٣٩ — كَانَ رَجُلٌ يُدَايِنُ النَّاسَ ، فَكَانَ يَقُولُ لِفَتَاهُ : إِذَا أَتَيْتَ مُعْسِراً ، فَتَجَاوَزْ عَنْهُ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا ، فَلَقِيَ اللهَ فَتَجَاوَزَ عَنْهُ (حم ق ن) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢٤٤٠ — كَانَ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ بِهِ جَرْحٌ فَجَزِعَ ، فَأَخَذَ سِكِّيناً فَحَزَّ بِهَا يَدَهُ ، فَمَا رَقَأَ الدَّمُ حَتَّى مَاتَ ، فَقَالَ اللهُ : بَادَرَنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ ، حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ (ق) عن جُندب بن عبد الله رضى الله عنه .

٢٤٤١ — كَانَ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا ، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ ، فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ فَأَتَاهُ ، فَقَالَ : إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ ؟ فَقَالَ : لاَ ، فَقَتَلَهُ ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً ، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ ، فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ ، فَقَالَ : إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، مَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا ، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ ، فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ ، وَلاَ تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سُوءٍ ، فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ مَلَكُ الْمَوْتِ ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلاَئِكَةُ الْعَذَابِ ، فَقَالَتْ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ : جَاءَ تَائِباً مُقْبِلاً بِقَلْبِهِ إِلَى اللهِ تَعَالَى ، وَقَالَتْ مَلاَئِكَةُ الْعَذَابِ : إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْراً قَطُّ ،

فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِى صُورَةِ آدَمِىٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ ، فَقَالَ : قِيسُوا مَا بَيْنَ الأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ ، فَقَاسُوا فَكَانَ أَقْرَبُ إِلَى الأَرْضِ الصَّالِحَةِ بِشِبْرٍ ، فَجُعِلَ مِنْ أَهْلِهَا (ق) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

٢٤٤٢ — كَانَتْ شَجَرَةٌ تُؤْذِى النَّاسِ ، فَأَتَاهَا رَجُلٌ فَعَزَلَهَا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ ، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَتَقَلَّبُ فِى ظِلِّهَا فِى الْجَنَّةِ (حم ع) عن أنس بن مالك رضى الله عنه .

٢٤٤٣ — كَبِّرْ كَبِّرْ (حم ق د) عن سهل بن أبى حثمة (حم) عن رافع ابن خديج رضى الله عنهما .

٢٤٤٤ — كِتَابُ اللهِ الْقِصَاصُ (حم ق د ن ه) عن أنس رضى الله عنه .

٢٤٤٥ — كَتَبَ اللهُ تَعَالَى مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ، وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ (م) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

٢٤٤٦ — كَتَبَ رَبُّكُمْ بِيَدِهِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ: رَحْمَتِى سَبَقَتْ غَضَبِى (ه) عن أبى هريرة رضى الله عنهُ .

٢٤٤٧ — كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزِّنَا فَهُوَ مُدْرِكٌ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ ، الْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ ، وَالأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الاسْتِمَاعُ ، وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلَامُ ، وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ ، وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الْخُطَى ، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى ، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ أَوْ يُكَذِّبُهُ (ق د ن) عن أبى هُرَيْرَةَ رضى الله عنه .

٢٤١٨ — كِخْ ، كِخْ ، أَرْمِ بِهَا[1]، أَمَا شَعَرْتَ أَنَّا لاَ نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢٤٤٩ — كَسْرُ عَظْمِ الْمَيِّتِ كَكَسْرِ عَظْمِ الْحَىِّ (حم ده حب هق) عن عائشة (قط) بزيادة : فى الإثم (ه) عن أم سلمة رضى الله عنهما .

٢٤٥٠ — كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ (م د ك) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢٤٥١ — كَفَى بِالْمَرْءِ مِنَ الْكَذِبِ أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ ، وَكَفَى بِالْمَرْءِ مِنَ الشُّحِّ أَنْ يَقُولَ: آخُذُ حَقِّى، لاَ أَتْرُكُ مِنْهُ شَيْئًا (ك) عن أبى أمامة رضى الله عنه .

٢٤٥٢ — كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً (ن) عن رجل .

٢٤٥٣ — كَفَّارَةُ النَّذْرِ إِذَا لَمْ يُسَمَّ كَفَّارَةُ يَمِينٍ (حم م ٣) عن عقبة ابن عامر رضى الله عنه .

٢٤٥٤ — كَفَّارَاتُ الْخَطَايَا بِإِسْبَاغِ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَإِعْمَالُ الأَقْدَامِ إِلَى الْمَسَاجِدِ ، وَانْتِظَارُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ (ه) عن أبى هريرة رضى الله عنه.

٢٤٥٥ — كُفَّ عَنَّا جُشَاءَكَ، فَإِنَّ أَكْثَرَهُمْ شِبَعًا فِى الدُّنْيَا أَطْوَلُهُمْ جُوعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ (ت ه) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

---

(١) قاله عليه الصلاة والسلام للحسين ـ وهو طفل ـ حين أخذ تمرة من تمر الزكاة ، ورمى بها من فمه .

٢٤٥٦ — كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ إِلاَّ عَجْبَ الذَّنَبِ ، مِنْهُ خُلِقَ وَمِنْهُ يُرَكَّبُ (م د ن) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢٤٥٧ — كُلُّ الذُّنُوبِ يُؤَخِّرُ اللهُ تَعَالَى مِنْهَا مَا شَاءَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ إِلاَّ عُقُوقَ الوَالِدَيْنِ ، فَإِنَّ اللهَ يُعَجِّلُهُ لِصَاحِبِهِ فى الحَيَاةِ قَبْلَ المَمَاتِ (طب ك) عن أبى بكرة رضى الله عنه .

٢٤٥٨ — كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامٌ ، مَالُهُ وَعِرْضُهُ وَدَمُهُ ، حَسْبُ امْرِىءٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يُحَقِّرَ أَخَاهُ المُسْلِمَ (م د ت ه) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢٤٥٩ — كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلاَّ المُجَاهِرِينَ ، وَإِنَّ مِنَ المُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلاً ثُمَّ يُصْبِحُ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ تَعَالَى ، فَيَقُولُ : عَمِلْتُ البَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا ، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ (ق) عن أبى هريرة (طس) عن أبى قتادة رضى الله عنهما .

٢٤٦٠ — كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ أَبَى ، مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى (خ) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢٤٦١ — كُلُّ امْرِىءٍ مُهَيَّأٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ (حم طب ك) عن أبى الدرداء رضى الله عنه .

٢٤٦٢ — كُلُّ امرِىءٍ فى ظِلِّ صَدَقَتِهِ ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ (حم ع وابن خزيمة حب ك) عن عقبة بن عامر رضى الله عنه .

٢٤٦٣ — كُلُّ أَمْرٍ ذِى بَالٍ لاَ يُبْدَأُ فِيهِ بِحَمْدِ اللهِ فَهُوَ أَقْطَعُ (ن حب) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢٤٦٤ — كُلُّ أَهْلِ الجَنَّةِ يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، فَيَقُولُ : لَوْلاَ أَنَّ اللهَ هَدَانِى ، فَيَكُونُ لهُ شُكْراً ، وَكُلُّ أَهْلِ النَّارِ يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ ، فَيَقُولُ : لَوْ أَنَّ اللهَ هَدَانِى، فَيَكُونُ عَلَيْهِ حَسْرَةً (حم ك) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢٤٦٥ — كُلُّ بَنِى آدَمَ يَطْعَنُ الشَّيْطَانُ فى جَنْبَيْهِ بِأُصْبُعَيْهِ حِينَ يُولَدُ غَيْرَ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ، ذَهَبَ يَطْعَنُ فَطَعَنَ فى الحِجَابِ (خ) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢٤٦٦ — كُلُّ بَنِى آدَمَ خَطَّاءٌ ، وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ (حم ت ه ك) عن أنس رضى الله عنه .

٢٤٦٧ — كُلُّ بَنِى آدَمَ يَنْتَمُونَ إِلَى عَصَبَةٍ ، إِلَّا وُلْدَ فَاطِمَةَ فَأَنَا وَلِيُّهُمْ وَأَنَا عَصَبَتُهُمْ (طب) عن فاطمة عليها السلام .

٢٤٦٨ — كُلُّ بَنِى أُنْثَى فَإِنَا عَصَبَتُهُمْ لِأَبِيهِمْ ، مَا خَلاَ وُلْدَ فَاطِمَةَ فَإِنِّى أَنَا عَصَبَتُهُمْ وَأَنَا أَبُوهُمْ (طب) عن عمر رضى الله عنه .

٢٤٦٩ — كُلُّ بَيِّعَيْنِ لاَ بَيْعَ بَيْنَهُمَا حَتَّى يَتَفَرَّقَا ، إِلَّا بَيْعَ الخِيَارِ (حم ق ن) عن ابن عمر رضى الله عنه .

٢٤٧٠ — كُلُّ حَسَبٍ وَنَسَبٍ وَسَبَبٍ وَصِهْرٍ مُنْقَطِعٌ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلاحَسَبِى وَنَسَبِى وَسَبَبِى وَصِهْرِى (قط) عن عمر رضى الله عنه .

٢٤٧١ — كُلُّ خُطْبَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَشَهُّدٌ فَهِيَ كَالْيَدِ الْجَذْمَاءِ (د) عن أبي هُريرةٍ رضى الله عنه .

٢٤٧٢ — كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللهُ أَنْ يَغْفِرَهُ إِلاَّ مَنْ مَاتَ مُشْرِكاً أَوْ قَتَلَ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً (د حب ك) عن أبي الدرداء رضى الله عنهما (حم ن ك) عن معاوية .

٢٤٧٣ — كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ فَأَكْلُهُ حَرَامٌ (م ن) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

٢٤٧٤ — كُلُّ سَبَبٍ وَنَسَبٍ مُنْقَطِعٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلاَّ سَبَبِي وَنَسَبِي (طب ك هق) عن عمر (طب) عن ابن عباس وعن المِسْوَر بن مخرمة رضى الله عنهم .

٢٤٧٥ — كُلُّ سُلاَمَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ ، كُلُّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ تَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ ، وَكُلُّ خَطْوَةٍ تَخْطُوهَا إِلَى الصَّلاَةِ صَدَقَةٌ ، وَتَدُلُّ عَلَى الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ ، وَتُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ (حم ق) عن أبي هريرةٍ رضى الله عنه .

٢٤٧٦ — كُلُّ شَرَابٍ أَسْكَرَ فَهُوَ حَرَامٌ (حم ق ع) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٤٧٧ — كُلُّ شَرْطٍ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللهِ فَهُوَ بَاطِلٌ وَإِنْ كَانَ مِائَةَ شَرْطٍ (البزار طب) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٢٤٧٨ — كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى العَجْزُ وَالكَيْسُ (حم م) عن ابن عُمر رضى الله عنهما .

٢٤٧٩ — كُلُّ شَيْءٍ لَيْسَ مِنْ ذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَهُوَ لَهْوٌ وَلَعِبٌ إلاَّ أَرْبَعَ خِصَالٍ : مَشْيَ الرَّجُلِ بَيْنَ الغَرَضَيْنِ ، وَتَأْدِيبُهُ فَرَسَهُ ، وَمُلاَعَبَتُهُ أَهْلَهُ ، وَتَعْلِيمُ الرَّجُلِ السِّبَاحَةَ (ن طب) عن جابر بن عبد الله وجابر بن عمير رضى الله عنهم .

٢٤٨٠ — كُلُّ شَيْءٍ خُلِقَ مِنَ المَاءِ (حم ه ك) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢٤٨١ — كُلُّ صَلاَةٍ لا يُقْرَأُ فِيهَا بِأُمِّ الكِتَابِ فَهِيَ خِدَاجٌ (حم ه) عن عائشة وعن ابن عمر (هق) عن على بن أبى طالب (خط) عن أبى أمامة رضى الله عنهم .

٢٤٨٢ — كُلُّ عَرَفَةَ مَوْقِفٌ ، وَكُلُّ مِنًى مَنْحَرٌ ، وَكُلُّ المُزْدَلِفَةِ مَوْقِفٌ ، وَكُلُّ فِجَاجِ مَكَّةَ طَرِيقٌ وَمَنْحَرٌ (د ه ك) عن جابر (ه) بلفظ : كُلُّ عَرَفَةَ مَوْقِفٌ ، وَارْفَعُوا عَنْ بَطْنِ مُحَسِّرٍ ، وَكُلُّ مِنًى مَنْحَرٌ إلاَّ مَا وَرَاءَ العَقَبَةِ .

٢٤٨٣ — كُلُّ عَرَفَاتٍ مَوْقِفٌ ، وَارْفَعُوا عَنْ عُرَنَةَ ، وَكُلُّ مُزْدَلِفَةَ مَوْقِفٌ ، وَارْفَعُوا عَنْ بَطْنِ مُحَسِّرٍ ، وَكُلُّ فِجَاجِ مِنًى مَنْحَرٌ ، وَكُلُّ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ ذَبْحٌ (حم) عن جبير بن مطعم رضى الله عنه .

٢٤٨٤ — كُلُّ عَيْنٍ زَانِيَةٌ ، وَالمَرْأَةُ إِذَا اسْتَعْطَرَتْ ، فَمَرَّتْ

بِالمَجْلِسِ فَهِيَ زَانِيَةٌ (حم ت) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

٢٤٨٥ — كُلُّ قَرْضٍ صَدَقَةٌ (طب) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

٢٤٨٦ — كُلُّ كَلَامِ ابْنِ آدَمَ عَلَيْهِ لَا لَهُ ، إِلَّا أَمْرًا بِمَعْرُوفٍ ، أَوْ نَهْيًا عَنْ مُنْكَرٍ ، أَوْ ذِكْرَ اللهِ (ت ه وابن أبي الدنيا) عن أم حبيبة رضي الله عنها .

٢٤٨٧ — كُلُّ كَلَامٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِالْحَمْدُ للهِ فَهُوَ أَجْذَمُ (د ه) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

٢٤٨٨ — كُلُّ كَلْمٍ يُكْلَمُهُ الرَّجُلُ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى تَكُونُ يَوْمَ القِيَامَةِ كَهَيْئَتِهَا إِذَا طُعِنَتْ تَنْجَرُ دَمًا ، اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ وَالعَرْفُ عَرْفُ مِسْكٍ (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

٢٤٨٩ — كُلُّ مُخَمَّرٍ خَمْرٌ وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ (د) عن ابن عباس رضي الله عنهما .

٢٤٩٠ — كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ (حم ق د ن ه) عن أبي موسى (حم ن) عن أنس (حم د ن ه) عن ابن عمر (حم ن ه) عن أبي هريرة (ه) عن ابن مسعود (د) عن ابن عمرو رضي الله عنهم .

٢٤٩١ — كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ ، وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ ، وَمَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا فَمَاتَ وَهُوَ يُدْمِنُهَا لَمْ يَتُبْ لَمْ يَشْرَبْهَا فِي الآخِرَةِ (حم ق ٤) عن ابن عمر رضي الله عنهما .

٢٤٩٢ — كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ (٥) عن معاوية .

٢٤٩٣ — كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ ، إِنَّ عَلَى اللهِ عَهْداً لِمَنْ يَشْرَبُ الْمُسْكِرَ أَنْ يُسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ : عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ ، أَوْ عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ (حم م ن) عن جابر رضى الله عنه .

٢٤٩٤ — كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ ، وَمَا أَسْكَرَ الفَرَقُ مِنْهُ فَمِلْءُ الكَفِّ مِنْهُ حَرَامٌ (د ن) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٤٩٥ — كُلُّ مُصَوِّرٍ فِى النَّارِ ، يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ فَتُعَذِّبُهُ فِى جَهَنَّمَ (حم ق) عن ابن عباس رضى الله عنه .

٢٤٩٦ — كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ (حم خ) عن جابر (حم م د) عن حذيفة رضى الله عنهما .

٢٤٩٧ — كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ ، وَإِنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ ، وَأَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ فِى إِنَاءِ أَخِيكَ (حم ت) عن جابر رضى الله عنه .

٢٤٩٨ — كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ ، حَتَّى يَكُونَ أَبَوَاهُ هُمَا اللَّذَانِ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢٤٩٩ — كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ ، حَتَّى يُعْرِبَ عَنْهُ لِسَانُهُ ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ (ع طب هق) عن الأسود ابن سريع .

٢٥٠٠ — كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ ، إِلاَّ الَّذِى مَاتَ مُرَابِطًا فى سَبِيلِ اللهِ فَإِنَّهُ يَنْمُو عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ ، وَيُؤْمَنُ مِنْ فَتَّانِ القَبْرِ (د ت ك) عن فضالة بن عبيد (حم) عن عقبة بن عامر رضى الله عنهما

٢٥٠١ — كُلُّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ (حم ق د) عن عمران بن حصين (ت) عن عمر (حم) عن أبى بكر رضى الله عنهم .

٢٥٠٢ — كُلُّ نَسَبٍ وَصِهْرٍ مُنْقَطِعٌ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلاَّ نَسَبِى وَصِهْرِى (طس) عن عبد الله بن الزبير (البغوى وابن عساكر) عن ابن عمر رضى الله عنهم

٢٥٠٣ — كُلُّ نَسَبٍ وَسَبَبٍ مُنْقَطِعٌ يَوْمَ القِيَامَةِ مَاخَلاَ نَسَبِى وَسَبَبِى ، وَكُلُّ وَلَدِ أَبٍ فَإِنَّ عَصَبَتَهُمْ لِأَبِيهِمْ مَا خَلاَ وَلَدَ فَاطِمَةَ فَأَنَا أَبُوهُمْ وَعَصَبَتُهُمْ (قط وأبو نعيم فى الصحابة وابن السمان) عن عمر رضى الله عنه .

٢٥٠٤ — كُلُّ يَمِينٍ يُحْلَفُ بِهَا دُونَ اللهِ شِرْكٌ (ك) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٢٥٠٥ — كُلُّكُمْ بَنُو آدَمَ ، وَآدَمَ خُلِقَ مِنَ تُرَابٍ ، لَيَنْتَهِيَنَّ قَوْمٌ يَفْتَخِرُونَ بِآبَائِهِمْ أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللهِ مِنَ الجُعْلاَنِ (البزار) عن حذيفة رضى الله عنه .

٢٥٠٦ — كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِى أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُول عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِى بَيْتِ زَوْجِهَا وَهِىَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِى

مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِى مَالِ أَبِيهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ (حم ق د ت) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٢٥٠٧ — كَلِمَاتٌ لاَ يَتَكَلَّمُ بِهِنَّ أَحَدٌ فِى مَجْلِسِهِ عِنْدَ فَرَاغِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، إِلاَّ كُفِّرَ بِهِنَّ عَنْهُ ، وَلاَ يَقُولُهُنَّ فِى مَجْلِسِ خَيْرٍ ، وَمَجْلِسِ ذِكْرٍ إِلاَّ خَتَمَ اللهُ بِهِنَّ عَلَيْهِ، كَمَا يُخْتَمُ بِالْخَاتَمِ عَلَى الصَّحِيفَةِ : سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ (د حب) عن أبى هريرة وابن عمرو رضى الله عنهما .

٢٥٠٨ — كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ،ثَقِيلَتَانِ فِى الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمٰنِ : سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ (حم ق ت ن ه) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢٥٠٩ — كُلْ بِسْمِ اللهِ ، ثِقَةً بِاللهِ ، وَتَوَكُّلاً عَلَى اللهِ (٤ حب ك) عن جابر رضى الله عنه .

٢٥١٠ — كُلْ فَلَعَمْرِى لَمَنْ أَكَلَ بِرُقْيَةِ بَاطِلٍ، لَقَدْ أَكَلْتَ بِرُقْيَةِ حَقٍّ (حم د ك) عن عمٍّ خارجة .

٢٥١١ — كُلْ مَا رَدَّتْ عَلَيْكَ قَوْسُكَ (حم) عن عقبة وحذيفة (حم د) عن ابن عمرو (ه) عن أبى ثعلبة الخشنى رضى الله عنهم .

٢٥١٢ — كُلُوهُ - يَعْنِى الثُّومَ - مَنْ أَكَلَهُ مِنْكُمْ فَلاَ يَقْرَبْ هٰذَا الْمَسْجِدَ، حَتَّى يَذْهَبَ رِيحُهُ مِنْهُ (ابن خزيمة) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

٢٥١٣ — كُلُوا الزَّيْتَ، وَادَّهِنُوا بِهِ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ (حم ت ه) عن عمر (حم ت ك) عن أبي أسيد (ه ك) عن أبي هريرة بلفظ: فَإِنَّهُ طَيِّبٌ مُبَارَكٌ.

٢٥١٤ — كُلُوا لُحُومَ الأَضَاحِي وَادَّخِرُوا (حم ك) عن أبي سعيد وقتادة ابن النعمان رضي الله عنهما.

٢٥١٥ — كُلُوا مِنْ جَوَانِبِهَا - يَعْنِي الْقَصْعَةَ - وَدَعُوا ذِرْوَتَهَا يُبَارَكْ لَكُمْ فِيهَا (ه) عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه.

٢٥١٦ — كُلُوا وَاشْرَبُوا وَتَصَدَّقُوا وَالْبَسُوا فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلاَ مَخِيلَةٍ (حم ن ه ك) عن ابن عمرو رضي الله عنه.

٣٥١٧ — كَمْ مِنْ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ لاَ يُؤْبَهُ لَهُ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ، مِنْهُمُ الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ (ت والضياء) عن أنس رضي الله عنه.

٢٥١٨ — كَمْ مِنْ عِذْقٍ مُعَلَّقٍ لِأَبِي الدَّحْدَاحِ فِي الْجَنَّةِ (حم م د ت) عن جابر بن سمرة رضي الله عنه.

٢٥١٩ — كَمْ مِنْ جَارٍ مُتَعَلِّقٍ بِجَارِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ: يَا رَبِّ هَذَا أَغْلَقَ بَابَهُ دُونِي، فَتَمْنَعَ مَعْرُوفَهُ (خد) عن ابن عمر رضي الله عنه.

٢٥٢٠ — كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ[1] إِلاَّ آسِيَةُ

---

(١) كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية أمرأة فرعون. لأنها آمنت رغم ما كانت تعيش فيه من حياة الترف والملك. وقاومت عسف زوجها وتعذيبه لها حين علم بإيمانها. ومريم بنت عمران، لأنها صديقة، بنص القرآن. وفضل عائشة =

امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ (حم ق ت ه) عن أبى موسى رضى الله عنه .

٢٥٢١ — كُنْ فِى الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ (خ) عن ابن عمر رضى الله عنهما (حم ت ه) بزيادة : وَعُدَّ نَفْسَكَ فِى أَهْلِ الْقُبُورِ .

٢٥٢٢ — كُنْتُ نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ (حم تخ طب ك) عن ميسرة الفجر (البزار طب وأبو نعيم فى الدلائل) عن ابن عباس (ابن سعد وابن قانع) عن ابن أبى الجدعاء (ابن سعد) عن مُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير رضى الله عنهم ، مرسلا .

٢٥٢٣ — كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنِ الأَشْرِبَةِ إِلَّا فى ظُرُوفِ الأَدَمِ فَاشْرَبُوا فى كُلِّ وِعَاءٍ ، غَيْرَ أَنْ لاَ تَشْرَبُوا مُسْكِراً (م) عن بريدة .

٢٥٢٤ — كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ لُحُومِ الأَضَاحِى فَوْقَ ثَلاَثٍ ، لِيَتَّسِعَ ذُوُو الطَّوْلِ عَلَى مَنْ لاَ طَوْلَ لَهُ ، فَكُلُوا مَا بَدَا لَكُمْ وَأَطْعِمُوا وَادَّخِرُوا (ت) عن بريدة رضى الله عنه .

٢٥٢٥ — كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ ، فَزُورُوا الْقُبُورَ ، فَإِنَّهَا تُزَهِّدُ فى الدُّنْيَا وَتُذَكِّرُ الآخِرَةَ (ه) عن أبى مسعود رضى الله عنه .

= على النساء . بعد هاتين . كفضل الثريد على سائر ـ بقية ـ الطعام . والمفاضلة بين هؤلاء وبين فاطمة وخديجة ، محل خلاف ونظر . والذى يترجح بعد الموازنة بين الأدلة أن أفضل النساء فاطمة ومريم ، تليهما خديجة ، ثم عائشة ، ثم آسية . وفى التفضيل بين فاطمة ومريم عليهما السلام وقفة . وإن كانت فاطمة من حيث كونها بضعة نبوية ، أفضل بلا شك . ومن هذه الجهة فضلها الإمام مالك على أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

٢٥٢٦ — كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ ، أَلاَ فَزُورُوهَا فَإِنَّهَا تُرِقُّ الْقَلْبَ ، وَتُدْمِعُ الْعَيْنَ ، وَتُذَكِّرُ الآخِرَةَ ، وَلاَ تَقُولُوا هُجْراً (ك) عن أنس رضى الله عنه .

٢٥٢٧ — كَلاَمُ ابْنِ آدَمَ كُلُّهُ عَلَيْهِ لاَ لَهُ ، إِلاَّ أَمْراً بِمَعْرُوفٍ ، أَوْ نَهْياً عَنْ مُنْكَرٍ ، أَوْ ذِكْرَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ (ت ه ك هب) عن أم حبيبةَ رضى الله عنها .

٢٥٢٨ — كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ ، وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ ؟ (ق) عن أبى هريرةٍ رضى الله عنه .

٢٥٢٩ — كَيْفَ أَنْعَمُ وَقَدِ الْتَقَمَ صَاحِبُ الْقَرْنِ الْقَرْنَ ، وَحَنَى جَبْهَتَهُ ، وَأَصْغَى سَمْعَهُ ، يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤْمَرَ فَيَنْفُخُ ؟ قِيلَ : فَكَيْفَ نَفْعَلُ ؟ قَالَ : قُولُوا : حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا (ت حب) عن أبى سعيد (حم طب) عن زيد بن أرقم وعن ابن عباس رضى الله عنهم .

٢٥٣٠ — كَيْفَ يُقَدِّسُ اللهُ أُمَّةً لاَ يُؤْخَذُ مِنْ شَدِيدِهِمْ لِضَعِيفِهِمْ ؟ (ه حب) عن جابر رضى الله عنه .

٢٥٣١ — كَيْفَ يُقَدِّسُ اللهُ أُمَّةً لاَ يَأْخُذُ ضَعِيفُهَا حَقَّهُ مِنْ قَوِيِّهَا ، وَهُوَ غَيْرُ مُتَعْتَعٍ (ع هق) عن بُريدة رضى الله عنه .

٢٥٣٢ — الْكَبَائِرُ : الإِشْرَاكُ بِاللهِ ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ ، وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ (حم خ ت ن) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

٢٥٣٣ — كَيْفَ ؟ وَقَدْ قِيلَ[1] ! (خ) عن عُقبةَ بن الحَرِث رضى الله عنه .

٢٥٣٤ — الْكَبَائِرُ سَبْعٌ : أُولَيَهُنَّ الإِشْرَاكُ بِاللهِ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ بِغَيْرِ حَقِّهَا ، وَأَكْلُ الرِّبَا ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَالْفِرَارُ يَوْمَ الزَّحْفِ ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ ، وَالانْتِقَالُ[2] إِلَى الأَعْرَابِ بَعْدَ هِجْرَتِهِ (البزار) عن أبى هُريرة (طس) عن أبى سعيد رضى الله عنهما نحوه .

٢٥٣٥ — الْكَبَائِرُ : الشِّرْكُ بِاللهِ ، وَالإِيَاسُ[3] مِنْ رَوْحِ اللهِ ، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ (البزار) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٢٥٣٦ — الْكَبَائِرُ : الإِشْرَاكُ بِاللهِ ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَةِ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الْمُؤْمِنَةِ ، وَالْفِرَارُ يَوْمَ الزَّحْفِ ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ الْمُسْلِمَيْنِ ، وَإِلْحَادٌ بِالْبَيْتِ قِبْلَتِكُمْ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا (هق) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٢٥٣٧ — الْكِبْرُ : بَطَرُ[4] الْحَقِّ ، وَغَمْطُ النَّاسِ (م ت) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

---

(١) أراد رجل أن يتزوج أمرأة ، فأخبرته أمرأة بأن بينهما رضاعا ، فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك ، فقال له « كيف » تتزوجها ! « وقد قيل » بوجود رضاع بينكما . ويؤخذ منه التنزه عن الزواج فى حال عدم ثبوت الرضاع بالطريق الشرعى ، تمسكا بالاحتياط

(٢) والانتقال إلى الأعراب بعد هجرته . أنظر شرح الحديث رقم (٣) .

(٣) والإياس من روح الله . هو ظن المسلم أن لايناله شىء من الرحمة ،لعصيانه. والقنوط من رحمة الله . وهو الجزم والتصميم على عدم وقوع الرحمة له

(٤) الكبر بطر الحق . أى دفعه ، لمجيئه على يد شخص غير محبوب للمتكبر ، وهذا حال المشركين دفعوا القرآن ، لأن النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أتى به. =

٢٥٣٨ — الْـكِبْرُ : مَنْ بَطِرَ الْحَقَّ ، وَغَمَطَ النَّاسَ (د ك) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢٥٣٩ — الْـكِبَرَ الْـكِبَرَ[1] (ق د) عن سهل بن أبى حثمة رضى الله عنه .

٢٥٤٠ — الْـكَرِيمُ ابْنُ الْـكَرِيمِ ابْنِ الْـكَرِيمِ ابْنِ الْـكَرِيمِ : يُوسُفُ ابْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ (حم خ) عن ابن عمر (حم) عن عن أبى هريرة رضى الله عنهم .

٢٥٤١ — الْـكَمْأَةُ مِنَ الْمَنِّ ، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ (حم ق ت) عن سعيد بن زيد (حم ق ه) عن أبى سعيد وجابر (أبو نعيم فى الطب) عن ابن عباس وعن عائشة رضى الله عنهم .

٢٥٤٢ — الْـكَوْثَرُ : نَهْرٌ فِى الْجَنَّةِ ، حَافَتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ ، وَمَجْرَاهُ عَلَى الدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ ، تُرْبَتُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ ، وَمَاؤُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ ، وَأَبْيَضُ مِنَ الثَّلْجِ (حم ت ه) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

= وقالوا (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) ، ومن قبلهم تكبر فرعون عن الحق الذى أتى به موسى عليه السلام ، فكل متكبر أمامه فرعون . والمشركون بمكة وكفى بهم أئمة ؟ ! !

(١) ذهب عبد الله بن سهل ومحيصة بن مسعود بن زيد إلى خيبر ، وهو يومئذ صلح ، أى فى وقت صلح ، فتفرقا ، فأتى محيصة إلى عبد الله بن سهل وهو يتشحط فى دمه قتيلا فدفنه . ثم قدم المدينة ، فانطلق عبد الرحمن بن سهل أخو المقتول ، وحويصة ومحيصة ابنا مسعود وهما ابنا عمهما ، إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فذهب عبد الرحمن يتكلم ، وهو أحدث القوم . فقال « الكبر الكبر » أى راع الكبر . فسكت ، فتكلما . وفى رواية « كبر كبر » وهو تصرف من الرواة .

٢٥٤٣ — الْكَوْثَرُ : نَهْرٌ أَعْطَانِيهِ اللهُ فِي الْجَنَّةِ ، تُرَابُهُ مِسْكٌ ، أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ ، تَرِدُهُ طَيْرٌ أَعْنَاقُهَا مِثْلُ أَعْنَاقِ الْجُزُرِ ، آكِلُهَا أَنْعَمُ مِنْهَا (ك) عن أنس رضى الله عنه .

باب كان ، وهى الشمائل الشريفة

٢٥٤٤ — كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبْيَضَ مَلِيحاً مُقَصَّداً (م ت فى الشمائل) عن أبى الطُّفَيل رضى الله عنه .

٢٥٤٥ — كَانَ أَبْيَضَ كَأَنَّمَا صِيغَ مِنْ فِضَّةٍ رَجِلَ الشَّعَرِ (ت فيها) عن أبى هُرَيرةٍ رضى الله عنه .

٢٥٤٦ — كَانَ أَبْيَضَ مُشْرَباً لَوْنُهُ بِحُمْرَةٍ ، وَكَانَ أَسْوَدَ الْحَدَقَةِ ، أَهْدَبَ الأَشْفَارِ (البيهقى فى الدلائل) عن علىّ عليه السلام .

٢٥٤٧ — كَانَ أَبْيَضَ مُشْرَباً بِحُمْرَةٍ ، ضَخْمَ الهَامَةِ ، أَغَرَّ ، أَبْلَجَ ، أَهْدَبَ الأَشْفَارِ (البيهقى فى الدلائل) عن علىّ عليه السلام .

٢٥٤٨ — كَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهاً ، وَأَحْسَنَهُمْ خَلْقاً ، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ ، وَلاَ بِالْقَصِيرِ (ق) عن البراء رضى الله عنه .

٢٥٤٩ — كَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ خَلْقاً (م د) عن أنس رضى الله عنه .

٢٥٥٠ — كَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ ، وَأَجْوَدَ النَّاسِ ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ (ق ت ه) عن أنس رضى الله عنه .

٢٥٥١ — كَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ صِفَةً وَأَجْمَلَهَا ، كَانَ رَبْعَةً إِلَى الطُّولِ مَا هُوَ ، بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ ، أَسِيلَ الْخَدَّيْنِ ، شَدِيدَ سَوَادِ الشَّعَرِ ،

أَكْحَلَ الْعَيْنَيْنِ ، أَهْدَبَ الأَشْفَارِ ، إِذَا وَطِىءَ بِقَدَمِهِ ، وَطِىءَ بِكُلِّهَا ، لَيْسَ لَهُ أَخْمَصٌ ، إِذَا وَضَعَ رِدَاءَهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ ، فَكَأَنَّهُ سَبِيكَةُ فِضَّةٍ ، وَإِذَا ضَحِكَ يَتَلَأْلَأُ (البيهقى) عن أبى هريرة رضى الله عنه (الذُّهلى فى الزُّهْريات ويعقوب بن سفيان فى تاريخه والبزار) بزيادة : يَتَلَأْلَأُ فِي الْجُدُرِ لَمْ أَرَ قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ .

٢٥٥٢ — كَانَ أَزْهَرَ اللَّوْنِ ، كَأَنَّ عَرَقَهُ اللُّؤْلُؤُ ، إِذَا مَشَى تَكَفَّأَ (م) عن أنس رضى الله عنه .

٢٥٥٣ — كَانَ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا (حم ق ه) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

٢٥٥٤ — كَانَ أَفْلَجَ الثَّنِيَّتَيْنِ ، إِذَا تَكَلَّمَ رُئِيَ كَالنُّورِ ، يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ثَنَايَاهُ (ت فى الشمائل طب والبيهقى فى الدلائل) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٢٥٥٥ — كَانَ بِأَخَرَةٍ إِذَا اجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ ، فَأَرَادَ أَنْ يَنْهَضَ قَالَ : سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ ، عَمِلْتُ سُوءاً وَظَلَمْتُ نَفْسِى فَاغْفِرْ لِى ، إِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ (ن طب ك) عن رافع بن خديج رضى الله عنه .

٢٥٥٦ — كَانَ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ فِي ظَهْرِهِ بَضْعَةً نَاشِزَةً (ت فى الشمائل) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

٢٥٥٧ — كَانَ خَاتَمُهُ غُدَّةً حَمْرَاءَ ، مِثْلَ بَيْضَةِ الْحَمَامَةِ (ت) عن جابر بن سمرة رضى الله عنه .

٢٥٥٨ — كَانَ رَبْعَةً مِنَ الْقَوْمِ ، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ ، وَلاَ بِالْقَصِيرِ ، أَزْهَرَ اللَّوْنِ لَيْسَ بِالأَبْيَضِ الأَمْهَقِ وَلاَ بِالآدَمِ ، وَلَيْسَ بِالْجَعْدِ الْقَطَطِ ، وَلاَ بِالسَّبِطِ (ق ت) عن أنس رضى الله عنه .

٢٥٥٩ — كَانَ شَعْرُهُ دُونَ الْجُمَّةِ ، وَفَوْقَ الْوَفْرَةِ (ت فى الشمائل ٥) عن عائشةَ رضى الله عنها .

٢٥٦٠ — كَانَ شَيْبُهُ نَحْوَ عِشْرِينَ شَعَرَةً (ت فيها ٥) عن أنس رضى الله عنه .

٢٥٦١ — كَانَ ضَخْمَ الرَّأْسِ ، وَالْيَدَيْنِ ، وَالْقَدَمَيْنِ (خ) عن أنس رضى الله عنه .

٢٥٦٢ — كَانَ ضَلِيعَ الْفَمِ ، أَشْكَلَ الْعَيْنَيْنِ ، مَنْهُوسَ الْعَقِبِ (م ت) عن جابر بن سَمُرة رضى الله عنه .

٢٥٦٣ — كَانَ ضَخْمَ الهَامَةِ ، عَظِيمَ اللِّحْيَةِ (البيهقى فى الدلائل) عن علىّ عليه السلام .

٢٥٦٤ — كَانَ فَخْماً مُفَخَّماً يَتَلَأْلَأُ وَجْهُهُ تَلَأْلُؤَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، أَطْوَلَ مِنَ الْمَرْبُوعِ ، وَأَقْصَرَ مِنَ الْمُشَذَّبِ ، عَظِيمَ الهَامَةِ ، رَجِلَ الشَّعَرِ ، إِنِ انْفَرَقَتْ عَقِيصَتُهُ فَرَقَ ، وَإِلاَّ فَلاَ ، يُجَاوِزُ شَعَرُهُ شَحْمَةَ أُذُنَيْهِ إِذَا هُوَ وَفَّرَهُ ، أَزْهَرَ اللَّوْنِ ، وَاسِعَ الْجَبِينِ ، أَزَجَّ الْحَوَاجِبِ ، سَوَابِغَ فِى غَيْرِ قَرَنٍ ، بَيْنَهُمَا عِرْقٌ يُدِرُّهُ الْغَضَبُ ، أَقْنَى الْعِرْنِينَ ، لَهُ نُورٌ يَعْلُوهُ ، يَحْسَبُهُ مَنْ لَمْ يَتَأَمَّلْهُ أَشَمَّ ، كَثَّ اللِّحْيَةِ ، سَهْلَ الْخَدَّيْنِ ، ضَلِيعَ الْفَمِ ، أَشْنَبَ ، مُفَلَّجَ الأَسْنَانِ ، دَقِيقَ الْمَسْرُبَةِ ، كَأَنَّ عُنُقَهُ جِيدُ دُمْيَةٍ ، فِى صَفَاءِ

الْفِضَّةِ ، مُعْتَدِلَ الْخَلْقِ ، بَادِنًا مُتَمَاسِكًا ، سَوَاءَ الْبَطْنِ وَالصَّدْرِ ، بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ ، عَرِيضَ الصَّدْرِ ، ضَخْمَ الْكَرَادِيسِ ، أَنْوَرَ الْمُتَجَرِّدِ ، مَوْصُولَ مَا بَيْنَ اللَّبَّةِ وَالسُّرَّةِ بِشَعَرٍ يَجْرِي كَالْخَطِّ ، عَارِيَ الثَّدْيَيْنِ وَالْبَطْنِ ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ ، أَشْعَرَ الذِّرَاعَيْنِ ، وَالْمَنْكِبَيْنِ ، وَأَعَالِي الصَّدْرِ ، طَوِيلَ الزَّنْدَيْنِ ، رَحْبَ الرَّاحَةِ ، شَثْنَ الْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ ، سَائِلَ الْأَطْرَافِ ، مَسِيحَ الْقَدَمَيْنِ ، يَنْبُو عَنْهُمَا الْمَاءُ ، إِذَا زَالَ ، زَالَ تَقَلُّعًا ، وَيَخْطُو تَكَفُّؤًا ، وَيَمْشِي هَوْنًا ، ذَرِيعَ الْمِشْيَةِ ، إِذَا مَشَى كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ ، وَإِذَا الْتَفَتَ ، الْتَفَتَ جَمِيعًا ، خَافِضَ الطَّرْفِ نَظَرُهُ إِلَى الْأَرْضِ أَطْوَلُ مِنْ نَظَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ ، جُلُّ نَظَرِهِ الْمُلَاحَظَةُ ، يَسُوقُ أَصْحَابَهُ ، وَيَبْدَأُ مَنْ لَقِيَهُ بِالسَّلَامِ (ت فى الشمائل طب هب) عن هند ابن أبى هالة رضى الله عنه .

٢٥٦٥ -- كَانَ فِي سَاقَيْهِ حُمُوشَةٌ (ت ك) عن جابر بن سَمُرة رضى الله عنه .

٢٥٦٦ — كَانَ فِي كَلَامِهِ تَرْتِيلٌ ، أَوْ تَرْسِيلٌ (د) عن جابر رضى الله عنه .

٢٥٦٧ — كَانَ كَثِيرَ الْعَرَقِ (م) عن أنس رضى الله عنه .

٢٥٦٨ — كَانَ كَثِيرَ شَعَرِ اللِّحْيَةِ (م) عن جابر بن سَمُرة رضى الله عنه .

٢٥٦٩ — كَانَ كَلَامُهُ كَلَامًا فَصْلًا ، يَفْهَمُهُ كُلُّ مَنْ سَمِعَهُ (د) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٥٧٠ — كَانَ وَجْهُهُ مِثْلَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ، وَكَانَ مُسْتَدِيرًا (م) عن جابر بن سَمُرة رضى الله عنه .

٢٥٧١ — كَانَ أَبْغَضُ الْخَلْقِ إِلَيْهِ الْكَذِبُ (هب) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٥٧٢ — كَانَ أَحَبَّ الثِّيَابِ إِلَيْهِ الْقَمِيصُ (د ت ن ك) عن أم سلمة رضى الله عنها .

٢٥٧٣ — كَانَ أَحَبَّ الثِّيَابِ إِلَيْهِ الْحِبَرَةُ (ق د ن) عن أنس بن مالك رضى الله عنه .

٢٥٧٤ — كَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ (خ ه) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٥٧٥ — كَانَ أَحَبُّ الشَّرَابِ إِلَيْهِ الْحُلْوُ الْبَارِدُ (حم ت ك) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٥٧٦ — كَانَ أَحَبُّ الطَّعَامِ إِلَيْهِ الثَّرِيدُ مِنَ الْخُبْزِ ، وَالثَّرِيدُ مِنَ الْحَيْسِ (د ك) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٢٥٧٧ — كَانَ أَحَبُّ الْعَرَاقِ إِلَيْهِ ذِرَاعُ الشَّاةِ (حم د وابن السنى وأبو نعيم) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

٢٥٧٨ — كَانَ أَحَبَّ الْعَمَلِ إِلَيْهِ مَا دُووِمَ عَلَيْهِ ، وَإِنْ قَلَّ (ث ن) عن عائشة وأم سلمة رضى الله عنهما .

٢٥٧٩ — كَانَ أَحَبَّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ لِحَاجَتِهِ ، هَدَفٌ أَوْ حَائِشُ نَخْلٍ (حم م د ه) عن عبد الله بن جعفر رضى الله عنه .

٢٥٨٠ — كَانَ أَخَفَّ النَّاسِ صَلَاةً فِي تَمَامٍ (م ت ن) عن أنس رضى الله عنه .

٢٥٨١ — كَانَ أَخَفَّ النَّاسِ صَلاَةً عَلَى النَّاسِ وَأَطْوَلَ النَّاسِ صَلاَةً لِنَفْسِهِ (حم ع) عن أبى واقد .

٢٥٨٢ — كَانَ إِذَا أَتَى مَرِيضاً أَوْ أُتِيَ بِهِ ، قَالَ : أَذْهِبِ الْبَأْسَ رَبَّ النَّاسِ ، اشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي ، لاَ شِفَاءَ إِلاَّ شِفَاؤُكَ ، شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَماً (ق ه) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٥٨٣ — كَانَ إِذَا أَتَى بَابَ قَوْمٍ لَمْ يَسْتَقْبِلِ الْبَابَ مِنْ تِلْقَاءِ وَجْهِهِ ، وَلٰكِنْ مِنْ رُكْنِهِ الأَيْمَنِ أَوِ الأَيْسَرِ ، وَيَقُولُ : السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ ، السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ (حم د) عن عبد الله بن بُسر رضى الله عنه .

٢٥٨٤ — كَانَ إِذَا أَتَاهُ الْفَيْءُ قَسَمَهُ فى يَوْمِهِ ، فَأَعْطَى الآهِلَ حَظَّيْنِ ، وَأَعْطَى الْعَزْبَ حَظًّا (د ك) عن عوف بن مالك رضى الله عنه .

٢٥٨٥ — كَانَ إِذَا أَتَاهُ قَوْمٌ بِصَدَقَتِهِمْ قَالَ : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ فُلاَنٍ (حم ق د ن ه) عن ابن أبى أوفى رضى الله عنه .

٢٥٨٦ — كَانَ إِذَا أَتَاهُ الأَمْرُ يَسُرُّهُ قَالَ : الْحَمْدُ للهِ الَّذِى بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ ؛ وَإِذَا أَتَاهُ الأَمْرُ يَكْرَهُهُ قَالَ : الحمدُ للهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ (ابن السنى ك) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٥٨٧ — كَانَ إِذَا أُتِيَ بِطَعَامٍ سَأَلَ عَنْهُ ، فَإِنْ قِيلَ : صَدَقَةٌ ، قَالَ لِأَصْحَابِهِ : كُلُوا ، وَلَمْ يَأْكُلْ مَعَهُمْ ، وَإِنْ قِيلَ : هَدِيَّةٌ ، ضَرَبَ بِيَدِهِ فَأَكَلَ مَعَهُمْ (ق ن) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢٥٨٨ — كَانَ إِذَا اجْتَهَدَ فِى الْيَمِينِ قَالَ : لا ، وَالَّذِى نَفْسُ

أَبِي القَاسِمِ بِيَدِهِ (حم) عن أبي سعيد رضى الله عنه .

٢٥٨٩ — كَانَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ مِنَ اللَّيْلِ ، وَضَعَ يَدَهُ تَحْتَ خَدِّهِ ، ثُمَّ يَقُولُ : بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَحْيَا وَ بِاسْمِكَ أَمُوتُ ، وَ إِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ : الحمدُ للهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَمَا أَمَاتَنَا وَ إِلَيْهِ النُّشُورُ (حم م ن) عن البراء (حم خ ٤) عن حذيفة (حم ق) عن أبي ذر رضى الله عنهم .

٢٥٩٠ — كَانَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ مِنْ اللَّيْلِ قَالَ : باسْمِ اللهِ وَضَعْتُ جَنْبِي ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي ، وَاخْسَأْ شَيْطَانِي ، وَفُكَّ رِهَانِي ، وَثَقِّلْ مِيزَانِي وَاجْعَلْنِي فِي النَّدِيِّ الأَعْلَى (د ك) عن أبي الأزهر رضى الله عنه .

٢٥٩١ — كَانَ إِذَا أَرَادَ الحَاجَةَ أَبْعَدَ (ه) عن بلال بن الحارث (حم ن ه) عن عبد الرحمن بن أبي قُرَاد .

٢٥٩٢ — كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنَامَ وَهُوَ جُنُبٌ غَسَلَ فَرْجَهُ وَتَوَضَّأَ للصَّلَاةِ (ق د ن ه) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٥٩٣ — كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُبَاشِرَ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِهِ وَهِيَ حَائِضٌ أَمَرَهَا أَنْ تَتَّزِرَ ، ثُمَّ يُبَاشِرُهَا (خ د) عن ميمونة رضى الله عنها .

٢٥٩٤ — كَانَ إِذَا أَرَادَ سَفَراً أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا مَعَهُ (ق د ه) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٥٩٥ — كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُحْرِمَ ، يَتَطَيَّبُ بِأَطْيَبِ مَا يَجِدُ (م) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٥٩٦ — كَانَ إِذَا أَرَادَ غَزْوَةً وَرَّى بِغَيْرِهَا (د) عن كعب بن مالك رضى الله عنه .

٢٥٩٧ — كَانَ إِذَا اسْتَجَدَّ ثَوْبًا سَمَّاهُ بِاسْمِهِ قَمِيصًا أَوْ رِدَاءً أَوْ عِمَامَةً ، ثُمَّ يَقُولُ : اللَّهُمَّ لَكَ الحمدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ ، أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهِ ، وَخَيْرِ خَيْرِ مَا صُنِعَ لَهُ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ ، وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ (حم د ت ك) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

٢٥٩٨ — كَانَ إِذَا اسْتَسْقَى قَالَ : اللَّهُمَّ اسْقِ عِبَادَكَ وَبَهَائِمَكَ ، وَانْشُرْ رَحْمَتَكَ ، وَأَحْيِ بَلَدَكَ الْمَيِّتَ (د) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

٢٥٩٩ — كَانَ إِذَا اسْتَفْتَحَ الصَّلَاةَ قَالَ : سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ (د ت ه ك) عن عائشة وأبى سعيد (طب) عن ابن مسعود وواثلة رضى الله عنهم .

٢٦٠٠ — كَانَ إِذَا اشْتَدَّ الْبَرْدُ بَكَّرَ بِالصَّلَاةِ ، وَإِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ أَبْرَدَ بِالصَّلَاةِ (خ ن) عن أنس رضى الله عنه .

٢٦٠١ — كَانَ إِذَا اشْتَدَّتِ الرِّيحُ قَالَ : اللَّهُمَّ لَقِحًا لَا عَقِيمًا (حب ك) عن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه .

٢٦٠٢ — كَانَ إِذَا اشْتَكَى نَفَثَ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَمَسَحَ عَنْهُ بِيَدِهِ (ق د ه) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٦٠٣ — كَانَ إِذَا أَصَابَتْهُ شِدَّةٌ فَدَعَا رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى يُرَى بَيَاضُ إِبْطَيْهِ (ع) عن البراء رضى الله عنه .

٢٦٠٤ — كَانَ إِذَا اشْتَكَى رَقَاهُ جِبْرِيلُ ، قَالَ : بِاسْمِ اللهِ يُبْرِيكَ مِنْ كُلِّ دَاءٍ يَشْفِيكَ ، وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي عَيْنٍ (م) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٦٠٥ — كَانَ إِذَا اطَّلَعَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ كَذَبَ كَذْبَةً ، لَمْ يَزَلْ مُعْرِضًا عَنْهُ حَتَّى يُحْدِثَ تَوْبَةً (حم ك) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٦٠٦ — كَانَ إِذَا أَصَابَ غَنِيمَةً أَمَرَ بِلَالاً ، فَنَادَى فِي النَّاسِ ، فَيَجِيئُونَ بِغَنَائِمِهِمْ ، فَيُخَمِّسُهُ وَيَقْسِمُهُ (د حب) عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه .

٢٦٠٧ — كَانَ إِذَا أَفْطَرَ قَالَ : ذَهَبَ الظَّمَأُ ، وَابْتَلَّتِ الْعُرُوقُ ، وَثَبَتَ الأَجْرُ إِنْ شَاءَ اللهُ (د ك) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٢٦٠٨ — كَانَ إِذَا أَفْطَرَ عِنْدَ قَوْمٍ قَالَ : أَفْطَرَ عِنْدَكُمُ الصَّائِمُونَ ، وَأَكَلَ طَعَامَكُمُ الأَبْرَارُ ، وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْكُمُ الْمَلَائِكَةُ (حم هق) عن أنس رضى الله عنه .

٢٦٠٩ — كَانَ إِذَا أَكَلَ طَعَامًا لَعِقَ أَصَابِعَهُ الثَّلَاثَ (حم م ٣) عن أنس رضى الله عنه .

٢٦١٠ — كَانَ إِذَا أَكَلَ ، أَوْ شَرِبَ قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَ وَسَقَى وَسَوَّغَهُ ، وَجَعَلَ لَهُ مَخْرَجًا (د ن حب) عن أبى أيوب رضى الله عنه .

٢٦١١ — كَانَ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ ، نَكَسَ رَأْسَهُ ، وَنَكَسَ

أَصْحَابُهُ رُؤُسَهُمْ ، فَإِذَا أَقْلَعَ عَنْهُ ، رَفَعَ رَأْسَهُ (م) عن عُبادة بن الصامت رضى الله عنه .

٢٦١٢ — كَانَ إِذَا أَمَرَهُمْ ، أَمَرَهُمْ مِنَ الأَعْمَالِ مَا يُطِيقُونَ (خ) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٦١٣ — كَانَ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْىُ كُرِبَ لِذَلِكَ ، وَتَرَبَّدَ وَجْهُهُ (حم م) عن عُبادة رضى الله عنه .

٢٦١٤ — كَانَ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْىُ ، سُمِعَ عِنْدَ وَجْهِهِ كَدَوِىِّ النَّحْلِ (حم ت ك) عن عمر رضى الله عنه .

٢٦١٥ — كَانَ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلاَتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلاَثًا ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلاَمُ ، وَمِنْكَ السَّلاَمُ ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ (حم م ٤) عن ثوبان رضى الله عنه .

٢٦١٦ — كَانَ إِذَا انْكَسَفَتِ الشَّمْسُ ، أَوِ الْقَمَرُ صَلَّى حَتَّى تَنْجَلِىَ (طب) عن النُّعمان بن بشير رضى الله عنه .

٢٦١٧ — كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَكَفَانَا وَآوَانَا ، فَكَمْ مِمَّنْ لاَ كَافِىَ لَهُ وَلاَ مُؤْوِىَ لَهُ (حم م ٣) عن أنس رضى الله عنه .

٢٦١٨ — كَانَ إِذَا بَايَعَهُ النَّاسُ يُلَقِّنُهُمْ : فِيمَا اسْتَطَعْتَ (حم) عن أنس رضى الله عنه .

٢٦١٩ — كَانَ إِذَا بَعَثَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِى بَعْضِ أَمْرِهِ قَالَ :

بَشِّرُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا ، وَيَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا (د) عن أبي موسى رضى الله عنه .

٢٦٢٠ — كَانَ إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً ، أَوْ جَيْشًا ، بَعَثَهُمْ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ (د ت ه) عن صَخْر رضى الله عنه .

٢٦٢١ — كَانَ إِذَا بَلَغَهُ عَنِ الرَّجُلِ شَيْءٌ ، لَمْ يَقُلْ : مَا بَالُ فُلاَنٍ يَقُولُ ؟ وَلَكِنْ يَقُولُ : مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَقُولُونَ كَذَا وَكَذَا ؟ (د) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٦٢٢ — كَانَ إِذَا تَضَوَّرَ مِنَ اللَّيْلِ ، قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ، رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ ، الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (ن ك) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٦٢٣ — كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلاَثًا ، لِتُفْهَمَ عَنْهُ ، وَإِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ ، سَلَّمَ ثَلاَثًا (حم خ ت) عن أنس رضى الله عنه .

٢٦٢٤ — كَانَ إِذَا تَلاَ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ ، قَالَ : آمِينْ ، حَتَّى يُسْمِعَ مَنْ يَلِيهِ فِي الصَّفِّ الأَوَّلِ (د) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

٢٦٢٥ — كَانَ إِذَا جَاءَهُ جِبْرِيلُ ، فَقَرَأَ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ، عَلِمَ أَنَّهَا سُورَةٌ (ك) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٢٦٢٦ — كَانَ إِذَا جَاءَهُ أَمْرٌ يُسَرُّ بِهِ خَرَّ سَاجِداً شُكْراً لِلَّهِ (د ه) عن أبي بكرة رضى الله عنه .

٢٦٢٧ — كَانَ إِذَا جَلَسَ مَجْلِسًا ، يَقُولُ بِآخِرِهِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ مِنَ الْمَجْلِسِ : سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ، وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ (د) عن أبى برزة رضى الله عنه .

٢٦٢٨ — كَانَ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ ، صَلَّى (حم د) عن حُذيفة رضى الله تعالى عنه .

٢٦٢٩ — كَانَ إِذَا خَافَ قَوْماً ، قَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِى نُحُورِهِمْ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ (حم د ك هق) عن أبى موسى رضى الله عنه .

٢٦٣٠ — كَانَ إِذَا خَرَجَ مِنَ الْغَائِطِ ، قَالَ : غُفْرَانَكَ (حم ٤ حب ك) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٦٣١ — كَانَ إِذَا خَرَجَ مِنَ الْخَلاَءِ ، قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنِّى الأَذَى وَعَافَانِى (ه) عن أنس (ن) عن أبى ذر رضى الله تعالى عنهما .

٢٦٣٢ — كَانَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ ، قَالَ : بِسْمِ اللهِ ، التُّكْلاَنُ عَلَى اللهِ ، لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ (ه ك وابن السُّنِّى) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢٦٣٣ — كَانَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ ، قَالَ : بِسْمِ اللهِ ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نَزِلَّ ، أَوْ نَضِلَّ ، أَوْ نَظْلِمَ ، أَوْ نُظْلَمَ ، أَوْ نَجْهَلَ ، أَوْ يُجْهَلَ عَلَيْنَا (ت وابن السُّنى) عن أم سلمة رضى الله عنها .

٢٦٣٤ — كَانَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ قَالَ : بِسْمِ اللهِ ، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَزِلَّ أَوْ أَضِلَّ أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ (حم ت ه ك) عن أم سلمة رضى الله عنها .

٢٦٣٥ — كَانَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ قَالَ : بِسْمِ اللهِ ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ ، اللهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَّ أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ أَوْ أَبْغِى أَوْ يُبْغَى عَلَيَّ (طب) عن بريدة رضى الله عنها .

٢٦٣٦ — كَانَ إِذَا خَرَجَ يَوْمَ العِيدِ فى طَرِيقٍ ، رَجَعَ فى غَيْرِهِ (ت ك) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢٦٣٧ — كَانَ إِذَا خطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ ، وَعَلاَ صَوْتُهُ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ كَأَنَّهُ مِنْذِرُ جَيْشٍ ، يَقُولُ : صَبَّحَكُمْ ، مَسَّاكُمْ (ه حب ك) عن جابر رضى الله عنه .

٢٦٣٨ — كَانَ إِذَا خطَبَ فِى الحَرْبِ خطَبَ على قَوْسٍ ، وَإِذَا خطَبَ فِى الجُمُعَةِ خطَبَ على عَصاً (ه ك هق) عن سعد القَرَظ رضى الله عنه .

٢٦٣٩ — كَانَ إِذَا دَخَلَ الخَلاَءَ وَضَعَ خَاتَمَهُ (٤ حب ك) عن أنس رضى الله عنه .

٢٦٤٠ — كَانَ إِذَا دَخَلَ الخَلاَءَ قَالَ : اللهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنَ الخُبُثِ وَالخَبَائِثِ (حم ق ٤) عن أنس رضى الله عنه .

٢٦٤١ — كَانَ إِذَا دَخَلَ المَسْجِدَ قَالَ : بِسْمِ اللهِ وَالسَّلاَمُ على رَسُولِ

اللهِ ، اللهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ ؛ وَإِذَا خَرَجَ قَالَ: بِسْمِ اللهِ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ، اللهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ فَضْلِكَ (حم ٥ طب) عن فاطمة الزهراء عليها السلام .

٢٦٤٢ — كَانَ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ ، صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ قَالَ : رَبِّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي ، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ ، وَإِذَا خَرَجَ صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ : رَبِّ اغْفِرْ لِي وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ فَضْلِكَ (ث) عن فاطمة الزهراء عليها السلام .

٢٦٤٣ — كَانَ إِذَا دَخَلَ السُّوقَ قَالَ : اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هٰذِهِ السُّوقِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا ، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُصِيبَ فِيهَا يَمِيناً فَاجِرَةً ، أَوْ صَفْقَةً خَاسِرَةً ، (طب ك) عن بُرَيدة رضى الله عنها .

٢٦٤٤ — كَانَ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ ، بَدَأَ بِالسِّوَاكِ (م د ن ٥) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٦٤٥ — كَانَ إِذَا دَخَلَ قَالَ : هَلْ عِنْدَكُمْ طَعَامٌ ؟ فَإِذَا قِيلَ : لَا ، قَالَ : إِنِّي صَائِمٌ (د) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٦٤٦ — كَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَى مَرِيضٍ يَعُودُهُ قَالَ : لَا بَأْسَ ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللهُ (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٢٦٤٧ — كَانَ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ وَأَحْيَا لَيْلَهُ وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ (ق د ن ٥) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٦٤٨ — كَانَ إِذَا دَعَا لِرَجُلٍ أَصَابَتْهُ الدَّعْوَةُ وَوَلَدَهُ وَوَلَدَ وَلَدِهِ (حم) عن حذيفة رضى الله عنه .

٢٦٤٩ — كَانَ إِذَا دَعَا بَدَأَ بِنَفْسِهِ (طب) عن أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه .

٢٦٥٠ — كَانَ إِذَا دَعَا جَعَلَ بَاطِنَ كَفِّهِ إِلَى وَجْهِهِ (طب) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٢٦٥١ — كَانَ إِذَا دُعِيَ إِلَى جَنَازَةٍ سَأَلَ عَنْهَا فَإِنْ أُثْنِيَ عَلَيْهَا خَيْرًا صَلَّى عَلَيْهَا ، وَإِنْ أُثْنِيَ عَلَيْهَا غَيْرَ ذَلِكَ قَالَ لِأَهْلِهَا : شَأْنَكُمْ بِهَا ، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهَا (حم) عن أبى قتادة رضى الله عنه .

٢٦٥٢ — كَانَ إِذَا دَنَا مِنْ مِنْبَرِهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ سَلَّمَ عَلَى مَنْ عِنْدَهُ مِنَ الْجُلُوسِ ، فَإِذَا صَعِدَ الْمِنْبَرَ اسْتَقْبَلَ النَّاسَ بِوَجْهِهِ ، ثُمَّ سَلَّمَ قَبْلَ أَنْ يَجْلِسَ (هق) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٢٦٥٣ — كَانَ إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ يَقُولُ : أَرْسِلُوا بِهَا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ (م) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٦٥٤ — كَانَ إِذَا ذَكَرَ أَحَدًا فَدَعَا لَهُ بَدَأَ بِنَفْسِهِ (٣ حب ك) عن أبى ابن كعب رضى الله عنه .

٢٦٥٥ — كَانَ إِذَا ذَهَبَ الْمَذْهَبَ أَبْعَدَ (٤ ك) عن المغيرة بن شعبة

٢٦٥٦ — كَانَ إِذَا ذَهَبَ رُبْعُ اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا

اللّه ، اذْكُرُوا اللهُ ، جاءَتْ الرَّاجِفةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ، جاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ ، جاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ (حم ت ك) عن أُبَيٍّ رضى الله عنه .

٢٦٥٧ — كَانَ إِذَا رَأَى المَطَرَ قَالَ : اللهُمَّ صَيِّباً نَافِعاً (خ) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٦٥٨ — كَانَ إِذَا رَأَى الهِلَالَ قَالَ : اللهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالأَمْنِ وَالإِيمَانِ وَالسَّلَامَةِ وَالإِسْلَامِ ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ (حم ت ك) عن طلحةَ رضى الله عنه .

٢٦٥٩ — كَانَ إِذَا رَاعَهُ شَيْءٌ ، قَالَ : اللهُ ، اللهُ ، اللهُ رَبِّي لَا شَرِيكَ لَهُ (ن) عن ثوبان رضى الله عنه .

٢٦٦٠ — كَانَ إِذَا رَفَّأَ الإِنْسَانَ إِذَا تَزَوَّجَ قَالَ : بَارَكَ اللهُ لَكَ ، وَبَارَكَ عَلَيْكَ ، وَجَمَعَ بَيْنَكُمَا فِي خَيْرٍ (حم ٤ ك) عن أبى هريرةٍ رضى الله عنه .

٢٥٦١ — كَانَ إِذَا رُفِعَتْ مَائِدَتُهُ قَالَ : الحَمْدُ لِلهِ حَمْداً كَثِيراً طَيِّباً مُبَارَكاً فِيهِ . الحَمْدُ لِلَّهِ الذِي كَفَانَا وَآوَانَا غَيْرَ مَكْفِيٍّ وَلَا مَكْفُورٍ وَلَا مُودَعٍ وَلَا مُسْتَغْنًى عَنْهُ رَبَّنَا (حم خ د ت ه) عن أبى أمامة رضى الله عنه .

٢٥٦٢ — كَانَ إِذَا رَكَعَ سَوَّى ظَهْرَهُ حَتَّى لَوْ صُبَّ عَلَيْهِ المَاءُ لَاسْتَقَرَّ (ه) عن وابصة (طب) عن ابن عباس وعن أبى برزةَ وعن أبى مسعود رضى الله عنهم .

٢٦٦٣ — كَانَ إِذَا رَكَعَ فَرَّجَ أَصَابِعَهُ ، وَإِذَا سَجَدَ ضَمَّ أَصَابِعَهُ (ك هق) عن وَائل بن حُجْر رضى الله عنه .

٢٦٦٤ — كَانَ إِذَا رَكَعَ قَالَ : سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ ثَلَاثًا ، وَإِذَا سَجَدَ قَالَ : سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى وَبِحَمْدِهِ ثَلَاثًا (د) عن عُقبة بن عامر .

٢٦٦٥ — كَانَ إِذَا سَافَرَ فَأَقْبَلَ اللَّيْلُ ، قَالَ : يَا أَرْضُ رَبِّي وَرَبُّكِ اللهُ ، أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شَرِّكِ ، وَشَرِّ مَا فِيكِ ، وَشَرِّ مَا يَدِبُّ عَلَيْكِ . وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ أَسَدٍ وَأَسْوَدَ ، وَمِنَ الْحَيَّةِ ، وَالْعَقْرَبِ ، وَمِنْ سَاكِنِ الْبَلَدِ ، وَمِنْ وَالِدٍ وَمَا وَلَدَ (د) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٢٦٦٦ — كَانَ إِذَا سَجَدَ جَافَى حَتَّى يُرَى بَيَاضُ إِبْطَيْهِ (حم) عن جابر رضى الله عنه .

٢٦٦٧ — كَانَ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ ، كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ (ق) عن كعب بن مالك رضى الله عنه .

٢٦٦٨ — كَانَ إِذَا سَلَّمَ ، لَمْ يَقْعُدْ إِلاَّ بِمِقْدَارِ مَا يَقُولُ : اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ ، وَمِنْكَ السَّلَامُ ، تَبَارَكْتَ يَاذَا الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ (م ٤) عن عائشةَ رضى الله عنها .

٢٦٦٩ — كَانَ إِذَا سَمِعَ الْمُؤَذِّنَ ، قَالَ مِثْلَ مَا يَقُولُ ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ ، قَالَ : لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ (حم) عن أبى رافع رضى الله عنه .

٢٦٧٠ — كَانَ إِذَا سَمِعَ الْمُؤَذِّنَ يَتَشَهَّدُ ، قَالَ : وَأَنَا وَأَنَا (د حب ك) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٦٧١ — كَانَ إِذَا سَمِعَ صَوْتَ الرَّعْدِ وَالصَّوَاعِقِ ، قَالَ : اللَّهُمَّ لاَ تَقْتُلْنَا بِغَضَبِكَ ، وَلاَ تُهْلِكْنَا بِعَذَابِكَ ، وَعَافِنَا قَبْلَ ذَلِكَ (حم ت ك) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٢٦٧٢ — كَانَ إِذَا شَرِبَ تَنَفَّسَ ثَلاَثًا ، وَيَقُولُ : هُوَ أَهْنَأُ وَأَمْرَأُ وَأَبْرَأُ (حم ق ٤) عن أنس رضى الله عنه .

٢٦٧٣ — كَانَ إِذَا صَلَّى الْغَدَاةَ ، جَاءَهُ خَدَمُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ بِآنِيَتِهِمْ فِيهَا الْمَاءُ ، فَمَا يُؤْتَى بِآنِيَةٍ إِلاَّ غَمَسَ يَدَهُ فِيهَا (حم م) عن أنس رضى الله عنه .

٢٦٧٤ — كَانَ إِذَا صَلَّى الْغَدَاةَ جَلَسَ فِي مُصَلاَّهُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَسْنَاءَ (حم م ٣) عن جابر بن سَمُرَةَ رضى الله عنه .

٢٦٧٥ — كَانَ إِذَا صَلَّى رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ اضْطَجَعَ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَنِ (خ) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٦٧٦ — كَانَ إِذَا صَلَّى صَلاَةً أَثْبَتَهَا[1] (م) عن عائشة رضى الله تعالى عنها .

٢٦٧٧ — كَانَ إِذَا صَلَّى الْعَصْرَ ، ذَهَبَ إِلَى بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ ، فَيَتَحَدَّثُ عِنْدَهُمْ حَتَّى يَنْحَدِرَ الْمَغْرِبِ (ن وابن خزيمة) عن أبى رافع رضى الله عنه .

---

(١) كان إذا صلى صلاة ـ نافلة ـ أثبتها . أى داوم عليها .

٢٦٧٨ — كَانَ إِذَا طَافَ بِالْبَيْتِ اسْتَلَمَ الْحَجَرَ وَالرُّكْنَ فِي كُلِّ طَوَافٍ (ك) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٢٦٧٩ — كَانَ إِذَا عَرَّسَ وَعَلَيْهِ لَيْلٌ تَوَسَّدَ يَمِينَهُ ، وَإِذَا عَرَّسَ قَبْلَ الصُّبْحِ وَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى كَفِّهِ الْيُمْنَى ، وَأَقَامَ سَاعِدَهُ (حم حب ك) عن أبى قتادة رضى الله عنه .

٢٦٨٠ — كَانَ إِذَا عَصَفَتِ الرِّيحُ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا فِيهَا ، وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا ، وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ (حم م ت) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٦٨١ — كَانَ إِذَا عَطَسَ حَمِدَ اللهَ ، فَيُقَالُ لَهُ : يَرْحَمُكَ اللهُ ، فَيَقُولُ : يَهْدِيكُمُ اللهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ (حم طب) عن عبد الله بن جعفر رضى الله عنه .

٢٦٨٢ — كَانَ إِذَا عَطَسَ وَضَعَ يَدَهُ أَوْ ثَوْبَهُ عَلَى فِيهِ ، وَخَفَضَ بِهَا صَوْتَهُ (د ت ك) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢٦٨٣ — كَانَ إِذَا عَمِلَ عَمَلاً أَثْبَتَهُ[1] (م د) عن عائشة رضى الله تعالى عنها .

٢٦٨٤ — كَانَ إِذَا غَزَا ، قَالَ : اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضُدِي ، وَأَنْتَ نَصِيرِي ، بِكَ أَحُولُ ، وَبِكَ أَصُولُ ، وَبِكَ أُقَاتِلُ (حم د ت حب والضياء) عن أنس رضى الله عنه .

---

(١) كان إذا عمل عملا — من الطاعات — أثبته . أى داوم عليه . فهذا عام ، والذى قبله خاص بالصلاة .

٢٦٨٥ — كَانَ إِذَا غَضِبَ لَمْ يَجْتَرِىءْ عَلَيْهِ أَحَدٌ إِلاَّ عَلِيٌّ (حل ك) عن أم سلمة رضى الله عنها .

٢٦٨٦ — كَانَ إِذَا فَرَغَ مِنْ طَعَامِهِ قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَطْعَمَنَا وَأَسْقَانَا ، وَجَعَلَنَا مُسْلِمِينَ (حم ٤ والضياء) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

٢٦٨٧ — كَانَ إِذَا فَرَغَ مِنْ طَعَامِهِ قَالَ : اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَطْعَمْتَ ، وَسَقَيْتَ ، وَأَشْبَعْتَ ، وَأَرْوَيْتَ ، فَلَكَ الْحَمْدُ غَيْرَ مَكْفُورٍ ، وَلاَ مُودَعٍ ، وَلاَ مُسْتَغْنًى عَنْكَ (حم) عن رجل من بنى سليم .

٢٦٨٨ — كَانَ إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ ، وَقَفَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ ، وَسَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ ، فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ (د) عن عثمان رضى الله عنه .

٢٦٨٩ — كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَشُوصُ فَاهُ بِالسِّوَاكِ (حم ق د ن ه) عن حُذيفة رضى الله عنه .

٢٦٩٠ — كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ لِيُصَلِّىَ ، افْتَتَحَ صَلاَتَهُ بِرَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ (م) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٦٩١ — كَانَ إِذَا قَامَ عَلَى الْمِنْبَرِ ، اسْتَقْبَلَهُ أَصْحَابُهُ بِوُجُوهِهِمْ (ه) عن ثابت رضى الله عنه .

٢٦٩٢ — كَانَ إِذَا قَامَ فِى الصَّلاَةِ قَبَضَ عَلَى شِمَالِهِ بِيَمِينِهِ (طب) عن وائل بن حُجر رضى الله عنه .

٢٦٩٣ — كَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ ، فَصَلَّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ يُثَنِّى بِفَاطِمَةَ ، ثُمَّ يَأْتِى أَزْوَاجَهُ (طب ك) عن أبى ثعلبة رضى الله عنه .

٢٦٩٤ — كَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ تُلُقِّيَ بِصِبْيَانِ أَهْلِ بَيْتِهِ (حم م د) عن عبد الله بن جعفر رضى الله عنه .

٢٦٩٥ — كَانَ إِذَا قَرَأَ : (أَلَيْسَ ذٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى) ، قَالَ : بَلَى ، وَإِذَا قَرَأَ : (أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ) ، قَالَ : بَلَى ، (ك هب) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢٦٩٦ — كَانَ إِذَا قَرَأَ : (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى) ، قَالَ : سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى (حم د ك) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٢٦٩٧ — كَانَ إِذَا قَرَأَ : (وَلاَ الضَّالِّينَ) قَالَ : آمِينْ ، وَرَفَعَ بِهَا صَوْتَهُ (د) عن وائل بن حُجر رضى الله عنه .

٢٦٩٨ — كَانَ إِذَا قُرِّبَ إِلَيْهِ طَعَامٌ قَالَ : بِسْمِ اللهِ ، فَإِذَا فَرَغَ قَالَ : اللهُمَّ إِنَّكَ أَطْعَمْتَ وَسَقَيْتَ ، وَأَغْنَيْتَ وَأَقْنَيْتَ ، وَهَدَيْتَ وَاجْتَبَيْتَ ، اللهُمَّ فَلَكَ الحمدُ عَلَى مَا أَعْطَيْتَ (حم) عن رجل من الصحابة رضى الله عنه.

٢٦٩٩ — كَانَ إِذَا قَفَلَ مِنْ غَزْوٍ أَوْ حَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ ، يُكَبِّرُ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ مِنَ الأَرْضِ ثَلاثَ تَكْبِيرَاتٍ ثُمَّ يَقُولُ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ ، لاَ شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحمدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، آيِبُونَ ، تَائِبُونَ ، عَابِدُونَ ، سَاجِدُونَ ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ ، صَدَقَ اللهُ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ (مالك حم ق د ت) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٢٧٠٠ — كَانَ إِذَا كَانَ يَوْمُ عِيدٍ خَالَفَ الطَّرِيقَ (خ) عن جابر رضى الله عنه .

٢٧٠١ — كَانَ إِذَا كَانَ مُقِيماً اعْتَكَفَ الْعَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ، وَإِذَا سَافَرَ اعْتَكَفَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ عِشْرِينَ (حم) عن أنس بن مالك رضى الله عنه .

٢٧٠٢ — كَانَ إِذَا كَانَ فِي وَتْرٍ مِنْ صَلاَتِهِ، لَمْ يَنْهَضْ حَتَّى يَسْتَوِيَ قَاعِداً (د ت) عن مالك بن الحويرث رضى الله عنه.

٢٧٠٣ — كَانَ إِذَا كَانَ صَائِماً أَمَرَ رَجُلاً فَأَوْفَى عَلَى شَيْءٍ فَإِذَا قَالَ : غَابَتِ الشَّمْسُ أَفْطَرَ (ك) عن سهل بن سعد (طب) عن أبى الدرداء رضى الله عنهما .

٢٧٠٤ — كَانَ إِذَا كَانَ رَاكِعاً أَوْ سَاجِداً قَالَ . سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ (طب) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

٢٧٠٥ — كَانَ إِذَا كَانَ قَبْلَ التَّرْوِيَةِ بِيَوْمٍ خَطَبَ النَّاسَ فَأَخْبَرَهُمْ مَنَاسِكَهُمْ (ك هق) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٢٧٠٦ — كَانَ إِذَا كَبَّرَ لِلصَّلاَةِ نَشَرَ أَصَابِعَهُ (ت ك) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢٧٠٧ — كَانَ إِذا مَرَّ بِآيَةِ خَوْفٍ تَعَوَّذَ ، وَإِذا مَرَّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ سَأَلَ ، وَإِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَنْزِيهُ اللهِ ، سَبَّحَ (حم م ٤) عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه .

٢٧٠٨ — كَانَ إِذامَرِضَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ نَفَثَ عَلَيْهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ (م) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٧٠٩ — كَانَ إذا مَشَى لَمْ يَلْتَفِتْ (ك) عن جابر رضى الله عنه .

٢٧١٠ — كَانَ إذا مَشَى مَشَى أَصْحَابُهُ أَمَامَهُ وَتَرَكُوا ظَهْرَهُ لِلْمَلَائِكَةِ (٥ ك) عن جابر رضى الله عنه .

٢٧١١ — كَانَ إذَا مَشَى كَأَنَّهُ يَتَوَكَّأُ (د ك) عن أنس بن مالك رضى الله عنه .

٢٧١٢ — كَانَ إذا نَامَ نَفَخَ (حم ق) عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما .

٢٧١٣ — كَانَ إذا نَامَ مِنَ اللَّيْلِ أَوْ مَرِضَ صَلَّى مِنَ النَّهَارِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً (م) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٧١٤ — كَانَ إذَا نَامَ وَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى تَحْتَ خَدِّهِ وَقَالَ : اللَّهُمَّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ (حم ت ن) عن البراء (حم ت) عن حذيفة (حم ٥) عن ابن مسعود رضى الله عنهم .

٢٨١٥ — كَانَ إذا نَزَلَ مَنْزِلاً لَمْ يَرْتَحِلْ حَتَّى يُصَلِّيَ الظُّهْرَ (حم د ن) عن أنس رضى الله عنه .

٢٧١٦ — كَانَ إذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ ثَقُلَ لِذٰلِكَ ، وَتَحَدَّرَ جَبِينُهُ عَرَقاً كَأَنَّهُ جُمَانٌ ، وَإِنْ كَانَ فِي الْبَرْدِ (طب) عن زيد بن ثابت رضى الله عنه .

٢٧١٧ — كَانَ إذا نَزَلَ بِهِ هَمٌّ أَوْ غَمٌّ قَالَ : يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ (ك) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

٢٧١٨ — كَانَ إذا هَاجَتِ رِيحٌ اسْتَقْبَلَهَا بِوَجْهِهِ وَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَمَدَّ يَدَيْهِ وَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هٰذِهِ الرِّيحِ ، وَخَيْرِ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا رَحْمَةً وَلاَ تَجْعَلْهَا عَذَاباً ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا رِيَاحاً وَلاَ تَجْعَلْهَا رِيحاً (طب) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٢٧١٩ — كَانَ إِذَا وَجَدَ الرَّجُلَ رَاقِدًا عَلَى وَجْهِهِ ، لَيْسَ عَلَى عَجُزِهِ شَىْءٌ رَكَضَهُ بِرِجْلِهِ ، وَقَالَ : هِىَ أَبْغَضُ الرِّقْدَةِ إِلَى اللهِ تَعَالَى (حم) عن الشَّرِيد بن سُويد رضى الله عنه .

٢٧٢٠ — كَانَ إذا وَدَّعَ رَجُلاً أَخَذَ بِيَدِهِ ، فَلَا يَدَعُهَا حَتَّى يَكُونَ الرَّجُلُ هُوَ الَّذِى يَدَعُ يَدَهُ ، وَيَقُولُ : أَسْتَوْدِعُ اللهَ دِينَكَ وَأَمَانَتَكَ وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ (حم ت ن ه ك) عن ابن عمر رضى الله عنه .

٢٧٢١ — كَانَ إِذَا وُضِعَ الْمَيِّتُ فى لَحْدِهِ قَالَ : بِسْمِ اللهِ ، وَبِاللهِ ، وَفى سَبِيلِ اللهِ ، وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللهِ (د ت ه هق) عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه .

٢٧٢٢ — كَانَ أَكْثَرُ دُعَائِهِ : يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِى عَلَى دِينِكَ فَقِيلَ لَهُ فى ذٰلِكَ ، قَالَ : إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِىٌّ إِلاَّ وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ ، وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ (ت) عن أم سلمة رضى الله عنها .

٢٧٢٣ — كَانَ تَنَامُ عَيْنَاهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ (ك) عن أنس رضى الله عنه .

٢٧٢٤ — كَانَ أَكْثَرُ دُعَائِهِ يَوْمَ عَرَفَةَ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ ، لاَ شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ ، وَلَهُ الْحَمْدُ ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (حم) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

٢٧٢٥ — كَانَ أَكْثَرُ مَا يَصُومُ الاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسَ ، فَقِيلَ لَهُ ، فَقَالَ : الأَعْمَالُ تُعْرَضُ كُلَّ اثْنَيْنِ وَخَمِيسٍ ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ مُسْلِمٍ إِلاَّ الْمُتَهَاجِرَيْنِ ، فَيُقَالُ : أَخِّرُوهُمَا (حم) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

٢٧٢٦ — كَانَ أَكْثَرُ صَوْمِهِ السَّبْتَ وَالأَحَدَ ، وَيَقُولُ : هُمَا يَوْمَا عِيدٍ لِلْمُشْرِكِينَ ، فَأُحِبُّ أَنْ أُخَالِفَهُمْ (حم طب ك هق) عن أم سلمة رضى الله عنها .

٢٧٢٧ — كَانَ أَكْثَرُ دَعْوَةٍ يَدْعُو بِهَا : رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً ، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (حم ق د) عن أنس رضى الله عنه .

٢٧٢٨ — كَانَ خَاتَمُهُ مِنْ وَرِقٍ ، وَكَانَ فَصُّهُ حَبَشِيًّا (م) عن أنس رضى الله عنه .

٢٧٢٩ — كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ (حم م د) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٧٣٠ — كَانَ طَوِيلَ الصَّمْتِ ، قَلِيلَ الضَّحِكِ (حم) عن جابر بن سَمُرة رضى الله عنه .

٢٧٣١ — كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً (د) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٧٣٢ — كَانَ فَرَسُهُ يُقَالُ لَهُ الْمُرْتَجِزُ ، وَنَاقَتُهُ الْقَصْوَاءُ ، وَبَغْلَتُهُ الدُّلْدُلُ ، وَحِمَارُهُ عُفَيْرٌ ، وَدِرْعُهُ ذَاتُ الْفُضُولِ ، وَسَيْفُهُ ذُو الْفَقَارِ (ك هق) عن علىّ عليه السلام .

٢٧٣٣ — كَانَ قِرَاءَتُهُ الْمَدَّ ، لَيْسَ فِيهَا تَرْجِيعٌ (طب) عن أبي بكرة رضي الله عنه .

٢٧٣٤ — كَانَ قَمِيصُهُ فَوْقَ الْكَعْبَيْنِ ، وَكَانَ كُمُّهُ مَعَ الْأَصَابِعِ (ك) عن ابن عباس رضي الله عنهما .

٢٧٣٥ — كَانَ لَهُ حَرْبَةٌ يَمْشِي بِهَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَإِذَا صَلَّى رَكَزَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ (طب) عن عِصْمة بن مالك رضي الله عنه .

٢٧٣٦ — كَانَ لَهُ حِمَارٌ اسْمُهُ عُفَيْرٌ (حم) عن علي (طب) عن ابن مسعود رضي الله عنهما .

٢٧٣٧ — كَانَ لَهُ سُكَّةٌ يَتَطَيَّبُ مِنْهَا (د) عن أنس رضي الله عنه .

٢٧٣٨ — كَانَ لَهُ فَرَسٌ يُقَالُ لَهُ اللَّحِيفُ (خ) عن سهل بن سعد رضي الله عنه .

٢٧٣٩ — كَانَ لَهُ فَرَسٌ يُقَالُ لَهُ : الطَّرْفُ ، وَآخَرُ يُقَالُ لَهُ اللَّزَّازُ (هق) عن سهل رضي الله عنه .

٢٧٤٠ — كَانَ لَهُ قَدَحٌ مِنْ عِيدَانٍ تَحْتَ سَرِيرِهِ ، يَبُولُ فِيهِ بِاللَّيْلِ (د ن ك) عن أُمَيمةَ بنتِ رُقَيقَةَ رضي الله عنها .

٢٧٤١ — كَانَ لَهُ قَصْعَةٌ يُقَالُ لَهَا : الْغَرَّاءُ ، يَحْمِلُهَا أَرْبَعَةُ رِجَالٍ (د) عن عبد الله بن بُسْر رضي الله عنه .

٢٧٤٢ — كَانَ لَهُ مُكْحُلَةٌ ، يَكْتَحِلُ مِنْهَا كُلَّ لَيْلَةٍ ، ثَلَاثَةً فِي هٰذِهِ ، وَثَلَاثَةً فِي هٰذِهِ (ت ه) عن ابن عباس رضي الله عنهما .

٢٧٤٣ — كَانَ لَهُ مُؤَذِّنَانِ : بِلَالٌ ، وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ الْأَعْمَى (م) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٢٧٤٤ — كَانَ لِنَعْلِهِ قِبَالَانِ (ت) عن أنس رضى الله عنه .

٢٧٤٥ — كَانَ مِنْ أَضْحَكِ النَّاسِ وَأَطْيَبِهِمْ نَفْسًا (طب) عن أبى أمامة رضى الله عنه .

٢٧٤٦ — كَانَ مِمَّا يَقُولُ لِلْخَادِمِ : أَلَكَ حَاجَةٌ ؟ (حم) عن رجل من الصحابة .

٢٧٤٧ — كَانَ وِسَادُهُ الَّذِى يَتَّكِىءُ عَلَيْهِ مِنْ أَدَمٍ ، حَشْوُهُ لِيفٌ (ق) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٧٤٨ — كَانَ لَا يُؤَذَّنُ لَهُ فِى الْعِيدَيْنِ (م د ت) عن جابر بن سَمُرَة رضى الله عنه .

٢٧٤٩ — كَانَ لَا يَتَوَضَّأُ بَعْدَ الْغُسْلِ (حم ت ن ه ك) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٧٥٠ — كَانَ لَا يُحَدِّثُ حَدِيثًا إِلَّا تَبَسَّمَ (حم) عن أبى الدرداء رضى الله عنه .

٢٧٥١ — كَانَ لَا يَخْرُجُ يَوْمَ الْفِطْرِ حَتَّى يَطْعَمَ ، وَلَا يَطْعَمُ يَوْمَ النَّحْرِ حَتَّى يَذْبَحَ (حم ت ه ك) عن بُريدة رضى الله عنها .

٢٧٥٢ — كَانَ لَا يَدَّخِرُ شَيْئًا لِغَدٍ (ت حب هب) عن أنس رضى الله عنه .

٢٧٥٣ — كَانَ لاَ يَدَعُ أَرْبَعاً قَبْلَ الظُّهْرِ ، وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْغَدَاةِ (خ د ن) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٧٥٤ — كَانَ لاَ يَدَعُ قِيَامَ اللَّيْلِ ، وَكَانَ إِذَا مَرِضَ ، أَوْ كَسِلَ صَلَّى قَاعِداً (د ك) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٧٥٥ — كَانَ لاَ يَرُدُّ الطِّيبَ (حم خ ت ن) عن أنس رضى الله عنه .

٢٧٥٦ — كَانَ لاَ يَرْقُدُ مِنْ لَيْلٍ وَلاَ نَهَارٍ ، فَيَسْتَيْقِظُ إِلاَّ تَسَوَّكَ (ش د) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٧٥٧ — كَانَ لاَ يُسْأَلُ شَيْئاً إِلاَّ أَعْطَاهُ ، أَوْ سَكَتَ (حب ك) عن أنس رضى الله عنه .

٢٧٥٨ — كَانَ لاَ يَسْتَلِمُ إِلاَّ الْحَجَرَ ، وَالرُّكْنَ الْيَمَانِيَّ (ن) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٢٧٥٩ — كَانَ لاَ يُصَافِحُ النِّسَاءَ فِي الْبَيْعَةِ (حم) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

٢٧٦٠ — كَانَ لاَ يُصَلِّي الْمَغْرِبَ حَتَّى يُفْطِرَ ، وَلَوْ عَلَى شَرْبَةٍ مِنَ الْمَاءِ (ك هب) عن أنس رضى الله عنه .

٢٧٦١ — كَانَ لاَ يُصَلِّي قَبْلَ الْعِيدِ شَيْئاً ، فَإِذَا رَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ (ه) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

٢٧٦٢ — كَانَ لاَ يَضْحَكُ إِلاَّ تَبَسُّماً (حم ت ك) عن جابر بن سَمُرة رضى الله عنه .

٢٧٦٣ — كَانَ لاَ يَطْرُقُ أَهْلَهُ لَيْلاً (حم ق ن) عن أنس رضى الله عنه .

٢٧٦٤ — كَانَ لاَ يُطِيلُ الْمَوْعِظَةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ (د ك) عن جابر بن سَمُرة رضى الله عنه .

٢٧٦٥ — كَانَ لاَ يَعْرِفُ فَصْلَ السُّورَةِ ، حَتَّى يُنْزَلَ عَلَيْهِ ، بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (د) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٢٧٦٦ — كَانَ لاَ يَغْدُو يَوْمَ الْفِطْرِ ، حَتَّى يَأْكُلَ سَبْعَ تَمَرَاتٍ (طب) عن جابر بن سَمُرة رضى الله عنه .

٢٧٦٧ — كَانَ لاَ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ إِلاَّ قَالَ : سُبْحَانَكَ اللّٰهُمَّ رَبِّي وَبِحَمْدِكَ ، لاَ إِلٰهَ إِلاَّ أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ ، وَقَالَ : لاَ يَقُولُهُنَّ أَحَدٌ حَيْثُ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ ، إِلاَّ غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ مِنْهُ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ (ك) عن عائشةَ رضى الله عنها .

٢٧٦٨ — كَانَ لاَ يَمْنَعُ شَيْئاً يُسْئَلُهُ (حم) عن أبى أُسَيْدٍ الساعدىِّ رضى الله عنه .

٢٧٦٩ — كَانَ لاَ يَنَامُ حَتَّى يَقْرَأَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَالزُّمَرَ (حم ت ك) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٧٧٠ — كَانَ لاَ يَنَامُ حَتَّى يَقْرَأَ : الٓمٓ تَنْزِيلُ السَّجْدَةَ ، وَتَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ (حم ت ن ك) عن جابر رضى الله عنه .

٢٧٧١ — كَانَ لاَ يَتْرُكُ مَنْزِلاً إِلاَّ وَدَّعَهُ بِرَكْعَتَيْنِ (ك) عن أنس رضى الله عنه .

٢٧٧٢ — كَانَ لاَ يَنْفُخُ فِي طَعَامٍ، وَلاَ شَرَابٍ، وَلاَ يَتَنَفَّسُ فِي الإِنَاءِ (٥) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٢٧٧٣ — كَانَ لاَ يُوَاجِهُ أَحَداً فِي وَجْهِهِ بِشَيْءٍ يَكْرَهُهُ (حم خد د ن) عن أنس رضى الله عنه .

٢٧٧٤ — كَانَ يَأْتِي ضُعَفَاءَ الْمُسْلِمِينَ وَيَزُورُهُمْ، وَيَعُودُ مَرْضَاهُمْ وَيَشْهَدُ جَنَائِزَهُمْ (ع طب ك) عن سهل بن حنيف رضى الله عنه .

٢٧٧٥ — كَانَ يَأْتِي نَاحِيَةَ الصَّفِّ وَيُسَوِّي بَيْنَ صُدُورِ الْقَوْمِ وَمَنَاكِبِهِمْ، وَيَقُولُ: لاَ تَخْتَلِفُوا، فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ، إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصَّفِّ الأَوَّلِ (ابن خُزَيمة) عن البَراء بن عازب رضى الله عنه .

٢٧٧٦ — كَانَ يُؤْتَى بِالصِّبْيَانِ فَيُبَرِّكُ عَلَيْهِمْ وَيُحَنِّكُهُمْ وَيَدْعُو لَهُمْ (ق د) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٧٧٧ — كَانَ يَأْكُلُ الْبَطِّيخَ بِالرُّطَبِ (٥) عن سهل بن سعد (د ت) عن عائشة (طب) عن عبد الله بن جعفر (حب) عن أنس رضى الله عنهم .

٢٧٧٨ — كَانَ يَأْكُلُ الْهَدِيَّةَ، وَلاَ يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ (حم طب) عن عائشة وعن أبى هريرة رضى الله عنهما .

٢٧٧٩ — كَانَ يَأْكُلُ الْقِثَّاءَ بِالرُّطَبِ (حم ق ٤) عن عبد الله ابن جعفر رضى الله عنه .

٢٧٨٠ — كَانَ يَأْكُلُ بِثَلَاثِ أَصَابِعَ، وَيَلْعَقُ يَدَهُ قَبْلَ أَنْ يَمْسَحَهَا (حم م د) عن كعب بن مالك رضى الله عنه .

٢٧٨١ — كَانَ يَأْكُلُ مِمَّا مَسَّتِ النَّارُ، ثُمَّ يُصَلِّي وَلَا يَتَوَضَّأُ (طب) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٢٧٨٢ — كَانَ يَأْمُرُ بِالْبَاءَةِ وَيَنْهَى عَنِ التَّبَتُّلِ نَهْيًا شَدِيدًا، وَيَقُولُ: تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (حم ص طس حب ك هق) عن أنس رضى الله عنه .

٢٧٨٣ — كَانَ يَأْمُرُ بِالْعَتَاقَةِ فِي صَلَاةِ الْكُسُوفِ (د ك) عن أسماء رضى الله عنها .

٢٧٨٤ — كَانَ يَأْمُرُ أَنْ نَسْتَرْقِيَ مِنَ الْعَيْنِ (م) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٧٨٥ — كَانَ يَأْمُرُ بِإِخْرَاجِ الزَّكَاةِ قَبْلَ الْغُدُوِّ لِلصَّلَاةِ يَوْمَ الْفِطْرِ (ت) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٢٧٨٦ — كَانَ يَأْمُرُ بَنَاتِهِ وَنِسَاءَهُ أَنْ يَخْرُجْنَ فِي الْعِيدَيْنِ (حم) عن ابن عباس رضى الله عنه .

٢٧٨٧ — كَانَ يُبَاشِرُ نِسَاءَهُ فَوْقَ الْإِزَارِ وَهُنَّ حُيَّضٌ (م د) عن ميمونة رضى الله عنها .

٢٧٨٨ — كَانَ يَبِيتُ اللَّيَالِيَ الْمُتَتَابِعَةَ وَأَهْلُهُ طَاوِيًا، لَا يَجِدُونَ عَشَاءً (ت) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٢٧٨٩ — كَانَ يَبْدَأُ إِذَا أَفْطَرَ بِالتَّمْرِ (ن) عن أنس رضى الله عنه .

٢٧٩٠ — كَانَ يَبِيعُ نَخْلَ بَنِي النَّضِيرِ ، وَيَحْبِسُ لِأَهْلِهِ قُوتَ سَنَتِهِمْ (خ) عن عمر رضى الله عنه .

٢٧٩١ — كَانَ يَتَحَرَّى صَوْمَ الْإِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ (ت ن ه) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٧٩٢ — كَانَ يَتَخَتَّمُ فِي يَمِينِهِ (خ ت) عن ابن عمر (م ن) عن أنس (حم ت ه) عن عبد الله بن جعفر رضى الله عنهم .

٢٧٩٣ — كَانَ يَتَخَتَّمُ فِي يَسَارِهِ (م) عن أنس (د) عن ابن عمر رضى الله عنهم .

٢٧٩٤ — كَانَ يَتَخَتَّمُ بِالْفِضَّةِ (طب) عن عبد الله بن جعفر رضى الله عنه .

٢٧٩٥ — كَانَ يَتَخَلَّفُ فِي الْمَسِيرِ فَيُزَجِّي الضَّعِيفَ ، وَيُرْدِفُ وَيَدْعُو لَهُمْ (د ك) عن جابر رضى الله عنه

٢٧٩٦ — كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ ، وَدَرْكِ الشَّقَاءِ ، وَسُوءِ الْقَضَاءِ ، وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ (ق ن) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

٢٧٩٧ — كَانَ يَتَفَاءَلُ ، وَلَا يَتَطَيَّرُ ، وَكَانَ يُحِبُّ الاسْمَ الْحَسَنَ (حم) عن ابن عباس رضى الله عنه

٢٧٩٨ — كَانَ يَتَمَثَّلُ بِالشِّعْرِ : وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ (طب) عن ابن عباس (ت) عن عائشة رضى الله عنهما .

٢٧٩٩ — كَانَ يَتَوَضَّأُ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ (حم خ ٤) عن أنس رضى الله عنه .

٢٨٠٠ — كَانَ يَتَوَضَّأُ ، ثُمَّ يُقَبِّلُ وَيُصَلِّى وَلَا يَتَوَضَّأُ (حم ٥) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٨٠١ — كَانَ يَتَوَضَّأُ وَاحِدَةً وَاحِدَةً ، وَاثْنَتَيْنِ اثْنَتَيْنِ ، وَثَلَاثًا ثَلَاثًا ، كُلُّ ذَلِكَ يَفْعَلُ (طب) عن معاذ رضى الله عنه .

٢٨٠٢ — كَانَ يَجْتَهِدُ فِى الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ ، مَالَا يَجْتَهِدُ فِى غَيْرِهَا (حم م ت ٥) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٨٠٣ — كَانَ يَجْعَلُ يَمِينَهُ لِأَكْلِهِ ، وَشُرْبِهِ ، وَوُضُوئِهِ ، وَثِيَابِهِ ، وَأَخْذِهِ ، وَعَطَائِهِ . وَشِمَالَهُ لِمَا سِوَى ذَلِكَ (حم) عن حفصة رضى الله تعالى عنها .

٢٨٠٤ — كَانَ يَجْعَلُ فَصَّهُ مِمَّا يَلِى كَفَّهُ (٥) عن أنس وعن ابن عمر رضى الله عنهم .

٢٨٠٥ — كَانَ يُجِلُّ الْعَبَّاسَ إِجْلَالَ الْوَلَدِ لِلْوَالِدِ (ك) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٢٨٠٦ — كَانَ يَجْلِسُ عَلَى الأَرْضِ ، وَيَأْكُلُ عَلَى الأَرْضِ ، وَيَعْتَقِلُ الشَّاةَ ، وَيُجِيبُ دَعْوَةَ الْمَمْلُوكِ ، عَلَى خُبْزِ الشَّعِيرِ (طب) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٢٨٠٧ — كَانَ يَجْلِسُ إِذَا صَعِدَ الْمِنْبَرَ حَتَّى يَفْرُغَ الْمُؤَذِّنُ ، ثُمَّ يَقُومُ

فَيَخْطُبُ ، ثُمَّ يَجْلِسُ فَلاَ يَتَكَلَّمُ ، ثُمَّ يَقُومُ فَيَخْطُبُ (د) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٢٨٠٨ — كَانَ يَجْمَعُ بَيْنَ الْخِرْبِزِ[1] وَالرُّطَبِ (حم ت فى الشمائل ن) عن أنس رضى الله عنه .

٢٨٠٩ — كَانَ يَجْمَعُ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ وَالْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ فِى السَّفَرِ (حم خ) عن أنس رضى الله عنه .

٢٨١٠ — كَانَ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أُحُدٍ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَيُّهُمَا أَكْثَرُ أَخْذاً لِلْقُرْآنِ ، فَإِذَا أُشِيرَ إِلَى أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِى اللَّحْدِ (خ) عن جابر رضى الله عنه .

٢٨١١ — كَانَ يُحِبُّ أَنْ يَلِيَهُ الْمُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ فِى الصَّلاَةِ ، لِيَحْفَظُوا عَنْهُ (حم ن ه ك) عن أنس رضى الله عنه .

٢٨١٢ — كَانَ يُحِبُّ الدُّبَّاءَ (حم ت فى الشمائل ن ه) عن أنس رضى الله عنه .

٢٨١٣ — كَانَ يُحِبُّ التَّيَامُنَ مَا اسْتَطَاعَ ، فِى طُهُورِهِ ، وَتَنَعُّلِهِ ، وَتَرَجُّلِهِ ، وَفِى شَأْنِهِ كُلِّهِ (حم ق ٤) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٨١٤ — كَانَ يُحِبُّ أَنْ يَخْرُجَ إِذَا غَزَا يَوْمَ الْخَمِيسِ (حم خ) عن كعب بن مالك رضى الله عنه .

---

(١) الخربز : البطيخ .

٢٨١٥ — كَانَ يُحِبُّ الْحَلْوَاءَ وَالْعَسَلَ (ق ٤) عن عائشة رضى الله تعالى عنها .

٢٨١٦ — كَانَ يُحِبُّ الْعَرَاجِينَ ، وَلاَ يَزَالُ فِي يَدِهِ مِنْهَا (حم د) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

٢٨١٧ — كَانَ يُحِبُّ الزُّبْدَ وَالتَّمْرَ (د ٥) عن عبد الله بن بُسر رضى الله عنه .

٢٨١٨ — كَانَ يُحِبُّ الْقِثَّاءَ (طب) عن الرُّبَيِّعِ بنتَ مُعَوِّذٍ .

٢٨١٩ — كَانَ يَحْتَجِمُ فِي الأَخْدَعَيْنِ وَالْكَاهِلِ ، وَكَانَ يَحْتَجِمُ لِسَبْعَ عَشْرَةَ ، وَتِسْعَ عَشْرَةَ ، وَإِحْدَى وَعِشْرِينَ (ت ك) عن أنس (طب ك) عن ابن عباس رضى الله عنهم .

٢٨٢٠ — كَانَ يَحْتَجِمُ (ق) عن أنس رضى الله عنه .

٢٨٢١ — كَانَ يُحَدِّثُ حَدِيثاً ، لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ لأَحْصَاهُ (ق د) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٨٢٢ — كَانَ يُحْفِي شَارِبَهُ (طب) عن أم عَيَّاشٍ مولاته رضى الله عنها.

٢٨٢٣ — كَانَ يَحْلِفُ : لاَ وَمُقَلِّبِ الْقُلُوبِ (حم خ ت ن) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٢٨٢٤ — كَانَ يَحْمِلُ مَاءَ زَمْزَمَ (ت ك) عن عائشة رضى الله عنه .

٢٨٢٥ — كَانَ يَخْرُجُ إِلَى الْعِيدَيْنِ مَاشِياً ، وَيُصَلِّي بِغَيْرِ أَذَانٍ ،

وَلاَ إِقَامَةٍ ، ثُمَّ يَرْجِعُ مَاشِيًا فِي طَرِيقٍ آخَرَ (٥) عن أبى رافع رضى الله عنه .

٢٨٢٦ — كَانَ يَخْرُجُ إِلَيْنَا فِي الصُّفَّةِ ، فَقَالَ : لَوْ تَعْلَمُونَ مَا ادُّخِرَ لَكُمْ مَا حَزِنْتُمْ عَلَى مَا زُوِيَ عَنْكُمْ ، وَلَتُفْتَحَنَّ عَلَيْكُمْ فَارِسُ وَالرُّومُ (حم) عن العرباض رضى الله عنه .

٢٨٢٧ — كَانَ يَخْطُبُ قَائِمًا ، وَيَجْلِسُ بَيْنَ الْخُطْبَتَيْنِ ، وَيَقْرَأُ آيَاتٍ وَيُذَكِّرُ النَّاسَ (حم م د ن ٥) عن جابر بن سَمُرَةَ رضى الله عنه .

٢٨٢٨ — كَانَ يَخِيطُ ثَوْبَهُ ، وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ ، وَيَعْمَلُ مَا يَعْمَلُ الرِّجَالُ فِي بُيُوتِهِمْ (حم) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٨٢٩ — كَانَ يُدْرِكُهُ الْفَجْرُ وَهُوَ جُنُبٌ مِنْ أَهْلِهِ ، ثُمَّ يَغْتَسِلُ وَيَصُومُ (مالك ق ٤) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٨٣٠ — كَانَ يَدْعُو يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشِّقَاقِ ، وَالنِّفَاقِ ، وَسُوءِ الأَخْلاَقِ (د ن) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢٨٣١ — كَانَ يُدْعَى إِلَى خُبْزِ الشَّعِيرِ ، وَالإِهَالَةِ السَّنِخَةِ (ت فى الشمائل) عن أنس رضى الله عنه .

٢٨٣٢ — كَانَ يَدْعُو عِنْدَ الْكَرْبِ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ رَبُّ السَّمٰوَاتِ السَّبْعِ ، وَرَبُّ الأَرْضِ ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (حم ق ت ٥) عن ابن عباس رضى الله عنهما (طب) بزيادة : اصْرِفْ عَنِّي شَرَّ فُلاَنٍ .

٢٨٣٣ — كَانَ يَذْبَحُ أُضْحِيَّتَهُ بِيَدِهِ (حم) عن أنس بن مالك رضى الله عنه .

٢٨٣٤ — كَانَ يَذْكُرُ اللهَ تَعَالَى عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ (م د ت ه) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٨٣٥ — كَانَ يَرَى لِلعَبَّاسِ مَا يَرَى الْوَلَدُ لِوَالِدِهِ ، يُعَظِّمُهُ وَيُفَخِّمُهُ وَيَبَرُّ قَسَمَهُ (ك) عن عمر رضى الله عنه .

٢٨٣٦ — كَانَ يُرْدِفُ خَلْفَهُ وَيَضَعُ طَعَامَهُ عَلَى الأَرْضِ وَيُجِيبُ دَعْوَةَ الْمَمْلُوكِ وَيَرْكَبُ الحِمَارَ (ك) عن أنس رضى الله عنه .

٢٨٣٧ — كَانَ يُرَغِّبُ فِى قِيَامِ رَمَضَانَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَأْمُرَهُمْ بِعَزِيمَةٍ (ق ٣) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢٨٣٨ — كَانَ يَزُورُ الأَنْصَارَ وَيُسَلِّمُ عَلَى صِبْيَانِهِمْ وَيَمْسَحُ رُؤُسَهُمْ (ن) عن أنس رضى الله عنه .

٢٨٣٩ — كَانَ يَزُورُ قُبَاءَ رَاكِبًا وَمَاشِيًا فَيُصَلِّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما.

٢٨٤٠ — كَانَ يَسْتَحِبُّ الْجَوَامِعَ مِنَ الدُّعَاءِ ، وَيَدَعُ مَا سِوَى ذَلِكَ (د ك) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٨٤١ — كَانَ يَسْتَحِبُّ أَنْ يُسَافِرَ يَوْمَ الخَمِيسِ (طب) عن أم سلمة رضى الله عنها .

٢٨٤٢ — كَانَ يُسْتَعْذَبُ لَهُ المَاءُ مِنْ بُيُوتِ السُّقْيَا ، وفى لفظ : يُسْتَسْقَى لَهُ المَاءُ العَذْبُ مِنْ بِيرِ السُّقْيَا (حم د ك) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٨٤٣ — كَانَ يَسْتَغْفِرُ للصَّفِّ المُقَدَّمِ ثَلَاثًا وَلِلثَّانِي مَرَّةً (حم ه ك) عن عِرْبَاضٍ (حب) بلفظ : كَانَ يُصَلِّى عَلَى الصَّفِّ المُقَدَّمِ . . الحديث .

٢٨٤٤ — كَانَ يَسْتَفْتِحُ دُعَاءَهُ بِسُبْحَانَ رَبِّيَ العَلِيِّ الأَعْلَى الوَهَّابِ (حم ك) عن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه .

٢٨٤٥ — كَانَ يَسْلِتُ المَنِيَّ مِنْ ثَوْبِهِ بِعِرْقِ الإِذْخِرِ ثُمَّ يُصَلِّى فِيهِ ، وَيَحُتُّهُ مِنْ ثَوْبِهِ يَابِسًا ، ثُمَّ يُصَلِّى فِيهِ (حم) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٨٤٦ — كَانَ يُسَمِّى الأُنْثَى مِنَ الخَيْلِ فَرَسًا (د ك) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢٨٤٧ — كَانَ يُسَمِّى التَّمْرَ وَاللَّبَنَ الأَطْيَبَيْنِ (ك) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٨٤٨ — كَانَ يَشْتَدُّ عَلَيْهِ أَنْ يُوجَدَ مِنْهُ الرِّيحُ (ق) عن عمر (د) عن عائشة رضى الله عنهما .

٢٨٤٩ — كَانَ يُشِيرُ[1] فِى الصَّلَاةِ (حم) عن أنس رضى الله عنه .

٢٨٥٠ — كَانَ يُصَلِّى فِى نَعْلَيْهِ (حم ق ت) عن أنس رضى الله عنه .

---

(١) يعنى : بحركة لا ، أو نعم .

٢٨٥١ — كَانَ يُصَلِّى الضُّحَى أَرْبَعاً وَيَزِيدُ مَا شَاءَ اللهُ (حم م)عن عائشة رضى الله عنها .

٢٨٥٢ — كَانَ يُصَلِّى الضُّحَى سِتَّ رَكْعَاتٍ (ث فى الشمائل) عن أنس رضى الله عنه .

٢٨٥٣ — كَانَ يُصَلِّى عَلَى الْخُمْرَةِ (خ د ن ه) عن ميمونة رضى الله عنها .

٢٨٥٤ — كَانَ يُصَلِّى عَلَى رَاحِلَتِهِ[1] حَيْثُمَا تَوَجَّهَتْ بِهِ ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يُصَلِّىَ الْمَكْتُوبَةَ نَزَلَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ (حم ق) عن جابر رضى الله عنه .

٢٨٥٥ — كَانَ يُصَلِّى قَبْلَ الظُّهْرِ رَكْعَتَيْنِ وَبَعْدَهَا رَكْعَتَيْنِ ، وَبَعْدَ الْمَغْرِبِ رَكْعَتَيْنِ فى بَيْتِهِ ، وَبَعْدَ الْعِشَاءِ رَكْعَتَيْنِ . وَكَانَ لاَ يُصَلِّى بَعْدَ الْجُمُعَةِ حَتَّى يَنْصَرِفَ ، فَيُصَلِّى رَكْعَتَيْنِ فى بَيْتِهِ (مالك ق د ن) عن عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٢٨٥٦ — كَانَ يُصَلِّى مِنَ اللَّيْلِ ثَلاَثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً ، مِنْهَا الْوِتْرُ ، وَرَكْعَتَا الْفَجْرِ (ق د) عن عائشة رضى الله عنها .

---

(١) كان يصلى ـ النافلة ويسجد سجود التلاوة والشكر ـ على راحلته حيثما توجهت به ، لايتقيد بالقبلة ، فإذا أراد أن يصلى المكتوبة نزل فاستقبل القبلة . فمن كان فى قطار أو مركب ، فليصل النافلة حيثما توجه به القطار أو المركب ـ ولايتقيد بالقبلة إلا فى صلاة الفرض، وهذا الحكم المحفوظ من السنة الصحيحة.

٢٨٥٧ — كَانَ يُصَلِّي قَبْلَ العَصْرِ رَكْعَتَيْنِ (د) عن على عليه السلام كرم الله وجهه .

٢٨٥٨ — كَانَ يُصَلِّي بِاللَّيْلِ رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ يَنْصَرِفُ فَيَسْتَاكُ (حم ن ه ك) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٢٨٥٩ — كَانَ يُصَلِّي عَلَى الحَصِيرِ ، وَالفَرْوَةِ المَدْبُوغَةِ (حم د ك) عن المغيرة .

٢٨٦٠ — كَانَ يُصَلِّي بَعْدَ العَصْرِ وَيَنْهَى عَنْهَا ، وَيُوَاصِلُ وَيَنْهَى عَنِ الْوِصَالِ (د) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٨٦١ — كَانَ يُصَلِّي عَلَى بِسَاطٍ (ه) عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما .

٢٨٦٢ — كَانَ يُصَلِّي قَبْلَ الظُّهْرِ أَرْبَعاً إِذَا زَالَتِ الشَّمْسِ لاَ يَفْصِلُ بَيْنَهُنَّ ، وَيَقُولُ : أَبْوَابُ السَّمَاءِ تُفْتَحُ إِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ ، (ه) عن أبى أيوب رضى الله عنه .

٢٨٦٣ — كَانَ يُصَلِّي أَرْبَعاً بَعْدَ أَنْ تَزُولَ الشَّمْسُ قَبْلَ الظُّهْرِ ، وَقَالَ : إِنَّهَا سَاعَةٌ تُفْتَحُ فِيهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ فَأُحِبُّ أَنْ يَصْعَدَ لِي فِيهَا عَمَلٌ صَالِحٌ (حم ث) عن عبد الله بن السائب .

٢٨٦٤ — كَانَ يُصَلِّي بَيْنَ المَغْرِبِ وَالعِشَاءِ (طب) عن عُبَيد مولاه رضى الله عنه .

٢٨٦٥ — كَانَ يَصُومُ عَاشُورَاءَ وَيَأْمُرُ بِهِ (حم) عن على عليه السلام .

٢٨٦٧ — كَانَ يَصُومُ الاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسَ ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ : إِنَّ يَوْمَ الاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ يَغْفِرُ اللهُ فِيهِمَا لِكُلِّ مُسْلِمٍ ، إِلاَّ مُهْتَجِرَيْنِ ، يَقُولُ : دَعْهُمَا حَتَّى يَصْطَلِحَا (٥) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

٢٨٦٨ — كَانَ يَصُومُ الإِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسَ ، وَيَقُولُ : إِنَّ هٰذَيْنِ الْيَوْمَيْنِ تُعْرَضُ فِيهِمَا الأَعْمَالُ (ابن خزيمة) عن أسامة بن زيد رضى الله عنه .

٢٨٦٩ — كَانَ يُضَحِّي بِكَبْشَيْنِ أَقْرَنَيْنِ أَمْلَحَيْنِ ، وَكَانَ يُسَمِّي وَيُكَبِّرُ (حم ق ن ٥) عن أنس رضى الله عنه .

٢٨٧٠ — كَانَ يُضَحِّي بِالشَّاةِ الْوَاحِدَةِ عَنْ جَمِيعِ أَهْلِهِ (ك) عن عبد الله بن هشام رضى الله عنه .

٢٨٧١ — كَانَ يَضْرِبُ فِي الْخَمْرِ بِالنِّعَالِ وَالْجَرِيدِ (٥) عن أنس رضى الله عنه .

٢٨٧٢ — كَانَ يُضَمِّرُ الْخَيْلَ (حم) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٢٨٧٣ — كَانَ يَطُوفُ عَلَى جَمِيعِ نِسَائِهِ فِي لَيْلَةٍ بِغُسْلٍ وَاحِدٍ (حم ق ٤) عن أنس رضى الله عنه .

٢٨٧٤ — كَانَ يُعَبِّرُ عَلَى الأَسْمَاءِ (البزار) عن أنس بن مالك رضى الله عنه .

٢٨٧٥ — كَانَ يُعْجِبُهُ الرُّؤْيَا الْحَسَنَةُ (حم ن) عنه رضى الله عنه .

٢٨٧٦ — كَانَ يُعْجِبُهُ إِذَا خَرَجَ لِحَاجَتِهِ أَنْ يَسْمَعَ : يَا رَاشِدُ يَا نَجِيحُ (ت ك) عنه رضى الله عنه .

٢٨٧٧ — كَانَ يُعْجِبُهُ الْقَرْعُ (حم حب) عنه رضى الله عنه .

٢٨٧٨ — كَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ يُدْعَى الرَّجُلُ بِأَحَبِّ أَسْمَائِهِ إِلَيْهِ ، وَأَحَبِّ كُنَاهُ (ع طب وابن قانع والبارودى) عن حنظلة بن حُذَيْمٍ رضى الله عنه .

٢٨٧٩ — كَانَ يُعْجِبُهُ التَّهَجُّدُ مِنَ اللَّيْلِ (طب) عن جُندب رضى الله عنه .

٢٨٨٠ — كَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ يَدْعُوَ ثَلَاثًا ، وَأَنْ يَسْتَغْفِرَ ثَلَاثًا (حم د) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

٢٨٨١ — كَانَ يُعْجِبُهُ الذِّرَاعُ (د) عنه رضى الله عنه .

٢٨٨٢ — كَانَ يُعْجِبُهُ الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ (د ك) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٨٨٣ — كَانَ يُعْجِبُهُ الْفَأْلُ الْحَسَنُ ، وَيَكْرَهُ الطِّيَرَةَ (ه) عن أبى هريرة (ك) عن عائشة رضى الله عنهما .

٢٨٨٤ — كَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ يَلْقَى الْعَدُوَّ عِنْدَ زَوَالِ الشَّمْسِ (طب) عن ابن أبى أوْفَى رضى الله عنه .

٢٨٨٥ — كَانَ يُعَلِّمُهُمْ مِنَ الْحُمَّى ، وَالأَوْجَاعِ كُلِّهَا ، أَنْ يَقُولُوا : بِسْمِ اللهِ الْكَبِيرِ ، أَعُوذُ بِاللهِ الْعَظِيمِ مِنْ شَرِّ كُلِّ عِرْقٍ نَعَّارٍ ، وَمِنْ شَرِّ حَرِّ النَّارِ (حم ت ك) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٢٨٨٦ — كَانَ يَعُودُ الْمَرِيضَ ، وَهُوَ مُعْتَكِفٌ (د) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٨٨٧ — كَانَ يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ ، فَيَقُولُ : أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ ، مِنْ كُلِّ هَامَّةٍ ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ (خ ٤) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٢٨٨٨ — كَانَ يُعِيدُ الْكَلِمَةَ ثَلَاثًا لِتُعْقَلَ عَنْهُ (ت ك) عن أنس رضى الله عنه .

٢٨٨٩ — كَانَ يَغْتَسِلُ بِالصَّاعِ ، وَيَتَوَضَّأُ بِالْمُدِّ (ق د) عن أنس رضى الله عنه .

٢٨٩٠ — كَانَ يَغْتَسِلُ هُوَ وَالْمَرْأَةُ مِنْ نِسَائِهِ مِنْ إِنَاءٍ وَاحِدٍ (حم خ) عنه رضى الله عنه .

٢٨٩١ — كَانَ يُغَيِّرُ الِاسْمَ الْقَبِيحَ (ت) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٨٩٢ — كَانَ يُفْطِرُ عَلَى رُطَبَاتٍ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رُطَبَاتٌ فَتَمَرَاتٌ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ تَمَرَاتٌ حَسَا حَسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ (حم د ت) عن أنس رضى الله عنه .

٢٨٩٣ — كَانَ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ ، وَيُثِيبُ عَلَيْهَا (حم خ د ت) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٨٩٤ — كَانَ يُقْبِلُ بِوَجْهِهِ وَحَدِيثِهِ عَلَى شَرِّ الْقَوْمِ يَتَأَلَّفُهُ بِذَلِكَ (طب) عن عمرو بن العاص .

٢٨٩٥ — كَانَ يُقَبِّلُ بَعْضَ أَزْوَاجِهِ ، ثُمَّ يُصَلِّي وَلاَ يَتَوَضَّأُ (حم د ن) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٨٩٦ — كَانَ يُقَبِّلُ وَهُوَ صَائِمٌ (حم ق ٤) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٨٩٧ — كَانَ يَقْسِمُ بَيْنَ نِسَائِهِ فَيَعْدِلُ ، وَيَقُولُ : اللَّهُمَّ هٰذَا قَسْمِي فِيمَا أَمْلِكُ ، فَلاَ تَلُمْنِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلاَ أَمْلِكُ (حم ٤ ك) عنها رضى الله عنها .

٢٨٩٨ — كَانَ يُقَطِّعُ قِرَاءَتَهُ آيَةً آيَةً : الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، ثُمَّ يَقِفُ ، الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ، ثُمَّ يَقِفُ (ت ك) عن أم سلمة رضى الله تعالى عنها .

٢٨٩٩ — كَانَ يَقُولُ لِأَحَدِهِمْ عِنْدَ الْمُعَاتَبَةِ : مَا لَهُ تَرِبَ جَبِينُهُ ؟ (حم خ) عن أنس رضى الله عنه .

٢٩٠٠ — كَانَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ كَمَا أَحْسَنْتَ خَلْقِي ، فَأَحْسِنْ خُلُقِي (حم) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٩٠١ — كَانَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لاَ يَنْفَعُ ، وَمِنْ قَلْبٍ لاَ يَخْشَعُ ، وَمِنْ نَفْسٍ لاَ تَشْبَعُ ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لاَ يُسْتَجَابُ لَهَا (م ت ن) عن زيد بن أرقم رضى الله عنه .

٢٩٠٢ — كَانَ يَقُولُ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ : أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (د) عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه .

٢٩٠٣ — كَانَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ ، فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخِيَانَةِ ، فَإِنَّهَا بِئْسَتِ الْبِطَانَةُ (د ن ه) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

٢٩٠٤ — كَانَ يَقُولُ : إِنِّي لَأُلِجُ هٰذِهِ الْفُرْقَةَ ، مَا أُلِجُهَا إِلاَّ خَشْيَةَ أَنْ يَكُونَ فِيهَا مَالٌ ، فَأُتَوَفَّى وَلَمْ أُنْفِقْهُ (طب) عن سَمُرة بن جُنْدب رضي الله عنه .

٢٩٠٥ — كَانَ يَقُومُ إِذَا سَمِعَ الصَّارِخَ (حم ت ن ه) عن عائشة رضي الله عنهما .

٢٩٠٦ — كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَنْفَطِرَ قَدَمَاهُ (ق ت ن ه) عن المغيرة (ق) عن عائشة رضي الله عنهما .

٢٩٠٧ — كَانَ يُكْثِرُ الذِّكْرَ ، وَيُقِلُّ اللَّغْوَ ، وَيُطِيلُ الصَّلاَةَ ، وَيُقْصِرُ الْخُطْبَةَ ، وَكَانَ لاَ يَأْنَفُ أَنْ يَمْشِيَ مَعَ الأَرْمَلَةِ ، وَالْمِسْكِينِ ، وَالْعَبْدِ ، حَتَّى يَقْضِيَ لَهُ حَاجَتَهُ (ن ك) عن أبي أَوْفَى (ك) عن أبي سعيد رضي الله عنهما .

٢٩٠٨ — كَانَ يَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ فِي الصَّلاَةِ (طب) عن أبي أُمامة رضي الله عنه .

٢٩٠٩ — كَانَ يَكْرَهُ الْكَيَّ ، وَالطَّعَامَ الْحَارَّ (حل) عن أنس رضي الله عنه .

٢٩١٠ — كَانَ يَكْرَهُ رَفْعَ الصَّوْتِ عِنْدَ الْقِتَالِ (طب ك) عن أبي موسى رضي الله عنه .

٢٩١١ — كَانَ يَلْبَسُ بُرْدَهُ الأَحْمَرَ فِي العِيدَيْنِ وَالْجُمُعَةِ (ق) عن جابر رضى الله عنه .

٢٩١٢ — كَانَ يَلْبَسُ قَمِيصًا قَصِيرَ الكُمَّيْنِ وَالطُّولِ (٥) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٢٩١٣ — كَانَ يَلْبَسُ قَلَنْسُوَةً بَيْضَاءَ (طب) عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما .

٢٩١٤ — كَانَ يَلْبَسُ النِّعَالَ السِّبْتِيَّةَ ، وَيُصَفِّرُ لِحْيَتَهُ بِالْوَرْسِ ، وَالزَّعْفَرَانِ (ق د) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٢٩١٥ — كَانَ يَلِيهِ فِي الصَّلَاةِ الرِّجَالُ ، ثُمَّ الصِّبْيَانُ ، ثُمَّ النِّسَاءُ (هق) عن أبى مالك الأشعرى رضى الله عنه .

٢٩١٦ — كَانَ يَمُدُّ صَوْتَهُ بِالْقِرَاءَةِ مَدًّا (حم ن ٥ ك) عن أنس رضى الله عنه .

٢٩١٧ — كَانَ يَمُرُّ بِالصِّبْيَانِ ، فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ (خ) عن أنس بن مالك رضى الله عنه .

٢٩١٨ — كَانَ يَمُرُّ بِنِسَاءٍ فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِنَّ (حم) عن جرير رضى الله عنه .

٢٩١٩ — كَانَ يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا فِي الصَّلَاةِ ، وَيَقُولُ : اسْتَوُوا ، وَلَا تَخْتَلِفُوا ، فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ لِيَلِنِي مِنْكُمْ أُولُوا الأَحْلَامِ وَالنُّهَى ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ (م) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

٢٩٢٠ — كَانَ يَنَامُ وَهُوَ جُنُبٌ ، وَلَا يَمَسُّ مَاءً (حم ت ن ٥) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٩٢١ — كَانَ يَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ ، وَيُحْيِي آخِرَهُ (٥) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٩٢٢ — كَانَ يَنْحَرُ أُضْحِيَّتَهُ بِالْمُصَلَّى (خ د ن ٥) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٢٩٢٣ — كَانَ يَنْزِلُ مِنَ الْمِنْبَرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَيُكَلِّمُهُ الرَّجُلُ فِي الْحَاجَةِ فَيُكَلِّمُهُ ، ثُمَّ يَتَقَدَّمُ إِلَى مُصَلَّاهُ فَيُصَلِّي (حم ٤ ك) عن أنس رضى الله عنه .

٢٩٢٤ — كَانَ يَنْفُثُ فِي الرُّقْيَةِ (٥) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٩٢٥ — كَانَ يُوتِرُ[1] فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ ، وَأَوْسَطِهِ ، وَآخِرِهِ (حم) عن أبى مسعود رضى الله عنه .

٢٩٢٦ — كَانَ يُوتِرُ عَلَى الْبَعِيرِ (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٢٩٢٧ — كَانَ يُلَاعِبُ زَيْنَبَ بِنْتَ أُمِّ سَلَمَةَ ، وَيَقُولُ : يَا زُوَيْنِبُ يَا زُوَيْنِبُ مِرَاراً (الضياء) عن أنس رضى الله عنه .

٢٩٢٨ — كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ ، اتَّقُوا اللهَ فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ (د ٥) عن علىّ عليه السلام .

٢٩٢٩ — كَانَ آخِرُ مَا تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ : قَاتَلَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ ، لَا يَبْقَيَنَّ دِينَانِ بِأَرْضِ الْعَرَبِ (هق) عن أبى عُبيدة بن الجرّاح رضى الله عنه .

٢٩٣٠ — كَانَ آخِرُ مَا تَكَلَّمَ بِهِ : جَلَالُ رَبِّي الرَّفِيعُ ، فَقَدْ بَلَغْتُ ، ثُمَّ قَضَى (ك) عن أنس رضى الله عنه .

* * *

---

(١) هذا بيان لحالاته صلى الله عليه وسلم فى صلاة الوتر يعنى تارة وتارة وذلك ليبين بعمله أن الوتر لايتعين صلاته بعد العشاء مباشرة بل يصح فى أى وقت من الليل .

حرف اللام

قال رسول الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسلم :

٢٩٣١ — للهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ إِذَا سَقَطَ عَلَيْهِ بَعِيرُهُ وَقَدْ أَضَلَّهُ بِأَرْضِ فَلَاةٍ (ق) عن أنس (ق) عن عبد الله رضى الله عنهما ، فى حديث طويل .

٢٩٣٢ — للهُ أَشَدُّ أَذَنًا إِلى الرَّجُلِ الْحَسَنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ مِنْ صَاحِبِ الْقَيْنَةِ إِلى قَيْنَتِهِ (حم ه حب ك هب) عن فضالة بن عبيد رضى الله عنه .

٢٩٣٣ — للهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلى هٰذَا الْغُلَامِ (حم ت) عن أبى مسعود رضى الله عنه .

٢٩٣٤ — لِلّهِ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَ كُلِّ فِطْرٍ عُتَقَاءُ (حم طب هب) عن أبى أمامة رضى الله عنه .

٢٩٣٥ — لَأَنْ أَقُولَ : سُبْحَانَ اللهِ وَالحمدُ للهِ وَلاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ (م ت) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢٩٣٦ — لَأَنْ أُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ بِسِوَاكٍ . أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُصَلِّيَ سَبْعِينَ رَكْعَةً بِغَيْرِ سِوَاكٍ (أبو نعيم فى كتاب السواك) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٢٩٣٧ — لَأَنْ أَمْشِيَ عَلَى جَمْرَةٍ أَوْ سَيْفٍ أَوْ أَخْصِفَ نَعْلِي بِرِجْلِي ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَمْشِيَ عَلَى قَبْرٍ (٥) عن عقبة بن عامر .

٢٩٣٨ — لَأَنْ أَقْعُدَ أُصَلِّي مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللهَ تَعَالَى مِنْ صَلَاةِ الغَدَاةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ أَرْبَعَةً مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ، وَلَأَنْ أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللهَ مِنْ صَلَاةِ العَصْرِ إِلَى أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ أَرْبَعَةً (د) عن أنس رضى الله عنه .

٢٩٣٩ — لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ ثُمَّ يَغْدُوَ إِلَى الجَبَلِ فَيَحْتَطِبَ ، فَيَبِيعَ فَيَأْكُلَ وَيَتَصَدَّقَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ (ق ن) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢٩٤٠ — لَأَنْ يَتَصَدَّقَ المَرْءُ فى حَيَاتِهِ بِدِرْهَمٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِمِائَةٍ عِنْدَ مَوْتِهِ (د حب) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

٢٩٤١ — لَأَنْ يَجْلِسَ أَحَدُكُمْ عَلَى جَمْرَةٍ فَتُحْرِقَ ثِيَابَهُ فَتَخْلُصَ إِلَى جِلْدِهِ ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى قَبْرٍ (حم م د ن ه) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢٩٤٢ — لَأَنْ يَزْنِيَ الرَّجُلُ بِعَشْرِ نِسْوَةٍ ، أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَزْنِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِهِ ، وَلَأَنْ يَسْرِقَ الرَّجُلُ مِنْ عَشْرَةِ أَبْيَاتٍ ، أَيْسَرُ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْرِقَ مِنْ بَيْتِ جَارِهِ (حم خد طب) عن المقداد بن الأسود رضى الله عنه .

٢٩٤٣ — لَأَنْ يُطْعَنَ فى رَأْسِ أَحَدِكُمْ بِمِخْيَطٍ مِنْ حَدِيدٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمَسَّ امْرَأَةً لاَ تَحِلُّ لَهُ (طب) عن معقل بن يسار رضى الله عنه .

٢٩٤٤ — لَأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ رَجُلٍ قَيْحاً حَتَّى يَرِيَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْراً (حم ق ٤) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢٩٤٥ — لَأَنْ يَهْدِىَ اللهُ على يَدَيْكَ رَجُلاً خَيْرٌ لَكَ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَغَرَبَتْ (طب) عن أبى رافع رضى الله عنه .

٢٩٤٦ — لَئِنْ بَقِيتُ إِلَى قَابِلٍ لَأَصُومَنَّ التَّاسِعَ (م ٥) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٢٩٤٧ — لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَاماً مِنْ أُمَّتِى يَأْتُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِأَعْمَالٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بَيْضَاءَ فَيَجْعَلُهَا اللهُ هَبَاءً مَنْثُوراً . أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ ، وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ إِذَا خَلَوْ بِمَحَارِمِ اللهِ انْتَهَكُوهَا (٥) عن ثوبان رضى الله عنه .

٢٩٤٨ — لَأَلْقَيَنَّ اللهَ مِنْ قَبْلِ أَنْ أُعْطِىَ أَحَداً مِنْ مَالِ أَحَدٍ مِنْ غَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ ، إِنَّمَا البَيْعُ عَنْ تَرَاضٍ ، وَلَكِنَّ فى بُيُوعِكُمْ خِصَالاً أَذْكُرُهَا لَكُمْ : لاَ تَضَاغَنُوا ، وَلاَ تَحَاسَدُوا ، وَلاَ تَنَاجَشُوا ، وَلاَ يَسُمِ الرَّجُلُ عَلَى سَوْمِ أَخِيهِ ، وَلاَ يَبِيعَنَّ حَاضِرٌ لِبَادٍ ، وَالبَيْعُ عَنْ تَرَاضٍ ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَاناً (حب) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه .

٢٩٤٩ — لَكِنَّ أَفْضَلَ الجِهَادِ حَجٌّ مَبْرُورٌ (خ) عن عائشة رضى الله عنها

٢٩٥٠ — لِتَأْخُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ فَإِنِّي لاَ أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حِجَّتِي هٰذِهِ (م) عن جابر رضى الله عنه.

٢٩٥١ — لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادُ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ نَطْحَهَا (حم خد م ت) عن أبى هريرة رضى الله عنه.

٢٩٥٢ — لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيُسَلِّطَنَّ اللهُ عَلَيْكُمْ شِرَارَكُمْ فَيَدْعُو خِيَارُكُمْ فَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ (البزار طس) عن أبى هريرة رضى الله عنه.

٢٩٥٣ — لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْراً بِشِبْرٍ وَذِرَاعاً بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ دَخَلَ جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمْ، وَحَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ جَامَعَ امْرَأَتَهُ بِالطَّرِيقِ لَفَعَلْتُمُوهُ (ك) عن ابن عباس رضى الله عنه.

٢٩٥٤ — لَتَسْتَحِلَّنَّ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ، بِاسْمٍ يُسَمُّونَهَا إِيَّاهُ (حم والضياء) عن عُبادة بن الصامت رضى الله عنه.

٢٩٥٥ — لَتُفْتَحَنَّ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ، وَلَنِعْمَ الأَمِيرُ أَمِيرُهَا وَلَنِعْمَ الْجَيْشُ ذٰلِكَ الْجَيْشُ (حم ك) عن بشر الغنوى.

٢٩٥٦ — لَتَنْهَكُنَّ الأَصَابِعَ بِالطُّهُورِ، أَوْ لَتَنْهَكَنَّهَا النَّارُ (طس) عن ابن مسعود رضى الله عنه.

٢٩٥٧ — لَتُنْقَضَنَّ عُرَى الإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً، فَكُلَّمَا انْتَقَضَتْ

عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالتِي تَلِيهَا ، فَأَوَّلُهُنَّ نَقْضاً الحُكْمُ وَآخِرُهُنَّ الصَّلاَةُ (حم حب ك) عن أبي أمامة رضى الله عنه .

٢٩٥٨ — لَحْمُ صَيْدِ البَرِّ لَكُمْ حَلاَلٌ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ مَا لَمْ تَصِيدُوهُ أَوْ يُصَدْ لَكُمْ (ك) عن جابر رضى الله عنه .

٢٩٥٩ — لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ (م ت ن) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

٢٩٦٠ — لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عِنْدَ اللهِ مِنْ قَتْلِ مُؤْمِنٍ بِغَيْرِ حَقٍّ (٥) عن البتراء .

٢٩٦١ — لَسْتُ مِنْ دَدٍ وَلَا الدَّدُ مِنِّي[1] (خد هق) عن أنس (طب) عن معاوية .

٢٩٦٢ — لَسْتُ مِنَ الدُّنْيَا وَلَيْسَتْ مِنِّي[2] ، إِنِّي بُعِثْتُ وَالسَّاعَةَ نَسْتَبِقُ (الضياء) عن أنس رضى الله عنه .

٢٩٦٣ — لِسُرَادِقِ النَّارِ أَرْبَعَةُ جُدُرٍ ، كِثْفُ كُلِّ جِدَارٍ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً (ت ك) عن أبي سعيد رضى الله عنه .

---

(١) لست من دد : الدد هو اللهو واللعب، يريد عليه الصلاة والسلام أنه ليس من شأنه اللهو واللعب .

(٢) لست من الدنيا : أى لست من أهلها المتنعمين فيها . وليست منى : لا تمت إلى بصلة . إنى بعثت والساعة نستبق : كناية عن شدة قربها منه ، بحيث لم يبق وقت للتنعم بالدنيا والركون إليها .

٢٩٦٤ — لَعَلَّكَ تُرْزَقُ بِهِ[1] (ت ك) عن أنس بن مالك رضى الله عنه .

٢٩٦٥ — لَعَلَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ بَعْدِى مَدَائِنَ عِظَاماً ، وَتَتَّخِذُونَ فى أَسْوَاقِهَا مَجَالِسَ ، فَإِذَا كَانَ ذٰلِكَ فَرُدُّوا السَّلَامَ ، وَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِكُمْ ، وَاهْدُوا الأَعْمٰى ، وَأَعِينُوا الْمَظْلُومَ (طب) عن وَحْشِىّ .

٢٩٦٦ — لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الرَّاشِى وَالْمُرْتَشِى (حم ٥ حب ك) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

٢٩٦٧ — لَعَنَ اللهُ الْخَامِشَةَ وَجْهَهَا ، وَالشَّاقَّةَ جَيْبَهَا ، وَالدَّاعِيَةَ بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ (٥ حب) عن أبى أمامة رضى الله عنه .

٢٩٦٨ — لَعَنَ اللهُ الْخَمْرَ وَشَارِبَهَا ، وَسَاقِيَهَا ، وَبَائِعَهَا ، وَمُبْتَاعَهَا ، وَعَاصِرَهَا ، وَمُعْتَصِرَهَا ، وَحَامِلَهَا ، وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ ، وَآكِلَ ثَمَنِهَا (د ٥ ك) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٢٩٦٩ — لَعَنَ اللهُ الرَّاشِى وَالْمُرْتَشِى فِى الْحُكْمِ (طب) عن أم سلمة رضى الله عنها .

٢٩٧٠ — لَعَنَ اللهُ الرَّاشِى وَالْمُرْتَشِى فى الْحُكْمِ (حم ت) عن أبى هريرة (حب ك) بزيادة : وَالرَّائِشَ الَّذِى يَسْعَى بَيْنَهُمَا .

---

(١) اشتكى رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم بان أخاه متفرغ للعبادة ، لايقوم بعمل يقوت به نفسه . وأنه يقوته ويعوله . فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : لعلك ترزق به . بسبب إنفاقك عليه . ومساعدتك إياه على التفرغ للعبادة .

٢٩٧١ — لَعَنَ اللهُ الرِّبَا وَآكِلَهُ وَمُوكِلَهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدَهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ، وَالْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ وَالْوَاشِمَةَ وَالْمُسْتَوْشِمَةَ وَالنَّامِصَةَ وَالْمُتَنَمِّصَةَ (طب) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

٢٩٧٢ — لَعَنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّجُلَ يَلْبَسُ لَبْسَةَ الْمَرْأَةِ ، وَالْمَرْأَةَ تَلْبَسُ لِبْسَةَ الرَّجُلِ (د ن ه حب ك) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢٩٧٣ — لَعَنَ اللهُ الرَّجُلَةَ مِنَ النِّسَاءِ (د) عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها .

٢٩٧٤ — لَعَنَ اللهُ السَّارِقَ يَسْرِقُ الْبَيْضَةَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ ، وَيَسْرِقُ الْحَبْلَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ (حم ق ن ه) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢٩٧٥ — لَعَنَ اللهُ الْمُتَشَبِّهَاتِ بِالرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ، وَالْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ (طب) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٢٩٧٦ — لَعَنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ ، وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ (خ د ث ن ه) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٢٩٧٧ — لَعَنَ اللهُ الْمُحَلِّلَ وَالْمُحَلَّلَ لَهُ (حم ٤) عن على (ت ن) عن ابن مسعود (ت) عن جابر رضى الله عنهم .

٢٩٧٨ — لَعَنَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وَسَلَّمَ الْمُخَنَّثِينَ مِنَ الرِّجَالِ ، وَالْمُتَرَجِّلَاتِ مِنَ النِّسَاءِ (خ ت) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٢٩٧٩ — لَعَنَ رَسُولُ اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُخَنَّثِي الرِّجَالِ الذِينَ يَتَشَبَّهُونَ بالنِّساءِ ، وَالمُتَرَجِّلاتِ مِنَ النِّساءِ المُتَشَبِّهاتِ بالرِّجالِ ، وَرَاكِبَ الفَلاةِ وَحْدَهُ (حم) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

٢٩٨٠ — لَعَنَ اللهُ النَّائِحَةَ وَالمُسْتَمِعَةَ (حم د) عن أبي سعيد رضى الله عنه .

٢٩٨١ — لَعَنَ اللهُ الوَاشِمَاتِ وَالمُسْتَوْشِمَاتِ ، وَالنَّامِصَاتِ وَالمُتَنَمِّصَاتِ وَالمُتَفَلِّجَاتِ لِلحُسْنِ المُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللهِ (حم ق ٤) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

٢٩٨٢ — لَعَنَ اللهُ الْوَاصِلَةَ وَالمَوْصُولَةَ (ق ٥) عن أسماء رضى الله عنها .

٢٩٨٣ — لَعَنَ اللهُ الوَاصِلَةَ وَالمُسْتَوْصِلَةَ (ق) عن عائشة رضى الله عنها .

٢٩٨٤ — لَعَنَ اللهُ الْوَاصِلَةَ وَالمُسْتَوْصِلَةَ ، وَالْوَاشِمَةَ وَالمُسْتَوْشِمَةَ (حم ق ٤) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٢٩٨٥ — لَعَنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ الْوَاشِمَةَ وَالمُسْتَوْشِمَةَ ، وَآكِلَ الرِّبَا وَمُوكِلَهُ ، وَنَهَى عَنْ ثَمَنِ الكَلْبِ وَكَسْبِ البَغِيِّ ، وَلَعَنَ المُصَوِّرِينَ (خ د) عن أبي جُحَيْفة رضى الله عنه .

٢٩٨٦ — لَعَنَ اللهُ آكِلَ الرِّبَا وَمُوكِلَهُ وَكَاتِبَهُ ، وَمَانِعَ الصَّدَقَةِ (حم ن) عن على عليه السلام .

٢٩٨٧ — لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ — ثَلَاثًا — إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْهِمُ الشُّحُومَ ، فَبَاعُوهَا وَأَكَلُوا أَثْمَانَهَا ، إِنَّ اللهَ إِذَا حَرَّمَ عَلَى قَوْمٍ أَكْلَ شَيْءٍ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ ثَمَنَهُ (د) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٢٩٨٨ — لَعَنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آكِلَ الرِّبَا وَمُوكِلَهُ (م ن) عن ابن مسعود رضى الله عنه (د ت ه حب) بزيادة : وَشَاهِدَيْهِ وَكَاتِبَهُ .

٢٩٨٩ — لَعَنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آكِلَ الرِّبَا وَمُوكِلَهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدَيْهِ ، وَقَالَ : هُمْ سَوَاءٌ (م) عن جابر رضى الله عنه .

٢٩٩٠ — لَعَنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَوَّارَاتِ الْقُبُورِ (حم ت ه حب) عن أبى هريرة (حم ه ك) عن حسان بن ثابت رضى الله عنهم .

٢٩٩١ — لَعَنَ اللهُ مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي (طب) عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما .

٢٩٩٢ — لَعَنَ اللهُ مَنْ فَعَلَ هٰذَا[1] (حب) عن جابر رضى الله عنه .

٢٩٩٣ — لَعَنَ اللهُ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الْوَالِدَةِ وَوَلَدِهَا ، وَبَيْنَ الأَخِ وَأَخِيهِ ، (ه) عن أبى موسى رضى الله عنه .

---

(١) قاله حين رأى حمارا يفور منخره دما ، لأن صاحبه وسمه بالنار فى وجهه .

وقال هذا الحديث أيضا فى جماعة ربطوا دجاجة وجعلوها هدفاً لنبالهم ، وهذا رواه ابن عمر .

٢٩٩٣ — لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ تُخُومَ الأَرْضِ وَلَعَنَ اللهُ مَنْ كَمَهَ أَعْمَى عَنِ السَّبِيلِ ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ سَبَّ وَالِدَيْهِ ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ تَوَلَّى غَيْرَ مَوَالِيهِ ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ ، قَالَهَا ثَلَاثًا فِي عَمَلِ قَوْمِ لُوطٍ (حب هب) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٢٩٩٤ — لَعَنَ اللهُ مَنْ يَسِمُ فِي الْوَجْهِ (طب) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٢٩٩٥ — لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الأَرْضِ (حم م ن) عن على كرّم الله وجهه .

٢٩٩٦ — لَعَنَ اللهُ مَنْ مَثَّلَ بِالْحَيَوَانِ (حم ق ن) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٢٩٩٧ — لُعِنَ عَبْدُ الدِّينَارِ ، لُعِنَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ (ت) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢٩٩٨ — لَغَدْوَةٌ أَوْ رَوْحَةٌ فِى سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِمَّا تَطْلُعُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ أَوْ تَغْرُبُ (خ) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٢٩٩٩ — لَغَدْوَةٌ فِى سَبِيلِ اللهِ أَوْ رَوْحَةٌ ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، وَلَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ أَوْ مَوْضِعُ قِدِّهِ فِى الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، وَلَوِ اطَّلَعَتِ امْرَأَةٌ مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَى الأَرْضِ ، لَمَلَأَتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيحًا وَلَأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا ، وَلَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا (حم ق ت ه)عن أنس رضى الله عنه .

٣٠٠٠ - لَقَابُ قَوْسٍ فِي الْجَنَّةِ، خَيْرٌ مِمَّا تَطْلُعُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ (خ) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٣٠٠١ — لَقَدْ أُنْزِلَ عَلَيَّ عَشْرُ آيَاتٍ، مَنْ أَقَامَهُنَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ) الآيَاتِ (حم ك) عن عمر رضي الله عنه.

٣٠٠٢ — لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ، وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا، وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ) الآيَةَ كُلَّهَا (حب) عن عائشة رضي الله عنها.

٣٠٠٣ — لَقَدْ أُعْطِيتُ اللَّيْلَةَ خَمْسًا، مَا أُعْطِيَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي، أَمَّا أَنَا، فَأُرْسِلْتُ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ عَامَّةً، وَكَانَ مَنْ قَبْلِي إِنَّمَا يُرْسَلُ إِلَى قَوْمِهِ، وَنُصِرْتُ عَلَى الْعَدُوِّ بِالرُّعْبِ، وَلَوْ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ شَهْرٌ لَمُلِيءَ مِنْهُ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ أَكْلُهَا، وَكَانَ مَنْ قَبْلِي يُعَظِّمُونَ أَكْلَهَا، وَكَانُوا يُحْرِقُونَهَا، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسَاجِدَ وَطَهُوراً أَيْنَمَا أَدْرَكَتْنِي الصَّلاَةُ، تَمَسَّحْتُ وَصَلَّيْتُ، وَكَانَ مَنْ قَبْلِي يُعَظِّمُونَ ذَلِكَ، إِنَّمَا يُصَلُّونَ فِي كَنَائِسِهِمْ، وَالْخَامِسَةُ هِيَ مَا هِيَ؟ قِيلَ لِي: سَلْ، فَإِنَّ كُلَّ نَبِيٍّ قَدْ سَأَلَ، فَأَخَّرْتُ مَسْأَلَتِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ لَكُمْ، وَلِمَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ (حم) عن ابن عمرو رضي الله عنه.

٣٠٠٤ — لَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللهِ، وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ، وَأُخِفْتُ فِي اللهِ، وَمَا يَخَافُ أَحَدٌ، وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ ثَلاَثُونَ مِنْ بَيْنِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَمَا لِي وَلِبِلاَلٍ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ، إِلاَّ شَيْءٌ يُوَارِيهِ إِبْطُ بِلاَلٍ (حم ت ه حب) عن أنس رضي الله عنه.

٣٠٠٥ — لَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ أُحُدٍ ، وَمَا فِي الأَرْضِ قُرْبِي مَخْلُوقٌ غَيْرَ جِبْرِيلَ عَنْ يَمِينِي ، وَطَلْحَةَ عَنْ يَسَارِي (ك) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

٣٠٠٦ — لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلاً يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ ، كَانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

٣٠٠٧ — لَقَدْ رَأَيْتُ الآنَ مُنْذُ صَلَّيْتُ لَكُمْ ، الْجَنَّةَ وَالنَّارَ مُمَثَّلَتَيْنِ فِي قِبْلَةِ هٰذَا الْجِدَارِ ، فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ (خ) عن أنس رضي الله عنها .

٣٠٠٨ — لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ (د ت هب) عن عائشة رضي الله عنها[1] .

٣٠٠٩ — لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ ، لَوَزَنَتْهُنَّ : سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ ، وَرِضَاءَ نَفْسِهِ ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ (م ٤) عن جُوَيْرِية رضي الله تعالى عنها[2] .

٣٠١٠ — لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ رَجُلاً يُصَلِّي بِالنَّاسِ ، ثُمَّ أُحَرِّقَ عَلَى رِجَالٍ يَتَخَلَّفُونَ عَنِ الْجُمُعَةِ بُيُوتَهُمْ (حم م) عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه .

---

(١) كانت عائشة قالت عن صفية إنها قصيرة ، فقال لها هذا الحديث ، فما ظنك بمن يذكر الناس بأقبح الصفات ؟ !!

(٢) أم المؤمنين ، وغلط العقاد في كتاب « حقائق الإسلام وأباطيل خصومه » فسماها حورية .

٣٠١١ — لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَنْهَى عَنِ الغِيلَةِ[1] حَتَّى ذَكَرْتُ أَنَّ فَارِسَ وَالرُّومَ يَصْنَعُونَ ذَلِكَ ، فَلَا يَضُرُّ أَوْلَادَهُمْ (مالك حم م ٤) عن جدامة بنت وهب رضى الله عنها .

٣٠١٢ — لَقَلْبُ ابْنِ آدَمَ أَشَدُّ انْقِلَابًا مِنَ القِدْرِ إِذَا اسْتَجْمَعَتْ غَلَيَانًا (حم ك) عن المقداد بن الأسود رضى الله عنه .

٣٠١٣ — لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ (حم م ٤) عن أبى سعيد (م ٥) عن أبى هريرة (ن) عن عائشة رضى الله عنهم .

٣٠١٤ — لَكَ مَا احْتَسَبْتَ[2] (م) عن أُبَيِّ بن كعب رضى الله عنه .

٣٠١٥ — لَكَ مَا نَوَيْتَ[3] يَا يَزِيدُ ، وَلَكَ مَا أَخَذْتَ يَا مَعْنُ (خ) عن معن بن يزيد رضى الله عنه .

٣٠١٦ — لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرِئَ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى (حم م) عن جابر رضى الله عنه .

---

(١) الغيلة أن ترضع المرأة طفلها أو يأتيها زوجها وهى حامل .

(٢) كان رجل بعيدا عن المسجد ، وكان لا تخطئه صلاة فقيل له لو اشتريت حمارا فقال : أحتسب خطاى . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « لك ما احتسبت » أى ثبت لك أجر خطاك .

(٣) قال معن بن يزيد : أخرج أبى دنانير يتصدق بها ، فوضعها عند رجل فى المسجد ، فأخذتها منه ، وأتيته بها . فقال : ما إياك أردت ، فخاصمته إلى النبي صلى الله عليه وسلم . فقال : « لك ما نويت يا يزيد » من الصدقة وثوابها حاصل لك « ولك ما أخذت يا معن » من الدنانير .

٣٠١٧ — لِكُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْبِرِّ ، بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ بَابَ الصِّيَامِ يُدْعَى الرَّيَّانَ (طب) عن سهل بن سعد رضى الله عنه .

٣٠١٨ — لِكُلِّ شَيْءٍ حِلْيَةٌ ، وَحِلْيَةُ الْقُرْآنِ ، الصَّوْتُ الْحَسَنُ (عب والضياء) عن أنس رضى الله عنه .

٣٠١٩ — لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (حم ق) عن أنس (حم م) عن ابن مسعود (م) عن ابن عمر رضى الله عنهم .

٣٠٢٠ — لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ عِنْدَ أَسْتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (م) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

٣٠٢١ — لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ قَدْ دَعَاهَا لِأُمَّتِهِ ، وَإِنِّى اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِى شَفَاعَةً لِأُمَّتِى (ق) عن أنس رضى الله عنه .

٣٠٢٢ — لِكُلِّ نَبِيٍّ حَرَمٌ ، وَحَرَمِى الْمَدِينَةُ (حم) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٣٠٢٣ — لِلْبِكْرِ سَبْعٌ[1] ، وَلِلثَّيِّبِ ثَلَاثٌ (م) عن أم سلمة (٥) عن أنس رضى الله عنهما .

---

(١) للبكر سبع ليال يبيتها الزوج عندها إذا دخل بها وللثيب ثلاث من الليالى كذلك . وهذا الحديث قاله النبى صلى الله عليه وسلم لأم سلمة حين بنى بها وبات عندها ثلاث ليال متتابعة . ثم أخبرها أن هذا حق خاص بها . وأنها إذا رغبت أن يكمل عندها سبع ليال . فإنه يبيت عند كل واحدة من صواحباتها أربع ليال . فاكتفت بثلاث الليال .

٣٠٢٤ - لِلتَّوْبَةِ بَابٌ بِالْمَغْرِبِ ، مَسِيرَةُ سَبْعِينَ عَامًا ، لَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ، طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا (طب) عن صَفوان بن عَسَّال رضى الله عنه .

٣٠٢٥ - لِلْجَنَّةِ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ : سَبْعَةٌ مُغْلَقَةٌ ، وَبَابٌ مَفْتُوحٌ لِلتَّوْبَةِ ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ نَحْوِهِ (طب ك) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

٣٠٢٦ - لِلرَّحِمِ لِسَانٌ عِنْدَ الْمِيزَانِ ، تَقُولُ : يَا رَبِّ مَنْ قَطَعَنِي فَاقْطَعْهُ ، وَمَنْ وَصَلَنِي فَصِلْهُ (طب) عن بُريدة رضى الله عنها .

٣٠٢٧ - لِلسَّائِلِ حَقٌّ ، وَإِنْ جَاءَ عَلَى فَرَسٍ (حم د والضياء) عن الحسين (د) عن علىّ (طب) عن الهِرْماس بن زياد رضى الله عنهم .

٣٠٢٨ - لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللهِ سَبْعُ خِصَالٍ : يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ ، الْيَاقُوتَةُ مِنْهُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ ، وَيَشْفَعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ (ت ه) عن المِقدام بن مَعْدِيكَرِبَ رضى الله عنه .

٣٠٢٩ - لِلْعَبْدِ الْمَمْلُوكِ الصَّالِحِ أَجْرَانِ (حم ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٠٣٠ - لِلْغَازِي أَجْرُهُ ، وَلِلْجَاعِلِ أَجْرُهُ وَأَجْرُ الْغَازِي (د) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

٣٠٣١ - لِلْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ بِالْمَعْرُوفِ : يُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِذَا لَقِيَهُ ، وَيُجِيبُهُ إِذَا دَعَاهُ ، وَيُشَمِّتُهُ إِذَا عَطَسَ ، وَيَعُودُهُ إِذَا مَرِضَ ، وَيَتْبَعُ جَنَازَتَهُ إِذَا مَاتَ ، وَيُحِبُّ لَهُ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ (حم ت ه) عن علىّ عليه السلام .

٣٠٣٢ - لِلْمَمْلُوكِ طَعَامُهُ وَكِسْوَتُهُ بِالْمَعْرُوفِ ، وَلاَ يُكَلَّفُ مِنَ الْعَمَلِ إِلاَّ مَا يُطِيقُ (حم م هق) عن أبى هريرة رضى الله عنه . زاد (حب) : فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ ، وَلاَ تُعَذِّبُوا عِبَادَ اللهِ خَلْقًا أَمْثَالَكُمْ .

٣٠٣٣ - لِلْمُهَاجِرِينَ مَنَابِرُ مِنْ ذَهَبٍ ، يَجْلِسُونَ عَلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، قَدْ أَمِنُوا مِنَ الْفَزَعِ (حب ك) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

٣٠٣٤ - لِمَ تَبْكِى ؟[1] مَا زَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا (ق) عن جابر رضى الله عنه .

٣٠٣٥ - لَمْ تُؤْتَوْا بَعْدَ كَلِمَةِ الإِخْلاَصِ مِثْلَ الْعَافِيَةِ ، فَاسْأَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ (هب) عن أبى بكر رضى الله عنه .

٣٠٣٦ - لَمْ تَحِلَّ الْغَنَائِمُ لِأَحَدٍ ، سُودِ الرُّؤُسِ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانَتْ تُجْمَعُ ، وَتَنْزِلُ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ فَتَأْكُلُهَا (ت) عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه .

---

(١) لم تبكى ؟ قاله لإحدى قريبات جابر ، حين بكت على عبد الله بن عمرو بن حرام . و لدجابر ، لما استشهد بأحد مازالت الملائكة تظله باجنحتها ، وهذا يقتضى الفرح والسرور .

٣٠٣٧ — لَمْ يَبْعَثِ اللهُ تَعَالَى نَبِيًّا إِلاَّ بِلُغَةِ قَوْمِهِ (خم) عن أبى ذر رضى الله عنه .

٣٠٣٨ — لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبُوَّةِ إِلاَّ الْمُبَشِّرَاتُ : الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ (خ) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٠٣٩ — لَمْ يَتَكَلَّمْ فى الْمَهْدِ إِلاَّ عِيسَى، وَشَاهِدُ يُوسُفَ ، وَابْنُ مَاشِطَةِ فِرْعَوْنَ (ك) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٠٤٠ — لَمْ يَزَلْ أَمْرُ بَنِى إِسْرَائِيلَ مُعْتَدِلاً حَتَّى نَشَأَ فِيهِمُ الْمُوَلَّدُونَ أَبْنَاءُ سَبَايَا الأُمَمِ التى كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسْبِيهَا، فَقَالُوا بِالرَّأْىِ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا (٥ طب) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٣٠٤١ — لَمْ يَكْذِبْ مَنْ نَمَى بَيْنَ اثْنَيْنِ لِيُصْلِحَ (د ه) عن أم كلثوم بنت عقبة رضى الله عنها .

٣٠٤٢ - لَمَّا أَتَى إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ اللهِ الْمَنَاسِكَ، عَرَضَ لَهُ الشَّيْطَانُ عِنْدَ جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ فَرَمَاهُ بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ حَتَّى سَاخَ فى الأَرْضِ ، ثُمَّ عَرَضَ لَهُ عِنْدَ الْجَمْرَةِ الثَّانِيَةِ ، فَرَمَاهُ بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ، حَتَّى سَاخَ فى الأَرْضِ، ثُمَّ عَرَضَ لَهُ عِنْدَ الْجَمْرَةِ الثَّالِثَةِ فَرَمَاهُ بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ حَتَّى سَاخَ فى الأَرْضِ (ابن خزيمة ك) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٣٠٤٣ - لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِى كِتَابٍ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِى غَلَبَتْ غَضَبِى (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٠٤٤ — لَمَّا خَلَقَ اللهُ جَنَّةَ عَدْنٍ ، خَلَقَ فِيهَا مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ ،

وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، ثُمَّ قَالَ لَهَا : تَكَلَّمِي ، فَقَالَتْ : قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ، فَقَالَ: وَعِزَّتِي وَجَلاَلِي لاَ يُجَاوِرُنِي فِيكِ بَخِيلٌ (طب) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٣٠٤٥ — لَمَّا صَوَّرَ اللهُ تَعَالَى آدَمَ فِي الْجَنَّةِ، تَرَكَهُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَتْرُكَهُ، فَجَعَلَ إِبْلِيسُ يُطِيفُ بِهِ يَنْظُرُ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا رَآهُ أَجْوَفَ ، عَرَفَ أَنَّهُ خَلْقٌ لاَ يَتَمَالَكُ (حم م) عن أنس رضى الله عنه .

٣٠٤٦ — لَمَّا عَرَجَ بِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ ، مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمِشُونَ بِهَا وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ ، فَقُلْتُ : مَنْ هُؤُلاَءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ : هٰؤُلاَءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ (حم د والضياء) عن أنس رضى الله عنه .

٣٠٤٧ — لَمَّا فَرَغَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ مِنْ بِنَاءِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، سَأَلَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ ثَلاَثاً : أَنْ يُؤْتِيَهُ حُكْماً يُصَادِفُ حُكْمَهُ ، وَمُلْكاً لاَ يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ، وَأَنَّهُ لاَ يَأْتِي هٰذَا الْمَسْجِدَ أَحَدٌ لاَ يُرِيدُ إِلاَّ الصَّلاَةَ فِيهِ إِلاَّ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ ، أَمَّا اثْنَتَيْنِ فَقَدْ أُعْطِيَهُمَا ، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدْ أُعْطِيَ الثَّالِثَةَ (حم ن ه ابن خزيمة حب) عن عبد الله ابن عمرو رضى الله عنه .

٣٠٤٨ — لَمَّا كَذَّبَتْنِي قُرَيْشٌ حِينَ أُسْرِيَ بِي إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، قُمْتُ فِي الْحِجْرِ فَجَلَّى اللهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ ، فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ (حم ق ت ن) عن جابر رضى الله عنه .

٣٠٤٩ - لَنْ تَزُولَ قَدَمُ شَاهِدِ الزُّورِ، حَتَّى يُوجِبَ اللهُ لَهُ النَّارَ (٥ ك) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٣٠٥٠ — لَنْ تَزُولَ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ، حَتَّى يُسْأَلُ عَنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ : عَنْ عُمْرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ ؟ وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ ؟ (البزار طب) عن معاذ رضى الله عنه .

٣٠٥١ — لَنْ يَبْرَحَ هٰذَا الدِّينُ قَائِماً يُقَاتِلُ عَلَيْهِ عِصَابَةٌ مِنَ المُسْلِمِينَ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ (م) عن جابر بن سمرة رضى الله عنه .

٣٠٥٢ — لَنْ يَدْخُلَ النَّارَ رَجُلٌ شَهِدَ بَدْراً وَالْحُدَيْبِيَةَ (حم) عن جابر رضى الله عنه .

٣٠٥٣ — لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ أَحَدٌ إِلاَّ بِرَحْمَةِ اللهِ ، وَلاَ أَنَا إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِرَحْمَتِهِ (حم) عن أبى سعيد (البزاز) عن شريك بن طارق (طب) عن أسامة بن شريك وعن أبى موسى رضى الله عنهم .

٣٠٥٤ — لَنْ يَزَالَ المُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَماً حَرَاماً (خ ك) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٣٠٥٥ — لَنْ يَشْبَعَ المُؤْمِنُ مِنْ خَيْرٍ حَتَّى يَكُونَ مُنْتَهَاهُ الجَنَّةَ (ت حب) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

٣٠٥٦ — لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمْ امْرَأَةً (حم خ ت ن) عن أبى بكرة (طب) عن جابر بن سمرة بنحوه .

٣٠٥٧ — لَنْ يَلِجَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا (حم م د ن) عن عمارة بن رُوَيْبة رضى الله عنه .

٣٠٥٨ — لَنْ يَنَالَ الدَّجَاتِ العُلَى مَنْ تَكَهَّنَ، أَوْ اسْتَقْسَمَ، أَوْ رَجَعَ مِنْ سَفَرٍ تَطَيُّرًا (طب) عن أبى الدَّرداء رضى الله عنه .

٣٠٥٩ — لَنْ يَنْفَعَ حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ، وَلَكِنَّ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ، وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ، فَعَلَيْكُمْ بِالدُّعَاءِ عِبَادَ اللهِ (حم ع طب) عن معاذ رضى الله عنه .

٣٠٦٠ — لَوْ أَنَّ العِبَادَ لَمْ يُذْنِبُوا، لَخَلَقَ اللهُ خَلْقًا يُذْنِبُونَ، ثُمَّ يَغْفِرُ لَهُمْ، وَهُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ (ك) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

٣٠٦١ — لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ قَالَ: بِسْمِ اللهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَإِنَّهُ إِنْ قُضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ مِنْ ذٰلِكَ لَمْ يَضُرُّهُ الشَّيْطَانُ أَبَدًا (حم ق ٤) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٣٠٦٢ — لَوْ أَنَّ امْرُءًا اطَّلَعَ عَلَيْكَ بِغَيْرِ إِذْنِكَ، فَحَذَفْتَهُ بِحَصَاةٍ فَفَقَأْتَ عَيْنَهُ، لَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ جُنَاحٌ (حم ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٠٦٣ — لَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ، أَشْرَفَتْ إِلَى الأَرْضِ لَمَلأَتِ الأَرْضَ مِنْ رِيحِ المِسْكِ، وَلَأَذْهَبَتْ ضَوْءَ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ (طب والضياء) عن سعيد بن عامر رضى الله عنه .

٣٠٦٤ -- لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّماءِ وَالأَرْضِ اشْتَرَكُوا فِي دَمِ مُؤْمِنٍ، لَكَبَّهُمُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ فِي النَّارِ (ت) عن أبي سعيد وأبي هريرة معاً رضي الله عنهما .

٣٠٦٥ - لَوْ أَنَّ رَجُلاً فِي حِجْرِهِ دَرَاهِمُ يَقْسِمُهَا، وَآخَرُ يَذْكُرُ اللهَ كَانَ الذَّاكِرُ لِلهِ أَفْضَلَ (طس) عن أبي موسى رضي الله عنه .

٣٠٦٦ — لَوْ أَنَّ رَجُلاً خَرَّ عَلَى وَجْهِهِ مِنْ يَوْمِ وُلِدَ إِلَى يَوْمِ يَمُوتُ هَرِماً فِي طَاعَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لَحَقَرَهُ ذٰلِكَ اليَوْمَ[1] وَلَوَدَّ أَنَّهُ رُدَّ إِلَى الدُّنْيَا كَيْمَا يَزْدَادُ مِنَ الأَجْرِ وَالثَّوَابِ (حم) عن محمد بن أبي عميرة رضي الله عنه .

٣٠٦٧ — لَوْ أَنَّ رَجُلَيْنِ دَخَلاَ فِي الإِسْلاَمِ فَاهْتَجَرَا، لَكَانَ أَحَدُهُمَا خَارِجاً عَنِ الإِسْلاَمِ حَتَّى يَرْجِعَ - يَعْنِي الظَّالِمَ مِنْهُمَا (البزار) عن ابن مسعود رضي الله عنه .

٣٠٦٨ - لَوْ أَنَّ شَيْئاً كَانَ فِيهِ شِفَاءٌ مِنَ المَوْتِ لَكَانَ فِي السَّنَا (حم د ت ك) عن أسماء بنت عُمَيس رضي الله عنها .

٣٠٦٩ — لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الزَّقُّومِ قَطَرَتْ فِي دَارِ الدُّنْيَا لَأَفْسَدَتْ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا مَعَايِشَهُمْ، فَكَيْفَ بِمَنْ يَكُونُ طَعَامَهُ ؟ (حم ت ن ه حب ك) عن ابن عباس رضي الله عنهما .

٣٠٧٠ — لَوْ أَنَّ مِقْمَعاً مِنْ حَدِيدٍ وُضِعَ فِي الأَرْضِ فَاجْتَمَعَ لَهُ

---

(١) يوم القيامة

الثَّقَلَانِ مَا أَقَلُّوهُ مِنَ الأَرْضِ ، وَلَوْ ضُرِبَ الْجَبَلُ بِمِقْمَعٍ مِنْ حَدِيدٍ كَمَا يُضْرَبُ أَهْلُ النَّارِ لَتَفَتَّتَ وَعَادَ غُبَاراً (حم ع ك) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه .

٣٠٧١ — لَوْ أَنَّ مَا يَقِلُّ ظُفْرٌ مِمَّا فِى الْجَنَّةِ بَدَا ، لَتَزَخْرَفَ لَهُ مَا بَيْنَ خَوَافِقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، وَلَوْ أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ اطَّلَعَ فَبَدَا سِوَارُهُ لَطَمَسَ ضَوْءَ الشَّمْسِ كَمَا تَطْمِسُ الشَّمْسُ ضَوْءَ النُّجُومِ (ت وابن أبى الدنيا) عن سعد رضى الله عنه .

٣٠٧٢ — لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ تَعَالَى حَقَّ تَوَكُّلِهِ ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ ، تَغْدُو خِمَاصاً وَتَرُوحُ بِطَاناً (حم وابن خزيمة ت ه حب ك) عن عمر رضى الله عنه .

٣٠٧٣ — لَوْ آمَنَ بِى عَشَرَةٌ (١) مِنَ الْيَهُودِ ، لآمَنَ بِى الْيَهُودُ (خ) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٠٧٤ — لَوْ أَخْطَأْتُمْ حَتَّى تَبْلُغَ خَطَايَاكُمُ السَّمَاءَ ثُمَّ تُبْتُمْ لَتَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ (ه) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٠٧٥ — لَوْ أُهْدِىَ إِلَىَّ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ ، وَلَوْ دُعِيتُ عَلَيْهِ لأَجَبْتُ (حم ت حب) عن أنس رضى الله عنه .

٣٠٧٦ — لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً (حم ق ت ن ه) عن أنس رضى الله عنه (ك) عن أبى ذر رضى الله عنه بزيادة : وَلَمَا سَاغَ لَكُمُ الطَّعَامُ وَلاَ الشَّرَابُ .

٣٠٧٧ — لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً ،

---

(١) يعنى دفعة واحدة مجتمعين .

وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللهِ تَعَالَى ، لاَ تَدْرُونَ : تَنْجُونَ أَوْ لاَ تَنْجُونَ ؟ (طب ك هب) عن أبي الدرداء رضى الله عنه .

٣٠٧٨ — لَوْ تَعْلَمُونَ مَا ادُّخِرَ لَكُمْ مَا حَزِنْتُمْ عَلَى مَا زُوِيَ عَنْكُمْ (حم) عن العِرْباض رضى الله عنه .

٣٠٧٩ — لَوْ تَعْلَمُونَ مَا فِي الصَّفِّ الأَوَّلِ مَا كَانَتْ إِلاَّ قُرْعَةً (م ٥) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

٣٠٨٠ — لَوْ تَعْلَمُونَ مَا فِي المَسْأَلَةِ ، مَا مَشَى أَحَدٌ إِلَى أَحَدٍ ، يَسْأَلُهُ شَيْئاً (ن) عن عائذ بن عمرو رضى الله عنه .

٣٠٨١ — لَوْ تَعْلَمُونَ مَا لَكُمْ عِنْدَ اللهِ لَأَحْبَبْتُمْ أَنْ تَزْدَادُوا فَاقَةً وَحَاجَةً (ت هب) عن فضالة بن عبيد رضى الله عنه .

٣٠٨٢ - لَوْ جَاءَ العُسْرُ فَدَخَلَ هَذَا الْجُحْرَ لَجَاءَ اليُسْرُ فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَأَخْرَجَهُ (ك) عن أنس رضى الله عنه .

٣٠٨٣ — لَوْ رَجَمْتُ أَحَداً بِغَيْرِ بَيِّنَةٍ لَرَجَمْتُ هَذِهِ[1] (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٣٠٨٤ — لَوْ غُفِرَ لَكُمْ مَا تَأْتُونَ إِلَى البَهَائِمِ لَغُفِرَ لَكُمْ كَثِيرٌ (حم طب) عن أبي الدرداء رضى الله عنه .

---

(١) قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لامرأة اتهمها زوجها بشخص ، وتلاعنا ، وافترقا ، ثم ولدت تلك المرأة طفلا بعد الفرقة يشبه الشخص الذى اتهمها زوجها به .

٣٠٨٥ - لَوْ فَرَّ أَحَدُكُمْ مِنْ رِزْقِهِ أَدْرَكَهُ كَمَا يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ (طس) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

٣٠٨٦ - لَوْ كَانَ الإِيمَانُ بِالثُّرَيَّا لَتَنَاوَلَهُ رِجَالٌ مِنْ فَارِسٍ (ق ث) عن أبي هُرَيرةِ رضي الله عنه.

٣٠٨٧ - لَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابِقَ الْقَدَرِ لَسَبَقَتْهُ الْعَيْنُ (حم ت ه) عن أسماء بنت عميس رضي الله عنها .

٣٠٨٨ - لَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابِقَ الْقَدَرِ لَسَبَقَتْهُ الْعَيْنُ ، وَإِذَا اسْتُغْسِلْتُمْ فَاغْسِلُوا (ت) عن ابن عباس رضي الله عنهما .

٣٠٨٩ - لَوْ كَانَ لِأَحَدِكُمْ هٰذِهِ السَّارِيَةُ لَكَرِهَ أَنْ تُجْدَعَ ، فَكَيْفَ يَعْمَدُ أَحَدُكُمْ فَيَجْدَعُ صَلاتَهُ الَّتِي هِيَ لِلَّهِ ؟ فَأَتِمُّوا صَلاتَكُمْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ تَامًّا (طس) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

٣٠٩٠ - لَوْ كَانَ لابْنِ آدَمَ وَادٍ مِنْ نَخْلٍ لَتَمَنَّى مِثْلَهُ ، ثُمَّ تَمَنَّى مِثْلَهُ ، حَتَّى يَتَمَنَّى أَوْدِيَةً ، وَلاَ يَمْلأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلاَّ التُّرَابُ (حم حب) عن جابر رضي الله عنه .

٣٠٩١ - لَوْ كَانَ لابْنِ آدَمَ وَادٍ مِنْ مَالٍ لابْتَغَى إِلَيْهِ ثَانِيًا ، وَلَوْ كَانَ وَادِيَانِ لابْتَغَى لَهُمَا ثَالِثًا ، وَلاَ يَمْلأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلاَّ التُّرَابُ وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ (حم ق ت) عن أنس (حم ق) عن ابن عباس (خ) عن ابن الزبير (م) عن أبي موسى (ه) عن أبي هريرة (حم) عن أبي واقد (تخ والبزار) عن بريدة رضي الله عنهم .

٣٠٩٢ — لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَباً لَسَرَّنِي أَنْ لاَ يَمُرَّ عَلَيَّ ثَلاَثٌ وَعِنْدِي مِنْهُ شَيْءٌ ، إِلاَّ شَيْءٌ أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ (خ) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

٣٠٩٣ — لَوْ كَانَ مُسْلِماً فَأَعْتَقْتُمْ عَنْهُ أَوْ تَصَدَّقْتُمْ عَنْهُ أَوْ حَجَجْتُمْ عَنْهُ بَلَغَهُ ذٰلِكَ (د) عن ابن عمرو رضي الله عنه .

٣٠٩٤ — لَوْ كَانَ هٰذَا[1] فِي غَيْرِ هٰذَا لَكَانَ خَيْرًا لَكَ[2] (حم ك هب) عن جعدة الجشمي .

٣٠٩٥ — لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شُرْبَةَ مَاءٍ (ت ه طب حل والضياء) عن سهل بن سعد (القضاعي في مسند الشهاب) عن ابن عمر رضي الله عنهما

٣٠٩٦ — لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا (ت) عن أبي هريرة (حم) عن معاذ (ك) عن بريدة رضي الله عنهم .

٣٠٩٧ — لَوْ كُنْتُ آمِراً أَحَداً أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ النِّسَاءَ أَنْ يَسْجُدْنَ لِأَزْوَاجِهِنَّ ، لِمَا جَعَلَ اللهُ لَهُمْ عَلَيْهِنَّ مِنَ الْحَقِّ (دك) عن قيس بن سعد رضي الله عنه .

---

(١) لو كان هذا السمن في غير هذا ـ البطن ـ لكان خيرا لك . لأن سمن البطن ينشأ عن كثرة الأكل والشره فيه . وجاء في ذم السمن آثار وحكم كثيره .

(٢) قاله لرجل سمين عظيم البطن .

٣٠٩٨ — لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً مِنْ أُمَّتِي خَلِيلاً دُونَ رَبِّي لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً ، وَلَكِنْ أَخِي وَصَاحِبِي (حم خ) عن ابن الزُّبير (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهم .

٣٠٩٩ — لَوْ كُنْتُ مُؤَمِّراً عَلَى أُمَّتِي أَحَداً مِنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنْهُمْ، لَأَمَّرْتُ عَلَيْهِمُ ابْنَ أُمِّ عَبْدٍ[1] (حم ت ه ك) عن علىّ عليه السلام .

٣١٠٠ — لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَجَاءَ اللهُ تَعَالَى بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ لِيَغْفِرَ لَهُمْ (حم) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٣١٠١ — لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ ، فَيَسْتَغْفِرُونَ ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣١٠٢ — لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَخَشِيتُ عَلَيْكُمْ مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُ : الْعُجْبُ (البزار) عن أنس رضى الله عنه .

٣١٠٣ — لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ ، لَادَّعَى نَاسٌ دِمَاءَ رِجَالٍ ، وَأَمْوَالَهُمْ ، وَلَكِنَّ الْيَمِينَ عَلَى الْمُدَّعَى عَلَيْهِ (حم ق ه) عن ابن عباس

٣١٠٤ — لَوْ يَعْلَمُ الْمَارُّ بَيْنَ يَدَيِ الْمُصَلِّي مَاذَا عَلَيْهِ، لَكَانَ أَنْ يَقِفَ أَرْبَعِينَ خَيْراً لَهُ مِنْ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ (مالك ق ٤) عن أبى جهيم

٣١٠٥ — لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا طَمِعَ فِي الْجَنَّةِ أَحَدٌ ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنِطَ مِنَ الْجَنَّةِ أَحَدٌ (ت) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

---

(١) هو عبد الله بن مسعود رضى الله عنه .

٣١٠٦ — لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مِنَ الْوَحْدَةِ مَا أَعْلَمُ . مَا سَارَ رَاكِبٌ بِلَيْلٍ وَحْدَهُ (حم خ ت ه) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٣١٠٧ — لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ ، وَالصَّفِّ الأَوَّلِ ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلاَّ أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لاَسْتَهَمُوا ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لاَسْتَبَقُوا إِلَيْهِ ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي العَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْواً (مالك حم ق ن) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

٣١٠٨ — لَوْ يَعْلَمُ صَاحِبُ المَسْأَلَةِ[1] مَا لَهُ فِيهَا ، لَمْ يَسْأَلْ (طب والضياء) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٣١٠٩ — لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلاَةٍ (مالك حم ق ت ه) عن أبى هريرة (حم د ن ه) عن زيد بن خالد الجُهَنى

٣١١٠ - لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلاَةٍ وَلأَخَّرْتُ العِشَاءَ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ (حم ت والضياء) عن زيد بن خالد

٣١١١ — لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ وُضُوءٍ (مالك والشافعى هق) عن أبى هريرة (طس) عن علىّ رضى الله عنهما

---

(١) « لو يعلم صاحب المسألة » أى الذى يسأل الناس صدقة « ما فيها » من أراقة ماء الوجه ، والذلة لغير الله تعالى فى الدنيا ، وذهاب لحم وجهه يوم القيامة ، حيث يكون عظما لا لحم عليه ، فيعرفه الناس يومئذ بأنه كان يسأل « لم يسأل » صدقة أبداً ، حفظا لماء وجهه ، وارتفاعا بنفسه أن يذلها لمخلوق ، وابتعاداً عن الفضيحة يوم القيامة ، أو « لم يسأل » شيئا إطلاقاً ، لأن حذف المفعول يؤذن بالعموم ، ومن الحكم المأثورة السؤال ولو كيف الطريق مذلة ، وهذا مذهب السادة الصوفية . يرون رفع الهمة عن الخلق ، والالتجاء إلى الحق مطلقاً رضى الله عنهم وعنا بهم آمين .

٣١١٢ - لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ عِنْدَ كُلِّ صَلاَةٍ بِوُضُوءٍ ، وَمَعَ كُلِّ وُضُوءٍ بِسِوَاكٍ (حم ن) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

٣١١٣ — لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَفَرَضْتُ عَلَيْهِمُ السِّوَاكَ عِنْدَ كُلِّ صَلاَةٍ ، كَمَا فَرَضْتُ عَلَيْهِمُ الْوُضُوءَ (البزار طب ك) عن العباس

٣١١٤ — لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلاَةٍ كَمَا يَتَوَضَّئُونَ (حم) عن زينب بنت جحش رضى الله عنها .

٣١١٥ — لَوْلاَ أَنَّ الكِلاَبَ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ لَأَمَرْتُ بِقَتْلِهَا كُلِّهَا ، فَاقْتُلُوا مِنْهَا الاسْوَدَ البَهِيمَ (د ت) عن عبد الله بن مُغفّل رضى الله عنه .

٣١١٦ — لَوْلاَ أَنْ لاَ تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ عَذَابَ القَبْرِ (حم م د ن) عن أنس رضى الله عنه .

٣١١٧ — لَوْلاَ أَنِّي أَخَافُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الصَّدَقَةِ لَأَكَلْتُهَا[1] (ق) عن أنس رضى الله عنه .

٣١١٨ — لَوْلاَ أَنَّكُمْ تُذْنِبُونَ لَخَلَقَ اللهُ خَلْقاً يُذْنِبُونَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ (حم م ت) عن أبي أيوبَ رضى الله عنه .

٣١١٩ — لَوْلاَ بَنُو إِسْرَائِيلَ لَمْ يَخْبُثِ[2] الطَّعَامُ ، وَلَمْ يَخْنَزِ اللَّحْمُ وَلَوْلاَ حَوَّاءُ لَمْ تَخُنْ أُنْثَى زَوْجَهَا (حم ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

---

(١) قاله حين وجد تمرة فى الطريق .

(٢) لولا بنو اسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخنز اللحم - لأن الله لما أنزل عليهم المن والسلوى ، شرط عليهم ألا يدخروا رزق اليوم لغد . فحملهم الحرص على الادخار فسلط الله على طعامهم الخبث ، وعلى لحمهم الخنز - ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها. لأن آدم عهد إليها ألا تقرب الشجرة كما أمره الله تعالى ، وهذا تكليف ، وهو أمانة ، فخانت الأمانة بسبقها إلى الأكل من الشجرة .

٣١٢٠ — لَوْلاَ مَخَافَةُ الْقَوَدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَأَوْجَعْتُكَ بِهٰذَا السِّوَاكِ[٧] (حم ع طب حل) عن أم سلمة رضى الله عنها .

٣١٢١ — لَيُّ الْوَاجِدِ[٢] يُحِلُّ عِرْضَهُ وَمَالَهُ (حب ك) عن عمرو بن الشريد عن أبيه رضى الله عنهما .

٣١٢٢ — لَيَأْتِيَنَّ هٰذَا الْحَجَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا ، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ ، يَشْهَدُ عَلَى مَنِ اسْتَلَمَهُ بِحَقٍّ (٥ هب) عن ابن عباس

٣١٢٣ — لَيَأْتِيَنَّ عَلَى الْقَاضِي الْعَدْلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَاعَةٌ يَتَمَنَّى أَنَّهُ لَمْ يَقْضِ بَيْنَ اثْنَيْنِ فِي تَمْرَةٍ قَطُّ (حم) عن عائشة رضى الله عنها .

٣١٢٤ — لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يُكَذَّبُ فِيهِ الصَّادِقُ ، وَيُصَدَّقُ فِيهِ الْكَاذِبُ ، وَيُخَوَّنُ فِيهِ الأَمِينُ ، وَيُؤْتَمَنُ الْخَئُونُ ، وَيَشْهَدُ الْمَرْءُ ، وَلَمْ يُسْتَشْهَدْ ، وَيَحْلِفُ وَإِنْ لَمْ يُسْتَحْلَفْ ، وَيَكُونُ أَسْعَدُ النَّاسِ بِالدُّنْيَا لُكَعَ ابْنَ لُكَعَ ، لاَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ (طب) عن أم سلمة .

٣١٢٥ — لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَطُوفُ الرَّجُلُ فِيهِ بِالصَّدَقَةِ مِنَ الذَّهَبِ ، ثُمَّ لاَ يَجِدُ أَحَداً يَأْخُذُهَا مِنْهُ ، وَيُرَى الرَّجُلُ الْوَاحِدُ يَتْبَعُهُ أَرْبَعُونَ امْرَأَةً ، يَلُذْنَ بِهِ مِنْ قِلَّةِ الرِّجَالِ ، وَكَثْرَةِ النِّسَاءِ (ق) عن أبى موسى رضى الله عنه .

---

(١) خاطب به خادمته حين تأخرت عنه ، تلعب مع الصبيان ، وقد بعثها فى مصلحة .

(٢) (لى الواجد) أى امتناع القادر من دفع ما عليه من حق كدين «يحل عرضه» يبيح شتمه بأن يقال له : أنت ظالم لئيم ، تحب أكل مال الناس . « وماله » بأن يؤخذ منه بالقوة الحق الذى امتنع عن دفعه وإعطاؤه لصاحبه . إلا إذا امتنع من دفع الزكاة ، فللحاكم أخذها وأخذ مال زائد عليها تعزيزاً له . ويضعه فى بيت مال المسلمين

٣١٢٦ — لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ ، لاَ يُبَالِي المَرْءُ بِمَا أَخَذَ المَالَ ، أَمِنْ حَلاَلٍ ؟ أَمْ مِنْ حَرَامٍ ؟ (حم خ) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣١٢٧ — لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ ، لاَ يَبْقَى مِنْهُمْ أَحَدٌ ، إِلاَّ أَكَلَ الرِّبَا ، فَإِنْ لَمْ يَأْكُلْهُ أَصَابَهُ مِنْ غُبَارِهِ (د ه ك) عن أبى هريرة

٣١٢٨ — لَيَأْتِيَنَّ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ ، يُقَرِّبُونَ شِرَارَ النَّاسِ ، وَيُؤَخِّرُونَ الصَّلاَةَ عَنْ وَقْتِهَا ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ ، فَلاَ يَكُونَنَّ عَرِيفًا ، وَلاَ شُرْطِيًّا ، وَلاَ جَابِيًا ، وَلاَ خَازِنًا (حب) عن أبى سعيد وأبى هريرة

٣١٢٩ — لِيُؤَذِّنْ لَكُمْ خِيَارُكُمْ ، وَلْيَؤُمَّكُمْ قُرَّاؤُكُمْ (د ه) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٣١٣٠ — لِيَأْكُلْ كُلُّ رَجُلٍ مِنْ أُضْحِيَتِهِ (طب حل) عن ابن عباس

٣١٣١ — لِيَأْكُلْ أَحَدُكُمْ بِيَمِينِهِ ، وَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ ، وَلْيَأْخُذْ بِيَمِينِهِ ، وَلْيُعْطِ بِيَمِينِهِ ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ ، وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ ، وَيَأْخُذُ بِشِمَالِهِ ، وَيُعْطِي بِشِمَالِهِ (ه) عن أبى هريرة .

٣١٣٢ — لَيَؤُمَّنَّ هٰذَا البَيْتَ جَيْشٌ يَغْزُونَهُ . حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ ، يُخْسَفُ بِأَوْسَطِهِمْ ، وَيُنَادِي أَوَّلُهُمْ آخِرَهُمْ ، ثُمَّ يُخْسَفُ بِهِمْ ، فَلاَ يَبْقَى إِلاَّ الشَّرِيدُ الَّذِي يُخْبِرُ عَنْهُمْ (حم م ن ه) عن حفصة

٣١٣٣ — لِيُبَلِّغْ شَاهِدُكُمْ غَائِبَكُمْ ، لاَ تُصَلُّوا بَعْدَ الفَجْرِ إِلاَّ سَجْدَتَيْنِ (د ه) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٣١٣٤ — لَيَبِيتَنَّ أَقْوَامٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى أَكْلٍ ، وَلَهْوٍ ، وَلَعِبٍ ، ثُمَّ لَيُصْبِحَنَّ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ (طب) عن أبي أمامة رضى الله عنه .

٣١٣٥ — لِيَتَصَدَّقِ الرَّجُلُ مِنْ صَاعِ بُرِّهِ ، وَلْيَتَصَدَّقْ مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ (طس) عن أبي جُحَيفة رضى الله عنه .

٣١٣٦ — لِيَتَّقِ أَحَدُكُمْ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ ، وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ (حم) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

٣١٣٧ — لَيُحَجَّنَّ هٰذَا الْبَيْتُ ، وَلَيُعْتَمَرَنَّ بَعْدَ خُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ (حم خ) عن أبي سعيد رضى الله عنه .

٣١٣٨ — لَيَخْتَصِمَنَّ كُلُّ شَيْءٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى الشَّاتَانِ فِيمَا انْتَطَحَتَا (حم) عن أبي هريرة (حم ع) عن أبي سعيد رضى الله عنهما .

٣١٣٩ — لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا ، أَوْ سَبْعُمِائَةِ أَلْفٍ ، مُتَمَاسِكُونَ آخِذٌ بَعْضُهُمْ بِيَدِ بَعْضٍ ، لَا يَدْخُلُ أَوَّلُهُمْ حَتَّى يَدْخُلَ آخِرُهُمْ وَجُوهُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ (ق) عن سهل بن سعد

٣١٤٠ — لَيَخْرُجَنَّ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَتِي يُسَمُّونَ الْجَهَنَّمِيِّينَ (ت ه) عن عمران بن حصين رضى الله عنه .

٣١٤١ — لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَكْثَرُ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ (حم ه حب ك) عن عبد الله بن أبي الجدعاء رضى الله عنه .

٣١٤٢ — لَيَذْكُرَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَوْمٌ فِي الدُّنْيَا عَلَى الْفُرُشِ الْمُمَهَّدَةِ ، وَيُدْخِلُهُمُ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى (ع حب) عن أبي سعيد رضى الله عنه .

٣١٤٣ — لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ لَيْسَ بِنَبِيٍّ[1] مِثْلُ الْحَيَّيْنِ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ ، إِنَّمَا أَقُولُ مَا أَقُولُ (حم طب) عن أبي أمامة رضى الله عنه .

٣١٤٤ — لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِي الْحَوْضَ ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتُهُمْ وَعَرَفْتُهُمْ اخْتُلِجُوا دُونِي ، فَأَقُولُ : يَا رَبِّ أَصْحَابِي أَصْحَابِي ، فَيُقَالُ : إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا[2] بَعْدَكَ (حم ق) عن أنس وعن حذيفة

---

(١) ليدخلن الجنة بشفاعة رجل ليس بنبي قيل هو سيد التابعين أويس القرنى ، لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين وصفه لعمر رضى الله عنه قال له «فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل» فمن يبلغ به فضله ومنزلته أن يستغفر لعمر ، جدير أن يشفع لمثل ربيعة ومضر ، ولأنه كان يحب الخمول فى الدنيا ويكره الظهور فناسب أن يجازى بأن يعرف اسمه يوم القيامة بشفاعته فى ذلك الجمع الكثير ، هذا إلى أنه مات شهيداً فى جيش على عليه السلام بصفين ، « إنما أقول ما أقول » أى إنما أقول ما يقولنى الملك إياه ، وهذا يوافق قوله تعالى (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى) وإن كان الحديث أخص من الآية .

(٢) هذه الجملة بظاهرها تشعر بعدم علمه صلى الله تعالى عليه وإله وسلم بأحوال أمته بعده مع أن الثابت بالتواتر الصحيحة خلاف ذلك (لأحاديث عرض أعمال الأمة عليه بعد انتقاله للرفيق الأعلى صلى الله عليه وإله وسلم)وجوابنا والله سبحانه أعلم : إن فى الكلام استفهاما محذوفا . تقديره أنك لاتدرى ما أحدثوا بعدك ؟ وبيان المعنى أن النبي صلى الله عليه وسلم حين يرى طائفة من أصحابه تذاد عن الحوض . تأخذه الشفقة عليهم فيدعوهم إليه . ويتوجه إلى الله تعالى شافعا لهم . فيقول (يارب اصحابى) راجيا لهم المغفرة — فينسى — وهو فى غمرة (الرجاء) ما كان يعلمه عنهم . فيذكره الله سبحانه بقوله كأنك لا تدرى ما احدثوا بعدك . أى أنسيت ما احدثوا مما عرض عليك من أعمالهم فيتذكر ويجيب بقوله (سحقا لمن بدل بعدى) مكررا لهذه الجملة تأكيدا لكونه تذكر ما أنسيه من أعمالهم . وهذا كما ينسى الرسل عليهم السلام حين يسألهم الله تعالى ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا أنك أنت علام الغيوب . مع أنهم كانوا يعلمون بما اجيبوا لكنهم نسوا (للرهبة)ولرسولنا صلى الله تعالى عليه وإله وسلم نسى(للرغبة) (لأنه =

٣١٤٥ — لِيَسْأَلْ أَحَدُكُمْ رَبَّهُ حَاجَتَهُ كُلَّهَا حَتى يَسْأَلَهُ شَسْعَ[1] نَعْلِهِ إذا انْقَطَعَ (ت حب) عن أنس رضى الله عنه .

٣١٤٦ — لَيْسَ الْخَبَرُ كَالْمُعَايَنَةِ[2]، إِنَّ اللهَ أَخْبَرَ مُوسَى بِمَا صَنَعَ قَوْمُهُ فِي العِجْلِ ، فَلَمَّا عَايَنَ أَلْقَى الأَلْوَاحَ (حم حب طس ك) عن ابن عباس (طب والضياء) عن أنس رضى الله عنهم .

= رؤف رحيم) فبين المقامين تفاوت كبير كما لا يخفى. ويظهر وجه آخر من التأويل. وهو أن يكون النفى ليس مسلطا على علمه باحوالهم . بل على العلم بعقابهم . وفى الكلام مضاف محذوف تقديره . إنك لاتدرى جزاء ما أحدثوا بعدك ؟ أى أن جزاء ما أحدثوا بعدك شديد لاتعلمه . فيكرر النبى صلى الله عليه وسلم قوله (سحقا سحقا لمن بدل بعدى) مستعظما لجزائهم المدخر لهم . ولا شك أن مقدار الجزاء على أى عمل مما اختص الله تعالى بعلمه . وقد صح فى الحديث : إن الله يعطى لأهل الجنة ما لاعين رأت ولا إذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . (جعلنا الله منهم بفضله وجوده) ومثل ذلك يقال فى أهل النار والعياذ بالله تعالى . وعلى كلا الاحتمالين فالسر فى جواب الله لرسوله بالجملة المذكوره . الاشارة إلى أنه لابد من عذابهم على ما أحدثوا . فكأنه يقول على المعنى الأول اذكرك بعملهم لتأكد تحتم عقابهم . وعلى المعنى الثانى كأنه يقول لاتدرى عظم جزاء ما أحدثوا . . والله أعلم .

(١) الشسع : قطعة الجلد التى تربط النعل بالقدم .

(٢) « ليس الخبر كالمعاينة » لأن الخبر يفيد الظن أو علم اليقين ، والمعاينة تفيد عين اليقين ، قال تعالى (ثم لترونها عين اليقين) وموسى عليه السلام حين أخبره الله بفتنة قومه ، علم علم يقين بضلالهم الذى لم يعرف تفصيله ، فلما شاهدهم يعبدون العجل، كشف له عين اليقين ما كان مبهما عنده فى علم اليقين ، فألقى الألواح. لهول ما كوشف به من قبح ضلال قومه . ولو ألقى الألواح حين أخبره الله تعالى ، لكان يعتبر ذلك غضباً على الله ، وسوء أدب معه . إما إلقاؤها حين مشاهدة عبادة العجل ، فهو غضب لله ، وانتصار لدينه .

٣١٤٧ — لَيْسَ الْخُلْفُ أَنْ يَعِدَ الرَّجُلُ وَمِنْ نِيَّتِهِ أَنْ يَفِيَ ، وَلٰكِنَّ الْخُلْفَ أَنْ يَعِدَ الرَّجُلُ وَمِنْ نِيَّتِهِ أَنْ لاَ يَفِيَ (ع) عن زيد بن أرقم

٣١٤٨ — لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ (حم ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

٣١٤٩ — لَيْسَ الصِّيَامُ مِنَ الأَكْلِ والشُّرْبِ ، إِنَّمَا الصِّيَامُ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ ، فَإِنْ سَابَّكَ أَحَدٌ أَوْ جَهِلَ عَلَيْكَ فَقُلْ : إِنِّي صَائِمٌ ، إِنِّي صَائِمٌ (حب ك هق وابن خزيمة) عن أبي هُريرة رضى الله عنه .

٣١٥٠ — لَيْسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ ، وَلٰكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ (حم ق ٤) عن أبي هُريرة رضى الله عنه .

٣١٥١ — لَيْسَ الكَذَّابُ بِالَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ فَيُنْمِي خَيْرًا ، وَيَقُولُ خَيْرًا (حم ق د ن) عن أم كلثوم بنت عقبة (طب) عن شداد بن أوس

٣١٥٢ — لَيْسَ المُؤْمِنُ الَّذِي لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ (طب) عن طلق بن على

٣١٥٣ — لَيْسَ المُؤْمِنُ بِالَّذِي يَشْبَعُ وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ (خد طب ك هق) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٣١٥٤ — لَيْسَ المُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ ، وَلاَ اللَّعَّانِ ، وَلاَ الفَاحِشِ ، وَلاَ البَذِيِّ (حم خد حب ك) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

٣١٥٥ — لَيْسَ المِسْكِينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ فَتَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ ، وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ ، وَلٰكِنَّ المِسْكِينَ الَّذِي لاَ يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ ، وَلاَ يُفْطَنُ لَهُ فَيُتَصَدَّقُ عَلَيْهِ ، وَلاَ يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ (مالك حم ق د ن) عن أبي هُريرة رضى الله عنه .

٣١٥٦ — لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِىءِ ، وَلَكِنَّ الْوَاصِلَ الَّذِى إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا (حم خ د ن) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

٣١٥٧ — لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللهِ ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللهِ ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَنْزَلَ الْكِتَابَ وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ (م) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

٣١٥٨ — لَيْسَ أَحَدٌ أَفْضَلُ عِنْدَ اللهِ مِنْ مُؤْمِنٍ يُعَمِّرُ فِى الإِسْلَامِ لِتَكْبِيرِهِ ، وَتَحْمِيدِهِ ، وَتَسْبِيحِهِ ، وَتَهْلِيلِهِ (حم) عن طلحة .

٣١٥٩ — لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِى يَعُولُ ثَلَاثَ بَنَاتٍ ، أَوْ ثَلَاثَ أَخَوَاتٍ فَيُحْسِنُ إِلَيْهِنَّ إِلَّا كُنَّ لَهُ سَتْرًا مِنَ النَّارِ (هب) عن عائشة

٣١٦٠ — لَيْسَ أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ مِنَ اللهِ ، إِنَّهُمْ لَيَدَّعُونَ لَهُ وَلَداً ، وَيَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَاداً ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ (ق) عن أبى موسى

٣١٦١ — لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ غَوَائِلَهُ (ك) عن أنس

٣١٦٢ — لَيْسَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَالشِّرْكِ إِلَّا تَرْكُ الصَّلَاةِ ، فَإِذَا تَرَكَهَا فَقَدْ أَشْرَكَ (ه) عن أنس رضى الله عنه .

٣١٦٣ — لَيْسَ شَىْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللهِ مِنَ الدُّعَاءِ (حم خد ت ك) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣١٦٤ — لَيْسَ شَىْءٌ أَحَبَّ إِلَى اللهِ مِنْ قَطْرَتَيْنِ وَأَثَرَيْنِ : قَطْرَةُ دُمُوعٍ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ، وَقَطْرَةُ دَمٍ تُهَرَاقُ فِى سَبِيلِ اللهِ ، وَأَمَّا الْأَثَرَانِ فَأَثَرٌ فِى سَبِيلِ اللهِ ، وَأَثَرٌ فِى فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ اللهِ (ت) عن أبى أمامة

٣١٦٥ — لَيْسَ شَيْءٌ إلاّ وَهُوَ أَطْوَعُ لِلّهِ تَعَالَى مِنِ ابْنِ آدَمَ (البزار) عن بُريدة رضى الله عنها .

٣١٦٦ — لَيْسَ عَلَى المَـاءِ جَنَابَةٌ (١) (طب) عن ميمونة رضى الله عنها .

٣١٦٧ — لَيْسَ عَلَى المَـاءِ جَنَابَةٌ ، وَلاَ عَلَى الأَرْضِ جَنَابَةٌ ، وَلاَ عَلَى الثَّوْبِ جَنَابَةٌ (قط) عن جابر رضى الله عنه .

٣١٦٨ — لَيْسَ عَلَى المُخْتَلِسِ قَطْعٌ (٥) عن عبد الرحمن بن عوف

٣١٦٩ — لَيْسَ عَلَى المَرْأَةِ إحْرَامٌ إلاّ فِي وَجْهِهَا (طب هق) عن ابن عمر

٣١٧٠ — لَيْسَ عَلَى المُسْلِمِ فِي عَبْدِهِ ، وَلاَ فِي فَرَسِهِ صَدَقَةٌ (حم ق ٤) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣١٧١ — لَيْسَ عَلَى المُسْلِمِ زَكَاةٌ فِي كَرْمِهِ ، وَلاَ فِي زَرْعِهِ إذَا كَانَ أَقَلَّ مِنْ خَمْسَةِ أَوْسُقٍ (٢) (ك هق) عن جابر رضى الله عنه .

٣١٧٢ — لَيْسَ عَلَى المُعْتَكِفِ (٣) صِيَامٌ إلاّ أَنْ يَجْعَلَهُ عَلَى نَفْسِهِ (ك هق) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

---

(١) اغتسلت بعض أمهات المؤمنين غسل الحيض ، وبقى فى الإناء بقية من ماء ، أراد النبى صلى الله عليه وسلم أن يتوضأ بها ، فأخبرته بأنها اغتسلت منها للحيض ، فقال « ليس على المـاء جنابة » يعنى أن الاغتسال بالمـاء لا يذهب طهوريته ، فيصح الوضوء بالمـاء المتبقى بعد الاغتسال . لـكن المـاء النازل من أعضاء المتطهر تذهب طهوريته ، فلا يصح استعماله فى وضوء أو غسل خلافا للمالـكية ، لأنه أدى طهارة ، وتلوث بخطايا أعضاء المتطهر به وفقنا الله للعمل بالسنة الصحيحة آمين .

(٢) أرادب .

(٣) « ليس على المعتكف صيام » إلا أن أراده . لأن الاعتـكاف لبث فى المسجد بقصد القربة ، فلم يتوقف على صيام .

٣١٧٣ — لَيْسَ عَلَى الْمُنْتَهِبِ ، وَلاَ عَلَى الْمُخْتَلِسِ[1] ، وَلاَ عَلَى الْخَائِنِ قَطْعٌ (حم ٤ حب) عن جابر رضى الله عنه .

٣١٧٤ — لَيْسَ عَلَى النِّسَاءِ حَلْقٌ ، إِنَّمَا عَلَى النِّسَاءِ التَّقْصِيرُ (د) عن ابن عباس.

٣١٧٥ — لَيْسَ عَلَى أَبِيكَ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ (خ) عن أنس

٣١٧٦ — لَيْسَ عَلَى رَجُلٍ نَذْرٌ فِيمَا لاَ يَمْلِكُ ، وَلَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُذِّبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ حَلَفَ بِمِلَّةٍ سِوَى الإِسْلاَمِ كَاذِبًا فَهُوَ كَمَا قَالَ ، وَمَنْ قَذَفَ مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ (حم ق ٤) عن ثابت بن الضحاك رضى الله عنه .

٣١٧٧ — لَيْسَ عَلَى الرَّجُلِ طَلاَقٌ فِيمَا لاَ يَمْلِكُ ، وَلاَ عِتَاقٌ فِيمَا لاَ يَمْلِكُ وَلاَ بَيْعٌ فِيمَا لاَ يَمْلِكُ (حم ن) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

٣١٧٨ — لَيْسَ عَلَى مُسْلِمٍ جِزْيَةٌ (حم د) عن بن عباس رضى الله عنهما

٣١٧٩ — لَيْسَ عَلَى مَقْهُورٍ يَمِينٌ (قط) عن أبى أمامة رضى الله عنه

٣١٨٠ — لَيْسَ عَلَى مَنْ اسْتَفَادَ مَالاً زَكَاةٌ . حَتَّى يَحُولَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ (طب) عن أم سعد رضى الله عنها .

٣١٨١ — لَيْسَ عَلَى وَلَدِ الزِّنَا مِنْ وِزْرِ أَبَوَيْهِ شَيْءٌ (ك) عن عائشة

٣١٨٢ — لَيْسَ عَلَيْكُمْ فِى غَسْلِ مَيِّتِكُمْ غَسْلٌ (ك) عن ابن عباس

---

(١) السرقة التى توجب القطع شرعاً ، هى أخذ المال خفية من مكان حريز ، كمن يدخل بيتاً فى غيبة أهله أو غفلة منهم ، ويأخذ منه نقوداً أو حلياً أو نحو ذلك . وكمن ينبش القبور ، ويأخذ أكفان الموتى ، أما الذى ينتهب مالا من صاحبه خطفاً أو يختلسه سلباً ، أو ينكر أمانة وضعت عنده فلم يأخذ المال من مكان حريز ، فلهذا لا تقطع يده وإنما يعزر التعزير الرادع له ولا مثاله . والحكمة فى تلك الشروط ، تضيق دائرة القطع ، حتى لا يسرع الحكام فى قطع أيدى الناس .

٣١٨٣ -- لَيْسَ فِى الْخَيْلِ وَالرَّقِيقِ زَكَاةٌ. إِلاَّ زَكَاةَ الفِطْرِ فى الرَّقِيقِ (د) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣١٨٤ — لَيْسَ فِى العَبْدِ صَدَقَةٌ. إِلاَّ صَدَقَةُ الفِطْرِ (م) عن أبى هريرة

٣١٨٥ — ليْسَ فى المَالِ زَكَاةٌ حَتَّى يَحُولَ عَلَيْهِ الحَوْلُ (قط) عن أنس

٣١٨٦ — لَيْسَ فِى النَّوْمِ تَفْرِيطٌ ، إِنَّمَا التَّفْرِيطُ فِى اليَقْظَةِ أَنْ تُؤَخِّرَ الصَّلاَةَ حَتَّى يَدْخُلَ وَقْتَ صَلاَةٍ أُخْرَى (حم حب) عن أبى قتادة

٣١٨٧ — ليْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسَةِ أَوْسُقٍ مِنَ التَّمْرِ صَدَقَةٌ ، وَلَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسِ ذَوْدٍ مِنَ الإِبِلِ صَدَقَةٌ ، وَلَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسِ أَوَاقٍ مِنَ الْوَرِقِ[1] صَدَقَةٌ (مالك والشافعى ، حم ق ٤) عن أبى سعيد

٣١٨٨ — لَيْسَ فى مَالِ المُسْتَفِيدِ زَكَاةٌ حَتَّى يَحُولَ عَلَيْهِ الحَوْلُ (هق) عن ابن عمر رضى الله عنهما.

٣١٨٩ — لَيْسَ لِلْقَاتِلِ مِنَ المِيرَاثِ شَىْءٌ (هق) عن ابن عمرو عن رجل عنه (٥) عن رجل نحوه .

٣١٩٠ — ليسَ لِلْمَوْلَى مَعَ الثَّيِّبِ أَمْرٌ ، وَاليَتِيمَةُ تُسْتَأْمَرُ ، وَصَمْتُهَا إِقْرَارُهَا (د ن) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٣١٩١ — ليسَ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَنْطَلِقَ لِلْحَجِّ إِلاَّ بِإِذْنِ زَوْجِهَا ، وَلاَ يَحِلُّ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تُسَافِرَ ثَلاَثَ لَيَالٍ إِلاَّ وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ تَحْرُمُ عَلَيْهِ (هق) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

---

(١) الورق : الفضة .

٣١٩٢ — لَيْسَ لِابْنِ آدَمَ حَقٌّ فِى سِوَى هٰذِهِ الْخِصَالِ : بَيْتٌ يُكِنُّهُ ، وَثَوْبٌ يُوَارِى عَوْرَتَهُ ، وَجِلْفُ الْخُبْزِ وَالْمَاءِ (ت ك) عن عثمان بن عفان

٣١٩٣ — لَيْسَ لِأَحَدٍ فَضْلٌ عَلَى أَحَدٍ إِلاَّ بِالدِّينِ أَوْ عَمَلٍ صَالِحٍ . حَسْبُ الرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ فَاحِشاً بَذِيًّا بَخِيلاً جَبَاناً (هب) عن عقبة بن عامر

٣١٩٤ — لَيْسَ لِى أَنْ أَدْخُلَ بَيْتاً مُزَوَّقاً[1] (حم طب) عن سفينة

٣١٩٥ — لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ الصِّيَامُ فِى السَّفَرِ (حم ق د ن) عن جابر (٥حب) عن ابن عمر (ن ٥) عن كعب بن عاصم الأشعرى رضى الله عنهم .

٣١٩٦ — لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعَى[2] لِغَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُ إِلاَّ كَفَرَ ، وَمَنِ ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ فَلَيْسَ مِنَّا وَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ ، وَمَنْ دَعَا رَجُلاً بِالْكُفْرِ ، أَوْ قَالَ عَدُوُّ اللهِ ، وَلَيْسَ كَذٰلِكَ إِلاَّ صَارَ عَلَيْهِ ، وَلاَ يَرْمِى رَجُلٌ رَجُلاً بِالْفِسْقِ وَلاَ يَرْمِيهِ بِالْكُفْرِ إِلاَّ ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذٰلِكَ (حم ق) عن أبى ذر رضى الله عنه .

---

(١) « ليس لى أن أدخل بيتاً مزوقاً » أى مزخرفاً بنقوش وألوان ، وكلمة « لى » تفيد اختصاصه صلى الله عليه وسلم بهذا ، لأنه مأمور بالأعراض عن زهرة الحياة الدنيا وزخارفها ، فلا يفيد تحريم زخرفة البيوت وتزويقها . إلا إذا خرجت الزخرفة إلى حد الإسراف المحرم شرعا .

(٢) « ليس من رجل ادعى » بفتح الدال المشددة والعين ، انتسب « لغير أبيه وهو يعلم ألا كفر » عملا أى عمل عمل الكفار حيث كانوا يستلحقون الأولاد من الزنا للتكاثر والتقوى على الخصوم ، ولغير ذلك من الأغراض . وقد عاب الصحابة رضى الله عنهم استلحاق معاوية لزياد بأبى سفيان ، للاستعانة بدهائه ومكره على خصومه وتلك كبيرة ارتكبها معاوية ، أحيابها سنة جاهلية . ولا يمكن لمنصف الاعتذار عنه بأنه اجتهد ، لأنه لا اجتهاد مع النص والصحابى ليس بمعصوم .

٣١٩٧ — لَيْسَ مِنْ عَمَلٍ يُقَرِّبُ مِنَ الْجَنَّةِ إِلاَّ قَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ ، وَلاَ عَمَلٍ يُقَرِّبُ مِنَ النَّارِ إِلاَّ وَقَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ ، فَلاَ يَسْتَبْطِئَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ رِزْقَهُ ، فَإِنَّ جِبْرِيلَ أَلْقَى فِى رَوْعِى : إِنَّ أَحَداً مِنْكُمْ لَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى يَسْتَكْمِلَ رِزْقَهُ ، فَاتَّقُوا اللهَ أَيُّهَا النَّاسُ وَأَجْمِلُوا فِى الطَّلَبِ ، فَإِنِ اسْتَبْطَأَ أَحَدٌ مِنْكُمْ رِزْقَهُ فَلاَ يَطْلُبْهُ بِمَعْصِيَةِ اللهِ ، فَإِنَّ اللهَ لاَ يُنَالُ فَضْلُهُ بِمَعْصِيَتِهِ (ك) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

٣١٩٨ — لَيْسَ مِنْ عَمَلِ يَوْمٍ إِلاَّ وَهُوَ يُخْتَمُ عَلَيْهِ ، فَإِذَا مَرِضَ الْمُؤْمِنُ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ : يَا رَبَّنَا عَبْدُكَ فُلاَنًا قَدْ حَبَسْتَهُ ، فَيَقُولُ الرَّبُّ : اخْتِمُوا لَهُ عَلَى مِثْلِ عَمَلِهِ حَتَّى يَبْرَأَ ، أَوْ يَمُوتَ (حم طب ك) عن عقبة ابن عامر

٣١٩٩ — لَيْسَ مِنْ نَفْسِ ابْنِ آدَمَ إِلاَّ عَلَيْهَا صَدَقَةٌ فِى كُلِّ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ . قِيلَ : مِنْ أَيْنَ لَنَا صَدَقَةٌ نَتَصَدَّقُ بِهَا ؟ قَالَ إِنَّ أَبْوَابَ الْخَيْرِ كَثِيرَةٌ : التَّسْبِيحُ ، وَالتَّحْمِيدُ ، وَالتَّكْبِيرُ ، وَالتَّهْلِيلُ ، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْىُ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَتُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ ، وَتُسْمِعُ الأَصَمَّ ، وَتَهْدِى الأَعْمَى ، وَتَدُلُّ الْمُسْتَدِلَّ عَلَى حَاجَتِهِ ، وَتَسْعَى بِشِدَّةِ سَاقَيْكَ مَعَ اللَّهْفَانِ الْمُسْتَغِيثِ ، وَتَحْمِلُ بِشِدَّةِ ذِرَاعَيْكَ مَعَ الضَّعِيفِ ، فَهَذَا كُلُّهُ صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ (حب) عن أبى ذر رضى الله عنه .

٣٢٠٠ — لَيْسَ مِنَّا مَنِ انْتَهَبَ أَوْ سَلَبَ أَوْ أَشَارَ بِالسَّلْبِ (طب ك) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٣٢٠١ — لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَّهَ بِالرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ ، وَلاَ مَنْ تَشَبَّهَ بِالنِّسَاءِ مِنَ الرِّجَالِ (حم) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

٣٢٠٢ — لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطِيِّرَ لَهُ ، أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكِهِّنَ لَهُ ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ (طب) عن ابن عباس رضى الله عنهما (البزار) عن عمران بن حصين بزيادة : وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّمَ .

٣٢٠٣ — ليسَ مِنَّا مَنْ حَلَفَ بِالأَمَانَةِ ، وَمَنْ خَبَّبَ[1] عَلَى امْرِىءٍ زَوْجَتَهُ ، أَوْ مَمْلُوكَهُ فَلَيْسَ مِنَّا (حم حب ك) عن بُريدة .

٣٢٠٤ — لَيْسَ مِنَّا مَنْ خَبَّبَ امْرَأَةً على زَوْجِهَا ، أَوْ عَبْداً عَلَى سَيِّدِهِ (د ك) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٢٠٥ — لَيْسَ مِنَّا مَنْ خَصَى أَوِ اخْتَصَى[2] ، وَلَكِنْ صُمْ وَوَفِّرْ شَعَرَ جَسَدِكَ (طب) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٣٢٠٦ — لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّةٍ ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ ، وَلَيسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ (د) عن جبير بن مُطعم

٣٢٠٧ — لَيْسَ مِنَّا مَنْ سَلَقَ ، وَمَنْ حَلَقَ ، وَمَنْ خَرَقَ (د ن) عن أبى موسى رضى الله عنه .

---

(١) خبب : أى أغوى وفسد .

(٢) « ليس منا من خصى » خصاء الآدمى كبيرة « ولكن صم » الخطاب لعثمان ابن مظعون وغيره ممن أراد الخصاء خوفاً من الوقوع فى الزنا . والصيام يضعف الشهوة « ووفر شعر جسدك » المراد بالجسد هنا : شعر الرأس واللحية ، فهو مجاز مرسل ، من إطلاق الكل . وإرادة البعض . مثل قوله تعالى (يجعلون أصابعهم فى آذانهم) أى أناملهم . وتوفير شعر الجسد لا علاقة له بالخصاء ، بل هو معطوف على صم عطف جملة على جملة ، وفيه تلميح للمخاطب بانه لا يجوز له نقص رجولته بالخصاء ، بل يحافظ على مظهرها بتوفير شعر رأسه ولحيته ، والمعروف المشاهد أن الخصيين لا تنبت لهم لحية ، ويكون جسدهم كجسد المرأة لنعومته .

٣٢٠٨ — لَيْسَ مِنَّا مَنْ غَشَّ (حم د ه ك) عن أبي هريرة

٣٢٠٩ — لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الْخُدُودَ ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ (حم ق ت ن ه) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

٣٢١٠ — لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ (خ) عن أبي هريرة (حم دحب ك) عن سعد (د) عن أبي لُبابة بن عبد المنذر (ك) عن ابن عباس وعن عائشة رضى الله عنهم .

٣٢١١ — لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمِ الصَّغِيرَ ، وَيُوَقِّرِ الْكَبِيرَ ، وَيَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ (حم ت حب) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٣٢١٢ — لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا ، وَيَعْرِفْ شَرَفَ كَبِيرِنَا (حم ت ك) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

٣٢١٣ — لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا ، وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا (ك) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٣٢١٤ — لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا ، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا ، وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ (حم طب ك) عن عُبادة بن الصامت رضى الله عنه .

٣٢١٥ — لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا ، وَلَمْ يَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ غَشَّنَا ، وَلَا يَكُونُ الْمُؤْمِنُ مُؤْمِنًا حَتَّى يُحِبَّ الْمُؤْمِنِينَ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ (طب) عن ضُمَيرة رضى الله عنه .

٣٢١٦ — لَيْسَ مِنَّا مَنْ وَطِئَ[1] حُبْلَى (طب) عن ابن عباس .

---

(١) ليس منا من وطىء حبلى ، إذا طلقت المرأة أو مات زوجها . وهى حبلى، =

٣٢١٧ — لَيْسَ مِنْكُمْ مِنْ رَجُلٍ إِلاَّ أَنَا مُمْسِكٌ بِحُجْزَتِهِ أَنْ يَقَعَ فِي النَّارِ (طب) عن سَمُرة رضى الله عنه .

٣٢١٨ — لَيْسَ مِنِّي ذُو حَسَدٍ ، وَلاَ نَمِيمَةٍ ، وَلاَ كَهَانَةٍ ، وَلاَ أَنَا مِنْهُ (طب) عن عبد الله بن بُسْر رضى الله عنه .

٣٢١٩ — لَيْسَ يَتَحَسَّرُ أَهْلُ الْجَنَّةِ عَلَى شَيْءٍ ، إِلاَّ عَلَى سَاعَةٍ مَرَّتْ بِهِمْ لَمْ يَذْكُرُوا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا (طب هب) عن مُعاذ رضى الله عنه .

٣٢٢٠ — لَيْسَتِ السَّنَةُ بِأَنْ لاَ تُمْطَرُوا ، وَلَكِنَّ السَّنَةَ أَنْ تُمْطَرُوا وَتُمْطَرُوا ، وَلاَ تُنْبِتُ الأَرْضُ شَيْئاً (الشافعى حم م) عن أبى هريرة .

٣٢٢١ — لِيَشْتَرِكِ النَّفَرُ فِي الْهَدْيِ (ك) عن جابر رضى الله عنه .

٣٢٢٢ — لَيَشْرَبَنَّ أُنَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا ، وَيُضْرَبُ عَلَى رُؤُسِهِمْ بِالْمَعَازِفِ وَالْقَيْنَاتِ ، يَخْسِفُ اللهُ بِهِمُ الأَرْضَ ، وَيَجْعَلُ مِنْهُمْ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ (ه حب طب هب) عن أبى مالك الأشعرى .

٣٢٢٣ — لَيَشْرَبَنَّ أُنَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا (حم د) عن أبى مالك رضى الله عنه .

٣٢٢٤ — لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ ، فَإِذَا كَسِلَ أَوْ فَتَرَ ، فَلْيَقْعُدْ (حم ق د ن ه) عن أنس رضى الله عنه .

= فلا يجوز العقد عليها حتى تضع حملها ، وإذا فرق الإمام على المجاهدين سبايا الحرب ، فيحل لمن وقعت جارية من نصيبه أن يطأها بملك اليمين إلا إذا كانت حبلى فلا يحل له وطؤها إلا بعد الوضع . وهذا مراد الحديث ، لأنه قيل فى غزوة من الغزوات .

٣٢٢٥ — لِيَضَعْ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ مِثْلَ مُؤْخِرَةِ الرَّحْلِ وَلاَ يَضُرُّهُ مَا مَرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ (الطيالسى حب) عن طلحة رضى الله عنه .

٣٢٢٦ — لَيَغْشَيَنَّ أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِناً وَيُمْسِي كافِراً ، يَبِيعُ أَقْوَامٌ دِينَهُمْ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا قَلِيلٍ (ك) عن ابن عمر رضى الله عنهما.

٣٢٢٧ — لَيَفِرَّنَّ النَّاسُ مِنَ الدَّجَّالِ فِى الْجِبَالِ (حم م ت) عن أم شريك

٣٢٢٨ — لَيَقْتُلَنَّ ابْنُ مَرْيَمَ الدَّجَّالَ بِبَابِ لُدٍّ (حم) عن مُجَمِّع ابن جارية رضى الله عنه .

٣٢٢٩ — لَيَقْرَأَنَّ الْقُرْآنَ نَاسٌ مِنْ[1] أُمَّتِي يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ (حم ه) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٣٢٣٠ — لِيَقُلْ أَحَدُكُمْ حِينَ يُرِيدُ أَنْ يَنَامَ : آمَنْتُ بِاللهِ وَكَفَرْتُ بِالطَّاغُوتِ ، وَعْدُ اللهِ حَقٌّ ، وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ، اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنْ طَوَارِقِ هٰذَا اللَّيْلِ إِلاَّ طَارِقاً يَطْرُقُ بِخَيْرٍ (طب) عن أبى مالك الأشعرى .

٣٢٣١ — لِيَقُمِ الأَعْرَابُ خَلْفَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ لِيَقْتَدُوا بِهِمْ فِى الصَّلاَةِ (طب) عن سمرة رضى الله عنه .

---

(١) « ليقرأن القرآن ناس من أمتى » قراءة سطحية خالية عن تدبر معانيه ، والانتفاع بتعاليمه ، « يمرقون من الدين » يخرجون منه سراعا « كما يمرق السهم من الرمية » أى الصيد الذى يصيبه السهم ويخرج منه ، من الجانب الآخر . وهم الخوارج الذين حاربوا عليا عليه السلام وخرجوا عليه ، ولذلك سماهم أهل السنة : مارقة . ويلتحق بهم خوارج هذا الزمان ، الذين يضعون آيات القرآن غير مواضعها. ويشذون عن جماعة المسلمين من سلفنا الصالح بدعوى التجديد .

٣٢٣٢ — لِيَكْفِ الرَّجُلَ مِنْكُمْ كَزَادِ[1] الرَّاكِبِ (٥ حب) عن سلمان رضى الله عنه .

٣٢٣٣ — لِيَكْفِ أَحَدَكُمْ مِنَ الدُّنْيَا[2] خَادِمٌ وَمَرْكَبٌ (حم ن والضياء) عن بريدة رضى الله عنها .

٣٢٣٤ — لِيَلِيَنِي مِنْكُمْ أُولُوا الأَحْلَامِ وَالنُّهَى ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ وَلَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ ، وَإِيَّاكُمْ وَهَيْشَاتِ[3] الأَسْوَاقِ (م ٤) عن أبى مسعود رضى الله عنه .

٣٢٣٥ — لِيَلِنِي مِنْكُمُ الذِينَ يَأْخُذُونَ عَنِّى (ك) عنه .

٣٢٣٦ — لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ، ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الغَافِلِينَ (حم م ن ٥) عن ابن عمر ، وابن عباس رضى الله عنهم .

---

(١) « ليكف الرجل منكم » لغذائه طعام « كزاد الراكب » أى مثل زاد الراكب فى خفته . والحديث يحض على التقلل من الطعام ، والاقتصاد على ما يلزم لدفع غائلة الجوع . والأمر فى الحديث للندب ، فلا يفيد تحريم التوسع فى الاطعمة المباحة ما لم يصل إلى حد الأسراف .

(٢) « ليكف أحدكم من الدنيا خادم ومركب » أما الخادم فإنه يساعده فى شؤنه فى المنزل وخارجه . والمراد بالخادم : العبد المملوك . والحديث يحث على اعتاق الرقاب . فكأنه يقول : من كان يملك عبدين أو أكثر ، فليحررها ، ويكفيه عبد يخدمه . وأما المركب فإنه يحمله ويحمل اثقاله ، ويوصله إلى غرضه فى حضره وسفره ، وهو يشمل السيارة أيضا وما يماثلها إلخ .

(٣) « أياكم وهيشات الأسواق » جمع هيشه بفتح الهاء . وهى ما يحصل فى الاسواق من هيجان وخصومات وحلف باطل الخ والحديث يحذر من الاشتراك فى تلك الحالات الموقعة فى الاثم .

٣٢٣٧ — لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِى الصَّلَاةِ ، أَوْ لَا تَرْجِعُ أَبْصَارُهُمْ (حم م د ه) عن جابر بن سمرة رضى الله عنه .

٣٢٣٨ — لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ رَفْعِهِمْ أَبْصَارَهُمْ عِنْدَ الدُّعَاءِ فِى الصَّلَاةِ إِلَى السَّمَاءِ ، أَوْ لَتُخْطَفَنَّ أَبْصَارُهُمْ (م ن) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٢٣٩ — لَيَنْتَهِيَنَّ رِجَالٌ عَنْ تَرْكِ الْجَمَاعَةِ ، أَوْ لَأُحْرِقَنَّ بُيُوتَهُمْ (ه) عن أسامة رضى الله عنه .

٣٢٤٠ — لِيَنْصُرِ الرَّجُلُ أَخَاهُ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا ، إِنْ كَانَ ظَالِمًا فَلْيَنْهَهُ ، فَإِنَّهُ لَهُ نُصْرَةٌ ، وَإِنْ كَانَ مَظْلُومًا فَلْيَنْصُرْهُ (حم ق) عن جابر رضى الله عنه .

٣٢٤١ — لِيَنْظُرَنْ أَحَدُكُمْ مَا الَّذِى يَتَمَنَّى ؟ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِى مَا يُكْتَبُ لَهُ مِنْ أُمْنِيَّتِهِ (ت) عن أبى سلمة رضى الله عنه .

٣٢٤٢ — لَيُنْتَقَضَنَّ الإِسْلَامُ عُرْوَةً عُرْوَةً (حم) عن فيروز الديلمى .

٣٢٤٣ — لَيَوَدَّنَّ رَجُلٌ أَنَّهُ خَرَّ مِنْ عِنْدِ الثُّرَيَّا وَأَنَّهُ لَمْ يَلِ مِنْ أَمْرِ النَّاسِ شَيْئًا (الحارث ك) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٢٤٤ — لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِآبَائِهِمُ الَّذِينَ مَاتُوا ، إِنَّمَا هُمْ فَحْمُ جَهَنَّمَ ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْجُعَلِ الَّذِى يُدَهْدِهُ الْخُرْءَ بِأَنْفِهِ ، إِنَّ اللهَ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ[1] الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ ، إِنَّمَا هُوَ مُؤْمِنٌ تَقِىٌّ وَفَاجِرٌ شَقِىٌّ ، النَّاسُ بَنُو آدَمَ ، وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ (د ت) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

---

(١) « عبية الجاهلية » تعظمها بالأنسان والأحساب . وتكبرها على الضعيف .

٣٢٤٥ -- لَيَهْبِطَنَّ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَماً وَإِماماً مُقْسِطاً ، وَلَيَسْلُكَنَّ فَجًّا ، حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِراً ، وَلَيَأْتِيَنَّ قَبْرِى حَتَّى يُسَلِّمَ عَلَيَّ وَلَأَرُدَّنَّ عَلَيْهِ (ك) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٢٤٦ — لَيْلَةُ الضَّيْفِ حَقٌّ[1] عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ ، فَمَنْ أَصْبَحَ بِفِنَائِهِ فَهُوَ عَلَيْهِ دَيْنٌ إِنْ شَاءَ قَضَى ، وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ (د ه) عن المِقْدَام ابن معديكَرِب رضى الله عنه .

٣٢٤٧ — لَيُّ الْوَاجِدِ يُحِلُّ عِرْضَهُ وَعُقُوبَتَهُ (حم د ن ه ك) عن الشريد ابن سُويد .

٣٢٤٨ — اللَّبَنُ فى المَنَامِ فِطْرَةٌ (البزار) عن أبى هريرة رضى الله عنه.

٣٢٤٩ — اللَّحْدُ لَنَا وَالشَّقُّ[2] لِغَيْرِنَا (٤) عن ابن عباس (حم) عن جرير بزيادة : مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ .

---

(١) « ليلة الضيف حق على كل مسلم » يفيد أن الضيافة واجبة ، وقوله « فهو عليه دين إن شاء قضى وإن شاء ترك » يؤيد الوجوب ويؤكده . وبهذا أخذ الامام أحمد بن حنبل والظاهرية ، والدليل يؤيدهم .

(٢) « اللحدلنا » اللحد هو الشق فى جانب القبر ، بأن يحفر القبر ، ويشق فى جانب منه شق يدفن فيه الميت . وإنما كان اللحد للمسلمين، لأنه زيادة فى تكريم الميت ، لأن الله كرم الانسان حيث قال (ثم أماته فاقبره) أى جعله يقبر ، ولم يجعله يلقى للحيوانات المفترسة ، فستر بالقبر عورته ، وأخفى عن الناس رائحته ، واللحد أكثر سترا ،واشد اخفاء ،بخلاف الشق الذى هو حفر فى الأرض ودفن الميت فيه ، فإنه أقل سترا من اللحد . ولذا قال « والشق لغيرنا » أى لغير المسلمين . وهذا على سبيل الندب، لا الوجوب . لما مات سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الصحابة لرجلين : أحدهما يلحد . والآخر يشق ، وقالوا : أيهما جاء أولا فقد اختار الله لرسوله . فسبق الذى يلحد ، فعلموا أن الله تعالى اختار لرسوله صلى الله عليه وسلم اللحد .

٣٢٥٠ — الَّذِى تَفُوتُهُ صَلاَةُ الْعَصْرِ كَأَنَّمَا وُتِرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ (ق ٤) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٣٢٥١ — الَّذِى يَشْرَبُ فى آنِيَةِ الفِضَّةِ إِنَّمَا يُجَرْجِرُ فى بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ (ق) عن أم سلمة رضى الله عنها .

٣٢٥٢ — الذى يَخْنُقُ نَفْسَهُ يَخْنُقُهَا فِى النَّارِ ، وَالذى يَطْعُنُ نَفْسَهُ يَطْعَنُهَا فى النَّارِ ، وَالَّذِى يَقْتَحِمُ يَقْتَحِمُ فِى النَّارِ (خ) عن أبى هريرة .

٣٢٥٣ — الذى يَرْجِعُ فى هِبَتِهِ كَالْكَلْبِ يَرْجِعُ فى قَيْئِهِ (ق ٤) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٣٢٥٤ — الذى يَمُرُّ بَيْنَ يَدَىِ الرَّجُلِ وَهُوَ يُصَلِّى، يَتَمَنَّى يَوْمَ القِيَامَةِ أَنَّهُ شَجَرَةٌ يَابِسَةٌ (طب) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

٣٢٥٥ — الَّذِى لاَ يَنَامُ حَتَّى يُوتِرَ حَازِمٌ (حم) عن سعد .

* * *

حرف الميم

قالَ رسولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

٣٢٥٦ — مَاءُ الْبَحْرِ طَهُورٌ (ك) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٣٢٥٧ — مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ (ش حم ٥ هق) عن جابر (هب) عن ابن عمرو رضى الله عنهما .

٣٢٥٨ — مَا الدُّنْيَا فِى الآخِرَةِ إِلاَّ كَمَا يَمْشِى أَحَدُكُمْ إِلَى الْيَمِّ ، فَأَدْخَلَ أُصْبُعَهُ فِيهِ ، فَمَا خَرَجَ مِنْهُ ، فَهُوَ الدُّنْيَا (ك) عن المُسْتَوْرِد .

٣٢٥٩ — مَا آتَاكَ اللهُ مِنْ هٰذَا الْمَالِ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ ، وَلاَ إِشْرَافٍ ، فَخُذْهُ فَتَمَوَّلْهُ ، أَوْ تَصَدَّقْ بِهِ ، وَمَا لاَ فَلاَ تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ (ن) عن عمر

٣٢٦٠ — مَا آتَاكَ اللهُ مِنْ أَمْوَالِ السُّلْطَانِ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ وَلاَ إِشْرَافٍ فَكُلْهُ وَتَمَوَّلْهُ (حم) عن أبى الدرداء رضى الله عنه .

٣٢٦١ — مَا آمَنَ بِى مَنْ بَاتَ شَبْعَانَ ، وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ ، وَهُوَ يَعْلَمُ بِهِ (البزار طب) عن أنس رضى الله عنه .

٣٢٦٢ — مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ ، إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ (م د) عن أبى هريرة

٣٢٦٣ — مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ ثُمَّ تَفَرَّقُوا عَنْ غَيْرِ ذِكْرِ اللهِ ، وَصَلاَةٍ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلاَّ قَامُوا عَنْ أَنْتَنِ جِيفَةٍ (الطيالسى هب والضياء) عن جابر رضى الله عنه .

٣٢٦٤ — مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي مَجْلِسٍ فَتَفَرَّقُوا ، وَلَمْ يَذْكُرُوا اللهَ ، وَيُصَلُّوا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلاَّ كَانَ مَجْلِسُهُمْ تِرَةً عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (حم حب) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

٣٢٦٥ — مَا أُحِبُّ أَنَّ أُحُداً تَحَوَّلَ لِي ذَهَباً يَمْكُثُ عِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ فَوْقَ ثَلاَثٍ ، إِلاَّ دِينَارٌ أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ (خ) عن أبي ذر الغفارى

٣٢٦٦ — مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا بِهَذِهِ الآيَةِ : (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ) إِلَى آخِرِ الآيَةِ (حم) عن ثوبان

٣٢٦٧ — مَا أُحِبُّ أَنِّي حَكَيْتُ[1] إِنْسَاناً وَأَنَّ لِي كَذَا وَكَذَا (د ت) عن عائشة رضى الله عنها .

٣٢٦٨ — مَا أَحَدٌ أَعْظَمُ عِنْدِي يَداً مِنْ أَبِي بَكْرٍ وَاسَانِي بِنَفْسِهِ ، وَمَالِهِ ، وَأَنْكَحَنِي ابْنَتَهُ (طب) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٣٢٦٩ — مَا أَحَدٌ أَكْثَرَ مِنَ الرِّبَا إِلاَّ كَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ إِلَى قِلَّةٍ (٥) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

---

(١) « ما أحب إنى حاكيت إنسانا » أى قلدته فى حركاته وأقواله « وان لى » على تلك المحاكاة « كذا وكذا » دينارا . والحديث يفيد أن محاكاة أى انسان مبغضة. ولو أخذ المحاكى عليها مالا . لأنها غيبة فعلية ، وهى أخت الغيبة القولية ، ومن هنا تعلم أن الممثلين معتابون أثمون . هذا ومن أراد الاحاطة فى حرمة ذلك العمل المشين الذى لا يرضاه لنفسه من أفتى بحله فليرجع إلى ماجمعه الامام الحافظ أمير المؤمنين فى الحديث المرحوم شيخنا السيد أحمد محمد الصديق فى كتابه النادر (إقامة الدليل على حرمة التمثيل ردا على الشيخين تاج وشلتوت وغيرهما) .

٣٢٧٠ — مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا ، وَإِنَّ لَهُ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ الشَّهِيدُ فَإِنَّهُ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ ، لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ (ق ت) عن أنس .

٣٢٧١ — مَا أَخَافُ[1] عَلَى أُمَّتِي إِلاَّ ضَعْفَ الْيَقِينِ (طس هب) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

٣٢٧٢ — مَا اخْتَلَجَ عِرْقٌ ، وَلاَ عَيْنٌ إِلاَّ بِذَنْبٍ ، وَمَا يَدْفَعُ اللهُ عَنْهُ أَكْثَرُ (طص والضياء) عن البراء رضى الله عنه .

٣٢٧٣ — مَا اخْتَلَطَ حُبِّي بِقَلْبِ عَبْدٍ إِلاَّ حَرَّمَ اللهُ جَسَدَهُ عَلَى النَّارِ (حل) عن ابن عمر رضى الله عنه .

٣٢٧٤ — مَا أَخْشَى عَلَيْكُمُ الْفَقْرَ ، وَلَكِنْ أَخْشَى[2] عَلَيْكُمُ التَّكَاثُرَ وَمَا أَخْشَى عَلَيْكُمُ الْخَطَأَ ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمُ التَّعَمُّدَ (حم حب ك) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

---

(١) « ما أخاف على أمتى » خللا يقع فى عقيدتهم « الاضعف اليقين » لأن قوة اليقين تورث قوة الثقة بالله ، ومن قويت ثقته بالله ، توكل عليه . ومن يتوكل على الله فهو حسبه . وكان فى جميع أعماله موفقا منصورا . لكن ضعف اليقين يورث ضعف الثقة بالله . وضعيف الثقة بالله . يقف مع الاسباب ، وينسى مسببها ، فيكله الله إلى الاسباب ، فيلزمه الفشل والخيبة حيثما حل وارتحل . وما نجح الصدر الأول وانتصروا الاقوة يقينهم بالله ، وصدق توكلهم عليه ، كما لم يفشل المتأخرون الالضعف يقينهم ، وعدم صدق توكلهم على ربهم خالق كل سبب ومسبب . (ومن يتوكل على الله فهو حسبه أن الله بالغ أمره قدجعل الله لكل شيء قدرا) .

(٢) ما أخشى عليكم الفقر ، لأن من العصمة إلا تجد ، ولكن أخشى عليكم التكاثر بالأموال والعشيرة ، فهو الذى يدعوكم إلى التنافس والتحاسد وإحياء العصبية وما أخشى عليكم الخطأ ، فإنه غيرمقصود ولكن أخشىعليكم التعمد . وهوان تتعمدوا المعصية بتأويل من التأويلات ، كمن يستبيح شرب البيرة بدعوى أنها هاضمة أو مدرة للبول . لأن المتعمد للمعصية لايتوب منها (غالبا) عافانا الله من كل ما يغضب ربنا .

٣٢٧٥ — مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ ، مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ (حم ق د ن) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

٣٢٧٦ — مَا أَسْفَلَ مِنَ الكَعْبَيْنِ مِنَ الإِزَارِ فَفِي النَّارِ (خ ن) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

٣٢٧٧ — مَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ (حم د ت ه حب) عن جابر (اسحاق بن راهويه طب) عن ابن عمر (طب قط ك) عن خوات بن جبير (طب) عن زيد بن ثابت (عب ن ه) عن عمرو بن العاص رضى الله عنهم

٣٢٧٨ — مَا أَسْكَرَ مِنْهُ الفَرَقُ فَمِلْءُ الكَفِّ مِنْهُ حَرَامٌ (حم) عن عائشة رضى الله عنها .

٣٢٧٩ — مَا أَطْعَمْتَ زَوْجَتَكَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ ، وَمَا أَطْعَمْتَ نَفْسَكَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ (حم طب) عن المِقْدَام بن معديكرب رضى الله عنه .

٣٢٨٠ — مَا أَظَلَّتِ الخَضْرَاءُ وَلاَ أَقَلَّتِ الغَبْرَاءُ مِنْ ذِي لَهْجَةٍ أَصْدَقَ مِنْ أَبِي ذَرٍّ (حم ت ه ك) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

٣٢٨١ — مَا أَكْفَرَ الرَّجُلُ رَجُلاً إِلاَّ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ ، وَإِلاَّ كَفَرَ بِإِكْفَارِهِ (حب) عن أبي سعيد رضى الله عنه .

٣٢٨٢ — مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَاماً قَطُّ خَيْرًا مِنْ عَمَلِ يَدِهِ ، وإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ (حم خ) عن المقدام رضى الله عنه .

٣٢٨٣ — مَا أَمْعَرَ حَاجٌّ قَطُّ[1] (البزار طس هب) عن جابر رضى الله عنه .

---

(١) ما أمعر — أفتقر — حاج قط بسبب حجه ولو كثر .

٣٢٨٤ — مَا أُمِرْتُ كُلَّمَا بُلْتُ[1] أَنْ أَتَوَضَّأَ، وَلَوْ فَعَلْتُ لَكَانَتْ سُنَّة (حم د ه) عن عائشة رضى الله عنها .

٣٢٨٥ — مَا أُوتِيكُمْ مِنْ شَيْءٍ وَلاَ أَمْنَعُكُمُوهُ، إِنْ أَنَا إِلاَّ خَازِنٌ أَضَعُ حَيْثُ أُمِرْتُ (حم د) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٢٨٦ — مَا أَهَلَّ مُهِلٌّ ، وَلاَ كَبَّرَ مُكَبِّرٌ إِلاَّ بُشِّرَ بالجَنَّةِ (طس) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٢٨٧ — مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ؟ فَوَاللهِ إِنِّى لَأَعْلَمُهُمْ باللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً (خ) عن عائشة رضى الله عنها .

٣٢٨٨ — مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ ، وَلاَ اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ ، إِلاَّ كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بالمَعْرُوفِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ ، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ ، وَالمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللهُ (خ) عن أبى سعيد وأبى هريرة .

٣٢٨٩ — مَا بَلَغَ أَنْ تُؤَدَّى زَكَاتُهُ فَزُكِّىَ فَلَيْسَ بِكَنْزٍ (د) عن أم سلمة رضى الله عنها .

٣٢٩٠ — مَا بَيْنَ جَنْبَتَىْ حَوْضِى كَمَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَالمَدِينَةِ ، تُرَى فِيهِ أَبَارِيقُ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ (ق) عن أنس رضى الله عنه.

٣٢٩١ — مَا بَيْنَ السُّرَّةِ وَالرُّكْبَةِ عَوْرَةٌ (ك) عن عبد الله بن جعفر .

---

(١) «ما أمرت كلما بلت أن أتوضأ ولو فعلت » الوضوء كلما بلت «لكانت » تلك الخصلة وهى الوضوء عقب البول « سنة » يشق على الناس تنفيذها . والنبى صلى الله عليه وإله وسلم بالمؤمنين رؤف رحيم لا يحب أن يشق على أمته . فالوضوء عقب البول ليس بسنة . أما حديث : الوضوء سلاح المؤمن ، لا أصل له البتة .

٣٢٩٢ — مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ[1] وَالْمَغْرِبِ قِبْلَةٌ (ت ه ك) عن أبي هريرة .

٣٢٩٣ — مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ ، ثُمَّ يُنْزِلُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ ، وَلَيْسَ مِنَ الإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلاَّ يَبْلَى ، إِلاَّ عَظْمٌ وَاحِدٌ وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ ، مِنْهُ خُلِقَ ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

٣٢٩٤ — مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ (حم ق ن) عن عبد الله بن زيد المازنى (ت) عن على (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنهم

٣٢٩٥ — مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ أَمْرٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ (حم م) عن هشام بن عامر رضى الله عنه .

٣٢٩٦ — مَا بَيْنَ لاَبَتَيِ الْمَدِينَةِ حَرَامٌ (ق ت) عن أبي هريرة .

٣٢٩٧ — مَا بَيْنَ مَنْكِبَيِ الْكَافِرِ فِي النَّارِ مَسِيرَةُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ لِلرَّاكِبِ الْمُسْرِعِ (ق) عنه .

٣٢٩٨ — مَا تَجَرَّعَ عَبْدٌ جُرْعَةً أَفْضَلَ عِنْدَ اللهِ مِنْ جُرْعَةِ غَيْظٍ كَظَمَهَا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ (حم طب) عن ابن عمر رضى الله عنه .

٣٢٩٩ — مَا تَحَابَّ اثْنَانِ فِي اللهِ تَعَالَى إِلاَّ كَانَ أَفْضَلُهُمَا أَشَدَّهُمَا حُبًّا لِصَاحِبِهِ (خد حب ك) عن أنس رضى الله عنه .

---

(١) « ما بين المشرق والمغرب قبلة » استقبال عين الكعبة فى الصلاة واجب ، لا تصح الصلاة إلا به ، فإذا تعذر استقباله عين الكعبة لبعد المسافة أو شدة ظلام أو نحو ذلك من الاعتذار . وجب استقبال جهتها . فإذا حصل انحراف عنها إلى جهة المشرق أو جهة المغرب قليلا بحيث لا يكون صدره مستدبراً لها ، صحت الصلاة . وعلى هذا يتنزل معنى الحديث .

٢٣٠٠ — ما تَرْفَعُ إبِلُ الحاجِّ رِجْلاً وَلاَ تَضَعُ يداً إلاَّ كَتَبَ اللهُ لَهُ بِهَا حَسَنَةً أَوْ مَحَا عَنْهُ سَيِّئَةً أَوْ رَفَعَهُ بِهَا دَرَجَةً (هب حب) عن ابن عمر.

٢٣٠١ — مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ (حم ق ت ن ه) عن أسامة رضى الله عنه.

٢٣٠٢ — مَا تَوَادَّ اثْنَانِ فِي اللهِ فَيُفَرِّقُ بَيْنَهُمَا إلاَّ بِذَنْبٍ يُحْدِثُهُ أَحَدُهُمَا (خد) عن أنس رضى الله عنه.

٢٣٠٣ — مَا تَوَطَّنَ رَجُلٌ مُسْلِمٌ الْمَسَاجِدَ لِلصَّلاَةِ وَالذِّكْرِ إلاَّ تَبَشْبَشَ اللهُ لَهُ مِنْ حِينَ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ كَمَا يَتَبَشْبَشُ أَهْلُ الغَائِبِ بِغَائِبِهِمْ إِذَا رَجَعَ إِلَيْهِمْ (ش وابن خزيمة ه حب ك) عن أبى هريرة رضى الله عنه.

٢٣٠٤ — مَا جَاءَنِي جِبْرِيلُ إلاَّ أَمَرَنِي بِالسِّوَاكِ، حَتَّى لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ أُحْفِيَ مُقَدَّمَ فَمِي (حم طب) عن أبى أمامة رضى الله عنه.

٢٣٠٥ — مَا جَلَسَ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ تَعَالَى إلاَّ نَادَاهُمْ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ. قُومُوا مَغْفُوراً لَكُمْ (حم والضياء) عن أنس رضى الله عنه.

٢٣٠٦ — مَا جَلَسَ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ تَعَالَى فَيَقُومُونَ حَتَّى يُقَالَ لَهُمْ قُومُوا قَدْ غَفَرَ اللهُ ذُنُوبَكُمْ، وَبُدِّلَتْ سَيِّئَاتُكُمْ حَسَنَاتٍ (طب هب والضياء) عن سهل بن الحنظلية.

٢٣٠٧ — مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللهَ تَعَالَى فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ، إلاَّ كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ (د ت ه) عن أبى هريرة وأبى سعيد رضى الله عنهما.

٣٣٠٨ — مَا حَاكَ[1] فِي صَدْرِكَ فَدَعْهُ (طب) عن أبي أمامة رضي الله عنه.

٣٣٠٩ — مَا حَسَدَتْكُمُ الْيَهُودُ[2] عَلَى شَيْءٍ مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَى السَّلَامِ، وَالتَّأْمِينِ (حم ٥) عن عائشة رضي الله عنها.

٣٣١٠ — مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُرِيدُ أَنْ يُوصِيَ فِيهِ يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ (مالك حم ق ٤) عن ابن عمر.

٣٣١١ — مَا خَالَطَ قَلْبَ امْرِئٍ رَهَجٌ فِي سَبِيلِ اللهِ إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ النَّارَ (حم) عن عائشة رضي الله عنها.

٣٣١٢ — مَا خَفَّفْتَ عَنْ خَادِمِكَ مِنْ عَمَلِهِ فَهُوَ أَجْرٌ لَكَ فِي مَوَازِينِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (ع حب هب) عن عمرو بن حريث.

٣٣١٣ — مَا خَيَّبَ اللهُ تَعَالَى عَبْداً قَامَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ فَافْتَتَحَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ وَآلَ عِمْرَانَ وَنِعْمَ كَنْزُ الْمَرْءِ الْبَقَرَةُ وَآلُ عِمْرَانَ (طس حل)

---

(١) «ما حاك في صدرك» من الأفعال بأن وجدت صدرك لا ينشرح له «فدعه» ولا تفعله، فإنه إثم أو يؤدي إلى إثم. لأن صدر المؤمن لا ينشرح إلا لخير وبر، فإذا حاك وتردد في شيء تعين تركه. وهذا بالنسبة للأشياء التي لم يرد فيها نص بتحريم أو كراهة. والحديث أصل في العمل بالالهام. ألهمنا الله الرشاد والصواب آمين.

(٢) «ما حسدتكم اليهود» أي علماؤهم «على شيء» يتعلق بالعبادة، كحسدهم إياكم على هذه الأشياء الثلاثة التي وصفت بها الأمة المحمدية في كتبهم: السلام وهو اسم من أسماء الله تعالى، جعل تحية لنا، وأول من فعله آدم عليه السلام حيا به الملائكة عليهم السلام، فلنا فيه أسوة حسنة. وآمين جعل خاتما على الدعاء كما يختم على الكتاب بالخاتم، وفيه معنى الأمن. وكان هارون يؤمن على دعاء موسى (عليهما السلام) حين دعا على فرعون وقومه. وجعلت صفوفنا في الصلاة كصفوف الملائكة في صلاتهم، وهو شرف لم تنله اليهود بل ولا غيرهم من الأمم.

٣٣١٤ — مَا خُيِّرَ عَمَّارٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلاَّ اخْتَارَ أَرْشَدَهُمَا (ت ك) عن عائشة رضى الله عنها .

٣٣١٥ — مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلاَ(١) فِى غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ (حم ث حب) عن كعب بن مالك رضى الله عنه.

---

(١) « ماذئبان» هذا مثل عظيم جدا ضربه رسول الله صلى الله تعالى عليه وإله وسلم لفساد دين المسلم بالحرص على المال والشرف فى الدنيا . وأن فساد الدين بذلك ليس بدون فساد الغنم بذئبين جائعين ضاريين باتا فى الغنم قد غاب عنهما رعاؤها ليلا فهما يأكلان فى الغنم ويفترسان فيها . ومعلوم أنه لا ينجو من الغنم من أفساد الذئبين المذكورين والحالة هذه إلا قليل.

أما الحرص على المال فهو على نوعين : أحدهما شدة محبة المال مع شدة طلبه من وجوهه المباحة والجد فى تحصيله واكتسابه . وقد ورد أن سبب الحديث كان وقوع بعض أفراد هذا النوع كما أخرجه الطبرانى من حديث عاصم بن عدى رضى الله عنه قال : اشتريت مائة سهم من سهام خيبر . فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وإله وسلم فقال ماذئبان ضاريان الحديث : ولو لم يكن فى الحرص على المال الا تضييع العمر الذى لا يقوم بقيمة مهما كانت .

ومن ينفق الأيام فى جمع ماله مخافة فقر فالذى فعل الفقر

قيل لبعض الحكماء أن فلانا جمع مالا كثيرا . فقال فهل جمع أياما ينفقه فيها . قيل لا . قال ما جمع شيئا .

عاتب أعرابى أخاه على الحرص فقال له يا أخى أنت طالب ومطلوب ، يطلبك من لا تفوته . وتطلب ماقد كفيته . كأنك لم ترحريصها محروما ولا زاهدا مرزوقا . قال تعالى (تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين) .

وعن أبى موسى عن النبى صلى الله عليه وإله وسلم أنه قال : من أحب دنياه أضر بآخرته . ومن أحب آخرته أضر بدنياه . فآثروا ما يبقى على مايفنى . قال البستى :

أمران مفترقان لست تراهما يتشوفان لخلطة وتلاقى
طلب المعاد مع الرياسة والعلى فدع الذى يفنى لما هو باقى

٣٣١٦ — مَا ذِئْبَانِ ضَارِيَانِ فِى حَظِيرَةٍ يَأْكُلاَنِ وَيُفْسِدَانِ ، بِأَضَرَّ فِيهَا مِنْ حُبِّ الشَّرَفِ وَحُبِّ الْمَالِ فِى دِينِ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ (البزار) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٣٣١٧ — مَا ذِئْبَانِ ضَارِيَانِ جَائِعَانِ بَاتَا فِى زَرِيبَةِ غَنَمٍ أَغْفَلَهَا أَهْلُهَا يَفْتَرِسَانِ وَيَأْكُلاَنِ بِأَسْرَعَ فِيهَا فَسَاداً مِنْ حُبِّ الْمَالِ وَالشَّرَفِ فِى دِينِ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ (طب ع) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٣١٨ — مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلا وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ (ت) عن عثمان (ت ه ك) عن أبى هريرة رضى الله عنهما .

٣٣١٩ — مَا رَزَقَ اللهُ عَبْداً خَيْرًا لَهُ وَلاَ أَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ (ك) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٣٢٠ — مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِى بِالْجَارِ حتى ظَنَنْتُ أَنَّهُ يُوَرِّثُهُ ، وَمَا زَالَ يُوصِينِى بِالْمَمْلُوكِ حتى ظَنَنْتُ أَنَّهُ يَضْرِبُ لَهُ أَجَلاً أَوْ وَقْتاً إِذَا بَلَغَهُ عَتَقَ (هق) عن عائشة رضى الله عنها .

٣٣٢١ — مَا زَالَ الشَّيْطَانُ يَأْكُلُ مَعَهُ حتى سَمَّى فَمَا بَقِىَ فِى بَطْنِهِ شىء إلا قَاءَهُ (د ن ك) عن أُمَيَّة بن مَخْشِى .

٣٣٢٢ — مَا سَتَرَ اللهُ عَلَى عَبْدٍ ذَنْباً فِى الدُّنْيَا فَيُعَيِّرَهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (البزار طب) عن أبى موسى رضى الله عنه .

٣٣٢٣ — مَا صَفَّ صُفُوفاً ثَلاَثَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى مَيِّتٍ إلا أَوْجَبَ (ه ك) عن مالك بن هُبَيرة رضى الله عنه .

٣٣٢٤ — مَا ضَرَبَ عَلَى مُؤْمِنٍ عِرْقٌ إلا حَطَّ اللهُ عَنْهُ بِهِ خَطِيئَةً ، وَكَتَبَ لَهُ بِهِ حَسَنَةً ، وَرَفَعَ لَهُ بِهِ دَرَجَةً (طس ك) عن عائشة .

٣٣٢٥ — مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إلاَّ أُوتُوا الْجَدَلَ[1] (حم ت ه ك) عن أبي أمامة (ت ه) عن أبي هريرة رضى الله عنهما بزيادة : ثُمَّ قَرَأَ (مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إلاَّ جَدَلاً) .

٣٣٢٦ — مَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ عَلَى رَجُلٍ خَيْراً مِنْ عُمَرَ (ت ك) عن أبي بكر رضى الله عنه .

٣٣٢٧ — مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ قَطُّ إلاَّ بُعِثَ بِجَنْبَتَيْهَا مَلَكَانِ يُنَادِيَانِ يُسْمِعَانِ أَهْلَ الأَرْضِ إلاَّ الثَّقَلَيْنِ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمُّوا إِلَى رَبِّكُمْ فَإِنَّ مَا قَلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَأَلْهَى ، وَلاَ آبَتْ شَمْسٌ قَطُّ إلاَّ بُعِثَ بِجَنْبَتَيْهَا مَلَكَانِ يُنَادِيَانِ يُسْمِعَانِ أَهْلَ الأَرْضِ إلاَّ الثَّقَلَيْنِ : اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً وَأَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً (حم حب ك) عن أبي الدرداء .

٣٣٢٨ — مَا ظَهَرَ فِي قَوْمٍ الزِّنَا وَالرِّبَا إلاَّ أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ عَذَابَ اللهِ (ع) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

٣٣٢٩ — مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ عَمَلاً أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللهِ مِنْ ذِكْرِ اللهِ (حم) عن معاذ رضى الله عنه .

---

(١) « ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل » فى النصوص ، محاولة تحريفها عن معانيها ، حتى لا يعرف الناس ضلالهم ، فجدال رجل فى نص من كتاب أو سنة ، (انتصارا لمذهبه وهواه) علامة على ضلاله ، وسوء خاتمته والعياذ بالله قال تعالى (أطيعوا الله والرسول) الآية .

٣٣٣٠ — مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ شَيْئاً أَفْضَلَ مِنَ الصَّلاَةِ ، وَصَلاَحِ ذَاتِ البَيْنِ ، وَخُلُقٍ حَسَنٍ (تخ هب) عن أبى هُريرةٍ رضى الله عنه .

٣٣٣١ — مَا قَالَ عَبْدٌ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ قَطُّ مُخْلِصاً إِلاَّ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّماءِ حَتَّى يُفْضِى إِلَى العَرْشِ ، مَا اجْتُنِبَتِ الكَبَائِرُ (ت) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٣٣٢ — مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىءٍ قَدِيرٌ ، مُخْلِصاً بِهَا رُوحُهُ مُصَدِّقاً بِهَا قَلْبُهُ نَاطِقاً بِهَا لِسَانُهُ ، إِلا فَتَقَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ السَّماءَ فَتْقاً حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى قَائِلِهَا مِنَ الأَرْضِ ، وَحَقٌّ لِعَبْدٍ نَظَرَ اللهُ إِلَيْهِ أَنْ يُعْطِيَهُ سُؤْلَهُ (ن) عن رجلين من الصحابة .

٣٣٣٣ — مَا قُطِعَ مِنَ البَهِيمَةِ وَهِىَ حَيَّةٌ فَهُوَ مَيْتَةٌ (حم د ت ك) عن أبى واقد (ه ك) عن ابن عمر (ك) عن أبى سعيد (طب) عن تميم .

٣٣٣٤ — مَا قَدَّرَ اللهُ لِنَفْسٍ أَنْ يَخْلُقَهَا إِلا هِىَ كَائِنَةٌ (حم ه حب) عن جابر رضى الله عنه .

٣٣٣٥ — مَا قَلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَأَلْهَى (ع والضياء) عن عن أبى سعيد رضى الله عنه .

٣٣٣٦ — مَا قَوْلِى لامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ[1] إِلا كَقَوْلِى لِمِائَةِ امْرَأَةٍ (ن) عن أُميمة بنت رُقيقة.

---

(١) « ماقولى لامراة واحدة » فى حكم من الأحكام « الا كقولى لمائة امراة » فى شموله لهن . ومعنى الحديث أن خطاب الشارع عليه الصلاة والسلام يحمل على العموم ، إلا إذا قام دليل على التخصيص .

٣٣٣٧ — مَا كَانَ الفَحْشُ فِى شَىْءٍ قَطُّ إلا شَانَهُ ، وَلاَ كَانَ الحَيَاءُ فى شَىْءٍ قَطُّ إلّا زَانَهُ (عبد بن حميد والضياء) عن أنس رضى الله عنه .

٣٣٣٨ — مَا كَرَبَنِى أَمْرٌ إلّا تَمَثَّلَ لِى جِبْرِيلُ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ قُلْ : تَوَكَّلْتُ عَلَى الحَىِّ الَّذِى لاَ يَمُوتُ ، وَالحَمْدُ للهِ الَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فى المُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِىٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً (طب ك) عن أبى هُرَيرةَ رضى الله عنه .

٣٣٣٩ — مَا كَرِهْتَ أَنْ يَرَاهُ النَّاسُ مِنْكَ فَلاَ تَفْعَلْهُ بِنَفْسِكَ إِذَا خَلَوْتَ (ت حب) عن أسامة بن شريك .

٣٣٤٠ — مَالِى وَلِلدُّنْيَا ؟ مَا أَنَا فى الدُّنْيَا إِلّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا (حم ت ه ك والضياء) عن ابن مسعود (حم حب) عن ابن عباس نحوه رضى الله عنهم .

٣٣٤١ — مَا مَسَخَ اللهُ تَعَالَى مِنْ شَىْءٍ فَكَانَ لَهُ عَقِبٌ وَلاَ نَسْلٌ (طب) عن أم سلمةَ رضى الله عنها .

٣٣٤٢ — مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِىٌّ[1] إِلّا وَقَدْ أُعْطِىَ مِنَ الآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ

---

(١) « ما من نبى الاوقد أعطى من الآيات ما آمن على مثله البشر » فصالح أعطى الناقة ، وموسى أعطى العصا ، وعيسى أعطى إحياء الموتى . وهكذا كل نبى أعطى آية كونية آمن به قومه لأجلها ، (عليهم السلام) ثم انقرضت وانقرضوا « وكان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله إلى » وهو القرآن العظيم وإعجازه مستمر لا ينقطع ، يعجز العرب بفصاحته وبلاغته ، ويعجز العلماء فى العالم كله بما حواه من الحقائق العلمية ، ويعجز أهل القانون بما فيه من تشريعات اضطرواهم أنفسهم أن يأخذوا منها ، كآية الدين بسورة البقرة مثلا. ويعجزغيرهم من الحكماء والاجتماعيين والأطباء ، وسائر =

عَلَيْهِ البَشَرُ ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِى أُوتِيتُهُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَىَّ ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ القِيَامَةِ (حم ق) عن أبى هُريرةِ .

٣٣٤٣ — مَا مِنَ الذِّكْرِ أَفْضَلُ مِنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَلاَ مِنَ الدُّعَاءِ أَفْضَلُ مِنَ الاسْتِغْفَارِ (طب) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

٣٣٤٤ — مَا مِنْ آدَمِى إِلَّا فى رَأْسِهِ حَكَمَةٌ بِيَدِ مَلَكٍ ، فَإِذَا تَوَاضَعَ قِيلَ لِلمَلَكِ : ارْفَعْ حَكَمَتَهُ ، وَإِذَا تَكَبَّرَ قِيلَ لِلمَلَكِ : ضَعْ حَكَمَتَهُ (طب) عن ابن عباس (البزار) عن أبى هريرة نحوه .

٣٣٤٥ — مَا مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ الوُضُوءَ وَيُصَلِّى رَكْعَتَيْنِ يُقْبِلُ بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ عَلَيْهِمَا إِلاَّ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ (م د ن ه) عن عقبة بن عامر .

٣٣٤٦ — مَا مِنْ أَحَدٍ يَدَّانُ دَيْنًا يَعْلَمُ اللهُ أَنَّهُ يُرِيدُ قَضَاءَهُ إِلا أَدَّاهُ اللهُ عَنْهُ فى الدُّنْيَا (ن ه حب) عن ميمونة رضى الله عنها .

٣٣٤٧ — مَا مِنْ أَحَدٍ يَدْعُو بِدُعَاءٍ إِلا آتَاهُ اللهُ مَا سَأَلَ ، أَوْ كَفَّ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهُ ، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ ، أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ (حم ت عن جابر رضى الله عنه .

٣٣٤٩ — مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَىَّ إِلاَّ رَدَّ اللهُ إِلَىَّ رُوحِى حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلاَمَ (د) عن أبى هريرةِ رضى الله عنه .

٣٣٥٠ — مَا مِنْ أَحَدٍ يَمُوتُ إِلاَّ نَدِمَ ، إِنْ كَانَ مُحْسِنًا نَدِمَ أَنْ لاَ يَكُونَ ازْدَادَ ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا نَدِمَ أَنْ لاَ يَكُونَ نَزَعَ (ت) عنه .

= الفرق . فالذين آمنوا به أو يؤمنون أكثر ممن آمن بتلك المعجزات الماضية ، ولذلك قال « فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة » صلى الله عليه وآله وسلم .

٣٣١٥ — مَا مِنْ إِمَامٍ أَوْ وَالٍ يُغْلِقُ بَابَهُ دُونَ ذَوِى الْحَاجَةِ وَالْخَلَّةِ وَالْمَسْكَنَةِ إِلاَّ أَغْلَقَ اللهُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ دُونَ خَلَّتِهِ وَحَاجَتِهِ وَمَسْكَنَتِهِ (حم ت) عن عمرو بن مرة .

٣٣٥٢ — مَا مِنِ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ يَرُدُّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ إِلاَّ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يَرُدَّ عَنْهُ نَارَ جَهَنَّمَ (حم ت طب) عن أبى الدرداء .

٣٣٥٣ — مَا مِنِ امْرِىءٍ يُحْيِي أَرْضًا فَيَشْرَبُ مِنْهَا كَبِدٌ حَرَّى ، أَوْ يُصِيبُ مِنْهَا عَافِيَةٌ إِلاَّ كَتَبَ اللهُ لَهُ بِهَا أَجْرًا (طب) عن أم سلمة .

٣٣٥٤ — مَا مِنِ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلاَةٌ مَكْتُوبَةٌ ، فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا ، إِلاَّ كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ مَا لَمْ تُؤْتَ كَبِيرَةٌ وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ (م) عن عثمان رضى الله عنه .

٣٣٥٥ — مَا مِنِ امْرِىءٍ يَخْذُلُ امْرَأً مُسْلِمًا فِى مَوْطِنٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ ، وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ ، إِلاَّ خَذَلَهُ اللهُ تَعَالَى فِى مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ ، وَمَا مِنْ أَحَدٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا فِى مَوْطِنٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ إِلاَّ نَصَرَهُ اللهُ فِى مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ (حم د والضياء) عن جابر وأبى طلحة بن سهل رضى الله عنهما .

٣٣٥٦ — مَا مِنِ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ يَرُدُّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ إِلاَّ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يَرُدَّ عَنْهُ نَارَ جَهَنَّمَ (حم ت طب) عن أبى الدرداء رضى الله عنه .

٣٣٥٧ — مَا مِنِ امْرِىءٍ يَكُونُ لَهُ صَلاَةٌ بِاللَّيْلِ فَيَغْلِبُهُ عَلَيْهَا نَوْمٌ إِلاَّ كَتَبَ اللهُ تَعَالَى لَهُ أَجْرَ صَلاَتِهِ ، وَكَانَ نَوْمُهُ عَلَيْهِ صَدَقَةً (دن) عن عائشة رضى الله عنها .

٣٣٥٨ — مَا مِنِ امْرَأَةٍ تَضَعُ ثِيَابَهَا فِي غَيْرِ بَيْتِ زَوْجِهَا[1] إِلاَّ هَتَكَتْ السِّتْرَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ رَبِّهَا (ت د ه ك) عن عائشة رضى الله عنها .

٣٣٥٩ — مَا مِنْ أَمِيرِ عَشَرَةٍ إِلاَّ يُؤْتَى بِهِ مَغْلُولاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، حَتَّى يَفُكَّهُ الْعَدْلُ أَوْ يُوبِقَهُ الْجَوْرُ (البزار طس هق) عن أبى هريرة .

٣٣٦٠ — مَا مِنْ أَمِيرِ عَشَرَةٍ إِلاَّ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْلُولاً لاَ يَفُكُّهُ إِلاَّ الْعَدْلُ (حم) عنه .

٣٣٦١ — مَا مِنْ إِنْسَانٍ يَقْتُلُ عُصْفُورًا فَمَا فَوْقَهَا بِغَيْرِ حَقِّهَا إِلاَّ يَسْأَلُ اللهُ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، قِيلَ : وَمَا حَقُّهَا ؟ قَالَ : حَقُّهَا أَنْ تَذْبَحَهَا فَتَأْكُلَهَا، وَلاَ تَقْطَعْ رَأْسَهَا فَتَرْمِيَ بِهِ (ن ك) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٣٣٦٢ — مَا مِنْ أَيَّامٍ أَعْظَمَ عِنْدَ اللهِ وَلاَ أَحَبَّ إِلَى اللهِ الْعَمَلُ فِيهِنَّ مِنْ أَيَّامِ الْعَشْرِ ، فَأَكْثِرُوا فِيهِنَّ مِنَ التَّسْبِيحِ ، وَالتَّحْمِيدِ ، وَالتَّهْلِيلِ ، وَالتَّكْبِيرِ (طب) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٣٣٦٣ — مَا مِنْ أَيَّامٍ أَفْضَلَ عِنْدَ اللهِ مِنْ أَيَّامِ عَشْرِ ذِي الْحِجَّةِ ، قِيلَ : هُنَّ أَفْضَلُ أَمْ عِدَّتُهُنَّ جِهَاداً فِي سَبِيلِ اللهِ ؟ قَالَ . هُنَّ أَفْضَلُ مِنْ عِدَّتِهِنَّ جِهَاداً فِي سَبِيلِ اللهِ إِلاَّ عَفِيراً يُعَفِّرُ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ : وَمَا مِنْ يَوْمٍ أَفْضَلَ عِنْدَ اللهِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ ، يَنْزِلُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا

---

(١) « ما من امرأة تضع ثيابها » أى تتجرد منها « فى غير بيت زوجها إلا هتكت » الخ والحديث وارد فى نهى المرأة عن الذهاب إلى الحمام . (لما فيه من كشف عوراتهن) وجاء فى حديث آخر منع النساء من دخول الحمام إلا مريضة أو نفساء (وقد يفعلن ذلك فى غير حمام) .

فَيُبَاهِي بِأَهْلِ الأَرْضِ أَهْلَ السَّمَاءِ ، فَيَقُولُ : انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي جَاءُونِي شُعْثًا غُبْرًا ضَاحِينَ جَاءُوا مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ، يَرْجُونَ رَحْمَتِي وَلَمْ يَرَوْا عَذَابِي ، فَلَمْ يُرَ يَوْمٌ أَكْثَرُ عَتِيقًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ (ع حب وابن خزيمة) عن جابر رضى الله عنه .

٣٣٦٤ — مَا مِنْ أَيَّامٍ العَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ - يَعْنِي أَيَّامَ العَشْرِ - قِيلَ : وَلاَ الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ ؟ قَالَ : وَلاَ الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ ، إِلاَّ رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ ، ثُمَّ لَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ (خ د ت ه) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٣٣٦٥ — مَا مِنْ بَعِيرٍ إِلاَّ فِي ذِرْوَتِهِ شَيْطَانٌ ، فَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَزَّ وجَلَّ إِذَا رَكِبْتُمُوهَا كَمَا أَمَرَكُمُ اللهُ ، ثُمَّ امْتَهِنُوهَا لِأَنْفُسِكُمْ فَإِنَّمَا يَحْمِلُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ (حم طب وابن خزيمة) عن أبي لاس الخزاعى .

٣٣٦٦ — مَا مِنْ بَنِي آدَمَ مَوْلُودٌ إِلاَّ يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ حِينَ يُولَدُ فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ غَيْرَ مَرْيَمَ وَابْنِهَا (خ) عن أبي هريرة .

٣٣٦٧ — مَا مِنْ ثَلاَثَةٍ فِي قَرْيَةٍ وَلاَ بَدْوٍ لاَ تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلاَةُ إِلاَّ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ ، فَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ ، فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ القَاصِيَةَ (حم د ن حب ك) عن أبي الدرداء رضى الله عنه .

٣٣٦٨ — مَا مِنْ جُرْعَةٍ أَعْظَمَ عِنْدَ اللهِ مِنْ جُرْعَةِ غَيْظٍ كَظَمَهَا عَبْدٌ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ (ه) عن ابن عمر رضى الله عنه.

٣٣٦٩ — مَا مِنْ حَافِظَيْنِ رَفَعَا إِلَى اللهِ مَا حَفِظَا فَيَرَى فِي أَوَّلِ الصَّحِيفَةِ

خَيْرًا وَفى آخِرِهَا خَيْرًا إلاّ قَالَ اللهُ تَعَالَى لِلَائِكَتِهِ : اشْهَدُوا أَنِّى قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِى مَا بَيْنَ طَرَفَىِ الصَّحِيفَةِ (ع) عن أنس رضى الله عنه .

٣٣٧٠ — مَا مِنْ حَاكِمٍ يَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ إلاّ يُحْشَرُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَمَلَكٌ آخِذٌ بِقَفَاهُ حتى يَقِفَهُ عَلَى جَهَنَّمَ ثُمَّ يَرْفَعُ رَأْسَهُ إلَى اللهِ ، فَإِنْ قَالَ اللهُ تَعَالَى أَلْقِهِ ، أَلْقَاهُ فى مَهْوَى أَرْبَعِينَ خَرِيفًا (حم هق) عن ابن عمر .

٣٣٧١ — مَا مِنْ خَارِجٍ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ فى طَلَبِ العِلْمِ إلاّ وَضَعَتِ المَلَائِكَةُ لَهُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا بِمَا يَصْنَعُ (حم ت ه حب ك) عن صفوان ابن عسّال .

٣٣٧٢ — مَا مِنْ دَعْوَةٍ يَدْعُو بِهَا العَبْدُ أفضَلَ مِنَ اللّهمَّ إنِّى أَسْأَلُكَ المُعَافَاةَ فى الدُّنْيَا والآخِرَةِ (ه) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٣٧٣ — مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللهُ تَعَالَى لِصَاحِبِهِ العُقُوبَةَ فى الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُهُ لَهُ فى الآخِرَةِ مِنَ البَغْىِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ (حم خد د ت ه حب ك) عن أبى بكرةَ رضى الله عنه .

٣٣٧٤ — مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللهُ تَعَالَى لِصَاحِبِهِ العُقُوبَةَ فى الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فى الآخِرَةِ ، مِنْ قَطِيعَةِ الرَّحِمِ وَالخِيَانَةِ وَالكَذِبِ وَإِنَّ أَعْجَلَ الطَّاعَةِ ثَوَابًا لَصِلَةُ الرَّحِمِ ، حَتى إنَّ أَهْلَ البَيْتِ لَيَكُونُونَ فَجَرَةً ، فَتَنْمُو أَمْوَالُهُمْ وَيَكْثُرُ عَدَدُهُمْ إذَا تَوَاصَلُوا (طب) عن أبى بكرة

٣٣٧٥ — مَا مِنْ رَجُلٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا ثُمَّ يَقُومُ فَيَتَطَهَّرُ ثُمَّ يُصَلِّى ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللهَ إلاّ غَفَرَ اللهُ لَهُ ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ : (وَالَّذِينَ إذَا فَعَلُوا

فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ) إلى آخِرِ الآيَةِ (٤ حب هب) عن أبى بكر .

٣٣٧٦ — مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلاً لا يُشْرِكُونَ بالله شَيْئًا إلاَّ شَفَّعَهُمُ اللهُ فِيهِ (حم م د) عن ابن عباس .

٣٣٧٧ — مَا مِنْ رَجُلٍ وَلِيَ عَشَرَةً إلاَّ أُتِيَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ مَغْلُولَةً يَدُهُ إِلَى عُنُقِهِ ، حتى يُقْضَى بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ (طب) عن ابن عباس .

٣٣٧٨ — مَا مِنْ رَجُلٍ يُجْرَحُ فِى جَسَدِهِ جِرَاحَةً فَيَتَصَدَّقُ بِهَا إلاَّ كَفَّرَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ مِثْلَ مَا تَصَدَّقَ (حم والضياء) عن عبادة رضى الله عنه .

٣٣٧٩ — مَا مِنْ رَجُلٍ يَعُودُ مَرِيضًا مُمْسِيًا إلاَّ خَرَجَ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ حتى يُصْبِحَ ، وَمَنْ أَتَاهُ مُصْبِحًا خَرَجَ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ حتى يُمْسِيَ (دك) عن على عليه السلام .

٣٣٨٠ — مَا مِنْ رَجُلٍ يَتَعَظَّمُ فى نَفْسِهِ وَيَخْتَالُ فى مَشْيَتِهِ إلاَّ لَقِيَ اللهَ تَعَالَى وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ (حم خد ك) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٣٣٨١ — مَا مِنْ شَىْءٍ فى المِيزَانِ أَثْقَلَ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ (حم د) عن أبى الدرداء (ت حب) بزيادة : وَإِنَّ اللهَ يُبْغِضُ الفَاحِشَ البَذِىءَ .

٣٣٨٢ — مَا مِنْ شَىْءٍ يُوضَعُ فى المِيزَانِ أَثْقَلَ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ ، وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةَ صَاحِبِ الصَّوْمِ وَالصَّلاَةِ (ت والبزار) عنه رضى الله عنه .

٣٣٨٣ — مَا مِنْ شَىْءٍ يُصِيبُ المُؤْمِنَ فى جَسَدِهِ يُؤْذِيهِ إلاَّ كَفَّرَ اللهُ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ (حم طب ك) عن معاوية .

٣٣٨٤ — مَا مِنْ صَبَاحٍ إلاّ وَمَلَكَانِ يُنَادِيَانِ : وَيْلٌ لِلرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ ، وَوَيْلٌ لِلنِّسَاءِ مِنَ الرِّجَالِ (٥ ك) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

٣٣٨٥ — مَا مِنْ صَلاَةٍ إلاّ وَبَيْنَ يَدَيْهَا رَكْعَتَانِ (حب طب) عن ابن الزبير رضى الله عنه .

٣٣٨٦ — مَا مِنْ عَامٍ إلاّ وَالَّذِى بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ (ت) عن أنس رضى الله عنه .

٣٣٨٧ — مَا مِنْ عَبْدٍ أَتَى أَخَاهُ يَزُورُهُ فِى اللهِ إلاّ نَادَاهُ مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ : أَنْ طِبْتَ وَطَابَتْ لَكَ الْجَنَّةُ ، وَإلاّ قَالَ اللهُ فِى مَلَكُوتِ عَرْشِهِ : عَبْدِى زَارَ فِىَّ وَعَلَىَّ قِرَاهُ ، فَلَمْ يَرْضَ لَهُ بِثَوَابٍ دُونَ الْجَنَّةِ (البزار ع) عن أنس رضى الله عنه .

٣٣٨٨ — مَا مِنْ عَبْدٍ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ نِعْمَةً فَأَسْبَغَهَا عَلَيْهِ ، ثُمَّ جَعَلَ مِنْ حَوَائِجِ النَّاسِ إِلَيْهِ فَتَبَرَّمَ ، فَقَدْ عَرَّضَ تِلْكَ النِّعْمَةَ لِلزَّوَالِ (طب) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٣٣٨٩ — مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ ، فَيَقُولُ : إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، اللّهُمَّ آجِرْنِى فِى مُصِيبَتِى ، وَاخْلُفْنِى خَيْراً مِنْهَا ، إلاّ آجَرَهُ اللهُ تَعَالَى فِى مُصِيبَتِهِ ، وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْراً مِنْهَا (م ع) عن أم سلمة رضى الله عنها .

٣٣٩٠ — مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْجُدُ لِلّهِ سَجْدَةً إلاّ رَفَعَهُ اللهُ بِهَا دَرَجَةً ، وَحَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً (حم ت ن حب) عن ثوبان رضى الله عنه .

٣٣٩١ — مَا مِنْ عَبْدٍ يَدْعُو لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ إلاّ قَالَ الْمَلَكُ : وَلَكَ بِمِثْلٍ (م د) عن أبى الدرداء رضى الله عنه .

٣٣٩٢ — مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلاَّ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ (ق) عن مَعْقل بن يسار .

٣٣٩٣ — مَا مِنْ عَبْدٍ يُصْرَعُ صَرْعَةً مِنْ مَرَضٍ إِلاَّ بَعَثَهُ اللهُ مِنْهَا طَاهِراً (ابن أبى الدنيا طب) عن أبى أمامة رضى الله عنه .

٣٣٩٤ — ما من عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّى للهِ تَعَالَى فى كُلِّ يَوْمٍ ثِنْتَىْ عَشْرَةَ رَكْعَةً تَطَوُّعاً غَيْرَ فَرِيضَةٍ إِلاَّ بَنَى اللهُ تَعَالَى لَهُ بَيْتاً فى الْجَنَّةِ (م ٣ عن أم حبيبة رضى الله عنها ، زاد (د) : أَرْبَعاً قَبْلَ الظُّهْرِ ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعِشَاءِ ، وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ صَلاَةِ الْغَدَاةِ .

٣٣٩٥ — ما من عَبْدٍ يُصَلِّى عَلَىَّ إِلاَّ صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلاَئِكَةُ مَا دَامَ يُصَلِّى عَلَىَّ فَلْيُقِلَّ الْعَبْدُ مِنْ ذٰلِكَ أَوْ لِيُكْثِرْ (حم ٥ والضياء) عن عامر بن ربيعة

٣٣٩٦ — ما من عَبْدٍ كَانَتْ لَهُ نِيَّةٌ فى أَدَاءِ دَيْنِهِ ، إِلاَّ كَانَ لَهُ مِنَ اللهِ عَوْنٌ (حم ك) عن عائشة رضى الله عنها .

٣٣٩٧ — ما من عَبْدٍ مُؤْمِنٍ يَخْرُجُ مِنْ عَيْنَيْهِ مِنَ الدُّمُوعِ مِثْلُ رَأْسِ الذُّبَابِ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ تَعَالَى ثُمَّ تُصِيبُ حُرَّ وَجْهِهِ فَتَمَسَّهُ النَّارُ أَبَدًا (٥) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

٣٣٩٨ — ما من عَبْدٍ وَلاَ أَمَةٍ إِلاَّ وَلَهُ ثَلاَثَةُ أَخِلاَّءَ : فَخَلِيلٌ يَقُولُ : أَنَا مَعَكَ فَخُذْ مَا شِئْتَ ، وَدَعْ مَا شِئْتَ ، فَذَلِكَ مَالُهُ . وَخَلِيلٌ يَقُولُ : أَنَا مَعَكَ ، فَإِذَا أَتَيْتَ بَابَ الْمَلِكِ تَرَكْتُكَ ، فَذَلِكَ خَدَمُهُ وَأَهْلُهُ ، وَخَلِيلٌ

يَقُولُ : أَنَا مَعَكَ حَيْثُ دَخَلْتَ وَحَيْثُ خَرَجْتَ ، فَذَلِكَ عَمَلُهُ (طب) عن النعمان بن بشير رضى الله عنه .

٣٣٩٩ — ما من غَازِيَةٍ تَغْزُو فى سَبِيلِ اللهِ فَيُصِيبُونَ الغَنِيمَةَ إلاّ تَعَجَّلُوا ثُلُثَىْ أَجْرِهِمْ مِنَ الأَجْرِ وَيَبْقَى لَهُمُ الثُّلُثُ ، فَإِنْ لَمْ يُصِيبُوا غَنِيمَةً تَمَّ لَهُمْ أَجْرُهُمْ (حم م د ن ه) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

٣٤٠٠ — ما من قَلْبٍ إلاّ وَهُوَ مُعَلَّقٌ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمٰنِ إِنْ شَاءَ أَقَامَهُ ، وَإِنْ شَاءَ أَزَاغَهُ ، وَالمِيزَانُ بِيَدِ الرَّحْمٰنِ ، يَرْفَعُ أَقْوَاماً وَيَخْفِضُ آخَرِينَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ (حم ه ك) عن النَّوَّاس .

٣٤٠١ — ما من قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالمَعَاصِى هُمْ أَعَزُّ وَأَكْثَرُ مِمَّنْ يَعْمَلُهَا ثُمَّ لَمْ يُغَيِّرُوهُ ، إلاّ عَمَّهُمُ اللهُ تَعَالَى بِعِقَابٍ مِنْهُ (حم د ه حب) عن جرير .

٣٤٠٢ — ما من قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللهَ إلاّ حَفَّتْ بِهِمُ المَلَائِكَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ (ت ه) عن أبى سعيد وأبى هريرة رضى الله عنهما .

٣٤٠٣ — ما من قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالمَعَاصِى ، ثُمَّ يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يُغَيِّرُوا ، ثُمَّ لاَ يُغَيِّرُوا ، إلاّ يُوشِكُ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ مِنْهُ بِعِقَابٍ (د) عن أبى بكر رضى الله عنه .

٣٤٠٤ — ما من مُسْلِمٍ يَأْخُذُ مَضْجَعَهُ يَقْرَأُ سُورَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ إلاّ وَكَّلَ اللهُ بِهِ مَلَكاً يَحْفَظُهُ ، فَلاَ يَقْرَبُهُ شَىْءٌ يُؤْذِيهِ حَتَّى يَهُبَّ مَتَى هَبَّ (حم ت) عن شداد بن أوس رضى الله عنه .

٣٤٠٥ — ما من مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُسْبِغُ الوُضُوءَ ثُمَّ يَقُومُ فى صَلاَتِهِ فَيَعْلَمُ مَا يَقُولُ إِلَّا انْفَتَلَ وَهُوَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ (م د ن ه وابن خزيمة ك) عن عقبة بن عامر .

٣٤٠٦ — ما من مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَشْهَدُ لَهُ أَرْبَعَةُ أَهْلِ أَبْيَاتٍ مِنْ جِيرَانِهِ الأَدْنَيْنَ أَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ إِلَّا خَيْرًا ، إِلَّا قَالَ اللهُ . قَدْ قَبِلْتُ عِلْمَكُمْ فيهِ ، وَغَفَرْتُ لهُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ (ع حب) عن أنس رضى الله عنه .

٣٤٠٧ — ما من مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا إِلَّا كَانَ مَا أُكِلَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ وَمَا سُرِقَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ ، وَلاَ يَرْزَؤُهُ أَحَدٌ إِلَّا كَانَ لهُ صَدَقَةٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ (م) عن جابر رضى الله عنه .

٣٤٠٨ — ما من مُسْلِمٍ يُقْرِضُ مُسْلِمًا قَرْضًا مَرَّةً إِلَّا كَانَ كَصَدَقَتِهَا مَرَّتَيْنِ (ه حب هب) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

٣٤٠٩ — ما من مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فيهَا إِثْمٌ وَلاَ قَطِيعَةُ رَحِمٍ إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ بِهَا إِحْدَى ثَلاَثٍ : إِمَّا أَنْ يُعَجِّلَ لَهُ دَعْوَتَهُ ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لهُ فى الآخِرَةِ ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا ، قَالُوا إِذاً نُكْثِرُ ، قَالَ . اللهُ أَكْثَرُ (حم ع والبزار ك) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

٣٤١٠ — ما من مُسْلِمٍ يَنْصِبُ وَجْهَهُ للهِ عَزَّ وَجَلَّ فى مَسْأَلَةٍ إِلَّا أَعْطَاهَا إِيَّاهُ ، إِمَّا أَنْ يُعَجِّلَهَا لَهُ وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فى الآخِرَةِ (حم) عن أبى هريرة .

٣٤١١ — ما من مُسْلِمٍ يَمُوتُ لهُ ثَلاَثَةٌ مِنَ الوَلَدِ لَمْ يَبْلُغُوا الحِنْثَ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ (ق ن ه) عن أنس رضى الله عنه.

٣٤١٢ — ما من مُسْلِمٍ يَمُوتُ لهُ ثَلاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ إلاّ تَلَقَّوْهُ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ ، مِنْ أَيُّهَا شَاءَ دَخَلَ (حم ٥) عن عتبة بن عبد رضى الله عنه .

٣٤١٣ — ما من مُسْلِمٍ يَزْرَعُ زَرْعاً فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ ، أَوْ إِنْسَانٌ ، أَوْ بَهِيمَةٌ إلاّ كانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ (حم ق ت) عن أنس رضى الله عنه .

٣٤١٤ — ما من مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى ، شَوْكَةٌ فَمَا فَوْقَهَا إلاّ حَطَّ اللهُ تَعَالَى لهُ بِهِ سَيِّئَاتِهِ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا (ق) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

٣٤١٥ — ما من مُسْلِمٍ يُشَاكُ شَوْكَةً فَمَا فَوْقَهَا إلاّ كُتِبَتْ لهُ بِهَا دَرَجَةٌ وَمُحِيَتْ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ (م) عن عائشة رضى الله عنها .

٣٤١٦ — ما من مُسْلِمٍ يَبِيتُ عَلَى ذِكْرٍ طَاهِراً فَيَتَعَارُّ مِنَ اللَّيْلِ فَيَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ إلاّ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ (حم د ٥) عن معاذ

٣٤١٧ — ما من مُسْلِمٍ كَسَا مُسْلِماً ثَوْباً إلاّ كانَ فى حِفْظِ اللهِ مَا دَامَ عَلَيْهِ مِنْهُ خِرْقَةٌ (ت) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٣٤١٨ — ما من مُسْلِمٍ تُدْرِكُ لَهُ ابْنَتَانِ فَيُحْسِنُ إِلَيْهِمَا مَا صَحِبَتَاهُ إلاّ أَدْخَلَتَاهُ الْجَنَّةَ (حم خد حب ك) عنه .

٣٤١٩ — ما من مُسْلِمٍ يَعْمَلُ ذَنْباً إلاّ وَقَفَ الْمَلَكُ ثَلاثَ سَاعَاتٍ ، فإِنِ اسْتَغْفَرَ مِنْ ذَنْبِهِ لَمْ يُوقِعْهُ عَلَيْهِ ، وَلَمْ يُعَذَّبْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (ك) عن أم عصمة رضى الله عنها .

٣٤٢٠ — ما من مُسْلِمٍ يُصَابُ فى جَسَدِهِ إلّا أَمَرَ اللهُ تَعَالَى الْحَفَظَةَ : اُكْتُبُوا لِعَبْدِى فى كلِّ يَوْمٍ لَيْلَةٍ مِنَ الْخَيْرِ مَا كَانَ يَعْمَلُ مَا دَامَ فى وَثَاقِى (ك) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

٣٤٢١ — ما من مُسْلِمٍ يُظْلَمُ مَظْلَمَةً فَيُقَاتِلُ فَيُقْتَلُ إلّا قُتِلَ شَهِيداً (حم) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

٣٤٢٢ — ما من مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ إلّا غُفِرَ لَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَتَفَرَّقَا (حم د ت ه والضياء) عن البراء رضى الله عنه .

٣٤٢٣ — ما من مُسْلِمَيْنِ يَمُوتُ لَهُمَا ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ إلّا أَدْخَلَهُمُ اللهُ تَعَالَى الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ (حم ن حب) عن أبى ذر (حم) عن أم أنس (ن) عن أبى هريرة رضى الله عنهم .

٣٤٢٤ — ما من مُسْلِمَيْنِ يَمُوتُ لَهُمَا ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ إلاّ جِىءَ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُوقَفُوا عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَيُقَالُ لَهُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ ، فَيَقُولُونَ حَتَّى تَدْخُلَ آبَاؤُنَا فَيُقَالُ لَهُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ (طب) عن حبيبة رضى الله عنها .

٣٤٢٥ — ما من مُصِيبَةٍ تُصِيبُ الْمُسْلِمَ إلاّ كَفَّرَ اللهُ بِهَا عَنْهُ حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا (حم ق) عن عائشة رضى الله عنها .

٣٤٢٦ — ما من مَيِّتٍ يُصَلِّى عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ إلاّ شُفِّعُوا فِيهِ (ن) عن ميمونة رضى الله عنها .

٣٤٢٧ — مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلاَّ كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ ، وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ ، يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ ، وَيَفْعَلُونَ مَا لاَ يُؤْمَرُونَ ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ (م) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

٣٤٢٨ — مَا مِنْ نَفْسٍ مُسْلِمَةٍ يَقْبِضُهَا رَبُّهَا تُحِبُّ أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْكُمْ وَإِنَّ لَهَا الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا غَيْرَ الشَّهِيدِ (حم ن) عن ابن أبى عميرة .

٣٤٢٩ — مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ سَيُكَلِّمُهُ اللهُ ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ ، فَلاَ يَرَى إِلاَّ مَا قَدَّمَ ، فَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ ، فَلاَ يَرَى إِلاَّ مَا قَدَّمَ ، فَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلاَ يَرَى إِلاَّ النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ ، فَاتَّقُوا النَّارَ ، وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ (ق) عن عَدِى بن حاتم رضى الله عنه .

٣٤٣٠ — مَا مِنْكُنَّ مِنِ امْرَأَةٍ تُقَدِّمُ ثَلاَثَةً مِنَ الْوَلَدِ إِلاَّ كَانُوا لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ ، قَالَتِ امْرَأَةٌ : وَاثْنَيْنِ ؟ قَالَ : وَاثْنَيْنِ (ق) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

٣٤٣١ — مَا مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ ، فَيَقُومُ بَاكِيهِمْ ، فَيَقُولُ : وَاجَبَلاَهُ ، وَاسَيِّدَاهُ ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ ، إِلاَّ وُكِلَ بِهِ مَلَكَانِ يَلْهَزَانِهِ : هَكَذَا كُنْتَ ؟ (ت ه) عن أبى موسى رضى الله عنه .

٣٤٣٢ — مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ وَقَدْ وُكِلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ ،

قَالُوا : وَإِيَّاكَ ؟ قَالَ : وَإِيَّاىَ ، إِلاَّ أَنَّ اللهَ أَعَانَنِى عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ (خ) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

٣٤٣٣ — مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلاَّ مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ[1] ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا : اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً ، وَيَقُولُ الآخَرُ : اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكاً تَلَفاً (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٤٣٤ — مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبِيداً مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو يَتَجَلَّى ، ثُمَّ يُبَاهِى بِهِمُ الْمَلاَئِكَةَ ، فَيَقُولُ : مَا أَرَادَ هٰؤُلاَءِ ؟ (م ن ه) عن عائشة رضى الله عنها .

٣٤٣٥ — مَا مَلأَ ابْنُ آدَمَ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ ، فَإِنْ كَانَ لاَ مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ (حم ت ه ك) عن المقدام بن مَعْدِيكَرِبَ رضى الله عنه .

٣٤٣٦ — مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْداً بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللهُ (حم م ت) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٤٣٧ — مَا يَجِدُ الشَّهِيدُ مِنْ مَسِّ الْقَتْلِ إِلاَّ كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مِنْ مَسِّ الْقَرْصَةِ (ت ن ه حب) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

---

(١) « ما من صباح إلا وملكان يناديان » يدعوان يقولان فى دعائهما « اللهم أعط منفقا خلفا » ماديا أو معنويا . هذا دعاء أحدهما ويقول الآخر « اللهم أعط ممسكا تلفا » ماديا أو معنويا . وفى الحديث فضل الانفاق ، وذم الإمساك ، ثم الإنفاق للممدوح الذى يخلفه الله نوعان : إنفاق على نفسه وأهل بيته بدون إسراف ، وإنفاق فى وجوه الخير . حتى يكون بما فى يد الله أوثق منه بما فى يده .

٣٤٣٨ — مَا نَقَضَ قَوْمٌ الْعَهْدَ إِلاَّ كَانَ الْقَتْلُ بَيْنَهُمْ ، وَلاَ ظَهَرَتِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ إِلاَّ سُلِّطَ عَلَيْهِمُ الْمَوْتُ ، وَلاَ مَنَعَ قَوْمٌ الزَّكَاةَ إِلاَّ حُبِسَ عَنْهُمُ الْقَطْرُ (ك) عن بُريدة رضى الله عنها .

٣٤٣٩ — مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ ، وَلاَ نَصَبٍ ، وَلاَ هَمٍّ ، وَلاَ حُزْنٍ ، وَلاَ أَذًى ، وَلاَ غَمٍّ ، حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا إِلاَّ كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ (ق) عن أبى سعيد وأبى هريرة رضى الله عنهما .

٣٤٤٠ — مَا يُخْرِجُ رَجُلٌ شَيْئًا مِنَ الصَّدَقَةِ حَتَّى يَفُكَّ عَنْهَا لَحْيَ سَبْعِينَ شَيْطَانًا (حم ك) عن بُريدة رضى الله عنها .

٣٤٤١ — مَثَلُ الْبَخِيلِ وَالْمُتَصَدِّقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ مِنْ ثَدْيِهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا ، فَأَمَّا الْمُنْفِقُ فَلاَ يُنْفِقُ إِلاَّ سَبَغَتْ عَلَى جِلْدِهِ ، حَتَّى تُخْفِيَ بَنَانَهُ وَتَعْفُوَ أَثَرَهُ ، وَأَمَّا الْبَخِيلُ فَلاَ يُرِيدُ أَنْ يُنْفِقَ إِلاَّ لَزِقَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا ، فَهُوَ يُوَسِّعُهَا فَلاَ تَتَّسِعُ (حم ق ت) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٤٤٢ — مَثَلُ الْبَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ ، وَالْبَيْتُ الَّذِي لاَ يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ (ق) عن أبى موسى رضى الله عنه .

٣٤٤٣ — مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ ، وَالْجَلِيسِ السُّوءِ ، كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ وَكِيرِ الْحَدَّادِ ، لاَ يُعْدِمُكَ مِنْ صَاحِبِ الْمِسْكِ ، إِمَّا أَنْ تَشْتَرِيَهُ أَوْ تَجِدَ رِيحَهُ ، وَكِيرُ الْحَدَّادِ يُحْرِقُ بَدَنَكَ ، أَوْ ثَوْبَكَ ، أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً (خ) عنه رضى الله عنه .

٣٤٤٤ — مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ مَثَلُ العَطَّارِ إِنْ لَمْ يُعْطِكَ مِنْ عِطْرِهِ أَصَابَكَ مِنْ رِيحِهِ (د ك) عن أنس (د ن) بزيادة : وَمَثَلُ الجَلِيسِ السُّوءِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الكِيرِ ، إِنْ لَمْ يُصِبْكَ مِنْ سَوَادِهِ أَصَابَكَ مِنْ دُخَانِهِ .

٣٤٤٥ — مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ ، كَمَثَلِ نَهْرٍ جَارٍ عَذْبٍ عَلَى بَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ ، فَمَا يُبْقِي ذَلِكَ مِنَ الدَّنَسِ ؟ (حم م) عن جابر رضى الله عنه .

٣٤٤٦ — مَثَلُ العَالِمِ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الخَيْرَ وَيَنْسَى نَفْسَهُ ، كَمَثَلِ السِّرَاجِ يُضِيءُ لِلنَّاسِ وَيُحْرِقُ نَفْسَهُ (طب والضياء) عن جُندب .

٣٤٤٧ — مَثَلُ القَائِمِ فِي حُدُودِ اللهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا ، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ ، فَصَارَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا ، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا ، فَكَانَ الَّذِي فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ ، فَقَالُوا : لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقاً ، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا ، فَإِنْ تَرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعاً ، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا ، وَنَجَوْا جَمِيعاً (خ ت) عن النعمان بن بشير رضى الله عنه .

٣٤٤٨ — مَثَلُ الَّذِي يُعْتِقُ عِنْدَ المَوْتِ ، كَمَثَلِ الَّذِي يُهْدِي إِذَا شَبِعَ (حم ت ن ك) عن أبى الدرداء رضى الله عنه .

٣٤٤٩ — مَثَلُ الَّذِي يَتَكَلَّمُ يَوْمَ الجُمُعَةِ وَالإِمَامُ يَخْطُبُ ، مَثَلُ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً ، وَالَّذِي يَقُولُ لَهُ : أَنْصِتْ ، لَا جُمُعَةَ لَهُ (حم) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٣٤٥٠ — مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ النَّحْلَةِ لاَ تَأْكُلُ إِلاَّ طَيِّبًا ، وَلاَ تَضَعُ إِلاَّ طَيِّبًا (حب طب) عن أبى رزين رضى الله عنه .

٣٤٥١ — مَثَلُ الْمُؤْمِنِ ، كَمَثَلِ خَامَةِ الزَّرْعِ مِنْ حَيْثُ أَتَتْهَا الرِّيحُ كَفَتْهَا ، فَإِذَا سَكَنَتْ اعْتَدَلَتْ ، وَكَذَلِكَ يُكْفَأُ بِالْبَلاَءِ ، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ ، كَالأَرْزَةِ صَمَّاءَ مُعْتَدِلَةً حَتَّى يَقْصِمَهَا اللهُ تَعَالَى إِذَا شَاءَ (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٤٥٢ — مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِى يَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، كَمَثَلِ الأُتْرُجَّةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ ، وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِى لاَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، كَمَثَلِ التَّمْرَةِ لاَ رِيحَ لَهَا ، وَطَعْمُهَا حُلْوٌ ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِى يَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ ، وَطَعْمُهَا مُرٌّ ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِى لاَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ لَيْسَ لَهَا رِيحٌ ، وَطَعْمُهَا مُرٌّ (حم ق ٤) عن أبى موسى رضى الله عنه .

٣٤٥٣ — مَثَلُ الْمُؤْمِنِ وَمَثَلُ الإِيمَانِ ، كَمَثَلِ الْفَرَسِ فِى آخِيَّتِهِ يَجُولُ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى آخِيَّتِهِ ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْهُو ثُمَّ يَرْجِعُ ، فَأَطْعِمُوا طَعَامَكُمُ الأَتْقِيَاءَ وَأَوْلُوا مَعْرُوفَكُمُ الْمُؤْمِنِينَ (حب) عن أبى سعيد .

٣٤٥٤ — مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِى تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى (حم م) عن النعمان بن بشير رضى الله عنه .

٣٤٥٥ — مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِى سَبِيلِ اللهِ ـ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِى سَبِيلِهِ ـ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الدَّائِمِ الَّذِى لاَ يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ وَلاَ صَدَقَةٍ حَتَّى

يَرْجِعَ وَتَوَكَّلَ اللهُ تَعَالَى لِلْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِهِ إِنْ تَوَفَّاهُ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ يَرْجِعَهُ سَالِمًا مَعَ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ (ق ت ن) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

٣٤٥٦ — مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ[1] بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ تَعِيرُ إِلَى هٰذِهِ مَرَّةً لاَ تَدْرِي أَيَّهُمَا تَتْبَعُ ؟ (حم م ن) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٣٤٥٧ — مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ الْمَطَرِ[2]، لاَ يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ ؟ (حم ع ت) عن أنس (حب طب) عن عمار (ع) عن على (طب) عن ابن عمرو وعن ابن عمر (البزار) عن عمران بن حصين رضى الله عنهم .

٣٤٥٨ — مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَاراً ، فَجَعَلَ الْفَرَاشُ وَالْجَنَادِبُ يَقَعْنَ فِيهَا ، وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا ، وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ ، وَأَنْتُمْ تُفْلِتُونَ مِنْ يَدِي (حم م) عن جابر رضى الله عنه .

٣٤٥٩ — مُدَارَاةُ النَّاسِ صَدَقَةٌ (حب طب حل هب) عن جابر .

٣٤٦٠ — مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى مُوسَى قَائِمًا يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ (حم م ن) عن أنس رضى الله عنه .

---

١) مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير ـ تذهب ـ إلى هذه مرة وإلى هذه مرة لاتدرى أيهما تتبع ؟ كذلك المنافق يذهب إلى المؤمنين على أنه منهم ، ويذهب إلى الكفار ، لأنهم أهله وعشيرته . فهو عائر أى ذاهب جائى بين المؤمنين والكفار (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون) .

(٢) « مثل أمتى مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره ؟ » خير هنا بمعنى فاضل ، لا بمعنى أفضل ، بدليل الحديث الآخر « يجعل الله فى أوله خيرا وفى آخره خيرا » وفى آخر هذه الأمة المهدى وعيسى عليهما السلام .

٣٤٦١ — مَرَرْتُ فِى السَّماءِ الرَّابِعَةِ بِجِبْرِيلَ[1] وَهُوَ كَالْحِلْسِ البَالِى مِنْ خَشْيَةِ اللهِ (طس وابن مردويه فى التفسير) عن جابر رضى الله عنه .

٣٤٥٢ — مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِىَ بِى بِأَقْوَامٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ . قُلْتُ : مَنْ هَؤُلاَءِ يَا جِبْرِيلُ ؟ قَالَ : خُطَبَاءُ أُمَّتِكَ الذِينَ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ (ق) عن أسامة بن زيد رضى الله عنه .

٣٤٦٣ — مَرَّ رَجُلٌ بِغُصْنِ شَجَرَةٍ عَلَى ظَهْرِ طَرِيقٍ ، فَقَالَ : وَاللهِ لأُنَحِّيَنَّ هذا عَنِ المُسْلِمِينَ لا يُؤْذِيهِمْ فَأُدْخِلَ الجَنَّةَ (حم م) عن أبى هريرة .

٣٤٦٤ — مُرُوا أَوْلادَكُمْ بِالصَّلاَةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِى المَضَاجِعِ ، وَإِذَا زَوَّجَ أَحَدُكُمْ خَادِمَهُ عَبْدَهُ أَوْ أَجِيرَهُ فَلاَ يَنْظُرْ إِلَى مَا دُونَ السُّرَّةِ وَفَوْقَ الرُّكْبَةِ (حم د ك) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

٣٤٦٥ — مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ (ق ت ه) عن عائشة (ق) عن أبى موسى (خ) عن ابن عمر (ه) عن ابن عباس وعن سالم بن عبيد .

٣٤٦٦ — مَسْأَلَةُ الغَنِىِّ[2] شَيْنٌ فِى وَجْهِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ (حم) عن عمران رضى الله عنه .

---

(١) مررت فى السماء الرابعة ـ فى رؤيا منامية ـ بجبريل وهل كالحلس البالى من خشية الله .

(٢) مسألة الغنى شين ـ عيب ـ فى وجهه يوم القيامة ، يعنى من سأل طعاما أو نقودا أو أى حاجة هو غنى عنها . جاء يوم القيامة وفى وجهه خدوش تعيب وجهه . =

٣٤٦٧ — مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ[1] (ق) عن أبى قتادة رضى الله عنه .

٣٤٦٨ — مَطْلُ الغَنِيِّ[2] ظُلْمٌ ، فَإذا أُتْبِعَ أَحَدُكُمْ عَلَى مَلِيءٍ فَلْيَتْبَعْ (ق ٤) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٤٦٩ — مُعَقِّبَاتٌ لا يَخِيبُ قَائِلُهُنَّ: ثَلاثٌ وَثَلاثُونَ تَسْبِيحَةً ، وَثَلاثٌ وَثَلاثُونَ تَحْمِيدَةً ، وَأَرْبَعٌ وَثَلاثُونَ تَكْبِيرَةً فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ مَكْتُوبَةٍ (حم م ت ن) عن كعب بن عُجرة رضى الله عنه .

٣٤٧٠ — مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ تَعَالَى : لا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ فى غَدٍ إِلَّا اللهُ تعالى ، وَلا يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللهُ تعالى ، وَلا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ فِي الأَرْحَامِ إِلَّا اللهُ تعالى ، وَلا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِلَّا اللهُ تعالى ، وَلا يَدْرِى أَحَدٌ مَتَى يَجِيءُ الْمَطَرُ إِلَّا اللهُ تعالى (حم خ) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٣٤٧١ — مِفْتَاحُ الصَّلاةِ الطُّهُورُ ، وَتَحْرِيمُهَا التَّكْبِيرُ وَتَحْلِيلُهَا التَّسْلِيمُ (حم ش د ت ه والبزار ك) عن على عليه السلام .

= وهذه عقوبة مطابقة لحاله. وذلك حيث أذل وجهه بالسؤال بغير حاجة ملحة عوقب بشينه (جزاء وفاقا) .

(١) مستريح ومستراح منه : قاله للجنازة التى مر عليه بها . وجاء بيان ذلك فى رواية : المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاها . إلى رحمة الله تعالى الواسعة . والفاجر تستريح منه البلاد والعباد ، حتى الدواب والشجر .

(٢) مطل الغنى ظلم : لأنه أخر دفع الدين مع استطاعته الأداء . فإذا اتبع أحدكم على مليء ، بأن أجاله المدين على غنى يأخذ منه دينه ، فليقبل الإحالة ، ولا يتمسك بشخص المدين فإنه تسعف لا معنى له ، لما فيه من الإحراج .

٣٤٧٢ — مَقَامُ الرَّجُلِ فى الصَّفِّ فى سَبِيلِ اللهِ أَفْضَلُ عِنْدَ اللهِ مِنْ عِبَادَةِ الرَّجُلِ سِتِّينَ سَنَةً (طب ك) عن عمران رضى الله عنه .

٣٤٧٣ — مَكَارِمُ الأَخْلَاقِ مِنْ أَعْمَالِ الجَنَّةِ (طس) عن أنس .

٣٤٧٤ — مَكْتُوبٌ فى التَّوْرَاةِ : مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَادَ فى عُمْرِهِ ، وَيُزَادَ فى رِزْقِهِ ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ (البزار ك) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٣٤٧٥ — مُلِىءَ عَمَّارٌ إِيمَانًا إِلى مُشَاشِهِ (ه) عن على عليه السلام (ك هق) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

٣٤٧٦ — مَلْعُونٌ مَنْ أَتَى امْرَأَةً فى دُبُرِهَا (حم د) عن أبى هريرة .

٣٤٧٧ — مَلْعُونٌ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ[1] صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ جَلَسَ وَسْطَ الحَلْقَةِ (ت) عن حذيفة رضى الله عنه .

٣٤٧٨ — مَلْعُونٌ مَنْ سَأَلَ بِوَجْهِ اللهِ ، وَمَلْعُونٌ مَنْ سُئِلَ بِوَجْهِ اللهِ ثُمَّ مَنَعَ سَائِلَهُ مَا لَمْ يَسْأَلْ هُجْرًا (طب) عن أبى موسى رضى الله عنه .

٣٤٧٩ — مَلْعُونٌ مَنْ ضَارَّ مُؤْمِنًا أَوْ مَكَرَ بِهِ (ت) عن أبى بكر

٣٤٨٠ — مَلْعُونٌ مَنْ سَبَّ أَبَاهُ ، مَلْعُونٌ مَنْ سَبَّ أُمَّهُ ، مَلْعُونٌ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ ، مَلْعُونٌ مَنْ غَيَّرَ تُخُومَ الأَرْضِ ، مَلْعُونٌ مَنْ كَمَهَ أَعْمَى عَنْ

---

(١) « ملعون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم من جلس وسط الحلقة » لأنه يؤذى شعور الحاضرين ، ولأن فيه معنى التميز والانفراد والاستعلاء ، إلا إن سمحوا له بذلك ورضوا به (كأن يكون شيخا مفيدا حلا أو قالا) فلا لعنة تصيبه ، لأنهم تنازلوا عن حقهم رغبة فى فائدتهم الحاصلة لهم بذلك .

طَرِيقٍ ، مَلعُونٌ مَنْ وَقَعَ عَلَى بَهِيمَةٍ ، مَلعُونٌ مَنْ عَمِلَ بِعَمَلِ قَوْمِ لُوطٍ (حم) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٣٤٨١ — مَلْعُونٌ مَنْ فَرَّقَ (ك هق) عن عمران (قط) بزيادة : بَيْنَ وَالِدَةٍ وَوَلَدِهَا .

٣٤٨٢ — مِنَ الحِنْطَةِ خَمْرٌ ، وَمِنَ التَّمْرِ خَمْرٌ ، وَمِنَ الشَّعِيرِ خَمْرٌ ، وَمِنَ الزَّبِيبِ خَمْرٌ ، وَمِنَ العَسَلِ خَمْرٌ (حم) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٣٤٨٣ — من المَذْيِ الوُضُوءُ وَمن المَنِيِّ الغُسْلُ (ت) عن على عليه السلام

٣٤٨٤ — مِنْ أَرْبَى الرِّبَا اسْتِطَالَةُ المَرْءِ فى عِرْضِ أَخِيهِ (البزار) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٤٨٥ — من أَشَدِّ أُمَّتِي لى حُبًّا نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِى يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَآنِي بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٤٨٦ — من أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ تَتَبَاهَى النَّاسُ فى المَسَاجِدِ (ن) عن أنس رضى الله عنه .

٣٤٨٧ — من أَشْرَاطِ السَّاعَةِ الفُحْشُ وَالتَّفَحُّشُ ، وَقَطِيعَةُ الرَّحِمِ ، وَتَخْوِينُ الأَمِينِ وَائْتِمَانُ الخَائِنِ (طس) عن أنس رضى الله عنه .

٣٤٨٨ — مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الجُمُعَةِ ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ ، وَفِيهِ قُبِضَ ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ ؛ فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ ، قِيلَ : تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ - يعنى

بَلِيتَ - ؟ قَالَ : إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ (حم د ن ه ك حب) عن أوس بن أوس رضى الله عنه .

٣٤٨٩ — من أَكْبَرِ الكَبَائِرِ الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَالْيَمِينُ الغَمُوسُ ، وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لا يَحْلِفُ رَجُلٌ عَلَى مِثْلِ جَنَاحِ بَعُوضَةٍ إِلَّا كَانَتْ كَيًّا فى قَلْبِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ (ت حب طس) عن عبد الله بن أنيس .

٣٤٩٠ — مِنْ تَمَامِ النِّعْمَةِ دُخُولُ الجَنَّةِ ، وَالفَوْزُ مِنَ النَّارِ (ت ك) عن معاذ رضى الله عنه .

٣٤٩١ — من حُسْنِ الصَّلَاةِ إِقَامَةُ الصَّفِّ (ك) عن أنس رضى الله عنه.

٣٤٩٢ — من حُسْنِ إِسْلَامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ (ت ه) عن أبى هُرَيرةِ (حم طب) عن الحسين بن على (ك فى التاريخ) عن على (الحاكم فى الكنى) عن أبى بكر (طص) عن زيد بن ثابت (الشيرازى) عن أبى ذر (ابن عساكر) عن الحارث بن هشام رضى الله عنهم .

٣٤٩٣ — مِنْ حِينَ يَخْرُجُ أَحَدُكُمْ مِنْ مَنْزِلِهِ إِلَى مَسْجِدِهِ ، فَرِجْلٌ تَكْتُبُ حَسَنَةً وَالأُخْرَى تَمْحُو سَيِّئَةً (ك هب) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٤٩٤ — مِنْ خُلَفَائِكُمْ خَلِيفَةٌ يَحْثُو المَالَ حَثْيًا[1] ، لا يَعُدُّهُ عَدًّا (م) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

٣٤٩٥ — مِنْ خَيْرِ طِيبِكُمُ المِسْكُ (ن) عنه .

---

(١) من خلفائكم خليفة يحثو المال حثيا لا يعده عدا ، هو المهدى المنتظر ، ثبت التصريح به فى سنن أبى داود وغيرها ، فى حديث أبى سعيد الخدرى أيضا .

٣٤٩٦ — مِنْ سَعَادَةِ المَرْءِ الجَارُ الصَّالِحُ ، وَالمَرْكَبُ الهَنِيُّ ، وَالمَسْكَنُ الوَاسِعُ (حم) عن نافع بن الحارث رضى الله عنه .

٣٤٩٧ — مِنْ سَعَادَةِ المَرْءِ أَنْ يَطُولَ عُمْرُهُ ، وَيَرْزُقَهُ اللهُ الإِنَابَةَ (ك) عن جابر رضى الله عنه .

٣٤٩٨ — مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ (خ) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

٣٤٩٩ — مِنْ فِقْهِ الرَّجُلِ رِفْقُهُ فِى مَعِيشَتِهِ (حم طب) عن أبى الدرداء.

٣٥٠٠ — مِنْ مُوجِبَاتِ المَغْفِرَةِ إِطْعَامُ المُسْلِمِ السَّغْبَانِ (ك) عن جابر

٣٥٠١ — مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى حُجْزَتِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى عُنُقِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى تَرْقُوَتِهِ (م) عن سمرة بن جندب .

٣٥٠٢ — مَنْ آتَاهُ اللهُ مِنْ هَذَا المَالِ شَيْئًا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْأَلَهُ فَلْيَقْبَلْهُ فَإِنَّمَا هُوَ رِزْقٌ سَاقَهُ اللهُ إِلَيْهِ (حم) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٥٠٣ — مَنْ آذَى المُسْلِمِينَ فِى طُرُقِهِمْ وَجَبَتْ عَلَيْهِ لَعْنَتُهُمْ (طب) عن حُذيفة بن أسيد رضى الله عنه .

٣٥٠٤ — مَنْ آذَى عَلِيًّا فَقَدْ آذَانِي (حم تخ ك) عن عمرو بن شاس.

٣٥٠٥ — مَنْ آتَاهُ اللهُ مَالاً فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتَانِ ، يُطَوَّقُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ — يَعْنِى شِدْقَيْهِ — ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا مَالُكَ ، أَنَا كَنْزُكَ ، ثُمَّ تَلاَ هَذِهِ الآيَةَ :

(وَلاَ يَحْسَبَنَّ الذينَ يَبْخَلُونَ) الآية (ق ن) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٥٠٦ — مَنْ آذَى أَهْلَ المَدِينَةِ آذَاهُ اللهُ وَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلاَئِكَة وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، لاَ يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلاَ عَدْلٌ (طب) عن ابن عمرو .

٣٥٠٧ — مَنْ أَتَمَّ الوُضُوءَ كما أَمَرَهُ اللهُ ، فَالصَّلَوَاتُ المَكْتُوبَاتُ كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ (ن ه) عن عثمان رضى الله عنه .

٣٥٠٨ — مَنْ أَتَى النِّسَاءَ فى أَعْجَازِهِنَّ فَقَدْ كَفَرَ (طس) عن أبى هريرة

٣٥٠٩ — مَنْ أَمَّنَ رَجُلاً عَلَى دَمِهِ فَقَتَلَهُ فَأَنَا بَرِىءٌ مِنَ القَاتِلِ وَإِنَّ كَانَ المَقْتُولُ كافِرًا (خ ن) عن عمرو بن الحمق .

٣٥١٠ — من آوَى ضَالَّةً فَهُوَ ضَالٌّ ما لَمْ يُعَرِّفْهَا (حم م) عن زيد ابن خالد رضى الله عنه .

٣٥١١ — مَنِ ابْتَاعَ طَعَاماً فَلاَ يَبِعْهُ حَتَّى يَسْتَوْفِيَهُ (حم ق ن ه) عن ابن عمر رضى الله عنه .

٣٥١٢ — مَنِ ابْتَغَى القَضَاءَ وَسَأَلَ فِيهِ شُفَعَاءَ وُكِلَ إِلَى نَفْسِهِ ، وَمَنْ أُجْبِرَ عَلَيْهِ يَنْزِلُ عَلَيْهِ مَلَكٌ يُسَدِّدُهُ (د ت) عن أنس رضى الله عنه .

٣٥١٣ — مَنْ أُبْلِيَ بَلاَءً فَذَكَرَهُ (١) فَقَدْ شَكَرَهُ ، وَمَنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ (د والضياء) عن جابر رضى الله عنه .

---

(١) من أبلى بلاء ـ أنعم عليه بنعمة ـ فذكره فقد شكره ومن كتمه ـ فلم يذكره وجعله سرا مكتوما ـ فقد كفره : جحده ، فشكر النعمة ذكرها ولو لشخص أو شخصين .

٣٥١٤ — مَنِ ابْتُلِيَ مِنْ هَذِهِ البَنَاتِ بشيء فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنَّ لهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ (حم ق ن) عن عائشة رضى الله عنها .

٣٥١٥ — مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَصَدَّقَهُ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا (حم م) عن بعض أمهات المؤمنين رضى الله عنهن .

٣٥١٦ — من أتى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ ؛ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (حم ٤ ك) عن أبى هريرة .

٣٥١٧ — من أَتَى عَرَّافًا أَوْ سَاحِرًا أَوْ كَاهِنًا فَسَأَلَهُ فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (البزار ع) عن ابن مسعود.

٣٥١٨ — مَنْ أَتَى فِرَاشَهُ وَهُوَ يَنْوِى أَنْ يَقُومَ يُصَلِّى مِنَ اللَّيْلِ فَغَلَبَتْهُ عَيْنُهُ حتى يُصْبِحَ ، كُتِبَ لَهُ مَا نَوَى وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ (ن ه حب ك) عن أبى الدرداء رضى الله عنه .

٣٥١٩ — مَنْ أَثْكَلَ ثَلَاثَةً مِنْ صُلْبِهِ فَاحْتَسَبَهُمْ عَلَى اللهِ فى سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ (حم طب) عن عقبة .

٣٥٢٠ — مَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ ، وَمَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فى الأَرْضِ (حم ق ن) عن أنس .

٣٥٢١ — مَنِ اجْتَنَبَ أَرْبَعًا دَخَلَ الجَنَّةَ : الدِّمَاءَ ، وَالأَمْوَالَ ، وَالفُرُوجَ وَالأَشْرِبَةَ (البزار) عن أنس رضى الله عنه .

٣٥٢٢ — مَنْ أَحَاطَ حَائِطًا عَلَى أَرْضٍ فَهِيَ لَهُ (حم د والضياء) عن سَمُرة رضى الله عنه .

٣٥٢٣ — مَنْ أَحَبَّ لِلّهِ وَأَبْغَضَ لِلّهِ وَأَعْطَى لِلّهِ وَمَنَعَ لِلّهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ (د والضياء) عن أبى أمامة رضى الله عنه .

٣٥٢٤ — من أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ (حم ق ت ن) عن عائشة وعن عبادة (حم ن) عن أنس .

٣٥٢٥ — من أَحَبَّ الانْصَارَ أَحَبَّهُ اللهُ وَمَنْ أَبْغَضَ الأَنْصَارَ أَبْغَضَهُ اللهُ (حم تخ) عن معاوية (حب) عن البراء رضى الله عنه .

٣٥٢٦ — من أَحَبَّ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ (حم د ت) عن معاوية .

٣٥٢٧ — من أَحَبَّ قَوْمًا حَشَرَهُ اللهُ فى زُمْرَتِهِمْ (طب والضياء) عن أبى قِرْصَافة رضى الله عنه .

٣٥٢٨ — من أَحَبَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَقَدْ أَحَبَّنِى وَمَنْ أَبْغَضَهُمَا فَقَدْ أَبْغَضَنِى (حم ه ك) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٥٢٩ — مَنْ أَحَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ أَحَبَّنِى وَمَنْ أَبْغَضَ عَلِيًّا فَقَدْ أَبْغَضَنِى (ك) عن سلمان رضى الله عنه .

---

(١) « من أحب الحسن والحسين فقد أحبنى » لأنهما ابناى وبضعة منى ، وهما يستحقان الحب الكامل من جهتين : جهة بنوتهما للنبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وجهة تقدمهما فى العلم والدين ومكارم الأخلاق ، وبينا فيما سبق أنهما بلغا رتبة الصديقية كأبيهما ووالدتهما عليهم السلام ، وزاد على عليه السلام عليهما بلاءه فى بدر وأحد وجميع الغزوات ، ومبيته فى محل النبى صلى الله عليه وآله وسلم ليلة الهجرة . وتلك مواقف أحبها الله منه ، وأحبه لأجلها ، وأحب من يحبه . حشرنا الله بفضله فيمن يحبهم ويحب بحبهم من أحبهم . ويقتفى آثارهم آمين .

٣٥٣٠ ـــ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَصِلَ أَبَاهُ فِى قَبْرِهِ فَلْيَصِلْ إِخْوَانَ أَبِيهِ مِنْ بَعْدِهِ (ع حب) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٣٥٣١ ـــ من أَحَبَّ أَنْ تَسُرَّهُ صَحِيفَتُهُ فَلْيُكْثِرْ فِيهَا مِنَ الاسْتِغْفَارِ (هب والضياء) عن الزُّبير بن العوَّام رضى الله عنه .

٣٥٣٢ ـــ من أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِى رِزْقِهِ وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِى أَجَلِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ (ق د ن) من أنس (حم خ) عن أبى هريرة رضى الله عنهما .

٣٥٣٣ ـــ من احْتَكَرَ طَعَامًا فَهُوَ خَاطِئٌ (م د) عن معمر بن أبى معمر .

٣٥٣٤ ـــ مَنِ احْتَكَرَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ طَعَامَهُمْ ضَرَبَهُ اللهُ بِالْجُذَامِ وَالإِفْلاَسِ (حم ه) عن عمر رضى الله عنه .

٣٥٣٥ ـــ مَنْ أَحْدَثَ فِى أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ (ق د ه) عن عائشة رضى الله عنها .

٣٥٣٦ ـــ من أَحْسَنَ فِى الإِسْلاَمِ لَمْ يُؤَاخَذْ بِمَا عَمِلَ فِى الجَاهِلِيَّةِ وَمَنْ أَسَاءَ فِى الإِسْلاَمِ أُخِذَ بِالأَوَّلِ وَالآخِرِ (حم ق ه) عن ابن مسعود .

٣٥٣٧ ـــ مَنْ أَحْسَنَ فِيمَا بَقِىَ غُفِرَ لَهُ مَا مَضَى ، وَمَنْ أَسَاءَ فِيمَا بَقِىَ أُخِذَ بِمَا مَضَى وَمَا بَقِىَ (طب) عن أبى ذر رضى الله عنه .

٣٥٣٨ ـــ مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيِّتَةً فَهِىَ لَهُ ، وَلَيْسَ لِعِرْقٍ ظَالِمٍ حَقٌّ (حم د ت والضياء) عن سعيد بن زيد رضى الله عنه .

٣٥٣٩ ـــ مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيِّتَةً فَلَهُ فِيهَا أَجْرٌ ، وَمَا أَكَلَتِ الْعَافِيَةُ مِنْهَا فَهُوَ صَدَقَةٌ (حم ن حب والضياء) عن جابر رضى الله عنه .

٣٥٤٠ — مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللهُ عَنْهُ ، وَمَنْ أَخَذَهَا يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللهُ (حم خ ٥) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٥٤١ — مَنْ أَخَافَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ أَخَافَهُ اللهُ (حب) عنه رضى الله عنه .

٣٥٤٢ — مَنْ أَخَذَ مِنَ الأَرْضِ شَيْئاً بِغَيْرِ حَقِّهِ خُسِفَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى سَبْعِ أَرْضِينَ (خ) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٣٥٤٣ — مَنْ أَخَذَ أَرْضاً بِغَيْرِ حَقِّهَا كُلِّفَ أَنْ يَحْمِلَ تُرَابَهَا إِلَى الْمَحْشَرِ (حم طب) عن يعلى بن مُرَّة رضى الله عنه .

٣٥٤٤ — مَنْ أَخَذَ مِنْ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ شِبْراً جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ (طب والضياء) عن الحكم بن الحارث السلمى .

٣٥٤٥ — مَنِ ادَّانَ دَيْناً يَنْوِى قَضَاءَهُ ، أَدَّاهُ اللهُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (طب) عن ميمونة رضى الله عنها .

٣٥٤٦ — مَنْ أَدْرَكَ رَكْعَةً مِنَ الصَّلَاةِ ، فَقَدْ أَدْرَكَ الصَّلَاةَ (ق ٤) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٥٤٧ — مَنْ أَدْرَكَ مِنَ الْجُمُعَةِ رَكْعَةً فَلْيُصَلِّ إِلَيْهَا أُخْرَى (٥ ك) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٥٤٨ — من أَدْرَكَ عَرَفَةَ قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ فَقَدْ أَدْرَكَ الْحَجَّ (طب) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٣٥٤٩ — مَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ رِيحَهَا

لَيُوجَدُ مِنْ قَدْرِ سَبْعِينَ عَامًا (حم ٥) عن ابن عمرو . ولفظ (٥) : مِنْ مَسِيرَةِ خَمْسمائَةِ عَامٍ .

٣٥٥٠ — مَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ ، أَوِ انْتَمَى إِلَى غَيْرِ مَوَالِيهِ ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ الْمُتَتَابِعَةُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ (د) عن أنس رضى الله عنه .

٣٥٥١ — مَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ ، أَوْ تَوَلَّى غَيْرَ مَوَالِيهِ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (حم ٥ حب) عن ابن عباس رضى الله عنهما.

٣٥٥٢ — مَنْ أَذَّنَ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ ، وَكُتِبَ لَهُ بِتَأْذِينِهِ فِى كُلِّ يَوْمٍ سِتُّونَ حَسَنَةً ، وَبِكُلِّ إِقَامَةٍ ثَلَاثُونَ حَسَنَةً (٥ قط ك) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٣٥٥٣ — مَنْ أَرَادَ الْحَجَّ فَلْيَتَعَجَّلْ (حم د ك هق) عن ابن عباس .

٣٤٥٤ — مَنْ أَرَادَ أَنْ يَصُومَ فَلْيَتَسَحَّرْ بِشَيْءٍ (حم والضياء) عن جابر رضى الله عنه .

٣٥٥٥ — مَنْ أَرَادَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بِسُوءٍ أَذَابَهُ اللهُ ، كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِى الْمَاءِ (حم م ٥) عن أبى هريرة (م) عن سعد رضى الله عنهما .

٣٥٥٦ — مَنْ أَرَادَ أَنْ تُسْتَجَابَ دَعْوَتُهُ ، وَأَنْ تُكْشَفَ كُرْبَتُهُ ، فَلْيُفَرِّجْ عَنْ مُعْسِرٍ (حم) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٣٥٥٧ — مَنِ ارْتَدَّ عَنْ دِينِهِ فَاقْتُلُوهُ (طب) عن عصمة بن مالك .

٣٥٥٨ — مَنْ أَرْضَى اللهُ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللهُ ، وَمَنْ أَسْخَطَ اللهَ بِرِضَا النَّاسِ وَكَلَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ (حب) عن عائشة رضى الله عنها .

٣٥٥٩ — مَنْ أُرِيدَ مَالُهُ بِغَيْرِ حَقٍّ فَقَاتَلَ ، فَقُتِلَ فَهُوَ شَهِيدٌ (٣) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

٣٥٦٠ — مَنْ أَسْخَطَ اللهَ فِى رِضَا النَّاسِ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِ ، وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ مَنْ أَرْضَاهُ فى سَخَطِهِ ، وَمَنْ أَرْضَى اللهَ فى سَخَطِ النَّاسِ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَى عَنْهُ مَنْ أَسْخَطَهُ فى رِضَاهُ ، حَتَّى يُزَيِّنَهُ وَيُزَيِّنَ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ فى عَيْنِهِ (طب) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٣٥٦١ — مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ بِالْمَدِينَةِ فَلْيَمُتْ بِهَا ، فَإِنِّى أَشْفَعُ لِمَنْ يَمُوتُ بِهَا (حم ت ه حب) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٣٥٦٢ — مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ خَبْءٌ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ فَلْيَفْعَلْ (الضياء) عن الزبير رضى الله عنه .

٣٥٦٣ — مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَنْفَعْهُ (حم م ه) عن جابر رضى الله عنه .

٣٥٦٤ — مَنْ اسْتَعَاذَ بِاللهِ فَأَعِيذُوهُ ، وَمَنْ سَأَلَكُمْ بِوَجْهِ اللهِ فَأَعْطُوهُ (حم د) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٣٥٦٥ — مَنْ اسْتَعَاذَكُمْ بِاللهِ فَأَعِيذُوهُ ، وَمَنْ سَأَلَكُمْ بِاللهِ فَأَعْطُوهُ ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ (حم د ن حب ك) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٣٥٦٦ — مَنْ اسْتَعْمَلْنَاهُ مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ فَكَتَمَنَا مِخْيَطًا فَمَا فَوْقَهُ كَانَ ذَلِكَ غُلُولاً يَأْتِى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (م د) عن عدى بن عميرة .

٣٥٦٧ — مَنِ اسْتَغْنَى أَغْنَاهُ اللهُ ، وَمَنْ اسْتَعَفَّ أَعَفَّهُ اللهُ ، وَمَنِ اسْتَكْفَى كَفَاهُ اللهُ ، وَمَنْ سَأَلَ وَلَهُ قِيمَةُ أُوقِيَةٍ فَقَدْ أَلْحَفَ (حم ز والضياء) عن أبي سعيد رضى الله عنه .

٣٥٦٨ — مَنِ اسْتَعْمَلْنَاهُ عَلَى عَمَلٍ فَرَزَقْنَاهُ رِزْقًا فَمَا أَخَذَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ غُلُولٌ (د ك) عن بُريدة رضى الله عنها .

٣٥٦٩ — مَنِ اسْتَفْتَحَ أَوَّلَ نَهَارِهِ بِخَيْرٍ وَخَتَمَهُ بِالْخَيْرِ ، قَالَ اللهُ لِمَلَائِكَتِهِ : لَا تَكْتُبُوا عَلَيْهِ مَا بَيْنَ ذَلِكَ مِنَ الذُّنُوبِ (طب والضياء) عن عبد الله بن بُسر رضى الله عنه .

٣٥٧٠ — مَنِ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ صُبَّ فِي أُذُنَيْهِ الآنُكُ[1] ، وَمَنْ أَرَى عَيْنَيْهِ فِي الْمَنَامِ مَا لَمْ تَرَ ، كُلِّفَ أَنْ يَعْقِدَ شَعِيرَةً (طب) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٣٥٧١ — مَنْ أَسْلَفَ فِي شَيْءٍ فَلْيُسْلِفْ فِي كَيْلٍ مَعْلُومٍ وَوَزْنٍ مَعْلُومٍ إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ (حم ق ٤) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٣٥٧٢ — مَنْ أَسْلَفَ فِي شَيْءٍ فَلَا يَصْرِفْهُ إِلَى غَيْرِهِ (د) عن أبي سعيد

٣٥٧٣ — مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ[2] فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى يَنْتَهِيَ وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ (م ت) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

٣٥٧٤ — مَنِ اشْتَرَى سَرِقَةً وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهَا سَرِقَةٌ فَقَدْ شَرِكَ فِي عَارِهَا وَإِثْمِهَا (ك هق) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

---

(١) الأنك : الرصاص .

(٢) « من أشار إلى أخيه بحديدة » أو ما فى معناها مما يضر قاصدا إصابته ولو مزاحا ، ومثل الحديدة المسدس مثلا .

٣٥٧٥ — مَنْ أُشْرِبَ حُبَّ الدُّنْيَا الْتَاطَ مِنْهَا بِثَلَاثٍ : شَقَاءٍ لَا يَنْفَدُ عَنَاهُ ، وَحِرْصٌ لَا يَبْلُغُ غِنَاهُ ، وَأَمَلٌ لَا يَبْلُغُ مُنْتَهَاهُ ؛ فَالدُّنْيَا طَالِبَةٌ وَمَطْلُوبَةٌ ، فَمَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا طَلَبَتْهُ الْآخِرَةُ حَتَّى يُدْرِكَهُ الْمَوْتُ فَيَأْخُذَهُ وَمَنْ طَلَبَ الْآخِرَةَ طَلَبَتْهُ الدُّنْيَا حَتَّى يَسْتَوْفِيَ مِنْهَا رِزْقَهُ (طب) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

٣٥٧٦ — مَنْ أَصَابَ ذَنْبًا فَأُقِيمَ عَلَيْهِ حَدُّ ذَلِكَ الذَّنْبِ فَهُوَ كَفَّارَتُهُ (حم والضياء) عن خزيمة بن ثابت رضى الله عنه .

٣٥٧٧ — مَنْ أَصَابَ ذَنْبًا فِي الدُّنْيَا فَعُوقِبَ بِهِ فَاللهُ أَعْدَلُ مِنْ أَنْ يَثْنِيَ عَلَى عَبْدِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الْآخِرَةِ ، وَمَنْ أَذْنَبَ ذَنْبًا فَسَتَرَ اللهُ عَلَيْهِ وَعَفَا عَنْهُ فَاللهُ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يَعُودَ فِي شَيْءٍ عَفَا عَنْهُ (حم ت ه قط والبزار ك هب) عن على عليه السلام .

٣٥٧٨ — مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا (خد ت ه) عن عبيد الله ابن محصن .

٣٥٧٩ — مَنْ اضْطَجَعَ مَضْجَعًا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ فِيهِ كَانَ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تِرَةٌ[1] ، وَمَنْ قَعَدَ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ فِيهِ كَانَ عَلَيْهِ تِرَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَا مَشَى أَحَدٌ مَمْشًى لَا يَذْكُرُ اللهَ فِيهِ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِ تِرَةٌ (د ن حب) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٥٨٠ — مَنِ اطَّلَعَ فِي بَيْتِ قَوْمٍ بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ فَقَدْ حَلَّ لَهُمْ أَنْ يَفْقَئُوا عَيْنَهُ (حم ق د) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٥٨١ — مَنْ أَظَلَّ رَأْسَ غَازٍ أَظَلَّهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ جَهَّزَ

---

(١) الترة : النقص وقيل التبعة.

غَازِياً فى سَبِيلِ اللهِ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ ، وَمَنْ بَنَى للهِ مَسْجِداً يُذْكَرُ فِيهِ اسمُ اللهِ بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتاً فى الجَنَّةِ (حب هب) عن عمر رضى الله عنه.

٣٥٨٢ — مَنْ أَعَانَ مُجَاهِداً فى سَبِيلِ اللهِ ، أَوْ غَارِماً فى عُسْرَتِهِ ، أَوْ مُكَاتَباً فى رَقَبَتِهِ ، أَظَلَّهُ اللهُ فى ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ (حم ك) عن سهل بن حُنيف رضى الله عنه .

٣٥٨٣ — مَنْ أَعَانَ عَلَى خُصُومَةٍ بِغَيْرِ حَقٍّ لَمْ يَزَلْ فِى سَخَطِ اللهِ حَتَّى يَنْزِعَ (ه ك) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٣٥٨٤ — مَنْ أَعَانَ ظَالِماً لِيُدْحِضَ بِبَاطِلِهِ حَقًّا ، فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ (ك) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٣٥٨٥ — مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً أَعْتَقَ اللهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهَا عُضْوًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ ، حَتَّى فَرْجَهُ بِفَرْجِهِ (ق ت) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٥٨٦ — مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً فَهِىَ فِدَاؤُهُ مِنَ النَّارِ ، وَمَنْ أَدْرَكَ أَحَدَ وَالِدَيْهِ ثُمَّ لَمْ يُغْفَرْ لَهُ فَأَبْعَدَهُ اللهُ وَأَسْحَقَهُ (حم) عن مالك بن عمرو القشيرى .

٣٥٨٧ — مَنْ أُعْطِىَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ ، فَقَدْ أُعْطِىَ حَظَّهُ مِنَ الخَيْرِ ، وَمَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الخَيْرِ (حم ت) عن أبى الدرداء رضى الله عنه .

٣٥٨٨ — مَنْ أُعْطِىَ شَيْئاً فَوَجَدَ فَلْيَجْزِ بِهِ ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيُثْنِ بِهِ ، فَإِنْ أَثْنَى بِهِ فَقَدْ شَكَرَهُ ، وَإِنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ ، وَمَنْ تَحَلَّ بِمَا لَمْ يُعْطَ فَإِنَّهُ كَلاَبِسِ ثَوْبَىْ زُورٍ (خد د ت حب) عن جابر رضى الله عنه.

٣٥٨٩ — من اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فى سَبِيلِ اللهِ حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ (حم خ ت ن) عن أبى عَبْس .

٣٥٩٠ — من أُفْتِىَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَانَ إِثْمُهُ عَلَى مَنْ أَفْتَاهُ ، وَمَنْ أَشَارَ عَلَى أَخِيهِ بِأَمْرٍ يَعْلَمُ أَنَّ الرُّشْدَ فِى غَيْرِهِ فَقَدْ خَانَهُ (د ك) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٥٩١ — من أَقَالَ أَخَاهُ بَيْعاً أَقَالَهُ اللهُ عَثْرَتَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ (طس) عن أبى شريح رضى الله عنه .

٣٥٩٢ — من أَقَالَ مُسْلِماً بَيْعَتَهُ أَقَالَ اللهُ عَثْرَتَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ (د ه عم حب ك) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٥٩٣ — من أَقَامَ مَعَ المُشْرِكِينَ فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ الذِّمَّةُ (طب هق) عن جرير رضى الله عنه .

٣٥٩٤ — من اقْتَبَسَ عِلْماً مِنَ النُّجُومِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ زَادَ مَا زَادَ (حم د ه) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٣٥٩٥ — مَنِ اقْتَطَعَ مَالَ أَخِيهِ بِيَمِينٍ فَاجِرَةٍ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ ، لِيُبَلِّغْ شَاهِدُكُمْ غَائِبَكُمْ (حم ك) عن الحارث بن البرصاء .

٣٥٩٦ — مَنِ اقْتَطَعَ أَرْضاً ظَالِماً لَقِىَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ (حم م) عن وائل بن حُجر .

٣٥٩٧ — مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الجَنَّةَ ، قيلَ : وَإِنْ كَانَ شَيْئاً يَسِيراً ؟ قَالَ : وَإِنْ كَانَ قَضِيباً مِنْ أَرَاكٍ (مالك م ن ه) عن أبى أمامة الحارثى رضى الله عنه .

٣٥٩٨ — مَنِ اقْتَنَى كَلْباً إِلاَّ كَلْبَ صَيْدٍ أَوْ مَاشِيَةٍ فَإِنَّهُ يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِهِ كُلَّ يَوْمٍ قِيرَاطَانِ (مالك ق ت ن) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٣٥٩٩ — من اقْتَنَى كَلْباً لَيْسَ بِكَلْبِ صَيْدٍ وَلاَ مَاشِيَةٍ وَلاَ أَرْضٍ ، فَإِنَّهُ يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِهِ قِيرَاطَانِ كُلَّ يَوْمٍ (م) عن أبى هريرة .

٣٦٠٠ — مَنْ أَكَلَ ثُوماً أَوْ بَصَلاً فَلْيَعْتَزِلْنَا وَلْيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا ، وَلْيَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ (ق) عن جابر رضى الله عنه .

٣٦٠١ — مَنْ أَكَلَ طَيِّباً ، وَعَمِلَ فِي سُنَّةٍ ، وَأَمِنَ النَّاسُ بَوَائِقَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ (ت ك) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

٣٦٠٢ — من أَمَاطَ أَذًى مِنْ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ ، وَمَنْ تُقُبِّلَتْ مِنْهُ حَسَنَةٌ دَخَلَ الجَنَّةَ (خد) عن معقل بن يسار رضى الله عنه .

٣٦٠٣ — مَنْ أَمَّ النَّاسَ فَأَصَابَ الْوَقْتَ ، وَأَتَمَّ الصَّلاَةَ ، فَلَهُ وَلَهُمْ ، وَمَنِ انْتَقَصَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً فَعَلَيْهِ وَلاَ عَلَيْهِمْ (حم د ه ك) عن عقبة ابن عامر .

٣٦٠٤ — من أَمَرَكُمْ مِنَ الوُلاَةِ بِمَعْصِيَةٍ فَلاَ تُطِيعُوهُ (حم ه ك) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

٣٦٠٥ — من أَمْسَكَ كَلْباً فَإِنَّهُ يَنْقُصُ مِنْ عَمَلِهِ كُلَّ يَوْمٍ قِيرَاطٌ إِلاَّ كَلْبَ حَرْثٍ أَوْ مَاشِيَةٍ (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٦٠٦ — مَنْ الْتَمَسَ رِضَا اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِ

وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ (حب) عن عائشة رضى الله عنها .

٣٦٠٧ — مَنِ انْتَهَبَ فَلَيْسَ مِنَّا (حم ت وَالضياء) عن أنس (حم د ه والضياء) عن جابر رضى الله عنهما .

٣٦٠٨ — مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ أَظَلَّهُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ (حم ه ك) عن أبى اليسر (ت) عن أبى هريرة رضى الله عنهما .

٣٦٠٩ -- من أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلُهُ صَدَقَةٌ قَبْلَ أَنْ يَحِلَّ الدَّيْنُ ، فَإِذَا حَلَّ الدَّيْنُ فَأَنْظَرَهُ فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلاَهُ صَدَقَةٌ (حم ه ك) عن بُريدة رضى الله عنها .

٣٦١٠ — مَنْ أَنْفَقَ نَفَقَةً فِي سَبِيلِ اللهِ كُتِبَتْ بِسَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ (حم ت ن حب ك) عن خُرَيْم بن فاتك .

٣٦١١ — مَنْ أَنْفَقَ عَلَى نَفْسِهِ نَفَقَةً يَسْتَعِفُّ بِهَا فَهِيَ صَدَقَةٌ ، وَمَنْ أَنْفَقَ عَلَى امْرَأَتِهِ وَوَلَدِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ فَهِيَ صَدَقَةٌ (طب) عن أبى أمامة .

٣٦١٢ — مَنِ انْقَطَعَ إِلَى اللهِ كَفَاهُ اللهُ كُلَّ مُؤْنَةٍ ، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ ، وَمَنِ انْقَطَعَ إِلَى الدُّنْيَا وَكَلَهُ اللهُ إِلَيْهَا (طب) عن عمران ابن حصين رضى الله عنه .

٣٦١٣ — مَنْ أَهَلَّ بِعُمْرَةٍ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ غُفِرَ لَهُ (ه) عن عن أم سلمة رضى الله عنها .

٣٦١٤ — مَنْ بَاتَ طَاهِراً بَاتَ فِي شِعَارِهِ مَلَكٌ ، فَلاَ يَسْتَيْقِظُ إِلاَّ قَالَ الْمَلَكُ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِكَ فُلاَنٍ فَإِنَّهُ بَاتَ طَاهِراً (حب) عن ابن عمر .

٣٦١٥ — مَنْ بَاتَ عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ لَيْسَ لَهُ حِجَابٌ فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ الذِّمَّةُ (خد د) عن عبد الرحمن بن على بن شيبان عن أبيه .

٣٦١٦ — مَنْ بَاتَ وَفِي يَدِهِ غَمَرٌ ، فَأَصَابَهُ شَيْءٌ ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ (خد ت ك) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٦١٧ — مَنْ بَاعَ عَيْبًا لَمْ يُبَيِّنْهُ لَمْ يَزَلْ فِي مَقْتِ اللهِ وَلَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ تَلْعَنُهُ (ه) عن واثلة رضى الله عنه .

٣٦١٨ — مَنْ بَاعَ الْخَمْرَ فَلْيُشَقِّصِ[1] الْخَنَازِيرَ (حم د) عن المغيرة .

٣٦١٩ — مَنْ بَاعَ جِلْدَ أُضْحِيَّتِهِ فَلَا أُضْحِيَّةَ لَهُ (ك هق) عن أبى هريرة

٣٦٢٠ — مَنْ بَدَا جَفَا ، وَمَنِ اتَّبَعَ الصَّيْدَ غَفَلَ ، وَمَنْ أَتَى السُّلْطَانَ افْتُتِنَ (د ت ن) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٣٦٢١ — مَنْ بَدَا جَفَا ، وَمَنِ اتَّبَعَ الصَّيْدَ غَفَلَ ، وَمَنْ أَتَى أَبْوَابَ السُّلْطَانِ افْتُتِنَ ، وَمَا ازْدَادَ عَبْدٌ مِنَ السُّلْطَانِ قُرْبًا إِلَّا ازْدَادَ مِنَ اللهِ بُعْدًا (حم) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٦٢٢ — مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ (حم خ ٤) عن ابن عباس .

٣٦٢٣ — مَنْ بَرَّ وَالِدَيْهِ طُوبَى لَهُ ، زَادَ اللهُ فِي عُمْرِهِ (خد ع طب ك) عن معاذ بن أنس.

٣٦٢٤ — مَنْ بَلَغَ بِسَهْمٍ فَهُوَ لَهُ دَرَجَةٌ فِي الْجَنَّةِ (ن) عن أبى نجيح عمرو بن عبسة .

---

(١) أى يقطعها قطعا ويفصلها أعضاء ، والمعنى من استحل بيع الخمر فليستحل بيع الخنزير لأنهما فى التحريم سواء . وهذا لفظ أمر معناه النهى . تقديره : من باع الخمر فليكن للخنازير قصابا .

٣٦٢٥ — مَنْ بَلغَهُ مِنْ أَخِيهِ مَعْرُوفٌ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ وَلاَ إِشْرَافِ نَفْسٍ فَلْيَقْبَلْهُ وَلاَ يَرُدَّهُ ، فَإِنَّمَا هُوَ رِزْقٌ سَاقَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ (حم ع حب طب ك) عن خالد بن على الجهنى .

٣٦٢٦ — مَنْ بَنَى مَسْجِداً يَبْتَغِى بِهِ وَجْهَ اللهِ بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتاً فى الجنَّةِ (حم ق ت ه) عن عثمان رضى الله عنه

٣٦٢٧ — مَنْ بَنَى للهِ مَسْجِدًا وَلَوْ كَمَفْحَصِ قَطَاةٍ لِبَيْضِهَا بَنَى اللهُ لهُ بَيْتاً فِى الجَنَّةِ (حم والبزار) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٣٦٢٨ — مَنْ بَنَى للهِ مَسْجِدًا قَدْرَ مفْحَصِ قَطَاةٍ بَنَى اللهُ لهُ بَيْتاً فِى الجنَّةِ (البزار حب طص) عن أبى ذر رضى الله عنه .

٣٦٢٩ — مَنْ بَنَى للهِ مَسْجِدًا يُذْكَرُ فِيهِ اللهُ بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتاً فى الجنَّة (ه حب) عن عمر رضى الله عنه .

٣٦٣٠ — مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللهُ عليهِ (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٦٣١ — مَنْ تَابَ إلى اللهِ قَبْلَ أَنْ يُغَرْغِرَ قَبِلَ اللهُ مِنْهُ (ك) عن أحد الصحابة .

٣٦٣٢ — مَنْ تَحَلَّمَ كَاذِباً كُلِّفَ يَوْمَ القِيَامَةِ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ وَلَنْ يَعْقِدَ بَيْنَهُمَا (ت ه) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٣٦٣٣ — من تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ كُلِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ وَلَنْ يَفْعَلَ ، وَمَنِ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ صُبَّ فِى أُذُنَيْهِ

الآنُكُ يَوْمَ القِيَامَةِ ، وَمَنْ صَوَّرَ صُورَةً عُذِّبَ أَوْ كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ وَلَيْسَ بِنَافِخٍ (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٣٦٣٤ — مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ فى نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهَا خَالِدًا مُخَلَّدًا فيهَا أَبَدًا ، وَمَنْ تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَسُمُّهُ فى يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فى نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فيهَا أَبَدًا ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فى يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا فى نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فيهَا أَبَدًا (ق د ت) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٦٣٥ — مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ لَقِىَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ (البزار طب) عن ابن عباس رضى الله عنه .

٣٦٣٦ — مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ العَصْرِ حَبِطَ عَمَلُهُ (حم خ ن) عن بريدة .

٣٦٣٧ — مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ مُتَعَمِّداً فَقَدْ كَفَرَ جِهَاراً (ط س) عن أنس

٣٦٣٨ — مَنْ تَرَكَ الرَّمْىَ بَعْدَ مَا عَلِمَهُ رَغْبَةً عَنْهُ ، فَإِنَّهَا نِعْمَةٌ كَفَرَهَا (طب) عن عقبة بن عامر .

٣٦٣٩ — من تَرَكَ المِرَاءَ وَهُوَ مُبْطِلٌ (١) بُنِىَ لَهُ بَيْتٌ فى رَبَضِ الجَنَّةِ وَمَنْ تَرَكَهُ وَهُوَ مُحِقٌّ بُنِىَ لَهُ فِى وَسَطِهَا ، وَمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ بُنِىَ لَهُ فى أَعْلَاهَا (د ت ه هب) عن أبى أمامة رضى الله عنه .

---

(١) « من ترك المراء وهو مبطل » المراء الجدل إلا أن المراء يتضمن الجحود ، فالمارى لا يكون إلا جاحدا ، بخلاف المجادل ، قد يجادل ليصل إلى الحق ، وعلم الجدل من العلوم الاسلامية . والأصل فيه قوله تعالى (وجادلهم بالتى هى أحسن) (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن) .

٣٦٤٠ — مَنْ تَرَكَ ثَلَاثَ جُمَعٍ تَهَاوُنًا طَبَعَ اللهُ عَلَى قَلْبِهِ (حم ٤ وابن خزيمة حب ك) عن أبى الجعد .

٣٦٤١ — مَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ طَبَعَ اللهُ عَلَى قَلْبِهِ (حم ك) عن أبى قتادة (٥) عن جابر رضى الله عنهما .

٣٦٤٢ — مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ (حم د طب) عن ابن عمر (البزار طس) عن حذيفة (البزار) عن أبى هريرة (أبو نعيم فى تاريخ أصبهان) عن أنس (القضاعى) عن طاوس مرسلا .

٣٦٤٣ — مَنْ تَصَدَّقَ بِعِدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ ، وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ ، فَإِنَّ اللهَ يَقْبَلُهَا بِيَمِينِهِ ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يُرَبِّى أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ (ق ت ن ه) عن أبى هريرة .

٣٦٤٤ — مَنْ تَطَبَّبَ وَلَمْ يُعْلَمْ مِنْهُ طِبٌّ فَهُوَ ضَامِنٌ (د ن ه ك) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٣٦٤٥ — مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ، الْحَمْدُ للهِ وَسُبْحَانَ اللهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ ؛ ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِى ، أَوْ دَعَا ، اسْتُجِيبَ لَهُ ، فَإِنْ تَوَضَّأَ ثُمَّ صَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ (خ ٤) عن عبادة رضى الله عنه .

٣٦٤٦ — مَنْ تَعَظَّمَ فِى نَفْسِهِ أَوِ اخْتَالَ فِى مَشْيَتِهِ لَقِىَ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ (حم خد طب) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٣٦٤٧ — مَنْ تَعَلَّمَ الرَّمْيَ ثُمَّ تَرَكَهُ فَقَدْ عَصَانِي (٥) عن عقبة .

٣٦٤٨ — مَنْ تَعَلَّمَ الرَّمْيَ ثُمَّ نَسِيَهُ فَهِيَ نِعْمَةٌ جَحَدَهَا (البزار طص) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

٣٦٤٩ — مَنْ تَعَلَّمَ عِلْماً مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ تَعَالَى[1] لاَ يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضاً مِنَ الدُّنْيَا ، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ (د ٥ حب ك) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

٣٦٥٠ — مَنْ تَعَلَّمَ عِلْماً لِغَيْرِ اللهِ أَوْ أَرَادَ بِهِ غَيْرَ اللهِ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ (ت ٥) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٣٦٥١ — مَنْ تَعَلَّمَ صَرْفَ الكَلاَمِ لِيَسْبِيَ بِهِ قُلُوبَ الرِّجَالِ ، أَوِ النَّاسِ لَمْ يَقْبَلِ اللهُ مِنْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ صَرْفاً وَلاَ عَدْلاً (د) عن أبي هريرة .

٣٦٥٢ — من تَقَرَّبَ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ شِبْرًا تَقَرَّبَ إِلَيْهِ ذِرَاعاً[2] ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيْهِ ذِرَاعاً تَقَرَّبَ إِلَيْهِ بَاعًا ، وَمَنْ أَقْبَلَ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ

---

(١) « من تعلم علما لغير الله أو مما يبتغى به وجه الله » لاشك أنه ينطبق تماما على أهل الأزهر لأنهم يتعلمون العلم لأجل الشهادة فالوظيفة لا لأجل الدين، الذى يورث الخشية لقوله عليه الصلاة والسلام: إنما العلم الخشية. وهذا ماتراه فى العلماء بالله رضى الله عنهم.

يارب أهلنى لفضلك واكفنى شطط العقول وفتنة الافكار
ومر الوجود يشف عنك لكى ارى غضب الحليم ورحمة الجبار

(٢) « من تقرب إلى الله عز وجل » بطاعة « تقرب الله إليه » برضاه عنه « ذراعا » ذكر الشبر والذراع والباع ـ وهى مقاييس حسية ـ ليفهم بها التقرب وهو أمر معنوى ، وهذا كما يسمى العلم نورا ، والجهل ظلاما . ومعنى الحديث أن المؤمن إذا قدم طاعة مقدار شبر ، كان رضا الله وثوابه مقدار ذراع أى مثل طاعته مرتين ، وكذلك الباع مقدار الذراع مرتين والله ورسوله اعلم بالمراد .

مَاشِيًا أَقْبَلَ إِلَيْهِ مُهَرْوِلاً ، وَاللهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ ، وَاللهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ ، وَاللهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ (حم طب) عن أبي ذر رضى الله عنه .

٣٦٥٣ — مَنْ تَوَضَّأَ فِى بَيْتِهِ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ فَهُوَ زَائِرُ اللهِ ، وَحَقٌّ عَلَى الْمَزُورِ أَنْ يُكْرِمَ الزَّائِرَ (طب) عن سلمان .

٣٦٥٤ — مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ، ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ فَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الأُخْرَى ، وَزِيَادَةُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ، وَمَنْ مَسَّ الْحَصَى فَقَدْ لَغَا (م د ت ه) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

٣٦٥٥ — مَنْ تَوَضَّأَ كَمَا أُمِرَ ، وَصَلَّى كَمَا أُمِرَ ، غُفِرَ لَهُ مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلٍ (حم ن ه حب) عن أبي أيوب وعقبة .

٣٦٥٦ — من تَوَضَّأَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَبِهَا وَنِعْمَتْ ، وَمَنِ اغْتَسَلَ فَالْغُسْلُ أَفْضَلُ (حم ٣ وابن خزيمة) عن سَمُرة رضى الله عنه .

٣٦٥٧ — من تَوَلَّى غَيْرَ مَوَالِيهِ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلامِ مِنْ عُنُقِهِ (حم والضياء) عن جابر رضى الله عنه .

٣٦٥٨ — من جَامَعَ الْمُشْرِكَ وَسَكَنَ مَعَهُ[1] فَإِنَّهُ مِثْلُهُ (د) عن سمرة.

٣٦٥٩ — من جَاهَدَ فِى سَبِيلِ اللهِ كَانَ ضَامِنًا عَلَى اللهِ ، وَمَنْ عَادَ مَرِيضًا

---

(١) « من جامع المشرك وسكن معه » فى بيت لغير ضرورة « فإنه مثله » لأنه ما اختار مساكنة المشرك الا لتألف بين روحيهما . وقد يسرى إليه حال المشرك ، فيتهاون فى بعض الفرائض ، ويتعود على سماع شركيات من جاره المشرك . وقد شاهدنا مسلمين (كما شاهد غيرنا) تأثروا تأثرا كبيرا بجيرة الأقباط وغيرهم .

كَانَ ضَامِنًا عَلَى اللهِ ، وَمَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ كَانَ ضَامِنًا عَلَى اللهِ ، وَمَنْ دَخَلَ عَلَى إِمَامٍ يُعَزِّرُهُ كَانَ ضَامِنًا عَلَى اللهِ ، وَمَنْ جَلَسَ فِى بَيْتِهِ لَمْ يَغْتَبْ إِنْسَانًا كَانَ ضَامِنًا عَلَى اللهِ (ابن خزيمة حب) عن مُعاذ .

٣٦٦٠ — من جاء يَوْمَ القِيامَةِ بَرِيئًا مِنْ ثَلاثٍ دَخَلَ الْجَنَّةَ : الكِبْرُ وَالغُلُولُ وَالدَّيْنُ (ن حب ك) عن ثوبان رضى الله عنه .

٣٦٦١ — مَنْ جَرَّدَ ظَهْرَ مُسْلِمٍ[1] بِغَيْرِ حَقٍّ لَقِىَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ (طب) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٦٦٢ — من جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاء لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ القِيامَةِ (حم ق ٤) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٣٦٦٣ — مَنْ جَعَلَ الهَمَّ هَمًّا وَاحِدًا كَفَاهُ اللهُ هَمَّ دُنْيَاهُ ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْهُ الهُمُومُ لَمْ يُبَالِ اللهُ فى أَىِّ أَوْدِيَةِ الدُّنْيَا هَلَكَ (ك هب) عنه .

٣٦٦٤ — مَنْ جُعِلَ قَاضِيًا بَيْنَ النَّاسِ فَقَدْ ذُبِحَ بِغَيْرِ سِكِّينٍ (حم د ت ه ك) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٦٦٥ — من جَهَّزَ غَازِيًا فى سَبِيلِ اللهِ فَقَدْ غَزَا ، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فى أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا (ق ٣) عن زيد بن خالد .

---

(١) « من جرد ظهر مسلم بغير حق » يفيد الحديث أن ظهر المسلم لا يجوز تجريده من الثياب للجلد ، إلا فى حد من الحدود الشرعية ، لأن إسلام المسلم يحمى نفسه وظهره وماله الخ .

٣٦٦٦ — مَنْ جَهَّزَ غَازِياً فِي سَبِيلِ اللهِ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ ، وَمَنْ خَلَفَ غَازِياً فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ ، أَوْ أَنْفَقَ عَلَى أَهْلِهِ ، فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ (طس) عن زيد بن ثابت .

٣٦٦٧ — مَنْ حَافَظَ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ : رُكُوعِهِنَّ وَسُجُودِهِنَّ وَمَوَاقِيتِهِنَّ ، وَعَلِمَ أَنَّهُنَّ حَقٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ (حم) عن حنظلة الكاتب .

٣٦٦٨ — مَنْ حَافَظَ عَلَى هٰؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الغَافِلِينَ ، وَمَنْ قَرَأَ فِي لَيْلَةٍ مِئَةَ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ القَانِتِينَ (ابن خزيمة ك) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

٣٦٦٩ — مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا — يعنى الصَّلَاةَ — كَانَتْ لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا وَنَجَاةً يَوْمَ القِيَامَةِ ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ وَلَا بُرْهَانٌ وَلَا نَجَاةٌ ، وَكَانَ يَوْمَ القِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ (حم طب حب) عن ابن عمر رضى الله عنهما.

٣٦٧٠ — مَنْ حَالَتْ شَفَاعَتُهُ دُونَ حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَدْ ضَادَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ ، وَمَنْ خَاصَمَ فِي بَاطِلٍ وَهُوَ يَعْلَمُ لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللهِ حَتَّى يَنْزِعَ ، وَمَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ أَسْكَنَهُ اللهُ رَدْغَةَ الْخَبَالِ حتى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ (د طب ك) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٣٦٧١ — مَنْ حَجَّ للهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ (حم ق ن ه) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

٣٦٧٢ — مَنْ حَجَّ هٰذَا الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلْيَكُنْ آخِرُ عَهْدِهِ الطَّوَافُ بِالْبَيْتِ (حم ٣ والضياء) عن الحارث الثقفى .

٣٦٧٣ — مَنْ حَدَّثَ عَنِّى بِحَدِيثٍ يُرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الكَاذِبِينَ (حم م ٥) عن سمرة رضى الله عنه .

٣٦٧٤ — مَنْ حَرَسَ مِنْ وَرَاءِ المُسْلِمِينَ فِى سَبِيلِ اللهِ مُتَطَوِّعاً لا يَأْخُذُهُ سُلْطَانٌ لَمْ يَرَ النَّارَ بِعَيْنِهِ إِلاَّ تَحِلَّةَ القَسَمِ ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ : (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا) (حم ع طب) عن معاذ بن أنس رضى الله عنه .

٣٦٧٥ — مَنْ حَفِظَ مَا بَيْنَ فَقْمَيْهِ[1] وَرِجْلَيْهِ دَخَلَ الجَنَّةَ (حم ع طب ك) عن أبى موسى (طب) عن أبى رافع .

٣٦٧٦ — مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الكَهْفِ عُصِمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ (حم م د ن) عن أبى الدرداء رضى الله عنه .

٣٦٧٧ — مَنْ حَفِظَ لِسَانَهُ وَسَمْعَهُ وَبَصَرَهُ يَوْمَ عَرَفَةَ غُفِرَ لَهُ مِنْ عَرَفَةَ إِلَى عَرَفَةَ (أبو الشيخ فى الثواب هب) عن الفضل بن عباس .

٣٦٧٨ — مَنْ حَفَرَ بِئْرَ مَاءٍ لَمْ يَشْرَبْ مِنْهُ كَبِدٌ حَرَّى مِنْ جِنٍّ وَلاَ إِنْسٍ وَلاَ طَائِرٍ إِلا آجَرَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ ، وَمَنْ بَنَى للهِ مَسْجِدًا كَمَفْحَصِ قَطَاةٍ أَوْ أَصْغَرَ ، بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتاً فى الجَنَّةِ (ابن خزيمة) عن جابر رضى الله عنه .

٣٦٧٩ — مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْراً مِنْهَا فَلْيَأْتِ الذى هُوَ خَيْرٌ وَلْيُكَفِّرْ عَنْ يَمِينِهِ (حم م ت) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٦٨٠ — مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ (حم ت حب ك) عن ابن عمر رضى الله عنهما.

---

(١) أى ما بين لحييه .

٣٦٨١ — مَنْ حَلَفَ قَالَ : إِنِّى بَرِىءٌ مِنَ الإِسْلَامِ ، فَإِنْ كَانَ كَاذِبًا فَهُوَ كَمَا قَالَ ، وَإِنْ كَانَ صَادِقًا فَلَنْ يَرْجِعَ إِلَى الإِسْلَامِ سَالِمًا (د ه ك) عن بُريدةَ رضى الله عنه .

٣٦٨٢ — مَنْ حَلَفَ بِالأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا (د) عنه .

٣٦٨٣ — مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ بِمِلَّةٍ غَيْرِ الإِسْلَامِ كَاذِبًا مُتَعَمِّدًا فَهُوَ كَمَا قَالَ ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَىْءٍ عُذِّبَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ ، وَلَيْسَ عَلَى رَجُلٍ نَذْرٌ فِيمَا لاَ يَمْلِكُ ، وَلَعْنُ المُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ ، وَمَنْ رَمَى مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ ، وَمَنْ ذَبَحَ نَفْسَهُ بِشَىْءٍ عُذِّبَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ (ق د ت ن) عن ثابت بن الضحاك رضى الله عنه .

٣٦٨٤ — مَنْ حَلَفَ فَلْيَحْلِفْ بِرَبِّ الكَعْبَةِ (حم هق) عن قُتيلة بنت صَيْفى رضى الله عنها .

٣٦٨٥ — مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينِ صَبْرٍ يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ لَقِىَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ (حم ق ٤) عن الأشعث بن قيس ، وابن مسعود رضى الله عنهما .

٣٦٨٦ — مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ مَصْبُورَةٍ (١) كَاذِبَةٍ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ (د ك) عن عمران بن حصين رضى الله عنه .

---

(١) « من حلف على يمين مصبورة » أى صابرة . وهذا مثل قول الله تعالى (حجابا مستورا) أى ساترا « كاذبة » أى كاذب صاحبها . والمعنى : أن من حلف يمينا صابرة أى حابسة . حبست صاحب الحق عن حقه . وأخذه غيره بسبب اليمين الكاذبة لقى الله وهو عليه غضبان لأنه منع صاحب الحق من استلام حقه ، بيمين استعمل فيها اسم الله كاذبا .

٣٦٨٧ — مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ آثِمَةٍ عِنْدَ مِنْبَرِي[1] هَذَا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ ، وَلَوْ عَلَى سِوَاكٍ أَخْضَرَ (٥ حب) عن جابر رضى الله عنه .

٣٦٨٨ — مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ فَقَالَ إِنْ شَاءَ اللهُ فَقَدِ اسْتَثْنَى (د ن ك) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٣٦٨٩ — مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا (مالك حم ق ن ٥) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٣٦٩٠ — مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا ، وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٦٩١ — مَنْ حَمَلَ مِنْ أُمَّتِي دَيْنًا ثُمَّ جَهِدَ فِي قَضَائِهِ ثُمَّ مَاتَ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَهُ فَأَنَا وَلِيُّهُ (حم) عن عائشة رضى الله عنها .

٣٦٩٢ — مَنْ حُوسِبَ عُذِّبَ (ت والضياء) عن أنس رضى الله عنه .

٣٦٩٣ — مَنْ خَافَ أَدْلَجَ ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ غَالِيَةٌ ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ الْجَنَّةُ (ت ك) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٦٩٤ — مَنْ خَبَّبَ[2] زَوْجَةَ امْرِئٍ أَوْ مَمْلُوكَهُ فَلَيْسَ مِنَّا (د) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

---

(١) « من حلف على يمين آثمة » بأن كان كاذبا فيها « عند منبرى هذا » الذى نهيت فيه عن الكذب والحلف عليه . ولم تحجزه جلالة هذا المنبر الذى قمت عليه خطيبا مبشراً ومنذراً ومذكراً وواعظاً . « فليتبوأ مقدره من النار » لجرأته على الكذب فى اليمين عند المنبر الذى هو روضة من رياض الجنة . وأخذ منه تغليظ اليمين بتحليف المتهم عند منبر المسجد أو قبلته .

(٢) خبب : أى أفسد .

٣٦٩٥ — مَنْ خَرَجَ فِى طَلَبِ العِلْمِ فَهُوَ فِى سَبِيلِ اللهِ حَتَّى يَرْجِعَ (ت والضياء) عن أنس رضى الله عنه .

٣٦٩٦ — مَنْ خَرَجَ مَعَ جَنَازَةٍ مِنْ بَيْتِهَا ، وَصَلَّى عَلَيْهَا وَاتَّبَعَهَا حتى تُدْفَنَ ، كَانَ لَهُ قِيرَاطَانِ مِنَ الأَجْرِ ، كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحُدٍ ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ رَجَعَ كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُحُدٍ (م) عن أبى هريرة ، وعن عائشة رضى الله عنهما .

٣٦٩٧ — مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لاَ يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا ، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلاَلَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا (حم م ٤) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٦٩٨ — مَنْ دَعَا بِهَؤُلاَءِ الكَلِمَاتِ الخَمْسِ لَمْ يَسْأَلِ اللهَ شَيْئًا إِلاَّ أَعْطَاهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ (طب) عن معاوية .

٣٦٩٩ — مَنْ دَعَا لأَخِيهِ بِظَهْرِ الغَيْبِ ، قَالَ المَلَكُ المُوَكَّلُ بِهِ : آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلِهِ (م د) عن أبى الدرداء رضى الله عنه .

٣٧٠٠ — مَنْ دُعِىَ إِلَى عُرْسٍ أَوْ نَحْوِهِ فَلْيُجِبْ (م) عن ابن عمر .

٣٧٠١ — مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ (حم م د ت) عن أبى مسعود (حب) عن ابن مسعود رضى الله عنهما .

٣٧٠٢ — مَنْ ذَبَّ[1] عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ بِالْغَيْبَةِ ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُعْتِقَهُ مِنَ النَّارِ (حم طب) عن أسماء بنت يزيد .

٣٧٠٣ — مَنْ ذَبَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللهُ عَنْهُ عَذَابَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَتَلاَ (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) (ابن أبى الدنيا وأبو الشيخ) عن أبى الدرداء رضى الله عنه .

٣٧٠٤ — مَنْ ذَرَعَهُ الْقَيْءُ وَهُوَ صَائِمٌ فَلَيْسَ عَلَيْهِ قَضَاءٌ ، وَمَنِ اسْتَقَاءَ فَلْيَقْضِ (٤ ك) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٧٠٥ — مَنْ ذَكَرَ اللهَ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ حَتَّى يُصِيبَ الأَرْضَ مِنْ دُمُوعِهِ لَمْ يُعَذَّبْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (ك) عن أنس .

٣٧٠٦ — مَنْ ذَكَرَ أَمْرًا بِمَا لَيْسَ فِيهِ لِيَعِيبَهُ حَبَسَهُ اللهُ فِى نَارِ جَهَنَّمَ حتى يَأْتِيَ بِنَفَاذِ مَا قَالَ فِيهِ (طب) عن أبى الدرداء رضى الله عنه .

٣٧٠٧ — مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلْيُصَلِّ عَلَيَّ ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا (حم ت ن حب) عن أنس رضى الله عنه .

٣٧٠٨ — مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَخَطِئَ الصَّلاَةَ عَلَيَّ ، خَطِئَ طَرِيقَ الْجَنَّةِ (طب) عن الحسين (ابن أبى عاصم) عن محمد بن الحنفية مرسلا .

٣٧٠٩ — مَنْ رَأَى عَوْرَةً فَسَتَرَهَا كَانَ كَمَنْ أَحْيَا مَوْءُودَةً مِنْ قَبْرِهَا (خد د ك) عن عقبة بن عامر .

٣٧١٠ — مَنْ رَأَى صَاحِبَ بَلاَءٍ فَقَالَ : الْحَمْدُ للهِ الَّذِى عَافَانِى مِمَّا ابْتَلاَكَ

---

(١) ذب عنه : أى دافع وحامى .

بِهِ وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلاً ، لَمْ يُصِبْهُ ذَلِكَ البَلاَءُ (ت) عن عمر وأبي هريرة (٥) عن ابن عمر (البزار طص) عن أبي هريرة بزيادة : فإِذَا قَالَ ذَلِكَ شَكَرَ تِلْكَ النِّعْمَةَ .

٣٧١١ — مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ (حم م ٤) عن أبي سعيد رضى الله عنه .

٣٧١٢ — مَنْ رَآنِي فِي المَنَامِ فَقَدْ رَآنِي فإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَتَمَثَّلُ بِي (حم خ ت) عن أنس بن مالك رضى الله عنه .

٣٧١٣ — مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَأَى الحَقَّ ، فإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَتَرَايَا بِي (حم ق) عن أبي قتادة رضى الله عنه .

٣٧١٤ — مَنْ رَآنِي فِي المَنَامِ فَسَيَرَانِي فِي اليَقْظَةِ وَلاَ يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِي (ق د) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

٣٧١٥ — مَنْ رَابَطَ لَيْلَةً فِي سَبِيلِ اللهِ كَانَتْ كَأَلْفِ لَيْلَةٍ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا (٥) عن عثمان رضى الله عنه .

٣٧١٦ — مَنْ رَابَطَ لَيْلَةً حَارِساً مِنْ وَرَاءِ المُسْلِمِينَ ، كَانَ لَهُ أَجْرُ مَنْ خَلْفَهُ مِمَّنْ صَامَ وَصَلَّى (طس) عن أنس رضى الله عنه .

٣٧١٧ — مَنْ رَاحَ إِلَى مَسْجِدِ الجَمَاعَةِ فَخَطْوَةٌ تَمْحُو سَيِّئَةً وَخَطْوَةٌ تُكْتَبُ لَهُ حَسَنَةً ، ذَاهِباً وَرَاجِعاً (حم حب طب) عن ابن عمر .

٣٧١٨ — مَنْ رَاحَ رَوْحَةً فِي سَبِيلِ اللهِ ، كَانَ لَهُ بِمِثْلِ مَا أَصَابَهُ مِنَ الغُبَارِ مِسْكاً يَوْمَ القِيَامَةِ (٥ والضياء) عن أنس رضى الله عنه .

٣٧١٩ — مَنْ رَحِمَ وَلَوْ ذَبِيحَةَ عُصْفُورٍ ، رَحِمَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ (خد طب والضياء) عن أبي أمامة رضى الله عنه .

٣٧٢٠ — مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ القِيَامَةِ (حم ت) عن أبى الدرداء رضى الله عنه .

٣٧٢١ — مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ عَنْ حَاجَتِهِ فَقَدْ أَشْرَكَ (حم طب)عن ابن عمر

٣٧٢٢ — مَنْ رَزَقَهُ اللهُ امْرَأَةً صَالِحَةً فَقَدْ أَعَانَهُ عَلَى شَطْرِ دِينِهِ ، فَلْيَتَّقِ اللهَ فِي الشَّطْرِ البَاقِي (طس ك هب) عن أنس .

٣٧٢٣ — مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ لَهُ عِدْلُ مُحَرَّرٍ (د ت ن ك) عن أبي نجيح رضى الله عنه .

٣٧٢٤ — مَنْ رَمَانَا بِاللَّيْلِ فَلَيْسَ مِنَّا (حم) عن أبي هريرة .

٣٧٢٥ — مَنْ زَرَعَ زَرْعاً فَأَكَلَ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ عَافِيَةٌ[1] كَانَ لَهُ صَدَقَةً (حم وابن خزيمة طب) عن خلاد بن السائب عن أبيه رضى الله عنهما .

٣٧٢٦ — مَنْ زَنَى خَرَجَ مِنْهُ الإِيمَانُ ، فَإِنْ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ (طب) عن شريك عن صحابى .

٣٧٢٧ — مَنْ زَنَى أَوْ شَرِبَ الخَمْرَ نَزَعَ اللهُ مِنْهُ الإِيمَانَ كَمَا يَخْلَعُ الإِنْسَانُ القَمِيصَ مِنْ رَأْسِهِ (ك) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

٣٧٢٨ — مَنْ سَأَلَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ (م ٤) عن سهل بن حنيف رضى الله عنه .

---

(١) « من زرع زرعا فأكل منه طير أو عافية » العافية طالب المعروف من إنسان أو حيوان كهر وكلب ونحو ذلك .

٣٧٢٩ — مَنْ سَأَلَ اللهَ الجَنَّةَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، قَالَتِ الجَنَّةُ : اللهُمَّ أَدْخِلْهُ الجَنَّةَ ، وَمَنِ اسْتَجَارَ مِنَ النَّارِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، قَالَتِ النَّارُ : اللَّهُمَّ أَجِرْهُ مِنَ النَّارِ (ت ن ه حب ك) عن أنس رضى الله عنه .

٣٧٣٠ — مَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكَثُّراً فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرَ جَهَنَّمَ ، فَلْيَسْتَقِلَّ مِنْهُ أَوْ لِيَسْتَكْثِرْ (حم م ه) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٧٣١ — مَنْ سَأَلَ مِنْ غَيْرِ فَقْرٍ فَكَأَنَّمَا يَأْكُلُ الجَمْرَ (حم وابن خزيمة والضياء) عن حُبْشِى بن جُنادة رضى الله عنه .

٣٧٣٢ — مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنَ النَّارِ (حم ٤ ع ك) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٧٣٣ — مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ مُلْجَماً بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ ، وَمَنْ قَالَ فِى القُرْآنِ بِغَيْرِ مَا يَعْلَمُ جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ مُلْجَماً بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ (ع) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٣٧٣٤ — مَنْ سَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ سَبَّنِى[1] ، وَمَنْ سَبَّنِى فَقَدْ سَبَّ اللهَ (حم ك) عن أم سلمة رضى الله عنها .

٣٧٣٥ — مَنْ سَبَّحَ فِى دُبُرِ صَلاَةِ الغَدَاةِ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ ، وَهَلَّلَ مِائَةَ تَهْلِيلَةٍ ، غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ ، وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ (ن) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

---

(١) « من سب عليا » بأن رماه بنقص فى خلقه أو علمه « فقد سبنى » أى نسب ذلك النقص إلى . لأنى ربيته فى بيتى وعلمته بنفسى « ومن سبنى فقد سب الله » تعالى لأنه الذى ربانى وأدبنى وعلمنى مالم أكن أعلم الخ .

٣٧٣٦ — مَنْ سَبَقَ إِلَى مُبَاحٍ[1] ، فَهُوَ لَهُ (د والضياء) عن أسمرَ ابن مُضَرِّس رضى الله عنه .

٣٧٣٧ — مَنْ سَتَرَ عَوْرَةَ أَخِيهِ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ ، وَمَنْ كَشَفَ عَوْرَةَ أَخِيهِ المُسْلِمِ كَشَفَ اللهُ عَوْرَتَهُ حَتَّى يَفْضَحَهُ بِهَا فِي بَيْتِهِ (ه) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٣٧٣٨ — مَنْ سَتَرَ عَلَى مُؤْمِنٍ عَوْرَةً فَكَأَنَّمَا أَحْيَا مَوْءُودَةً (طس) عن مسلمة بن مَخْلَد رضى الله عنه .

٣٧٣٩ — مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللهُ لَهُ فِي الشَّدَائِدِ ، فَلْيُكْثِرْ مِنَ الدُّعَاءِ فِي الرَّخَاءِ (ت ك) عن أبى هريرة (ك) عن سلمان رضى الله عنهما .

٣٧٤٠ — مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَجِدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ ، فَلْيُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ (حم ك) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٧٤١ — مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللهُ مِنْ كَرْبِ يَوْمِ القِيَامَةِ ، وَأَنْ يُظِلَّهُ تَحْتَ عَرْشِهِ ، فَلْيُنْظِرْ مُعْسِراً (طس) عن أبى قتادة رضى الله عنه .

٣٧٤٢ — مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللهُ مِنْ كَرْبِ يَوْمِ القِيَامَةِ ، فَلْيُنَفِّسْ عَنْ مُعْسِرٍ ، أَوْ يَضَعْ عَنْهُ (م) عنه .

٣٧٤٣ — مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأْيُ العَيْنِ ، فَلْيَقْرَأْ : إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ، وَإِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ، وَإِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ (ت) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

---

(١) « من سبق إلى مكان « مباح » لم يقع عليه ملك شخص معين « فهو له » ملكا وانتفاعا . وهذا حض على تعمير الأرض الخالية واستصلاحها بالبناء والغرس ونحو ذلك .

٣٧٤٤ — مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي عُمُرِهِ ، وَيُزَادَ فِي رِزْقِهِ ، فَلْيَبَرَّ وَالِدَيْهِ ، وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ (حم) عن أنس رضى الله عنه .

٣٧٤٥ — مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي عُمُرِهِ ، وَيُوَسَّعَ لَهُ فِي رِزْقِهِ ، وَيُدْفَعَ عَنْهُ مِيتَةُ السُّوءِ ، فَلْيَتَّقِ اللهَ ، وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ (عم والبزار ك) عن علىّ عليه السلام .

٣٧٤٦ — مَنْ سَعَى بِالنَّاسِ ، فَهُوَ لِغَيْرِ رِشْدَةٍ[1] ، أَوْ فِيهِ شَيْءٌ مِنْهُ (ك) عن أبى موسى رضى الله عنه .

٣٧٤٧ — مَنْ سَلَّ عَلَيْنَا السَّيْفَ فَلَيْسَ مِنَّا (حم م) عن سلمة ابن الأكوع رضى الله عنه .

٣٧٤٨ — مَنْ سَمِعَ الْمُؤَذِّنَ ، فَقَالَ مِثْلَ مَا يَقُولُ ، فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ (طب) عن معاوية .

٣٧٤٩ — مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ فَلَمْ يُجِبْ ، فَلَا صَلَاةَ لَهُ ، إِلَّا مِنْ عُذْرٍ (٥ وقاسم بن أصبغ فى مصنفه حب ك) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٣٧٥٠ — مَنْ سَمِعَ رَجُلًا يَنْشُدُ ضَالَّةً فِي الْمَسْجِدِ فَلْيَقُلْ : لَا رَدَّهَا اللهُ عَلَيْكَ ، فَإِنَّ الْمَسَاجِدَ لَمْ تُبْنَ لِهٰذَا (م د ٥) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٧٥١ — مَنْ سَمَّعَ ، سَمَّعَ اللهُ بِهِ ، وَمَنْ رَاءَى ، رَاءَى اللهُ بِهِ (حم م) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

---

(١) أى ابن زنا ، وسعى بالناس : وشى بهم إلى الحاكم لينزل بهم عقوبة الخ .

٣٧٥٢ — مَنْ سَمَّى الْمَدِينَةَ يَثْرِبَ[1] فَلْيَسْتَغْفِرِ اللهَ ، هِيَ طَابَةُ هِيَ طَابَةُ (حم) عن البراء رضى الله عنه .

٣٧٥٣ — مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً ، فَلَهُ أَجْرُهَا مَا عُمِلَ بِهَا فِي حَيَاتِهِ ، وَبَعْدَ مَمَاتِهِ ، حَتَّى تُتْرَكَ ، وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ إِثْمُهَا حَتَّى تُتْرَكَ ، وَمَنْ مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللهِ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُ الْمُرَابِطِ فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَّى يُبْعَثَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (طب) عن واثلة رضى الله عنه .

٣٧٥٤ — مَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي الإِسْلَامِ كَانَتْ لَهُ نُوراً يَوْمَ الْقِيَامَةِ (ت حم) عن عمرو بن عَبَسَة (ن) بزيادة : وَمَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَلَغَ بِهِ الْعَدُوَّ ، أَوْ لَمْ يَبْلُغْ ، كَانَ لَهُ كَعِتْقِ رَقَبَةٍ ، وَمَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً كَانَتْ فِدَاءَهُ مِنَ النَّارِ عُضْواً بِعُضْوٍ .

٣٧٥٥ — مَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي سَبِيلِ اللهِ كَانَتْ لَهُ نُوراً يَوْمَ الْقِيَامَةِ (حب) عن عمر رضى الله عنه .

٣٧٥٦ — مَنْ شَدَّدَ سُلْطَانَهُ[2] بِمَعْصِيَةِ اللهِ ، أَوْهَنَ اللهُ كَيْدَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (حم) عن قيس بن سعد رضى الله عنه .

---

(١) « من سمى المدينة يثرب » وهو اسم جاهلى ، فيه معنى القبح واللوم ، وقد حكى الله تعالى عن المنافقين قولهم « ياأهل يثرب » وهى حكاية ذم لهم ولعملهم وقولهم. لكنه سماها المدينة فى سورة التوبة . فقال سبحانه (ومن أهل المدينة مردوا على النفاق) « فليستغفر الله » لتشبهه بالمنافقين الذين يقصدون بهذا الاسم التلميح إلى تقبيحها بوجود النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وصحابته فيها . ولذلك نفى التقبيح عنها بقوله « هى طابة هى طابة » من الطيب . ويقال لها أيضا : طيبة . لطيبتها بمشرفها ومنورها صلى الله تعالى عليه وآله وسلم .

(٢) « من شدد » من الحكام « سلطانه بمعصية الله » فأخذ أفراد الرعية بأحكام ظالمة وإجراءات قاسية « أوهن الله كيده » أضعف مكره وقوته « يوم القيامة » ودخل النار ضعيفا ذليلا مهانا ، جزاء وفاقا .

٣٧٥٧ — مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا ، ثُمَّ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا ، حُرِمَهَا فِي الآخِرَةِ (حم ق ن ه) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٣٧٥٨ — مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ لَمْ يَرْضَ اللهُ عَنْهُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، فَإِنْ مَاتَ ، مَاتَ كَافِراً ، وَإِنْ تَابَ ، تَابَ اللهُ عَلَيْهِ ، فَإِنْ عَادَ كَانَ حَقّاً عَلَى اللهِ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ ، قِيلَ : وَمَا طِينَةُ الْخَبَالِ ؟ قَالَ : صَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ (حم) عن أسماء بنت يزيد (حم والبزار طب) عن أبى ذر رضى الله عنه .

٣٧٥٩ — مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فَاجْلِدُوهُ ، فَإِنْ عَادَ فِي الرَّابِعَةِ فَاقْتُلُوهُ (عب د ت ه حب ك) عن معاوية (عب طب ك) عن ابن عمرو .

٣٧٦٠ — مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ النَّارَ (حم م ت) عن عُبادة رضى الله عنه .

٣٧٦١ — مَنْ شَهِدَ الْجَنَازَةَ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا فَلَهُ قِيرَاطٌ ، وَمَنْ شَهِدَهَا حَتَّى تُدْفَنَ ، فَلَهُ قِيرَاطَانِ ، قِيلَ : مَا الْقِيرَاطَانِ ؟ قَالَ : مِثْلُ الْجَبَلَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ (ق ٤) عن أبى هريرة .

٣٧٦٢ — مَنْ شَهِدَ لَهُ خُزَيْمَةُ ، أَوْ شَهِدَ عَلَيْهِ فَحَسْبُهُ (ش ع وابن خزيمة طب) عن خزيمة رضى الله عنه .

٣٧٦٣ — مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ ، وَالنَّارُ حَقٌّ ، أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ عَمَلٍ (ق) عن عُبادة رضى الله عنه .

٣٧٦٤ — مَنْ شَهَرَ سَيْفَهُ[1] ثُمَّ وَضَعَهُ ، فَدَمُهُ هَدَرٌ (ن ك) عن ابن الزبير.

٣٧٦٥ — مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ (حم ق ٤) عن أبي هريرة رضى الله عنه.

٣٧٦٦ — مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ، وَعَرَفَ حُدُودَهُ ، وَتَحَفَّظَ مِمَّا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَحَفَّظَ كَفَّرَ مَا قَبْلَهُ (حب) عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه.

٣٧٦٧ — مَنْ صَامَ رَمَضَانَ وَأَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصَوْمِ الدَّهْرِ (حم م ٤) عن أبي أيوب رضى الله عنه.

٣٧٦٨ — مَنْ صَامَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ، فَقَدْ صَامَ الدَّهْرَ كُلَّهُ (حم ت ن ٥ والضياء) عن أبي ذر رضى الله عنه.

٣٧٦٩ — مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللهِ بَعَّدَ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا (حم ق ت ن) عن أبي سعيد رضى الله عنه.

٣٧٧٠ — مَنْ صَامَ يَوْمَ عَرَفَةَ ، غُفِرَ لَهُ سَنَةً أَمَامَهُ[2] ، وَسَنَةً خَلْفَهُ (٥) عن قتادة بن النعمان (طس) عن أبي سعيد ، بزيادة : وَمَنْ صَامَ عَاشُورَاءَ غُفِرَ لَهُ سَنَةً.

---

(١) « من شهر » سل « سيفه ثم وضعه » فى الناس بأن ضربهم به « فدمه هدر » يباح دمه لمن قتله دفاعا عن نفسه.

(٢) « من صام يوم عرفة غفر له سنة أمامه » من الذنوب الصغائر « وسنة خلفه » كذلك « ومن صام عاشوراء غفر له سنة . وهذا لمن قبل صيامه ، والقبول غير مقطوع به ، لتوقفه على كمال الإخلاص . وهو عزيز . فمن ثم يصوم المسلم على الرجاء والأمل . ولو كان المؤمن يقطع بقبول عمله ، لكانت حسنة واحدة مقبولة . تدخله الجنة . كما صح عنه صلى الله عليه وآله وسلم.

٣٧٧١ — مَنْ صَامَ يَوْمَ عَرَفَةَ غُفِرَ لَهُ ذَنْبُ سَنَتَيْنِ مُتَتَابِعَتَيْنِ (ع) عن سهل بن سعد رضى الله عنه .

٣٧٧٢ — مَنْ صَامَ الأَبَدَ ، فَلاَ صَامَ وَلاَ أَفْطَرَ (حم ن ه ك) عن عبد الله بن الشِّخِّير رضى الله عنه .

٣٧٧٣ — مَنْ صَلَّى العِشَاءَ فِى جَمَاعَةٍ ، فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ لَيْلَةٍ ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِى جَمَاعَةٍ ، فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ (مالك حم م) عن عثمان رضى الله عنه .

٣٧٧٤ — مَنْ صَلَّى الْبَرْدَيْنِ[1] دَخَلَ الْجَنَّةَ (ق) عن أبى موسى .

٣٧٧٥ — مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِى جَمَاعَةٍ ، فَهُوَ فِى ذِمَّةِ اللهِ ، فَانْظُرْ يَا ابْنَ آدَمَ ، لاَ يَطْلُبَنَّكَ اللهُ بِشَىْءٍ مِنْ ذِمَّتِهِ (م) عن جندب ابن سفيان رضى الله عنه .

٣٧٧٦ — مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِى جَمَاعَةٍ[2] ، ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ ، كَانَ لَهُ كَأَجْرِ حِجَّةٍ وَعُمْرَةٍ تَامَّةٍ تَامَّةٍ تَامَّةٍ (ت) عن أنس رضى الله عنه .

٣٧٧٧ — مَنْ صَلَّى عَلَى جَنَازَةٍ ، فَلَهُ قِيرَاطٌ ، وَإِنْ شَهِدَ دَفْنَهَا فَلَهُ قِيرَاطَانِ ، القِيرَاطُ مِثْلُ أُحُدٍ (م) عن ثوبان رضى الله عنه .

---

(١) الصبح والعصر .

(٢) « من صلى الصبح فى جماعة » بالمسجد « ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس » ولم ينتقل من مكانه « ثم يصلى ركعتين » صلاة الإشراق بعد حل النافلة « كان له كأجر حجة وعمرة تامة » .

٣٧٧٨ — مَنْ صَلَّى فِي مَسْجِدِي أَرْبَعِينَ صَلَاةً لَا تَفُوتُهُ صَلَاةٌ ، كُتِبَتْ لَهُ بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ ، وَبَرَاءَةٌ مِنَ العَذَابِ ، وَبَرِيءَ مِنَ النِّفَاقِ (حم) عن أنس رضى الله عنه .

٣٧٧٩ — مَنْ صَلَّى فِي اليَوْمِ وَاللَّيْلِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً تَطَوُّعاً بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتاً فِي الجَنَّةِ (حم م ٤) عن أم حبيبة رضى الله عنها .

٣٧٨٠ — مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ ، وَحَطَّ عَنْهُ عَشْرَ خَطِيئَاتٍ ، وَرَفَعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ (حم خد ن ك) عن أنس .

٣٧٨١ — مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرَ صَلَوَاتٍ (حم م ٣ حب) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٧٨٢ — مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مِنْ أُمَّتِي صَلَاةً مُخْلِصاً مِنْ قَلْبِهِ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرَ صَلَوَاتٍ ، وَرَفَعَهُ بِهَا عَشْرَ دَرَجَاتٍ ، وَكَتَبَ لَهُ بِهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ ، وَمَحَا عَنْهُ بِهَا عَشْرَ سَيِّئَاتٍ (ن والبزار طب) عن أبى بردة ابن نيار رضى الله عنه .

٣٧٨٣ — مَنْ صَلَّى عَلَيَّ بَلَغَتْنِي[1] صَلَاتُهُ ، وَصَلَّيْتُ عَلَيْهِ ، وَكُتِبَ لَهُ سِوَى ذَلِكَ عَشْرُ حَسَنَاتٍ (طس) عن أنس رضى الله عنه .

٣٧٨٤ — مَنْ صَلَّى عَلَيَّ حِينَ يُصْبِحُ عَشْراً ، وَحِينَ يُمْسِي عَشْراً أَدْرَكَتْهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ (طب) عن أبى الدرداء رضى الله عنه .

---

(١) « من صلى على بلغتنى صلاته » يبلغها إلى ملك موكل بقبرى أعطى إسماع الخلائق « وصليت عليه » بأن أقول اللهم صل على فلان . أى اللهم اعطف عليه بمغفرتك ورحمتك « وكتب له سوى ذلك عشر حسنات » لأن الصلاة عليه حسنة . تكتب بعشر أمثالها .

٣٧٨٥ — مَنْ صَلَّى عَلَيَّ عِنْدَ قَبْرِي سَمِعْتُهُ ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ نَائِياً أُبْلِغْتُهُ (أبو الشيخ هب) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

٣٧٨٦ — مَنْ صَمَتَ نَجَا (طب) عن ابن عمرو رضي الله عنه .

٣٧٨٧ — مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِهِ : جَزَاكَ اللهُ خَيْراً ، فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ (ت ن حب) عن أسامة بن زيد رضي الله عنه .

٣٧٨٨ — مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَيْسَ بِنَافِخٍ (حم ق ن) عن ابن عباس رضي الله عنهما .

٣٧٨٩ — مَنْ ضَارَّ[1] ، ضَارَّ اللهُ بِهِ ، وَمَنْ شَاقَّ ، شَاقَّ اللهُ عَلَيْهِ (حم ٤) عن أبي صرمة .

٣٧٩٠ — مَنْ ضَحَّى قَبْلَ الصَّلَاةِ ، فَإِنَّمَا ذَبَحَ لِنَفْسِهِ ، وَمَنْ ذَبَحَ بَعْدَ الصَّلَاةِ ، فَقَدْ تَمَّ نُسُكُهُ وَأَصَابَ سُنَّةَ المُسْلِمِينَ (ق) عن البراء .

٣٧٩١ — مَنْ ضَرَبَ غُلَاماً لَهُ حَدًّا لَمْ يَأْتِهِ ، فَكَفَّارَتُهُ أَنْ يُعْتِقَهُ (م) عن ابن عمر رضي الله عنهما .

٣٧٩٢ — مَنْ ضَرَبَ مَمْلُوكَهُ ظُلْماً أُقِيدَ مِنْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ (طب) عن عمّار رضي الله عنه .

٣٧٩٣ — مَنْ ضَرَبَ سَوْطاً ظُلْماً اقْتُصَّ مِنْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ (خد والبزار طب هق) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

---

(١) « من ضار » مسلما أى ضره « ضار الله به » أنزل الله به الضر جزاء وفاقا « ومن شاق » الحق المشقة بمسلم « شاق الله عليه » أنزل عليه مشقة شديدة . وفيه حث عن الرفق بالخادم والاجير ونحوهما .

٣٧٩٤ — مَنْ ضَمَّ يَتِيماً لَهُ ، أَوْ لِغَيْرِهِ ، حَتَّى يُغْنِيَهُ اللهُ عَنْهُ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ (طس) عن عدى بن حاتم رضى الله عنه .

٣٧٩٥ — مَنْ ضَمَّ يَتِيماً بَيْنَ مُسْلِمَيْنِ فِي طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ حَتَّى يَسْتَغْنِيَ عَنْهُ ، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ الْبَتَّةَ ، وَمَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ ، أَوْ أَحَدَهُمَا ثُمَّ لَمْ يَبَرَّهُمَا دَخَلَ النَّارَ ، فَأَبْعَدَهُ اللهُ ، وَأَيُّمَا مُسْلِمٍ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً كَانَتْ فِكَاكَهُ مِنَ النَّارِ (ع طب) عن زُرارة بن أبى أوْفَى عن مالك أو ابن مالك .

٣٧٩٦ — مَنْ طَافَ بِالْبَيْتِ وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ، كَانَ كَعِتْقِ رَقَبَةٍ (٥ وابن خزيمة) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

٣٧٩٧ — مَنْ طَافَ بِالْبَيْتِ أُسْبُوعاً لاَ يَضَعُ قَدَماً ، وَلاَ يَرْفَعُ أُخْرَى إِلاَّ حَطَّ اللهُ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً ، وَكَتَبَ لَهُ بِهَا حَسَنَةً ، وَرَفَعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةً (ابن خزيمة حب) عنه .

٣٧٩٨ — مَنْ طَلَبَ الشَّهَادَةَ صَادِقاً أُعْطِيَهَا ، وَلَوْ لَمْ تُصِبْهُ (حم م) عن أنس رضى الله عنه .

٣٧٩٩ — مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنَ الأَرْضِ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ (حم ق) عن عائشة ، وعن سعيد بن زيد رضى الله عنهما .

٣٨٠٠ — مَنْ عَادَ مَرِيضاً لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ (حم م ت) عن ثوبان رضى الله عنه ، زاد (م) : قِيلَ : وَمَا خُرْفَةُ الْجَنَّةِ ؟ قَالَ : جَنَاهَا .

٣٨٠١ — مَنْ عَادَ مَرِيضاً لَمْ يَزَلْ يَخُوضُ فِي الرَّحْمَةِ حَتَّى يَجْلِسَ ، فَإِذَا جَلَسَ اغْتَمَسَ فِيهَا (حم والبزار حب) عن جابر (طب) عن أبى هريرة رضى الله عنهما .

٣٨٠٢ — مَنْ عَادَ مَرِيضاً خَاضَ فِي الرَّحْمَةِ ، فَإِذَا جَلَسَ عِنْدَهُ اسْتَنْقَعَ فِيهَا (حم طب) عن كعب بن مالك (طب) عن عمرو بن حزم بزيادة : وَإِذَا قَامَ مِنْ عِنْدِهِ فَلاَ يَزَالُ يَخُوضُ فِيهَا حَتَّى يَرْجِعَ مِنْ حَيْثُ خَرَجَ .

٣٨٠٣ — مَنْ عَادَ مَرِيضاً لَمْ يَحْضُرْ أَجَلُهُ ، فَقَالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ : أَسْأَلُ اللهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيَكَ ، عَافَاهُ اللهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَرَضِ (٣ حب ك) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٣٨٠٤ — مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تُدْرِكَا ، دَخَلْتُ أَنَا وَهُوَ الْجَنَّةَ كَهَاتَيْنِ (م ت) عن أنس رضى الله عنه .

٣٨٠٥ — مَنْ عُرِضَ عَلَيْهِ رَيْحَانٌ فَلاَ يَرُدُّهُ ، فَإِنَّهُ خَفِيفُ الْمَحْمَلِ طَيِّبُ الرِّيحِ (م د) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٨٠٦ — مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً ، فَقَدْ أَشْرَكَ (حم ك) عن عقبة بن عامر .

٣٨٠٧ — مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً ، فَلاَ أَتَمَّ اللهُ لَهُ ، وَمَنْ عَلَّقَ وَدَعَةً فَلاَ وَدَعَ اللهُ لَهُ (حم ع ك) عنه رضى الله عنه .

٣٨٠٨ — مَنْ عَلِمَ أَنَّ الصَّلاَةَ عَلَيْهِ حَقٌّ وَاجِبٌ ، دَخَلَ الْجَنَّةَ (حم ع ك) عن عثمان رضى الله عنه .

٣٨٠٩ — مَنْ عَلِمَ أَنَّ اللهَ رَبُّهُ وَأَنِّى نَبِيُّهُ مُوقِناً مِنْ قَلْبِهِ حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ (البزار) عن عمران رضى الله عنه .

٣٨١٠ — مَنْ عُلِّمَ الرَّمْىَ ، ثُمَّ تَرَكَهُ ، فَلَيْسَ مِنَّا (م) عن عقبة .

٣٨١١ — مَنْ أَحْيَا أَرْضاً لَيْسَتْ لِأَحَدٍ ، فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا (حم خ ن) عن عائشة (طب) عن فضالة بن عبيد رضى الله عنه .

٣٨١٢ — مَنْ عُمِّرَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ سَنَةً ، فَقَدْ أَعْذَرَ اللهُ إِلَيْهِ فِي الْعُمُرِ (ك) عن سهل رضى الله عنه .

٣٨١٣ — مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا ، فَهُوَ رَدٌّ (حم م) عن عائشة رضى الله عنها .

٣٨١٤ — مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ وَرَاحَ ، أَعَدَّ اللهُ لَهُ نُزُلاً مِنَ الْجَنَّةِ كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ (حم ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٨١٥ — مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ لاَ يُرِيدُ إِلاَّ أَنْ يَتَعَلَّمَ خَيْراً ، أَوْ يُعَلِّمَهُ ، كَانَ لَهُ كَأَجْرِ حَاجٍّ تَامٍّ حِجَّتُهُ (طب) عن أبى أمامة رضى الله عنه .

٣٨١٦ — مَنْ غَرَسَ غَرْساً لَمْ يَأْكُلْ مِنْهُ آدَمِيٌّ ، وَلاَ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ ، إِلاَّ كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ (حم) عن أبى الدرداء رضى الله عنه .

٣٨١٧ — مَنْ غَزَا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَمْ يَنْوِ إِلاَّ عِقَالاً[1] ، فَلَهُ مَا نَوَى (حم ن ك) عن عُبادة بن الصامت رضى الله عنه .

٣٨١٨ — مَنْ غَسَلَ مَيِّتاً فَلْيَغْتَسِلْ[2] (حم) عن المغيرة (د ه حب) عن أبى هريرة بزيادة : وَمَنْ حَمَلَهُ فَلْيَتَوَضَّأْ .

٣٨١٩ — مَنْ غَسَلَ مَيِّتاً فَكَتَمَ عَلَيْهِ ، غَفَرَ اللهُ لَهُ أَرْبَعِينَ مَرَّةً ، وَمَنْ كَفَّنَ مَيِّتاً كَسَاهُ اللهُ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ فِي الْجَنَّةِ ، وَمَنْ حَفَرَ

---

(١) معناه : كان بعض الناس يذهب إلى الغزو وقصده الغنيمة فقط . فقال صلى الله عليه وسلم « من غزا فى سبيل الله» ظاهرا « ولم ينو» فى باطنه « إلا عقالا » من الغنيمة مثلا « فله ما نوى » من المغنم ، ولا جهاد له . لأن الأعمال بالنيات .

(٢) على سبيل الاستحباب .

لِمَيِّتٍ قَبْراً فَأَجَنَّهُ فِيهِ، أَجْرَى اللهُ لَهُ مِنَ الأَجْرِ كَأَجْرِ مَسْكَنٍ أَسْكَنَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ (ك) عن رافع رضى الله عنه .

٣٨٢٠ — مَنْ غَسَلَ[1] يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاغْتَسَلَ وَبَكَّرَ وَابْتَكَرَ وَمَشَى وَلَمْ يَرْكَبْ ، وَدَنَا مِنَ الإِمَامِ فَاسْتَمَعَ وَلَمْ يَلْغُ ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ عَمَلُ سَنَةٍ : أَجْرُ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا (حم ٤ وابن خزيمة حب ك) عن أوس بن أوس (طس) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٣٨٢١ — مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا (م ت ه) عن أبى هريرة (طى) عن أنس بن مالك (البزار) عن عائشة رضى الله عنهم .

٣٨٢٢ — مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا ، وَالْمَكْرُ وَالْخِدَاعُ فِى النَّارِ (حب طب حل) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

٣٨٢٣ — مَنْ غَشَّ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ (طب) عن قيس بن أبى غرزة .

٣٨٢٤ — مَنْ غَلَّ بَعِيراً أَوْ شَاةً أَتَى يَحْمِلُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (حم والضياء) عن سَمُرة رضى الله عنه .

٣٨٢٥ — مَنْ فَارَقَ رُوحُهُ جَسَدَهُ وَهُوَ بَرِىءٌ مِنْ ثَلَاثٍ دَخَلَ الْجَنَّةَ : الْغُلُولُ ، وَالدَّيْنُ ، وَالْكِبْرُ[2] (ت ه ك) عن ثوبان رضى الله عنه .

٢٨٢٦ — مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ وَالِدَةٍ وَوَلَدِهَا فَرَّقَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحِبَّتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (حم ت قط ك) عن أبى أيوب (ك) عن عمران (د ك) عن علىّ (قط) عن أبى موسى رضى الله عنهم .

---

(١) غسل رأسه ، واغتسل أفاض الماء على جسمه .

(٢) فى رواية : والكبر فالحديث قيل مرتين لمناسبة التحذير من الكبر والبخل.

٣٨٢٧ — مَنْ فَطَّرَ صَائِماً كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ غَيْرَ أَنَّهُ لاَ يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئاً (حم ت ه حب) عن زيد بن خالد رضى الله عنه .

٣٨٢٨ — مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا ، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ (حم ق ٤) عن أبى موسى رضى الله عنه .

٣٨٢٩ — مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ : اللَّهُمَّ رَبَّ هٰذِهِ الدَّعْوَةِ وَالصَّلاَةِ الْقَائِمَةِ آتِ مُحَمَّداً الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ ، وَابْعَثْهُ مَقَاماً مَحْمُوداً الَّذِى وَعَدْتَهُ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ (حم خ ٤) عن جابر رضى الله عنه .

٣٨٣٠ — مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ : رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا ، وَبِالإِسْلاَمِ دِيناً ، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا ، فَأَنَا الزَّعِيمُ لآخُذَنَّ بِيَدِهِ حَتَّى أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ (طب) عن المُنَيذِر رضى الله عنه .

٣٨٣١ — مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ وَإِذَا أَمْسَى : اللَّهُمَّ أَنْتَ خَلَقْتَنِي ، وَأَنْتَ تَهْدِينِي ، وَأَنْتَ تُطْعِمُنِي ، وَأَنْتَ تَسْقِينِي ، وَأَنْتَ تُمِيتُنِي ، وَأَنْتَ تُحْيِينِي ، لَمْ يَسْأَلِ اللهَ شَيْئاً إِلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ (طس) عن سَمُرة .

٣٨٣٢ — مَنْ قَالَ : سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ ، سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ أَنْتَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ ، فَقَالَهَا فِي مَجْلِسِ ذِكْرٍ ، كَانَ كَالطَّابَعِ يُطْبَعُ عَلَيْهِ ، وَمَنْ قَالَهَا فِي مَجْلِسِ لَغْوٍ ، كَانَ كَفَّارَةً لَهُ (ن طب ك) عن جُبير بن مطعم رضى الله عنه .

٣٨٣٣ — مَنْ قَالَ : لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، عَشْرَ مَرَّاتٍ ، كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ (ق ت ن) عن أبى أيوب رضى الله عنه .

٣٨٣٤ — مَنْ قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، مِائَةَ مَرَّةٍ ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزاً مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ ، حَتَّى يُمْسِيَ ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلاَّ أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ (ق ت ن ه) عن أبي هريرة .

٣٨٣٥ — مَنْ قَالَ : أَسْتَغْفِرُ اللهَ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ، غُفِرَ لَهُ ، وَإِنْ كَانَ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ (د ت) عن بلال ابن بَشَّار بن زيد عن أبيه عن جده (ك) عن ابن مسعود رضى الله عنهما ، وقال : يَقُولُهَا ثَلاَثاً .

٣٨٣٦ — مَنْ قَالَ : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَنْزِلْهُ الْمَقْعَدَ ، الْمُقَرَّبَ عِنْدَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي (البزار طب) عن رُوَيفع بن ثابت الأنصارى رضى الله عنه .

٣٨٣٧ — مَنْ قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، نَفَعَتْهُ يَوْماً مِنْ دَهْرِهِ يُصِيبُهُ قَبْلَ ذَلِكَ مَا أَصَابَهُ (البزار طب هب) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

٣٨٣٨ — مَنْ قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ صَامَ يَوْماً ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ ، خُتِمَ لَهُ بِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ ، خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ (حم) عن حُذيفة رضى الله عنه.

٣٨٣٩ — مَنْ قَالَ : سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ (ت حب ك) عن جابر رضى الله عنه .

٣٨٤٠ — مَنْ قَالَ : سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ (حم ق ت ه) عن أبي هريرة .

٣٨٤١ — مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ (ت) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٣٨٤٢ — مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ[1] ، فَقَدْ أَخْطَأَ (٣) عن جُندب رضى الله عنه .

٣٨٤٣ — مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ (ق ٤) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٨٤٤ — مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا[2] وَاحْتِسَابًا ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ (خ ٣) عنه .

٣٨٤٥ — مَنْ قَامَ مَقَامَ رِيَاءٍ وَسُمْعَةٍ ، رَايَا اللهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَسَمَّعَ (حم هب) عن أبى هند الدارى رضى الله عنه .

٣٨٤٦ — مَنْ قَامَ مَقَامَ رِيَاءٍ رَايَا اللهُ بِهِ ، وَمَنْ قَامَ مَقَامَ سُمْعَةٍ سَمَّعَ اللهُ بِهِ (طب) عن عوف بن مالك رضى الله عنه .

٣٨٤٧ — مَنْ قَبَضَ يَتِيمًا[3] بَيْنَ مُسْلِمَيْنِ إِلَى طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ ، أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ الْبَتَّةَ ، إِلاَّ أَنْ يَعْمَلَ ذَنْبًا لاَ يُغْفَرُ (ت) عن ابن عباس .

---

(١) « من قال فى القرآن برأيه » من غير استناد إلى قواعد التفسير « فأصاب » أى أصاب التفسير الصحيح مصادفة « فقد أخطأ » لإقدامه على القول فى القرآن بغير علم ولا هدى ، وهو حرام .

(٢) « ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً » أى طلبا لثوابها من الله « غفر له ما تقدم من ذنبه » وصح فى الحديث أنها فى العشر الأواخر . فيتأكد قيام تلك العشر لمصادفتها .

(٣) من ضم يتيما بين مسلمين — جمع مسلم — أى أن اليتيم فى مجتمع أسلامى — فى طعامه وشرابه حتى يستغنى عنه — بان يبلغ فيصير رجلا مسلما — وجبت له الجنة البتة ، جزما بخلاف مالو ضم يتيما فى مجتمع غير أسلامى ، لايكون له هذا الجزاء بعينه . لأنه حتى يدرك اليتيم ، يصير يهوديا أو نصرانيا حسب المجتمع الذى نشأ فيه .

٣٨٤٨ — مَنْ قَتَلَ حَيَّةً فَكَأَنَّمَا قَتَلَ مُشْرِكاً قَدْ حَلَّ دَمُهُ (حم ع طب) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

٣٨٤٩ — مَنْ قَتَلَ حَيَّةً أَوْ عَقْرَباً ، فَكَأَنَّمَا قَتَلَ كَافِراً (البزار خط) عنه رضى الله عنه .

٣٨٥٠ — مَنْ قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، وَاللهُ أَكْبَرُ ، صَدَّقَهُ رَبُّهُ فَقَالَ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا ، وَأَنَا أَكْبَرُ ، وَإِذَا قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَحْدَهُ ، يَقُولُ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا وَحْدِى ، وَإِذَا قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، يَقُولُ : صَدَقَ عَبْدِى ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا وَحْدِى ، لاَ شَرِيكَ لِى ، وَإِذَا قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، يَقُولُ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا ، لِيَ الْمُلْكُ وَلِيَ الْحَمْدُ ، وَإِذَا قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ ، قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِى (ت ن ه حب ك) عن أبى سعيد ، وأبى هريرة رضى الله عنهما .

٣٨٥١ — مَنْ قَتَلَ وَزَغاً فِى أَوَّلِ ضَرْبَةٍ ، كُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ ، وَفِى الثَّانِيَةِ دُونَ ذَلِكَ ، وَفِى الثَّالِثَةِ دُونَ ذَلِكَ (م) عن أبى هريرة .

٣٨٥٢ — مَنْ قَتَلَ عُصْفُوراً عَبَثاً عَجَّ إِلَى اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ : يَا رَبِّ إِنَّ فُلاَناً قَتَلَنِى عَبَثاً ، وَلَمْ يَقْتُلْنِى مَنْفَعَةً (ن حب) عن الشريد .

٣٨٥٣ — مَنْ قَتَلَ كَافِراً فَلَهُ سَلَبُهُ (ق د ت) عن أبى قتادة (حم د) عن أنس (حم ه) عن سَمُرة رضى الله عنهم .

٣٨٥٤ — مَنْ قَتَلَ مُعَاهَداً لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَاماً (حم خ ن ه) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

٣٨٥٥ — مَنْ قَتَلَ مُعَاهَداً[1] فِي غَيْرِ كُنْهِهِ ، حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ (حم د ن ك) عن أبي بكرة رضى الله عنه .

٣٨٥٦ — مَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً فَاعْتَبَطَ بِقَتْلِهِ ، لَمْ يَقْبَلِ اللهُ مِنْهُ صَرْفاً وَلاَ عَدْلاً (د والضياء) عن عُبادة رضى الله عنه .

٣٨٥٧ — مَنْ قَتَلَهُ بَطْنُهُ لَمْ يُعَذَّبْ فِي قَبْرِهِ (حم ت ن حب) عن خالد بن عرفطة ، وسليمان بن صُرَد رضى الله عنهما .

٣٨٥٨ — مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ (حم ٣ حب) عن سعيد بن زيد رضى الله عنه .

٣٨٥٩ — مَنْ قُتِلَ دُونَ مَظْلَمَتِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ (ن والضياء) عن سُويد ابن مُقَرِّن رضى الله عنه .

٣٨٦٠ — مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ؛ وَمَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُونِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ مَاتَ مِنَ الْبَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَالْغَرِيقُ شَهِيدٌ (م) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

٣٨٦١ — مَنْ قَذَفَ مَمْلُوكَهُ ، وَهُوَ بَرِيءٌ مِمَّا قَالَ ، جُلِدَ الْحَدَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ كَمَا قَالَ (حم ق د ت) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

٣٨٦٢ — مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَلْيَسْأَلِ اللهَ بِهِ ، فَإِنَّهُ سَيَجِيءُ أَقْوَامٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ يَسْأَلُونَ بِهِ النَّاسَ (ت) عن عمران رضى الله عنه .

---

(١) « من قتل » كافراً « معاهدا » أى معه عهد من المسلمين بالأمان لمدة معينة « فى غير كنهه » نهايته يعنى نهاية عهده « حرم الله عليه الجنة » لأنه خان العهد .

٣٨٦٣ — مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَتَعَلَّمَهُ وَعَمِلَ بِهِ أُلْبِسَ وَالِدَاهُ تَاجاً مِنْ نُورٍ ، ضَوْؤُهُ مِثْلُ ضَوْءِ الشَّمْسِ ، وَيُكْسَى وَالِدَاهُ حُلَّتَيْنِ لاَ يَقُومُ لَهُمَا الدُّنْيَا ، فَيَقُولاَنِ : بِمَ كُسِينَا هٰذَا ؟ فَيُقَالُ : بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ (ك) عن بُريدة رضى الله عنها .

٣٨٦٤ — مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَقَدِ اسْتَدْرَجَ النُّبُوَّةَ بَيْنَ جَنْبَيْهِ ، غَيْرَ أَنَّهُ لاَ يُوحَى إِلَيْهِ ، لاَ يَنْبَغِي لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ أَنْ يَجِدَ مَعَ مَنْ وَجِدَ ، وَلاَ يَجْهَلَ مَعَ مَنْ جَهِلَ ، وَفِي جَوْفِهِ كَلاَمُ اللهِ (ك) عن ابن عمرو .

٣٨٦٥ — مَنْ قَرَأَ بِمِائَةِ آيَةٍ فِي لَيْلَةٍ كُتِبَ لَهُ قُنُوتُ لَيْلَةٍ (حم ن) عن تميم رضى الله عنه .

٣٨٦٦ — مَنْ قَرَأَ عَشْرَ آيَاتٍ فِي لَيْلَةٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ (ك) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٨٦٧ — مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ دُبُرَ كُلِّ صَلاَةٍ مَكْتُوبَةٍ لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ ، إِلاَّ أَنْ يَمُوتَ (ن حب طب) عن أبى أمامة (طب) بزيادة : وَقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ .

٣٨٦٨ — مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ فِي دُبُرِ الصَّلاَةِ الْمَكْتُوبَةِ كَانَ فِي ذِمَّةِ اللهِ إِلَى الصَّلاَةِ الأُخْرَى (طب) عن الحسن بن علىّ عليهما السلام .

٣٨٦٩ — مَنْ قَرَأَ الآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ (ق ٤) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

٣٨٧٠ — مَنْ قَرَأَ حَرْفاً مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا ، لاَ أَقُولُ : الٓمٓ حَرْفٌ ، وَلٰكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ ، وَلاَمٌ حَرْفٌ ، وَمِيمٌ حَرْفٌ (ت) عنه .

٣٨٦١ - مَنْ قَرأَ (تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ) كُلَّ لَيْلَةٍ مَنَعَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا مِنْ عَذَابِ القَبْرِ (ن ك) عنه .

٣٨٧٢ — مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الكَهْفِ فِى يَوْمِ الْجُمُعَةِ سَطَعَ لَه نُورٌ مِنْ تَحْتِ قَدَمِهِ إِلَى عَنَانِ السَّمَاءِ يُضِىءُ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَغُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ (ابن مردويه فى التفسير) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٣٨٧٣ — مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الكَهْفِ فِى يَوْمِ الْجُمُعَةِ أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ (ن) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

٣٨٧٤ — مَنْ قَرَأَ العَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ سُورَةِ الكَهْفِ عُصِمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ (حم م د ن) عن أبى الدرداء رضى الله عنه .

٣٨٧٥ — مَنْ قَرَأَ يس فِى لَيْلَةٍ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ ، غُفِرَ لَهُ (مالك وابن السنى حب) عن جُندب رضى الله عنه .

٣٨٧٦ — مَنْ قَرَأَ (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) فَكَأَنَّمَا قَرَأَ ثُلُثَ القُرْآنِ (حم ن والضياء) عن أُبَىٍّ رضى الله عنه .

٣٨٧٧ — مَنْ كَانَ آخِرُ كَلاَمِهِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، دَخَلَ الْجَنَّةَ (حم د ك) عن مُعاذ رضى الله عنه .

٣٨٧٨ — مَنْ كَانَ حَالِفاً فَلاَ يَحْلِفْ إِلاَّ بِاللهِ (ن) عن ابن عمر .

٣٨٧٩ — مَنْ كَانَ سَهْلاً هَيِّناً لَيِّناً ، حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ (ك هق) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٨٨٠ — مَنْ كَانَ فِى الْمَسْجِدِ يَنْتَظِرُ الصَّلاَةَ ، فَهُوَ فِى الصَّلاَةِ مَالَمْ يُحْدِثْ (حم ن حب) عن سهل بن سعد رضى الله عنه .

٣٨٨١ — مَنْ كَانَ لَهُ وَجْهَانِ فِي الدُّنْيَا كَانَ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ لِسَانَانِ مِنْ نَارٍ (د حب) عن عمار بن ياسر رضى الله عنهما .

٣٨٨٢ — مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَسْكُتْ (حم ق ن ه) عن أبى شريح وعن أبى هريرة رضى الله عنهما .

٣٨٨٣ — مَنْ كَانَ يؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يَسْقِ[1] مَاءَهُ وَلَدِ غَيْرِهِ (ت) عن رُوَيفع رضى الله عنه .

٣٨٨٤ — مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، فَلاَ يَلْبَسْ[2] حَرِيراً ، وَلاَ ذَهَباً (حم ك) عن أبى أمامة رضى الله عنه .

---

(١) « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يسق ماءه » سبب وروده أن بعض الصحابة رضى الله عنهم وطئوا بعض السبايا وهن حبالى من أزواجهن . فبين لهم الحديث قبح هذا العمل وشدة حرمته . وما جعل الله سبحانه العدة على المطلقات والمتوفى عنهن إلا للتأكد من سلامة أرحامهن . ولا يصح نكاح الحامل حتى تضع حملها . والسر فى ذلك (والله أعلم) إن اللبن الذى ترضعه المرأة لطفلها وتنتشر به الحرمة لمن رضع منها . منسوب لزوجها والد الطفل . فإذا وطئها شخص وهى حامل فقد شارك زوجها فى اللبن الذى يغذى الطفل . وينتشر به التحريم .

(٢) « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس حريراً ولا ذهبا » إلا لعذر . فقد رخص النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن عوف فى لبس الحرير ، لحكه اصابته . ورخص لصحابى آخر فى اتخاذ أنف من ذهب . بدل أنفه الذى قطع . ويجوز استعماله فى الأسنان . وفى تحلية المصاحف . وثبت عن ابن عباس قال : إنما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن المصمت من الحرير أى الخالص منه . فأخذ بعض العلماء منه أن الثوب إذا كان مخلوطا بحرير وغيره . يجوز لبسه بشرط أن لا يزيد ما فيه من الحرير على أربع أصابع ليكون الحرير أقل من غيره . . والورع ترك لبسه مطلقا .

٣٨٨٥ — مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، فَلاَ يَدْخُلِ الْحَمَّامَ إِلاَّ بِمِئْزَرٍ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، فَلاَ يُدْخِلْ حَلِيلَتَهُ الْحَمَّامَ (ت ن ك) عن جابر رضى الله عنه .

٣٨٨٦ — مَنْ كَانَ لَهُ فَرَطَانِ مِنْ أُمَّتِي أَدْخَلَهُ اللهُ بِهِمَا الْجَنَّةَ . قَالَتْ عَائِشَةُ : فَمَنْ كَانَ لَهُ فَرَطٌ ؟ قَالَ : وَمَنْ كَانَ لَهُ فَرَطٌ يَا مُوَفَّقَةُ . قَالَتْ : فَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فَرَطٌ مِنْ أُمَّتِكَ ؟ قَالَ : فَأَنَا فَرَطُ أُمَّتِي لَنْ يُصَابُوا بِمِثْلِي (ت) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٣٨٨٧ — مَنْ كَانَ هَيِّناً لَيِّناً قَرِيباً ، حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ (ك) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٨٨٨ — مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هِمَّتَهُ وَسَدَمَهُ[1] ، وَلَهَا شَخَصَ ، وَإِيَّاهَا يَنْوِى ، جَعَلَ اللهُ الْفَقْرَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَشَتَّتَ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْهَا إِلاَّ مَا كُتِبَ لَهُ مِنْهَا ، وَمَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هِمَّتَهُ وَسَدَمَهُ ، وَلَهَا شَخَصَ ، وَإِيَّاهَا يَنْوِى ، جَعَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الْغِنَى فِى قَلْبِهِ ، وَجَمَعَ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِىَ صَاغِرَةٌ (البزار طب هب) عن أنس (٥) عن زيد ابن ثابت رضى الله عنهما نحوه .

٣٨٨٩ — مَنْ كَانَ لَهُ امْرَأَتَانِ ، فَمَالَ إِلَى إِحْدَاهُمَا ، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشِقُّهُ مَائِلٌ (د ن ٥ حب) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٨٩٠ — مَنْ كَانَتْ لَهُ أُنْثَى ، لَمْ يَئِدْهَا ، وَلَمْ يُهِنْهَا ، وَلَمْ يُؤْثِرْ وَلَدَهُ - يَعْنِى الذُّكُورَ - عَلَيْهَا ، أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ (د ك) عن ابن عباس .

---

(١) السدم الولوع بالشىء . أو هو هم فى ندم .

٣٨٩١ — مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضٍ ، أَوْ مِنْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ مِنْ قَبْلِ أَنْ لاَ يَكُونَ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ ، فَحُمِلَ عَلَيْهِ (خ) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

٣٨٩٢ — مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ : جَائِزَتُهُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ ، وَالضِّيَافَةُ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ ، فَمَا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ ، وَلاَ يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَثْوِيَ عِنْدَهُ حَتَّى يُحْرِجَهُ (مالك ق د ت ه) عن أبي شريح رضى الله عنه .

٣٨٩٣ — مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرٍ كَبَّهُ اللهُ لِوَجْهِهِ فِي النَّارِ (حم) عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه .

٣٨٩٤ — مَنْ كَتَمَ عَلَى غَالٍّ فَهُوَ مِثْلُهُ (د) عن سَمُرة رضى الله عنه .

٣٨٩٥ — مَنْ كَتَمَ عِلْماً أَلْجَمَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ (حب ك) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

٣٨٩٦ — مَنْ كَذَبَ فِي حُلْمِهِ كُلِّفَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَقْدَ شَعِيرَةٍ (حم ت ك) عن علىّ عليه السلام .

٣٨٩٧ — مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً ، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ (حم ق ت ن ه) عن أنس (حم خ د ن ه) عن الزبير بن العوام (ق) عن أبي هريرة (ق) عن علىّ عليه السلام (خ) عن سلمة (حم ه) عن جابر وعن أبي سعيد (ت ه) عن ابن مسعود (حب) عن عقبة (حم ك) عن خالد بن عرفطة وعن زيد بن أرقم رضى الله عنهم .

٣٨٩٨ — مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَهُوَ فِي النَّارِ (حم) عن عمر رضى الله عنه

٣٨٩٩ — مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ ، فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ (حم ن ه) عن البراء (ت ن حب ك والضياء) عن زيد بن أرقم (حم) عن بُريدة رضى الله عنهم .

٣٩٠٠ — مَنْ كُنْتُ وَلِيَّهُ ، فَعَلِيٌّ وَلِيُّهُ (حم ن ك) عنه (ن) عن سعد رضى الله عنه .

٣٩٠١ — مَنْ كُنَّ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ يُؤْوِيهِنَّ وَيَرْحَمُهُنَّ وَيَكْفُلُهُنَّ ، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ الْبَتَّةَ ، قِيلَ : فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ ؟ قَالَ : وَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ (حم والبزار طس) عن جابر ، زاد (طس) : وَيُزَوِّجُهُنَّ .

٣٩٠٢ — مَنْ كُنَّ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ ، فَصَبَرَ عَلَى لَأْوَائِهِنَّ وَضَرَّائِهِنَّ وَسَرَّائِهِنَّ ، أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ إِيَّاهُنَّ . قِيلَ : وَاثْنَتَانِ ؟ قَالَ : وَاثْنَتَانِ . قِيلَ : وَوَاحِدَةٌ ؟ قَالَ : وَوَاحِدَةٌ (ك) عن أبى هريرة .

٣٩٠٣ — مَنْ لَبِسَ الْحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الْآخِرَةِ (حم ق ن ه) عن أنس رضى الله عنه .

٣٩٠٤ — مَنْ لَبِسَ ثَوْبَ شُهْرَةٍ أَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ حَتَّى يَضَعَهُ مَتَى وَضَعَهُ (ه والضياء) عن أبى ذر رضى الله عنه .

٣٩٠٥ — مَنْ لَبِسَ ثَوْبَ شُهْرَةٍ أَلْبَسَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَوْبَ مَذَلَّةٍ ، ثُمَّ يُلْهِبُ فِيهِ النَّارَ (حم د ه) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٣٩٠٦ — مَنْ لَبِسَ الْحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الْآخِرَةِ ، وَإِنْ دَخَلَ الْجَنَّةَ لَبِسَهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ وَلَمْ يَلْبَسْهُ (ن حب ك) عن أبى سعيد .

٣٩٠٧ — مَنْ لَبِسَ الحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا ، حُرِمَهُ أَنْ يَلْبَسَهُ فِي الآخِرَةِ (حب) عن عقبة .

٣٩٠٨ — مَنْ لَزِمَ الاِسْتِغْفَارَ ، جَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجاً ، وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجاً ، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ (د ن ه ك) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٣٩٠٩ — مَنْ لَطَمَ مَمْلُوكَهُ أَوْ ضَرَبَهُ فَكَفَّارَتُهُ أَنْ يُعْتِقَهُ (حم م د) من ابن عمر رضى الله عنهما .

٣٩١٠ — مَنْ لَعِبَ بِالنَّرْدِ ، فَقَدْ عَصَى اللهَ وَرَسُولَهُ (مالك د ه ك) عن أبى موسى رضى الله عنه .

٣٩١١ — مَنْ لَعِبَ بِالنَّرْدَشِيرِ ، فَكَأَنَّمَا صَبَغَ يَدَهُ فِي دَمِ خِنْزِيرٍ (م) عن بُريدة رضى الله عنها .

٣٩١٢ — مَنْ لَقِيَ اللهَ مُدْمِنَ خَمْرٍ ، لَقِيَهُ كَعَابِدِ وَثَنٍ (حب) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٣٩١٣ — مَنْ لَقِيَ أَخَاهُ المُسْلِمَ بِمَا يُحِبُّ لِيَسُرَّهُ بِذَلِكَ ، سَرَّهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ (طص) عن أنس رضى الله عنه .

٣٩١٤ — مَنْ لَقِيَ اللهَ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً دَخَلَ الجَنَّةَ (حم خ) عنه .

٣٩١٥ — مَنْ لَقِيَ العَدُوَّ ، فَصَبَرَ حَتَّى يُقْتَلَ ، أَوْ يَغْلِبَ ، لَمْ يُفْتَنْ فِي قَبْرِهِ (طب ك) عن أبى أيوب رضى الله عنه .

٣٩١٦ — مَنْ لَمْ يَأْخُذْ مِنْ شَارِبِهِ فَلَيْسَ مِنَّا (حم ت ن والضياء) عن زيد بن أرقم رضى الله عنه .

٣٩١٧ — مَنْ لَمْ يُبَيِّتِ[1] الصِّيَامَ قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ ، فَلَا صِيَامَ لَهُ (قط هق) عن عائشة رضى الله عنها .

٣٩١٨ — مَنْ لَمْ يُجْمِعِ الصِّيَامَ قَبْلَ الْفَجْرِ ، فَلَا صِيَامَ لَهُ (حم ٣) عن حفصة رضى الله عنها .

٣٩١٩ — مَنْ لَمْ يَحْلِقْ عَانَتَهُ ، وَيُقَلِّمْ أَظْفَارَهُ ، وَيَجُزَّ شَارِبَهُ ، فَلَيْسَ مِنَّا (حم) عن صحابى رضى الله عنه .

٣٩٢٠ — مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ ، وَالْعَمَلَ بِهِ ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ (حم خ د ت ن ه) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٩٢١ — مَنْ لَمْ يَذَرِ الْمُخَابَرَةَ[2] ، فَلْيَأْذَنْ بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ (د ك) عن جابر رضى الله عنه .

٣٩٢٢ — مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا ، وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا ، فَلَيْسَ مِنَّا (خد د) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

٣٩٢٣ — مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللهَ (حم ت والضياء) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

٣٩٢٤ — مَنْ لَمْ يُصَلِّ رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ فَلْيُصَلِّهِمَا بَعْدَ مَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ (حم ت ك) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

---

(١) « من لم يبيت الصيام » بالليل بأن نيويه قبل الفجر « فلا صيام له » والسحور يعتبر نية كافية .

(٢) هى تأجير الأرض ببعض ما يخرج منها .

٣٩٢٥ — مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُو لَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِهِ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنَ النِّفَاقِ (م د ن) عنه .

٣٩٢٦ — مَنْ مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللهِ ، أُجْرِيَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ الصَّالِحُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَأَمِنَ مِنَ الْفَتَّانِ ، وَبَعَثَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ آمِنًا مِنَ الْفَزَعِ الأَكْبَرِ (ه) عنه رضى الله عنه .

٣٩٢٧ — مَنْ مَاتَ عَلَى شَيْءٍ ، بَعَثَهُ اللهُ عَلَيْهِ (حم ك) عن جابر .

٣٩٢٨ — مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ ، صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ (حم ق د) عن عائشة رضى الله عنها .

٣٩٢٩ — مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ (حم ق) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

٣٩٣٠ — مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي وَهُوَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ ، حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ شُرْبَهَا فِي الْجَنَّةِ ، وَمَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي ، وَهُوَ يَتَحَلَّى الذَّهَبَ ، حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ لِبَاسَهُ فِي الْجَنَّةِ (حم طب) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

٣٩٣١ — مَنْ مَثَّلَ بِذِي رُوحٍ ، ثُمَّ لَمْ يَتُبْ مَثَّلَ اللهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (حم) عن صحابى رضى الله عنه .

٣٩٣٢ — مَنْ مَسَّ ذَكَرَهُ فَلْيَتَوَضَّأْ (مالك حم ٤ ك) عن بُسرة بنت صفوان رضى الله عنها .

٣٩٣٣ — مَنْ مَشَى فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ إِلَى الْمَسَاجِدِ ، لَقِيَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ بِنُورٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (طب) عن أبى الدرداء رضى الله عنه .

٣٩٣٤ — مَنْ مَلَكَ ذَا رَحِمٍ مَحْرَمٍ ، فَهُوَ حُرٌّ (حم د ت ه ك) عن سَمُرة رضى الله عنه .

٣٩٣٥ — مَنْ مَنَحَ مِنْحَةَ[1] وَرِقٍ ، أَوْ مِنْحَةَ لَبَنٍ ، أَوْ هَدَى زُقَاقًا ، فَهُوَ كَعِتْقِ نَسَمَةٍ (حم ت حب) عن البراء . زاد (حم) : وَمَنْ قَالَ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، فَهُوَ كَعِتْقِ نَسَمَةٍ .

٣٩٣٦ — مَنْ مَنَحَ مِنْحَةً غَدَتْ بِصَدَقَةٍ وَرَاحَتْ بِصَدَقَةٍ : صَبُوحُهَا وَغَبُوقُهَا (م) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

٣٩٣٧ — مَنْ مَنَعَ فَضْلَ مَاءٍ ، أَوْ كَلَإٍ ، مَنَعَهُ اللهُ فَضْلَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (حم) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

٣٩٣٨ — مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ ، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ ، فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلاَةِ الْفَجْرِ وَصَلاَةِ الظُّهْرِ ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ (م ٤ وابن خزيمة) عن عمر رضى الله عنه .

٣٩٣٩ — مَنْ نَامَ عَنْ وَتْرِهِ ، أَوْ نَسِيَهُ ، فَلْيُصَلِّهِ إِذَا ذَكَرَهُ (حم ٤ ك) عن أبي سعيد رضى الله عنه .

٣٩٤٠ — مَنْ نَامَ وَفِي يَدِهِ غَمَرٌ وَلَمْ يَغْسِلْهُ فَأَصَابَهُ شَيْءٌ ، فَلاَ يَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ (٥) عن فاطمة عليها السلام (د ت ٥ حب) عن أبي هريرة .

٣٩٤١ — مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللهَ فَلاَ يَعْصِهِ (حم خ ٤) عن عائشة رضى الله عنها .

---

(١) « من منح منحة ورق أى نضة « أو منحة لبن أو أهدى زقاقا» جمع كثرة لفرق والزق السقاء. فمن منح فضة أولبنا أو زقاقا كثيرة من ماء «فهو كعتق نسمة » لأن هذه الاشياء لازمة لحياة الإنسان .فهبتها توازى هبة الحرية لفاقدها .

٣٩٤٢ — مَنْ نَذَرَ نَذْراً وَلَمْ يُسَمِّهِ ، فَكَفَّارَتُهُ كَفَّارَةُ يَمِينٍ (٥) عن عقبة .

٣٩٤٣ — مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً ثُمَّ قَالَ : أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ (مالك م ت وابن خزيمة) عن خولة بنت حكيم رضى الله عنها .

٣٩٤٤ — مَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ[1] فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ ، لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ ، وَمَنْ نَزَلَتْ بِهِ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِاللهِ ، فَيُوشِكُ اللهُ لَهُ بِرِزْقٍ عَاجِلٍ أَوْ آجِلٍ (د ت) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

٣٩٤٥ — مَنْ نَسِيَ صَلَاةً ، أَوْ نَامَ عَنْهَا ، فَكَفَّارَتُهَا أَنْ يُصَلِّيَهَا إِذَا ذَكَرَهَا (حم ق ت ن) عن أنس رضى الله عنه .

٣٩٤٦ — مَنْ نَسِيَ وَهُوَ صَائِمٌ ، فَأَكَلَ أَوْ شَرِبَ ، فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ ، فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللهُ وَسَقَاهُ (حم ق ٥) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٩٤٧ — مَنْ نَصَبَ شَجَرَةً فَصَبَرَ عَلَى حِفْظِهَا وَالقِيَامِ عَلَيْهَا حَتَّى تُثْمِرَ كَانَ لَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ يُصَابُ مِنْ ثَمَرِهَا صَدَقَةٌ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ (حم) عن صحابى رضى الله عنه .

---

(١) « من نزلت به فاقة » فقر وحاجة ، يقال افتاق الرجل إذا أصابته فاقة « فأنزلها بالناس » بأن أخبرهم بفقرة وحاجته وطلب معروفهم ، فهذا مذموم كما أفاده بقية الحديث ، فلا يصح سؤال الناس إلا فى ثلاث حالات بينهما الحديث الصحيح « لا تحل المسألة الا لذى فقر مدقع . أولذى غرم مقطع . أو دم موجع » الفقر المدقع الذى يلصق الفقير بالدقعاء ، أى الأرض لشدته . والغرم المفظع رجل يضمن مالا فى تجارة أوصلح بين عائلتين مثلا ويكون المال كثيرا يفظعه دفعه ويظلعه . ودم موجع السعى فى دفع دية قتيل . فهؤلاء الثلاثة يحل لهم السؤال .

٣٩٤٨ — مَنْ نَصَرَ أَخَاهُ بِظَهْرِ الغَيْبِ ، نَصَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ (هق والضياء) عن أنس رضى الله عنه .

٣٩٤٩ — مَنْ نَفَّسَ عَنْ غَرِيمِهِ ، أَوْ مَحَا عَنْهُ ، كَانَ فِي ظِلِّ العَرْشِ يَوْمَ القِيَامَةِ (حم م) عن أبى قتادة رضى الله عنه .

٣٩٥٠ — مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ فِي الدُّنْيَا يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ عَلَى مُسْلِمٍ فِي الدُّنْيَا ، سَتَرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَاللهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ (م ع ك) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٩٥١ — مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ عُذِّبَ (ق) عن عائشة (طب) عن ابن الزبير بلفظ : هَلَكَ .

٣٩٥٢ — مَنْ نِيحَ عَلَيْهِ يُعَذَّبُ بِمَا نِيحَ عَلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ (حم ق ت) عن المغيرة .

٣٩٥٣ — مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ سَنَةً ، فَهُوَ كَسَفْكِ دَمِهِ (حم خد د ك) عن حَدْرَد بن أبى حَدْرد .

٣٩٥٤ — مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ فَهُوَ فِي النَّارِ ، إِلاَّ أَنْ يَتَدَارَكَهُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ (طب) عن فَضالة رضى الله عنه .

٣٩٥٥ — مَنْ هَلَّلَ مِائَةَ مَرَّةٍ ، وَسَبَّحَ مِائَةَ مَرَّةٍ ، وَكَبَّرَ مِائَةَ مَرَّةٍ ، كَانَ خَيْراً لَهُ مِنْ عَشْرِ رِقَابٍ يُعْتِقُهُنَّ ، وَسَبْعِ بَدَنَاتٍ يَنْحَرُهُنَّ (ابن أبى الدنيا) عن أنس رضى الله عنه .

٣٩٥٦ — مَنْ وَجَدَ تَمْراً فَلْيُفْطِرْ عَلَيْهِ ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيُفْطِرْ عَلَى الْمَاءِ فَإِنَّهُ طَهُورٌ (ت ن وابن خزيمة ك) عنه رضى الله عنه .

٣٩٥٧ — مَنْ وَصَلَ صَفًّا وَصَلَهُ اللهُ ، وَمَنْ قَطَعَ صَفًّا قَطَعَهُ اللهُ (ن ك) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٣٩٥٨ — مَنْ وَطِىءَ عَلَى إِزَارِ خُيَلاَءَ وَطِئَهُ فِى النَّارِ (حم) عن صُهَيب .

٣٩٥٩ — مَنْ وَقَاهُ اللهُ شَرَّ مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ ، وَشَرَّ مَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ (ت حب ك) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٩٦٠ — مَنْ وُلِدَ لَهُ ثَلاَثَةُ أَوْلاَدٍ فِى الإِسْلاَمِ فَمَاتُوا قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ ، وَمَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِى سَبِيلِ اللهِ ، فَإِنَّ لِلْجَنَّةِ ثَمَانِيَةَ أَبْوَابٍ يُدْخِلُهُ اللهُ مِنْ أَىِّ بَابٍ شَاءَ مِنَ الْجَنَّةِ (حم) عن عمرو بن عَبَسة رضى الله عنه .

٣٩٦١ — مَنْ وَلِىَ الْقَضَاءَ ، فَقَدْ ذُبِحَ بِغَيْرِ سِكِّينٍ (د ت ه ك) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٩٦٢ — مَنْ وَلِىَ مِنْ أَمْرِ النَّاسِ شَيْئاً ، فَاحْتَجَبَ عَنْ أُولِى الضَّعْفِ وَالْحَاجَةِ ، احْتَجَبَ اللهُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (حم) عن مُعاذ رضى الله عنه .

٣٩٦٣ — مَنْ لاَ يَرْحَمْ لاَ يُرْحَمْ (حم ق د ت) عن أبى هريرة (ق) عن جرير رضى الله عنهما .

٣٩٦٤ — مَنْ لاَ يَرْحَمِ النَّاسَ لاَ يَرْحَمْهُ اللهُ (حم ق ت) عن جرير (حم ت) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

٣٩٦٥ — مَنْ لاَ يَرْحَمْ لاَ يُرْحَمْ ، وَمَنْ لاَ يَغْفِرْ لاَ يُغْفَرْ لَهُ (حم) عن جرير رضى الله عنه .

٣٩٦٦ — مَنْ لاَ يَشْكُرِ النَّاسَ لاَ يَشْكُرِ اللهَ (ت) عن أبى هريرة .

٣٩٦٧ — مَنْ يَتَزَوَّدْ فِى الدُّنْيَا يَنْفَعْهُ فِى الآخِرَةِ (طب هب والضياء) عن جرير رضى الله عنه .

٣٩٦٨ — مَنْ يَتَكَفَّلُ لِى أَنْ لاَ يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئاً ، وَأَتَكَفَّلُ لَهُ بِالْجَنَّةِ (د ك) عن ثَوْبان رضى الله عنه .

٣٩٦٩ — مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ كُلَّهُ (حم م د ه) عن جرير .

٣٩٧٠ — مَنْ يُخْفِرْ ذِمَّتِى (١) كُنْتُ خَصْمَهُ ، وَمَنْ خَاصَمْتُهُ خَصَمْتُهُ (طب) عن جُندب رضى الله عنه .

٣٩٧١ — مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ فِيهَا لاَ يَبْأَسُ ، لاَ تَبْلَى ثِيَابُهُ ، وَلاَ يَفْنَى شَبَابُهُ (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٩٧٢ — مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِى الدِّينِ (حم ق) عن معاوية (حم ت) عن ابن عباس (ه) عن أبى هريرة رضى الله عنهم .

٣٩٧٣ — مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُصِبْ مِنْهُ (مالك حم خ) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٩٧٤ — مَنْ يَضْمَنْ لِى مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ ، أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ (خ) عن سهل بن سعد رضى الله عنه .

---

(١) « من يخفر ذمتى » أى ينقض عهدى فى أهل بيتى وفى أهل حديثى وحملة كلامى « كنت خصمه » .

٣٩٧٥ — مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ فِي الدُّنْيَا (ك) عن أبى بكر .

٣٩٧٦ — مُنَاوَلَةُ المِسْكِينِ[1] تَقِي مِيتَةَ السُّوءِ (طب هب والضياء) عن حارثة بن النعمان رضى الله عنه .

٣٩٧٧ — مِنْبَرِي هٰذَا عَلَى تُرْعَةٍ مِنْ تُرَعِ الجَنَّةِ (حم) عن أبى هريرة .

٣٩٧٨ — مَنْهُومَانِ لاَ يَشْبَعَانِ : مَنْهُومٌ فِي العِلْمِ لاَ يَشْبَعُ مِنْهُ ، وَمَنْهُومٌ فِي الدُّنْيَا لاَ يَشْبَعُ مِنْهَا (ك) عن أنس رضى الله عنه .

٣٩٧٩ — مَوْتُ الفَجْأَةِ رَاحَةٌ لِلْمُؤْمِنِ ، وَأَخْذَةُ أَسَفٍ لِلْكَافِرِ (حم هق) عن عائشة رضى الله عنها .

٣٩٨٠ — مَوْتُ الفَجْأَةِ أَخْذَةُ أَسَفٍ (د) عن عُبيد بن خالد السلمى .

٣٩٨١ — مَوَتَانُ الأَرْضِ[2] لِلّٰهِ وَلِرَسُولِهِ ، فَمَنْ أَحْيَا شَيْئاً مِنْهَا فَهُوَ لَهُ (هق) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٣٩٨٢ — مَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا (خ ت ه) عن سهل (ت) عن أبى هريرة رضى الله عنهما .

٣٩٨٣ — مَوْلَى القَوْمِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ (ق) عن أنس رضى الله عنه .

---

(١) « مناولة المسكين » طعاما يقيه غائلة الجوع أو ثوبا يحفظه ويستر عورته « تقى » المناول « ميتة السوء » فيموت مستورا صالح الحال بقبول الله منه ذلك .

(٢) « موتان الأرض » أى الأرض الخالية من النبات ولم يملكها أحد ببيع أو هبة مثلا هى « ملك لله ورسوله » ترجع منفعتها للمسلمين « فمن أحيا شيئاً منها » من تلك الأرض بغرسه وإجراء الماء إليه وإصلاحه « فهو له » يملكه ولا ينزعه منه أحد .

٣٩٨٤ — مَوْلَى القَوْمِ مِنْهُمْ (٤ حب) عن أبى رافع (حم خد ك) عن رفاعة بن رافع (البزار) عن أبى هريرة (طب) عن عتبة بن غزوان (ش وإسحاق طب) عن عمرو بن عوف رضى الله عنهم .

٣٩٨٥ — المَائِدُ فِى الْبَحْرِ الَّذِى يُصِيبُهُ القَىْءُ لَهُ أَجْرُ شَهِيدٍ ، وَالغَرِيقُ لَهُ أَجْرُ شَهِيدٍ (د) عن أم حرام رضى الله عنها .

٣٩٨٦ — المُؤَذِّنُ يُغْفَرُ لَهُ مَدَى صَوْتِهِ وَيَشْهَدُ لَهُ كُلُّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ ، وَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ صَلَّى مَعَهُ (حم د ن وابن خزيمة) عن أبى هريرة .

٣٩٨٧ — المُؤَذِّنُ يُغْفَرُ لَهُ مَدَى صَوْتِهِ ، وَيَسْتَغْفِرُ لَهُ كُلُّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ ، وَشَاهِدُ الصَّلاَةِ تُكْتَبُ لَهُ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ حَسَنَةً ، وَيُكَفَّرُ عَنْهُ مَا بَيْنَهُمَا (٥) عنه رضى الله عنه .

٣٩٨٨ — المُؤَذِّنُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقًا يَوْمَ القِيَامَةِ (حم م ٥) عن مُعاوية .

٣٩٨٩ — المُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِى مِعًى وَاحِدٍ ، وَالكَافِرُ يَأْكُلُ فِى سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ (حم ق ت ٥) عن ابن عمر (حم م) عن جابر (حم ق ٥) عن أبى هريرة (م ٥) عن أبى موسى رضى الله عنهم .

٣٩٩٠ — المُؤْمِنُ يَشْرَبُ فِى مِعًى وَاحِدٍ ، وَالكَافِرُ يَشْرَبُ فِى سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ (حم م ت) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٩٩١ — المُؤْمِنُ القَوِىُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ ، وَفِى كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلاَ تَعْجِزْ ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَىْءٌ فَلاَ تَقُلْ : لَوْ أَنِّى فَعَلْتُ كَذَا ، كَانَ كَذَا وَكَذَا ، فَإِنَّ

لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ ، وَلَكِنْ قُلْ : قَدَرُ اللهِ ، مَا شَاءَ فَعَلَ (م ن ٥) عنه رضى الله عنه .

٣٨٩٢ — الْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ ، وَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ السُّوءَ ، وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَبْدٌ لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ (حم ع والبزار) عن أنس رضى الله عنه .

٣٩٩٣ — الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ (طس والضياء) عن أنس رضى الله عنه .

٣٩٩٤ — الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ ، الْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ يَكُفُّ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ ، وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرَائِهِ (خد د) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٣٩٩٥ — الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً (ق ت ن) عن أبى موسى رضى الله عنه .

٣٩٩٦ — الْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ (٥) عن فضالة رضى الله عنه .

٣٩٩٧ — الْمُؤْمِنُ يَمُوتُ بِعَرَقِ الْجَبِينِ (حم ت ن ٥ ك) عن بريدة .

٣٩٩٨ — الْمُؤْمِنُ يَأْلَفُ ، وَلاَ خَيْرَ فِيمَنْ لاَ يَأْلَفُ وَلاَ يُؤْلَفُ (حم) عن سهل (ك) عن أبى هريرة رضى الله عنهما .

٣٩٩٩ — الْمُؤْمِنُ يَغَارُ ، وَاللهُ أَشَدُّ غِيَراً (م) عن أبى هريرة .

٤٠٠٠ — الْمُؤْمِنُ الَّذِى يُخَالِطُ النَّاسَ ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ ، أَفْضَلُ مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِى لاَ يُخَالِطُ النَّاسَ ، وَلاَ يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ (حم خد ت ٥) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٤٠٠١ — الْمُؤْمِنُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ إِنِ اشْتَكَى رَأْسُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ ، وَإِنِ اشْتَكَتْ عَيْنُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ (حم م) عن النعمان بن بشير .

٤٠٠٢ — الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ ، وَالَّذِي يَقْرَأُهُ وَيَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ ، لَهُ أَجْرَانِ (ق د ن ه) عن عائشة .

٤٠٠٣ — الْمُتَشَبِّعُ[1] بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ (حم ق د) عن أسماء بنت أبي بكر (م) عن عائشة رضى الله عنهم

٤٠٠٤ — الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي اللهِ (ت حب) عن فضالة .

٤٠٠٥ — الْمُحْرِمَةُ لَا تَنْتَقِبُ ، وَلَا تَلْبَسُ الْقُفَّازَيْنِ (د) عن ابن عمر .

٤٠٠٦ — الْمُدَّعَى عَلَيْهِ أَوْلَى بِالْيَمِينِ إِلَّا أَنْ تَقُومَ عَلَيْهِ الْبَيِّنَةُ (هق) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

٤٠٠٧ — الْمَدِينَةُ حَرَمٌ آمِنٌ (أبو عوانة فى صحيحه) عن سهل بن حنيف .

٤٠٠٨ — الْمَدِينَةُ حَرَامٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَى ثَوْرٍ ، فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا ، أَوْ آوَى مُحْدِثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَدْلًا وَلَا صَرْفًا ، وَذِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ يَسْعَى بِهَا أَدْنَاهُمْ فَمَنْ أَخْفَرَ مُسْلِمًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَدْلًا وَلَا صَرْفًا ، وَمَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ ، أَوِ انْتَمَى إِلَى غَيْرِ مَوَالِيهِ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَدْلًا وَلَا صَرْفًا (ق ٣) عن علىّ عليه السلام .

---

(١) « المتشبع بما لم يعط » أى المتزين بأكثر مما عنده ، يتكثر بذلك خداعا للناس بخلاف الذى يتجمل بما عنده قناعة وتعففا . فهو ممدوح ومحمود يتنزل عليه حكم السادة الصوفية الذين يحبون لباس أهل العطاء لا أهل الأخذ .

٤٠٠٩ — المَرْأَةُ لاَ تُؤَدِّى حَقَّ اللهِ عَلَيْهَا حَتَّى تُؤَدِّىَ حَقَّ زَوْجِهَا كُلَّهُ ، وَلَوْ سَأَلَهَا وَهِىَ عَلَى ظَهْرِ قَتَبٍ ، لَمْ تَمْنَعْهُ نَفْسَهَا (طب) عن زيد بن أرقم رضى الله عنه .

٤٠١٠ — المِرَاءُ فِى القُرْآنِ كُفْرٌ (د حب ك) عن أبى هريرة (طب) عن زيد بن ثابت رضى الله عنهما .

٤٠١١ — المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ (حم ق ٣) عن أنس (ق) عن ابن مسعود وأبى موسى (حم) عن جابر رضى الله عنهم .

٤٠١٢ — المَدِينَةُ قُبَّةُ الإِسْلاَمِ ، وَدَارُ الإِيمَانِ ، وَأَرْضُ الهِجْرَةِ ، وَمَثْوَى الحَلاَلِ وَالحَرَامِ (طس) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٤٠١٣ — المَرْأَةُ عَوْرَةٌ ، فَإِذَا خَرَجَتْ ، اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ (ت) عن ابن مسعود (ابن خزيمة حب) بزيادة : وَأَقْرَبُ مَا تَكُونُ مِنْ وَجْهِ رَبِّهَا وَهِىَ فِى قَعْرِ بَيْتِهَا .

٤٠١٤ — المَرْأَةُ عَوْرَةٌ ، وَإِنَّهَا إِذَا خَرَجَتْ مِنْ بَيْتِهَا ، اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ ، وَإِنَّهَا لاَ تَكُونُ أَقْرَبَ إِلَى اللهِ مِنْهَا فِى قَعْرِ بَيْتِهَا (طس) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٤٠١٥ — المَرِيضُ تَحَاتُّ خَطَايَاهُ كَمَا يَتَحَاتُّ وَرَقُ الشَّجَرِ (عم طب والضياء) عن أسد بن كُرْز رضى الله عنه .

٤٠١٦ — المُسْتَبَّانِ مَا قَالاَ ، فَعَلَى البَادِىءِ مِنْهُمَا حَتَّى يَعْتَدِىَ المَظْلُومُ (حم م د ت) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٤٠١٧ — المُسْتَبَّانِ شَيْطَانَانِ يَتَهَاتَرَانِ وَيَتَكَاذَبَانِ (حم خد) عن عِياض بن حِمَار رضى الله عنه .

٤٠١٨ — المُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ (حم ٥) عن أبى مسعود البدرى (٤) عن أبى هريرةٍ رضى الله عنهما .

٤٠١٩ — المَسْجِدُ الَّذِى أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مَسْجِدِى هٰذَا (م ت) عن أبى سعيد (حم ك) عن أُبَىّ رضى الله عنهما .

٤٠٢٠ — المَسْجِدُ بَيْتُ كُلِّ تَقِىٍّ ، وَتَكَفَّلَ اللهُ لِمَنْ كَانَ المَسْجِدُ بَيْتَهُ بِالرَّوْحِ وَالرَّحْمَةِ وَالجَوَازِ عَلَى الصِّرَاطِ إِلَى رِضْوَانِ اللهِ إِلَى الجَنَّةِ (البزار طب) عن أبى الدرداء رضى الله عنه .

٤٠٢١ — المِسْكُ أَطْيَبُ الطِّيبِ (م ت) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

٤٠٢٢ — المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ (م) عن جابر .

٤٠٢٣ — المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ (حم ت ن حب ك) عن أبى هريرة .

٤٠٢٤ — المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ (ق د ن) عن ابن عمرو (ق) عن أبى موسى (م) عن جابر رضى الله عنهم .

٤٠٢٥ — المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ (م) عن عقبة (د) عن سُوَيد بن حنظلة .

٤٠٢٦ — المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يَخْذُلُهُ ، وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ مَا تَوَادَّ اثْنَانِ فَيُفَرَّقُ بَيْنَهُمَا ، إِلاَّ بِذَنْبٍ يُحْدِثُهُ أَحَدُهُمَا (حم) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٤٠٢٧ — المسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ (ق د) عنه رضى الله عنه .

٤٠٢٨ — المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ ، وَلاَ يَخْذُلُهُ ، وَلاَ يَحْقِرُهُ ، التَّقْوَى هٰهُنَا - ثَلاَثاً وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ - بِحَسْبِ امْرِىءٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ المُسْلِمَ ، كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامٌ : دَمُهُ ، وَمَالُهُ ، وَعِرْضُهُ (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٤٠٢٩ — المُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ ، أَلاَ لاَ يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ ، وَلاَ ذُو عَهْدٍ فِي عَهْدِهِ (حم د ن ك) عن علىّ عليه السلام (ه) عن ابن عباس ، وعن معقل بن يسار (حم د ه طب والبزار) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (حب) عن ابن عمر رضى الله عنهم .

٤٠٣٠ — المُسْلِمُونَ شُرَكَاءُ[1] فِي ثَلاَثَةٍ : فِي الْكَلإِ ، وَالمَاءِ ، وَالنَّارِ (حم د) عن صحابى رضى الله عنه .

٤٠٣١ — المُسْلِمُونَ عَلَى شُرُوطِهِمْ (د ك) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٤٠٣٢ — المُسْلِمُونَ عِنْدَ شُرُوطِهِمْ ، مَا وَافَقَ الْحَقَّ مِنْ ذَلِكَ (ك) عن أنس وعن عائشة رضى الله عنهما .

---

(١) « المسلمون شركاء فى ثلاثة الكلأ والماء والنار » لأنها منافع عامة يستوى فى الحاجة إليها الفقير والغنى . فلا يحل منعها عن أحد منهم إلا إن تكلفت فى جلبها ثمنا ، فيدفع فيها ثمن التكلفة فقط .

٤٠٣٣ — المَشَّاؤُونَ إِلَى المَسَاجِدِ فِي الظُّلَمِ ، أُولَئِكَ الخَوَّاضُونَ فِي رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى (٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

٤٠٣٤ — المُطَلَّقَةُ ثَلاثاً[1] لَيْسَ لَهَا سُكْنَى ، وَلاَ نَفَقَةٌ (ن) عن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها .

٤٠٣٥ — المُعْتَدِي فِي الصَّدَقَةِ كَمَانِعِهَا (حم د ت ه) عن أنس .

٤٠٣٦ — المَطْلُ[2] طَرَفٌ مِنَ الظُّلْمِ (طب حل والضياء) عن حُبْشِي ابن جُنادة رضي الله عنه .

٤٠٣٧ — المَقَامُ المَحْمُودُ : الشَّفَاعَةُ (حل هب) عن أبي هريرة .

٤٠٣٨ — المُكَاتَبُ عَبْدٌ مَا بَقِيَ عَلَيْهِ مِنْ كِتَابَتِهِ دِرْهَمٌ (د هق) عن ابن عمرو رضي الله عنه .

٤٠٣٩ — المَهْدِي مِنِّي أَجْلَى الجَبْهَةِ ، أَقْنَى الأَنْفِ ، يَمْلَأُ الأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً ، كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً وَظُلْماً ، يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ (د ك) عن أبي سعيد رضي الله عنه .

٤٠٤٠ — المَهْدِي مِنْ عِتْرَتِي مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ (د ه ك) عن أم سلمة .

٤٠٤١ — المَمْلُوكُ الَّذِي يُحْسِنُ عِبَادَةَ رَبِّهِ ، وَيُؤَدِّي إِلَى سَيِّدِهِ الَّذِي عَلَيْهِ مِنَ الحَقِّ وَالنَّصِيحَةِ وَالطَّاعَةِ لَهُ أَجْرَانِ (خ) عن أبي موسى .

---

(١) « المطلقة ثلاثا ليس لها سكنى ولا نفقة » لأن السكنى والنفقة تجبان لأجل الزوجية ، فإذا انتهت الزوجية بالطلاق انتهى وجوب النفقة والسكنى .

(٢) أي المطل .

٤٠٤٢ — المَلَائِكَةُ شُهَدَاءُ اللهِ فِي السَّمَاءِ ، وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ (ن) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

٤٠٤٣ — المَيِّتُ يُبْعَثُ فِي ثِيَابِهِ الَّتِي يَمُوتُ فِيهَا (د حب ك) عن أبي سعيد رضي الله عنه .

٤٠٤٤ — المَيِّتُ مِنْ ذَاتِ الجَنْبِ شَهِيدٌ (حم طب) عن عُقبة .

٤٠٤٥ — المَيِّتُ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ بِمَا نِيحَ عَلَيْهِ (حم ق ن ه) عن عُمر رضي الله عنه .

* * *

حرف النون

قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

٤٩٤٦ — نَارُكُمْ هٰذِهِ مَا يُوقِدُ بَنُو آدَمَ جُزْءٌ وَاحِدٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءاً مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ . قِيلَ : وَاللهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً ، قَالَ : إِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءاً كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا (مالك ق ت) عن أبي هريرة .

٤٠٤٧ — نَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللهُ بِهِ[1] (حم ٣) عن جابر رضى الله عنه .

٤٠٤٨ — نَحِّ الْأَذَى عَنْ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ (ع حب) عن أبي برزة .

٤٠٤٩ — نَزَعَ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ خَيْراً قَطُّ ، غُصْنَ شَوْكٍ عَنِ الطَّرِيقِ كَانَ فِي شَجَرَةٍ ، فَأَمَاطَهُ عَنِ الطَّرِيقِ ، فَشَكَرَ اللهُ ذَلِكَ لَهُ ، فَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ (د) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

٤٠٥٠ — نَزَلَ الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ فَسَوَّدَتْهُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ (ت) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٤٠٥١ — نُصِرْتُ بِالصَّبَا ، وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ (حم ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٤٠٥٢ — نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ[2] مِنَّا شَيْئاً ، فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَهُ ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ (حم ت حب) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

---

(١) نبدأ بما بدأ الله به . فى السعى بين الصفا والمروة ، فيكون بدء السعى من الصفا . وفقنا الله سبحانه للمداومة على طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

(٢) « نضر الله » أى حسن وأبهج « امرأ سمع الحديث » فى هذا فضل كبير =

٤٠٥٣ — نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَبَلَّغَهُ غَيْرَهُ ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ (د ت والضياء) عن زيد بن ثابت رضى الله عنه .

٤٠٥٤ — نِعْمَ الإِدَامُ الْخَلُّ (حم م ٤) عن جابر (م ت) عن عائشة .

٤٠٥٥ — نِعْمَ الْجِهَادُ الْحَجُّ (خ) عن عائشة رضى الله عنها .

= لأهل الحديث ، حيث دعا لهم النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالنضرة والبهجة ، والنضرة المدعو لهم بها حسية ومعنوية : أما الحسية فهى جمال الصورة . حتى قال بعض العلماء : لاتلقى محدثا إلا وفى وجهه نضرة لهذا الحديث الشريف .

أهل الحديث طويلة أعمارهم ووجوههم بدعا النبي منضرة
أهل الحديث هم أهل النبي وأن لم يصحبوا نفسه أنفاسة صحبوا

والنضرة المعنوية قوة الحجة . قال الأمام الشافعى : من حفظ الحديث قويت حجته . ولا نضارة أجمل من قوة حجة العالم ، وأشتداد عارضته . وخروجه من ربقة التقليد ، وزبالات الأراء . إلى ساحة الأجتهاد . والأغتراف من ذلك المعين السلسل وهى السنة النبوية ، صنو كتاب الله ، والمبنية لمعاليه . الكاشفة لخفاياه وجواهره . ويكفى أهل الحديث فخرا قوله سبحانه وتعالى (يوم ندعوا كل أناس بامامهم) حيث يكون سيد الخلق صلى الله عليه وسلم أمامهم . والعلم فى عرف الشرع . ينحصر فى الكتاب والسنة لاقول فلان وفلان . ويوم القيامة يحاسب كل مسلم على ترك العمل بالكتاب والسنة (لاغير) ولايحاسب على ترك تقليد أحد المذاهب (على كثرتها) . وإذا حفظ الشخص أربعين حديثا تتعلق بالدين بعث فى زمرة العلماء وشفع له النبي صلى الله عليه وسلم ، وشهد له . لكن لوحفظ أقوال أمام كلها لم يكن عالما . فلا يحشر فى زمرة العلماء . بل لايزال مقلداً عاميا عند علماء الأصول .

لا فرق بين مقلد وبهيمة تنقاد بين جنادل ودعائر

قال أبو عبد الله أحمد بن عطاء الروزبادى : التصوف ينفى عن صاحبه البخل ، وكتابة الحديث تنفى عن صاحبها الجهل . فإذا اجتمعا فى شخص ، فناهيك به مقاما حشرنا الله فى زمرة أحبابه أهل سنته نبيه عليه الصلاة والسلام .

٤٠٥٦ — نَعَمْ ، صِلِي أُمَّكِ[1] (ق) عن أسماء بنت أبي بكر .

٤٠٥٧ — نَعَمْ ، إِنْ قَتَلْتَ وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ ، إِلاَّ الدَّيْنَ ، فَإِنَّ جِبْرَائِيلَ قَالَ لِي ذَلِكَ[2] (م) عن أبي قتادة .

٤٠٥٨ — نَعَمْ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيُعْطَى قُوَّةَ مِائَةِ رَجُلٍ فِي الأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالْجِمَاعِ تَكُونُ حَاجَةُ أَحَدِهِمْ رَشْحاً يَفِيضُ مِنْ جُلُودِهِمْ كَرَشْحِ الْمِسْكِ فَيَضْمُرُ بَطْنُهُ[3] (حم ن) عن زيد بن أرقم .

٤٠٥٩ — نَعَمْ ، الصَّلاَةُ عَلَيْهِمَا وَالاِسْتِغْفَارُ لَهُمَا ، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لاَ تُوصَلُ إِلاَّ بِهِمَا ، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا[4] (د ه حب) عن أبي أسيد الساعدي رضي الله عنه .

---

(١) قالت أسماء : قدمت علي أمي وهي مشركة ، في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم . قلت : قدمت علي أمي ، وهي راغبة - تعني في صلتها - افأصل أمي ! قال (نعم صلي أمك) .

(٢) سأل رجل النبي صلى الله عليه وسلم : أن جاهد في سبيل الله حتى يقتل ، هل تكفر عنه خطاياه اقال (نعم أن قاتلت وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر. إلا الدين. فأن جبريل قال لي ذلك) فالدين يمنع الشهيد من دخول الجنة ، حتى يقضى عنه .

(٣) قال زيد بن أرقم رضي الله عنه : جاء رجل من أهل الكتاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا أبا القاسم تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون ، قال « نعم والذي نفس محمد بيده إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل في الأكل الشرب والجماع » قال: فأن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة ، وليس في الجنة أذى . قال « تكون حاجة أحدهم رشحا يفيض من جلودهم كرشح المسك فيضمو بطنه » .

(٤) قال أبو أسيد رضي الله عنه : بينا نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ جاء رجل من بني سلمة ، فقال : يا رسول الله هل بقي من بر أبوي شيء بعد موتهما ! قال « نعم الصلاة عليهما - يعني الدعاء لهما - والأستغفار لهما وأنفاذ عهدهما - ووصيتهما - من بعدهما » الحديث .

٤٠٦٠ — نَعَمْ ، عَذَابُ الْقَبْرِ حَقٌّ[1] (ق) عن عائشة رضى الله عنها .

٤٠٦١ — نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ : الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ (خ ت ه) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٤٠٦٢ — نَفْسُ الْمُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدَيْنِهِ حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ (حم ت ه ك) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٤٠٦٣ — نَفَقَةُ الرَّجُلِ عَلَى أَهْلِهِ صَدَقَةٌ (خ ت) عن ابن مسعود .

٤٠٦٤ — نَفِى بِعَهْدِهِمْ وَنَسْتَعِينُ[2] اللهَ عَلَيْهِمْ (م) عن حُذيفة .

٤٠٦٥ — نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا ، فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمُ الْمَوْتَ (ك) عن أنس (طب) عن أم سلمة رضى الله عنهما بنحوه .

٤٠٦٦ — نُهِيتُ عَنِ[3] التَّعَرِّى (الطيالسى) عن ابن عباس رضى الله عنهما.

٤٠٦٧ — نُهِيتُ[4] عَنِ الْمُصَلِّينَ (طب) عن أنس رضى الله عنه .

---

(١) دخلت يهودية على عائشة رضى الله عنها ، فذكرت عذاب القبر ، فقالت لها : أعاذك الله من عذاب القبر . قالت عائشة : فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عذاب القبر ا فقال « نعم عذاب القبر حق » .

(٢) « نفى بعهدهم ونستعين الله عليهم » عاهد النبى صلى الله عليه وسلم بنى قريظة أو بنى النضير . فقيل له : أنهم يخونون . فقال « نفى لهم بعهدهم ونستعين الله عليهم » أى على خيانتهم . فينتصرنا عليهم .

(٣) « نهيت عن التعرى » بالراء ، أى لايتعرى .

(٤) « نهيت عن » قتل « المصلين » قاله لما نفى مخنثا من المدينة . وأقترحوا عليه أن يقتله ، مع أنه كان يصلى .

٤٠٦٨ — النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ (حم م) عن أبى مالك الأشعرى .

٤٠٦٩ — النَّدَمُ تَوْبَةٌ (حب ك هب) عن أنس (حم تخ ك) عن ابن مسعود رضى الله عنهما .

٤٦٧٠ — النَّفَقَةُ فِي الْحَجِّ كَالنَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ بِسَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ (حم طب هب والضياء) عن بُريدة رضى الله عنها .

* * *

باب المناهى[1]

٤٠٧١ — نَهَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْأُغْلُوطَاتِ (حم د) عن معاوية .

٤٠٧٢ — نَهَى عَنِ الِاخْتِصَارِ فِي الصَّلَاةِ (حم د ت) عن أبى هريرة .

٤٠٧٣ — نَهَى عَنِ الْإِقْرَانِ إِلَّا أَنْ يَسْتَأْذِنَ الرَّجُلُ أَخَاهُ[2] (حم ق د) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٤٠٧٤ — نَهَى عَنِ الْإِقْعَاءِ فِي الصَّلَاةِ (ك هق) عن سَمُرة رضى الله عنه .

---

(١) النهى فى عرف الشرع معناه التحريم . فإذا قال الصحابى : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كذا ، فمعناه : أنه حرمه ، وقد يفيد النهى الكراهة ، لدليل آخر دل عليها .

(٢) نهى عن الاقران . إذا أكل الرجل تمرا مع شخص فلا يقرن بين تمرتين فى لقمة واحدة إلا بأذن صاحبه .

٤٠٧٥ — نَهَى عَنِ الإِقْعَاءِ وَالتَّوَرُّكِ فِي الصَّلَاةِ (حم هق) عن أنس .

٤٠٧٦ — نَهَى عَنِ الأَكْلِ وَالشُّرْبِ فِي إِنَاءِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ (ن) عنه .

٤٠٧٧ — نَهَى عَنِ التَّبَتُّلِ[1] (حم ق د) عن سعد (حم ت ن ه) عن سَمُرة رضى الله عنه .

٤٠٧٨ — نَهَى عَنِ التَّخَتُّمِ بِالذَّهَبِ (ت) عن عمران رضى الله عنه .

٤٠٧٩ — نَهَى عَنِ التَّرَجُّلِ إِلاَّ غِبًّا (حم ٣ حب) عن عبد الله بن مُغَفَّل .

٤٠٨٠ — نَهَى عَنِ التَّكَلُّفِ لِلضَّيْفِ (ك) عن سلمان رضى الله عنه .

٤٠٨١ — نَهَى عَنِ الْجُلُوسِ عَلَى مَائِدَةٍ يُشْرَبُ عَلَيْهَا الْخَمْرُ ، وَأَنْ يَأْكُلَ الرَّجُلُ وَهُوَ مُنْبَطِحٌ عَلَى بَطْنِهِ (د ه ك) عن ابن عمر .

٤٠٨٢ — نَهَى عَنِ الْخَذْفِ[2] (حم ق د ه) عن عبد الله بن مغفل .

٤٠٨٣ — نَهَى عَنِ الدَّوَاءِ الْخَبِيثِ[3] (حم د ت ه ك) عن أبى هريرة .

٤٠٨٤ — نَهَى عَنِ الرُّقَى وَالتَّمَائِمِ وَالتِّوَلَةِ (ك) عن ابن مسعود .

٤٠٨٥ — نَهَى عَنِ الزُّورِ[4] (ق) عن معاوية .

٤٠٨٦ — نَهَى عَنِ السَّدْلِ فِي الصَّلَاةِ ، وَأَنْ يُغَطِّيَ الرَّجُلُ فَاهُ (حم ٤ ك) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

---

(١) نهى عن التبتل ، وهو ترك الزواج .

(٢) نهى عن الخذف . أى حذف الشخص بحصاة ونحوها .

(٣) نهى عن الدواء الخبيث أى المحرم .

(٤) نهى عن الزور ، هو الشعر الذى تصله المرأة بشعرها ومنه النوع الذى يسمى بالباروكة .

٤٠٨٧ — نَهَى عَنِ الشُّرْبِ مِنْ فِي السِّقَاءِ ، وَعَنْ رُكُوبِ الْجِلَّةِ ، وَعَنِ الْمُجَثَّمَةِ (٤ حب ك) عن ابن عباس (البزار) عن أنس رضى الله عنهم .

٤٠٨٨ — نَهَى عَنِ النَّوْمِ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ، وَعَنْ ذَبْحِ ذَوَاتِ الدَّرِّ (٥ ك) عن علىّ عليه السلام .

٤٠٨٩ — نَهَى عَنِ الشُّرْبِ مِنْ ثُلْمَةِ الْقَدَحِ ، وَأَنْ يُنْفَخَ فِي الشَّرَابِ (حم د ك) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

٤٠٩٠ — نَهَى عَنِ الشِّغَارِ[1] (حم ق ٤) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٤٠٩١ — نَهَى عَنِ الصُّورَةِ (ن) عن جابر رضى الله عنه .

٤٠٩٢ — نَهَى عَنِ الصَّلَاةِ عَلَى الْقُبُورِ (حب) عن أنس رضى الله عنه .

٤٠٩٣ — نَهَى عَنِ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصُّبْحِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ ، وَبَعْدَ الْعَصْرِ حَتَّى تَغْرُبَ (ق ن) عن عمر رضى الله عنه .

٤٠٩٤ — نَهَى عَنِ الضَّرْبِ فِي الْوَجْهِ ، وَعَنِ الْوَسْمِ فِي الْوَجْهِ (م) عن ابن عباس (حم م ت) عن جابر رضى الله عنهم .

٤٠٩٥ — نَهَى عَنِ الْكَيِّ (طب) عن سعد الظَّفَرى (حم د ت ك) عن عمران رضى الله عنهما .

٤٠٩٦ — نَهَى عَنِ الْمُثْلَةِ (ك) عن عمران (طب) عن ابن عمر ، وابن المغيرة رضى الله عنهم .

---

(١) نهى عن الشغار ، هو أن يزوج الرجل أخته أو بنته لشخص على أن يزوجه ذلك الشخص بنته أو أخته . لا صداق بينهما غير ذلك .

٤٠٩٧ — نَهَى عَنِ الْمُتْعَةِ (حم) عن جابر (خ) عن علىّ عليه السلام .

٤٠٩٨ — نَهَى عَنِ الْمُحَاقَلَةِ ، وَالْمُخَاصَرَةِ ، وَالْمُلَامَسَةِ ، وَالْمُنَابَذَةِ ، وَالْمُزَابَنَةِ (خ) عن أنس رضى الله عنه .

٤٠٩٩ — نَهَى عَنِ الْمُخَابَرَةِ[1] (حم) عن زيد بن ثابت رضى الله عنه .

٤١٠٠ — نَهَى عَنِ الْمُزَابَنَةِ (ق ن ه) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٤١٠١ — نَهَى عَنِ الْمُزَابَنَةِ ، وَالْمُحَاقَلَةِ[2] (ق) عن أبى سعيد .

٤١٠٢ — نَهَى عَنِ الْمُنَابَذَةِ ، وَعَنِ الْمُلَامَسَةِ[3] (حم ق د ن ه) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

٤١٠٣ — نَهَى عَنِ الْمَيَاثِرِ الْحُمْرِ وَالْقَسِّيِّ[4] (خ ت) عن البراء .

٤١٠٤ — نَهَى عَنِ النَّجْشِ[5] (ق ن ه) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

---

(١) نهى عن المخابرة ، وهى تأجير الأرض ببعض ما يخرج منها . كان يؤجر الأرض لمن يزرعها قمحا ، ويجعل أجرتها خمسة أرادب مما تنبته لأن فيه غررا .

(٢) نهى عن المزابنة ـ وهى بيع الرطب فى رؤس النخل بالتمر ـ لأنه بيع مجازفة . لا كيل فيه ولا وزن ، والمحاقلة . وهى بيع الزرع فى سنبله بالقمح . والمخاضرة بالضاد ، بيع الثمار قبل بدو صلاحها .

(٣) نهى عن ـ المنابذة ـ وهى أن يقول البائع للمشترى : انبذ هذه الأثواب مثلا ، بحصاة فالثوب الذى تقع عليه الحصاة تأخذه بثمن كذا ـ وعن الملامسة ـ وهى أن يقول البائع : إذا لمست المبيع ، فقد وجب بيننا البيع بكذا .

(٤) نهى عن المياثر الحمر ، وهى مقاعد محشوة بقطن أو غيره ، مكسوة بحرير أحمر ، توضع على سرج الخيل للقعود عليها ، والقسى ، ثوب يخالطه الحرير ، كان يحمل من مصر ، وهو منسوب إلى بلد كان يقال له : القس .

(٥) نهى عن النجش . وهو أن يزيد فى الثمن لا لرغبة فى الشراء بل ليخدع غيره .

٤١٠٥ — نَهَى عَنِ النَّذْرِ (ق د ن ه) عنه رضى الله عنه .

٤١٠٦ — نَهَى عَنِ النَّعْيِ[1] (حم ت ه) عن حُذيفة رضى الله عنه .

٤١٠٧ — نَهَى عَنِ النَّفْخِ فِي الشَّرَابِ (ت) عن أبى سعيد .

٤١٠٨ — نَهَى عَنِ النَّفْخِ فِي الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ (حم) عن ابن عباس .

٤١٠٩ — نَهَى عَنِ النَّفْخِ فِي السُّجُودِ ، وَعَنِ النَّفْخِ فِي الشَّرَابِ (طب) عن زيد بن ثابت رضى الله عنه .

٤١١٠ — نَهَى عَنِ النُّهْبَى ، وَالْمُثْلَةِ (حم خ) عن عبد الله بن زيد .

٤١١١ — نَهَى عَنِ النُّهْبَةِ ، وَالْخُلْسَةِ (حم) عن زيد بن خالد .

٤١١٢ — نَهَى عَنِ النَّوْمِ قَبْلَ العِشَاءِ ، وَعَنِ الْحَدِيثِ بَعْدَهَا (طب) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٤١١٣ — نَهَى عَنِ النِّيَاحَةِ (د) عن أم عطية رضى الله عنها .

٤١١٤ — نَهَى عَنِ الوَحْدَةِ : أَنْ يَبِيتَ الرَّجُلُ وَحْدَهُ (حم) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٤١١٥ — نَهَى عَنِ الوَشْمِ (حم) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

---

(١) نهى عن النعى ، وهو إعلان موت شخص ، لما يقترن به غالبا من وصف الميت باوصاف كاذبة ، كتقواه وصلاحه ، وهو بخلاف ذلك . مع التفاخر بأنه قريب فلان . ونسيب فلان . فى بلد كذا . وذلك ينافى جلال الموت . ويصرف النظر عن العبرة منه . . ولقد سمعنا من يفتخر بأن جنازة أمه حضرها وجهاء الناس ورجال الحكومه وكذا وكذا ولم يفكر ماذا كان موقف أمه فى قبرها ؟ وبماذا اجابت الملكين ! وأن مآله مثل مآلها ! هدانا الله صراطه المستقيم وختم لنا بالسعادة الابدية وطهر قلوبنا من العجب والرياء إنه سميع مجيب آمين .

٤١١٦ — نَهَى عَنِ الْوِصَالِ (ق) عن ابن عمر ، وعن عائشة ، وعن أبي هريرة رضى الله عنهم .

٤١١٧ — نَهَى عَنِ اخْتِنَاثِ الْأَسْقِيَةِ - يَعْنِي أَنْ تُكْسَرَ أَفْوَاهُهَا - فَيُشْرَبَ مِنْهَا (ق) عن أبي سعيد رضى الله عنه .

٤١١٨ — نَهَى عَنِ اسْتِئْجَارِ الأَجِيرِ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُ أَجْرُهُ (حم) عنه .

٤١١٩ — نَهَى عَنْ أَكْلِ الهِرَّةِ ، وَعَنْ أَكْلِ ثَمَنِهَا (ت ه ك) عن جابر رضى الله عنه .

٤١٢٠ — نَهَى عَنْ أَكْلِ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ (ق ٤) عن أبي ثعلبة رضى الله عنه .

٤١٢١ — نَهَى عَنْ أَكْلِ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ ، وَعَنْ كُلِّ ذِي مِخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ (حم م د ن) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٤١٢٢ — نَهَى عَنْ أَكْلِ لُحُومِ الْحُمُرِ الأَهْلِيَّةِ (ق) عن علىّ ، وعن البراء ، وعن جابر ، وعن ابن عمر ، وعن أبي ثعلبة رضى الله عنهم .

٥١٢٣ — نَهَى عَنْ أَكْلِ الْجَلَّالَةِ وَأَلْبَانِهَا (د ت ه ك) عن ابن عمر .

٤١٢٤ — نَهَى عَنْ أَكْلِ الْمُجَثَّمَةِ ، وَهِيَ الَّتِي تُضْرَبُ بِالنَّبْلِ (ت) عن أبي الدرداء رضى الله عنه .

٤١٢٥ — نَهَى عَنْ بَيْعِ الثَّمَرَةِ حَتَّى يَبْدُوَ صَلَاحُهَا ، وَعَنِ النَّخْلِ حَتَّى تَزْهُوَ (خ) عن أنس رضى الله عنه .

٤١٢٦ — نَهَى عَنْ بَيْعِ ضِرَابِ الْجَمَلِ ، وَعَنْ بَيْعِ الْمَاءِ وَالأَرْضِ لِتُحْرَثَ (حم م ن) عن جابر رضى الله عنه .

٤١٢٧ — نَهَى عَنْ بَيْعِ فَضْلِ الْمَاءِ (م ن ه) عن جابر (حم ٤) عن إياس بن عُبيد رضى الله عنهما .

٤١٢٨ — نَهَى عَنْ بَيْعِ الذَّهَبِ بِالوَرَقِ دَيْنًا (حم ق ن) عن البراء ، وزيد بن أرقم رضى الله عنهما .

٤١٢٩ — نَهَى عَنْ بَيْعِ الثِّمَارِ حَتَّى تُؤْمَنَ عَلَيْهَا الْعَاهَةُ (حم هق) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٤١٣٠ — نَهَى عَنْ بَيْعِ الْحَيَوَانِ بِالْحَيَوَانِ نَسِيئَةً (حم ٤ والضياء) عن سَمُرة رضى الله عنه .

٤١٣١ — نَهَى عَنْ بَيْعِ الثَّمَرِ حَتَّى يَطِيبَ (حم ق) عن جابر .

٤١٣٢ — نَهَى عَنْ بَيْعِ الصُّبْرَةِ مِنَ التَّمْرِ لاَ يُعْلَمُ مَكِيلُهَا ، بِالْكَيْلِ الْمُسَمَّى مِنَ التَّمْرِ (حم م ن) عن جابر رضى الله عنه .

٤١٣٣ — نَهَى عَنْ بَيْعِ الْكَالِئِ بِالْكَالِئِ (ك هق) عن ابن عمر .

٤١٣٤ — نَهَى عَنْ بَيْعِ حَبَلِ الْحَبَلَةِ (حم ق ٤) عنه رضى الله عنه .

٤١٣٥ — نَهَى عَنْ بَيْعِ التَّمْرِ بِالتَّمْرِ (ق د) عن سهل بن أبى حَثْمة .

٤١٣٦ — نَهَى عَنْ بَيْعِ الوَلاَءِ ، وَعَنْ هِبَتِهِ (حم ق ٤) عن ابن عمر .

٤١٣٧ — نَهَى عَنْ بَيْعِ الْحَصَاةِ ، وَعَنْ بَيْعِ الغَرَرِ (م ٤) عن أبى هريرة .

٤١٣٨ — نَهَى عَنْ بَيْعِ النَّخْلِ حَتَّى يَزْهُوَ ، وَعَنِ السُّنْبُلِ حَتَّى يَبْيَضَّ ، وَيَأْمَنَ الْعَاهَةَ (م د ت) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٤١٣٩ — نَهَى عَنْ بَيْعِ الثِّمَارِ حَتَّى تَنْجُوَ مِنَ الْعَاهَةِ (طب) عن زيد بن ثابت رضى الله عنه .

٤١٤٠ — نَهَى عَنْ بَيْعِ التَّمْرِ بِالتَّمْرِ كَيْلاً ، وَعَنْ بَيْعِ العِنَبِ بِالزَّبِيبِ كَيْلاً ، وَعَنْ بَيْعِ الزَّرْعِ بِالْحِنْطَةِ كَيْلاً (د) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٤١٤١ — نَهَى عَنْ بَيْعِ المُضْطَرِّ ، وَبَيْعِ الغَرَرِ ، وَبَيْعِ الثَّمَرَةِ قَبْلَ أَنْ تُدْرِكَ (حم د) عن علىّ عليه السلام .

٤١٤٢ — نَهَى عَنْ بَيْعِ العُرْبَانِ (حم د ه) عن ابن عمرو .

٤١٤٣ — نَهَى عَنْ بَيْعِ الشَّاةِ بِاللَّحْمِ (ك هق) عن سَمُرة رضى الله عنه .

٤١٤٤ — نَهَى عَنْ بَيْعِ المَضَامِينِ ، وَالمَلَاقِيحِ ، وَحَبَلِ الْحَبَلَةِ (طب) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٤١٤٥ — نَهَى عَنْ بَيْعِ الطَّعَامِ حَتَّى يَجْرِىَ فِيهِ الصَّاعَانِ ، فَيَكُونَ لِصَاحِبِهِ الزِّيَادَةُ ، وَعَلَيْهِ النُّقْصَانُ (البزار) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٤١٤٦ — نَهَى عَنْ بَيْعِ المُحَفَّلَاتِ (البزار) عن أنس رضى الله عنه .

٤١٤٧ — نَهَى عَنْ بَيْعَتَيْنِ فِى بَيْعَةٍ (ت ن) عن أبى هريرة .

٤١٤٨ — نَهَى عَنْ تَلَقِّى البُيُوعِ (ت ه) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

٤١٤٩ — نَهَى عَنْ ثَمَنِ الكَلْبِ ، وَعَنْ ثَمَنِ السِّنَّوْرِ (حم ٤ ك) عن جابر رضى الله عنه .

٤١٥٠ — نَهَى عَنْ ثَمَنِ الكَلْبِ إِلاَّ الكَلْبَ المُعَلَّمَ (حم ن) عنه .

٤١٥١ — نَهَى عَنْ ثَمَنِ الكَلْبِ ، وَعَنْ ثَمَنِ الدَّمِ ، وَكَسْبِ البَغِىِّ (خ) عن أبى جُحيفة رضى الله عنه .

٤١٥٢ — نَهَى عَنْ ثَمَنِ الكَلْبِ ، وَمَهْرِ البَغِىِّ ، وَحُلْوَانِ الكَاهِنِ (ق ٤) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

٤١٥٣ — نَهَى عَنْ جُلودِ[1] السِّبَاعِ (ك) عن والدِ أبي المَليح .

٤١٥٤ — نَهَى عَنْ خَاتَمِ الذَّهَبِ (م) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

٤١٥٥ — نَهَى عَنْ سَبِّ الأَمْوَاتِ (ك) عن زيد بن أرقم رضى الله عنه .

٤١٥٦ — نَهَى عَنْ سَبِّ الدِّيكِ (البزار طب) عن ابن مسعود .

٤١٥٧ — نَهَى عَنْ سَلَفٍ وَبَيْعٍ ، وَشَرْطَيْنِ فِي بَيْعٍ ، وَبَيْعِ مَا لَيْسَ عِنْدَكَ ، وَرِبْحِ مَالَمْ تَضْمَنْ (طب) عن حكيم بن حِزام رضى الله عنه .

٤١٥٨ — نَهَى عَنْ شَرِيطَةِ[2] الشَّيْطَانِ (د) عن ابن عباس وأبي هريرة .

٤١٥٩ — نَهَى عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَرَفَةَ بِعَرَفَةَ (حم د ن ه وابن خزيمة ك) عن أبي هريرة (طس) عن عائشة رضى الله عنهما .

٤١٦٠ — نَهَى عَنْ صَوْمِ يَوْمِ الفِطْرِ وَالنَّحْرِ (ق) عن عمر ، وعن أبي سعيد رضى الله عنهما .

٤١٦١ — نَهَى عَنْ صِيَامِ يَوْمٍ قَبْلَ رَمَضَانَ ، وَالأَضْحَى ، وَالفِطْرِ ، وَأَيَّامِ التَّشْرِيقِ (هق) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

٤١٦٢ — نَهَى عَنْ صِيَامِ يَوْمِ الجُمُعَةِ (حم ق ه) عن جابر .

٤١٦٣ — نَهَى عَنْ طَعَامِ المُتَبَارِيَيْنِ[3] أَنْ يُؤْكَلَ (د ك) عن ابن عباس.

---

(١) « نهى عن جلود السباع ولو دبغت » لأن أكل السباع حرام ، وماحرم أكله ، لاينتفع بجلده .

(٢) « نهى عن شريطة الشيطان » فى الذبح بأن يمر بالسكين على عنق الذبيحة مراخفيفا فلا يفرى الأوداج . كذبح الجاهلية .

(٣) « نهى عن طعام المتباريين » وهما اللذان يقدمان الطعام لابقصد إطعام المحتاج . ولابقصد التقرب إلى الله ولكن بقصد التباهى والمغالبة إيهما يكون أكثر طعاما وأنواعا.

٤١٦٤ — نَهَى عَنْ عَسَبِ الفَحْلِ (حم خ ٣) عن ابن عمر .

٤١٦٥ — نَهَى عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ ، وَالصِّبْيَانِ (ق) عنه رضى الله عنهما .

٤١٦٦ — نَهَى عَنْ قَتْلِ أَرْبَعٍ مِنَ الدَّوَابِّ : النَّمْلَةُ ، وَالنَّحْلَةُ ، وَالهُدْهُدُ ، وَالصُّرَدُ[1] (حم د ه حب) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٤١٦٧ — نَهَى عَنْ قَتْلِ الصَّبْرِ (د) عن أبى أيوب رضى الله عنه .

٤١٦٨ — نَهَى عَنْ قَتْلِ الضِّفْدَعِ لِلدَّوَاءِ (حم د ن ك) عن عبد الرحمن ابن عثمان التيمى رضى الله عنه .

٤١٦٩ — نَهَى عَنْ قَتْلِ الجِنَّانِ التِي تَكُونُ فِى البُيُوتِ إِلاَّ الأَبْتَرَ ، وَذَا الطُّفْيَتَيْنِ ، فَإِنَّهُمَا اللَّذَانِ يَخْطِفَانِ البَصَرَ ، وَيَتَبَعَانِ مَا فِى بُطُونِ النِّسَاءِ (م د) عن أبى لُبابة رضى الله عنه .

٤١٧٠ — نَهَى عَنْ كَسْبِ[2] الإِمَاءِ (خ د) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٤١٧١ — نَهَى عَنْ كُلِّ مُسْكِرٍ وَمُفَتِّرٍ (حم د) عن أم سلمة .

٤١٧٢ — نَهَى عَنْ لَبَنِ الجَلاَّلَةِ (د ك) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٤١٧٣ — نَهَى عَنْ لُقَطَةِ الحَاجِّ (حم م د) عن عبد الرحمن بن عثمان التيمى رضى الله عنه .

٤١٧٤ — نَهَى عَنْ مَحَاشِّ النِّسَاءِ (طس) عن جابر رضى الله عنه .

٤١٧٥ — نَهَى عَنْ نَتْفِ الشَّيْبِ (ت ن ه) عن ابن عمرو .

٤١٧٦ — نَهَى عَنْ نَقْرَةِ الغُرَابِ ، وَافْتِرَاشِ السَّبُعِ ، وَأَنْ يُوَطِّنَ

---

(١) « نهى عن قتل الصرد » نوع من الطير أشبه بالخطاف .

(٢) وفى رواية رافع : حتى يعلم من أين هو ، وفى أخرى إلا ما عملت بيدها .

الرَّجُلُ المَكَانَ فِي المَسْجِدِ ، كَمَا يُوَطِّنُ البَعِيرُ (حم د ن ه ك) عن عبد الرحمن بن شِبْل رضى الله عنه .

٤١٧٧ — نَهَى أَنْ نَشْرَبَ فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ ، وَأَنْ نَأْكُلَ فِيهَا ، وَعَنْ لُبْسِ الحَرِيرِ ، وَالدِّيبَاجِ ، وَأَنْ نَجْلِسَ عَلَيْهِ (خ) عن حُذيفة رضى الله عنه .

٤١٧٨ — نَهَى أَنْ نَشْتَرِيَ الثَّمَرَةَ حَتَّى تُطْعِمَ (ك) عن ابن عباس .

٤١٧٩ — نَهَى أَنْ يَتَبَاهَى النَّاسُ فِي المَسَاجِدِ (حب) عن أنس .

٤١٨٠ — نَهَى أَنْ يَشْرَبَ الرَّجُلُ قَائِمًا (م د ت) عنه رضى الله عنه .

٤١٨١ — نَهَى أَنْ يَتَزَعْفَرَ[1] الرَّجُلُ (ق ٣) عنه رضى الله عنه .

٤١٨٢ — نَهَى أَنْ تُصْبَرَ البَهَائِمُ (ق د ن ه) عنه رضى الله عنه .

٤١٨٣ — نَهَى أَنْ يُبَالَ فِي المَاءِ الرَّاكِدِ (م ن ه) عن جابر .

٤١٨٤ — نَهَى أَنْ يَجْلِسَ الرَّجُلُ بَيْنَ الضَّحِّ وَالظِّلِّ ، وَقَالَ : مَجْلِسُ الشَّيْطَانِ (حم) عن صحابى رضى الله عنه .

٤١٨٥ — نَهَى أَنْ يَجْلِسَ الرَّجُلُ بَيْنَ الظِّلِّ وَالشَّمْسِ (ك) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٤١٨٦ — نَهَى أَنْ يُصَلِّيَ الرَّجُلُ مُخْتَصِرًا (م ت) عنه رضى الله عنه .

٤١٨٧ — نَهَى أَنْ يُصَلِّيَ الرَّجُلُ فِي لِحَافٍ لَا يَتَوَشَّحُ بِهِ ، وَنَهَى أَنْ يُصَلِّيَ الرَّجُلُ فِي سَرَاوِيلَ ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ رِدَاءٌ (د ك) عن بُريدة .

---

(١) «نهى أن يتزعفر الرجل» أى لا يصبغ به شعره ، لأنه طيب النساء . وحديث حمروا أى بالحناء . وصفروا أى بالورس . وهو نبات أصفر باليمن ، يصبغ به الشعر .

٤١٨٨ — نَهَى أَنْ يُتَعَاطَى السَّيْفُ مَسْلُولاً (حم د ت ك) عن جابر .

٤١٨٩ — نَهَى أَنْ يُسْتَنْجَى بِبَعْرَةٍ ، أَوْ عَظْمٍ (حم م د) عنه .

٤١٩٠ — نَهَى أَنْ يُقْعَدَ[1] عَلَى الْقَبْرِ ، وَأَنْ يُجَصَّصَ ، أَوْ يُبْنَى عَلَيْهِ (حم م د ن) عنه رضى الله عنه .

٤١٩١ — نَهَى أَنْ يَطْرُقَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ لَيْلاً (ق) عنه رضى الله عنه .

٤١٩٢ — نَهَى أَنْ يُقْتَلَ شَيْءٌ مِنَ الدَّوَابِّ صَبْراً (حم م ٥) عنه .

٤١٩٣ — نَهَى أَنْ يُدْخَلَ الْمَاءَ إِلاَّ بِإِزَارٍ (ك) عنه .

٤١٩٤ — نَهَى أَنْ يَمَسَّ الرَّجُلُ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ ، وَأَنْ يَمْشِيَ فِي نَعْلٍ وَاحِدَةٍ ، وَأَنْ يَشْتَمِلَ الصَّمَّاءَ ، وَأَنْ يَحْتَبِيَ فِي ثَوْبٍ لَيْسَ عَلَى فَرْجِهِ مِنْهُ شَيْءٌ (ن) عنه رضى الله عنه .

٤١٩٥ — نَهَى أَنْ يُبَالَ فِي[2] الْمَاءِ الْجَارِي (طس) عنه رضى الله عنه .

٤١٩٦ — نَهَى أَنْ يُقَامَ الرَّجُلُ مِنْ مَقْعَدِهِ ، وَيَجْلِسُ فِيهِ آخَرُ (خ) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

---

(١) « نهى أن يقعد على القبر » لأن القعود عليه قعود على الميت المدفون فيه . وهو حرام . أما القعود على قبة مبنية على قبر ، فلا يدخل فى النهى ، لأنها بمثابة غرفة بنيت فوق أخرى ، أما النهى عن تجصيص القبر ، فلانه ترفه لا يليق . وأما النهى عن البناء على القبر فذاك محله فى المقبرة العامة لأنها وقف على موتى المسلمين . لكن لو دفن الميت فى ملكه الخاص . جاز البناء على قبره . وقيل اراد بالقعود لقضاء الحاجة من الحدث . وقيل للاحداد والحزن . وهو ان يلازمه ولا يرجع عنه . وروى أنه رأى رجلا متكأ على قبر فقال لا تؤذ صاحب القبر . والله أعلم .

(٢) « نهى عن البول فى الماء الجارى » للاستقذار لا للتنجيس .

٤١٩٧ — نَهَى أَنْ يُسَافَرَ بِالقُرْآنِ إِلَى أَرْضِ العَدُوِّ (ق د ه) عنه .

٤١٩٨ — نَهَى أَنْ يُبَالَ فِي الجُحْرِ (حم د ن ك) عن عبد الله ابن سَرْجِس رضى الله عنه .

٤١٩٩ — نَهَى أَنْ يَسْتَنْجِيَ أَحَدٌ بِعَظْمٍ ، أَوْ رَوْثَةٍ ، أَوْ حُمَمَةٍ (د قط هق) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

٤٢٠٠ — نَهَى أَنْ يَبُولَ الرَّجُلُ فِي مُسْتَحَمِّهِ (حم ت ن ه) عن عبد الله بن مغفّل رضى الله عنه .

٤٢٠١ — نَهَى أَنْ يُقَدَّ السَّيْرُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ (د ك) عن سَمُرة .

٤٢٠٢ — نَهَى أَنْ يُضَحَّى بِعَضْبَاءِ الأُذُنِ ، وَالقَرْنِ (حم ع ك) عن عليّ عليه السلام .

٤٢٠٣ — نَهَى أَنْ تُكْسَرَ سِكَّةُ المُسْلِمِينَ الجَائِزَةُ بَيْنَهُمْ ، إِلاَّ مِنْ بَأْسٍ (حم د ه ك) عن عبد الله المزنى رضى الله عنه

٤٢٠٤ — نَهَى أَنْ يُتَنَفَّسَ فِي الإِنَاءِ ، أَوْ يُنْفَخَ فِيهِ (حم د ت ه) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٤٢٠٥ — نَهَى أَنْ يُتَّخَذَ شَيْءٌ فِيهِ الرُّوحُ غَرَضاً (حم ت ن) عنه .

٤٢٠٦ — نَهَى أَنْ يَجْمَعَ أَحَدٌ بَيْنَ اسْمِهِ وَكُنْيَتِهِ (ت) عن أبى هريرة .

٤٢٠٧ — نَهَى أَنْ يُقَامَ عَنِ[1] الطَّعَامِ حَتَّى يُرْفَعَ (ه) عن عائشة .

---

(١) « نهى أن يقام عن الطعام حتى يرفع » نهى تنزيه. لا تحريم . لأن القيام عن الطعام قد يفيد الاعراض عنه . والاعراض عن النعمة سوء أدب مع المنعم . وقد يخجل بعض الناس فيقوم الآخر الخ .

٤٢٠٨ — نَهَى أَنْ يَمْشِيَ الرَّجُلُ بَيْنَ الْمَرْأَتَيْنِ (د ك) عن ابن عُمر .

٤٢٠٩ — نَهَى أَنْ يُصَلِّيَ الرَّجُلُ وَهُوَ حَاقِنٌ (٥) عن أبي أُمامة .

٤٢١٠ — نَهَى أَنْ يَبُولَ الرَّجُلُ قَائِمًا (٥) عن جابر رضى الله عنه .

٤٢١١ — نَهَى أَنْ يُخْصَى أَحَدٌ مِنْ وَلَدِ آدَمَ (طب) عن ابن مسعود .

٤٢١٢ — نَهَى أَنْ يَجْلِسَ الرَّجُلُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ إِلاَّ بِإِذْنِهِمَا (هق) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

* * *

حرف الهاء

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

٤٢١٣ — هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى ؟ إِنِّي لَأَرَى مَوَاقِعَ الْفِتَنِ خِلاَلَ بُيُوتِكُمْ كَمَوَاقِعِ الْقَطْرِ (حم ق) عن أُسامة رضى الله عنه .

٤٢١٤ — هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلاَّ بِضُعَفَائِكُمْ (خ) عن سعد .

٤٢١٥ — هَلْ تَدْرُونَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ؟ الْفُقَرَاءُ الْمُهَاجِرُونَ الَّذِينَ تُسَدُّ بِهِمُ الثُّغُورُ ، وَتُتَّقَى بِهِمُ الْمَكَارِهُ ، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ ، وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ لاَ يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ مَلاَئِكَتِهِ : ائْتُوهُمْ فَحَيُّوهُمْ ، فَتَقُولُ الْمَلاَئِكَةُ : رَبَّنَا نَحْنُ سُكَّانُ سَمَائِكَ وَخِيرَتُكَ مِنْ خَلْقِكَ[1] ، أَفَتَأْمُرُنَا أَنْ نَأْتِيَ هَؤُلاَءِ فَنُسَلِّمَ

---

(١) فيه دليل على أن الملائكة أفضل من فضلاء الصحابة ، وهو الحق .

عَلَيْهِمْ ؟ قَالَ : إِنَّهُمْ كَانُوا عِبَاداً يَعْبُدُونَنِي ، وَلاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً ، وَتُسَدُّ بِهِمُ الثُّغُورُ ، وَتُتَّقَى بِهِمُ الْمَكَارِهُ ، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ ، وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ لاَ يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً ، فَتَأْتِيهِمُ الْمَلاَئِكَةُ عِنْدَ ذَلِكَ فَيَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ : سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ ، فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (حم والبزار حب) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

٤٢١٦ — هٰذَا[1] حَجَرٌ أَرْسَلَهُ اللهُ فِي جَهَنَّمَ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفاً فَالآنَ حِينَ انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا (م) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

٤٢١٧ — هٰذَا أَوَّلُ طَعَامٍ أَكَلَهُ أَبُوكِ مُنْذُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ[2] (حم طب) عن أنس رضى الله عنه .

٤٢١٨ — هٰذَا خَيْرٌ[3] مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِثْلِ هٰذَا (ق) عن سهل ابن سعد رضى الله عنه .

٤٢١٩ — هٰذَانِ رَجُلاَنِ يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا عَذَاباً شَدِيداً فِي ذَنْبٍ هَيِّنٍ ، كَانَ أَحَدُهُمَا لاَ يَسْتَنْزِهُ مِنَ الْبَوْلِ ، وَكَانَ الآخَرُ يُؤْذِي النَّاسَ بِلِسَانِهِ ، وَيَمْشِي بَيْنَهُمْ بِالنَّمِيمَةِ (حب) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

٤٢٢٠ — هَلاَكُ أُمَّتِي عَلَى يَدَيْ غِلْمَةٍ[4] مِنْ قُرَيْشٍ (حم خ) عنه .

---

(١) قال حين سمع الصحابة هدة شديدة .

(٢) قاله لفاطمة عليها السلام حين أتته بطعام أنضجته فى بيتها .

(٣) « هذا » الرجل الفقير الخامل « خير من ملء الأرض مثل هذا » الغنى المشهور . والخطاب لأبى ذر . وناهيك به من فاضل زاهد .

(٤) « هلاك امتى على يدغلمة من قريش » مثل يزيد بن معاوية . والوليد بن عبد الملك بن مروان الخ .

٤٢٢١ — هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ (حم م د) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

٤٢٢٢ — هَلَكَتِ الرِّجَالُ حِينَ أَطَاعَتِ النِّسَاءَ (حم طب ك) عن أبى بكرة رضى الله عنه .

٤٢٢٣ — هَلُمَّ إِلَى الغِذَاءِ الْمُبَارَكِ - يَعْنِي السَّحُورَ - (د ن وابن خزيمة حب) عن العِرْباض بن سارية رضى الله عنه .

٤٢٢٤ — هَلُمَّ إِلَى جِهَادٍ لاَ شَوْكَةَ فِيهِ : الْحَجُّ (طب) عن الحسين ابن علىّ عليهما السلام .

٤٢٢٥ — هُمْ إِخْوَانُكُمْ جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ ، فَمَنْ جَعَلَ اللهُ أَخَاهُ تَحْتَ يَدِهِ ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ ، وَلاَ يُكَلِّفْهُ مِنَ الْعَمَلِ مَا يَغْلِبُهُ ، فَإِنْ كَلَّفَهُ مَا يَغْلِبُهُ ، فَلْيُعِنْهُ عَلَيْهِ (ق ت) عن أبى ذر رضى الله عنه .

٤٢٢٦ — هُمُ الْقَوْمُ لاَ يَشْقَى[1] بِهِمْ جَلِيسُهُمْ (ق) عن أبى هريرة (طص) عن ابن عباس رضى الله عنهم .

٤٢٢٧ — هِيَ اللُّوطِيَّةُ الصُّغْرَى - يَعْنِي الرَّجُلَ يَأْتِي امْرَأَتَهُ فِي دُبُرِهَا (حم والبزار) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

* * *

---

(١) « هم القوم لا يشقى بهم جليسهم » يقصد الذاكرين الله بأخلاص المراقبين الله فى سرهم وعلانيتهم . يسرى حالهم فى جليسهم، فيقوم من مجلسهم وقد سعد باطنا وظاهرا وحالا ومآلا .

حرف الواو

قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

٤٢٢٨ — وَاللهِ مَا الدُّنْيَا فى الآخِرَةِ إلاَّ مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ أُصْبُعَهُ هٰذِهِ فى اليَمِّ فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ ؟ (حم م ٥) عن المُسْتَوْرِد أخى بنى فهر .

٤٢٢٩ — وَاللهِ لَأَنْ يُهْدَى بِهُدَاكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ ، خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ (د) عن سهل بن سعد رضى الله عنه .

٤٢٣٠ — وَاللهِ لاَ يُلْقِى اللهُ حَبِيبَهُ فى النَّارِ (ك) عن أنس رضى الله عنه

٤٢٣١ — وَاللهِ إنِّى لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فى اليَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً (خ) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٤٢٣٢ — وَاللهِ لاَ تَجِدُونَ بَعْدِى أَعْدَلَ عَلَيْكُمْ مِنِّى (طب ك) عن أبى هريرة (حم) عن أبى سعيد رضى الله عنهما .

٤٢٣٣ — وَاللهِ لَيَبْعَثَنَّهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ — يَعْنِى الحَجَرَ — لَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا ، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ . يَشْهَدُ عَلَى مَنِ اسْتَلَمَهُ بِحَقٍّ (ت وابن خزيمة) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٤٢٣٤ — وَاللهِ لَيَنْزِلَنَّ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَماً عَدْلاً ، فَلَيَكْسِرَنَّ الصَّلِيبَ وَلَيَقْتُلَنَّ الخِنْزِيرَ ، وَلَيَضَعَنَّ الجِزْيَةَ ، وَلَتُتْرَكَنَّ القِلاَصُ فَلاَ يُسْعَى عَلَيْهَا وَلَتَذْهَبَنَّ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ ، وَلَيَدْعُوَنَّ إِلَى المَالِ فَلاَ يَقْبَلُهُ أَحَدٌ (حم م حب) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٤٢٣٥ — وَاللهِ لاَ يُؤْمِنُ ، وَاللهِ لاَ يُؤْمِنُ ، وَاللهِ لاَ يُؤْمِنُ الَّذِى لا يَأْمَنُ

جَارُهُ بَوَائِقَهُ (حم ق) عن أبى هريرة (خ) عن أبى شريح الكعبى .

٤٢٣٦ — وَاللهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ هٰذَا[1] عَلَيْكُمْ (م) عن جابر رضى الله عنه .

٤٢٣٧ — وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابنُ مَرْيَمَ حَكَماً عَدْلاً ، فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ ، وَيَقْتُلُ الخِنْزِيرَ ، وَيَضَعُ الجِزْيَةَ ، وَيَفِيضُ المَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ ، حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا (ش ق ت ه) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٤٢٣٨ — وَالَّذِى نَفْسُ أَبِى القَاسِمِ بِيَدِهِ لَيَنْزِلَنَّ عِيسَى بنُ مُرْيَمَ إِمَاماً مُقْسِطاً ، وَحَكَماً عَدْلاً ، فَلَيَكْسِرَنَّ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلَنَّ الخِنْزِيرَ وَلَيُصْلِحَنَّ ذَاتَ البَيْنِ وَلَيُذْهِبَنَّ الشَّحْنَاءَ وَلَيَعْرِضَنَّ المَالَ فَلَا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ . ثُمَّ لَئِنْ قَامَ عَلَى قَبْرِى فَقَالَ . يَا مُحَمَّدُ لَاجَبْتُهُ (ع) عن أبى هريرة .

٤٢٣٩ — وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنْ أُغْزَوَ فِى سَبِيلِ اللهِ فَأُقْتَلَ ، ثُمَّ أُغْزَوَ فَأُقْتَلَ ، ثُمَّ أُغْزَوَ فَأُقْتَلَ (ق) عن أبى هريرة .

٤٢٤٠ — وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَذْهَبَ بِهِ إِلَى الجَبَلِ فَيَحْتَطِبَ ثُمَّ يَأْتِيَ فَيَحْمِلَهُ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَأْكُلَ ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ ، وَلَأَنْ يَأْخُذَ تُرَاباً فَيَجْعَلَهُ فِى فِيهِ ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْعَلَ فِى فِيهِ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ (حم) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٤٢٤١ — وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ مَا يَسُرُّنِى أَنَّ أُحُداً تَحَوَّلَ لِآلِ محمدٍ ذَهَباً

---

(١) أشار إلى جدى ميت فوق مزبلة .

أُنْفِقُهُ فى سَبِيلِ اللهِ ، أَمُوتُ يَوْمَ أَمُوتُ أَدَعُ مِنْهُ دِينَارَيْنِ إِلاَّ دِينَارَيْنِ أُعِدُّهُمَا لِدَيْنٍ إِنْ كَانَ (حم ع) عن أبى ذر رضى الله عنه .

٤٢٤٢ — وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَوْ قُتِلَ رَجُلٌ فى سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ عاشَ ، ثُمَّ قُتِلَ ثُمَّ عاشَ ، ثُمَّ قُتِلَ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ مَا دَخَلَ الْجَنَّةَ حَتَّى يُقْضَى دَيْنُهُ (ن طس ك) عن محمد بن عبد الله بن جحش رضى الله عنه .

٤٢٤٣ — وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٤٢٤٤ — وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَتُسْئَلُنَّ عَنْ هٰذَا[1] النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (م ت) عنه .

٤٢٤٥ — وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَوْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً ، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً . قِيلَ : مَا رَأَيْتَ ؟ قَالَ : رَأَيْتُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ (م ع) عن أنس رضى الله عنه .

٤٢٤٦ — وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ إِنَّ السَّقْطَ لَيَجُرُّ أُمَّهُ بِسَرَرِهِ إِلَى الْجَنَّةِ إِذَا احْتَسَبَتْهُ (حم) عن معاذ رضى الله عنه .

٤٢٤٧ — وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يَسْمَعُ بِى أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِىٌّ وَلاَ نَصْرَانِىٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِى أُرْسِلْتُ بِهِ إِلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٤٢٤٨ — وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ ،

---

(١) أشار إلى لحم مشوى وتمر وظل وماء بارد .

أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ (ت) عن حذيفة رضى الله عنه .

٤٢٤٩ — وَعِزَّتِي لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ وَأَمْنَيْنِ ، إِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَإِذَا أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفْتُهُ فِي الْآخِرَةِ (حب) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٤٢٥٠ — وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَأُ مِنَ الْبُخْلِ ؟ (ك) عن أبى هريرة (حم ق) عن جابر رضى الله عنهما .

٤٢٥١ — وَأَيُّ وَضُوءٍ أَفْضَلُ مِنَ الْغُسْلِ (ك) عن ابن عمر .

٤٢٥٢ — وَدِدْتُ أَنِّي رَأَيْتُ إِخْوَانِي : الَّذِينَ آمَنُوا بِي وَلَمْ يَرَوْنِي (حم) عن أنس رضى الله عنه .

٤٢٥٣ — وَدِدْتُ أَنَّهَا فِي قَلْبِ كُلِّ مُؤْمِنٍ — يَعْنِي تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ — (ك) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٤٢٥٤ — وَسِّطُوا الْإِمَامَ وَسُدُّوا الْخَلَلَ (د) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٤٢٥٥ — وَصَبُّ الْمُؤْمِنِ كَفَّارَةٌ لِخَطَايَاهُ (ك هب) عن بن عباس .

٤٢٥٦ — وَفْدُ اللهِ ثَلَاثَةٌ : الْغَازِي ، وَالْحَاجُّ ، وَالْمُعْتَمِرُ (ن وابن خزيمة حب ك) عن بن عباس رضى الله عنهما .

٤٢٥٧ — وَلَدُ الرَّجُلِ مِنْ كَسْبِهِ ، مِنْ أَطْيَبِ كَسْبِهِ ، فَكُلُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ (د ك) عن عائشة رضى الله عنها .

٤٢٥٨ — وُلِدَ لِي اللَّيْلَةَ غُلَامٌ فَسَمَّيْتُهُ بِاسْمِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ (حم ق د) عن أنس رضى الله عنه .

٤٢٥٩ — وَلَدُ نُوحٍ ثَلَاثَةٌ : سَامٌ ، وَحَامٌ ، وَيَافِثُ (حم ك) عن سَمُرة .

٤٢٦٠ — وَيْحَ عَمَّارٍ تَقْتُلُهُ الفِئَةُ الباغِيَةُ يَدْعُوهُمْ إِلَى الجَنَّةِ ، وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ (حم خ) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

٤٢٦١ — وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ (ق د ن ه) عن ابن عمرو (حم ق ت ه) عن أبى هريرة رضى الله عنهما .

٤٢٦٢ — وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ ، وَبُطُونِ الأَقْدَامِ مِنَ النَّارِ (حم ك) عن عبد الله بن الحارث رضى الله عنه .

٤٢٦٣ — وَيْلٌ لِلْأُمَرَاءِ وَيْلٌ لِلعُرَفَاءِ ، وَيْلٌ لِلْأُمَنَاءِ ، لَيَتَمَنَّيَنَّ أَقْوَامٌ يَوْمَ القِيَامَةِ أَنَّ ذَوَائِبَهُمْ مُعَلَّقَةٌ بِالثُّرَيَّا ، يُدَلُّونَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ، وَأَنَّهُمْ لَمْ يَلُوا عَمَلاً (حم حب ك) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٤٢٦٤ — وَيْلٌ لِلنِّسَاءِ مِنَ الأَحْمَرَيْنِ : الذَّهَبُ ، وَالمُعَصْفَرُ (حب) عنه.

٤٢٦٥ — وَيْلٌ لِلعَرَبِ (١) مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ أَفْلَحَ مَنْ كَفَّ يَدَهُ (د ك) عنه رضى الله عنه .

٤٢٦٦ — وَيْلٌ لِلَّذِى يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ القَوْمَ ، وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهُ (حم ٣ ك) عن معاوية بن حَيْدة رضى الله عنه .

٤٢٦٧ — وَمَا أَنْكَرْتَ مِنْ (٢) ذَلِكَ ؟ لَيْسَ أَحَدٌ أَفْضَلَ عِنْدَ اللهِ عَزَّ

---

(١) « ويل للعرب من شر قد اقترب » هو الخلاف الذى نشأ وينشأ عنه فتن وحروب بينهم الخ .

(٢) أسلم ثلاثة نفر من بنى عذرة فقال النبى صلى الله عليه وسلم « من يكفيهم » قال طلحة : أنا ، فكانوا عنده. فبعث النبى صلى الله عليه وسلم بعثا فخرج فيه أحدهم =

وَجَلَّ مِنْ مُؤْمِنٍ يُعَمَّرُ فِي الإِسْلَامِ لِتَسْبِيحِهِ ، وَتَكْبِيرِهِ ، وَتَهْلِيلِهِ (حم ع) عن طلحة رضى الله عنه .

٤٢٦٨ — الْوَاحِدُ شَيْطَانٌ ، وَالاثْنَانِ شَيْطَانَانِ ، وَالثَّلَاثَةُ رَكْبٌ (ك) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٤٢٦٩ — الْوَالِدُ أَوْسَطُ[1] أَبْوَابِ الْجَنَّةِ (حم ت ه حب ك) عن عن أبى الدرداء رضى الله عنه .

٤٢٧٠ — الْوِتْرُ حَقٌّ ، فَمَنْ لَمْ يُوتِرْ فَلَيْسَ مِنَّا (حم د ك) عن بُريدة رضى الله عنها .

٤٢٧١ — الْوِتْرُ رَكْعَةٌ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ (م د ن) عن ابن عمر (حم طب) عن ابن عباس رضى الله عنهم .

٤٢٧٢ — الْوُرُودُ الدُّخُولُ لَا يَبْقَى بَرٌّ ، وَلَا فَاجِرٌ ، إِلَّا دَخَلَهَا ، فَتَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بَرْداً وَسَلَاماً ، كَمَا كَانَتْ عَلَى إِبْرَاهِيمَ . حَتَّى إِنَّ

= فاستشهد، ثم بعث بعثا ، فخرج آخر فيه ، فاستشهد. ثم مات الثالث على فراشه. قال طلحة : فرأيت الثلاثة فى الجنة ، فرأيت الميت على فراشه أمامهم ، ورأيت الذى استشهدا أخيرا يليه ، ورأيت أو لهم آخرهم .فداخلنى من ذلك شك ، فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم فأخبرته . فقال « وما أنكرت من ذلك ؟ الحديث . وهو يدل على فضل طول عمر المسلم بكثرة طاعاته لله تعالى ، حتى أنه يسبق الشهيد . وهذا أحد أدلة السادة الصوفية لقولهم بتفضيل الولى على الشهيد .

(١) « الوالد » أى الشخص الوالد ، فيشمل الام أيضا. « أوسط أبواب الجنة » أى طاعة تؤدى إلى دخول الجنة من أوسط أبوابها وهو أفضلها . ومعنى هذا أن من يطع والديه ، لو دخل الجنة بعد استيفاء عقوبته بالنار . فإنه لا يدخلها من الباب المذكور ، بل من باب آخر دون الأوسط .

لِلنَّارِ ضَجِيجاً مِنْ بَرْدِهِمْ ، ثُمَّ يُنَجِّى اللهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا ، وَيَذَرُ الظَّالِمِينَ (حم هب) عن جابر رضى الله عنه .

٤٢٧٣ — الْوَزَغُ فُوَيْسِقٌ (ن حب) عن عائشة رضى الله عنها .

٤٢٧٤ — الْوَسِيلَةُ دَرَجَةٌ عِنْدَ اللهِ لَيْسَ فَوْقَهَا دَرَجَةٌ ، فَسَلُوا اللهَ أَنْ يُؤْتِيَنِي الْوَسِيلَةَ (حم) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

٤٢٧٥ — الْوُضُوءُ ، مِمَّا مَسَّتِ النَّارُ[1] (م) عن زيد بن ثابت .

٤٢٧٦ — الْوُضُوءُ مَرَّةً مَرَّةً (طب) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٤٢٧٧ — الْوَلاَءُ لِمَنْ أَعْطَى الْوَرِقَ[2] ، وَوَلِيَ النِّعْمَةَ (ق ٣) عن عائشة .

٤٢٧٨ — الْوَلاَءُ لِمَنْ أَعْتَقَ (حم طب) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٤٢٧٩ — الْوَلاَءُ لُحْمَةٌ ، كَلُحْمَةِ النَّسَبِ ، لاَ يُبَاعُ ، وَلاَ يُوهَبُ (طب) عن عبد الله بن أبى أوفى (ك هق) عن ابن عمر رضى الله عنهم .

٤٢٨٠ — الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ ، وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ (ق د ن ه) عن عائشة (حم ق ت ن ه) عن أبى هريرة (د) عن عثمان (ن) عن ابن مسعود ، وعن ابن الزبير (ه) عن عمر ، وعن أبى أمامة رضى الله عنهم .

* * *

---

(١) على سبيل الاستحباب .

(٢) « إذا اعتق الشخص عبدا أوأمة ، فإن الولاء له ، ومعنى الولاء أن العبد إذا مات وترك مالافإن سيده الذىاعتقه يرثه أن لم يكن له ورثة . أو يأخذ مابقى بعدالورثة تعصيباً . وإذا باع الشخص عبده انتقل ولاؤه لمن اشتراه . ولما أرادت السيدة عائشة رضى الله عنها أن تشترى بريدة لتعتقها ، شرط أسيادها أن يكون الولاء لهم . فاخبرت عائشة النبى صلى الله عليه وإله وسلم بذلك . فقال الولاء لمن أعطى الورق » أى الفضة « وولى النعمة » أى نعم بالعتق على المملوك الذى اشتراه بالفضة .

حرف لا

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

٤٢٨١ — لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هٰذِهِ ، وَحَلَّقَ بَيْنَ الإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا (ق) عن زينب بنت جحش رضى الله عنها .

٤٢٨٢ — لاَ آكُلُ وَأَنَا مُتَّكِئٌ (حم خ د ه) عن أبى جُحيفة .

٤٢٨٣ — لاَ إِسْعَادَ[1] فِي الإِسْلاَمِ ، وَلاَ عَقْرَ ، وَلاَ شِغَارَ فِي الإِسْلاَمِ ، وَلاَ جَلَبَ فِي الإِسْلاَمِ ، وَلاَ جَنَبَ ، وَمَنِ انْتَهَبَ فَلَيْسَ مِنَّا (حم ن حب) عن أنس رضى الله عنه .

٤٢٨٤ — لاَ أَشْتَرِى شَيْئًا لَيْسَ عِنْدِى ثَمَنُهُ (حم ك) عن ابن عباس .

٤٢٨٥ — لاَ اعْتِكَافَ[2] إِلاَّ بِصِيَامٍ (ك هق) عن عائشة رضى الله عنها .

٤٢٨٦ — لاَ إِيمَانَ لِمَنْ لاَ أَمَانَةَ لَهُ ، وَلاَ دِينَ لِمَنْ لاَ عَهْدَ لَهُ (حم ع حب هب) عن أنس رضى الله عنه .

---

(١) « لا اسعاد فى الإسلام » كان العرب فى الجاهلية إذا مات لأحدهم ميت ، ناحت عليه نائحات من الجيران والأصدقاء مجاملة لأهل الميت . فإذا مات لهؤلاء الجيران أو الأصدقاء أحد جاءت نائحات من أهل الميت الأول ، لاسعادهم فى النياحة. فلما جاء الاسلام وحرم النياحة ،حرم الاسعاد فيها فقال «لا أسعاد فى الاسلام» ولكنه مع شديد الاسف يوجد ذلك عندنا بمصر وغيرها . فإنا لله وأنا إليه راجعون .

(٢) « لا اعتكاف » كامل « إلا بصيام » فالاعتكاف يصح بدون صيام ، لكن الاكمل والأفضل مصاحبة الصيام له . وهذا لا يعارض الحديث السابق .

٤٢٨٧ — لاَ ، إِنَّ لِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، صُمْ رَمَضَانَ ، وَالَّذِى يَلِيهِ ، وَكُلَّ أَرْبِعَاءَ وَخَمِيسٍ ، فَإِذَنْ أَنْتَ قَدْ صُمْتَ الدَّهْرَ وَأَفْطَرْتَ (٣) عن عبيد الله بن مُسلم القرشى عن أبيه رضى الله عنهما .

٤٢٨٨ — لاَ تَأْتُوا الْكُهَّانَ (طب) عن معاوية بن الحَكَم .

٤٢٨٩ — لاَ تَأْتُوا النِّسَاءَ فِى أَسْتَاهِهِنَّ ، فَإِنَّ اللهَ لاَ يَسْتَحْيِى مِنَ الْحَقِّ (حم ت ن حب) عن علىّ بن طَلْق رضى الله عنه .

٤٢٩٠ — لاَ تَأْتِى مِائَةُ سَنَةٍ وَعَلَى الأَرْضِ نَفْسٌ مَنْفُوسَةٌ الْيَوْمَ[1] (م) عن أبى سعيد رضى الله عنه

٤٢٩١ — لاَ تَأْذَنُوا لِمَنْ لاَ يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ (هب والضياء) عن جابر .

٤٢٩٢ — لاَ تُؤْذُوا مُسْلِمًا بِشَتْمِ كَافِرٍ (ك هق) عن سعيد بن زيد .

٤٢٩٣ — لاَ تَأْكُلُوا بِالشِّمَالِ[2] ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِالشِّمَالِ (٥) عن جابر رضى الله عنه .

٤٢٩٤ — لاَ تُبَاشِرِ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ فَتَنْعَتَهَا لِزَوْجِهَا ، كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا (حم خ ت د) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

٤٢٩٥ — لاَ تَبَاغَضُوا ، وَلاَ تَدَابَرُوا ، وَلاَ تَنَافَسُوا ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

---

(١) يشير إلى انقراض الصحابة ، ومن هنا تبين كذب رتن الهندى وأمثاله ممن أدعوا الصحبة بعد المائة الثانية ، ولايشير إلى قيام الساعة كما فهم بعض المعاصرين خطأ.

(٢) كأكل المعاصرين اليوم نعوذ بالله من الفتن ماظهر منها ومابطن .

٤٢٩٦ — لاَ تَبْدَأُوا الْيَهُودَ ، وَلاَ النَّصَارَى بِالسَّلاَمِ ، وَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ فَاضْطَرُّوهُ إِلَى أَضْيَقِهِ (حم م د ت) عنه رضى الله عنه .

٤٢٩٧ — لاَ تُبْرِزْ فَخِذَكَ ، وَلاَ تَنْظُرْ إِلَى فَخِذِ حَيٍّ ، وَلاَ مَيِّتٍ (د ه ك) عن علىّ عليه السلام .

٤٢٩٨ — لاَ تُتْبَعُ الْجِنَازَةُ بِصَوْتٍ ، وَلاَ نَارٍ ، وَلاَ يُمْشَى بَيْنَ يَدَيْهَا (د) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٤٢٩٩ — لاَ تَتْرُكُوا النَّارَ فِي بُيُوتِكُمْ حِينَ تَنَامُونَ (حم ق د ت ه) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٤٣٠٠ — لاَ تَتَّخِذُوا شَيْئاً فِيهِ الرُّوحُ غَرَضاً (م ن ه) عن ابن عباس.

٤٣٠١ — لاَ تَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ (ت ه) عن خَبَّاب رضى الله عنه .

٤٣٠٢ — لاَ تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ ، وَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٤٣٠٣ — لاَ تُجَالِسُوا أَهْلَ الْقَدَرِ ، وَلاَ تُنَاكِحُوهُمْ (حم د ك) عن عمر رضى الله عنه .

٤٣٠٤ — لاَ تُجْزِىءُ صَلاَةٌ لاَ يُقِيمُ الرَّجُلُ فِيهَا صُلْبَهُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ (حم ن ه) عن أبى مسعود رضى الله عنه .

٤٣٠٥ — لاَ تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَفِرُّ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِى تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ (م ن ت) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٤٣٠٦ — لاَ تَجْلِسُوا بَيْنَ رَجُلَيْنِ إِلاَّ بِإِذْنِهِمَا (د) عن ابن عمر .

٤٣٠٧ — لاَ تَجْلِسُوا عَلَى الْقُبُورِ ، وَلاَ تُصَلُّوا إِلَيْهَا (حم م ٣) عن أبى مَرْثد رضى الله عنه .

٤٣٠٨ — لاَ تَجْنِي نَفْسٌ عَلَى أُخْرَى (ن ٥) عن أسامة بن شريك .

٤٣٠٩ — لاَ تَجُوزُ شَهَادَةُ ذِي الظِّنَّةِ ، وَلاَ ذِي الإِحْنَةِ (ك هق) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

٤٣١٠ — لاَ تُحَرِّمُ المَصَّةُ ، وَلاَ المَصَّتَانِ (حم م ٥) عن عائشة (ت حب) عن الزبير رضى الله عنهما .

٤٣١١ — لاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوفِ شَيْئاً ، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلِيقٍ (م) عن أبي ذر رضى الله عنه .

٤٣١٢ — لاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوفِ شَيْئاً وَلَوْ أَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ المُسْتَسْقِي ، وَلَوْ أَنْ تُكَلِّمَ أَخَاكَ وَوَجْهُكَ إِلَيْهِ مُنْبَسِطٌ ، وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الإِزَارِ فَإِنَّهُ مِنَ المَخِيلَةِ ، وَلاَ يُحِبُّهَا اللهُ ، وَإِنِ امْرُؤٌ شَتَمَكَ بِمَا يَعْلَمُ فِيكَ فَلاَ تَشْتِمْهُ بِمَا تَعْلَمُ فِيهِ ، فَإِنْ أَجْرَهُ لَكَ وَوَبَالَهُ عَلَى مَنْ قَالَهُ (د ت حب) عن أبي جُرَيّ الهجيمى .

٤٣١٣ — لاَ تَخُصُّوا لَيْلَةَ الجُمُعَةِ بِقِيَامٍ مِنْ بَيْنِ اللَّيَالِي ، وَلاَ تَخُصُّوا يَوْمَ الجُمُعَةِ بِصِيَامٍ مِنْ بَيْنِ الأَيَّامِ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ فِي صَوْمٍ يَصُومُهُ أَحَدُكُمْ (م ن) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

٤٣١٤ — لاَ تُخِيفُوا أَنْفُسَكُمْ بَعْدَ أَمْنِهَا ، قِيلَ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : الدَّيْنَ (حم ع ك هق) عن عقبة .

٤٣١٥ — لاَ تَدْخُلُ المَلاَئِكَةُ بَيْتاً فِيهِ جَرَسٌ (د) عن عائشة .

٤٣١٦ — لاَ تَدْخُلُ المَلاَئِكَةُ بَيْتاً فِيهِ كَلْبٌ وَلاَ صُورَةٌ (حم ق ت ن ٥) عن أبي طلحة رضى الله عنه .

٤٣١٧ — لاَ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا ، وَلاَ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا . أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ ؟ أَفْشُوا السَّلاَمَ بَيْنَكُمْ (م د ت ه) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

٤٣١٨ — لاَ تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلاَءِ الْمُعَذَّبِينَ إِلاَّ أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ ، فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ فَلاَ تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ ، لاَ يُصِيبُكُمْ مَا أَصَابَهُمْ (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٤٣١٩ — لاَ تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَلاَ تَدْعُوا عَلَى أَوْلاَدِكُمْ ، وَلاَ تَدْعُوا عَلَى خَدَمِكُمْ ، وَلاَ تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ ، لاَ تُوَافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ (م د وابن خزيمة) عن جابر رضى الله عنه .

٤٣٢٠ — لا تَذْبَحَنَّ ذَاتَ دَرٍّ (ت) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

٤٣٢١ — لا تَذْكُرُوا هَلْكَاكُمْ إِلاَّ بِخَيْرٍ (ن) عن عائشة رضى الله عنها

٤٣٢٢ — لا تَذْهَبِ الدُّنْيَا حَتَّى تَصِيرَ لِلُكَعَ ابْنِ لُكَعَ (حم) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

٤٣٢٣ — لا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّاراً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ (حم ق ن ه) عن جرير (حم خ د ن ه) عن ابن عمر (خ ن) عن أبي بكرة (خ ت) عن ابن عباس رضى الله عنهم .

٤٣٢٤ — لا تُرْسِلُوا مَوَاشِيَكُمْ إِذَا غَابَتِ الشَّمْسُ حَتَّى تَذْهَبَ فَحْمَةُ الْعِشَاءِ فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تُبْعَثُ إِذَا غَابَتِ الشَّمْسُ حَتَّى تَذْهَبَ فَحْمَةُ الْعِشَاءِ (م د) عن جابر رضى الله عنه .

٤٣٢٥ — لا تَرْفَعُوا أَبْصَارَكُمْ إلى السَّماءِ فَتُلْتَمَعُ[1] ، يَعْنِي فِي الصَّلاَةِ (٥ حب طب) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٤٣٢٦ — لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ (ق) عن المغيرة .

٤٣٢٧ — لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَوَّامَةً عَلَى أَمْرِ اللهِ لا يَضُرُّهَا مَنْ خَالَفَهَا (٥) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٤٣٢٨ — لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ، ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ (م حب) عن جابر رضى الله عنه .

٤٣٢٩ — لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ (ك) عن عمر رضى الله عنها .

٤٣٣٠ — لاَ تَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتَّى يَلْقَى اللهَ تَعَالَى ، وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ (ق ن) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٤٣٣١ — لاَ تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ ، اللهُ أَعْلَمُ بِأَهْلِ الْبِرِّ مِنْكُمْ (م د) عن زينب بنت أبى سلمة رضى الله عنها .

٤٣٣٢ — لاَ تَزَالُ أُمَّتِي بِخَيْرٍ مَالَمْ يَفْشُ فِيهِمْ وَلَدُ الزِّنَا ، فَإِذَا فَشَا فِيهِمْ وَلَدُ الزِّنَا ، فَأَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعَذَابٍ (حم) عن ميمونة .

٤٣٣٣ — لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ حَتَّى يُسْئَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ فِيهِ ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ ؟ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلاَهُ ؟ (ت) عن أبى برزة رضى الله عنه .

---

(١) يذهب نورها فلا تبصر .

٤٣٣٤ — لاَ تُسَافِرِ الْمَرْأَةُ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلا مَعَ ذِى مَحْرَمٍ (حم ق د) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٤٣٣٥ — لاَ تُسَافِرِ الْمَرْأَةُ إِلاَّ مَعَ ذِى مَحْرَمٍ ، وَلاَ يَدْخُلُ عَلَيْهَا رَجُلٌ إِلاَّ وَمَعَهَا مَحْرَمٌ (حم ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٤٣٣٦ — لاَ تَسُبُّوا الأَمْوَاتَ ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا (حم خ ن) عن عائشة رضى الله عنها .

٤٣٣٧ — لاَ تَسُبُّوا الأَمْوَاتَ ، فَتُؤْذُوا الأَحْيَاءَ (حم ت) عن المغيرة .

٤٣٣٨ — لاَ تَسُبُّوا الدَّهْرَ ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ (م) عن أبى هريرة .

٤٣٣٩ — لاَ تَسُبُّوا الدَّهْرَ ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَنَا الدَّهْرُ ، الأَيَّامُ وَاللَّيَالِى أُجَدِّدُهَا وأُبْلِيهَا ، وَآتِى بِمُلُوكٍ بَعْدَ مُلُوكٍ (هب) عنه .

٤٣٤٠ — لاَ تَسُبُّوا الدِّيكَ ، فَإِنَّهُ يُوقِظُ لِلصَّلاَةِ (د) عن زيد بن خالد (حب) بلفظ : يَدْعُو لِلصَّلاَةِ .

٤٣٤١ — لاَ تَسُبُّوا الرِّيحَ ، فَإِنَّهَا مِنْ رَوْحِ اللهِ تَعَالَى ، تَأْتِى بِالرَّحْمَةِ وَالعَذَابِ ، وَلَكِنْ سَلُوا اللهَ مِنْ خَيْرِهَا ، وَتَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ شَرِّهَا (حم ٥) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٤٣٤٢ — لاَ تَسُبِّ الْحُمَّى ، فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِى آدَمَ ، كَمَا يُذْهِبُ الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ (م) عن جابر رضى الله عنه .

٤٣٤٣ — لا تَسْتَبْطِئُوا الرِّزْقَ فإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَبْدٌ لِيَمُوتَ حتى يَبْلُغَ آخِرَ رِزْقٍ هُوَ لَهُ ، فَأَجْمِلُوا فى الطَّلَبِ : أَخْذُ الْحَلاَلِ ، وَتَرْكُ الْحَرَامِ (حب ك) عن جابر رضى الله عنه .

٤٣٤٤ — لا تَسْكُنِ الكُفُورَ ، فإنَّ ساكِنَ الكُفُورِ كساكِنِ القُبُورِ (حد هب) عن ثوبان رضى الله عنه .

٤٣٤٥ — لا تُسَمُّوا العِنَبَ الكَرْمَ ، وَلا تَقُولُوا : خَيْبَةَ الدَّهْرِ فإنَّ اللهَ هوَ الدَّهْرُ (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٤٣٤٦ — لا تَشْتَرِهِ[1] ، وَلا تَعُدْ فى صَدَقَتِكَ وَإنْ أعْطاكَهُ بِدِرْهَمٍ ، فَإنَّ العائِدَ فى صَدَقَتِهِ كَالعائِدِ فى قَيْئِهِ (ق) عن عمر رضى الله عنه .

٤٣٤٧ — لا تَشْتَرُوا السَّمَكَ فى الماءِ ، فإنَّهُ غَرَرٌ (حم هق) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

٤٣٤٨ — لا تُشَدُّ الرِّحالُ إلاَّ إلى ثَلاثَةِ مَساجِدَ : المَسْجِدُ الحَرامُ ، وَمَسْجِدِى هٰذَا ، وَالمَسْجِدِ الأقْصَى (حم ق د ن ه) عن أبى هريرة (حم ق ت ه) عن أبى سعيد (ه) عن ابن عمرو رضى الله عنهم.

٤٣٤٩ — لا تَشْرَبُو الخَمْرَ فَإنَّهُ مِفْتاحُ كُلِّ شَرٍّ (ه) عن أبى الدرداء

٤٣٥٠ — لا تَشِمَنَّ وَلا تَسْتَوْشِمَنَّ (خ ن) عن أبى هريرةِ .

٤٣٥١ — لا تُصاحِبْ إلاَّ مُؤْمِناً ، وَلا يَأْكُلْ طَعامَكَ إلاَّ تَقِيٌّ (حم د ت حب ك) عن أبى سعيد رضى الله عنه.

٤٣٥٢ — لاَ تَصْحَبُ المَلائِكَةُ رُفْقَةً فِيها كَلْبٌ وَلا جَرَسٌ (حم م دت) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٤٣٥٣ — لاَ تَصْحَبُ المَلائِكَةُ رُفْقَةً فِيها جَرَسٌ (د ن) عن أم حبيبة .

---

(١) قاله لعمر ، وذلك أنه تصدق بفرس أو ثوب ، ثم وجده يباع فاراد شراءه .

٤٣٥٤ — لاَ تُصَلُّوا صَلاَةً فِي يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ (حم د) عن ابن عمر .

٤٣٥٥ — لاَ تُصَلُّوا خَلْفَ النَّائِمِ ، وَلاَ الْمُتَحَدِّثِ (د هق) عن ابن عباس

٤٣٥٦ — لاَ تَصُومَنَّ امْرَأَةٌ إِلَّا بِإِذْنِ زَوْجِهَا (حم د حب ك) عن أبي سعيد رضى الله عنه .

٤٣٥٧ — لاَ تَصُومُوا يَوْمَ الْجُمُعَةِ مُفْرَداً (حم ن ك) عن جُنادة الأزدى .

٤٣٥٨ — لاَ تَضْرِبُوا إِمَاءَ اللهِ (د ن ه ك) عن إياس بن عبد الله بن أبي ذباب .

٤٣٥٩ — لاَ تُظْهِرِ الشَّمَاتَةَ لِأَخِيكَ فَيُعَافِيهِ اللهُ وَيَبْتَلِيكَ (ت طب) عن واثلة رضى الله عنه .

٤٣٦٠ — لاَ تَعْجِزُوا فِي الدُّعَاءِ ، فَإِنَّهُ لَنْ يَهْلِكَ مَعَ الدُّعَاءِ أَحَدٌ (حب ك) عن أنس رضى الله عنه .

٤٣٦١ — لاَ تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللهِ (د ت ك) عن ابن عباس رضى الله عنهما

٤٣٦٢ — لاَ تُعَزِّرُوا فَوْقَ عَشَرَةِ أَسْوَاطٍ (ه) عن أبي هريرة .

٤٣٦٣ — لاَ تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ لِتُبَاهُوا بِهِ الْعُلَمَاءَ ، وَلَا تُمَارُوا بِهِ السُّفَهَاءَ ، وَلَا تَخَيَّرُوا بِهِ الْمَجَالِسَ ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَالنَّارَ النَّارَ (ه حب هب) عن جابر رضى الله عنه .

٤٣٦٤ — لَا تَغْتَرُّوا[1] (خ) عن عثمان رضى الله عنه .

---

(١) « لاتغتروا » من الاغترار ، فتتكلوا على هذا الثواب العظيم ، وترتكبوا بعض المعاصى .

٤٣٦٥ — لاَ تَغَالُوا فِى الـكَفَنِ ، فَإِنَّهُ يُسْلَبُ سَرِيعاً (د) عن على عليه السلام .

٤٣٦٦ — لاَ تَغْضَبْ (حم خ ت) عن أبى هريرة (حم ك) عن جارية ابن قدامة (حم حب) عن ابن عمر رضى الله عنهم .

٤٣٦٧ — لا تُفْتَحُ الدُّنْيَا عَلَى قَوْمٍ إِلاَّ أَلْقَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بَيْنَهُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ (حم) عن عمر رضى الله عنه .

٤٣٦٨ — لاَ تَقَاطَعُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَاناً ، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ (مالك خ ٣) عن أنس رضى الله عنه .

٤٣٦٩ — لا تُقْبَلُ صَلَاةٌ بِغَيْرِ طُهُورٍ [1] وَلَا صَدَقَةٌ مِنْ غُلُولٍ (م ت ٥) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٤٣٧٠ — لَا تُقْبَلُ صَلَاةُ الْحَائِضِ إِلَّا بِخِمَارٍ (حم ت ٥) عن عائشة .

٤٣٧١ — لَا تُقَصُّ الرُّؤْيَا إِلاَّ عَلَى عَالِمٍ أَوْ نَاصِحٍ (ت) عن أبى هريرة .

٤٣٧٢ — لَا تُقْطَعُ الأَيْدِى فِى السَّفَرِ [2] (حم ٣ والضياء) عن بسر ابن أبى أرطاة .

---

(١) قاله حين ذكر ثواب الوضوء والصلاة وأنهما يمحوان الخطايا .

(٢) « لا تقطع الأيدى فى السفر » لأن السفر مظنة الحاجة وقلة الزاد الذى يؤدى إلى الجوع وهو شبهة تمنع الحد ، كما أنه لا تتيسر فيه (غالبا) إقامة الحجة على السرقة ، ولو ثبتت السرقة بالطريق الشرعى فى سفر ، فإن الحد يؤجل إلى الحضر .

٤٣٧٣ — لَا تُقْطَعُ يَدُ السَّارِقِ إِلاَّ فى رُبْعِ دِينَارٍ فَصَاعِداً (م ن ه) عن عائشة رضى الله عنها .

٤٣٧٤ — لاَ تَقُلْ : تَعِسَ الشَّيْطَانُ ، فَإِنَّهُ يَعْظُمُ حَتَّى يَصِيرَ مِثْلَ الْبَيْتِ وَيَقُولُ : بِقُوَّتِى ، وَلَكِنْ قُلْ بِسْمِ اللهِ فَإِنَّهُ يَصْغُرُ حَتَّى يَصِيرَ مِثْلَ الذُّبَابِ (ن طب ك) عن أبى المليح عن أبيه .

٤٣٧٥ — لَا تَقُولُوا لِلْمُنَافِقِ : سَيِّدٌ ، فَإِنَّهُ إِنْ يَكُ سَيِّداً فَقَدْ أَسْخَطْتُمْ رَبَّكُمْ (د ن) عن بريدة .

٤٣٧٦ — لاَ تَقُولُوا : مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ فُلاَنٌ ، وَلَكِنْ قُولُوا : مَا شَاءَ اللهُ ، ثُمَّ شَاءَ فُلاَنٌ (حم ش د ن) عن حذيفة رضى الله عنه .

٤٣٧٧ — لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَبَاهَى النَّاسُ فِى الْمَسَاجِدِ (حم حب) عن أنس رضى الله عنه .

٤٣٧٨ — لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لاَ يُقَالَ فِى الأَرْضِ : اللهُ ، اللهُ (حم م ت) عن أنس رضى الله عنه .

٤٣٧٩ — لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلاَّ عَلَى شِرَارِ النَّاسِ (حم م) عن أبى مسعود

٤٣٨٠ — لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكُونَ أَسْعَدُ النَّاسِ فِى الدُّنْيَا لُكَعَ ابْنَ لُكَعَ (حم ت والضياء) عن حُذيفة رضى الله عنه .

٤٣٨١ — لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حتى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ : يَا لَيْتَنِى مَكَانَهُ (حم ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٤٣٨٢ — لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لاَ يُحَجَّ الْبَيْتُ (ع ك) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

٤٣٨٣ — لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَكُونَ عَشْرُ آيَاتٍ : خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ ، وَالدَّجَّالُ ، وَنُزُولُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ، وَالدَّابَّةُ ، وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدَنٍ تَسُوقُ النَّاسَ إِلَى الْمَحْشَرِ ، تَسُوقُ الذَّرَّ وَالنَّمْلَ (طب ك) عن واثلة رضى الله عنه .

٤٣٨٤ — لاَ تَكْرَهُوا الْبَنَاتِ فَإِنَّهُنَّ الْمُؤْنِسَاتُ الْغَالِيَاتُ (حم طب) عن عقبة

٤٣٨٥ — لاَ تَكُنْ عَوْنًا لِلشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكَ[1] (خ) عن أبى هريرة.

٤٣٨٦ — لاَ تُكْثِرُوا الْكَلاَمَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللهِ ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الْكَلاَمِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللهِ قَسْوَةٌ لِلْقَلْبِ ، وَإِنَّ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنَ اللهِ تَعَالَى الْقَلْبُ الْقَاسِي (ت هب) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٤٣٨٧ — لاَ تَكُونُوا إِمَّعَةً ، تَقُولُونَ : إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا وإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا . وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا ، وَإِنْ أَسَاءُوا أَنْ لاَ تَظْلِمُوا (ت) عن حذيفة رضى الله عنه .

٤٣٨٨ — لاَ تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ فَإِنَّهُ مَنْ لَبِسَهُ فِى الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ فِى الآخِرَةِ (ق ت ن) عن عمر رضى الله عنه .

٤٣٨٩ — لاَ تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ وَلاَ الدِّيبَاجَ ، وَلاَ تَشْرَبُوا فِى آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَلاَ تَأْكُلُوا فِى صِحَافِهِمَا ، فَإِنَّهَا لَهُمْ فِى الدُّنْيَا وَلَكُمْ فِى الآخِرَةِ (ق) عن حذيفة رضى الله عنه .

---

(١) قاله لرجل لعن شخصا بعد إقامة الحد عليه .

٤٣٩٠ — لاَ تَلْعَنِ الرِّيحَ فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ مَنْ لَعَنَ شَيْئًا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ رَجَعَتِ اللَّعْنَةُ عَلَيْهِ (د ت حب) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٤٣٩١ — لاَ تَلاَعَنُوا بِلَعْنَةِ اللهِ ، وَلاَ بِغَضَبِهِ ، وَلاَ بِالنَّارِ (د ت ك) عن سَمُرة رضى الله عنه .

٤٣٩٢ — لاَ تَمَسَّ الْقُرْآنَ إِلاَّ وَأَنْتَ طَاهِرٌ (قط طب ك) عن حكيم ابن حزام رضى الله عنه .

٤٣٩٣ — لاَ تَمْسَحِ الْحَصَى وَأَنْتَ تُصَلِّى ، فَإِنْ كُنْتَ لاَ بُدَّ فَاعِلاً ، فَوَاحِدَةً تَسْوِيَةُ الْحَصَى (ق ٤) عن مُعَيْقيب رضى الله عنه

٤٣٩٤ — لاَ تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللهِ مَسَاجِدَ اللهِ (حم م) عن ابن عمر .

٤٣٩٥ — لاَ تَنْتِفُوا الشَّيْبَ ، فَإِنَّهُ نُورٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، مَنْ شَابَ شَيْبَةً فِى الإِسْلاَمِ كَتَبَ اللهُ لَهُ بِهَا حَسَنَةً ، وَحَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً ، وَرَفَعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةً (حب) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٤٣٩٦ — لاَ تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إِلاَّ مِنْ شَقِىٍّ (حم د ت حب ك) عنه .

٤٣٩٧ — لاَ تُنْكِحُوهُنَّ إِلاَّ بِإِذْنِهِنَّ (البزار حب) عن أبى سعيد .

٤٣٩٨ — لاَ تَيْأَسَا مِنَ الرِّزْقِ مَا تَهَزْهَزَتْ رُؤُسُكُمَا ، فَإِنَّ الإِنْسَانَ تَلِدُهُ أُمُّهُ أَحْمَرَ لاَ قِشْرَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ يَرْزُقُهُ اللهُ (حم ٥ حب والضياء) عن حَبَّةَ وسَواء ابنَىْ خالد رضى الله عنهما .

٤٣٩٩ — لاَ حِمَى إِلاَّ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ (حم خ د) عن الصَّعْب بن جَثَّامة .

٤٤٠٠ — لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِى اثْنَتَيْنِ : رَجُلٌ أَعْطَاهُ اللهُ قُرْآنًا ، فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً ، فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ

اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ (ق) عن عبد الله رضى الله عنه .

٤٤٠١ — لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِى اثْنَتَيْنِ : رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً ، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِى الْحَقِّ ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً ، فَهُوَ يَقْضِى بِهَا وَيُعَلِّمُهَا (ق) عنه رضى الله عنه .

٤٤٠٢ — لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِى اثْنَتَيْنِ : رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللهُ الْقُرْآنَ ، فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ فَسَمِعَهُ جَارٌ لَهُ ، فَقَالَ : لَيْتَنِى أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِىَ فُلاَنٌ ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً ، فَهُوَ يُهْلِكُهُ فِى الْحَقِّ ، فَقَالَ رَجُلٌ : لَيْتَنِى أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِىَ فُلاَنٌ ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ (خ) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٤٤٠٣ — لاَ خَيْرَ فِيمَنْ لاَ يُضِيفُ (حم هب) عن عقبة .

٤٤٠٤ — لاَ رُقْيَةَ إِلاَّ مِنْ عَيْنٍ ، أَوْ حُمَةٍ ، أَوْ دَمٍ (م ٥) عن بُريدة (حم د ت) عن عمران رضى الله عنهما .

٤٤٠٥ — لاَ زَكَاةَ فِى مَالٍ حَتَّى يَحُولَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ (٥) عن عائشة .

٤٤٠٦ — لاَ سَبَقَ إِلاَّ فِى خُفٍّ ، أَوْ حَافِرٍ ، أَوْ نَصْلٍ (حم ٤) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٤٤٠٧ — لاَ شَىْءَ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ تَعَالَى (حم ق) عن أسماء بنت أبى بكر .

٤٤٠٨ — لاَ صَلاَةَ بَعْدَ الصُّبْحِ حَتَّى تَرْتَفِعَ الشَّمْسُ ، وَلاَ صَلاَةَ بَعْدَ الْعَصْرِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ (ق ن ٥) عن أبى سعيد (حم د ٥) عن عمر .

٤٤٠٩ — لاَ صَلاَةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ (حم ق ٤) عن عُبادة رضى الله عنه .

٤٤١٠ — لا صَلاَةَ لِمَنْ لاَ وُضُوءَ لَهُ ، وَلاَ وُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يَذْكُرِ اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ (حم د ه ك) عن أبى هريرة (ه) عن سعيد بن زيد .

٤٤١١ — لاَ صَلاَةَ بِحَضْرَةِ الطَّعَامِ ، وَلاَ وَهُوَ يُدَافِعُهُ الأَخْبَثَانِ (م د) عن عائشة رضى الله عنها .

٤٤١٢ — لاَ ضَرَرَ وَلاَ ضِرَارَ (ش قط) عن ابن عباس (ه) عن عُبادة (مالك والشافعى) عنه عن عمرو بن يحيى المازنى عن أبيه مرسلا .

٤٤١٣ — لاَ طَاعَةَ لِأَحَدٍ فِى مَعْصِيَةِ اللهِ ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِى الْمَعْرُوفِ (ق د ن) عن علىّ عليه السلام .

٤٤١٤ — لاَ طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِى مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ (حم ك) عن عمران ، والحكم بن عمرو الغفّارى رضى الله عنهم .

٤٤١٥ — لاَ طَلاَقَ وَلاَ عَتَاقَ فِى إِغْلاَقٍ (حم د ه ك) عن عائشة .

٤٤١٦ — لاَ عَدْوَى ، وَلاَ صَفَرَ ، وَلاَ هَامَةَ (حم ق د) عن أبى هريرة (حم م) عن السائب بن يزيد رضى الله عنه .

٤٤١٧ — لاَ عَدْوَى ، وَلاَ طِيَرَةَ ، وَلاَ هَامَةَ ، وَلاَ صَفَرَ ، وَلاَ غُولَ (حم م) عن جابر رضى الله عنه .

٤٤١٨ — لاَ فَرَعَ ، وَلاَ عَتِيرَةَ[1] (حم ق ٤) عن أبى هريرة .

---

(١) « لا فرع » بفتح الفاء والراء . هو أول ولد تنتجه الناقة كانوا فى الجاهلية يذبحونه لآلهتهم تبركا « ولا عتيرة » شاة كانوا يذبحونها فى رجب لآلهتهم تبركا أيضا . فأبطل الاسلام ذلك .

٤٤١٩ — لاَ قُدِّسَتْ أُمَّةٌ لاَ يُعْطَى الضَّعِيفُ فِيهَا حَقَّهُ غَيْرَ مُتَعْتَعٍ (ع) عن أبي سعيد (طب) عن ابن مسعود رضى الله عنهما .

٤٤٢٠ — لاَ قَطْعَ فِي ثَمَرَةٍ . وَلاَ كَثَرٍ[1] (حم ٤ حب) عن رافع ابن خديج رضى الله عنه .

٤٤٢١ — لاَ نَذْرَ فِي مَعْصِيَةٍ ، وَكَفَّارَتُهُ كَفَّارَةُ يَمِينٍ (حم ٤) عن عائشة (ن) عن عمران بن حُصَين رضى الله عنهما .

٤٤٢٢ — لاَ نِكَاحَ إِلاَّ بِوَلِيٍّ (حم ٤ ك) عن أبي موسى (٥) عن ابن عباس رضى الله عنهم .

٤٤٢٣ — لاَ نِكَاحَ إِلاَّ بِوَلِيٍّ ، وَشَاهِدَىْ عَدْلٍ (هق) عن عمران وعائشة (طب) عن أبي موسى بلفظ : وَشَاهِدَيْنِ .

٤٤٢٤ — لاَ هِجْرَةَ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ (خ) عن مُجاشع بن مسعود .

٤٤٢٥ — لاَ هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٤٤٢٦ — لاَ هِجْرَةَ بَعْدَ ثَلاَثٍ[2] (حم م) عن أبي هريرة .

---

(١) « لا قطع فى ثمر » أى ثمر كرمان مثلا إذا قطع من شجر « ولا فى كثر » هو جمار النخل . ولم يكن فيها قطع ، لأن النفس تسمح بمثله فى العادة . لكن إذا حرسه صاحبه وحزره ، ثم سرق منه نصاب السرقة . وجب القطع حينئذ .

(٢) « لا هجرة » جائزة «بعد ثلاث» من الليالى بأيامها . فمن خاصم أخاه المسلم ، جازله هجره ومقاطعته مدة ثلاثة أيام . فإن مضت هذه المدة . وجب عليهما أن يصطلحا. (إذا اردت الزيادة عن هذا الشرح فأقرا كتاب «الزجر بالهجر» للحافظ السيوطى .

٤٤٢٧ — لاَ وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ (حم) عن جابر رضى الله عنه .

٤٤٢٨ — لاَ يَأْتِي عَلَيْكُمْ عَامٌ ، وَلاَ يَوْمٌ إِلاَّ وَالَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ (حم خ ه) عن أنس رضى الله عنه .

٤٤٢٩ — لاَ يَأْكُلَنَّ أَحَدُكُمْ بِشِمَالِهِ ، وَلاَ يَشْرَبَنَّ بِشِمَالِهِ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ ، وَيَشْرَبُ بِهَا (م ت) عن ابن عمر .

٤٤٣٠ — لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (حم ق ن ه) عن أنس رضى الله عنه .

٤٤٣١ — لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ (حم ق ت ن ه) عن أنس رضى الله عنه .

٤٤٣٢ — لاَ يَأْخُذَنَّ أَحَدُكُمْ مَتَاعَ أَخِيهِ لاَعِباً ، وَلاَ جَادًّا[1] (ت) عن عبد الله بن السائب بن يزيد عن أبيه عن جده رضى الله عنهم .

٤٤٣٣ — لاَ يَبْلُغُ الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَا لاَ بَأْسَ بِهِ حَذَراً مِمَّا بِهِ بَأْسٌ (ت ه ك) عن عطية بن عروة السعدى .

٤٤٣٤ — لاَ يُتْمَ بَعْدَ احْتِلاَمٍ[2] ، وَلاَ صُمَاتَ يَوْمٍ إِلَى اللَّيْلِ (د) عن علىّ عليه السلام .

---

(١) أخذ بعض الصحابة نعل أخيه وأخفاها ، حتى ظن صاحبها أنها ضاعت ، وكان الأخذ بقصد المداعبة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يأخذن أحدكم متاع أخيه جادا ولا لاعبا » لأن انزاع المسلم لا يجوز أبدا .

(٢) «لا يتم بعد احتلام » لأن الصبي إذا احتلم صار رجلا « ولا صمات يوم إلى الليل » كان العرب قديما يتعبدون بالسكوت ، فيصمت أحدهم يوما أو أكثر ، ومنهم من كان يحج صامتا طول حجه . فأبطل الاسلام ذلك .

٤٤٣٥ — لاَ يَتَمَنَّ أَحَدُكُمُ المَوْتَ إِمَّا مُحْسِناً فَلَعَلَّهُ يَزْدَادُ ، وَإِمَّا مُسِيئاً فَلَعَلَّهُ يَسْتَعْتِبُ (حم ق ن) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٤٤٣٦ — لاَ يَتَوَضَّأُ أَحَدُكُمْ ؛ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ فَيُسْبِغُهُ . ثُمَّ يَأْتِى المَسْجِدَ لاَ يُرِيدُ إِلاَّ الصَّلاَةَ إِلاَّ تَبَشَّشَ اللهُ إِلَيْهِ كَمَا يَتَبَشَّشُ أَهْلُ الغَائِبِ بِطَلْعَتِهِ[1] (ابن خزيمة) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٤٤٣٧ — لاَ يَجْتَمِعُ كَافِرٌ وَقَاتِلُهُ فِى النَّارِ أَبَداً (م د) عنه .

٤٤٣٨ — لاَ يَجْتَمِعُ مَلأٌ فَيَدْعُو بَعْضُهُمْ وَيُؤَمِّنُ بَعْضُهُمْ إِلاَّ أَجَابَهُمُ اللهُ (ك) عن حبيب بن مسلمة الفهرى .

٤٤٣٩ — لا يَجْتَمِعَانِ فى قَلْبِ عَبْدٍ فى مِثْلِ هٰذَا المَوْطِنِ إِلاَّ أَعْطَاهُ اللهُ مَا يَرْجُو وَأَمَّنَهُ مِمَّا يَخَافُ[2] (ت وابن أبى الدنيا) عن أنس رضى الله عنه .

٤٤٤٠ — لا يَجْزِى وَلَدٌ وَالِداً إِلاَّ أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكاً فَيَشْتَرِيهِ فَيَعْتِقَهُ (خد م ٤) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٤٤٤١ — لا يُجْلَدُ فَوْقَ عَشْرَةِ أَسْوَاطٍ إِلاَّ فى حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ (حم ق ٤) عن أبى بردة بن نيار رضى الله عنه .

٤٤٤٢ — لا يَجُوعُ أَهْلُ بَيْتٍ عِنْدَهُمُ التَّمْرُ (م) عن عائشة رضى الله عنها

٤٤٤٣ — لا يَحْتَكِرُ إِلاَّ خَاطِئٌ (حم ت ن ه) عن مَعْمَر بن عبد الله ابن نضلة رضى الله عنه .

---

(١) « لا يسبغ عبد الوضوء » أى يتمه . إلا غفر الله له ما تقدم من ذنبه . يعنى الصغائر « وما تأخر » وذلك بأن تقع مغفورة . والله واسع كريم .

(٢) قاله لمريض محتضر حين قال له : أرجو الله وأخاف ذنوبى .

٤٤٤٤ — لا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِماً (طب) عن النعمان رضى الله عنه.

٤٤٤٥ — لا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِماً (د) عن رجل من الصحابة (البزار) عن ابن عمر رضى الله عنهم.

٤٤٤٦ — لا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ اثْنَيْنِ إِلَّا بِإِذْنِهِمَا (حم د ت) عن ابن عمرو رضى الله عنه.

٤٤٤٧ — لا يَجْهَرْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِالْقُرْآنِ (مالك د) عن البياضى.

٤٤٤٨ — لا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هٰذَا وَيُعْرِضُ هٰذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِى يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ (مالك ق د ت) عن أبى أيوب رضى الله عنه.

٤٤٤٩ — لا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ، فَمَنْ هَجَرَ فَوْقَ ثَلَاثٍ فَمَاتَ دَخَلَ النَّارَ (د ن) عن أبى هريرة رضى الله عنه.

٤٤٥٠ — لا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ مُسْلِماً فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ نَاكِبَانِ عَنِ الْحَقِّ مَا دَامَا عَلَى صِرَامِهِمَا وَأَوَّلُهُمَا فَيْئاً يَكُونُ سَبْقُهُ بِالْفَيْءِ كَفَّارَةً لَهُ وَإِنْ سَلَّمَ فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ سَلَامَهُ رَدَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ وَرَدَّ عَلَى الْآخَرِ الشَّيْطَانُ فَإِنْ مَاتَا عَلَى صِرَامِهِمَا لَمْ يَدْخُلَا الْجَنَّةَ جَمِيعاً أَبَداً (حم ع طب) عن هشام بن عامر.

٤٤٥١ — لا يَحِلُّ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَصُومَ وَزَوْجُهَا شَاهِدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَا تَأْذَنَ فِى بَيْتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ (ق د) عن أبى هريرة رضى الله عنه.

٤٤٥٢ — لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ يَبِيعُ شَيْئاً إِلَّا بَيَّنَ مَا فِيهِ، وَلَا يَحِلُّ لِمَنْ عَلِمَ ذٰلِكَ إِلَّا يُبَيِّنُهُ (ك هق) عن واثلة.

٤٤٥٣ — لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنِّى رَسُولُ اللهِ إِلاَّ بِإِحْدَى ثَلاَثٍ : الثَّيِّبُ الزَّانِى ، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ (ق ٣) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

٤٤٥٤ — لا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يُعْطِى لِرَجُلٍ عَطِيَّةً أَوْ يَهَبَ هِبَةً ثُمَّ يَرْجِعُ فِيهَا إِلَّا الْوَالِدُ يُعْطِى وَلَدَهُ ، وَمَثَلُ الَّذِى يَرْجِعُ فِى عَطِيَّتِهِ أَوْ هِبَتِهِ كَالْكَلْبِ يَأْكُلُ فَإِذَا شَبِعَ قَاءَ ، وَإِذَا قَاءَ ثُمَّ عَادَ فِى قَيْئِهِ (٤) عن ابن عمر وابن عباس رضى الله عنهم .

٤٤٥٥ — لاَ يَحِلُّ لامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ تُسَافِرَ سَفَراً يَكُونُ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ فَصَاعِداً إِلاَّ وَمَعَهَا أَبُوهَا أَوْ زَوْجُهَا أَوْ ابْنُهَا أَوْ ذُو مَحْرَمٍ مِنْهَا (ق د ت ه) عن أبى سعيد (ق د) عن ابن عمر .

٤٤٥٦ — لاَ يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ تُحِدَّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلاَثٍ إِلاَّ عَلَى زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً (ق) عن أم حبيبة وعن زينب بنت جحش رضى الله عنهما .

٤٤٥٧ — لاَ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ (حم ق د ت) عن جبير بن مُطعم .

٤٤٥٨ — لاَ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ صَاحِبُ مَكْسٍ (حم د ك) عن عقبة .

٤٤٥٩ — لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مُدْمِنُ خَمْرٍ ، وَلا مُؤْمِنٌ بِالسِّحْرِ ، وَلاَ قَاطِعُ رَحِمٍ (حب) عن أبى موسى رضى الله عنه .

٤٤٦٠ — لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مُدْمِنُ خَمْرٍ ، وَلاَ عَاقٌّ ، وَلاَ مَنَّانٌ (طب) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٤٤٦١ — لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّـةَ الْجَوَّاظُ ، وَلاَ الْجَعْظَرِيُّ[1] (د) عن حارثة بن وهب رضى الله عنه .

٤٤٦٢ — لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ جَسَدٌ غُذِّيَ بِحَرَامٍ (البزار ع طس هب) عن أبى بكر رضى الله عنه .

٤٤٦٣ — لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بَخِيلٌ ، وَلاَ خَبٌّ ، وَلاَ خَائِنٌ ، وَلاَ سَيِّءُ الْمَلَـكَةِ ، وَأَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ الْمَمْلُوكُونَ إِذَا أَحْسَنُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَفِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَوَالِيهِمْ (حم ع) عن أبى بكر رضى الله عنه.

٤٤٦٤ — لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ (ق د ت) عن حُذيفة رضى الله عنه .

٤٤٦٥ — لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ فِى قَلْبِهِ خَرْدَلَةٌ مِنْ كِبْرٍ (طب) عن عبد الله بن سلاَم رضى الله عنه .

٤٤٦٦ — لاَ يَرِثُ الْـكَافِرُ الْمُسْلِمَ ، وَلاَ الْمُسْلِمُ الْـكَافِرَ (حم ق ٤) عن أُسامة رضى الله عنه .

٤٤٦٧ — لاَ يَرُدُّ الْقَضَـاءَ إِلاَّ الدُّعَاءُ ، وَلاَ يَزِيدُ فِى الْعُمُرِ إِلاَّ الْبِرُّ (ت ك) عن سلمان رضى الله عنه .

٤٤٦٨ — لاَ يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلاَّ الدُّعَاءُ ، وَلاَ يَزِيدُ فِى الْعُمُرِ إِلاَّ الْبِرُّ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُذْنِبُهُ (حب ك) عن ثَوْبان .

٤٤٦٩ — لاَ يَخْـلُوَنَّ أَحَدُكُمْ بِامْرَأَةٍ إِلاَّ مَعَ ذِى مَحْرَمٍ (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

---

(١) « لا يدخل الجنة الجواظ » بتشديد الواو : اللفظ الغليظ « ولا الجعظرى » المنتفخ بما ليس عنده ، وهو بلغتنا الفشار أو المعار .

٤٤٧٠ — لاَ يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الْفِطْرَ (حم ق ت) عن سهل بن سعد رضى الله عنه .

٤٤٧١ — لاَ يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْباً مِنْ ذِكْرِ اللهِ (ت ه حب ك) عن عبد الله بن بُسْر رضى الله عنه .

٤٤٧٢ — لاَ يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّى يُقَالَ : هٰذَا خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ ، فَمَنْ خَلَقَ اللهَ ؟ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً فَلْيَقُلْ : آمَنْتُ بِاللهِ (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٤٤٧٣ — لاَ يَزَالُ اللهُ فِى حَاجَةِ الْعَبْدِ مَا دَامَ فِى حَاجَةِ أَخِيهِ (طب) عن زيد بن ثابت رضى الله عنه .

٤٤٧٤ — لاَ يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَالَمْ يَتَحَاسَدُوا (طب) عن ضمرة ابن ثعلبة رضى الله عنه .

٤٤٧٥ — لاَ يَزَالُ الرَّجُلُ يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ حَتَّى يُكْتَبَ فِى الْجَبَّارِينَ ؛ فَيُصِيبَهُ مَا أَصَابَهُمْ (ت) عن سلمة رضى الله عنه .

٤٤٧٦ — لاَ يَزْنِى الزَّانِى حِينَ يَزْنِى وَهُوَ مُؤْمِنٌ . وَلاَ يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ . وَلاَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ (ق ٣) عن أبى هريرة . زاد (م) : وَلَكِنَّ التَّوْبَةَ مَعْرُوضَةٌ بَعْدُ .

٤٤٧٧ — لاَ يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللهِ إِلاَّ الْجَنَّةُ (د والضياء) عن جابر .

٤٤٧٨ — لاَ يُسْبِغُ عَبْدٌ الْوُضُوءَ إِلاَّ غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ[1] (البزار) عن عثمان رضى الله عنه .

---

(١) « لا يسبغ عبد الوضوء » أى يتمه . إلا غفر الله له ما تقدم من ذنبه . يعنى الصغائر « وما تأخر » وذلك بأن تقع مغفورة . والله واسع كريم .

٤٤٧٩ — لاَ يَتَمَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ . فَإِنْ كَانَ لاَ بُدَّ فَاعِلاً فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْراً لِي . وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْراً لِي (ق ٣) عن أنس رضى الله عنه .

٤٤٨٠ — لاَ يُشِيرُ أَحَدُكُمْ إِلَى أَخِيهِ بِالسِّلاَحِ . فَإِنَّهُ لاَ يَدْرِي لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ . فَيَقَعُ فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ (ق) عن أبى هريرة .

٤٤٨١ — لاَ يَصْلُحُ لِبَشَرٍ أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ . وَلَوْ صَلَحَ لِبَشَرٍ أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا لِعِظَمِ حَقِّهِ عَلَيْهَا (حب) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٤٤٨٢ — لاَ يُغْنِي حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ (حم) عن عائشة (البزار طب ك) بزيادة : وَالدُّعَاءُ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ . وَإِنَّ الْبَلاَءَ لَيَنْزِلُ فَيَلْقَاهُ الدُّعَاءُ فَيَعْتَلِجَانِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

٤٤٨٣ — لاَ يَفْرَكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً . إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقاً رَضِيَ مِنْهَا غَيْرَهُ[1] (م) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٤٤٨٤ — لاَ يَفْقَهُ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي أَقَلَّ مِنْ ثَلاَثٍ (د ت ه) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

٤٤٨٥ — لاَ يَصْبِرُ عَلَى لأْوَاءِ الْمَدِينَةِ وَشِدَّتِهَا أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي إِلاَّ كُنْتُ لَهُ شَفِيعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَوْ شَهِيداً (م ت) عن أبى هريرة (م) عن أبى سعيد بزيادة : إِذَا كَانَ مُسْلِماً .

---

(١) « لا يفرك » يبغض « مؤمن مؤمنة » إذا كان متزوجا بها . بل لابد إذا ابغض منها خلقا . أن يحب منها خلقا آخر . والمعنى أن هذا هو الشأن المفروض فى المؤمن مع المؤمنة (فعاشر وهن على عوج فيهن) .

٤٤٨٦ — لاَ يَصُومَنَّ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلاَّ أَنْ يَصُومَ يَوْماً قَبْلَهُ أَوْ يَوْماً بَعْدَهُ (ق ت ن ه وابن خزيمة) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

٤٤٨٧ — لاَ يَقْبَلُ اللهُ صَلاَةَ أَحَدِكُمْ إِذَا أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ (ق د ت) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

٤٤٨٨ — لاَ يَقْبَلُ اللهُ مِنِ امْرَأَةٍ صَلاَةً خَرَجَتْ إِلَى الْمَسْجِدِ وَرِيحُهَا تَعْصِفُ حَتَّى تَرْجِعَ فَتَغْتَسِلَ (ابن خزيمة) عنه رضى الله عنه .

٤٤٨٩ — لاَ يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ (حم ت ه) عن ابن عمرو رضى الله عنه.

٤٤٩٠ — لاَ يَقْرَأُ الْجُنُبُ . وَلاَ الْحَائِضُ شَيْئاً مِنَ الْقُرْآنِ (حم ت ه) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٤٤٩١ — لاَ يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ إِلاَّ حَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ . وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ . وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ (م ت ه) عن أبي سعيد وأبي هريرة رضى الله عنهما .

٤٤٩٢ — لاَ يَقِفَنَّ أَحَدُكُمْ مَوْقِفاً يُقْتَلُ فِيهِ رَجُلٌ ظُلْماً . فَإِنَّ اللَّعْنَةَ تَنْزِلُ عَلَى كُلِّ مَنْ حَضَرَ حِينَ لَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ . وَلاَ يَقِفَنَّ أَحَدُكُمْ مَوْقِفاً يُضْرَبُ فِيهِ رَجُلٌ ظُلْماً . فَإِنَّ اللَّعْنَةَ تَنْزِلُ عَلَى مَنْ حَضَرَهُ حِينَ لَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ (طب هب) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٤٤٩٣ — لا يُقِيمَنَّ أَحَدُكُمْ رَجُلاً مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ . وَلَكِنْ تَوَسَّعُوا وَتَفَسَّحُوا يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٤٤٩٤ — لا يَجْتَمِعَانِ فِي النَّارِ اجْتِمَاعاً يَضُرُّ أَحَدُهُمَا الآخَرَ : مُسْلِمٌ قَتَلَ كَافِراً ثُمَّ سَدَّدَ الْمُسْلِمُ وَتَابَ . وَلا يَجْتَمِعَانِ فِي جَوْفِ عَبْدٍ غُبَارٌ

فِي سَبِيلِ اللهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ ، وَلاَ يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ الإِيمَانُ وَالشُّحُّ (ك) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

٤٤٩٥ — لاَ يَكُونُ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ مُسْلِماً فَوْقَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ ، فَإِذَا لَقِيَهُ سَلَّمَ عَلَيْهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ، كُلُّ ذَلِكَ لاَ يَرُدُّ عَلَيْهِ ، فَقَدْ بَاءَ بِإِثْمِهِ (د) عن عائشة رضي الله عنها .

٤٤٩٦ — لاَ يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُهَدَاءَ ، وَلاَ شُفَعَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (م) عن أبي الدرداء رضي الله عنه .

٤٤٩٧ — لاَ يَكُونُ الْمُؤْمِنُ لَعَّاناً (ت) عن ابن مسعود رضي الله عنه .

٤٤٩٨ — لاَ يَكِيدُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ أَحَدٌ إِلاَّ انْمَاعَ كَمَا يَنْمَاعُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ (ق) عن سعد رضي الله عنه .

٤٤٩٩ — لاَ يَلِجُ حَائِطَ الْقُدْسِ مُدْمِنُ خَمْرٍ ، وَلاَ الْعَاقُّ ، وَلاَ الْمَنَّانُ عَطَاءً[1] (حم) عن أنس رضي الله عنه .

٤٥٠٠ — لاَ يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ ، وَلاَ يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ فِي مَنْخِرَيْ مُسْلِمٍ أَبَداً (ت ن ك) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

٤٥٠١ — لاَ يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ (حم ق د ه) عنه .

٤٥٠٢ — لاَ يَمَسُّ الْقُرْآنَ إِلاَّ طَاهِرٌ (طب) عن ابن عمر .

٤٥٠٣ — لاَ يَمُوتُ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثَلاَثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ فَتَمَسَّهُ النَّارُ إِلاَّ تَحِلَّةَ الْقَسَمِ (مالك ق ت ن ه) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

---

(١) « لا يلج حائط القدس » يعني الجنة ، وتسمى أيضا حظيرة القدس ، والقدس : الطهر .

٤٥٠٤ — لاَ يَمُوتُ لِإِحْدَاكُنَّ ثَلاَثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ فَتَحْتَسِبَهُ إِلاَّ دَخَلَتِ الْجَنَّةَ ، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ : أَوِ اثْنَانِ ؟ قَالَ : أَوِ اثْنَانِ (م) عنه .

٤٥٠٥ — لاَ يَمُوتَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلاَّ وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ تَعَالَى (حم م د ه) عن جابر رضى الله عنه .

٤٥٠٦ — لاَ يَنْبَغِي لِصِدِّيقٍ أَنْ يَكُونَ لَعَّانًا[1] (م) عن أبى هريرة .

٤٥٠٧ — لاَ يَنْبَغِي لِلْمُطِيِّ أَنْ تُشَدَّ رِحَالُهَا إِلَى مَسْجِدٍ تُبْتَغَى فِيهِ الصَّلاَةُ غَيْرَ مَسْجِدِي هٰذَا ، وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى (حم) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

٤٥٠٨ — لاَ يَنْظُرُ اللهُ إِلَى عَبْدٍ لاَ يُقِيمُ صُلْبَهُ بَيْنَ رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ (حم) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٤٥٠٩ — لاَ يَنْظُرُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى امْرَأَةٍ لاَ تَشْكُرُ لِزَوْجِهَا وَهِيَ لاَ تَسْتَغْنِي عَنْهُ (ن والبزار ك) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

٤٥١٠ — لاَ يَنْظُرُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى رَجُلٍ أَتَى رَجُلاً أَوِ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا (ت ن حب) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٤٥١١ — لاَ يَنْظُرُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاَءَ (مالك ق ت ن ه) عن ابن عمر (مالك ق) عن أبى هريرة بلفظ : بَطَراً .

٤٥١٢ — لاَ يُنْقَعُ بَوْلٌ فِي طَسْتٍ فِي الْبَيْتِ ، فَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ لاَ تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ بَوْلٌ مُنْتَقَعٌ ، وَلاَ تَبُولَنَّ فِي مُغْتَسَلِكَ (طس ك) عن عبد الله ابن يزيد رضى الله عنه .

---

(١) قاله لأبى بكر حين سمعه يلعن شيئا ، فقال أبو بكر : لا أعود .

حرف الياء

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

٤٥١٣ — يَا أَبَا ذَرٍّ ، لَأَنْ تَغْدُوَ فَتَعَلَّمَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ مِائَةَ رَكْعَةٍ ، وَلَأَنْ تَغْدُوَ فَتَعَلَّمَ بَاباً مِنَ العِلْمِ عُمِلَ بِهِ ، أَوْ لَمْ يُعْمَلْ بِهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ أَلْفَ رَكْعَةٍ (ه) عن أبي ذر رضي الله عنه .

٤٥١٤ — يَا أَبَا ذَرٍّ ، أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ ؟ لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ (ه وابن أبي الدنيا حب) عن أبي ذر رضي الله عنه .

٤٥١٥ — يَا أَبَا ذَرٍّ ، إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفاً ، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي ، لاَ تُؤَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ ، وَلاَ تَلِيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ (م د ك) عن أبي ذر رضي الله عنه .

٤٥١٦ — يَا أَبَا ذَرٍّ ، أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى خَصْلَتَيْنِ هُمَا أَخَفُّ عَلَى الظَّهْرِ ، وَأَثْقَلُ فِي المِيزَانِ ، مِنْ غَيْرِهِمَا ؟ عَلَيْكَ بِحُسْنِ الخُلُقِ ، وَطُولِ الصَّمْتِ ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا عَمِلَ الخَلاَئِقُ بِمِثْلِهِمَا (ابن أبي الدنيا والبزار ع طب) عن أنس رضي الله عنه .

٤٥١٧ — يَا ابْنَ الخَطَّابِ ، أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَنَا الآخِرَةُ وَلَهُمُ الدُّنْيَا ؟ (ه) عن عمر رضي الله عنه .

٤٥١٨ — يَا رَبَاحُ ، تَرِّبْ وَجْهَكَ[1] (حب) عن أم سلمة رضي الله عنها .

---

(١) « يارباح ترب وجهك » في السجود . وهذا أمر بكثرة الصلاة .

٤٥١٩ — يَا عَبَّاسُ - عَمَّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لاَ تَتَمَنَّ المَوْتَ ، إِنْ كُنْتَ مُحْسِناً تَزْدَادُ إِحْسَاناً إِلَى إِحْسَانٍ خَيْرٌ لَكَ ، وَإِنْ كُنْتَ مُسِيئاً فَأَنْ تُؤَخَّرَ ، تَسْتَعْتِبُ مِنْ إِسَاءَتِكَ خَيْرٌ لَكَ ، لاَ تَتَمَنَّ المَوْتَ (حم ك) عن أم الفضل رضى الله عنها .

٤٥٢٠ — يَا عَلِيُّ ، إِنَّ لَكَ كَنْزاً فِي الجَنَّةِ ، وَإِنَّكَ ذُو قَرْنَيْهَا ، فَلاَ تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ ، فَإِنَّمَا لَكَ الأُولَى وَلَيْسَتْ لَكَ الآخِرَةُ (حم) عن علىّ عليه السلام (ت د) عن بريدة رضى الله عنه .

٢٥٢١ — يَا عَائِشَةُ ، ارْفُقِي فَإِنَّ اللهَ إِذَا أَرَادَ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْراً أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الرِّفْقَ (حم) عنها (البزار) عن جابر رضى الله عنهما .

٤٥٢٢ — يَا فُلاَنُ ، أَلاَ تُحْسِنُ صَلاَتَكَ ؟ أَلاَ يَنْظُرُ المُصَلِّي إِذَا صَلَّى كَيْفَ يُصَلِّي ؟ فَإِنَّمَا يُصَلِّي لِنَفْسِهِ ، إِنِّي لأُبْصِرُ مِنْ وَرَائِي كَمَا أُبْصِرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ (م ن) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٤٥٢٣ — يَا كَعْبُ بْنَ عُجْرَةَ ، إِنَّهُ لاَ يَرْبُو لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ إِلاَّ كَانَتِ النَّارُ أَوْلَى بِهِ (ت حب) عنه (حب) عن جابر رضى الله عنهما .

٤٥٢٤ — يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ ، مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ صِدْقاً مِنْ قَلْبِهِ إِلاَّ حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ (ق) عن أنس رضى الله عنه

٤٥٢٥ — يَا مُعَاذُ ، وَاللهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ ، أُوصِيكَ يَا مُعَاذ لاَ تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ أَنْ تَقُولَ : اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ ، وَحُسْنِ

عِبَادَتِكَ[1] (د ن وابن خزيمة حب ك) عنه رضى الله عنه .

٤٥٢٦ — يَا إِخْوَانِي لِمِثْلِ هٰذَا فَأَعِدُّوا[2] (٥) عن البراء .

٤٥٢٧ — يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ ، فَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا ، وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا فَاتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ ، خُذُوا مَا حَلَّ ، وَدَعُوا مَا حَرُمَ (٥ ك) عن جابر رضى الله عنه .

٤٥٢٨ — يَا أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا وَاعْقِلُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ لِلّٰهِ عِبَاداً لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَنَازِلِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللهِ ، هُمْ نَاسٌ مِنْ أَفْنَاءِ النَّاسِ وَنَوَازِعِ القَبَائِلِ ، لَمْ تَصِلْ بَيْنَهُمْ أَرْحَامٌ مُتَقَارِبَةٌ تَحَابُّوا فِي اللهِ ، وَتَصَافَوْا ، يَضَعُ اللهُ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ فَيَجْلِسُونَ عَلَيْهَا ، فَيَجْعَلُ وُجُوهَهُمْ نُوراً ، وَثِيَابَهُمْ نُوراً يَفْزَعُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَا يَفْزَعُونَ ، وَهُمْ أَوْلِيَاءُ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (حم ع ك) عن أبى مالك الأشعرى رضى الله عنه .

٤٥٢٩ — يَا بَنِي سَلِمٍ ، دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ ، دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ (م) عن جابر رضى الله عنه .

٤٥٣٠ — يَا سُرَاقَةُ ، أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَهْلِ الجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ ؟ أَمَّا أَهْلُ النَّارِ فَكُلُّ جَعْظَرِيٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ ، وَأَمَّا أَهْلُ الجَنَّةِ فَالضُّعَفَاءُ المَغْلُوبُونَ (طب ك) عنه رضى الله عنه .

---

(١) نرويه مسلسلا

(٢) قاله عند دفن ميت

٤٥٣١ — يَا شَبَابَ قُرَيْشٍ ، احْفَظُوا فُرُوجَكُمْ لاَ تَزْنُوا ، أَلاَ مَنْ حَفِظَ فَرْجَهُ فَلَهُ الْجَنَّةُ (ك هب) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٤٥٣٢ — يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ، لاَ صَلاَةَ لِمَنْ لاَ يُقِيمُ صُلْبَهُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ (حم ه وابن خزيمة حب) عن على بن شيبان رضى الله عنه .

٤٥٣٣ — يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الإِيمَانُ قَلْبَهُ لاَ تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ ، وَلاَ تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ ، فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ (د) عن أبى برزة (ع) عن البراء رضى الله عنهما .

٤٥٣٤ — يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ ، إِنَّ التُّجَّارَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فُجَّاراً ، إِلاَّ مَنِ اتَّقَى اللهَ ، وَبَرَّ ، وَصَدَقَ (ت ه حب ك) عن إسماعيل بن عُبيد ابن رِفاعة عن أبيه عن جده .

٤٥٣٥ — يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ (ق ٣) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

٤٥٣٦ — يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ ، خَمْسُ خِصَالٍ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ ، وَأَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ : لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلاَّ فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلاَفِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا ، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلاَّ أُخِذُوا بِالسِّنِينَ ، وَشِدَّةِ الْمُؤْنَةِ ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلاَّ مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ ، وَلَوْلاَ الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا ، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللهِ

وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلاَّ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ ، وَمَالَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللهِ تَعَالَى ، يَتَخَيَّرُوا فِيمَا أَنْزَلَ اللهُ إِلاَّ جَعَلَ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ (ه والبزار هب) عن ابن عمر (ك) عن بُريدة رضى الله عنهم .

٤٥٣٧ — يَا وَزَّانُ زِنْ وَأَرْجِحْ (٤ حب ك) عن سُويد بن قيس .

٤٥٣٨ — يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَى دِينِهِ ، كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ (ت) عن أنس رضى الله عنه .

٤٥٣٩ — يَأْتِي الرُّكْنُ الْيَمَانِيُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْظَمَ مِنْ أَبِي قُبَيْسٍ ، لَهُ لِسَانَانِ وَشَفَتَانِ يَتَكَلَّمُ عَمَّنِ اسْتَلَمَهُ بِالنِّيَّةِ ، وَهُوَ يَمِينُ اللهِ الَّتِي يُصَافِحُ بِهَا خَلْقَهُ (حم وابن خزيمة) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

٤٥٤٠ — يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ : مَنْ خَلَقَ كَذَا ؟ مَنْ خَلَقَ كَذَا ؟ حَتَّى يَقُولَ : مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ وَلْيَنْتَهِ (ق د ن) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٤٥٤١ — يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لاَ يُبَالِي الْمَرْءُ مَا أَخَذَ أَمِنَ الْحَلاَلِ ؟ أَمْ مِنَ الْحَرَامِ ؟ (خ ن) عنه رضى الله عنه .

٤٥٤٢ — يَأْتِي الْمَقْتُولُ مُتَعَلِّقًا رَأْسَهُ بِإِحْدَى يَدَيْهِ مُتَلَبِّبًا قَاتِلَهُ بِالْيَدِ الْأُخْرَى تَشْخَبُ أَوْدَاجُهُ دَمًا حَتَّى يَأْتِيَ بِهِ الْعَرْشَ ، فَيَقُولُ الْمَقْتُولُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ : هٰذَا قَتَلَنِي ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْقَاتِلِ : تَعِسْتَ ، وَيُذْهَبُ بِهِ إِلَى النَّارِ (ت طس) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٤٥٤٣ — يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ

فِي الدُّنْيَا تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ ، كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ ، أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ يُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا (م ت) عن النواس .

٤٥٤٤ — يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ : يَا ابْنَ آدَمَ ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْراً قَطُّ ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ ؟ فَيَقُولُ : لاَ وَاللهِ يَا رَبِّ ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَيُصْبَغُ فِي الْجَنَّةِ صَبْغَةً . فَيُقَالُ لَهُ : يَا ابْنَ آدَمَ ، هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ مِنْ شِدَّةٍ ؟ فَيَقُولُ : لاَ وَاللهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ ، وَلاَ رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ (م) عن أنس .

٤٥٤٥ — يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ ، فَيُنَادِي بِهِ مُنَادِيًا : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ ، فَيَقُولُ : هَلْ تَعْرِفُونَ هٰذَا ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ ، هٰذَا الْمَوْتُ ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ : يَا أَهْلَ النَّارِ ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ ، فَيَقُولُ : هَلْ تَعْرِفُونَ هٰذَا ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ ، هٰذَا الْمَوْتُ ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ ، فَيُذْبَحُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، ثُمَّ يَقُولُ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلاَ مَوْتَ (ق ن) عن أبي سعيد (٥) عن أبي هريرة نحوه رضي الله عنهما .

٤٥٤٦ — يُؤْتَى بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، فَيَقُولُونَ لَبَّيْكَ رَبَّنَا . فَيُقَالُ : هَلْ تَعْرِفُونَ هٰذَا ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ رَبَّنَا هٰذَا الْمَوْتُ ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ : يَا أَهْلَ النَّارِ ، فَيَقُولُونَ : لَبَّيْكَ رَبَّنَا . فَيُقَالُ : هَلْ تَعْرِفُونَ هٰذَا ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ رَبَّنَا هٰذَا الْمَوْتُ . فَيُذْبَحُ كَمَا تُذْبَحُ الشَّاةُ . فَيَأْمَنُ هٰؤُلاَءِ

وَيَنْقَطِعُ رَجَاءُ هٰؤُلَاءِ (البزار ع طب) عن أنس رضى الله عنه .

٤٥٤٧ — يُؤْجَرُ الرَّجُلُ فى نَفَقَتِهِ كُلِّهَا إِلاَّ فى البِنَاءِ[1] (ت) عن خبَّاب بن الأرَتّ رضى الله عنه .

٤٥٤٨ — يَؤُمُّ القَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِلقُرْآنِ (حم) عن أنس رضى الله عنه .

٤٥٤٩ — يُبْصِرُ أَحَدُكُمُ القَذَاةَ فى عَيْنِ أَخِيهِ وَيَنْسَى الجِذْعَ فى عَيْنِهِ (حب) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٤٥٥٠ — يُبْعَثُ النَّاسُ عَلَى نِيَّاتِهِمْ (حم) عنه .

٥٤٥١ — يُبْعَثُ صَاحِبُ الفُخَامَةِ فى القِبْلَةِ يَوْمَ القِيَامَةِ وَهِىَ فى وَجْهِهِ (ابن خزيمة والبزار حب) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٤٥٥٢ — يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ (م ٥) عن جابر .

٤٥٥٣ — يَتْبَعُ المَيِّتَ ثَلَاثَةٌ : أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ ، وَيَبْقَى وَاحِدٌ . يَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيَبْقَى عَمَلُهُ (ق) عن أنس رضى الله عنه .

٤٥٥٤ — يَتَعَاقَبُونَ مِنْكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ ، وَيَجْتَمِعُونَ فِى صَلَاةِ الفَجْرِ وَصَلَاةِ العَصْرِ ، ثُمَّ يَعْرُجُ الذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ - وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ - كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِى ؟ فَيَقُولُونَ : تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ (ق ن) عن أبى هريرة .

٤٥٥٥ — يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُلْقَى فى النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ ، فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ بِرَحَاهُ . فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ :

---

(١) أى الزائد عن الحاجة ، والمقصود به الترف .

يا فُلانُ مَا شَأْنُكَ ؟ أَلَسْتَ كُنْتَ تَأْمُرُ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ ؟ فَيَقُولُ : كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالمَعْرُوفِ وَلاَ آتِيهِ ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الشَّرِّ وَآتِيهِ (ق) عن أسامة رضى الله عنه .

٤٥٥٦ — يَجِيءُ صَاحِبُ القُرْآنِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَقُولُ القُرْآنُ : يَا رَبِّ حَلِّهِ ، فَيُلْبَسُ تَاجَ الكَرَامَةِ ، ثُمَّ يَقُولُ : زِدْهُ فَيُلْبَسُ حُلَّةَ الكَرَامَةِ . ثُمَّ يَقُولُ : يَا رَبِّ ارْضَ عَنْهُ فَيَرْضَى عَنْهُ . فَيُقَالُ لَهُ : اقْرَأْ وَارْقَ . وَيَزْدَادُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةً (ت وابن خزيمة ك) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٤٥٥٧ — يَجْتَمِعُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ . فَيُقَالُ : أَيْنَ قُرَّاءُ هٰذِهِ الأُمَّةِ ؟ فَيُقَالُ لَهُمْ : مَاذَا عَمِلْتُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : رَبَّنَا ابْتُلِينَا فَصَبَرْنَا ، وَوَلِّيتَ الأَمْوَالَ وَالسُّلْطَانَ غَيْرَنَا ، فَيَقُولُ اللهُ جَلَّ وَعَلاَ : صَدَقْتُمْ ، فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ قَبْلَ النَّاسِ ، وَتَبْقَى شِدَّةُ الحِسَابِ عَلَى ذَوِى الأَمْوَالِ وَالسُّلْطَانِ ، قِيلَ : فَأَيْنَ المُؤْمِنُونَ يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَ : يُوضَعُ لَهُمْ كَرَاسِيُّ مِنْ نُورٍ ، وَيُظَلَّلُ عَلَيْهِمُ الغَمَامُ ، يَكُونُ ذَلِكَ اليَوْمُ أَقْصَرَ عَلَى المُؤْمِنِينَ مِنْ سَاعَةٍ مِنْ نَهَارٍ (حب طب) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

٤٥٥٨ — يُجِيرُ عَلَى أُمَّتِي أَدْنَاهُمْ (حم ك) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٤٥٥٩ — يَحْرُمُ مِنَ الرَّضَاعَةِ مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ (حم ق د ن ه) عن عائشة (حم م ن ه) عن ابن عباس رضى الله عنهم .

٤٥٦٠ — يُحْشَرُ المُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ يُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُقَالُ لَهُ

بُولَسُ[1] تَغْلُوهُمْ نَارُ الأَنْيَارِ يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةِ الخَبَالِ (ت ن) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنهم .

٤٥٦١ — يُحْشَرُ النَّاسُ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً (ق ن ه) عن عائشة .

٤٥٦٢ — يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ ثَلاثَةَ أَصْنَافٍ : صِنْفاً مُشَاةً ، وَصِنْفاً رُكْبَاناً ، وَصِنْفاً عَلَى وُجُوهِهِمْ . قِيلَ : وَكَيْفَ يَمْشُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ ؟ قَالَ : إِنَّ الَّذِي أَمْشَاهُمْ عَلَى أَقْدَامِهِمْ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ ، أَمَا إِنَّهُمْ يَتَّقُونَ بِوُجُوهِهِمْ كُلَّ حَدَبٍ وَشَوْكٍ (ت) عن أبى هريرة .

٤٥٦٣ — يُخْرِبُ الكَعْبَةَ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الحَبَشَةِ (ق ن) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٤٥٦٤ — يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي أُمَّتِي فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ ، فَيَبْعَثُ اللهُ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ ، فَيَطْلُبُهُ ، فَيُهْلِكُهُ ، فَيَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ رِيحاً بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّامِ فَلاَ يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلاَّ قَبَضَتْهُ (م ن فى التفسير ك) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

٤٥٦٥ — يَدُ اللهِ مَلأَى لاَ يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ؟ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا بِيَدِهِ ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ ، وَبِيَدِهِ المِيزَانُ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ (ق) عن أبى هريرة .

---

(١) هذا اسم أنشأه الشرع لهذ المكان من جهنم، وفيه اشارة الى الانكسار الذى هو نقيض الكبر .

٤٥٦٦ — يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَقْوَامٌ أَفْئِدَتُهُمْ مِثْلُ أَفْئِدَةِ[1] الطَّيْرِ (حم م) عنه رضى الله عنه .

٤٥٦٧ — يَدْخُلُ فُقَرَاءُ الْمُسْلِمِينَ الْجَنَّةَ قَبْلَ الأَغْنِيَاءِ بِنِصْفِ يَوْمٍ . وَهُوَ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ (ت حب) عنه (٥) عن ابن عمر رضى الله عنهم .

٤٥٦٨ — يَدْخُلُ فُقَرَاءُ أُمَّتِي الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ بِأَرْبَعِينَ خَرِيفاً (طب) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٤٥٦٩ — يَدْخُلُ مِنْ أَهْلِ هٰذِهِ الْقِبْلَةِ النَّارَ مَنْ لاَ يُحْصِي عَدَدَهُمْ إِلاَّ اللهُ بِمَا عَصَوْا ، وَاجْتَرَءُوا عَلَى مَعْصِيَتِهِ ، وَخَالَفُوا طَاعَتَهُ ، فَيُؤْذَنُ لِي فِي الشَّفَاعَةِ فَأُثْنِي عَلَى اللهِ سَاجِداً ، كَمَا أُثْنِي عَلَيْهِ قَائِماً ، فَيُقَالُ لِي : ارْفَعْ رَأْسَكَ وَسَلْ تُعْطَهُ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ (طب) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

٤٥٧٠ — يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ جُرْداً مُرْداً مُكَحَّلِينَ أَبْنَاءَ ثَلاَثٍ وَثَلاَثِينَ (ت) عن معاذ رضى الله عنه .

٤٥٧١ — يَذْهَبُ الصَّالِحُونَ الأَوَّلَ فَالأَوَّلَ ، وَتَبْقَى حُثَالَةٌ كَحُثَالَةِ الشَّعِيرِ أَوِ التَّمْرِ لاَ يُبَالِيهِمُ اللهُ بَالَةً (حم خ) عن مِرْداس رضى الله عنه .

٤٥٧٢ — يَرْحَمُ اللهُ ابْنَ رَوَاحَةَ ، إِنَّهُ يُحِبُّ الْمَجَالِسَ الَّتِي تَتَبَاهَى بِهَا الْمَلاَئِكَةُ (حم) عن أنس رضى الله عنه .

٤٥٧٣ — يُؤْتَى بِالنَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا (م ت) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

---

(١) من خشية الله والهيبة منه .

٤٥٧٤ — يَدْعُو اللهُ بِالمُؤْمِنِ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُوقِفَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَيَقُولُ : عَبْدِي إِنِّي أَمَرْتُكَ أَنْ تَدْعُونِي ، وَوَعَدْتُكَ أَنْ أَسْتَجِيبَ لَكَ ، فَهَلْ كُنْتَ تَدْعُونِي ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ يَا رَبِّ . فَيَقُولُ : أَمَا إِنَّكَ لَمْ تَدْعُنِي بِدَعْوَةٍ إِلاَّ اسْتَجَبْتُ لَكَ ، أَلَيْسَ دَعَوْتَنِي يَوْمَ كَذَا وَكَذَا لِغَمٍّ نَزَلَ بِكَ أَنْ أُفَرِّجَ عَنْكَ ، فَفَرَجْتُ عَنْكَ ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ يَا رَبِّ . فَيَقُولُ : إِنِّي عَجَّلْتُهَا لَكَ فِي الدُّنْيَا . وَدَعَوْتَنِي يَوْمَ كَذَا وَكَذَا لِغَمٍّ نَزَلَ بِكَ أَنْ أُفَرِّجَ عَنْكَ ، فَلَمْ تَرَ فَرَجاً ؟ قَالَ : نَعَمْ يَا رَبِّ . فَيَقُولُ : إِنِّي ادَّخَرْتُ لَكَ بِهَا فِي الجَنَّةِ كَذَا وَكَذَا . وَدَعَوْتَنِي فِي حَاجَةٍ أَقْضِيهَا لَكَ فِي يَوْمِ كَذَا وَكَذَا ، فَقَضَيْتُهَا . فَيَقُولُ : نَعَمْ يَا رَبِّ . فَيَقُولُ : إِنِّي عَجَّلْتُهَا لَكَ فِي الدُّنْيَا . وَدَعَوْتَنِي يَوْمَ كَذَا وَكَذَا فِي حَاجَةٍ أَقْضِيهَا لَكَ ، فَلَمْ تَرَ قَضَاءَهَا . فَيَقُولُ : نَعَمْ يَا رَبِّ . فَيَقُولُ : إِنِّي ادَّخَرْتُ لَكَ بِهَا فِي الجَنَّةِ كَذَا وَكَذَا . فَلاَ يَدَعُ اللهُ دَعْوَةً دَعَا بِهَا عَبْدُهُ المُؤْمِنُ إِلاَّ بَيَّنَ لَهُ ؛ إِمَّا أَنْ يَكُونَ عَجَّلَ لَهُ فِي الدُّنْيَا ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ ادَّخَرَ لَهُ فِي الآخِرَةِ فَيَقُولُ المُؤْمِنُ فِي ذَلِكَ المَقَامِ : يَا لَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ عُجِّلَ لَهُ شَيْءٌ مِنْ دُعَائِهِ (ك) عن جابر رضى الله عنه .

٤٥٧٥ — يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَالَمْ يُعَجِّلْ يَقُولُ : قَدْ دَعَوْتُ ، فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي (ق د ت ه) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٤٥٧٦ — يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا ، وَبَشِّرُوا وَلا تُنَفِّرُوا (حم ق ن) عن أنس رضى الله عنه .

٤٥٧٧ — يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلَى المَاشِي ، وَالمَاشِي عَلَى القَاعِدِ ، وَالمَاشِيَانِ أَيُّهُمَا بَدَأَ فَهُوَ أَفْضَلُ (البزار حب) عن جابر رضى الله عنه .

٤٥٧٨ — يَشْرَبُ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا يُضْرَبُ عَلَى رُؤُسِهِمْ بِالْمَعَازِفِ وَالْقَيْنَاتِ يَخْسِفُ اللهُ بِهِمُ الأَرْضَ ، وَيَجْعَلُ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ (٥ حب) عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه .

٤٥٧٩ — يَشْفَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلاثَةٌ : الأَنْبِيَاءُ ، ثُمَّ الْعُلَمَاءُ ، ثُمَّ الشُّهَدَاءُ (٥) عن عثمان رضي الله عنه .

٤٥٨٠ — يَشْفَعُ الشَّهِيدُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ (د) عن أبي الدرداء .

٤٥٨١ — يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى (م) عن أبي ذر رضي الله عنه .

٤٥٨٢ — يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى كُلِّ خَلَّةٍ لَيْسَ الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ (ع البزار) عن سعد (هب) عن ابن عمر رضي الله عنهم .

٤٥٨٣ — يَطَّلِعُ اللهُ إِلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَيَغْفِرُ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ إِلاَّ لِمُشْرِكٍ أَوْ مُشَاحِنٍ (حب طس هب) عن معاذ (البزار هب) عن أبي بكر (٥) عن أبي موسى رضي الله عنهم .

٤٥٨٤ — يَعْجَبُ رَبُّكَ مِنْ رَاعِي غَنَمٍ عَلَى رَأْسِ شَظِيَّةٍ لِلْجَبَلِ يُؤَذِّنُ بِالصَّلاَةِ وَيُصَلِّي ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي هٰذَا يُؤَذِّنُ وَيُقِيمُ الصَّلاَةَ يَخَافُ مِنِّي ، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي وَأَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ (د ن) عن عقبة .

٤٥٨٥ — يُعْطَى الْمُؤْمِنُ فِي الْجَنَّةِ قُوَّةَ مِائَةٍ فِي النِّسَاءِ (ت حب) عن أنس رضى الله عنه .

٤٥٨٦ — يَعْظُمُ أَهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ حَتَّى إِنَّ بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِ أَحَدِهِمْ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةَ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ ، وَإِنَّ غِلَظَ جِلْدِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعاً ، وَإِنَّ ضِرْسَهُ مِثْلُ أُحُدٍ (حم طب) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

٤٥٨٧ — يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ ، يَضْرِبُ عَلَى كُلِّ عُقْدَةٍ : عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللهَ تَعَالَى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ . فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقَدُهُ كُلُّهَا . فَأَصْبَحَ نَشِيطاً طَيِّبَ النَّفْسِ . وَإِلاَّ أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ (مالك ق د ن) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٤٥٨٨ — يَغْزُو جَيْشٌ الْكَعْبَةَ فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ (ق) عن عائشة رضى الله عنها .

٤٥٨٩ — يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إِلاَّ الدَّيْنَ (حم م) عن ابن عمرو .

٤٥٩٠ — يُغْفَرُ لِلْمُؤَذِّنِ مُنْتَهَى أَذَانِهِ وَيَسْتَغْفِرُ لَهُ كُلُّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ سَمِعَهُ (حم طب) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٤٥٩١ — يَقْتُلُ ابْنُ مَرْيَمَ الدَّجَّالَ بِبَابِ لُدٍّ (ت) عن مُجَمِّع بن جارية .

٤٥٩٢ — يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ اقْرَأْ وَارْقَ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا ، فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُهَا (د ت ه حب) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

٤٥٩٣ — يَعْرَقُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ فِي الأَرْضِ عَرَقُهُمْ سَبْعِينَ ذِرَاعاً ، وَإِنَّهُ يُلْجِمُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ آذَانَهُمْ (ق) عن أبى هريرة .

٤٥٩٤ — يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : الْعِزُّ إِزَارُهُ ، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ ، فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ (م) عن أبي سعيد وأبي هريرة رضى الله عنهما .

٤٥٩٥ — يَقُولُ اللهُ : إِذَا أَخَذْتُ كَرِيمَتَيْ[1] عَبْدٍ فَصَبَرَ وَاحْتَسَبَ لَمْ أَرْضَ لَهُ ثَوَاباً دُونَ الْجَنَّةِ (ع حب) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٤٥٩٦ — يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِي هُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ إِنْ قَبَضْتُهُ أَوْرَثْتُهُ الْجَنَّةَ . وَإِنْ رَجَعْتُهُ رَجَعْتُهُ بِأَجْرٍ . أَوْ غَنِيمَةٍ (ت) عن أنس رضى الله عنه .

٤٥٩٧ — يَقُولُ اللهُ : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي . فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي . وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ . وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْراً تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعاً . وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعاً تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعاً . وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً (ق ت ن ه) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

٤٥٩٨ — يَقُولُ اللهُ : أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ ذَكَرَنِي يَوْماً ، أَوْ خَافَنِي فِي مَقَامٍ (ت هب) عن أنس رضى الله عنه .

٤٥٩٩ — يَقُولُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : سَيَعْلَمُ أَهْلُ الْجَمْعِ : مَنْ أَهْلُ الْكَرَمِ ؟ قِيلَ : وَمَنْ أَهْلُ الْكَرَمِ ؟ قَالَ : أَهْلُ مَجَالِسِ الذِّكْرِ (حم ع حب هب) عن أبي سعيد رضى الله عنه .

٤٦٠٠ — يَقُولُ اللهُ : أَنَا ثَالِثُ الشَّرِيكَيْنِ مَالَمْ يَخُنْ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ . فَإِذَا خَانَ خَرَجْتُ مِنْ بَيْنِهِمَا (د ك) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

٤٦٠١ — يَقُولُ اللهُ : مَنْ تَوَاضَعَ لِي هٰكَذَا ، رَفَعْتُهُ هٰكَذَا (حم والبزار عن عمر رضى الله عنه .

---

(١) بشرط أن يكون مؤمنا بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

٤٦٠٢ — يَقُولُ اللهُ لِلْعُلَمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا قَعَدَ عَلَى كُرْسِيِّهِ لِفَصْلِ عِبَادِهِ : إِنِّي لَمْ أَجْعَلْ عِلْمِي وَحِلْمِي فِيكُمْ إِلاَّ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَغْفِرَ لَكُمْ عَلَى مَا كَانَ فِيكُمْ وَلاَ أُبَالِي (طب) عن ثَعْلَبَةَ بن الحكم رضى الله عنه .

٤٦٠٣ — يَقُولُ اللهُ : يَا ابْنَ آدَمَ ، تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلأْ صَدْرَكَ غِنًى ، وَأَسُدَّ فَقْرَكَ ، وَإِلاَّ تَفْعَلْ مَلأْتُ صَدْرَكَ شُغْلاً وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ (ت ه ك هب) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٤٦٠٤ — يَقُولُ اللهُ : إِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً فَلاَ تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ حَتَّى يَعْمَلَهَا ، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا بِمِثْلِهَا ، وَإِنْ تَرَكَهَا مِنْ أَجْلِي فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً ، وَإِنْ أَرَادَ أَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً ، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ (ق) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٤٦٠٥ — يَقُولُ رَبُّكُمْ : يَا ابْنَ آدَمَ ، تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلأْ قَلْبَكَ غِنًى ، وَأَمْلأْ يَدَكَ رِزْقًا . يَا ابْنَ آدَمَ ، لاَ تَبَاعَدْ مِنِّي أَمْلأْ قَلْبَكَ فَقْرًا ، وَأَمْلأْ يَدَكَ شُغْلاً (ك) عن مَعْقِل بن يسار رضى الله عنه

٤٦٠٦ — يَقُولُ إِبْرَاهِيمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : يَا رَبَّاهْ ، فَيَقُولُ الرَّبُّ جَلَّ وَعَلاَ : يَا لَبَّيْكَاهْ ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ : يَا رَبِّ ، حَرَّقْتَ بَنِيَّ ، فَيَقُولُ : أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ ذَرَّةٌ أَوْ شَعِيرَةٌ مِنْ إِيمَانٍ (حب) عن حُذيفة رضى الله عنه .

٤٦٠٧ — يَقُولُ ابْنُ آدَمَ : مَالِي مَالِي ، وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلاَّ مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ (م ت ن) عن عبد الله بن الشِّخِّير رضى الله عنه .

٤٦٠٨ — يَقُولُ الْعَبْدُ : مَالِي مَالِي ، وَإِنَّمَا لَهُ مِنْ مَالِهِ ثَلَاثٌ : مَا أَكَلَ فَأَفْنَى ، أَوْ لَبِسَ فَأَبْلَى ، أَوْ أَعْطَى فَأَبْقَى ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ ذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ (م) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

٤٦٠٩ — يَأْكُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ وَيَشْرَبُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَبُولُونَ ، طَعَامُهُمْ(١) ذَلِكَ جُشَاءٌ كَرِيحِ الْمِسْكِ ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّكْبِيرَ كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفَسَ (م د) عن جابر رضى الله عنه .

٤٦١٠ — يَكُونُ قَوْمٌ فِي آخِرِ الزَّمَانِ يَخْضِبُونَ بِالسَّوَادِ كَحَوَاصِلِ الْحَمَامِ لَا يَرِيحُونَ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ (د ن حب ك) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٤٦١١ — يُمْنُ الْخَيْلِ فِي شُقْرِهَا (د ت) عنه رضى الله عنهما .

٤٦١٢ — يَمِينُكَ عَلَى مَا يُصَدِّقُكَ عَلَيْهِ صَاحِبُكَ (حم م د ه) عن أبي هريرة رضى الله عنه .

٤٦١٣ — يَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي رِجَالٌ يَرْكَبُونَ عَلَى سُرُجٍ كَأَشْبَاهِ الرِّحَالِ يَنْزِلُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْمَسَاجِدِ نِسَاؤُهُمْ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ عَلَى رُؤُسِهِنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْعِجَافِ ، الْعَنُوهُنَّ فَإِنَّهُنَّ مَلْعُونَاتٌ ، لَوْ كَانَ وَرَاءَكُمْ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ خَدَمَتْهُنَّ نِسَاؤُكُمْ ، كَمَا خَدَمَكُمْ نِسَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ (حب ك) عن ابن عمرو رضى الله عنه .

٤٦١٤ — يَنْزِلُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ (ابن أبي حاتم طب) عن أوس بن أوس (تخ طب وابن السكن وابن مَنْدَه) عن نافع بن كَيْسَان بن عبد الله بن طارق عن أبيه رضى الله عنهم .

---

(١) أى نتيجة طعامهم الجشاء كحال أهل الجنة فى الجنة ولذلك لم يراحدلرسول الله صلى الله عليه وسلم فضلات ابدا . وبعضهم كان يظن أن الأرض تنشق وتبتلع ذلك منه . وطبعا لم يشاهد انشقاقها أحد وإنما كان يبعد فى الأرض لتشريع والأقتداء به .

٤٦١٥ — يَنْزِلُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ ، فَيَمْكُثُ فِى النَّاسِ أَرْبَعِينَ سَنَةً (طس) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٤٦١٦ — يُنْزِلُ اللهُ كُلَّ يَوْمٍ عَلَى حُجَّاجِ بَيْتِهِ الْحَرَامِ عِشْرِينَ وَمِائَةَ رَحْمَةٍ : سِتِّينَ لِلطَّائِفِينَ ، وَأَرْبَعِينَ لِلْمُصَلِّينَ ، وَعِشْرِينَ لِلنَّاظِرِينَ (هب) عن ابن عباس رضى الله عنهما .

٤٦١٧ — يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ ، فَيَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِى فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ؟ مَنْ يَسْأَلُنِى فَأُعْطِيَهُ ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِى فَأَغْفِرَ لَهُ ؟ (مالك ق ت) عن أبى هريرة رضى الله عنه .

٤٦١٨ — الأَيْدِى ثَلاثَةٌ : فَيَدُ اللهِ الْعُلْيَا ، وَيَدُ الْمُعْطِى الَّتِى تَلِيهَا ، وَيَدُ السَّائِلِ السُّفْلَى إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَاسْتَعِفَّ عَنِ السُّؤَالِ ، وَعَنِ الْمَسْأَلَةِ مَا اسْتَطَعْتَ ، فَإِنْ أُعْطِيتَ خَيْراً فَلَيْرَ عَلَيْكَ ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ ، وَارْضَخْ مِنَ الْفَضْلِ ، وَلاَ تُلاَمُ عَلَى الْكَفَافِ (ع ك) عن ابن مسعود رضى الله عنه .

٤٦١٩ — الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنًى ، وَمَنْ يَسْتَعِفَّ يُعِفَّهُ اللهُ ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ (ق) عن حكيم بن حزام رضى الله عنه .

٤٦٢٠ — الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى ، وَالْعُلْيَا هِىَ الْمُنْفِقَةُ ، وَالسُّفْلَى هِىَ السَّائِلَةُ (مالك ق د ن) عن ابن عمر رضى الله عنهما .

٤٦٢١ — الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ (حم طب) عنه رضى الله عنهما .

٤٦٢٢ — الْيَمِينُ عَلَى نِيَّةِ الْمُسْتَحْلِفِ (م ٥) عن أبى هريرة .

٤٦٢٣ — الْيَسِيرُ مِنَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ ، وَمَنْ عَادَى أَوْلِيَاءَ اللهِ فَقَدْ بَارَزَ اللهَ بِالْمُحَارَبَةِ ، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الأَبْرَارَ الأَتْقِيَاءَ الأَخْفِيَاءَ الَّذِينَ إِنْ غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا ، وَإِنْ حَضَرُوا لَمْ يُعْرَفُوا قُلُوبُهُمْ مَصَابِيحُ الْهُدَى يَخْرُجُونَ مِنْ كُلِّ غَبْرَاءَ مُظْلِمَةٍ (ه ك هب) عن مُعاذ رضى الله عنه .

٤٦٢٤ — يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرُ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ (مالك خ د ن ه) عن أبى سعيد رضى الله عنه .

٤٦٢٥ — يَهْرَمُ ابْنُ آدَمَ وَيَبْقَى مَعَهُ اثْنَتَانِ : الْحِرْصُ ، وَالأَمَلُ (حم ق ن) عن أنس رضى الله عنه .

٤٦٢٦ — يَوْمُ الْجُمُعَةِ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَاعَةً فِيهَا سَاعَةٌ لاَ يُوجَدُ عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ شَيْئًا إِلاَّ آتَاهُ إِيَّاهُ فَالْتَمِسُوهَا آخِرَ سَاعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ (د ن ك) عن جابر رضى الله عنه .

الخاتمة

اشتمل الكتاب على ستة وعشرين وستمائة وأربعة آلاف حديث ، ضبطناها بالشكل الكامل ، ليأمن القارىء اللحن والخطأ فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد نضع على الحرف حركتين : فتحة وضمة مثلاً ، إشارة إلى جواز قراءته بالوجهين ، والتزمنا صرف أبى هريرة ، مخالفين ما أطبق عليه المتأخرون من منع صرفه ، لأن الصرف هو المتعين من جهة القواعد النحوية ، وإن كان العلامة ابن علان الصديقى جوز الوجهين فى شرح الأذكار ، أو (دليل الفالحين) ووجهوهما ، إلا أن ما وجّه به منع الصرف لا ينهض . وقد قرأت رسالة لبعض أفاضل علماء الهند اسمها « إزاحة الحيرة فى صرف أبى هريرة » أفاد فيها وأجاد ، كما قرأت فى (نيل الابتهاج) فى ترجمة بعض كبار المالكية : أن له رسالة فى صرفه أيضاً .

فدونك كتاباً كبير الفائدة ، عظيم العائدة ، سهل المأخذ ، قريب المنال ، من استوعب أحاديثه حفظاً وتفهماً ، قويت حجته ، واستدّ ساعده ، واتسعت مداركه ، ورنَتْ إليه الأبصار بالإعجاب ، وإذا أتى منه بحديث ، كان قوله فصلَ الخطاب .

غير أنه وقع فيه ما ينبغى بسط العذر عنه ، فقد تكررت فيه أحاديث لفائدة تقوية الحديث بتعدد طرقه ، أو زيادة معنى فى الثانى لم يكن فى الأول ، كما أن بعض الأحاديث وقعت فى غير ترتيبها الطبَعى داخل الحرف الذى هى تتبعه ، ومرجع ذلك إلى سهو حصل ساعة الإملاء ، فقد كنت أملى

على الناسخ وهو يكتب ، وأسترسل فى الإملاء ، حتى أملى مائة حديث ، أو أكثر ثم أراجعها ، فأجد فيها أحاديث تكررت مع سابقتها فى حرف آخر ، أو أتذكر حديثاً كنت سهوت عنه ، فأمليه بعد فوات ترتيبه . فلذلك تجد حديثاً أوله : أَلاَ بفتح الهمزة ، بين حديثين ، أولهما : إِيَّاكَ أو حديثاً أوله : مَنْ قَالَ ، بين حديثين ، أولهما : مَنْ قتلَ ، وهكذا .

على أن التكرار المشار إليه ، لا يخلو من فائدة لها قيمتها العلمية ، وهى تأييد ما ذهب إليه الجمهور من جواز رواية الحديث بالمعنى ، للعالم بمدلولات الألفاظ . وإن كان الإمام مالك يتشدد فى الرواية تشدداً كبيراً . فقد حكى عنه الترمذى فى كتاب « العلل » : أنه كان يتشدد فى رواية الحديث فى التاء والياء ونحوها .

وهو يقتدى فى ذلك بشيخ شيخه عبد الله بن عمر ، الذى كان يحرص على لفظ الحديث ، حتى فى تقديم كلمة أو تأخيرها ، فقد ثبت عنه فى صحيح مسلم من طريق بكر السَّكْسَكِى - بفتح السينين بينهما كاف ساكنة - فى حديث « بُنِيَ الإسْلاَم على خمس » أنه أعاد عليه الحديث ليحفظه ، فقال : وَالْحَجِّ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ . فقال له ابن عمر : لا ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ ، وَالْحَجِّ . هكذا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكذلك كان أبو هريرة أيضاً ، وقصته فى ذلك مع مروان معروفة . وشهدت له عائشة رضى الله عنها فى أحاديث بأنه حفظها ، منها حديث الصلاة على الجنازة وتشييعها حتى دفنها ، وهو فى صحيح مسلم .

ولا يفوتنى أن أشكر لولدنا الفاضل على عجَّاج يَزْبَك اللبنانى الشيعى ، فقد تطوع بنسخ الكتاب ، رغبةً منه فى نيل الثواب ، بكتابة حديث

رسول الله صلى الله عليه وسلم . حقق الله رَغْبته ، وأناله طِلْبته . ووفقنا وإياه وسائر أحِبَّائنا لما فيه رضاه . ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا بالله .

تم تحريراً فى يوم الأربعاء الخامسَ عَشَرَ من شهر شعبان المبارك من سنة خمس وثمانين وثلثمائة وألف هجرية .

والحمد لله فى البدء والختام ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد خير الأنام ، وبدر التمام .

تصويبات

نرجو أن يتفضل السيد المطالع لهذا الكتاب إجراءها فى مواضعها قبل قراءته ليأمن الوقوع فى الخطأ فى حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد رأينا الاكتفاء بإثبات التصويب ورقم الصفحة والسطر غاضين النظر عن بعض هنات مطبعية يدركها القارىء بنفسه كالهمزات المفتوحة والمكسورة والنقط ، والله يوفقنا للصواب ، آمين .

ص	س	صواب	ص	س	صواب
٥	٨	صَلٍّ	٥٠	١	والخَلْقُ
٧	٨	مُنْذَبْذَبَتَيْنِ	—	٢	النومُ
١٠	١٠	مِائة	٥١	١٧	وَصَلٍّ
١٣	٧	رجَعت	٥٢	١٥	عليها
—	١٥	يرجعَ . امرأةٌ . ترجعَ	٥٥	٦	لأحاديثِكُم
١٤	٥	وقتلُ	—	١١	وسفكَ
—	٦	واكلُ	٦١	١٩	أرادها
—	٧	وقذفُ	٦٢	١٠	اصدُقوا
١٦	١٨	فتتشاءم	٦٦	٦	البقَرة
٢١	٨	أحدَكم	٧١	٦	الرويانى
—	١٣	وماله	٧٤	١٧	الطفيتين
٢٢	٥	لينصرفْ	٧٥	١٣	فرقان
٣٢	٢٠	تعلمُ	٨٠	—	المِلح
٤١	٥	قَدَمِك	٨١	١	عيشُ

ص	س	صواب
٨١	٥	ربٌّ
٨١	٧	ميكائيل . يرفعُ
٨٤	١٨	يراقُ
٨٦	٧	تَضلّنى
٨٨	٢١	عنها
٨٩	١٧	شافِىَ
٩٢	١٠	يمشيَهُ
٩٢	١٢	مثلُهن
٩٢	١٨	عبيد الله
٩٤	٢٠	يعلمَ
٩٦	٦	فتنةٍ
٩٦	١١	ترونَ
٩٧	٥	أذكركُم
١٠٠	١٣	إبراهيمَ
١٠٠	١٧	أذنَ
١٠٨	١٠	يهلكُ
١٠٩	١١	بطانةَ
١١٠	١	رزقَنا
١١٤	٢٠	جلاله
١١٦	١	حل
١١٦	١٩	يشمل
١١٧	١٦	السجلاتِ

ص	س	صواب
١٢٠	٥	فيقول
١٢٠	١٠	لوجَدْتَنى
١٢٢	٩	أضرٌّ
١٢٩	١٣	يعبدُه
١٢٩	١٥	من
١٣١	١٥	تدخلهما
١٣٤	٩	الفَخِذَ
١٣٥	٧	الذى
١٣٧	٣	وَماَوَلُوا
١٣٩	١٦	عرشَهُ
١٤٢	١٣	والـكتَم
١٤٤	١٤	حتى يصليَها
١٤٥	٥	أعْلاها
١٤٦	١٤	نفسُه
١٤٨	١١	أوّل
١٤٩	٦	أخمص
١٥٤	١٠	غُرَفا
١٥٤	١٦	مِائة
١٥٦	٨	فتنةً
١٦٢	١١	تعدُّوه
١٦٢	١٦	الزبَيرُ
١٦٤	٣	يحُطان

ص	س	صواب
١٦٤	٥	ابنِ
١٦٤	١٢	ونتفَ
١٦٥	٢٠	أحسنَهم
١٦٩	٨	خَضرة
١٦٩	١٦	ابن
١٧٦	٢٢	لعضد
١٧٨	٤	الضعيفَ
١٧٨	١٢	ورمىُ
١٧٩	١	جهنمَ
١٨١	٧	مثلُ
١٨٢	١	نيتَه
١٨٢	٦	أوعكُ
١٨٢	٨	أبعثُ
١٨٣	١١	رقيقة
١٨٣	١٣	أنقب
١٨٤	١١	عُبادة
١٨٦	١	يُعفِها
١٩٦	١٢	أولِمْ
١٩٧	١١	أولُ
٢٠٠	١٣	لأبرَّه
٢٠٢	٩	عنهما
٢٠٣	٨	عنهما

ص	س	صواب
٢٠٥	١١	الـكلَب
٢٠٩	١٠	العشاء . الآخرةَ
٢١٠	١٧	يُحضره . يطوِّقُه
٢١٠	١٨	مرة
٢١٦	١٦	الـكبائِر
٢١٧	٦	واستُرْحِمُوا
٢١٩	٦	الصبحَ
٢٢٠	١	المسلِم
٢٢٠	٣	للغُرَباء
٢٢١	١٧	مثلَ
٢٢٣	٢	تفصيا
٢٣٠	١٨	تسمُّون
٢٣٥	٣	تنقه
٢٣٧	٥	تخلصَ
٢٣٩	٥	حضرتَ
٢٤١	٦	قمر
٢٤٢	٢	والدِّيوث . الخبث
٢٥٠	٧	الخائفين
٢٦١	٩	حظَّه
٢٦٦	٩	النفرِ
٢٦٧	١٠	بِمعروف
٢٦٧	١٨	البيتِ

ص	س	صواب
٢٦٨	٣	خمسٌ
٢٦٨	١١	الحرَم
٢٧٤	١٤	حب
٢٧٦	١١	يومِ
٢٨١	٣	غَيْرتك
٢٩٠	٣	أرقم
٢٩٧	١	تعليقة على الحديث رقم ١٨٦٥ تنقل إلى الحديث رقم ١٨٨٥
٣٠٤	١	واحْمَدى
٣٠٤	٥	واحْمَدى
٣٠٥	١٣	المستهتَرون
٣٠٨	١	يتقاحمون
٣١٧	١٣	يصلح
٣١٨	٤	تطلعُ
٣١٨	٥	والمبطُون
٣٢٣	١١	مارقِ
٣٢٧	١٢	وتبؤُّس
٣٣٠	٨	صبيحةُ
٣٣٣	٣	غيبة
٣٣٦	٩	الأربعةَ
٣٣٧	٤	يمرّ

ص	س	صواب
٣٤١	١٠	فاحْمَد
٣٤٣	٨	فَالشهيد
٣٤٥	٧	عنهُ
٣٤٧	٨	أعلمْ
٣٤٧	٩	أعلمْ
٣٤٨	١	انهوكم
٣٥٢	١٥	عوْرة
٣٥٥	١٢	والرُّقبى
٣٥٧	٨	يَميدُ
٣٦١	٣	بَضْعة
٣٦١	١٣	والنهىُ
٣٦٦	١٨	المنقِلة
٣٦٧	١	مفصِل
٣٦٧	٢	عنه
٣٦٧	٤	عنه
٣٧٠	١٢	والسكِينة
٣٧٦	٩	النذرُ
٣٧٧	١٨	أنس
٣٨٠	٧	أبالى
٣٨١	٩	بجمع
٣٨٤	١	العىٍّ
٣٨٤	٩	الأنفِ

ص	س	صواب
٣٨٤	٢٢	وكسر . وهو
٣٨٥	٥	صَنيعِكما
٣٨٧	١٩	وعافِني
٣٨٩	٤	المساكينُ
٣٩٢	٥	داودُ
٣٩٧	٦	يطعُن
٣٩٧	١٣	فَإِنَّمَا
٣٩٨	١١	كلَّ . تطلعُ
٣٩٩	١٢	عرفَة
٤٠٢	١٤	وآدمُ
٤٠٣	٢٢	كُيلُ
٤٠٤	١	الزَّيت
٤٠٤	١٥	فمنَعَ
٤٠٥	١١	نهيتُكم
٤٠٥	١٢	ذَوُوا . طولَ
٤٠٦	١٠	فينفِخَ
٤٠٧	٢	أولَيهُن
٤١٠	١٧	خاتَمُه
٤١١	١٨	العرنينِ
٤١٣	٩	الشَّرَاب
٤١٦	٤	وخَيْرِ ما
٤٤٦	٥	وشرٍّ

ص	س	صواب
٤٢٢	١١	عنه
٤٣١	١٥	جبينُه
٤٣٢	١	استقبالها
٤٣٤	١٨	مُكحُلة
٤٣٥	١٧	عنه
٤٤٥	٥	ويفخمه
٤٤٦	٨	ويحتُّه
٤٥٣	٤	الغُرْفَة
٤٥٤	١٧	قلوبُكم
٤٦٠	٨	البَرَاء
٤٦٠	١٣	كَثف
٤٦٢	٤	لِبسة
٤٦٥	١٤	سبيل
٤٦٧	٧	عنه
٤٧٠	٨	عنه
٤٧٥	٣	الدرجات
٤٧٥	٨	يَغفِرُ
٤٧٧	٤	يُقل
٤٧٩	٥	لسبقتُه
٤٧٩	٧	سابِقَ
٤٧٩	١٠	يَعْمِد
٤٨٦	٢	ليصبِحُن قِرَدة

ص	س	صواب
٤٨٦	١٤	يسمّون
٤٩٥	٧	عليه
٤٩٥	٨	فلانٌ
٤٩٦	١	تُـكُهِن
٥٠١	٥	لأ
٥٠١	٢٠	ب
٥٠٥	٢٠	شلتوت
٥٠٨	١	ما أمرْت
٥٠٨	٤	حيث
٥٠٩	٣	فَيَنْبُتُون
٥١٢	٢٠	حريصاً
٥١٦	١	الفُحش
٥١٨	٧	عافيةً
٥١٨	١٤	وَيُنْتَهك
٥٢١	٥	ألقاه
٥٢٨	٢	وَايلة
٥٢٨	٩	الجنةَ
٥٣٥	٦	مَرَّ
٥٣٥	٧	فَأَدخل
٥٣٥	٨	أبْنَاء
٥٣٥	١٦	وَهُوَ
٥٣٦	٢١	تعسف

ص	س	صواب
٥٣٧	١٨	حالا
٥٣٨	١٦	يومُ
٥٤٦	٧	ثِنْتَيْ
٥٤٦	١٨	اللهَ
٥٥٨	١٣	يبتغى
٥٦٨	١٧	الشُّهداء
٥٨٣	١٠	صَلٍّ
٥٨٤	٢٣	حين
٥٨٩	١٩	لحـكة
٥٩٥	١	يَغزُ
٥٩٥	١١	يَشْرَبُ
٥٩٦	١	أو أهْدَى زِقَاقاً
٦٢٠	٣	بالورِقِ
٦٢٨	٢٠	هلاك
٦٣١	١	بَوَائِقَهُ
٦٤٥	١٣	تُعَزِّرُوا
٦٤٩	١٩	رجل
٦٤٩	٢٠	رجل
٦٥٢	١٣	عن عائشة رضى الله عنها
٦٥٣	٨	يحِبُّ
٦٥٤	١١	ولدٌ
٦٥٤	١٦	يَحْتَـكر

ص	س	صواب
٦٥٨	١٦	معروضة
٦٦٨	١٠	منادِ
٦٦٩	١٣	فيكم
٦٧٠	١٨	الذر
٦٧٢	٣	فقراء
٦٧٢	١٧	كُلٌّ

إعـــلان

اعتزم مؤلف هذا الـكتاب إنشاء شرح كامل له اسمه :

﴿ الفتح المبين شرح الـكنز الثمين ﴾

يحل ألفاظ الحديث اللغوية ، ثم يبين معناها فى عرف الشرع ، ويجمع بين الحديثين اللذين يظن بينهما تناقض أو اختلاف ، بما يزيل ذلك التناقض أو الاختلاف . ويستخرج ما فى الحديث من أحكام فقهية ، غير متقيد بمذهب من المذاهب ، مع الإشارة إلى فوائد أخلاقية ، وحكم أدبية ، وحقائق علمية ، وقواعد أصولية . كل ذلك فى عبـــارة واضحة ، لا غموض فيها ولا تعقيد ، سالـكا سبيلا وسطا بين

الإيجاز والإطناب . نفعنا الله به

وأكثر من أمثاله

ذخراً للدين

آمين .

فهرس الموضوعات

مقدِّمة الشيخ أحمد محمد مرسي في التعريف بآل الصِّدِّيق الغُماريِّ ..... ج
مقدِّمة السيد عبدالله بن الصِّدِّيق وتشتمل على مسائل: المسألة الأولى: أنواع الحديث الثابت..... ط
المسألة الثانية: بعض من جمع الأحاديث ..... ي
المسألة الثالثة: من مزايا الجامع الصغير وبعض الكتب المصنَّفة حوله ..... ل
المسألة الرابعة: الكنز الثمين أحاديثه أكثرها من الجامع الصغير مع زيادات من مظانٍّ أخرى ورموز الكنز الثمين ..... ن
المسألة الخامسة: من مزايا كتاب الكنز الثمين ..... ع
حرف الألف..... ١
حرف الباء..... ٢١٩
حرف التاء..... ٢٢٧
حرف الثاء..... ٢٣٨
حرف الجيم..... ٢٤٨
حرف الحاء ٢٥١
حرف الخاء ٢٦٣
حرف الدال..... ٢٨٠
حرف الذال..... ٢٨٧
حرف الراء ٢٩١

حرف الزاي ٢٩٩
حرف السين ٣٠٢
حرف الشين ٣١٥
حرف الصاد ٣٢٠
حرف الضاد ٣٣٤
حرف الطاء ٣٣٦
حرف الظاء ٣٤٠
حرف العين ٣٤١
حرف الغين ٣٥٧
حرف الفاء ٣٦١
حرف القاف ٣٧١
حرف الكاف ٣٩٢
حرف اللام ٣٥٦
حرف الميم ٥٠٤
حرف النون ٦١٠
باب المناهي ٦١٤
حرف الهاء ٦٢٧
حرف الواو ٦٣٠
حرف لا ٦٣٧

حرف الياء ٦٦٣
خاتمة الكتاب: وفيها فوائد في تكرار الحديث والاختلاف في صرف أبي هريرة ٦٨١
تصويبات ٦٨٥
إعلان: اعتزم مؤلِّف هذا الكتاب إنشاء شرح كامل له اسمه: «الفتح المبين شرح الكنز الثمين» ٦٩٢
فهرس الموضوعات ٦٩٣

موسوعة

العلامة المحدث المتفنن

سيدي الشريف عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري الحسيني

(١٣٢٨ - ١٤١٣هـ) رحمه الله تعالى

قدم لها

الشريف الدكتور

عبد المنعم بن عبد العزيز بن الصديق

إشراف

الدكتور محمود سعيد بن محمد ممدوح

المجلد السابع

الحديث الشريف وعلومه

موسوعة

العلامة المحدث المتفنن

سيدي الشريف عبد الله بن محمد الصديق الغماري الحسني

(١٣٢٨ - ١٤١٣هـ) رحمه الله تعالى

٧

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية
عام / ١٤٣٨

قام بطباعتها وإخراجها: مركز البحوث والدِّراسات
بكُليَّة الصَّفا الإسلاميَّة بماليزيا

يطلب من:

دار السَّلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

جمهورية مصر العربية: القاهرة – الإسكندرية.
الإدارة: القاهرة ٤٠ شارع أحمد أبو العلا – المتفرِّع من شارع نور الدين بهجت – الموازي لامتداد شارع مكرم عبيد – مدينة نصر.
هاتف: ٢٢٨٧٣٢٤٦ - ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ (٢٠٢+)
فاكس: ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢+)
البريد الإلكتروني: info@dar-alsalam.com
موقعنا على الإنترنت: www.dar-alsalam.com

المجلد السابع: الحديث الشَّريف وعلومه

ويحتوي على:

١ - تَوْجِيهُ العِنايَةِ لتَعْرِيفِ عِلْمِ الحَدِيثِ رِوَايةً و دِرايةً.

٢ - الأربعون الغُماريَّة في شُكْرِ النِّعَمِ.

٣ - الأربعون حديثًا الصِّدِّيقيَّة في مَسائل اجْتماعِيَّة.

٤ - تمامُ المِنَّةِ ببيان الخِصَال المُوجِبةِ للجَنَّةِ.

٥ - الغَرائب والوِحْدان في الحديثِ الشَّريفِ.

٦ - الفَوائِدُ المقْصُودَةُ في الأحاديث الشَّاذَّةِ المرْدُودَةِ.

٧ - أسانيد السيِّد عبدالله للكتب السَّبعةِ.

٨ - أسماء شُيوخي.

٩ - إجازات السيِّد عبدالله لبعض مُعاصِريه.

١ - تَوْجِيهُ العِنايَةِ
لتَعْرِيفِ عِلْمِ الحَدِيثِ رِوَايةً و دِرايةً

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين والصَّلاة والسَّلام على أشرف المرسلين سيدنا محمَّد وآله الأكرمين، ورضي الله عن صحابته والتابعين.

وبعد:فهذا جزءٌ سمَّيته: "**تَوْجِيهُ العِنايةِ لتَعْريفِ عِلْمِ الحَديثِ رِوَايَةً ودِرايَةً**" حرَّرت فيه الكلام على تعريف هذين العِلْمين، وبيَّنت ما وقع فيه للمتأخِّرين مِن خَبْطٍ وخَلْطٍ، أوْحَيَا لقارئ كلامهم كثيرًا من الغموض والحِيرة.

واللهَ المسئول أنْ يوفِّقنا ويهدينا سواء السَّبيل، فهو حسبنا ونعم الوكيل.

المؤلِّف

عبدالله الصِّدِّيق الغُماري

تمهيد

الخَبْطُ والخَلْطُ الواقعان في كلام المتأخِّرين، سببهما: أنَّ الذي عرَّف العِلْمَين أولًا لم يكن من أهل الحديث، ولا خبرة له به، ثُمَّ تتابع الناقلون لكلامه تقليدًا من غير تَمحيصٍ، ولا يأتي التقليد بخيرٍ.

وأنَّا أنقل بحول الله، ما قيل في تعريف العِلْمين، ثُمَّ أبيِّن صحيحه من خطأه، وأُحرِّر سَمِينه مِن غَثِّه حسبما تلقَّيته مِن أخي أبي الفيض حين حضرت عليه "نخبة الفكر".

جاء في "تدريب الراوي" للحافظ السيوطيِّ ما نصُّه: «قال ابن الأكفانيِّ في "إرشاد القاصد" الذي تكلَّم فيه على أنواع العلوم: عِلْم الحديث الخاص بالرِّواية: «علمٌ يشتمل على أقوال النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وأفعاله ورِوايتها وضَبْطِها وتحرير ألفاظها».

وعلم الحديث الخاص بالدِّراية: «علمٌ يُعرَفُ منه حقيقة الرِّواية، وشُروطها وأنواعها وأحكامها، وحال الرُّواة وشروطهم، وأصناف المرويَّات وما يتعلَّق بها».

فحقيقة الرِّواية نقل السُّنَّة ونحوها، وإسناد ذلك إلى من رويت إليه بتحديثٍ وإخبارٍ وغير ذلك، وشروطها تحمُّل راويها لما يرويه بنوعٍ من أنواع التحمُّل من سماعٍ أو عرضٍ أو إجازةٍ ونحوها.

وأنواعها: الاتصال والانقطاع و نحوهما.

وأحكامها: القبول والرد.

وحال الرُّواة: العدالة والجرح.

وشروطهم في التحمُّل وفي الأداء ما سيأتي.

وأصناف المرويَّات: المصنَّفات من المسانيد والمعاجم والأجزاء وغيرها، أحاديث و آثار وغيرها، وما يتعلَّق بها، هو معرفة اصطلاح أهلها».اهـ

وقال عز الدِّين ابن جماعة: «عِلْم الحديث علمٌ بقوانين يعرف بها أحوال السَّند والمتن، وموضوعه السَّند والمتن، وغايته معرفة الصَّحيح من غيره».

ونظمه الحافظ السيوطي في "ألفيته" الحديثيَّة بقوله:

عِلْمُ الحَدِيثِ ذُو قَوانين تُحَدّ ... يُدْرَىٰ بها أحْوالُ مَتْنٍ وسَنَدْ

فَذَانِكَ المَوضُوعُ والمَقْصُودُ ... أنْ يُعْرَفَ المَقْبُولُ والمَرْدُودُ

وقال الشَّيخ زكريا الأنصاري في شرح "ألفية العراقي": «والحديث، ويرادفه الخبر علىٰ الصَّحيح، ما أضيف إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، قيل: أو إلىٰ صحابيٍّ أو إلىٰ من دونه، قولًا أو فعلًا أو تقريرًا أو صفةً، ويعبَّرعن هذا بعلم الحديث روايةً، ويُحَد بأنَّه: علمٌ يشتمل علىٰ نقل ذلك. وموضوعه: ذات النَّبيّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، من حيث إنَّه نبيٌّ. وغايته: الفوز بسعادة الدَّارين.

وأمَّا علم الحديث درايةً، وهو المراد عند الإطلاق، كما في النظم، فهو عِلْمٌ يُعرف به حال الرَّاوي والمروي من حيث القبول أو الرد. وموضوعه: الرَّاوي والمروي من حيث ذلك. وغايته: معرفة ما يُقبل وما يُرد من ذلك، ومسائله ما يُذكر في كتبه من المقاصد».اهـ

وفي "توضيح الأفكار"، نقلًا عن الشَّيخ عطاء في مختصره المسمَّىٰ بـ"القول المعتبر في مصطلح أهل الأثر"، تعريف علم الحديث دراية: بأنَّه علمٌ يُعرف به حال الرَّاوي والمروي من جهة القبول والرد. وموضوعه: الرَّاوي

والمروي عنه من هذه الجهة. **وغايته**: معرفة ما يقبل وما يرد.

وأمَّا الحديث فهو علم رواية، ورسمه علمٌ يشتمل على نقل ما أضيف إلى النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، قيل: أو إلى صحابي فمن دونه، قولًا أو فعلًا أو همًّا أو تقريرًا أو صفةً».اهـ

وفي "حاشية الشيخ الباجوري على الشمائل": أنَّهم عرَّفوا علم الحديث روايةً بأنَّه: علمٌ يشتمل على نَقْلِ ما أُضيف إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، قيل أو إلى صحابيٍّ أو إلى من دونه، قولًا أو فعلًا أو تقريرًا أو صفة.

وموضوعه: ذات النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من حيث إنَّه نبيٌّ.

وواضعه: أصحابه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الذين تصدُّوا لضبط أقواله وأفعاله وتقريراته وصفاته.

وغايته: الفوز بسعادة الدَّارين.

ومسائله: قضاياه التي تذكر ضمنًا.

كقوله: قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّما الأعْمَالُ بالنِّيَّات**» فإنَّه مُتضمِّن لقضيَّة قائله: «**إنَّما الأعْمَالُ بالنِّيَّات**» مِن أقواله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، واسمه عِلْم الحديث رِواية.

ونسبته: أنَّه من العلوم الشَّرعية وهي الفقه والتفسير والحديث.

وفضله: أنَّ له شرفًا عظيمًا من حيث أنَّه تُعرف به كيفيَّة الاقتداء به صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

وحُكْمه: الوجوب العَيْني على من انفرد، والكِفائي على من تعدَّد.

واستمداده: مِن أقوال النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وأفعاله وتقريره

وهمِّه وأوصافه الخَلْقِيَّة وأخلاقه المرضيَّة.

وعلم الحديث دراية: وهو المراد عند الإطلاق: عِلْمٌ يعرف به حال الراوي والمروي من حيث القبول والرَّد وما يتبع ذلك.

وموضوعه: الرَّاوي والمروي من الحيثيَّة المذكورة.

وغايته: معرفة ما يُقبل وما يردُّ من ذلك.

ومسائله: ما يذكر في كتبه من المقاصد كقولك: كلُّ حديثٍ صحيحٍ يُقبل.

وواضعه: الزُّهريُّ في خلافة عمر بن عبدالعزيز بأمره.

واسمه: علم الحديث دراية، وبقيَّة المبادئ العشرة، تُعلم ممَّا تقدَّم. نقله القنوجيُّ في "الحطة" وأقرَّه.

وقال المباركفوري في مقدمة "تحفة الأحوذي" بعد أنْ نقل عدَّة تعريفات ما نصُّه: قد ظهر من هذه العبارات أنَّ علم الحديث يطلق على ثلاثة معانٍ:

الأول: أنَّه علمٌ يعرف به أقوال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وأفعاله وأحواله، وقد قيل له العلم برواية الحديث كما في عبارة ابن الأكفانيِّ والباجوريِّ.

الثاني: أنَّه علمٌ يبحث فيه عن كيفية اتصال الأحاديث بالرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من حيث أحوال رواتها ضبطًا وعدالةً، ومن حيث كيفيَّة السَّند اتصالًا وانقطاعًا وغير ذلك، وعلم الحديث بهذا المعنى هو المعروف بعلم أصول الحديث.

وقد قيل له العلم برواية الحديث أيضًا، كما في عبارة "الكشف" و"الحطة".

وقد قيل له: العلم بدراية الحديث أيضًا، كما في عبارة ابن الأكفانيِّ

والباجوريِّ.

الثالث: أنَّه علمٌ باحثٌ عن المعنىٰ المفهوم من ألفاظ الحديث، وعن المراد منها مبنيًّا علىٰ قواعد اللُّغة العربيَّة، وضوابط الشريعة، ومطابقًا لأحوال النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، كما في عبارة "الكشف".

وبقيت عبارات للشيخ طاهر الجزائري والشيخ جمال الدين القاسمي والشيخ ظفر التهانويِّ، وعجاج الخطيب، وصبحي الصَّالح وغيرهم، مما لم أذكرها؛ لأنَّها في معنىٰ ما ذكرته من العبارات السَّابقة، فلم أرَ تطويل البحث بذكرها.

التنقيح

أول من عرَّف علم الحديث رِوايةً ودرايةً علىٰ طريقة أهل المنطق، هو ابن الأكفانيِّ فيما أعلم، ولم يكن من أهل الحديث، ولا خبرة له بالصِّناعة الحديثيَّة، وإنَّما عرَّف هذا العِلْم، كما عرف غيره في "إرشاد القاصد".

وقلَّده الحافظ السُّيوطيُّ في "تدريب الرَّاوي"، ولم يدرك ما في تعريفه من الخطأ؛ لأنَّه لم يكن يعرف عِلْم المنطق، بل كان يُحرِّمه، ولأجل هذا نقل تعريفات أخرىٰ، ولم يُحرِّرها ولا بيَّن خطأها من صوابها، وكلُّ من عرَّف هذين العِلْمين تبع ابن الأكفاني، ومشىٰ علىٰ طريقته تقليدًا له مباشرةً أو بواسطة من قلَّده، والتقليد لا يأتي بخيرٍ.

والشَّيخ المباركفوري رحمه الله أراد أن يُحرِّر الموضوع فاستخلص من التعريفات التي نقلها أنَّ علم الحديث له ثلاث معانٍ، بيَّنتها كما سبق حسب

فهمه. والقنوجيُّ لم يزد في "الحطة" على كلام الباجوريِّ في "حاشية الشمائل"، والباجوريُّ ما جاوز كلام ابن الأكفانيِّ، وإنَّما وضَّحه وبسَّطه، وهذه عادته في كتبه، يوضِّح عبارة مَن قبله ويُبسِّطها ويوضِّح ما فيها من غموضٍ، وهي نافعةٌ للمبتدئ، مفيدةٌ له.

والمُقرَّر في علم المنطق أنَّ التعريفات من قبيل التصوُّر، يشرح الماهيَّة بذاتياتها إن كان حدًّا، أو بخاصتها أو عرضها إن كان رسمًا، والتعريفات لا تختلف إلَّا في العبارة بأن يكون في بعضها أوضح من بعض.

أمَّا إن كان التعريف يشرح الماهيَّة شرحًا غير مطابقٍ لها، فهو تعريفٌ فاسدٌ، والتعريفات المذكورة هنا وما في معناها ممَّا لم أذكره من هذا القبيل؛ لأنَّها عرَّفت علم الحديث روايةً ودرايةً بما لا يوافق حقيقتهما.

علم الحديث

يطلق علم الحديث ويراد به المعنى الشَّامل لعلمي الرِّواية والدِّراية.

ويرسم بأنَّه: علمٌ يُعرف به أقوال النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وأفعاله وتقريراته وأحواله.

وموضوعه: ذاتُ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من حيث أنَّه نبيٌّ.

وغايته: الفوز بسعادة الدَّارين.

نقله صاحب "كشف الظنون" عن "الفوائد الخاقانية"، وهو عند الكرمانيِّ في "شرح البخاري" وينقسم إلى نوعين:

علم الحديث روايةً: وهو علمٌ يُعرف به حقيقة الرِّواية وشروطها وكيفيَّة

الاتصال والانقطاع وحال الرِّواة وما يتصل بذلك.

وموضوعه: الرَّاوي والمروي.

وغايته: معرفة المقبول والمردود، ويُسمَّىٰ علم مصطلح الحديث، وأصول الحديث. و سُمِّي علم الرِّواية لأسبابٍ:

أحدها: أنَّه خاصٌّ بالبحث في رواية الحديث من جميع جهاتها.

ثانيها: أنَّ قولهم: علم الحديث روايةً، تمييز محول عن المضاف إليه.

والأصل علم رواية الحديث.

ثالثها: أنَّ الحافظ الخطيب ألَّف كتابًا في المصطلح سماه "الكفاية في عِلْم الرِّواية"، كما ألَّف الحافظ ابن الجزريِّ كتابًا في المصطلح أيضًا سمَّاه: "الهداية في عِلْم الرواية" وللحافظ السَّخاويِّ شرحٌ عليه اسمه "الغاية" وللحافظ عبدالحق الإشبيلي كتاب "مختصر الكفاية في علم الرواية".

وقال الحافظ في "شرح النخبة" في ذكر من ألَّف في المصطلح: ثُمَّ جاء بعدهم الخطيب أبو بكرٍ البغداديُّ فصنَّف في قوانين الرِّواية كتابًا سمَّاه: "الكفاية"، وفي آدابها كتابًا سمَّاه: "الجامع لآداب الشيخ والسامع"».اهـ وهو يؤيِّد ما قرَّرناه، والحمد لله.

وعلم الحديث درايةً، رسمه الشَّيخ أحمد بن مصطفي المعروف بطاش كبرىٰ زاده، في "مفتاح السعادة": بأنَّه علمٌ يبحث فيه عن المعنىٰ المفهوم من ألفاظ الحديث، وعن المعنىٰ المراد منها مبنيًّا علىٰ قواعد العربيَّة وضوابط الشَّريعة، ومطابقًا لأحوال النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

وموضوعه: أحاديث الرسول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من حيث دلالتها

على المعنى المفهوم أو المراد.

وغايته: التَّحَلِّي بالآداب النبويَّة، والتَّخَلِّي عمَّا يكرهه أو ينهى عنه.

ومنفعته: أعظم المنافع كما لا يخفى على المتأمِّل.

ومباديه أي استمداده: العلوم العربيَّة كلها ومعرفة القصص والأخبار المتعلِّقة بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ومعرفة الأصلين والفقه وغير ذلك.

هذا تعريف علم دراية الحديث، وهو موافقٌ لمعنى الدِّراية، إذ هي العلم. يقال: دريت الشَّيء علمته.

وقد كنت ألقيت بدار جماعة أنصار الحجِّ في القاهرة محاضرةً في هذا الموضوع، حضرها جمعٌ من علماء الأزهر منهم الشَّيخ الأحمدِين بكسر الدال، مدرِّس الحديث بكليَّة أصول الدين، والشَّيخ عبدالعظيم الزُّرقاني مدرِّس التفسير بالكليَّة أيضًا، واستحسنوا ما قرَّرته من الفرق بين عِلْمَي الحديث روايةً ودرايةً، وعَلِموا أنَّه الصَّواب، إلَّا الشيخ الزُّرقاني فإنَّه أصرَّ على ما هو معروفٌ من تسمية المصطلح علم الحديث درايةً محتجًّا بأنَّ فيه فهمًا للرِّواية وعلمًا بأنواعها وشروطها. فقلت له: الدراسة بالمعنى اللُّغوي موجودةٌ في المصطلح، لكن أهل الفنِّ خصُّوا اسم الدِّراية بعلم الاستنباط، وعللوا ذلك بأنَّ علم المصطلح لا علاقة له بفهم الحديث والاستنباط منه، وإنَّما بحثه في الرِّواية من جميع نواحيها، فأصرَّ على رأيه، وكان رحمه الله عنده صلابة رأي.

وأُقرِّر بهذه المناسبة: أنَّه أجاد في كتابه "مناهل العرفان"، غاية الإجادة ووفِّق فيه غاية التوفيق، ولعله يجده في حسناته، بفضل الله تعالى.

ممَّا ذكرناه يتبيَّن الفرق بين العِلْمين، فموضوع علم الحديث رِوايةً: هو

الرَّاوي والمروي من حيث القبول والرد.

وموضوع علم الحديث دراية: هو المتن من حيث فهمه والاستنباط منه.

أول من وضع علم الحديث

ذكر الشَّيخ الباجوريُّ فيما نقلناه عنه من تعريف علم الحديث درايةً، وهو في نظره علم المصطلح، أنَّ واضعه الزُّهريُّ في خلافة عمر بن عبدالعزيز، بأمره. وهذا خطأ منه رحمه الله.

والصَّواب أنَّ أول من كتب في المصطلح، القاضي أبو محمَّد الحسن بن عبدالرحمن الرامهرمزيُّ، كما قال الحافظ ابن حجرٍ، وكتابه "المحدِّث الفاصل بين الرَّاوي والواعي"، جيدٌ مفيدٌ وإن كان لم يستوعب، وبناه على حديث: «**نَضَّرَ اللهُ امْرءًا سَمِعَ مَقالَتي، فوَعَاها فأدَّاها كما سَمِعَها، فرُبَّ مُبَلَّغٍ أوْعَى مِن سامعٍ**».

وأمَّا أول من دوَّن السُّنَّة، فروى البخاريُّ عن عبدالله بن دينارٍ قال: كتب عمر بن عبدالعزيز إلى أبي بكر بن حزمٍ: أن انظر ما كان من حديث رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فاكتبه، فإنِّي خفت دروس العلم وذهاب العلماء.

قال الحافظ في "الفتح": «يُستفاد منه ابتداء تدوين الحديث النبويِّ، وكانوا قبل ذلك يعتمدون على الحفظ، فلمَّا خاف عمر بن عبدالعزيز -وكان على رأس المائة الأولى- من ذهاب العلم بموت العلماء، رأى أنَّ في تدوينه ضبطًا له وإبقاءً، وقد روى أبو نعيمٍ في "تاريخ أصبهان" هذه القصَّة بلفظ: كتب عمر بن عبدالعزيز إلى الآفاق: انظروا حديث رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فاجمعوه».

و روىٰ ابن عبدالبر في "جامع بيان العلم وفضله" عن عبدالعزيز بن محمَّد الدراورديِّ قال: أوَّل من دوَّن العلم وكتبه ابن شهابٍ، ووجدت ما يفيد أنَّ ابتداء التدوين كان قبل الزُّهري، قال ابن سعد في كتاب "الطبقات": كثير بن مرة الحضرمي، ويكنَّىٰ أبا شجرة، وكان ثقةً، قال عبدالله بن صالحٍ، عن الليث بن سعدٍ، قال: يزيد بن أبي حبيبٍ أنَّ عبدالعزيز بن مروان -والد الخليفة عمر- كتب إلىٰ كثير بن مرَّة الحضرميِّ -وكان قد أدرك سبعين بدريًّا من أصحاب رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم- فكتب إليه أن يكتب إليه بما سمع من أصحاب رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من أحاديثهم إلَّا حديث أبي هريرة فإنَّه عندنا.

يُستفاد من هذا الخبر: أنَّ حديث أبي هريرة كان مجموعًا عند عبدالعزيز، ويظهر أنَّه ورثه عن أبيه مروان الذي كان يتناوب إمارة المدينة هو وأبو هريرة.

وبالضرورة كان أمر عبدالعزيز بكتابة أحاديث البدريِّين قبل أمر ولده عمر بكتابة الحديث.

مراتب أهل الحديث

ذكر المناويُّ في "شرح الشمائل"، مراتب أهل الحديث علىٰ هذا النحو:

أولها الطالب: وهو المُبتدئ.

ثمَّ المُحدِّث: وهو مَن تَحمَّل روايته و اعتنىٰ بدرايته.

ثُمَّ الحافظ: وهو مَن حَفِظ مائة ألف حديثٍ متنًا وإسنادًا.

ثُمَّ الحُجَّة: وهو مَن أحاط بثلاثمائة ألف حديثٍ.

ثمَّ الحاكم: وهو مَن أحاط بجميع الأحاديث المرويَّة، ونقل هذا الترتيب عن المُطرِّزيِّ.

ونقل القاري في "شرح الشمائل" أيضًا عن ابن الجزريِّ قال:

الرَّاوي: ناقل الحديث بالإسناد.

والمحدِّث: من تحمَّل روايته، و اعتنىٰ بدرايته.

والحافظ: مَن روىٰ ما يصل إليه، ووعىٰ ما يحتاج لديه.

قلت: ترتيب المُطرِّزيِّ اشتهر عند المتأخِّرين، ونقلوه مُسَلِّمين له، ومُعتمدين عليه، تقليدًا من غير تمحيصٍ، مع أنَّه خطأٌ لا يوافق ما عند أهل الحديث، وقد كنت نشرت مقالًا في مجلَّة "دعوة الحق" بيَّنت الصواب في هذا الموضوع، ننقله هنا: جاء في مجلَّة "دعوة الحق" عدد ٨ السنة السابعة ١٠ شوال سنة ١٣٩٦ موافق أكتوبر سنة ١٩٧٦ المقال الآتي.

رتب الحفظ عند المحدِّثين

نقل المناويُّ في أوائل "شرح الشمائل" عن المُطَرِّزيِّ، قال: «لأهل الحديث مراتب، أولها: الطالب: وهو المبتدئ. ثُمَّ المُحدِّث: وهو مَن تحمَّل روايته، واعتنىٰ بدرايته. ثُمَّ الحافظ: وهو من حَفِظ مائة ألف حديثٍ متنًا وإسنادًا. ثُمَّ الحُجَّة وهو من أحاط بثلاثمائة ألف حديثٍ. ثُمَّ الحاكم وهو مَن أحاط بجميع الأحاديث المرويَّة».اهـ

وأهل الحديث لا يعرفون هذه المراتب، ولا يعترفون بها؛ لأنَّها تخالف ما اصطلحوا عليه.

فالطالب هو المبتدئ في كلِّ عِلْمٍ، وليس خاصًّا بأهل الحديث، وفي حديثٍ

رواه الطبرانيُّ بإسنادٍ ضعيفٍ عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَنْهُومَانِ لا يَشْبَعانِ طَالِبُهما: طَالِبُ عِلْمٍ وطَالبُ دُنْيا**»، والحجَّة من مراتب التعديل لا الحفظ، وهي فوق الثِّقة كما نصَّ عليه الذَّهبيُّ في "تذكرة الحفاظ"، وستأتي عبارته بحول الله، أمَّا الحاكم فلا علاقة له بالحفظ ولا التعديل، بل هو لَقَبٌ عائليٌّ لبعض الحُفَّاظ والمُحدِّثين.

منهم: أبو أحمد محمَّد بن محمَّد بن أحمد بن إسحاق النيسابوريُّ الكرابيسيُّ الحافظ صاحب كتاب "الكنى" وغيره من المؤلَّفات، توفي سنة (٣٧٨)، قال الذَّهبي: وهو الحاكم الكبير.

ومنهم: أبو عبدالله محمَّد بن عبدالله بن محمَّد بن حمدويه بن نُعيمٍ النيسابوريُّ الحافظ، صاحب كتاب "المستدرك" وغيره يعرف بابن البيع، توفي سنة (٤٠٥)، وهو تلميذ الحاكم الكبير.

ومنهم: أبو القاسم عبيد الله بن عبدالله بن أحمد بن محمَّد بن حسكان القرشيُّ العامريُّ النيسابوريُّ الحنفيُّ الحافظ، يعرف بابن الحذاء، و بالحسكاني، أخذ عن الحاكم صاحب "المستدرك" وتوفي بعد سبعين وأربعمائة.

ومنهم: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمَّد بن الحسن الاستراباذي المحدِّث، حدَّث سنة (٤٣٢) ترجم له التاج السبكيُّ في "طبقات الشافعية"، ولم يذكر سنة وفاته.

والعجيب أنَّ المتأخِّرين تمالئوا على نقل كلام المُطرِّزيِّ تقليدًا بدون تمحيصٍ.

والواقع أنَّ مراتب الحفظ عند أهل الحديث على الوجه الآتي: مُسنِد، ثمَّ

مُحدِّث، ثُمَّ مُفيد، ثُمَّ حافظ، ثُمَّ أمير المؤمنين في الحديث.

فالمسنِد -بكسر النون-: من يعنىٰ بالإسناد من حيث اتصاله أو انقطاعه أو تسلسله بصفةٍ مُعيَّنة وإنْ لم يكن له خبرة بالمتون.

وكان شيخنا العلَّامة المرحوم السيِّد أحمد رافع الحسينيُّ الطهطاويُّ الحنفيُّ مُسند العصر بدون منازعٍ، له كتاب "المسعىٰ الحميد إلىٰ بيان وتحرير الأسانيد"، حرَّر الكلام فيه علىٰ الأسانيد الموجودة في نحو أربعمائة ثبت، ونبَّه علىٰ أوهام وقعت في كتاب "فهرس الفهارس"، وكان لا يعرف في المتون كثيرًا ولا قليلًا.

والمحدِّث: من سمع الكتب الستة و"الموطأ" و"سنن الدَّارمي" و"الدَّارقطني" و"البيهقي" و"مستدرك الحاكم" و"مسند أحمد"، وسمع إلىٰ جانب هذه الكتب ألف جزءٍ حديثي وحفظ جملة مستكثرة من المتون.

ويكفي عن الحفظ في هذا الوقت أن يراجع أحاديث "الجامع الصغير" مرَّاتٍ حتىٰ تعلق أحاديثه بذهنه بحيث يستحضر حديثًا منها إذا شاء، ويشتمل "الجامع الصغير" علىٰ نحو عشرة آلاف حديثٍ فيها الصَّحيح والحسن والضعيف والموضوع، فمن أحاط بها واستحضر معانيها، وعرف مظانها، مع بقيَّة الشُّروط السَّابقة كان مُحدِّثًا.

والمُفيد: رتبةٌ اسُتحدِثت في القرن الثالث الهجريِّ، قال الحافظ الخطيب: حدَّثني محمَّد بن عبدالله عن أبي بكر محمَّد بن أحمد بن محمَّد بن يعقوب، قال: موسىٰ بن هرون -يعني الحمال الحافظ- سمَّاني المُفيد.

قال الحافظ الذَّهبي: فهذه العبارة أول ما استعملت لقبًا في هذا الوقت،

قبل الثلاثمائة، والحافظ أعلىٰ من المُفيد في العرف، كما أنَّ الحجَّة فوق الثِّقة».اهـ

وممن لُقِّب بالمُفيد سوىٰ أبي بكرٍ المذكور، أبو بكر وأبو عبدالله محمد بن يوسف بن يعقوب الرقي المؤرِّخ، روىٰ عن الطبرانيِّ وغيره، توفي سنة (٣٨٢)، اتهمه الخطيب بوضع حديثٍ في فضل أهل الحديث.

قلت: لفظ الحديث المشار إليه: «**إذا كان يوم القيامة، جاء أصحاب الحديث بأيديهم المَحابِرُ، فيأمر الله جبريل أن يأتيهم فيسألهم، وهو أعلم بهم فيقول: مَن أنتم؟ فيقولون: نحن أصحاب الحديث، فيقول الله عزَّ وجلَّ: ادخلوا الجنَّة على ما كان منكم، طالما كنتم تصلُّون على النبيِّ في دار الدُّنيا**».

رواه الخطيب في "التاريخ" من طريق محمد بن يوسف الرقي المذكور، حدَّثنا الطبرانيُّ: ثنا الدبريُّ: ثنا عبدالرازَّق عن مَعْمَرٍ، عن الزُّهريِّ، عن أنسٍ رفعه به.

ورواه أبو المحاسن الرُّوياني في "فوائده"، عن عبدالله بن جعفر الجبائريِّ عن محمَّد بن يوسف الرقي به، لكن قال: عن مَعْمَرٍ، عن قتادة عن أنسٍ.

ورواه ابن الجوزيِّ في "الموضوعات" من طريق الخطيب وقال: الحمل فيه علىٰ الرقي، وقال الذَّهبي: وضع علىٰ الطبرانيِّ هذا الحديث.

ورواه الديلميُّ في "مسند الفردوس"، والنميريُّ في "الأعلام" من طريق آخَر، فيه محمَّد بن أحمد بن مالك الإسكندراني وهو مجهولٌ، واقتصر الحافظ السَّخاويُّ في "القول البديع"، علىٰ تضعيفه من الطريقين، وهو تساهلٌ منه رحمه الله، فالحديث موضوعٌ كما قال الخطيب وابن الجوزيِّ والذَّهبيُّ، وممَّا يؤيِّد وضعه نكارة معناه، وروايته من طريق أئمَّة أجلاء عبدالرّزا ق، عن مَعْمَرٍ عن الزُّهريِّ عن أنسٍ.

وممَّن لُقِّب بالمفيد:

أبو سليمان حمد بن محمَّد بن إبراهيم بن خطَّاب الخطابي البستيُّ، صاحب "معالم السنن" وغيره من المصنَّفات، وهو أحد شيوخ الحاكم، صاحب "المستدرك" توفي سنة (٣٨٨) ببلدة بست، في أفغانستان.

وأبو سعد عمر بن علي بن عمر النيسابوريُّ الخشَّاب المتوفَّى سنة (٤٥٦).

وأبو منصور عبدالمحسن بن محمَّد بن علي الشيميُّ السفار المتوفَّى سنة (٤٨٩).

وأبو الفرج عبدالخالق بن أحمد بن عبدالقادر بن محمَّد بن يوسف اليوسفيُّ البغداديُّ المتوفَّى سنة (٥٤٨).

وأبو عليٍّ صدر الدين الحسن التيميُّ البكريُّ الصُّوفيُّ المتوفَّى سنة (٦٥٦).

وشمس الدين عليُّ بن المظفَّر بن القاسم الربعيُّ الدِّمشقيُّ المتوفَّى سنة (٦٥٦).

ثُمَّ المفيد من جمع شروط المُحدِّث، و تأهَّل لأن يُفيد الطلبة الذين يحضرون مجالس إملاء الحفَّاظ، فيبلغهم مالم يسمعوه، ويفهمهم ما لم يفهموه، وذلك بأن يعرف العالي والنَّازل والبدل والمصافحة والموافقة، مع مشاركةٍ في معرفة العِلل.

والأصل فيه ما رواه أبو داود والنَّسائيُّ عن رافعٍ بن عمرو قال: رأيت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يخطب النَّاس بمنى حين ارتفع الضُّحى، على بغلةٍ شهباء، وعليٌّ يعبِّر عنه، وفي "الصحيحين" عن أبي جمرة قال: كنت أترجم بين ابن عباسٍ وبين النَّاس.

الحافظ: اختلف في تعريفه بين مُشدِّدٍ ومُخفِّفٍ، وأعدل التعريفات فيه أنَّه من جمع شروطًا ثلاثة:

١ - حفظ المتون، ولا يقلِّ محفوظه عن عشرين ألف حديثٍ.

٢ - حفظ أسانيدها وتمييز صحيحها من سقيمها.

٣ - معرفة طبقات الرُّواة وأحوالهم، طبقة بعد طبقة، بحيث يكون من لا يعرفه أقل ممن يعرفه، حتىٰ إذا قال في راوٍ: لا أعرفه، اعتبر ذلك الرَّاوي من المجهولين.

ويتفاوت الحُفَّاظ بتفاوت كثرة محفوظاتهم وقلَّتها، وهذه أمثلة من ذلك:

قال يعقوب الدورقيُّ: كان عند هشيم عشرين ألف حديثٍ، وقال يحيىٰ بن معينٍ: كانت كتب ابن المبارك التي حدَّث بها نحو عشرين ألف حديثٍ.

وقال يزيد بن هارون: أحفظُ أربعة وعشرين ألف حديث بالإسناد ولا فخر، وأحفظ للشَّاميين عشرين ألفًا لا أسأل عنها. وقال أيضًا: سمعت حديث الفتون مرَّة واحدة فحفظته، وأحفظ عشرين ألفًا، فمن شاء فليدخل فيها حرفًا.

وحديث الفتون طويل، يقع في نحو كرَّاسة، رواه النَّسائيُّ في "السنن الكبرىٰ" و ابن أبي حاتمٍ، و الطبري في تفسيريهما، وأبو يعلىٰ في "معجمه" من طريق يزيد بن هرون، عن أصبغ بن يزيد، عن القاسم بن أبي أيوب، عن سعيد بن جُبيرٍ، عن ابن عباسٍ به.

قال ابن كثيرٍ: «وهو موقوفٌ من كلام ابن عباسٍ، وليس فيه مرفوعٌ إلَّا

قليل منه، وكأنَّه تلقَّاه ممَّا أبيح له نقله عن الإسرائيليات عن كعب الأحبار أو غيره، وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المِزِّي يقول ذلك».اهـ

قال الحافظ الهيثمي في "مجمع الزوائد" بعد أن عزاه لأبي يعلىٰ: «رجاله رجال الصَّحيح غير أصبغ بن زيد والقاسم بن أبي أيوب وهما ثقتان».اهـ

قلت: وقع في ترجمة أصبغ، في "الميزان": راوي حديث القنوت، وكذلك وقع في ترجمة القاسم في "تهذيب التهذيب"، وهو تصحيفٌ من المطبعة.

وقال داود بن عمرو الضبيُّ: كان إسماعيل بن عيَّاشٍ، يحدِّثنا من حفظه، ما رأيت معه كتابًا قَطُّ، فقال له عبدالله بن أحمد بن حنبلٍ: أكان يحفظ عشرة آلاف حديثٍ؟ قال: وعشرة آلاف وعشرة آلاف، فقال له أبي أحمد: هذا مثل وكيعٍ.

وقال حرب الكرمانيُّ: أَمْلَىٰ علينا سعيد بن منصور نحوًا من عشرة آلاف حديثٍ من حفظه، وقال الحافظ أبو بكر بن أبي داود صاحب "السنن": حدَّثت من حفظي بأصبهان ستة وثلاثين ألف حديثٍ، ألزموني الوَهْم في سبعة أحاديث منها، فلما انصرفت وجدت في كتابي خمسة منها علىٰ ما كنت حدَّثتهم به، وقال الحافظ أبو حفص بن شاهين: أَمْلَىٰ علينا ابن أبي داود، ما رأيت في يده كتابًا قَطُّ، إنَّما كان يُمْلِي حفظًا، وكان يقعد علىٰ المنبر بعدما عمي، ويقعد دونه بدرجة ابنه أبو معمرٍ، بيده كتاب، فيقول له: حديث كذا فيسرده من حفظه، فقال أبو تمام الزينيُّ، فقال: لله درُّك، ما رأيت أحفظ منك إلَّا أن يكون إبراهيم الحربي، فقال: كلُّ ما يحفظه إبراهيم فأنا أحفظه، وأنا أعرف بالنجوم وما كان يعرفها.

وقال البخاريُّ: أحفظ مائة ألف حديثٍ صحيحٍ، ومائتي ألف حديثٍ غير

صحيحٍ.

وسأل رجلٌ أبا زرعة أنَّه حلف بالطلاق: أنَّك تحفظ مائة ألف حديثٍ؟ فقال: تمسَّك بامرأتك. وقال أبو زرعة أيضًا: أحفظ في القراءات عشرة آلاف حديثٍ.

وقال الحافظ أبو بكر العبَّاس بن عُقْدَة: أحفظ مائة ألف حديثٍ بأسانيدها. وقال أيضًا: دخلت الرَّقَّة، وكان لي ثَمَّ قِمَطْر من كتبٍ، فجاء غلامي مُغتمًّا وقال: ضاعت الكتب، فقلت: يابني لا تَغْتَمَّ، فإنَّ فيها مائتي ألف حديثٍ، لا يُشْكِلُ عليَّ حديثٌ منها، لا مَتْنُه ولا إسناده.

الحافظ نوعان:

١ - حافظٌ على طريقة الفقهاء كالطحاويِّ، والبيهقيِّ، والباجيِّ، وابن العربي المعافريِّ، والقاضي عياض، والنوويِّ، وابن تيمية، وابن كثيرٍ.

٢ -حافظٌ على طريقة المحدِّثين، وهم معظم الحفَّاظ.

والحافظ على طريقة المحدِّثين أكثر حِفْظًا وأوسع رواية، وأعرف بأحوال الرِّجال وطبقاتهم، وأدرى بقواعد التصحيح والتضعيف لتمكُّنِه في معرفة العِلل وغرائب الأحاديث.

وأمير المؤمنين في الحديث هي الرتبة العُليا في الحفظ، لا رتبة فوقها، واستُحدثت هذه الرتبة في المائة الثانية للهجرة، قال الحافظ السُّيوطيُّ في "التدريب": «كأنَّ هذا اللَّقب مأخوذٌ من قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**اللهمَّ ارْحَمْ خُلَفَائي**» قيل: ومَن خُلَفَاؤك؟ قال: «**الذين يأتون مِن بعدي يَرْوُون أحادِيثي وسُنَّتي**» رواه الطبرانيُّ وغيره».

قلت: هذا الحديث رواه الرَّامَهُرْمُزِيُّ في "المحدِّث الفاصل" والطبرانيُّ في "المعجم الأوسط" وأبو نُعيم في "تاريخ أصبهان" والخطيب في "شرف أصحاب الحديث"، كلهم من طريق أحمد بن عيسىٰ العلوي: أخبرنا ابن أبي فُدَيْكٍ، عن هشام بن سعدٍ، عن زيد بن أسلمَ، عن عطاء بن يَسارٍ، عن عبدالله بن عبَّاسٍ قال: سمعت عليَّ بن أبي طالبٍ يقول: خرج علينا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**اللهمَّ ارْحَمْ خُلَفَائي**»، قلنا: يا رسول الله ومَن هم؟ قال: «**الذين يأتون مِن بعدي يَرْوُون أحاديثي وسُنَّتي ويُعَلِّمونها النَّاسَ**».

أحمد بن عيسىٰ العلويُّ نقل الذَّهبيُّ في ترجمته من "الميزان" عن الدَّارقطني أنَّه قال فيه: كذَّابٌ، وحكم الذَّهبيُّ ببطلان هذا الحديث، بعد أن ساقه بإسناد الرَّامَهُرْمُزيِّ، وقال الحافظ الزيلعيُّ في "نصب الرَّاية": «وقد روىٰ الحافظ أبو محمَّد الرَّامَهُرْمُزيُّ في أول كتاب "المحدِّث الفاصل" حديثًا موضوعًا لأحمد بن عيسىٰ هو المتهم به»، وذَكَرَ هذا الحديث.

ورواه الخطيب في "شرف أصحاب الحديث" من طريق عبدالسَّلام بن عبيد: حدَّثنا ابن أبي فُدَيْكٍ عن هشام بن سعدٍ به.

عبدالسَّلام بن عبيد، قال ابن حِبَّان: «يسرق الحديث، ويروي الموضوعات».

وسرقة الحديث: أن يعمد الرَّاوي إلىٰ حديثٍ معروفٍ من طريقٍ معيَّنٍ، فيرويه من طريقٍ آخَر.

مثاله: روىٰ الليث ويونس عن الزُّهريِّ عن أنسٍ حديث: «**مَن كَذَبَ عَليَّ مُتَعَمِّدًا...**» الحديث. رواه عبدالسَّلام هذا، عن سفيان بن عُيَيْنَة عن الزُّهري، فحوَّله من رواية الليث و يونس إلىٰ رواية ابن عُيَيْنَة، وهذه سرقة.

وروى ابن عُيَيْنَة عن الزُّهري عن سعيد بن المسيِّب عن أبي هريرة حديث: «**لا يُلْدَغُ المؤمِنُ مِن جُحْرٍ واحدٍ مرَّتين**». سرقه عبدالسَّلام فرواه ابن عُيَيْنه عن الزُّهريِّ، عن أبي الزِّناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة.

وعبدالسلام هذا، روى عنه أبو عوانة في "صحيحه"، كأنَّه لم يعرف حاله، وهذا كما روى مالكٌ في "الموطأ" عن عبدالكريم بن أبي المخارق مع ضعفه؛ لأنَّه لم يعرف حاله.

ولحديث الخلفاء طريقٌ آخَر، أخرجه الخطيب في "شرف أصحاب الحديث" من طريق أبي الصباح عبدالغفور عن أبي هاشم الرمانيِّ، عن عليٍّ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ألَا أدلُّكم على آية الخُلَفاء مِنِّي، ومِن أصحابي، ومِن الأنبياء قبلي؟ هم حَمَلَةُ القُرآنِ والأحاديث عَنِّي وعنهم في الله ولله عزَّ وجلَّ**».

عبدالغفور، قال ابن حِبَّان: «كان ممَّن يضع الحديث»، وقال ابن عديٍّ: «ضعيفٌ منكر الحديث».

ولا شكَّ أنَّ أهل الحديث نُوَّابٌ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في تبليغ أحاديثه ونشر سُنَّته، فهم خلفاؤه، ولهذا سُمِّي بعضهم: أمير المؤمنين في الحديث، كما أنَّ الخلفاء الحكَّام، سُمُّوا أمراء المؤمنين، لنيابتهم عنه في تنفيذ الأحكام، وإقامة الحدود، وحماية بيضة الإسلام، وليس كلُّ عالمٍ أو فاضلٍ أو صاحب رأيٍ، يصلح لخلافة الحكم بل يشترط فيمن يتولَّى هذا المنصب الخطير شروطٌ مفصَّلةٌ في كتب الفقه الإسلامي، كذلك ليس كلُّ حافظٍ يستحق لقب أمير المؤمنين في الحديث، إنَّما يستحقُّه من توفَّرت فيه الشُّروط الآتية:

١ - شدَّة الإتقان والضَّبط بنوعيه، ضبط صدر، وضبط كتاب.

٢ - التبريز في العلل أو الرِّجال.

٣ - أنْ يؤلِّف كتابًا له قيمته العلميَّة، كبير الأمر في موضوعه، أو يتخرَّج عليه حُفَّاظٌ مهرة.

ولعِزَّة اجتماع هذه الشُّروط في شخصٍ، لم ينل هذا اللَّقب من الحفَّاظ على كثرتهم إلَّا نفرٌ قليل منهم لا يتجاوز عددهم عشرين شخصًا.

منهم الإمام مالك بن أنسٍ، قال يحيى بن سعيد القطَّان، ويحيى بن معينٍ: مالك أمير المؤمنين في الحديث، على أنَّه لم يكن واسع الحفظ؛ لأنَّه لم يرحل إلى البلدان والأقطار، كما رحل غيره من الحفَّاظ، ولم يبارح المدينة المنوَّرة إلَّا للحجِّ، ثُمَّ رجع، وبسبب ذلك فاته حديثٌ كثيرٌ، لكنَّه كان شديدَ الإتقان، بالغ التحرِّي، مُبرِّزًا في نَقْد الرِّجال.

قال الترمذيُّ في "العلل": سمعت إسحاق بن موسى الأنصاريَّ قال: سمعت معن بن عيسى يقول: «كان مالك بن أنسٍ يُشدِّد في حديث رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في الياء والتاء ونحو هذا».

وروى أيضًا عن عليِّ بن المديني، قال: قال يحيى بن سعيد القطَّان: «ما في القوم أصح حديثًا من مالك بن أنسٍ، كان مالكٌ إمامًا في الحديث».

وقال عليُّ بن المَدينيِّ عن سفيان بن عُيَيْنَة: «ما كان أشد انتقاد مالكٍ للرِّجال، وأعلمه بشأنهم». وقال يحيى بن معين: «كلُّ من روى عنه مالكٍ، فهو ثقةٌ إلَّا عبدالكريم».

قلت: عبدالكريم هذا هو ابن أبي المُخارق -بضمِّ الميم- أبو أميَّة البصري

المعلِّم، قال ابن عبدالبر: «لا يختلفون في ضعفه، غرَّ مالكًا منه سمته، ولم يكن من أهل بلده فيعرفه، ولم يخرج عنه حكمًا بل ترغيبًا وفضلًا».اهـ

وقال الحافظ ابن سيِّد النَّاس في "شرح الترمذي": لكن لم يخرج عنه مالكٌ إلَّا الثَّابت من غير طريقه: «**إذا لم تَسْتَحِ فاصْنَعْ ما شِئْتَ**»، ووضع اليُمنىٰ علىٰ اليسرىٰ في الصَّلاة، وقد اعتذر لَمَّا تبيَّن له أمره، وقال: غرَّني بكثرة بُكائه في المسجد.

وكتابه "الموطأ" من كتب السُّنَّة النافعة مدحه الإمام الشافعيُّ بكلمته المعروفة: «ما علىٰ ظهر الأرض بعد كتاب الله أكثر صوابًا من "موطأ مالكٍ"».

وأثنىٰ عليه غيره من العلماء ثناءً كثيرًا لا حاجة إلىٰ الإطالة به؛ لشُهرته وانتشاره في "شروح الموطأ" وغيرها من كتب السُّنَّة، ولولا ما فيه من المرسلات والبلاغات، ما تقدَّم عليه الصحيحان ولا غيرهما.

ولم يُقَدِّره المالكيَّة حَقَّ قَدْرِهِ، حيث قدَّموا عليه "المدوَّنة"، مع أنَّ القواعد الأصوليَّة والحديثيَّة، توجب تقديمه لأمور:

١ - أنَّ "الموطأ" كتبه الإمام بيده، ونقَّحه في مدىٰ أربعين سنة، و"المدوَّنة" ليست كذلك؛ لأنَّه لم يكتبها ولا نقَّحها.

٢ - أنَّ "الموطأ" رواه عن الإمام عِدَّة فئات من العلماء، فهو منقولٌ بالتواتر، و"المدوَّنة" ليست كذلك.

٣ - أنَّ جملة رواة "الموطأ" أصحاب مالك المَدنيين، وهم الذين لازموه إلىٰ وفاته، وابن القاسم الذي بُنيت "المدوَّنة" علىٰ روايته، فارق مالكًا قبل وفاته بعشرين سنة، والمُلازم للشَّيخ مُقَدَّم علىٰ المُفارق له.

٤ - أنَّ أقوال الإمام في "الموطأ" مصحوبةٌ بدليلها من آيةٍ أو حديثٍ أو أثرٍ، والأقوال المنسوبة إليه في "المدونة" عاريةٌ عن الدليل، ولكن غلط المالكيَّة أنَّهم يعتبرون الآراء المجرَّدة فقهًا، ويسمُّون "المدونة" كتاب فقه، و"الموطأ" كتاب حديثٍ، ولتفصيل هذا البحث موضعٌ غير هذا.

ومنهم إمام الحُفَّاظ، جبل العِلْم أبو عبدالله محمَّد بن إسماعيل البخاريُّ صاحب "الصحيح"، قال عنه شيخه عليُّ بن المديني: «ما رأى مثل نَفْسِهِ».

وقال ابن خزيمة: «ما تحت أديم السَّماء أعلم بالحديث من البخاريِّ».

وقال الحافظ أحمد بن نصر الخفَّاف: «محمَّد بن إسماعيل أعلم في الحديث من أحمَّد بن حنبلٍ وإسحاق بن راهويه بعشرين درجة».

وقال الترمذيُّ: «لم أرَ أحدًا بالعراق ولا بخراسان في معنى العلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد أعلم من محمَّد بن إسماعيل، أجمعت الأمَّة على تلقِّيه بالقبول، وأجله العلماء الفحول. له عند الحفَّاظ هيبة، وفي قلوبهم رهبة».

ومنهم الإمام الحافظ المُتقِن أبو الحسن عليُّ بن عمر الدَّارقطني، قال الحاكم: «صار الدارقطني أوحد عصره في الحفظ والفهم والوَرَع، وإمامًا في القرَّاء والنحويين. أقمت ببغداد أربعة أشهر، وكثر اجتماعنا، فصادفته فوق ما وصف لي، وسألته عن العلل والشيوخ، فأشهد أنَّه لم يخلف على أديم الأرض مثله».

وقال الخطيب: «كان الدارقطني فريد عصره، وقريع دهره، ونسيج وحده، وإمام وقته، انتهى إليه علم الأثر والمعرفة بعلل الحديث وأسماء الرِّجال وأحوال الرُّواة، مع الصِّدق والثِّقة وصحَّة الاعتقاد، وسلامة المذهب».

قال الحافظ الذَّهبي: «وإذا شئت أن تعرف براعة هذا الإمام الفرد، فطالع كتاب "العلل"؛ فإنَّك تندهش ويطول تعجُّبك!!».اهـ

قلت: كتاب "العلل" له في سبعة مجلَّدات، رأيته، وهو يدلُّ على براعته حقًّا، والعجيب أنَّه أملاه على تلميذه الحافظ البرقاني، فإنَّه قال: كان الدَّارقطني يملي عليَّ "العلل" من حفظه، وأنا الذي جمعتها، وقرأها النَّاس من نسختي.

ومنهم شعبة ومحمَّد بن إسحق وعبدالله بن المبارك ومحمَّد بن يحيى الذهلي وإسحق بن راهويه والحافظ ابن حجرٍ، وهو خاتمتهم، ولم يأتِ بعده من نال هذه الرتبة بحقٍّ.

وإن كان في تلامذته حُفَّاظٌ كالسَّخاويِّ ثم الدِّيَميِّ والسُّيوطيِّ لكنَّهما لم يدركاه، وإنَّما تتلمذا على كتبه، وانتفعا بها كثيرًا، وهو يعتبر خاتمة الحفَّاظ بالمعنى المصطلح عليه عند أهل الحديث، ومن وصف بعده بالحافظ كالسيِّد مرتضى الزَّبيدي شارح "الإحياء"، فذلك على سبيل التوسع في العبارة، نظرًا لكثرة اطلاعه.

وكان مُجيزنا العلَّامة الشيخ محمَّد زاهد الكوثريُّ الحنفيُّ -رحمه الله- يصف ابن طولون الحنفيَّ بالحافظ، وناقشته في ذلك، فقال: إنَّ مروياته كثيرة، وهذه مغالطةٌ؛ لأنَّ كثرة المرويات إنَّما تعتبر في الحافظ بشرط أن تكون مسموعة له، ومرويَّات المتأخِّرين كابن طولون، إنَّما هي بالإجازة، والغرض منها بقاء سلسلة الإسناد والتبرُّك برجال السلسلة، كما قال الحافظ السَّخاويُّ: «إنَّه لبس الخرقة الصوفيَّة تجاه الكعبة المشرَّفة تبركًا برجالها الصَّالحين، وإن كان يعتقد أنَّ سندها منقطعٌ».اهـ

وأنا لبست الخرقة تبركًا من الشَّريف أحمد التبر، ألبسنيها بالقاهرة.

ولما كنت أُدرِّس العلم بجامعة القرويين، أعاد الله مجدها، علمت أنَّ رجلًا عامِّيًّا -هو سيِّدي المهدي العزوزي- يروي بالإجازة عن أبيه عن جدِّه عن السيِّد مرتضىٰ الزَّبيديِّ، فذهبت إليه واستجزته فأجاز لي، مع أنَّ لي رواية عن السيِّد مرتضىٰ بواسطة شيوخ كثيرين منهم بالمغرب شقيقي أبو الفيض، وسيدي عبدالحي الكتانيُّ، والقاضي عبدالحفيظ الفاسي، والشَّيخ المكِّي البطاوري والشَّيخ فتح الله البناني، وسيدي محمَّد بن إدريس القادري، رحمهم الله وأكرم مثواهم.

تنبيهات هامة

المُطَرِّزيُّ الذي نقل عنه رتب الحفظ، لم نقف له على ترجمةٍ، ولم نعرف اسمه، غير أني وجدت في ترجمة ابن دقيق العيد أنَّ له شرحًا على "مقدمة المُطَرِّزي" في علم الأصول، ورأيت في كتاب "المساقاة من نيل الأوطار"، كلمة في اشتقاق لفظ المزارعة، نقلها الشوكاني عن المُطَرِّزيِّ.

قال الحافظ أبو شامة: «علوم الحديث الآن ثلاثة:

أشرفها حفظ متونه، ومعرفة غريبها وفقهها.

والثاني: حفظ أسانيده ومعرفة رجالها، وتمييز صحيحها من سقيمها.

وهذا كان مهمًّا، وقد كُفيه المشتغل بالعلم، بما صُنِّف فيه من الكتب، فلا فائدة في تحصيل ما هو حاصل.

والثالث: جمعه وكتابته وسماعه وتطريقه، وطلب العلم فيه، والرحلة إلى البلدان، والمشتغل بهذا مشتغلٌ عمَّا هو الأهم من العلوم النَّافعة، فضلًا عن العمل به الذي هو المطلوب الأصلي، إلَّا أنه لا بأس به لأهل البطالة، لما فيه من بقاء سلسلة الإسناد المتصلة بأشرف البشر».اهـ

قال الحافظ: «وفي بعض كلامه نظر؛ لأنَّ قوله: وهذا قد كُفيه المشتغل بما صُنِّف فيه، قد أنكره العلَّامة أبو جعفر بن الزبير، وغيره، ويقال عليه: إن كان التصنيف في الفنِّ يوجب الاتكال على ذلك، وعدم الاشتغال به، فالقول كذلك في الفنِّ الأوَّل، فإن فقه الحديث وغريبه لا يُحصَى كم صُنِّف فيه، بل لو ادَّعى مُدَّعٍ أنَّ التصانيف فيه أكثر من التصانيف في تمييز الرِّجال والصَّحيح من السقيم لما أبعد، بل هو الواقع، فإن كان الاشتغال بالأول مهمًّا، فالاشتغال

بالثَّاني أهم؛ لأنَّه المرقاة إلى الأوَّل، فمن أضلَّ به خلط السَّقيم بالصَّحيح، والمعدَّل بالمجرح وهو لا يشعر، فالحقُّ أنَّ كلًّا منهما في علم الحديث مهم.

ولا شكَّ أنَّ من جمعهما حاز القدم العليَّ مع قصور فيه إن أخلَّ بالثالث، ومَن أخلَّ بهما فلا حظَّ له في اسم الحافظ، ومن أحرز الأول وأخلَّ بالثاني كان بعيدًا من اسم المحدِّث عرفًا، ومن يحرز الثاني وأخلَّ بالأوَّل لم يبعد عنه اسم المحدِّث، ولكن فيه نقص بالنسبة إلى الأول.

وبقي الكلام في الفنِّ الثالث، ولا شكَّ أنَّ من جمع ذلك مع الأوَّلين كان أوفر سهمًا وقسمًا، ومن اقتصر عليه كان أحسن حظًّا وأبعد حفظًا، ومن جمع الثلاث كان فقيهًا مُحدِّثًا كاملًا، ومن انفرد باثنين منهما كان دونه، إلَّا أنَّ من اقتصر على الثاني والثالث، فهو مُحدِّثٌ صِرْفٌ لا حظَّ له في اسم الفقيه، كما أنَّ من انفرد بالأوَّل فلا حظ له في اسم المحدِّث، ومن انفرد بالأول والثَّاني فهل يُسمَّى محدِّثًا؟ فيه بحثٌ».اهـ

قلت: الظَّاهر أنَّه محدِّثٌ، بل هو الواقع، وقول أبي شامة: وقد كفيه المشتغل... إلخ، يظهر منه أنَّه يوافق ابن الصلاح في امتناع التصحيح والتحسين من المتأخِّرين.

وبهذا ينتهي ما أردناه من تحرير الفرق بين علم الحديث رِوايةً، وعلم الحديث درايةً، والحمد لله ربِّ العالمين.

٢- الأربعون حديثًا الغُمَارِيَّة
في شُكْرِ النِّعَمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

اللهمَّ لك الحمدُ أنت ربُّ السماوات و الأرض، لك الحمدُ أنت قيُّوم السماوات والأرض ومَن فيهنَّ، لك الحمدُ أنت نور السماوات والأرض ومَن فيهنَّ، أنت الحقُّ، وقولُك الحقُّ، ووَعْدُك الحقُّ، ولقاؤُك حقٌّ، والجنَّةُ حقٌّ، والنَّارُ حقٌّ، والساعةُ حقٌّ.

اللهمَّ لك أسلمتُ، وبك آمنتُ، وعليك توكَّلتُ، وإليك أنبتُ، وبك خاصَمتُ، وإليك حاكَمتُ. فاغفر لي ما قدَّمتُ وما أخَّرتُ، وأسررتُ وأعلنتُ، أنت إلهي لا إله غيرك[1].

اللهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك على نبيِّك المصطفى ورسولك المرتضى، سيِّدنا محمَّد المخصوص بالكرامة، والمميَّز بالسيادة والشفاعة العُظْمَى يوم القيامة، وعلى إخوانه النبيين والمرسلين، وارضَ اللهمَّ عن آله وآلِهم الطيِّبين الطاهرين، وعمَّن تَبع صِراطهم السويَّ بإحسانٍ إلى يوم الدِّين.

أمَّا بعد: فإني قرأت بعضًا من أجزاء ابن أبي الدُّنيا الكثيرة، واستفدت منه فوائد غزيرة، وكان هذا البعض الذي قرأته ما بين مخطوطٍ ومطبوعٍ ومقروءٍ ومجازٍ به ومسموعٍ، غير أني وجدت ما طُبع منه قد امتدت إليه يد التحريف، وتناوله الطابعون بتصحيح هو في بعض الأحايين تصحيف، والتصحيف -مع

---

(١) هذه الخطبة نصُّ دعاءٍ كان يدعو به النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حين يقوم من الليل كما في "صحيح البخاري" عن ابن عبَّاسٍ.

أنه يُفسِد اللفظ ويُشوِّه المعنىٰ- يولِّد للقارئ متاعب تبعث بالظنِّ والتخمين، فيظل يقلِّب الكلمة المُحرَّفة أو المُصحَّفة علىٰ عدَّة وجوهٍ لعلَّ الصواب في بعضها يبين، هذا عدا ما يوجبه من الإثم لفاعله إذا وقع في خبرٍ قدسيٍّ أو حديثٍ نبويٍّ[1] لعِظَم خطرهما وقُبْح الخطأ فيهما، حتىٰ أنهم عدُّوا المحرِّف في الحديث واللَّاحن فيه داخلَيْن في عموم قوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن كَذَبَ عليَّ مُتعمِّدًا فليتبوَّأ مَقْعَدَهُ مِن النَّارِ**». وبيَّنوا ذلك بما يُعلم من مراجعة كتب المصطلح والحديث.

فرأيت لهذا أن أُجرِّد من تلك الأجزاء التي قرأتها الأحاديث المرفوعة، وأجعلها في أوراق مجموعة، مع ذكر أسانيدها وتصحيح أسماء رواتها، وبيان حالها من الصحَّة والحسن والضعف بيانًا موجزًا كافيًا، و بدأت بكتاب "الشكر"

---

(١) الحديث القدسي: هو الذي يرويه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن الله تعالىٰ و يُسمَّىٰ الحديث الربَّاني أيضًا.

والحديث النبوي: هو المروي عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من كلامه، وهذا هو الفرق بينهما.

وأمَّا الفرق بين الحديث القدسي والقرآن فهو أنَّ القرآن مُنزَّلٌ علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بواسطة جبريل عليه السلام، ومنقولٌ إلينا نقل التواتر جيلًا عن جيلٍ، ومُتَعبَّدٌ بتلاوته. بخلاف الحديث القدسي، فيجوز أن يكون بغير واسطة جبريل، ولا يُشترط فيه التواتر، ولا مُتعبَّد بتلاوته، وتجوز روايته بالمعنىٰ.

والقرآن مُعْجِز، بخلاف الحديث القدسي. والقرآن يَحْرُم مسُّه وقراءته للجُنُب، ويتعيَّن في الصلاة، بخلاف الحديث القدسيّ.

فجرَّدت ما فيه من الأحاديث، فإذا هي ستة وأربعون حديثًا، فتيمَّنت بهذا القدر من العدد؛ لأنه عدد أجزاء النبوَّة المذكور في حديث البخاريِّ[١].

ورجوت أن أكون في عِداد من حفظ على الأمة المحمدية أربعين حديثًا حتى أُحشر في زمرة العلماء وتنالني شفاعة النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، كما جاء في الحديث الوارد من عِدَّة طرق استوفاها شقيقنا الحافظ السيد أحمد في كتابه المسمى "إرشاد المربعين إلى طرق حديث الأربعين" وهو إن كان ضعيفًا يُرجى حصول ما فيه من الثواب بفضل الكريم الوهَّاب، وقد عمل به جماعةٌ من العلماء الأعلام كالآجري وابن عساكر وعبدالغافر الفارسيّ وعبدالقادر الرهاوي والنووي والمنذري وغيرهم ممن لا يُحصون كثرة، رحمهم الله وأثابهم رضاه. وقد اخترت أن أسمِّي ما جمعته بـ"الأربعين الغُمَارية".

واللهُ المسؤول أن ينفع بها كاتبها وقارئها وسامعها ويشملهم جميعًا بستره وعنايته في الدنيا والآخرة إنه قريبٌ مجيبٌ.

---

(١) وأجزاء النبوَّة عبارة عن الأوصاف التي كان يأتي عليها الوحي، فتارة يأتيه الوحي في المنام، وتارة بطريق الإلهام، وتارة يأتيه المَلَكُ على صورته الأصلية، وتارة على صورة رجل، إما دِحْيَة الكَلْبي أو غيره، وهكذا. وقد استوفى ذكر هذه الأجزاء الإمام الحليميُّ.

مقدمة

سيجد الناظر في هذه الأربعين أحاديث منصوصًا عليها بالضعف، فلا يحملنَّه على إهمالها وترك العمل بما فيها فيُحرم بسبب إهماله خيرًا كثيرًا، وليعلم أنَّ الحديث الضعيف معمولٌ به في الفضائل.

قال الحافظ ابن الصَّلاح: «يجوز عند أهل الحديث وغيرهم التساهل في الأسانيد ورواية ما سوى الموضوع من أنواع الأحاديث الضعيفة من غير اهتمام ببيان ضعفها، فيما سوى صفات الله تعالى وأحكام الشريعة من الحلال والحرام وغيرهما، وذلك كالمواعظ والقصص وفضائل الأعمال وسائر فنون الترغيب والترهيب مما لا تعلَّق له بالأحكام والعقائد».اهـ

ومثله للإمام النَّوَوي في "التقريب" و"الأذكار" و"المجموع"، وقال الحافظ العراقيُّ في "الألفيّة":

وسَهَّلُوا في غَيْرِ مَوْضُوعٍ رَوَوْا ... مَنْ غَيْرِ تَبْيِينٍ لضَعْفٍ وَرَأَوْا
بَيَانَهُ في الحُكْمِ والعَقَائِدِ ... عَنِ ابْنِ مَهْدِيٍّ وغَيْرٍ وَاحِدِ

وأخرج الحافظ البيهقيُّ في "المدخل" عن عبدالرَّحمن بن مهديّ -أحد أئمَّة الحديث- قال: «إذا روينا عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في الحلال والحرام والأحكام شدَّدنا في الأسانيد وانتقدنا في الرجال، وإذا روينا في الفضائل والثواب والعقاب سهَّلنا في الأسانيد وتسامحنا في الرجال».

وورد مثل هذا عن سفيان الثَّوريِّ وسفيان بن عُيَيْنَة وعبدالله بن المبارك ويحيى بن مَعِينٍ وأحمد بن حنبلٍ وغيرهم، أسند ذلك عنهم أبو أحمد بن عدي الحافظ في مقدمة كتابه "الكامل" حيث عقد لجواز العمل بالضعيف في

الفضائل بابًا مستقلًا وأورد فيه نقولًا كثيرة، وكذا فعل أبو بكر الخطيب الحافظ في "كفايته".

وقال الحاكم: «سمعت أبا زكريا العنبريَّ يقول: الخبر إذا ورد لم يُحرِّم حلالًا ولم يُحلّ حرامًا ولم يُوجِب حكمًا وكان في ترغيبٍ أو ترهيبٍ أُغمض عنه وتُسُوهل في رواته».اهـ

وقال أبو عمر بن عبدالبر الحافظ: «أحاديث الفضائل لا نحتاج فيها إلى من يُحتجّ به».اهـ(١)

---

(١) بل ذكر بعض العلماء أنه يجوز العمل في هذا الباب بالرؤيا، ففي اختصار "حاشية الزُّهوني" للفقيه قنُّون -بالقاف المعقودة وتشديد النون- ما نصه: «قال سيدي المهديّ الفاسيّ -رحمه الله-: وإذا كانت الفضيلة المستدل لها مما شهد الشرع باعتبار جنسه واندرج تحت أصل عام وليس في الأصول والقواعد ما يخالفه، فمن العلماء من قال: يعمل فيها بالمرائي المنامية أيضًا، ويستأنس لها بها فتكون مؤكدة لها لا مؤسسة، والله أعلم».اهـ نقله في "باب الجنائز".

ولا يخفى أن الرؤيا التي يُعمل بها -على القول بذلك- هي التي يُرى فيها النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم آمرًا بشيء أو ناهيًا عنه، لأن كلامه حُجَّةٌ في الدين ولأن الشيطانَ لا يتمثل به، أما رؤيا غيره فلا يُعمل بها، مثال من ذلك: ما نقله العلامة الحطَّاب في باب الآذان من شرحه على "مختصر الشيخ خليل" عن صاحب "المسائل الملقوطة" عن العالم المجتهد الأَرْضَى صدرِ الدِّين بن الصَّلاح بهاء الدِّين عثمان بن علي الفارسيّ قال:«لقيت الشيخ العالم المتقن المفسِّر المحدِّث المشهور الفضائل نور الدين الخُراساني بمدينة شِيراز وكنت عنده في وقت الأذان، فلما سمع المؤذن يقول: «أشهد أن محمَّدًا رسول الله» قبَّل الشيخ إبهامَي يديه اليمنى واليسرى، ومسح بالظُّفُرِ من أجفان عينه

لكن شُرِط لجواز العمل بالضعيف شروط ثلاثة:

أحدها: أن يكون ضعف الحديث غير شديدٍ، فإن كان شديدًا بأن كان واهيًا أو موضوعًا فلا يجوز العمل به، وهذا الشرط متَّفَقٌ عليه كما قال الحافظ العلائيُّ والإمام التقي السُّبكيُّ، ومثال الضعف الشديد أن يتفرد بالحديث كذَّاب أو متهمٌ به، أو مَن فَحُشَ غلطه، أو كثُرت غفلته، أو ظهر فسقه، ونحو ذلك.

ثانيها: أن يكون الحديث مندرجًا تحت أصل عام من أصول الشريعة، فلا يجوز العمل به في غير ذلك، كما إذا كان الحديث يقتضي إحداث شيء ليس في قواعد الشرع ما يشهد له، كحديث ابن عبَّاس مرفوعًا: «**مَنْ وَقَعَ عَلَى بَهِيمَةٍ فَاقْتُلُوهُ وَاقْتُلُوا البَهِيمَةَ**». رواه أحمد والأربعة.

عند كل تشهد مرة، بدأ بالموق من ناحية الأنف وختم باللِّحَاظِ من ناحية الصُّدْغِ، فسألته عن ذلك فقال: كنت أفعله من غير رواية حديث ثم تركته، فمَرِضَتْ عيناي فرأيت رسولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في المنام فقال: «لِمَ تركتَ مَسْحَ عَيْنَيْكَ عندَ ذِكرِي فِي الأذَانِ؟! إِنْ أَردتَ أَنْ تَبْرَأَ عَيْنَاكَ فَعُدْ إِلَىٰ المَسْحِ»، أو كما قال. فاستيقظت ومسحت فبَرِئَتْ عيناي ولم يعاودني مرضهما إلىٰ الآن.

ثُمَّ قال الحطَّاب: «ورُوي عن الخضر عليه السلام أنه قال: من قال -حين يسمع المؤذن يقول: «أشهد أن محمَّدًا رسول الله»-: مرحبًا بحبيبي وقُرَّةِ عيني محمَّد بن عبدالله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، ثم يُقَبِّلُ إبهامَيه ويجعلُهما علىٰ عينه لم يَعْمَ ولم يَرْمَدْ أبدًا».اهـ وما ذكره عن الخضر رواه عنه الشيخ أحمد الردَّاد في كتاب "مُوجِبات الرَّحمة" بإسنادٍ منقطعٍ وفيه مجاهيل، ولم يصح في هذا الباب حديث كما قال الحافظ السَّخاويُّ، و الله أعلم.

فهذا الحديث -مع ضعفه- ليس في قواعد الشرع ما يشهد له، إذ ليس في الأحاديث الصحيحة ولا غيرها من الأدلة ما يشهد لقتل البهيمة في مثل هذا الموطن.

ثالثها: ألَّا يَعتقد العامل به ثبوته عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لئلَّا يقع في نسبة ما لم يقله إليه، بل يعمل به على أنه محتمل الثبوت والانتفاء لأن الضعيف ليس ثبوته راجحًا كالحديث الصحيح.

ذكر هذين الشرطين الإمامان الكبيران عزُّ الدين بن عبدالسَّلام وتلميذه تقيُّ الدين بن دقيق العيد رحمهما الله.

ولا يخفى أنَّ أحاديث هذه "الأربعين" تتعلَّق بفضيلة من فضائل الأعمال، وخصلة من سَنِيِّ الخِصال، هي شكر النِّعم، الذي دلَّت قواعد الشرع ودلائله على طلبه من عموم النَّاس، وكفى دليلًا قوله تعالى: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴾ [البقرة: ١٥٢]، فينبغي العمل بما كان ضعيفًا من هذه الأحاديث، بل يتأكد، لاستيفائه الشروط المقررة.

على أنَّ ما كان منها شديد الضعف يجب تركه عملًا بالشرط الأول المتفق عليه، والله الموفِّق لا ربَّ غيره.

الحديث الأول

أخبرنا أبو عبدالله محمَّد بن محمود خفاجي الدمياطي: أنا أبو المحاسن محمَّد بن خليل الطرابلسي: أنا محمَّد بن محمود الجزائري: أنا علي بن الأمين: أنا الجوهري: أنا النخلي: أنا الصفي القشاشي: أنا الرملي: أنا القاضي زكريا: أنا أبو الفضل أحمد بن علي الحافظ: أنا أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الشامي البعلي: أنا أبو بكر بن عبدالدائم وأبو العبَّاس أحمد بن أبي بكر الأُرْمَوِيُّ، قال الأول: أنا محمَّد بن إبراهيم الأربلي: أنا فخر النساء شُهْدة الكاتبة قالت: أنا أبو الحسين أحمد بن عبدالقادر بن محمَّد بن يوسف، وقال الثاني: أنا أبو القاسم عبدالرَّحمن بن مكيّ الطَّرابلسي: أنا جدي لأمي الحافظ أبو طاهر السِّلَفي: أنا محمَّد بن عبدالسَّلام الأنصاري، وأبو سعد محمَّد بن عبدالكريم بن حشيش: أنا أبو علي الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن شاذان، وقال ابن عبدالسَّلام وأبو الحسين بن عبدالقادر: أنا أبو القاسم عبدالرَّحمن الخِرَقِي، قالا: أنا أبو بكر أحمد بن سلمان بن الحسن النَّجَّاد قال: أنا أبو بكر عبدالله بن محمَّد بن عبيد القرشي الحافظ، عُرِف بابن أبي الدُّنيا رحمه الله تعالى، قال: حدثني الحسن بن الصَّبَّاح: ثنا عمر بن يونس: حدثنا عيسى بن عَوْنٍ بن عمرو بن حفص بن الفرافصة الجُمحي[1]، عن عبدالملك بن زُرارة، عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَا أَنْعَمَ الله عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً فِي أَهْلٍ أَوْ مَالٍ أَوْ وَلَدٍ،**

---

(١) هذا السند موجود في كتاب "الشُّكر" المطبوع هكذا: حدَّثنا عيسى بن عون الحنفي، عن جعفر بن العرامصة الحنفي، عن عبدالملك بن زُراره. وهو تصحيفٌ فاحشٌ.

فَيَقُول: «مَا شَاءَ الله لا قُوَّةَ إِلا بِالله»، فَيَرَى فيهِ آفَةً دُونَ الْمَوْتِ».

قلت: «عيسىٰ بن عون وشيخه عبدالملك»، قال الأزدي في كلٍّ منهما: «لا يصح حديثه»، لكن للحديث طرق تقويه(١).

الحديث الثاني

بالسند إليه قال: حدثنا حاجب بن الوليد: ثنا الوليدُ بن محمَّد المُوَقَّرِيُّ، عن الزُّهري، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: دخل عليَّ النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فرأىٰ كِسْرةً مُلْقَاةً فمسحها، فقال: **«يا عائشةُ، أَحْسِنِي جِوارَ نِعَمِ اللهِ عزَّ وجلَّ، فإنها قلَّما نَفَرَتْ عن أهلِ بيتٍ فكادت أن تَرْجِعَ إليهم».**

قلت: المُوَقَّرِي مُجمَع علىٰ ضعفه كما قال الذهبي في "الميزان"(٢).

---

(١) ذكرها الحافظ السيوطيُّ في "الدر المنثور" عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [الكهف: ٣٩] ومعنىٰ الحديث: أنَّ مَن قال هذا الذكر عند حدوث أي نعمةٍ في أهله أو ماله أو ولده، حفظ الله عليه تلك النعمة من جميع الآفات، إلَّا الموت ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [نوح: ٤] وقد كان عروة بن الزبير إذا دخل حوائطه وبساتينه وأعجبه ما فيها قال: «ما شاء الله لا قوة إلا بالله». والسر في اختيار هذا الذكر أنه ينبئ باستسلام العبد لربه وخضوعه له حيث فوض المشيئة إليه واعترف بأن لا قوة إلَّا به سبحانه و تعالىٰ.

(٢) لصدر الحديث شاهد من حديث عليٍّ عليه السلام قال: مرَّ النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ كِسْرةٍ مُلْقَاةٍ فقال: «يا سُميراء -أو يا حُميراء- أحسني جوار نعم الله

الحديث الثالث

حدثني علي بن داود: ثنا عبدالله بن صالح: ثنا أبو زهير يحيىٰ بن عطارد القرشي، عن أبيه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لا يرزُقُ اللهُ عزَّ وجلَّ عبدًا الشكرَ فيحرمُهُ الزيادةَ لأنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يقول: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾** [إبراهيم: ٧].

قلت: هذا مرسل لكن له طرقٌ تقوِّيه(١).

عليك...» الحديث. رواه ابن حِبَّان في "الضعفاء" وفي سنده: «أبو شرس، عن شَريك» قال ابن الجوزي: «روىٰ عنه ما لم يحدث به قط».

وقد ورد في إكرام الخبز بضعة عشر حديثًا، جمعها شقيقنا الحافظ السيد أحمد في جزء صغير سمَّاه: "رفع الرجز بإكرام الخبز" وبين ما فيها من ضعف، ولم يصح منها إلا حديث واحد وهو حديث عائشة مرفوعًا: «**أكرموا الخبز**».

صحَّحه الحاكم وأقرَّه الذهبيُّ، وإكرامه يكون بعدم إلقائه في الطريق وفي المواضع المستقذرة ونحو ذلك.

(١) منها عن ابن مسعودٍ مرفوعًا: «من أُعطِيَ الشُّكْرَ لم يُحرمِ الزِّيَادَةَ لأن الله تعالىٰ يقول: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] ومن أُعطِيَ التوبةَ لم يُحرمِ القبولَ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ [الشورىٰ: ٢٥]». رواه ابن مردويه.

وروىٰ الترمذي الحكيم في "نوادر الأصول" عن أبي هُرَيْرَة مرفوعًا أيضًا: «**أربع من أُعطيهن لم يُمنع من الله أربعًا: من أُعطِيَ الدعاءَ لم يُمنعِ الإجابةَ لأن الله تعالى يقول: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾** [غافر: ٦٠]، **ومن أُعطِيَ الاستغفارَ لم يُمنعِ المغفرةَ لأن الله يقول: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾** [نوح: ١٠]، **ومن أُعطِيَ الشكرَ لم يُمنع**

الحديث الرابع

حدثنا محمَّد بن عبدالله المدِيني: ثنا المُعْتَمِرُ بن سليمان: سمعت أبا الأشهب، عن الحسن قال: سمع نبي الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رجلًا يقول: الحمد لله بالإسلام. فقال: «**إنك لَتَحْمَدُ اللهَ على نعمةٍ عظيمةٍ**».

قلت: هذا مرسل أيضًا(١).

الزيادةَ لأن الله تعالى يقول: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]، ومن أُعطِيَ التوبةَ لم يُمنع القبولَ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ [الشورى: ٢٥]».

وروى البخاريُّ في "التاريخ" والضياء المقدسيُّ في "المختارة" عن أنسٍ مرفوعًا: «**من أُلهم خمسة لم يُحرم خمسة**». فذكر الأربعة السابقة وزاد عليها: «**ومن أُلهِمَ النفقةَ لم يُحرمِ الخَلَفَ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ [سبأ: ٣٩]**»، وعن قتادة في تفسير قوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] قال: «حق على الله أن يُعطي من سأله ويزيد من شكره والله مُنعِم يحب الشاكرين فاشكروا لله نعمه». رواه عبد بن حميد وابن المنذر وغيرهما.

وقوله: «حقٌّ على الله» هذا حقٌّ تفضُّلي لا بمعنى أنه واجبٌ عليه؛ فإنَّ الله تعالى لا يجب عليه شيء أبدًا، نعم هذا الحق واجب الوقوع من جهة أنَّ الله وَعَد به، وهو سبحانه وتعالى لا يخلف الميعاد.

(١) وفي إسناده ضعفٌ، والباء في «بالإسلام»: سببية، أي: الحمدلله بسبب الإسلام الذي أنعم به، وكون الإسلام نعمة عظيمة لا يحتاج إلى بيان، ولو لم يكن فيه إلا أنه يوجب دخول الجنة والخلود فيها لكفى به نعمة أيَّ نعمة، فالحمدلله على الإسلام حمدًا كثيرًا.

الحديث الخامس

حدَّثنا عبدالأعلى بن حماد النرسيُّ، وأزهر بن مروان الرقاشيُّ قالا: ثنا بشر بن منصور الباهليُّ السليميُّ، عن زهير بن محمدٍ، عن سهيلٍ، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: دعا رجل من الأنصار من أهل قباء النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فانطلقنا معه، فلما طعم وغسل يده -أو قال: يديه- قال: **«الحمد لله الذي يُطعِم ولا يُطعَم، منَّ علينا فهَدَانا، وأَطْعَمَنا وسَقَانا، وكل بالإحسان أتلانا، الحمد لله غيرَ مودَّعٍ ربي ولا مكافَأٍ ولا مَكْفُورٍ ولا مُستغنًى عنه، الحمد لله الذي أطعم من الطعام، وسقى من الشراب، وكسا من العُرْي، وهدى من الضلالة، وبصَّر من العَمَى، وفضَّلنا على كثير ممن خلقه تفضيلًا، والحمد لله رب العالمين»**.

قلت: إسناده صحيح[1].

---

(١) قوله: «الحمد لله الذي يُطعِم»: بضم الياء وكسر العين، «ولا يُطعَم»: بضم الياء وفتح العين بالبناء للمفعول، أي: يَرزُق ولا يُرزَق، لأن المنافع كلها منه سبحانه، ويجوز فتح الياء والعين بالبناء للفاعل، أي: لا يذوق الطعام ولا يأكله، لتنزهه سبحانه وتعالى عن ذلك.

وقوله: «وكل بالإحسان أتلانا» كذا في كتاب "الشكر" المطبوع ولعله تحريف، والصواب: «وكلًا بالإحسان»، والإتلاء: الإتْبَاع، وهناك مضاف إليه محذوف ناب عنه التنوين في كل، والتقدير: وكل نعمة أتبعنا وأردفنا، بالإحسان منه لا باستحقاق منَّا عليه، لأنه لا يجب عليه شيء سبحانه وتعالى.

وفي حديث عبدالله بن عمرو بن العاص عند ابن السني: «وكل الإحسان آتانا». وفي

الحديث السادس

حدثنا محمَّد بن إدريس -هو أبو حاتم الرازي الحافظ المشهور-: ثنا محمَّد ابن مقاتل المروزي: ثنا هاشم بن مخلد المروزي، عن ورقاء، عن عمرو بن دينار، عن طاوس، عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنه كان يقول: «**اللهُمَّ إني أعوذُ بك من زوالِ نِعمتِكَ وَفَجْأَةِ نِقمتِكَ وَتَحَوُّلِ عافيتِكَ وجميعِ سَخَطِكَ**».

قلت: إسناده صحيحٌ أيضًا(١).

الحديث السابع

حدثنا سُوَيْدُ بنُ سَعِيدٍ: ثنا صالح بن موسى، عن ليث بن أبي سُليم، عن عثمان، عن محمَّد بن سيرين، عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**يُؤتَى بالنِّعم يوم القيامة والحسناتِ والسيئاتِ، فيقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ لنعمةٍ من نِعَمِهِ: خذي حَقَّكَ مِن حسناتِهِ، فما تترُكُ له**

رواية عن أبي هُرَيْرَة عند الطبراني في الدعاء: «وكل بلاء حسن أبلانا». وكلاهما أوضح من لفظ حديث الترجمة. ومودَّع -بفتح الدال المشددة- معناه: متروك، ومكافأ -بفتح الفاء وبالهمز- من المكافأة، ومستغنى: بفتح النون، وغير: منصوب على الحال من الطعام، المفهوم من المقام، والضمير في مُوَدَّع ومُكَافَأ ومكفور ومُستغْنًى عائد إليه، وربي: منادى بحذف حرف النداء.

والمعنى: الحمد لله على هذا الطعام حال كونه غير متروك يا ربي ولا مكافأ ولا مكفور ولا مستغنى عنه، وفي الحديث احتمالات أخرى مذكورة في "الأذكار" وشرحها.

(١) ورواه مسلمٌ عن ابن عمر.

حَسَنَةً إلَّا ذَهَبَتْ بها». قلت: إسناده ضعيفٌ(١).

الحديث الثامن

حدَّثنا يعلىٰ بن عبدالله بن يعلىٰ الهذليُّ: ثنا بشر بن عمر: ثنا ابن لَهِيعَة: ثنا عقبة بن مسلمٍ، عن عقبة بن عامرٍ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا رَأيتَ اللهَ عزَّ وجلَّ يُعْطِي العبادَ ما يشاءون، على مَعاصِيهِم إيَّاهُ فذلك استِدْرَاجٌ منه لهم**».

قلت: إسنادُهُ حسنٌ إن شاء الله(٢).

---

(١) هذا بيانٌ لعظم نعم الله علىٰ عبده، وأنه لا يستطيع مكافأتها مهما يعمل من الحسنات، وقد جاء في بعض الآثار: «أنَّ عابدًا مِن بني إسرائل عَبَدَ الله طول عمره، فلمَّا مات قال الله: «أدخِلوه الجنَّة برحمتي»، فقال العابد: بل بعملي يا رب، فحاسبه الله علىٰ نعمه فاستغرقت نعمة البصر جميع عباداته، وبقيت النعم الأخرىٰ بدون مقابل، فأمر الله به إلىٰ النار، فقال: يا ربِّ أدخلني الجنَّة برحمتك». رواه ابن أبي الدنيا.

ورُوي أيضًا عن الحسن قال: «قال داود عليه السلام: إلهي لو أنَّ لكلِّ شعرةٍ مِنِّي لسانَيْنِ يُسَبِّحَانِكَ الليلَ والنهارَ ما قضيتُ نعمةً من نِعَمِك».

(٢) وهذا نحو قوله تعالىٰ: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٨٢-١٨٣] قال المُفسِّرون: «استدراجهم بالإنعام عليهم لأنهم يحسبونه إيثارًا لهم علىٰ غيرهم وتفضيلًا، وهو سبب لهلاكهم حيث لم يشكروا الله ولم يطيعوه».

وروىٰ ابن المبارك، عن داود بن عبدالرحمن، عن عمر بن سعد بن أبي حسنٍ، عن أبي حازمٍ قال: «إذا رأيتَ اللهَ عزَّ وجلَّ سابغًا نِعَمَهُ عليك وأنتَ تَعْصِيهِ فاحْذَرْهُ».

الحديث التاسع

حدثنا محمودُ بنُ غَيْلَانَ المَرْوَزِيُّ، ثنا مُؤَمَّلُ بنُ إسماعيل: ثنا حمَّاد بن سلمة: ثنا حُميد الطويل، عن طلق بن حبيب، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**أَرْبَعٌ مَنْ أُعْطِيَهُنَّ فَقَدْ أُعْطِيَ خَيْرَ الدُّنْيَا والآخِرَةِ: قلبٌ شاكرٌ، ولسانٌ ذاكِرٌ، وبَدَنٌ على البَلاءِ صابرٌ، وزَوْجَةٌ لا تَبغِيهِ خَوْنًا في نَفْسِها ولا مالِهِ**». قلت: «رجال إسناده ثقاتٌ، غير مؤمل بن إسماعيل فقد اختُلف فيه فوثَّقه ابن مَعِينٍ، وقال البخاريُّ: «منكر الحديث».

لكن صنيع الذهبيِّ في الميزان يقتضي أنَّ العمل علىٰ توثيقه؛ لأنه لَمَّا ترجمه ذكر قبالة اسمه لفظة: «صح» وهذه اللفظة في اصطلاحه تدل علىٰ ذلك[1].

الحديث العاشر

حدثنا محمَّد بن علي بن الحسن -هو ابن شقيق العبدي-، عن بشر بن السري، عن همّام بن يحيىٰ، عن إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة: أنَّ رجلًا كان يأتي النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فيسلِّم عليه فيقول النبيُّ: «كيف

---

(١) نصَّ عليه الحافظ في خطبة "لسان الميزان"، والحديث ذكره المنذريُّ في "الترغيب" باللفظ المذكور إلَّا أنه قال: «حوبًا» وعزاه للطبرانيِّ في "الكبير" و"الأوسط" وقال: «إسناد أحدهما جيدٌ». والحوب -بضمِّ الحاء وفتحها-: الإثم، وفي الباب عن ثوبان قال: لما نزلت: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ﴾ [التوبة: ٣٤]، كنا مع رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في بعض أسفاره فقال بعض أصحابه: أُنزِلتْ في الذَّهبِ والفِضَّة، ولو علمنا أيُّ المال خيرٌ فنتَّخِذَهُ؟ فقال: «أَفْضَلُهُ لِسَانٌ ذاكِرٌ، وقَلْبٌ شَاكِرٌ، وزَوْجَةٌ مُؤْمِنَةٌ تُعِينُهُ علىٰ إيمَانِهِ». رواه ابن ماجه، والترمذيُّ وحسَّنه.

أصبحتَ؟» فيقول الرجل: إليك أحمد الله، أو أحمد الله إليك، فكان النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يدعو له.

فجاء يومًا فقال له النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**كيف أنتَ يا فلان؟**» قال: بخيرٍ إن شكرتُ. فسكت النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال الرجل: يا رسول الله كنت تسألني فتدعو لي وإنك سألتني اليوم فلم تدعُ لي! قال: «**إنِّي كنتُ أسألُكَ فتشكرُ اللهَ وإني سألتُكَ اليومَ فشكَكْتَ في الشُّكْرِ**».

قلت: هذا مرسلٌ صحيح الإسناد[1].

الحديث الحادي عشر

حدَّثني الحسن بن الصباح البزَّار: حدَّثني محمَّد بن سليمان قال: أنبأ هشام بن زياد، عن أبي الزناد، عن القاسم بن محمدٍ، عن عائشة رضي الله عنها، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ما أنعمَ اللهُ على عَبْدٍ نِعْمَةً فَعَلِمَ أنَّها مِن عندِ الله إلَّا كُتِبَ له شُكْرُهَا، وما عَلِمَ اللهُ مِن عبدٍ نَدَامةً على ذَنْبٍ إلَّا غَفَرَ لَهُ قَبْل أن يَستغفِرَهُ، وإنَّ الرَّجُلَ ليَشتَرِي الثوبَ بالدِّينارِ فَيَلْبَسُهُ فَيَحْمَدُ اللهَ، فما يَبْلُغُ رُكْبَتَيْهِ حتى يُغفرَ له**».

قلت: هشام بن زياد ضعيفٌ، ورأيت الحافظ المنذريَّ عزاه في "الترغيب" لابن أبي الدنيا والحاكم والبيهقيِّ، ونقل عن الحاكم أنه قال: «لا أعلم في رواته

---

(١) «المرسل» عند المحدِّثين والأصوليين هو: «قول التابعيِّ: قال رسول الله: كذا». وقول "البيقونية": «ومرسلٌ مِنه الصَّحابيُّ سَقَط». تعريفٌ له ببعض صُوره، ثُمَّ هو حُجَّةٌ عند المالكية والحنفيَّة، ضعيفٌ عند الجمهور.

مجروحًا». وقال: «كذا قال». فأشار إلى أنَّ كلام الحاكم فيه شيءٌ.

الحديث الثاني عشر

حدَّثني الهيثم بن خارجة: ثنا عبد ربه بن عبدالله الفلسطينيُّ، عن هليل بن يزيد المدنيِّ، عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ما مِن عَبْدٍ تَوَكَّلَ بعِبَادَةِ الله إلَّا غُرِّمَ السَّماواتُ والأرضُ -يعني رزقَهُ-، فجعلهُ في يَدَيْ بني آدمَ يَعْمَلُونَهُ حتَّى يَدْفَعُوهُ إليه، فإنِ العبدُ قَبِلَهُ أوْجَبَ عليه الشُّكْرَ، وإن أباهُ وَجَدَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ عِبَادًا فُقَرَاءَ يأخذون رِزْقَهُ ويَشْكُرُونَ لَهُ**»(١).

قلتُ: عبد ربه الفلسطيني وشيخه ما عرفتهما، على أني أُرجِّح أن يكون هليل محرفًا عن هلال بن يزيد وهو المازني، ذكره الحافظ في "تعجيل المنفعة".

---

(١) يقال: «غُرِّم السحاب»: بضم الغين المعجمة وتشديد الراء مبنيًا للمفعول، أي أمطر. فعلى هذا تغريم السماوات للرزق في الحديث معناه: إنزال المطر، لأنه سبب الرزق، وتغريم الأرض: إخراج الحب ونحوه. ثم يُجعل في أيدي بني آدم يعملونه ويهيئونه حتى يصلح للأكل والانتفاع، ثم يدفعونه إلى العبد المتوكل بعبادة الله بطريق من الطرق الشرعية، كبيع أو عطاء أو هبة، فإن هو قبله أوجب قبوله شكرًا لله على هذه النعمة التي وصلت إليه من غير أن يتعب فيها كما تعب غيره فهي نعمة مزدوجة، وإن أبى قبوله لاستقلال له أو نحو ذلك وجد الغني الحميد عبادًا له فقراء يأخذون هذا الرزق ويشكرونه عليه. و«غُرِّم» في الحديث: مبني للمفعول، و«السماوات»: نائب الفاعل، ومعنى «توكل بعبادة الله» أي: تكفل بها وألزم نفسه إياها. هذا ما ظهر لي في معنى هذا الحديث الذي لم أقف عليه في غير هذا المحل، والعلم عند الله تعالى.

الحديث الثالث عشر

حدثني أبو خيثمة وإبراهيم بن سعيد قالا: ثنا روح بن عبادة: ثنا شعبة، عن الفضيل بن فضالة -رجل من قيس- عن أبي رجاء العطاردي، واسمه عمران بن ملحان، قال: خرج علينا عمران بن حُصين رضي الله عنه، وعليه مِطْرَفُ خَزٍّ لم نره عليه قبل ولا بعد، فقال: إن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إذا أنعمَ اللهُ على عبد نعمةً أَحَبَّ أن يَرَى أَثَرَ نِعمَتِهِ على عبدِهِ**».

قلت: رجال إسناده ثقات(١).

---

(١) للحديث طرقٌ، منها: عن أبي الأحوص عن أبيه، وسيأتي بعد هذا بحديث.

وعن عبدالله بن عمرو، وهو بعد هذا.

وعن أبي هُرَيْرَة مرفوعًا: «ما أنعم الله علىٰ عبد نعمة إلا وهو يحب أن يرىٰ أثرها عليه». رواه أحمد وإسحاق بن راهويه.

وعن أبي سعيد الخدري رفعه: «إن اللهَ جميلٌ يحبُّ الجَمَالَ، ويحبُّ أن يرىٰ نعمته علىٰ عبده، ويبغض البؤس والتباؤس». رواه أبو يعلىٰ، والبيهقي في "الشعب" من طريق عطية العوفي عنه.

وعن أنس مرفوعًا: «إن اللهَ جميلٌ يحبُّ الجَمَالَ ويحبُّ أن يرىٰ أثرَ نعمته علىٰ عبده». رواه الطبراني في "مسند الشاميين" من طريق عثمان بن عطاء الخراساني عن أبيه عنه.

وعن ابن عمر مرفوعًا نحوه.

رواه الطبراني في "الأوسط" من طريق موسىٰ بن عيسىٰ القرشي، عن عطاء الخراساني، عن نافع عنه.

وعن جابر رفعه: «إن الله ليحب أن يرىٰ أثر نعمته علىٰ عبده». رواه ابن عدي بإسنادٍ ضعيف، وعن علي بن زيد مرسلًا، وسيأتي.

الحديث الرابع عشر

حدثنا أبو عبيدة بن الفضيل بن عياض: ثنا أبو سعيد مولى بني هاشم، عن همّام، عن قتادة، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**كُلُوا واشْرَبُوا وتَصَدَّقُوا في غير مَخِيلَةٍ ولا سَرَفٍ فإن اللهَ عزَّ وجلَّ يُحِبُّ أن يَرَى أَثَرَ نعمتِهِ على عبدِهِ**».

قلت: رجال الإسناد ثقات على كلام في بعضهم لا يضر، والحديث علَّقه البخاري بصيغة الجزم(١).

الحديث الخامس عشر

حدثنا عبيدالله بن عمر القَواريري: ثنا هشام بن عبدالملك: ثنا شعبة، عن أبي إسحاق -هو عمرو بن عبدالله السَّبِيعي- عن أبي الأحوص - هو عوف بن مالك بن نَضْلَة- عن أبيه قال: أتيتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وأنا قَشِفُ الهيئة فقال: «**هَلْ لَكَ مِنْ مَالٍ؟**» قلت: نعم، قال: «**من أيِّ المَالِ؟**» قلت: من كل المال، قد آتاني الله من الإبلِ والخيلِ والرَّقيقِ والغَنَمِ. قال: «**فإذا آتاكَ اللهُ**

وفي "صحيح مسلم" من حديث ابن مسعود مرفوعًا: «إن اللهَ جميلٌ يحبُّ الجَمَالَ».
والمقصود من هذه الأحاديث الحض على تحسين الهيئة وتجميلها، وأن يكون الشخصُ حَسَنَ الملبسِ نَظِيفَ الثيابِ كما جاء في حديث عن ابن عمر مرفوعًا: «إن اللهَ جميلٌ يحبُّ الجَمَالَ، سَخِيٌّ يُحِبُّ السَّخَاءَ، نظيفٌ يحب النظافَةَ». رواه ابن عدي بإسناد ضعيف، ولكن معناه صحيح.

(١) ورواه الترمذي وحسَّنه لكن شطره الأخير وهو: «إن الله يحب...»إلخ، و البخاري علَّق شطره الأول في «كتاب اللباس». والمَخِيلة: بفتح الميم و كسر الخاء، الكبر.

مَالًا فَلْيُرَ عَلَيْكَ».

قلت: رجالٌ إسناده ثقات(١).

الحديث السادس عشر

حدثنا علي بن شعيب: ثنا عبدالمجيد بن عبدالعزيز -هو ابن أبي روّاد-، عن ابن جريج، عن علي بن زيد بن جُدْعان قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إن اللهَ يُحِبُّ أن يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ فِي مَأْكَلِهِ ومَشْرَبِهِ**».

قلت: هذا مرسلٌ في إسناده ضعف، لكنه يتأيد بالأحاديث قبله.

الحديث السابع عشر

حدثني سُوَيْدُ بنُ سَعِيدٍ: حدثني عبدالله بن يزيد المقري، عن أبي مَعْمَر، عن بكر بن عبدالله، يرفعه: «**من أُعطي خيرًا فرُئي عليه سُمِّي حبيبَ الله مُحدِّثًا بنعمة الله، ومن أُعطي خيرًا فلم يُرَ عليه سُمِّي بَغيضَ الله مُعاديًا لنعمة الله**».

قلت: هذا مرسل أيضًا، وسُوَيْدُ بنُ سَعِيدٍ مختلف فيه(٢).

---

(١) وصحَّحه ابن حِبَّان والحاكم، وقَشِفُ الهيئة: بكسر الشين، هو مُتَغَيِّرُ الحالةِ رَثُّ الهيئةِ من الفقرِ.

(٢) لكنه في معنى الأحاديث التي قبله فهو معضود بها، وفي الحديث وعيد شديد لهؤلاء الحريصين الذين يملكون الأموال الكثيرة وهم مع ذلك لا يلبسون إلا الخرق من الثياب، ولا يأكلون إلا الرديء الرخيص من الطعام، ولا يعرفون الصدقة والإحسان إلا سماعًا من الناس، بل قد تبلغ الدناءة والحرص بأحدهم إلى حد أن يمد يده مستجديًا، فأحرى بهم أن يكونوا بغضاء الله معادين لنعمته.

الحديث الثامن عشر

حدثنا عمر بن إسماعيل الهمداني: ثنا إسحاق بن عيسىٰ، عن وَكِيع، عن أبي عبدالرحمن الشامي، عن الشَّعْبِي، عن النُّعمان بن بَشِير قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**التَّحَدُّثُ بِالنِّعَمِ شُكْرٌ، وَتَرْكُهَا كُفْرٌ، وَمَنْ لا يَشْكُرُ الْقَلِيلَ لا يَشْكُرُ الْكَثِيرَ، وَمَنْ لا يَشْكُرُ النَّاسَ لا يَشْكُرُ اللهَ، وَالْجَمَاعَةُ بَرَكَةٌ، وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ**»(١). قلت: عمر بن إسماعيل متروك.

وفي الحديث الصحيح عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَنْ سَأَلَ مِنْ غَيْرِ فَقْرٍ فَكَأَنَّمَا يَأْكُلُ الجَمْرَ**».

وفي الصحيحين عن ابن عمر مرفوعًا: «**لا تَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتَّى يَلْقَى اللهَ تَعَالَى وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ**». المُزعة: بضم الميم، القطعة.

وفي الحديث الصحيح عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي مَالِي. وَهَلْ لَكَ مِنْ مَالِكَ إِلا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟! وما سِوَى ذلك فأنتَ ذَاهِبٌ وتَارِكُهُ للنَّاسِ**».

(١) أبو عبدالرحمن الشامي في سند الحديث، قال شقيقنا الحافظ السيد أحمد في تخريج أحاديث "الشهاب": «أظنه سعيد بن بشير وهو ضعيف».

لكن للحديث طرق وشواهد، فروىٰ الديلمي من طريق حماد بن سعيد بن معروف الأنصاري: ثنا ليث بن أبي سليم، عن أبي الزبير، عن جابر رفعه: «**من لم يشكرِ القليلَ لم يشكرِ الكثيرَ، ومَن لم يشكرِ الناسَ لم يشكرِ اللهَ عزَّ وجلَّ، وما تكرهون في الجماعةِ خيرٌ مما تحبون في الفُرْقَةِ، وفي الجَماعةِ رحمةٌ وفي الفُرْقَةِ عَذَابٌ**».

وروىٰ القضاعي في "مسند الشهاب" من طريق الربيع بن مسلم: سمعت محمَّد بن زياد يقول: سمعت أبا هُرَيْرَة يقول: سمعت أبا القاسم صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم

يقول: «لا يَشْكُرُ اللّهَ مَنْ لا يَشْكُرُ النّاسَ».

ورواه أبو عمرو عبدالوهاب بن أبي عبدالله بن منده في الأول من "فوائده" من طريق شعيب بن صفوان، عن عبد الله بن شُبْرُمة، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير، عن أبي هُرَيْرَة مرفوعًا: «لا يَشْكُرُ اللّهَ مَنْ لا يَشْكُرُ النّاسَ».

ورواه ابن الأعرابي من طريق محمَّد بن فضيل، عن ابن شُبْرُمة، عن أبي معشر، عن الأشعث بن قيس به مرفوعًا.

ورواه أحمد من حديثه أيضًا، وصححه الترمذي وذكره في "الجامع" بلفظ: «مَن لم يَشكُرِ النّاسَ لم يَشكُرِ اللهَ». وعزاه لرواية أحمد والترمذي والضياء من حديث أبي سعيد الخدري.

وروى أحمد من طريق محمَّد بن طَلْحة بن مُصَرِّف، عن عبدالله بن شَريك العامري، عن عبدالرحمن بن عدي الكندي، عن الأشعث بن قيس مرفوعًا: «إنَّ أَشْكَرَ النَّاسِ للهِ أَشْكَرُهُمْ لِلنَّاسِ».

وروى أبو داود، والضياء في "المختارة" عن جابر مرفوعًا: «مَنْ أُبْلِيَ بَلَاءً -أي أنعم عليه بنعمة- فَذَكَرَهُ فَقَدْ شَكَرَهُ، وَإِنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ».

وجاء عن عمر مرفوعًا: «عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ». صححه الترمذي والحاكم وله طرق وألفاظ تتبعتها في تخريجي لأحاديث "منهاج البيضاوي".

ولا شك أن حديث الترجمة تقوّى بهذه الأحاديث وتأيّد.

ويؤخذ منه الحض على أمور:

الأول: التحدث بالنعم وإذاعتها وأن ذلك من الشكر المطلوب وذلك مقيَّد بما إذا لم يكن في التحدث مفاخرة أو مكاثرة أو رياء، وإلا فهو مذموم.

الثاني: القناعة بالقليل اليسير، والشكر عليه كما يشكر على الكثير الغزير، وإن من لا

الحديث التاسع عشر

حدثني محمَّد بن عبّاد بن موسىٰ -من كتابه-: حدثني يحيىٰ بن سليم الطائفي، عن إسماعيل بن أميّة، عن عمرو بن سعيد بن العاص، عن نافع، عن ابن عمر: أن رسولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قَرَأَ سُورَةَ الرَّحمنِ أو قُرِئَتْ عندَهُ، فقال: «**مَا لِي أَسْمَعُ الجِنَّ خَيْرًا مِنكُم جَوَابًا لِرَبِّهَا، ما أَتَيْتُ على قَوْلِ الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣] إلا قالتِ الجِنُّ : وَلا بِشَيْءٍ مِنْ نِعْمَةِ رَبِّنَا نُكَذِّبُ**».

يشكر القليل يورثه ذلك جشعًا وحرصًا حتىٰ يستقل الكثير فلا يشكره.

الثالث: الاعتراف بالوسائط وشكرهم علىٰ ما تسبَّبوا فيه من وصول الخير إلىٰ الشاكر، وأن شكرهم من شكر الله.

الرابع: الحض علىٰ الجماعة والأُلفة والتنفير من الفُرقة والاختلاف، والدين الإسلامي مبنيٌّ علىٰ هذا، وما جاء إلا ليجمع الناس علىٰ كلمة واحدة وعقيدة واحدة ومبدأ واحد ويكونوا عباد الله إخوانًا متآلفين متحابين، وهذا هو سر تقدم أسلافنا الأولين وبلوغهم الدرجة العليا من عز الدنيا وسعادة الآخرة، كما أن التفرق والتخاذل والتكاسل والتواكل سر انحطاطنا وتأخرنا في هذه العصور حتىٰ صار المسلمون في كل مكان -وهم أربعمائة ألف ألف- يُساقون كالأنعام ويُسخَّرون في مصالح الأجانب تسخيرًا شائنًا معيبًا.

فإلىٰ الله نشتكي وإليه نبرأ من هذه الحالة التي لا ترضيه ونسأله أن يعطينا عزمًا وقوة ويهبنا إيمانًا صادقًا وفتوة ويمن علينا بتآلف يرتق الفَتْقَ ويَرأَبُ الصَّدْعَ ويجمعُ الشَّمْلَ حتىٰ نقوم قومة رجل واحد فنحيي ما أُمحي من مجدنا و نستخلص ما اغتُصب من حقوقنا إنه قريبٌ مجيبٌ.

قلت: رجال الإسناد ثقات إلا عمرو بن سعيد بن العاص فلم أَرَ فيه توثيقًا بل رأيت في "التقريب": «أنَّه كان مسرفًا على نفسه»(١).

الحديث العشرون

كتب إلي عبدالرحمن بن واقد: ثنا الوليد بن مسلم، عن زهير بن محمد، عن محمَّد بن المنكدر، عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: لما قَرَأَ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وآله وسلَّم (سُورةَ الرَّحمنِ) على أصحابِهِ، قال حِينَ فَرَغَ مِنْهَا: «**مَا لِي أَرَاكُمْ سُكُوتًا؟! لَلْجِنُّ كَانُوا أَحْسَنَ مِنْكُمْ رَدًّا، مَا قَرَأْتُ عَلَيْهِمْ مِن مَرَّةٍ: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾** [الرحمن: ١٣] **إِلَّا قَالُوا: ولا بِشَيْءٍ مِنْ نِعَمِكَ رَبّنا نُكَذِّبُ**». قال: ولا أعلَمُه إلَّا قَال: «**فَلَكَ الحَمْدُ**».

قلت: رجال إسناده ثقات إلا أن الوليدَ بن مسلمٍ شديدَ التدليسِ عن

---

(١) ورواه ابن جرير قال: ثنا محمَّد بن عبّاد بن موسى، وعمرو بن مالك البصري قالا: ثنا يحيى بن سليم، عن إسماعيل بن أمية، عن نافع، عن ابن عمر به.
ورواه البزار عن عمرو بن مالك به، وقال: «لا نعلمه يروى عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد».اهـ
وهو سالم بن عمرو بن سعيد كما ترى ويظهر لي أن هذا هو الصواب وأن كلمة عن عمرو بن سعيد -في سند ابن أبي الدنيا- تحرَّفت عن كلمة بن عمرو بن سعيد؛ لأن أمية والد إسماعيل هو ابن عمرو بن سعيد، ومثل هذا التحريف يقع كثيرًا.
وعليه فرجال الحديث ثقات من غير استثناء، وقول البزار: «لا نعلمه يُروى إلا بهذا الإسناد» فيه شيء؛ لوروده من حديث جابر الآتي.

الضعفاء وغيرهم، ولم يصرح فيه بالسماع[١].

الحديث الحادي والعشرون

حدثنا عليُّ بنُ الجَعْدِ: أنا فُضَيلُ بنُ مرزوقٍ، عن جابرٍ، عن أبي جعفرٍ قال: كان رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إذا شَرِبَ الماءَ قال: «**الحَمْدُ لله الذِي جَعَلَهُ عَذْبًا فُرَاتًا بِرَحْمَتِهِ، ولَمْ يَجْعَلْهُ مِلْحًا أُجَاجًا بِذُنُوبِنَا**».

قلت: هذا مرسل[٢].

---

(١) ورواه الترمذي بهذا السند نفسه وقال: «غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم، عن زهير بن محمَّد. ثم حكى عن أحمد أنه كان لا يعرفه ينكر رواية أهل الشام عن زهير بن محمَّد هذا».اهـ

ثم وجدت الوليد بن مسلم صرَّح بالسماع من زهير، فروى الحاكم من طريق هشام بن عمار وعبدالرحمن بن واقد قالا: ثنا الوليد بن مسلم: ثنا زهير بن محمَّد به. ثم قال: «صحيح على شرط الشيخين» وأقرَّه الذهبي، وقول الترمذي: «لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم» فيه شيء، لوروده من حديث ابن عمر السابق.

(فائدة): إذا حمل كلب على شخص وخاف أن يؤذيه فليقرأ قوله تعالى: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ ﴾ إلى قوله: ﴿بِسُلْطَٰنٍ﴾ [الرحمن: ٣٣] فإن الكلب لا يؤذيه بإذن الله تعالى. كذا نقل القرطبي في كتاب "التذكار" عن بعض المتقدمين.

(٢) وسنده ضعيف لكن له طريق آخر فأسنده الحافظ في "أمالي الأذكار" عن أبي جعفر أيضًا، وله شاهد عن الحسن موقوفًا عليه بإسناد حسن.

(فائدة): أبو جعفر: هو الباقر، يروي عن جابر ويروي عنه جابر، قال الحافظ في "أمالي الأذكار": «فيؤخذ من هذا نوع لطيف من علوم الحديث: الباقر عن جابر وعنه جابر، الأدنى الجعفي والأعلى الصحابي وليس هذا في كتاب ابن الصلاح».اهـ

الحديث الثاني والعشرون

حدثنا خلف بن هشام: ثنا أبو عَوَانَةَ، عن زياد بن عِلَاقَةَ، عن المغِيرَةِ بنِ شُعْبَةَ قال: قامَ النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حَتَّىٰ انْتَفَخَتْ قَدَمَاهُ، فَقِيلَ لَهُ: يَا نَبِيَّ اللهِ تَكَلَّفُ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ ؟! قال: «**أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟!**».

قلت: هذا حديث صحيح[1].

الحديث الثالث والعشرون

حدثنا عليُّ بنُ الجَعْدِ: ثنا ياسين الزيّات، عن عُبَيْدِالله بن زَحْرٍ، عن القاسم ابن عبدالرحمن، عن أبي أُمَامَةَ رضي الله عنه: أن عمرَ بن الخَطَّاب رضي الله عنه

---

(١) رواه البخاري ومسلم ولفظهما: «قام النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حتىٰ تَورَّمَت قدماه فقيل له: قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر. قال: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا؟!**». وفي رواية عن عائشة: أن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان يقوم من الليل- تعني يصلي- حتىٰ تَتَفَطَّرَ قدماه، فقلت له: لم تصنع هذا وقد غُفِرَ لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! قال: «**أفلا أحب أن أكون عبدًا شكورًا؟!**». رواه البخاري ومسلم.

وفي الباب عن أبي هُرَيْرَة عند ابن خُزيمة في "صحيحه"، وقوله في حديث الترجمة: «تَكلَّف هذا» هو بفتح التاء وأصله تتكلف حُذِفت إحدىٰ التاءين تخفيفًا.

ويؤخذ من الحديث أن شكر الله يكون بالإكثار من طاعته، وأن قيام الليل أفضل الأعمال لأن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لا يُكثِرُ إلا من الأفضل والأكمل، هذا مع كون الليل وقت صفاء الفكر وهدوء البال تحلو فيه المناجاةُ ويُسمَعُ فيه الدعاءُ والعمل فيه أبعد من الرياء.

لبس قميصًا، فَلَمَّا بَلَغَ تَرْقُوَتَهُ قال: «الحَمْدُ لله الذي كَسَانِي ما أُوَارِي بِهِ عَوْرَتِي وأَتَجَمَّلُ بِهِ في حَيَاتِي»، ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ فَنَظَرَ إِلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ يَزِيدُ علىٰ بَدَنِهِ فَقَطَعَهُ، ثُمَّ أنشأَ يُحَدِّثُ قال: سَمِعْتُ رسولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقولُ: «**مَنْ لَبِسَ ثَوبًا -أَحْسَبُهُ قال: جَدِيدًا- فَقَالَ حِينَ يَبْلُغُ تَرْقُوَتَهُ -أَوْ قَالَ: قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ تَرْقُوَتَهُ -مِثْلَ ذلكَ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى ثَوْبِهِ الخَلِقِ فَكَسَاهُ مِسْكِينًا، لم يَزَلْ في جِوَارِ الله وفي كَنَفِ الله حيًّا وميتًا حيًّا وميتًا حيًّا وميتًا - ثلاثًا- مَا بَقِيَ مِنَ الثَّوْبِ شِلْو**».

قال ياسين، قلت لعبيد الله: من أي الثوبين؟ قال: لا أدري.

قلت: «إسناده ضعيف»(١).

الحديث الرابع والعشرون

حدثني علي بن إبراهيم اليَشْكُري: ثنا يعقوب بن محمَّد الزُّهري، عن عبدالعزيز بن محمَّد -هو ابن عُبَيد الجُهَني-، عن عمرو بن أبي عمر، عن سَعيدٍ

---

(١) رواه البيهقي والحافظ عبدالعزيز بن الأخضر في الأول من "الفوائد الحسان" من طريق عبدالله بن زَحْرٍ، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أُمامة.

ورواه الترمذي وابن ماجة والحافظ عبدالعزيز بن الأخضر كلهم من طريق أصبغ بن زيد عن أبي العلاء الشامي عنه، وقال الترمذي: «حديث غريب».

وفي الباب عن أبي سعيد قال: «كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إذا استجَدَّ ثوبًا سمَّاه باسمه عمامة أو قميصًا أو رداءًا، ثم يقول: «**اللهُمَّ لَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ كَسَوْتَنِيه، أَسْأَلُكَ خَيْرَهُ وَخَيْرَ مَا صُنِعَ لَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ**». رواه أبو داود، والترمذيُّ وحسَّنه.

المَقْبُرِيِّ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم -يعني عن رَبِّهِ تَعَالَىٰ-: «**إِنَّ المُؤْمِنَ عِنْدِي بِمَنْزِلَةِ كُلِّ خَيْرٍ ؛ يَحْمَدُنِي وَأَنَا أَنْزِعُ نَفْسَهُ مِنْ بَيْنِ جَنْبَيْهِ**».

قلت: يعقوب الزُّهري مختلف فيه فوثَّقه جماعةٌ وضعَّفه آخرون(١).

الحديث الخامس والعشرون

حَدَّثَنِي حَمْزَةُ بْنُ الْعَبَّاسِ: ثَنَا عَبْدَانُ بْنُ عُثْمَانَ: ثَنَا عَبْدُ الله -هو ابنُ المبَارَكِ: أنا يَحْيَىٰ بْنِ عُبَيْدِ الله قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هريرة يَقُولُ: قَالَ رسولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَعْرِفَ قَدْرَ نِعْمَةِ الله عليه فلْيَنْظُرْ إلى مَن هُوَ تَحْتَهُ، ولا يَنْظُرْ إلى مَن هُوَ فَوْقَهُ**».

قلت: «يحيىٰ بن عبيدالله ضعيف»(١).

---

(١) وعزاه الحافظ الهيثميُّ في "مجمع الزوائد" لأحمد وقال: «رجاله رجال الصحيح».
ومعنىٰ الحديث: أن منزلة المؤمن عند الله هي كل خير، أي: خير كلها لأنه يحمد الله علىٰ الحالتين شدة ورخاء وبؤس ونعماء، حتىٰ إنه ليحمد الله وروحه تنزع من بين جنبيه، والحمد في جميع الحالات دليل علىٰ الرضا وهو فيه الخير كله كما قال عمر لما كتب إلىٰ أبي موسىٰ الأشعرىٰ: «أما بعد فإنَّ الخيرَ كله في الرِّضَا فإن استطعتَ أنْ تَرْضَى وإلا فاصبِرْ».اهـ
ثم إن رضا العبد عن الله يورث رضا الله عنه وهو غاية ما تطمح إليه أنظار السالكين ونهاية مقامات الواصلين، قال أبو القاسم القُشَيري نقلًا عن مشايخ الطريقة: «الرضا باب الله الأعظم، قال: يعنون أن من أُكرم بالرضا فقد لقي بالترحيب الأوفىٰ، وأُكرم بالتقريب الأعلىٰ». حققنا الله بهذا المقام بحرمة نبيه عليه الصلاة والسلام.

الحديث السادس والعشرون

حدثنا إبراهيم بن المُنذِرِ الحِزامِيُّ: ثنا موسىٰ بن إبراهيم الأنصاريُّ: ثنا طلحةُ بن خِراَشٍ، عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أَفْضَلُ الدُّعَاءِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَفْضَلُ الذِّكْرِ: الحَمْدُ لله**»(٢). قلت: رجالٌ إسناده ثقات.

---

(١) لكن في معناه الحديث الصحيح الآتي: «**انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَلَّا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ**».

(٢) طلحةُ بن خِرَاش -في السند- قال الأزدي: «له ما ينكر» وقال النسائي:«صالح»، ووثقه ابن حِبَّان وأخرج له في "صحيحه".

والحديث أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حِبَّان والحاكم من طريق طلحة بن خِرَاش عن جابر بلفظ: «**أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الحَمْدُ لله**». ولعل هذا هو المحفوظ، وإطلاق الدعاء علىٰ كلمة «لا إلهَ إلَّا اللهُ» متخرِّج علىٰ أحد وجهين:

الأول: أنه لما كان الثناء والذكر يحصل أفضل مما يحصل الدعاء للحديث القدسي: «**مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ**». أطلق علىٰ هذه الكلمة لفظ الدعاء لحصول مقصوده بها.

روي عن الحُسينُ بن الحسنِ المَرْوَزِيُّ قال: «سألت سُفيان بن عُيَيْنَة عن أفضل الدعاء يوم عرفة فقال: «لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ»، فقلت له: «هذا ثناءٌ وليس بدعاء»، فقال: «أما تعرف حديث مالك بن الحارث، هو تفسيره؟!» فقلت: «حدِّثْنيه أنت»، فقال: «حدَّثني منصور، عن مالك بن الحارث قال: يقول اللهُ عز وجل: «إذا شَغَل عَبْدي ثَنَائِي عن مَسْأَلَتي، أَعطَيْتُه أَفضَلَ ما أُعطِي السّائلين». قال:

«فهذا تفسيره» ثم ذكر قول أمية بن أبي الصَّلْت حين أتىٰ ابن جُدعان يطلب نائله:

إِذَا أَثْنَىٰ عَلَيْكَ المَرْءُ يَومًا كَفَاهُ مِن تَعَرُّضِهِ الثَّنَاءُ

ثم قال سفيان: «يا حُسينُ هذا مخلوقٌ يَكْتَفِي بالثَّناءِ عليه دون مسألتِه فكيف بالخالقِ؟!».

الثاني: أن في الكلام مضافًا إليه محذوفًا وفي تقديره احتمالان:

أحدهما أن يكون التقدير: أفضل ما يستفتح به الدعاء لا إلهَ إلَّا اللهُ وأيد بالأدعية التي استفتحت ببعض الأذكار في بعض الأحاديث.

ثانيهما: أن يكون التقدير: أفضل ما يكون عوضًا عن الدعاء لا إلهَ إلَّا اللهُ.

ذكر هذه الأوجه المحبُّ الطبريُّ في كتاب "القِرَىٰ" وقال: «إن الأول أوجه»، ولا شكَّ أنها تجري في توجيه الرواية الثانية: «**أَفْضَلُ الدُّعَاءِ الحَمْدُ لله**».

والحكاية التي ذكرها ابن عُيَيْنَة قرأتها في كتاب "شعار الأبرار في الأدعية والأذكار" وهو جزءان يشتملان علىٰ بضعةٍ وأربعين حديثًا وبعض فوائد ومنتخبات مما أخرجه المحدِّث أبو الضِّياء خليل بن محمَّد الأَقْفَهْسي من حديث الإمام أبي الفرج عبدالرَّحمن ابن الشَّيْخَة، وهذه الحكاية في الجزء الثاني منه من رواية الحُمَيدي عن سفيان بن عُيَيْنَة ببعض مخالفة لا تضر.

والحديث القُدسيُّ الذي أرسله سفيان وصله الترمذي من حديث أبي سعيد بإسناد حسن، وهو مع حديث: «**الدُّعَاءُ لَا يُرَدُّ بَيْنَ الأَذَانِ والإِقَامَةِ**» دليل شاذلية المغرب في اختيارهم الذكر عقب الأذان كما قرر ذلك مولانا الوالد في بعض دروسه رحمه الله.

(**فائدة**): قال الحافظ السيوطي: «أفاد الحديث بمنطوقه أن لا إلهَ إلَّا اللهُ أفضلُ أنواع الذكر، والحَمْدُ لله أفضلُ أنواع الدعاء، وأفاد أن لا إلهَ إلَّا اللهُ أفضل من الحمد لأن نوعَ الذكر أفضل».اهـ وهذا بناء علىٰ الرواية الثانية التي ذكرناها، والله أعلم.

الحديث السابع والعشرون

حَدَّثَنَا عَبْدُ الله بنُ شَبِيبٍ الْمَدَنِيُّ، ثنا يَعْقُوبُ بنُ محمَّد الزُّهْرِيّ، حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بنُ سَالِمٍ مَوْلَى جَحْش، عن سَعْدِ بنِ إِسْحَاقَ بنِ كَعْبِ بنِ عُجرَةَ، عن أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قال: بَعَثَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بَعثًا من الأنصارِ وقال: «**إِنْ سَلَّمَهُمُ اللهُ وَغَنَّمَهُمْ فَإِنَّ لله عَلَيَّ فِي ذَلِكَ شُكْرًا**». قال: فَلَمْ يَلْبَثُوا أَنْ غَنِمُوا وسَلِمُوا فقال بَعْضُ أَصْحَابِه: سَمِعْنَاكَ تقولُ: «إِنْ سَلَّمَهُمُ اللهُ وَغَنَّمَهُمْ فَإِنَّ عَلَيَّ فِي ذَلِكَ شُكْرًا لله عزَّ وجلَّ». قَالَ: «**قَدْ فَعَلْتُ، قَدْ قُلْتُ: اللهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ شُكْرًا، وَلَكَ الْمَنُّ فَضْلًا**».

قلت: يعقوب الزُّهري مختلف فيه كما ذكرنا قبل هذا بحديثين(١).

الحديث الثامن والعشرون

أخبرنا أبو عبدالله محمَّد بن علي الأنصاري قال: أنا العلامة فالح بن محمَّد المدنيُّ: أنا محمَّد بن علي السَّنُوسيُّ: أنا الجمال عبدالحفيظ العُجَيمِيُّ: أنا محمَّد هاشم بن عبدالغفور السِّنْدي: أنا عيد بن علي النمرسيُّ البُرُلُّسِيُّ: أنا المعمر محمَّد البُهُوتي الحَنبَلِي: أنا عبدالرَّحمن البُهُوتي: أنا نجم الدِّين الغيطي: أنا الجلال

---

(١) فهم الصحابة من قوله عليه السلام: «**إِنْ سَلَّمَهُمُ اللهُ فَإِنَّ لله عَلَيَّ فِي ذَلِكَ شُكْرًا**». أنه يريد إحداث صوم أو صلاة أو نحو ذلك من العبادات زيادة على ما يفعله سائر الأيام، فلما لم يَرَوهُ فعل شيئًا تعجبوا وسألوه ظانين أنه نَسِي، فأجابهم أنه وفَّى بنذرِه حيث قال: «**اللهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ شُكْرًا، وَلَكَ الْمَنُّ فَضْلًا**».

ويؤخذ منه أن من نذر شكرًا مطلقًا عند حدوث نعمة عنده فيكفيه أن يقول مثل هذا.

عبدالرَّحمن بن أبي بكر السُّيُوطيُّ الحافظ: أنا أبوالطَّيب أحمد بن محمَّد الحِجَازي الأديب: أنا قاضي القضاة مجدُ الدِّين إسماعيلُ بن إبراهيمُ الحَنَفي: أنا أبو سعيد العَلائِيُّ الحافظ: أنا أحمد بن محمَّد الأُرْمَوِيُّ: أنا عبدالرَّحمن بن مَكِّيٍّ: أنا أبو طاهر السِّلفي الحافظ: أنا محمَّد بن عبدالكريم: أنا أبو علي بن شاذان: أنا أبوبكر أحمد بن سلمان النَّجَّادُ: أنا أبوبكر بن أبي الدُّنيا: حدَّثنا الجَرَوِيُّ -هو الحسن بن عبدالعزيز-: حدَّثني عمرو بن أبي سلمة: ثنا أبو عَبْدَةَ الحكمُ بن عَبْدَةَ: ثنا حَيْوَةُ بْنُ شُرَيْحٍ، عن عقبةَ بن مسلمٍ، عن أبي عبدالرَّحمن الحُبُلِيِّ، عن الصُّنَابِحِيِّ، عن مُعاذ رضي الله عنه قال: قال لي النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إِنِّي أُحِبُّكَ، فَقُلْ : اللهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**».

قال الصُّنَابِحِيِّ: «قال لي مُعاذ: إني أُحِبُّكَ فقل هذا الدعاء».

قال أبو عبدالرَّحمن: «قال لي الصُّنَابِحِيِّ: وأنا أُحِبُّكَ فقل...».

قال عُقبة: «قال لي أبو عبدالرَّحمن: وأنا أُحِبُّكَ فقل...».

قال حَيْوَةُ: «قال لي عُقبة: وأنا أُحِبُّكَ فقل...».

قال أبو عَبْدَةَ: «قال لي حَيْوَةُ: وأنا أُحِبُّكَ فقل...».

قال عمرو: «وقال لي أبو عَبْدَةَ: وأنا أُحِبُّكَ فقل...».

قال الجَرَوِيُّ: «قال لي عمرو: وأنا أُحِبُّكَ فقل...».

قال ابن أبي الدُّنيا: «قال لي حسن -يعني الجَرَوِي-: وأنا أُحِبُّكَ فقل...».

قلت: تسلسل هذا الحديث بقول كل راوٍ لمن بعده: «وأنا أُحِبُّكَ فقل...»، حتى وصل إلى شيخنا المذكور وغيره من شيوخنا، ولذلك يعد في المسلسلات، أورده فيها غير واحد كابن الجزري والسخاوي والسيوطي، وهو حديث

صحيح أخرجه أبو داود والنَّسائيُّ، وصحَّحه ابن خُزيمة وابن حِبَّان والحاكم لكن بزيادة أن يُقالَ: «**هذا الدُّعَاء دُبُرَ كُلِّ صَلاةٍ**»(١).

وله طريق أخر عند ابن أبي الدُّنيا قال: حدَّثنا إسحاق بن إسماعيل: ثنا أبو مُعاوية وجعفر بن عَوْن، عن هشَام بن عُرْوةَ، عن ابن المُنْكَدِرِ قال: كان من دعاء رسولِ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أَعِنِّي عَلى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**». هذا مرسل يتقوىٰ بالمسلسل(٢).

الحديث التاسع والعشرون

حدَّثَنِي عُمَرُ بنُ أَبِي الحَارِثِ الهمَذَانِيُّ، ثنا مُسلِمُ بنُ قَادِمٍ، ثنا أَبُو مُعَاوِيَة هَاشِمُ بنُ عِيسَىٰ الحِمْصِيُّ، أنا الحَارِثُ بنُ مُسلِمٍ، عن الزُّهرِيِّ، عن أَنَسٍ قال: كَانَ رسولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إذا نَظَرَ في المِرْآةِ قَالَ: «**الحَمْدُ لله الذي**

---

(١) أخرجه أبو داود في الصلاة من "سننه" من طريق عبدالله بن عمر القواريري، عن أبي عبدالرَّحمن المقري، عن حَيْوَةَ بْنُ شُرَيْحٍ.

وأخرجه النَّسائيُّ في "اليوم والليلة" من طريق محمَّد بن عبدالله بن يزيد المقري، عن أبيه -وهو أبو عبدالرحمن المقري- عن حَيْوَةَ به، ولفظه: «**أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ: لَا تَدَعَنَّ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولُ: اللهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**». وأوصىٰ مُعاذٌ الصُّنَابِحِيَّ بذلك، وهلُمَّ. وصححه الحاكم علىٰ شرط الشيخين وأسنده في كتاب "شعار الأبرار" وقال: «حديث حسن».

(٢) المسلسل: هو الحديث الذي يتفق رواته علىٰ حالة من الحالات، كالحديث المذكور، فإن كل راوٍ يقول للآخر: «إني أُحِبُّكَ فقل...». والمسلسلات كثيرة أُفردت بالتأليف، والتسلسل من صفات الإسناد.

سَوَّى خَلْقِي فَعَدَّلَهُ، وَكَرَّمَ صُورَةَ وَجْهِي وَحَسَّنَهَا، وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ».

قلت: هاشم بن عيسىٰ، قال العقيلي: منكر الحديث.

الحديث الثلاثون

حدَّثني العبَّاس بن جعفرٍ: ثنا شَاذّ بن فَيَّاض، عن الحَارِثِ بنِ شِبْلٍ: حدَّثتنا أمُّ النُّعمان: أن عائشةَ حدَّثتها عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «إِنَّ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلامُ لَمْ يَقُمْ عَنْ خَلاءٍ قَطُّ إِلَّا قَالَ: الْحَمْدُ لله الذي أَذَاقَنِي لَذَّتَهُ، وأَبْقَى مَنْفَعَتَهُ فِي جَسَدِي، وأَخْرَجَ عَنِّي أَذَاهُ».

قلت: الحارث بن شِبْلٍ، قال البخاري: ليس بمعروف. وقال يحيىٰ: ليس بشيء(١).

---

(١) ورد هذا من فعل النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فأخرج المَعْمَرِيُّ وابن السُّنِّي كلاهما في "اليوم والليلة" عن ابن عمر قال: كان رسولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إذا خَرَجَ من الخَلاءِ قال: «الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَذَاقَنِي لَذَّتَهُ، وَأَبْقَى فِي قُوَّتَهُ، وَدَفَعَ عَنِّي أَذَاهُ». إسناده ضعيف.

وروىٰ ابن ماجه عن أنس قال: «كان النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إذا خَرَجَ من الخَلاءِ قال: «الحَمْدُ للهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنِّى الأَذَى وَعَافَانِى». ورواه النَّسائيُّ عن أبي ذرٍّ. قال الشَّوكاني: «وفي حمده صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إشعار بأن هذه نعمةٌ جليلةٌ ومنةٌ جزيلةٌ، فإن انحباس ذلك الخارج من أسباب الهلاك، وخروجه من النِّعم التي لا تتم الصحة بدونها، وحق علىٰ من أكل ما يشتهيه من طيبات الأطعمة فسدَّ به جَوْعَتَه وحفظ به قوَّتَه، ثم لما قضىٰ منه وَطَرَه ولم يبقَ فيه نفعٌ واستحال إلىٰ تلك الصفة الخبيثة النَّتِنَة خرج بسهولة من مخرجٍ مُعدٍّ لذلك، أن يستكثر من محامد الله تعالىٰ».اهـ

الحديث الحادي والثلاثون

حدَّثني يعقوبُ بنُ عُبَيْدٍ: ثنا أَبُو عَاصِمٍ، عن بَكَّارِ بنِ عبدالعزيزِ بنِ أبي

روىٰ ابن جرير في "تفسيره" وسعد بن منصور من طريق النَّضرِ بنِ شُفَيٍّ -بضم الشين مُصغَّرًا- عن عِمرانَ بن سُليم قال: «كَانَ نُوحٌ إذا أكلَ الطَعامَ قال: الحَمدُ لله الذي أطْعَمَني ولو شاءَ أجاعَني، وإذا شَرِبَ قالَ: الحمدُ لله الذي سَقَاني ولو شاءَ أظْمَأني، وإذا لَبِسَ ثوبًا قال: الحمدُ لله الذي كَسَاني ولو شاءَ أعراني، وإذا انْتعلَ نَعلًا قال: الحمدُ لله الذي حَذاني ولو شاءَ أحفاني، وإذا قَضَىٰ حاجتَه قال: الحمدُ لله الذي أخرَجَ عنِّي أذاه ولو شاءَ لحَبَسَه». قال الحافظ: «في سنده ضعف».

وروىٰ أبو نُعيم، عن سعد بن مسعود الثَّقفي رضي الله عنه قال: «كَانَ نُوحٌ إذا لَبِسَ ثوبًا أو أكل طعامًا قال: الحمدُ لله، فسُمِّي عبدًا شكورًا». قال الحافظ: «سنده قوي وحكمه الرفع».

قال: «وله شاهد من حديث محمَّد بن كعب القرظي قال: «كَانَ نُوحٌ إذا أكلَ قال: الحمدُ لله، وإذا شَرِبَ قال: الحمدُ لله، وإذا رَكِبَ قال: الحمدُ لله، فسماه الله عبدًا شكورًا». رواه ابن المبارك.

وله شاهد أيضًا عن مجاهد في قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣] قال: «لم يأكل شيئًا قطُّ إلا حَمِدَ الله، ولا شَرِبَ شيئًا قَطُّ إلا حَمِدَ الله، ولم يُمْسِ مساءًا قَطُّ إلا حَمِدَ الله، فأثنىٰ الله عليه: إنه كان عبدًا شكورًا» هذان موقوفان علىٰ هذين التابعين وسند كل منهما قوي».اهـ

ثم ذكر طريقًا آخر عن سلمان الفارسي موقوفًا، وعن حَكيم بن عُمَيْرٍ التابعي كذلك، وعن أبي فاطمةَ الأَزدِيِّ الصَّحابيِّ، مرفوعًا، ذكر ذلك في "أمالي الأذكار" ونقله ابن عَلَّان في "الفتوحات الربانية"، فليُراجع.

بَكْرَةَ، عن أَبِيهِ، عن أَبِي بَكْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كَانَ إِذَا جَاءَهُ أَمْرٌ يَسُرُّهُ خَرَّ سَاجِدًا شُكْرًا لله.

قلت: بَكَّار ليس بالقوي(١).

---

(١) بَكَّار قال فيه ابن مَعين: «صالح الحديث»، وقال ابن عَدِيٍّ: «أرجو أنه لا بأس به وهو من الضعفاء الذين يُكتب حديثهم»، وذكره العُقيليُّ في "الضعفاء".

والحديث رواه أحمد والأربعة إلا النَّسائي من طريق بكَّار أيضًا، وقال التِّرمذي: «حديث حسن غريب»، وصححه الحاكم وقال: «إن بكَّارًا صدوق عند الأئمة»، ثم ذكر للحديث شواهد.

وفي الباب: عن عبدالرَّحمن بن عوفٍ وهو الحديث الآتي بعد هذا.

وعن البَرَاء بن عَازِب: أن النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم سَجَدَ حين جَاءهُ كتابُ عَلِيٍّ من اليَمَنَ بإسلامِ هَمْدَانَ. رواه البيهقيُّ وصححه.

وعن جابر: أن النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم رأىٰ رجلًا نُغاشيًا فسجد ثم قال: «**أَسْأَلُ اللهَ العَافِيَةَ**». رواه ابن حِبَّان في "الضعفاء".

وعن سعد بن أبي وقاص عند أبي داود بإسناد فيه مقال.

وعن ابن عمر وأنس وجرير وأبي جُحَيفَة.

وسجد أبو بكر لما جاءه خبر فتح اليمامة وقتل مُسَيلَمَة. رواه سعيد بن منصور

وسجد عليٌّ لما وجد ذا الثُّدَيَّة في القتلىٰ. رواه أحمد وغيره.

وسجد كعب بن مالك لما تِيبَ عليه. رواه الشيخان.

والمقصود: أن سجدة الشكر مطلوبة عند حدوث نعمة أو دفع نقمة.

(تنبيه): النُغاشِيُّ -بضم النون، والغين والشين المعجمتين-: هو القصير جدًا الضعيف الحركة الناقص الخلق. قاله الحافظ نقلًا عن ابن الأثير. وهذا الرجل

الحديث الثاني والثلاثون

حدَّثني الحسنُ بنُ الصَّبَّاح: ثنا خالدُ بنُ مَخْلَدٍ القَطَوَانِيُّ، عن سُليمانَ بنِ بلال: أخبرني عَمرو بنُ أبي عَمرٍو، عن عاصم بن عُمَرَ بنِ قتادةَ الأنصاريِّ، عن عبدالواحدِ بنِ محمَّدٍ بن عبدالرحمنِ بنِ عوفٍ: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لَقِيتُ جِبْرِيلَ عليه السَّلامُ فبَشَّرَنِي وقالَ: إنَّ اللهَ تعالى يقول لكَ: مَن صَلَّى عليكَ صَلَّيْتُ عليه، ومَن سَلَّمَ عليكَ سَلَّمْتُ عليهِ، فسَجَدْتُ لله شُكْرًا**».

قلت: هكذا هو في كتاب "الشُّكر" مرسلًا وأخشى أن يكون سقط اسم الصحابي منه سهوًا، وهو عبدالرَّحمن بن عوف، فإن الحديث معروف به، رواه كذلك أحمد من طريق سليمان بن بلال، عن عمرو بن أبي عمرو، عن عبدالواحد بن محمَّد بن عبدالرَّحمن بن عوف، عن عبدالرَّحمن. وقال المُخَلِّصُ: ثنا البَغَوِيُّ: ثنا عثمان بن أبي شيبة: ثنا خالد بن مَخْلَد، عن سليمان بن بلال: ثنا عمرو بن أبي عمرو، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبدالواحد بن محمَّد بن عبدالرَّحمن بن عوف، عن عبدالرَّحمن به. بلفظ ابن أبي الدُّنيا(١).

النغاشي الذي ورد في الحديث اسمه: زنيم. كذا جاء في "مصنف ابن أبي شيبة" من طريق جابر الجُعفي عن الباقر مرسلًا.

(١) وقد عزاه الحافظ المنذري لابن أبي الدُّنيا أيضًا من حديث عبدالرَّحمن بن عوف.

وعبدالواحد بن محمَّد بن عبدالرَّحمن ذكره الحافظ في "تعجيل المنفعة" وقال: «روى عن جده، وروى عنه عمرو بن أبي عمرو مولى المطَّلِب، وعاصم بن عمر بن قَتَادة. ذكره البخاري وتبعه ابن أبي حاتم فلم يذكرا فيه جرحًا وذكره ابن حِبَّان في الثقات».اهـ

الحديث الثالث والثلاثون

حدَّثنا سَعِيدُ بنُ سُليمانَ، عن عَبَّاد بن العَوَّام، عن هليل بن جناب، عن عِكْرِمَةَ، عن ابن عبَّاسٍ: أنَّ رسولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قالَ: «**يا عبَّاسُ يا عَمَّ النَّبيِّ، أَكْثِرِ الدُّعَاءَ بِالْعَافيةِ**».

قلت: هليل بن جناب ما عرفته، ويغلب علىٰ ظني أن هذا الاسم محرَّف، والصواب أنه هِلَال بن خبَّاب فهو الذي يروي عن عِكرمة عن ابن عبَّاس، وثَّقه ابن مَعين وغيره. وقال أبو حاتم: «تغير قبل موته من كِبَرِ السِّنِّ». وروىٰ له الستة كما رووا لعبَّاد بن العَوَّام وسعيد بن سليمان الضَّبِّي ثم الواسطي شيخ ابن أبي الدُّنيا في حديث الترجمة. هذا ما تحرَّر لي في اسم الراوي المذكور،

والحديث أخرجه أحمد من طريق آخر عن عبدالرَّحمن، والحاكم، ولفظ روايتهما: قال عبدالرَّحمن: خرج رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فاتَّبَعتُهُ حتىٰ دخلَ نَخلًا، فسجدَ فأطالَ السجودَ حتىٰ خِفْتُ -أو خَشِيتُ- أن يكون الله قد تَوَفَّاهُ أو قَبَضَه فجئتُ أنظرُ، فرفعَ رأسَهُ فقالَ: «**مَا لَكَ يَا عَبدَ الرَّحمَنِ؟**» فذكرتُ ذلك له فقالَ: «**إِنَّ جِبْرِيلَ قَالَ لِي: ألا يَسُرُّكَ أنَّ الله عزَّ وجلَّ يقولُ: مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ صَلَّيْتُ عَلَيْهِ، وَمَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَسَجَدْتُ لله شُكْرًا**». قال الحاكم: «صحيح الإسناد»، قال: «ولا أعلم في سجدة الشُّكر أصح من هذا الحديث».اهـ وله طرق.

وصلاة الله علىٰ نبيه زيادة تشريف له وتكريم، وعلىٰ عباده المؤمنين رحمة لهم كما أن سلامه عليهم تأمينهم مما يخافون، وفي الحديث فضيلة كبيرة للصلاة علىٰ النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فليكثر الإنسان منها ما استطاع عسىٰ أن يفوز برحمة من الله وأمن منه مع ما لها من الفوائد الواردة في الأحاديث.

فليُحفظ فإنه مهم. وبالله التوفيق[١].

الحديث الرابع والثلاثون

حدَّثنا أحمدُ بنُ عمرَ المَقْدِسِيُّ: ثنا حُسينُ بنُ عَلِيٍّ، عن زَائِدَةَ، عن عَاصَمٍ، عن أبي صَالحٍ، عن أبي هريرة قال: قام أبو بكرٍ رضي الله عنه على المنبرِ فقال: لقد علمتم ما قام به فيكم رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عامَ أوَّلٍ في مقامي هذا ثم أعادها ثم بكى ثم أعادها ثم بكى، فقال: إن النَّاسَ لم يُعْطَوْا في هذه الدُّنيا شيئًا أفضلَ من العفوِ والعافيةِ فَسَلُوهما اللهَ عزَّ وجلَّ[٢].

---

(١) ثم رجعت إلى "المستدرك" فوجدت اسم الراوي فيه موافقًا لما استصوبته ولله الحمد، قال الحاكم: حدثنا أبو بكر بن إسحق: أنبأ أبو المُثَنَّى: ثنا مُسَدَّدٌ: ثنا عبدالواحد بن زياد: ثنا هلال بن خبَّاب، عن عِكرِمَةَ، عن ابن عبَّاس: أن النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قالَ لعمِّه: «**أَكْثِرِ الدُّعَاءَ بِالْعَافِيَةِ**». قال الحاكم: «صحيح على شرط البخاري». وأقره الذَّهبيُّ والمنذريُّ.

(٢) رواه التِّرمذيُّ عن أبي بكرٍ رضي الله عنه بلفظ: «**سَلُوا اللهَ العَفْوَ والعَافِيَةَ، فإِنّ أَحَداً لَمْ يُعْطَ بعد اليَقِين خَيْراً مِنَ الْعَافِيَةِ**». قال الترمذيُّ: «حديث حسن غريب».

ورواه النَّسائيُّ من طرق وعن جماعة من الصحابة. قال الحافظ المنذريُّ: «وأحد أسانيده صحيح».

ورواه الحاكم من طريق سُلَيم بن عامرٍ قال: سمعت أَوسَطَ البَجَلِيَّ على منبرِ حِمْصَ يقول: سمعت أبا بكر الصديق على منبرِ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: سمعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على هذا المنبرِ يقولُ، قَالَ: فَاختَنَقَتْهُ العبرةُ وبَكَى ثم قَالَ: سمعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على هذا المنبرِ يقولُ عامَ أوَّل: «**سَلُوا اللهَ العَفْوَ والعَافِيَةَ واليَقِينَ فِي الأُولَى والآخِرَةِ، فإِنَّهُ مَا أُوتِيَ**

قلت: رجال إسناده ثقات.

الحديث الخامس والثلاثون

حدَّثنا محمَّد بن يزيد الرِّفَاعِيُّ: ثَنَا أبو بكرٍ بن عَيَّاشٍ: حدَّثني الكَلْبِيِّ، عن أبي صالحٍ، عن ابن عبَّاسٍ، عن جابرِ بن عَبدِالله: أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قَرَأَ ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

فقَالَ النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «اللهُمَّ إنَّكَ أَمَرْتَ بالدُّعاءِ، وتَوَكَّلْتَ بالإِجَابَةِ، لَبَّيْكَ اللهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لا شَرِيكَ لكَ لَبَّيْكَ، إنَّ الحَمْدَ والنِّعْمَةَ لكَ والمُلْكَ لا شَرِيكَ لكَ، أَشْهَدُ أَنَّكَ فَرْدٌ أَحَدٌ صَمَدٌ لم يَلِدْ ولم يُولَدْ ولم يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، وأَشْهَدُ أنَّ وَعْدَكَ حَقٌّ، ولِقَاءَكَ حَقٌّ، والجَنَّةَ حَقٌّ، والنَّارَ

العَبْدُ بَعْد اليَقِين خَيْراً مِنَ العَافِيَةِ». قال الحاكمُ: «حديث صحيح»، وأقره الذهبيُّ.

وفي الباب عن أنسٍ أنَّ رُجلًا قال: يا رسولَ الله، أَيُّ الدُّعَاءِ أَفضَلُ؟ قال: «سَلْ رَبَّكَ العَافِيَةَ والمُعَافَاةَ في الدُّنيَا وَالآخِرَة». ثمَّ أتاهُ في اليومِ الثَّانِي فقالَ: يا رسولَ الله أَيُّ الدُّعَاءِ أَفضَلُ؟ فقالَ له مثلَ ذلكَ، ثمَّ أتاهُ في اليومِ الثَّالثِ فقالَ له مثلَ ذلكَ، قالَ: «فَإِذَا أُعْطِيتَ الْعَافِيَةَ في الدُّنيَا وأُعْطِيتَها في الآخِرَةِ فَقَدْ أَفْلَحْتَ». رواه التِّرمذيُّ وحسَّنَه.

وعن أبي مالكٍ الأَشْجَعِيِّ عن أبيه أنَّ رُجلًا قالَ: يا رسولَ الله، كَيفَ أقولُ حينَ أسألُ رَبِّي؟ قَالَ: «قُلِ اللهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَعَافِنِي وَارْزُقْنِي، وَيَجْمَعُ أَصَابِعَهُ إِلَّا الْإِبْهَامَ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ تَجْمَعُ لَكَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ». رواه مسلم.

وعن أنسٍ أيضًا مرفوعًا: «الدُّعَاءُ لَا يُرَدُّ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ». قالوا: فماذا نقول يا رسول الله، قال: «سَلُوا اللهَ العافِيَةَ في الدُّنيا والآخِرَةِ». رواه التِّرمذيُّ وحسَّنَه.

حَقٌّ، والسَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فيهَا، وأَنَّكَ تَبْعَثُ مَن في القُبُورِ».

قلت: «إسناده ضعيف»(١).

---

(١) ورواه ابن مَرْدُويَه في "التفسير" والبَيْهَقِيُّ في "الأسماء والصفات" والدَّيْلَمِيِّ في "مسند الفردوس" من طريق الكَلْبِيِّ، عن أبي صالحٍ، عن ابن عبَّاسٍ، عن جَابرٍ به.

وهذا من جملة الثناء الذي يُقدَّم على الدعاء، وقد ورد طلبه في غير ما حديث، فعن فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ رضي الله عنه قال: بينا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قاعدٌ إذ دَخَلَ رجلٌ فصَلَّى فقَالَ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي. فقَالَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «عَجِلْتَ أَيُّهَا المُصَلِّي، إِذَا صَلَّيْتَ فَقَعَدْتَ فَاحْمَدِ اللهَ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، وَصَلِّ عَلَيَّ ثُمَّ ادْعُهُ». قَالَ: ثمَّ صلَّى رجلٌ آخَرُ بعدَ ذلكَ فَحَمِدَ الله وصلَّى على النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقَالَ له النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «ادْعُ تُجَبْ». رواه أحمدُ والأربعةُ إلا ابن ماجه، وحسَّنه التِّرمذيُّ وصححه ابن خُزيمة وابن حِبَّان.

وعن عبدِالله بن بُرَيدَةَ، عن أبيه: أنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم سَمِعَ رُجلًا يقول: اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنتَ اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ، الأَحَدُ، الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ له كُفُوًا أَحَدٌ. فَقَالَ: «سَأَلْتَ اللهَ بِالاسْمِ الأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ». حسَّنه التِّرمذيُّ وصححه ابن حِبَّان والحاكم، وقال الحافظ أبو الحسن المَقْدِسِيُّ: «إسناده لا مطعن فيه».

وعن مُعاويةَ قَالَ: سَمِعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقُولُ: «من دَعَا بِهَؤُلاءِ الْكَلِمَاتِ الْخَمْسِ لَمْ يَسْأَلِ اللهَ شَيْئًا إِلا أَعْطَاهُ: لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ». رواه الطَبَرانيُّ في "الكبير" و"الأوسط" بإسنادٍ حسن. قاله الحافظ المنذريُّ.

الحديث السادس والثلاثون

حدَّثني أبي: ثنا إِسْمَاعِيلُ بنُ عُلَيَّةَ: ثنا سَعِيدُ الْجُرَيْرِيُّ -بضم الجيم-، عن أبي الوَرْدِ بنِ ثُمَامَةَ، عن اللَّجْلاجِ، عن مُعَاذٍ رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أَتَىٰ علىٰ رجلٍ وهو يقول: اللهُمَّ إنِّي أسألُكَ تَمَامَ النِّعْمَةِ، فقالَ: «**ابنَ آدَمَ هل تَدْرِي مَا تَمَامُ النِّعْمَةِ؟**» قال: يا رسولَ الله دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بها أرجُو

وتقدم في خطبة هذا الكتاب دعاء من أدعية النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وفي الباب أحاديث غير ما ذكرت، ويؤخذ منها أنه يتأكد افتتاح الدعاء بالثناء علىٰ الله وتحميده وذلك لأن الله يحب أن يحمد كما جاء في حديث الطبراني عن الأَسودِ بن سَرِيعٍ، وروىٰ أبو يعلىٰ بإسنادٍ صحيحٍ عن أنسٍ مرفوعًا: «**التَّأَنِّي مِن الله والعَجَلَةُ مِن الشَّيطانِ، وما أحدٌ أكثرُ مَعَاذِيرَ مِن الله، وما شيءٌ أحبُّ إلى الله من الحمْدِ**».

ولذا قالَ إبراهيمُ التَّيمِيُّ: «كان يُقالُ: إذا بدأ الرجلُ بالثَّناءِ قبل الدُّعاء فقد استَوجَبَ، وإذا بدأ بالدُّعاءِ قبل الثَّناءِ كان علىٰ رَجَاء». رواه ابن أبي شيبة.

وهو لحبه الحمد والثناء يُعطي عليه أفضل مما يعطي علىٰ الدعاء كما تقدَّم في الحديث القدسيِّ.

وكذلك يتأكَّد استفتاح الدعاء بالصَّلاة علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لأنه الواسطة في وصول كلِّ خيرٍ إلينا، فمن الشكر الواجب له علينا أن نُصلِّي عليه، ونجعل الصلاةَ فاتحةَ دعائِنا متوسِّلين بذلك إلىٰ الله راغبين إليه فيكون الدعاء أسرع إجابة، كما قال عمر رضي الله عنه: «إنَّ الدُّعاءَ موقوفٌ بين السماءِ والأرضِ لا يصعد منه شيءٌ حتىٰ تُصَلِّيَ علىٰ نبيِّك». رواه التِّرمذيُّ. وجاء عن عليٍّ رضي الله عنه نحوه، وفي الباب حديثٌ مرفوعٌ.

الخَيْرَ بها، فقال: «**إنَّ من تَمَامِ النِّعْمَةِ فَوْزًا من النَّارِ ودُخُولًا إلى الجَنَّةِ**»(١). قلت: أبو الوَرْدِ بنُ ثُمَامَةَ بن حَزْنٍ القُشَيْرِيُّ البَصْرِيُّ لم أرَ فيه توثيقًا وإن كان معروفًا، وكذلك والد ابن أبي الدُّنيا ما عرفت حاله، نعم هما ثقتان على أصل ابن حِبَّان، أما ابن عُلَيَّةَ والجُرَيْرِيُّ فمن رجال الستة، وأما اللَّجْلَاج فصحابيٌّ. ثم رجعت

---

(١) على أن أبا الوَرْدِ روى له البخاري في "الأدب المفرد"، وأبو داود والترمذيُّ في "السنن"، والنَّسائيُّ في "مسند علي"، وهذا مؤْذِن بصدقه وقبوله، فالحديث محتمل للتحسين.

ثم وجدت الحديث في "سنن الترمذي" من طريق أبي الوَردِ، عن اللَّجْلَاج، عن مُعَاذٍ قال: سمع النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رجلًا يقول: اللهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ تَمَامَ النِّعْمَةِ. فقال: «**أَيُّ شَيءٍ تَمَامُ النِّعْمَةِ؟**» قال: دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بها أَرجُو بها الخَيرَ، قال: «**فَإِنَّ من تَمَامِ النِّعْمَةِ دُخُولَ الجَنَّةِ وَالفَوْزَ مِنَ النَّارِ**».

وسمع رجلًا وهو يقول: يا ذا الجَلال والإكْرَام. فقال: «**اسْتُجِيبَ لَكَ فَسَلْ**».

وسمع رجلًا وهو يقول: اللهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ الصَّبْرَ. فقال: «**سَأَلْتَ اللهَ الْبَلاءَ فَسَلْهُ الْعَافِيَةَ**». قال الترمذيُّ: «حديث حسن». فصحَّ ما قلناه والحمد لله.

وإنما كان الفوزُ من النار والدخولُ إلى الجنة من تمام النعمة لأن هناك ما هو أعظم وأكبر منهما وهو النَّظر إلى وجه الله الكريم فهو النِّعمة العُظمَى والمنَّة الكُبرَى، وقد ثبت في الصحيح: «**إنَّ أهلَ الجَنَّةِ ما أُعْطُوا شَيئًا أَحَبَّ إِلَيْهِم من النَّظَرِ إلى رَبِّهِم**» ثم تَلَى رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، متعنا الله بذلك نحن وجميع أحبائنا بفضله وكرمه.

(فائدة): جاء في "صحيح مسلم" عن عبدالله بن عمرو بن العاص، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في حديث طويل: «**من أَحَبَّ أن يُزَحْزَحَ عن النَّارِ وَيَدْخُلَ الجَنَّةَ فَلْتُدْرِكْهُ مَنِيَّتُهُ وهو يُؤْمِنُ بالله واليومِ الآخِرِ ويأتي إلى النَّاسِ ما يُحِبُّ أن يُؤْتَى إليه**».

إلى "التقريب" فوجدت الحافظ يقول في أبي الوَرْدِ إنه مقبول، وهذا لا يُفهم منه أنه ثقة كما يُعلم من اصطلاحه المذكور في خطبة الكتاب.

الحديث السابع والثلاثون

حدَّثنا إسحقُ بنُ إسماعيل: ثنا جَرِيرُ وأبو مُعاوية، عن الأعْمَشِ، عن أبي صالحٍ، عن أبي هريرة قَالَ: قَالَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**انْظُرُوا إلى من هو أَسْفَلُ مِنكُم فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أن لا تَزْدَرُوا نِعَمَةَ اللهِ عَلَيكُم**».

قلت: هذا حديث صحيح(١).

---

(١) ورواه مسلم أيضًا من طريق معاوية ووكيع، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هُرَيْرَة ولفظه: «**انْظُرُوا إلى من هو أَسْفَلُ مِنكُم، ولا تَنْظُرُوا إلى من هو فَوقَكُم فهو أَجْدَرُ أن لا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيكُم**». وفي رواية لمسلم من طريق أبي الزِّنَادِ، عن الأَعْرَجِ، عن أبي هُرَيْرَةَ: «**إذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إلى من فُضِّلَ عَلَيْهِ في المَالِ وَالخَلْقِ، فَلْيَنْظُرْ إلى من هو أَسْفَلُ منه ممَّن فُضِّلَ عَلَيْهِ**». ورواه أحمدُ والترمذيُّ وابن ماجه باللفظ الأول.

ومعنى أجدر: أحقُّ، وتزدروا: تَحتَقِروا.

قال ابن جَرِير وغيره: هذا الحديث جامع لأنواع من الخير لأن الإنسان إذا رأى من فُضِّلَ عليه في الدُّنيا طلبت نفسه مثل ذلك، واستصغر ما عنده من نعمة الله، وحرص على الازدياد ليلحق بذلك أو يقاربه، وفي ذلك هلاكه، وأما إذا نظر في أمور الدُّنيا إلى من هو دونه فيها، ظهرت له فيها نعمة الله عليه فشكرها وتواضع وفعل فيها الخير وفي ذلك سعادته.

الحديث الثامن والثلاثون

حدَّثني محمَّدُ بنُ الحُسَينُ: حدَّثني عبدُالله بنُ مَسْلَمَة وابنُ إدريسَ: ثنا سليمانُ بنُ بلال، عن رَبِيعةَ بن أبي عبدالرَّحمن، عن عبدالله بن عَنْبَسَة، عن ابن غَنَّامٍ -واسمه عبدالله، صحابيٌّ-، عن ابن عبَّاسٍ قالَ: قالَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن قَالَ حِينَ يُصْبِحُ: اللهُمَّ ما أَصْبَحَ بي من نِعْمَةٍ أو بِأَحَدٍ من خَلْقِكَ فمنك وَحْدَكَ لا شَرِيكَ لَكَ فَلَكَ الحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ، أَدَّى شُكْرَ ذَلِكَ اليَومَ**»(١). **قلت**: رجال إسناده ثقات إلا ابن عَنْبَسَةَ فمستور.

---

(١) ورواه النَّسائيُّ والمَعْمَرِيُّ في "اليوم والليلة"، وابن حِبَّان والطبراني في "الدُّعاء" من طريق سليمان بن بلال بسنده المذكور.

ورواه أبو داود، عن عبدالله بن غَنَّام، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم به. وزاد: «**ومن قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ حِينَ يُمْسِي فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ لَيْلَتَهُ**» إلا أنَّه لم يَقُل: «**أو بِأَحَدٍ من خَلْقِكَ**».

ورواه النَّسائيُّ بلفظ الترجمة عن ابن غَنَّام أيضًا، وقال الحافظ في "أمالي الأذكار" بعد أن أسنده مثل رواية أبي داود: «حديث حسن أخرجه النَّسائيُّ في "الكبرى" والفِرْيابيُّ في "الذكر"». ثم ذكر من رواه بزيادة ابن عباس في سنده وقال: «قال أبو نُعيم في "المعرفة": من قال فيه ابن عبَّاس فقد صحَّف، وقال ابن عساكر في "الأطراف": هو خطأ».اهـ فالحديث يُعَدّ في «مسند ابن غَنَّام»، لا ابن عبَّاس، ومثل هذا الخطأ لا يؤثر في ثبوت الحديث كما لا يخفى.

و«ما» في قوله: «**ما أَصْبَحَ بي من نعمةٍ**» شرطية؛ أي نعمة أصبح عليها الإنسان أو أمسى في بدنه وماله وكل ما يتصل به فمن الله وحده، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣].

الحديث التاسع والثلاثون

حدَّثني محمَّدُ بنُ الحُسينُ: حدَّثني عليُّ بنُ بَحْرٍ: حدَّثني محمَّدُ بنُ العَلَاءِ الكُوفيُّ، عن زِيادِ بنِ خَيْثَمَةَ، عن أبي داود، عن عبدِالله بنِ سَخْبَرَةَ، عن سَخْبَرَةَ قالَ: قالَ رسولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن ابْتُلِيَ فَصَبَرَ، وَأُعْطِيَ فَشَكَرَ، وَظُلِمَ فَغَفَرَ، وَظَلَمَ فَاسْتَغْفَرَ**» ثمَّ سَكَتَ. قالوا: ما له يا رسولَ الله قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

قلت: أبو داود هو نُفَيعُ -بالتصغير- ابن الحَارِث الهَمْدَانِي الكوفي الأعمىٰ، كذَّبه قَتَادةُ وغيره وقال الذَّهبيُّ: تالفٌ. وعبدُالله بنُ سَخْبَرَةَ مجهول(١).

الحديث الأربعون

حدَّثنا إسحاقُ بنُ إسماعيل: حدَّثنا سفيانُ: حدَّثني رجلٌ: أنَّ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أَوصَىٰ رجلًا بثَلاثٍ قالَ: «**أَكْثِرْ ذِكْرَ المَوْتِ يُسْلِكَ عَمَّا سِوَاهُ، وعليكَ بالدُّعاءِ فإنَّكَ لا تَدْرِي متى يُسْتَجَابُ لكَ، وعليك بالشُّكْرِ فإنَّ الشُّكْرَ زِيَادَةٌ**». **قلت**: هذا مرسل لم يُسَمَّ راويه(٢).

---

(١) رواه الطبراني أيضًا من طريق أبي داود، عن عبدالله بن سَخْبَرَةَ، عن سَخْبَرَةَ والحديث ضعيف، لكن معناه وارد من عدة طرق، وسَخْبَرَةُ -بفتح السين وسكون الخاء- له صحبة، و«ابتُلِي، وأُعطِي، وظُلِمَ الأولىٰ»: مبنية للمجهول، وباقي الأفعال مبنية للفاعل، ومعنىٰ الحديث واضح لا يحتاج إلىٰ بيان.

(٢) هكذا جاء في كتاب "الشُّكر" ورواه ابن أبي الدُّنيا في كتاب "ذكر الموت" عن سُفيان الثَّوري عن شُرَيحٍ القاضي مُرسلًا، وشُرَيح من كبار التابعين، ولاه عمر رضي الله

الحديث الحادي والأربعون

حدَّثنا محمَّدُ بنُ إدريس الحَنْظَلِيُّ: ثنا بِشْرُ بنُ محمَّد الواسطيُّ: ثنا خالدُ بنُ مَفْدُوحٍ أبو رَوْحٍ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قالَ: كان رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إذا أَكَلَ قالَ: «**الحَمدُ لله الذي أَطْعَمَنِي، وَسَقَانِي وَهَدَانِي فكل بالإحْسَانِ أَتْلَانِي، الحَمدُ لله الرَّازِّقِ ذي القُوَّةِ المَتِينِ، اللهُمَّ لَا تَنْزِعْ مِنَّا صَالِحَ ما أَعْطَيْتَنَاهُ، ولا صَالِحَ ما رَزَقْتَنَاهُ، واجْعَلْنَا لك مِن الشَّاكِرِينَ**»(١).

قلت: «خالد بن مَفْدوح -ويقال: مَجْدوح- ضعيفٌ جدًّا، ذكر البخاريُّ في "الضعفاء": أنَّ يزيدَ بن هارون كان يرميه بالكذب».

عنه قضاء الكوفة، والحديث سنده ضعيف لكن معناه ثابت، فروى الترمذيّ وحسَّنه عن أبي هُرَيْرَة مرفوعًا: «**أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ: المَوتِ**». وله طرق.

وعن أنس مرفوعًا: «**أَكْثِرُوا ذِكْرَ المَوْتِ، فَإِنَّهُ يُمَحِّصُ الذُّنُوبَ وَيُزَهِّدُ فِيَ الدُّنْيا؛ فإن ذَكَرْتُمُوهُ عِنْدَ الغِنَى هَدَمَهُ، وإن ذَكَرْتُمُوهُ عِنْدَ الفَقرِ أَرضَاكُم بِعَيْشِكُم**». رواه ابن أبي الدُّنيا في ذكر الموت.

وقال أبو الدَّرْدَاء: من أكثر ذكر الموت قَلَّ حسده وقَلَّ فرحه. رواه ابن أبي شيبة في "المصنَّف" وأحمد في "الزُّهد"، وتقدم حديث: «**من أُعطِيَ الشُّكرَ لم يُمنَعِ الزِّيَادَةَ ومن أُعطِيَ الدُّعاءَ لم يُمنَعِ الإجَابَةَ**» انظره في شرح الحديث الثالث.

(١) ورد فيما يقال بعد الطعام والشراب أذكار من طرق كثيرة ذكر بعضًا منها الإمام النووي في "الأذكار" وتتبعها الحافظ في "الأمالي" عليها فهذا الحديث على ضعفه مؤيد بتلك الطرق، وقوله هنا: «**فكل بالإحسانِ أَتْلَانِي**» مثل قوله فيما تقدم: «**وكل بالإحسانِ أَتْلَانَا**» وقد تكلمنا على هذه العبارة في شرح الحديث الخامس فليُنظر هناك، وباقي الحديث واضح.

الحديث الثاني والأربعون

حدَّثنا الفَضلُ بنُ سَهلٍ: ثنا عبدالله بن محمَّد بن عُمارَةَ: ثنا مَخْرَمَةُ بن بُكَيرٍ، عن أبيه، عن زُهْرَةَ بنِ مَعْبَدٍ، عن أبي عبدالرَّحمن الحُبُلِيِّ، عن أبي أيُّوب رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، أنه كان إذا أكل قال: «**الحَمْدُ لله الَّذِى أَطْعَمَ وَسَقَى وَسَوَّغَهُ وجعلَ لهُ مَخْرَجًا**»(١). قلت: عبدُالله بنُ محمَّد بنِ عُمارةَ هو القدَّاح الأنصاري المدني، إخباري نسَّابة، قال الذهبيُّ: «مستور، ما وُثِّق ولا ضُعِّف وقلَّما روىٰ».اهـ وبقيَّة رجال الحديث ثقات.

الحديث الثالث والأربعون

حدَّثنا عليُّ بن شُعيب: ثَنَا محمَّد بن إسماعيل، عن أبي مَدِيَن: ثَنَا محمَّدُ بنُ عمروٍ: سمعتُ السَّرِيَّ بنَ عبدالله وهو علىٰ الطائف وأصابنا مطرٌ فخطب الناس فقال: أيها الناس احمدوا الله علىٰ ما وضع لكم من رزقه فإنه بلغني عن

---

(١) تقدم آنفًا أنَّ هذا الباب ورد فيه عدَّة أحاديث فالحديث بالنظر إلىٰ مجموعها لا ينزل عن رتبة الحسن، ويكفي شاهد له وللحديث قبله في أصل المعنىٰ ما رواه مسلم في "صحيحه" عن أنسٍ أنَّ رسولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عن العَبْدِ أن يَأكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا**». والأَكْلة -بفتح الهمزة- المرة الواحدة من الأكل ويجوز ضمها بمعنىٰ: الطعام المأكول، والشَّرْبة -بفتح الشين- المرة من الشُّرب، وما يُشرب من الماء ونحوه مرة واحدة.
وفي الباب عن أبي مُوسىٰ الأشعريِّ مرفوعًا: «**من أَكَلَ فَشَبِعَ وَشَرِبَ فَرَوِيَ، فَقَالَ: الحَمدُ لله الذي أَطْعَمَنِي فَأَشبَعَنِي وَسَقَانِي فَأَروَانِي، خَرَجَ من ذُنُوبِهِ -يعني الصَّغَائِرَ- كَيَومِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**» رواه أبو يَعْلَىٰ، وإسناده ضعيف.

النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أنَّه قالَ: «**إذَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً فَحَمِدَهُ عندَها فقد أدَّى شُكْرَها**». قلت: هذا بلاغٌ إسناده ضعيف(١).

الحديث الرابع والأربعون

حدَّثني عليُّ بن شُعَيبٍ: ثنا ابنُ أبي فُدَيكٍ قالَ: بلغني عن جعفر بن محمَّد، عن أبيه قالَ: كانَ رسولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إذا نَظَرَ في المِرْآةِ قالَ: «**الحَمدُ لله الذي خَلَقَني فأحْسَنَ خَلْقِي وخُلُقِي، وزَانَ مِنِّي ما شَانَ مِن غَيرِي**».

قلت: هذا مرسلٌ وفيه انقطاع(٢).

---

(١) وصله الحاكم في "المستدرك" من طريق عبدالرَّحمن بن قيس الزعفراني، عن محمَّد بن أبي حُميد، عن ابن المُنكدر، عن جابرٍ مرفوعًا: «**ما أَنْعَمَ اللهُ على عبدٍ نِعْمَةً فقالَ: الحَمدُ لله، إلَّا أدَّى شُكْرَها. فإن قالَها الثَّانيةَ جدَّدَ اللهُ لهُ ثوابًا، فإن قالَها الثَّالثةَ غفرَ اللهُ لهُ ذنوبَهُ**».

قال المُنذريُّ: «عبدالرَّحمن بن قيس واهي الحديث، وهذا الحديث مما أُنكِر عليه»، وقال الذهبيُّ: «حديث منكر»، وروىٰ ابن حِبَّان في "صحيحه"، والطبرانيُّ من طريق عبدالله بن كَيْسَانَ، عن عِكْرِمَةَ، عن ابن العبَّاس: أن النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قالَ- من حديث طويل-: «**إذَا أصبتُم مثلَ هذا** -وأشار إلىٰ خبزٍ ولحمٍ وتمرٍ وبُسرٍ ورُطَبٍ- **فَضَربتُم بأيدِيكُم، فقولوا: بِسْمِ الله، فإذَا شبعتم فقُولوا: الحَمدُ لله الذي أشْبَعَنَا وأنعمَ علينا فَأفْضَلَ. فإنَّ هذا كفافٌ بهذا**».

(٢) تقدَّم نحوه عن أنسٍ وهو الحديث التاسع والعشرون، وهذا الحديث وصله أبو يَعْلَىٰ والطبرانيُّ من حديث ابن عبَّاس بلفظ: كانَ إذا نَظَرَ في المِرْآةِ قالَ: «**الحَمدُ لله الذي حَسَّنَ خَلْقِي وخُلُقِي**». الحديث. و«إسناده ضعيف» كما قال المناويُّ في شرح "الجامع الصغير".

الحديث الخامس والأربعون

حدَّثني هاشمُ بن القاسمِ: ثنا محمَّدُ بن سِنَانٍ العَوفي: ثنا عبدالله بن عمر، عن سُهَيل بن أبي صالحٍ، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن رَأَى صَاحِبَ بَلاَءٍ فقالَ: الحَمدُ لله الذي عافانِي ممَّا ابْتَلاكَ به وفَضَّلَنِي عليكَ وعلى جميعِ مَن خَلَقَ تَفْضِيلًا فقد أدَّى شُكْرَ تلك النِّعْمَةِ**».

قلت: رجاله ثقات علىٰ كلام في بعضهم لا يضر[1].

وروىٰ ابن أبي الدُّنيا في "الشُّكر" عن ابن سيرين قالَ: كانَ ابن عمر يكثر النَّظرَ في المِرْآةِ وتكون معه في الأسفار، فقلتُ له: ولِمَ؟ قالَ: أنظرُ فما كان في وجهي زَينًا وهو في وجه غيري شَيْنٌ أحمدُ اللهَ عليه.

(١) تُكلم في عبدالله بن عمر العُمَري من جهة اضطراب حديثه وضُعِّف من أجل ذلك، وهو ثقة صدوق من رجال مسلم والأربعة.

والحديث في الجزء الثاني من "شعار الأبرار" من طريق العُمَري أيضًا بلفظ: «**إذَا رَأَى أَحَدُكُم أحدًا في بَلاءٍ فَلْيَقُلْ: الحَمْدُ لله الذي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلاكَ بِه، وَفَضَّلَنِي عليك وعلى كثيرٍ من عبادِه تَفضِيلًا. فإنَّه إذا قال ذلك كان شُكْرُ تلك النِّعْمَةِ**». وعزاه الحافظُ المنذريُّ في "الترغيب" للبَزَّار، والطبراني في "الصغير"، وقال: «إسناده حسن».

وهو في "سنن التِّرمذيِّ" بلفظ: «**من رَأَى مُبْتَلًى فقالَ: الحَمدُ لله الذي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلاكَ بِه وَفَضَّلَنِي على كثيرٍ ممَّن خَلَقَ تَفضِيلًا، لم يُصِبْهُ ذلك البَلاءُ**». وقال التِّرمذيُّ: «حسن غريب»، ورواه أيضًا من حديث عمر رضي الله عنه وقال: «غريب».

ورواه ابن ماجه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وليس بين اللفظتين تخالف كما قد يُظَن، فإن من قال هذا الذكر الوارد عند رؤية مبتلًى كان قوله شكرًا لنعمة الله عليه بالعافية، وجُوزِيَ بألا يُصاب بذلك البلاء.

الحديث السادس والأربعون

حدَّثني حمزةُ: ثنا عَبْدَانُ: ثنا عبدالله -هو ابن المُبارك-: أنا المُثَنَّىٰ بن الصَّبَّاحِ، عن عمرو بن شُعَيبٍ، عن أبيه، عن جدِّه قال: سمعتُ رسولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**خَصْلَتانِ من كَانَتَا فيه كَتَبَهُ اللهُ صَابرًا شَاكرًا، ومَن لم تكُونا فيه لم يَكْتُبْهُ صَابرًا ولا شَاكرًا: مَن نَظَرَ في دِينِهِ إلى من هو فَوقَهُ فاقتدَى به، ومن نَظَرَ في دُنيَاهُ إلى من هو دُونَهُ فَحَمِدَ اللهَ على ما فَضَّلَهُ به عليه، كَتَبَهُ اللهُ صَابرًا شَاكرًا. ومن نَظَرَ في دِينِه إلى من هو دُونَهُ، ونَظَرَ في دُنيَاهُ إلى من هو فَوقَهُ فَأَسِفَ على ما فَاتَهُ، لم يَكْتُبْهُ اللهُ صَابرًا ولا شَاكرًا**»(١).

قلت: المُثَنَّىٰ بن الصَّبَّاح ضعيف، والله أعلم.

(تنبيه): قال التِّرمذيُّ عقب رواية الحديث ما نصُّه: «وقد روي عن أبي جعفر محمَّد بن عليٍّ أنَّه إذا رأىٰ صاحب بلاء فتعوَّذ منه يقول ذلك في نفسه ولا يُسمع صاحب البلاء». اهـ **قلت**: قد فصَّل العلماء في ذلك تفصيلًا حسنًا فقالوا: إذا كان مبتلًىٰ في بدنه بما لم يتسبب فيه بمعصية فينبغي أن لا يُسمعه ذلك لئلا يتأذَّىٰ ويتألَّم، وهذا محمل كلام أبي جعفر الباقر عليه السلام، وإذا كان مبتلًىٰ في دينه فينبغي أن يُسمعه ذلك ليرتدع وينزجر إلا إن خاف من إسماعه ضررًا علىٰ نفسه فيقوله سرًا والله أعلم.

(١) الحديث رواه التِّرمذيُّ أيضًا وإسناده ضعيفٌ لكن معناه واردٌ في عدَّة أحاديث، وتقدَّم حديث أبي هريرة: «**انْظُرُوا إلى من هو أَسْفَلُ مِنكُم**». وهو حديث صحيح. فيتأكَّد علىٰ الإنسان أن ينظر في دينه إلىٰ من هو فوقه وينافسه في ذلك من غير حسدٍ ولا رياء، فإنَّ المنافسة في الخير مطلوبةٌ، وأن ينظر في دنياه إلىٰ من هو أسفل منه فيعرف قدر نعمة الله عليه ويشكره عليها، وبذلك يستحق زيادة الفضل من الله في الدُّنيا وتوفية الأجر يوم القيامة قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

خاتمة تشتمل على مسائل

المسألة الأولى: روى أبو القاسم القُشيري في "الرسالة" أن السَّرِيَّ السَّقَطِيَّ سأل الجُنيدَ وهو صبيٌّ فقال: ما الشُّكر يا غلام؟ فقال الجُنيدُ: الشكر أن لا تعصي الله بنعمه.

قلت: هذا أجمع ما قيل في الشكر وأحسنه، ومعناه أن الإنسان لا يستعمل نعم الله التي أنعم بها عليه من قوة ومال وغيرهما في معاصيه، فإن من الكفر بالنِّعمة أن يُستعان بها على مخالفة أوامر الله، وذلك موجب للانتقام الشَّديد.

وقد قرأت في نسخة يحيى بن صالح الوُحَاظِيِّ: ثنا حفص بن عمر: ثنا أبو الرَّبيع الدِّمَشْقِيُّ، عن مَكْحُول قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يقولُ: يا ابنَ آدمَ، قد أنعمتُ عليك نِعَمًا عِظامًا لا تُحصِي عددَها، ولا تُطيقُ شكرَها، وإن ممَّا أنعمتُ عليك أن خلقتُ لك عَينَينِ تَنْظُرُ بهما وجعلتُ لهما غِطاءً فانظُرْ بعَينَيك إلى ما أحللتُ لك، فإن رأيتَ ما حرَّمتُ عليك فأَطبِقْ عليهما غِطَاءَهُما، وجعلتُ لك لِسانًا وجعلتُ له غُلافًا فانطِقْ بما أمرتُك وأحللتُ لَكَ، فأنَّى عرض لك ما حرَّمْتُ عليك فأغلِقْ عليك لِسَانَك، وجعلتُ لك فَرْجًا وجعلتُ لك سِتْرًا فأصِبْ بفَرْجِكَ ما أحللتُ لك، فأنَّي عرض لك ما حرَّمْتُ عليك فأَرْخِ عليك سِتْرَك. ابنَ آدمَ إنَّك لا تَحْمِلُ سَخَطِي ولا تُطِيقُ انتقَامِي»**.

قوله: «**فأنَّى عرض**»: بفتح الهمزة وتشديد النون المفتوحة، بمعنى: متى. فليجتهد الشخص ألا يراه مولاه حيث نهاه، وبالله التوفيق.

المسألة الثانية: تكرَّر في هذا الكتاب كلمة: «أنا فلان» وهي مختصرة من: أخبرنا. و«ثنا فلان، ونا فلان» وهما مختصرتان من: حدَّثنا. فليتنبه القارئ لذلك.

المسألة الثالثة: قد اجتهدتُ في تصحيح أسماء الرُّواة ورَدِّ المحرَّف منها إلى أصله وبالغتُ في التصحيح بقدر طاقتي حتى جاء الكتاب صحيحًا بحمد الله، وقد لاقيتُ في ذلك عَرَقَ القِرْبَة، لأن كتاب "الشُّكر" في غاية ما يكون من التصحيف بل هو توراةٌ مُبدَّلة أو إنجيلٌ مُحرَّف.

واللهَ أسألُ أن يَمُنَّ عليَّ في جميع أعمالي بالإخلاص والقبول، وأن يَحوطَني وجميع أحبائي بحفظه ورعايته ويجعلنا جمعيًا في كَنَفِه، عزَّ جاره وجلَّ ثناؤه.

آخر الأربعين الغمارية، والحمدُلله على نعمه التي لا تُحصى حمدًا كثيرًا طيبًا كما يحبُّ ربنا ويَرضَى، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّدٍ وآله وسلَّم.

تمَّ تسويدها صباح يوم الخميس، الخامس والعشرين من ذي الحجَّة الحرام ختام سنة ١٣٥٩هـ

٣- الأربعون حَدِيثًا الصِّدِّيقيَّة
في مَسائل اجْتماعِيَّة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله الذي تواضع كلُّ شيءٍ لعَظَمَتِه، والحمد لله الذي ذلَّ كلُّ شيءٍ لعِزَّته، والحمد لله الذي خَضَعَ كلُّ شيءٍ لمُلْكِه، والحمد لله الذي استسلمَ كلُّ شيءٍ لقُدْرته[1].

و الصَّلاة والسَّلام علىٰ سيِّدنا ومولانا محمَّدٍ النَّبي الأمِّيِّ الكريم، وعلىٰ آله ذوي القَدْر العظيم، وصحابته الذين بذلوا أنفسهم وأموالهم في نصرة دينه ففازوا بالسَّعادة والنَّعيم الدائم المُقيم.

أما بعد: فهذه ستةٌ وأربعون حديثًا من الأحاديث النَّبوية الشَّريفة أوردتها محذوفة الأسانيد ليسهل حفظها وتداولها، واخترت أن تكون خاصة بما أصاب المجتمع من بلايا وأدواء، عسىٰ أن يكون فيها ببركة صاحبها صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم الهدىٰ والشفاء، وسميتها بـ **"الأربعين حَدِيثًا الصِّدِّيقية"**.

والله المسئول أن يكسوها حُلَّة القبول، وأن ينفع بها كاتبها وقارئها والمستمع إليها ويمنَّ عليهم بالتوبة والإنابة، إنَّه سميعُ الدُّعاء فعَّالٌ لما يشاء.

---

(١) ورد في الحديث: أنَّ من حمد بهذا التَّحميد يطلب به ما عند الله كتب الله له ألفَ حسنةٍ ورفع له ألفَ درجةٍ وَوَكَّلَ به سبعينَ ألف مَلَكٍ يستغفرون له إلىٰ يوم القيامة، رواه الطبرانيُّ بإسناد ضعيف.

الحديث الأول

عن ابن عباس رضي الله عنهما -قال حماد: ولا أعلمه إلا قد رفعه إلى النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم- قال: «**عُرَى الإِسْلَامِ وَقَوَاعِدُ الدِّينِ ثَلَاثَةٌ عَلَيْهِنَّ أُسِّسَ الإِسْلَامُ مَنْ تَرَكَ وَاحِدَةً مِنْهُنَّ فَهُوَ بِهَا كَافِرٌ حَلَالُ الدَّمِ: شَهَادَةُ أن لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**[1]**، وَالصَّلَاةُ المَكْتُوبَةُ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ**». رواه أبو يعلى بإسناد حسن.

الحديث الثاني

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**من آتَاهُ اللهُ مَالًا فلم يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ لَهُ يومَ القِيَامَةِ شُجَاعٌ أَقْرَعُ**[2]**،لَهُ زَبِيبَتَانِ يُطَوَّقُهُ**

---

(١) وأن محمدًا رسول الله كما ثبت في الأحاديث الأخرى، ولم يذكر الزكاة والحج مع أنهما من أركان الإسلام الخمس، لأن القصد بهذا الحديث بيان الأركان التي تجب على كل واحد لا فرق فيها بين غني وفقير ولا بين ملك وحقير ولا يعذر أحد في تركها، وهي هذه الثلاثة : الشهادة، والصلاة، والصوم. أما الزكاة والحج فلا يَجِبَان إلا على الغني فلذا لم يذكرا في هذا الحديث. وعُرَى: جمع عُرْوة، وهي التي يشد بها بين طَرَفَي الثوب. وحكم تارك الصلاة أو الصوم: القتل حدًّا، وفي المسألة تفصيلات تُطلب من كتب الفقه.

(٢) **الشجاع الأقرع**: هو الحيَّة الذكر الذي ابيضَّ رأسه من شدَّة سُمِّه. **والزبيبتان**: نُكْتتان سَوْداوان فوق عينيه وقيل نابان يخرجان من فِيه. ومعنى **يُطَوَّقُهُ**: يصير طَوْقًا في عنقه. وليس هذا وحده عقاب تارك الزكاة، بل له عقاب أشد -كما في أحاديث أخرى- مع ما يعجل له في الدنيا من تلف المال وغيره، وورد في الحديث: «**ما تَلَفَ مالٌ في بَرٍّ ولا بحرٍ إلا بِحَبسِ الزكاة**».

يَومَ القِيَامَةِ، ثُمَّ يَأخُذُ بلِهْزِمَتَيْه -يَعْنِي شِدْقَيْهِ- ثُمَّ يَقُولُ أَنَا مَالُكَ أَنَا كَنْزُكَ». ثُمَّ تَلاَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٨٠] الآية[١]. رواه البخاريُّ ومسلمٌ.

الحديث الثالث

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «يَقُولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: إنَّ عَبْدًا صَحَّحْتُ له جِسْمَهُ وَوَسَّعْتُ عَلَيهِ في المَعِيشَةِ تَمْضِي عَلَيهِ خَمْسَةُ أَعْوَامٍ لا يَفِدُ إليَّ لَمَحْرُومٌ». رواه ابن حِبَّان في «صحيحه» والبيهقيُّ في «سُنَنِه» ونقل عن علي بن المنذر قال: أخبرني بعض أصحابنا قال: كان حسن بن حَيٍّ يعجبه هذا الحديث وبه يأخذ ويحب للرجل الصحيح المُوسِرِ أن لا يترك الحجَّ خمسَ سنين[٢].

---

(١) بقية الآية: ﴿هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

(٢) هذا لمن أدىٰ الفرض، أما من لم يُؤَدِّ فرض الحج فيعجل قبل الخمس سنين، إذ لا يدري ما يعرض له.

وللحج فوائد كثيرة يطول تتبعها، منها: تكفير الذنوب، وقبول الدعاء، والغنىٰ، ونفي الفقر، ومضاعفة النفقة، والعافية في الدنيا، والمغفرة في الآخرة، وغير ذلك مما وردت به الأحاديث.

وينبغي لمن حج أن يزور النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ويتشرف بالمُثُول بين يديه، ويتوسل به إلىٰ الله، فهو صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حيٌّ في قبره كما تواتر في الأحاديث، ودلَّ عليه القرآن في حياة الشهداء، ولا عبرة بما يقول الجهلاء.

الحديث الرابع

عن أبي بكرٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «مَا تَرَكَ قَوْمٌ الجِهَادَ إلَّا عَمَّهُمُ اللهُ بالعَذَابِ»(١). رواه الطبرانيُّ، وإسناده حسنٌ.

الحديث الخامس

عن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «مَن رَغِبَ عن سُنَّتِي فَلَيسَ مِنِّي». رواه مسلمٌ في "صحيحه"(٢).

(لطيفة): ذكر القاضي عياض في "الشِّفا": «أن قومًا أتوا سعدون الخولاني بالمُنَستِير - مكان بالقيروان- فأعلموه أن كُتامةَ قتلوا رجلًا، وأضرموا عليه النار طوال الليل فلم تعمل فيه شيئًا وبقي أبيض البدن فقال: لعله حج ثلاث حجج؟ قالوا: نعم. قال: حُدِّثتُ أن من حَجَّ حَجَّةً أدَّىٰ فرضَه، ومن حَجَّ ثانيةً دَايَنَ ربَّهُ، ومن حَجَّ ثَلاثَ حِجَجٍ حَرَّمَ اللهُ شَعْرَهُ وبَشَرَهُ علىٰ النَّارِ».اهـ

وهذا الحديث طالما سئلت عنه ولم أقِفْ عليه في شيءٍ من كتب الحديث، حتىٰ أن الحافظ السيوطي لم يتكلم عليه في "مناهل الصَّفا".

(١) المراد بالعذاب: هو الذل. كما سيأتي في الحديث العاشر، والذل: شر أنواع البلايا، خصوصًا ذل الاستعمار.

(٢) من الرغبة عن السنة : حلق اللحية، وإعفاء الشارب -كما شاع بين الناس- وهي عادة أعجمية سرت إلينا من الترك، وقد نهىٰ النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عنها في غير ما حديث عن التشبه بالعجم.

وقد قرأت في جزء من حديث الحسن بن علي بن عفان العامري وأخيه محمَّد بن علي وإبراهيم بن إسحاق بن أبي العنبس من طريق عُبَيْدِ اللهِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ عُتْبَةَ قال: جَاءَ

الحديث السادس

عن أنسٍ أيضًا قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ اللهَ حَجَبَ التَّوْبَةَ عن كُلِّ صَاحِبِ بِدْعَةٍ حَتَّى يَدَعَ بِدْعَتَهُ**»(١). رواه الطبرانيُّ بإسناد حسن.

الحديث السابع

عن مُعاذِ بنِ جَبَلٍ رضي الله عنه، عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قَالَ: «**مَا من عَبْدٍ يَقُومُ في الدُّنْيَا مَقَامَ سُمْعَةٍ وَرِيَاءٍ إلا سَمَّعَ**(٢) **اللهُ بِهِ عَلَى رُءُوسِ**

رَجُلٌ مِنَ الْمَجُوسِ إِلَى النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وَقَدْ حَلَقَ لِحْيَتَهُ، وَأَطَالَ شَارِبَهُ، فَقَالَ لَهُ: «**لِمَ تَفْعَلُ هَذَا؟**».قال: هَذَا في دِينِنَا. قَالَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**وَلَكِنْ في دِينِنَا نَجُزُّ الشَّوَارِبَ، وَنَعْفِي اللِّحْيَةَ**». وفي الصَّحيح: «**جُزُّوا الشَّوارِبَ وَأَرْخُوا اللِّحَى خَالِفُوا المَجُوسَ**». وفي الصَّحيحين: «**خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ وَفِّرُوا اللِّحَى وَأَحْفُوا الشَّوَارِبَ**».

وهذه الأحاديث وغيرها ترد زعم بعض المبتدعة الوهابية: أن إعفاء اللحية من السنن العادية. وهذا كذب بل إعفاء اللحية أمر ديني، ومعلل بعلَّة دينية، ومن أراد التوسع في الموضوع فليقرأ كتاب "اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم" لابن تيمية، ولشقيقنا الصوفي الصالح السيد محمَّد الزمزمي رسالة "تنبيه أولي البصائر على أن حلق اللحية من الكبائر".

(١) من البدع الشَّائنة بدعة الزار التي تقع فيها منكرات -بل كُفريَّات- كحمل الصَّليب للتبرك به أو لغير ذلك من الأغراض، والعجب أن يحصل هذا من أناس يزعمون أنهم مسلمون وفي بلد إسلامي! وما أكثر البدع في هذا العصر كبدعة الوهابية المجسمة الذين يشبهون الله بخلقه تشبيهًا صريحًا، ويُكَفِّرون عموم المسلمين، ويثيرون الفتن بين حين وآخر، ويَتَنَطَّعون تَنَطُّعًا بالغًا.

(٢) التسميع بالشخص: هو التشهير به وهَتْكُ أمره. نسأل الله أن يجملنا بستره.

الخَلائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ». رواه الطبرانيُّ، وإسناده حسن أيضًا.

الحديث الثامن

عن أبي بكرٍ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ جَسَدٌ غُذِّيَ بِحَرَامٍ[1]». رواه أبو يَعْلَى والبزَّار وغيرهما وهو حديثٌ حسن.

الحديث التاسع

عن عُمَرَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «مَنِ احْتَكَرَ عَلَى المُسْلِمِينَ طَعَامًا، ضَرَبَهُ اللهُ بِالجُذَامِ وَالإِفْلاسِ»[2]. رواه ابن ماجه في «سُنَنِه» بإسناد صَحَّحَه الحافظُ البُوصِيري، وحَسَّنَه الحافظُ ابن حَجَرٍ.

الحديث العاشر

عن عَطَاءِ بن أبي رَبَاحٍ، عن ابن عُمَرَ رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «إِذَا ضَنَّ النَّاسُ بِالدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ، وتبايعوا

---

(١) لأن الجنَّة دار الطيبين لا يدخلها إلا مؤمن طيب، والحرام خبيث وآكله خبيث فلا يدخل الجنَّة حتى يتطهر بالنَّار، وأكل الحرام كما يمنع دخولَ الجنَّة يمنع قبولَ الدُّعاء، كما في الحديث الصحيح.

(٢) الاحتكار معروف، وهو أن يحتكر التاجر السلعة المطلوبة للاستهلاك فلا يبيعها إلا بثمن مرتفع. وهو معصية من الكبائر لأنه إضرار بالناس وإيذاء لهم، والمؤذي ملعون. ولذا جاء في الحديث: «الجَالِبُ مَرْزُوقٌ، وَالمُحْتَكِرُ مَلْعُونٌ». رواه ابن ماجه. وفي حديث آخر رواه الحاكم: «مَنِ احْتَكَرَ حُكْرَةً يُرِيدُ أَنْ يُغَالِيَ بِهَا عَلَى المُسْلِمِينَ فَهُوَ خَاطِئٌ -أي آثِمٌ- وَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللهِ».

بالعِينَةِ[1]، وَاتَّبَعُوا أَذْنَابَ البَقَرِ، وَتَرَكُوا الجِهَادَ في سَبِيلِ الله : أنزل اللهُ بِهِم ذُلًّا، فَلَمْ يَرْفَعْهُ عَنْهُمْ حَتَّى يُرَاجِعُوا دِينَهُمْ». رواه الإمام أحمد في "الزُّهد" و"المُسند" بإسنادٍ رجاله ثقاتٌ، وصحَّحه الحافظُ ابن القَطَّانِ السِّجِلْمَاسِي، وله طريقٌ آخر في "سنن أبي داود" لكنه ضعيفٌ.

الحديث الحادي عشر

عن أبي سَرِيحَةَ حُذَيفَةَ بن أَسِيدٍ الغِفَارِيِّ رضي الله عنه: أنَّ النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «مَنْ آذَى المُسْلِمِينَ في طُرقِهِمْ وَجَبَتْ عَلَيْهِ لَعْنَتُهُمْ». رواه

---

(١) العِينَة: بكسر العين، هي أن يبيع الرجل السلعة بثمن مؤجل، ويسلمها إلى المشتري، ثم يشتريها قبل الأجل بثمن نقد أقل مما باعها به، وهي نوع من الربا. واتِّباع أذناب البقر: كناية عن الاشتغال بالحرث. وفي الرواية الأخرى عند أبي داود: «وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ البَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ». ولا شك أن البخل بالمال والاشتغال بالحرث يمنعان الجهاد، وذلك سبب الذل والهوان كما هو مشاهد لا يحتاج إلى بيان.
وقد ثبت عن أسلم بن عمران قال: غزونا من المدينة نريد القُسطَنطينِيَّة وعلى الجماعة عبدالرحمن بن خالد بن الوليد -وفي رواية فَضَالَةُ بن عُبَيْد- والروم ملصقوا ظهورهم بحائط المدينة فحمل رجل على العدو فقال الناس: مَهْ مَهْ لا إلَهَ إلَّا اللهُ يلقي بيده إلى التَّهلُكَة. فقال أبو أيوب: إنما أنزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، لما نصر الله نبيَّه وأظهر الإسلام قلنا: نقيم في أموالنا ونصلحها. فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]. فالإلقاء بأيدينا إلى التَّهلُكَة: أن نقيم في أموالنا ونصلحها وندع الجهاد. رواه أبو داود والترمذيُّ وغيرهما، وصَحَّحَهُ النَّسائيُّ.

الطبرانيُّ بإسناد حسن[١].

الحديث الثاني عشر

عن ثَوْبَانَ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ، لا يَرُدُّ القَضَاءَ إِلا الدُّعَاءُ وَلا يُزِيدُ فِي العُمُرِ إِلا البِرُّ**». رواه أحمد والنسائي وابن ماجه وابن حِبَّان في "صحيحه"، والحاكم وصححه[٢].

الحديث الثالث عشر

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قَالَ رسُولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَنْ زَنَى أَوْ شَرِبَ الخَمْرَ نَزَعَ اللهُ مِنْهُ الإِيمَانَ كَمَا يَخْلَعُ الإِنْسَانُ القَمِيصَ مِنْ رَأْسِهِ**». رواه الحاكمُ بإسنادٍ صَحِيحٍ[٣].

---

(١) من أنواع الإذاية: التبرز في الطريق، أو إلقاء القاذورات والوساخات، ونحو ذلك مما يؤذي المارة، أو القعود علىٰ قارعة الطريق والتعرض للمارين والمارات بما يؤذيهم في أنفسهم أو في أعراضهم، فكل من فعل شيئًا من هذا وجبت عليه اللعنة كما جاء في عدة أحاديث.

(٢) إنما كان الرجل يُحرم الرزق بالذنب لأن الرزق من فضل الله والذنب من غضبه وفضل الله وغضبه لا يجتمعان، فإذا عصىٰ الشخص حرم الرزق بشؤم معصيته.
أما رد القضاء بالدعاء فالمراد به -والله أعلم- أن الدعاء يخفف القضاء النازل ويهونه حتىٰ يصير كأنه لم ينزل، وأما زيادة العمر بالبر فكناية عن أن فاعل البر مع أهله وذوي رحمه يترك ذكرىٰ طيبة بين الناس فيطول عمره ببقاء ذكراه الطيبة.

(٣) وفي حديث آخر رواه الطبراني: «**مَنْ زَنَى خَرَجَ مِنْهُ الإِيمَانُ فَإِنْ تَابَ تَابَ الله عَلَيْهِ**».

وروى البيهقي وغيره حديث: «الزِّنا يُورِثُ الفَقْرَ».

والأحاديث في تقبيح الزنا وبيان شناعته كثيرة سيأتي بعضها، وكذلك الخمر وردت فيها أحاديث كثيرة منها حديث: «لاَ يَزَالُ الْعَبْدُ فِي فُسْحَةٍ مِنَ الله» وفي رواية: «لَا يَزَالَ الْعَبْدُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يَشْرَبِ الخَمْرَ، فَإِذَا شَرِبَهَا خَرَقَ الله عَنْهُ سِتْرَهُ وَكانَ الشَّيْطَانُ وَلِيَّهُ وَسَمْعَهُ وَبَصَرَهُ وَرِجْلَهُ يَسُوقُهُ إِلَى كُلِّ شَرٍّ وَيَصْرِفُهُ عَنْ كُلِّ خَيْرٍ». رواه الطبرانيُّ، ومحمد بن أيوب بن الصَّموت المصريّ في "فوائده" من حديث قتادة بن عياش الرهاوي.

ثم إن شرب جرعة من الخمر يساوي في الإثم والحكم شرب برميل منها للحديث الصحيح: «مَا أَسْكَرَ الفَرَقُ مِنْهُ -وهو بفتحتين، مكيال يسع سِتَّةَ عَشَرَ رَطْلًا- فَمِلْءُ الكَفِّ مِنْهُ حَرَامٌ».

وفي حديث آخر صحيح: «ما أَسْكَرَ كَثِيرُهُ فَقَلِيلُهُ حرامٌ». ولا خلاف في هذا.

وما يقال عن الخمر من لذة وسرور، ناشئ عن فقدان العقل والدين بها، كما قال أبو الفضل الجوهري:

زَعَمَ المُدَامَةَ شَارِبُوهَا أَنَّهَا ... تَنْفِي الغُمُومَ وتَطْرَحُ الهَمَّا
صَدَقُوا سَرَتْ بِعُقُولِهِمْ فَتَوَهَّمُوا ... أَنَّ السُّرُورَ لَهُمْ بِهَا تَمَّا
سَلَبَتْهُمُ أَدْيَانَهُمْ وَعُقُولَهُم ... أَرَأَيْتَ فَاقَدَ دَيْنِ مُغْتَمًّا ؟

أما الحشيشة: فالقدر الكثير المفتر للعقل منها حرام بالإجماع، لحديث أم سلمة: «نهَى رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن كلِّ مُسْكِرٍ وَمُفتِرٍ». رواه أبو داود من طريق شَهْرِ بن حَوْشَبٍ عن أم سلمة، وحسَّنه الحافظ ابن حجر.

وذكر العَلْقَمِيُّ في شرح "الجامع الصغير": أن رجلًا من العجم دخل القاهرة وطلب الدليل على تحريم الحشيشة، وعقد لذلك مجلسًا حضره علماء العصر، فاستدل الحافظ

الحديث الرابع عشر

عن أبي الدرداءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْت رَسُول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يَقُول: «**كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى الله أَنْ يَغْفِرَهُ إِلاّ الرَّجلَ يموتُ مُشْرِكًا أَوْ يَقْتُلُ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا**».رواه أبو داودَ وابنُ حِبَّان في "صحيحه" والحاكم.

وروىٰ النسائيُّ بإسناد صحيح أيضًا من حديث معاوية باللفظ المذكور غير أنه قال «**كافرًا**» بدل«**مشركًا**»(١).

العراقي بالحديث المذكور، فأعجب الحاضرين.

والقدر القليل منها الذي لا يفتر العقل ليس بحرام لكنه لا ينضبط، فيحرم تناوله أيضًا، وهكذا الحكم في سائر المخدرات كالأفيون والكفتة والقات -وهما معروفان في بلاد اليمن- والسيكُران بضم الكاف- وعسل البلادر -يشرب للحفظ- وجوزة الطيب والمعاجين المعروفة بالنسخ أو السطل، وغير ذلك مما هو في معناها، فكل ذلك يحرم منه الكثير والقليل أيضًا لعدم إمكان تحديده.

(١) معنىٰ الروايتين واحد لأن الكافر والمشرك مخلدان في النار أبدًا، وقول الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨]. يعني يغفر الذنوب غير الكفر إذا شاء، أما الكفر فلا يغفره أبدًا بدليل قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**وَالَّذِي نَفْسُ محمَّد بِيَدِهِ لاَ يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلاَ نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلاَّ كانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**». وهو حديث صحيح.

ولا يُتصور وجود شخص في هذا العصر لم تبلغه الدعوة المحمَّدية لأن القرآن العظيم غزا سائر الأقطار علىٰ اختلاف أديان أصحابها ومللهم، وترجم إلىٰ عدة لغات، ويتلىٰ

الحديث الخامس عشر

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قَالَ رسُولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: **«إذا أدَّيْتَ زَكاةَ مالِكَ فقد قَضَيْتَ ما عَلَيْكَ وَمَنْ جَمْعَ مَالًا حَرَامًا ثُمَّ تَصَدَّقَ بِهِ لَمْ يَكُنْ لَهُ فيهِ أَجْرٌ وَكَانَ إِصْرُهُ عَلَيْهِ»**(١).

كل صباح ومساء في راديو ألمانيا وانكلترا وفرنسا واليابان وغيرها.

بل استمد المشرِّعون الفرنسيون في قوانينهم من القرآن وكتب الفقه الإسلامي كما هو معلوم، ومكاتب بلاد أوربا تزخر بالكتب الإسلامية في جميع العلوم والفنون وطبعت هناك كتب التفسير والقراءات والحديث والتاريخ والنحو وما إلى ذلك بعناية كبيرة.

لكن مع هذا كله يجب على المسلمين جميعًا خصوصًا منهم الملوك والأمراء والعلماء والأغنياء أن يقوموا بالدعوة إلى الإسلام بالوسائل الممكنة من تأليف جمعيات وإيفاد بعثات وغير ذلك، فمن العار الذي لا يُمحى أن يغزوَنا المبشِّرون في عُقْرِ ديارنا بالدعوة إلى دينهم ونحن نائمون بل ميتون، هذا والله عقوق كبير لديننا ولنبينا، وعصيان كبير لربنا ويُوجب عقابه.

فاللهم محيي العظام، وجامع الناس ليوم القيام، أحي المسلمين واجمع شتات شملهم وبَصِّرهم بما يجب عليهم القيام به نحو الدين الذي رضيته لهم وأتممت به عليهم نعمتك.

(١) هذا الحديث يَرُدُّ على أولئك الذين يضعون أموالهم في البنك أو صندوق التوفير بفوائد، ويظنون أن التصدق بتلك الفوائد يخلصهم من إثم الربا وهو خطأ شنيع سببه عدم معرفة الأحكام الدينية على وجهها الصحيح، وفي مثل ذلك قال الشاعر:

بَنَى مَسْجِدًا لله مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ ... فَكَانَ بَحَمْدِ الله غَيْرَ مُوَفَّقِ

كُمُطْعِمَةِ الأَيْتَامِ مِنْ كَسْبِ فَرْجِهَا ... لَكِ الوَيْلُ لَا تَزْنِي وَلَا تَتَصَدَّقِي

رواه ابن خُزَيمةَ وابن حِبَّان في صحيحيهما، والحاكمُ في "المُسْتَدرَك" وله شاهد من حديث أبي الطُّفَيلِ، ومن مُرْسَلِ القَاسِمِ بن مُخَيْمِرَةَ.

الحديث السادس عشر

عن عَبْدِ الله بنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قَالَ رسُولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا وَالمَكْرُ وَالخِدَاعُ في النَّارِ**». رواه الطبرانيُّ، وصَحَّحَه ابن حِبَّان. وهذا الحديث أعني «**مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا**» مُتَوَاتِرٌ(١).

فمن تصدَّق بمال حرام لم يقبل الله منه صدقته -بل هو آثم باكتساب الحرام- قال عليه الصلاة والسلام: «**إنّ الله طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إلا طَيِّباً**».

وكذلك من حج بمال حرام لم يقبل الله حَجَّه، وإذا قال في طوافه: لَبَّيْكَ اللهم لَبَّيْكَ. ناداه منادٍ: لا لَبَّيْكَ ولا سَعْدَيْكَ، وحَجُّك مردودٌ عليك.

(١) رواه عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم جماعةٌ من الصحابة يزيدون على عشرة، وهو مُخَرَّجٌ في "صحيح مسلم" وغيره، وفي بعض طرق الحديث: أنَّ النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ -يعني حَبَّ القَمْحِ- فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا فقال: «**مَا هذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ**» قَالَ: أَصَابَتْهُ اَلسَّمَاءُ -يعني المَطَرَ- يَا رَسُولَ اَلله. قَالَ: «**أَفَلا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ حَتَّى يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا**».

ومَرَّ أبو هُرَيْرَة بِنَاحِيَةِ الحَرَّة فإذا إنسانٌ يحمل لَبَنًا يبيعه فنظر إليه أبو هُرَيْرَة فإذا هو قد خَلَطَه بالماء فقال له أبو هريرة: كيف بك إذا قيل لك يوم القيامة خَلِّص الماء من اللبن؟ رواه البيهقيُّ.

وفي حديث عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لَا تَشُوبُوا اللبَنَ للبَيْعِ**» وذكر حديث المُصَرَّاةِ -والتَّصْرِيَة حبس اللبن في ضرع الشاة أو البقرة حتى يجتمع فيظن المشتري أنها كثيرة اللبن- ثم قال: «**أَلاَ وَإِنَّ رَجُلاً مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ جَلَبَ خَمْرًا إِلَى قَرْيَةٍ**

الحديث السابع عشر

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أربَعَةٌ يُبغِضُهُمُ اللهُ - تَعَالَى-؛ البَيَّاعُ الحَلَّافُ، وَالفَقيرُ المُخْتَالُ، وَالشَّيخُ الزَّانِي، وَالإِمَامُ الجَائِرُ**».

رواهُ النَّسَائيُّ، وابن حِبَّان في "صحيحه"، والبيهقيُّ(١).

فَشَابَها بِالمَاءِ فَأَضْعَفَ ضِعَافًا -يعني رَبِحَ كَثِيرًا- **فَاشْتَرَى قِرْدًا، فَرَكِبَ البَحْرَ حَتَّى إِذَا لَجَّ فِيهِ، أَلْهَمَ اللهُ القِرْدَ صُرَّةَ الدَّنَانِيرِ، فَأَخَذَهَا فَصَعِدَ الدَّقْلَ، فَفَتَحَ الصَّرَّةَ وَصَاحِبُهَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَأَخَذَ دِينَارًا فَرَمَى بِهِ فِي البَحْرِ، وَدِينَارًا فِي السَّفِينَةِ، حَتَّى قَسَمَهَا نِصْفَيْنِ**».
رواه البيهقيُّ.

وفي حديث آخر عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَنْ بَاعَ عَيْبًا** -أي سِلْعة فيها عيب- **لَمْ يُبَيِّنْهُ لَمْ يَزَلْ فِي مَقْتِ الله، وَلَمْ تَزَلِ المَلَائِكَةُ تَلْعَنُهُ**».

وقوله عليه الصلاة والسلام: «**وَالمَكْرُ وَالخِدَاعُ فِي النَّارِ**» يعني أنَّ صاحبَهما في النَّارِ، وفي حديث آخر: «**المَكْرُ والخَدِيعَةُ والخِيَانَةُ فِي النَّارِ**». رواه أبو داود في "مراسيله" عن الحسن مُرسلًا.

وهذه الأوصاف ليست بصفات للمؤمن ولا تليق به بل هي صفات المنافق وهي به أليق، فلا جَرَمَ أن كان صاحبها في النار كما في الحديث المذكور.

وقد ورد عنه عليه الصلاة والسلام قال: «**المُؤْمِنُونَ بَعْضُهُم لِبَعْضٍ نَصَحَةٌ وَادُّونَ** - أي مُتَحَابُّونَ- **وَإِنْ بَعُدَتْ مَنَازِلُهُمْ وَأَبْدَانُهُمْ، وَالفَجَرَةُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ غَشَشَةٌ مُتَخَاوِنُونَ، وَإِنِ اقْتَرَبَتْ مَنَازِلُهُمْ وَأَبْدَانُهُمْ**». رواه أبو الشيخ ابن حيان في كتاب "التوبيخ".

(١) أما الحلف في البيع فمذموم ولو كان الحالف صادقًا، بل ورد في الحديث الصحيح:

«الحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ مَمْحَقَةٌ لِلْبَرَكَةِ». وجاء في حديث آخر: «ثَلاثَةٌ لا يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِمْ غَدًا -أي لا يَرْضَى عنهم-: شَيْخٌ زَانٍ، وَرَجُلٌ اتَّخَذَ الأَيْمَانَ بِضَاعَتَه يَحْلِفُ فِي كُلِّ حَقٍّ وَبَاطِلٍ، وَفَقِيرٌ مُخْتَالٌ مَزْهُوٌّ».

وأما الاختيال -وهو الزهو والتكبر- فقبيح لا يجمل بالمؤمن، لأن الكبر من خصوصيات المولى عز وجل، قال تعالى في حديث قدسي: «الكِبْرِيَاءُ رِدَائِي والعَظَمَةُ إِزَارِي فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا أَلْقَيْتُهُ فِي النَّارِ».

وخَصَّ الحديثُ الفقيرَ بالذكر لأن وقوع الكبر منه أقبح وأشنع، وكذلك وقوع الزنا من الشيخ -وهو من كبر في السن- أقبح، وإن كان الزنا في حد ذاته قبيحًا منكرًا، وهكذا سائر الكبائر تتفاوت في القبح وإن كانت كلها مستوجبة لغضب الله، كما أن الطاعات تتفاوت في الحسن.

وقد جاء في حديث رواه السمرقندي بإسناد لا بأس به عن أبي هريرة: «إنَّ اللهَ تعالى يُبْغِضُ ثلاثةَ نَفَرٍ وبُغْضُهُ لثلاثةٍ منهم أشدُّ، أوَّلُها: يُبْغِضُ الفُسَّاقَ وبُغْضُهُ للشَّيخِ الفاسِقِ أشدُّ، والثَّاني: يُبغِضُ البُخلاءَ وبُغضهُ للغَنيِّ البخيلِ أشدُّ، والثَّالثُ: يُبغِضُ المُتكَبِّرينَ وبُغضُهُ للفقيرِ المُتكَبِّرِ أشدُّ. ويُحبُّ ثلاثةَ نَفَرٍ وحُبُّهُ لثلاثةٍ منهم أشدُّ، أوَّلُها: يُحِبُّ المُـتَّقينَ وحُبُّهُ للشَّابِّ التَّقيِّ أشدُّ، والثَّاني: يُحبُّ الأسْخِيَاءَ وحُبُّهُ للفقيرِ السَّخيِّ أشدُّ، والثَّالثُ : يُحِبُّ المتَواضعين، وحُبُّهُ للمُتواضِعِ الغَنِيِّ أشدُّ».

وأما الإمام الجائر وهو الحاكم الظالم فمصيبته أشد وعقوبته أفظع لتضييعه حقوق الرعية التي ولاه الله أمرها. ثبت [في] الحديث عن أبي أُمَامَةَ: «صِنْفانِ مِن أُمَّتي لن تنالهما شفاعتي: إمامٌ ظَلُومٌ غَشُومٌ، وكلُّ غالٍ مارِقٌ». رواه الطبرانيُّ.

وجاء في حديث آخر: «لا تَظْلِمُوا فَتَدْعُوا فلا يُستجابُ لكم، وتَسْتَسْقُوا فلا تُسْقَوْا، وتَسْتَنْصِرُوا فلا تُنْصَرُوا». رواه الطبرانيُّ أيضًا.

الحديث الثامن عشر

عن ابن عبَّاسٍ -رضي الله عنهما- عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قَالَ: «**إذا ظَهَرَ الزِّنا والرِّبا في قريةٍ فقد أَحَلُّوا بأنفُسِهِمْ عذابَ الله**[1]». رواه الطبرانيُّ، والحاكمُ وصَحَّحَه.

الحديث التاسع عشر

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لم أَرَهُمَا: قَومٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ البَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلاَتٌ مَائِلاَتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ المَائِلَةِ لاَ يَدْخُلْنَ الجَنَّةَ وَلاَ يَجِدْنَ رِيحَهَا، وإنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا**». رواه مُسلمٌ في "صحيحه"[2].

---

(١) أما الربا، فهو محاربة لله ورسوله قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧٨ - ٢٧٩]، ومن حارب الله ورسوله حَلَّ عليه العذاب وهلك.

وأما الزنا فإنه ينزع الإيمان من فاعله كما تقدم في الحديث الثالث عشر وإذا ذهب الإيمان -والعياذ بالله- نزل عذاب الله ونقمته.

(٢) هذا الحديث من أعلام النبوة وهو قطرة من بحر من المغيَّبات التي أخبر بها النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فوقعت كما أخبر، والأحاديث في ذلك متواترة كما قال القاضي عياض وغيره، وتتبعها يستدعي إنشاء تأليف في مجلد وقد جمعها غير واحد لكن من غير استيفاء.

ففي هذا الحديث إشارة واضحة إلى الشُّرَط الذين يلاحقون الباعة في الطرق

الحديث العشرون

عن عمَّارِ بن يَاسِرٍ -رضي اللهُ عنهما- عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ثَلاثَةٌ لا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ أبدًا: الدَّيُّوثُ مِنَ الرِّجَالِ، والرَّجُلَةُ مِنَ النِّسَاءِ، ومُدْمِنُ الخَمْرِ**». قالوا: يا رسولَ الله، أمَّا مُدْمِنُ الخَمْرِ فقد عَرَفناهُ، فما الدَّيُّوثُ ؟ قال: «**الذي لا يُبَالي مَن دَخَلَ على أَهْلِهِ**». قلنا: فما الرَّجُلَةُ مِن النِّساءِ؟ قال: «**التي تَشَبَّهُ بالرِّجالِ**»(١). رواه الطبرانيُّ. قال الحافظ المُنذِريُّ:

والأسواق ويضايقونهم ضربًا بسياط تشبه أذناب البقر، أما آخر الحديث فيشير بجلاء إلى ما وصلت إليه المرأة اليوم من تبرج فاضح واستهتار شائن تخرج كاشفة ذراعيها وساقيها وجزءًا من صدرها عليها ثياب مهلهلة لا تستر ما تحتها فهي كاسية عارية تمشي متمايلة لتلفت أنظار الناس إليها وتميل قلوبهم نحوها، تلبس على رأسها برانيط مختلفة الأشكال تشبه في احديدابها سنام الجمل.

وجاء لعنها في حديث أخر صحيح ولفظه: «**يَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي رِجَالٌ يَرْكَبُونَ عَلَى المَيَاثِرَ حتى يَأْتُوا أَبْوَابَ المَسَاجِدِ**» وفي رواية: «**يَرْكَبُونَ عَلَى سُرُجٍ كَأَشْبَاهِ الرِّحَالِ يَنْزِلُونَ عَلَى أَبْوَابِ المَسَاجِدِ، نِسَاؤُهُمْ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ عَلَى رُءُوسِهِنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ العِجَافِ، العَنُوهُنَّ فَإِنَّهُنَّ مَلْعُونَاتٌ، لَوْ كَانَ وَرَاءَكُمْ أُمَّةٌ مِنَ الأُمَمِ خَدَمَهُنَّ نِسَاؤُكُمْ كَمَا خَدَمَكُمْ نِسَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ**».

وفي هذا الحديث إشارة أخرى إلى السيارات التي تقل أصحابها إلى المسجد كما هو مشاهد فهي المراد بالمياثر أو السرج التي تشبه الرحال، ولا يخفى أن نساء أصحاب هذه السيارات كاسيات عاريات على رؤوسهن برانيط تشبه أسنمة البخت العجاف، فصلى الله عليك يارسول الله ما أكثر آياتك وأبلغ معجزاتك.

(١) وثبت في حديث آخر أنَّ امرأة مرَّت على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مُتَقَلِّدَةً

«ورواته لا أعلم فيهم مجروحًا، وشواهده كثيرة».اهـ وهو حديثٌ حسنٌ.

الحديث الحادي والعشرون

عن أنس -رضي الله عنه- عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**سَبْعَةٌ لا يَنْظُرُ اللهُ إليهم يومَ القِيَامَةِ ولا يُزَكِّيهِمْ ولا يَجْمَعُهُمْ مع العالمينَ ويُدْخِلُهُمْ النَّارَ في أوَّلِ الدَّاخِلِينَ إلَّا أن يَتُوبُوا، ومَنْ تَابَ تَابَ اللهُ عليه: النَّاكِحُ يَدَهُ، والفَاعِلُ والمفعولُ بهِ، ومُدْمِنُ الخَمْرِ، والضَّارِبُ والِدَيْهِ حتَّى يَسْتَغِيثَا، والمُؤذي جِيرَانَهُ حتَّى يَلْعَنُوهُ، والنَّاكِحُ حَلِيلَةَ جَارِهِ**».

رواه الحسن بن عَرَفَة في جزئه المشهور وليس في إسناده متروك، وله شاهد من حديث عبد الله بن عمرو يرتقي به إلى درجة الحسن كما بيَّنته في رسالة "الاستقصاء لأدلة تحريم الاستمناء"(١).

قوسًا فقال: «**لَعَنَ اللهُ المُتَشَبِّهَاتِ من النِّسَاءِ بالرِّجَالِ والمُتَشَبِّهِينَ من الرِّجَالِ بالنِّسَاءِ**».

(١) أما نكاح اليد -وهو العادة السرية- فقد بينت مضاره ودلائل تحريمه ووجوب تعزير فاعله في الكتاب المشار إليه فليراجع.

وأما الفاعل والمفعول فالمراد بهما عمل قوم لوط وهو فاحشة منكرة أشد قبحًا من الزنا، وقد حكى الله في القرآن ما فعل بأهله من تدمير بلدتهم وقلب أسفلها على أعلاها وإمطارهم بحجارة من سجيل -عياذًا بالله تعالى- لأنهم بفعلتهم الخبيثة تلك خرجوا عن سنن الطبيعة التي خلقها الله وشذوا عن بني الإنسان بل انحطوا عن درجة الحيوان الأعجم.

وأما مدمن الخمر -وهو المداوم على شربه- فتقدم في الحديث السابق أنه لا يدخل

الحديث الثاني والعشرون

عن ابن عبَّاسٍ -رضي الله عنهما- عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ الله، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ تُخُومَ الأَرْضِ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ كَمَهَ أَعْمَى عَنِ السَّبِيلِ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ سَبَّ وَالِدَيْهِ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ تَوَلَّى غَيْرَ مَوَالِيهِ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ**»(١). قَالَهَا ثَلاثًا في عَمَلِ قَوْمِ لُوطٍ. رواه ابن

الجنة، وثبت في حديث آخر: «**مَنْ لَقِيَ اللهَ مُدْمِنَ خَمْرٍ، لَقِيَهُ كَعَابِدِ وَثَنٍ**».

ومما يجب التنبُّه له أنه لا يجوز شرب الخمر للتداوي ولا للهضم ولا لعذر من الأعذار التي ينتحلها شاربوا البيرة والويسكي والبوظة فذلك لا يجديهم وهم ملعونون إلا أن يتوبوا ففي الحديث: «**إنَّ اللهَ لم يجعل شِفاءَكُمْ فيما حُرِّمَ عليكم**».

وسأل جماعةٌ من أهل اليَمَن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أن يُرَخِّصُ لهم في شَرَابِ المِزْرِ.

(١) من الذبح لغير الله ذبح الخروف مثلًا على مدد الولي الفلاني أو ذبحه عند ضريح من الأضرحة كما هو مشاهد في الموالد التي هي مواسم المنكرات وسوق رائجة لتعاطي الحشيش وسائر المخدرات والمسكرات.

وتغيير تخوم الأرض: هو تغيير حدودها كما يحصل في كثير من بلاد الفلاحين، يغير أحدهم حدود الأرض ليدخل أرض غيره في أرضه وبعضهم يحتجز من الطريق العام قطعة يضمها إلى بيته أو غيطه وكل ذلك حرام وعاقبته عند الله شديدة فإن الشبر من الأرض إذا أخذ بغير حق يطوقه صاحبه من سبع أرضين يوم القيامة كما صح في الحديث، وفي رواية أخرى: «**يخسف به إلى سبع أرضين**».

وكمه الأعمى: تضليله عن الطريق. وسب الوالدين نوع من العقوق وقد تقدم الكلام عليه ويحتمل نوعا آخر وهو أن يسب الشخص أبا شخص آخر فيسب أباه

حِبَّان في "صحيحه".

الحديث الثالث والعشرون

عن أنس -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: **«إِذَا اسْتَحَلَّتْ أُمَّتِي خَمْسًا فَعَلَيْهِمُ الدَّمَارُ: إِذَا ظَهَرَ التَّلاعُنُ، وَشَرِبُوا الخُمُورَ، وَلَبِسُوا الحَرِيرَ، وَاتَّخَذُوا القِيَانَ، وَاكْتَفَى الرِّجَالُ بِالرِّجَالِ، وَالنِّسَاءُ بِالنِّسَاءِ»**. رواه البيهقيُّ وغيره(١).

ويسب أمه فيسب أمه ردًا عليه بالمثل فهذا سب للوالدين أيضًا كما جاء في حديث آخر لتسببه في سبهما بالاعتداء على غيره.

وتولي غير الموالي: هو أن ينكر المملوك ولاء مولاه ويدعيه لغيرهم وهو كبيرة كانتساب الشخص إلى غير أبيه، ثبت في الحديث الصحيح: «**ومن ادعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلًا**».

وعمل قوم لوط تقدم الكلام عليه، وفاتنا أن ننبه على حكمه في الشرع وهو وجوب قتل فاعله محصنًا كان أو غير محصن.

ثبت في الحديث: «**من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به**».

وصح عن عثمان رضي الله عنه أنه أشرف على الناس يوم الدار وهم مجتمعون حول بيته فقال: أما علمتم أنه لا يحل دم امرئ مسلم إلا بأربعة: رجل كفر بعد إسلامه، أو زنى بعد إحصانه، أو قتل نفسًا بغير نفس، أو عمل عمل قوم لوط؟.

وثبت عن أبي بكر وعلي وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم أنهم حرقوا اللوطي بالنار، وكذلك فعل هشام بن عبد الملك في عهده.

(١) هذا الحديث من أعلام النبوة وكل ما أخبر به حاصل، أما التلاعن فهو منتشر بين

الحديث الرابع والعشرون

عن ابن عُمَرَ -رضي الله عنهما- قال: أَقْبَلَ علينا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسُ خِصَالٍ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ -وَأَعُوذُ**

الأفراد والجماعات والأحزاب الدينية والسياسية بشكل لم يعهد له مثيل من قبل.

وأما الخمور فقد شربت بكثرة فادحة حتى لا تكاد بقعة تخلو منها ويرخص ببيعها وتعاطيها كما يرخص بتعاطي الزنا جهارًا نهارًا.

وأما الحرير فقد شاع استعماله بين الناس، خصوصًا العلماء وينتحلون أعذارًا واهية مع أنه صح في الحديث: «**إنما يلبس الحرير من لا خلاق له**»، وصح في حديث آخر: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس حريرًا ولا ذهبًا**».

وصح أيضًا أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أخذ حريرًا فجعله في يمينه وذهبًا فجعله في شماله ثم قال: «**إن هذين حرام على ذكور أمتي**». وذكر العلماء أن من الأعذار المبيحة لترك إجابة الدعوة أن يكون في الوليمة حرير أو ذهب مفروش أو نحو ذلك من المنكرات.

وأما القيان -وهي المغنيات- فما أكثرهن وما أكثر من يستمع إليهن ويقدرهن حتى صرن ذوات مال وجاه.

وأما اكتفاء الرجال بالرجال فهو اللواط وهو شائع ذائع، واكتفاء النساء بالنساء هو السحاق. وجاء في حديث آخر: «**ثلاثةٌ لا تُقبَل لهم شهادة أن لا إله إلَّا الله: الراكب والمركوب، والراكبة والمركوبة، والإمام الجائر**».

وقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡ﴾ إلى قوله: ﴿سَبِيلٗا﴾ [النساء: ١٥]وارد في السحاقيات على ما قال أبو مسلم بن بحر الأصفهاني، وخالفه الجمهور.

بالله أن تُدْرِكُوهُنَّ- لم تَظْهَرْ الفاحشةُ في قومٍ قطُّ حتَّى يُعْلِنُوا بها إلَّا فَشَا فيهم الطَّاعُونُ والأوجاعُ التي لم تكن مَضَتْ في أسلافهم الذين مَضَوْا، ولم يَنْقُصُوا المكيالَ والميزانَ إلَّا أُخِذُوا بالسِّنِينَ وَشِدَّةِ المؤُونةِ وجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا القَطْرَ مِنْ السَّمَاءِ وَلَوْلَا البَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ الله وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ الله يَتَخَيَّرُوا فيما أنزلَ اللهُ إِلَّا جَعَلَ اللهُ بأسهُمْ بَيْنَهُمْ»[1]. رواه ابن ماجه وغيره. وقال الحافظ البوصيري:

---

(١) هذا أيضا من أعلام النبوة وكل ما فيه حاصل أما الفاحشة فهي اللواط وقيل الزنا ولا مانع أن يكونا مرادين وكلاهما منتشر ظاهر لا يخفى على أحد ولذا فشت الأمراض السرية التي لم تكن معروفة في أسلافنا وفشا كثير من الأوبئة أيضًا.

ونقص المكيال والميزان حاصل كما أن شدة المؤونة وجور الحكام واقعان والزكاة ممنوعة فلا يكاد يخرجها واحد في الألف ولذا نرى البلاد الإسلامية موعودة بين حين وآخر بقلة الأمطار أو قلة المحصول بسبب الآفات السماوية ولولا البهائم التي يرحمنا الله لأجلها لعمنا البلاء وفي حديث آخر: «**لولا عباد لله رُكَّع وصِبيةٌ رُضَّع وبهائم رُتَّع لصبَّ عليكم العذاب صبًّا ثم رضَّ رضًّا**».

ونقض عهد الله وعهد رسوله كناية عن التفريط في التكاليف الشرعية التي من جملتها أخذ الأهبة وإعداد العدة للدفاع عن حوزة الدين ودفع عادية الملحدين، وقد حصل بتفريطنا أن سلط علينا أعداؤنا فاحتلوا بلادنا وفعلوا بنا وبديننا ما هو مشاهد.

أما كتاب الله فقد ترك واستبدل بأحكامه قوانين وضعية فألغيت الحدود وغيرها من أحكام الشريعة وما تبقى في المحاكم الشرعية من أحكام النكاح والطلاق والمواريث تخير منه ما يليق بالعصر الحاضر في زعم أولي الأمر الذين ما فتئوا يشكلون لجانًا بين

«هذا الحديث صالح للعمل به».

الحديث الخامس والعشرون

عن أبي مالكٍ الأشعريِّ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أَرْبَعٌ في أُمَّتي مِن أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ لا يَتْرُكُونَهُنَّ: الفَخْرُ في الأَحْسَابِ، والطَّعْنُ في الأنسابِ، والاسْتِسْقَاءُ بالنُّجُومِ، والنِّياحَةُ، والنَّائِحَةُ إذا لم تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِها تُقامُ يومَ القِيامَةِ وعليها سِرْبالٌ مِن قَطِرَانٍ ودِرْعٌ مِن جَرَبٍ**».(١) رواه

حين وآخر لمنع تعدُّد الزوجات أو لتقييد الطلاق بأن يكون أمام القاضي أو وضع قانون بتطليق المسيحية من زوجها إذا أسلم كأن الإسلام عيب طرأ علىٰ الزوج أو لإدخال تعديل في المواريث التي تولىٰ الله بيانها في كتابه، وهكذا.

فلا جرم أن جعل الله بأس الأمة بينهم لتفريطهم في كتاب الله الذي وحد صفوفهم وجمع كلمتهم وأتاهم من القوانين بما فيه سعادة الدين والدنيا.

(١) الحسب: ما يعد من المآثر والمناقب، كان من عادة العرب إذا تفاخروا أن يعد كل واحد مناقبه وأفعاله الحسنة فسمي ذلك حسبًا وفي الحديث: «**تنكح المرأة لحسبها**»، أي لمآثرها وأفعالها الحميدة.

والطعن في الأنساب: معروف وحاصل. والاستقاء بالنجوم: اعتقاد أن المطر نزل بنجم كذا وهو كفر إن اعتقد تأثير النجم. صح في الحديث أن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم صلىٰ الصبح بالصحابة في غزوة الحديبية أثر مطر كان في الليل فلما انصرف أقبل علىٰ الناس فقال: «**هل تدرون ماذا قال ربكم؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**قال: أصبح من عبادي مؤمنٌ بي وكافرٌ، فأما من قال مُطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال مطرنا بِنَوْءِ كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب**».

مسلمٌ في "صحيحه".

الحديث السادس والعشرون

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فيه خَالِدًا مُخَلَّدًا فيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فيهَا أَبَدًا، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجأُ بِهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ**

والنياحة: من الكبائر العظيمة وهي منتشرة في قبائل البربر وفي مصر انتشارًا كبيرًا، وكذلك حلق الشعر عند المصيبة، أو صبغ الوجه بالنيلة، أو ضرب الوجه ولطم الخد، أو شق الثياب، أو التفوه بألفاظ تتضمن الاعتراض على الله فيما قدره وقضاه كما يصدر من العدَّادة وغيرها، أي غير ذلك من المنكرات والموبقات التي تنافي الإيمان.

فلذلك جعل الله عقاب الواحدة من هؤلاء أن يسلط عليها الجرب حتى يصير جلدها بمثابة درع من الجرب ثم يسربلها من سربال من قطران وهو النحاس المذاب ليزيد في ألمها واشتعال النار فيها ثم يؤتى بالنائحات جميعا ويجعلن في جهنم صفين صفا عن اليمين وصفا عن الشمال فينبحن على أهل النار كما تنبح الكلاب كذا جاء في الحديث.

وجاء في حديث آخر: «**لا تصلي الملائكة على نائحة ولا مرنَّة**».

ومن المحرمات العظيمة أيضا لبس السواد حزنًا على الميت وحدادًا عليه وهذا مع الأسف الشديد شائع بمصر مع أنه من عادات الكفار وأعمال الجاهلية، ودين الإسلام لا يُقر هذا ولا يعترف به ولا يجيز الحداد على ميت كائنًا من كان إلا الزوجة تحد على زوجها أربعة أشهر وعشرا، وحدادها ألا تمس طيبًا ولا تتزين، أما لبس السواد فلا.

خَالِدًا مُخَلَّدًا فيهَا أَبَدًا»[١]. رواه البخاري ومسلم.

الحديث السابع والعشرون

عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: «لَعَنَ رَسُولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم الْمُخَنَّثِينَ مِنَ الرِّجَالِ، وَالْمُتَرَجِّلَاتِ مِنَ النِّسَاءِ»[٢]. رواه البخاريُّ في "صحيحه".

الحديث الثامن والعشرون

عن جَابِرِ بن عبَدِ الله -رضي الله عنهما- عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: **«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلا يَدْخُلِ الحَمَّامَ إلا بمِئْزَرٍ، ومَن كانَ يُؤْمِنُ بالله واليومِ الآخِرِ فلا يُدْخِلْ حَلِيلَتَهُ الحَمَّامَ»**[٣].

---

(١) تكلَّمت علىٰ هذا الحديث في رسالتي "قمع الأشرار عن جريمة الانتحار" وهي مطبوعة مع "الأربعين الغمارية".

(٢) المخنث من الرجال هو الذي يتشبه بالمرأة في الكلام والمشية وغيرهما كما يفعل كثير من الشبان اليوم، يزججون حواجبهم ويبالغون في نتف شعر وجوههم حتىٰ يصيروا أنعم وجهًا من المرأة، ويتكسرون في غنائهم بكلام كله أنوثة وخلاعة، فهؤلاء ملعونون.

وكذلك المتشبهات من النساء بالرجال فإنهن ملعونات حيث خرجن عن النظام الذي خلقهن الله عليه وزاحمن الرجال في مزاولة الأعمال الخاصة بهم كما هو مشاهد لا يحتاج إلىٰ بيان.

(٣) هذا الحديث يفيد حرمة دخول المرأة الحمام وروىٰ الحاكم بإسنادٍ صحيحٍ: «الحمام حرام على نساء أمتي» لكن تستثنىٰ منه المريضة والنفساء فيجوز لهما دخول الحمام

لحديث آخر جاء فيه: «**ستفتحُ عليكم أرضُ العَجَم وستجدون فيها بيوتًا يُقال لها الحَمَّامات فلا يدخلنَّها الرِّجال إلَّا بالأُزُرِ** -جمع إزار- **وامنعوها النِّساء إلَّا مريضةً أو نُفَسَاء**». رواه أبو داود وابن ماجه.

وروى ابن حِبَّان في "صحيحه" أن عمر بن عبد العزيز منع النساء في خلافته من دخول الحمام لما بلغه الحديث بذلك. ودخل نساء من الشام على عائشة -رضي الله عنها- فقالت: أنتُنَّ اللاتي تدخلن نساؤكن الحمامات؟ سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**ما مِن امرأةٍ تَضَعُ ثِيابها في غير بيتِ زَوْجِها إلَّا هَتَكَتْ السِّتْرَ بينها وبين ربِّها**». رواه الترمذيُّ وحسَّنه.

وحصل مثل ذلك من أم سلمة -رضي الله عنها- مع نساء من أهل حمص دخلن عليها أيضًا وروت الحديث بلفظ: «**أيما امرأة نزعت ثيابها في غير بيتها خرق الله عنها ستره**».

أما الرجال فيجوز دخولهم الحمام بشرط لبس الإزار الساتر للعورة كما أفاده الحديث، وفي حديث آخر: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقعدن على مائدة يدار عليها الخمر، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بإزار، ومن كان يؤمن بالله واليوم والآخر فلا يدخل حليلته الحمام**».

وورد من طريق آخر بزيادة: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يشرب الخمر ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بامرأة ليس بينه وبينها محرم**».

أما دخوله بغير إزار فحرام لما تقدم ولحديث: «**من دخل الحمام بغير مئزر لعنه الملكان**». رواه الشيرازي.

وفي حديث رواه ابن عساكر: «**إذا كان آخر الزمان حرم فيه دخول الحمام على ذكور أمتي بمآزرها**». قالوا يا رسول الله، لما ذلك؟ قال: «**لأنهم يدخلون على قوم عراة، ألا وقد لعن الله الناظر والمنظور إليه**».

رواه النَّسائيُّ، والترمذيُّ وحسَّنه، والحاكم وصحَّحه.

الحديث التاسع والعشرون

عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**مَنْ حَالَتْ شَفَاعَتُهُ دُونَ حَدٍّ مِنْ حُدُودِ الله فَقَدْ ضَادَّ اللهَ** -عزَّ وجلَّ-، **وَمَنْ خَاصَمَ فِي بَاطِلٍ وَهُوَ يَعْلَمُ لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ الله حَتَّى يَنْزِعَ، وَمَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فيهِ أَسْكَنَهُ اللهُ رَدْغَةَ الْخَبَالِ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ، وَلَيْسَ بِخَارِجٍ**»(١). رواه أبو داود، والطبرانيُّ، والحاكمُ وصحَّحه.

وقال ابن جرير: بلغني أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم خرج فإذا هو بأجير له يغتسل عاريًا، فقال: «**لا أراك تستحي من ربك، خذ إجارتك، لا حاجة لنا بك**».

وقال الشافعي: «إذا رؤي الرجل في الحمام مكشوف العورة فلا تقبل شهادته».

وحكي أن أحمد بن حنبل قال: «كنت يومًا مع جماعة تجردوا ودخلوا الماء فاستعملت الحديث: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بمئزر**». ولم أتجرد فرأيت تلك الليلة قائلًا لي: يا أحمد، أبشر فإن الله قد غفر لك باستعمالك السنة وجعلك إمامًا. قلت: من أنت؟ قال: جبريل». ذكره القاضي عياض في "الشفا".

(١) أمر الله بإقامة الحد على من فعل ما يوجبه، ونهى عن تركه رأفة بالمحدود، فمن شفع في ترك حد فقد ضاد الله فيما أمر به، وتلك معصية كبرى، والحدود الشرعية تركت منذ زمان فلذلك كثرت الجرائم وفسدت الأخلاق، وطلب المصلحون والمتشرعون الدواء وعز عليهم وجوده، مع أن الدواء الناجع والعلاج الوحيد هو إقامة الحدود طبق ما أمر الله ورسوله لا علاج غير ذلك، وقد قال الإمام مالك: «لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها».

الحديث الثلاثون

عن أبي بَكْرَةَ -رضي الله عنه- قال: كنا عند رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**ألا أُنبِّئُكُمْ بأكبرِ الكبائرِ**-ثلاثًا- **الإشراكُ بالله، وعُقُوقُ الوالدينِ، ألا وشهادةُ الزُّورِ أو قولُ الزُّورِ**»(١). وكان مُتَّكِئًا فجَلَسَ فما زالَ يُكَرِّرُها حتَّى قلنا: ليته سَكَتَ. رواه البخاريُّ ومسلمٌ.

والحديث وإن كان واردًا في الحد فيدخل في وعيده كل من شفع في حق بعد ثبوته بالطرق المشروعة، وأما المخاصمة في الباطل مع العلم به فتحصل من كثير من المحامين حيث يترافعون في قضايا يعلمون أنها خاسرة رغبة في الحصول على المال، بل جميع المحامين الأهليين داخلون في هذا لأنهم يترافعون بقانون يعلمون أن الله لم ينزله على رسوله ويعلمون أنه مخالف لقانون الشريعة الغراء.

و«ردغة الخبال» فسرَّها حديث آخر بأنها: «عصارة أهل النار» فالويل لمن كان هذا سكناه في جهنم.

(١) الإشراك بالله هو أكبر الكبائر لا يقبل معه عمل، والعقوق تقدمت فيه أحاديث، والزور معروف، وثبت أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم صلَّى الصبح فلما انصرف قام قائمًا فقال: «**عدلت شهادة الزور الإشراك بالله** -ثلاث مرات- ثم قرأ ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾ [الحج: ٣٠ - ٣١] رواه أبو داود وغيره.

وفي حديث آخر: «**إنَّ الطيرَ لتضرب بمناقيرها وتُحرِّك أذنابها مِن هَوْلِ يومِ القِيامَةِ وما يتكلَّم به شاهِدُ الزُّور، ولا تُفارِق قدماه على الأرضِ حتَّى يُقذَف به في النَّار**». رواه الطبرانيُّ. وورد في حديثٍ آخر: «**مَن كَتَمَ شهادةً إذا دُعي إليها كان كمن شَهِدَ بالزُّور**». رواه الطبرانيُّ أيضًا.

الحديث الحادي والثلاثون

عن سعيدٍ بن أبي الحسن -وهو أخو الحسن البصري- قال: كنت جالسًا عند ابن عبَّاسٍ إذ جاءه رجلٌ فقال: يا ابن عبَّاسٍ، إنِّي رجلٌ إنَّما مَعِيشَتِي من صَنْعَةِ يَدِي، وإنِّي أَصْنَعُ هذه التَّصَاوِيرَ. فقال ابن عبَّاس: لا أُحَدِّثُكَ إلا ما سَمِعْتُ من رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، سَمِعْتُهُ يقول: «**مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فإنَّ اللهَ مُعَذِّبُهُ حتَّى يَنْفُخَ فيها الرُّوحَ وليسَ بنافِخٍ فيها أبدًا**». فَرَبا الرجلُ رَبْوَةً شَدِيدةً. فقال: ويحَكَ، إن أَبَيْتَ إلا أن تصنعَ فعليكَ بهذا الشَّجرِ وكلِّ شَيءٍ ليسَ فيه رُوحٌ(١). رواه الشيخان، واللفظ للبخاريِّ.

---

(١) رَبا الرجل: انتفخ غيظًا وغضبًا، والأحاديث في تشديد حرمة التصوير كثيرة صحيحة منها حديث: «**إنَّ أشدَّ النَّاسِ عذابًا يومَ القِيامَةِ المصوِّرون**».

وحديث: «**يخرج عُنُق** -بضم العين والنون- **من النار يوم القيامة له عينان يبصر بهما وأذنان يسمعان ولسان ينطق به يقول: إني وكلت بثلاثة: بمن جعل مع الله إلها آخر، وبكل جبار عنيد، وبالمصورين**».

وحديث: «**لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلبٌ ولا صورةٌ**». والمراد بالملائكة في هذا الحديث ونحوه ملائكة الرحمة والبركة، أما الحفظة فلا يفارقون الشخص.

وفي حديث آخر: «**إنَّ أشدَّ أهل النَّارِ عذابًا يومَ القِيامَةِ مَن قتلَ نبيًّا أو قتله نبيٌّ، وإمام جائرٌ، وهؤلاء المصوِّرون**».

إلى غير ذلك من الأحاديث التي تفيد أنَّ التصوير معصيةٌ فاحشةٌ كما قال الإمام النوويُّ نقلًا عن العلماء. قال الحافظ ابن حجرٍ العسقلاني: «والوعيد إذا حصل لصانع التصاوير فهو حاصل لمستعملها لأنها لا تصنع إلا لتستعمل فالصانع متسبب والمستعمل مباشر فيكون أولى».اهـ

وذكر العلامة الشيخ الدردير في شرحه لـ"مختصر الإمام خليل": «أن النظر إلى الصورة المحرمة حرام».اهـ

وعلى هذا يجب على الإنسان أن يغض نظره عن التماثيل المنصوبة في ميادين القاهرة وغيرها لأنها محرمة بالإجماع، والنظر إلى المحرم حرام كما قال العلامة الدردير، وذكر المالكية أن من المنكرات التي تمنع عيادة المريض وتمنع إجابة دعوة لوليمة أن يكون في البيت تماثيل أو صورة ممنوعة شرعًا أو ستائر من حرير أو ستائر نقش عليها صورة حيوانات أو كانت السقوف مثلًا مذهبة أو كان هناك لعب ممنوع،... إلخ ما ذكروه.

وذكر صاحب "المدخل": «أن الصائغ يتعين عليه ألا يعمل في صياغته شيئًا من الصور فإن ذلك محرم».اهـ

(فائدتان): الأولى: «ذكر الفاكهاني أنه سمع بعض العلماء يقول: الناس بالنسبة إلى الحساب وعدمه ثلاثة:

قسم يدخلون الجنة بلا حساب: الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع، والذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، والحمادون لله.

وقسم يدخلون النار بلا حساب: وهم الذين يؤذون الله ورسوله، والذين يتكبرون في الأرض بغير الحق، والمصورون.

وقسم اختلف فيهم: وهم المجانين والبله وأولاد اليهود والنصارى وأهل الفترات».اهـ

الثانية: الصور الفوتوغرافية لا تدخل في الوعيد المذكور ولا يشملها التحريم على ما قال شيخنا المرحوم الشيخ محمد بخيت في رسالة "الجواب الشافي في إباحة التصوير الفوتوغرافي" وبين ذلك بأن معنى التصوير لغة وشرعًا إيجاد الصورة وصنعها بعد أن لم تكن والتصوير الفوتوغرافي ليس فيه ذلك بل كل ما فيه أن الشخص حين يقف

الحديث الثاني والثلاثون

عن أبي أُمَامَةَ -رضي الله عنه- عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: **«ما مِن رَجُلٍ يَلي أَمْرَ عَشَرَةٍ فما فوقَ ذلك إلَّا أَتَى اللهَ عزَّ وجلَّ مَغْلُولًا يَوْمَ القِيامَةِ يَدُهُ إلى عُنُقِهِ، فَكَّهُ بِرُّهُ أو أَوْثَقَهُ إِثْمُهُ، أَوَّلُها[1] مَلَامَةٌ، وأَوْسَطُهَا نَدَامَةٌ،**

أمام عدسة الآلة ينعكس ظله فيها كما ينعكس في المرآة فتحبس الآلة ذلك الظل بحيث لا يذهب بذهاب الشخص فالآلة الفوتوغرافية لم تصنع صورة وإنما حبست ظلًا مخلوقًا لله تعالى.

وإني أميل إلى هذا الاستنباط منه وإن نازعه فيه بعض أفاضل العلماء عندنا بالمغرب وألف في نقضه رسالة خاصة اطلع عليها الشيخ بخيت لكن لا أدري ماذا قال عنها، على أن الورع يقتضي اجتنابها إلا لضرورة، وأذكر أن مولانا السيد الإمام الوالد رضي الله عنه ما أخذ لنفسه صورة فوتوغرافية قط حتى أنه لما دعي لحضور مؤتمر الخلافة بالقاهرة وطلب جواز سفر من غير صورة توقفت الحكومة عن إجابته إلا بالصورة وأصر على الامتناع ورفع الأمر للمقيمية العامة بعاصمة المغرب رباط الفرح فرخص له بصفة استثنائية أن يحمل جوازًا من غير صورة في جميع أسفاره وكان مع هذا لا يمنعنا من أخذ صورنا لسفر أو غيره من المقتضيات، وكذلك السيد محمد بن جعفر الكتاني لم يأخذ صورة قط ولم ينه أولاده عنها، وقد كان والدي وهذا السيد الجليل مع تبحرهما في العلوم وسعة حفظهما للحديث وكثرة اطلاعهما، منقطعي النظير في الورع واتباع السنة بحيث لم أر عالمًا يدانيهما، ولهما كرامات كثيرة رحمهما الله ورضي عنهما.

(١) يعني الولاية على الناس، وثبت عن عوف بن مالك أن النبي -صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: **«إن شئتم أنبأتكم عن الإمارة وما هي»** فناديت بأعلى صوتي: وما هي يا

رسول الله؟ قال: «**أولها ملامة، وثانيها ندامة، وثالثها عذاب يوم القيامة إلا من عدل وكيف يعدل مع قريبه؟!**».

وورد في حديث عن المقدام بن معدي كرب أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ضرب على منكبيه ثم قال: «**أفلحت يا قديم** -بضم القاف وفتح الدال- **إن مت ولم تكن أميرًا ولا كاتبًا ولا عريفًا**». رواه أبو داود.

العريف: في اللغة بمعنى العمدة أو شيخ البلد، وثبت في الحديث: «**يدعى القاضي العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب ما يتمنى أنه لم يقض بين اثنين في عمره قط**». وطلب حمزة من النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أن يجعله على عمل يعيش به فقال له: «**يا حمزة نفس تحييها أحب إليك أم نفس تميتها؟**» قال حمزة: نفس أحييها. قال عليه الصلاة والسلام: «**عليك نفسك**».

وقال عليه الصلاة والسلام لأبي ذر: «**يا أبا ذر إني أراك ضعيفًا، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تؤمرن على اثنين، ولا تَلِيَنَّ مال يتيم**».

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة تفيد أن حساب الحكام والقضاة والولاة وعذابهم عند الله شديد، إلا من عدل وبر وقليل من يعدل ثم هو في خطر.

ورد عن العباس قال: كان عمر رضي الله عنه لي خليلًا، ولما توفي لبثت حولًا أدعو الله أن يريني في المنام، فرأيته على رأس الحول يمسح العرق عن جبهته قلت: يا أمير المؤمنين ما فعل بك ربك؟ قال: هذا أوان فرغت وإن كاد عرشي ليهد لولا أني لقيت ربي رؤفًا رحيمًا. رواه الإمام أحمد في "الزهد".

وجاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: ما كان شيء أعلمه أحب إلي أن أعلمه من أمر عمر، فرأيت في المنام قصرًا، فقلت: لمن هذا؟ قالوا: لعمر. فخرج من القصر عليه ملحفة كأنه قد اغتسل فقلت: كيف صنعت؟ قال: خيرًا، كاد عرشي يهوي بي

وآخِرُهَا خِزْيٌ يومَ القِيَامَةِ». رواه أحمد بإسنادٍ جيِّدٍ.

الحديث الثالث والثلاثون

عن عبد الرَّحمنِ بن شِبْلٍ -رضي الله عنه- قال: سَمِعْتُ رسُولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقولُ: «إِنَّ التُّجَّارَ هُمُ الْفُجَّارُ». قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، أَلَيْسَ اللهُ قَدْ أَحَلَّ الْبَيْعَ؟! قَالَ: «بَلَى، وَلَكِنَّهُمْ يَحْلِفُونَ فَيَأْثَمُونَ وَيُحَدِّثُونَ فَيَكْذِبُونَ»(١). رواه أحمدُ، والحاكمُ وصححه.

الحديث الرابع والثلاثون

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «مَنْ أَتَى حَائِضًا أَوِ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ ،كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى

لولا أني لقيت ربي غفورًا. قلت: كيف صنعت؟ قال متى فارقتكم؟ قلت: منذ اثنتي عشرة سنة. قال: الآن انفلتُّ من الحساب.

والمقصود: أن مسئولية الحكام والولاة عند الله شديدة، وكيف لا وقد تولوا شئون العباد، وأمروا أن يسووا بينهم في إقامة الحق ورفع الظلم؟.

(١) أما الحلف فتقدمت أحاديث تفيد النهي عنه ولو كان الحالف صادقًا، وفي القرآن الكريم: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٤] والحلف بغير الله أشد حرمة وإثمًا لحديث صحيح: «من حلف بغير الله فقد أشرك». والتجار يكثرون الحلف بالله وبغيره كشرف أبائهم وحياة أعينهم ونحو ذلك، ويحلفون بالطلاق وقد يكونون كاذبين فيعيشون مع زوجاتهم في الحرام وهم لا يشعرون.

من أجل ذلك مع ما جاء في الكذب من لعن صاحبه ونفي الإيمان عنه كما في القرآن سماهم النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: فُجَّارًا، فهل من التجار من يتعظ أو ينزجر؟

مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم». رواه أحمد والأربعة[١].

---

(١) هذه رواية غير أبي داود، ورواية أبي داود: «**فقد برئ مما أنزل على محمد**».

والحديث يفيد أن هذه الثلاثة من الكبائر العظيمة وهي كذلك، أما الحائض فلأن الحيض أذىٰ كما قال تعالىٰ: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ وهو محل الحرث كما جاء في بقية الآية: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٢-٢٢٣] فمن عدل عما أمره الله به وأحله له إلىٰ ما نهاه عنه كان -مع شذوذه ومخالفته- مستحقًا للعنة الله مستهدفًا لغضبه يوم القيامة كما جاءت بذلك أحاديث.

منها حديث: «**لعن الله الذين يأتون النساء في محاشهن**». أي أدبارهن. رواه الطبراني وإسناده لا بأس به.

وحديث: «**لا ينظر الله عز وجل إلى رجل أتى رجلًا، أو امرأة في دبرها**». رواه الترمذي، والنسائي، وصححه ابن حِبَّان.

وأما الكاهن: فهو الذي يخبر ببعض المضمرات فيخطئ في أكثرها، ومثل الكهانة العرافة، وهي ادعاء معرفة الأمور المجهولة بمقدمات وأسباب، كمعرفة الأشياء المسروقة ونحوها بمندل مثلًا والطَّرْق -بفتح الطاء وسكون الراء- وهو الضرب بالحصىٰ أو الودع، والعيافة وهي الكتابة لاستخراج الضمير كالطالع مثلًا وكل ما له تعلق بذلك فهو حرام شديد الحرمة لأنه تهجم علىٰ ما اختص الله به، قال تعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]. وورد في الحديث: «**مَن أتى كاهِنًا فسأله عن شيءٍ حُجبت عنه التوبة أربعين ليلة، فإن صدَّقه بما قال كفر**».

وفي حديث آخر: «**لن ينال الدَّرجات العُلَى مَن تكَهَّن أو اسْتَقْسَم أو رجع من سفر تطيرًا**». الاستقسام: طلب معرفة ما قسم له، كان من عادة الجاهليين إذا أراد أحدهم

الحديث الخامس والثلاثون

عن أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَنْ لَعِبَ بِنَرْدٍ أَوْ نَرْدَشِيرٍ فَقَدْ عَصَى اللهَ وَرَسُولَهُ**»(١). رواه

سفرًا أو شيئًا غيره عمد إلى ثلاثة أقداح صغيرة -تسمى الأزلام- مكتوب على أحدها: أمرني ربي، وعلى الثاني: نهاني ربي، والثالث: خال من الكتابة. فإن خرج الأمر مضى لشأنه، وإن خرج النهي رجع، وإن خرج الخالي أعاد الاستقسام.

وفي الحديث الآخر: «**العيافة والطيرة والطرق من الجبت**». رواه أبو داود، وصححه ابن حِبَّان. الجبت: كل ما عبد من دون الله. وفي "صحيح مسلم": «**من أتى عرافًا فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يومًا**» والأحاديث في هذا المعنى كثير.

(تنبيه): من باب الاستقسام بالأزلام قرعة الأنبياء وقرعة الطيور، نص عليه الشيخ زروق في "عدة المريد الصادق"، وكذلك أخذ الفأل من المصحف قال العلامة ابن عرضون الغماري:

وَقُرْعَةُ النِّساءِ والرِّجالِ ... وأَخْذُ مُصْحَفٍ لأجلِ الفَالِ
والخطَّ والجزم الصغير والكبير ... مِن الكَهَانَةِ ووِزْرُهُم كبيرُ
وما به اكتسبه حرامُ ... نَصَّ على ذا كُلِّهِ الأعلامُ
وكُلَّ مَن يَسْمَعُ كاهِنًا فقد ... عَصَى إلَهَهُ ودِينَهُ فقَدْ
لا يَعْلَمُ الغيبَ سِوى الله العظيم ... سُبحانه جَلَّ إلهنا العَلِيم

وما أشار إليه من حرمة الكسب بهذه الأشياء ثبت في الحديث الصحيح وهو مجمع عليه، وممن نصَّ على حرمة أخذ الفأل من المصحف العلامة الطرطوشي، نقله عنه الإمام القرافي في "الذخيرة".

(١) النرد أو النردشير هو الطاولة، ولعبها حرام مطلقًا سواء أكان على نقود أم لا،

الإمام مالك، والإمام أحمد بن حنبلٍ.

الحديث السادس والثلاثون

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لُعِنَتْ الوَاصِلَةُ وَالْمُسْتَوْصِلَةُ وَالنَّامِصَةُ

للحديث المذكور وهو عام، وفي حديث آخر: «**لا يقلب أحد كعابها ينتظر ما تأتي به إلا عصى الله ورسوله**».

وقرأت في نسخة أبي مسهر عبد الأعلى بن مسهر، ويحيى بن صالح الوحاظي، من حديث عبد الله بن عمرو، عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**اللاعب بالنرد قمارًا كآكل لحم خنزير، واللاعب به بغير قمار كالمدهن بشحمه**».

وقد نص على تحريمه الإمام الشافعي، بل نقل القرطبي في "شرح مسلم" اتفاق العلماء عليه، وصرح الماوردي والروياني وغير واحد أن لاعبه يفسق وترد شهادته.

ويلحق به في التحريم كل لعب ينبني على الزهر والحظ كورق الكوتشينة -واسمها الكنجفة- ونحوها.

أما ما يعتمد فيه على الفكر ففيه خلاف بين العلماء، فمن ذلك الشطرنج حرمه مالك وأبو حنيفة وأحمد بن حنبل وحكموا برد شهادة لاعبه إن أدامه، وكرهه الشافعي كراهة تنزيه، وكان سعيد بن جبير والشعبي وهشام بن عروة يلعبون به.

وشرط اللعب به عند من أباحه أن لا يؤدي إلى إخراج الصلاة عن وقتها، وألا يكون فيه قمار، وأن يجتنب فيه فحش اللسان، وألا تكون بيادقه فيها صور فيل أو فرس. فإن اختل شرط من هذه حرم بالإجماع، وفي الشطرنج وغيره أبحاث كثيرة تنظر في كتاب "كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع" وقال المساري في منظومته في آداب الطلبة:

والضـــام دعهـــا للعـــوام تُـــبرِّزُ ولعـــب الشـــطرنجِ قـــد يُجـــوَّزُ

وينظر شرح المنظومة للبلغيثي وهو مطبوع.

وَالْمُتَنَمِّصَةُ وَالوَاشِمَةُ وَالْمُسْتَوْشِمَةُ مِنْ غَيْرِ دَاءٍ(١). رواه أبو داود.

---

(١) في حديث البخاري ومسلم: لعن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة. وعن ابن مسعود قال: لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله. فقالت له امرأة في ذلك فقال: ومالي لا ألعن من لعنه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وهو في كتاب الله، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧] رواه الشيخان. وجاء في حديث آخر: «**لعن الواشرة والمستوشرة**».

الواصلة: هي التي تصل الشعر الصناعي بشعر النساء، **والمستوصلة**: هي المعمول بها ذلك، **والنامصة**: هي التي تنتف شعر الوجه وترقق الحاجب، **والمتنمصة**: المعمول بها ذلك. والتنمص للرجل أشد حرمة من المرأة. **والواشمة**: هي التي تجرح البدن نقطًا وخطوطًا فإذا جرى الدم حشته كحلًا أو نحوه على شكل خيلان وصور تتزين به المرأة للرجل والرجل للمرأة، والمستوشمة المعمول بها ذلك.

قال ابن العربي: ورجال صقلية وإفريقية يفعلون الوشم ليدل كل واحد منهم على رجولته في حداثته.

قلت: لا يزال الوشم شائعًا عند أهل تافيلات وقبائل البربر لكن بين النساء غالبًا أما في مصر فلا يزال شائعًا بين كثير من الرجال والنساء من الطبقة الجاهلة.

والمتفلجة: هي التي تجعل بين الأسنان فلجة أي انفراجًا خفيفًا، **والواشرة**: هي التي تحد أسنانها بمبرد مثلًا، **والمستوشرة**: هي التي تطلب ذلك.

فكل هذه الأشياء محرمة ملعون فاعلها لأنها تبديل لخلق الله وهي داخلة في قول الله تعالى: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١١٩] كما قال الحسن، وفيها أيضًا غش وتغرير وتلبس بالزور.

الحديث السابع والثلاثون

عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يَكُونُ قَوْمٌ يُخَضِّبُونَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ بِالسَّوَادِ كَحَوَاصِلِ الحَمَامِ لا يَرِيحُونَ رَائِحَةَ الجَنَّةِ**»(١). رواه أبو داود والنَّسائيُّ، وصحَّحه ابن حِبَّان والحاكمُ.

أما القرامل -جمع قَرْمل، بفتح القاف وسكون الراء- أصله نبات طويل الفروع لين، والمراد به هنا خيوط من حرير أو صوف تصل به المرأة شعرها -فهي جائزة- لأنه ليس فيها تغرير -كما قال الخطابي- ولا تغيير لخلق الله.

وقوله في الحديث: «**من غير داء**» عائد إلى الوشم، يعني أنها ذا صنعت الوشم من داء -كأن كان بجسدها جراح فداوتها فنشأ عنها وشم- فلا شيء عليها. أما الوصل والنمص والوشر فلا تحل مطلقًا كما في الحديث الصحيح. وأجازها بعض العلماء إن أذن الزوج بها لانتفاء التدليس حينئذ.

(تنبيه): الموضع الموشوم من اليدين نجس لأن الدم انحبس فيه وتجب إزالة الوشم ولو بالجرح إلا إن خاف تلفًا أو شينًا أو فوات منفعة عضو فيجوز إبقاؤه وتكفي التوبة في سقوط الإثم ويستوي في ذلك الرجل والمرأة. قاله الحافظ ابن حجر.

(١) وفي حديث آخر سنده لين عن أبي الدرداء مرفوعًا: «**من خضب بالسواد سود الله وجهه يوم القيامة**». فالخضاب بالسواد حرام لأنه تدليس وغرور، ورخص فيه بعض العلماء في حالة الجهاد.

قال الحافظ ابن حجر: «ومنهم من رخص فيه مطلقًا، وأن الأولى كراهته وجنح النووي إلى أنها كراهة تحريم، وقد رخص فيه طائفة من السلف واختاره ابن أبي عاصم في كتاب "الخضاب" له. ومنهم من فرق بين الرجل والمرأة فأجازه لها دون الرجل واختاره الحليمي، لكن الحديث يرد كل هذه الأقوال.

الحديث الثامن والثلاثون

عن أبي موسىٰ، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**أَيُّما امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ عَلَى قَوْمٍ لِيَجِدُوا رِيحَهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ، وَكُلُّ عَيْنٍ زَانِيَةٌ**». رواه ابن خُزَيمةَ وابن حِبَّان والحاكم بإسناد صحيح،وهو في السنن(١).

الحديث التاسع والثلاثون

عن ثَوْبَانَ -رضي الله عنه- عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا طَلَاقَهَا مِنْ غَيْرِ مَا بَأْسٍ، فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الجَنَّةِ**»(٢). رواه أبو داود وابن ماجه، والترمذيُّ وحسَّنه، وصحَّحه ابن حِبَّان.

ثم هذا في خضب الشعر أما خضب اليدين والرجلين فهو حرام علىٰ الرجل إلا لضرورة.

(فائدة): أول من خضب بالسواد مطلقًا فرعون، وأول من خضب به من العرب عبد المطلب. قاله الحافظ ابن حجر.

(١) يعني "سنن أبي داود" و"الترمذي"، ولفظ الحديث عندهما: «**كل عين زانية والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا**». يعني زانية. قال الترمذي: «حسن صحيح». والأحاديث في هذا كثيرة، والحكمة فيها ظاهرة، والعين زناها النظر كما صح في الحديث، فإن كان عن قصد أو استدامة أَثِمَ الناظر، وإلا فلا.

(٢) فسؤال المرأة الطلاق من غير سبب معصية كبيرة لأنه يؤدي إلىٰ انفصام عرىٰ الزوجية مع أن أبغض الحلال إلىٰ الله الطلاق، وقد يكون بينهما أولاد فيشتد الإثم وتعظم المصيبة.

الحديث الأربعون

عن أبي هريرة: أنَّ رَسُولَ اللهِ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لَعَنَ زَوَّارَاتِ القُبُورِ(١).

رواه ابن ماجه، والترمذيُّ وابن حِبَّان وصحَّحاه.

---

(١) وفي حديث آخر: لعن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج.

صحَّحه الترمذيُّ وابن حِبَّان، وفي سنده مقال.

وورد أن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عاد من جنازة بعد دفنها فلما وصل إلىٰ داره وقف بالباب فرأىٰ امرأة مقبلة فإذا هي فاطمة -عليها السلام- فقال: «**يا فاطمة ما أخرجك من بيتك؟**». قالت: أتيت يا رسول الله أهل هذا الميت فرحمت إليهم ميتهم أو عزيتهم به. فقال: «**لعلك بلغت معهم الكُدَا**». بضم الكاف وفتح الدال: المقابر. قالت: معاذ الله وقد سمعتك تذكر فيها ما تذكر. قال: «**لو بلغت معهم الكدا ما رأيت الجنة حتى يراها جد أبيك**».

وقد اختلفت الأحاديث في هذا المعنىٰ واختلف العلماء بسببها فمن قائل بكراهة التحريم ومن قائل بكراهة التنزيه، والتحقيق المستخلص من كلام القرطبي أن زيارة القبور للمرأة جائزة بشرط ألا تكثر منها فإن أكثرت كانت ملعونة لأنها حينئذ تكثر التبرج والتزين وتضيع حق بيتها وزوجها وبشرط أن تؤمن الفتنة وأن يأذن الزوج، أما زيارة النساء علىٰ الشكل المشاهد اليوم فهي حرام باتفاق المذاهب، وكذلك لا يجوز للنساء أن يخرجن في تشييع الجنازة كما يفعلن اليوم فإنه منكر لا يرضى به الله ولا رسوله ولا المؤمنون.

الحديث الحادي والأربعون

عن المُغِيرَةِ بن شُعْبَةَ، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إِنَّ الله حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الأُمَّهَاتِ، وَوَأْدَ البَنَاتِ، وَمَنْعَ وَهَاتِ، وَكَرِهَ لَكُم قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ المَالِ**»(١). رواه البخاريُّ ومسلمٌ.

---

(١) العقوق: تقدم الكلام عليه، وخصت الأمهات في هذا الحديث بالذكر تنبيهًا على عظم موقعهن لما لهن من مزيد الشفقة وكبير العناية.

ووأد البنات دفنهن بالحياة وهي عادة ذميمة جاهلية قطعها الله بالإسلام.

يقال أول من فعل الوأد قيس بن عاصم التميمي، وكان بعض أعدائه أغار عليه فأسر بنته فاتخذها لنفسه، ثم حصل بينهم صلح فخيَّر بنته فاختارت زوجها. فآلى قيس على نفسه ألا تولد بنت إلا دفنها حية فتبعه العرب في ذلك. قاله الحافظ.

قوله: «**ومنع وهات**»، في رواية للبخاري «**ومنعًا وهات**» فـ«منع» في الروايتين بسكون النون، مصدر. و«هات»: مبني على الكسر، فعل أمر من الإيتاء. قال الخليل: أصله «آت» قُلِبت الألف هاء، والمعنى أن الله حرَّم على الإنسان أن يمنع ما أمر بإعطائه كزكاة مثلًا، ويطلب ما لا يستحق أخذه من مال ليس له فيه حق.

قوله: «**وكره لكم قيل وقال**»: هما فعلان محكيان بلفظهما، والمراد بذلك حكاية كلام الناس بقال فلان كذا وقيل كذا، وهو مذموم حتى في المسائل الدينية إن كثر بحيث لا يؤمن معه الزلل في فتوى مثلًا. وفي الحديث الصحيح: «**كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما سمع**».

قوله: «**وكثرة السؤال**»: هو أيضًا مما كرهه الله ونهى عنه سواء أكان في المال أم في المسائل العلمية أم في غير ذلك، فالسؤال في ذلك كله مذموم لا يرخص فيه إلا لحاجة ملحة تدعو إليه. وقد صحت أحاديث في النهي عن سؤال الناس والتشديد

الحديث الثاني والأربعون

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ؟». قَالُوا: الْمُفْلِسُ فينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِن أُمَّتِى يَأتِى يَومَ القِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأتِى قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِن حَسَنَاتِهِ فَإِن فَنِيَت حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَن يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِن خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَت عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»(١). رواه مسلمٌ في "صحيحه".

فيه تشديدًا كبيرًا، كما ثبت أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نهى عن الأغلوطات وهي المسائل التي يغالط بها كالألغاز والمعميات. قال الحافظ: «وثبت عن جمع من السلف كراهة تكلف المسائل التي يستحيل وقوعها عادة أو يندر جدًا لما في ذلك من التنطع والقول بالظن».اهـ

«وإضاعة المال»: إنفاقه في غير وجهه المأذون فيه شرعًا، واختلف العلماء في حد الإنفاق الفاصل بين الإسراف وغيره واختلفت آراؤهم بسبب اختلاف ظواهر النصوص، ومن أحسن من تكلم في ذلك تقي الدين السبكي حيث قال في "الحلبيات": «الضابط في إضاعة المال ألا يكون لغرض ديني أو دنيوي فإن انتفيا حرم قطعًا وإن وجد أحدهما وجودًا له بال وكان الإنفاق لائقًا بالحال ولا معصية فيه جاز قطعًا وبين الرتبتين وسائط كثيرة لاتدخل تحت ضابط...إلخ ما قال»، فليراجع كلامه. ولينظر "فتح الباري" للحافظ.

(فائدة): قال الطيبي: هذا الحديث أصل في معرفة حسن الخلق وهو تتبع جميع الأخلاق الحميدة والخلال الجميلة.

(١) قال الإمام النووي رضي الله عنه: معنى الحديث أن هذا حقيقة المفلس وأما من ليس

الحديث الثالث والأربعون

عن أَسْماءَ بنت عُمَيسٍ قالت: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**بِئْسَ العَبْدُ عَبْدٌ تَجَبَّرَ وَاعْتَدَى وَنَسِيَ الجَبَّارَ الأَعْلَى، بِئْسَ العَبْدُ عَبْدٌ تَخَيَّلَ وَاخْتَالَ وَنَسِيَ الكَبِيرَ المُتَعَالِ، بِئْسَ العَبْدُ عَبْدٌ بَغَى وَعَتَى وَنَسِيَ المَبْدأَ وَالمُنْتَهَى، بِئْسَ العَبْدُ عَبْدٌ يَخْتِلُ الدُّنْيَا بِالدِّينِ، بِئْسَ العَبْدُ عَبْدٌ يَخْتِلُ الدنيا بِالشُّبُهَاتِ، بِئْسَ العَبْدُ عَبْدٌ طَمَعٌ يَقودُهُ، بِئْسَ العَبْدُ عَبْدٌ هَوًى يُضِلُّهُ، بِئْسَ العَبْدُ عَبْدٌ تُزِيلُهُ الرَّغْبَةُ عَنِ الحَقِّ**»(١). رواه الترمذيُّ والخطيب في "الكفاية" واللفظ له.

له مال ومن قل ماله فالناس يسمونه مفلسًا وليس هو حقيقة المفلس لأن هذا أمر يزول وينقطع بموته وربما ينقطع بيسار يحصل له بعد ذلك في حياته، وإنما حقيقة المفلس هو المذكور في الحديث فهو الهالك الهلاك التام والمعدوم الإعدام المفظع فتؤخذ حسناته لغرمائه فإذا فرغت حسناته أخذ من سيئاتهم فوضع عليه ثم ألقي في النار فتمت خسارته وهلاكه وإفلاسه».اهـ

(١) بئس: كلمة ذم وتقبيح، والحديث يحذر من جملة خصال ذميمة لا يليق بالمؤمن أن يتصف بشيء منها.

إحداها: التجبر والاعتداء على الناس.

ثانيتها: أن يتخيل في نفسه فضلًا على غيره ويختال ويتكبر.

ثالثتها: أن يبغي ويجاوز الحد في بغيه وظلمه.

رابعتها: أن يطلب الدنيا بالدين بأن يجعل المظاهر الدينية شَركًا لاقتناص المال.

كحال أغلب مشايخ الطرق وأغلب الجمعيات الدينية التي اتخذ أصحابها الدين وسيلة لكسب المال والحصول على الرياسة والجاه.

خامستها: أن يطلب الدنيا بارتكاب الشبهات التي هي سد بينه وبين الحرام وذلك

الحديث الرابع والأربعون

عن مُعَاذِ بن جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: أَخَذَ بِيَدِي رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم فَمَشَى قليلًا ثم قَالَ: «يَا مُعَاذُ، أُوصِيكَ بِتَقْوَى الله، وَصِدْقِ الحَدِيثِ، وَوَفَاءِ العَهْدِ، وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ، وَتَرْكِ الخِيَانَةِ، وَرَحْمِ اليَتِيمِ، وَحِفْظِ الجِوَارِ، وَكَظْمِ الغَيْظِ، وَلِينِ الكَلامِ، وَبَذْلِ السَّلامِ، وَلُزُومِ الإِمَامِ، وَالتَّفَقُّهِ فِي القُرْآنِ، وَحُبِّ الآخِرَةِ، وَالجَزَعِ مِنَ الحِسَابِ، وَقِصَرِ الأَمَلِ، وَحُسْنِ العَمَلِ، وَأَنْهَاكَ أَنْ تَشْتُمَ مُسْلِمًا، أَوْ تُصَدِّقَ كَاذِبًا، أَوْ تُكَذِّبَ صَادِقًا، أَوْ تَعْصِي إِمَامًا عَادِلا، وَأَنْ تُفْسِدَ فِي الأَرْضِ، يَا مُعَاذُ، اذْكُرِ الله عِنْدَ كُلِّ شَجَرٍ وَحَجَرٍ، وَأَحْدِثْ لِكُلِّ ذَنْبٍ تَوْبَةً، السِّرُّ بِالسِّرِّ، وَالعَلانِيَةُ بِالعَلانِيَةِ»(١). رواه البيهقيُّ في كتاب "الزهد".

يوقعه في الحرام لا محالة كما جاء في الحديث الآخر: «فمن ترك الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام».

سادستها: أن يكون تابع طمعه فيقوده إلى الذل والهوان.

سابعتها: أن يكون متبع هواه فيضله ويرديه.

ثامنتها: أن يعدل عن قول الحق أو يترك عمل الحق رغبة في الحصول على مصلحة يريدها من أحد، ويخاف إن هو قال الحق أن تضيع عليه تلك المصلحة.

فهذه مجامع خصال الذم وجوامع خلال اللؤم، حذر منها هذا الحديث الشريف، فما أجدره بالحفظ والدرس.

(١) هذا الحديث جمع خصالًا من الخير وجملة من مكارم الأخلاق فهو من الوصايا الجامعة، والتقوى كلمة جامعة لكل ما يُتقى به غضب الله من فعل طاعته واجتناب معصيته، وصدق الحديث أشرف الخصال أمر الله به ورسوله، بل لا قيمة للمرء إذا لم يكن صادق الحديث. ووفاء العهد وآداء الأمانة وترك الخيانة ورحم اليتيم أي رحمته

الحديث الخامس والأربعون

وحفظ الجوار وكظم الغيظ ولين الكلام، هذه الخصال تَطَابق على مدحها الشرع والعقل، وحض الله عليها في غير ما آية من القرآن العظيم، وكان العرب في جاهليتهم يحافظون عليها ويفتخرون بفعلها.

ولزوم إمام المسلمين وخليفتهم أمر يوجبه الدين ولو كان الإمام جائرًا لأن في الخروج عليه تفريقًا لكلمة المسلمين وتشتيتًا لوحدتهم فيصبحوا لقمة سائغة كما حصل وشوهد.

والتفقه في القرآن أمر واجب متعين بقدر ما تدعوا إليه حاجة المتفقه لأن القرآن قانون سماوي دائم فيه حكم الفرد ونظام الأسرة وسياسة الدولة وسعادة الدنيا والآخرة، ويجب أن يكون التفقه في القرآن طبق القواعد الشرعية المقررة لا على حسب مقتضى الهوى كما يفعل مبتدعة هذا العصر.

وحب الآخرة يقتضي بغض الدنيا وإخراجها من القلب.

والجزع، أي الخوف من الحساب، يقتضي ترك المحرمات جملة.

وقصر الأمل يقتضي الإقلال من الدنيا وترك زخرفها، وحسن العمل شامل لكل خير. والفساد في الأرض يشمل اللصوصية وقطع الطريق والتعرض للناس بما يؤذيهم.

وذكر الله مطلوب في كل موطن لأن المواطن تشهد للذاكر فيها وتشهد على من عصى الله فيها كما ورد.

والتوبة واجبة عقب حصول الذنب فورًا لا عذر في تأخيرها، وينبغي أن تكون مطابقة للذنب المتاب منه إن كان سرًا كانت سرًا أو علانية فعلانية.

وشرح هذا الحديث الجامع يقتضي كتابًا مستقلًا لأنه مشتمل على مسائل تستدعي بحوثًا واسعة، وأرجو أن يوفقني الله لذلك في المستقبل.

عن رَكْبٍ المِصْرِيِّ قال: قال رسول الله صلىٰ اللهُ عليه وسلم: «**طُوبَى لِمَنْ تَوَاضَعَ فِي غَيْرِ مَنْقَصَةٍ، وَذَلَّ فِي نَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ، وَأَنْفَقَ مَالًا جَمَعَهُ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، وَرَحِمَ أَهْلَ الذُّلِّ والمَسْكَنَةِ، وَخَالَطَ أَهْلَ الفِقْهِ وَالحِكْمَةِ، طُوبَى لِمَنْ طَابَ كَسْبُهُ، وَصَلَحَتْ سَرِيرَتُهُ، وَكَرُمَتْ عَلَانِيَتُهُ، وَعَزَلَ عَنِ النَّاسِ شَرَّهُ، طُوبَى لِمَنْ عَمِلَ بِعِلْمِهِ، وَأَنْفَقَ الفَضْلَ مِنْ مَالِهِ، وَأَمْسَكَ الفَضْلَ مِنْ قَوْلِهِ**»[1].

---

(١) قال الحافظ ابن عبد البر: «في هذا الحديث آداب وحض علىٰ خصال من الخير والحكمة والعلم».اهـ وراويه ركب المصري كندي مختلف في صحبته.

وطوبىٰ: كلمة مدح معناها طيب عيش وراحة وحسن وخير.

والتواضع: خلق ممدوح مطلوب لكن بشرط أن يكون في غير منقصة بألا يضع نفسه في مكان يزري به وكثيرًا ما يشتبه التواضع بالضعة والعزة بالكبر، والضعة والكبر مذمومان قبيحان والتواضع هو الحد الفاصل بينهما.

والذلة في غير مسكنة: هي ألا يكون حاله يستجلب عطف الناس عليه ويستدر صدقاتهم كما يفعل كثير من الناس بدعوىٰ الزهد أو الخضوع لله وما هي إلا حيلة لجلب الأموال. وإنفاق المال في غير معصية: صرفه في وجوه الطاعات والمباحات.

وأهل الفقه هم أهل العلم والفهم عن الله.

والحكمة: الإصابة في القول والعمل.

وطيب الكسب: كون المال من حلال ليس فيه ربًا ولا غش ولا غير ذلك.

وصلاح السريرة: صفاء الباطن من الضغائن والأحقاد والعيوب. وكرم العلانية ظهور أنوار السريرة علىٰ الجوارح الظاهرة فتحصل عنها أفعال كريمة. وعزل الشر عن الناس علامة المسلم الكامل كما في الحديث الآخر: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**».

رواه البخاريُّ في "التاريخ" والباوردي وابن شاهين والبَغَويُّ والطبرانيُّ واللفظ له.

الحديث السادس والأربعون

عن ابن عبَّاس -رضي الله عنهما- قال: قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**النَّادِمُ يَنْتَظِرُ مِنَ الله الرَّحْمَةَ، وَالمُعْجَبُ يَنْتَظِرُ المَقْتَ، وَاعْلَمُوا عِبَادَ الله أَنَّ كُلَّ عَامِلٍ سَيَقْدُمُ عَلَى عَمَلِهِ، وَلَا يَخْرُجُ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى يَرَى حُسْنَ عَمَلِهِ وَسُوءَ عَمَلِهِ وَإِنَّمَا الأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا، وَاللَّيْلُ وَالنَّهَارُ مَطِيَّتَانِ فَأَحْسِنُوا السَّيْرَ عَلَيْهِمَا إِلَى الآخِرَةِ، وَاحْذَرُوا التَّسْوِيفَ فَإِنَّ المَوْتَ يَأْتِي بَغْتَةً، وَلَا يَغْتَرَّنَّ أَحَدُكُمْ بِحِلْمِ اللهِ عزَّ وجلَّ فَإِنَّ الجَنَّةَ وَالنَّارَ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ**»(١). ثُمَّ

والعمل بالعلم: فرض لازم، وأشد الناس عذابًا يوم القيامة عالم لم يعمل بعلمه.

وإنفاق الفضل من المال: هو التصدق بما زاد عن الحاجة.

وإمساك الفضل من القول: كناية عن إمساك اللسان وتقليل الكلام فيما لا يعني لأن من كثر كلامه كثر سقطه.

(١) إعجاب المرء بنفسه يحمله على استحسان ما يفعله فيقدم على المعاصي مستحسنًا لها معجبًا بها فيقع في مقت الله عياذًا بالله تعالى ولا كذلك النادم الذي يشعر بخطأه ويعترف بذنبه فيندم على ما فرط منه ويعزم على ألا يعود إليه فإن هذا ينظر الله إليه بعين الرحمة والقبول ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: ٢٥].

والندم شرط أساسي في التوبة لا تقبل بدونه، ولذا صح في الحديث: «**الندم توبة**».

وليس من التوبة في شيء ما شاع عند الناس من قولهم للشيخ في آخر الدرس مثلًا:

قَرَأَ رَسُولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨]. رواه أبو القاسم الأَصْبَهانيُّ.

توَّبْنَا، فيتوبهم الشيخ بألفاظ محفوظة تتلىٰ. فإن هذا العمل مكروه أشد الكراهة لأنهم يتلون ذلك الاستغفار وهم غير مقلعين ولا مستحضرين معنىٰ الإقلاع وعدم العود، بل قد يكون فيهم من هو علىٰ موعد لتنفيذ معصية بعد حضور الدرس فيصدق عليه قوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم. «**والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه**». رواه البيهقي وابن عساكر ورجَّح وقفه علىٰ ابن عباس، والله سبحانه وتعالىٰ أعلم.

تمَّت التعليقات والحمد لله ربِّ العالمين.

٤ - تَمامُ المِنـَّةِ
بِبَيَانِ الخِصَالِ المُوجِبَةِ لِلجَنَّةِ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله البرِّ الرَّحيم الغفور الحليم، الذي يدعو إلى دار السَّلام ويهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيمٍ، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّد النَّبيِّ الكريم صاحب الخُلُق العظيم، الدَّاعي إلى فعل الخيرات للفوز بجنَّات النَّعيم، ورضي الله عن آله وأصحابه ومن نهج نهجهم القويم.

أما بعد: فقد روينا في "صحيح البخاري" عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، قال: «**أَرْبَعُونَ خَصْلَةً: أَعْلاَهَا مَنِيحَةُ العَنْزِ، مَا مِنْ عَامِلٍ يَعْمَلُ بِخَصْلَةٍ مِنْهَا؛ رَجَاءَ ثَوَابِهَا وتَصْدِيقَ مَوْعُودِهَا، إلاَّ أَدْخَلَهُ اللهُ بِهَا الجَنَّـةَ**».

قال حسَّان: فعدَدْنا ما دون مَنِيحَةِ العَنْزِ من ردِّ السلام، وتشميت العاطس، وإماطة الأذى عن الطريق ونحوه، فما استطعنا أن نبلغ خَمْسَ عَشْرَة.

قلت: لا شكَّ أنها موجودة، لكن يحتاج جمعها إلى تتبع الأحاديث المروية في أبواب متعددة من أنواع الطاعات المختلفة.

ولما لم أرَ أحدًا من شُرَّاح "البخاري" تعرَّض لبيانها، أردت -بحول الله تعالى- أن أبينها في هذا الجزء الذي سميته: **"تَمَام المِنَّةِ ببيان الخِصَالِ المُوجِبَةِ للجَنَّةِ"**.

ومِن الله أسأل العناية والتوفيق، والهداية إلى أقوم طريق.

الخصلة الأولى: مَنِيحَةُ العَنزِ

بدأت بها لأنها مُصرَّح بها في الحديث، والعَنْزُ: أنثى المَعْزِ، ومَنِيحَتُها: أن يعطيها لشخص يحلب لبنها يأكله ويردها إليه. ومثلها: أن يعطيه شاة أو بقرة أو جاموسة أو ناقة يحلب لبنها ويردها إليه.

و كانت منيحة العنز أعلى الخصال الأربعين؛ لأن التبرع فيها وقع باللبن الذي هو غذاء كامل، لأنه طعام وشراب، ولذا كان النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إذا تناول طعامًا قال: «**بِسْمِ الله، اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيمَا رَزَقْتَنَا وَزِدْنَا خَيْرًا مِنْهُ**». وإذا تناول لَبَنًا، قال: «**اللهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيمَا رَزَقْتَنَا وَزِدْنَا مِنْهُ**». وقال: «**ليس شيءٌ يُجْزِئُ مِنَ الطَّعَامِ والشَّرَابِ غيرَ اللَّبَنِ**».

و أيضًا: فإن المتبرِّع بالطعام يتبرَّع بشيءٍ قليل منه يكون دون الكفاية، ولهذا اشترط الشارع في إطعام الطعام في الكفَّارات: أن يكون كافيًا، مُشبِعًا، بخلاف العنز فإن حالبها يأخذ منها كفاية.

ثُمَّ الملاحظ في هذه الخِصال: أن يكون فيها نفع لمسلمٍ ولو بكفِّ الأذى عنه كما يأتي، أو لبهيمةٍ من البهائم العجماوات.

الخصلة الثانية: إِمَاطَةُ الأَذَى عن الطَّرِيقِ

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، قال:

«**لقدْ رأيتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ في الجَنَّةِ، في شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِن ظَهْرِ الطَرِيقِ، كَانَتْ تُؤْذِي المُسْلِمِينَ**». رواه مسلمٌ في "صحيحه"، وفي روايةٍ له: «**مرَّ رَجُلٌ بِغُصْنِ شَجرةٍ على ظَهْرِ طرِيقٍ فقالَ: والله لأُنَحِّيَنَّ هذا عنِ المُسْلِمِينَ لا يُؤْذِيهُمْ،**

فأُدْخِلَ الجَنَّةَ».

وفي مُسندَيْ "أحمد" و"أبي يعلىٰ" عن أنسٍ رضي الله عنه قال: كانتْ شَجَرَةٌ تُؤْذِي النَّاسَ، فعَزَلَهَا رَجُلٌ عن طَرِيقِ النَّاسِ، قالَ نَبِيُّ اللهِ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**فلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَتَقَلَّبُ في ظِلِّهَا في الجَنَّةِ**».

وروىٰ البخاريُّ في "الأدب المفرد" عن المُسْتَنِيرِ بن الأَخْضَر بن مُعَاوِيَةَ بن قُرَّةَ، عن جَدِّه، قال: كنت مع مَعْقِلُ بن يَسَار في بعض الطرقات فمررنا بأذىٰ فأماطه عن الطريق، فرأيت مثله فنحَّيته، فأخذ بيدي، وقال: يا ابن أخي، ما حملك علىٰ ما صنعت؟ قلت: يا عمِّ رأيتك صنعت شيئًا فصنعت مثله. فقال: سمعتُ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**مَنْ أَمَاطَ أَذًى مِنْ طَرِيقِ المُسْلِمِينَ كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، ومَنْ تُقِبِّلَتْ مِنْهُ حَسَنَةٌ دَخَلَ الجَنَّةَ**».

وروىٰ الطبرانيُّ بإسنادٍ رجاله ثقاتٌ، عن أبي شيبة الهروي، قال: كان معاذ رضي الله عنه يمشي ومعه رجل فرفع حَجَرًا من الطريق، فقال: ما هذا؟ قال سمعتُ رسولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**مَنْ رَفَعَ حَجَرًا مِنَ الطَّرِيقِ كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ حَسَنَةٌ دَخَلَ الجَنَّةَ**».

ومثل هذا: أن يُنَحِّي عن الطريق ورقٌ مكتوبٌ فيه آيةٌ قرآنيَّة أو حديثٌ نبويٌّ أو اسمٌ من أسماء الله تعالىٰ؛ فإنَّ وجوده في الطريق يؤذي المسلمين ويُعَرِّضهم لإثمٍ كبيرٍ، فرفْعه من الطريق وإبعاده إلىٰ مكان لا يداس فيه ولا يهان يوجب دخول الجنَّة أيضًا.

وقد كان بِشْر الحافي الزاهد المعروف يمشي مرة في بعض طرق بغداد، فرأىٰ ورقةً ملقاة في الطريق فيها اسم من أسماء الله تعالىٰ، فأخذها واشترىٰ

بدرهمٍ كان معه طيبًا ضمَّخها به ووضعها في مكانٍ أمين، فسمع في منامه هاتفًا يقول له: طَيَّبْتَ اسمي، لأُطَيِّبن اسمك في الدُّنيا والآخرة (١).

الخصلة الثالثة: سقي بهيمة

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ العَطَشُ فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فيهَا فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الكَلْبُ مِنَ العَطَشِ مِثْلَ الذي كَانَ بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ البِئْرَ فَمَلأَ خُفَّهُ مَاءً ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفيهِ حَتَّى رَقَى فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ فَأَدْخَلَهُ الجَنَّةَ**».

رواه الشيخان، وهذا لفظ إحدى روايات البخاري، وهو لفظ رواية ابن حِبَّان في "صحيحه" أيضًا.

وفي الصحيحين أيضًا: عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، قال: «**بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ قَدْ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ، إِذ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسرَائِيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا فَاسْتَقَتْ لَهُ بِهِ فَسَقَتْهُ، فَغُفِرَ لَهَا بِهِ**».

أي فدخلت الجنة؛ لأن الحائل بين الشخص وبين دخول الجنة ذنوبه، فإذا غفرت دخل الجنة.

---

(١) من المؤسف الذي ينفطر له قلب المؤمن؛ ما شاع من استعمال الجرائد العربية في لفِّ الأحذية، ومسح الأوساخ والنجاسات، وغير ذلك، مع أنها لا تخلو من آيةٍ أو حديثٍ أو اسم الله تعالى، وهذا إثمٌ كبيرٌ، ويعتبره المالكيَّة رِدَّةٌ عن الإسلام، نعوذ بالله تعالى.

فإذا سمعت في حديث «غفر الله له»أو «غفر له». فاعلم أن هذه العبارة تساوي عبارة «دخل الجنة» وبقية الحديث عند الشيخين: قالوا: يا رسول الله إنَّ لَنَا في البَهَائِمِ أَجْرًا؟ قال: «**في كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ**».

الكبد الرطبة: كناية عن حياة صاحبها؛ لأن الميت كبده يابسة، والحديث يفيد حصول الثواب المذكور لمن سقىٰ هرة أو شاة أو أي حيوان أعجم(١).

ويستثنىٰ من ذلك: ما صرح الشارع بقتله كالخنزير، والفأر، والكلب العقور، والغراب، والحِدَأَة، والحية، والعقرب، والوَزَغ، فهذه الحيوانات ومثلها في الإذاية لا ثواب في سقيها أو إطعامها، بل الثواب في قتلها لضررها ونجاستها. وقد ثبت الحث علىٰ قتل الوَزَغ؛ لأنه كان ينفخ النار علىٰ إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

الخصلة الرابعة: عِيَادَةُ المَرِيضِ

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَنْ عَادَ مَرِيضًا، أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ في الله، نَادَاهُ مُنَادٍ: أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ، وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الجَنَّةِ مَنْزِلًا**».رواه الترمذيُّ وحسَّنه.

---

(١) ولهذا يوجد في كثير من البلاد الإسلامية حياض لسقي البهائم، كما يوجد في بعض بلاد المغرب مثل فاس، أعيان موقوفة يصرف ريعها في إطعام وعلاج نوع من الطيور يسمي «أبا اللارج» يألف البيوت المهجورة والأماكن الخربة، وكان في مكة المكرمة وقف لإطعام الكلاب، والمقصود أن الإسلام بتعاليمه الرحيمة وجه المسلمين إلي رحمة البهائم والعناية بها، وسبق الأوروبيين الذين أنشأوا في آخر الزمان جمعية الرفق بالحيوان، في حين أنهم يستعبدون بني الإنسان.

ورواه ابن حِبَّان في "صحيحه" ولفظه: «**إِذَا عَادَ الرَّجُلُ أَخَاهُ أَوْ زَارَهُ قَالَ اللهُ تَعَالَى: طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ، وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الجَنَّةِ مَنْزِلا**».

ولا منافاة بين الروايتين فالله تعالى يقول هذا الكلام، ويأمر مناديًا ينادي به.

وعن ثوبان رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إِنَّ المُسْلِمَ إِذَا عَادَ أَخَاهُ المُسْلِمَ لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ**» قِيلَ: يا رسولَ الله، وما خُرْفَةِ الجَنَّةِ؟ قال: «**جَنَاهَا**». رواه مسلمٌ في "صحيحه"، خُرْفة بضم الخاء وسكون الراء: ما يُخترف ويُجتني من ثمارها.

وعن عليٍّ كرَّم الله وجهه قال: سمعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا غُدْوَةً** -صباحًا- **إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنْ عَادَ عَشِيَّةً صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ، وكانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الجَنَّةِ**». رواه الترمذيُّ، وقال: «حديثٌ حسنٌ غريبٌ، وقد روي عن عليٍّ موقوفًا».اهـ.

قلت: رواه أبو داود موقوفًا، ثُمَّ قال: «وأسند هذا عن عليٍّ من غير وجهٍ صحيحٍ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم»اهـ. والحاصل: أنه صحيحٌ مرفوعًا وموقوفًا(١).

«**وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ**» أي: وكان له ثمار في الجنة يخرفها ويجتنيها، فمن عاد مريضًا مسلمًا يثوب بثلاثة أشياء:

أحدها: يصلِّي عليه سبعون ألف مَلَكٍ إذا عاد صباحًا حتَّى يمسي، وإذا

---

(١) المرفوع: هو كلام النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، والموقوف: هو كلام الصحابي.

عاد مساء حتىٰ يصبح.

ثانيها: يدخل الجنة.

ثالثها: يكون له فيها ثمار يجتنيها ويأكلها.

(**تنبيه**): روىٰ ابن أبي الدنيا في كتاب "المرض والكفَّارات"، عن أنسٍ رضي الله عنه مرفوعًا: «**مَن عَادَ مَرِيضًا وجَلَسَ عِندَهُ سَاعَةً، أَجْرَى اللهُ لهُ عَمَلَ ألفِ سَنَـةٍ لا يَعْصِي اللهَ فيها طَرْفَةَ عَيْنٍ**». وهو حديثٌ موضوعٌ لا يجوز العمل به فليعلم ذلك.

(**تنبيه آخر**): ينبغي للمريض أن يُقدِّم لمن يعوده شيئًا مِن مطعومٍ أو مشروبٍ، لما رواه الطبرانيُّ في "الأوسط" بإسنادٍ جيِّدٍ، عن حميد الطويل، عن أنسٍ رضي الله عنه: أن قومًا دخلوا عليه يعودونه، فقال يا جارية هَلُمِّي لأصحابنا ولو كِسْرًا فإنِّي سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**مَكَارِمُ الأَخْلَاقِ مِنْ عَمَلِ الجَنَّةِ**».

الخصلة الخامسة: زِيَارَةُ أَخٍ في الله تَعَالى

تقدَّم في الخصلة السابقة حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن عَادَ مَرِيضًا، أو زَارَ أَخًا لَهُ في الله، نَادَاهُ مُنَادٍ: أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ، وَتَبَوَّأتَ مِنَ الجَنَّةِ مَنْزِلًا**».

وعن أنسٍ رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَا مِنْ عَبْدٍ أَتَى أَخَاهُ يَزُورُهُ في الله إِلَّا نَادَاهُ مَلَكٌ مِنْ السَّمَاءِ: أَنْ طِبْتَ وَطَابَتْ لَكَ الجَنَّةُ. وإِلَّا قالَ اللهُ في مَلَكُوتِ عَرْشِهِ: عَبْدِى زَارَ فِيَّ وعَلَيَّ قِرَاهُ. فلم يَرْضَ لهُ**

بثَوَابٍ دُونَ الجَنَّةِ». رواه البزَّار وأبو يَعْلَىٰ في مسنديهما وإسنادهما جيِّدٌ. وسيأتي حديثٌ ثالثٌ بحول الله تعالىٰ.

وفي "صحيح مسلم": عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «زَارَ رَجُلٌ أَخًا لَهُ في قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا مَرَّ عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لي في هَذِهِ القَرْيَةِ. قال: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا عَلَيْه؟ قَالَ: لا، غَيْرُ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ في الله تعالى. قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ الله إِلَيْكَ بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ».

أَرْصَد: وكَّل. مَدْرَجته -بفتح الميم والراء-: طريقه. تَرُبُّها -بضم الراء والباء المشددة-: تصلحها وترعاها.

أفاد الحديث: أن الله تعالىٰ أحب الرجل الذي أحب أخاه في الله وذهب يزوره لله، وإذا أحب الله عبدًا أدخله الجنة، فدخول الجنة لازم لحب الله.

خمس خصال متتابعة

عن أبي كَثِيرٍ السُّحَيْمِيِّ، عن أبيه، قال: سَألتُ أبا ذَرٍّ رضي الله عنه قُلْتُ: دُلَّنِي عَلَىٰ عَمَلٍ إِذَا عَمِلَ العَبْدُ بِهِ دَخَلَ الجَنَّةَ؟ قال: سَألتُ عن ذلك رسولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم؛ قال: «تُؤْمِنُ بِالله وَاليَومِ الآخِرِ».

قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إنَّ مَعَ الإِيمَانِ عَمَلًا؟ قال: «يَرْضَخُ مِمَّا رَزَقَهُ اللهُ».

قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أرَأَيتَ إِنْ كَانَ فَقِيرًا لا يَجِدُ مَا يَرْضَخُ بِهِ؟ قال: «يَأْمُرُ بِالمَعْرُوفِ، وَيَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ».

قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أرَأَيتَ إِنْ كَانَ عَيِيًّا لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَأمُرَ بِالمَعْرُوفِ

وَيَنْهَىٰ عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: «يَصْنَعُ لأَخْرَقَ».

قُلْتُ: أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ أَخْرَقَ أَنْ يَصْنَعَ شَيْئًا؟ قال: «يُعِينُ الْمَغْلُوبَ».

قُلْتُ: أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ ضَعِيفًا لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعِينَ مَغْلُوبًا؟ قَالَ: «مَا تُرِيدُ أَنْ يَكُونَ فِي صَاحِبِكَ مِنْ خَيرٍ؟! يُمْسِكُ عَنْ أَذَى النَّاسِ».

قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ دَخَلَ الجَنَّةَ؟ قَالَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعْمَلُ خَصْلَةً مِنْ هَؤُلاءِ، إلا أَخَذَتْ بِيَدِهِ حَتَّى تُدْخِلَهُ الجَنَّةَ».

رواه الطبرانيُّ، وابن حِبَّان في "صحيحه"، والحاكم وصحَّحه علىٰ شرط مسلمٍ.

اشتمل هذا الحديث علىٰ خمس خصال غير الإيمان، فإنَّا لم نعدّه لأنه شرط صحة في فعل أي خصلة من خصال الخير، فبدونه لا يصلح عمل ولا يحصل ثواب.

«تُؤْمِنُ بِالله وَاليَومِ الآخِرِ» لم يذكر الإيمان بالرسل وكتبهم مع أن الإيمان بدون ذلك لا يصح لأن الإيمان باليوم الآخر لم يُعرف إلا من جهة إخبارهم به في كتبهم[1] فالإيمان به يستلزم الإيمان بهم من غير شك.

ذكر في مقدمة الخصال الخمس: «يَرْضَخُ مِمَّا رَزَقَهُ اللهُ». معنىٰ يرضخ: يعطي قليلًا، وعبَّر بالمضارع الذي يفيد التجدد والحدوث؛ ليفيد تجدد الرضخ بتجدد الرزق، فإذا رزقه الله بمائة قرش رضخ منها للمسكين بقرش أو قرشين

---

(١) والعقل لا يدرك وحده اليوم الآخِر وما فيه من نعيمٍ وعذابٍ وإنما يُدرَك ذلك من جهة الرُّسل فقط.

أي: أقل من نصاب الزكاة، وبهذه النسبة يرضخ من طعام أو غيره.

والرضخ يعتبر شكرًا لنعمة الرزق التي أعطاها الله لعبده وجبرًا لخاطر الفقير المحتاج وجاء الأمر به في قسمة الميراث قال الله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ ممن ليس لهم في الميراث نصيب ﴿فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ أي: أعطوهم قليلًا من المال المقسوم. وهذا هو الرضخ ﴿وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [النساء: ٧-٨] يطيب خاطرهما، بأن تقولوا لهم: ليس المال لنا ولكنه حق لليتامى والأرامل ونحو هذا من الكلام اللين اللطيف.

وكان النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في غزواته يقسم الغنائم بين المجاهدين كل منهم حسب استحقاقه، ويرضخ لمن حضر الغزوة ولم يقاتل؛ كالصبيان والعجائز.

الرضخ في الحقيقة ليس صدقة لكنه إكرام ومجاملة لمن حضر حدوث نعمة بإشراكه فيها.

وجاء في حديث ضعيف: «**إِذَا أُهْدِيتْ لِأَحَدِكُمْ هَدِيَّةٌ فَجُلَسَاؤُهُ شُرَكَاءُ فيهَا**». والشركة هنا ليست شركة استحقاق لازمة، أو صدقة واجبة، لكنها شركة إتحاف ومكارمة.

(تنبيه): شاع بين كُتَّاب العصر وأدبائه استعمال «رَضَخَ» بمعنى: خَضَعَ وأطاع، وهو استعمال حادث مُوَلَّد، ولهم استعمالات كثيرة مُوَلَّدة.

سأل أبو ذر رضي الله عنه، النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن عمل يُدْخِل الجنة؟ فلما ذكر له الرَّضْخ أراد أن يسأل عن عمل أسهل منه وإن كان الرَّضْخ سهلًا يسيرًا، فقال: أرأيت إن كان فقيرًا لا يجد ما يَرْضَخُ به؟ قال: «**يَأْمُرُ بِالمَعْرُوفِ، وَيَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ**». فهذه الخصلة أسهل من سابقتها؛ لأنه ليس فيها بذل مال أو طعام، وإنما فيها بذل نصيحة، والفقير يستطيع أن يبذلها لإخوانه وأصحابه وغيرهم، فيأمرهم بمعروف قصروا عنه وينهاهم عن منكر فعلوه.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دِعَامة من دعائم صلاح المجتمع، وهو نوع من النقد البَنَّاء الذي يهدف إلى خير الفرد والمجموع بترك النقائص وتحصيل الكمالات، ولذلك جعله الشارع فرض كفاية يجب أن تقوم به طائفة من المسلمين فإن تركوه أثموا جميعًا قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وفي صحيح الحاكم: عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**الإِسْلامُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ لا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ البَيْتَ، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتَسْلِيمُكَ عَلَى أَهْلِكَ، فَمَنِ انْتَقَصَ شَيْئًا مِنْهُنَّ فَهُوَ سَهْمٌ مِنَ الإِسْلَامِ يَدَعُهُ، وَمَنْ تَرَكَهُنَّ كُلَّهُنَّ فَقَدْ وَلَّى الإِسْلَامَ ظَهْرَهُ**».

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سهم من الإسلام أي: شُعْبة من شُعَبِه.

ذكر الله تعالى في ممادح عباده المؤمنين المجاهدين فقال: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ

ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ١١٢].

وقد أوجبه الله على بني إسرئيل، فلما فرَّطوا فيه وأضاعوه لعنهم الله على لسان رسلهم، قال تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ [المائدة: ٧٨ - ٧٩].

ذلك أن المجتمع إذا وجد فيه منكر، ولم يوجد من ينهى عنه ويبين ضرره دَبَّ إليه الفساد، وأسرع فيه الانحلال، وله غضب الله وعقابه، فقد صحَّ عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنه قال: «**إِنَّ القَوْمَ إِذَا رَأَوُا المُنْكَرَ فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ**».

ومن مظاهر غضبه عليهم: ألا يستجيب دعائهم إذا دَعَوه. قال النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْهُ، ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلاَ يُسْتَجابُ لَكُمْ**». رواه الترمذيُّ وحسَّنه.

وينبغي أن يكون الآمر بالمعروف: ليِّن الكلام، حسن العبارة، يتجنَّب اللفظة الجارحة، والكلمة النابية. قال النَّبيُّ عليه الصَّلاة والسَّلام: «**إذا أَمَرَ أَحَدُكُم بِالمَعْرُوفِ فَلْيَكُنْ أَمْرُهُ ذَلِكَ بالمَعْرُوفِ**». ليكون كلامه مؤثِّرًا مقبولًا،

ويُنكِر المُنكَر المتفق على حُرمته، أو الذي تحقَّقت مفسدته كالخمر والميسر بجميع أنواعه، أمَّا ما اختلف فيه العلماء بالتحليل والتحريم ولم تكن له مفسدة محقَّقة فلا ينهى عنه.

قال أبو ذرٍّ: «أرأيت إن كان عَيِيًّا لا يستطيع أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؟». العَيِيُّ: الذي لا يبين عما في نفسه وهو خلاف الفصيح. قال النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يَصْنَعُ لأَخْرَقَ**». الأخرق: هو الذي لا يحسن التصرف لضعف إدراكه. ومعنى يصنع له: يعينه، كما جاء في رواية البيهقي: «**فَلْيُعِنِ الأَخْرَقَ**». وأوجه الإعانة متعددة، يعينه في إختيار بضاعة يريد شرائها، أو في حمل شئ لم يقدر على حمله، أو يصلح له شيئًا لم يهتد لوجه إصلاحه.

قال أبو ذرٍّ: «أرأيت إن كان أخرق أن يصنع؟» لفظ أخرق هنا تفسره رواية البيهقي «**أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ لَا يُحْسِنُ أَنْ يَصْنَعَ**» قال النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يُعِينُ مَغْلُوبًا**». المراد بالمغلوب: المظلوم كما في رواية البيهقي. وإعانته: مساعدته في رفع الظلم عنه. قال أبو ذر: «أرأيت إن كان ضعيفًا لا يستطيع أن يعين مغلوبًا؟». قال النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يُمْسِكُ عَنْ أَذَى النَّاسِ**». أي: لا يؤذيهم بلسانهم ولا بيده ولا يسعى في إذايتهم. فهذه الخصال الخمس تضم إلى الخمسة السابقة تصير الخصال عشرة.

(تنبيه): الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اعتبرناه خصلة واحدة؛ لأنهما متلازمان.

أربع خصال

رد السلام، تشميت العاطس، إجابة الدعوة، إتباع الجنازة

ذكر الخصلتين الأولَيَيْن حسَّان بن عطيَّة وتقدم كلامه في خطبة الكتاب.

ولأن هذه الخصال جعلها الشارع من حقوق المسلم على أخيه المسلم، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلَامِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ**».

سلك الحديث الخصال الأربعة مع عيادة المريض في نظام، وهو يدل على أن حكمها واحد والجزاء عليها واحد أيضًا، وهذا واضح لا خفاء به.

و«**رَدُّ السَّلَامِ**» واجب على الكفاية بمعنى أن شخصًا لو سلم على شخصين أو أكثر فَرَدَّ السلام واحد كفى عن البقية، وإن لم يرد أحد أثموا جميعًا. ويكون رد السلام بصوت مرتفع بحيث يسمعه من سلَّم، وردُّ جواب الكتاب واجب كردِّ السلام، هكذا قال ابن عباس رضي الله عنهما، فإذا جاءك كتاب من أخيك المسلم ولم ترد عليه فأنت آثم.

و«**عِيَادَةُ الْمَرِيضِ**»: تقدمت وهي الخصلة الرابعة.

و«**اتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ**»: تشييعها إلى القبر. هذا هو الذي يثاب عليه بدخول الجنة وبقيراطين من الأجر أيضًا، ففي "صحيح مسلم": عن عامر بن سعد بن أبي وقَّاص: أنه كان جالسًا عند ابن عمر رضي الله عنهما، إذ طَلَعَ خَبَّابٌ -صَاحِبُ الْمَقْصُورَةِ- فقال: يا عبدالله بن عمر، ألا تسمع ما يقول أبو هريرة؟ يقول: أنه سمع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**مَنْ خَرَجَ مَعَ جَنَازَةٍ مِنْ بَيْتِهَا**

وَصَلَّى عَلَيْهَا، واتَّبَعَها حَتَّى تُدْفَنَ، كَانَ لَهُ قِيرَاطَانِ مِنْ الأَجْرِ، كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحُدٍ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ رَجَعَ كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُحُدٍ».

فأرسل ابن عمر خبَّابًا إلى عائشة رضي الله عنها يسألها عن قول أبي هريرة؟ ثم يرجع إليه يخبره بما قالت، وأخذ ابن عمر قبضة من حصى المسجد يقلبها في يده حتى يرجع، فقال: قالت عائشة: صدق أبو هريرة. فضرب ابن عمر بالحصى الذي كان بيده الأرض، ثم قال: لقد فرَّطنا في قراريط كثيرة.

وفي "صحيح مسلم" أيضًا: عن ثوبان رضي الله عنه: أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «مَنْ صَلَّى عَلَى جَنَازَةٍ فَلَهُ قِيرَاطٌ، وَإِنْ شَهِدَ دَفْنَهَا فَلَهُ قِيرَاطَانِ، القِيرَاطُ مِثْلُ أُحُدٍ».

وأغلب المشيِّعين اليوم يصلُون مع الجنازة إلى المسجد ولا يصلُّون عليها، بل ينتظرون على باب المسجد حتى يصلَّى عليها، فيكررون التعزية لأهل الميت، ثم يرجعون فلم يحصلوا على قيراط فضلًا عن أكثر منه، وهؤلاء لم يدركوا الحكمة التي قصدها الشارع حين حض على اتباع الجنازة وهي انتفاع الميت بالصلاة عليه المشتملة على الدعاء والاستغفار له، وكلما كثر المصلون عليه كثر انتفاعه بصلاتهم.

ففي "صحيح مسلم" عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «مَا مِنْ مَيتٍ يُصَلِّى عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ المُسْلِمِينَ يَبْلُغُونَ مِائَةً كُلُّهُمْ يَشْفَعُونَ لَهُ إِلاَّ شُفِّعُوا فيهِ».

وعلى هذا فصلاة ثلاثة على الميت أنفع له من ألف يشيعونه ولا يصلون عليه، بل قد يحصل من المشيعين ما يؤذي الميت، كخوضهم في غيبة أو شيء من

الدنيا يشغلهم عن العبرة بالموت وحال الميت.

«**إِجَابَةُ الدَّعْوَةِ**» حق للمسلم على أخيه، صحَّت فيه أحاديث كثيرة: ففي "صحيح مسلم": عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُجِبْ عُرْسًا كَانَ أَوْ نَحْوَهُ**».

وفي "الصحيحين" عنه أيضًا: أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُم إِلَى الوَلِيمَةِ فَلْيَأْتِهَا**».

وفي "صحيح مسلم" عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ إِلَى طَعَامٍ فَلْيُجِبْ، فَإِنْ شَاءَ طَعِمَ وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ**». طَعِمَ بفتح الطاء وكسر العين: أَكَلَ.

وفي "صحيح مسلم" عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ فَلْيُجِبْ، فَإِنْ كَانَ صَائِمًا فَلْيُصَلِّ، وَإِنْ كَانَ مُفْطِرًا فَلْيَطْعَمَ**».

«**فَلْيُصَلِّ**»: فليدع لصاحب البيت بالبركة ونحوها.

«**فلْيَطْعَم**» بسكون اللام وفتح الياء والعين: فليأكل.

ولا عذر في ترك إجابة الدعوة إلا أن يكون في مكان الدعوة خمر أو حشيشة أو أواني ذهب أو فضة أو ما أشبه من ذلك من المحرمات، فحينئذ لا يجيب الدعوة صرح بهذا علماء المذاهب الأربعة.

(تنبيه): إذا دعي شخص إلى طعام وتبعه آخر من غير دعوة استأذن فيه صاحب البيت حتى لا يحصل له ضيق وضجر، لما في الصحيحين عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال: دعا رجل النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم

لطعام صنعه له خامس خمسة، فتبعهم رجل فلما بلغ الباب قال له النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «إِنَّ هَذَا تَبِعَنَا فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَأْذَنَ، وَإِنْ شِئْتَ رَجَعَ». قال: بل آذَنُ لَهُ يَا رَسُولَ الله.

و«تَشْمِيتُ العَاطِسِ» حق أيضًا إذا حمد الله تعالى. فيقول له: يرحمك الله وليقل هو لمشمته: يهديكم الله ويصلح بالكم. فإن لم يحمد الله فلا يُشَمَّت وينبغي لجليسه أن ينبهه إلى الحمد.

عَطَسَ عِنْدَ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رَجُلانِ، فَشَمَّتَ أَحَدَهُمَا وَلَمْ يُشَمِّتِ الآخَرَ، فَقَالَ الذي لَمْ يُشَمِّتْهُ: عَطَسَ فُلانٌ فَشَمَّتَّهُ، وَعَطَسْتُ فَلَمْ تُشَمِّتْنِي؟ فَقَالَ النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «هَذَا حَمِدَ الله، وَإِنَّكَ لَمْ تَحْمَدِ الله». رواه الشيخان من حديث أنس رضي الله عنه.

والتَّشميت بالرحمة خاص بالمسلم، أما الكتابيُّ إذا عطس وحمد الله فيدعي له بالهداية، فعن أبي موسى الأشعري قال: كان اليهودُ يَتَعَاطَسُون عند النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يَرْجُونَ أن يقول لهم يرحمكم الله، فيقول: «يَهْدِيكُمُ اللهُ، وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ».

رواه أبو داود، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

وكان بعض شيوخنا ممن جمع بين العلم الواسع والولاية الكبرى يرى تحريم النشوق كما هو إجماع من الصوفية فكان في دروسه الحديثية أو الفقهية أو غيرها من سائر العلوم إذا عطس بعض تلامذته قال له: يرحمك الله إذا لم تكن من طابا -يعني النشوق- فكان ذلك باعثًا لكثير من تلامذته على ترك النشوق رحمه الله ورضي عنه.

تنبيهان

(التنبيه الأول): من أدب العُطاس: أن يخفض العاطس صوته، وأن يغطي أنفه، حتىٰ لا يصاب جليسه بشيء يضايقه، ففي "سنن أبي داود" و"الترمذي" عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ إِذا عَطَسَ وَضَعَ يَدَهُ أَوْ ثَوْبَهُ عَلَىٰ فيهِ -أي فمه- وَخَفَضَ بِهَا صَوْتَه. قال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

التنبيه الثاني: روىٰ البخاري في "صحيحه" عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إِنَّ الله يُحِبُّ العُطَاسَ، وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ، فَإِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ وَحَمِدَ الله تَعَالَى كَانَ حَقًّا عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أَنْ يَقُولَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ. وَأَمَّا التَّثَاؤُبُ فَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا تَثَاءبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَرُدَّهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا تَثَاءبَ ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ**».

الخصلة الخامسة عشرة والسادسة عشرة

البدء بالسلام، وبذل النصيحة

روىٰ مسلم في "صحيحه" عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**حَقُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ سِتٌّ**». قِيلَ: وَمَا هُنَّ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ**».

«**إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ**» هذا معنىٰ البدء بالسلام، وهو المراد بإفشاء السلام الثابت في أحاديث يأتي بعضها في خصلة إطعام الطعام بحول الله تعالىٰ.

«**وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ**». استنصحك: طلب منك النصيحة في أمرٍ

عَرَضَهُ عليك. فانصح له أو فانصحه، لغتان.

والنصيحة من الأهمية بحيث جعلها النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم دينًا فَقَالَ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**». ثَلاَثَ مَرَّاتٍ. قِيلَ: لِمَنْ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**لله وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**». رواه الشيخان.

وفي "الصحيحين" عن جَرِيرٍ قَالَ: بَايَعْتُ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عَلَى السَّمْعِ والطَّاعَةِ فَلَقَّنَنِي: «**فيمَا اسْتَطَعْتُ وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ**».

فالنصيحة لله: الإيمان به وإخلاص العمل له والجهاد في سبيله.

والنصيحة لرسوله: تصديقه وإتباع سُنَّته والدفاع عنها والدعوة إلى العمل بها.

والنصيحة لأئمة المسلمين: طاعتهم ومساعدتهم وإرشادهم فيما أخطأوا فيه وتذكيرهم بما نسوه.

قال النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إِذَا أَرَادَ اللهُ بِالأَمِيرِ خَيْرًا جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ صِدْقٍ، إِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ، وَإِذَا أَرَادَ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ سُوءٍ، إِنْ نَسِيَ لَمْ يُذَكِّرْهُ، وَإِنْ ذَكَرَ لَمْ يُعِنْهُ**». رواه أبو داود، وصحَّحه ابن حِبَّان.

والنصيحة لعامَّة المسلمين أنواع:

منها: تعليمهم ما ينفعهم في دينهم ودنياهم.

ومنها: جرح الرواة المجروحين، وشهود الزور حتى لا يغتر الناس بروايتهم ولا شهادتهم.

ومنها: إذا استشارك شخص في مصاهرة إنسان أو مشاركته في تجارة أو إيداع أمانة عنده أو مجاورته في سكن أو غير ذلك فيجب عليك أن تبين له حاله وتذكر المساوئ التي فيه بقصد النصيحة.

ومنها: إذا رأيت متفقهًا يتردد في مبتدع أو فاسق يتعلم منه وخفت أن يضره في عقيدته أو في سلوكه فاذكر له بدعة شيخه أو فسقه بقصد النصيحة فقط.

ومنها: أن يكون الشخص ناظر وقف، أو وصيًّا على أموال يتامى ولا يُحسن القيام بعمله لإهماله أو سرقته فيجب بذل النصيحة له، فإن لم يرجع وجب تبليغ أصحاب الشأن ليستبدلوا غيره به ممن يكون صالحًا للقيام بعمله.

وهذا أحد المواضع الستة التي تجوز فيها الغيبة.

الثاني: التظلم، فيجوز للمتظلم أن يذكر عند الحاكم ظلم خصمه له ويقول: ظلمني فلان في كذا. ولا يزيد في الدعوى شيئًا لم يحصل من خصمه، فإن زاد فهو فجور، والفجور من خصال المنافق للحديث الصحيح: «**وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**».

الثالث: الاستعانة على تغيير المنكر فإذا رأيت شخصًا يفعل معصية- كشرب خمر مثلًا- فيجوز لك أن تقول لمن يقدر على إزالة المنكر: فلان يفعل كذا فازجره لئلا يعود.

الرابع: الاستفتاء فيجوز أن يقول للمفتي: تعدى علي فلان فهل له ذلك؟ وكيف أفعل لآخذ حقي منه؟

الخامس: المجاهرة بالمعصية فإذا كان شخص يجاهر بشرب الخمر مثلًا فيجوز لك أن تذكره بما جاهر به فقط، فإن ذكرته بالزنا فهي غيبة.

السادس: أن يشتهر الشخص بلقب مَعِيب ويُنسى اسمه الأصلي وذلك كالأعمش والأعرج والأعمى والضال والأصم ونحوه فيجوز ذكره بلقبه لأنه لا يعرف بغيره.

الخصلة السابعة عشرة: إخراج الأذى من المسجد

عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما: أَنَّ امْرَأَةً كَانَتْ تَلْقِطُ القَذَىٰ مِنَ المَسْجِدِ فَتُوُفيتْ فَلَمْ يُؤْذَنِ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِدَفْنِها فَقَالَ: «إِذَا مَاتَ لَكُمْ مَيِّتٌ فَآذِنُونِي»(١). وَصَلَّىٰ عَلَيْهَا وقال: «إِنِّي رَأَيْتُهَا في الجَنَّةِ تَلْقِطُ القَذَى مِنَ المَسْجِدِ». رواه الطبرانيُّ في "الكبير". وفي "سنن ابن ماجه" عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «مَنْ أَخْرَجَ أَذًى مِنْ المَسْجِدِ بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا في الجَنَّةِ». وصلَّىٰ عليها: أي علىٰ قبرها، بعدما دفنت.

وحق لمخرج الأذىٰ من المسجد أن يثاب بالجنة لأنه أدّىٰ بعمله حقين: حق الله تعالىٰ وذلك بتنظيف بيته، وحق المصلين بتطهير المكان مما يؤذيهم في ثيابهم أو أعضاء سجودهم. وقد تقدم: أن الرجل الذي عزل الأذىٰ عن طريق المسلمين دخل الجنة.

خمس خصال

التبسم في وجه المسلم، إرشاد الضال، البصر لردئ البصر، النهي عن المنكر، إفراغك من دلوك في دلو أخيك

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «تَبَسُّمُكَ في وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ، وَأَمْرُكَ بِالمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيُكَ عَنِ المُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ في أَرْضِ الضَّلَالِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَتُكَ الأَذَى وَالشَّوْكَ وَالعَظْمَ عَنِ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِفْرَاغُكَ مِنْ دَلْوِكَ في دَلْوِ أَخِيكَ لَكَ

---

(١) وذلك لحرصه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ الصلاة علىٰ موتىٰ المسلمين والشفاعة لهم خصوصًا ضعفاؤهم.

صَدَقَةٌ».رواه الترمذيُّ وحسَّنه.

ورواه ابن حِبَّان في "صحيحه" وزاد «وَبَصَرُك لِلرَّجُلِ الرَّدِيءِ البَصَرِ لَكَ صَدَقَةٌ». سلك الحديث هذه الخصال الخمس مع إماطة الأذىٰ عن الطريق في نظام فاقتضىٰ أن ثوابها واحد، وأيضًا سَمَّىٰ كلًّا منها صدقة والصدقة ثوابها الجنة كمنيحة العنز.

«تَبَسُّمُكَ في وَجْهِ أَخِيكَ». وفي رواية: «أَنْ تَلقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلِيقٍ». وفي أخرىٰ «أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ ووَجْهُكَ إِلَيْهِ مُنْبَسِطٌ». ومدلول هذه الألفاظ واحد وهو أن يلقىٰ المسلمُ أخاه المسلم مبتسمًا طليق الوجه، مظهرًا له البشاشة والفرح بلقياه، فإن ذلك يؤكد روابط الألفة والمودة بينهما، وقد يكون محزونًا فتُسَرِّي هذه المقابلة اللطيفة عنه بعض حزنه أو كله، أو تكون له مسألة يريد قضاءها فتشجعه ابتسامتك علىٰ الإفصاح بمسألته وبسط حاجته.

قدمنا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خصلة واحدة، وهو خطأ وقع مني بسبب غفلتي عن هذا الحديث الذي جعلهما خصلتين.

وأكثر من هذا غفلتي عن حديث جعلهما أيضًا خصلتين، وهو في صحيح مسلم عن أبي ذَرٍّ رضي الله عنه: أنَّ رَسُولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلاَمَى مِنْ أَحِدِكُمْ صَدَقَة، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ المُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنْ الضُّحَى».

وتلازمهما في الذكر في القرآن والحديث لا يجعلهما خصلة.

«وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ في أَرْضِ الضَّلاَلِ». وفي رواية: «وَهَدْيُكَ الرَّجُلَ في أَرْضِ

الضَّالَّةِ». ومعناهما واحد وهو: أن المسلم إذا كان في سفر أو غيره وضل الطريق الذي يوصله إلى مقصده فهديته إليه كتبت هدايتك إياه صدقة ودخلت بها الجنة.

«وَإِفْرَاغُكَ مِنْ دَلْوِكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ». هذه أيضًا توجب لك الجنة؛ لأنك أفرغت في دلو أخيك الماء وكفيته مشقة الازدحام وتعب الاستقاء.

«وَبَصَرُكَ لِلرَّجُلِ الرَّدِيءِ البَصَرِ». رجل ضعيف البصر يمشي في طريق فأبصرت حفرة جنبته إياها، أو حجرًا نحَّيته عنه، أو كان يشتري بضاعة فأبصرت له الجيد الصالح ودللته عليه حتى لا يغبن، فهذا ومثله مما تقدمه لشخص ضعيف البصر، رجلًا كان أو امرأةً، يكتب لك صدقة وتدخل به الجنة.

خصال أربعة

إسماع الأصم، هداية الأعمى، دلالة المستدل على حاجته، إعانة الضعيف

عن أبي ذَرٍّ رضي الله عنه أيضًا: أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «لَيْسَ مِنْ نَفْسِ ابْنِ آدَمَ إِلاَّ عَلَيْهَا صَدَقَةٌ فِي كُلِّ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ». قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ مِنْ أَيْنَ لَنَا صَدَقَةٌ نَتَصَدَّقُ بِهَا ؟ قال: «إِنَّ أَبْوَابَ الخَيْرِ لَكَثِيرَةٌ: التَّسْبِيحُ، وَالتَّحْمِيدُ، وَالتَّكْبِيرُ، وَالتَّهْلِيلُ، وَالأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ، وَتُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَتُسْمِعُ الأَصَمَّ، وَتَهْدِى الأَعْمَى، وَتُدِلُّ المُسْتَدِلَّ عَلَى حَاجَتِهِ، وَتَسْعَى بِشِدَّةِ سَاقَيْكِ مَعَ اللهْفَانِ المُسْتَغِيثِ، وَتَحْمِلُ بِشِدَّةِ زِرَاعَيْكَ مَعَ الضَّعِيفِ، فَهَذَا كُلُّهُ صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ». رواه ابن حِبَّان في "صحيحه".

«التَّسْبِيحُ»: سبحان الله، ومعناه: تنزيه الله عن النقائص كالولد والصاحبة ومشابهة الحوادث. و«التَّحْمِيدُ»: الحمد لله، ومعناه: إثبات الكمال لله ونفيه عما

سواه. فكل واحد من هذه الأربعة صدقة لقائله يدخل به الجنة.

«وَتَهْدِى الأَعْمَى». ترشده لأنه لا يبصر. «وَتُسْمِعُ الأَصَمَّ». ترفع صوتك حين تسمعه ما هو في حاجة إلى سماعه مما يجلب له نفعًا أو يدفع عنه ضررًا، أما أن تسمعه غيبة أو نميمة أو شتيمة فهذا إثم كبير. «وَتُدِلُّ الْمُسْتَدِلَّ عَلَى حَاجَتِهِ». أي المملوكة، أو المطلوبة له.

الأول: كأن ترك ثوبًا أو كتابًا في مكان ثم نسي المكان فدللته عليه.

والثاني: كأن أراد أن يشتري بضاعة يحتاج إليها فدللته علي المكان الذي توجد فيه دون غيره.

«وَتَسْعَى بِشِدَّةِ سَاقَيْكِ مَعَ اللهْفَانِ الْمُسْتَغِيثِ». اللهفان المظلوم، فإذا استغاث مظلوم وأغثته بما استطعت كانت إغاثته صدقة تدخل بها الجنة.

«وَتَحْمِلُ بِشِدَّةِ زِرَاعَيْكَ مَعَ الضَّعِيفِ». متاعه أي: تعينه على حمله لضعف جسمه. «فَهَذَا كُلُّهُ صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ». أي: تصدقت به على نفسك حيث نفعتها بما قدمته من خير لأخيك المسلم فأثابك الله عليه بالجنة.

ثلاث خصال

إعانة الرجل في دابته، العدل بين اثنين، الكلمة الطيبة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم «كُلُّ سُلاَمَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فيهِ الشَّمْسُ؛ يَعْدِلُ بَيْنَ الاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَو يَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خَطْوَةٍ يَمْشِيهَا إِلَى الصَّلاَةِ صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ». رواه الشيخان.

سُلامَى -بضم السين المهملة وتخفيف اللام وفتح الميم-: مَفصِل. وعدد مفاصل الإنسان ستون وثلاثمائة.

ففي "صحيح مسلم" عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إِنَّهُ خُلِقَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ بَنِى آدَمَ عَلَى سِتِّينَ وَثَلاَثِمَائَةِ مَفْصِلٍ فَمَنْ كَبَّرَ الله وَحَمِدَ الله وَهَلَّلَ الله وَسَبَّحَ الله وَاسْتَغْفَرَ الله وَعَزَلَ حَجَرًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ شَوْكَةً أَوْ عَظْمًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ وأَمَرَ بمَعْرُوفٍ أَوْ نَهَى عَنْ مُنْكَرٍ عَدَدَ السِّتِّينَ وَالثَّلاَثِمَائَةِ فَإِنَّهُ يُمْسِي أَوْ يَمْشِى يَوْمَئِذٍ وَقَدْ زَحْزَحَ نَفْسَهُ عَنِ النَّارِ**».

«**تَعْدِلُ بَيْنَ الاثْنَيْنِ**». فعل تعدل والأفعال الأربعة بعده جاءت بالتاء للخطاب وبالياء للغيبة. ومعنى الجملة: أن المسلم إذا وجد شخصين يتنازعان ففصل بينهما بالعدل وردهما عن نزاعهما كان عمله صدقة يثاب عليها بالجنة.

«**وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَو يَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ**». جملة واضحة لا تحتاج إلى شرح، ومثل الدابة: السيارة. فلو وجدت مسلمًا في طريق سفر مثلًا توقفت به سيارته لخلل فيها فساعدته على إصلاح خللها حتى استطاع مواصلة السير بها كانت مساعدتك له صدقة تثاب عليها بالجنة.

«**وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ**». تقولها لأخيك المسلم «**صَدَقَةٌ**». ثوابها الجنة.

وفي "معجم الطبراني": عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قَالَ: «**في الجَنَّةِ غُرَفٌ يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا**». فَقَالَ أبو مَالِك الأشعريِّ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**لِمَنْ أَطَابَ الكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَبَاتَ قَائِمًا وَالنَّاسُ نِيَامٌ**». صححه

الحاكم على شرط الشيخين.

إطابة الكلام: اعتياد الكلمة الطيبة يقولها لأخيه المسلم يفرح بها قلبه ويرضى بها نفسه.

«وَبِكُلِّ خَطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلاَةِ صَدَقَةٌ». وذلك إذا توضأت وخرجت قاصدًا المسجد للصلاة، وثواب خطواتك التي هي صدقة: أن إحداها تحط عنك سيئة والأخرى ترفع لك درجة في الجنة.

ففي "صحيح مسلم" عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ، ثُمَّ مَشَى إِلَى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ الله، لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ الله، كَانَتْ خُطُوَاتُهُ إِحْدَاهُمَا تَحُطُّ خَطِيئَةً، وَالأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً».

الخصلة الموفية ثلاثين

التعبير عن الأَرَتِّ

عن أنس رضي الله عنه قال: حدث نبي الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بحديث فما فرحنا بشيء منذ عرفنا الإسلام أشد من فرحنا به قال: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُؤْجَرُ فِي إِمَاطَةِ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَفِي هِدَايَةِ السَّبِيلِ، وَفِي تَعْبِيرِهِ عَنِ الأَرْتَمِ، وَفِي مَنِيحَةِ اللَّبَنِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيُؤْجَرُ فِي السِّلْعَةِ تَكُونُ مَصْرُورَةً، فَيَلْمِسُهَا فَتُخْطِئُهَا يَدُهُ». رواه أبو يَعْلَي، والبزَّار وَزَادَ: «إِنَّهُ لَيُؤْجَرُ فِي إِتْيَانِهِ أَهْلَهِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيُؤْجَرُ فِي السِّلْعَةِ تَكُونُ فِي طَرَفِ ثَوْبِهِ فَيَلْمَسُهَا فَيَفْقِدُ مَكَانَهَا، فَيَخْفِقُ بِذَلِكَ فُؤَادُهُ فَيَرُدُّهَا اللهُ عَلَيْهِ وَيَكْتُبُ لَهُ أَجْرَهَا». وهو حديث حسن لغيره.

«وَفِي هِدَايَةِ السَّبِيلِ». هو إرشاد الضال وقد تقدم.

«وَفِي تَعْبِيرِهِ عَنِ الأَرْتَمِ». المراد بالأرتم: الأرَتّ -بفتح الراء وتشديد التاء- هو الذي لا يفصح الكلام ولا يبينه فتعبيرك عن مراده وإفصاحك بمقصوده تثاب عليه بالجنة.

ومثله: الترجمة عمن لا يحسن اللغة العربية أولا يفهمها من المسلمين الباكستانيين والهنديين والإفريقيين والأوروبيين وغيرهم، وكذلك التعبير عن الأخرس وإفهام مراده.

«وَفِي مَنِيحَةِ اللَّبَنِ». تقدمت أول الكتاب وهي أولى الخصال.

«حَتَّى إِنَّهُ لَيُؤْجَرُ فِي السِّلْعَةِ تَكُونُ مَصْرُورَةً، فَيَلْمِسُهَا فَتُخْطِئُهَا يَدُهُ». ثواب هذه الخصلة أقل من سابقاتها؛ لأنها مقصورة على صاحبها ليس فيها نفع يفيد غيره من المسلمين. وحاصل هذه الخصلة: أن المسلم تكون عنده البضاعة مصرورة ومربوطة في طرف ثوبه فيلمسها ليتأكد من وجودها فتخطئها يده فيفقد مكانها فيخفق فؤاده، ويطرب فزعًا لظنه ضياعها، ثم يجدها فيردها الله عليه، ويكتب له أجر فزعه عليها وأجرها: تكفير سيئة من سيئاته.

روى ابن أبي الدُّنيا، عن أمينة: أنها سألت عائشة رضي الله عنها عن هذه الآية ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤] الآية، ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣]، فقالت عائشة: ما سألني أحد منذ سألت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقال لي النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «يَا عَائِشَةُ هَذِهِ مُبَايَعَةُ الله بِمَا يُصِيبُهُ مِنْ الحُمَّى وَالنَّكْبَةِ وَالشَّوْكَةِ، حَتَّى البِضَاعَةُ يَضَعُهَا في

كُمِّهِ فَيَفْقِدُهَا فَيَفْزَعُ لَهَا فَيَجِدُهَا فِي ضِبْنِهِ، حَتَّى أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَيَخْرُجُ مِنْ ذُنُوبِهِ كَمَا يَخْرُجُ الذَّهَبُ الأَحْمَرُ مِنَ الكِيرِ».

الضِبْنُ بكسر الضاد وسكون الباء: ما تحت الإِبْط لجهة الخلف.

«يُؤْجَرُ فِي إِتْيَانِهِ أَهْلَهِ». يعني: أنه إذا جامع زوجه كان له إعفاف نفسه وزوجه عن الزنا وأجره في ذلك أجر صدقة.

جاء ناس فقراء إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقالوا: يَا رَسُولَ الله ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ -الأموال- بِالأُجُورِ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفَضْلِ أَمْوَالِهِمْ. قَالَ: «أَوَلَيسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَتَصَدَّقُونَ بِهِ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بِالمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ».

قالوا : يَا رسولَ الله، أَيَأتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فيهَا أَجْرٌ؟ قال: «أَرَأَيتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرامٍ أَكَانَ عَلَيهِ وِزرٌ؟ فكذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الحَلالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ». رواه مسلمٌ في "صحيحه" عن أبي ذَرٍّ رضي الله عنه.

والبُضْعُ بضم الباء: الفرج.

أخذ علماء الأصول من هذا الحديث قياس العكس وهو: إثبات عكس الحكم في شئ لثبوت عكس علته. وبيان ذلك: أن الحديث أثبت الأجر في جماع الزوجة لعلة الحلِّيَّة قياسًا على ثبوت الوزر في جماع الأجنبية لعلة التحريم.

الخصلة الواحدة والثلاثون
سَقْيُ المَاءِ

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أتى النَّبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم رجلٌ فقال: ما عَمَلٌ إن عَمِلْتُ بِهِ دَخَلْتُ الجنَّةَ؟ قال: «**أَنْتَ بِبَلَدٍ يُجْلَبُ بِهِ المَاءُ؟**» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «**فاشْتَرِ بِهَا سِقَاءً جَدِيدًا ثُمَّ اسْتَقِ فيهَا حَتَّى تَخْرِقَهَا فَإِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَهَا حَتَّى تَبْلُغَ بِهَا عَمَلَ الجَنَّةِ**». رواه الطبرانيُّ في "الكبير" ورواته ثقات.

وفي يحيى بن عبدالحميد الحِمَّاني كلام لا يضر؛ لأنه ثقة حافظ مشهور تكلم من تكلم فيه حسدًا -كما قال ابن مَعِين والرَّمَادِيُّ- وهو أول من صنف المسند بالكوفة، وهذا الحديث في "مسنده".

وقد قال ابن عَدِيٍّ: «لم أَرَ في مسنده وأحاديثه أحاديث مناكير وأرجو أنه لا بأس به».اهـ

فالحديث حسن بلا شك، وقد تقدم حديث الصحيحين: أن رجلًا سَقَى كلبًا فأدخله الله الجنة. وأن بَغِيَّة سَقَت كلبًا أيضًا فغفر الله لها، فكيف بمن يسقي مسلمًا؟ بل تقدم في الحديث الصحيح: «**وَإِفْرَاغُكَ مِنْ دَلْوِكَ في دَلْوِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ**». فسَقْيُ الماء للمسلمين في مكان يقل وجوده فيه عمل يوجب الجنة -بفضل الله تعالى- وهو إلى جانب هذا علاج روحي يشفي الله به المريض.

روى البيهقي في "شعب الإيمان" عن علي بن الحسن بن شَقِيق قال: سمعت عبدالله بن المبارك وسأله رجل: يا أبا عبدالرحمن قُرْحَة خرجت في

ركبتي منذ سبع سنين وقد عالجت بأنواع العلاج، وسألت الأطباء فلم أنتفع؟ قال: «اذهب فانظر موضعًا يحتاج الناس إلى الماء فيه، فاحفر هناك بئرًا فإني أرجو أن تنبع هناك عين ويمسك عنك الدم، ففعل الرجل فبرأ».

قال البيهقيُّ: وفي هذا المعنى حكاية شيخنا الحاكم أبي عبدالله – صاحب "المستدرك" – رحمه الله فإنه قَرِح في وجهه وعالجه بأنواع المعالجة فلم يذهب، وبقي فيه قريبًا من سنة، فسأل الأستاذ الإمام أبا عثمان الصابوني أن يدعو له في مجلسه يوم الجمعة، فدعا وأكثر الناس التأمين، فلما كانت الجمعة الأخرى أَلْقَتِ امرأة في المجلس رُقْعَةً بأنها عادت إلى بيتها واجتهدت في الدعاء للحاكم أبي عبدالله تلك الليلة، فرأت في منامها رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كأنه يقول لها قولي لأبي عبدالله: يوسع الماء على المسلمين.

قال البيهقيُّ: فجئت بالرُقْعة إلى الحاكم فأمر بسقاية بنيت على باب داره وحين فرغوا من بنائها أمر بصَبِّ الماء فيها وطرح الجَمْد بسكون الميم: الثلج في الماء. أخذ الناس في الشرب، فما مَرَّ أسبوع حتى ظهر الشفاء وزالت تلك القروح وعاد وجهه إلى أحسن ما كان وعاش بعد ذلك سنين.

قلت: يؤخذ من هذه القصة: أنَّ النساء كن يحضرن مجالس العلم والحديث، لكن مع التزام الحجاب والحشمة، والدين لا يمنع من تعليم المرأة.

وحديث: «**لا تُسْكِنُوهُنَّ العَلَالِيَّ وَلا تُعَلِّمُوهُنَّ الكِتَابَةَ، وَعَلِّمُوهُنَّ الغَزْلَ وَسُورَةَ النُّورِ**». حديث واهٍ شديد الضعف في سنده عبدالوهاب بن الضَحَّاك وهو كذَّاب.

وقد كان في رواة الحديث النبوي نساء كثيرات، قال الحافظ الذهبي في

"الميزان": «وليس في النساء -يعني راويات الحديث- من اتهمت ولا من تركوها». أي: ليس فيهن متهمة بالكذب ولا متروكة بشدة ضعفها.

وهذه ميزة لراويات الحديث يَمْتَزِنَ بها عن الرجال، وكانت امرأة الحافظ الهيثمي -وهي بنت شيخه الحافظ العراقي- تساعد زوجها في مراجعة كتب الحديث.

ثلاث خصال

وَهْبُ صِلَةِ الحَبْلِ، وَهْبُ الشَّسْعِ، إِيْنَاسُ الوَحْشَانِ

عَنْ أَبِي جُرَيٍّ الهُجَيْمِيِّ رضي الله عنه قال: أَتَيْتُ رَسُولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّا قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ البَادِيَةِ فَعَلِّمْنَا شَيْئًا يَنْفَعُنَا اللهُ بِهِ. قَالَ: «**لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوفِ شَيْئًا أَنْ تَأْتِيَهُ، وَلَوْ أَنْ تَهَبَ صِلَةَ الحَبْلِ، وَلَوْ أَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ المُسْتَسْقِي، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ المُسْلِمَ وَوَجْهُكَ بَسْطٌ إِلَيْهِ، وَلَوْ أَنْ تُؤْنِسَ الوَحْشَانِ بِنَفْسِكَ، وَلَوْ أَنْ تَهَبَ الشَّسْعَ**». رواه النَّسائيُّ بإسناد صحيح.

«**وَلَوْ أَنْ تَهَبَ صِلَةَ الحَبْلِ**». يكون لأخيك المسلم حبل يستقي به، أو يربط به شيئًا من متاعه ويحتاج إلى وصلة لقصره فوهبته قطعة حبل وصله بها قاصدًا مساعدته بها راجيًا ثواب الله فإن الله يثيبك الجنة.

«**وَلَوْ أَنْ تُؤْنِسَ الوَحْشَانِ بِنَفْسِكَ**». وجدت أخاك المسلم وحشان أي: مختليًا مهمومًا من شئ يخافه فآنست وحشته بنفسك وأذهبت عنه همه وفزعه حتى أمن واستأنس واطمأن فإن الله يثيبك الجنة.

«وَلَوْ أَنْ تَهَبَ الشَّسْعَ». الشَّسْع: ما يشد إلى زمام النعل، وهو في اصطلاح عصرنا: رباط الحذاء. فانظر إلى عظيم فضل الله تعالى! أشسع النعل القليل القيمة تثاب عليه بالجنة إذا نفعت به أخاك المسلم؟!

ألا ما أعظم كرم الله وفضله! وما أعظم سماحة هذا الدين الإسلامي الذي جاء بهذه التعاليم اليسيرة في عملها، الكبيرة في مغزاها وثوابها!

الخصلة الخامسة والثلاثون والسادسة والثلاثون
السماحة في البيع والشراء وفي القضاء والاقتضاء

وعن عثمان بن عفَّان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «أَدْخَلَ اللهُ عزَّ وجلَّ رَجُلًا كَانَ سَهْلًا مُشْتَرِيًا وَبَائِعًا وَقَاضِيًا وَمُقْتَضِيًا الْجَنَّةَ».رواه النَّسائيُّ بإسناد جيد.

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «دَخَلَ رَجُلٌ الجَنَّةَ بِسَمَاحَتِهِ قَاضِيًا وَمُقْتَضِيًا». رواه أحمد ورواته ثقات.

السهولة في الشراء: ألا يُلِحَّ على البائع في تخفيض الثمن وألا يحلفه على أن ثمن البضاعة كذا وكذا، ونحوه هذا مما يدخل به علي البائع ضيق وضجر، وإنما ينظر البضاعة التي يريدها ويتأكد من صلاحيتها ثم يعطي البائع الثمن الذي يراه مناسبًا لها، فإن رضي فذاك، وإن لم يرض ورأى أنها تستحق أكثر من ذلك الثمن زاده بقدر ما تستحق في نظره وإلا تركه وذهب لغيره.

والسهولة في البيع: ألا يقابل البائع المشتري بوجه عبوس، وألا يغلي سعر

البضاعة، وأن يقنع بالربح المعقول.

والسماحة في القضاء: أن المدين يرد الدين في ميعاده ولا يؤخره إن كان قادرًا؛ لأن تأخيره حرام. قال النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَطْلُ الغَنِيِّ ظُلْمٌ**». رواه الشيخان. وإذا رَدَّ الدَّيْنَ شكر صاحبه ودعا له.

والسماحة في الاقتضاء -وهو الطلب-: أن يطلب الدائن دينه برفق ولين من غير تعنيف ولا تثريب، وألا يخجله أمام الناس.

نعم إن تحقق أن المدين يمطله مع استطاعته الأداء فله أن يعنفه ويؤنبه لقوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إِنَّ لِصَاحِبِ الحَقِّ مَقَالًا**». ولقوله عليه الصلاة والسلام: «**لَيُّ الوَاجِدِ يُحِلُّ عِرْضَهُ**». أي امتناع الواجد المستطيع من قضاء ما عليه يبيح تعنيفه وتأنيبه.

الخصلة السابعة والثلاثون والثامنة والثلاثون
إنظار المعسر، التجاوز في النقد

عن حُذَيْفَةَ بنِ اليَمَانِ رضي الله عنهما، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إِنَّ رَجُلًا مَاتَ، فَقِيلَ لَهُ: مَا كُنْتَ تَعْمَلُ؟ فَإِمَّا ذَكَرَ وَإِمَّا ذُكِّرَ. فَقَالَ: كُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ، فَكُنْتُ أُنْظِرُ المُعْسِرَ، وَأَتَجَوَّزُ فِي السِّكَّةِ أَوْ فِي النَّقْدِ، فَغُفِرَ لَهُ فَدَخَلَ الجَنَّةَ**». رواه مسلم وابن ماجه.

إنظار المعسر -أي تأخيره إلى أن يتيسر له الأداء- واجب بنص القرآن، قال الله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠] ومسامحته أفضل كما في بقية الآية: ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

وهذا أحد المواضع التي كان المندوب فيها أفضل من الواجب.

والثاني: رد السلام واجب، والبدء به مندوب وهو أفضل.

والثالث: الوضوء للصلاة بعد دخول وقتها واجب، وقبله مندوب وهو أفضل.

«**وَأَتَجَوَّزُ فِي السِّكَّةِ أَوْ فِي النَّقْدِ**». يحتمل هذا الكلام معنيين:

أحدهما: أنه يبيع البضاعة بمائة درهم، فإذا دفع المشتري الثمن وجده ينقص درهمًا أو نصفه ولم يكن معه نقود فتجوز فيه ولم يطالبه بإحضاره.

ثانيهما: أنه باع البضاعة بمائة درهم ولما نقده المشتري الثمن وجد فيه درهمًا زائفًا أو نصفه راج على المشتري فتجوز فيه البائع ولم يطلب بدله.

وهذان المعنيان مرادان واللفظ عام يشملهما معًا.

وفي "الصحيحين" عن حُذَيْفَةَ أيضًا رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**إِنَّ رَجُلًا مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَتَاهُ الْمَلَكُ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ، فَقَالَ: هَلْ عَمِلْتَ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: مَا أَعْلَمُ. قِيلَ لَهُ: انْظُرْ؟ قَالَ: مَا أَعْلَمُ شَيْئًا غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا فَأُنْظِرُ الْمُوسِرَ وَأَتَجَاوَزُ عَنِ الْمُعْسِرِ فَأَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ**».

فقال أبو مسعود رضي الله عنه: وأنا سمعته.

قلت: هذه قصة أخرى كان الرجل فيها ينظر الموسر ويمهله مع يساره واستطاعته، أما المعسر فكان يترك له ما عليه ولا يطالبه به، وهذه أفضل كما مر آنفًا.

الخصلة التاسعة والثلاثون

ستر عورة المؤمن

عن أبي سعيد الخدريِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لا يَرَى مُؤْمِنٌ مِنْ أَخِيهِ عَوْرَةً فَيَسْتُرُهَا عَلَيْهِ إلا أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ**» رواه الطبرانيُّ في "الأوسط" و"الصغير".

العورة: معصية توجب حدًّا أو تعزيرًا كشرب الخمر أو الحشيشة مثلًا، فإذا اطَّلَعْتَ من أخيك على عورة مثل هذه وسترتها عليه فلم تحدِّث بها أحدًا كان ثوابك الجنة؛ لأنك بستر تلك العورة ودفنها في صدرك أبقيت على كرامته وأحييت منزلته بين إخوانه. ولذا اعتبرها الشارع بمنزلة إحياء المؤودة ففي أوسط معاجم الطبراني عن رَجَاءِ بْنِ حَيْوَةَ قال: سمعت مَسْلَمَةَ بْنَ مَخْلَدٍ يقول: بينا أنا على مصر فأتى البوَّابُ فقال: إنَّ أعرابيًّا على الباب يستأذن! فقلت: من أنت؟ قال: أنا جابر بن عبدالله. فأشرفتُ عليه فقلت: أنزلُ إليك؟ أو تصعدُ؟ قال: لا تنزلُ ولا أصعدُ، حديث بلغني أنك ترويه عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في ستر المؤمن جِئتُ أَسمعُه. قلت: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**مَنْ سَتَرَ عَلَى مُؤمِنٍ عَوْرَةً فَكَأَنَّما أَحْيَا مَوْءُودَةً**». فضرب بعيره راجعًا. ومن أحيا موءودة فله الجنة، وكذلك من أحيا كرامة المؤمن ومنزلته بدفن عورته كان ثوابه الجنة.

وفي "سنن أبي داود" و"الترمذي" عن دخين أبي الهيثم -كاتب عقبة بن عامر- قال: قلت لعقبة: إِنَّ لَنَا جِيرَانًا يَشْرَبُونَ الخَمْرَ، وَأَنَا دَاعٍ لَهُمُ الشُّرَطَ لِيَأْخُذُوهُمْ. قَالَ: لا تَفْعَلْ وَعِظْهُمْ وَهَدِّدْهُمْ. قلت: إِنِّي نَهَيْتُهُمْ فَلَمْ يَنْتَهُوا، وَأَنَا

دَاعٍ لَهُمُ الشُّرَطَ لِيَأْخُذُوهُمْ. فَقَالَ عُقْبَةُ: وَيْحَكَ لا تَفْعَلْ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يَقُولُ: «مَنْ سَتَرَ عَوْرَةً فَكَأَنَّما اسْتَحْيَا مَوْءُودَةً في قَبْرِهَا». صححه ابن حِبَّان والحاكم.

الخصلة الموفية أربعين: تعزية المسلم أو المسلمة

عن عَمْرِو بن حَزْمٍ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يُعَزِّي أَخَاهُ بِمُصِيبَةٍ إِلَّا كَسَاهُ اللهُ سُبْحَانَهُ مِنْ حُلَلِ الكَرَامَةِ يَوْمَ القِيَامَةِ». رواه ابن ماجه في "سننه".

وروى الترمذيُّ في "سننه" عن أبي بَرْزَةَ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «مَنْ عَزَّى ثَكْلَى كُسِيَ بُرْدًا في الجَنَّةِ».

التعزية: حق من حقوق المسلم على أخيه كشهود جنازته. فثوابهما واحد وهو: الجنة. والثُّكْل -بضم الثاء وسكون الكاف أو بفتحهما-: فقد المرأة ولدها. يقال: امرأة ثكلى وثاكل. بُرَد -بضم الباء وفتح الراء-: جمع بردة وهي كساء أسود مربع فيه تصاوير.

هذه الخصال الأربعون التي أشار إليها الحديث السابق هي كما ترى يسيرة في العمل كبيرة في الثواب، وهي إلى جانب ذلك تربط بين المسلمين برباط الألفة والمودة والتعاون، يشعر أحدكم بحاجة أخيه إلى مساعدة مادية أو معنوية فيَخِفُّ إليها قاصدًا صلة أخيه وتخفيف ما نزل به راجيًا رضاء الله عنه ونيل ثوابه، وبذلك يكون المجتمع الإسلامي أرقى المجتمعات، ومستوى أخلاق المسلمين أعلى المستويات، والله الموفق والهادي.

خصال أخرى من أنواع الطاعة وأعمال الخير

هذا وقد بقيت خصال غير قليلة من أنواع الطاعة وأعمال الخير يُثاب فاعلها بالجنة -كتلك الخصال الأربعين- أحببت إيرادها إتمامًا لموضوع الكتاب، وسيجد القارئ فيها خصالًا مكرَّرة وذلك لا يضر وهو محمول على تكرار الأسباب التي ورد الحديث لأجلها أو كررت للدلالة على أهميتها أو لغير ذلك من المناسبات.

والنبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم طبيب القلوب والأرواح يعلم ما يُذهبُ أدواءها ويُزيلُ عنها أسقامها فيَدُلُّ السائل المتعلم على ما يناسب حاله، ويهدي الحيران المسترشد إلى ما يذهب عنه حيرته ويرد إلى قلبه طمأنينته، وهو مع ذلك يفتح باب الرجاء للخاطئ العاصي وللمفرط المقصر، ويستحثُّ همة عامل الخير والساعي إليه على الاستكثار منه ويحضه على استدامته داعيًا هؤلاء إلى جنة عرضها السموات والأرض مبينًا لهم طريقها في هذه الأحاديث.

الحديث الأول

عن عبدالله بن سلام رضي الله عنه قال: أَوَّلُ مَا قَدِمَ النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم المَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، فَكُنتُ فيمَنْ جاءَهُ، فَلَمَّا تَأَمَّلْتُ وَجْهَهُ واستَبَنْتُه عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، فَكَانَ أَوَّلُ مَا سَمِعْتُ مِنْ كَلَامِهِ أَنْ قَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلَامٍ**». رواه الترمذيُّ وصححه، وابن ماجه، وصححه الحاكم علىٰ شرط الشيخين.

وفي "مسند أحمد" عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ : قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله إِنِّي إِذَا رَأَيْتُكَ طَابَتْ نَفْسِي وَقَرَّتْ عَيْنِي، أَنْبِئْنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ؟ قَالَ: «**كُلُّ شَيْءٍ خُلِقَ مِنَ المَاءِ**». قُلْتُ: أَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الجَنَّةَ؟ قال: «**أَطْعِمِ الطَّعَامَ، وَأَفْشِ السَّلامَ، وَصِلِ الأَرْحَامَ، وَصَلِّ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُ الجَنَّةَ بِسَلامٍ**». صححه ابن حِبَّان والحاكم.

إفشاء السلام هو: البدء به حين تقابل أخاك المسلم، وهو من حقوقه كما تقدَّم.

وإطعام الطعام: يكون بالقليل وبالكثير حسبما يتيسر.

وصلة الأرحام: تكون بالزيارة أو بالكتابة، أو بالمساعدة المادية أو المعنوية، ونحو هذا مما يشعر بالعطف والمودة.

والأرحام: كل من تربطك به صلة القرابة من جهة الأب أو من جهة الأم.

وصلاة الليل: فضلها عظيم يتجلىٰ الله فيها علىٰ عباده المصلين بأنواع المكرمات.

ودخول الجنة بسلام: يحتمل أن يكون بسلام من أهوال الموقف وشدة

الحساب، ويحتمل أن يكون مصحوبًا بسلام الملائكة عليهم. وهذا كما قال تعالى في أهل الجنة: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣ – ٢٤]

«كُلُّ شَيْءٍ خُلِقَ مِنَ المَاءِ» هذا مثل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠] فالإنسان خلق من ماء دافق، وكذلك الحيوان وسائر المخلوقات النباتية وما يتصل بها مخلوقة من ماء السماء.

(تنبيه): هذا الحديث أول حديث ورد بالمدينة وقد تحمله راويه وهو غير مسلم ثم أداه بعد إسلامه؛ لأن عبدالله بن سلام كان من علماء اليهود بالمدينة، ولما تحقَّق نبوة النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أسلم، ونزل فيه قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٠] فهو الشاهد الذي آمن وشهد له النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بأنه من أهل الجنة، كذلك ثبت في "الصحيحين" عن سعد بن أبي وقَّاص رضي الله عنه.

الحديث الثاني

عن البَرَاءِ بن عَازِبٍ رضي الله عنهما قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إلى رَسُولِ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله عَلِّمْنِي عَمَلًا يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ؟ قَالَ: «لَئِنْ كُنْتَ أَقْصَرْتَ الخُطْبَةَ، لَقَدْ أَعْرَضْتَ المَسْأَلَةَ، أَعْتِقِ النَّسَمَةَ، وَفُكَّ الرَّقَبَةَ». قَالَ: أَلَيْسَتَا وَاحِدَةً؟ قَالَ: «لَا، عِتْقُ النَّسَمَةِ أَنْ تَنْفَرِدَ بِعِتْقِهَا، وَفَكُّ الرَّقَبَةِ أَنْ تُعْطِيَ فِي ثَمَنِهَا، وَالمِنْحَةُ الوَكُوفُ، وَالفَيْءُ عَلَى ذِي الرَّحِمِ القَاطِعِ، فَإِنْ لَمْ تُطِقْ ذَلِكَ،

فَأَطْعِمِ الجَائِعَ، وَاسْقِ الظَّمْآنَ، وَأْمُرْ بِالمَعْرُوفِ، وَانْهَ عَنِ المُنْكَرِ، فَإِنْ لَمْ تُطِقْ ذَلِكَ، فَكُفَّ لِسَانَكَ إِلا مِنْ خَيْرٍ». رواه أحمد في "مسنده"، وابن حِبَّان في "صحيحه" واللفظ له.

النسمة -بفتح النون والسين-: النفس. والرقبة: النفس أيضًا.

وقد بيَّن الحديث الفرق بين العتق والفك، فجاء في القرآن بلفظ التحرير، أما الفك فجاء في القرآن كما جاء في الحديث قال تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ [البلد: ١١-١٣] جعل الحديث عتق النسمة موجبًا لدخول الجنة؛ لأن من أعتق نفسًا حررها من ذل العبودية، فحرر الله نفسه من النار فدخل الجنة، وأما دخول الجنة بفك الرقبة فلأجل التضعيف، ذلك أن الشخص إذا أعطى في ثمن الرقبة أضعف الله له ما أعطى[1] كما يضعف الصدقة حتى تصير مثل أحد والله يضاعف لمن يشاء.

«وَالمِنْحَةُ الوَكُوفُ»، بفتح الواو وضم الكاف هي: التي يدر لبنها وهي منيحة العنز أو الناقة أو البقرة، وكذلك منحها لأخذ وبرها أو صوفها.

«وَالفَيءُ عَلَى ذِي الرَّحِمِ القَاطِعِ». الفيء: الرجوع. والمعنى: أن المسلم إذا كان له قريب يقاطعه فلا يعامله بالمثل بل يصله ويعود عليه بفضل ماله أو طعامه أو ثيابه ويساعده إذا احتاج إلى مساعدةٍ، فهذه هي الصلة التي يدخل بها الجنة.

أما أن يصل قريبه الذي يصله فهي مكافأة وليست بصلة، ففي "صحيح البخاري" عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله

---

(١) وفيه مع هذا حضٌّ على الإسهام في عِتق الرقاب.

عليه وآله وسلَّم قال: «**لَيْسَ الوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ؛ وَلَكِنْ الوَاصِلُ الذِي إِذَا قَطَعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا**». قَطَعَت -بفتح القاف والطاء- مبني للمعلوم، ورحمه فاعله، ومن قرأه بالبناء للمجهول فقد حرف.

وفي صحيحي "ابن خزيمة" و"الحاكم": عن أُمِّ كُلْثُومٍ بِنْتِ عُقْبَةَ بن أبي مُعَيْطٍ رضي الله عنها: أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قَالَ: «**أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ الصَّدَقَةُ عَلَى ذِي الرَّحِمِ الْكَاشِحِ**». ومعنى الكاشح: الذي يضمر في كَشْحِه -خَصْرِه- العداوة وبقية الحديث لا يحتاج إلى شرح.

الحديث الثالث

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ اليَوْمَ صَائِمًا؟**». فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَنَا. فَقَالَ: «**مَنْ أَطْعَمَ اليَوْمَ مِنْكُمْ مِسْكِينًا؟**». فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. قَالَ: «**مَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ اليَوْمَ جَنَازَةً؟**». قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. قَالَ: «**مَنْ عَادَ مِنْكُمُ اليَوْمَ مَرِيضًا؟**». قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا. فَقَالَ رَسُولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَا اجْتَمَعَتْ هَذِهِ الخِصَالُ قَطُّ فِي رَجُلٍ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ**».

«**مَا اجْتَمَعَتْ هَذِهِ الخِصَالُ قَطُّ فِي رَجُلٍ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ**». اقتصر على ذكر الرجل لأن المرأة ليس لها أن تتبع الجنازة[1].

---

(١) رأى النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نساءً يتبعن جنازة فسألهنَّ: «**هل تحملن فيمن يحمل؟**» قلن: لا. قال: «**هل تدلين فيمن يدلي؟**» قلن: لا. قال: «**ارجعن مأزورات غير مأجورات**».

الحديث الرابع

عن أبي سعيد الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**خَمْسٌ مَنْ عَمِلَهُنَّ فِي يَوْمٍ كَتَبَهُ الله مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ: مَنْ عَادَ مَرِيضًا، وَشَهِدَ جِنَازَةً، وَصَامَ يَوْمًا، وَرَاحَ إِلَى الجُمُعَةِ، وَأَعْتَقَ رَقَبَةً**»(١). رواه ابن حِبَّان في "صحيحه".

هذا الحديث واضح لا يحتاج إلى شرح.

الحديث الخامس

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**يَعْجَبُ رَبُّكَ مِنْ رَاعِي غَنَمٍ عَلَى رَأْسِ شَظِيَّةٍ لِلْجَبَلِ يُؤَذِّنُ بِالصَّلَاةِ وَيُصَلِّي، فَيَقُولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي هَذَا يُؤَذِّنُ وَيُقِيمُ الصَّلَاةَ يَخَافُ مِنِّي، قَدْ غَفَرْتُ لَهُ وَأَدْخَلْتُهُ الجَنَّةَ**». رواه أبو داود والنَّسائيُّ.

شَظِيَّة -بفتح الشين وكسر الظاء وتشديد الياء-: قطعة من الجبل. «**يَعْجَبُ رَبُّكَ**»: العجب كناية عن الإقبال أي: يقبل عليه إقبال المتعجب من الشئ المستحسن له. «**فَيَقُولُ اللهُ عزَّ وجلَّ**» أي للملائكة «**يَخَافُ مِنِّي**» والخوف من الله جزاؤه الجنة، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١].

أما قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦]؛ فذلك لأن الخائف من الله تعالى لما قاوم نفسه والشيطان جُوزي بإباحة التنقل بين جنتين

---

(١) يمكن اجتماع هذه الخمس في يوم جمعة من شهر رمضان.

كما يكون للشخص في الدنيا بيتان ينتقل بينهما.

الحديث السادس

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَنْ أَكَلَ طَيِّبًا، وَعَمِلَ فِي سُنَّةٍ، وَأَمِنَ النَّاسُ بَوَائِقَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ**». قَالُوا: يَا رَسُولَ الله إِنَّ هَذَا فِي أُمَّتِكَ اليَوْمَ كَثِيرٌ. قَالَ: «**وَسَيَكُونُ فِي قَوْمٍ بَعْدِى**». رواه الحاكم وصحَّحه.

«**مَنْ أَكَلَ طَيِّبًا**»: أي حلالًا.

«**وَعَمِلَ فِي سُنَّةٍ**»: أي عمل في طريقة رشد وهداية لم يبتدع بدعة في الدين، ولم يتبع من ابتدعها.

«**وَأَمِنَ النَّاسُ بَوَائِقَهُ**»: أي غوائله وشروره، فلم يُؤذِ أحدًا، ولم يَسْعَ في إذايته.

والمسلم إذا اجتمعت فيه هذه الخصال جمع الخير كله؛ لأنه بأكله الحلال اجتنب المحرمات كالربا والغش والسرقة، وبعمله في سنة اجتنب البدعة والفسوق، وبأمن الناس من شروره كان مسلمًا حقًا لقوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**».

«**وَسَيَكُونُ فِي قَوْمٍ بَعْدِى**»: أي بكثرة، وذلك في القرنين الثاني والثالث الهجريين وهما بقية القرون الفاضلة التي قال عنها النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**خَيْرُ القُرُونِ القَرْنُ الذِي أَنَا فيهِ ثُمَّ الذِي يَلِيهِ ثُمَّ الذِي يَلِيهِ**». وأهل هذه القرون هم السلف الصالح، ثم ظهر بعدهم بدع ومفاسد آلت بالدين وأهله إلى ما ترى، والأمر لله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الحديث السابع

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن أعرابيًّا أتى النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الجَنَّةَ؟ قَالَ: «**تَعْبُدُ اللهَ لاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، وتَصُومُ رَمَضَانَ**». قَالَ: وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا. فَلَمَّا وَلَّى قَالَ النَّبِيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلى هَذَا**». رواه الشيخان.

«**تَعْبُدُ اللهَ**»: توحده وهو النطق بشهادة الإسلام مع اعتقاد مضمونها اعتقادًا راسخًا لا يخامر شك. ولم يذكر الحج إما لأنه كان لم يفرض إذ فرضيته متأخرة عن أركان الإسلام فهو آخرها نزولًا، وإما لأن الأعرابي كان لا يستطيع الحج، وإما لأنه كان قد أداه.

«**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلى هَذَا**»: أي إن وَفَّى بما قال. فهذا الشرط ملحوظ في الكلام، ويجوز أن يكون النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم علم بالوحي أن الأعرابي يَفي بقوله فيكون من جملة المبشرين بالجنة.

الحديث الثامن

عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه: أنَّ رَجُلًا قال للنبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ؟ قال: «**تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ وَتَصِلُ الرَّحِمَ**». رواه الشيخان.

معنى الحديث ظاهر ولم يذكر الصوم والحج؛ لأن هذا الحديث ورد في أوائل ما قَدِمَ النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم المدينة ونزل ببيت أبي أيوب، والصوم إنما فرض في السنة الثانية.

الحديث التاسع

عن أبي هريرة وأبي سعيد الخُدْرِيِّ رضي الله عنهما قَالَا: خَطَبَنَا رَسُولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فَقَالَ: «**وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ**». ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ أَكَبَّ، فَأَكَبَّ كُلُّ رَجُلٍ مِنَّا يَبْكِي لَا يَدْرِي عَلَىٰ مَاذَا حَلَفَ؟ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَفِي وَجْهِهِ البُشْرَىٰ، فَكَانَتْ أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ، فَقَالَ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يُصَلِّي الصَّلَوَاتِ الخَمْسَ وَيَصُومُ رَمَضَانَ وَيُخْرِجُ الزَّكَاةَ وَيَجْتَنِبُ الكَبَائِرَ السَّبْعَ؛ إِلَّا فُتِّحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ وَقِيلَ لَهُ: ادْخُلْ بِسَلَامٍ**». رواه النَّسائيُّ، وابن ماجه، وصحَّحه ابن حِبَّان والحاكم.

«**ثُمَّ أَكَبَّ**»: أي أطرق برأسه إطراق مهموم وكأنه كان ينتظر الوحي.

«**حُمْرِ النَّعَمِ**»: نوع من الإبل من أنفس أموال العرب.

«**وَيَجْتَنِبُ الكَبَائِرَ السَّبْعَ**»: هي الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات هكذا ثبتت في حديث "الصحيحين" عن أبي هريرة.

الحديث العاشر

عن عُبَيْدِ بن عُمَيْرٍ الليثيِّ، عن أبيه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في حَجَّةِ الوَدَاعِ: «**إِنَّ أَوْلِيَاءَ الله المُصَلُّونَ، وَمَنْ يُقِيمُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسَ الَّتِي كَتَبَهُنَّ اللهُ عَلَيهِ، وَيَصُومُ رَمَضَانَ وَيَحْتَسِبُ صَوْمَهُ، وَيُؤْتِي الزَكَاةَ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ، وَيَجْتَنِبُ الكَبَائِرَ الَّتِي نَهَى اللهُ عَنْهَا**». فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: يَا رَسُولَ الله وَكَمِ الكَبَائِرُ؟ قال: «**تِسْعٌ أَعْظَمُهُنَّ: الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَقَتْلُ المُؤْمِنِ بِغَيْرِ حَقٍّ،**

وَالفِرَارُ مِنَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَةِ، وَالسِّحْرُ، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ المُسْلِمَيْنِ، وَاسْتِحْلَالُ البَيْتِ العَتِيقِ الحَرَامِ قِبْلَتِكُمْ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا، لَا يَمُوتُ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ هَؤُلَاءِ الكَبَائِرَ، وَيُقِيمُ الصَّلَاةَ وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ إِلَّا رَافَقَ مُحَمَّدًا صلى اللهُ عليه وسلم فِي بُحْبُوحَةِ جَنَّةٍ؛ أَبْوَابُهَا مَصَارِيعُ الذَّهَبِ».

رواه الطبرانيُّ في "الكبير" بإسناد حسن.

«إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ المُصَلُّونَ»: لأن الصلاة عماد الدين وهي صلة بين الله وعبده، وجدير بمن يَطْرُق باب مولاه خمس مرات في اليوم والليلة أن يتولاه برعايته.

«طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ»: يعطيها طيِّب النفس منشرح الصدر، غير مُتكرِّه ولا ضَجِر، معتقدًا أن الله تعالىٰ يطهر بها ماله ويزكي قلبه ويبارك رزقه.

«وَالفِرَارُ مِنَ الزَّحْفِ»: هو التولي يوم الزحف، وهو الهروب من القتال في الجهاد ضد الكفار.

فالواجب علىٰ المسلم أن يستميت في جهادهم حتىٰ يستشهد أو ينصره الله تعالىٰ قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ ﴾ فرارًا منهم ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ ﴾ بأن تراجع من جهة ليقاتل في جهة أخرىٰ أكثر ملائمة منها، ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ ﴾ من المسلمين ليقاتل بجانبهم ﴿فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الأنفال: ١٦].

«وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ المُسْلِمَيْنِ»: يفيد أن عقوق الوالدين الكافرين أقلُّ تحريمًا

وأَدْوَنُ إثمًا.

«وَاسْتِحْلَالُ البَيْتِ العَتِيقِ»: القديم؛ لأنه أقدم بيت لله وضع في الأرض قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٦]، واستحلاله بقتل مسلم فيه أو إذايته.

«قِبْلَتِكُمْ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا»: يفيد وجوب دفن المسلم مستقبل القبلة كما في الصلاة فإن دفن إلى جهة غيرها أخرج وأعيد دفنه إلى جهتها.

«بُحْبُوحَةِ»: بضم البائين -بينهما حاء مهملة ساكنة- معناها: سعة.

«مَصَارِيعُ»: جمع مِصراع بكسر الميم، وللباب مصراعان.

الحديث الحادي عشر

عن أبي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**خَمْسٌ مَنْ جَاءَ بِهِنَّ مَعَ إِيمَانٍ دَخَلَ الجَنَّةَ: مَنْ حَافَظَ عَلَى الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ عَلَى وُضُوئِهِنَّ وَرُكُوعِهِنَّ وَسُجُودِهِنَّ وَمَوَاقِيتِهِنَّ، وَصَامَ رَمَضَانَ، وَحَجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، وَأَعْطَى الزَّكَاةَ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ، وَأَدَّى الأَمَانَةَ**». قِيلَ: يَا رَسُولَ الله، وَمَا أَدَاءُ الأَمَانَةِ؟ قَالَ: «**الغُسْلُ مِنَ الجُنَابَةِ، إِنَّ اللهَ لَمْ يَأْمَنِ ابْنَ آدَمَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ دِينِهِ غَيْرَهَا**». رواه الطبرانيُّ بإسناد جيد.

فسر الحديث الأمانة بالغسل من الجنابة؛ لأنه لا يكون إلا في خلوة من الناس لما فيه من كشف العورة بخلاف الفرائض الأخرى -كالصلاة والزكاة والصوم والحج- فإنها تكون بصفة جماعية.

أما الأمانة في قول الله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ

وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ﴾ [الأحزاب: ٧٢] فاختلف فيها على أقوال كثيرة الذي نرجحه منها: أنها التكاليف الشرعية التي كلف الله بها عباده؛ لأن الله تعالى لما خلق الإنسان ليجعله خليفة في الأرض حمله أمانة التكاليف التي يمشي عليها من عبادات ومعاملات، فمن أخلَّ بها عُذِّبَ ومن أقامها غُفِرَ له. ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢ – ٧٣].

الحديث الثاني عشر

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رَسُولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ: «**اكْفُلُوا لِي بِسِتٍّ أَكْفُلْ لَكُمُ الجَنَّةَ**». قُلْتُ: مَا هِيَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**الصَّلَاةُ وَالزَّكَاةُ وَالأَمَانَةُ وَالفَرْجُ وَالبَطْنُ وَاللِّسَانُ**». رواه الطبرانيُّ في "الأوسط" بإسناد لا بأس به.

«**وَالأَمَانَةُ**»: أي تؤديها إلى صاحبها قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ [النساء: ٥٨]. وقال النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ**».

«**وَالفَرْجُ**»: يحفظ من الزنا، واللواط، وإتيان الحائض، والمرأة في دبرها، والاستمناء.

«**وَالبَطْنُ**»: يحفظ من الحرام كالخنزير، والربا، والخمر، وإفطار رمضان بغير عذر.

«وَاللِّسَانُ»: يحفظ من الكذب، والغيبة، والنميمة، وشهادة الزور، ونحو ذلك من المعاصي اللسانية.

الحديث الثالث عشر

عن عثمان بن عفَّان رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يَقُولُ: «مَنْ بَنَى مَسْجِدًا يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللهِ بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا في الجَنَّةِ». رواه الشيخان.

لهذا الحديث طرق وألفاظ، وفي "الصحيحين" وغيرهما عن عثمان وأبي ذَرٍّ وغيرهما، وفي بعض ألفاظه: «مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لله وَلَوْ كَمَفْحَصِ قَطَاةٍ، بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا في الجَنَّةِ».

ومَفْحَصِ القَطَاة: مكان جلوسها؛ لأنها لا تفحصه وهو كناية عن صغر المسجد. والمعنى: أن الله تعالى يثيب باني المسجد ببيت في الجنة إذا كان بناؤه لله لا للتباهي والتفاخر سواء أكان المسجد كبيرًا أم صغيرًا، ومثله: إنشاء مصليات في الطريق وعلى حافة الترع، وكذلك بناء مستشفى لعلاج مرضى المسلمين أو بناء مدرسة لتعليم أولادهم.

الحديث الرابع عشر

عن عياض بن حمار رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «أَهْلُ الجَنَّةِ ثَلاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ القَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٌ، وعَفيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ». رواه مسلم في "صحيحه".

«ذُو سُلْطَانٍ»: صاحب سلطة وحكم. «مُقْسِطٌ»: عادل لا يجور في حكمه. «مُوَفَّقٌ»: في أعماله؛ لأن الله يوفقه حيث كان عادلًا. «وَرَجُلٌ رَحِيمٌ»: ليس عنده قسوة القلب. و«رَقِيقُ القَلْبِ»: لين القلب عطوف. «لِكُلِّ ذِي قُرْبَى»: من تربطه بهم قرابة ورحم. «وَمُسْلِمٌ»: ولكل مسلم أيضًا. «وعَفِيفٌ»: لا يسأل الناس.

«مُتَعَفِّفٌ»: لا يأخذ من أحد أعطاه شيئًا، وهو مع ذلك «ذُو عِيَالٍ» يقوتهم مما يرزقه الله من عمله وإن كان قليلًا فهو قنوع؛ لأن العفة والقناعة متلازمان.

الحديث الخامس عشر

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قَالَ: «مَنْ أَذَّنَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ، وَكُتِبَتْ لَهُ بِتَأْذِينِهِ كُلَّ يَوْمٍ سِتُّونَ حَسَنَةً، وَبِكُلِّ إِقَامَةٍ ثَلاثُونَ حَسَنَةً». رواه ابن ماجه والدارقطني في "سننيهما"، وصححه الحاكم على شرط البخاري.

هذا الثواب لمن أذَّن بدون أجر؛ لأنه كذلك كان في عهد النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ولأن الآذان من الوظائف الدينية التي لا يؤخذ عليها أجر.

الحديث السادس عشر

عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فَقَامَ بِلَالٌ رضي الله عنه يُنَادِي، فَلَمَّا سَكَتَ قَالَ رَسُولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «مَنْ قَالَ مِثْلَ هَذَا يَقِينًا دَخَلَ الجَنَّةَ». رواه النَّسائيُّ وابن ماجه، وصححه ابن حِبَّان والحاكم.

«مَنْ قَالَ مِثْلَ هَذَا»: وهي كلمات الأذان. «يَقِينًا»: أي مصدقًا بها معتقدًا لها؛ لأنها تشتمل على المعاني الآتية:

١- تكبير الله، وتعظيمه، والاعتراف بأنه أكبر من كل كبير.

٢- شهادة الإسلام: وهي الشهادة التي تحرز دم الإنسان وماله، وتنجيه من النار.

٣- الدعوة إلى الصلاة: وهي أمر بالمعروف.

٤- الدعوة إلى الفلاح ويعم كل خير: وهو أمر بالمعروف.

٥- الهَيْلَلَة: وهي أفضل الذكر.

الحديث السابع عشر

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «إِذَا قَالَ: المُؤَذِّنُ اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، فَقَالَ: أَحَدُكُمُ اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الصَّلاَةِ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ، ثُمَّ قَالَ: حَيَّ عَلَى الْفَلاَحِ، قَالَ: لَا حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ، ثُمَّ قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ مِنْ قَلْبِهِ دَخَلَ الجَنَّةَ». رواه مسلمٌ وأبو داود النَّسائيُّ.

فمن قال مثل قول المؤذن مدركًا لمعناه متيقنًا به دخل الجنة؛ لاشتمال الآذان على تلك المعاني العظيمة التي بيناها آنفًا.

وثبت في ثواب حكاية المؤذن حديث يشتمل على زيادة تضم إلى ما هنا ففي "صحيح مسلم" عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه سمع

رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**إِذَا سَمِعْتُمْ المُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّه مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الوَسِيلَةَ**[1] **فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الجَنَّةِ لاَ تَنْبَغِي إِلاَّ لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ**

---

(١) قد يقال: كيف يطلب مِن أُمَّته أن يسألوا له الوسيلة وهو عظيم الجاه عند مولاه كبير القَدْر لديه؟!

وقد وَعَدَهُ بعطاءٍ لا كُنه لوصفه حيث قال له: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى:٥] وهل يرضى بدون الوسيلة منزلة؟

سؤال وجيه وقع مضمونه في كلام للشيخ الأكبر محي الدين ابن العربي الحاتمي ولم يجب عنه بل صرَّح بتوقُّفه في فهم حِكْمَة هذا الطلب منه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

وأنا أجيب عنه بما فتح الله به عليَّ وألهمنيه، وهو: أنَّ شفاعة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نوعان: عامَّةٌ وخاصَّةٌ.

فالعامَّة: لا تتوقَّف على عملٍ يقوم به المشفوع فيه وهي شفاعته في أهل الموقف بتعجيل حسابهم، فيعم بشفاعته المؤمنين والكفَّار والطائعين والعصاة.

والخاصة: تتوقَّف على عملٍ يقوم به المشفوع فيه، فشفاعته في العصاة لإخراجهم من النار أو عدم دخولهم لها متوقِّفةٌ على أن يكونوا مسلمين لقوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم «**شفاعتي لكلِّ مسلمٍ**».

وشفاعته لرفع درجات بعض المؤمنين متوقِّفةٌ على أن يكون للمشفوع فيه شيء من عملٍ صالحٍ، سأله بعض خدمه أن يشفع له فقال: «**إني فاعل، فأعنِّي على نَفْسِكَ بكثرة السُّجودِ**».

والصَّلاة عليه حقٌّ مِن حقوقه على الأمَّة بنصِّ القرآن الكريم، ومع ذلك قال: «**مَن صَلَّى عليّ عشرًا إذا أصبح وإذا أمسى أدركته شفاعتي**». بيَّن بهذا أن رصيدًا مَن

أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ».

الحديث الثامن عشر

عن عُقْبَةَ بن عَامِرٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ الْوُضُوءَ، وَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ يُقْبِلُ بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ عَلَيْهِمَا إِلاَّ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ». رواه مسلم في "صحيحه".

يفيد الحديث: ندب صلاة ركعتين بعد الوضوء.

الحديث التاسع عشر

عن عبدالله بن بُرَيْدَةَ بن الحُصَيْبِ، عن أبيه رضي الله عنه قال: أَصْبَحَ رَسُولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يَوْمًا، فَدَعَا بَلَالًا رضي الله عنه فَقَالَ: «يَا بِلَالُ بِمَ سَبَقْتَنِي إِلَى الجَنَّةِ؟ إِنِّي دَخَلْتُ البَارِحَةَ الجَنَّةَ فَسَمِعْتُ خَشْخَشَتَكَ أَمَامِي». فَقَالَ بِلالٌ: يَا رَسُولَ الله، مَا أَذَّنْتُ قَطُّ إِلا صَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ، وَمَا

الصلاة عليه يجعل للمصلِّي حقٌّ في شفاعةٍ خاصَّةٍ تناله.

كذلك جعل سؤال الوسيلة سببًا لنيل شفاعةٍ خاصَّةٍ ينالها المقيمون للصلاة - المحافظون عليها- حيث قرنه بسماع الآذان، وصاغه في أسلوب شائق أخبر فيه أن الوسيلة منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبدٍ من عباد الله تحريضًا لهم على سؤالها له لينتفعوا بشفاعته، وهذا كما حضَّ الله تعالى المسلمين على الصدقة بقوله: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥]

فجعل الصدقة قرضًا له -وهو غني عن المخلوقات- لكنه حضهم على الصدقة بهذا الأسلوب الذي يحرِّك في نفوس المؤمنين الهِمَّة والعزيمة.

أَصَابَنِي حَدَثٌ قَطُّ إِلا تَوَضَّأْتُ عِنْدَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «بِهَذَا». رواه ابن خُزَيْمَةَ في "صحيحه".

يفيد الحديث أمرين:

أحدهما: استحباب صلاة ركعتين عقب الآذان للمؤذن، ومن قرأ الحديث: «ما أذنبت قط إلا صليت ركعتين». فقد حرف، إذ الرواية ثبتت بالأذان لا بالذنب.

ثانيهما: استحباب الوضوء عند كل حدث ليكون المؤمن مستعدًا للصلاة، أو حمل مصحف، أو نحو ذلك من العبادات.

(**تنبيه**): ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قَالَ لِبِلَالٍ رضي الله عنه: «**يَا بِلَالُ حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الإِسْلَامِ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الجَنَّةِ**». قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى عِنْدِي مِنْ أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طُهُورًا فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلَّا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّي.

دَفَّ نَعْلَيْكَ: أي حركة المشي بهما.

وهذا الحديث والذي قبله يفيدان: أنَّ بلالًا رضي الله عنه من جملة المبشرين بالجنة، وهم جماعة من الصحابة فيهم العشرة، وفاطمة، وخديجة، وحفصة، والحسن، والحسين، وعبدالله بن سلام، وعُمَير بن الحُمَام، وأنس بن مالك، ووالدته، وسعد بن معاذ، وصفية بنت عبدالمطلب، وأبو الدَّحْدَاح، ومالك بن سِنَان، وغيرهم.

الحديث العشرون

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «مَنْ غَدَا إِلَى المَسْجِدِ أَوْ رَاحَ، أَعَدَّ اللهُ لَهُ نُزُلًا في الجَنَّةِ كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ». رواه الشيخان.

النُّزُل -بضم النون والزاي-: الطعام الذي يعد للقادم. والغُدُوُّ: الذهاب صباحًا. والرَّوَاحُ: الذهاب مساء.

وهذا الثواب يشمل من غدا إلى المسجد أو راح لصلاة أو انتظارها، أو لحضور مجلس علم أو ذكر، أو للجلوس فيه بشرط ألا يتكلم بغيبة أو كذب أو ما أشبههما.

الحديث الحادي والعشرون

عن أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّي لله تَعَالَى في كُلِّ يَوْمٍ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً -غَيْرَ الفَرِيضَةِ- إِلَّا بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا في الجَنَّةِ». رواه مسلم في «صحيحه».

وهذه الاثنتا عشرة ركعة هي: ركعتا الفجر أي سنة الصبح، وأربع ركعات قبل الظهر، وركعتان بعدها، وأربع ركعات قبل العصر، واليوم من أذان الفجر إلى غروب الشمس.

الحديث الثاني والعشرون

عن أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «مَنْ صَلَّى البَرْدَيْنِ دَخَلَ الجَنَّةَ». رواه الشيخان.

البَرْدان -بفتح الباء وسكون الراء-: الصبح، والعصر. والحديث يفيد

تأكيد المحافظة على هاتين الصلاتين في وقتها.

وفي "صحيح مسلم" عن عُمَارَةَ بن رُوَيْبَةَ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يَقُولُ: «**لَنْ يَلِجَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا**». يعني الصبح والعصر، وهذا دليل من قال: إن هاتين الصلاتين هما الصلاة الوسطى.

الحديث الثالث والعشرون

عن أنس رضي الله عنه: أنَّ رَسُولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بَعَثَ رَجُلا عَلَى سَرِيَّةٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ لأَصْحَابِهِ فِي صَلاتِهِمْ فَيَفتتح بِـ «قل هو الله أحد». وذكر حديثًا طويلًا قال في آخره: فَلَمَّا أَتَاهُمْ النَّبِيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أَخْبَرُوهُ الخَبَرَ، فَقَالَ: «يا **فُلَانُ مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَفْعَلَ مَا يَأْمُرُكَ بِهِ أَصْحَابُكَ؟ وَمَا يَحْمِلُكَ عَلَى لُزُومِ هَذِهِ السُّورَةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ؟**» فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّهَا. فَقَالَ: «**حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ**». رواه البخاريُّ والترمذيُّ.

(سورة الإخلاص) سورة عظيمة حبها يوجب دخول الجنة كما في هذا الحديث، بل قراءتها توجب دخول الجنة أيضًا كما في الحديث الآتي بعده، وثبت في "الصحيحين": «**أَنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**». لأنها تدل على المعاني الآتية:

١ - التوحيد الخالص.

٢- نفي الشرك بجميع أنواعه.

٣- نفي المشابهة والتكافؤ بين الله ومخلوقاته.

وللحافظ -أبي العباس- أحمد بن تيمية جزء في تفسيرها مطبوع وهو مفيد.

الحديث الرابع والعشرون

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أَقْبَلْتُ مَعَ رَسُولِ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فَسَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١-٤]. فَقَالَ رَسُولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «وَجَبَتْ». فَسَأَلْتُهُ: مَاذَا يَا رَسُولَ الله؟ فَقَالَ: «الجَنَّةُ». فَأَرَدتُ أَنْ أَذْهَبَ إِلَى الرَّجُلِ فَأُبَشِّرَهُ، ثُمَّ فَرِقْتُ أَنْ يَفُوتَنِي الغَدَاءُ مَعَ رَسُولِ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ثُمَّ ذَهَبْتُ إِلَى الرَّجُلِ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ ذَهَبَ. رواه الإمام مالك واللفظ له، والنَّسائيُّ، والترمذيُّ والحاكم وصحَّحاه.

الحديث الخامس والعشرون

عن شَدَّادِ بن أَوْسٍ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قَالَ: «سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ العَبْدُ: اللهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وأَبُوءُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ، فَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ». رواه البخاريُّ في "صحيحه".

«وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ»: الذي أخذته على بني آدم حين قلت لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢] ولذا استفتح بقوله: «اللهُمَّ أَنْتَ رَبِّي». تأكيدًا للوفاء بالعهد والاستمساك به.

«وَوَعْدِكَ»: الذي وعدك به آدم حين حمل أمانة التكاليف بأن يطيع ولا يعصي ويمتثل ولا يخالف. «مَا اسْتَطَعْتُ»: بقدر استطاعتي. فإذا عصيتك بإغواء الشيطان، أو خالفت بعض أمرك لسهو أو نسيان، فإني ألجأ إليك متوسلًا بضعفي وعجزي بين يديك. «أعُوذُ بِكَ»: أتحصن بك. «مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ»: مما أخلفت به وعدك فأنت تقيني عاقبته. «أَبُوءُ لَكَ»: أعترف لك.

وكان هذا الدعاء سيد الاستغفار ومن قرأه موقنًا به فمات دخل الجنة؛ لاشتماله على معاني عظيمة:

١ - الإقرار بربوبية الله تعالى للعبد، وتفرده بالألوهية وبالخلق.

٢ - تجديد البقاء على عهد الله ووعده بقدر الاستطاعة.

٣ - التحصن بالله، والالتجاء إليه فيما يقع من العبد مخالفًا للوعد.

٤ - الاعتراف بنعمة الله على عبده وهو شكر الله عليها.

٥ - الاعتراف بالذنب، وطلب غفرانه.

٦ - الإقرار بأن الذنب لا يغفره إلا الله تعالى، ولا يغفره غيره كائنًا من كان، فالذين يطلبون مغفرة ذنوبهم من رئيسهم الديني كالبطريرك والبابا، في ضلال مبين.

الحديث السادس والعشرون

عن رَافِعِ بن خَدِيجٍ رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قَالَ: «**إذا اضْطَجَعَ أَحَدُكُمْ عَلَى جَنْبِهِ الأَيْمَنِ، ثُمَّ قالَ: اللهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إليكَ، ووَجَّهْتُ وَجْهِي إليكَ، وألجأْتُ ظَهْرِي إليكَ، وفَوَّضْتُ أَمْرِي إليكَ، لا مَنْجَى مِنْكَ ولا مَلْجَأَ إلَّا إليكَ، أُؤمِنُ بِكِتَابِكَ وبرسولكَ. فإنْ مَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ**

دَخَلَ الجَنَّةَ». رواه الترمذيُّ وحسَّنه.

«اللهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إليك»: الشخص حين ينام لا يدري أين تذهب نفسه؟ فهو يسلمها إلى الله تعالى يحفظها عليه في نومه كما يحفظها في يقظته.

«وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إليك»: هذا كقول إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩]،والمراد بهذه العبارة: إفراد الله بالتوحيد الخالص ونبذ ما سواه.

«وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إليك»: هذه العبارة كناية يراد بها معنى اعتمدت عليك.

«وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إليك»: هذا كقول مؤمن آل فرعون: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٤] ومقام التفويض عزيز لم يذكر في القرآن إلا في هذه الآية؛ لأنه مقام من كمل إيمانه وصدق يقينه.

«لَا مَنْجَى»: -بفتح الميم والجيم وسكون النون- لا مكان للنجاة.

«مِنْكَ»: من عقابك. «وَلَا مَلْجَأَ»: من عذابك. «إِلَّا» بالتجاء «إِلَيْكَ» وطلب العفو منك.

«أُؤمِنُ بِكِتَابِكَ»: القرآن المصدق لما بين يديه من الكتاب والمهيمن عليه.

«وَبِرَسُولِكَ»: النَّبي الأمي خاتم النبيين صلى الله عليه وعليهم وسلم.

الحديث السابع والعشرين

عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إِذَا أَوَى الرَّجُلُ إِلَى فِرَاشِهِ ابْتَدَرَهُ مَلَكٌ وَشَيْطَانٌ فَيَقُولُ المَلَكُ: اخْتِمْ بِخَيْرٍ، وَيَقُولُ الشَّيْطَانُ: اخْتِمْ بِشَرٍّ؛ فَإِنْ ذَكَرَ اللهَ ثُمَّ نَامَ بَاتَ المَلَكُ يَكْلَؤُهُ. وَإِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ**

المَلَكُ: افْتَحْ بِخَيْرٍ، وَقَالَ الشَّيْطَانُ: افْتَحْ بِشَرٍّ؛ فَإِنْ قَالَ: الحَمْدُ لله الذي رَدَّ عَلَيَّ نَفْسِي وَلَمْ يُمِتْهَا في مَنَامِهَا، الحَمْدُ لله الذي يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا، الحَمْدُ لله الذي يُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إلا بِإِذْنِهِ. فَإِنْ وَقَعَ عَنْ سَرِيرِهِ فَمَاتَ دَخَلَ الجَنَّةَ».

رواه أبو يَعْلَىٰ بإسناد صحيح.

ورواه الحاكم وزاد في روايته: «الحَمْدُ لله الذي يُحْيِي المَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ». وصححه علىٰ شرط مسلم.

«يَكْلَؤُهُ»: يحفظه.

«وَلَمْ يُمِتْهَا في مَنَامِهَا»: يشير إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ﴾ يقبض ﴿ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ ويقبض ﴿وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ﴾ عنده ﴿ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾ لا يردها إلىٰ بدنها ﴿وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ وهي النفس التي توفاها وفاة نوم فيردها إلىٰ بدنها تديره ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢]وهو انتهاء العمر فيتوفاها حينئذ وفاة موت لا رجوع لها بعده.

وحَمْدُ الله علىٰ أنه لم يمت الشخص في النوم؛ لأنه أعطاه فرصة لتدارك ما فاته من عمل.

«يُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ»: يفيد أن السماء مرفوعة بقدرة الله تعالىٰ لا علىٰ عَمَد، وهو موافق للآية الأخرىٰ: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ [لقمان: ١٠].

الحديث الثامن والعشرون

عن ثَوْبَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «مَنْ يَكْفُلُ لِي أَنْ لَا يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا وَأَتَكَفَّلُ لَهُ بِالجَنَّةِ؟» فَقُلْتُ: أَنَا. فَكَانَ لَا يَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا. رواه أبو داود بإسناد صحيح.

وفي "مسند أحمد" بإسناد حسن عن أبي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: دَعَانِي رَسُولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فَقَالَ: «هَلْ لَكَ إِلَى البَيْعَةِ وَلَكَ الجَنَّةِ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، وَبَسَطْتُ يَدِي. فَقَالَ رَسُولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: وَهُوَ يَشْتَرِطُ عَلَيَّ أَلَّا أَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا. قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: «وَلَا سَوْطَكَ إِنْ سَقَطَ مِنْكَ حَتَّى تَنْزِلَ فَتَأْخُذَهُ». هذان الحديثان يحضان على ترك سؤال الناس، ورفع الهمة عنهم؛ لأن في السؤال إراقة ماء الوجه ونقص الكرامة وإهانة لعزة الإيمان، ومن الحِكَم المشهورة: السؤال ولو: كيف الطريق مذلَّة.

وفي الحديث عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «لَا تَزَالُ المَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتَّى يَلْقَى اللهَ وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ».

«مُزْعَةُ»: بضم الميم وسكون الزاي: قطعة. أذهب سؤالُ الناس في الدنيا لحمَ وجهه يوم القيامة.

الحديث التاسع والعشرون

عن عُمَرَ بن الخَطَّابِ رضي الله عنه عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ -أو فَيُسْبِغُ- الوُضُوءَ ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ

الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ». رواه مسلمٌ في "صحيحه"، والترمذيُّ وزاد: «اللهُمَّ اِجْعَلْنِي مِنْ اَلتَّوَّابِينَ، وَاجْعَلْنِي مِنْ اَلْمُتَطَهِّرِينَ».

«فيُبْلِغُ أو فَيُسْبِغُ» بضم أولها: أي فَيُتِمُّ الوضوء.

«فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ» يعني يوم القيامة.

«اللهُمَّ اِجْعَلْنِي مِنْ اَلتَّوَّابِينَ، وَاجْعَلْنِي مِنْ اَلْمُتَطَهِّرِينَ» ليدخل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

الحديث الثلاثون

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «مَا مِنْ رَجُلٍ تَعَلَّمَ كَلِمَةً أَوْ كَلِمَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا أَوْ خَمْسًا مِمَّا فَرَضَ اللهُ عزَّ وجلَّ فَيَتَعَلَّمُهُنَّ وَيُعَلِّمُهُنَّ، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ».

قَالَ أَبُو هريرة: فَمَا نَسِيتُ حَدِيثًا بَعْدَ إِذْ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم. رواه أبو نُعَيم في كتاب العلم.

قال الحافظ المنذري: «إسناده حسن لو صح سماع الحسن من أبي هريرة».

قلت: صح سماعه في حديث عند أبي يَعْلَى في "مسنده" إسناده جيد وصرَّح بسماعه من أبي هريرة أيضًا في حديث عند الطبرانيِّ في "المعجم الصغير" لكن في إسناده ضعف.

«تَعَلَّمَ كَلِمَةً أَوْ كَلِمَتَيْنِ» أي جملة أو جملتين لأن الكلمة يراد بها الجملة من الكلام قال الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ [المؤمنون: ١٠٠] أراد بكلمة: قول الكافر عند موته: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون:

٩٩ - ١٠٠] وقال الله تعالىٰ: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ﴾ [الفتح: ٢٦] أي: لا إله إلا الله. «**مِمَّا فَرَضَ اللهُ عزَّ وجلَّ**» فرض عين أو فرض كفاية.

فالأول: كمسائل الطهارة والحيض والنفاس والصلاة والصيام والزكاة لمن عنده مال يزكيه والحج لمن يريده وأحكام التجارة والزراعة لمن يباشرهما، وأحكام المعاشرة الزوجية ليعلم كل من الزوجين ما له وما عليه.

والثاني: كالتوسع في علوم الشريعة بأنواعها وفي علوم اللغة وما يتعلق بها، وكتعلم الطب والحساب وبعض اللغات الأجنبية وسائر العلوم التي تعود علىٰ المجتمع بفائدة، إلا التصوير باليد[1] وصناعة التماثيل والرقص فإن الشرع لا يقر هذه الأشياء ولا يعتد بها أما الغناء بالآلات، ففيه خلاف بين العلماء والراجح عند الجمهور تحريمه[2].

الحديث الحادي والثلاثون

عن أبي أُمَامَةَ البَاهِلِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الجَنَّةِ لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ**». رواه أبو داود بإسناد صحيح.

---

(١) لما فيه روح أما ما لا روح فيه كالجبال والدور والأنهار فتصويره جائز لا شيء فيه ويجوز أيضا تصوير إنسان أو حيوان صورة ناقصة لا يعيش بها صاحبها بأن يصور رأسه فقط، سواء أكان تصويرًا باليد علىٰ ورقة أم رقمًا في ثوب أم نحتًا في حجارة.

(٢) إلا الدف والطبل فيجوزان.

«زَعِيمٌ»: كفيل. «في رَبَضِ الجَنَّةِ» بفتح الراء والباء: ما حولها خارجًا عنها تشبيهًا بالأبنية التي تكون حول المدن وتحت القلاع. «تَرَكَ المِرَاءَ»: أي الجدال، لأنه لا خير فيه بل يولد الضغائن ويورث الأحقاد وقد قال النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إلا أُتُوا الجَدَلَ» ثم تلا قول الله تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨] ولا يدخل في هذا علم الجدل والخلاف لأنه مبني على قواعد يراد بها إظهار الحق مع بيان دليله ودحض الباطل وكشف شبهه، لكن من استعمل شيئًا من قواعده في هدم حق أو تأييد باطل بطريق المغالطة والتمويه فهو آثم يدخل في قسم الجدل المنهي عنه.

«لِمَنْ تَرَكَ الكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا»: الكذب كله قبيح منهي عنه، أوجب الله فيه اللعن والإبعاد من رحمة الله تعالى وكثير من الناس في مصر يقولون: الكذب على سبيل المزاح كذب أبيض لا إثم فيه، ولهم ولوع كبير بكذبة أبريل وهي بدعة أوروبية تلقاها المصريون على عادتهم في تلقي كل ما هو أوروبي بدون تمحيص أو تمييز، والكذب عند الشرع كله أسود قبيح، جادًّا كان الكاذب أم هازلًا.

وقد روى أبو داود والترمذيُّ والنسائيُّ: عن بَهْزِ بن حَكِيم، عن أبيه، عن جده مُعَاوِيَةَ بن حَيْدَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يَقُولُ: «وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ بِالحَدِيثِ لِيُضْحِكَ بِهِ القَوْمَ فَيَكْذِبُ وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهُ». حسَّنه الترمذيُّ.

هذا جزاء الكذب الأبيض كما يقولون، وبئس الويل جزاء، نعم يجوز الكذب في بعض الحالات لمصلحة شرعية.

ففي الصحيحين عن عن أُمِّ كُلْثُومٍ بِنْتِ عُقْبَةَ بن أبي مُعَيْطٍ رضي الله عنها: أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يَقُولُ: «**لَيْسَ الكَذَّابُ الذِى يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ فَيَنْمِى خَيْرًا أَوْ يَقُولُ خَيْرًا**».

زاد مسلمٌ في روايةٍ: قالت أُمُّ كُلْثُومٍ وَلَمْ أَسْمَعْهُ يُرَخِّصُ في شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ إلا في ثَلاَثٍ: الحَرْبَ وَالإِصْلاَحَ بَيْنَ النَّاسِ وَحَدِيثَ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ وَحَدِيثَ المَرْأَةِ زَوْجَهَا. فهذه ثلاثة مواضع يجوز فيها الكذب:

١- إذا أصلحت بين متخاصمين متهاجرين فيجوز لك أن تنمي، أي تنسب خيرًا لم يحصل بأن تقول لأحدهما: سمعت صاحبك يثني عليك ويذكرك بخير ونحوه هذا مما يقرب بينهما.

٢- إذا كنت في جهاد ضد الكفار فيجوز لك الكذب لأن الحرب خدعة ويكون الكذب بقصد إرهابهم وإضعاف معنوياتهم.

٣- حديث الرجل امرأته بأن يعدها بإحضار ما تطلبه من ثياب وحلي وغيرهما يقصد جبر خاطرها وإسكات طلباتها المتكررة، وكذلك المرأة إذا كان الزوج يرهقها بمطالب ليست بذات قيمة فلها أن تمطله في تنفيذها بما تخلقه من الأعذار.

٤- بقي موضع رابع يجوز فيه الكذب بل يجب وهو ما إذا اختفى مسلم من ظالم يريد قتله أو أخذ ماله وأنت تعرف مكانه أو المكان الذي يضع فيه ماله فيجب أن تكذب وتنفي معرفتك له سترًا عليه أو على ماله، وكذلك إذا كان عندك مال أو غيره وديعة لمسلم وطُلِب منك تسليمه بغير حقه فلا

تسلمه وادَّعِ ضياعه، أو أن صاحبه أخذه[١].

«لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ» لما كان هذا أعلىٰ من الخصلتين قبله ضمن لصاحبه بيتًا في أعلىٰ الجنة.

وحسن الخلق جماع مكارم الأخلاق ثبت فيه من الأحاديث ما يؤيد ذلك.

ففي "سنن أبي داود" عن عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يَقُولُ: «إنَّ المُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بحُسْنِ خُلُقِه دَرَجَةَ الصَّائِمِ القَائِمِ» صححه ابن حِبَّان والحاكم.

وفي أكبر معاجم الطبراني عن أنس رضي الله عنه، عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «إنَّ العَبْدَ لَيَبْلُغُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ عَظِيمَ دَرَجَاتِ الآخِرَةِ وَشَرَفَ المَنَازِلِ وَإِنَّهُ لَضَعِيفُ العِبَادَةِ، وَإِنَّهُ لَيَبْلُغُ بِسُوءِ خُلُقِهِ أَسْفَلَ دَرَجَةٍ في جَهَنَّمَ». إسناده حسن.

الحديث الثاني والثلاثون

عن عُبَادَةَ بن الصَّامِتِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلىٰ الله عيه وسلم: «مَنْ شَهِدَ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمدًا عَبْدهُ ورَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ ورُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ

---

(١) وإن استحلفك فاحلف له واستعمل في يمينك التورية؛ بأن تأتي بعبارة موهمة، لأنه لا حق له في أخذ المال ولا في استحلافك علىٰ ضياعه، أما لو كان لشخص علىٰ آخر حق من مال أو غيره واختلفا فيه واستحلفه صاحب الحق فلابد أن يحلف له علىٰ قصده ولا تنفعه التورية؛ لقوله عليه الصلاة والسلام «اليمين على نية المستحلف». رواه مسلم من حديث أبي هريرة.

الجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ». رواه الشيخان.

«وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ» لا يتم إسلام المسيحي إلا إذا قال هذا، معتقدًا إياه، ونَبَذ عقيدته الخرافية: أن عيسىٰ ابن الله أو فيه طبيعة ناسوتية، وطبيعة لاهوتية، وأنه مخلِّص العالم. إلىٰ آخر تلك الخرافات التي يستسخفها العقل، ويبطلها المنطق.

«وَكَلِمَتُهُ» هي قول: كن. قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

«ورُوحٌ مِنْهُ» يستدل المسيحيون بهذه العبارة علىٰ أن عيسىٰ جزء من الله فيكون ابنه، لأن الولد جزء من أبيه. وقد احتج بها قسيس علىٰ عالم مسلم أنه أفحمه. فذكر له قول الله تعالىٰ في سورة (الجاثية): ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣] وقال له: إذن ما في السموات وما في الأرض، جزء من الله! فبُهِتَ القسيس.

والحقيقة: أن «من» في الموضعين، ليست للتبعيض، ولكنها للابتداء. والمعنىٰ: أن عيسىٰ روح مبتدأ من الله: أي أن الله ابتدأ خلقه، وأن تسخير ما في السموات وما في الأرض، مبتدأ من الله، لم يشركه في تسخيره غيره.

«وَأَنَّ الجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ»: بمعنىٰ أن النعيم والعذاب فيهما حقيقي ملموس مدرك، لا معنوي كما يقول الفلاسفة ومن نحا نحوهم من الكفار الملاحدة.

الحديث الثالث والثلاثون

عن المُنْذِرِ صَاحِبِ رَسُولِ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وَكَانَ يُقِيمُ بِإِفْرِيقِيَّةَ، وتوفي بطَرَابُلُس رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يَقُولُ: «**مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ: رضيت رَضِيتُ بِالله رَبًّا، وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، فَأَنَا الزَّعِيمُ لَآخُذَنَّ بِيَدِهِ حَتَّى أُدْخِلَهُ الجَنَّةَ**». رواه الطبرانيُّ في "الكبير"، بإسناد حسن. «**الزَّعِيمُ**» الضامن.

استنبطت من هذا الحديث مسألة ما أظن أحدًا سبقني إليها، وهي: أن الله تعالى خالق الخلق، وبيده النفع والضر، وهو الذي رضي لنا الإسلام دينًا لقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] واختار محمدًا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رسولًا، وجعله خاتم النبيين. ومع ذلك يُحِبُّ من عبده أن يبدي رضاه به ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًّا، ويكون إبداء رضاه طوعًا واختيارًا، لا يشوبه ضغط. فأين هذا من الحكام الظلمة الذين يضغطون على شعوبهم بوسائل الإرهاب المختلفة ليظهروا رضاهم بحكمهم وقوانينهم.

الحديث الرابع والثلاثون

عن أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه، أنَّ رَسُولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قَالَ: «**مَنْ رَضِيَ بِالله رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ**». فَعَجِبَ لَهَا أبو سَعِيدٍ. فَقَالَ: أَعِدْهَا عَلَيَّ يَا رَسُولَ الله، فَأَعَادَهَا عَلَيْهِ. ثُمَّ قَالَ: «**وَأُخْرَى يَرْفَعُ اللهُ بِهَا لِلعَبْدَ مِائَةَ دَرَجَةٍ فِي الجَنَّةِ، بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ**

السَّمَاءِ وَالأَرْضِ» قَالَ: وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ»(١). رواه مسلم في "صحيحه".

الحديث الخامس والثلاثون

عن عثمان بن عفَّان رضي الله عنه: أنَّ رَسُولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قَالَ: «مَنْ عَلِمَ أَنَّ الصَّلاةَ حَقٌّ وَاجِبٌ دَخَلَ الجَنَّةَ». رواه أبو يَعْلَى بإسناد صحيح.

العلم بحَقِّيَّة الصلاة ووجوبها، يقتضي فعلها والمحافظة عليها، فالحديث يحض على آداء الصلاة بطريق الاقتضاء، وهذا كما تريد أن تستحثَّ شخصًا على إقامة الصلاة، فتقول له: أنت تعلم أن الصلاة فرض.

الحديث السادس والثلاثون

عن حَنْظَلَةَ الكَاتِبِ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يَقُولُ: «مَنْ حَافَظَ عَلَى الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ؛ رُكُوعِهِنَّ وَسُجُودِهِنَّ وَمَوَاقِيتِهِنَّ، وَعَلِمَ أَنَّهُنَّ حَقٌّ مِنْ عِنْدِ الله، دَخَلَ الجَنَّةَ» أَوْ قَالَ: «وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ» أَوْ قَالَ: «حُرِّمَ عَلَى النَّارِ»(٢). رواه أحمد بإسناد جيد.

---

(١) هذا الحديث يبيِّن أن النطق بالرضاء في الحديث السابق لا بد أن يكون صادرًا عن عقيدة وإيمان.

(٢) فتلَخَّص من الحديثين: أن من عَلِمَ وجوب الصلاة وحافظ على آدائها دخل الجنة، ويجوز أن يكون المعنى في الحديث السابق: الإشارة إلى أن من مات يعتقد وجوب الصلاة كان مسلمًا يدخل الجنة ولو عذب بمعاصي اقترفها. بخلاف من أنكر وجوب الصلاة، فلا يكون مسلمًا.

هذا الحديث بين الحديث السابق. وأوضح مجمله.

الحديث السابع والثلاثون

عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**خَصْلَتَانِ أَوْ خَلَّتَانِ لَا يُحَافِظُ عَلَيْهِمَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ، هُمَا يَسِيرٌ، وَمَنْ يَعْمَلُ بِهِمَا قَلِيلٌ: يُسَبِّحُ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ عَشْرًا، وَيَحْمَدُ عَشْرًا، وَيُكَبِّرُ عَشْرًا. فَتِلْكَ خَمْسُونَ وَمِائَةٌ بِاللِّسَانِ، وَأَلْفٌ وَخَمْسُمِائَةٍ فِي المِيزَانِ. وَيُكَبِّرُ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ، وَيَحْمَدُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَيُسَبِّحُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ. فَتِلْكَ مِائَةٌ بِاللِّسَانِ، وَأَلْفٌ فِي المِيزَانِ**». فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يَعْقِدُهَا. قَالُوا: يَا رَسُولَ الله كَيْفَ هُمَا يَسِيرٌ وَمَنْ يَعْمَلُ بِهِمَا قَلِيلٌ؟ قَالَ: «**يَأْتِي أَحَدَكُمُ الشَّيْطَانُ فِي مَنَامِهِ فَيُنَوِّمَنَّهُ قَبْلَ أَنْ يَقُولَهُ، وَيَأْتِيهِ فِي صَلَاتِهِ فَيُذَكِّرُهُ حَاجَةً قَبْلَ أَنْ يَقُولَهُ**». رواه أبو داود والنَّسائيُّ والترمذيُّ، وقال: حديث حسن صحيح، وصححه ابن حِبَّان.

«**يُسَبِّحُ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ عَشْرًا**» هذه مُعَقِّبَات، تقال عَقِبَ الصلاة وقد ثبتت في كيفيتها أحاديث: هذا أحدها.

والثاني: حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَنْ سَبَّحَ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَحَمِدَ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَقَالَ تَمَامَ المِائَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ**». رواه مسلم في "صحيحه".

والثالث: حديث كَعْبِ بن عُجْرَةَ رضي الله عنه، عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، قال: «مُعَقِّبَاتٌ لاَ يَخِيبُ قَائِلُهُنَّ -أَوْ فَاعِلُهُنَّ- دُبُرَ كُلِّ صَلاَةٍ مَكْتُوبَةٍ: ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ تَسْبِيحَةً، وَثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ تَحْمِيدَةً، وَأَرْبَعًا وَثَلاَثِينَ تَكْبِيرَةً» رواه مسلم أيضًا. والمكلَّف مخيَّر بين هذه الأنواع أيها أخذ به أجزأه، ويستحب أن يقول هذا مرة، وهذا مرة.

«وَيُكَبِّرُ أَرْبَعًا وَثَلاَثِينَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ»: لقَّنَ النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم هذا الذكر بهذه الكيفية، لعلي وفاطمة عليهما السلام[1]، كذلك ثبت في الصحيحين.

«وَيَأْتِيهِ فِي صَلاَتِهِ فَيُذَكِّرُهُ حَاجَةً قَبْلَ أَنْ يَقُولَهُ» لأنَّ الشيطان يحبُّ أن يشغل الإنسان عن طاعة ربه ويبعده عن قربه.

ومما يُذكر في هذا الموضوع: أنَّ رجلًا قال لأبي حنيفة: وضعتُ دنانيرَ لي في مكان ثم نسيتُه؟ فقال له أبو حنيفة: ليس هذا بحكم شرعيٍّ أفتيك فيه، ولكن اذهب فصلِّ ركعتين لله. فذهب الرجل وتوضأ وشرع في الصلاة، فتذكر المكان أثناء الصلاة، فقطعها، وأخذ الدنانير، وأخبر أبا حنيفة وشكره. فقال له: هلا أَحْيَيْتَ ليلتك بالصلاة شكرًا لله تعالى؟

فقيل له: لم أمرته بالصلاة؟ قال: لأني علمت أن الشيطان لا يتركه يصلي.

---

(١) لما ذهبا يسألانه خادمًا -من فيء جاءه- يساعدهما على العمل الذي أتعبهما، فقال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «لا أعطيكما وأدع أهل الصفة لا أجد ما أنفق عليهم». فرجعا. ولما أخذا مضجعهما من الليل، جاءهما فقال لهما: «ألا أدلكما على خير مما سألتماني؟» فلقنهما الذكر المذكور. وأخذ منه أن خاصية هذا الذكر إذهاب التعب عمن قاله.

الحديث الثامن والثلاثون

عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في سَفَرٍ فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا. فَنَادَىٰ مُنَادِي رَسُولِ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: الصَّلاةُ جَامِعَةٌ. فاجْتَمَعْنَا إِلَىٰ رَسُولِ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فَقَالَ: «**إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُم شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ. وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هذِهِ جُعِلَ عَافيتُهَا في أَوَّلِهَا، وَسَيُصيبُ آخِرَهَا بَلاَءٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتنٌ يُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الفِتْنَةُ فَيقُولُ المُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ، وَتَجِيءُ الفِتْنَةُ فَيقُولُ المُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ. فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، ويُدْخَلَ الجَنَّةَ، فَلتَأْتِهِ منيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنَ بالله واليَوْمِ الآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الذي يُحِبُّ أَنْ يُؤتَى إِلَيْهِ. وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَمِينِهِ، وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ، فَلْيُطِعْهُ إن استَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرٌ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الآخَرِ**». رواه مسلمٌ في "صحيحه".

«**إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ**»: هذا واجب أيضًا علىٰ كل عالم، وهو من باب النصيحة الواجبة. ومن أخلَّ بها، أخلَّ بواجب ديني يأثم بتركه.

«**جُعِلَ عَافيتُهَا في أَوَّلِهَا**»: وهم أهل الصدر الأول من الصحابة والتابعين وأتباعهم. فإنه وإن وقعت في أيامهم أحداث وفتن، منذ قتل عثمان، كان الخير غالبًا، وحدود الشرع قائمة والوازع الديني يمنع الناس عن كثير من الشرور. ثم بدأ الخير يقل، وأهملت حدود الشرع واضمحلَّ الوازع الديني من قلوب الناس، حتىٰ صار الحال إلىٰ ما ترىٰ ولا حول ولا قوة إلا بالله.

«وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا»: مثل انتشار المعاصي والمنكرات، وفُشُوِّ المبادئ الهدَّامة للدين، وللقيم الخلقية، كالبهائية والشيوعية والوجودية ونحوها.

«فِتَنٌ يُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا»: أي يصير بعضها خفيفًا رقيقًا لعظم ما بعده، فالفتنة الثانية تجعل الفتنة قبلها خفيفة.

«فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَمِينِهِ»: أي ضرب على يمين الإمام، مبايعًا له.

«وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ»: أي أخلص في بيعته، ولم يكن مُسْتَكْرَهًا عليها.

«فَلْيُطِعْهُ إن استَطَاعَ»: ما لم يأمر بمعصية أو يخرج على قواعد الشرع وإلا فلا طاعة له، لأن طاعة الإمام مشروطة بمتابعته للشريعة.

«فَاضْرِبُوا عُنُقَ الآخَرِ»: لخروجه عن طاعة الإمام الحق، وتفريقه كلمة المسلمين.

الحديث التاسع والثلاثون

عن عُقْبَةَ بن عَامِرٍ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ بِالسَّهْمِ الوَاحِدِ ثَلاَثَةَ نَفَرٍ الجَنَّةَ: صَانِعَهُ يَحْتَسِبُ فِي صَنْعَتِهِ الخَيْرَ، وَالرَّامِي بِهِ، وَمُنَبِّلَهُ. وَارْمُوا وَارْكَبُوا، وَأَنْ تَرْمُوا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَرْكَبُوا. وَمَنْ تَرَكَ الرَّمْيَ بَعْدَ مَا عُلِّمَهُ فَإِنَّهُ نِعْمَةٌ كَفَرَهَا». رواه أبو داود. وصححه الحاكم.

«إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ بِالسَّهْمِ»: هو النَّبْلُ الذي يرمى به من النشاب.

«صَانِعَهُ يَحْتَسِبُ فِي صَنْعَتِهِ الخَيْرَ»: بأن يقصد بصنعته الاستعداد لجهاد الكفار، أو لدفع عدوان البغاة المعتدين.

«وَمُنَبِّلَهُ»: أي: مناوله للرامي به. وجاء في رواية للبيهقيِّ: «صَانِعَهُ الذِي يَحْتَسِبُ فيهِ الخَيْرَ، وَالذِي يُجَهِّزُ بِهِ في سَبِيلِ الله، وَالذِي يَرْمِي بِهِ في سَبِيلِ الله».

فقوله: «وَالذِي يُجَهِّزُ بِهِ في سَبِيلِ الله» ويقتضي أنه بيان لمنبله في هذه الرواية، ولا مانع من أن يكون معنى المُنَبِّل ما ذكرناه، ويكون ذكر المُجَهِّز بالسهم في رواية البيهقي زيادة يعمل بها.

والحديث يشمل الأسلحة الحديثة مثل البندقية والمدفع والدبابة والمسدس وغيرها، فمن صنع شيئًا منها بقصد الجهاد في سبيل الله أو استعمله فيه كمحاربة اليهود في فلسطين أو جهز به من يستعمله مثل منظمة التحرير الفلسطينية، أدخله الله الجنة.

«وَارْمُوا وَارْكَبُوا»: أي: تعلموا الرمي والركوب على الخيل، تنفيذًا لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ [الأنفال: ٦٠] قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «أَلَا إِنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ». رواه مسلم.

والرمي عام يشمل الرمي بالنَّبْلِ والرصاص والقنابل بأنواعها، فيجب تعلم الرماية بهذه الأسلحة الحديثة. والركوب يتناول ركوب الخيل والدبابات والعربات المصفحة والطائرات المقاتلة بأنواعها، فيجب تعلم ركوب هذه المركبات، لأنها من آلات الجهاد في هذا العصر.

«وَأَنْ تَرْمُوا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَرْكَبُوا»: لأن أساس الجهاد ومبناه رمي الأعداء بما يزهق أرواحهم، وما الركوب إلا أسلوب من أساليب الجهاد

يتمكن به الراكب من أن يكون رميه أقوىٰ أو أعم، وذلك لا يكون في كل معركة.

«فَإِنَّهُ نِعْمَةٌ كَفَرَهَا»: وكفر النعمة معصية. فترك الرمي – أي: نسيانه – بعد تعلمه معصية؛ لأنه ترك لواجب كفائي[1] بعد تعينه في حقه[2].

الحديث الأربعون

عن مُعَاذِ بن جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلاَمِهِ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الجَنَّةَ». رواه أبو داود، وصححه الحاكم.

«لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ»: هي كلمة التقوىٰ. قال الله تعالىٰ: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [الفتح: ٢٦].

وهي أفضل الكلام، قَالَ النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «أَفْضَلُ مَا قُلْتُهُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ» وقال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «أَفْضَلُ الذِّكْرِ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ[3]». فمن مات عليها مات علىٰ التوحيد الخالص وكان

---

(١) تعلُّم الرِّماية بالأسلحة الحديثة فرض كفايةٍ تقوم به طائفةٌ من المسلمين، والجيش هو الذي يقوم بهذا الواجب فينبغي لأفراده من جنودٍ وضُبَّاطٍ أن يُخلصوا النيَّة ويصدقوا العزيمة لينالوا الثواب الموعود.

(٢) القاعدة الشرعية: أنَّ فرض الكفاية إذا شرع فيه المكلَّف، صار فرض عين عليه.

(٣) وحديث: «مَن قال: لا إله إلَّا الله ومَدَّها هُدِمَتْ له أربعة آلاف ذنبٍ مِن الكَبَائِر». حديث موضوع.

من أهل الجنة.

(تنبيه): ثبت في مناقب الحافظ أبي زُرْعَةَ الرَّازِي أنه لما حضرته الوفاة، سأله بعض الحاضرين أن يروي لهم هذا الحديث، فرواه بإسناده، حتى قال: «**مَنْ كَانَ آخِرُ كَلاَمِهِ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ**» ففاضت روحه، رحمه الله ورضي عنه.

الحديث الحادي والأربعون

عن سَهْلِ بن سَعْدٍ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ: الرَّيَّانُ، يدْخلُ مِنْهُ الصَّائمُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، لاَ يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائمُونَ ؟ فَيَقُومُونَ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ**». رواه الشيخان.

«**يُقَالُ لَهُ: الرَّيَّانُ**»: ضد العطشان، اختص الصائمون بالدخول من هذا الباب جزاء لهم على أن تحملوا في صيامهم ظمأ الهواجر، والرَّيَّان أحد أبواب الجنة الثمانية خصصه الله بالصائمين تنبيهًا على فضل الصوم ويجوز أن يكون بابًا فرعيًّا صغيرًا من داخل أحد أبوابها الكبيرة.

الحديث الثاني والأربعون

عن أبي أُمَامَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ الله دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ أَدْخُلُ بِهِ الجَنَّةَ؟ قال: «**عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لاَ مِثْلَ لَهُ**». رواه ابن حِبَّان في صحيحه.

«**لاَ مِثْلَ لَهُ**»: لأن الصائم يشبه الملائكة في إمساكه عن الشهوات الجسمية، وتغذية روحه بأنواع العبادة من صلاة وذكر وغيرهما، ولأن الصوم أبعد عن الرياء وأقرب إلى الإخلاص ولذلك كانت دعوة الصائم مستجابة.

الحديث الثالث والأربعون

عن حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ صَامَ يَوْمًا ابْتِغَاءَ وَجْهِ الله خُتِمَ لَهُ بِهِ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ ابْتِغَاءَ وَجْهِ الله خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الجَنَّةَ». رواه أحمد في "مسنده"، وإسناده لا بأس به.

يؤخذ من الحديث: أن من ختم حياته بطاعة دخل الجنة، وذكرت هذه الطاعات عنوانًا لغيرها، فالهيللة عنوان للطاعات اللسانية كالذكر وتلاوة القرآن، والصوم عنوان للطاعات البدنية كالصلاة، والصدقة عنوان للطاعات المالية كالهبة والإنفاق في بناء مسجد ونحوهما.

الحديث الرابع والأربعون

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «عُرِضَ عَلَيَّ أَوَّلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ، وَأَوَّلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ النَّارَ، فَأَمَّا أَوَّلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ: فَالشَّهِيدُ، وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ أَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ وَنَصَحَ لِسَيِّدِهِ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ، وَأَمَّا أَوَّلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ النَّارَ: فَأَمِيرٌ مُسَلَّطٌ، وَذُو ثَرْوَةٍ مِنْ مَالٍ لَا يُؤَدِّي حَقَّ الله فِيهِ، وَفَقِيرٌ فَخُورٌ». رواه ابن خزيمة وابن حِبَّان في صحيحيهما.

«عُرِضَ عَلَيَّ»: يفيد أن الله تعالى يعرض عليه أحوال أمته المنعمين والمعذبين؛ليبلغهم ذلك فيجتهدوا في عبادة فتؤديهم إلى النعيم، ويجتنبوا أسباب الجحيم.

«فَالشَّهِيدُ»: هذا اللفظ إذا أطلق في القرآن والحديث فالمراد به شهيد المعركة في الجهاد.

«وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ»: بأن كان كافرًا وأسر في الجهاد، وضرب عليه الإمام الرق، ثم أسلم فأحسن عبادة ربه ونصح لسيده.

«وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ»: تقدم في الحديث الرابع عشر.

«فَأَمِيرٌ مُسَلَّطٌ»: أي حاكم ظالم يقهر الناس لقوانين ظلمه.

«لَا يُؤَدِّي حَقَّ اللهِ فِيهِ»: حق الله الزكاة لأن الله أوجب على الأغنياء حقًا معلومًا يدفعونه للأصناف المذكورة في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠] ومن امتنع عن دفع الزكاة أخذها الإمام منه عَنْوَة، وعاقبه بأخذ جزء من ماله يضعه في مصالح المسلمين.

«وَفَقِيرٌ فَخُورٌ»: لأن الله يبغضه كما ثبت في حديث آخر، ومن أبغضه الله دخل النار، وإذا كان للغني بعض العذر في افتخاره بغناه وثروته فأي عذر للفقير في فخره[1]؟!

---

(١) ومن الأمثال المشهورة بين الناس بمصر، قولهم: «ربنا يحب عبده الفشَّار، ولا يحب عبده النكَّار»: يقصدون أنه ينبغي للفقير أنه يتزيَّن بالكذب والفشر، فيقول: «أكلت، شربت، لبست» إظهارًا للغنى. لكن هذا المثل كاذبٌ، فالله لا يحب الكذب والفشر، بل يبغضهما ويلعن صاحبهما، وإنما يحب الله من عبده الفقير أن يكون متعفِّفًا قانعًا.

الحديث الخامس والأربعون

عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «يَا شَبَابَ قُرَيْشٍ، احْفَظُوا فُرُوجَكُمْ وَلا تَزْنُوا، أَلَا مَنْ حَفِظَ فَرْجَهُ فَلَهُ الْجَنَّةُ». رواه الحاكم، وصححه على شرط الشيخين.

الحديث السادس والأربعون

عنه أيضًا رضي الله عنه فقَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «مَنْ أَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَصَامَ رَمَضَانَ وَقَرَى الضَّيْفَ دَخَلَ الجَنَّةَ». رواه الطبراني في "الكبير".

«وَقَرَى الضَّيْفَ»: قِرَى الضيف من مكارم الأخلاق التي كانت عند العرب في جاهليتهم، فلما جاء الإسلام أقَرَّه وحَضَّ عليه وجعله من خصال الإيمان.

ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ».

وفيهما عنه أيضًا رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إلى النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ. فَأَرْسَلَ إلى بَعْضِ نِسَائِهِ فَقَالَتْ: لَا، وَالذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ. ثُمَّ أَرْسَلَ إلى أُخْرَى، فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ. حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ: «لَا، وَالذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ».

فَقَالَ: «مَنْ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللهُ؟» فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ: أَنَا

يَا رَسُولَ الله. فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَىٰ رَحْلِهِ، فَقَالَ لامْرَأَتِهِ هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: لَا، إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِي، قال: فَعَلِّلِيهِمْ بِشَيْءٍ، فَإِذَا أَرَادُوا العَشَاءَ فَنَوِّمِيهِمْ، فَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأَطْفِئِي السِّرَاجَ، وَأَرِيهِ أَنَّا نَأْكُلُ.

فَقَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ وَبَاتَا طَاوِيَيْنِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَىٰ رَسُولِ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فَقَالَ: «**قَدْ عَجِبَ اللهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا**».

ونزلت هذه الآية: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩] والرجل المجهود أبو هريرة نفسه. ومعنىٰ مجهود: أصابته مشقة من الجوع.

ومقتضىٰ الأحاديث أن الضيافة واجبة ومدتها يوم وليلة إذا اجتاز مارًا بأهل المنزل، وثلاثة أيام إذا قصدهم.

وبوجوب الضيافة قال أحمد بن حنبل والظاهرية، وفي الصحيحين عن أبي شُرَيْحٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قَالَ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، والضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ فَمَا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ، وَلَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَثْوِيَ عِنْدَهُ حَتَّى يُحْرِجَهُ**».

قال الترمذي: «معنىٰ لا يَثوِي: لا يقيم حتىٰ يَشْتَدَّ علىٰ صاحب المنزل». والحَرَج: الضيق. وفي "المسند" بإسناد رجاله ثقات عن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قَالَ: «**أَيُّمَا ضَيْفٍ نَزَلَ بِقَوْمٍ فَأَصْبَحَ الضَّيْفُ مَحْرُومًا فَلَهُ أَنْ يَأْخُذَ بِقَدْرِ قِرَاهُ وَلاَ حَرَجَ عَلَيْهِ**». صححه الحاكم.

وفي "سنن أبي داود" عن المِقْدَامِ بن مَعْدِي كَرِبَ الكِنْدِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لَيْلَةُ الضَّيْفِ حَقٌّ عَلَى كُلِّ**

مُسْلِمٍ فَمَنْ أَصْبَحَ بِفِنَائِهِ فَهُوَ عَلَيْهِ دَيْنٌ إِنْ شَاءَ قَضَى وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ».

وفي السنن عنه أيضًا، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «أَيُّمَا رَجُلٍ أَضَافَ قَوْمًا فَأَصْبَحَ الضَّيْفُ مَحْرُومًا فَإِنَّ نَصْرَهُ حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ حَتَّى يَأْخُذَ بِقِرَى لَيْلَتِهِ مِنْ زَرْعِهِ وَمَالِهِ». صححه الحاكم.

الحديث السابع والأربعون

عن عَائِشَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «مَنْ أَدْخَلَ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سُرُورًا لَمْ يَرْضَ اللهُ لَهُ ثَوَابًا دُونَ الجَنَّةِ». رواه الطبرانيُّ في "الكبير".

«سُرُورًا»: أي فعل أمرًا يَسُرُّهم، كأن أهدىٰ إليهم هدية أو قضىٰ لهم حاجة أو بشرهم بنجاح موضوع كانوا ينتظرون نجاحه أو بقدوم غائب انقطعت عنهم أخباره، أو ما أشبه هذا.

الحديث الثامن والأربعون

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «العُمْرَةُ إِلَى العُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الجَنَّةُ». رواه مالك والشيخان.

«العُمْرَةُ»: طواف الكعبة سبع مرات، وسعي بين الصفا والمروة مثل ذلك. ويصح فعلها في جميع شهور السنة، أما الحج، فله وقت لا يتعداه. قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ [البقرة: ١٩٧] وهي شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجَّة.

الحديث التاسع والأربعون

عن جابرٍ رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قالَ: «**الحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الجَنَّةُ**». قِيلَ: وَمَا بِرُّهُ؟ قَالَ: «**إِطْعَامُ الطَّعَامِ وَطِيبُ الكَلَامِ**». رواه الطبرانيُّ، وابن خُزَيْمَةَ في "صحيحه"، والحاكم وصححه.

ورواه أحمد والبيهقي في رواية بلفظ: «**إِطْعَامُ الطَّعَامِ وَإِفْشَاءُ السَّلَامِ**».

فتلخص من الروايتين أن الحج المبرور، يشتمل علىٰ ثلاثة أشياء:

١- إطعام الطعام للفقراء والمحتاجين علىٰ سبيل المواساة، وللإخوان والأصدقاء علىٰ سبيل المكارمة.

٢- طيب الكلام، وهو أن يُعوِّد لسانه الكلام الطيب الجميل، منذ خروجه من بيته إلىٰ حين عودته فلا يَشْتُم ولا يَصْخَب ولا يجادل، وفي أخلاق أهل مكة شدة فليقابلها بلين ولطف وليحسن أخلاقه معهم ما استطاع.

٣- إفشاء السلام وله مزيد ثواب في أيام الحج؛ لأن المسلم يلتقي هناك بإخوانه المسلمين من مختلف بقاع الأرض فإفشاء السلام بينهم يؤدي إلىٰ تحابب وتعارف ثم معاونة ومساعدة في قضاء مصالح بعضهم لبعض فيعظم الأجر ويكثر الثواب.

الحديث الخمسون

عن ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**تَابِعُوا بَيْنَ الحَجِّ وَالعُمْرَةِ فَإِنَّهُمَا يَنْفيانِ الفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفي الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالفِضَّةِ. وَلَيْسَ لِلحَجَّةِ المَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلَّا الجَنَّةُ**». رواه

الترمذيُّ، وابن خُزَيْمَةَ وابن حِبَّان في صحيحيهما، وقال الترمذيُّ: «حديث حسن صحيح».

«تَابِعُوا بَيْنَ الحَجِّ وَالعُمْرَةِ»: أي وَالُوا بينهما بأن تعتمروا داخل السنة وتؤدوا الحج آخرها في وقته.

«فَإِنَّهُمَا يَنْفيانِ الفَقْرَ وَالذُّنُوبَ»: لأن فيهما إنفاقًا في سبيل الله، والله تعالى يقول: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ: ٣٩] ولكون هذا الإنفاق يتعلق بحج بيته والاعتمار فيه محا به ذنوب المنفق.

قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ». رواه الشيخان.

«كَمَا يَنْفي الكِيرُ»: هذا المثال يفيد أن أعمال الحج والعمرة تحرق الذنوب وتمحوها، كما يحرق الكير الخبث العالق بالحديد والذهب والفضة ويذهبه فيخرج الحاج المعتمر من مكة نظيفًا من الذنوب، كما تخرج تلك المعادن من الكير، نظيفة من الخبث.

الحديث الحادي والخمسون

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قَالَ: «مَا أَهَلَّ مُهِلٌّ قَطُّ وَلَا كَبَّرَ مُكَبِّرٌ قَطُّ إِلَّا بُشِّرَ». قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، بِالجَنَّةِ؟ قَالَ: «نَعَمْ». رواه الطبرانيُّ في "الأوسط" بإسناد صحيح.

«مَا أَهَلَّ مُهِلٌّ»: أَهَلَّ بفتح الهمزة والهاء وتشديد اللام: رفع صوته بالتلبية: «لَبَّيْكَ اللهُمَّ لَبَّيْكَ...». إلى آخر التلبية.

«وَلَا كَبَّرَ مُكَبِّرٌ»: رفع صوته بالتكبير في ذبح الهدايا والضحايا في أيام العيد.

«إِلَّا بُشِّرَ»: أي بشَّره مَلَكٌ من قِبَل الله تعالىٰ بأن له الجنة.

الحديث الثاني والخمسون

عن أُمِّ حَكِيمٍ بنت أبي أُمَيَّةَ بن الأَخْنَسِ، عن أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها: أنَّ رَسُولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قَالَ: «**مَنْ أَهَلَّ بِحَجَّةٍ أَوْ عُمْرَةٍ مِنَ المَسْجِدِ الأَقْصَى إِلَى المَسْجِدِ الحَرَامِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِه وَمَا تَأَخَّرَ**» أو «**وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ**». رواه أبو داود والبيهقي.

وفي رواية للبيهقي أيضًا عن أمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يَقُولُ: «**مَنْ أَهَلَّ بالحَجِّ وَالعُمْرَةِ مِنَ المَسْجِدِ الأَقْصَى إِلَى المَسْجِدِ الحَرَامِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِه وَمَا تَأَخَّرَ وَوَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ**».

«**مَنْ أَهَلَّ بالحَجِّ وَالعُمْرَةِ**» هذه الرواية مبينة للرواية الأولىٰ، وهي تحتمل معنيين.

أحدهما: أن يُهِلَّ بهما جميعًا، فيكون قارنًا.

ثانيهما: أن يهلَّ بالحج مُفْرِدًا، فإذا أتمَّه، عاد في السنة نفسها فأحرم بعمرة، وهذا هو المعنىٰ الراجح، لأنه إذا قَرَن بينهما كانت العمرة مندرجة في الحج، فلم يكن لها أثر. والحديث أفردها بالذكر، ليفيد أن الإهلال بها يكون منفردًا عن الحج فيصير المُهِلُّ بها، بعد إهلاله بالحج وإتمامه، قائمًا بعبادتين مستقلتين، يستحق جزاءهما العظيم.

«مِنَ المَسْجِدِ الأَقْصَى»: هو ثاني مسجد أُقيم في الأرض بعد المسجد الحرام، وكان قبلة المسلمين أول ما فرضت الصلاة، فالإحرام منه بالحج أو العمرة قيام بعبادة بين مسجدين، هما أول مكان عُبِد الله فيه على وجه هذه المعمورة.

«وَمَا تَأَخَّرَ»: وقعت هذه اللفظة في عدة أحاديث، في فضل صيام رمضان وقيام ليلة القدر وصلاة التسابيح وغير ذلك مما أُفرد بالتأليف وأنكرها ابن تيمية، وقال: «لم تجيء في حديث صحيح، وإنما صحت الأحاديث بجملة: غفر له ما تقدم من ذنبه». وهو مخطئ في إنكار ثبوتها.

الحديث الثالث والخمسون

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: مَرَّ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، بِشِعبٍ فيهِ عُيَيْنَة مِنْ مَاءٍ عَذْبَة، فَأَعْجَبَتْهُ. قَالَ: لَو اعْتَزَلْتُ النَّاسَ فَأَقَمْتُ في هَذَا الشِّعْبِ، وَلَنْ أَفْعَلَ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ رَسُولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم. فذكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، قَالَ: «**لَا تَفْعَلْ؛ فَإِنَّ مُقَامَ أَحَدِكُمْ في سَبِيلِ الله أَفْضَلُ مِنْ صَلاَتِهِ في بَيْتِهِ سَبْعِينَ عَامًا، أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ، وَيُدْخِلَكُمُ الجَنَّةَ؟ اغْزُوا في سَبِيلِ الله، مَنْ قَاتَلَ في سَبِيلِ الله فُوَاقَ نَاقَةٍ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ**». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن». وصححه الحاكم على شرط مسلم.

«بِشِعْبٍ»: بكسر الشين: طريق في الجبل.

«لَا تَفْعَلْ»: نهاه عن اعتزال الناس؛ لأن في اعتزالهم انقطاعًا عن شهود الجماعة والجمعة، وإخلالًا بما يوجبه الدين من الأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر، ومساعدة الضعيف، وإرشاد الضال في الطريق وغير ذلك مما لا يتأتى مع العزلة.

«فُوَاقَ» بضم الفاء وتخفيف الواو ما بين الحلبتين. لأنها تحلب، ثم تترك سُويعَة يرضعها الفصيل لتُدِرَّ، ثم تحلب. وفي هذا دليل على فضل الجهاد وعظم ثوابه.

الحديث الرابع والخمسون

عن أبي هريرة أيضًا رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**تَكَفَّلَ اللهُ لِمَنْ جَاهَدَ في سَبِيلِهِ لاَ يُخْرِجُهُ مِنْ بَيْتِهِ إلاَ الجِهَادُ في سَبِيلِهِ، وَتَصْدِيقٌ بكَلِمَاتِهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ أَوْ يَرُدَّهُ إلى سَكَنِهِ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ**». رواه مالكٌ والبخاريُّ والنَّسائيُّ.

«**تَكَفَّلَ اللهُ**» أي ضمن، والمتكفل: الضامن.

«**وَتَصْدِيقٌ بكَلِمَاتِهِ**» وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَانَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الصف: ١٠ - ١٣].

«**أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ**»: إن مات أو قتل في الجهاد. وهذا الثواب مشروط بأن تكون النية خالصة للجهاد في سبيل الله، كما أفاده الحديث فإن خالطها غرض آخر، كأن يقصد التجارة أو الدفاع عن عصبية من العصبيات، أو قومية من

القوميات، أو الظهور بمظهر الشجاع الجرئ أو نحو ذلك، فلا ثواب له. بل يكون آثمًا لأنه مرائي أظهر خلاف ما يقصد.

الحديث الخامس والخمسون

عن أبي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، عن رَسُول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قَالَ: «**رِبَاطُ شَهْرٍ خَيْرٌ مِنْ صِيامِ دَهْرٍ، وَمَنْ ماتَ مُرابِطًا في سَبِيلِ الله أَمِنَ مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ وَغُدِيَ عَلَيْهِ بِرِزْقِهِ وَرِيحٍ مِنَ الجَنَّةِ وَيَجْرِي عَلَيْهِ أَجْرُ المُرابِطِ حَتَّى يَبْعَثَهُ الله عزَّ وجلَّ**». رواه الطبراني في "الكبير"، ورواته ثقات.

«**رِبَاطُ شَهْرٍ**» الرِّباط: الإقامة ببلد مُعَرَّضٍ لهجوم الكفَّار، من جهة البر أو البحر. فالمرابط بقصد حراسة المسلمين من عدوهم يُعطىٰ هذا الأجر العظيم.

«**أَمِنَ مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ**» وهو فزع يوم القيامة.

«**وَغُدِيَ عَلَيْهِ بِرِزْقِهِ وَرِيحٍ مِنَ الجَنَّةِ**»: وهو في القبر، بأن ترزق روحه صباحًا ومساءً كالشهيد، إلا أنه أقل رتبة منه. حيث أن الشهيد تنتقل روحه في الجنة تَعلُقُ من ثمارها. وروح المرابط يأتيها رزقها في مكانها من البرزخ.

«**وَيَجْرِي عَلَيْهِ أَجْرُ المُرابِطِ**» بالنسبة السابقة، وهي شهر الصيام دهر.

وهذا أحد المواضع التي يجرى ثوابها على صاحبها بعد موته.

والثاني: علم علمه، أو كتاب ألفه في علم ينتفع به.

والثالث: مصحف ورثه من بعده.

والرابع: نهر أجراه، أو عين أنبطها.

والخامس: مسجد بناه، أو معهد لتعليم العلم، أو مستشفىٰ لمرضى

المسلمين.

والسادس: صدقة جارية، كأن أوقف دارًا أو بستانًا مثلًا ينفق رِيعَها على بعض وجوه الخير.

والسابع: ولد صالح يدعو له.

وقد أُفرِدَت مؤلفات في بيان هذه المواضع، وقد أوصلها بعضهم إلى أكثر من عشرة.

الحديث السادس والخمسون

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رَسُولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللهُ لِلمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**». رواه البخاري.

الحديث السابع والخمسون

عن سَهْلِ ابن الحَنْظَلِيَّةِ رضي الله عنه: أنَّ رَسُولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قَالَ فِي غَزْوَةِ حُنَيْنٍ: «**مَنْ يَحْرُسُنَا اللَّيْلَةَ؟**» قَالَ أَنَسُ بْنُ أَبِي مَرْثَدٍ الغَنَوِيُّ رضي الله عنه: أَنَا يَا رَسُولَ الله. قَالَ: «**ارْكَبْ**» فَرَكِبَ فَرَسًا لَهُ، وَجَاءَ إِلَى رَسُولِ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فَقَالَ لَهُ: «**اسْتَقْبِلْ هَذَا الشِّعْبَ حَتَّى تَكُونَ فِي أَعْلَاهُ وَلَا نُغَرَّنَّ مِنْ قِبَلِكَ اللَّيْلَةَ**». فَجَاءَ بَعْدَ صَلَاةِ الصُّبْحِ، حَتَّى وَقَفَ عَلَى رَسُولِ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم. قَالَ: إِنِّي انْطَلَقْتُ حَتَّى كُنْتُ فِي أَعْلَى هَذَا الشِّعْبِ كَمَا أَمَرَنِي رَسُولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ اطَّلَعْتُ الشِّعْبَيْنِ كِلَيْهِمَا فَلَمْ أَرَ أَحَدًا. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم:

«هَلْ نَزَلْتَ اللَّيْلَةَ؟» قَالَ: لَا، إِلَّا مُصَلِّيًا أَوْ قَاضِيًا حَاجَةً. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «قَدْ أَوْجَبْتَ فَلاَ عَلَيْكَ أَنْ لَا تَعْمَلَ بَعْدَهَا». رواه أبو داود والنسائي.

«اسْتَقْبِلْ هَذَا الشِّعْبَ»: بكسر الشين وسكون العين: الطريق في الجبل.

«وَلَا نُغَرَّنَّ»: بضم النون وفتح الغين وتشديد الراء والنون: لا نؤخذن علىٰ غرة. «مِنْ قِبَلِكَ اللَّيْلَةَ»: قِبَلِكَ بكسر القاف وفتح الباء: جهتك. والمعنىٰ: لا تنم فيأتي الكفار من جهتك فيأخذونا علىٰ غِرَّة. فيجب أن يكون في الجيش طائفة يحرسونه وقت النوم والراحة. وما كانت هزيمة جيش أحمد عرابي في التل الكبير بالشرقية، إلا بالتفريط في الحراسة.

«هَلْ نَزَلْتَ» عن فَرَسِكَ «اللَّيْلَةَ» «قَالَ: لَا» أي لم أنزل عن فرسي إلا لضرورة صلاة أو قضاء حاجة، بل بِتُّ راكبًا علىٰ فرسي أحرس جيش المسلمين.

«قَدْ أَوْجَبْتَ» أي عملت عملًا أوجب لك الجنة.

وفي هذا فضل كبير للحراسة، لا يقل عن فضل الجهاد. ويعد هذا الحارس في جملة المبشرين بالجنة.

الحديث الثامن والخمسون

عن مُعَاذِ بن جَبَلٍ رضي الله عنه، قَالَ: عَهِدَ إِلَيْنَا رَسُولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في خَمْسٍ مَنْ فَعَلَ وَاحِدَةً مِنْهُنَّ كَانَ ضَامِنًا عَلَىٰ الله عزَّ وجلَّ: مَنْ عَادَ مَرِيضًا، أَوْ خَرَجَ مَعَ جَنَازَةٍ، أَوْ خَرَجَ غَازِيًا في سَبِيلِ الله، أَوْ دَخَلَ عَلَىٰ إِمَامٍ

يُرِيدُ بِذَلِكَ تَعْزِيرَهُ وَتَوْقِيرَهُ، أَوْ قَعَدَ فِي بَيْتِهِ فَسَلِمَ وَسَلِمَ مِنْهُ النَّاسُ. رواه أحمد.

«كَانَ ضَامِنًا عَلَىٰ الله» أن يدخل الجنة. كذا جاء مفَسَّرًا في حديث عائشة رضي الله عنها، عند الطبرانيِّ في "الأوسط".

تقدمت عيادة المريض، واتباع الجنازة، والغزو: الجهاد.

«يُرِيدُ بِذَلِكَ تَعْزِيرَهُ وَتَوْقِيرَهُ»: التعزيز بالزاي، والتوقير: التعظيم.

ومن تعزيز الإمام إبداء النصيحة له، وتنبيهه إلىٰ وجوه من الخير قد تكون غائبة عنه، أما تعظيمه بالمدح الكاذب ومدح ما يصدر عنه من أفعال مخالفة للشرع فذلك نفاق يوجب النار لصاحبه.

وفي صحيحي "ابن خُزَيْمَةَ" و"ابن حِبَّان": عن مُعَاذٍ أيضًا رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قَالَ: **«مَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِ الله كَانَ ضَامِنًا عَلَى الله، وَمَنْ عَادَ مَرِيضًا كَانَ ضَامِنًا عَلَى الله، وَمَنَ غَدَا إِلَى المَسْجِدِ أَوْ رَاحَ كَانَ ضَامِنًا عَلَى الله، وَمَنْ دَخَلَ عَلَى إِمَامٍ يُعَزِّرُهُ كَانَ ضَامِنًا عَلَى الله، وَمَنْ جَلَسَ فِي بَيْتِهِ لَمْ يَغْتَبْ إِنسَانًا كَانَ ضَامِنًا عَلَى الله»**.

لم يذكر هذا الحديث اتباع الجنازة، وذكر بدله الغُدُوَّ إلىٰ المسجد أو الراوح إليه. فيستفاد منه ومن الحديث قبله ست خصال.

وهكذا جاءت في حديث عَائِشَةَ عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قَالَ: **«خِصَالٌ سِتٌّ مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فِي وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ إِلَّا كَانَ ضَامِنًا عَلَى الله أَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ»** وذكرها. رواه الطبراني في "الأوسط".

وفي "سنن أبي داود" و"صحيح ابن حِبَّان": عن أبي أُمَامَةَ رضي الله عنه،

أَنَّ رَسُولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قَالَ: «ثَلاثَةٌ كُلُّهُمْ ضَامِنٌ عَلَى الله، إِنْ عَاشَ رُزِقَ وَكُفِي، وَإِنْ مَاتَ أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ: مَنْ دَخَلَ بَيْتَهُ بِسَلَامٍ فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى الله، وَمَنْ خَرَجَ إِلَى المَسْجِدِ فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى الله، وَمَنْ خَرَجَ في سَبِيلِ الله فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى الله».

الحديث التاسع والخمسون

عن مُعَاذٍ أيضًا رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «مَنْ قَاتَلَ في سَبِيلِ الله فُوَاقَ نَاقَةٍ فَقَدْ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ، وَمَنْ سَأَلَ الله القَتْلَ مِنْ نَفْسِهِ صَادِقًا ثُمَّ مَاتَ أَوْ قُتِلَ فَإِنَّ لَهُ أَجْرَ شَهِيدٍ». رواه الأربعة، وقال الترمذيُّ: «حديث حسن صحيح».

«فُوَاقَ»: بضم الفاء أو فتحها وتخفيف الواو، تقدم بيان معناه.

«وَمَنْ سَأَلَ الله القَتْلَ»: أي سأل أن تقتل نفسه في الجهاد.

«صَادِقًا»: في طلب الاستشهاد في سبيل الله.

«ثُمَّ مَاتَ»: حَتْفَ أنفه «أَوْ قُتِلَ» في غير الجهاد.

«فَإِنَّ لَهُ أَجْرَ شَهِيدٍ»: عملًا بنيته، وصدق طلبه، والنبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى».

وفي القرآن الكريم: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٠].

نزلت هذه الآية في رجل خرج مهاجرًا إلى المدينة، فمات وهو لا يزال في ضواحي مكة.

الحديث الستون

عن كَعْبِ بن مُرَّةَ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يَقُولُ: «**مَنْ بَلَغَ العَدُوَّ بِسَهْمٍ رَفَعَ اللهُ لَهُ دَرَجَةً**» فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بن النَّحَّامِ: وَمَا الدَّرَجَةُ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**أَمَا إِنَّهَا لَيْسَتْ بِعَتَبَةِ بَابِكَ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ مِائَةُ عَامٍ**». رواه النَّسائيُّ وغيره.

«**أَمَا إِنَّهَا لَيْسَتْ بِعَتَبَةِ بَابِكَ**»: يفيد أن درجة الجنة معناها: المرقاة التي يرقى عليها، وارتفاعها كناية عن ارتفاع المكان الذي يتوصل بها إليه، كما أن كثرتها تقتضي كثرة القصور التي تعطى لصاحبها، لأن لكل قصر في الجنة درجة يرقى بها إليه، فكثرة الدرجات -حيثما جاءت في الحديث- كناية عن كثرة القصور.

الحديث الحادي والستون

عن عَمْرُو بن عَبَسَةَ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يَقُولُ في حِصَارِ الطَّائِفِ: «**مَنْ بَلَغَ بِسَهْمٍ فَهُوَ لَهُ دَرَجَةٌ في الجَنَّةِ**». فَبَلَغْتُ يَوْمَئِذٍ سِتَّةَ عَشَرَ سَهْمًا. رواه النَّسائيُّ.

الحديث الثاني والستون

عن مَعْدَانَ بن أبي طَلْحَةَ رضي الله عنه، قَالَ: حَاصَرْنَا مَعَ رَسُولِ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الطَّائِفَ. فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «**مَنْ بَلَغَ بِسَهْمٍ فَهُوَ لَهُ دَرَجَةٌ في الجَنَّةِ**». فَبَلَغْتُ يَوْمَئِذٍ سِتَّةَ عَشَرَ سَهْمًا.

رواه ابن حِبَّان في "صحيحه".

الحديث الثالث والستون

عن عُتْبَةَ بن عَبْدٍ السُّلَمِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قَالَ لأَصْحَابِهِ: «قُومُوا فَقَاتِلُوا». فَرَمَى رَجُلٌ بِسَهْمٍ. فَقَالَ النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «أَوْجَبَ هَذَا». رواه أحمد، وإسناده حسن.

«أَوْجَبَ هَذَا» أي أوجب لنفسه الجنة، لأنه كان أسبق جيش المسلمين إلى ضرب العدو، وفيه حث على مبادأة الكفار بالقتال إذا التقى الجيشان.

الحديث الرابع والستون

عن سَبْرَةَ بن الفَاكِهِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يَقُولُ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ بِطَرِيقِ الإِسْلَامِ، فَقَالَ: تُسْلِمُ وَتَذَرُ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ؟! فَعَصَاهُ فَأَسْلَمَ فَغُفِرَ لَهُ. فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الهِجْرَةِ، فَقَالَ: تُهَاجِرُ وَتَدَعُ دَارَكَ أَرْضَكَ وَسَمَاءَكَ؟! فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ. فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الجِهَادِ، فَقَالَ: تُجَاهِدُ وَهُوَ جَهْدُ النَّفْسِ وَالمَالِ فَتُقَاتِلُ فَتُقْتَلُ فَتُنْكَحُ المَرْأَةُ وَيُقْسَمُ المَالُ ؟! فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ».

قَالَ رَسُولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ حَقًّا عَلَى الله أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، وَإِنْ غَرِقَ كَانَ حَقًّا عَلَى الله أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، وَإِنْ وَقَصَتْهُ دَابَّتُهُ كَانَ حَقًّا عَلَى الله أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ». رواه النَّسائيُّ والبيهقيُّ، وصححه ابن حِبَّان.

«إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ»: لأنه لما امتنع عن السجود لآدم عليه السلام فلعنه الله وطرده قال: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم

مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٦ - ١٧].

«بِطَرِيقِ الهِجْرَةِ» يعني الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام، لأن من أسلم من أهل بلاد الكفر انقطعت الصلة بينه وبين أهل بلده، ووجب أن يهاجر إلى بلد الإسلام ليكون مع إخوانه المسلمين ويتمكن من إقامة الجماعة والجمعة وسائر الشعائر الدينية، وإن كان له والدان كافران فيمكنه أن يواصلهما بزيارته وبره وله أن يحملهما على السفر معه من غير ضغط ولا تهديد، بل يرغبهما فيه.

«فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ»: أي أسلم أو هاجر أو جاهد.

«كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ» هذا حق تفضلي أوجبه الله على نفسه تفضلًا منه سبحانه. «وَإِنْ غَرِقَ»: يدل على مشروعية الجهاد في البحر.

«وَإِنْ وَقَصَتْهُ دَابَّتُهُ»: أي قتلته بدوسها عليه.

الحديث الخامس والستون

عن فَضَالَةَ بن عُبَيْدٍ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يَقُولُ: «أَنَا زَعِيمٌ -وَالزَّعِيمُ الحَمِيلُ- لِمَنْ آمَنَ بِي وَأَسْلَمَ وَهَاجَرَ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الجَنَّةِ وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الجَنَّةِ، وَأَنَا زَعِيمٌ لِمَنْ آمَنَ بِي وَأَسْلَمَ وَجَاهَدَ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الجَنَّةِ وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الجَنَّةِ وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى غُرَفِ الجَنَّةِ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ يَدَعْ لِلْخَيْرِ مَطْلَبًا وَلاَ مِنَ الشَّرِّ مَهْرَبًا يَمُوتُ حَيْثُ شَاءَ أَنْ يَمُوتَ». رواه النسائي، وصححه ابن حِبَّان.

«فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ» أي أسلم وجاهد.

«لَمْ يَدَعْ لِلْخَيْرِ مَطْلَبًا وَلاَ مِنَ الشَّرِّ مَهْرَبًا»: لأنه باع نفسه لله، بجهاده في سبيل الله، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

الحديث السادس والستون

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «يَقُولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: المُجَاهِدُ في سَبِيلِي هُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ إِنْ قَبَضْتُهُ أَوْرَثْتُهُ الجَنَّةَ، وَإِنْ رَجَعْتُهُ رَجَعْتُهُ بِأَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ». رواه الترمذيُّ وصححه.

هذا حديث قدسي ويسمى ربانيًّا، وهو الحديث الذي يرويه النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن الله تبارك وتعالى والفرق بينه وبين القرآن من وجوه:

الأول: أن القرآن نزل بلفظه ومعناه، والحديث القدسي نزل بمعناه، والنبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يعبر عنه بلفظه.

الثاني: أن القرآن نزل للإعجاز والتحدي، بخلاف الحديث القدسي.

الثالث: أن القرآن نزل به جبريل عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥] بخلاف الحديث القدسي، فقد ينزل به ملك غير جبريل.

أما الحديث النبوي، فلفظه ومعناه من النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

والخلاصة:

أن القرآن: لفظه ومعناه من الله تعالى.

والحديث القدسي: معناه من الله تعالى، ولفظه من النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

والحديث النبوي: لفظه ومعناه من النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

«**رَجَعْتُهُ بِأَجْرٍ**» إن لم ينتصر «**أَوْ غَنِيمَةٍ**» إن انتصر وغنم من الكفار، والحديث يفيد أن الغنيمة تنقص أجر المجاهد.

الحديث السابع والستون

عن أبي المُنذِرِ رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إلى النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ فُلَانًا هَلَكَ فَصَلِّ عَلَيْهِ. فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: إِنَّهُ فَاجِرٌ فَلَا تُصَلِّ عَلَيْهِ. فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ الله أَلَمْ تَرَ اللَّيْلَةَ التِي أَصْبَحْتَ فيهَا في الحَرَسَ؟ فَإِنَّهُ كَانَ فيهِمْ. فَقَامَ رَسُولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فَصَلَّى عَلَيْهِ. ثُمَّ تَبِعَهُ حَتَّى جَاءَ قَبْرَهُ، قَعَدَ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُ حَثَا عَلَيْهِ ثَلاثَ حَثَيَاتٍ. ثم قال: «**يُثْنِي عَلَيْكَ النَّاسُ شَرًّا، وَأُثْنِي عَلَيْكَ خَيْرًا**». فَقَالَ عُمَرُ: وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ الله؟ فَقَالَ رَسُولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**دَعْنَا مِنْكَ يَا ابْنَ الخَطَّابِ، مَنْ جَاهَدَ في سَبِيلِ الله وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ**». رواه الطبرانيُّ في "الكبير"، بإسناد لا بأس به.

«**حَثَا عَلَيْهِ ثَلاثَ حَثَيَاتٍ**»: هذا دليل لما يفعله كثير من الناس حين يحثون

على الميت عند دفنه، ثلاث حَثَيَات من تراب. ولعل حكمة ذلك: الإشارة إلى قوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥] فالإنسان خلق من الأرض، وفيها يعود بعد موته، ومنها يخرج للبعث.

الحديث الثامن والستون

عن أبي بكر بن أبي موسى الأشعري، قَالَ سَمِعْتُ أَبِي وَهُوَ بِحَضْرَةِ العَدُوِّ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إِنَّ أَبْوَابَ الجَنَّةِ تَحْتَ ظِلاَلِ السُّيُوفِ**». فَقَامَ رَجُلٌ رَثُّ الهَيْئَةِ، فَقَالَ: يَا أَبَا مُوسَى أَنْتَ سَمِعْتَ رَسُولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يَقُولُ هَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ. فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَقْرَأُ عَلَيْكُمُ السَّلاَمَ. ثُمَّ كَسَرَ جَفْنَ سَيْفِهِ فَأَلْقَاهُ، ثُمَّ مَشَى بِسَيْفِهِ إِلَى العَدُوِّ فَضَرَبَ بِهِ حَتَّى قُتِلَ. رواه مسلمٌ والترمذيُّ.

«**إِنَّ أَبْوَابَ الجَنَّةِ تَحْتَ ظِلاَلِ السُّيُوفِ**»: هذه كناية عن كون الضرب بالسيف في سبيل الله موصلًا إلى باب الجنة ومؤديًا إلى دخولها، ولذلك لما استثبت الرجل أبا موسى في الحديث وتأكد له ثبوته عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، كسر غِمْدَ سيفه وضرب به حتى استشهد.

الحديث التاسع والستون

عن عُبَادَةَ بن الصَّامِتِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**جَاهِدُوا فِي سَبِيلِ الله، فَإِنَّ الجِهَادَ فِي سَبِيلِ الله بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، يُنْجِي اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهِ مِنَ الهَمِّ وَالغَمِّ**». رواه أحمد والطبرانيُّ بإسناد رواته ثقات، وصحَّحه الحاكم.

«يُنْجِي اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهِ مِنَ الهَمِّ وَالغَمِّ»: لأن المجاهد إن مات أو قتل في الجهاد كان شهيدًا ينجيه الله من هم الموقف وغمه، وإن عاش انتصر وغنم وصرف الله عنه هم الدنيا وغمها.

الحديث السبعون

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رَسُولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قَالَ: «مَثَلُ المُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ الله كَمَثَلِ القَانِتِ الصَّائِمِ لَا يَفْتُرُ صَلَاةً وَلَا صِيَامًا حَتَّى يُرْجِعَهُ اللهُ إِلَى أَهْلِهِ بِمَا يُرْجِعُهُ إليهم مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ، أَوْ يَتَوَفَّاهُ فَيُدْخِلُهُ الجَنَّةَ». رواه ابن حِبَّان في "صحيحه".

«حَتَّى يُرْجِعَهُ»: بفتح الياء وبضمها مع تخفيف الجيم وتشديده لأن هذا الفعل يتعدىٰ بالحركة كما في القرآن، وبالهمزة، وبالتضعيف «مِنْ أَجْرٍ» بأن تنازل عن غنيمته لأحد إخوانه.

(تنبيه): روىٰ ابن حِبَّان هذا الحديث عن شيخه عمرو بن سعيد بن سِنَان عاش ثمانين سنة صائمًا بالنهار قائمًا بالليل غازيًا ومرابطًا.

الحديث الحادي والسبعون

عن شَدَّادِ بن الهَادِ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا مِنَ الأَعْرَابِ جَاءَ إِلَىٰ النَّبِيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فَآمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: أُهَاجِرُ مَعَكَ. فَأَوْصَىٰ بِهِ النَّبِيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بَعْضَ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا كَانَتْ غَزَاةٌ غَنِمَ النَّبِيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فَقَسَمَ، وَقَسَمَ لَهُ. فَأَعْطَىٰ أَصْحَابَهُ مَا قَسَمَ لَهُ، وَكَانَ يَرْعَىٰ ظَهْرَهُمْ فَلَمَّا جَاءَ دَفَعُوهُ إِلَيْهِ، فَأَخَذَهُ فَجَاءَ إِلَىٰ النَّبِيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله

وسلَّم فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالَ: «**قَسَمْتُهُ لَكَ**». قَالَ: مَا عَلَىٰ هَذَا اتَّبَعْتُكَ وَلَكِنِّي اتَّبَعْتُكَ عَلَىٰ أَنْ أُرْمَىٰ هَاهُنَا -وَأَشَارَ إِلَىٰ حَلْقِهِ- بِسَهْمٍ فَأَمُوتَ فَأَدْخُلَ الجَنَّةَ. فَقَالَ: «**إِنْ تَصْدُقِ اللهَ يَصْدُقْكَ**». فَلَبِثُوا قَلِيلًا، ثُمَّ نَهَضُوا إِلَىٰ قِتَالِ العَدُوِّ. فَأُتِيَ بِهِ النَّبِيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يُحْمَلُ، قَدْ أَصَابَهُ سَهْمٌ حَيْثُ أَشَارَ. فَقَالَ النَّبِيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أَهُوَ هُوَ؟**» قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «**صَدَقَ الله فَصَدَقَهُ**». ثُمَّ كَفَّنَهُ النَّبِيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في جُبَّتِهِ التِي عَلَيْهِ، ثُمَّ قَدَّمَهُ فَصَلَّىٰ عَلَيْهِ. وَكَانَ مِمَّا ظَهَرَ مِنْ صَلَاتِهِ: «**اللهُمَّ هَذَا عَبْدُكَ خَرَجَ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِكَ فَقُتِلَ شَهِيدًا. أَنَا شَهِيدٌ عَلَى ذَلِكَ**» رواه النَّسائيُّ وغيره.

«من الأعراب»: هم أهل البادية، الواحد: أعرابي.

«يَرْعَىٰ ظَهْرَهُمْ»: أي إبلهم وأفراسهم التي يركبونها، والظهر: ما يركب مأخوذ من الظهير، وهو المعين. «**إِنْ تَصْدُقِ الله**» في طلب الاستشهاد في سبيله «**يَصْدُقْكَ**» بإعطائك ما تطلب. ويَصْدُقك بفتح الياء وسكون الصاد وضم الدال. «قَدْ أَصَابَهُ سَهْمٌ حَيْثُ أَشَارَ»: هذه كرامة أكرم الله بها الأعرابي، حيث حقق له طلبه كما أراد، وحيث أشار.

الحديث الثاني والسبعون

عن أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يَومَ بَدْرٍ: «**قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ**» قَالَ عُمَيْرُ بْنُ الحُمَامِ: يَا رَسُولَ الله، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**». قَالَ: بَخٍ بَخٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ: بَخٍ بَخٍ؟**» فَقَالَ: لاَ

وَالله يَا رَسُولَ الله إِلاَّ رَجَاءَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا. قَالَ: «**فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا**». فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: إِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّىٰ آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، فَرَمَىٰ بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّىٰ قُتِلَ، رضي الله عنه. رواه مسلم في "صحيحه".

«**بَخٍ بَخٍ**»: بخ بوزن هل، كلمة تقال عند المدح والرضا. فإن وصلت كسرت ونونت. فيقال: بخٍ بخٍ، بكسر الخاء وتنوينها. وهي اسم مبني للشبه الوضعي.

«**فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا**»: فَعُمَيرُ من المبشرين بالجنة.

«إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ»: استطال حياته، لاشيتاقه إلىٰ الجنة التي بُشِّرَ بها، وهذا يدل علىٰ قوة إيمانه، وصدق يقينه.

الحديث الثالث والسبعون

عن أَنَسٍ أيضًا رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**يُؤْتَى بِالرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيَقُولُ اللهُ: يَا ابْنَ آدَمَ كَيْفَ وَجَدْتَ مَنْزِلَكَ؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ خَيْرَ مَنْزِلٍ. فَيَقُولُ: سَلْ وَتَمَنَّهْ. فَيَقُولُ: وَمَا أَسْأَلُكَ وَأَتَمَنَّى؟ أَسْأَلُكَ أَنْ تَرُدَّنِي إِلَى الدُّنْيَا فَأُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ عَشْرَ مَرَّاتٍ. لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ**». رواه النَّسائيُّ، والحاكم وصححه علىٰ شرط مسلم.

«**وَتَمَنَّهْ**»: الهاء هنا هاء السكت، وليست مفعولًا به.

«**أَيْ رَبِّ**»: أي حرف لنداء القريب، وأهل الجنة يرون الله قريبًا منهم بسبب رضاه عنهم وتقريبه إياهم.

والحديث يدل على عظم فضل الشهادة في سبيل الله، لأن أهل الجنة ما تمنوا أن يقتلوا في سبيل الله عشر مرات مع كونهم في الجنة إلا لأنهم شاهدوا من فضل الشهادة ما حملهم على هذا التمني.

الحديث الرابع والسبعون

عن عُتْبَةَ بن عَبْدٍ السُّلَمِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قَالَ: «**القَتْلَى ثَلاَثَةٌ: رَجُلٌ مُؤْمِنٌ جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ الله، حَتَّى إِذَا لَقِيَ العَدُوَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى يُقْتَلَ، فَذَلِكَ الشَّهِيدُ المُمْتَحَنُ فِي جَنَّةِ الله تَحْتَ عَرْشِهِ، لَا يَفْضُلُهُ النَّبِيُّونَ إِلاَّ بِفَضْلِ دَرَجَةِ النُّبُوَّةِ. وَرَجُلٌ فَرِقَ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الذُّنُوبِ وَالخَطَايَا جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ الله حَتَّى إِذَا لَقِيَ العَدُوَّ قَاتَلَ حَتَّى يُقْتَلَ، فَتِلْكَ مُمَصْمِصَةٌ مَحَتْ ذُنُوبَهُ وَخَطَايَاهُ، إِنَّ السَّيْفَ مَحَّاءٌ لِلخَطَايَا، وَأُدْخِلَ مِنْ أَيِّ أَبْوابِ الجَنَّةِ شَاءَ، فَإِنَّ لَهَا ثَمَانِيَةُ أَبْوَابٍ - وَلِجَهَنَّمَ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ- بَعْضُهَا أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ، وَرَجُلٌ مُنَافِقٌ جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ الله حَتَّى إِذَا لَقِيَ العَدُوَّ قَاتَلَ حَتَّى يُقْتَلَ، فَذَلِكَ فِي النَّارِ، إِنَّ السَّيْفَ لاَ يَمْحُو النِّفَاقَ**». رواه أحمد بإسناد جيد، وابن حِبَّان في "صحيحه" وهذا لفظه.

«**المُمْتَحَنُ**» بفتح الحاء المهملة: أي امتحنه الله بالجهاد ومشاقِّه فصدق وصبر ونجح. «**وَرَجُلٌ فَرِقَ**» بكسر الراء: خاف على نفسه من الذنوب والخطايا أن توقعه في النار «**فَتِلْكَ**» القتلة «**مُمَصْمِصَةٌ**» بضم الميم الأولى وفتح الثانية وكسر الثالثة وسكون الصاد: ماحية. محت ذنوبه وخطاياه.

و«**بَعْضُهَا**» أي بعض أبواب الجنة «**أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ**».

«**إِنَّ السَّيْفَ لاَ يَمْحُو النِّفَاقَ**»: لأن المنافق -وإن أظهر الإسلام بلسانه- مُصِرٌّ على الكفر بقلبه، فهو أشد من الكافر المعلن بكفره، ولذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥] وهذا النوع يسمى نفاق كفر، لأن صاحبه أظهر الإسلام وأخفي الكفر.

بقي نوعان من النفاق لا يكفر صاحبهما لكنه يأثم:

أحدهما: نفاق العمل، وعليه يتنزل حديث الصحيحين: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**» يضاف إليها خَصْلَتان، ثبتتا في حديث الصحيحين أيضًا وهما: «**إِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**».

ثانيهما: نفاق اجتماعي، وهو مدح الشخص بما ليس فيه كأن يُوصف كبير في المجتمع بأنه كريم أو حكيم أو شجاع وهو بخلاف ذلك وفي مثل هؤلاء المنافقين قال النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**احْثُوا في وُجُوهِ المَدَّاحِينَ التُّرَابَ**».

الحديث الخامس والسبعون

عن نُعَيْم بن هَمَّارٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: أَيُّ الشُّهَدَاءِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**الذينَ إِنْ يَلْقَوْا في الصَّفِّ لَا يَلْفِتُوا وُجُوهَهُمْ حَتَّى يُقْتَلُوا، أُولَئِكَ يَتَلَبَّطُونَ في الغُرَفِ العُلا مِنَ الجَنَّةِ، وَيَضْحَكُ إِلَيْهِمْ رَبُّكَ، وَإِذَا ضَحِكَ رَبُّكَ إِلَى عَبْدٍ في الدُّنْيَا فَلاَ حِسَابَ عَلَيْهِ**». رواه أحمد وأبو يَعْلَى في مسنديهما، ورجال إسنادهما ثقات.

«**إِنْ يَلْقَوْا**»: بفتح الياء والقاف: أي يلقوا العدو «**في الصَّفِّ**» مجاهدين «**لَا يَلْفِتُوا**» بفتح الياء، -وضمها خطأ-: أي لا يَلْوُوا وجوههم بقصد الرجوع

والتقهقر بل يثبتون في مواقفهم أو يتقدمون مهاجمين.

«يَتَلَبَّطُونَ»: يضطجعون.

«يَضْحَكُ إِلَيْهِمْ رَبُّكَ»: عند استشهادهم. والضَّحِك كناية عن الرضا، لأن من رضى عن شخص استقبله ضاحكًا إظهارًا لرضاه عنه. والحديث يدل على فضيلة الثبات في الجهاد ومصابرة العدو. وفي القرآن الكريم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال: ٤٥].

وللحديث طريق آخر عن أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «أَفْضَلُ الجِهَادِ عِنْدَ الله يَوْمَ القِيَامَةِ: الذِينَ يَلْتَقُونَ فِي الصَّفِّ الأَوَّلِ فَلَا يَلْفِتُونَ وُجُوهَهُمْ حَتَّى يُقْتَلُوا أُولَئِكَ يَتَلَبَّطُونَ فِي الغُرَفِ العُلَى مِنَ الجَنَّةِ يَضْحَكُ إِلَيْهِمْ رَبُّكَ، وَإِذَا ضَحِكَ إِلَى قَوْمٍ فَلَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ». رواه الطبرانيُّ في "الكبير" بإسناد حسن.

«الذِينَ يَلْتَقُونَ»: أي جهاد الذين يلتقون. فهو كقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [البقرة: ١٨٩]، أي بر من اتقى.

الحديث السادس والسبعون

عن المِقدَام بن مَعْدِي كَرِبَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «لِلشَّهِيدِ عِنْدَ الله سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الوَقَارِ اليَاقُوتَةُ مِنْهُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِنْ

الحُورِ العِينِ، وَيُشَفَّعُ في سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ». رواه ابن ماجه والترمذيُّ وصححه.

«يُغْفَرُ لَهُ في أَوَّلِ دَفْعَةٍ»: من دمه جميع ذنوبه إلا الدَّيْنَ فقد استثناه حديث آخر.

«وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنْ الفَزَعِ الْأَكْبَرِ»: هذه خصلة واحدة ذات شِقَّيْنِ متلازمين: الأمن من عذاب القبر، اللازم عنه الأمن من الفزع الأكبر. وحاصل هذه الخصلة: أنها أمن من شيئين مؤلمين: عذاب القبر، وفزع عند البعث.

«وَيُوضَعُ عَلَى رَأسِهِ تَاجُ الوَقَارِ»: لما كان المجاهد حين استشهاده يقع على الأرض فيعلو التراب وجهه ورأسه، جوزي بوضع تاج الوقار على رأسه إجلالًا له. «وَيُشَفَّعُ في سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ»: يشفع بفتح الياء، أو بضمها مع تشديد الفاء المفتوحة: تقبل شفاعته فيهم.

الحديث السابع والسبعون

عن عُبَادَةَ بن الصَّامِتِ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قَالَ: «إِنَّ لِلشَّهِيدِ عِنْدَ الله سَبْعَ خِصَالٍ: أَنْ يُغْفَرَ لَهُ في أَوَّلِ دَفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنْ الجَنَّةِ، وَيُحَلَّى حُلَّةَ الإِيمَانِ، وَيُجَارَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَيَأمَنَ مِنْ الفَزَعِ الأَكْبَرِ، وَيُوضَعَ عَلَى رَأسِهِ تَاجُ الوَقَارِ اليَاقُوتَةُ مِنْهُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فيهَا، وَيُزَوَّجَ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِنْ الحُورِ العِينِ، وَيُشَفَّعُ في سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَقَارِبِهِ». رواه أحمد بإسنادٍ حسنٍ.

الحديث الثامن والسبعون

عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «الشُّهَدَاءُ عَلَى بَارِقِ نَهرٍ بِبَابِ الجَنَّةِ في قُبَّةٍ خَضْرَاءَ يَخْرُجُ عَلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ مِنَ الجَنَّةِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا». رواه أحمد، وابن حِبَّان في "صحيحه"، والحاكم وصححه على شرط مسلم.

«الشُّهَدَاءُ» أي أرواحهم. «عَلَى بَارِقِ نَهرٍ» أي شاطئ نهر. وهؤلاء الشهداء هم الذين استشهدوا وعليهم حقوق لغيرهم كدَيْنٍ مثلًا، تمكث أرواحهم في هذا المكان على باب الجنة حتى يأتي يوم القيامة فيؤدوا ما عليهم ثم يدخلون الجنة، أما الشهداء الذين ليس لأحد عليهم حق، فأرواحهم في جوف طير خُضْرٍ تَعْلُقُ من ثمار الجنة، ثم تأوي إلى قناديل مُعَلَّقة تحت العرش، كما في الحديث الآتي.

الحديث التاسع والسبعون

عن مَسْرُوقٍ قَالَ: سَأَلْنَا عَبْدَالله -يَعْنِي ابنَ مَسْعُودٍ- رضي الله عنه عَنْ هَذِهِ الآيَةِ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] فَقَالَ: أَمَا إِنَّا سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فَقَالَ: «أَرْوَاحُهُمْ في جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالعَرْشِ تَسْرَحُ مِنَ الجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ ثُمَّ تَأْوِى إِلَى تِلكَ القَنَادِيلِ فَاطَّلَعَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمُ اطِّلَاعَةً فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِى وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا؟! فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يُسْأَلُوا، قَالُوا: يَا رَبِّ

نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا». رواه مسلم.

«فَاطَّلَعَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمُ اطِّلَاعَةً»: اطَّلع بتشديد الطاء. اطِّلَاعة بكسر الطاء المشددة. وهذه العبارة. كناية عن تجلي الله لهم وإقباله عليهم بنواله.

وفي "صحيح الحاكم" عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ جَعَلَ اللهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَرِدُ أَنْهَارَ الجَنَّةِ تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ العَرْشِ، فَلَمَّا وَجَدُوا طِيبَ مَأْكَلِهِمْ وَمَشْرَبِهِمْ وَمَقِيلِهِمْ قَالُوا: مَنْ يُبَلِّغُ إِخْوَانَنَا عَنَّا أَنَّا أَحْيَاءٌ فِي الجَنَّةِ نُرْزَقُ لِئَلَّا يَزْهَدُوا فِي الجِهَادِ؟ فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: «أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ». قَالَ: «فَأَنْزَلَ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]» إلى آخر الآية.

«لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ»: في غزوة أحد. «خُضْرٍ»: جمع أخضر. وهذه الطيور مراكب لأرواحهم. «وَمَقِيلِهِمْ»: أصل المقيل: النوم وقت الظهيرة. وهو هنا كناية عن اضطجاعهم لأن الجنة لا نوم فيها.

الحديث الثمانون

عن أَنَسٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا أَسْوَدَ أَتَى النَّبِيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي رَجُلٌ أَسْوَدُ مُنْتِنُ الرِّيحِ قَبِيحُ الْوَجْهِ لا مَالَ لِي، فَإِنْ أَنَا قَاتَلْتُ هَؤُلاءِ -يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ- حَتَّى أُقْتَلَ، فَأَيْنَ أَنَا؟ قَالَ: «فِي الجَنَّةِ». فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ. فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فَقَالَ: «قَدْ بَيَّضَ اللهُ وَجْهَكَ

وَطَيَّبَ رِيحَكَ وَأَكْثَرَ مَالَكَ». وَقَالَ لِهَذَا أَوْ لِغَيْرِهِ: «لَقَدْ رَأَيْتُ زَوْجَتَهُ مِنَ الحُورِ العِينِ نَازَعَتْهُ جُبَّةً لَهُ مِنْ صُوفٍ تَدْخُلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ جُبَّتِهِ». رواه الحاكم وصححه على شرط مسلم.

«قَدْ بَيَّضَ اللهُ وَجْهَكَ»: هذا إخبار بما أكرم الله به ذلك الرجل الأسود من الفضل والثواب على جهاده في سبيل الله. والإسلام لا يعرف عنصرية ولا عصبية، بل ينكرهما ويجعل الناس سواء لا فرق بين أبيض وأسود ولا بين غني وفقير ولا بين شريف وحقير إلا بالتقوى والعمل الصالح. قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحجرات: ١٣].

وَقَالَ النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في بَعْضِ خُطَبِهِ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالآبَاءِ، إِنَّمَا النَّاسُ رَجُلَانِ: مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ كَرِيمٌ عَلَى اللهِ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيِّنٌ عَلَى اللهِ».

وحصل بين أبي ذَرٍّ وبلالٍ رضي الله عنهما جدالٌ، فقال أبو ذَرٍّ لبلالٍ: يَا ابْنَ السَّوْدَاءِ، فَلَمَّا عَلِمَ النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قَالَ لأبي ذَرٍّ: «إِنَّكَ امْرُؤٌ فيكَ جَاهِلِيَّةٌ».

«وَقَالَ لِهَذَا أَوْ لِغَيْرِهِ»: أي عن هذا أو عن غيره، فاللام بمعنى عن. والمعنى: أن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال هذا الحديث عن هذا الأسود وعن غيره، فليس خاصًا به بل هو عام في كل مسلم جاهد في سبيل الله وإن كان سبب وروده حادثة الرجل الأسود.

الحديث الحادي والثمانون

عن أَنَسٍ أيضًا رضي الله عنه: أن أُمَّ الرُّبَيِّعِ بنتَ البَرَاءِ رضي الله عنها - وَهِيَ أُمُّ حَارِثَةَ بن سُرَاقَةَ- أَتَتِ النَّبِيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله أَلَا تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ؟ -وَكَانَ قَدْ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ- فَإِنْ كَانَ فِي الجَنَّةِ صَبَرْتُ. وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي البُكَاءِ. فَقَالَ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الجَنَّةِ، وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الفِرْدَوْسَ الأَعْلَى**». رواه البخاري في "صحيحه".

«**إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الجَنَّةِ**»: يعني أن الجنة اسم جنس، يشمل جنات مثل جنة عدن، وجنة المأوىٰ، وجنة الفردوس وهكذا.

«**أَصَابَ الفِرْدَوْسَ الأَعْلَى**»: لأنه من شهداء بدر وأهل بدر لهم فضل خاص يمتازون به عن أهل سائر الغزوات. لأن غزوة بدر هي الغزوة التي انتصر فيها المسلمون -مع قلتهم وقلة سلاحهم- علىٰ المشركين الكثيري العدد والعدة فانتصر الإسلام علىٰ الكفر، وانتصف منه، وقويت شوكة المسلمين، وخافهم أعداؤهم.

بل بقاء الإسلام إلىٰ اليوم وإلىٰ يوم القيامة كان نتيجة انتصار المسلمين في واقعة بدر، يشير إلىٰ ذلك دعاء النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في ذلك اليوم قبيل القتال: «**اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي نَصْرك الذي وَعَدْتَّنِي، اللهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ العِصَابَةُ لَا تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ**». فمن هنا كان أهل بدر من خيار المسلمين في الأرض، ومن خيار الملائكة في السماء.

الحديث الثاني والثمانون

عن ابن عُمَرَ رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مَرَّ بِخِبَاءِ أَعْرَابِيٍّ وَهُوَ في أَصْحَابِهِ يُرِيدُونَ الغَزْوَ. فَرَفَعَ الأَعْرَابِيُّ نَاحِيَةً مِنَ الخِبَاءِ. فَقَالَ: مَنِ القَوْمُ؟ فَقِيلَ لَهُ: رَسُولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وَأَصْحَابُهُ، يُرِيدُونَ الغَزْوَ. فَقَالَ: هَلْ مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا يُصِيبُونَ؟ قِيلَ لَهُ: نَعَمْ، يُصِيبُونَ الغَنَائِمَ، ثُمَّ تُقَسَّمُ بَيْنَ المُسْلِمِينَ. فَعَمَدَ إِلَى بَكْرٍ لَهُ فَاعْتَقَلَهُ وَسَارَ مَعَهُمْ، فَجَعَلَ يَدْنُو بِبَكْرِهِ إِلَى رَسُولِ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وَجَعَلَ أَصْحَابُهُ يَذُودُونَ بَكْرَهُ عَنْهُ. فَقَالَ رَسُولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**دَعُوا لِي النَّجْدِيَّ، فَوَالذي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ لَمِنْ مُلُوكِ الجَنَّةِ**».

قَالَ: فَلَقُوا العَدُوَّ فَاسْتُشْهِدَ. فَأُخْبِرَ بِذَلِكَ النَّبِيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فَأَتَاهُ فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ مُسْتَبْشِرًا يَضْحَكُ، ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهُ. فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ الله رَأَيْنَاكَ مُسْتَبْشِرًا تَضْحَكُ ثُمَّ أَعْرَضْتَ عَنْهُ؟ فَقَالَ: «**أَمَّا مَا رَأَيْتُمْ مِنِ اسْتِبْشَارِي فَلِمَا رَأَيْتُ مِنْ كَرَامَةِ رُوحِهِ عَلَى الله عزَّ وجلَّ، وَأَمَّا إِعْرَاضِي عَنْهُ فَإِنَّ زَوْجَتَهُ مِنَ الحُورِ العِينِ الآنَ عِنْدَ رَأْسِهِ**».

رواه البيهقيُّ، وإسناده حسن.

«**لَمِنْ مُلُوكِ الجَنَّةِ**»: فهو من جملة المبشرين.

«**وَأَمَّا إِعْرَاضِي عَنْهُ فَإِنَّ زَوْجَتَهُ مِنَ الحُورِ العِينِ الآنَ عِنْدَ رَأْسِهِ**»: غَضَّ النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بصره عن زوجته، رعاية لحرمته وهذا كما امتنع من دخول قصر عمر في الجنة نظرًا لغَيْرَتِه.

الحديث الثالث والثمانون

عن أبي موسى: أَنَّ رَسُولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قَالَ: «**إِذَا مَاتَ وَلَدُ العَبْدِ قَالَ اللهُ تَعَالَى لِمَلائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: فَمَاذَا قَالَ عَبْدِى؟ فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ. فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا في الجَنَّةِ وَسَمُّوهُ بَيْتَ الحَمْدِ**». رواه الترمذيُّ وحسَّنه، وصحَّحه ابن حِبَّان.

القصد بتراجع السؤال والجواب بين الله تعالى وملائكته عليهم السلام بيان ما للمسلم من ثواب كبير حين يصاب بفقد ولده وهو أعزُّ شئ عنده، فيقابل المصيبة بالحمد والاسترجاع.

وستأتي بحول الله أحاديث في ثواب فقد الأولاد، يتأسَّى بها من أصيب بفقد أولاده، مثل الحافظ السيوطي الذي ألَّف رسالة سماها "بَرْدُ الأَكْبَادِ عِنْدَ فَقْدِ الأَوْلَادِ".

الحديث الرابع والثمانون

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قَالَ: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ما لِعَبْدِي المُؤمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ - إِذَا قَبَضْتُ صَفيهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيا ثُمَّ احْتَسَبَهُ - إِلَّا الجَنَّةُ**». رواه البخاريُّ في "صحيحه".

«**إِذَا قَبَضْتُ صَفيهُ**»: الصَفي: المصافي الصادق الوُدِّ، أخًا كان أو صديقًا أو ابنًا أو زوجة. فإذا أصيب المؤمن في صَفي له فصبر واحتسب كان جزاؤه الجنة.

الحديث الخامس والثمانون

عن مُعَاذِ بن جَبَل رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله حَدِّثْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ؟ لَا أَسْأَلُكَ عَنْ شَيْءٍ غَيْرَهُ. قَالَ رَسُولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**بَخٍ بَخٍ لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ أَرَادَ اللهُ بِهِ الخَيْرَ تُؤْمِنُ بِالله وَاليَومِ الآخِرِ، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ، وتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا حَتَّى تَمُوتَ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ**» رواه أحمد والنَّسائيُّ، والترمذيُّ وصحَّحه.

وهو في كتاب "الأربعين النووية" مطوَّلًا بلفظ قريب مما هنا. وهو وإن صححه الترمذيُّ، فيه إرسال لكن له طرق تقويه.

«**وَتَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ**»: أي تدوم علىٰ عبادته بأن تفعل الطاعات قاصدًا بها وجهه العظيم، قال تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

الحديث السادس والثمانون

عن ثَوْبَانَ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قَالَ: «**مَنْ جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ بَرِيئًا مِنْ ثَلَاثٍ دَخَلَ الجَنَّةَ: الكِبْرِ وَالغُلُولِ وَالدَّيْنِ**». رواه النَّسائيُّ وابن حِبَّان، والحاكم وصحَّحه علىٰ شرط الشيخين.

«**الكبر**»: هو بَطَرُ الحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ، هكذا عرَّفه النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في حديث رواه مسلم، و«**بَطَرُ الحَقِّ**»: رَدُّه، وعدم قبوله، و«**غَمْطُ النَّاسِ**»: احتقارهم.

«وَالغُلُولِ»: بضم الغين: السرقة من الغنيمة في الجهاد.

«وَالدَّيْنِ»: بفتح الدال، معروف.

وكانت هذه الأشياء تمنع من دخول الجنة لأن الكبر يبغضه الله تعالىٰ لما فيه من رَدِّ الحقِّ واحتقار الناس، ولأنه لا يليق بالمخلوق، بل هو من صفات الخالق سبحانه، قال تعالىٰ: «**الكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَصَمْتُهُ ثُمَّ أَلْقَيْتُهُ فِي جَهَنَّمَ**»، ومعنىٰ الكبر في حق الله تعالىٰ: العُلُوُّ عن سمات المحدثات.

والغُلولُ خيانة للمجاهدين في غنيمة اكتسبوها بحدِّ سيوفهم، والدَّيْنَ حق لصاحبه لا يُغْفَرُ إلا بأدائه أو تنازل صاحبه عنه.

الحديث السابع والثمانون

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إلىٰ رَسُولِ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فَقَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ عُدِيَ عَلَىٰ مَالِي؟ قَالَ: «**فَانْشُدْ بِالله**» قَالَ: فَإِنْ أَبَوْا عَلَيَّ؟ قال: «**فَانْشُدْ بِالله**» قَالَ: فَإِنْ أَبَوْا عَلَيَّ؟ قَالَ: «**فَانْشُدْ بِالله**» قَالَ: فَإِنْ أَبَوْا عَلَيَّ؟ قَالَ: «**فَقَاتِلْ فَإِنْ قُتِلْتَ فَفِي الجَنَّةِ وَإِنْ قَتَلْتَ فَفِي النَّارِ**». رواه النسائي.

هذا الحديث يُبيِّن حكم الصَّائل، وهو الذي يهجم علىٰ الشخص ويأخذ منه ماله بالقوَّة، وحاصل الحكم: أن ينشده بالله صاحب المال ويذكره بأخوَّةِ الإسلام ثلاث مرات، فإن أبي للمرة الرابعة، قاومه وقاتله.

«إِنْ عُدِيَ عَلَىٰ مَالِي»: المال نوعان: صامت كالنقد والعروض، وناطق كالأنعام.

«فَانْشُدْ بِاللهِ»: أي قل له: نَشَدتُّكَ بالله، أي سألتك به أن تكف عن مالي ولا تأخذه.

«فَقَاتِلْ»: إن رأيت أنه لا يرجع عنك إلا بالقتال، فإن أمكن رده بما دون المقاتلة، وجب رده بذلك الطريق وحرمت المقاتلة.

«فَإِنْ قُتِلْتَ»: بالبناء للمجهول أي قتلك الصائل «فَفِي الجَنَّةِ» لأنك شهيد، للحديث الصحيح: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ». ويُقْتَصُّ من الصائل لقتله نفسًا معصومة. وإن كانوا جماعة اقتُصَّ من الذي باشر القتل، وعُزِّرَ غيره.

«وَإِنْ قَتَلْتَ»: الصائل «فَفِي النَّارِ» لأنه كان عازمًا على قتلك وأخذ مالك، وهما كبيرتان. ولا قصاص عليك إن لم تجد مخلصًا منه إلا بقتله.

الحديث الثامن والثمانون

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «يَجِيءُ صَاحِبُ القُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ القُرْآنُ: يَا رَبِّ حَلِّهِ، فَيُلْبَسُ تَاجَ الكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ زِدْهُ، فَيُلْبَسُ حُلَّةَ الكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ ارْضَ عَنْهُ، فَيَرْضَى عَنْهُ فيُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ وَارْقَ. وَيُزَادُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةً». رواه الترمذيُّ وحسَّنه. وصحَّحه ابن خُزَيْمَةَ والحاكم.

«يَجِيءُ صَاحِبُ القُرْآنِ» هو الحافظ للقرآن التالي له، العامل به «فَيَقُولُ القُرْآنُ» المَتْلُوُّ الذي تلاه القارئ في الدنيا، يتجسَّدُ يوم القيامة فيقول: «يَا رَبِّ حَلِّهِ» أي ألبسه حُلَّةً وتَاجًا.

والمعاني تتجسد يوم القيامة، فالموت يتجسد في صورة كبش أملح، فيُذبح بين الجنة والنار. والأعمال تتجسد فتوضع في الميزان فيثقل العمل الصالح، ويخف العمل السيء[١] والميت إذا وُضِع في قبره دخل عليه عمله الصالح في صورة رجل حسن الوجه طيب الرائحة. وبالعكس يجئ عمله السيء.

وعلى هذا لا غرابة في أن يظهر متلو القارئ في صورة جسم نوراني، فيطلب من الله إكرام القارئ، أما القرآن الذي هو الصفة القديمة القائمة بذات الله تعالى، فيستحيل أن تتجسد في صورة من الصور كما يستحيل أن تقول: يا رب، لأنها صفة لله سبحانه، مثل علمه وقدرته، وبقية صفاته القديمة[٢].

«**وَارْقَ**» بفتح القاف، أمر من رَقِيَ بكسرها: إذا صَعِدَ. والمعنى اقرأ القرآن وترقَّ في درج الجنة.

الحديث التاسع والثمانون

عن عَبْدِالله بن عَمْرِو بن العَاصِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يُقَالُ لِصَاحِبِ القُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْقَ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ في الدُّنْيَا فإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيةٍ تَقْرَؤُهَا**».

رواه أبو داود وابن ماجه والترمذيُّ وصحَّحه، وابن حِبَّان في "صحيحه".

---

(١) للحافظ السيوطي رسالة نفيسة في تجسد المعاني يوم القيامة.

(٢) المسماة بصفات المعاني وهي الحياة والقدرة والإرادة والعلم والسمع والبصر والكلام وأنكرها المعتزلة مستدلين بما لا تقوم به حجة.

«وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا» يفيد أن هذا الثواب لا يعطىٰ إلا لمن كان يقرأ القرآن بالترتيل، وهو الترسل في القراءة وتبيين مخارج الحروف وإعطاؤها حقها[١].

«فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا» قال الإمام الخطَّابي في "معالم السنن": جاء في الأثر: أن عدد آي[٢] القرآن، علىٰ قدر درج الجنة فيقال للقارئ: ارقَ في الدرج علىٰ قدر ما كنت تقرأ من آي القرآن. فمن استوفىٰ قراءة جميع القرآن استولىٰ علىٰ أقصىٰ درج الجنة في الآخرة. ومن قرأ جزءًا منه كان رقيُّه في الدرج علىٰ قدر ذلك، فيكون منتهىٰ الثواب عند منتهىٰ القراءة.

الحديث التسعون

عن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ وَتَعَلَّمَهُ وَعَمِلَ بِهِ، أُلْبِسَ يَوْمَ القِيَامَةِ تَاجًا مِنْ نُورٍ، ضَوْءُهُ مِثْلُ ضَوْءِ الشَّمْسِ، وَالِدَاهُ حُلَّتَيْنِ لَا يُقَوَّمُ لَهُمَا الدُّنْيَا. فَيَقُولَانِ: بِمَ كُسِينَا هَذَا؟ فَيُقَالُ: بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا القُرْآنَ».

رواه الحاكم وصحَّحه علىٰ شرط مسلم.

في الحديث حَضٌّ علىٰ تعلُّم القرآن وتعليمه والعمل به، فينبغي للمسلم أن يُعَلِّمَ أولاده القرآن ويحملهم علىٰ التمسك بما فيه من أخلاق وآداب.

---

(١) قال الله لنبيه: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤] أما الهذرمة في قراءة القرآن أو عدم تجويده فلا ثواب فيهما.

(٢) آي بالمد وآياي أيضًا كلاهما جمع آية.

الحديث الحادي والتسعون

عن عَبْدِالله بن عَمْرِو بن العَاصِ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله مَا غَنِيمَةُ مَجَالِسِ الذِّكْرِ؟ قَالَ: «**غَنِيمَةُ مَجَالِسِ الذِّكْرِ الجَنَّةُ**». رواه أحمد، وإسناده حسن.

«**غَنِيمَةُ مَجَالِسِ الذِّكْرِ**»: أي ما يغنمه المسلم من مجالس ذكر الله تعالىٰ.

«**الجَنَّةُ**»: أي دخول الجنة.

والذكر أنواع: الهَيْلَلَة، والتسبيح، والتحميد، والتكبير، والحَوْقَلَة، والصَّلاة علىٰ النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وغير ذلك. وأفضل الذكر: تلاوة القرآن.

الحديث الثاني والتسعون

عن أبي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لَيَبْعَثَنَّ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَقْوَامًا في وُجُوهِهِمُ النُّورُ، عَلَى مَنَابِرِ اللُّؤْلُؤِ، يَغْبِطُهُمُ النَّاسُ، لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلا شُهَدَاءَ**». فَجَثَا أَعْرَابِيٌّ عَلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله حَلِّهِمْ لَنَا نَعْرِفْهُمْ؟ قال: «**هُمُ المُتَحَابُّونَ في الله مِنْ قَبَائِلَ شَتَّى وَبِلَادٍ شَتَّى يَجْتَمِعُونَ عَلَى ذِكْرِ الله يَذْكُرُونَهُ**». رواه الطبرانيُّ في "الكبير"، بإسناد حسن.

«**حَلِّهِمْ**»: بفتح الحاء وكسر اللام المشددة: صفهم لنا.

«**هُمُ المُتَحَابُّونَ في الله**»: وصفهم بصفتين:

١ - التَّحَابُّ في الله تعالىٰ، وصاحب هذه الصفة، «يظله الله في ظل عرشه،

يوم لا ظل إلا ظله».

٢- الاجتماع على ذكر الله تعالى، وتقدم في الحديث قبله أن غنيمة هذا الاجتماع دخول الجنة.

الحديث الثالث والتسعون

عن رِفَاعَةَ الجُهَنِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالكَدِيدِ أَوْ بِقَدِيدٍ -مَوْضِعٌ- فَحَمِدَ الله وَقَالَ خَيْرًا. وَقَالَ: «**أَشْهَدُ عِنْدَ الله: لَا يَمُوتُ عَبْدٌ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ الله صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ ثُمَّ يُسَدِّدُ إِلاَّ سُلِكَ فِي الجَنَّةِ**». رواه أحمد، وإسناده لا بأس به.

«**ثُمَّ يُسَدِّدُ إِلاَّ سُلِكَ فِي الجَنَّةِ**»: معنى يُسَدِّدُ: يستقيم، وسُلِكَ في الجنَّة: أي دخلها وسلك فيها.

الحديث الرابع والتسعون

عن عَبْدِالله بن عَمْرٍو رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الجَنَّةِ**». رواه البزَّار، وإسناده جيد.

«**سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ**»: سبحان اسم مصدر من التسبيح، وهو منصوب وجوبًا، بدلًا من النطق بفعله، ومعنى هذه الجملة: تنزيه الله، وبكماله نزهته. أي أن كماله دل على تنزيهه عن النقائص؛ لأن من له الكمال المطلق استحال أن يلحقه نقص.

الحديث الخامس والتسعون

عن جَابِر رضي الله عنه، عن النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قَالَ: «**مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ الله العَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ شَجَرَةٌ في الجَنَّةِ**». رواه النَّسائيُّ، وصحَّحه ابن حِبَّان والحاكم.

في هذا الحديث زيادة صفة «**العَظِيمِ**»؛ هي صفة تناسب تنزيه الموصوف بها عن النقائص.

«**شَجَرَةٌ**»: أي كشجرة تفاح أو رمان أو أي نوع يشتهيه.

الحديث السادس والتسعون

عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ الله وَالحَمْدُ لله وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ؛ غُرِسَ لَهُ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ شَجَرَةٌ في الجَنَّةِ**». رواه الطبرانيُّ بإسناد حسن، وتقدَّم معنىٰ هذه الكلمات.

الحديث السابع والتسعون

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، مَرَّ بِهِ وَهُوَ يَغْرِسُ غَرْسًا فَقَالَ: «**يَا أَبَا هريرة مَا الذِي تَغْرِسُ؟**» قُلْتُ: غِرَاسًا.

قَالَ: «**أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى غِرَاسٍ خَيْرٍ مِنْ هَذَا؟ سُبْحَانَ الله وَالحَمْدُ لله وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، تُغْرَسْ لَكَ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ شَجَرَةٌ في الجَنَّةِ**». رواه ابن ماجه بإسناد حسن، وصحَّحه الحاكم.

كان أبو هريرة منقطعًا إلىٰ النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، يتلقىٰ عنه

الحديث ويتعلم منه أمور الدين، وكان النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يتولى الإنفاق عليه مع جملة أهل الصُّفَّةِ المنقطعين لتلقي العلم منه عليه الصلاة والسلام، والانقطاع لتلقي العلم واجب ديني حض الله تعالى عليه بقوله: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢] فانشغال واحد من هؤلاء بالغراسة أو التجارة، يشغله عما انقطع له.

فلهذا قال النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لأبي هريرة حين وجده يَغرِس غِرَاسًا: «**أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى غِرَاسٍ خَيْرٍ مِنْ هَذَا؟**» بالنسبة لأبي هريرة وأمثاله الذين انقطعوا إلى الله، وتفرغوا لتعلم دينه.

أما غرس الأشجار وزرع الثمار فأمر مُرَغَّبٌ فيه لمن أهَّله الله لذلك وجعله سبب رزقه.

ففي "صحيح مسلم" عن جَابِر رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لا يَغْرِسُ مُسْلِمٌ غَرْسًا وَلا يَزْرَعُ زَرْعًا فَيَأْكُلُ مِنْهُ إِنْسَانٌ وَلا دَابَّةٌ وَلا شَيْءٌ إِلا كَانَ لَهُ صَدَقَةٌ**».

فالفلاح الذي يأكل الدود قطنه له ثواب ما أُكِلَ منه وإن كان يجب عليه مقاومة الدودة حفظًا لماله، فإنَّ ما يذهب منه أثناء المقاومة أو قبلها بإفساد الدودة لا يضيع عليه سُدًى بل يُثاب عليه.

وهكذا جمع الدين الإسلامي للمسلم دنياه ودينه، أوجب عليه حفظ ماله من الضياع، ثم أوجب له الثواب فيما ضاع منه بغير تفريط.

وفي "صحيح مسلم" عن جَابِرٍ أيضًا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا؛ إِلَّا كَانَ مَا أُكِلَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةً، وَمَا سُرِقَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةً، وَلَا يَرْزَؤُهُ أَحَدٌ إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةً إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ».

«يَرْزَؤُهُ»: يصيب منه.

وفي الصحيحين عن أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قَالَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةً».

وفي "المسند" بإسناد حسن، عن خَلَّادِ بن السَّائِبِ، عن أبيه رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «مَنْ زَرَعَ زَرْعًا فَأَكَلَ مِنْهُ الطَّيْرُ أَوِ العَافِيَةُ كَانَ لَهُ صَدَقَةً».

«العَافِيَةُ»: طالب الرزق من إنسان أو حيوان.

وفي "المسند" بإسناد حسن أيضًا، عن رَجُلٍ من الصَّحَابَةِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يَقُولُ: «مَنْ نَصَبَ شَجَرَةً فَصَبَرَ عَلَى حِفْظِهَا وَالقِيَامِ عَلَيْهَا حَتَّى تُثْمِرَ كَانَ لَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ يُصَابُ مِنْ ثَمَرِهَا صَدَقَةٌ عِنْدَ الله عزَّ وجلَّ».

وفي "المسند" أيضًا: أَنَّ رَجُلًا مَرَّ بأبي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه وَهُوَ يَغْرِسُ غَرْسًا بِدِمَشْقَ فَقَالَ لَهُ: أَتَفْعَلُ هَذَا وأَنْتَ صَاحِبُ رَسُولِ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم؟! قَالَ: لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ، سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يَقُولُ: «مَنْ غَرَسَ غَرْسًا، لَمْ يَأْكُلْ مِنْهُ آدَمِيٌّ وَلَا خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ الله إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةً».

وفيه أيضًا، عن أبي أَيُّوبٍ الأنصاريِّ رضي الله عنه، عن رسول الله صلَّىٰ الله

عليه وآله وسلَّم قَالَ: «مَا مِنْ رَجُلٍ يَغْرِسُ غَرْسًا إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ مِنَ الأَجْرِ قَدْرَ مَا يَخْرُجُ مِنْ ذَلِكَ الغَرْسِ».

وفي "مسند البزَّار" عن أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «سَبْعٌ يَجْرِي لِلْعَبْدِ أَجْرُهُنَّ وَهُوَ فِي قَبْرِهِ بَعْدِ مَوْتِهِ: مَنْ عَلَّمَ عِلْمًا، أَوْ كَرَى[1] نَهْرًا، أَوْ حَفَرَ بِئْرًا، أَوْ غَرَسَ نَخْلًا، أَوْ بَنَى مَسْجِدًا، أَوْ وَرَّثَ مُصْحَفًا، أَوْ تَرَكَ وَلَدًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ».

و لهذا تجد كثيرًا من الفلاحين بالمغرب، يغرسون بعض الأشجار المثمرة كشجرة التين[2] ويجعلونها وقفًا، يأكل منها كل من يمر بها.

والمقصود: أن غرس الأشجار وزرع الثمار أمر ممدوح ندب الشارع إليه وحثَّ الناس عليه.

الحديث الثامن والتسعون

عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «أَوَّلُ مَنْ يُدْعَى إِلَى الجَنَّةِ الذِينَ يَحْمَدُونَ اللهَ عزَّ وجلَّ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ». رواه البزَّار والطبرانيُّ بأسانيد أحدها حسن، وصحَّحه الحاكم على شرط مسلمٍ.

السرَّاء: الرخاء. والضرَّاء: الشدَّة.

والحمد في السراء، معهود يشترك فيه عامة المسلمين وخاصتهم، أما الحمد

---

(١) كرى نهرًا: أي حفره. وورَّث مصحفًا: بتشديد الراء، أي تركه بعده لمن يتلو فيه. وانظر الحديث رقم (٥٥).

(٢) والتين يسميه المغاربة: الكرموس، ويوجد في المغرب منه أنواع جميلة.

في حالة الضراء والشدة فمقام عزيز لا يناله إلا قليل من خاصة العارفين.

اجتمع شَقِيقٌ البَلْخِيُّ الزاهد المعروف بأحد كبار الزُّهاد فسأله: كيف الحال عندكم، فأجابه: الحال عندنا أننا إن أُعطِينا حَمِدنا، وإن مُنِعنا صَبَرنا.

قال شَقِيقٌ: هكذا كلاب بَلْخٍ عندنا.

سأله ذلك الزاهد فكيف الحال عندكم؟ قال شَقِيقٌ: حالنا: أننا إن مُنِعنا حَمِدنا، وإن أُعطِينا آثَرنا.

وفلسفة الحمد في الضراء: أن الله تعالى إذا أصاب عبده بشدة فقد اختاره للابتلاء، فإن صبر من غير ضجر أثيب ثوابًا مضاعفًا لنجاحه في مقابلة الشدة بعلاجها الذي عينه الشارع لها، أما إن حمد الله عليها فقد ارتقى إلى مقام الرضا عن الله في كل ما يصدر عنه فكان من خاصة عباده المقربين.

ورد عن بعض كبار التابعين أنه دخل بيته ليلة فوجد زوجته مهمومة لعدم وجود عشاء للأولاد، فأحيا ليلته تلك بالصلاة شكرًا على هذه النعمة! ولهذا قال عمر رضي الله عنه في بعض كتبه لأبي موسى: إن استطعت أن ترضى وإلا فاصبر.

وهذا كما يصاب الإنسان بمرض جسمي، فإن عالج نفسه بالأدوية التي يصفها له الطبيب فقد سلك السبيل المحمود المشروع، وإن قدر على ترك العلاج ثقة بأن الله هو الشافي ارتقى إلى مقام المتوكلين[1]، وهو مقام إبراهيم عليه السلام حيث يقول: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠].

والحاصل: أن الإسلام راعى الحالتين: فشرع للعامة العلاج بالدواء الحسي

---

(١) وصل إلى هذا المقام أبو بكر الصديق وعكاشة بن محصن رضي الله عنهما.

للأمراض الجسمية، وبالصبر[١] للشدائد المعنوية، وحَضَّ الخاصة على التَّوكل في الأولى والرِّضا في الثانية.

الحديث التاسع والتسعون

عن قَيْسِ بن سَعْدِ بن عُبَادَةَ رضي الله عنهما، أنَّ أَبَاهُ دَفَعَه إلى النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يَخْدُمُهُ، قَالَ: فَأَتَى عَلَيَّ نَبِيُّ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وَقَدْ صَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ، فَضَرَبَنِي بِرِجْلِهِ وَقَالَ: «**أَلا أَدُلُّكَ عَلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ؟**» قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: «**لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**». رواه الحاكم وصحَّحه على شرط الشيخين.

الحديث المتمم مائة

عن أبي أَيُّوبٍ الأنصاريِّ رضي الله عنه، أنَّ رَسُولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ مَرَّ عَلَى إِبْرَاهِيمَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، فَقَالَ لَهُ: «**يَا مُحَمَّدُ، مُرْ أُمَّتَكَ فَلْيُكْثِرُوا مِنْ غِرَاسِ الجَنَّةِ فَإِنَّ تُرْبَتَهَا طَيِّبَةٌ وَأَرْضَهَا وَاسِعَةٌ. قَالَ: وَمَا غِرَاسُ الجَنَّةِ؟ قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**». رواه أحمد بإسناد حسن، وصحَّحه ابن حِبَّان.

«**مُرْ أُمَّتَكَ**»: ينطبق على هذا الأمر قاعدة أصولية معروفة، هي أن «الأمر بالأمر بالشيء، ليس أمرًا بذلك الشيء».

---

(١) مر النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم برجل يسأل الله أن يرزقه الصبر، فقال له: سألت الله البلاء فاسأله العافية. فأفاد أن الإنسان لا ينبغي له أن يسأل الصبر ابتداء، إنما يسأله عند وقوع البلاء لأنه علاجه.

وتوضيح هذه القاعدة: أن إبراهيم عليه السلام أَمَرَ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أن يأمرنا بقول لا حول ولا قوة إلا بالله، فإبراهيم ليس آمرًا لنا بهذا الذكر، وإنما الآمر به هو النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

ونظير هذا: حديث أبي داود: «**مُرُوا أَوْلادَكُمْ بِالصَّلاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعٍ**». هذا أمر من النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم للآباء بأن يأمروا أولادهم بالصلاة، فالأولاد مأمورون بالصلاة من آبائهم لا من النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

(تنبيه): هذا الحديث رواه النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن إبراهيم عليه السلام، هو من رواية الأبناء عن الآباء.

وروىٰ عن عيسىٰ عليه السلام ليلة الإسراء أيضًا حديث نزوله إلىٰ الأرض في آخر الزمان، وقتله الدجال. أخرجه الحاكم عن ابن مسعود، وصححه.

وروىٰ حديث الجَسَّاسَةِ عن تَمِيمٍ الدَّارِيِّ، وهو في "صحيح مسلم".

وهذا نوع من علوم الحديث يسمىٰ رواية الأكابر عن الأصاغر، وقد أفرد بالتأليف، كما أفرد نوع رواية الأبناء عن الآباء، بالتأليف أيضًا.

الحديث الحادي والمائة

عن أبي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَنْ قَرَأَ آيَةَ الكُرْسِيِّ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الجَنَّةِ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ**».

رواه النَّسائيُّ والطبرانيُّ بأسانيد أحدها صحيح، ورواه ابن حِبَّان في كتاب

الصلاة وصحَّحه، وقال الحافظ أبو الحَسَنْ بن المُفَضَّلِ: إسناد الحديث صحيح علىٰ شرط البخاريِّ، وزاد الطبرانيُّ في بعض طرقه: «وقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ»، وإسناد هذه الزيادة جيد، وأخطأ ابن الجوزي بذكر الحديث في الموضوعات.

آية الكرسي سيدة آي القرآن، و ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلثه[1]، فلا غَرْوَ إن كانت قراءتهما عقب الصلاة توجب دخول الجنة.

وانظر كتابنا "جَوَاهِرُ البَيَانِ في تَنَاسُبِ سُوَرِ القُرْآنِ" تعرف لم كانت آية الكرسي سيِّدة آي القرآن؟ ولم كانت ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلثه.

الحديث الثاني والمائة

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي يَقُولُ: يَا وَيْلَي أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِيَ النَّارُ**». رواه مسلمٌ وابن ماجه.

«**فَلَهُ الجَنَّةُ**»: يفيد الترغيب في سجود التلاوة وهو مطلوب من القارئ والمستمع.

«**فَلِيَ النَّارُ**»: يفيد أن مطلق الأمر للوجوب لأن النار لا تستحق إلا علىٰ ترك واجب.

والمسألة مبسوطة في كتب الأصول، وهذا وإن كان كلام الشيطان، فإن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حكاه مُقِرًّا له.

---

(١) وانظر الحديث الثالث والعشرون أيضًا.

الحديث الثالث والمائة

عن عَبْدِالرَّحْمَنِ بن أبي بَكْرٍ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قَالَ: «يَدْعُو اللهُ بِصَاحِبِ الدَّيْنِ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُوقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَيُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ، فيمَ أَخَذْتَ هَذَا الدَّيْنَ؟ وَفيمَ ضَيَّعْتَ حُقُوقَ النَّاسِ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي أَخَذْتُهُ، فَلَمْ آكُلْ، وَلَمْ أَشْرَبْ، وَلَمْ أَلْبَسْ، وَلَمْ أُضَيِّعْ، وَلَكِنْ أَتَى عَلَيَّ إِمَّا حَرَقٌ، وَإِمَّا سَرَقٌ، وَإِمَّا وَضِيعَةٌ، فَيَقُولُ اللهُ: صَدَقَ عَبْدِي، أَنَا أَحَقُّ مَنْ قَضَى عَنْكَ، فَيَدْعُو اللهُ بِشَيْءٍ فَيَضَعُهُ في كِفَّةِ مِيزَانِهِ، فَتَرْجَحُ حَسَنَاتُهُ عَلَى سَيِّئَاتِهِ، فَيَدْخُلُ الجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ». رواه أحمد والبزَّار والطبرانيُّ وأبو نُعَيم بأسانيد أحدها حسن.

«فيمَ أَخَذْتَ هَذَا الدَّيْنَ؟»: القصد بهذا السؤال بيان خطورة الدَّيْنِ وأن الله تعالى يعاقب على تضييع حقوق الناس.

«حَرَقٌ»: بفتح الحاء والراء: النَّار، «سَرَقٌ»: بفتح السين والراء أو بكسرها: السرقة. «وَضِيعَةٌ»: هي البيع بأقل مما اشترى به.

وحاصل هذا: أن المدين يعتذر لله بأنه لم يأخذ الدَّين فيضيعه في أكله أو شربه أو لبسه، ولكن أخذه ليَدْعَمَ به تجارته ثم يُردَّه إلى صاحبه، فأتت على تجارته آفة أهلكتها: إما نار أحرقتها، وإما سُرِقت منه، وإما كساد أصابها فاضطر أن يبيعها بأقل مما اشتراها به، أو نحو هذا من الآفات التي لا دخل له فيها، وعجز بسببها عن أداء الدَّين.

يفيد الحديث أن من أخذ دَيْنًا لغرض صحيح، وهو عازم على رده

لصاحبه، ثم ضاع منه بسبب خارج عن إرادته حتى مات وهو عاجز عن الوفاء به، فإن الله تعالى يقضيه عنه يوم القيامة.

«فَيَضَعُهُ فِي كِفَّةِ مِيزَانِهِ»: هذا صريح في أن الميزان يوم القيامة مثل الميزان المعهود في الدنيا له كفتان ولسان، والأحاديث في وصفه بذلك متواترة اعتقدها أهل السنة، فأثبتوا الميزان كما وصفه النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وضلَّ المعتزلة بإنكاره لجهلهم بالحديث وحملوا الميزان الوارد في القرآن على العدل بطريقة الكناية، وتبعهم بعض مبتدعة هذا العصر من أهل الأزهر مخالفًا لما أجمع عليه أهل السنة من وجوب حمل ألفاظ القرآن والحديث على ظاهرها والتمسك بها متى كان ذلك الظاهر ممكنًا، على أن الأحاديث صريحة في وصف الميزان، والصريح لا يقبل التأويل.

الحديث الرابع والمائة

عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قَالَ: «عَبْدٌ أَطَاعَ اللهَ وَأَطَاعَ مَوَالِيَهُ أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ قَبْلَ مَوَالِيهِ بِسَبْعِينَ خَرِيفًا، فَيَقُولُ السَّيِّدُ: رَبِّ هَذَا كَانَ عَبْدِي فِي الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: جَازَيْتُهُ بِعَمَلِهِ وَجَازَيْتُكَ بِعَمَلِكَ».

رواه الطبرانيُّ في "الكبير" و"الأوسط"، وفيه راويان مجهولان.

لكن يتأيَّد بما رواه في "الأوسط" عن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «إِنَّ عَبْدًا دَخَلَ الجَنَّةَ فَرَأَى عَبْدَهُ فَوْقَ دَرَجَتِهِ، فَقَالَ: يَا رَبِّ هَذَا عَبْدِي فَوْقَ دَرَجَتِي؟! فَقَالَ: نَعَمْ، جَزَيْتُهُ بِعَمَلِهِ

وجَزَيْتُكَ بِعَمَلِكَ».

يفيد هذا الحديثان أن الله تعالىٰ يُفَضِّلُ العبد المملوك يوم القيامة علىٰ سيده بعمله الصالح، وهذا تأكيد للآية الكريمة: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

وكان الأمريكيون يعتقدون أن المملوك مجرد متاع كالحيوان، ليس له إحساس وشعور كالإنسان، ولا نصيب له في الجنة عند الله تعالىٰ، وكان بعض الرهبان يستخرجون من الإنجيل عبارات تؤكد هذه العقيدة وتؤيدها.

ولما قام إبراهام لنكولن بالحرب لتحرير العبيد وجد مقاومة من أهل الجنوب لشدة تمسكهم بنظام الرق واستماتتهم في الدفاع عنه.

وهكذا كان الحال في أوروبا وغيرها، بل الرق موجود في جميع الشعوب منذ عهد سحيق، وقصة يوسف في القرآن الكريم تدل علىٰ أن الرق كان مشروعًا في ذلك العهد وكان له سوق بمصر يباع فيها الرقيق، بل تدل تلك القصة علىٰ أنه كان من المعهود في ذلك العهد أن يبيع الرجل أخاه أو ابنه لمن يشتريه رقيقًا.

وفلاسفة اليونان أيَّدوا نظام الرق وناصروه حتىٰ قال أفلاطون: إن الناس خُلقوا طبقتين: سادة وعبيد.

والديانة اليهودية صرّحت بتأييد الرق، ودعت إلىٰ استرقاق غيرهم من الأميين، وعلىٰ وتيرتها جاءت الديانة المسيحية.

أما الديانة الإسلامية فمع أنها ظهرت في وقت عَمَّ فيه نظام الرق جميع البلاد؛ شرقها وغربها، عجمها وعربها، لم تؤيده ولم تَدْعُ إليه، بل عملت علىٰ

إلغائه بالتدريج إذ كان من غير الممكن إلغاؤه مرة واحدة.

فأوجدت نظام المُكاتبة، وهو يقضي باتفاق العبد مع سيده على مبلغ يدفعه له مُنَجَّمًا -أي على دفعات- فإذا دفعه صار حرًّا.

وطَلَبَتْ من السيد أن يساعد عبده بالتنازل له عن بعض النُّجوم، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [النور: ٣٣] وجعل العتق كفارة لبعض الخطايا، وهي:

١- **قَتْلُ المؤمن خطأ**: ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢] وأوجب الشافعية العتق في القتل العمد، قياسًا على الخطأ.

٢- **الحِنْثُ في اليمين**: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [المائدة: ٨٩].

٣- **الظِّهارُ**: أي كفارة من ظاهر من امرأته، ليجوز له العودة إليها: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾ [المجادلة: ٣].

٤- **الجِماعُ في نهار رمضانَ عمدًا**: أوجب النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم

فيه عتق رقبة، وقاس المالكيَّة والحنفيَّة عليه كل مفطر فأوجبوا فيه العتق أيضًا.

٥- إذا ضرب شخص امرأة وهي حامل فقتل الجنين في بطنها، فالواجب عليه غُرَّة، بضم الغين: عبد يعتقه أو أمة.

هكذا قضىٰ النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وإيجاب العتق في هذه الصورة وصور القتل السابقة حكمته واضحة، وهي إحياء نفس بإعطائها حريتها بدل النفس التي أزهقت.

و إيجابه في الصور الباقية حكمته إعتاق المُكَفِّرِ نفسَه من الإثم والعقاب، بإعتاق نفس من الرق وذله.

٦- **إذا ضرب السيد عبده أو لطمه:** روىٰ أبو داود عن زَاذَان الكِنْدِيِّ قَالَ: أَتَيْتُ ابن عُمَرَ رضي الله عنهما -وَقَدْ أَعْتَقَ مَمْلُوكًا لَهُ- فَأَخَذَ مِنَ الأَرْضِ عُودًا، فَقَالَ: مَا لِي فيهِ مِنَ الأَجْرِ مَا يُسَاوِىٰ هَذَا. سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يَقُولُ: «**مَنْ لَطَمَ مَمْلُوكًا لَهُ أَوْ ضَرَبَهُ فَكَفَّارَتُهُ أَنْ يُعْتِقَهُ**».

وهو في "صحيح مسلم"، ولفظه «**مَنْ ضَرَبَ غُلاَمًا لَهُ حَدًّا لَمْ يَأْتِهِ، أَوْ لَطَمَهُ، فإِنَّ كَفَّارَتَهُ أَنْ يُعْتِقَهُ**».

وفي "صحيح مسلم" و"سنن أبي داود" و"الترمذيِّ" و"النَّسائيِّ" عن مُعَاوِيَةَ بن سُوَيْدِ بن مُقَرِّنٍ قَالَ: لَطَمْتُ مَوْلًىٰ لَنَا، فَدَعَاهُ أَبِي وَدَعَانِي فَقَالَ: اقْتَصَّ مِنْهُ فَإِنَّا مَعْشَرُ بني مُقَرِّنٍ كُنَّا سَبْعَةً عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا خَادِمٌ. فَلَطَمَهَا رَجُلٌ مِنَّا فَقَالَ النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم «**أَعْتِقُوهَا**» قُلْنَا: إِنَّهُ لَيْسَ لَنَا خَادِمٌ غَيْرَهَا، قَالَ: «**فَلْتَخْدُمْهُمْ حَتَّى يَسْتَغْنُوا فَإِذَا اسْتَغْنَوْا فَلْيُعْتِقُوهَا**».

وفي "صحيح مسلم" عن أبي مَسْعُودٍ البَدْرِيِّ رضي الله عنه، قال: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلاَمًا لِي بِالسَّوْطِ، فَسَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ خَلْفِي: «اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ» فَلَمْ أَفْهَمِ الصَّوْتَ مِنَ الغَضَبِ، فَلَمَّا دَنَا مِنِّي إِذَا هُوَ رَسُولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم. فَإِذَا هُوَ يَقُولُ: «اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ أَنَّ الله عزَّ وجلَّ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الْغُلاَمِ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ الله تَعَالَى، فَقَالَ: «أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَمَسَّتْكَ النَّارُ».

ولا يوجد دين من الأديان السماوية ولا قانون من القوانين الأرضية شرع مثل هذه التشريعات التي شرعها الإسلام لإلغاء الرق، هذا سوى ما جاء في القرآن والسنة من الحضّ على الإعتاق ابتداء. ففي (سورة البلد): ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ [البلد: ١١ - ١٣].

ولما أعتق أبو بكر الصديق رضي الله عنه بلالًا رضي الله عنه وغيره من العبيد الذين كانوا يعذبون بمكة نزل في مدحه قول الله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليل: ١٧ - ٢١].

وفي (سورة محمَّد): تكلَّم الله على قتال الكفَّار، فذكر في أسراهم أمرين: المنَّ أو الفداء. قال تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمد: ٤] وأهمل الاسترقاق، وفي ذلك إشارة إلى تركه. وتقدَّمت أحاديث في فضل العتق منها حديث رقم (٢، ٤).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلَّى الله

عليه وآله وسلَّم: «**أَيُّمَا رَجُلٍ أَعْتَقَ امْرَأً مُسْلِمًا اسْتَنْقَذَ اللهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْوًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ**». قَالَ سَعِيدُ بن مَرْجَانَةَ: فانْطَلَقْتُ بِهِ -أي بالحديث- إلى عَلِيِّ بن الحُسَينِ -وهو زَيْنِ العَابِدِينَ- فَعَمَدَ عَلِيُّ بن الحُسَينِ إِلَى عَبْدٍ لَهُ قَدْ أَعْطَاهُ فيهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرٍ عَشَرَةَ آلافِ دِرْهَمٍ أَوْ أَلْفَ دِينَارٍ فَأَعْتَقَهُ.

وفي "سنن الترمذيِّ" عن أبي أُمَامَةَ رضي الله عنه وغَيْرِهِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، عَنِ النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قَالَ: «**أَيُّمَا امْرِئٍ مُسْلِمٍ أَعْتَقَ امْرَأً مُسْلِمًا كَانَ فَكَاكَهُ مِنْ النَّارِ يُجْزِي كُلُّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْوًا مِنْهُ. وَأَيُّمَا امْرِئٍ مُسْلِمٍ أَعْتَقَ امْرَأَتَيْنِ مُسْلِمَتَيْنِ كَانَتَا فَكَاكَهُ مِنْ النَّارِ يُجْزِي كُلُّ عُضْوٍ مِنْهُمَا عُضْوًا مِنْهُ**». قال الترمذيُّ: «حديث حسن صحيح».

وفي "صحيح الحاكم" عن عُقْبَةَ بن عَامِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً فَكَّ اللهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْ أَعْضَائِهِ عُضْوًا مِنْ أَعْضَائِهِ مِنَ النَّارِ**».

وفي "سنن أبي داود" عن وَاثِلَةَ بن الأَسْقَعِ رضي الله عنه، قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في غَزْوَةِ تَبُوكَ فَإِذَا نَفَرٌ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ، فَقَالُوا: إِنَّ صَاحِبًا لَنَا قَدْ أَوْجَبَ -أَيْ: فَعَلَ مَا يُوجِبُ لَهُ النَّارَ-، وَكَانَ قَدْ مَاتَ. فَقَالَ: «**أَعْتِقُوا عَنْهُ رَقَبَةً يُعْتِقِ اللهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهَا عُضْوًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ**». صحَّحه ابن حِبَّان والحاكم.

والأحاديث في فضل العتق كثيرة جدًا، نكتفي منها بما ذكرناه.

وإلى جانب هذا أوصى بالرقيق، وأوجب معاملتهم معاملة كريمة.

ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ أَبُو القَاسِمِ صلَّى الله

عليه وآله وسلَّم نَبِيُّ التَّوْبَةِ: «**مَنْ قَذَفَ مَمْلُوكَهُ بَرِيئًا مِمَّا قَالَ، أُقِيمَ عَلَيْهِ الحَدُّ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ كَمَا قَالَ**».

وهذا الوعيد يقتضي تحريم سَبِّ السيد عبده أو أمته بمثل: يا زاني أو يا زانية أو يا ابن الزانية، أو نحو ذلك مما يَثْلِمُ العِرْضَ.

وفي "المسند" و"سنن ابن ماجه" عن أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ سَيِّئُ المَلَكَةِ**» -أَيْ قَبِيحُ الصَّنِيعِ إِلَى مَمَالِيكِهِ- قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، أَلَيْسَ قَدْ أَخْبَرْتَنَا أَنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ أَكْثَرُ الأُمَمِ مَمْلُوكِينَ وَيَتَامَى؟ قَالَ: «**نَعَمْ فَأَكْرِمُوهُمْ كَكَرَامَةِ أَوْلَادِكُمْ وَأَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ**».

وفي الصحيحين -واللفظ للبخاريِّ- عن أبي ذَرٍّ رضي الله عنه، عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قَالَ: «**هُمْ -أَيِ المَمْلُوكُونَ- إِخْوَانُكُمْ جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ جَعَلَ اللهُ أَخَاهُ تَحْتَ يَدَيْهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلا يُكَلِّفْهُ مِنَ العَمَلِ مَا يَغْلِبُهُ، فَإِنْ كَلَّفَهُ مَا يَغْلِبُهُ فَلْيُعِنْهُ عَلَيْهِ**».

وفي "صحيح ابن حِبَّان" عن أبي هريرة: أَنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قَالَ: «**لِلْمَمْلُوكِ طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ وَكِسْوَتُهُ بِالمَعْرُوفِ وَلَا يُكَلَّفُ مِنَ العَمَلِ إِلَّا مَا يُطِيقُ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ، وَلاَ تُعَذِّبُوا -عِبَادَ الله- خَلْقًا أَمْثَالَكُمْ**».

وفي "سنن أبي داود" عن عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلامُ: قَالَ: كَانَ آخِرُ كَلَامِ النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم -يَعْنِي عِنْدَ الوَفَاةِ-: «**الصَّلاةَ الصَّلاةَ، اتَّقُوا اللهَ فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**».

وقد أطلنا في هذا الموضوع بعض الإطالة لداعٍ اقتضى ذلك، وبالله التوفيق.

الحديث الخامس والمائة

عن أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه، عن النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قَالَ: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ بَخِيلٌ وَلَا خَبٌّ وَلَا خَائِنٌ وَلَا سَيِّئُ المَلَكَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الجَنَّةِ المَمْلُوكُونَ إِذَا أَحْسَنُوا فيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الله عزَّ وجلَّ، وَفيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَوَالِيهِمْ**». رواه أحمد وأبو يَعْلَىٰ في مسنديهما، وإسنادهما حسن.

«**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ بَخِيلٌ**»: هو الذي يقبض يده عن فعل الخير ولا ينفق في وجوه البر. «**وَلَا خَبٌّ**» بفتح الخاء وتشديد الباء: ماكر خبيث. «**وَلَا خَائِنٌ**»: يخون الأمانات. «**سَيِّئُ المَلَكَةِ**»: يسيء معاملة مماليكه.

«**المَمْلُوكُونَ إِذَا أَحْسَنُوا فيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الله عزَّ وجلَّ**»: يفيد أن العبد مُكَلَّفٌ بطاعة الله تعالىٰ مثل الحُرِّ[1].

وثبت في الصحيحين عن ابن عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قَالَ: «**إِنَّ العَبْدَ إِذَا نَصَحَ لِسَيِّدِهُ وَأَحْسَنَ عِبَادَةَ الله فَلَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ**».

وحيث أن الإسلام شرع لتحرير العبيد تلك الطرق التي مضىٰ شرحها، وأوصىٰ السادة بحسن معاملتهم وإكرامهم كإكرام الأولاد، أوجب كذلك علىٰ العبيد أن يطيعوا سادتهم، وينصحوهم ولا يغشوهم.

وهذا سيدنا يوسف عليه السلام استُرِقَّ بغير حَقٍّ ومع ذلك أدَّىٰ لمالكه

---

(١) بعض المذاهب يري أن العبد لا تجب عليه الجمعة ولكننا نرىٰ أنه مطالب بها لعموم الأدلة.

حقَّ خدمته ونصح له في بيته وأهله، فحرَّره الله من الرق وأكرمه بالمُلك فللأرِقَّاء فيه أسوة حسنة.

(تنبيه): روىٰ الشيخان عن أبي مُوسَىٰ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ثَلاثَةٌ لَهُمْ أَجْرَانِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَآمَنَ بِمُحَمَّدٍ** -صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم-، **وَالعَبْدُ المَمْلُوكُ إِذَا أَدَّى حَقَّ الله وَحَقَّ مَوَالِيهِ، وَرَجُلٌ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَةٌ فَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا وَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا ثُمَّ أَعْتَقَهَا فَتَزَوَّجَهَا فَلَهُ أَجْرَانِ**».

هؤلاء الثلاثة يؤتون الأجر مرتين؛ أما الكتابي فقد جاء التصريح به في القرآن: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾ [القصص: ٥١ - ٥٣] الآية.

وأوتي الكتابي حين يسلم الأجر مرتين لإيمانه بنبيه وكتابه ثم بمحمَّد صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وكتابه، وأما المملوك؛ فإنه أدَّىٰ حق الله وحق سيده، وأما صاحب الأمة فإنه أعتقها ثم تزوجها فأعفَّها وصانها.

وقوله: «ثَلاثَةٌ» لا مفهوم له[1]، لأنه يوجد أشخاص آخرون يؤتون أجرهم مرتين، أفردهم الحافظ السيوطي برسالة، منهم أمهات المؤمنين رضي الله عنهنَّ، قال الله تعالىٰ يخاطبهن: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا

---

(١) في مفهوم العدد خلاف بين العلماء هل يعمل به أو لا؟ والخلاف مبسوط في كتب الأصول، لكن قد تقوم قرينة علي إلغائه كما هنا فلا يعمل به اتفاقًا.

مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣١].

تُعطى أجرًا على الطاعة وأجرًا على خدمة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وحبس نفسها عليه بعد انتقاله.

الحديث السادس والمائة

عن مَالِكِ بن الحَارِثِ رضي الله عنه، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يَقُولُ: «مَنْ ضَمَّ يَتِيمًا بَيْنَ أبوين مُسْلِمَيْنِ إِلَى طَعَامِهِ، وَشَرَابِهِ حَتَّى يَسْتَغْنِيَ عَنْهُ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ البَتَّةَ، وَمَنْ أَعْتَقَ امْرَأً مُسْلِمًا كَانَ فَكَاكَهُ مِنَ النَّارِ يُجْزِى بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْوًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ». رواه أحمد وإسناده حسن.

«بَيْنَ مُسْلِمَيْنِ»: هذا تصوير وبيان لموضوع المسألة، إذ المفروض في الذي يضم اليتيم إليه أنه مقيم في بلد إسلامي لأنه لا يجوز للمسلم أن يقيم في بلاد الكفار إلا لضرورة فإذا انتهت الضرورة عاد إلى بلاده الإسلامية حيث يمكنه آداء الواجبات الدينية مثل صلاة الجماعة والجمعة، وصيام رمضان، وتوزيع زكاة ماله على فقراء المسلمين، وكذلك زكاة الفطر، وحضور مجالس العلم التي يعرف منها كيف يعبد الله وكيف يعامل أهله وإخوانه وما يحل له وما يحرم عليه إلى غير ذلك مما لا يتيسر له في بلد غير إسلامي.

«حَتَّى يَسْتَغْنِيَ عَنْهُ»: بأن يصير قادرًا على العمل والتكسب. «البَتَّةَ»: أي قطعًا. جَمَع الحديث بين اليتيم والرقيق لتساويهما في العجز عن العمل، هذا لرِقِّه، وذاك ليُتْمِه، فمن أزال عن اليتيم العجز بالإنفاق عليه حتى يدرك أو عن الرقيق بإعتاقه كان جزاؤه الجنة.

الحديث السابع والمائة

عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، أَنَّ نَبِيَّ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قَالَ: «**مَنْ قَبَضَ يَتِيمًا مِنْ بَيْنِ الْمُسْلِمِين إِلَى طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ أَدْخَلَهُ الله الجَنَّةَ البَتَّةَ إِلاَّ أَنْ يَعْمَلَ ذَنْبًا لاَ يُغْفَرُ**». رواه الترمذي.

الذنب الذي لا يغفر هو الشرك[1] لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨].

فالمشرك إذا ضَمَّ إليه يتيمًا وكَفَلَه أو فعل نوعًا من أنواع الخير والبر، فإن الله تعالى يجزيه على ذلك في الدنيا بالصحة أو بالمال أو بالأولاد أو بغير ذلك مما يطمئن إليه قلبه وترتاح إليه نفسه، حتى إذا جاء في الآخرة لم يكن له في الجنة نصيب[2].

الحديث الثامن والمائة

عن أبي هريرة أو أبي سَعِيدٍ رضي الله عنهما، قَالَ: لَمَّا كَانَتْ غَزْوَةُ تَبُوكَ أَصَابَ النَّاسَ مَجَاعَةٌ، فَقَالُوا: يَا رَسُول الله، لَوْ أَذِنْتَ لَنَا فَنَحرْنَا نَواضِحَنَا، فَأَكَلْنَا وَادَّهَنَّا. فَقَالَ رَسُولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**افْعَلُوا**».

---

(١) والكفر مثل الشرك لا يغفر أبدًا، لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٦٤].

(٢) قال الله تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣]، هذا في الآخرة لجميع الكفار.

فَجَاءَ عُمَرُ رضي الله عنه فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله إنْ فَعَلْتَ قَلَّ الظَّهْرُ، وَلَكِنِ ادعُهُمْ بفَضلِ أَزْوَادِهِمْ ثُمَّ ادْعُ اللهَ لَهُمْ عَلَيْهَا بِالبَرَكَةِ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَجْعَلَ في ذلِكَ البَرَكَةَ.

فَقَالَ رَسُولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**نَعَمْ**» فَدَعَا بِنَطْعٍ فَبَسَطَهُ، ثُمَّ دَعَا بِفضلِ أَزْوَادِهِمْ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجيءُ بكَفِّ ذُرَةٍ، وَيَجيءُ بِكَفِّ تَمْرٍ، وَيَجيءُ الآخَرُ بِكِسْرَةٍ، حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَى النَّطْعِ مِنْ ذلِكَ شَيء يَسيرٌ. فَدَعَا رَسُولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بِالبَرَكَةِ. ثُمَّ قَالَ: «**خُذُوا في أَوعِيَتِكُمْ**».

فَأَخَذُوا في أَوْعِيَتهم حَتَّى مَا تَرَكُوا في العَسْكَرِ وِعَاء إلاَّ مَلَؤُوهُ وَأَكَلُوا حَتَّى شَبعُوا وَفَضَلَ فَضْلَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أَشْهَدُ أَنْ لَا إلَهَ إلَّا اللهُ وأَنِّي رَسُولُ الله، لَا يَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فَيُحْجَبَ عَنِ الجَنَّةِ**».

رواه مسلم في "صحيحه".

«عن أبي هريرة أو أبي سَعِيدٍ»: الشك في الصحابيين أيهما روى الحديث لا يضر لأن الصحابة عدول، بخلاف الشك في الراويين من التابعين أو غيرهم فإنه يؤثر ضعفًا في سند الحديث إذ قد يكون أحد الراويين ضعيفًا.

نعم إذا حصل التردد بين راويين كلاهما ثقة، مثل سَعِيدِ بن المُسَيَّبِ ونَافِعٍ، أو مَالِكٍ واللَّيْثِ، فهو كالتردد بين الصحابيين، لا يؤثر في صحة الحديث.

«فَنَحرْنَا نَواضِحَنَا»: هي الإبل يُستقى عليها.

«قَلَّ الظَّهْرُ»: هي الإبل التي تركب، سميت نواضح لإتيانها بالماء الذي ينضح منه على الظمآن. وسميت ظهرًا حين تركب لأنها تعينه على بلوغ قصده، والظهر المعين.

«حَتَّىٰ مَا تَرَكُوا فِي العَسْكَرِ وِعَاء إلاَّ مَلَؤُوهُ»: في هذا التكثير الطعام القليل ببركة دعاء النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وهي معجزة تكررت في حفر الخندق وغيره، وذكرنا جملة منها في كتاب المعجزات.

«وَأَنِّي رَسُولُ الله»: بهذا اللفظ، ليبين أن المعجزة التي حصلت من إشباع الجيش الكبير بالطعام الذي كان قليلًا إنما حصلت بسبب أنه رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يؤيده الله بآياته. أما في التشهد في الصلاة وغيرها فكان يقول: «وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله».

«فَيُحْجَبَ»: منصوب بـ«أنْ» مقدرة، والفعل منفي لعطفه علىٰ فعل منفي أيضًا. والمعنىٰ: إذا لقي الله العبد بالشهاديتن وهو موقن بهما فلا يحجب عن الجنة، بل يدخلها لأن هذه الشهادة تفتح له أبوابها.

ففي مسندي "أحمد" و"البزَّار": عن مُعَاذِ بن جَبَلٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «مَفَاتِيحُ الجَنَّةِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ». أي وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بدليل حديث الترجمة، فهو من باب الاكتفاء.

الحديث التاسع والمائة

عن عُبَادَةَ بن الصَّامِتِ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قَالَ: «اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنُ لَكُمُ الجَنَّةَ: اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا اؤْتُمِنْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ». رواه أحمد، وصحَّحه ابن حِبَّان والحاكم، وفيه إرسال.

«وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ»: من الزنا واللواط والاستمناء.

«وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ»: عن النساء والغلمان والعورات.

«وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ»: عن الناس لا تمدوها إليهم مؤذين ولا سائلين.

وفيه إرسال: أي انقطاع بين الصحابي والراوي عنه. لكن للحديث شواهد كثيرة.

الحديث العاشر والمائة

عن عَبْدِالرَّحْمَنِ بن عَوْفٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «إِذَا صَلَّتِ المَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا، قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي الجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الجَنَّةِ شِئْتِ؟».

رواه أحمد في "مسنده"، وإسناده حسن. ورواه ابن حِبَّان في "صحيحه" من حديث أبي هريرة بنحوه.

الحديث الحادي عشر والمائة

عن أَنَسٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِرِجَالِكُمْ في الجَنَّةِ؟» قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ الله. قَالَ: «النَّبِيُّ في الجَنَّةِ، وَالصِّدِّيقُ في الجَنَّةِ، وَالرَّجُلُ يَزُورُ أَخَاهُ في نَاحِيَةِ المِصْرِ لا يَزُورُهُ إِلا لله في الجَنَّةِ، أَلا أُخْبِرُكُمْ بِنِسَائِكُمْ في الجَنَّةِ؟» قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ الله. قَالَ: «وَدُودٌ وَلُودٌ إِذَا غَضِبَتْ أَوْ أُسِيءَ إِلَيْهَا أَوْ غَضِبَ زَوْجُهَا قَالَتْ: هَذِهِ يَدِي في يَدِكَ لا أَكْتَحِلُ بِغُمْضٍ حتَّى تَرضَى». رواه الطبرانيُّ، وهو بمجموع طرقه حسن.

«وَالصِّدِّيقُ»: بكسر الصاد والدال وتشديدهما: الذي يؤمن بالله ورسله.

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد: ١٩].

«وَالرَّجُلُ يَزُورُ أَخَاهُ»: تقدم في الخصال الأربعين.

«وَدُودٌ»: تتودد[1] إلى زوجها. «وَلُودٌ»: ليست بعقيم بل هي كثيرة الولادة.

والأحاديث في تفضيل زواج الوَلُود كثيرة وهي تقتضي عدم جواز تعاطي المرأة ما يمنع الحمل منعًا دائمًا أو مؤقتًا، إلا إذا ثبت أن الحمل يضر صحتها فلها أن تمنعه قبل تكوين الجنين، وإلا كان وَأْدًا له.

والقرآن يدل على تحريم استعمال ما يمنع الحمل، فإنه نهى الفقراء عن قتل أولادهم لأجل الفقر المانع من الإنفاق عليهم: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١].

كما نهى الأغنياء عن قتلهم أيضًا مخافة الفقر الذي قد يطرأ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٣١] ولو كان استعمال ما يمنع الحمل جائزًا لبُيِّنَ في هذا الموضع لأنه أخف من القتل، فلما لم يُبَيَّنْ دَلَّ على أنه لا يجوز[2] لأن السكوت في مقام البيان يفيد الحصر.

«قَالَتْ: هَذِهِ يَدِي فِي يَدِكَ» أمدها لمصالحتك «لَا أَكْتَحِلُ بِغُمْضٍ» أي لا

---

(١) وصف الله تعالى الحور العين في (سورة الواقعة) بأنهن عُرُب، والعُرُب -بضم العين والراء- جمع عَرُوب -بفتح العين- وهي المرأة المتحببة إلى زوجها.

(٢) ومن استدل على جوازه بحديث العزل فقد وهم لأن الصحابة كانوا يعزلون عن إمائهم في الغزوات للضرورة، والعزل عن الأمَة جائز، بخلاف الزوجة فلا يجوز العزل عنها إلا برضاها.

أنام حتىٰ يذهب ما بيننا من خصام. ومعنىٰ هذا أنها سَهْلَةُ الخُلُقِ لَيِّنَةُ العَرِيكَةِ إذا غضبت لم يَطُلْ غضبها بل تسرع بالرجوع إلىٰ مألوف عادتها.

الحديث الثاني عشر والمائة

عن عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: جَاءتني مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا فَأَطْعَمْتُها ثَلَاثَ تَمَرَاتٍ، فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ تَمْرَةً، وَرَفَعتْ إِلَىٰ فيهَا تَمْرَةً لِتَأكُلَهَا فَاسْتَطعَمَتْهَا ابْنَتَاهَا، فَشَقَّتِ التَّمْرَةَ الَّتي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأكُلَهَا بَيْنَهُما، فَأعجَبَنِي شَأنُهَا فَذَكَرْتُ الذي صَنَعَتْ لِرَسُولِ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فَقَالَ: «**إِنَّ الله قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الجَنَّةَ**» أَوْ «**أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ**». رواه مسلم في "صحيحه".

«**إِنَّ الله قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهِمَا الجَنَّةَ**»: لقيامها بتربيتهما وإطعامهما وإيثارها لهما علىٰ نفسها، مع أنها لا ترجو منهما نفعًا في مستقبل حياتهما لأنهما لا تستطيعان الإنفاق عليها إذا كبرتا وتزوجتا، بخلاف الأولاد الذكور فإنهم إذا أدركوا نفعوا والديهم بالإنفاق عليهما طوعًا باختيارهم أو كرهًا بحكم القضاء عليهم.

الحديث الثالث عشر والمائة

عن أَنَسٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قَالَ: «**مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ دَخَلْتُ أَنَا وَهُوَ الجَنَّةَ كَهَاتَيْنِ**». وَأَشَارَ بِأُصْبُعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالتِي تَلِيهَا.

رواه الترمذيُّ، وابن حِبَّان في "صحيحه"، ولفظه: «**مَنْ عَالَ ابْنَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا حَتَّى يَبِنَّ أَوْ يَمُوتَ عَنْهُنَّ كُنْتُ أَنَا وَهُوَ فِي الجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ**». وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالتِي تَلِيهَا. «يَبِنَّ»: بفتح الياء وكسر الباء وتشديد النون: ينفصلن عنه بزواج أو موت.

الحديث الرابع عشر والمائة

عن أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ أَوْ ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ أَوْ بِنْتَانِ أَوْ أُخْتَانِ فَأَحْسَنَ صُحْبَتَهُنَّ وَاتَّقَى اللهَ فيهِنَّ فَلَهُ الجَنَّةُ**». رواه الترمذيُّ.

ورواه أبو داود بلفظ: «**فَأَدَّبَهُنَّ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ وَزَوَّجَهُنَّ فَلَهُ الجَنَّةُ**». وصحَّحه ابن حِبَّان.

الحديث الخامس عشر والمائة

عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَنْ كَانَتْ لَهُ أُنْثَى فَلَمْ يَئِدْهَا وَلَمْ يُهِنْهَا وَلَمْ يُؤْثِرْ وُلْدَهُ**[1] -يَعْنِي الذُّكُورَ- **عَلَيْهَا أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ**». رواه أبو داود، وصحَّحه الحاكم.

«**فَلَمْ يَئِدْهَا**»: يدفنها على قيد الحياة. «**وَلَمْ يُؤْثِرْ**»: يُفضِّل. «**وُلْدَهُ**»: بضم الواو وسكون اللام؛ جمع وَلَد. «**عَلَيْهَا**»: في المعاملة.

الحديث السادس عشر والمائة

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عَنِ النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قَالَ: «**مَنْ كُنَّ لَهُ ثَلاثُ بَنَاتٍ فَصَبَرَ عَلَى لَأْوَائِهِنَّ وَضَرَّائِهِنَّ وَسَرَّائِهِنَّ أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُنَّ**». فَقَالَ رَجُلٌ: وَاثْنَتَانِ[2] يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**وَاثْنَتَانِ**» قَالَ

---

(١) من الإيثار الظالم أن يكتب الشخص لأولاده الذكور هبات زائدة على نصيبهم من الميراث ويحرم منها بناته.

(٢) الواو في هذه الكلمة للعطف على ثلاث في الحديث، ويسمى عطفًا تلقينيا كأن السائل يلقن المجيب أن يوافق على سؤاله.

رَجُلٌ: وَوَاحِدَةٌ؟ قَالَ: «وَوَاحِدَةٌ». رواه الحاكم وصحَّحه.

«لَأُوَائِهِنَّ وَضَرَّائِهِنَّ»: أي شِدَّتِهِنَّ. والمعنى: أنه تحمل المشقَّة في تربيتهن وأجهد نفسه في إدخال السرور عليهن.

الحديث السابع عشر والمائة

عن سَهْلِ بن سَعْدٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ هَكَذَا». وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا. رواه البخاريُّ وغيره.

الحديث الثامن عشر والمائة

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ، أَنَا وَهُوَ فِي الجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ». وَأَشَارَ مَالِكٌ بِالسَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى. رواه مسلمٌ في "صحيحه".

«وَكَافِلُ اليَتِيمِ لَهُ»: بأن كان قريبه كابن أخيه مات مثلًا.

«أَوْ لِغَيْرِهِ»: بأن كفل يتيمًا لعائلة من المسلمين لا قرابة بينهم وبينه.

الحديث التاسع عشر والمائة

وَعَنْ زُرَارَةَ بْنِ أَوْفَى، عَنْ رَجُلٍ مِنْ قَوْمِهِ يُقَالُ لَهُ: أَبُو مَالِكٍ، أَوِ ابْنُ مَالِكٍ، سَمِعَ النَّبِيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يَقُولُ: «مَنْ ضَمَّ يَتِيمًا بَيْنَ مُسْلِمِينَ فِي طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ حَتَّى يَسْتَغْنِيَ عَنْهُ، وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ الْبَتَّةَ. وَمَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا ثُمَّ لَمْ يَبَرَّهُمَا ثُمَّ دَخَلَ النَّارَ، فَأَبْعَدَهُ اللهُ، وَأَيُّمَا مُسْلِمٍ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً كَانَتْ فِكَاكَهُ مِنَ النَّارِ». رواه أبو يعلى والطبراني، بإسنادٍ حسنٍ.

«وأيَما مُسْلِمٍ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً»: وكذلك المرأة المسلمة إذا أعتقت رقبة مسلمة تثاب هذا الثواب.

ففي "سنن أبي داود" عن أَبِي نَجِيحٍ السُّلَمِيِّ قَالَ: حَاصَرْنَا مَعَ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الطَّائِفَ، وَسَمِعْتُ رَسُولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «أَيُّما رَجُلٍ مُسْلِمٍ أَعْتَقَ رَجُلًا مُسْلِمًا، فَإِنَّ الله جَاعِلٌ وِقَاءَ كُلِّ عَظْمٍ مِنْ عِظَامِهِ عَظْمًا مِنْ عِظَامِ مُحَرَّرِهِ مِنَ النَّارِ، وَأَيُّما امْرَأَةٍ مُسْلِمَةٍ أَعْتَقَتِ امْرَأَةً مُسْلِمَةً، فَإِنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ جَاعِلٌ وِقَاءَ كُلِّ عَظْمٍ مِنْ عِظَامِهَا عَظْمًا مِنْ عِظَامِ مُحَرَّرِتِهَا مِنَ النَّارِ». صحَّحه ابن حِبَّان.

«فَإِنَّ الله جَاعِلٌ وِقَاءَ -بكسر الواو- كُلِّ عَظْمٍ مِنْ عِظَامِهِ»: أي المسلم المُعْتِق، بكسر التاء. «عَظْمًا مِنْ عِظَامِ مُحَرَّرِهِ»: بفتح الراء المشددة: العبد العتيق.

«جَاعِلٌ وِقَاءَ كُلِّ عَظْمٍ مِنْ عِظَامِهَا»: أي المسلمة المعتِقة، بكسر التاء.

«عَظْمًا مِنْ عِظَامِ مُحَرَّرِتِهَا»: بفتح الراءة المشددة: الأمة العتيقة.

ومن قرأ «محرِّره، ومحرِّرتها» بكسر الراء فيهما فقد أخطأ وغيَّر المعنى.

وحاصل معنى الحديث: أن الله تعالى يجعل عظام العبد المحرر، وعظام الأمة المحررة، وقاء يحفظ عظام المسلم المعتق، والمسلمة المعتقة من النار[1].

الحديث العشرون والمائة

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «أَنَا أَوَّلُ مَن يَفتَحُ باب الجَنَّة، إلَّا أَنِّي أرى امرأةً تُبادِرُنى فأقولُ لَهَا: مالَكِ؟ ومَنْ أنتِ؟ فتقول: أَنَا امرأةٌ قَعَدْتُ على أيتامٍ لي». رواه أبو يعلى في

(١) من غير أن يدخل العبد والأمة النار بدلا من معتقهما.

"مسنده" بإسناد حسن.

«**أنا أول من يفتح باب الجنة**»: في "صحيح مسلم" عن أنس رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**آتي بابَ الجَنَّةِ فأَسْتَفْتِحُ، فيقول الخازنُ: مَنْ أنتَ؟ فأقول: محمدٌ. فيقول: بِكَ**[1] **أُمِرْتُ ألَّا أفتحَ لأحدٍ قبلكَ**».

«**قَعَدْتُ على أيتامٍ لي**»: أي مات زوجها وترك لها أيتامًا، فلم تتزوج وقعدت علىٰ أيتامها تُرَبِّيهم.

الحديث الحادي والعشرون والمائة

عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ما مِنْ مسلمٍ يموت له ثلاثةٌ من الولدِ لم يبلُغوا الحنثَ إلَّا أدْخَلَه اللهُ الجَنَّة بفضلِ رحمتِه إيَّاهُم**». رواه الشيخان.

«**لم يبلغوا الحنث**»: أي الإثم. والمعنىٰ: أنهم ماتوا أطفالًا قبل البلوغ لم يكتب عليهم إثم معصية.

الحديث الثاني والعشرون والمائة

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال لنسوة من الأنصار: «**لا يموتُ لإحداكُنَّ ثلاثةٌ من الولد فَتَحْتَسِبُ إلَّا دَخَلَت الجَنَّة**». فقالت امرأة منهن: أو اثنان يا رسول الله؟ قال: «**أو اثنان**». رواه مسلم.

«**فتحتسب**»: تطلب الثواب بالصبر وترك الجزع.

---

(١) أي بسببك أمرت، فالباء للسببية.

الحديث الثالث والعشرون والمائة

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه سمع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**من كان له فَرَطَان من أُمَّتي أدخلَه اللهُ بهما الجنةَ**». فقالت له عائشة: فمن كان له فرط من أمتك؟ قال: «**ومن كان له فرطٌ يا موفَّقَة**». قالت: فمن لم يكن له فرط من أمتك؟ قال: «**أنا فَرَطُ أمتي، لن يصابوا بمثلي**». رواه الترمذي وقال: «حديث حسن غريب».

«**من كان له فَرَطَان**»: تثنية فَرَط بفتح الفاء والراء: الذي يتقدم القوم إلى الماء فيهيئ لهم الحبال والدلاء ويصلح الحياض ويستقي لهم، شبه به الطفل الذي يموت حيث ينتظر والديه على باب الجنة.

«**فأنا فرط أمتي**» أي سابقهم إلى الآخرة والمستغفر لهم وشفيعهم يوم القيامة.

«**لن يصابوا بمثلي**»: فإن بانتقاله انقطع الوحي وحصل الخلاف وبدأت الفتن تظهر شيئًا فشيئًا حتى عم ضررها وعظم وزرها.

قال أنس بن مالك: ما فرغنا من دفن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حتى أنكرنا قلوبنا.

الحديث الرابع والعشرون والمائة

عن قرة بن إياس رضي الله عنه أن رجلًا كان يأتي النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ومعه ابن له فقال النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم «تحبه؟» قال: نعم يا رسول الله؛ أحبك الله كما أحبه، ففقده النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقال:

«**ما فعل فلان ابن فلان**» قالوا: يا رسول الله، مات. فقال النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لأبيه: «**ألا تحب أن لا تأتي بابًا من أبواب الجنة إلا وجدته ينتظرك؟**» فقال رجل: أله خاصة أم لكلنا؟ قال: «**بل لكلكم**». رواه أحمد بإسناد صحيح.

في الحديث دليل علىٰ أن خطاب الشارع محمول علىٰ العموم، وإن كان موجهًا لشخص معين، لأن الأصل تساوي الناس في التكليف، إلا إذا قام دليل علىٰ تخصيص الخطاب بمن وجه إليه، فلا يشمل غيره حينئذ، وهذا كما قال النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لأبي بردة في شاته التي لم تستوف شروط الأضحية: «**تجزئك ولا تجزئ أحدًا بعدك**». رواه الشيخان.

الحديث الخامس والعشرون والمائة

عن أبي أمامة، عن عمرو بن عبسة، قال: قلت له: حدثنا حديثًا سمعته من رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، ليس فيه انتقاص ولا وهم. قال: سمعته يقول: «**من وُلِدَ له ثلاثةُ أولادٍ في الإسلام فماتوا قبل أن يبلغوا الحنثَ أدخله اللهُ الجَنَّةَ برحمتِهِ إياهم، ومن أنفقَ زوجين في سبيلِ الله فإنَّ للجَنَّةِ ثمانيةُ أبوابٌ يُدْخِلُه اللهُ من أي باب شاء من الجَنَّة**». رواه أحمد، وإسناده حسن.

أبو أمامة بن سهل تابعي يسأل أبا نجيح عمرو بن عبسة -بفتح العين والباء- الصحابي رضي الله عنه أن يحدثه حديثًا سمعه بنفسه ليس فيه نقص ولم يدخله وهم، وهذا يدل علىٰ توقي التابعين في رواية الحديث وتأكدهم سلامته مما يؤثِّر فيه ضعفًا.

«**برحمته**» أي: الله «**إياهم**» أي: الأولاد. والمعنىٰ: أن دخول الوالدين للجنة

سببه رحمة الله لأولادهما الذين ماتوا قبل البلوغ.

«**ومن أنفق زوجين**»: أي شيئين كدينار وثوب، وكفرس وسلاح.

«**في سبيل الله**»: أي الجهاد. وورد في حديث أن النفقة في الحج نفقة في سبيل الله.

الحديث السادس والعشرون والمائة

عن بريدة رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**القضاةُ ثلاثةٌ: واحدٌ في الجَنَّةِ واثنان في النَّارِ، فأما الذي في الجَنَّةِ فرجلٌ عَرَفَ الحَقَّ فَقَضَى بِه. ورجل عَرَفَ الحَقَّ فَجَار في الحكم فهو في النار، ورجلٌ قَضَى للناس على جهلٍ فهو في النار**». رواه أصحاب السنن الأربعة إلا النسائي، وحسَّنَه الترمذي.

«**فرجل**»: يفيد أن المرأة لا تتولى القضاء وقد أجاز بعض المذاهب توليتها القضاء، وهو خطأ.

الحديث السابع والعشرون والمائة

عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ المُقْسِطِينَ عندَ اللهِ على منابرَ مِن نُور عن يمين الرحمن -وكِلْتَا يديه يمينٌ- الذين يَعْدِلُون في حكمِهم وأهلِيهم وما وَلُوا**». رواه مسلم والنسائي.

«**على منابرَ مِن نُور**»: في موقف القيامة، وهذا دليل على أنهم من أهل الجنة.

«**وكِلْتا يديه يمين**»: جاءت هذه الجملة لبيان أن يمين الله ليست بجارحة تقابلها شمال كما هو معهود في المخلوقات، فإن الله منزه عن ذلك وعن الجهات الست التي هي يمين وشمال وأمام وخلف وفوق وتحت، وهي أمور اعتبارية، وإنما جرت عادة الملوك والرؤساء أنهم إذا أكرموا شخصًا وافدًا عليهم أقعدوه عن يمينهم، فكنَّى الحديث عن تكريم المقسطين عند الله بأنهم عن يمين الرحمن.

«**الذين يَعْدِلُون**»: هذا بيان للمقسطين، وأما القاسطون فهم الجائرون في الحكم، عكس المقسطين، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٥] والقِسط بالكسر: العدل. والقُسوط بالضم: الجور.

«**وما وَلُوا**» بفتح الواو وضم اللام، ويجوز قراءته بضم الواو مع تشديد اللام.

الحديث الثامن والعشرون والمائة

عن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**يقول الله تعالى: من ترك الخمر وهو يقدر عليه لأسقينه منه في حظيرة القُدْسِ، ومن ترك الحرير وهو يقدر عليه لأكسونه إياه في حظيرة القدس**». رواه البزَّار بإسناد حسن.

«**وهو يقدر عليه**»: يقدر على شرب الخمر ويقدر على لبس الحرير، ولكن تركهما امتثالًا للشرع وخوفًا من عقاب الله تعالى.

وذلك أن ترك المعصية يقع على ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يترك الشخص المعصية عاجزًا عنها ولو أتيحت له فرصة فَعَلَها، فهذا آثم وعليه عقاب العزم على المعصية التي لم يمنعه منها إلا عدم القدرة.

ثانيها: أن يتركها عادة، بأن اعتاد ألا يشرب الخمر أو لا يلبس الحرير أو لا يلعب القمار، فهذا لا يأثم لأنه لم يفعل المعصية، لكنه لا يثاب على تركها الذي هو عادته منذ نشأته.

ثالثها: أن يتركها خوفًا من الله تعالى مع القدرة عليها ووجود الرغبة الداعية إليها، فهذا هو الذي يثاب بالثواب الذي بيَّنه هذا الحديث وغيره.

«**في حظيرة القدس**»: هي الجنة.

الحديث التاسع والعشرون والمائة

عن سهل بن سعد رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**من يَضْمَن لي ما بين لَحَيَيْه وما بين رِجْلَيْه تَضَمَّنْتُ له بالجنة**». رواه البخاري.

وفي "معجم الطبراني" بإسناد جيد عن أبي رافع رضي الله عنه: أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَنْ حَفِظَ ما بين فَقْمَيْه وفخذيه دخل الجنة**».

«لَحَيَيْه، وفَقْمَيْه» بفتح أولهما وسكون ثانيهما: عظما الحنك، وما بينهما هو اللسان. وما بين الرجلين والفخذين: الفرج. والمقصود حفظ اللسان والفرج من معاصيهما.

الحديث الثلاثون والمائة

عن أبي بن كعب رضي الله عنه، أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**من سَرَّهُ أنْ يُشْرَفَ له البنيانُ وتُرْفَعُ له الدرجاتُ فلْيَعْفُ عمَّن ظلَمَهُ ويُعْطِ من حَرَمَهُ ويَصِلْ من قَطَعَهُ**». رواه الحاكم وصححه، وفيه إرسال، لكن له شواهد.

«**يُشْرَفَ له البنيانُ**»: يُبنى له في الجنة قصور عالية. يقال: مكان مشرف: أي مرتفع.

«**وتُرْفَعُ له الدرجاتُ**»: في الجنة.

«**فلْيَعْفُ عمَّن ظلَمَه**»: إذا عفا الشخص عمن ظلمه وأعطى من حرمه ووصل من قطعه، فقد تنازل عن حقه وهضم نفسه فجوزي بإعلاء مكانه في الجنة ورفع درجته فيها.

الحديث الحادي والثلاثون والمائة

عن أنس رضي الله عنه: أن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إذا وقف العباد للحساب جاء قوم واضعوا سيوفَهم على رقابِهم تَقْطرُ دمًا فازدَحَمُوا على باب الجنة. فقيل: من هؤلاء؟ قيل الشهداء كانوا أحياء مرزوقين.**

ثم نادى منادٍ: ليقم من أجره على الله فليدخل الجنة، ثم نادى الثانية: ليقم من أجره على الله فليدخل الجنة. قيل: ومن ذا الذي أجره على الله؟ قيل: العافون عن الناس. ثم نادى الثالثة: ليقم من أجره على الله فليدخل الجنة. فقام كذا وكذا ألفًا فدخلوها بغير حساب». رواه الطبراني في "الكبير" وإسناده حسن.

«تقطر دمًا»: في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «ما من مكلوم يُكْلَم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة وكَلْمُه يدمي، اللون لونُ دمٍ وريحُه ريحُ مِسك».

«فدخلوها بغير حساب»: لأنهم لما عفوا عن الناس، ولم يحاسبوهم على ظلمهم إياهم جوزوا بإدخالهم الجنة بغير حساب، وكذلك المتوكلون يدخلون الجنة بغير حساب لأنهم لما تركوا التداوي والتطير توكلًا على الله ترك حسابهم(١).

الحديث الثاني والثلاثون والمائة

عن مُعَاوِيَةَ بن جَاهِمَةَ، أنَّ أباه جَاهِمَةَ جاء إلى النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: يا رسول الله أردت أن أغزو وقد جئت أستشيرك؟ فقال: «هل

---

(١) وكذلك الورعون، روي الطبراني عن ابن عباس، عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «إن الله عز وجل ناجى وكان فيما ناجاه أن قال: ياموسى إنه لم يتصنع المتصنعون بمثل الزهد في الدنيا، ولم يتقرب إلي المتقربون بمثل الورع عما حرمت عليهم، ولم يتعبد إليّ المتعبدون بمثل البكاء من خشيتي. قال موسى: يارب البرية كلها ويا مالك يوم الدين ويا ذا الجلال والإكرام ماذا أعددتَ لهم؟ وماذا جزيتهم؟ قال: أما الزهاد في الدنيا فإني أبحتهم جنتي يتبوأون منها حيث شاءوا، وأما الوَرِعون عما حرَّمت عليهم فإنه إذا كان يوم القيامة لم يبق عبد إلا ناقشته وفتشته إلا الورعون فإني أستحييهم وأجلهم وأكرمهم فأدخلهم الجنة بغير حساب، وأما البكاؤون من خشيتي فأولئك لهم الرفيق الأعلى لا يُشَارَكون فيه».

لك من أم؟» قال: نعم، قال: «**فالزمها فإن الجنة عند رجلها**». رواه النسائي، وصححه الحاكم.

«**فإن الجنة عند رجلها**»: كناية عن أن خضوعه لأمه وتواضعه لها سبب في دخول الجنة.

والحديث يفيد تقديم بر الوالدين على الغزو لأنه فرض كفاية يقوم به غيره عنه بخلاف بر والديه فإنه فرض متعين عليه لا يقوم به غيره عنه.

الحديث الثالث والثلاثون والمائة

عن أبي الدرداء رضي الله عنه، أن رجلًا أتاه فقال: إن لي امرأة وإن أمي تأمرني بطلاقها؟ فقال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**الوالد أوسط أبواب الجنة فإن شئت فأضع هذا الباب أو احفظه**». رواه الترمذي و"صححه".

«**الوالد**»: أي الشخص الوالد فيشمل الأم والأب.

«**أوسط أبواب الجنة**»: أي طاعته تؤدي إلى دخول الجنة من أوسط أبوابها.

فإذا أمره أبوه أو أمه بطلاق امرأته طلقها، وقد ثبت في الصحيح عن عبدالله بن عمر: أن أباه عمر بن الخطاب أمره بطلاق امرأته، وكان يحبها فلم يفعل، فشكاه إلى النَّبي صلى الله صلى عليه وسلم فقال له: «**فارقها**».

وفي الصحيح أيضًا عن ابن عباس عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في حديث ذهاب إبراهيم بهاجر[1] وإسماعيل إلى مكة وتركهما هناك، ورجوعه إلى

---

(١) من تعصب اليهود والنصارى على العرب والمسلمين دعواهم أن إسماعيل عليه

فلسطين ثم ذهابه بعد مدة لزيارة إسماعيل عليهما السلام، فلم يجده ووجد امرأته وسألها عنه فقالت: ذهب يصطاد، وسألها عن حالهم فشكت ضيق المعيشة فقال لها: إذا جاء زوجك فأبلغيه السلام وقولي له: يغير عتبة بابه. فلما جاء إسماعيل أخبرته بما حصل. فقال لها: ذاك أبي وأنت العتبة وقد أمرني بفراقك؛ اذهبي إلى أهلك.

الحديث الرابع والثلاثون والمائة

عن عمرو بن مرة الجهني قال: جاء رجل إلى النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: يا رسول الله شهدت أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وصليت الخمس، وأديت زكاة مالي، وصمت رمضان. فقال النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**من مات على هذا كان مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة هكذا** -ونصب أصبعيه- **ما لم يعق والديه**». رواه أحمد والطبراني بإسناد صحيح.

«**كان مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة**»: وهؤلاء في الجنة.

الصلاة والسلام ابن جارية وهي دعوى تدل على حقد دفين وحسد في النفس كامن. فالرق لم يُنقص قدر هاجر، كما لم يُنقص قدر يوسف عليهما السلام؛ لأن منشأه ظلم الإنسان لأخيه الإنسان واستعباده إياه مع أن الله تعالى خلق عباده أحرارًا ولم يُعطِ لبعضهم حق تملك الآخرين أو استعبادهم، فإذا تملك شخص ظالم أخاه بغير حق، فكيف يصح أن نعيب الرقيق المظلوم بوصف لا دخل له فيه ولا يرضاه الله له؟ ومن الدليل المادي الملموس على أن الله لا يرضى استرقاق الإنسان لأخيه ؛ أنه أخرج من هاجر إسماعيل وهو أفضل أولاد إبراهيم عليهما الصلاة والسلام، ثم أخرج من نسله سيد المرسلين صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

الحديث الخامس والثلاثون والمائة

عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، أن أعرابيًا عرض لرسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وهو في سفر، فأخذ بخطام ناقته أو بزمامها، ثم قال: يا رسول الله أخبرني بما يُقرِّبني من الجنة ويباعدني من النار؟ قال: فكف النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ثم نظر في أصحابه ثم قال: «**لقد وفِّقَ هذا، كيف قلت؟**» فأعادها، فقال النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**تعبدُ اللهَ لا تشرك به شيئًا، وتقيمُ الصَّلاةَ، وتُؤتي الزَّكاةَ، وتَصِلُ الرَّحِمَ. دع الناقةَ**» فلما أدبر. قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إن تمسَّك بما أمرته به دخل الجنة**». رواه الشيخان.

«أنَّ أعرابيًا»: مفرد أعراب، والأعراب: سكان البادية، وهم المراد في قوله تعالى: ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ﴾ [التوبة: ٩٧] يقابلهم سكان القرى، وهي المدن، والقرية: المدينة. قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف: ٣١] المراد بالقريتين: مكة والطائف. ويقابل القرية: الكَفر، بفتح الكاف. وفي الحديث: «**لا تَسْكُنوا الكُفُورَ فإنَّ ساكِنَ الكُفُورِ كسَاكِنِ القُبُورِ**»، وذلك لبعدهم عن المدن، فلا يحضرون الجُمعات ولا مجالس العِلم. والنسبة إلى القرية. قروي، وإلى الكفر. كفري.

«فأخذ بخِطام ناقته أو زِمامها»: الخِطام والزِمام بكسر أولهما: الخيط الذي يربط في خشاش الناقة ثم يشد في طرف المقود.

الحديث السادس والثلاثون والمائة

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رجل: يا رسول الله، فلانة تصوم النَّهارَ وتقومُ الليلَ وتُؤذي جيرانها. قال: «**هي في النَّارِ**». قالوا: يا رسول الله فلانة تُصَلِّي المكتبوات وتَصَّدَّق بالأَثْوَارِ مِن الأَقِطِ ولا تُؤذي جيرانها. قال: «**هي في الجنَّةِ**». رواه ابن أبي شيبة وهذا لفظه، وأحمد والبزَّار، وصحَّحه ابن حِبَّان والحاكم.

«**هي في النار**»: ولم ينفعها صيامها ولا قيامها لإذايتها جيرانها.

ومن شرط العبادة النافعة أن يكفَّ صاحبها عن إذاية النَّاس، بل يسعىٰ في نفعهم ما استطاع، استجلابًا لمحبة الله تعالىٰ، جاء في الحديث: «**الخَلْقُ كُلُّهم عِيالُ الله، فأحبُّ الخَلْقِ إلى الله مَن أحسنَ إلى عِيالِهِ**». «وتَصَّدَّق» بفتح التاء أصله: تتصدَّق، حذفت إحدىٰ التائين تخفيفًا. بالأثوار: جمع ثور. قطعة من «الأَقِط» بوزن الكتف: طعامٌ يُتخذ من مخيض لبن الغنم ويجمد ويقطع قطعًا.

«**هي في الجنة**»؛ لأنها أدَّت فرض الله عليها وكفَّت أذاها عن جيرانها، ونفعت الفقراءَ بصَدَقَتها.

الحديث السابع والثلاثون والمائة

عن أبي الدرداء رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن كان وُصْلَةً لأخيه المُسلمِ إلى ذي سُلْطانٍ في مُبْلَغ بِرٍّ أو إدخال سُرورٍ، رَفَعَهُ اللهُ في الدَّرجات العُلا مِن الجنَّة**». رواه الطبرانيُّ في مُعجمَيه "الأوسط" و"الصغير".

«**من كان وصلة لأخيه**»: المسلم. «**إلى ذي سلطان**»: أي حاكم، ابتدأ من عمدة أو مأمور إلى ملك أو رئيس. «**في مُبْلَغ**» بضم الميم وسكون الباء وفتح اللام: أي إبلاغ. «**بر**» كوظيفة أو مساعدة مادية أو معنوية. «**أو إدخال سرور**» على قلبه بإنهاء مسألة كان ينتظرها. والمعنى: أن من رفع حاجة أخيه المسلم إلى حاكم فأبلغ إليه نفعًا أو أدخل عليه سرورًا «**رفعه الله في الدرجات العلا من الجنة**» جزاء وفاقًا.

الحديث الثامن والثلاثون والمائة

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**الحياءُ مِن الإيمانِ، والإيمانُ في الجنَّة. والبَذَاءُ مِن الجَفَاءِ والجَفَاءُ في النَّارِ**». رواه أحمد، والترمذيُّ وصحَّحه، وابن حِبَّان في "صحيحه".

«**الحياء من الإيمان**»: لأنه خُلُقٌ يمنع صاحبه من ارتكاب المُحرَّمات وسفاسف الأمور والأخلاق الذَّميمة، والإيمان يأمر بترك هذه الأشياء.

«**والبَذَاء**»: أي الفحش. «**من الجفاء**»: غلظ الطبع ووقاحة الوجه، وهما يؤديان إلى النار.

الحديث التاسع والثلاثون والمائة

عن أبي هريرة أيضًا رضي الله عنه، قال: سُئل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن أكثر ما يدخل الناس الجنَّة؟ فقال: «**تَقْوَى الله وحُسْنُ الخُلُقِ**». وسُئل عن أكثر ما يدخل الناس النار؟ فقال: «**الفَمُ والفَرْجُ**». رواه الترمذيُّ وصحَّحه، وابن حِبَّان في "صحيحه".

«**تقوى الله وحُسْن الخُلُق**»: جمعت هذه الجملة الخير كله، فتقوىٰ الله تشمل طاعة الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه. وحسن الخلق معاملة الناس بالحسنىٰ.

«**الفم والفرج**»: هذان أصل المعاصي، فالفم طريق إلىٰ البطن يدخل منه الأكل الحرام كالرِّبا والسرقة والخنزير، والمشروب الحرام كالخمر والحشيشة. مع ما ينطق به اللسان من الكذب والغيبة والنميمة وشهادة الزُّور ونحو ذلك، والفرج شهوته عظيمة علىٰ الإنسان، توقعه في الزِّنا واللواط وهما من الكبائر الموجبة لدخول النار.

الحديث الأربعون والمائة

عن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: قال رجل لرسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: دلني علىٰ عمل يدخلني الجنة. قال: «**لا تَغْضَبْ، ولكَ الجنَّـةُ**». رواه الطبرانيُّ بإسنادٍ صحيحٍ.

وفي "المسند" بإسنادٍ صحيحٍ أيضًا عن حميد بن عبدالرحمن عن رجلٍ مِن أصحاب النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، قال: قال رجلٌ يا رسولَ الله: أوصني، قال: «**لا تَغْضَبْ**» قال: ففكرت حين قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ما قال، فإذا الغضب يجمع الشرَّ كلَّه.

الحديث الحادي والأربعون والمائة

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ العبد ليتكَلَّم بالكَلِمَةِ مِن رِضْوانِ الله تعالى ما يُلْقِي لها بالًا يَرْفَعُهُ اللهُ بها درجاتٍ في الجنَّةِ، وإنَّ العَبْدَ ليتكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مِن سَخَطِ الله تعالى لا يُلْقِي لها بالًا**

يَهْوِي بها في جَهَنَّمَ». رواه البخاريّ في "صحيحه".

«**ليتكلَّم بالكلمة من رضوان الله تعالى**»: بأن قال كلمة نصح بها مسلمًا، أو ذبَّ عن عرضه، أو دفع بها ظلمًا عنه، أو دافع بها عن كتاب الله، أو سنة رسوله، أو رد بها تهمة وجهت إلى شيء من أمور الدين.

«**ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى**»: بأن كذب كذبة يضحك بها إخوانه، أو قال لمسلم مازحًا: يا ابن الزانية، أو وجد جماعة يأتمرون بمسلم ليقتلوه أو يؤذوه فساعدهم بكلمة استحسان.

الحديث الثاني والأربعون والمائة

عن سُراقة بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال له: «**يا سُراقَة ألا أُخْبِرُكَ بأهل الجنَّةِ وأهلِ النَّارِ؟**» قلتُ: بلى يا رسول الله. قال: «**أمَّا أهلُ النَّارِ فكلُّ جَعْظَرِيٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٌ، وأمَّا أهلُ الجنَّةِ فالضُّعَفاءِ المَغْلُوبونَ**». رواه الطبرانيُّ بإسنادٍ حسنٍ، وصحَّحه الحاكم على شرط مسلمٍ.

«**جَعظريٍّ**» بفتح الجيم وتشديد الياء، هو المنتفخ بما ليس عنده. «**جَوَّاظٍ**» بتشديد الواو هو الفظ الغليظ. «مستكبر» يحتقر الناس.

«**فالضعفاء المغلوبون على أمرهم**»: بالنسبة لإخوانهم المؤمنين. وأمَّا بالنسبة للكفار، فهم أعزة أقوياء، هكذا وصف الله المؤمنين في القرآن: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤] فإذا قرأت في حديث فضل الضعفاء فذلك فيما بين المؤمنين بعضهم مع بعض ولا يجوز لمؤمن أن يَضْعُفَ أمام كافر أو يذلّ نفسه له. فإن الله تعالى يقول: ﴿وَلِلَّهِ

ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون: ٨].

الحديث الثالث والأربعون والمائة

عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**احتجَّتِ الجنَّةُ والنَّارُ، فقالت النَّارُ: فيَّ الجبَّارون والمُتكبِّرون. وقالت الجنَّةُ: فيَّ ضعفاء المسلمين ومساكينُهم. فقضى الله بينهما: إنَّك الجنَّةُ رَحْمَتي أرحمُ بكِ مَن أشاء. وإنك النَّارُ عَذَابي أُعذِّبُ بكِ مَن أشاء، و لكِلَيْكُمَا عَلَيَّ مِلْؤُهَا**». رواه مسلمٌ في "صحيحه".

«**أرحم بك من أشاء**»: وهم عصاة المسلمين، يرحمهم الله بالجنة بعد أخذ حظهم من العذاب، أو بشفاعة النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، أو بمجرد رحمته تعالى.

«**أعذب بك من أشاء**»: وهم الكفار والمنافقون والجبارون والمتكبرون.

والتعبير بالمشيئة في جانب الجنة والنار يفيد أن دخول المؤمنين الجنة والكفار النار بمشيئته لا وجوبًا عليه، خلافًا للمعتزلة.

الحديث الرابع والأربعون والمائة

عن حارثة بن وهب رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**ألا أُخْبرك بأهل الجنَّةِ؟ كُلُّ ضَعيفٍ مُسْتَضْعَفْ لو يُقْسِمُ على الله لأَبَرَّه، ألا أُخْبركُم بأهلِ النَّارِ؟ كلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ**». رواه الشيخان.

«مُسْتَضْعَفٌ»: بفتح العين: يستضعفه الناس لسهولته ولين عريكته، لكنه

في الحقِّ عزيزٌ مُهابٌ، وهو كريمٌ على الله بحيث لو يُقسم على الله لأبرَّه وأجاب طلبه في الحال تكرُّمًا مِنه وتفضُّلًا حيث وعد بإجابة الصادقين.

«عُتُلٍّ»: بضم العين والتاء وتشديد اللام: هو الجافي العنيف، و«الجواظ»: تقدَّم تفسيره.

الحديث الخامس والأربعون والمائة

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: كان رجلان من بَلي -حي من قضاعة- أسلما مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فاستشهد أحدهما، وأخر الآخر سنة. قال طلحة بن عبيدالله: فرأيت المؤخر منهما أدخل الجنة قبل الشهيد. فتعجبتُ لذلك، فأصبحت فذكرت ذلك للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم. فقال النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أليس قد صَامَ بَعْدَهُ رمضانَ وصَلَّى ستة آلافِ ركعةٍ وكذا وكذا ركعة صلاة سُنَّة؟**». رواه أحمد بإسنادٍ حسنٍ، ورواه ابن حِبَّان في "صحيحه" من حديث طلحة، أطول منه.

«بَلي» بوزن يلي بفتح أوله وكسر ثانيه، وقُضاعة بضم القاف أسلما مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

هذا كقول ملكة سبأ: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤] و«مع»: تفيد المصاحبة. والمعنى: أسلما مصاحبين لرسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في الإسلام، وأسلمت مصاحبة لسليمان في إسلامه لربِّ العالمين.

ويلاحظ أنَّ مَلَكة سبأ أعلنت إسلامها حين قال لها سليمان عن الصرح

﴿إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَ﴾ [النمل: ٤٤] وكانت قد ظنته لجة ماء، وكشفت عن ساقيها لتخوضه. فلما تبين لها خطأ ظنها فيما رأته بعينها أدركت بسلامة فطرتها أن ما هي عليه من عبادة الشمس تقليدًا من غير دليل أولى بقبول الخطأ ودخول الوهم فيه من المشاهد المرئي بالبصر، فلذلك أعلنت إسلامها.

«**وصلَّى ستة آلاف ركعة**»: يعني أن الذي عاش بعد الشهيد سنة، زاد عليه بآداء عبادتها من صلاة وصوم وغيرهما، فلذا سبقه بدخول الجنة، وهذا يدل على فضل المؤمن الذي يطول عمره في الطاعة. وفي الحديث: «**خيركم من طال عمره وحسن عمله**».

الحديث السادس والأربعون والمائة

عن عبدالله بن شدَّاد: أن نفرًا من بني عُذْرة ثلاثة، أتوُا النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فأسلموا، فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن يَكْفيهم؟**» قال طلحة: أنا. فكانوا عنده. فبعث النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بَعْثًا، فخرج فيه أحدهم فاستشهد. ثُمَّ بعث بَعْثًا، فخرج فيه آخر فاستُشهد. ثُمَّ مات الثالث على فِراشه. قال طلحة: فرأيت هؤلاء الثلاثة في الجنَّة. فرأيت الميت على فراشه أمامهم، ورأيت الذي استشهد أخيرًا يليه، ورأيت أولهم آخرهم. قال: فداخلني من ذلك. فأتيت النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فذكرت ذلك له. فقال: «**وما أنكرتَ مِن ذلك؟ ليس أفضل عند الله عزَّ وجلَّ مِن مُؤمنٍ يُعَمَّر في الإسلام لتَسْبيحِهِ وتَكْبيره وتَهْليلِهِ**». رواه أحمد وأبو يعلى في مسنديهما وإسنادهما على شرط الصحيح.

«بني عُذْرة»: بضم العين وسكون الذال المعجمة.

«**من يكفيهم**»: يؤخذ منه أن الكافر إذا أسلم، فينبغي للمسلمين أن يؤوه ويمدوا له يد المساعدة، لأن بإسلامه انقطعت صلة المودة بينه وبين أقاربه من الكفار، فيجب أن يجد في المسلمين إخوانًا ينسونه بعطفهم وحسن معاملتهم ما فقده من عطف أهله وأقاربه.

«**فداخلني من ذلك**»: شيء من الشك، لأن المعروف أن الشهيد أعلى رتبة من الذي يموت على فراشه.

«**من مؤمن يُعمَّر**»: بضم الياء وفتح الميم المشددة: أي يعمره الله في الإسلام. «**لتسبيحه وتكبيره وتهليله**»: أي لعباداته المتنوعة وطاعاته المختلفة.

الحديث السابع والأربعون والمائة

عن عطاء بن أبي رباح، قال: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ فقلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء، أتت النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقالت: إني أُصْرَعُ، وإنِّي أتكشَّف، فادْعُ الله لي. قال: «**إنْ شِئْتِ صَبَرْتِ ولكِ الجنَّةُ، وإنْ شِئْتِ دَعَوْتُ الله أن يُعافِيَكِ**» فقالت: أصْبِرُ. فقالت: إنِّي أتكشَّفُ فادْعُ الله لي ألَّا أتكشَّفَ، فدَعَا لها. رواه الشيخان.

«**إني أصرع**»: الصرع علة معروفة، مصدرها مس الجن للشخص المصروع.

«**إن شئت صبرت ولك الجنة**» يفيد أن من كان مصابًا بصرع، وصبر عليه لقوة إيمانه، دخل الجنة.

وليس في الحديث حضٌّ على ترك العلاج كما قد يتوهَّم؛ لأن الصرع ليس له دواء ماديٌّ يعالج[١] به، وإن كان علماء الطب الحديث يعالجونه بالصدمات الكهربائية؛ لأن الطب لا يعترف بمسِّ الجنِّ، وهو علاجٌ لا يفيد.

ولكن المرأة سألت النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أن يدعو لها بالشفاء، فخيرها بين الصبر والدعاء وعلم أن عندها من قوة الإيمان ما يحملها على الصبر، فصبرت وكانت من المبشرين بالجنة.

الحديث الثامن والأربعون والمائة

عن أنس رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ قال: إذا ابْتَلَيْتُ عَبْدِى بحَبِيبَتَيْهِ فصَبرَ عَوَّضْتُه منهما الجنَّـةَ**». رواه البخاريُّ.

وفي "صحيح ابن حِبَّان" عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لا يذهب اللهُ بحَبِيبَتَيْ عبدٍ فيَصْبِرُ ويَحْتَسِبُ إلَّا أدخَلَهُ اللهُ الجنَّةَ**».

«**بحبيبتيه**» أي عينيه. والمعنى: أن من ابتُلي بالعمى فصبر كان جزاؤه الجن. لكن لا ينبغي للشخص أن يطلب العمى لأجل تحصيل هذا الثواب، بل

---

(١) بل يعالج بآيات قرآنية ودعوات نبوية.ومنذ أيام شكا إلي شخص من مس جن ينوبه كل ليلة حتى اشتد عليه ونَغَّص معيشته، فأرشدته إلى قراءة (سورة الجن) عند نومه فواظب عليها، فأذهب الله عنه مس الجن وجاء يشكرني. ومن قبل ذلك عالجت قريبة لنا -كان يأتيها صرع شديد- بـ(سورة الجن) أيضًا.

يطلب العافية، فهي خير للمؤمن في الدنيا والآخرة. كما ثبت في الأحاديث.

وأذكر لهذه المناسبة أن رجلًا كان عندنا بطنجة وكان صوفيًا عابدًا صالحًا سمع بفضل العمى في هذين الحديثين وغيرهما، فسأل الله ذهاب بصره فأجاب الله دعاءه، وقام بصره، أي ذهب الإبصار والحدقة سليمة كما حصل لابن عباس رضي الله عنهما، فجزع جزعًا شديدًا وقَلَّ صبره وكثر أنينه وشكواه، إلا أن الله تعالى لطف به، فعالجه رجل بطريقة القدح المعروفة عن العرب، ورجع إليه إبصاره.

الحديث التاسع والأربعون والمائة

عن أبي رافع رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: **«مَن غَسَّلَ مَيتًا فكَتَمَ عليه غَفَرَ اللهُ له أربعين مرَّةً، ومَن كفَّنَ مَيتًا كسَاهُ اللهُ مِن سُنْدُسٍ وإستبرقٍ في الجنَّةِ، ومَن حَفَرَ لميتٍ قبرًا فأجنَّه فيه أجرى الله له من الأجر كأجر مسكن أسكنه إلى يوم القِيامَةِ»**. رواه الحاكم وصحَّحه على شرط مسلمٍ.

«فكتم عليه»: أي ستر على الميت ما يرى فيه من عيب خلقي أو ناشئ عن معصية، كان يخفيها عن الناس. **«غفر الله له أربعين مرة»**: أي أربعين ذنبًا. ومعنى هذا أن من أفشى على الميت سرًا أو نشر عنه عيبًا فإثمه كبير عند الله.

«فأجنَّه» ستره. ومادة جنن تدل على الستر: أجنه الليل ستره. والجنون ستر للعقل. والجِنُّ مستترون لا يظهرون. والجنين مستورٌ في الرحم. والصِّيام جُنَّة بضم الجيم، أي: ساتر من النار.

الحديث الخمسون والمائة

عن مالك بن هبيرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**ما مِن مُسْلِمٍ يَمُوتُ فيُصَلِّي عليه ثلاثة صُفوفٍ مِن المُسلمين إلَّا أَوْجَبَ**». وكان مالكٌ إذا استقبل أهل الجنازة جزَّأهم ثلاثة صفوفٍ لهذا الحديث.

رواه الأربعة إلا النَّسائيُّ، وحسَّنه الترمذيُّ.

«**إلا أوجب**»: يعني وَجَبَت له الجنَّة.

الحديث الحادي والخمسون والمائة

عن أبي الأسود قال: قدمت المدينة، فجلست إلى عمر رضي الله عنه، فمرت بهم جنازة فأثنوا على صاحبها خيرًا، فقال عمر: وجبت. ثم مر بأخرى فأثنوا على صاحبها خيرًا، فقال عمر: وجبت. فقلت: ما وجبت يا أمير المؤمنين؟ قال: قلت كما قال النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أيُّما مُسْلمٍ شَهِدَ له أربعة نَفَرٍ بخيرٍ أدخَلَهُ اللهُ الجنَّةَ**».

فقلنا: وثلاثة؟ قال: «**وثلاثة**» فقلنا: واثنان؟ قال: «**واثنان**» ثم لم نسأله عن واحد. رواه البخاريُّ.

«**شهد له أربعة نَفَرٍ بخيرٍ**»: وكانوا صادقين، فإن كانوا كاذبين فشهادتهم مردودةٌ. قالوا: رحمه الله كان صالحًا وأثنوا عليه. أما أن تطلب منهم الشهادة فيقال لهم عقب الصلاة عليه: ما تقولون فيه؟ فليست بشهادة لأنهم يثنون عليه مجاملة لأهله.

الحديث الثاني والخمسون والمائة

عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه، أنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ أَهْلَ الجنَّةِ ليتراءون أهل الغُرَفِ مِن فَوْقِهم كما تتراءون الكَوْكَبَ الدريَّ الغابِرَ في الأُفُق مِن المَشْرِقِ والمَغْرِبِ لتفاضُلِ ما بينهم**» قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال: «**بلَى والذي نَفْسِي بيَدِهِ رجالٌ آمنوا بالله وصَدَّقُوا المرسلين**». رواه الشيخان.

هذا الحديث يفيد تفاضل أهل الإيمان في الجنة بمسافات بعيدة. لأن الكوكب الدري الذي يُرىٰ غابرًا في الأفق، يبعد عنا بضعة ملايين من السنين الضوئية.

الحديث الثالث والخمسون والمائة

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**عُرِضت عليَّ الأُمَمُ فرأيتُ النَّبيَّ ومعه الرُّهَيْطُ، والنبيُّ ومعه الرَّجُلُ والرَّجُلان، والنبيُّ ليس معه أحدٌ. إذ رُفِعَ لي سوادٌ عظيمٌ فظننتُ أنهم أُمَّتي. فقيل لي: هذا موسى وقومه ولكن انظر إلى الأُفُق. فنظرتُ فإذا سوادٌ عظيمٌ. فقيل لي: انظر إلى الأفق الآخر، فنظرت فإذا سوادٌ عظيمٌ. فقيل لى: هذه أُمَّتك ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنَّة بغير عَذَابٍ ولا حِسابٍ**».

ثُمَّ نهض فدخل منزله فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بلا حسابٍ ولا عذابٍ، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا

بالله، وذكروا أشياء.

فخرج عليهم رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**ما الذي تخوضون فيه؟**» فأخبروه. فقال: «**هم الذين لا يَرْقُونَ ولا يَسْتَرْقُونَ ولا يَتطيَّرونَ وعلى رَبِّهم يتوكَّلون**». فقام عُكَّاشة بن محصنٍ فقال: ادْعُ اللهَ أن يجعلني منهم. فقال: «**أنت منهم**». ثُمَّ قام رجل آخر. فقال: ادْعُ الله أن يجعلني منهم. فقال: «**سبقك بها عُكَّاشة**». رواه الشيخان.

«**عرضت عليَّ الأمم**»: هذا العرض كان بالمدينة في أواخر حياته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم. «**ومعه الرهيط**»: بضم الراء وسكون الياء تصغير رهط وهو ما دون العشرة. والمعنى: أن بعض الأنبياء لم يؤمن معه إلا عدد قليل لم يبلغ العشرة، ومنهم من لم يؤمن معه أحد.

«**هذا موسى وقومه**»: فهو أكثر الأنبياء تابعًا بعد نبينا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مع الفارق الكبير بينهما، إذ يعد الذين آمنوا بموسى عليه السلام بالآلاف، والمؤمنون بالنبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالملايين.

والمراد: الإيمان الصحيح المنجي عند الله تعالى، لا كإيمان اليهود والنصارى بموسى وعيسى عليهما السلام، بعد البعثة المحمدية، فإنه ليس بصحيح ولا ينجي يوم القيامة.

«**هم الذين لا يرقون**»: أي لا يتخذون الرقية طريقًا للتكسُّب وفي رواية «**لا يكتوون**»: أي لا يتعالجون بالكي. «**ولايسترقون**» لا يطلبون الرقية لمرض ينزل بهم، أي لا يتعالجون. «**ولا يتطيَّرون**» من شخصٍ ولا حيوان ولا يوم ولا ساعة ولا رقم، ولا غير ذلك مما يتيطيَّر منه ضُعفاء الإيمان.

«وعلى ربِّهم يتوكَّلون»: في جميع أمورهم، فهم على قدم إبراهيم عليه السَّلام، حيث يقول: ﴿إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ [الشعراء: ٧٧ - ٨١] وهذا مقام عزيز لا يناله إلا الخاصة من المؤمنين لقوة يقينهم ومزيد ثقتهم بالله تعالى.

أما من لم يصل إلى رتبتهم فعليه سلوك الأسباب المعتادة ومعالجة أمراضه بالأدوية المعهودة، من رُقى ومراهم وحقن وعمليَّات جراحيَّة وغيرها.

وقد كان النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إذا مرض يتعاطى الأدوية، ويتعالج بها ليكون أسوة لعموم المسلمين. وقال: «**تداووا عباد الله فإنَّ الذي أنزلَ الدَّاءَ أنزلَ الدَّواءَ**».

لكن لم يكن يتطيَّر ولا يحب الطِّيرة بل نهى عنها أشد النهي، فلا ينبغي لمسلمٍ أن يتطيَّر من شيءٍ؛ لأن التطيُّر خُلُقٌ جاهِليٌّ يُبطله الإسلام ويستخفُّه العقل.

«**سبقك بها عُكَّاشة**»: بضم العين وتخفيف الكاف وبتشديدها وهو أفصح، فهو من المبشرين ومن المتوكلين رضي الله عنه.

الحديث الرابع والخمسون والمائة

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ لله تباركَ وتعالى ملائكةً سَيَّارةً فُضُلاءَ يَبْتَغُونَ مَجالِسَ الذِّكْرِ فإذا وَجَدُوا مَجْلِسًا فيه ذِكْرٌ قَعَدُوا معهم وحَفَّ بعضُهم بعضًا بأجْنِحَتِهم حتَّى يملؤوا ما بينهم وبين السماء فإذا تفرَّقوا عَرجوا وصعدوا إلى السَّماءِ فيسألهم اللهُ**

عزَّ وجلَّ -وهو أعلم- مَن أين جئتم؟ فيقولون: جئنا مِن عند عبادك في الأرضِ يُسَبِّحُونكَ ويُكَبِّرونكَ ويُهَلِّلونكَ ويَحْمَدونَكَ ويَسْأَلونكَ. قال: فما يسألوني؟ قالوا: يسألونك جَنَّتكَ قال: وهل رأوا جَنَّتي؟ قالوا: لا يا ربِّ، قال: وكيف لو رأوا جنَّتي؟ قالوا: ويَسْتَجِيرونك. قال: ومِمَّ يَسْتَجِيرون؟ قالوا: مِن نارك يا ربِّ. قال: وهل رأوا ناري؟ قالوا: لا يا ربِّ. قال: فكيف لو رأوا ناري؟ قالوا: ويَسْتَغْفِرونَكَ، قال: قد غَفَرْتُ لهم وأعطيتُهم ما سألوا وأَجَرْتُهم ممَّا استجاروا. فيقولون: ربِّ، فيهم عَبْدٌ خَطَّاءٌ إنَّما مَرَّ فجلسَ معهم. فيقول: وله غَفَرْتُ، هم القومُ لا يَشْقَى بهم جَلِيسُهُمْ». رواه الشيخان، وهذا لفظ مسلمٍ.

«فيسألهم ربهم وهو أعلم»: حكمة هذا السؤال والأسئلة بعده: أن يعرف الملائكة في الملأ الأعلىٰ فضل الذكر، ويعرفوا ما يتفضل الله به علىٰ عباده الذاكرين من إعطائهم ما سألوا وإجارتهم مما استجاروا وغفران ذنوبهم.

«وكيف لو رأوا جنتي؟»: زاد في البخاري: «فيقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصًا، وأشد لها طلبًا وأعظم فيها رغبة» وقالوا في النار: «لو رأوها كانوا أشد منها فرارًا وأشد لها مخافة». وهذا يفيد أن عين اليقين أقوىٰ من علم اليقين(١).

«وأعطيتهم ما سألوا»: وهو دخول الجنة. والحديث يفيد فضل الاجتماع

---

(١) ولذا طلب إبراهيم عليه السلام عين اليقين حيث قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ﴾ آمنت ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠] وفي الحديث: «ليس الخبر كالمعاينة».

على الذكر، والجهد به. وللحافظ السيوطي جزء اسمه "نتيجة الفكر في الجهر بالذكر" طبع بتعليقاتي عليه.

«هم القوم لا يشقى بهم جليسهم» يفيد أن من جالس الصالحين، وأهل الفضل، نالته بركتهم.

الحديث الخامس والخمسون والمائة

عن أنس رضي الله عنه، قال: كنا جلوسًا مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم. فقال: «يَطْلُعُ الآنَ عليكم رَجُلٌ مِن أهلِ الجنَّةِ». فطلعَ رجلٌ من الأنصار تَنْطُف لحيته من وضوئه قد علق نعله بيده الشمال، فلما كان الغد قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل مثل المرَّة الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مثل مقالته أيضًا، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى، فلما قام النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، تبعه عبدالله بن عمرو بن العاص، فقال: إني لاحيت أبي، فأقسمت أني لا أدخل عليه ثلاثًا. فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت؟ قال: نعم. قال أنسٌ: فكان عبدالله يُحدِّث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث فلم يرَهُ يقومُ مِن الليل شيئًا، غير أنه إذا تعارّ-تقلَّب في فراشه- ذكر الله عزَّ وجلَّ، وكبَّر حتى يقوم لصلاة الفجر.

قال عبدالله: غير أني لم أسمعه يقول إلَّا خيرًا، فلما مضت الثلاث لَيَال وكدتُ أحتقر عمَلَه قلتُ: يا عبدالله لم يكن بيني وبين أبي غضبٌ ولا هجرةٌ، ولكن سمعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول لك ثلاث مرَّاتٍ:

«**يطلعُ الآنَ عليكم رجلٌ مِن أهلِ الجنَّةِ**». فطلعتَ أنت ثلاث المرَّات. فأردتُ أن آوي إليك فأنظر ما عملك فأقتدي بك، فلم أرك عملت كبير عملٍ فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم؟ قال: هو ما رأيت، فلما ولَّيتُ دعاني فقال: هو ما رأيت، غير أني لا أجد في نفسي لأحدٍ من المسلمين غِشًّا، ولا أحسد أحدًا علىٰ خيرٍ أعطاه الله إياه.

قال عبدالله: هذه التي بلغت بك. رواه أحمد بإسنادٍ صحيحٍ علىٰ شرط الصحيحين، ورواه النَّسائيُّ بإسنادٍ صحيحٍ أيضًا، والبيهقيُّ وغيرهم.

«**يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة**»: هذا من جملة المبشرين وقد تقدم بعضهم في هذا الكتاب.

وفي رواية البيهقيِّ من طريق سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب، عن أبيه قال: كنا جلوسًا عند رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**ليطلعن عليكم رجل من هذا الباب من أهل الجنة**». فدخل منه سعد بن مالك.

تَنْطُف، بضم الطاء وكسرها: تسيل لحيته من ماء وضوئه.

تبعه -أي الرجل- عبدالله بن عمرو بن العاص: وكان كثير الصيام وتلاوة القرآن حريصًا علىٰ العبادة، فلذلك تبع الرجل ليقتدي به في تعبده وتهجده.

لاحيت: أي خاصمت أبي، وهو لم يخاصمه كما سيأتي، وإنما قال ذلك ليتمكن من المبيت عند الرجل فيرىٰ عمله.

تعارّ -بتشديد الراء- استيقظ من الليل.

لم أسمعه يقول إلا خيرًا: أي لم يغتب أحدًا ولم يذكره بسوء ولم ينطق

بفحش الكلام ولا لغوه.

يقول لك: أي يقول عنك.

هذه التي بلغت بك: وهي خصلة ذات شقين فهو حين ينام يبيت سليم القلب من هذين الدائين: الغش والحسد.

وفي رواية النسائي والبيهقي: قال عبدالله: هذه التي بلغت لك، وهي التي لا نطيق[1].

والحديث يفيد أن السلامة من الغش والحسد توجب دخول الجنة.

الحديث السادس والخمسون والمائة

عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**من قرأ القرآن فاسْتَظْهَره فأحلَّ حلاله وحرَّم حرامه أدخله الله به الجنة وشفَّعه في عشرة من أهل بيته كلهم قد وَجَبَت لهم النار**». رواه الترمذي وابن ماجه.

«**فاستظهره**» حفظه «**فأحلَّ حلاله وحرم حرامه**» أي عمل به ووقف عند حدوده فكان مؤمنًا كامل الإيمان فأدخله الله الجنة. «وشَفَّعَه» بتشديد الفاء: قَبِلَ شفاعته «**في عشرة من أهل بيته**» لأن القرآن ثلاثون جزءًا فيعتق بكل ثلاثة أجزاء منه شخصًا من أهل بيته من النار.

الحديث السابع والخمسون والمائة

عن معاذ بن أنس الجهني رضي الله عنه، عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**من قرأ قل هو الله أحد حتى يختمها عشر مرات بنى الله له قصرًا في**

---

(١) فليس الشأن من كثرة العبادة لكن الشأن تصفية القلب من أدوائه الخبيثة.

الجنة». فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إذن نستكثر يارسول الله. قال: «الله أكثر وأطيب». رواه أحمد في "مسنده". «الله أكثر» فضلًا «وأطيب» جزاء.

الحديث الثامن والخمسون والمائة

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ليذْكُرَنَّ اللهَ أقوامٌ في الدنيا على الفُرُش المُمَهَّدَة يُدْخِلُهم الدرجات العلا**». رواه ابن حِبَّان.

«**على الفرش الممهدة**» الموَطَّأة، لأن ذكر الله لا يُشترط فيه أن يكون على فراش خشن، أو غير ممهد ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢].

الحديث التاسع والخمسون والمائة

عن زيد بن أرقم رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**من قال: لا إله إلا الله مخلصًا دخل الجنة**» قيل: وما إخلاصها؟[1] قال: «**أن تحجزه عن محارم الله**». رواه الطبرانيُّ في "الأوسط".

الحديث الستون والمائة

عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**مَن قال: لا إله إلا الله وَحْدَهُ لا شريكَ له، له المُلْكُ وله الحَمْدُ يُحيي ويُميتُ وهو الحيُّ الذي لا يموتُ بيده الخيرُ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ. لا**

---

(١) أي: ما علامة إخلاصها؟

يُريدُ بها إلَّا وجهَ الله أدخله اللهُ بها جنَّاتِ النَّعيمِ». رواه الطبرانيُّ في "الكبير".

الحديث الحادي والستون والمائة

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ ليُدْخِلُ بلُقْمَةِ الخُبْزِ وقبصة التَّمْرِ -ومثله مما ينتفع به المسكين- ثلاثةً الجنة: ربَّ البيتِ الآمِرَ به، والزَّوجَةَ تُصْلِحُهُ، والخادمَ الذي يُناول المسكين». رواه الطبرانيُّ في "الأوسط" والحاكم.

القبصة، بفتح القاف وضمها وبالصاد المهملة: ما يتناوله الآخذ برؤوس أصابعه.

الحديث الثاني والستون والمائة

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «مَن أطعمَ مُؤمنًا حتَّى يُشْبِعَهُ مِن سَغَبٍ أَدْخَلَهُ اللهُ بابًا مِن أبوابِ الجنَّةِ لا يَدْخُلُهُ إلَّا مَن كانَ مِثْلُهُ». رواه الطبرانيُّ في "الكبير".

«سغب»: بفتح السين والغين المعجمة: جوع.

«لا يدخله إلا من كان مثله»: معنى هذا أن للجنة بابًا لا يدخل منه إلا مطعم المؤمن الجائع. وهذا كما أن للصائمين بابًا خاصًا بهم، وللذاكرين بابًا كذلك.

الحديث الثالث والستون والمائة

عن أمِّ سلمة رضي الله عنها، عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «صَنائِعُ المَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ، والصَّدَقَةُ خَفِيًّا تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ تَزيدُ في العُمْرِ، وكلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وأهلُ المَعْروفِ في الدُّنيا هم

أهلُ المَعْروفِ في الآخِرَةِ، وأهل المُنكَرِ في الدُّنيا هم أهلُ المُنكَرِ في الآخِرَةِ، وأوَّلُ مَن يدخُلُ الجنَّةَ أهلُ المَعْروفِ». رواه الطبرانيُّ في "الأوسط".

«**تقي مصارع السوء**»: فصانع المعروف لا يصاب بسوء.

«**والصدقة خفيًا**» سرًّا «**تطفئ غضب الرب**»: أي جهنم لأنها مظهر غضب الله على العصاة من عباده.

وفي الصحيحين في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله «**ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه**». لأن إخفاء الصدقة أبعد عن الرياء وأقرب إلى الإخلاص وأحفظ لكرامة الفقير.

«**تزيد في العمر**» الزيادة في العمر يحتمل أن يكون معناها وضع البركة في عمر واصل رحمه فيتيسر له من الأعمال النافعة في حياته ما يوازي عمرًا طويلًا، و يحتمل أن يكون معناها بقاء ذكراه الحسنة وثناء الناس عليه، والذكرى عمر للإنسان، ويحتمل أن يكون معناها أن الجنين في بطن أمه يكلف الله الملك الموكل بكتب رزقه وأجله وعمله: أن يكتب عمره ثمانين سنة إن وصل رحمه وخمسين إن لم يصلها، أو أن الله تعالى يظهر لملك الموت في اللوح المحفوظ أقصر العمرين، فإذا جاءت ساعة تنفيذه. قيل له: قد زيد في عمره كذا وكذا سنة لأنه وصل رحمه.

«**هم أهل المعروف في الآخرة**»: يعرفهم أهل الموقف بحسن حالهم، وما يعلوهم من نور وبهاء.

«**هم أهل المنكر في الآخرة**»: يعرفون هناك بقبح حالهم وما يغشاهم من

علامات العذاب.

«**وأول من يدخل الجنة**» بعد الذين يدخلونها بغير حساب «**أهل المعروف**» يدخلونها جماعات، كالمتوكلين لأن هؤلاء وكلوا أمورهم لله وأولئك نفعوا عباد الله.

الحديث الرابع والستون والمائة

عن جابر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه نَشَرَ اللهُ عليه كَنَفَهُ وأَدْخَلَهُ جَنَّتَهُ: رِفْقٌ بالضَّعيفِ، وشَفَقَةٌ على الوالِدين، وإحسانٌ إلى المملوك**». رواه الترمذيُّ.

«**رفق بالضعيف**»: كالطفل اليتيم والشيخ الهرم والمرأة العجوز. «**وشفقة على الوالدين**» إكرامًا لهما وعرفانًا لجميلهما. «**وإحسان إلى المملوك**» في معاملته، ومن الإحسان إليه إعتاقه، بل هو أعظم إحسان وأفضله فإن انضم إليه إمداده بما يصلح شأنه ويقيم أوده كان إحسانًا مضاعفًا وثوابه عند الله عظيم. قال تعالى: ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾[الرحمن: ٦٠].

الحديث الخامس والستون والمائة

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن صَامَ الأربعاء والخميس والجُمُعَةَ بنى الله له بيتًا في الجنَّةِ يُرَى ظاهِرُهُ مِن باطِنِهِ وباطِنُهُ مِن ظاهِرِهِ**». رواه الطبرانيُّ في "الأوسط"، ورواه في "الكبير" من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

يوم الخميس تعرض فيه الأعمال فينبغي للمسلم أن يعرض عمله وهو

صائم كما قال النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في صوم شعبان: «**هو شهر ترفع فيه الأعمال فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم**»، وأما صوم الأربعاء والجمعة، فلأجل يوم الخميس، حتى يكون يوم العرض بين صومين، واختير الصوم ليوم العرض لأنه يستغرق اليوم من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ففي أي ساعة منه حصل عرض العمل كان صاحبه متلبسًا بعبادة الصوم.

الحديث السادس والستون والمائة

عن معاذ بن جبلٍ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن أحيا الليالي الخمسَ وجَبَتْ له الجنَّةُ: ليلةَ التَّروِيَةِ، وليلةَ عَرَفَةَ، وليلةَ النَّحْرِ، وليلةَ الفِطْرِ، وليلةَ النِّصْفِ مِن شعبانَ**». رواه الأصبهانيُّ في "الترغيب".

«**ليلة التروية**» أي يوم التروية، وهو اليوم الثامن من ذي الحجة، سمي بذلك لأنهم كانوا يرتوون فيه من الماء لما بعده.

«**وليلة النصف من شعبان**» انظر كتابنا "حسن البيان في ليلة النصف من شعبان" فقد استوفى ما ورد فيها مع نقدٍ وتفصيلٍ.

الحديث السابع والستون والمائة

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن خرجَ في هذا الوجه لَحجٍّ أو عُمْرَةٍ فماتَ فيه لم يُعْرَضْ ولم يُحاسَبْ وقِيل له: ادخلْ الجنَّةَ**». رواه أبو يعلى والطبرانيُّ والدارقطني والبيهقيُّ.

هذا النوع يضاف إلى الشهداء والمتوكلين والورعين، في دخول الجنة بغير

حساب.

الحديث الثامن والستون والمائة

عن جابر رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ هذا البيتَ دِعامَةٌ مِن دعائم الإسلام فمَن حَجَّ البيتَ أو اعْتَمَرَ فهو ضامِنٌ على الله، فإن ماتَ أَدْخَلَهُ اللهُ الجنَّةَ، وإن رَدَّهُ إلى أهله رَدَّهُ بأجْرٍ وغَنِيمَةٍ**». رواه الطبرانيُّ في "الأوسط".

«**دِعامة**»: بكسر الدال. «**مِن دعائم الإسلام**»: الخمس. والأربعة الباقية: الشهادة والصلاة والصوم والزكاة. «**رده بأجر وغنيمة**»: أما الأجر فهو ثواب أعمال الحج والإنفاق فيه، وأما الغنيمة فهي ما يستفيده من معرفة العلماء والفضلاء، ومن فوائد مادية كالتحف والهدايا الثمينة.

الحديث التاسع والستون والمائة

عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**الأعمال عند الله عزَّ وجلَّ سبعٌ: عَمَلان مُوجِبان، وعَمَلان بأمثالهما، وعَمَلٌ بعشر أمثاله، وعَمَلٌ بسبعمائة، وعَمَلٌ لا يعلمُ ثوابَ عامِلِهِ إلا اللهُ عزَّ وجلَّ. فأمَّا المُوجِبان: فمَن لَقِيَ اللهَ يَعْبُدُه مُخلصًا لا يُشْرِكُ به شيئًا وَجَبتْ له الجنَّةُ، ومَن لَقِيَ اللهَ قد أَشْرَكَ به وَجَبَتْ له النَّارُ. ومَن عَمِلَ سَيِّئَةً جُزِيَ مثلها، ومَن أراد أن يَعْمَلَ حَسَنَةً فلم يَعْمَلْها جُزِيَ مثلها. ومَن عمل حَسَنةً جُزِيَ عشرًا. ومَن أنفقَ مالَهُ في سبيل الله ضُعِّفَتْ له نَفَقَتُهُ، الدِّرهم بسبعمائة درهمٍ**

والدِّينار بسبعمائة. والصّيام لا يعلمُ ثوابَ عامِلِهِ إلَّا اللهُ عزَّ وجلَّ». رواه الطبرانيُّ في "الأوسط" والبيهقي.

الحديث السبعون والمائة

عن ابن عمر أيضًا رضي الله عنهما، أنَّ رجلًا من الحبشة أتى النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: يا رسول الله فضلتم علينا بالألوان والنبوة، أفرأيتَ إن آمنتُ بمثل ما آمنتَ به وعملتُ بمثل ما عملتَ به إني لكائنٌ معك في الجنَّةِ؟ فقال النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «نعم». ثُمَّ قال النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن قال: لا إله إلَّا الله كان له بها عَهْدٌ عند الله، ومَن قال: سبحان الله كتب له مائة ألف حسنةٍ**». فقال رجلٌ: يا رسول الله كيف نهلك بعد هذا؟ فقال النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**والذي نَفْسي بيَدِهِ إنَّ الرَّجُلَ ليَجيء يومَ القِيامَةِ بعَمَلٍ لو وُضِعَ على جَبَلٍ لأثقله فتقوم النِّعْمَةُ مِن نِعَمِ الله فتكاد تستنفذ ذلك كلَّه لولا ما يتفضَّل الله مِن رَحْمَتِهِ**». ثم نزلت: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾ إلى قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ثَمَّ رَأَيۡتَ نَعِيمٗا وَمُلۡكٗا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ١-٢٠]. فقال الحبشي: يا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وهل ترى عيني في الجنة مثل ما ترى عينك؟ فقال النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «نعم». فبكى الحبشي حتى فاضت نفسه. قال ابن عمر: فأنا رأيت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، يدليه في حفرته. رواه الطبراني في "الكبير".

«فُضِّلتم علينا بالألوان»: يفيد فضل اللون الأبيض على الأسود.

«والنبوة»: يفيد أن الحبشة لم يكن فيها نبي. ويؤيده حديث: «**سابق الحبشة بلال**» ولقمان كان نوبيًا وكان حكيمًا بنص القرآن، ومن قال بنبوته أخطأ وأبعد عن الصواب. «**كان له بها عهد عند الله**» أن يدخله الجنة.

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ أي قد أتى على آدم ﴿ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ أربعون سنة وهو جسم من طين لا حياة فيه. وافتتاح هذه السورة ببيان أصل نشأة الإنسان، ثم الإفاضة في وصف نعيم الأبرار الطائعين[1]، واختتامها بإبعاد الظالمين الكافرين؛ للإشارة إلى أن النوع البشري أبيضه وأسوده يرجع في أصله إلى شخص واحد خلق من طين، وأن الله تعالى لا ينظر إلى الصور والألوان وإنما ينظر إلى الأخلاق والأعمال، فنزول السورة مناسب لحال الحبشي وجواب عن سؤاله.

فاضت: بالضاد المعجمة، وبالظاء المشالة، لغتان: أي مات.

الحديث الحادي والسبعون والمائة

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أتي بفرس يجعل كل خطو منه أقصى بصره، فسار وسار معه جبريل عله السلام. وذكر حكاية النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لما شاهده ليلة الإسراء، في حديث طويل جاء فيه: ثم أتى النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على وادٍ، فوجد ريحًا

---

(١) ذكرت السورة من أعمال الأبرار عملين: الوفاء بالنذر، إطعام الطعام؛ إشارة إلى أنهم قاموا بحق الله حيث وفوا بالنذر إذ النذر عبادة من الله ونفعوا أضعف عباد الله بإطعامهم المسكين واليتيم والأسير، وذلك منتهى البر.

طيبة، ووجد ريح مسك مع صوت. فقال: «ما هذا؟ قال: صوتُ الجنَّةِ تقول: يا ربِّ ائتنى بأهلي وبما وَعَدْتَني، فقد كَثُرَ غَرْسي وحَريري وسُندسي وإستبرقي وعَبْقَريي ومُرجاني وفِضَّتي وذَهَبي وأكوابي وصِحافي وأباريقي وفَواكهي وعَسَلي وثِيابي ولَبَني وخَمْري، ائتني بما وَعَدْتَني». فقال: «لك كلُّ مسلمٍ ومسلمةٍ ومؤمنٍ ومؤمنةٍ، ومَن آمنَ بي وبرُسُلي وعَمِلَ صالحًا ولم يُشْرِكْ بي شيئًا ولم يتخذ مِن دُوني أندادًا فهو آمِنٌ، ومَن سألني أعطيتُه ومَن أقرضنى جزيتُه ومَن توكَّل عليَّ كفيتُه، وإنِّى أنا الله لا إله إلا أنا، لا خُلْفَ لميعادي، قد أفلح المؤمنون، تبارك الله أحسن الخالقين، فقالت: قد رضيتُ». الحديث، رواه البزَّار في "مسنده".

«أتي بفرس»: هو البراق. «ومن آمن بي» مَنْ اسم شرط، وآمن فعل الشرط، جوابه جملة: «فهو آمن» أي من فزع يوم القيامة. «ومن أقرضني»: أي أنفق في وجوه الخير. «أحسن الخالقين»: أي المقدرين.

الحديث الثاني والسبعون والمائة

عن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «إنَّ العَبْدَ إذا وُضِعَ في قَبْرِه وتولَّى عنه أصحابُه وإنه ليَسْمَعُ قَرْعَ نِعالِهِم إذا انصرفوا أتاه مَلَكان فيُقْعِدانِهِ فيقولان له: ما كنتَ تَعْبُدُ؟ فإن هداه الله قال: كنتُ أعبدُ اللهَ فيقولون له: ما كنت تقولُ في هذا الرَّجل؟ فيقول: هو عبد الله ورسوله. فما يسأل عن شيءٍ بعدها، فينطلق به إلى بيتٍ كان له في النَّار فيُقالُ: هذا كان لك ولكن الله عَصَمَكَ فأبْدَلَكَ به بيتًا في الجنَّةِ فيَراه. فيقول: دعونى حتَّي أذهبَ

فأُبَشِّرَ أهلي، فيقال له: اسْكُنْ». الحديث، رواه الشيخان وأبو داود وغيرهم.

«**أتاه ملكان**» اسمهما: «منكر ونكير» كما ثبت في أحاديث كثيرة يسألان المؤمن والكافر يأتيان المؤمن في صورة حسنة فيقال لهما حينئذ: «مبشر وبشير» ويأتيان الكافر في صورة قبيحة. «**فيقعدانه**» حيث تعود الروح إلى نصفه الأعلى، فيكون كمن به شلل نصفي. «**فإن**» حرف شرط ونونه مكسورة لإلتقاء الساكنين «**الله**» مرفوع فاعل لفعل الشرط المحذوف، يفسره «**هداه**».

«**في هذا الرجل**» هو النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وظاهر الإشارة يقتضي أنه يحضر معهما، ولا مانع من ذلك، ويجوز أن تكون الإشارة للعهد «**هذا كان لك**» لو كفرت «**ولكن الله عصمك**» منه بإيمانك «**فأبدلك به بيتًا في الجنة**» لأن المسلم مآله إليها «**فيراه**» أي يرى بيته في الجنة.

الحديث الثالث والسبعون والمائة

عن أم مبشر الأنصاري رضي الله عنها، أنها سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول عند حفصة رضي الله عنها: «**لا يَدْخُلُ النَّارَ إن شاء الله مِن أهلِ الشَّجَرَةِ أحدٌ مِن الذين بايعوا تحتها**». قالت: بلى يا رسول الله. فانتهرها، فقالت حفصة: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١] فقال النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «قد قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم: ٧٢]». رواه مسلمٌ وابن ماجه.

«**من الذين بايعوا تحت الشجرة**» ذكر الله هذه البيعة في (سورة الفتح)، فقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ [الفتح:

١٨] أخبر برضاه عنهم، فهم من أهل الجنة.

«**وإن منكم إلا واردها**»: أي داخلها. هكذا فهمت حفصة الآية، وأقرَّها النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حيث استدل بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾، فسلم فهمها للورود بالدخول، وبين لها ببقية الآية انهم لا يمكثون فيها ولا يعذبون بها. وحينئذ فيكون معنى قوله عليه الصلاة والسلام في أول الحديث: «**لا يدخل النار من أهل الشجرة أحد**»: أنه لا يدخلها للعذاب، كما يدخلها العصاة والفساق، وإن كان يدخلها مارًا بها فذلك ليس بعذاب.

الحديث الرابع والسبعون والمائة

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**من سأل الله الجنة ثلاث مرات قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة، ومن استجار من النار ثلاث مرات قالت النار: اللهم أجره من النار**». رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه، وصححه ابن حِبَّان والحاكم.

الحديث الخامس والسبعون والمائة

عن الحسن البصري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ بُدَلاءَ أُمَّتي لم يَدْخُلوا الجنَّةَ بكَثْرَةِ صَلاةٍ ولا صَوْمٍ ولا صَدَقَةٍ ولكن دَخَلُوها برَحْمَةِ الله وسَخاوَةِ الأَنْفُسِ وسَلامَةِ الصُّدُورِ**». رواه ابن أبي الدنيا في

كتاب "الأولياء"[١].

«**بدلاء أمتي**»: بدلاء جمع بديل وأبدال جمع بدل، وهم طائفة من الأولياء عدتهم أربعون في كل عصر كلما مات شخص منهم أبدل الله مكانه آخر. كان منهم الإمام الشافعي، وحماد بن سلمة، وغيرهما[٢].

«**دخلوها برحمة الله**»: لهم، أو برحمة الله التي وضعها في قلوبهم يرحمون بها الناس.

«**وسخاوة الأنفس**»: منهم، فإذا أعطوا شيئًا قليلًا كان أو كثيرًا لم تتبعه نفوسهم، ولو عاد إليهم، لم يقبلوه.

«**وسلامة الصدور**»: من الغل والحقد والحسد، فهم على قدم سعد بن مالك الذي قال عنه النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنه من أهل الجنة وتقدم حديثه قريبًا، وهو الحديث الخامس والخمسون والمائة.

الحديث السادس والسبعون والمائة

عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يَدْخُلُ مِن أهلِ هذه القِبْلَةِ النَّارَ مَن لا يُحصي عَدَدَهُم إلَّا الله**

---

(١) وروي الطبرانيُّ في "الأجواد" وابن لال في "مكارم الأخلاق" عن أنسٍ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ بُدَلاء أُمَّتي لم يَدْخُلوا الجنَّةَ بصَلاةٍ ولا صِيامٍ ولكن دَخَلُوها بسخاوَةِ الأنْفُسِ وسَلامَةِ الصّدورِ والنُّصْحِ للمسلمين**».

(٢) كثيرًا ما يقول البخاري في "تاريخه" في ترجمة حافظ أو عالم: «كانوا لا يشكون أنه من الأبدال».

بما عَصَوا الله واجترؤا على معصيته وخالفوا طاعته، فيؤذن لي في الشفاعة فأثني على الله ساجدًا كما أثني عليه قائمًا، فيقال لي: ارْفَعْ رأسكَ، وسَلْ تُعْطَهْ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ». رواه الطبرانيُّ وإسناده حسنٌ.

«**من أهل هذه القبلة**»: هي الكعبة، وأهلها هم المسلمون.

«**واشفع**»: بفتح الفاء. «**تُشَفَّع**»: بضم التاء وفتح الشين والفاء المشددة: أي تقبل شفاعتك. والذي يجب اعتقاده -حسبما تقرر في علم التوحيد- أنه لا بد أن يدخل النار جماعة من عصاة المسلمين بأنواع المعاصي المختلفة تنفيذًا للوعيد الوارد في القرآن والحديث، ثم يخرجون منها بشفاعة النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وشفاعة الصالحين ثم بمجرد رحمة الله تعالى، ولا يبقى في النار أحد من العصاة بعد أخذ حظه من العذاب الذي عوقب به. وورد في حديث ضعيف: أن أقصى ما يمكث المسلم العاصي في النار سبعة آلاف سنة. وهو أسبوع من أيام الآخرة.

الحديث السابع والسبعون والمائة

عن أنس رضي الله عنه، قال: حدثني رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنِّي لقائمٌ انتظرُ أُمَّتي تَعْبُرُ إذ جاء عيسى عليه السَّلام، فقال: هذه الأنبياء قد جاءتك يا محمَّدُ يجتمعون إليك يدعون الله أن يُفرِّق بين جمع الأمم إلى حيث يشاء لعظم ما هم فيه، فالخَلْقُ مُلَجَّمُون في العَرَق فأمَّا المؤمِن فهو عليه كالزكمة وأما الكافر فيتغشَّاه الموت. قال: يا عيسى انتظر حتى أرجع، قال: وذهب نبيُّ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقام تحت العرش. فلقي ما لم يَلْقَ**

مَلَكٌ مُصْطَفَى ولا نبيٌّ مُرسَلٌ، فأوحى الله إلى جبريل عليه السَّلام: أن اذهبْ إلى محمَّدٍ فقل له: ارْفَعْ رأسَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، واشْفَعْ تُشَفَّع. قال: فشفعتُ في أمَّتي: أن أخرج مِن كلِّ تسعة وتسعين إنسانًا واحدًا. قال: فما زلت أتردَّد على ربِّي فلا أقوم مقامًا إلَّا شفعتُ حتَّى أعطاني الله من ذلك أن قال: أن أدخل من أمَّتك مَن شَهِدَ أن لا إله إلَّا الله يومًا واحدًا مُخلصًا ومات على ذلك». رواه أحمد بإسنادٍ صحيحٍ.

«أنتظر أمتي تعبر»: الصراط. «هذه الأنبياء قد جاءتك يا محمد»: لعلمهم بمنزلتك من الله، وقربك لديه.

«فيتغشاه الموت»: لكن لا يموت. «فقل له ارفع رأسك»: لأنه كان ساجدًا كما ثبت في حديث الصحيحين. «سل تعطه»: الهاء ساكنة وهي هاء السكت، وليست مفعولًا به. «تُشَفَّع»: بضم التاء وتشديد الفاء المفتوحة: تقبل شفاعتك. «فشفعت»: بضم الشين وكسر الفاء المشددة: قُبِلت شفاعتي. «أن أخرج»: يا محمَّد. «من كل تسعة وتسعين إنسانًا»: للنار. «واحدًا»: مفعول لأخرج وهذا الواحد هو الذي يدخل الجنة من تسعة وتسعين.

«فما زلت أتردد على ربي»: أن يقبل شفاعتي في التسعة والتسعين الذاهبين إلى النار من العصاة. «فلا أقوم مقامًا إلا شفعت»: بالبناء للمجهول: أي إلا قبلت شفاعتي. «أدخل»: الجنة. «من أمتك»: أمة الإجابة؛ وهم الذين شهدوا لله بالتوحيد، ولنبيه بالرسالة.

الحديث الثامن والسبعون والمائة

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سألت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قلت: يارسول الله، ماذا رد ربك إليك في الشفاعة؟ قال: «**والذي نَفْسُ محمَّدٍ بيَدِهِ لقد ظننتُ أنَّكَ أوَّلُ مَن يسألني عن ذلك مِن أُمَّتى لما رأيتُ مِن حِرْصِكِ على العِلْمِ، والذي نَفْسُ محمَّدٍ بيَدِهِ لما يُهِمُّني مِن انقِصَافِهِم على أبواب الجنة أهم عندي من تمام شفاعتي لهم، وشفاعتى لمن شهد أن لا إله إلَّا الله مُخلصًا وأنَّ محمدًا رسول الله يُصَدِّق لسانُه قَلْبَهُ وقَلْبُهُ لِسَانَهُ**». رواه أحمد، وصحَّحه ابن حِبَّان.

«**من انقصافهم**»: أي ازدحامهم «**على أبواب الجنة**». والمعنى أن ازدحام الأمة على أبواب الجنة ودخولهم لها بطاعتهم، أهم عند النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من شفاعته لهم، وهذا من شدة حرصه على أمته وحب الخير لهم بحيث يصلون في الطاعة والتقوى إلى درجة لا يحتاجون معها إلى شفاعة. «**يصدق لسانه**» بالضم؛ فاعل. «**قلبه**» بالنصب؛ مفعول. «**وقلبه**»: مرفوع. «**لسانه**»: منصوب.

الحديث التاسع والسبعون والمائة

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**خُيِّرْتُ بين الشَّفاعَةِ أو يدخل نصف أُمَّتي الجنَّة، فاخترتُ الشَّفاعَةَ؛ لأنها أَعَمُّ وأَكْفَى، أما أنها ليست للمؤمنين المتقين ولكنها للمُذْنبين الخطائين المُتلَوِّثين**». رواه أحمد والطبرانيُّ بإسنادٍ جيِّدٍ، ورواه ابن ماجه من حديث أبي موسى الأشعري.

«المتقين» من التقوى، ومن قرأه «المتقدمين» وفسره بالسلف الصالح، فقد صحَّف وأطْرَف.

ويشبه في ذلك ما حكاه ابن الجوزي في "أخبار الحمقى والمغفلين": أن رجلًا مغفلًا قرأ: ولله «ميزاب» السموات والأرض. يعني ميراث.

فأراد الإمام الشافعي أن ينبهه إلى خطئه بأسلوب لطيف فسأله: ما معنى ميزاب؟ فأجاب: هذه الميازيب التي ينزل منها المطر. فقال الشافعي: لا يكون تصحيف إلا بتفسير!!

«**المتلوِّثين**»: بالمعاصي والآثام.

الحديث الثمانون والمائة

عن صهيب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا دخل أهلُ الجنةِ الجنةَ يقول اللهُ عزَّ وجلَّ: تريدون شيئًا أزيدُكم؟ فيقولون: ألم تبيِّضْ وجوهَنا؟! ألم تدخلْنا الجنَّة وتُنْجِنا من النار؟! فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئًا أحبَّ إليهم من النظر إلى ربهم**». ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا

ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَـادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦] رواه مسلم والترمذي والنسائي.

«**تريدون شيئًا أزيدكم؟**»: هذا السؤال تمهيد لأفضل نعمة ينعم بها عليهم، وهي كشف الحجاب عنهم حتىٰ يروه. ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ﴾ بطاعة الله وتقواه ﴿ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ الجنة ﴿وَزِيَـادَةٌ ﴾ هي النظر إلىٰ وجه الله الكريم.

متعنا الله بالنظر إليه في جنات النعيم، وأماتنا علىٰ دينه القويم، وجعلنا مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

الخاتمة

في آيات رتبت دخول الجنة على التقوى والعمل الصالح

بعد إذ انتهيت من تأليف الكتاب، ظهر لي أن أختمه بالآيات التي رتبت دخول الجنة على التقوى والعمل الصالح، لتكون مؤيدة للأحاديث السابقة وداعمة لها، وها هي ذه:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢٥].

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٨٢].

﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ١٥].

﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٦].

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴾ [آل عمران: ١٩٥ - ١٩٨].

﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [النساء: ١٣].

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴾ [النساء: ٥٧].

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٢].

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [النساء: ١٢٤].

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ [النساء: ١٧٥].

﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة: ١٢].

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [المائدة: ٦٥].

﴿ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة: ٨٥].

﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٩].

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ٤٢-٤٣].

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ

وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [التوبة: ٢٠ - ٢٢].

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ٧٢].

﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ٨٨ - ٨٩].

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١١١].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ

وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [يونس: ٩ - ١٠].

﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [يونس: ٢٦].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [هود: ٢٣].

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [هود: ١٠٨].

﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد: ٢٢ - ٢٤].

﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴾ [الرعد: ٣٥].

﴿ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾ [إبراهيم: ٢٣].

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ [الحجر: ٤٥ - ٤٨].

﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٣٠ - ٣٢].

﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴾ [الكهف: ٢ - ٣].

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف: ٣٠ - ٣١].

﴿ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾ [الكهف: ٨٨].

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾ [الكهف: ١٠٧ - ١٠٨].

﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾ [مريم: ٦٠ - ٦٣].

﴿ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ [طه: ٧٥ - ٧٦].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠١ - ١٠٣].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [الحج: ١٤].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ [الحج: ٢٣].

﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [الحج: ٥٦].

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [المؤمنون: ١ - ١١].

﴿ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴾ [الفرقان: ١٥ - ١٦].

﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٤ - ٧٦].

﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الشعراء: ٩٠].

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٥٨ - ٥٩].

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾ [الروم: ١٥].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [لقمان: ٨ - ٩].

﴿ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٩].

﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾ [سبأ: ٣٧].

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ [فاطر: ٣٢ - ٣٣].

﴿ إِنِّي ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ [يس: ٢٥ – ٢٧].

﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾ [الصافات: ٤٠ – ٤٩].

﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾ [ص: ٤٩ – ٥٤].

﴿ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ [الزمر: ٢٠].

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ [الزمر: ٧٣].

﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [غافر: ٧ – ٨].

﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ

وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [غافر: ٤٠].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ [فصلت: ٣٠ – ٣٢].

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [الزخرف: ٦٩ – ٧٣].

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴾ [الدخان: ٥١ – ٥٥].

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِۦ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [الجاثية: ٣٠].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأحقاف: ١٣ – ١٤].

﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي

سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾ [محمد: ٤ – ٦].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ [محمد: ١٢].

﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾ [محمد: ١٥].

﴿ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح: ٥].

﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الفتح: ١٦].

﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ [ق: ٣١ – ٣٥].

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴾ [الذاريات: ١٥ – ١٦].

﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ [النجم: ١٧ – ٢٠].

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴾ [القمر: ٥٤- ٥٥]

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن: ٤٦].

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [الواقعة: ١٠- ١٢].

﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾ [الواقعة: ٨٨ - ٨٩].

﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [الحديد: ١٢].

﴿ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الحديد: ٢١].

﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة: ٢٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [الصف: ١٠ - ١٢].

﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ

وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التغابن: ٩].

﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التغابن: ٩].

﴿ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴾ [الطلاق: ١١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التحريم: ٨].

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [القلم: ٣٤].

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾ [الحاقة: ١٩ – ٢٤].

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴾ [المعارج: ٣٤ – ٣٥].

﴿ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [المدثر: ٣٨ – ٤١].

﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴾ [الإنسان: ٩ – ١٤].

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [المرسلات: ٤١ – ٤٤].

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴾ [النبأ: ٣١ – ٣٦].

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات: ٤٠ – ٤١].

﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴾ [الانفطار: ١٣].

﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ [المطففين: ٢٢ – ٢٨].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [البروج: ١١].

﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾ [الفجر: ٢٧ – ٣٠].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴾ [البينة: ٧ - ٨].

والحمد لله في البدء والخِتامِ والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّدٍ خير الأنام ورضي الله عن آله نجوم الهدىٰ ومصابيح الظلام.

وقع الفراغ من كتابته ليلة الخميس الثاني عشر من شهر ذي الحجَّة الحرام سنة ست وثمانين وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية الشريفة بخطِّ ناسخه محمَّد عمر عمر التومي عافاه الله ووفَّقه.

٥- الأحاديثُ المُخْتَارَةُ في الأَخْلاقِ والآدَابِ المُسمَّى: «الغَرائِبُ والوِحْدَان»

هــذا كِتــابٌ فيــه جَــمٌّ فَوَائــدٍ يَهْدي إلى الخُلُقِ الكَـرِيمِ الفَاضِـلِ
فـاحْفَظْ فوائِـدَه وأَوْعِـبْ جَمْعهـا واعمـل بهـا تَسْـعَدْ بفـوزٍ عاجِـلِ
واطلُــبْ لكاتبِــهِ صــلاحَ مآلِــهِ وعُمُــومَ مَغْفَــرةٍ بعَفْــوٍ هاطِــلِ
واللهَ أرجــو أن يُجيــبَ سُــؤْلَنَا فهـو المُجيـبُ لكـلِّ عبـدٍ سـائلِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الأحد الواحد، الغنيِّ الماجِد، أحمدُه مُستزيدًا نِعمَهُ، وأشكره مُستدفعًا نِقَمَهُ، وأشهد أن لا إله إلَّا الله فردٌ في أحديَّته، وعزٌّ في فرديَّته، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّدًا عبده ورسوله، بعثه لهداية الأمَّة، فكشف عن عقولها كلَّ ظُلْمَةٍ، وأزاح عنها كلَّ غُمَّةٍ، صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، صلاةً وسلامًا دائمين إلي يوم الدين، ورضي الله عن آله الأطهار، وصحابته الأبرار.

أمَّا بعد: فهذا كتابٌ جمعتُ فيه بعض الأحاديث التي رُويت في أجزاء غريبةٍ، أو روىٰ حديثًا منها صحابيٌّ ولم يروِ غيره، وجعلته امتحانًا للمشتغلين بعلم الحديث النبويِّ الشريف، يمتحنون به قوة ذاكرتهم، ويعرفون منه مقدار اطِّلاعهم علي كتب الحديث وأجزائه المفردة، فهو مثل باب «الإخبار بالذي والألف واللام» الذي وضعه النحويون في كتب النحو لاختبار ذكاء الطالب، ومعرفة قوة ملاحظته، وسميته: "الأحاديث المختارة في الأخلاق والآداب" المسمَّىٰ "الغرائب والوِحْدَان".

ولا شك أنَّ الاطِّلاع علي كتب الحديث وأجزائه يُفيد المحدِّث فوائد كثيرةً:

منها: معرفة بعض الأحاديث التي يظنُّ بعض الناس أو جُلُّهم أنها لا أصل لها، مثل حديث: «**ومَن لَغا فلا جُمُعة له**». وقع السؤال عنه عندنا بالمغرب: هل رواه أحدٌ من أصحاب الكتب المسندة؟ وما رتبته[1]؟

---

(١) سبب السؤال عنه أنَّ العادة جرت في المغرب إذا جلس الخطيب علي المنبر يوم

وألَّف فيه الشيخ عبدالحي الكتاني رسالة سمَّاها: "عقد اليواقيت والزبرجد في أنَّ حديث: «**ومَن لغا فلا جمعة له**» مما نقب عنه في الأخبار ولم يوجد"، جزم فيها بأنه لا أصل له معتمدًا على أنَّ الكتب المشهورة لم تذكره ولم تُعرِّج عليه وأطال في عدِّ تلك الكتب مع بيان المخطوط منها والمطبوع.

ثُمَّ وجدنا الحديث مسندًا من حديث ابن عباسٍ[1] بلفظه المسؤل عنه في "تاريخ واسط" للحافظ أسلم بن سهل الواسطيِّ الملقَّب ببحشل، أحد شيوخ الطبرانيِّ. وهو كتابٌ غريبٌ لم يقف عليه الكتاني، ولو وقف عليه لما كتب رسالته السابقة، ولما أكثر فيها من ذكر الكتب التي راجعها لأجل ذلك الحديث.

ومثل جملة: «**وإذا كانت حاجة فافعل مثل ذلك**» في حديث توسل الضَّرير

الجمعة، وأذَّن المؤذِّنون الثلاثة علي المنارة، وقف المُبلِّغ علي دكَّةٍ أمام المنبر، وقال بصوت فيه تطريب: اللهم صلِّ وسلِّم وبارك وأنعم وتفضل علي سيِّدنا محمَّدٍ الذي كان إذاتكلَّم كفى، وإذا عاهد وَفَى، وإذا صاحب صفا. ويستمر في ذكرمثل هذه الصِّفات النبوية، ثُمَّ يقول: روى إمامنا مالكٌ، عن أبي الزِّناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّي الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا قلت لصاحبك أنصت والإمام يخطب يوم الجمة فقد لغوت**». وفي حديثٍ آخر: «**ومَن لَغَا فلا جمعة له**». أنصتوا رحمكم الله. ثلاث مرات، ثُمَّ يقعد، ويقوم الإمام.

(١) وفي سنده مجالد بن سعيد الهمداني، وهو وإن ضعَّفه يحيي بن سعيد، والدارقطني، فقد وثَّقه النَّسائيُّ، وروى له مسلمٌ مقرونًا، وقال الذهبيُّ في جزء "الدينار من حديث المشايخ الكبار": «حديثه حسنٌ».

حين علمه النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أن يُصلِّي ركعتين ويقول: «**اللهمَّ إني أسالك وأتوجَّه إليك بنبيِّك محمَّد نبيِّ الرحمة، يا محمَّد إني أتوجَّه بك إلى ربِّي في حاجتي هذه لتُقضى لي فشفِّعه في**». وجاء في بعض طُرُقه زيادة تلك الجملة، لكن لم تُروىٰ في "سنن الترمذيِّ"، و"ابن ماجه"، ولا في "عمل اليوم والليلة" للنَّسائيِّ، وابن السُّنِّي، ولا في "مستدرك الحاكم"، و"معجم الطبراني". فظنَّ الشيخ رشيد رضا أنها غير موجودةٍ وزعم وضعها، وتحدَّىٰ الشيخ الدجوي أن يأتيه بسندها إن كانت موجودةً[1].

واعتقد كثيرٌ من الناس أنها موضوعةٌ استنادًا لقول الشيخ رشيد، الذي كان في نظرهم من كبار المحدِّثين، ثُمَّ وجدتُها مُسندَةً في "تاريخ ابن أبي خيثمة" الحافظ المشهور، بإسنادٍ صحيحٍ، صحَّحه الحاكم علىٰ شرط البخاريِّ، وسلَّمه الذهبيُّ.

وقد ذكرتها بإسندها في كتاب "الرد المحكم المتين" وفي كتاب "مصباح الزجاجة في فوائد صلاة الحاجة".

ومنها: أن يكون الحديث الوارد في الكتب المشهورة يشتمل علي لفظٍ عامٍّ أو مُطلَقٍ أو مُجمَلٍ أو مُشكِلٍ، فتختلف أنظار العلماء في فهمه، ثُمَّ يتبيَّن بالاطِّلاع علي بعض طُرُقه في أحد تلك الأجزاء تخصيص عمومه، أوتقييد إطلاقه، أو بيان إجماله، أو توضيح إشكاله.

ومنها: تقوية الحديث بتعدُّد طُرُقه، أو دَفْعُ الغرابة والتفرُّد عنه.

---

(١) وذلك في مناظرةٍ بينهما علي صفحات مجلَّتي "المنار" و"الأزهر".

ومنها: معرفة سبب ورود الحديث مثل حديث: «**الأرواح جنودٌ مُجَنَّدةٌ**». رواه مسلمٌ في "صحيحه"، وجاء سبب وروده في كتاب "المزاح والمفاكهة" للزبير بن بكَّار[1].

ومنها غير ذلك ممَّا يظهر بالاطلاع على كتب الحديث.

وقد شرحت الأحاديث التي أوردتها في هذا الكتاب؛ ليكون الإنتفاع به عامًّا، لا يخصُّ طائفةً دون أخري، ولم أقصد فيه الاستيعاب وإنما ذكرت ما تيسَّر الوقوف عليه، وفيه كفايةٌ وبلاغٌ، واللهُ المسؤل أن يبلِّغنا من رضاه مطلوبنا، فهو حسبنا ونعم الوكيل.

---

(١) انظر آخر حديث في هذا الكتاب وهو الحديث الخمسون والمائة.

الحديث الأول

قال النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ائتِ المعروفَ، واجتنب المُنكرَ، وانظر ما يُعجبُ أُذُنَك أن يقولَ لك القومُ إذا قُمْتَ مِن عندهم فأتِهِ، وانظر الذي تَكْرهُ أن يقولَ لك القومُ إذا قمتَ من عندهم فاجْتَنِبْه**».

رواه البخاريُّ في "الأدب المفرد"، والبغويُّ في "المعجم"، والباورديُّ في "معرفة الصحابة" عن حرملة بن عبدالله بن أوس، ولم يروِ غيره.

«**ائتِ المعروفَ، واجتنب المُنكرَ**»: كلمتان جامعتان، فالمعروف: كل ما يُقرُّه الشرع من خيرٍ ينفع به المسلم نفسه كالصلاة، أو إخوانه كالصدقة، وإغاثة الملهوف.

والمنكر: كلُّ عملٍ لا يُقرُّه الشرع كالقمار، وشرب الخمر، وإيذاء الناس باليد أواللسان.

والمسلم لابدَّ له من هذين، لا غنى له عنهما، بإتيان المعروف يتحلَّى بمكارم الأخلاق وفضائل الأعمال، وباجتناب المنكر يتخلَّى عن المعاصي والرذائل.

«**وانظر ما يُعجبُ أُذُنَك أن يقولَ لك**» أي عنك «**القومُ إذا قُمْتَ مِن عندهم فأتِهِ**» فإذا بلغك عنهم أنهم يقولون عنك: فلانٌ عنده نجدة يغضي عن الحرمات، ولا يتتبَّع العوارت، ونحو هذا، فافعل ما أثنوا عليك به، فإنه من المعروف المطلوب فعله.

كان أبو حنيفة الإمام مارًّا في طريقٍ، فسمع صبيانًا يقول بعضهم لبعضٍ: هذا أبو حنيفة لا ينام الليلَ؛ فداوم على قيام الليل منذ تلك اللحظة.

«**وانظر الذي تَكْرهُ أن يقولَ لك**» أي عنك «**القومُ إذا قمتَ من عندهم**

فاجْتَنِبْه» فإذا بلغك أنهم يقولون عنك: فلان بخيلٌ، أوكذَّابٌ، أوحقودٌ، أو مخادعٌ، ونحو هذا فاجتب ما ذمُّوك به؛ لأنه من المنكر الواجب اجتنابه.

ويشترط في القوم الذين يُثنون عليك بمعروفٍ فتأتيه، أو يذمُّونك بمنكرٍ فتجتنبه: أن يكونوا أهل صلاحٍ وخُلُقٍ قويمٍ، ذوي معرفةٍ بما يُقرُّه الدِّين، وبما يُنكره. ومثل هؤلاء إذا أثنوا على ميت خيرًا وجبت له الجنَّة، وإذا أثنوا عليه شرًّا وجبت له النَّار، كما ثبت في الصحيح عن عمر رضي الله عنه.

وأغلب الناس اليوم الذين يستحسنون من الشخص أمورًا يُنكرها الدِّين لجهلم بأحكامه، ولانحراف أخلاقهم، فلا عبرة بثنائهم، ولا بذمِّهم لأنَّنا في زمنٍ صار فيه المعروف مُنكرًا، والمنكر معروفًا

الحديث الثاني

عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، قال: «**أبو بكرٍ وعمر منِّي بمنزلة السمع والبصر من الرأس**».

رواه أبو يعلى من طريق عبد المطلب بن عبدالله بن حنطب، عن أبيه، عن جدِّه، ولم يروِ غيره. قاله الحافظ ابن عبدالبر.

هذا الحديث يُفيد مزيَّة الشيخين رضي الله عنهما، ويُبين قرب منزلتهما من النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، بحيث إنه لايستغني عنهما، كما لا يستغني الرأس عن السمع والبصر، وتلك منزلةٌ عظيمةٌ تليق بما قدَّما لله ولرسوله من نصيحةٍ وإخلاصٍ، وبما بذلا في سبيل دينه من مالٍ وجهدٍ وجهادٍ، ويكفيهما شرفًا أنهما ضجيعا النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في روضته المطهَّرة.

الحديث الثالث

قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أُحدٌ جبلٌ يُحبُّنا ونُحبُّه**». رواه أحمد والضياء المقدسيُّ عن سويد بن عامرٍ الأنصاريِّ، ولم يروِ غيره.

«**أُحُدٌ**» بضمِّ الهمزة والحاء: جبلٌ بضواحي المدينة المنوَّرة، وقعت فيه الغزوة المشهورة بغزوة أُحُدٍ، وهي مذكورةٌ في القرآن، استشهد فيها حمزة رضي الله عنه، ونزل فيها جبريل وميكائيل فكانا علىٰ يمين النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وعن يساره يقاتلان عنه أشدَّ المقاتلة، رآهما سعد بن أبي وقَّاصٍ رضي الله عنه، ثبت ذلك في الصحيحين.

وجبل أُحُدٍ يحمل اسمه حروف الأحدية، ويضمُّ جوفه شهداء المسلمين الموحِّدين، فلا غَرْوَ أن كان يُحبُّ سيد الموحِّدين وصحبه الكرام كما أفاده الحديث[1].

ويوخذ منه قيام الحب بالجماد، ولا مانع من ذلك عقلًا، وقد ثبت في الحديث الصحيح: أنَّ النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أول ما جاءته الرسالة كان لا يمرُّ بحجرٍ ولا شجرٍ في مكَّة المكرَّمة إلَّا قال له: السَّلام عليك يا رسول. سمع ذلك عليُّ بن أبي طالبٍ كرَّم الله وجهه، فالذي أنطق الحجر قادرٌ أن يضع فيه الحبَّ أوالبغض.

---

(١) وروىٰ أحمد، والبخاريُّ، والترمذيُّ، وابن ماجه عن أنس بن مالكٍ -رضي لله عنه- قال: صعد النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وأبو بكر وعثمان رضي الله عنهم جبل أُحُدٍ، فرَجَفَ بهم فقال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**اثبت أُحُدُ؛ فإنما عليك نبيٌّ وصِدِّيق وشهيدان**». كانت رَجْفة أحدٍ هزَّة فرحٍ وسرورٍ بأكرم أهل الأرض.

الحديث الرابع

قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا أتاكم مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ ودينه فزوِّجُوه، إلَّا تفعلوا تكن فتنةٌ في الأرض وفسادٌ عَرِيضٌ**». رواه الترمذيُّ، والبيهقيُّ في سننيهما عن أبي حاتم المزنيِّ، ولم يروِ غيره.

«**إذا أتاكم مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ ودينه**» أي: إذا أتاكم شخصٌ يخطب منكم بنتًا لكم، يُريد أن يتزوَّجها، وكان مستقيم الخُلُق، متين الدِّين، فأجيبوا طلبه وزوِّجوه.

ويؤخذ منه أنَّ الكفاءة في الزواج تُعتبر بالدين، والخُلُق، لا بالمال ولا بالحسب، وقد زوَّج النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بنت عمَّته زينب بنت جحش لمولاه زيد، ولم يُطلِّقها إلَّا لتعاليها عليه بنسبها وحسبها.

«**إلَّا تفعلوا**» بأن لم تزوِّجوه «**تكن فتنةٌ في الأرض**» بمنع الكُفْء من الزواج، وعضل البنت وربَّما تُحاول الاتصال به بطريقٍ غير شرعيٍّ. «**وفسادٌ عَريضٌ**» بردِّ صاحب الخلق والدين عن طلبه، وبتأخير زواج البنت مع أنه يطلب التعجيل بزواجها إذا جاءها خاطبٌ كفءٌ.

وهذه إحدي المسائل التي يجب التعجيل بها.

والثانية: الميت إذا تتحقَّق موته عُجِّل بدفنه.

والثالثة: إذا حضر الضيف عُجِّل له القِرَى.

والرابعة: إذا حلَّ أجل الدَّين وجب التعجيل بوفائه.

والخامسة: إذا حصل ذنبٌ وجب التعجيل بالتوبة منه.

ويؤخذ من الحديث أيضًا جواز الاقتباس من القرآن الكريم، وأنه لا يلتزم فيه لفظ الآية.

الحديث الخامس

عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا أراد الله بعبدٍ هَوَانًا أنفق ماله في البُنيان والماء والطِّين**». رواه البغويُّ في"معجم الصحابة"، والبيهقيُّ في "الزهد"، عن محمَّد بن بشيرٍ الأنصاريِّ، ولم يروِ غيره.

«**إذا أراد الله بعبدٍ هونًا**» في دينه وآخرته «**أنفق ماله في البُنيان والماء والطين**» فيبني من البيوت زيادةً على ما يكفيه ويكفي أسرته؛ لأنه إسرافٌ وتضيعٌ للمال فيما لا يعود عليه بفائدة دينية ولا دنيوية إلَّا التفاخر، وهو ممنوعٌ. نعم إذا بنى بيوتًا ليسكنها الناس بأجرةٍ، فهذا نوعٌ من التجارة مباحٌ لا يُذمُّ عليه.

الحديث السادس

عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**الزموا هذا الدعاء: اللهمَّ إني اسألك باسمك الأعظم، ورضوانك الأكبر. فإنه اسمٌ من أسماء الله**». رواه الطبرانيُّ عن حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه.

«**اللهمَّ إني أسألك باسمك الأعظم**» اختلف العلماء في تعيين اسم الله الأعظم على أقوالٍ كثيرةٍ ذكرها الحافظ السيوطيُّ في رسالة "الدر المنظم في اسم الله الأعظم". فقيل: الله، وقيل: رب، وقيل: الحيي القيوم، وقيل: بديع السموات والأرض، وقيل: اللهمَّ، وقيل:هو، وقيل: غير ذلك.

«**ورضوانك الأكبر**» وهو رضاه عن أهل الجنَّة رضًا لا يسخط بعده أبدًا، وهذا استفتاح دعاء يدعو الشخص بعده بحاجته بأن يقول: أن تغفر لي، أو تُفرِّج كربي، أوتختم لي بالإيمان، أو نحو ذلك.

الحديث السابع

قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ الله وَضَعَ عن المسافر الصَّومَ، وشَطْر الصَّلاة**». رواه أحمد، والأربعة عن أنس بن مالك القشيريِّ، ولم يروِ غيره.

«**وَضَعَ عن المسافر الصَّومَ**»: يعني أنه لا يجب على المسافر صوم رمضان ما دام مسافرًا، بل يفطر ثُمَّ يقضي الأيام التي أفطرها بعد رمضان، قال الله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وهل يُستحبُّ له الصوم أو الإفطار؟ قال العلماء: إن كان عليه في السفر مشقَّةٌ فيستحبُّ له الإفطار، بل يجب إذا كانت المشقَّة شديدةً يخاف منها الهلاك على نفسه، وإن كان لا مشقَّة عليه في سفره استحبَّ له الصوم.

وقال الظاهرية: يجب الفطر على المسافر، ولو صام لم يصح صومه واستدلوا بالآية المذكورة؛ لأنَّ قوله تعالى: ﴿فَعِدَّةٌ﴾ مصدرٌ وقع في جواب الشرط وهو يقتضي وجوب قضاء أيامٍ أُخَر، وما ذاك إلَّا لوجوب الفطر في السفر، وبالحديث الصحيح: «**ليس من البرِّ الصيام في السفر**».

وأجاب الجمهور عن الآية بأنَّ فيها حذفًا دلَّ عليه السِّياق، والتقدير ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ وأفطر ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾. وعن الحديث بأنَّ سبب وروده أنَّ رجلًا كان مسافرًا وشقَّ عليه الصوم حتى أُغمي عليه، ولا شك أنَّ مَن بلغ به الجهد إلى هذه الحالة وجب عليه الفطر بلا خلاف.

وقد صحَّ في الحديث عن أنسٍ أنَّ الصحابة كانوا في سفرٍ مع النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فمنهم الصائم ومنهم المفطر فلم يعب الصائم علىٰ المفطر، ولا المفطر علىٰ الصائم.

هذا ولا يُشترط في السفر أن يكون شاقًّا بالفعل، فمن سافر في القطار أو الأتوبيس أو الطائرة وهو صائمٌ فله أن يُفطر ويأخذ برخصة الله التي رخَّصها له، بل يُستحبُّ ذلك لحديث: «**إنَّ الله يُحبُّ أن تؤتى رُخَصه كما يُحبُّ أن تُؤتَى عزائمه**». صحَّحه ابن حِبَّان.

«**وشَطْر الصَّلاة**»: أي وَضَعَ عن المسافر نصف الصلاة الرباعية، فيُصلِّي الظهر والعصر والعشاء ركعتين ركعتين حتىٰ يعود من سفره.

ويشترط في السفر الذي يترخَّص فيه بالفطر وقصر الصلاة أن يكون سفرًا مشروعًا، كالسفر لحجٍّ أو صلة رحمٍ، أو زيارة أصدقاء، أو لتجارةٍ، أو لصيدٍ مباحٍ. أمَّا السفر المحرَّم كالسفر لصيد الخنازير والسباع البرية، أو لإذاية مسلمٍ أو الوشاية به، أو سفر المرأة بغير إذن زوجها، فلا يجوز فيه الفطر ولا قصر الصلاة؛ لأنه عصيانٌ لله فلا يترخَّص فيه برخصة الله.

الحديث الثامن

عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**قابلو النِّعال**». رواه البغويُّ في "معجم الصحابة"، والطبرانيُّ وأبو نعيمٍ عن إبراهيم الطائفيِّ ولم يروِ غيره.

يُشير الحديث إلي أدبٍ من آداب مجتمعنا الإسلاميِّ العربيِّ، فإنَّ الشخص إذا حضر اجتماعًا في مسجدٍ أو بيتٍ، أو أجاب دعوةً لحضور وليمةٍ أو غيرها،

فإنه يخلع نعليه عند الباب، وينبغي له أن يُقابل بينهما، بأن يضع سفل أحدهما علي سفل الأخرىٰ، ويضعهما في مكان مُعَدٍّ للنعال، ومن هنا تعلم أنَّ الإسلام لم يدع ناحيةً من نواحي الآداب العامَّة، ولو صغيرة كهذه، إلَّا أرشد إليها وحضَّ عليها.

الحديث التاسع

قال النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا قضى الله لعبدٍ أن يموت بأرضٍ جعل له إليها حاجةً**». رواه الترمذيُّ من طريق أبي إسحاق السَّبيعيِّ، عن مطر بن عُكَامِسٍ، وقال: «حديثٌ حسنٌ ولا يُعرف لمطرٍ غيره».

«**جعل له إليها حاجةً**» يعني أنَّ الله تعالىٰ إذا قضىٰ لشخصٍ أن يموت في بلدٍ جعل له حاجةً فيها، كزيارة صديقٍ، أو رغبةٍ في تجارةٍ، أو نحو ذلك، حتي إذا وصل إليها تُوفي ودُفن فيها.

وهذه إحدىٰ المسائل الخمس التي اختص الله بعلمها قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤].

فإن قيل: حاول الناس في هذا العصر معرفة المطر قبل نزوله بآلات استُحدثت لذلك كما اخترع بعض الأطباء علاجًا يُعرف به نوع الجنين في الرَّحِم أذكرٌ هو أم أنثىٰ، فهل يرد هذا علىٰ الآيه المشار إليها؟

فالجواب: أنه لا يرد، وبيان ذلك من وجوهٍ:

الأول: أنَّ لفظ الآية الكريمة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ

تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان: ٣٤].

غايرت الأسلوب في عَدِّ هذه المسائل، فجعلت علم الساعة خاصًّا بالله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ فقطعت الأطماع عن الوصول إلى علمها وأغلقت الباب في وجه من يريد ذلك، ونفت الدراية عن كسب الغد، والأرض التي يحصل بها الموت ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُ ﴾ إشارةً إلى أنه لا طريق لدرايتهما[1].

وأثبتت علم الله بما في الأرحام إشارةً إلى أنَّ غيره إن وصل إلى معرفة ذلك بعلاماتٍ أو علاجٍ أو آلاتٍ فلن تتجاوز معرفته حدَّ الظنِّ والتخمين، كما أنَّ عبارة ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ ﴾ تُشير إلى إمكان معرفة وقت نزوله.

الثاني: أنَّ الآية تُفيد علم الله بهذه المسائل تفصيلًا علمًا شاملًا في جميع الأزمان والحالات فلا يُنافي أن يعرف بعض الناس بعضها في بعض الحالات وبعض الأزمنة معرفةً جزئيةً.

الثالث: أنَّ المقصود بالآية إبطال ما كان أهل الجاهلية يسلكونه من كهانةٍ وعرافةٍ وعيافةٍ وضربٍ بالحصى لاستطلاع الغيب، ومعرفة الأحداث المستقبلية، ولا يُنافي أن يُلهم الله بعض الناس معرفة بعضها بطريق الإلهام، أو بطريقٍ من الطرق العلمية الحديثة.

---

(١) بالطرق المعهودة، لكن يمكن درايتها بطريق الوحي أو الإلهام على سبيل المعجزة أو الكرامة.

الحديث العاشر

عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**الدنيا سبعة آلاف سنةٍ، أنا في آخرها ألفًا، لانبيَّ بعدي، ولا أُمَّة بعد أُمَّتي**». رواه الطبرانيُّ عن عبدالله بن زِمْلٍ، وليس له غيره.

هذا الحديث يُفيد أنَّ عمر الدنيا منذ عهد آدم عليه السَّلام إلىٰ يوم القيامة سبعة آلاف سنةٍ، واعتمده الحافظ السيوطيُّ في رسالة "الكشف عن مجاوزة هذه الأمَّة الألف" ردَّ بها علىٰ من زعم أنَّ الساعة تقوم علىٰ رأس المائة العاشرة للهجرة، ورجَّح أنَّ قيام الساعة لا يتجاوز المائة الخامسة بعد القرن العاشر الهجري، وكذلك نقل عن الشيخ عبدالسَّلام الأسمر أنه قال: لا تجيء سنة خمسمائة وألف هجرية، حتىٰ يكون فريقٌ في الجنَّة وفريقٌ في السعير.

ونحن الآن في أواخر القرن الرابع عشر الهجري أي في سنة (١٣٨٨)، ولم تظهر علامةٌ من علامة الساعة الكُبرىٰ التي ثبتت في الصحيح، فلم يصح كلام السيوطي، ولا كلام الشيخ عبدالسلام الأسمر، والحقُّ أنَّ الساعة لا يعلم إلَّا الله متىٰ يكون وقت قيامها: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦٣]. والحديث المذكور ضعيفٌ لا يصحُّ اعتماده، وعمر الدنيا أكثر من سبعة آلاف سنةٍ بكثيرٍ، ومن الناس من يبلغ بعمرها بضعة آلاف مليون سنةٍ[1].

---

(١) لا مانع أن يكون عمر الدنيا منذ خلقها الله تعالىٰ عدَّة ملايين من السنين، أمَّا مدَّتها منذ سكنها آدم أبو البشر عليه السَّلام فما أظنها تبلغ أو تزيد عن خمسين ألف سنة؛ لأنَّ مقدار يوم القيامة خمسون ألف سنة، وهو يعادل مدَّة مكث بني آدم علىٰ ظهر الأرض.

الحديث الحادي عشر

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أتاني جبريل فقال: يا محمَّد كن عجَّاجًا بالتلبية، ثجَّاجًا بنحر البُدْن**». رواه القاضي عبدالجبار في "أماليه".

العجُّ بتشديد الجيم: رفع الصوت. والمعنىٰ: رفَّاعًا لصوتك بالتلبية، واجهر بها وهي: «لبيك اللهمَّ لبَّيك، لبَّيك لا شريك لك لبَّيك، إنَّ الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك». وهي من شعائر الحجِّ.

والثجُّ بتشديد الجيم: إسالة دماء الهَدْي. **والبُدْن** بضمِّ الباء والدال وبتسكينها أيضًا: جمع بَدَنة وهي الناقة. والمعنىٰ: كن سيَّالًا لدماء الهدايا في الحجِّ.

ولمَّا حجَّ النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حجَّة الوداع أهدىٰ للبيت مائة بَدَنة، نحر منها ستين بنفسه، ونحر سائرها عليٌّ عليه السَّلام.

الحديث الثاني عشر

عن طليب بن عرفة قال: قال النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**اتقِ الله في عُسْركَ ويُسْرِك**». رواه أبو قُرَّة الزَّبيديُّ في "سننه".

«**اتق الله**» أي: اجعل بينك وبين غضبه وقايةً، وتلك الوقاية ذات شقَّين: فعل الطاعات، واجتناب المعاصي. وأيُّ تقصيرٍ في أحد الشقَّين يؤدِّي إلىٰ خللٍ في الوقاية وإضعافها، فيقع المقصِّر في غضب الله وعقابه، وأصل التقوىٰ اتقاء الشِّرك الظاهر بالتوحيد، والخفيِّ بالإخلاص، ثُمَّ اتقاء المعاصي بفعل

الطاعات، ثُمَّ اتقاء الشُّبهات بالورع.

«في عُسْرك ويُسْرك» أي: اتق الله في جميع أحوالك؛ لأنَّ الإنسان إمَّا في عُسْرٍ أو في يُسْرٍ لا يخلو من أحدهما: فإذا اتقى الله في حال عسره يسَّر الله له قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾[الطلاق: ٤]. وإذا اتقاه في حال يُسْره أعظم أجره ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ [الطلاق: ٥].

الحديث الثالث عشر

عن كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف، عن أبيه، عن جدِّه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**اتقوا زلَّة العالم، وانتظروا فَيْئَتَهُ**». رواه الحلوانيُّ في "جزئه".

العالم قد يَزِلُّ لأنه ليس بمعصومٍ، وإنما العصمة للإنبياء والملائكة عليهم السَّلام. وقد يكون زَلَل العالم في عقيدته، كما نُقل عن كبار التابعين قولٌ في القدر يوافق المعتزلة، وفي المعتزلة علماءٌ كبارٌ زلُّوا في عقيدهم، وكما وقع من إمام الحرمين كلامٌ في علم الله تعالى كان زلَّةً منه كبيرةً، وقد يكون زلل العالم في عمله بأن يرتكب معصيةً جهارًا أو بتأويلٍ.

وقد نقل عن جماعة من كبار[1] علماء أهل السُّنَّة ترك الصلاة وأكل مال اليتيم، ونحو ذلك، ولا داعي لذكر أسماءهم، وإنما نرجو الله أن يغفر لهم، ويغفر لنا معهم.

---

(١) فيهم فقهاء وحفَّاظ وأصوليون، ولهم مؤلفاتٌ لها قيمتها العلمية في البحث والتحقيق.

فإذا زلَّ العالم فعلى العامَّة أن يحذروا زلَّته ولا يتخذُّوها حجَّةً فيفعلوا مثلها بدعوى أنَّ العالم ارتكبها، فإنَّ ذلك لا يعفيهم من عقابها عند الله تعالى، بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

«**وانتظروا فَيْئَتَهُ**» أي ترقَّبوا رجوعه وتوبته، فإنَّ معه مِن العلم ما يحمله على الإسراع بالتوبة، إلَّا إن كان زلله عن هوى، فمن الصعب رجوعه[1] ما لم يتداركه الله بلطفه.

الحديث الرابع عشر

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**اجتنبوا التكَبُّر، فإنَّ العبد لا يزال يتكبَّر حتى يقول الله تعالى: اكتبوا عبدى هذا في الجبَّارين**». رواه ابن لال في "مكارم الأخلاق"، وعبدالغني بن سعيد في "إيضاح الإشكال".

التكبُّر: احتقار الناس وازدراؤهم، ودفع الحقِّ وعدم قبوله. وهو خُلُقٌ ذميمٌ لا يتَّصف به إلَّا من يشعر بنقصٍ ومهانةٍ، وقد جعله الشارع من الكبائر، وأوجب فيه النار.

ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: قال الله تعالى: «**الكبرياء رِدَائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدًا منهما قذفته في النار**».

«**اكتبوا عبدي هذا في الجبَّارين**»: أي المتكبِّرين الذين يُحشرون يوم القيامة

---

(١) لأنه يرى نفسه مصيبًا، فكيف يرجع عن الصواب إلى الخطأ!!

في صورة الذَّرِّ[١]، يطؤهم الناس بأقدامهم لتعاليهم في الدنيا على الناس.

الحديث الخامس عشر

عن عليٍّ -عليه السَّلام- قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**اجتنبوا ما أَسْكَر**». رواه الحلوانيُّ في "جزئه".

«**اجتنبوا ما أسكر**»: أي اجتنبوا المُسْكِر لا تشربوه قليلًا كان أو كثيرًا؛ للحديث الصحيح المشهور: «**ما أَسْكَرَ كَثيره فقَلِيلُهُ حرامٌ**». وفي لفظٍ آخر صحيحٌ أيضًا: «**ما أسكر الفَرَق منه فملء الكفِّ منه حرامٌ**». الفَرَق بفتح الفاء والراء: مِكيالٌ يسع ستة عشر رطلًا. وشُرْبُ المسكِر من الكبائر، وفيه الحدُّ وهو ثمانون جلدةً. وانظر كتابنا: "واضح البرهان على تحريم الخمر في القرآن" ففيه مباحث نفيسة تتعلَّق بالخمر وبسائر المُسكِرات، كالبيرة والبُوظة والخمير.

الحديث السادس عشر

عن سلمان -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**اجعل بين أَذَانِكَ وإقامَتِكَ نَفَسًا؛ حتَّى يقضي المتوضِّئُ حاجَتَه في مَهَلٍ، ويَفْرُغُ الآكلُ مِن طعامه في مَهَلٍ**». رواه أبو الشيخ في كتاب "الأذان" بإسناده عن سلمان. ورواه بإسنادٍ آخر عن أبي هريرة.

يشتمل الحديث على حكمٍ من أحكام الأذان، وهو أنَّ المؤذِّن إذا فرغ من أذانه لايُسرع بإقامة الصَّلاة، بل ينتظر بمقدار ما يقضي المتوضِّئُ حاجته إذا كان في بيت الخلاء، ويتوضَّأ في مَهَلٍ بلا استعجالٍ، ويفرغ الآكل من طعامه في

---

(١) يحشر الله المتكبِّرين بأجسامهم كاملةً، إلَّا أنها مصغَّرة في حجم الذرَّة.

مَهَلٍ بلا استعجالٍ، والحكمة في ذلك تكثير الجماعة بانتظار من يأتي إليها، ودخول المُصلِّي في صلاته بخشوعٍ ليس مشغولًا بطعامٍ، ولا بقضاء حاجةٍ؛ ولذا ثبت في الصحيح: «**إذا حَضَرَ العَشَاءُ وأُقيمت الصَّلاة، فابدءوا بالعَشَاءِ**»(١). وفي الصحيح أيضًا: «**لا صلاة بحضرة طعامٍ، ولا وهو يدافعه الأَخْبَثان**».

وانتظار المؤذِّن بعد الأذان مطلوبٌ في جميع الصَّلوات حتىٰ المغرب، ومعظم الناس في مصر يُعجِّلون بصلاة المغرب عقب الأذان مباشرةً، ولا ينتظرون متوضِّأ ولا غيره، ويحتجُّون بقولهم: «المغرب جوهرةٌ فالتقطوها». يعتقدونه حديثًا نبويًّا مع أنه ليس بحديثٍ، ولا أصل له. والمُصرَّح به في كتب الفقه: أنَّ المساجد التي يقصدها الناس، يُستحبُّ أن تؤخَّر فيها الصَّلاة بعد الأذان، ريثما يحضر المصلُّون. بخلاف الزَّوايا والرُّبُط التي لا تُقصد فلا بأس علىٰ المقيمين بها أن يُعجِّلوا بالصَّلاة.

الحديث السابع عشر

عن عائشة -رضي الله عنها- عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**احذروا الشُّهرتين: الصُّوف، والخَزُّ**». رواه أبو عبدالرحمن السُّلميُّ في "سنن الصوفية".

ثبت النهي عن ثوب الشهرة، فعن أبي ذرٍّ -رضي الله عنه- قال: قال النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَنْ لَبِسَ ثوبَ شُهْرَةٍ أَعرض اللهُ عنه حتَّى يَضَعَهُ متي وَضَعَهُ**». رواه ابن ماجه في "سننه"، والضياء في "المختارة".

وفي "سنن أبي داود"، و"ابن ماجه" من حديث ابن عمر رضي الله عنهما

---

(١) أما قولهم: «إذا حضر العَشَاءُ والعِشَاءُ فابدءوا بالعَشَاء». فليس بحديثٍ.

«مَنْ لَبِسَ ثوبَ شُهْرَةٍ أَلبسهُ اللهُ يوم القيامةِ ثوبًا مِثله، ثُمَّ يُلْهِبُ فيه النَّار».

ثوب الشُّهرة: هو الثوب الذي يلفت النظر لكونه شعار الزهَّاد والصُلحاء، كثياب الصُّوف؛ فإنَّ الناس يعتقدون في لابسها الزهد والصلاح، ويقصدونه للتبرُّك به، وطلب دعائه، أو لكونه شِعار العلماء كالجُبَّة والعِمامة، فإنَّ الناس يظنُّون لابسها من أهل العلم ويستفتونه في بعض أمور دينهم، وبعض الناس يلبس عِمامة خضراء ليوهم أنه من أهل البيت، حيث صارت العِمامة الخضراء علامةً عليهم عند المشارقة، فكلُّ من لبس ثوبًا يلفت نظر الناس، ويحملهم على أن يظنوه صالحًا، أو زاهدًا، أو عالمًا، أو شريفًا مُنسبًا، أو نحو ذلك عوقب بأمرين:

١- إعراض الله عنه في الدنيا حتى ينزعه، ولا يعود إلى لبسه.

٢- إلباسه مثل ذلك الثوب في الآخرة، وإلهاب النَّار فيه، فيشتعل ويحرقه.

فإن لبس ثوب شهرةٍ لغلائه كالثياب الحريرية، أو المخصوصة بالذهب فإنه يُعاقب العقاب المذكور مضافًا إليه عقاب لبس الحرير أو الذهب المحرَّم، وعقاب إظهار الحرام والتباهي به.

الحديث الثامن عشر

عن أبي سعيدٍ الخدريِّ -رضي الله عنه- قال: قال النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «أحسنوا إذا وَلِيتُم[1]، واعفوا عمَّا مَلَكْتم». رواه ابن لال "في مكارم الأخلاق".

---

(١) بفتح الواو وكسر اللام وضمِّ التاء.

اشتمل الحديث على خصلتين من مكارم الأخلاق:

١- «**أحسنوا إذا وَلِيتُم**» يعني أنَّ الإنسان إذا وَلِي أمر الناس -خليفةً كان أو ملكًا أو عمدةً أو شيخ بلدٍ مثلًا- فيجب عليه الإحسان إلى الناس في معاملتهم، بأن يرفق بهم ولا يشق عليهم. ففي "صحيح مسلم" عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**اللهمَّ مَنْ وَلِيَ مِن أمر أُمَّتي شيئًا فشَقَّ عليهم فاشْقُقْ عليه، ومَنْ وَلِيَ مِن أمر أُمَّتي شيئًا فرَفَقَ بيهم فارفُقْ به**».

٢- «**واعفوا عمَّا ملكتم**»: يعني أنَّ الإنسان إذا كان له رقيقٌ، فليعامله بكرمٍ ولطفٍ، وليعفوا عن هفواته مرةً ومرتين وثلاثًا.

ففي "صحيح مسلم" عن أبي مسعودٍ البدريِّ -رضي الله عنه- قال: كنت أضرب غلامًا لي بالسوط فسمعت صوتًا من خلفي: «**اعلم أبا مسعودٍ**» فلم أفهم الصوت من الغضب فلمَّا دنا منِّي، إذا هو رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فإذا هو يقول: «**اعلم أبا مسعودٍ أنَّ الله عزَّ وجلَّ أقدر عليك منك على هذا الغلام**». فقلت: يا رسول الله هو حُرٌّ لوجه الله تعالى فقال: «**أما لو لم تفعل لمسَّتك النَّار**».

وبعث النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم خادمة له في أمرٍ فتأخَّرت عنه كثيرًا، حيث وقفت في بعض الشوارع تنظر إلى لعب الصبيان حتى استعجلتها أمُّ المؤمنين أمُّ سلمة رضي الله عنها، فلمَّا جاءت قال لها النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وهو يُشير إلى سواكٍ بيده: «**أما والله لولا خوف القِصَاصِ يوم القيامة لأوجعتك بهذا السِّواك**».

الحديث التاسع عشر

عن عبدالله بن مسعودٍ رضي الله عنه قال: قال رسول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ الله أدَّبني فأحسن تأديبي، ثُمَّ أمرني بمكارم الأخلاق، فقال: خُذِ العَفْوَ، وأمر بالعُرْفِ، وأعرض عن الجاهلين**». رواه أبو سعد بن السمعاني في "أدب الإملاء".

«**إنَّ الله أدَّبني فأحسن تأديبي**» أي: تولَّىٰ تربيتي وتهذيبي، فكان خيرًا لي من والدي. ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾[الضحىٰ:٦]،﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾[النساء: ١١٣].

والسِّرُّ في ولادته يتيمًا: أن يكون مُنذ نشأته معتمدًا علىٰ الله، لا يقول يا أمَّاه ولا يا أبتاه. «**خذ العَفْوَ**» أي: خُذ الميسور من أخلاق الرجال، ولا تستقص عليهم، ويقول الشاعر العربي:

ولستَ بمُستَبقٍ أخًا لا تَلُمُّهُ علىٰ شَعْثٍ، أيُّ الرجال المُهذَّبُ؟

فكان عليه الصَّلاة والسَّلام يصبر علىٰ جفوة الجافي، ويغضُّ عن هفوة الجليس. «**وأمر بالمعروف**» أي: مُر بالمعروف من الأخلاق الفاضلة، والأفعال الكريمة كالصَّلاة والصِّدق والعفاف والبرِّ والصِّلة والصَّبر. «**وأعرض عن الجاهلين**» أي: أعرض عن السُّفهاء لا تُقابلهم بمثل سفاهتهم.

قال جعفر الصَّادق عليه السَّلام: «ليس في القرآن آيةٌ أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية».

الحديث العشرون

عن عبدالرحمن بن غنم قال: قال النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**سلَّم عليَّ مَلَكٌ ثُمَّ قال لي: لم أزل أستأذن ربِّي عزَّ وجلَّ في لقائك حتى كان هذا أوان أذن لي، وإني أُبشِّرك أنه ليس أحدٌ أكرم على الله منك**». رواه ابن عساكر في "تاريخه".

يفيد أنَّ الملائكة كانوا يسأذنون الله تبارك وتعالىٰ في زيارة النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، والتشرُّف بلقائه؛ لعلمهم بفضيلته عند الله وكرامته لديه. «**ليس أحدٌ أكرم على الله منك**» يفيد أفضليَّة النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ الملائكة، وهو إجماعٌ، إلَّا ما كان من خلاف شاذٍّ لا يُعمل به. وانظر كتابنا "دلالة القرآن المبين علىٰ أنَّ النَّبي أفضل العالمين" تجد فيه الدلائل مبسوطةً واضحةً.

الحديث الحادي والعشرون

عن أبي هريرة قال: أخبرني أنس بن مالكٍ: «أنَّ النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان يُشير في الصَّلاة». رواه الطبرانيُّ، وقال: «لا نعلم روىٰ أبو هريرة عن أنس غير هذا الحديث»(١).

---

(١) فيه من لطائف الإسناد: رواية صحابيٍّ عن صحابيٍّ، وكلاهما من حُفَّاظ الصحابة السبعة المجموعين في قول الشاعر:

سبعٌ مِن الصَّحْبِ فَوْقَ الألفِ قد نَقَلُوا ... عن النَّبي المصطفىٰ المُختار خير مُضَر

أبو هريرة سعدٌ جابرٌ أنسٌ ... صِدِّيقةٌ وابن عبَّاسٍ كذا ابن عُمَر

سعد: هو أبو سعيدٍ الخدريُّ، والصِّدِّيقة: هي عائشة، وأحفظ هؤلاء السبعة أبو هريرة رضى الله عنه.

كان يُشير في الصَّلاة برأسه أن نعم، أو بيده: أن انتظر، ونحو ذلك، وهو يفيد أنَّ مثل هذه الإشارة لاتُبطل الصَّلاة، ولاتُنافي الخشوع.

الحديث الثاني والعشرون

عن عليٍّ عليه السَّلام، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أدِّبوا أولادكم على ثلاث خصالٍ: حبِّ نبيِّكم، وحبِّ أهل بيته، وقراءة القرآن، فإنَّ حَمَلَةَ القرآن في ظلِّ الله يوم لا ظلَّ إلَّا ظِلُّه مع أنبيائه وأصفيائه**». رواه أبونصر عبدالكريم الشيرازي في "فوائده".

«**أدِّبوا أولادكم**» ونَشِّؤوهم «**على ثلاث خصالٍ: حبِّ نبيِّكم**» لقِّنوهم فضائله، وعلِّموهم ما له من فضلٍ علىٰ العالم بإخراجه من ظلمات الجهل والشِّرك والظلم، إلىٰ نور العلم والمعرفة والواحدنية والعدل، وصِفُوا لهم ما كان يتحلَّىٰ به من صفات الشجاعة، والتمسُّك بالحقِّ، وحبِّ الصدق، والعطف علىٰ الضعيف واليتيم، والصبر علىٰ الشدائد، وأفهموهم أنَّ حبَّه وطاعته شرطٌ في صحَّة الإيمان، واتلوا عليهم قول الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]وقوله سبحانه: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] ونحوهما من الآيات الدالَّة علىٰ وجوب طاعته وحبِّه.

«**وحبِّ أهل بيته**» لأنَّ أهل بيت النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أوصىٰ بهم فقال: «**أُذكِّرُكم الله في أهل بيتي، أُذكِّركم الله في أهل بيتي**». وقال يُخاطب بعض أهل بيته: «**والله لايدخل قلبَ رجلٍ الإيمانُ حتى يُحبَّكم لله ولقرابتي**».

«وقراءة القرآن» ليحفظوا منها سورًا يصلُّون بها، وليكون أول ما يتلقَّونه في تعلمهم كتاب الله، فتعُود عليهم وعلىٰ أهاليهم بركة ما فيه من هدىٰ ونور.

«فإنَّ حَمَلَةَ القرآن في ظلِّ الله يوم لا ظلَّ إلَّا ظِلُّه»(١) يعني أنهم إذا حفظوا القرآن كله وكانوا من حملته فجزاؤهم يوم القيامة أن يظلهم الله في ظل العرش في معية أنبيائه وأصفيائه،وهذه فضيلة عظيمة، لم ينالوها إلا لحملهم كتاب الله في صدورهم.

الحديث الثالث والعشرون

عن معاذٍ -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «أَخْلِصْ دِينَكَ يَكْفيك القَليلُ مِن العمل». رواه ابن أبي الدنيا في كتاب "الإخلاص".

«أخلص دينك» أي: توجَّه به إلىٰ الله تعالىٰ، كما قال إبراهيم عليه السَّلام: ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٩]، وقال الله سبحانه: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا

---

(١) هذه إحدىٰ الخصال التي يكون صاحبها في ظلِّ عرش الله يوم لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّه. **والثانية**: إمامٌ عادلٌ. **والثالثة**: شابٌّ نشأ في طاعة الله. **والرابعة**: رجلٌ تصدَّق بصدقةٍ فأخفاها فلم تعلم شماله ما أنفقت يمينه. **والخامسة**: رجلان تحابَّا في الله. **والسادسة**: رجلٌ قلبه معلَّقٌ بالمساجد. **والسابعة**: رجلٌ دعته إمرأة ذات مَنْصِبٍ وجمالٍ فامتنع وقال: إني أخاف الله. **والثامنة**: رجلٌ ذكر الله في خلوته ففاضت عيناه. **والتاسعة**: إنظار مُعْسِرٍ. وهي نحو ثلاثين خصلةً، أفردها الحافظ السيوطيُّ برسالة خاصَّةٍ.

فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ [الزمر: ٣] وحقيقة الإخلاص أن يقصد الشخصُ بطاعته وَجْهَ الله تعالى، لا يقصد مع ذلك ثناءً من أحدٍ، ولا التقرُّب إليه، ولا جلب مصلحةٍ لنفسه، ولا أي غرضٍ آخر، بحيث يكون مدح الناس له وذمُّهم عنه سواء.

والإخلاص مقامٌ عزيزٌ، لا يناله إلَّا قليلٌ؛ لأنَّ الناس تشوب أعاملهم أغراضٌ ظاهرةٌ أو خفيةٌ، تُفسِد إخلاصهم.

قال بعض الصالحين: دخلت على سهل بن عبدالله التستريِّ يوم جمعةٍ قبل الصلاة، فرأيت في البيت حيَّةً، فجعلت أُقدِّم رجل وأؤخِّر أخرى. فقال: ادخل، لا يبلغ عبدٌ حقيقة الإيمان وعلى وجه الأرض شيءٌ يخافه، ثُمَّ قال: هل لك في صلاة الجمعة؟ فقلت بيننا وبين المسجد مسيرة يوم وليلةٍ فأخذ بيدي فما كان إلَّا قليل حتى رأيت المسجد فدخلناه وصلَّينا الجمعة ثُمَّ خرجنا فوقف ينظر إلى الناس وهم يخرجون، فقال: أهل لا إله إلَّا الله كثيرٌ والمخلصون منهم قليلٌ.

قلت: سهلٌ هذا هو قائل الجملة المشهوره: «كلُّ الناس هَلْكَى إلَّا العالمون، والعالمون هَلْكَى إلَّا العاملون، والعاملون هَلْكَى إلَّا المُخلِصون، والمُخلِصون على خطرٍ عظيم». وهي مذكورةٌ في باب الاستثناء من "شرح الكفراوي على الأجرومية" باعتبار أنها حديثٌ نبويٌّ وليست بحديث.

«**يكفيك القليل من العمل**»: لأنَّ الإخلاص سببٌ في قبول العمل، وإذا

قَبِلَ الله عملًا ولو قليلًا أغنىٰ صاحبه عن كثيرٍ من الأعمال غير المقبولة، لعدم الإخلاص فيها.

الحديث الرابع والعشرون

عن أنسٍ -رضي الله عنه- قال: قال النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أخاف على أمَّتي خصلتين: تكذيبًا بالقَدَرِ، وتَصْدِيقًا بالنُّجُومِ**». رواه الخطيب في "كتاب النجوم".

«**تكذيبًا بالقَدَرِ**» ظهر في عصر التابعين وأواخر عصر الصحابة طائفة تُسمَّىٰ «القَدَريَّة» بفتح القاف والدال. وهم جماعةٌ أنكروا القَدَر، وقالوا: «الأمر أُنُفٌ»، بضم الهمزة والنون؛ أي أنَّ الأمر الذي يحدث الآن -أيُّ أمرٍ كان- مستأنفٌ ومبتدأٌ لم يُقدِّر الله وقوعه في الأزل، بل زعموا أنَّ الله لا يعلمه حتىٰ يحدث، كما لا نعلمه نحن قبل حدوثه، وهؤلاء كفَّارٌ لا خلاف في كفرهم.

وقد تبرَّأ منهم عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، كما ثبت في "صحيح مسلمٍ" وانقرضت هذه الطائفة والحمد لله، وبقيت طائفة المعتزلة الذين لا ينكرون علم الله بما يحدث في المستقبل، ولكنهم يقولون: لا يريد الشرَّ ولايُقدِّره، ويلزم علىٰ كلامهم أنَّ الكفر والمعاصي واقعةٌ بغير إرادة الله، وبلا تقديره، وهذا خلاف ما تدل عليه آيات القرآن الكريم: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١١٢] ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]. والسُّنَّة النبوية المتواترة جعلت الإيمان بالقدر أحد أركان الإيمان الستة. وإنما خاف النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ أمَّته

التكذيب بالقدر؛ لأنه دائرٌ بين تكذيبٍ هو كفرٌ، كقول الطائفة المنقرضة، وبين تكذيبٍ هو ضلالٌ كقول المعتزلة.

«**وتصديقًا بالنجوم**» أي: أخاف على أُمَّتي تصديقًا بأنَّ للنجوم دخلًا في السَّعد والنَّحس، وأنَّ النجم الفلاني إذا كان في ناحية كذا يدل على وفاة زعيمٍ، أو حصول حربٍ، أو مجاعةٍ، أواقتران نجم بكذا يدل على رَوَاجٍ في الأسوق، ونجاحٍ في التجارة، ونحو ذلك من التنبُّؤات التي تُسمَّى بالطوالع التي تظهر في معظم النتائج المطبوعة في مصر. وكلُّ ذلك من أعمال الجاهلية التي حرَّمها الشارع، وأخبر أنَّ الغيب لا يعلمه إلَّا الله، وأنَّ ما يقع في الكون من حوادث وأحداث مَرَدُّه إلى مشيئة الله وإرادته، وأنَّ النجوم والكواكب مُسيَّرةٌ بأمره. قال تعالى: ﴿وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓ﴾ [الأعراف: ٥٤] ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ [إبراهيم: ٣٣].

الحديث الخامس والعشرون

عن ابن عبَّاسٍ -رضي الله عنهما- عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا أردتَ أن تذكرَ عيوبَ غيرك فاذكر عيوب نفسك**». رواه الرافعيُّ في كتاب "التدوين في تاريخ قزوين".

إذا أراد الإنسان أن يذكر عيوب غيره فلا يخلو إمَّا أن يذكرها بقصد أن ينبِّه صاحبها ليصلحها، وإمَّا أن يذكرها على سبيل الغيبة المحرَّمة، وعلى كلا الحالين فالواجب أن ينشغل بعيوب نفسه، ويحاول إصلاحها؛ فذلك أنفع له وأبعد عن إثم الغيبة، وأسلم لدينه ودنياه.

وقد يعيب على غيره خُلُقًا أو فعلًا، ويكون هو متخلِّقًا بأقبح منه. وسبب ذلك: أن يكون راضيًا عن نفسه، مزكِّيًا لأحولها وفي ذلك هلاكه قال الجنيد: «من نظر إلى نفسه باستحسان شيءٍ منها فقد أهلكها، وكيف يصلح لعاقلٍ الرضا عن نفسه؟!». والكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم الخليل يقول: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[1] [يوسف: ٥٣]. وفي "الحلية" من حديث أبي هريرة: «**يُبصِرُ أحدُكُم القَذَى في عين أخيه، وينسى الجَذَعَ في عينه**». وفي بعض الأمثال: «الجمل لا يرى سَنَامَهُ، ولكن يرى سَنَامَ أخيه».

الحديث السادس والعشرون

عن سُلَيْكٍ الغَطَفانيِّ، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا عَلِمَ العالِمُ فلم يَعْمَل كان كالمِصْباحِ يُضِيءُ للنَّاسِ ويُحرق**[2] **نفسَهُ**». رواه ابن قانع في "معجم الصحابه".

الغرض من تعلُّم العلم: العمل به، وتعليمه للناس. فإذا لم يعمل العالم بعلمه، فمثله كمثل المصباح يُضيء للناس، وينوِّرهم بتعليمهم وإرشادهم،

---

(١) بناء على أنَّ هذا كلام يوسف عليه السَّلام، ورجَّح جماعةٌ على أنه كلام امرأة العزيز؛ لأنَّ يوسف لم يكن موجودًا حين قال المَلِك للنساء ﴿مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦ﴾ [يوسف: ٥١]، وممَّا يؤيِّد هذا: أنه بعد انتهاء كلامها قال المَلِك: ﴿ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِي﴾ [يوسف: ٥٤].

(٢) بضمِّ الياء، وقراءته بفتحها لَحْنٌ.

ويُحرق نفسه، بترك العمل، حيث يعاقب عليه.

وثبت في الصحيح: «**أنَّ عالمًا يدخلُ النَّار فتَنْدلِقُ أَقْتَابُه، ويدور كما يدور حمار الرَّحَى، فيسأله بعض العُصَاة المعذَّبين: كيف دخلتَ النَّار وقد كنتَ فى الدنيا تأمر بالخير وتنهي عن الشرِّ؟ فيقول: كنت آمركم بالخير ولا آتِيه، وأنهاكم عن الشرِّ وآتِيه**».

(تنبيهٌ): سُليكٌ الغَطَفانيُّ راوي الحديث هو الذي دخل المسجد والنبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قائمٌ يخطب يوم الجمعة، وجلس فقال له النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**قُمْ فصلِّ**[1] **ركعتين خفيفتين**». يعني: تحيَّة المسجد.

الحديث السابع والعشرون

عن عبدالله[2] رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**أربعون رجلًا أُمَّة، ولم يخلص أربعون رجلًا في الدعاء لميِّتهم إلَّا وهبه الله تعالى لهم، وغفر له**». رواه الخليليُّ في "مشيخته".

---

(١) أخذ منه الشافعيةُ أنَّ الرجل إذا دخل المسجد والإمام يخطب يُصلِّي تحيَّة المسجد ركعتين خفيفتين، ثُمَّ يجلس. والمالكية الذين لا يجيزون ذلك قالوا: كان سُلَيكٌ فقيرًا رقيق الحال فأمره النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بصلاة ركعتين ليعلم الناس حاله فيتصدَّقوا عليه. لكن يرد عليهم: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعد أن أمر سُليكًا بالصَّلاة قال: «**إذا دخل أحدكم المسجد والإمام يخطب يوم الجمعة، فليركع ركعتين وليتجوَّز فيهما**». وهذا عمومٌ.

(٢) إذا أطلق عبدالله في الصحابة فالمراد به ابن مسعود، وهو حامل نعل رسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، كان من قُرَّاءالصحابة وعلمائهم.

التعبير برجلٍ يفيد أنَّ المرأة لا تجب عليها صلاة الجنازة، ولا تشييعها، ويفيد الحديث: استحباب تكثير المصلِّين على الجنازة بحيث لا يَقلُّون عن أربعين رجلًا، وإخلاصهم في الدعاء له، لعلَّ الله يقبل شفاعتهم فيه. وإن كان لأحدهم قِبَل الميت مظلمةٌ فينبغي أن يسامحه فيها، ولا يجوز أن يتشدَّد، كما حصل من بعض العلماء الأزهريين، فقد حكى لي ولده: أنَّ رجلًا مات بقريتهم «شرنوب» فجاء أهل البلد إلى والده ليصلِّي على الميت لأنه العالم الموجود في بلدهم، فامتنع لأنَّ له على الميت أربعة جنيهات أقرضها له بغير شهودٍ ولم يستطع طلبها من الورثة، فلما ألحَّ الناس عليه، وأفهموه أنه لا يمكن دفن الميت إلَّا بعد أن يُصلِّي هو عليه، ولم يجد مخلصًا منهم، تقدَّم للصلاة عليه، ونوى بقلبه أنه لا يُسامحه في أربعة جنيهات، وأنها مستثناه من الدعاء الذي سيدعوا له فيه بالمغفرة.

وهذا تشدُّدٌ ما كان ينبغي، مع أنَّ ذلك العالم كان من الأغنياء الموسرين، له مؤلفات كثيرةٌ طبعها في حياته وكسب منها أرباحًا كثيرةً، وظلَّ أولاده بعد وفاته يطبعونها مرَّةً بعد مرَّةٍ لكثرة الطلب عليها.

الحديث الثامن والعشرين

عن أنسٍ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**اشتدَّ غضبُ الله على الزُّناة**». رواه أبو سعد الجَرْبَاذَقَانيُّ في "جزئه"، وأبو الشيخ في "عواليه".

الزنا: من الكبائر الفواحش، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ

فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٣٢] وفيه من المفاسد: انتهاك عِرْضِ المزنيِّ بها، وتلويث شرف أهلها، واختلاط الأنساب، وغير ذلك.

فمن هنا اشتدَّ غضب الله على الزُّناة، وأوجب عليهم الحدَّ الرَّادع لأمثالهم من الوقوع فيه.

الحديث التاسع والعشرون

عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**أشدُّ النَّاسِ عذابًا يوم القيامةِ من يُرِي النَّاسَ أنَّ فيه خيرًا ولا خير فيه**». رواه أبو عبدالرحمن السُّلَميُّ في "الأربعين".

«**من يُرِي**»بضم الياء وكسر الراء «**النَّاسَ**» بالنصب مفعولٌ أول «**أنَّ فيه خيرًا**» مفعول ثاني. والمعنى: أنَّ الذي يُظهر للناس الخير وهو في الواقع خالٍ منه يكون أشدَّ الناس عذابًا يوم القيامة؛ لأنه مراءٍ، عمل بقصد أن يراه الناس ولم يقصد رضى الله تعالى، وفي الحديث الصحيح أنَّ الله يقول للمرائين يوم القيامة: «**اذهبوا إلى الذين عملتم لهم فى الدنيا، فاطلبوا الأجر منهم**». وقال السَّريُّ السَّقَطيُّ: «من تزيَّن للناس بما ليس فيه، سقط من عين الله تعالى».

الحديث الثلاثون

عن عبدالله بن الحكم، عن أبيه، عن جدِّه: أنَّ النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**أربعٌ من سَعَادةِ المرء: أن تكون زَوْجَتُه صالحةً، وأولاده أبرارًا، وخُلَطَاؤُهُ صالحين، ورِزْقُهُ في بلده**». رواه ابن أبي الدنيا في كتاب "الإخوان".

«**أن تكون زوجته صالحةً**» فسَّرها في حديث آخر بأنها إن نظر إليها سرَّته،

وإن أمرها أطاعته، وإن غاب عنها حفظته في نفسها ومالها. «**وأولاده أبرارًا**» بأن ربَّاهم على الأخلاق الفاضلة، والتمسُّك بالدِّين. «**وخلطاؤه**» أي: شركاؤه في تجارةٍ أو زراعةٍ «**صالحين**» لا يخونون ولا يسرقون. «**ورزقه في بلده**» لا يحتاج في الحصول عليه إلى السَّفَر، وارتكاب مشاقِّه، فيكون محل عمله قريبًا من بيته، وبذلك يستطيع أن يُشرف على تربية أولاده وتعليمهم عن كَثَبٍ، ثُمَّ إنَّ الأولاد إذا رأوا والدهم بجانبهم جدُّوا واجتهدوا هيبةً له، وسعيًا في إرضائه.

الحديث الحادي والثلاثون

عن عليٍّ عليه السَّلام قال: أَشهد بالله وأَشهد لله لقد قال النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أَشهدُ بالله وأَشهدُ لله لقد قال لي جبريل: يا محمَّد، إنَّ مُدْمِنَ الخمر كعابد وَثَنٍ**». رواه أبو نعيمٍ في "مسلسلاته" وقال: «صحيحٌ ثابتٌ عنه».

المُسَلْسَلُ -بضم الميم وفتح السينين بينهما لامٌ ساكنة-: هو الذي يتَّفق رواته في صفةٍ واحدةٍ، كهذا الحديث فإن كلَّ راوٍ يقول أشهد بالله وأشهد لله لقد أخبرني فلان.

وكالمسلسل بقول كلِّ راو لتلميذه: «**إني أحبُّك فلا تدعنَّ أن تقول دُبُر كلِّ صلاةٍ: اللهمَّ أعنِّي على ذكرك وشكرك وحُسْنِ عبادتك**[1]».

وكالمسلسل بالأولية، والأحاديث المسلسلات نحو ثمانين، أغلبها ضعيفٌ، والصحيح فيها قليلٌ، وأغرب المسلسلات حديث نرويه مسلسلٌ باليمين،

---

(١) نرويها عن الشيخ محمد عبدالباقي الأنصاري المدني سكنًا ووفاةً، وعن الشيخ أبي النصر القاوقجيِّ، عن والده أبي المحاسن، وعن غيرهما.

يحلف كلُّ راو بالله العظيم لقد حدَّثه شيخه، حتىٰ يصل إلىٰ جبريل فيحلف بالله العظيم لقد أخبره الله تعالىٰ، وذكر حديثًا في فضل قراءة الفاتحة موصلة بالبسملة في نفسٍ واحدٍ، وهو مع ذلك حديثٌ مكذوبٌ!!

«**إنَّ مدمن الخمر**» وهوالذي يشربها متىٰ وجدها «**كعابد وَثَنٍ**» لأنه عبد شهوته، وآثرها علىٰ رضا مولاه.

الحديث الثاني والثلاثون

عن أبي أُمامه -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أصحاب البِدَعِ كلابُ النَّار**». رواه أبو حاتمٍ الخزاعي في "جزئه".

«**أصحاب البِدَعِ**» هم الخوارج، فقد جاء في حديثٍ آخر: «**الخوارج كِلابُ النَّار**». لأنهم كَفَّروا بعض الصحابة، واستحلُّوا قِتالهم.

ويقول أحدهم وهو عِمْران بن حِطَّان يمدح عبدالرحمن بن ملجم الذي قتل عليًّا عليه السَّلام:

يَـا ضَرْبَـةً مِـنْ تَقـيٍّ مـا أرادَ بهـا ... إلَّا لِيبلُغَ مِنْ ذي العـرشِ رِضْـوانا
إنِّي لأذكُـــرُهُ يومًـــا فأحسَـــبُهُ ... أَوْفَىٰ البَرِيَّـــة عنـــد الله مِيزانـــا
أَكْرِمْ بقومٍ بطـونِ الأرض أَقْـبُرُهم ... لم يَخلِطـوا دِيـنهم بَغيًـا وَعُـدْوانا

وردَّ عليه القاضي أبو الطيب الطبريُّ بقوله:

يَـا ضَرْبَـةً مِـنْ شَـقيٍّ مـا أرادَ بهـا ... إلَّا لِيبلُغ مِنْ ذي العرشِ خُسْـرانا
إنِّي لأَذْكُـــرُهُ حِينًـــا فَأَلْعَنُـــهُ ... دِينًـا وأَلْعَـنُ عِمْـرَان بـنَ حِطَّانـا
فأنتمو مِن كِـلابِ النَّـارِ جـاء بـذا ... نَـصُّ الشَّـــريعةِ بُرْهانًـا وتبيانـا

الحديث الثالث والثلاثون

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أفضل الأعمال أن تُدخل على أخيك المؤمن سُرورًا، أو تَقضيَ عنه دَيْنًا، أوتُطعمه خُبزًا**». رواه ابن أبي الدنيا في كتاب "قضاء الحوائج".

«**أفضل الأعمال**» بعد الفرائض من صلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ «**أن تُدخلَ على أخيك المؤمن سُرورًا**» بأن تنقل إليه خبرًا صادقًا يسرُّه، أو تُمازحه في حدود اللياقة والأدب «**أو تقضي عنه دَيْنًا**» عجز عن قضائه لعُسره، وتُنْظِرُه لحين يُسْرِه، أو تتنازل عنه وهو أفضل «**أو تُطعمه خُبزًا**» أي: تُشبعه إذا كان جائعًا. فمثل هذه الأعمال أفضل من كثير النوافل؛ لأنك نفعت به أخاك المؤمن، ويتضاعف ثوابها إذا كان جارًا لك في السكن، كما يتضاعف أيضًا إذا كان قريبًا لك، بل كثيرٌ من الأعلماء والصالحين تركوا الحجَّ النَّفل وساعدوا بما كانوا ينفقونه فيه يتامىٰ وأرامل ومُحتاجين.

الحديث الرابع والثلاثون

عن أنسٍ رضي الله عنه: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أفضلُ الصَّدقةِ في رمضانَ**». رواه سليم الراضي في "جزئه".

«**أفضل الصدقة**» صدقةٌ «**في رمضان**»؛ لأنه شهرٌ نزل فيه القرآن، والقرآن يَحضُّ علىٰ البرِّ والصدقة؛ ولأنَّ النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يكون في رمضان أجود بالخير من الرِّيح المُرسلة والله تعالىٰ يقول: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

الحديث الخامس والثلاثون

عن عليٍّ كرَّم الله وجهه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إقرأ القرآن على كلِّ حالٍ إلَّا وأنت جُنُب**». رواه أبو الحسن بن صخر في "فوائده".

يفيد الحديث عدم قراءة القرآن للجُنُب، وهو مذهب الجمهور، وكذالك الحائض. نعم، يجوز لها قراءة آيةٍ أو آيتن للتعوُّذ من الجنِّ والشياطين. أمَّا مس المصحف فلا يجوز[1] إلَّا للمتوضِّئ: «**لا تَمسَّ القرآن إلَّا وأنت طاهِر**». وأجاز المالكية لمعلِّم الصِّبيان في الكُتَّاب أن يمسَّ القرآن بغير وضوءٍ للمشقَّة.

الحديث السادس والثلاثون

عن أنسٍ -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ الله احتجز التوبة عن كلِّ أصحاب بِدْعَةٍ**». رواه ابن فيل في "جزئه".

البدعة: الأمر الذي لم يكن على عهد النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

وهي نوعان:

بدعةٌ في العقيدة، كبدعة القَدَرِيَّة والمعتزلة والخوارج، وهذه البدعة لا تكون إلَّا ضلالةً وعليها ينطبق الحديث؛ لأنَّ أصحابها يعتقدون أنهم على هدى، فهم لا يتوبون من عقيدتهم الضالَّة بل يفتخرون بها، كما يُحكى عن الزمخشريِّ أنه كان إذا قَرَع باب أحد أصحابه، فسأل: من بالباب؟ أجاب:

---

(١) وأجاز المالكية للحائض أن تمسَّ اللوح وتكتب فيه القرآن لأجل التعليم، سواء أكانت تُعلِّم غيرها أم يُعلِّمها غيرها. بل أجازوا أيضًا للحائض المعلِّمة أو المتعلِّمة مسَّ المصحف الكامل.

محمود المعتزلي، ونجده في "تفسير الكشَّاف" يستعيذ بالله من ضلال الأشعرية الذين يسمِّيهم بالمُجْبِرة[١] فهؤلاء مُحتَجزون عن التوبة إلَّا إن أراد الله بأحدهم خيرًا ففتح قفل قلبه.

والأخرى: بدعةٌ في الأعمال الفرعية، وهي بحسب ما فيها من مصلحةٍ أو مفسدةٍ تنقسم إلى بدعةٍ حسنةٍ وسيئةٍ:

فالبدعة الحسنة مثل: تشيع الجنازة بالذكر جهرًا، فإنَّ فيها من المصلحة اشتغال المشيِّعين بالذكر عن الكلام في الميت أو غيره، مع ما يُضيفه الذكرمن الهيبة والوقار.

والبدعة السيئة مثل: ما يُرتكب عند الموت من نصب المآتم وما يصرف فيها[٢].

الحديث السابع والثلاثون

عن عليٍّ عليه السلام، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ الله تعالى يُبْغِضُ البخيلَ في حياته، السَّخيَّ عند موته**». رواه الخطيب في كتاب "البخلاء".

---

(١) بضمِّ الميم، وسكون الجيم، وكسر الباء التحتية الموحدة، نسبة إلى القول بالجبر وما يُحكى عنه أنه رجع عن الاعتزال ليس بصحيحٍ.

(٢) وعليها يتنزَّل الحديث الصحيح: «**مَنْ سَنَّ في الإسلام سُنَّةً حَسَنةً فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، من غير أن يُنقَص من أجورهم شيءٌ، ومَنْ سَنَّ سُنَّةً سيِّئةً فعليه وِزْرُها ووِزْرُ مَنْ عمل بها إلى يوم القيامة، من غير أن يُنقَص مِن أوزارهم شيء**».

البخيل في حالة صحته وحياته مُبْغَض[1] عند الله تعالىٰ؛ لأنه لا يؤدِّي حقَّ الله فيما أعطاه، ويقبض يده عن اليتيم والمسكين والمحتاج، ولايسهم في بناء مسجد أو مستشفىٰ أو معهد للتعليم، بل همُّه جمع المال وتكديسه، حتىٰ إذا أشرف علىٰ الموت، ولم يَبْقَ له في الحياة أمل سخا ببعض المال، وأوصىٰ به لفلانٍ وفلانٍ.

وفي الحديث: «**خير الصدقة أن تَصَدَّق وأنت صحيحٌ شحيحٌ تخشى الفقر وتأمُل الغنى، ولا تَدَعْ حتَّى إذا بلغت الحلقومَ قلتَ لفلانٍ كذا وكذا، وقد كان لفلانٍ كذا**».

الحديث الثامن والثلاثون

عنه أيضًا كرَّم الله وجهه، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان لها**».

رواه الخلعيُّ في "فوائده"، ورواه الخرائطيُّ في "اعتلال القلوب" عن عمر رضي الله عنه.

كتمان الحاجة أنجح لقضائها، وإفشاؤها أدعىٰ لفشلها، بسبب سعي حاسدٍ، أو خصمٍ معاندٍ أو نحوهما ممن يكون دأبه إذاية الناس، وتعطيل مصالحهم. ويقول عمر -رضي الله عنه-: «**مَنْ كَتَم سِرَّهُ مَلَك أَمْرَهُ**».

وحكىٰ المؤرِّخون أنَّ مِن أسباب فشل ابن الزبير، وغَلَبة بني أمية عليه: أنه كان يُفضي بأسراره ولا يكتمها.

---

(١) بضمِّ الميم وسكون الباء وفتح الغين المعجمة وقولهم: مبغوض لحنٌ.

الحديث التاسع والثلاثون

عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ الشَّيطانَ يأتي أحدَكم فيقول: مَن خَلَقكَ؟ فيقول الله. فيقول: مَن خلق الله؟ فإذا وَجَدَ أحدُكم ذلك فليقل: آمنتُ بالله ورُسُلِهِ. فإنَّ ذلك يذهبُ عنه**». رواه بن أبي الدنيا في "مكايدالشيطان".

هذا نوعٌ من وسوسة الشيطان، يريد إغواء المسلم بإلقاء الشك في إيمانه، حيث يسأله من خلق الله؟ وهويعلم أنَّ الله خالقٌ، وليس بمخلوقٍ، وقصته مع آدم تدل على ذلك، حيث قال: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [الأعراف: ١٢] وحلف على إغوائهم بقوله: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢] فإذا وجد المسلمُ هذه الحالة فليقل: آمنت بالله ورُسُله، فإنَّ الشيطان يذهب عنه حين يسمع لفظ الإيمان؛ لأنه يكره أن يرى أحدًا من ذرية آدم متمسِّكًا بإيمانه.

الحديث الأربعون

عن الحسن بن علي عليهما السلام، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إن أحسن الحسن الخلق الحسن**». رواه المستغفريُّ في "مسلسلاته".

هذا الحديث مسلسلٌ يقول كل راو: حدَّثني فلان وعلمه حسنٌ، أو خلقه حسنٌ، أو وجهه حسنٌ، أو خطه حسنٌ، أو كلُّ حاله حسنٌ، وقد تلقيته من شقيقي الحافظ أبي الفيض رحمه الله، كما تلقَّيتُ منه عدَّة مسلسلاتٍ[1] بعضها

---

(١) منها مسلسل عاشوراء، والمسلسل باليمين، ومن ألطف الأحاديث التي تلقيتها عنه

ببيتنا وبعضها بزاويتنا الصِّدِّيقية عمَّرها الله بذكره وهذا الحديث وإن كان ضعيفًا تؤيِّده أحاديث كثيرة في فضل حُسْنِ الخُلُق.

الحديث الحادي والأربعون

عن عليٍّ عليه السَّلام، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ أفواهكم طُرُقٌ للقرآن فطيِّبوها بالسِّواك**». رواه أبو نعيمٍ في كتاب "السِّواك".

يفيد الحديث: استحباب تطيب الفم لقراءة القرآن وفضل السِّواك؛ لأنه ينظِّف الأسنان، ويشدُّ اللَّثة، ويطيِّب النكهة إلى غير ذلك من فوائده المقررة في كتاب "الطب النبوي". ولأبي نعيمٍ في كتاب "السواك" عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**السِّواك من الفِطْرَةِ**». أي الدِّين قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم: ٣٠] وإنما كان من الدِّين لأنه آلة نظافةٍ، والدين نظيفٌ يحضُّ على النظافة.

الحديث الثاني والأربعون

عن أنسٍ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ أنواع البرِّ نصفُ العبادة، والنِّصفُ الآخر الدُّعاء**». رواه ابن صهري في "أماليه".

حديث رواه البيهقيُّ في "السنن" معظم رجاله مَرْضَى: أعرج، عن أعمى، عن أقطع، عن أشل، وهكذا ولَّما ألقاه في بعض دروسه بالزاوية الصِّدِّيقيه سأله بعض الظرفاء من الإخوان الصِّدِّيقيين: في أي مستشفي تلقيتَ هذا الحديث؟

وكان شقيقنا أبو الفيض يُلقي الحديث بإسناده في دروسه، مثل مولانا الأستاذ الإمام الوالد حين كان يلقي دروسًا في "صحيح البخاريِّ" بالجامع الأعظم بطنجه.

العبادةُ معناها: الخضوع والتذلُّل. والدعاء: طلبٌ مِن الله، وخضوعٌ له والتجاءٌ إليه. فمن هنا كان نصف العبادة معادلًا لنصفها الآخر الذي هو أنواع البرِّ كله.

الحديث الثالث والأربعون

عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ أهلَ السَّماءِ لا يسمعون شيئًا من أهلِ الأرضِ إلَّا الأذانَ**». رواه أبوأميَّة الطرسوسيُّ في "مسنده".

يحتمل الحديث معنيين:

أحدهما: أن يكون الملائكة سُكَّان السماء لا يسمعون شيئًا من أمور الأرض إلَّا الأذان، فإنَّ الله يسمعهم إيَّاه على سبيل خَرْقِ العادة لما فيه من توحيد الله والشهادة لرسوله، والدعوة إلى الصلاة التي هي أفضل العبادت.

والمعنى الأخر: أن يكونوا يسمعون من أهل الأرض ما يصدر عنهم من أقوالٍ وأصواتٍ، لكن لا يسمعون منهم سماع قبول ورضا إلَّا الأذان، لما فيه من المعاني المذكورة.

الحديث الرابع والأربعون

عن عقبة بن عامرٍ، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ في الجنَّة دارًا يقال لها: دار الفَرَحِ، لا يدخلها إلَّا مَن فرَّحَ يتامى المسلمين**». رواه الحافظ حمزة بن يوسف السهميُّ في "معجمه".

هذا الحديث يحضُّ على تفريح يتامى المسلمين بإعطائهم ثيابًا جديدة، أو

حلواء، أو لعبًا أو نحو ذلك في الأعياد والمواسم، أو مساعدتهم على التعليم بشراء الكتب اللازمة لهم، أو تفهيمهم ما صعب عليهم من الدروس، أو التسرِية عنهم من حزنٍ أصابهم.إلى غير ذلك من أوجه التفريح والتفريج.

الحديث الخامس والأربعون

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ لله تسعةً وتسعين اسمًا من أحصاها كلها دخل الجنَّة**».

يعني صفةً تدلُّ على الذات مع معنًى من معاني الكمال الذي يجب له تعالى، وليس فيها اسم علمٍ يدل على مجرَّد الذات إلَّا الاسم المفرد (الله) «**من أحصاها**» حفظًا مع تدبُّر معانيها المُوجب لخشية الله، والبعد عن معاصيه. «**كلها**» توكيد أريد به استقصاء تلك الأسماء بالحفظ والتدبير، لتفيد مُحصيها الالتجاء إلى الله، وصدق التوكل عليه. «**دخل الجنَّة**» مع السابقين.

(**الله**): اسمٌ للوجود الأعظم المتصف بصفات الألوهية، المنعوت بنعوت الربوبية.

(**الرحمن**): الذي يعطف على عباده بالإيجاد، ثُمَّ بالهداية إلى الإيمان، وأسباب السعادة، ثُمَّ بالإسعاد في الأخرة.

(**الرحيم**): الذي يفيض الخير على عباده من يستحقُّ منهم ومن لا يستحقُّ.

(**الإله**): المعبود بحقٍّ.

(**الرب**): الذي يربِّي عباده بما يصلحهم.

(المَلِك): الذي يستغني عن كلِّ موجودٍ، ويحتاج إليه كلُّ موجودٍ.

(القُدُّوس): بضمِّ القاف، أي: المنزَّه عن كلِّ وصفٍ يدركه حسٌّ، أو يتصوَّره خيالٌ، أو يسبق إليه وَهْمٌ، أو يختلج به ضميرٌ، أو يقضي به تفكيرٌ.

(السَّلام): الذي سَلِم ذاته عن العَيْب، وصفاته عن النقص، وأفعاله عن الشرِّ.

(المؤمن): الذي يَهَبُ الأمن والأمان، أو الذي يُصدِّق رسله بالآيات.

(المهيمن): المستولي على عباده، المُشرف على أرزاقهم وأعمالهم وآجلهم.

(العزيز): الذي يستحيل وجود مثله، وتشتدُّ الحاجة إليه.

(الجَبَّار): الذي تنفذ مشيئته في كلِّ أحدٍ، ولا تنفذ فيه مشيئة أحدٍ، أو الذي يَجْبرُ فَقْرَ خَلْقه، ويسدُّ حاجتهم.

(المتكبِّر):الذي يكون جميع خلقه حُقَراء بالنسبة إليه، ومِن ثَمَّ وجبت عليهم عبادته والتذلُّل له.

(الخالق): المقدِّر للأشياء قبل وجودها.

(البارئ): المُخترع والمُوجد لها.

(المُصوِّر): المرتِّب لصور المخترعات أحسن ترتيب.

(الحكيم): الذي أحكم المخلوقات وأتقن صنعها، أو الذي تشتمل أفعاله على حِكَمٍ ظاهرةٍ أو خفيةٍ، أو الذي يهب الحكمة لمن يشاء.

(العليم): أي الذي أحاط علمه بكلِّ شيءٍ، كُلِّيِّه وجزئيِّه، ظاهره وباطنه، أوله وآخره، جليله ودقيقه، كبيره وصغيره.

(السَّميع): الذي لا يغيب عن إدراكه أيُّ مسموعٍ، واضحًا كان أو خفيًّا،

يسمع دبيب النملة على الصخرة، وحديث النفس، لا تُكِنُّه الجوانح، لا يختلط عليه صوتٌ بصوتٍ، ولا يَحجبُ إدراكه جهرٌ عن سرٍّ.

(البصير): الذي يرى ما في السموات وما بينهما وما تحت الثَّرى، تنزَّه إبصاره عن الحَدَقة، كما تنزَّه سمعه عن الأذان والصِّماخ.

(الحيّ): حياة ذاتية لا يعتورها فناء.

(القيُّوم): الذي يقوم به كلُّ موجودٍ سواه.

(الواسع): الذي وَسِعَ علمه جميع المعلومات، ووسع كرمه وإنعامه جميع المخلوقات.

(اللطيف): الذي يعلم دقائق المصالح وغوامضها الدقيقة الخفية، ويوصلها إلى مستحقِّها برفقٍ ولطفٍ.

(الخبير): الذي يعلم الأشياء الباطنة والأمور الغامضة.

(الحنَّان): الشديد الرحمة والعطف.

(المنَّان): الكثير الإنعام.

(البديع): الذي لم يعهد له مثله في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

(الودود): الذي يحبُّ الخير لجميع خلقه.

(الغفور): الكامل الغفران.

(الشكور): الذي يجازي على الطاعة اليسرة بدرجاتٍ كثيرةٍ.

(المجيد): الشريف الذات، الجميل الفعال.

(المُبدئ): الذي أوجد الخلق عن عَدَمٍ.

(المُعيد): الذي يوجد الناس بعد فنائهم، فيُعيدهم كما كانوا.

(النُّور): الظاهر في نفسه المُظهر لغيره.

(الهادي): الذي هدىٰ العُقلاء إلىٰ معرفته بما نصب لهم من الدلائل والآيات، وهدىٰ كلَّ مخلوقٍ إلىٰ ما لابُدَّ منه في قضاء ضرورياته.

(الأول): الذي لم يسبقه عَدَم.

(الآخر): الذي ينتهي إليه جميع المخلوقات.

(الظاهر): لذوي العقول بدلائل وحدانيته.

(الباطن) عن الحواسِّ والخيالات، فلا يدركه وَهْمٌ ولا تحسُّه جارحةٌ.

(العَفُوّ): الذي يمحو السِّيئات ويتجاوز عن المعاصي.

(الغفَّار): الكثير الغُفران للعصاة، يغفر لهم مرَّةً بعد مرَّةٍ.

(الوهَّاب): الذي يُعطي كلَّ محتاجٍ حاجته لا لِعوضٍ، ولا لِغَرضٍ.

(الفرد): الذي يستحيل أن يكون له شأنٌ يُماثله أو يُشاكله.

(الأحد): الذي لا يتجزَّأ ولا يثنَّىٰ.

(الصَّمد): الذي يُصْمَدُ إليه -أي يُقصد- في الملمَّات.

(الوكيل): الذي تُوكَلُ إليه الأمور وهو كُفُؤٌ بالقيام بها وفيٌّ بإتمامها.

(الكافي): الذي يكفي الأسواء والأدواء والشرور.

(الباقي): الذي لا ينهي وجوده، أي: لا يطرأ عليه عَدَمٌ أصلًا.

(الحميد): الذي يحمده الخلائق.

(المُقيت): بضمِّ الميم؛ الذي يُعطي كلَّ بدن قوته، ويغذِّي كلَّ روحٍ بقوته المعنوي، أو هو المستولي علىٰ الأشياء كلها المحيط بها علمًا وقدرةً.

(الدائم): الذي ليس له أول ولا آخر.

(المتعالي): البالغ منتهى العُلو.

(ذا الجلال والإكرام): صاحب نعوت الجلال، وهي: الغنى، والقدرة، والعلم. وصاحب الإكرام الذي يفيضه على خلقه.

(الولي): المحبُّ لعباده المُخلِصين.

(النَّصير): الذي ينصر أحبابه.

(الحقُّ): أي الواجب الوجود لذاته.

(المُبين): المظهر لخلقه آياته وآلاءه.

(المغيث): الذي يُغيث الملهوفين والمَكْروبين.

(الباعث): الذي يُحي الخلق يوم النشور، ويبعث مَن في القبور.

(المُجيب): الذي يُجيب دعوة الداعين.

(المحي): خالق الحياة.

(المُميت): خالق الموت.

(الجميل): أي الذي كلُّ فعله حسنٌ جميلٌ.

(الصَّادق): في القول وفي الوعد. ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٩].

(الحفيظ): الذي يحفظ الأشياء بإدامة وجودها إلى حين انتهاء أَجَلِها، ويحفظ المتضادَّات والمتعاديات بصيانة بعضها عن بعضٍ، فلا يطغى الماء على النَّار، ولا النَّار على الماء، ولا الحرارة على البرودة، ولا البرودة على الحرارة.. وهكذا.

(المُحيط): بجميع خلقه إحاطة علمٍ وقدرةٍ، فلا يغيب شيءٌ عن علمه، ولا يخرج شيءٌ عن قدرته.

(الكبير): الذي كمل وجوده فلم يقطعه عَدَمٌ سابقٌ، ولا عَدَمٌ لاحقٌ، وصدر عنه وجود كل موجودٍ.

(القريب): القريب من عباده قرب عنايةٍ وتأييدٍ، لا قرب مسافةٍ وتحديدٍ.

(الرقيب): الذي يراعي المخلوقات مراعاةً تامَّةً لا تعتريها غفلةٌ، ويلاحظها ملاحظةً كاملةً لا يغيب عنه منها شيءٌ.

(الفتَّاح): الذي يفتح كلَّ مُغلقٍ، ويكشف كلَّ مُشكَلٍ، ويحكم بالحقِّ.

(التوَّاب): الذي ييسِّر أسباب التوبه لعبادة، وإذا تابوا قبل منهم.

(القديم): الذي يستحيل أن ينتهي وجوده في الماضي إلى أول، ويقال له الأزليّ.

(الوتر): المنفرد بالألوهية.

(الفاطر): الذي بدأ خلق الموجودات من عَدَمٍ.

(الرزَّاق): خالق الأرزاق الحسِّية كالطعام، والمعنوية كالعلم، وموصلها إلى عباده.

(العلَّام): الذي لا نهاية لمعلوماته.

(العَليّ): الذي لا رتبة تصل إلى رتبته.

(العظيم): الذي يستحيل أن تحيط العقول بكنه حقيقته.

(المُغني): الذي يفيض على عباده ويغينهم.

(المَليك): الواسع المُلك.

(**المُقْتَدِر**): التامُّ القُدْرة كاملها.

(**الأكرم**): الكثير الإعطاء.

(**الرءوف**): الشديد الرحمة.

(**المُدبِّر**): الذي يُدبِّر شئون المخلوقات حسب علمه.

(**المالِك**): الذي تنفذ مشيئته في مُلْكِهِ.

(**القاهِر**): الذي قهر عباده، فهم في قبضته.

(**الشَّاكِر**): الذي يجزي العاملين، ويُثني عليهم.

(**الكريم**): الذي يعفو مع قدرته على العقاب.

(**الرَّفيع**) الذي يرفع رتبة أوليائه، ويرفع درجاتهم في الآخره.

(**الشَّهيد**): الذي يشهد جميع خلقه ويراهم: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤].

(**الواحد**): الذي يستحيل الانقسام في ذاته.

(**ذو الطَّول**): صاحب الامتنان.

(**ذو المعارج**): صاحب المصاعد الذي يصعد عليها الملائكة إلى السموات، وإلى ما شاء الله.

(**ذو الفضل**): صاحب الكمال المطلق الذي لا يدانيه كمال.

(**الخلَّاق**): الذي خلق العالم بمن فيه وما فيه، ويخلق كلَّ لحظةٍ ما لا يُحصى من النفوس.

(**الكفيل**): الذي كفل أرزاق المخلوقات، فلا يوجد حيٌّ إلَّا أوصل رزقه إليه.

(الجليل): الذي يوصف بصفات الجلال من الغنىٰ والملك والقدرة والعلم وغيرها.

وهذه الأسماء تُقرأ منصوبة لأنها مفعولةٌ لفعل «أسأل» في أول الحديث. رواه أبو الشيخ في "التفسير"، وأبو نعيمٍ في "الأسماء الحُسنىٰ".

الحديث السادس والأربعون

عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ لجنَّهم بابًا لايدخله إلَّا مَنْ شَفَى غَيْظه بمعصية الله**». رواه ابن أبي الدنيا في كتاب "ذم الغضب".

الغضب: جمرةٌ من الشيطان تُوقد في قلب ابن آدم، فإذا أطفأها الإنسان بكَظْم غيظه أرضاه الله تعالىٰ يوم القيامة علىٰ رؤس الأشهاد، وإن هو استرسل معها وانتقم ممَّن أغضبه بمعصية الله تعالىٰ، بأن ردَّ علىٰ الشتيمة بالضرب، أو ردَّ علىٰ الضرب بالقتل، فإنه يدخل جنَّهم من بابٍ خُصِّص له ولأمثاله.

ومن حِكَم عمر رضي الله عنه قوله: «ما عاقبتَ من عصىٰ الله بمثل أن تُطيع الله فيه».

الحديث السابع والأربعون

عن أبي أُمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنكم لن تَرَوا ربَّكم عزَّ وجلَّ حتى تموتوا**». رواه الطبرانيُّ في "السنة".

يفيد الحديث: أنَّ المؤمنين يرون الله تعالىٰ بعد الموت يعني يوم القيامة، وانعقد عليه إجماع أهل السُّنَّة، وتواترت به الأحاديث، ودلَّت عليه آياتٌ من

القرآن الكريم مثل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة: ٢٢-٢٣]﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[المطففين: ١٥] وما خصَّ الكفَّارَ بالحجاب إلَّا لأنَّ المؤمنين يرونه.

كما يفيد الحديث: أنَّ أحدًا لن يرىٰ الله في الدنيا، وهو إجماعٌ من أهل السُّنَّة أيضًا، ولو ادَّعاه أحدٌ يُحكم بكفره، وُسئل الإمام مالكٍ: لِمَ لم يرَ المؤمنون ربهم في الدنيا؟ فأجاب: «لأنهم فانون وهو باقٍ، فإذا كان يوم القيامة أُعطوا أبصارًا باقيةً فرأوا الباقي بالباقي».

وهل رآه النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ليلة المعراج؟ في ذلك خلافٌ قيل: لم يره، وقيل: رآه بقلبه فقط. والصحيح أنه رآه رؤيةً بصريَّةً حقيقيَّةً.

الحديث الثامن والأربعون

عن عليٍّ عليه السَّلام، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**أَهْلُ القرآنِ أَهْلُ الله وخاصَّتُه**». رواه أبو القاسم ابن حيدر في "مشيخته".

إنما كان أهل القرآن أهل الله لأنهم حفظوا كلامه، والتزموا أحكامه وقد ورد: «**مَن أوتي القرآن ورأى أنَّ غيره قد أُعطي أعظم مما أُعطي فقد صغَّر ما عظَّم الله**».

الحديث التاسع والأربعون

عن عليٍّ أيضًا كرَّم الله وجهه، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ألا أدلُّكم على الخلفاء منِّي ومن أصحابي ومن الأنبياء قبلي؟ هم حَمَلةُ القرآن والأحاديث عنِّي وعنهم في الله ولله**». رواه السجزيُّ في "الإبانة"، والخطيب في

"شرف أصحاب الحديث".

في الحديث شرفٌ كبيرٌ لأصحاب الحديث، ومنه أُخذ لقب أمير المؤمنين في الحديث، وهو: أعلىٰ لقب للحفظ عند المحدِّثين لم ينله إلَّا نفرٌ قليلٌ[1] منهم الإمام مالك، وعبدالرحمن بن مهدي، والبخاري، وآخر من وُصف به: الحافظ ابن حجر.

«في الله ولله» يعني أنهم يحملون القرآن والحديث عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وعن أصحابه حبًّا في الله ولأجل دين الله[2].

الحديث الخمسون

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أُوتِيَ موسى الألواحُ، وأُوتيت المَثَاني**». رواه أبو سعيدٍ النقاش الحافظ في "فوائد العراقيين".

«**المثاني**» هي: السور التي تَقِلُّ عن مائة آية، مثل سورة الأنفال. سُمِّيت مَثاني لأنها ثنَّت السور المئين أي هي ثوان، والمئون أوائل، والمعنىٰ: أنَّ السُّور المثاني تعدل الألواح التي أُوتيها موسىٰ عليه السَّلام.

---

(١) وهم نحو خمسة وعشرين، جمعهم المرحوم الشيخ حبيب الله الشنقيطي في رسالة. وألقاب الحِفظ هي: مُسنِد، ثُمَّ مُحدِّث، ثُمَّ مُفيد، ثُمَّ حافظ، ثُمَّ أمير المؤمنين في الحديث. أمَّا لقب «الحاكم» فليس من ألقاب الحِفظ، كما أنَّ لفظ «الحجَّة» من ألفاظ التعديل.

(٢) ولذا قال بعض العلماء: علم الحديث من علوم الآخرة ليس للدنيا فيه نصيبٌ.

الحديث الحادي والخمسون

عن عثمان رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**أول مَن يَشْفَعُ يوم القيامةِ الأنبياء، ثُمَّ العلماء، ثُمَّ الشُّهداء**». رواه المرهبيُّ في "فضل العلم".

أول من يشفع يوم القيامة على الإطلاق هو النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، حين يؤذن له بالشفاعة في فصل القضاء، ثُمَّ بعد ذلك يُؤذَنُ بالشفاعة للأنبياء، ثُمَّ العلماء؛ لأنهم ورثة الأنبياء، ثُمَّ الشهداء؛ لأنهم جادوا بأنفسهم في سبيل الله.

والمراد بالعلماء الذين يشفعون: أهل الاجتهاد الذين تقوم بهم الحُجَّة، ويُجدِّدون الدِّين، وليس المراد بهم المقلِّدين، ولو كانوا يحملون شهادات مِن الأزهر، أوغيره مِن الجامعات.

الحديث الثاني والخمسون

عن سعيد بن مسعودٍ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إيَّاكم ومُحادَثة النِّساء؛ فإنه لا يخلو رجلٌ بامرأةٍ ليس لها مَحْرَمٌ إلَّا هَمَّ بها**». رواه الحكيم الترمذي في كتاب "أسرار الحج".

أثبتت التجارب المتعدِّدة المُستقاة من الوقائع المختلفة: أنَّ انفراد الرجل بامرأةٍ أجنبيةٍ عنه لا يخلو من إثمٍ، إلَّا إذا وُجِدَ مانعٌ قهريٌّ. كما ثبت أنَّ وازع العلم أو الخُلُق لا يحول دون وقوع خطيئةٍ بينهما، فمن هنا حذَّر الشَّارع من مُحادثة النِّساء والخُلْوة بهنَّ؛ مخافة الوقوع في الزِّنا أو في مُقدِّماته.

الحديث الثالث والخمسون

عن عمر رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إيَّاكم والتعمُّق في الدِّين فإنَّ الله تعالى قد جعله سهلًا، فخذوا منه ما تُطيقون، فإنَّ الله يحبُّ ما دام من عملٍ صالحٍ، وإن كان يسيرًا**». رواه أبو القاسم بن بشران في "أماليه".

التعمُّق في الدين: أي التشدُّد فيه، منهيٌّ عنه لأنه يؤول بالتعمُّق إلى الكَلَل والتفريط، والدِّين الإسلاميُّ سهلٌ مُيسَّرٌ يُجاري الحياة، ويحضُّ على الأخذ من طيبتها في حدود الاعتدال، ويطلب من المسلم أن لا يُقصِّر في الفرائض، وأن يعمل من النوافل القدر الذي لا يمله ولا يتعبه، ويؤكد أنَّ العمل الصالح الدائم مع قلته خيرٌ من العمل الكثير المنقطع، فصلاة ركعتين كل يومٍ خيرٌ من صلاة مائة ركعة لمدة شهرٍ ثُمَّ تنقطع، وعلى هذا القياس.

الحديث الرابع والخمسون

عن البراء رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أيما إمامٌ سها فصلَّى بالقوم وهو جُنُبٌ فقد مَضَتْ صلاتُهم، ثُمَّ ليغتسل هو، ثُمَّ ليعد صلاته، وإن صلَّى بغير وضوءٍ فمثل ذلك**». رواه أبو نعيم في "معجم شيوخه".

إذا نسي الإمام أنه جُنُبٌ أو على غير وضوء فصلَّى بالناس، ثُمَّ تذكَّر بعد الصَّلاة فقد صحَّت صلاة من صلَّى بهم، أمَّا هو فيجب عليه أن يغتسل أو يتوضَّأ، ثُمَّ يُعيد الصَّلاة، فإنَّ تذكَّر وهو في الصَّلاة فليستخلف، بمعنى أنه يقدِّم بعض المصلِّين يؤمُّ النَّاس بدله، ويذهب هو ليغتسل أو يتوضَّأ.

الحديث الخامس والخمسون

عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**أيما راعٍ لم يرحم رعيَّته حَرَّم الله عليه الجنَّة**». رواه خيثمة الطرابلسيُّ في "جزئه".

الرَّاعي: أي الحاكم الذي يَلِي أمر الناس يجب عليه أن يُعامل أفراد الرَّعيَّة معاملةً حسنةً فيها رِفقٌ ورحمةٌ، فلو شدَّد أو شقَّ عليهم وجبت له النَّار؛ لأنه ضيَّع أمانةً وُكِلَتْ إليه، ومِن هنا كان عمر -رضي الله عنه- يتفقَّد أفراد الرَّعيَّة، خشية أن يكون فيهم ضعيفٌ يحتاج إلى مساعدةٍ، أو جائعٌ يلمتس الطعام، أو أرملةٌ فقدت عائلتها، وحوادثه في ذلك بالغة العِبْرة.

الحديث السادس والخمسون

عن عليٍّ عليه السَّلام، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**الإيمان والعمل أخوان شريكان في قَرَنٍ، لا يقبل الله أحدهما إلَّا بصاحبه**». رواه ابن شاهين في "السنة".

الإيمان مَحَلُّه القلب، تظهر ثمرته على الجوارح، فإن كان القلب عامرًا بالإيمان الصادق ظهر أثره على الأعضاء بالطاعة والعمل الصالح.

أمَّا من يدَّعي الإيمان بلسانه وليس له نصيبٌ في عملٍ صالحٍ فإيمانه غير مقبولٍ لنقصانه، كما أنَّ العمل من غير المؤمن، غير مقبولٍ فلا تصحُّ صلاةٌ ولا صومٌ ولا زكاةٌ من كافرٍ، وكذلك سائر الأعمال الصالحة، وهذا معلومٌ لا يحتاج إلى بيان.

و«قَرَن» في الحديث بفتح القاف والراء.

الحديث السابع والخمسون

عن عبدالله بن جَرَادٍ رضي الله عنه قال: قال رسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**الآمر بالمعروف كفاعله**». رواه يعقوب بن سفيان في "مشيخته".

من أمر بمعروفٍ فعُمِل[1] به كان له ثواب العامل به، لأنه الذي أمر به، وأرشد إليه، ومثله حديث: «**الدالُّ على الخير كفاعله**». رواه ابن جميع في "مسنده" من حديث ابن عبَّاسٍ.

وفي "صحيح مسلم" عن أبي مسعودٍ قال: جاء رجلٌ إلى النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: احملني، أي: أعرني ناقة تحملني، فقال: «**ما أجد ما أحملك عليه ولكن ائتِ فلانًا فلعله يَحمِلُك**».

فأتاه فحَمَلَه، فقال النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن دلَّ على خيرٍ فله مثل أجر فاعله**».

الحديث الثامن والخمسون

عن عبدالله بن مُغَفَّل رضي الله عنه قال: قال النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ويلٌ للرَّاعي من الرَّعيَّة، إلَّا واليًا يحوطهم مِن ورائهم بالنَّصيحة**». رواه الرويانيُّ في "مسنده".

مسؤلية الحاكم شديدةٌ؛ لأنه يأتي يوم القيامة وللرعيَّة قِبَلَه حقوقٌ يطالبونه بها، فلا يلبث أن يهوي في جهنَّم مغلولًا مقيَّدًا، إلَّا إن كان ناصحًا لرعيَّته، لا يغشُّهم ولا يَبْخَسُهم شيئًا مِن حقوقهم، فإنه يكون من النَّاجحين الفائزين.

---

(١) بضمِّ العين وكسر الميم.

الحديث التاسع والخمسون

عن عمر رضي الله عنه قال: قال النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**الإيمان بالنيَّة واللسان، والهجرة بالنَّفس والمال**». رواه عبدالخالق بن زاهر في "الأربعين".

الإيمان لا يتمُّ إلَّا بأمرين: عقدٌ بالقلب، ونُطْقٌ باللسان. فلو اعتقد الإيمان بقلبه ولم ينطق بما يدلُّ عليه وهو الشَّهادة، فإن كان لعذرٍ، كخرسٍ، أو معاجلة الموت فهو مؤمنٌ، وإن لم يكن عذرٌ فليس بمؤمنٍ.

والهجرة من دار الكفر تكون بالنفس بأن يُفارق بلاد الكفَّار إلى بلاد المسلمين، وبالمال ينفقه في سبيل تحقيقها، كما فعل صهيبٌ رضي الله عنه، فإنه لما خَرَجَ مِن مكَّة مهاجرًا إلى المدينة اعترض طريقه المشركون ومنعوه، فأعطاهم مالًا له بمكَّة نظير تركهم له، ونزل فيه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

الحديث الستون □

عن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال رسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**بين العبد والجنَّة سبع عقباتٍ، أهونها الموت، وأصعبها الوقوف بين يدي الله تعالى إذا تعلَّق المظلومون بالظالمين**». رواه أبو سعيدٍ النقَّاش في "معجمه".

«**سبع عقباتٍ أهونها الموت**»، ثُمَّ سؤال المَلَكين، ثُمَّ انتظار الحِساب في يوم كان مِقْداره خمسين ألف سنةٍ، وأَخْذُ الصحيفة المُسَجَّل فيها العمل من البلوغ إلى الممات، والوقوف عند الميزان لوزن الأعمال، والمرور على الصِّراط،

والسابعة وهي أصعبها: «**الوقوف بين يدي الله تعالى إذا تعلَّق المظلومون بالظالمين**» يُطالبون حقَّهم المهضوم، وليس هناك دينارٌ ولا درهمٌ، إنما هي الحسنات والسيِّئات، يأخذ المظلومون من حسنات الظالمين حتىٰ يستوفوا حقَّهم، فإذا فَنِيتْ حسنات الظالمين أخذ من سيِّئات المظلومين وطرحت علىٰ الظالمين، ثُمَّ طُرحوا في النَّار.

الحديث الحادي والستون

عن أنسٍ رضي الله عنه أيضًا قال: قال النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ بُدلاء أُمَّتي لم يدخلوا الجنَّة بصلاةٍ ولا صيامٍ، ولكن دخلوها بسخاء الأنفس، وسلامة الصُّدور، والنُّصح للمسلمين**». رواه الطبرانيُّ في "الأجواد".

«**لم يدخلوا الجنَّة بصلاةٍ ولا صيامٍ**»: أي وحدها. «**ولكن دخلوها**»: مع الصَّلاة والصِّيام. «**بسخاوة الأنفس**»: وذلك أنهم إذا أعطوا شيئًا في الله لم تتبعه نفوسهم، ولو كان شيئًا كثيرًا له بال. «**وسلامة الصُّدور**»: مِن الحِقْد والغِشِّ والحسد. «**والنُّصح للمسلمين**»: يُقدِّمون النَّصيحة لكلِّ مسلمٍ خالصةً لله لا يريدون غرضًا أو منفعةً.

الحديث الثاني والستون

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**بِئس الكَسْبُ أجر الزَّمَّارةِ، وثَمَنُ الكَلْبِ**». رواه أبو بكر بن مقسم في "جزئه"

الزمارة والنَّاي والعُود وجميع آلات الغِناء يحرم بيعها وشراؤها، وكسبها خبيثٌ، وكذلك الكلب يحرم بيعه وشراؤه، لحُرمة أكله، ولنجاسته في مذهب

الشافعية[١] والحنفية، واقتناؤه في البيت يمنع دخول الملائكة، ويُنقص من عمل صاحب البيت كل يومٍ قيراط أجرٍ، إلَّا كلب الصيد أو الحراسة، فقد أَذِنَ الشَّارع في اقتنائه لما فيه من المصلحة.

الحديث الثالث والستون

عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**تجافوا عن عُقوبةِ ذوي المُروءَة**». رواه أبو بكر بن المزربان في كتاب "المُروءَة"، وأبو الشيخ في كتاب "الحدود".

ذووا المُروءَة: هم الذين يُعرفون بالخير، ويَخِفُّون لنجدة الضعيف ومساعدة المحتاج، فإذا حصل من أحدهم ذنبٌ من الصغائر التي ليس عليها حدٌّ في الشَّرع، وإنما فيها التعزير[٢]، فينبغي ألَّا يُعذَّر على ذنبه بل يُتغاضى عنه ويُتسامح رعايةً لمُروءته ونجدته وفي "معجم الطبراني الأوسط" عن ابن

---

(١) ومع ذلك جوَّزوا بيعه وسمُّوه نقل اختصاص: أي يدفع الشخص نقودًا لصاحب الكلب نظير نقل اختصاصه من صاحبه إليه. وكذا يجوز عندهم بيع الأشياء النَّجسة المُحتاج إليها باسم نقل الاختصاص وهو تحايلٌ واضحٌ.

(٢) التعزير -بالعين المهملة والزاي-: عقوبةٌ يُحدِّدها الحاكم لذنبٍ ليس فيه حدٌّ شرعيٌّ، ويكون بضربٍ أو تأنيبٍ، أو نحو ذلك مما يراه الحاكم رادعًا.

قال الإمام الشافعيُّ: «سمعت من أهل العلم ممَّن يعرف الحديث يقول: يُتجافى للرجل ذي الهيئة عن عَثْرته ما لم يكن حدًّا، قال: وذو الهيئات الذين يقالون عثراتهم: الذين ليسوا يعرفون بالشرِّ فيزل أحدهم الزلَّة». قلت: وليس المراد بذي الهيئة: أن يكون حَسَنَ الثِّياب، أو صاحب مالٍ أو جاهٍ، مع خُلُوِّه مِن الخير.

مسعود مرفوعًا: «**تجاوزوا عن ذَنْبِ السَّخيِّ فإنَّ الله يأخذ بيده عند عَثَرَاتِهِ**». والسَّخيُّ من ذوي المروءة.

الحديث الرابع والستون

عن أنسٍ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**تَعلَّموا مِن العِلْمِ ما شِئتم فوالله لا تُؤجروا**[1] **بجَمْعِ العِلْمِ حتَّى تَعْمَلُوا**». رواه أبو الحسن ابن الأخرم المديني في "أماليه".

فائدة العلم - أيُّ علمٍ كان- هي: العمل به وتنفيذه. فالذي يتعلَّم العلوم الدينية يجب عليه أن يُنفِّذ ما فيها من أحكامٍ ليؤجر على علمه، وعلى عمله به، أمَّا إذا لم يعمل فيكون إثمه مُضاعفًا، وكذلك العلوم التي تتعلَّق بالصناعات والاختراعات يجب تنفيذها وتحقيق نظرياتها بالتجربة، وما تأخَّر المسلمون إلَّا بتقصيرهم في هذه الناحية، فقد كان فيهم علماء في الكيمياء والطبيعة والهندسة وغيرها، ولم يحاولوا أن يحقِّقوا ما فيها من نظريَّات تحقيقًا عمليًّا إلَّا قليلًا منهم حاولوا ذلك في نطاقٍ ضيِّقٍ.

الحديث الخامس والستون

عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**تقرَّبوا إلى الله ببُغْضِ أهل المعاصي، والقوهم بوجوهٍ مُكْفَهِرَّةٍ**[2]**، والتمسوا**

---

(١) بحذف النون أُجريت لا النافيه مجرى لا الناهية، وقوَّى ذلك هنا وحسَّنه وقوعها بعد القَسَم.

(٢) بضمِّ الميم وسكون الكاف وفتح الفاء وكسر الهاء وتشديد الراء: عابسة.

رضا الله بسُخْطِهم وتقرَّبوا إلى الله بالتباعُدِ منهم». رواه أبو حفص بن شاهين في "الأفراد".

يحضُّ الحديث على التقرُّب إلى الله ببغض أهل المعاصي المُدمنين لها، ولقائهم بوجوهٍ عابسةٍ، والتماس رضا الله بإسخاطهم في القول والفعل، والتباعد عنهم وعدم مُجالستهم. وجاء مثل هذا في القرآن أيضًا قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

فهذا نهيٌ عن مجالسة أهل المعاصي، وأخبر عن بني إسرائيل أنهم لُعِنُوا لأسبابٍ، منها عدم نهي بعضهم بعضًا عن المعاصي ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨ - ٧٩].

الحديث السادس والستون

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**تنظَّفوا بكلِّ ما استطعتم؛ فإنَّ الله تعالى بنى الإسلام على النظافة، ولن يدخل الجنَّة إلَّا كلُّ نظيفٍ**». أبو الصعاليك الطرسوسيُّ "في جزئه".

«**بكلِّ ما استطعتم**» من أنواع المنظِّفات «**فإنَّ الله تعالى بنى الإسلام على النظافة**» يعني: النظافة المعنوية والحِسِّيَّة.

أمَّا النظافة المعنوية: فعقيدته السليمة في الله، وفي رسله وأنبيائه.

وأمَّا النظافة الحِسِّيَّة: فإيجاب الغسل من الجنابة، وإيجاب الوضوء للصلاة، واشتراط الطهارة للمصلِّي في بدنه وثوبه ومكانه، وإيجاب الختان والاستحداد، وتأكيد السواك والغسل يوم الجمعة، واستعمال الطيب، وغير ذلك.

«**ولن يدخل الجنَّة إلَّا كلُّ نظيفٍ**» من أدران المعاصي، بأن يتنظَّف منها بالتوبة النصوح، فإن مات غير تائبٍ طُهِّر بالنَّار، ثُمَّ دخل الجنَّة طاهرًا نظيفًا.

الحديث السابع والستون

عن أنسٍ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**التائبُ مِن الذَّنب كمن لا ذنب له، وإذا أحبَّ الله عبدًا لم يضره ذنبٌ**». رواه القشيريُّ في "الرسالة".

إذا تاب العبد من الذنوب توبةً صادقةً محا الله عنه ذنبه؛ فكان كمن لا ذنب له. «**وإذا أحبَّ الله عبدًا لم يضره ذنبٌ**» إمَّا بأن يوفِّقه للتوبة عقب كلِّ ذنبٍ، وإمَّا أن يختم له بعملٍ صالحٍ يمحو ما تقدَّم من ذنوبه. ومن دعاء الصوفية المؤخوذ من هذا الحديث: «اللهمَّ اجعل سيِّئاتنا سيِّئات من أحببت، ولا تجعل حسناتنا حسنات من أبغضت».

الحديث الثامن والستون

عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**التضلُّع من ماء زمزم براءةٌ مِن النِّفاق**». رواه الأزرقيُّ في "تاريخ مكة".

ماء زمزم نبع مِن الأرض بضَرْب جناح جبريل -عليه السَّلام- ليسقي هاجر وابنها إسماعيل عليه السَّلام، وهو ماءٌ ليس بعَذْبٍ، فالذي يشربه

لايقصد التلذُّذ به، ولكن يقصد البركة والاستشفاء، والذي يتضلَّع ويُكثر منه مع عدم عذوبته يكون ثابت الإيمان، بريئًا من النفاق؛ لأنَّ المنافق ليس عنده الإيمان الذي يحمله على الإكثار من شرب ماءٍ غير عذب، لا لذَّة فيه عنده، ليتبرَّك بأثر جبريل.

الحديث التاسع والستون

عن أنسٍ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ثلاث دعواتٍ لا تُردُّ: دعوة الوالد لولده، ودعوة الصَّائم، ودعوة المسافر**». رواه أبو الحسن ابن مهرويه في "الثلاثيات".

إنما كانت دعوة الوالد لا تردُّ لأنه يدعو لولده بقلبٍ مخلصٍ شفيقٍ، وأمَّا الصائم فلأنه يدعو وهو متلبِّسٌ بعبادة الصوم الذي لا يدخله رياء؛ لأنه سِرٌّ بين الله وبين عبده، أمَّا المسافر فلأنه يدعو في حالة اضطرار.

الحديث السبعون

عن أنسٍ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ثلاثٌ من كُنَّ فيه فهو منافقٌ، وإن صام وصلَّى، وحجَّ واعتمر، وقال إني مسلمٌ: مَن إذا حدَّث كَذَب، وإذا وَعَد أخلف، وإذا اؤتمن خان**». رواه رستة في "الإيمان"، وأبو الشيخ "في التوبيخ".

هذه الخصال الثلاثة من نفاق العمل، وهو مخالفة قول الشخص لعمله، يحدِّث زاعمًا أنه صادقٌ، وهو في الواقع كاذبٌ، ويَعِدُ بالشيء وهو ناوٍ ألا يفي به، ويُؤتمن على الأمانة من مالٍ أو سرٍّ أو عَرَضٍ فيخون، ولهذا لم تنفعه عبادته

من صلاةٍ وصيامٍ وحجٍّ وعمرة، ولا دعواه الإسلام بلسانه؛ لأنَّ الإسلام الكامل: أن يكون قول المسلم وفعله متوافقين.

الحديث الحادي والسبعون

عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ثلاثةٌ لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: حُرٌّ باع حُرًّا، وحُرٌّ باع نفسه، ورجلٌ أبطل كِراء أَجِيرٍ حين جفَّ رَشْحُهُ**». راوه الإسماعيلي في "معجمه".

«**لا ينظر الله إليهم يوم القيامة**» نظر رحمةٍ ورضًا، ولكن ينظر إليهم نظر غضبٍ وعقابٍ. «**حرٌّ باع حرًّا**» بأن يسرق ولدًا من أبويه ويذهب به إلى بلدٍ آخر فيبعه على أنه عبد.

وقد وقع هذا في كثيرٍ من البلدان، ووقع بسببه مآسي، وهذا رِقٌّ لا يُجيزه الشرع ولا يُقِرُّه القانون.

وكان مولانا الإمام الوالد -رضي الله عنه- يشتري هؤلاء الأرقَّاء المظلومين ويردُّ إليهم حريَّتهم. اشترى مرَّةً بنتًا تسمَّى مسعودة وأعتقها وجعلها كفردٍ من العائلة، وهي كانت مربِّيتي، وبعد مدَّة كبيرة نحو عشرين سنة، كانت في زيارة بعض صديقاتها فسمعت وصف جاريةٍ جيء بها من مراكش إلى طنجة، فتقصَّت عنها فإذا هي أختها، فلما علم مولانا الإمام الوالد -رضي الله عنه- بذلك بعث إلى سيِّدها فاشتراها منه وأعتقها، ومكثت عندنا في البيت مع أختها.

«**وحرٌّ باع نفسه**» لأنه رضي بذُلِّ الرِّقِّ والعبودية، وفي حديثٍ حسنٍ عن

جابرٍ: «**نهي المؤمن عن إذلال نفسه**». وأيضًا فإنه لا يملك أن يبع نفسه[١] كما

---

(١) مع أنه كان في بعض الشرائع السابقة يجوز بيع الرجل نفسه لغيره.

روىٰ الطبرانيُّ عن أبي أُمامة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**بينما الخَضِر ذات يومٍ يمشي في سوق بني إسرائيل أبصره رجلٌ مُكَاتبٌ، فقال: تصدَّق عليَّ بارك الله فيك. فقال الخَضِر: آمنت بالله، ما عندي شيءٌ أُعطِيكَهُ. فقال المسكين: أسألك بوجه الله لما تصدَّقت عليَّ، فإني نظرت السَّماحة في وجهك، ورجوت البركة عندك. فقال الخضر: آمنت بالله، ما عندي شيءٌ أُعطِيكَهُ، إلَّا أن تأخذني فتبيعني. فقال المسكين: وهل يستقيم هذا؟! قال: نعم، أقول: لقد سألتني بأمرٍ عظيم أما إني لا أُخيِّبك بوجه ربِّي، بِعْنِي. فأخذه فباعه بأربعمائة درهمٍ، فمكث عند المشتري زمانًا لا يستعمله في شيءٍ، فقال: إنما اشتريتني التماس خير عندي فأوصني بالعمل. قال: أكره أن أشُقَّ عليك إنك شيخٌ كبيرٌ ضعيفٌ. قال: ليس يشُقُّ عليَّ. قال: قم فانقل هذه الحجارة -وكان لا ينقلها دون ستة نفرٍ في يومٍ- فخرج الرجل لبعض حاجته ثُمَّ انصرف وقد نقل الحجارة في ساعةٍ، قال: أحسنت وأجملت وأطقت مالم أرك تُطيقُهُ. ثُمَّ عرض للرجل سفرٌ فقال: إني أحسبك أمينًا فاخلفني في أهلي خلافةً حَسَنةً. قال: وأوصني بعمل. قال: فاضرب من اللبن لبيتي حتى أقدم عليك، فمرَّ الرجل لسفره، فرجع وقد شيَّد بناءً. قال: أسألك بوجه الله ما سببك؟ فقال الخَضِر: سأخبرك مَن أنا؟ أنا الخَضِر الذي سمعتَ به، سألني مسكينٌ صدقةً فلم يكن عندي شئ أعطيه، فسألني بوجه الله، فأمكنته من رقبتي فباعني. وأخبرك أنه من سُئل بوجه الله فردَّ سائله وهو يَقْدِر، وقف يوم القيامة جِلْدُهُ ولا لحم له يتقعقع. فقال الرجل: آمنت بالله، شَقَقْتُ عليك يا نبي الله ولم أعلم، بأبي أنت وأُمِّي يا نبيَّ الله، احكم في أهلي ومالي بما شئتَ، أو اختر فأُخلِّي سبيلك، قال أُحبُّ أن تخلِّي سبيلي فأعبد ربي، فخلَّى سبيله. فقال الخَضِر: الحمد لله الذي أوثقني في العبودية، ثُمَّ نجَّاني منها**».

لا يملك أن يزهقها[1]، «**ورجل أبطل كِراء أجيرٍ حين جفَّ رَشْحُهُ**». أي عرقه، ومعنىٰ إبطال كِراءه أنه استأجر أجيرًا علىٰ عملٍ، فلما أتمَّه وطلب أجره ادَّعىٰ عليه أنه سرق شيئًا يساوي أجرته، ولم يعطه شيئًا وعلىٰ هذا القياس.

الحديث الثاني والسبعون

عن أنسٍ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**جَهْدُ البلاءِ قِلَّةُ الصَّبر**». رواه أبو عثمان الصَّابونيُّ في "المائتين".

الجَهْد هو: المشقَّة، وقد استعاذ النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من جَهْدِ البلاءِ، أي: مشقته التي لا يطقها الإنسان. وإنما تأتي المشقَّة من قلَّة الصبر أو عدمه، لأنَّ الصبر علىٰ البلاء يُهوِّنه ويُخفِّف وَطْأته، بسبب انتظار فرج الله، والأمل في نيل ثوابه. فإذا قلَّ الصبر أو عُدِم فُقِد الأمل، وضعفت مقاومة البلاء فشقَّ وقوعه، واشتدَّت وَطْأتُه، وهذا معنىٰ جَهْدُ البلاءِ.

الحديث الثالث والسبعون

عن أنسٍ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**الجماعة بَرَكةٌ، والسُّحُور بَرَكةٌ، والثَّريد بَرَكةٌ**». رواه بن شاذان في "مشيخة".

«**الجماعة بركة**» لأنَّ في الجماعة من التعاون علىٰ الخير ما لا يتحقق مع

هذا الحديث يدلُّ علىٰ أنَّ بيع الرجل نفسه كان جائزًا في شريعة الخَضِر عليه السَّلام، لكنه في شريعتنا كبيرةٌ من الكبائر.

(١) إزهاق الإنسان نفسه، يُسمَّىٰ الانتحار، وهو كبيرةٌ، وقد بيَّنتُ حكمه وذكرت ما ثبت فيه من الأحاديث في كتاب "قمع الأشرار عن جريمة الانتحار". طبع ونفد منذ مُدَّةٍ.

الفرقة. «**والسُّحور بركة**» لأنَّ الصائم يتناوله في وقت السَّحر، وهو وقتٌ مباركٌ، وأيضًا فهو يساعد الصائم على صيامه، وتلك بركةٌ منه. «**والثريد بركة**» لأنه يشتمل على خبزٍ ولحمٍ، وهما عماد الطعام وأساسه(١).

الحديث الرابع والسبعون

عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**الجُمُعةُ حَجُّ المساكين**». رواه حميد بن زنجويه في "الترغيب".

أهم أركان الحجِّ الوقوف بعرفة، حيث يخطب إمام المسلمين بالواقفين هناك يعلمهم أحكام الحجِّ وغيرها، والجمعة كذالك بالنسة للمساكين، حيث يجتمعون بالمصلِّين الذين قصدوا المسجد من أماكن مختلفةٍ، ويستمعون إلى خطبة الإمام، ويصلُّون جميعًا خلفه كما في عرفات، والحديث يدل على فضل الجمعة.

الحديث الخامس والسبعون

عن أبي رافعٍ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**حقُّ الوالد أن يعلِّمه الكتابة، والسباحة، والرماية، وألا يرزقه إلَّا طيِّبًا**». رواه أبو الشيخ في "الثواب".

تعليم الكتابة محاربةٌ للأُمِّيَّة، وعملٌ على مَحْوِها من أفراد المجتمع. ولو أنَّ

---

(١) في الحديث الشريف: «**وفضل عائشة على النِّساء كفضل الثَّريد على سائر الطعام**».

وقال الشاعر:

إذا ما الخُبْزُ تَأْدِمُهُ بلحمٍ ... فذاك أمانةِ الله الثَّريدُ

أمانة بالكسر، على إضمار حرف القسم.

كلَّ والدٍ نفَّذ هذا الحديث وعلَّم ولده الكتابة لما كان في الأُمَّة الإسلامية أُمِّيٌّ.

والسباحة من الواجبات الكفائية، وهي إلى جانب كونها رياضة تقوِّي الجسم وتكسبه مرونةً، لها فائدتها الهامَّة وهي إنقاذ الغرقى، وانتشال ما يسقط في البحر من موتى، ومال له قيمة، وربما انكسر المركب أو غرق فيستطيع الراكب السبَّاح أن يصل إلى البرِّ، أو إلى مركبٍ آخر مثلًا.

أمَّا تعليم الرِّماية فهو نافعٌ في التدريب على الجهاد، ومحاربة أعداء الدين، وإخوانهم المستعمرين، ولما تلى النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قول الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠] قال: «**أَلَا إنَّ القوَّة الرَّمي، أَلَا إنَّ القوَّة الرَّمي، أَلَا إنَّ القوَّة الرَّمي**». وهوتفسيرٌ جامعٌ يشمل الرَّمي بأنواعه: ابتداءً من الرمي بالنبال... إلى الرمي بالقنابل والصواريخ.

والرزق الطيِّب هو الحلال، فيجب على الأب أن يطعم أولاده من مالٍ حلالٍ، لينبتوا نباتًا حسنًا، فتصفوا قلوبهم، وتستقيم أخلاقهم، ويُستجاب دعاؤهم.

الحديث السادس والسبعون

عن أنسٍ، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**الحجُّ سبيل الله، تُضعَّفُ فيه النفقة سبعمائة ضعفٍ**». رواه سمويه في "فوائده".

الحجُّ مثل الجهاد، كلاهما سبيل الله، تُضعَّف فيهما النفقة، فمن أنفق درهمًا أعطي ثواب سبعمائة درهمٍ، ومن أنفق دينارًا أعطي ثواب سبعمائة دينارٍ، ومن أعطى فرسًا للركوب في الجهاد في سبيل الله أوالحجِّ، أعطي ثواب سبعمائة فرسٍ، وعلى هذا القياس.

الحديث السابع والسبعون

عن أبي هريره رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**خلفت فيكم شيئين لن تضلُّوا بعدهما: كتاب الله، وسُنَّتي، ولن يتفرَّقا حتى يَرِدا عليَّ الحوضَ**».

رواه أبوبكرٍ الشافعيُّ في "الفوائد الغيلانيات".

معني الحديث واضحٌ لا يحتاج الي بيان، غيرأنَّ في الحديث نكتةٌ، نبينها لقلَّة من يتنبَّه لها، فقوله: «**ولن يتفرَّقا حتي يَرِدا عليَّ الحوضَ**» يفيد أنَّ الكتاب والسُّنَّة متوافقان، متآخيان لايوجد بينهما تناقضٌ أو تخالفٌ، وما يتوهَّمه بعض الناس من تخالفٍ بينهما ليس تخالفًا يفضي إلي التضارب ولكنه تخالفٌ بالعموم والخصوص، أو الإطلاق والتقييد، أو الإجمال والتبيين، أو نحو ذلك مما هو مُبيَّن في علم الأصول.

والحديث الذي يقول: «**اعرضوا حديثي على كتاب الله فما وافقه فأنا قلته، ومالم يوافقه فلم أقله**».

حديثٌ مكذوبٌ كما قال الأئمَّة: الشافعيُّ، وعبدالرحمن ابن مهدي، وابن عبدالبر، وغيرهم.

غير أنَّ العلماء اختلفوا في نسخ القرآن بالسُّنَّة، فمنعه بعضهم استعظامًا لأن تكون السُّنَّة ناسخةً للقرآن، لكن إذا علمنا أنَّ السُّنَّة بوحيٍ من الله تعالىٰ زال الاستعظام، ولم يبقَ له محلٌّ، علىٰ أنَّ الإمام الشافعيَّ قال دَفْعًا للاستعظام المشار إليه: «لم تكن سُنَّةٌ ناسخةً للقرآن إلَّا ومعها قرآنٌ شاهدٌ لها ومؤيِّد».

الحديث الثامن والسبعون

عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**دَثَرَ مكانُ البيتِ؛ فلم يحجُّه هودٌ ولا صالحٌ، حتَّى بوَّأه الله لإبراهيم**». رواه الزبير بن بكَّار في "الأنساب".

لما جاء الطوفان بدعاء نوحٍ عليه السَّلام، وعمَّ الشرق الأوسط، دَثَر مكان البيت الحرام ولم يعرف له أثرٌ، ولذلك لم يحجُّه هودٌ ولا صالحٌ عليهما السلام، لأنَّ الله تعالى لم يتعبَّدهما بحجِّه، ولما جاء إبراهيم -عليه السَّلام- بوَّأه الله وأظهر له مكان البيت فبناه، لأنه أراد أن يجعله مولد خير خلقه، وقبلة أُمَّته.

الحديث التاسع والسبعون

عن عبدالله بن جعفرٍ -رضي الله عنهما- قال: قال النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**دخلتُ الجنَّة فإذا جاريةٌ أَدْماءُ لَعْسَاءُ، فقلتُ: ما هذه يا جبريل؟! فقال: إنَّ الله تعالى عرف شهوة جعفر بن أبي طالبٍ للأُدْمِ اللُّعْس فخلق له هذه**». رواه جعفر بن أبي أحمد القمي في "فضائل جعفر"، والرافعي في "تاريخه".

أدماء: سمراء، والجمع أُدم بالضمِّ، ولعساء: لون شفتها يميل إلى السواد قليلًا، وذلك يستملح عند العرب، والجمع لُعْسٌ بالضمِّ أيضًا.

والحديث يدل على فضل جعفر بن أبي طالب أخي عليٍّ رضي الله عنهما، وهو المعروف بذي الجناحين، قطعت يداه في غزوة مؤتة التي استشهد فيها، فعوَّضه الله منهما جناحين يطير بهما مع الملائكة.

الحديث الثمانون

عن أمِّ كرز رضي الله عنها، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**دعوة الرجل لأخيه بظهر الغيب مستجابةٌ، ومَلَكٌ عند رأسه يقول: آمين، ولك بمثل ذلك**». رواه أبو بكر الشافعي في "الفوائد الغيلانيات".

إذا دعا المسلم لأخيه المسلم دعوة خيرٍ في غيبته أجاب الله دعاءه، وأعطاءه مثل ما دعا به لأخيه، لإيثاره علىٰ نفسه.

الحديث الحادي والثمانون

عن عائشة رضي الله عنها، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**الدنيا لا تنبغي لمحمَّدٍ ولا لآل محمَّدٍ**». رواه أبو عبدالرحمن السُّلميُّ في كتاب "الزهد".

كان بعض أمَّهات المؤمنين يطلبن التبسُّط في الدنيا والتوسُّع في المعيشة؛ فأنزل الله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ [الأحزاب: ٢٨ - ٢٩].

فتلىٰ النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم الآية عليهن، وخيَّرهنَّ فاخترناه فقال هذا الحديث.

ومعناه: أنَّ التوسُّع في الدنيا وملذَّتها، لا ينبغي له ولا لآله، لأنَّ الله اختار لهم ما عنده، وطهَّرهم من الدنيا وأوضارها.

الحديث الثاني والثمانين

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ذراري المسلمين يكفلهم إبراهيم**». رواه أبو بكر بن أبي داود في كتاب "البعث".

إبراهيم عليه السَّلام أبو المسلمين بدليل قوله تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨] فأطفال المسلمين الذين يموتون صغارًا يكفلهم إبراهيم ويرعاهم حتى يردهم إلى أبائهم وأُمَّهاتهم في الجنَّة، وتلك مزيَّةٌ اختصَّ الله بها من يموت من أطفال الأُمَّة المحمَّدية.

الحديث الثالث والثمانون

عن الزهريِّ، عن أنسٍ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**رَوِّحوا القلبَ ساعةً فساعةً**». رواه أبو بكر بن المقري في "فوائده".

يعتري القلوب مَلالٌ من الاستمرار في العمل، فينبغي ترويحها بشيءٍ من الفكاهة اللطيفة، والمزاح البرئ، حتى تستعيد نشاطها وحيوتها.

وفي "صحيح مسلم" عن حنظلة بن الربيع الأسيدي -رضي الله عنه- أنه قال: نافق حنظلة يا رسول الله، فقال النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**وما ذاك؟**». قلت: يا رسول الله نكون عندك تُذكِّرنا بالنَّار والجنَّة كأنَّا رَأْيُ عينٍ، فإذا خرجنا من عندك عافَسْنا الأزواج والأولاد والضَّيْعات نَسِينا كثيرًا. فقال رسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**والذي نفسي بيده إنْ لو تدومون على ما تكونون عندي، وفي الذِّكر، لصافحتكم الملائكة على فُرُشِكم، وفي طُرُقكم،**

ولكن يا حنظلة، ساعةً وساعةً». ثلاث مرَّات، وهذا أصل المثل المشهور: «ساعة لقلبك، وساعة لربك».

الحديث الرابع والثمانون

عن أنسٍ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**زيِّنوا العيدين بالتهليل والتكبير والتحميد والتقديس**». رواه زاهر في كتاب "تحفة عيد الفطر".

جعل الله للمسلمين عيدين، يجيئان عقب ركنين من أركان الدين، عيد الفطر عقب صيام رمضان، وعيد الأضحىٰ عقب الحجِّ، فينبغي تزيينها معنويًا بذكر الله وأفضله أربع كلمات:

التهليل: أي قول: لا إله إلا الله. **والتكبير**: قول: الله أكبر. **والتحميد**: قول: الحمد لله. **والتقديس**: أي قول: سبحان الله.

والتزين الحِسِّي بلبس الثياب الجديدة، والاغتسال، ومسِّ الطيب مُرغَّبٌ فيه أيضًا، مع شيءٍ من اللهو المباح، والرياضة المرحة.

الحديث الخامس والثمانون

عن عبدالله بن عمرو، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**الزَّاني بحَلِيلَةِ جَارِهِ لا ينظُرُ الله إليه يوم القيامةِ ولا يُزكِّيه، ويقول له: ادخل النَّار مع الداخلين**». رواه الخرائطيُّ في "مساوئ الأخلاق".

للجار علىٰ جاره حقوقٌ، أوجب الإسلام القيام بها ومراعتها، منها: حفظ عِرْضِهِ، وعدم التعرُّض لزوجته أو بناته بشيءٍ من الزنىٰ والفجور، فإن هَتَكَ

عِرْضَهُ وزنى بامرأته أو بنته أو قريبته لم ينظر الله إليه يوم القيامة نظر رحمةٍ، ولم يزكِّه، أي: لم يطهره بمغفرته، بل لابد أن يدخله النَّار، ويمسُّه عذابها جزاء ما مسَّ من امرأة جاره أو قريبته.

الحديث السادس والثمانون

عن عمر بن حُصينٍ رضي الله عنهما، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**سألتُ ربِّي ألَّا يدخل أحدًا من أهل بيتي النَّار فأعطانيها**». رواه أبو القاسم ابن بشران في "أماليه".

يُفيد الحديث أنَّ النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم شَفَعَ لأهل بيته ألَّا يدخلوا النَّار فقَبِلَ الله شفاعته فيهم، تكريمًا له وتبجيلًا.

الحديث السابع والثمانون

عن أنسٍ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**سألتُ ربِّي فأعطاني أولاد المشركين خَدَمًا لأهل الجنَّة، وذلك لأنهم لم يُدركوا ما أَدرك آباؤهم مِن الشِّركِ، ولأنَّهم في المِيثاقِ الأوَّل**». رواه أبو الحسن بن مَلَّة في "أماليه".

أولاد المشركين الذين يموتون قبل البلوغ، تعارضت فيهم الأحاديث أفاد بعضها: أنهم في الجنَّة. وأفاد بعضها الآخر: أنهم في النَّار مع آبائهم. وأفاد بعضها الآخر: أنَّ مصيرهم مجهولٌ لا يعلمه إلَّا الله. فجاء هذا الحديث مزيلًا للتعارض رافعًا للإشكال، حيث يُبيِّن أنَّ النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم سأل الله في أولاد المشركين فأعطاه إيَّاهم خَدَمًا لأهل الجنَّة. وعلَّل ذلك بعلَّتين:

إحداهما: أنهم لم يُدركوا ما أدرك آباؤهم من الشِّرك.

والآخرى: أنهم داخلون في الميثاق الأول، وهو العهد الذي أُخذ على ذريَّة آدم يوم ألست بربكم، ولهذا ثبت في الصحيحين قوله عليه الصَّلاة والسَّلام: «**وكلُّ مولودٍ يولد على الفِطْرةِ، فأبواه يُهوِّدانِهِ أو يُنصِّرانِهِ أو يُمجِّسانِهِ كما تُنْتَجُ البهيمة**[1] **بهيمةً جَمْعاء هل تُحسُّون فيها مِن جَدْعَاء؟ حتَّى تكونوا أنتم تَجْدَعُونها**». ومن هنا رجَّح العلماء أنَّ أطفال المشركين يدخلون الجنَّة.

الحديث الثامن والثمانون

عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال، قال النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**سُوءُ الخُلُقِ شُؤمٌ**». رواه ابن شاهين في "الأفراد".

الإسلام يُنكر الشُّؤم الذي أُخِذ عن الجاهلية كالتشاؤم من نعيق الغُراب، أو يوم الأربعاء، أو من عدوٍّ مُعيَّن، أو لونٍ مُعيَّن، أو نحو ذلك، لأنه ليس لطائرٍ أو يومٍ أو عددٍ أو لونٍ دخلٌ في شؤمٍ أو غيره، والأمور تجري بمقادير الله تعالى.

وإنما يُثبت الإسلام شُؤمًا ناشئًا[2] عن فعل المكلَّف بسبب عِصْيانه، فسوء

---

(١) تُنْتَج: بضم التاء الأولى وسكون النون وفتح التاء الأخيرة، وهو من الأفعال التي جاءت على صيغة المبني للمجهول. والبهيمة مرفوعٌ فاعله، وبهيمةً منصوبٌ مفعوله.

(٢) قال الله تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩].
أي ما أصابك من خصلة حسنة، كصحة وخصب، وسعة مال فمن فضل الله وكرمه، وما أصابك من خصلة سيئة كفقر وجدب وضيق ومرض فمن نفسك أي

الخُلُق شؤمٌ على صاحبه؛ لأنه ينفِّر أصدقاءه منه، ويجعلهم يكرهونه، ويبعدون عنه، فيفقد مساعدتهم ومعاونتهم فيما يحتاج إليه، وربما أوقعه سوء خُلُقه في خُصوماتٍ ومُنازعاتٍ هو في غنًى عنها.

وروى أبو الفتح الصابونيُّ في "الأربعين" عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ما من ذنبٍ إلَّا له عند الله توبةٌ إلَّا سوء الخُلُق، فإنه لا يتوب إلَّا رجع إلى ما هو شرٌّ منه**». فهذا الحديث بين نوعًا من شؤم سوء الخُلُق وهو أقبح أنواعه. وكما أنَّ سوء الخُلُق شؤمٌ، فإنَّ حُسْنَ الخُلُق يُمْنٌ، روى الخرائطي في "مكارم الأخلاق" عن عائشة -رضي الله عنها- عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**اليُمْنُ حُسْنُ الخُلُق**»(١).

الحديث التاسع والثمانون

عن أبي موسى الأشعريِّ، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**سلامةُ الرجلِ في الفِتنة أن يلزمَ بيتَه**». رواه الحافظ أبو الحسن بن المفضل المقدسي في "الأربعين المسلسلة"(٢). إذا وقعت فتنةٌ بين طائفتين من المسلمين، فالواجب السعي في الإصلاح بينهما، فإن تعذَّر الإصلاح لسببٍ من الأسباب، فالواجب

من شؤم معصيتها، واتباعك لهواها.

(١) لأنَّ صاحبه محبوبٌ عند الله وعند الناس.

(٢) هذه "الأربعون المسلسلة" رواها عنه تلميذه الحافظ المنذريُّ صاحب "الترغيب والترهيب"، وكان أبو الحسن بن الفضل مالكيَّ المذهب، وهو حافظٌ ناقدٌ، وقرأت لابن البنَّا جزء "السكوت ولزوم البيوت"؛ نفيسٌ في بابه.

اعتزال الفِتنة ولزوم البيت، كما فعل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، فإنه لزم بيته بالعقيق زمن الفتنة بين الصحابة، أمَّا الدخول في الفتنة فهو دخولٌ في نار جنَّهم يوم القيامة، لأنه لا محالة قاتلٌ لمسلمٍ، أو مؤذٍ له بيده أو لسانه.

وفي الصحيحين عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إذا التقى المُسلمان بسيفيهما فالقاتلُ والمقتول في النَّار**». قيل: هذا القاتل فما بال المقتول؟! قال: «**إنه كان حريصًا على قتل صاحبه**»(١).

الحديث التسعون

عن عليٍّ عليه السَّلام، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**سيِّد الشُّهداء جعفر بن أبي طالبٍ، معه الملائكة، لم يُنْحَلْ ذلك أحدٌ ممَّن مضى من الأمم غيره، شيءٌ أكرم الله به محمَّدًا**». رواه أبو القاسم الحُرِّي(٢) في "أماليه".

جعفر هو أخو عليٍّ عليهما السلام، استشهد في غزوة مؤتة، بعد أن قطعت يداه فعوَّضه الله منهما جناحين يطير بهما مع الملائكة، ولم يُعطَ أحدٌ من الأمم

---

(١) لكن قتال البغاة واجبٌ بنصِّ القرآن: ﴿فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩] ومن ثَمَّ كان قتال عليٍّ -عليه السَّلام- لمعاوية وأتباعه واجبًا، لأنهم بغاةٌ بإجماع العلماء، كما قال النوويُّ، وقال الشافعيُّ وغيره: «عُرف من قتال عليٍّ لمعاوية وأهل النهروان أحكام مقاتلة البغاة، ومعاملتهم من حيث الأَسْرِ وغيره».

(٢) بضم الحاء المهملة وسكون الراء: نسبة إلى بيع الحرف، وهو حبٌّ يُباع عند العطَّار، يُستعمل في بعض الأدوية.

السابقة هذه الفضيلة غيره، لأنه ابن عمِّ النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وجاد بنفسه بعد تمزيق جسمه في سبيل دين الله تعالىٰ، فلا غرو أن كان سيِّد الشهداء بعد عمِّه حمزة عليه السلام، وهو الذي استشهد في أُحُدٍ بعد أن أثخن في المشركين يوم بدرٍ.

الحديث الحادي والتسعون

عن أنسٍ -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**سيُّد القومِ خادمهم، وساقيهم آخرهم شُرْبًا**». رواه أبو نعيم في "الأربعين الصُّوفية".

«**خادم القوم في الدنيا سيُّدهم في الأخرة**» كما جاء في رواية أخرىٰ، لأنه لما تواضع لهم رَفَعَهُ الله، وجاء في "تاريخ نيسابور" للحاكم من حديث سهل بن سعدٍ: «**سيّد القوم في السَّفَر خادمهم، فمن سبقهم بخدمةٍ لم يسبقوه بعملٍ إلَّا الشَّهادة**». وظاهر أنَّ المراد الخادم المقطوع لا الخادم المأجور، لأنه يقوم بالخدمة نظير أجره، نعم يُثاب علىٰ صِدْقه وإخلاصه في عمله. «**وساقيهم آخرهم شربًا**». هذا هو الثابت من عمل النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فإنه لما أمر أبا هريرة أن يدعو أهل الصُّفَّة ليسقيهم[1] واحدًا بعد آخر، حتىٰ إذا فرغوا أمر أبا هريرة أن يشرب، حتىٰ إذا اكتفىٰ وروي[2] أخذ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم الآنية وشرب الفضلة، وهذا من أدب الصُّحبة، وحُسْنِ الضِّيافة.

---

(١) وقع هنا سقط من الناسخ وتمامه لبنًا أهدي إليه، وحضروا وأمر أبا هريرة بسقيهم.

(٢) بفتح الراء وكسر الواو وفتح الياء.

الحديث الثاني والتسعون

عن أنسٍ أيضًا -رضي الله عنه- قال: قال النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**سَيُشْدِدُ هذا الدِّين برجالٍ ليس لهم عند الله خَلَاقٌ**». رواه المحامليُّ في "أماليه".

«**خَلَاق**»: نصيب، والمعنى: أنَّ الله تعالى سَيَشْدُدُ الإسلام ويؤيِّده برجالٍ ليس لهم عند الله نصيبٌ في الآخرة، وهم المستشرقون.

كما قال شقيقنا الحافظ أبو الفيض -رحمه الله- في كتاب "مطابقة الأحوال العصرية لما أخبر به سيد البرية" ذلك لأنهم طبعوا المصحف الشريف طبعةً متقنةً صحيحةً، وطبعوا كثيرًا من كتب التفسير والحديث، وطبقات الصحابة والتابعين، و"تاريخ مكة" و"الفتوح الإسلامية"، وعملوا معجمًا لآيات القرآن الكريم وكلماته، كما عملوا معجمًا لكلمات الحديث الموجودة في الكتب الستة و"الموطأ" وغيرهما، بحيث يمكن استخراج الحديث من تلك الكتب بسهولةٍ ويُسْرٍ، وطبعوا "الإرشاد" لإمام الحرمين في التوحيد وغير ذلك[1]

---

(١) من كتب التصوف والقراءات، وإن كانوا يُعلِّقون على بعض هذه الكتب تعليقات فيها مطاعن ومغامز. مثلًا المستشرق الذي طبع كتاب "المصاحف" لابن أبي داود كتب له مقدِّمة باللغة الإنجليزية حاول فيها أن يلقي من تعدُّد المصاحف والقراءات الشَّاذَّة ظلالًا من الشَّكِّ على المصاحف المتواترة الموجودة بين أيدي المسلمين، والتي يحفظونها بشَدَّاتها ومَدَّاتها ويُحافظون على مخارج حروفها، وهيهات أن يصل إلى ذلك.

ورأيت أخيرًا قطعة من "سيرة ابن اسحاق" طبعت في لندن بالإنجليزية وجلدت تجليدًا مزخرفًا بالذهب مثل المصاحف، وقد قام صديقٌ لنا بترجمتها إلى العربية، ولم

ولا شكَّ أنَّ هذا تأييدٌ للدِّين وعضد له برجالٍ كُفَّار ليس لهم عند الله نصيبٌ يوم القيامة، وفي الحديث معجزةٌ نبوية في الإخبار بأمورٍ غَيْبيَّةٍ وهي كثيرةٌ.

الحديث الثالث والتسعون

عن عليٍّ عليه السَّلام، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**سيكون بعدي قُصَّاصٌ لا يَنظرُ الله إليهم**». رواه أبو عمر بن فضالة في "أماليه".

القُصَّاص هم الوعَّاظ، لأنهم يذكرون قصص الأنبياء والصالحين، ويَعِظون الناس بما فيها من عِبَرٍ وحكمةٍ، والوعَّاظ في هذا العصر وقبله كثيرٌ، منهم من يخالف قوله عمله، أو يقصد بوعظه إظهار فصاحته، والتشدُّق بحسن بيانه، وقد يبكي بعضهم فيُبكي الناس معه وهو مُتصنِّعٌ للبكاء؛ فلهذا لا ينظر الله إليهم نظر رضا، ولكن نظر غضبٍ وعقوبةٍ، وهذا الحديث من الأخبار بالغيب كسابقه.

الحديث الرابع والتسعون

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**السَّكِينة مغنم وتركها مغرم**». رواه الإسماعيلي في "معجمه".

السكينة: وهي الوقار، مغنم يغنم بها صاحبها احترام الناس له، وتقديرهم لكلامه، وتركها وهو الخفة والطيش مغرم: أي خسارة يخسر صاحبها احترام الناس وتقديرهم فلا يبقى له عندهم وزن.

يجدوا مطعنًا إلَّا في موضعين أو ثلاثة، سنعرض لها بالردِّ والتفنيد عند تعليقنا عليها إن شاء الله، لتقديمها إلى المطبعة.

الحديث الخامس والتسعون

عن علي عليه السلام، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ليبلِّغ الشاهد الغائب، وأبلغوني حاجة مَن لا يستطيع إبلاغي حاجته، فإنه من أبلغ سلطانًا حاجة مَن لا يستطيع إبلاغها إيَّاه ثبَّت الله قدميه يوم القيامة**». رواه الفقيه نصر في "فوائده". ورواه ابن شاذان في "مشيخته الصغرىٰ" عن الحسن بن عليٍّ عليهما السَّلام.

«**ليبلغ الشاهد الغائب**»: هذه الكلمة قالها النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في خطبته في حجَّة الوداع، ومعناها: إيجاب تبليغ دعوة الإسلام وأحكامه إلىٰ جميع الناس، فكلُّ مَن علم شيئًا من أحكام الدين وقواعده وجب عليه أن يبلغه إلىٰ من لم يعلمه، وذلك في حدود استطاعته.

«**وأبلغوني**»: بصفتي خليفة الله أُقيم حكمه في عباده.

«**حاجة من لا يستطيع إبلاغي حاجته**»: لهيبته أو حيائه منِّي أو لغير من الأسباب.

ويؤخذ من الحديث أنَّ الوالي - خليفةً كان أو ملكًا أو سلطانًا أو رئيس جمهورية- يتعيَّن عليه أن يُعيِّن أناسًا يثق بهم ليُبلِّغوه مطالب الضُّعفاء والمغلوبين الذين لا يستطيعون الوصول إليه لكثرة حُجَّابه وشُرَطِهِ وأعوانه، فالنبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لم يكن عنده حَجَبَةٌ ولا شُرَطٌ، وكان بابه مفتوحًا لكلِّ زائرٍ، ومع ذلك أمر أصحابه أن يبلِّغوه حاجة من لا يستطيع إبلاغها مبالغةً في الاحتياط، وخروجًا من المسؤلية.

«فإنه من أبلغ سلطانًا حاجة مَن لا يستطيع إبلاغها إيَّاه» سواء أقضها السلطان أم لم يقضِها «ثبَّت الله قدميه يوم القيامة» على الصراط فلا تزل قدمه، لأنه ثبت حاجة الضعيف بإيصالها إلى السلطان.

الحديث السادس والتسعون

عن يزيد بن شجرة، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «السُّيوفُ مفاتيحُ الجنَّةِ». رواه أبو بكرٍ الشافعيُّ في "الغيلانيات".

«السُّيوف مفاتيحُ الجنَّةِ» كنايةٌ أريد بها أنَّ الشَّهيد يدخل الجنَّة، فكأنَّ السَّيف الذي استُشهد به فتحَ له أبوابها.

الحديث السابع والتسعون

عن يزيد بن ثابتٍ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «السُّيوف أرْدِيةُ المُجاهِدين». رواه المحامليُّ في "أماليه".

أرديةٌ: جمع رِداء، وفي الحديث تشبيهٌ بليغٌ، شبَّه السَّيف الذي يُدافع به المجاهد عن نفسه بالرِّداء الذي يَدْفعُ عن لابِسه غائلة البرد.

الحديث الثامن والتسعون

عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، قال: «الشَّحيحُ لا يدخلُ الجنَّة». رواه الخطيب في كتاب "البخلاء".

«الشَّحيحُ لا يدخلُ الجنَّة» حتَّى يُعذَّب على الحقوق التي لم يؤدِّها في الدنيا، كالزكاة ونحوها، فإن كان قد أدَّى الحقوق المفروضة، وشحَّ بالإنفاق في وجوه

البرِّ والخير، فإنه لا يدخل الجنَّة مع الذين سبقوه بالإنفاق، بل يتأخَّر في الدخول كما تأخَّر في الإنفاق.

الحديث التاسع والتسعون

عن فاطمة الزهراء عليها السَّلام قالت: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**شِرارُ أُمَّتي الذين غُذُّوا بالنَّعيم، الذين يأكلون ألوان الطعام، ويلبسون ألوان الثِّياب، ويتشدَّقون في الكلام**». رواه ابن أبي الدنيا في "ذمِّ الغيبة".

إنما كان هؤلاء شرار الأُمَّة، لأنهم أسرفوا بأكل ألوان الطعام، ولبس ألوان الثياب، والله لا يحبُّ المسرفين، ولأنهم مُبذِّرون، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الإسراء: ٢٧] ولأنهم يتشدَّقون في الكلام، يغتابون الناس، وينالون من أعراضهم، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢].

الحديث المائة

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**شهر رمضان يُكفِّر ما بين يديه إلى شهر رمضان المُقبل**». رواه ابن أبي الدنيا في "فضل رمضان".

«**شهر رمضان يُكفِّر ما بين يديه**»: من الصغائر بدليل الحديث الصحيح: «**الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مُكفِّراتٌ لما بينهنَّ إذا اجتُنبت الكبائر**». أمَّا الكبائر فلا يُكفِّرها إلَّا الحدُّ، أو التوبة.

الحديث الحادي والمائة

عن أنسٍ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، قال: «**الشَّعر الحَسَن أَحَدُ الجمالين، يَكْسُوه اللهُ المرءَ المسلم**». رواه زاهر بن طاهر في "خماسياته".

الشَّعر الذي يكون للرجل هو شعر رأسه وشعر لحيته، فإن كان جميلًا، بأن لم يكن جَعْدًا، ولا منفوشًا مثلًا كان أحد الجمالين، والجمال الأخر جمال الصورة، والحديث يُفيد الحضَّ على إبقاء شعر الرأس واللحية، وتجميله بترجيله ودهانه، وكذلك شعر رأس المرأة يزيدها جمالًا فلا ينبغي أن تأخذ منه، لأنه يُنقص من جمالها.

الحديث الثاني والمائة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**الشيخ يَضْعُفُ جِسمُهُ وقَلْبُهُ شابٌّ على حبِّ اثنتين: طولِ الحياة، وحبِّ المال**». رواه الحافظ عبدالغني بن سعيد في "إيضاح الإشكال".

الشيخ الذي تقدَّم في السنِّ بأن بلغ الستين، يضعف جسمه لكبر سِنِّه، لكن قلبه يظلُّ شابًّا صغيرًا بالنسبة لأمرين: تعلُّقه بالحياة وتشبُّثه بها، وحبُّه لجمع المال.

الحديث الثالث والمائة

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**صاحب السُّنَّة إن عَمِل خيرًا قُبِل منه، وإن خَلَط غُفِر له**». رواه الخطيب في "المؤتلف والمختلف".

المتمسِّك بسُنَّة النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، النابذ للتقليد في دينه «**إن عمل خيرًا قُبِل منه**» لأنه عمله اتباعًا للسُّنَّة، وإن خَلَطَ عملًا صالحًا بآخر سيِّء غُفر له، لأنَّ حرصه علىٰ اتباع السُّنَّة والعمل بها يَجْبُر ما صَدَر منه من تخليطٍ، وفي هذا بشارةٌ لأهل الحديث، جعلنا الله منهم.

الحديث الرابع والمائة

عن ثوبان رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، قال: «**صاحبُ الصفِّ، وصاحب الجُمُعة، لا يفضل هذا على هذا، ولا هذا على هذا**». رواه أبو نصر القزويني في "مشيخته".

«**صاحب الصفِّ**» في الجهاد، «**وصاحب الجُمُعة**» الذي يؤدِّيها بشروطها وآدابها، مستويان في الفضل عند الله، والحديث يفيد مساوة حضور الجمعة للجهاد في سبيل الله؛ لأنها تشتمل علىٰ الخطبة، وهي درسٌ علميٌّ أسبوعيٌّ يعرف منه المصلُّون ما يجب عليهم معرفته، ولأنها فرض عينٍ والجهاد فرض كفايةٍ.

الحديث الخامس والمائة

عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، قال: «**صَدَقةُ السرِّ تُطفِئ غضب الربِّ**». رواه العسكري في "السرائر".

«**صدقة السرِّ**» التي يُخفيها صاحبها حتىٰ لا تعلم شماله ما تنفق يمينه. «**تُطفئ غضب الربِّ**» لأنها خالصةٌ له، بعيدةٌ عن الرياء، والمراد بغضب الرب: جهنَّم التي يدخلها من غضب الله عليه، فالصدقة تُطفئ حرَّ جنَّهم عن المتصدِّق، وتكون وقايةً له منها.

الحديث السادس والمائة

عن عمرو بن عوف رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، قال: «**صَدَقةُ المرءِ المسلم تزيد في العُمُرِ، وتمنع مِيتة السُّوء، ويُذهب الله تعالى بها الفَخْرَ والكِبْرَ**». رواه أبو بكر بن مقسم في "جزئه".

للمسلم عُمُران: عُمُرٌ محدَّدٌ عند الله لا يعلمه غيره، وعُمُرٌ مردَّدٌ بين الزيادة والنقص عند مَلَكِ الموت، يقال له عمر فلان سبعون سنةً إن تصدَّق أو برَّ والديه، وخمسون سنةً إن لم يفعل ذلك، وهذا هو المراد في الحديث، وحِكمته إظهار فضل الطاعة ليعرفه مَلَك الموت وغيره من الملائكة فيحبُّوه إن أطاع ويثنوا عليه.

و«**مِيتة السُّوء**» تشمل نوعين: أن يموت الشخص على معصية غير تائبٍ منها، أو يموت في مرضٍ ناشئ عن معصيةٍ.

وأمَّا ذهاب الفَخْرِ والكِبْرِ فلأنَّ المتصدِّق يتصل بالفقراء والمساكين، ويرى ما فيهم من حاجةٍ وبؤسٍ، ويعلم أنَّ الله لو شاء لجعله مثلهم أو أقل منهم، وأنَّ الغنى ليس مضمونًا له على الدوام، فلا يبقى للفخر ولا للكبر عنده محلٌّ.

الحديث السابع والمائة

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**صلِّ صلاة مُودِّعٍ كأنك تراه، فإن كنت لا تراه فإنه يراك، وايأس ممَّا في أيدي النَّاس تَعِشْ غنيًّا، وإيَّاك وما يُعتذر عنه**». رواه أبو محمَّد الإبراهيميُّ في كتاب "الصَّلاة".

«**صلِّ صلاة مُودِّعٍ**» للحياة يظنُّ ألَّا يعيش بعدها فيُتقن سجودها وركوعها، ويُحسن خشوعها. وصلِّ أيضًا «**كأنك تراه**» أي ترىٰ الله وذلك يحملك علىٰ إتقان الصَّلاة لأنك ترىٰ من تُصلِّي له. «**فإن كنت لا تراه**» لغَلَبة حجاب الغفلة عليك «**فإنه يراك**» لا يحجبه عنك شيءٌ فأتقن عبادتك «**وايأس ممَّا في أيدى النَّاس**» لا تمد إليهم عين الطمع، ولا يد السؤال «**تعش غنيًّا**» عنهم لا تحتاج إليهم. «**وإيَّاك وما يعتذر منه**» أي: احذر أن تفعل ما يحوجك إلىٰ الاعتذار، فلا تقل كلمة تضطر إلىٰ الاعتذار عنها لأحدٍ، ولا تفعل شيئًا يسيء إلىٰ شخصٍ، فتعتذر إليه، لأنَّ ذُلَّ الاعتذار يأباه الأحرار.

الحديث الثامن والمائة

عن ابن عمر أيضًا رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**صَمْتُ الصَّائمِ تسبيحٌ، ونومه عبادةٌ، ودُعاؤه مُستجابٌ، وعمله مُضاعفٌ**». رواه أبو زكريا ابن منده في "أماليه".

«**صمتُ الصَّائمِ تسبيحٌ**» لأنه في طاعة الصوم، وهذا تشبيهٌ بليغٌ، شبَّه صمت الصائم عن اللَّغو والغيبة ونحوهما بتسبيح المُسبِّح.

«**ونومه عبادةٌ**» لأنه يستعين به علىٰ قيام الليل في رمضان. وقولهم: «نوم الظالم عبادةٌ» ليس بحديثٍ.

«**ودعاؤه مستجابٌ**» عند فطره لأنه يكون عقب انتهاء عبادة الصيام، وجوفه خالٍ من الطعام. «**وعمله مُضاعفٌ**» أي: صيامه مضاعفٌ، كما ثبت في أحاديث أخرىٰ.

الحديث التاسع والمائة

عن أنسٍ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**صلِّ الصبح والضحى، فإنها صلاة الأوَّابين**». رواه زاهر بن طاهر في "سداسياته".

الأوَّابون: هم الرجَّاعون إلى الله تعالى، إن عصوا رجعوا إليه بالتوبة والاستغفار، وإن احتاجوا بسطوا إليه يد السؤال والافتقار، وإن أصابتهم ضرَّاء لجأوا إليه بالتضرُّع والدعاء، وإن أصابتهم نعماء أذعنوا له بالشكر والثناء، فهم في جميع أحوالهم يستندون إليه، وفي كلِّ ما يعرض لهم معتمدون عليه، والمواظبة على صلاة الضحى دأبهم وعادتهم، لأنَّ من صلاها أول النهار كفاه الله آخره، وذكر الصبح معها تنبيهًا على أنها لا تنفع إذا ضُيِّعت صلاة الصبح، بإيقاعها خارج وقتها بعد طلوع الشمس، إلَّا لمن غَلَبه النوم، فلم يستيقظ إلَّا بعد الشروق فلا إثم عليه.

الحديث العاشر والمائة

عن قتادة[1] بن مِلْحَان رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**صُوموا أيام البِيض: ثلاثة عشر، وأربعة عشر، وخمسة عشر. هنَّ كنز الدهر**». رواه أبو ذر الهروي في جزء من حديثه.

---

(١) هذا صحابيٌّ، وهو غير قتادة بن دِعَامة السَّدوسيِّ التابعيِّ، وغير قتادة بن النعمان الصحابيِّ الذي وقعت عينيه في غزوةٍ فأخذها في يده، فجاء بها إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فأخذها بيده الشريفة وردَّها إلى موضعها، وقال: «**اللهم اكسُه جمالًا**». فكانت أحسن عينيه وأحدَّهما نظرًا.

«**صُوموا**» ندبًا «**أيام**» الليالي «**البِيض: ثلاثة عشر، وأربعة عشر، وخمسة عشر**» سُمِّيت ليالي هذه الأيام بيضًا؛ لأنها بيضاء مشرقةً بنور القمر، والعامَّةُ هنا في مصر يسمُّون الأيام الستة بعد عيد الفطر الأيام البِيض وهو خطأٌ. «**هُنَّ**» أي: الأيام الثلاثة المذكورة «**كنز الدهر**» لأنَّ صيام كلِّ يومٍ منها بعشرة، فهي تساوي صيام شهر، والدهر الذي هو العام يتألَّف من الشهور، وتلك الأيام لقلَّة عددها وكثرة ثوابها، أشبهت الكنز الذي يكون قليلًا في نفسه، كبير القيمة بما يحوي باطنه من جواهر غاليةٍ.

تنبيه: قيل في سبب تسمية الأيام الثلاثة بالبيض: أنَّ آدم لما نزل من الجنَّة سوَّدت الشمس جسده، فأُمر بصيامها، فلمَّا صام أول يوم ابيضَّ ثلث جسده، وابيضَّ باقيه في تالييه.

وقيل: لأنَّ آدم اسودَّ جسده من أكل الشجرة فصامها، فابيضَّ في كلِّ يومٍ ثلثه. وهذان القولان غير صحيحين، بل هما أشبه بالخرافات والأساطير.

الحديث الحادي عشر والمائة

عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**صلاةُ المسافرِ بمِنًى وغيرها ركعتان**». رواه أبو أمية الطرسوسيُّ في "مسنده".

لما هاجر الصحابة أهل مكة إلى المدينة واستوطنوها، ثُمَّ حجُّوا مع النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حجَّة الوداع ظنُّوا أنهم صاروا مقيمين حين وصلوا إلى بلدهم، وأنَّ عليهم أن يُتِمُّوا الصَّلاة أربع ركعاتٍ، فأخبرهم النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: أنهم مسافرون يقصرون الصلاة، وأنَّ أهل مكة الذين

خرجوا معهم إلى مِنًى مسافرون، يقصرون الصَّلاة أيضًا، وهي رخصةٌ عظيمةٌ، قُصد بها التخفيف عن الحُجَّاج خصوصًا، وعن المسافرين عمومًا.

الحديث الثاني عشر والمائة

عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**الصُّورةُ الرأسُ، فإذا قُطِعَ الرأسُ فلا صُورةَ**». رواه الإسماعيليُّ في "معجمه".

حرَّم الشارع اقتناء الصورة، وأخبر أنَّ الملائكة لا تدخل بيتًا هي فيه، فبيَّن هذا الحديث أنَّ تلك الصورة هي التي تكون بالرأس، كأن يُصنع تمثالٌ -رجلٌ أو حيوانٌ- كاملًا بالرأس، فيحرم اقتناؤه، وتمتنع الملائكة من دخول بيت يكون موجودًا فيه. فإن قُطع رأسه وأُزيل؛ جاز اقتناؤه ولم تمتنع الملائكة منه، وكان على باب بيت النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم تمثالٌ فقال له جبريل عليه السَّلام: «**مُر برأس التمثال فَلْيُقْطَع، فيصير كهيئة الشَّجرة**». راجع الحديث رقم (٣٨) من "الكنز الثمين" فهو سبب ورود هذا الحديث.

وقال بعض العلماء: يجوز اقتناء التمثال أيضًا إذا كان على هيئةٍ لا يعيش الحيُّ معها، كأن يكون في بطنه ثقبٌ كبيرٌ مثلًا، وقاسوه على قطع الرأس، وهذا ليس بصحيحٍ؛ فإنَّ رأس التمثال هو الصورة كما في الحديث، به يكون متميزًا الإنسان عن غيره، والجسم بدونه لا فرق بينه وبين شجرةٍ أو حائطٍ، وأيضًا فإنَّ التمثال خالٍ من القلب والكبد والأمعاء، والحيُّ لا يعيش بدون هذه الأشياء، ولم يعتبر الشارع ذلك، بل علَّق الجواز على قطع الرأس، فدلَّ على فساد القياس المذكور.

الحديث الثالث عشر والمائة

عن عمر رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، قال: «**الصَّلاة عَمُودُ الدِّين**». رواه أبو نعيمٍ الفضل[1] بن دُكَينٍ في كتاب "الصلاة".

الصَّلاة أهمُّ ركنٍ في الإسلام بعد الشهادتين، فلذلك سُمِّيت عمود الدِّين، أي: عِماده الذي يستند إليه، فإذا انخَرَمت انخرم الدِّين، وحسبك دليلًا على أهمِّيتها: أنَّ الشارع اعتبر تاركها كافرًا، ولم يُبِح تركها للرجل إلَّا في حال زوال عقله، وأسقط عن المرأة قضاء ما فاتها من الصلوات أيام الحيض؛ تيسيرًا عليها لأنَّ الحيض يتكرَّر كل شهرٍ، وتسقط الصلاة في حالةٍ أخرى: وهي ما إذا لم يجد المُكلَّف ماءً للوضوء، ولا ترابًا يتيمَّم[2] به حتى خرج وقت الصلاة، فإنها تسقط عنه، ولا يُطلب بقضائها، على قول مالك.

الحديث الرابع عشر والمائة

عن معاذٍ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**الضَمَّةُ في القَبْرِ كفَّارةٌ لكلِّ مؤمنٍ، لكلِّ ذنبٍ بقي عليه لم يُغفر له**». رواه الرافعيُّ في "تاريخ قزوين".

---

(١) يروي عنه البخاريُّ في "الصحيح"، وهو غير أبي نعيمٍ أحمد بن عبدالله الأصفهانيِّ، صاحب "الحلية" و"دلائل النبوة" وغيرهما.

(٢) كالمصلوب لا يستطيع الوضوء ولا التيمَّم، فلو خرج وقت الظهر مثلًا بأن غابت الشمس وهو كذلك، ثُمَّ فُكَّ صَلْبُه، فلا يَقضي الظهر ولا العصر، وفي المسألة أقوالٌ وتفصيلاتٌ مبسوطةٌ في كتب الفقه.

إذا وضع الميت في قبره ورُدَّ عليه التراب ضمَّه القبر ضمَّةً شديدةً يَصْرُخُ منها صُراخًا لو سمعه المشيِّعون له أُغشي[١] عليهم، فإن كان الميت كافرًا فضمَّته ضمَّة عذابٍ، تختلف منها أضلاعه، وإن كان مؤمنًا، فضمَّته ضمَّة عِتابٍ، ولذلك تكون دُون شِدَّة ضمَّة الكافر، ثُمَّ تكون ضمَّة المؤمن تكفيرًا لما بقي عليه من الصغائر، لم يُكفَّر بالأمراض والمصائب والآفات.

الحديث الخامس عشر والمائة

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**الضِّيافةُ ثلاثة أيامٍ، فما زاد فهو صدقةٌ، وعلى الضَّيفِ أن يتحوَّل بعد ثلاثة أيامٍ**». رواه ابن أبي الدنيا، في كتاب "قِرَى الضَّيف".

الضِّيافة الواجبة ثلاثة أيامٍ إذا قصد الضيف أهل منزلٍ بزيارته[٢]، فما زاد عن ثلاثة أيامٍ فهو صدقةٌ مندوبةٌ غير واجبةٍ، ويجب على الضيف أن يتحوَّل

---

(١) وروى ابن أبي داود في كتاب "البعث" عن أنسٍ رضي الله عنه قال: تُوفِّيت زينب بنت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فخرج بجنازتها وخرجنا معه، فرأيناه كئيبًا حزينًا، ثُمَّ دخل قبرها، فخرج ملتمع اللون، فسألناه عن ذلك؟ فقال: «**إنها كانت إمرأةً مِسْقامًا، فذكرتُ شِدَّةَ الموت، وضَغْطةَ القبر، فدعوتُ الله فخفَّفَ عنها**».
وفي رواية للطبرانيِّ أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم دخل قبرها فالتمع وجهه صفرةً، فلما خرج أسفر وجهه، قال أنسٌ: فقلنا: يا رسول الله رأينا منك شأنًا، فما ذاك؟ قال: «**ذكرتُ ضغطة ابنتي، وشِدَّة عذاب القبر، فأتيت فأُخبرتُ أن قد خُفِّف عنها، ولقد ضُغِطَتْ ضغطةً سمع صوتها ما بين الخَافِقين**».

(٢) أما إن اجتاز مارًا بهم في طريقه فالضيافة يوم واحد.

بعد ثلاثة أيام لئلَّا يُحرج أهل المنزل، والضِّيافة مِن مَحاسِن عادات العرب في الجاهلية، فلمَّا جاء الإسلام أقرَّها وأكَّد أمرها وجعلها من مكارم الأخلاق(١).

الحديث السادس عشر والمائة

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**طَهُورُ كلِّ أَدِيمٍ دِبَاغُهُ**». رواه أبو بكرٍ الشافعيُّ في "الغيلانيات".

مَيِّتة الحيوان كالخروف ونحوه نجسةٌ، لا يجوز الانتفاع بها، ولا بشيءٍ منها لكن جلدها وهو -الأَدِيم- إذا دُبغ يطهر بالدِّباغ ويجوز استعماله والانتفاع به، ولا يُعارضه حديث: «**لا تنتفعوا من المَيْتة بإهَابٍ ولا عَصَبٍ**». لأنَّ الإهاب -بالكسر- هو الجلد مالم يدبغ، فإذا دُبغ سُمِّي أديمًا.

وقد حصل في هذا الموضوع مناظرةٌ بين إمامين، رواها الرامهرمزيُّ في كتاب "المحدث الفاصل" قال: أخبرنا الساجيُّ، قال: أخبرنا جماعةٌ من أصحابنا: أنَّ الشافعيَّ ناظر إسحاق بن راهويه -وأحمد بن حنبلٍ حاضرٌ- في جلود الميتة إذا دُبغت فقال الشافعيُّ: دِباغها طهورها، واستدلَّ بحديث ميمونة: «**هلَّا أَخذْتُم إِهَابَها فدَبْغتُموه فانتفعتم به**». فقال إسحاق: حديث عبدالله بن عُكَيمٍ: كتب إلينا النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لا تنتفعوا من المَيْتة بإهابٍ ولا عَصَبٍ**» أشبه أن يكون ناسخًا لحديث ميمونة رضي الله عنها،

---

(١) بل من شعب الإيمان لحديث الصحيحين: «**من كان يؤمن بالله واليومِ الآخِرِ فليكْرِم جَارَهُ، ومن كان يؤمن بالله واليومِ الآخِرِ فليكْرِم ضَيْفَهُ، ومن كان يؤمن بالله واليومِ الآخِرِ فليقل خيرًا أو ليَصْمُتْ**».

لأنه قبل موته بشهرٍ. فقال الشافعيُّ: هذا كتابٌ، وذاك سماعٌ. فقال إسحاق: كَتَبَ النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى كسرى وقيصر، وكان حُجَّةً عليهم. فسكت الشافعيُّ.

قلت: أخذ إسحاق وأحمد بن حنبلٍ بحديث ابن عُكَيمٍ، واعتبراه ناسخًا للأحاديث المُصرِّحة بطهارة جلود الميتة بالدِّباغ؛ لأنَّ ابن عُكَيمٍ قال: إنَّ كتاب النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم جاءهم بذلك قبل موته بشهرٍ، فتعيَّن كونه ناسخًا.

والواقع أنه ليس بين الأحاديث تعارضٌ حتى يُدَّعي النسخ؛ لما بينَّا آنفًا أنَّ جِلْد الميتة قبل دبغه يُسمَّى إهابًا، ولا يصحُّ الانتفاع به -كما في حديث ابن عُكَيمٍ- لنجاسته، فإذا دُبغ طَهُر وسُمِّي أديمًا جاز الانتفاع به، كما في حديث ميمونة، وحديث الترجمة، ويزيد ذلك وضوحًا حديث ابن عباسٍ «**أيُّما إهابٍ دُبِغَ فقد طَهُرَ**».

الحديث السابع عشر والمائة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**طُوبى لعيشٍ بعد المَسِيحِ، يُؤْذَنُ للسماء في القَطْرِ، ويُؤْذَنُ في الأرض للنبات، حتَّى لو بَذَرتَ حَبَّكَ على الصَّفا لنبت، وحتَّى يمرَّ الرجلُ على الأسدِ فلا يضرُّه، ويطأ على الحيَّة فلا تضرُّه، ولا تشاحَّ ولا تَحاسُدَ، ولا تَباغُضَ**». رواه أبو سعيدٍ النقَّاش في "فوائد العراقيين".

«**بعد المسيح**»: عيسى عليه السَّلام، أي بعد نزوله إلى الأرض، وقتله

المسيحَ[1] الدَّجَّال، فيطيب العيش حينئذٍ، ويضع الله البركة في الأرزاق، «**حتى لو بذرت حبَّك على الصَّفا**» بالقصر جمع صفاةٍ، وهي الصخرة الملساء. «**لنبت**» الحبُّ وأثمر، ويضع الأمن على الأرض «**حتَّى يمرَّ الرجل على الأسد فلا يضرُّه، ويطأ على الحيَّة فلا تضرُّه**» وذلك على خلاف العادة في الحيوانات المفترسة، والحشرات السَّامَّة، كما يضع المحبَّة في القلوب فلا تخاصم، «**ولا تشاحَّ**» بين اثنين على شيءٍ.

«**ولا تَحاسُدَ ولا تَباغُضَ**»، ويستمرُّ هذا العيش الطيِّب أربعين سنةً تقريبًا، ثُمَّ يموت عيسى عليه السَّلام، ويُدفن في الروضة الشريفة، بجانب عمر رضي الله عنه، ويتغيَّر الحال إيذانًا بقرب الساعة.

الحديث الثامن عشر والمائة

عن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**طُوبى لمن أسْلَمَ وكان عَيْشُهُ كَفَافًا**». رواه الرَّازي في "مشيخته".

«**طُوبى**» كلمة مَدْحٍ، أي: طيب وهناء «**لمن أسلم**» لأنه بإسلامه ضمن سعادة الآخرة «**وكان عيشه كَفَافًا**» لا يزيد على حاجته، ولا ينقص عنها وتلك سعادة الدنيا.

---

(١) المسيح الدَّجَّال بالحاء المهملة، ويقال فيه: مَسِيحُ الضَّلالة، كما يقال في عيسى عليه السَّلام: مَسيحُ الهُدى.

وبعض الناس يقول: المسيخ الدَّجَّال بالخاء المعجة، وهذا شيءٌ لا أصل له، ولم يَرِد في شيءٍ مِن طُرُقِ الحديث.

الحديث التاسع عشر والمائة

عن أنسٍ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**عَدَدُ آنيةِ الحَوْضِ كعدَدِ نُجومِ السَّماءِ**». رواه ابن أبي داود في "البعث".

الحوض: نهرٌ أُعطيه نبيُّنا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم[1] يشرب منه المؤمنون مِن أُمَّته يوم القيامة، مَن شرب منه لم يظمأ بعده أبدًا. وأخبر هذا الحديث أنَّ عدد آنيته كعدد نجوم السماء، وهي آلاف الآلاف، وجاء في أحاديث: أنَّ زواياه سواء، وأنَّ مساحته ما بين صنعاء باليمن، إلى الجابية بالشام، ويطرد عنه المُبتدِعةُ، ومَن على شَاكِلتهم.

الحديث العشرون والمائة

عن أنسٍ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، قال: «**عُرَامَةُ الصَّبيِّ في صِغَرِهِ زيادةٌ في عَقْلِهِ في كِبَرِهِ**». رواه أبو موسى المَدِيني في "أماليه"، ورواه الحكيم الترمذيُّ عن عمرو بن معد يكرب.

العَرَامة هي: الشَّراسة، والمراد بها هنا: ميل الصَّبيِّ في طفولته إلى كثرة الحركة واللعب وقِلَّة هدوئه، وذلك يُنمِّي عقله، ويزيد إدراكه في حالة كبره.

الحديث الحادي والعشرون والمائة

عن أبي أيوب رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، قال: «**عِظَمُ الأَجْرِ عند عِظَمِ المُصيبةِ، وإذا أحبَّ الله قومًا ابتلاهم**». رواه المحامليُّ في "أماليه".

---

(١) وهو الكوثر الذي نزلت فيه (سورة الكوثر)، وقيل غيره.

على قدر عِظَمِ المُصيبة يعظم أجر الصبر عليها، «**وإذا أحبَّ الله قومًا**» وأراد أن يُعظِم أجورهم ابتلاهم فصبروا، فأعظم لهم الثواب، ومع هذا فالمطلوب من الإنسان أن يسأل الله العافية[1].

الحديث الثاني والعشرون والمائة

عن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**عَرِيشًا كعَرِيشِ موسى، ثَمامٌ وخُشَيْبَاتٌ، والأمر أَعْجَلُ مِن ذلك**». رواه المخلص في "فوائده".

«**عريشًا كعريش موسى**» أي: أبني عريشًا، أي بيتًا من طين مثل بيت موسى. قاله جوابًا لمن اقترح عليه أن يُشيِّد بيته ويُحسن بناءه. «**ثَمام**»: بالفتح نبتٌ ضعيفٌ له خوصٌ يُشدُّ به خصاص البيت.

«**وخُشيبات**» يعمل منها الباب. «**والأمر أَعْجَلُ مِن ذلك**» أي: الموت يعجل الشخص عن أن يتأنَّق في البناء، ولا يدعه حتى يُحصِّل غرضه من الدنيا، بل الأجل يخترم أمانيه.

الحديث الثالث والعشرون والمائة

عن بكر بن عبدالله بن الربيع الأنصاريِّ، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**علِّموا أبناءكم السِّباحة والرِّماية، ونِعْم لهو المؤمنة في بيتها**

---

(١) مرَّ النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم برجلٍ يدعو الله أن يرزقه الصبر، فقال له النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**سألتَ الله البلاء، فاسأله العافية**». ذلك لأنَّ الصبر علاجٌ للمصائب والبلاء، وليس مقصودًا لذاته.

المغزل[1]، **وإن دعاك أبواك فأجب أُمَّك**». رواه ابن منذر في "معرفة الصحابة".

«**ونعم لهو المؤمنة في بيتها المغزل**» يفيد حث المسلمة أن تشغل وقت فرغها في بيتها بما ينفعها، كغزل صوفٍ وخياطة ثوبٍ، ونحو ذلك. «**وإذا دعاك أبواك فأجب أمَّك**» أي: قدِّم إجابتها لضعفها واحتياجها إلى مزيد عناية منك، ولعظم حقِّها عليك، في حَمْلها بك، وما لاقته من المشقَّة في وضعك، ثُمَّ إرضاعك، والقيام على تربيتك، حتى عقلت يمينك من شمالك، وعرفت قَبِيلَك مِن دَبِيرك.

الحديث الرابع والعشرون والمائة

عن أمِّ أنسٍ رضي الله عنها، قالت: قال، قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**عليكِ بالصَّلاة فإنَّها أفضلُ الجِهادِ، واهجُري المعاصي فإنَّها أفضلُ الهِجْرةِ**». رواه المحامليُّ في "أماليه".

«**عليك**» -بكسر الكاف- خطابٌ لأمِّ أنسٍ. «**فإنَّها أفضلُ الجِهادِ**» بالنسبة للنساء، «**واهجُرى المعاصي فإنَّها أفضلُ الهِجرةِ**» لأنَّ هِجْرةَ الشخص مِن مكانٍ يُعصى الله فيه لا تنفعه إذا لم يهجر المعاصي بقلبه وعمله.

---

(١) وقع السؤال عن هذه الجملة «نعم لهو المؤمنة في بيتها المغزل» هل وردت في حديث؟ سأل عنها الشريف العدل الرضى السيد الصادق ابن المهدي بن عجيبة، ولا أدري بما أجابه مولانا الأستاذ الإمام الوالد رضي الله عنه، لأني كنت إذ ذاك في الكُتَّاب قد أشرفت على حفظ القرآن.

الحديث الخامس والعشرون والمائة

عن عليٍّ عليه السَّلام، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**عليكم بالقرآن فاتَّخذوه إمامًا وقائدًا، فإنه كلام ربِّ العالمين الذي هو منه وإليه يعود، فآمنوا بمُتشابهه واعتبروا بأمثاله**». رواه ابن شاهين في "السنة".

«**عليكم بالقرآن**» أي: الزموا تلاوته وتدبَّروا معانيه «**فاتخذوه إمامًا**» تُنفِّذون أوامره، وتجتنبون نواهيه. «**وقائدًا**» أي: سلِّموا له زمام القيادة ليوصليكم إلى الخير والسَّعادة. «**الذي هو منه**» نزل إليكم «**وإليه يعود**» آخر الزمان حين يُرفع من الصدور، ويُمحى مِن المصاحف.

«**فآمنوا بمُتشابهه**» الذي لا يعلمه إلَّا الله، وقولوا آمنَّا به كلٌّ مِن عند ربِّنا، والمتشابه مثل قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: ٣٩][1] «**واعتبروا بأمثاله**» التي ضربها للناس، أي: خذوا منها عبرةً لأنفسكم تتَّعظون بها.

---

(١) هذا مذهب السَّلف الذين يُمِرُّون هذه الآيات كما جاءت، ويفوضون معناها إلى الله تعالى، مع تنزيهه عن الاتِّصاف بظاهرها لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

أمَّا الخَلَف فلا يعتبروها من المتشابه لأنهم يؤوِّلونها بمقتضى قواعد اللغة العربية، فيجعلون الآية الأولى والثانية من باب الاستعارة التمثلية، والآية الثالثة والربعة من باب الاستعارة التصريحية، وأنا أميل إلى هذا، لأنَّ القرآن عربيٌّ فلابُدَّ أن يكون فيه ما في اللغة العربية من كنايةٍ ومجازٍ واستعارةٍ.

الحديث السادس والعشرون والمائة

عن أبي سعيدٍ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**عليٌّ مِنِّي بمنزلة هارون من موسى، إلَّا أنه لانبيَّ بعدي**». رواه أبو بكر المطيري في "جزئه".

«**عليٌّ مِنِّي بمنزلة هارون من موسى**» لأنه خَلَفني في مكَّه حين هاجرتُ بأمر الله، كما خَلَف هارون موسى حين ذهب للمناجاة بأمر الله.

وبعد الهجرة آخيتُ بيني وبينه، فكان أخي، كما كان هارون أخا موسى عليهما السَّلام «**إلَّا أنه لا نبيَّ بعدي**» هذا الاستثناء يفيد أنَّ منزلة عليٍّ من النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مثل منزلة هارون في الفضل والعلم والخلافة وفي كلِّ شيءٍ إلَّا في النبوة[1] ويؤخذ منه: أنَّ عليًّا أعلم الصحابة وأفضلهم.

أمَّا الخلافة فقد تولَّاها هارون في حياة موسى فقط، وكذلك عليٌّ -عليه السَّلام- تولَّى الخلافة عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في حياته فقط، وبذلك تمَّت المشابهة.

الحديث السابع والعشرون والمائة

عن أنسٍ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**عليٌّ يظهر في الجنَّة ككَوْكَب الصُّبح لأهل الدُّنيا**». رواه البيهقيُّ في "فضائل الصحابة".

---

(١) بدليل القاعدة الأصولية المقرَّرة، وهي: «معيار العموم جواز الاستثناء». فكلُّ كلامٍ قَبِلَ الاستثناء -كما هنا- فهو عامٌّ.

خُصَّ عليٌّ -عليه السَّلام- بهذه المنقبة في الجنَّة لامتيازه بالعلم الذي سلَّم له الصحابة تسعة أعشاره، وشاركهم في العشر العاشر كما يقول ابن عباسٍ.

الحديث الثامن والعشرون والمائة

عن عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: **«عُودوا المريضَ، واتَّبِعُوا الجَنائزَ، والعِيادة غِبًّا أو رِبْعًا، إلَّا أن يكون مَغْلُوبًا فلا يُعاد، والتعْزِيةُ مَرَّةً»**. رواه البغويُّ في "مسند عثمان".

عيادة المريض واتِّباع الجنائز كلاهما حقٌّ من حقوق المسلم على أخيه، **«والعِيادةُ غِبًّا»**[1] أي: مرَّةً كل أسبوعٍ، **«أو رِبْعًا»** أي: مرَّةً كل أربعة أيامٍ، **«إلَّا أن يكون مَغْلُوبًا»** لا يَحِسُّ بمَن يزوره ولا يشعر به، **«فلا يُعاد»** لفقدان فائدة العيادة.

«والتعزية مرَّةً» لأنَّ تكرارها عبثٌ، مع تجديدها الحزن لأهل الميت.

الحديث التاسع والعشرون والمائة

عن أنسٍ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، قال: **«العلماءُ أُمَنَاءُ الرُّسُل مالم يُخالطوا السُّلطان ويُداخِلُوا الدُّنيا، فإذا خَالَطُوا السُّلطانَ ودَاخَلُوا الدُّنيا فقد خانوا الرُّسُلَ فاحْذَروهم»**. رواه الحسن بن سفيان في "مسنده".

«العلماء» في كلِّ أُمَّةٍ **«أُمناءُ الرُّسُل»** على شرائعهم. كذلك علماء هذه الأُمَّة

---

(١) غِبًّا بكسر الغين المعجمة وتشديد الباء الموحدة وهو منصوب خبر تكون المقدَّر.

أُمناء النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم. «**مالم يُخالطوا السلطان**»[١]. ومشوا في ركابه «**وداخلوا الدنيا**» طلبًا للتنعيم بها والاستكثار منها «**فقد خانوا الرُّسُل**» في الأمانة التي حمَّلوهم إيَّاها «**فاحذروهم**» ولا تثقوا بهم لأنَّ مُخالطة الحُكَّام ومُداخلة الدنيا، تحملانهم علىٰ المخاطرة بدينهم، في سبيل الوصول الىٰ مصالحهم.

(تنبيه): روىٰ الديلميُّ في "مسند الفردوس" عن عمر مرفوعًا: «**إنَّ الله يُحبُّ الأُمَرَاء إذا خالطوا العُلماءَ، ويَمْقَتُ العُلماءَ إذا خالطوا الأُمَرَاءَ؛ لأنَّ العُلماءَ إذا خالطوا الأُمَرَاءَ رَغِبُوا في الدُّنيا وإذا خالطهم الأُمَرَاءُ رَغِبوا فى الآخرة**».

وجاء في "طبقات الحنفية" في ترجمة الفقيه عليِّ بن الحسن بن عليٍّ الصندليِّ: أنَّ السلطان ملك شاه، قال له: لِمَ لا تجيء إليَّ؟ قال: لأني أردت أن تكون من خير الملوك حيث تزور العلماءَ، ولا أكون مِن شرِّ العلماءِ، حيث أزور الملوكَ.

الحديث الثلاثون والمائة

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**العَيْنُ حقٌّ يَحْضُرُها الشَّيطانُ وحَسَدُ ابنِ آدمَ**». رواه الكجيُّ في "سننه".

«**العين حقٌّ**» تُصيب المَعْيُون وتُؤذيه، وفي رواية عند أبي داود من حديث أسماء بنت يزيد: «**وإنَّها لتُدْرِكُ الفَارِسَ فتُدَعْثِرُه**» أي: تهدمه. «**يحضرها**

---

(١) هنا نقصٌ سقط من الناسخ وتمامه: أي الحاكم «ويداخلوا الدنيا» مستكثرين من شهواتها وزخارفها «**فإذا خالطوا السلطان**».

الشَّيطانُ» أي: إغواؤه «وحَسَدُ ابنِ آدمَ» قال الله تعالىٰ: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥].

ومِمَّا ينفع لعلاج المُصاب بالعين: أن يوضع ماءٌ في إناءٍ نظيفٍ، ويُسقىٰ منه ويُغسل به ويُلقَّن هذا القول: حَبَسَ حَابِس بشِهَابٍ قَابِس، رُدَّتْ العينُ مِن العَائِن إليه، وإلىٰ أحبِّ النَّاس عليه ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: ٣ - ٤]، ثُمَّ يقرأ (الفاتحة)، و(آية الكرسيِّ).

الحديث الحادي والثلاثون والمائة

عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: قال النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «الغُدُوُّ والرَّوَاحُ في تعليم العِلْمِ أفضلُ مِن الجِهادِ في سبيل الله». رواه أبو مسعودٍ الأصبهانيُّ في "معجمه".

إنما كان تعليم العلم أفضل من الجهاد في سبيل الله؛ لأنَّ العلم تُعرف به أحكام الشريعة: من صلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ وحَجٍّ وجهادٍ ومعاملاتٍ، فهو يُنوِّرُ عقول النَّاسِ، ويُعرِّفهم كيف يعبدون الله عبادةً صحيحةً، وكيف يُباشرون أعمالهم في التجارة والزراعة وغيرهما، في السِّلم وفي الحرب علىٰ وجهٍ سليمٍ مِن الخطأ.

الحديث الثاني والثلاثون والمائة

عن الحسن بن عليٍّ عليهما السَّلام، قال: قال النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «الغِلُّ والحَسَدُ يأكلان الحَسَناتِ كما تأكل النَّار الحَطَب». رواه ابن صهري في "أماليه".

«**الغِلُّ**» بالكسر: هو الحِقْدُ الدَّفين في القلب، ينشأ عنه الحسد، وهو تمنِّي زوال النِّعمه عن غيره. قال بعض المفسِّرين في قوله تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ** ﴾ [الأعراف: ٣٣]: ما بَطَنَ هو الحَسَدُ.

ومِن علامات الحَسَد -كما قال بعض العلماء-: «أنَّ يتملَّق إذا حَضَر، ويَغْتابَ إذا غاب، ويَشْمَتَ بالمصيبة إذا نزلت». وقال معاوية: «ليس في خِلال الشَّرِّ خِلَّةٌ أعدل مِن الحسد؛ تقتل الحاسد قبل المَحْسُود».

الحديث الثالث والثلاثون والمائة

عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: قال النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**الغِنَى: الإياسُ ممَّا في أيدي النَّاس، وإيَّاك والطَّمع فإنَّه الفَقْرُ الحاضر**». رواه العسكريُّ في "المواعظ".

«**الغِنى الإياسُ ممَّا في أيدي النَّاس**»، والقناعة بما أعطاك الله تعالى. قال بعض المفسِّرين في قوله تعالى: ﴿ **لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا** ﴾ [الحج: ٥٨] يعني: القناعة. وقيل: وضع الله تعالى خمسة أشياء في خمسة مواضع: العزُّ في الطاعة، والذلُّ في المعصية، والهيبة في قيام الليل، والحكمة في البطن الخالي، والغنى في القناعة.

مَرَّ أبو حازمٍ -التابعيُّ المشهور- بجزَّارٍ ومعه لحمٌ سَمينٌ، فقال: خذ يا أبا حازمٍ فإنه سمينٌ. فقال: ليس معي درهم. فقال: أنا أُنظِرك. فقال: نفسي أحسن نَظِرةً لي منك.

وهذا أصل المثل السائر بين الناس هنا: «صَبْري على نفسي، ولا صَبْر

الجَزَّار عليّ»[١].

وقيل لأبي يزيد البِسْطاميِّ: بِمَ وَصَلْتَ إلى ما وَصَلْتَ؟ فقال: جمعتُ أسباب الدنيا فربطتها بحبل القناعة، ووضعتها في منجنيق الصِّدق، ورميت بها في بحر اليأس، فاسترحتُ.

«**وإيَّاك والطمع فإنه الفقر الحاضر**» لأنَّ الرجل لا يزال غنيًّا عزيزًا ما دام قانعًا بما عنده، عازفًا عمَّا عند الناس، فإذا لاح له شيءٌ من الدنيا وطمع في نيله زال عنه عِزُّه، وفارقه غِناه، وصار ذليلًا فقيرًا.

قيل في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ يعني: البخل والطمع، ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] يعني: بالسخاء والإيثار.

رأى رجلٌ حكيمًا يأكل ما تساقط مِن البَقْل على رأس ماءٍ، فقال له: لو خدمتَ السُّلطان لم تَحتَجْ إلى أكل هذا. فقال الحكيم: وأنت لو قنعت بهذا لم تَحتَجْ إلى خِدْمة السلطان.

---

(١) ودخل مالك بن دينارٍ على محبوسٍ قد أُخذ بمالٍ عليه وقُيِّد، فقال المحبوس: يا أبا يحيى أما ترى ما نحن فيه من القيود؟ فرفع مالكٌ رأسه فرأى سلة، فقال: لمن هذه؟ فقال المحبوس: هي لي. فأمر بها أن تنزل، فإذا فيها دجاج وأخبصة، فقال مالكٌ: هذه وَضَعَتْ القيودَ في رجلك، يعني: أنه لو قَنَع بالمتيسِّر مِن الأكل، ولم يطمح بصره إلى الدَّجاج ونحوها من فاخر الأطعمة لما كان لأحدٍ عليه مالٌ يُطالبه به، ويُحبس مِن أجله.

الحديث الرابع والثلاثون والمائة

عن أبي سعيدٍ، وأبي هريرة رضي الله عنهما، قالا: قال رسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**فاتحةُ الكتابِ شِفاءٌ مِن السُّمِّ**». رواه أبو الشيخ ابن حيان.

سبب هذا الحديث: أنَّ جماعةً من الصحابة مَرُّوا بحيٍّ من العرب، واستضافوهم فلم يُضيِّفوهم، ولُدغ رئيس الحيِّ تلك الليلة، فأتوهم وقالوا: هل فيكم مِن راقٍ؟ فإنَّ سيِّدنا قد لُدغ، وعالجناه فلم يَنْجَع العلاج. فقال أبوسعيدٍ: أنا أرقي، ولكنَّكم لم تُضيِّفونا، فلا أرقيه إلَّا على جُعْلٍ. فاتفقوا معه على قطيعٍ من الغنم، فذهب فرقَاه بفاتحة الكتاب، قرأها عليه ثلاث مرَّاتٍ، فقام سَليمًا كأنما نَشِط مِن عِقَال، فأعطوه قطيعًا مِن الغَنم ما بين ثلاثين إلى مائةٍ، فقال الصحابة الذين معه: أخذت على كتاب الله أجرًا؟! وامتنعوا أن يأكلوا منها، فلما وصلوا إلى المدينة أخبروا النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بذلك فقال لأبي سعيدٍ: «**مَن أنبأك أنها رُقْيةٌ؟**» ثُمَّ قال: «**اضربوا لي معكم بسَهْمٍ**». وقال: «**إنَّ أحقَّ ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله**». ثُمَّ ذكر أنها شِفاءٌ مِن السُّمِّ.

وقد ذكرتُ التداوي بها وبغيرها من سور القرآن وآياته في كتاب "كمال الإيمان في التداوي بالقرآن" وهو الكتاب الذي ألفته ردًّا على الشيخ محمود شلتوت.

الحديث الخامس والثلاثون والمائة

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**كان أول مَن أَضَافَ الضَّيفَ إبراهيمُ**». رواه ابن أبي الدنيا في كتاب "قرى الضيف".

الضِّيافة: مِن خصال مكارم الأخلاق، لما فيها من الرِّفق بالقادم بإراحته

من تَعبِ الطريق، وإطعامه من الجوع، وإروائه من الظمأ، وتمكينه من تغيير ملابسه، وقضاء ما يحتاج إليه من بضاعة يريد شراءها، وزيارة مكان يقصده لمصلحة له، وكان أول مَن سَنَّ الضِّيافة إبراهيم عليه السَّلام، وقد شهد الله له بكرم الضِّيافة في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ [الذاريات: ٢٤]. وكان إذا أراد الغداء مشى ميلًا أو ميلين حتَّى يعثر على ضيفٍ يتغدَّى معه.

وقال بعض العلماء: استضاف إبراهيم -عليه السَّلام- مجوسيًّا، فقال بشرط أن تُسلم، فذهب المجوسيُّ، فأوحى الله تعالى إلى إبراهيم: نحن نُطعمه منذ خمسين سنةً على كُفْرِه، فلو ناولته لقمةً مِن غير أن تُطالبه بتغير دينه. فذهب في أثر المجوسيِّ حتَّى أدركه، واعتذر إليه، فسأله عن السَّبب، فذكر ذلك له فأسلم المجوسيُّ.

قلت: كذلك خَصَّ إبراهيم المؤمنين مِن أهل مكَّة بدعائه لهم بالرزق حيث قال: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [البقرة: ١٢٦] لكن الله أخبره أنه يرزق الكفار منهم أيضًا: ﴿قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٢٦].

الحديث السادس والثلاثون والمائة

عن جابرٍ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**كفى بالمرء شرًّا أن يَتَسَخَّط ما قُرِّب إليه**». رواه أبو الحسين بن بشران في "أماليه".

ليس من حقِّ الضَّيف، ولا مِن الأدب اللائق به أن يعيب طعامًا يُقدِّمه إليه أهل المنزل، فإن فعل!! دلَّ ذلك على دناءة نفسه، ورَدَاءةِ خُلُقه، وكفى بهما شرًّا.

الحديث السابع والثلاثون والمائة

عن عزَّة بنت أبي قِرْصَافة[١]، عن أبيها -رضي الله عنه- قال: قال النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا أراد الله بقومٍ خيرًا أَهْدَى إليهم هَدِيَّةً**» قالوا: يا رسول وما تلك الهديَّة؟ قال: «**الضَّيفُ ينزل برِزْقِهِ، ويَرتَحِلُ وقد غَفَرَ الله لأهل المنزلِ**». رواه أبو الشيخ في كتاب "الثواب".

يفيد الحديث أنَّ حلول الضيف بقومٍ دليلٌ على حبِّ الله لهم، وأنه يرزقهم ما يقدِّمونه لذلك الضيف، ويغفر لهم ذنوبهم إذا أحسنوا ضيافته، وفي هذا فضلٌ كبيرٌ للضيافة، وحثٌّ على القيام بها، وقد قال أنس بن مالكٍ رضي الله عنه: «زكاة الدار أن يُتَّخذ فيها بيتٌ للضيافة».

ويُروى أنَّ أمير المؤمنين عليًّا -رضي الله عنه- بكى يومًا فقيل له: ما يُبكيك؟ فقال: «لم يأتِني ضيفٌ منذ سبعة أيامٍ، وأخاف أن يكون الله تعالى قد أهانني».

وقال إبراهيم بن الجنيد: كان يقال: أربعة لا ينبغي للشريف أن يأنف منها: قيامه من مجلسه لأبيه، وخدمته للضيف، وخدمته لعالم يتعلَّم منه، والسؤال عمَّا لا يعلم.

وقيل في معنى قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ [الذاريات: ٢٤]: قيامه عليهم بنفسه.

---

(١) بكسر القاف وسكون الراء، وهو صحابيٌّ فاضلٌ أُسِر ابنه في بعض الغزوات لبلاد الروم، فكان إذاحضر وقت الصَّلاة ناداه من الشام: الصلاة يا قِرْصافة، فيُجيبه ابنه من بلاد الروم: نعم يا أبتاه. فيسأله الأسرى الذين معه: مَن تُكلِّم؟ فيقول أبي يُنادي من الشام يُعْلِمُني بوقت الصَّلاة.

الحديث الثامن والثلاثون والمائة

عن أمِّ سلمة أمِّ المؤمنين -رضي الله عنها- قالت: قال رسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**كثرة الحَجِّ والعُمْرةِ تَمنعُ العَيْلة**». رواه المحامليُّ في "أماليه".

العَيْلة: الفقر. وإنما كان الحجُّ والعُمْرةُ يمنعان الفقر؛ لأنَّ النفقة فيهما تُضاعف بسبعمائة، وهو رِبْحٌ يضمن لصاحبه الغِنى والثَّراء.

الحديث التاسع والثلاثون والمائة

عن أنسٍ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**كفَّارة مَن اغتبتَ أن تستغفر له**». رواه ابن أبي الدنيا في كتاب "الصمت".

إذا اغتبتَ شخصًا بأن ذكرته بأمر يكرهه، فكفَّارة ذلك أن تستغفر له[1]؛ لأنَّ النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**وأتْبع السيِّئةَ الحَسَنةَ تَمْحُها**». فالاستغفار للشخص يمحو غيبته.

الحديث الأربعون والمائة

عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**كلمات الفرج: لا إله إلَّا الله الحليم الكريم، لا له إلَّا الله العليُّ العظيم، لا إله إلَّا الله ربُّ السَّماوات السَّبع، وربُّ العَرْشِ الكريم**». رواه ابن أبي الدنيا في كتاب "الفرج".

هذه الكلمات إذا كرَّرها الشخص وهو في شِدَّةٍ أو ضيقٍ فرَّج الله عنه؛ لأنها

---

(١) كان أبو هريرة -رضي الله عنه- إذا رأى شخصًا يستثقله، قال: اللهمَّ اغفر له وأَرِحْنا منه.

تُثني على الله بوحدانيَّته، وحِلْمِه وكَرَمِه، وعُلُوِّه وعظمته، وربوبيته لأعظم المخلوقات وهو العرش، والله تعالى يحبُّ الثَّناء، ويُعطي عليه ما يُعطي على الدُّعاء وأكثر.

الحديث الحادي والأربعون والمائة

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لله أفرح بتوبة عبده، مِن العَقِيم الوالد، ومِن الضَّالِّ الواجد، ومِن الظَّمآن الوارد**». رواه ابن عساكر في "أماليه".

العقيم الذي يَيْأس مِن الخَلَف، ثُمَّ يُفاجأ بمولودٍ يولد له يكون فرحه شديدًا، لا يمكن التعبير عنه، والمسافر يضلُّ راحلته عليها طعامه وشرابه، ويبحث عنها فلا يجدها، ويستسلم للهلاك، ثُمَّ يجدها بعد أن عاين الموت لا تسعه الدنيا من الفرح والغِبطة، والظمآن الذي كاد يقتله العطش في يومٍ شديد الحرِّ؛ يَرِدُ عين ماءٍ عَذْبٍ باردٍ، يجد من الفرح ما لا يمكن وصفه. فالله تعالى أشدُّ فرحًا بتوبة عبده من هؤلاء، وهذا يدلُّ على فضل التوبة وعِظَمِ قَدْرها.

الحديث الثاني والأربعون والمائة

عن أنسٍ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لولا المرأة لدخل الرجلُ الجنَّة**». رواه الثقفيُّ في "الثقفيات".

المرأة مَثارُ فتنةٍ للرجل، تُهلكه وتُهلك نفسها معه، لأنها إن كانت أجنبيةً عنه حَمَلته للشهوة على قربانها، فيقع في الإثم الكبير، وإن كانت زوجته حمَّلته مِن المطالب ما لا يطيق، فيضطرُّ إلى السرقة، أو الغشِّ، أو أي وسيلةٍ مُحرَّمة

للحصول على المال الذي يكفي لإجابة مطالبها، وإرضاء نزواتها، وفي ذلك حتفه وهلاك دينه.

وجاء في حديثٍ عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**فُضِّلتُ على آدم بخصلتين: كان شيطان آدم كافرًا، وكان شيطاني مسلمًا. وكانت زوج آدم عونًا عليه، وكنَّ زوجاتي عونًا لي**». وهاتان الخصلتان من خصائصه عليه السَّلام.

الحديث الثالث والأربعون والمائة

عن أنسٍ أيضًا رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ليكونَنَّ في هذه الأُمَّة خَسْفٌ وقذْفٌ ومَسْخٌ، وذلك إذا شربوا الخُمُور، واتَّخذوا القِينات، وضربوا بالمعازف**». رواه ابن أبي الدنيا في "ذمِّ الملاهي".

يكون في آخر الزمان قذفٌ بالحجارة من السماء، وخسفٌ لبعض المدائن ومَن فيها، ومسخٌ لبعض الناس على صورة القِرَدة، وذلك إذا شربوا الخمور مستحلِّين لها، مُعلنين شربها، واتخذوا المغنِّيات تُغنِّيهم في الحفلات والمجتمعات.

«**وضربوا بالمعازف**»: آلات الطرب، كالعود والكمان والقانون والبيانو ونحو ذلك، لأنَّ الإنسان إذا شرب الخمر، وامتلأ سمعه بأصوات المُغنِّيات، ممزوجًا بآلات اللهو والطرب لم يبقَ في قلبه محلٌّ لتدبُّر القرآن، وسماع ما فيه من عِظاتٍ وعِبَرٍ، وقلبٌ لا يدخله قرآنٌ حَرِيٌّ ألَّا يكون فيه إيمانٌ، وصار صاحبه مستحقًّا لأن يصيبه عقاب مِن الله، إمَّا بخسفٍ أو قذفٍ أو مسخٍ، نسأل الله العافية.

الحديث الرابع والأربعون والمائة

عن أبي الدرداء رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**اللهو في ثلاثٍ: تأديب فرسك، ورَمْيك بقوسك، ومُلاعبتك أهلك**». رواه القراب في كتاب "فضل الرمي".

اللهو المأذون فيه يكون في ثلاث خصالٍ:

أولاها: تأديب الفرس: أي تمرينه على السَّبق، والكرِّ والفرِّ، استعدادًا للجهاد في سبيل الله.

ثانيتها: الرمي بالقوس وما في معناه مِن المسدَّس والبندقية والرشَّاش تدرُّبًا على إصابة الهدف، استعدادًا للجهاد أيضًا.

ثالثتها: ملاعبة الرجل امرأته فإنها تديم الأُلفة بينهما، ولَمَّا سأل النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم جابرًا «**هل تزوجت؟**» قال: نعم، تزوَّجتُ ثيِّبًا. فقال له النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**هلَّا تزوَّجتَ بِكْرًا تُلاعبها وتُلاعبك وتعضُّها وتَعضُّك**». والإذن في مزاولة هذه الثلاث يصدق بطلبها، فهي مُرغَّبٌ فيها، بل تصل في بعض الحالات إلى حدِّ الوجوب

الحديث الخامس والأربعون والمائة

عن جابرٍ رضي الله عنه، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ماء زمزم لِما شُرب له، مَن شربه لمرضٍ شفاه الله، أو لجوعٍ أشبعه الله، أو لحاجةٍ قضاها الله**». رواه المستغفريُّ في "الطب".

في هذا الحديث خلافٌ، والرَّاجح صحَّته؛ فقد صحَّحه سفيان بن عُيَيْنَة،

وأفرد جزءًا لتصحيحه كلٌّ من الحافظ المنذريِّ، وتلميذه الحافظ الدمياطيِّ، وكذا أفراد شيخنا أبو عبدالله محمَّد بن إدريس القادريُّ -رحمه الله- في تصحيحه جزءًا سمَّاه: "إزالة الدهش والوَلَه عن صحَّة حديث ماء زمزم لما شُرب له" قرأته وهو مطبوعٌ.

ودلَّ على صحَّته التجربة الصادقة فقد جرَّبه جماعةٌ مِن الكبار، كما قال الحافظ السخاويُّ، وثبت في "صحيح مسلم" عن أبي ذرٍّ -رضي الله عنه-: أنه مكث عِدَّة أيامٍ بمكَّة في أول البعثة النبوية -لَمَّا جاء ليُسلم- ولا طعام له ولا شراب إلَّا ماء زمزم قال: فسَمِنتُ حتى تكسَّرت عُكَن[1] بطني.

وثبت في حديثٍ حسنٍ: أنَّ النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كتب إلى سُهيل بن عمرٍو بمكَّة: «**إن وصل كتابي ليلًا فلا تصبحنَّ أو نهارًا فلا تمسينَّ حتى تبعث إلي بماء زمزم**». فبعث له بمزادتين وهو بالمدينة قبل فتح مكَّة.

وأخبرت عائشة -رضى الله عنها-: أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان يَصبُّ منه على المرضى ويسقيهم.

وممَّن شرب منه بنية العلم والتقوى عبدالله بن المبارك، وسفيان بن عُيينه، والحافظ ابن حجر[2] وغيرهم كثيرٌ.

ويذكر العارف الشعرانيُّ: أنه لما حجَّ شرب ماء زمزم بنية قضاء بضع

---

(١) بضم العين وفتح الكاف يقصد أنه شبع مِن شُرْبِ ماء زمزم حتى عظم بطنه، وتثنَّى من فرط السِّمن.

(٢) شرب منه بنية أن ينال رتبة البيهقيِّ في الحفظ، فنالها وزاد عليها بكثيرٍ.

وخمسين حاجةً من حوائج الدنيا والأخرة، فقضىٰ الله له حوائج الدنيا كلها، ومن جملتها خُرَّاجٌ تحت إبطه بقدر البطيخة، أتعبه وتعب الأطباء في علاجه حتىٰ أذهبه الله ببركة ماء زمزم.

وكان ابن عبَّاسٍ -رضي الله عنهما- إذا نزل به ضيفٌ أتحفه بماء زمزم، وروىٰ الأزرقيُّ في "تاريخ مكة" من طريق رجلٍ من الأنصار، عن أبيه، عن جدِّه مرفوعًا: «**علامة ما بيننا وبين المنافقين أن تُدلوا دلوًا مِن ماء زمزم فتضلَّع منها، ما استطاع منافقٌ قطُّ يتضلَّع منها**». وروىٰ الأزرقيُّ أيضًا عن الضَّحَّاك بن مزاحم قال: بلغني أنَّ التضلُّع من ماء زمزم براءةٌ من النفاق، وأنَّ ماءها يُذهب الصُّداع، والاطِّلاع فيها يجلو البصر.

الحديث السادس والأربعون والمائة

عن عليٍّ عليه السلام، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ما أخاف على أُمَّتي فتنةً أخوف عليها من النِّساء والخمر**». رواه يوسف الخفاف في "مشيخته".

يُشير الحديث إلىٰ معجزةٍ من معجزات النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في الإخبار بالغيبيَّات. ذلك أنه ليس المراد به الإخبار بكثرة الزِّنا وشرب الخمر كما قد يتبادر لأول وهلة، فإنَّ هذا مع كونه كبيرةً ليس فيه فتنةٌ، ولكن الحديث يريد بالفتنة ما ظهر في هذه الأزمان المتأخِّرة من التحايل علىٰ إباحة الزِّنا وإباحة الخمر، فهذه هي الفتنة التي خافها النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ أُمَّته، إذ يُقدمون علىٰ المعصية معتقدين إباحتها فيُصرُّون عليها ولا يتوبون

منها، لأنَّ المباح لا يُتاب منه، أمَّا التحايل على إباحة الزِّنا ففي صورتين:

إحداهما: أن يقول الرجل للمرأة: هبي لي نفسك على صداقٍ قدره ربع دينارٍ مثلًا. فتقول ذلك، ويأتيها بناء على أنها حلَّت له وصارت زوجته، وبعد انتهاء العملية الجنسية يقول لها: طلقتك. وهذا النوع شائعٌ في مصر، وسبب شُيوعه تجويز الحنفية للمرأة الرشيدة أن تعقد عقد الزواج على نفسها، وتجويزهم أيضًا عقد النكاح بلفظة الهبة مع أنَّ القرآن مصرِّحٌ بتخصيصه بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم(١).

والأخرى: أن يشتري الرجل جاريةً بكرًا أو ثيِّبًا، ويستفرشها لأنها صارت بالشراء ملك يمينه، وأبيحت بنصِّ قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾ [المؤمنون: ٦]. وهذا النوع شائعٌ في السعودية والمغرب، وهو زنًا لا شك فيه، وإدخاله في نصِّ الآية تحريفٌ لكلام الله، وتحايلٌ مكشوفٌ لتحليل ما حرَّم الله؛ لأنَّ الجارية التي تُباع هي حرَّةٌ خُطفت من أهلها وذويها، فبيعها حرامٌ بل كبيرةٌ، وبائعها لا ينظر الله إليه يوم القيامة غضبًا عليه، كما ثبت في الصحيحين، وبعض علماء المغاربة أفتى بجواز امتلاك هذه الجارية إذا كان في أجدادها من ضُرب عليه الرقُّ، أو كان كافرًا، وهذه فتوى باطلةٌ قصد صاحبها إرضاء تُجَّار فاس وأغنيائها الذين يشترون الجواري، ويأخذونهن

---

(١) حيث يقول الله تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأحزاب: ٥٠] ولهذا جعل العلماء من خصوصياته -عليه الصَّلاة والسَّلام- صحَّة الزواج بلفظ الهبة، وبدون الصَّداق.

معهم إلى أماكن تجارتهم في انجلترا وفرنسا وغيرهما خوفًا من الوقوع في الزِّنا!

وكيف يعرف أنَّ في أجداد الجارية من ضُرب عليه الرقُّ؟! ذلك يتوقَّف على معرفة نسبها والبحث عنه في كتب الأنساب، ثُمَّ المقرَّر شرعًا أنَّ الرقيق يتبع أُمَّه لا أباه ولا جدَّه، فلو تزوَّج حُرٌّ أمةً فولده منها رقيقٌ لسيِّدها، وليس كلُّ كافرٍ يحلُّ استرقاقه، بل هناك شروطٌ لجواز استرقاق بعض الكفَّار في الجهاد.

وأمَّا التحايل على إباحة الخمر فقد فتح بابه الحنفية ففرَّقوا بين المُسْكِر من العنب، ومن غيره، وبين ما اشتدَّ غليانه، وما لم يشتد، وذكروا تفصيلات سهَّلت للناس شرب أنواعٍ من الخمر، كالبيرة وغيرها، مع أنَّ عمر -رضي الله عنه- حين تكلَّم على المنبر في آية (المائدة)، وذكر ما يتخذ من العنب ومن التمر والذرة قال: «والخمر ما خامر العقل»(١).

الحديث السابع والأربعون والمائة

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ما كَرَبني أمرٌ إلَّا تمثَّل لي جبريل فقال: يا محمَّد، قل: توكَّلتُ على الحيِّ الذي لا يموت، والحمد لله الذي لم يتَّخذ ولدًا ولم يكن له شريكٌ في الملك، ولم يكن له وليًّا من الذلِّ وكبِّره تكبيرًا**». رواه ابن صهري في "أماليه".

«**ما كَرَبني أمرٌ**» وفكَّرت في الخلاص منه «**إلَّا تمثَّل لي جبريل**»رجلًا يكلِّمني «**فقال: يا محمَّد، قل: توكلت على الحيِّ الذي لا يموت**» وكفى به

---

(١) فقطع الطريق على تلك التفصيلات التي أبداها الحنفية لعدم معرفتهم اللغة العربية.

وكيلًا يدفع عنك الأسواء والأدواء «**والحمد لله الذي لم يتَّخذ ولدًا**» لتنزُّهه عنه، قال تعالىٰ مُنكِرًا علىٰ المشركين الذين نسبوا إليه الولد: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ [الأنعام: ١٠١] يعني: زوجة.

وفي التعبير بصاحبة نكتةٌ لطيفةٌ: لأنَّ الزوجة تُشاكل الزوج وتثنيه، والله تعالىٰ لا يُشاكله أحدٌ كما لا يثنيه -أي لا يكون له ثانيًا أحدٌ- فكان التعبير بصاحبة إشارةً إلىٰ نفي المشاركة والتثنية عنه، لاستحالتهما في حقه تعالىٰ. «**ولم يكن له شريكٌ في الملك**» يقدر أن يُلحق ضررًا بأحدٍ من خلقه، أو يوصل إليه نفعًا. «**ولم يكن له وليٌّ**» ينصره «**مِن الذلِّ**» أي: لا يلحقه ذلٌّ ولا ولي له «**وكبِّره تكبيرًا**» أي: عظِّمه تعظيمًا يليق بكماله، وهذه الآيه جاء في حديثٍ تسميتها بآية العزِّ، لأنَّ مَن داوم علىٰ تلاوتها أورثه الله عِزًّا، ويؤخذ من الحديث أمران:

أحدهما: عناية الله بنبيِّه عليه الصَّلاة والسَّلام، حيث يبعث إليه جبريل -عليه السَّلام- كلَّما كَرَبه أمرٌ يلقِّنه ما يدفع عنه الكَرْب.

والآخر: أنَّ خاصيَّة ذلك الكلام رفع الكَرْب عمَّن قاله. والله تعالىٰ أعلم.

الحديث الثامن والأربعون والمائة

عن قيس بن سعدٍ رضى الله عنه، عن النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن لم يوصِ لم يُؤْذَن له في الكلام مع الموتي**». رواه أبو الشيخ في كتاب "الوصايا".

الوصيَّة نوعان:

واجبةٌ: كأن يكون علىٰ الشخص حقوقٌ لله تعالىٰ، مثل كفَّارة اليمين

ونحوها، أو زكاة لم يخرجها، أو نذر لم يفِ به، أو يكون عليه حقٌّ لآدمي مثل دين أو دية، أو ما أشبه ذلك.

فيجب عليه أن يكتب وصيَّته، يُبيِّن فيها ما عليه لله أو للناس ليؤديها الورثة من ثلث ماله إذا مات، فإن لم يوصِ كان آثمًا، وعُوقب في قبره بأن لا يؤذن له في الكلام مع الموتى زائدًا على عقابه يوم القيامة، وعلى هذا يتنزَّل الحديث.

ووصيةٌ مندوبةٌ: كأن يوصي الشخص عند موته بإنفاق بعض ماله في وجوه من الخير.

وهناك وصيَّةٌ محرَّمةٌ يُعاقب صاحبها عند الله تعالى وهو: أن يوصي بحرمان بعض الورثة من الميراث مثلًا.

الحديث التاسع والأربعون والمائة

عن عمرو بن الحارث: أنَّ رجلًا دعا عبدالله بن مسعودٍ -رضى الله عنه- إلى وليمةٍ فلمَّا جاء ليدخل سمع لهوًا فلم يدخل، فقيل له، فقال: إني سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**مَن كثَّر سواد قومٍ فهو منهم، ومَن رضي عمل قومٍ كان شريك مَن عمل به**». رواه ابن معبد في كتاب "الطاعة والمعصية" من طريق ابن وهب، عن بكر بن مضر، عن عمرو بن الحارث.

الوليمة هي: الطعام الذي يُعمل لمناسبة الزواج، وإجابة الدعوة إليها واجبةٌ إلَّا إذا كان فيها منكرٌ فلا تجب كما هنا، فإنَّ ابن مسعود لما سمع لهوًا رجع ولم يدخل واستدل بالحديث.

ومعناه: أنَّ من انضمَّ إلى قومٍ وكثَّر جمعهم بأن صار عاشرهم إن كانوا تسعةً مثلًا كان منهم فيما هم فيه، فإن كانوا في طاعةٍ، كان مُثابًا مثلهم، وإن كانوا في معصية كان معاقبًا كذلك. وإن من رضي عمل قومٍ كان شريك من عمل به الثواب أو العقاب، وإن لم يحضر ذلك العمل لأنَّ الرِّضا به يقوم مقام فعله.

الحديث الخمسون والمائة

عن عائشة رضي الله عنها، عن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**الحمد لله إنَّ الأرواح جنودٌ مُجنَّدةٌ فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف**». رواه الزبير بن بكَّار في كتاب "المزاح والمفاكهة".

روى الزبير في الكتاب المذكور من طريق عليِّ بن أبي علي اللهبي، عن ابن شهابٍ الزهريِّ، عن عروة، عن عائشة رضى الله عنها: أنَّ امرأةً من أهلِ مكةَ كانت تدخل على نساء قريشٍ تُضحكهنَّ فلما هاجرن ووسَّع الله، دخلت المدينة، قالت عائشة: فدخلت عليَّ فقلت لها: فلانةٌ ما أقدمك؟ قالت: إليكنَّ. قلتُ: فأين نزلت؟ قالت: على فلانةٍ إمرأة تضحك بالمدينة. قالت عائشة: ودخل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**فلانة المُضحكة عندكم؟**» قالت: نعم، فقال: «**فعلى من نزلت؟**» قلت: على فلانةٍ المضحكة. فقال: «**الحمد لله، إنَّ الأرواح جنودٌ مُجنَّدةٌ**». الحديث.

ومعناه: أنَّ الشخص يألف مثله في عمله، وينجذب إليه كما قال الشاعر: «شبيه الشيء مُنجذِبٌ إليه».

وروى العسكريُّ في "الأمثال" بإسنادٍ ضعيفٍ عن ابن مسعودٍ مرفوعًا: **«الأرواح جُنودٌ مُجنَّدةٌ، تلتقي فتتشامُّ كما تتشامُّ الخيل، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف، فلو أنَّ رجلًا مؤمنًا جاء إلى مجلسٍ فيه مائة منافقٍ وليس فيه إلَّا مؤمنٍ لجاء حتى يجلس إليه، ولو أنَّ منافقًا جاء إلى مجلسٍ فيه مائة مؤمنٍ وليس فيه إلَّا منافقٌ لجاء حتى يجلس إليه»**.

وروى أبو نعيمٍ في "الحلية" في ترجمة أويسٍ القَرَنيِّ: أنه لما اجتمع به هَرَم بن حيَّان العبديُّ ناده باسمه فقال له هَرَم: من أين عرفت اسمي، واسم أبي؟ فوالله ما رأيتك قط ولا رأيتني! قال له أويسٌ: عرف روحي روحك حين كلمت نفسي نفسك؛ لأنَّ الأرواح لها أنفسٌ كأنفس الأجساد، وإنَّ المؤمنين يتعارفون بروح الله وإن نأت بهم الدار، وشطَّت بهم المنازل وقال الشاعر:

بينـي وبينـك في المحبَّـةِ نِسْـبَةٌ ... مَسْـتورةٌ عـن سِرِّ هـذا العـالِمِ
نحـن اللـذان تَحابَبـتْ أرواحنـا ... مِـن قبـل خَلْـقِ الله طينـةِ آدم

خاتمة

هذا آخر كتاب "الغرائب والوحدان" وهو يشتمل على أحاديث مُختارة فيها آدابٌ وأخلاقٌ وأحكامٌ وحِكَمٌ ومواعظ، كما أنَّ فيه أحاديث قلَّ من يعرفها من أهل الحديث بل غيرهم، وذلك لوجودها في أجزاء حديثية عزيزة المنال، عديمة المِثال.

واللهُ المسئول أن يجعل نفعه دائمًا جاريًا، ويكون ثوابه معي في قبري ثاويًا، ببركة خاتم أنبيائه، وسيِّد أصفيائه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدِّين، والحمد لله ربِّ العالمين.

٦ - الفَوائِدُ المَقْصُودَةُ

فِي بَيانِ الأحاديثِ الشَّاذَّةِ المَرْدُودَةِ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الكبير المُتعال، المَنْعُوت بنُعوتِ الجَلال والمَوصُوفِ بصِفاتِ الكَمال، تنزَّه عن الشَّكْلِ والصُّورةِ والمِثال، وتعالىٰ أن يكون في مكانٍ أو يمرَّ عليه زمانٌ أو يُغيِّره تعاقب الأحوال.

والصَّلاة والسَّلام علىٰ سيِّدنا محمَّدٍ وآله الأكرمين، ورضي الله عن صحابته والتابعين.

أمَّا بعد: فإنَّ العمل بالحديث النبويِّ واجبٌ، وطاعة رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أمرٌ لازِمٌ، لقول الله تعالىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] ولقوله سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]. والأحاديث في هذا المعنىٰ كثيرةٌ، وإجماع الأُمَّة علىٰ وجوب اتِّباعه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فيما ثبت عنه، من غير قيدٍ ولا شرطٍ؛ لقول الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]. وقال سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

غير أنَّ طائفةً مِن المُلْحِدين اقتصروا علىٰ العمل بالقرآن ونفوا العمل بالسُّنَّة، وتعلَّلوا بعللٍ واهيةٍ كقولهم: «إنَّ الحديث فيه ضعيفٌ كثيرٌ وموضوعاتٌ، ودَخَلَت فيه إسرائيليَّاتٌ...»، ونحو ذلك ممَّا يُدرك بُطْلانه بالضرورة؛ فإنَّ علماء الحديث بيَّنوا الضعيف والموضوع في كتبٍ خاصَّةٍ،

ونبَّهوا على الإسرائيليَّات، ونقدوا رواة الأحاديث نَقْدًا متينًا مَبنيًّا على قواعد وضوابط يُعرف منها مَن يُقبَل حديثه ومن لا يُقبَل، وتكلَّموا على علل الأحاديث الظاهرة والخفيَّة، مع إلهامٍ خصَّهم الله به يُدركون به الحديث الموضوع، وإن كان إسناده في الظاهر صحيحًا.

قال الربيع بن خَيْثَمٍ: «إنَّ للحديث ضَوْءًا كضَوْء النَّهار تَعْرِفُهُ، وللكذب ظُلْمةٌ كظُلْمة الليل تُنْكِرُه».

وروى أحمد من طريق ربيعة، عن عبدالمِلك بن سعيد بن سويد، عن أبي أسيد -أو أبي حميد-: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إذا سَمِعْتُم الحديثَ عَنِّي تَعْرِفُهُ قُلوبُكم وتَلِينُ له أشْعارُكُم وأَبْشَارُكم وتَرَوْنَ أنه مِنكُم قريبٌ فأنا أَوْلَاكُم بِهِ، وإذا سَمِعْتُم الحديثَ عَنِّي تُنكِرُهُ قُلوبُكُم وتَنْفِرُ عنه أشْعَارُكُم وأبْشَارُكم وتَرَوْنَ أنه منكم بعيدٌ فأنا أَبْعَدُكُم مِنه**».

قال الحافظ ابن رجب: «وإسناده قد قيل: إنه على شرط مسلمٍ، لكنه معلولٌ؛ فإنه رواه بُكير بن الأشج، عن عبدالملك بن سعيدٍ، عن عبَّاس بن سهلٍ، عن أُبيِّ بن كعبٍ قال: «إذا بلغكم عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ما يعرف ويلين الجلد، فقد يقول النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الخيرَ، ولا يقول إلَّا الخير».قال البخاريُّ: وهذا أشبه.

وروى يحيى بن آدم، عن ابن أبي ذئبٍ، عن سعيدٍ المَقْبُرِيِّ، عن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إذا حُدِّثتم عَنِّي حديثًا تعرفونه ولا تُنكِرونه، فصَدِّقُوه، فإنِّي أقول ما يُعرف ولا يُنكَر، وإذا حُدِّثتم عَنِّي بحديثٍ تُنكرونه ولا تَعرفونه، فلا تُصَدِّقوا به، فإنِّي لا أقول ما يُنكر ولا يُعرف**».

قال الحافظ ابن رجب: «وهذا الحديث معلولٌ أيضًا، وقد اختلفوا في إسناده على ابن أبي ذئبٍ، ورواه الحُفَّاظ عنه، عن سعيدٍ مرسلًا، والمرسل أصح عند أئمَّة الحُفَّاظ، منهم: ابن معينٍ والبخاريُّ وأبو حاتمٍ الرازيُّ وابن خزيمة».

وقال: «ما رأيت أحدًا من علماء الحديث يثبت وصله وإنما يحمل مثل هذه الأحاديث على تقدير صحَّتها على معرفة أئمَّة الحديث الجهابذة النُّقَّاد الذين كثرت دراستهم لكلام النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ولكلام غيره، ولحال رُواة الأحاديث ونَقَلة الأخبار ومعرفتهم بصِدْقِهم وكذبهم وضَبْطِهم وحِفْظِهم، فإن هؤلاء لهم نقدٌ خاصٌّ في الحديث مختصُّون بمعرفته، كما يختصُّ البصير الحاذِق بمعرفة النُّقود جيِّدها ورديئها وخالصها ومشوبها، والجوهريُّ الحاذق في معرفة الجوهر بانتقاد الجواهر.

وكلٌّ مِن هؤلاء لا يمكن أن يُعبِّر عن سبب معرفته ولا يُقيم عليها دليلًا لغيره، وآية ذلك أنه يعرض الحديث الواحد على جماعةٍ ممَّن يعلم هذا العلم فيتفقون على الجواب فيه مِن غير مواطأةٍ.

وقد امتُحن هذا منهم غير مرَّةٍ في زمن أبي زرعة وأبي حاتمٍ فوجِد الأمر على ذلك فقال السائل: أشهد أنَّ هذا العلم إلهامٌ».

هذا كلام الحافظ ابن رجب، وانظر بقيَّته في شرح الحديث السابع والعشرين من "جامع العلوم والحِكَم" لتعرف مقدار اجتهاد المحُدِّثين في تنقية الحديث مِن الكذب والدَّخِيل، وشِدَّة بحثهم في نَقْد الرُّواة، شهد المُستشرقون بأنَّ قواعد النَّقْد التي أسَّسها المُحَدِّثون لا يوجد مثلها في أمَّةٍ غير المسلمين.

والمقصود أنَّ العمل بالحديث الصحيح السَّالِم مِن العِلَّة واجبٌ، ولكن

يظنُّ كثيرٌ من أهل العلم أنَّ الحديث إذا صحَّ وجب العمل به مطلقًا، وهذا غير صحيحٍ، بل يُشترط في وجوب العمل به ألَّا يكون شاذًّا، وألَّا يكون له معارضٌ، ونَعْنِي بالشُّذوذ: مُخالفة الحديث لِما تواتر، أو للقواعد المُقرَّرة.

وهذه طائفةٌ من الأحاديث الشَّاذَّة مع بيان وَجْهِ شُذوذها، ولم أقصد الاستيعاب، وإنما ذكرت أمثلةً تكون نموذجًا يُهتدَىٰ بها في هذا الباب، وبالله التوفيق.

الحديث الأول

عن معاوية بن الحَكَم السُّلَميِّ قال: كانت لي غَنَمٌ بين أُحُدٍ والجَوَّانيَّة، فيها جاريةٌ لي، فأطلعتها ذات يومٍ، فإذا الذئب قد ذهب منها بشاةٍ، فأسِفْتُ، فصَكَكْتُها، فأتيت النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فذكرتُ ذلك له فعَظُمَ ذلك عليَّ، فقلت: يا رسول الله أفلا أعْتِقُها قال: «**ادْعُها**» فدعوتها فقال لها: «**أين الله؟**». قالت: في السَّماء. قال: «**مَن أنا**». قالت: أنت رسول الله. قال: «**أعْتِقْها فإنَّها مُؤمِنةٌ**». رواه مسلمٌ، وأبو داود، والنَّسائيُّ، وغيرهم.

قال الألبانيُّ في "اختصار العلو": «ففي الخبر مسألتان: **أحدهما**: شرعية قول المسلم أين الله؟ **وثانيهما**: قول المسؤول: في السماء، فمن أنكر هاتين المسألتين، فإنما ينكر على المصطفى صلَّى الله عليه وآله وسلَّم».اهـ

قوله: «وثانيهما» لحن، والصواب: «وثانيتهما»، وكذلك: «أحدهما»، والصواب: «إحداهما».

واستنباطه غير صحيحٍ؛ لأن الحديث شاذٌّ لا يجوز العمل به، وبيان شذوذه من وجوهٍ:

١- مخالفته لما تواتر عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنه كان إذا أتاه شخصٌ يريد الإسلام، سأله عن الشهادتين؟ فإذا قبلهما حكم بإسلامه.

وفي "الموطأ" عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعودٍ: أنَّ رجلًا من الأنصار جاء إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بجارية سوداء فقال: يا رسول الله عليَّ رقبةٌ مؤمنةٌ فإن كنت تراها مُؤمنةً أعْتِقُها.

فقال لها رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أتَشْهَدينَ أن لا إله إلَّا الله؟**»

قالت: نعم. قال: «**أتشْهدِينَ أنَّ محمَّدًا رسول الله؟**». قالت: نعم. قال: «**أتُوقِنين بالبَعثِ بعد الموت؟**». قالت: نعم. فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أعْتِقْها**». وهذا هو المعلوم من حال النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ضرورةً.

نعم روىٰ الحافظ أبو إسماعيل الهروي في كتاب "الأربعين في دلائل التوحيد" من طريق سعيد بن المَرْزُبان، عن عكرمة، عن ابن عباسٍ رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ومعه جاريةٌ أعجميَّةٌ سوداء فقال: عليَّ رقبةٌ، فهل تُجزيء هذه عَنِّي؟ فقال: «**أين الله؟**» فأشارت بيدها إلىٰ السماء. فقال: «**مَن أنا؟**» فقالت: أنت رسول الله. قال: «**أَعْتِقْها فإنَّها مُؤمنةٌ**».

وهذا أيضًا حديثٌ شاذٌّ وضعيفٌ، فيه سعيد بن المَرْزُبان متروكٌ مُنكَر الحديث، ومُدلِّسٌ.

وجاء حديثان مُخالفان لحديث معاوية يؤكِّدان شُذُوذَهُ:

فروىٰ البيهقيُّ في "السنن" من طريق عون بن عبدالله بن عتبة: حدَّثني أبي، عن جدِّي قال: جاءت امرأةٌ إلىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بأَمَةٍ سوداء فقالت: يا رسول الله إنَّ عليَّ رَقَبةً مُؤمِنةً أتُجزِئ عَنِّي هذه؟ فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن رَبُّكِ؟**». قالت: الله ربِّي. قال: «**فما دِينُكِ؟**». قالت الإسلام. قال: «**مَن أنا؟**». قالت: أنت رسول الله. قال: «**أفتُصَلِّين الخَمْسَ وتُقِرِّينَ بما جِئْتُ به مِن عند الله؟**». قالت: نعم. فضرب صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ ظَهْرِها وقال: «**أَعْتِقِيها**».

وروىٰ أيضًا: من طريق حمَّاد بن سلمة، عن محمد بن عمرٍو، عن أبي

سلمة، عن الشريد بن سويد الثقفيِّ قال: قلت: يا رسول الله إنَّ أمِّي أوصت إليَّ أن أعْتِق عنها رَقَبَةً وأنا عندي جاريةٌ نوبيَّةٌ. فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ادْعُ بها**». فقال: «**مَن رَبُّكِ؟**». قالت الله. قال: «**فمن أنا؟**». قالت رسول الله. قال: «**أعْتِقْها فإنَّها مُؤمِنةٌ**».

وجاء حديث ثالث: قال أحمد في "المسند": ثنا عبدالرزَّاق: ثنا مَعْمَرٌ، عن الزهريِّ، عن عبيدالله بن عبدالله، عن رجلٍ من الأنصار أنه جاء بأَمَةٍ سوداء وقال: يا رسول الله إنَّ عليَّ رَقَبَةً مُؤمِنةً فإن كنت ترىٰ هذه مُؤمِنةً أعْتِقُها. فقال لها رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أتَشْهَدِين أن لا إله إلَّا الله؟**» قالت: نعم. قال: «**أتشهدين أنِّي رسول الله؟**» قالت: نعم. قال: «**أتؤمنين بالبَعْثِ بعد الموتِ؟**». قالت: نعم. قال: «**أعتقها**». (ج٣ ص٤٥١) وهذا الحديث وَصْلٌ لمرسل "الموطأ".

وقال البزَّار: حدَّثنا محمد بن عثمان، قال: ثنا عبيد الله، ثنا ابن أبي ليلىٰ، عن المِنْهال بن عمرٍو، عن سعيد بن جُبيرٍ، عن ابن عباسٍ، قال: أتىٰ رجلٌ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: إنَّ علىٰ أُمِّي رَقَبَةً وعندي أمَةٌ سوداء. فقال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ائتِني بها**» فقال لها رسول الله: «**أتَشْهَدِينَ أن لا إله إلَّا الله وأنِّي رسول الله؟**» قالت: نعم. قال: «**فأعْتِقْها**».

٢- أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بيَّن أركان الإيمان في حديث سؤال جبريل، حيث قال: «**الإيمانُ أنْ تُؤمِنَ بالله ومَلائِكَتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ واليومِ الآخِرِ وتُؤمِنَ بالقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ**» ولم يذكر فيها عقيدة أنَّ الله في السماء.

٣- أنَّ العقيدة المذكورة لا تُثْبِتُ توحيدًا ولا تَنْفي شِرْكًا، فكيف يصف النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم صاحبها بأنه مؤمنٌ؟! كان المشركون يعتقدون أنَّ الله في السماء، ويشركون معه آلهةً في الأرض، ولَمَّا جاء حصين بن عتبة أو ابن عبيد -والد عمران- إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم سأله: «**كَمْ تَعْبُدُ مِن إلهٍ؟**» قال: سِتَّةٌ في الأرض، وواحِدٌ في السَّماء.

وقال فرعون لهامان: ﴿فَأَجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ [القصص: ٣٨] لاعتقاده أنَّ الله في السَّماء، ومع ذلك قال لقومه: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، وقال لهم: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨].

٤- أنَّ كون الله في السماء ليس على حقيقته عند جماعةٍ من العلماء، بل هو مؤوَّلٌ عندهم على معنى العُلُوِّ المعنويِّ، قال الباجيُّ على قول الجارية: «في السماء»: «لعلها تريد وصفه بالعُلُوِّ، وبذلك يوصف من كان شأنه العُلُو، يقال: مكان فلانٍ في السماء، يعني عُلُوَّ حاله ورفعته وشأنه».

وذكر السُّبكيُّ في «طبقات الشافعية» (ج١ ص٢٦٥):

الأبيات المنسوبة لعبدالله بن رواحة:

شَهِدْتُ بأنَّ وَعْدَ الله حَقٌّ ... وأنَّ النَّارَ مَثْوَى الكَافِرِينَا

وأنَّ العَرْشَ فَوْقَ المَاءِ طَافٍ ... وفَوْقَ العَرْشِ رَبُّ العَالَمِينَا

وقال عقبها: «ما أحسن قول الإمام الرافعيِّ في كتاب "الأمالي" وقد ذكر هذه الأبيات: هذه الفوقية فوقيَّة العظمة والاستغناء، في مقابلة صفة الموصوفين بصفة العجز والفناء».اهـ، وأركان الإيمان لا يدخلها تأويلٌ.

الحديث الثاني

روىٰ مسلمٌ أيضًا: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أن أَسْتَغْفِرَ لأُمِّي فلم يأذَنْ لي، واسْتَأْذَنْتُهُ أن أَزُورَ قَبْرَها فأذِنَ لي**».

وهذا الحديث شاذٌّ أيضًا، لمُخالفته لآيات القرآن الكريم، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] وقال أيضًا: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣١].

أي لم يأتهم نذيرٌ، وقال سبحانه في حقِّ العرب: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ [سبأ: ٤٤]

وقال أيضًا: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [السجدة: ٣].

وأمُّ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عاشت في زمن الفَتْرة، لم يأتها نذيرٌ ولا عَلِمَت به، فالعذاب منفيٌّ عنها بصراحة هذه الآيات، والحديث المذكور في نفي منع الاستغفار عنها شاذٌّ لا يُعمَل به، وخبر الآحاد لا يُقدَّم علىٰ القرآن الكريم، وهذا واضحٌ لا خفاء فيه.

ومثله ما رواه أحمد في "المسند" بإسنادٍ ضعيفٍ: عن أبي رَزينٍ العقيليِّ قال: قلت: يا رسول الله أين أُمِّي؟ قال: «**أمُّك في النَّارِ**». قال: قلت: فأين مَن مَضىٰ مِن أهلك؟ قال: «**أما تَرْضَى أن تكون أُمُّك مع أُمِّي؟**» فهذا مع ضَعْفِهِ شاذٌّ أيضًا.

الحديث الثالث

روىٰ مسلمٌ أيضًا من طريق حمَّاد بن سلمة، عن ثابتٍ، عن أنسٍ، أنَّ رجلًا قال: يا رسول الله أين أبي؟ قال: «**في النَّارِ**». فلما قَفَّىٰ الرَّجُلُ دعاه فقال: «**إنَّ أبي وأباك في النَّارِ**».

قلت: هذا الحديث بهذا اللفظ شاذٌّ مَرْدُودٌ لما مَرَّ بيانه آنِفًا.

وتكلَّم عليه عبدالعظيم آبادي في "عون المعبود" فنقل كلام النوويِّ: « أنَّ من مات في الفَتْرة علىٰ ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان فهو من أهل النَّار وليس هذا مؤاخذةٌ قبل بلوغ الدعوة؛ فإن هؤلاء قد بلغتهم دعوة إبراهيم وغيره من الأنبياء، ثُمَّ قال: «وكل ما ورد بإحياء والديه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وإيمانهما ونجاتهما أكثره موضوعٌ مكذوبٌ مُفترَىٰ وبعضه ضعيفٌ جدًّا لا يصح بحالٍ؛ لاتفاق أئمَّة الحديث علىٰ وَضْعه كالدارقطنيِّ والجوزقانيِّ وابن شاهين والخطيب وابن عساكر وابن ناصر وابن الجوزيِّ والسهيليِّ والقرطبيِّ والمحبِّ الطبريِّ وفتح الدين بن سيِّد الناس وإبراهيم الحلبي وجماعة.

وقد بسط الكلام في عدم نجاة الوالدين العلامة إبراهيم الحلبي في رسالة مستقلَّة، والعلَّامة علي القاري في شرح "الفقه الأكبر" وفي رسالة مستقلَّة ويشهد لهذا المسلك هذا الحديث الصحيح.

والشيخ جلال الدين السيوطيُّ قد خالف الحُفَّاظ والعلماء المُحقِّقين وأثبت لهما الإيمان والنجاة، فصنَّف الرسائل العديدة في ذلك وهو مُتساهلٌ جدًّا لا عبرة بكلامه في هذا الباب ما لم يوافقه الأئمَّة النُّقَّاد.

وقال السِّنْدي: «من يقول بنجاة والديه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يحمله

على العمِّ فإنَّ اسم الأب يُطلَق على العمِّ مع أنَّ أبا طالبٍ قد ربَّى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فيستحق إطلاق اسم الأب من تلك الجهة».اهـ

وهذا أيضًا كلامٌ ضعيفٌ باطلٌ.

وقد ملأ مؤلِّف تفسير "روح البيان" تفسيره بهذه الأحاديث الموضوعة المكذوبة، كما هو دأبه في كلِّ موضع من تفسيره بإيراده للرِّوايات المكذوبة، فصار تفسيره مخزنًا للأحاديث الموضوعة، وقال بعض العلماء: التوقف في الباب هو الأسلم، وهو كلامٌ حسنٌ».اهـ كلام صاحب "عون المعبود". وفيه مؤاخذاتٌ:

١- قول النووي: «أنَّ أهل الفترة من العرب بلغتهم دعوة إبراهيم وغيره من الأنبياء». مناقِضٌ لمعنى الفَتْرة فإنَّ المراد بالفَتْرة: زمانٌ لم يصل فيه لأهله رسولٌ ولا عرفوا دينًا من الأديان. فكيف يقول أنَّ أهل الفترة بلغتهم دعوة إبراهيم؟! والله تعالى يقول في حقِّ العرب: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ قَبۡلَكَ مِن نَّذِيرٖ﴾ [سبأ: ٤٤]، ويقول أيضًا: ﴿لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ﴾ [القصص: ٤٦].

٢- أحاديث إحياء أبوي النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وإيمانهما به أحاديث موضوعةٌ، لا يجوز الاعتماد عليها، وإنما نعتمد على كلام الله فإن الله يقول: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ [الإسراء: ١٥]، ويقول: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣١].

ويقول في حق العرب أهل مكة ومن حولهم: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ قَبۡلَكَ مِن نَّذِيرٖ﴾ [سبأ: ٤٤]. فهذه الآيات وغيرها ممَّا في معناها هي التي نعتمدها في نجاة أهل الفَتْرة، ومنهم أبوي النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

٣- اعتماد علي القاري وإبراهيم الحلبي على هذا الحديث في قولهم أنَّ أبوي النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في النَّار؛ تساهلٌ غريبٌ وغفلةٌ كبيرةٌ عمَّا هو مقرَّرٌ في علم الأصول، فلم يقل أحدٌ من العلماء أنَّ خبر الآحاد يُقدَّم على القرآن! فالحلبيُّ والقاري ومن لفَّ لفَّهما هم الذين خالفوا الأئمَّة والعلماء باعتماد خبر الآحاد وترك القرآن الكريم.

٤- الحافظ السيوطيُّ متساهلٌ حقًّا، لكنه في هذا الباب متمسِّكٌ بالحقِّ المؤيَّد بالأدلَّة، وكفى بالقرآن دليلًا لقوله، أمَّا صاحب تفسير "روح البيان" فليس من أهل الحديث فلذلك يذكر الموضوعات في تفسيره مثل الزَّمَخْشَريِّ والبيضاويِّ وأبي السُّعود وغيرهم.

٥- بيَّن صديقنا العلَّامة الشيخ زاهد الكوثريُّ رحمه الله أنَّ عليًّا القاري اعتمد في القول بعدم نجاة الأبوين على عبارة وقعت في "الفقه الأكبر" لأبي حنيفة تفيد ذلك، قال: «وهو مخطئ فإنَّ نُسَخ الفقه الأكبر المُعتمَدة فيها تصريح أبي حنيفة بنجاة الأبوين».

والخلاصة: أنَّ الحديث شاذٌّ مَردودٌ كما تقدَّم، لكن ورَدَ من طريقٍ آخَر بلفظٍ لا شُذوذ فيه.

روى البزَّار والطبرانيُّ والبيهقيُّ: من طريق إبراهيم بن سعدٍ، عن الزهريِّ، عن عامر بن سعد بن أبي وقَّاصٍ، عن أبيه، أنَّ أعرابيًا قال لرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم:أين أبي؟ قال: «**في النار**»، قال: فأين أبوك؟ قال: «**حيثُ ما مَرَرْتَ بقبر الكافر فبَشِّرْهُ بالنَّارِ**».

إسناده على شرط الشيخين، وهو أصح من حديث مسلمٍ، وليس فيه أنَّ

أبا النبيِّ في النَّار، فهذا الحديث هو المُعتمَد.

٦- استحسان كلام من اختار التوقُّف في هذا الباب خطأ؛ لأن التوقُّف إنما يكون حيث تتكافأ الأدلَّة، وهنا لا تكافؤ، فالقرآن قاطعٌ في نجاة أهل الفَتْرة ومنهم الأبوان.

(تنبيه): توقَّفَ الحافظ السخاويُّ في نجاة أبوي النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم واختار السُّكوت عن نجاتهما وعدمها؛ اعتمادًا علىٰ هذين الحديثين الشَّاذَّين، وهذا عجيبٌ منه؛ فإنَّ التوقُّف إنما يكون حيث تتكافأ الأدلَّة، وهنا لا توجد مكافأة؛ لأن القرآن قاطعٌ في نجاتهما، وخبر الآحاد لا يقوىٰ علىٰ معارضة القرآن. وأعجب منه موقف علي القاري فإنه أَلَّف رسالة جَزَمَ فيها بأنَّ أبوي النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في النَّار، وترك القرآن القاطع مُعتمِدًا علىٰ الحديثين الشَّاذَّين، وأظنُّ أنَّ الله تعالىٰ يعاقبه علىٰ ذلك.

الحديث الرابع

روىٰ الإمام أحمد في "المسند"، والبيهقيُّ في "الاعتقاد" عن الأسود بن سريع وأبي هريرة: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**أربعةٌ يَحْتَجُّون يوم القيامة: رَجُلٌ أصَمُّ لا يَسْمَعُ شيئًا، ورَجُلٌ أَحْمَقُ، ورَجُلٌ هَرَمٌ، ورَجُلٌ مات في فَتْرَةٍ، فأمَّا الأَصَمُّ فيقول: ربِّ لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئًا. وأمَّا الأَحْمَقُ فيقول: ربِّ لقد جاء الإسلام والصِّبْيان يَقْذِفونَني بالبَعْرِ. وأمَّا الهَرَمُ فيقول:ربِّ لقد جاء الإسلام وما أَعْقِلُ شيئًا. وأمَّا الذي مات في الفَتْرةِ فيقول: ربِّ ما أتاني مِنْكَ رسولٌ. فيأخذُ مَواثِيقَهُمْ ليُطِيعُنَّهُ، فيُرْسِلُ إليهم أن ادْخُلُوا النَّارَ. فمن دَخَلَها كانت عليه بَرْدًا وسلامًا، ومَن لم يَدْخُلْها يُسْحَبُ إليها**».

وهذا الحديث وإن صحَّحه البيهقيُّ في "الاعتقاد" وله طُرُقٌ، وسلَّمه الحافظ حيث قال: «الظنُّ بآبائه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كلهم أنهم يُطيعون عند الامتحان لتقرَّ بهم عينه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم». فهو حديثٌ شاذٌّ مطعونٌ في صِحَّته.

قال ابن عبدالبر في "التمهيد" عن هذا الحديث وما في معناه: «ليست هذه الأحاديث من أحاديث الأئمَّة، وإنما هي من أحاديث الشيوخ، قال عقيل بن أبي طالب: ويدل علىٰ ضعفها أنَّ الآخِرة ليست دار تَكْليفٍ؛ لأن المطلوب إنما هو الإيمان بالغيب، والآخِرة دار عَيَانٍ، ولذا لا تنفع التوبة عند الاحتضار، ولا عند طلوع الشمس من مغربها؛ لأنها ساعة مُعَاينة، وإذا لم ينفع عندها في الدنيا، فكيف ينفع في الآخِرة؟!».اهـ

الحديث الخامس

روىٰ أحمد والترمذيُّ وغيرهما عن ابن عباسٍ في قول الله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ﴾ [يونس: ٩٠] الآية، قال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**قال لي جبريلُ: لو رَأَيْتَني وقد أَخَذْتُ مِن حَالِ البَحْرِ -أي طِينِه- فدَسَسْتُهُ في فيه مَخافَةَ أن تَنَالَهُ الرَّحْمَةُ**». حَسَّنه الترمذيُّ

وهو حديثٌ شاذٌّ؛ لأن جبريل عليه السَّلام هو الذي نَزَلَ علىٰ أمِّ موسىٰ بقول الله تعالىٰ: ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾ [طه: ٣٩]، وهذا خبرٌ مِن الله بأنَّ فرعون عَدُوٌّ لله ولرسوله موسىٰ، وخبر الله لا يتخلَّف، فكيف يقول جبريل: كنت أدسُّ الطِّين في فم فرعون

مخافة أن تُدْرِكَهُ الرَّحْمة؟! لأنه إذا نالته الرحمة لم يكن عدُوًّا لله ولرسوله، وحينئذٍ يتخلَّف خبر الله، وهذا محالٌ. فالحديث شاذٌّ مَردودٌ.

الحديث السادس

روى البيهقيُّ في "الأسماء والصفات" من طريق عطاء بن السَّائب، عن أبي الضُّحَى، عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما أنه قال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢] قال: «سَبْعُ أرْضِين في كلِّ أرضٍ نبيٌّ كنبيِّكُم، وآدمُ كآدمَ، ونوحٌ كنوحٍ، وإبراهيمُ كإبراهيمَ، وعيسى كعيسى».

قال البيهقيُّ: «إسناد هذا عن ابن عباسٍ صحيحٌ، وهو شاذٌّ بمُرَّة، لا أعلم لأبي الضُّحَى عليه مُتابِعًا والله أعلم».اهـ

وهو كما قال، فإنه لا يعقل أن يوجد آدمان ونوحان وإبراهيمان... إلخ، ولا دليل يدل لذلك من عقلٍ ولا نقلٍ، وبعضهم أوَّل الحديث على معنى أنه يوجد في كل أرضٍ مثل آدم وإبراهيم... إلخ.

الحديث السابع

روى الإمام أحمد في "المسند" (ج٦ ص٢٦٩): عن عائشة رضي الله عنها قالت: لقد أنزلت آية الرَّجْمِ ورضعات الكبير عشرًا، فكانت في ورقةٍ تحت سريرٍ في بيتي، فلمَّا اشتكى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم تشاغَلْنا بأمْرِه، ودَخَلَت دُوَيْبَةٌ لنا -تعني شاةً- فأكَلَتْهَا.اهـ

هذا أثرٌ شاذٌّ مُنكرٌ، شديد النَّكَارة؛ لأنَّ نَسْخَ التِّلاوة مُحالٌ، كما بيَّنته في جزء "ذوق الحلاوة".

ثُمَّ مِن المُنكَر الذي لا يعقل: أن تدخل شاةٌ للبيت، وتأكل ورقةً فيها قرآنٌ ولا يعلم بها أحدٌ، هذا من الباطل المردود قطعًا، ولو جوَّزنا أن تأكل شاةٌ ورقةً فيها قرآنٌ مَنْسُوخٌ على رأي من يجيز النَّسْخ، لجاز أن تأكل ورقةً فيها قرآنٌ غير منسوخٍ، فترتفع الثقة بالقرآن؛ لأنه قد يكون أُكِل منه شيءٌ، والله تعالى يقول: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

الحديث الثامن

روى أحمد، وابن حِبَّان، والطحاويُّ، عن أسماء بنت عُمَيْسٍ قالت: دَخَلَ عليَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لَمَّا أُصِيبَ جَعْفَرٌ، فقال: « **تَسْلُبِي ثلاثًا ثُمَّ اصْنَعِي ما شِئْتِ**».

أسماء كانت زوجة جعفر بن أبي طالبٍ، وكان قد استشهد في غزوة مؤتة، فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم «تَسَلَّبي» أي: الْبَسي السِّلاب بوزن كتاب، وهو ثوبٌ تَلْبَسُهُ المرأة عند الإحداد.

قال الإمام أحمد: هذا الحديث من الشَّاذِّ المطرح.

ونقل الحافظ في "فتح الباري" عن شيخه الحافظ العراقي قال في شرح "الترمذي": «ظاهر الحديث أنه لا يجب الإحداد على المتوفَّى عنها بعد اليوم الثالث؛ لأن أسماء بنت عُمَيْسٍ كانت زوج جعفر بن أبي طالبٍ بالاتفاق وهي والدة أولاده عبدالله ومحمد وعون وغيرهم». قال: «بل ظاهر النهي أنَّ الإحداد لا يجوز».

قلت: لأنه جاء في رواية لأحمد وابن حِبَّان: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله

وسلَّم دخل علىٰ أسماء في اليوم الثالث من قتل جعفر فقال: «**لا تَحِدِّي بعد يومِكِ هذا**».

وأجاب الحافظ العراقي: بأنَّ الحديث شاذٌّ مُخالفٌ للأحاديث الصحيحة وقد أجمعوا علىٰ خلافه.

قال: «ويحتمل أن يقال أنَّ جعفرًا قُتل شهيدًا والشُّهداء أحياءٌ عند ربِّهم». قال: «وهذا ضعيفٌ لأنه لم يَرِد في حقِّ غير جعفرٍ من الشُّهداء ممَّن قُطع بأنهم شهداء كما قُطع لجعفرٍ، كحمزة بن عبدالمطلب عمِّه، وكعبدالله بن عمرو بن حَرَامٍ والد جابرٍ».اهـ

قال الحافظ: «ويحتمل وراء ذلك أجوبة...». ذكرها ثُمَّ ضَعَّفها.

الحديث التاسع

روىٰ سعيد بن منصورٍ، عن أبي الأحوص عن عاصم، عن زِرٍّ، عن حذيفة، قال: تَسَحَّرنا مع رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، هو والله النَّهار، غير أنَّ الشَّمسَ لم تَطْلُع.

وروىٰ الطحاويُّ: عن زِرِّ بن حُبَيشٍ قال: تسحَّرت ثُمَّ انطلقت إلىٰ المسجد فمررت بمنزل حذيفة فدخلت عليه فأمر بلقحة فحلبت وبقِدْرٍ فسُخِّنت ثُمَّ قال: كُلْ. فقلت: إني أريد الصَّومَ. فقال: وأنا أريد الصَّومَ. فأكلنا ثُمَّ شربنا ثُمَّ أتينا المسجد فأُقيمت الصَّلاة، فقال: هكذا فعل بي رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم. قلت: بعد الصبح؟ قال: بعد الصبح، غير أنَّ الشمس لم تَطْلُع.

هذا حديثٌ يُخالف الأحاديث الصحيحة المُصرِّحة بأنَّ الأكل ينتهي بأذان

الفجر ولا يستمر بعده، بل يُخالف القرآن.

قال الجوزقاني: هذا حديثٌ أعيا العلماء معرفته، وقد عمل بعض العلماء به، والعمل به ضعيفٌ؛ لأن الأحاديث الصحيحة تُخالفه.

وحمل الطحاوي هذا الحديث على أنه كان قبل نزول قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

وهذا خطأ؛ لأن حذيفة عمل به بعد وفاة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بمدة كما حكاه زِرٌّ، وهو تابعيٌّ.

الحديث العاشر

روى مسلمٌ، والنَّسائيُّ، وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**خَلَقَ اللهُ التُّرْبَةَ يومَ السَّبْتِ، وخَلَقَ فيها الجِبَالَ يومَ الأحَدِ، وخَلَقَ الشَّجَرةَ يوم الإثنين، وخَلَقَ المَكْرُوه يومَ الثلاثاء، وخَلَقَ النُّورَ يومَ الأربعاءِ، وبثَّ فيها الدَّوابَّ يومَ الخميسِ، وخَلَقَ آدمَ عليه السَّلام بعد العصر يوم الجمعة آخِر الخَلْقِ في آخِر ساعةٍ مِن ساعات يوم الجُمُعة فيما بين العصر إلى الليل**».

هذا الحديث شاذٌّ؛ لأنه يُفيد خَلْقَ الأرض وما فيها في سبعة أيامٍ، مع أنَّ القرآن يفيد أنَّ خلق السماوات والأرض معًا كان في ستة أيام.

وقد علَّل البخاريُّ هذا الحديث في "التاريخ" فقال: «رواه بعضهم عن أبي هريرة، عن كعب الأحبار، وهو الأصح».اهـ

الحديث الحادي عشر

روى مسلمٌ من طريق عكرمة بن عمَّارٍ، قال: حدَّثنا أبو زُمَيْلٍ، عن ابن عباسٍ قال: كان المسلمون لا ينظرون إلى أبي سفيان ولا يُقاعِدُونه فقال للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «ثلاثٌ أعْطِنيهِنَّ. قال: «نعم». قال: عندي أحسن العرب وأجمله أمُّ حبيبة بنت أبي سفيان أزوِّجُكَها. قال: «نعم». قال: ومعاوية تجعله كاتبًا بين يديك. قال: «نعم». قال: وتؤمِّرني حتى أقاتلَ الكُفَّار كما كنتُ أقاتل المُسلمين. قال: «نعم».

هذا الحديث شاذٌّ مُنكَرٌ حتى قال ابن حزمٍ أنه موضوعٌ، واتهم به عكرمة بن عمَّار؛ لأنه يُخالف ما ثبت في كتب السِّيرة:

١- فالنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم تزوَّج أمَّ حبيبة وهي بالحبشة حين هاجرت إليها وأصدقها النجاشي عنه أربعمائة دينارٍ، ولما جاء أبوها أبو سفيان إلى المدينة لتجديد العَهْدِ بينه وبين النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ودَخَلَ عليها، فأراد أن يَجلِسَ على بِسَاطِ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فنزعته مِن تحته، وقالت: إنه بِساطُ رسول الله وأنت مُشْرِكٌ.

فقال: أي بنيَّة، قد أصابك بعدي شَرٌّ. وهذا متفقٌ عليه عند أهل التاريخ.

٢- وقول أبي سفيان: أريد أن تؤمِّرني. قال: «نعم». قال القرطبيُّ: ولم يُسمع قَطُّ أنه أمَّره إلى أن توفي. وكيف يخلف رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الوعد؟! هذا ممَّا لا يجوز عليه.

وأبو سفيان أسلم عام الفتح مُكْرَهًا، وكان الصحابة لا يُقاعدونه، ولا

ينظرون إليه لصنعه بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وبالمسلمين في شركه، إذ لم يصنع أحدٌ كصُنْعِهِ.

٣- ومعاوية لم يكتب الوحي وإنما كان يكتب الرسائل، ولم يصح عنه إلَّا كتابة رسالتين، فالذين يقولون أنه كان يكتب الوحي مُخطِئون.

الحديث الثاني عشر

عن أبي هريرة، وابن عباسٍ، وعائشة رضي الله عنهم، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لَعَنَ اللهُ اليهودَ والنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**».

هذا حديثٌ ثابتٌ في "الصحيحين" وغيرهما من طُرُقٍ، وقد عمل به كثيرٌ من العلماء المتقدِّمين والمتأخِّرين ولم يتفطَّنوا لما فيه من العِلل التي تقتضي ترك العمل به.

وذلك أنَّ القرآن الكريم يُعارض هذا الحديث من ثلاثة أوجهٍ:

١- أخبر الله تعالى عن اليهود أنهم قالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ آل [عمران: ١٨١]، وقالوا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤].

وقالوا أيضًا: «إنَّ الله لَمَّا خَلَقَ السماوات والأرضَ استراح يوم السبت»، ونسبوا إليه النَّدَمَ، وغير ذلك من النقائص التي لا تليق بالله تعالى ولا تجوز في حَقِّه، فكيف يتخذون قبور أنبيائه مساجد؟! هذا غير معقولٍ.

٢- أنَّ اليهود يؤذون الأنبياء، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩]، وقال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ

ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ﴾ [الصف: ٥]، هذا مع أنَّ موسىٰ نبيُّهم الأعظم، وصاحب شريعتهم.

وآذوا داود عليه السَّلام، فزعموا أنه زنا بامرأة أوريا، وأنها حملت منه، ونسبوا إليه شرب الخمر، وأنكروا نبوة سليمان عليه السَّلام، وقالوا: كان مَلِكًا حكيمًا، بنىٰ مُلْكَهُ علىٰ السِّحْرِ، ورموا مريم -عليها السَّلام- ببهتانٍ عظيمٍ كما في القرآن الكريم، كما اتهموا عيسىٰ -عليه السَّلام- في نَسَبِهِ.

فكيف تتفق إذايتهم الأنبياء مع اتخاذ قبورهم مساجد؟! هذا غير معقولٍ.

٣- أنَّ الله تعالىٰ أخبر أنَّ اليهود قَتَلَة الأنبياء، فقال سبحانه: ﴿وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ [البقرة: ٦١].

وقال أيضًا سبحانه: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧]، أفادت هذه الآية: أنَّ حال اليهود مع الأنبياء دائرٌ بين أمرين: التكذيب، والقتل.

وقال جلَّ شأنه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١]، أفادت هذه الآية أنَّ اليهود يقتلون الصالحين الذين علىٰ طريقة الأنبياء.

وقال سبحانه: ﴿ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ

ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٢] وقال عزَّ وجلَّ: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ [آل عمران: ١٨١] وقال عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٨٣] وقال جلَّ شأنه: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾ [النساء: ١٥٥ - ١٥٧].

ويلاحظ أنَّ الله عَبَّر في هذه الآيات بأنَّ اليهود يقتلون الأنبياء بالفعل المُضارع للإشارة إلى أن قتل الأنبياء كان عادةً لهم تحدث كلما جاء نبيٌّ.

واستمروا على هذا إلى أن بُعث النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فحاولوا قتله مرتين:

المرة الأولى: حين قدموا له كتف شاةٍ مسمومةٍ، وهذا الحديث في "الصحيحين".

والمرة الأخرى: حين ذهب إلى بني النَّضير يستعينهم في دية القتيلين، كان بين أهلهما وبين بني النَّضِير عَقْدٌ وحِلْفٌ.

فقال اليهود للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: نعم أبا القاسم نُعينك على ما أحْبَبْتَ، ممَّا استعنتَ بنا عليه، اجلس حتَّى تطعم وترجع بحاجتك، فجلس إلى ظلِّ جِدارٍ من جُدُرِ دُورِهِم، فخلا بعضُهم إلى بعضٍ فقالوا: إنكم لن تجدوا

الرَّجُلَ على مثل حاله هذه فأي رجلٍ يَعْلُو على هذا البيت فيُلْقي عليه صخرةً فيُرِيحُنا منه؟ فانتُدِبَ لذلك عمرو بن جَحَّاش بن كعب -أحدهم- فقال: أنا لذلك، فصعد ليُلْقي عليه صخرةً.

ورسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في نَفَرٍ من أصحابه فيهم أبو بكرٍ وعمر وعليٍّ رضي الله عنهم، فأتاه الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم راجعًا إلى المدينة.

فتاريخ اليهود مُلَطَّخٌ بدماء مَن قَتلوا من الأنبياء والصالحين، ومن نجا من قتلهم لم ينجُ من تكذيبهم وإذايتهم، فكيف يتَّخِذون قبور أنبيائهم مساجد؟! هذا غير معقولٍ.

وهذا من المسائل التي لم يتفطَّن لها أحدٌ من العلماء قبلي، ولله المِنَّة والفَضْل.

الحديث الثالث عشر

روى أبو داود والترمذيُّ وابن ماجه: من طريق سِماكٍ، عن عبدالله بن عَمِيرة، عن الأحْنَفِ بن قَيسٍ، عن العبَّاس بن عبدالمطلب قال: كنت في البَطْحَاءِ في عِصابةٍ فيهم رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فمرَّت بهم سَحَابةٌ فنظر إليها فقال: «**ما تُسَمُّون هذه؟**». قالوا: السَّحابُ. قال: «**والمُزْنُ**». قالوا والمُزْنُ. قال: «**والعَنَان**». قالوا: والعَنَان. قال: «**هل تَدْرُونَ ما بُعْدُ ما بين السَّماء والأرضِ؟**». قالوا لا ندري. قال: «**إنَّ بُعْدَ ما بينهما إمَّا واحِدَةٌ أو ثِنْتان أو ثلاثٌ وسبعون سَنَةً، ثُمَّ السَّماءُ فوقها كذلك**». حتى عَدَّ سبع سمواتٍ، «**ثُمَّ فوق السابعة بَحْرٌ بين أسْفَلِهِ وأعْلَاهُ مثل ما بين سماءٍ إلى سماءٍ ثُمَّ فوق ذلك**

ثمانية أَوْعَالٍ بين أَظْلافِهِمْ ورُكَبِهِمْ مثل ما بين سماءٍ إلى سماءٍ ثُمَّ على ظُهُورِهِمْ العرْشُ بين أَسْفَلِهِ وأَعْلاهُ مثل ما بين سماءٍ إلى سماءٍ ثُمَّ الله تعالى فوق ذلك».

حسَّنه الترمذيُّ، وهو بعيدٌ؛ لأن عبدالله بن عميرة لم يسمع من الأحنف، كما قال البخاريُّ، ثُمَّ عن سِماكٍ فيه اختلاف، كما قاله في "تهذيب التهذيب"، والحديث بعد هذا شاذٌّ، حتى قال ابن العربي: أنه من الإسرائيليات.

وبيان شذوذه من جهاتٍ:

١- أنه مُخالفٌ للأحاديث الكثيرة التي تفيد أنَّ بين السماء والأرض خمسمائة عام، وبين سماءٍ وسماءٍ كذلك.

وقد جمع بينه وبين غيره من الأحاديث بأنَّ المسافة تختلف باختلاف قوة السَّير وضَعْفِهِ، السَّيْر على البهائم أسرع من السَّير على الرِّجْل... وهكذا.

وهذا جمعٌ ضعيفٌ؛ لأن اختلاف السَّيْر إنما يكون في تقدير المسافة بين بلدٍ وآخَر، ممَّا يَطْرقه النَّاسُ والدَّوابُّ، أمَّا ما بين السماء والأرض، فلا يَطْرقه بَشَرٌ أصلًا، بل هو خاصٌّ بالملائكة، وليس في الملائكة قويٌّ وضعيفٌ، بل المَلَك يمشي من الأرض إلى السماء في لحظةٍ، وقد قال الله تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [السجدة: ٥].

٢- أنه جعل حملة العرش أَوْعَالًا أي تِيوسًا، وهذا مُخالفٌ لما جاء في القرآن والسُّنَّة من وصف الملائكة بأنهم ذووا أجنحةٍ.

ثُمَّ التَّيْسُ مَذْمُومٌ عند العرب، فإنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم سمَّى الرَّجُلَ الذي يتزوَّج امرأةً ليُحِلَّها لزَوْجِها: «تَيْسًا مُسْتَعارًا»،وذلك ذَمٌّ له، كما أنَّ الله تعالى ذَمَّ المشركين الذين جعلوا الملائكة إناثًا، والمرأة أشرف من التَّيْسِ.

الحديث الرابع عشر

روىٰ ابن خزيمة، وابن جريرٍ في "التفسير": عن ابن عباسٍ قال: «إنَّ الكرسيَّ مَوْضِعَ القَدَمين، والعَرْشَ لا يَقْدِرُ قَدْرَهُ أحَدٌ». وروىٰ ابن جريرٍ مثله: عن أبي موسىٰ وغيره.

ورواه الحافظ أبو إسماعيل الهرويُّ في كتابه "الأربعين"، وترجم عليه: «باب وضع الله عزَّ وجلَّ قدمه علىٰ الكرسيِّ».

وهذا أثرٌ شاذٌّ لا يجوز اعتقاده، والعَجَبُ من الهَرويِّ الذي جعله مِن أدلَّة التوحيد، وأي دليلٍ للتوحيد في خَبَرٍ يُفيد تشبيه الله بخَلْقِهِ.

وجاء هذا التشبيه صريحًا في كلام الضَّحَّاك الذي رواه ابن جريرٍ في "تفسيره"، حيث قال: حدَّثني المُثنَّىٰ: حدَّثنا إسحاق: حدَّثنا أبو زهيرٍ، عن جُويبرٍ، عن الضَّحَّاك قوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] قال: «كُرسِيُّهُ الذي يوضع تحت العَرْشِ، الذي يجعل المُلوكَ عليه أقدامهم».

فهذا تشبيهٌ صريحٌ، لكن السَّند إلىٰ الضَّحَّاك لا يصح، فيه جُويبرٌ وهو تالِفٌ.

ولا ينقضي عجبي ممَّن يعتمد في توحيد الله وصفاته علىٰ خبر الآحاد الذي لا يُفيد في هذا الباب، لا سيَّما إذا كان موقوفًا علىٰ صحابيٍّ مثل هذا الأثَر الشاذ، وسيأتي مزيد كلامٍ في هذا المعنىٰ بحول الله.

الحديث الخامس عشر

ثبت في "الصحيحين" عن أنسٍ، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال:

«يُلْقَى في النَّارِ وتقول: هل مِن مَزيدٍ، حتى يَضَعَ قَدَمَهُ فتقول: قَطْ قَطْ».

وفيهما أيضًا عن أبي هريرة قال: «فأمَّا النَّارُ فلا تَمْتَلِئُ حتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ فتقول: «قَطْ قَطْ» فهنالك تَمتلِئ ويُزْوَى بعضُها إلى بعضٍ».

روى هذا الحديث بالروايتين أبو إسماعيل الهرويُّ في كتاب "الأربعين" فترجم على الرواية الأولى بقوله: «باب إثبات القَدَمِ لله عزَّ وجلَّ»، وترجم للرواية الأخيرة بقوله: «باب الدليل على أنَّ القَدَمَ هو الرِّجْل». وهذا من شُذُوذ هذا الرَّجُل؛ يتمسَّك في إثبات صفات الله تعالى بخبر آحادٍ محتملٍ للتأويل.

ونقول في الردِّ عليه:

أولا: هذا الحديث أتى بزيادةٍ عمَّا في القرآن فإنَّ الله تعالى قال: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠].

وهذا الحديث -وإن كان صحيحًا- ليس في قوة القرآن فلا يجوز أن يقطع بما فيه من الزِّيادة ويجعل صفة لله تعالى.

ثانيا: ذكر ابن الجوزيِّ: «أنَّ الرواية التي جاءت بلفظ «الرِّجْل» تحريفٌ مِن بعض الرُّواة لظنِّه أنَّ المراد بالقَدَمِ الجَارِحَةُ فرواها بالمعنى فأخطأ».اهـ

وحيث أنَّ الرِّواية بالمعنى محتملةٌ في الحديث فلا يجوز أن نُضِيفها إلى الله تعالى.

ثالثًا: أنَّ الحديث مُؤَوَّلٌ بوجوهٍ كثيرةٍ مبسوطةٍ في "فتح الباري" وغيره.

رابعًا: قال أبو الوفاء بن عقيل: «تعالى الله عن أنه لا يُعْمِل أمره في النَّارِ

حتىٰ يستعين عليها بشيءٍ من ذاته أو صِفاته وهو القائل للنَّارِ: ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا﴾ [الأنبياء: ٦٩] فمن يأمر نارًا أجَّجَها غيره أن تَنْقَلِبَ عن طَبْعِها وهو الإحراق فتنقلب، كيف يحتاج في نارٍ يؤجِّجُها هو إلىٰ استعانةٍ؟!».اهـ

فكيف مع هذا الإشكال يجزم الهرويُّ بإثبات القَدَمِ والرِّجْل صفةً لله تعالىٰ؟! وصفات الله عزَّ وجلَّ لا تثبت إلا بدليلٍ قطعيٍّ كالقرآن أو السُّنَّة الصحيحة المقطوع بها ولا يكون لاحتمال التأويل فيها مجالٌ.

الخلاصة: أنَّ الحديث صحيحٌ بأنَّ النَّار تقول: هل من مزيدٍ؟ حتىٰ يضع الرَّبُّ فيها قَدَمَهُ، لكن لا يجوز أن نَجْزِمَ بأنَّ القَدَمَ صفةٌ لله تعالىٰ؛ لأنها محتملةٌ للتأويل، ولا يُنسب صفة لله إلَّا ما كان مقطوعًا به، فمن يُثبت القَدَمَ لله ثُمَّ يزعم تنزيه الله عن الجوارح فهو متناقضٌ، لأنه أثبت جارحةً ثُمَّ نفاها.

الحديث السادس عشر

ثبت في "الصحيحين" عن المغيرة قال: قال سعد بن عبادة: لو رأيت رجلًا مع امرأتي لضربته بالسَّيْفِ غير مصفح. فبلغ ذلك رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم... الحديث.

ترجم عليه البخاريُّ بقوله: «قول النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: لا شَخْصَ أغْيَرَ مِن الله».

وترجم عليه الهَرويُّ في كتاب "الأربعين" فقال: «باب بيان أنَّ الله عزَّ وجلَّ شَخْصٌ».اهـ

قال ابن بطال في "شرح البخاري": «أجمعت الأُمَّة علىٰ أنَّ الله تعالىٰ لا

يجوز أن يوصف بأنه شَخْصٌ؛ لأنَّ التوقيف لم يَرِد به».اهـ

وقال الإسماعيلي: «ليس في قوله: «**لا شَخْصَ أغْيَرَ مِن الله**» إثبات أنَّ الله شَخْصٌ بل هو كما جاء: «**ما خَلَقَ اللهُ أعْظَمَ مِن آية الكرسيِّ**»، فإنه ليس فيه إثبات أنَّ آية الكرسيِّ مخلوقةٌ، بل المراد أنها أعظم من المخلوقات وهو كما يقول من يصف امرأةً كاملة الفضل حَسَنَة الخُلُق: ما في النَّاسِ رَجُلٌ يُشبهها. يريد تفضيلها على الرِّجال لا أنها رَجُلٌ».اهـ

وقال ابن بطال: «اختلفت ألفاظ هذا الحديث ولم يختلف في حديث ابن مسعودٍ أنه بلفظ: «**لا أحد**» فظهر أنَّ لفظ «شخص» جاء موضع «أحد» فكأنه من تصرُّف الراوي»، ثُمَّ قال: «على أنه من باب المستثنى من غير جنسه كقوله تعالى: ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾ [النساء: ١٥٧] وليس الظن من نوع العِلْم».

قال الحافظ ابن حجرٍ: «وهذا هو المعتمد وقد قرَّره ابن فورك، ومنه أخذه ابن بطال فقال بعد ما تقدَّم: فالتقدير أنَّ الأشخاص الموصوفة بالغيرة لا تبلغ غيرتها وإن تناهت غيرة الله تعالى وإن لم يكن شخصًا بوجه».اهـ

وانظر بقية الكلام على هذا الحديث في "فتح الباري" (ج١٣ ص٣٤٢).

والحاصل: أنَّ الهَرويَّ يعتمد في إثبات صفات الله تعالى على ألفاظٍ لا تُفيد ذلك مع احتمالٍ قويٍّ بأنها من تَصَرُّف الرُّواة وليس هذا من دلائل التوحيد.

الحديث السابع عشر

روى الهرويُّ في كتاب "الأربعين" عن ابن عباسٍ: أنَّ رسول الله صلَّى الله

عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ آدمَ -عليه السَّلام- كان يُسَبِّحُ بتَسْبِيحِ المَلائِكَةِ ويُصَلِّي بصَلَاتهم حين هَبَطَ إلى الأرضِ لطُولِهِ وقُرْبِهِ إلى السَّماءِ فوَضَعَ اللهُ يَدَهُ عليه فطَأْطَأَتْ إلى الأرضِ سَبعين ذِرَاعًا**».

ترجم عليه الهرويُّ بقوله: «باب إثبات اليدين لله عزَّ وجلَّ».

وهذا حديثٌ مُنكَرٌ ومعناه مُحالٌ؛ وماذا عسىٰ أن يكون طول آدم حتىٰ يسمع تسبيح الملائكة في السَّماء؟! وإن بين السماء والأرض خمسمائة عامٍ، وماذا تنقص سبعون ذراعًا من طوله؟! فالحديث مُنكَرٌ موضوعٌ، والعجب من الهرويِّ الذي يذكره في دلائل التوحيد.

الحديث الثامن عشر

روىٰ البيهقيُّ في "الأسماء والصفات" من طريق محمَّد بن فُلَيحٍ، عن أبيه، عن سعيد بن الحارث، عن عُبيد بن حُنَينٍ قال: بينما أنا جالسٌ في المسجد إذ جاء قتادة بن النُّعمان فجلس فتحدَّث، فثاب إليه أناسٌ ثُمَّ قال: انطلِق بنا إلىٰ أبي سعيدٍ الخدريِّ فإني قد أُخبرت أنه قد اشتكىٰ، فانطلقنا حتىٰ دخلنا علىٰ أبي سعيدٍ الخدريِّ فوجدناه مُستلقيًا واضعًا رجله اليمنىٰ علىٰ اليُسرىٰ، فسلَّمنا وجلسنا فرفع قتادة يده إلىٰ رجل أبي سعيدٍ فقَرَصَها قَرْصَةً شديدةً فقال أبو سعيدٍ: سبحان الله يا ابن آدم أَوْجَعْتَني. قال ذاك أردتُ؛ إنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ الله عزَّ وجلَّ لَمَّا قضى خَلْقَهُ استَلْقَى ثُمَّ وَضَعَ إحْدَى رِجْلَيْهِ على الأُخرَى ثُمَّ قال: لا يَنْبَغِي لأحدٍ مِن خَلْقِي أن يَفْعَل هذا**». قال أبو سعيدٍ لا جَرَمَ لا أفعله أبدًا.

قال البيهقيُّ: «فهذا حديثٌ منكرٌ ولم أكتبه إلَّا من هذا الوجه، وفُلَيح بن سليمان مع كونه من شرط البخاريِّ ومسلمٍ فلم يخرِّجا حديثه هذا في الصحيح، وهو عند بعض الحفَّاظ غير محتجٍّ به وإذا كان مختلفًا في جواز الاحتجاج به عند الحفَّاظ لم يثبت بروايته مثل هذا الأمر العظيم».

وفيه علَّةٌ أخرىٰ وهي أنَّ قتادة بن النعمان مات في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وصلَّىٰ عليه عمر، وعُبيد بن حُنينٍ مات سنة خمس ومائة فتكون روايته عن قتادة منقطعةٌ.

وقول الراوي: «وانطلقنا حتىٰ دخلنا علىٰ أبي سعيدٍ» لا يرجع إلىٰ عبيد بن حُنينٍ وإنما يرجع إلىٰ من أرسله عنه، ونحن لا نعرفه فلا نقبل المراسيل في الأحكام فكيف في هذا الأمر العظيم.

وما نُقل في هذا الخبر إنما يفعله في الشاهد من الفارغين من أعمالهم من مَسَّه لُغُوبٌ أو أصابه نَصَبٌ ممَّا فعل ليستريح بالاستلقاء ووضع إحدىٰ رجليه علىٰ الأخرىٰ، وقد كذَّب الله تعالىٰ اليهود حين وصفوه بالاستراحة بعد خَلْق السماوات والأرض فقال: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ [ق: ٣٨ - ٣٩]

قال البيهقيُّ: «وأمَّا النهي عن وضع الرَّجُلِ إحدىٰ رِجْلَيه علىٰ الأخرىٰ فقد رواه أبو الزبير، عن جابر، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم دون هذه القصة، وحمله أهل العلم علىٰ ما يخشىٰ من انكشاف العورة -وهي الفَخِذ- إذا رفع إحدىٰ رجليه علىٰ الأخرىٰ مُستلقيًا والإزار ضيِّق وهو جائزٌ عند الجميع

إذا لم يخشَ ذلك».اهـ كلام البيهقيِّ.

وهذا الحديث مع أنه منكرٌ شديد النَّكارة بل موضوعٌ فقد أخذ به مُجسِّمة الحنابلة كأبي بكر الصامت الحنبليِّ في كتاب "الصفات" له، والله أعلم.

وقال أبو بكر بن أبي عاصمٍ في كتاب "السنة" (ج١ ص٢٤٨): «قال أبوإسحاق إبراهيم الحزامي -وقرأت من كتابه ثُمَّ مزقه وقال لي واعتذر إليَّ: إني حلفت أن لا أراه إلَّا مزقته، فانقطع من طرف الكتاب: عن محمد بن فُلَيحٍ، عن سعيد بن الحارث، عن عبدالله بن مُنين قال: بينا أنا جالس في المسجد إذ جاء قتادة بن النعمان فجلس فتحدَّث ثُمَّ ثاب إليه ناس فقال: انطلق بنا يا ابن منين إلى أبي سعيدٍ الخدريِّ فإني قد أخبرت أنه قد اشتكى». وذكر الحديث كما سبق في رواية البيهقي.

غير أن السياق اختلف بينهما في موضعين:

هنا يروي محمد بن فُلَيحٍ، عن سعيد بن الحارث، وعند البيهقيِّ روى محمد بن فُلَيحٍ، عن أبيه، وهذا هو الراجح.

والآخَر: هنا عبدالله بن مُنين، وعند البيهقي عبيد بن حُنين وعبدالله بن مُنين -بالميم مصغرًا- مصريٌّ روى له أبو داود وابن ماجه ووثَّقه يعقوب بن سفيان.

والراجح ما عند البيهقيِّ؛ لأن عبيد بن حُنين -بالحاء مصغَّرًا- مدنيٌّ وفُلَيح بن سليمان وابنه مَدَنيَّان.

وعُبيد يروي عن قتادة بن النعمان، وعبدالله بن مُنين يروي عن عمرو بن العاص. والحديث على كلا الحالين موضوعٌ ولذلك حَلَفَ الحزاميُّ شيخ ابن أبي عاصمٍ أنه لا يراه في كتابٍ إلَّا مَزَّقه.

الحديث التاسع عشر

روى الذهبيُّ في "تذكرة الحفَّاظ" من طريق الحافظ أبي الفضل نصر بن محمد بن أحمد العطار الصوفيِّ قال: أخبرنا أحمد بن حسين بن محمد بن الأزهر بمصر: حدَّثنا يوسف بن يزيد القراطيسيُّ: حدَّثنا الوليد بن موسى: حدَّثنا مُنبِّه بن عثمان، عن عروة بن رويم، عن الحسن، عن أنسٍ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ مُؤمِني الجنِّ لهم ثوابٌ وعليهم عِقابٌ**». فسألناه عن ثوابهم وعن مؤمنهم، قال: «**على الأعْرَاف وليسوا في الجنَّة مع أمَّةِ محمَّدٍ** صلَّى الله عليه وآله وسلَّم». قلنا وما الأعراف؟ قال: «**حائِط الجنَّة تَجْري فيه الأنهارُ وتَنبُتُ فيه الأشْجَار والثِّمار**». قال الذهبيُّ: «هذا حديثٌ منكرٌ جدًّا».

ورواه البيهقيُّ في "البعث"، وابن عساكر في "التاريخ"، من طريق عروة بن رويم، عن الحسن، عن أنس به.

وهو منكَرٌ كما قال الذهبيُّ، ولا أستبعد أن يكون موضوعًا لجهالة إسناده ونكارة معناه وإفادته أنَّ مؤمِني الجنِّ ليسوا مِن الأمَّة المحمدية وهذا خلاف النَّصِّ والإجماع.

أمَّا النصُّ فإنَّ الله تعالى أخبر أنه أرسل رسوله إلى العالمين وفي (سورة الرحمن) خاطب الجنَّ والإنس بخطاب المُكلَّفين جميعًا على قدم المساواة وفي (سورة الجن) قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن: ١ - ٢] وفي (سورة الأحقاف) قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم

مُنذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩] الآية.

والإجماع من جميع المسلمين على أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رسولٌ إلى الجنِّ والإنس، حكى الإجماع ابن حزمٍ وابن عبدالبر وابن تيمية والسيوطيُّ وغيرهم والله أعلم.

الحديث الموفي عشرين

ثبت في الصحيح عن عبدالله بن مسعودٍ قال: جاء رجلٌ إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من أهل الكتاب فقال: يا أبا القاسم إنَّ الله يُمْسِكُ السَّماواتِ على إصْبَعٍ والأرَضِين والشَّجَرَ والثَّرَى على إصْبَعٍ، والخَلائِقَ على إصْبَعٍ ثُمَّ يقول: أنا المَلِك، أنا المَلِك، فرأيت النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ضَحِكَ حتَّى بَدَتْ نَوَاجِزُه ثُمَّ قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧].اهـ

وروى أحمد من طريق الحسن: أنَّ عائشة قالت: دعوةٌ كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يُكْثِر أن يدعو بها: «**يا مُقَلِّبَ القُلُوبَ ثَبِّتْ قَلْبي على دِينِكَ**». قالت عائشة: يا رسول الله، دعوةٌ أراك تُكْثِر أن تدعوا بها؟ قال: «**ما مِن آدَمِيٍّ إلَّا وقَلْبُهُ بين إصْبَعين مِن أصابع الرَّحمن عزَّ وجلَّ، فإذا شاء أن يُقِيمَهُ أقَامَهُ وإذا شاء أن يُزيغَهُ أزاغَهُ**».اهـ

روى الهرويُّ حديث عائشة في كتاب "الأربعين" وترجم عليه: «باب إثبات الأصابع لله عزَّ وجلَّ».

قال ابن بطال: «لا يحمل ذكر الأصبع على الجارحة بل يحمل على أنه صفةٌ من صفات الذات لا تُكَيَّف ولا تُحَدَّد وهذا يُنسب إلى الأشعريِّ، ووافقه ابن

التين».

وقال الخطابي: «لم يقع ذكر الأصبع في القرآن ولا في حديثٍ مقطوعٍ به، وقد تقرَّر أنَّ اليد ليست بجارحةٍ حتى يُتوهَّم من ثبوتها ثبوت الأصابع، بل هو توقيفٌ أطلقه الشارع فلا يُكيَّف ولا يُشبَّه، ولعل ذكر الأصابع من تخليط اليهوديِّ؛ فإنَّ اليهود مُشَبِّهةٌ وفيما يدعونه من التوراة ألفاظٌ تدخل في باب التشبيه ولا تدخل في مذاهب المسلمين.

وأمَّا ضَحِكُهُ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من قول اليهوديِّ فيحتمل الرِّضا والإنكار، وأمَّا قول الراوي: «تصديقًا له» فظنٌّ منه وحُسْبان، وقد جاء الحديث من عِدَّة طرقٍ ليس فيها هذه الزيادة، وعلى تقدير صحَّتها فقد يستدل بحُمْرة الوَجْهِ على الخَجَل، وبصُفْرته على الوَجَل فيكون الأمر بخلاف ذلك، فقد تكون الحُمْرة لأمر حَدَثَ في البدن كثوران الدم، والصُّفرة لثوران خلط مِن مَرار وغيره، وعلى تقدير أن يكون ذلك محفوظًا فهو محمولٌ على تأويل قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧] أي قدرته على طيِّها، وسهولة الأمر عليه في جمعها بمنزلة من جمع شيئًا في كفِّه واستقلَّ بحمله من غير أن يجمع كفَّه عليه، بل يقله ببعض أصابعه».اهـ

والخطابي لم ينكر ورود الأصابع في الحديث وإنما أنكر أنَّ الحديث مقطوعٌ به، وكلامه صحيحٌ كما قال.

والمقصود: أنَّ ذِكْرَ الأصابع صفةٌ لله تعالى ليس مُتفقًا عليه مع احتماله للتأويل، والهرويُّ متساهلٌ في إثبات الصفات بمجرَّد ورودها في الحديث من

غير أن ينظر هل هي من تصرُّف الراوي أو نحو ذلك من الاحتمالات.

الحديث الحادي والعشرون

روى ابن جريجٍ في "التفسير" عن عبدالله بن خليفة قال: أتت امرأة إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقالت: ادعُ اللهَ أن يُدخلني الجنَّة. فعظَّم الربَّ -تعالى ذكره- ثُمَّ قال: «**إنَّ كُرْسِيَّه وسِعَ السَّماواتِ والأرضَ، وأنه ليَقْعُدُ عليه فما يَفْضُلُ منه مِقْدَارُ أرْبَعِ أصَابِع** -ثُمَّ قال بأصابعه فجمعها- **وإنَّ له أَطِيطًا كأطيطِ الرَّحْلِ الجَديدِ إذا رُكِبَ مِن ثِقَلِهِ**».

ورواه أيضًا من طريق عبدالله بن خليفة عن عمر.

هذا حديثٌ منكرٌ موضوعٌ، وإسناده ليس بصحيحٍ، وما نسبه من القُعود إلى الله تعالى لم يأتِ في القرآن ولا في حديثٍ صحيحٍ، وهو تشبيهٌ صريحٌ تعالى الله عن مشابهة الحوادث ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وممَّا يدل على نكارته سوى ما ذكر أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قضى مدَّة حياته الكريمة يدعو الناس إلى الجنَّة ويرغِّبهم فيها، وفي القرآن عِدَّة آيات تدعو النَّاسَ إلى الجنَّة وإلى ما فيها من نعيمٍ دائمٍ، فكيف يعقل أن يكون جوابه للمرأة التي طلبت منه أن يدعو الله لها بدخول الجنَّة، كيف يُجيبها بتعظيم الله تعالى وتصعيب الجنَّة عليها؟! مع أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم دعا لكثيرين بدخول الجنَّة.

الحديث الثاني والعشرون

روى أبو داود من طريق جُبير بن محمد بن جُبير بن مُطْعِمٍ، عن أبيه، عن جدِّه قال: أتى رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أعرابيٌّ فقال: يا رسول الله جَهِدَتِ الأنفُسُ وضاعَتِ العِيالُ ونُهِكَتِ الأموالُ وهَلَكَتِ الأنعامُ فاسْتَسْقِ اللهَ لنا، فإنَّا نستشْفِعُ بك على الله ونستَشْفِعُ بالله عليك. قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ويَحْكَ أتَدْري ما تقول؟**».

وسَبَّحَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فما زال يُسَبِّحُ حتَّى عُرِفَ ذلك في وجُوهِ أصحابه، ثُمَّ قال: «**ويَحْكَ إنَّه لا يُسْتَشْفَعُ بالله على أحَدٍ مِن خَلْقِهِ؛ شَأنُ الله أعْظَمُ مِن ذلك، ويَحْكَ أتدْري ما اللهُ إنَّ عَرْشَهُ على سماواته لهكذا** - وقال بأصابعه مثل القبة عليه- **وإنه ليَئِطُّ به أطَيط الرَّحْلِ بالرَّاكِبِ**».

نَقَلَ الحافظ المُنذريُّ عن الحافظ أبي بكرٍ البزَّار أنه قال: «هذا الحديث لا نعلمه يُروَى عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مِن وجهٍ من الوجوه إلَّا مِن هذا الوجه، ولم يقل فيه محمد بن إسحاق: حدَّثني».اهـ

قال المُنذريُّ: «ومحمد بن إسحاق مُدلِّسٌ، وإذا قال المُدلِّس: «عن فلان»، ولم يقل: «حدَّثنا»، أو «سمعت»، أو «أخبرنا» لا يُحتجُّ بحديثه، وإلى هذا أشار البزَّار، مع أنَّ ابن إسحاق إذا صرَّح بالسَّماع، اختلف الحفَّاظ في الاحتجاج بحديثه فكيف إذا لم يصرِّح به؟! وقد رواه يحيى بن معينٍ وغيره فلم يذكروا لفظة: به».اهـ

أي لم يقولوا في روايتهم للحديث: «**وإنه ليَئِطُّ به أَطيطَ الرَّحل بالرَّاكبِ**». وإنما قالوا: «**وإنه ليَئِطُّ أطَيطَ الرَّحْلِ بالرَّاكبِ**».

وقد أطال ابن القيم في شرح "تهذيب السنن" في الانتصار لمحمد بن إسحاق محاولًا تصحيح هذا الحديث حتىٰ أنه أيده بحديث القعود الموضوع الذي رويناه من طريق ابن جريرٍ فيما سبق، وقد أتىٰ به من رواية الحافظ مطين، والحديث -رغم محاولة ابن القيم- ضعيفٌ منكرٌ.

وللحافظ ابن عساكر جزء "بيان التخليط في حديث الأطيط" فلا عبرة بما أطال به ابن القيم.

وإذا كان المحدِّثون يشترطون في أحاديث الأحكام أن يكون راويها ثقةً ضابطًا، فأحاديث العقائد أولىٰ بذلك، كما قال البيهقيُّ.

وابن إسحاق علىٰ فرض توثيقه لا يمكن الاحتجاج به في هذا الحديث ومثله ممَّا يتعلق بصفات الله تعالىٰ.

الحديث الثالث والعشرون

ثبت في "صحيح مسلم" عن عائشة قالت: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**خُلِقَتُ الملائكةُ مِن نُورٍ، وخُلِقَ الجانُّ مِن مارجٍ مِن نارٍ، وخُلِقَ آدمُ ممَّا وُصِفَ لَكُمْ**».

أفاد هذا الحديث أنَّ الملائكة مخلوقون من نورٍ وهم عددٌ كثيرٌ لا يُحصيهم عادٌّ، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

وجاء عن عبدالله بن عمرو بن العاص في خَلْقِ الملائكة أثرٌ منكَرٌ نُنبِّه عليه.

روىٰ البيهقيُّ في "الأسماء والصفات" من طريق يحيىٰ بن أيوب، أنَّ ابن جريجٍ حدَّثه عن رجُلٍ، عن عروة بن الزبير: أنه سأل عبدالله بن عمرو بن

العاص: أيُّ الخَلْقِ أعظم؟ قال الملائكة. قال: مِن ماذا خُلقت؟ قال من نور الذراعين والصدر. قال: فبَسَطَ ذراعيه فقال: كونوا ألفي ألفين. قال ابن أيوب: فقلت لابن جريج: ما ألفا ألفين؟ قال: ما لا تُحصىٰ كثرته.

قال البيهقيُّ: «هذا موقوفٌ علىٰ عبدالله بن عمرٍو، وراويه رجلٌ غير مُسمًّىٰ؛ فهو منقطعٌ. وقد بلغني أن ابن عُيَيْنة رواه عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبدالله بن عمرٍو؛ فإن صحَّ ذلك فعبدالله بن عمرٍو قد كان ينظر في كتب الأوائل، فما لا يرفعه إلىٰ النبيِّ -عليه الصَّلاة والسَّلام- يحتمل أن يكون ممَّا رآه فيما وقع بيده من تلك الكتب».

قال ابن الجوزيِّ في "دفع شبه التشبيه": «أثبت به القاضي أبو يعلىٰ ذراعين وصدرا لله عزَّ وجلَّ، وهذا قبيحٌ؛ لأنه حديثٌ ليس بمرفوعٍ ولا يصح، وهل يجوز أن يُخلَق مخلوقٌ من ذات القديم؟! وهذا أقبح ممَّا ادَّعته النصارىٰ». وأثر عبدالله بن عمرٍو هذا مأخوذٌ من الإسرائيليَّات.

الحديث الرابع والعشرون

روىٰ البيهقيُّ في "الأسماء والصفات" من طريق محمد بن إسحاق، عن عبدالرحمن بن الحارث بن عبدالله بن عيَّاش بن أبي ربيعة، عن عبدالله بن أبي سلمة قال: إنَّ عبدالله بن عمر بن الخطَّاب بعث إلي عبدالله بن عبَّاسٍ يسأله: هل رأىٰ محمَّدٌ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ربَّهُ؟ فأرسل إليه عبدالله بن عبَّاسٍ أنْ نَعَمْ. فردَّ عليه عبدالله بن عمر رسوله أن: كيف رآه؟ فأرسل: «أنه رآه في روضةٍ خضراء دونه فِراشٌ من ذهبٍ علىٰ كرسيٍ من ذهبٍ، يحمله أربعةٌ من

الملائكة، مَلَكٌ في صورة رجُلٍ، وملَكٌ في صورة ثورٍ، وملَكٌ في صورة نسرٍ، وملَكٌ في صورة أسدٍ، زاد يونس في روايته: في صورة رجُلٍ شابٍّ».

قال البيهقيُّ: «هذا حديثٌ تفرَّد به محمد بن إسحاق بن يسارٍ، وهو ضعيفٌ فيما يرويه إذا لم يُبيِّن سماعه فيه، وفي هذه الرواية انقطاعٌ بين ابن عباسٍ وبين الراوي عنه، أي لأن الذي أرسله ابن عمر إلى ابن عباسٍ مجهولٌ وليس شيءٌ من هذه الألفاظ في الروايات الصحيحة عن ابن عباسٍ».

قال البيهقيُّ: «ورُويَ من وجهٍ آخَر ضعيفٍ، فرواه من طريق إبراهيم بن الحكم بن أبان، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباسٍ أنه سُئل هل رأى محمَّدٌ ربَّهُ؟ قال: نعم، رآه كأن قدميه على خُضْرةٍ دونه سِتْرٌ من لؤلؤٍ. إبراهيم وأبوه ضعيفان».اهـ

قلت: هذا حديثٌ موقوفٌ شاذٌّ منكَرٌ، والموقوف لا يُعمل به في الأحكام كما تقرَّر في علم الأصول، فكيف في هذا الأمر العظيم الذي ينسب فيه التجسيم إلى الله صراحةً؟! وكيف يجوز في عقل عاقلٍ أن يكون الله في روضةٍ خضراء وقدماه على خضرةٍ، وهو على كرسيٍّ من ذهبٍ يحمله أربعةٌ من الملائكة؟!!

هذه نكاراتٌ يشمئزُّ منها قلب المسلم؛ لأنها تُنافي عظمة الله وجلاله، ويردها قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

ومثلها في النَّكارة والبطلان ما رواه البيهقيُّ أيضًا من طريق أبي حمزة السكريِّ، عن الأعمش، عن سلم بن أبي الجعد، عن عبدالله: ﴿وَٱلْفَجْرِ﴾

[الفجر: ١] قال: قسم، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤]، من وراء الصراط ثلاثة جسورٍ: جسرٌ عليه الأمانةُ، وجسرٌ عليه الرَّحِمُ، وجسرٌ عليه الربُّ تبارك وتعالى». هذا موقوفٌ منكرٌ ضعيف الإسناد؛ السكريُّ مُختلِطٌ، والأعمش مدلِّسٌ وقد عنعن، وكذلك سالم، مع أنه لم يلقَ عبدالله، والأثر معلوم البطلان بالضرورة، والله أعلم.

الحديث الخامس والعشرين

أخرج الخطيب في "تاريخ بغداد" من طريق أحمد بن محمد بن الحجَّاج أبي بكرٍ المروزيِّ قال: حدَّثنا الحسين بن شبيب الآجريُّ: أخبرنا أبو حمزة الأسلميُّ بطرسوس: حدَّثنا وكيعٌ: حدثنا أبو إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عبدالله بن خليفة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**الكرسيُّ الذي يجلس عليه الربُّ عزَّ وجلَّ، وما يَفْضُلُ منه إلَّا قَدْرُ أربع أصابع، وإنَّ له أطيطًا كأطيط الرَّحْلِ الجديد**».

قال أبو بكرٍ المروزيُّ: قال لي أبو عليٍّ الحسين بن شَبيبٍ: قال لي أبو بكر بن سلم العابد حين قدمنا إلى بغداد أخرج ذلك الحديث الذي كتبناه عن أبي حمزة فكتبه أبو بكر بن سلم بخطِّه وسمعناه جميعًا وقال أبو بكر ابن سلم: إنَّ الموضع الذي يفضل لمحمدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ليجلسه عليه.

هذا حديثٌ مرسلٌ، عبدالله بن خليفة تابعيٌّ، وأبو إسحاق هو السَّبيعيُّ، مدلِّسٌ وقد عنعن، وورد من وجهٍ آخَر موصولًا عن عبدالله بن خليفة، عن عمر بإسنادٍ ضعيفٍ.

وهو حديثٌ شاذٌّ منكرٌ وللحافظ ابن عساكر جزء "بيان التخليط في حديث الأطيط" وهذا الحديث صريح في التجسيم حيث نسب إلى الله القعود على الكرسيِّ، وأنه يبقى منه محلٌّ يجلس عليه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ولعل يهوديًّا دسَّ هذا الحديث في كتب بعض المسلمين ولم يتفطَّن له؛ لأن ما فيه من تجسيمٍ إنما هي عقيدة اليهود.

والعجب من ابن القيِّم أنه أيَّد قعود النبيِّ على الكرسيِّ أو على العرش بجانب الله تعالى، ذكر ذلك في "بدائع الفوائد" واستشهد بأبيات منسوبةٍ إلى الدارقطني جاء فيها:

فلا تُنكِروا أنَّهُ قاعِدٌ ولا تُنكِروا أنَّهُ يُقْعِدُهُ

مع أنَّ السند إلى الدارقطني غير صحيحٍ.

وقد نبَّهت على ذلك في جزء "رفع الإشكال عن مسألة المحال".

وأعجب من هذا وأغرب أنَّ ابن القيِّم كتب تأليفًا سمَّاه كتاب "الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان" تكلَّم فيه عن أنواع المجاز والاستعارة وغير ذلك مما هو مقرَّرٌ في علم البيان وذكر أمثلة لذلك من القرآن الكريم.

ثُمَّ لما كتب "الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة" قلَّد شيخه في إنكاره المجاز من جميع أنواعه وادَّعى أنَّ المجاز بدعةٌ ولم يكن معروفًا في السَّلَف وأنَّ أوَّل من تكلَّم فيه وأظهره أبو عبيدة.

وأخطأ في ذلك خطأ كبيرًا، فإنَّ المجاز معروفٌ في اللغة العربية منذ خلق الله العرب، والقرآن مشحونٌ بأنواع المجاز، وأي علاقة بين اللغة والبدعة؟! وهل

ورد نصٌّ من الشارع أنه لا يجوز الكلام في المجاز وأنواعه من الأمور اللغوية حتىٰ يأتي عن السَّلَف؟!

وغرض ابن القيِّم وشيخه من هذه الدعوىٰ حمل الألفاظ الواردة في صفات الله تعالىٰ علىٰ حقيقتها اللغوية مثل الاستواء واليد والقدم ونحو ذلك، وهذا إغراقٌ في الإثبات إلىٰ حدِّ التشبيه والتجسيم، والله أعلم.

الحديث السادس والعشرون

ثبت في "الصحيحين" عن أنسٍ قال: قال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ما بُعِثَ نبيٌّ إلَّا أنْذَرَ أُمَّتَهُ الأعْوَرَ الكذَّاب، ألا إنه أعْوَرُ وإنَّ ربَّكم ليس بأعْوَرَ، وإن بين عَيْنيه مَكْتوبًا كافِرٌ**».

ورواه الهرويُّ في كتاب "الأربعين" وترجم عليه: «باب إثبات العينين له تعالىٰ وتقدَّس».

والحديث ليس فيه إثبات العينين لله فمن أين أتىٰ بهما الهرويُّ؟!

إن كان فهم من قوله: «**إنَّ ربَّكم ليس بأعْوَرَ**» أنه يستلزم أن يكون له عينان، وهذا غلطٌ واضحٌ؛ فإنَّ صفات لله تعالىٰ لا تثبت إلَّا بلفظٍ صريحٍ في حديثٍ صحيحٍ، وقد جاء في القرآن إثبات العين لله مفردةً كقوله تعالىٰ: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: ٣٩] ومجموعةٌ كقوله سبحانه: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨] ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود: ٣٧] ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤] وهذا يدل علىٰ أنَّ نسبة العين إلىٰ الله معناه صفة البصر أو الحفظ والكلاءة.

قال ابن حزمٍ: «لا يجوز لأحدٍ أن يصف الله عزَّ وجلَّ بأن له عينين؛ لأنَّ

النصَّ لم يأتِ بذلك».اهـ

وهكذا شأن الهَرَويُّ في كتاب "الأربعين" يثبت صفات لله لم يقم عليه دليلٌ.

الحديث السابع والعشرون

عن ابن عباسٍ قال: إنَّ الله عزَّ وجلَّ فرض الصَّلاة على لسان نبيِّكم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على المسافر ركعتين وعلى المقيم أربعًا، وفي الخوف ركعةً. رواه مسلم في "صحيحه".

وهو شاذٌّ بدليل:

١- أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لم يصلِّ في الخوف ركعةً قَطُّ ولو كانت واجبةً ما تركها.

٢- أنه صحَّت في صلاة الخوف أنواعٌ:

منها: أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم صلَّى بطائفةٍ ركعتين وسلَّمت قبله وجاءت طائفةٌ أخرى فصلَّى بهم ركعتين وسلَّم، فكانت له أربع وللطائفتين ركعتين ركعتين، وهذا يردُّ قول ابن عباسٍ: «فرض الله على المسافر ركعتين».

ومنها: صلَّى بطائفةٍ ركعتين وسلَّم وجاءت طائفةٌ أخرى فصلَّى بهم ركعتين وسلَّم، وهذا يدل على صحة اقتداء المفترض بالمتنفل خلافًا للمالكية.

ومنها: صلَّى بطائفةٍ ركعةً وأتمَّت لنفسها ركعةً، وصلَّى بالطائفة الأخرى ركعةً وسلَّم وأتمَّت لنفسها ركعةً.

ومنها غير ذلك، فلو كان فرض صلاة الخوف ركعة ما صحَّت هذه الأنواع.

٣- أنَّ العلماء اتفقوا على جواز هذه الأنواع وغيرها في صلاة الخوف لصحَّتها، ولو كانت الركعة فرضًا لما صحَّ غيرها.

٤- روى النَّسائيُّ أنَّ الصحابة صلُّوها ركعةً في بعض الحالات، وهذا أوضح دليلٍ على أنها ليست بفرضٍ إذ لو كانت فرضًا ما تركوها أبدًا.

الحديث الثامن والعشرون

روى مسلمٌ من طريق طاوس: أنَّ أبا الصَّهْباء قال لابن عباسٍ: هاتِ من هَنَاتِكَ، ألم يكن الطلاق الثلاث على عهد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وأبي بكرٍ واحدةً؟ فقال: قد كان ذلك، فلما كان في عهد عمر تتابع الناس في الطلاق فأجازه عليهم.

هذا الحديث قال أحمد وغيره من الأئمَّة أنه شاذٌّ مطرح، كما نقله الحافظ ابن رجب في شرح "علل الترمذي".

وقال أحمد في الرسالة التي بعث بها إلى مُسدَّد في المعتقد وفي السُّنَّة والجماعة ما نصُّه: «والمتعة حرامٌ إلى يوم القيامة، ومن طلَّق ثلاثًا في لفظٍ واحدٍ فقد جهل، وحرمت عليه زوجته ولا تحل له أبدًا حتى تنكح زوجًا غيره».اهـ

وممَّا يستنكر في هذا الحديث قول أبي الصهباء لابن عباسٍ: «هاتِ من هناتك»، أي: فتواك المنكَرة وأخبارك المكروهة! فكيف يخاطب أبو الصهباء شيخه ابن عباسٍ بهذه العبارة المستكرهة ويسكت عنه ابن عباسٍ؟! وهذه العبارة تدل على أنَّ اعتبار الطلاق ثلاث واحدة من أنكر ما رواه ابن عباسٍ.

وقال ابن حزمٍ في "المحلَّى": «وأمَّا حديث طاوس عن ابن عباسٍ الذي فيه

أنَّ الثلاثة كانت واحدةً، وترد إلى الواحدة، وتجعل واحدة، فليس شيءٌ منه أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم هو الذي جعلها واحدةً أو ردَّها إلى الواحدة ولا أنه عليه الصَّلاة والسَّلام علم بذلك فأقرَّه ولا حُجَّة إلَّا فيما صح أنه عليه الصَّلاة والسَّلام قاله أو فعله أو علمه فلم يُنكِره».اهـ

واستدل ابن حزمٍ لوقوع الطلاق الثلاث مجموعًا في كلمةٍ واحدةٍ بحديث عويمر العجلاني مع امرأته التي لاعنها وفي آخره: أنه قال: كذبت عليها يا رسول الله إن أمسكتها، فطلقها ثلاثًا قبل أن يأمره رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم. وبحديث البخاريِّ عن عائشة قالت: إنَّ رجلًا طلَّق امرأته ثلاثًا فتزوَّجت فطلقها الزوج، فسئل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أتحل للأول؟ قال: «**لا، حتَّى يَذُوقَ عُسَيْلَتها كما ذاق الأوَّلُ**».

وبما ثبت عن عمر وعليٍّ وعثمان وابن عباسٍ وابن مسعودٍ أنهم قالوا: «إنَّ الطلاق الثلاث المجموع في كلمةٍ يلزم الزوج، وتحرم عليه زوجته أبدًا حتى تنكح زوجًا غيره». ومع أنَّ الحديث شاذٌّ، فإن المحاكم في مصر والمغرب تعمل به اليوم تقليدًا لابن تيمية الذي شذَّ عن العلماء في كثيرٍ من المسائل.

الحديث التاسع والعشرون

روى أبو داود وابن ماجه عن ابن أمِّ مكتومٍ: سأل النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: يا رسول الله، إني رجلٌ ضريرٌ شاسع الدار، ولي قائدٌ لا يُلايمُني فهل لي رخصةٌ أن أصلِّي في بيتي؟ قال: «**هل تَسْمَعُ النِّداء؟**» قال: نعم. قال: «**لا أجد لك رُخْصَةً**».

ورواه مسلمٌ والنَّسائيُّ عن أبي هريرة قال: أتىٰ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم رجل أعمىٰ... فذكر نحوه.

هذا الحديث شاذٌّ، ونقل الحافظ ابن رجب في شرح "علل الترمذي" عن بعضهم أنه لا يعلم أحدًا أخذ بذلك.

قلت: ومما يدل علىٰ شذوذه حديث عتبان بن مالك أنه أتىٰ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: يا رسول الله، إني قد أنكرت بصري وأنا أصلِّي لقومي وإذا كانت الأمطار سال الوادي الذي بيني وبينهم ولم أستطع أن آتي مسجدهم فأصلي لهم، وودت أنك يا رسول الله تأتي فتصلِّي في مصلًّىٰ أتخذه مصلًّىٰ. قال: فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**سأفعل إن شاء الله**» الحديث. رواه مسلمٌ وغيره.

وفيه الرخصة في التخلُّف عن الجماعة لعذرٍ، وهو إجماعٌ، وقال بعضهم أنَّ عدم الترخيص لابن أمِّ مكتوم أنه كان يصلِّي في المسجد النبويِّ، وهذا المسجد خاصَّةً يمتنع التخلُّف عن الجماعة فيه؛ لأنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يحضرها ويؤم فيه.

الحديث الموفي ثلاثين

روىٰ أبو داود عن عمَّار بن ياسرٍ أنه كان يحدِّث أنهم تمسَّحوا وهم مع رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بالصعيد لصلاة الفجر، فضربوا بأكفِّهم الصعيد ثُمَّ مسحوا وجوههم مسحةً واحدةً، ثُمَّ عادوا فضربوا بأكفِّهم الصعيد مرَّةً أخرىٰ فمسحوا بأيديهم كلها إلىٰ المناكب والآباط من بطون أيديهم.

عَدَّ ابن رجب هذا الحديث من الشواذِّ وهو حديثٌ مضطربٌ.

وقال الشافعيُّ: «قال عمار: تيمَّمنا مع النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إلىٰ المناكب. وروىٰ هو عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم الوجه والكفين فكأن قوله: «تيمَّمنا مع النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم» لم يكن عن أمر النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم».اهـ

وقال المحدِّث محمد بن إسحاق الدهلويُّ: «هذا قياس الصحابة في أوَّل الأمر، قبل بيان النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فلمَّا بيَّنه علموا كيفيَّة التيمُّم».اهـ

الحديث الحادي والثلاثون

روىٰ البيهقيُّ في "الأسماء والصفات" من طريق النَّسائيِّ قال: حدَّثنا عمرو بن يزيد: حدَّثنا سيف بن عبيد الله -وكان ثقةً- عن سلمة بن العَيَّار، عن سعيد بن عبدالعزيز، عن الزهريِّ، عن سعيد بن المسيِّب، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلنا: يا رسول الله هل نرىٰ ربَّنا؟ قال: «**هل ترون الشمس في يومٍ لا غَيْمَ فيه؟ وترون القمر في ليلةٍ لا غَيْمَ فيها؟**» قلنا: نعم. قال: «**فإنكم سترون ربَّكم حتَّى أنَّ أحدكم ليخُاصِر ربَّهُ مُخاصَرَةً فيقول له: عبدي هل تعرف ذنب كذا كذا فيقول: ربِّ ألم تغفر لي؟ فيقول: بمغفرتي صِرْتَ إلى هذا**».

قال البيهقيُّ: حديث الرؤية قد رواه غيره عن الزهريِّ، عن سعيد بن المسيِّب، وعطاء بن يزيد، عن أبي هريرة. ليس فيه لفظ «المخاصرة». وسلمة بن العَيَّار وسيف بن عُبيد الله لم يكونا يذكران في الصحاح ومثل هذا لا يثبت برواية أمثالهما».اهـ

قلت: لفظ «ليُخَاصِرَ ربَّه مُخاصَرَةً» شاذٌّ منكرٌ لم يأتِ إلَّا في هذا الطريق، وهو مردودٌ؛ لأنه ينافي عظمة الله وجلاله، وصرَّح العلماء بأن ما يتعلَّق بصفات الله تعالى لا يقبل فيه إلَّا حديثٌ صحيحٌ مقطوعٌ به. وقد أوَّل البيهقيُّ هذا الحديث على معنى يُخاصر ملائكة الله أو يخاصر نعمة الله، وهو تأويل بعيدٌ، والصواب أنَّ هذه الكلمة من الحديث مردودةٌ غير مقبولةٍ.

الحديث الثاني والثلاثون

قال ابن أبي حاتمٍ في "التفسير": حدَّثنا عليُّ بن الحسين: حدَّثنا شيبان: حدَّثنا مسرور بن سعيد التميميُّ: حدَّثنا عبدالرحمن بن عمرو الأوزاعيُّ، عن عروة بن رويم، عن عليِّ بن أبي طالبٍ عليه السَّلام قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أكْرِمُوا عَمَّتكُم النَّخْلَةَ فإنَّها خُلِقَتْ مِن الطِّين الذي خُلِقَ منه آدم عليه السَّلام، وليس مِن الشَّجَرِ شيءٌ يُلَقَّحُ غيرها**».

قال ابن كثيرٍ: هذا حديثٌ منكَرٌ جدًّا.

قلت: في سنده مسرور بن سعيدٍ، قال ابن حِبَّان: «يروي عن الأوزاعيِّ المناكير الكثيرة». وقال العقيليُّ: «حديثه غير محفوظٍ لا يعرف إلَّا به». يعني هذا الحديث الذي ذكرناه.

والحديث منكَرٌ جدًّا كما قال ابن كثير، ولا استبعد أن يكون موضوعًا؛ لأن النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لا يمكن أن يجعل النخلة عمَّتنا.

وفيه من النَّكارة أيضًا أنها خلقت من طين آدم، ومعنى هذا أنَّ الله حين قدَّر الطين الذي خلق منه آدم لم يكن تقديره مطابقًا له بل فضلت منه فضلة

خلق منها النخلة، ولا يجوز نسبة هذا إلى الله تعالى؛ لأنه يعلم مقادير الأشياء بالتحديد والله أعلم.

الحديث الثالث والثلاثون

قال أحمد في "المسند": حدَّثنا محمد بن عبدالله بن الزبير قال: حدَّثنا إسرائيل، عن سماك، عن علقمة بن وائل، عن أبيه قال: خرجت امرأة إلى الصَّلاة فلقيها رجلٌ فتجلَّلَها بثيابه فقضى حاجته منها وذهب، وانتهى إليها رجلٌ، فقالت له: إنَّ الرجل فعل بي كذا وكذا. فذهب الرجل في طلبه فانتهى إليها قومٌ من الأنصار فوقعوا عليها فقالت لهم: إنَّ رجلًا فعل بي كذا وكذا. فذهبوا في طلبه فجاؤوا بالرجل الذي ذهب في طلب الرجل الذي وقع عليها، فذهبوا به إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقالت: هو هذا. فلما أمر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم برجمه قال الذي وقع عليها: يا رسول الله، أنا هو. فقال للمرأة: «**اذهبي فقد غفر الله لك**»، وقال للرجل قولًا حسنًا، فقيل يا نبيَّ الله ألا ترجمه؟ فقال: «**لقد تاب توبةً لو تابها أهل المدينة لقُبل منهم**».

هذا الحديث شاذٌّ لأنه يخالف ما اتفق عليه العلماء أنَّ الحدَّ إذا بلغ الإمام وجب تنفيذه، كما جاء في الأحاديث الأخرى، ففي "سنن أبي داود" و"النَّسائي" من طريق عمرو بن شعيبٍ، عن أبيه، عن جدِّه أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**تعافوا الحدود فيما بينكم فما بلغني من حَدٍّ فقد وَجَبَ**»، وهذا يفيد أنَّ الإمام لا يجوز له العفو عن الحدِّ إذا بلغه.

وفي "صحيح البخاري" عن عائشة: أنَّ أسامة بن زيدٍ كلَّم رسول الله

صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في المخزومية التي سرقت، فقال له النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أتشفع في حَدٍّ من حُدودِ الله؟**».

لكن رواه أبو داود بسياقٍ ظهر منه أنَّ الحديث لا شذوذ فيه حيث قال: حدَّثنا محمد بن يحيىٰ بن فارس: حدَّثنا الفريابيُّ: حدَّثنا إسرائيل: حدَّثنا سماك بن حَرْبٍ، عن علقمة بن وائل، عن أبيه: أنَّ امرأةً خرجت علىٰ عهد النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم تريد الصَّلاة فتلقَّاها رَجلٌ فتجلَّلَها فقضىٰ حاجته منها فصاحت، وانطلق، ومرَّ عليها رجلٌ فقالت: إنَّ ذاك فعل بي كذا كذا، ومرَّت عصابةٌ من المهاجرين فقالت: إنَّ ذاك الرجل فعل بي كذا وكذا، فانطلقوا فأخذوا الرجل الذي ظنَّت أنه وقع عليها فأتوها به فقالت: نعم هو هذا. فأتوا به رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فلما أمر به -أي ليُرجَم- قام صاحبها الذي وَقَعَ عليها فقال: يا رسول الله أنا صاحبها، فقال لها: «**اذهبي فقد غفر الله لك**»، وقال للرجل قولًا حسنًا -قال أبو داود: يعني الرجل المأخوذ- فقال للرجل الذي وقع عليها: «**ارجُمُوه**». فقال: «**لقد تاب توبةً لو تابها أهل المدينة لقُبل منهم**». ترجم عليه أبو داود: «باب في صاحب الحدِّ يَجِيء فيُقِرُّ» وروايته واضحةٌ، أزالت الإشكال الواقع في رواية أحمد.

الحديث الرابع والثلاثون

قال عبدالرزاق في "المصنَّف": أخبرنا مَعْمَرٌ والثوريُّ، عن أبي إسحاق السَّبيعيِّ، عن امرأته: أنها دخلت علىٰ عائشة في نسوةٍ فسألتها امرأةٌ فقالت: يا أمَّ المؤمنين كانت لي جاريةٌ فبعتها من زيد بن أرقم بثمانمائة إلىٰ العطاء، ثُمَّ

ابتعتها منه بست مائة، فنقدته الستمائة وكتبت عليه ثمانمائة. فقالت عائشة: بئس ما اشتريت وبئس ما اشترىٰ زيد بن أرقم، إنه قد أبطل جهاده مع رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إلَّا أن يتوب، فقالت المرأة لعائشة: أرأيت إن أخذت رأس مالي ورددت عليه الفضل؟ قالت: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

ورواه الدارقطني، والبيهقيُّ في "سننهما"، عن يونس بن أبي إسحاق، عن أمِّ العالية قالت: كنت قاعدة عند عائشة فأتتها أمُّ محبة فقالت إني بعت زيد بن أرقم جارية إلىٰ عطائه فذكر نحوه.

وقال أحمد: حدَّثنا محمد بن جعفرٍ: حدَّثنا شعبة، عن أبي إسحاق السَّبيعيِّ، عن امرأته: أنها دخلت علىٰ عائشة هي وأمُّ ولد زيد ابن أرقم، فقالت أمُّ ولد زيد لعائشة إني بعت من زيدٍ غلامًا بثمانمائة درهم نسيئة... وذكر الخبر نحوه.

قال الدارقطني: «العالية وأمُّ محبة مجهولتان لا يحتج بهما، وهذا الحديث لا يثبت عن عائشة. قاله الإمام الشافعي».اهـ

وقال ابن عبدالبر في "الاستذكار": «هذا الخبر لا يثبته أهل العلم بالحديث ولا هو مما يحتج به عندهم، فامرأة أبي إسحاق وامرأة أبي السفر وأم ولد زيد بن أرقم كلهنَّ غير معروفات بحمل العلم، وفي مثل هؤلاء روىٰ شعبة عن أبي هاشم أنه قال: كانوا يكرهون الرواية عن النِّساء إلَّا عن أزواج النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم».

قال: «والحديث منكر اللفظ لا أصل له؛ لأن الأعمال الصالحة لا يبطلها

الاجتهاد وإنما يحبطها الارتداد، ومحالٌ أن تلزم عائشة زيدًا التوبة برأيها وتكفِّره باجتهادها هذا ما لا ينبغي أن يظن بها ولا يقبل عليها».اهـ

وكذا أبطله ابن حزمٍ بنحو من هذا وأجاد، انظر "المحلى" (ج٩ص٤٩-٥٠). فالخبر باطلٌ وإن صحَّحه ابن الجوزيِّ، وبعض الحنفية غافلين عن نكارة معناه، والله أعلم.

الحديث الخامس والثلاثون

روى أبو داود والنَّسائيُّ وابن ماجه، من طريق عمرو بن شعيبٍ، عن أبيه، عن جدِّه قال: إنَّ رجلًا أتى النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: يا رسول الله كيف الطهور؟ فدعا بماء في إناءٍ فغَسَلَ كفَّيه ثلاثًا، ثُمَّ غَسَلَ وجْهَهُ ثلاثًا، ثُمَّ غَسَلَ ذراعيه ثلاثًا، ثُمَّ مسح برأسه، وأدخل أصبعيه السبَّاحتين في أذنيه، ومسح بإبهاميه على ظاهر أذنيه، وبالسبَّاحتين باطن أذنيه، ثُمَّ غَسَلَ رجليه ثلاثًا ثلاثًا، ثُمَّ قال: «**هكذا الوضوء فمن زاد على هذا أو نقص فقد أساء و ظَلَمَ**».

هذا الحديث شاذٌّ، ونقل ابن رجب عن مسلمٍ قال: «الإجماع على خلافه». وقال الحافظ في "الفتح": «إسناده جيدٌ لكن عدَّه مسلمٌ في جملة ما أنكر على عمرو بن شعيبٍ؛ لأن ظاهره ذمُّ النقص من الثلاث، وأجيب بأنه أمرٌ نسبيٌّ والإساءة تتعلَّق بالنقص، والظلم بالزيادة وقيل: فيه حذف تقديره من نقص من واحدةٍ.

ويؤيِّده ما رواه نعيم بن حمَّاد من طريق المطلب بن حنطب مرفوعا: «**الوضوء مرَّةً ومرَّتين وثلاثًا فإن نقص من واحدة أو زاد على ثلاث فقد أخطأ**»

وهو مرسل رجاله ثقات. وأجيب عن الحديث أيضًا بأن الرواة لم يتفقوا على ذكر النقص فيه بل أكثرهم مقتصر على قوله فمن زاد فقط، كذا رواه ابن خزيمة في "صحيحه" وغيره».اهـ كلام الحافظ

قلت: الشاذُّ من الحديث لفظ «**أساء وظلم**»، ومرسل المطلب بن حنطب فيه «**فقد أخطأ**» وهذا اللفظ لا شذوذ فيه، والله أعلم.

الحديث السادس والثلاثون

روى أبو يعلى من طريق علي بن زيد بن جُدْعَان، عن أنس بن مالكٍ قال: أمطرت السماء بَرَدًا، فقال لنا أبو طلحة ونحن غلمان: ناولني يا أنس من ذلك البَرَد. فناولته، فجعل يأكل وهو صائم قال: ألست صائمًا؟ قال: بلى إن هذا ليس بطعامٍ ولا شرابٍ وإنما هو بركةٌ من السماء نطهر بها بطوننا. قال أنسٌ: فأتيت النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فأخبرته. فقال: «**خُذْ عن عَمِّك**».

قال الحافظ الهيثميُّ في "مجمع الزوائد": «علي بن زيدٍ فيه كلامٌ وقد وُثِّق، وبقيَّة رجاله رجال الصحيح»، قال: «ورواه البزَّار موقوفًا وزاد: فذكرت ذلك لسعيد بن المسيِّب فكرهه وقال: إنه يقطع الظمأ».

قلت: ذكر الحافظ ابن رجب هذا الحديث في جملة الأحاديث الشاذَّة، وهو كذلك؛ لأنه خلاف المقرَّر في الصيام، وقد أخطأ بعض المدَّعين للعلم فأفتى لمريض في رمضان أن يأخذ الدواء بدون ماء ولا يكون مفطرًا وقاسه على هذا الحديث ،وهو قياسٌ فاسدٌ على حديث شاذٍّ، والله أعلم.

الحديث السابع والثلاثون

قال أحمد: حدَّثنا عفَّان: حدَّثنا حمَّاد: حدَّثنا عليُّ بن زيدٍ، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباسٍ قال: ماتت رقيَّة بنت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**الحقي بسَلَفِنا الصَّالح عثمان بن مَظْعُون**» قال: وبكت النِّساء فجعل عمر يضربهنَّ بسوطه فقال: «**دَعْهُنَّ يا عمر، وإياكنَّ ونَعِيقَ الشيطان، مهما يكن من العين والقلب فمن الله والرحمة، ومهما كان من اليد واللسان فمن الشيطان**». وقعد علىٰ القبر وفاطمة إلىٰ جنبه تبكي فجعل يمسح عين فاطمة بثوبه.

قال الذهبيُّ: «هذا حديثٌ منكَرٌ، فيه شهود فاطمة الدفن ولا يصح».اهـ

قلت: وفيه من النكارة أيضًا حضور النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم دفنها مع أنها ماتت والنبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في بدرٍ، ودفنت يوم وصول زيد بن حارثة مبشِّرًا بانتصار رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ببدرٍ علىٰ المشركين، والله أعلم.

الحديث الثامن والثلاثون

روىٰ الترمذيُّ عن جابر بن عبدالله قال: كنا إذا حَجَجْنا مع النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فكنَّا نُلَبِّي عن النِّساء.

قال الترمذيُّ: «هذا حديثٌ غريبٌ لا نعرفه إلَّا من هذا الوجه وقد أجمع أهل العلم علىٰ أنَّ المرأة لا يُلَبِّي عنها غيرها، بل هي تُلَبِّي عن نفسها».

قلت: بيَّن الترمذيُّ شذوذه بأنه مخالفٌ للإجماع.

الحديث التاسع والثلاثون

روىٰ أبو داود والترمذيُّ عن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن غَسَّل مَيِّتًا فليَغْتَسِل ومَن حَمَلَهُ فليتوضَّأ**».

قال الترمذيُّ: «حديث أبي هريرة حديث حسنٌ، وقد روي عن أبي هريرة موقوفًا، وقد اختلف أهل العلم في الذي يُغَسِّل الميت فقال بعض أهل العلم من أصحاب النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وغيرهم: إذا غَسَّل ميِّتًا فعليه الغُسْل، وقال بعضهم: عليه الوضوء، وقال مالك بن أنسٍ: أستحبُّ الغُسِلَ من غسل الميت ولا أرىٰ ذلك واجبًا، وهكذا قال الشافعيُّ، وقال أحمد: من غَسَّلَ مَيِّتًا أرجو ألا يجب عليه الغسل وأمَّا الوضوء فأقل ما قيل فيه.

وقال إسحاق: لابد من الوضوء. وقد روي عن عبدالله بن المبارك أنه قال: لا يغتسل ولا يتوضَّأ من غسل الميت».اهـ

قلت: كلام ابن المبارك هو الصحيح، والحديث شاذٌّ وإن قال به جماعةٌ من العلماء، يُبيِّن شذوذه ما رواه البيهقيُّ في "سننه" عن ابن عباسٍ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ليس عليكم في غُسْلِ مَيِّتِكُم غُسْلٌ إذا غَسَّلْتُموه، إنَّ مَيِّتَكُم يموت طاهرًا وليس بنجَسٍ، فحسبكم أن تغسلوا أيديكم**». وإسناده حسنٌ كما قال الحافظ.

الحديث الموفي أربعين

قال الترمذيُّ: حدَّثنا قتيبة: حدَّثنا عبدالله بن جعفرٍ، عن زيد بن أسلم، عن محمد بن المنكدر، عن محمد بن كعب قال: أتيت أنس بن مالكٍ في رمضان وهو يريد سفرًا، وقد رحلت راحلته ولبس ثياب السَّفَر فدعا بطعامٍ فأكل فقلت: سُنَّةٌ؟ قال: سُنَّةٌ، ثُمَّ رَكِب.

وقال أيضًا: حدَّثنا محمد بن إسماعيل: حدَّثنا سعيد بن أبي مريم: حدَّثنا محمد بن جعفرٍ: حدَّثني زيد بن أسلم: حدَّثني محمد بن المنكدر، عن محمد بن كعبٍ قال: أتيت أنس بن مالكٍ في رمضان... فذكر نحوه.

قال الترمذيُّ: «هذا حديثٌ حسنٌ وقد ذهب بعض أهل العلم إلى هذا الحديث وقال: للمسافر أن يفطر في بيته قبل أن يخرج وليس له أن يقصر حتى يخرج من جدار المدينة أو القرية، وهو قول إسحاق».اهـ

قلت: هذا حديثٌ شاذٌّ؛ لأنه يفيد جواز فطر المسافر قبل البدء في السفر ولم يأتِ حديثٌ يوافقه في هذا؛ لأن الفطر إنما رُخِّص فيه للصائم إذا باشر السَّفَر.

وهو أيضًا يخالف معنى الرُّخصة؛ لأن الفِطْر إنما رُخِّصَ فيه للصائم إذا باشر السَّفَر فأمَّا قبل مباشرة السَّفَر فلا يُفْطِر.

وأمَّا ما رواه أحمد وأبو داود عن عبيد بن جبر قال: ركبت مع أبي بصرة الغفاريِّ في سفينةٍ من الفُسْطاط في رمضان فدفع ثُمَّ قرب غداءه، ثُمَّ قال: اقترب. قلت: ألست بين البيوت؟ فقال أبو بصرة: أرغبت عن سُنَّة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؟!

ففي هذا الحديث أنَّ أبا بصرة قرَّب غداءه بعد الشروع في السَّفَر بدليل قوله: «فدفع» لأن معناه كما في رواية لأحمد: «فلما دفعنا من مرسانا»، وهذا يوافق السُّنَّة، ففي "صحيح البخاري" عن ابن عباسٍ قال: خرج رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في رمضان إلىٰ حُنَينٍ والناس مختلفون فصائمٌ ومُفطِرٌ فلما استوىٰ علىٰ راحلته فدعا بإناءٍ من لبنٍ أو ماءٍ فوضعه علىٰ راحلته أو راحته ثُمَّ نظر الناس فقال المُفطِرون للصوَّام: أفطروا.

وأنسٌ أفطر قبل الشروع في السَّفَر فكان حديثه شاذًّا، والله أعلم.

الحديث الحادي والأربعون

روىٰ أبو داود والترمذيُّ من طريق حمَّاد بن سلمة، عن أبي العُشَراء، عن أبيه قال: قلت: يا رسول الله، أما تكون الذَّكاة إلَّا في الحَلْقِ واللَّبَّة؟ قال: «**لو طَعَنْتَ في فخذِها لأجْزَأ عنك**».

هذا حديثٌ شاذٌّ؛ لأنه خالف الأحاديث الكثيرة التي تفيد حصر الذكاة في الحَلْق، وقد أوَّله العلماء وأرادوا بتأويله دفع ما فيه من الشذوذ.

قال أبو داود عقب روايته: «لا يصلح هذا إلَّا في المتردِّية والمتوحِّشة».

وقال الترمذيُّ: «قال أحمد بن منيعٍ: قال يزيد بن هارون: هذا في الضرورة». والله أعلم.

الحديث الثاني والأربعون

عن أنس بن مالكٍ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «أتاني جبريل -عليه السلام- وفي يده مرآةٌ بيضاء فيها نُكْتَةٌ سوداء، فقلت: ما هذه يا جبريل. قال: هذه الجُمُعة يعرضها عليك ربُّك لتكون لك عِيدًا ولقومك من بعد، تكون أنت الأوَّل وتكون اليهود والنَّصارى من بعدك».

وذكر فضل الجمعة إلى أن قال: «ونحن نَدْعُوه في الآخرة يوم المَزيد قلت: لِـمَ تدعونه يوم المَزيد؟ قال: إنَّ ربَّك عزَّ وجلَّ اتَّخذ في الجنَّة واديًا أَفْيَحَ مِن مسكٍ أبيضَ فإذا كان يوم الجُمُعة نزل -تبارك وتعالى- من عِلِّيين على كرسيِّه حتى حَفَّ الكرسيَّ بمنابر من نورٍ، وجاء النبيِّون حتى يجلسوا عليها، ثُمَّ حَفَّ المنابر بكراسي من ذهبٍ، ثُمَّ جاء الصِّدِّيقون والشُّهداء حتى يجلسوا عليها، ثُمَّ يجيء أهل الجنَّة حتى يجلسوا على الكثيب فيتجلَّى لهم تبارك وتعالى حتى ينظروا إلى وجهه وهو يقول: أنا الذي صَدَقْتُكم وَعْدي وأتممت عليكم نِعْمتي هذا مَحلُّ كرامتي فيسألونه الرِّضَا فيقول: الله عزَّ وجلَّ: رضائي أَحَلَّكُم داري وأنالَكُم كرامتي، فسَلُوني، فيسألونه حتى تنتهي رغبتهم، فيفتح لهم عند ذلك ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سَمِعَت ولا خَطَرَ على قَلْب بَشَرٍ، إلى مِقْدار مُنْصَرف النَّاسِ يوم الجُمُعة، ثُمَّ يَصْعَدُ تبارك وتعالى على كرسيِّه فيصعد معه الشهداء والصِّدِّيقون».

رواه البزَّار والطبراني في "الأوسط" بنحوه، وأحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح غير عبدالرحمن بن ثابت بن ثروان وقد وثَّقه غير واحدٍ وضعَّفه غيرهم، وإسناد البزَّار فيه خلافٌ قاله الحافظ الهيثمي في "مجمع الزوائد".

قلت: هذا الحديث شاذٌّ؛ لأنه ينسب إلى الله تعالى من النزول والصعود والجلوس على الكرسي ما لا يجوز نسبته إلى الله تعالى عقلًا ولا شرعًا، فمن المعلوم بالضرورة من الدِّين أنَّ الله تعالى لا يجوز وصفه بصفة المخلوقات مثل النزول والصعود والحركة لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ فالحديث الذي يفيد شيئًا من هذه الصفات يكون شاذًّا مردودًا ولو ثبت بأصح الأسانيد.

وقد ذكر السيوطي في "الدر المنثور" هذا الحديث وعزاه لعدَّة مُخرِّجين وقال: «بأسانيد جياد»، والسيوطيُّ لا يُعتمد في هذا لتساهله الكثير، بدليل أنه ذكر ممَّن روى الحديث الإمام الشافعي، وشيخه فيه متروك. وابن أبي الدنيا وفي سنده راوٍ ضعيفٌ، فكيف يصح قوله بأسانيد جيدة.

والجيد عند أهل الحديث أعلى من الحسن، فقد ذكر الحافظ العراقي أن الحافظ الناقد إذا وجد سند الحديث فوق الحسن وشك في بلوغه درجة الصحة عبَّر عنه بأنه جيدٌ، وبالله التوفيق.

الحديث الثالث والأربعون

روى مسلمٌ في "صحيحه" عن عائشة -رضي الله تعالى عنها- قالت: كان فيما أنزل من القرآن عشر رَضَعَاتٍ يُحَرِّمْنَ، ثُمَّ نُسِخْنَ بخَمْسٍ معلوماتٍ، فتوفي رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وهنَّ فيما يقرأ مِن القرآن.

هذا حديثٌ شاذٌّ؛ لأنه أفاد نسخ تلاوة بعض القرآن، ونسخ التلاوة محالٌ عقلًا، وكلُّ حديثٍ يفيد ما أحاله العقل فهو شاذٌّ، وقد ألَّفت جزءًا سمَّيته: "ذوق الحلاوة ببيان امتناع نسخ التلاوة" بيَّنت فيه تسعة أسباب اقتضت

استحالة نسخ التلاوة.

منها: أنَّ نسخ التلاوة يستلزم البداء وهو ظهور المصلحة في حذف الآية بعد خفائها والبداء في حقِّ الله مُحالٌ.

ومنها: أنَّ تغيير اللفظ بغيره أو حذفه بجملته إنما يناسب البَشَر لنقصان علمهم وعدم إحاطتهم ولا يليق بالله الذي يعلم السِّرَّ وأخفى.

ومنها: أنَّ ما قيل فيه كان قرآنا ونُسِخَ لفظه لا نجد فيه أسلوب القرآن ولا طلاوته ولا جرس لفظه.

ومنها: ما تقرَّر في علم الأصول أنَّ القرآن لا يثبت إلَّا بالتواتر وما لم يتواتر لا يكون قرآنا والجمل التي قيل بقرآنيتها وردت بطريق الآحاد فهي شاذَّةٌ لا تجوز تلاوتها.

ومنها: أنَّ القرآن كلام الله وهو قديمٌ أزليٌّ والله تعالى يقول: ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الكهف: ٢٧] والقاعدة المقرَّرة في علم الكلام أنَّ ما ثبت قِدَمه استحال عَدَمُه، فكيف يجوز مع هذا نسخ تلاوة آياتٍ من القرآن وهل يجوز أن يقال كانت في الأزل من كلام الله وهي الآن ليست من كلامه، هذا محالٌ وبالله التوفيق.

هذه ثلاثةٌ وأربعون حديثًا ذكرتها نموذجًا لسواها وعنوانًا عليه، وبقيت أحاديث شاذَّةٌ ذكر بعضها الحافظ ابن رجب في "شرح علل الترمذي" وبعضها موجود في كتب السُّنَّة يقف عليه من تتبعه فيها.

والشاذُّ في اللغة هو المُنفرد عن الجمهور، وقد ثبت النهي عن الشذوذ في أحاديث.

ومنها ما رواه أحمد من طريق العلاء بن زياد، عن رجلٍ حدَّثه يثق به، عن معاذ رضي الله عنه قال: قال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ الشيطان ذِئْبُ الإنسان كذئبِ الغَنَم يأخذ الشَّاة القاصِية والنَّاحِية؛ فإيَّاكم والشِّعاب وعليكم بالجماعة والعامَّة والمسجد**».

وقال أحمد: حدَّثنا إسحاق بن سليمان الرازي قال: سمعت زكريا بن سلام يحدث عن أبيه، عن رجلٍ قال: انتهيت إلىٰ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وهو يقول: «**أيها الناس عليكم بالجماعة وإيَّاكم والفُرْقة، عليكم بالجماعة وإياكم والفُرْقة، عليكم بالجماعة وإيَّاكم والفُرْقة**».

وروىٰ الترمذيُّ والحاكم عن ابن عمر، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ الله لا يجمع أُمَّتي على ضلالةٍ، ويد الله على الجماعة، ومن شَذَّ شَذَّ إلى النَّارِ**». وله طرقٌ عند الحاكم ولفظه في إحداها: «**لا يجمع الله هذه الأُمَّة على الضلالة أبدًا، ويد الله على الجماعة، فاتبعوا السَّواد الأعظم؛ فإنه مَن شَذَّ شَذَّ في النَّارِ**».

وللحديث طرقٌ كثيرة خَرَّجْتُها في كتاب "الابتهاج بتخريج أحاديث المنهاج" وهو من أدلة الأصوليين علىٰ حُجِّية الإجماع.

أمَّا الشاذُّ في اصطلاح أهل الحديث فاختُلِف في تعريفه.

قال الشافعي وغيره: «الشاذ: ما روىٰ الثقة مخالفًا لرواية الناس».

وقال الحافظ أبو يعلىٰ الخليلي صاحب "الإرشاد": «والذي عليه حفَّاظ الحديث أنَّ الشاذَّ ما ليس له إلَّا إسنادٌ واحدٌ يشذُّ به ثقةٌ أو غيره، فما كان عن غير ثقةٍ فمتروك وما كان عن ثقةٍ توقف فيه ولا يحتج به».

وقال الحافظ السيوطيُّ في "تدريب الراوي" -بعد استعراض الأقوال والموازنة بينها-: «والحاصل أنَّ الشاذَّ المردود هو الفرد المُخالف، والفرد الذي ليس في راويه من الثقة والضبط ما يجبر تفرده».اهـ

والشاذُّ الذي ذكرته في هذا الجزء منه ما خالف القرآن، ومنه ما خالف الحديث المتواتر، ومنه ما خالف الإجماع، ومنه ما خالف قاعدة من القواعد المقرَّرة، وقد نهى العلماء عن رواية الشاذِّ من الحديث.

قال إبراهيم بن أبي عبلة: «من حمل شاذَّ العلم حمل شرًّا كثيرًا».

وقال معاوية بن قرة: «إياك والشاذ من العلم».

وقال شعبة: «لا يجيئك الحديث الشاذُّ إلَّا من الرجل الشاذِّ».

وقال عبدالرحمن بن مهدي: «لا يكون إمامًا في العلم من يحدث بالشاذِّ من العلم».

وروى البيهقيُّ عن ابن وهبٍ قال: «لولا مالك بن أنسٍ والليث بن سعدٍ لهلكتُ؛ كنت أظنُّ أنَّ كلَّ ما جاء صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يُعمَل به».اهـ

أي أنهما بيَّنا له أنَّ الحديث لا يعمل به إذا كان شاذًّا أو غريبًا.

وهذا معنى قول إبراهيم النخعيِّ: «إني لأسمع الحديث فآخذ منه ما يؤخذ به وأدع سائره».

وقد كتب في الأفراد والغرائب كثيرٌ من الحفَّاظ ولم يكتب في الأحاديث الشاذَّة أحدهم فيما أعلم، فهذا الجزء أول ما كتب فيه.

فالحمد لله على فضله وبالله التوفيق.

تعقيب في معنى الحديث الشاذ

الحمَّدُ لله ربِّ العَالمين والصَّلاةُ والسَّلام على سيدنا محمد وآله والأكرمين، وبعد: فإنَّه لما كَتَبَ تلميذُنا الفَاضلُ الاستاذُ محمود سعيد كتاب: "تنبيه المُسْلم الى تعدِّيِّ الألباني على "صحيح مسلم"، وبيَّن صحة الأسانيد التي ضعَّفَها الألبانيُّ بجهله وتطاوله على الإمام مسلم رحمه الله ورضى عنه، قامتْ قائمة بعض تلامذته المغرورين به، وزعموا أنَّنَا ضعفنَا أحاديثَ في الصَّحيحين، فسكوته عنا تحيز ومحاباة في زعمهم البَاطل.

فكَتبتُ هذه الكلمة، بينتُ فيها وهمهم فيما زعموا، وأنَّ سببَ ذلك الوَّهم جهلهم مثل -شيخهم الألباني- بالفرق بين شذوذ الحديث الذي اثبتناه، وبين تضعِيف السَّند الذي سَلَكَه الألبانيُّ، وهو الذي نعيبُه عليه.

وبيانُ ذلك: أنَّ علماءَ الحديثِ صرَّحوا بأنَّه لا تلازم بين صحةَ السَّندِ وصحة المتنِ، فقد يكون السَّند صحيحًا لثِّقة رجاله وعدالتهم ويكون المتنُ شاذًّا.

والحديثُ الشَّاذ نوعان:

١- أنْ يروي الرَّاويُّ الثِّقةُ حديثًا يخالف فيه من هو أولى منه، مثاله: ما رواه أبو داود، والترمذيُّ من طريق عبدالواحد بن زياد، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة مرفوعًا: «**إذا صلَّى أحدُكم ركعتي الفَجر فليضطجع عن يمنيه**»، قال البيهقيُّ: «خالَفَ عبدالواحد العددَ الكثير في هذا، فإن النَّاس إنَّما رووا عن فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، لا من قوله، وانفرَدَ عبدالواحد

من ثقات أصحاب الأعمش بهذا اللَّفظ».أهـ

٢- أن يخالفَ الحديثُ القرآنَ، أو الحديث المتواتر، أو الواقع، أو قاعدةٍ من قَواعدِ الشَّريعةِ، وبتعذرُ الجَمعُ، وقد يكون سنده صحيحًا وربَما صرَّحَ مخرجه بشذوذه وصحة إسناده.

روىٰ البيهقيُّ في "الأسماء والصِّفات" من طريق عطاء بن السَّائب، عن أبي الضحىٰ، عن ابن عباس أنَّه قال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢]، قال: «سبع أرضين في كلِّ أرضٍ نبيٌّ كنبيكم، وآدم كآدم، ونوحٌ كنوحٍ، وإبراهيم كإبراهيم، وعيسىٰ كعيسىٰ».

قال البيهقيُّ: «إسناد هذا عن ابن عباس صحيح، وهو شَاذ مرة، لا أعلمُ لأبي الضُحىٰ عليه متابعًا».أهـ

وفي الغَالبِ لا يُصَرِّحُ مُخرِّجُ الحديث علىٰ شذوذه إنْ كان فيه شذوذ لأنَّه يتركُ معرفةَ ذلك لقارئ الحديث، وقد يغيبُ عنه شذوذه أو لا يرىٰ فيه شذوذًا.

وعلىٰ جميع الاعتبارات فحكمنا علىٰ أحاديث في "صحيح مسلم" بالشُّذوذ لا يمسُ مسلمًا بنقص، ولا يعيبه بجهل، بخلاف الألباني فأنَّه لجراءتِه ووقاحتِه ضَعَّفَ أسانيدَ في "صحيح مسلم"، فكان بتضعيفها ناسبًا للإمامِ مسلم جهلًا كبيرًا، حيث صحَحَ أسانيد ضعيفة، ولهذا اعتبرنا عملَه اعتداء علىٰ مقام الإمام مسلم، وهو كذلك.

٧- أَسَانِيدُ الكُتُبِ السَّبْعَةِ فِي الحَديثِ الصَّحِيحَيْنِ، والسُّنَن الأَرْبَعَة، ومُوطَّأ مالكٍ

كتاب "صحيح البخاري"

قال المُحدِّث السيِّد عبدالله بن محمَّد بن الصِّدِّيق الغُمَاريُّ الحَسنيُّ رحمه الله تعالى:

أخبرني به أبو عبدالله محمَّد إمام خطيب الجامع الأزهر قال: أخبرنا والدي أبو المعالي إبراهيم بن عليٍّ بن الحسن الشهير بالسَّقَّا، عن وليِّ الله محمَّد ثُعيلب بن سالم بن ناصر الفشنيِّ، عن أبي العبَّاس شهاب الدِّين أحمد بن عبدالفتَّاح المَلَّويِّ، عن أبي العزِّ محمَّد بن أحمد بن أحمد العَجَميِّ، عن شمس الدِّين محمَّد بن أحمد الخطيب الشُّوبريِّ، عن شمس الدِّين محمَّد بن حمزة الرَّمْليِّ، عن زين الدِّين زكريَّا بن محمَّد الأنصاريِّ، عن الحافظ ابن حجرٍ العسقلانيِّ، عن البرهان إبراهيم بن أحمد التَّنُوخيِّ البعليِّ الدمشقيِّ ثُمَّ القاهريِّ، عن الشِّهاب أبي العبَّاس أحمد بن أبي طالب الحجَّار، عن السِّراج أبي عبد الله الحسين بن المبارك الزَّبِيدي ثُمَّ البغداديِّ، عن أبي الوقت عبد الأوَّل بن عيسى السَّجْزي الهَرَويِّ، عن أبي الحسن عبدالرحمن بن محمد الدَّاوُديِّ البُوشَنْجيِّ، عن أبي محمَّد عبدالله بن أحمد بن حَمُّوَيه السَّرَخْسِيِّ، عن أبي عبدالله محمَّد بن يوسف الفِرَبْريِّ، عن الإمام الحُجَّة أبي عبد الله محمَّد بن إسماعيل البخاريِّ.

وبهذا السَّند أروي كتبه مثل: "الأدب المفرد"، و"خلق أفعال العباد"، و"القراءة خلف الإمام"، و"التاريخ الكبير"، و"التاريخ الصغير".

قال البخاريُّ: حدَّثنا مكِّيُّ بن إبراهيم، قال: حدَّثنا زيد بن أبي عبيد، عن سَلَمَة بن الأكْوَع قال: سمعتُ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**وَمَنْ يَقُل عليَّ ما لم أَقُلْ فلْيَتَبَوَّأ مقْعَده مِن النَّارِ**».

كتاب "صحيح مسلم"

أرويه عن الشيخ محمَّد دويدار الكَفْراويِّ التَّلاويِّ، عن الشيخ إبراهيم البَاجُوريِّ، عن أبي عبدالله محمَّد بن محمَّد الأمير، عن أبي الحسن علي بن محمَّد العربي السَّقّاط، عن إبراهيم الفيُّوميِّ، عن أحمد الفَرقاويِّ، عن الشيخ عليٍّ الأُجْهُوريِّ، عن نور الدِّين عليٍّ بن أبي بكر القَرافيِّ، عن الحافظ جلال الدِّين السيوطيِّ، عن عَلَم الدِّين البُلْقِينيِّ، عن برهان الدِّين أبي إسحاق التَّنوخيِّ، عن أبي الفضل سليمان بن حَمْزة، عن أبي الحسن علي بن الحسين بن المُقيَّر، عن الحافظ أبي الفضل محمد بن ناصر السُّلاميِّ، عن الحافظ أبي القاسم عبدالرحمن بن أبي عبدالله بن مَنْدَه، عن الحافظ أبي بكر محمَّد بن عبدالله بن محمَّد زكريا الجَوْزَقِيِّ، عن أبي الحسن مَكِّيِّ بن عبدان النيسابوريِّ، عن الإمام الحُجَّة أبي الحجَّاج مسلم بن الحجَّاج بن مسلمٍ القُشَيْري النَّيسابوريِّ.

وبهذا السَّند نروي بقيَّة كتبه مثل كتاب "المسند الكبير"، وكتاب "الجامع الكبير"، وكتاب "أوهام المحدِّثين"، وكتاب "العلل"، وكتاب "طبقات التابعين"، "وكتاب المخضرمين".

قال مسلمٌ: حدَّثنا قتيبة بن سعيدٍ قال: حدَّثنا أبو عوانة، عن زياد بن علاقة، عن المغيرة بن شعبة: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم صلَّى حتَّى انتفخت قَدَمَاهُ فقيل له: أتُكَلِّف هذا وقد غَفَرَ الله لك ما تقدَّم مِن ذنبك وما تأخَّر؟! قال: «**أَفَلا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا**».

كتاب "السنن" لأبي داود

نرويها بالسَّند السابق إلى الحافظ السيوطيِّ قال: أنبأنا محمَّد بن مقبلٍ الحَلَبيِّ، عن صلاح الدِّين محمَّد بن أبي عمر، عن الفخر عليِّ بن أحمد بن البخاريِّ، عن أبي المكارم أحمد بن محمد اللَّبان، عن أبي عليٍّ الحدَّاد، عن الحافظ أبي نُعيمٍ، عن أبي بكر بن دَاسَة، عن الإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السَّجِسْتَانيِّ.

وبهذا السَّند نروي بقيَّة كتبه مثل كتاب "المراسيل"، وكتاب "القدر"، وكتاب "الناسخ والمنسوخ"، وكتاب "مسند مالك"، و"فضائل الأنصار".

قال أبو داود: حدَّثنا مسلم بن إبراهيم قال: حدَّثنا السَّلام بن أبي حازمٍ أبو طالوت قال: شهدت أبا بَرْزَة دَخَلَ على عبيدالله بن زيادٍ فلمَّا رآه عبيدالله... قال عبيد الله: إنما بُعثتُ إليك لأسألك عن الحوضِ، سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يذكر فيه شيئًا؟

قال أبو بَرْزَة: نعم، لا مَرَّةً ولا ثِنْتَيَنِ ولا ثلاثًا ولا أربعًا ولا خمسًا، فمن كذَّب به فلا سَقاهُ الله منه، ثُمَّ خرج مُغْضَبًا.

كتاب "سنن الترمذي"

أرويها عن الشيخ عمر بن حَمْدان، عن نصر الله بن عبدالقادر الخطيب، عن عبدالله التلِّ المُعمَّر، عن الشيخ عبدالغني بن إسماعيل النابلسيِّ، عن النجم محمَّد بن البدر الغزِّيِّ، عن أبيه، عن جمال الدِّين أبي الفتح إبراهيم بن عليٍّ القَلْقَشَنْدِي، عن الحافظ ابن حجرٍ، عن أبي إسحاق التَّنوخيِّ قال: أنبأنا الحافظان أبو الحَجَّاج يوسف بن الزَّكيِّ المِزِّي، وأبو محمَّد القاسم بن محمَّد البِرْزَاليِّ قالا: أنبأنا الفخر أبو الحسن علي بن أحمد بن البخاريُّ، عن عمر بن طَبَرْزَدْ البغداديِّ، أخبرنا أبو الفتح عبدالملك بن عبدالله بن أبي سهل الكروخيِّ، أخبرني القاضي أبو عامر محمود بن القاسم بن محمَّد الأزْديُّ: أخبرنا أبو محمَّد عبدالجبَّار بن محمَّد بن عبدالله الجَرَّاحيُّ المَرْوَزيُّ: أخبرنا أبو العبَّاس محمَّد بن أحمد بن محبوب المَحْبوبيُّ المَرْوَزيُّ: أخبرنا الحافظ أبو عيسىٰ محمَّد بن عيسىٰ بن سَوْرَة بن موسىٰ التِّرمذيُّ.

وبهذا السَّند نروي كتابيه "الشمائل المحمدية" و"العلل".

قال الترمذيُّ: حدَّثنا إسماعيل بن موسىٰ الفزاريُّ ابن بنت السُّدِّي الكوفيِّ: حدَّثنا عمر بن شاكرٍ، عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**يأتي على النَّاسِ زَمَانٌ الصَّابرُ فيهم على دِينه كالقَابضِ على الجَمْرِ**».

قال أبو عيسىٰ: هذا حديثٌ غريبٌ مِن هذا الوجه، وعمر بن شاكرٍ شيخٌ بصريٌّ قد روىٰ عنه غير واحدٍ من أهل العِلْم.

كتاب "سنن النسائي"

نرويها بالسند السابق إلى أبي إسحاق التَّنوخي قال: أنبأنا أبو العبَّاس أحمد بن أبي طالبٍ الحَجَّار: أنبأنا أبو طالبٍ عبداللطيف بن محمَّد بن عليٍّ بن القُبيطيُّ: أنبأنا أبو زُرْعة طاهر بن محمَّدٍ المَقْدسيُّ: أنبأنا أبو محمَّدٍ عبدالرحمن بن حَمَد الدُّونيُّ: أنبأنا أبو نصر أحمد بن الحسين الدِّينَوَرِيُّ المعروف بالكسار: أنبأنا الحافظ أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق الدِّينوريُّ المعروف بابن السُّنِّيِّ: أخبرنا الحافظ أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن عليِّ بن بَحْر بن سنان بن دينار النَّسائيُّ.

وبهذا السَّند نروي بقيَّة كتبه مثل كتاب "عمل اليوم والليلة" و"مسند علي"، و"خصائص علي"، و"مسند مالك" و"التفسير"، وكتاب"الملائكة" و"الطب".

وبالسند المذكور قال الإمام الحُجَّة أبو عبدالرحمن النَّسائيُّ رحمه الله: أخبرنا حُمَيد بن مَسْعدَة وعِمران بن موسى قالا: حدَّثنا عبدالوارث قال: حدَّثنا شعيب بن الحَبْحَاب، عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**قد أَكْثَرتُ عليكم في السِّواكِ**».

كتاب "سنن ابن ماجه"

نرويها بالسَّند السابق إلى الحافظ ابن حجرٍ قال: قرأتها على أبي الحسن عليِّ بن محمَّد بن عليٍّ بن محمَّد بن أبي المجد الدمشقيِّ في أربعة مجالس بإجازته -إن لم يكن سماعًا- عن أبي العباس أحمد بن أبي طالب الحَجَّار قال: أنبأنا الأنجب بن أبي السَّعادات: أنبأنا أبو زُرعة طاهر بن محمَّد المَقدسيُّ: أنبأنا أبو منصور محمد بن الحسين بن أحمد بن الهيثم المُقَوِّميُّ: أنبأنا أبو طلحة القاسم بن أبي المنذر الخطيب: أخبرنا أبو الحسن علي بن إبراهيم بن سلمة بن بَحْرٍ القَطَّان: أخبرنا الحافظ أبو عبدالله محمَّد بن يزيد ماجَه القَزْوينيُّ، و ماجه لَقَبُ يزيد.

وبهذا السَّند نروي كتابه في "التفسير".

قال ابن ماجه: حدَّثنا جُبَارةُ بن المُغَلِّس: حدَّثنا كثير بن سُلَيمٍ قال: سمعتُ أنس بن مالكٍ رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: **«مَن أحبَّ أَنْ يُكْثِرَ اللهُ خَيرَ بيته فليتوضَّأ إذا حَضَرَ غَدَاؤُهُ وإذا رُفِعَ»**. والمراد بالوضوء فيه غَسْلُ اليدين.

كتاب "الموطأ" للإمام مالك

أنبأنا به سعيد بن أحمد الفرَّا الدمشقيُّ: أنبأنا علاء الدين بن محمَّد بن عمر الحسينيُّ: أنبأنا أبي: أنبأنا محمَّد بن عبدالرحمن الكُزُبَريُّ: أنبأنا أبي: أنبأنا أبو المواهب الحنبليُّ: أنبأنا أبي: أنبأنا شمس الدِّين محمَّد بن عبدالله الأنصاريُّ: أنبأنا محمَّد بن الخليل اليَشْبكيُّ: أخبرنا أبو الفضل الحافظ: أخبرنا أبو إسحاق التَّنوخيُّ: أخبرنا أبو عبدالله محمَّد بن جابر بن محمَّد القَيْسِيُّ الوادِيآشِي: أخبرنا أبو محمَّد عبدالله بن محمَّد بن هارون: أخبرنا أبو القاسم أحمد بن يزيد بن أحمد بن بَقِيٍّ: أخبرنا محمَّد بن عبدالحق الخَزْرَجيُّ: أخبرنا محمَّد بن فرج مَوْلَى ابن الطَّلَّاع: أخبرنا يونس بن عبدالله بن مُغيث الصَّفَّار: أخبرنا أبو عيسى يحيى بن عبدالله بن يحيى بن يحيى بن يحيى اللَّيْثي: أخبرنا عمُّ أبي عُبيدالله بن يحيى بن يحيى: أخبرنا أبي: أخبرنا الإمام أبو عبدالله مالك بن أنس الأصبحي إمام دار الهجرة وعالم الحجاز.

قال مالكٌ: عن عبدالله بن دينار، عن عبدالله بن عمر: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ بلالًا يُنادي بليلٍ فكُلُوا واشْرَبُوا حتَّى يُنادي ابنُ أمِّ مَكْتومٍ**».

ولنا أسانيد أخرى إلى هذه الكتب وغيرها حذفناها اختصارًا.

وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه.

٨- أسماء شيوخي[١]

١. أحمد بن محمد بن الصِّدِّيق.

٢. أحمد بن محمَّد بن محمَّد الدلبشاني الضرير.

٣. أحمد بن عبد العزيز رافع الطهطاوي، سمعت منه حديث الأوَّليَّة.

٤. أبو شعيب بن عبد الرحمن الدكالي.

٥. أبو النَّصْر القَاوقجيُّ، سمعتُ منه حديث الأوَّلِيَّة.

٦. الطاهر بن عاشور، شيخ المالكية بتونس.

٧. أبو القاسم الدبَّاغ.

٨. خليل الخالدي.

٩. طه الشعبيني.

١٠. عبد الحي الكتاني، سمعت منه حديث الأوَّلية.

١١. عبد الباقي الأنصاري.

١٢. عبد القادر شلبي.

١٣. عبد المجيد بن إبراهيم بن محمد السنديوني اللبان، سمعت منه حديث الأولية.

١٤. عبد الغني طموم.

---

(١) هذه الأسماء وُجِدَت بخطِّ سيدي العلَّامة عبدالله بن الصِّدِّيق الغُماريِّ رحمه الله في مكتبته بعد انتقاله رضي الله عنه، وقد وضعنا نسخة منها في مقدِّمة الكتاب بخطِّه الشريف، تيمُّنًا بذكر مشايخه رضي الله عنهم.

١٥. عبد الحسين شرف الدين الموسوي شيعي إمامي.

١٦. عبد الواسع اليماني.

١٧. عمر حَمْدان.

١٨. العبَّاس بن أبي بكر.

١٩. عبد الحفيظ الفاسي القاضي.

٢٠. عويد نصر الخزاعي المكي.

٢١. محمد إمام السقَّا.

٢٢. محمد بدر الدِّين الدمشقي.

٢٣. محمد سعيد الفرا الدمشقي.

٢٤. محمد بخيت المطيعي.

٢٥. محمد بن إدريس القادري.

٢٦. محمد الخضر التونسي شيخ الجامع الأزهر.

٢٧. محمد راغب الطبَّاخ الحلبي.

٢٨. محمد بن الحاج.

٢٩. محمد كمال الدين القاوقجي.

٣٠. محمد زبارة اليمني الحسيني.

٣١. محمد الحلبي من كبار علماء الأزهر.

٣٢. محمد السمالوطي من كبار علماء الأزهر.

٣٣. محمد عبد اللطيف خضير الدمياطي.

٣٤. محمد المهدي بن محمد العربي العزوزي.

٣٥. محمد دويدار الكفراوي التلاوي.

٣٦. محمد زاهد الكوثري.

٣٧. محمد محمود خفاجي شيخ علماء دمياط.

٣٨. محمود إمام عبد الرحمن، سمعت منه حديث الأَوَّلِيَّة وأجازني به عن الشيخ الحلواني وليس عنده غيره.

٣٩. المكي البطاوري.

٤٠. فتح الله البناني.

٤١. محسن بن ناصر باحربه اليمني الحضرمي.

٤٢. يوسف النبهاني.

٩- إجازات السيد عبدالله لبعض معاصريه

الإجازة المكية

التي أجاز بها في موسم حج ١٤٠١ بالحرمين الشريفين ثم في سنوات متتالية

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وأصحابه وبعد:

فقد طلب مِني/ .....

أن أجيز له بمروياتي عن مشايخي الذين رويت عنهم وتلقيت، فأجبته إلى رغبته راجيًا أن تنالني دعوة صالحة منه، فقلت متوكلًا على الله ومعتمدًا في كل أموري عليه، أجزت الأستاذ الفاضل المذكور بجميع ما أجازني به مشايخي من مسموعات ومرويات، وهم كثيرون:

منهم والدي العارف بالله تعالى، القدوة، سيدي محمد بن الصديق الغماري، يروي عن شيخ الجماعة أحمد بن الخياط الزكاري، والمهدي الوزاني، وأبي سالم الامرائي، وغيرهم كما في "التصور والتصديق" المطبوع.

ومنهم شيخنا خطيب الجامع الأزهر المعمور سابقًا أبو عبد الله محمد إمام ابن إبراهيم السقا ابن الشيخ علي ابن الشيخ حسن شلبي الشبرابخومي الشهير بالسقا، وهو يروي عن والده الشيخ إبراهيم السقا شيخ الشافعية في وقته، عن شيخه العلامة الشيخ ثعيلب، عن الشيخ الشهاب الملوي والشيخ الشهاب الجوهري، عن شيخهما الشيخ عبد الله بن سالم البصري صاحب الثبت المشهور.

(ح) ويروي الشيخ إبراهيم السقا عن الشيخ محمد الأمير الصغير المالكي، عن والده الشيخ محمد الأمير الكبير صاحب الثبت المشهور.

ومنهم شيخنا عالم الشام محمد بدر الدين الدمشقي، وهو يروي عن الشيخ إبراهيم السقا بأسانيده السابقة.

ومنهم شيخنا العلامة شيخ علماء مصر الشيخ محمد بخيت المطيعي الحنفي، وهو يروي عن مشايخ عدة منهم شيخ المالكية في وقته الشيخ محمد عليش، عن الأمير الصغير، عن والده.

ويروي أيضًا عن الشيخ عبدالرحمن الشربيني، عن الشيخ إبراهيم السقا المذكور.

ويروي أيضًا عن ضياء الدين أحمد بن مصطفى الخالدي الكمشخانوي صاحب كتاب "راموز الأحاديث" وشرحه المطبوعين، عن شهاب الدين أحمد ابن سليمان الأروادي، عن عبدالرحمن الكزبري، وابن عابدين، والباجوري، وللأولين ثبتان معروفان.

ومنهم الأخوان الفاضلان محمد كمال الدين وأخوه أبو النصر ولدا أبي المحاسن محمد بن خليل القاوقجي المشهور، وهما عن والدهما، عن الشيخ عابد السندي بما في ثبته المشهور.

ومنهم شيخ علماء دمياط محمد محمود خفاجة الدمياطي عن القاوقجي.

ومنهم الشيخ عويد المكي الخزاعي الضرير، وهو عن العلامة الأديب الشيخ عبدالهادي نجا الأبياري بما في كتبه.

ومنهم المعمر محمد دويدار الكفراوي التلاوي، وهو يروي بالعامة عن إبراهيم الباجوري، عن الأمير الكبير.

ومنهم الشيخ محمد بن إبراهيم السمالوطي -العلامة المشهور- وهو يروي عن إبراهيم السقا والشمس الإنبابي وغيرهما.

ومنهم شيخنا مسند الديار المصرية السيد أحمد بن عبدالعزيز بن رافع الطهطاوي الحسيني صاحب "المسعى الحميد"، يروي عن الشيخ شمس الدين الإنبابي الذي أفرد له ترجمة خاصة في كتاب خاص اسمه "القول الإيجابي في ترجمة شمس الدين الإنبابي" استوفى ذكر شيوخ الإنبابي وأسانيده، وهو مطبوع، وللسيد أحمد رافع شيوخ آخرون.

ومنهم شيخنا السيد محمد بن إدريس القادري صاحب "إزالة الدهش والوله عن المتحير في حديث: زمزم لما شرب له"، وشرح "جامع الترمذي"، يروي عن السيد محمد بن قاسم القادري، والسيد محمد بن جعفر الكتاني.

ومنهم شيخنا أبو حامد المكي البطاوي الرباطي، يروي عن أبي الحسن علي بن سليمان البوجمعوي محشي الكتب الستة وصاحب الثبت المعروف.

وأروي عن شقيقنا الحافظ السيد أحمد بن محمد بن الصديق، والعلامة عبدالمجيد اللبان، والمؤرخ السيد محمد زبارة الحسني، والأصولي أبي حسنين محمد بن حسنين مخلوف العدوي، رحمهم الله وأثابهم رضاه.

وأروي الحديث المسلسل بالأولية عن عدة من السادة العلماء من أجلهم السيد أحمد رافع الطهطاوي وهو أول، قال: حدثنا الشمس محمد الأشموني

وهو أول، قال: حدثنا علي بن عيسى النجاري وهو أول، قال: حدثنا محمد بن محمد الأمير المالكي الكبير وهو أول، وبقية السند في ثبته المطبوع.

هذا ما رأينا أن نذكره من مشايخنا إجابة لرغبة السائل الفاضل وتعجيلًا للفائدة المرجوة من الإجازة.

أوصي الأستاذ المجاز أن لا ينساني من صالح دعواته وفقني الله وإياه إلى ما فيه رضاه.

عبد الله بن محمد بن الصديق، عفي عنه

١٤٠١/١١/٢٩

إجازة السيد عبدالله بن محمد بن الصديق الغماري للشيخ العلامة محمد يا سين الفاداني

قال العلامة الشيخ محمد ياسين الفاداني: استجزته كتابيًّا فبعث إليَّ بالإجازة وهي عامَّةٌ لطيفةٌ وهذا نصُّها:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيِّبًا مباركًا فيه كما يحبُّ ربُّنا ويرضاه، والشكر له على ما أولانا من جزيل النِّعم، ودفع عنا من شديد النِّقم، والصلاة والسلام على سيِّدنا محمَّدٍ سند كلِّ موجودٍ، وعلى آله وأصحابه الذين نقلوا إلينا أقواله وأفعاله، ففازوا بنَضَارَةِ الوجوه في الدُّنيا ووَجَاهَةِ القَدْر في الآخرة، رضي الله عنهم وعمَّن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد: فقد كتب إليَّ فضيلة الأستاذ الجليل، والعالم النَّبيل، المحدث المعتني أبي عبدالله محمد ياسين بن عيسى الفاداني المكي يطلب مِنِّي أن أجيز له بمرويَّاتي عن مشايخي الذين رويت عنهم وتلقيت منهم، فأجبته إلى رغبته راجيًا أن تنالني دعوةٌ صالحةٌ منه، فقلت متوكِّلًا على الله ومعتمدًا في كلِّ أموري عليه:

أجزت للأستاذ الفاضل المذكور بجميع ما أجازني به مشايخي من مسموعاتٍ ومرويَّاتٍ ومقروءاتٍ، وهم كثيرون يحويهم ثبتي الذي أعدُّه للطبع بمشيئة الله تعالى، وإني ذاكرٌ هنا بعضهم تعجيلًا للفائدة.

فمنهم شيخنا خطيب الجامع الأزهر المعمور سابقًا أبو عبدالله إمام بن أبي

المعالي إبراهيم السقا ابن الشيخ علي ابن الشيخ حسن شلبي الشبرابخومي الشهير بالسقا، وهو يروي عن والده الشيخ إبراهيم السقا شيخ الشافعية في وقته، عن شيخه العلامة الشيخ ثعيلب، عن الشيخ شهاب الدين الملوي صاحب التآليف الكثيرة، والشيخ أحمد الجوهري صاحب التصانيف العديدة، عن شيخهما الشيخ عبدالله بن سالم البصريِّ صاحب الثبت المشهور.

(ح) ويروي الشيخ إبراهيم السقا أيضًا عن الشيخ محمد محمود الجزائري، عن الشيخ علي بن عبدالقادر بن الأمين، عن الشيخ أحمد الجوهري، عن الشيخ عبدالله بن سالم البصري المذكور.

(ح) ويروي الشيخ إبراهيم السقا عن الشيخ محمد الأمير الصغير المالكيِّ، عن والده الشيخ محمد الأمير الكبير المالكيِّ صاحب الثبت المشهور.

(ح) ويروي شيخنا محمد إمام عن السيِّد أحمد دحلان.

ومنهم شيخنا محدِّث دمشق الشيخ محمد بدر الدين الدمشقيُّ وهو يروي عن الشيخ إبراهيم السقا بأسانيده السابقة.

ومنهم شيخنا العلامة شيخ علماء مصر الشيخ محمد بخيت المطيعي الحنفي وهو يروي عن مشايخ عدة، منهم شيخ المالكية في وقته الشيخ محمد عليش، عن الشيخ محمد الأمير الصغير، عن والده الأمير الكبير صاحب الثبت.

ويروي أيضًا عن الشيخ عبدالرحمن الشربيني شيخ الجامع الأزهر، عن الشيخ إبراهيم السقا المذكور.

ويروي أيضا عن ضياء الدين أحمد بن مصطفى الخالدي الكمشخانوي

الإسلامبولي صاحب كتاب "راموز الأحاديث" وشرحه المطبوعين.

في شهاب الدين أحمد بن سليمان أروادي الطرابلسي، عن المشايخ عبدالرحمن الكزبري، وابن عابدين الحنفي صاحب الكتاب المشهور في المذهب الحنفي، الباجوري شيخ الأزهر، وصاحب التآليف العديدة بأسانيدهم المعروفة في كتبهم ولابن عابدين ثبت معروف.

ومنهم: الأخوان الفاضلان العالمان محمد كمال الدين وأخوه أبو النصر ولدا أبي المحاسن محمد القاوقجي الطرابلسي المشهور، وهما يرويان عن والدهما، عن الشيخ عابد السندي بما في ثبته المشهور.

ومنهم: شيخ علماء دمياط الشيخ محمد محمود خفاجي الدمياطي وهو يروي عن الشيخ أبي المحاسن القاوقجي السابق، ويروي أيضًا عن مفتي مكة وعالمها السيد أحمد دحلان الشافعي المشهور.

ومنهم: الشيخ عويد المكي الخزاعي الضرير وهو يروي عن العلامة الأديب الشيخ عبدالهادي نجا الأبياري بما في كتبه.

ومنهم: الشيخ المعمر محمد دويدار الكفراوي التلاوي وهو يروي عن الشيخ إبراهيم الباجوري بالإجازة العامَّة، والشيخ إبراهيم الباجوري يروي عن الأمير الكبير وعن غيره ممن سيذكر في ثبتنا إن شاء الله.

ومنهم: الشيخ محمد بن ابراهيم السمالوطي المالكي العلامة المشهور، وهو يروي عن الشيخ محمد الخضري الدمياطي، عن الشيخ إبراهيم الباجوري، عن الشيخ عليش بسنده السابق، وعن الشيخ شمس الدين الإنبابي صاحب

المؤلفات المشهور.

ومنهم: شيخنا مسند الديار المصرية السيد أحمد بن عبدالعزيز بن رافع الطهطاوي الحسيني صاحب كتاب "المسعى الحميد إلى بيان وتحرير الأسانيد" وهو أجمع ثبت وأحسنه فيما رأينا إلا أنه لم يطبع، ولو طبع لأغنى عن سائر الأثبات سواه، وهو يروي عن الشيخ شمس الدين الإنبابي الذي أفرد له ترجمة خاصة في كتاب خاص اسمه "القول الإيجابي في ترجمة شمس الدين الإنبابي"، استوفى ذكر شيوخ الإنبابي وأسانيده وهو مطبوع، وللسيد أحمد رافع شيوخ آخرون سنذكرهم في ثبتنا المشار إليه.

هذا ما رأينا أن نذكره من مشايخنا إجابة لرغبة السائل الفاضل وتعجيلًا للفائدة المرجوة من الإجازة، وتفصيل الشيوخ والأسانيد سيراه بحول الله تعالى في ثبتنا المومأ إليه، وإني أوصي الأستاذ المجاز بالتثبُّت والتيقُّظ، وأسأله أن لا ينساني من صالح دعواته خصوصًا في تلك الأماكن الطاهرة المقدَّسة، وفَّقني الله وإياه إلى ما فيه رضاه.

قاله بلسانه وأمضاه ببنانه خادم الحديث والإسناد أبو الفضل والمجد عبدالله محمد الصديق الغماري الحسني، عفى الله عنه بمنه.

في ذي القعدة الحرام سنة (١٣٧٠) أحسن الله ختامها.

إجازة السيد عبدالله بن الصديق للشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري - رحم الله الجميع

الحمد لله ربِّ العالمين والصَّلاة والسَّلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمَّد وآله الأكرمين، ورضي الله عن صحابته والتابعين.

وبعد: فقد طلب منِّي فضيلة الأستاذ الفقيه المحدِّث الشَّيخ إسماعيل بن محمَّد الأنصاري، أنْ أجيز له بمروياتي، فأجبت طلبه، رغبةً في نشر العلم.

فأقول: أجزت للأستاذ المذكور بجميع ما تجوز لي روايته في العلوم الإسلاميَّة، أصولها وفروعها، خصوصًا علم الحديث الذي وقفت حياتي لخدمته، بعد دراستي لعلوم العربيَّة والأصول والفقه المالكي والشَّافعي والتفسير والتوحيد على أصول الأشعريَّة.

وأحيل أسانيدي إلى بعض "الأثبات" المشهورة، ليتصل بها الأستاذ المجاز عن طريقي، والله يوفِّقنا وإيَّاه.

"ثبت الأمير" أرويه عن شيخنا مسند العصر السَّيد أحمد بن محمَّد بن عبدالعزيز بن رافع الحسيني الطهطاويِّ، عن عليِّ بن خليل الأسيوطيِّ، عن عليِّ بن عبدالحق القوصي عن مؤلِّفه.

وأرويه عاليًا عن شيخنا المعمّر الشَّيخ محمَّد الكفراوي دويدار التلاوي الشَّافعيِّ، عن الشَّيخ إبراهيم الباجوري عن مؤلِّفه.

"ثبت الشَّيخ عبدالله بن سالم البصري"، أرويه عن شيخنا محمَّد إمام السَّقا خطيب الجامع الأزهر، وبدر الدِّين الحسني الدِّمشقي، ويوسف النَّبهاني، عن

والد الأول الشَّيخ إبراهيم السَّقا، عن الشَّيخ محمَّد بن سالم بن ناصر الفشني الشَّهير بثعيلب، عن الشهابين أحمد بن الحسن الجوهري، وأحمد بن عبدالفتاح الملوي كلاهما عن مؤلِّفه.

«أثبات السَّيد محمد بن علي السَّنوسي»، أرويها عن السَّيد أبي القاسم بن مسعود الدبَّاغ الحسني، عن الشَّيخ فالح بن محمَّد المهنوي بها في ثبته، وفيه روايته عن السَّنوسي.

«أثبات السيد مرتضىٰ الزبيدي» أرويها عن الشَّيخ محمَّد بن محمَّد الحلبي، عن الشَّيخ أحمد شرف الدين المرصفي، عن أخيه شمس الدين المرصفي، عن دواد القلعي، عن السَّيد مرتضىٰ.

وأرويها عاليًا عن شيخنا القاضي عبدالحفيظ الفاسي، عن السَّيد يوسف السويدي العباسي من ذريَّة أمير المؤمنين هارون الرشيد، عن السَّيد مرتضىٰ، وهو واسع الرِّواية كما قال في "ألفيَّة السند":

وقَلَّ أنْ ترىٰ كتابًا يُعْتَمَدْ ... إلَّا ولي فيه اتصالٌ بالسَّنَدْ

أو عالمًا إلَّا ولي إليه ... وسائِطٌ توقِفُني عليه

وعن طريقه يمكن الاتصال بالمعاجم والأثبات المختلفة.

وأُحيل الأستاذ المجاز علىٰ "المعجم الوجيز" لأخي أبي الفيض، فإنِّي أرويه عنه، وأشاركه في كثيرٍ من شيوخه، كما أروي "التحرير الوجيز" عن مؤلِّفه الشَّيخ محمَّد زاهد الكوثري.

وأروي الثبت والمسلسلات عن مؤلفهما الشَّيخ محمَّد عبدالباقي الأنصاري

المدني، ومن شيوخه خاله علَّامة الهند الشَّيخ عبدالحي اللكنوي.

وأروي «أثبات أبي المحاسن القاوقجي ومسلسلاته»، عن ولديه أبي النَّصر وكمال الدين، وتلميذه محمَّد محمود خفاجة الدِّمياطي عنه.

وأروي "ثبت الشيخ علي بن سليمان البوجمعوي" مُحَشِّي الكتب الستة، عن الشَّيخ المكي بن محمَّد بن علي البطاوري عنه.

وأروي "ثبت اليانع الجني بأسانيد عبدالغني"، عن السَّيد محمد بن إدريس القادري، عن علي بن ظاهر الوتري، عن عبدالغني بن أبي سعيد الدَّهلوي.

وأروي "عقد اليواقيت الجوهريَّة" للسَّيد عيدروس بن عمر الحِبْشي الباعلوي، عن الشَّيخ محسن بن ناصر باحربه شيخ رواق اليمن بالأزهر عنه.

وأروي "ثبت الشَّيخ عبدالله الشبراوي"، عن الشَّيخ محمَّد دويدار، عن الشَّيخ إبراهيم الباجوري، عن الشَّيخ حسن القويسني عن أبي هريرة داود محمَّد القلعي، عن الشَّيخ أحمد السحيمي، عن مؤلِّفه.

وأروي "ثبت الشنواني"، عن السَّيد أحمد رافع، عن الشَّيخ الإنبابي، عن الشَّيخ مصطفى المبلط، عن الشَّيخ محمَّد بن علي بن منصور الشنواني مؤلِّف "الثبت".

وأروي "فهرس الفهارس" عن مؤلِّفه السَّيد عبدالحي الكتاني ،وسمعت منه حديث الرَّحمة، ومن السَّيد أحمد رافع الطهطاوي الحنفي، ومن الشَّيخ محمود الإمام عبدالرحمن المنصوري الحنفي رحمه الله، وكان علَّامة محقِّقًا، ولم

يرو إلَّا هذا الحديث، سمعه من شيخه الشَّيخ أحمد الحلواني الشَّافعي.

وأجزتُ للأستاذ المذكور أن يروي عنِّي مؤلَّفاتي، وما كتبته من بحوثٍ وتعليقات.

ومن شيوخي والدي الإمام الحافظ أبو عبدالله محمَّد بن الصِّديق، وشقيقي الحافظ أبو الفيض أحمد بن الصِّديق، والشَّيخ محمَّد بن الحاج السلمي المرداسي، والسَّيد الحبيب المهاجي، والشَّيخ عباس بنَّاني، وشيخ الجماعة السَّيد أحمد بن الجيلاني، وشيخ الجماعة مولاي عبدالله الفضيلي العلوي، ومولاي أحمد القادري، والسَّيد إدريس المراكشي إمام جامع القرويين بفاس وغيرهم، رحمهم الله وأثابهم رضاه.

وأرجو من الأستاذ المجاز ألَّا ينساني من دعواته الصَّالحات، لا سيما مظانِّ الإجابات، والله يرزقنا وإيَّاه الهداية والتوفيق.

وكتب

أبو الفضل عبدالله بن محمَّد بن الصَّديق

الغماري الحسني عفا الله عنه.

تحريرًا في ٩ ربيع النَّبوي الأنور عام ١٤٠٠

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

١ - تَوْجِيهُ العِنايَةِ لتَعْرِيفِ عِلْمِ الحَدِيثِ رِوَايةً و دِرايةً

مُقدِّمة ٩
خطبة الكتاب..... ٩
تمهيد..... ١٠
التنقيح..... ١٤
علم الحديث..... ١٥
أوَّل مَن وَضَعَ عِلْمَ الحديث ١٨
مراتب أهل الحديث..... ١٩
رُتب الحِفْظ عند المُحدِّثين ٢٠
تنبيهات هامَّة ٣٥
خاتمة ٣٦

٢ - الأربعون الغُماريَّة في شُكْرِ النِّعَمِ

خطبة الكتاب..... ٣٩
في بعض هذه الأحاديث ضعف وحكم العمل بالضعيف في الفضائل ٣٩
هذه الأحاديث جردها المصنف من كتاب "الشكر" لابن أبي الدنيا وعددها ستة وأربعون حديثًا..... ٤٠
مُقدِّمة ٤٢
شروط العمل بالضعيف في الفضائل ٤٤

الحديث الأول: «مَا أَنْعَمَ الله عَلَىٰ عَبْدٍ نِعْمَةً في أَهْلٍ أَوْ مَالٍ أَوْ وَلَدٍ...» الحديث ٤٦
الحديث الثاني: «يا عائشةُ، أَحْسِنِي جِوارَ نِعَمِ اللهِ عزَّ وجلَّ، فإنها قلَّما نَفَرَتْ عن أهلِ بيتٍ فكادت أن تَرْجِعَ إليهم» ٤٧
الحديث الثالث: «لا يرزُقُ اللهُ عزَّ وجلَّ عبدًا الشكرَ فيحرمُهُ الزيادةَ لأنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يقول: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ ٤٨
الحديث الرابع: «إنك لَتَحْمَدُ اللهَ علىٰ نعمةٍ عظيمةٍ» ٤٩
الحديث الخامس: «الحمد لله الذي يُطعِم ولا يُطعَم، منَّ علينا فهَدَانا، وأَطْعَمَنا وسَقَانا...» الحديث ٥٠
الحديث السادس: «اللهُمَّ إني أعوذُ بك من زوالِ نِعمتِكَ وَفَجْأَةِ نِقمتِكَ وَتَحَوُّلِ عافيتِكَ وجميعِ سَخَطِكَ» ٥١
الحديث السابع: «يُؤتَىٰ بالنِّعم يوم القيامة والحسناتِ والسيئاتِ، فيقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ لنعمةٍ من نِعَمِهِ: خذي حَقَّكَ مِن حسناتِهِ، فما تترُكُ له حَسَنَةً إلَّا ذَهَبَتْ بها» ٥١
الحديث الثامن: «إذا رَأيتَ اللهَ عزَّ وجلَّ يُعْطِي العبادَ ما يشاءون، علىٰ مَعاصِيهِم إيَّاهُ فذلك استِدْرَاجٌ منه لهم» ٥٢
الحديث التاسع: «أَرْبَعٌ مَنْ أُعْطِيَهُنَّ فَقَدْ أُعْطِيَ خَيْرَ الدُّنْيَا والآخِرَةِ: قلبٌ شاكرٌ، ولسانٌ ذاكِرٌ، وبَدَنٌ علىٰ البَلاءِ صابرٌ، وزَوْجَةٌ لا تَبغِيهِ خَوْنًا في نَفْسِها ولا مالِهِ» ٥٣

الحديث العاشر: أنَّ رجلًا كان يأتي النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فيسلِّم عليه فيقول النبيُّ: «كيف أصبحتَ؟» فيقول الرجل: إليك أحمد الله...» الحديث ٥٣
الحديث الحادي عشر: «ما أنعمَ اللهُ علىٰ عَبْدٍ نِعْمَةً فَعَلِمَ أنَّها مِن عندِ الله إلَّا كُتِبَ له شُكْرُهَا...» الحديث..... ٥٤
الحديث الثاني عشر: «ما مِن عَبْدٍ تَوَكَّلَ بعِبَادَةِ الله إلَّا غُرِّمَ السَّماواتُ والأرضُ...» الحديث..... ٥٥
الحديث الثالث عشر: «إذا أنعمَ اللهُ علىٰ عبد نعمةً أَحَبَّ أن يَرَىٰ أَثَرَ نِعمَتِهِ علىٰ عبدِهِ»..... ٥٦
الحديث الرابع عشر: «كُلُوا واشْرَبُوا وتَصَدَّقُوا في غير مَخِيلَةٍ ولا سَرَفٍ فإن اللهَ عزَّ وجلَّ يُحِبُّ أن يَرَىٰ أَثَرَ نعمتِهِ علىٰ عبدِهِ»..... ٥٧
الحديث الخامس عشر: عن أبي الأحوص عن أبيه قال: أتيتُ رسولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وأنا قَشِفُ الهيئة فقال: «هَلْ لَكَ مِنْ مَالٍ؟...» الحديث... ٥٧
الحديث السادس عشر: «إن اللهَ يُحِبُّ أن يَرَىٰ أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَىٰ عَبْدِهِ في مَأكَلِهِ ومَشْرَبِهِ»..... ٥٨
الحديث السابع عشر: «من أُعطي خيرًا فرُئي عليه سُمِّي حبيبَ الله مُحدِّثًا بنعمة الله، ومن أُعطي خيرًا فلم يُرَ عليه سُمِّي بَغيضَ الله مُعاديًا لنعمة الله» ٥٨
الحديث الثامن عشر: «التَّحَدُّثُ بِالنِّعَمِ شُكْرٌ، وَتَرْكُهَا كُفْرٌ، وَمَنْ لا يَشْكُرُ الْقَلِيلَ لا يَشْكُرُ الْكَثِيرَ، وَمَنْ لا يَشْكُرُ النَّاسَ لا يَشْكُرُ اللهَ، وَالْجَمَاعَةُ بَرَكَةٌ، وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ»..... ٥٩

الحديث التاسع عشر: عن ابن عمر: أن رسولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قَرَأَ سُورَةَ الرَّحمنِ أو قُرِئَتْ عندَهُ، فقال: «مَا لِي أَسْمَعُ الْجِنَّ خَيْرًا مِنكُم جَوَابًا لِرَبِّهَا...» الحديث ٦١

الحديث العشرون: لما قَرَأَ رسولُ الله صَلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم (سُورةَ الرَّحمنِ) عَلَىٰ أَصْحَابِهِ، قَالَ حِينَ فَرَغَ مِنْهَا: «مَا لِي أَرَاكُمْ سُكُوتًا؟!...» الحديث ٦٢

الحديث الحادي والعشرون: كان رسولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إذا شَرِبَ الماءَ قال: «الْحَمْدُ لله الذي جَعَلَهُ عَذْبًا فُرَاتًا بِرَحْمَتِهِ، وَلَمْ يَجْعَلْهُ مِلْحًا أُجَاجًا بِذُنُوبِنَا» ٦٣

الحديث الثاني والعشرون: قامَ النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حَتَّىٰ انْتَفَخَتْ قَدَمَاهُ، فَقِيلَ لَهُ: يَا نَبِيَّ الله تَكَلَّفُ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ ؟! قال: «أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟!» ٦٤

الحديث الثالث والعشرون: «مَنْ لَبِسَ ثَوبًا -أَحْسَبُهُ قال: جَدِيدًا- فَقَالَ حِينَ يَبْلُغُ تَرْقُوَتَهُ -أَوْ قَالَ: قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ تَرْقُوَتَهُ -مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَىٰ ثَوْبِهِ الْخَلِقِ فَكَسَاهُ مِسْكِينًا ...» الحديث ٦٤

الحديث الرابع والعشرون: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ عِنْدِي بِمَنْزِلَةِ كُلِّ خَيْرٍ ؛ يَحْمَدُنِي وَأَنَا أَنْزِعُ نَفْسَهُ مِنْ بَيْنِ جَنْبَيْهِ» ٦٥

الحديث الخامس والعشرون: «إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَعْرِفَ قَدْرَ نِعْمَةِ الله عَلَيْهِ فَلْيَنْظُرْ إِلَىٰ مَنْ هُوَ تَحْتَهُ، وَلا يَنْظُرْ إِلَىٰ مَنْ هُوَ فَوْقَهُ» ٦٦

الحديث السادس والعشرون: «أَفْضَلُ الدُّعَاءِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَفْضَلُ الذِّكْرِ:

الحَمْدُ لله» ٦٧
الحديث السابع والعشرون: بَعَثَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بَعثًا من الأنصارِ وقال: «إِنْ سَلَّمَهُمُ اللهُ وَغَنَّمَهُمْ فَإِنَّ لله عَلَيَّ في ذَلِكَ شُكْرًا...» الحديث..... ٦٩
الحديث الثامن والعشرون: «إِنِّي أُحِبُّكَ، فَقُلْ : اللهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»..... ٦٩
الحديث التاسع والعشرون: «الْحَمْدُ لله الذي سَوَّى خَلْقِي فَعَدَّلَهُ، وَكَرَّمَ صُورَةَ وَجْهِي وَحَسَّنَهَا، وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ»..... ٧١
الحديث الثلاثون: «إِنَّ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلامُ لَمْ يَقُمْ عَنْ خَلاءٍ قَطُّ إِلَّا قَالَ: الْحَمْدُ لله الذي أَذَاقَنِي لَذَّتَهُ، وَأَبْقَى مَنْفَعَتَهُ في جَسَدِي، وَأَخْرَجَ عَنِّي أَذَاهُ» ٧٢
الحديث الحادي والثلاثون: عن أَبِي بَكْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كَانَ إِذَا جَاءَهُ أَمْرٌ يَسُرُّهُ خَرَّ سَاجِدًا شُكْرًا لله..... ٧٣
الحديث الثاني والثلاثون: «لَقِيتُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ فَبَشَّرَنِي وَقَالَ: إِنَّ اللهَ تعالى يَقُولَ لَكَ: مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ صَلَّيْتُ عَلَيْهِ، وَمَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَسَجَدْتُ لله شُكْرًا»..... ٧٥
الحديث الثالث والثلاثون: «يَا عَبَّاسُ يَا عَمَّ النَّبِيِّ، أَكْثِرِ الدُّعَاءَ بِالْعَافِيَةِ». . ٧٦
الحديث الرابع والثلاثون: قام أبو بكرٍ رضي الله عنه على المنبرِ فقال: لقد علمتم ما قام به فيكم رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عامَ أوَّل...» الحديث..... ٧٧

الحديث الخامس والثلاثون: عن جابرِ بن عَبدِالله: أنَّ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قرَأَ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ فقَالَ النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «اللهُمَّ إِنَّكَ أَمَرْتَ بِالدُّعَاءِ...» الحديث..... ٧٨

الحديث السادس والثلاثون: عن مُعَاذٍ رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أَتىٰ علىٰ رجلٍ وهو يقول: اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ تَمَامَ النِّعْمَةِ، فقَالَ: «ابنَ آدَمَ هل تَدْرِي مَا تَمَامُ النِّعْمَةِ؟...» الحديث..... ٨٠

الحديث السابع والثلاثون: «انْظُرُوا إلىٰ من هو أَسْفَلُ مِنكُم فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أن لا تَزْدَرُوا نِعمَةَ الله عَلَيكُم»..... ٨٢

الحديث الثامن والثلاثون: «من قَالَ حِينَ يُصْبِحُ: اللهُمَّ ما أَصْبَحَ بي من نِعْمَةٍ أو بِأَحَدٍ من خَلْقِكَ فمنك وَحْدَكَ لا شَرِيكَ لَكَ...» الحديث..... ٨٣

الحديث التاسع والثلاثون: «من ابْتُلِيَ فَصَبَرَ، وَأُعْطِيَ فَشَكَرَ، وَظُلِمَ فَغَفَرَ، وَظَلَمَ فَاسْتَغْفَرَ...» الحديث..... ٨٤

الحديث الأربعون: «أَكْثِرْ ذِكْرَ المَوْتِ يُسْلِكَ عَمَّا سِوَاهُ...» الحديث..... ٨٤

الحديث الحادي والأربعون: «الحَمدُ لله الذي أَطْعَمَنِي، وَسَقَانِي...» الحديث..... ٨٥

الحديث الثاني والأربعون: «الحَمْدُ لله الَّذِىٰ أَطْعَمَ وَسَقَىٰ وَسَوَّغَهُ وَجَعَلَ لَهُ مَخْرَجًا»..... ٨٦

الحديث الثالث والأربعون: «إِذَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَىٰ عَبْدٍ نِعْمَةً فَحَمِدَهُ عندَها فقد

أدَّىٰ شُكْرَها» ٨٦
الحديث الرابع والأربعون: «الحَمدُ للهِ الذِي خَلَقَنِي فَأَحْسَنَ خَلْقِي وَخُلُقِي...» الحديث ٨٧
الحديث الخامس والأربعون: «من رَأَىٰ صَاحِبَ بَلاَءٍ فَقَالَ: الحَمدُ لله الذِي عَافَانِي...» الحديث ٨٨
الحديث السادس والأربعون: «خَصْلَتَانِ من كَانَتَا فيه كَتَبَهُ اللهُ صَابرًا شَاكرًا...» الحديث ٨٩
خاتمة تشتمل علىٰ مسائل ٩٠
خاتمة الكتاب ٩١

٣- الأربعون حديثا الصديقية

خطبة الكتاب ٩٥
الحديث الأول: «عُرَىٰ الإِسْلَامِ وَقَوَاعِدُ الدِّينِ ثَلَاثَةٌ...» الحديث ٩٦
الحديث الثاني: «من آتَاهُ اللهُ مَالًا فلم يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ لَهُ يَومَ القِيَامَةِ شُجَاعٌ أَقْرَعُ...» الحديث ٩٦
الحديث الثالث: «يَقُولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: إنَّ عَبْدًا صَحَّحْتُ لَهُ جِسْمَهُ وَوَسَّعْتُ عَلَيهِ في المَعِيشَةِ تَمْضِي عَلَيهِ خَمْسَةُ أَعْوَامٍ لا يَفِدُ إليَّ لَمَحْرُومٌ» ٩٧
الحديث الرابع: «مَا تَرَكَ قَوْمٌ الجِهَادَ إِلاَّ عَمَّهُمُ اللهُ بِالْعَذَابِ» ٩٨
الحديث الخامس: «من رَغِبَ عن سُنَّتِي فَلَيسَ مِنِّي» ٩٨
الحديث السادس: «إنَّ اللهَ حَجَبَ التَّوْبَةَ عن كُلِّ صَاحِبِ بِدْعَةٍ حَتَّىٰ يَدَعَ

بِدْعَتَهُ»..... ٩٩
الحديث السابع: «مَا من عَبْدٍ يَقُومُ في الدُّنْيَا مَقَامَ سُمْعَةٍ وَرِيَاءٍ إلا سَمَّعَ اللهُ بِهِ عَلَىٰ رُءُوسِ الخَلائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ»..... ٩٩
الحديث الثامن: «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ جَسَدٌ غُذِّيَ بِحَرَامٍ»..... ١٠٠
الحديث التاسع: «مَنِ احْتَكَرَ عَلَىٰ المُسْلِمِينَ طَعَامًا، ضَرَبَهُ اللهُ بِالجُذَامِ وَالإِفْلاسِ»..... ١٠٠
الحديث العاشر: «إِذَا ضَنَّ النَّاسُ بِالدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ، وتبايعوا بالعِينَةِ..... ١٠٠
الحديث الحادي عشر: «مَنْ آذَىٰ المُسْلِمِينَ في طُرُقِهِمْ وَجَبَتْ عَلَيْهِ لَعْنَتُهُمْ»..... ١٠١
الحديث الثاني عشر: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ»..... ١٠٢
الحديث الثالث عشر: «مَنْ زَنَىٰ أَوْ شَرِبَ الخَمْرَ نَزَعَ اللهُ مِنْهُ الإيمَانَ كَمَا يَخْلَعُ الإِنْسَانُ القَمِيصَ مِنْ رَأْسِهِ»..... ١٠٢
الحديث الرابع عشر: «كُلُّ ذَنْبٍ عَسَىٰ الله أَنْ يَغْفِرَهُ إِلاّ الرَّجلَ يموتُ مُشْرِكًا أَوْ يَقْتُلُ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا»..... ١٠٤
الحديث الخامس عشر: «إذا أَدَّيْتَ زَكاةَ مالِكَ فقد قَضَيْتَ ما عَلَيْكَ وَمَنْ جَمَعَ مَالًا حَرَامًا ثُمَّ تَصَدَّقَ بِهِ لَمْ يَكُنْ لَهُ فيهِ أَجْرٌ وَكَانَ إِصْرُهُ عَلَيْهِ»..... ١٠٥
الحديث السادس عشر: «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا وَالمَكْرُ وَالخِدَاعُ في النَّارِ»..... ١٠٦
الحديث السابع عشر: «أربَعَةٌ يُبْغِضُهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ؛ البَيَّاعُ الحَلَّافُ، وَالفَقِيرُ المُخْتَالُ، وَالشَّيخُ الزَّانِي، وَالإِمَامُ الجَائِرُ»..... ١٠٧

الحديث الثامن عشر: «إِذَا ظَهَرَ الزِّنَا وَالرِّبَا في قَرْيَةٍ فَقَدْ أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ عَذَابَ الله».....١٠٩
الحديث التاسع عشر: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا...» الحديث ١٠٩
الحديث العشرون: «ثَلاثَةٌ لا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ أَبَدًا: الدَّيُّوثُ مِنَ الرِّجَالِ، وَالرَّجُلَةُ مِنَ النِّسَاءِ، وَمُدْمِنُ الْخَمْرِ».....١١٠
الحديث الحادي والعشرون: «سَبْعَةٌ لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَا يَجْمَعُهُمْ مَعَ العَالَمِينَ وَيُدْخِلُهُمُ النَّارَ في أَوَّلِ الدَّاخِلِينَ إِلَّا أَنْ يَتُوبُوا...» الحديث.....١١١
الحديث الثاني والعشرون: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ الله، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ تُخُومَ الأَرْضِ...» الحديث.....١١٢
الحديث الثالث والعشرون: «إِذَا اسْتَحَلَّتْ أُمَّتِي خَمْسًا فَعَلَيْهِمُ الدَّمَارُ...» الحديث.....١١٣
الحديث الرابع والعشرون: «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسُ خِصَالٍ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ...» الحديث.....١١٤
الحديث الخامس والعشرون: «أَرْبَعٌ في أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ...» الحديث ١١٦
الحديث السادس والعشرون: «مَنْ تَرَدَّىٰ مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ في نَارِ جَهَنَّمَ...» الحديث.....١١٧
الحديث السابع والعشرون: «لَعَنَ رَسُولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم الْمُخَنَّثِينَ مِنَ الرِّجَالِ، وَالْمُتَرَجِّلَاتِ مِنَ النِّسَاءِ».....١١٨

الحديث الثامن والعشرون: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلا يَدْخُلِ الحَمَّامَ إلا بِمِئْزَرٍ...» الحديث.....١١٨
الحديث التاسع والعشرون: «مَنْ حَالَتْ شَفَاعَتُهُ دُونَ حَدٍّ مِنْ حُدُودِ الله فَقَدْ ضَادَّ اللهَ عزَّ وجلَّ...» الحديث ١٢٠
الحديث الثلاثون: « أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ -ثَلَاثًا- الإشْرَاكُ بالله، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، ألا وَشَهَادَةُ الزُّورِ أو قَوْلُ الزُّورِ».....١٢١
الحديث الحادي والثلاثون: «مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فَإِنَّ اللهَ مُعَذِّبُهُ حَتَّىٰ يَنْفُخَ فيهَا الرُّوحَ وَلَيْسَ بِنَافِخٍ فيهَا أَبَدًا».....١٢٢
الحديث الثاني والثلاثون: «مَا مِنْ رَجُلٍ يَلِي أَمْرَ عَشَرَةٍ فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ إِلَّا أَتَىٰ اللهَ عزَّ وجلَّ مَغْلُولًا يَوْمَ القِيَامَةِ يَدُهُ إِلَىٰ عُنُقِهِ، فَكَّهُ بِرُّهُ أَوْ أَوْثَقَهُ إِثْمُهُ...» الحديث.....١٢٤
الحديث الثالث والثلاثون: «إِنَّ التُّجَّارَ هُمُ الْفُجَّارُ...» الحديث.....١٢٦
الحديث الرابع والثلاثون: «مَنْ أَتَىٰ حَائِضًا أَوِ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ،كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عليه وآله وسلَّم» ١٢٦
الحديث الخامس والثلاثون: «مَنْ لَعِبَ بِنَرْدٍ أَوْ نَرْدَشِيرٍ فَقَدْ عَصَىٰ اللهَ وَرَسُولَهُ».....١٢٨
الحديث السادس والثلاثون: لُعِنَتْ الوَاصِلَةُ وَالْمُسْتَوْصِلَةُ وَالنَّامِصَةُ وَالْمُتَنَمِّصَةُ وَالوَاشِمَةُ وَالْمُسْتَوْشِمَةُ مِنْ غَيْرِ دَاءٍ.....١٢٩
الحديث السابع والثلاثون: «يَكُونُ قَوْمٌ يُخَضِّبُونَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ بِالسَّوَادِ

كَحَوَاصِلِ الحَمَامِ لا يَرِيحُونَ رَائِحَةَ الجَنَّةِ»..... ١٣١
الحديث الثامن والثلاثون: «أَيُّما امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ عَلَىٰ قَوْمٍ لِيَجِدُوا رِيحَهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ، وَكُلُّ عَيْنٍ زَانِيَةٌ»..... ١٣٢
الحديث التاسع والثلاثون: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا طَلَاقَهَا مِنْ غَيْرِ مَا بَأْسٍ، فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الجَنَّةِ»..... ١٣٢
الحديث الأربعون: عن أبي هريرة: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لَعَنَ زَوَّارَاتِ القُبُورِ..... ١٣٣
الحديث الحادي والأربعون: «إِنَّ الله حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الأُمَّهَاتِ، وَوَأْدَ البَنَاتِ، وَمَنْعَ وَهَاتِ، وَكَرِهَ لَكُم قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ المَالِ»..... ١٣٤
الحديث الثاني والأربعون: «إِنَّ المُفْلِسَ مِن أُمَّتِي يَأْتِي يَومَ القِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ...» الحديث ١٣٥
الحديث الثالث والأربعون: «بِئْسَ العَبْدُ عَبْدٌ تَجَبَّرَ وَاعْتَدَىٰ وَنَسِيَ الجَبَّارَ الأَعْلَىٰ، بِئْسَ العَبْدُ عَبْدٌ تَخَيَّلَ وَاخْتَالَ وَنَسِيَ الكَبِيرَ المُتَعَالِ...» الحديث ...١٣٦
الحديث الرابع والأربعون: «يَا مُعَاذُ، أُوصِيكَ بِتَقْوَىٰ الله، وَصِدْقِ الحَدِيثِ، وَوَفَاءِ العَهْدِ...» الحديث..... ١٣٧
الحديث الخامس والأربعون: «طُوبَىٰ لِمَنْ تَوَاضَعَ فِي غَيْرِ مَنْقَصَةٍ، وَذَلَّ فِي نَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ...» الحديث..... ١٣٩
الحديث السادس والأربعون: «النَّادِمُ يَنْتَظِرُ مِنَ الله الرَّحْمَةَ، وَالمُعْجَبُ يَنْتَظِرُ المَقْتَ...» الحديث..... ١٤٠

٤- تَمامُ المِنَّةِ ببيانِ الخِصَالِ المُوجِبَةِ للجَنَّةِ

مُقدِّمة ١٤٥
خطبة الكتاب وسبب تصنيفه ١٤٥
الخصلة الأولى: مَنِيحَةُ العَنْزِ ١٤٦
الخصلة الثانية: إِمَاطَةُ الأَذَىٰ عن الطَّرِيقِ..... ١٤٦
(تنبيه): مِن المؤسف الذي ينفطر له قلب المؤمن؛ ما شاع من استعمال الجرائد العربية في لفِّ الأحذية، ومسح الأوساخ والنجاسات، وغير ذلك، مع أنها لا تخلو من آيةٍ أو حديثٍ أو اسم الله تعالي، وهذا إثمٌ كبيرٌ، ويعتبره المالكيَّة رِدَّة عن الإسلام، نعوذ بالله تعالىٰ. (ت)..... ١٤٧
الخصلة الثالثة: سقي بهيمة ١٤٨
(تنبيه): الإسلام بتعاليمه الرحيمة وجه المسلمين إلي رحمة البهائم والعناية بها، وسبق الأوروبيين الذين أنشأوا في آخر الزَّمان جمعية الرِّفق بالحيوان، في حين أنهم يستعبدون بني الإنسان.(ت)..... ١٤٩
الخصلة الرابعة: عِيَادَةُ المَرِيضِ..... ١٤٩
تنبيه: حديث: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا وَجَلَسَ عِنْدَهُ سَاعَةً، أَجْرَىٰ اللهُ لَهُ عَمَلَ أَلْفِ سَنَةٍ لَا يَعْصِي اللهَ فيهَا طَرْفَةَ عَيْنٍ»؛ موضوع..... ١٥١
تنبيه آخر: ينبغي للمريض أن يقدم لمن يعوده شيئًا من مطعوم ١٥١
الخصلة الخامسة: زِيَارَةُ أَخٍ في الله تَعَالىٰ..... ١٥١
خمس خصال متتابعة ذكرت في حديثٍ واحدٍ مرفوعٍ ١٥٢

تنبيه: شاع بين كُتَّاب العصر وأدبائه استعمال «رَضَخَ» بمعنىٰ: خَضَعَ وأطاع، وهو استعمال حادث مُوَلَّد..... ١٥٤
تنبيه: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اعتبرناه خصلة واحدة؛ لأنهما متلازمان..... ١٥٧
أربع خصال: رد السلام، تشميت العاطس، إجابة الدعوة، إتباع الجنازة. ١٥٨
تنبيه: إذا دعي شخص إلىٰ طعام وتبعه آخر من غير دعوة استأذن فيه صاحب البيت..... ١٦٠
تنبيهان: (التنبيه الأول): من أدب العُطاس..... ١٦٢
التنبيه الثاني: في حديث: «إنَّ الله يُحِبُّ العُطَاسَ، وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ...» الحديث..... ١٦٢
الخصلة الخامسة عشرة والسادسة عشرة: البدء بالسلام، وبذل النصيحة. ١٦٢
الخصلة السابعة عشرة: إخراج الأذىٰ من المسجد..... ١٦٥
خمس خصال: التبسُّم في وجه المسلم، إرشاد الضال، البصر لردئ البصر، النهي عن المنكر، إفراغك من دلوك في دلو أخيك..... ١٦٥
خصال أربعة: إسماع الأصمِّ، هداية الأعمىٰ، دلالة المستدلِّ علىٰ حاجته، إعانة الضعيف..... ١٦٧
ثلاث خصال: إعانة الرجل في دابَّته، العدل بين اثنين، الكلمة الطيبة ١٦٨
الخصلة الموفية ثلاثين: التعبير عن الأَرَتِّ..... ١٧٠
الخصلة الواحدة والثلاثون: سَقْيُ المَاءِ..... ١٧٣

ثلاث خصال: وَهْبُ صِلَةِ الحَبْلِ، وَهْبُ الشَّسْعِ، إِينَاسُ الوَحْشَان.....١٧٥
الخصلة الخامسة والثلاثون والسادسة والثلاثون: السماحة في البيع والشراء وفي القضاء والاقتضاء.....١٧٦
الخصلة السابعة والثلاثون والثامنة والثلاثون: إنظار المعسر، التجاوز في النقد.....١٧٧
الخصلة التاسعة والثلاثون: ستر عورة المؤمن.....١٧٩
الخصلة الموفية أربعين: تعزية المسلم أو المسلمة.....١٨٠
خصال أخرىٰ من أنواع الطاعة وأعمال الخير.....١٨١
الحديث الأول: «أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلَامٍ».....١٨٢
تنبيه: هذا الحديث أول حديث ورد بالمدينة وقد تحمَّله راويه وهو غير مُسْلِمٍ ثُمَّ أدَّاه بعد إسلامه.....١٨٣
الحديث الثاني: «لَئِنْ كُنْتَ أَقْصَرْتَ الخُطْبَةَ، لَقَدْ أَعْرَضْتَ المَسْأَلَةَ، أَعْتِقِ النَّسَمَةَ، وَفُكَّ الرَّقَبَةَ...» الحديث.....١٨٣
الحديث الثالث: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ اليَوْمَ صَائِمًا؟...» الحديث.....١٨٥
الحديث الرابع: «خَمْسٌ مَنْ عَمِلَهُنَّ في يَوْمٍ كَتَبَهُ الله مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ: مَنْ عَادَ مَرِيضًا، وَشَهِدَ جِنَازَةً، وَصَامَ يَوْمًا، وَرَاحَ إِلَىٰ الجُمُعَةِ، وَأَعْتَقَ رَقَبَةً».....١٨٦
الحديث الخامس: «يَعْجَبُ رَبُّكَ مِنْ رَاعِي غَنَمٍ عَلَىٰ رَأْسِ شَظِيَّةٍ لِلْجَبَلِ يُؤَذِّنُ بِالصَّلَاةِ وَيُصَلِّي، فَيَقُولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: انْظُرُوا إِلَىٰ عَبْدِي هَذَا يُؤَذِّنُ وَيُقِيمُ

الصَّلَاةَ يَخَافُ مِنِّي، قَدْ غَفَرْتُ لَهُ وَأَدْخَلْتُهُ الجَنَّةَ». ١٨٦
الحديث السادس: «مَنْ أَكَلَ طَيِّبًا، وَعَمِلَ فِي سُنَّةٍ، وَأَمِنَ النَّاسُ بَوَائِقَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ...» الحديث ١٨٧
الحديث السابع: «تَعْبُدُ الله لاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، وتَصُومُ رَمَضَانَ...» الحديث ١٨٨
الحديث الثامن: «تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ وَتَصِلُ الرَّحِمَ» ١٨٨
الحديث التاسع: خَطَبَنَا رَسُولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فَقَالَ: «وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ». ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ أَكَبَّ، فَأَكَبَّ كُلُّ رَجُلٍ مِنَّا يَبْكِي لَا يَدْرِي عَلَى مَاذَا حَلَفَ...» الحديث ١٨٩
الحديث العاشر: «إِنَّ أَوْلِيَاءَ الله المُصَلُّونَ، وَمَنْ يُقِيمُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسَ الَّتِي كَتَبَهُنَّ اللهُ عَلَيهِ، وَيَصُومُ رَمَضَانَ وَيَحْتَسِبُ صَوْمَهُ، وَيُؤْتِي الزَكَاةَ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ، وَيَجْتَنِبُ الكَبَائِرَ الَّتِي نَهَى اللهُ عَنْهَا...» الحديث ١٨٩
الحديث الحادي عشر: «خَمْسٌ مَنْ جَاءَ بِهِنَّ مَعَ إِيمَانٍ دَخَلَ الجَنَّةَ...» الحديث ١٩١
الحديث الثاني عشر: «اكْفُلُوا لِي بِسِتٍّ أَكْفُلْ لَكُمُ الجَنَّةَ...» الحديث ١٩٢
الحديث الثالث عشر: «مَنْ بَنَى مَسْجِدًا يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ الله بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الجَنَّةِ» ١٩٣
الحديث الرابع عشر: «أَهْلُ الجَنَّةِ ثَلاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ

رَقِيقُ القَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَىٰ وَمُسْلِمٌ، وعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ» ١٩٣
الحديث الخامس عشر: «مَنْ أَذَّنَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ، وَكُتِبَتْ لَهُ بِتَأْذِينِهِ كُلَّ يَوْمٍ سِتُّونَ حَسَنَةً، وَبِكُلِّ إِقَامَةٍ ثَلاثُونَ حَسَنَةً» ١٩٤
الحديث السادس عشر: «مَنْ قَالَ مِثْلَ هَذَا يَقِينًا دَخَلَ الجَنَّةَ» ١٩٤
الحديث السابع عشر: «إِذَا قَالَ: المُؤَذِّنُ اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ...» الحديث.....١٩٥
الحديث الثامن عشر: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ الْوُضُوءَ، وَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ يُقْبِلُ بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ عَلَيْهِمَا إِلاَّ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ».....١٩٧
الحديث التاسع عشر: «يَا بِلاَلُ بِمَ سَبَقْتَنِي إِلَى الجَنَّةِ؟ إِنِّي دَخَلْتُ البَارِحَةَ الجَنَّةَ فَسَمِعْتُ خَشْخَشَتَكَ أَمَامِي».....١٩٧
الحديث العشرون: «مَنْ غَدَا إِلَى المَسْجِدِ أَوْ رَاحَ، أَعَدَّ اللهُ لَهُ نُزُلًا فِي الجَنَّةِ كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ» ١٩٩
الحديث الحادي والعشرون: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّي لله تَعَالَى فِي كُلِّ يَوْمٍ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً -غَيْرَ الفَرِيضَةِ- إِلَّا بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الجَنَّةِ».....١٩٩
الحديث الثاني والعشرون: «مَنْ صَلَّى البَرْدَيْنِ دَخَلَ الجَنَّةَ» ١٩٩
الحديث الثالث والعشرون: عن أنس: أَنَّ رَسُولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بَعَثَ رَجُلا عَلَى سَرِيَّةٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ لأَصْحَابِهِ فِي صَلاتِهِمْ فَيَفتتح بِـ «قل هو الله أحد...» الحديث.....٢٠٠
الحديث الرابع والعشرون: عن أبي هريرة قال: أَقْبَلْتُ مَعَ رَسُولِ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فَسَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فَقَالَ رَسُولُ الله

صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «وَجَبَتْ...» الحديث.....٢٠١
الحديث الخامس والعشرون: «سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ العَبْدُ: اللهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ...» الحديث.....٢٠١
الحديث السادس والعشرون: «إِذَا اضْطَجَعَ أَحَدُكُمْ عَلَى جَنْبِهِ الأَيْمَنِ، ثُمَّ قَالَ: اللهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ...» الحديث.....٢٠٢
الحديث السابع والعشرين: «إِذَا أَوَى الرَّجُلُ إِلَى فِرَاشِهِ ابْتَدَرَهُ مَلَكٌ وَشَيْطَانٌ...» الحديث.....٢٠٣
الحديث الثامن والعشرون: «مَنْ يَكْفُلُ لِي أَنْ لَا يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا وَأَتَكَفَّلُ لَهُ بِالجَنَّةِ؟» فَقُلْتُ: أَنَا. فَكَانَ لَا يَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا.....٢٠٥
الحديث التاسع والعشرون: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ -أو فَيُسْبِغُ- الوُضُوءَ ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ».....٢٠٥
الحديث الثلاثون: «مَا مِنْ رَجُلٍ تَعَلَّمَ كَلِمَةً أَوْ كَلِمَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا أَوْ خَمْسًا مِمَّا فَرَضَ اللهُ عزَّ وجلَّ فَيَتَعَلَمُهُنَّ وَيُعَلِّمُهُنَّ، إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ».....٢٠٦
الحديث الحادي والثلاثون: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الجَنَّةِ لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ».....٢٠٧
ذم ما يسمى بـ«الكذب الأبيض» وبيان أن جزاءه الويل، وذكر الحالات التي يجوز فيها الكذب لمصلحة شرعية.....٢٠٨

الحديث الثاني والثلاثون: «مَنْ شَهِدَ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأنَّ مُحَمدًا عَبْدهُ ورَسُولُهُ، وَأنَّ عِيسَىٰ عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ ورُوحٌ مِنْهُ، وَأنَّ الجَنَّةَ حَقٌّ، وَأنَّ النَّارَ حَقٌّ، أدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ»..... ٢١٠

الحديث الثالث والثلاثون: «مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ: رضيت رَضِيتُ بِالله رَبًّا، وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، فَأنَا الزَّعِيمُ لَآخُذَنَّ بِيَدِهِ حَتَّىٰ أُدْخِلَهُ الجَنَّةَ»..... ٢١٢

الحديث الرابع والثلاثون: «مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّة...» الحديث..... ٢١٢

الحديث الخامس والثلاثون: «مَنْ عَلِمَ أَنَّ الصَّلاةَ حَقٌّ وَاجِبٌ دَخَلَ الجَنَّةَ»..... ٢١٣

الحديث السادس والثلاثون: «مَنْ حَافَظَ عَلَىٰ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ؛ رُكُوعِهِنَّ وَسُجُودِهِنَّ وَمَوَاقِيتِهِنَّ، وَعَلِمَ أَنَّهُنَّ حَقٌّ مِنْ عِنْدِ الله، دَخَلَ الجَنَّةَ»..... ٢١٣

الحديث السابع والثلاثون: «خَصْلَتَانِ أَوْ خَلَّتَانِ لَا يُحَافِظُ عَلَيْهِمَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ...» الحديث..... ٢١٤

الحديث الثامن والثلاثون: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَىٰ خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُم شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ...» الحديث..... ٢١٦

الحديث التاسع والثلاثون: «إنَّ اللهَ يُدْخِلُ بِالسَّهْمِ الوَاحِدِ ثَلاَثَةَ نَفَرٍ الجَنَّةَ...» الحديث..... ٢١٧

الحديث الأربعون: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلاَمِهِ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الجَنَّةَ» ٢١٩
تنبيه: ثبت في مناقب الحافظ أبي زُرْعَةَ الرَّازِي أنه لما حضرته الوفاة، سأله بعض الحاضرين أن يروي لهم هذا الحديث، فرواه بإسناده، حتىٰ قال: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلاَمِهِ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ» ففاضت روحه ٢٢٠
الحديث الحادي والأربعون: «أنَّ في الجنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ: الرَّيَّانُ، يدْخلُ مِنْهُ الصَّائمُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ...» الحديث ٢٢٠
الحديث الثاني والأربعون: عن أبي أُمَامَةَ، قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ دُلَّنِي عَلَىٰ عَمَلٍ أَدْخُلُ بِهِ الجَنَّةَ؟ قال: «عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لاَ مِثْلَ لَهُ» ٢٢٠
الحديث الثالث والأربعون: «مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ صَامَ يَوْمًا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ خُتِمَ لَهُ بِهِ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الجَنَّةَ» ٢٢١
الحديث الرابع والأربعون: «عُرِضَ عَلَيَّ أَوَّلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ، وَأَوَّلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ النَّارَ...» الحديث.....٢٢١
الحديث الخامس والأربعون: «يَا شَبَابَ قُرَيْشٍ، احْفَظُوا فُرُوجَكُمْ وَلا تَزْنُوا، أَلا مَنْ حَفِظَ فَرْجَهُ فَلَهُ الْجَنَّةُ».....٢٢٣
الحديث السادس والأربعون: «مَنْ أَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَىٰ الزَّكَاةَ وَصَامَ رَمَضَانَ وَقَرَىٰ الضَّيْفَ دَخَلَ الجَنَّةَ».....٢٢٣
الحديث السابع والأربعون: «مَنْ أَدْخَلَ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سُرُورًا لَمْ يَرْضَ اللهُ لَهُ ثَوَابًا دُونَ الجَنَّةِ» ٢٢٥

الحديث الثامن والأربعون: «العُمْرَةُ إِلَى العُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الجَنَّةُ».....٢٢٥
الحديث التاسع والأربعون: «الحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الجَنَّةُ». قِيلَ: وَمَا بِرُّهُ؟ قَالَ: «إِطْعَامُ الطَّعَامِ وَطِيبُ الكَلَامِ».....٢٢٦
الحديث الخمسون: «تَابِعُوا بَيْنَ الحَجِّ وَالعُمْرَةِ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيانِ الفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالفِضَّةِ. وَلَيْسَ لِلحَجَّةِ المَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلَّا الجَنَّةُ».....٢٢٦
الحديث الحادي والخمسون: «مَا أَهَلَّ مُهِلٌّ قَطُّ وَلَا كَبَّرَ مُكَبِّرٌ قَطُّ إِلَّا بُشِّرَ». قِيلَ: يَا رَسُولَ الله، بِالجَنَّةِ؟ قَالَ: «نَعَمْ».....٢٢٧
الحديث الثاني والخمسون: «مَنْ أَهَلَّ بِحَجَّةٍ أَوْ عُمْرَةٍ مِنَ المَسْجِدِ الأَقْصَى إِلَى المَسْجِدِ الحَرَامِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِه وَمَا تَأَخَّرَ» أو «وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ»...٢٢٨
الحديث الثالث والخمسون: «لَا تَفْعَلْ؛ فَإِنَّ مُقَامَ أَحَدِكُمْ فِي سَبِيلِ الله أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ سَبْعِينَ عَامًا...» الحديث.....٢٢٩
الحديث الرابع والخمسون: «تَكَفَّلَ اللهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ لاَ يُخْرِجُهُ مِنْ بَيْتِهِ إلاَ الجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ، وَتَصْدِيقٌ بِكَلِمَاتِهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ أَوْ يَرُدَّهُ إِلَى سَكَنِهِ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ».....٢٣٠
الحديث الخامس والخمسون: «رِبَاطُ شَهْرٍ خَيْرٌ مِنْ صِيامِ دَهْرٍ، وَمَنْ مَاتَ مُرابِطًا فِي سَبِيلِ الله أَمِنَ مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ وَغُدِيَ عَلَيْهِ بِرِزْقِهِ وَرِيحٍ مِنَ الجَنَّةِ وَيَجْرِي عَلَيْهِ أَجْرُ المُرابِطِ حَتَّى يَبْعَثَهُ الله عزَّ وجلَّ».....٢٣١

الحديث السادس والخمسون: «إِنَّ في الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللهُ لِلمُجَاهِدِينَ في سَبِيلِ الله مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ».....٢٣٢
الحديث السابع والخمسون: «مَنْ يَحْرُسُنَا اللَّيْلَةَ؟...» الحديث.....٢٣٢
الحديث الثامن والخمسون: عَهِدَ إِلَيْنَا رَسُولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في خَمْسٍ مَنْ فَعَلَ وَاحِدَةً مِنْهُنَّ كَانَ ضَامِنًا عَلَىٰ الله عزَّ وجلَّ...» الحديث....٢٣٣
الحديث التاسع والخمسون: «مَنْ قَاتَلَ في سَبِيلِ الله فُوَاقَ نَاقَةٍ فَقَدْ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ، وَمَنْ سَأَلَ الله القَتْلَ مِنْ نَفْسِهِ صَادِقًا ثُمَّ مَاتَ أَوْ قُتِلَ فَإِنَّ لَهُ أَجْرَ شَهِيدٍ».....٢٣٥
الحديث الستون: «مَنْ بَلَغَ العَدُوَّ بِسَهْمٍ رَفَعَ اللهُ لَهُ دَرَجَةً...» الحديث....٢٣٦
الحديث الحادي والستون: عن عَمْرُو بن عَبَسَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يَقُولُ في حِصَارِ الطَّائِفِ: «مَنْ بَلَغَ بِسَهْمٍ فَهُوَ لَهُ دَرَجَةٌ في الجَنَّةِ».....٢٣٦
الحديث الثاني والستون: عن مَعْدَانَ بن أبي طَلْحَةَ، قَالَ: حَاصَرْنَا مَعَ رَسُولِ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم الطَّائِفَ. فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «مَنْ بَلَغَ بِسَهْمٍ فَهُوَ لَهُ دَرَجَةٌ في الجَنَّةِ».....٢٣٦
الحديث الثالث والستون: عن عُتْبَةَ بن عَبْدٍ السُّلَمِيِّ، أَنَّ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قَالَ لأَصْحَابِهِ: «قُومُوا فَقَاتِلُوا». فَرَمَىٰ رَجُلٌ بِسَهْمٍ. فَقَالَ النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «أَوْجَبَ هَذَا».....٢٣٧
الحديث الرابع والستون: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ بِطَرِيقِ الإِسْلَامِ...»

الحديث.....٢٣٧
الحديث الخامس والستون: «أَنَا زَعِيمٌ -وَالزَّعِيمُ الحَمِيلُ- لِمَنْ آمَنَ بِي وَأَسْلَمَ وَهَاجَرَ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الجَنَّةِ وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الجَنَّةِ.....٢٣٨
الحديث السادس والستون: «يَقُولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: المُجَاهِدُ فِي سَبِيلِي هُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ إِنْ قَبَضْتُهُ أَوْرَثْتُهُ الجَنَّةَ، وَإِنْ رَجَعْتُهُ رَجَعْتُهُ بِأَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ». ٢٣٩
الحديث السابع والستون: عن أبي المُنذِرِ: أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ فُلَانًا هَلَكَ فَصَلِّ عَلَيْهِ...» الحديث...٢٤٠
الحديث الثامن والستون: «إِنَّ أَبْوَابَ الجَنَّةِ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ...» الحديث.....٢٤١
الحديث التاسع والستون: «جَاهِدُوا فِي سَبِيلِ الله، فَإِنَّ الجِهَادَ فِي سَبِيلِ الله بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، يُنْجِي اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهِ مِنَ الهَمِّ وَالغَمِّ».....٢٤١
الحديث السبعون: «مَثَلُ المُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ الله كَمَثَلِ القَانِتِ الصَّائِمِ لَا يَفْتُرُ صَلَاةً وَلَا صِيَامًا حَتَّى يُرْجِعَهُ اللهُ إِلَى أَهْلِهِ بِمَا يُرْجِعُهُ إليهم مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ، أَوْ يَتَوَفَّاهُ فَيُدْخِلُهُ الجَنَّةَ».....٢٤٢
الحديث الحادي والسبعون: عن شَدَّادِ بن الهَادِ، أَنَّ رَجُلًا مِنَ الأَعْرَابِ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فَآمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: أُهَاجِرُ مَعَكَ. فَأَوْصَى بِهِ النَّبِيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بَعْضَ أَصْحَابِهِ...» الحديث ٢٤٢
الحديث الثاني والسبعون: «قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ...» الحديث.....٢٤٣

الحديث الثالث والسبعون: «يُؤْتَىٰ بِالرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيَقُولُ اللهُ: يَا ابْنَ آدَمَ كَيْفَ وَجَدْتَ مَنْزِلَكَ؟...» الحديث..... ٢٤٤
الحديث الرابع والسبعون: « القَتْلَىٰ ثَلاثَةٌ: رَجُلٌ مُؤْمِنٌ جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ في سَبِيلِ الله، حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَ العَدُوَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّىٰ يُقْتَلَ، فَذَلِكَ الشَّهِيدُ المُمْتَحَنُ...» الحديث..... ٢٤٥
الحديث الخامس والسبعون: «الذينَ إِنْ يَلْقَوْا في الصَّفِّ لَا يَلْفِتُوا وُجُوهَهُمْ حَتَّىٰ يُقْتَلُوا، أُولَئِكَ يَتَلَبَّطُونَ في الغُرَفِ العُلا مِنَ الجَنَّةِ، وَيَضْحَكُ إِلَيْهِمْ رَبُّكَ، وَإِذَا ضَحِكَ رَبُّكَ إِلَىٰ عَبْدٍ في الدُّنْيَا فَلاَ حِسَابَ عَلَيْهِ»..... ٢٤٦
الحديث السادس والسبعون: «لِلشَّهِيدِ عِنْدَ الله سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ في أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيَرَىٰ مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ...» الحديث..... ٢٤٧
الحديث السابع والسبعون: «إِنَّ لِلشَّهِيدِ عِنْدَ الله سَبْعَ خِصَالٍ...» الحديث..... ٢٤٨
الحديث الثامن والسبعون: «الشُّهَدَاءُ عَلَىٰ بَارِقِ نَهَرٍ بِبَابِ الجَنَّةِ في قُبَّةٍ خَضْرَاءَ يَخْرُجُ عَلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ مِنَ الجَنَّةِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا». ٢٤٩
الحديث التاسع والسبعون: «أَرْوَاحُهُمْ في جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالعَرْشِ...» الحديث..... ٢٤٩
الحديث الثمانون: عن أَنَس: أَنَّ رَجُلًا أَسْوَدَ أَتَىٰ النَّبِيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله إِنِّي رَجُلٌ أَسْوَدُ مُنْتِنُ الرِّيحِ قَبِيحُ الْوَجْهِ لا مَالَ لِي، فَإِنْ أَنَا قَاتَلْتُ هَؤُلاءِ -يَعْنِي المُشْرِكِينَ- حَتَّىٰ أُقْتَلَ، فَأَيْنَ أَنَا؟ قَالَ: «في الجَنَّةِ...»

الحديث..... ٢٥٠
الحديث الحادي والثمانون: «يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الجَنَّةِ، وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الفِرْدَوْسَ الأَعْلَىٰ»..... ٢٥٢
الحديث الثاني والثمانون عن ابن عُمَرَ: أَنَّ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مَرَّ بِخِبَاءِ أَعْرَابِيٍّ وَهُوَ فِي أَصْحَابِهِ يُرِيدُونَ الغَزْوَ...» الحديث ٢٥٣
الحديث الثالث والثمانون: «إِذَا مَاتَ وَلَدُ العَبْدِ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ لِمَلائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ...» الحديث..... ٢٥٤
الحديث الرابع والثمانون: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: ما لِعَبْدِي المُؤمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ - إِذَا قَبَضْتُ صَفيهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيا ثُمَّ احْتَسَبَهُ - إِلَّا الجَنَّةُ»..... ٢٥٤
الحديث الخامس والثمانون: عن مُعَاذِ بن جَبَلٍ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ حَدِّثْنِي بَعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ؟ لَا أَسْأَلُكَ عَنْ شَيْءٍ غَيْرَهُ...» الحديث ٢٥٥
الحديث السادس والثمانون: «مَنْ جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ بَرِيئًا مِنْ ثَلَاثٍ دَخَلَ الجَنَّةَ: الكِبْرِ وَالغُلُولِ وَالدَّيْنِ»..... ٢٥٥
الحديث السابع والثمانون: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فَقَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ عُدِيَ عَلَىٰ مَالِي؟ قَالَ: «فَانْشُدْ بِاللهِ» قَالَ: فَإِنْ أَبَوْا عَلَيَّ؟ قال: «فَانْشُدْ بِاللهِ...» الحديث ٢٥٦
الحديث الثامن والثمانون: «يَجِيءُ صَاحِبُ القُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ القُرْآنُ: يَا رَبِّ حَلِّهِ، فَيُلْبَسُ تَاجَ الكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ زِدْهُ، فَيُلْبَسُ حُلَّةَ الكَرَامَةِ...»

الحديث.....٢٥٧
الحديث التاسع والثمانون: «يُقَالُ لِصَاحِبِ القُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْقَ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا».....٢٥٨
الحديث التسعون: «مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ وَتَعَلَّمَهُ وَعَمِلَ بِهِ، أُلْبِسَ يَوْمَ القِيَامَةِ تَاجًا مِنْ نُورٍ، ضَوْءُهُ مِثْلُ ضَوْءِ الشَّمْسِ، وَالِدَاهُ حُلَّتَيْنِ لَا يُقَوَّمُ لَهُمَا الدُّنْيَا. فَيَقُولَانِ: بِمَ كُسِينَا هَذَا؟ فَيُقَالُ: بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا القُرْآنَ».....٢٥٩
الحديث الحادي والتسعون: «غَنِيمَةُ مَجَالِسِ الذِّكْرِ الجَنَّةُ».....٢٦٠
الحديث الثاني والتسعون: «لَيَبْعَثَنَّ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَقْوَامًا فِي وُجُوهِهِمُ النُّورُ، عَلَىٰ مَنَابِرِ اللُّؤْلُؤِ، يَغْبِطُهُمُ النَّاسُ، لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلا شُهَدَاءَ».....٢٦٠
الحديث الثالث والتسعون: «أَشْهَدُ عِنْدَ اللهِ: لَا يَمُوتُ عَبْدٌ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ ثُمَّ يُسَدِّدُ إِلاَّ سُلِكَ فِي الجَنَّةِ». ٢٦١
الحديث الرابع والتسعون: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الجَنَّةِ».....٢٦١
الحديث الخامس والتسعون: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ شَجَرَةٌ فِي الجَنَّةِ» ٢٦٢
الحديث السادس والتسعون: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ. غُرِسَ لَهُ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ شَجَرَةٌ فِي الجَنَّةِ» ٢٦٢
الحديث السابع والتسعون: عن أبي هريرة، أنَّ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، مَرَّ بِهِ وَهُوَ يَغْرِسُ غَرْسًا فَقَالَ: يَا أَبَا هريرة مَا الذِي تَغْرِسُ؟ قُلْتُ: غِرَاسًا...»

الحديث..... ٢٦٢
الحديث الثامن والتسعون: «أَوَّلُ مَنْ يُدْعَىٰ إِلَىٰ الجَنَّةِ الذِينَ يَحْمَدُونَ اللهَ عزَّ وجلَّ في السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ»..... ٢٦٥
الحديث التاسع والتسعون: «أَلا أَدُلُّكَ عَلَىٰ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ؟، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله»..... ٢٦٧
الحديث المتمم مائة: أَنَّ رَسُولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ مَرَّ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، فَقَالَ لَهُ: «يَا مُحَمَّدُ، مُرْ أُمَّتَكَ فَلْيُكْثِرُوا مِنْ غِرَاسِ الجَنَّةِ فَإِنَّ تُرْبَتَهَا طَيِّبَةٌ وَأَرْضَهَا وَاسِعَةٌ. قَالَ: وَمَا غِرَاسُ الجَنَّةِ؟ قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله»..... ٢٦٧
الحديث الحادي والمائة: «مَنْ قَرَأَ آيَةَ الكُرْسِيِّ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الجَنَّةِ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ»..... ٢٦٨
الحديث الثاني والمائة: «إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي يَقُولُ: يَا وَيْلِي أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِيَ النَّارُ»..... ٢٦٩
الحديث الثالث والمائة: «يَدْعُو اللهُ بِصَاحِبِ الدَّيْنِ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّىٰ يُوقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَيُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ، فِيمَ أَخَذْتَ هَذَا الدَّيْنَ؟...» الحديث..... ٢٧٠
الحديث الرابع والمائة: «عَبْدٌ أَطَاعَ اللهَ وَأَطَاعَ مَوَالِيَهُ أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ قَبْلَ مَوَالِيهِ بِسَبْعِينَ خَرِيفًا، فَيَقُولُ السَّيِّدُ: رَبِّ هَذَا كَانَ عَبْدِي فِي الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: جَازَيْتُهُ بِعَمَلِهِ وَجَازَيْتُكَ بِعَمَلِكَ»..... ٢٧١

الحديث الخامس والمائة: «لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ بَخِيلٌ وَلَا خَبٌّ وَلَا خَائِنٌ وَلَا سَيِّئُ المَلَكَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الجَنَّةِ المَمْلُوكُونَ إِذَا أَحْسَنُوا فيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الله عزَّ وجلَّ، وَفيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَوَالِيهِمْ».....٢٧٨
تنبيه: فيمن يؤتىٰ أجره مرتين: «العَبْدُ المَمْلُوكُ إِذَا أَدَّىٰ حَقَّ الله وَحَقَّ مَوَالِيهِ».....٢٧٩
الحديث السادس والمائة: «مَنْ ضَمَّ يَتِيمًا بَيْنَ أبوين مُسْلِمَيْنِ إِلَىٰ طَعَامِهِ، وَشَرَابِهِ حَتَّىٰ يَسْتَغْنِيَ عَنْهُ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ البَتَّةَ، وَمَنْ أَعْتَقَ امْرَأً مُسْلِمًا كَانَ فَكَاكَهُ مِنَ النَّارِ يُجْزِىٰ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْوًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ».....٢٨٠
الحديث السابع والمائة: «مَنْ قَبَضَ يَتِيمًا مِنْ بَيْنِ المُسْلِمِين إِلَىٰ طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ أَدْخَلَهُ الله الجَنَّةَ البَتَّةَ إِلاَّ أَنْ يَعْمَلَ ذَنْبًا لاَ يُغْفَرُ».....٢٨١
الحديث الثامن والمائة: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وأَنِّي رَسُولُ الله، لَا يَلْقَىٰ اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فَيُحْجَبَ عَنِ الجَنَّةِ».....٢٨١
الحديث التاسع والمائة: «اضْمَنُوا لي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنُ لَكُمُ الجَنَّةَ: اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا اؤْتُمِنْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ».....٢٨٣
الحديث العاشر والمائة: «إِذَا صَلَّتِ المَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا، قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي الجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الجَنَّةِ شِئْتِ؟».....٢٨٤
الحديث الحادي عشر والمائة: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِرِجَالِكُمْ في الجَنَّةِ؟...» الحديث.....٢٨٤

الحديث الثاني عشر والمائة: عن عَائِشَةَ قَالَتْ: جَاءتني مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا فَأَطْعَمْتُها ثَلَاثَ تَمَرَاتٍ، فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ تَمْرَةً، وَرَفَعتْ إِلَىٰ فيهَا تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا...» الحديث.....٢٨٦

الحديث الثالث عشر والمائة: «مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ دَخَلْتُ أَنَا وَهُوَ الجَنَّةَ كَهَاتَيْنِ». وَأَشَارَ بِأُصْبُعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالتِي تَلِيهَا».....٢٨٦

الحديث الرابع عشر والمائة: «مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ أَوْ ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ أَوْ بِنْتَانِ أَوْ أُخْتَانِ فَأَحْسَنَ صُحْبَتَهُنَّ وَاتَّقَىٰ اللهَ فيهِنَّ فَلَهُ الجَنَّةُ».....٢٨٧

الحديث الخامس عشر والمائة: «مَنْ كَانَتْ لَهُ أُنْثَىٰ فَلَمْ يَئِدْهَا وَلَمْ يُهِنْهَا وَلَمْ يُؤْثِرْ وُلْدَهُ -يَعْنِي الذُّكُورَ- عَلَيْهَا أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ».....٢٨٧

الحديث السادس عشر والمائة: «مَنْ كُنَّ لَهُ ثَلاثُ بَنَاتٍ فَصَبَرَ عَلَىٰ لَأْوَائِهِنَّ وَضَرَّائِهِنَّ وَسَرَّائِهِنَّ أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُنَّ...» الحديث ٢٨٧

الحديث السابع عشر والمائة: «أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ في الجَنَّةِ هَكَذَا». وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالوُسْطَىٰ وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا.....٢٨٨

الحديث الثامن عشر والمائة: «أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ، أَنَا وَهُوَ في الجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ». وَأَشَارَ مَالِكٌ بِالسَّبَّابَةِ وَالوُسْطَىٰ ٢٨٨

الحديث التاسع عشر والمائة: «مَنْ ضَمَّ يَتِيمًا بَيْنَ مُسْلِمِينَ في طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ حَتَّىٰ يَسْتَغْنِيَ عَنْهُ، وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ الْبَتَّةَ. وَمَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا ثُمَّ لَمْ يَبَرَّهُمَا ثُمَّ دَخَلَ النَّارَ، فَأَبْعَدَهُ اللهُ، وَأَيُّمَا مُسْلِمٍ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً كَانَتْ فِكَاكَهُ مِنَ النَّارِ».....٢٨٨

الحديث العشرون والمائة: «أنا أوَّلُ مَن يَفْتَحُ بابَ الجنَّةِ، إلَّا أنِّي أرىٰ امرأةً تُبادِرنىٰ فأقول لها: مالك؟ ومَن أنت؟ فتقول: أنا امرأةٌ قعدت علىٰ أيتامٍ لي» ٢٨٩
الحديث الحادي والعشرون والمائة: «ما مِنْ مسلمٍ يموت له ثلاثةٌ من الولدِ لم يبلُغوا الحنثَ إلَّا أدْخَلَه اللهُ الجَنَّة بفضلِ رحمتِه إيَّاهُم» ٢٩٠
الحديث الثاني والعشرون والمائة: «لا يموتُ لإحداكُنَّ ثلاثةٌ من الولد فَتَحْتَسِبُ إلَّا دَخَلَت الجَنَّة». فقالت امرأة منهن: أو اثنان يا رسول الله؟ قال: «أو اثنان» ٢٩٠
الحديث الثالث والعشرون والمائة: «من كان له فرطان من أمتىٰ أدخله الله بهما الجنة». فقالت له عائشة: فمن كان له فرط من أمتك؟ قال: «ومن كان له فرط يا موفَّقَة». قالت: فمن لم يكن له فرط من أمتك؟ قال: «أنا فرط أمتىٰ لن يصابوا بمثلي» ٢٩١
الحديث الرابع والعشرون والمائة: عن قرة بن إياس: أن رجلًا كان يأتي النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ومعه ابن له فقال النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم «تحبه؟» قال: نعم يا رسول الله؛ أحبك الله كما أحبه...» الحديث ٢٩١
الحديث الخامس والعشرون والمائة: «من ولد له ثلاثة أولاد في الإسلام فماتوا قبل أن يبلغوا الحنث أدخله الله الجنة برحمته إياهم...» الحديث ٢٩٢
الحديث السادس والعشرون والمائة: «القضاة ثلاثة: واحد في الجنة واثنان في النار...» الحديث ٢٩٣

الحديث السابع والعشرون والمائة: «إنَّ المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن -وكلتا يديه يمين- الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وَلُوا» ٢٩٣
الحديث الثامن والعشرون والمائة: «يقول الله تعالى: من ترك الخمر وهو يقدر عليه لأسقينه منه في حظيرة القدس، ومن ترك الحرير وهو يقدر عليه لأكسونه إياه في حظيرة القدس» ٢٩٤
الحديث التاسع والعشرون والمائة: «من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه تضمنت له بالجنة» ٢٩٥
الحديث الثلاثون والمائة: «من سرَّه أن يشرف له البنيان وترفع له الدرجات فليعف عمَّن ظلمه ويعط من حرمه ويصل من قطعه» ٢٩٦
الحديث الحادي والثلاثون والمائة: «إذا وقف العباد للحساب جاء قوم واضعوا سيوفهم على رقابهم تقطر دمًا فازدحموا على باب الجنة. فقيل: من هؤلاء؟ قيل الشهداء كانوا أحياء مرزوقين...» الحديث ٢٩٦
الحديث الثاني والثلاثون والمائة: يا رسول الله أردت أن أغزو وقد جئت أستشيرك؟ فقال: «هل لك من أم؟» قال: نعم، قال: «فالزمها فإن الجنة عند رجلها» ٢٩٧
الحديث الثالث والثلاثون والمائة: «الوالد أوسط أبواب الجنة فإن شئت فأضع هذا الباب أو احفظه» ٢٩٨
الحديث الرابع والثلاثون والمائة: «من مات على هذا كان مع النبيين

والصِّدِّيقين والشهداء يوم القيامة هكذا -ونصب أصبعيه- ما لم يعق والديه»..... ٢٩٩
الحديث الخامس والثلاثون والمائة: «تعبدُ اللهَ لا تشرك به شيئًا، وتقيمُ الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم...» الحديث..... ٣٠٠
الحديث السادس والثلاثون والمائة: قال رجل: يا رسول الله، فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها. قال: «هي في النار...» الحديث..... ٣٠١
الحديث السابع والثلاثون والمائة: «من كان وصلة لأخيه إلى ذي سلطان في مُبْلَغ بر أو إدخال سرور، رفعه الله في الدرجات العلا من الجنة»..... ٣٠١
الحديث الثامن والثلاثون والمائة: «الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة. والبذاء من الجفاء والجفاء في النار»..... ٣٠٢
الحديث التاسع والثلاثون والمائة: سئل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ فقال: «تقوى الله وحسن الخلق»... الحديث..... ٣٠٢
الحديث الأربعون والمائة: «لا تغضب، ولك الجنة» ٣٠٣
الحديث الحادي والأربعون والمائة: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يلقي لها بالًا يرفعه الله بها درجات في الجنة...» الحديث ٣٠٣
الحديث الثاني والأربعون والمائة: «يا سراقة ألا أخبرك بأهل الجنة وأهل النار؟» قلت: بلى يا رسول الله. قال: «أما أهل النار فكل جعظرى جواظ مستكبر، وأما أهل الجنة فالضعفاء المغلوبون»..... ٣٠٤

الحديث الثالث والأربعون والمائة: «احتجَّت الجنة والنار، فقالت النار: فيَّ الجبارون والمتكبِّرون. وقالت الجنة: فيَّ ضعفاء المسلمين ومساكينهم...» الحديث..... ٣٠٥

الحديث الرابع والأربعون والمائة: «ألا أخبرك بأهل الجنة؟ كل ضعيفٍ مُسْتَضْعَفٍ لو يُقسم على الله لأبرَّه، ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ مستكبر»..... ٣٠٥

الحديث الخامس والأربعون والمائة: «أليس قد صام بعده رمضان وصلَّى ستة آلاف ركعة وكذا وكذا ركعة صلاة سنة؟»..... ٣٠٦

الحديث السادس والأربعون والمائة: عن عبدالله بن شدَّاد: أن نفرًا من بني عُذْرة ثلاثة، أتوا النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فأسلموا، فقال النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «من يكفيهم؟» قال طلحة: أنا. فكانوا عنده...» الحديث..... ٣٠٧

الحديث السابع والأربعون والمائة: «إن شئتِ صبرتِ ولكِ الجنة، وإن شئتِ دعوتُ الله أن يعافيك»..... ٣٠٨

الحديث الثامن والأربعون والمائة: «إن الله عزَّ وجلَّ قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة»..... ٣٠٩

الحديث التاسع والأربعون والمائة: «من غسَّل ميتًا فكتم عليه غفر الله له أربعين مرة، ومن كفَّن ميتًا كساه الله من سندس وإستبرق في الجنة...» الحديث..... ٣١٠

الحديث الخمسون والمائة: «ما من مسلم يموت فيصلي عليه ثلاثة صفوف من المسلمين إلا أوجب».....٣١١
الحديث الحادي والخمسون والمائة: عن أبي الأسود قال: قدمت المدينة، فجلست إلى عمر رضي الله عنه، فمرت بهم جنازة فأثنوا على صاحبها خيرًا، فقال عمر: وجبت. ثم مر بأخرى فأثنوا على صاحبها خيرًا، فقال عمر: وجبت...» الحديث.....٣١١
الحديث الثاني والخمسون والمائة: «إنَّ أهل الجنة ليتراءون أهل الغُرَفِ من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدريَّ الغابرَ في الأفق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم...» الحديث ٣١٢
الحديث الثالث والخمسون والمائة: «عُرِضت عليَّ الأمم فرأيت النَّبي ومعه الرهيط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي ليس معه أحد. إذ رُفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي...» الحديث.....٣١٢
الحديث الرابع والخمسون والمائة: «إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فضلاء يبتغون مجالس الذكر فإذا وجدوا مجلسًا فيه ذكر قعدوا معهم وحف بعضهم بعضًا بأجنحتهم حتى يملؤوا ما بينهم وبين السماء...» الحديث ٣١٤
الحديث الخامس والخمسون والمائة: «يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة...» الحديث.....٣١٦
الحديث السادس والخمسون والمائة: «من قرأ القرآن فاسْتَظْهَره فأحلَّ حلاله وحرَّم حرامه أدخله الله به الجنة وشفَّعه في عشرة من أهل بيته كلهم قد وَجَبَت

لهم النار» ٣١٨
الحديث السابع والخمسون والمائة: «من قرأ قل هو الله أحد حتى يختمها عشر مرات بنى الله له قصرًا في الجنة» ٣١٨
الحديث الثامن والخمسون والمائة: «ليذْكُرَنَّ اللهَ أقوامٌ في الدنيا على الفُرُش المُمَهَّدَة يُدْخِلَهم الدرجات العلا» ٣١٩
الحديث التاسع والخمسون والمائة: «من قال: لا إله إلا الله مخلصًا دخل الجنة» قيل: وما إخلاصها؟ قال: «أن تحجزه عن محارم الله» ٣١٩
الحديث الستون والمائة: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو الحى الذي لا يموت بيده الخير وهو على كل شئ قدير. لا يريد بها إلا وجه الله أدخله الله بها جنات النعيم» ٣١٩
الحديث الحادي والستون والمائة: «إن الله عزَّ وجلَّ ليدخل بلقمة الخبز وقبصة التمر -ومثله مما ينتفع به المسكين- ثلاثةً الجنة: رب البيت الآمر به، والزوجة تصلحه، والخادم الذي يناول المسكين» ٣٢٠
الحديث الثاني والستون والمائة: «من أطعم مؤمنًا حتى يشبعه من سغب أدخله الله بابًا من أبواب الجنة لا يدخله إلا من كان مثله» ٣٢٠
الحديث الثالث والستون والمائة: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء، والصدقة خفيًا تطفئ غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر وكل معروف صدقة...» ٣٢٠
الحديث الرابع والستون والمائة: «ثلاث من كنَّ فيه نشر الله عليه كنفه وأدخله

جنته: رفق بالضعيف، وشفقة على الوالدين، وإحسان إلى المملوك».....٣٢٢
الحديث الخامس والستون والمائة: «من صام الأربعاء والخميس والجمعة بنى الله له بيتًا في الجنة يرى ظاهره من باطنه وباطنه من ظاهره».....٣٢٢
الحديث السادس والستون والمائة: «من أحيا الليالي الخمس وجبت له الجنة: ليلة التروية، وليلة عرفة، وليلة النحر، وليلة الفطر، وليلة النصف من شعبان».....٣٢٣
الحديث السابع والستون والمائة: «من خرج في هذا الوجه لحج أو عمرة فمات فيه لم يعرض ولم يحاسب وقيل له: ادخل الجنة».....٣٢٣
الحديث الثامن والستون والمائة: «إن هذا البيت دِعامة من دعائم الإسلام فمن حج البيت أو اعتمر فهو ضامن على الله، فإن مات أدخله الله الجنة، وإن رده إلى أهله رده بأجر وغنيمة».....٣٢٤
الحديث التاسع والستون والمائة: «الأعمال عند الله عزَّ وجلَّ سبع: عملان موجبان، وعملان بأمثالهما، وعمل بعشر أمثاله، وعمل بسبعمائة، وعمل لا يعلم ثواب عامله إلا الله عزَّ وجلَّ...» الحديث.....٣٢٤
الحديث السبعون والمائة: أن رجلًا من الحبشة أتى النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: يا رسول الله فضلتم علينا بالألوان والنبوة، أفرأيت إن آمنت بمثل ما آمنت به وعملت بمثل ما عملت به إني لكائن معك في الجنة؟ فقال النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «نعم...» الحديث.....٣٢٥
الحديث الحادي والسبعون والمائة: عن أبي هريرة: أن رسول الله صلَّى الله عليه

وآله وسلَّم أتي بفرس يجعل كل خطو منه أقصىٰ بصره، فسار وسار معه جبريل عله السلام...» الحديث.....٣٢٦
الحديث الثاني والسبعون والمائة: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولىٰ عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم إذا انصرفوا...» الحديث.....٣٢٧
الحديث الثالث والسبعون والمائة: «لا يدخل النار إن شاء الله من أهل الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها...» الحديث.....٣٢٨
الحديث الرابع والسبعون والمائة: «من سأل الله الجنة ثلاث مرات قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة، ومن استجار من النار ثلاث مرات قالت النار: اللهم أجره من النار».....٣٢٩
الحديث الخامس والسبعون والمائة: «إن بدلاء أمتىٰ لم يدخلوا الجنة بكثرة صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكن دخلوها برحمة الله وسخاوة الأنفس وسلامة الصدور».....٣٢٩
الحديث السادس والسبعون والمائة: «يدخل من أهل هذه القبلة النار من لا يحصي عددهم إلا الله بما عصوا الله واجترؤا علىٰ معصيته وخالفوا طاعته، فيؤذن لي في الشفاعة ...» الحديث.....٣٣٠
الحديث السابع والسبعون والمائة: «إنىٰ لقائم انتظر أمتي تعبر إذ جاء عيسىٰ عليه السلام، فقال: هذه الأنبياء قد جاءتك يا محمَّد يجتمعون إليك يدعون الله أن يفرق بين جمع الأمم إلىٰ حيث يشاء لعظم ما هم فيه...» الحديث ٣٣١
الحديث الثامن والسبعون والمائة: «والذي نفس محمَّد بيده لقد ظننت أنك

أول من يسألني عن ذلك من أمتي لما رأيت من حرصك على العلم...» الحديث ٣٣٣
الحديث التاسع والسبعون والمائة: «خُيِّرْتُ بين الشفاعة أو يدخل نصف أمتي الجنة، فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى، أما أنها ليس للمؤمنين المتقين ولكنها للمذنبين الخطائين المتلوثين» ٣٣٤
الحديث الثمانون والمائة: «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله عزَّ وجلَّ: تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟! ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟! فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم» ٣٣٤
الخاتمة: في آيات رتبت دخول الجنة على التقوى والعمل الصالح..... ٣٣٦

٥- الأحاديثُ المُخْتَارَةُ في الأَخْلاقِ والآدَابِ المُسمَّى "الغَرائِبُ والوِحْدان"

خطبة الكتاب وغرض المصنف رحمه الله تعالى منه..... ٣٥٥
من فوائد الاطلاع على الأجزاء الحديثية النادرة ٣٥٥
حديث: «ومَن لَغا فلا جُمُعة له» وتصنيف الشيخ عبد الحي الكتاني رسالة في عدم وجوده، والاستدراك عليه ٣٥٥
جملة: «وإذا كانت حاجة فافعل مثل ذلك» في حديث توسل الضَّرير ظنَّ الشيخ رشيد رضا أنها غير موجودةٍ والصواب أنها موجودة وهذا ذكره المصنف في كتابه "الرد المحكم المتين" وكتابه الآخر "مصباح الزجاجة" .٣٥٦
من فوائد الاطلاع على الأجزاء الحديثية النادرة ٣٥٧

الحديث الأول: «ائتِ المعروفَ، واجتنب المُنكرَ، وانظر ما يُعجبُ أُذُنَك أن يقولَ لك القومُ إذا قُمْتَ مِن عندهم فأتِهِ، وانظر الذي تَكْرهُ أن يقولَ لك القومُ إذا قمتَ من عندهم فاجْتَنِبْه».....٣٥٩
الحديث الثاني: «أبو بكرٍ وعمر منِّي بمنزلة السمع والبصر من الرأس» ..٣٦٠
الحديث الثالث: «أُحدٌ جبلٌ يُحبُّنا ونُحبُّه».....٣٦١
الحديث الرابع: «إذا أتاكم مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ ودينه فزوِّجُوه، إلَّا تفعلوا تكن فتنةٌ في الأرض وفسادٌ عَرِيضٌ».....٣٦٢
الحديث الخامس: «إذا أراد الله بعبدٍ هَوَانًا أنفق ماله في البُنيان والماء والطِّين».....٣٦٣
الحديث السادس: «الزموا هذا الدعاء: اللهمَّ إني اسألك باسمك الأعظم، ورضوانك الأكبر. فإنه اسمٌ من أسماء الله».....٣٦٣
الحديث السابع: «إنَّ الله وَضَعَ عن المسافر الصَّومَ، وشَطْر الصَّلاة».....٣٦٤
الحديث الثامن: «قابلو النِّعال».....٣٦٥
الحديث التاسع: «إذا قضىٰ الله لعبدٍ أن يموت بأرضٍ جعل له إليها حاجةً».....٣٦٦
الحديث العاشر: «الدنيا سبعة آلاف سنةٍ، أنا في آخرها ألفًا، لانبيَّ بعدي، ولا أُمَّة بعد أُمَّتي».....٣٦٨
الحديث الحادي عشر: «أتاني جبريل فقال: يا محمَّد كن عجَّاجًا بالتلبية، ثجَّاجًا بنحر البُدْن».....٣٦٩

الحديث الثاني عشر: «اتقِ الله في عُسْرِكَ ويُسْرِكَ».....٣٦٩
الحديث الثالث عشر: «اتقوا زلَّة العالِم، وانتظروا فَيْئَتَهُ».....٣٧٠
الحديث الرابع عشر: «اجتنبوا التكَبُّر، فإنَّ العبد لا يزال يتكبَّر حتىٰ يقول الله تعالىٰ: اكتبوا عبدىٰ هذا في الجبَّارين» ٣٧١
الحديث الخامس عشر: «اجتنبوا ما أَسْكَر».....٣٧٢
الحديث السادس عشر: «اجعل بين أَذَانِكَ وإقامَتِكَ نَفَسًا؛ حتَّىٰ يقضي المتوضِّئُ حاجَتَه في مَهَلٍ، ويَفْرُغُ الآكلُ مِن طعامه في مَهَلٍ».....٣٧٢
الحديث السابع عشر: «احذروا الشُّهرتين: الصُّوف، والخَزُّ».....٣٧٣
الحديث الثامن عشر: «أحسنوا إذا وَلِيتُم، واعفوا عمَّا مَلَكْتم».....٣٧٤
الحديث التاسع عشر: «إنَّ الله أدَّبني فأحسن تأديبي، ثُمَّ أمرني بمكارم الأخلاق، فقال: خُذِ العَفْوَ، وأمر بالعُرْفِ، وأعرض عن الجاهلين».....٣٧٦
الحديث العشرون: «سلَّم عليَّ مَلَكٌ ثُمَّ قال لي: لم أزل أستأذن ربِّي عزَّ وجلَّ في لقائك حتىٰ كان هذا أوان أذن لي، وإني أُبشِّرك أنه ليس أحدٌ أكرم علىٰ الله منك».....٣٧٧
الحديث الحادي والعشرون: «أنَّ النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان يُشير في الصَّلاة» ٣٧٧
الحديث الثاني والعشرون: «أدِّبوا أولادكم علىٰ ثلاث خصالٍ: حبِّ نبيِّكم، وحبِّ أهل بيته، وقراءة القرآن، فإنَّ حَمَلَةَ القرآن في ظلِّ الله يوم لا ظلَّ إلَّا ظِلُّه مع أنبيائه وأصفيائه» ٣٧٨

الحديث الثالث والعشرون: «أَخْلِصْ دِينَكَ يَكْفيك القَليلُ مِن العمل» ..٣٧٩
الحديث الرابع والعشرون: «أخاف على أمَّتي خصلتين: تكذيبًا بالقَدَرِ، وتَصْدِيقًا بالنُّجُومِ».....٣٨١
الحديث الخامس والعشرون: «إذا أردتَ أن تذكرَ عيوبَ غيرك فاذكر عيوب نفسك».....٣٨٢
الحديث السادس والعشرون: «إذا عَلِمَ العالِم فلم يَعْمَل كان كالمِصْباحِ يُضِيئ للنَّاسِ ويُحرق نفسَهُ».....٣٨٣
الحديث السابع والعشرون: «أربعون رجلًا أُمَّة، ولم يخلص أربعون رجلًا في الدعاء لميِّتهم إلَّا وهبه الله تعالى لهم، وغفر له».....٣٨٤
الحديث الثامن والعشرين: «اشتدَّ غضبُ الله على الزُّناة» ٣٨٥
الحديث التاسع والعشرون: «أشدُّ النَّاسِ عذابًا يوم القيامةِ من يُرِي النَّاسَ أنَّ فيه خيرًا ولا خير فيه».....٣٨٦
الحديث الثلاثون: «أربعٌ من سَعَادةِ المرء: أن تكون زَوْجَتُه صالحةً، وأولاده أبرارًا، وخُلَطَاؤُهُ صالحين، ورِزْقُهُ في بلده».....٣٨٦
الحديث الحادي والثلاثون: «أَشهدُ بالله وأَشهدُ لله لقد قال لي جبريل: يا محمَّد، إنَّ مُدْمِنَ الخمر كعابد وَثَنٍ».....٣٨٧
الحديث الثاني والثلاثون: «أصحاب البِدَعِ كلابُ النَّار».....٣٨٨
الحديث الثالث والثلاثون: «أفضل الأعمال أن تُدخل على أخيك المؤمن سُرورًا، أو تَقضيَ عنه دَيْنًا، أوتُطعمه خُبزًا».....٣٨٩

الحديث الرابع والثلاثون: «أفضلُ الصَّدقةِ في رمضانَ».....٣٨٩
الحديث الخامس والثلاثون: «إقرأ القرآن على كلِّ حالٍ إلَّا وأنت جُنُب».٣٩٠
الحديث السادس والثلاثون: «إنَّ الله احتجز التوبة عن كلِّ أصحاب بِدْعَةٍ».....٣٩٠
الحديث السابع والثلاثون: «إنَّ الله تعالى يَبْغَضُ البخيلَ في حياته، السَّخيَّ عند موته».....٣٩١
الحديث الثامن والثلاثون: «استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان لها»....٣٩٢
الحديث التاسع والثلاثون: «إنَّ الشَّيطانَ يأتي أحدَكم فيقول: مَن خَلَقكَ؟ فيقول الله. فيقول: مَن خلق الله؟ فإذا وَجَدَ أحدُكم ذلك فليقل: آمنتُ بالله ورُسُلِهِ.....٣٩٣
الحديث الأربعون: «إن أحسن الحسن الخلق الحسن».....٣٩٣
الحديث الحادي والأربعون: «إنَّ أفواهكم طُرُقٌ للقرآن فطيِّبوها بالسِّواك».....٣٩٤
الحديث الثاني والأربعون: «إنَّ أنواع البرِّ نصفُ العبادة، والنِّصفُ الآخر الدُّعاء».....٣٩٤
الحديث الثالث والأربعون: «إنَّ أهلَ السَّماءِ لا يسمعون شيئًا من أهلِ الأرضِ إلَّا الأذانَ».....٣٩٥
الحديث الرابع والأربعون: «إنَّ في الجنَّة دارًا يقال لها: دار الفَرَحِ، لا يدخلها إلَّا مَن فرَّحَ يتامى المسلمين».....٣٩٥

الحديث الخامس والأربعون: «إنَّ لله تسعةً وتسعين اسمًا من أحصاها كلها دخل الجنَّة».....٣٩٦
الحديث السادس والأربعون: «إنَّ لجنَّهم بابًا لايدخله إلَّا مَنْ شَفَىٰ غَيْظه بمعصية الله».....٤٠٣
الحديث السابع والأربعون: «إنكم لن تَرَوا ربَّكم عزَّ وجلَّ حتىٰ تموتوا» .٤٠٣
الحديث الثامن والأربعون: «أَهْلُ القرآنِ أَهْلُ الله وخاصَّتُه».....٤٠٤
الحديث التاسع والأربعون: «ألا أدلُّكم علىٰ الخلفاء منِّي ومن أصحابي ومن الأنبياء قبلي؟ هم حَمَلةُ القرآن والأحاديث عنِّي وعنهم في الله ولله».....٤٠٤
الحديث الخمسون: «أُوتِيَ موسىٰ الألواحُ، وأُوتيت المَثَاني» ٤٠٥
الحديث الحادي والخمسون: «أول مَن يَشْفَعُ يوم القيامةِ الأنبياء، ثُمَّ العلماء، ثُمَّ الشُّهداء».....٤٠٦
الحديث الثاني والخمسون: «إيَّاكم ومُحادَثة النِّساء؛ فإنه لا يخلو رجلٌ بامرأةٍ ليس لها مَحْرَمٌ إلَّا هَمَّ بها».....٤٠٦
الحديث الثالث والخمسون: «إيَّاكم والتعمُّق في الدِّين فإنَّ الله تعالىٰ قد جعله سهلًا، فخذوا منه ما تُطيقون، فإنَّ الله يحبُّ ما دام من عملٍ صالحٍ، وإن كان يسيرًا».....٤٠٧
الحديث الرابع والخمسون: «أيما إمامٌ سها فصلَّىٰ بالقوم وهو جُنُبٌ فقد مَضَتْ صلاتُهم، ثُمَّ ليغتسل هو، ثُمَّ ليعد صلاته، وإن صلَّىٰ بغير وضوءٍ فمثل ذلك».....٤٠٧

الحديث الخامس والخمسون: «أيما راعٍ لم يرحم رعيَّته حَرَّم الله عليه الجنَّة».....٤٠٨
الحديث السادس والخمسون: «الإيمان والعمل أخوان شريكان في قَرَنٍ، لا يقبل الله أحدهما إلَّا بصاحبه».....٤٠٨
الحديث السابع والخمسون: «الآمر بالمعروف كفاعله».....٤٠٩
الحديث الثامن والخمسون: «ويلٌ للرَّاعي من الرَّعيَّة، إلَّا واليًا يحوطهم مِن ورائهم بالنَّصحية».....٤٠٩
الحديث التاسع والخمسون: «الإيمان بالنيَّة واللسان، والهجرة بالنَّفس والمال».....٤١٠
الحديث الستون: «بين العبد والجنَّة سبع عقباتٍ، أهونها الموت، وأصعبها الوقوف بين يدي الله تعالى إذا تعلَّق المظلومون بالظالمين».....٤١٠
الحديث الحادي والستون: «إنَّ بُدلاء أُمَّتي لم يدخلوا الجنَّة بصلاةٍ ولا صيامٍ، ولكن دخلوها بسخاء الأنفس، وسلامة الصُّدور، والنُّصح للمسلمين».٤١١
الحديث الثاني والستون: «بِئس الكَسْبُ أجر الزَّمَّارةِ، وثَمَنُ الكَلْبِ»....٤١١
الحديث الثالث والستون: «تجافوا عن عُقوبةِ ذوي المُروءَة».....٤١٢
الحديث الرابع والستون: «تَعلَّموا مِن العِلْمِ ما شِئتم فوالله لا تُؤجروا بجَمْعِ العِلْمِ حتَّى تَعْمَلُوا».....٤١٣
الحديث الخامس والستون: «تقرَّبوا إلى الله ببُغْضِ أهل المعاصي، والقوهم بوجوهٍ مُكْفَهِرَّةٍ، والتمسوا رضا الله بسُخْطِهم وتقرَّبوا إلى الله بالتباعُدِ

منهم» ٤١٣
الحديث السادس والستون: «تنظَّفوا بكلِّ ما استطعتم؛ فإنَّ الله تعالىٰ بنىٰ الإسلام علىٰ النظافة، ولن يدخل الجنَّة إلَّا كلُّ نظيفٍ» ٤١٤
الحديث السابع والستون: «التائبُ مِن الذَّنب كمن لا ذنب له، وإذا أحبَّ الله عبدًا لم يضره ذنبٌ» ٤١٥
الحديث الثامن والستون: «التضلُّع من ماء زمزم براءةٌ مِن النِّفاق» ٤١٥
الحديث التاسع والستون: «ثلاث دعواتٍ لا تُردُّ: دعوة الوالد لولده، ودعوة الصَّائم، ودعوة المسافر» ٤١٦
الحديث السبعون: «ثلاثٌ من كُنَّ فيه فهو منافقٌ، وإن صام وصلَّىٰ، وحجَّ واعتمر، وقال إني مسلمٌ: مَن إذا حدَّث كَذَب، وإذا وَعَد أخلف، وإذا اؤتمن خان» ٤١٦
الحديث الحادي والسبعون: «ثلاثةٌ لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: حُرٌّ باع حُرًّا، وحُرٌّ باع نفسه، ورجلٌ أبطل كِراء أَجِيرٍ حين جفَّ رَشْحُهُ» ٤١٧
الحديث الثاني والسبعون: «جَهْدُ البلاءِ قِلَّةُ الصَّبر» ٤١٩
الحديث الثالث والسبعون: «الجماعة بَرَكةٌ، والسُّحُور بَرَكةٌ، والثَّريد بَرَكةٌ» ٤١٩
الحديث الرابع والسبعون: «الجُمُعةُ حَجُّ المساكين» ٤٢٠
الحديث الخامس والسبعون: «حقُّ الوالد أن يعلِّمه الكتابة، والسباحة، والرماية، وألا يرزقه إلَّا طيِّبًا» ٤٢٠

الحديث السادس والسبعون: «الحجُّ سبيل الله، تُضعَّفُ فيه النفقة سبعمائة ضعفٍ»..... ٤٢١
الحديث السابع والسبعون: «خلفت فيكم شيئين لن تضلُّوا بعدهما: كتاب الله، وسُنَّتي، ولن يتفرَّقا حتى يَرِدا عليَّ الحوضَ» ٤٢٢
الحديث الثامن والسبعون: «دَثَرَ مكانُ البيتِ؛ فلم يحجُّه هودٌ ولا صالحٌ، حتَّى بوَّأه الله لإبراهيم»..... ٤٢٣
الحديث التاسع والسبعون: «دخلتُ الجنَّة فإذا جاريةٌ أَدْماءُ لَعْسَاءُ، فقلتُ: ما هذه يا جبريل؟! فقال: إنَّ الله تعالى عرف شهوة جعفر بن أبي طالبٍ للأُدْمِ اللُّعْس فخلق له هذه»..... ٤٢٣
الحديث الثمانون: «دعوة الرجل لأخيه بظهر الغيب مستجابةٌ، ومَلَكٌ عند رأسه يقول: آمين، ولك بمثل ذلك»..... ٤٢٤
الحديث الحادي والثمانون: «الدنيا لا تنبغي لمحمَّدٍ ولا لآل محمَّدٍ» ٤٢٤
الحديث الثاني والثمانين: «ذراري المسلمين يكفلهم إبراهيم»..... ٤٢٥
الحديث الثالث والثمانون: «رَوِّحوا القلبَ ساعةً فساعةً»..... ٤٢٥
الحديث الرابع والثمانون: «زيِّنوا العيدين بالتهليل والتكبير والتحميد والتقديس»..... ٤٢٦
الحديث الخامس والثمانون: «الزَّاني بحَلِيلَةِ جَارِهِ لا ينظُرُ الله إليه يوم القيامةِ ولا يُزكِّيه، ويقول له: ادخل النَّار مع الداخلين»..... ٤٢٦
الحديث السادس والثمانون: «سألتُ ربِّي ألَّا يدخل أحدًا من أهل بيتي النَّار

فأعطانيها»..... ٤٢٧
الحديث السابع والثمانون: «سألتُ ربِّي فأعطاني أولاد المشركين خَدَمًا لأهل الجنَّة، وذلك لأنهم لم يُدركوا ما أَدرك آباؤهم مِن الشِّركِ، ولأنَّهم في المِيثاقِ الأوَّل»..... ٤٢٧
الحديث الثامن والثمانون: «سُوءُ الخُلُقِ شُؤمٌ»..... ٤٢٨
الحديث التاسع والثمانون: «سلامةُ الرجلِ في الفِتنة أن يلزمَ بيتَه» ٤٢٩
الحديث التسعون: «سيِّد الشُّهداء جعفر بن أبي طالبٍ، معه الملائكة، لم يُنْحَلْ ذلك أحدٌ ممَّن مضىٰ من الأمم غيره، شيءٌ أكرم الله به محمَّدًا» ٤٣٠
الحديث الحادي والتسعون: «سيُّد القومِ خادمهم، وساقيهم آخرهم شُرْبًا»..... ٤٣١
الحديث الثاني والتسعون: «سَيُشْدِدُ هذا الدِّين برجالٍ ليس لهم عند الله خَلَاقٌ»..... ٤٣٢
الحديث الثالث والتسعون: «سيكون بعدي قُصَّاصٌ لا يَنظرُ الله إليهم» .. ٤٣٣
الحديث الرابع والتسعون: «السَّكِينة مغنم وتركها مغرم»..... ٤٣٣
الحديث الخامس والتسعون: «ليبلِّغ الشاهد الغائب، وأبلغوني حاجة مَن لا يستطيع إبلاغي حاجته، فإنه من أبلغ سلطانًا حاجة مَن لا يستطيع إبلاغها إيَّاه ثبَّت الله قدميه يوم القيامة»..... ٤٣٤
الحديث السادس والتسعون: «السُّيوفُ مفاتيحُ الجنَّةِ»..... ٤٣٥
الحديث السابع والتسعون: «السُّيوف أَرْدِيةُ المُجاهِدين»..... ٤٣٥

الحديث الثامن والتسعون: «الشَّحيحُ لا يدخلُ الجنَّة».....٤٣٥
الحديث التاسع والتسعون: «شِرارُ أُمَّتي الذين غُذُّوا بالنَّعيم، الذين يأكلون ألوان الطعام، ويلبسون ألوان الثِّياب، ويتشدَّقون في الكلام».....٤٣٦
الحديث المائة: «شهر رمضان يُكفِّر ما بين يديه إلى شهر رمضان المُقبل» ..٤٣٦
الحديث الحادي والمائة: «الشَّعر الحَسَن أَحَدُ الجمالين، يَكْسُوه اللهُ المرءَ المسلم».....٤٣٧
الحديث الثاني والمائة: «الشيخ يَضْعُفُ جِسمُهُ وقَلْبُهُ شابَ على حبِّ اثنتين: طول الحياة، وحبِّ المال».....٤٣٧
الحديث الثالث والمائة: «صاحب السُّنَّة إن عَمِل خيرًا قُبِل منه، وإن خَلَط غُفِر له».....٤٣٧
الحديث الرابع والمائة: «صاحبُ الصفِّ، وصاحب الجُمُعة، لا يفضل هذا على هذا، ولا هذا على هذا».....٤٣٨
الحديث الخامس والمائة: «صَدَقةُ السرِّ تُطفِئ غضب الربِّ» ٤٣٨
الحديث السادس والمائة: «صَدَقةُ المرءِ المسلم تزيد في العُمُرِ، وتمنع مِيتة السُّوء، ويُذهب الله تعالى بها الفَخْرَ والكِبْرَ».....٤٣٩
الحديث السابع والمائة: «صلِّ صلاة مُودِّعٍ كأنك تراه، فإن كنت لا تراه فإنه يراك، وايأس ممَّا في أيدي النَّاس تَعِشْ غنيًّا، وإيَّاك وما يُعتذر عنه». رواه أبو محمَّد الإبراهيميُّ في كتاب "الصَّلاة".....٤٣٩
الحديث الثامن والمائة: «صَمْتُ الصَّائمِ تسبيحٌ، ونومه عبادةٌ، ودُعاؤه

مُستجابٌ، وعمله مُضاعفٌ»..... ٤٤٠
الحديث التاسع والمائة: «صلِّ الصبح والضحى، فإنها صلاة الأوَّابين» ... ٤٤١
الحديث العاشر والمائة: «صُوموا أيام البِيض: ثلاثة عشر، وأربعة عشر، وخمسة عشر. هنَّ كنز الدهر»..... ٤٤١
الحديث الحادي عشر والمائة: «صلاةُ المسافرِ بمِنًى وغيرها ركعتان»..... ٤٤٢
الحديث الثاني عشر والمائة: «الصُّورةُ الرأسُ، فإذا قُطِعَ الرأسُ فلا صُورةَ»..... ٤٤٣
الحديث الثالث عشر والمائة: «الصَّلاة عَمُودُ الدِّين»..... ٤٤٤
الحديث الرابع عشر والمائة: «الضَمَّةُ في القَبْرِ كفَّارةٌ لكلِّ مؤمنٍ، لكلِّ ذنبٍ بقي عليه لم يُغفر له»..... ٤٤٤
الحديث الخامس عشر والمائة: «الضِّيافةُ ثلاثة أيامٍ، فما زاد فهو صدقةٌ، وعلى الضَّيفِ أن يتحوَّل بعد ثلاثة أيامٍ»..... ٤٤٥
الحديث السادس عشر والمائة: «طَهُورُ كلِّ أَدِيمٍ دِبَاغُهُ»..... ٤٤٦
الحديث السابع عشر والمائة: «طُوبى لعيشٍ بعد المَسِيحِ، يُؤْذَنُ للسماء في القَطْرِ، ويُؤْذَنُ في الأرض للنبات، حتَّى لو بَذَرتَ حَبَّكَ على الصَّفا لنبت...» الحديث..... ٤٤٧
الحديث الثامن عشر والمائة: «طُوبى لمن أَسْلَمَ وكان عَيْشُهُ كَفَافًا»..... ٤٤٨
الحديث التاسع عشر والمائة: «عَدَدُ آنيةِ الحَوْضِ كعدَدِ نُجومِ السَّماءِ»..... ٤٤٩
الحديث العشرون والمائة: «عُرَامَةُ الصَّبيِّ في صِغَرِهِ زيادةٌ في عَقْلِهِ في

كِبَرِهِ» ٤٤٩
الحديث الحادي والعشرون والمائة: «عِظَمُ الأَجْرِ عند عِظَمِ المُصيبةِ، وإذا أحبَّ الله قومًا ابتلاهم» ٤٤٩
الحديث الثاني والعشرون والمائة: «عَرِيشًا كعَرِيشِ موسىٰ، ثَمامٌ وخُشَيْبَاتٌ، والأمر أَعْجَلُ مِن ذلك» ٤٥٠
الحديث الثالث والعشرون والمائة: «علِّموا أبناءكم السِّباحة والرِّماية، ونِعْم لهو المؤمنة في بيتها المغزل، وإن دعاك أبواك فأجب أُمَّك» ٤٥٠
الحديث الرابع والعشرون والمائة: «عليكِ بالصَّلاة فإنَّها أفضلُ الجِهادِ، واهجُري المعاصي فإنَّها أفضلُ الهِجْرةِ» ٤٥١
عن الحديث الخامس والعشرون والمائة: «عليكم بالقرآن فاتَّخذوه إمامًا وقائدًا، فإنه كلام ربِّ العالمين الذي هو منه وإليه يعود، فآمنوا بمُتشابهه واعتبروا بأمثاله» ٤٥٢
الحديث السادس والعشرون والمائة: «عليٌّ مِنِّي بمنزلة هارون من موسىٰ، إلَّا أنه لانبيَّ بعدي» ٤٥٣
الحديث السابع والعشرون والمائة: «عليٌّ يظهر في الجنَّة ككَوْكَب الصُّبح لأهل الدُّنيا» ٤٥٣
الحديث الثامن والعشرون والمائة: «عُودوا المريضَ، واتَّبِعُوا الجَنائزَ، والعِيادة غِبًّا أو رِبْعًا، إلَّا أن يكون مَغْلُوبًا فلا يُعاد، والتعْزِيةُ مَرَّةً» ٤٥٤
الحديث التاسع والعشرون والمائة: «العلماءُ أُمَنَاءُ الرُّسُل مالم يُخالطوا السُّلطان

ويُداخِلُوا الدُّنيا، فإذا خَالَطُوا السُّلطانَ ودَاخَلُوا الدُّنيا فقد خانوا الرُّسُلَ فاحْذَروهم» ٤٥٤
الحديث الثلاثون والمائة: «العَيْنُ حقٌّ يَحْضُرُها الشَّيطانُ وحَسَدُ ابنِ آدمَ» .. ٤٥٥
فائدةٌ لعلاج المصاب بالعين ٤٥٦
الحديث الحادي والثلاثون والمائة: «الغُدُوُّ والرَّوَاحُ في تعليم العِلْمِ أفضلُ مِن الجِهادِ في سبيل الله» ٤٥٦
الحديث الثاني والثلاثون والمائة: «الغِلُّ والحَسَدُ يأكلان الحَسَناتِ كما تأكل النَّار الحَطَب» ٤٥٦
الحديث الثالث والثلاثون والمائة: «الغِنَىٰ: الإياسُ ممَّا في أيدي النَّاس، وإيَّاك والطَّمع فإنَّه الفَقْرُ الحاضر» ٤٥٧
الحديث الرابع والثلاثون والمائة: «فاتحةُ الكتابِ شِفاءٌ مِن السُّمِّ» ٤٥٩
الحديث الخامس والثلاثون والمائة: «كان أول مَن أَضَافَ الضَّيفَ إبراهيمُ» ٤٥٩
الحديث السادس والثلاثون والمائة: «كفىٰ بالمرء شرًّا أن يَتَسَخَّط ما قُرِّب إليه» ٤٦٠
الحديث السابع والثلاثون والمائة: «إذا أراد الله بقومٍ خيرًا أَهْدَىٰ إليهم هَدِيَّةً» قالوا: يا رسول وما تلك الهديَّة؟ قال: «الضَّيفُ ينزل بِرِزْقِهِ، ويَرتَحِلُ وقد غَفَرَ الله لأهل المنزل» ٤٦١
الحديث الثامن والثلاثون والمائة: «كثرة الحَجِّ والعُمْرةِ تَمنعُ العَيْلة» ٤٦٢

الحديث التاسع والثلاثون والمائة: «كفَّارة مَن اغتبتَ أن تستغفر له»..... ٤٦٢
الحديث الأربعون والمائة: «كلمات الفرج: لا إله إلَّا الله الحليم الكريم، لا له إلَّا الله العليُّ العظيم، لا إله إلَّا الله ربُّ السَّماوات السَّبع، وربُّ العَرْشِ الكريم»..... ٤٦٢
الحديث الحادي والأربعون والمائة: «لله أفرح بتوبة عبده، مِن العَقِيم الوالد، ومِن الضَّالِّ الواجد، ومِن الظَّمآن الوارد»..... ٤٦٣
الحديث الثاني والأربعون والمائة: «لولا المرأة لدخل الرجلُ الجنَّة»..... ٤٦٣
الحديث الثالث والأربعون والمائة: «ليكوننَّ في هذه الأُمَّة خَسْفٌ وقذْفٌ ومَسْخٌ، وذلك إذا شربوا الخُمُور، واتَّخذوا القِينات، وضربوا بالمعازف» . ٤٦٤
الحديث الرابع والأربعون والمائة: «اللهو في ثلاثٍ: تأديب فرسك، ورَمْيك بقوسك، ومُلاعبتك أهلك»..... ٤٦٥
الحديث الخامس والأربعون والمائة: «ماء زمزم لِما شُرب له، مَن شربه لمرضٍ شفاه الله، أو لجوعٍ أشبعه الله، أو لحاجةٍ قضاها الله»..... ٤٦٥
الحديث السادس والأربعون والمائة: «ما أخاف على أُمَّتي فتنةً أخوف عليها من النِّساء والخمر»..... ٤٦٧
الحديث السابع والأربعون والمائة: «ما كَرَبني أمرٌ إلَّا تمثَّل لي جبريل فقال: يا محمَّد، قل: توكَّلتُ علي الحيِّ الذي لا يموت، والحمد لله الذي لم يتَّخذ ولدًا ولم يكن له شريكٌ في الملك، ولم يكن له وليًّا من الذلِّ وكبِّره تكبيرًا»..... ٤٦٩
الحديث الثامن والأربعون والمائة: «مَن لم يوصِ لم يُؤْذَن له في الكلام مع

الموتي» ٤٧٠
الحديث التاسع والأربعون والمائة: «مَن كثَّر سواد قومٍ فهو منهم، ومَن رضي عمل قومٍ كان شريك مَن عمل به» ٤٧١
الحديث الخمسون والمائة: «الحمد لله إنَّ الأرواح جنودٌ مُجنَّدةٌ فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف» ٤٧٢
خاتمة ٤٧٤

٦- الفوائد المقصودة في الأحاديث الشاذة المردودة

خطبة الكتاب ٤٧٧
الحديث الأول: «أعْتِقْها فإنَّها مُؤمِنةٌ» ٤٨١
الحديث الثاني: «اسْتَأذَنْتُ رَبِّي أن أسْتَغْفِرَ لأُمِّي فلم يأذَنْ لي، واسْتَأذَنْتُهُ أن أزُورَ قَبْرَها فأذِنَ لي» ٤٨٥
الحديث الثالث: «إنَّ أبي وأباك في النَّارِ» ٤٨٦
تنبيه: توقَّفَ الحافظ السخاويُّ في نجاة أبوي النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم واختار السُّكوت عن نجاتهما وعدمها، وهذا عجيبٌ منه ٤٨٩
الحديث الرابع: «أربعةٌ يَحْتَجُّون يوم القيامة: رَجُلٌ أصَمُّ لا يَسْمَعُ شيئًا، ورَجُلٌ أحْمَقُ، ورَجُلٌ هَرَمٌ، ورَجُلٌ مات في فَتْرَةٍ...» الحديث ٤٨٩
الحديث الخامس: ابن عباسٍ في قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ﴾ الآية، قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «قال لي جبريلُ: لو رَأَيْتَني وقد أَخَذْتُ مِن حَالِ البَحْرِ فدَسَسْتُهُ في فيه مَخافَةَ أن تَنالَهُ الرَّحْمَةُ» ٤٩٠

الحديث السادس: عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما أنه قال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ قال: «سَبْعُ أرْضِين في كلِّ أرضٍ نبيٌّ كنبيِّكُم، وآدمُ كآدمَ، ونوحٌ كنوحٍ، وإبراهيمُ كإبراهيمَ، وعيسىٰ كعيسىٰ» ٤٩١

الحديث السابع: عن عائشة رضي الله عنها قالت: لقد أنزلت آية الرَّجْمِ ورضعات الكبير عشرًا، فكانت في ورقةٍ تحت سريرٍ في بيتي، فلمَّا اشتكىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم تشاغَلْنا بأمْرِه، ودَخَلَت دُوَيْبَةٌ لنا فأكَلَتْهَا..... ٤٩١

الحديث الثامن: عن أسماء بنت عُمَيْسٍ قالت: دَخَلَ عليَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لمَّا أُصِيبَ جَعْفَرٌ، فقال: «تَسَلَّبِي ثلاثًا ثُمَّ اصْنَعِي ما شِئْتِ» ٤٩٢

الحديث التاسع: عن حذيفة، قال: تَسَحَّرنا مع رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، هو والله النَّهار، غير أنَّ الشَّمسَ لم تَطْلُع ٤٩٣

الحديث العاشر: «خَلَقَ اللهُ التُّرْبَةَ يومَ السَّبْتِ، وخَلَقَ فيها الجِبَالَ يومَ الأحَدِ، وخَلَقَ الشَّجَرةَ يوم الإثنين، وخَلَقَ المَكْرُوه يومَ الثلاثاء...» الحديث ٤٩٤

الحديث الحادي عشر: عن ابن عباسٍ قال: كان المسلمون لا ينظرون إلىٰ أبي سفيان ولا يُقاعِدُونه فقال للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «ثلاثٌ أعْطِنيهِنَّ. قال: «نعم...» الحديث..... ٤٩٥

الحديث الثاني عشر: «لَعَنَ اللهُ اليهودَ والنَّصارَىٰ اتَّخَذُوا قُبُورَ أنْبيائِهِمْ مَسَاجِدَ»..... ٤٩٦

الحديث الثالث عشر: عن العبَّاس بن عبدالمطلب قال: كنت في البَطْحَاءِ في عِصابةٍ فيهم رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فمرَّت بهم سَحَابةٌ فنظر إليها فقال: «ما تُسَمُّون هذه؟». قالوا: السَّحابُ. قال: «والمُزْنُ...» الحديث...٤٩٩

الحديث الرابع عشر: عن ابن عباسٍ قال: «إنَّ الكرسيَّ مَوْضِعَ القَدَمين، والعَرْشَ لا يَقْدِرُ قَدْرَهُ أحَدٌ».....٥٠١

الحديث الخامس عشر: «يُلْقَىٰ في النَّارِ وتقول: هل مِن مَزيدٍ، حتىٰ يَضَعَ قَدَمَهُ فتقول: قَطْ قَطْ».....٥٠١

الحديث السادس عشر: ترجمة البخاريُّ: «قول النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: لا شَخْصَ أغْيَرَ مِن الله».....٥٠٣

الحديث السابع عشر: «إنَّ آدمَ -عليه السَّلام- كان يُسَبِّحُ بتَسْبِيحِ المَلائِكَةِ ويُصَلِّي بصَلَاتهم حين هَبَطَ إلىٰ الأرضِ لطُولِهِ وقُرْبِهِ إلىٰ السَّماءِ فوَضَعَ اللهُ يَدَهُ عليه فطَأْطَأَتْ إلىٰ الأرضِ سَبعين ذِرَاعًا».....٥٠٤

الحديث الثامن عشر: «إنَّ الله عزَّ وجلَّ لَمَّا قضىٰ خَلْقَهُ استَلْقَىٰ ثُمَّ وَضَعَ إحْدَىٰ رِجْلَيْهِ علىٰ الأُخرَىٰ ثُمَّ قال: لا يَنْبَغِي لأحدٍ مِن خَلْقِي أن يَفْعَل هذا» ٥٠٥

الحديث التاسع عشر: «إنَّ مُؤمِني الجنِّ لهم ثوابٌ وعليهم عِقابٌ»... الحديث.....٥٠٨

الحديث الموفي عشرين: جاء رجلٌ إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من أهل الكتاب فقال: يا أبا القاسم إنَّ الله يُمْسِكُ السَّماواتِ علىٰ إصْبَعٍ والأرَضِين والشَّجَرَ والثَّرَىٰ علىٰ إصْبَعٍ، والخَلائِقَ علىٰ إصْبَعٍ ثُمَّ يقول: أنا المَلِك، أنا

المَلِك، فرأيت النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ضَحِكَ حتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِزُه ثُمَّ قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾.....٥٠٩
الحديث الحادي والعشرون: «إنَّ كُرْسِيَّه وسِعَ السَّماواتِ والأرضَ، وأنه ليَقْعُدُ عليه فما يَفْضُلُ منه مِقْدَارُ أَرْبَعِ أصَابع -ثُمَّ قال بأصابعه فجمعها- وإنَّ له أَطِيطًا كأطيطِ الرَّحْلِ الجَديدِ إذا رُكِبَ مِن ثِقَلِهِ».....٥١١
الحديث الثاني والعشرون: قول الأعرابي: «فإنَّا نستشْفِعُ بك علىٰ الله ونستَشْفِعُ بالله عليك...» الحديث.....٥١٢
الحديث الثالث والعشرون: «خُلِقَتُ الملائكةُ مِن نُورٍ، وخُلِقَ الجانُّ مِن مارجٍ مِن نارٍ، وخُلِقَ آدمُ ممَّا وُصِفَ لَكُمْ».....٥١٣
الحديث الرابع والعشرون: عن عبدالله بن أبي سلمة قال: إنَّ عبدالله بن عمر بن الخطَّاب بعث إلي عبدالله بن عبَّاسٍ يسأله: هل رأىٰ محمَّدٌ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ربَّهُ؟ فأرسل إليه عبدالله بن عبَّاسٍ أنْ: نَعَمْ».....٥١٤
الحديث الخامس والعشرين: «الكرسيُّ الذي يجلس عليه الربُّ عزَّ وجلَّ، وما يَفْضُلُ منه إلَّا قَدْرُ أربع أصابع، وإنَّ له أطيطًا كأطيط الرَّحْلِ الجديد»....٥١٦
الحديث السادس والعشرون: «ما بُعِثَ نبيٌّ إلَّا أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الأعْوَرَ الكذَّاب، ألَا إنه أعْوَرُ وإنَّ ربَّكم ليس بأعْوَرَ، وإن بين عَيْنيه مَكْتوبًا كافِرٌ» ٥١٨
الحديث السابع والعشرون: عن ابن عباسٍ قال: إنَّ الله عزَّ وجلَّ فرض الصَّلاة علىٰ لسان نبيِّكم صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ المسافر ركعتين وعلىٰ المقيم أربعًا، وفي الخوف ركعةً.....٥١٩

الحديث الثامن والعشرون: أنَّ أبا الصَّهْباء قال لابن عباسٍ: هاتِ من هَنَاتِكَ، ألم يكن الطلاق الثلاث على عهد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وأبي بكرٍ واحدةً؟ فقال: قد كان ذلك، فلما كان في عهد عمر تتابع الناس في الطلاق فأجازه عليهم..... ٥٢٠

الحديث التاسع والعشرون: عن ابن أمِّ مكتومٍ: سأل النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: يا رسول الله، إني رجلٌ ضريرٌ شاسع الدار، ولي قائدٌ لا يُلايمُني فهل لي رخصةٌ أن أصلِّي في بيتي؟ قال: «هل تَسْمَعُ النِّداء؟» قال: نعم. قال: «لا أجد لك رُخْصَةً»..... ٥٢١

الحديث الموفي ثلاثين: عن عمَّار بن ياسرٍ أنه كان يحدِّث أنهم تمسَّحوا وهم مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالصعيد لصلاة الفجر، فضربوا بأكفِّهم الصعيد ثُمَّ مسحوا وجوههم مسحةً واحدةً...» الحديث..... ٥٢٢

الحديث الحادي والثلاثون: قلنا: يا رسول الله هل نرى ربَّنا؟ قال: «هل ترون الشمس في يومٍ لا غَيْمَ فيه؟ وترون القمر في ليلةٍ لا غَيْمَ فيها؟» قلنا: نعم. قال: «فإنكم سترون ربَّكم...» الحديث..... ٥٢٣

الحديث الثاني والثلاثون: «أكْرِمُوا عَمَّتكُم النَّخْلَةَ فإنَّها خُلِقَتْ مِن الطِّين الذي خُلِقَ منه آدم عليه السَّلام، وليس مِن الشَّجَرِ شيءٌ يُلَقَّحُ غيرها» ٥٢٤

الحديث الثالث والثلاثون: خرجت امرأة إلى الصَّلاة فلقيها رجلٌ فتجلَّلَها بثيابه فقضى حاجته منها وذهب، وانتهى إليها رجلٌ، فقالت له: إنَّ الرجل فعل بي كذا وكذا. فذهب الرجل في طلبه... الحديث..... ٥٢٥

الحديث الرابع والثلاثون: عن امرأته: أنها دخلت على عائشة في نسوةٍ فسألتها امرأةٌ فقالت: يا أمَّ المؤمنين كانت لي جاريةٌ فبعتها من زيد بن أرقم بثمانمائة إلى العطاء...» الحديث ٥٢٦
الحديث الخامس والثلاثون: إنَّ رجلًا أتى النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: يا رسول الله كيف الطهور؟ فدعا بماء في إناءٍ فغَسَلَ كفَّيه ثلاثًا، ثُمَّ غَسَلَ وجْهَهُ ثلاثًا...» الحديث..... ٥٢٨
الحديث السادس والثلاثون: عن أنس بن مالكٍ قال: أمطرت السماء بَرَدًا، فقال لنا أبو طلحة ونحن غلمان: ناولني يا أنس من ذلك البَرَد. فناولته، فجعل يأكل وهو صائم ...» الحديث..... ٥٢٩
الحديث السابع والثلاثون: ماتت رقيَّة بنت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: «الحقي بسَلَفِنا الصَّالح عثمان بن مَظْعُون...» الحديث..... ٥٣٠
الحديث الثامن والثلاثون: عن جابر بن عبدالله قال: كنا إذا حَجَجْنا مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فكنَّا نُلَبِّي عن النِّساء..... ٥٣٠
الحديث التاسع والثلاثون: «مَن غَسَّل مَيِّتًا فليَغْتَسِل ومَن حَمَلَهُ فليتوضَّأ» ٥٣١
الحديث الموفي أربعين: عن محمد بن كعب قال: أتيت أنس بن مالكٍ في رمضان وهو يريد سفرًا، وقد رحلت راحلته ولبس ثياب السَّفَر فدعا بطعامٍ فأكل فقلت: سُنَّةٌ؟ قال: سُنَّةٌ، ثُمَّ رَكِب..... ٥٣٢
الحديث الحادي والأربعون: عن أبي العُشَراء، عن أبيه قال: قلت: يا رسول الله، أما تكون الذَّكاة إلَّا في الحَلْقِ واللَّبَّة؟ قال: «لو طَعَنْتَ في فخذِها لأجْزَأ

عنك» ٥٣٣
الحديث الثاني والأربعون: «أتاني جبريل -عليه السلام- وفي يده مرآةٌ بيضاء فيها نُكْتَةٌ سوداء، فقلت: ما هذه يا جبريل؟...» الحديث ٥٣٤
الحديث الثالث والأربعون: عن عائشة -رضي الله تعالى عنها- قالت: كان فيما أنزل من القرآن عشر رَضَعَاتٍ يُحَرِّمْنَ، ثُمَّ نُسِخْنَ بخَمْسٍ معلوماتٍ، فتوفي رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وهنَّ فيما يقرأ مِن القرآن ٥٣٥
الخاتمة ٥٣٨
تعقيب في معنى الحديث الشاذ ٥٣٩
الحديثُ الشَّاذ نوعان ٥٣٩

٧- أسانيد السيِّد عبد الله للكتب السبعة

كتاب "صحيح البخاري" ٥٤٣
كتاب "صحيح مسلم" ٥٤٤
كتاب "السنن" لأبي داود ٥٤٥
كتاب "سنن الترمذي" ٥٤٦
كتاب "سنن النسائي" ٥٤٧
كتاب "سنن ابن ماجه" ٥٤٨
كتاب "الموطأ" للإمام مالك ٥٤٩
٨- أسماء شيوخي ٥٥٠
٩- إجازات السيد عبدالله لبعض معاصريه ٥٥٣

الإجازة المكِّـيَّة.....٥٥٣
إجازة السيِّد عبدالله بن محمد بن الصِّدِّيق الغُماريِّ للشيخ العلَّامة محمد يا سين الفاداني.....٥٥٧
إجازة السيِّد عبدالله بن الصِّدِّيق للشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري ...٥٦١
فهرس الموضوعات.....٥٦٧

موسوعة

العلامة المحدث المتفنن

سيدي الشريف عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري الحسني

(١٣٢٨ - ١٤١٣هـ) رحمه الله تعالى

قدم لها

الشريف الدكتور

عبد المنعم بن عبد العزيز بن الصديق

إشراف

الدكتور محمود سعيد بن محمد ممدوح

المجلد الثامن

الحديث الشريف وعلومه

موسوعة

العلامة المحدث المتفنن

سيدي الشريف عبد الله بن محمد الصديق الغماري الحسني

(١٣٢٨ - ١٤١٣هـ) رحمه الله تعالى

٨

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية
عام / ١٤٣٨

قام بطباعتها وإخراجها: مركز البحوث والدِّراسات
بكُليَّة الصَّفا الإسلاميَّة بماليزيا

يطلب من:

دار السَّلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

جمهورية مصر العربية: القاهرة – الإسكندرية.
الإدارة: القاهرة ٤٠ شارع أحمد أبو العلا – المتفرِّع من شارع نور الدين بهجت – الموازي لامتداد شارع مكرم عبيد – مدينة نصر.
هاتف: ٢٢٨٧٣٢٤٦ - ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ (٢٠٢+)
فاكس: ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢+)
البريد الإلكتروني: info@dar-alsalam.com
موقعنا على الإنترنت: www.dar-alsalam.com

المجلد الثامن

الحديث الشريف وعلومه

ويحتوي على:

١ - نِهايَةُ الآمَالِ في صِحَّةِ وشَرْحِ حَدِيثِ عَرْضِ الأَعْمالِ.

٢ - سَميرُ الصَّالِحِين.

٣- الفَتْحُ المُبين شَرْح الكَنْزِ الثَّمِين في أحاديث النَّبيِّ الأمين ﷺ.

٤ - تعليقاتٌ على كتابِ "المَتْجَرِ الرَّابحِ في ثَوَابِ العَمَلِ الصَّالِحِ» للحافِظ الدِّمْياطيِّ.

٥ - تَخْريجُ أحاديث كتابِ "اللُّمَع" في الأصول لأبي إسحاق الشِّيرازيِّ.

٦ - الابْتهاجُ في تَخْريجِ أحاديث كتابِ "المِنهاجِ" في الأصول لناصر الدِّين البَيْضَاويِّ

٧- تنبيهُ الباحِثِ المُستَفيدِ للأَخْطاء الواقِعَةِ في الثَّلاثَةِ أجزاء الأُوَل المطبوعة مِن كتاب "التمهيد" للحافظ أبي عمر بن عبدالبر.

٨- أخطاء للشَّيخِ محمد أبي زَهْرَةِ.

١ - نِهَايَةُ الآمَالِ
فِي صِحَّةِ حَدِيثِ: «عَرْضِ الأَعْمالِ»

عن عبدالله بن مسعودٍ رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال:

«حَياتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُحْدِثُونَ ويُحْدَثُ لَكُمْ، ووَفَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُعْرَضُ عليَّ أعْمالُكُمْ، فَما رَأَيْتُ مِن خَيْرٍ حَمِدْتُ الله، ومَا رَأَيْتُ مِنْ شَرٍّ اسْتَغْفَرْتُ اللهَ لَكُمْ».

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام علىٰ أشرف المرسلين، سيِّدنا محمَّدٍ وعلىٰ آله الأكرمين، والرِّضى عن صحابته الطاهرين.

أمَّا بعد: فهذا جزءٌ جمعته في بيان صحَّة حديث: «**حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ**»، دعاني إلىٰ جمعه ما رأيت من كثرة النِّزاع الواقع فيه بين فئات من الناس، وخوضِهم فيه بغير هدًىٰ من عِلْمٍ ولا قاعدة مبْنيَّة علي أساسٍ، حتي زَعَم بعض الجَهَلة أنه حديثٌ مكذوبٌ لا يوجد في شيءٍ من الكتب الحديثيَّة، وأنه مخالِفٌ لما ثَبتَ في الأحاديث الصحيحة القوية، وبالغوا في الحَطِّ علي من يورِده في مجلَّة أو كتابٍ بأسلوب شديدٍ من الشَّتْم والسِّباب.

فأردت أن أُبيِّن في هذا الجزء خطأ هذه الدَّعْوىٰ والأقاويل، وأكشف خطر ما تُنبئ عنه من أضاليل، مُحتكمًا في ما أورِدُه إلي قواعد أهل الحديث والأصول، مستندًا إلي ما رجَّحه جمهور أهل المنقول والمعقول.

وسمَّيته "**نِهايَةُ الآمَالِ في صِحَّةِ حَديثِ عَرْضِ الأعْمالِ**" وقدَّمته هديَّةً إلي جناب النبيِّ الكريم عليه أفضل الصَّلاة والتسليم، عسىٰ أن يشملني بشفاعته في الموقف العظيم، حين لا يتقدَّم للشفاعة غيره حتىٰ الخليل والكليم.

واللهُ المسئول أن يحقِّق رجائي، ويقبل دعائي، إنه قريبٌ مجيبٌ لا ربَّ غيره ولا خير إلَّا خيره.

باب
في ذكر طُرُق الحديث وبيان صحَّته

قال الحافظ الكبير أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبدالخالق البصريُّ الشهير بالبزَّار -المتوفَّىٰ بالرملة سنة ٢٩٢- في "مسنده" المشهور: حدَّثنا يوسف بن موسىٰ: ثنا عبدالمجيد بن عبدالعزيز بن أبي رَوَّاد، عن سفيان، عن عبدالله بن السائب، عن زادان، عن عبدالله -يعني ابن مسعودٍ-، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ لله ملائكةً سيَّاحِينَ في الأرضِ يُبلِّغُوني عن أُمَّتي السَّلام**».

قال: وقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**حَياتِي خَيْرٌ لكم تُحْدِثُون ويُحْدَثُ لكم، ووَفَاتي خَيْرٌ لكم تُعْرَضُ عليَّ أعْمالُكم، فما رأيتُ مِن خَيرٍ حَمِدتُ اللهَ، وما رأيتُ مِن شَرٍّ استَغْفرتُ اللهَ لكم**». قال البزَّار: «لا نعلمه يُروىٰ عن عبدالله إلَّا بهذا الإسناد».اهـ

قال الحافظ زين الدين العراقي في كتاب الجنائز من "طرح التثريب في شرح التقريب"(١): «إسناده جيِّدٌ».

---

(١) هذا الكتاب من أواخر كتب العراقي حتىٰ أنه مات قبل إتمامه، فأتمَّه من بعده ولده الحافظ ولي الدين أبو زرعة العراقي، فكلامه هنا يقضي علىٰ كلامه في "تخريج أحاديث الإحياء" الذي ألَّفه في أول أمره حين كان عمره نحو عشرين سنة قبل أن تتسع دائرة حفظه وتكثر ممارسته للقواعد الحديثية، كما يُعلم بالموازنة بينه وبين مؤلَّفاته التي ألَّفها بعده، فإنها تدل علىٰ حفظٍ واسعٍ، واطلاعٍ مُدهِشٍ، وخبرةٍ كاملةٍ بأصول الفَنِّ وقواعده، بَلَغَ بها رتبة الاجتهاد في علم الحديث الشريف.

ومن الدليل علىٰ ما نقول: أنه عزا في «تخريج أحاديث الإحياء» حديث ابن عمر:

وقال الحافظ نور الدين الهيثمي في "مجمع الزوائد": «رجال إسناده رجال الصحيح»، وكذا قال القسطلَّاني في "شرح البخاري".

وقال الحافظ جلال الدين السيوطيُّ في "الخصائص الكبرىٰ": «إسناده صحيحٌ»، وكذا قال علي القاري والشهاب الخفاجي في أوَّل شرحيهما علىٰ "الشفا" للقاضي عياض.

وما حكم به هؤلاء صحيحٌ لا غُبار عليه؛ لأن رجال السَّند كلهم ثِقاتٌ علىٰ شرط الصحيح، وما رُمِي به ابن أبي رَوَّاد من الإرجاء وغيره لا يضرُّه بعد أن روىٰ عنه كبار الأئمَّة مثل الشافعيِّ وأحمد وابن معينٍ، وصرَّح بتوثيقه أحمد وابن معينٍ وأبو داود والنَّسائيُّ، واحتجَّ به مسلمٌ[1] والأربعة. فلا عبرة بمن ضعَّفه بعد هذا خصوصًا ابن حِبَّان فإنه يبالغ في الجرح.

قال الذهبيُّ في ترجمة أفلح بن سعيد المدنيِّ من "الميزان": «ابن حِبَّان ربما قصب[2] الثقة حتىٰ كأنه لا يدري ما يخرج من رأسه».اهـ وقال في ترجمة أيوب بن عبدالسلام: «ابن حِبَّان صاحب تشنيعٍ وتشغيبٍ».اهـ

«أُحِلَّت لنا مَيْتَتان ودَمَان».الحديث، إلىٰ "الصحيحين" مع أنه حديثٌ ضعيفٌ لم يروِه من الستة إلَّا ابن ماجة.

(١) «والرجل إذا احتجَّ به الشيخان فقد قفز القنطرة» كما يقول الذهبيُّ، وقد طُعِن في كثير من رجال الشيخين حتىٰ رُمي بعضهم بالكذب، فلم يأبه العلماء لهذا الطعن لعلمهم أنَّ فتح هذا الباب يؤدِّي إلىٰ عواقب وخيمة. وللحفَّاظ كتب خاصَّة في الدفاع عن الشيخين، منها كتاب العراقي في الدِّفاع عن مسلمٍ، وكتاب ابن حجرٍ في الدفاع عن البخاريِّ.

(٢) أي: أصاب قصبه، وهي أمعاؤه، كناية عن مبالغته في التجريح.

فالحديث من هذا الطريق على شرط مسلمٍ، وله أيضًا طرقٌ أخرى:

منها: ما رواه الحارث بن أبي أسامة في "مسنده"، وابن عديٍّ في "الكامل" من طريق خِراشٍ، عن أنسٍ قال: قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**حَياتي خيرٌ لكم تُحْدِثُونَ ويُحْدَثُ لكم، فإذا أنا متُّ كانت وفاتي خَيْرًا لكم تُعْرَضُ عليَّ أعْمالُكُمْ فإنْ رَأيْتُ خَيْرًا حَمِدْتُ الله، وإنْ رَأيْتُ غير ذلك اسْتَغْفَرْتُ اللهَ لكم**».

قال الحافظ العراقي في "المغني": «إسناده ضعيفٌ لضَعْفِ خِراشٍ».اهـ

ومنها: ما ذكره الحافظ أبو نصر الحسن بن محمد إبراهيم اليونارتي المتوفَّى سنة ٥٢٧ في "معجمه" وهو في عدَّة أجزاء، قال: سمعت الشريف واضح بن أبي تمام الزينبيَّ يقول: سمعت أبا عليٍّ بن تومة يقول: اجتمع قوم من الغرباء عند أبي حفص بن شاهين فسألوه أن يحدِّثهم أعلى حديثٍ عنده، فقال: لأحدِّثنَّكم حديثًا من عوالي ما عندي: حدَّثنا عبدالله بن محمد البغويُّ: ثنا شيبان بن فَرُّوخ الآيليُّ: ثنا نافع أبو هُرْمُز السِّجِسْتانيُّ: سمعت أنس بن مالكٍ يقول: سمعت النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**حَياتِي خَيْرٌ لَكُمْ...**» وذكر الحديث كما سبق. رواه ابن النجَّار في "تاريخ بغداد" عن معمر بن محمد الأصبهانيِّ، عن أبي نصر اليونارتيِّ به. وهذا إسناد ضعيفٌ أيضًا لاتفاقهم على ضعف أبي هُرْمُز.

ومنها: ما رواه الحارث بن أبي أسامة التميمي -المتوفَّى سنة ٢٨٢ على الصحيح- في "مسنده" المشهور قال: حدَّثنا الحسن بن قتيبة: ثنا جسر بن فَرْقَدٍ، عن بكر بن عبدالله المزنيِّ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**حَياتِي خَيْرٌ لكم تُحْدِثُونَ ويُحْدَثُ لَكُمْ، ووَفاتِي خَيْرٌ لكم تُعْرَضُ عليَّ أعْمالكُمْ، فما كان مِن حَسَن حَمِدْتُ اللهَ، وما كان مِن سَيِّءٍ اسْتَغْفَرْتُ اللهَ لكم**». إسناده ضعيفٌ.

طريق آخَر: قال الإمام إسماعيل بن إسحاق القاضي المالكي -المتوفَّىٰ سنة ٢٨٢- في كتاب "فضل الصلاة علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم": حدَّثنا سليمان بن حربٍ: ثنا حمَّاد بن زيدٍ -هو جد إسماعيل القاضي-، عن غالب القطان، عن بكر بن عبدالله المزنيِّ به مرفوعًا[1] ولفظه: «**حَياتِي خَيْرٌ لكم تُحْدِثُونَ ويُحْدَثُ لكم، فإذا أنا مُتُّ كانت وَفاتِي خَيْرًا لكم تُعْرَضُ عليَّ أعْمالكُمْ، فإن رَأيتُ خَيْرًا حَمِدْتُ اللهَ، وإن رَأيْتُ غير ذلك اسْتَغْفَرْتُ اللهَ لكم**».

قال الحافظ محمد بن عبدالهادي المقدسي في كتاب "الصارم المنكي" (ص ١٧٨): «هذا إسناد صحيح إلىٰ بكر المزنيِّ، وبكر من ثقات التابعين وأئمَّتهم».اهـ

قلت: بكر المزني احتجَّ به الستة، وهو مُتفقٌ علىٰ إمامته وجلالته.

طريق آخَر عنه: قال إسماعيل القاضي في كتابه المذكور: حدَّثنا حجَّاج بن المِنْهال: ثنا حمَّاد بن سلمة، عن كثير أبي الفضل، عن بكر بن عبدالله: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**حَياتِي خَيْرٌ لكم ووَفاتِي خَيْرٌ لكم، تُحْدِثُونَ فيُحْدَثُ لكم، فإذا أنا مُتُّ عُرِضَتْ عليَّ أعْمالكُمْ، فإن رأيتُ خَيْرًا حَمِدْتُ اللهَ، وإن رَأيْتُ شَرًّا اسْتَغْفَرْتُ اللهَ لكم**».

وهذا إسناد صحيحٌ أيضًا رجاله علىٰ شرط الصحيح غير كثير أبي الفضل، فقال عنه ابن القطان السِّجِلْماسيُّ: «حاله غير معروفة».

وردَّ عليه الحافظ بأنه «معروفٌ ذكره البخاريُّ في "التاريخ"، وقال: «أثنىٰ

---

(١) المرفوع: ما قاله النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، والموقوف: ما قاله الصحابيُّ.

عليه السعيد بن عامر خيرًا»، «وذكره ابن حِبَّان في "الثقات"». قال الحافظ: «وكأن ابن القطان لم يقف على كلام البخاريِّ»اهـ

واسمه كثير بن يسار البصري الطفاوي، ووقع في كتاب "الصارم المنكي" (ص١٧٨) كثير بن الفضل وهو تحريفٌ.

وبالجملة فهذا السند صحيح كما قدَّمنا، وخرَّج السيوطيُّ هذا الحديث في "الجامع الصغير" من رواية ابن سعد في "الطبقات" عن بكر المزنيِّ أيضًا. وقال شارحه المناوي: «رجاله ثقات».اهـ

هذا ما يتعلَّق بلفظ الحديث وتحقيق القول في أسانيده، وقد تبيَّن مما ذكرناه أنَّ الحديث صحيحٌ لا يتطرَّق إليه شكٌّ ولا ارتيابٌ، فالإقدام على تضعيفه أو تكذيبه جرأةٌ قبيحةٌ، لا يجوز أن تصدر من مسلمٍ تذوَّق معنى قول الله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

فصل

وللحديث -مع هذا- شواهد تؤيِّد معناه، وتقوِّي مَبْناه بحيث يرتفع إلى أعلى درجات الصحَّة والقبول، وأنا أذكرها بحول الله تعالى مبتدئًا بأقربها إلى لفظه فأقول:

قال أبو نعيم في "الحلية": حدَّثنا عبدالله بن محمد بن جعفرٍ -هو أبو الشيخ ابن حَيَّان الحافظ المشهور-: ثنا أحمد بن عيسى بن مَاهَان الرَّازيُّ: ثنا محمد بن مُصَفًّى: ثنا بقيَّة: ثنا عبَّاد بن كثيرٍ، عن عمران -هو القصير-، عن أنسٍ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إِنَّ أَعْمَالَ أُمَّتِي تُعْرَضُ عَلَيَّ فِي كُلِّ**

يَوْمِ جُمُعَةٍ، واشْتَدَّ غَضَبُ الله على الزُّنَاةِ».

وروى الحكيم الترمذيُّ في "نوادر الأصول" من طريق عبدالغفور بن عبدالعزيز بن سعيد الشاميِّ، عن أبيه، عن جدِّه -وكانت له صحبة- قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**تُعْرَضُ الأَعْمالُ يومَ الإثنين والخميسِ على الله تعالى، وتُعْرَضُ على الأنبياءِ وعلى الآباءِ والأُمَّهاتِ يوم الجُمُعَةِ، فيفرَحُونَ بحَسَناتِهِمْ، وتَزْدادُ وُجُوهُهُمْ بَياضًا وإِشْراقًا، فاتَّقُوا الله ولا تؤذُوا مَوتاكُمْ**».

وهذان الحديثان ضعيفان، لكن الشواهد يُعتبر فيها بالضعيف كما نبَّه عليه الحافظ المنذريُّ في غير موضعٍ من "الترغيب والترهيب"، والحافظ ابن القيِّم في "جلاء الأفهام" بل هو مقرَّرٌ في علوم الحديث.

القرآن يؤيِّد الحديث

قال تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ١٤] أخبر الله سبحانه في هذه الآية الكريمة أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يأتي يوم القيامة شهيدًا على أُمَّته، وذلك يقتضي أن تُعرض أعمالهم عليه ليشهد على ما رأى وعلم.

قال ابن المبارك: أخبرنا رجلٌ من الأنصار، عن المِنْهال بن عمرٍو، أنه سمع سعيد بن المسيِّب يقول: «ليس من يوم إلَّا يُعرض فيه على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أمَّته غدوة وعَشيًّا، فيعرفهم بأسمائهم وأعمالهم، فلذلك يشهد عليهم». يقول الله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ

هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ١٤].

وقال القرطبي في "التذكرة": «باب ما جاء في شهادة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ أمَّته»، ثُمَّ أورد أثر سعيد بن المسيِّب السابق آنفًا، ثُمَّ قال: «قد تقدَّم أنَّ الأعمال تُعرض علىٰ الله كل يوم اثنين وخميس، وأنها تعرض علىٰ الأنبياء والآباء والأمَّهات يوم الجمعة»، قال: «ولا تعارض فإنه يحتمل أن يُخَص نبيُّنا بما يعرض عليه كل يومٍ، ويوم الجمعة مع الأنبياء عليه وعليهم أفضل الصَّلاة والسَّلام».اهـ

وروىٰ الطبرانيُّ بإسنادٍ ضعيفٍ عن ابن عبَّاسٍ قال: لَمَّا نزلت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ [الأحزاب: ٤٥]، وقد كان أمر عليًّا ومعاذًا أن يسيرا إلىٰ اليمن فقال: «**انطَلِقَا فبَشِّرَا ولا تُنَفِّرا ويَسِّرَا ولا تُعَسِّرَا، فإنَّهُ نَزَلَ عَلَيَّ** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾ [الأحزاب: ٤٥ - ٤٦]».

وقال ابن كثيرٍ في تفسير هذه الآية: «قوله تعالىٰ: ﴿شَٰهِدٗا﴾ أي لله بالوحدانية، وأنه لا إله غيره، وعلىٰ الناس بأعمالهم يوم القيامة، «وجئنا بك علىٰ هؤلاء شهيدًا»: كقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا ﴾ [البقرة: ١٤٣]».اهـ

فإن قيل: قد أخبر الله تعالىٰ عن هذه الأمَّة أنها تشهد علىٰ غيرها حيث قال جل شأنه:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ

ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، ولم يقل أحدٌ أنَّ أعمال الأمم تُعرض على هذه الأمَّة؟ فالجواب من وجهين:

الأول: أنَّ عرض الأعمال ممَّا خُصَّ به نبيُّنا عليه الصَّلاة والسَّلام، كما خُصَّ في قبره بحياةٍ أكمل من حياة الشهداء وبالشفاعة وغيرهما.

والثاني: أنه ورد في الحديث الصحيح: أنَّ هذه الأمَّة إنما تشهد على إخبار نبيِّها وما جاء به في القرآن، وذلك أنها إذا شهدت بأنَّ الرُّسَل بلَّغوا أُمَمَهُم فيقال: وما عِلْمكم؟ فيقولون: «أخبرنا نبيُّنا في ما جاء به من كتاب ربِّنا أنَّ الرُّسل قد بلَّغوا فآمنَّا به وصدَّقنا»(١). فيزكيهم الرسول ويصدِّق قولهم. هذا معنى ما ثبت في الحديث، وهو واضحٌ لا خفاء فيه.

فإن قيل: فما تقول في ما رواه الطبرانيُّ، عن محمد بن فضالة: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أمر قارئًا يقرأ، فلما بلغ قوله تعالى: ﴿ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ ﴾ الآية [النساء: ٤١]، بكى حتى اضطرب لِحْيَاهُ وقال: «**أَيْ ربِّ شهدتُ على من أنا بين ظهْرانِيه فكيف بمن لم أَرَ؟**». فربما يفهم بعض الجهلة من هذا أنه ينفي عرض الأعمال.

قلت: هذا الحديث مؤيِّد لعرض الأعمال لا نافٍ له، وهو أحد الأسباب التي لأجلها أكرم الله نبيَّه بهذه الخصوصية، حتى تكون شهادته على أمَّته عن مشاهدةٍ وعيانٍ، كما أكرمه بعرض أمَّته مع الأمم الأخرى عليه وهو في المدينة كما ثبت في "الصحيحين".

---

(١) فشهادة الأمَّة من قبيل الإرعاء المعروف في كتب الفقه وهو الشهادة على الشهادة.

وقال الحافظ في "فتح الباري" (ج٩ ص٧٨: ٧٩ طبعة الخشاب) ما نصُّه: «ووقع في رواية محمد بن فضالة الظفري أنَّ ذلك كان وهو صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في بني ظفر، أخرجه ابن أبي حاتمٍ والطبرانيُّ وغيرهما من طريق يونس بن محمد بن فضالة، عن أبيه: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أتاهم في بني ظفر ومعه ابن مسعودٍ وناسٌ من أصحابه، فأمر قارئًا يقرأ فأتى على هذه الآية: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١] فبكى حتى اضطَّرب لِحْياه ووَجْنتاه وقال: «**يَارَبِّ هذا على مَن أنا بين ظَهْرانِيهِ فكيف بمن لم أره؟**».

وأخرج ابن المبارك في "الزهد": من طريق سعيد بن المسيِّب قال: «لَيسَ مِن يَومٍ إلَّا يُعرَض على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أُمَّتُهُ غُدوةً وعشيًّا فيعرفهم بسيماهم وأعمالهم فلذلك يشهد عليهم». ففي هذا المرسل ما يرفع الإشكال الذي تضمَّنه حديث ابن فضالة والله أعلم».اهـ كلامه.

وحاصل الإشكال: أنه كيف يشهد على من يأتي بعده من أمَّته؟!

وحاصل رفعه: أنَّ أعمالهم تعرض عليه فيشهد عليها شهادة عيانٍ.

وجعل الحافظ أثر سعيد بن المسيِّب مرسلًا؛ لأنه لا دخل للرأي والاجتهاد فيه، فيكون من قبيل المحكوم برفعه فلذلك سمَّاه مرسلًا، ومراسيل سعيد بن المسيِّب من أصح المراسيل وأقواها حتى أنَّ الشافعي قبلها مع ردِّه لغيرها من المراسيل، والله أعلم.

حديث الحوض يؤيد حديث عرض الأعمال

أخرج أبو يعلىٰ: عن أبىٰ سعيدٍ الخدريِّ، قال: سمعتُ رسولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «ما بَالُ رِجَالٍ يقولون: إنَّ رَحِمَ رَسُولِ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لا تَنْفَعُ قَوْمَهُ، بَلَى والله إنَّ رَحِمِي مَوْصُولَةٌ في الدُّنيا والآخِرَةِ، وإنِّي أيُّها النَّاسُ فَرطٌ لكم على الحَوْضِ، فإذا جِئْتُمْ قال رَجُلٌ: يا رسول الله أنا فُلاَنُ بن فلانٍ، وقال آخَرُ: أنا فلان بن فلانٍ، فأقول: فأمَّا النَّسَبُ فقد عَرَفْتُهُ، ولكِنَّكُم أَحْدَثْتُمْ بعدى، وارتَدَدْتُمُ القَهْقَرَى». قال الحافظ الهيثميُّ: «رجاله رجال الصحيح غير عبدالله بن محمد بن عقيل، وقد وُثِّق».اهـ

قلت: حديثه حسنٌ كما صرَّح به الحافظ الهيثمي نفسه في مواضع من "مجمع الزوائد"، فقوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «ولكنَّكم أَحْدَثْتُمْ بَعْدِى» دليلٌ علىٰ أنَّ أعمالهم عُرِضت عليه، وإلَّا لما عرف ذلك منهم.

عرض الأعمال على الأقارب يؤيد حديث: «عرض الأعمال»

قال ابن أبي الدنيا في أول كتاب "المنامات": حدَّثنا عبدالله بن شَبيبٍ: ثنا أبو بكر بن شيبة الحزاميُّ: ثنا فُلَيح بن إسماعيل: حدَّثني محمد بن جعفر بن أبي كثيرٍ، عن زيد بن أسلم، عن أبي هريرة قال: قال رسول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «لا تَفضَحُوا أَمواتَكُم بسيِّئاتِ أَعْمَالِكُم فإنَّها تُعرضُ على أَولِيائِكُم من أَهلِ القبورِ».

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا عبدالرزَّاق، حدثنا سفيان، عمن سمع أنسًا يقول: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «إنَّ أعمالَكُم تُعرضُ على أقاربِكُم وعَشائِرِكُم، فإن كان خَيرًا اسْتَبْشَرُوا، وإن كان غيرَ ذلك قالوا اللهمَّ

لا تُمِتْهُم حتَّى تَهْدِيَهُم كَما هَدَيْتَنَا».

وقال أبو داود الطيالسيُّ: حدَّثنا الصَّلْت بن دينارٍ، عن الحسن، عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ أَعْمالَكُمْ تُعْرَضُ على أقارِبِكُمْ في قُبُورِهِمْ، فإن كان خَيْرًا اسْتَبْشَرُوا، وإن كان غَيْرَ ذلِكَ قالوا: اللهمَّ أَلْهِمْهُم أن يَعْمَلُوا بطَاعَتِكَ**».

وقال يحيىٰ بن صالح الوحاظيُّ، حدَّثنا أبو إسماعيل السكونيُّ، سمعت مالك بن أنسٍ يقول: سمعت النُّعمان بن بشيرٍ وهو علىٰ المنبر يقول: سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**إنه لم يَبْقَ مِن الدُّنيا إلَّا مِثْلُ الذُّبَابِ تَمُورُ في جَوِّهَا، فاللهَ اللهَ في إخْوَانِكُمْ مِن أَهْلِ القُبُورِ، فإنَّ أَعْمَالَكُمْ تُعْرَضُ عليهم**».

وهذه الأحاديث[1] وإن كانت ضعيفةً فإن الآثار عن الصحابة والتابعين تؤيِّدها وتقضي بأنَّ لها أصلًا.

قال عبدالله بن المبارك: حدَّثني ثور بن يزيد، عن أبي رُهم[2]، عن أبي أيوب قال: «تُعرضُ أعمالَكُم عَلىٰ الموتَىٰ فإن رأوا حسنًا فرحوا واستبشروا وقالوا: اللهمَّ هذهِ نعمتُكَ علىٰ عبدِك فأتمَّها عليه. وإن رأوا سيِّئًا قالوا: اللهمَّ راجِع به».

وقال ابن المبارك أيضًا: حدَّثني صفوان بن عمرو، عن عبدالرحمن بن جُبير

---

(١) وقعت أسانيد هذه الأحاديث في كتاب "أهوال القبور" مصحَّفة غاية التصحيف. انظرها فيه (ص٧٧: ٧٨).

(٢) رُهم: بضم الراء، واسم أبي رهم أحزاب بن سيد، مختَلَفٌ في صحبته، ووقع في "كتاب الروح" (ص٨ طبعة ثانية): إبراهيم، وهو تصحيف.

ابن نُفيرٍ: أنَّ أبا الدرداء كان يقول: «إنَّ أعمالَكُم تُعرَضُ علىٰ أَمواتِكُم فيُسَرُّون ويُسَاءون». وكان أبو الدرداء يقول عند ذلك: «اللهمَّ إني أعوذ بك أن أعمل عملًا أُخزىٰ به عند عبدالله بن رواحة».

وروىٰ ابن أبي الدنيا: من طريق بلال بن أبي الدرداء قال: «كنت أسمع أبا الدرداء وهو ساجدٌ يقول: اللهم إني أعوذ بك أن يمقتني خالي ابن رواحة إذا لقيته».

وقال أحمد بن أبي الحواري: حدَّثني محمد أخي قال: دخل عبَّاد بن عبَّاد علىٰ إبراهيم بن صالح وهو أميرٌ علىٰ فلسطين فقال له: عِظْني. فقال: بِمَ أعظك أصلحك الله؟! بلغني أنَّ أعمال الأحياء تُعرَضُ علىٰ أقاربهم من الموتىٰ، فانظر ماذا يُعرض علىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من عملك؟ فبكىٰ إبراهيم حتىٰ سالت دموعه علىٰ لحيته. رواه ابن أبي الدنيا في كتاب "القبور".

وروىٰ ابن المبارك بسنده: أنَّ سعيد بن جُبير سُئِل: هل يأتي الموتىٰ أخبار الأحياء؟ قال: نعم، ما من أحدٍ له حميمٌ إلَّا ويأتيه أخبار أقاربه، فإن كان خيرًا سُرَّ به، وإن كان شرًّا ابتأس وحزن.

قال ابن القيِّم في كتاب "الروح": وصحَّ عن عمرو بن دينار أنه قال: «ما من ميِّتٍ يموت إلَّا وهو يعلم ما يكون في أهله من بعده، وإنهم ليُغَسِّلونه ويُكَفِّنونه وإنه لينظر إليهم». وصحَّ عن مجاهدٍ أنه قال: «إنَّ الرجل ليُبَشَّر في قبره بصلاح ولده من بعده».اهـ

وقال أيضًا: «وهذا بابٌ فيه آثارٌ كثيرةٌ عن الصحابة، وكان بعض الأنصار من أقارب عبدالله بن رواحة يقول: «اللهمَّ إني أعوذ بك من عمل أخزىٰ به

عند عبدالله بن رواحة».اهـ

والآثار في هذا كثيرةٌ يطول تتبُّعها وليس الغرض استقصاءها في هذا الموضع، وهي كما قدَّمنا تُقوِّي الأحاديث السابقة؛ لأن عرض الأعمال على الأقارب من المغيَّبات التي لا تُدْرَك بالرأي والاجتهاد، فلولا أنه بلغهم فيه حديثٌ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ما أخبروا به ولا تناقلوه في مجالس الوعظ والتذكير.

وإذا كانت أعمال الأحياء تعرض على أقاربهم الموتى لما بينهم من القرابة التي تدعو إلى الشفقة وحبِّ الخير، فالنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أولى بأن تُعرَضَ عليه أعمال أمَّته لمزيد شفقته عليهم ورحمته بهم وحرصه على إيصال الخير لهم بدليل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

ولمَّا ذكر ابن رجب جملة من الأحاديث والآثار في عرض أعمال الأحياء على الأموات قال ما نصُّه: «وقد جاء عَرْضُ أعمال الأمَّة كلها على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بمنزلة الوالد»، ثُمَّ ذكر حديث ابن مسعودٍ[1] السابق أول الباب، وذكر بعض ما يشهد له. وهذا النصُّ غير موجود في كتاب "أهوال القبور" المطبوع بمكة، فلا أدري أسقط سهوًا أم قُصِد إسقاطه؟

---

(١) ذكره بإسناده نقلًا عن البزَّار أيضًا (٧٩) أهوال القبور، لكن جاء الحديث غير ملائم لما قبله من الكلام لسقوط النصِّ الذي نقلناه عن نسخة خطية من كتاب "الأهوال" المذكور كُتِبَت سنة ١١١٣ هجرية.

الصلاة على النبيِّ تعرض عليه
وهي من جملة الأعمال

أخرج أحمد وأبو داود والنَّسائيُّ وابن ماجه وابن خزيمة وابن حِبَّان والحاكم في صحاحهم والبيهقيُّ في "حياة الأنبياء" و"شعب الإيمان" وغيرهم، من طريق حسين بن عليٍّ الجعفيِّ: ثنا عبدالرحمن بن يزيد بن جابرٍ، عن أبي الأشعث الصنعانيِّ، عن أوس بن أوسٍ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أفْضَل أيَّامِكم يومَ الجُمُعَةِ؛ فيه خُلِقَ آدَمُ، وفيه قُبِضَ، وفيه النَّفْخةُ وفيه الصَّعقَةُ، فأكْثِرُوا عليَّ مِن الصَّلاة فيه فإن صَلاتكم مَعْرُوضَةٌ عليَّ**». قالوا: وكيف تُعرَضُ عليكَ صلاتُنا وقد أَرِمْتَ. -يقولون بلِيتَ؟- فقال: «**إنَّ اللهَ حَرَّمَ على الأَرْضِ أن تأكُلَ أجْسادَ الأنبياءِ**».

قال الحاكم: «صحيحٌ على شرط البخاريِّ»، وسلَّمه الذهبيُّ.

وصحَّحه أيضًا ابن خزيمة وابن حِبَّان والحافظ عبدالغني بن سعيد والنوويُّ في "الأذكار" والقرطبيُّ في "التذكرة" والحافظ أبو الخطاب بن دحية وغيرهم.

وبعضهم أعلَّ الحديث بأنه من رواية عبدالرحمن بن يزيد بن تميم الضعيف، ولكن حسين الجعفي اشتبه عليه الأمر فجعله من رواية عبدالرحمن بن يزيد بن جابر الثقة.

وهذا إعلالٌ باطلٌ بيَّن بطلانه الحافظ الدارقطني[1] وذكر أنَّ حسينًا

---

(١) في حواشيه على كتاب أبي حاتمٍ الرازي في الضعفاء، وكان الدارقطني إمامًا لا يجارى في معرفة العِلَل والأسانيد والرجال. قال القاضي أبو الطيب الطبري: «الدارقطني

الجعفيَّ روىٰ الحديث عن عبدالرحمن بن يزيد بن جابر تحقيقًا من غير اشتباهٍ.

قال الحافظ ابن عبدالهادي المقدسي في "الصارم المنكي" (ص١٨٤): «وهذا الذي قاله الحافظ أبو الحسن هو أقرب وأشبه بالصواب، وهو أنَّ الجعفيَّ روىٰ عن ابن جابرٍ ولم يروِ عن ابن تميمٍ، والذي يروي عن ابن تميمٍ ويغلط في اسم جدِّه هو أبو أسامة كما قاله الأكثرون، فعلىٰ هذا يكون الحديث الذي رواه حسين الجعفيُّ، عن ابن جابرٍ، عن أبي الأشعث، عن أوسٍ حديثًا صحيحًا؛ لأن رواته كلهم مشهورون بالصدق والأمانة والثقة والعدالة، ولذلك صحَّحه جماعةٌ من الحفَّاظ كأبي حاتم ابن حِبَّان والحافظ عبدالغني المقدسي وابن دحية وغيرهم، ولم يأتِ مَن تكلَّم فيه وعلَّلَه بحُجَّةٍ بيِّنةٍ».اهـ

ثُمَّ ناقش كلام من علَّلَه بما يكفي فراجعه.

وأخرج ابن ماجة عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أكْثِرُوا مِن الصَّلاة عليَّ في يوم الجُمُعَةِ فإنه يومٌ مَشْهُودٌ تَشْهَدُهُ المَلائِكَةُ وإنَّ أحَدًا لن يُصَلِّيَ عليَّ إلَّا عُرِضَت عليَّ صلاتُهُ حتَّى يَفْرُغ منها قال قلت: وبعد الموت؟ قال: «وبعد الموت إنَّ اللهَ حَرَّمَ على الأرضِ أن تأكُلَ أجْسادَ الأنبياء فنبيُّ الله حيٌّ يُرزَقُ**».

وهكذا رواه ابن وهبٍ في "جامعه"، قال الحافظ المنذريُّ في "الترغيب والترهيب": «إسناده جيدٌ»، وكذا قال العلَّامة السيِّد السمهوديُّ في "وفاء الوفا"، وقال الحافظ في "تهذيب التهذيب": «رجاله ثقاتٌ»، لكنه أشار إلىٰ

أمير المؤمنين في الحديث».

انقطاعٍ فيه، وكذا فعل تلميذه الحافظ السخاويُّ في "القول البديع"، وصحَّحه الحافظ البوصيريُّ مع الإشارة إلى انقطاعه أيضًا، وقال الحافظ ابن عبدالهادي المقدسي في "الصارم المنكي" (١٨٨): «وهذا الحديث وإن كان فيه شيءٌ فهو شاهدٌ لغيره وعاضدٌ له».اهـ

قلت: لا شيء فيه غير الانقطاع المُشار إليه وأمره قريبٌ، أمَّا محاولته تضعيف السَّند بجهالة حال زيد بن أيمن فمردودةٌ بتوثيق ابن حِبَّان له وبتصحيح الحفَّاظ المذكورين خصوصًا المنذري والعسقلاني.

وأخرج أبو داود والنَّسائيُّ، والبيهقيُّ في "حياة الأنبياء"، وابن نفيل في "جزئه" المعروف، من طريق عبدالله بن نافعٍ، عن ابن أبي ذئبٍ، عن سعيد بن أبي سعيدٍ المَقْبُريِّ، عن أبي هريرة عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، ولا تَجْعَلُوا قَبري عِيدًا، وصَلُّوا عليَّ فإنَّ صلاتكم تَبْلُغُنِي حيثما كنتم**». رجاله ثقاتٌ.

ونقل ابن عبدالهادي في "الصارم المنكي" (ص١٧٤) عن ابن تيمية: «أنَّ إسناده حسنٌ»، وأيَّده بما يُعلَم من مراجعته هناك، وصحَّحه النوويُّ في "الأذكار".

ولابن أبي شيبة وابن مَرْدُويه: عن أبي هريرة أيضًا قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أكْثِرُوا الصَّلاةَ عليَّ يومَ الجُمعةِ فإنها مَعْروضَةٌ عليَّ**».

وأخرج أبو الشيخ في كتاب "الثواب": من طريق أبي معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالحٍ، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن صَلَّى عليَّ عند قبري سمعتُهُ، ومَن صَلَّى عليَّ من بعيدٍ**

أُعْلِمْتُهُ». قال ابن القيِّم: «غريبٌ». لكن نقل الحافظ السخاويُّ عن شيخه الحافظ ابن حجرٍ أنه قال: «سنده جيدٌ».اهـ

وللطبرانيُّ في "الأوسط": عنه أيضًا قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أكْثِرُوا الصَّلاةَ عليَّ في الليلة الزَّهراء واليوم الأَغرِّ فإنَّ صَلاتَكمْ تُعْرَضُ عليَّ**». سنده ضعيفٌ. قال السخاويُّ: «لكن يتقوَّىٰ بشواهده».اهـ

وأخرج عبدالرزاق، عن مجاهدٍ، عن أبي طلحة قال: دخلت علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فوجدته مسرورًا، فقلت: يا رسول الله ما أدري متىٰ رأيتك أحسن بِشرًا وأطيب نفسًا من اليوم؟! قال: «**وما يمنعني، وجبريلُ خَرَجَ من عندِي الساعةَ فبَشَّرَنِي أنَّ لكلِّ عبدٍ صَلَّى عليَّ صَلَاةً يُكتبُ لهُ بِها عَشرُ حسناتٍ، ويُمحَى عنهُ عَشرُ سيِّئاتٍ، ويرفعُ له بها عشر درجاتٍ، وتُعرضُ عليَّ كما قالَها ويُردُّ عليهِ بمثلِ مَا دَعَا**».

وأخرج الحاكم في "المستدرك"، والبيهقيُّ في "الشعب" و"حياة الأنبياء" من طريق أبي رافع، عن سعيدٍ المَقْبُرِيِّ، عن أبي مسعودٍ الأنصاريِّ، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**أكْثِرُوا الصَّلاةَ عليَّ في يوم الجُمُعَةِ فإنه ليس يُصَلِّي عليَّ أحَدٌ يوم الجُمُعَةِ إلَّا عُرِضَتْ عليَّ صَلاتُهُ**».

أبو رافع: إسماعيل بن رافع المدنيُّ ضعيفٌ عند الجمهور، لكن وثَّقه البخاريُّ، وقال يعقوب ابن سفيان: «يصلح حديثه للشواهد والمُتابعات». وقال ابن المبارك: «لم يكن به بأس». ولعل الحاكم اعتمد هذا فصحَّح الحديث، والله أعلم.

وأخرج البيهقيُّ من طريق حمَّاد بن سلمة، عن بُرْدِ بن سِنَانٍ، عن مكحولٍ الشاميِّ، عن أبي أُمامة قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أكْثِرُوا**

عليَّ من الصَّلاةِ في كلِّ يومِ جُمُعةٍ، فإنَّ صَلاةَ أُمَّتي تُعرضُ عليَّ في كلِّ يوم جُمُعةٍ، فمن كان أكثرُهم عليَّ صَلاةً كان أقربهم مِنِّي مَنْزِلَةً».

قال الحافظ المنذريُّ: «إسناده حسنٌ إلَّا أنَّ مكحولًا قيل: لم يسمع من أبي أُمامة».اهـ

وفي "الصارم المنكي" ص(١٨٩): «إسناده جيدٌ فيه إرسال؛ فإنَّ مكحولًا لم يسمع من أبي أُمامة».

وقال الحافظ السخاوي في "القول البديع": رواه البيهقيُّ -يعني الحديث المذكور- بسندٍ حسنٍ لا بأس به، إلَّا أنَّ مكحولًا قيل: لم يسمع من أبي أمامة في قول الجمهور، نعم في "مسند الشاميين" للطبراني التصريح بسماعه منه».اهـ

ورجَّح المِزِّيُّ في "التهذيب" سماعه من أبي أُمامة أيضًا، فالسند على هذا متصلٌ حسنٌ.

وللطبرانيِّ بإسنادٍ ضعيفٍ عنه أيضًا قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: **«مَن صَلَّى عليَّ صَلَّى اللهُ عليه عَشْرًا بها مَلَكٌ مُوَكَّلٌ بها حتَّى يُبْلِغْنِيها»**.

وقال محمد بن إسماعيل الورَّاق حدَّثنا جُبارَة بن المُغَلِّس: ثنا أبو إسحاق حازم، عن يزيد الرَّقاشِيِّ، عن أنسٍ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: **«أَكْثِروا الصَّلاةَ عليَّ يومَ الجُمُعة فإنَّ صَلاتَكُم تُعْرَضُ عليَّ»**. قال ابن القيِّم: «وهذا وإن كان ضعيفًا يصلح للاستشهاد».

وروى الطبرانيُّ في "الأوسط" عن أنسٍ أيضًا قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: **«مَن صَلَّى عليَّ صَلاةً واحدةً بَلَغَتْني صَلاتُهُ، وصَلَّيتُ عليه،**

وكُتِبَ له سِوى ذلك عَشْرُ حَسَناتٍ». قال الحافظ المنذريُّ: «إسناده لا بأس به».اهـ

وأخرج أبو يعلىٰ في "مسنده" من طريق عبدالله بن نافعٍ: أخبرنا العلاء بن عبدالرحمن قال: سمعت الحسن بن عليِّ بن أبي طالبٍ عليهما السَّلام يقول: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**صَلُّوا في بيوتكم ولا تتَّخِذُوها قُبُورًا، ولا تتَّخِذُوا بَيْتي عِيدًا، صَلُّوا عليَّ وسَلِّموا فإنَّ صَلاتَكُم وسلامَكُم يَبْلُغني أين ما كنتم**».

وروىٰ الطبرانيُّ في "الكبير"، و"الأوسط": من طريق حميد بن أبي زينب، عن حسن بن حسن بن عليِّ بن أبي طالبٍ عليهم السَّلام، عن أبيه: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**حيثما كُنتم فصَلُّوا عليَّ فإنَّ صلاتَكُم تَبْلُغُني**». قال الحافظ المنذريُّ: «إسناده حسنٌ».

وقال أبو عبدالله الحسين ابن إسماعيل المحامليُّ: ثنا أبو حاتمٍ الرازيُّ: ثنا ابن أبي مريم: ثنا محمد بن جعفرٍ: حدَّثني حميد بن أبي جعفر، عن الحسن بن عليٍّ عليهما السَّلام، عن أبيه: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**حيثما كنتم فصَلُّوا عليَّ فإنَّ صَلاتَكُم تَبْلُغُني**».

وقال ابن أبي شيبة في "المصنَّف": حدَّثنا أبو خالد الأَحْمَرِ، عن ابن عَجْلان، عن سهلٍ، عن حَسَنِ بن حَسَنٍ، قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا، وَلا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا وصَلُّوا عليَّ حيثُ ما كنتم فإنَّ صَلاتَكُمْ تَبْلُغُنِي**». إسناده صحيحٌ، وهو مرسلٌ في حكم الموصول كما لا يخفىٰ؛ لأنه تقدَّم من رواية الحسن وعليٍّ عليهما السَّلام.

وقال أبو يعلىٰ: حدَّثنا أبو بكر بن أبي شيبة: ثنا زيد بن الحباب: ثنا جعفر بن إبراهيم -من ولد ذي الجناحين-: ثنا عليُّ بن حسينٍ: أنه رأىٰ رجلًا يأتي إلىٰ فرجة كانت عند قبر النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فيدخل فيها ويدعو فقال له: ألا أحدِّثك حديثًا عن أبي، عن جدِّي، عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم؟ قال: «**لا تتَّخِذُوا قبري عِيدًا، ولا تَجْعَلوا بُيوتكم قُبُورًا، وسلِّموا عليَّ فإن تَسْليمكم يَبْلُغُني أينما كنتم**».

قال الحافظ السخاويُّ في "القول البديع": «وهو حديثٌ حسنٌ».

قلت: بل أخرجه الحافظ أبو عبدالله محمد بن عبدالواحد المقدسي في ما اختاره من الأحاديث الصحيحة الزائدة علىٰ "الصحيحين".

قال الحافظ ابن عبدالهادي في "الصارم المنكي": «وشرطه فيه أحسن من شرط الحاكم».

وأخرج أبو الشيخ والبزَّار والطبرانيُّ والحارث بن أبي أسامة وغيرهم، من طريق نعيم بن ضَمْضَم، عن ابن الحميريِّ، عن عمَّار بن ياسرٍ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ لله تبارك وتعالى مَلَكًا أعْطَاهُ أسماء الخَلائق، فهو قائمٌ على قَبْري إذا مُتُّ فليس أحَدٌ يُصَلِّي عليَّ صلاةً إلَّا قال: يا محمد، صَلَّى عليك فلان بن فلانٍ. فيصَلِّي الربُّ تبارك وتعالى على ذلك الرَّجُل بكلِّ واحدةٍ عشرًا**».

نعيم بن ضَمْضَم، قال المنذريُّ: «فيه خلافٌ»، وقال الذهبيُّ: «ضعَّفه بعضهم». وقال الحافظ[1] في "اللسان": «ما عرفت إلىٰ الآن من ضعَّفه». وابن

---

(١) لفظ الحافظ أو شيخ الإسلام إذا أُطلق فإنه ينصرف في عرف المُحدِّثين إلىٰ الحافظ ابن

الحميري -اسمه عمران- ليَّنه البخاريُّ وقال: «لا يُتابع على حديثه». وذكره ابن حِبَّان في "الثقات"، و«بقيَّة رجال الحديث رجال الصحيح» كما قال الحافظ الهيثميُّ.

وأخرج أحمد والنَّسائيُّ والدارميُّ وأبو نعيمٍ والبيهقيُّ والخلعيُّ وغيرهم عن عبدالله بن مسعودٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ لله مَلائِكَةً سَيَّاحين يُبَلِّغوني عن أُمَّتي السَّلام**». صحَّحه ابن حِبَّان والحاكم.

وروى ابن عديٍّ: من حديث ابن عبَّاسٍ مثله. وقال الديلميُّ في "مسند الفردوس": أنبأنا والدي: أنا أبو الفضل الكرابيسيُّ: أنبأنا أبو العباس بن تركان: حدَّثنا موسى بن سعيد: ثنا أحمد بن حمَّاد بن سفيان: حدَّثني محمد بن صالح المروزيُّ: ثنا بكر بن خِداشٍ، عن فطر بن خليفة، عن أبي الطُّفَيل، عن أبي بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أكْثِرُوا الصَّلاةَ عليَّ فإنَّ الله وَكَّلَ بي مَلَكًا عند قَبْرِي فإذا صَلَّى عليَّ رَجُلٌ مِن أُمَّتي قال لي ذلك المَلَكَ: يا محمَّدُ إنَّ فُلان بن فُلانٍ صَلَّى عليك السَّاعَةَ**». «في

حجرٍ العسقلانيِّ صاحب "فتح الباري"، و"تهذيب التهذيب"، و"لسان الميزان"، وغيرها من الكتب القيِّمة النفيسة، كان أعجوبةً في الحِفْظ وسِعَة الاطلاع ومعرفة العِلل والرِّجال حتى سُمِّي: «أمير المؤمنين في الحديث». فالعجب ممن يحاول الغضَّ مِن رتبته، أو إلحاق بعض متأخِّري الحنفية بمنزلته! وأعجب من هذا أن يتَّخِذ من لقَبَيّ: «البدر، والشهاب» حُجَّةً على تفاوت صاحبيهما في العلم! ومتى كانت الألقاب دليلًا على صاحبها وفضله؟!

سنده ضعفٌ» كما قال الحافظ السخاويُّ.

وأخرج الحافظ بن بَشْكُوال -بسندٍ ضعيفٍ كما قال الحافظ السخاويُّ- عن عمر رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**أكْثِرُوا الصَّلاةَ عليَّ في الليلةِ الزَّهْراء واليوم الأَغَر؛ فإنَّ صَلاتَكُم تُعْرَضُ عليَّ فأدعو لكم وأسْتَغْفِر**». الليلة الزَّهراء: ليلة الجمعة، واليوم الأَغَر: يومها.

وأخرج ابن راهويه والحرفيُّ وابن بشران والبيهقيُّ: عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: «ليس أحدٌ مِن أمَّة محمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يُصَلِّي عليه صَلاةً إلَّا وهي تَبْلُغُهُ. يقول له المَلَكُ: فلانٌ يُصَلِّي عليك كذا وكذا صلاة».

إسناده صحيحٌ، وهو موقوفٌ له حُكْم المرفوع؛ لأنه لا يُعلم بالرأي والاجتهاد.

وقال الحافظ أبو عبدالله المقدسي في "المختارة": أنبأنا أبو عبدالله محمد بن معمر بأصبهان: أنَّ جعفر بن عبدالواحد أخبرهم إجازةً: أنبأنا أبو القاسم عبدالرحمن بن محمد بن أحمد بن عبدالرحمن الهمدانيُّ: أنبأنا أبو محمد أبو عبدالله بن جعفر بن حَيَّان -هو أبو الشيخ-: حدَّثنا إسحاق بن إسماعيل: ثنا آدم بن أبي إياس: ثنا محمَّد بن بشرٍ: ثنا محمد بن عامر: ثنا أبو قِرْصافة[1] جَنْدَرة -وكان لأبي قِرْصَافة صحبةٌ، وكان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قد كَسَاهُ بُرْنُسًا، وكان النَّاسُ يأتونه فيدعو لهم ويُبارك فيهم فتعرف البركة فيهم، وكان لأبي

---

(١) قِرْصافة: بكسر القاف وسكون الراء، وجَنْدَرة: بفتح الجيم والدال -بينهما نون ساكنة- فهو أبو قِرْصافة جَنْدَرة بن خَيْشَنة -بفتح الخاء والشين- الكنانيُّ: صحابيٌّ. قال ابن حَيَّان: «قبره بعسقلان».

قِرْصَافة ابن في بلاد الرُّوم غازيًا، وكان أبو قِرْصَافة إذا أصبح في السَّحَر بعسقلان نادىٰ بأعلىٰ صوته: يا قِرْصَافة الصَّلاة، فيقول قِرْصَافة من بلاد الروم: لبَّيك يا أبتاه، فيقول أصحابه: ويحك لمن تنادي؟! فيقول: لأبي وربِّ الكعبة، يوقظني للصَّلاة- قال أبو قِرْصَافة: سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**مَن أَوَى إلى فِراشِهِ ثُمَّ قرأ (سورة تبارك) ثُمَّ قال: اللهمَّ ربَّ الحِلِّ والحرام وربَّ البَلَدِ الحرام وربَّ الرُّكْن والمَقام وربَّ المَشْعَرِ الحرام وبحقِّ كلِّ آيةٍ أنزلتها في شهر رمضان بلِّغ رُوحَ محمَّدٍ مِنِّي تحيَّةً وسلامًا. أربع مرات، وكَّل الله به مَلَكين حتى يأتيا محمَّدًا فيقولان له ذلك. فيقول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: وعلى فلانٍ بن فلانٍ مِنِّي السَّلام ورحمة الله وبركاته**».

قال الحافظ المقدسيُّ: «لا أعرف هذا الحديث إلَّا بهذا الطريق وهو غريبٌ جدًّا، وفي رُوَاته مَن فيه بعض المقال».اهـ

وقال ابن القيِّم: «إنه معروفٌ من قول أبي جعفرٍ الباقر وهذا أشبه».اهـ

ومثله لا يُدْرَك بالرأي والاجتهاد، فله حُكْم المرفوع.

وقال سعيد بن منصور في "سننه": حدَّثنا حِبَّان بن عليٍّ: حدَّثني محمد بن عَجْلان، عن أبي سعيدٍ مولىٰ المهري قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لا تتَّخِذُوا بَيْتي عِيدًا ولا بُيوتكم قُبُورًا وصَلُّوا عليَّ حيثما كنتم فإنَّ صَلاتكم تَبْلُغُني**».

وقال إسماعيل القاضي: حدَّثنا سالم بن سليمان الضبيُّ: ثنا أبو حرة، عن الحسن قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أكْثِرُوا عليَّ الصَّلاة يومَ الجُمُعة فإنها تُعْرَضُ عليَّ**».

وروى أيضًا: عن إبراهيم بن الحجَّاج: ثنا وهيب، عن أيوب قال: «بلغني -والله أعلم- أنَّ مَلَكًا مُوَكَّلٌ بكلِّ مَن صلَّىٰ علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، حتىٰ يُبلِّغه النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم».

وقال القاضي إسماعيل أيضًا: حدَّثنا عبدالرحمن بن واقد العطار: ثنا هُشَيم: ثنا حصين بن عبدالرحمن، عن يزيد الرَّقَاشيِّ قال: «إنَّ مَلَكًا مُوَكَّلٌ يوم الجمعة بمن صلَّىٰ علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، يُبلِّغ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، يقول: إنَّ فلانًا من أمَّتك يصلِّي عليك».

ورواه سعيد بن منصور في "سننه"، وبقي بن مخلد، ومن طريقه ابن بَشْكُوال، لكن بدون ذكر يوم الجمعة.

وأخرج سعيد بن منصور في "سننه": عن خالد بن مَعْدان، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**أَكْثِرُوا الصَّلاةَ عليَّ في كُلِّ يوم جُمُعةٍ؛ فإنَّ صَلاةَ أُمَّتي تُعْرَضُ عليَّ في كلِّ يوم جُمُعةٍ**».

وأخرج النميريُّ عن حمَّاد الكوفيِّ قال: «إنَّ العبد إذا صلَّىٰ علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عُرِض عليه باسمه».

فتحصَّل من هذه الأحاديث والآثار -وعددها يزيد علىٰ خمسة عشر- أنَّ صلاتنا وسلامنا علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يُعرضان عليه، وهما لا شك من جملة أعمال الأمَّة التي تُعرض عليه، فكيف يسوغ إنكار حديث: «**حياتي خير لكم**» مع وجود هذه الشواهد التي تؤيِّده وتقوِّيه؟! فإنه لو كان ضعيفًا لارتفع بها إلىٰ درجة القبول، كيف وهو وحده -بصرف النظر عن شواهده- صحيحٌ علىٰ شرط مسلمٍ كما قدَّمنا؟!

وأيضًا فقد قرَّر علماء الأصول والحديث أنَّ الحديث المرسل إذا ورد من طريقٍ آخَر موصولٍ ضعيفٍ كان مجموعهما صحيحًا تقوم به الحُجَّة، ويلزم العمل به.

فإذا صرفنا النظر عن طريق ابن مسعودٍ الصحيح وأخذنا مرسل بكر المزني وضممناه إلى حديثي أنسٍ الضعيفين كان الحديث صحيحًا أيضًا، هذا إن مشينا على قول الجمهور: أنَّ المرسل ضعيفٌ لا يُعمل به، إلَّا إذا ورد ما يؤيِّده كما سبق.

أمَّا إذا ذهبنا إلى قول المالكيَّة والحنفيَّة الذين يرون المرسل وحده صحيحًا يعمل به، وحكاه عنهم العراقي في الألفية:

واحْتَجَّ مَالِكٌ كَذَا النُّعْمَانُ ... بِهِ وتابَعُوهُمَا ودَانُوا

فمرسل بكر المزني وحده يكون صحيحًا تلزم به الحُجَّة لأن له إسنادين، صحَّح أحدهما الحافظ ابن عبدالهادي وهو أشد الناس تعنُّتًا في هذا الباب.

والعجيب في الأمر أنه صحَّحه في كتاب ألَّفه في الردِّ على السُّبْكي انتصارًا لابن تيمية! وقد نقلنا تصحيحه في ما سبق.

والمقصود: أنَّ الحديث صحيحٌ على جميع الاصطلاحات المقرَّرة، وإني أتحدَّى مَن يُنكِره -دفْعًا بالصَّدر واستكبارًا عن قبول الحقِّ- أن يأتي بما يقتضي وَضْعه من القواعد الحديثية أو الأصولية، فإنه لن يجد إلى ذلك سبيلًا متى التزم طريق البحث العلميِّ ونَهَجَ نَهْجَ الحقِّ والإنصاف.

أمَّا الكذب في النصوص وتحريف النقول ورمي الخصوم بالعظائم ونبذهم بالشتائم فأمر لايعجز عنه أحدٌ، وأبرع الناس في هذا الميدان -ميدان

السفاهة والشتم - أكثرهم جهلًا، وأبعدهم عن الأخلاق الفاضلة. فليقل الخصوم عنا ما شاءوا وليسوِّدوا صحيفتهم بما أرادوا، فإننا لن نجاريهم في مضمارهم الذي برعوا فيه، ولن نحيد عن مطالبتهم بأمرٍ واحدٍ فقط، هو أن يُبيِّنوا وضع الحديث بطريقٍ علميٍّ صحيحٍ، فذلك ما لا يقدرون عليه، ولا يصلون بحمد الله إليه.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

باب
في دفع ما أورِد على الحديث

اعترض على هذا الحديث أعداؤه بعدَّة اعتراضاتٍ، سمعناها من بعضهم في عِدَّة مجالس، وقرأناها أخيرًا في صحيفتهم، فلم نزد في كلتا الحالتين على أن ابتسمنا منها ورثينا لحالهم، إذ وجدنا تلك الاعتراضات أشبه شيءٍ بما يخلط به المَحْمُوم حين تعركه الحُمَّى وتشتد وطأتها عليه، لكنَّا مع هذا لا نغْمِط القوم حقَّهم فقد وجدنا لهم اعتراضًا واحدًا يتمشَّى مع قواعد البحث ويدخل في باب التعارض، فأفردنا هذا الباب للكلام عليه وتَجْلِيَة ما غمض منه على كثيرٍ من النَّاس.

وبيان ذلك: أنهم ذكروا حديث الحوض وحاصله على ما في "الصحيحين": أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**يَرِدُ علي يومَ القِيامَةِ رَهْطٌ مِن أصحابي فيُجْلَوْن عن الحَوْضِ فأقول: يا ربِّ أصحابي؟! فيقول: إنك لا عِلْمَ لك بما أحْدَثُوا بَعْدَكَ، إنَّهم ارْتَدُّوا على آثارهم القَهْقَرَى**». زاد في رواية: «**فأقول: سُحْقًا لمن بدَّل بَعْدِي، سُحْقًا لمن بدَّل بَعْدِي**».

هذا حاصل حديث الحوض، وله ألفاظٌ وطرقٌ في "الصحيحين"، وهو- لعمر الله- أقوى اعتراض لديهم بل ليس لهم في الحقيقة غيره، وقد قرَّروه بقولهم: «إذا جهل حال أصحابه الذين عرفوه وعرفهم فغيرهم من باب أولى، فكيف تزعمون أنَّ أعمال أُمَّته تُعرَضُ عليه؟!».

وقد آثرتُ نقل كلام أحدهم -وهو واعظٌ بالأزهر- بلفظه ليرى القارئ

كيف ينسبون إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ألفاظًا في غاية القُبْح وسوء الأدب! فقد كان في إمكان هذا الواعظ أن يُعبِّر بقوله: «إذا كان لا يعلم حال أصحابه...إلخ» ويكون بذلك متأدِّبًا مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وموافقًا لعبارة الحديث الذي استدل به، لكنه آثَر لفظ: «جهل» بالذات، فما يفهم القارئ من هذا!؟ ونظيره قول بعضهم: «إنَّ حديث: «الحوض» يضرب حديث: «حياتي خير لكم» بالحذاء»!! فانظر إلى أدبهم في المناقشة العلميَّة، ثُمَّ احكم عليهم بعدُ بما تشاء.

وحديث الحوض صحيحٌ كما قلنا، ولو أردنا أن نكون مُراوغين مُشاغبين مثلهم لرَدَدْناه رغم صحَّته، ولنا في ذلك وجهة[1] قوية سليمة، لكن معاذ الله أن نراوغ ونُغالِط، بل نجيب عن الحديث حسب القواعد المقرَّرة، ونُمهِّد لذلك بمقدِّمةٍ وجيزةٍ فنقول:

ممَّا عُلِم لمن درس شيئًا من علوم الحديث والأصول أنَّ الدليلين إذا تعارضا نظر الباحث المستدل أولًا هل يمكن الجمع بينهما؟ فإذا أمكنه أن يجمع بينهما وجب المصير إلى ذلك؛ لأن فيه عملًا بالدليلين واتباعًا لهما جميعًا، ولا يصح في هذه الحالة ترجيح أحدهما على الآخَر؛ لأن في ذلك إهمالًا لأحد الدليلين وإلغاء له، وهو لا يجوز، فإن تعذَّر الجمع بين الدليلين ولم يمكن بوجهٍ من الوجوه، انتُقِل حينئذٍ إلى الترجيح، فيُقَدَّم أقواهما على غيره، فإن تساويا في القوة -ولم يكن أحدهما ناسخًا للآخر- تُرِكا وانتُقِل إلى دليل آخَر غيرهما.

---

(١) بيَّنَّاها آخر الباب.

هذا أمرٌ معروفٌ لكلِّ باحثٍ ودارسٍ، وعليه استقرَّ عمل العلماء من الصحابة والتابعين وغيرهم.

ألا ترىٰ إلىٰ أبي بكرٍ الصِّدِّيق -رضي الله عنه- كيف امتنع من إعطاء فاطمة عليها السَّلام ميراثها من رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مع استدلالها بقوله تعالىٰ: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ الآية [النساء: ١١] لأنه خَصَّصه بقوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لا نورَّث، ما تركناه صَدَقَةٌ**». كما جاء في "الصحيحين".

فالصِّدِّيق -رضي الله عنه- حرص علىٰ الجمع بين الدليلين -كما ترىٰ- حيث خصَّصَ القرآن بالحديث، وقد كان يمكنه أن يأخذ بالقرآن فقط ويترك ما سواه كما هو رأي مبتدعة اليوم، لكن إلغاء دليلٍ صحيحٍ بغير مُسوِّغٍ شرعيٍّ حرامٌ.

وأمثلة هذا كثيرة يطول تتبُّعها، وهي مبسوطةٌ في كتب الحديث والأصول، وإنما أوردنا هذا المثال لتوضيح ما أشرنا إليه.

إذا تمهَّد هذا، فنقول: ليس بين حديث: «**الحوض**» وحديث: «**عرض الأعمال**» تعارضٌ ولا تناقض البتَّة، وبيان ذلك من وجوهٍ:

الوجه الأول: أنَّ حديث الحوض ورد في المرتدِّين، فقد ذكر البخاريُّ عن قبيصة في الذين يُجلون عن الحوض، قال: «هم الذين ارتدُّوا علىٰ عهد أبي بكرٍ فقاتلهم»، وقال الحافظ في "الفتح" علىٰ قوله: «**إنهم ارتدُّوا على أعقابهم**» ما نصُّه: «هذا يوافق تفسير قبيصة الماضي في باب كيف الحشر».اهـ

ولا شك أنَّ المُرتدِّين لا تُعرض أعمالهم عليه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لانقطاع الصلة بينهم والعياذ بالله تعالىٰ، فحين دعاهم وقال: «**يا ربِّ أصحابي**». ظنَّ أنهم لازالوا علىٰ ما فارقهم عليه، فأخبره الله: «**أنهم ارتدُّوا بَعْدَك، وانقطعت صِلَتُهم بك**». أمَّا حديث: «عرض الأعمال» فهو واردٌ في المؤمنين من أُمَّته؛ لأن الاستغفار لا يجوز لغيرهم كما جاء في القرآن الكريم.

الوجه الثاني: أنَّ حديث: «الحوض» خاصٌّ، وحديث: «عرض الأعمال» عامٌّ فيكون أولهما مخصِّصًا لثانيهما، وبيان ذلك: أنَّ الحديث الأوَّل يُخبر أنَّ طائفةً من الأُمَّة تُجلَىٰ عن الحوض وتُذَاد عنه، والثاني يفيد أنَّ أعمال الأُمَّة تُعْرَض علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في قبره، فيُخَصَّص هذا بالأول ويصير المعنىٰ: أن أعمال الأُمَّة تُعْرَض علىٰ نبيِّها صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إلَّا أعمال طائفةٍ منهم لم تُعْرَض عليه،؛ لأن الله أراد نُفُوذَ الوعيد فيهم، فإذا دعاهم النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إلىٰ حَوْضِهِ قيل له: «**لا تَدْري ما أحْدَثُوا بعدك؟**» لأن أعمالهم لم تُعرَض في جملة ما عُرِض عليك. وهكذا الشأن في كلِّ عامٍّ وخاصٍّ إذا اجتمعا، أن يُخَصَّص العام بالخاصِّ فيتفق الدليلان.

وإنما كان حديث: «الحوض» خاصًّا لأمرين:

الأول: أنه جاء في رواياته «ليذادَنَّ رجال-أناس-أقوام-رهط». وهذه جموعٌ منكرةٌ واقعةٌ في سياق الإثبات، والقاعدة الأصولية: «أنَّ الجمع المنكر الواقع في سياق الإثبات ليس بعامٍّ».

الثاني: أننا نُدْرِك بالضرورة أنه ليس كلُّ الأُمَّة يُذادون عن الحوض، وإنما

تُذاد طائفةٌ منهم فقط وهذا هو معنىٰ الخصوص.

أما حديث: «عرض الأعمال» فإنما كان عامًّا؛ لأن أعمالكم في قوله: «**تعرض عليَّ أعمالكم**» جمعٌ مضافٌ، والقاعدة الأصولية: «أنَّ الجمع المُضاف مِن صيغ العُمُوم الموضوعة له حقيقة».

الوجه الثالث: أنَّ عرض الأعمال علىٰ سبيل الإجمال، والاستغفار كذلك علىٰ سبيل الإجمال، بأن يقال له: فعلت أُمَّتك كذا وكذا من الطاعات واقترفت كيت وكيت من المعاصي، فيحمد الله علىٰ فعل الطاعات ويستغفره عن معاصيهم كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩].

أمَّا قوله في حديث «الحوض»: «**لا تَدْرِي ما أَحْدَثُوا بَعْدَك**». فمعناه: لا تدري ما أحدثوه علىٰ التفصيل بالنسبة لكلِّ فردٍ فردٍ، وإنما تدريه إجمالًا.

وممَّا يقرِّب هذا ويوضِّحه: أنَّ الواحد مِنَّا يعلم أحوال العالم إجمالًا بما يقرأه في الجرائد والمجلَّات، وبما يسمعه في محطات الإذاعة من جميع البقاع، لكنه لا يعلم الحال تفصيلًا بالنسبة علىٰ كل فردٍ وإلىٰ كلِّ بلدٍ، كذلك يقول الواحد مِنَّا: اللهم اغفر لأُمَّة محمَّدٍ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وليس معنىٰ ذلك أنَّ الدعاء بالمغفرة توجَّه إلىٰ كلِّ فردٍ علىٰ حدته، وهذا في غاية الوضوح.

الوجه الرابع: أنَّ حديث: «عرض الأعمال» يفيد أنه يعرف الأعمال نفسها من طاعاتٍ ومعاصي، ويعرف أنها منسوبةٌ إلىٰ أُمَّته، لكن لا يعرف أنَّ هذا عمل فلانٍ وهذا عمل فلانٍ إذ لا يلزم من معرفة العمل معرفة صاحبه، وحديث: «الحوض» يفيد أنه لا يعرف تلك الطائفة التي ذِيدَت: هل هي من

الصالحين أو غيرهم؟ ولا يُنافي أنه يعلم أنَّ أُمَّته جاءت بأعمال صالحةٍ وأعمال سيئةٍ حسبما عُرِضَت عليه.

يُقَرِّب ذاك ويوضِّحه أنَّ الشخص قد يرىٰ في بعض الجرائد أعمالًا صالحةً مِن صَدَقاتٍ وتَبرُّعاتٍ غير منسوبةٍ إلىٰ أشخاصٍ مُعيَّنين فيحب تلك الأعمال، ويُثني علىٰ أصحابها، وقد يكون في مجلسه بعض منهم أو كلهم وهو لا يدري أنهم أصحاب تلك الأعمال التي يمدحها، وقُلْ مثل ذلك في الأعمال السيئة - فيصدق عليه أنه لم يعرف ما فعلوا- لأنه رأىٰ الأعمال مُجَرَّدةً عن نسبتها إليهم بالذات.

فالنبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حين دعا أولئك الرَّهْط إلىٰ حَوْضِهِ فاختلجوا دونه، وقيل له: «**لا تَدْرِي ما أَحْدَثُوا بعدك**» أي من السيِّئات التي عُرِضت عليك، ولم تعلم أنها صادرةٌ منهم.

وبهذه الوجوه -بل بواحدٍ منها- اندفع الإشكال، ولم يبقَ بين الحديثين تعارضٌ أصلًا، فمن أصرَّ بعد هذا علىٰ وجود التعارض، وعلىٰ ترجيح حديث الحوض فهو مُعانِدٌ مُكابِرٌ ينطبق عليه قوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**الكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ وغَمْطُ النَّاسِ**». ومَن وَصَلَ إلىٰ هذا الحدِّ سقط معه الكلام وتوجَّهت إليه سهام الملام.

(**تنبيه**): لَمَّا تكلَّم الحافظ في "فتح الباري" علىٰ حديث: «**الحوض**» وقع في كلامه ما يشير إلىٰ صحَّة حديث: «عرض الأعمال»، وكونه أمرًا ثابتًا متقرِّرًا، ونصُّ كلامه: «وقال غيره: قيل: هو -يعني الارتداد - علىٰ ظاهره من الكفر،

والمراد «**بأمَّتي**» أمَّة الدعوة لا أمَّة الإجابة، ورُجِّح بقوله في حديث أبي هريرة: «**فأقول بُعْدًا وسُحْقًا**». ويؤيِّده كونهم خفي عليه حالهم، ولو كانوا من أمَّة الإجابة لعرف حالهم بكون أعمالهم تعرض عليه».اهـ كلامه. والإشارة فيه إلى ما قلنا ظاهرةٌ، والله ولي التوفيق.

(**تنبيه آخَر**): بعد أن ذكرتُ الجمع بين الحديثين بالوجوه السابقة، وهي قويةٌ سليمةٌ، وإن كان بعضها أقوى من بعض، ظهر لي أن أُبيِّن الإشكال الوارد على حديث: «الحوض» فأقول:

هذا الحديث يفيد أنَّ طائفةً من الصحابة يُذادون عن الحوض ويُطْرَدون عنه مع أنَّ اللهَ تعالى عدَّل الصحابة وأثنى عليهم في غير آيةٍ من كتابه الكريم، والجمهور مُجْمِعون على عدالتهم جميعًا -حتى المجهولين منهم- فكيف يتأتَّى هذا مع طرد طائفةٍ منهم عن الحوض؟!

فإن حملنا الحديث على المرتدين كما رجَّحه الباجي وعياض وغيرهما؛ فالخطابي يجزم بأن الصحابة لم يرتد منهم أحدٌ بعده صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وإنما ارتدَّ قومٌ من جفاة الأعراب ممن لا نُصْرَة له في الإسلام.

وإن حملناه على المنافقين؛ فالنفاق كان على عهده صلَّى الله عليه وآله وسلَّم والحديث يقول: «**لا تَدْري ما أَحْدَثُوا بعدك**».

وإن حملناه على المُبتدِعة؛ فالمبتدعة ليسوا أصحابه لأنهم حدثوا بعده.

وإن حملناه على من حارب عليًّا عليه السَّلام في صفين؛ فجمهور الأشاعرة والماتريدية لا يرضون هذا ويرون أنَّ أولئك المحاربين كانوا مجتهدين مخطئين.

وإن حملناه على أمَّة الدعوة أو العصاة من أمَّة الإجابة؛ فإن ألفاظ الحديث تنفي ذلك لأنها تصرِّح بأنهم أصحابه يعرفهم ويعرفونه، وأنه يناديهم بأسمائهم.

ثُمَّ كيف يتبرَّأ من أصحابه ويقول في حقِّهم[1] «**سُحْقًا، سُحْقًا**»، وهو صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لا يتبرَّأ مِن عصاة المسلمين، بل يشفع لهم، ويسعى في خلاصهم بعد دخول النَّارِ؟! فالحديث كما ترى مشكلٌ جدًّا[2].

---

(١) ومن الإشكال في هذا الحديث أيضًا أنه يقتضي ألَّا نترضَّى عن جميع الصحابة، وإنما نترضَّى عمن نجزم بأنه لا يُطْرَد عن الحوض، وتعيين المطرودين منهم يختلف باختلاف الأغراض، فغُلاة الشِّيعة لا يترضَّون عن أصحاب وقعة الجمل، والنواصب والخوارج لا يترضُّون عن عليٍّ وعثمان ومن معهما، وآخَرون لا يترضُّون عن معاوية ومن كان معه، وكلُّ فرقةٍ ترى أنها على الحقِّ، وأنَّ حديث الحوض يؤيِّدها، فإن طبَّقْنا الحديث على الجميع أدَّى ذلك إلى أنَّ معظم الصحابة لا نترضَّى عنهم لأنهم ليسوا أهلًا للترضِّي، وإن خصصناه بفئةٍ دون أخرى كان تحكُّمًا لا معنى له، ثُمَّ ليُعيِّنوا لنا من هم الصحابة الذين لا نترضَّى عنهم فإن لم يفعلوا -ولن يستطيعوا أن يفعلوا- فليجزموا معنا بأنَّ حديث الحوض مشكل المعنى متروك الظاهر لما يلزم عليه ممَّا أوضحناه.

(٢) ولهذا كان الإمام مالك ينهى عن روايته للحُجَّاج الوافدين على المدينة، وعلى هذا يقال للوهابيين: إذا كان حديث: «عرض الأعمال» معارِضًا في نظركم لحديث: «الحوض» المتفق على صحَّته، فحديث الحوض يعارضه القرآن والإجماع، في حين أنَّ القرآن يؤيِّد حديث: «عرض الأعمال» كما سبق بيانه، فأيُّ الحديثين أبعد عن الإشكال وأولى بالقبول؟!.

وكان واجبًا على الذين عارضوا به حديث: «عرض الأعمال» ورجَّحوه عليه أن يتفهَّموا أولًا معناه ويتذوَّقوه، ثُمَّ يجمعوا بينه وبين ما دلَّ عليه القرآن وأجمع عليه الجمهور من عدالة الصحابة وفضيلتهم عند الله تعالى، فإذا استقام لهم ذلك ووُفِّقوا إليه عارضوا به حينئذٍ ما شاءوا من الأحاديث، ولكنهم لا يفقهون.

خاتمة

في شرح ألفاظ الحديث وبيان معناه

قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «حَياتي»: أي وجُودي بين ظَهْرانيكم، «خَيْرٌ لَكُمْ»: أي فيه خيرٌ لكم؛ لأن فيه حِفْظًا لكم من البِدَع والفتن والاختلافات، مع ما تورثه مشاهدته عليه الصَّلاة والسَّلام من كمال اليقين ونور العرفان. ثُمَّ بيَّن بعض الخير في حياته بما هم في أمسِّ الحاجة إليه فقال: «تُحَدِّثون» بضمِّ التاء وكسر الدال المشدَّدة من التحديث «ويُحَدَّث لكم» بضمِّ الياء وفتح الدال المشدَّدة.

قال المناويُّ في "شرح الجامع الصغير": «أي تحدِّثوني بما أشكل عليكم، وأحدِّثكم بما يزيح الإشكال، ويرفعكم إلى درجة الكمال، واحتمال أنَّ المعنى: تحدثون طاعة ويحدث لكم غفرانًا يدفعه أن ذلك ليس خاصًا بحياته».اهـ

قلت: بل يصح ضبطه «تُحْدِثون» بضم التاء وسكون الحاء وكسر الدال، ويُحْدَث -بضم الياء وسكون الحاء وفتح الدال- من الإحداث فيهما، ويكون المعنى: تُحْدِثون أمورًا وأشياء ممَّا تفعلونه في حياتكم الخاصة والعامَّة، ويُحْدَثُ لكم بإزائها أحكام شرعيَّة من تحليل وتحريم ينزلها الله حسب أسبابها الداعية إليها، مثلا: ورد في الحديث: «أنَّ جماعةً شربوا الخمر -قبل تحريمها- ثُمَّ حضرت الصَّلاة فقدَّموا أحدهم فقرأ: قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون، فأنزل الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾ [النساء: ٤٣]» وهذا بابٌ واسعٌ، بل هو عِلْمٌ مُلْحَق بعلوم القرآن

والحديث يسمَّى علم أسباب النزول أُلِّفت فيه كتبٌ خاصَّةٌ منها المطبوع والمخطوط.

ثُمَّ قال: «ووفاتي خَيْرٌ لكم» أي: فيها خير لكم، لما ثبت في "صحيح مسلم" عن أبي موسى، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إِنَّ الله عزَّ وجلَّ إذا أرادَ رَحْمَةَ أُمَّةٍ مِن عِبادِهِ قَبَضَ نبيَّها قبلها فجعلهُ لها فَرَطًا وسَلَفًا بين يديها وإذا أرادَ هَلَكَةَ أُمَّةٍ عَذَّبَهَا ونبيُّها حَيٌّ فأَهْلَكَهَا وهو يَنْظُرُ فأَقَرَّ عَيْنَهُ بهلَكَتِها حين كَذَّبُوهُ وعَصَوا أَمْرَهُ**».

الفَرَط -بفتح الفاء والراء-: هو الذي يتقدَّم القوم ليصلح لهم المكان ويُهيِّئه لنزولهم. ثُمَّ بيَّن الخير في وفاته بما يفيد معنى الفرَط في حديث مسلمٍ: «**تُعْرَضُ عليَّ أعمالكم**»[1] عرضًا إجماليًا، كما سبق في الوجه الثالث من وجوه

---

(١) اعترض الوهَّابيون على هذه الجملة أيضًا فقالوا: القرآن يعارضها، قال تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧] فالشهادة خاصَّة بما رأى في الحياة وليس هناك عرضٌ ولا غيره، والجواب: أنَّ الآية الكريمة لا تعارض الحديث لوجوه:

أحدها: أنَّ هذا خاصٌّ بدعوى النصارى، وقولهم في عيسى: إنه الله أو ابن الله، وذلك أنَّ الله وجَّه السؤال إلى عيسى بقوله: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦]، فنفي عيسى أن يكون قال ذلك ونزَّه الله عنه، ثُمَّ قال: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ أمنعهم مِن هذا القول ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ بالرَّفع إلى السماء ﴿كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ تمنع من شِئْتَ هدايته منهم وتعصمه. ولا شكَّ أنَّ عيسى إنما يملك أن يمنع قومه إذا كان موجودًا فيهم، فإذا فارقهم لم يملك منعهم،

الجمع، أو تعرض عليَّ أعمالكم نفسها بدون ذكر أصحابها -كما سبق في الوجه الرابع- لأن المقصود معرفة العمل نفسه، وهل هو خيرٌ أو شرٌّ.

ويخرج من العرض أعمال المرتدِّين والكفَّار فإنها لا تعرض، ثُمَّ قال: «**فما رأيتُ مِن خَيْرٍ**» في الأعمال «**حَمِدتُ اللهَ**» على توفيقه لكم وهدايته إياكم «**وما رأيْتُ مِن شَرٍّ**» في الأعمال «**استَغْفَرتُ اللهَ لكم**» أي طلبت المغفرة لكم إجمالًا، أو يكون معنى استغفرت الله: طلبت منه أن يهديكم لأعمال صالحة تغفر بها ذنوبكم.

ويؤخذ من الحديث أمورٌ:

الأول: حياة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في قبره الشريف، وهي حياةٌ برزخيَّةٌ أكمل من حياة الشهداء، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤].

حتى ولو عرضت أعمالهم عليه، فالآية لا علاقة لها بعرض الأعمال نفيًا ولا إثباتًا.

ثانيها: أنَّ عرض الأعمال خُصَّ به نبيُّنا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كما خُصَّ بفضائل لم يشركه فيها أحدٌ من الأنبياء، وإذا كان الله قد أكرم أمَّته لأجله فجعلهم شهداء على غيرهم، فكيف لا يكرمه بعرض أعمال أُمَّته عليه ؟!

ثالثها: أنَّ الأنبياء دعوتهم خاصَّةٌ بقومهم لا تتعدَّى إلى غيرهم، وشرائعهم محدودةٌ بزمانهم، فإذا مات النبيُّ منهم لم يلزم غيرهم أن يتبعوا شريعته، فكانت شهادة الأنبياء قاصرة على قومهم الذين بعثوا فيهم، ولم يكن لعرض الأعمال عليهم معنى؛ لأن شريعتهم لم تلزم من يأتي بعدهم بخلاف النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؛ فإن شريعته باقيةٌ، وأُمَّته مستمرةٌ إلى يوم القيامة، فكان لا بد من عرض الأعمال عليه ليشهد عن عيان، والله المُستعان.

وقال تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [آل عمران: ١٦٩- ١٧٠].

قال الإمام ابن حزمٍ في "المحلَّىٰ" (ص٢٥ ج١): ولا خلاف بين مُسْلِمَيْن[١] في أنَّ الأنبياء عليهم السَّلام أرفع قَدْرًا ودَرَجَةً، وأتمُّ فضيلةً عند الله عزَّ وجلَّ، وأعلىٰ كرامة من كلِّ مَن دونهم، ومَن خالف في هذا فليس مُسلِمًا».اهـ

وقال الحافظ السخاويُّ في "القول البديع" (ص١٢٥): «السادسة: يؤخذ من هذه الأحاديث أنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حيٌّ علىٰ الدوام، وذلك أنه محالٌ عادةً أن يخلو الوجود كله من واحد يُسَلِّم عليه في ليلٍ أو نهارٍ، ونحن نؤمِن ونُصَدِّق بأنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حيٌّ يُرزَق في قبره، وأنَّ جسده الشريف لا تأكله الأرض، والإجماع علىٰ هذا، وزاد بعض العلماء: الشهداء والمؤذِّنين، وقد صحَّ أنه كُشِف عن غير واحدٍ من العلماء و الشُّهداء فوُجِدوا لم تتغيَّر أجسامهم، حتىٰ الحِنَّاء وُجِدَت في بعضهم لم تتغيَّر عن حالها، والأنبياء أفضل من الشهداء جَزْمًا».اهـ

وفي "صحيح مسلم" عن أنسٍ، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَرَرْتُ بموسى ليلة أُسْرِي بي عند الكَثِيبِ الأَحْمر وهو قائمٌ يُصَلِّي في قَبْرِهِ**».

وفي "صحيح مسلم" أيضًا: عن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لقد رأيتني في الحِجْرِ وقُريشٌ تَسْألني عن مَسْراي...**»الحديث، وفيه:

---

(١) مُسْلِمَين: بفتح الميم الثانية تثنية مسلم والمعنىٰ واضح، وإنما نبهت علىٰ هذا لأن مصحح كتاب "المحلىٰ" أشكلت عليه كلمة «مسلمين» فكتب عليها: كذا في الأصل.

«وقد رَأَيْتُنِي في جَمَاعَةٍ مِن الأنبياء، فإذا موسى قائمٌ يُصَلِّي فإذا رجُلٌ ضَرْبٌ جَعْدٌ كأنَّه رجلٌ مِن أزد شَنُوءَةَ، وإذا عيسى ابن مريم قائِمٌ يُصَلِّي أقْرَبُ النَّاسِ به شَبَهًا عُرْوَةُ بن مسعودٍ، وإذا إبراهيم قائِمٌ يُصَلِّي أَشْبَهُ النَّاسِ به صاحِبُكُمْ، فحانت الصَّلاةُ فأَمَمْتُهُم» الحديث. وصحَّ حديث أنسٍ: «الأنبياء أحياءٌ في قبورهم». صحَّحه البيهقيُّ وغيره.

والمقصود: أنَّ القرآن والسُّنَّة والإجماع كلها تدل على حياة الأنبياء في قبورهم، وأنَّ أجسادهم لا تبلى.

الثاني: حرص النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على مصلحة أمَّته، وحبُّ الخير لهم، والدعاء لهم في كلِّ مناسبةٍ، ولا غرو فهو بالمؤمنين رؤوفٌ رحيمٌ كما وصفه خالقه ومولاه جلَّ علاه، وتظهر رأفته بأجلى معانيها في الموقف العظيم حين يتقدَّم إلى الشفاعة ويراجع ربَّه في أمَّته المرَّة بعد المرة، وربُّه يُجيبه ويُعطيه ويُقرِّبُه ويُدْنيه حتى يقول مالكٌ خازن النَّار: «ما تركت لغضب ربِّك في أمَّتك مِن بقيَّة». فصلَّى الله وسلَّم وبارك عليه، وجزاه عنَّا أكمل وأفضل ما جازى نبيًّا عن أمته.

الثالث: الحضُّ على فعل الطاعات وترك المعاصي؛ لأنَّ المؤمن إذا عَلِمَ أنَّ عَمَلَهُ يُعرضُ على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وأنه يفرح بحسناته، حفَّزه ذلك إلى الإكثار من الطاعات والابتعاد عن المعاصي ما أمكن ليسُرَّ نبيُّه، ولا يُحوِجُه إلى الاستغفار. وإذا كان أبو الدرداء وغيره كانوا يستعيذون بالله من عمل يُخْزَوْن به عند أقاربهم كما سبق، فالمؤمن أولى بالابتعاد عن عمل يُخْزَى به عند رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

هذا آخِر الجزء، ووافق الفراغ منه صبيحة يوم الأربعاء ١٥ شوال سنة ١٣٦٨ خَتَمَ اللهُ لنا بالحُسنَىٰ والسَّعادة، وغَفَرَ لنا ولوالدينا ومشايخنا وأحبابنا، إنه علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ، وبالإجابة جديرٌ، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله العليِّ العظيم.

(فائدة)

إذا وَرَدَ علىٰ الوهَّابيين حديثٌ لا يوافق هواهم كحديث: «عرض الأعمال»، ورأوا أنهم لا مَنَاص لهم منه، ردُّوه بقولهم: لا يوجد في "الصحيحين"، أو لم يَرْوِه أحدٌ من أهل الكتب الستة. يوهمون بذلك قلِيلي العِلْم أنَّ كلَّ حديثٍ لا يوجد في "الصحيحين" ولا في بقية الكتب الستة فهو حديثٌ ضعيفٌ أو موضوعٌ، وهو إيهامٌ باطلٌ لا ينبني علىٰ أساسٍ عِلْميٍّ صحيحٍ، بل هو من جملة بِدَعِهم التي أظهروها في هذا الزمن، ولا يوجد عالمٌ في الدنيا -لا من الفقهاء المجتهدين ولا من الحفَّاظ والمُحدِّثين- اشترط في صحَّة الحديث أن يكون مرويًّا في أحد الكتب الستة، بل العلماء متفقون علىٰ أنَّ الحديث إذا استوفىٰ شروط الصحَّة وجب العمل به سواء أكان داخل الستة أم خارجها. فهذا ابن تيمية يستدل في مؤلَّفاته بأحاديث يعزوها إلىٰ الخلَّال وابن بطة وغيرهما، وهذا الحافظ ابن القطان صحَّح حديث ابن عمر: «أنه كان يتوضَّأ ونَعَلاهُ في رجليه ويمسح عليهما ويقول: كذلك كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يفعل» رواه البزَّار في "مسنده". وصحَّحَ الحافظ الضياء المقدسي أحاديث في "المختارة" لا توجد في الكتب الستة، وكذلك فعل غيره من الحفاظ كالدمياطيِّ، والمنذريِّ، والعراقيِّ، والعسقلانيِّ، وغيرهم.

وقد رتَّب الحافظ ابن حزم في كتاب "مراتب الديانة" كتب الحديث الصحيحة التي يُعْتَمَد عليها فقال: أولى الكتب: "الصحيحان"، ثُمَّ "صحيح ابن السكن"، و"المنتقى" لابن الجارود، و"المنتقى" لقاسم بن أصبغ، ثُمَّ بعد هذه الكتب: كتاب أبي داود، وكتاب النَّسائيِّ، و"مصنَّف" قاسم بن أصبغ، و"مصنَّف" الطحاوي، ومسانيد أحمد، والبزَّار، وابن أبي شيبة أبي بكر، وعثمان، وابن راهويه، والطيالسي، والحسن بن سفيان...» إلخ كلامه فراجعه إن شئت في "تدريب الراوي شرح تقريب النواوي" (ص٣٢).

والمقصود: أنَّ ما يزعمه الوهَّابية في الأحاديث المرويَّة في غير الستة لا يسنده نقلٌ ولا يؤيِّده عقلٌ، وإنما هي بدعةٌ ابتدعوها للتخلُّص ممَّا لا يوافق هواهم؛ لأنهم لا يعرفون الإنصاف ولا ذاقوا له طعمًا، ولعلهم لم يسمعوا به إلَّا من خصومهم ومُناظِريهم.

هدانا الله وإياهم سواء السبيل.

٢- سَمِيرُ الصَّالِحِين

هَــذَا سَــمِيرُ الصَّــالِحِينَ مُؤَلَّفًــا يُهْــدِي إلى القُــرَّاء خَــيرَ هَدِيَّــةِ

قَصَــصٌ يُفِيــدُ السَّــامِعِينَ سِــياقُها خُلُقًــا وآدابًــا وأَحْسَــنَ عِــبْرَةِ

أَقْبِــلْ عليهــا واسْــتَفِدْ مِــن لَفْظِهــا حِكَــمًا وأَحْكَامًــا لخَــيْرِ شَريعَــةِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على أفضل المرسلين، سيِّدنا محمَّدٍ الصادق الأمين، ورضي الله عن آله الطاهرين، وأصحابه والتابعين.

وبعد: فهذه بِضْعُ قَصَصٍ دينيَّة فيها عِظاتٌ وعِبْرةٌ، وفيها فوائد وأحكام، وفيها حَضٌّ على الأخلاق الحميدة والآداب العالية، طُرِّزت بآياتٍ من الكتاب الكريم، ووُشِيَت بمعجزاتٍ مِن نبيِّنا العظيم، مَن قرأها زاد إيمانه وقوي يقينه، وأعرض عن المعاصي وأسبابها، وأقبل يطلب الطاعات مِن أبوابها، لما يرى فيها من فضل الله على المتقين الصادقين، ومن غضبه على العاصين الفاسقين.

وسنُتبعها بأمثالها إن شاء الله تعالى، على هذا الأسلوب السهل الذي لا يستعصي على عامَّة القُرَّاء ليعمَّ النفع بها، وتحصل منها الفائدة المرجوَّة.

واللهُ المسئول أن يُلْهِمنا رشدنا، ويوفِّقنا إلى ما فيه رضاه، إنه سميعٌ مُجيبٌ.

١- بناء البيت

عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: جاء إبراهيم عليه السَّلام بأمِّ إسماعيل وبابنها إسماعيل -وهي تُرضعه- حتىٰ وضعها عند البيت، عند دَوْحَةٍ فوق زَمْزَمَ في أعلىٰ المسجد، وليس بمكَّة يومئذٍ أحَدٌ، وليس بها ماءٌ، فوضعها هناك ووَضَعَ عندهما جِرابًا فيه تَـمْرٌ، وسِقاءً فيه ماءٌ، ثُمَّ قَفَّىٰ إبراهيمُ مُنطلِقًا فتَبِعَتْهُ أمُّ إسماعيل، فقالت: يا إبراهيمُ أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيسٌ ولا شيءٌ؟ فقالت له ذلك مِرارًا، وهو لا يَلْتفتُ إليها، قالت له: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن[1] لا يُضَيِّعنا، ثُمَّ رجَعَتْ، فانطلق إبراهيمُ عليه السَّلام حتَّىٰ إذا كان عند الثَّنِيَّة حيث لا يَرونهُ، استقبل بوجهه البيتَ، ثُمَّ دعا بهؤلاء الكلمات فرفع يديه فقال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

وجعلت أمُّ إسماعيل تُرْضِعُ إسماعيل وتَشْربُ مِن ذلك الماءِ، حتَّىٰ إذا نَفِدَ ما في السِّقاء عَطِشتْ وعَطِشَ ابنها، وجعلتْ تنظر إليه يتلوَّىٰ -أو قال يَتَلَبَّطُ- فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصَّفا أقرب جبلٍ في الأرض يليها فقامت عليه، ثُمَّ استقبلت الوادي تنظر هل ترىٰ أحدًا؟ فلم ترَ أحدًا، فهَبَطَتْ من الصَّفا حتىٰ إذا بلغت الوادي رفعت طَرَفَ دِرْعِها ثُمَّ سَعَتْ سَعْيَ الإنسانِ المَجْهُودِ حتىٰ جاوزت الوادي، ثُمَّ أتت المَرْوَةَ فقامت عليها تنظر هل ترىٰ

---

(١) «إذن» هنا ناصبة للفعل بعدها.

أحدًا؟ ففعلت ذلك سبع مرَّاتٍ.

قال ابن عبَّاسٍ: قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**فلذلك سَعَى النَّاسُ بينهما**».

فلما أشرفت على المَرْوَة سمعت صوتًا فقالت: «صَهٍ»، تريد نفسها، ثُمَّ تسمَّعَتْ فسمعتْ أيضًا، فقالت: «قد أسمَعْتَ إن كان عندك غُوَاثٌ فأغِثْ»، فإذا هي بالمَلَك عند موضع زمزم، فبحث بعَقِبِه -أو قال: بجناحه- حتَّى ظهر الماءُ فجعلتْ تَحُوضُهُ وتقول بيدها هكذا، وجعلتْ تَغْرِفُ الماءَ في سِقائها وهو يفُورُ بعد ما تَغْرِفُ، وفي رواية: بقدر ما تغرف.

قال ابن عبَّاسٍ: قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**رَحِمَ اللهُ أُمَّ إسماعيل لو تركت زمزم -أو قال: لو لم تغرف مِن الماءِ- لكانت زمزمُ عَيْنًا مَعِينًا**».

قال: فشَرِبَتْ وأرضَعَتْ ولدها، فقال لها المَلَكُ: لا تخافوا الضَّيْعَةَ، فإنَّ ههنا بيتًا لله يبنيه هذا الغُلامُ وأبوه، وإنَّ الله لا يُضِيعُ أَهْلَهُ.

وكان البيت مُرتفعًا من الأرض كالرَّابية تأتيه السُّيولُ فتأخذ عن يمينه وعن شماله-فكانت كذلك- حتى مرَّت بهم رُفْقَةٌ من جُرْهُم -أو أهل بيتٍ مِن جُرْهُم- مُقبلين من كَدَاءٍ فنزلوا في أَسْفَلِ مكَّة فرأوا طائرًا عائفًا فقالوا: إنَّ هذا الطائر ليدور على ماءٍ لعَهْدُنا بهذا الوادي وما فيه ماءٌ، فأرسلو جَرِيًّا أو جَرِيَّين فإذا هم بالماء فرجعوا فأخبروهم، فأقبلوا وأمُّ إسماعيل عند الماء فقالوا: أتاذنين لنا أن ننزل عندك؟ فقالت: نعم، ولكن لا حقَّ لكم في الماء، قالوا: نعم.

قال ابن عبَّاسٍ: قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**فأَلْفَى ذلك أمَّ إسماعيل وهي تُحِبُّ الأُنْسَ**». فنزلوا فأرسلوا إلى أهلهم فنزلوا معهم، حتَّى إذا

كانوا أهل أبياتٍ، وشَبَّ الغُلامُ وتعلَّم العربيَّة منهم، وأَنْفَسَهُم وأَعْجَبَهُم حين شَبَّ، فلما أدرك زوَّجُوه امرأةً منهم.

وماتت أمُّ إسماعيل فجاء إبراهيم بعدما تزوَّج إسماعيل يُطالع تَرِكَتَهُ فلم يجد إسماعيل فسأل امرأته عنه فقالت: خرج يبتغي لنا -وفي رواية يصيد لنا- ثُمَّ سألها عن عَيْشِهم وهَيْئَتِهم، فقالت: نحن بِشَرٍّ، نحن في ضِيقٍ وشِدَّةٍ وشَكَتْ إليه، قال: فإذا جاء زوجُك، فاقرئي عليه السَّلام وقولي له: يُغَيِّر عَتَبَةَ بابه.

فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئًا فقال: هل جاءكم مِن أحدٍ؟ قالت: نعم، جاءنا شيخٌ كذا وكذا، فسألنا عنك فأخبرته، فسألني كيف عَيْشُنا؟ فأخبرته: أنَّا في جَهْدٍ وشِدَّةٍ، قال: فهل أوصاك بشيءٍ؟ قالت: نعم، أمرني أن أقْرأ عليك السَّلام، ويقول: غَيِّر عَتَبَةَ بابك، قال: ذاك أبي، وقد أمرني أن أفارقك، الحَقِي بأَهْلِكِ، فطلقَّها، وتزوَّج منهم أخرىٰ.

فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله ثُمَّ أتاهم بعدُ فلم يَجِدْهُ، فدخل علىٰ امرأته فسأل عنه؟ قالت: خرج يبتغي لنا، قال: كيف أنتم؟ وسألها عن عَيْشِهِم وهَيْئَتِهم، فقالت: نحن بخَيرٍ وسَعَةٍ، وأَثْنَت علىٰ الله، فقال: ما طعامكم؟ قالت: اللَّحْمُ، قال: فما شرابكم؟ قالت: الماءُ، قال: اللهمَّ بارك لهم في اللَّحْمِ والماءِ.

قال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ولم يكن لهم يومئذٍ حَبٌّ ولو كان لهم دعا لهم فيه**». قال: «**فهما لا يَخْلُوا عليهما أحدٌ بغير مكَّة إلَّا لم يوافِقاه**».

قال إبراهيم: فإذا جاء زوجُك فاقرئي عليه السَّلام، ومُريه يثبِّت عَتَبَة بابه،

فلما جاء إسماعيل قال: هل أتاكم من أحدٍ؟ قالت: نعم، أتانا شيخٌ حَسَنُ الهَيْئة، وأثنت عليه، فسألني عنكَ، فأخبرته، فسألني: كيف عَيْشُنا؟ فأخبرته: أنَّا بخيرٍ، قال: فأوصاك بشيءٍ؟ قالت: نعم، يقرأ عليك السَّلام ويأمرك أن تُثبِّت عَتَبَة بابِك، قال: ذاك أبي، وأنت العتبة، أمرني أن أمسكك.

ثُمَّ لَبِثَ عنهم ما شاء الله، ثُمَّ جاء بعد ذلك وإسماعيل يَبْرِي نَبْلًا له تحت دَوْحَةٍ قريبًا مِن زمزم، فلمَّا رآه قام إليه فصنعا كما يصنع الوَالِدُ بالوَلَدِ والوَلَدُ بالوَالِدِ.

قال: يا إسماعيلُ إنَّ الله أمرني بأمرٍ، قال: فاصْنع ما أمرك ربُّك، فقال: وتُعِينُني؟ قال: وأُعِينك، قال: إنَّ الله أمرني أن أبني بيتًا ههنا، وأشار إلى أَكَمَةٍ مُرتفِعَةٍ على ما حولها -فعند ذلك رفع القواعد من البيت- فجعل إسماعيلُ يأتي بالحِجارة وإبراهيمُ يَبْني حتَّى إذا ارتفع البِناءُ جاء بهذا الحَجَرِ فوضعه له، فقام يبني وإسماعيل يناوله الحِجارة. وهما يقولان ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧] رواه البخاري في "الصحيح".

بيان مفردات

دَوْحَة: بفتح الدال وسكون الواو: شجرةٌ عظيمةٌ.

جِراب: بكسر الجيم: ما يحمل فيه المسافر زاده من الطعام، وهو أيضًا المِزْوَد، بكسر الميم وسكون الزاي وفتح الواو.

سِقاء: بكسر السين: إناء يكون للبن وللماء، ولذلك قيَّده بقوله: فيه ماءٌ، بخلاف القِربة فإنها للماء فقط.

قَفَّى: بتشديد الفاء: ولَّى ورجع.

الثَّنِيَّة: بفتح المثلثة وكسر النون: مكان بمكة.

نَفِد بكسر الفاء وبالدال المهملة: فني وانتهى.

دِرعها: قميصها، وهو بكسر الدال.

المَجْهُود: الجائع، وفعله: جُهِد -بضم الجيم وكسر الهاء- إذا شقَّ عليه الجوع أو التعب.

صَه :-بفتح الصاد-: اسم فعل معناه: اسكت.

غُواث: -بضم الغين المعجمة وفتحها-: إغاثة.

تَحُوضه:-بضم الحاء المهملة-: تجعل حوله حوضًا يمنع سيلانه على الأرض.

الرَّابية والربوة: مثلثة الراء، والرَّباوة -بفتح الراء-: الشيء المرتفع.

كَداء: -بفتح الكاف والمد والتنوين-: مكان بأعلى مكَّة.

جَرِيًّا :-بفتح الجيم وكسر الراء-: رسولًا.

أَلْفَى :-بفتح الفاء-: وجد.

المعـنى

لَمَّا وَلَدتْ هاجرُ إسماعيل -عليهما السَّلام- غارت منها سارة؛ لأنها كانت عقيمًا لم تَلِد[1]، فقالت لإبراهيم: لا يجمعني وإيَّاها بيتٌ، فأمره الله بإسكانها في

---

(١) الغِيرة طبيعةٌ في المرأة، وإن عَلَا قَدْرُها في العِلْم والدِّين. صحَّ عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لقد غِرْتُ من خديجة -رضي الله عنها- وما رأيتها وذلك لكثرة ما كان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يَذْكُرها.

الحِجاز لما ترتَّب على ذلك من مصالح كبرى، فسافر بها وبابنها إلى مكَّة فوضعهما بجانب المكان الذي بُنيت فيه الكعبة وولَّى راجعًا إلى الشام بعد أن أمرها أن تتَّخِذ لها ولابنها عريشًا يقيهما الحَرَّ والبرد، فتبعته هاجر تسأله كيف يتركها وابنها في بلد ليس به أنيس؟! ولم يلتفت إليها؛ لأنه خشي أن ينظر إلى ابنه الوحيد فتغلب عليه عاطفة الأُبوَّة فيضعف عن تنفيذ ما أمر به، لكنَّها عادت تسأله: آلله أمرك بهذا؟ لأنها أدركت ممَّا عرفته من خُلُق إبراهيم عليه الصَّلاة والسَّلام وشدة عطفه ورحمته أنه لم يكن ليتركها ووحِيده منها في ذلك المكان القَفْر إلَّا بأمر الله تعالى وإذنه.

فلما ردَّ عليها بالإيجاب قالت: إذن لا يُضيِّعنا، وهذا يدل على قوة إيمانها وشدَّة يقينها، ثُمَّ رجعت إلى مكانها عند الدَّوْحة، أمَّا إبراهيم فوصل إلى الثنيَّة وهي طريق العقبة واستقبل البيت يدعو: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ﴾ [إبراهيم: ٣٧] أي: بعض[1] ذريتي؛ لأنه ولد له بعد ذلك إسحاق بالشام.

وقوله: ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ [إبراهيم: ٣٧] -أي: تميل

ثُمَّ إنَّ المرأة المُتزوِّجة تحبُّ أن تُنجِبَ أولادًا يملئون بيتها بَهْجَةً وسعادةً، لاسيَّما إذا كان زوجها مثل إبراهيم عليه السَّلام، فغِيرة سارة -مع كونها طبيعية- غير محمودةٍ؛ لأنها كانت تودُّ من صميم قلبها أن تحظى بشرف الإنجاب من الخليل، ورأت أنَّ هاجر حَظِيت بهذا الشرف دونها، ولهذا بشَّرَها الله بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ليُذْهب من نفسها نار الغيرة وعقدة العقم. فمن نفى عنها حكاية الغيرة أخطأ من جهة تكذيبه للحديث الصحيح، ومِن جهة عدم فهمه لطبيعة المرأة.

(١) تعبيره بمن -المفيدة للتبعيض- يشعر بأنه كان عنده إحساس بأن سيولد له غير إسماعيل.

إليهم لحجِّ بيتك الحرام- دعاءٌ بأن يكثر زوَّار البيت وقُصَّاده، وفي كثرتهم فوائد ماديَّة وأدبيَّة تعود على ذريَّته المقيمين به.

مكثت هاجر في مكانها تحت الدَّوْحة تستظل بأغصانها ترضع ولدها وتحوطه بعطفها وحنانها، حتى إذا فني ما عندها من الزاد والماء لم تطِق أن ترى ابنها يتلوَّى من ألم الجوع وقد نضب ما في ثديها من غذاء، فذهبت إلى الصفا تنظر لعلها تجد شيئًا يغذيها أو شخصًا يسعفها، فسعت -أي: مشت مسرعة- بين الصَّفا والمَرْوة شوطًا أو شوطين، فلم ترَ أحدًا فقالت: لو ذهبت فنظرت ما فعل الصبيُّ؟ فوجدته كأنه ينشغ للموت -أي: يشهق شهيق الموت- فلم تقرها نفسها فقالت: لو ذهبت فنظرت لعلي أحس أحدًا، فذهبت إلى الصَّفا فنظرت ونظرت فلم تحس أحدًا فرفعت طرف قميصها ليساعدها على الإسراع في المشي وسعت بين الصَّفا والمروة وهي تنظر وتتسمَّع فسمعت كأن صوتًا يناديها فلم تنتبه، فقالت لنفسها: صَهٍ -أي: اسكت-، مبالغة في الاهتمام ولكنها لم تسمع ثانيةً، ثُمَّ عادت إلى ابنها فسمعت ذلك الصوت أيضًا، فقالت لصاحب الصوت الذي لم تره: لقد أسمعت فإن كان عندك غوث فأغث، فظهر لها الملك -وهو جبريل عليه السَّلام كما يثبت في رواية للبخاري أيضًا- فبحث برجله أو بجناحه الأرض فظهر الماء، فجعلت تغرف منه.

وهو ماء زمزم، وقد جعله اللهُ طَعَامُ طُعْمٍ وشِفَاءُ سُقْمٍ كما في "الصحيحين"[1]، ولذلك كفى هاجر من الطعام، ثُمَّ قال لها جبريل: لا تخافوا

---

(١) وفي حديثٍ صحيحٍ: «ماءُ زَمْزَمَ لِما شُرِبَ له، إنْ شَرِبْتَه تَسْتَشْفِي شَفَاكَ اللهُ، وإنْ شَرِبْتَهُ لقَطْعِ ظَمِأكَ قَطَعَهُ اللهُ».

الضَّيْعَة فإنَّ في هذا المكان بيتًا لله -هي الكعبة- يبنيه هذا الرَّضِيع وأبوه إبراهيم عليهما السَّلام، وهما من أهل الله يَبْنيان بيتَ الله، والله لا يُضيِّع أهله.

لَمَّا ترك إبراهيم هاجر وإسماعيل عند البيت، كان يزورهما الفَيْنَة بعد الفَيْنَة، ويتعاهدهما بما يحتاجان إليه من كِساءٍ ونحوه.

وفي إحدى هذه الزيارات قال لابنه إسماعيل -وكان عمره اثنتي عشرة سنة تقريبًا-: يا بني خذ المُدْيَة والحبل، وانطلق بنا إلى هذا الشِّعْب لحاجةٍ لنا فيه، فذهبا وتعرَّض إبليس لإبراهيم فسأله: أين تريد أيها الشيخ؟ فأجابه: إلى هذا الجبل لحاجةٍ لي فيه، قال إبليس: بل أنت تريد ذبح ابنك لأنك تزعم أنَّ الله أمرك بذلك، قال إبراهيم: اذهب يا عدوَّ الله فوالله لأَمْضِينَّ لأمر الله، ورَجَمَه بسبع حصياتٍ.

فيئس منه إبليس وذهب إلى إسماعيل وسأله: هل تدري أين يذهب بك أبوك؟ قال لحاجةٍ في هذا الشِّعْب. قال إبليس: إنه يريد أن يذبحك. قال إسماعيل: ولِـمَ يذبحني؟ قال إبليس: يزعم أنَّ الله أمره بذلك. قال إسماعيل: فليفعل ما أمره به الله، ورماه بسبع حصياتٍ.

فتركه وذهب إلى هاجر وسألها: أين ذهب إبراهيم بابنه؟ قالت: ذهب به لحاجةٍ. قال: إنه ذهب به ليذبحه. قالت: ولِـمَ يذبحه وهو ابنه الوحيد وأحب الناس إليه؟! قال: يزعم أنَّ الله أمره بذلك. قالت: فليفعل ما أمره الله به، ورمته بسبع حصياتٍ أيضًا. فصار رمي الجِمار من شعائر الحجِّ.

وصل إبراهيم إلى الجبل وقال لإسماعيل: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ﴾ [الصافات: ١٠٢].

ورؤيا الأنبياء وحيٌ؛ لأن النبيَّ تنام عيناه وقلبه في يقظةٍ لا يغفل عن الله لحظةً. فأجابه إسماعيل بقلبٍ ثابتٍ وإيمانٍ راسخٍ: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢][(١)] يا أبت شد رباطي لا يصبك مني شيءٌ، وأحِدَّ شَفْرَتك حتَّىٰ تُجهِز علي فتريحني، وإذا أضجعتني لتذبحني فكبَّني علىٰ وجهي ولا تُضجعني لجنبي؛ فإنك إذا رأيت وجهي أدركتك رأفةٌ حالت بينك وبين تنفيذ ما أمرك الله به.

ففعل ما اقترحه عليه ابنه، وإذا بجبريل عليه السَّلام يناديه: ﴿قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ﴾ [الصافات: ١٠٥]، وأتاه بكبشٍ عظيمٍ -هو الكبش الذي قربه هابيل- فذبحه فداء عن ابنه وصارت الضحية شعيرة من شعائر الإسلام.

﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ﴾ صرعه، ﴿لِلۡجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ﴾ [الصافات: ١٠٣ - ١٠٧][(٢)].

---

(١) هذا دليلٌ علىٰ أنَّ رؤيا النبيِّ وحيٌ من الله تعالىٰ، وقول الشيخ عبدالوهاب النجَّار في هذه القصة: «كانت المنامات عند الصالحين من عباد الله بمثابة الوحي والأمر المباشر» غير صحيح بالنسبة للأنبياء فإن رؤياهم وحيٌ كما تقرَّر في الأصول.

(٢) زَعَمَ اليهودُ أنَّ الذَّبيح إسحاق عليه السَّلام، وتبعهم النصارىٰ تقليدًا بغير دليلٍ إلَّا ما جاء في التوراة وهو من تحريفاتهم: ففي الإصحاح الثاني والعشرين: «وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهام، فقال له: يا إبراهام، فقال: هأنذا، فقال الرب: خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق واذهب إلىٰ أرض الموريا...» إلخ. فزيادة إسحاق، من تحريف اليهود جزمًا؛ لأن إسحاق لم يكن وحيد إبراهيم قطُّ وإنما ولد بعد

واختلفت العلماء: هل أمَرَّ الشفرة على ابنه ولم تقطع؟ أو لم يُمرها؟

ظاهر الآية يفيد الثاني، وفي الآية دليلٌ على جواز نسخ الفرض قبل فعله.

ثُمَّ رجع إبراهيم إلى الشام، ومكثت هاجر ترعى إسماعيل وتحوطه بعنايتها حتى مرت بهم جماعةٌ من جُرْهُم ونزلوا في طريق أسفل مكَّة فرأوا طيرًا عائفًا -أي: طالبًا للماء- فقالوا: إنَّ هذا الطير يدور على الماء وعهدنا بهذا الوادي ليس فيه ماءٌ، وبعثوا رسولًا ينظر هل يجد ماءً؟ فأشرف على أبي قبيس فرأى زمزم تفور ماء وعندها خيمة هاجر فرجع وأخبرهم، فجاءوا إلى هاجر واستأذنوها أن يقعدوا معها -وهي كانت راغبة فيمن يقعد عندها يدفع عنها وَحْشَة الوحدة ويُنسيها همَّ الغربة- فرحَّبت بهم وأذنت لهم بشرط: ألَّا يكون لهم حقٌّ في امتلاك زمزم؛ لأنها بئر أنشأها الله لها ولابنها.

إسماعيل الذي ينطبق عليه: أنه ابنه الوحيد عند الذبح، ووهم بعض علماء المسلمين فقالوا: الذبيح إسحاق. سرى عليهم هذا الوهم من مسلمة أهل الكتاب، على أنَّ من اليهود -والذين أسلموا حقيقة- من اعترف بأن التوراة مصرح فيها بذكر إسماعيل.

روى محمد بن كعب القرظي: أنَّ عمر بن عبدالعزيز أرسل إلى رجلٍ من اليهود أسلم وحسن إسلامه وكان من علماء اليهود يسأله عن ذلك وأنا عنده، فقال له عمر: أي بَنِي إبراهيم هو الذبيح؟ قال الرجل: هو إسماعيل، والله يا أمير المؤمنين إنَّ اليهود لتعلم ذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أبوكم الذي أمر الله بذبحه لما فيه من الفضل لكم.

قلت: وما هذا بأوَّل تحريفاتهم ولا آخِرها فقد سجَّل الله عليهم في كتابه: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة: ١٣]، ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾[المائدة: ٤١].

فنزلوا عندها وبعثوا إلى أهلهم فجاءوا ونزلوا معهم حتى صاروا عدَّة أبياتٍ -وكانوا من العرب العاربة وهم العرب البائدة- فتعلم إسماعيل منهم العربية الفُصْحَى وشَبَّ فيهم وأَنْفَسَهُم أي: صار نفيسًا، غلبهم في النفاسة بقوة جسمه ومتانة خلقه فأعجبهم ذلك منه فزوَّجوه بنتًا منهم.

ثُمَّ ماتت هاجر عليها السَّلام وجاء إبراهيم عليه الصَّلاة والسَّلام ينظر ما تركت هاجر من ميراثٍ، وسأل امرأة إسماعيل عن زوجها، حيث لم يجده في البيت، وكان يخرج للصيد ويتعيَّش منه، فقالت: خرج يبتغي لنا القوت بصيده، فسألها عن عَيْشِهم وحالهم، فأرت ضجرها من المعيشة وشكت الضيق، وذلك يدل على ضعف إيمانها وعدم قناعتها، يضاف إلى ذلك أنها لم تدعه إلى دخول البيت ولم تُقدِّم له قِرى الضِّيف فكانت امرأة سوءٍ، فلذلك قال لها: إذا جاء زوجك فاقرئي عليه السَّلام وقولي له: يُغيِّر عتبة بابه، كناية عنها لأنها لا تصلح أن تكون زوجًا لإسماعيل الرسول الكريم، وقد نفَّذ رغبة أبيه فطلَّقها.

ويأتي هنا سؤالٌ وهو: لِـمَ يمكث إبراهيم ينتظر ابنه حتى يعود من الصيد وكيف طابت نفسه بالسَّفَر قبل أن يراه؟

أشكل هذا على بعض المعاصرين فادَّعى أنَّ الحديث موضوعٌ (١).

وأجاب بعض المتقدِّمين: بأنَّ إبراهيم استأذن سارة في السَّفَر إلى هاجر فأذنت له بشرط ألَّا ينزل ولا يقعد. وهذا جوابٌ بعيدٌ، بل باطلٌ.

---

(١) ادِّعاء وضع الحديث لمجرَّد إشكالٍ فيه دليلٌ على قِلَّة العِلْم وضيق الأُفُق.

والذي يظهر في الجواب: أنَّ إبراهيم عليه الصَّلاة والسَّلام كان في مقام التوكُّل يسلك الأسباب من غير أن يعتمد عليها أو ينتظر نتائجها، بل يعتمد على الله تعالى وينتظر ما يأتي من قِبله، فهو حين شدَّ رحله إلى مكَّة سلك السبيل المعتاد لرؤية ابنه، لكنه حين وجده في صيده أدرك أنَّ الله لم يرد لقاءهما في تلك المرَّة، فاكتفى بتوجيه النصيحة إليه بتطليق امرأته التي لا تناسب حاله -ومن الأمثال المشهورة: المقابلة نصيب- وكذلك جاء للمرة الثانية فلم يجده ووجد زوجه الجديدة. فسألها عنه، فقالت: ذهب يصيد، ثُمَّ قالت له: ألا تنزل فتطعم وتشرب؟ قال: ما طعامكم؟ قالت: اللَّحْمُ، قال وما شرابكم؟ قالت: شرابنا الماء، فدعا لهم بالبركة في طعامهم وشرابهم.

ولو كان عندهم حَبٌّ من قمحٍ أو ذرةٍ لدعا لهم بالبركة فيه وبقيت بركة دعوته إلى اليوم وإلى قيام الساعة، فلا يمكن لشخص بغير مكة أن يعيش على اللَّحم والماء وحدهما.

ثُمَّ قال لها: إذا جاء زوجك فاقرئي عليه السَّلام، وقولي له: يمسك عتبة بابه.

يكني عنها أي: لا يفارقها؛ لأنها قوية الإيمان، شكرت نعمة الله. وكريمة النفس، دعت ضيفها الكريم إلى تناول الطعام والشراب، فاستحقَّت أن يمسكها إسماعيل. فهي المرأة الصالحة التي تساعده ويجد الراحة إذا آوى إليها في منزله.

ولم ينتظر إبراهيم ابنه في هذه المرة أيضًا لأنه أدرك أنَّ اللقاء لم يُقَدَّر بعد.

ومقام التوكُّل والتسليم عزيزٌ غريبٌ تبدو تصرُّفات صاحبه عند عامَّة النَّاسِ

غير مفهومةٍ، لكن الذَّائق له والمتلبِّس به لا يشعر أنَّ شيئًا يصدر منه غير مفهومٍ أو غير عاديٍّ؛ لأن اعتماده على الله وتسليم القيادة إليه أراح قلبه وأغناه عن تلمُّس المناسبات؛ لأنَّ الله إذا أراد شيئًا خَلَقَ مناسبته وهيَّأ لها الظروف الملائمة.

ثُمَّ عاد إبراهيم في زيارةٍ ثالثة فوجد إسماعيل قاعدًا تحت شجرةٍ كبيرةٍ - قريبًا من زمزم- يَبْري نبلًا له من النِّبال التي يصيد بها، فلما رآه قام إليه مُستقبلًا، فتعانقا وقبَّله والده قُبْلة العطف والرحمة كما قَبَّل هو والده قبلة الإجلال والهيبة، وبعد انتهاء المقابلة، وسؤال كل منهما الآخَر عن صحَّته وحاله قال إبراهيم: يا إسماعيل إنَّ الله أمرني بأمرٍ. قال إسماعيل: فاصنع ما أمرك به ربُّك. فقال إبراهيم مُستفهمًا: وتُعينُني؟ فإني أحتاج إلى معينٍ يعاونني فيه، قال إسماعيل: وأُعينك عليه. أطلب رضاك وثواب الله، قال إبراهيم: إنَّ الله أمرني أن أبني ههنا بيتًا، وأشار إلى الرَّابية المرتفعة بجانب زمزم.

فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة ويناولها لإبراهيم، وهو يبني. حتى إذا ارتفع البناء أتاه بالحجر الذي هو مقام إبراهيم فوقف عليه وأكمل بناء الكعبة، وهما يقولان أثناء بنائهما: يا ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ هذا العمل الذي هو بناء أول بيتٍ يقام لك في الأرض ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لدعائنا وأقوالنا ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بإخلاصنا في طاعتك وسعينا في مرضاتك.

ولم يستعينا في البناء بالسُّكَّان الموجودين هناك من جُرْهُم والعمالقة؛ لأنهما أحبَّا أن يقوما بهذه العبادة وحدهما مبالغةً في طلب رضا الله وزيادةً في التقرُّب إليه، وقد يكون بعض الناس قد ساعدوهما بعض المساعدة في قطع بعض

الأحجار ومناولة بعض الطين.

وكان في أسباب اختيار إبراهيم لهذه المهمَّة مع سابق علم الله وإرادته: أنَّ إبراهيم رأىٰ في بلده حران معبدًا للأصنام التي كانت تعبد من دون الله، ورأىٰ في مصر أيضًا معابد يعبدون فيها الآلهة ويقرِّبون لها القرابين فآلمه كثيرًا أن يكون للآلهة أماكن تعبد فيها مع أنها لا تنفع ولا تضر، ولا يكون لله الواحد القهَّار في أرضه بيتٌ يُعبَد فيه.

فعهد الله إليه ببناء هذا البيت الذي يُفرد فيه بالعبادة ويُنادىٰ فيه بتوحيده.

ما يؤخذ من القصة

يؤخذ منها أمورٌ:

١ - **منها:** أنَّ إبراهيم -عليه الصَّلاة والسَّلام- كان شديد الثِّقة بالله، قويَّ الاعتماد عليه؛ حيث ترك فِلْذَة كَبِدِه ووحيده الذي رُزِق به بعد دعاءٍ وتوجُّهٍ لله في مكانٍ قَفْرٍ لا زَرْعَ فيه ولا ضَرْعَ، ولا جَلِيسَ ولا أَنيس؛ تنفيذًا لأمر الله وإسراعًا في طاعته، وله مواقف كثيرة تؤكِّد شدَّة ثقته بالله واستسلامه إليه في كلِّ أموره من أجل ذلك اتخذه خليلًا.

٢- **ومنها:** أنَّ مَن وثق بالله واعتمد عليه حفظ أهله وأراه فيهم ما يحب، ألا ترىٰ كيف أخرج الماء لهاجر؟ وأتىٰ بناسٍ يسكنون معها يؤنسون وحشتها ويعلِّمون ابنها العربية الفصحَىٰ الخالصة من لهجات خالطت لغة أبيه إبراهيم عليه السَّلام.

٣- **ومنها:** أنَّ السَّعْيَ لا ينافي التوكُّل: فإنَّ هاجر -عليها السَّلام- لَمَّا سألت

إبراهيم: آلله أمرك أن تتركنا بهذا المكان القَفْر؟ وقال لها: نعم، قالت: إذن لا يضيِّعنا. وتوكَّلت على الله ووثقت به، ومع ذلك لما فني منها الزاد والماء قامت إلى الصَّفا والمروة تسعى بينهما تحاول أن تجد أحدًا يُسعفها، ولم يخدش ذلك توكُّلها، بل جعل الله مكان سعيها من شعائر الحجِّ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨].

٤- ومنها: أنَّ الله تعالى كرَّم هاجر بجعل مكان سعيها من شعائر الله بإضافته إلى ذاته المقدسَّة، وهو تكريم للمرأة الصالحة لم تنله في دينٍ غير الإسلام(١).

٥- ومنها: أنَّ الإنسان إذا سُئل عن حاله فلا يظهر الشَّكْوَى والتضجُّر،

---

(١) قرأت في جريدة الأخبار الصادرة يوم (٨/٩/١٩٦٧): أنَّ محاميًا ألمانيًّا اسمه كريستوف ييجر كتب رسالةً للدكتوراه عن مركز المرأة في الأحوال الشخصية عند المسلمين، تكلَّم فيها عن المساواة بين الرجل والمرأة في القرآن وبيَّن أنَّ الشريعة الإسلامية هي الشريعة الأولى التي أعطت للمرأة حقوقها كاملةً، ومنحتها مزيدًا من الحرية والاحترام، وذكر أنَّ احترام المرأة في الغرب يقوم على إعطائها كافَّة الحريَّات بحيث يمكنها أن تفعل ما تشاء ما دامت تؤدِّي عملها، أمَّا احترام المرأة في الشريعة الإسلامية فيقوم على طريق حمايتها ضد المساوئ والخطيئة، وتوجيهها للعمل الصالح. ونادى المحامي المذكور بضرورة تطبيق مباديء الشريعة الإسلامية في دول العالم؛ لأنها الشريعة الوحيدة التي تقدِّم للمرأة كافَّة الحقوق والحريَّات، وتمنحها مزيدًا من الاحترام. وذكرت الأخبار أنَّ ذلك المحامي سيقدِّم رسالته لتناقش في شهر نوفمبر (١٩٦٧) في جامعة توينتج جنوب شتوتجارت بألمانيا الغربية.

بل ينبغي له أن يحمد الله ويثني عليه ويظهر رضاه بحاله، ألا ترىٰ إلىٰ امرأة إسماعيل الأولىٰ حين شكت الضيق والشدَّة أمره إبراهيم بمفارقتها، وامرأته الأخيرة حين أثنت علىٰ الله وأظهرت رضاها بحالها أمره بإمساكها.

٦- ومنها: أنَّ الأب الصالح إذا أمر ابنه بطلاق امرأته نفَّذ أمره، فقد طلَّق إسماعيل امرأته الأولىٰ تنفيذًا لأمر أبيه(١).

٧- ومنها: أن المرأة الصادقة يعمل بروايتها، فقد طلق إسماعيل امرأته لما روته عن أبيه.

٨- ومنها: أن الشخص لو حفر بئرًا في أرض غير مملوكة لأحد كانت ملكًا له، فإن الناس الذين استأذنوا هاجر في النزول عندها شرطت عليهم ألا حق لهم في امتلاك الماء.

٩- ومنها: أن المَلَك قد يظهر للشخص الصالح ويكلمه، فقد ظهر جبريل عليه السلام لهاجر وكلمها مبشرًا لها بأن ابنها سيبني البيت مع أبيه وتلك كرامة أكرمها الله بها، ولم يُصِب من قال أنها كانت نبية.

١٠- ومنها: أن الشخص إذا قدَّم طاعة الله علىٰ حظ نفسه جعل الله البركة في أفعاله وما تلمسه بعض أعضائه، فإن إبراهيم لما ترك ابنه في مكان قفر امتثالا لأمر الله جعل البيت الذي بناه مباركًا فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦] وجعل الحجر الذي قام

---

(١) وأمر عمر ابنه عبدالله -رضي الله عنهما- بطلاق امرأته فلم يفعل، فشكاه إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فأمره بفراقها.

عليه وهو يبني البيت مكانًا يصلي عنده فقال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥].

مناقشات في القصة

أشكلت أشياء في هذه القصة علىٰ بعض المعاصرين ونحن نجيب عنها:

١- يفيد هذا الحديث أنَّ هاجر ماتت بعد زواج إسماعيل وجاء إبراهيم يطالع تركته منها، قال بعض المعاصرين: «والمشهور أنَّ هاجر ماتت بعد سارة، وأنها حضرت بناء الكعبة، وأنها كانت علىٰ قيد الحياة لما ذهب إبراهيم إلىٰ جبل ثبير بإسماعيل ليذبحه بعد النفر من عرفات».

هذا الكلام فيه تخليطٌ: فبقاء هاجر بعد سارة لم يستند فيه إلَّا لما ذكره بعض الإخباريين، وذلك لا يصح أن يرد به ما يثبت في "صحيح البخاري"[1] ودعواه أنها حضرت بناء البيت غير صحيحٍ.

وقوله: وأنها كانت علىٰ قيد الحياة لَمَّا ذهب إبراهيم إلىٰ جبل ثبير بإسماعيل ليذبحه بعد النفر من عرفات، غير مُحَرَّرٍ.

فإنَّ حادثة الذَّبح وقعت لإسماعيل وهو صبيٌّ لم يتجاوز الثانية عشر من عمره، وبناء البيت وقع بعد ذلك حين صار إسماعيل رجلًا يقدر علىٰ حمل الحجارة ومشاقِّ البِناء، والذي يرىٰ الحجر الذي هو مقام إبراهيم يتأكد أنه لا يقدر علىٰ حمله صبيٌّ في الثانية عشر من العمر، ومن الدليل علىٰ ذلك أيضًا دعاء إبراهيم وإسماعيل وهما يبنيان: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً

(١) بل ذكر معظم الإخباريين أيضًا أن هاجر توفيت قبل سارة.

مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨] فإسماعيل لم يدع بهذا إلَّا وهو رجلٌ متزوِّجٌ يأمل أن تكون له ذرية صالحة.

٢- يفيد الحديث أنَّ إبراهيم لما جاء لزيارة إسماعيل بمكَّة ووجده في الصيد لم ينتظره وقفل راجعًا إلى الشام. وقد أجبنا عنه فيما مرَّ.

٣- جاء في الحديث: وتعلَّم منهم العربيَّة، وهذا صحيحٌ، فإنَّ إسماعيل تربَّى في مكَّة مع أُمِّه المصرية ولغتها لم تكن عربيةً خالصةً بل فيها دخيلٌ كثيرٌ من لهجة القبط القديمة، فوجود جُرْهُم أفاد إسماعيل في تعلُّم العربية الفُصْحَى الخالية من الدخيل.

العبـــرة

العِبْرة مِن هذه القِصَّة أنَّ الله تعالى يمتحن خواصَّ عباده المُقَّربين امتحاناتٍ شديدةً قاسيةً؛ ليكثر أجرهم عنده ويزداد قربهم منه ويُربِّيهم على خشونة العيش، وبعد عن التَّرَف والتنعُّم، لتنمو رجولتهم وتقوى نفوسهم، وليعلموا أنَّ نعيم الدنيا زائلٌ فلا يلتفتون إليه، وأنَّ زخرفها حائلٌ فينصرفون عنه، ثُمَّ جعلهم بما امتحنهم به وربَّاهم عليه قدوةً للمؤمنين ومنارًا للسَّالكين.

فيا أيها المؤمن: لا تضعف إن أصابتك شدَّةٌ، ولا تضجر إن مسَّتك مصيبةٌ، بل اعتصم بإيمانك واثبت على يقينك واتل قول الله تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢] واجعل قدوتك إبراهيم الذي امتُحِن في نفسه وفي ولده فزاد إيمانه وعَظُم يقينه.

ويا أيها السَّالك إلى الله الطالب لرضاه: شَمِّر عن ساق الجِدِّ واترك الرَّاحَةَ

والتنعُّم جانبًا، وقدِّم نَفْسَك قُربانًا لله تعالىٰ كما قدَّمها إسماعيل قبلك، اذبح شهواتها بمُدْية عَزْمِك وأجْهِزْ علىٰ طَمَعِها وتطلُّعها بسيف قناعتك، ثُمَّ اذهب إلىٰ الله تعالىٰ بصِدْقٍ وإخلاصٍ وقل: إني ذاهب إلىٰ ربِّي سيهدين، يكن معك بالتأييد والتمكين: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

أوائل إبراهيم

أخرج البيهقيُّ من طريق سعيد بن المسيِّب، عن أبي هريرة قال: «كان إبراهيم عليه السَّلام أوَّل من اخْتَتَنَ، وأوَّل من رأىٰ الشَّيْبَ، وأوَّل مَن جَزَّ شاربه، وأوَّل مَن جَزَّ أظافيره، وأوَّل من استحَدَّ». إسناده صحيحٌ.

وروىٰ ابن عديٍّ في "الكامل" والبيهقيُّ في "الشعب"، أيضًا عن أبي هريرة، مرفوعًا: «**إنَّ إبراهيم عليه السَّلام أوَّل مَن أضَافَ الضَّيْفَ، وأوَّل مَن قَصَّ الشَّارِبَ، وأوَّل مَن رأى الشَّيْبَ، وأوَّل مَن قَصَّ الأظَافِر، وأوَّل مَن اخْتَتَنَ بقدوم** (١)». إسناده ضعيفٌ.

وفي "مستدرك الحاكم" و"سنن البيهقي" بإسناد صحيحٍ عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما في قوله: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ﴾ [البقرة: ١٢٤] قال: «ابتلاه الله بالطهارة، خمسٌ في الرأس وخمسٌ في الجسد، ففي الرأس: قَصُّ الشَّارِبِ، والمَضْمَضَةُ، والاسْتِنْشَاقُ، والسِّواك، وفَرْقُ الرَّأس. وفي الجسد:

---

(١) الآلة التي يُنحت بها، اختتن بها إبراهيم إسراعًا في تنفيذ الأمر. وقيل: القدوم اسم المكان الذي اختتن فيه.

تَقْلِيمُ الأظَافِرِ، وحَلْقُ العَانَةِ، والخِتَانُ، ونَتْفُ الإبطِ، وغَسْلُ مكان الغائِطِ والبولِ بالماء».

وروى وكيعٌ، عن جرير بن حازمٍ، عن واصل مولى عتيبة قال: «أوحى الله تعالى إلى إبراهيم عليه السَّلام: يا إبراهيم إنَّك أكْرَمُ أهل الأرض عليَّ، فإذا سَجَدْتَ فلا تَرَ الأرضُ عَوْرَتَك فاتخذ السَّراويل».

(لطيفة): أوْحَى الله تعالى إلى إبراهيم: يا إبراهيم إنَّك لما أسلمتَ مالك للضِّيفان، وابنك للقُرْبان، ونَفْسَك إلى النيران، وقلبك إلى الرحمن، اتخذناك خليلًا.

(تنبيه): قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ [مريم: ٥٤] لأنه وعد أباه بالصبر على الذبح ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢] فوفَّى بوعده ولم يجزع ولم يضطرب، حتى قال له أبوه: نعم الولد أنت يا بني، تُعين على طاعة الله. ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥٤]: أرسله الله إلى جُرْهُم المُقيمين معه بمكة، وذهب إلى تهامة يبلغ رسالته إلى بقيَّة جُرْهُم والعمالقة. ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ﴾ [مريم: ٥٥]:قومه، وسُمُّو أهله لأنه أصهر فيهم.﴿بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ [مريم: ٥٥] هما أهم أركان الدِّين، فالصَّلاة: تصل العبد بربِّه وتنفحه بإمدادات إلهيَّة، والزكاة تصل المسلم الغني بأخيه الفقير وتربط بينهما برباط الأخوَّة والمحبَّة حتى كأنهما روحان يضمهما الجسد. ﴿وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: ٥٥]؛ لأنه قَدَّم نَفْسَه في صغره وأدَّى الرِّسالة كما أمر بها في كبره، وفيما بين ذلك بنى بيتًا لعبادته وتوحيده، وأطعم نَفْسَه وأهله من صَيْدِه الحلال.

وممَّا أكرمه الله به أن سخَّر له الخيل فذلَّلها للركوب، وكانت وحشيَّةً لم يركبها أحدٌ قبله ولهذا كُني بأبي السِّباع[١].

(تنبيه آخر): تقدَّم أنَّ إسماعيل عليه السَّلام تعلَّم اللغة العربيَّة مِن جُرْهُم فهو أبو العرب المُسْتَعْرِبة. ذلك أنَّ العرب ثلاثة أنواعٍ:

الأول: العرب العاربة: وهم الخُلَّص، وهم تسع قبائل ومِن ولد أرم بن سام بن نوحٍ، وهي: عاد وثمود وأميم وعبيل وطسم وجديس وعمليق وجُرْهُم ووبار.

الثاني: العرب المُسْتَعْرِبة: وهم الذين ليسوا بخُلَّصٍ، وهم بنوا إسماعيل من مَعَدِّ بن عَدْنان بن أَدَد.

الثالث: العرب المتعربة: وليسوا بخُلَّصٍ أيضًا، وهم بنو قحطان باليمن تعلموا العربية من بني إسماعيل الذين نزلوا هناك.

قال عبدالملك بن حبيب الأندلسي: كان اللسان الأول الذي نزل به آدم من الجنَّة عربيًّا إلى أن بعد العهد وطال وحرف وصار سريانيًّا، وهو منسوبٌ إلى أرض سورى أو سوريانة وهي أرض الجزيرة، بها كان نوح عليه السَّلام وقومه

---

(١) توفي بمكة ودفن في الحِجْر بجانب والدته، وفي ذلك المكان قبور جماعة من الأنبياء. قال الثعلبي: أخبرنا أبو عمرو أحمد بن أبي الفراتي: أنبأنا المغيرة بن الوليد بمكَّة في المسجد الحرام بين الركن والمقام: أنبأنا الفضل بن يحيى الجَنَدي -بفتح الجيم والنون-: أنبأنا يونس بن محمد: أنبأنا يزيد بن أبي حكيم، عن سفيان الثوري، عن عطاء بن السائب، عن عبدالرحمن بن سابط أنه قال: بين الركن والمقام وزمزم قبور تسعة وتسعين نبيًّا، وإنَّ قبر هودٍ وصالحٍ وشعيبٍ وإسماعيلَ عليهم السَّلام في تلك البقعة.

قبل الغَرَق وكان يشاكل اللسان العربيِّ إلَّا أنه محرَّفٌ، وهو كان لسان جميع من في سفينة نوحٍ إلَّا رجلًا واحدًا يقال له: جُرْهُم، فكان لسانه لسان العربي الأول، فلما خرجوا من السفينة تزوَّج أرم بن سام بعض بناته، فمنهم صار اللسان العربي في ولده عوص أبي عاد وعبيل وجائر أبي ثمود وجديس. وسميت عاد باسم جُرْهُم؛ لأنه جدهم من الأم، وبقي اللسان السرياني في ولد أرفخشذ بن سام إلى أن وصل إلى يشجب بن قحطان من ذريته وكان باليمن، فنزل هناك بنو إسماعيل فتعلَّم منهم بنو القحطان اللسان العربي».اهـ

وروى الحاكم في "المستدرك" والبيهقيُّ في "الشعب" عن بريدة رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٥] قال: بلسان جرهم.

وروى الشيرازيُّ في "الألقاب": أخبرنا أحمد بن سعيد المعدانيُّ: أنبأنا محمد بن أحمد بن إسحاق الماسي: حدَّثنا محمد بن جابرٍ: حدَّثنا أبو يوسف يعقوب بن السِّكِّيت قال: حدَّثني الأثرم، عن أبي عبيدة: حدَّثنا مسمع بن عبدالملك، عن محمد بن علي بن الحسين، عن آبائه، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**أوَّل مَن فَتَقَ لِسانه بالعربيَّة المتينة إسماعيل عليه السَّلام وهو ابن أربع عشرة سنة**».

٢- حكم صائب

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**كانت امرأتان معهما ابناهما: جاء الذِّئبُ فذَهَبَ بابن إحْدَاهما، فقالت لصاحبتها: إنما ذهب بابنك، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك، فتحاكمتا إلى داود عليه السَّلام فأخبرتاه، فقضى به للكُبْرَى، فخرجتا على سليمان عليه السَّلام فأخبرتاه، فقال: ائتوني بالسِّكِّين أَشُقُّه بينهما، فقالت الصغرى: لا تفعل رحمك الله هو ابنها، فقضى به للصُّغْرَى**». رواه الشيخان.

مفردات الحديث واضحةٌ.

المعنى

كانت امرأتان من بني إسرائيل تجمعهما معرفة وصداقة، فبينما هما جالستان معهما ابناهما إذ فاجأهما الذئب فخطف ابن إحداهما وذهب به، ولمَّا أفاقتا من دهشتهما ورجعتا إلى وَعْيهما تنازعتا في الولد الذي تركه الذئب، ادَّعَتْ كلُّ واحدةٍ منهما أنه ابنها وإحداهما تعلم أنه ليس ولدها، لكنها تريد أن تأخذه لتطفئ به نار الحُرْقة التي في صدرها لفقد ولدها، وأصرَّت كلتاهما على رأيهما، فلم يكن بد من التحاكم إلى القاضي ليفصل النزاع بينهما، فذهبتا إلى داود النبيِّ والخليفة، وقصَّتا عليه قصَّتهما، ويظهر أنَّ الكبرى منهما كانت قد تردَّدت على المحكمة قبل هذه القضيَّة وعرفت أساليب المحاكمة، فأظهرت من اللباقة في الكلام وأبدت من الحزن المُصْطَنع ما حمل داود على الحكم بأن الولد لها؛ لأنه رأى أنَّ الحقَّ معها، فظفرت بالولد وخرجت الصُّغْرَى خائبة.

وكان داود يحضر ابنه سليمان في مجالس الحكم ليتمرَّن على شئون الخِلافة التي يتولَّاها بعد أبيه، فسبقهما بالخروج وتعرَّض لهما وهما خارجتان فسألهما عن قضيتهما، فأخبرتاه.

فطلب سِكِّينًا ليشقَّ الولد نصفين ويُعطي كلَّ واحدةٍ منهما نصفه، فوافقت الكبرى وقالت الصغرى: لا تفعل رحمك الله هو ابنها. فحكم به للصغرى؛ لأنها فضلت رؤيته حيًّا عند صاحبتها على قتله بالسكين أمام عينها.

ما يؤخذ من الحديث

يؤخذ منه أمران:

١- أنَّ اعتراف الشخص بشيءٍ تحت تأثيرٍ من المُؤثِّرات يكون لاغيًا ولا يُعمل به، فإن سليمان عليه السَّلام حكم بالولد للصغرى مع اعترافها بأنه للكبرى؛ لأنها اعترفت مخافة أن يشقَّ ابنها بالسكين، وعلى هذا فالاعترافات التي تُنْتَزَعُ من الشخص بأنواعٍ من العذاب كالتهديد بالقتل أو بهتك العرض أو نحو ذلك تكون باطلةً شرعًا.

وبعض الأئمَّة[1] أجاز أن يمس المتهم بعذابٍ ليقر، لكن لم يجز أحدٌ تلك الطرق التي اخترعت اليوم للتعذيب.

٢- أنَّ الحكم إذا كان خطأ يصح نقضه، بل يجب، لإيصال الحقِّ إلى صاحبه، فإنَّ سليمان عليه السَّلام نَقَضَ حكم أبيه بحكمٍ كان صوابًا حصلت به صاحبة الحقِّ على حقِّها.

---

(١) هو الإمام مالك.

ولسليمان قصة أخرىٰ حكم فيها بغير حكم أبيه، وهي مذكورةٌ في القرآن الكريم قال الله تعالىٰ: ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ ﴾ [الأنبياء: ٧٨ – ٧٩].

وحاصل القصة: أنَّ حرثًا، وهو زرعٌ لجماعةٍ من النَّاس، نَفَشَتْ فيه غَنَمُ قومٍ -أي: رعته ليلًا[1] وليس معها راعٍ- فأفْسَدَتْهُ، فتحاكموا إلىٰ داود عليه السَّلام، وقصُّوا عليه القِصَّة فحكم بالغنم لأصحاب الحرث يأخذونها عوضًا عن الحرث الذي أفسدته؛ حيث إنَّ أصحاب الغنم مُقصِّرون، وكان سليمان حاضرًا مجلس الحكم وعمره نحو إحدىٰ عشرة سنة فقال: غير هذا أرفق بالفريقين. وأمر أن تدفع الغنم لأهل الحرث ينتفعون بألبانها وأشعارها، ويدفع الحرث لأهل الغنم يقومون عليه بالإصلاح حتىٰ يعود كما كان ثُمَّ يترادَّان، أي: يردُّ أهل الغَنَمِ الحَرْثَ لأصحابه، ويردُّ أهل الحَرْثِ الغَنَمَ لأصحابها، هكذا ورد عن ابن عبَّاسٍ وقتادة.

وقال ابن مسعودٍ وشريحٌ: إنَّ راعيًا نزل ذات ليلةٍ بجانب كَرْمٍ فدخلت الأغنام الكَرْمَ وهو لا يشعر، فأكلت القضبان وأفسدت الكَرْمَ، فصار صاحب الكَرْمِ من الغد إلىٰ داود، فقضىٰ بالأغنام له لأنه لم يكن بين ثمن الأغنام وثمن الكرم تفاوتٌ، فمرا بسليمان -وهو ابن إحدىٰ عشرة سنة- فقال لهما: ما قضىٰ

---

(١) النَّفَش -بفتح النون والفاء- لا يكون إلا بالليل، بخلاف الهَمَل -بالفتح أيضًا- فإنه يكون بالليل والنهار.

بينكما داود؟ فقصَّا عليه القِصَّة، فقال: غير هذا أرفق بالفريقين، فعادا إلى داود فأخبراه بذلك، فدعا سليمان، وقال له: بحقِّ النبوَّة والأبوَّة إلَّا ما أخبرتني بالذي هو أرفق بالفريقين، فقال سليمان: تُسَلِّم الأغنام إلى صاحب الكَرْمِ لينتفع بنسلها وصوفها ومنافعها، ويعمل الرَّاعي في إصلاح الكَرْمَ إلى أن يعود كهيئته، ثُمَّ يتسلمه صاحبه وترد الأغنام إلى صاحبها، فقال داود: القضاء ما قضيت وحكم بذلك، فذلك قوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ﴾ [الأنبياء: ٧٩].

قال الحسن: كان الحُكم ما قضى به سليمان، ولم يُعنِّف الله داود في حُكْمِهِ.

قلت: وذلك يدل على أنَّ الأنبياء كان يجتهدون، وأنَّ المخطيء في اجتهاده غير مؤاخذٍ.

العبــرة

العبرة من القضيتين: أنَّ الله تعالى قد يتفضَّل على الصغير فيُعطيه ما لا يعطي الكبير -وفي المثل المشهور: يضع سِرُّه في أضعف خَلْقِهِ- لكن بشرط الأهليَّة، وسليمان كان أهلًا لما أُعطي من إصابة الحكم وتكفي شهادة الله له بقوله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص: ٣٠].

(تنبيه): سليمان عليه السَّلام أوَّل من فرَّق بين الشهود، وذلك أنَّ امرأةً رُمِيت بالزِّنا -مع أنها صالحةٌ- وشهد عليها أربعة شهودٍ أمام داود عليه السَّلام فأمر برجمها، فعلم سليمان فطلب من كلِّ شاهدٍ أن يشهد على انفرادٍ، فاختلفت أقوالهم وظهر كذبهم وبرئت المرأة.

(تنبيه آخر): كان العلاء بن الشِّخِّير يقول: العافية مع الشَّكُر أحب من البلاء مع الصبر. قال سفيان الثوري: وذلك لأن الله تعالى مدح سليمان مع العافية بقوله: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠] وقال في صفة أيوب مع البلاء الذي كان فيه: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤] فاستوت الصفتان، وهذا معافى وهذا مبتلى، فوجدنا الشُّكْر قد قام مقام الصبر، فلما اعتدلا كانت العافية مع الشكر أحب من البلاء مع الصبر.

٣- صدقة مقبولة

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «قال رجلٌ: لأتصَدَّقَنَّ بصَدَقَةٍ، فخَرَجَ بصَدَقَتِهِ فوضَعَها في يدِ سارقٍ، فأصْبَحُوا يتحَدَّثون: تُصُدِّقَ الليلة على سارقٍ، فقال: اللهمَّ لك الحمدُ على سارقٍ، لأتصَدَّقَنَّ بصَدَقَةٍ. فخرج بصَدَقَتِهِ فوضعها في يد زانيةٍ، فأصبحوا يتحَدَّثون: تُصُدِّق الليلةَ على زانيةٍ، فقال: اللهمَّ لك الحمد على زانيةٍ، لأتصَدَّقَنَّ بصَدَقَةٍ. فخرجَ بصَدَقَتِهِ فوضَعَها في يد غَنيٍّ، فأصْبَحُوا يتحَدَّثون: تُصُدِّقَ الليلةَ على غَنيٍّ، فقال: اللهمَّ لك الحمدُ على سارقٍ وعلى زانيةٍ وعلى غَنيٍّ. فأُتيَ فقيل له: أمَّا صَدَقَتُكَ على سارقٍ فلعلَّه أن يَسْتَعِفَّ عن سَرِقَتِهِ، وأمَّا الزَّانِيةُ فلعلَّها أن تَسْتَعِفَّ عن زِناها، وأمَّا الغنيُّ فلعلَّه أن يَعْتَبِرَ فيُنْفِقَ ممَّا آتاهُ اللهُ».

رواه الشيخان، وهذا لفظ البخاريِّ.

المفردات

تُصُدِّق: بضمِّ التاء والصاد وكسر الدال المشدَّدة وفتح القاف.

فأُتي: بضمِّ الهمزة وكسر التاء وفتح الياء.

المعنى

صاحب هذه القِصَّة رجلٌ خَيِّر أراد أن يتصَدَّق بصدقةٍ يرجو ثوابها من الله، فخرج بصدقته ليلًا يُخفيها من الناس فوقعت في يد سارقٍ، ويظهر أنها كانت مَبْلَغًا له بال، فأصبح الناس يتحدَّثون مُتعَجِّبين يقولون: تُصُدِّق الليلة على سارقٍ! مع أنَّ السارق يستحقُّ العقوبة لا الصدقة؛ لأنه يسرق أموال الناس،

فحمد الله صاحب الصدقة، وأخرج صدقةً ثانيةً فوقعت في يد زانيةٍ فتعجَّبَ الناس! وتحدَّثوا بهذه الصدقة التي وقعت في غير موقعها: كيف يُتصَدَّق على زانيةٍ تبيع نفسها وتتاجر بعرضها وشرفها؟ وعلم صاحب الصدقة فحمد الله، وأخرج صدقةً ثالثةً فوقعت في يد غنيٍّ، وتعجب الناس أيضًا وتحدَّثوا بهذه الصدقة التي أخذها غنيٌّ هو أولى بأن يدفعها ومثلها لفقيرٍ محتاجٍ، وعَلِمَ صاحب الصدقة فحمد الله واعتقد أنَّ هذا أمرٌ أراده الله، ولم يحاول أن يخرج صدقةً رابعةً.

فأتاه مَلَكٌ في صورة إنسانٍ وأخبره أنَّ صدقته قُبِلت كما جاء في روايةٍ أخرى، ثُمَّ قال له: أمَّا صدقتك على السارق فلعلَّه أن يستعفَّ عن سرقته بسببها بأن يتَّخِذها رأس مالٍ يُتاجِر بها، وأمَّا الزانية فلعلها أيضًا تستعفُّ عن الزِّنا بصدقتك بأن تسهم بها في معاملةٍ تعود عليها بربحٍ يكفيها، وأمَّا الغنيُّ فلعله أن يعتبر بك ويقول في نفسه: هذا أخرج بعض ماله صدقة لله يبتغي بها رضاه ومثوبته فينبغي لي أن أعمل مثله، فينفق ممَّا آتاه الله.

وبذلك يكون لصاحب الصدقة أجره مرَّتين: مرة على صدقته، وأخرى على استعفاف السارق والزانية بها، واقتداء الغني به.

ما يؤخذ من الحديث

يؤخذ منه أمران:

١ - أنَّ الإنسان إذا أخرج صدقةً لا يُضِيره أن تقع في يد من لا يستحقها، وهذا في صدقة النَّفْل، أمَّا الصدقة المفروضة: وهي زكاة المال وزكاة الفِطْر فلا تصح إلَّا إذا أعطيت لمن عَيَّنه الشارع لأخذها.

قال الله تعالىٰ في زكاة المال: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠].

وزكاة الفطر بيَّن الحديث أنها تُعطَىٰ للمسلم الفقير، والأفضل ألا يكون عاصيًا.

٢- أنَّ المسلم إذا حصل له ما يكره فينبغي له أن يقابله بالحمد وهو أعلىٰ من الصبر؛ لأنه يدل علىٰ الرِّضا، ولهذا قال عمر رضي الله عنه لأبي موسىٰ الأشعريِّ في كتابه إليه: إن استطعت أن ترضى، وإلَّا فاصبر.

العبـرة

العبرة في هذه القصة أنَّ بعض الأشياء قد تبدو للناس غير مفهومةٍ أو غير معقولةٍ، مثل الصدقة علىٰ السارق والزانية والغنيِّ، بدت للناس غير مفهومةٍ، فتحدَّثوا عنها مُتعجِّبين منها حتىٰ إن صاحب الصدقة نفسه لم يملك إزاءها إلَّا أن يحمد الله الذي لا يُحمَد علىٰ مكروهٍ سِواه، لكنها في الباطن اشتملت علىٰ حِكَم تجعلها مفهومةً ومعقولةً، بحيث ظهر لصاحب الصدقة أنَّ ما وقع كان خيرًا وأعظم لأجره، وهذا معنىٰ ما يقال: «لو اطلعتم علىٰ الغيب لاخترتم الواقع»، والناس يروونه حديثًا لكنه ليس بحديثٍ.

وهذه القصة تشبه قصة الخَضِر عليه السَّلام، فإنه خَرَقَ السَّفِينة وقَتَلَ غُلامًا وأقام جِدارًا من غير أن يأخذ عليه أجْرًا، وبدت أعماله غير مفهومةٍ لموسىٰ عليه السَّلام فأنكرها عليه فلما بيَّن له حِكْمَتها سلَّم واطمأنَّ.

وقصة أخرى تُشبهها: كان نبيٌّ من بني إسرائيل قاعدًا تحت شجرةٍ يستظل بظلِّها وتحته عين تجري، فجاء شخصٌ يحمل صُرَّة دراهم ووضعها بجانب العين ونزل إلى حافَّتها فاستحم، ومكث يستريح، ثُمَّ ذهب ونسي الصُّرَّة حيث تركها، فجاء شخصٌ ثانٍ فاستحم ووجد صُرَّة الدراهم فأخذها وذهب، ثُمَّ جاء شخصٌ ثالثٌ وقعد بجانب العين يستريح، وإذا بالشخص الأول جاء يجري كأنه جملٌ هائجٌ تذكَّر صُرَّة الدراهم، فجاء يبحث عنها فوجد ذلك الرجل بجانب العين فسأله عن صُرَّة الدراهم، فأجاب: لم أرَها فكذَّبه صاحبها، وحصلت بينهما مخاصمة أدَّت إلى تماسكٍ بالأيدي فضرب صاحب الدراهم خصمه بسلاحٍ كان معه فقتله.

فقال ذلك النبيُّ: عجبًا يا رب! شخصٌ يأخذ الدراهم، وآخَر يُقتل بسببها؟ فأوحى الله إليه: إنَّ الدراهم التي أخذها ذلك الرجل وذهب كانت دينًا لأبيه على الرجل الذي جاء يحملها وماطله بدفعها حتى مات ولم يأخذها فأخذها ولده، وأمَّا الرجل الذي وجده على العين وقتله فإنه كان قد قتل والده مِن قبل وهو لا يزال طفلًا فلم يقتل إلَّا قاتل أبيه، وإن كان لا يعرف ذلك.

(تنبيه): لو قَتَلَ رجلٌ شخصًا في خصومةٍ مثلًا ثُمَّ تبيَّن أنَّ الشخص المقتول يستحقُّ القتل في قصاصٍ أو حَدٍّ فلا يُقتَل القاتل في هذه الحالة؛ لإزهاقه نفسًا تستحقُّ الإزهاق، لكن يُعاقب بغير القتل لافتياته على الحاكم وإقدامه على القتل.

٤- إن لنفسك عليك حقًا

عن أبي جُحَيْفَةَ رضي الله عنه قال: آخَىٰ النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بين سلمان وأبي الدرداء رضي الله عنهما، فزار سليمان أبا الدرداء فرأىٰ أُمَّ الدرداء مُبْتَذِلَةً، فقال: ما شأنُك؟ قالت أخوك أبو الدرداء ليس له حاجةٌ في الدُّنيا. فجاء أبو الدرداء فصنع له طعامًا فقال له: كُلْ فإني صائِمٌ. قال: ما أنا بآكلٍ حتَّىٰ تأكل، فأكَلَ. فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، فقال: نَمْ، فنام. ثُمَّ ذهب يقوم، فقال له: نَمْ، فنام. فلمَّا كان آخِرُ الليل قال سلمان: قُمِ الآن، فصَلَّيا جميعًا، فقال له سلمان: إنَّ لربِّك عليك حقًّا، وإنَّ لنَفْسِكَ عليك حَقًّا، ولأهْلِكَ عليك حَقًّا، فأعْطِ كُلَّ ذي حَقٍّ حَقَّهُ.

فأتىٰ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فذكر ذلك له، فقال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**صَدَقَ سَلْمانُ**». رواه البخاريُّ.

المفردات

جُحَيْفَة: بضم الجيم وفتح الحاء.

مُبْتَذِلة -بالذال المعجمة- أي: لابسة ثيابًا مُمتهنة بالية.

فأَعْطِ: بهمزة قطع مفتوحة، وإسقاطها لحنٌ وتحريفٌ.

المعنى

لَمَّا هاجر النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إلىٰ المدينة آخَىٰ بين الصحابة توكيدًا لأخوَّة الدِّين وإذهابًا للفوارق التي كانت في الجاهلية، وكانوا يتوارثون بهذه الأخوَّة، فإذا مات صحابيٌّ أنصاريٌّ ورثه أخوه الصحابيُّ المهاجريُّ

وبالعكس حتىٰ نزل قوله تعالىٰ: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ [الأحزاب: ٦] الآية، فبطل التوارث بهذه الأخوَّة وبقيت أخوَّة دينيَّة روحيَّة، وممَّن آخىٰ بينهم النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم سلمان الفارسي(١) وأبو الدرداء.

فذهب سلمان إلىٰ أبي الدرداء يزوره في بيته قيامًا بحَقِّ أخوَّته، فوجد امرأته أُمَّ الدرداء مُبْتذِلةً في لبسها وهيئتها فسألها لم لا تتجمَّل لزوجها في بيتها، فقالت: أخوك أبو الدرداء لا حاجة له في الدنيا ولا غرض له في النِّساء. جعل الزهد غايته، والعبادة صناعته، فلمن أتجمَّل؟ وجاء أبو الدرداء ورحَّب بأخيه سلمان في بيته، ثُمَّ قَدَّم له الطعام وقال له: كل ولا تنتظرني فإني صائمٌ صيام تطوُّعٍ لله تعالىٰ، فقال له سلمان: لست بآكلٍ من هذا الطعام ولا ذائقًا منه شيئًا حتىٰ تأكل معي. فأكل أبو الدرداء مع أخيه وضيفه، فلما جاء الليل ترك أبو الدرداء ضيفه ينام وقام يريد إحياء الليل بالصلاة كعادته، فقال له سلمان: نَمْ وأَرِحْ جسمك من تعب العمل طول النهار. فنام إرضاء لضيفه، ثُمَّ أراد أن يقوم للصلاة بعد هَجْعَةٍ فقال له: نَمْ، فنام. حتىٰ إذا كان آخِر الليل وقرب أذان الفجر قال له سلمان: قُمْ الآن فتجهَّز لصلاة الصبح، فقاما وتوضَّئا وصَلَّيا جميعًا ركعاتٍ لله، وأذَّن الصبح فصلَّياه جماعة.

وقال له بعد الصَّلاة: يا أبا الدرداء لا تتجه للعبادة والزهد وتترك ما

---

(١) كان من أجلاء الصحابة وهو من شيعة عليٍّ عليه السَّلام وقد اتهمه بعض المعاصرين بأنه مؤسِّس مذهب الباطنية، وهي تهمةٌ باطلةٌ.

عداهما فإنَّ عليك حقوقًا كثيرةً:

إنَّ لربِّك عليك حقًّا: وهو أداء ما فرضه عليك.

وإنَّ لنَفْسِك عليك حقًّا: وهو أن تُعطيها قِسْطًا من النوم والرَّاحة، ومن الطعام الحلال والزينة المباحة: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢]. وإنَّ لزوجك عليك حقًّا: وهو أن تطعمها وتكسوها وتعفها ولا تذرها كالأرملة وهي لها زوج.

فأعط كلَّ ذي حَقٍّ حَقَّه، وكما تخشىٰ أن يُحاسبك الله علىٰ إضاعة حَقِّه فاخْشَ أن يحاسبك علىٰ إضاعة حَقِّ نفسك وأهلك.

بدا هذا الكلام غريبًا لأبي الدرداء الذي أَلِفَ العَزُوف عن الدنيا ومَلَذَّاتها فجاء إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فحكىٰ له ما جرىٰ بينه وبين سلمان وذكر نصيحة سلمان له، فقال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**صَدَقَ سلمان**». فيما قال، وفهم روح الإسلام الذي أتىٰ بالتيسير ولم يأتِ بالتعسير.

وفي "الصحيحين" عن عبدالله بن عمرو بن العاص: أنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال له: «**ألم أُخْبَرَ أنَّك تصومُ النَّهارَ وتقومُ الليلَ؟**» قلت: بلىٰ يا رسول الله، قال: «**فلا تفعل، صُمْ وأَفْطِر، ونَمْ وقُمْ؛ فإنَّ لجسدك عليك حَقًّا، وإنَّ لعينيك عليك حَقًّا، وإنَّ لزوجك عليك حَقًّا، وإنَّ لزَوْرِكَ -زوَّارك- عليك حَقًّا، وإنَّ بحسبك أن تصوم مِن كلِّ شهرٍ ثلاثة أيامٍ؛ فإن لك بكلِّ حسنةٍ عشر أمثالها، فإنَّ ذلك صيام الدَّهر**».

وفي "صحيح البخاري" عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله

صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إذا أمَرَهُم أمَرَهُم من الأعمال بما يُطيقون. قالوا: إنَّا لسنا كَهَيْئتك يا رسول الله، فيغضب حتَّى يعرف الغضب في وجهه ثُمَّ يقول: «**إنَّ أتْقَاكُم وأعْلَمَكُم بالله أنا**». فهذا الحديث يدل على أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان يأمر الصحابة بما يسهل عليهم دون ما يشق خشية أن يعجزوا عنه، وكان هو يفعل بمثل ما يأمرهم به ليكون أسوةً لهم بقوله وفعله.

والمقصود: أنَّ الدِّين الإسلاميَّ مبنيٌّ على التخفيف والتيسير لا على التشديد والتعسير، قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

وقال في صفة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم التي أنزلها في التوراة: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

ومن هنا رُخِّص للمريض والمسافر أن يُفطرا في رمضان، كما رُخِّص للمريض أن يتيمَّم إذا لم يقدر على الماء، وأن يصلِّي قاعدًا إذا لم يقدر على الصَّلاة قائمًا، ورُخِّص للمسافر أن يقصر الصلاة الرباعيَّة إلى ركعتين. وقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ اللهَ يحبُّ أن تُؤْتَى رُخَصَهُ كما يُحِبُّ أن تُؤْتَى عَزائِمُهُ**».

وكان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في سَفَرٍ وهم صائمون في رمضان فأخذ قَدَحًا من ماءٍ وشَرِبَ منه نهارًا أمام الصحابة ليُفطروا، ثُمَّ بلغه أنَّ جماعةً منهم ظلُّوا صائمين، فقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**أولئك العُصاة**». وكرَّر هذه العبارة مرَّتين أو ثلاثًا، وفي الحديث الصحيح: «**ليس مِن البرِّ الصِّيام في السَّفَر**».

ما يؤخذ من الحديث

يؤخذ منه أمور:

١ - أنَّ الصائم المتطوِّع بصومه يجوز له الإفطار ولا إثْم عليه، وقد ثبت في "الصحيح": أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أصبح يومًا صائمًا ثُمَّ أتته بعض أمَّهات المؤمنين بطعامٍ فقال: «**أَرِينِيه فقد أَصْبَحْتُ صَائِمًا**». وأكل منه.

وعند المالكيَّة: لا يجوز للمتطوِّع بصومه أن يفطر، وإذا فعل يكون آثمًا إلَّا إذا أمره بالإفطار والده أو شيخه فيفطر ولا إثم عليه.

وحصل مرة: أن حضر مولانا الأستاذ الإمام الوالد رضي الله عنه حفلة بعض الإخوان الصِّدِّيقين بطنجة، وحضرها بعض الأتباع وهم صائمون فأمرهم بالإفطار فأفطروا، وعلم بعض أهل العلم فاعترض بأن هذا لا يجوز، فبعث له الاستاذ الإمام الوالد يبيِّن له أنَّ إفطار الصائم المُتطوِّع أجازته السُّنَّة الصحيحة وذكر له الأحاديث، ثُمَّ قال له: وحادثتنا جائزةٌ أيضًا في مذهب المالكيَّة؛ لأنهم أجازوا للصائم المتطوِّع أن يفطر بأمر والده أو شيخه، وأنا شيخهم وقد أمرتهم بالإفطار، وأراه النصَّ في كتب المالكيَّة.

وهكذا كان مولانا الأستاذ الإمام الوالد واسع الاطلاع قويَّ الحُجَّة، يُلْزِم المُقلِّدين من كتب مذهبهم ويريهم نصوصًا لا يعرفونها.

وكان قد رأىٰ في بداية طلبه للعلم رؤيا حاصلها: أنه دخل علىٰ الإمام مالكٍ في قبةٍ وجلس بين يديه فسلَّمه كتاب المُدوَّنة، فكان بعد في الفقه المالكيِّ لا يشق له غبار، حتىٰ أنَّ شيخه السيِّد المهدي الوزَّانيَّ مفتي الشمال الإفريقي

نقل بعض فتاويه[١].

٢- أنَّ صاحب البيت ينبغي له أن يأكل مع الضيف ليُؤنِسه ويذهب عنه وَحْشَة الغُربة، أمَّا النوم فإنه ينبغي له أن يتركه ينام وحده؛ لأن ذلك أدعى لراحته.

٣- أنَّ المؤمن يجب عليه أن يؤدِّي ما عليه من حقوقٍ لله ولمخلوقاته، وألَّا يُغَلِّب حقًّا على حقٍّ، ومن هنا عرَّف العلماء الشخص الصالح: بأنه الذي يؤدِّي حَقَّ الخالق وحَقَّ المخلوق، وسمَّى الله الأنبياء صالحين؛ لأنهم أدوا حَقَّه في الطاعة وحَقَّ عباده في التبليغ والنصيحة.

٤- أنَّ المؤمن ينبغي له أن يقتصد في العبادة، وألا يكثر منها حتى يَكِلَّ وينقطع.

ثبت في "الصحيحين" عن عائشة رضي الله عنها: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم دخل عليها وعندها امرأةٌ[٢] قال: «مَن هذه؟» قالت: هذه فلانة

---

(١) وكان يقرأ "جمع الجوامع" في الأصول على العلَّامة السيِّد محمَّد جعفر الكتانيِّ بجامعة القرويين، فصعب فهمه أول الأمر فجاءه العارف الشعراني في المنام وسأله: مالك مهمومًا؟ فأجابه بقوله: صعب على "جمع الجوامع"، فأنا مهمومٌ لذلك. فقال له: هاتِ المتن لأشرحه لك، فأحضر المتن وصار الشيخ الشعراني يفك له ألفاظه وعباراته بشرحٍ وجيزٍ، فاستيقظ من نومه وقد سهل عليه فهم الكتاب ولم يجد صعوبةً في عِلْم الأصول بعد ذلك، ومِن ثَمَّ أحبَّ الشيخ الشعراني ودأب على اقتناء كتبه حتَّى تيسَّر له منها ما لم يتيسَّر لغيره، وحصل على رسائل من تأليفه بخطِّه.

(٢) قيل: هذه المرأة من بني أسد، ولمسلمٍ من طريق الزهريِّ، عن عروة: أنها الحَوْلاء بنت تُوَيْتٍ.

يذكر من صلاتها -تعني أنها تُصَلِّي كثيرًا- قال: «**مَهْ، عليكم بما تُطِيقون، والله لا يَمَلُّ اللهُ حتَّى تَمَلُّوا**». الحديث.

مَهْ: كلمة زجرٍ أي: اكتفي.

لا يمل الله: أي لا يُعاملكم معاملة المالِّ فيقطع ثوابه عنكم.

حتى تملُّوا: فتنقطعوا عن العبادة.

وفي "الصحيحين" أيضًا عن أنسٍ رضي الله عنه قال: دخلَ النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم المسجد، فإذا حبلٌ ممدودٌ بين الساريتين فقال: «**ما هذا الحَبْلُ؟**» قالوا: هذا حَبْلٌ لزينب، فإذا فَتَرتْ تعلَّقت به، فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**حُلُّوه، ليُصَلِّ أحَدُكم نَشَاطَهُ فإذا فَتَرَ فليَرْقُد**».

٥- أنَّ الإنسان يجوز له أن يعلن عن عبادته إذا أمن الرياء، فإنَّ أبا الدرداء لما قدَّم الطعام لسلمان قال له: كل فإني صائمٌ، وبالضرورة لم يقصد رياءً.

٦- ينبغي للمرأة في بيتها أن تكون نظيفةً، حسنة الثِّياب تتجمَّل بذلك لزوجها، فإنَّ سلمان أنكر على أُمِّ الدرداء حين وجدها مُبتذلةً في ثيابها.

٧- أنَّ المؤمن إذا رأى في أخيه أو أخته ما يحتاج إلى إصلاح نبَّهه إليه؛ لأن المؤمن مِرآة المؤمن.

العــبرة

العبرة في هذا الحديث: أنَّ التقرُّب إلي الله ونيل رضاه ليس طريقه كَثْرة العبادة والتشدُّد فيها، لكن طريقه أداء العبادة المطلوبة على وجهٍ لا يدعو إلى المَلَلِ والإعْياء ولا إلى العجب والرِّياء.

وهنا ترك أبو الحسن الشاذليُّ -رضي الله عنه- ما كان عليه الصوفيَّة قبله مِن خُشُونةٍ في المأكل والمَلْبَسِ ولبس المرقَّعة وغير ذلك ممَّا كانوا يأخذون المريدين به.

ولهذا أيضًا كان كُمَّل الأولياء لا يزيدون في تعبُّدهم على ما كان عليه حال النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وهديه؛ لأن حاله أشرف حالٍ، وهَدْيَهُ أكمل هَدْيٍ.

٥- معجـزة

عن العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه قال: شهدتُ مع رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يوم حُنَينٍ، فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فلم نفارقه، ورسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ بغلةٍ له بيضاء، فلمَّا التقىٰ المسلمون والمشركون ولَّىٰ المسلمون مُدبرين، فطَفِقَ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ قِبَل الكُفَّار وأنا آخذٌ بلِجامِ بَغْلَة رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أكُفُّها إرادة ألَّا تسرع، وأبو سفيان آخذٌ بركاب رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أي عبَّاسُ، نادِ أصحاب السَّمُرَةِ**». قال العبَّاس -وكان رجلًا صَيِّتًا-: فقلت بأعلىٰ صوتي: أين أصحاب السَّمُرة؟ فوالله لكأنَّ عَطْفَتَهم حين سمعوا صوتي عَطْفَةُ البَقَرِ علىٰ أولادها، فقالوا: يا لبَّيك يا لبَّيك، فاقتتلوا هم والكفار.

والدعوة في الأنصار، يقولون: يا معشر الأنصار يا معشر الأنصار، ثُمَّ قُصِرت الدعوة علىٰ بني الحارث بن الخزرج، فنظر رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وهو علىٰ بغلته كالمُتطاوِل عليها إلىٰ قتالهم، فقال: «**هذا حِين حَمِيَ الوَطِيسُ**».

ثُمَّ أخذ رسول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حَصَياتٍ فرمَىٰ بهنَّ في وجُوه الكُفَّار، ثُمَّ قال: «**انْهَزَمُوا وربِّ محمَّدٍ**». فذهبت أنظر، فإذا القتال علىٰ هيئته فيما أرىٰ، فوالله ما هو إلَّا أن رماهم بحصَيَاته فما زلت أرىٰ حَدَّهم كَلِيلًا، وأمرهم مُدْبِرًا.

المفردات

حُنَين: بضم الحاء وفتح النون: موضعٌ قريبٌ من الطائف وقعت فيه الغزوة المعروفة، ويقال لها أيضًا: غَزْوَةُ هَوَازِن، وغَزْوَةُ أَوْطَاس -بفتح الهمزة وسكون الواو- اسم لموضع القتال.

السَّمُرة: بفتح السين وضم الميم: الشَّجَرة، والمراد بها هنا: الشجرة التي وقع تحتها بيعة الرِّضوان وهي المذكورة في قوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

صيِّتًا: بتشديد الياء المكسورة: عظيم الصوت.

لبَّيك: مصدر معناه: إجابة لك بعد إجابة.

حَمِيَ: بفتح الحاء وكسر الميم وفتح الياء.

الوَطِيسُ: بفتح الواو وكسر الطاء، التنُّور. وهذه العبارة كنايةٌ عن اشتداد القِتال، ولم ينطق بها أحدٌ قبل النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فهو أوَّل من قالها.

حَدُّهم: بالحاء المهملة، بأسهم. **كَليلًا**: ضعيفًا. **وأمرهم مدبرًا**: كناية عن هزيمتهم.

المعنى

لَمَّا فتح الله تعالىٰ علىٰ رسوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مكَّة المكرمة أطاعت له العرب إلَّا هوازن وثقيفًا؛ فإن أهلها كانوا طُغَاةً عُتَاةً، فمشىٰ أشراف القبيلتين بعضهم إلىٰ بعضٍ، فأشفقوا أن يغزوهم رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وقالوا: قد فَرَغَ لنا، فلا ناهية له دوننا، والرأي أن نغزوه.

فجمعوا جموعهم واستعدُّوا للقتال، فعلم رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فخرج إليهم في اثني عشر ألف رجلٍ، ألفان من أهل مكَّة، وعشرة الآلاف الذين فتح الله تعالى بهم مكَّة، وبعث النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إليهم عبدالله بن أبي حدرد الأسلمي، وأمره أن يدخل فيهم ويسمع منهم ما أجمعوا عليه، فدخل فيهم ومكث فيهم يومًا أو يومين وسمع كلامهم، ثُمَّ أتى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فأخبره الخبر.

فجاء رجلٌ فقال: يا رسول الله إني انطلقت بين أيديكم حتى اطلعت جبل كذا، فإذا أنا بهوازن عن بكرة أبيهم بظعنهم ونعمهم وشبابهم اجتمعوا إلى حُنينٍ، فتبسَّم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وقال: «**تِلْك غَنيمَةُ المسلمين غدًا إن شاء الله تعالى**». واستعار صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من صفوان بن أميَّة قبل إسلامه مائة دِرْعٍ بما يكفيها من السَّلاح، كما استعار من ابن عمِّه نوفل بن الحارس بن عبدالمطلب ثلاثة آلاف رمحٍ وقال له: «**كأني أنظر إلى رماحكم هذه تقصف ظهور المشركين**». فلما قرب من العدوِّ صَفَّهم ووضع الألوية والرَّايات مع المهاجرين والأنصار، فلواء المهاجرين أعطاه عليًّا عليه السَّلام، ولواء الخزرج أعطاه الحباب بن المنذر رضي الله عنه، ولواء الأوس أعطاه أُسَيد بن حُضَير رضي الله عنه، وركب صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بغلته ولبس درعين المِغْفَر والبَيْضة، ومرُّوا بشجرة سدرة كان المشركون يُعظِّمونها وينوطون بها أسلحتهم، فقال الصحابة: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواطٍ، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**اللهُ أكبر، هذا كما قال قوم موسى عليه السَّلام:** ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، **لتركبنَّ**

سَنَن مَن كان قبلكم». سَنَن: بفتح السين، طريق.

فلما وصلوا إلى حُنينٍ وانحدروا في الوادي عند غبش الصبح خرج عليهم القوم -وكانوا كمنوا لهم في شِعاب الوادي ومضايقه بإشارة دريد بن الصَّمَّة- فاستقبلوهم بالنبل كأنهم جَرادٌ مُنتَشِر وكانوا رُماةً لا يكاد يسقط لهم سهمٌ فولَّى المسلمون مُنهزِمين؛ لأنهم فوجئوا بالنِّبال تتساقط عليهم من كلِّ جهةٍ، وثبت النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وثبت معه نحو ثلاثمائة فيهم أبو بكرٍ وعمر وعليٌّ والعباس وابنه الفضل وأبو سفيان بن أخيه الحارث وربيعة بن الحارث ومعتب ابن عمِّه أبي لهب وفقئت عينه في هذه الغزوة، وصار رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**أنا رسول الله، أنا محمد بن عبدالله، إني عبدالله ورسوله**». ويَرْكُض بغلته إلى جهة الكفَّار، والعباس آخذٌ باللجام يكفُّها حتى لا تسرع إلى جهتهم مخافة أن يحصل أذى لرسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وأبو سفيان ابن الحارث آخذٌ بركابه فقال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يا عبَّاسُ، نادِ أصحاب السَّمُرة**». ليذكِّرهم بالشجرة التي بايعوا تحتها بيعة الرضوان -وهي التي بايعوا فيها على الجهاد في سبيل الله- وكان العباس عظيم الصوت -كان يقف على جبل سلع بالمدينة وينادي غلمانه آخِر الليل وهم بالغابة فيسمعهم وبين الغابة وسلع ثمانية أميال- فنادى العباس: يا أصحاب السَّمُرة، فتذكروا بيعتهم تحتها بالجهاد وأفاقوا من دهشة المفاجأة وتحركَّت همتهم لطلب الاستشهاد فأسرعوا إليه مُجيبين: «يا لبَّيك يا لبَّيك»، وعطفوا على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عَطْفة البقر على أولادها حين تحس بخطرٍ يُهدِّدها، حتى إذا انتهوا إليه وتتام عددهم ثلاثمائة استقبلوا الكفار فاقتتلوا،

وأشرف رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فنظر إلىٰ القوم وهم يجتلدون، وجعل يتطاول علىٰ بغلته ليستوعب رؤيتهم فقال:«**الآن حَمِيَ الوَطِيسُ**». أي: اشتدت الحرب. وصار يقول: «**أنا النبيُّ لا كَذِب، أنا ابن عبدالمطَّلب**».

ثُمَّ تناول قبضةً من ترابٍ فيها حَصَيات فرمىٰ بها في وجوه الكفار ثُمَّ قال:«**انْهَزَموا** -بفتح الزاي- **وربِّ محمَّدٍ**». قال العباس: فذهبت أنظر فإذا القتال علىٰ هيئته فيما أرىٰ، فوالله ما هو إلَّا أن رماهم بحَصَيَاته فما زلت أرىٰ بأسهم ضعيفًا، وولوا مُدْبِرين.

حدَّث بعض المشركين -حضر يوم حُنينٍ- قال: التقينا نحن وأصحاب محمَّدٍ لم يقوموا لنا حَلْبة شاةٍ أن كشفناهم، فبينما نحن بسوقهم ونحن في آثارهم إذ صاحب بغلة بيضاء وإذا هو محمدٌ، فتلقَّانا عنده رجال بيض الوجوه، حسان الوجوه -هم الملائكة- وقالوا: شاهت الوجوه ارجعوا، فانهزمنا من قولهم وركبوا أجسادنا فكانت إياها. يعني: الهزيمة.

وإلىٰ رميه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بالحصىٰ أشار البوصيري في الهمزية بقوله:

ورَمَىٰ بالحَصَىٰ فأَقْصَدَ جَيْشًا ... ما العَصَا عِنْدَهُ وما الإِلْقَاءُ ؟

يعني: ورمَىٰ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بالحصىٰ فأصاب جيشًا عظيمًا وهزمه، أي شيءٍ عصا موسىٰ عند ذلك الحصىٰ؟ وأي شيءٍ إلقاء موسىٰ -عليه السَّلام- لعصاه عند إلقاء ذلك الحصىٰ؟ شتَّان ما بينهما، فلا يُقاس هذا بذاك؛ لأن هذا أعظم، فانقلاب العصا ثعبانًا مُشابهٌ لانقلاب حبال السَّحَرة وعِصِيِّهم ثعابين، وابتلاعها لحبالهم وعِصِيِّهم لم يقهر العدو بل زاد عتوهم، وزعموا أنَّ

موسىٰ -عليه السَّلام- عَلَّم السَّحَرة بعض السِّحْر وغَلَبهم ببعضه الآخَر، وأمَّا الحصىٰ فإنَّ إلقاءه أهْلَك العدوَّ وكسر جيشه.

ولما انهزم المسلمون في أول الغزوة تكلَّم رجالٌ من أهل مكَّة بما في نفوسهم مِن حِقْدٍ، فقال أبو سفيان -وكان إسلامه مدخولًا وكانت الأزلام في كنانته-: لا تنتهي هزيمتهم -يعني المسلمين- دون البحر، والله غلبت هوازن. فقال له صفوان: بفِيك الحجر.

وفرح قومٌ من مكَّة بهزيمة المسلمين وأظهروا الشماتة، ولكن الله كبتهم وخَيَّب آمالهم فنصر المسلمين نصرًا مُؤزَّرًا، وكانت أموال هوازن غنيمةً للمسلمين، والحمد لله ربِّ العالمين.

ما يؤخذ من القصة

يؤخذ منها أمور:

١- جواز الاستعانة بأسلحة الكفَّار: فقد استعار النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم سلاحًا من صفوان بن أميَّة قبل إسلامه، ولذلك لما بعث إليه يقول له: «**يا أبا أميَّة أَعِرْنا سلاحك نَلْقَ به عَدُوَّنا غدًا**». قال صفوان: أغصْبًا يا محمَّد؟ فقال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**بل عَارِيةً وهي مضمونة حتى نؤدِّيها إليك**». قال: ليس بهذا بأسٌ.

٢- أنَّ الصحابة مع إيمانهم التام بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ومشاهدتهم لنزول الوحي عليه ورؤيتهم للمعجزات التي أيده الله بها، تعتريهم نوباتٌ من الضعف البشريِّ فتحملهم علىٰ الهرب والفِرار طالبين النجاة بأنفسهم، وأنَّ ذلك لا يخدش إيمانهم ولا ينقص يقينهم، وفي هذا توسعةٌ علىٰ

عامَّة المؤمنين الذين يعتريهم مثل هذا الضعف وهم دون الصحابة إيمانًا ويقينًا.

٣- أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان أشجع الناس وأقواهم قَلْبًا وأثبتهم جنانًا، وهذا معلومٌ من حاله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بالضرورة.

وقد قرَّر العلماء: أنَّ من خصائصه عليه الصَّلاة والسَّلام ألَّا ينهزم ولا يتراجع، بل يجب عليه أن يثبت ولو اجتمع ضده أهل الأرض؛ لأنه موعودٌ بالنصر، ولذلك قال: أنا النبيُّ لا كذب، يشير إلىٰ ثباته صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم؛ لأنه نبيٌّ صادقٌ مصدوقٌ.

٤- أنَّ الفخر في الحرب بقصد إغاظة الكُفَّار أو تحريك همم المسلمين جائزٌ، بل مرغوبٌ فيه.

ولهذا قال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أنا النبيُّ لا كذب، أنا ابن عبدالمطلب**». فحرَّك عزيمة المسلمين وأثار حماسهم بالشطر الأول، وأغاظ الكفَّار وأهاج حقدهم بالشطر الآخَر.

٥- أنَّ من نسي عهدًا قطعه علىٰ نفسه ينبغي تذكيره بأسلوب لطيفٍ لا يجرح شعوره؛ لأن الصحابة لما فرُّوا مُنهزمين ونسوا بيعتهم التي قطعوا فيها العهد بالجهاد حتىٰ الممات، أمر النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم العباس أن يناديهم: «يا أصحاب السَّمُرة» تذكيرًا لهم بالعهد، فلما سمعوا وتذكَّروا وأقبلوا مُسرعين حتىٰ يقول بعضهم -لشدة إسراعهم-: فلرماحهم أخوف عندي علىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من رِماح الكفار.

٦- نداؤهم بـ«يا أصحاب السَّمُرة» -وهذا لقبٌ محبوبٌ لهم؛ لأنه يُذكِّر بالبيعة التي يُعرفون بها- يُفيد أنَّ قائد الجيش ينبغي له أن ينادي أفراد جيشه

بألقاب يُحبُّونها ويُسمِّيهم بسماتٍ يرضونها، فإنَّ ذلك يُحبِّبه إليهم ويجعلهم أكثر طاعةً له.

٧- أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان يسلك الأسباب الماديَّة والأسباب المعنوية.

فإلى جانب استعداده عليه الصَّلاة والسَّلام لغزو هوازن بالرجال والسِّلاح، وهذا سببٌ ماديٌّ، سلك السبيل المعنويَّ فرماهم بالحَصَيات، ومعنى هذا: أنَّ المؤمن ينبغي له في جميع شئونه أن يسلك السبيلين اقتداءً بنبيِّ الثقلين.

العــبرة

لما أقبل الصحابة على حُنينٍ، وكانوا اثني عشر ألف رجلٍ، قال أبو بكرٍ رضي الله عنه: يا رسول الله لن تُغلَب اليوم من قِلَّة، وشقَّ ذلك على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وساءته تلك الكلمة، فلما وصلوا إلي حُنينٍ انهزموا وفرُّوا وأنزل الله: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ التوبة: [٢٥ – ٢٧].

إذن فكثرة الجيش لا تقتضي النَّصر ولا تستدعيه: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ﴾ [البقرة: ٢٤٩] والعبرة من ذلك: أنَّ

المسلمين إذا كانوا في جهادٍ مع الكفار ينبغي لهم ألا يعجبوا بكثرتهم ويركنوا إليها، بل عليهم أن يسلكوا الأسباب المضادة، ويخلصوا النيَّة ويصدقوا العزيمة، ثُمَّ بعد ذلك يلجئون إلى الله تعالى في طلب نصره: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

وفي القصة عبرةٌ من جهة أخرى: هي أنَّ الشيء قد يكون صغيرًا في مظهره كبيرًا في أثره، فرمي حصيات في وجوه الكفار أمرٌ يسير لكنه في الأثر الذي ترتَّب عليه كثير، إذ كان سببًا في هزيمة جيش بأكمله؛ لأن الله بارك ذلك الرَّمْي وأضاف إلى ذاته المقدسة: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧].

والعجيب في شأن ذلك الرَّمْي أنه أمرٌ عاديٌّ ليس فيه قلب حقيقةٍ ولا تغيير سُنَّةٍ كونيَّةٍ، ومع ذلك كان بما ترتَّب عليه معجزةً أرقى من قلب الحقيقة وأعلى من تغيير السُّنَّة الكونيَّة.

٦- فضل الصِّدقِ

عن عبدالله بن كعب بن مالكٍ -وكان قائِدَ كعبٍ، مِن بَنِيهِ، حين عَمِيَ- قال: سمعتُ كعب بن مالكٍ يُحَدِّثُ بحديثه حين تَخَلَّفَ عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في غَزْوَة تَبُوكَ.

قال كعبٌ رضي الله عنه : لم أتَخَلَّفْ عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في غَزْوَةٍ غَزَاهَا قَطُّ، إلَّا في غَزْوَة تَبُوكَ، غير أنِّي قد تَخلَّفتُ في غَزْوَةِ بَدْرٍ ولم يُعَاتِبْ أحَدًا تَخَلَّفَ عنه، إنَّما خَرَجَ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم والمسلمون يريدون عِيرَ قريشٍ، حتَّىٰ جَمَعَ اللهُ بينهم وبين عَدُوِّهِمْ علىٰ غير مِيعَادٍ، ولقد شهدتُ مع رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ليلةَ العَقَبَةِ، حين تَوَاثَقْنَا علىٰ الإسلام، وما أُحِبُّ أنَّ لِي بها مَشْهَدَ بَدْرٍ، وإن كانت بَدْرٌ أَذْكَرَ في النَّاسِ منها، وكان مِن خَبَرِي حين تَخلَّفتُ عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في غَزْوَة تَبُوكَ أنِّي لم أكن قَطُّ أقوَىٰ ولا أيسَرَ مِنِّي حين تَخَلَّفْتُ عنه في تلك الغَزوةِ، والله ما جمعتُ قبلها راحلتين قَطُّ، حتَّىٰ جمعتهما في تلك الغزوة، فغزاها رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في حَرٍّ شديدٍ، واستقبل سَفَرًا بعِيدًا ومَفَازًا، واستقبَلَ عَدُوًّا كثيرًا، فجَلَا للمسلمين أمرهم ليتأهَّبُوا أُهْبَةَ غزوهم، فأخبرهم بوَجْهِهِمِ الذي يُريد، والمسلمون مع رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كثيرٌ، ولا يجمعهم كتابُ حَافِظٍ، يريد بذلك الدِّيوان.

قال كعبٌ: فقَلَّ رَجُلٌ يريد أن يَتغيَّبَ، يظنُّ أنَّ ذلك سيخفَىٰ له، ما لم ينزل فيه وَحْيٌ من الله عزَّ وجلَّ، وغَزَا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم تلك الغزوة حين طابتِ الثِّمَارُ والظِّلَالُ، فأنا إليها أَصْعَرُ، فتجَهَّزَ رسول الله صلَّىٰ الله

عليه وآله وسلَّم والمسلمون معه، وطَفِقْتُ أَغْدُو لكي أتجَهَّزَ معهم، فأرجِعُ ولم أَقْضِ شيئًا، وأقول في نَفْسي: أنا قادرٌ على ذلك إذا أردتُ، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتَّى استمرَّ بالنَّاسِ الجِدُّ، فأصبح رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم غاديًا والمسلمون معه، ولم أَقْضِ مِن جَهَازِي شيئًا، ثُمَّ غَدَوْتُ فرجعتُ ولم أَقْضِ شيئًا، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتَّى أَسْرَعُوا وتَفَارَطَ الغَزْوُ، فهَمَمْتُ أن أرتَحِلَ فأُدركهم، فيا ليتني فعلتُ، ثُمَّ لم يُقَدَّرْ ذلك لي، فطَفِقْتُ إذا خرجتُ في النَّاس بعد خُرُوجِ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يَحْزُنُني أنِّي لا أرَى لي أُسْوَةً إلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا عليه في النِّفاق، أو رجُلًا ممَّن عَذَرَ الله مِن الضُّعفاء، ولم يَذْكُرني رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حتَّى بَلَغَ تَبُوكَ فقال: وهو جالسٌ في القوم بتبُوكَ «**ما فعل كعب بن مالكٍ؟**» قال رجلٌ من بني سَلِمَةَ: يا رسول الله حَبَسَهُ بُرْدَاهُ والنظر في عِطْفَيْهِ، فقال له معاذ بن جبل: بئس ما قلت، والله يا رسول الله ما عَلِمْنا عليه إلَّا خيرًا، فسَكَتَ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

فبينما هو على ذلك رأى رجُلًا مُبَيِّضًا يَزُولُ به السَّرَابُ فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**كُنْ أبا خَيْثَمَةَ**» فإذا هو أبو خَيْثَمَةَ الأنصاريُّ، وهو الذي تَصَدَّقَ بصَاعِ التَّمْرِ حين لَمَزَهُ المنافقون(١).

فقال كعب بن مالكٍ: فلمَّا بلغني أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قد

---

(١) يُشير إلى قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ ﴾ [التوبة: ٧٩]، وذلك أنَّ أبا خَيْثمة أتى بصاعٍ من تمرٍ صدقة، فقال المنافقون: إنَّ الله لغنيٌّ عن صاع هذا، وتصدَّق عبدالرحمن بن عوفٍ بأربعة آلاف درهم أو دينار فقالوا: ما تصدَّق بها إلَّا رياء.

توجَّهَ قافِلًا مِن تَبُوكَ، حضرني بَثِّي، فطَفِقْتُ أتذكَّرُ الكذب وأقول: بِمَ أخرُجُ مِن سَخَطِهِ غَدًا؟ وأستعين علىٰ ذلك كلَّ ذي رأيٍ مِن أهلي، فلمَّا قيل لي: إنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قد أَظَلَّ قادمًا، زَاحَ عَنِّي الباطل، حتَّىٰ عرفتُ أنِّي لن أنجُوَ منه بشيءٍ أبدًا، فأجمعتُ صِدْقَهُ.

وصَبَّحَ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قادمًا، وكان إذا قَدِمَ مِن سَفَرٍ، بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين، ثمَّ جَلَسَ للنَّاسِ، فلمَّا فعل ذلك جاءه المُخَلَّفُون، فطَفِقُوا يعتذرون إليه، ويحلِفُون له، وكانوا بِضعةً وثمانين رجلًا، فقبِلَ منهم رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علانِيَتَهم، وبايعَهُم واستغفر لهم، ووَكَلَ سَرَائِرَهم إلىٰ الله، حتَّىٰ جِئْتُ، فلمَّا سَلَّمتُ تبسَّمَ تبسُّمَ المُغْضَبِ، ثُمَّ قال: «**تَعَالَ**» فجئتُ أمشي حتَّىٰ جلستُ بين يديه، فقال لي: «**ما خَلَّفَكَ؟ ألم تكن قد ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ؟**» قال: قلتُ: يا رسول الله إني، والله لو جَلَسْتُ عند غيرك مِن أهل الدُّنيا، لرأيتُ أني سأَخرجُ مِن سَخَطِهِ بعُذْرٍ، ولقد أُعْطِيتُ جدلًا، ولكنِّي والله لقد علمتُ، لئن حدَّثْتُكَ اليوم حديث كذبٍ ترضى به عنِّي ليُوشِكَنَّ الله أن يُسْخِطَكَ عليَّ ولئن حدَّثْتُكَ حديثَ صِدْقٍ تجد عليَّ فيه، إني لأرجو فيه عُقْبَىٰ الله، والله ما كان لي عُذْرٌ، والله ما كنتُ قَطُّ أقوىٰ ولا أيسَرَ مِنِّي حين تخلَّفتُ عنك، قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أمَّا هذا، فقد صَدَقَ، فقُمْ حتَّى يَقْضِيَ الله فيك**» فقمتُ.

وثَارَ رجالٌ مِن بني سَلِمَةَ فاتَّبعوني، فقالوا لي: والله ما عَلِمْناك أذنبتَ ذنبًا قبل هذا، لقد عَجَزْتَ في أن لا تكون اعتذرتَ إلىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، بما اعتذر به إليه المُخَلَّفُون، فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله

صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لك، قال: فوالله ما زالوا يؤنِّبوني حتَّىٰ أردتُ أن أرجع إلىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فأُكَذِّبَ نَفْسِي، قال ثُمَّ قلتُ لهم: هل لَقِيَ هذا معي مِن أحدٍ؟ قالوا: نعم، لَقِيَهُ معك رجلان قالا مثلما قلتَ، فقيل لهما مثلما قيل لك، قال قلتُ: مَن هما؟ قالوا: مُرَارَةُ بن الرَّبيعة العامريُّ وهِلال بن أُمَيَّةَ الواقِفِيُّ، قال: فذكروا لي رجلين صالحين قد شَهِدَا بَدْرًا، فيهما أُسْوَةٌ، قال: فمَضَيْتُ حين ذكروهما لي.

قال: ونهىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم المسلمين عن كلامنا، أيُّها الثلاثة، مِن بين مَن تَخَلَّفَ عنه، قال: فاجتنبنا النَّاسُ، وقال: تغيَّروا لنا حتَّىٰ تَنكَّرَتْ لي في نفسي الأرضُ، فما هي بالأرض التي أعرف، فلبثنا علىٰ ذلك خمسين ليلةً، فأمَّا صاحِبَايَ فاسْتكانا وقَعَدَا في بُيُوتهما يبكِيان، وأمَّا أنا فكنتُ أشَبَّ القوم وأجْلَدَهُمْ، فكنتُ أخرج فأشهد الصَّلاة وأطُوفُ في الأسواق ولا يُكَلِّمُني أحدٌ، وآتي رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فأسلِّم عليه، وهو في مجلسه بعد الصَّلاة، فأقول في نَفْسِي: هل حَرَّكَ شفتيه بردِّ السَّلام، أم لا؟ ثُمَّ أُصَلِّي قريبًا منه وأسارقه النَّظَرَ، فإذا أقبلتُ علىٰ صلاتي نَظَرَ إليَّ، وإذا التفتُّ نحوه أعرض عنِّي.

حتَّىٰ إذا طال ذلك عليَّ مِن جَفْوَةِ المسلمين، مَشَيْتُ حتَّىٰ تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حائِطِ أبي قتادة، وهو ابن عَمِّي وأحبُّ النَّاسِ إليَّ، فسلَّمتُ عليه، فوالله ما رَدَّ عليَّ السَّلام. فقلتُ له: يا أبا قتادة أنشُدُكَ بِالله هل تَعْلَمَنَّ أنِّي أُحِبُّ اللهَ ورسوله؟ قال: فسكتَ، فعُدْتُ فناشَدْتُه، فسكتَ، فعُدْتُ فناشَدْتُه، فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضَتْ عَيْنَايَ، وتَوَلَّيْتُ، حتَّىٰ تسَوَّرْتُ الجِدَارَ.

فبينا أنا أمشي في سوق المدينة، إذا نَبَطِيٌّ مِن نَبَطِ أهل الشَّام، ممَّن قَدِمَ بالطَّعام يبيعه بالمدينة، يقول: مَن يدلُّ علىٰ كعب بن مالكٍ، قال: فطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُون له إليَّ، حتَّىٰ جاءني فدفع إليَّ كتابًا مِن مَلِكِ غَسَّانَ، وكنتُ كاتبًا، فقرأته فإذا فيه: «أمَّا بعد، فإنَّه قد بلغنا أنَّ صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هَوَانٍ ولا مَضْيَعَةٍ، فالحَقْ بنا نُوَاسِكَ»، قال فقلتُ: حين قرأتها: وهذه أيضًا مِن البلاء فتيامَمْتُ بها التَّنُّورَ فسَجَرْتُها بها.

حتَّىٰ إذا مَضَتْ أربعون مِن الخمسين، واستلبث الوَحْيُ، إذا رسول رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يأتيني، فقال: إنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يأمرك أن تَعْتَزِلَ امرأتك، قال: فقلتُ: أُطَلِّقُها أم ماذا أفعل؟ قال: لا، بل اعتزِلها، فلا تَقْرَبَنَّها، قال: فأرسل إلىٰ صاحِبَيَّ بمثل ذلك، قال: فقلتُ لامرأتي: الحَقِي بأهلِكِ فكوني عندهم حتَّىٰ يَقْضِيَ الله في هذا الأمر، قال: فجاءت امرأة هِلال بن أميَّة رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فقالت له: يا رسول الله إنَّ هِلال بن أميَّة شيخٌ ضائعٌ ليس له خادمٌ، فهل تَكْرَهُ أن أَخْدُمَهُ؟ قال: «لا، ولكن لا يَقْرَبَنَّكِ» فقالت: إنَّه والله ما به حركةٌ إلىٰ شيءٍ، ووالله ما زال يَبْكِي منذ كان مِن أمره ما كان إلىٰ يومه هذا.

قال: فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في امرأتك؟ فقد أَذِنَ لامرأة هلال بن أميَّة أن تخدمه، قال: فقلت: لا أستأذن فيها رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وما يُدريني ماذا يقول رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إذا استأذنته فيها وأنا رجلٌ شابٌّ؟ قال: فلبثتُ بذلك عشر ليالٍ، فكَمُلَ لنا خمسون ليلةً مِن حين نُهِيَ عن كلامنا.

قال: ثُمَّ صَلَّيتُ صلاة الفجر صباح خمسين ليلةً على ظَهْرِ بيتٍ مِن بيوتنا، فبينا أنا جالسٌ على الحَال التي ذَكَرَ الله عزَّ وجلَّ مِنَّا، قد ضاقت عليَّ نَفْسِي وضاقت عليَّ الأرضُ بما رَحُبَتْ، سمعتُ صوت صارخٍ أَوْفَى على سَلْعٍ يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالكٍ أبشر، قال: فخَرَرْتُ ساجدًا وعرفتُ أنْ قد جاء فرجٌ، قال: فآذن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم النَّاسَ بتوبة الله علينا، حين صلَّى صلاة الفجر، فذهب النَّاسُ يُبَشِّرُوننا، فذهب قِبَلَ صاحِبَيَّ[1] مُبَشِّرُون، ورَكَضَ رجلٌ إليَّ فَرَسًا، وسعى ساعٍ مِن أَسْلَمَ قِبَلِي، وأَوْفَى الجبل، فكان الصَّوتُ أسرع مِن الفرس، فلمَّا جاءني الذي سمعتُ صوته يُبَشِّرُني، فنزعتُ له ثَوْبَيَّ فكسوتهما إيَّاهُ ببشارته، والله ما أملك غيرهما يومئذٍ، واستعَرْتُ ثوبين فلبستهما.

فانطلقت أَتَأَمَّمُ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، يتلقَّاني النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا، يُهَنِّئوني بالتوبة ويقولون: لتَهْنِئْكَ توبة الله عليك حتَّى دخلتُ المسجد، فإذا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم جالسٌ في المسجد وحوله النَّاسُ، فقام طلحة بن عُبيدالله يُهرول حتَّى صافحني وهنَّأني، والله ما قام رجلٌ من المهاجرين غيره، قال فكان كعبٌ لا ينساها لطلحة.

قال كعبٌ: فلمَّا سلَّمتُ على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: وهو يَبْرُقُ وجْهُهُ مِن السُّرُور ويقول: «**أبشِرْ بخير يومٍ مَرَّ عليك منذ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ**» قال فقلتُ: أَمِنْ عندك؟ يا رسول الله أم مِن عند الله؟ فقال: «**لا، بل مِن عند الله**».

---

(١) بفتح الباء مثنى، وهما: مرارة بن الربيع وهلال بن أمية.

وكان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، إذا سُرَّ اسْتَنارَ وَجْهُهُ، كأنَّ وَجْهَهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، قال: وكنَّا نعرف ذلك، قال: فلمَّا جلستُ بين يديه قلتُ: يا رسول الله إنَّ مِن توبتي أن أنخَلِعَ مِن مالي صَدَقَةً إلى الله وإلى رسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أمسِك بعض مالك، فهو خيرٌ لك**» قال: فقلتُ: فإنِّي أمسِكُ سَهْمِيَ الذي بخيْبَرَ.

قال: وقلتُ: يا رسول الله إنَّ الله إنَّما أنجاني بالصِّدْقِ، وإنَّ مِن توبتي أن لا أُحَدِّثَ إلَّا صِدْقًا ما بَقِيتُ، قال: فوالله ما عَلِمْتُ أنَّ أحدًا مِن المسلمين أبلاه الله في صِدْقِ الحديث منذ ذكرتُ ذلك لرسولِ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى يومي هذا أحسن ممَّا أبلاني الله به، والله ما تعمَّدتُ كذبةً منذ قلتُ ذلك لرسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى يومي هذا، وإنِّي لأرجو أن يحفظني الله فيما بَقِيَ.

قال: فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ ﴾ حتَّى بَلَغَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٧ – ١١٩].

قال كعبٌ: والله ما أنعم الله عليَّ مِن نعمةٍ قَطُّ بعدَ إذ هداني الله للإسلام أعظمَ في نَفْسِي، مِن صِدْقِي رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، أن لا أكون كذبتُهُ فأهلِكَ كما هَلَكَ الذين كذبوا، إنَّ الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شَرَّ

ما قال لأحدٍ. وقال الله: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٥ – ٩٦].

قال كعبٌ: كنَّا خُلِّفنا أيُّها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قَبِلَ منهم رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حين حَلَفُوا له، فبايعهم واستغفر لهم وأرجأ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أمرنا حتَّىٰ قضىٰ الله فيه، فبذلك قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ ، وليس الذي ذَكَرَ الله ممَّا خُلِّفنا، تخلُّفنا عن الغَزْو، وإنَّما هو تَخْلِيفُهُ إيَّانا، وإرْجَاؤُهُ أمْرَنا، عمَّن حَلَفَ له واعْتَذَرَ إليه فقَبِلَ منه. رواه الشيخان.

المفردات

تَبُوك: بفتح التاء وضم الباء: موضع بالشام.

راحلتين: تثنية راحلة، والراحلة: هي الناقة التي تصلح لأن ترحل أي: يشد علىٰ ظهرها الرحل وهو أثاث المسافر.

ورَّى: بتشديد الراء المفتوحة، أخفىٰ الغزوة التي يريدها وأظهر غيرها.

وأصْعَر: أميل.

وتفارط: تتابع مسرعًا.

مغموصًا عليه: معيبًا عليه.

عِطْفَيه: بكسر العين: جانبيه، كناية عن إعجابه بنفسه.

بثِّي: حزني.

نَبطي: النبط -بفتح النون- قوم يسكنون بين العراق والشام.

سجَّرتها: أحرقتها.

سَلَع: بفتح السين وسكون اللام: جبل بالمدينة.

المعنى

في شهر رجب سنة تسعٍ من الهجرة خرج النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إلىٰ تبوك؛ لأنه بلغه أنَّ الرُّوم جمعوا جموعًا كثيرة بالشام وأنهم قدموا مقدماتها إلىٰ البلقاء -مدينة بالشام- فخرج صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لملاقاتهم، وسار بالناس -وهم ثلاثون أو أربعون ألفًا، وكانت الخيل عشرة آلاف فرس- وخلَّف علىٰ المدينة عليًّا عليه السَّلام، فأرجف به المنافقون وقالوا: ما خلَّفه إلَّا لاستثقاله، فأخذ عليٌّ سلاحه ولَحِق بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وهو نازلٌ بالجرف، فقال: يا نبي الله زعم المنافقون أنك ما خلَّفتني إلَّا أنك استثقلتني وتخفَّفت مِنِّي، فقال: «**كذبوا، ولكنِّي خلَّفتك لما تركت ورائي، فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك، أما ترضى أن تكون مِنِّي بمنزلة هارون من موسى إلَّا أنه لا نبيَّ بعدي**»(١). فرجع علي إلىٰ المدينة.

وكان النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إذا أراد أن يغزو قبيلةً من قبائل العرب يسأل عن قبيلة غيرها -يظهر بذلك أنه يريد غزوها- ليخفي وجهة

---

(١) ادَّعىٰ النواصب أنَّ هذا الحديث موضوعٌ، وكذبوا، بل هو في "الصحيحين" وله طرقٌ أفردها الحافظ ابن عساكر في جزءٍ خاصٍّ.

قصده، إلَّا هذه الغزوة فإنه أظهرها للناس ليستعدوا ويأخذوا أهبَتهم لطول السَّفَر وكثرة العدوِّ -وهم الروم- الذين بلغه تجمعهم لقتاله، واستنهض همم الناس للجهاد، وكان الوقت أول الخريف وقد طابت الثمار والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم؛ لأن زمن الخريف في الحجاز يكون حارًّا ولذلك حكى الله عن المنافقين: ﴿وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ﴾ [التوبة: ٨١]، وردَّ عليهم بقوله تعالى: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨١].

وتخلَّف المنافقون وقال عبدالله بن أُبيٍّ عند تخلُّفه: يغزو محمد بني الأصفر مع جهد الحال والحرِّ والبلد البعيد، يحسب محمدٌ أنَّ قتال بني الأصفر معه اللعب، والله لكأني أنظر إلى أصحابه مقرَّنين في الحبال.

واجتمع جماعةٌ من المنافقين في بيت سويلم اليهوديِّ وقال بعضهم لبعضٍ: أتحسبون أنَّ جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضًا؟! والله لكأنهم -أي الصحابة- غدًا مقرَّنون في الحبال.

فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لعمَّار بن ياسر رضي الله عنهما: **«أدرك القومَ فإنهم قد احترقوا، فاسألهم عما قالوا؟ فإن أنكروا فقل: بل قلتم كذا وكذا»**. فانطلق إليهم عمَّار فقال لهم ذلك، فأتوا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يعتذرون إليه وقالوا: إنما كنَّا نخوض ونلعب، فأنزل الله تعالى ردًا عليهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة: ٦٥] الآية.

وقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يُرَغِّب في الجهاد ويحضُّ عليه: **«اغْزُو تبوكَ تَغْنَمُوا بنات بني الأَصْفَرِ والرُّوم»**. فقال قومٌ من المنافقين: ائذن لنا ولا

تفتنًا، وقال الجد بن قيس: يا رسول الله أوتأذن لي ولا تفتنِّي؟ فوالله لقد عرف قومي أنه ما من رجل أشد عجبًا بالنِّساء مِنِّي، وإني أخشىٰ إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ﴾ [التوبة: ٤٩].

والفتنة التي سقطوا فيها تخلُّفهم عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وتخلُّف بعض المسلمين بغير عذرٍ وهم: أبو خيثمة وأبو ذرٍّ -وقد لحقا بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في تبوك- وكعب بن مالكٍ ومُرارة بن ربيعة وهلال بن أميَّة وهم أصحاب هذه القصة.

وأقام النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بتبوك عشرين ليلة يقصر الصَّلاة ولم يحصل فيها قتال، وصالح رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يحنّة بن روبة صاحب أيلة علىٰ جِزيةٍ يدفعها وكتب له أمانًا، وكذلك صالح أهل جَرْباء وأَذْرُح علىٰ مائة دينارٍ يدفعونها في كلِّ رجب، وصالح أهل ميناء علىٰ ربع ثمارهم، ثُمَّ قفل صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم راجعًا إلىٰ المدينة.

ووقع في هذه الغزوة أمور:

١- في "صحيح مسلم" عن أبي سعيد أو أبي هريرة قال: لما كانت غزوة تبوك أصاب النَّاسَ مجاعةٌ فقالوا: يا رسول الله لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا فأكلنا وادَّهنَّا، فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**افعلوا**». فجاء عمر فقال: يا رسول الله إن فعلت قل الظهر، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم ثُمَّ ادعُ الله لهم عليها بالبركة لعل الله أن يجعل في ذلك البركة، فقال رسول الله صلَّىٰ الله

عليه وآله وسلَّم: «**نعم**». فدعا بنطع فبسطه، ثُمَّ دعا بفضل أزوادهم، فجعل الرجل يجيء بكفِّ ذرةٍ، ويجيء الآخر بكف تمرٍ، ويجيء الآخر بكسرةٍ، حتىٰ اجتمع علىٰ النطع من ذلك شيءٌ يسيرٌ، فدعا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بالبركة، ثُمَّ قال: «**خذوا في أوعيتكم**». فأخذوا في أوعيتهم حتىٰ ما تركوا في المعسكر وعاءً إلَّا ملأوه، وأكلوا حتىٰ شبعوا وفضل فضلة، فقال رسول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أشهد أن لا إله إلَّا الله وأني رسول الله، لا يلقى اللهَ بهما عبدٌ غير شاكٍّ فيُحْجَب عن الجنَّة**».

وهذه آيةٌ عظيمةٌ بتكثير طعامٍ يسيرٍ حتىٰ شبع منه جيشٌ عدده أربعون ألفًا وملأوا أوعيتهم وبقيت منه بقيَّة، وتعدَّدت هذه الآية في مواضع منها غزوة الخندق.

٢- روىٰ ابن شاهين عن أنسٍ رضي الله عنه قال: كنت مع النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في غزوة تبوك، فقال المسلمون: يا رسول الله عَطِشت دوابُّنا وإبلنا، فقال: «**هل مِن فَضْلَةِ ماءٍ؟**». فجاء رجلٌ في شنٍّ بشيءٍ من ماءٍ فقال: «**هاتوا صحفة**». فصب الماء ثُمَّ وضع راحته في الماء، قال أنس: فرأيت الصحفة تتخلل عيونًا بين أصابعه، فسقينا إبلنا ودوابَّنا وتزوَّدنا، فقال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أكفيتم؟**». قلنا: نعم يا رسول الله، فرفع يده من الصحفة فارتفع الماء.

وقصَّة نبع الماء من أصابعه الشريفة تكرَّرت في عِدَّة مواطن، ورواها جماعة من الصحابة ثبتت الرواية عنهم في "الصحيحين" وغيرهما من طرق كثيرة

تفيد التواتر كما قال القرطبيُّ وغيره.

ونَبْعُ الماء من بين الأصابع أعظم من نبع الماء من الحجر حين ضربه موسىٰ بعصاه؛ لأن خروج الماء من الحجارة معهودٌ وشاهدناه وشاهده غيرنا، لكن خروج الماء من بين لحم ودم غير معهودٍ، ولذا قال بعض العلماء:

إن كان مُوسىٰ سَقَىٰ الأَسْبَاطَ مِن حَجَرٍ
فـإنَّ في الكَـفِّ مَعْنًـىٰ لـيس في الحَجَـرِ

وإنما طلب النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فضلة ماءٍ ليضع يده فيها تأدُّبًا مع الله تعالىٰ؛ لأنه المُنفِرد بابتداع المعدومات وإيجادها من غير أصلٍ، ولئلَّا يظنُّ بعض الناس أنه المُوجِد للماء، وللإشارة إلىٰ أنَّ الله تعالىٰ أجرىٰ العادة بالتسبُّب.

٣- لَمَّا نزلوا تبوك وجدوا عينها قليلة الماء، تبُضُّ بشيءٍ من ماءٍ مثل شِراك النَّعلِ، فغرفوا من تلك العين قليلًا حتىٰ اجتمع شيءٌ في شَنٍّ، فغسل رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وجهه ويديه ومضمض ثُمَّ أعاده فيها، فجرت العين بماء كثيرٍ وانخرق منها ماء له حسٌّ كحسِّ الصَّواعِق وقال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لمعاذٍ: «**يا معاذُ، يوشك إن طالت بك حياةٌ أن ترى ما ههنا قد مليء جِنانًا**». أي: بساتين، ولا زالت العين تجري إلىٰ الآن، وحولها بساتين كما قال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

٤- ورد في حديثٍ عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: رأيت ونحن في تبوك شعلةً من نارٍ في ناحية العسكر فاتبعتها أنظر إليها، فإذا رسول الله صلَّىٰ الله

عليه وآله وسلَّم وأبو بكر وعمر، وإذا عبدالله ذو البِجادَين المُزَنيُّ قد مات، وإذا هم قد حفروا له ورسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في حفرته وأبو بكرٍ وعمر يدليانه وهو يقول: «**أدْلِيا إلي أخاكما**». فأدْلَياه إليه، فلما هيَّأه لشِقِّه قال: «**اللهمَّ إنِّي أمسيتُ راضِيًا عنه فارْضَ عنه**». قال ابن مسعودٍ: يا ليتني كنت صاحب الحفرة.

ذكر الحافظ السيوطي: أنَّ الشعلة التي رآها ابن مسعودٍ هي ضوء شمعةٍ، ونقل عن العسكري في "الأوائل": أنَّ أول من أوقد الشمع جذيمة الأبرش وكان قبل البعثة النبوية بمدة، وألَّف رسالة سماها "مسامرة السموع في ضوء الشموع".

٥- أهدىٰ بعض النصارىٰ بتبوك إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم جبنة، فدعا بالسكين فسمَّىٰ الله وقطع وأكل، وهذا يدل علىٰ جواز أكل جبنة النصارىٰ إلَّا إن تحقَّقنا أنهم أضافوا إليها شيئًا مُحرَّمًا كإنْفِحَة الخنزير، لكن الإمام أبا بكر الطرطوشي المالكيَّ كان يُحرِّمها، وله في تحريمها تأليفٌ، وذكروا أنَّ مَن زاره[1] ونذر ألَّا يأكل الجبنة الرومية قضىٰ الله حاجته، ويظهر أنه تحقَّق أنهم يضيفون إليها إنفحة خنزير أو نحو ذلك كما هو حاصل الآن في بعض أنواع الجبنة الرومية.

٦- نزل رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن راحلته عند العودة فأوحىٰ الله إليه وراحلته باركة، فقامت تجرُّ زمامها، فلقيها حذيفة رضي الله عنه فأخذ

---

(١) قبره بالإسكندرية معروفٌ، وقد زرته.

بزمامها وجاء إلى قرب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فأناخها ثُمَّ جلس عندها حتى قام النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فأتاه بها فقال: «**من هذا؟**». قلت: حذيفة، فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إني مُسِرٌّ إليك سِرًّا فلا تذكرنَّه، إني نهيت عن الصَّلاة على فلانٍ وفلانٍ**». وعَدَّ جماعةً مِن المنافقين.

ومِن ثَمَّ سُمِّي صاحب سِرِّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فلما توفِّي النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان عمر رضي الله عنه إذا مات رجلٌ ممَّن يظن به أنه من أولئك المنافقين أخذ بيد حذيفة فقاده إلى الصَّلاة عليه، فإن مشى معه حذيفة صلَّى عليه عمر، وإن نزع يده من يده ترك الصَّلاة عليه.

٧- عن أنسٍ رضي الله عنه قال: سمعنا -يعني وهم في تبوك- صوتًا يقول: اللهمَّ اجعلني مَن أُمَّة محمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم المرحومة، المغفور لها، المُستجاب لها، فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يا أنس انظر ما هذا الصوت**». قال أنسٌ: فدخلت الجبل، فإذا رجلٌ عليه ثيابٌ بيضٌ، أبيض الرأس واللحية، طوله أكثر من ثلاثمائة ذراعٍ، فلما رآني قال: أنت خادم رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؟ قلت: نعم. قال: ارجع إليه وأقرأه السَّلام، وقل له: أخوك إلياس[1] يريد أن يلقاك، فرجعت إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله

---

(١) الكلام في حياة إلياس وبقائه إلى اليوم كثيرٌ وشهيرٌ، نذكر بعضه تتميمًا للفائدة: قال السعد في "شرح العقائد النسفية": ذهب العظماء من العلماء إلى أنَّ أربعةً من الأنبياء في زمرة الأحياء: الخَضِر وإلياس في الأرض، وإدريس وعيسى في السماء.

وروى الثعلبيُّ عن عبدالعزيز بن أبي روَّاد قال: إنَّ الخَضِر وإلياس يصومان شهر

رمضان ببيت المقدس ويوافيان الموسم -يعنى الحج- كلَّ عامٍ. وروى -أيضًا- عن رجلٍ من أهل عسقلان: أنه كان يمشي بالأردن عند نصف النهار فرأى رجلًا فقال: يا عبدالله مِن أنت؟ فقال: أنا إلياس، فقال: فوقعت عليَّ رعدة شديدة، فقلت له: ادعُ الله لي أن يرفع عنِّي ما أجد حتى أفهم حديثك وأعقل عنك، قال: فدعا لي بثمان كلماتٍ وهي: يا بر، يا رحيم، يا حنَّان، يا منَّان، يا حيي، يا قيوم، ودعوتين بالسريانية لم أفهمهما -قيل: هما: يا هيا، شراهي- فرفع الله عنِّي ما كنت أجد، ووضع كفه بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي، فقلت له أيوحى إليك اليوم؟ فقال: منذ بعث الله محمَّدًا -صلَّى الله عليه وآله وسلَّم- رسولًا فإنه لا يوحى إليَّ.

فقلت له: فكم من الأنبياء اليوم أحياء؟ قال: أربعة: اثنان في الأرض، واثنان في السماء، أمَّا اللذان في الأرض: فإلياس والخَضِر، وأمَّا اللذان في السماء: فعيسى وإدريس، قلت: كم الأبدال؟ قال: ستون رجلًا: خمسون منهم من لدن عريش مصر إلى شاطئ الفرات ورجلان بالمصيصة ورجلان بعسقلان وستة في سائر البلدان، كلما أذهب الله واحد منهم جاء بآخر مكانه، وبهم يدفع الله عن الناس البلاء، وبهم يمطرون.

قلت: فالخَضِر أين يكون ؟ قال: في جزائر البحر، قلت له: هل تلقاه؟ قال نعم قلت: أين؟ قال بالموسم. قلت: فما يكون حديثكما؟ قال يأخذ من شعري وآخذ من شعره، قال الرجل: وكان ذلك حين جرى بين مروان بن الحكم وبين أهل الشام القتال .

قلت: فما تقول في مروان بن الحكم؟ قال: رجلٌ جَبَّار عاتٍ على الله تعالى، والقاتل والمقتول والشاهد في النَّار، قلت: فإني قد شهدت ولم أطعن برمحٍ ولا رميت بسهمٍ ولم أضرب بسيفٍ، وأنا أستغفر الله من ذلك المقام أن أعود إلى مثله أبدًا، قال: أحسنت، فهكذا فكن.

قال: فبينما أنا وهو قاعدان، إذا وضع بين يديه رغيفان أشد بياضًا من الثلج، فأكلت

وسلَّم فأخبرته فجاء صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يمشي وأنا معه، حتى إذا كنت منه قريبًا تقدَّم النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وتأخَّرت أنا، فتحدَّثا طويلًا

أنا وهو رغيفًا وبعض الآخر، ثُمَّ رفعت رأسي وقد رفع باقي الرغيف الآخر، فما رأيت أحدًا وضعه ولا رأيت أحدًا رفعه، قال: وله ناقة ترعى في وادي الأردن فرفع رأسه إليها فلما دعاها جاءت وبركت بين يديه فركبها، فقلت له: إني أريد أن أصحبك، قال إنك لا تقدر على صحبتي، قال: فقلت له: إني خلو لا زوجة ولا عيال، قال: تزوَّج، وإياك والنساء الأربع: الناشزة، والمختلعة، والملاعنة، والبرمة. وتزوَّج ما بدا لك من النِّساء، قال: فقلت إني أحبُّ أن ألقاك، قال: إذا رأيتني فقد لقيتني إني أعتكف في بيت المقدس في شهر رمضان، ثُمَّ حالت بيني وبينه شجرة، فوالله ما أدري كيف ذهب؟

قلت: لم يثبت حديثٌ عن النبيِّ -صلَّى الله عليه وآله وسلَّم- يفيد بقاء إلياس أو الخَضِر أو إدريس حيًّا إلى اليوم، وكل ما في الباب عن الخَضِر وإلياس آثارٌ عن بعض التابعين وأقوال جماعةٍ من الصوفيين.

وقد ذكر النوويُّ: أنَّ جمهور العلماء ومعهم الصوفية على أنَّ الخَضِر حيٌّ إلى اليوم، وجاء في "صحيح مسلم" في حديث الدَّجَّال -في الرجل الذي يقتله الدَّجَّال ثُمَّ يُحييه ثُمَّ لا يقدر على قتله- قال الراوي حديث الدَّجَّال: بلغنا أنَّ هذا الرجل هو الخَضِر.

وكذلك إلياس جاءت فيه أقوال عن كثيرٍ من العلماء والصالحين أنهم قابلوه وسألوه عن أشياء فأجابهم عنها، وقد قيل: إنَّ إلياس هو إدريس عليهما السلام، أمَّا عيسى عليه السَّلام: فالآيات والأحاديث تفيد بقاءه حيًّا إلى حين نزوله ليقتل الدَّجَّال ثُمَّ يموت ويدفن في الحجرة الشريفة بجانب عمر رضي الله عنه. انظر كتابنا "عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسى عليه السلام".

فنزل عليهما من السماء شيءٌ شبه السفرة ودعواني فأكلت معهما قليلًا، فإذا فيها كمأةٌ ورمَّانٌ وحوتٌ وتمرٌ وكرفسٌ فلمَّا أكلت قمت فتنحَّيت، ثُمَّ جاءت سحابة فاحتملته وأنا أنظر إلى بياض ثوبه فيها.

رواه الحاكم في "المستدرك"، وهو حديثٌ موضوعٌ كما قال الحافظ ابن كثيرٍ وغيره. وممَّا يدل على وضعه وكذبه أنه مخالفٌ لحديث "الصحيحين" في طول آدم عليه السَّلام، فقد قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**خَلَقَ اللهُ آدمَ على صُورَتِهِ**[1] **طُولُهُ سِتُّون ذِراعًا، ثُمَّ لم يزل الخَلْق يتناقصُ حتَّى انتهى إلى ما هو عليه اليوم**». فكيف يكون طول إلياس أكثر من ثلثمائة ذراعٍ؟

والعجب من الحافظ السيوطيِّ حيث ذكر حديث إلياس هذا في الخصائص الكبرى مع التزامه أن يصونها عن الحديث الواهي والموضوع؟!

ما يؤخذ من القصة

يؤخذ منها أمور:

١- استحباب كتمان حاجةٍ يريدها الشخص والتورية بغيرها، ألا ترى إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان إذا أراد غزوة ورَّى بغيرها؛ لأن كتمان الحاجة أدعى إلى إنجاحها، وفي حديثٍ ضعيفٍ: «**استعينوا على إنجاح حوائجكم بالكِتمان**». ويقول عمر رضي الله عنه: من كتم سِرَّه مَلَك أمره.

وأيضًا، إخفاء الغزو والتورية بغيره ضرب من المكيدة المطلوبة في الحرب.

---

(١) أي صورة آدم. يعني: أنه لم يتطور من نطفة إلى علقة مثل أولاده، ولا تطور من قرد كما يزعم داروين.

٢- أنَّ من سمع غيبةً في مسلمٍ دافع عنه، فإنَّ الرجل لَمَّا اغتاب كعب بن مالكٍ ردَّ عليه معاذ بن جبلٍ رضي الله عنه بقوله: بئس ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلَّا خيرًا. وفي الحديث «**مَن رَدَّ عن عِرْضِ أخيه رَدَّ الله عن وَجِهِهِ النَّار يومَ القيامةِ**».

٣- أنَّ المسلم إذا قَدِمَ مِن سَفَرٍ يستحبُّ له أن يبدأ بالمسجد فيُصَلِّي فيه ركعتين شكرًا لله على عودته إلى أهله وبلده، ويتأكَّد الاستحباب إذا كان السَّفَر لطاعةٍ كحَجٍّ أو جهادٍ أو صلة رَحَمٍ أو سعيٍ في صُلْحٍ بين جماعةٍ مُتخاصمين، أو نحو ذلك.

٤- أنَّ العاصي يصح هجره تأديبًا؛ لأن النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نهى المسلمين عن تكليم كعبٍ وصاحِبَيه.

قال الخطابي في "معالم السنن" على قول كعبٍ: «ونهى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن كلامنا أيها الثلاثة»، ما نصُّه: «فيه مِن العِلْم أن تحريم الهجرة بين المسلمين أكثر من ثلاثٍ إنما هو فيما يكون بينهما من قبل عتبٍ وموجدةٍ، أو لتقصير في حقوق عشرةٍ ونحوها دون ما كان من ذلك في حقِّ الدِّين، فإن هَجْرة أهل الأهواء والبدعة دائمة على ممر الأوقات والأزمان، ما لم تظهر منهم التوبة والرجوع إلى الحقِّ».اهـ

قلت: تفصيل مسألة الهجر: أنَّ العاصي المُجاهِر بالمعصية أو المُصرُّ على فعلها يُهجَر بعد نهيه وإسداء النصيحة له، وكذلك المُبتدِع المتفق على ابتداعه مثل الخارجي والمعتزلي، يُهجَر بعد مناقشته أيضًا لعله يتوب ويقلِع، أمَّا أن يختلف شخصان في مسألةٍ فرعيَّةٍ كالتوسُّل وما أشبهه ممَّا يختلف فيه الرأي

وتتجاذب الأدلَّة فلا يصح الهجر بسببه؛ لأنه لا عصيان فيه ولا ابتداع، ومن هجر صاحبه بسبب ذلك كان آثمًا عاصيًا، فإن كان المهجور قريبًا له جمع إلى إثم الهجر إثم قطيعة الرَّحِم، ولا حُجَّة في هجر عائشة رضي الله عنها لعبدالله بن الزبير؛ لأنه اجتهادٌ منها لم تستند فيه إلى نصٍّ، وقد قال لها عبيد بن عمير: إنَّ حديثًا أخبرتنيه عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: أنه نهى عن الصُّرَم[1] فوق ثلاثة أيامٍ، فلم تقبل منه لكنها لم تبد دليلًا على إبائها، ونحن لا يمكننا أن نأخذ بفعل مجتهدٍ أو قوله وندع حديثًا صحيحًا يخالفه.

٥- أن توجيه الخطاب للمسلمين لا يشمل المسلمات، فإنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نهى المسلمين عن تكليم كعبٍ وصاحبيه، وكان أزواجهم وقريباتهم يكلمنهم؛ لأن النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعث إليهم أن يعتزلوا نساءهم بعد مرور أربعين يومًا من نهي المسلمين عن تكليمهم، وأذن لامرأة هلال بن أميَّة أن تخدمه من غير أن يقربها.

٦- لإمام المسلمين أن يُعَزِّر بعض العصاة بنهي الناس عن الكلام معه، وقد أمر عمر رضي الله عنه بهجر صبيغ -الذي كان يسأل عن مشكلات القرآن وتشابهه- فكان لا يُكلِّمه أحدٌ في المدينة، أمَّا أمر العاصي باعتزال امرأته لمدَّة مُعيَّنة فلا يجوز للإمام وإنما هو من خصوصيات النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم[2].

---

(١) الصُّرَم: بضم صاد وسكون الراء: المقاطعة والهَجر.

(٢) لأن عقد النِّكاح يبيح للرجل الاستمتاع بزوجه، ولا يملك أحد إيقاف مقتضيات العقد إلَّا الشارع.

٧ ـ أنَّ قول الرجل لامرأته: «الحقي بأهلك» لا يكون طلاقًا إلَّا بقرينةٍ تدل عليه.

٨- استحباب سجود الشُّكْر لحدوث نعمةٍ؛ لقول كعبٍ: «فخررت ساجدًا»، وقد صَحَّ سجود الشُّكْر من فعل النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حين بشَّره جبريل عليه السَّلام بأنَّ مَن صَلَّىٰ عليه مَرَّةً صلَّىٰ الله عليه عشرًا.

٩- أنَّ سجود الشكر يصح في وقت الكراهة، فقد سجد كعبٌ بعد صلاة الفجر قبل طلوع الشمس، وهو وقتٌ تُكْرَه فيه الصَّلاة.

١٠- استحباب التهنئة بحدوث نعمةٍ دينيَّةٍ، فقد بشَّر النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كعبًا بتوبة الله عليه، وبشَّره الصحابة أيضًا.

١١- استحباب إعطاء البشير هديَّة جزاء بشارته، فقد أعطىٰ كعبٌ للذي بَشَّر بتوبة الله عليه -وهو حمزة بن عمرو الأوسي- ثوبيه.

١٢- جواز القيام للداخل علىٰ سبيل الإكرام والمُجاملة، فقد قام طلحة لكعبٍ وهَنَّأه، وكان النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم آخىٰ بينهما، ولم يصح حديثٌ في النَّهي عن القيام.

وحديث: «**مَن أحَبَّ أن يتمثَّل له الرِّجال قيامًا فليتبوَّأ مَقْعَدَهُ مِن النَّار**». لا ينهىٰ عن القيام ولكن ينهىٰ عن حُبِّ الشخص قيام الناس له؛ لأنه تعاظم وتَكَبُّر[1].

١٣- استحباب إخراج جزءٍ من المال صدقةً لله تعالىٰ إذا حَدَثَ للمسلم

---

(١) والذين يستدلون به علىٰ تحريم القيام للشخص واهمون مخطئون.

فَرَجٌ مِن شِدَّةٍ، أو شفاء من مرضٍ، أو نحو ذلك.

١٤- أنه لا يجوز التصدُّق بالمال كله، فقد قال كعبٌ: يا رسول الله إنَّ من توبتي أن أنخلع من مالي صَدَقةً إلى الله وإلى رسوله، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أمْسِك عليك بعضَ مالِك فهو خيرٌ لك**».

١٥- قول كعبٍ: «من عندك يا رسول الله أم من عند الله؟» وجواب النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بقوله: «**لا، بل مِن عند الله عزَّ وجلَّ**». يدل على أنه عليه الصَّلاة والسَّلام كان يجتهد.

إشكال والجواب عنه

صَحَّ في الحديث أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال لعمر رضي الله عنه: «**وما يُدريك لعلَّ اللهَ اطَّلَعَ على أهْلِ بَدْرٍ فقال: اعْمَلُوا ما شِئْتُم فقد غَفَرْتُ لَكُمْ**».

وفي هذا الحديث أمر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بهجر مرارة بن الربيع وهلال بن أمية وهما بَدْريَّان، والحديث المذكور يقتضي أنهما مغفورٌ لهما، فكيف يُجمع بين هذين الحديثين؟

والجواب: أنَّ حديث: «**لعلَّ الله اطَّلَعَ على أهلِ بدرٍ**». لا يفيد إباحة المعصية للبَدْريِّين[1]، لكنه يفيد أنه إن وقعت منهم معصيةٌ غفرها الله لهم.

وهذا هو ما حصل في غزوة تبوك فقد غفر لهما تخلفهما، وهكذا كلما حصل

---

(١) لأن الشارع لا يبيح المعصية للمكلَّف ولو بلغ نهاية درجات القُرْب، بل كلَّما ازداد قربًا من الله يضاعف عليه إثْم المعصية، اقرأ قوله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِ﴾ [الأحزاب: ٣٠].

من بدريٍّ معصيةٌ جزمنا بأنَّ الله يغفرها له، ولكن لا نجزم بغفران معصية غير البدريِّ، بل نرجو ونظن فقط، والله تعالىٰ أعلم.

العبرة من القصة

١- قد يَزِلُّ بعض الفضلاء والصُّلَحاء مع عُلُوِّ رتبهم في الفضل والصلاح كما زلَّ كعب ابن مالكٍ وهو عقبي، ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية وهما بدريَّان، تحقُّقًا بمعنىٰ الضعف المستولي علىٰ عامَّة البشر إلَّا من عصم الله ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨].

لكنهم لا يصرُّون علىٰ زللهم ولا يستحسنون قبيح عملهم، بل يبادرون إلىٰ التوبة والاستغفار ملتجئين إلىٰ الله بصدقٍ وإخلاصٍ ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران: ١٣٥].

فليس الشأن ألَّا يعصي الإنسان، ولكن الشأن إذا عصىٰ أن يسرع بالنَّدم والإقلاع عن العصيان، «**لو لم تُذْنِبوا لذهب اللهُ بكم ولجاء بقومٍ يُذْنِبون فيَسْتَغْفِرون فيُغْفَرُ لهم**».

٢- قد يحدث عن الشرِّ خيرٌ، فقد كان تخلُّف كعبٍ وصاحبيه عن غزوة تبوك وما ترتَّب عليه من الأمر بهجرهم سببًا في نزول القرآن بتوبتهم وشهادته لهم بصِدْق التجائهم إلىٰ الله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟﴾

[التوبة: ١١٨][1]، وهذا شرفٌ كبيرٌ لهم.

ولذا قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لكعبٍ في تهنئته: «**أبشر بخير يومٍ مَرَّ عليكَ منذ ولدتك أمُّك**».

٣- صِدْق الحديث عاقبته حميدةٌ ومآل صاحبه إلى خيرٍ، كما أنَّ عاقبة الكذب وخيمةٌ ومآل الكاذب فضيحةٌ وعارٌ.

كعبٌ وصاحباه صدقوا النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حين سألهم عن سبب تخلُّفهم عنه وتحمَّلوا لوم اللائمين وهجر المسلمين، فآل أمرهم أن طهرهم الله بالتوبة وأثنى عليهم بالصدق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

والمنافقون كذبوا حين اعتذروا وهربوا من عتاب ساعةٍ وموجدة شهرٍ، فأنزل الله فضيحتهم وخزيهم على مدى الدهر: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٥ – ٩٦].

---

(١) و«ظنوا» أي: علموا، وإطلاق الظنِّ بمعنى العِلْم شائعٌ مثل: ﴿ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٤٥–٤٦]، ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٠]، ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ﴾ [القيامة: ٢٨].

٧- نذر

عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: بينما النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يخطب، إذا هو برجلٍ قائم فسأل عنه؟ فقالوا: أبو إسرائيل، نَذَرَ أن يقوم في الشمسِ ولا يَقْعُدَ، ولا يَسْتَظِلَّ ولا يتكَلَّم، وأن يصومَ. فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مُرُوه فليَتَكَلَّمْ وليَسْتَظِلَّ وليَقْعُدْ، وليُتِمَّ صَوْمَهُ**». رواه البخاريُّ في "صحيحه".

المعنى

النَّذْر: التزام عمل عبادةٍ تقرُّبًا إلى الله تعالى، وهو نوعان:

نذر برٍّ: وهو التزام عبادةٍ غير موقوفةٍ على شرطٍ كما في الحديث، وكقول القائل: نذرتُ صلاة ركعتين لله، أو لله عليَّ أن أتصدَّق بدينارٍ.

ونذر لجاج: وهو الموقوف على شرط نحو: إن قضى الله حاجتي فلله عليَّ صدقة، أو إن رزقني الله مالًا فلله عليَّ نذرٌ أن أحجَّ منه.

والوفاء بنوعيه واجبٌ، ومن لم يفِ به كان آثمًا، وقد مدح الله تعالى الموفين به في قوله سبحانه: ﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٦ – ٧].

والنذر كان معروفًا عند العرب في الجاهلية حيث كانوا ينذرون لأصنامهم أنواعًا من الطاعات في زعمهم، فلما جاء الإسلام وأبطل عبادة الأصنام أبطل النذر لها، وجعله خاصًّا بالله تعالى؛ لأنه عبادة، وهو داخل في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١].

فالنذر: عقد يعقده العبد مع ربِّه بتقديم طاعةٍ: إمَّا ابتداءً وإمَّا بعد حصول شرطٍ، ومِن ثَمَّ كان الوفاء به واجبًا بعموم الآية المذكورة.

ما يؤخذ من الحديث

يؤخذ منه أمور:

١- أنَّ النذر لا ينعقد في الأمور العادية غير المشروعة كالقيام في الشمس وعدم الاستظلال من حَرِّها.

٢- نسخ التعبُّد بالصمت الذي كان مشروعًا قبلنا، فقد حكى الله عن مريم أنَّ جبريل عليه السَّلام قال لها: ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٦].

يؤخذ من الآية أنَّ الصوم عن الكلام كان مشروعًا عندهم.

وفي "سنن أبي داود" عن عليٍّ عليه السلام قال: حفظت من رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لا يُتْمَ بعد احْتلام ولا صُمَاتَ**[1] **يومٍ إلى الليلِ**».

قال الخطابيُّ: «كان مِن نُسُكِ الجاهليَّة الصُّمات، فنُهوا في الإسلام عن ذلك وأُمِروا بالذِّكر والحديث بالخير».

وفي "صحيح البخاري" عن قيس بن أبي حازمٍ قال: دخل أبو بكرٍ

---

(١) صُمات: بضم الصاد، ومعنى الحديث: أنه لا يجوز سكوت يومٍ إلى الليل على وجه التعبُّد والتقرُّب إلى الله تعالى، والأحاديث الثابتة في فضل السكوت مثل حديث "الصحيحين": «**ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليسكت**». يراد بها سكوت مقيَّد، وهو السكوت عن الشرِّ فهو مطلوبٌ شَرْعًا وفيه ثوابٌ لمن قصده.

الصِّدِّيق -رضي الله عنه- على امرأةٍ من أحمس يقال لها زينب فرآها لا تتكلَّم، فقال: ما لها لا تتكلَّم؟ فقالوا: حَجَّتْ مُصْمِتةً، فقال لها: تكلَّمي، فإنَّ هذا لا يحل، هذا من عمل الجاهلية، فتكلَّمت.

وهذا ممَّا اتفقت فيه عادة الجاهلية مع شريعة الإسرائيليين، ويجوز أن يكون العرب أخذوه عن بعض اليهود المقيمين بالشام أو اليمن.

٣- أنَّ النَّذْر إذا اشتمل على أشياء مشروعةٍ وأشياء غير مشروعةٍ، لزم المشروع وبطل غيره؛ لأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أمر أبا إسرائيل بإتمام صومه المشروع، وأبطل غيره.

وإذا نذر الشخص فعل معصيةٍ، وجب عليه ترك الوفاء بالنذر لقول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن نَذَرَ أن يُطِيعَ اللهَ فليُطِعْه، ومَن نَذَرَ أن يَعْصِي اللهَ فلا يَعْصِهِ**». ولأن القصد مِن النَّذْر التقرُّب إلى الله تعالى، والمعصية لا يجوز التقرُّب بها؛ لأنها منهيٌّ عنها.

ومِن نَذْرِ المعصية: نَذَرَ ذبح خروفٍ مثلاً لوليٍّ من الأولياء، أو نذر مبلغٍ من المال يضعه في صندوق ضريحه، فلا يجب الوفاء به، بل يجب على الناذر أن يتصدَّق بذلك المال المنذور على الفقراء والمساكين.

وذبح الخروف أو العجل عند الضريح حرامٌ؛ لأن النُّسُك لا يكون إلَّا بمكة، وإذا لم يجز النُّسُك عند الروضة الشريفة فعدم جوازه عند ضريح وليٍّ أولى[1]، فإن قال: أردت التصدُّق به على روح الوليِّ، قلنا: فاذبحه في بيتك أو

---

(١) من المحرم أيضًا ما جرت به العادة عند بعض المصريين أنهم يذبحون عِجْلًا تحت

اشتره مذبوحا ثُمَّ تصَدَّق به على روح من شئت.

فإن قيل: فما الفرق بين ذبح الخروف في البيت أو في دكان، وبين ذبحه عند ضريح وليٍّ؟

قلنا: ضريح الوليِّ يُقَدِّسه العامَّة، ويقصدونه بالزيارة والتوسل، وهو عندهم أفضل من أي[1] موضعٍ آخر، فالذبح عنده يكون في معنى النُّسُك، وكذلك يطوفون به، والطواف عبادةٌ خاصَّةٌ بالبيت الحرام لا تجوز بغيره ولو قبر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

فإن قيل: فكيف نذرت عائشة رضي الله عنها أن تهجر ابن أختها عبدالله بن الزبير فلا تكلِّمه أبدًا؟ قلنا: كان ذلك اجتهادًا منها أخطأت فيه، لكن لا يصح تقليدها.

ونحن نذكر القصة بتمامها ونبيِّن وجه الصواب فيها:

ثبت في "صحيح البخاري" عن عوف بن مالك بن الطُّفيل: أنَّ عائشة رضي الله عنها حُدِّثت أنَّ عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما قال في بيعٍ أو عطاءٍ أعطته عائشة رضي الله عنها: والله لتنتهينَّ عائشة أو لأحجرنَّ عليها، فقالت: أهو قال هذا؟ قالوا: نعم. قالت: هو لله عليَّ نذرٌ ألَّا أكلِّم ابن الزبير أبدًا. فاستشفع إليها ابن الزبير حين طالت الهجرة، فقالت: لا والله لا أشفع فيه أبدًا ولا أتحنث إلى نذري. فلما طال ذلك على ابن الزبير كلَّم المِسْوَر بن مَخْرمة

نعش الميت وهم خارجون به إلى المقبرة.

(١) وقد يكون الضريح في قِبلة المسجد، فيتعمد بعض الجهَّال أن يستقبله في صلاته تبرُّكًا ولا يدري أن هذا يبطل صلاته.

وعبدالرحمن بن الأسود بن عبد يغوث وقال لهما: أنشدكما الله لما أدخلتماني على عائشة رضي الله عنها فإنها لا يحل لها أن تنذر قطيعتي.

فأقبل به المِسْور وعبدالرحمن حتى استأذنا على عائشة فقالا: السَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أندخل؟ قالت عائشة: ادخلوا. قالوا: كلنا؟ قالت: نعم، ادخلوا كلكم -ولا تعلم أنَّ معهما ابن الزبير- فلما دخلوا دخل ابن الزبير الحجاب فاعتنق عائشة رضي الله عنها، وطفق يناشدها ويبكي، وطفق المِسْوَر وعبدالرحمن يناشدانها إلَّا كلمته وقبلت منه، ويقولان: إنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نهى عمَّا قد عملت من الهجرة ولا يحل لمسلمٍ أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ، فلمَّا أكثروا عليها من التذكرة والتحريج، طفقت تذكرهما وتبكي وتقول: إني نذرت والنذر شديدٌ، فلم يزالا بها حتى كلَّمت ابن الزبير، وأعتقت في نذرها ذلك أربعين رقبة، وكانت تذكر نذرها بعد ذلك فتبكي حتى تبل دموعها خمارها.

فإذا تأمَّلت هذه القصة وجدتها تفيد أشياء:

١- أنَّ عائشة رضي الله عنها لم تهجر عبدالله بن الزبير لمعصيةٍ اقترفها، وإنما غضبت من اعتراضه على تصرُّفٍ من تصرُّفاتها، وكان يمكن أن تهجره عدَّة أيامٍ حتى يهدأ غضبها، لكنها أسرعت بنذر هجره لِحِدَّةٍ كانت فيها ورثتها عن أبيها رضي الله عنهما(١).

٢- أن ابن الزبير صرَّح بأن عائشة لا يحل لها أن تنذر قطيعته؛ لأن قوله والله لأحجرنَّ عليها لا يستوجب ذلك.

---

(١) كان أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه فيه حِدَّةٌ معروفةٌ.

٣- أنَّ المِسْوَر وعبدالرحمن قالا لها: إنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نهى عن الهجرة، وأنه لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ، فلم تذكر لهما حديثًا يخصص ما أبدياه من الدليل، وإنما اعتذرت بالنذر، وغاب عنها أنَّ هذا النذر لا يجب الوفاء به؛ لأنه يشتمل على قطيعةٍ، لكنها اجتهدت وأخطأت، فهي مأجورةٌ على اجتهادها غير مؤاخذةٍ بخطئها، ولا يصح تقليدها كما تقدَّمنا؛ لأن النصَّ في تحريم الهجر ثابتٌ عامٌّ لا مُخصِّص له[1].

(تنبيه): مَن نَذَرَ نَذْرًا مطلقًا ولم يعيِّنه -كأن قال: لله عليَّ نذرٌ- وجب عليه كفَّارة يمينٍ وهي: إطعام عشرة مساكين من أوسط الطعام أو كسوتهم أو عتق رقبةٍ، فإن لم يستطع صام ثلاثة أيامٍ.

---

(١) وقد خالفها ثلاثة مجتهدون وهم: ابن الزبير والمسور وعبدالرحمن، وتمسَّكوا في مخالفتهم بعموم النصِّ.

٨- اختيار القائد

عن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال يوم خيبر: «**لأُعْطِينَّ هذه الرَّايةَ غدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللهُ على يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللهَ ورَسُولَهُ ويُحِبُّهُ اللهُ ورَسُولُهُ**». فبات الناس يَدُوكُون ليلتهم أيُّهُم يُعْطَاها؟ فلمَّا أصبح النَّاس غَدَوا علىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كلُّهم يرجون أن يُعْطَاها، فقال: «**أين عليُّ بن أبي طالبٍ؟**» فقيل: يا رسول الله هو يَشْتَكِي عَيْنَيهِ، قال: «**فأرسِلُوا إليه**».

فأتىٰ به، فبَصَقَ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في عَيْنَيهِ، ودعا له فبريء حتَّىٰ كأن لم يكن به وَجَعٌ، فأعطاه الرَّاية. فقال عليٌّ رضي الله عنه: يا رسول الله أقاتلهم حتىٰ يكونوا مثلنا؟ فقال: «**انْفُذْ على رِسْلِكَ حتَّى تَنْزِلَ بساحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إلى الإسلامِ وأخبرهم بما يَجِبُ عليهم مِن حَقِّ الله تعالى فيه، فوالله: لأن يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا واحِدًا خَيْرٌ لك مِن حُمْرِ النَّعَمِ**». رواه الشيخان.

بيان المفردات

خَيْبَر: بفتح الخاء المعجمة وسكون المثنَّاة التحتية وفتح الموحَّدة التحتية، موضع بينه وبين المدينة ثمانية برد، يشتمل علىٰ حصونٍ ومزارعٍ ونخلٍ كثيرٍ.

يَدُوكُون: يخوضون، بوزنه ومعناه.

على رِسْلِكَ: بكسر الراء وفتحها وسكون السين، علىٰ مهلك.

حُمْر النَّعَم: إبلٌ نفيسةٌ من أنفس أموال العرب.

المعنى

كانت غزوة خيبر في المحرَّم سنة سبعٍ من الهجرة على المشهور عند الجمهور، خرج إليها النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعد رجوعه من الحديبية، واستنفر الذين شهدوا الحديبية يغزون معه، وجاء المخلَّفون عنه في غزوة الحديبية يريدون الخروج معه إلى خيبر رجاء الغنيمة، فقال: «**لا تخرجوا معي إلَّا راغبين في الجهاد، فأمَّا الغنيمة فلا**». وأمر مناديًا ينادي بذلك، ونزل قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الفتح: ١٥].

وكان الله تعالى وعد رسوله عند منصرفه من الحديبية في (سورة الفتح) التي نزلت هناك، مغانم بقوله تعالى: ﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا ﴾ [الفتح: ٢٠] الآية، وهي مغانم خيبر.

وفي المسير إليها أشرف الناس على وادٍ فرفعوا أصواتهم بالتكبير: الله أكبر الله أكبر لا إله إلَّا الله، فقال لهم النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ارْبَعُوا على أنفُسِكُم، إنَّكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا، إنكم تدعون سميعًا قريبًا وهو معكم**».

ولمَّا أشرف صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على خيبر -وكان صباحًا- قال لأصحابه: «**قفوا**». ثُمَّ قال: «**اللهمَّ ربَّ السَّمواتِ وما أظْلَلْنَ، وربَّ الأرْضِين وما أَقْلَلْنَ، وربَّ الشَّياطين وما أَضْلَلْنَ، وربَّ الرِّياحِ وما ذَرَيْنَ، فإنَّا نسألك مِن خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها، ونعوذ بك مِن شَرِّها وشَرِّ أهلها**

وشَرِّ ما فيها. أَقْدِمُوا باسْمِ الله».

وكان صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول هذا الدعاء لكلِّ قريةٍ دخلها.

ولَمَّا خرج اليهود في الصباح بفُئوسهم ومَكاتِلِهم رأوا النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قالوا: محمدٌ والخَمِيسُ، وأدبروا هَرَبًا، فقال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**الله أكبر خَرِبَتْ خَيْبَر، إنَّا إذا نَزَلْنا بساحِةِ قومٍ فسَاءَ صَبَاحُ المُنذَرين**». ونزل صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قريبًا من حِصْن النَّطاة -وهو من حصون خيبر- فقال له الحُبَاب بن المُنذِر: يا رسول الله إنك نزلت منزلك هذا، فإن كان عن أمرٍ أمرت به فلا نتكلَّم، وإن كان الرأي تكلَّمنا، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**هو الرأي**». فقال: يا رسول الله إنَّ أهل النَّطاة لي بهم معرفةٌ، ليس قومٌ أبعد مدىٰ سهمٍ منهم، ولا أعدل رميةً منهم، وهم مرتفعون علينا وهو أسرع لانحطاط نبلهم، ولا نأمن من بياتهم يدخلون في حمرة النخل، تحوَّل يا رسول الله. فقال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أَشَرْتَ بالرأي، إذا أَمْسَينا إن شاء الله تحوَّلنا**».

ودعا محمد بن مسلمة فقال له: «**انظر لنا مَنْزِلًا بعيدًا**». فطاف محمد بن مسلمة رضي الله عنه وقال: يا رسول الله وجدت لك منزلًا، فقال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**على بركة الله**». وتحوَّل لَمَّا أمسىٰ وأمر الناس بالتحوُّل، وبنىٰ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مسجدًا هناك -صلَّى فيه طول مقامه محاصِرًا لخيبر- وقبل بدء القتال قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم للصحابة: «**لا تتمنُّوا لِقاءَ العَدُوِّ، واسألوا الله العافية، فإنكم لا تَدْرُون ما تُبتلون به منهم، فإذا لقيتموهم فقولوا: اللهمَّ أنت ربُّنا وربُّهم، نواصينا ونواصيهم بيدك، وإنما تقتلهم**

أنت»[١]. ثُمَّ ألحَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ حصن ناعم من حصون النَّطاة بالرمي ويهود تقاتل، والنبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ فرسٍ -يقال له: الطِّرْف[٢]- وعليه دِرْعَان ومِغْفَرٌ وبَيْضَةٌ وفي يده قناةٌ وترسٌ، واستمرَّ القتال عِدَّة أيامٍ، دفع النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم خلالها اللواء لرجلٍ من المهاجرين فرجع ولم يصنع شيئًا، ثُمَّ دفعه إلىٰ آخَر من المهاجرين فرجع ولم يصنع شيئًا، فقال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لأُعْطِيَنَّ هذه الرَّايةَ غدًا رجلًا يَفْتَحُ اللهُ على يَدَيْهِ، يحبُّ اللهَ ورسولَهُ ويُحِبُّه اللهُ ورسولُهُ**». فبات الناس يخوضون: أيهم يكون ذلك الرجل؟ حتىٰ قال عمر رضي الله عنه: ما أحببت الإمارة إلَّا ذلك اليوم، وكان عليٌّ رضي الله عنه قد تخلَّف بالمدينة ثُمَّ لحِقَ بهم في خيبر، وكان أرمد شديد الرمد، فلمَّا أصبحوا سأل رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن عليٍّ عليه السَّلام؟ فقيل له: إنه يشتكي عينيه، فقال: «**مَن يأتيني به؟**» فذهب إليه سلمة بن الأكوع رضي الله عنه وأخذ بيده يقوده حتىٰ أتىٰ به النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قد عصب عينيه، فبصق فيهما -يعني نفث- ودعا له فبريء كأن لم يكن به وجعٌ قطُّ، وأعطاه الراية -تدعىٰ العقاب وكانت سوداء من بردٍ لعائشة رضي الله عنها- فذهب إلىٰ ميدان القتال، وفتُحت خيبر علىٰ يديه.

---

(١) هذا مطابق لقوله تعالىٰ: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧].

(٢) بكسر الطاء وسكون الراء: الكريم من الخيل.

ما وقع في غزوة خيبر

وقع في هذه الغزوة أشياء:

١- لَمَّا توجَّه عليٌّ -رضي الله عنه- إلى حصن ناعم ركز الراية تحت الحصن، فاطلع يهوديٌّ من رأس الحصن فقال: من أنت؟ قال: عليُّ بن أبي طالبٍ، فقال اليهوديُّ: علوتم وحقِّ ما نزل على موسى، ثُمَّ خرج إليه أهل الحصن، وكان أول من خرج منهم إليه الحارث -أخو مرحب- وكان معروفًا بالشجاعة، فثبت له عليٌّ رضي الله عنه وتضاربا فقتله عليٌّ كرَّم الله وجهه وانهزم اليهود إلى الحصن، فخرج إليه مرحب -أخو الحارث- وهو يقول:

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي مَرْحَبُ شَاكِي السِّلاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ

فأجابه عليٌّ رضي الله عنه مُرتجزًا أيضًا:

أنا الذي سَمَّتْنِي أُمِّي حَيْدَرَه كَلَيْثِ غَابَاتٍ كَرِيهِ المَنْظَرَه

فحمل عليه مرحب فضربه، فطرح ترسه من يده فتناول عليٌّ كرَّم الله وجهه بابًا كان عند الحصن فتترس به عن نفسه، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى قتل مرحبًا بضربة سيف تلقَّاها مرحب بترسه فقَدَّتْه وشَقَّت المِغْفَر والحجز الذي تحته وعمامتين وفلق هامته، وأخذ السيف في الأضراس.

وإلى ذلك أشار بعض الأدباء بقوله -وأجاد-:

وشَادِنٍ أَبْصَرْتُهُ مُقْبِلًا فقُلْتُ مِن وَجْدِي بِهِ مَرْحَبا

قَدَّ فُؤادِي في الهَوَى قَدَّةً قَدَّ عليٍّ في الوَغَى مَرْحَبا

وفتح اللهُ حصن ناعم، وهو أوَّل حصنٍ من خيبر فُتح على يد عليٍّ عليه السَّلام.

٢- روىٰ البيهقيُّ في "دلائل النبوة" عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: أنَّ رجلًا أتىٰ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وآمَن وهو علىٰ بعض حصون خيبر، وكان الرجل في غَنَمٍ يرعاها لأهل خيبر فقال: يا رسول الله كيف لي بالغَنَم؟ قال: «**احْصِب وجُوهها، فإنَّ الله سيؤدِّي عنك أمانتك ويردها إلى أهلها**». ففعل، فسارت كلُّ شاةٍ حتَّىٰ دخلت إلىٰ أهلها وهذه معجزةٌ عظيمةٌ.

وذلك الرجل اسمه: أسلم، وقيل يسار، وكان عبدًا حبشيًّا، وبعد إسلامه انضمَّ إلىٰ صفوف المسلمين يُجاهد معهم، فأتاه سهم غَرْبٍ[1] فقتله فاستشهد ولم يسجد لله سجدةً، فأتي به رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ومعه نفرٌ من أصحابه فأعرض عنه، فقالوا: يا رسول الله لم أعرضت عنه؟ قال: «**إنَّ معه الآن زَوْجَتَيْهِ مِن الحُورِ العِين تَنْفُضَان التُّراب عن وَجْهِهِ، وتقولان: تَرَّبَ اللهُ وَجْهَ مَن تَرَّبَ وَجْهَكَ، وقَتَلَ مَن قَتَلَكَ**».

٣- في "صحيح مسلم" عن عليٍّ عليه السَّلام: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم نهىٰ عن متعة النِّساء يوم خيبر، ثُمَّ أبيحت بعد ذلك، ثُمَّ حُرِّمت.

قال الإمام الشافعي: لا أعلم شيئًا حُرِّم ثُمَّ أبيح ثُمَّ حُرِّم إلَّا المتعة.

ونقل السهيليُّ وغيره: أنها أبيحت وحُرِّمت ثلاث مرَّاتٍ، وآخر مرة حُرِّمت فيها المتعة غزوة أوطاس ولم تبح بعد ذلك.

وثبت تحريمها في "الصحيحين" وانعقد عليه إجماع أهل السُّنَّة خلافًا للشيعة الإماميَّة، وابن عبَّاسٍ أباحها للضرورة عند الخوف من الزِّنا، وقيل:

---

(١) غرَب، بفتح الراء وإضافة سهم إليه، وبسكون الراء: علىٰ أنه صفة لسهم، ومعناه علىٰ الوجهين: سهمٌ لا يُعرف راميه.

رجع عن ذلك.

ووقعت فيها مناظرة بين القاضي يحيىٰ بن أكثم والخليفة المأمون: ذلك أنَّ المأمون نادىٰ بإباحة المتعة فدخل عليه القاضي يحيىٰ متغيِّر اللون فقال المأمون: مالي أراك مُتغَيِّرًا؟ قال: لما حَدَثَ في الإسلام، قال: وما حدث؟ قال: النداء بتحليل الزِّنا، قال: المتعة زنا؟ قال: نعم المتعة زنا، قال: ومن أين لك هذا؟ قال: من كتاب الله وسُنَّة رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

أمَّا الكتاب: فقد قال الله تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٧].

يا أمير المؤمنين: زوجة المُتعة مِلْك يمينٍ؟ قال: لا. قال: أفهي الزوجة التي عند الله ترث وتورث ويلحق بها الولد؟ قال: لا. قال: فقد صار متجاوز هذين من العادين.

وأمَّا السنة: فقد روىٰ الزهريُّ بسنده إلىٰ عليِّ بن أبي طالبٍ كرَّم الله وجهه أنه قال: أمرني رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أن أنادي بالنهي عن المتعة وتحريمها بعد أن كان أباحها. فالتفت الخليفة للحاضرين وقال: أتحفظون هذا من حديث الزهريِّ؟ قالوا: نعم يا أمير المؤمنين، فقال المأمون: أستغفر الله نادوا بتحريم المتعة.

٤- ثبت في "الصحيح" أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم رأىٰ نيرانًا

توقد يوم خيبر قال: «**علام توقد هذه النيران؟**» قالوا: على الحُمُر الإنسيَّة، قال: «**اكْسِرُوها** -يعني القدور- **وأهْرِقُوها**». قالوا: ألا نهريقها ونغسلها؟ قال: «**اغسلوا**». وأمر صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أبا طلحة فنادى: إنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ينهاكم عن لحوم الحمر الأهلية فإنها رجسٌ، فأكفئت القُدُور وإنها لتفور.

وفي "السنن" لأبي داود عن خالد ابن الوليد رضي الله عنه قال: نهى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن أكل لحوم الحُمُر الأهلية والبغال والخيل.

وهذا الحديث -وإن كان في سنده كلامٌ- يؤيِّده القرآن، فإن قوله تعالى في معرض الامتنان: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾ [النحل: ٨] يقتضي تحريم الخيل، ولو كانت مباحةً لامتن بأكلها كما امتنَّ به في الإبل إلى جانب امتنانه بشرب لبنها وبركوبها، قال تعالى: ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ﴾ [النحل: ٥-٧]، وقال سبحانه: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٢١ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾ [المؤمنون: ٢١ - ٢٢]

ولهذا قال مالكٌ بتحريم أكل الخيل ودليله قويٌّ راجِحٌ.

وذهب الشافعيُّ إلى إباحة أكلها، ودليله ما رواه أبو داود بإسنادٍ على شرط مسلمٍ عن جابرٍ رضي الله عنه قال: ذبحنا يوم خيبر الخيل والبغال، ولم ينهنا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن الخيل.

وما رواه مسلمٌ عن أسماء رضي الله عنها قالت: نحرنا فرسًا على عهد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فأكلناه.

قال السهيليُّ: وحديث الإباحة أصح.

قلت: لكنه ليس بصريحٍ في الإباحة؛ لأن قول جابرٍ: لم ينهنا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن الخيل يحتمل أمورًا:

١- أنه سكت عن النهي.

٢- أنَّ جابرًا لم يسمع النهي الذي سمعه خالد بن الوليد، فنفى بحسب علمه ولم يقل: وأباح النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الخيل.

٣- أنه لم ينههم عن الخيل ترخيصًا لهم؛ لأنهم ذبحوا الحُمُر من جوعٍ أصابهم كما ثبت في الرِّوايات الصحيحة فنهاهم عنها لاستقذارها، وسكت عن الخيل ترخيصًا ليتقووا بأكلها في غزوتهم تلك.

ويؤخذ منه: أنَّ المضطر إذا وجد مُحرَّمين أو أكثر تناول أخفها استقذارًا أو أقلها تحريمًا.

وقول أسماء: «نحرنا فرسًا على عهد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم» لا يفيد اطلاعه على ذلك وإقراره، ألا ترى أنهم ذبحوا يوم خيبر حمرًا، وطبخوا لحمها، ولم يعلم النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بذلك حتى سأل عنه؟!

ثُمَّ إنَّ قول أسماء يحكي حادثةً فرديةً لم تتكَّرر، فيجوز أنهم ذبحوا فرسًا لضرورة اقتضت ذبحه كما اقتضت الضرورة ذبح الحُمُر يوم خيبر.

٥- في "عيون الأثر" للحافظ الدمياطيِّ: لما فتحت خيبر واطمأنَّ الناس، جعلت زينب ابنة الحارث -أخي مرحب- تسأل: أي الشاة أحب إلى محمدٍ

صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؟ فيقولون: الذِّراع، فعمدت إلى عنزٍ لها فذبحتها وصَلَتها[١] ثُمَّ عمدت إلى سُمٍّ لا يلبث أن يقتل من ساعته فسمَّت الشاة وأكثرت في الذراعين والكتف، فلما غابت الشمس و صلَّى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم المغرب بالناس انصرف وهي جالسةٌ عند رحله، فسأل عنها؟ فقالت: يا أبا القاسم هديَّةٌ أهديتها إليك، فأمر بها فأخذت منها ووضعت بين يديه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وأصحابه حضور -أو من حضر منهم- وفيهم بشر بن البراء بن معرور رضي الله عنه، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ادنوا**». فقعدوا، وتناول رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الذراع فانتهش منها قطعةً فلاكها ثُمَّ ألقاها، وقال للقوم: «**ارفعُوا أيديكم، فإنَّ هذه الذِّراع تُخبرني أنها مَسْمُومَةٌ**». وكان بشر قد بلع اللقمة، فلم يقم من مكانه حتى توفِّي.

ثُمَّ أرسل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى تلك اليهوديَّة فقال: «**أَسَمَمْتِ هذه الشَّاة؟**» فقالت: مَن أخبرك؟ قال: «**أخبرتني هذه الذِّراعُ التي في يدي**». قالت: نعم، قال: «**ما حَمَلَكِ على ما صَنَعْتِ؟**» قالت: قتلت أبي وعمِّي وزوجي ونِلْتَ مِن قومي ما نِلْت، فقلتُ: إن كان مَلِكًا استرحنا منه وإن كان نبيًّا فسيخبره، فقتلها ببشرٍ رضي الله عنه.

وأشار إلى هذه المعجزة تقي الدِّين السبكيُّ في "تائيته" بقوله:

وأَحْيَيْتَ عُضْوَ الشَّاةِ بَعْدَ مَماتِها ... فجَاءَ بنُطْقٍ مُوضِحٍ للنَّصِيحَةِ
وقال رسولَ اللهِ لا تَكُ آكِلِي ... فزينبُ سَامَتْنِي الهَوانَ وسَمَّتِ

---

(١) صَلَتها -بفتح الصاد واللام المخففة-: شوتها.

وقال البوصيريُّ في "الهمزية":

ثُـمَّ سَـمَّتْ لـه اليَهُودِيَّـةُ الشَّـاةَ وكَـمْ سَـامَ الشِّـقْوَةَ الأَشْـقِياءُ
فـأَذَاعَ الـذِّرَاعُ مـا فِيـهِ مِـن سُـمٍّ بِنُطْـقٍ إِخْفَـاؤُهُ إِبْـدَاءُ
وبِخُلْـقٍ مِـن النَّبـيِّ كَـرِيمٍ لم تُقاصَـصْ بجُرْحِهَـا العَجْـمَاءُ(١)

وفي "الصحيح": أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال في مرضه الذي توفِّي فيه: «**ما زالت أَكْلَةُ خَيْبَر تُعاوِدُني حتَّى كان هذا أوان انقطاع أَبْهُري**». والأَبْهُر: العرق المتعلِّق بالقلب. وبذلك جمع الله له بين النبوة والشهادة فهو صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نبيٌّ شهيدٌ.

٦- روى أبو نعيم في "الدلائل" عن معاذ بن جبلٍ رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لمَّا فتح خيبر أصاب حمارًا أسود، فقال له النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ما اسمك؟**» قال: يزيد بن شهابٍ، أخرج الله من نسل جدِّي ستين حمارًا كل منهم لا يركبه إلَّا نبيٌّ، وقد كنت أتوقعك لتركبني؛ لأنه لم يبقَ من نسل جدي غيري ولا من الأنبياء غيرك، وقد كنت قبلك لرجلٍ يهوديٍّ فكنت أتعثَّر به عمدًا، وكان يجيع بطني ويضرب ظهري، فقال له النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**فأَنْتَ يَعْفُورٌ**». فكان يبعثه إلى الرجل فيأتي الباب فيقرعه برأسه، فإذا خرج إليه صاحب الدار أومأ إليه: أن أجب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فلما قُبِضَ النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم جاء إلى بيرٍ كانت لأبي

---

(١) أي: سامحها -صلَّى الله عليه وآله وسلَّم- ولم يقتص منها لأنها سمَّته، ولكن لأنها قتلت بسمِّها بشرًا رضي الله عنه.

الهيثم بن التيهان فتردَّىٰ فيها جَزَعًا علىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

قال ابن حِبَّان: «هذا خبرٌ لا أصل له وإسناده ليس بشيءٍ».

وقال ابن الجوزيِّ: «لَعَنَ اللهُ واضِعَهُ فإنه لم يقصد إلَّا القدح في الإسلام والإستهزاء به».

وقال الحافظ بن كثير: «هذا شيءٌ باطلٌ لا أصل له من طريقٍ صحيحٍ ولا ضعيفٍ، وسألت شيخنا المِزِّيَّ رحمه الله، فقال: ليس له أصلٌ وهو ضحكةٌ، وقد أودعه كتبهم جماعة منهم القاضي عياض في "الشفا"، والسهيليُّ في "روضه" وكان الأولىٰ ترك ذكره»، ووافقه الحافظ ابن حجرٍ.

وقول الزرقاني في "شرح المواهب": «ليس فيه ما يُنكَر شرعًا، فلا بدع في وقوعه له صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فنهايته الضعف لا الوضع».اهـ.

غير صحيحٍ، بل الحديث واضح النَّكَارة والبُطلان، وما ذكرته هنا إلَّا للتنبيه علىٰ بطلانه.

ما يؤخذ من الحديث

يؤخذ منه أمور:

١- فضل عليٍّ رضي الله عنه حيث شهد له النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بأنه يحبُّ اللهَ ورسولَهُ ويُحِبُّه اللهُ ورسولُهُ، واختصَّه بإعطاء الرَّاية مع استشراف الصحابة لها ورجاء كلِّ واحدٍ منهم أن يكون صاحب هذه المنقبة.

٢- أنَّ عليًّا كرَّم الله وجهه أقوىٰ الصحابة جسمًا، وأشجعهم قلبًا، وأعرفهم بفنون الحرب، وأخبرهم بأصول الطعن والضرب، وإلَّا لما اختاره النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لفتح خيبر وهو يعلم أنَّ أهلها فيهم أبطال

حُروبٍ مثل مرحب وأخويه الحارث وياسر، وفيهم رماةٌ مثل أهل حصن النطاة، حتىٰ كان كثيرٌ من قريشٍ يعتقدون أنَّ الصحابة إذا التقوا بأهل خيبر فسيكون مصيرهم الهزيمة.

٣- أنَّ الإمام يختار للمهمَّة التي يريد إنجازها الشخص الكَفِء[١] لها والقادر علىٰ القيام بها، وهذا من النصيحة الواجبة عليه، بحيث لو ولَّىٰ شخصًا عملًا وفي المسلمين من هو أكفأ منه فإنه يكون غاشًّا لهم كما صحَّ في الحديث.

٤- أنَّ المسلم ينبغي له أن يتطلَّع إلىٰ الوظائف الدينية التي يقضي بها مصلحة للإسلام والمسلمين، ألا ترىٰ إلىٰ قوله: «فلما أصبح الناس غدوا علىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كلهم يرجو أن يُعْطَاها»، وصحَّ في رواية: أنَّ عمر رضي الله عنه قال: «فما أحببت الإمارة إلَّا يومئذٍ»، وما كان منهم ذلك الرجاء إلَّا لأجل أن يتحقَّق لهم حبُّ الله ورسوله وفتح خيبر.

٥- حصول الفتح علىٰ يد عليٍّ كرَّم الله وجهه كما أخبر النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وهو يدخل في باب الإخبار بالغيبيَّات[٢].

٦- شفاء عليٍّ من رمده الشديد بنفث النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ودعائه، وهي معجزةٌ لا شك فيها ذكرها البوصيري في الهمزية بقوله:

وعـــليٌّ لَمَّـــا تَفَلْـــتَ بعَيْنِيـــهِ وكِلْتاهُمـــا معـــًا رَمْـــداءُ

---

(١) بفتح الكاف وكسر الفاء: بوزن النظير ومعناه.

(٢) ويدل أيضًا علىٰ أنَّ عليًّا رضي الله عنه كان ميمون النقيبة سعيد الحظِّ، علىٰ نقيض ما قال ابن تيمية في منهاجه عنه: أنه كان مشئومًا مخذولًا، وتلك كلمةٌ فاجرةٌ تنبيء عمَّا في قلب قائلها من حِقْدٍ علىٰ وصيِّ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وأخيه كرَّم الله وجهه.

فغَـــدَا نـــاظِرًا بعَيْنَـــي عُقـــابٍ في غَـــزاةٍ لهـــا العُقـــابُ لِـــواءُ

٧- أنَّ المسلمين لا يبدأون الكفَّار بالقتال حتىٰ يدعوهم إلىٰ الإسلام ويُبيِّنوا لهم أحكامه ومحاسنه.

٨- أنَّ إسلام الكافر بالحُجَّة والبرهان أفضل من إسلامه بالسيف والسِّنان لقوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**فوالله لأن يهدي اللهُ بك رجُلًا واحِدًا خُيرٌ لك مِن حُمْرِ النَّعَمِ**».

٩- ينبغي أن يكون أمير الجيش عالمًا فصيحًا يعرف أحكام الدِّين ويُبيِّن عن أحكامه وبراهينه، ولهذا اختار النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عليًّا عليه السَّلام فقد كان أعلم الصحابة وأفصحهم.

١٠- أنَّ الخليفة يجب عليه أن يراعي فيمن يوليه مجرَّد المصلحة العامَّة ولا يراعي فيه قرابة أو صداقة، فإنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حين أعطىٰ عليًّا الراية راعىٰ فيه أمرين: حب الله ورسوله، وقدرته علىٰ إدارة دفَّة الحرب، بحيث يكون الفتح علىٰ يديه ولم ينظر إلىٰ كونه ابن عمِّه وصِهْرِهِ.

٩- الاستهانة بالمعصية

عن سالم بن عبدالله بن عمر، عن أبيه: أنَّ أبا بكرٍ وعمر وناسًا جلسوا بعد وفاة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فذكروا أعظم الكبائر فلم يكن عندهم فيها علمٌ، فأرسلوني إلى عبدالله بن عمرٍو أسأله؟ فأخبرني: أنَّ أعظم الكبائر شُرْبُ الخَمْرِ، فأتيتهم فأخبرتهم فأنكروا ذلك، ووَثَبُوا إليه جميعًا حتى أتوه في داره، فأخبرهم أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ مَلِكًا مِن ملوك بني إسرائيل أخذ رجلًا فخيَّره بين أن يشرب الخَمْرَ، أو يَقْتُل نفسًا، أو يَزْني، أو يأكُلَ لحم خنزيرٍ، أو يَقْتُلوه، فاختار الخَمْرَ، وإنه لَمَّا شَرِبَ الخَمْرَ لم يمتنع مِن شيءٍ أرادوه منه**». وأنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ما مِن أحَدٍ يَشْرُبها فتُقْبَل له صلاةً أربعين ليلةً، ولا يَمُوتُ وفي مَثانَتِهِ منها شيءٌ إلَّا حُرِّمتْ بها عليه الجنَّةُ، فإن ماتَ في أربعين ليلةً ماتَ مَيْتةً جاهليَّةً**».

رواه الطبرانيُّ بإسنادٍ صحيحٍ، وصحَّحه الحاكم على شرط مسلمٍ.

بيان المفردات

وَثَبُوا: أسرعوا.

مَثَانَتِهِ: موضع تجمُّع بوله.

مَيْتَة جاهليَّةً: مَيتةً على غير سُنَّة الإسلام.

المعنى

كان ملوك بني إسرائيل -إلَّا القليل منهم- ظلمةً يتَّبعون شهواتهم المحرَّمة، ويُرغِمون بعض الصالحين مِن رعاياهم على تناول بعض المُحرَّمات ليتخذوا تناول الصالح لمحرَّمٍ وسيلةً إلى التظاهر بالمُحرَّمات والإفراط في

تناولها، وإن كان الرجل الصالح قد تناول منها بطريق الإكراه والتهديد، وأهل المعاصي والفسوق يشعرون بقبح عملهم وازدراء الناس لهم فيحبُّون مشاركة غيرهم لهم خصوصًا الفُضَلاء والصُّلَحاء، ويسعون في تحقيق تلك المشاركة بطريق الإغراء تارةً والتهديد تارةً أخرىٰ، حتىٰ إذا شاركهم مشاركٌ خَفَّ عندهم الشعور بقبح ما هم فيه، وهان عليهم إزراء الناس بهم.

وقد أخبرني شخصٌ كان يشرب الخمر ثُمَّ تاب: أنه إذا حضر مجلس شربه زائرٌ لا يشرب الخمر يضيق بحضوره ويحاول إغراءه علىٰ مشاركته في الشرب، فإن أجابه استراح وانشرح صدره، وإن لم يشرب معه ظلَّ منحرف المزاج شاعرًا بنقص قَدْرِه عند زائره حتىٰ يستأذن ويفارق المجلس.

علىٰ أساس هذه الظاهرة النفسية عند أهل الفسوق والمعاصي نفهم سرَّ إكراه المَلِك الإسرائيليِّ لذلك الرجل الصالح علىٰ تناول إحدىٰ تلك المحرَّمات، فإنه كان يشعر بقبح شرب الخمر وأكل الخنزير ومباشرة الزِّنا وقتل الولد الذي يكون ثمرة زناه.

وأراد من الرجل الصالح أن يفعل بعض تلك الموبقات حتىٰ يخفَّ عنده وخز النفس ويقل تأنيب الضمير، ويظهر أنَّ ذلك الرجل المُستكْره كان ضعيف الإرادة، واهي العزم، خاف القتل، وآثر اقتراف المعصية علىٰ شرف الاستشهاد في سبيل التمسُّك بطاعة الله ونيل رضاه، فاختار شرب الخمر؛ لظنِّه أنه أهون ما عرض عليه من الكبائر الأربعة، لكنه لما شربها فقد عقله الذي يميز به بين الحسن والقبيح، وبين النافع والضارِّ، وهذه هي خطورة الخمر تطغىٰ علىٰ عقل شاربها وتفقده اتزانه وحياءه ووقاره، فيجتريء علىٰ عظائم

الذنوب وقبائح الأمور، لا يرىٰ فيها شيئًا يثلم دينه أو يجرح حياءه ووقاره، ومن هنا أقدم ذلك الإسرائيليُّ علىٰ تناول ما أُكْره عليه؛ فقَتَل النفس، وزنىٰ، وأكل لحم الخنزير، وهذه الكبائر الثلاثة أكبر من الخمر إثمًا -إذ القتل يلي الكفر، ثُمَّ يليه الزِّنا، ثُمَّ أكل الخنزير- إلَّا أنَّ الخمر بما تستتبعه من المعاصي وبما يترتَّب علىٰ شربها من الموبقات كانت أعظم الكبائر أثرًا.

وسُمِّيت أمَّ الخبائث لأنها تتولَّد عنها، فقد يزني السَّكْران ببعض محارمه، وقد يُطلِّق امرأته ثُمَّ يزني بها أو يقتلها، بل قد تَصْدُر عنه أقوالٌ أو أفعالٌ مُكفِّرة والعياذ بالله تعالىٰ، وقد يصل السكران إلىٰ حالة تجعله مثار ضحك وسخرية.

وذكر بعض العلماء: أنه كان يمر بشارعٍ من شوارع بغداد فوجد سكران ملقىٰ علىٰ الأرض بجانب كناسة، فأتىٰ كلب ورفع رجله وصار يبول، وجعل السكران يتلقىٰ بوله بيده ويمر بها علىٰ وجهه ويقول للكلب: شكرًا لك لم تكلِّف نفسك؟ ولا غرابة في حصول هذا وشبهه للسكران؛ لأنه بفقده لعقله يصير أشبه بالمجنون، بل أحط من الحيوان.

ما يؤخذ من الحديث

يؤخذ منه أمور:

١- أنَّ لحم الخنزير كان محرَّمًا علىٰ بني إسرائيل كما هو محرَّمٌ علينا، أمَّا القتل والزِّنا والخمر فهي من الضروريَّات الخمس التي اتفقت عليها المِلَل.

٢- أنَّ مَن شرب الخمر لا تقبل صلاته في مدىٰ أربعين ليلةً بعدد الجلد الذي يجب في حدِّها.

٣- أنَّ الكبيرة تهدم عدَّة حسنات، ألا ترىٰ أنَّ شارب الخمر لا تُقبَل له مائتا صلاة -هي عدة صلاة أربعين ليلة- فكيف إذا انضمت إليها كبائر أخرىٰ، لا شك أنها تقضي علىٰ حسناته إن لم تدركه رحمة الله وعفوه، ومِن ثَمَّ جعل الشارع اجتناب الكبائر شرطًا في تكفير الحسنات للصغائر.

ففي "صحيح مسلم" من حديث أبي هريرة، عن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**الصَّلَواتُ الخَمْسُ، والجُمُعَةُ إلى الجُمُعَةِ، ورمَضَانُ إلى رَمَضانَ مُكَفِّراتٌ لما بينهنَّ إذا اجْتُنِبتِ الكَبائِرُ**».

وفي الحديث الصحيح عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أنَّ عابِدًا مِن بني إسرائيل مَكَثَ يعبد الله في صومعةٍ ستين سنةً فأشْرَفَ ذات يومٍ مِن الصَّوْمَعةِ فرأى الأرض مُخْضَرَّةً بالنبات، وأعجبته بهجتها فقال في نفْسِهِ: أنزل وأمشي في هذه الأرض مُتفكِّرًا ومُعْتَبرًا، فنزل يمشي فقابلته امرأةٌ فكلَّمها وكلَّمته حتَّى غَشِيَها، ثُمَّ نَدِمَ، ونزل يستحم في غديرٍ، فمرَّ به سائلٌ فأشار له إلى رغيفٍ على ثيابه، فأخذه السائل وذهب، ثُمَّ مات العابِدُ، وعُرِضَ على الله ووُزِنَتْ أعماله فرَجَحَتْ تلك الزَّنْية بعبادة ستين سنةً ولم ينفعه إلَّا ذلك الرَّغيف الذي تَصَدَّق به**».

وإنما نفعته هذه الصَّدَقة ورَجَحَتْ علىٰ الزِّنا؛ لأنها جاءت بعد النَّدَم الذي هو توبةٌ.

٤- أنَّ كبار الصحابة قد تخفىٰ عليهم أحاديث وسُنَنٌ توجد عند صغارِهم، فهذا الحديث كان عند عبدالله بن عمرو بن العاص ولم يعرفه أبو

بكرٍ وعمر رضي الله عنهما مع كثرة ملازمتهما للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؛ لأنهما كانا يغيبان عن مجالس النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في طلب نفقةٍ لهما ولعيالهما، فتفوتهما أحاديث يحضرها غيرهما.

وقد اعترف عمر رضي الله عنه بهذا فقال في حديثٍ سمعه صحابيٌّ آخَر ولم يسمعه هو: ألهانا الصَّفْقُ بالأسواق.

٥- تواضع الصحابة وطلبهم للعلم ممَّن هو أصغر منهم؛ لأنه قد يوجد من العلم عند الصغير ما ليس عند الكبير، وإنما بعثوا إلى عبدالله بن عمرٍو يسألونه لأنه كان يكتب ما يسمعه من الأحاديث وهم لا يكتبون.

العبرة من هذه القصة

الاستهانة بالمعصية وتهوين شأنها توقع في التهْلُكة، وتؤدِّي إلى غضب الله وعقابه، فذلك الرجل الذي استكرهه المَلِك وخيَّره بين فعل إحدى تلك الكبائر الأربعة أو القتل، استهون منها الخمر ورآها أقلهنَّ إثمًا، وتناولها على هذا الاعتبار فكان فيها حَتْفُه وضياع دينه.

فيجب على المسلم ألا يهوِّن معصيةً ولو صغيرةً عسى أن يكون فيها غضب الله.

وقد ضرب النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مثلًا للصغائر التي تجتمع على المسلم فتدخله النَّار بقومٍ مسافرين حضر صنيعهم -أي طعامهم- فجاء ذا بعودٍ، وجاء ذا بعودٍ، فجمعوا حطبًا أنضجوا ما قذفوه فيه.

وقال العلماء: إنَّ الله تعالى أخفى رضاه في طاعته، وغضبه في معاصيه.

ويقول ابن المعتز:

خَلِّ الذُّنوبَ صَغِيرها وكَبِيرها هذا التُّقَى
واصْنَعْ كَماشٍ فَوْقَ أرْضِ الشَّوكِ يَحْذَرُ ما يَرَى
لا تَحْقِرنَّ صَغِيرةً إنَّ الجِبالَ مِن الحَصَى

(تنبيه): وقعت قصة أخرىٰ تشبه هذه القصة:

روىٰ أبي الدنيا في كتاب "ذم المسكر" عن عثمان بن عفَّان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**اجْتَبوا أمَّ الخبائث، فإنه كان رجلٌ ممَّن قبلكم يتعبَّد ويَعْتَزل النَّاسَ، فعَلِقَتْهُ امرأةٌ فأرسلت إليه خادمًا: إنَّا ندعوك لشهادةٍ، فدخل، فطَفِقت كلَّما دخل بابًا أغلقته دونه، حتى إذا أفضى إلى امرأةٍ وضيئةٍ جالسةٍ وعندها غلامٌ، وباطيةٌ فيها خمرٌ، فقالت: إنَّا لم ندعك لشهادةٍ ولكن دعوتك لتقتل هذا الغلام، أو تَقَعَ عليَّ، أو تشرب كأسًا مِن الخمر، فإن أبيت صِحْتُ بك وفضحتك، فلمَّا رأى أنه لا بدَّ له من ذلك قال: اسقيني كأسًا مَن الخمر، فسقته كأسًا من الخمر، فقال: زِيديني، فلم يزل حتَّى وَقَعَ عليها وقَتَلَ النَّفْسَ، فاجْتَنِبوا الخمر، فإنه والله لا يجتمع إيمانٌ وإدمان الخمر في صدر رجلٍ أبدًا، ليوشِكَنَّ أحدهما يُخرجُ صاحبه**».

صحَّحه ابن حِبَّان، ورواه البيهقيُّ في "السنن" مرفوعًا وموقوفًا وذكر أنه المحفوظ.

قلت: الموقوف هنا له حكم المرفوع.

أمُّ الخبائث: هي الخمر وهو اسمٌ شرعيٌّ لها[١].

والخبائث: المعاصي، قال تعالىٰ: في وصف نبيِّه: ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]؛ لأن كلَّ معصيةٍ خبيثةٌ، وخبثها إمَّا حِسِّيٌّ أو معنويٌّ.

فالحِسِّيُّ: كالدم والميتة، **والمعنويُّ**: كالرِّبا ومهر البغي.

وقد استدل جماعةٌ من المالكيَّة علىٰ تحريم شرب الدُّخان بأنه خبيث الرائحة والطعم فتشمله الآية المذكورة، وتكلَّمتُ علىٰ هذا الموضوع في "خواطر دينية".

وثبت في عِلْم الطبِّ بطريقٍ قطعيٍّ: أنَّ شرب الدُّخان يؤدِّي إلىٰ سرطان الرِّئة، وهو داءٌ خبيثٌ يعسر علاجه، بل يتعذَّر في بعض الحالات.

«**فعلِقته**»: بكسر اللام، أحبته وعشقته.

«**فلما رأى أنه لا بد له من ذلك**»: لأنها أكرهته إكراهًا أدبيًّا يتعلَّق بسمعته وشرفه، وهو يوازي الإكراه بالضرب والتعذيب ويزيد عليه، بل ليس إكراه الملِك في القصَّة السابقة لذلك الرجل بالقتل أشد من إكراه المرأة لهذا الرجل بفضيحته.

«**فإنه و الله لا يجتمع إيمان وإدمان خمرٍ**»: في حديث آخر صحيح: «**مَن لَقِيَ اللهَ مُدْمِن خمرٍ لقيه كعابِد وَثَنٍ**».

والذي يتحصَّل من مجموع الأحاديث الصحيحة: أنَّ شارب الخمر مرةً أو

---

(١) فهو حقيقةٌ شرعيةٌ كالصَّلاة، والزَّكاة، وغيرهما من الحقائق الشرعية.

مرَّتين يعاقب من الله بأمرين:

١- يُلْعَنُ.

٢- لا تُقْبَل له صلاةٌ أربعين يومًا، فإن مات داخل الأربعين يومًا مات ميتةً جاهليَّةً.

وأنَّ مدمن الخمر يعاقب بأمرين:

١- يلقى الله كعابِدِ وثَنٍ.

٢- يسقيه الله من طينة الخَبَال، وهي عصارة أهل النَّارِ.

هذا خلاف الحدِّ الذي أوجبه الشرع في شربها وهو: أربعون جلدةً أو ثمانون، على الخلاف في ذلك بين الأئمة.

حِكَم لطيفة

يقال: إنَّ إبليس لعنه الله ظهر لفرعون في صورة رجلٍ وهو في الحمام فأنكره، فقال له إبليس: ويحك أما تعرفني؟ فقال: لا، قال: فكيف وأنت خلقتني؟! ألست القائل: أنا ربُّكم الأعلى؟!

وظهر إبليس لسليمان عليه السَّلام فسأله: أي الأعمال أحب إليك وأبغض إلى الله تعالى؟ فقال: لولا منزلتك عند الله تعالى ما أخبرتك، إني لست أعلم شيئًا أحب إلي وأبغض إلى الله تعالى من استغناء الرجل بالرجل[1] والمرأة بالمرأة.

---

(١) استغناء الرجل بالرجل: هو اللواط، واستغناء المرأة بالمرأة: هي المساحقة، ولكونهما شذوذ عن الطبيعة كانا أحب إلى إبليس.

وكان شخص يلعن إبليس كلَّ يومٍ ألف مرة، فبينما هو ذات يوم نائمٌ أتاه شخصٌ وأيقظه وقال له: قم فإن الجدار سيسقط عليك، فقال له: من أنت الذي أشفقت عليَّ هذه الشفقة؟ فقال له: أنا إبليس، فقال له: كيف هذا وأنا ألعنك كل يوم ألف مرة؟ فقال: هذا لما علمت من منزلة الشهداء عند الله تعالى، فخشيت أن تكون منهم فتنال معهم كما ينالون(١).

ويأتي السؤال: هل الاشتغال بلعن إبليس ألْفًا أو ألْفَين يثاب عليه؟

والجواب: ذكر الغزاليُّ: أن الإنسان لو لم يلعن إبليس طول حياته، لم يسأله الله يوم القيامة لم لم يلعن إبليس؟ وذلك لأن اللعن ليس بعبادةٍ يُتقرَّب بها إلى الله كالتسبيح والتحميد، لكنه دعاء بالإبعاد من رحمة الله، فغايته أن يكون الدعاء به على من يستحق جائزًا.

---

(١) قرأت في ترجمة عبدالله بن هلال، أحد الرواة المجروحين: أنه كان يمشي في بعض طرق البصرة، ورجل يحمل زق عسلٍ فتزحلقت رجله ووقع وسال العسل على الأرض، فجعل الصبيان الذين كانوا يلعبون في الطريق يأخذون العسل بأيديهم من الأرض ويلحسونه ويقولون: لعن الله الشيطان، فقال لهم عبدالله: لم تلعنون الشيطان وهو الذي كان السبب في أكلكم العسل بزحلقة الرجل؟ فكفوا عن لعنه، فظهر له الشيطان وقال له: حيث أنك منعت عنِّي لعن الصبيان فإني مكافئك، واتفق معه على أن يصرع بنات الأغنياء، ويذهب ابن هلال لمعالجتهنَّ، فإذا دخل على البنت المصروعة وقرأ بعض العزائم والتعاويذ تركها الشيطان وبرئت، فجمع من ذلك مالًا كثيرًا.

وقرأت في ترجمته أيضًا: أنه لما ذهب إلى الحجاز كان يجمع العقارب ويطلقها في الحرم لتلدغ المصلين والعاكفين والطائفين، وكان ابن هلال هذا يسمَّى صديق الشيطان.

١٠- أخلاق اليهود

قال وهب بن منبِّه: خرج عيسىٰ عليه السَّلام يسيح في الأرض فصحبه يهوديٌّ وكان معه رغيفان، ومع عيسىٰ رغيف، فقال له عيسىٰ: تشاركني في طعامك؟ قال اليهوديُّ: نعم، فلما علم أن ليس مع عيسىٰ إلَّا رغيفٌ واحدٌ نَدِم، فقام عيسىٰ إلىٰ الصَّلاة، فذهب صاحبه وأكل رغيفًا، فلمَّا أتمَّ عيسىٰ صلاته قدَّما طعامهما، فقال لصاحبه: أين الرغيف الآخَر؟ فقال: ما كان إلَّا رغيفٌ واحدٌ، فأكل عيسىٰ رغيفًا وصاحبه رغيفًا، ثُمَّ انطلقا.

فجاءوا إلىٰ شجرةٍ، قال عيسىٰ لصاحبه: لو أنَّا بتنا تحت هذه الشجرة حتىٰ نصبح، فقال: افعل، فباتا.

ثُمَّ أصبحا منطلقين، فلقيا أعمىٰ، فقال له: أرأيت إن أنا عالجتك حتىٰ يرد الله بصرك فهل تشكره؟ قال: نعم، فمسَّ بصره ودعا الله له فأبصر، فقال عيسىٰ لليهوديِّ: بالذي أراك الأعمىٰ يُبصِر، أما كان معك من رغيفٍ؟ فقال: والله ما كان إلَّا رغيفٌ واحدٌ، فسكت عيسىٰ عنه.

ومرَّا فإذا هما بمُقْعَد، فقال له عيسىٰ: أرأيت إن عالجتك فعافاك الله فهل تشكره؟ قال: نعم، فدعا الله تعالىٰ عيسىٰ، فإذا هو صحيحٌ قائمٌ علىٰ رجليه، فقال صاحب عيسىٰ: ما رأيت مثل هذا قَطُّ، فقال له عيسىٰ: بالذي أراك الأعمىٰ بصيرًا والمُقْعَد صحيحًا، مَن صاحب الرغيف الثالث؟ فحلف له: ما كان معه إلَّا رغيفٌ واحدٌ، فسكت عيسىٰ عنه.

فانطلقا حتىٰ انتهيا إلىٰ نهرٍ عَجَّاجٍ، فقال عيسىٰ: لا أرىٰ جسرًا ولا سفينة

فخذ بحجزتي من ورائي وضع قدمك موضع قدمي، ففعل، فمشيا على الماء، فقال له عيسى: بالذي أراك أمر الأعمى والمُقْعَد وسخَّر لك الماء، مَن صاحب الرغيف الثالث؟ فقال: لا والله ما كان إلَّا رغيفٌ واحدٌ، فسكت عيسى.

ثُمَّ انطلقا فإذا هما بظباء ترعى، فدعا عيسى بظبيٍ، فذبحه وشوى منه بعضه وأكلاه، ثُمَّ ضرب عيسى بقية الظبي وقال: قم بإذن الله عزَّ وجلَّ: فإذا الظبي يعدو، فقال اليهوديُّ: سبحان الله! فقال عيسى: بالذي أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الثالث؟ فقال: ما كان إلَّا رغيفٌ واحدٌ.

فمرَّا بصاحب بَقَرٍ فقال عيسى: يا صاحب البَقَر، اجزر لنا من بقرك هذه عِجْلًا، فقال: ابعث صاحبك اليهوديَّ يأخذه، فانطلق اليهوديُّ فجاء به وذبحه وشواه، وصاحب البقر ينظر إليه، فقال عيسى: كل ولا تكسر عظما، فلما فرغا قذف بعظامه في جلده ثم ضربه بعصاه وقال له: قُمْ بإذن الله، فقام العِجْلُ وله خُوارٍ، فقال له عيسى: يا صاحب البقر خذ عجلك، قال: ويحك من أنت؟ قال: أنا عيسى بن مريم، قال: عيسى السحار؟ ثُمَّ فر منه، فقال عيسى لصاحبه: كم كان معك من رغيف؟ فقال: ما كان معي إلَّا رغيفٌ واحدٌ، فسكت عيسى.

ومضيا حتى دخلا قريةً، فنزل عيسى في أسفلها واليهوديُّ في أعلاها، فأخذ اليهوديُّ عصا عيسى وقال: أنا الآن أبرئ المرضى وأحيي الموتى. وكان مَلِك تلك القرية مريضًا مدنفًا فانطلق اليهوديُّ ونادى: من يبتغي طبيبًا؟ حتى أتى باب الملِك فأخبروه بوجعه، فقال: أدخلوني عليه فأنا أبرئه، وإن رأيتموه قد مات فأنا أحييه، فقيل له: إن وجع الملِك قد أعيا الأطباء قبلك، وليس من

طبيبٍ يداويه ولا يشفيه إلَّا صلبه، فقال: أدخلوني عليه، فأدخل عليه، فضرب الملك بعصاه فمات، فجعل يضرب الملك بالعصا وهو ميت ويقول: قم بإذن الله، فلم يقم، فأخذ ليصلب، فبلغ ذلك عيسىٰ فمرَّ عليه وقد رفع علىٰ الخشبة، فقال لهم عيسىٰ: أرأيتم لو أَحْيَيْتُ لكم الملِك هل تتركون لي صاحبي؟ قالوا: نعم، فدعا الله عزَّ وجلَّ فأحياه وقام، فأنزل اليهوديُّ من الخشبة، فقال لعيسىٰ: أنت أعظم الناس علي مِنَّة، والله لا أفارقك أبدًا.

فقال له عيسىٰ: أنشدك الله الذي أحيا الظبي والعجل بعد ما أكلناهما، وأحيا هذا بعد ما مات، وأنزلك من علىٰ هذا الجذع بعد ما صلبك، كم كان معك من رغيف؟ فحلف بهذا كله وقال: والله ما كان معي إلَّا رغيفٌ واحدٌ، فقال عيسىٰ: لا بأس.

فانطلقا حتىٰ أتيا قريةً عظيمةً وهي خربةٌ فيها كنزٌ لثلاث بنات من ذهب قد كشفتها الدواب والسِّباع، فقال الرجل لعيسىٰ: هذا المال لك؟ فقال عيسىٰ: أجل، واحدة لك، وواحدة لي، وواحدة للذي أكل الرغيف الثالث، فقال اليهوديُّ لعيسىٰ: أنا صاحب الرغيف الثالث أكلته وأنت تُصَلِّي، فقال عيسىٰ: هي لك كلها.

فانطلق عيسىٰ وتركه ينظر، وهو لا يستطيع أن يحمل منهنَّ واحدةً لثقلها عليه فقال له عيسىٰ: دَعْهُ إنَّ له أهلًا يهلكون عليه، فجعلت نفس اليهوديِّ تتطلَّع إلىٰ المال ويكره أن يعصي عيسىٰ، ويعجزه حمل المال.

فمشىٰ مع عيسىٰ فبينما هو كذلك مرَّ بالمال ثلاثة نفر يهود، فقال اثنان منهما لصاحبهما الثالث: انطلق إلىٰ بعض القرىٰ فائتنا بطعام وشرابٍ ودواب نحمل

عليها هذا المال، فلما ذهب صاحبهما قال أحدهما للآخر: هل لك أن نقتله إذا رجع ونقتسم المال بيننا؟ قال: نعم. وقال الذي ذهب -في نفسه-: اجعل لهما في الطعام سمًّا، فإذا أكلاه ماتا ويصير المال كله لي، ففعل ذلك، فلما رجع إليهما قتلاه ثُمَّ أكلا الطعام الذي جاء به فماتا.

وإن عيسى عليه السلام، مرَّ بهم وهم حوله مقتولون، فقال: لا إله إلا الله، هكذا تصنع الدنيا بأهلها.

ثُمَّ إنَّ عيسى دعا الله تعالى فأحياهم، فاعتبروا ومروا ولم يأخذوا من المال شيئًا، فتطلعت نفس اليهوديِّ صاحب عيسى إلى المال فقال: أعطني المال، قال عيسى: خذه لك فهو حظك في الدنيا والآخرة، فلما ذهب ليحمله خسف به في الأرض.

هذه القصة تكشف عن أخلاق اليهود الذميمة، سجَّلَها القرآن الكريم في عِدَّة آياتٍ في مناسبة كلامه عن اليهود:

١- **قسوة القلب**: فهذا اليهوديُّ شاهَد من عيسى عليه السَّلام آياتٍ يلين لها الصخر، وأصرَّ مع ذلك على الكذب وتأييده باليمين.

وقد حكى الله تعالى في (سورة البقرة) قصة القتيل الذي تدارءوا فيه وما أوحى إلى موسى في شأنه، ثم قال: ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ المذكور من الآيات التي رأيتموها، ﴿فَهِىَ﴾ أي: قلوبكم في قسوتها ﴿كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ منها، ثُمَّ بيَّن زيادة قلوبهم في القسوة على الحجارة بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا

يَنفَجِرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ﴾ [البقرة: ٧٣-٧٤] فقسوة القلوب عريقةٌ في اليهود، لازمةٌ لهم لزوم الظل للشاخص.

٢، ٣- الكذب، والحلف عليه: فهذا اليهوديُّ كذب على عيسى في الرغيف الذي أكله وأيد كذبه بالحلف عليه، وهو خلقٌ أصيلٌ في اليهود، فقد قال الله تعالى في شأنهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٧ – ٧٨].

فالذين يكذبون على الله في كتابه، وينسبون إليه ما لم يوح به، ويحلفون على كذبهم ليحصلوا بذلك على قليلٍ من حُطَام الدنيا يهون عليهم أن يكذبوا في شيءٍ هيِّن كرغيفٍ؛ لأنهم فقدوا رادعًا من خشية الله، ووازعًا من الضمير الحيِّ، وسلوكهم مع أنبيائهم سلسلة مخالفاتٍ واعتداءاتٍ.

نجَّاهم الله من فرعون الذي أذاقهم العذاب الأليم فأغرقه، وفَرَق لهم البحر حتى جاوزوه، ثُمَّ مرُّوا على قومٍ يعكفون على أصنامٍ لهم فنسوا نعمة الله عليهم و﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

وذهب موسى لمناجاة الله، وترك هارون خليفةً عليهم، فأضلَّهم السامريُّ

بالعِجْل الذي أخرجه لهم ﴿فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ﴾ [طه: ٨٨] ونهاهم هارون فقالوا له: ﴿لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ [طه: ٩١].

ثُمَّ لما ذهبوا مع موسىٰ للاعتذار والتوبة من عبادة العِجْل وسمعوا كلام الله لموسىٰ قالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥]، فأخذتهم الصاعقة جزاء جراءتهم.

وأمرهم موسىٰ بدخول الأرض المُقدَّسة التي كتب الله لهم فجبنوا عن مقاتلة الجبَّارين وقالوا: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٤ – ٢٦].

وأتاهم موسىٰ بالتوراة فأبوا قبول أحكامها حتىٰ رفع الله الجبل فوقهم وهدَّد بإسقاطه عليهم: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَٰقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ [الأعراف: ١٧١].

وأخذ عليهم العهد بأن يُبيِّنوا أحكام التوارة وألَّا يكتموها، فنبذوا العهد وكتموا ما أرادوا كتمانه، وأخذوا علىٰ ما بيَّنوه منها أجرًا: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى

ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٥٩ - ١٦٠]

وقد حرَّم الله سبحانه وتعالى عليهم مباشرة الأعمال يوم السبت وجعله لهم عيدًا يتفرَّغون فيه للعبادة، فخالفوا أمر الله، واحتالوا لصيد السمك الذي كان مُحَرَّمًا صيده في ذلك اليوم بحفرهم حياضًا جانب البحر ليدخل فيها السمك مع مدِّ البحر، فإذا جزر انحسر عنه الماء فيبقى السمك في تلك الحياض محبوسًا فيأخذونه ويأكلونه.

ولأجل ذلك مسخهم الله قِرَدَةً، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِي ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٦٥-٦٦]، ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٣].

ولم يكتفوا بهذا وبغيره من الموبقات كأكل الرِّبا، وأكل أموال الناس بالباطل، وموافقتهم على فعل المنكرات من غير أن يتحرَّك أحدٌ منهم للنهي عنها، حتى غضب الله عليهم ولعنهم وضرب عليهم الذِّلَّة والمَسْكَنة فلزمتهم لزوم النعت للمنعوت، بل ترقَّوا في كفرهم إلى أن رموا الله بنقائص يتنزَّه عنها؛ لأنها تنافي كماله المطلق سبحانه وتعالى.

فرموه بالفقر: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ

سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [آل عمران: ١٨١-١٨٢][(١)].

ورموه بالبخل: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ [المائدة: ٦٤][(٢)].

ونسبوا إليه الولد: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠].

وقالوا: إنَّ الله خَلَقَ السموات والأرض في ستة أيامٍ، أوَّلها الأحد وآخِرها الجمعة، ثُمَّ استراح يوم السبت واستلقى على العرش، فأنزل الله ردًّا عليهم: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [ق: ٣٨]. اللُّغُوب: التعب.

قال الزمخشريُّ في "الكشَّاف": وقالوا -يعني العلماء-: إنَّ الذي وقع من

---

(١) لَمَّا نزل قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ [البقرة: ٢٤٥]. قال اليهود: الله فقير لأنه يقترض مِنَّا ونحن أغنياء نقرضه، فأنزل الله تعالى يرد عليهم بهذه الآية.

(٢) أصاب اليهود قحطٌ في زراعتهم فقالوا: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ يعنون أنه بخيل، لعنهم الله. وقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾، هذه الجملة تثبت كرم الله المطلق على سبيل الاستعارة التمثيلية المعروفة في علم البيان.

التشبيه في هذه الأُمَّة إنما وقع من اليهود[١]، ومنهم أُخِذ.

ممَّا تقدَّم نرىٰ أنَّ القرآن الكريم يُصوِّر حياة شعب بني إسرائيل أدقَّ تصويرٍ، كاشفًا عن خَلَجَاتِ نفوسهم، مُعبِّرًا عن طباعهم ومعاملتهم لرُسُلِهم، ومعاملة بعضهم لبعضٍ.

وهذه شهادة رجلٍ منهم كان رئيسًا لهم ومن أكابر أحبارهم، قد عاشرهم ووقف علىٰ أسرارهم وعرف دخائلهم وهو: عبدالله بن سلامٍ، فقد صارح الرسول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بحقيقة أمرهم، وأنهم قومٌ مُتقَلِّبون مُتلوِّنون لا يؤمنون بالحقِّ ولا يحبونه، ولا يُركن إليهم ولا يوثق بهم ولا بأقوالهم.

ثُمَّ قال: وإذا أردت أن تعرف صِدْق قولي فإليك الدليل: لقد عرفنا بعثتك ممَّا جاء في التوراة عن صفتك واسمك وزمانك، ولَمَّا علمتُ بقدومك أسلمت أنا وأهل بيتي وعمَّتي خالدة بنت الحارث، ثُمَّ كتمت إسلامي من اليهود لما أعرفه عنهم من بهتهم -أي أهل باطل- وهأنذا قد جئتك لأعلن إسلامي، وإني أريد أن تخفيني في أحد بيوتك عنهم ثُمَّ تسألهم عَنِّي حتىٰ إذا أخبروك كيف أنا فيهم خرجت إليهم وأعلنت لهم إسلامي، وسترىٰ ما يبهتوني به وما

---

(١) من قرأ "التلمود" وجد اليهود يصفون الله تعالىٰ فيه: بالندم والبكاء والحزن والخطأ والخطيئة واللعب والرَّقص، وأنه في بكائه يزأر كالأسد، وأنَّ جسمه كان ملء السموات والأرض في جميع الأزمان، فلما هدم الهيكل بأورشليم صار يشغل مساحة أربع سنواتٍ فقط، إلىٰ غير ذلك من الكُفْريَّات الصارخة قاتلهم الله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

يعيبونه عليَّ.

فأخفاه الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ودعا اليهود، فسألهم عن عبدالله بن سلام، وكيف حالته فيهم؟ فأثنوا عليه خيرًا وقالوا: إنه سيِّدنا وابن سيِّدنا، وحَبْرنا وابن حَبْرنا، وعالِمنا وابن عالِمنا، فقال: «**أرأيتم إن أسلم؟**» قالوا: أعاذه الله من ذلك. فخرج عليهم عبدالله بن سلام فقال: أشهد أن لا إله إلَّا الله وأشهد أنَّ محمدًا رسول الله، يا معشر اليهود اتقوا الله وآمنوا بما جاء به محمدٌ، فوالله إنكم لتعلمون إنه لرسول الله، تجدونه مكتوبًا عندكم في التوارة باسمه وصفته، فإني أشهد أنه رسول الله وأؤمن به وأصدِّقه وأعرفه. فقالوا: كذبت، أنت شرُّنا وابن شرِّنا، ونالوا منه.

فقال: يا رسول الله ألم أخبرك أنهم قومٌ بُهُتٌ؟ فأنزل الله تعالى في تلك الحادثة: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأحقاف: ١٠][1].

---

(١) في "الصحيحين" عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: ما سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول لأحدٍ يمشي على وجه الأرض: إنه من أهل الجنَّة، إلا لعبدالله بن سلامٍ، وفيه نزل: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الأحقاف: ١٠].

وروى ابن أبي شيبة عن الشعبيِّ: أنه أنكر ذلك؛ لأن السورة مكِّيَّة وعبدالله أسلم بالمدينة بعد الهجرة.

وأخرج ابن أبي حاتمٍ مثله عن مسروقٍ، وهذا قول ضعيفٌ؛ لأن كثيرًا من السور المكيَّة ألحقت بها آيات مدنية، وكذلك توجد سور مدنيَّة ألحقت بها آياتٌ مكِّيَّة كما هو معروفٌ لمن درس علوم القرآن.

وقد أخرج الطبرانيُّ بسندٍ صحيحٍ عن عوف بن مالك الأشجعيِّ: أنَّ هذه الآية نزلت بالمدينة في قصَّة إسلام عبدالله بن سلامٍ.

ثُمَّ لا يخفى عليك أنه من تمام إعجاز القرآن أنه توجد آية مدنية في سورة مكِّية أو آية مكية في سورة مدنية تنتظم مع آياتها في سياق متناسب كأنها نزلتا في مكانٍ واحدٍ وموضوعٍ واحدٍ.

هذا ولا يفوتني أن أشير إلى بعض جهلة المعاصرين الذي اتهم عبدالله بن سلام بأنه إنما أسلم ليُفْسِد الإسلام ويثير بين أهله الدسائس، وهي تهمةٌ باطلةٌ من أساسها، يؤكِّد بطلانها أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم شهد له بالجنَّة، مع أنه قال عن رجلٍ أبلى في غزوة أحدٍ بلاءً حسنًا: «إنَّه مِن أهلِ النَّارِ». فانتَحَر آخِر الأمر. وأسرَّ إلى حذيفة بتعيين جماعة من المنافقين كانوا في جملة المسلمين يصلُّون معهم ويصومون ويجاهدون، فالذي أطلعه على هؤلاء، كيف لم يطلعه على حال عبدالله بن سلام حتى جاء هذا الجاهل في آخِر الزمان فاكتشف لذكائه الخارق من حال صحابيٍّ ما لم يعرفه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؟! ألا ما أقبح الغرور مع الجهل.

٣- الفَتحُ المُبين

بِشَرحِ الكنزِ الثَّمين مِن أحاديث النَّبيِّ الأمين صلى الله عليه وآله وسلم

(يُطبَع لأوَّل مرَّة)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدُ لله الفتَّاح العَليمِ، فَتَحَ لقُصَّادِ فضلِه أبوابَه، وحمىٰ من التجأَ إلىٰ حِماه وأمَّ رحابَه، الوهَّاب الكريم، وهبَ من وفَّقَه علمًا نافعًا يعرفُ به سدادَ القول وصوابَه، وأعطىٰ خواصَّه إلهاماتٍ يفهمون بها كتابَه، والصَّلاةُ والسلامُ علىٰ سيِّدنا محمَّدٍ رسول الله إلىٰ العالمين، وحُجَّتِه علىٰ العالمين، أُوتي جوامعَ الكَلِمِ، وتفجَّرت من لسانه ينابيعُ الحِكَمِ، ألزم الناسَ اتِّباعه، وأوجبَ الجنةَ لمن أطاعه، ورضي الله عن آله الأطهارِ، وصحابتِه الأبرارِ، وشَمَل بواسعِ رحمته نقلةَ حديثِه وخدَّام سُنَّتِه، أمَّا بعدُ:

فهذا شرحٌ علىٰ كتابِ "الكنز الثَّمين في أحاديثِ النَّبيِّ الأمين" يحلُّ ألفاظ أحاديثِه، ويوضحُ مُشكلَها، ويفتحُ مُغلقَها، ويجمعُ بين متعارضِها مع استنباط ما فيها من أحكامٍ فقهيةٍ، وآدابٍ مَرضيَّةٍ وفوائدَ لطيفةٍ ومسائلَ نفيسةٍ، بأسلوبٍ سهلٍ مبسوطٍ ليس فيه تطويلٌ مملٌّ ولا اختصارٌ مخلٌّ، بل وسطٌ بينَ الطرفين، جعله الله خالصًا لوجهِه الكريم، ورزقنا التوفيقَ والقبول إنَّه أكرمُ مسئولٍ.

حرف الألف

قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم:

١ - «إنَّما الأعمالُ بالنِّياتِ وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نوَى، فمنْ كانتْ هجرتُه إلى الله ورسولِه فهِجْرتُه إلى الله ورسولِه، ومنْ كانتْ هجرتُه إلى دُنْيا يصيبُها أوِ امرأةٍ يتزوَّجُها فهِجرتُه إلى ما هاجَر إليهِ». (ق ٤) عنْ عُمرَ بنِ الخطَّابِ رضِيَ الله عنهُ.

(**إنَّما الأعمالُ بالنِّياتِ**): «إنَّما» أداةُ حصرٍ تفيدُ انحصارِ المبتدأ في الخبرِ، وفي الكلامِ مضافٌ محذوفٌ اقتضاه أسلوبُ الحصر. والتَّقدير: إنَّما صحَّةُ الأعمالِ بالنياتِ. ولفظُ: «الأعمال» عامٌّ يشملُ الوسائلَ والمقاصدَ والعباداتِ والمعاملاتِ، فلا يصحُّ وضوءٌ ولا غسلٌ ولا تيممٌ ولا صلاةٌ ولا زكاةٌ ولا حجٌّ ولا صيامٌ إلا بالنية، وهي العزمُ المصمِّمُ علىٰ فعل الشَّيء، وكذلك ألفاظُ الكنايةِ لا يقعُ بها طلاقٌ إلا بالنية، ومحلُّها القلبُ، فلا داعي للنطقِ بها، ولم يُنقل عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أنه تلفَّظَ بها في طهارتِه أو صلاتِه أو في شيءٍ من عباداته، وهذا الحديثُ عظيمٌ، يعدُّ من جوامعِ الكلمِ، ويدخلُ في كثيرٍ من الأبوابِ الفقهيَّة(١).

---

(١) قال الشافعيُّ وأحمد أنه ثلثُ الإسلام، ووجه البيهقيُّ ذلك بأنَّ كسبَ العبدِ يقعُ بقلبه ولسانه وجوارحِه، والنيةُ أحدُ أقسامِه الثلاثةِ وأرجحها، لأنَّها قد تكون عبادةً مسقلةً وغيرها يحتاجُ إليها، ومن ثمَّ ورد: «**نيةُ المؤمنِ خيرٌ من عملِه**»، وقال الإمامُ عبدالرحمن بن مهدي: «يدخلُ في هذا الحديثِ ثلاثونَ بابًا من العلمِ».

قلت: منها أبواب الوضوء والغسل والتيمم والصلاة والصيام والزكاة والحج والجهاد والضحايا والطلاق.

وهو مع عِظمِ قدرِه وضخامةِ معناه حديثٌ غريبٌ لم يروِه عن النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إلا عمرُ رضي الله عنه، ولم يصحَّ من روايةِ غيرِه، وادَّعىٰ بعضُ العلماء أنَّه حديثٌ متواترٌ، وليس كذلك، بل هو حديثُ آحادٍ أمَّا معناه فمتواترٌ.

(**وإنَّما لكلِّ امريءٍ ما نَوَى**): هذه الجملةُ دليلُ القاعدة الفقهيةِ المعروفةِ: «الأمورُ بمقاصدِها»، ويؤخذُ منها أنَّ الإنسانَ لو نوىٰ بعمله التوصُّل إلىٰ عبادةٍ كان له مانواه وقصدَه، فلو نوىٰ بأكله تقويةَ نفسِه للعبادة والقيامَ بما يطلب منه؛ كان له ثوابُ ما نواهُ، ولو جامع زوجَه ناويًا إعفافَها وإعفافَ نفسِه؛ كان له ثوابٌ في جماعِه، ولو باشر تجارةً أو زراعةً أو صناعةً، قاصدًا الإنفاقَ علىٰ نفسِه أو أهله؛ كان مثابًا في ذلك، ولو صنعَ سلاحًا قاصدًا به الاستعدادَ لقتال الكفارِ كان عملُه طاعةً؛ ولو خرَجَ من بيته ناويًا أنْ يساعدَ مسكينًا إذا وجده في طريقة أو يغيث ملهوفًا أو يرشد ضالًا أو يهديَ أعمىٰ أُثيبَ في ذلك كلِّه، فتكون أعماله كلُّها طاعةً، بخلافِ ما لم ينوِ شيئًا من الخيرِ فإنَّ أعماله تكون خاليةً من الثَّواب، وقد قال العلماء: لو تَرَكَ الانسانُ الخمرَ اعتيادًا فإنَّه لا يُثَابُ علىٰ تركِها إلا إذا نوىٰ أنه يتركها امتثالًا لأمرِ الله تعالىٰ.

(**فمَنْ كانتْ هجرتُه إلى الله ورسولِه**) نيةً وقصدًا (**فهجرتُه إلى الله ورسُولِه**) مثوبةً وأجرًا، (**ومنْ كانتْ هجرتُه لدنيا يصيبُها**) بتجارةٍ أو نحوِها، (**أو امرأةٍ يتزوَّجُها فهجرتُه إلى ما هَاجرَ إليهِ**) من الدنيا أو الزوجةِ، ولا ثوابَ له فيها لأنَّها لمجرَّد حظِّ نفسه.

روىٰ الطبرانيُّ عن ابن مسعودٍ قال: «كانَ فينا رجلٌ خطبَ امرأةً يقال لها:

أُمُّ قيسٍ، فأبتْ أنْ تتزوَّجَه حتَّىٰ يهاجرَ -يعني إلىٰ المدينةِ- فهاجر فتزوَّجها،فكنا نسمِّيه: مهاجرَ أمِّ قيسٍ».

٢- «آتي بابَ الجنةِ فأسْتفتِحُ فيقولُ الخازنُ: من أنتَ؟ فأقولُ: محمَّدٌ. فيقولُ: بِكَ أمرتُ أنْ لا أفتحَ لأحدٍ قَبْلكَ». (حم م) عن أنسٍ.

(**آتي بابَ الجنة**) بعد انتهاء الموقف يوم القيامة. (**فأسْتفتحُ**) أطلبُ فتح البابِ. (**فيقولُ الخازنُ: من أنتَ؟**) سأله لاحتمال أنْ يكونَ المستفتحُ أحدَ المؤمنين الذين جاوزوا الصِّراط بسرعةٍ وتركوا النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في الموقف يشفَع للعصاةِ. (**فأقولُ: محمَّدٌ. فيقولُ بِكَ**) بسببك، (**أمرتُ**) من الله (**ألا أفتحَ**) باب الجنة (**لأحدٍ قَبلكَ**) فلا تُفتح الجنة لنبيٍّ ولا لرسولٍ قبل النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

ويؤخذُ من الحديثِ فضل نبيِّنا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ جميع الرُّسُل، وأنَّ الجنةَ لا يدخلها أحدٌ بجسمِه قبلَ يومِ القيامة.

٣- «آكلُ الرِّبا ومُوكِلُه وكاتبُه وشَاهدَاه إذا علِمُوا ذلكَ، والواشِمةُ والموشُومةُ للحُسْنِ، ولاوي الصَّدقةِ، والمرتدُّ أعرابيًّا بعد الهجرةِ ملعونُون على لسانِ محمَّدٍ - صلَّى الله عليه وآله وسلَّم- يومَ القيامةِ». (ن وابن خُزيمةَ) عن ابنِ مسعودٍ.

(**ومؤكِلُه**) لغيرِه بأن أنفق علىٰ أهلِه من مال دخله رِبًا، أو أطعمَ ضيوفَه طعامًا اشتراه بمال فيه رِبًا، (**وكاتبُه**) أي: كاتبُ عقدٍ اشتمل علىٰ رِبًا، فكُتَّاب المصارِف التي تتعامل بالرِّبا داخلون في هذا الوعيد، (**وشاهدَاه**) أي: شاهد العقدِ أو الصفقةِ المشتملةِ علىٰ ربًا، (**إذا علِمُوا ذلك**) هذا يعودُ علىٰ الكاتبِ والشَّاهدين، يعني أنَّ الكاتبَ للرِّبا ملعونٌ إذا علم ذلك، أمَّا إذا كَتَبَ عقد

الصفقةَ وهو لا يعلم أنَّ فيها ربًا فلا يكون ملعونًا، وكذلك الشَّاهدان.

(والوَاشِمةُ) التي تفعل الوشْمَ، ويُعرف في مصر بالدَّقِّ (والموشُومةُ) التي تطلب الوَشم (للحُسْنِ) لأجل الحسن (ولاوِي الصَّدقة) مانُعها، (والمرتدُّ أعرابيًّا) الأعراب: سكان البَاديةِ، والعربُ سكانُ الحضر، وسكان الباديةِ قساةُ القلوبِ غلاظُ الطِّباعِ، يَغلبُ عليهم الجهلُ لبعدِهم عن مشاهدةِ العلماءِ ومعرفة الكتاب والسُّنة قال تعالى: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ من أهل الحضر ﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٩٧] فالذي يترك المدينة بعد الهجرة إليها ويرتدُّ أعرابيًّا باختياره سُكنى البَادية يكون ملعونًا، لأنَّه تَرَكَ الجماعةَ والجمعةَ ومجالسَ القرآن والعلم، وآثرَ مساكنةَ الكفَّارِ والمنافقين ومن آثر قومًا كان معهم، ولهذا كان أبو ذرٍّ -رضي الله عنه- يختلف من الرَّبَذَة إلى المدينة مخافةَ الأعرابية، ذكره الطبريُّ في "تاريخه" عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما. وذكر أيضًا أنَّه لما خَرَجَ إلى الرَّبذَة واختطَّ بها مسجدًا بعثَ إليه عثمان رضي الله عنه، أنْ تعاهدِ المدينةَ حتى لا ترتدَّ أعريبًا.

ويؤخذُ من الحديث أنَّ أكلَ الرِّبا وتأكيلَه وكتابةَ عقده والشَّهادةَ عليه والوشْمَ والأعرابيةَ ومنعَ الزَّكاة كبائرُ، لأنَّ الَّلعن لا يكونُ إلا على كبيرةٍ.

٤- «آكلُ كما يأكلُ العبدُ وأجلسُ كما يجلسُ العبدُ». (ع حب) عن عائشةَ.

(آكلُ كما يأكلُ العبدُ) جاثيًا على الرُّكبةِ، (وأجلسُ كما يجْلسُ العَبدُ) على الأرضِ تواضعًا لله، وسببه أنَّ مَلكًا نَزَلَ على النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فأخبره أنَّ الله يخيره بين أن يكون نبيًّا عبدًا وبين أن يكون نبيًّا ملكًا، فنظر إلى

جبريل كالمستشير له، فأشار إليه أنْ تواضَعْ فقال: (**بل نبيًّا عبدًا**)، فمن ذلك الوقت ما أكلَ متكئًا أي متربعًا وقال: «**آكلُ كما يأكلُ العبدُ**». ويؤخذ من الحديث تواضعُه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في أكلِه وفي جلوسه.

٥- «آمرُوا النِّساءَ في بناتِهنَّ». (د هق) عن ابنِ عُمرَ.

(**آمرُوا**) بالمد، أي: شاوروا (**النِّساءَ في بناتِهنَّ**) لأنَّ الأمَّ تحبُ مصلحةَ بنتِها، فمن الواجبِ أن يأخذ الزوجُ رأي زوجتِه في بنتها، إذا جاءها خاطبٌ مثلًا، وقد أعطىٰ الشَّارعُ هذا الحقَّ للمرأة في حين أنها كانتْ في معظمِ بلاد العالمِ تعتبرُ متاعًا من متاع البيتِ لأيؤخذ رأيُها في شيءٍ إطلاقًا.

٦- «آيةُ الإيمانِ حبُّ الأنصارِ وآيةُ النِّفاقِ بغضُ الأنصارِ». (حم ق ن) عن أنسٍ.

(**آيةُ الإيمانِ حبُّ الأنصارِ**) وهم الذين بايعُوا النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ نُصرته وحمايته إذا هاجر إلىٰ المدينة ووفَّوا ببيعتِهم وعهدهم، فحبُّهم من هذه الجهة علامةٌ علىٰ الإيمان وشعبةٌ منه، (**وآيةُ النِّفاقِ**) أي: علامته (**بغضُ الأنصارِ**) لأجل نصرتهم النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، لأنَّه لا يبغضُ نُصرتَه وأنصارَه إلا كافرٌ وإنْ تظاهر بالإسلام، والحديثُ يحضُّ علىٰ إكرام الأنصار وتعظيمِهم لأنَّ من أحبَّ شخصًا أكرمَه وعظَّمه.

٧- «آيةُ المنافقِ ثلاثٌ: إذا حدَّثَ كذبَ، وإذا وعَدَ أخْلفَ، وإذا ائْتُمِنَ خَانَ». (ق ت ن) عن أبي هريرةَ.

(**إذا حدَّثَ كذبَ**) في حديثه ولو مازحًا (**أخْلفَ**) وعدَه ولم يفِ به، وهذا إذا كان حين الوعد ناويًا عدمَ الوفاء، أمَّا إذا وعَدَ وهو ينوي الوفاء ثمَّ طرأ

عليه ما منعه لم يكنْ منافقًا لحديثٍ ثبتَ بذلك، (**وإذا ائْتُمِنَ**) على مال أو سرٍّ مثلًا (**خَانَ**) الأمانة بأن ضيَّع المال وأفشى السِّرَّ.

٨- «**ائْتِ حرثَكَ أنَّى شئتَ، وأطْعِمْها إذا طَعِمْتَ، وَاكْسُهَا إذا اكْتَسَيْتَ ولا تُقَبِّحِ الوجْهَ**». (د) **عن بَهْزِ بنِ حكيمٍ عنْ أبيه، عنْ جدِّه معاويةَ بنِ حيدَةَ.**

(**ائتِ حرثَكَ أنَّى شئتَ**) وهذا مثل قوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣] تسميةُ المرأةِ حرثًا مجازٌ، تشبيهًا بالأرضِ التي يُبذَر فيها البذْرُ، فتنبتُ الحبَّ، و«أنَّى» يجوز أنْ تكون بمعنى: «متى»، أي: ائتِ حرثَك أي: وقتَ شئتَ، ويستثنى منه وقت الصِّيام والإحرامِ، لأنَّه لا يجوز للشخص أن يأتيَ امرأته في نهارِ رمضانَ، أو زمن الإحرامِ بحجٍّ أو عُمرةٍ، ويجوز أن تكون بمعنى: «كيف»، أي: ائتِ حرثَك في أي حالة شئتَ، ويستثنى منه الحيضُ والنفاسُ، ولا يجوز أن تكون بمعنى: «أين»، لأنَّ «أين» تفيدُ المحلَّ للحرثِ ولا محلَّ للحرثِ إلا الفرجُ، أمَّا الدُّبرُ فيحرُم إتيانُ المرأة فيه للأحاديث الكثيرةِ الثابتةِ بتحريمه، ولأنَّه ينافي حكمةَ مشروعيةِ الزَّواجِ، (**وأطعِمْهَا إذا طعِمتَ واكسُها اذا اكتَسَيْتَ**) هذان الأمران للوجوب، فيجب على الزوج إطعامُ زوجته وكسوتُها ولو كانت غنيةً، وكذلك يجبُ الأمر بإتيانِها للوجوب لأنَّه يحصل به الإعفافُ عن الزِّنا وهو واجبٌ، (**ولا تقبِّحَ الوجْهَ**) بأن تقولَ لها: وجهُك قبيحٌ أو قبَّح الله وجهَك، لأنَّ الله كرَّم الإنسان، وأكرم ما فيه وجهُه، ولأنَّ الزواج أباحَ لك الاستمتاع بها ولم يُبِح لك إيذائَها بتقبيحِ وجهِها أو شتمِها، (**ولا تضرِب**) إذا أخطأتْ في شيءٍ من شئونِ البيت مثلًا، لأنَّه لا يليق

ضربُها مع ما تقوم به من تربيةِ الأولاد، وخدمةِ المنزل، نعم؛ إذا نشزَتْ فلْيعِظْها، فإن استمرتْ فليهجُرْها، فإن استمرتْ فليضرِبْها ضربًا غيرَ مبرحٍ، لأنَّ نشوزَها امتناعٌ عن الغرض المطلوب من الزواج فوجبَ تأديبُها عليه.

٩- «ائْتَمِرُوا بالمعروفِ وتناهُوا عن المنكرِ حتَّى إذا رأيتَ شُحًّا مُطاعًا، وهوى متبعًا، ودُنيا مؤثَرةً، وإعجابَ كلِّ ذي رأيٍ برأيِه، فعليكَ بخاصَّةِ نفسِكَ ودعِ العوامَّ، وإنَّ من ورائِكم أيامًا الصبرُ فيهنَّ كالقبضِ علي الجمْرِ، للعامل فيهنَّ مثلُ أجْرِ خمسين رجلًا يعملُونَ مثلَ عمَلِه». قيل: يا رسولَ الله، أجرُ خمسينَ منَّا أمْ منْهُم؟ قال: «لا، بلْ منْكُم». (د ت ه ع حب ك طب) عن أبي ثعلبةَ الخُشَنيِّ.

(**ائتَمِرُوا بالمعروفِ**) أي ليأمرْ بعضُكم بعضًا بالمعروف، وهو كلُّ ما عرفَ من عملٍ محمودٍ في الدِّين والدنيا، (**وتناهُوا عنِ المنكرِ**) أي لِيَنْهَ بعضُكم بعضًا عن المنكر، وهو كلُّ عمل قبيحٍ ينكره الشَّرعُ أو العقلُ السَّليمُ، والائتمار بالمعروف من باب التَّعاون المأمورِ به في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]، والغرضُ منه التوصُّل إلى تحصيل الكمال للمجتمعِ الإسلاميِّ، بحيثُ يكونُ على درجةٍ عاليةٍ من الرُّقِيِّ الخُلقيِّ، أمَّا التَّناهي عن المنكر فهو نوعٌ من النقد البَنَّاء الذي يرادُ به تطهيرُ المجتمع من رذائلَ تعوق رُقيَّه وتقدُّمه، وهما واجبان وجوبًا كفائيًّا بمعنى أنَّه يجب أن يقوم بهما طائفةٌ من الأمَّة.

قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، زادتِ الآيةُ إيجابَ الدعوة

إلى الخير وهو الإسلامُ وهذا الواجبُ أضعناه آثمينَ بإضاعته، ونفَّذه الأجانب، فأنشأوا جماعاتِ التَّبشير بدينِهم البَاطل.

(حتَّى إذا رأيتَ) أيُّها المخاطبُ (شُحًّا مُطاعًا) الشُّحُّ: بخلٌ مع حرصٍ، ومعنى كونه مطاعًا أنْ يقبضَ النَّاس أيديَهم عن الإنفاق في وجوه الخير والمصالح العامَّة (وهَوىً متَّبعًا) من الأهواء التي ظهرتْ أخيرًا كالشيوعيةِ والبهائيَّة والقاديانيَّة وغيرها، بحيثُ صارَ لكل هوىً أتباعٌ يلتزمُونه وينفِّذُونه بقوة الحكمِ وسلطة القانون، مع أنَّ شرط الإيمانِ أن يكون هوىٰ المؤمنِ تابعًا لحكمِ الشَّريعة.

(ودُنيا مؤثَرةً) أي: مقدَّمة بفتحِ الدال المشددة، يقدمها أهلُها علىٰ الدِّين ويختارونها علىٰ الآخرةِ. (واعجابَ كلِّ ذيٍّ رأي برأيِه) أي استحسان لرأيه وتمسُّكه به، صوابًا كان أم خطأ، وهذا كناية عن تفكُّكِ الأمة وتقطع أوصال وحدتها، (فعليكَ بخاصَّةِ نفسِك) أقبل عليها بالإصلاحِ والتَّهذيب، (ودع العوامَّ) ليس المرادُ بالعَوامِّ غيرَ المتعلمين بل المرادُ بهم غيرُ الخواصِّ، والمعنىٰ: إذا تغيَّر الزمانُ وفسدتِ الأحوال وحصلَ الشُّحُّ المطاعُ وما بعدَه، وكنت أيها المخاطبُ توجِّه العوامَّ وتنصحهم لفضل علمٍ أو رأي عندكَ، فدعهم عنك ولا تشتغل بتوجيهِهم، لأنَّ آرائَهم كثُرت، وأعجب كلُّ واحدٍ برأيه، ففي توجيه النصحِ لهم فتحُ بابِ جدل لا ينتهي، والجدلُ منهيٌّ عنه لما يلزمُ عليه من شرور.

والحديثُ يفيد الرُّخصة في ترك الأمر بالمعروف والنهيِ عن المنكرِ، إذا لم يوجدْ من يقبلهما ولا يرفعُ لهما رأسًا. (وإنَّ منْ ورائِكم) أي أمامَكم فوراء بمعنىٰ أمام (أيامًا) شديدةً يضعف فيها الدِّين وأعوانه (الصَّبرُ فيهنَّ) علىٰ

التَّمسك بفرائضِ الدين (**كالقبضِ على الجمْرِ**) في شدته، فكما أنَّ الجمرَ يحرقُ يدَ القابض عليه كذلك الصبر في تلك الأيامِ يحرقُ نفسَ الصَّابر بإجبارها على التمسُّك بالدين مع عدم النَّصير والمعينِ، (**للعامِلِ فيهنَّ مثلُ أجرِ خمسينَ يعملُون مثلَ عملِه**) عِظمُ الأجر يقتضي عِظمَ المشقة، والصبر في تلك الأيام.

(**بلْ منْكُم**) يفيدُ أنَّ في آخرِ هذه الأمةِ من يكونُ عملُه أفضلَ من الصَّحابة وهذا لا يعارضُ قولَه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**دعُوا لي أصْحَابي فوالَّذي نَفسِي بيده لو أنفقَ أحدُكم مثلَ أُحدٍ ذهبًا ما بَلَغَ مدَّ أحدِهِم ولا نَصِيفَه**». ولا حديث: «**خيرُ القُرونِ قَرْني**»، ولا قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟﴾ [الحديد: ١٠] لأنَّ الصَّحابة من جهة رؤيتهم للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وجهادِهم معه، وهو الجهاد الذي لولاه لانْمحى الإسلام، ومن جهةِ إنفاقهم الإنفاقَ الذي كان الدَّعامةَ الأولى في بناءِ الدِّين لا يدانيهم أحدٌ، ومن هذه الجهةِ أيضًا كانوا خيرَ القرون، وفيما عدا ذلك فقد يوجد أفرادٌ من الأمة من هو أكثر عملًا من آحادِهم، وأكثر اجتهادًا في العبادة، وأيضًا فإنَّ الأيامَ التي يكون الصَّبر فيها كالقبضِ على الجمرِ يبلغُ الدِّين فيها نهاية الضَّعفِ وغايةَ الغُربة، فيصيرُ كحالته عند البعثةِ المحمدية، حيثُ كان يعذَّب بلالٌ وعمارٌ وأبوه على تمسكهم بالدين، فلا غرو أن كانَ للعاملِ في تلك الأيام أجرُ خمسين عاملًا من الصَّحابة الذين كانوا يرون النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فيزداد إيمانًا برؤيته، وينصحهم بالصَّبر فيقوى صبرهم بنصيحته.

١٠ - «ائتوا الدَّعوةَ إذا دُعِيتُم». (م) عن ابنِ عمرَ.

(ائتُوا الدَّعوةَ إذا دُعِيتُمْ) إلى وليمةِ عُرسٍ، أو حفلة ختانٍ أو نحو ذلك، ومن حقِّ المسلم على أخيه أن يجيبَ دعوتَه.

١١ - «ائْذَنوا للنِّسَاءِ بِالليل إلى المسَاجدِ». (حم م د ت) عن ابنِ عمرَ.

(ائذنُوا للنِّساءِ بالليل) أنْ يذهبنَ (إلى المَسَاجدَ) ليشهدْنَ صلاةَ العشاءِ والصبح مع جماعةِ المسلمين، ويحضرْنَ دروسًا دينيةً يتفقَّهنَ بها في أمورِ دينهنَّ، وخُصَّ الإذنُ بالليل لقلةِ المارِّين وهدوءِ الشوارعِ بالنسبة للنهار.

ويؤخذ من الحديث أنَّ المرأة ليس لها حضور الجماعةِ إلا بإذنِ زوجِها، وينبغي له أنْ يأذنَ لها بذلك، بل يجبُ عليه الإذنُ لها لتتفقه في دينِها، ويشترطُ في خروجِها ألا تتبرَّج ولا تتعطَّر، انظر الحديثَ رقم: (١٣٤٣).

١٢ - «أبَى الله أنْ يجْعلَ لقاتِلِ المؤمنِ توبةً». (طب والضِّياء في المختارة) عن أنسٍ.

(أبَى الله أنْ يجعلَ لقاتِل المؤمنِ) عمدًا (توبةً) حتى يسترضي أولياءَ المقتول، بأنْ يسلمَ نفسَه إليهم ليقتصوا منه، أو يأخذوا دِية فإنْ فعل ذلك ورضوا منه بقصاص أوديةٍ أو عفوٍ، قبل الله توبته حينئذ.

١٣ - «أبى الله أنْ يقبلَ عملَ صاحبِ بِدعةٍ حتى يدعَ بدعتَه». (هـ وابن أبي عاصم في السُّنة) عن ابن عبَّاسٍ.

(أبى الله أن يقبلَ عملَ صاحبِ بدعةٍ) إمَّا في العقيدةِ؛ كالمعتزلةِ والقدريَّة والخوارج، وإمَّا في العمل؛ كجهلةِ المتصوِّفة ومن على شاكلتِهم، الذين ابتدعُوا أعمالًا زعموها طاعاتٍ وهي بدعٌ. (حتَّى يدعَ بدعتَه) لأنَّ شرطَ صحةِ العمل

أنْ يكونَ موافقًا للسُّنةِ النَّبوية، ويترتبُ على صحته قبولُه، فإذا كان العَمَلَ مبتدعًا، أي: مخالفا للسُّنة، لم يكن صحيحًا في نفسِه، فلم يقبلْه الله سبحانه وتعالى. والحديثُ يفيدُ أنَّ أعمال المبتدعة باطلةٌ شرعًا، وأنَّ العبرةَ في الدِّين بما شرعه الله لا بما يبتدعه المكلَّف ويستحسنه بعقله.

١٤ - «ابدأْ بنفسِكَ فتصدَّقْ عليهَا، فإنَّ فَضلَ شيءٌ فلأهلِكَ، فإنْ فضلَ عنْ أهلِكَ شيءٌ فلذِي قرابتِكَ، فإنْ فضلَ عن ذي قرابَتِكَ شيءٌ فهكَذا وهكذا». (م ن) عن جابرٍ.

(**ابدأ بنفسِك فتصدَّقْ عليها**) أي أنفقْ على نفسك، ناويًا إعفافَها عن سؤال الناس، فيُكتب إنفاقُك صدقةً لك، (**فإنْ فضَلَ شيءٌ**) من المال بعد نفسك (**فلأهلِكَ**) فأعطه لأهلك من زوجةٍ وأولاد ووالدَينِ، (**فإنْ فضلَ شيءٌ**) بعد أهلك (**فلذِي قرابتِكَ**) من إخوةٍ وأخواتٍ وغيرِهم من ذوي رحمك، (**فإنْ فضلَ عن ذِي قَرابتِكَ شيءٌ فهكذَا وهكذَا**) أي فرِّقه على الغُرباء المحتاجين كجارٍ وابنِ سبيل مثلًا.

والحديث يُبيِّنُ أنواعَ مصارفِ المال الذي يكتسبُه الشَّخصُ بعملٍ كتجارةٍ أو إجارة، فيبدأ منه بالإنفاق على نفسِه، ثم أهلِه، ثم قرابتِه، ثم الغرباءِ عنه. وله أن يؤثر على نفسِه إن قوي إيمانه، لكن لا يجوزُ له أن يؤثر على أهلِه فيعطي غيرَهم وهم محتاجُون لقوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**كفَى بالمرءِ إثمًا أن يضيِّعَ منْ يقُوتُ**» رواه أحمد وأبو داود عن عبدالله بن عمر بن العاص، وصحَّحه الحاكم.

١٥ - «أبرِدُوا بالظُّهرِ فإنَّ شدَّةَ الحرِّ منْ فَيحِ جهنَّم». (خ هـ) عن أبي سعيد

(ن) عن أبي موسي (هـ) عن المغيرةِ بنِ شعبةَ.

(أبرِدُوا بالظُّهرِ) أي أخِّروا الظهرَ زمن الصَّيفِ حتىٰ تذهب شدةُ الحرِ (فإنَّ شدَّةَ الحرِّ من فَيحِ جهنَّم) جاءت هذه الجمل تنفيرًا من الصَّلاةِ في ذلك الوقتِ لأنَّه يذهبُ بالخشوع المطلوب في الصَّلاة.

١٦- «أبشِرُوا وأمِّلُوا ما يسرُّكم، فوالله ما الفقرَ أخشَى عليكُم، ولكنْ أخشى أنْ تُبسطَ الدُّنيا عليكُم كما بُسِطتْ على منْ كانَ قبلكُم فتنافسُوها كما تنافسُوها فتُهْلِكَكُم كما أهلكتْهُم». (ق) عن عمرو بن عوف الأنصاريِّ.

(أبشِرُوا) بالخير (وأمِّلُوا) بتشديد الميم المكسورة (ما يسرُّكم، فوالله ما الفقرَ أخشَى عليكُم) لأنَّهم امتُحنُوا به في أول الإسلام حتىٰ كثرتِ الفتوحات فصبروا ونجحوا (ولكنْ أخشَى أنْ تُبسطَ الدُّنيا عليكُم كما بُسِطتْ) وسعت (على منْ كانَ قبلَكم) وهم اليهودُ والنَّصارىٰ (فتنافسُوها) أي تتنافسوا في جمعها والحرص عليها (كما تنافسُوها) أي كما تنافسَ فيها من قبلكم (فتُهْلكَكُم) بالشُّحِّ والحرْصِ (كما أهلكتْهُم) وهذا من الإعلامِ بالغيبِ الذي حصل كما أخبرَ به النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فلم تتفرقْ كلمةُ الأمةِ ولم يضعفْ سلطانها إلا بعد إقبال الدنيا عليهم، وتنافُسِهم فيها.

وسبب الحديث أنَّ مالًا جاء من جهة البَحرين إلىٰ النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فاجتمعَ الصَّحابةُ بعد صلاة الصبحِ ليأخذوا نصيبَهم منه، فلما رآهم صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، تبسَّمَ وذكر الحديث، وهو يفيد أنَّ فتنةَ المالِ أخطر من فتنةِ الفقر.

١٧- «أبشِرُوا وبشِّرُوا منْ وراءَكم أنَّه منْ شهِدَ أن لا اله إلا الله صادقًا بها

دخلَ الجنَّةَ». (حم طب) عن أبي مُوسى.

(وبشِّرُوا من وراءَكم) من الناسِ (أنَّ من شَهِدَ أنَّ لا إله إلا الله) أي وأنَّ محمدًا رسول الله (صادقًا بها) أي بالشَّهادةِ، بأنِ اعتقدَ معناها بقلبِه (دخَل الجنةَ) ابتداءً إنْ لم يحصلْ منه عِصيانٌ، أو حصل وتابَ منه. أو انتهاءً بأن دخل النَّار في معاصي لم يتبْ منها ثم غفر الله له.

والحديثُ يفيدُ أنَّ الموحدَ مآلُه الجنةُ ولو عاصيًا، ووجوبَ نشرِ الإسلامِ والبشارةَ بيسرِه وسهولتِه، وأنَّ المشرك لا يدخل الجنةَ ولا حظَّ له فيها.

١٨- «أبشِري يا أمَّ العلاءِ فإنَّ مرَضَ المسلمِ يُذهبُ الله به خطاياه كما تُذهبُ النارُ خبثَ الفضَّةِ». (د) عنْ أمِّ العلاء.

(أبشِري يا أمَّ العَلاءِ) صحابيةٌ فاضلةٌ زارها النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فوجدها مريضةً بالحمى، فقال لها: أبشري بتكفير ذنوبك (فإنَّ مرضَ المسلمِ يُذهبُ الله به خطاياه كما تُذهبُ النَّارُ خبثَ الفضَّةِ) شبَّه طهارة المسلم من ذنوبه بالمرض بطهارة الفضة في وساختها إذا أدخلتِ النارَ، وهذا لا يقتضي ترك التَّداوي بل ينبغي للمريض أن يستعملَ الدواءَ ويعرض نفسه على الطبيب، معتقدًا مع ذلك أنَّ مدة مرضه إلى حين يتمُّ شفاؤُه يغفر الله بها خطاياه تكرمًا منه سبحانه، نعم؛ من قوي يقنه ووصلى إلى درجة ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠] فله أن يترك الاستشفاء ثقة بخالقة.

١٩- «أبغضُ الرِّجالِ إلى الله الألدُّ الخصِمُ». (ق حم ت ن) عن عائشة.

(أبغضُ الرِّجالِ إلى الله) والبغضُ: المقتُ، وهو أشد الكراهية (الألدُّ) بتشديد

الدال وهو الشَّديد الخصومة (الخصِم) بكسر الصَّاد: الكثير الخصومة قال تعالىٰ يذم المشركين: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨] وإنَّما كان أبغض الرجال إلىٰ الله لأنَّه بشدة خصومته وكثرتها يلجُّ في العِناد، فيبطل حقًا أو يحق باطلًا.

٢٠- «أبغضُ الناسِ إلى الله ثلاثةٌ: ملحدٌ في الحرمِ، ومبتغٍ في الإسلامِ سنَّةَ الجاهليَّةِ، ومطَّلبُ دم امرئٍ بغيرِ حقٍّ ليهريقَ دمَه». (خ) عنِ ابن عبَّاسٍ.

(**ملحدٌ في الحرمِ**) أي مرتكبٌ ظلمًا في حرم مكةَ أو المدينةِ، كأن أخَذَ مالًا من أحد بغير حق أو قتله أو آذاه إذايةً لا تحتمل (**ومبتغٍ في الإسلامِ سنَّةَ الجاهليةِ**) كأن أحيا عادةً جاهلية جاء الإسلام بإبطالها، مثل أنْ يصومَ عن الكلام طول اليوم أو يذبحَ ذبيحةً أول رجب أو نحو ذلك مما كان أهل الجاهلية يعتبرونه عبادة وقربة، ويدخل في ذلك من يُحي آثار الفراعنة ويمجد عهدهم ويمدح عاداتهم وتقاليدهم، (**ومطَّلبٌ**) بتشديد الطَّاء المفتوحة (**دمَ امرئٍ بغيرِ حقٍّ ليهريقَ دمَهُ**) أي يقتله انتصارًا لرأي خالفَه فيه، أو دفاعًا عن نظام من النُّظم المستحدثة كالجمهورية والملكيةِ والاشتراكيةِ والديمقراطية، فهؤلاء الثلاثة إثمُهم عند الله عظيم.

٢١- «ابغُوني في الضُّعفاءِ، فإنَّما ترزَقُون وتُنصَرُون بضعفَائِكم». (حم م حب ك) عن أبي الدَّرداء.

(**ابغوني**) اطلبوني (**في الضُّعفاء**) تجدوني عندَهم، وهذا دليل علىٰ تواضعه (**فإنَّما تنصرُون وترزقُون بضعفائِكم**) أي بدعائِهم وصلاتِهم وإخلاصهم، انظر الحديث رقم ١١٥٨.

٢٢- «ابغُوني في ضعفائِكم فإنَّما ترزقُون وتنصَرون بضعفائِكم». (٣) عن أبي هريرةَ.

٢٣- «ابنُ أختِ القومِ منهم». (حم ق ت ن) عن أنس (د) عن أبي موسي (البزَّار) عن عائشةَ (طب) عن جبير بن مطعم.

(ابنُ أختِ القومِ منْهم) ليس غريبًا عنهم، لأنَّه ذو رحمٍ فيهم، وإن كان لا يرثُ، فتوصَل رحمه ويندب برُّه.

٢٤- «أبو بكر في الجنةِ، وعمرُ في الجنَّةِ، وعثمانُ في الجنَّةِ، وعليٌّ في الجنَّةِ، وطلحةُ في الجنَّةِ، والزبيرُ في الجنَّةِ، وعبدُ الرحمن بنُ عوفٍ في الجنَّةِ، وسعدُ بنُ أبي وقاصٍ في الجنَّةِ، وسعيدُ بنُ زيدٍ في الجنَّةِ، وأبو عبيدةَ بنُ الجرَّاحِ في الجنَّةِ». (حم والضِّياء) عن سعيد بن زيد (ت) عن عبد الرحمن بن عوف.

هؤلاء العشرةُ المبشرون بالجنة هم خيارُ الصَّحابة وأفاضلُهم توفِّي رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم راضيًا عنهم، ولذلك أجمعَ أهل السُّنة على وجوب تأويل ما وقعَ بين بعضِهم في منازعاتٍ كان قصدُهم منها الخيرُ، لولا تدخُّل بعض المغرضين فحولوها إلى وجهةِ الشَّرِ التي كانوا يقصدُونها، وثبتت البِّشَارة بالجنَّةِ لأفرادٍ من الصَّحابةِ منهم: الحسنُ والحسينُ وفاطمةُ وخديجةُ وعمَّار ووالدُه ياسر وأمُّه سميةُ، وقد أوردتُ أسماءَهم في "خواطر دينية".

٢٥- «أتاكمْ أهلُ اليمنِ هم أضعفُ قلوبًا وأرقُّ أفئدةً، الفقهُ يمانٌ والحكمةُ يمانيةٌ». (ق ت) عن أبي هريرة.

(أتاكمْ أهلُ اليمنِ) قاله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لما جاء وفدُ الأشعريين

وهو بخيبر (**هم أضعفُ قلوبًا**) من الضَّعفِ الذي يقابل القَسَاوةَ، أي قلوبهم غير قاسية ولا غليظة (**وأرقُّ أفئدةً**) أي أفئدتهم رقيقة لينة، فغالب من يوجد من جهة اليمن رقاق القلوب والأبدان، بخلافِ أهل الشِّمال فإنَّهم غلاظ القلوب والأبدان، (**الفقهُ يمانٌ والحكمةُ يمانيةٌ**) معنىٰ هاتين الجملتين وصف الوفد الذي جاءوا بقوة الفهم والحكمة، لأنَّهم جاءوا مسلمين طالبين التَّفقه في الدين لا يريدون مالًا ولا جاهًا، ففي "صحيح البخاري" عن عمران رضي الله عنه قال: إنَّ نفرًا من بني تميم جاءوا إلىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**أبشِرُوا يا بني تميم**» قالوا: بشَّرتَنا فأعطِنا، فتَغَيَّر وجه رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وجاء نفر من أهل اليمنِ فقال: (**اقبلُوا البُشْرَى إذ لم يقبلْهَا بنو تميمٍ**) فقالوا: قد قبلْنا البشرىٰ يا رسول الله، جئْنا لنتفقَّه في الدِّين، ونسألكَ عن أول هذا الأمر فقال: «**كانَ الله ولم يكنْ شيءٌ غيرُه، وكانَ عرشُه على الماءِ وكتبَ في الذِّكرِ كلَّ شيءٍ**». ثمَّ المراد مدحُ الوفدِ اليمنيِّ بالفقه والحكمةِ، فلا يشملُ جميعَ أهل اليمنِ في كلِّ زمانٍ.

٢٦- «أتاني آت وأنا بالعقيق فقال: إنك بواد مبارك». (البزار) عن عائشة.

٢٧- «أتاني الليلةَ آتٍ منْ ربِّي وأنا بالعقيقِ، أنْ صَلِّ في هذا الوادِي المباركِ». (ابنُ خُزيمة) عن عمرَ رضي الله عنه.

(**أتاني الليلةَ آتٍ منْ ربِّي**) وهو ملك غير جبريل (**وأنا بالعقيقِ**) وادٍ بظاهر المدينة (**أنْ: صلِّ في هذا الوادي المباركِ**). يؤخذ منه أنَّ الوحيَ كان يأتي به غيرُ جبريلَ ، وأنَّ الصَّلاة تشرعُ في المكان المباركِ ولو لم يكنْ مسجدًا.

٢٨- «أتاني آتٍ من عندِ ربِّي فخيَّرني بينَ أن يدخلَ نصفُ أمتي الجنةَ وبين الشفاعةِ، فاخترتُ الشَّفاعةَ، وهي لمن ماتَ لا يُشْركُ بالله شيئًا». (حم) عن أبي موسى (ت حب) عن عوفِ بنِ مالكٍ الأشجعيِّ.

(أتاني آتٍ من عند ربِّي فخيَّرني بينَ أنْ يدخُل نصفُ أمَّتي الجنةَ) ولا تكون لي شفاعةٌ (وبينَ الشَّفاعةِ) يعطيني إياها، (فاخترتُ الشَّفاعةَ وهي لمن ماتَ لا يشركُ بالله شيئًا) من عصاةِ المسلمين، وفي الحديث رقم ١٧٤٤ (فاخترتُ الشَّفاعةَ لأنَّها أعمُّ وأكفى، أترونَها للمؤمنينَ المتَّقين؟ لا؛ ولكنَّها للمذنِبين الخطَّائينَ المتلوِّثينَ)، والحديثان يثبتانِ الشَّفاعةَ في العُصاة، ويردانِ على المعتزلة الذين ينكرونها ويزعمون أنَّ العاصي إذا ماتَ غيرَ تائبٍ يجب دخولُه النار.

٢٩- «أتاني آتٍ منْ عند ربِّي عزَّ وجلَّ فقال: من صلَّى عليكَ منْ أمَّتِكَ صلاةً كتبَ الله له بها عشرَ حسناتٍ، ومحَا عنهُ عشرَ سيئاتٍ، ورفعَ له عشرَ درجاتٍ، وردَّ عليهِ مثلَها». (حم ن) عن أبي طلحةَ.

(ومحا عنه عشرَ سئياتٍ) أي الصَّغائر قال الله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾[النساء: ٣١] وقال سبحانه : ﴿وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأحقاف: ١٦] وقوله: (وردَّ عليها مثلَها)، معناه أنَّ الله تعالى يصلِّي على من صلَّى على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وصلاة الله على العبد رحمته إياه.

والحديثُ يدلُّ على فضلِ النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من جهة أنَّ الله جعل للصلاةِ عليه هذا الثَّوابَ الكبيرَ، ومن جهةِ أنه تعالى يردُّ بنفسه على من

صلَّى على نبيِّه.

٣٠- «أتاني جبريل فقال: بشِّرْ أمَّتَكَ أنَّه منْ ماتَ لا يُشْرِكُ بالله شيئًا دخَلَ الجنةَ. قلتُ: يا جبريلُ، وإنْ سرَقَ وإنْ زَنَى؟ قال: نعمْ. قلتُ: وإنْ سرقَ وإنْ زَنَى؟ قال: نعمْ. قلتُ: وإنْ سَرقَ وإنْ زَنَى؟ قال: نعمْ، وإنْ شَرِب الخمرَ». (حم ت ن حب) عن أبي ذرٍّ.

(دخلَ الجنَّةَ) وإن عُذِّبَ قبل ذلك على الزِّنا والسِّرقة، (قال: نعم؛ وإن شَرِبَ الخمرَ) صريحٌ في أنَّ ارتكابَ الكبائر لا يمنعُ المؤمن منْ دخول الجنة، والحديثُ يردُّ على المعتزلة الذين يزعمون أنَّ المؤمنَ العاصي إذا ماتَ غير تائب لا يدخل الجنةَ، بل يخلَّدُ في النار، والأحاديث الدَّالة على ردِّ زعمِهم هذا متواترةٌ تفيدُ، القطعَ بأنَّ المؤمن العاصي غير التائبِ لا بدَّ أن يخرجَ من النار ويدخل الجنة.

٣١- «أتاني جبريلُ فبشَّرني أنه من ماتَ من أمَّتِكَ لا يُشرِكُ بالله شَيئًا دخلَ الجنَّةَ. فقلتُ: وإن زَنَى وإن سرقَ؟ قال: وإنْ زنَى وإنْ سرقَ». (ق) عن أبي ذر.

٣٢- «أتاني جبريلُ فقال: يا محمَّدُ، كنْ عجَّاجًا ثجَّاجًا». (حم والضياء) عن السائبِ بن خلَّادٍ.

(أتاني جبريلُ) في أيام الحجِّ (فقال: يا محمَّدُ كنْ عَجَّاجًا) أي ارفعْ صوتَك بالتَّلبيةِ ليشهدَ لكَ ما في الحرمِ منْ حصى وحَجرٍ، (ثجَّاجًا) أي أسلْ دِماءَ الإبل بنحرِها تقربًا لله تعالى.

والحديثُ يفيدُ أنَّ رفعَ الصَّوتِ بالتلبيةِ، وتقديمَ الهديِ من شَعائرِ الحجِّ، وانظر الحديث رقم ٣٧.

٣٣- «أتاني جبريلُ فقال: إنَّ ربِّي وربَّكَ يقولُ لكَ: تدرِي كيفَ رفعتُ ذكرَك؟ قلتُ: الله أعلمُ. قال: لا أُذْكَرُ إلا ذُكِرْتَ معِي». (ع حب والضِّياء) عن أبي سعيد.

(تدري كيفَ رفعتُ ذكرَك؟) أي حيثُ قال له في (سورة الشرح): ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤] (قال: لا أُذْكَرُ إلا ذُكِرتَ معِي)، في الشَّهادةِ التي هي عنوانُ الإسلام، وفي الأذانِ والإقامة وخطبةِ الجمعة وفي خطبةِ النِّكاح، والتَّشهدُ في الصَّلاة وغير ذلك. والحديثُ تفسيرٌ للآية، ويدلُّ على عِظم فضل النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

٣٤- «أتاني جبريلُ فقال: يا محمَّدُ، إنَّ الله لعنَ الخمرَ وعاصرَها ومُعتَصِرَها وشاربَها والمحمولةَ إليه وبائعَها ومبتاعَها وساقيَها ومُسقَاها». (حم حب ك) عن ابن عبَّاسٍ.

(أتاني جبريل فقال: يا محمَّدُ إنَّ الله لَعَنَ الخمرَ) أخْبَرَ هذا الحديث بلعنِ الخمر وثمانيةٍ معها وهم: عاصرُها، ومعتصرُها -أي طالبُ عصرِها- وشاربُها، ومن حُملتْ إليه ليقدِّمَها لضيوفٍ مثلًا، وبائِعُها، ومبتاعُها -أي مشتريها- وساقيها الذي يدورُ بكأسِها على الشَّاربِينَ، ومسقَاها -أي من قُدِّمتْ إليه فشربها. والحديثُ رقم ٢٩٦٨ زاد لعنَ «حاملها» وهو الذي يوصِّلها من مكانٍ إلى مكانٍ، و«آكل ثمنها»، وهو الذي يأكلُ طعامَ شخص تجارته الخمر وهو يعلمُ ذلك. والحديثان يفيدان تشديدَ الشارعِ في الخمر وأنها من الكبائر.

٣٥- «أتاني جبريلُ عليهِ السَّلامُ فقال: يا محمَّدُ، من أدرَكَ رمضانَ فلمْ يغفرْ له فأبعدَه الله، فقلتُ: آمين. ومن أدركَ والديه أو أحدَهما فدخلَ النَّارَ فأبعدَه الله. فقلتُ: آمين. ومن ذكرتُ عندَه فلم يصلِّ عليكَ فأبعدَه الله، قلْ: آمين. فقلتُ: آمين». (حب) عن مالكِ بن الحسنِ بن مالكِ بنِ الحويرثِ عن أبيه عن جدِّه (ابن خُزيمةَ حب) عن أبي هُريرةَ.

(من أدْرَكَ رمضان) وهو شهر العبادةِ وتلاوةِ القرآنِ والمسارعةِ إلى فعل الخير (فلَمْ يُغفَر لهُ) بأنْ قصَرَ فيه، ولم يغتنِمْ أيامَه ولياليه لعملِ ما يرضي الله، أو عصى الله فيه، والمعصيةُ فيه مضاعفةٌ (فأبعدَه الله) بدخول النار، كما جاء في رواية أخر (فدخلَ النَّار فقلتُ: أمين) أمَّنَ النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على دعاء جبريل لأنَّ الذي ضيعَ أيام رمضان فوَّت على نفسه فرحةَ مغفرةِ ذنوبهِ، بعد أن مكنَّه الله منها، فاستحقَّ الإبعاد.

(ومن أدْرَكَ والدَيْه) كبيرين ضعيفين (أو أحدَهما) فلم يبرهما (فدخلَ النار فأبعدَه الله) من الجنة لأنَّه لا يستحقُّها لعدم برِّه بوالديهِ وقد أمكنَه برُّهُما (ومن ذُكِرْتَ عندَهُ) يا محمَّد (فلم يُصَلِّ عليك) فخالفَ أمرُ الله حيث يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] ولم يؤدِّ شكرَ ما أسديتَ عليه من نعمةِ الهداية إلى الإسلامِ، (فأبعدَه الله) لإخلاله بواجبين كما تبين، (قلْ: آمين، فقلتُ: آمين).

لم يؤمِّنْ حتى أمرَه جبريلُ عليه السلامُ، لأنَّ هذه الخصلةَ تتعلَّق بشخصِه الكريم، وهو لشدَّة شفقتِه على أمته لا يحبُّ أنْ يُعذَّبَ أحدٌ بسببِه، فصلَّى الله

عليه ما أكرمه وما أشدَّ رأفتَه وصدق الله حيثُ يقول: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

٣٦- «أتاني جبريلُ فأمرني أنْ آمرَ أصْحابي ومنْ مَعِي أنْ يرفعُوا أصواتَهم بالإهلالِ والتَّلبيةِ». (مالك حم ٤ حب ك هق) عن السائبِ بنِ خلَّاد.

(أنْ يرفعُوا أصواتَهم بالإهلالِ) أي بتسميةِ الله عند ذبحِ الهديِ إظهارًا لمخالفة المشركين، الذين كانوا يرفعونَ أصواتَهم بأسماءِ آلهتِهم عند الذَّبح، ويؤخذُ منه مشروعيةُ إظهارِ مخالفةِ الكفَّار.

٣٧- «أتاني جبريلُ فقال لي: إنَّ الله يأمرُكَ أنْ تأمرَ أصحابَكَ أن يرفعُوا أصواتَهُم بالتَّلبيةِ، فإنَّها منْ شعائرِ الحجِّ». (حم ٥ حب ك) عن زيد بن خالد.

(فإنَّها منْ شعائرِ الحَجِّ) التَّلبيةُ قول الحاجِّ: «لبيكَ اللَّهمَّ لبيكَ، لا شريكَ لك لبيكَ، إنَّ الحمدَّ والنِّعمةَ والملكَ لا شريكَ لكَ» وشعائرُ الحجِّ: أعمالُه، كالتَّلبيةِ والهديِ والطَّوافِ والسَّعيِ، مفردُها شَعِيرَةٌ والمَشَاعرُ: مواضعُ المَناسك كعرفة ومِنىٰ ومزدلفة، واحدُها مَشْعَرٌ.

٣٨- «أتاني جبريلُ فقال: إنِّي كنتُ أتيتُكَ البارحةَ فلمْ يمنَعْني أنْ أكونَ دخلتُ عليكَ البيتَ الذي كنتَ فيه إلا أنَّه كانَ في بابِ البيتِ تمثالٌ، وكان في البيتِ قِرَامُ سِترٍ فيه تماثيلُ، وكانَ في البيتِ كلبٌ، فمُرْ برأسِ التمثالِ الذي في البابِ فليُقطعْ فيصيرُ كهيئةِ الشَّجَرةِ، ومُرْ بالسِّترِ فلْيقطعْ ويُجعلُ منهُ وسادَتينِ منتَبذَتَينِ تُوطآنِ، ومُرْ بالكَلبِ فيُخْرَجْ». (٣ حب) عن أبي هريرة.

(كانَ في البيتِ تمثالُ) التِّمثال: الصورةُ أو حجرٌ أو خشبٌ أو نحوُ ذلك،

ويؤخذ منه أنَّهم كانوا يضعون على أبواب البيوت تماثيلَ على سبيل الزخرفةِ، (**فَمُرَ برأسِ التِّمثالِ الذي في البابِ فليقطعْ فيصيرُ كهيئةِ الشَّجرةِ**) ويوخذُ منه أمرانِ:

١- أنَّ الصُّورةَ المجسمةَ تَحرُمُ بوجودِ الرَأسِ فيها، فإذا قُطعَ انتفى التَّحريمُ، وفي "معجم الإسماعيلي" من حديثِ ابن عبَّاسٍ: «**الصُّورةُ الرَّأسُ، فإذا قُطِعَ الرأسُ فلا صُورةَ**».

٢- أنَّ تصويرَ الشَّجرةِ أو ما في معناها ليس بحرامٍ، والحكمةُ في ذلك أنَّ مضاهاةَ خلق الله في تصوير ذي روحٍ أقوى وأظهرُ منها في تصويرِ شجرةٍ أو جبلٍ مما لا روحَ فيه، وأيضًا فإنَّ قدرةَ الله في خلق الحيوان أظهرُ منها في خلق الجمادِ والنَّباتِ، وأيضًا فإنَّ الرُّوحَ منْ أمر الله لا يعرفُ كنهَه أحدٌ على حقيقته ولا يدرى كيف يحلُّ في الجسم؟ ولا كيف يخرج منه؟ ولا يمكنُ تصويرُه، فكما لا يستطاع أخذ صورة له كذلك لا يجوز تصوير ما يجهل فيه من الأجسام ولهذا جاء في الحديث رقم ٩٣٠: «**إنَّ أصْحَابَ هذه الصُّورِ يعذَّبونَ يومَ القيامةِ فيقالُ لهم**» على سبيل التبكيت «**أحْيُوا ما خلقْتُم**». أي حيثُ تجرَّأتم وصنعتم الجسم الذي يحله الروح فأوجدوا فيه الروح، وبالضرورة لا يستطعيون (**ومُرْ بالسِّترِ فلْيُقطعْ ويجعلْ منه وسادتَينِ منتَبذَتينِ تُوطآنِ**).

يؤخذ منه أمران أيضًا:

١- أنَّ الصُّورة المنْقوشةَ تطريزًا على ثوبٍ تحرُمُ أيضًا.

٢- أنَّ تلك الصُّور لو وضعتْ بمكان تُمتَهنُ فيه كوسادةٍ توطَأ فإنَّها لا تحرم، (**ومُرْ بالكلبِ فيُخرَجُ**) يفيدُ الحديثُ أنَّ الملائكةَ لا تدخل بيتًا فيه صورة

أو كلبٌ، وجاء مصرَّحًا به في الحديث رقم ٤٣١٦، وسُئلتُ غيرَ مرة عن الحكمة في أنَّ الملائكةَ لا تدخل بيتًا فيه كلبٌ، ورأيتُ من علَّل ذلك بنجاسته، بدليلِ غسلِ الإناءِ من ولوغه سبع مرات، ولكنَّ نجاستَه غير متفق عليها، فهو عند المالكية طاهرٌ ما دام حيًّا، وغسل الإناء من ولوغِه تعبديٌّ عندَهم، وليس معلَّلًا بعلَّته، والذي يظهرُ لي في حكمةِ ذلك أنَّ الشيطانَ يتصوَّر في صورة الكلب والملائكة أعداء الشيطان فلا يدخولون مكانًا فيه حيوانٌ يتشكل الشَّيطان في شكلِه، وأيضًا فإنَّ الكلبَ لا يتوقىٰ في أكلِه، فيأكلُ العذرةَ والقي وسائر النَّجاسات ولو كان معتنىٰ به عند أصحابه، وفي هذا تنبيه للإنسان أنَّه إذا لم يتوقَّ في أكلِه من الحرام يكونُ منبوذًا عند الملائكةِ لا يرفعون عمله ولا دعائه، ولما كان الخنزير شبه الكلبِ في التغذي بالنَّجَاساتِ، أخبرَ النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أنَّ عيسىٰ عليه السَّلام حين ينزل آخر الزمان يقتل الدجال ويكسر الصَّليبُ، ويقتل الخنزير، وهذا ما ظهر لي والله أعلم.

٣٩- «أُتيَ اللهُ بعبدٍ منْ عبادِه آتاهُ الله مالًا، فقالَ لهُ: ماذا عمِلتَ في الدُّنيا؟ قال -ولا يكتُمُون الله حديثًا-: ياربِّ آتيتَني مالًا فكنتُ أبايعُ النَّاسَ، وكانَ من خلقي الجوازُ، فكنتُ أُيسِّرُ على الموسِرِ، وأُنظرُ المعْسِرَ. فقال الله تعالى: أنا أحقُّ بذلكَ منكَ، تجاوزُوا عنْ عبدِي». (م) عن عقبةَ وأبي مسعودٍ الأنصاريِّ.

(أتيَ الله) أي يأتي الله يومَ القيامة (بعبدٍ منْ عبادِه) وعبَّر بالماضي لتحقيقِ وقوعِه مثل ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١] القيامةُ، فلا يتيسَّر لأحدٍ أنْ يكتم حديث أو يكذب فيه (وكانَ منْ خُلقِي الجوازُ) أي التجاوزُ في معاملة النَّاس، وعدم التَّشديد عليهم، وبين التَّجاوز بقوله: (فكنتُ أيسِّرُ على الموسِرِ) لا أغالي

عليه في ثمن البضاعة وأطالبه برفقٍ (**وأنظرُ المعسرَ**) أمهلَه حتى يتيسَّر له أداء ما عليه لي (**فقال الله تعالى: أنا أحقُّ بِذلكَ**) التَّجاوز (**منكَ، تجاوَزُوا عنْ عبدِي**) كما تجاوز في معاملة عبيدي.

والحديثُ يفيدُ أنَّ الله تعالى يحبُّ الكريمَ في المعاملة، ويحبُّ ألا يكونَ التعاملُ بين الناسِ مبنيًّا على النَّاحيةِ الماديةِ فقط، بل يكون مشوبًا بمعانٍ إنسانيةٍ رحيمةٍ من تيسيرٍ على الموسرِ، وإنظارٍ للمعسرِ، ومطالبة برفقٍ، وقناعةٍ بالربحِ القليلِ.

٤٠- «أتدرُونَ منِ المفلِسُ؟ إنَّ المفلسَ منْ أمَّتِي منْ يأتي يومَ القيامةِ بصلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ، ويأتي وقد شتَمَ هذا وقذفَ هذا وأكلَ مالَ هذا وسفكَ دمَ هذَا وضربَ هذا، فيُعطَى هذا منْ حسناتِه، وهذا منْ حسناتِه، فإنْ فنيتْ حسناتُه قبلَ أنْ يقضيَ ما عليه، أخذَ من خطاياهم فطُرِحَتْ عليه ثمَّ طُرِحَ في النَّارِ». (م ت) عن أبي هريرة.

(**أتدرُونَ منِ المفلسُ**) وجَّه النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم هذا السؤال إلى الصَّحابة فأجابوه بقولهم: (**المفلسُ فينَا من لا درهمَ لهُ ولا متاعٌ**)، يعنون المفلسَ في الدنيا حسبَ المتعارفِ بين التُّجار وأصحابِ المال، فأراد أنْ يُبيِّنَ لهم مفلسًا أشد منه، وهو المفلس في الآخرة، فقال: (**إنَّ المفلسَ منْ أمَّتي يومَ القيامةِ، منْ يأتي بصلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ، ويأتي وقد شتَمَ هذا وقذفَ هذا وأكلَ مالَ هذا وسفكَ دمَ هذا وضَرَبَ هذا**)، وحاصلُه أنَّ المفلسَ في الآخرة هو الذي يكون له طاعاتٌ وعليه حقوقٌ للناس، فيتقاضى أصحابُ الحقوقِ حقوقهم من طاعاته لأنَّه ليس هناك مال، إنما التَّقاضي بالحسنات والسِّيئات.

(فإنْ فنِيتْ حسناتُه قبلَ أنْ يقضيَ ما عليهِ أخذَ من خطايَاهُم) بقدر ما بقي لهم قبله، (فطُرحتْ علَيهِ) ضمَّتْ إلى صحيفتِه، (ثمَّ طُرِحَ في النَّارِ) لأنَّ ما كانَ له من حسناتٍ أخذه أصحابُ الحقوقِ، وطرحوا عليه من خطاياهم بمقدارِ ما بقي لهم عليه فلم يبقَ له مكانٌ إلا النار، وهذا هو المفلسُ حقًا.

والحديث يفيدُ أنَّ الإنسانَ يوم القيامة لابدَّ أن يؤديَ الحقَّ الذي عليه من حسناتِه قليلًا كان الحقُّ أم كثيرًا، وثبتَ عن أمِّ سلمةَ رضي الله عنها أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعث خادمة له في حاجة، فأبطأتْ كثيرًا، فلما جاءت قال لها وهو يشير إلى عودِ آراك بيده: «**لولا مخافةُ القِصاصِ يومَ القيامةِ لأوجعتُك بهذا السِّواك**».

٤١- «اتَّقِ الله حيثُما كنتَ، وأَتْبعِ السَّيئةَ الحسنةَ تَمحُهَا، وخَالقِ الناسَ بخلقٍ حسنٍ». (حم ت ك هب) عن أبي ذرٍّ، (حم ت هب) عن معاذٍ.

(اتَّقِ الله) أي اجعلْ بينكَ وبينَ عقابِه وغَضبِه حاجزًا من التَّقوى، وهي فعلُ الطَّاعاتِ واجتنابُ المعاصِي (حيثُما كُنْتَ) أينما كنتَ، وحدَك أو مع النَّاس، سِرًّا وعلانية، (وأَتبعِ السَّيئةَ) الصغيرة (الحسنةَ تمحُهَا) لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤]، (وخالقِ النَّاسَ) عاملهم (بخلقٍ حسَنٍ) تكسبْ مودَّتَهم وثوابَ الله.

٤٢- «اتَّقِ الله ولا تحقِرَنَّ منَ المعروفِ شيئًا، ولو أنْ تُفرِغَ منْ دلْوِكَ في إناءِ المسْتَسقِي، وأنْ تَلْقَى أخاكَ ووَجْهُكَ إليه مُنبسِطٌ، وإياكَ وإسبالَ الإزارِ فإنَّ إسبالَ الإزارِ من المخِيلَةِ ولا يحبُّها الله، وإنِ امرؤٌ شتَمَكَ وعيَّركَ بأمرٍ ليسَ هو فيكَ فلا تعيِّرْهُ بأمرٍ هو فيه، ودعْه يكونُ وبالُه عليهِ وأجرُه لكَ، ولا تسبَّنَّ

أحدًا». (الطيالسيُّ حب) عن جابر بن سليمٍ الهجيميِّ.

(لا تحقِرنَّ منَ المعروفِ شيئًا) تقدمه مساعدة لأخيك المسلم، فقد يقعُ منه موقعَ الشيءِ الكبير (ولو أنْ تُفرغَ من دلوكَ في إناءِ المستَسقِي، وأنْ تلقَى أخاكَ ووجهُكَ إليه مُنبسطٌ) هذان مثلان للشيءِ اليَسير لكنَّ أثرَهما كبيرٌ، (وإياك وإسبالَ الإزارِ) أي لا تسبلْ ثوبك إزارًا أو غيره، (فإنَّ إسبالَ الإزارِ من المخِيلَةِ) وهي الكبرُ (ولا يحبُّها الله) إنَّ الله لا يحب المستكبرين (وإنِ امرؤٌ شتَمكَ وعيَّرك بأمرٍ ليسَ هو فيكَ) فكنْ كريمًا (فلا تعيِّرْه بأمرٍ هو فيهِ، ودعْه يكونُ وبالُه عليهِ وأجرُه لكَ)، يفيد أنَّ المشتومَ يكونُ مثابًا إذا لم يردَّ على الشَّاتمِ شتيمته، (ولا تسبنَّ أحدًا) يفيدُ تحريم السَّبِّ.

٤٣- «اتَّقُوا الله في البهائِمِ المعجمةِ، فاركبُوها صالحةً، وكلُوهَا صالحةً». (حم د وابن خزيمة حب) عن سهلِ بنِ الحنظليَّة.

(اتَّقُوا الله في البَهائِمِ المعجمةِ) كالإبلِ (فاركبُوها صالحةً وكلُوهَا صالحةً).

يفيدُ وجوبَ الرِّفقَ بالحيواناتِ والمحافظة على صحَّتِها، وقد سَبَقَ الإسلام الأوربيين الذين أنشأوا في آخرِ الزَّمان جمعيةَ الرِّفقِ بالحيوانِ.

٤٤- «اتَّقِ دعوةَ المظلومِ فإنَّه ليسَ بينَها وبينَ الله حجابٌ». (ت) عنِ ابن عبَّاسٍ ورواهُ (ق د ن) في حديث.

(اتَّقِ دعوةَ المظلومِ) زاد في الحديث ٥٤ (وإنْ كانتْ منْ كافرٍ)، فضرر كفره على نفسه (فإنَّه ليسَ بينَها وبينَ الله حجابٌ) كنايةٌ عن استجابتِها، وقال في الحديث رقم ٥٣: «فإنَّها تَصْعدُ إلى السَّماءِ كأنَّها الشَّرارُ» كنايةٌ عن سرعةِ قبولها، والإسلامُ يقرِّر بهذا مبدأَ العدلِ المطلقِ، فلا يُجيز للمُسلمِ أنْ يَظلمَ أحدًا مسلمًا

كان أم كافرًا، ولقد ذَهَبَ عبدالله بن رواحةَ رضي الله عنه إلى خيبر خارصًا لتَمْرِهم فشكى يهودُ خيبر إلى النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم شدةَ خرْصِه، وأرادُوا أن يرشُوه فقال لهم: يا أعداءَ الله تُطعمُوني السُّحتَ؟! والله لقدْ جئتُكم من عند أحبِّ النَّاسِ إليَّ، ولأنتُم أبغضُ إليَّ من القردةِ والخنازيرِ ولا يحملنِي بُغضي إياكُم، وحبِّي إياهُ على ألا أعدلَ، فقالوا: بِهذا قامَتِ السَّمواتُ والأرضُ.

٤٥ - «اتَّقُوا اللهَ واعدِلُوا في أولادِكُم». (ق) عنِ النُّعمانِ بنِ بشيرٍ.

(واعدلُوا بينَ أولادِكم) في العَطِّيةِ والمُعَامَلةِ، فإنَّ تفضيلَ بعضِهم على بعضٍ يورثُ بينهم حقدًا وعداوةً، ويحملهم على العقوقِ ويفكِّك روابط الأسرة، وسبب ورود هذا الحديثِ أنَّ بشيرًا نَحَلَ ولدَه النُّعمانَ نِحْلَةً، وجاء إلى النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ليشهده عليها، فسألَه: **(أكلَّ ولدِكَ نحلتَه مثلَ هذَا؟)** فقال: لا، فذكر الحديث، زاد في روايةٍ: **«أشهِدْ علَى هذا غيرِي فإنِّي لا أشهدُ على جَوْرٍ»**، وهو يفيدُ تحريمَ المفاضلةِ بينَ الأولادِ ووجوبَ معاملتِهم بالعدل، ذكرانًا وإناثًا، وقد حصلتْ مصائبُ بسببِ تفضيل الوالدين أو أحدِهما بعضَ أولادِهما، وكم من ولدٍ قتلَ أباه أو أمَّه؟ ومنهم من قتلَ أخَاه الذي فضله عليه أبوه، بله القضايا التي رفعها الإخوة في إبطال ما خصَّ به أبوهم بعض أخوتهم إلى غير ذلك.

٤٦ - «اتَّقُوا الله وصَلُّوا خمسَكم، وصُومُوا شَهرَكُم، وأدُّوا زَكاةَ أموالِكُم طيِّبةً بها أنفسُكم، وأطيعُوا ذا أمرِكم تدخُلُوا جَنةَ ربِّكُمْ». (ت حب ك) عن أبي أمامةَ.

(وصَلُّوا خمسَكُم) أي الصَّلواتِ الخَمسَ، وأضيفت إلى المسلمين لأنَّها

واجبةٌ عليهم لا انفكاكَ لهم عنها، (شهرُكم) هو رمضان (طيبةً بها أنفسُكم) أي راضيةً بدفعِها لا كارهةً ولا ضَجرةً؛ ليُثابَ عليها، فإنَّ أدَّاها كارِهًا لم يكنْ له ثوابٌ في أدائِها (وأطيعُوا ذا أمرِكُم) هو خليفةُ المسلمين إذا كانَ عادِلًا.

٤٧- «اتَّقُوا البَولَ فإنَّه أولُ ما يحاسَبُ به العَبدُ في القَبرِ». (طب) عن أبي أمامةَ.

(اتَّقُوا البَوْلَ) احترسوا من التَّنجسِ به بأن تستبرئوا بعد البَول بسَلْتِ الذَّكرِ ونثرِه ثلاثَ مراتٍ حتىٰ لا تبقىٰ قطرةُ بول في القضيبِ، ولو بقيت فيه بطل الوضوء والصَّلاة، فالاستبراءُ من البول واجبٌ، ولو أدَّىٰ إلىٰ خروجِ الصَّلاةِ عن وقتِها (فإنَّه أولُ ما يُحَاسَبُ به العبدُ في القبرِ)، لأنَّ صحةَ الصَّلاةِ التي هي عمودُ الدِّين متوقفةٌ علىٰ إتقانِ الاستبراءِ منه.

٤٨- «اتَّقُوا الظُّلمَ فإنَّ الظُّلمَ ظلماتٌ يومَ القيامةِ، واتَّقُوا الشُّحَّ فإنَّ الشُّحَّ أهلَكَ منْ كانَ قبلَكُم، حملَهُم على أنْ سَفكُوا دماءَهُم واستَحلُّوا محارِمَهُم». (حم خد م) عن جابرٍ.

(اتَّقُوا الظُّلمَ) أي لا تظلمُوا أحدًا مسلمًا كان أو كانوا (فإنَّ الظلمَ ظلماتٌ يومَ القيامةِ)، لأنَّ المسلم ينوَّر له يوم القيامة بعمله الصَّالح، فإذا ظَلَمَ أحدًا من النَّاسِ في عرضٍ أو مالٍ، غلبَ ظلمه علىٰ صالح عمله، فأطفأ نوره (واتقوا الشُّحَّ) أي اجتنبوه وهو: البُخلُ مع حرصٍ، (فإنَّ الشُّحَّ أهلَكَ منْ كانَ قبلَكُم) من أهل الكتاب، (حملَهُم على أنْ سفَكُوا دمائَهُم واستَحَلُّوا محارِمَهُم)، فتاريخُ اليَهودِ مشحونٌ بحوادثِ سفكِ الدِّماء، واستحلال المحارم في سبيل الحصول علىٰ المال والحرصِ عليه، لذا قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ

ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر: ٩]، لأنَّ شُحَّ النَّفس يؤدي إلى المهالك.

٤٩- «اتَّقُوا اللاعِنَينِ: الذي يتخلَّى في طريقِ الناسِ، أو في ظلِّهِم». (حم م د) عن أبي هريرة.

(اتَّقُوا اللاعِنَينِ) أي الأمرين اللذين يكونان سببًا في لعنِ فاعلِهما **(الذي يتخَلَّى)** يقضي حاجتَه **(في طريقِ الناسِ)** الذي يمرون عليه **(أو في ظلِّهِم)** أي أماكن الظلِّ التي يجلسون فيها كالحدائق مثلًا.

٥٠- «اتَّقُوا الملاعنَ الثلاثَ: البِرازُ في الموارِدِ، وقارعةِ الطريقِ، والظلِّ». (د هـ ك هق) عن معاذٍ.

(اتقوا المَلَاعنَ) بفتحِ الميم، جمع ملعنةٍ، **(البِرازُ في الموارد)** أي قضاء الحَاجةِ في أماكن ورود الماء كحافة العيون والآبار والتِّرع وشاطئ النَّهر **(وقارعةِ الطريقِ)** أي أعلاه.

ويؤخذ من الحديثين الحض على نظافة الشَّوارع والأماكن التي يطرقها النَّاس كالحدائق والمنتزهات وشواطئ الأنهار، وأن من وسَّخ شيئًا منها بنَجَاسةٍ جاز لعنه، وحيث جاز لعنه جاز تعزيره بما يراه الحاكم رادعًا عن هذا العمل الذي يؤذي المسلمين.

٥١- «اتَّقُوا النارَ ولو بشقِّ تمرةٍ». (ق ن) عن عديٍّ بن حاتمٍ (ك) عن ابن عبَّاسٍ (حم) عن عائشةَ.

٥٢- «اتَّقُوا النارَ ولو بشقِّ تمرةٍ، فإنْ لم تجدُوا فبكلمةٍ طيبةٍ». (حم ق) عن عديِّ بنِ حاتمٍ.

(اتقُوا النَّارَ) أي اجعلوا بينكم وبينها وقايةً من الصَّدقةِ **(ولو)** أنْ تتصدقوا

(بشقِ تمرةٍ) فإنَّها تسدُّ من الجوعِ (فإنَّ لم تجدُوا) شق تمرة (فبكلمةٍ طيبةٍ) أي فتَصدقوا بكلمة طيبة، بأنْ يُقالُ للسَائلِ: «سَهَّلَ الله لك الخير» أو ما أشبه ذلك، والكلمةُ الطَّيبةُ عند الصُّوفية أنْ يقولُ للسَائلِ: استدِنْ عليَّ، كما كان النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقولُ للسَائلِ: «**ما عندي شيءٌ، ولكنِ ابتَعْ عليَّ**»، وهذا مقامٌ عزيزٌ لا ينالُه إلَّا خواصُّ العَارفين.

وممن رأيتُه في هذا المقامِ مولانا الأستاذ الإمام الشيخ الوالد رضي الله عنه، كان يجئ إليه الشَّخصُ يطلبُ منه كسوةً أو نقودًا ولا يكونُ عنده شيءٌ فيقدِّمُ إليه الطَّعام، ويبعثني إلىٰ بعض التُّجار لاستلافِ النقودِ أو شراءِ ثياب علىٰ الحساب، ولا ينْتَهي الضيفُ من طعامه حتىٰ يقدِّم له ما طلبَ من كسوةٍ أو مالٍ، كانت هذه عادتُه مع من يطلبُ معروفَه، فما أعلم أنه ردَّ سائلًا ولقد جاءَه مرةً شخصٌ وهو راجعٌ من درس الفقهِ الذي كان يلقيه بالجامعِ الكبير، وطلب منه برنُسًا، فقال له: اتبعني، حتىٰ وَصَلَ إلىٰ البيتَ فَدَخَلَ وخلعه خلفَ الباب وسلَّمه إليه، ولم يكن عنده غيره، ولا يمكنُه الخروج إلا ببُرنسٍ، فأخلف الله عليه وعوَّضه خيرًا منه.

٥٣- «اتَّقُوا دعوةَ المظلومِ، فإنَّها تصعدُ إلى السَّماءِ كأنَّها الشرارُ». (ك والضِّياءُ في المختارة) عن ابن عمر.

٥٤- «اتَّقُوا دعوةَ المظلومِ، وإن كانتْ منْ كافرٍ، فإنَّها ليسَ دونَها حجابٌ». (حم ع والضِّياء) عن أنس.

٥٥- «اتقُوا فِراسةَ المؤمنِ فإنَّه ينظرُ بنورِ الله عزَّ وجلَّ». (تخ ت) عن أبي سعيد (الحكيم وسمويه طب عد) عن أبي أمامةَ، وحسَّنه الهيثميُّ (ابن جرير)

عن ابن عمر.

(**اتَّقُوا فِرَاسةَ المؤمنِ**) الفِراسةُ بكسرِ الفاء: التَّثبتُ والنَّظرُ، وقد تكون عاديةً تعتمد على قرائن الأحوال، وقد تكونُ وهبيةً يخلقُها الله في القلبِ فتنكشفُ له المغيباتُ وهي المرادُ هنا، وعرَّفها الكَتَّانيُّ بأنَّها مكاشفةُ اليقينِ ومعاينةُ الغَيبِ، وذَكَرَ أنَّها من مقاماتِ الإيمانِ، (**فإنَّه ينظرُ بنورِ الله عزَّ وجلَّ**) لأنَّ سوَاطعَ أنوار لمعتْ في قلبه فأدركَ بها ما غابَ عنه.

قال أبو عمرو بن نجيد، وهو محدثٌ صوفيٌّ زاهدٌ: كان شاه الكرماني حادَّ الفِراسةِ لا يخطئ، ويقول: من غضَّ بصرَه عن المَحَارمِ وأَمْسَكَ نَفْسَه عن الشَّهواتِ، وعمَّرَ باطنَه بدوامِ المراقبة، وظاهرَه باتباعِ السُّنَّة، وتعوَّدَ أكل الحَلال لم تخطئْ فِراستُه.

دخل بعضُ الصَّحابة على عثمانَ رضى الله عنه، وكان قد رأى في طريقِه امرأة تأَمَّلَ محاسنَها، فقال له عثمانُ: يدخلُ أحدُكم وآثارُ الزِّنا ظاهرةٌ على عينه، فقال له: أوحيٌ بعد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؟! فقال: لا ولكن تبصرةٌ وبرهانٌ، وفِراسةٌ صادقةٌ.

وكان الشَّافعيُّ ومحمَّدُ بن الحسنِ في المسجد الحرام فدخل رجلٌ فقال محمَّدُ ابن الحسنِ: أتفرس إنَّه نجار، فقال الشافعي: أتفرس إنَّه حدادٌ. فسألاه فقال: كنتُ قبل هذا حدادًا والسَّاعةُ أنجرُ.

وقال السَّريُّ السَّقطيُّ للجُنيدِ: تكلَّمْ على النَّاسِ. قال الجنيدُ: وكان في قلبي حشمةٌ من الكلام على الناس، فإني كنتُ أتَّهم نفسي في استحقاق ذلك، فرأيتُ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في المنام، وكانت ليلةَ جمعةٍ فقال لي:

تكلم على النَّاسِ، فانتبهتُ وأتيتُ بابَ السَّريِّ قبل أنْ أصبحَ، فدقَقْتُ عليه الباب، فقال: لم تصدقْنا حتى قيل لك؟!

فقعدَ للناس في الجامعِ بالغد، فانتشر في الناس أنَّ الجنيدَ قعد يتكلَّم على الناس، فوقف عليه غلامٌ نصرانيٌّ متنكرًا وقال له: أيُّها الشيخُ ما معنى قول رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**اتَّقُوا فِراسةَ المؤمنِ فإنَّ المؤمنَ يرى بنورِ الله تعالى**»؟، فأَطَرَقَ الجنيدُ ثمَّ رَفَعَ رأسَه وقال: أسلِمْ، فقد حَانَ وقت إسلامِك، فأَسَلَمَ الغلامُ. والحديثُ دليلٌ للكشفِ الذي يُعطاهُ الأولياءُ.

٥٦- «**اتَّقي الله يا فاطمةُ وأدِّي فريضةَ ربِّكِ واعمَلي عملَ أهلِكَ، وإذا أخذتِ مضْجعَكِ فسبِّحِي ثلاثًا وثلاثينَ، واحمدِي ثلاثًا وثلاثينَ، وكبِّري أربعًا وثلاثينَ، فتلكَ مائةٌ، خيرٌ لكِ منْ خادمٍ**». (ق د ت) عن عليٍّ عليه السَّلامُ.

(**اتَّقِي الله يا فاطمةُ**) أي دُومي على تقوى الله (**وأدِّي فريضةَ ربِّكِ**) داومي على آدائِها (**واعْمَلي عَملَ أهلِكِ**) من طبخٍ وكنسٍ ونحوَ ذلك في شئونِ بيتكِ، (**وإذا أخذتِ مضجَعَكِ**) للنَّومِ باللَّيلِ (**فسَبِّحِي ثلاثًا وثلاثينَ**) قولي: سبحانَ الله (**واحمدِي**) قولي: الحمدُلله (**ثلاثًا وثلاثين، وكبِّري**) قولي: الله أكبر (**أرْبعًا وثلاثينَ فتلكَ مائةٌ، خيرٌ لكِ من خادمٍ**).

وكانتْ فاطمةُ عليها السَّلامُ قالتْ لأبيها صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنَّها استقتِ الماء وطحنتْ بالرَّحى حتى مَجَلَتْ يداها، وشكتْ إليه تعبًا من عملِها في البيت، وسألتْه أنْ يُعطِيَها خادمًا من سبيٍ جاءَه فقال لها: «**لا أعْطِيكِ، وأدَعُ أهلَ الصُّفَّةِ لا أجدُ ما أنفقُ عليهِم**»، ثمَّ جاءَها إلى البيتِ وقال هذا الحديث،

وأخذ منه فضل أهل الصُّفَّة، وأنَّ هذا الذكر من خاصيته إذهاب التَّعب عن صاحبه.

٥٧- «**أتمُّوا الركوعَ والسجُودَ، فوالذي نفسِي بيدِه إنِّي لأراكُم منْ وراءِ ظهرِي إذا ركعْتُم وإذا سجَدْتُم**». (حم ق ن) عن أنس.

(**أتمُّوا الرُّكُوع**) بأن تكونَ ظهورُكم مستويةً مع رءوسِكم، فلا تقوِّسوا الظَّهور ولا تطأطئوا الرءوسَ، (**والسُّجودَ**) بأنْ تمكنوا جبهتكم منَ الأرضِ وترفعوا أيديكُم، بحيثُ لا تلْصِقُوا أذرعتكم بالأرضِ، (**إني لأراكُم من وراءِ ظَهرِي إذا ركعْتُم وإذا سجَدتُم**).

قال العلماءُ في معنىٰ هذا الحديثِ: أنَّ الله تعالىٰ خلقَ له صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إدراكًا في قفاه يبصرُ به مَنْ ورائه، ونقل القاضي عياض عن الإمام أحمد وجمهور العلماء أنَّ هذه الرؤيةَ رؤيةٌ بالعين حقيقةً، نقلَه النَّوويُّ في "شرح مسلم"، وهو يردُّ علىٰ المعتزلة الذين يزعمُون أنَّ المقابلةَ شرطٌ في الرؤية.

والحديثُ يفيدُ وجوبَ إتمامِ الركوعِ والسُّجودِ لأنهما ركنانِ من أركان الصلاة، وأنَّ الإمام إذا رأىٰ تقصيرًا من المصلِّين في أركانِ الصلاةِ نبَّههم إليه، وأنَّ الحلفَ جائزٌ لتأكيد أمر مهمٍّ، فإنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حلف علىٰ أنَّه يرىٰ من خلفه ليؤكدَ تحقيقَ هذه المعجزةِ، كما يفيدُ بطلانَ ما نقله ابنُ الجوزيِّ في بعض كتبه بغير ذلك، من أنه صلَّىٰ الله وعليه وآله وسلَّم قال: «**إنِّي لا أعلمُ ما خَلْفَ جِدارِي هذا**»، وقد قال عنه الحافظ ابن حجر أنه لا أصل له.

٥٨- «**أتمُّوا الصُّفوفَ، فإنِّي أراكُم خلفَ ظهرِي**». (م) عن أنس.

٥٩- «أتموا الصفَّ المقدَّمَ، ثمَّ الذي يليهِ، فما كانَ من نقصٍ فليكنْ في الصفِّ المؤخَّرِ». (حم د ن حب وابن خُزيمة والضياء) عن أنس.

(أتموا الصَّفَّ المقدَّم) وهو الصَّف الأول (فما كانَ منْ نقصٍ فليكنْ في الصَّفِّ المؤخَّرِ) أي الصَّفِّ الأخير.

يفيدُ ندبَ إتمامِ الصفوف في الصَّلاة، وفضل الصَّف الأول على ما يليه وهكذا، وفي الحديث رقم ٢٨٤٣: «كان يستغفرُ للصَّفِ المقدَّم ثلاثًا وللثاني مرةً»، وحكمة ذلك أنَّ الصَّفَ الأول يلي الإمام فيرى أفعاله، وإن حصل له سهوٌ في قيامٍ أو قعودٍ عاينَه، ثمَّ هو يدلُّ على الاعتناءِ بالصَّلاةِ والتَّبكير إليها.

٦٠- «أتيتُ بالبراقِ، وهو دابَّةٌ أبيضُ فوقَ الحمارِ ودونَ البغلِ يضعُ حافرَه عند مُنتَهى طرفِه، فركبتُ فسارَ بي حتَّى أتيتُ بيتَ المقدسِ، فربطتُ الدَّابةَ بالحلقةِ التي يربطُ بها الأنبياءُ ثمَّ دخلتُ فصلَّيتُ فيه ركعتيْنِ، ثمَّ خرجتُ فجاءَ جبريلُ بإناءٍ من خمرٍ وإناءٍ من لبنٍ، فأخذتُ اللبنَ. قال جبريلُ: أخذتَ الفطرةَ ثمَّ عرجَ بي إلى السَّماءِ الدُّنيا، فاستفتحَ جبريلُ، قيل: من أنتَ؟ قال: جبريلُ. قيل: ومنْ معكَ؟ قال: محمَّدٌ ؛ قيل: وقد أُرسِل إليه؟ قال: نعمْ. ففتحَ لنا فإذا أنا بآدمَ فرحَّبَ بي ودعا لي بخيرٍ، ثمَّ عرجَ بنا إلى السَّماءِ الثانيةِ، فاستفتحَ جبريلُ، فقيل: من أنتَ؟ قال: جبريلُ. قيل: ومن معَكَ؟ قال: محمَّدٌ. قيل: وقد بُعثَ إليه؟ قال: قد بُعثَ إليه. ففتحَ لنا، فإذا أنا بابْني الخالةِ يحيى وعيسى، فرحَّبا بي ودعَوَا لي بخيرٍ، ثمَّ عرجَ بنا إلى السَّماءِ الثالثةِ، فاستفتحَ جبريلُ، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معكَ؟ قال: محمَّدٌ. قيل: وقد أُرسِل إليه؟ قال: قد أُرسِل إليه. ففتحَ لنا، فإذا أنا بيوسفَ، وإذا هو قد أُعطيَ شطرَ الحسنِ،

فرحَّبَ بي ودعا لي بخيرٍ. ثُمَّ عُرجَ بنا إلى السَّماءِ الرَّابعةِ، فاستفتحَ جبريل، فقيل: من أنتَ؟ قال: جبريل. قيل: ومن معكَ؟ قال: محمَّد، قيل: وقد بُعثَ إليه؟ قال: قد بُعثَ إليه. ففتحَ لنا، فإذا أنا بإدريسَ، فرحَّبَ بي ودعَا لي بخير. ثمَّ عرجَ بنا إلى السَّماءِ الخامسة، فاستفتحَ جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معكَ؟ قال: محمَّد. قيل: وقد بعثَ إليه؟ قال: قد بعثَ إليه. ففتحَ لنا، فإذا أنا بهارون، فرحَّب بي ودعا لي بخيرٍ. ثمَّ عرجَ بنا إلى السَّماءِ السادسةِ، فاستفتحَ جبريلُ، فقيل: من أنتَ؟ قال: جبريل. قيل: ومن معَكَ؟ قال: محمَّدٌ. فقيل: وقد بُعثَ إليه؟ قال: قد بُعثَ إليه. ففتحَ لنا، فإذا أنا بموسَى، فرحَّب بي ودعَا لي بخيرٍ. ثم عرجَ بنا إلى السَّماءِ السابعةِ، فاستفتحَ جبريلُ، فقيلَ: من أنتَ؟ قال: جبريلُ. قيل: ومن معكَ؟ قال: محمَّدٌ. قيل: وقد أُرسل إليه؟ قال: قد أرسل إليه. ففتحَ لنا، فإذا أنا بإبراهيمَ، فإذا هوَ مستندٌ إلى البيتِ المعمورِ، وإذا هو يدخلُه كلَّ يومٍ سبعونَ ألفَ ملَكٍ ثمَّ لا يعودُونَ إليه، ثمَّ ذهبَ بي إلى سدرةِ المنتهى، فإذا أوراقُها كآذانِ الفِيلةِ، وإذا ثمرُها كالقِلال، فلما غشِيَها من أمرِ الله ما غشِيَها تغيَّرتْ فما أحدٌ من خلقِ الله يستطيعُ يصِفُها من حسنِها، فأوحى الله إليَّ ما أوحى، وفرضَ الله عليَّ في كلِّ يومٍ وليلةٍ خمسينَ صلاةً، فنزلتُ حتَّى انتهيتُ إلى موسَى فقال: ما فرضَ ربُّكَ على أُمَّتِكَ؟ قلتُ: خمسين صلاةً في كلِّ يومٍ وليلةٍ، قال: ارجعْ إلى ربِّك فاسألْه التخفيفَ فإنَّ أُمَّتَكَ لا تطيقُ ذلك، وإني قد بلوْتُ بني إسرائيل وخبرتُهم. فرجعتُ إلى ربِّي، فقلتُ: أي ربِّ، خفِّفْ عن أُمَّتي! فحطَّ عني خمسًا، فرجعتُ إلى موسى، فقال: ما فعلتَ؟ قلتُ: قد حطَّ عنِّي خمسًا، قال: إنَّ أُمَّتَكَ لا تُطيقُ ذلك، فارجعْ إلى

ربِّكَ فاسألْه التخفيفَ لأمَّتِك. فلم أزلْ أرجعُ بينَ ربِّي وبينَ موسَى ويحطُّ عنِّي خمسًا خمسًا، حتى قال: يا محمَّدُ هي خمسُ صلواتٍ في كلِّ يومٍ وليلةٍ، بكلِّ صلاةٍ عشرٌ، فتلك خمسون صلاةً، ومن همَّ بحسنةٍ فلم يعملْها كتبتْ له حسنةً، فإنْ عمِلَها كتبتْ له عشرًا، ومن همَّ بسيئةٍ ولم يعملْها لم تكتبْ شيئًا، فإنْ عملِها كتبتْ سيئةً واحدةً. فنزلتُ حتى انتهيتُ إلى موسى فأخبرتُه فقال: ارجعْ إلى ربكَ، فاسأ لْه التخفيفَ لأمَّتِك فإنَّ أمَّتَك لا تطيقُ ذلك. فقلتُ: قد رجعتُ إلى ربِّي فاستحييتُ منه». (ق) عن أنسٍ.

(أتيتُ بالبراقِ) أتاه جبريل وهو نائمٌ عند أم هانيء بنتِ أبي طالبٍ، أختِ عليٍّ رضى الله عنهما ولم تكنْ متزوجةً، فأيقظَه وقال له: اتبعْني، فوصلَ إلى البيتِ الحرامِ فشقَّ صدره الشَّريف وغسله بماءِ زمزم، ليقوىٰ علىٰ مشاهدةِ ما نوَّه الله عنه في تلك اللَّيلةِ بقولة تعالىٰ: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٨]، وقَدَّمَ جبريلُ إليه البُراق مسرَّجًا ملجمًا (وهو دابةٌ فوق الحمارِ ودون البغلِ يضعُ حافرَه عند منتهى طرفِه)، كنايةٌ عن شدةِ سرعته، فاستصعبَ عليه فقال له جبريل: أبمحمَّد تفعلُ هذا؟ فما ركبكَ أحدٌ أكرم علىٰ الله منه، فارفضَّ البراقُ عرقًا (فربطتُ الدَّابةَ بالحلقةِ التي يربطُ بِها الأنبياءُ) إذا زاروا بيت المقدس، وهذا لا يقتضي أنَّه أُسري بهم إليه في حياتِهم.

وقد طعن بعضُ الملحدين في هذه الجملة فقال: «هل ربط البراقَ لأنه خافَ أن يهربَ؟»!!، وهذا يدلُّ علىٰ جهلِه فإنَّ ربطَ الدَّابةِ ليس خوفًا من هربها ولكن لأجلِ ألَّا تتبعَه في الدخول إلىٰ بيتِ المقدسِ، ولأنَّه أخبَر أنَّ الأنبياءَ يربطون بتلكَ الحلقَة، فعملَ مثلَهم، ولأنَّ المتَّبع في العادةِ أن الرَّجلَ إذا نزل

عن دابتِه ربطَها بمكانٍ بعيدٍ عن المارَّة حتىٰ لا تزدحمَ الطريقُ، (**ثمَّ دخلتُ فصلَّيتُ فيه ركعتينِ**) يفيد أنَّ الصلاة كانتْ مشروعةً، ولكنْ لم تفرضِ الصلواتُ الخمسُ إلا في ليلةِ المعراجِ كما يأتي آخرَ الحديثِ، ووجد الأنبياء مجتمعين، وحضرت الصلاةُ فقدَّمه جبريل فصلَّىٰ بهم إمامًا، ثمَّ عرَّفه بهم جبريل عليه السلام (**ثمَّ خرجتُ**) من بيت المقدس (**فجاءَ جبريلُ بإناءٍ من خمرٌ وإناءٍ من لبنٌ**) يؤخذ منه أنَّ الضيفَ إذا نزل بمكان يقدَّم للصلاة إذا حضر وقتها، فرضًا كانت أو نفلًا، ثم يقَدَّم إليه الطَّعام.

(**قال جبريلُ: أخذتَ الفطرةَ**) أي الدِّين، والَّلبن يؤوَّل بالدين، قال تعالىٰ: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم: ٣٠] زاد في رواية: «**ولو أخذتَ الخمرَ لَغَوَتْ أمَّتُكَ**» أي لأجتَمعتْ أمتك علىٰ الغوايةِ والضَّلال، لأنَّ الخمرَ إثم وغواية ولهذا تؤول الخمر بالإثم والمعصية، (**ثمَّ عرجَ بي**) جبريل (**إلى السَّماءِ الدُّنيا فاستفتحَ جبريلُ**) أي طلب فتحَ الباب، ويؤخذ منه أنَّ السَّمواتِ أجسامٌ كثيفةٌ تحجبُ ما ورائَها، وأنَّ لها أبوابًا عليها خزنةٌ يفتحونها.

(**قيل: وقد أُرسلَ إليه؟**) يفيدُ أنَّ محمدًا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان معروفًا لأهلِ السَّمواتِ (**قال: نعم**) وزادَ في روايةِ «**قيل: مرحبًا به فلنعمَ المجيءُ جاءَ**» وهذا مع قوله: «**قيل: وقد بُعثَ إليه؟**» يدلُ علىٰ أنَّ معنىٰ «أرسل إليه»: أي دُعيَ لرحلةِ المعراجِ لأنه لا يصلُ إلىٰ السَّمواتِ وما فوقَها إلا بدعوة من الله سبحانه وتعالىٰ.

(**ففتحَ لنا، فإذا أنا بآدمَ فرحَّبَ بي ودعَا لي بخيرٍ**) وفي رواية أخرىٰ: «فقال: مرحبًا بالابن الصَّالح والنبيِّ الصَّالح، ووجد عن يمينه أسودةً وعن يسارِه

أسودةً فإذا نظر قبل يمينِه ضحكَ وإذا نظر قِبَلَ يسارِه بكىٰ، فسأل جبريلَ عن ذلك فقال: الأسودةُ التي عن يمينه نَسَمُ بنيه من أهل الجنةِ، والتي عن يساره نَسَمُ بنيه من أهل النار، فإذا نَظَرَ إلىٰ جهة يمينِه ضحكَ استبشارًا، وإذا نظر جهة يساره بكىٰ أسفًا.

(**فإذا أنا بابني الخَالة يحيى وعيسى**)، كان زكريا عليه السلامُ متزوِّجًا بخالة مريمَ أمِّ عيسىٰ عليهما السَّلامُ (**فرحَّبا بي ودعَوا لي بخيرٍ**) أي قالا له: «مرحبًا بالنبيِّ الصالحِ والأخ الصالحِ»، وهكذا قال له يوسفُ وإدريسُ وهارونُ وموسىٰ، أما إبراهيم فقال له مرحبًا بالنبيِّ الصَّالح والابنِ الصَّالح، (**فإذا أنا بيوسفَ وإذا هو قد أُعْطِيَ شطرَ الحسنِ**) أي نصفَ الحسن، أمَّا الحسن كلُّه فقد أعطيه نبيُّنا عليه الصَّلاة والسَّلام، لكن كان حسنه مصحوبًا بهيبةٍ وجلال، (**فإذا أنا بإدريسَ فرحَّب بي ودعا لي بخيرٍ**) أي قال له: مرحبًا بالنبيِّ الصَّالح والأخ الصالح، ولم يقل: الابن الصالح، مع أنه جدُّ نوحٍ الذي يعدُّ الأبَ الثاني للبشر بعد حادث الطوفان، لأنَّه كان في مقامِ التَّواضع، حيث أنَّ اللهَ رفعه مكانًا عليًّا، ومن رفعه الله لابدَّ أنْ يتواضعَ.

(**فإذا أنا بإبراهيمَ وهو مستندٌ إلى البيتِ المعمورِ**)، هو كعبةُ أهلِ السَّمواتِ، (**وإذا هو يدخلُه كلَّ يومٍ سبعونَ ألفِ ملكٍ**) للطوافِ والعبادةِ، (**ثمَّ لا يعودُون إليه**) يفيدُ كثرةَ الملائكةِ جدًّا.

وفي استقبال هؤلاءِ الأنبياء له إشاراتٌ لطيفةٌ؛ أمَّا آدم فللإشارة إلىٰ أنَّه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم سيخرجُ من مكةَ مهاجرًا ثم يعودُ إليها منتصرًا، كما خرج آدم من الجنة ثم عاد إليها.

وأمَّا يحيىٰ فللإشارةِ إلىٰ أنَّه لم يكنْ له نظير من قبل، كما لم يكن ليحيىٰ سَمِيٌّ من قبلُ، وأمَّا عيسىٰ فللإشارة إلىٰ أنه خاتمُ الرُّسلِ كما كان عيسىٰ خاتمُ رسل بني إسرائيل، وأمَّا يوسفُ للإشارةِ إلىٰ أنَّ أقاربه حسدُوه وأنه ينتصر عليهم كما حصل ليوسف مع إخوته، ولذلك قال للمشركين يوم الفتحِ: «**أقول كما قال أخي يوسفُ: لا تثريبَ عليكم اليومَ، اذهبُوا فأنتمُ الطُّلقاء**».

وأمَّا إدريسُ فللإشارةِ إلىٰ رِفْعَةِ مكانتِه كما رُفِعَ إدريسُ، وأمَّا هارون فللإشارة إلىٰ أنَّه يصير محبوبًا في قومِه كما كانَ هارونُ محبوبًا في بني إسرائيل.

وأمَّا موسىٰ فللإشارة إلىٰ أنَّه كثير الأتباعِ وله كتابُ تشريعٍ، كما أنَّ موسىٰ كذلك، مع ملاحظة الفارق بينهما.

وأمَّا إبراهيمُ فللإشارةِ إلىٰ نيلِ مقام الخلافةِ كما نالها إبراهيمُ عليه السلام، ولهذا قال صلىٰ الله عليه وآله وسل في أواخر حياته: «**لو كنتُ متَّخذًا من أمتي خليلًا دونَ ربي لأتَّخذتُ أبا بكر خليلًا، ولكنْ أخوةُ الإسلامِ، وإنَّ صاحبَكم خليلُ الله**».

(**ثمَّ ذَهَبَ بي إلى سدرةِ المنتهى**)، وهي شجرةٌ أصلها في السَّماء السَّابعة، ولا يعلمُ نهايتها إلا الله، ينتهي إليها علمُ المخلوقاتِ وعندها رأىٰ النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم جبريلَ علىٰ صورتِه الأصليةِ كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾ [النجم: ١٣ - ١٥]، والآيةُ تفيدُ وجود الجنة الآن وأنَّ سدرةَ المنتهىٰ في عالم الآخرة، (**فإذا أوراقُها كآذانِ الفِيلة**) في كبرها وعرضِها، (**وإذا ثمرُها كالقِلال**) بكسرِ القافِ: جمع قلَّةٍ، وهي إناءٌ كالجرة الكبيرة، (**فلمَّا غشيَها من أمر الله ما غشيها تغيرتْ فما أحدٌ من خلق الله**

يستطيعُ يصفُها من حسنِها).

وفي الحديث رقم ٢٢٩٧: «ثمَّ انطلق بي حتَّى انتهى بي إلى سدرةِ المنتهى فغشيَها ألوانٌ لا أدرِي ما هي». وهذا تفسير قوله تعالىٰ: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ [النجم: ١٦].

وفي الحديث المذكور: ثمَّ عرجَ بي حتى ظهرتُ بمستَوى أسمَعُ فيه صريفَ الأقلامِ» أي صوتها عند كتابة المقادير وهو مكانٌ لم يصِل إليه أحدٌ قبله، (فأوحَى الله إليَّ ما أوحَي) مما لا يمكن التَّعبير عنه لعظم قدره، (وفرضَ الله علي في كلِّ يومٍ وليلةٍ خمسين صلاةً، فنزلتُ حتى انتهيتُ إلى موسَى) في السَّماء السَّادسة (فقال: ما فرضَ ربُّك على أمَّتِك؟ قلت: خمسينَ صلاةً في كلِّ يومٍ وليلةٍ. قال: ارجعْ إلى ربِّك فاسألْه التخفيفَ فإنَّ أمَّتَك لا تطيقُ ذلكَ، وإنِّي قد بلَوْتُ بني إسرائيلَ وخبرتُهم)، سأَلَ بعضُ النَّاس مستشكلًا هذه الجملة فقال: لم اختصَّ موسىٰ بسؤاله. ولم لم يسأله إبراهيمُ؟ وتوجَّسَ أن تكونَ في الحديث دسيسةٌ إسرائيليةٌ.

والواقع أنَّ الحديثَ لا إشكال فيه ولا دسيسةَ، أمَّا أنَّ إبراهيمَ لم يسأله ولم يشير عليه بالرجوعِ؛ فلأنَّه في مقامِ التَّسليم، وأمَّا أنَّ موسىٰ سأله فلأنَّه كان صاحبَ كتابٍ وشريعة، فأحبَّ أن يعرف هل ما فرض علىٰ الأمة المحمدية مثل ما فرض علىٰ أمَّته أو أخفَّ أو أثقل؟ وأما أنه أشار عليه بالرجوعِ وطلب التخفيفَ فإنها نصيحةٌ قدَّمها لأخيه في الرسالة وأيَّدها بأنه اختبرَ بني إسرائيل وامتحنَهم فقصروا وضعفوا، ومن الطبعيِّ جدًّا أنَّك إذا قابلتَ صديقكَ وهو

مقبلٌ على أمر قد خبرته وعرفت دخائلَه؛ عرفته به وأرشدته إلى ما فيه مما يخفى عليه، وفي رواية: «**فنظرتُ إلى جبريلَ فقال لي: ارجعْ إنْ شئتَ**». (**فرجعتُ إلى ربِّي فقلتُ: أيْ ربِّ خفِّفْ عن أمَّتي، فحطَّ عنِّي خمسًا**)، يؤخذ منه حصول النَّسخُ قبل الشروعِ في العمل، وعِظم جاهِ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عند مولاه لأنَّه كلما طلب منه تخفيفًا أجابه، حتى صيَّر الخمسين خمسًا.

(**فلمْ أزلْ أرجعُ بينَ ربِّي وبينَ موسى ويحطُّ عني خمسًا خمسًا حتى قال يا محمَّدُ: هُنَّ خمسُ صلواتٍ في كلِّ يومٍ وليلةٍ بكلِّ صلاةٍ عشرٍ**)، في الثواب (**فتلك خمسون صلاةً، ومن همَّ بحسنةٍ فلم يعملْها**) لعارضٍ طرأ عليه، لا رغبةَ عنها (**كُتبتْ له حسنةً**)، حسب همه ونيته (**فإنْ عملَها كُتبتْ له عشرًا**) قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠]، وتضعيفُ الحسنةِ إلى عشرةٍ من خصوصياتِ هذه الأمة إكرامًا لنبيِّها صلَّى الله عليه وآله وسلَّم. (**ومنْ همَّ بسيئةٍ ولم يعملْها لم تكتبْ عليه فإنْ عملها كتبتْ سيئةً واحدةً**) لا تضاعفُ كالحسنة، وهذا من كرمِ الله تعالى وفضلِه عليها، لكنْ تضاعفُ السَّيئةُ إن انضمَّ إليها ما يقتضي التضعيف، كأنْ تقعَ في مسجدٍ أو في الحرمِ المكيِّ أو المدنيِّ أو في أوقاتٍ فاضلةٍ كرمضانَ ونحوِ ذلك، (**فقلتُ: قد رجعتُ إلى ربِّي فاستَحْييتُ منهُ**).

قد يقال: كيف يستحيي من الله وهو سبحانه واسعُ الكرمِ والجود، يحب الملحِّين في سؤاله، لأنه لا يحفيه سؤال، ولا يثقلُ عليه طلب؟

والجواب: أنَّه لم يستحي من الله من جهةِ سعةِ جودِه، ولكن من جهة أنَّ

الرجوعَ إليه في خفضِ الصَّلوات من خمسٍ إلى أقلَّ منها، يقتضي التقصير في فرائضِ الله يجبُ التَّخفُّفُ منها إلى أقلِّ حدٍّ ممكنٍ، فالاستحياءُ مبعثُه مخافةُ التقصير لا غيرُ، والحديثُ يدلُّ على أهميةِ الصَّلاة، لأنَّها فرضتْ على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في مكانٍ سمع فيه صريفَ الأقلام دون غيرِها من الفرائض التي نزل الأمر بها إلى الأرضِ.

٦١- «أتيتُ بمقاليدِ الدنيا علي فرسٍ أبلقَ، جاءني به جبريلُ، عليه قطيفةٌ من سُندسٍ». (حم حب والضياء) عن جابر .

(أتيتُ بمقاليدِ الدُّنيا) المقاليدُ: جمع إقليدٍ بكسرِ أوله، وهو المفتاح **(على فرسٍ أبلقَ)** فيه سوادٌ وبياضٌ، **(جاءني به جبريلُ عليه قطيفةٌ من سندسٍ)**، وتلك المقاليدُ عبارةٌ عن مفاتيحِ البلادِ التي فُتحتْ بعدَه عليه الصَّلاة والسَّلام ودخلها الإسلامُ؛ كالشَّام ومصرَ والعراقِ وفارسَ إلى الهندِ والصِّينِ شرقًا، ثمَّ ليبيا وما بعدها إلى جبال البرانس غربًا، والحديثُ يفيدُ معجزةً حيثُ أخبرَ باتساعِ رُقعة الإسلام وشموله لمعظم بلاد العالم، فوقعَ كما أخبر.

٦٢- «اثنان خيرٌ من واحدٍ، وثلاثةٌ خيرٌ من اثنينِ، وأربعةٌ خيرٌ من ثلاثةٍ، فعليكم بالجماعةِ فإن الله لن يجمعَ أمَّتي إلا علَى هُدَى». (حم) عن أبي ذر.

(اثنان خيرٌ من واحدٍ) لأنَّ في الاثنينِ من القوةِ وتضافرِ الرأي ما ليس في الواحد، **(وثلاثةٌ خيرٌ من اثنين، وأربعةٌ خيرٌ من ثلاثةٍ فعليكُم بالجماعةِ)**، وإياكم والفرقة **(فإنَّ الله لنْ يجمعَ أمَّتي)** التَّعبير بأمتي يفيد أنَّ هذا من خصوصياتِها دون الأمم السَّابقة **(إلَّا علَى هُدى)** يفيد حجِّية الإجماع، لأنَّه إذا كانت الأمة لا تجتمع إلا على هدى، والهدى يجبُ اتباعه كان اجتماعها على أمر

يجب اتباعه، وهذا معنىٰ حجِّيةِ الإجماع، والمرادُ بالأمةِ الخواصُّ منها وهم العلماء أصحابُ الرأي والاجتهاد، أمَّا العوامُّ فلا يكونُ اجتماعُهم حجَّةً، لأنَّهم لا رأي لهم يعتدُّ به، بل هم أتباعُ كلِّ ناعقٍ.

٦٣- «اثنانِ لا تجاوزُ صلاتُهما رءوسَهما؛ عبدٌ أبقَ منْ مواليهِ حتَّى يرجِعَ، وامرأةٌ عَصَتْ زوجَها حتَّى ترجِعَ». (طس ك) عن ابن عمر.

(**اثنانِ لا تجاوزُ صلاتُهما رُءُوسَهما**) أي لا ترفعُ، وعدمُ رفعِها كناية عن عدم قبولها، (**عبدٌ أبقَ من مواليه حتَّى يرجعَ**) إليهم (**وامرأةٌ عصتْ زوجَها حتَّى ترجعَ**) في طاعته.

٦٤- «اثنانِ يكرهُهما ابنُ آدمَ: يكرهُ الموتَ؛ والموتُ خيرٌ له من الفتنةِ، ويكرهُ قلَّةَ المال، وقلَّةُ المالِ أقلُّ للحسَابِ». (ص حم) عن محمود بن لبيد.

(**يكره الموتَ، والموتُ خيرٌ له من الفتنةِ**) الكفر أو الضَّلال (**ويكره قلَّةَ المال**) حيثُ تمنعه عن كثيرٍ من أغراضِه، (**وقلةُ المالِ أقلُّ للحسابِ**) في الآخرة، حيثُ يُحاسب علىٰ النَّقير والقطمير، فكلما كثر ماله كثر حسابه.

٦٥- «اثنتانِ في الناسِ هما بهم كفرٌ: الطعنُ في الأنسابِ والنِّياحةُ على الميتِ». (حم م) عن أبي هريرة.

(**اثنتانِ في الناسِ هما بهم كفرٌ**) عمليٌّ، لأنَّهما كانتا من عملِ الكفارِ في الجاهليةِ: (**الطعنُ في الأنسابِ**) بقصدِ ذمِّ الشَّخص وإهانتِه، وهو كبيرةٌ يصدق عليه قول الله تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٨٥]، ونسبُ الشَّخصِ لا

كسبَ له فيه فلا تجوزُ أذيتُه به، نعم؛ لو كان الطَّعنُ في النَّسبِ لمصلحةٍ كأنْ أُلصقَ شخصٌ بأهل البيتِ ليتمتع بمزاياهم، أو بغنيٍّ ليرثَ مالَه بغيرِ حقٍّ، أو نحو ذلك؛ لم يكن من عملِ الكفار بل هو حينئذٍ واجبٌ، **(والنِّياحةُ على الميتِ)** وهو كبيرةٌ من عمل الجاهلية أيضًا لأنَّها تقتضي عدم الرِّضا بقضاء الله وقدره، وفي الصحيحين عن أمِّ عطية رضي الله عنها قالت: أخذَ علينا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عند البيعةِ ألَّا ننُوحَ.

٦٦- «اجتمعُوا على طعامِكم واذكرُوا اسمَ الله عليه يبارَك لكُم فيه». (حم د ه حب ك) عن وحشي بن حربٍ.

(اجتَمِعُوا على طَعامِكُم) وهذا الأمر للنَّدبِ لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ [النور: ٦١]، **(واذكروا اسمَ الله عليه يُبارَك لكُم فيهِ)**، إذا اجتمعتم عليه وسميتم الله، لأنَّ الشخصَ إذا لم يسمِّ الله على أكلِه؛ أكلَ معه الشَّيطانُ، فنزعت البركةُ من طعامِه، بخلاف ما لو سمى الله، فإن الشَّيطانَ لا يأكل معه؛ فتحصلُ البركةُ في طعامه.

٦٧- «اجتنبُوا السَّبعَ الموبقاتِ: الشركُ بالله، والسِّحرُ، وقتلُ النفسِ التي حرَّم الله إلا بالحق، وأكلُ الرِّبا، وأكلُ مالِ اليتيمِ، والتولِّي يومَ الزَّحفِ، وقذفُ المحصناتِ الغافلاتِ المؤمناتِ». (ق د ن) عن أبي هريرة.

(السَّبعُ الموبقاتُ) أي المهلكاتُ لعِظم إثمِها **(الشركُ بالله)** يصحُّ فيه وفي المعطوفاتِ عليه النَّصبُ على البدلية من «السَّبع» والرَّفع على الاستئنافِ، والشركُ: اعتقادُ شريكٍ مع الله، كاعتقادِ المشركين في الأصنامِ أنها آلهةٌ، واعتقاد

النَّصارىٰ في المسيح أنه ابنُ الله أو ثالثُ ثلاثةٍ، واعتقاد اليهود أنَّ عزيرًا ابن الله ونحو ذلك، (**والسِّحرُ**) تعلمًا وتعليمًا وعملًا، وهو كفرٌ كما يقتضيه القرآنُ ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

لكن رأيتُ الكشناويَّ نقل عن بعضِ العلماء أن تعلُّمَه فرضُ كفايةٍ، ليردَّ به علىٰ بعض مدَّعي النبوةِ الذي يستعينون علىٰ استغفال عقول العامةِ بخوارقَ سحريةٍ، وكذلك بعض مدَّعي الولايةِ والقطبانية الكبرىٰ يأتون بأشياءَ سحريةٍ يعتقدها العامةُ كراماتٍ.

(**وقتلُ النَّفسِ التي حرَّم الله إلا بالحقِّ**) وهذا أكبر المعاصي بعد الكفر، والحقُّ الذي يجوزُ لأجله قتلُ النفس ثلاثةُ أشياءَ: رجل ارتدَّ عن دينه، ورجل زنا بعد إحصانٍ، ورجل قتل نفسًا عمدًا فيُقتل بها قصاصًا، انظر الحديث (رقم ٤٤٥٣).

(**وأكلُ الرِّبا**) فإنَّه محارَبةٌ لله ورسوله قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧٨ - ٢٧٩]، وأغلبُ الآفاتِ التي تصيبُ الزروع والثِّمار سببها محاربة الله لأصحابها الذين يتعاملون بالرِّبا وأكل مال اليتيم، قال تعالىٰ: ﴿يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ [النساء: ١٠]، وقيدت الآيةُ أكلَ مال اليتيم بكونه ظلمًا لأنَّ القيم عليه إذا كان فقيرًا وأكل منه بالمعروفِ فلا أثم عليه، (**والتَّولِّي يومَ الزَّحفِ**) أي الفرارُ من القتال إذا كان الكفار ضعف المسلمين قال تعالىٰ: ﴿إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ﴾ هربًا منهم ﴿وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ﴾ فرارًا منهم ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ﴾ أي يري

الكفار أنَّه فارٌّ منهم وهو ينوي قتالهم في جهة أخرىٰ أمكن وأصلح ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ من المسلمين ابتعد عنهم ﴿فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ﴾ الآية [الأنفال: ١٥ - ١٦]، **(وقذفُ المحصناتِ الغافلاتِ)** عن المعاصي **(المؤمناتِ)** يفيدُ أنَّ قذفَ الكافرةَ بالزِّنا ليس بكبيرةٍ.

٦٨- «اجتنبُوا الخمرَ فإنَّها مفتاحُ كلِّ شرٍّ». (ك هب) عن ابن عبَّاسٍ.

(اجتَنبُوا الخمْرَ) لا تشربوها **(فإنَّها مفتاحُ كلِّ شرٍّ)** لأنَّها تُفقدُ شاربَهاعقلَه، وإذا فقد عقلَه لم يمتنعْ عن أيِّ عملٍ قبيحٍ.

٦٩- «اجتنبُوا هذه القاذوراتِ التي نَهى الله عنْها، فمنْ ألم بشيءٍ منها فليسْتَترْ بسترِ الله وليتُبْ إلى الله، فإنَّه من يُبدِ لنا صفحتَه نُقِمْ عليه كتابَ الله». (ك هق) عن ابنِ عمرَ.

(اجتنبوا هذهِ القاذروات، التي نَهى الله عنْها) كالزِّنا والخمر واللواط، وسُمِّيتْ قاذوراتٍ لاستقباحِها ونفور ذوي العقول منها كنفرتِهم من النَّجاساتِ القذرة. سئُلَ أعرابيٌّ: هل تحبُّ إتيانَ الغلمانِ؟ فقال: أنا أبتعِدُ عن النَّجاسة في الطريق فكيفَ آتيها في وكرِها؟!

(فمن ألمَّ بشيءٍ منها فلْيستَترْ بسترِ الله)، ولا يفضحْ نفسَه بالجهرِ بها، **(وليتبْ إلى الله)** فورًا **(فإنَّه منْ يُبْدِ لنَا صفحتَه)** أي يظهر شيئًا من هذه القاذورات التي ألم بها **(نُقِم عليهِ كتابَ الله)** أي الحدَّ الذي أوجبَه الله في القرآنِ.

ويؤخذُ من الحديثِ أنَّ الحاكم ليس له أنْ يبحثَ عن دخائلِ الناسِ ليعرفَ من يرتكبُ المحرماتِ منهم، وإنما عليه إذا ثبت علىٰ أحدٍ من الرَّعايا

بطريقٍ مشروع أنه ارتكب ما يوجبُ الحدَّ أقامه عليه.

٧٠- «اجعَلُوا آخرَ صلاتِكم بالليلِ وِتْرًا». (ق د) عن ابنِ عمر.

(**اجعَلُوا آخرَ صلاتِكُم بالليلِ وِتْرًا**) فإذا قام الشَّخصُ يتهجَّدُ بالليل صلَّىٰ ركعتينِ ركعتينِ، حتىٰ إذا قربَ طلوعُ الفجرِ ختم تهجُّدَه بركعة الوتر، فإن لم يقم أو خشي ألا يقومَ صلَّىٰ الوتر قبل أن ينامَ.

٧١- «اجْعَلُوا مِنْ صلاتِكم في بيوتِكم ولا تتَّخِذُوها قبورًا». (حم ق د) عن ابن عمر.

(**اجعلوا مِنْ**) بكسر الميم وسكون النون، أي: بعض (**صلاتِكم**) وهي النوافلُ (**في بيوتكم ولا تتخِذُوها قبورًا**) لأنَّ القبرَ لا يصلِّي ساكنُه فيه، فالذي لا يصلِّي في بيتِه نوافلَ من الصَّلاةِ يكون كميت في قبر. ومن استنبط من الحديث منع الصلاة في المقبرةِ أخطأ في فهمه.

٧٢- «اجعلُوا بينكُم وبينَ الحرامِ سترًا من الحلالِ، من فعلَ ذلكَ استبرأَ لعرضِه ودينِه، ومن أرتعَ فيه كانَ كالمرتعِ إلى جنبِ الحِمَى يوشكُ أن يقعَ فيه، وإنَّ لكلِّ ملِكٍ حمى، وإنَّ حمى الله في الأرضِ محارِمُه». (حب طب) عن النعمان بن بشير.

(**اجعَلُوا بينكم وبينَ الحرامِ سترًا من الحَلالِ**) بأن تتركوا شيئًا من الحلال ليكون حاجزًا بينكم وبين الوقوعِ في الحرام، فالأكلُ طولَ الَّليل في رمضان جائزٌ إلىٰ أذانِ الفجر، لكن ينبغي للصَائمِ أن يمتنعَ عن تناولِ المفطرات قبل الفجرِ بدقائقَ؛ تكونُ تلك الدَّقائقُ حاجزةً بينه وبينَ الأكلِ بعد الفجر لو

استمرَّ في أكله، ولو فرضَ القاضي للقيِّم الفقير في مال اليتيم دينارًا في الشَّهر مثلًا، فينبغي له أن يتركَ منه درهمًا لأنَّه إذا استوعبَ الدِّينارَ كلَّه، امتدتْ يدُه إلى دينارٍ آخرَ فوقع في الحرام.

(**مَنْ فعلَ ذلكَ**) أي ترك بعض الحلال كدرهمٍ من دينارٍ وإمساك دقائق قبل الفجر في رمضان (**استبرأَ لدِينِه**) بأن تأكد أنَّه لم يقع في الحرام، (**وعِرضِه**) فلم يتهمَّه أحدٌ بما يثلُم عرضَه، (**ومن أرتعَ فيه**) أي استوفى الحلال كلَّه ولم يدعْ منه شيئًا يقيه من الحرام (**كانَ كالمرتِع**) كالشخصِ المرتعِ غنمَه (**إلى جنبِ الحِمى**) بكسر الحاء، وهو المكان المحظورُ الذي حظره أصحابُه (**يوشِكُ**) يقرب (**أن يقعَ فيه**) بإن ترعى غنمه داخله (**وإن لكلِّ ملكٍ**) من ملوك الدنيا (**حمى**) مكان يحميه ويمنعه من أفرادِ الرَّعية، (**وإنَّ حمى الله في الأرضِ محارِمُه**) معاصيه التي حظرَها ونهى عبادَه عن قربانِها.

شبَّه المحرماتِ بالأرضِ التي يحمِيها الملكُ، وشبَّه المستوعبَ للحلال بالمرتعِ حول الحمى القريبِ من الوقوع فيه، وهو تشبيه بليغٌ، يفيد الحضَّ على ترك بعض الحلال اتقاءً للوقوع في الحرام، وهذا المعنى يفيده أيضا الحديث (رقم ٤٤٣٣).

٧٣- «**أجِلُّوا الله يَغْفِر لكُمْ**». (**حم ع طب**) **عن أبي الدرداء**.

(**أجلِّوا**) بتشديد اللام أي عظِّموا (**الله**) باستعظامِ ارتكابِ معاصيه (**يغفر لكُم**) ما اقترفتمُوه من الصغائرِ.

أخذ بعضُ العلماءِ -كالتقي السُّبكيِّ- من هذا الحديثِ أنَّ الذنوبَ كلَّها

كبائرُ ليس فيها صغائرُ، لأنَّ مقتضىٰ إجلال الله ألا تكونَ معصيتُه صغيرةً.

لكن ثبتتِ التفرقةُ بين الذنوبِ في مثل قوله تعالىٰ: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١]، ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ [النجم: ٣٢] قال الجمهور: ويتحققُ إجلال الله معَ ارتكاب الكبيرة بالنَّدمِ عليها وسرعة الرجوع عنها وصدق اللجوءِ إليه في غفرانها.

٧٤- «أجِيبُوا هذهِ الدعوةَ إذا دعيتُم لها». (ق) عن ابنِ عمر.

(**أجِيبُوا هذه الدعوةَ إذا دعيتُم لها**) يعني وليمةَ العُرسِ كما يأتي في الحديث رقم ٢١٦: «**إذا دُعي أحدُكُم إلى الوليمةِ فليَأتِها**»، وفي الحديث رقم ٢١٧: «**إذا دُعِي أحدُكُم إلى وليمةِ عرسٍ فليُجِبْ**»، وهذه الأحاديثُ تفيدُ وجوبَ إجابةِ دعوةِ الوليمة، وحكمة ذلك مشاركةُ أهل العرسِ في فرحهم وتكثير شهودِ الزَّواج.

٧٥- «أجِيبُوا الدَّاعي ولا تردُّوا الهديةَ ولا تَضرِبُوا المسلمينَ». (حم خد طب هب) عن ابن مسعود.

(**أجِيبُوا الدَّاعي**) إلىٰ وليمةٍ أو غيرِها، لأنَّ إجابة الدَّعوةِ حقٌّ للمسلمِ علىٰ أخيه، كما في الحديث رقم ١٦٢١، وفي الحديث رقم ٢٢٢: «**إذا دُعِيتُم إلى كراعٍ فاجيبُوا**»، وهذا يفيدُ تأكيد وجوبِ إجابةِ الدعوة ولو كان الطعام قليلًا، بل ولو لم يأكل للحديث رقم ٢٢١، «**إذا دُعِيَ أحدُكُم إلى طعامٍ فليُجِبْ فإنْ شاءَ طَعِمَ وإنْ شاءَ لم يَطعَمْ**».

(**ولا تردُّوا الهدية**) لأنَّ ردَّها يكسرُ خاطرَ مهديها، وربما يحدثُ عنده حقدًا

على من ردَّها عليه (ولا تضربُوا المسلمين) أي لا يجوزُ لكم ضربُ المسلمين إلا في حدٍّ شرعي، وانظر الحديث رقم ٢٤٥٨.

٧٦- «أحبُّ الأعمال إلى الله الصَّلاة لوقتِها، ثمَّ برُّ الوالدينِ، ثمَّ الجهادُ في سبيل الله». (حم ق د ن) عن ابن مسعود.

(**أحبُّ الأعمال إلى الله الصَّلاةُ لوقتِها**) أي في وقتِها المقدَّر لها شرعًا، لأنَّها تشمل على عدَّة عبادات؛ تلاوةِ القرآنِ وركوعٍ وسجودٍ وتكبيرٍ وتسبيحٍ وتهليل وتحميدٍ وشهادةٍ وصلاةٍ على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ودعاءٍ، (**ثمَّ برُّ الوالدينِ**) وهذا موافق للقرآن: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣] لأنهما ربَّيا ولدهما وتولَّيا شئونه حتى ميَّز بين يمنيه وشماله، وعرف قبيله من دبيره، (**ثمَّ الجهادُ في سبيلِ الله**) لأنَّه يردُّ عاديةَ الكفَّارِ، ويؤمِّنُ دارَ الإسلام ويبلِّغُ دعوتَه لبعضِ العقول التي لا تفقَه الحجَّةَ ولا تعرفُ البرهانَ.

٤ - تعليقاتٌ على كتابِ

«المتْجَرِ الرَّابحِ في ثوابِ العملِ الصَّالحِ»

للحافظِ شرفِ الدِّينِ الدِّمياطِيِّ (ت٧٠٥)

(يُطبَع لأوَّل مرَّة)

بسم الله الرحمن الرحيم

أبوابُ العلم(١)

$\frac{1}{1}$ يعني بذلكَ ما كانَ يقسمُه على المسلمينَ من أموال الخمُسِ وما في معناه. ولهذا أخرجَه البُخاريُّ في كتابِ الخمُسِ أيضًا، ومسلمٌ في كتابِ الزَّكاة.

وقوله: «**ولنْ يزالَ أمرُ هذهِ الأمَّةِ مستقيمًا**» يعني طائفةً منها، بدليل: «**لا**

---

(١) هذه تعليقاتٌ على كتاب "المتجر الرَّابح في ثواب العمل الصالح" للحافظ شرف الدين الدمياطي، كتبها العلَّامةِ سيدي عبدالله بنِ الصِّدِّيق الغُماريِّ، ووُجِدت مخطوطةً بخطِّه. وقد أرسلَ إليَّ الشَّريفُ الماجدُ سيدي عبدالمغيث بنُ عبدالعزيز بن الصِّديق - وفَّقَه الله وحفظَه- صورةً من المخطوطِ تحتوي على تعليقاتٍ في مائةِ ورقةٍ، وهي مرقَّمةٌ على أرقامِ الأحاديثِ في كلِّ بابٍ، وقد وَصَلَ العلَّامةُ الغُماريُّ فيه إلى الحديث رقم (٩٦) من كتاب البر والصِّلة، ولزيادة النَّفعِ بالكتاب ألحقْنا الرقمَ المسلسل للحديثِ بالكتابِ أسفلَ الرقم الأصليِّ فمثلًا ($\frac{10}{15}$) رقم (١٠)؛ أي البسط الذي أعلى الخطِّ، هو رقمُ الحديثِ بترقيمِ السيدِ عبدالله بن الصِّدِّيق، والرقم الذي أسفل الخط (١٥)؛ يعني المقامَ، هو رقم الحديث في طبعةِ الكتاب بتعليقِ الدكتور عبدالملك بن دهيش، وهي التي كان أصدرها صديقُنا الفاضل الشيخ عبدالشكور فدا الكشميريُّ المكيُّ الكتبيُّ المعروف رحمه الله تعالى، فأصل العمل -كما تقدم- كان بالاتفاق بين شيخِنا الغُماريِّ والشيخِ عبدالشكور فدا، فصورةُ المخطوطِ أحضرتْ بواسطةِ الحافظِ السَّيد أحمدَ بن الصِّدِّيق، مع صورٍ أخرى، وبعد أن قطعَ شيخُنا شوطًا كبيرًا في نسخِ الكتابِ والتَّعليق عليه، حالتْ ظروفُ محنتِه في مصرَ عن إتمامِ العملِ، والله المستعان.

وكتب: محمود سعيد بن محمد ممدوح، غفر الله له وللمسلمين .

تزال طائفةٌ من أمَّتي ظاهرينَ على الحقِّ لا يضرُّهم من خالفَهم حتَّى يأتي أمر الله» وهو حديثٌ صحيحٌ، بل صرَّح بتواترِه ابنُ تيميةَ في كتابه: "اقتضاء الصِّراطِ المستقيمِ مخالفةَ أصحابِ الجحيمِ".

واستوفى طرقَه شقيقُنا أبو الفيض في جزءٍ: "الأجوبة الصَّارفة عن إشكال حديثِ الطائفة" وأخذَ منه البخاريُّ وابنُ دقيق العيدِ بقاءَ الاجتهادِ إلى قربِ قيام السَّاعة، وهو الحقُّ.

أمَّا المتأخِّرون الذين أغلقُوا بابَ الاجتهادِ، وأوْجبُوا التَّقليدَ فلم يأتوا بشيءٍ يساوي سماعَه، بَلْهَ أنَّهم سجَّلوا على أنفسِهم عدمَ أهليتِهم للتَّدليل؛ لأنَّ المقلِّدَ عاميٌّ كما تقرَّر في الأصول.

$\frac{2}{2}$ بقيةُ الحديثِ عند الطبَرانيِّ: «**إنَّما النَّاسُ رجلانِ مؤمنٌ وجاهلٌ فلا تؤذُوا المؤمنَ، ولا تُحاوِرُوا الجاهِلَ**» وفي إسناده: إسحاقُ بن أَسِيد -بكسر السين- الأنصاريُّ المروزيُّ، ضعيفٌ.

والصحيحُ -كما قال المؤلِّف- أنه من قول مُطَرِّف بنِ عبدالله بن الشِّخِّير، كذلك رواهُ عنه البيهقيُّ بإسنادٍ صحيحٍ. «تحاوَرُوا» بالمهملةِ، من المحاورةِ وهي المجادَلةُ.

$\frac{3}{3}$ حسَّن المؤلِّفُ هذا الحديثَ تبعًا لشيخِه الحافظِ المنذريِّ، وإنْ كانَ في سنده عبدالله بنُ عبدالقدوس التميميُّ السَّعديُّ، ضعَّفه ابنُ مَعينٍ والنَّسائيُّ والدَّارَقُطنيُّ، لكن وثَّقه محمَّدُ بن عيسى بن الطباع وابن حِبَّان، وقال البخاريُّ: «هو في الأصلِ صدوقٌ إلا أنه يروي عنْ قومٍ ضعافٍ».

وورد عن أبي هريرة، وابن عبَّاسٍ، مرفوعًا: «**العلمُ خيرٌ من العبادةِ ومِلاكُ الدِّينِ الوَرَعُ**»، وقال ابنُ أبي شيبةَ: ثنا وكيعٌ، ثنا سفيانُ، عن عمر بن قيس المُلائيِّ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**فضْلُ العِلْمِ خيرٌ من فضْلِ العبادةِ ومِلاكُ الدِّينِ الوَرَعُ**». هذا مرسلٌ صحيحُ الإسنادِ.

فتحسينُ المؤلِّفِ صوابٌ.

$\frac{4}{4}$ نَقَلَ المؤلِّفُ تحسينَ الحديثِ عنِ ابن عبدالبرِّ، ثمَّ قالَ: «ولعلَّه أرادَ الحسن اللَّفظيَّ، لا الحسنَ المصطلحَ عليه».

قلت: كلامُ ابنِ عبدالبرِّ صريحٌ في ذلك، فإنه قال: هو حديثٌ حسنٌ جدًّا، ولكنْ ليس له إسنادٌ قويٌّ، وكيف يقصدُ الحسنَ الاصطلاحيَّ وهو يرويه من طريق عبدالرحيم بن زيد العَمِّي، وهو ضعيفٌ جدًّا؟! ثمَّ رواه موقوفًا علىٰ معاذٍ والموقوفُ أشبهُ، وإن كان لا يصحُّ مرفوعًا ولا موقوفًا.

$\frac{6}{6}$ تفردَ به ابنُ ماجه عن السِّتةِ، وإسناده ضعيفٌ؛ عليُّ بن يزيد هو الألهانيُّ؛ ضعيفٌ.

$\frac{8}{8}$ أُوِّلَ الحسدُ في الحديثِ بالغِبْطةِ لوجهين:

الأول: لحديثِ: «**إنَّما الدُّنيا لأربعةِ نفرٍ: عبدٍ رَزقَه الله مالًا وعِلمًا فهو يتَّقي فيه ربَّه، ويصلُ فيه رحمَه ويعلَمُ لله فيه حَقًّا، فهذا بأفضلِ المنازِلِ، وعبدٍ رزَقه الله علمًا ولم يرزُقْه مالًا فهو صادقُ النِّيةِ، يقول: لو أنَّ لي مالًا لعملتُ بعملِ فلانٍ، فهو بنيتِه فأجرُهما سواءٌ**» الحديث، صحَّحه الترمذيُّ من حديثِ أبي كبشةَ وهو صريحٌ في الغِبطةِ.

الثاني: أنَّ الحَسَد تمنِّي زوال النِّعمة عن المحسودِ، وهذا لا يجوزُ أبدًا بحال.

$\frac{9}{9}$ المراد بالعلماءِ في هذا الحديث ونحوِه: المجتهدُون، لأنَّ بهم تقومُ الحجَّةُ، بعد الأنبياءِ، ولهذا كانوا ورثتَهُم، ولأنَّ الأنبياءَ ورَّثُوا العِلمَ الذي هو الوحيُ وهو الحجَّةُ، فالتَّقليدُ ليس بعلمٍ، والمقلِّدونَ ليسُوا بعلماء.

$\frac{11}{11}$ قوله: «**وما وَالَاهُ**» إمَّا من المولاةِ بمعنىٰ المحبَّة أي: إلا ذكر الله وما أحبَّ الله من الأعمال غيرَ الذِّكرِ، أو منَ المولاةِ بمعنىٰ المجانسةِ، أي: إلا ذكر الله وما والاه أي جانسهُ من كلِّ كلامٍ طيبٍ كمخاطبةِ النَّاس بالحسنىٰ المأمورِ بها في قوله تعال: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]، أو من الموالاةِ بمعني المتابعة أي: إلا ذكر الله وما والاهُ، أي: تابعَه في كونِه يَستجلبُ رضَا الله وهو سائر الطاعاتِ.

$\frac{15}{15}$ قوله: «**إذا قعدَ علَى كُرسيِّه لفصْلِ عبادِه**» هذه اللفظةُ ليستْ في جميعِ طرقِ الحديثِ، وإسنادُ هذا الطريق فيه رجال تُكلِّم فيهم وإن وُثِّقوا، ولهذا قال الحافظ الهيثميُّ: «رجاله موثَّقون»، فإطلاقُ المؤلفِ علىٰ هذا الطريقِ أنَّه جيدٌ فيه تساهلٌ، ثمَّ إن صحَّتْ هذه اللفظةُ فتجري علىٰ ظاهرِها، مع اعتقادِ تنزيهِ الله عن مشابهةِ المخلوقاتِ.

$\frac{18}{18}$ المرادُ بالفقيهِ العالِمِ بالكتابِ والسُّنَّة، وهو المجتهدُ كما سبقَ، وروح بن جناح مُتكَلَّم فيه، واستنكرَ السَّاجيُّ وابن حِبَّان حديثَه هذا.

$\frac{19}{19}$ قال المؤلِّفُ: «وهذا اللَّفظُ إنَّما هو محفوظٌ من كلامِ الزهريِّ». قلت: وكذلك قال البيهقيُّ أيضًا.

$\frac{20}{20}$ وضعُ الملائكةِ أجنحتَها كنايةٌ عن إقبالها على طالبِ العلمِ ورضَاها بعلمِه وعطفِها عليه.

$\frac{21}{21}$ الحديثُ بهذا اللَّفظِ رواه البيهقيُّ كما قال المؤلِّفُ، وإسناده ضعيفٌ، ورواه أبو داود والترمذيُّ وابنُ ماجه وابن حِبَّان في "صحيحه" إلى قوله: «**أَخَذَ بِحظِّه**».

$\frac{22}{22}$ قال المنذريُّ عن هذا الحديثِ: «إسنادُه حسنٌ لو صحَّ سماعُ الحسنِ من أبي هريرة».

قلتُ: صَحَّ سماعُه؛ فروى أبو يعلى: ثنا إسحاقُ بن أبي إسرائيل: ثنا حجَّاجُ بن محمَّد، عن هشام بن زياد، عن الحسنِ قال: سمعتُ أبا هريرة يقول: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**من قَرَأَ يس في ليلةٍ أصبَحَ مغفورًا له، ومنْ قرأَ حم التي يُذكرُ فيها الدُّخَانُ أَصبحَ مغفورًا له**»، قال ابنُ كثير: «إسنادُه جيدٌ»، كذا قال، ولكنَّه إسنادٌ ضعيفٌ.

وفي "معجم الطبرانيِّ الصغير" (ص١٧٦) من طريق الفضل بن عيسى الرّقاشيُّ، عن الحسن قال: خَطَبَنا أبو هريرة على منبرِ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: سمعتُ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**ليعتَذِرنَّ الله تعالى يومَ القيامةِ إلى آدمَ ثلاثَ معاذيرَ...**» الحديث، قال الطبرانيُّ بعد روايته: «وهذا الحديثُ يؤيد قولَ من قال: أنَّ الحسنَ قد سمعَ من أبي هريرة بالمدينة، وقد رأى الحسنُ عثمانَ بن عفان يخطبُ على المنبرِ».اهـ

أي مع أنَّ عثمانَ أقدم موتًا من أبي هريرة، وفي "سنن النَّسائي" بإسناد

صحيحٍ، عن أيوبَ، عن الحسنَ، عن أبي هريرة في المختلعاتِ، قال الحسنُ: «لم أسمعْ من أبي هريرة غيرَ هذ الحديثَ، قال الحافظُ ابنُ حجرٍ: «وهو يؤيد أنَّه سمع من أبي هريرة في الجملة».

وقال أحمدُ: حدثنا هُشيمٌ، عن عبادِ بن راشدٍ، عن سعيد بن أبي خيرة: حدثنا الحسنُ منذ أربعين أو خمسين سنة، عن أبي هريرة: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**يأتي على النَّاسِ زمانٌ يأكلونَ فيه الرِّبا**» قيل له: الناسُ كلّهم؟ قال: «**منْ لم يأكلْه نالَه من غُبارِه**» وكذا رواه أبو داود.

وفي البابِ غير هذا مما سأجمعُه في جزءٍ خاصٍّ وأُبين أنَّ أغَلبَ من نفى سماعه نَفَاه تقليدًا من غيرِ تمحيصٍ.

$\frac{30}{30}$ المرادُ بالذنوبِ في هذا الحديثِ ونحوِه الصَّغائرُ، إذ هي التي تغفرُ ببعض الطَّاعاتِ، أمَّا الكبائرُ فلا يمحُوها إلا الحدُّ أو التَّوبةُ أو الحجُّ المبرورُ.

$\frac{35}{35}$ من رواة الحديثِ: أنسُ بنُ مالك، وهو حديثٌ طويلٌ اقتصر المؤلِّفُ منه على ما يناسبُ موضوعَ الكتابِ، وفي سنده كثيرُ بن مروانَ؛ ضعيفٌ.

$\frac{38}{38}$ في بعضِ النُّسخِ قتادةُ وفي بعضِها أبي قتادةَ وهو الصحيحُ، كذلك رواه ابنُ ماجه من طريقِ عبدالله بن أبي قتادة، عن أبيه، وكذلك رواهُ ابن حِبَّان في "صحيحِه".

$\frac{41}{41}$ تكريرُ «الأجود» للتأكيدِ وتقويةِ المعنى وتثبيتِه في ذهنِ السَّامعين، كما يقال: فلانٌ ثقةٌ ثقةٌ، ومن أسمائِه تعالى: «الجوادُ» بتخفيفِ الواو، وتشديدُها لحنٌ.

42/42 حُمْرِ النَّعَم من ألوانِ الإبل المحمودةِ، وهي من نفائسِ أموال العربِ، وهذا الحديثُ خاطبَ به النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عليًّا عليه السَّلام حينَ أعطاه الرَّايةَ ووجهَه ليفتحَ خيبر.

44/44 «**نضَّرَ اللهُ**»: أي حسَّن وبهَّجَ، من النضرة وهي الحسنُ والبهجةُ، ولهذا قال بعضُ العلماء:

أهــلُ الحــديثِ طويلــةٌ أعمارُهُــم ووجــوهُهم بِــدُعا النبــيِّ مُنضَّــرَة

وقال: ابنُ عيينة: «ما من أحدٍ يطلبُ الحديثَ إلا وفي وجههِ نضرةٌ لهذا الحديث». وقال القاضي أبو الطيب الطَّبريُّ: رأيتُ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في المنام فقلتُ: يا رسول الله أنتَ قلت: «**نَضَّرَ الله امرَأ**»، وتلوْتُ عليه الحديثَ ووجهُه يتهلَّل فقال لي: «**نعَمْ؛ أنا قُلْتُه**». وهذا الحديثُ بلغَ حدَّ التواترِ.

45/45 قوله: «**ثلاثٌ**» أي خصال ثلاث. «**لا يَغُلّ**» أي لا يخونُ أولا يحقد «**عليهنَّ**» أي حال كونه منطويًا عليهن «**قَلْب مسلمٍ**»، والمعنىٰ أنَّ المسلمَ ما دام متصفًا بهذه الخصال فلا يدخل في قلبه خيانةٌ ولا حقدٌ، فينبغي التَّخلّقُ بهذه الخصال والتَّمسُّك بها .

47/47 قوله: «**بوائقه**» أي غوائله وشروره، واحدها: بائقة.

51/51 معنىٰ الحديث أنَّ المقدمَ علىٰ عمل كالصَّلاة مثلًا يكونُ عنده نشاط وهمةٌ، ثم تلي «الشرة» -أي: النَّشاط-: فترة، فمن انتهىٰ في فترته إلىٰ ما ورد في السُّنة بأنْ لم يتجاوزْها ولم يضيعها فقد اهتدىٰ، ومن انتهىٰ في فترتِه إلىٰ بدعة

ابتدعَها هو أو غيره يرىٰ أنَّها تعوِّضُه عما فاته من النَّشاطِ والهمَّة فقد هلكَ.

$\frac{52}{52}$ حسَّن الترمذيُّ الحديثَ مع ضعْفٍ كثيرِ بن عبدالله، لكنْ للحديثِ شواهدُ.

أبواب الطهارة

$\frac{3}{56}$ هذا الحديثُ رواه مسلمٌ في كتابِ الصلاةِ، وأولُه: عن عمر بن عنبسة السُّلميِّ، قال: كنتُ وأنا في الجاهليةِ أظنُّ أنَّ الناسَ علىٰ ضَلالة، وأنَّهم ليسُوا علىٰ شيءٍ وهم يعبدون الأوثانَ، فسمِعتُ برجلٍ في مكة يخبر أخبارًا، فقعدتُ علىٰ راحلتي، فقدمتُ عليه فإذا رسولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

فذكر الحديثَ في إسلامِه، وسؤاله عن الصَّلاة وغيرها، إلىٰ أن قال:

فقلت: يا نبي الله، فالوضوء؟ فقال: «**ما منكُم رجلٌ يقربُ وضُوءَه فيُمضْمِضُ ويسْتَنشِقُ فيسْتَنْثرُ إلّا خرَّتْ خطاياهُ مِنْ فِيهِ وخَياشِيمُه، ثمَّ إذا غسلَ وجهَه كما أمره الله إلّا خرَّتْ خَطَايا وجهِه مِنْ أطرافِ لحيتِه معَ الماءِ، ثمَّ يغسِلُ يديه إلى المرفقينِ إلَّا خرَّتْ خطايا يدَيهِ مِنْ أناملِه مع الماءِ، ثمَّ يمسحُ رأسَه إلّا خرَّتْ خطايا رأسِه من أطرافِ شَعرِه مع الماءِ، ثمَّ يَغْسِلُ رجلَيه إلى الكعبينِ إلّا خرَّتْ خَطَايا رِجْلَيهِ من أَنَاملِهِ مع الماءِ، فإنْ هوَ قامَ وصَلَّى...**» الحديث.

وهو يفيد أنَّ الوضوءَ للصَّلاة كان واجبًا في أول الإسلام، لأنَّ عمرًا أسلم قديمًا بعد أبي بكر وبلال رضي الله عنهم، ولذلك كان يقول: «أنا رابعُ الإسلامِ»، وفي رواية: «ربعُ الإسلامِ»، ثمَّ الخطايا المكفرة هنا هي الصغائرُ كما

نبَّهنا عليه فيما سبق.

$\frac{4}{57}$ وللطبرانيِّ في "الأوسط" بإسنادٍ صحيحٍ عن أبي أُمامة أيضًا قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا تمضمضَ أحدُكُمْ حُطَّ ما أصابَ بفِيه، وإذا غسلَ وجهَهُ حُطَّ ما أصابَ بوجهِه، وإذا غسلَ يديهِ حطَّ ما أصابَ بيديه، وإذا مسحَ برأسِه تناثرتْ خطاياهُ من أصولِ الشَّعرِ، وإذا غسَلَ قدميهِ حُطَّ ما أصابَ برجلَيهِ**».

$\frac{6}{59}$ ورد في بعض الأعمال أنَّها تكفِّر ما تقدَّم وما تأخَّر من الذنوبِ، وهي مجموعةٌ في مؤلفاتٍ خاصةٍ، منها كتاب: "بشارة المحبوب بتكفير الذنوب" للأذرعيِّ، وقد طبع مع تعليقاتي عليه.

$\frac{9}{61}$ قوله: «**فمنِ استطاعَ منكُم أنْ يطيلَ غُرَّتَه فليفْعَلْ**». أي فليطِلِ الغرَّةَ والتحجيل، ففيه اكتفاء مثل قوله تعالى: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١]، أي والبرد، وقد جاء في روايةٍ لمسلمٍ: «**فليُطلْ غرَّتَه وتحجيلَه**»، وإطالةُ التَّحجيل أوَّلها بعضُ المالكية بإدامةِ الوضوءِ، لكن حمله أبو هريرة على غسلِ اليَدين إلى المِنْكِبينِ والرجلين إلى الرُّكبتين وصرَّحَ برفعه إلى النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وكذلك كان يتوضَّأ ابنُ عمر، واستحبَّه جماعةٌ من السَّلف وأكثر الشَّافعية والحنفية.

$\frac{15}{67}$ ذكر المؤلِّفُ أنَّ الحديثَ رواه أحمدُ عن ابنِ عمر. قلتُ: ورواه الطبرانيُّ أيضًا في "الأوسط"، وسندهما حسنٌ في المتابعات، أمَّا حديثُ ابن عبَّاسٍ فإسناده ضعيفٌ، ورواه أحمد وأبو يعلى من حديث أبي بكر الصِّديق رضي الله

عنه بلفظِ حديث عائشةَ وإسناده جيدٌ إلا أنَّ فيه إرسالًا.

16/68 تفرد به ابنُ ماجه واسنادُه ضعيفٌ، قوله: «**أَحْفِي مقادمَ فَمِي**» أحفي أي: أذهبُ، من الإحفاء وهو الاستئصال، ومقادم الفَم هي الِّلثاتُ، جمع لثة، ما حول مقدم الأسنانِ من اللحم، والمعنىٰ: خشيتُ أنْ أذهبَها بكثرةِ السواك لإكثار جبريل الوَصِيَّة به.

18/70 يفيدُ هذا الحديثُ أنَّ الأمرَ بالشيءِ يقتضي وجوبَه شرعًا، لأنَّ ندب السواك بالحضِّ عليه ثابتٌ، وإنَّما امتنع الأمر به خوفَ المشقةِ، ولا مشقةَ إلا في الوجوبِ والإلزامِ.

23/75 قيل في معنىٰ «**ولنْ تحصُوا**»: لن تطيقُوا الاستقامةَ علىٰ حقيقتِها، فهي مثل قوله تعالىٰ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، أي: اسقيمُوا قدرَ استطاعتِكم.

24/76 «**وتحفَّظُوا منَ الأرضِ**» أي لا تعملُوا عليها مَعْصيةً لأنَّها أمُّكم، والإنسانُ يستحيي من أمِّه، ولأنها يومَ القيامةِ تخبر بجميعِ ما يقعُ عليها من المعاصي، وربيعة ابن عمرو الجرشي جاء ما يفيدُ صحبتَه في أحاديثَ، بعضُها صحيحٌ.

26/78 أمَّا حديث: «**الوضُوءُ على الوضُوءِ نورٌ على نور**» فلا أصل له كما قاله المنذريُّ والعراقيُّ، ونَقَلَ السَّخاويُّ عن شيخه العسقلانيِّ أنه قال أنه حديث ضعيفٌ، رواه رزين في "مسنده".

27/79 رواه الترمذيُّ أيضًا في مناقبِ عمر رضي الله عنه، وفيه أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، رأىٰ قصر عمر في الجنة، «**خَشْخشَتَكَ**» أي حركةَ مشيكَ،

وقال الحافظ في "الفتح": «ومشي بلال بين يدي النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان من عادته في اليقظةِ، فاتفق مثلُه في المنام، ولا يلزمُ من ذلك دخول بلال الجنة قبل النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، لأنَّه في مقام التَّابعِ، وكأنه أشارَ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إلىٰ بقاءِ بلال علىٰ ما كان عليه في حال حياتِه واستمرارِه علىٰ منزلتِه، وفيه منقبةٌ عظيمةٌ لبلال».اهـ

وحينئذٍ فالتَّعبيرُ بالسَّبقِ مجازٌ، وكأنَّ المرادَ: «بم أدركتَ المشي بين يديَّ في الجنةِ كحالكَ في الدُّنيا؟ ويؤيد هذا حديثُ أبي هريرة الآتي ذكره: «**فإنِّي سَمِعْتُ دفَّ نعليكَ بين يديَّ في الجنَّة**».

$\frac{31}{83}$ استدل بهذا الحديث علىٰ جواز صلاةِ النَّفل في الأوقات المكروهة تمسكًا بعموم قوله: «**لم أتطهَّرْ طهورًا في ساعةٍ من ليلٍ أو نهارٍ إلا صلَّيتُ بذلكَ الطهُورِ ما كتبَ لي**»، وأجيبَ بأنَّ إخراجَ الأوقاتِ المكروهةِ ملاحظٌ في الكلام، وإن لم يصرح به اكتفاءً بالقرينة، لأنَّ الكلامَ في أرجىٰ عملٍ من حيثُ الإثابةُ عليه، وصلاة النفلِ في الأوقات المنهيِّ عنها ليس فيها ثواب.

أبواب الصلاة

نَقَلَ المؤلفُ عن عائشةَ رضي الله عنها قالتْ: أرىٰ هذه الآية نزلتْ في المؤذِّنين. قلتُ: وكذلك قال ابنُ عمر رضي الله عنهما، وعكرمةُ، ولعلَّهم يقصدون بنزولها في المؤذنين أنها تشملُهم بعمومِها، بدليل قول عائشةَ في رواية عنها: «ولهم هذِه الآيةُ...» ثمَّ تلتْها، وهذا هو الصَّحيحُ لأنَّ الآيةَ نزلتْ بمكةَ والأذانُ شُرِعَ بالمدينةِ كما هو مَعلومٌ.

$\frac{13}{99}$ هكذا وقعَ في أصولِ هذا الكتابِ موقوفًا علىٰ جابرٍ، ولكنَّه في الواقعِ مرفوع إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، كذلك رواه الطبرانيُّ في "الأوسط"، وكذلك هو في "الترغيب" للمنذريِّ و «مجمع الزوائد» للهيثميِّ.

$\frac{18}{104}$ ومن أمان الله لهم ألا يُغار عليهم ولا يُغزوا، فإنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان إذا أراد غزوَ قوم فسمع الأذانَ أمسكَ عن غزوهم.

$\frac{19}{106}$ «**على الفِطرةِ**» أي التي فطر الله عليها خلقه، وهي تعظيم الله والاعتراف بإفضاله.

$\frac{20}{107}$ «**يعْجَبُ ربُّك**» أي يرضى عنه، بدليل قوله: «**قد غفرتُ لعبدِي**» الحديث.

$\frac{24}{110}$ هذا الحديثُ صحَّحه الحاكمُ وهو يفيدُ النَّهي عن اتخاذِ الأجرِ علىٰ الأذان، وقد قال بكراهةِ ذلك جماعةٌ من السَّلفِ، قال ابنُ مسعود: «أربع لا يؤخذ عليهن أجرٌ: الأذانُ، وقراءةُ القرآن، والمقاسمُ، والقضاءُ».

وقال رجلٌ لابن عمرَ: إني لأحبُّك في الله. فقال له ابنُ عمرَ: إني لأُبغضُك

في الله. فقال الرجلُ: سبحان الله!! أحبُك في الله وتُبغضني في الله؟! قال: نعم؛ لأنكَ تسأل على أذانِكَ أجرًا.

وذهب الهادي والقاسمُ والناصرُ وأبو حنيفة إلى تحريمِ الأجرة على الأذانِ شرطًا، بأنْ يشترط المؤذنُ الأجرَ على الأذانِ، وقال مالكٌ: لا بأس بأخذِ الأجر على الأذان، وقال صاحب "البَحر الزَّخار": «الأقربُ جوازُ الأجرةِ على التَّأذين في مكان مخصوص إذ ليست على الأذان حينئذٍ، بل على ملازمة المكان كأجرة الرَّصدِ ونحوها.

وحجةُ من أجاز الأجرةَ على الأذان حديثُ أبي محذورةَ أنه قال: فألقى عليَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الأذان، فأذَّنتُ ثمَّ أعطاني حين قضيت التَّأذين صُرَّة فيها شيء من فضةٍ. رواه النَّسائيُّ وصحَّحه ابن حِبَّان.

وأُجيبَ بأنَّ حديثَ عثمانَ بن أبي العاص متأخِّرٌ عن هذا الحديثِ لتأخُّر إسلامِ عثمان، وبأنَّ حديث أبي محذورة يفيدُ جوازَ الأجرةِ من غيرِ اشتراطٍ، وتبقى صورةُ الاشتراطِ على المنعِ، ولبسطِ المسألة موضعٌ غيرُ هذا.

وعلى كلِّ حال فالأحاديثُ الواردةُ في فضْل المؤذنين خاصَّةٌ بالمحتسبين ولا تشملُ الذين يأخذُون على آذانِهم أجرًا.

$\frac{27}{113}$ «**أذانُ هذا الحبشيِّ**» هو بلالٌ رضي الله عنه، وهذا يردُّ قول من قال: إنه نوبيٌّ، ومما شاع بين النَّاس قولهم: «سين بلال عند الله شين»، وليسَ بحديث.

$\frac{30}{117}$ في هامش نسختنا ما نصَّه: «قوله: **مقامًا محمُودًا**» هو في كتب الأحاديث الصحيحة منكرٌ، قال الإمام النَّوويُّ رحمه الله: «قوله: «**وابعثْه المقامَ**

المحمودَ الذي وعدتَه» هو في "التَّنبيه" لأبي إسحاق رحمه الله، وفي كتب الفقه معرَّف بالألف واللَّام، وهو من حيثُ الإعرابُ والمعنىٰ صحيحٌ، ولكنَّ الصَّواب: «مقامًا محمودًا» هكذا روايةُ البخاريِّ في "صحيحه"، وكذلك هو في سائر كتب الحديثِ، والمعتمد ما قال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، منكَّرًا تأدبًا مع القرآن ومحافظةً علىٰ حكاية لفظه، في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]، فعلىٰ هذا يكون قوله: «**الذي وعَدْتَه**» بدلًا من "مقامًا" أو منصوبًا بفعل محذوف تقديره: أعني الذي وعدتَّه، أو مرفوعًا خبرُ مبتدأ محذوفٍ تقديرُه: هو الذي وعدته».اهـ

وثبت في روايةِ النَّسائيِّ وابن خزيمةَ وابن حِبَّان والطحاويِّ والطبرانيِّ في "الدعاء" والبيهقي: «المقام المحمود» بالتَّعريف، ولكنَّ التنكيرَ أفخمُ وأجزل كما قال الطيبيُّ. نعم؛ لم يثبت في شيء من طرقِ الحديث زيادة: «والدَّرجةَ الرَّفيعةَ»، وإنَّما ذكرها بعضُ الفقهاءِ بغير إسنادٍ، فينبغي تركُها والاقتصارُ علىٰ الوارد.

$\frac{50}{136}$ إسناد هذا الحديث جيدٌ، وإن أعلَّه البخاريُّ في "التَّاريخ الكبير" بالاضطراب فإنه غير قادحٍ، وروىٰ الطبرانيُّ بإسناد حسنٍ عن عمرو بن عبسة قال: أتيتُ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فقلت: يا رسول الله من تبِعكَ علىٰ هذا الأمر؟ قال: «**حرٌّ وعبدٌ**» يعني أبا بكر وبلالًا رضي الله عنهما، قلت: يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: «**طيبُ الكلامِ وإطعامُ الطَّعامِ**» قلت: يا رسول الله فما الإيمان؟ قال: «**الصَّبرُ والسَّماحةُ**»، قلت: فأي الإسلام أفضلُ؟ قال: «**من**

سَلِمَ المسلمونَ من لسانِه ويدِه» قلت: فأي الإيمانِ أفضلُ؟ قال: «خلقٌ حسنٌ» قلت: أيُّ الصَّلاة أفضل؟ قال: «طولُ القُنوتِ» قلت: فأيُّ الهجرة أفضل؟ قال: «أنْ تهجرَ السُّوءَ»، قلت: فأيُّ الجهاد أفضل؟ قال: «منْ عُقرَ جوَادُه وهُريقَ دمُه».

والمعتمدُ عند المالكيةِ أنَّ طول القيامِ أفضل؛ لهذا الحديثِ وما في معناهُ، ولما صحَ أنَّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قام حتى تورمتْ قدماهُ، وبعضهم فضل كثرةَ السُّجودِ والرُّكوع على طول القيام فقال فيه بعضُ الأدباء:

كأنَّ الدهرَ في خفضِ الأعالِ ... وفي رفعِ الأسافلةِ اللِّئامِ
فقيهٌ صحَّ في فتواه قولٌ ... بتفضيل السُّجودِ على القيامِ

وما ذكره المؤلف من الجمعِ بين الأحاديثِ حسنٌ جدًّا.

$\frac{55}{142}$ في إسناده علي بن زيد بن جدعان، وفيه كلامٌ، وحديثه حسن والاستدلال بالآية، لأنَّها تشملُ بعمومها الصَّلواتِ الخمسَ، وقد قيل في: ﴿طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ [هود: ١١٤] أنَّها الصبحُ والمغربُ، وقيل: الصبحُ والعصرُ وقيل: الصبحُ والظهرُ والعصرُ، وقيل في ﴿وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾ [هود: ١١٤] أنَّها صلاةُ المغربِ والعشاءِ.

وفي الصَّحيحين وغيرِهما عن ابن مسعود: أنَّ رجلًا أصابَ من امرأةً قبلةً، فأتى النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فأخبره، فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤] فقال الرجل: ألي هذا؟ قال «لجميعِ أمَّتي كلِّهُم»، وسيذكره المؤلِّفُ.

$\frac{56}{143}$ قال الحافظُ المنذريُّ: «في إسناده أشعثُ بن أشعثَ السَّعدانيُّ، ولم أجد من ترجمه».اهـ، وكذا قال الحافظ الهيثميُّ.

قلتُ: ذكره الحافظُ في "اللِّسان" باسم أشعثَ بن أبي أشعثَ السَّعدانيِّ من أهل البَصرة، وقال: «قال ابن حِبَّان في "الثِّقات": يُغْرِبُ، وقال البزَّارُ: ليس به بأس».اهـ، فهذا الحديث حسن، لا سيما وله طريق آخر عن سلمان بلفظ: «**إنَّ العبدَ المؤمنَ إذا قامَ إلى الصَّلاةِ وضعتْ ذنوبُه على رأسِه فتفرقُ عنه كما تفرقُ عروقُ الشَّجرةِ يمينًا وشمالًا**». رواه الطبراني في "الكبير".

$\frac{57}{144}$ قوله: «**كانَ رجلانِ أخوانِ**» كذا بالأصل، ورفعُ خبرِ كان لغةٌ جاءت في قول الشاعر العربي:

إذا مِتُّ كانَ الناسُ صِنْفانِ شامتٌ وآخرُ مُثْنٍ بالذي كنتُ أصْنَعُ

$\frac{58}{145}$ رواه ابن ماجه في كتابِ تعبير الرؤيا من "سننه"، وإسناده صحيحٌ إلا أنَّ فيه إرسالًا، لأنَّه رواه من طريقِ أبي سلمة بن عبدالرحمن عن طلحةَ، ولم يسمعْ منه، وإسناد أحمدَ سالم من الإرسال، لأنَّه من طريق أبي سلمةَ عن أبي هريرة، وقوله: «**فلَما بينَهُما**» الَّلام للابتداء، و«ما» موصولةٌ، أي: فللذي بينهما من التَّفاوت في الدَّرجات أبعد مما بين السَّماءِ والأرضِ، ويؤخذ منه فضل طول العمر في الأعمال الصَّالحة.

$\frac{60}{147}$ إسنادهُ حسنٌ، والمعتملُ مكانُ العمل.

$\frac{63}{150}$ رواه الطبرانيُّ في "الأوسط" و"الصغير" بإسنادٍ حسنٍ، ورواه في "الكبير" موقوفًا على ابن مسعود بإسناد صحيحٍ، قال المنذريُّ: «والموقوف

أشبه».

69/156 في "صحيح مسلم" عن أبي أمامةَ قال: جاء رجل إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: إني أصبتُ حدًّا فأقِمْه عليَّ، فسكتَ عنه ثلاثًا، فأقيمت الصَّلاة فدعا الرجل فقال: «**أرأيتَ حينَ خرجتَ من بيتِك، ألسْتَ قد توضَّأتَ فأحسنتَ الوضُوءَ؟**» قال : بلى؛ قال: «**ثمَّ شهِدْتَ الصلاةَ معَنا**» قال نعم؛ قال: «**فإنَّ الله قد غفرَ لك حدَّكَ**» أو قال: «**ذنبَكَ**».

وقد قيل في معنى الحديث غير ما ذكره المؤلفُ: إن الحدَّ لا يجبُ إلا بعدَ تعيينِه والإصرارِ عليه، وقيل إن ذلك خاصٌّ بالرجلِ المذكور، وقيل أنَّ التَّوبة تُسقط الحدَّ، والرجل جاءَ تائبًا، وقيل: لعلَّ الرجلَ ظنَّ أن كلَّ معصيةٍ توجب الحدَّ، وهذا هو الأقربُ.

70/157 هذا الحديثُ صَريحٌ في أنَّ الصَّلاةَ تكفِّر الصَّغائر.

75/162 قوله: زهير بن عمارة كذا بالأصول، والصَّوابُ: أبو زهيرة عمارة بن رؤيبة وهو الثَّقفيُّ الكوفيُّ.

77/164 قوله: معاويةُ بن الحكم، كذا بالأصول، ولعلَّ المؤلف انتقل ذهنه إلى حديثٍ آخرَ. والصَّوابُ: أبو بصرة الغفاريُّ، كذلك رواه مسلمٌ في الأوقات التي نهي عن الصلاة فيها، ورواه النسائي أيضًا. قوله: «**كانَ له أجرُه مرَّتين**» أي أجر الصلاة نفسِها وأجر المحافظةِعليها، وهذا مما يؤيدُ أنَّ العصر هي الصلاة الوسطى، وهو الصحيحُ.

78/165 قال بعضُ العلماء: «إنَّما كان مع هؤلاءِ يوم القيامةِ، لأنه إنِ اشتغلَ عن

الصلاةِ بماله أشبه قارونَ فحُشر معه، وإن اشتغلَ عنها بملكه أشبهَ فرعونَ فحُشر معه، وإن اشتغلَ عنها بوزاراتِه أشبه هامانَ فحُشر معه، وإنِ اشتغل عنها بتجارتِه أشبهَ أبيَّ بنَ خلف تاجر كفارِ قريشٍ فحُشر معه».اهـ

وأشار الشَّارعُ بهذا إلى أنَّه ليس شيء من أمور الدنيا -وإن عَظُم- بعذر يُبيح التَّهاون بالصلاة.

$\frac{81}{168}$ حَسَّنَ المؤلفُ هذا الحديث مع أنَّه من رواية عبدالله بن عمر العَمري، وبه أعلَّه الترمذيُّ، لكن قال المنذريُّ: «هو صدوقٌ حسنُ الحديثِ فيه لين»، وعلى هذا اعتمدَ المؤلفُ.

وفي هذا الحديثِ اضطرابٌ أشار إليه الترمذيُّ، وليس هذا موضعَ بيانِه، وأمُّ فروةَ راويةُ الحديثِ جزمَ المنذريُّ تبعًا لابن عبدالبر بأنَّها أختُ أبي بكر الصِّدِّيق لأبيه، وقال: «من قال فيها: أمُّ فروةَ الأنصارية فقد وَهم»، ورجَّحَ الحافظُ أنَّها الأنصاريةُ.

$\frac{83}{170}$ لفظُ الحديثِ عند الترمذيِّ: «**والآخر عفو الله**» وإسنادُه ضعيفٌ جدًّا.

$\frac{84}{171}$ هذا الحديث رواه عبادةُ ردًّا على من قال أنَّ الوتر واجبٌ، فعن عبدالله الصنابحيِّ قال: زعم أبو محمد أنَّ الوتر واجبٌ، فقال عبادة: كذبَ أبو محمَّد، أشهد أني سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول... وذكر الحديث.

وأبو محمد أنصاريٌّ صحابيٌّ، ومعنى كذب: أخطأ، ومنه الحديث: «**صدقَ الله وكذبَ بطنُ أخيكَ**»، قاله الخطابيُّ.

$\frac{89}{176}$ روى أحمدُ والطَّبرانيُّ نحوه من حديث عبدالله بن أبي أوفى بإسناد

جيد، وروىٰ أحمدُ والبزَّارُ والطَّبرانيُّ عن عبدالله بن عمرو أنَّ رجلًا قال ذاتَ يومٍ ودخل في الصَّلاة: الحمدُ لله ملءَ السَّماءِ، وسبَّحَ ودعَا، فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**منْ قائلُهُنَّ؟**» فقال: أنا، فقال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لقد رأيتُ الملائكةَ تَلقى به بعضُهم بَعضًا**» وإسنادُ الطبرانيِّ جيدٌ.

$\frac{92}{178}$ في هذا الحديث: «**بسبعٍ وعشرينَ درجةً**» وفي الحديث بعده: «**خمسًا وعشرين درجةً**» وليس بينهما تنافٍ كما قد يُتوهَّم.

وذلك أنَّ الأسباب التي تقتضي تضعيفَ صلاةِ الجماعةِ علىٰ صلاةِ الفذِّ: خمسًا وعشرين في الصَّلاة السِّرية، وسبعًا وعشرين في الصَّلاة الجَهرية.

وإليك بيانَ عددِها:

الأول: إجابةُ المؤذنِ بنية الصلاة في الجماعة.

الثاني: التَّبكيرُ إليها في أول الوقتِ.

الثالثُ: المشيُ إلىٰ المسجدِ بالسَّكينةِ.

الرابع: دخولُ المسجدِ داعيًا.

الخامس: صلاةُ التَّحيةِ عند دخولِه.

السادسُ: انتظارُ الجماعةِ.

السابعُ: صلاةُ الملائكة عليه واستغفارُهم له.

الثامنُ: شهادتُهم له.

التاسعُ: إجابةُ الإقامةِ.

العاشر: السَّلامةُ من الشَّيطانِ حين يفرُّ من الإقامةِ.

الحادي عشرَ: الوقوفُ منتظرًا إحرامَ الإمامِ أو الدخول معه في أي هيئةٍ

وجدَه عليها.

الثاني عشرَ: تكبيرةُ الإحرام كذلك.

الثالثُ عشرَ: تسويةُ الصفوفِ وسدُّ فُرجَها.

الرابعُ عشرَ: جوابُ الإمام عند قوله: سمع الله لمن حمدَه.

الخامسُ عشرَ: الأمنُ من السَّهو غالبًا، وتنبيهُ الإمام إذا سَهَا بالتَّسبيحِ أو الفتح عليه.

السادسُ عشرَ: حصول الخشوعِ والسَّلامة عما يلهي غالبًا.

السابع عشرَ: تحسينُ الهيئةِ غالبًا.

الثامنُ عشرَ: احتفافُ الملائكةِ به.

التاسعُ عشرَ: التدرُّبُ على تجويدِ القراءة، وتعلم الأركانِ والسُّنن.

العشرون: إظهارُ شعارِ الإسلام.

الحادي والعشرون: إرغامُ الشيطانِ بالاجتماع على العبادة، والتعاونِ على الطاعةِ ونشاط المتكاسِل.

الثاني والعشرون: السَّلامةُ من صفة النِّفاق، ومن إساءةِ غيره الظنَّ بأنه لا يصلِّي.

الثالثُ والعشرون: ردُّ السَّلامِ على الإمام.

الرابعُ والعشرون: الانتفاعُ باجتماعِهم على الذكر والدعاء، وعود بركةِ الكامل على النَّاقصِ.

الخامسُ والعشرون: قيامُ نظامِ الألفة بين الجيرانِ وحصولُ تعاهدِهم في أوقاتِ الصلواتِ.

فهذه الخصال ورد في كلٍّ منها أمرٌ وترغيبٌ يخصُّه، وهي موجودةٌ في صلاة الجماعةِ السِّرية كالظهر وتزيد صلاةُ الجماعةِ الجهريَّة كالصبح بخصلتين وهما:

- الإنصاتُ عند قراءة الإمام والاستماعُ لها.
- والتَّأمينُ عند تأمينه ليوافق تأمينَ الملائكة.

فتبين بهذا أنَّ روايةَ: «خمس وعشرين» محمولةٌ على صلاة الجماعةِ السِّرية، ورواية: «سبع وعشرين» محمولةٌ على صلاة الجماعة الجَهرية، وهذا ملخصُ ما ارتضاه الحافظُ ابنُ حجر العسقلانيُّ رضي الله عنه.

أما روايةُ: «بضع وعشرين» فهي صادقةٌ بالخمس وبالسَّبع، وهي مع ذلك من تصرف بعد الرُّواة حيثُ نسي العددَ فعبر بالبضعِ.

$\frac{101}{187}$ قوله: عن ثابت بن أَشْيَم، كذا بالأصول، والصَّوابُ: قباث بقاف مفتوحة، وقيل: مضمومة، وأَشْيَم بوزن أحمر، وهذا الحديثُ أخرجه البخاريُّ في "التاريخ" من طريق عبدالرحمن بن زياد، عن قباث، و«تترى» يعني: متفرقةً، واحدًا بعد آخرَ، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ [المؤمنون: ٤٤] أي رسولًا بعد رسول.

$\frac{103}{189}$ هذا الحديثُ دليل قويٌّ لمن قال بوجوب صلاةِ الجماعة لأنَّ التهديد بالتحريقِ المؤدِّي إلى القتل لا يكون إلا على تركِ واجبٍ، وإلى القول بأنَّها فرضُ عينٍ، ذهب عطاء والأوزاعيُّ وأحمد والبخاريُّ وجماعة من محدِّثيِّ الشَّافعيةِ كأبي ثورٍ وابنِ خزيمة وابن المنذر وابن حِبَّان، وأجابَ الجمهورُ الذين قالوا بسنِّيةِ صلاةِ الجماعةِ، عن هذا الحديثِ بعشرةِ أجوبةٍ لا تخلو عن نظر،

والذي يظهرُ لي ما ذكره الشَّوكانيُّ وهو أنَّ هذا الحديثَ يدلّ على وجوبِ حضورِ جماعة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في مسجده لمن سمعَ النِّداء، لأنَّ للصَّلاةِ معه في مسجدِه ميزةٌ خاصةٌ، أمَّا مطلقُ الجماعةِ مع غيره فهي سنةٌ مؤكدةٌ، لحديثي رقم ٩٢ – ٩٣ ولحديث رقم ١٠١ فإن هذه الأحاديثَ وما في معناها تفيد مشاركةَ صلاةِ الفذِّ للجماعة في الفضلِ مع زيادةِ الجماعةِ عليها ببضعٍ وعشرين درجةٍ، ولو كانتِ الجماعةُ واجبةً لكانتْ صلاةُ الفذ معصيةً، لا فضل فيها بل يكونُ فيها حينئذٍ إثمٌ كما هو ظاهر.

$\frac{104}{190}$ قوله: عن رجل من النَّخعِ لم يسمِّه، كذا بالأصول، والواقع أنَّ الطبرانيَّ سمَّى الرجل: جابرًا، نعم؛ هو مجهولٌ لم يعرفْ حاله، فالإسنادُ ضعيفٌ لكن معنى الحديثَ لورودِه مفرقًا في أحاديثَ صحيحةٍ.

$\frac{106}{192}$ قوله: «من طريق القاسم» هو ابن عبدالرحمن أبو عبدالرحمن الشَّاميُّ الدمشقيُّ، مختلفٌ فيه، و«**الأبرار**»: هم الصالحون، و«**وفدُ الرَّحمن**»: هم الذين يحشرون رُكبانًا على أعمالهم أو على خيلٍ أو على النَّجائبِ، أو يحشرُ كلّ منهم على ما كان يحب من أنواع المركوبات في الدنيا، ويكونُ الركوب من القبر إلى المحشر، ثمَّ من المحشرِ إلى الجنة.

$\frac{108}{194}$ هذا الحديثُ رواه ابنُ ماجه في أبواب التِّجارات من "سننه"، والسُّوقُ يكثر فيها الأيمانُ الكاذبةُ وغشُّ الثَّمن أو المثمَّنِ، والمنازعةُ بين البائع والمشتري وهذا كلّه من عملِ الشيطان.

أبوبكر بن سلميان بن أبي حثمة القرشيُّ العدويُّ، كان من علماءِ قريشٍ،

ذكره ابن حِبَّان في "الثِّقات" وأبوه سليمان كان من فضلاءِ المسلمين وصالحيهم، استعملَه عمرُ رضي الله عنه على السوقِ وجمعَ الناسَ عليه في قيام رمضانَ، وُلد على عهدِ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ولم يروِ عنه، وأبوه أبو حثمة واسمُه عبدالله من مُسلمةِ الفتحِ، وهذا الأثرُ رواه عبدالرزَّاق في "المصنَّف" بنحوِه، ولا شكَّ أنَّ صلاة الصبحِ في جماعة أفضلُ من قيام الليل ضرورة أنَّ الفرضَ أفضلُ من النفلِ.

$\frac{112}{198}$ قوله: وثَّقه ابن حِبَّان وحدَه، أي حيثُ ذكره في "الثِّقات"، وقال مع ذلك: «يخطئ ويهِمُ»، وضعَّفه أبو زُرعة، وأبو حاتم، والدارَ قُطنيُّ، وابنُ عدي، والعقيليُّ؛ فالحديثُ ضعيفٌ.

وفي الباب حديثُ عقبة بن عامر، سمعتُ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**من أمَّ قومًا فإنْ أتمَّ فلهُ التَّمامُ ولهمْ وإنْ لم يتمَّ فلهُم التَّمامُ وعليهِ الإثمُ**». رواه أحمدُ وأبو داود وابنُ ماجه والطبرانيُّ، وصحَّحه الحاكمُ وابن خزيمةَ وابن حِبَّان، ويؤخذُ منه أنَّ الإمامَ لو أخلَّ بشرط من شروط الصلاة كالطهارة فصلاةُ المأمومين صحيحةٌ .

$\frac{113}{199}$ قوله: «**غُفِرَ له ما تقدَّمَ من ذنبِه**» يعني الصَّغائر كما تقدم غيرُ مرة، وجاء في "أمالي الجرجاني" زيادة: «**وما تأخَّر**» وهيَ زيادةٌ شاذَّةٌ ضعيفةٌ لا يعتمدُ عليها.

واستُدلَّ بهذا الحديثِ على أنَّ الملائكةَ أفضلُ من البشرِ، لأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم جعل موافقةَ المأمومينَ للملائكةِ موجبةً للمغفرةِ، وهذا هو

المذهبُ الصَّوابُ، وقد بينا دليلَه فيما كتبناه على كتاب: "الحبائك في أخبار الملائك" للحافظ السُّيوطيِّ.

$\frac{114}{200}$ ذكر المؤلفُ بعضَ الحديثِ ونذكر بقيتَه للفائدةِ، قال أبو موسى: إنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم خَطَبَنَا، فبيَّن لنا سنَّتنا، وعلَّمنا صلاتنا فقال: «**إذا صلَّيتُم فأقيمُوا صفوفَكم ثمَّ ليؤمَّكم أحدُكم فإذا كبَّر فكبِّروا، وإذا قال: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]، فقولُوا: آمين؛ يجبْكم الله، فإذا كبَّر وركعَ فكبِّروا واركَعُوا، فإنَّ الإمامَ يركَعُ قبلكُم ويرفعُ قبلَكُم**». قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**فتلكَ بتلكَ، وإذا قال: سمعَ الله لمن حمده، فقولُوا: اللهمَّ ربنا لك الحمدُ، يسمع الله لكُم، فإنَّ الله تباركَ وتعالى قال على لسانِ نبيِّه صلَّى الله عليه وسلَّم: سمعَ الله لمن حمدَه، وإذا كبَّر وسجَد فكبِّروا واسجدُوا، فإنَّ الإمامَ يسجدُ قبلَكُم ويرفعُ قبلَكُم**». فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**فتلكَ بتلكَ، وإذا كانَ عند القعدةِ فليكنْ من أوَّلِ قول أحدِكُم: التحياتُ الطيباتُ الصلواتُ لله، السَّلامُ عليكَ أيُّها النبيُّ ورحمةُ الله وبركاتُه، السَّلامُ علينا وعلَى عبادِ الله الصالحين، أشهدُ أن لا إله إلا الله وأشهدُ أن محمَّدًا عبدُه ورسولُه**» وهكذا رواه أبو داود والنَّسائيُّ.

ويؤخذُ منه أمورٌ:

الأول: الحضُّ على قول: «اللهمَّ ربَّنا لك الحمدُ»، وأنَّ ثوابَ قائله سماعُ الله له، أي إقباله عليه برحمتِه، وكان ينبغي للمؤلفِ أن يترجمَ عليه: «ثوابُ قول: اللهمَّ ربَّنا لك الحمدُ» لكنه سهَا عن ذلك.

وفي "صحيح البخاريِّ": «باب فضلِ: اللهمَّ ربنا لك الحمدُ»، ثم روىٰ عن أبي هريرة: أن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إذا قالَ الإمامُ: سمعَ الله لمنْ حمدَه، فقولوا: اللهمَّ ربنا لكَ الحمدُ، فإنَّه من وافقَ قولَه قول الملائكةِ غُفرَ له ما تقدَّم من ذنبِه**».

الثاني: أنَّ المأمومَ يقول: «اللهمَّ ربنا ولك الحمدُ»، ولا يقول: «سمع الله لمن حمده».

الثالث: أنَّ ما ثبتَ بالسُّنة ينسبُ إلىٰ وحيِ الله وتنزيله، لأنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم نسبَ جملةَ: «سمعَ الله لمن حمدَه» إلىٰ قول الله تعالىٰ، وهي إنَّما ثبتت بالسُّنة، وقوله: «فتلك بتلك» يعني أنَّ اللحظةَ التي سبقكُم بها الإمامُ في تقدُّمه إلىٰ الركوعِ، تنجبرُ لكم بتأخُّركم في الركوعِ بعد رفعه لحظةً، فتلك اللحظة بتلك اللحظة، وصار قدرُ ركوعِكم كقدرِ ركوعِه، وكذلك في السجود.

$\frac{115}{201}$ قوله: «في إسنادِه ليثُ بنُ أبي سُليمٍ»، وهو مختلفٌ فيه، رُمي بالغفلةِ وكان مدلِّسًا ولم يصرحْ في هذا الحديثِ بالتَّحديث بل عنعنَهُ.

$\frac{117}{203}$ قوله: «وتردَّد في ثبوته» أي حيثُ قال: «إنْ ثبتَ الخبرُ» وذلك أنَّه رواه من طريق زربيٍّ بن عبدالله مولىٰ آل المهلب، عن أنس.

وزَرْبيٍّ -بفتح الزاي وسكون الراء وياء مكسورة مشددة ضعيفٌ له أحاديثُ مناكيرُ عن أنسٍ وغيره، ولم يرو له ابنُ خزيمةَ إلا هذا الحديثَ، وهو ليس من شرط الصَّحيحِ.

$\frac{118}{204}$ اللفظُ الأول للحديثِ، لفظُ رواية أحمدَ، واللفظُ الثاني لفظُ روايةِ ابنِ ماجه وابنِ خُزيمةَ. ومعنىٰ ضلال اليهودِ عن الجُمُعةِ أنَّ الله فرضَ عليهم يومًا يعظِّمونه بطاعةِ الله وعبادتِه، فاختاروا يوم السَّبتِ، وزعموا -لعنَهم الله- أنَّ الله استراحَ فيه من خلقِ السمواتِ والأرضِ، وكذلك النَّصارىٰ اختاروا يومَ الأحد، فادَّخر الله يومَ الجمعةِ لنا فضلًا منه ورحمةً، وكان من توفيقِ الله في اختيارُه ما صَحَّ عن محمد بن سيرين، قال: جمَّعَ أهلُ المدينةِ قبل أنْ يقدمَ النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وقبل أن تنزل الجمعةُ؛ قالت الأنصارُ: لليهودِ يومٌ يجمعون فيه كلَّ أسبوع، وللنصارىٰ مثل ذلك، فهلُمَّ فلْنجعلْ يومًا نجمِّعُ فيه فنذكر الله تعالىٰ ونشكره، فجلعوه يومَ العروبةِ، واجتمعُوا إلىٰ أسعدَ بن زرارة، فصلَّىٰ بهم ركعتين وذكَّرهم، فسمَّوُا الجمعةَ حين اجتمعُوا إليه، فذَبَحَ لهم شاةً فتغدوا وتعشوا منها، فأنزل الله تعالىٰ في ذلك بعد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ﴾ [الجمعة: ٩] الآية.

ومعنىٰ ضلالهم عن القبلةِ أنَّ الكعبةَ قبلةُ الأنبياءِ، وكان موسىٰ عليه السلام يُصلِّي إلىٰ الصخرةِ نحوَ الكعبةِ، فظنَّ اليهودُ أنَّه يقصدُ الصَّخرة بالاستقبال، يدل علىٰ ذلك ما رواه الطبريُّ في "تفسيره" عن الربيعِ قال: إنَّ يهوديًّا خاصمَ أبا العاليةِ فقال: إنَّ موسىٰ عليه السَّلام كان يصلِّي إلىٰ صخرةِ بيتِ المقدسِ، فقال أبو العالية: كان يصلِّي عند الصخرةِ إلىٰ البيتِ الحرامِ، قال اليهوديُّ: فبيني وبينك مسجدُ صالحٍ عليه السَّلام فإنَّه نحتَه من الجبلِ، قال أبو العالية: قد صلَّيتُ فيه، وقبلتُه إلىٰ البيتِ الحرامِ، فلما صلَّىٰ النبيُّ عليه السلامُ

بالمدينةِ إلى بيتِ المقدس بوحيٍ أو اجتهادٍ ستةَ عشرَ شهرًا تأليفًا لليهودِ، فرحوا بذلك وظنُّوا أنه تبعَهُم، فلما أيسَ منهم حنَّ إلى قبلةِ أبيه إبراهيمَ، فردَّه الله إليها فتكلَّموا في ذلك حقدًا وحسدًا، وردَّ الله عليهِم بقوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾ [البقرة: ١٤٢] الآيات.

$\frac{119}{205}$ صلاةُ الله على عبادِه تختلفُ باختلافِ مقاماتِهم، فصلاتُه على نبيِّه تشريفٌ له وتكريمٌ ورفعةُ قدرٍ، وصلاتُه على أهلِ الصفِّ الأول مغفرةٌ لذنوبهم وإجزالٌ لثوابهم، وصلاتُه على عمومِ المؤمنين لطفٌ بهم وإدامةُ هدايتِهم، أمَّا صلاةُ الملائكة فدعاءٌ واستغفارٌ بالنِّسبةِ لعمومِ المؤمنين وبالنِّسبة للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم دعاء بزيادةِ تشريفِه.

$\frac{123}{209}$ «الاستهام»: الاقتراعُ، وكذا المساهمةُ، ومنه قوله تعالى: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾ [الصافات: ١٤١]. وروى سعيد بن منصور والبيهقيُّ، عن عبدالله بن شبرمة قال: تَشَاح الناسُ في الأذانِ بالقادسية فكان بالعراقِ وكانتْ به وقعةٌ للمسلمين مع الفرسِ فاختصمُوا إلى سعد بن أبي وقاص فأقرعَ بينَهم.

$\frac{124}{210}$ لا بأسَ بحضورِ النساءِ الصَّلاة في المساجدِ، بشرطِ ألا يتزيَّنَّ ولا يتعطرنَّ وأن يكنَّ في مؤخِّرةِ المسجدِ، كما كان الحال في المسجدِ النبويِّ وكان لهنَّ بابٌ خاصٌّ بهن، يعرفُ إلى اليومِ بباب النساءِ، ثم معَ توفّرِ هذه الشروطِ فصلاة المرأة في بيتِها أزكى وأطهرُ وأفضلُ كما سيأتي بحول الله.

$\frac{128}{214}$ «ذرَّتْ» بالذال المعجمة وتشديد الراء أي فرقتْ عليه، شبه البرِّ بطيبٍ تذُره الملائكةُ على من يصلُ الصفَّ.

$\frac{132}{218}$ هذا الحديثُ وإن صحَّحه الحاكمُ فيه انقطاعٌ، وإنَّما كانتِ الخطوة الثَّانية مبغضةً لتقديمِ الشمال على اليمينِ في القيام، والمطلوبُ تقديمُ اليمينِ في كلِّ حال إلا فيما ورد تقديم الشمال فيه كدخول الخلاءِ والخروجِ من المسجدِ، وخلعِ النعلِ.

$\frac{134}{219}$ قوله: «**وصلاةٌ في المسجدِ الحرامِ أفضلُ من مائةِ ألفِ صلاةٍ في هذا**» كذا بالأصول وهو سهوٌ، والرِّواية: «**خيرٌ من مائةِ صلاةٍ في هذا**»، وعند البزَّار: «**صلاةٌ في مسجدي هذا أفضلُ من ألفِ صلاةٍ فيما سواه إلا المسجدَ الحرام، وصلاةٌ في المسجدِ الحرامِ فإنَّه يزيدُ عليهِ مائةً**».

والمقصود: أنَّ المسجدَ الحرام يزيدُ على المسجدِ النبويِّ بمائةٍ فقط، ويزيدُ على سائرِ المساجدِ بمائةِ ألفٍ.

$\frac{140}{225}$ هذا حديثٌ ضعيفٌ، والمسجدُ الذي يجمَّعُ فيه: أي تقامُ فيه الجمعةُ، ومسجدُ القبائل مسجدُ القرى الصغيرُ التي لا تقامُ فيها الجمعةُ.

$\frac{142}{228}$ أُسَيدُ بن ظهير له ولأبيه صحبةٌ، قال الترمذيُّ: «لم يصحَّ عنه غير هذا الحديثِ».

روى عمر بن شبة في "أخبار المدينة" بإسنادٍ صحيحٍ عن عائشةَ بنت سعد بن أبي وقاص قالتْ: سمعتُ أبي يقول: «لأنْ أُصلِّي في مسجدِ قباءَ ركعتين أحبُّ إليَّ من أن آتي بيتَ المقدسِ مرتين، لو يعلمونَ ما في قباءَ لضربُوا إليه أكبادَ الإبل». وهذا شاهدٌ لقول محمَّد بن مسلمةَ المالكيِّ: «إنَّ إتيانَ مسجدِ قباء يلزمُ بالنذرِ». والجمهورُ قالوا: لا يلزم.

وفي مسجدِ قباء نزل قوله تعالىٰ: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾ [التوبة: ١٠٨] الآية، فهذا المسجدُ هو مسجدُ قباء.

155/241 تقدَّم هذا الحديثُ في أبوابِ العلمِ، وقوله: «**إنَّ مما يلحَقُ المؤمنَ**» يقتضي أنَّ خصالًا غيرَ هذه تلحقُ المؤمنَ أيضًا، وقد تتبَّعها الحافظُ السيوطيُّ من الأحاديثِ فبلغتْ إحدىٰ عشرةَ خصلةً نظمَها في قوله:

إذا ماتَ ابنُ آدمَ ليس يَجْرِي ... عليه مِن فِعالٍ غيرِ عَشْرِ
عُلُومٌ بثَّها ودُعاءُ نَجْلٍ ... وغَرْسُ النَّخْلِ والصَّدقاتُ تَجْري
وِراثَةُ مُصْحَفٍ ورِباطُ ثَغْرٍ ... وحَفْرُ البِئْرِ أو إجراءُ نهرِ
وبَيْتٌ للغريبِ بناهُ يأوِي ... إليه أو بناءُ محلِّ ذِكْرِ
وتَعْليمٌ لقرآنٍ كريمٍ ... فخذْها مِنْ أحاديثَ بِحصْرِ

ويلتحقُ بها ما في معناها مما فيه مصلحةٌ عامةٌ كبناء مستشفىٰ ونحوه.

157/243 «**كبدٌ حَرَّى**» أي تجري فيها الحياةُ وسواء أكانَ صاحبُها إنسانًا أم حيوانًا. قوله: «**كمفْحَصِ قطاةٍ**» قيل: هو للمبالغةِ، والمرادُ: الحضُّ علىٰ بناءِ المسجدِ صغيرًا كان أو كبيرًا، كما في الحديثِ بعده، وقيل: هو علىٰ حقيقتِه، وذلك بأنْ يزيد في المسجدِ زيادةً يحتاجُ إليها تكون بهذا المقدارِ، أو يشترك جماعةٌ في بناء مسجدٍ فتقع حصَّةُ كلِّ واحدٍ منهم ذلك القدر، قاله الحافظ ابنُ حجر في "فتح الباري".

159/245 هذا الحديثُ ضعَّفه الترمذيُّ لأنَّ فيه انقاطعًا وراويًا مختلفًا فيه، وقد عدَّ الرافعيُّ نسيانَ القرآنِ بعد حفظه من الكبائرِ، وتبعه ابنُ حجرٍ الهيثميُّ في

"الزَّواجر"، تمسكًا بهذا الحديثِ وما في معناه، لكنَّ سفيانَ بن عيينة كان يذهبُ إلى أنَّ المرادَ بالنِّسيان الترك، واحتجَّ بأن النِّسيانَ في لسان العرب: الترك، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [الأنعام: ٤٤] أي تركوا، وقال تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحشر: ١٩] أي تركوا طاعةَ الله فترك رحمتَهم، قال سفيانُ: «وليس من اشتهرَ بحفظ شيءٍ من القرآنِ وتفلتَ منه بناسٍ إذا كانَ يحلّ حلالَه ويحرِّمُ حرامَه».اهـ

وكذا حُمل النِّسيانُ على تركِ العمل أيضًا الحافظ أبو شامة، قال: «وللقرآنِ يوم القيامة حالتان؛ إحداهما: الشَّفاعةُ لمن قرأه ولم ينسَ العملَ به، والثانية: الشكايةُ على من نسيه، أي: تركه تهاونًا به ولم يعملْ بما فيه». قال: «ولا يبعدُ أنْ يكونَ من تهاون به حتَّى نسيَ تلاوتَه كذلك».اهـ

وناقشَ كلامَه ابنُ حجرٍ الهيثميُّ في "الزَّواجر" كما ناقش القرطبيُّ في كتاب "التِّذكار" كلامَ سفيانَ بن عيينة.

$\frac{162}{248}$ أمُّ محجَنٍ هذه كنيتُها، واسمُها خرقاءُ، كذلك جاءَ من رواية حماد بن زيد، عن ثابتٍ، عن أنسٍ عند ابن مَنْده.

$\frac{169}{255}$ لفظ الحديث: «**كلّ سُلامَى من النَّاسِ عليهِ صدقةٌ، كلَّ يومٍ تطلُعُ فيه الشَّمسُ تعدلُ بينَ اثنينِ صدقةٌ، وتعينُ الرَّجلَ في دابَّتِه فتحملُه عليها أو ترفعُ له عليهَا متاعَه صدقةٌ، والكلمةُ الطيبةُ صدقةٌ، وبكلِّ خُطوةٍ تمشِيها إلى الصَّلاةِ صدقةٌ، وتُميطُ الأذَى عنِ الطريقِ صدقةٌ**» وهو الحديثُ السادسُ والعشرون في "الأربعين النَّووية". سُلَامَى بضمِّ السِّينِ وفتحِ الَّلام والميمِ، عِظامُ المفاصلِ.

والمعنى أنَّ تركيبَ هذه العظام وسلامتها نعمةٌ من نعم الله تعالى ينبغي للعبد أنْ يشكرَها بالصدقةِ عنها كلَّ يوم.

وليستِ الصدقةُ محصورةً في دفع المال، بل تشملُ كلَّ فعل خيرٍ من عدل بين متخاصمين أو مساعدةِ مسلمٍ في بعضِ حاجاته كركوبِ دابةٍ مثلًا أو كلمة طيبةٍ يقولها لأخيه المسلمِ، أو ذهابٍ إلى المسجدِ للصلاةِ، أو إزالة أذى كشوك مثلًا عن طريق المسلمين، ومن الصَّدقةِ أيضًا الأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكر.

$\frac{171}{257}$ تقدم هذا الحديثُ وهو رقم ١١٠.

$\frac{173}{260}$ صحَّح المؤلِّفُ إسنادَه، مع أنَّه من روايةِ سماك عن عكرمةَ، وقد قال يعقوبُ بن شيبة: «رواية سماكٍ عن عكرمةَ خاصةٌ مضطربةٌ، وروايته عن غيره صالحةٌ». لكن رواه الطبرانيُّ من طريق سماك، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبَّاسٍ.

وروى الترمذيُّ عن أبي سعيد الخدريِّ قال: كانتْ بنو سلمة في ناحيةٍ من المدينة، فأرادوا أنْ ينتقلُوا إلى قريبٍ من المسجدِ فنزلت: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ﴾ [يس: ١٢]. فقال لهم النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ آثارَكُم تُكتَبُ**». فلم ينتقلوا.

قال الترمذيُّ: «حسنٌ غريبٌ». وكان الأولى للمؤلفِ أنْ يذكر هذا الحديثَ، لكنَّه سهَا عنه.

$\frac{179}{266}$ $\frac{180}{267}$ تقدم هذان الحديثان، وهما رقم ١١ - ١٣ من أبوابِ الطهارةِ.

183/269 المسجدُ بيتُ الله، وزائرُه يكرمه الله بغفران ذنوبِه وتقويةِ إيمانه.

قوله: «وقد رُوي موقوفًا على أصحابِ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم». قلتُ: رواه البيهقيُّ بإسنادٍ صحيحٍ.

184/270 «**ضامنٌ علَى الله**» أي واجبٌ على الله أن يحفظَه ويرعاه، وهو وجوبُ إفضال من جهةِ وعدِه الذي لا يُخلفُ، لا من جهةِ أنه يجبُ لأحدٍ عليه شيءٌ، تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا.

وإنَّما كان هؤلاءِ الثَّلاثة ضامنين على الله لأنَّ المجاهدَ قصد نصرةَ الإسلام وإعلاء الدين، والذاهبُ إلى المسجد قصدَ مغفرةَ الله ورضوانه، والدَّاخلُ إلى بيتِه قصد إيناسَ أهلِه والنَّظرَ في مصالحهم.

191/277 «**سبعةٌ يظلُّهم الله في ظلِّه**» يعني ظلَّ عرشِه، كذلك جاءَ مصرَّحًا به في حديث سلمان عند سعيد بن منصور بإسنادٍ حسنٍ، وذكر الرَّجلِ وصفٌ طرديٌّ إذ المرأةُ مثلُه إلا في قوله: «**إمامٌ عادلٌ**» فإنَّ المرأة لا تتولى الإمامةَ وإلا في قوله: «**ورجلٌ قلبُه معلقٌ بالمساجدِ**» فإنَّ صلاةَ المرأة في بيتِها أفضلُ كما سبق، وقوله: «**ورجلٌ دعتْه امرأةٌ ذاتُ منصبٍ وجمالٍ**» أي دعته إلى الفاحشةِ كما هو ظاهر اللفظ، وهو الموافق لقوله تعالى يمدحُ يوسفَ عليه السَّلام: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٢٣] وبه جزم القرطبي في "شرح مسلم".

وقيل: دعته إلى التَّزوجِ، بها مخافة أنْ يُفتن بها عن العبادة أو ألا يقومَ بحقِّها، وهذا وجهٌ بعيدٌ، ويتصور في المرأة أيضًا أنْ يدعوها رجلٌ ذو منصب

أو مال فتمتنعُ منه، وتقول: إني أخافُ الله، وقد حصَل ذلك في قصة الكِفْل من بني إسرائيل كما في "سُنن الترمذي".

ولا مفهومَ لهذا العدد المذكور هنا، فقد وردتْ أحاديثُ في خصال توجبُ الظِّلال منها ما جاء في "صحيح مسلم" عن أبي اليسرِ مرفوعًا: «**من أنظرَ مُعْسِرًا أو وضَعَ عنه أظلَّه الله في ظلِّه يومَ لا ظلَّ إلا ظِلّه**».

وروىٰ البيهقيُّ من حديث عمر رضى الله عنه مرفوعًا: «**من أظلَّ رأسَ غازٍ أظلَّه الله يومَ القيامةِ**» الحديثُ، صحَّحه ابن حِبَّان.

وروىٰ أحمد والحاكمُ والبيهقيُّ من حديثِ سهلِ بن حُنيف: «**منْ أعانَ مجاهدًا في سبيل الله، أو غارمًا في عشيرتِه، أو مُكاتبًا في رقبتِه أظلَّه الله في ظلِّه يومَ لا ظلَّ إلا ظلّه**» إسناده حسنٌ.

وروىٰ الأصبهانيُّ في "التَّرغيب" من حديث أنس :«**التَّاجرُ الصَّدوقُ تحتَ ظلِّ العرشِ يومَ القيامةِ**»، ورواه البغويُّ في "شرح السُّنة" من حديث سلمان أيضًا.

وللطبرانيِّ بإسنادٍ ضعيفٍ من حديث أبي هريرة: «**أوْحَى الله إلى إبراهيمَ عليه السَّلامُ: يا خليلي حسنْ خُلقَكَ ولو معَ الكفَّارِ تدخل مداخِلَ الأبرارِ، وإنَّ كلمتِي سبقتْ لمن حَسُنَ خُلقُه، أنْ أظلَّه تحتَ عرشي وأنْ أسقيَه منْ حظيرةِ قُدسي وأنْ أدنِيه منْ جِوارِي**».

وروىٰ الطبرانيُّ عن أبي اليسرِ قال: أشهدُ علىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لسمعتُه يقول: «**إنَّ أولَ النَّاسِ يستظلّ في ظلِّ الله يومَ القيامةِ لَرجلٌ أنظرَ معسرًا حتى يجدَ، أو تصدقَ عليه بما يطلبُه، يقول: مالي عليكَ صدقةٌ،**

ابتغاءَ وجهِ الله ويخرقُ صحِيفتَه». قال الحافظ الهيثميُّ: «إسناده حسنٌ».

قلت: الصدقةُ على المعسر: تركُ الدين له، والوضعُ عنه: ترك بعض الدين، كأن يكون لك على شخصٍ عشرةٌ فتضعُ عنه أربعةً وتأخذُ ستةً.

ولأبي نعيم حديث أبي هريرة: «**سبعةٌ في ظلِّ العرشِ يومَ لا ظلَّ إلا ظلّه**» فذكرها نحو ما في المتن إلا أنه لم يذكر: «**وشابٌّ نشأ في عبادةِ الله**»، وذكر بدله: «**ورجلٌ كان في سريةٍ مع قومٍ فلقوا العدوَّ فانكشفُوا، فحَمى آثارَهم حتى نَجَا ونجَوْا، أو استُشهدَ**». قال الحافظ: «حسنٌ غريبٌ جدًّا».

قلت: ورواه ابن زنجويه في "الترغيب" من طريق الحسن مرسلًا.

وروى البيهقيُّ في "الأسماء والصفات" من حديث أبي هريرة أيضًا: «**سبعةٌ يظلّهم الله تعالى تحتَ عرشِه يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّه: رجلٌ قلبه معلقٌ بالمساجدِ، ورجلٌ دعتْه امرأةٌ ذاتُ منصبٍ، فقال: إنِّي أخافُ الله عزَّ وجلَّ، ورجلانِ تحابَّا في الله، ورجلٌ غضَّ عينيهِ عن محارمِ الله تعالى، وعينٌ حرستْ في سبيل الله، وعينٌ بكتْ من خشيةِ الله**».

قال المناويُّ: «إسناده حسنٌ، وليس كذلك؛ بل فيه جعفر بن محمد بن اللَّيث، هو الزيادي، قال الدارقطنيُّ: ضعيفٌ».

ولأبي الشيخ في "الثواب" من حديث جابر مرفوعًا: «**ثلاثٌ من كُنَّ فيه أظلَّه الله عزَّ وجلَّ تحتَ ظلِّ عرشِه يومَ لا ظلَّ إلا ظلّه: الوضوءُ في المكارِه، والمشيُ إلى المساجدِ في الظُّلَمِ وإطعامُ الجائعِ**».

قال الحافظ: «غريبٌ وفيه ضعفٌ».

وللطبراني بإسناد ضعيفٍ من حديث جابر: «**أظلَّ الله في ظلِّه يومَ القيامة**

من أنظرَ معسرًا أو أعانَ أخرقَ» والأخرقُ من لا صنعةَ له، ولا يقدر أن يتعلم صنعةً.

وللطبرانيِّ بإسناد ضعيف من حديث جابر: «ومنْ كفَلَ يتيمًا أو أرملةً أظلَّه الله في ظلِّه يومَ القيامةِ».

ولأحمد عن عائشة: «أتدرُونَ من السَّابقُ إلى ظلِّ الله يومَ القيامةِ؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «الذين إذا أعطُوا الحقَّ قبِلُوه، وإذا سُئِلوهُ بذَلُوهُ وحكمُوا للناسِ كحكمِهم لأنفسِهم». قال الحافظ: «غريبٌ، وفيه ابن لهيعة».

وللطبراني من حديث أبي أمامة: «ثلاثةٌ في ظل الله عزَّ وجلَّ، يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّه: رجلٌ حيثُ توجَّه علِمَ أنَّ الله معَه، ورجلٌ دعته امرأةٌ إلى نفسِها فتركَها من خشيةِ الله تعالى، ورجلٌ أحبَّ رجلًا لجلالِ الله تعالى». إسناده ضعيف.

ولأبي الشيخِ والأصبهانيِّ، والدَّيلميِّ بإسناد فيه ضعفٌ واضطرابٌ من حديث أنس: «ثلاثةٌ في ظلِّ العرشِ يومَ القيامةِ يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّه: واصِلُ الرَّحمِ، وامرأةٌ مات زوجُها وتركَ أيتامًا صغارًا فقالتْ: لا أتزوَّجُ حتَّى يموتُوا أو يغنيَهُم الله تعالى، وعبدٌ صنعَ طعامًا فأطابَ صُنعَه، وأحسنَ نفقتَه فدَعَا عليه الفقيرَ والمسكينَ فأطعمَهُم لوجهِ الله».

وللأصبهانيِّ في "التَّرغيب" بإسناد ضعيفٍ من حديث ابن عمر: «ثلاثةٌ يتحدَّثونَ في ظلِّ العرشِ آمنينَ والناسُ في الحسابِ: رجلُ لم تأخذْه في الله لومةُ لائمٍ، ورجلٌ لم يمدَّ يديهِ إلى ما لا يحلُّ له، ورجلٌ لم ينظرْ إلى ما حُرِّم عليهِ».

وبقيت خصالٌ أخرىٰ جمعها الحافظ في تأليف سماه: "معرفة الخصال الموصلة إلىٰ الظلال"، ولتلميذِه الحافظ السَّخاويِّ تأليفٌ في ذلك أيضًا، لخَّصه

العلامة المحدِّثُ الشيخ محمد بن عبدالباقي الزرقانيُّ ثمَّ نظمها في قصيدة ذكرها في "شرح الموطأ".

وللحافظ السُّيوطيِّ كتاب "تمهيد الفرش في الخصال المؤدِّية لظل العرش"، أوصلها إلى سبعين خصلةً، ولخصه في رسالة سماها "بزوغ الهلال في الخصال الموجبة للظلال"، واعترضَه السَّخاويُّ بأنه أدرجَ في كتابه ما لا تصريحَ فيه بالمرادِ منه في أحاديثه، وأطال في بيانِ ذلك بما يعلَم من مراجعتِه.

$\frac{193}{279}$ يؤخذُ منه أن الشَّهادة لعُمَّارِ المسجدِ بالإيمانِ صحيحةٌ، وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [التوبة: ١٨] أي لم يخش الأصنامَ التي تعبدُ من دون الله، والتي كان المشركون يخشونها ويرجون خيرَها، وهي لا تضرُّ ولا تنفعُ، ولم يذكر الإيمان بالرسول في الآية، اكتفاءً بذكر إقامِ الصَّلاة وإيتاءِ الزَّكاة لأنَّهما لا يصحَّان إلا مع الإيمان بالرسول، ولا يعرفان إلا عن طريقه، والإيمانُ باليوم الآخر لا يعرفُ إلا عن طريقِ الرسول أيضًا.

$\frac{196}{282}$ «تبشبش» أي فَرِحَ كما يفرحُ أهل الغائبِ بغائبِهم إذا قدم عليهم وفي رواية لابن خُزيمة: «**ما منْ رجلٍ كانَ توطَّن المسجدَ فشغلَه أمرٌ أو علَّةٌ ثمَّ عادَ إلى ما كان، إلا تَبشْبشَ الله إليه كما يتَبشبشُ أهلُ الغائبِ بغائبِهم إذا أقدَم**».

والمراد: إقبال الله عليه برحمتِه وكرامتِه.

$\frac{197}{283}$ العلاءُ بن زياد لم يسمعْ من معاذ، ورواه أحمد أيضًا من طريق العلاء بن زياد عن رجل حدثه يثقُ به، عن معاذٍ به.

وللطبرانيِّ والسِّجزيِّ في "الإبانة" من حديثه أيضًا: «**الشَّيطانُ ذئبُ**

الإنسانِ كذئبِ الغنمِ، يأخذ الشَّاةَ والشَّاذةَ القَاصيةَ والنَّاحيةَ. فعليكُم بالجماعةِ، والألفةِ، والعامةِ، والمساجد. وإياكمْ والشِّعابَ».

الشِّعاب جمع شِعبٍ، بكسر أوله: الطريق في الجبل، وهو لصعوبته لا يسلكه إلا الفردُ بعد الفردِ، وسالكه يكونُ معرضًا لأخطار مُهلكةٍ، بخلافِ سالك الطريق العامِّ الواضحِ، لا خطر عليه. كذلكَ المنفردُ عن جماعةِ المسلمين في بعض العقائد أو العبادات يختطفه الشَّيطان فيضله ويهلكهُ وهذا الحديثُ من أدلة الأصوليين على وجبَ اتباعُ الإجماعِ.

ثواب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة

نزع المؤلف بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] فالمرابطةُ في الآيةِ -على هذا- هي انتظارُ الصلاة في المسجدِ، وكذلك قال ابن عبَّاسٍ وأبو هريرة وسهل بن حُنيف ومحمَّد بن كعب القُرظيُّ وغيرُهم. وستأتي أحاديث في هذا الباب بهذا المعنى وتقدم في المتنِ حديثُ: «**فذلكُم الرِّباطُ، فذلكم الرِّباطُ، فذلكُم الرِّباطُ**» وهو رقم (١٨٠) من أبوابِ الصَّلاة. وقيل: المرادُ مرابطةُ الغزوِ، وحفظُ ثغورِ الإسلام، وقد ورد في ذلك أحاديثُ كثيرةٌ سيأتي بعضُها في أبوابِ الجهاد إن شاء الله تعالى. ويلاحظ أنَّ الأحاديثَ الواردة في فضل الرِّباط في الجهاد -مع كثرتها- لم تشر إلى هذه الآيةِ كما أشارتْ إليها أحاديثُ انتظارِ الصلاة.

$\frac{204}{290}$ إذا قال الصحابيُّ: نزلت الآية في كذا، فهو من قبيل المرفوع، نصَّ عليه الحاكمُ. وقوله: داود بن أبي صالح كذا بالأصول؟ والصَّوابُ: داود بن

صالح، وهو ابنُ دينار، التمار المدنيُّ، مولى الأنصار. ذكره ابن حِبَّان في "الثقات". والرَّواي عنه هنا مصعبُ بن ثابتِ بن عبدالله بن الزبير، ضُعِّفَ على عبادته وصلاحه. فقول الحاكم: «صحيحُ الإسنادِ» فيه شيءٌ. لكن رواه ابن مردويه من طريق عليِّ بن يزيد الكوفيِّ، عن ابنِ أبي كريمة، عن محمد بن يزيد، عن أبي سلمةَ، عن أبي هريرة به.

208/294 «العَتَمَة»: هي العشاءُ، وجاء عن أنس أيضًا قال: فينا نزلتْ -معاشرَ الأنصارِ-: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ [السجدة: ١٦] الآية، كنَّا نُصلِّي المغربَ فلا نرجعُ إلى رحالنا حتى نصلِّيَ العشاء مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

وحيثُ صحَّ أنَّ الآيةَ نزلت في انتظارِ صلاة العشاء فهي تشمل -بفَحْوى الخطاب- قيامَ الليل، ولذلك استدل بها النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على صلاة الليل في حديث معاذ الآتي، وفيه: ثمَّ قال: «**ألا أدلُّكَ عَلى أبوابِ الخيرِ؟ الصَّومُ جُنَّة، والصدقةُ تطفئُ الخطيئةَ، وصلاةُ الرجلِ في جوفِ الليلِ**» ثم قرأ: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ [السجدة: ١٦] -حتى بلغَ-: ﴿يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

210/296 «وعقَّبَ مَن عقَّبَ» التَّعقيب في المسجد: انتظارُ الصلاة بعد الصلاة «حفزَهُ النفَسُ» أي أعجله النفَسُ لإسراعه، وهذا المعنى بقي بياضًا في أصل المؤلف، وفي الحديثِ دليل على أن الرَّكبةَ ليستْ بعورةٍ، وإسناد الحديث صحيحٌ، إلا أنَّ المنذريَّ قال: «أبو أيوب المراغي العتكيُّ ثقةٌ، ما أراه سمع

عبدالله». فأعلَّه بالإرسال، ولكنَّ ذكر الحافظ في "تهذيب التهذيب" روايتَه عن عبدالله بن عمرو، ولم يشِرْ إلى عدمِ سماعه منه، ثم إنَّ أبا أيوب ثقةٌ لم يُعرفْ عنه تدليسٌ، وقد روى عن عبدالله بن عمرو بلفظ «عن» فروايته محمولةٌ على الاتصال، حسبما تقرَّر.

$\frac{211}{297}$ «**الكَشْح**»: ما بين الخاصرةِ إلى الضِّلعِ الخلف. ومعنى الحديث: أنَّ منتظر الصلاة له من الثوابِ كثواب فارس اشتدَّ به فرسُه في ميدان القتال، على كشْحِه أي حال كونِ الفارس باديَ الكشحِ، ليس عليه درعٌ ونحوُه مما يقيه بأس القتال، ويحميه وقعَ السيوفِ وضرب النِّبال. وهذا أقوى في الفروسية وأكثر في نيل الثوابِ.

$\frac{213}{299}$ زبانُ بنُ فائدٍ الحمراويُّ المصريُّ، فاضلٌ عابدٌ شديدُ الخوف من الله، قال اللَّيث بن سعد: «لو أراد زبانُ أن يزيد في العبادة مقدار خردلةٍ ما وجد لها موضعًا». وذلك لكثرة عبادته، ولكنه مع هذا ضعيفٌ في الحديث، وروايته عن سهل بن معاذ مطعونٌ فيها بخصوصِها، قال ابن حِبَّان: «له نسخةٌ عن سهل بن معاذ كأنها موضوعةٌ». ومعاذ المذكور هنا هو ابن أنس الجهنيُّ، حليفُ الأنصارِ، معدودٌ من أهل مصرَ. وليس هو معاذ بن جبل كما يَتوهَّم من لا معرفةَ له بهذا الشَّأن.

$\frac{218}{304}$ «**تُمكِنَه الصَّلاةُ**» أي يجوز له فعلها، وذلك بعد طلوعِ الشمس وارتفاعِها قيدَ رُمحٍ.

$\frac{220}{305}$ أحال بذكر هذا الحديثِ على صلاة الضُّحَى، ونسي أن يذكرَه هناك،

وذكر بدله حديثَ عبدالله بن عمرو بن العاص، ولفظُ حديثِ أبي هريرة نحو حديثِ عمر رضي الله عنه، وذكر البزَّار فيه أنَّ القائلَ: «ما رأينا أسرعَ رجعةً ...» إلخ، أبو بكر الصديق رضي الله عنه. وقال في آخره: فقال النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**يا أبا بكر ألا أدلّك على ما هوَ أسرعُ إيابًا وأفضلُ مغْنمًا؟ من صلَّى الغداةَ في جماعةٍ، ثمَّ ذكرَ الله حتَّى تطلعَ الشَّمسُ**».

$\frac{222}{307}$هذا الحديثُ رواه أبو داود في كتاب العلم من "سننه"، في باب القصص، وفي إسناده موسىٰ بن خلف العمِّيُّ البصريُّ؛ استشهد به البخاريُّ، وأثنىٰ عليه غيرُ واحد، وتكلَّم فيه ابن حِبَّان. ورواه أبو يعلىٰ، ولفظه: «**لأنْ أقعدَ معَ قومٍ يذكرونَ الله من بعدِ صلاةِ الفجْرِ إلى أنْ تطلعَ الشَّمسُ أحبُّ إليَّ من أنْ أعتقَ أربعةً من ولدِ إسماعيل، ديةُ كلِّ رجلٍ منهم إثنا عشرَ ألفًا، ولأنْ أقعُدَ مع قومٍ يذكرُون الله من بعدِ صلاةِ العصرِ إلى أن تغربَ الشَّمسُ أحبُّ إليَّ من أنْ أعتقَ أربعةً من ولدِ إسماعيلَ، ديةُ كلِّ رجلٍ منهُم إثنا عشرَ ألفًا**».

رجاله ثقاتٌ، غيرَ محتسبِ بن عبدالرحمن أبي عائذ، وثَّقه ابن حِبَّان، وقال ابنُ عدي: «له أحاديثُ عن ثابت عن أنس، غيرُ محفوظة». وقد حملَ أبو داود الذكر في الحديث علىٰ العلمِ ومدارسته، حيثُ رواه في كتابِ العلمِ كما تقدم، ولا مانعَ من حمله أيضًا علىٰ الذِّكر المعهودِ بالهيللةِ والتَّحميد والتَّسبيح ونحو ذلك، بل هو الأقربُ. ويؤخذ من الحديث أيضًا جوازُ استرقاقِ العربِ، وفي ذلك بحثٌ ليس هذا محلَّ بسطِه.

$\frac{232}{317}$عمارة مختلفٌ في صحبته، ولم يروِ إلا هذا الحديثَ، وروىٰ عنه عن رجل من الأنصار عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، ورجَحَ هذه الرِّواية ابن

عساكر، ويقال فيه: عمارٌ، وهو معدودٌ في أهل مصرَ، تُوفِّي سنة ٥٠هـ والمرادُ بالمسلحةِ في الحديث: الملائكةُ.

أبواب صلاة التَّطوع

$\frac{7}{324}$ رُوِّينا في جزءِ أبي بكر محمد بن الفرج الأزرق قال: حدَّثنا جُريجٌ، عن عطاء، عن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**قُولُوا خيرًا، قُولُوا: سبحانَ الله وبحمْدِه فبالواحدةِ عشرةٌ، وبالعشرةِ مائةٌ، وبالمائةِ ألفٌ، ومن زاد زادَه الله عزَّ وجلَّ، ومن استغفرَ غفرَ الله لَه، ومن حالتْ شفاعتُه دونَ حدٍّ من حدودِ الله فقد ضادَّ الله في ملكِه، ومن باهتَه مؤمنًا أو مؤمنةً حبِسَ في ردْغةِ الخبالِ حتَّى يخرجَ ممَّا قال، ومن ماتَ وعليه دينٌ أخِذَ من حسناتِه، ليسَ ثَمَّ دينارٌ ولا درهمٌ، حافظوا على ركعتيِ الفَجرِ، فإنَّ فيهِما الرَّغائبُ**». مات محمّد بن الفرج الأزرق البغدادي سنة ٢٨٢هـ.

ولعلَّ هذه الأحاديثَ مستندُ المالكية في تسمية ركعتي الفجرِ: «رغيبة».

$\frac{11}{328}$ «**يتفيَّأ ظلالُه**» يميل ذاتَ اليمين وذاتَ الشِّمال، قال مجاهد وقتاده والضحاك وغيرُهم: إذا زالت الشَّمسُ سَجَدَ كلّ شيءٍ لله عزَّ وجلَّ. ﴿دَٰخِرُونَ﴾ [النحل: ٤٨]. صاغرون خاضعون.

$\frac{14}{331}$ قابوسُ بن أبي ظَبيان بفتح أوله وسكون ثانيه، حصينُ بن جندب الجنبي، بفتح أوله وسكون ثانيه، الكوفيُّ. ثقةٌ، تحامل عليه بعضُهم، ورد شهادته ابن أبي ليلى لتفضيله عليًّا على عثمانَ رضي الله عنهما، وما في ذلك -لو أنصفُوا- ما يشينُه.

$\frac{19}{336}$ عمر بن عبدالله بن أبي خثعم، ضعيفٌ. ولذا قال الترمذيُّ عن هذا الحديث: «غريبٌ»، يعني أنه ضعيفٌ، وهذه عادته إذا أطلقَ هذا اللَّفظ وحده، وأمَّا إذا قال: «حسنٌ غريب»، أو «صحيحٌ غريبٌ» فيقصد التَّفرد الذي يجامع الصِّحةَ والحسنَ.

$\frac{20}{337}$ أورد ابنُ مَنْده هذا الحديثَ من طريق صالحِ بن قطن أيضًا، وقال: «غريبٌ، تفرد به صالحٌ»، وأورده ابن الجوزيُّ في "العلل"، وقال: «في إسناده مجاهيل».

$\frac{28}{345}$ «**مشهودةٌ محضورةٌ**» تشهدها الملائكةُ وتحضرها. وهؤلاء الملائكة الذي يتعاقبون فينا بالليلِ والنَّهار.

$\frac{29}{346}$ «**وصامَ ثلاثةَ أيامٍ منْ كلِّ شَهرٍ**» هي اليومُ الثالثُ عشرَ وتالياهُ، وفي هذا الحديث نكارةٌ، كما قال الحافظ المنذريُّ.

$\frac{41}{358}$ «**كلّ شيءٍ خُلقَ منَ الماءِ**» إنْ حُمل شيءٌ على الإنسان والحيوان، فالمرادُ بالماءِ: المنيُّ، وهو كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ [الفرقان: ٥٤]. وإن حُمِلَ على النَّبات معهما أيضًا فالمرادُ الماءُ المعهود، لأنَّ به حياةَ الحيوانِ والنَّبات، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

$\frac{56}{373}$ «**تدارَكتْ حولَه الحُورُ العِينُ**» تلاحقُ بعضُهنَّ ببعضٍ، فلحق آخرُهُنَّ بأولهنَّ؛ إعجابًا بعبادته، واستبشارًا بكونهنَّ من أزواجه في الجَنَّة.

$\frac{59}{376}$ تقدم هذا الحديث في أبواب العلمِ، وهو رقم (٨) وتكلَّمنا عليه

هناك.

62/379 «ومن قرأَ مائةَ آيةٍ كتب له قنوتُ ليلةٍ» أي كُتِبَ له قيام ليلة. «ومن قرأَ مائتي آيةٍ كُتبَ من القانتينَ» أي كتب من جملة القائمين باللَّيل، والموصوفين بذلك على الدَّوام.

وهذا أرقى من قيامِ ليلةٍ وأرقى من القَانتِ العَابدِ؛ لأنَّ العبادة صارت وصفًا له. وأرقى منه الحافظ، لأنَّ القرآن أفضلُ الذِّكر، والعَابدُ قد يكون غيرَ حافظٍ له.

وأرقى منه الخاشعُ؛ أي الخاضعُ لله بحاله وقاله، لأنَّ الحافظَ قد يدخله زهو بحفظه. وأرقى من الجميعِ: المخبتُ، المطمئنُّ بقضاءِ الله المستسلمُ لمرادِه، الوجل من هيبتِه وجلاله. ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الحج: ٣٤ - ٣٥].

تنبيه: من (سورة تبارك) إلى آخر القرآن ألف آية.

64/381 هذا الحديثُ يخالفُ الذي قبله في تحديدِ القنطار، فإنْ ذهبنَا إلى التَّرجيحِ، فهذا صحيحٌ وذاك ضعيفٌ. وإن ذهبنا إلى الجمعِ فيمكنُ أن يحملَ على اختلافِ معنى القنطار عند العربِ، فخوطبَ كل قومٍ بما عندَهم، أو يحمل حديث أبي أمامة على المعنى اللغويِّ، وحديث أبي هريرة على القنطارِ في عرف الشَّرعِ، أي القنطار الذي اعتبره الشَّرعُ مقياسًا للثَّواب، اثنتا عشرةَ ألفِ أوقيةٍ، ولا يخفى أنَّ المعنى الشَّرعيَّ طارئٌ على المعنى اللغويِّ وآتٍ بعدَه، والأمر هنا

كذلك، فإن أبا هريرة أسلمَ بعد أبي أمامة، وحديثه يناسبُ الكرمَ الإلهيَّ في إجزالِ الثَّواب.

$\frac{65}{372}$ «**حتَّى تنفطرَ قدَماه**» تشققَ ويخرجَ منها الدمُ. «**وقد غُفرَ لك ما تقدَّم من ذنبِكَ وما تأخَّر**» هذا على وفاق قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ١ - ٢]، وهو مؤولٌ قطعًا؛ لعصمة الأنبياء عليهم السَّلام. وتأويله بحمل المغفرةِ على العِصمة، إذ المغفرة معناها السِّتر، وهو يتفق مع معنى العِصمة الذي هو الحيلولة بين النبيِّ وبين الذنب، فعبر في الآية بالمغفرة عن العصمة لأنَّ المقامَ مقامُ امتنانٍ، والمرادُ إظهار عصمته للناس ظهورًا لا خفاء فيه، ولذلك دخل مكةَ عام الفتحِ مطأطئًا رأسه متواضعًا، لم يأخذه بطر النَّصر ولا استهوته عزة الظفر، وقال لأعدائه: «**اذهبُوا فأنتمُ الطُّلقاءُ**».

$\frac{67}{384}$ هذا الحديث ضعيفٌ كما أفاده صنيعُ المؤلفِ، وبَالَغَ ابنُ الجوزيِّ فأورده في "الموضوعات" وأعلَّه بيوسف بن محمَّد بن المنكدر، متروكٌ، لكنَّه لم يصل حديثه إلى حدِّ الوضع، فقد أثنى عليه أبو زُرعة، وابن عديٍّ وغيرُهما.

وقد روى العقيليُّ هذا الحديث موقوفًا على محمد بن المنكدر والد يوسف المذكور، بإسناد ضعيفٍ أيضًا.

وروى العقيليُّ عن ربيعة بن يزيد قال: «قالتْ أمُّ سليمان بن داود عليهما السلام لسليمان: إياكَ وكثرةَ النَّومِ، فإنه يقْعِدك حين يحتاجُ الناس إلى أعمالهم».

وقد يكونُ الأصلُ في الحديث المذكور أنَّه موقوفٌ، رفعه يوسف غلطًا

لغفلته، وإنَّما كانت كثرةُ النَّوم بالليل تدعُ الرَّجل فقيرًا يوم القيامة لأنَّه بالنَّهارِ لا يتفرغ للعبادة، لاشتغاله بأمورِ معاشه، فإذا لم يعمل لمعاده بشيء من قيام الليل يبقىٰ فقيرًا يوم القيامة، والله أعلم.

$\frac{69}{386}$ الشَّكُّ في تعيين الصَّحابي، أو إبهامه وعدم تعيينه باسمِه الخاصِّ، لا يؤثر في صحة الحديثِ، لأنَّ الصَّحابةَ عدولٌ، بخلافِ ما لو حصَل ذلكَ في راوٍ من غير الصَّحابة، تابعيٍّ فمن دونه، فإنَّه يضعِّفُ الحديث وينزله عن درجة الصِّحة.

$\frac{75}{392}$ تقدَّمَ هذا الحديثُ والحديثُ الذي بعده أيضًا والمغفرة فيهما للصَّغائر كما نبهنَا عليه.

$\frac{82}{399}$ «**لا يحافظُ على صلاةِ الضُّحَى إلا أوَّابٌ**». الأوابُ في الأصل: التَّائب من الذَّنب، الرَّجاع من المعصية إلىٰ الطاعة. ثمَّ أُطلق علىٰ مصلِّي الضُّحىٰ أو المصلِّي بين العشاءين، أو الطائعِ لأنَّه يرجعُ إلىٰ الصَّلاةِ أو إلىٰ الطاعةِ مرةً بعد أخرىٰ. قوله: «ولم يتابعْ عبدالله بن زرارة» كذلك جاء عند ابن خزيمة. وإسماعيل هذا وثَّقه ابن حِبَّان، وقال الأزديُّ: منكرُ الحديثِ، وهذا الحديث رواه الدراورديُّ عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة مرسلًا، ورواه حمادُ بن سلمةَ، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة موقوفًا عليه غير مرفوعٍ، فتبين أنَّ إسماعيلَ لم يتابعْ علىٰ وصلِه.

$\frac{84}{410}$ نعيمُ بن همار الغطفاني، صحابيٌّ. معدودٌ في أهل الشَّام، اختلفَ في اسم أبيه، فقيل: همارٌ، وقيل: هبارٌ، وقيل: همامٌ، وقيل: هدارٌ، وقيل: خمارٌ،

وقيل: حمارٌ، باسم الحيوان المعروف. واختُلف في هذا الحديث اختلافًا كثيرًا، وقد جمع الحافظُ المنذريُّ طرقَه في جزءٍ مفردٍ. وقيل: لم يرو عن نُعيم إلا هذا الحديث، وليس كذلك، فقد رويت عنه أحاديثُ أخرىٰ لكنَّها قليلةٌ.

$\frac{89}{406}$ $\frac{90}{407}$ حديثُ صلاةِ التَّسبيح وردَ من حديثِ ابن عبَّاسٍ، وأخيه الفضل، وأبيهما العباس، وعبدالله بن عمرو، وأبي رافع، وعليٍّ عليه السَّلام، وأخيه جعفر، وابنه عبدالله بن جعفر، وأمِّ سلمة، وأنس، وأبي كبشة الأنماريِّ، ومن مرسَل إسماعيل بن رافعٍ. وللخطيب الحافظ كتابُ "صلاة التَّسبيح" جمع فيه طرقَ الأحاديثِ.

واختلف العلماءُ في هذه الصَّلاة من الصَّحةِ إلىٰ الوضع، فأورد ابن الجوزيِّ حديثها في "الموضوعات"، ووافقه ابنُ تيمية، ورد الحفاظ كلامَ ابنِ الجوزيِّ، وقالوا: أساءَ بذكر الحديثِ في "الموضوعات"، ورأىٰ النَّوويُّ أنَّ الحديثَ ضعيفٌ.

وقال جماعة: إنَّه حديثٌ صحيحٌ، منهم ابنُ منْده، وأبو موسىٰ المدينيُّ وأفردا لتصحيحِه جزءًا خاصًا، وأبو سعيد السَّمعاني، وأبو الحسن بن المفضل، وتلميذه المنذريُّ، وأبو محمد عبدالرحيم المصريُّ، وابنُ الصلاح، والعلائي، والتَّقيُّ السُّبكيُّ، وابنه التَّاج، والبُلقينيُّ، والزَّركشيُّ، والحافظ في "أمالي الأذكار" وفي "الخصال المكفرة"، وقد ألفها بعد "التلخيص الحبير".

وقال الترمذيُّ: «قد رأىٰ ابنُ المبارك وغير واحدٍ من أهل العلم صلاة التَّسبيح وذكروا الفضلَ فيها».

وثبت عن أبي الجوزاءِ -وهو من ثقاتِ التَّابعين- أنَّه كان إذا أذَّن الظهر يأتي المسجد فيقول للمؤذنِ: لا تعجلني عن ركعاتي، فيصلِّيهما بينَ الآذان والإقامةِ. ورواه الدراقطنيُّ وغيره بإسنادٍ ثابتٍ.

وقال التَّاجُ السُّبكيُّ في "التَّرشيح لصَّلاة التَّسبيح": «وأمَّا من يسمعُ عظيم الثَّواب الوارد فيها ثمَّ يتغافل عنها فما هو إلا متهاون في الدِّين، غير مكترث بأعمال الصَّالحين، لا ينبغي أن يعدَّ من أهل العزمِ في شيء، نسأل الله السَّلامة».اهـ

وقوله: «**ألا أفعلُ لكَ عشرَ خِصالٍ**» هذه الخصالُ في الأقسام المبنية بعد بقوله: «**غفرَ الله لكَ ذنبَك قديمَه وحديثَه...**» إلخ، والكلامُ على تقدير مضاف أي ألا أفعل لك مكفِّر عشر خصال: «**إذا أنتَ فعَلتَ ذلكَ**» المكفِّر، وهو الصَّلاة المذكورة «**غفرَ الله ذنبَكَ كلَّه...**» إلخ، وقوله: «**عشْر خِصالٍ**» أي مكفر عشر خصال «**أنْ تصلِّي...**» إلخ، وفي صلاة التَّسبيح مباحثُ تراجعُ في كتب المكفِّراتِ للذنوب.

$\frac{91}{408}$ قال ابنُ ماجه عقب روايته: «قال أبو إسحاق: هذا حديثٌ صحيحٌ»، وصححه الطبرانيُّ في "معجمه الصَّغير"، والبيهقيُّ في "دلائل النبوة" وغيرهم. وهو أصحُّ حديثٍ في صلاة الحاجة ودعائها.

وقال الحافظ أحمدُ بن أبي خيثمة في "تاريخه": حدَّثنا مسلم بن إبراهيم: ثنا حماد بنُ سلمةَ، أنا أبو جعفر الخطميُّ، عن عمارة بن خُزيمة، عن عثمان بن حُنيفٍ: أنَّ رجلًا أعمى أتى النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقال إني أصبتُ

في بصري فادع الله لي. قال: «**اذهبْ فتوضَّأْ وصلِّ ركعتينِ ثمَّ قل: اللهمَّ إنِّي أسألكَ وأتوجَّه إليك بنبيِّي محمَّدٍ نبيِّ الرحمةِ، يا محمَّدُ إنِّي استشفعُ بكَ علَى ربِّي في ردِّ بصَري، اللهمَّ فشفِّعني في نفسِي وشفِّعْ نبيِّي في ردِّ بصَرِي. وإنْ كانتْ حاجةٌ فافعلْ مثلَ ذلكَ**». فردَّ الله بصره. هذا إسناد صحيحٌ.

$\frac{93}{410}$ قوله: «قال حميد بنُ حرب»، كذا بالأصل والصَّوابُ أحمد بن حرب، قوله: «تفردَ به عامر بن خداش وهو ثقةٌ مأمونٌ»، وهذا كلام الحاكم، وعامر هذا نيسابوريٌّ فقيهٌ عابدٌ، توفِّي سنة ٢٠٥ هـ. ذكره ابن حِبَّان في "الثِّقات"، لكن ذكر المنذريُّ عن شيخِه ابن المفضل قال: «صاحبُ مناكيرَ». وقال الذهبيُّ في "الميزان": «له ما ينكرُ، وحديثُه مقاربٌ». قلتُ: شيخُه في هذا الحديثِ عمرُ ابن هارون، وهو متَّهمٌ.

أبواب الجمعة

$\frac{1}{411}$ قوله: «**أعِدْ غُسْلًا آخَرَ**»، أمره بإعادةِ الغسْلِ لتحصيلِ فضلِ ثوابِ غسل الجمعة، لأنَّ غسل الجَنَابة لا يحصِّلُه، خلافًا لمن رأىٰ ذلك. «**كانَ في طهارةٌ إلى الجمعةِ الأخْرَى**». المرادُ: الطَّهارة من الذُّنوب الصَّغائر، فهي طهارة معنويةٌ، وهذا دليل علىٰ أنَّ غسل الجنابة لا يكفي غسلَ الجمعة.

$\frac{3}{413}$ قوله: «الحديث»، بقيته: «**فإذا أخذَ في المشي كانَ له بكلِّ خطوةٍ عملُ عشرين سنةً، فإذا انصرفَ منَ الصَّلاة أُجيزَ بعمل مائتَي سنةٍ**». وإسناده ضعيفٌ.

$\frac{7}{417}$ «**حضَرهَا يلغُو**» أي يتكلم، أو يقلبُ الحصىٰ، أو يعبث بشيءٍ في يده،

فإذا وقع شيء من هذا في حال الخطبة كان لغوًا مبطلًا لفضلِ الجمعة.

«**حضَرها بِدعاءٍ**» وفي رواية: «**يدعُو**» أي في حال الخطبةِ أيضًا. فهو لغوٌ كسَابقه، غير أنَّه لما كان لغوًا بالدُّعاء كان صاحبُه بين يأسٍ ورجاءٍ. «**حضَرَها بإنصاتٍ وسُكوتٍ**» الحديث. هذا هو الذي يحصل فضل الجمعة لأنَّه التَّزم حقوقَها وراعىٰ آدابها.

$\frac{8}{418}$ قال ابنُ خزيمةَ بعد روايته: «إنْ صحَّ الخبرُ». قلت: هو حديثٌ منكرٌ لا أبعد أن يكون موضوعًا رغمَ حسنِ إسناده.

$\frac{10}{410}$ «**وفيه أُهْبطَ آدمُ**» وهبوطُه كان سببَ وجودِ ذريته، وفيها الأنبياء والصَّالحون والشَّهداء والصِّديقون وهذه فضيلة. «**وفيه تَوفَّى الله آدمَ**» ووفاته سبب لنيل ما أعد الله له من الكرامة، وهذه فضيلةٌ ثانيةٌ. «**وفيه تقومُ السَّاعةُ**» وقيامها سببُ تعجيل جزاء الصَّالحين وهذه فضيلةٌ أخرىٰ. وبهذا يتبين كون هذه الخلال فضائل.

$\frac{17}{427}$ «**فلا يفرِّقُ بينَ اثنينِ**» أي لا يفرِّق بين اثنين بتخطِّيه في المسجدِ، فهو كناية عن ترك التَّخطي. «**غفرَ الله له ما بينَ الجمعةِ الأُخْرَى**» أي التي قبلها، كذلك جاء مبينًا في رواية أخرىٰ.

$\frac{26}{435}$ في سند الحديثِ انقطاعٌ، أبو عبيدة لم يسمعْ من أبيه، وهذا الحديثُ مرفوعٌ حكمًا؛ لأنَّه مما لا مجال للاجتهاد فيه.

$\frac{28}{437}$ ويستدرك عليه حديث ابن عمر قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**من قرأ سورةَ الكهفِ في يومِ الجمعةِ سطعَ له نورٌ من تحتِ قدمِه**

إلى عنانِ السَّماءِ يضيءُ له يومَ القيامة، وغفرَ له ما بينَ الجمعَتين». رواه ابن منده في "تفسيره".

وروى الضياءُ في "المختارة" من طريقِ عبدالله بن مصعب، عن منظور بن زيد بن خالد الجهنيِّ، عن علي بن الحسين، عن أبيه، عن عليٍّ مرفوعًا: «**منْ قرأ سورةَ الكهفِ يومَ الجمعةِ فهو معصومٌ إلى ثمانيةِ أيامٍ من كلِّ فتنةٍ، وإنْ خرجَ الدَّجالُ عُصِمَ منْه**».

وسيأتي فضل الصَّلاة على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يومَ الجمعة في أبواب الأذكار.

أبواب الجنائز

والآيةُ التي أوردها المؤلفُ تحضُّ على العمل الصَّالح، لأنَّه إذا كان الموت محكومًا به على كلِّ مخلوق، وكان يومُ القيامة يومَ توفية أجورِ العاملين، كان لابدَّ من الإكثار من صالح العمل، ليزحزحَ عامله عن النار، وذلك غايةُ المنى ونهاية النَّجاحِ.

$\frac{9}{449}$ في هذا الحديثِ دليلٌ على أن الاستثباتَ في الشيءِ والتأكد منه مطلوبٌ، وأنَّه لا يقتضي تكذيبًا أو طعنًا في النَّاقل، فابن عمر استثبتَ في خبر أبي هريرة تأكدًا لا تكذيبًا، فصدَّقت عائشةُ أبا هريرة، وبهذا ونحوه يرد قول بعض جهلة المبتدعة في محاولة تكذيبِ أبي هريرة بإلصاقِ أحاديث باطلةٍ به، جاءت من طريقه لكنَّها لم تصح عنه، وصحَّ في "المستدرك" وغيره أنَّ أبا هريرة كان يقومُ يومَ الجمعة بجانبِ المنبر النَّبوي فيحدِّثُ الناسَ إلى قرب خروج

الإمام، وهذا المسجد النبويُّ ممتلئ بالصحابةِ، فلم يكذبه أحدٌ منهم، ولا راجعه.

$\frac{22}{462}$ هذا الحديثُ أورده ابن الجوزيِّ في "الموضوعات"، وتعقبه السُّيوطيُّ بما ذكره من المتابعاتِ، فهي -وإن كانتْ ضعيفةً- تقويه وترفعه إلى درجة الضَّعيف.

قلتُ: ومن طرقه التي لم يذكرْها السُّيوطيُّ ولا ابنُ عراق في "تنزيه الشَّريعة"، ما رواه أبو موسى المديني في "نزهة الحفاظ" من طريق أحمد بن الفرجِ الحمصيِّ: حدثنا عبدالرحمن بن مالك بن مغول: ثنا سعيدٌ الجريريُّ، عن نضرة، عن أبي سعيد الخدريِّ، عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**منْ عزَّى مُصابًا كانَ له مثلُ أجرِهِ**». إسنادهُ ضعيفٌ.

$\frac{23}{463}$ هذا شاهدٌ للحديثِ قبله، وإسنادُه على شرطِ مسلمٍ غير قيس أبي عمارة الفارسي مولى الأنصار. ذكره ابن حِبَّان في "الثِّقات"، وقال البخاريُّ: «فيه نظر»، وذكره العقيليُّ في "الضعفاء" وأوردَ له له حديثين هذا أحدُهما، وقال: «لا يتابَعُ عليهِما». وقال الذهبيُّ في "الكاشف": «ثقة». وصرَّح النَّوويُّ في "الأذكار" بأنَّ هذا الإسنادَ حسنٌ. «**مِنْ حُلَلِ الكرامَةِ**» أي الحلل الدَّالة على الكرامة.

$\frac{24}{464}$ وهذا أيضًا شاهدٌ للحديث السابق. وقوله: «عن أبي بُردَة» كذا بالأصول وكذا هو في "التَّرغيب والتَّرهيب". والصَّوابُ: عن أبي بَرْزَة، بفتح الباء والزاي بينهما راء ساكنة، واسمه عبيد بن نضلة، صحابيٌّ هو وأبوه.

«ثَكْلَى» هي المرأةُ تفقدُ ولدَها.

ويؤخذ منه جواز تعزيةِ المرأةِ لكن ذلك بشرطِ أن تؤمن الفتنةُ، كأن يعزِّيها من وراء حجاب، أو تكون متجالَّةً لا أربَ فيها للرجال أو نحوَ ذلك، فإن لم تؤمن الفتنة حرمت التَّعزية جزمًا.

$\frac{25}{465}$ لفظ الحديث: «**من حَفَر قبرًا بنَى الله له بيتًا في الجنَّة، ومنْ غسَّل ميتًا خرجَ من ذنوبِه كيومِ ولدتْه أمُّه، ومن كفَّنَ ميتًا كسَاه الله منْ حُللِ الجنةِ، ومنْ عزَّى حَزِينًا...**» إلخ ما في المتن، وبعده: «**ومنِ اتَّبعَ جنازةً حتَّى يُقضَى دفنُها كتب له ثلاثةَ قراريطَ، القيراطُ منها أعظمُ من جبلِ أحُدٍ، ومن كفَل يتيمًا أو أرملةً أظلَّه الله في ظلِّه يومَ لا ظلَّ إلا ظلّه وأدخلَه الجنةَ**» وسيأتي.

$\frac{34}{474}$ «**أربعين مرة**» هذا لفظ رواية الحاكم، كما قال المؤلف، ومعناه أن الله يغفر له أربعين مرةً، يذنب في كلِّ مرة فيها، وذلك لأنه حين ستر على الميت جازاه الله فستر عليه أربعين مرةً كل مرة بذنب.

ورواية الطبرانيِّ: «**غفرَ الله أربعينَ كبيرةً**» وهي تبين أنَّ الذنوبَ في المرات الأربعين كبائر، وفضل الله واسعٌ.

$\frac{38}{478}$ أورد ابن الجوزيِّ في "الموضوعات" هذا الحديثَ من طريق آخر، وتعقبه السُّيوطيُّ بما يُعلم من مراجعته في "التَّعقيبات"، وفي "اللآلي" وهو موجود في بعض نسخ "الموضوعات" لا في جميعِها. وقال الحافظ البوصيريُّ في "زوائد ابن ماجه" في الكلام على هذا الحديث: «هذا إسنادٌ فيه الهذيل بن الحكم، قال فيه البخاريُّ: «منكرُ الحديثِ» وقال ابن عديٍّ: «لا يقيمُ الحديثَ»

وقال ابن حِبَّان: «منكرُ الحديثِ جدًّا» وقال ابن معين: «هذا حديثٌ منكرٌ ليس بشيء» وقد كتبت عن الهذيل ولم يكن به بأس».اهـ

وقال الحافظ ابنُ حجر: «إسناد ابن ماجه ضعيفٌ لأنَّ الهذيل منكرُ الحديث».

$\frac{39}{479}$ قوله: ذكره ابن حِبَّان في "الثقات"، وقال أبو زرعة : «كوفيٌّ ثقةٌ»، وقال الدَّارقطنيُّ: «يعتبر به»، وابنه هارونُ مختلفٌ فيه، والأكثر على توثيقه، والحديث -بعد هذا- ضعيف.

$\frac{42}{482}$ «وَخْزُ أعدائِكُم مِنَ الجنِّ» الوخزُ الطعن غير النافذ، ووخزُ الجنِّ يقع في الباطن ثم يؤثر في الظاهر بما يسمى طاعونًا، والأطباءُ حين تكلَّموا على الطاعون لم يتعرضُوا للوخزِ المذكور، لأنه أمر غيبيٌّ لا يدرك بالعقل، ولأن علم الطبِّ لا يثبت الجنَّ ولا يعترفُ بما ينشأ عنهم من مرض الصرعِ أو الطاعون مثلًا. ولكنا نؤمن بما ثبتَ في الكتاب أو السُّنة الصحيحةِ. وليس في إثباتُ صرع الجنِّ أو وخزه ما يحيله العقل أو ينافيه العلمُ الصحيحُ.

تنبيه: الأحاديثُ الواردةُ في فضل بعضِ الأمراض مثل الحمى أوالطاعون أو فقد البصر، قصد بها تسلية المصابِ بها والتسرية عنه بما أعد الله له من الثواب أو بما كفر عنه من الخطايا والذنوب، فهي تعالجُ نفسيةَ المريض وتقوي روحه، لكنَّها لا تفيد أبدًا بحال الترغيبِ في المرض أو الاستسلامِ له، ومن فهم ذلك فهو إما مخطئٌ في فهمه أو ملحدٌ يريد عيبَ الإسلام وشينه.

والدليل على ما نقول أمور:

الأولُ: ما ثبت بالتواتر المفيد للقطع أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان يسأل الله العافية ويأمر أصحابه بسؤالها، وصحَّ عن ابن عبَّاسٍ أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال لأبيه: «**يا عباسُ عمَّ النبيِّ، أكثرْ منَ الدُّعاءِ بالعافيةِ**».

والثاني: ما رواه الترمذيُّ وصححَه الحاكمُ عن ابنِ عمرَ، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ما سُئل الله شيئًا أحبَّ إليه منَ العافيةِ**». فأخبر أنَّ الله تعالىٰ يحبُّ سؤال العافية.

الثالثُ: ما ثبت في "صحيح مسلم" من حديثِ أبي هريرة: «**المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله منَ المؤمنِ الضعيفِ**» الحديث، فأفاد بعمومِه تفضيلَ المؤمن الصحيح علىٰ المؤمن المريض.

الرابعُ: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أمر بالتداوي، حيثُ قال: «**تداوَوْا عبادَ الله فإنَّ الله لم يضعْ داءً إلا وضعَ له دواءً، غيرَ داءٍ واحدٍ؛ الهَرَمُ**». رواه الأربعة، وصححه ابن حِبَّان والحاكم من حديث أسامة بن شريك.

الخامس: ما ثبت بالتواتر القطعي -في كتب السنة والسيرة- أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان يعالجُ نفسه تارةً بالعلاج الروحيِّ كالرُّقَىٰ والمعوِّذات، وتارة بالعلاجِ المادي كالحجامةِ وبعض النباتات، وكان يصف العلاج للصحابةِ أيضًا، ويرشدهم إلىٰ فوائدِ بعض الأدويةِ كالقسطِ الهنديِّ والحبة السوداء و العسل. وأُلف في ذلك كتبٌ خاصةٌ مثل كتاب: "الطب النبوي" لابن السُّنِّي، ولأبي نُعيم الأصبهانيِّ، وللذهبيِّ، ولابنِ القيم -وهو مجردٌ من كتابه "زاد المعاد"- وللسُّيوطيِّ.

السادسُ: ما جاء في "سنن الترمذي" بإسنادٍ حسنٍ عن معاذ: أنَّ النبيَّ

صلَّى الله عليه وآله وسلَّم سمعَ رجلًا وهو يقول: اللهمَّ إني أسألكَ الصبر، فقال: «**سألتَ الله البلاءَ فسَلْه العافيةَ**». كره النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الدعاء بالصَّبرِ، لتضمنه الدعاءَ بالمرضِ، وأمر بالدعاءِ بالعافيةِ بدلَه.

السابعُ: ما ثبتَ في "صحيح مسلم" عن أنسٍ: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عاد رجلًا من المسلمين قد خفَتَ -ضعُفَ- فصار مثلَ الفرخِ، فقال له: «**هل كنتُ تدعُو بشيءٍ؟ أو تسأله إياه؟**» قال: نعم؛ كنتُ أقول: اللهمَّ ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجِّلْه لي في الدنيا، فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**سبحانَ الله لا تطيقُه أو لا تستطيعُه، أفلا قلتَ: اللهمَّ آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرةِ حسنةً وقنا عذابَ النارِ**» فدعا الله له فشفاه. وهذا الحديثُ يفيدُ أن الحسنةَ المطلوبةَ في الدنيا هي العافيةُ.

وورد عند الطبراني وغيره، عن بريدةَ: أن النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رأى إنسانًا به بلاء فقال: «**لعلَّكَ سألتَ ربَّكَ يُعجِّل إليكَ البلاءَ؟**» قال: نعم. قال: «**فهَلَّا سألتَ ربَّكَ العافيةَ؟ وقلتَ: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]**». نعى صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على الرجلِ دعاءَه بتعجيل البلاءِ، وحضَّه على سؤال العافيةِ.

الثامنُ: ما ورد عند الطبرانيِّ أيضًا عن أبي الدرداء قال: ذكر رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم العافية وما أعدَّ الله لصاحبِها من جزيلِ الثوابِ إذا هو شكر، وذكر البلاء وما أعدَّ الله لصاحبِه من جزيل الثوابِ إذا هو صبرَ، فقال أبو الدرداء: يا رسول الله لأنْ أعافى فأشكرُ أحبُّ إلي من أن أبتلى فأصبر،

فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ورسول الله يحبُّ معكَ العافيةَ**». والنبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لا يحبُّ إلا أكملَ الحالات وأفضلَها.

التاسعُ: ما ثبت في فضل المدينةِ المنورةِ أن لا يدخلَها الطاعونُ كما لا يدخلها الدجَّال، فالطاعونُ -رغم ما ورد في فضلِه لمن ابتليَ به- لا يدخلُ المدينة لأنه مكروه غير محمود، نسأل الله أن يعافيَنا منه ومن جميع الآفات والأدواء.

$\frac{46}{485}$ خالد بن عُرفطة، وسليمان بن صُرَدٍ، صحابيان. وكلاهُما سمع الحديث، وأحدهما ذكَّر صاحبه به فذكره. قوله: «إلا أنه قال لخالد بن عرفطة ولم يذكر خالد بن سليمان» كذا بالأصول، وهو خطأ. والصَّوابُ: «ولم يذكر خالد لسليمان» والمعنىٰ أن روايةَ ابن حِبَّان عينتْ سليمانَ بنَ صُرَدٍ بأنه القائل لخالد، ولم تقل: «أو خالد لسليمان» علىٰ الشكِّ كما في رواية الترمذيِّ، وإنْ وقعتْ أيضًا في الأصول خطأ: «أو خالد بن سليمان». وأصلحناه إلىٰ ما يراه القارئ.

والحديثُ يدل علىٰ عذابِ القبر وهو ثابتٌ بالسُّنة المتواترِ القطعية، وأجمع أهل السُّنة علىٰ ذكره في معتقداتهم، وأنكره المعتزلةُ كما أنكروا كثيرًا من السمعيات لجهلِهم بالسُّنة، ولتحكيمِهم العقلَ فيما طريقه النقلُ، علىٰ أنَّ العقل يجيز ما أنكروه ولا يحيله.

$\frac{47}{486}$ قوله: «قال ابنُ مقسم: أشهدُ علىٰ أبيك -يعني أبا صالحٍ- أنه قال: والغريقُ شهيدٌ». إلىٰ هنا رواية مسلمٍ، وابن مقسم قال هذا يخاطبُ به سهيل

ابن أبي صالح. قوله: وفي رواية: «**الشُّهداءُ خمسةٌ**» الحديث، هذه رواية الشيخين. «**ومن ماتَ في سبيل الله فهُو شهيدٌ**». أي مات بأي صفة غير القتل، وكأنْ كان في طريقِه إلى الجهادِ فمات حتفَ أنفِه، فهو شهيدٌ.

$\frac{54}{493}$ ذكر المؤلف ستَّ عشرةَ خصلةً أصحابُها شهداء، وهم: الغريبُ، والنُّفَساء تموت بجُمْعٍ، والمتردِّي في سبيل الله، والغريقُ، والحريقُ، والمطعونُ، والمبطونُ، وصاحب السُّل، وصاحبُ الهدمِ، وصاحب ذاتِ الجنبِ، والميت في سبيل الله، والمقتول دونَ ماله، أو دون دمِه، أو دون أهلِه، أو دونَ دينه، والصابر في الطاعون الذي لم يفرَّ منه.

وذَكر في الغريبِ حديثين ضعيفين، وفاته أن يذكر حديث ابن عمر: «**موتُ الغريبِ شهادةٌ**». رواه الدارقطنيُّ وصحَّحه.

وفي "سنن أبي داود" و"مستدرك الحاكم" من حديث أبي مالك الأشعري: «**منْ فصَلَ** -خرج- **في سبيل الله فماتَ أو قُتلَ فهو شهيدٌ، أو وقَصَه** -صرعه- **فرسُه أو بعيرُه، أو لدغتْه هامةٌ، أو ماتَ على فراشِه، أو بأيِّ حتفٍ شاء الله فإنَّه شهيدٌ، وإنَّ له الجنةَ**» وإسناده ضعيفٌ.

وللطبرانيِّ بإسناد رجاله ثقاتٌ من حديث عقبةَ بن عامر: «**منْ صُرِعَ عنْ دابَّتِه فهو شهيدٌ**».

وفي "صحيح بن حبان" من حديث أبي هريرة: «**منْ ماتَ مرابطًا ماتَ شهيدًا**» وفي حديث صحيحٍ -كما قاله النوويُّ-: «**من قُتل دونَ سيفِه فهوَ شهيدٌ**» والمرادُ به ألا يسلمَ سلاحَه، كما لا يسلمُ مالَه أو نفسَه.

ولأبي داود من حديث أم حرام: «**المائدُ في البحْرِ** -يعني في الجهادِ- **الذي يُصِيبُه القيءُ له أجرُ شهيدٍ، والغرِقُ له أجرُ شهيدَينِ**». في إسناده ضعفٌ.

ولأحمد بإسنادٍ رجاله ثقاتٌ عن راشد بن حبيش: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم دخل علىٰ عُبادة يعودُه، فقال: «**أتعلَمُونَ الشَّهيدَ في أمَّتي؟**» فقال عُبادة: يا رسول الله الصابرُ المحتسبُ. فقال: «**إنَّ شهداءَ أمَّتي إذًا لقليلٌ، القتلُ في سبيلِ الله شهادةٌ، والطاعونُ شهادةٌ**» وذكر الغرق، والبطن، والنفساء، والحرق، والسُّل، وزاد «**وسادنُ بيتِ المقدسِ**».

وللطبراني من حديث ابن عبَّاسٍ: «**المرءُ يموتُ على فراشِه في سبيل الله فهو شهيدٌ**». وقال ذلك أيضًا في المبطونِ، واللديغِ، والغريقِ، والشريقِ -الذي يشرَقُ بالماء فيموتُ- والذي يفترسُه السَّبُعُ، والخارِّ عن دابَّته، وصاحبِ الهدم، وذاتِ الجنبِ.

وللطبرانيِّ بإسنادٍ صحيحٍ عن ابنِ مسعود قال: «من تردَّىٰ من رءوسِ الجبال وتأكلُه السباعُ ويغرق في البحارِ لشهيدٌ عند الله». وله حكمُ الرفعِ.

وفي "صحيح مسلم" من حديث أنس: «**من طلبَ الشَّهادةَ صادقًا أعْطِيَها ولوْ لم يصبْها**».

والخارُّ عن دابته هو الذي يسقطُ من فوقها فيموتُ، أما من وقصته دابته فهو الذي تصرعُه الدابة وتتسبب في قتله بفعلها. فجملةُ خصال الشهداءِ ست وعشرون . والمراد بكون أصحاب هذه الخصال شهداءَ: أنهم يعطون في الآخرة ثوابَ الشهداء، فهم شهداءُ الآخرةِ. أمَّا المقتول في حربٍ ضد الكفار فهو شهيدُ الدنيا والآخرةِ، لا يُغسَّل ولا يصلَّىٰ عليه، ويدفنُ في ثيابِه، ويمتاز

بفضائلَ تأتي في بابِ الجهادِ إن شاءَ الله تعالىٰ.

$\frac{55}{494}$ «إلا تحِلَّةَ القسَمِ» أي إلا بمقدار ما يحل به القسم، والمراد به قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١]، أي قسمًا واجبًا. كذا قال ابن مسعود ومجاهدٌ وقتادةُ وغيرهم. واختلف في الورود، فقيل: الدخول، يدخلونها جميعًا فتكون علىٰ المؤمنين بردًا وسلامًا. هكذا جاء عن جابر مرفوعًا، رواه أحمدُ والنَّسائيُّ والحاكم. وراه التِّرمذيُّ عن ابن مسعود موقوفًا ومرفوعًا.

وقيل: المراد بالورود: المرور عليها. قاله أبو هريرة وقتادة، وهو قولٌ لابنِ مسعودٍ أيضًا. وقال الحافظ: «ولا تنافي بين القولَين، لأنَّ من عَبَّرَ بالدخول تجوَّز به عن المرور، ووجهه أنَّ المارَّ عليها فوق الصراطِ في معنىٰ من دخلها، لكن تختلف أحوال المَّارَّة باختلاف أعمالهم».اهـ

$\frac{72}{510}$ «ليراغمَ ربَّه» أي يحاجُّه ويجادلُه، والمراد أنه يبالغُ في الشفاعةِ في أبويه حتىٰ يُقبلَ، والسَّرَرُ ما تقطعُه القابلةُ.

أبواب الصدقات

وذكر قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [النساء: ١٦٢] الآية، اختلف في نصبِ المقيمين علىٰ أقوال؛ أصحُّها: أنَّه منصوب علىٰ المدح، أي وأعني المقيمين الصَّلاة، وهذا دليلٌ علىٰ عظم قدر الصَّلاة، قال سيبويه في "الكتاب": هذا بابُ ما ينتصب علىٰ التَّعظيم، ومن ذلك: والمقيمين الصَّلاة. قال النَّحاسُ: وهذا أصحُّ ما قيل في «المقيمين». وهو قول الخليل أيضًا. ورجَّحه صاحب "الكشاف"، وأبو حيان في "البحر" وضعَّف ما سواه. والنصبُ علىٰ التعظيم بابٌ واسعٌ، افتنَّ فيه العربُ، وكثر في أشعارهم بشكل يلفتُ النظر، فتخريجُ الآية عليه متعينٌ؛ لسلامته من التكلف، وقياسيته، وشيوع استعماله.

$\frac{4}{516}$ للحديثِ بقيةٌ وهي : فقال: يا رسول الله أقلل لي، فقال: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٦] فقال: يا رسول الله إذا أديت الزكاة إلىٰ رسولك فقد برئتَ منها إلىٰ الله ورسوله؟ فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**نعَمْ؛ إذا أدَّيتَها إلى رَسُولي فقد برئتَ منْها، ولكَ أجرُهَا، وإثمُها على منْ بدَّلها**».

$\frac{9}{521}$ «**إِصْرُهُ عليهِ**»: وِزرُه عليه، فالمتصدقون بما يكسبونه من الربا أو اليانصيب آثمون بنصِّ الحديث.

$\frac{10}{522}$ الحسن هو البصريُّ، وللحديث طريق عن ابن مسعود، رواه الطبراني وأبو نعيم والخطيب بإسناد ضعيفٍ، ولأبي الشيخِ في كتاب "الثواب"

والطبراني عن أبي أمامة مرفوعًا: «**داوُوا مرضَاكم بالصَّدقة**».

وللديلميِّ من حديث ابنِ عمر نحوه، وزاد: «**فإنَّها تدفعُ عنكُم الأمراضَ والأعراضَ**» وللحديثِ طرقٌ غير هذه تفيد ثبوته وصحَّتَه، وصحَّ أيضًا بالتَّجربة كما سيأتي في ثواب الصدقةِ بالماء.

$\frac{11}{523}$ إسنادُه ضعيفٌ، فكان حق المؤلف أن يزيد: «بإسناده»، حسب اصطلاحه، لكنه سها عن ذلك والأمر سهلٌ. ومعنى الحديث صحيحٌ، فإنَّ إسلام المرء لا يتمُّ إلا بالزَّكاة، لأنَّها أحدُ أركانِ الإسلامِ، وقرينة الصلاة في القرآن.

ثواب الصدقة وفضلها

وذكر قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾ [الليل: ١٧ - ١٨] الآية. نزلتْ في أبي بكر رضى الله عنه، كما جاءَ في الآثار، وقد وقع نزاعٌ في هذه الآيةِ بين الأمير خاير بك الذي استدلَّ بها على أفضليةِ أبي بكر، ونازعه الأميرُ أزدمر حاجبُ الحجَّاب، بأنَّ الأتقى عامٌّ في أبي بكر وغيره، وكتب شمس الدين الجوجريُّ بأن الآية وإن نزلتْ في أبي بكر تعمُّ غيره، إذ العبرة بعموم اللفظِ لا بخصوصِ السببِ، فكتب السيوطيُّ رسالةً سماها: "الحبل الوثيق في نُصرة الصِّدِّيق" شنَّع فيها على الجوجريِّ وهي من رسائل كتاب "الحاوي".

$\frac{23}{535}$ «**ثلاثٌ أُقسِمُ عليهِنَّ**» تأكيدًا لها، وتثبيتًا لتحقُّق وقوعِها، وهذه الثلاث هي: «**ما نقصَ مالٌ من صدقةٍ**» إلى «**فتحَ الله عليهِ بابَ فقرٍ**».

«وأحدِّثُكم حديثًا فاحفَظُوه» هو قوله: «إنَّما الدنيا لأربعةِ نفرٍ» إلخ.

$\frac{25}{536}$ بقية الحديث: «واعلَمُوا أنَّ الله افترضَ عليكُم الجمعةَ في مقامِي هذا، في يومِي هذا، في شهْري هذا، ومن عامِي هذا إلى يومِ القيامةِ. فمنْ تركَها في حياتي أو بعدِي، وله إمامٌ، عادلٌ أو جائرٌ، استخفافًا بها وجحُودًا بها؛ فلا جمعَ الله شَملَه، ولا باركَ له في أمرِه. ألا ولا صلاةَ له، ولا زكاةَ له، ألا ولا حجَّ له، وألا ولا صوْمَ له، ألا ولا بركةَ له، حتَّى يتوبَ، فمنْ تابَ تابَ الله عليهِ».

$\frac{26}{537}$ تكلمت على هذا الحديث في "سمير الصالحين" فليرجع إليه.

$\frac{29}{540}$ نسي المؤلف عزْوَه، وقد رواه أحمد وابن خزيمة وابن حِبَّان، وصحَّحه الحاكمُ على شرط مسلم، والحديثُ الذي قبله (٢٨) رواه ابن خُزيمة فقط، وحصل للمؤلف سهوٌ في عزوه.

$\frac{33}{545}$ «قال رجلٌ» كان من بني إسرائيل، كما جاء في رواية أحمد. «اللهمَّ لكَ الحمدُ على سارقٍ» تسليم لمراد الله، وكان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إذا رأى ما لا يعجبه، قال: «اللهمَ لكَ الحمدُ على كلِّ حالٍ». «فأتيَ فقِيل لَه». عند الطبراني في "مسند الشاميين" باسناد صحيح -في هذا الحديث-: «فأتي في منامِه فقيلَ لَه» إلخ.

$\frac{44}{556}$ كثير بن عبدالله شديدُ الضَّعف عند الجمهور لكن حسَّن له الترمذيُّ، وصحَّح له ابنُ خزيمة.

$\frac{45}{557}$ «باكِرُوا» أي أخرجوا الصدقة في البُكور وهو الصباحُ، والمراد التعجيل بها في أول النهار، لترد البلاءَ النازل، والحارثُ بن عمير هو البصريُّ

نزيل مكة، وثَّقه ابن معين وغيره، لكن قال الحاكمُ: «يروي عن جعفر الصادق وحُميد موضوعاتٍ».

47/559 اقتصر المؤلِّف على المقصود من الحديثِ ونحنُ نذكرُه بتمامه إتمامًا للفائدة: عن الحارث الأشعري، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ الله أمرَ يحيى بنَ زكريا بخمسِ كلماتٍ أنْ يعملَ بهنَّ ويأمرَ بني إسرائيلَ أنْ يعملُوا بها، وأنَّه كادَ أن يبطئَ بها، قال عيسى: إنَّ الله أمرَكَ بخمسِ كلماتٍ لتِعملَ بها وأمرَ بني إسرائيلَ أن يعمَلُوا بها، فإمَّا أنْ تأمرَهم، وإمَّا أنْ آمرَهُم. فقال يحيى: أخشَى إنْ سبقتَنِي بها أنْ يخسفَ الله بي أو أعذَّبَ. فجمعَ الناسَ في بيتِ المقدسِ فامتلأ، وقعدُوا على الشّرَفِ. فقال: إنَّ الله أمرَني بخمسِ كلماتٍ أنْ أعملَ بهنَّ، وآمرَكم أن تعملُوا بهنَّ؛ أولاهنَّ أن تعبدُوا الله لا تشرِكُوا به شيئًا، وإنَّ مثلَ من أشركَ بالله كمثلِ رجلٍ اشترى عبدًا من خالصِ مالِه بذهبٍ أو وَرِقٍ، فقال: هذهِ دارِي وهذا عمَلي فاعملْ وأدِّ إليَّ، فكانَ يعملُ ويؤدِّي إلى غيرِ سيِّدِه، فأيُّكُم يرضَى أنْ يكونَ عبدُه كذلك؟ وإنَّ الله أمرَكم بالصَّلاةِ، فإذا صليتُم فلا تلتفتُوا، فإنَّ الله يَنْصبُ وجهَه لوجهِ عبدِه في صلاتِه مالم يَلتفِتْ. وأمركم بالصيامِ وإنَّ مثلَ ذلك كمثلِ رجلٍ في عِصابةٍ معه صُرَّةٌ فيها مِسكٌ، فكلُّهم يعجبُه ريحُها، وإنَّ ريحَ الصَّائمِ أطيبُ عند الله من ريحِ المسكِ**». وذكر الصدقةَ كما هنا ثم قال: «**وأمركم أنْ تذكُروا الله، فإنَّ مثلَ ذلك كمثلِ رجلٍ خرجَ العدوُّ في أثرِه سراعًا حتَّى إذا أتى علَى حصنٍ حَصِينٍ فأحرَزَ نفسَه منْهُم، كذلك العبدُ لا يحرزُ نفسَه منَ الشَّيطانِ إلا بِذكرِ الله**».

قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**وأنا آمرُكم بخمسٍ، الله أمرَني بهنَّ: السَّمعِ، والطاعةِ، والجهَادِ، والهِجْرةِ، والجماعةِ، فإنَّه من فارقَ الجماعةَ قيدَ شبرٍ فقد خَلَعَ رِبْقةَ الإسلامِ من عُنقِه، إلا أنْ يراجعَ، ومنِ ادَّعى دَعْوى الجاهليةِ فإنَّه من جُثَاءِ جَهنَّم**»، فقال رجل: يا رسول الله وإن صلى وصام؟ فقال: «**وإنْ صلَّى وصام، فادعُوا بدعوى الله التي سماكم: المسلمينَ، المؤمنينَ، عبادَ الله**».

$\frac{50}{562}$ هذا طرف من الحديث رقم (٦) وهو من أحاديث "الأربعين النَّووية".

ثواب المقل

وذكر قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩] الآية. سبب نزولها: ما ثبت في الصَّحيحين وغيرهما عن أبي هريرة، قال: أتى رجلٌ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: يا رسول الله أصابني الجهدُ، فأرسل إلى نسائِه فلم يجدْ عندهن شيئًا. فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ألا رجلٌ يُضَيفُه هذه الليلةَ يرحَمه الله**». فقام رجلٌ من الأنصارِ فقال: أنا يا رسول الله. فذهبَ إلى أهلِه فقال لامرأته: ضيفُ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، لا تدَّخِريه شيئًا. قالتْ: والله ما عندي إلا قوتُ الصِّبية. قال: فإذا أراد الصِّبية العشاء فنوِّميهم. وتعالي، فأطفِئي السِّراج ونطوِي بطوننا الليلة. ففعلتْ.

ثم غدا الرجلُ على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم. فقال: «**لقد عجِبَ الله عزَّ وجلَّ، أو ضحِكَ من فلانٍ وفلانةٍ**». فأنزل الله عزَّ وجلَّ:

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩] والرجل الذي أتى النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم هو أبو هريرة نفسُه، كما جاء مصرَّحًا به عند الطبراني، والأنصاري الذي ضيفه هو أبو طلحة، والعجبُ من الله والضحك معناهما الرِّضا.

ثواب صدقة السر

وذكر قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [البقرة: ٢٧٤] الآية. وقال: قيل: نزلت في عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه. قال عبدالرزاق: حدَّثنا عبدالوهاب بن مجاهد، عن أبيه، عن ابن عبَّاسٍ قال -في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [البقرة: ٢٧٤]-: نزلت في عليِّ بن أبي طالب، كان عنده أربعةُ دراهمٍ، فانفقَ بالليل واحدًا، وبالنَّهار واحدًا، وفي السِّر واحدًا، وفي العلانية واحدًا. ورواه ابن مردويه من وجهٍ آخرَ عن ابن عبَّاسٍ به.

وقال ابن أبي حاتم: ثنا أبو سعيدٍ الأشجُّ: ثنا يحيى بن يمان، عن عبدالوهاب بن مجاهد، عن أبيه قال: كان لعليٍّ رضي الله عنه أربعةُ دراهمَ، فأنفق درهمًا بالليل، ودرهما بالنَّهار، ودرهمًا سرًا، ودرهمًا علانية. فأنزل الله: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [البقرة: ٢٧٤]، وهذا قول الكلبيِّ أيضًا.

$\frac{68}{579}$ في سنده راوٍ ضعيف، ورفعه منكرٌ.

$\frac{69}{580}$ في سندِ هذا الحديث إرسال لأنَّ أبا سلمةَ لم يسمعْ من أبيه عبدالرحمن ابن عوف.

$\frac{71}{582}$ العرَضُ ما يُقتَنىٰ من مال وثيابٍ وعَقارٍ.

$\frac{74}{585}$ ذكر الخلاف في اليد العُليا، هل هي المتعفِّفة أو المنفقةُ؟ قلتُ: الراجحُ من حيث الرِّواية: المنفقة، بالقاف. أطبق عليها معظمُ الرُّواة، وتوجيهها من المعنىٰ جهة صحيح لا غبارَ عليه، وأمَّا المتعففةُ -بالعين المهملة- فلم يقلْها إلا راويان أو ثلاثة، وجزم الحافظ بأنَّ من رواها كذلك عن نافعٍ فقد صَحَّف.

$\frac{75}{586}$ «**وخيرُ الصَّدقةِ ما كانَ عن ظهرِ غِنَى**». قال الخطابي: لفظ الظهر يرد في مثل هذا إشباعًا للكلام، والمعنىٰ: أفضلُ الصَّدقة ما أخرجه الإنسانُ من ماله، بعد أن يستبقيَ منه قدرَ الكفايةِ، ولذلك قال بعدَه: وابدأ بمن تعول».اهـ

فلفظ الظهر زائد، و«عن» للسلبية. والمعنىٰ: خير الصدقة ما كان سببها غنىٰ في المتصدق، والمراد بالغنىٰ ما يسدُّ الضرورةَ، كدفع الجوعِ المهلكِ، وستر العورةِ الواجبِ سترُها، وما زادَ علىٰ ذلك يندبُ التصدُّق به، لما سبق في فضل الإيثار وجهدِ المقلِّ، أمَّا الإيثار بما يسدُّ الضرورة فهو حرامٌ لا يجوز.

$\frac{84}{595}$ هذا هو الحديثُ الثالثُ والعشرون من "الأربعين الغُمارية".

$\frac{90}{601}$ زَرْبِيٌّ بن عبدالله البصريُّ الأزديُّ، أبو يحيىٰ، مولىٰ هشام بن حسان، وإمامُ مسجدِه، ضعيفٌ.

$\frac{93}{604}$ في رواية لأحمد: جاء إعرابي فقال: يا رسول الله علمني عملًا يدخلني الجنة؟ قال: «**لئن كنتَ أقصرتَ الخطبةَ لقد أعرضتَ المسألةَ. أعتقِ النَّسمةِ**

وفُكَّ الرَّقبةَ». فقال يا رسول الله أو ليستَا بواحدةٍ؟ قال: «لا؛ إنَّ عتقَ النَّسَمةِ أنْ تفردَ بعتْقِها، وفكُّ الرقبةِ أن تعينَ في عتقِها» الحديث.

$\frac{98}{609}$ قوله: «وعند الترمذي صدره». وهو من أوله إلى قوله: «وإحسانُ المملوكِ»، وقال: «حديث غريبٌ» يعني أنه ضعيف.

$\frac{108}{619}$ «أو هُما أعملتَاكَ؟» أي بعثتاك وحملتاكَ على الإتيان والسؤال. وهما خصلتَا القربِ من الجنة والبعدِ عن النار.

$\frac{113}{624}$ تقدم هذا الحديث في أبوابِ العلمِ.

$\frac{115}{626}$ في إسنادِه انقطاعٌ كما قال المؤلف، وبيانُ ذلك: أنَّ أبا دواد وابنَ ماجه وابنَ خزيمة وابن حِبَّان والحاكمَ روَوْه من طريقِ سعيد بن المسيِّب، عن سعد بن عبادة. وسعيد وُلد سنة وفاةِ سعدٍ، وقيل: بل بعدَ وفاته بسنةٍ. فلم يدركه. ورواه أبو داود والنَّسائيُّ وغيرهما من طريق الحسنِ البصريِّ، عن سعد. والحسن وُلد بعد وفاةِ سعيدٍ بستِّ سنين أو سبعٍ. ورواه أبو دواد وغيره من طريق أبي إسحاق السَّبيعي، عن رجل، عن سعد.

$\frac{116}{627}$ هذا الحديثُ رواه البخاريُّ في "التاريخ" وابن خزيمة في "صحيحه". هكذا عزاه المنذريُّ، والمؤلفُ عزاه لابن حِبَّان، ولعلَّه سبقُ قلمٍ.

وذكر ما رواه عليُّ بن الحسن بن شقيق، عن ابن المبارك. أخرجه البيهقيُّ، وقال: «وفي هذا المعنى حكايةُ شيخِنا الحاكم أبي عبدالله فإنه قرحَ وجهُه، وعالجه بأنواعِ المعالجة، فلم يذهبْ، وبقي فيه قريبًا من سنةٍ، فسأل الأستاذ الإمام أبا عثمانَ الصابونيَّ أن يدعو له في مجلسِه يوم الجمعة، فدعَا له وأكثر

الناس التأمينَ. فلما كان من يومِ الجمعة الأُخرىٰ ألقتِ امرأةٌ في المجلس رقعة بأنها عادتْ إلىٰ بيتِها واجتهدتْ في الدعاء للحاكمِ أبي عبدالله تلكَ الليلة، فرأت في منامِها النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كأنه يقول لها: «قولي لأبي عبدالله: يُوسعُ الماءَ علىٰ المسلمِين». فأمر بسقايةٍ بنيتْ علىٰ بابِ دارِه وحين فرغوا من بنائِها أمر بصبِّ الماء فيها، وطرحِ الجمدِ في الماءِ، وأخذ الناسُ في الشربِ، فما مر عليه أسبوعٌ حتىٰ ظهر الشفاءُ، وزالتْ تلك القروح، وعاد وجهُه إلىٰ أحسنِ ما كان، وعاش بعد ذلك سنينَ.

$\frac{120}{631}$ «**العافية**»: كلُّ طالب رزق من إنسان، أو بهيمة، أو طائر. واحدًا كان أو أكثر.

$\frac{129}{640}$ «**سحَّاء**» أي دائمة الصَّبِّ، «**اللَّيلَ والنَّهارَ**» منصوبان علىٰ الظرفية، أي دائمة الصَّبِّ في الليل والنهار. قال الطيبي: هذا الكلام -يعني يد الله ملأىٰ ... إلخ- إذا أخذ بجملته من غير نظر إلىٰ مفرداته، أبان زيادة الغنىٰ، وكمال السَّعةِ، والنهاية في الجودِ، والبسطِ في العطاء.

$\frac{130}{641}$ قال الخطابيُّ وغيره في هذا الحديث: هذا مثل ضربه النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم للمتصدِّق والبخيل، فشبههما برجلين أرادَ كلّ واحدٍ منهما أن يلبس درعًا يستتر به من سلاح عدوِّه، فصبَّها علىٰ رأسه ليلبِسَها، والدروع أول ما تقع علىٰ الصدر والثديين إلىٰ أن يدخلَ الإنسان يديه في كُمَّيها فجعل المنفق كمن لبس درعًا سابغة فاسترسلت عليه حتىٰ سترتْ جميع بدنه، وهو معنىٰ قوله: «**حتَّى تعفوَ أثرَه**» أي تستر جميع بدنه. وجعل البخيل كمثل رجل غلت

يداه إلى عنقِه كلما أراد لبسَها اجتمعت في عنقه فلزمتْ تُرقُوتَه. والمراد أن الجواد إذا هم بالصدقة انفسح لها صدره وطابت نفسه، فتوسعت في الانفاق، والبخيل إذا هم بالصدقة شحَّت نفسه فضاق صدره وانقبضت يداه، ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

$\frac{134}{644}$ تقدم هذ الحديث في أبواب العلم، وتكلمت عليه هناك.

$\frac{141}{652}$ هذا من أحاديث "الأربعين النووية"، «**والله في عونِ العبدِ ما كانَ العبدُ في عونِ أخِيهِ**» هذه هي الرِّواية المعروفة، وقرأته في "كتاب الأربعين" لعبدالغافر الفارسي بلفظ: «**والله في عونِ العبدِ ما دامَ العبدُ في عونِ أخيه**». وأظنُّه من تصرف بعض الرُّواة.

$\frac{144}{655}$ «**ويخرقُ صِحيفتَه**» أي يمزِّق وثيقَة الدين التي عليه، حتى لا يطالبه الورثة به.

$\frac{155}{666}$ بقية الحديث: «**فقلتُ: يا جبريلُ ما بال القرضِ أفضلُ منَ الصَّدقةِ؟ قال: لأنَّ السائلَ يسألُ وعنده، والمسْتقْرِضُ لا يستقرِضُ إلا منْ حاجةٍ**».

وقال سراج البُلقينيُّ: «هذا الحديث دال على أنَّ درهم القرضِ بدرهمي صدقةٍ، لكن الصدقةَ لم يعدْ لها شيء، والقرض عادَ له منه درهمٌ، فسقط مقابله وبقي ثمانية عشر».

$\frac{56}{667}$ «**دخلَ رجلٌ الجنةَ**» أي كان رجل يقرض الناس، فمات ودخل الجنة، فرأى على بابها ما ذكر.

$\frac{167}{678}$ قوله: «رواه البخاريُّ معلقًا مجزومًا». قلت: قال البخاريُّ في باب

التِّجارة في البحرِ: قال اللَّيثُ: حدثني جعفرُ بن ربيعة، عن عبدالرحمن بن هرمز، عن أبي هريرة، عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أنَّه ذَكَرَ رجلًا من بني اسرائيل خرجَ في البحر فقضىٰ حاجته. وساق الحديث.

حدَّثني عبدالله بن صالحٍ، حدَّثنا اللَّيث به. فقد وصله كما ترىٰ. وذكره في باب الكفالة تامًّا معلقًا. وقال الحافظ: «وقع هنا في نسخة الصغانيِّ: حدثنا عبدالله بن صالح: حدثني اللَّيثُ. وتقدم في باب التجارة في البحر أنَّ أبا ذر وأبا الوقت وَصَلَاه في آخره». وللحديث طرقٌ. وتكلمتُ عليه في كتاب "الحججِ البينات في إثبات الكرامات".

أبوابُ الصَّوم

$\frac{10}{688}$ تقدَّمَ هذا الحديث في أبواب الصَّدقات.

$\frac{11}{689}$ «**يقولُ الصِيامُ: أي ربِّ...**» إلخ، «**ويقولُ القرآنُ: منعتُه النَّومَ...**» إلخ، ههنا نكتةٌ لطيفةٌ يجب التنبُّه لها، وهو أنَّ الصِّيامَ لكونه حدثًا مخلوقًا لله تعالىٰ يقول في شفاعتِه: أي ربِّ، أمَّا القرآنُ فلا يقول: أي ربِّ، لأنَّه ليس بمخلوق، بل هو كلامُ الله وصفةٌ من صفاته جلَّ علاه.

$\frac{13}{691}$ «**كبُعْدِ غُرابٍ طارَ وهو فرخٌ حتَّى ماتَ هَرِمًا**» وذلك لأنَّ الغراب معروفٌ بطول العمُر الكثير.

$\frac{26}{706}$ قال البيهقيُّ: «وقد رُوِّينا في الأحاديث المشهورة ما يدل لهذا أو لبعض معناه». قلت: يريد البيهقيُّ أنَّ الأحاديث وردتْ بتفتيحِ أبواب السَّماء في رمضان وتضعيف ثوابِ العبادة فيه علىٰ غيره، أمَّا هذا الحديث بهذا اللفظ

فهو منكرٌ ليس في الأحاديثِ ما يشهد له.

$\frac{30}{710}$ هذا الحديثُ رواه حُميد بن زنجويه في كتاب "التَّرغيب" له، قال: حدثنا أبو أيوب الدِّمشقيُّ، قال: ثنا ناشبُ بن عمرو الشَّيباني، وكان ثقةً صائمًا قائمًا: ثنا مقاتلُ بن حيان، عن ربعيٍّ، عن ابن مسعود به. ومن هذا الطريق رواه البيهقي في "الشعب". وناشب وُثِّق في هذا الإسناد، لكن قال فيه البخاريُّ: «منكرُ الحديثِ»، وقال فيه الدارقطنيُّ: «ضعيفٌ»، وقال الحافظ ابن حجر: «في هذا الحديث زياداتٌ منكرةٌ».

قلتُ: يعني زيادة الإعتاقِ وكل ليلة وفي آخرِ الشهر ضعفَ ما سبق في الشهر كله. والمؤلف تبع شيخَه المنذريَّ فإنه قال: «هذا حديثٌ حسنٌ لا بأس به في المتابعاتِ. في إسنادهِ ناشبُ بن عمرو الشيباني، وُثِّق وتَكلَّم فيه الدارقطنيُّ».اهـ

$\frac{37}{715}$ في هذا الحديثِ نكارةٌ ظاهرةٌ.

$\frac{40}{718}$ قوله: «لم يتفردْ قتيبة بن سعيد بهذه الزيادة...» إلخ، قلتُ: متابعة حامد بن يحيىٰ البلخي رواها قاسم بن أصبغ في "مصنفه". ومتابعة الحسين بن الحسن المروزي أخرجها هو نفسه في "كتاب الصيام" له. ومتابعةُ يوسف بن يعقوب النَّجاحي أخرجها هو نفسه في "فوائده". وتابعَه أيضًا عن سفيان بن عيينة: هشام بن عمار في "فوائده"، وهو من رجال الصحيحِ، ولهذه الزيادة طرق أخرىٰ ايضًا.

واستُشْكِلتْ هذه الزيادة من حيثُ إنَّ المتأخِّر منَ الذنوبِ لم يأتِ، فكيف

يغفر؟ وأجِيبَ: بأن هذا كناية عن الحفظ من المعاصي، فلا تقع منه معصية، أو أنَّ المعاصي تقع مغفورة.

$\frac{51}{729}$ المراد تعجيلُ الفطر بعد تحققِ غروب الشمس ولا ينتظر اشتباك النُّجوم لتحقق إباحةِ الفطر، فإن هذا من التَّنطع المنهيِّ عنه، على أنَّه بتحقق الغروب يصير الصائم مفطرًا شرعًا ولا يبقى لإمساكه عن الطعام معنى. وقد سُئل السُّبكيُّ عن صائم حلف بالطلاقِ لا يفطر على حارٍّ ولا باردٍ فكيف يفعل؟ فأجاب بأنَّه بمجردِ الغروب يصيرُ مفطرًا، وتبرُّ يمينُه، للحديثِ: «**إذا أدبَرَ النَّهارُ منْ ههُنا وأقبلَ الليلُ من ههُنا فقدْ أفطرَ الصَّائمُ**».

$\frac{69}{747}$ «**كصيامِ الدَّهرِ**» أي السَّنة، كما سيأتي في الحديث بعده.

$\frac{79}{757}$ في إسناد هذا الحديث الهيثمُ بن حبيب؛ ذكره ابن حِبَّان في "الثقات" لكن اتهمه الذهبيُّ بحديث في المهديِّ، والمؤلف تبعَ شيخَه، فإنه بعد أنْ عزاه للطبرانيِّ في "الصَّغير" قال: «وهو غريبٌ، وإسنادُه لا بأسَ به». والهيثمُ بن حبيب وثَّقه ابن حِبَّان، لكنَّه استغربَه كما ترى، ووجْهُ غرابتِه أنه ثبتَ أن أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرَّم، فكيفَ يكون صون يوم منه بثلاثين يومًا ولم يثبتْ هذا لرمضانَ؟!

$\frac{91}{769}$ راجع رسالتنا "حسن البيان في ليلةِ النِّصفِ من شعبان" فقد استوعبت ما ورد في هذا الباب، مع نقدِ الأحاديث، وقد طبعتْ مرتين.

$\frac{92}{770}$ قتادةُ بن ملحان القيسيُّ، قال البخاريُّ وابن حِبَّان: «له صحبةٌ، يعدُّ في البصريين». أخرجَ ابن شاهين من طريقِ سليمانَ التيميِّ، عن حيانَ بن

عمير، قال: مَسَحَ النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وجه قتادة بن ملحان ثمَّ كبَّرَ فبليَ منه كلّ شيء غيرَ وجهِه. قال: فحضرتُه عند الوفاة، فمرَّتِ امرأةٌ، فرأيتها في وجهه كما أراها في المرآة.

$\frac{96}{774}$ «**صيامُ الدَّهرِ وإفطَارِهِ**» يعني أنَّ صائمَ ثلاثةِ أيامٍ يُعطىٰ ثوابَ صيام الشَّهر كله فهو صائمٌ من حيثُ الثوابُ، مفطر في الواقعِ. وقد بين ذلك حديث أبي ذر بعده.

$\frac{98}{776}$ «**وصامَ داودُ نصفَ الدَّهرِ**» أي من حيث كان يصومُ يومًا ويفطر يومًا كما يأتي بعد، بحول الله تعالىٰ.

$\frac{99}{777}$ «**وددتُ أنَّه لم يطعمِ الدَّهر**» ودَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لصائم الدهر ألا يذوق الطعام فيحسُّ بألم الجوعِ، ويضعفُ عن العمل فيشعر بخطأه في صيام الدهر الذي هو مكروهٌ. «قالوا فثُلثَيه؟» أي فصيامُ ثُلثَية قال: «**أكثر**». وقال في النِّصفِ كذلك، والمرادُ بأكثرَ: كثير، أي كثير علىٰ الرَّجلِ صيامِ ثلثي الدَّهر أو نصفه.

$\frac{107}{785}$ «**صمْ رمضانَ والذي يلِيه**» أي ستةِ أيامٍ من شوال.

$\frac{111}{789}$ في الأصول: «**من صامَ الأربعاءَ والخميسَ والجمعةَ**» لكن الحديث عند أبي يعلىٰ ليس فيه «والجمعة» فلعل المؤلف وَهِمَ.

$\frac{114}{792}$ مما يلتحقُ بالموضوع، ما رواه أحمد عن عكرمة بن خالد، قال: حدَّثني أبي أنَّه سمعَ مِن فَلْتِ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**من صَامَ رمضان وشوال والأربعاءَ والخميسَ دخلَ الجنةَ**». في إسنادِه راوٍ لم يسمَّ.

وما رواه الطبرانيُّ في "الأوسط"، بإسناد ضعيفٍ، عن أنسٍ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**منْ صامَ ثلاثةَ أيامٍ من شهرٍ حرامٍ: الخميسَ والجمعةَ والسَّبتَ، كُتبَ له عبادةُ ستينَ سنةً**» وفي رواية: «**عبادةُ سنتينِ**».

وما رواه أبو نُعيم في "الحلية" بإسنادٍ لا بأسَ به، عن البراءِ بن عازبٍ، عن النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**من صامَ يومًا لم يخرقْه كُتبَ له عشرُ حسناتٍ**».

أبواب الحج

$\frac{6}{798}$ الحجُّ المبرورُ هو الذي لا لغوَ فيه ولا رفثَ ولا فسوقَ ولا جدالَ، وعلامته أن يرجع صاحبه أحسن مما كان في خلقه ودينه.

$\frac{9}{801}$ قيل: وما برُّه؟ قال: «**إطعامُ الطَّعامِ وطيبُ الكلامِ**». وهذا بيانٌ لأثر الحج المبرور، وعلامةٌ من علاماته، وحاصلُها أنْ يكون صاحبُ الحجِّ المبرور سخيًّا حلوَ الَّلسانِ.

$\frac{20}{812}$ هذا الحديثُ رواه الحاكمُ، من طريق عيسىٰ بن سوادة، قال فيه البخاريُّ وأبو حاتم: «منكر الحديثِ»، وكذبه ابنُ معين، وقال أبو حاتم: «روىٰ عن إسماعيل بن أبي خالد عن زاذان عن ابن عبَّاسٍ حديثًا منكرًا». يعني هذا الحديث.

$\frac{38}{830}$ في "صحيح البُخاري": باب أجرِ العُمْرةِ علىٰ قدر النَّصَبِ. ثمَّ روىٰ عن عائشة رضي الله عنها قالتْ: يا رسول الله يصدر الناس بنسكينِ وأصدر

بنسكٍ؟ فقال: «**انتظِري فإذا طهرتِ فاخْرُجِي إلى التَّنعيمِ فأهِلِّي ثمَّ ائتِيَنا بمكانِ كذا، ولكنَّها على قدرِ نفقتِكِ أو نَصَبِكَ**». رواه مسلمٌ وأحمدُ أيضًا.

$\frac{48}{840}$ تقدَّم هذا الحديثُ، وهو ضعيفٌ.

$\frac{52}{844}$ هذا من الخصال المكفِّرة لما تقدَّم وما تأخَّر من الذنوبِ، وهي مفردة بالتآليفِ، وانظر ما كتبناه في تعليقاتنا على "بشارة المحبوب بتكفير الذنوب".

$\frac{57}{849}$ المنكدرُ بن عبدالله بن الهدير التَّيميُّ، ذكره الطبرانيُّ وغيره في الصَّحابة وأخرجوا له هذا الحديث، لكن قال ابن عبدالبر: «حديثه مرسلٌ عندهم، ولا يثبت له صحبةٌ ولكنَّه ولد على عهد رسول الله صلَّى الله عليه وآله سلم».اهـ

$\frac{59}{851}$ «**فاوضَه**» أي قابله بوجهه. «**فإنَّما يفاوضُ يدَ الرَّحمن**» كناية عن القبول والرِّضا. «**ومن طافَ فتكلَّم**» بكلام الدنيا «**وهو في تلكَ الحالِ**» من الطَّواف «**خاضَ في الرَّحمةِ برجليهِ**» فقط، ولم تشمل الرحمة سائر جسمه «**كخائِضِ الماءِ برجليه**» وسائرُ جسمِه خارجَ الماء. وذلك لأنَّ الكلام الأجنبيَّ في الطواف يحرِمُه من أنْ تغمرَه الرحمةُ وتعم جسدَه، أما من شغل طوافَه بالذكرِ فهو بالرحمة مغمورٌ.

وهذا الحديث ضعيفٌ؛ إسماعيل بن عياش ضعيفٌ في روايته عن الحجازيين، وشيخه حميد مكيٌّ ضعيفٌ أيضًا. لكن قال المنذريُّ: «حسنَه بعض مشايخنا».

$\frac{61}{853}$ هذا الحديثُ في سنده أبو عقال -واسمُه هلال بنُ زيد- ضعَّفه البخاريُّ وأبو حاتم والنسائيُّ وابن عدي وابن حِبَّان، وزادَ: «يروي عنْ أنسٍ

أشياءَ موضوعةً ما حدَّثَ بها أنسٌ قط».

وتلميذُه داود بن عجلان ضعَّفه ابنُ معينٍ وأبو داود والحاكمُ. وقال النقاشُ: «روىٰ عن أبي عقال أحاديثَ موضوعةً».

$\frac{68}{760}$ هذا الحديث أخرجه البخاريُّ في كتابِ العيدين تحتَ ترجمة: بابُ فضلِ العملِ في أيام التشريق، واختصتْ عشرُ ذي الحجَّة بهذا الفضلِ لأنَّها جمعت أمَّهات العبادة؛ الصلاةُ والصيامُ والصدقةُ والحجُّ، وعلىٰ هذا يختص الفضل المذكور في هذا الباب بالحاج، ويحتمل أن يعم المقيم.

$\frac{69}{861}$ «**إلا عَفِيرًا يُعفِّرُ وجهَهُ في التُّرابِ**» أي إلا شهيدًا قتل وتعفر وجهه في التراب.

$\frac{81}{873}$ هذا الحديث والذي بعده يفيدان مغفرة ذنوب الحاجِّ كلِّها حتىٰ الكبائر والمظالم، أي الحقوق التي عليه للناسِ، وهي التَّبعاتُ. وللحافظ ابن حجر في تصحيحِ هذا الحديث وتأييدِ معناه رسالة سماها: "قوةُ الحجاجِ في عمومِ المغفرةِ للحجَّاج" كتبت لها مقدمة وعلقت عليها بكلمات وجيزه.

$\frac{92}{885}$ هذا الحديثُ رواه الترمذيُّ وابنُ ماجه والحاكمُ من طريق أبي المثنىٰ سليمان بن يزيد، عن هشان بن عروة، عن أبيه، عن عائشةَ. وأبو المثنىٰ ضعيفٌ. وحديث علي الآتي بعده حسَّنه بعضُ شيوخ الحافظ المنذريِّ، ولهذا قال المؤلفُ عنه كما سيأتي: «إسنادُه لا بأسَ به، أصلح من إسناد حديث عائشة» يعني هذا.

قلت: وفي معناه ما رواه الطبرانيُّ بإسناد ضعيفٍ عن عمرانَ بن حصين

رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**يا فاطمةُ قُومِي فاشْهَدِي أضْحِيتَكِ فإنَّه يُغفرُ لكِ بكلِّ قطرةٍ من دمِها كلّ ذنبٍ عملتِيه، قولي:** ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣]. قال عمران: يا رسول الله هذا لك ولأهل بيتك خاصة؟ فأهل ذلك أنتم، أو للمسلمين عامة؟ قال: «**بل للمسلمينَ عامةً**».

$\frac{95}{887}$ في إسنادِ هذا الحديث راوٍ متروكٌ، والحديث الذي بعده في سنده راوٍ كذابٌ.

$\frac{98}{890}$ عائذ الله المجاشعي متروكٌ، وشيخه نفيعٌ كذابٌ.

$\frac{99}{891}$ محمد بن حبيب الجارودِيُّ صدوقٌ، لكنَّ الرَّاوي عنه محمد بن هشام مجهول، ثمَّ أنَّ الجارودِيَّ تفرد عن ابن عيينة بوصله ورفعِه، وأصحابِ سفيان رووه عنه عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مرسلًا، وبعضهم وقفه علىٰ مجاهد لكن الموقوف له حكم المرفوع وفي "صحيح مسلم" من حديث أبي ذر رضي الله عنه «**إنَّها طعامُ طُعْمٍ**».

ورواه البزَّار بلفظ: «**زَمزمُ طَعَامُ طُعمٍ وشِفاءُ سُقْمٍ**» ورجال إسنادُه رجال الصحيح، وللطبرانيِّ في "الكبير" بإسناد رجاله ثقاتٌ عن أبي الطفيل -صحابي صغير- قال: سمعتُ ابن عبَّاسٍ يقول: كنا نسميها شباعة -يعني زمزم- وكنا نجدها نعمَ العونُ علىٰ العيال.

وللفاكهيِّ بإسناد حسنٍ -كما قال الحافظ- عن عباد بن عبدالله بن الزبير

قال: لما حجَّ معاويةُ فحججْنا معه، فلما طافَ بالبيت صلىٰ عند المقام ركعتين، ثمَّ مرَّ بزمزم وهو خارجٌ إلىٰ الصَّفا فقال: انزعْ لي منها دلْوًا يا غلامُ، فقام فنزع له منها دلوًا فأتي به فشربَ وصبَّ علىٰ وجهِه ورأسِه وهو يقول: زمزم شفاءٌ وهي لما شُربَ له.

قال السُّيوطيُّ في "حاشية ابن ماجه": «وهذا الحديثُ -يعني: ماءَ زمزم لما شُربَ له- مشهور علىٰ الألسنة كثيرًا، واختلف الحفَّاظ فيه، فمنهم من صحَّحه، ومنهم من حسَّنه، ومنهم من ضعَّفه، والمعتمدُ الأول، وجارَ من قال أنَّ حديث «الباذنجان لما أكلَ له» أصحُّ منه، فإنَّ حديثَ الباذنجان موضوعٌ كذبٌ».اهـ

قلت: ممن صحَّح الحديثَ: سفيان بن عيينة، والمنذريُّ، وللمؤلفِ جزء في تصحيحه، وقال الحافظُ: «إنه باجتماعِ طرقِه يصلحُ للاحتجاجِ به»، وألف فيه جزءًا أيضًا. وضعَّفه النوويُّ.

ولشيخِنا المرحوم أبي عبدالله بن إدريس القادري رسالة "إزالة الدهْشِ والولَه عن صحةِ حديثِ ماء زمزمَ لما شُرِب لَه" وهي مطبوعة.

وقال الحافظُ السَّخاويُّ: «وقد جربه جماعةٌ من الكبار فذكروا أنَّه صحَّ».

تنبيه: قال العلامة ابن غازي: «حدثني شيخنا أبو عبدالله القَوْري -بفتح القاف وسكون الواو- عن شيخه أبي عبدالله ابن عبدالعزيز أنه قال: سمعت العالمِ المحدِّثَ الحافظَ البلالي بمصرَ يقول: حديثُ: «الباذنجانِ لما أكِلَ لَه» أمثل إسنادًا من حديثِ: «ماءُ زمزم لما شُربَ لَه»، قال شيخنا القوري: وهذا عكسُ المعروفِ».اهـ

قال العلَّامةُ الشيخُ أحمد بابا التنبكتي: «ولعلَّ النقلَ انقلبَ على ناقله سهوًا، وإلا فالذي نقل عن البلاليُّ المذكور في "مختصر الإحياء" خلافه، بل صَرَّحَ بأنَّ حديثَ الباذنجان موضوعٌ، وضعه الزَّنادقةُ، وأنَّ حديثَ ماءِ زمزم صحيحٌ، وقد استوفيتُ كلامَه وكلامَ غيره في تقييدي على المختصرِ في كتاب الحج».اهـ

راجع ترجمة أبي عبدالله محمد بن قاسم القوري من "نيل الابتهاج بتطريز الدِّيباج".

102/894 «**طعامُ طُعْمٍ**» أي طعام يشبعُ من أكلَه.

103/895 «**المدينةُ خيرٌ لهم لو كانُوا يعلمُون**» أي خير للذين يخرجون من المدينة طلبًا لرخاء العيش. فقد روى أحمد والبزَّار بإسنادٍ صحيحٍ عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ليأتينَّ على أهلِ المدينةِ زمانٌ ينطلقُ الناسُ منْها إلى الأريافِ يلتمسُون الرَّخاءَ فيجدُون رخاءً، ثمَّ يأتون فيتحملُون بأهلِيهم إلى الرَّخاءِ، والمدينةُ خيرٌ لهم لو كانوا يعلمُونَ**».

106/898 قوله: «سمعته يزعمُ» أي: يقول، هذا معناهُ في اللغةِ، وقد يستعمل الزعمِ في الكذبِ بقرينةٍ، نحو قوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ﴾ [التغابن: ٧].

111/903 هذا الحديث رواه النسائيُّ من طريق عقيل، عن الزهريِّ، عن عبيدالله ابن عبدالله بن عتبة، عن صميتة -وكانت في حجر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم- قالت: سمعتُ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**من استطاعَ منكُم أن يموتَ بالمدينةِ فليمتْ، فإنَّه من يموتُ بها أشفعُ له يومَ القيامةِ**

وأشهدُ لهُ»، وسها المؤلفُ -كشيخِه- عن عزْوِه إلى النَّسائيِّ.

$\frac{113}{905}$ قوله: «عن امرأةٍ يتيمةٍ...» إلخ، هي الصميتة المتقدمةُ، والحديث واحدٌ غير أن هذا الطريق من رواية صفية بنت أبي عبيد عنها، والطريقُ السابق من رواية عبيدالله بن عبدالله بن عتبة عنها، وجاء طريقٌ ثالثٌ من رواية عبيدالله بن عبدالله بن عمر عنها، وظنَّ المؤلفُ -كشيخِه- أنَّ هذا غير تلك، وهي واحدةٌ، قيل فيها: ليثية، وقيل: من ثقيفٍ، وقيل: دارِيَّةٌ، أي من بني عبدالدار.

$\frac{118}{910}$ هذا الحديث -وهو صحيحٌ- يقتضي السفر إلى المدينة المنورةِ للسلام عليه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ليحظى المسلِّمُ عليه بردِّ السلام، وقد ثبت أن موتى المؤمنين يردون على من سلَّم عليهم، فما ظنُّك برسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؟! ومما يدل على استحبابِ السَّفر للزيارة النبوية، ما رواه الحاكم -وصحَّحه وسلَّمه الذهبيُّ- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ليهْبِطنَّ ابنُ مريمَ حكمًا عادلًا وإمامًا مُقْسِطًا وليسلكنَّ فجًّا حاجًّا أو معتمرًا وليأتينَّ قبرِي حتَّى يسلمَ عليَّ ولأردَّنَّ عليهِ**».

فالنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يخبر أنَّ عيسى عليه السلامُ يأتي من الحجِّ أو العمرةِ إلى القبر الشريف ليسلمَ عليه، وهذا هو السفرُ للزيارةِ النبوية. وعيسى مع كونه روحَ الله عليه السلامُ، ينزل عاملًا بالشَّريعةِ الإسلامية، داعيًا إليها كما تواترت الأحاديث بذلك في الصحيحين وغيرهما.

أبواب الجهاد

$\frac{121}{913}$ بقية الحديث عند أبي دواد: «ومن جُرِحَ جرحًا في سبيل الله، أو نُكبَ نكبةً فإنَّها تجيءُ يوم القيامةِ كأغزَرِ ما كانتْ، لونُها لونُ الزعفرانِ، وريحُها ريحُ المسكِ، ومن خرجَ به خُراجٌ في سبيل الله فإنَّ عليه طابعَ الشُّهداء».

$\frac{122}{914}$ هذا الحديث رواه ابن مردويه أيضًا، ولفظه عنده وعند ابن حِبَّان في "صحيحه": لما نزلت هذه الآية: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٦١] قال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «ربِّ زدْ أمَّتِي» قال: فأنزل الله ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥] قال: «ربِّ زدْ أمَّتي» قال: فأنزل الله: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

$\frac{125}{917}$ هذا الحديث في "سنن ابن ماجه" من رواية هؤلاء السِّتة، وأبي هريرة وعبدالله بن عمر، ورواه ابن أبي حاتم في "التفسير" من طريق الحسن عن عمران فقط.

$\frac{126}{918}$ مما يلتحقُ بهذا البابِ ما رواه أحمد وأبو يعلىٰ والبزَّار عن عياض بن غطيف قال: دخلنا علىٰ أبي عبيدة نعودُه من شكوىٰ أصابتْه بجنبِه، وامرأته نحيفة قاعدةٌ عند رأسه، قلت: كيف بات أبو عبيدة؟ قالتْ والله لقد باتَ بأجر -تعني اشتدادَ الألمِ عليه- فقال أبو عبيدة -هو ابنُ الجراح-: ما بتُّ بأجر، وكان مقبلًا بوجهه علىٰ الحائطِ، فأقبل علىٰ القومِ وقال: ألا تسألوني عما قلتُ؟ قالوا: ما أعجبنا ما قلتَ فنسألك عنه، قال سمعتُ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «من أنفقَ نفقةً فاضلةً في سبيل الله فبسبعِمائةٍ، ومن أنفقَ على

نفسِه وأهلِه أو عادَ مريضًا أو مازَ أذَي -أزاله- فالحسنةُ بعشرِ أمثالها، والصَّومُ جُنَّةٌ ما لم يخرقْها، ومن ابتلاهُ الله في جسدِه فهو حِطَّةٌ». أي أنَّ المرضَ يكفر الذنوب ولا يوجب الأجر، قال الحافظ الهيثميُّ: «فيه بشارُ بن أبي سيف، ولم أر من وثَّقه ولا جرحَه، وبقيةُ رجاله ثقاتٌ».اهـ

قلت: ذكره ابن حِبَّان في "الثِّقات"، وللهيثميِّ ترتيب كتاب "الثقات" يظهر أنه حصل له سهوٌ، والأمر سهلٌ. وروى النسائيُّ بعضَه في الصَّوم من طريقٍ آخرَ عن أبي عبيدةَ بن الجراح موقوفًا عليه.

وروى البزَّارُ بإسنادٍ فيه ضعفٌ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: النَّفقة في سبيل الله تضعف بسبعمائة ضعفٍ.

$\frac{128}{920}$ تحسين المؤلفِ لإسناد هذا الحديثِ ترجيحٌ منه لتحسينِ حديثِ عبدالله بن محمد بن عقيل الموجود في إسناد أحمد، وهو الرَّاجح في نقدي أيضًا.

$\frac{129}{921}$ «حتَّى يستقلَّ» أي يقدر على الغزو بحيث لا يبقى محتاجًا إلى شيء من أسبابه وآلاته.

$\frac{130}{922}$ قوله: «بعثَ إلى بني لحيان»، أي بعث بعثًا من الصحابة يغزو بني لحيان، لأنَّهم كانوا كفارًا «ليخْرُج من كلِّ رجلينِ رجلٌ» هذا خطابٌ لبعث الصحابة أي ليخرجَ من كلِّ قبيلة نصفُ عددِها ويذهبونَ لقتال بني لحيان. وفي رواية لمسلم أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعث بعثًا إلى بني لحيان من هذيل فقال: «ليبعثنَّ من كلِّ رجلينِ أحدهما والأجرُ بينَهما» وهذا واضح. «فله مثلُ أجرِه» وفي "صحيح مسلم" و"سنن أبي داود": «كانَ له مثلُ نصفِ

أجرِ الخارجِ».

$\frac{132}{924}$ «**فأكنفُه على رحْلِه**» أي أقوم على رحله بالرِّعاية حارسًا متاعه إذا ذهب للجهاد، يقال: «كنفته» إذا قمت بأمره، وجعلته في كنفك. وفي نسخة: «**فأكفيهِ على رحْلِه**» من الكفاية، أي أحرس متاعه إذا غدا أو راح إلى الجهاد، والكفاة الخدم الذي يقومون بالخدمة، جمع كاف.

$\frac{135}{927}$ «**لا يخرجُه إلا جهادٌ في سبيلي**» وسبيل الله هو الدين لا غير، فالجهاد في سبيل الوطنية ليس بجهادٍ.

$\frac{141}{933}$ عمرو بن قيس الكنديُّ، حمصيٌّ تابعيٌّ، ليس بصحابيٍّ. وقد حصل للمؤلف سهوٌ، وأصل الحديثِ عند الطبرنيِّ في "الأوسط" من طريق صدقةَ بن موسى الدقيقيِّ، عن عمرو بن قيس الكنديِّ قال: كنا مع أبي الدرداء منصرفين من الصائفة، فقال: أيُّها الناس اجتمعوا، سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله سلم يقولُ... وذكر الحديث.

والصَّائفةُ: هي غزوة الصائفةِ، وهي غزوةُ الرومِ، سميت بذلك لأنَّهم كانوا يغزونهم في الصَّيف خوفًا من البردِ والثَّلجِ في الشتاء.

$\frac{152}{944}$ «**والذي يسْدَرُ في البحرِ**»، السَّدَر -بفتحتينِ- دوارٌ في الرأس من ركوبِ البحر.

$\frac{157}{949}$ «**وما بينَ الموجَتَينِ**» أي وقاطع ما بين الموجتين.

$\frac{161}{953}$ «**وأمِنَ الفُتَّانَ**» بضم الفاء وفي رواية الأكثر؛ جمع فاتن. ورواه بعضهم بفتح الفاء، والمراد على الروايتين ما جاء في رواية أبي داود: «**وأمِنَ فتَّانَي القبرِ**»

أي ملكي السؤال، وهما منكر ونكير عليهما السلام.

$\frac{176}{986}$ «**وحُرِّمتِ النارُ على عينٍ ثالثة**» لم يسمعها محمد بن سمير، قلت: هي عين غضَّتْ عن محارم الله، ففي "معجم الطبراني الكبير" عن معاوية بن حيدة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ثلاثةٌ لا ترَى أعينُهم النَّارَ: عينٌ حرستْ في سبيلِ الله، وعينٌ بكتْ من خشيةِ الله، وعينٌ كفَّتْ عنْ محارِمِ الله**».

$\frac{182}{974}$ وقوله: «رواه ليثُ بن أبي سليمٍ عن طاوس عنها». قلت: أخرجه الطبرانيُّ من طريق عبدالواحد بن زياد، عن ليثٍ به. وفي "مسند الشاميين" للطبراني من طريق النعمان بن المنذر، عن مكحول، عن أمِّ مالكٍ قالتْ: سألت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: من أعظمُ الناسِ أجرًا؟ قال: «**رجلٌ آخذٌ برأسِ فرسِه يأتي العدوَّ ويخيفَهم ويخيفُونَه**».

وروى البَيهقيُّ عن أم مبشِّر تبلغُ به النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**خيرُ الناسِ منزلةً رجلٌ على متنِ فرسٍ يخيفُ العدوَّ ويخيفُونَه**». وأمُّ مبشر أنصاريةٌ صحابيةٌ.

$\frac{184}{976}$ هذا الحديثُ رواه البخاريُّ في باب شربِ الناس وسقي الدوابِّ والأنهار، أواخر كتاب المزارعةِ، وفي باب عقبَ بابِ علاماتِ النبوَّة في الإسلام، آخر أحاديث الأنبياء، ورواه في كتاب الجهاد مختصرًا.

ورواه مسلمٌ في أوائل كتاب الزكاة: «**ثمَّ لم ينسَ حقَّ الله في ظُهورِهَا ولا رقابِها**». المراد بالحقِّ: الخروجُ عليها إذا وقعَ النفير لقتال العدوِّ إذا تعين ذلك

عليه، وحمل المنقطعين عليها إذا احتاجُوا لذلك، وهذا واجب عليه إذا تعين ذلك، كما يتعين عليه أن يطعمَهم عند الضرورة.

فإن قيل: هذا هو الحقُّ الذي في ظهورها وبقي الحقُّ الذي في رقابِها. قيل: قد رُوي: «**لا ينسَ حقَّ الله فِيها**» ولا فرق بين أن يقول: «حق الله فيها»، أو «في ظهورِها ورقابِها»، فإن المعنىٰ يرجعُ إلىٰ شيءٍ واحدٍ، لأنَّ الحقَّ يتعلقُ بجملتِها. وقد قال جماعةٌ من العلماء أن الحقَّ هنا حسنُ ملكِها وتعهدُ شبعِها والإحسان إليها وركوبها غير مشقوقٍ عليها، كما جاء في الحديث: «**لا تتَّخذُوا ظهورَ الدَّوابِّ كرَاسِيَّ**» وإنما خصَّ رقابها بالذكرِ لأن الرقابَ والأعناقَ تستعارُ كثيرًا في مواضعِ الحقوقِ اللازمة والفروض الواجبة، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢] وكثر عندهم استعمال ذلك واستعارته حتىٰ جعلُوه في الرباعِ والأموال، ألا ترىٰ قول كثير:

غَمْرُ الرِّداءِ إذا تبَسَّمَ ضاحِكًا غَلِقَتْ لضَحْكَتِهِ رِقَابُ المالِ

قاله القرطبيُّ في "التفسير". وقال المؤلفُ في كتاب "فضل الخيل": «ليس فيه دليل علىٰ وجوبِ الزكاةِ في الخيل لوجهين:

أحدُهما: أنه عليه الصلاةُ والسلامُ لما ذكر الإبل السائمةَ، وقال: «**فيها حقٌّ**» سئل عن ذلك الحق ما هو فقال: «**إطراقُ فحلِها، وإعارةُ دلوِها، ومِنحَةُ لبنِهَا أو سمنِهَا، و حلبِهَا على الماءِ، وحملَ عليهَا في سبيلِ الله**» فلما كانت الإبل فيها حقٌّ سوىٰ الزكاة احتمل أن يكون في الخيلِ أيضًا حقٌّ سوىٰ الزَّكاة.

وقد روىٰ الترمذيُّ وابن ماجه في الزكاة من حديثِ فاطمةَ بن قيس قالت:

قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ في المالِ حقًّا سِوَى الزَّكاة**» وتلا هذه الآية: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٧] الآية. فيجوز أن يحمل الحق في رقابها وظهورها علىٰ هذا.

والوجه الثاني: أن يُحمل الحقُّ علىٰ التأكيد لا علىٰ الوجوب كقوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في حديث معاذ: «**وحقُّ العبادِ على الله عزَّ وجلَّ ألا يعذبَهم إذا فعلُوا ذلكَ**» فهذا محملُ قوله عليه السَّلام: «**ثمَّ لم ينسَ حقَّ الله في رقابِها**» وتأويله».اهـ

وقال العلامةُ محمَّد البخشي في كتابِ "رشحات المدادِ فيما يتعلَّق بالصافناتِ الجياد": «وأجابوا -أي الجمهورُ النافونَ لزكاةِ الخيل- عن الحديثِ بأن الحقَّ المذكور فيه غير الزكاة، بدليلِ أنه قرنَه مع ما يتعيَّنُ حملُه علىٰ ذلك بقوله: «**ثمَّ لم ينسَ حقَّ الله في رقابِها ولا ظُهُورِها**» -حيث ذَكَرَ الظهور التي لا زكاة فيها بالإجماع- وفي رواية لمسلمٍ: «**ولم ينسَ حقَّ ظُهُورِها ولا بطونِها، في عُسْرِها ويُسْرِها**» ولم يذكر الرِّقابَ، وحق الله في الظهور إنَّما هو حمل المنقطعين من الغزاة وغيرهم، ومواساة الفقراء العاجزين بإعارتها ونحو ذلك، وذكر نحو ما سبق في كلامِ المؤلف، ثمَّ قال: «وبأنَّ الحقَّ المذكورَ في الحديث مجملٌ، والأحاديث الواردة في رفعها -أي الزكاة- مفسرة، تقضي عليه، فرجحت».اهـ

$\frac{193}{985}$ «**ومُنَبِّلَهُ**» قال البغويُّ: «هو الذي يناول الراميَ النَّبلَ، وهو يكون علىٰ وجهين أحدهما: يقومُ بجنب الرَّامي أو خلفه يناوله النَّبل واحدًا بعد واحدٍ

حتىٰ يرميَ، والآخر: أن يرد عليه النَّبل المرمىٰ به، ويُروىٰ: «والممِدَّ به» وأي الأمرين فعل فهو ممد به».اهـ

وقال المنذري: «ويحتملُ أن يكون المرادَ بقوله: «ومنبلَه» أي الذي يعطيه للمجاهد، ويجهزه به من ماله إمدادًا له وتقوية، ورواية البيهقيِّ تدل علىٰ هذا».اهـ

$\frac{195}{987}$ قال ابن حِبَّان: حدَّثنا الحسن بن سفيان: ثنا أبوبكر بن أبي شيبة: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن سالم بن أبي الجعد، عن شرحبيل بن السمط أنَّه قال لكعب بن مرة: حدِّثنا عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، واحذر، قال: سمعتُ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول...، وذكر الحديث .

ورواه أحمد، عن أبي معاوية به، و«النحام» هو الكثير النحم -أي التنحنح- «**أمَا إنَّها ليستْ بعتبةِ أمِّكَ**»، قال هذا علىٰ سبيل المباسطة والإيناس، كما قال لأبي هريرة: «**تربتْ يمينُكَ**» ولمعاذ: «**ثكلتْكَ أمُّكَ**».

$\frac{196}{988}$ وَقَعَ للمؤلفِ -كشيخِه- في هذا المحلِّ سهوٌ، حيث عَزَيا الحديث لمعدانَ بنِ أبي طلحة، ظنَّاه صحابيًّا، والواقعُ أنَّه تابعيٌّ، وهو يروي هذا الحديث عن عمر بن عنبسة السُّلميِّ، وهو صاحبيٌّ قديمُ الإسلامِ، قال أبو داود في باب أي الرِّقاب أفضل؟، من كتاب العتقِ: حدَّثنا محمَّد بن المثنىٰ: ثنا معاذ بن هشام: حدثني أبي، عن قتادة، عن سالم بن أبي الجعدِ، عن معدان بن أبي طلحة اليعمري، عن أبي نجيحٍ السُّلميِّ قال: حاصرْنا مع رسول الله صلَّىٰ

الله عليه وآله وسلَّم بقصر الطائفِ فسمعتُه يقول: «**منْ بَلَغَ بسَهْمٍ...**» الحديث.

$\frac{197}{989}$ هذا هو الحديث السَّابقُ بعينِه، واختصرَه النَّسَائيُّ، وجعله المؤلفُ حديثين لِظنه -كما سبق- أن معدان صحابي.

$\frac{198}{990}$ هذا لفظ الترمذيُّ، وقال: «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ»، «**فهوَ له عِدْلُ محرَّرَةٍ**» أي عدل رقبة محررة، يعني معتَقَةٍ. ورواه ابن ماجه من طريق القاسم ابن عبدالرحمن، عن عمر بن عبسة بلفظ: «**منْ رَمَى العدوَّ بسَهْمٍ فبَلغَ سَهْمُه العدوَّ أصابَ أو أخطأ فعِدْلُ رقَبَتِه**» وسيأتي في المتن.

$\frac{203}{995}$ قوله: «رأيتُ أبا عمرو الأنصاريَّ»، عند الطبرانيِّ زيادة: «يومَ صفين» ولا أدري لما حذفها المؤلف؟! والمعنى: أنَّ أبا عمرو الأنصاري رضى الله عنه كان يوم صفِّين في جيشِ عليٍّ عليه السلامُ ضدَّ معاويةَ وجيشِه، وكان يعتبر قتالهم جهادًا في سبيل الله.

$\frac{204}{996}$ كان هذا يوم قُريظةَ، فقد روى الحسنُ بن سفيانَ في "سنده"، من طريق يحيى بن عتبة، عن أبيه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يوم قريظة: «**منْ أدخَلَ الحصنَ سَهْمًا وجبَتْ له الجنَّةُ**»، فأدخلتُ ثلاثةَ أسهمٍ.

$\frac{205}{997}$ ذهب جماعةٌ من العلماءِ إلى أنَّ هذه الأحاديث المذكورة في هذا الباب وردت في فضل الصَّوم في الجهاد، وهذا رأي المؤلف. وذهب آخرون إلى أنَّ كلَّ صوم في سبيل الله إذا كان خالصًا لوجه الله تعالى.

$\frac{209}{1001}$ قوله: «ورواه الترمذيُّ من طريق الوليد بن جميل، عن القاسم،

عنه»، أي عن أبي الدرداء، وهذا هو الظاهر، وهو غلط. والصَّوابُ: عن أبي أمامة، كذلك رواه الترمذيُّ.

$\frac{210}{1002}$ زَبَّان وسهل، ضُعِّفا.

$\frac{213}{1005}$ هذا من أحاديثِ الإسراء، وإسنادُه حسنٌ.

$\frac{222}{1014}$ هذا الحديثُ قاله النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: لمعاذ رضي الله عنه في مسيرهم إلى غزوة تبوك، وشهر لم يسمع من معاذ. ورواه الترمذيُّ والنَّسائيُّ وابن ماجه من طريق عاصم عن أبي وائل، عن معاذ، ولم يسمع منه أيضًا.

ورواه أحمد من طريق عروة بن النزال، وميمون بن أبي شبيب، كلاهما عن معاذ، ولم يسمعا منه أيضًا.

ورواه أحمد أيضًا من طريق شهر، عن عبدالرحمن بن غنم، عن معاذ، وهذا طريق متصل، والحديث في "الأربعين النَّووية" بنحو هذا اللَّفظ.

$\frac{233}{1025}$ عمير بن الحمام، أنصاري سلمي، وذكر ابن إسحاق أن عميرًا قذف التَّمرَ من يده وأخذ سيف فقاتل -حتى قتل- وهو يقول:

ركضًا إلى الله بغيرِ زادِ إلا التُّقى وعملِ المعادِ
والصَّبرِ في الله على الجهادِ

$\frac{236}{1028}$ «فُوَاقَ ناقَةٍ» وهو قدرُ ما بينَ الحلبتينِ، لأنَّ النَّاقة تحلب ثم تترك سويعة ترضع الفصيل لتدرَّ، ثمَّ تُحلبُ، وفُواق منصوبٌ على الظرفية بتقدير مضاف، أي: وقت فُواق.

ثواب قيام الرجل في الصف

وذكر قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾ [الصف: ٤]. واستدلَّ بعضُهم بهذه الآية، علىٰ أنَّ قتال الراجل أفضل من قتال الفارسِ لأنَّ الفرسانَ لا يصطفون بهذه الصِّفة. وروىٰ ابن جرير عن أبي بحرية قال: كانوا يكرهون القتال علىٰ الخيلِ، ويستحبُّون القتال علىٰ الأرض لقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾ وقال المهدوي: «وذلك غيرُ مستقيمٍ، لما جاءَ في فضل الفارس في الأجرِ والغنيمةِ، ولا يخرجُ الفرسانُ من معنىٰ الآيةِ، لأنَّ معناها الثَّبَات». وقيل-كما في "الكَشاف"-: «يجوز أنْ يريدَ استواء نياتِهم في الثَّباتِ حتىٰ يكونُوا في اجتماعِ الكلمةِ كالبنيان المرصوصِ.

$\frac{237}{1029}$ وهذا الحديثُ أيضًا رواه الطبراني في "الكبير" و"الأوسط"، والبزار ولفظه: «**لمقامُ أحدِكُم في الصَّفِّ ساعةً...**» الحديث، وفي إسناده عبدالله بن صالحٍ، كاتبُ الَّليثِ، وثَّقة جماعةٌ، وقال عبدالملك بن شعيب بن الليث: «ثقةٌ مأمونٌ»، وقد سَمِعَ من جدي حديثه وكان أبي يحضُّه علىٰ التَّحديثِ، وكان يحدِّث بحضرة أبي، وقال ابنُ معينٍ: «هما ثبتان، ثبتُ حفظٍ وثبتُ كتابٍ، وأبو صالح كاتبُ الليثِ ثبت كتاب»، وخرَّجَ له البخاريُّ في كتاب البيوع من "صحيحه" حديث الرَّجل من بني إسرائيل الذي استسلفَ ألفَ دينار، وخرَّج له حديثًا آخر في كتاب الأحكام رواية أبي ذرٍّ الهرويِّ، وعلَّقَ جملة أحاديث عن الَّليث بصيغة الجزم، لا توجد إلا من طريق كاتبه أبي صالح،

فلهذا كلِّه صحَّح الحاكمُ حديثَ الترجمة على شرط البخاريِّ.

$\frac{238}{1030}$ هذا الحديث رواه أيضًا أحمدُ والطَّبرانيُّ بنحوه من حديث أبي أمامة وفيه: فقال النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «إنِّي لم أبعَثْ باليهوديةِ ولا بالنَّصرانيةِ، ولكنْ بُعِثْتُ بالحنيفيةِ السَّمْحةِ، والذي نفسُ محمَّدٍ بيدِه لَغدْوةٌ أو رَوحةٌ في سبيل الله خيرٌ من الدُّنيا وما فيها، ولَمَقامُ أحدِكمْ في الصَّفِّ خيرٌ منَ صَلاتِه ستينَ سنةً». قوله: «وقيل: هو ما بينَ الشخَبينِ»، الشخب: هو ما يخرجُ من تحت يد الحَالب عند كل غمزة أو عصرة لضرع الشَّاة أو النَّاقة.

$\frac{239}{1031}$ مما يلتحقُ بأحاديثِ البابِ ما رواهُ أحمدُ وابنُ ماجه بإسنادٍ ضعيفٍ عن أبي سعيد الخدريِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ثلاثةٌ يضحكُ الله إليهِم: الرَّجلُ يقومُ من الليلِ، والقومُ إذا صَفُّوا للصَّلاةِ، والقومُ إذا صفُّوا للقتالِ**».

$\frac{241}{1033}$ «**وأمَّا الأثرانِ فأثرٌ في سبيلِ الله**» الأثر ما بقي من الشيء دالًا عليه، نحو ما يبقي من أثر الجراحات على بدن المجاهد، «**وأثرٌ في فريضةٍ من فرائضِ الله**» كبقاءِ بللٍ من الوضُوء، وخلوفُ فمِ الصَّائم في رمضانَ، ونحو ذلك.

$\frac{246}{1038}$ «**لا يجتَمِعانِ في النَّارِ اجتماعًا يضرُّ أحدُهما الآخَرَ**» أي لا يجتمعان في النَّارِ في مكانٍ واحد منها، بحيث يضرُّ أحدُهما الآخر بصراخِه ورائحتِه الخبيثة المنكرة، نسأل الله العافية. وتكون هذه الحالة مخصوصةً من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**يُخْرِجُ الله ناسًا منَ المؤمِنينَ من النَّارِ بعدما يأخذُ نقمتَه منْهُم**»، وقال: «**لما**

أدخَلَهُم الله النَّارَ مع المشركين؟ قال لهم المشركُون: تزعمُون أنكمْ أولياءُ الله في الدنيا، فما بالكُم معنَا في النَّارِ؟ فإذا سمعَ الله ذلكَ منهم أَذِنَ في الشَّفاعة لهم، فتشْفَعُ لهم الملائكة والنَّبيُّون، ويشفَعُ المؤمنون حتَّى يخرجُوا بإذنِ الله، فإذا رأَى المشركون ذلك قالوا: ياليتَنا كنَّا مثلَهم فتدركَنا الشَّفاعةُ فنُخرَج معَهُم» قال: «فذلك قول الله: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴾ [الحجر: ٢]، فيُسمَّوْن الجَهَنَّميينَ من أجلِ سوادِ وجوهِهِم، فيقولُون: ربَّنا أذهِبْ عنَّا هذا الاسمَ، فيأمرُهُم فيغتسلُون في نهرِ الجنةِ، فيذهبُ ذلكَ الاسمُ عنْهُمْ»، رواه إسحاقُ بنُ راهويه، والطبراني وغيرُهما، وورد نحوه من حديث أنسٍ وعليٍّ وأبي موسىٰ وغيرهم.

فهذا عام في عصاة المؤمنين إلا المجاهد الذي قتل كافرًا ثمَّ عَمِلَ معاصي اقتضت دخوله النار، فإنه لا يجتمعُ معِ الكافرِ الذي قتلَه ولا يراه، والسِّر في ذلك أنَّ المجاهد حين قتل الكافر عُجِّلَ به إلىٰ النَّار، فإذا رآه في العَذاب معه شَفَىٰ غيظه، فلم يمكنه الله من ذلك.

$\frac{247}{1039}$ روىٰ البخاريُّ هذا الحديث مختصرًا كما هنا في كتاب الجهاد من "صحيحه"، ورواه تامًّا في كتاب الجنائز، وفي كتاب التَّعبير، وهو حديث طويل في رؤيا رآها النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وفيها عذابُ أنواعٍ من العصاة، وثوابُ بعضِ الطَّائعين، ورأىٰ منزلَه عليه الصلاة والسلام في الجنة. «رأيتُ اللَّيلةَ رجُلينَ أتيانِي» هما جبرائيلُ وميكائيلُ عليهما السَّلامُ، ثَبَتَ ذلك في رواية البُخاريِّ في كتاب الجنائزِ، «فصَعِدا بي الشَّجرةَ فأدخَلاني دارًا هيَ

أحسنُ وأفضلُ» أي من دار أخرىٰ رآها قبل هذه وهي دار عامة المؤمنين.

$\frac{250}{1042}$ وروىٰ الطبرانيُّ والحاكمُ عن أبي أيوب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**منْ لقىَ العدوَّ فصبرَ حتى يُقتلَ أو يغلبَ لم يُفتَنْ في قبرِهِ**».

والشَّهيد أحدُ الذين لا يفتنُون في قبورِهم.

الثاني: من ماتَ مرابطًا، وتقدَّم حديثه في ثوب الرِّباط، وفيه أحاديث كثيرة سوىٰ ما تقدم.

الثالث: من ماتَ باستطلاقِ بطنِه، وتقدَّم حديثه في أبوابِ الجنائز.

الرابع: من يقرأ (سورة تبارك الملك) كلَّ ليلةٍ، وسيأتي حديثُها في أبواب القرآنِ.

الخامسُ: من يموتُ ليلةَ الجمعةِ أو يومَها، روىٰ أحمد والترمذي وغيرهما عن ابن عمرو قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ما منْ مسلمٍ يموتُ يومَ الجمعةِ أو ليلةَ الجمعةِ إلا وقَاهُ الله فتنةَ القبرِ**»، ولأبي يعلىٰ من حديث أنس نحوه.

فهذا أصح ما ورد فيمن يوقىٰ فتنة القبر، وما عداه ليس بصحيحٍ.

وألحق القرطبيُّ بمن لا يفتن في قبره الصدِّيقَ، وقال: «لأنَّه أجلّ قدرًا وأعظمُ خطرًا فهو أحرىٰ ألا يُفتن، لأنَّه المقدَّم ذكرُه في التنزيل»، وجَزَمَ الحافظُ ابن حجر في كتاب "بذل الماعون" بأنَّ الميت بالطاعون لا يفتن، لأنَّه نظير المقتول في المعركة، وبأنَّ الصَّابر في الطَّاعونِ محتسبًا يعلم أنَّه لا يصيبه إلا ما

كُتِبَ له، إذا مات فيه بغير الطاعون لا يُفتن أيضًا، لأنَّه نظير المرابط.

وأمَّا مارواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة: «**من ماتَ مريضًا ماتَ شهيدًا ووُقيَ فتنةَ القَبرِ، وغُديَ ورِيحَ عليه برِزقِهِ مِنَ الجنَّة**»، فقد أورده ابن الجوزي في "الموضوعات"، وأعلَّه بإبراهيمَ بن أبي يحيىٰ الأسلميِّ، كذابٌ. ثمَّ هو مصحَّفٌ، قال أحمد بن حنبل: «إنما هو: من ماتَ مرابطًا».

$\frac{252}{1044}$ معنىٰ الحديث أنَّ الشهيدَ يهون عليه الموت، فلا يجد ألمًا للقتل.

$\frac{255}{1047}$ استشكَلَ بعضُ شراح البخاريِّ صدورَ هذا التمني من النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مع علمه بأنَّه لا يقتل، لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، وأجَابَ ابن التين: بأنَّ ذلك لعله كان قبل نزول الآية، وتُعُقِّبَ بأنَّ نزولها كان في أوائل ما قدم المدينةَ، وهذا الحديث سمعه أبو هريرة من النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وهو إنَّما أسلَمَ في غزوة خيبر.

والصَّوابُ: أنَّه لا إشكال أصلًا لأنَّ التَّمني في اللغة العربية هو طلب ما لا يمكنُ وقوعُه، كقول الشاعر العربي:

ألا ليتَ الشَّبابَ يعودُ يومًا

وعودُ الشَّبابِ محالٌ لا يمكنُ وقوعُه، ومنه قوله عليه السلام في قصة موسىٰ والخضر عليهما السَّلام: «**ودِدْتُ لو أنَّ موسَى صبرَ...**» الحديث، وصبرُ موسىٰ محال، لأنَّ قصته انتهت ومضىٰ زمنها بآلاف السِّنين. وحديث التَّرجمة من هذا القبيل، حيث تمنىٰ النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لو أمكنَ أن يقتل عدة مرات في الغزو ليبين فضل الجهادِ وما للشَّهيدِ فيه عند الله تعالىٰ.

لطيفةٌ: أخبرني العَالِمِ الفَاضل الشَّيخُ حمدي أصلان جافا الأرناؤدي الألباني، وهو ممن حَضَرَ عليَّ في علومِ التَّوحيد والأصول والمنطق، أنَّه رأىٰ لبعضَ المستشرقين الألمان أنَّه استدَل علىٰ صدق النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بالآية المذكورة، وبين المستشرق استدلاله بقوله: لو لم يكن صادقًا لما أَشَاعَ هذه الآية، ولما قال لمن كانوا يحرسونه ويحرصون علىٰ حراسته: «**اذهبُوا فقدْ عصَمَني الله تَعالى**».

$\frac{256}{1048}$ يؤخذ من هذا الحديث أن السُّنةَ ينزل بها الوحي كالقرآن، وهذا ظاهرٌ لا يحتاجُ إلىٰ بيانٍ، وإنَّما نَبَّهتُ عليه للفتِ النظرِ إلىٰ ما دَأَبَ عليه مبتدعةُ العصرِ في الأزهرِ وغيره من محاربةِ السُّنةِ النَّبويةِ بأساليبَ خبيثةٍ، وفي بعضِها مساس بمقامِ النبيِّ عليه السلامُ، وتلك خطةُ سوءٍ تؤذنُ بانسلاخِهم عن الإسلام.

$\frac{258}{1050}$ قوله: «رجل مقنَّع بالحديد»، أي متغطٍّ بالسِّلاحِ، وقيل: لابس البَيْضَة -أي الخوذة- لأنَّ الرأسَ موضعُ القِناع، وفي الحديث دليل علىٰ أنَّ عمل الطَّاعة لا ينفع إلا بعد الإيمانِ، فلا يقبل طاعةً منْ كافر أصلًا قال تعالىٰ:

﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣].

نعم؛ يُثابُ الكافر في الدنيا علىٰ عملِ الخير ببسطِ الرزق أو صحة الجسم أو نحو ذلك، لكن لا نصيبَ له في ثواب الآخرة. ومن الجهل القبيحِ ترحُّم بعض العوام علىٰ موتىٰ الكفارِ، واعتقادهم أنهم سيدخلون الجنة بعد العذاب، مثل عصاة المؤمنين.

تنبيهٌ: الرجل المقنَّع هو عمرو بن ثابت بن وقْشٍ الأنصاريُّ، كان يأبىٰ الإسلام، لأجل ربٍّ كان له في الجاهلية، فلما كان يومُ أحدٍ أتىٰ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مقنَّعًا بالحديد فأسلم وقاتل حتىٰ قُتل، وصحَّ عن أبي هريرة أنه كان يقول: أخبروني عن رجل دخل الجنة لم يصلِّ صلاة؟ ثم يقول: هو عمرو بن ثابت.

259/1051 شداد بن الهادي الليثي، صحابيٌّ، كان سِلْفًا للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ولأبي بكر رضي الله عنه، لأنَّه كان متزوجًا بسلمىٰ بنت عميس، أخت ميمونةَ أم المؤمنين لأمها، وأخت أسماء بنت عميس زوجِ الصِّديق. قوله: «وكان يرعَىٰ ظهرَهم»، أي إبلَهم، يقال للإبل: ظهر، ويجمع علىٰ ظُهْرانٍ بضم أوله.

260/1052 قوله: «فما عَرَفَه أحدٌ إلا أخته» هي الرُبيِّعُ -بضم الراء وكسر الياء المثناة المشددة- بنت النضير وهي صحابية فاضلة.

263/1055 قوله: «فقيل ابنةُ عمرو، أو أخت عمرو»، وقع في روايةِ مسلمٍ، عن جابر: وجعلتْ فاطمةُ بنت عمرو عمتي تبكيه، ووقع نحو هذا في رواية للبخاريِّ في كتاب الجنائز.

264/1056 «كفاحًا» أي: مواجهةً.

265/1057 قوله: «إنَّ أمَّ الرَّبيِّعِ بنت البراء»، وهذا وهمٌ، والصَّوابُ: الرَّبيِّع بنت النضر، عمةُ البراء بن مالك، أخي أنس بن مالك، وهي أمُّ حارثة بن سراقة.

قوله: «وكان قُتل يومَ بدرٍ»، زاد في رواية البُخاريِّ: «أصابه سهْمٌ غَرْبٌ»، أي لا يُعرفُ راميه، وقوله: «وإن كان غير ذلك اجتهدتُ عليه في البكاءِ»، استدل بعضُ شراح البُخاريِّ بهذا على جواز النَّوحِ على الميت، ولكن هذا كان في غزوة بدر، ثمَّ حرمت النِّياحة بعد ذلك في غزوة أحد، فهي حرام.

$\frac{269}{1061}$ «**لما أُصيبَ إخوانُكم جَعَلَ الله أرواحَهُم في جوفِ طيرٍ خُضرٍ...**» الحديث، وروى أحمد، عن الشَّافعيِّ، عن مالك في "الموطأ"، عن الزهري، عن عبدالرحمن بن كعب بن مالك، عن أبيه: أنَّه كان يحدثُ أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّما نَسَمةُ المؤمنِ طيرٌ يعلقُ في شجرِ الجنة**» فقيل: المراد بالمؤمن هنا الشَّهيدُ، من باب إطلاق العامِّ وإرادة الخاص، بدليل الحديث قبل هذا وهو رقم (٢٦٨) وهو الظاهر. وقيل: بل هو على عمومه، وبين الحديثين فرق، من جهة أنَّ روحَ المؤمن طيرٌ يطيرُ بنفسِه، وروح الشَّهيد في جوف طير يطير بها فهي راكبةٌ محمولةٌ، ومن جهةِ أنَّ روحَ المؤمنِ يقتصرُ على العلوقِ من شجر الجنة، ويزيد روح الشهيد بأنَّه يأوي إلى قناديل في ظل العرش.

$\frac{272}{1064}$ «**على بارقِ نهرٍ**» أي شاطئ نهر، والشَّهداءُ أنواعٌ، منهم: من تكون أرواحُهم في حواصلِ طيرٍ خضرٍ كما سبق، ومنهم من يكون على نهرٍ ببابِ الجنة كما في الحديث.

$\frac{274}{1066}$ «**إنَّ للشَّهيدِ عند الله سبعَ خِصالٍ**» لكنها في العددِ ثمانيةٌ، والمراد سبع خاصة بالشَّهيد، أمَّا الخصْلةُ الثامنة وهي: «**ويرى مقعدَه منَ الجنةِ**» فهي عامة في كلِّ مؤمنٍ، ولذلك لم تُعَدّ، ويحتمل أن يجعل الأمن من الفزع الأكبر،

والإجارة من عذاب القبر واحدة.

$\frac{275}{1067}$ «**للشهيدِ عند الله ستُّ خصالٍ**» وهي في العدد سبع، فيقال: فيها ما سبق في الحديث قبله، والحديث بهذا اللَّفظ رواية الترمذيِّ، وقال: «حديث صحيح غريب. أمَّا ابن ماجه فلم يذكر قوله: «**ويُوضَعُ على رأسِه تاجُ الوَقارِ**»، وذكر بدله قوله: «**ويُحلَّى حُلَّةَ الإيمانِ**»، ثمَّ إن هذا الحديث سابق في الورود على الحديث المذكور قبله في الترتيب هنا.

$\frac{278}{1070}$ هذا الحديث -مع ضعفه- غريبٌ منكرٌ.

$\frac{279}{1071}$ يزيد بن شجرةَ بن أبي شجرة الرهاويُّ الشَّاميُّ، مختلفٌ في صحبتِه، ولم تثبت، وهذا الحديثُ حصلَ فيه اضطرابٌ، فوَرَدَ موقوفًا كما هنا، وكذلك رواه عبدالله بن المبارك في "الزهد" عن زائدة، عن منصور، عن مجاهد به.

ورواه ابن منده من طريق الأعمش، عن مجاهد.

ورواه البيهقيُّ من طريق شعبةَ قال: كتَبَ إليَّ منصورٌ وقرأتُه عليه، عن مجاهد، عن يزيد بن شجرة، وكان من الرُّها وكان معاوية يستعمله على الجيوش، خطبنَا يومًا. وذكر الحديثَ كما هنا.

ورواه البغويُّ من طريقِ حصينٍ، عن مجاهدٍ، عن يزيدَ موقوفًا أيضًا.

وقال أبوبكر بن أبي شيبة: ثنا محمد بن فضيل، عن يزيد بن أبي زياد، عن مجاهد، عن يزيد بن شجرة به. فذكره مرفوعًا مختصرًا.

وكذلك رواه الخرائطيُّ في "مكارم الأخلاق" من طريق علي بن حرب، عن محمد بن فضيل به. ورواه في الغيلانياتِ من طريقِ شعبةَ، عنِ الأعمشِ،

عن مجاهدٍ، عن يزيد بن شجرةَ به مرفوعًا. وفي سندِه الكَديميِّ، واهٍ.

ورواه البَغَويُّ من طريقِ خالد الواسطيِّ، عن يزيدَ مرفوعًا أيضًا. وكذلك رواه أبو نُعيم من طريق مسعود بن سعد، عن يزيد به.

وروى البغويُّ، وابنُ أبي عاصمٍ، وابنُ منْده من طريقِ العباسِ بنِ الفضلِ بن عمرو الأنصاري، عن القاسم بن عبدالرحمن الأنصاري، عن الزهريِّ، عن يزيد بن شجرة، عن جِدَار -بكسر الجيم وتخفيف الدال- قال: غزوْنا مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فلقينا عدونا، فقام فحمد الله وأثنى عليه ثمَّ قال: «**أيُّها الناسُ قد أصبحتُم وعليكُم منَ الله نِعمٌ فيما بينَ خضراءَ وصفراءَ وحمراءَ، وفي البيوتِ ما فِيها**» فذكر حديثَ الترجمة.

العباس بن الفضل ضعيفٌ جدًّا، ونقل ابنُ الجوزيِّ عن النسائيِّ قال: «هذا حديثٌ باطلٌ»، وقال الدراقطنيُّ في "العلل": «ليسَ بالمحفوظ والصَّوابُ قول منصورٍ والأعمشِ».اهـ يعني بالوقفِ كما سبق. وكذا قال البغويُّ: «الموقوفُ هو الصَّوابُ».اهـ، والموقوفُ في مثل هذا له حكمُ المرفوعِ.

قوله: «ترى من بني أخضر...»إلخ، يشير إلى اختلافِ ألوانِ الفواكه والزهور وغيرِهما، وقوله: في الرِّحال ما فِيها، الرِّحال: هي المنازل والبيوت، يشير بذلك إلى ما في البيوت من مفروشات ومأكولات وأنواع الرَّفاهية المستجلبة للرَّاحة.

$\frac{282}{1074}$ هذا الحديثُ رواه أيضًا ابنُ شاهين في "الصَّحابة" بإسنادٍ ضعيفٍ من طريق الأعمشِ، عن مجاهد، عن ابن عمر به نحوه، وكان ذلك في غزوة

أحد، وهو جعال الحبشيُّ نصَّ عليه الصَّفار في كتاب "الأنساب".

$\frac{285}{1075}$ لفظ الحديث: «**أفضلُ الجهادِ عندَ الله يومَ القيامةِ الذين يلقونَ في الصَّفِّ الأوَّلِ، فلا يلفتُونَ وجوهَهم حتَّى يُقتَلوا، أولئكَ يتلبَّطونَ في الغُرفِ من الجنةِ، يَضْحكُ إليهم ربُّكَ، وإذا ضَحِكَ إلى قومٍ فلا حِسابَ عليهِمْ**». وإسناده حسن. يتلبطون: يضطجعون.

أبواب قراءة القرآن

وذكر قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [فاطر: ٣٢] وهم الأمةُ المحمديةُ، ثمَّ قسمَهُم ثلاثةُ أقسامٍ: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴾ [فاطر: ٣٢] وهو المُفرِّطُ في فعل بعضِ الواجباتِ، المرتكبُ لبعضِ الموبقاتِ ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ﴾ [فاطر: ٣٢]، وهو المؤدِّي للواجبات التَّارك للمحرمات، لكن لا يفعل السُّنن والمُستَحبات، وقد يرتكبُ المكروهاتِ، ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [فاطر: ٣٢] وهو الذي يفعل السُّنن والمُستحبات، ويترك المكروهات وبعض المُباحات.

وروى ابنُ جرير وابنُ أبي حاتم وغيرُهما عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال -في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [فاطر: ٣٢] فأمَّا السَّابقُ بالخيرات فيدخلها بغير حساب، وأمَّا المقتصد فيحاسب حسابًا يسيرًا، وأمَّا الظالمُ لنفسه فيصيبه في ذلك المكان

من الهمِّ والحزنِ، وذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤] وله طرق تقويه وترفعه إلىٰ رتبةِ الصَّحيحِ.

وحديث: «**سابقُنا سابقٌ، ومقتصدُنا ناجٍ، وظَالمنا مغفورٌ له**». رواه البيهقيُّ في "الشُّعب" من حديث عمر رضي الله عنه بإسنادٍ منقطعٍ، ووصله ابن مردويه من طريق آخرَ ضعيفٍ، ورواه سعيد بن منصور عن عمر موقوفًا عليه، وفي إسناده راوٍ مُبهمٌ. فهو ضعيفٌ مرفوعًا وموقوفًا.

$\frac{1}{1077}$ هذا الحديث رواه مسلمٌ في كتاب الصلاة، وسيذكرُ المؤلِّفُ بقيتَه في ثوابِ قراءةِ (سورةِ البقرةِ) و(آل عمران).

$\frac{4}{1080}$ الحديث بهذا اللَّفظ رواية الترمذي، ولفظ رواية ابن ماجه: «**من قرأَ القرآنَ وحفظَه أدخلَه الله الجنةَ...**» الحديث. والمرادُ بحفظِه مراعاةُ العملِ به كما أفصحتْ به روايةُ الترمذيِّ.

$\frac{8}{1084}$ وهذا الحديثُ – وإن صحَّحه الحاكمُ – ضعيفٌ.

هذا القول قاله أيضًا عكرمة تلميذ ابن عبَّاسٍ، واختاره ابن جرير وفيه بحثٌ.

$\frac{10}{1086}$ قوله: «قال أبو سليمان الخطابي: جاء في الأثر أنَّ عددَ آي القرآن علىٰ قدرِ درجِ الجنَّة. قلت: روىٰ ابن مردويه والبيهقيُّ عن عائشة رضي الله عنها مرفوعًا: «**عددُ درجِ الجنةِ آيُ القرآنِ، فمنْ دخلَ الجنةَ من أهلِ القرآنِ فليس فوقَه درجةٌ**»، وذكره مكيٌّ موقوفًا عليها غيرَ مرفوع.

وروىٰ ابن شاهين عن ابن عبَّاسٍ مرفوعًا: «**درجُ الجنةِ على قدرِ آيِ القرآنِ**

لكلِّ آيةٍ درجةٌ فتلك سِتَّةُ آلافٍ ومائتَا آيةٍ وستَّ عشرة آيةً، بينَ كلِّ درجتينِ كما بينَ السَّماءِ والأرضِ، فينتهي به إلى أعلَى قُبَّةٍ في علِّيين، لها سبعُون ألفَ ركنٍ، وهي من ياقوتةٍ تضيءُ مسيرةَ أيامٍ وليالٍ». ورواه بنُ شاهين وأبو حفص الميانشي من طريق آخر وزاد: «وتصبُّ عليهِ حُلَّةُ الكرامةِ فلولا أنَّه ينظرُ بنورِ الله لأذهبَ تلألؤَها بنظرِه». قلت: هذه أحاديثُ ضعيفةُ لا تصحُّ، ولم يصحَّ في عدد آي القرآن حديث.

$\frac{13}{1090}$ قوله : «رواه الطَّبرانيُّ بإسنادٍ لا بأس به». قلتُ: رواه في "الأوسط" و"الصغير" وفي سنده عبدالصَّمد بن عبدالعزيز المقري، وثَّقه ابن حِبَّان.

قوله: «وفي رواية له»، قلتُ: في سندِ هذه الرِّوايةِ بحر بن كنيز السَّقاء جد عمرو بن علي الفلاس، ضعيفٌ. وهي مجبورةٌ بالرِّوايةِ التي قبلها.

والحديثُ في "مسند أحمد" و"سنن الترمذي" من طريقٍ آخرَ بغيرِ هذا السِّياق ولفظه: «ثلاثةٌ على كُثبانِ المسكِ يومَ القيامةِ يغبطُهم الأوَّلونَ والآخرونَ، عبدٌ أدَّى حقَّ الله، وحقَّ مواليه، ورجلٌ أمَّ قوامًا وهُمْ به راضُونَ، ورجلٌ ينادِي بالصَّلواتِ الخمسِ في كلِّ يومٍ وليلةٍ»، وليس فيه شاهد لموضوع الباب، فلذا لم يذكره المؤلف.

قوله: «الحديث» بقيته: «ورجلٌ نادَى في كلِّ يومٍ وليلةٍ خمسَ صلواتٍ يطلبُ وجهَ الله وما عندَه، ومملوكٌ لم يمنعْه رقُّ الدنيا من طاعةِ ربِّه».

$\frac{14}{1091}$ «بشيءٍ أفضلَ مما خَرجَ منهُ» يعني نزل منْ قِبَلِه تعالى، فعبر بالخروج عن النزول على سبيل الكناية.

15/1092 «ما أَذِنَ الله لعبد» من الإذن في فعل الشيء رضا به. والمعنى أن العبد إذا قام يصلي ركعتين كان مأذونًا فيهما من الله تعالى إذنًا خاصًّا غير الإذن العام بفعل الطاعات، وفي هذا تنبيه على عظم قدر الصَّلاة.

«وإنَّ البرَّ ليُذَرُّ على رأسِ العبد» شبه نزول البِّر على العبد بمسكٍ يذَرُّ على الرأس، لأنَّ المسكَ طيبٌ حسيٌّ، والبرَّ طيبٌ معنويٌّ.

17/1094 قوله: «فخشيتُ أن تطأَ يحيى»، هو ابنُه، ذكر ابنُ القداح أنَّه شَهِدَ الحديبية مع أبيه أسيد، وقال ابنُ عبدالبر: «كان في سنٍّ من يحفظ، ولا أعلم له رواية، وبه كان يكنى أبوه».اهـ

19/1096 هذا من أحاديثِ "الأربعين النووية".

20/1097 قوله: «رواه الحاكمُ...» إلخ. والصَّوابُ أنه موقوفٌ، كما بينتُه في كتابِ "فضائل القرآن" (ص ٨، ٩/ ج ١).

21/1098 عباد بن ميسرة المنقري البصري المعلم، اختلف في توثيقه، وضعفه خفيف، والحسن لم يسمع من أبي هريرة عند الجمهور، لكني قدمت ما يدل على سماعه.

23/1100 هذا الحديثُ رواه أيضًا البزَّار وابنُ شاهين وابنُ الأنباري في "الوقف والابتداء" نحوه، وله طرقٌ.

26/1103 «ويَتتعْتَعُ فيه» أي يتردَّد فيه لقلة حفظه، «له أجْرَانِ» أجر لقراءته وأجر لتعبه ومشقته.

29/1106 هذه الرؤيا أسندها ابنُ الجوزي في "مناقب الإمام أحمد" من طريق

ابنه عبدالله عنه.

$\frac{33}{1109}$ قوله: «فذكر الحديثَ»، قلت: بقيته: فقال: «**يا أُبيُّ**» وهو يصلي، فالتفتَ أُبيٌّ فلم يجبه، وصلَّىٰ أبيٌّ فخفف، ثمَّ انصرف إلىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فقال: السلامُ عليك يا رسول الله، فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم«**وعليك السَّلامُ، ما منَعَكَ يا أُبيُّ أن تجيبَني إذ دعَوتُكَ؟**» فقال يا رسول الله إنِّي كنتُ في الصَّلاة، فقال: «**فلمْ تجدْ فيما أوحِيَ الله إليَّ أنْ** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ ﴾ [الأنفال: ٢٤] فقال: بلىٰ؛ ولا أعود إن شاء الله، قال: «**أتحب أن أعلمك سورة ...**» الحديث.

يؤخذ منه ومن الذي قبله أنَّ إجابته عليه الصلاةُ والسلامُ واجبةٌ، ولو كان الإنسان في الصلاة، وهذا من خصائصِه كما صُرِّحَ به في كتب الفقه.

ويؤخذُ من الحديثين أيضًا جوازُ تفضيل بعض القرآن علىٰ بعض، وهو قول إسحاق بن راهويه والحليميِّ وابن العربيِّ وابن حصار وغيرهم من العلماء والمتكلمين.

وذهب أبو الحسن الأشعريُّ والقاضي أبو بكر الباقلانيُّ وأبو حاتم ابن حِبَّان صاحب "الصحيح" وجماعةٌ من الفقهاء إلىٰ منع التَّفاضل، وروي معناه عن مالك. قال يحيىٰ بن يحيىٰ تلميذُ مالكٍ: «تفضيلُ بعضِ القرآنِ علىٰ بعض خطأ، ولذلك كره مالكٌ أن تعادَ سورة -يعني في الصَّلاة- أو تردد دون غيرها، واحتجُّوا بأنَّ الأفضل يشعر بنقصِ المفضول، وكلامُ الله لا نقصَ فيه».

والجوابُ: أنَّ التَّفضيل من حيثُ المعنىٰ لا من حيثُ الصِّفة، ومما لا شك فيه أنَّ المعاني تتفاوتُ وتتفاضل، فمعاني (سورة الإخلاص) أفضلُ من معاني (سورة تبت يدا أبي لهب)، ومعاني ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣] أفضل من معاني ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٣]، وعلىٰ هذا الأساسِ جاءتِ الأحاديثُ الصحيحةُ بتفضيل (آية الكرسيِّ)، و(قل يا أيها الكافرون)، و(المعوذتين) ونحوِها، مع أنَّ الكلَّ كلام الله تعالىٰ.

$\frac{42}{1119}$ قوله: «فذكر الحديث»، قلتُ: بقيته: «فَشَكَا ذلك إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**اذهَبْ فإذا رأيتَها فقلْ: أجِيبي رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم**»، قال: فأخذها فحلفتْ ألا تعودَ فأرسلها فجاءَ إلىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**ما فعَلَ أسِيركَ؟**» قال: حلفت ألا تعود، قال: «**كذَبتْ وهيَ معاودةٌ للكذبِ**». قال: فأخذها مرة أخرىٰ فحلفت ألا تعود فأرسلها، فجاء إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**ما فعلَ أسيركَ؟**» فقال: حلفتْ ألا تعودَ، فقال: «**كذبتْ وهيَ معاودةٌ للكذبِ**». فأخذها فقال: ما أنا بتاركك.

$\frac{48}{1125}$ قوله: رواه أيضًا بنحوه من حديث النواس بن سمعان، قلت: لفظ روايته: «**يُؤتَى بالقرآنِ يومَ القيامةِ وأهلِه الذين كانوا يعملُون به في الدُّنيا، تقدمُه (سورةُ البقرة) و(آلُ عمران)**»، وضَرَبَ لهما رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ثلاثةَ أمثالٍ ما نسيتُهنَّ بعد، قال: «**كأنَّهما غمامتانِ أو ظُلَّتانِ سود أو**

أنَّ بينَهما شَرْقٌ أو كأنَّهما فِرقانِ من طيرٍ صَوافَّ يُحاجَّانِ عن صاحِبِهما».

50/1126 «منْ حفِظَ عشرَ آياتٍ منْ أوَّلِ (سورة الكهف) عُصِمَ منَ الدَّجالِ».

لأنَّ فيها الإشارة إلى أصحابِ الكهفِ الذين هربوا بدينهم حتى لا يرغموا على الشرك بالله تعالى، فإذا قرأها مسلمٌ قويٌّ إيمانه، واستطاع مقاومةَ الدَّجال فيعْصَم من فتنته، كما عُصِم أهلُ الكهفِ من فتنة ملِكِهم الذي كان يريد إرغامَهم على الكفر، وأيضًا فإنَّ قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾ [الكهف: ٧] الآية، يفيدُ لمن تدبَّره أنَّ ما أوتيه الدجال من بسطةِ العيش وتمكُّنٍ في وسائل الحياة والتَّرف ما هو إلا من زينة الأرضِ التي جعلها الله، وأن إذهابَ ذلك هيِّنٌ عليه، فيقوى إيمانُه ويظهرُ له زيفُ ما يدَّعيه الدجال فلا ينخدع به.

وأمَّا على رواية: «منْ قرأَ عشْرَ آياتٍ منْ آخرِ سورةِ الكهْفِ» فلأنَّها مفتتحة بقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [الكهف: ١٠٢] وهذا إنذارٌ وتهديدٌ لمن اتخذ إلهًا مع الله من عباده، وما الدَّجال إلا عبدٌ حقيرٌ يهوديٌّ ذليلٌ يحملُ طابعَ ضعفِه وذُلِّه، فيربأ بعقله أن يسلمَ قياده لمثل هذا المخلوقِ المهينِ، ثمَّ إذا تلا ختامَها: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠] تأكَّد له زوال الدَّجال وهلاك سلطانه، وأنَّ مرجعَ الجميع إلى الله تعالى فيزدادُ إيمانه ثباتًا ويقينُه رسوخًا، وليس بين الروايتين تناقضٌ، بل كلاهما صحيحٌ، وينبغي قراءة العشر من أول السورة ومن آخرها.

$\frac{52}{1128}$ «**البقرةُ سَنَامُ القرآنِ وذرْوَتُه**» أي أعلاه، وعطفُ ذروةٍ على سنامٍ عطفٌ مرادفٌ للتأكيدِ، وإنَّما كانت كذلك لكثرة أحكامِها ومواعظها بحيثُ لا تلحقُها في ذلك سورة غيرها. قال ابن العربي: «سمعتُ بعضَ أشياخي يقول: فيها ألفُ أمرٍ، وألفُ نهيٍ، وألفُ حكمٍ، وألفُ خبرٍ». وكان خالد بن معدان يسميها فُسطاطَ القرآنِ.

وروى الخطيبُ في كتاب "الرُّواة عن مالك" من طريق مرداسِ بنِ محمَّد بن بلال الأشعريِّ: ثنا مالكٌ، عن نافعٍ، عن ابن عمر قال: تعلم عمر البقرة في اثنتي عشرةَ سنةً، فلما ختمَها نحرَ جَزورًا. وفي "الموطأ" لمالك: أنَّه بلغه أن عبدالله بن عمر مكث على (سورة البقرة) ثمان سنين يتعلمها.

«**ويس قلبُ القرآنِ**» قلبُ الشيءِ لُبُّه وخالصُه، وإنَّما كانت يس كذلك لأنَّها تشتملُ على أصول الاعتقاد وهي توحيدُ الله والبعثُ والقيامة، مع التدليل والتَّعليل بحيثُ لم تكن سورةٌ غيرها مثلَها في ذلك، ولهذا شرعت قراءتها على المحتضر لأنَّها تذكره بالبعثِ وتشوقه إلى الجنة فيسهُل عليه الموتُ طلبًا لما عند الله وطمعًا في رحمته.

قوله: «وروى أبو داود والنسائيُّ وابن ماجه والحاكم قوله: **يس قلبُ القُرآن...**» إلخ. قلت: كذا قال تبعًا لشيخه، والذي رواه أبو داود والنَّسائي وابن ماجه حديث: «**اقْرأوهَا على مَوتاكُم**». يعني (يس).

$\frac{60}{1136}$ «**تزوَّجْ تزوَّجْ**» أي وعلِّم المرأةَ ما معكَ من القرآن، فهو مهرُها، وهذا كما ثبت في الصحيحين في حديثِ الواهبةِ، وقول النبيِّ صلَّى الله عليه

وآله وسلَّم لمن طلب زواجها وليس عنده شيء: «**قد زوَّجتُكَها بما معَكَ من القُرآن**». ويؤخذُ منه جوازُ جعل المنفعةِ مهرًا، ولو كانتْ تعليمَ القرآنِ، وبه قال الشافعيُّ واسحاقُ بن راهويه والحسنُ بن صالح، وفي المسألة خلافٌ ليس هذا موضعَ بسطِه.

تنبيهٌ: سلمةُ بن وردان، ضعيفٌ، قال أبو حاتم: «ليس بقويٍّ، عامة ما عنده عن أنس منكرٌ»، وقال ابن معين: «حديثُه ليس بذاك»، ولذا قال الحافظ في "الفتح": «هذا حديثٌ ضعيفٌ لضعفِ سلمةَ، وإن حسَّنه الترمذيُّ، فلعله تساهلَ فيه لكونِه من فضائلِ الأعمال».

$\frac{61}{1137}$ هذا الحديث ضعيفٌ كما قال الترمذيُّ، وإن صحَّحه الحاكمُ، لأنَّ في سنده يمانُ بن المغيرة العنزيُّ؛ ضعيفٌ.

$\frac{62}{1138}$ «**إنَّ الله عزَّ وجلَّ جزَّأ القرآنَ ثلاثةَ أجزاءٍ**» يعني أنَّ الله تعالى جزأ معاني القرآن إلى ثلاثةِ أجزاء: أحكامٍ وأخبارٍ وتوحيدٍ، و(قل هو الله أحد) تشتمل على التوحيد، فهي ثلثُ القرآن.

قال بعضُ العلماء: تضمَّنتْ سورةُ (قل هو الله أحد) توجيهَ الاعتقاد، وصدق المعرفة، وما يجب إثباتُه لله من الأحدية المنافية لمطلقِ الشَّركة، والصَّمدية المثبته له جميع صفاتِ الكمال الذي لا يلحقه نقصٌ، ونفي الولد والوالد المقرر لكمال الغِنى، ونفي الكفء المتضمِّن لنفي الشَّبيه والنَّظير، وهذه مجامعُ التَّوحيدِ الاعتقاديِّ، ولذلك عادلتْ ثلثَ القرآن.

تنبيه: فات المؤلفُ أن يذكر حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:

قال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لأصحابه: «**أيعْجِزُ أحدُكُم أنْ يقرأ ثلثَ القرآنِ في ليلةٍ؟**» فشقَّ ذلك عليهم، وقالوا: أيُّنا يطيقُ ذلك يا رسول الله؟ فقال: «**الله الواحدُ الصَّمدُ ثلثُ القرآنِ**» رواه البخاريُّ.

وروىٰ أحمد والنسائيُّ من حديثِ أبي مسعودٍ الأنصاريِّ مثله.

$\frac{66}{1142}$ قوله: «فيختمُ بقل هو الله أحدٌ»، يعني أنه بعد قراءة (الفاتحة) والسورة، يقرأ (سورة الإخلاص) ثمَّ يركعُ، وفيه دليل علىٰ الجمع بين سورتين غير الفاتحة في ركعةٍ.

$\frac{67}{1143}$ قوله: «وفي روايةٍ للبخاريِّ من حديث أنس». قلت: في "صحيح البخاريِّ" في باب الجمعِ بين السورتين في ركعةٍ: وقال عبيد الله بن عمر، عن ثابت، عن أنس: كان رجلٌ من الأنصارِ يؤمُّهم في مسجدِ قُباءَ، فكان كلما افتتحَ سورةً يقرأ بها لهم في الصَّلاة، مما يقرأ بهِ، افتتحَ بقل هو الله أحد، حتىٰ يفرغَ منها، ثم يقرأ بسورةٍ أخرىٰ معها، وكان يصنعُ ذلك في كلِّ ركعة، فكلَّمه أصحابُه، وقالوا: إنك تفتتحُ بهذه السورة، ثمَّ لا ترىٰ أنَّها تجزئُك حتىٰ تقرأ بالأخرىٰ، فإمَّا أنْ تقرَأَ بها وإمَّا أن تدعَها وتقرأ بأخرىٰ، فقال ما أنا بتاركِها، إن أحببتُم أن أؤمَّكم بذلك فعلتُ، وإن كرهتم تركتُكُم. وكانوا يرون أنَّه من أفضلُهم، وكرهوا أن يؤمَّهم غيرُه، فلما أتاهم النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أخبروه الخبر، فقال: «**يا فلانُ ما يمنَعُكَ أنْ تفعلَ ما يأمرُ به أصحابُكَ؟ وما يحملُكَ على لزومِ هذه السورةِ في كلِّ ركعةٍ؟**» فقال: إني أحبُّها، فقال: «**حبُّك إياها أدخلَكَ الجنةَ**».

هكذا رواه البُخاريُّ معلقًا بصيغة الجزمِ، ووصله الترمذيُّ والبزَّارُ والبيهقيُّ، وقال الترمذيُّ: «حسنٌ صحيحٌ غريبٌ»، وظاهر صنيع المؤلف - كشيخه- أن هذا الحديثَ وحديثَ عائشة واحدٌ، والواقع أنَّهما حديثان، ولكلٍّ منهما سببٌ خاصٌّ به، والدليل على ذلك أمور:

الأول: أنَّ الإمامَ في حديث عائشة كان أميرَ سريةٍ، أمَّا الإمامُ في حديث أنس فكان راتبًا مقيمًا بقباء.

الثاني: أنَّ أمير السَّرية كان يختم بقل هو الله أحد، وإمام قباء كان يبدأ بها.

الثالث: أنَّ أمير السَّرية لم يراجعْه أصحابه في قراءتها، وإمامُ قباء راجعه أصحابه في شأنها، حتى عرض عليهم بأنْ لا يؤمَّهم.

الرابع: أنَّ أمير السَّرية أمرَ النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أصحابَه أن يسألوه: لم يقرأها؟ وإمامُ قباء سأله النبيُّ صلى الله عليه ويله وسلم بنفسه مباشرةً.

الخامسُ: أنَّ أميرَ السرية أجاب بأنها صفةُ الرحمن فبشَّره بواسطة أصحابه بأن الله يحبُّه، وإمام قباء أجاب بأنه يحبُّها فبشَّره بالجنة.

قال ناصر الدين ابن المنير: «في هذا الحديث دليلٌ على جواز تخصيص بعض القرآنِ بميل النفسِ إليه، والاستكثار منه، ولا يعدُّ ذلك هجرانًا لغيره».

أبواب الذكر

1149/1 «سَبَقَ المفرِّدُونَ» بكسر الراء المشددة وهم في الأصل الذين هلك أقرانهم، وانفردوا عنهم، والمرادُ بهم في الحديث: المنقطعون لذكر الله تعالى.

«الذَّاكرون الله كثيرًا» في "صحيح مسلم" زيادة: «والذاكراتُ» وهو على وفق الآية الكريمة.

1150/2 اختصر المؤلفُ الحديث ولفظه: «وإنَّه كادَ أن يبطيءَ بها، قال عيسى: إنَّ الله أمركَ بخمسِ كلماتٍ لتعملَ بها وتأمرَ بني إسرائيلَ أنْ يعملُوا بها، فإمَّا أنْ تأمرَهم وإما أنْ آمرَهم، فقال يحيى: أخشَى إنْ سبقتَني بها أنْ يُخسفَ بي أو أعذَّبَ، فجَمَعَ الناسَ في بيتِ المقدسِ، فامتلأ وقعَدُوا على الشّرَفِ، فقال: إنَّ الله أمرني بخمسِ كلماتٍ أنْ أعملَ بهنَّ وآمركم أنْ تعملُوا بهنَّ، أولاهنَّ: أن تعبدُوا الله لا تشركُوا به شيئًا، وإنَّ مثلَ من أشركَ بالله مثلُ رجلٍ اشترى عبدًا من خالصِ ماله بذهبٍ أو وَرِقٍ، فقال: هذه دارِي وهذا عملي، فاعملْ وأدِّ إليَّ، فكانَ يعملُ ويؤدِّي إلى غيرِ سيِّدِه، فأيكُم يرضَى أنْ يكونَ عبدُه كذلك؟ وأنَّ الله أمركم بالصَّلاةِ، فإذا صلَّيتُم فلا تلتفتُوا، فإنَّ الله ينصبُ وجهَه لوجهِ عبدِه في صلاتِه ما لم يلتفِتْ. وأمرَكم بالصِّيامِ، فإنَّ مثلَ ذلك كمثلِ رجلٍ في عِصابةٍ معه صُرَّةٌ فيها مِسكٌ، فكلّهُم يعجبُه ريحُها وإنَّ ريحَ الصَّائمِ عند الله أطيبُ من ريحِ المسْكِ، وأمرَكُم بالصَّدقةِ فإنَّ مثلَ ذلك كمثلِ رجلٍ أسرَهُ العدوُّ فأوثَقوا يدَه إلى عنقِه وقدَّمُوه ليضربُوا عنقَه، قال: أنا أفدي نفسِي منكُم بالقليلِ والكثيرِ، ففَدَى نفسَه منهُم».

وذكر الأمر بالذكر كما ذكره المؤلفُ، ثم قال النبيُّ صلىٰ الله عليه وآله وسلم: «**وأنا آمرُكم بخمسٍ، الله أمرني بهنَّ: السَّمعِ، والطَّاعةِ، والجهادِ، والهجرةِ، والجماعةِ فإنَّه من فارقَ الجماعةَ قيدَ شِبرٍ فقدْ خَلعَ رِبْقَةَ الإسلامِ من عُنقِه، إلا أنْ يراجعَ، ومن ادَّعى دعْوى الجاهليةِ فإنَّه من جثَّاءِ جهنَّم**».

فقال رجل: يا رسول الله وإنْ صلىٰ وصام؟ فقال: «**وإنْ صلَّى وصامَ، فادْعُوا بدَعْوى الله التي سمَّاكم: المسلمين، المؤمنين، عبادَالله**».

5/1153 «**وإن ذَكَرَني في ملإٍ ذكرتُه في ملإٍ خيرٍ منهُم**»، يؤخذ منه جواز الذِّكر في جماعة جهرًا، وللحافظ السُّيوطيِّ رسالة "نتيجة الفكر في الجهر بالذكر".

ويؤخذ منه أيضًا تفضيلُ الملائكةِ علىٰ خواصِّ البشرِ، وهو الحقُّ الذي يجبُ اعتقادهُ، وقد بينتُ ذلك بأدلته في تعليقاتي علىٰ كتاب "الحبائك في أخبار الملائك" للحافظِ السُّيوطيِّ.

9/1157 هذا الحديثُ ليسَ علىٰ إطلاقه، بل هو محمول علىٰ طائفة لم يقدروا علىٰ الجهاد لعذر ماديٍّ أو بدني مع رغبتهم فيه، وحرصِهم عليه، فجعل الله لهم في الذِّكرِ هذا الفضل العظيم، لعلمه بصدقِ نياتهم، أمَّا الجهادُ لمن قدر عليه أو تعين في حقِّه فهو في الذروةُ من الفضل، لا يلحقه ذكرٌ ولا حجٌّ ولا غيرهما.

12/1160 «**صقالةٌ**» بالصَّاد والسِّين؛ أي جلاء، يقال: صَقَلَ السَّيفَ إذا جلاه، والمعنىٰ أنَّ القلوب تصدأ بالغفلاتِ والشَّهواتِ، وجلاؤُها ذكر الله تعالىٰ.

قوله: «سعيد بن سنان»، قيل فيه: ذلك، وقيل فيه، وهو أصحُّ: سعد بن سنان، ويقال: سنان بن سعد الكنديُّ المصريُّ، قال ابن حِبَّان في "الثِّقات":

«حدَّثَ عنه المصريون، وأرجو أن يكونَ الصحيحَ سنانُ بنُ سعدٍ». وكذا صحَّحه البخاريُّ، وابنُ يونس في "تاريخ مصر"، قال ابن سعد والنسائيُّ: «منكر الحديث»، وقال ابن معين: «ثقةٌ».

$\frac{17}{1165}$ هذا هو الحديث التاسع من "الأربعين الغُمارية في شكر النِّعم".

$\frac{18}{1166}$ ورواه مسلمٌ بلفظ: «**مثلُ البيتِ الذي يُذكَرُ فيه الله، والذي لا يُذكَرُ فيه، مثلُ الحيِّ والميتِ**».

$\frac{31}{1179}$ قوله: «ميمون المرائي»، كذا بالأصل، والصَّوابُ حذفُ الألف التي بعد الراء المفتوحة، وهو ميمونُ بن موسىٰ البصريُّ المرئيُّ، نسبة إلىٰ امرئ القَيسِ، بطن من مُضرَ، صاحب الحسن البصري، قال أحمدُ: «ما أرىٰ به بأسًا، كان يدلس»، وقال الفلاس: «صدوقٌ، ولكنه يدلِّسُ».

وكذا وصفه بالتَّدليسِ النَّسَائيُّ، والسَّاجيُّ، والدَّارقطنيُّ، وذكره ابن حِبَّان في "الثقات" وفي "الضعفاء"، وقال: «منكر الحديث»، وقال أبو داود: «ليس به بأس»، وقال أبو أحمد الحاكم: «ليس بالقوي».

$\frac{34}{1182}$ أشار المؤلفُ إلىٰ ضعفِ هذا الحديثِ، وذلكَ أنَّ في إسناده زائدةُ بن أبي الرقاد، عن زياد بن عبدالله النميريِّ، وهما ضعيفان.

لكن قال الحافظُ الهيثميُّ: كلاهما وُثِّق علىٰ ضعفِه، فعاد هذا الحديث إسناده حسنٌ.

قلت: يؤخذُ من هذا أنه إذا قال في الإسناد: رجاله وُثِّقوا، أو موثَّقون، فهو في نظره حسنٌ، وعلىٰ هذا دَرَجَ المناويُّ في "شرح الجامع الصَّغير"، فإنَّه كثيرًا

ما يقول في الحديث: «إسنادُه حسنٌ»، معتمدًا على قول الهيثميِّ: «رجاله وُثِّقوا أو موثَّقون».

$\frac{35}{1183}$ في إسناد هذا الحديث عمر بن عبدالله مولى غفرةَ، وليس من شرط الصَّحيح، ولكنَّ الحديثَ حسنٌ كما قال المنذريُّ .

$\frac{39}{1187}$ «**فينتقُونَ أطايبَ الكلامِ**» أي يتنقلون بينَ أنواعِ الذِّكر من هيللة إلى تسبيح إلى تحميد إلى مدارسة للقرآن وتفهم معانيه. قوله: «وإسناده حسنٌ إن شاء الله، وقال الحافظ الهيثميُّ: رجاله موثَّقون». وهذا يؤيد ما قدمناه أنَّه إذا أطلق هذه العبارة أراد بها حسن الإسناد في نقده.

$\frac{41}{1189}$ «**أوَّلُ منكَ**» برفع أول صفةٌ لـ«أحد» أو بدلٌ منه، وبالنَّصبِ مفعول ثان لـ«ظننت»، أو حال من «أحد»، وإن كان نكرةً، والمسوغُ لمجيء الحال منه وقوعه في سياق النفي، و«أوَّل» في الحالين غيرُ منوَّنٍ، لمنعه من الصَّرفِ.

وفي الحديث فضيلة ظاهرةٌ لأبي هريرة رضي الله عنه، وفضل الحرص على تحصيل العلم. «**أسعدُ الناسِ بشَفاعتِي**» قال الحافظ ابن حجر: «معنى أسعد: الفعل، لا أفعل التفضيلِ، أي سعيدُ الناس، ويحتمل أن يكون أفعلُ التفضيل على بابِه، وأنَّ كلَّ أحدٍ يحصل له سعد بشفاعته، لكنَّ المؤمنَ المخلصَ أكثرُ سعادةً بها، فإنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يشفعُ في الخلقِ لإراحتِهم من هول الموقفِ، ويشفع في بعض الكفار بتخفيف العذابِ، كما صحَّ في حقِّ أبي طالب، ويشفعُ في بعضِ المؤمنين بالخروجِ من النار بعد أن دخلوها، وفي بعضِهم بعدم دخولها بعد أن استوجبُوا دخولها، وفي بعضهم بدخول الجنةِ بغيرِ حسابٍ، وفي

بعضهِم برفع الدرجاتِ فيها، فظهرَ الاشتراكُ في السَّعادة بالشَّفاعة، وأن أسعدَهم بها المؤمنُ المخلصُ».اهـ

$\frac{42}{1190}$ في إسناد هذا الحديث درَّاجٌ أبو السمح، وليس من شرط الصحيح.

$\frac{45}{1193}$ «**ما اجتُنِبتِ الكبائرُ**» هذا شرط في إفضاء كلمة التَّوحيد إلى العرش، وحديث: «من قال لا إله إلا الله، ومدَّ بها صوته، هدمتْ له أربعة الآف ذنبٍ من الكبائر»، موضوعٌ مكذوبٌ.

$\frac{49}{1197}$ «**مفاتيحُ الجنةِ شهادة أنْ لا إله إلا الله**» أي وأنَّ محمدًا رسول الله، فصَارَ أحد جزأي الشَّهادة اسمًا لها بمجموعَيها.

$\frac{50}{1198}$ في إسناده عبدالله بن إبراهيم بن أبي عمرو، ضعيفٌ جدًّا، والمتن منكر.

$\frac{52}{1200}$ في متن هذا الحديث نكارة، قاله المنذري.

$\frac{54}{1202}$ قوله: «فذكر الحديث بتمامه»، قلت: بقيته: «**وبقولِ سبحانَ الله العظيمِ وبحمدِه، فإنَّها عبادةُ الخلقِ وبها أرزاقُهم، وأنهاكَ عن اثنتينِ الشِّركِ والكبرِ فإنَّهما يَحجُبانِ عنِ الله**» فقيل: يارسول الله أمِنَ الكبرِ أن يتخذَ الرَّجلُ الطعامَ فيكونُ عليه الجماعةُ؟ أو يلبِسُ النظيفَ؟ قال «ليس» يعني بالكبرِ «**إنَّما الكبرُ أنْ تُسَفِّه الحقَّ وتَغْمِصَ النَّاسَ**».

قوله: «ورواه الحاكمُ بنحوه» إلخ. قلت: هذه أيضًا رواية أحمد من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص قال: كُنَّا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأتى أعرابيٌّ عليه جبة طيالسة مكفوفةٌ بديباج فقال: إنَّ صاحبكم هذا -يريد

النبيَّ صلىٰ الله عليه وآله وسلم- يريدُ أن يضعَ كلَّ فارس، ويرفع كل راع ابن راع، فأَخَذَ النبيُّ صلىٰ الله عليه وآله وسلَّم بمجامعِ جُبَّته وقال: «**ألا أرَى عليكَ لباسَ من لا يعقِلُ**»، ثمَّ رَجَعَ رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم فجلس فقال: «**إنَّ نوحًا عليه السلامُ لما حضَرتْه الوفاةُ دعا ابنَيه فقال: إنِّي قاصرٌ عليكما الوصيةَ، آمرُكما باثنتينِ وأنهاكُما عن اثنتينِ، أنهاكما عن الشِّركِ والكبرِ، وآمرُكما بلا إله إلا الله...**» الحديث.

قال عبدالله: قلتُ: يارسول الله، هذا الشرك قد عرفناه، فما الكبر؟ الكبر أن يكون لأحدنا نَعلان حسنتان؟ لهما شِراكان حسنان؟ قال: «**لا**» قلت: هو أن يكون لأحدنا حلَّةٌ يلبسُها؟ قال: «**لا**» قلت: هو أن يكون لأحدنا دابةٌ يركبها؟ قال: «**لا**» قلت: فهو أن يكون لأحدنا أصحابٌ يجلسون إليه؟ قال: «**لا**» قيل: يارسول الله فما الكبر؟ قال: «**سفهُ الحقِّ وغَمْصُ الناسِ**»، إسناده جيدٌ.

وإنَّما ذَكَرَ النَّبيُّ صلىٰ الله عليه وآله وسلم وصية نوحٍ عليه السلام بعد قول الأعرابي ما قال مما يدلُّ علىٰ احتقارِه للناس وغمصِهم، فكانتْ مناسبتُها واضحةً.

$\frac{58}{1206}$ قوله: «**بالكَدِيدِ، أو بقدِيد**». الأول: ماءٌ بين الحرمين الشَّريفين، والثاني: موضعٌ بينهما. وللحديثِ بقيةٌ وهي: «**وقد وعدَني ربِّي عزَّ وجلَّ أن يدخلَ الجنةَ من أمَّتي سبعينَ ألفًا لا حسابَ عليهِم ولا عذابَ، وإنِّي لأرجُو أن لا يدخُلوها حتَّى تبوَّءُوا أنتُم ومن صلحَ من آباءِكم وأزواجِكُم وذرارِيكُم مساكنَ في الجنَّة**». قال الحافظُ الهيثميُّ: «رجاله موثَّقون»، قلت: يعني أن إسناده حسن كما قال المؤلف.

$\frac{59}{1207}$ يؤخذ من هذا الحديث أنَّ الميزان يوم القيامة حقيقيٌّ، له كِفَّتَان كسائر الموازين المعهودة، وبذلك صرَّحت الآحاديث الكثيرة البَالغة حدَّ التواتر، وأفاده ظاهرُ القرآن أيضًا، وذكره أهل السُّنة في معتقداتهم، فلا عبرة بالمعتزلة، ولا بالمبتدعة أعداء السُّنة في هذا العصر حيث أنكروا الميزان وزعموا أنَّه كناية عن العدل.

$\frac{61}{1209}$ قوله: «رواه الطبرانيُّ بإسنادٍ حسنٍ». قلت: كذا قال، ولكن في إسناده سُليم -بضم السين- ابن عثمان الفوزي الحمصي، أبو عثمان. ضعفه أبو زرعة، وقال في أحاديث رواها: «هذه الأحاديث مسوّاةٌ موضوعةٌ»، وقال أبو حاتم: «عنده عجائبُ، وهو مجهولٌ».

وذكره ابن حِبَّان في "الثِّقات"، وقال: «روىٰ عنه سليمان بن سلمة الخبائري الأعاجيب الكثيرة ولستُ أعرفه بعدالة ولا جرح»، وقال محمد بن عوف: «كان شيخًا صالحًا»، وقال الحسن بن سفيان في "مسنده": حدثنا إسحاق بن إبراهيم الزبيدي الحمصي: ثنا سليم بن عثمان، وكان ثقة: سمعت محمد بن زياد يقول. فذكر حديثًا في قراءة (سورة الإخلاص)، في ركعتي الفجر. قال الحافظ: «وهو غريبٌ من هذا الوجه -يعني من حديثِ أبي أمامة- مشهورٌ من حديثِ أبي هريرة وغيرِه».اهـ

$\frac{62}{1210}$ عمرو بن شعيب بن محمد بن عبدالله بن عمرو بن العاص فجَدُّه هنا هو عبد الله بن عمرو.

$\frac{64}{1212}$ هذا الحديث رواه الترمذيُّ في كتاب البر من "جامعه"، ولم يذكر فيه

الهيللة، وقال: «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ»، وقال الترمذيُّ أيضًا: «ومعنىٰ قوله: «**منْ مَنَحَ مَنِيحَةَ ورِقٍ**» إنما يعني به قرض الدراهم، وقوله: «**أو هَدَى زُقَاقًا**» إنَّما يعني به هداية الطريق وهو إرشاد السَّبيل».اهـ

وفي "صحيحِ البخاريِّ" عن عبدالله بن عمرو: سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم يقول: «**أربعُون خصلةً أعلاهنَّ مِنِيحةُ العنْزِ، ما منْ عاملٍ يعملُ بخَصْلةٍ منها رجاءَ ثوابِها وتصديقَ موعُودِها إلا أدخلَه الله بها الجنةَ**»، قوله: «وتقدم في القرضِ» كذا بالأصول، وهو سهوٌ، فلم يتقدم له باب القرض ولا ذكر له -أي للقرض- فيما يأتي من أبواب الكتاب.

$\frac{67}{1215}$ قوله: «وفي سنده جابر الجعفيُّ، مختلفٌ فيه». قلت: له طريقٌ آخرُ، أخرجه ابن منده في "الصَّحابة" من طريق عبدالرحمن بن محمد العرزمي، عن أبيه، عن ابن أبي المجالد -واسمه عبدالله- عن زيد بن وهب، عن أبي المنذر الجهني به .

$\frac{68}{1216}$ في سنده راوٍ متروكٌ، فضعْفُه شديدٌ.

$\frac{70}{1218}$ «**سبحانَ الله**» أي أنزه الله تنزيهًا عن كلِّ نقصٍ، كالشَّريك والولد والوالد ومشابهة المحدثات، «**وبحَمْدِه**» معنىٰ الحمد: إثبات الكمال لله تعالىٰ، أي: وبكماله نزهته، لأنَّ الكمال الواجبَ له تعالىٰ يستلزمُ تنزيهَه عن النَّقائص فاشتملتْ هاتان الكلمتان علىٰ خلاصةِ التوحيد: تنزيهِ الله عن النقائص، وإفرادِه بالكمال، وهذا أحبُّ الكلامِ إلىٰ الله تعالىٰ.

$\frac{75}{1223}$ أبو طلحة: هو الأنصاريُّ زوج أمِّ سُلَيمٍ، روىٰ أبو يعلىٰ بإسناد

صحيحٍ عن أنس قال: مات أبو طلحة غازيًا في البحرِ فما وجدُوا جزيرة يدفنونه فيها إلا بعدَ سبعةِ أيام، ولم يتغيرْ.

$\frac{76}{1223}$ أيوبُ بن عتبة اليماني، أبو يحيىٰ، قاضي اليمامة، ضعيفٌ.

$\frac{79}{1226}$ رجال إسناده ثقاتٌ إلا يحيىٰ بنَ عمرو بن مالك النكريَّ، ضعيفٌ. وقال الدارقطنيُّ: «صويلحٌ، يعتبرُ به».

$\frac{80}{1227}$ هذا من أحاديث "الأربعين النووية"، وتقدم.

$\frac{85}{1232}$ رواه الطَّبرانيُّ في "الأوسط" و"الصَّغير" بزيادة: «**ولا حولَ ولا قوَّةَ إلا بالله**» وإسنادُه ضعيفٌ.

$\frac{96}{1243}$ هذا هو الحديثُ الخامسُ والعشرون من "الأربعين النَّووية" وروي معناه عن أبي ذرٍّ من طرق كثيرةٍ، ومن طرقه عند الإمام أحمد عن أبي ذرٍّ قال: قلت: يارسول الله ذهب الأغنياءُ بالأجر يتصدقون ولا نتصدَّق. قال: «**وأنتَ فيك صدقةٌ: رفعُكَ العظْمَ عن الطريقِ صدقةٌ، وهدايتُكَ الطَّريقَ صدقةٌ، وعونُكَ الضعيفَ بفضلِ قوَّتكَ صدقةٌ، وبيانُكَ عنِ الأرْثَمِ صدقةٌ، ومباضَعَتُكَ أمرأتَكَ صدقةٌ**» قلتُ: يارسول الله نأتي شهوتَنا ونؤجَرُ؟ قال: «**أرأيتَ لو جعلتَ ذلك في حرامٍ أكنتَ تأثَمُ؟**» قلت: نعم؛ قال: «**أفتحتَسِبونَ بالشَّرِّ ولا تحتَسِبُون بالخيرِ؟!**».

وفي روايةٍ أخرىٰ عند الإمام أحمد أيضًا قال: «**إنَّ من أبوابِ الصَّدقةِ التكبيرُ، وسبحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إله إلا الله، وأستغفرُ الله، وتأمرُ بالمعروفِ، وتنهى عنِ المنكرِ، وتعزلُ الشَّوكةَ عن الطريقِ، والعظْمَ والحجرَ،**

وتهدي الأعمَى، وتُسْمِعُ الأصَمَّ والأبكَمَ حتَّى يفقَهَ، وتدلُّ المستدلَّ على حاجةٍ له قد علمتَ مكانَها، وتسعى بشدَّةِ ساقَيْكَ إلى اللهفانِ المستغيثِ، وترفعُ بشدَّةِ ذراعيْكَ مع الضعيفِ، كلُّ ذلك من أبوابِ الصدقةِ منكَ على نفسِكَ، ولكَ في جماع زوجتِكَ أجرٌ» قلت: كيف يكون لي أجرٌ في شهوتي؟ فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم: «أرأيتَ لو كانَ لكَ ولدٌ فأدركَ ورجوتَ خيرَه فماتَ أكنتَ تحتسبُ بهِ؟» قلت: نعم؛ قال: «فأنتَ خلقْتَه؟» قلت : بل الله خلقه. قال: «أفأنتَ هديتَه؟» قلتُ: بل الله هداه. قال: «أفأنتَ كنتَ ترْزُقُه؟» قلت: بل الله كان يرزقه. قال: «كذلكَ فضعْهُ -أي المنيَّ- في حلالِه وجنِّبْهُ حرامَه فإنْ شاء الله أحياهُ وإنْ شاء أماتَه ولكَ أجرٌ».

ولا يخفىٰ ما في إيراد هذين الطَّريقين من الفائدة.

وفي قوله عليه السلام: «أرأيتُم لو وضعَها في حرامٍ أكان عليه وزرٌ...» إلخ دليل للأصوليين في قولهم بقياس العكس، وعرَّفوه بأنه: «إثبات عكس حكم شيء لمثله، لتعاكسهما في العلة». فالنبيُّ صلىٰ الله عليه وآله وسلم أثبتَ الأجرَ في وضع الشَّهوة في الحلال وهو عكسُ الحكمِ الذي هو ثبوتُ الوزْرِ علىٰ وضعِ الشهوة في الحرام، وعلتهما متعاكسةٌ لأنَّ علة ثبوت الوزر: الوضع في حرام، وعلة ثبوت الأجر: الوضع في حلال.

$\frac{97}{1244}$ أبو سلمىٰ، اسمه: حُرَيثٌ بالتَّصغير. «بخٍ بخٍ» كلمة تقال عند مدح الشيء والرِّضا به، وتكرر للمبالغة.

$\frac{98}{1245}$ قوله: «ثمَّ تلا قوله تعالىٰ: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ

يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، قال عليُّ بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: «الكلمُ الطيبُ ذكر الله تعالىٰ يصعدُ به إلىٰ الله عزَّ وجلَّ، والعملُ الصَّالح أداءُ الفريضةِ، فمن ذكر الله تعالىٰ في أداءِ عمله ذكر الله تعالىٰ يصعَد به إلىٰ الله عزَّوجلَّ، ومن ذكر الله تعالىٰ ولم يؤدِّ فرائضَه رُدَّ كلامه علىٰ عملِه فكان أولىٰ به». وقال مجاهدٌ: «العملُ الصالحُ يرفعُه الكلامُ الطيبُ». وهو بمعنىٰ كلام ابن عبَّاسٍ. وهكذا قال عكرمةُ والنَّخعيُّ والضحاكُ والسَّديُّ وغيرهم. وقال أياس بن معاوية القاضي: «لولا العَمل الصَّالح لم يرفع الكلام»، وقال الحسن وقتادة : «لا يقبل قول إلا بعمل».

$\frac{100}{1247}$ قوله: «رواه ابن أبي الدنيا في كتاب "الذِّكر" عن سلمة بن وردان عنه»، قال المنذري: «وهو إسنادٌ متصلٌ حسنٌ»، قلت: وإن كان سلمة ضعيفًا فقد حسَّن له الترمذيُّ .

$\frac{102}{1249}$ أم هانئ هي بنت أبي طالب أخت عليٍّ رضي الله عنهما، اسمها فاختة وهو الأشهر، وقيل: فاطمةُ، وقيل: هندُ، وورد أنَّ النَّبيَّ صلىٰ لله عليه وآله وسلم خطبها فقالتْ: يارسول الله، لأَنتَ أحبُّ إلي من سمعِي وبصري، وحق الزوج عظيمٌ، وأنا أخشىٰ أن أضيعَ حقَّ الزوجِ، فقال رسول الله صلىٰ لله عليه وآله وسلم: «**خيرُ نساءٍ ركبْنَ الإبلَ نساءُ قريشٍ أحناهُ على ولدٍ في صِغَرِه...**» الحديث. وسمعتُ أزهريًّا يعدها في أمهات المؤمنين، فنبهتُه إلىٰ غلطِه، لأنَّ النَّبيَّ صلىٰ لله عليه وآله وسلَّم لم يتزوجْها قط.

$\frac{103}{1250}$ وقال ابنُ جرير : وجدتُ في كتابي، عن الحسن بن الصَّباح البزار،

عن أبي نصر التَّمار، عن عبدالعزيز بن مسلم، عن محمَّد بن عجلان، عن سعيد المقبري، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**سبحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إله إلا الله، والله أكبرُ، هُنَّ البَاقياتُ الصالحاتُ**».

إسناده ضعيف. وجاء من غير واحد من السَّلف تفسير الباقيات الصَّالحات بالخمسِ الكلماتِ، كما جاء في حديث الترجمة، منهم: عثمان بن عفان رضي الله عنه عند الإمام أحمد في "المسند"، وابن عمر رضي الله عنهما رواه ابن جريج، عن عبدالله بن عثمان بن خُثيم، عن نافع، عن عبدالله بن سَرْجِسَ: أنَّه أخبره أنَّه سأل ابن عمر عن البَاقياتِ الصالحاتِ ؟ قال: لا إله إلا الله، والله أكبرُ، وسبحانَ الله، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله. وسعيد بن المسيِّب، رواه مالك.

تنبيه: حديث أبي سعيد الخدري في سنده دراج أبو السَّمح وفيه كلام؛ لكن وثقه ابن معين، وصحَّحَ له الترمذيُّ وابن خزيمة وابن حِبَّان والحاكم، وللحديث مع هذا شواهد فهو صحيحٌ، وإن كان الحافظ الهيثميُّ اقتصر على تحسينه.

$\frac{104}{1251}$ قوله: «ورجاله ثقاتٌ إلا عمر بن راشد اليماميَّ، وقد وُثِّق». قلت: وثَّقه العجليُّ حيث قال: «لا بأس به»، وقال المنذريُّ: «ولا بأس بهذا الإسناد في المتابعات».

$\frac{105}{1252}$ حاتم بن أبي صغيرة، قال أحمد: «ثقةٌ ثقةٌ»، قلت: واحتجَّ به أصحابُ الكتب السِّتَّةِ .

$\frac{107}{1254}$ لهذا الحديث طريق آخر ذكرناه فيما تقدم، حيث أورده المؤلف مختصرًا.

$\frac{108}{1255}$ سلمىٰ هذه خادمةُ النبيِّ صلىٰ الله عليه وآله وسلم، روىٰ الترمذيُّ عنها قالت: ما كان يكون برسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم قرحةٌ إلا أمرني أن أضعَ عليها الحنَّاء.

$\frac{110}{1257}$ هذا الحديثُ والذي بعده يفيدان أنَّ الذكرَ بلفظ يفيد عددًا كثيرًا أو مقدارًا كبيرًا يكون أجره مساويًا لأجر تكريره.

وقد سُئل سلطانُ العلماء عزُّ الدين ابن عبدالسلام عمن يأتي في التَّسبيحِ بلفظٍ يفيدُ عددًا كثيرا كقوله: سبحان الله عدد خلقه، أو عدد هذا الحصىٰ، وهو ألفٌ، هل يستوي أجره في ذلك وأجر من كرر التَّسبيح قدر ذلك العدد؟ فأجاب: «قد يكون بعض الأذكار أفضلُ من بعض لعمومِها وشمولها واشتمالها علىٰ جميعِ الأوصاف السَّلبية والذَّاتية والفعلية، فتكون السَّلبيةُ من هذا النَّوع أفضلَ من الكثير من غيره، كما جاء في قوله صلىٰ الله عليه وآله وسلم: **سبحانَ الله عددَ خلقِه**».اهـ

وهذا يقتضي أنَّه إذا اتحدَ النَّوعُ فأجرُ التَّكرار أفضلُ، لئلا يلزم مساواة العمل القليل للعمل الأكثر مع التَّساوي في سائر الأوصاف .

وسئُل الإمامُ أحمد بن عبدالعزيز النويريُّ: هل الأفضلُ الإتيان بسبحان الله عشر مرات؟ أو بقوله: سبحان الله عدد خلقه مرة؟ فأجاب: الظَّاهر أنَّ قوله: سبحان الله عدد خلقه مرة، أفضل، واستدل بحديثِ جويريةَ وغيره.

٣٥٢ ـــــــ

الصديقي في "الفتوحات الربانية": «وأنت خبيرٌ بأنَّ خبر جويريةَ شاهدٌ بإثباته بقدرِ ذلك».

تنبيهٌ: لفظ «عددَ خلقِه» منصوبٌ على الظرفيةِ، وكذا ما بعدَه، نصَّ عليه الحافظ السُّيوطيُّ في "حاشية سنن أبي داود"، وألف فيه رسالة "رفع السِّنَةِ في نَصبِ الزِّنةِ" وهي من رسائل "الحاوي للفتاوي".

$\frac{111}{1258}$ جويريةُ هي بنتُ الحارث، أمُّ المؤمنين رضي الله عنها.

$\frac{114}{1261}$ للحديث طريق آخر أخرجه الطبراني في "الأوسط" وأبو الشيخ بن حيان في "ثواب الأعمال" ولفظه: «**نَزَلَ جبريلُ عليه السَّلامُ فقال: يا محمَّدُ إنَّ سَرَّكَ أنْ تعبدَ الله ليلةً حقَّ عبادتِه فقُل: اللَّهمَّ لك الحمدُ حمدًا خالدًا معَ خلودِك ولكَ الحمدُ حمدًا دائمًا لا منتهى له دونَ مشيئَتِكَ، وعند كلِّ طَرْفةِ عينٍ أو تنفسِ نفسٍ**». وفي إسناده عليُّ بن الصلت العامري؛ مجهولٌ.

$\frac{119}{1266}$ قيس بن سعد بن عبادة خَدَمَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم عشر سنين وفي "صحيح البخاري" عن أنس قال: كان قيس بن سعد من النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمنزلة صاحبِ الشرطة من الأمير، وكان سخيًّا شجاعًا، شريفَ قومه وأحدَ دهاة العرب، شَهَدَ مع النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم المشاهد، ثمَّ كان مع عليٍّ رضي الله عنهما، وشهد معه مشاهده فاحتال عليه معاويةُ فلم ينخدعْ له، ثمَّ كان مع الحسن بن عليٍّ رضي الله عنهما حتى تنازل لمعاويةَ فرجع إلى المدينة.

$\frac{122}{1269}$ في إسناد الحديث بشرُ بن رافع أبو الأسباط وليس من شرطِ الصَّحيحِ.

$\frac{123}{1270}$ في إسناد الحديث خالدُ بن نجيح، وهو كذابٌ.

$\frac{125}{1272}$ الحديث باللفظ الذي أورده المؤلفُ رواه ابن أبي الدنيا في كتاب "الذكر"، أمَّا الطبرانيُّ فلم يذكر في روايته: «ما شاء الله».

$\frac{127}{1274}$ هذا الحديثُ ضعيفٌ، في إسناده محمد بن عبدالرحمن بن البيلماني عن أبيه، وهما ضعيفان، فكان على المؤلف أن يشيرَ إلى ضعفِه حسب اصطلاحه، ولعلَّه سهَا.

$\frac{129}{1276}$ قوله: من طريق خالد بن طهمان، عن معقل بن يسار كذا بالأصول. والصَّوابُ: من طريق خالد بن طهمان: حدثني نافعٌ، عن معْقِلِ بن يَسار ولعله سقط من النُّسَّاخِ، وخالد ضعيفٌ وثِّق، وحسَّن له الترمذيُّ.

$\frac{132}{1279}$ هذا الحديث عامٌّ في كل خير من ذكر أو صلاة أو صدقة، وليس خاصًّا بالذِّكرِ كما يقتضيه صنيعُ المؤلف.

$\frac{133}{1280}$ وأخرجه أبو داود والنَّسائيُّ وابن ماجه من حديث بريدة رضي الله عنه. «**وأنا على عهْدِك**» هو الإقرارُ بالتَّوحيد المأخوذِ على المكلَّفين جميعًا في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، أو هو الأمانة المذكورة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢] الآية.

والأمانة: هي التَّكاليفُ التي عَهِد الله بها إلى المكلَّفِ، وحمَّله مسؤلية القيام بها ووعده عليها الجنة إن أداها كما أمر بها، ولذا قال: «**ووَعْدِك**» أي وأنا في

انتظار وعدك الذي وعدت به وهو دخول الجنة في الآخرة وهذا كقوله تعالى يحكي دعاء المؤمنين: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩٤] و«ما استَطعتُ» راجعٌ للعهد، أي أنا مقيم على تنفيذ عهدك بقدر استطاعتي ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

$\frac{136}{1283}$ قوله : «أمَا إنَّ الحديثَ كما حدثتُكَ...» إلخ، يُشير بهذا إلى أن الحديثَ صادقٌ لا شكَّ فيه، فإذا تخلف في صورةٍ أو صورٍ فليس ذلك لخللٍ في الحديث، ولكن لخللَ في الشَّخصِ إمَّا لأنَّه نسيَ أن يقوله كما هنا، أو لضعفِ إيمانه وقلة يقينه، أو لعدم صدق توجُّهِه، أو لغير ذلك من أوجه الخلل.

$\frac{139}{1286}$ «إنْ يعمل في يومِه مثلَ ذلك» إن نافية أي: «ما يعمل في يومه...» إلخ.

$\frac{142}{1289}$ أبو عياش: هو الزُرَقيُّ -بضم الزاي وسكون الراء- الأنصاريُّ، اسمه زيدُ بن الصامتِ وقيل: غير ذلك.

قوله: «قال حمادٌ» هو ابن سلمةَ بن دينار البَصريُّ أبو سلمةَ، قال شهاب ابن المعمَّر البَلخيُّ: كان يعدُّ من الأبدال، وعلامةُ الأبدال أنْ لا يولدَ لهم، تزوَّج سبعينَ امرأةً فلم يُولَد له، وكان في العبادة منقطعَ النَّظير مجابَ الدعوة.

$\frac{144}{1291}$ هذا الحديثُ رواه البزارُ والبغويُّ والطبرانيُّ من طريق أبانَ بن أبي عياش -متروكٌ- عن الحكم بن حيان المحاربيِّ، عن أبان المحاربي -وكان من الوفد الذين وفدوا على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من عبد القيس-

أنَّ رسول الله صلىٰ لله عليه وآله وسلم قال... فذكر الحديثَ .

إلا أنه وقع عند الطبرانِّي من هذا الطريق، عن الحكم بن حيان المحاربيِّ - وكان من الوفد الذين قدموا علىٰ رسول الله صلىٰ لله عليه وآله وسلم- أنَّ رسول الله صلىٰ لله عليه وآله وسلم قال: «**ما منْ عبدٍ مسلمٍ يقولُ إذا أصبَحَ: الحمد لله ربي لا أشركُ به شيئًا وأشهدُ أنْ لا إله إلا الله. إلا ظلَّ يُغفرُ له ذنوبُه حتَّى يُمسيَ وإنْ قالها إذا أمسى باتَ يغفرُ له ذنوبُه حتَّى يُصْبِحَ**».

والحكمُ بن حيان ذُكرتْ له وفادةُ مع أخيه عبدالرحمن، لكن لم تُذكر له روايةٌ، والحديثُ علىٰ كلا الروايتين ضعيفٌ. ورواه ابن السُّني من طريق أبانَ أيضًا، عن عمرو بن الحكم، عن عمرو بن معدي كرب قال: سمعتُ رسول الله صلىٰ لله عليه وآله وسلم يقول: «**من قال حينَ يصبحُ: الحمدُ لله ربِّي لا أشركُ به شيئًا أشهدُ أنْ لا إله إلا الله. ظلَّ مغفورًا له، ومنْ قالها حينَ يُمسِي باتَ مغفورًا له**».

$\frac{145}{1293}$ «**صادقًا كانَ أو كاذبًا**» في "سنن أبي داود": «**صادقًا كانَ بها أوْ كاذبًا**» بزيادة: «بها» وهو الصَّوابُ، والمعنىٰ: صادقًا كان بها بأنْ قالها متِّصفًا بمدلولِ التَّوكلِ علىٰ الحقيقة، أو كاذبًا بأن قالها غير مخلصٍ في التَّوكلِ بل واقف مع الأسباب. قوله: «ورفعه غيره». قلت: كذلك رواه ابن السُّني في "عمل اليوم والليلة" ولفظه: «**منْ قال حينَ يصبحُ وحينَ يُمْسِي: حسْبيَ الله لا إله إلا هُوَ عليه توكَّلْتُ وهو ربُّ العرشِ العظيمِ، سبعَ مراتٍ. كفاهُ الله عزَّو جلَّ همَّه منْ أمرِ الدُّنيا والآخرةِ**». والموقوف في هذا الباب له حكم المرفوع، لأنَّه لا مجال

للرأي فيه، على أنَّ رواية ابنِ السُّني تبينُ أنَّ أبا الدرداء سمعه من النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم .

تنبيه: هذا الحديث غير موجود في "سنن أبي داود" رواية اللؤلؤيِّ وهي المشهورة، وإنما يوجد في رواية أبي بكر بن داسة.

147/1294 المُنَيذر الثمالي، ويقال: الأسلمي، تُوفِّي بطرابلس وله فيها قبر يزار ليس له إلا هذا الحديث، رواه رِشْدينُ بنُ سعد، عن حيي بن عبدالله، عن أبي عبدالرحمن الحبلي، عن المنيذر. أخرجه الطَّبرانيُّ في "الكبير".

وقال المؤلف : «إسنادُه حسنٌ»، وكذا قال الهيثميُّ في "مجمع الزوائد"، وليس كذلك، إذ رشدين بن سعد ضعيفٌ.

148/1295 قوله: «ورواه أحمدُ عن أبي سلام سابقِ بن ناجية». قلتُ: بناءً على أنَّ سابقًا خادمُ النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلَّم، وأبا سلام كنيته وقيل: غير ذلك.

والمحفوظ: عن سابق بن ناجية، عن أبي سلام ممطورٍ الحبشيِّ، عن رجل خدم النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم. هذا هو المحفوظُ، وأبو سلام تابعي معروف .

152/1299 الحسنُ هو البصريُّ، وهو المرادُ عند الإطلاقِ.

153/1300 قوله: «حديثٌ غريبٌ وفيه نكارةٌ». قلت: لا يبعد أن يكون موضوعًا ولا يجوز العمل به.

158/1305 «فيهنَّ آيةٌ خيرٌ منْ ألفِ آيةٍ» وهي قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]. قوله: «والحواريين» هي (سورة الصفِّ).

$\frac{159}{1306}$ هذا الحديثُ رواه أيضًا ابن أبي شيبة من طريق أبي مالكٍ الأشجعيِّ، عن عبدالرحمن بن نوفل، عن أبيه به، وأعلَّ الحافظُ ابنُ عبدالبر حديثَ الترجمة بالاضطرابِ، وبأنَّ إسنادَه لا يثبت، يعني حيثُ رُوي مرسلًا، قال الحافظُ ابن حجر: «وليس كما قال، بل الرِّواية التي فيها عن أبيه أرجحُ وهي الموصولةُ، ورواته ثقاتٌ فلا يضرُّه مخالفةُ منْ أرسَله، وشرط الاضطراب أن تتساوىٰ الوجوه في الاختلاف وأما إذا تفاوتتْ فالحكم للراجحِ بلا خلاف».اهـ

$\frac{167}{1314}$ «**عددَ رملِ عالجٍ**»: رمل عالج بالإضافة؛ جبال متواصلةٌ يتصل أعلاها بالدُّهناء -والدهناءُ بقربِ اليمامة- وأسفلها بنجد ويتسعُ اتساعًا كثيرًا حتىٰ قال البكري: «رملُ عالجٍ يحيطُ بأكثرِ أرضِ العربِ». والذنوب التي تغفر مع هذه الكثرةِ هي الصَّغائر كما سبقَ التنبيهُ عليهِ.

$\frac{170}{1317}$ هذا الحديثُ رواه الطبرانيُّ عن شيخه المقدامِ بن داود الرعينيِّ؛ ضعَّفه غيرُ واحدٍ، وكان فقيهًا مفتيًا علىٰ مذهب مالك وهو مصريٌّ، لكن قال الهيثميُّ في "مجمع الزوائد": قال ابنُ دقيقِ العيد: «قد وُثِّق» فعلىٰ هذا يكون الحديث حسنًا».اهـ قلت: كذا قال.

$\frac{173}{1320}$ قوله: «وإسناده إلىٰ الرَّجلِ المُبْهَمِ جيدٌ» قلت: فيكون الإسناد ضعيفًا، لأنَّ الحكم في الإسنادِ للأقل علىٰ الأكثر والأنقص علىٰ الأقوىٰ، مالم يأت طريقٌ آخرُ يجبرُ ما في هذا الإسناد.

$\frac{174}{1321}$ قوله: «وإسنادُه حسنٌ إن شاءَ الله» قلت: قد حسَّنه الحافظ أبو الحسن عليُّ بن المفضل المقدسيُّ المالكيُّ، نقله عنه تلميذه الحافظ المنذري،

وحسنه أيضًا الحافظ العراقي في "تخريج أحاديث الإحياء" والحافظ ابن حجر في "أمالي الأذكار" تعليقًا على قول النوويِّ: «إنَّه ضعيفٌ»، وبين حسنَه بما ذكر له من الشَّواهد، وقد تكلمتُ عليه بتفصيل في كتاب "الرد المحكم المتين".

$\frac{175}{1322}$ قوله: «أقط»، أي لم يبلغك إلا ما ذكرت من الحديث؟ فلما أجابه بنعم؛ أخبره ببقية الحديث.

$\frac{177}{1324}$ للمؤلف في تصحيح هذا الحديثِ جزءٌ خاصٌّ رد به على ابن الجوزيِّ الذي أورَدَ الحديثَ في "الموضوعات" وأعلَّه بمحمَّد بن حمير، قال في ذلك الجزء: محمد بن حمير القضاعي السلِيحيُّ -بكسر اللام- الحِمْصِيُّ كنيته أبو عبدالحميد، احتج به البُخاري في "صحيحه"، وكذلك محمد بن زياد الألهاني. أبو سفيان الحمصيُّ احتجَّ به البخاريُّ أيضًا.

وقد تابعَ أبا أمامةَ عليُّ بن أبي طالب وعبدالله بن عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وجابر وأنس، فرووه عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلَّم، ثمَّ أورد طرقَها ثم قال: «وإذا انضمتِ الأحاديثُ بعضُها إلى بعضٍ أخذت قوةً».اهـ

وقال الحافظ ابنُ حجر في "تخريج أحاديث المشكاة": «غَفَلَ ابن الجوزيِّ فأورد هذا الحديث في "الموضوعات" وهو من أسمجِ ما وقعَ له».اهـ

وقال السَّيفُ بنُ أبي المجد الحافظُ: «صنَّفَ ابن الجوزيِّ كتاب "الموضوعات" فأصاب في ذكره أحاديثَ مخالفةً للعقل والنقلِ، ومما لم يصب فيه إطلاقه الوضعَ على أحاديث بكلامِ بعضِ الناس في أحدِ رواتِها كقوله:

٣٦٠ ـــــــ

وهما ضعيفان، وإنْ حسَّنِ لهما الترمذيُّ وصحَّح لهما الحاكمُ.

$\frac{196}{1343}$ قوله: «ورواه البيهقيُّ وغيره...» إلخ قلتُ: كذلك رواه ابن أبي الدنيا في كتاب "الشكر" والحافظ عبدالعزيز بن الأخضر، في الأول من "الفوائد الحسان" وهو الحديثُ الثالثُ والعشرون من "الأربعين الغُمارية".

$\frac{200}{1347}$ عن أبي المليحِ، عن أبيه، هو أسامةُ بن عمير بن عامر الهُذَليُّ، صحابيٌّ.

$\frac{202}{1349}$ عبدالله بن بسر، صحابيٌّ. قوله: «فحضرني من أهلِ الأرضِ» يعني الجنَّ. قوله: «فقال بعضُهم لبعضٍ: احرُسُوه...» إلخ، أي أنَّ الجنَّ الذين كانوا يريدون إيذاءه اضطروا إلى حراسته ببركةِ تلاوتِه الآية المذكورةَ، وهذا ليس بحديث عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلَّم، لكنَّه في حكمِ المرفوعِ، لأنَّه ليس للرأي فيه مجال.

$\frac{203}{1350}$ «**الحمدُ لله الذي عافَاني**» لكنَّ لا يُسْمعه للمبتلى، لأنَّ في إسماعه إياه إيذاء له إلا إذا كان المرضُ ناشئًا عن فعل المبتلى، كتعاطيه المسكراتِ أو المخدِّراتِ، فينبغي إسماعه الدُّعاء زجرًا وتقريعًا.

ثواب الدعاء

وذكر قوله تعالى: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾ [الأعراف: ٥٥] أي خضوعًا واستكانة ﴿وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥] أي سرًّا لبعده عن الرِّياء، وبذلك أثنى الله على زكريا عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ [مريم: ٣] وفي الصحيح عن أبي موسى قال: كنَّا مع النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلَّم في

سفر فجعل الناس يجهرون بالتَّكبير فقال النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم: «**أيها الناسُ اربَعُوا على أنفسِكم، إنَّكم لستُم تدعُون أصمًّا ولا غائبًا، إنكمْ تدعُون سميعًا قريبًا وهو معَكُمْ**» ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥] أي في الدعاء.

والاعتداءُ في الدُّعاء أنواعٌ؛ منه الجهرُ الكثيرُ والصِّياحُ البالغُ، كما يحصل من المصلين عقب قول المبلغ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

ومن الاعتداء: أن يدعوَ الإنسان بأن تكونَ له منزلة نبيٍّ في الجنة أو في الدنيا أو الدعاء بمحال، كأن يدعوَ بالمغفرة لكافرٍ أو بالمغفرةِ لجميعِ الأمة، مع أنَّه لابد من عذابِ طائفةٍ منها.

ومن الاعتداء: التَّقعُّر في الدعاء بألفاظ وسجعاتٍ، كما ورد عن عبدالله بن مغفل: أنه سَمِعَ ابنه يقول: اللهمَّ إني أسألك القصرَ الأبيضَ عن يمين الجنة إذا دخلتُها. فقال: أي بني سلِ الله الجنة وعُذْ به من النارِ، فإني سمعتُ رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم يقول: «**سيكونُ قومٌ يَعتَدُون في الدُّعاءِ**». رواه ابن ماجه، ومن الاعتداءِ: الدُّعاء بإثمٍ أو بقطيعةِ رحمٍ، والاعتداء في الدعاء يوجبُ الإثمَ ويمنعُ القبول والإجابة.

فائدة: قال ابنُ عطاء: «إنَّ للدعاءِ أركانًا وأجنحةً وأسبابًا وأوقاتًا، فإنْ وافقَ أركانه قويَ، وإن وافق أجنحته طارَ في السَّماءِ، وإن وافقَ مواقيتَه فاز، وإن وافق أسبابَه أنجحَ. فأركانه حضورُ القلب والرأفةُ والاستكانةُ والخشوعُ، وأجنحته الصدقُ، ومواقيته الأسْحَارُ، وأسبابه الصَّلاةُ علىٰ محمَّدٍ صلَّىٰ الله عليه

وآله وسلَّم. وقيلَ لإبراهيمَ بن أدهمَ: ما بالنا ندعُو فلا يُستَجَابُ لنا؟ قال: لأنكم عرفتم الله فلم تطيعُوه، وعرفتُم الرسول فلم تتبعُوا سنَّته، وعرفتم القرآنَ فلم تعملُوا به، وأكلتُم نِعَمَ الله فلمْ تؤدُّوا شكرَها، وعرفتُم الجنةَ فلم تطلبوها، وعرفتمُ النَّارَ فلم تهربُوا منْها، وعرفتُم الشَّيطانَ فلم تحاربُوه ووافقتمُوه، وعرفتُم الموتَ فلم تستعدُّوا له، ودفنتُم الأمواتَ فلم تعتبرُوا، وتركتُم عيوبَكم واشتغلتُم بعيوبِ الناسِ».

$\frac{213}{1360}$ هذا من أحاديثِ "الأربعين النووية" وسيذكره المؤلفُ تامًّا في ثواب الاستغفار .

$\frac{221}{1368}$ هذا من أحاديث "الأربعين الصديقية".

$\frac{223}{1370}$ قيل في معنى الحديث: إنَّ الدُّعاء والبرَّ سببانِ مقدران أيضًا لردِّ القدرِ ولزيادةِ العمرِ. وقيل: إنَّ دوامَ الدعاءِ يطيب ورود القضاء، فكأنه ردَّه، والبر يطيب عيشه فكأنما زيد في عمره.

$\frac{225}{1372}$ «**إنَّ الدعاءَ ينفعُ مما نزلَ**» بأن يطيبه ويهونه كما تقدَّم «**ومما لم ينزِلْ**» بأن يردّه إذا كان مقدرَ الردِّ، وهذا الحديثُ ضعيفٌ كما قال الترمذيُّ، وقول الحاكم: «صحيحُ الإسنادِ» ليس كذلك. نعم؛ يصحَّحُ باعتبار ماله من الطرقِ.

$\frac{226}{1373}$ يؤخذ من الحديث مشروعيةُ رفع اليدين في الدعاءِ، وحياء الله كناية عن عدم ردِّه دعاء من دعاهُ، كفعل المستحيي إذا سُئل فإنَّ حياءَه يمنعُه من رد السائل.

$\frac{232}{1379}$ هذا من أحاديثِ "الأربعين النووية" وهو حديثٌ عظيمٌ وقد شرحَه ابن تيمية في رسالةٍ خاصةٍ.

$\frac{233}{1380}$ هذا الحديثُ والأحاديثُ بعده تقتضي استحبابَ افتتاحِ الدعاءِ بهذه الأذكار وما في معناها مما يشمل على حسنِ الثناء على الله تعالى، ليكونَ الدعاءُ أولى بالإجابةِ، وينبغي أيضًا استفتاحُه بالصَّلاةِ على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كما يأتي.

$\frac{237}{1384}$ يؤخذ من الحديثِ جوازُ تأليفِ الإنسان دعاءً أو ذكرًا يدعُو به، وأصرحُ منه في ذلك مارواه الطبرانيُّ بإسناد جيدٍ عن أنسٍ أيضًا قال: مرَّ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم بأعرابيٍّ -وهو يدعو في صلاته- ويقول: يا من لا تراهُ العيونُ، ولا تخالطُه الظنونُ، ولا يصفُه الواصفونَ، ولا تغيرهُ الحوادثُ، ولا يخشى الدوائر، يعلم مثاقيلَ الجبال، ومكاييل البحارِ، وعددَ قطرِ الأمطارِ، وعدد ورقِ الأشجارِ، وعددَ ما أظلمَ عليه الليلُ وأشرقَ عليه النهارُ، لا توراي منه سماءٌ سماءً، ولا أرضٌ أرضًا، ولا بحر ما في قعره، ولا جبل ما في وعره، اجعل خير عمري آخره، وخير عملي خواتيمه، وخير أيامي يوم ألقاك فيه.

فوكل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالأعرابيِّ رجلًا فقال: «**إذا صلَّى فائْتِني به**» فلما صلَّى أتاه وقد كان أهديَ لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذهبٌ من بعض المعادن، فلما أتاه الأعرابيُّ وهب له الذهبَ وقال: «**ممنْ أنتَ يا أعرابيُّ؟**» قال: من بني عامر بن صعصعةَ يارسول الله. قال: «**هل تَدْرِي لم وهبتُ لكَ الذَّهبَ؟**» قال: للرَّحمِ بيننا وبينَك يارسول الله. قال: «**إنَّ للرَّحِمِ حقًّا، ولكنْ وهبتُ لكَ الذَّهبَ بحُسْنِ ثنائِكَ على الله عزَّوجلَّ**».

$\frac{240}{1387}$ قوله: «من طريقِ عبدالرحمن بن زياد بن أنعم» قلت: هو الإفريقيُّ قاضي إفريقيةَ وأول مولودٍ بها بعد فتحِها بالإسلامِ، كان عدلًا في قضائه صلبًا في الحق، وثَّقه جماعةٌ وضعَّفه آخرون، وقال أبو الحسن ابنُ القطان: كان من أهل العلم والزهدِ بلا خلافٍ بين الناس. ومن الناسِ من يوثِّقُه ويربأ به عن حضيضِ رد الروايةِ، والحقُّ فيه أنَّه ضعيفٌ لكثرةِ روايتِه المنكراتِ وهو أمر يعتري الصالحين.

$\frac{244}{1391}$ «**فذلكَ الرَّانُ**» كذا جاء في الرِّوايةِ وهو من تصرف بعض الرُّواة وإنما هو: «الرين» يقال: ران يرين رينا وريونًا، أيضًا والرِّين الطَّبعُ والدَّنسُ، قال أبو عبيدة في قوله تعالىٰ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤] أي غلب، وقال الحسن في الآية أيضًا: هو الذنبُ علىٰ الذنبِ حتىٰ يسودَّ القلب.

$\frac{247}{1394}$ في إسناد هذا الحديث درَّاجٌ أبو السَّمح، ليس من شروط الصحيح، لكن صحح له الترمذي وابن خزيمة وابن حِبَّان والحاكم.

$\frac{248}{1395}$ «**لو لم تُذنِبُوا**» بأنْ خُلقتُم معصومين كالأنبياءِ والملائكةِ «**لذَهَبَ الله بكُمْ**» لأنَّ وجودَكم حينئذ يخالفُ الحكمةَ الإلهيةَ، وذلكَ أنَّ الله تعالىٰ اقتضتْ حكمتُه إيجادَنا مجبولين علىٰ الميلِ إلىٰ الشَّهواتِ مسرعين إلىٰ الوقوعِ في المخالفاتِ لنلجأ إليه في محوِ أوزارِنا، ونتضرعُ إليه في غفرانِ ذنوبِنا، وبذلكَ تتحقَّقُ عبوديتُنا لعليِّ جنابِه، ويثبتُ خضوعنا وقوفًا ببابِه، فيتجلىٰ علينا بصفات العفوِ والغفران والرحمةِ والستر والكرمِ، والحلمِ التي دلت عليها

أسماؤُه: العفوُّ الغفورُ الرحيمُ السِّتِّيرُ الكريمُ الحليمُ.

وأيضًا فإنَّ الله لما خلق الملائكة والأنبياء معصومين مطهَّرين وجعلَهم مظهر الإكرام والإنعام ومجلىٰ صفاته الدالة علىٰ الجلال والجمال، وخلق الشياطين خُبثاءَ بالطبع لا يتأتىٰ منهم استغفارٌ يتجلىٰ عليهم بصفاتِ انتقامه وغضبه وشديد عقابه ليس لهم في غير هذه الصفات نصيبٌ، خَلَقَ الثَّقلين عالمًا بين العَالمين وبرزخًا جامعًا بين المقامين: كفر وإيمان، ومعصية واستغفار وإلىٰ هؤلاء توجَّه قوله تعالىٰ: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩ - ٥٠] وقولُه جلَّ شأنه: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣] فاستوفت الأسماء مقتضياتها وتمت الحكمة الإلهية حسبما سبق به العلم القديم.

«**ولجاءَ بقومٍ يُذنِبُونَ**» بحكمِ الجبِلَّة وميل النفس وإغواءِ الشيطانِ، ثمَّ يدركهم التوفيق «**فَيسْتَغفِرون الله**» تائبين ضارعين إليه معترفين بأنَّه لا ربَّ سواه، يغفر ذنوبَهم ويجبرُ كسرَ قلوبِهم «**فيغفرُ لهم**» لأنَّه يحبُّ أنْ يرىٰ عبده واقفًا ببابه حاطًّا حوائجَه كلَّها برحابه، فالحديثُ مسوقٌ لبيان فضل الاستغفار والحضِّ عليه وذُكرتِ الذنوبُ علىٰ أنَّها وسيلةٌ إليه حسبَ ما تعُوهِد: أن لا استغفار إلا عن ذنبٍ، وليس فيه تشجيعٌ علىٰ المعاصي كما فهم بعضُ الناسِ خطأ، لأنَّ الإخبارَ بقبول الاستغفارِ من العمومِ لا يستلزمُ قبول الاستغفار من الواحد إذا أذنبَ، فمن الغيِّ والضلال الإقدامُ علىٰ مواقعةِ المعصيةِ تعلّلًا

باستغفار لا يدري قبوله واتكالًا إلى توبة مجهولة المآل.

$\frac{252}{1399}$ قوله: «وإذا حدثني أحد من أصحابه استحلفته، فإذا حلف لي صدقته» هذا من عليٍّ رضي الله عنه زيادة في التَّوثيق بالخبرِ ومبالغة في الاطمئنان إليه، وإن كان خبرُ الواحد مقبولٌ من غير يمينٍ، ويؤخذ منه شدةُ احتياط الصَّحابةِ في الحديث عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

$\frac{253}{1400}$ قوله: «رواتُه مدنيون لا يعرفُ واحدٌ منهم بجرحٍ». قلتُ: كذا قال، لكن قال ابن سعد عن محمد بن جابر: في روايتِه ضعفٌ، وليس يحتجُّ به.

$\frac{255}{1402}$ راوي الحديث زيد بن بولي النَّوبي، مولى النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم أصابه النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة بني ثعلبة فأعتقَه، ولم يرو عنه إلا هذا الحديثَ، وقد ضعَّفه الترمذيُّ كما نقل عنه المؤلفُ، لكن ذكر الحافظُ المنذريُّ أنَّ إسنادَه جيدٌ متصلٌ.

ورواه أبو داود والترمذيُّ من حديث ابن مسعود وصحَّحه الحاكمُ على شرط الشَّيخين إلا أنه قال: «يقولها ثلاثًا» وكذا هو عند الترمذيِّ من حديث أبي سعيد الخدريِّ.

ثوابُ الصَّلاة على أشرف الخلق

وذكر قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] قال البخاريُّ في "صحيحه": قال أبو العالية: صلاةُ الله ثناؤُه عليه عند الملائكة وصلاةُ الملائكة الدعاءُ. وقال ابن عبَّاسٍ: يصلون يبرِّكون، يعني يدعُون بالبركة.

وقال ابنُ كثير: «المقصودُ من هذه الآية أنَّ الله سبحانه وتعالىٰ أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيِّه عنده في الملأ الأعلىٰ، بأنَّه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأنَّ الملائكةَ تصلِّي عليه، ثمَّ أمرَ تعالىٰ أهل العالمِ السفليِّ بالصَّلاةِ والتَّسليمِ عليه ليجتمعَ الثناءُ عليه من أهل العالَمَينِ العلويِّ والسفليِّ جميعًا».اهـ

تنبيه: حصل السؤال كثيرًا عن السرِّ في تخصيصِ السَّلام بالمؤمنين؟ والجواب: أنَّ الآية لما ذكرت عقبَ ذكر ما يؤذي النبيِّ عليه الصلاة والسلام - والأذية إنَّما تكون من البشر - ناسبَ التخصيص بهم، والتأكيد بالمصدرِ لأنَّ في السلامِ سلامةٌ من الآفاتِ والأذية.

$\frac{257}{1404}$ هذا الحديث أصلٌ في مشروعية سجدةِ الشُّكر لنعمةٍ تتجددُ أو نقمةٌ تندفع. قوله: «فدخلَ حائطًا من حيطانِ الأشرافِ» الحائطُ: البُستانُ، «والأشراف» كذا هو بالأصل. والصَّوابُ : الأسوافُ، وهو اسم لحرم المدينة الذي حرمه رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم. والمعنىٰ: أنَّ البستانَ كان داخل منطقةِ الحرم المدنيِّ.

$\frac{269}{1416}$هذه الأحاديث التِّسعةُ من رقم (٢٦١) إلىٰ هذا الحديثِ، تفيدُ حياةَ النبيِّ صلىٰ الله عليه وآله وسلم في قبره، وأن جسدَه الشَّريف لا يبلىٰ، والإجماع علىٰ هذا. نقله ابنُ حزم في "المحلىٰ"، والسَّخاويُّ في "القول البديع". وقد أخبر الله عن الشَّهداء أنَّهم أحياء عند ربهم يرزقون، فالنبيُّ صلىٰ الله عليه وآله وسلم أولىٰ بذلك وأحقُّ، بل صَحَّ عن ابن مسعود رضي الله عنه أنَّ الله جمع لنبيه النُّبوة والشَّهادة. وذلك لقوله عليه الصَّلاة والسَّلام في -مرضِه الذي

توفي فيه-: «**ما زَالتْ أكْلةُ خَيبَر تعاودُني حتَّى كانَ هذا أوانَ انقطعَ أبْهَرِي**».

$\frac{270}{1417}$ هذا الحديثُ موقوفٌ له حكمُ المرفوعِ، لأنَّه لا مجالَ فيه للاجتهادِ ولا للإسرائيليات فيه دخلٌ.

$\frac{272}{1419}$ قوله: «وإسناده حسنٌ بما تقدم». قلتُ: لأنَّ في إسنادِه عاصمَ بن عبيدالله، قال فيه البخاريُّ: «منكرُ الحديثِ». لكنه يحسَّنُ بشواهدِه السابقةِ، فهو من قسم الحسنِ لغيره.

$\frac{274}{1421}$ هذا الحديثُ رواه الطبرانيُّ من طريق رشدين، عن قرَّة، عن ابنِ شهاب، عن محمد بن يحيى بن حبان، عن أبيه، عن حبان بن منقذ به. وحسَّنه المؤلف وكذلك الحافظُ المنذريُّ، والحافظُ الهيثميُّ. لكن رشدين ضعيفٌ، ولعلهم حسَّنوه باعتبار حديث أُبيٍّ الآتي بعده شاهدًا له.

$\frac{276}{1423}$ هذا الحديث رواه ابن حِبَّان في "صحيحه" من طريق درَّاج أبي السمح، عن أبي الهيثم. وهذا الطريق يحتجُّ به ابن خزيمةَ وابن حِبَّان والحاكم وغيرهم.

$\frac{277}{1424}$ قوله: «وهو بمجموعِ طرقِه حديثٌ حسنٌ» هكذا قال؛ لكن قال المنذري وقد عزاه للبزار والطبراني في "الكبير" و"الأوسط": «وبعض أسانيدهم حسن» . وقال الهيثميُّ: «وأسانيدُهم حسنةٌ».

$\frac{278}{1426}$ «**وأتعبَ كاتبًا ألفَ صباحٍ**» كنايةٌ عن كثرةِ ما يكتبُ له من الثَّوابِ، وفي سند الحديث هانئ بن المتوكل، وهو ضعيفٌ.

$\frac{279}{1427}$ هذا الحديث أخرجه أيضًا الحسنُ بن سفيانَ في "مسنده"، وابن

حِبَّان في "الضعفاء" وهو ضعيفٌ جدًّا. وحكىٰ التَّاج أبو حفص عمر بن علي الفاكهاني المالكي في كتاب "الفجر المنير في الصلاة علىٰ البشير النذير" عن بعض الفقراء المباركين أنَّه أخبره قال: رأيتُ النبيَّ صلىٰ الله عليه وآله وسلَّم فيما يرىٰ النَّائم، فقلت: يارسول الله أنت قلت: «**ما منْ متحابَّينِ في الله يلتقِيانِ فيُصَافحُ أحدُهُما صَاحبَه؟**» فقال النبيُّ صلىٰ الله عليه وآله وسلم: «**إلا لم يفْترِقا حتَّى تغفرَ ذنوبُهما ما تقدَّم منها وما تأخَّر، والدعاءُ بين صلاتينِ عليَّ لا يردُّ**»، وهذه المرائي لا يثبتُ بها حكمَ وإنما تذكر علىٰ سبيلِ الاستئناسِ والبشارةِ.

$\frac{281}{1428}$ قوله: «وقد روي مرفوعًا إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم»، قلت: رواه البيهقيُّ في "الشُّعب" وأبو القاسم التيميُّ من طريقِ الحارثِ الأعورِ، عن علي عليه السلام، عن النبيِّ صلىٰ الله عليه وآله وسلم قال: «**ما منْ دعاءٍ إلا بينَه وبينَ الله حِجابٌ حتَّى يُصلي على محمَّدٍ وعلى آل محمَّدٍ، فإذا فعلَ ذلكَ انخَرَقَ الحجابُ ودخلَ الدعاءُ، وإذا لم يفعلْ رَجَعَ الدُّعاءُ**».

وهو حديثٌ ضعيفٌ، والموقوفُ أشبهُ كما قال المؤلفُ. وإن كان للموقوفِ حكم المرفوعِ في هذا لأنه لا مجالٌ للرأي فيه، وفي البابِ عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: «إذا أرادَ أحدُكم أن يسألَ فليبدأ بالمدحةِ والثناءِ علىٰ الله بما هو أهله، ثم ليصلِّ علىٰ النبيِّ صلىٰ الله عليه وآله وسلم، ثم ليسأل بعدُ، فإنه أجدر أن ينجحَ». رواه الطَّبرانيُّ بإسناد صحيح.

وعنه أيضًا قال: «يتشهد الرجلُ في الصلاة، ثمَّ يصلِّي علىٰ النبيِّ صلىٰ الله عليه وآله وسلم ثمَّ يدعو لنفسه بعد»، رواه سعيد بن منصور وابن أبي شيبة والحاكمُ بإسنادٍ صحيحٍ.

وعن فضالةُ بن عبيدٍ قال: بينا رسول الله صلىٰ لله عليه وآله وسلم قاعدٌ إذ دخل رجل فصلىٰ فقال : اللهم اغفرْ لي وارحمني، فقال رسول الله صلىٰ لله عليه وآله وسلم: «**عَجِلتَ أيُّها المصَلِّي، إذا صَلَّيتَ فقعدتَ فاحْمدِ الله بما هو أهلُه، وصلِّ عليَّ ثمَّ ادعُه**». قال: ثمَّ صلىٰ رجل آخر فحمد الله وصلىٰ علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال له النبيُّ صلىٰ لله عليه وآله وسلم: «**أيُّها المصلِّي ادعُ تجبْ**». رواه النسائيُّ والترمذيُّ وحسَّنه وصحَّحه الحاكمُ. ولعل الرجل الذي استعمل أدبَ الدعاء هو ابنُ مسعود رضي الله عنه، وذلك لما رواه الترمذيُّ عنه قال: كنتُ أصلِّي مع النبيِّ صلىٰ الله عليه وسلَّم ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فلما جلستُ بدأتُ بالثناء علىٰ الله تعالىٰ ثم بالصلاة علىٰ النبيَّ صلىٰ الله عليه وسلم، ثم دعوتُ لنفسي فقال النبي صلىٰ لله عليه وآله وسلم: «**سَلْ تُعْطَهْ سَلْ تُعْطَهْ**»، إسنادُه صحيحٌ.

(**خاتمةٌ**): أفضل صيغ الذكر : «**لا إله إلا الله**»، لأنَّها -مع كونها آية من القرآن- تشتمل علىٰ إفراد الله بالألوهية ونفيها عمن سواه ولذا جعلها الشَّارع علامة علىٰ الإسلام، ولم يقبلْ من المشركين وغيرهم الدخول في الدين إلا بالنطق بها «**أمرتُ أنْ أقاتلَ الناسَ حتَّى يقولُوا : لا إله إلا الله**» وزيادة: «**وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ...**» إلخ، تصريحٌ بمضمونِ معناها، وتفصيل لمجمله. ثمَّ ما كان في معناها في اشتماله علىٰ نفي وإثبات مثل: «**اللهمَّ أنتَ ربِّي لا إله إلا أنتَ خلقْتَني**» إلخ، ومثل: «**لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله**» ولذا سمىٰ الشَّارع الصيغة الأولىٰ: «**سيِّدَ الاستغفارِ**» والثانية: «**كنزًا منْ كنوزِ الجنةِ**» ثمَّ

التَّكبير لدلالته على عظمة الله وجلاله، ولذا جعله الشَّارع في الأذان بجانبِ الهيللة، ثمَّ التحميد لدلالته على ثبوت الكمال لله تعالى، ثم التسبيح لدلالته على تنزيه الله عن النَّقائص، ثمَّ الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم لتعلقها بأشرف مخلوقٍ، ولأنَّ الله تعالى شارك فيها عباده تكريمًا لرسوله وتنويهًا بمنزلته، ثم مطلق الاستغفار لأنَّه يتعلقُ بتطهير العبدِ من ذنوبه، والله أعلم.

أبوابُ البرِّ والصِّلَة

$\frac{1}{1429}$ بقية الحديثِ : قلتُ: ثم أيُّ ؟ قال: «**الجهادُ في سبيلِ الله**».

$\frac{2}{1430}$ هذا الحديثُ بتمامِه مع شرحِه وبيانِ ما فيه من الفوائدِ في كتابي: "الحجج البينات" وكتابي: "سمير الصالحين".

$\frac{6}{1424}$ «**فأَبْلِ الله في برِّها**» أي أبلغ العذر إلى الله في برها، والمعنى: أحسن فيما بينك وبين الله ببرك إياها.

$\frac{7}{1435}$ جاهمةُ بن العباس بن مرداسٍ، السُّلميُّ، صحابي شهد الخندق، وحديثه هذا وقَعَ في سنده اختلاف كبير، سنشيرُ إليه بعد بحول الله تعالى.

قوله: «والطبرانيُّ بإسنادٍ صحيحٍ» إلا أنه قال: عن جاهمةَ، يعني فجعله من مسند جاهمةَ، والرِّوايةُ السَّابقةُ جعلته من مسندِ ابنه معاويةَ، وهذا من الاختلاف الذي أشرنا إليه.

$\frac{8}{1436}$ «**هما جنَّتُكَ**» إن أطعتَهما وبررتَهما دخلتَ الجنة «**ونارُكَ**» إن عصَيتَهما وعققتَهما دخلتَ النَّارَ.

$\frac{9}{1437}$ هذا من طريقِ حديثِ جاهمةَ السَّابقِ وقد وقع فيه وهمٌ ننبه عليه،

ذلك أن الحديث رواه البغويُّ وابن أبي خيثمة والطبرانيُّ من طريقِ سفيانَ بن حبيب، عن ابن جُريجٍ، عن محمَّد بن طلحةَ بن يزيد بن ركانةَ، عن معاويةَ بن جاهمة السُّلمي، عن أبيه قال: أتيتُ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلَّم استشيره في الجهادِ... فذكر الحديثَ كما تقدَّم.

قال البغويُّ: جوَّده سفيان بن حبيب، لكن أسقط من السَّند طلحة».اهـ

وهكذا رواه يحيى بن سعيد القطان، عن ابن جريج، ورواه البغوي، عن شريح بن يونس، عن يحيى بن سعيد الأمويِّ، عن ابنِ جُريجٍ، عن محمد بن طلحة بن يزيد بن ركانة، عن أبيه، عن معاويةَ بنِ جاهمةَ قال: أتيت النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم... إلخ.

ورواه ابنُ ماجه من طريق محمد بن إسحاق، عن محمد بن طلحة بن عبدالرحمن بن أبي بكر الصِّدِّيق، عن معاويةَ بن جاهمةَ به.

ورواه أحمدُ والنسائيُّ وابنُ ماجه والبغويُّ من طريقِ حجاجِ بنِ محمَّد، عن ابن جريج، عن محمد بن طلحة بن عبدالرحمن بن أبي بكر، عن أبيه، عن معاوية بن جاهمةَ: أنَّ جاهمةَ أتى النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم. فذكر الحديث.

ورواه ابنُ شاهين من طريق أبي عاصمٍ، عن ابن جُريجٍ به.

ورواه ابن شاهين أيضًا من طريق إبراهيم بن سعد، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن طلحة بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن معاوية بن جاهمة، به.

وكذا رواه محمد بن سلمة الخزاعيُّ، عن ابن إسحاق وهو المشهور عنه.

ورواه ابن منده من طريق ابن لهيعةَ، عن يونس بن يزيد، عن ابنِ إسحاقَ،

عن محمد بن طلحة، عن أبيه، عن معاوية بن جهم الأسلميِّ، عن جهمٍ به. قال الحافظ : «صحفَ ابن لَهِيعة اسمه ونسبته وإنما هو جاهمة السُّلميُّ».اهـ

ورواه ابن أبي شيبة والطبرانيُّ من طريق ابنِ إسحاق، عن محمد بن طلحة بن معاوية بن جاهمة به.

ورواه أبو نُعيم من طريق علي بن مُسْهِر، عن ابن إسحاق. قال الحافظ: «وهو غلط نشأ عن تصحيفٍ وقلبٍ، والصَّوابُ: عن محمد بن طلحة، عن معاويةَ بن جاهمةَ، عن أبيه؛ فصحفتْ «عن» فصارت «ابن»، وقدم قوله: عنْ أبيه فخرج منه أنَّ لطلحةَ صحبةٌ وليس كذلك، بل ليس بينه وبين معاويةَ بن جاهمة نسبٌ».اهـ

وهذا هو الحديثُ المذكور هنا كما ذكر في "الترغيب" وفي "مجمع الزوائد" أيضًا، وهو مبنيٌّ على تصحيفٍ كما تبين من كلام الحافظ، وأصحُّ طرقِه كما قال البيهقيُّ: طريقُ حجاجِ بن محمد عن ابن جريج.

تنبيه: أخرج الطبرانيُّ من طريق سليمان بن حرب، عن محمد بن طلحة بن مصرف، عن معاويةَ بن درهمٍ: أنَّ درهمًا جاء إلى النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال: جئتُك استشيرك في الغزْو... الحديث. وهذه قصةُ جاهمةَ بعينها فإن لم يكنْ تصحيفُ جاهمةَ بدرهَم فهي قصةٌ أخرى وقعتْ لشخصٍ آخرَ كما قال الحافظُ.

$\frac{10}{1438}$ «**الوالدُ**» أي الشَّخصَ الوالد أبًا كان أو أمًّا «**أوسطُ أبوابِ الجنةِ**» أي سبب لدخول الولد من أحسن أبواب الجنة. قوله: «**فأضِعْ ذلكَ البابَ أو**

احفَظْه» ليس المراد التخييرَ، بل المراد الحثّ على حفظِه مثل الحديثِ السابق «فليُقِلَّ عبدٌ عند ذلكَ أو ليُكثرْ» فإنَّ المرادَ به الحثُّ على الإكثارِ من الصَّلاةِ على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهذه الجملة -أعني: فأضعُ... إلخ- ليست من الحديث بل هي مدرجةٌ من الرواي كما في روايةِ الطبرانيِّ.

$\frac{12}{1440}$ هذا من أحاديث "الأربعين الصِّدِّيقية".

$\frac{14}{1442}$ قوله: «وهو في الصحيحُ دون ذكر البر فيه». قلت: لفظ الحديث في الصحيحين: «**منْ أحبَّ أنْ يُبسَطَ له في رزقُه ويُنْسَأ له في أثرِه فليَصِلْ رَحِمَه**» وسيأتي قريبًا.

$\frac{15}{1443}$ في سنده زبان بن فائد، عن سهل بن معاذ. وليسا من شرط الصحيح.

$\frac{16}{1444}$ سويدٌ ضعيفٌ، وفي الباب عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**برُّوا آباءَكم تبرُّكم أبناؤُكُم، وعفّوا تعِفَّ نساؤُكم**»، رواه الطبرانيُّ في "الأوسط" وإسنادُه لا بأس به.

وعن عائشةَ رضي الله عنها مرفوعًا: «**عِفّوا تعِفَّ نساؤُكم وبرُّوا آباءَكُم تبرُّكم أبناؤُكم، ومن اعتذرَ إلى أخيهِ المسلمِ من شيءٍ بلغَهُ عنه فلمْ يقبلْ عذرُه لم يرِدْ عليَّ الحوضَ**»، رواه الطبرانيُّ في "الأوسط" أيضًا، وفي سندِه خالد بن يزيد العمري المكيُّ مولى لآل عمر، كذَّبه أبو حاتم .

تنبيه: قولهم : «من زَنى زُني به ولو بِحيطان دارِه» ليس بحديث.

$\frac{17}{1445}$ «**رَغِمَ أنفُه**» أي لصقَ بالرَّغامِ وهو الترابُ، وهذا دعاء على العاق

بالخيبة والحرمان.

$\frac{18}{1446}$ مالكُ بن عمرو القشيريُّ، ويقال العقيليُّ، أو الكلابيُّ أو الأنصاريُّ، وقيل عمرو بن مالك، وقيل: أبي بن مالك القشيري ورجَّحه البخاريُّ والبغوي، وكذلك جاء في "مغازي ابن اسحاق" في الكلام على غنائم حنين.

$\frac{20}{1448}$ سقطت من الحديث جملة بعد قوله: «**ثمَّ صلةُ الرَّحِمِ**» وهي: قلت: يا رسول الله ثم مه؟ قال: «**ثمَّ الأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عنِ المنكرِ**».

$\frac{23}{1451}$ ورد في حديث بيان زيادة الأجل وكيفيتها، وهو ما رواه الطبراني في "الأوسط" و"الصغير" بإسناد ضعيف عن أبي الدرداء قال: ذكروا عند رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الأرحام، فقلنا: من وصل رحمه أنسئ في أجله، قال: «**إنه ليس بزيادة في عمره، قال الله: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾** [الأعراف: ٣٤] **ولكنَّه الرجلُ تكونُ له الذُّريَّةُ الصَّالحةُ، فيدعونَ له منْ بعدِه فيبلُغُه ذلك، فذلك الذي يُنسَأ في أجلِه**».

وقال بمقتضى هذا الحديث جماعةٌ، وقال الجمهور: زيادةُ العمر كنايةٌ عن البركة في العمر، بسبب التوفيق إلى الطاعة وعمارةُ وقته بالأعمال النافعة التي لا تتيسر في العادة إلا مع العمر الطويل، وصحَّحه النوويُّ وغيرُه. وقيل: الزيادة على حقيقتها بالنسبةِ إلى علمِ الملك الموكلِ بالشَّخص، كأن يقال له: عمر فلان مائة إن وصلَ رحمه، وستون إن لم يصلْها، وبالنسبة إلى علم الله لا زيادةَ ولا نقصَ، لأنه لا يقعُ من العبد إلا ما علمه تعالى، وهذا يسمَّى القضاءَ المبرمَ، والأول يسمى القضاء المعلَّق.

$\frac{29}{1457}$ رواية الترمذيِّ فيها انقطاعٌ، لأنها من طريقِ أبي سلمةَ بن عبدالرحمن عن أبيه ولم يسمع منه.

ورواية أبي داود وابن حِبَّان من طريق مَعْمَر، عن الزهريِّ، عن أبي سلمة، عن رداد الليثيِّ، عن عبدالرحمن بن عوف، وأشار إليها الترمذيُّ. وحكى عن البخاريِّ أنه قال: حديث مَعْمَر خطأ، لكن تابعَه شعيبُ بن أبي حمزةَ، ومحمد بن أبي عتيق عن الزهريِّ عن أبي سلمةَ عن أبي الرداد الليثيِّ، وتابع أبا الرداد عبدالله بن قارظ عن عبدالرحمن بن عوفٍ، رواه أبو يعلى بإسنادٍ صحيحٍ.

$\frac{41}{1469}$ عبيدالله بن زَحْرٍ الإفريقيُّ، مختلفٌ فيه، وثَّقه البخاريُّ وأحمد بن صالح المصريُّ، وأبو زُرعة وغيرهم، وضعَّفه أحمدُ وابنُ معينٍ وابنُ المديني وغيرهم، وليَّنه الحاكمُ والخطيبُ، واللين: الضعفُ الخفيفُ، وهو معنى قول الحافظ: هو في الأصل صدوقٌ يخطئ، وروايته عن أبي أمامة مرسلةٌ، لكن هذا الحديث حسن لأنَّ حديثَ زينب الثقفية شاهدٌ له.

$\frac{43}{1417}$ هذا الحديث تقدم قريبًا برقم (٣٤) وأم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، قُتل أبوها يومَ بدر كافرًا، أسلمتْ قديمًا وهاجرتْ إلى المدينةِ بعد النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم هربًا بدينها، قال ابن سعد: هي أول من هاجر إلى المدينة بعد هجرة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ولا نعلمُ قرشيةً خرجتْ من بين أبويها مسلمةً مهاجرةً إلى الله ورسوله إلا أمَّ كلثومٍ رضى الله عنْها.

$\frac{48}{1476}$ لعلَّ الحاكمَ اعتمد في تصحيحِه على توثيقِ ابنِ معينٍ لعبد الحميد بن الحسن الهلالي، لكن ضعَّفه عليُّ بن المدينيِّ وأبو زرعة، والدارقطنيُّ الذي

أخرج الحديث أيضًا.

$\frac{49}{1477}$ اعتقد الصحابةُ أنَّ ما كان في سبيل الله، لا يعدُو العبادةَ ولا يتجاوزُها، فأفهمهم النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أنَّ سعيَ الرجل علىٰ أولادِه أو علىٰ أبويه أو علىٰ نفسِه بقصدِ الاستغناءِ عن السؤال كلِّ ذلك طاعة في سبيل الله يثابُ عليه ثواب الصدقة إذا حسنتْ نيته وصدق في عمله.

$\frac{50}{1478}$ هذا طرفٌ من حديثِ سعدٍ في قصةِ مرضِه بمكةَ عامَ حجَّةِ الوداعِ وعيادة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم له، وقد أخرجه البخاريُّ في كتاب الجنائز، وكتاب الوصايا، وكتاب الطب وغيرها من "صحيحه"، ومسلم وأبو داود والترمذيُّ والنسائيُّ وابن ماجه كلّهم في الوصايا.

$\frac{54}{1482}$ قال الحافظ عليُّ بن عبدالعزيز البغويُّ في "مسنده": أنا القَعْنبيُّ: نا حاتم بن إسماعيل، عن يعقوب بن عمرو، عن الزبرقان بن عبدالله، عن أبيه، عن عمرو بن أمية قال: مرَّ عثمانُ أو عبدُالرحمن بن عوفٍ بمَرْطٍ فاستغْلاه فاشتراهُ عمرو بنُ أميةَ الضَّمرِيُّ فقال له عثمانُ أو عبدُالرحمن: ما فعلَ المرِطُ؟ قال: تصدَّقتُ به علىٰ سُخَيلةَ بنتِ عبيدةَ، فقال: أوكلَّما فعلتَ إلىٰ أهلِكَ صدقةً؟ فقال عمرو: سمعتُ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول ذلك، فذُكِرَ ما قال عمرو لرسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فقال: «صَدَقَ». رجاله ثقاتٌ. قلت:حصلَ هذا في عهدِ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

وحصل مثلُ هذه الحادثةِ لعمرو أيضًا بعد العهدِ النبويِّ، فروىٰ البزَّارُ بإسنادٍ ضعيفٍ عن عمرو بن أمية أنَّ عمرَ رضى الله عنه أتىٰ عليه في السُّوق

وهو يسومُ بمَرْطٍ، فقال: ماهذا يا عمرو؟ قال: مرْطٌ اشتريتُه فأتصدقُ به، فقال له عمر: فأنت إذًا. ثمَّ أتىٰ عليه فقال: يا عمرو ما صنعَ المريطُ؟ قال: تصدقتُ به، قال: علىٰ من؟ قال علىٰ رفيقة مرية -يعني امرأته غير سُخيلةَ السابقة- قال: أليس زعمتَ أنك تصدقت به؟ قال: بلىٰ؛ ولكن سمعتُ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**ما أعطيتُمُوهنَّ من شيءٍ فهو لكُم صَدقةٌ**». فقال عمر: يا عمرو لا تكذبْ علىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم. قال فوالله لا أفارقُكَ حتَّىٰ نأتي أمَّ المؤمنين عائشةَ. قال: يا عمرو لا تكذبْ علىٰ رسولِ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم. فاستأذنوا علىٰ عائشةَ رضي الله عنها، فقال عمرو: أنشُدكِ بالله أسمعتِ رسولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**مَا أعطيتُمُوهُنَّ فهُوَ لكُمْ صدقةٌ؟**» قالت: اللهُمَّ نعمْ؛ اللهمَّ نعمْ. فقال عمرُ: أين كنتُ عن هذا؟ ألهاني الصَّفقُ بالأسواقِ.

$\frac{59}{1487}$ لفظ رواية ابن حِبَّان في "صحيحه": «**منْ عَالَ بِنتَينِ أو ثلاثًا أو أُختَينِ أو ثلاثًا حتَّى يبنَّ أو يموتُ عنهنَّ كنتُ أنا وهوَ في الجنةِ كهاتَينِ**». وأشار بأصبعيهِ السبابة والتي تليها، ومعنىٰ «يبنَّ» ينفصلنَ عنه بزواجٍ مثلًا.

$\frac{60}{1488}$ قوله: «فقالتِ امرأةٌ: وبنتانِ» هذا يسمىٰ العطف التلقيني، أي قُل: وبنتان.

$\frac{67}{1495}$ «**الأرْمَلَةُ**» المرأة التي مات زوجُها وكانت فقيرةً، فإن كانتْ غنيةً فلا يقال لها أرملة.

ثواب كفالة اليتيم

وذكر قوله تعالىٰ: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [الإنسان: ٨]. أي الله، ف«علىٰ» للتعليل، أو علىٰ حبِّ الطعام، فـ«علىٰ» بمعنىٰ «مع»، ويذكر بعض المفسرين في سبب نزول هذه الآية قصةً مكذوبةً وضعها القُصَّاص تشتمل علىٰ شِعْرٍ ركيكٍ سخيفٍ لا يناسبُ فصاحةَ عليٍّ وفاطمةَ عليهما السَّلام، وقد رأيت بعضَ الأدعياء المعاصرين كتبَ يؤيدُ تلك القصةَ بكلامٍ سخيفٍ يناسب عقله وتفكيره.

$\frac{71}{1499}$ تقدم هذا الحديث برقم (١٨) وأشرنا إلىٰ الخلاف في اسم الصحابي، ونشير هنا إلىٰ بعض طرق الحديث.

قال البغويُ: حدثنا جدِّي: حدثنا أبو النضر: حدثنا شعبة، عن علي بن زيد، عن زرارة بن أوفىٰ، عن رجل من قومه يقال له: مالك، أو أبو مالك، عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**منْ ضَمَّ يتيمًا بينَ مسلمينِ إلى طَعَامِه وشَرابِه حتَّى يسْتَغني عنه وجبتْ له الجنةُ البتةَ**» الحديثُ.

حدثنا أبو خيثمة: حدثنا هُشيم فذكره. غير أنه قال: مالك بن الحارث.

ورواه الثوريُّ وهشيمٌ، عن علي بن زيد، عن زرارة بن أوفىٰ، عن مالك القشيري، وقال أبو داود الطيالسيُّ في "مسنده": حدثنا شعبة، عن قتادة، عن زرارة بن أوفىٰ، عن أبي بن مالك: أن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**من أدركَ والدَيهِ أو أحدَهُما ثمَّ دخلَ النَّارَ فأبعدَهُ الله**». تابعه عليُّ بن الجعدِ وغُنْدَرُ وعاصمُ بن علي وعمرو بن مرزوق وآدمُ بن أبي أياس وبهزُ بن أسد عن شعبةَ،

وله طرقٌ غير هذه، أصحُّها رواية شعبةَ، عن قتادة، عن زُرراة، عن أبي بن مالك. وفي "الأخبار المنثورة" لأبي دريد: «فقال: أبي بن مالك بن معاوية القشيري، وهو أخو نهيك بن مالك الشاعر المشهور...» فذكر قصة.

$\frac{72}{1500}$ «البتةَ» أي قطعًا «**إلا أنْ يعملَ ذنبًا لا يُغْفرُ**» هو الكفرُ، أو قتل مسلمٍ بغير حقٍّ.

$\frac{73}{1501}$ «أخَوَانِ» كذا بالأصول، والصوابُ «أخوينِ» وكذلك هو في السنن، وفي إسناد الحديث حماد بن عبدالرحمن الكلبيُّ، ضعيفٌ، عن إسماعيلَ بن إبراهيم الأنصاري مجهولٌ.

$\frac{75}{1503}$ في "صحيح مسلم" عن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**آتى بابَ الجنةِ فأستفتحُ، فيقولُ الخازنُ: من أنتَ؟ فأقول: محمَّدٌ، فيقولُ: بِكَ أمِرتُ ألا أفتحَ لأحدٍ قَبلَكَ**».

$\frac{79}{1507}$ إسناد هذا الحديث ضعيفٌ.

$\frac{83}{1511}$ قد يظهر الملَكُ للرجل الصالحِ ويبشره بخيرٍ كما في هذا الحديثِ، وكما في قصة مريم عليها السلام، حيث ظهر لها جبريل عليه السلام وبشرها. أو يسمع كلامَه ولا يراهُ كما صحَّ عن عمران بن حصين رضي الله عنه، أنه كان يسمعُ تسليمَ الملائكة عليه.

وكل ذلك لا يقتضي ثبوتَ النبوةِ لمن كلمته الملائكةُ أو سلمتْ عليه، لأنَّ النبوة لا تثبتُ إلا بتحقّقِ شرطين:

أحدهما: أن يقطعَ الإنسان بأن الذي يكلِّمُه ملَكٌ، بحيث لا يشك فيه كما

لا يشك في وجودِ نفسِه، والصالحُ ربما لا يعرفُ أن الذي كلَّمه ملكٌ، وإن عرفه فلا يجزم به، بل يجوز عنده أن يكون جنيًّا صالحًا أو شيطانًا أراد إغواءَه وتضليله.

ثانيهما: أن يكونَ ما يلقيه الملكُ إلى الإنسانِ تشريعًا خاصًّا يعمل به في نفسه، أو عامًّا يأمره بتبليغه إلى غيره، أما ما يكلم به الملكُ الرجلَ الصالحَ أو المرأةُ الصالحةُ فلا يتجاوزُ البشارةَ فقط.

$\frac{84}{1512}$ «زارَ فيَّ» أي زار أخاهُ حبًّا فيَّ، لا لغرضٍ آخرَ.

$\frac{86}{1514}$ قوله: «في حديث». قلت: بقيته «**ألا أخبرُكُم بنسائِكُم في الجنَّةِ؟**» قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «**كلُّ ودودٍ ولودٍ إذا غَضِبَتْ أو أسيءَ إليهَا أو غَضِبَ زوجُها قالتْ: هذهِ يدِي في يدِكَ لا أكتحلُ بِغمضٍ حتَّى ترضَى**»، وفي إسناده إبراهيمُ بن زياد القرشيُّ، قال المنذريُّ: «لم أقفْ فيه على جرحٍ ولا تعديل».

قلت: قال البخاريُّ فيه: «لا يصحُّ حديثُه»، وقال العقيليُّ: «يحدِّثُ عن الزهريِّ، وعن هشام بن عروة، فيحيل حديث الزهريِّ على هشام، وحديث هشام على الزهريِّ، ويأتي أيضًا عنهما بما لا يحفظُ».اهـ

وللحديث طريقان عن كعب بن عُجرةَ عند الطبرانيِّ بإسناد فيه متروكٌ، وعن ابن عبَّاسٍ عند الطبرانيِّ أيضًا بإسنادٍ فيه كذابٌ.

$\frac{87}{1515}$ قوله: «أسندوه إليه»، أي رجعوا إليه فيه، وصدروا عنه أي إذا قال شيئًا وقفوا عند رأيه ولم يتجاوزوه، ذلك لأن معاذاً جبل علم رضي الله عنه،

بنصِّ قوله عليه الصلاة السلام: «**أعلمُ أمَّتي بالحلالِ والحرامِ معاذُ بنُ جبلٍ**» قوله: «قد سبقني بالتهجير» أي التكبير إلى الصَّلاة: «**وللمتجَالِسِين فيَّ**» أي يتجالسون في محبتي بذكري «**وللمتزاوِرِين فيَّ**» أي يزورُ بعضُهم بعضًا لأجلي لا لغرض آخرَ. زاد الطبرانيُّ: «**والمتصَادِقين فيّ**» أي تكون بينهم صداقة لأجلي «**وللمتباذِلين في**» أي يبذل كلّ واحدٍ منهم لصاحبِه نفسَه وماله في مهماتِه في جميع حالاته في الله، وهذا الحديث صححه الحاكم على شرط الشيخين، وفيه ثبوت لقاء أبي إدريس لمعاذ خلافًا لمن نفاه.

$\frac{88}{1516}$ في "صحيح ابن حِبَّان" عن أبي مسلمٍ الخولانيِّ قال: قلتُ لمعاذٍ: والله أني لأحبُّك لغيرِ دنيا أرجو أن أصيبَها منك ولا قرابة بيني وبينك. قال: فلأي شيء؟ قلتُ: لله، قال: فجذبَ حبوتي ثم قال: أبشرْ إن كنتَ صادقًا، فإني سمعتُ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**المتحابُّونَ في الله في ظلِّ العرْشِ يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّه يغبطِهُم بمكانِهم النبيُّون والشُّهداءُ**». قال: ولقيت عبادة بن الصامتِ فحدثته بحديثِ معاذٍ، فقال: سمعتُ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول عن ربِّه تبارك وتعالى: «**حقَّتْ محبَّتي على المتحابِّينَ في، وحقَّتْ محبَّتي على المتناصِحِينَ فيَّ، وحقَّتْ محبَّتي على المتباذِلين فيَّ، هُمْ على منابرَ مِنْ نُورٍ، يَغبِطُهم النبيُّون والشُّهداءُ والصِّدِّيقُون**».

$\frac{96}{1525}$ في هذا الحديثِ دليلٌ على أنَّ العملَ المتعدِّي نفعُه إلى الغيرِ أفضلُ من العمل الذي يكونُ نفعُه قاصرًا على فاعلِه.

٥- تَخْريجُ أحاديثِ كتاب
"اللَّمُع في أصول الفقه"
لأبي إسحاق الشيرازي (ت ٤٧٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي مَنَّ علينا بالوصول إلى معرفة الأصول، وهدانا بصحيح المعقول إلى فهم غميض المنقول، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّدٍ سيِّد كلِّ نبيٍّ ورسول، وعلى آله وأزواجه وذريَّته ما هبَّت الصَّبا والشَّمُول.

أما بعد: فهذا كتابٌ خرَّجت فيه ما وقع من الأحاديث والآثار، في كتاب "اللمع" للإمام المحقِّق المُتقِن الوَرِع الزَّاهد العابد، إمام الشَّافعيَّة بلا منازعٍ، أبي إسحاق إبراهيم بن عليِّ بن يوسف الشِّيرازيِّ صاحب "المهذَّب" و"التبصرة" وغيرهما من الكتب التي سارت بذكرها الرُّكبان، تُوفِّي سنة ست وسبعين وأربعمائة رحمه الله تعالى ورضي عنه، وجمعني وإيَّاه في دار كرامته آمين.

وسلكتُ في التخريج سبيلًا وسطًا بين الاختصار والإطناب، فجاء - بحمد الله- عقدًا يُحلَّى به جيد الكتاب، جعله الله خالصًا لوجهه الكريم، إنَّه هو السَّميع العليم.

١ - حديث: «**لولا أنْ أُشَقَّ على أُمَّتي لأَمَرْتُهُمْ بالسِّواكِ عند كلِّ صَلاةٍ**».

متفقٌ عليه من حديث أبي هريرة، وهذا لفظ مسلمٍ.

ولفظ البخاريِّ: «**مع كلِّ صلاةٍ**»، ورواه أحمد وأبو يعلى مِن حديث أمِّ حبيبة بإسنادٍ رجاله ثقاتٌ، وعزاه الحافظ لابن أبي خيثمة في "التاريخ"، وقال: «إسناده حسنٌ». وله طرقٌ عن عائشة وزينب وعليٍّ والعبَّاس وابن عمر وابن عبَّاسٍ ورجلٍ من الصَّحابة وغيرهم.

٢- حديث: «**حُكْمِي على الواحِدِ حُكْمِي على الجماعَةِ**».

هكذا أورده المصنِّف رحمه الله تعالىٰ، ولا أصل له بهذا اللَّفظ، كما قال جماعةٌ من الحُفَّاظ، منهم المِزِّيُّ والذَّهبيُّ والعراقيُّ والسَّخاويُّ، نعم ورد ما قد يؤدِّي معناه، فروىٰ النَّسائيُّ مِن طريق مالكٍ، والترمذيُّ مِن طريق سفيان، كلاهما عن محمَّد بن المُنكَدِر: سمعت أميمة بنت رقيقة تقول: بايعتُ رسولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في نسوةٍ فقال لنا: «**فيما اسْتَطَعْتُنَّ وأَطَعْتُنَّ؟**» قلت: الله ورسوله أرحم بنا مِنَّا بأنفسنا. فقلت: يا رسول الله بايعنا، قال سفيان -يعني صافحنا-، فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «إنَّما قَوْلي لمائة امرأةٍ كقَوْلي لامرأةٍ واحدةٍ» لفظ الترمذيِّ، وقال: «حسنٌ صحيحٌ».

ولفظ النَّسائيُّ: «**ما قولي لامرأةٍ واحدةٍ إلَّا كقولي لمائة امرأةٍ**». وكذا رواه ابن حِبَّان في "صحيحه" والدَّارقطنيُّ في "الإلزامات".

٣- قوله: (**أنَّ ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما احتجَّ على عثمان رضي الله عنه في حجب الأم بالأخوين ... إلخ**).

ابن جرير والحاكم والبيهقيُّ مِن طريق شعبة مولىٰ ابن عبَّاسٍ عنه: أنَّه دخل علىٰ عثمان فقال: لِمَ صارَ الأَخَوانِ يَرُدَّان الأُمَّ إلىٰ السُّدسِ؟ وإنَّما قال الله: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ﴾ [النساء: ١١]، والأَخَوَانِ في لسان قومك وكلام قومك ليسا بإخوةٍ؟ فقال عثمان: لا أستطيع تغيير ما كان قبلي ومضىٰ في الأمصار وتوارث به النَّاس. صحَّحه الحاكم وليس بذلك، فإنَّ شعبة تكلَّم فيه الإمام مالكٌ، وضعَّفه النَّسائيُّ والله أعلم.

٤- حديث: «**جمع النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بين الصَّلاتين في السَّفَر**».

أحمد عن عبدالله بن عمر بهذا، وفي سنده الحجَّاج بن أرطأة.

وللبزَّار عن أبي هريرة نحوه بلفظ: «كان يجمع بين الصلاتين ...» إلخ. وإسناده ضعيفٌ.

ولأبي يعلىٰ عن ابن مسعودٍ مثله، ورجاله رجال "الصَّحيح" كما قال الحافظ الهيثميُّ، وأحاديث الجمع في "الصحيحين" وغيرهما، وإنَّما لم أذكرها؛ لأنَّها بمعنىٰ ما ذكره المؤلِّف لا بلفظه، وشرطي في هذا التخريج أنْ أحافظ علىٰ اللَّفظ الذي يذكره المؤلِّف ما وجدتُ إلىٰ ذلك سبيلًا.

٥- حديث: «**قضى النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالشُّفْعَةِ للجارِ**».

الطحاويُّ من طريق الثوريِّ، عن منصورٍ، عن الحكم، عمَّن سمع عليًّا وعبدالله يقولون: «قضىٰ النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بالجِوار». وأخرج أيضًا من طريق الثوريِّ، عن أبي حَيَّان، عن أبيه، عن عمرو بن حريث مثله. هذا غاية ما في الباب.

وأمَّا اللَّفظ الذي ذكره المؤلِّف رحمه الله تعالىٰ فليس بواردٍ.

٦- حديث: «**قضى النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالكفَّارة في الإفطار**».

قلت: هو بهذا اللَّفظ ليس بواردٍ كالذي قبله، لكن سيأتي إن شاء الله تعالىٰ حديث الأعرابيِّ الذي جامع في نهار رمضان، وهو بمعناه في الجملة.

٧ - حديث: «**لا صَلاةَ لجارِ المسجدِ إلَّا في المسجدِ**». الدَّارقطنيُّ والحاكم والديلميُّ من حديث أبي هريرة بهذا، وإسناده ضعيفٌ، وله طرقٌ عن عليٍّ

وجابرٍ وعائشة رضي الله عنهم، وليس له إسنادٌ ثابتٌ كما قال الحافظ في "التلخيص"، وإنَّما صحَّ مِن قول عليٍّ عليه السَّلام، كما قال الحافظ أبو محمَّد بن حزمٍ رحمه الله تعالىٰ.

٨ – حديث: «**لا نِكاحَ إلَّا بوَلِيٍّ**».

أحمد والأربعة إلَّا النَّسائيَّ، وابن حِبَّان والحاكم من حديث أبي موسىٰ، واختُلِف في وصله وإرساله، ورجَّح الترمذيُّ الموصول، وصحَّحه الحاكم، وأسند عن عليِّ بن المديني أنَّه صحَّحه أيضًا، وله طرقٌ جمعها الحافظ الدمياطيُّ في جزءٍ.

وفي الباب حديث عائشة: «**أيُّما امرأةٍ نَكَحَتْ نَفْسَهَا بغير إذن وَلِيِّها فنِكاحُها باطلٌ** ...» الحديث. حسَّنه الترمذيُّ، وصحَّحه الحاكم وأقره الذَّهبيُّ.

٩ – حديث: «**لا أُحِلُّ المسجدَ لـجُنبٍ ولا لحائِضٍ**».

أبو داود من طريق أفلت بن خليفة، عن جسرة بنت دجاجة، قالت: سمعت عائشة تقول: جاء رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ووجوه بيوت أصحابه شارعة في المسجد، فقال: «وجِّهُوا هذه البيوتَ عن المسجدِ» ثمَّ دخل النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ولم يصنع القوم شيئًا، رجاء أن ينزل فيهم رخصة، فخرج إليهم بعد، فقال: «**وجِّهُوا هذه البيوتَ عن المسجدِ، فإنِّي لا أُحلُّ المسجدَ لحائضٍ ولا جُنبٍ**». وروىٰ ابن ماجه من طريق أبي الخطَّاب الهَجَريِّ، عن مَحْدوجٍ، عن جَسْرَةَ، عن أُمِّ سلمة قالت: دخل رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم صرحة هذا المسجد فنادىٰ بأعلىٰ صوته: «**إنَّ المسجدَ لا يحلُّ**

لـجُنُبٍ ولا لحائِضٍ»، وكلا الإسنادين ضعيفان، والثاني أشدُّ ضعفًا، ورأيت الحافظ نقل في "التلخيص" عن ابن خزيمة أنَّه صحَّح الأول، وعن ابن القطَّان أنَّه حسَّنه، وكذا حسَّنه الحافظ ابن سيِّد النَّاس والله أعلم.

١٠- حديث: «رُفِعَ القَلَمُ عن ثلاثةٍ».

أبو داود والنَّسائيُّ وابن ماجه، عن عائشة أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «رُفِعَ القَلَمُ عن ثلاثةٍ، عن النَّائِمِ حتَّى يَسْتَيْقِظَ، وعن المُبْتَلَى حتَّى يَبْرَأَ، وعن الصَّبيِّ حتَّى يَكْبُرَ» إسناده صحيحٌ، ورواه أبو داود والترمذيُّ والنَّسائيُّ والحاكم من طرقٍ عن عليٍّ عليه السَّلام مرفوعًا وموقوفًا، وفي بعضها قصَّةٌ لعليٍّ مع عمر رضي الله عنهما، ورواه الحاكم من حديث أبي قتادة بإسنادٍ ضعيفٍ، ورواه أبو نعيمٍ في "تاريخ أصبهان" من حديث أنسٍ.

١١- حديث: «يُجْزِئُكَ ولا يُجْزِئُ أَحَدًا بَعْدَكَ».

الشَّيخان وأبو داود والترمذيُّ والنَّسائيُّ، عن البراء قال: خطبنا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يوم النَّحْرِ بعد الصَّلاة فقال: «مَن صَلَّى صَلاتَنَا، ونَسَكَ نُسُكَنَا، فقد أصابَ النُّسُكَ، ومَن نَسَكَ قبلَ الصَّلاةِ، فتِلْكَ شاةُ لـحْمٍ» فقام أبو بردة بن نِيارٍ فقال: يا رسول الله، والله لقد نَسَكْتُ قبل أنْ أخرجَ إلى الصَّلاةِ، وعرفتُ أنَّ اليومَ يومَ أكلٍ وشربٍ فتعجَّلتُ، فأكلتُ وأطعمتُ أهلي وجِيراني، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «تلك شاةُ لـحْمٍ» فقال: إنَّ عندي عَنَاقَ جَذَعَةٍ، وهي خيرٌ مِن شَاتَي لـحْمٍ، فهل تُجزئُ عنِّي؟ قال: «نعم، ولن تُجزئ عن أَحِدٍ بعدك».

١٢- حديث: «**لا يَرِثُ القَاتِلُ**».

الترمذيُّ والنَّسائيُّ في "الكبرىٰ" وابن ماجه، عن أبي هريرة عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**القاتِلُ لا يَرِثُ**». وفي إسناده إسحاق بن عبدالله بن أبي فروة، وهو متروكٌ.

وللدارقطنيِّ مِن حديث عمر رضي الله عنه: «**ليس للقاتِلِ مِيراثٌ**». وإسناده ضعيفٌ منقطعٌ، له طرقٌ عن ابن عبَّاسٍ، وعبدالله بن عمرو، وعمر بن شيبة ابن أبي كثير الأشجعيِّ، وعدي الجذاميِّ، بأسانيد ضعيفةٍ.

١٣- حديث: «**هلَّا أَخَذْتُمْ إِهابَها فدَبَغْتُمُوهُ فانْتَفَعْتُمْ به**».

رواه أحمد وأبو داود ومسلمٌ والترمذيُّ عن ابن عبَّاسٍ قال: تُصُدِّقَ علىٰ مولاةٍ لميمونة بشاةٍ فماتت، فمرَّ بها رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: «هلَّا أَخَذْتُمْ إِهابَها فدَبَغْتُمُوهُ فانْتَفَعْتُمْ به؟» فقالوا: إنَّها مَيْتَةٌ، فقال: «إنَّما حُرِّمَ أَكْلُها» رواه البخاريُّ أيضًا غير أنَّه لم يذكر «فدَبَغْتُمُوهُ».

١٤- حديث: «**لا تَنْتَفِعُوا مِن المَيْتَة بشيءٍ**».

البخاريُّ في "التاريخ"، عن عبدالله بن عُكَيْم، قال: حدَّثنا مشيخةٌ لنا من جهينة أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كتب إليهم: «**أنْ لا تَنْتَفِعُوا مِن المَيْتَةِ بشيءٍ**». ولأحمد والأربعة عنه قال: كتب إلينا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قبل وفاته بشهرٍ: «**أنْ لا تَنْتَفِعُوا مِن المَيْتَةِ بإهابٍ ولا عَصَبٍ**». وهذا الحديث مضطرب المتن، منقطع الإسناد، وقد كان أحمد بن حنبلٍ يقول به، ثُمَّ لما وقف علىٰ ما فيه من الاضطراب تركه، كما حكاه عنه الترمذيُّ في أبواب اللباس من "سننه".

على أنَّه لو صحَّ لما كان فيه معارضة لأحاديث الدَّبغ؛ لأنَّ الإهاب لا يطلق إلَّا على الجلد قبل دبغه، ومعلومٌ أنَّ الجلد لا يُنتفع به إلَّا بعد دبغه، والله أعلم.

١٥- حديث: «**خير الشُّهودِ مَن شَهِدَ قبل أنْ يُسْتَشْهَدَ**».

مالكٌ وأحمد ومسلمٌ والأربعة، عن زيد بن خالد الجهنيِّ، أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ألَا أُخْبِركُمْ بخير الشُّهداءِ؟ الذي يأتي بشَهَادَتِهِ قبل أنْ يُسْأَلها**». وفي لفظ ابن ماجه: «**خير الشُّهودِ مَن أدَّى شَهادَتَهُ قبل أنْ يُسْأَلها**».

١٦- حديث: «**شرُّ الشُّهُودِ مَن شَهِدَ قبلَ أنْ يُسْتَشْهَدَ**».

أحمد ومسلمٌ عن أبي هريرة قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**خيرُ أُمَّتي القَرْنُ الذي بُعِثْتُ فيه، ثُمَّ الذين يَلُونَهُمْ -والله أعلم أذكر الثالث أم لا- قال: ثُمَّ يَخْلُفُ أقوامٌ يَشْهَدونَ قبل أنْ يُسْتَشْهَدُوا**». ولابن أبي شيبة، عن عمرو بن شرحبيل مرسلًا: «**خيرُ النَّاسِ قَرْني ثُمَّ الذين يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الذين يَلُونَهُمْ، ثمَّ يَجيء أقوامٌ يَعْطُونَ الشَّهادَةَ قبل أنْ يُسْأَلوها**»، وفي الباب حديث عمران بن حصين عند الشَّيخين.

١٧- حديث: «**أيُّما إهابٍ دُبغَ فقد طَهُرَ**».

أحمد والترمذيُّ والنَّسائيُّ وابن ماجه وابن حِبَّان من حديث ابن عبَّاسٍ بهذا، قال الترمذيُّ: «حسنٌ صحيحٌ». ورواه الدَّارقطنيُّ مِن حديث ابن عمر، وقال: «إسناده حسنٌ».

وقال الحافظ: «إسناده على شرط الصِّحة، وأصل الحديث في "صحيح" مسلمٍ بلفظ: «**إذا دُبغَ الإهَابُ فقد طَهُرَ**».

١٨- حديث: «**فيما سَقَت السَّماء العُشر**».

عبدالله ابن الإمام أحمد في "زوائد مسند أبيه"، من حديث عليٍّ عليه السَّلام بهذا، وإسناده ضعيفٌ، وفي الباب حديث جابرٍ: «**فيما سَقَتِ السَّماءُ والأنهارُ والعيونُ العُشْرُ**» خرَّجه أحمد ومسلمٌ وأبو داود وابن خزيمة والنَّسائيُّ، وحديث ابن عمر نحوه، رواه البخاريُّ والأربعة.

١٩- حديث: «**ليس فيما دُونَ خَمْسَةِ أَوْسُقٍ مِن التَّمْرِ صَدَقَةٌ**».

مسلمٌ عن جابرٍ، عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أنَّه قال: «**ليس فيما دُونَ خَمْسِ أَوَاقٍ مِن الوَرِقِ صَدَقةٌ، وليس فيما دون خَمْسِ ذَوْدٍ مِن الإبلِ صَدَقةٌ، وليس فيما دُونَ خمسةِ أَوْسُقٍ مِن التَّمْرِ صَدَقةٌ**».

ولأحمد ومسلمٍ من حديث أبي سعيدٍ الخدريِّ: «ليس فيما دُونَ خمسةِ أوساقٍ مِن تَمْرٍ ولا حَبٍّ صَدَقةٌ».

٢٠- حديث: «النَّهي عن الصَّلاة عند طلوع الشَّمس».

أحمد ومسلمٌ والأربعة، عن عقبة بن عامرٍ قال: «ثلاث ساعاتٍ نهانا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أنْ نُصَلِّي فيهنَّ أو أنْ نقبر فيهنَّ موتانا: حين تطلع الشَّمس بازِغَةً حتَّىٰ ترتفعَ، وحين يقوم قائم الظَّهيرة، وحين تَضَيَّفُ للغُروبِ حتَّىٰ تَغْرُبَ». وفي الباب عن عمرو بن عَبَسَةَ عند أحمد ومسلمٍ وأبي داود.

٢١- حديث: «**مَن نامَ عن صلاةٍ أو نَسِيها فليُصَلِّها إذ ذَكَرها**».

مسلمٌ عن أنس بن مالكٍ قال: قال نبيُّ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن نَسي صَلاةً أو نام عنها، فكفَّارتُهُ أنْ يُصَلِّيها إذا ذَكَرَها**».

وفي الباب حديث أبي قتادة: «**ليس في النَّومِ تفريطٌ، إنَّما التفريط في اليقظةِ، فإذا نَسِيَ أَحَدُكُمْ صَلاةً، أو نامَ عنها، فليُصَلِّها إذا ذَكَرَها**». رواه أبو داود والترمذيُّ وصحَّحه، والنَّسائيُّ، وقال الحافظ: «إسناده على شرط مسلمٍ».

٢٢- قوله: «**روي عن عثمان وعليٍّ رضي الله عنهما في الجمع بين الأختين بملك اليمين...إلخ**».

قلت: أمَّا عليٌّ عليه السَّلام فأخرج ابن أبي شيبة قال: حدَّثنا وكيعٌ، عن شعبة، عن أبي عون الثَّقفيِّ، عن أبي صالحٍ الحفنيِّ قال: قال عليٌّ للنَّاس: سلوني. فقال ابن الكوَّا: حَدِّثنا يا أمير المؤمنين عن الأختين المملوكتين، وعن ابنة الأخ من الرضاعة فقال: أمَّا الأختين المملوكتان، فإنَّما أحلَّتهما آية، وحرَّمتهما أخرى، وإنِّي لا أحلُّه ولا أُحرِّمه، ولا آمر به ولا أنهى عنه، ولا أفعله أنا، ولا أحدٌ مِن أهل بيتي.

أمَّا ابنة الأخ من الرَّضاعة، فإنِّي ذكرتُ ابنة حمزة للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**إنَّها ابنة أخي مِن الرَّضاعَةِ**». ورواه البزَّار في "مسنده" قال: ثنا محمَّد بن معمر: ثنا وهب بن جرير: أنا شعبة به. ورواه أبو يعلى في "مسنده" قال: أخبرنا علي بن الجعد: ثنا شعبة به.

وأمَّا عثمان رضي الله عنه فروى الشَّافعيُّ في "مسنده"، وابن أبي شيبة في "المصنَّف" مِن طريق مالكٍ في "الموطأ" عن الزهريِّ، عن قبيصة بن ذؤيبٍ: أنَّ رجلًا سأل عثمان عن الأختين مِن مِلْكِ اليمين هل يجمع بينهما؟ فقال عثمان: أحلَّتهما آيةٌ وحرَّمتهما آيةٌ، فأمَّا أنا فلا أحب أن أصنع ذلك. قال: فخرج من عنده فلقي رجلًا من أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فسأله عن

ذلك؟ فقال: لو كان لي من الأمر شيءٌ، ثُمَّ وجدتُ أحدًا فعل ذلك لجعلته نكالًا. قال الزهريُّ: أراه علي بن أبي طالبٍ عليه السَّلام. قال ابن عبدالبر في "الاستذكار": إنَّما كنىٰ قبيصة بن ذؤيب عن عليٍّ، لصحبته عبدالملك بن مروان.

وهذا يناقض ما تقدَّم عنه، ولعلَّه تغير اجتهاده في ذلك كما حصل له في أمِّ الولد، فإنَّه رأىٰ في خلافة عمر ألَّا تباع، وأشار علىٰ عمر بذلك، ثُمَّ لما ولي الخلافة رأىٰ أن تُباع، ومثل ذلك يحصل كثيرًا له ولغيره.

(فائدة): ذكر الباجي في "المنتقىٰ": أنَّ السَّائل لعثمان رضي الله عنه هو قياذ الأسلميُّ.

٢٣- حديث: «إقراره صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قيسًا على صلاة ركعتي الفجر بعد الصبح».

الترمذيُّ من طريق سعد بن سعيدٍ، عن محمَّد بن إبراهيم، عن جدِّه قيس قال: خرج رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فأُقيمت الصَّلاة، فصلَّيت معه الصُّبح، ثُمَّ انصرف النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فوجدني أصلِّي، فقال: «**مَهْلًا يا قيسُ، أَصَلاتان مَعًا؟**» قلت: يا رسول الله إنِّي لم أكن ركعت رَكْعَتَي الفجر. قال: «فلا إذن». قال الترمذيُّ: حديث محمَّد بن إبراهيم لا نعرفه مثل هذا إلَّا من حديث سعد بن سعيدٍ. وقال سفيان بن عُيَيْنَة: سمع عطاء بن أبي رباحٍ مِن سعدٍ هذا الحديث، وإنَّما يروي هذا الحديث مرسلًا، وسعد هو أخو يحيىٰ بن سعيد الأنصاريِّ، وقيسٌ جدُّه، ويقال: قيس بن عمرو، ويقال: قيس بن قَهْدٍ، وإسناد هذا الحديث ليس بمتصلٍ، محمَّد بن إبراهيم التيميُّ لم يسمع من

قيسٍ.

وروىٰ بعضهم هذا الحديث عن سعدٍ، عن محمَّد بن إبراهيم: «أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم خرج فرأىٰ قيسًا» هذا كلام الترمذيِّ.

وروىٰ أبو داود من طريق سعد بن سعيدٍ، عن محمَّد بن إبراهيم، عن قيس ابن عمرو قال: رأىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم رجلًا يُصلِّي بعد صلاة الصُّبح ركعتين، فقال: «**صلاةُ الصُّبح ركعتان**» فقال الرجل: إنِّي لم أكن صلَّيتُ الركعتين اللَّتين قبلهما، فصليتهما الآن فسكت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

ثُمَّ أسند أبو داود عن ابن عُيَيْنَة كلامه المتقدِّم، ثُمَّ قال: «روىٰ عبد ربه ويحيىٰ ابنا سعيد هذا الحديث مرسلًا: أنَّ جدهم -زيدًا- صلَّىٰ مع النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بهذه القصة». اهـ

فتلخَّص مِن هذا أنَّ الحديث ضعيفٌ.

٢٤- حديث: «**النَّهي عن الصِّلاة بعد الصُّبح**».

متفقٌ عليه من حديث عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما، بلفظ: «نهىٰ النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن الصَّلاة بعد الفجر حتَّىٰ تطلعَ الشَّمسُ، وبعد العصر حتَّىٰ تغربَ الشَّمسُ».

وللشَّيخين مِن حديث أبي سعيدٍ: «**لا صلاةَ بعد صلاةِ العَصْرِ حتَّى تغربَ الشَّمسُ، ولا صلاةَ بعد صلاةِ الفجرِ حتَّى تطلعَ الشَّمسُ**».

٢٥ - قوله: (**روي عن عمر رضي الله عنه أنَّه حمل قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «الذَّهبُ بالذَّهبِ رِبًا إلَّا هاءَ وهاءَ» على القبض في المجلس**).

الشَّيخان عن مالك بن أوس بن الحَدَثان قال: أقبلتُ أقول: مَن يصطرف الدراهم؟ فقال طلحة بن عبيد الله -وهو عند عمر بن الخطاب- أرنا ذهبك، ثُمَّ ائتنا إذا جاء خادمنا، نعطك ورِقَكَ، فقال عمر: كلَّا والله، لتُعْطِينَّه وَرِقَهُ أو لترُدَّنَّ إليه ذَهَبَهُ، فإنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**الوَرِقُ بالذَّهبِ رِبًا إلَّا هاءَ وهاءَ، والبُرُّ بالبُرِّ ربًا إلَّا هاءَ وهاءَ، والشَّعير بالشَّعير ربًا إلَّا هاءَ وهاءَ، والتَّمر بالتمر ربًا إلَّا هاءَ وهاءَ**». وهذا لفظ مسلمٍ وكذا رواه الترمذيُّ وقال: «حسنٌ صحيحٌ».

٢٦- حديث: «**بئر بُضاعَةَ**».

أحمد وأبو داود والترمذيُّ وابن ماجه عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ قال: قيل يا رسول الله أتتوضَّأ مِن بئر بُضاعَةَ، وهي بئرٌ يُلقَىٰ فيها الحيضُ، ولحومُ الكلابِ، والنَّتْنُ؟ فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ الماءَ طَهُورٌ لا يُنَجِّسُهُ شيءٌ**».

وفي لفظٍ لأحمد وأبي داود: يُستقَىٰ لك مِن بئر بُضاعَةَ، وهي بئرٌ تُطرَحُ فيها محايض النِّساءِ، ولحمُ الكلابِ، وعُذَرُ النَّاس؟ فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ الماءَ طَهُورٌ...**» **الحديث**. حسَّنه الترمذيُّ وصحَّحه أحمد وابن معيَّنٍ والحاكم وابن حزمٍ وغيرهم.

٢٧- قوله: (حُكي عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما جواز تأخير الاستثناء).

قلت: أخرج سعيد بن منصور في "سننه" والطبرانيُّ في "الكبير" و"الأوسط" من طريق الأعمش، عن مجاهدٍ، عن ابن عبَّاسٍ: أنَّه كان يرىٰ الاستثناء ولو بعد سنةٍ، ثمَّ قرأ: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾

إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾[الكهف: ٢٣ - ٢٤] يقول: إذا ذكرت، وكذا رواه ابن جريرٍ، غير أنَّه قال: «ولو إلى سنةٍ» ورجال الإسناد ثقاتٌ، لكن له علَّة، وهي أنَّ الأعمش لم يسمع الأثر من مجاهدٍ.

قال ابن جريرٍ والطبرانيُّ: قيل للأعمش: سمعت هذا من مجاهدٍ؟ فقال: حدَّثني به ليث بن أبي سليم، عن مجاهدٍ.

قلت: والسَّائل للأعمش هو عيسى بن يونس، كما قال أبو موسى المديني، وليث معروف الحال.

(**تنبيهٌ**): ورد عن ابن عبَّاسٍ ما يعارض ما تقدَّم، وهو ما رواه الطَّبرانيُّ مِن طريق عبدالعزيز بن حصينٍ، عن ابن أبي نجيحٍ، عن مجاهدٍ، عن ابن عبَّاسٍ في قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ قال:إذا نسيت الاستثناء فاستثن إذا ذكرت، وقال: هي لرسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم خاصَّةً، وليس لأحدٍ منَّا أنْ يستثني إلَّا في صلة من يمينه، وعبدالعزيز ضعيفٌ.

٢٨- حديث: «**في سَائِمَةِ الغَنَمِ زكاةٌ**».

قلت: هو بهذا اللَّفظ ليس بواردٍ، كما نبَّه عليه الحُفَّاظ.

وفي معناه ما رواه البخاريُّ وابن ماجه من طريق محمَّد بن عبدالله بن المُثَنَّى، عن أبيه، عن ثمامة بن عبدالله بن أنسٍ، أنَّ أنسًا حدَّثه: أنَّ أبا بكرٍ رضي الله عنه كتب له هذا الكتاب لما وجَّهه إلى البحرين: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذه فريضةُ الصَّدَقةِ التي فرضها رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على المسلمين...»، وذكر كتابًا طويلًا في صدقة الماشية، فيه: «وفي صَدَقَةِ الغَنَمِ في سائِمَتِها إذا كانت أربعين، إلى عشرين ومائة شاة». لفظ البخاريُّ، وعبدالله بن

المثنَّىٰ اضطرب فيه قول ابن معينٍ، فقال مرةً: «صالحٌ»، ومرةً: «ليس بشيءٍ». وقال النَّسائيُّ: «ليس بالقويِّ». وقال العقيليُّ: «لا يتابع في أكثر حديثه». اهـ

لكن تابعه علىٰ حديثه هذا حمَّاد بن سلمة فرواه عن ثُمامة، أخرج هذه المتابعة أحمد عن أبي كاملٍ، وإسحاق بن راهويه في "مسنده" عن النضر بن شميل، والنَّسائيُّ من طريق شريح بن النعمان، وأبو داود والحاكم من طريق موسىٰ بن إسماعيل أربعتهم قالوا: حدَّثنا حمَّاد بن سلمة، عن ثُمامة به. قال الحاكم: «صحيحٌ علىٰ شرط مسلم، ولم يخرِّجاه هكذا، إنَّما انفرد بإخراجه البخاريُّ من وجهٍ آخر عن ثُمامة، وحديث حمَّاد أصح وأشفىٰ وأتم من حديث ابن المثنَّىٰ». اهـ وأقرَّه الحافظ الذَّهبيُّ.

وفي الباب حديث أبي بكر محمَّد بن عمرو بن حزمٍ، عن أبيه، عن جدِّه: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كتب إلىٰ أهل اليمن كتابًا فيه الفرائض والسُّنن والدِّيات وذكر حديثًا طويلًا فيه: «**وفي كلِّ أربعين شاةٌ سائمةٌ إلى أن تبلغَ عشرين ومائة شاةٍ**». رواه النَّسائيُّ وابن حِبَّان والحاكم والبيهقيُّ وصحَّحه مَن عدا الأول، ونقل الأخير عن أحمد أنَّه قال: أرجو أن يكون صحيحًا. وضعَّفه أبو داود وغيره والله أعلم.

٢٩- قوله: (**إنَّ الصَّحابةَ اختلفت في إيجابِ الغُسْلِ مِن الجماعِ مِن غير إنزالٍ، فقال بعضهم: لا يجبُ، واحْتَجُّوا بدليل الخطابِ في قولِ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «الماء من الماء»**).

قلت: أمَّا الحديث ففي "صحيح" مسلمٍ من حديث أبي سعيدٍ الخدري بلفظ: «**إنَّ الماءَ مِن الماءِ**» وفي سياقه قصَّةٌ.

ورواه أحمد من حديث عتبان بن مالكٍ باللَّفظ الذي ذكره المؤلِّف، وإسناده حسنٌ.

وأمَّا اختلاف الصَّحابة، ففي "صحيح مسلمٍ" عن أبي موسىٰ قال: «اختلف رَهْطٌ مِن المهاجرين والأنصار، فقال: الأنصاريون لا يجب الماء إلَّا من الدفق، أو مِن الماء. وقال المهاجرون: بل إذا خالط وجب الغسل. فقال أبو موسىٰ: أنا أشفيكم من ذلك. قال: فقمت فاستأذنت علىٰ عائشة، فأُذِنَ لي، فقلت: يا أُمَّاه أو يا أُمَّ المؤمنين إنِّي أريد أن أسألك عن شيءٍ وإنِّي أستحييك. فقالت: لا تستحي أن تسألني عمَّا كنت سائلًا عنه أمَّك التي ولدتك، فإنِّي أنا أمك. قلت: فما يوجب الغسل؟ قالت: علىٰ الخبير سقطت، قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا جَلَسَ بين شُعَبِها الأربع، ومَسَّ الخِتانُ الختانَ، فقد وَجَبَ الغُسْلُ**».

٣٠- حديث: «**إنما الأعمالُ بالنيَّاتِ**».

رواه أحمد والستة من حديث عمر رضي الله عنه.

٣١- حديث: «**إنَّما الولاءُ لمن أعتقَ**».

متفقٌ عليه من حديث عائشة رضي الله عنها، وهو طرفٌ من حديثٍ طويلٍ.

٣٢- حديث: «**لا تَبِعْ ما ليس عندك**».

أحمد والأربعة وابن حِبَّان في "صحيحه" من طريق يوسف بن ماهك، عن حكيم بن حزامٍ، قال: سألت رسوله الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقلت: يأتيني الرَّجل فيسألني من البيع ما ليس عندي، أبتاع له من السُّوق، ثُمَّ أبيعه.

قال: «**لا تَبِعْ ما ليس عندك**». قال الترمذيُّ: «حديثٌ حسنٌ».

وفي الباب حديث عمرو بن شعيبٍ، عن أبيه، عن جدِّه، أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لا يَحِلُّ سَلَفٌ وبَيْعٌ، ولا شرطان في بيع، ولا رِبْحُ ما لم يُضْمَنْ، ولا بَيْعُ ما ليس عندك**». رواه الأربعة وقال الترمذيُّ: «حسنٌ صحيحٌ».

٣٣- حديث: «**في كلِّ خمسٍ شاةٌ، في أربعٍ وعشرين من الإبل فما دونها الغَنَمُ**».

قلت: هذا طَرَفٌ من الكتاب الذي كتبه أبو بكرٍ رضي الله عنه لأنسٍ لما وجَّهه إلى البحرين، ولفظه: «**فيما دون خمسٍ وعشرين من الإبل الغنم، في كلِّ خمسِ ذَوْدٍ شاةٌ، فإذا بَلَغَتْ خمسًا وعشرين ففيها ابنة مَخاضٍ...**» الحديث. وتقدَّم تخريجه، وهذا اللَّفظ هنا لأحمد وأبي داود والنَّسائيِّ والبخاريِّ والدارقطنيِّ.

٣٤ - حديث: «**أُمِرْتُ أنْ أقاتلَ النَّاسَ حتَّى يقولوا: لا إله إلا الله...**» **الحديث**.

متفقٌ عليه من حديث أبي هريرة وابن عمر، وله طرق متعددة تواترَ بمجموعها، وقد ذكرت جملة منها في تخريج أحاديث "المنهاج" للبيضاويِّ.

٣٥- حديث: «**رُفع عن أُمَّتي الخطأُ والنِّسْيانُ**».

قال أبو القاسم الفضل ابن جعفر التميميُّ -المعروف بأبي عاصم- في "فوائده": ثنا الحسين بن محمَّدٍ: ثنا محمَّد بن مُصفًّى: ثنا الوليد بن مسلمٍ: ثنا الأوزاعيُّ، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عبَّاسٍ أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**رَفَعَ اللهُ عن أُمَّتي الخطأَ والنِّسْيانَ وما اسْتُكْرِهُوا عليه**». رجاله ثقاتٌ

غير أنَّ فيه انقطاعًا؛ لأن بشر بن بكر رواه عن الأوزاعيِّ، فأدخل عبيد بن عمير بين عطاءٍ وابن عبَّاسٍ.

كذلك خرَّجه الطبرانيُّ والدارقطنيُّ والحاكم بلفظ: «**تجاوز**» بدل «**رفع**» وقال الطبرانيُّ والبيهقيُّ: جوَّده بشر بن بكرٍ.

وفي الباب حديث أبي ذرٍّ: «**إنَّ اللهَ تجاوَزَ عن أُمَّتي الخطأَ والنِّسيانَ وما اسْتُكْرِهُوا عليه**» رواه ابن ماجه بإسنادٍ ضعيفٍ.

وحديث أبي بكرة: «**رَفَعَ اللهُ عن هذه الأُمَّة ثلاثًا: الخطأَ والنِّسْيانَ والأمرَ يُكْرَهُونَ عليه**». رواه أبو نُعيمٍ في "تاريخ أصبهان"، وابن عديٍّ في "الكامل" بإسنادٍ ضعيفٍ أيضًا.

وحديث أبي الدرداء نحوه، وحديث ثوبان كذلك رواهما الطبرانيُّ، وفي كلا إسناديهما ضعفٌ، كما قال الحافظ وغيره، فلا تغتر بتحسين المناويِّ لحديث ثوبان.

٣٦ - حديث: «**في الرِّقَّة رُبْعُ العُشْرِ**».

هو طَرَفٌ مِن كتاب أبي بكرٍ رضي الله عنه وتقدَّم تخريجه.

٣٧- حديث: «**الشهر هكذا هكذا**».

الحديث متفقٌ عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

٣٨- قوله: (**بيَّن -يعني النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم- فرائضَ الزَّكاة وغيرها من الأحكام في كتبٍ كتبها**).

قلت: كُتُبُ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في بيان الأحكام كثيرةٌ أُفردت بالتأليف، وتقدَّم منها في هذا التخريج كتاب أبي بكرٍ رضي الله عنه، وكتاب

عمرو بن حزمٍ.

٣٩- قوله: (**نصَّ -يعني النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم- على أربعة أعيانٍ في الرِّبا**).

مسلمٌ عن أبي هريرة عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**التَّمرُ بالتَّمرِ، والحِنْطة بالحِنطة، والشَّعيرُ بالشَّعير، والمِلح بالمِلح، مثلًا بمثل، يدًا بيدٍ، فمن زاد أو استزاد فقد أرْبَى إلَّا ما اختلف ألوانه**». ولأحمد والبخاريِّ مِن حديث أبي سعيدٍ نحوه.

ولأحمد ومسلمٍ مِن حديث عبادة بن الصامت: «**الذَّهبُ بالذَّهبِ، والفِضَّةُ بالفضَّةِ، والبُرُّ بالبُرِّ، والشَّعيرُ بالشَّعيرِ، والتَّمرُ بالتَّمرِ، والمِلحُ بالمِلحِ، مثلًا بمثل، سواءً بسواءٍ، يدًا بيدٍ، فإذا اخْتَلَفَتْ هذه الأصنافُ فبيعُوا كيف شئتم إذا كان يدًا بيدٍ**».

ولأبي داود والنَّسائيِّ وابن ماجه نحوه، وفي آخره من كلام عبادة: «وأمرنا أنْ نبيع البُرَّ بالشَّعير والشَّعير بالبُرِّ يدًا بيدٍ كيف شئنا».

٤٠- قوله: (**كآية: الشَّيخ والشَّيخةُ إذا زَنَيا فارْجُموهما البَتَّةَ، فهذا نُسِخَ رَسْمُهُ وحُكْمُهُ باقٍ**).

البيهقيُّ عن ابن عبَّاسٍ: أنَّ عمر رضي الله عنه قال في خطبته: إنَّ الله بعث محمَّدًا نبيًّا وأنزل عليه كتابًا، وكان فيما أنزل عليه آية الرَّجم، فتلوناها ووعيناها «الشَّيخ والشَّيخة إذا زَنَيا فارْجُموهما البتَّةَ نَكالًا مِن الله والله عزيزٌ حكيمٌ..» الحديث. وفي آخره: ولولا أنِّي أخشى أن يقول النَّاس زاد في كتاب الله لأثبته على حاشية المصحف.

وللترمذيِّ عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما عن عمر رضي الله عنه، قال: «إنَّ اللهَ بَعَثَ محمَّدًا بالحقِّ وأنزل عليه الكتاب، وكان فيما أنزل عليه آية الرَّجمِ، فرَجَمَ رسولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ورَجَمْنا بعده، وإنِّي خائفٌ أنْ يطول بالنَّاس زمانٌ فيقول قائلٌ: لا نجد الرَّجْمَ في كتاب الله فيضلوا بترك فريضةٍ أنزلها الله». قال الترمذيُّ: «حديثٌ صحيحٌ».

قلت: وأصله في "الصحيحين".

ولأحمد والنَّسائيِّ والحاكم عن زرٍّ قال: «قال لي أُبيٌّ رضي الله عنه: كم تعدُّون سورة الأحزاب؟ قال: قلت: ثلاثًا وسبعين آية، قال: لقد رأيتها وإنَّها لتعادل سورة البقرة، ولقد قرأنا فيها: الشَّيخ والشَّيخة إذا زَنَيَا...» إلخ. قال الحاكم: «صحيح الإسناد». وأقرَّه الذَّهبيُّ.

قلت: بيَّنت في غير هذا الموضع أنَّ نسخ لفظ آية لا يجوز عقلًا، وأنَّ الأحاديث الواردة بذلك آحاد لا تُثبِت قرآنيَّة ما ادُّعِي أنَّه قرآنًا، وإنَّما يعمل بها علىٰ أنَّها أحاديث فقط.

٤١- قوله: (**كالعِدَّةِ كانت حَوْلًا ثمَّ نُسِخَتْ بأربعة أشهرٍ وعشرًا**).

أبو داود والنَّسائيُّ بإسنادٍ فيه ضعفٌ، عن ابن عبَّاسٍ: «في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم﴾ [البقرة: ٢٤٠] الآية»، قال: نُسِخَ ذلك بآية الميراث بما فرض لهنَّ الرُّبع والثُّمن، ونسخ أجل الحول بأنْ جعل أجلها أربعة أشهرٍ وعشرًا.

ورواه النَّسائيُّ في قول عكرمة، وفي إسناده ضعفٌ أيضًا.

وللبخاريِّ عن ابن الزبير: قال: قلت: لعثمان رضي الله عنه: ﴿وَٱلَّذِينَ

يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ قد نَسَخَتْها الآيةُ الأخري فلِمَ تكتبها؟ أو تَدَعُها؟ قال: يا ابن أخي لا أُغيِّرُ شيئًا من مكانه.

٤٢- قوله: (**كتَحريمِ الرَّضاعِ كان بعشْرِ رَضَعَاتٍ وكان مما يُتلَى، فنُسِخَ الرَّسْمُ والحُكْمُ جميعًا**).

مالكٌ والدَّارميُّ ومسلمٌ وأبو داود والترمذيُّ والنَّسائيُّ عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان فيما أُنزل من القرآن عشرُ رضعاتٍ معلوماتٍ يحرِّمن، ثمَّ نُسخ بخمسٍ معلوماتٍ، فتوفِّي رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وهنَّ فيما يُقرأ من القرآن»، ومعنى كلامها: أنَّ النَّسخ بخمس رضعاتٍ تأخَّر إنزاله، وكان نسخ لفظه قُبيل موت النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بيسيرٍ، فكان بعض النَّاس يجعل الخمس رضعات قرآنًا لعدم اطلاعه على نسخ لفظها لقرب عهده.

وقد أخرج ابن ماجه عن عائشة أيضًا قالت: «وكان فيما أُنزل مِن القرآنِ ثُمَّ سقط: لا يحرم إلَّا عشر رضعاتٍ أو خمس معلوماتٍ».

٤٣- حديث: «**الثَّيِّبُ بالثَّيِّبِ جَلْدُ مائةٍ والرَّجْمُ**».

أحمد ومسلمٌ والأربعة إلَّا النَّسائيَّ عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**خُذُوا عَنِّي، خُذُوا عَنِّي، البِكْرُ بالبِكْرِ جَلْدُ مائةٍ ونَفْي سَنَةٍ، والثَّيِّبُ بالثَّيِّبِ جَلْدُ مائةٍ والرَّجْمُ**».

٤٤- قوله: (**وروي أنَّه -يعني صلَّى الله عليه وآله وسلَّم- رجم ماعِزًا ولم يَجْلِدْهُ**).

قلت: هنا المعنى متواترٌ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رواه الستة من حديث أبي هريرة.

ورواه أيضًا -إلَّا ابن ماجه- من حديث جابرٍ وابن عبَّاسٍ.

ورواه مسلمٌ من حديث جابر بن سمرة وأبي سعيد وبريدة، انظر بقيَّة طُرقه في "الأزهار المتناثرة" للسُّيوطيِّ.

وفي "صحيح مسلم" عن بُرَيْدَةَ حديث رجم الغامِديَّة، ولم يذكر فيه «جلد». وفيه عن عمران بن حصين نحو ذلك في امرأةٍ من جهينة وفي "الصحيحين" أحاديث نحو ذلك.

٤٥- حديث: «**كنتُ نَهَيْتُكُمْ عن زيارَةِ القُبُورِ فزُورُوها**».

ابن ماجه من حديث ابن مسعودٍ بهذا، غير أنَّه قال: «**فزُورُوا القُبُورَ فإنَّها تُزَهِّدُ في الدُّنيا وتُذَكِّرُ الآخِرَةَ**». وإسناده صحيحٌ.

ولأحمد بإسنادٍ رجاله رجال "الصحيح" من حديث أبي سعيدٍ الخدريِّ: «**إنِّي نَهَيْتُكُمْ عن زِيارَةِ القُبُورِ فزُورُوها فإنَّ فيها عِبْرَةً**».

ولمسلمٍ مِن حديث بُريدةَ: «**نَهَيْتُكُمْ عن زيارَةِ القُبُورِ فزُورُوها**».

ورواه الترمذيُّ بلفظ: «**قد كنتُ نَهَيْتُكُمْ عن زيارَةِ القُبُورِ فقد أُذِنَ لمُحَمَّدٍ في زيارةِ قَبْرِ أُمِّهِ، فزُورُوها فإنَّها تُذَكِّرُ الآخِرَةَ**». ثم قال: «حسنٌ صحيحٌ».

٤٦ - حديث طَلْق بن عليٍّ: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم سُئل عن مسِّ الذَّكرِ وهو يبني مسجد المدينة، فلم يُوجِب منه الوضوء. أحمد والأربعة والدَّارقطني من طريق قيس بن طلق، عن أبيه، عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: أنَّه سُئل عن الرجل يَمُسُّ ذكره أعليه وضوء؟ فقال: «إنَّما هو بضعةٌ منك».

رواه ابن حِبَّان والحازمي وذكر حكاية بناء مسجد المدينة، وصحَّحه ابن

حِبَّان. وقال الترمذي: هو أحسن شيءٍ روي في هذا الباب. وصحَّحه عمرو بن علي الفلاس. وقال الطَّحاوي: إسناده مستقيمٌ غير مضطربٍ.

وضعَّفه الشَّافعي وأبو حاتم وأبو زرعة والدَّارقطني والبيهقي وابن الجوزي ثمَّ على فرض صحته كما قال الأوَّلون، فهو منسوخٌ بحديث بسرة وغيره كما قال ابن حِبَّان والطبراني وابن العربي والحازمي وجماعةٌ.

٤٧- حديث أبي هريرة في إيجاب الوضوء من مسِّ الذَّكر.

أحمد والشَّافعي والطبراني وابن حِبَّان واللَّفظ له والدَّارقطني والحاكم من طريق يزيد النوفلي. زاد الشَّافعي وابن حِبَّان: ونافع بن أبي نعيم، كلاهما عن المقبري، عن أبي هريرة مرفوعًا: «**إذَا أفْضَى أحدُكم بيدِه إلى فرجِهِ وليس بينهما سِترٌ ولا حائلٌ، فليتوضَّأ**». قال ابن حِبَّان عقب تخريجه: واحتجاجنا في هذا بنافع دون يزيد بن عبدالملك.

قلت: لأنَّه ضعيفٌ. وقال في موضعٍ آخر من "صحيحه": «هذا حديثٌ صحيحٌ سنده، عدولٌ نَقَلَته».اهـ

وفي الباب عن جابر، وعبدالله بن عمرو، وزيد بن خالد، وسعد بن أبي وقَّاص، وابن عبَّاسٍ، وابن عمر، وطلق بن علي، والنعمان بن بشير، وأُبي بن كعب، ومعاوية بن حيدة، وقبيصة، وعائشة، وأم حبيبة، وأم سلمة، وأنس، وأروى بنت أنيس، وبسرة بنت صفوان، وغيرهم. انظر "التلخيص الحبير".

٤٨- قوله: (إنَّ القبلةَ حُوِّلت إلى الكعبةِ وأهلُ قباء يُصلُّون إلى بيت المقدس، فأُخْبِروا بذلك وهم في الصَّلاة فاستداروا ولم يُؤْمَروا بالإعادةِ) الشَّيخان، عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: «بينما النَّاس في صلاة الصُّبح في

قباء، إذ جاءهم رجلٌ فقال: إنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أُنزل عليه اللَّيلة قرآن، وأمره أنْ يستقبل الكعبة ألا فاستقبلوها، ووجوه النَّاس إلى الشَّام، فاستداروا موجِّهين إلى الكعبة».

(تنبيهٌ): وقع مثل ذلك لبني سلمة أيضًا، فروىٰ أحمد ومسلم وأبو داود عن أنسٍ قال: «كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يُصلِّي نحو بيت المقدس، فنزلت: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [البقرة: ١٤٤] الآية، فمرَّ رجلٌ من بني سلمة وهم ركوعٌ في صلاة الفجر، وقد صلُّوا ركعة فنادىٰ: ألا إنَّ القبلة قد حُوِّلت، فمالوا كما هم نحو القبلة».

٤٩- قوله: **(ولأنَّ الصَّحابة كانوا يرجعون فيما أُشْكِل عليهم إلى أفعاله فيقتدون به).**

سبق أنَّ الصَّحابة اختلفوا في الذي يجامع ولا يُنزل، هل عليه غسلٌ؟ وأنَّهم رجعوا إلىٰ عائشة، فأفتت بوجوب الغُسل. وروىٰ الشَّافعي في "الأم" عن القاسم، عن عائشة قالت: «إذا التقىٰ الختانان فقد وجب الغُسل، قالت: فعلته أنا ورسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فاغتسلنا».

٥٠- حديث: **«النَّهي عن الصَّلاة بعد العصر»**. تقدَّم في حديث النَّهي عن الصَّلاة بعد الصُّبح.

٥١- حديث: **«أنَّ النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم صلى بعد العصر صلاةً لها سبب».**

الشَّيخان عن أم سلمة أنَّ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم صلَّىٰ في بيتها ركعتين بعد صلاة العصر، فأرسلت إليه الجارية تقول له: يا رسول الله! أم

سملة سمعتك تنهىٰ عن هاتين الركعتين، وأراك تصليهما؟! فقال: «**أتاني ناسٌ من بني عبدالقيس، فشغلوني عن الرَّكعتين اللَّتين بعد الظُّهر، فهما هاتان**».

وللنَّسائي بإسنادٍ صحيحٍ عن أم سلمة قالت: «شُغِلَ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن الركعتين قبل العصر فصلاهما بعد العصر».

وفي "صحيح" مسلم عن عائشة نحو ذلك.

٥٢ – حديث: «**النَّهي عن القَودِ في الطرف قبل الاندمال**».

أبو بكر وعثمان ابن أبي شيبة، عن ابن علية، عن أيوب، عن عمرو بن دينار، عن جابر: «أنَّ رجلًا جرح فأراد أنْ يستقيد، فنهىٰ النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أنْ يستقاد من الجارح حتىٰ يبرأ المجروح». هكذا رواه الدَّارقطني وقال: أخطأ فيه ابنا أبي شيبة، وخالفهما أحمد بن حنبل، وغيره، فرووه عن ابن علية، عن أيوب، عن عمرو مرسلًا. وكذلك قال أصحاب عمرو بن دينار عنه، وهو المحفوظ يعني: المرسل.

وروىٰ عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده: أنَّ رجلًا طعن رجلًا بقرنٍ في ركبته، فجاء إلىٰ النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: أقدني، فقال: «**حتى تبرأ**»، ثمَّ جاء إليه فقال: أقدني، فأقاده. ثمَّ جاء إليه فقال: يا رسول الله! عرجت، قال: «**قد نهيتك فعصيتني، فأبعدك الله وبطل عرجك**»، ثمَّ نهىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أنْ يقتص من جرحٍ حتىٰ يبرأ صاحبه. خرَّجه أحمد والدَّارقطني، وقال الحافظ: أُعلَّ بالإرسال.

٥٣ – حديث: «**أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم سمع رجلًا يقول: الرجل يجد مع امرأته رجلًا...**» الحديث.

أحمد ومسلم عن عبدالله بن مسعود، قال: كنا جلوسًا عشيَّة الجمعة في المسجد، فقال رجلٌ من الأنصار: أحدنا إذا رأىٰ مع امرأته رجلًا إنْ قتله قتلتموه، وإنْ تكلَّم جلدتموه، وإنْ سكت سكت علىٰ غيظٍ، والله لئن أصبحت صحيحًا لأسألنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: فسأله فقال: يا رسول الله إنَّ أحدنا إذا رأىٰ مع امرأته رجلًا إنْ قتله قتلتموه، وإنْ تكلَّم جلدتموه، وإن سكت سكت علىٰ غيظٍ، اللَّهم احكم. قال: فنزلت آية اللِّعان فكان ذلك الرجل أول من ابتلي به.

٥٤- حديث: «**أنَّ معاذًا كان يُصلِّي العشاء مع النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ثمَّ يأتي قومه في بني سلمة، فيصلِّي بهم، هي له تطوَّع ولهم فريضة العشاء**». متفقٌ عليه عن جابر غير قوله: «وهي له تطوع ... إلخ».

فرواه الإمام الشَّافعي، والدَّارقطني بإسنادٍ صحيحٍ كما قال الحافظ، وردَّ الطَّحاوي حيث زعم أنَّه مدرجٌ في كلام جابر، انظر "الفتح".

٥٥ – حديث: «**كنَّا نُجامِعُ على عهد رسولِ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ونكسل ولا نغتسل**».

البزَّار والطبراني في "الكبير" عن عبيد بن رفاعة، عن أبيه قال: كنَّا نفعله علىٰ عهد رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فإذا لم ننزل لم نغتسل. ورجال إسناده رجال الصَّحيح غير ابن إسحاق وهو وإنْ كان ثقة، مدلِّسٌ.

٥٦ – قوله: «**ولهذا قال عليٌّ رضي الله عنه حين رُوي له ذلك: أو علم رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم**».

أحمد والطبراني عن رفاعة بن رافع، وكان عَقَبِيًّا بدريًّا رضي الله عنه، قال:

«كنت عند عمر رضي الله عنه فقيل له: إنَّ زيد بن ثابت رضي الله عنه يفتي النَّاس في المسجد برأيه في الذي يجامع ولا ينزل، قال: اعجل عليَّ به. فأتي به، فقال: يا عدو نفسه! أَوَلقد بلغتَ أنْ تُفتي النَّاس في مسجد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم برأيك؟ قال: ما فلعتُ، ولكن حدَّثني عمومتي عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، قال: أيُّ عُمُومَتِك؟ قال: أُبيَّ بن كعبٍ وأبو أيوبَ ورفاعةُ بن رافع. فالتفت عمر إليَّ فقال: ما يقول هذا الغلام؟ فقلت: كنَّا نفعله على عهد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: سألتم عنه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؟ قلت: كنا نفعله على عهده. قال: فجمع النَّاس، واتفق النَّاس على أنَّ الماء لا يكون إلَّا من الماء، إلَّا علي بن أبي طالب، ومعاذًا رضي الله عنهما فقالا: إذا جاوز الختان الختان وجب الغسل قال: فقال عليٌّ: يا أمير المؤمنين إنَّ أعلم النَّاس بهذا أزواج النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فأرسل إلى حفصة رضي الله عنهما، فقالت: لا علم لي، فأرسل إلى عائشة رضي الله عنهما قالت: إذا جاء الختان الختان وجب الغسل، قال: فتحطَّم عمر رضي الله عنه -يعني تغيَّظ- ثمَّ قال: لا يبلغني أنَّ أحدًا فعله إلَّا أنهكته عقوبة». الحديث ورجال أحمد رجال الصَّحيح، غير ابن إسحاق وتقدَّم أنَّه ثقةٌ مدلِّسٌ.

٥٧ - حديث: «**الأعرابي الذي سأل عن الجِماع في رمضان**».

أحمد والشَّيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ إلى النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: هلكت يا رسول الله قال: «**وما أهْلَكَكَ؟**» قال: وقعت على امرأتي في رمضان، قال: «**اعتقْ رقبةً**». قال: لا أجدها. قال: «**صمْ شهرين متتابِعَين**». قال: لا أطيق. قال: «**أَطْعِم ستين مِسْكينًا**» قال: لا. قال: ثمَّ

جلس فأتى النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعرق فيه تمر، قال: «**تصدَّق بهذا**». قال: على أفقر منا فما بين لابتيها أحوج إليه منا. فضحك النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حتى بدت نواجذه، ثمَّ قال: «**اذهب فأطعمه أهلك**».

٥٨ – قوله: (**رجع عمر رضي الله عنه إلى حديث حمل بن مالك في دية الجنين**).

أبو داود والنَّسائي من طريق سفيان، عن عمرو، عن طاوس، قال: «قام عمر رضي الله عنه على المنبر يسأل عن قضية النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في ذلك، فقام حمل بن مالك بن النَّابغة، فقال: كنت بين امرأتين فضربت إحداهما الأخرى بمسطح فقتلتها وجنينها، فقضى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في جنينها بغُرَّةِ عبدٍ أو أمةٍ، فقال عمر: الله أكبر لو لم أسمع بهذا لقضينا بغير هذا».

ورواه الشَّافعي في "الرسالة" من طريق سفيان عن عمرو بن دينار، وابن طاوس عن طاوس: «أنَّ عمر قال: أذكرالله امرأ سمع من النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في الجنين شيئًا، فقام حمل بن مالك ...» وذكر ما تقدَّم، غير أنَّه قال: «فألقت جنينًا ميتًا». ولم يقل: «فقتلتها» وفيه انقطاعٌ بين طاوس وعمر، وأصل القصة في "الصحيحين".

٥٩ – قوله: (**ورجع عثمان رضي الله عنه في السكنى إلى حديث فريعة بنت مالك**).

أخرج مالكٌ والشَّافعي وأحمد والأربعة وابن حِبَّان والحاكم والطبراني من طريق سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة، عن عمته زينب بنت كعب: أنَّ

الفريعة أخت أبي سعيد الخدري أخبرتها أنَّها جاءت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم تسأله أنْ ترجع إلىٰ أهلها في بني خدرة، وأنَّ زوجها خرج في طلب أعبد له أبِقوا، حتىٰ إذا كان بطرف القدوم لحقهم، فقتلوه... الحديث. وفيه: فقال لها النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**امكُثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله**» قالت: فاعتددت فيه أربعة أشهرٍ وعشرًا. قالت: فلما كان عثمان رضي الله عنه أرسل إليَّ فسألني عن ذلك، فأخبرته فاتبعه وقضىٰ به. قال الترمذي حسنٌ صحيحٌ، وصحَّحه الحاكم وأقرَّه الذَّهبي، وأعلَّه ابن حزم، وتبعه عبدالحق بجهالة حال زينب، وبأنَّ سعد بن إسحاق غير مشهور العدالة، وتعقبهما ابن القطَّان بأنَّ سعدًا وثَّقه النَّسائي، وابن حِبَّان، وزينب وثَّقها الترمذي.اهـ

٦٠- قوله: (**وقال عليٌّ رضي الله عنه: إذا حدَّثني أحدٌ عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أحلفته فإذا حَلِف لي صدقته، إلَّا أبا بكر رضي الله عنه، وحدَّثني أبو بكر وصدق أبو بكر**).

أحمد وأبو داود والترمذي والنَّسائي وابن ماجه وابن حِبَّان في "الصحيح" عن عليٍّ عليه السَّلام قال: «كنت رجلًا إذا سمعت من رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حديثًا نفعني الله منه بما شاء أنْ ينفعني وإذا حدَّثني أحدٌ من أصحابه استحلفته فإذا حلف لي صدقته، وأنَّه حدَّثني أبو بكر رضي الله عنه، وصدق أبو بكر، قال: سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**ما من عبدٍ يُذنِب ذنبًا فيحسنُ الطَّهور، ثمَّ يقوم فيصلِّي ركعتين ثمَّ يستغفر الله، إلَّا غفر له**» ثمَّ قرأ هذه الآية: ﴿ **وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ** ﴾ [آل عمران: ١٣٥] إلىٰ آخر الآية.

٦١- قوله: (**ورجع ابن عمر رضي الله عنهما إلى خبر رافع بن خديج رضي الله عنه في المخابرة**).

الشَّافعي عن سفيان بن عُيينة، عن عمرو بن دينار ، سمع ابن عمر يقول : «كُنَّا نُخابر ولا نرىٰ بذلك بأسًا، حتىٰ زعم رافع بن خديج أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم نهىٰ عنها، فتركناها من أجل قول رافع».ورواه مسلمٌ بمعناه عن أبي بكر بن شيبة وغيره عن ابن عيينة .

٦٢- قوله: (**ورجعت الصَّحابة إلى حديث عائشة رضي الله عنها فى التقاء الختانين**). قلت. تقدَّم قبل.

٦٣- قوله: (**وذكروا ذلك فى خبر التفليس والقرعة والمصرَّاة**).

أما خبر التفليس فرواه أحمد والستة، عن أبي هريرة قال، قال النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**من أدرك ماله بعينه عند رجلٍ أفلس -أو إنسانٍ قد أفلس- فهو أحقُّ به من غيره**».

ولأحمد وأبي داود بإسنادٍ حسنٍ من طريق الحسن، عن سمرة مرفوعًا: «**من وجد متاعَه عند مُفْلِسٍ بعينِه فهو أحقُّ به**».

وأمَّا خبر القرعة فرواه البخاري عن أبي هريرة قال: «عرض النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ قوم اليمين فأسرعوا، فأمروا أنْ يُسهم بينهم في اليمين أيُّهم يحلف».

ولأبي داود والنَّسائي من حديثه: أنَّ رجلين اختصما إلىٰ النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في متاعٍ ليس لواحدٍ منها بيِّنة، فقال النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**اسْتهِما على اليمين ما كان أحبَّا ذلك أو كرِهَا**».

ولأحمد وأبي داود من حديثه أيضًا: «**إذا كره الاثنان اليمينَ، أو استحبَّاها فليسْتَهِما عليها**».

وقد وردت القرعة في مسائل غير اليمين، ذكرها البخاري بباب القرعة من كتاب الشهادات.

وأمَّا خبر المصراة فرواه أحمد والشَّيخان، عن أبي هريرة أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لا تُصِرُّوا الإبلَ والغنمَ، فمن ابتاعَهَا بعد ذلك فهو بخير النَّظريْن بعد أنْ يحلِبها، إنْ رضِيَها أمسَكَهَا، وإنْ سَخِطها ردَّها وصاعًا من تمرٍ**». وله في "الصحيحين" ألفاظ.

٦٤ – قوله: (**رد عليٌّ كرَّم الله وجهَهَ شهادةَ أبي سنان الأشجعيِّ وقال: بوَّال على عقِبيْه**).

البيهقي من طريق سعيد بن منصور: نا هشيم: أنا أبو إسحاق الكوفي عن مزيدة بن جابر، أنَّ عليًّا عليه السَّلام قال: «لا نقبل قول أعرابي من أشجع على كتاب الله».

وعزاه في "الروض النضير" للقاضي زيد بلفظ: «لا نقبل حديث أعرابي بوال على عقبيه، فيما يخالف كتاب الله وسنَّة رسوله». وحديث أبي سنان الذي ردَّه عليٌّ عليه السَّلام هو مارواه أحمد والأربعة، عن علقمة عن ابن مسعود رضي الله عنه: أنَّه سُئل عن رجلٍ تزوَّج امرأةً، ولم يفرض لها صداقًا، ولم يدخل بها حتى مات، فقال ابن مسعود: لها مثل صداق نسائها، لا وكس ولا شطط، وعليها العدة ولها الميراث، فقال: معقل بن سنان الأشجعي، فقال: قضى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في بَروع بنت واشق امرأة منا مثل ما

قضيت، ففرح بها ابن مسعود رضي الله عنه. صحَّحه الترمذي وابن حزم، وجماعة. وذلك الكلام لا يصح عن عليٍّ عليه السَّلام؛ لأنَّ في الإسناد إليه أبا إسحاق الكوفي وهو متفقٌ على ضعفه.

٦٥ – قوله: **(أمَّا أبو بكرة ومن جلد معه في القذف)** إلخ، علَّقه البخاري في "الصحيح" فقال: وجلد عمر أبا بكرة وشبل بن معبد ونافعًا بقذف المغيرة، ثمَّ استتابهم، قال: من تاب قبلت شهادته.

ووصله الشَّافعي في "الأم" قال: أخبرنا سفيان: سمعت الزَّهري يقول: «زعم أهل العراق أنَّ شهادة المحدود لا تجوز، فأشهد لأخبرني فلان أنَّ عمر بن الخطاب قال لأبي بكرة: تُب وأقبل شهادتك. قال سفيان: سمى الزُّهري من أخبره، فحفظته ثمَّ نسيته، فقال لي عمر بن قيس: هو ابن المسيب.

قال الحافظ: ورواه ابن جرير من وجهٍ آخر عن سفيان فسمَّاه ابن المسيب، قال: وكذلك رويناه بعلوٍ من طريق الزَّعفراني، عن سفيان اهـ.

ورواه ابن جرير في "التفسير" من طريق ابن إسحاق عن الزَّهري، عن سعيد بن المسيب: أنَّ عمر رضي الله عنه ضرب أبا بكرة وشبل بن معبد ونافع بن الحرث بن كلدة الحد، وقال لهم: من أكذب نفسه قَبلت شهادته فيما يستقبل، ومن لم يفعل لم أُجز شهادته فأكذب شبل نفسه ونافع، وأبَى أبو بكرة أنْ يفعل.

وروى عمر بن شبة في "أخبار البصرة" من طريق سليمان بن كثير، عن الزُّهري عن سعيد بن المسيب: «أنَّ عمر حين شهد أبو بكرة ونافع وشبل على المغيرة وشهد زياد على خلاف شهادتهم، جلدهم عمر واستتابهم، وقال: من

رجع منكم عن شهادته قبلت شهادته فأبىٰ أبو بكرة أنْ يرجع».

وروىٰ الطَّحاوي من طريق محمَّد بن مسلم الطَّائفي عن إبراهيم بن ميسرة، عن سعيد بن المسيب قال: شهد علىٰ المغيرة أربعةٌ، فنكل زياد بن أبي سفيان فجلد عمر الثلاثة واستتابهم، فتاب الاثنان، وأبىٰ أبو بكرة أنْ يتوب، فكان يقبل شهادتهما حين تابا، وكان أبو بكرة لا يقبل شهادته؛ لأنَّه أبىٰ أنْ يتوب، وكان مثل التصوم في العبادة».

وروىٰ الطحاوي والطبراني والبهيقي من طريق عبدالكريم بن رشيد، عن أبي عثمان النَّهدي قال: «جاء رجلٌ إلىٰ عمر رضي الله عنه فشهد علىٰ المغيرة بن شعبة فتغيَّر لون عمر، ثمَّ جاء آخر فشهد، فتغيَّر لون عمر، ثمَّ جاء آخر فشهد، فتغيَّر لون عمر حتىٰ عرفنا ذلك فيه، وأنكر لذلك وجاءه آخر يحرِّك بيديه فقال: ما عندك يا سلح العقاب -وصاح أبو عثمان صيحةً تُشَبَّهُ بها صيحةُ عمر حتىٰ كَربتُ أنْ يغشىٰ علي-قال: رأيت أمرًا قبيحًا، قال: الحمد لله الذي لم يُشمِّت الشَّيطان بأُمَّة محمَّد، فأمر بأولئك النَّفر فجُلدوا». قال الحافظ: إسناده صحيحٌ والقصَّة بطولها في "مستدرك" الحاكم من طريق عبدالعزيز بن أبي بكرة.

٦٦ – قوله: **(قال الشعبي: حدَّثني الحارث الأعور، وكان والله كذَّابًا)**.

قلت: قال مسلم في مقدمة "صحيحه": ثنا قتيبة: ثنا جرير عن مغيرة، عن الشعبي: «حدَّثني الحارث الأعور وكان كذَّابًا».

٦٧ – حديث: **«نضَّر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها... الحديث»**.

أحمد والترمذي وابن حِبَّان عن ابن مسعود، قال سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: **«نضَّر الله امرأً سمع مِنَّا شيئًا فبلَّغه كما سمعه، فُربَّ**

مبلغ أوعى من سامعٍ» قال الترمذي: حسنٌ صحيحٌ. وللشَّافعي في "الرسالة" بإسنادٍ صحيحٍ من حديث: «**نضَّر الله عبدًا سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأدَّاها فرُبَّ حاملِ فقهٍ غيرِ فقيهٍ، وربَّ حاملِ فقهٍ إلى من هو أفقَه منه... الحديث**».

وفي الباب عن جابرٍ، وأبي سعيد، وأبي الدرداء، ومعاذ، وسعد، وأنس، وجبير بن مطعم، والنعمان بن بشير، وأبي قرصافة، وعبيد بن عمير، عن أبيه عن جده وزيد بن ثابت وغيرهم، وهو حديثٌ متواترٌ كما قال الحفَّاظ.

٦٨ – حديث: «**إذا أصبتَ المعنى فلا بأسَ**».

الطبراني في "الكبير" وابن منده في "معرفة الصحابة" من طريق يعقوب بن عبدالله بن سليمان بن أكيمة الليثي عن أبيه، عن جده قال: قلنا يا رسول الله إنَّا نسمع منك الحديث فلا نقدر أنْ نؤدِّيه كما سمعنا فقال: «**إذا لم تُحلوا حرامًا ولم تحرِّموا حلالًا، وأصبتم المعنى فلا بأسَ**».

يعقوب وأبوه قال الحافظ الهيثمي: لم أرَ من ذكرهما.

وقال الحافظ السَّخاوي في "فتح المغيث": هذا حديثٌ مضطربٌ لا يصحُّ. قال: وأورده الجوزقاني وابن الجوزي في "الموضوعات" وفي ذلك نظرٌ اهـ.

أي لأنَّ اضطرابه وجهالة راويه لا يقتضيان أنْ يكون موضوعًا.

٦٩ – قوله: (**ولهذا قدَّم ابن عمر روايته في الأفراد على رواية أنس فقال: إنَّ أنسًا كان صغيرًا يتولَّجُ على النِّساء وهن متكشِّفات وأنا آخذٌ بزمام ناقة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يسيلُ عليَّ لعابُها**).اهـ

البيهقي عن زيد بن أسلم: أنَّ رجلًا أتى ابن عمر فقال: بم أهلَّ رسول الله

صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم؟ قال: بالحجِّ، ثمَّ أتاه من العام المقبل فسأله، فقال: ألم تأتيني عام أول؟ قال: بلىٰ، ولكن أنسًا يزعم أنَّه قَرَن، قال ابن عمر: إنَّ أنسًا كان يدخل علىٰ النِّساء، ... إلخ ما تقدَّم». قال النووي: إسناده صحيحٌ.

٧٠- قوله: **(قال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: كُنَّا نأخذ من أوامر رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالأحدث فالأحدث)**.

في معناه ما رواه أبو داود والنَّسائي عن جابر قال: «كان آخر الأمرين من رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ترك الوضوء مما مسَّت النَّار».

وروىٰ الطبراني عن محمَّد بن مسلمة: «أنَّ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أكل آخر أمريه لحمًا، ثمَّ صلَّىٰ ولم يتوضَّأ».

وروىٰ ابن حِبَّان عن الزهري قال: «سألت عروة في الذي يجامع ولا ينزل، فقال: علىٰ النَّاس أنْ يأخذوا بالآخر فالآخر من أمر رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، حدَّثتني عائشة أنَّ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان يفعل ذلك ولا يغتسل وذلك قبل فتح مكة، ثمَّ اغتسل بعد ذلك وأمر النَّاس بالغُسل».

٧١ – حديث: «**لا تجتمعُ أمَّتي على الخطأ**». لا أعرفه بهذا اللَّفظ.

٧٢ – حديث: «**لا تجتمعُ أمَّتي على الضلالة**».

هذا هو اللَّفظ المعروف وله طرق متعدِّدة، ففي "سنن" ابن ماجه عن أنس قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ أُمَّتي لا تجتمع على ضلالةٍ فإذا رأيتم اختلافًا فعليكم بالسواد الأعظم فيه**». أبو خلف الأعمىٰ وهو ضعيفٌ.

وللترمذي والحاكم من حديث ابن عبَّاسٍ: «**لا يجمع الله أُمَّتي -أو قال**

هذه الأُمَّة- على الضَّلالة أبدًا، ويدُ الله على الجماعةِ». إسناده حسنٌ إنْ شاء الله وفي "المسند" من حديث أبي بصرة الغفاري: «سألت ربِّي عزَّ وجلَّ أربعًا فأعطاني ثلاثًا، ومنعني واحدة سألت الله أنْ لا يجمع أُمَّتي على ضلالةٍ فأعطانيها... الحديث» وفيه راوٍ مبهمٌ.

وروىٰ الطبري في "تفسيره" عن يعقوب بن إبراهيم، عن ابن عليَّة، عن يونس، عن الحسن مرفوعًا: «سألت ربِّي أربعًا فأعطيت ثلاثًا ومنعت واحدة، سألته أنْ لا يُسلِّط على أُمَّتي عدوًّا من غيرهم يستبيح بيضتهم، ولا يُسلِّط عليهم جوعًا، ولا يجمعهم على ضلالةٍ فأعطيتهن ... الحديث».

٧٣- حديث: «من فارق الجماعة ولو قيد شبرٍ... الحديث».

أحمد عن طريق أبي بكر بن عيَّاش وزهير، عن مطرف بن طريف، عن أبي الجهم، عن خالد بن وهبان، عن أبي ذرٍ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «من فارق الجماعة شبرًا خلع ربقة الإسلام من عنقه» ورواه الحاكم من طريق عمر بن عون عن خالد بن عبدالله، عن مطرف ثمَّ قال: تابعه جرير بن عبدالحميد الضبي عن مطرف عن خالد عن أبي ذرٍ.

وروىٰ أبو داود الطَّيالسي والترمذي والحاكم عن الحرث الأشعري قال قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «آمركم بخمسِ كلماتٍ أمرني الله بهنَّ الجماعة والسَّمع والطَّاعة والهجرة والجهاد في سبيل الله، فمن خرج من الجماعة قيد شبرٍ فقد خلع ربقة الإسلام من رأسه إلَّا أنْ يرجع» صحَّحه الترمذي والحاكم.

٧٤- قوله: (ونهى عن الشذوذ وقال: «من شذَّ شذَّ في النَّار»).

أحمد من طريق العلاء بن زياد عن رجلٍ حدَّثه يثق به، عن معاذ قال: قال

نبيُّ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ الشَّيطان ذئبُ الإنسانِ كذئبِ الغنمِ يأخذُ الشَّاة القاصيةَ والنَّاحية، فإيَّاكم والشِّعاب، وعليكم بالجماعةِ والعامَّةِ والمسجدِ**».

وقال أحمد: ثنا إسحاق بن سليمان الرَّازي: سمعت زكريا بن سلام: يحدِّث عن أبيه عن رجلٍ، قال: انتهيت إلىٰ النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وهو يقول: «**أيُّها النَّاس عليكم بالجماعة وإيَّاكم والفُرقةَ، عليكم بالجماعة وإيَّاكم والفُرقةَ، عليكم بالجماعة وإيَّاكم والفُرقةَ**».

وللترمذي والحاكم من حديث ابن عمر: «**إنَّ الله لا يجمع أُمَّتي على ضلالةٍ ويد الله على الجماعة، ومن شذَّ شذَّ إلى النَّار**» إسناده ضعيفٌ. ورواه الحاكم من أوجهٍ ولفظه في أحدها: «**لا يجمع الله هذه الأُمَّة على الضلالة أبدًا ويد الله على الجماعة فاتبعوا السَّوادَ الأعظمَ فإنَّه من شذَّ شذَّ في النَّار**».

٧٥ – حديث: «**أنَّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نزل منزلًا، فقيل له: إنَّه ليس برأيٍ فتركه**».

قلت: في "سيرة" ابن إسحاق في سياق غزوة بدر الكبرىٰ: «أنَّ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم خرج يبادر قريشًا إلىٰ الماء، حتىٰ جاء أدنىٰ ماء من بدر فنزل به». قال ابن إسحاق: فحدَّثت عن رجالٍ من بني سلمة أنَّهم ذكروا: أنَّ الحباب بن المنذر بن الجموح قال: يا رسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزل أنزلكه الله، ليس لنا أنْ نتقدمه ولا أنْ نتأخر عنه، أم هو الرَّأي والحرب والمكيدة؟ قال: «**بل هو الرأيُ والحربُ والمكيدةُ**»، قال: يا رسول الله إنَّ هذا ليس بمنزلٍ فانهض بالنَّاس حتىٰ نأتي أدنىٰ ماء من القوم فننزله ثمَّ نغور ما وراء من القُلب ثمَّ نبني

عليه حوضًا، فنشرب ولا يشربون فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لقد أشرت بالرأي**» فنهض رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ومن معه من النَّاس، فسار حتىٰ أتىٰ أدنىٰ ماء من القوم... الحديث.

وقال الحافظ في "الإصابة": روىٰ محمَّد بن إسحاق في "السيرة" قال: حدَّثني يزيد بن رومان، عن عروة، وغير واحدٍ في قصة بدر فذكر قول الحباب: يا رسول الله هذا منزلٌ أنزلكه الله ليس لنا أنْ نتعدَّاه أم هو الرَّأي والحرب؟ فقال: «**بل هو الرأي والحرب**» فقال الحباب: كلَّا ليس هذا بمنزلٍ. فقبل منه النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم اهـ. وذكر أثرًا آخر عن الحباب نفسه فليراجع.

٧٦ – حديث: «**لا يخلو عصرٌ من قائمٍ لله بحجَّة**».

لا أصل له. وفي معناه ما رواه أبو داود والطبراني في "الأوسط" والحاكم في "المستدرك" من حديث أبي هريرة: «**إنَّ الله يبعث لهذه الأمَّة على رأس كلِّ مائة سنة من يجدِّد لها دينَها**». صحَّحه الحاكم وأقرَّه الذَّهبي.

٧٧ – قوله: (**كخلاف الصَّحابة لأبي بكر رضي الله عنه في قتال مانعي الزَّكاة وإجماعهم بعد ذلك**). أخرجه أحمد والشيخان وغيرهم.

وعن أبي هريرة قال: «لما تُوفي رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وكان أبو بكر رضي الله عنه، وكفر من كفر من العرب، فقال عمر رضي الله عنه، فكيف تقاتل النَّاس وقد قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أمرت أنْ أقاتل النَّاس حتى يقولوا: لا إله إلَّا الله، فمن قالها فقد عصم منِّي ماله ونفسه إلَّا بحقِّه وحسابه على الله**». فقال: والله لأقاتلن من فرق بين الصَّلاة والزَّكاة،

فإنَّ الزَّكاة حق المال، والله لو منعوني عقالًا كانوا يؤدونها إلىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لقاتلتهم علىٰ منعها. قال عمر رضي الله عنه: فوالله ما هو إلَّا أنْ شرح الله صدر أبي بكر رضي الله عنه، فعرفت أنَّه الحق».

وروىٰ أبو يعلىٰ من طريق مجالد، عن الشعبي قال: «لما قُبض رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وارتد من ارتد من العرب، قال قومٌ: نُصلِّي ولا نؤتي الزَّكاة فقال النَّاس لأبي بكرٍ رضي الله عنه: اقبل منهم. قال: لو منعوني عناقًا لقاتلتهم، فبعث خالد بن الوليد» وذكر بقيَّة القصة.

٧٨ – قوله: **(وفي قول ابن عبَّاسٍ فيمن نذر ذبح ابنه)**.

قلت: عن ابن عبَّاسٍ في هذه المسألة روايات:

إحداها: روىٰ ابن أبي شيبة عن عبدالرحيم، عن داود بن أبي هند، عن عامر قال: سأل رجل ابن عبَّاسٍ عن رجلٍ نذر أنْ ينحر ابنه قال: «ينحر مائة من الإبل كما فدىٰ عبدالمطلب ابنه».

ثانيتها: قال ابن أبي شيبة: عباد عن خالد، عن عكرمة، عن ابن عبَّاسٍ: «في الرجل يقول: هو ينحر ابنه، قال: كبش كما فدىٰ إبراهيم إسحاق». وبه قال عكرمة أيضًا.

ثالثتها: قال ابن أبي شيبة: عبدالرحيم عن يحيىٰ بن سعيد، عن القاسم قال: «كنت عند ابن عبَّاسٍ فجاءته امرأة فقالت: إنِّي نذرت أن أنحر ابني، فقال ابن عبَّاسٍ: لا تنحري ابنك وكفِّري عن يمينك، قال: فقال رجل عند ابن عبَّاسٍ: إنَّه لا وفاء لنذر في معصية، فقال: ابن عبَّاسٍ: أليس الله قد قال في الظِّهار: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا﴾ [المجادلة: ٢]، ثمَّ قال: فيه من

الكفارة ما سمعت».

رابعتها: قال ابن أبي شيبة: غندر عن شعبة، عن الحكم، عن ابن عبَّاسٍ في الرجل يقول: هو ينحر ابنه قال: «يهدي ديته أو كبشًا».

(تنبيه): قوله في الرِّواية الثانية: «كما فدىٰ إبراهيم إسحاق» يفيد أنَّ الذَّبيح إسحاق عليه السَّلام، وهو قولٌ ضعيفٌ أو باطلٌ، لم يثبت في حديثٍ صحيحٍ يعول عليه، وإنَّما هو من الإسرائيليات التي انخدع بها بعض العلماء من السَّلف والخلف، والصَّحيح الذي لا يجوز العدول عنه: أنَّ الذَّبيح إسماعيل عليه السَّلام، وهو الصَّحيح المشهور عن ابن عبَّاسٍ وغيره، ويؤيِّده الدَّليل النَّقلي والعقلي، كما يعلم من "زاد المعاد" لابن القيم، و"تاريخ" ابن كثير، وغيرهما ولأبي بكر بن العربي في هذا رسالة سمَّاها "تبيين الصَّحيح في تعيين الذَّبيح"، وللحافظ السُّيوطي رسالة "القول الفصيح في تعيين الذَّبيح"، لكنَّه توقف في الترجيح، ولا معنىٰ للتوقُّف؛ لأنَّ الذَّبيح بيقين إسماعيل عليه الصَّلاة والسَّلام.

٧٩- قوله: (وفي قول عائشة رضي الله عنها في قصَّة زيد بن أرقم).

عبدالرزَّاق في "مصنَّفه": أخبرنا معمَّر والثَّوري عن أبي إسحاق السبيعي، عن امرأته، أنَّها دخلت علىٰ عائشة في نسوة، فسألتها امرأة فقالت: يا أم المؤمنين كانت لي جارية، فبعتها من زيد بن أرقم بثمانمائة إلىٰ العطاء، ثمَّ ابتعتها منه بستمائة، فنقَدتُه الستمائة، وكتبت عليه ثمانمائة، فقالت عائشة: بئس ما اشتريت، وبئس ما اشترىٰ زيد بن أرقم، إنَّه قد أبطل جهاده مع رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إلَّا أنْ يتوب، فقالت المرأة لعائشة: أرأيت إنْ أخذت

مالي ورددت عليه الفضل؟ قالت: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

ورواه الدَّارقطني والبيهقي في "سننهما" عن يونس بن أبي إسحاق، عن أمه العالية قالت: كنت قاعدة عند عائشة، فأتتها أم محبة فقالت: إنِّي بعت زيد بن أرقم جارية إلىٰ عطاء فذكر نحوه.

ورواه أحمد: ثنا محمَّد بن جعفر: ثنا شعبة، عن أبي إسحاق السبيعي، عن امرأته أنَّها دخلت علىٰ عائشة هي وأم ولد زيد بن أرقم، فقالت: أم ولد زيد لعائشة: إني بعت من زيد غلامًا بثمانمائة درهم نسيئة وذكر الخبر نحوه.

قال الدَّارقطني: العالية وأم محبة مجهولتان لا يحتج بهما، وهذا الحديث لا يثبت عن عائشة قاله الإمام الشَّافعي اهـ.

وقال ابن عبدالبر في "الاستذكار": «هذا الخبر لا يثبته أهل العلم بالحديث، ولا هو مما يحتج به عندهم، فامرأة أبي إسحاق وامرأة أبي السفر، وأم ولد زيد ابن أرقم كلهنَّ غير معروفات بحمل العلم، وفي مثل هؤلاء روىٰ شعبة، عن أبي هاشم أنَّه قال: كانوا يكرهون الرِّواية عن النساء إلَّا عن أزواج النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، والحديث منكر اللَّفظ لا أصل له؛ لأنَّ الأعمال الصَّالحة لا يحبطها الاجتهاد، وإنَّما يحبطها الارتداد، ومحال أنْ تلزم عائشة زيدًا التوبة برأيها وتكفِّره باجتهادها، هذا ما لا ينبغي أنْ يظن بها ولا يقبل عليها».اهـ

وكذا أبطله ابن حزم بنحو من هذا وأجاد، انظر "المحلَّىٰ" (ج٩، ص: ٤٩ - ٥٠)، فالخبر باطل بلا شك وإنْ صحَّحه ابن الجوزي وبعض الحنفية غافلين

عن نكارة معناه، وضعَّفه أيضًا الحافظ السُّهيلي في "الروض الأنف" (ج١ ص: ٢٥٨).

٨٠ – حديث: «**عليكم بالسَّواد الأعظم**».

ابن ماجه عن أنسٍ قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**إنَّ أُمَّتي لا تجتمع على ضلالةٍ، فإذا رأيتم اختلافًا فعليكم بالسَّواد الأعظم**». وإسناده ضعيفٌ.

٨١ – حديث: «**عليكم بسُنَّتي وسنة الخلفاء الرَّاشدين من بعدي**».

أحمد والأربعة إلَّا النَّسائي وابن حِبَّان والحاكم عن العرباض بن سارية قال: وعظنا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يومًا بعد صلاة الغداة موعظةً بليغةً ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال رجلٌ: إنَّ هذه موعظة مودعٍ فما تعهد إلينا؟ قال: «**أوصيكم بتقوى الله والسَّمعِ والطَّاعةِ، وإنْ أُمِّر عليكم عبدٌ حبشيٌّ، فإنَّه من يَعِشْ منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسُنَّتي وسنَّة الخلفاء الرَّاشدين المهديين**». زاد الحاكم في رواية: «**من بعدي عَضُّوا عليها بالنواجذِ، وإيَّاكم ومحدثاتِ الأمور، فإنَّ كلَّ محدثةٍ بدعة، وفي كلِّ بدعة ضلالة**».قال الترمذي: حسنٌ صحيحٌ. وقال الحاكم: صحيحٌ على شرطهما.

٨٢- حديث: «**أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم**». ابن عبدالبر في كتاب "العلم" عن جابر، عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بهذا، وضعَّف إسناده وله طرق كلها ضعيفة.

٨٣ – حديث: «**اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر**».

أحمد والترمذي وابن ماجه وابن حِبَّان والحاكم من طريق عبدالملك بن

عمير، عن ربعي، عن حذيفة، عن النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بهذا، وقال الترمذي: حديثٌ حسنٌ.

وقال البزَّار وابن حزم: لا يصح لجهالةٍ وانقطاعٍ فيه، وتعقبهما الحافظ في "التلخيص الحبير".

وروىٰ الطبراني من حديث أبي الدرداء مثله، وإسناده ضعيفٌ.

٨٤ – قوله: **(رُوي أنَّ أبا بكر الصِّديق رضي الله عنه كان إذا ورد عليه حكم نظر في كتاب الله عزَّ وجلَّ، ثمَّ في سنَّة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فإنْ لم يجد جمع رؤساء النَّاس واستشارهم، فإذا اجتمع رأيهم على شيءٍ قضى به)**.اهـ

قلت: رجوع الصَّحابة في الأحكام إلىٰ الكتاب والسُّنَّة لا يحتاج إلىٰ إسناد؛ لأنَّه معلومٌ من حالهم ضرورة، واستشارة بعضهم بعضًا في الرَّأي مشهورٌ منتشرٌ، من ذلك ما رواه البيهقي في "الشعب" و"السنن" عن محمَّد بن المنكدر: «أنَّ خالد بن الوليد كتب إلىٰ أبي بكر رضي الله عنه أنَّه وجد رجلًا في بعض نواحي العرب ينكح كما تُنكح المرأة فجمع أبو بكر الصَّحابة، فسألهم فكان من أشدِّهم في ذلك قولًا عليٌّ، قال: هذا ذنبٌ لم يعص به إلَّا أمة واحدة، صنع الله بها ما قد علمتم، نرىٰ أنْ تحرقه بالنار، فاجتمع رأي الصَّحابة علىٰ ذلك، فأمر به أبو بكر أنْ يحرق بالنار». قال الحافظ المنذري في «الترغيب»: سنده جيدٌ.

ومن ذلك ما رواه مالكٌ وأحمد وأصحاب السُّنن عن قبيصة بن ذؤيب، قال: «جاءت الجدة إلىٰ أبي بكر رضي الله عنه تسأله ميراثها، فقال مَالَكِ في كتاب الله شيءٌ، وما علمت لك في سُنَّة رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم

شيئًا، فارجعي حتىٰ أسأل النَّاس، فسأل النَّاس، فقال المغيرة: شهدت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أعطاها السُّدس. فقال: هل معك غيرك؟ فقام محمَّد بن مسلمة فقال مثل ما قال المغيرة، فأنفذه لها أبو بكر رضي الله عنه» قال الحافظ: وإسناده صحيحٌ إلَّا أنَّ صورته مرسل، فإنَّ قبيصة لا يصح له سماع من الصِّديق ولا يمكن شهود القصة، قاله ابن عبدالبر بمعناه. اهـ

٨٥ – قوله: (**وكتب عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه في الكتاب الذي اتفق النَّاس على صحَّته: الفهم الفهم فيما أدى إليك مما ليس في قرآن ولا سنة، ثمَّ قس الأمور عند ذلك**).اهـ

الدَّارقطني في "سننه" من طريق عبيدالله بن أبي حميد، عن أبي المليح الهذلي قال: «كتب عمر رضي الله عنه إلىٰ أبي موسىٰ الأشعري: أمَّا بعد، فإنَّ القضاء فريضة محكَمَةٌ وسنَّةٌ متبعة، فافهم إذا أدلي إليك –وذكر الكتاب إلىٰ أنْ قال– الفهم الفهم فيما يختلج في صدرك مما لم يبلغك في الكتاب والسُّنَّة، اعرف الأشباه والأمثال، ثمَّ قس الأمور عند ذلك، فاعمد إلىٰ أحبِّها إلىٰ الله، وأشبهها بالحق فيما ترىٰ» وذكر بقيَّته. وعبيدالله بن أبي حميد ضعيفٌ متروكٌ، لكن ورد من طرقٍ تدلُّ علىٰ أنَّ له أصلًا، لا سيَّما وفي بعض طرقه عند الدَّارقطني، أنَّ سعيد بن أبي بردة بن أبي موسىٰ الأشعري أخرج الكتاب وقال: هذا كتاب عمر، ثمَّ قرأ علىٰ سفيان بن عيينة، وقد تلقَّاه النَّاس بالقبول، وجعلوه أصلًا في باب القضاء فأغنىٰ ذلك أيما غناء.

٨٦– قوله: (**وقال لعثمان رضي الله عنه: إنِّي رأيت في الجد رأيًا فاتبعوني**) إلخ. عبدالرزَّاق والدَّارمي والحاكم والبيهقي من طريق مروان بن الحكم: «أنَّ

عمر رضي الله عنه لما طُعن استشارهم في الجد فقال: إنِّي كنت رأيت في الجد رأيًا، فإنْ رأيتم أنْ تتبعوه فاتبعوه، فقال عثمان رضي الله عنه: إنْ نتبع رأيك فإنَّه رشد، وإنْ نتبع رأي الشَّيخ قبلك فلنعم ذو الرأي كان». صحَّحه الحاكم على شرط الشَّيخين، ووافقه الذَّهبي.

٨٧- قوله: (**وقال عليٌّ كرَّم الله وجهه: كان رأيي ورأي أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أنْ لا تباع أمَّهات الأولاد، ورأيي الآن أنْ يبعن، فقال له عبيدة السَّلماني: رأي ذوي عدلٍ أحبُّ إلينا من رأيك وحدك، وفي بعض الروايات: من رأي عدلٍ واحدٍ**).اهـ

روى عبدالرزَّاق عن معمر، عن أيوب، عن ابن سيرين، عن عبيدة قال: سمعت عليًّا كرَّم الله وجهه يقول: «اجتمع رأيي ورأي عمر رضي الله عنه في أمهات الأولاد أنْ لا يبعن، ثمَّ رأيت بعد أنْ يبعن، قال عبيدة: فقلت له: رأيك ورأي عمر في الجماعة أحب إليَّ من رأيك وحدك في الفرقة، قال: فضحك عليٌّ». وهذا إسنادٌ في غاية الصِّحة.

وروى عبدالرزَّاق بإسنادٍ صحيحٍ أنَّ عليًّا رضي الله عنه رجع عن رأيه هذا إلى رأيه الأول.

٨٨- حديث: «**إنَّما نهيتكم لأجل الدافَّة**».

أحمد ومسلم عن عائشة قالت: دف أهل أبيات من أهل البادية حضرة الأضحى زمان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**ادخروا ثلاثًا، ثمَّ تصدَّقوا بما بقي**»، فلما كان بعد ذلك قالوا: يا رسول الله إنَّ النَّاس يتخذون الأسقية من ضحاياهم، ويجملون منها الودك، فقال: «**وما ذاك؟**» قالوا: نهيت أنْ تؤكل

لحوم الأضاحي بعد ثلاثٍ، فقال: «**إنَّما نهيتكم من أجل الدافة، فكلوا وادَّخروا**».

٨٩ – حديث: «**النَّهي عن التضحية بالعوارء**».

مالكٌ وأحمدٌ وأصحاب السُّنن الأربعة من طريق عبيد بن فيروز قال: سألت البراء بن عازب عما نهىٰ النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عنه من الأضاحي؟ فقال: قام فينا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وأصابعي أقصر من أصابعه وأناملي أقصر من أنامله فقال: «**أربعٌ لا تجوز في الضحايا: العوراء البيِّن عورُها، والمريضةُ البيِّن مرضُها، والعرجاء البيِّن ظَلَعُها، والكسيرُ التي لا تَنْقَى**» قال الترمذي: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

٩٠ – حديث: «**النَّهي عن البول في الماء الرَّاكد الدَّائم**».

مسلمٌ في "صحيحه" عن جابر عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «أنَّه نهىٰ أن يبال في الماء الرَّاكد».

وفي "صحيح" مسلم والسنن الأربعة عن أبي هريرة مرفوعًا: «**لا تبل في الماء الدَّائم الذي لا يجري ثمَّ تغتسل منه**».

٩١ – حديث: «**الأمر بإراقة السَّمن إذا وقعت فيه الفأرة**».

البخاري عن ابن عبَّاسٍ، عن ميمونة: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم سُئل عن فأرةٍ سقطت في سمنٍ؟ فقال: «**ألقوها وما حولها، وكلوا سمنكم**». وفي روايةٍ له: «**خذوها وما حولها فاطرحوه**».

وروىٰ عبدالرزَّاق ومن طريقه أبو داود وغيره، عن معمر، عن الزهري عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال: سُئل رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن الفأرة تقع في السَّمن؟ فقال: «**فإذا كان جامدًا فألقوها وما حولها،**

وإن كان مائعًا فلا تقربوه».

٩٢- حديث: «**لا تبيعوا الطَّعام بالطَّعام إلَّا مثلًا بمثلٍ**».

مسلمٌ عن معمر ابن عبدالله قال: كنت أسمع النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**الطَّعام بالطَّعام مثلًا بمثلٍ**».

٩٣ - حديث: «**أنَّ بريرة أعتقت فكان زوجها عبدًا، فخيَّرها رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم**».

أمَّا تخير بريرة ففي "الصحيحين" عن عائشة قالت: كان في بريرة ثلاث سنن، أراد أهلها أنْ يبيعوها ويشترطوا ولاءها، فذكرت ذلك لرسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**اشتريها وأعتقيها، فإنَّ الولاء لمن أعتق**»، وعُتقت فخيَّرها رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من زوجها، فاختارت نفسها وكان النَّاس يتصدَّقون عليها فتهدي لنا، فذكرت ذلك للنَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**هو عليها صدقة ولنا هدية**».

وأمَّا أنَّ زوجها كان عبدًا، ففي ذلك خلافٌ لاختلاف الرِّوايات، ففي بعضها أنَّه كان عبدًا، وفي بعضها كان حرًّا، والرِّوايات بأنَّه كان عبدًا أصح وأكثر، وهي عن ابن عبَّاسٍ، وعائشة في "صحيح" مسلم، وعن ابن عمر في "سنن" الدَّارقطني، والبيهقي بإسنادٍ فيه ضعفٌ، وعن صفية بنت أبي عبيد في "سنن" البيهقي بإسنادٍ صحيحٍ.

٩٤- حديث: **أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال لمعاذ: «بم تحكم؟» قال: بكتاب الله. قال: «فإنْ لم تجد؟» قال: بسنة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم. قال: «فإنْ لم تجد؟» قال: أجتهد رأيي.** أحمد وأبو داود والترمذي

والدَّارمي والطبراني من طريق الحرث بن عمرو، عن أُناسٍ من أهل حمص من أصحاب معاذ، عن معاذ أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لما بعثه إلىٰ اليمن قال: «**كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟**» قال: أقضي بكتاب الله. قال: «**فإنْ لمْ تجد في كتاب الله؟**» قال: فبسنَّة رسول الله. قال: «**فإنْ لمْ تجد في سُنَّة رسول الله ولا في كتاب الله؟**» قال: أجتهد رأيي ولا آلو. فضرب رسول الله صدره وقال: «**الحمد لله الذي وفَّق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله**».

قال الترمذي: هذا حديثٌ لا نعرفه إلَّا من هذا الوجه، وليس إسناده - عندي- بمتصلٍ اهـ. فهو ضعيفٌ.

وله طريقٌ آخر ضعيفٌ أيضًا، لكن اشتهاره بين النَّاس وتلقيهم له بالقبول مما يقوي أمره.

٩٥ – حديث: «**إنما نهيتكم لأجل الدافة**». تقدَّم قريبًا.

٩٦ – حديث: «**إنَّما جعل الاستئذان من أجل البصر**».

البخاري ومسلم والترمذي والنَّسائي عن سهل بن سعد السَّاعدي: أنَّ رجلًا اطلع علىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من حُجرٍ في حجرة النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ومع النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مدارة يحكُّ بها رأسه، فقال النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لو علمت أنَّك تنظر لطَعنتُ بها في عينَك، إنَّما جُعِلَ الاستئذانُ من أجلِ البَصَر**».

٩٧- حديث: «**أينقص الرَّطب إذا يبس**».

مالكٌ في "الموطأ" عن عبدالله ابن يزيد مولىٰ الأسود بن سفيان، عن زيد بن عياش، عن سعد بن أبي وقَّاص أنَّه سُئل عن البيضاء بالسلت، فقال له سعد:

أيُّهما أفضل؟ قال: البيضاء قال: فنهاه عن ذلك، وقال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يُسأل عن شراء التَّمر بالرَّطب، فقال عليه السَّلام: «**أينقص إذا يبس؟**» قال: نعم، فنهاه عن ذلك.

ومن طريق مالك رواه الأربعة، وقال الترمذي: حسنٌ صحيحٌ.

وكذلك رواه ابن حِبَّان والحاكم ولفظهما: أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم سُئل عن بيع الرُّطب بالتمر فقال: «**أينقص الرطب إذا جف؟**» قالوا: نعم، قال: «**فلا إذن**» قال الحاكم: هذا حديثٌ صحيحٌ، لإجماع أئمة النَّقل على إمامة مالك بن أنس، وأنَّه محكم لكلِّ ما يرويه من الحديث، إذ لم يوجد في رواياته إلَّا الصَّحيح، خصوصًا في حديث أهل المدينة ... والشَّيخان لم يخرجاه لما خشيا من جهالة زيد أبي عياش)، وهو ابن عياش، وقد تابع مالكًا في روايته عن عبدالله بن يزيد، إسماعيل بن أمية، ويحيى بن أبي كثير، ثمَّ أخرج حديثهما اهـ. وهو كما قال، ولم يصب من ادعى جهالة زيد بن عياش، بل هو معروفٌ كما بيَّنه الخطابي في "معالم السنن"، والمنذري في "مختصر سنن أبي داود"، وتراجع ترجمته في "تهذيب التهذيب".

٩٨- حديث: «**إنه دمُ عِرْقٍ، يعني: الاستحاضَة**».

متفقٌ عليه من حديث عائشة: أنَّ فاطمة بنت أبي حبيش كانت تستحاض، فسألت النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**إنَّما ذلك عرق وليس بالحيضة، فإذا أقبَلَتِ الحيضةُ فدعي الصَّلاةَ وإذا أدبرتْ فاغتسلي وصلِّي**»، هذا لفظ البخاري.

وفي "صحيح" مسلم مثله عن عائشة في قصَّة استحاضة أم حبيبة بنت جحشٍ ختنة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

٩٩- حديث: «**إنَّها من الطَّوافين عليكم والطَّوافات**».

مالكٌ والشَّافعي وأحمد والأربعة عن كبشة بنت كعب بن مالك -وكانت تحت ابن أبي قتادة- أنَّ أبا قتادة دخل عليها، فسكبت له وضوءًا، فجاءت هِرَّة تشرب منه، فأصغى لها الإناء حتى شربت، قالت كبشة: فرآني أنظر، فقال: أتعجبين يا ابنة أخي؟ فقلت: نعم، فقال: إنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّها ليست بنجسٍ، إنَّها من الطَّوافين عليكم والطَّوافات**». قال الترمذي: حسنٌ صحيحٌ، وصحَّحه البخاري وابن خزيمة وابن حِبَّان والدَّارقطني.

١٠٠- حديث: «**الهرَّةُ سَبُعٌ**».

أحمد وابن أبي شيبة والدَّارقطني عن أبي هريرة قال: كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يأتي دار قومٍ من الأنصار، ودونهم دار، فشقَّ ذلك عليهم، فقالوا: يا رسول الله تأتي دار فلان ولا تأتي دارنا؟ فقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لأنَّ في داركم كلبًا**» قالوا: فإنَّ في دارهم سنورًا، فقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**السِّنَّورُ سبعٌ**»، وفي لفظٍ: «**الهر سبعٌ**». وإسناده ضعيفٌ.

تنبيه: أشار المصنِّف إلى هذه القصَّة، وذكر أنَّ في بعض الرِّوايات أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أجاب بقوله: «**الهرة ليست بنجسة**».اهـ

وهذه الرِّواية غير موجودة والله أعلم.

١٠١- حديث: «**من باع نخلًا بعد أنْ يؤبَّر، فثمرتها للبائع إلَّا أنْ يشترطها المبتاع**».

متفقٌ عليه من حديث ابن عمر بلفظ: «**من ابتاع نخلًا بعد أنْ تؤبَّر فثمرتها للذي باعها، إلَّا أنْ يشترط المبتاع**».

١٠٢ - حديث: «**لا تبيعوا الطَّعام بالطَّعام إلَّا مثلًا بمثل**». تقدَّم.

١٠٣ - حديث: «**النَّهي عن التضحية بالعوراء**». تقدَّم.

١٠٤ - حديث: «**لا يقضي القاضي وهو غضبانٌ**».

متفقٌ عليه من حديث أبي بكرة بمعناه، وهو في "سنن" النَّسائي، وابن ماجه بلفظ: «**لا يقضي القاضي بين اثنين وهو غضبانٌ**».

١٠٥ - حديث: سئل عن الفأرة تقع في السَّمن فقال: «**إنْ كان جامدًا فألقوها وما حولها، وإنْ كان مائعًا فأريقوه**». تقدَّم.

١٠٦ - حديث: «**سها رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فسجد**».

أبو داود والترمذي والحاكم عن عمران بن حصين: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم صلَّى بهم فسها، فسجد سجدتين، ثمَّ تشهد ثمَّ سلَّم. قال الترمذي: حسنٌ غريبٌ. وقال الحاكم: صحيحٌ على شرط الشيخين.

١٠٧ - حديث: **أنَّ أعرابيًّا جامع في رمضان فأوجب عليه عتق رقبة.**

متفقٌ عليه من حديث أبي هريرة قال: جاء رجلٌ إلى النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: هلكت يا رسول الله، قال: «**وما أهلكك؟**» قال: وقعت على امرأتي في رمضان، قال: «**أعتقْ رقبةً**»، قال: لا أجدها، قال: «**صُمْ شهرين متتابعَين**»، قال: لا أطيق، قال: «**أطعمْ ستين مسكينًا**» قال: لا، قال: ثمَّ جلس فأتى النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعرقٍ فيه تمر، قال: «**تصدق بهذا**»، قال: على أفقر منا، فما بين لابتَيْهَا أحوج إليه منا، فضحك النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حتى بدت نواجذه، وقال: «**اذهب فأطعمه أهلك**». وقد تقدَّم.

١٠٨ - قوله: (**كما روي عن عمر رضي الله عنه أنَّه قال في قسمة السواد:**

«لو قسمت بينكم لصارت دولة بين أغنيائكم ولم يخالفوه» اهـ).

هذا اللَّفظ لم يرد عن عمر ويكفي عنه قول الله تعالىٰ: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾ [الحشر: ٧] فإنَّه بعمومه يشمل أرض السَّواد.

نعم صح عن عمر أنَّه قال في أرض السَّواد، لما طلبه بلال بقسمها: «لولا آخر المسلمين ما فتحت قرية إلَّا قسمتها بين أهلها كما قسَّم النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم خيبر». وقال هذا بإشارة علي ثمَّ معاذ.

١٠٩- قوله: **(وكما قال عليٌّ كرَّم الله وجهه في شارب الخمر: إنَّه إذا شرب سكر وإذا سكر هذى، وإذا هذى افترى، فأرى أنْ يحد حد المفتري، فلم يخالفه أحدٌ في هذا التعليل)**.اهـ مالكٌ عن ثور بن زيد الديلي: أنَّ عمر رضي الله عنه استشار في جلد شارب الخمر، فقال عليٌّ كرَّم الله وجهه: أرىٰ أنْ يجلد ثمانين؛ لأنَّه إذا شرب سكر وإذا سكر هذىٰ، وإذا هذىٰ افترىٰ، وحد المفتري ثمانون. فجلد عمر ثمانين.

وهكذا رواه الشَّافعي عن مالك وإسناده منقطعٌ، لكن وصله النَّسائي في "الكبرىٰ"، والحاكم في "المستدرك" من طريق ثور، عن عكرمة، عن ابن عبَّاسٍ.

ورواه عبدالرزَّاق عن معمر، عن أيوب، عن عكرمة ولم يذكر ابن عبَّاسٍ، قال الحافظ في "التلخيص": «وفي صحته نظر». ثمَّ بينه بوجهين يراجعان فيه.

١١٠ – حديث: **«الطلاقُ بالرجال والعدَّة بالنساء»**.

قلت: ورد هذا عن ابن عبَّاسٍ موقوفًا عليه. رواه ابن أبي شيبة بإسنادٍ صحيحٍ، ورواه الدَّارقطني عن ابن مسعود موقوفًا عليه، ورواه عبدالرزَّاق في

"المصنف" عن عثمان وزيد ابن ثابت موقوفًا، كما رواه عن ابن عبَّاسٍ أيضًا، قال ابن الجوزي في "التحقيق": وقد رواه بعضهم عن ابن عبَّاسٍ عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وإنَّما هذا من كلام ابن عبَّاسٍ اهـ. ذكره في "نصب الراية".

١١١ – قوله: (**ولكن استحسانه للخبر يعني الخيار في البيع**).

قلت: الخيار بأنواعه ثابتٌ في عدَّة أحاديث، ففي "الصحيحين" عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**البيعان كلُّ واحدٍ منهما بالخيار على صاحبه ما لمْ يتفرَّقا، إلَّا بيع الخيار**». وله ألفاظ في "الصحيحين" والسُّنن.

وفي "الصحيحين" عن أبي هريرة موفوعًا: «**لا تُصِرُّوا الإبلَ والغنمَ للبيع، فمن ابتاعها بعد ذلك فهو بخير النظرين من بعد أنْ يحلبها، إنْ رضيها أمسكها وإنْ سخِطَها ردَّها وصاعًا من تمرٍ**» وفي روايةٍ لمسلم: «**من اشترى مصرَّاةً فهو بالخيار ثلاثة أيام، فإنْ ردَّها ردَّ معها صاعًا من تمرٍ، لا سمراء**» وهي في البخاري معلَّقة.

وفي "المستدرك" للحاكم عن ابن عمر قال: «كان حبَّان بن منقذ رجلًا ضعيفًا، وكان قد سفع في رأسه مأمومة، فجعل له رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الخيار ثلاثة أيام فيما اشتراه... الحديث».

ورواه الحميدي عن ابن عمر لكن ذكر أنَّ القصة وقعت لمنقذ بن عمرو، وكذلك رواه البخاري في "التاريخ الأوسط"، وابن ماجه ، والدَّارقطني في سننهما من طريق محمَّد بن يحيى بن حبَّان، قال: «هو جدي منقذ بن عمرو وكان رجلًا قد أصابته آمة في رأسه فكسرت لسانه وكان لا يدع -على ذلك-

التجارة، فكان لا يزال يُغْبَنُ فأتىٰ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فذكر ذلك له، فقال: «**إذا أنت بايعتَ فقل: لا خِلابةَ، ثمَّ أنت في كلِّ سلعةٍ ابتعتها بالخيار ثلاثَ ليالٍ، إنْ رضيتَ فأمسِكْ وإنْ سخِطتَ فاردُدْها على صاحِبها**». والصَّحيح كما قال النَّووي أنَّ القصة لمنقذ والد حبَّان.

وفي الخيار أحاديث غير ما ذكرت، والله أعلم.

١١٢- حديث: «**بعثت بالحنيفية السَّهلة ولم أبعث بالرهبانيَّة المبتَدَعة**».

الخطيب في "التاريخ" بإسنادٍ ضعيفٍ، عن جابرٍ، عن النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أنَّه قال: «**بُعثتُ بالحنيفيَّة السَّمحة -أو السَّهلة- ومن خالف سُنَّتي فليس مني**».

وللطبراني عن سهل بن حنيف أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لا تُشدِّدوا على أنفسكم فإنَّما أهلك من كان قبلكم بتشديدهم على أنفسهم، وستجدون بقاياهم في الصَّوامع والدِّيارات**». وفي سنده عبدالله بن صالح كاتب الليث.

وروىٰ أحمد والبخاري في "الأدب المفرد"، وغيرهما بإسنادٍ حسنٍ عن ابن عبَّاسٍ عن النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**أحبُّ الأديان إلى الله الحنيفية السَّمحة**».

وروىٰ الطبراني بإسنادٍ ضعيفٍ عن ابن عبَّاسٍ قال: خطب رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**إنَّ الله قد أعطى كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، ألا إنَّ الله قد فرض فرائض، وسنَّ سننًا، وحدَّ حدودًا، وأحلَّ حلالًا، وحرَّم حرامًا، وشرع الدين فجعله سهلًا سمحًا ولم يجعله ضيقًا... الحديث**». وفي الباب أحاديث كثيرة.

١١٣- حديث: «**إذا اجتهدَ الحاكمُ فأصابَ فله أجران، وإنْ اجتهد فأخطأ فله أجرٌ واحدٌ**».

متفقٌ عليه من حديث عمرو بن العاص، بلفظ: «**إذا حكم الحاكمُ فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجرٌ واحدٌ**». وفي "الصحيحين" من حديث أبي هريرة مثله.

١١٤- قوله: (**ولأنَّ الصَّحابة أجمعت على تسويغ الحكم بكلِّ واحدٍ من الأقاويل المختلف فيها وإقرار المخالفين على ما ذهبوا إليه**).اهـ

قلت: هذا إجماعٌ عمليٌّ مأخوذٌ من وقائع كثيرة يعسر تتبُّعها، وقد تقدَّم: أنَّ عمر رضي الله عنه لما طُعن استشارهم في الجد، وقال: «إنِّي كنت رأيت فيه رأيًا، فإنْ رأيتم أنْ تتبعوه، وأنَّ عثمان رضي الله عنه قال له: إنْ نتبع رأيك فإنَّه رشدٌ، وإنْ نتبع رأي الشَّيخ قبلك -يعني أبا بكر رضي الله عنه- فلنعم ذو الرأي كان». فهذا يدلُّ على أنَّ الرَّأي الذي قضى به عمر في الجد غير رأي أبي بكر، وأنَّه أشار على الصَّحابة باتباعه من غير إلزامٍ، فأجابه عثمان وهم حاضرون بأنَّ لهم أنْ يختاروا أي الرأيين شاؤوا، والآثار في هذا كثيرةٌ جدًّا.

١١٥- قوله: (**وهذا كما فعل عمر رضي الله عنه في الشورى، فإنَّه قال: الخليفةُ بعدي أحدُ هؤلاء الستة**).اهـ

ابن سعد عن عمر بن ميمون قال: «قالوا لعمر حين حضره الموت: استخلف، فقال: لا أجد أحدًا أحق بهذا الأمر من هؤلاء النَّفر الذين توفي ورسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وهو عنهم راض، فأيُّهم استخلف فهو الخليفة من بعدي، فسمى عليًّا، وعثمان، وطلحة، والزبير، وعبدالرحمن،

وسعدًا» وروىٰ أيضًا عن أنس بن مالك قال: «أرسل عمر بن الخطاب إلىٰ أبي طلحة قبل أنْ يموت بساعة فقال: يا أبا طلحة كن في خمسين من قومك من الأنصار مع هؤلاء السِّتة أصحاب الشورىٰ، فلا تتركهم لمضي اليوم الثَّالث حتىٰ يؤمِّروا أحدهم، اللَّهم أنت خليفتي عليهم». ولهذا الأثر عن عمر طرق.

١١٦- قوله: (**لما روي عن عليٍّ كرَّم الله وجهه أنَّه قال: كان رأيي ورأي أمير المؤمنين عمر أنْ لا تباع أمهات الأولاد ورأيي الآن أنْ يبعن**).اهـ تقدَّم تخريجه.

١١٧- قوله: (**كما رويناه في قصَّة عمر رضي الله عنه في أمر الشُّورى**).

قلت: تقدَّم تقريبًا.

١١٨- حديث: **أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أمر سعدًا أنْ يحكم في بني قريظة، فاجتهد بحضرته.**

أحمد والشَّيخان عن أبي سعيد الخدري: أنَّ أهل قريظة نزلوا علىٰ حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه، فأرسل رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فأتاه علىٰ حمارٍ، فلما دنا قريبًا من المسجد قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**قوموا إلى سيِّدكم**» أو «**خيْركم**». فقعد عند النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: إنَّ هؤلاء نزلوا علىٰ حكمك، قال: فإنِّي أحكم أنْ تقتل مقاتلهم وتسبي ذراريهم. فقال: «**لقد حكمت بما حكم به الملك**». وفي روايةٍ «**قضيت بحكم الله عزَّ وجلَّ**». والقصة مبسوطة في كتب الحديث والسِّير بما فيه كفاية وغناء.

وهذا آخر تخريج "اللمع"، وقد راعيت فيه الإفادة مع الاختصار، وعنيت بالمحافظة علىٰ اللَّفظ الذي يذكره المؤلف، حتىٰ أني توقفت في بعض الآثار

المعروفة في كتب السُّنَّة المتداولة، فتركتها على بياضٍ، حتى أعثر على اللَّفظ الذي ذكره إنْ أمكن؛ لأنَّ استشهاد المؤلِّف يتوقَّف على ذلك اللَّفظ.

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أنْ هدانا الله، والصَّلاة والسَّلام على مولانا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتبعه ووالاه.

٦- الابْتِهاج

بتَخْريجِ أحاديثِ المِنْهاج

تخريج لأحاديث كتاب "منهاج الوصول إلي علم الأصول"

للقاضي ناصر الدِّين البيضاويِّ (ت ٧٨٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الهادي إلى الرُّشدِ مِن الضَّلالة، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّدٍ المخصوص بعموم الرِّسالة، وعلى آله الناسخين بأنوار علومهم ظُلمات الجهالة.

أما بعد: فهذا كتابٌ خرَّجتُ فيه الأحاديث التي ذكرها القاضي ناصر الدين البيضاوي رحمه الله تعالى في كتابه "منهاج الوصول إلى علم الأصول".

وسمَّيته "**الابتهاج بتخريج أحاديث المنهاج**"، والله المسئول أن يجعله خالصًا لوجهه وأن ينفعنا بما علَّمنا، ويُعلِّمنا ما ينفعنا ويزيدنا عِلْمًا، والحمد لله على كلِّ حال.

الباب الأول في الحكم

١- قوله: «كبيع الملاقيح». ذكره مثالًا لما لم يشرع بأصله ووصفه.

وسيأتي الكلام عليه في الكتاب الأول إن شاء الله تعالى.

٢- قوله: «كالتهجد». مثَّل به للواجب على واحد معين وهو النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

أخرج الطبرانيُّ في "الأوسط" والبيهقي من طريق موسى بن عبدالرحمن الصنعاني، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «ثلاثٌ هنَّ علي فريضة وهي لكم سنة: الوترُ، والسواكُ، وقيامُ الليلِ». قال الطبراني: «تفرد به موسى».

قلت: وهو كذاب كما في كتب الرجال، فهذا الحديث واه لا يصلح للاحتجاج.

وقال أبو جعفر محمد بن سليمان بن حبيب المصيصي الملقب بلوين في "جزئه": حدثنا شريك، عن جابر، عن عكرمة، عن ابن عبَّاسٍ رفعه قال: «كُتِبَ عليَّ النحر ولم يُكْتَبْ عليكم، وأُمِرْتُ بصلاة الضُّحى ولم تُؤمروا بها».

٣- حديث: «إنما الأعمالُ بالنيَّاتِ».

أحمد، والستة، والدارقطني، والبيهقي، وابن حِبَّان، عن عمر رضي الله عنه.

وتمامه: «وإنما لامرئ ما نَوَى فمن كانت هجرتُه إلى الله ورسولِهِ فهجرتُه إلى الله ورسولِهِ ومن كانت هجرته لدنيا يُصيبها أو امرأةٍ يتزوجها فهجرتُه إلى ما هاجر إليه». ورواه أبو يعلى القزويني، وأبو نعيم، وابن عساكر، والدارقطني في "غرائب مالك".

والخطابي من طريق عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد، عن مالك، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري به.

قال أبو يعلىٰ: «غير محفوظ عن زيد بن أسلم من وجه».

وقال الدارقطني: «تفرد به عبد المجيد عن مالك».

ورواه محمد بن علي بن ياسر الجياني، في "الأربعين العلوية" قال: ثنا السيد أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب قال: حدثني والدي علي بن أبي طالب قال: حدثني والدي أبو طالب بن عبيد الله قال: حدثني والدي عبيد الله بن محمد قال: حدثني محمد بن عبيد الله قال: حدثني والدي عبيد الله بن علي قال: حدثني والدي علي بن الحسن قال: حدثني والدي الحسن بن الحسين قال: حدثني والدي الحسين بن جعفر، أول من دخل بلخ من هذه الطائفة، قال: حدثني والدي جعفر بن عبيد الله قال: حدثني والدي عبيد الله قال: حدثني والدي الحسين الأصغر قال: حدثني والدي علي زين العابدين قال: حدثني والدي الحسين: قال حدثني والدي علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**الأعمال بالنية**».

وفي هذا الإسناد من لا يُعرف كما قال الحافظ العراقي.

ورواه ابن عساكر في "التاريخ" من طريق يحيىٰ بن سعيد الأنصاري، عن محمد بن إبراهيم التيمي، عن أنس به. وقال: «غريب جدًّا والمحفوظ حديث عمر».

ورواه الحافظ رشيد الدين العطار في "معجمه" عن أبي هريرة، وإسناده ضعيف.

وفي الباب عن: سعد بن أبي وقاص، وابن مسعود، وأبي مسعود، وأبي ذر، وعبادة بن الصامت، وابن عمر، وابن عبَّاسٍ، وعقبة بن عامر، وجابر، وأنس، وأبي الدرداء، وسهل بن سعد، والنواس بن سمعان، وأبي موسىٰ الأشعري، وصهيب بن سنان، وأبي هريرة، وأبي أمامة، وزيد بن ثابت، ورافع بن خديج، وصفوان بن أمية، وغزية بن الحارث، والحارث بن غزية، وعائشة، وأم سلمة، وأم حبيبة، وصفية بنت حيي، وجابر بن عتيك، وأبي بن كعب، ومعن بن يزيد، والزبير بن العوام، وأبي كبشة الأنماري، ويعلىٰ بن أمية، وميمونة، وجابان الكردي، وعبدالله بن عمرو، والقاسم بن محمد.

١- **فحديث سعد**: رواه أحمد، والستة، وفيه:«**إنك يا سعد لن تُنفقَ نفقةً تبتغي بها وجهَ الله إلا أُجِرْتَ عليها حتَّى اللُّقْمةَ تجعلُها في فِيِّ امرأتِكَ**»، قال: قلت: يا رسول الله أخلف بعد أصحابي؟! قال: «**إنك لن تَتَخلفَّ فتعمَل عملًا تبتغي به وجه الله إلا ازْدَدْتَ به درجةً ورفعةً**». الحديث.

٢- **وحديث ابن مسعود**: رواه أحمد، والحكيم الترمذي، بلفظ: «**إن أكثر شهداءِ أمتي لَأَصحابُ الفُرش ورُبَّ قتيلٍ بين الصفَّين اللهُ أعلم بنِيَّتِهِ**».

وأخرج الطبراني بسند رجاله ثقات، وابن منده، وأبو نعيم، عنه قال: كان فينا رجل خطب امرأة يقال لها «أم قيس» فأبت أن تتزوجه حتىٰ يهاجر، فهاجر فتزوجها فكنا نسميه: «مهاجر أم قيس». قال ابن مسعود: «من هاجر لشيء فهو له».

وقال سعيد بن منصور: أخبرنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن شقيق، عن عبدالله -هو ابن مسعود- قال: من هاجر يبتغي شيئًا فإنما له ذلك، هاجر رجل

ليتزوج امرأة يقال لها «أم قيس» فكان يقال لها: «مهاجر أم قيس».

قال الحافظ في "الفتح": «لم نقف على تسميته».

وقال الحافظ السيوطي: «لم أقف على اسم مهاجر أم قيس في شيء من الكتب المصنفة في الصحابة».

٣- **وحديث أبي مسعود**: رواه البخاري بلفظ: «**إذا أنفقَ الرجلُ على أهلِهِ يحتَسِبُها فهو له صدقةٌ**».

٤- **وحديث أبي ذر**: رواه الديلمي في "مسند الفردوس" بلفظ: «**لا أجر إلا عن حِسْبة ولا عملَ إلا بِنيَّةٍ**». وفي إسناده ضعف.

٥- **وحديث عبادة بن الصامت**: رواه أحمد، والدارمي، النسائي، والطبراني، والحاكم، والبيهقي، والروياني، والضياء المقدسي، وابن حِبَّان، بلفظ: «**من غزا وهو لا ينوي إلا عقالًا فله ما نَوى**». إسناده صحيح.

٦- **وحديث ابن عمر**: رواه الديلمي في "مسند الفردوس" بلفظ: «**لو أن رجلًا صامَ نهارَه وقام ليلَه بعثه اللهُ على نيَّته إما إلى الجنَّةِ وإما إلى النارِ**».

وللطبراني عنه: «**ما أصابَ اللهُ أهلَ قريةٍ بعذاب إلا عمَّهم ثم يبعثون على نياتِهم**».

٧- **وحديث ابن عبَّاسٍ**: رواه الشيخان بلفظ: «**لا هجرةَ بعد الفتحِ ولكنْ جهادٌ ونيَّةٌ**».

٨- **وحديث عقبة بن عامر**: رواه أحمد، وأصحاب السنن، بلفظ: «**إن اللهَ يُدْخِلُ بالسَّهْمِ الواحدِ الجنَّةَ ثلاثةً: صانعَه يحتَسِبُ في صنعتِه الخيرَ...**» الحديث.

٩- **وحديث جابر**: رواه الترمذي، وابن ماجه بلفظ: «**يحشر الناس على نياتهم**».

١٠- **وحديث أنس**: رواه البيهقي في "سننه" من طريق عبد الله بن المثنىٰ قال: حدثني بعض أهل بيتي، عن أنس أن رجلًا من الأنصار من بني عمرو بن عوف قال: يا رسول الله، إنك رغَّبتنا في السواك فهل دون ذلك من شيء؟ قال: «**إصبعُك سواكُكَ عند وضوئِك تُمِرُّ بها على أسنانِك، إنَّهُ لا عملَ لمن لا نيَّةَ لهُ، ولا أجرَ لمن لا حِسْبة لَهُ**».

١١- **وحديث أبي الدرداء**: رواه النسائي، وابن ماجه، عنه يبلغ به النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَنْ أتى فِراشَه وهو ينوي أن يقومَ يُصلِّي من الليل فغلبته عينُه حتَّى أصبحَ كُتِبَ له ما نَوَى وكان نومُه صدقةً عليه من ربِّه**». إسناده جيد، كما قال الحافظ المنذري.

ورواه ابن حِبَّان في "صحيحه" من حديث أبي الدرداء أو أبي ذر علىٰ الشك، ورواه النسائي من طريق أخرىٰ عنهما موقوفًا.

١٢- **وحديث سهل بن سعد**: رواه الطبراني في "الكبير" بلفظ: «**نيةُ المؤمنِ خيرٌ من عمله وعملُ المنافق خيرٌ من نيَّتِهِ، وكلٌّ يعملُ على نيته فإذا عمل المؤمن عملًا نارَ في قلبه نورٌ**».

ورجاله موثَّقون إلا حاتم بن عبادة بن دينار فقال الحافظ الهيثمي: «لم أر من ذكر له ترجمة». ورواه الخطيب في "التاريخ"، والضياء في "المختارة".

١٣- **وحديث النواس بن سمعان**: رواه الطبراني في "الكبير" والعسكري

في "الأمثال" بلفظ: «**نيةُ المؤمنِ خيرٌ من عملِهِ ونيَّةُ الفاجرِ شرٌّ من عملِهِ**».

قال الحافظ العراقي عن هذا الحديث والذي قبله أنهما ضعيفان.

١٤- وحديث أبي موسى: رواه أحمد والستة بلفظ: «**مَن قاتلَ لتكونَ كلمةُ اللهِ هي العليا فهو في سبيلِ الله**».

ولابن منصور الديلمي في "مسند الفردوس" من حديثه: «**نية المؤمن خير من عمله وإن الله عزَّ وجلَّ لَيُعطي العبدَ على نيته ما لا يعطيه على عملِهِ؛ وذلك أن النية لا رياء فيها والعملُ يخالطُه الرِّياءُ**». وإسناده ضعيف.

١٥- وحديث صهيب: رواه الطبراني في "الكبير" بلفظ: «**أيُّما رجلٍ تزوج امرأةً فنوى أن لا يُعطيَها من صداقِها شيئًا مات يوم يموتُ وهو زانٍ، وأيُّما رجلٍ اشترى من رجلٍ بَيْعًا فنوى أن لا يعطيَه من ثمنِه شيئًا مات يوم يموت وهو خائنٌ، والخائن في النَّارِ**».

وروى أحمد، وابن عساكر، وابن النجار، والرافعي، نحوه إلا أنهم قالوا: «**وأيما رجل أدانَ دَينًا**». وفي "مسند أحمد" راوٍ لم يُسم، ورواه ابن ماجه مقتصرًا على قصة الدين دون ذكر الصداق، وفي مسنده اضطراب.

١٦- وحديث أبي هريرة: رواه أحمد بإسناد صحيح بلفظ: «**يُبْعثُ الناسُ على نياتِهم**». ورواه ابن ماجه بإسناد حسَّنه الحافظ المنذري وزاد في أوله: «**إنَّما**».

١٧- وحديث أبي أمامة: رواه الطبراني، والحاكم، بلفظ: «**من ادَّان دينًا وهو ينوي أن يؤديه أداه الله عنه يوم القيامة، ومن ادَّان دينًا وهو ينوي أن لا**

يؤدِّيه فمات، قال الله عزَّ وجلَّ: ظننتَ أن لا آخذ لعبدي بحقه» الحديث.

١٨، ١٩- **وحديث زيد بن ثابت، ورافع بن خديج**: رواه أحمد في "مسنده"، في قصة لحديث أبي سعيد بحديث: «**لا هجرةَ بعد الفتح ولكنْ جهادٌ ونية**» وقول مروان له: «كذبت». وعنده زيد بن ثابت ورافع بن خديج معه على السرير، وأن أبا سعيد قال: لو شاء هذان لحدثاك. فقالا: صدق.

٢٠- **وحديث صفوان بن أمية**: رواه أحمد، والنسائي بلفظ حديث ابن عبَّاسٍ المتقدم.

٢١- **وحديث غزية بن الحارث**: رواه البخاري، والبغوي، وابن السكن، وابن منده، من طريق الليث، عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن يزيد بن عبد الله بن خصيفة، عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة، عن غزية بن الحارث: أنه أخبره أن شبانًا من قريش عام الفتح أو بعده أرادوا أن يهاجروا إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**لا هجرة بعد الفتح وإنما هو الجهاد والنية**».

قال ابن منده: «تابعه -يعني خالدًا- عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبي هلال».

قال الحافظ: «حديث عمرو عند ابن السكن وابن يونس من طريق. وابن وهب عنه لكن عند ابن يونس: «عبد الرحمن بن رافع» والأصح: «عبد الله» كما عند ابن السكن وغيره».

٢٢- **وحديث الحارث بن غزية**: رواه الطبرانيُّ، وأبو نعيم، وابن منده في

"الصحابة"، والبارودي، وابن السكن، والبغوي، وابن قانع، والحسن بن سفيان في "مسنده"، من طريق إسحق بن عبد الله بن أبي فروة، عن عبد الله بن رافع، عن الحارث بن غزية: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**لا هجرة بعد الفتح ولكن إنما هو الإيمان والنية والجهاد ومتعة حرام**».

وإسحق متروك كما قال الذهبي وغيره.

٢٣- **وحديث عائشة**: رواه الشيخان، وأحمد، وابن ماجة في قصة الجيش الذي يخسف به وفيه: «**يُخْسفُ بأولِهم، وآخرِهم ثمَّ يُبعثونَ على نِيَّاتِهم**».

وللبيهقي من حديثها: «**إن الله تعالى إذا أنزل سطواته على أهل نقمته فوافت آجال قوم صالحين فأهلكوا بهلاكهم ثم يبعثون على نياتهم وأعمالهم**».

٢٤- **وحديث أم سلمة**: رواه مسلم، وأبوداود، في قصة الجيش أيضًا بلفظ حديث عائشة، ورواه ابن أبي شيبة والطبراني والحاكم والترمذي وابن ماجه.

٢٥- **وحديث أم حبيبة**: رواه الطبراني في "الأوسط"، في قصة الجيش أيضًا وفيه: «**ثُمَّ يبعثُ كلُّ امرئٍ على نيَّتِهِ**».

٢٦- **وحديث صفية**: رواه أحمد، وابن أبي شيبة، وأبوداود، والترمذي، وابن ماجة، والطبراني في "الكبير"، في قصة الجيش أيضًا وفيه: «**يَبعثهمُ اللهُ على ما في نفوسِهِم**».

٢٧- **وحديث جابر بن عتيك**: رواه مالك، وأحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وابن حِبَّان، والحاكم، والبيهقي، وأبو نعيم، والبغوي، عنه: أن

عبد الله بن ثابت تجهز للغزو فمات قبل خروجه فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ الله قَدْ أوقَعَ أجرَهُ على قدرِ نيَّتِه**».

٢٨- وحديث أُبَيّ: رواه ابن ماجه بلفظ: «**إنَّ لَكَ ما احتَسَبْتَ**».

وللطبراني في "مسند الشاميين" في حديثه قال: استعنت رجلًا يغزو معي فقال: لا، حتى تجعل لي جعلًا. فجعلت له، فذكرت ذلك للنبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**ليس له من دنياه وآخرتِه إلا ما جعَلْتَ له**».

٢٩- **وحديث معن بن يزيد**: رواه أحمد، والبخاري عنه قال: كان أبي يزيد أخرج دنانير يتصدق بها فوضعها عند رجل في المسجد، فجئت فأخذتها فأتيته بها فقال: والله ما إياك أردت، فخاصمته إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**لك ما نويتَ يا يزيدُ، ولك ما أخذتَ يا معنْ**».

٣٠- **وحديث الزبير**: رواه الحسن بن سفيان، وأبو منصور الديلمي في مسنديهما من طريق هشام بن عروه بن الزبير، عن أبيه، عن جده: أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**تركْنا في المدينةِ أقوامًا لا نقطع واديًا ولا نصعد صعودًا ولا نهبط هبوطًا إلا كانوا معنا**». قالوا: كيف يكونون معنا ولم يشهدوا؟ قال: «**نياتهم**».

٣١- **وحديث أبي كبشة**: رواه أحمد والترمذي بلفظ: «**وإنما الدنيا لأربعة؛ عبدٍ رزقَهُ اللهُ مالًا وعلمًا فهو يتقى فيه ربه ويصلُ فيه رحمَه ويعلَمُ لله فيه حقًا فهذا بأفضلِ المنازلِ.**

وعبد رزقه الله علمًا ولم يرزقْه مالًا فهو صادقُ النيَّةِ يقولُ: لو أنَّ لي مالًا

لعمِلتُ بعمل فلانٍ. فهو بنيَّتِهِ فأجرُهما سواءٌ.

وعبد رزقه الله مالًا ولم يرزقْه علمًا يخبطُ في مالِه بغيرِ علمٍ ولا يتقي فيه ربًّا ولا يصلُ فيه رحمًا ولا يعلم لله فيه حقًا فهذا بأخبث المنازل.

وعبد لم يرزقْه الله مالًا ولا علمًا فهو يقولُ: لو أنَّ لي مالًا لعمِلت فيه بعمل فلان. فهو بنيته فوِزْرُهما سواءٌ». قال الترمذي: «حسن صحيح».

ورواه ابن ماجه بإسناد جيد، وهنَّاد، والطبراني.

٣٢- **وحديث يعلى بن أمية**: رواه أبو داود بإسناد جَوَّدَه الحافظ العراقي عنه، أنه استأجر أجيرًا للغزو وسمَّى ثلاثة دنانير، فقال النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ما أجدُ له في غزوتِه هذه في الدنيا والآخرة إلا دنانيرَه التي سَمَّى**».

ورواه الحاكم والبيهقي بلفظ: «**أعطها إياه فإنَّها حظَّه من غَزَاتِه**».

٣٣- **وحديث ميمونة**: رواه ابن ماجه والطبراني بلفظ: «**من ادَّان دينًا ينوي قضاءه كان معه عون من الله على ذلك**». لفظ ابن ماجه.

ولفظ الطبراني: «**أدَّاه الله عنه يوم القيامة**».

٣٤- **وحديث جابان الكردي**: رواه ابن منده من طريق أبي سعيد مولى بني هاشم، عن أبي خالد: سمعت ميمون بن جابان الكردي عن أبيه أنه سمع النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم غير مرة حتى بلغ عشرًا، يقول: «**من تزوج امرأة وهو ينوي أن لا يعطيها الصداق لقي الله وهو زانٍ**».

قال الحافظ: «كذا قال عن أبيه إن كان محفوظًا».

٣٥- وحديث عبدالله بن عمرو بن العاص: رواه أبوداود والحاكم بلفظ:

«يا عبدَالله بنَ عمرو إن قاتلتَ صابرًا مُحتسبًا بعثكَ اللهُ صابرًا محتسبًا، وإن قاتلتَ مُرائيًا مُكاثرًا بعثَكَ الله مُرائيًا مُكاثرًا، يا عبدَالله بنَ عمرو، على أيِّ حالة قاتلتَ أو قُتلتَ بعثك الله على تلك الحال».

٣٦- **ومرسل القاسم بن محمد**: رواه ابن المبارك بلفظ: **«لا أجر لمن لا حِسْبة له»**.

(تنبيه): ذكر أبو القاسم بن منده في كتاب "المستخرج" الصحابة الذين رووا أحاديث النية فبلغت عدتهم سبعة عشر، وعدَّ فيهم ممن لم أذكره: معاوية، وعتبة بن النُدَّر، وعتبة بن مسلم، وعتبة بن عبدٍ السلمي، وهلال بن سويد.

ولم أجد أحاديث هؤلاء، والأخيران منهم ليسا بصحابيين كما نبه عليه الحافظ العراقي.

الكتاب الأول: في الكتاب

٤- **قال: «مثل قوله عليه الصلاة والسلام: "والله لأغزوَنَّ قريشًا" ثلاثًا»**.

أبو يعلىٰ في "مسنده"، وابن حِبَّان في "صحيحه"، من طريق شريك، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عبَّاسٍ: أن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: **«والله لأغزُوَنَّ قريشًا، والله لأغزوَنَّ قُريشًا، والله لأغزُوَنَّ قريشًا»**. ثم سكت ساعةً، ثم قال: **«إنْ شَاء اللهُ»**.

وأخرجاه أيضًا من طريق مِسْعَر بن كدام، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عبَّاسٍ به.

ورواه ابن عدي في "الكامل" من طريق عبد الواحد بن صفوان، عن عكرمة، عن ابن عبَّاسٍ.

وكذا رواه ابن القطان وقال: «عبد الواحد ليس حديثه بشيء».

ورواه أيضًا من طريق الحسن بن قتيبة، عن مسعر عن سماك به، وقال: «حديث غريب».

ورواه الخطيب في "التاريخ" من طريق الحسن بن قتيبة: حدثنا مسعر، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عبَّاسٍ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**والله لأغزون قريشًا**». ثلاثًا، ثم سكت ساعة ثم قال: «**إن شاء الله**».

قال الخطيب: هكذا رواه الحسن بن قتيبة عن مسعر، وخالفه ابن عيينة فراوه عن مسعر، عن سماك، عن عكرمة، عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، لم يذكر فيه ابن عبَّاسٍ.

وقد رواه سفيان الثوري وشريك بن عبد الله، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عبَّاسٍ.

ورواه أبو داود من طريق شريك، عن سماك، عن عكرمة به مرسلًا.

ورواه أبو مسعود الرازي من طريق مسعر، عن سماك، عن عكرمة كذلك.

ورواه البيهقي موصولًا ومرسلًا.

قال أبو حاتم الرازي في "العلل": «الأشبه إرساله»، وكذا قال ابن دارة. وقال ابن حِبَّان في "الضعفاء": «رواه مسعر، وشريك، عن سماك، أسنداه مرة وأرسلاه أخرى». قال عبدالحق وابن القطان: «الصحيح مرسل».

٥- حديث إنكاره عليه وآله الصلاة والسلام قول الخطيب: «وَمَنْ عَصَاهُما».

مسلم، وأبو داود، والنسائي، عن عدي بن حاتم: أن رجلًا خطب عند

النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: من يطع الله ورسوله فقد رشد. ومن يعصهما فقد غوى. فقال النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**بئس الخطيب أنت، قلْ: ومنْ يعصِ اللهَ ورسولَه**».

ورواه الحاكم من طريقٍ غير طريق مسلم وصححه على شرط الشيخين. والخطيب هو ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري كما ورد في رواية أبي نعيم في "المعرفة".

٦- **حديث: «في سائمةِ الغنمِ الزكاةُ»**.

ورد معناه من حديث أبي بكر رضي الله عنه وعمرو بن حزم.

١- **فحديث أبي بكر رضي الله عنه**: رواه البخاري، وابن ماجه، من طريق محمد بن عبد الله بن المثنى، عن أبيه، عن ثمامة بن عبد الله بن أنس: أن أنسًا حدثه أن أبا بكر رضي الله عنه كتب له هذا الكتاب لما وجهه إلى البحرين: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذه فريضة الصدقة التي فرضها رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على المسلمين».

وذكر كتابًا طويلًا في صدقة الماشية وفيه: «وفي صدقة الغنم في سائمتها إذا كانت أربعين إلى عشرين ومائة شاة». لفظ البخاري.

وعبد الله بن المثنى اختلف فيه قول ابن معين فقال مرة: «صالح»، ومرة: «ليس بشيء». وقال النسائي: «ليس بالقوي». وقال العقيلي: «لا يتابع في أكثر حديثه». انتهى.

لكن تابعه على حديثه هذا حماد بن سلمة فرواه عن ثمامة، أخرج هذه

المتابعة أحمد عن أبي كامل. وإسحق بن راهويه في "مسنده" عن النضر بن شميل. والنسائي من طريق شريح بن النعمان. وأبو داود والحاكم من طريق موسى بن إسماعيل. كلهم قالوا: حدثنا حماد بن سلمة عن ثمامة به.

قال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه هكذا، إنما تفرد بإخراجه البخاري من وجه آخر عن ثمامة بن عبد الله. وحديث حماد بن سلمة أصح وأشفى وأتم من حديث ابن المثنى». هذا كلامه. وأقره الذهبي.

ثم خرجه -أعني الحاكم- من طريق إسحق بن راهويه، عن النضر، عن حماد به.

٢- **وحديث ابن عمر**: رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، والحاكم من طريق سفيان بن حسين، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه قال: كتب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كتاب الصدقة فلم يخرجه إلى عماله حتى قبض فقرنه بسيفه، فعمل به أبو بكر رضي الله عنه حتى قبض، ثم عمل به عمر رضي الله عنه حتى قبض، فكان فيه...»، وذكر حديثًا طويلًا في صدقة الماشية وفيه: «**وفي الغنم: في كل أربعين شاةً شاةٌ**» هكذا عند هؤلاء بدون ذكر لفظ سائمة.

ثم أخرجه أبو داود من طريق ابن المبارك، عن يونس بن يزيد، عن ابن شهاب قال: هذه نسخة كتاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الذي كتبه في الصدقة وهي عند آل عمر بن الخطاب أقرأنيها سالم بن عبد الله بن عمر فوعيتها على وجهها.

فذكر الحديث وفيه: «**وفي سائمةِ الغنمِ في كلِّ أربعينَ شاةً شاةٌ**». وهذه

الرواية مرسلة كما قال الحافظ المنذري.

٣- **وحديث عمرو بن حزم:** رواه النسائي، وابن حِبَّان، والحاكم، والبيهقي، من طريق الحكم بن موسى القنطري: ثنا يحيى بن حمزة، عن سليمان بن داود، عن الزهري، عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن أبيه، عن جده، عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، أنه كتب إلى أهل اليمن كتابًا فيه الفرائض والسنن والديات.

وذكر حديثًا طويلًا وفيه: «**وفي كل أربعين شاةً سائمةً شاةٌ إلى أن تبلغَ عشرين ومائةً**». صححه الحاكم وابن حِبَّان، والبيهقي.

ونقل عن أحمد أنه قال: «أرجو أن يكون صحيحًا».

قلت: خالف هؤلاءَ جماعةٌ من الحفاظ فحكموا بضعفه، منهم أبو محمد بن حزم في "المحلى" فقد رواه فيه من طريق الحكم بن موسى: ثنا يحيى بن حمزة، عن سليمان بن داود: ثنا الزهري، عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن أبيه، عن جده. وقال: «هذه صحيفة منقطعة لا تقوم بها حجة، وسليمان بن داود الذي رواها متفق على تركه ولا يحتج به».

ورواه من طريق آخر: حدثنا همام قال: ثنا عباس بن أصبغ: ثنا محمد بن عبد الملك بن أيمن: ثنا أبوعبد الله الكابلي ببغداد: ثنا إسماعيل بن أبي أويس: حدثني أبي، عن عبد الله ومحمد بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن أبيهما، عن جدهما، عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنه كتب هذا الكتاب لعمرو بن حزم حين أمَّره على اليمن. الحديث.

ثم قال: «أبو أويس ضعيف وهي منقطعة مع ذلك وبينوا سببه بما يطول

جلبه».

(تنبيه) قال الحافظ ابن الصلاح: «أحسب أن قول الفقهاء والأصوليين: في سائمة الغنم الزكاة. اختصار منهم للحديث».اهـ

٧- حديث: «**مطلُ الغَنِيِّ ظلمٌ**».

البخاري، ومسلم، والأربعة من حديث أبي هريرة، وتمامه: «**وإذا أُتْبِع أحدكم على مَلِيءٍ فليَتْبَع**». قوله: «أُتبع» بضم الهمزة وتكون المثناة الفوقية.

قال الخطابي: «وأهل الحديث يقولون اتّبع بتشديدها وهو خطأ». ومعناه «أحيل» كما في رواية البيهقي: «**وإذا أُحيلَ أحدُكم على مَلِيّ فليَحْتَلْ**».

٨- حديث: «**كُلْ ممَّا يَليكَ**».

مالك في "الموطأ"، والشيخان عن عمر بن أبي سلمة قال: كنت في حجر رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وكانت يدي تطيش في الصحفة. فقال لي: «**يا غلامُ، سمِّ اللهَ وكُلْ بيمينِك وكُلْ مما يَليكَ**». لفظ مسلم.

وفي رواية له أيضًا عنه قال: أكلتُ يومًا مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فجعلت آحذ من لحم حول الصحفة، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**كل مما يليك**».

(تنبيه) نسب الغزالي في "المستصفى" هذه القصة لابن عبَّاسٍ، وكذا البدخشي في شرح المتن وهو غلط.

٩- حديث: «**إذا لم تَسْتَحِ فاصنعْ ما شئتَ**».

أحمد، والبخاري، وأبو داود، وابن ماجه، من طريق ربعي بن حِرَاش، عن أبي مسعود البدري قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إن مما أدركَ**

الناسُ من كلامِ النبوةِ الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت».

ورواه أحمد من حديث حذيفة وهو شاذ، والمحفوظ الأول.

لكن قال الحافظ: «يحتمل أن يكون ربعي سمعه من حذيفة أيضًا».

ومالك في "الموطأ"، عن عبد الكريم بن أبي المخارق.

١٠ - حديث: «لا تُنكِحُ المرأةُ المرأةَ».

الدارقطني في "سننه" من طريق مسلم بن أبي مسلم الجرمي: نا مخلد بن الحسين، عن هشام، عن ابن سيرين، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم. فذكره وزاد: «**ولا تُنكح المرأةُ نفسها إن التي تُنكحُ نفسَها هي البغيُّ**».

ومسلم قال فيه ابن الجوزي: «لا يعرف»، وقال ابن أبي حاتم: «هو من الثقات». نعم قال ابن معين: «رواه ابن نصر، عن بشر بن بكر، عن الأوزاعي عن ابن سيرين، عن أبي هريرة موقوفًا، وهو أشبه.

ورواه ابن ماجه، والدارقطني، والبيهقي، من طريق جميل بن الحسن العتكي: نا محمد بن مروان العقيلي: نا هشام بن حسان، عن محمد، عن أبي هريرة به. إلا أنه قال: «تزوج» بدل «تنكح»، ورجاله ثقات، إلا جميلًا وهو العتكي فقال فيه عبدان: فاسق يكذب في كلامه.

لكن قال ابن عدي: لا بأس به، ولا أعلم له حديثًا منكرًا، ولم أسمع أحدًا تكلم فيه غير عبدان.

وذكره ابن حِبَّان في "الثقات" وقال: «مسلمة الأندلسي ثقة».

ورواه الدارقطني والبيهقي، من طريق عبد السلام بن حرب، عن هشام،

عن ابن سيرين، عن أبي هريرة به. إلا أنه جعل جملة: «إن التي تنكح. .. إلخ». موقوفة على أبي هريرة وهو الصواب.

١١ - حديث أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم احتج لذم أبي سعيد الخدري.

كذا قال المؤلف تبعًا "للمستصفى" و"المحصول"، وإنما هو أبو سعيد بن المعلى، واسمه الحارث بن أوس بن المعلى قال: كنت أصلي، فدعاني رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فلم أجبه حتى صليت، قال: فأتيته فقال: «**ما منعك أن تأتني؟**» قال: قلت: يارسول الله، إني كنت أصلي قال: «**ألم يقل الله تعالى:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ ﴾ [الأنفال: ٢٤]». رواه أحمد والبخاري من طريق خبيب بن عبد الرحمن، عن حفص بن عاصم، عن أبي سعيد بن المعلى به.

ورواه أبو داود، والنسائي وابن ماجه من طريق شعبة عن خبيب.

(تنبيه) ذكر الشيخ أبو إسحق الشيرازي في "المهذب" أن صاحب القصة أبي بن كعب ووهمه القلعي، قال الزركشي: «وليس كذلك، فقد رواه النسائي».اهـ

قلت: رواه من طريق روح بن القاسم، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: خرج رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على أُبَيّ وهو يصلي. فذكر مثل حديث ابن المعلى.

وأخرجه أحمد من طريق العلاء نفسه، والترمذي من طريق قتيبة عن الداروردي، عن العلاء به. وقال: «حسن صحيح». وابن خزيمة من طريق حفص بن ميسرة عنه. والحاكم من طريق الأعرج عن أبي هريرة.

١٢- أثر تمسك الصديق رضي الله عنه على التكرار بقوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣].

أحمد، والشيخان، وأبو داود، والترمذي، والنسائي وابن حبان، والبيهقي، عن أبي هريرة قال: لما توفي رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وكان أبو بكر رضي الله عنه، وكفر من كفر من العرب، فقال عمر رضي الله عنه: فكيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أمرت أن أقاتل الناسَ حتَّى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عَصَم مني مالَه ونفسَه إلَّا بحقِّه وحسابهُ على الله**»؟ فقال: والله لأقاتلن من فرَّق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال. والله لو منعوني عناقًا كانوا يؤدونها إلىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لقاتلتهم علىٰ منعها، قال عمر رضي الله عنه: فوالله ما هو إلا أن شرح الله صدر أبي بكر رضي الله عنه فعرفت أنه الحق.

١٣- قول المؤلف: «لعله عليه الصلاة والسلام بيَّن تكراره».

قلت: ورد التكرار في حديث رواه أبو داود في "سننه"، بإسناد منقطع عن عبد الله بن معاوية الغاضري رفعه: «**ثلاث من فعلهن فقد طعم طعم الإيمان من عبد الله وحده، وعلم أن لا إله إلا الله، وأعطى زكاةَ ماله طيبةً بها نفسُه في كلِّ عام**» الحديث.

ووصله الطبراني في "المعجم الصغير" فقال: ثنا علي بن الحسن بن معروف الحمصي: ثنا أبو تقي عبد الحميد بن إبراهيم: ثنا عبد الله بن سالم بن محمد بن الوليد الزبيدي: ثنا يحيىٰ بن جابر الطائي أن عبد الرحمن بن أبي جبير بن نفير

حدثه أن أباه حدثه أن عبد الله بن معاوية الغاضري حدثهم أن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: فذكره.

وكذا وصلة البغوي في "معجم الصحابة"، من طريق عبد الله بن سلم الزبيدي، عن يحيىٰ بن جابربه.

وقول الطبراني: «عبد الرحمن بن أبي جبير» كذا في نسختنا من "المعجم" والصواب: «ابن جبير».

ومما يدل علىٰ التكرار ما رواه أبو نعيم في "الحلية": قال: ثنا محمد بن محمد: نا محمد بن أحمد: ثنا محمد بن أسلم: نا إبراهيم بن سليمان: نا عبد الحكم، عن أنس قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لا يقبل الله صلاة رجل لا يؤدي الزكاة حتى يجمعهما فإن الله تعالى قد جمعهما فلا تفرقوا بينهما**».

١٤- حديث: النهي عن بيع الملاقيح.

إسحق بن راهويه، والبزار، من طريق صالح بن أبي الأخضر، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال: نهىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن بيع الملاقيح والمضامين. صالح ضعيف.

ورواه مالك في "الموطأ" عن الزهري، عن سعيد مرسلًا قال الدارقطني: «تابعه معمر، ووصله عمر بن قيس عن الزهري والصحيح قول مالك».

وفي الباب عن عمران بن حصين عند ابن أبي عاصم. وعن ابن عبَّاسٍ عند الطبراني في "الكبير" والبزار في "المسند"، وعن ابن عمر عند عبدالرزاق بإسناد قوي.

١٥- قوله: وأيضًا استدلال الصحابة رضي الله عنهم بعموم ذلك في مثل:

﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي ﴾ [النور: ٢]، ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ ﴾ [النساء: ١١].

«أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله»، «الأئمة من قريش»، «نحن معاشر الأنبياء لا نورث» شائعًا من غير نكير.

قلت: المستدل بعموم ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي ﴾ علي عليه السلام.

أخرج عبد الرزاق، وأحمد، والنسائي، والطحاوي، والحاكم، وأبو نعيم في "الحلية"، وابن منده في "غرائب شعبة"، والدورقي، من طريق الشعبي أن عليًّا عليه صلوات الله جلد شراحة يوم الخميس، ورجمها يوم الجمعة وقال: أجلدها بكتاب الله وأرجمها بسنة رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

وأخرج عبد الرزاق، والبيهقي، عن الشعبي أيضًا أن عليًّا كرم الله وجهه ورضي عنه أتي بامرأة من همذان ثيب حبلىٰ يقال لها شراحة، قد زنت، فقال لها علي رضي الله عنه: لعل الرجل استكرهك؟ قالت: لا. قال: فلعل الرجل قد وقع عليك وأنت راقدة؟ قالت: لا. قال: فلعل لك زوجًا من عدونا هؤلاء وأنت تكتمينه؟ قالت: لا. فحبسها حتىٰ إذا وضعت، جلدها يوم الخميس إلخ. وأصل القصة في "صحيح البخاري".

١٦- والمستدل بعموم آية الفرائض فاطمة الزهراء عليها صلوات الله.

حيث طلبت أبا بكر رضي الله عنه أن يدفع لها ميراثها مما ترك رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من خيبر وفدك وصدقته بالمدينة. كما رواه الشيخان من حديث عائشة. والترمذيُّ في "الشمائل" من طرق عنها، وعن عمر رضي الله عنه، وأبي هريرة.

١٧- وحديث: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله».

زاد في كثير من طرقه: «**فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله**».

ورد من حديث: أبي بكر، وعمر رضي الله عنهما، وابن عمر، وجابر، وأبي هريرة، وأنس، وجرير البجلي، وسهل بن سعد، وابن عبَّاسٍ، وأبي بكرة، وأبي مالك الأشجعي، وعياض الأنصاري، والنعمان بن بشير، وسمرة بن جندب، ومعاذ، وأوس بن أوس، ورجل من بلقين.

١- **فحديث أبي بكر رضي الله عنه**: رواه البزار، والحاكم، من طريق أنس عنه. قال البزار: «لا أعلمه يروىٰ عن أنس عن أبي بكر إلا من هذا الوجه وأحسب أن عمران أخطأ في إسناده».

وأخرجه ابن أبي شيبة في "المصنف" وهو المستدل به كما تقدم قبل بحديثين.

٢- **وحديث جابر**: رواه مسلم.

٣- **وحديث أبي هريرة**: رواه الستة.

٤- **وحديث ابن عمر**: رواه الشيخان.

٥- **وحديث أنس**: رواه أحمد، والبخاري، وأبو داود، والترمذي، وابن حِبَّان، والدارقطني. قال الترمذي: «حسن صحيح غريب».

٦- **وحديث جرير**: رواه الطبراني، وفي سنده إبراهيم بن عيينة، ضعفه الأكثرون. وقال ابن معين: «صدوق».

٧- **وحديث سهل بن سعد**: رواه الطبراني، وفي سنده مصعب بن ثابت، قال النسائي: «ليس بالقوي، لكن لم يترك»، وقال أبو حاتم: «صدوق لكنه

يغلط»، ووثقه ابن حِبَّان.

٨- **وحديث ابن عبَّاسٍ**: رواه الطبراني بإسناد رجاله موثقون إلَّا إسحاق بن يزيد الخطابي، فقال الحافظ نور الدين: «لم أعرفه».

٩- **وحديث أبي بكرة**: رواه الطبراني في "الكبير" و"الأوسط"، وفي سنده عبد الله بن عيسىٰ الخزاز، قال الحافظ الهيثمي: «ضعيف لا يحتج به».

١٠- **وحديث أبي مالك الأشجعي عن أبيه**: رواه الطبراني في "الكبير" و"الأوسط"، قال الحافظ الهيثمي: «رجاله موثقون».

١١- **وحديث عياض الأنصاري**: رواه البزار، ولفظه: «**لا إله إلا الله كلمةٌ على الله كريمةٌ لها عند الله مكانٌ وهي كلمةٌ من قالها صادقًا أدخلَه الله بها الجنةَ ومن قالها كاذبًا حقنت دمه وأحرزت ماله ولقي الله غدًا فحاسبه**».

قال الحافظ الهيثمي: «رجاله موثقون إن كان تابعيه عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعودٍ».

١٢- **وحديث النعمان بن بشير**: رواه البزار، وقال الحافظ الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح».

١٣- **وحديث سمرة**: رواه الطبراني في "الأوسط"، وفي سنده مبارك بن فضالة، مختلف في الاحتجاج به.

١٤- **وحديث معاذ**: رواه ابن ماجة في "سننه"، قال الحافظ البوصيري في "الزوائد": «إسناده حسن».

قلت: فيه شهر بن حوشب، وقد اختلف في الاحتجاج به.

١٥ - **وحديث أوس بن أوس**: رواه ابن أبي شيبة في "المصنف".

١٦ - **وحديث رجل من بلقين**: رواه البغوي في "معجم الصحابة".

١٨ - **حديث: «الأئمة من قريش»**.

أحمد، والنسائي، عن أنس، ورواه الطبراني في "الدعاء"، والبزار، والبيهقي من طرق عنه أيضًا.

ورواه الطبراني والحاكم والبيهقي من حديث علي عليه صلوات الله.

واختلف في رفعه ووقفه على علي، ونقل الحافظ عن الدارقطني أنه رجَّح في "العلل" الموقوفة.

ورواه أحمد وأبو بكر بن أبي شيبة، وعنه أبو بكر بن أبي عاصم، من حديث أبي برزة، وإسناد الأخيرين حسن كما قال الحافظ.

وفي الباب عن أبي هريرة: بلفظ: «**الناسُ تبعٌ لقريش**» متفق عليه.

وعن جابر: لمسلم مثله.

وعن ابن عمر: بلفظ: «**لا يزالُ هذا الأمر في قريشٍ ما بقي منهم اثنان**» رواه أحمد والشيخان.

وعن معاوية: بلفظ: «**إنَّ هذا الأمرَ في قريش**». رواه البخاري.

وعن عمرو بن العاص: بلفظ: «**قريش ولاةُ الناسِ في الخيرِ والشرِّ إلى يومِ القيامة**». رواه الترمذي والنسائي. قال الترمذي: «حسن صحيح غريب».

وعن كعب بن عجرة: بلفظ: «**الأمراء من قريش من ناوأهم تحاتَّ تحات الورق**». رواه الحاكم في الكنى.

والمستدل به أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.

فأما استدلال أبو بكر: فرواه البخاري عن عمر في حديث طويل ذكر فيه قصة سقيفة بني ساعدة، وقول الأنصار: منا أمير ومنكم أمير. وقال فيه عن أبي بكر: ولن يعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش هم أوسط العرب نسبًا ودارًا. ورواه من حديث عائشة مختصرًا.

ورواه أحمد من حديث حميد بن عبد الرحمن عن أبي بكر نفسه.

ورواه ابن إسحق والبيهقي من طريقه بلفظ: «وإن هذا الأمر في قريش ما طاعوا الله واستقاموا». قد بلغكم ذلك أو سمعتموه عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

وأما استدلال عمر: فكان في خطبته يوم السقيفة أيضا بعدما خطب أبوبكر ولفظه: نشدتكم الله يا معشر الأنصار أم تسمعوا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أم من سمعه منكم وهو يقول: «الولاة من قريش ما أطاعوا الله واستقاموا على أمره»؟ فقال من قال من الأنصار: بل ذكرنا. رواه ابن إسحق، والبيهقي من طريقه.

١٩- وحديث: «نحنُ معاشرَ الأنبياءِ لا نُورَث».

رواه النسائي في "سننه الكبرى": أنا محمد بن منصور المكي، عن سفيان، عن عمرو بن دينار، عن الزهري، عن مالك بن أوس بن الحدثان قال: قال عمر لعبد الرحمن وسعد وعثمان وطلحة والزبير: أنشدكم بالله الذي قامت له السموات والأرض سمعتم النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**إنَّا معشرَ**

الأنبياءِ لا نورثُ ما تركناه صدقةٌ». قالوا: اللهم نعم.

وقال النَّسائيُّ في كتاب "الكنىٰ": أخبرني إسحق بن موسىٰ: ثنا تليد بن سليمان أبو إدريس، عن عبد الملك بن عمير، عن الزهري، عن مالك بن أوس بن الحدثان قال: قال أبو بكر رضي الله عنه: إن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنا معشر الأنبياء لا نورث ما تركنا صدقة**».

قال: «وتليد بن سليمان كوفي ليس بالقوي».

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلا أنه قال: «إنا» بدل «نحن» وإسناده علىٰ شرط مسلم كما قال الحافظ.

ورواه الطبراني في "الأوسط"، ورواه الحميدي في "مسنده": نا سفيان بن عيينة، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة به. وزاد: «**ما تركنا فهو صدق**». **قلت**: هذا الإسناد علىٰ شرط الشيخين.

وفي الباب عن أبي بكر رضي الله عنه، وعمر، وعثمان، وعلي، وسعد بن أبي وقاص، والعباس، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير، وطلحة، وأبي هريرة، وعائشة، وحذيفة.

١ - **فحديث أبي بكر رضي الله عنه**: متفق عليه من طريق عروة عن عائشة: أن فاطمة أرسلت إليه تسأله ميراثها من رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك ومما بقي من خمس خيبر، فقال أبو بكر: إن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لا نورث ما تركناه صدقة**».

ولأحمد من طريق محمد بن عمرو، عن أبي سلمة: أن فاطمة قالت لأبي

بكر: «مالنا لا نرث النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؟». فقال: سمعته يقول: «**أن النبي لا يورث**».

وذكر الدارقطني في "العلل" حديث الكلبي، عن أبي صالح، عن أم هانئ، عن فاطمة أنها دخلت على أبي بكر فقالت: «من يرثك إذا مت؟» قال: ولدي وأهلي. قالت: «فما لنا لا نرث النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؟!» قال: سمعته يقول: «**إنَّ الأنبياءَ لا يورثون ما تركُوه فهو صدقة**».

(٢-٨)- وحديث عمر، وعثمان، وعلي، والعباس، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير، وسعد بن أبي وقاص: متفق عليه في قصة اختصام علي والعباس إلى عمر فيما أفاء الله على النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من مال بني النضير، وإن عمر قال لعثمان وابن عوف والزبير وسعد: أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض، هل تعلمون أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لا نورث ما تركنا صدقة**»؟ قالوا: نعم. ثم أقبل على علي والعباس فقال: أنشدكما أتعلمان أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قد قال ذلك؟ قالا: نعم. ورواه النسائي وزاد فيهم طلحة.

٩- **وحديث أبي هريرة**: رواه مسلم بلفظ حديث عمر.

١٠- **وحديث عائشة**: في الصحيحين باللفظ السابق.

١١- **وحديث حذيفة**: رواه أبو موسى المديني في "براءة الصديق" من طريق فضيل بن سليمان، عن أبي مالك الأشجعي، عن ربعي عنه.

قال الحافظ: «هذا إسناد حسن».

قلت: ورواه الطبراني أيضًا في "الكبير".

١٢- **وحديث ابن عبَّاسٍ**: رواه الطبراني في "الكبير" والمستدل به أبو بكر وعمر وعائشة رضي الله عنهم، وقد قدمنا ذلك.

٢٠- **حديث: «إذا بلغ الماء قُلتَّينِ»**.

الشافعي، وأبو داود، والنسائي، والدارقطني، والحاكم، والبيهقي، من حديث عبد الله بن عبد الله بن عمر عن أبيه قال: سئل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن الماء وما ينوبه من السباع والدواب فقال: «**إذا كان الماءُ قُلَّتينِ لم يَحْملِ الخَبثَ**». لفظ أبي داود.

ولفظ الحاكم: «**لم ينجسه شيء**».

قال ابن معين: «إسناده جيد»، وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين وقد احتجا بجميع رواته». وقال ابن منده: «إسناده على شرط مسلم»، وقال عبد الحق في "الأحكام": «حديث صحيح».

٢١- **حديث: «الاثنان فما فوقهما جماعة»**.

ورد من حديث أبي موسى الأشعري، وأنس، وعبد الله بن عمرو، والحكم بن عمير، وأبي هريرة، وأبي أمامة.

فحديث أبي موسى: رواه ابن ماجه، والدارقطني، والحاكم، من طريق الربيع بن بدر بن عمرو بن جراد، عن أبيه، عن جده عمرو، عن أبي موسى قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فذكره.

والربيع قال الحافظ البوصيري وابن حجر: «ضعيف». وأبوه قال الحافظ:

«مجهول».

وحديث أنس: رواه البيهقي وقال: «هو أضعف من حديث أبي موسىٰ».

وحديث عبد الله بن عمرو: رواه الدارقطني في "السنن"، وفي إسناده عثمان الوابصي قال الحافظ: «متروك».

وحديث الحكم بن عمير: رواه ابن أبي خيثمة، وابن عدي، وابن سعد، والبغوي في "المعجم". قال الحافظ: «إسناده واه».

وحديث أبي هريرة: رواه ابن المغلس في "الموضح"، وفي إسناده علي بن يونس، عن إبراهيم بن عبد الرزاق، وهما مجهولان كما قال الحافظ.

وحديث أبي أمامة رواه الطبراني في "الأوسط"، وفي مسنده مسلمة بن علي قال الحافظ نور الدين الهيثمي: «ضعيف».

٢٢- **وقول البيضاوي: «فقيل أراد به جواز السفر»**. يرده أمران:

الأول: ما ورد في بعض طرق الحديث مما يفيد أن المراد جماعة الصلاة، وذلك ما أخرجه أحمد من طريق عبيدالله بن زحر، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة: أن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم رأىٰ رجلًا يصلي فقال: «**أَلَا رجلٌ يتصدَّقُ على هذا فيصلي معه**». فقام رجل يصلي معه فقال: «**هذان جماعة**».

قال الحافظ: «هذا عندي أمثل طرق هذا الحديث لشهرة رجاله وإن كان ضعيفًا».اهـ

ورواه الطبرانيُّ، وابن عدي، عن أبي أمامة، من وجه آخر ضعيف أيضًا.

ورواه أحمد، عن الوليد بن أبي مالك، وهو منقطع لأن الوليد ليس

بصحابي كما قال الهيثمي.

وقد بوب البخاري في أبواب صلاة الجماعة بحديث الترجمة فقال: «باب اثنان فما فوقهما جماعة». وكذا فعل ابن ماجه والدارقطني وغيرهما.

الثاني: ما ورد في بعض الأحاديث مما يفيد النهي عن سفر الإثنين إذا لم يكن معهما ثالث.

وذلك ما أخرجه أحمد، وأبو داود، والترمذي، والحاكم، بإسناد صحيح عن عبد الله بن عمرو: أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**الراكب شيطانٌ والراكبانِ شيطانَان والثلاثةُ ركْبٌ**».

٢٣- قول البيضاوي: «وعن ابن عبَّاسٍ خلافه».

يعني أن ابن عبَّاسٍ أجاز انفصال الاستثناء عن اليمين، لكن اختلفت الرواية عنه في ذلك، فقيل: أجازه إلى شهر، وقيل: إلى سنة، وقيل: إلى الأبد. كذا في "شرح الإسنوي" و"جمع الجوامع".

قلت: لم أقف على الرواية الأولى والثالثة، وأما الثانية فرواها سعيد بن منصور، وابن جرير في "التفسير"، والطبراني في "الكبير" و"الأوسط"، من طريق الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عبَّاسٍ: أنه كان يرى الاستثناء ولو بعد سنة، ثم قرأ: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٣ - ٢٤] يقول: إذا ذكرت. لفظ من عدا ابن جرير ولفظه: «ولو إلى سنة».

ورجال الثلاثة ثقات إلا أن أبا موسى المديني أعله فقال: «هذا حديث غير

ثابت، ولا متصل فإن الأعمش قد سمع من مجاهد ولم يسمع هذا منه، ولما رواه عيسى بن يونس عن الأعمش قال: سألته أسمعته من مجاهد؟ قال: لا». كذا نقل الزركشي عنه وأقره.

قلت: إنما يتم هذا القدح لو لم يصرح الأعمش بمن حدثه، وقد صرَّح به قال ابن جرير والطبراني: قيل للأعمش: سمعت هذا من مجاهد؟ فقال: حدثني به ليث بن أبي سليم عن مجاهد.

قلت: بان من هذا أن الحديث متصل وأنه حسن لأن ليثًا حسن الحديث.

(تنبيه): ورد عن ابن عبَّاسٍ ما يعارض ما تقدم، وهو ما رواه الطبراني من طريق عبد العزيز بن حصين، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عبَّاسٍ في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤]، قال: «إذا نسيت الاستثناء فاستثن إذا ذكرت». وقال: «هي لرسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم خاصة وليس لأحد منا أن يستثني إلا في صلة من يمينه». وعبد العزيز ضعيف كما قال الحافظ الهيثمي.

٢٤- حديث: «لا صلاةَ إلا بطهور».

الطبراني في "الأوسط"، من طريق عيسى بن سبرة، عن أبيه، عن جده قال: صعد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ذات يوم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**أيُّها الناسُ لا صلاةَ إلَّا بوضوءٍ، ولا وضوءَ لمن لم يذكرِ اسمَ اللهِ عليه**» الحديث. وعيسى وأبوه قال الحافظ الهيثمي: «لم أر من ذكر أحدًا منهما».

وفي الباب عن أبي بكر رضي الله عنه: بلفظ: «**لا يقبل الله صلاةً بغير طُهورٍ ولا صدقةً من غُلولٍ**». رواه أبو عوانة.

وعن عمر: بلفظ أبي بكر رضي الله عنهما، رواه ابن أبي شيبة في "المصنف".

وعن الحسن بن علي: عليهما صلوات الله باللفظ السابق رواه الخطيب في "المتفق والمفترق".

وعن ابن عمر رضي الله عنهما بلفظ أبي بكر رضي الله عنه، رواه مسلم.

ورواه الترمذي وابن ماجه بلفظ: «**لا تُقبلُ صلاةٌ إلا بطهورٍ**».

قال الترمذي: «هذا الحديث أصح شيء في هذا الباب».

وعن الزبير بن العوام: بلفظ الترمذي، رواه الطبراني في "الأوسط"، قال الحافظ الهيثمي: «فيه وهب بن حفص الحراني، قيل فيه: كذاب».

وعن أسامة بن عمير الهذلي: بلفظ: «**لا يقبلُ اللهُ صلاةً إلا بطُهورٍ ولا يقبل صدقةً من غلولٍ**». رواه ابن ماجه.

ورواه أحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن حِبَّان، ولكن قالوا: «**بغير طهور**».

وعن أنس: بلفظ أبي بكر رضي الله عنه، رواه أبو يعلى، وابن ماجه من طريق يزيد بن أبي حبيب، عن سنان، عن أنس.

ويزيد، قال الحافظ البوصيري: «مجهول»، وقال الحافظ الهيثمي: «لم أر من ذكره»، وشيخه ضعيف كما قال الحافظ البوصيري.

وعن ابن مسعود: بلفظ أبي بكر رضي الله عنه، رواه الطبراني في "الكبير" قال الحافظ الهيثميُّ: «فيه عباد بن أحمد العزرمي وهو متروك».

وعن عمران بن حصين: بلفظ أبي بكر رضي الله عنه، رواه الطبراني في

"الكبير"، قال الحافظ الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح».

وعن طلحة بن عبيد الله: قال أبو بكر محمد بن محمد بن سليمان الباغندي في "مسند عمر بن عبد العزيز": حدثني عبد الله بن أحمد الدورقي: ثنا يونس بن موسى: ثنا الحسن بن حماد أبو محمد الكريزي: ثنا عبد الله بن محمد العدوي قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول على منبره: «**ألا أيُّها الناسُ لا يقبلُ اللهُ صلاةَ إمام حَكَمَ بغيرِ ما أنزلَ اللهُ تعالى، ولا يقبلُ الله صلاةً بغير طهورٍ ولا صدقةً من غُلولٍ**».

وعن أبي بكرة: بلفظ أبي بكر رضي الله عنه، رواه ابن ماجه، وفي سنده الخليل بن زكرياء، قال الحافظ البوصيري: «ضعيف».

وعن أبي سعيد الخدري: بلفظ: «**لا صلاةَ بغيرِ طهورٍ ولا صدقةً من غلولٍ**». رواه الطبراني في "الأوسط"، والبزار، قال الحافظ الهيثمي: «فيه عبيد الله بن يزيد القردواني، لم يرو عنه غير ابنه محمد». وقال تلميذه الحافظ: «مجهول» والقُرْدُواني بضم القاف والدال بينهما راء ساكنة.

وعن أبي هريرة: بلفظ: «**لا تقبل صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول**». رواه البزار، قال الحافظ الهيثمي: «فيه كثير بن زيد الأسلمي، وثقه ابن حِبَّان، وابن معين في رواية، وقال أبو زرعة: صدوق فيه لين، وضعفه النسائي، وقال محمد بن عبد الله بن عمار الموصلي: ثقة».اهـ

وعن الحسن وأبي قلابة مرسلًا: بلفظ أبي بكر السابق، رواه الحارث بن أبي أسامة في "مسنده".

٢٥- حديث: «القاتل لا يَرِث».

الترمذيُّ، والنَّسائيُّ في "الكبرىٰ"، وابن ماجه من طريق إسحق بن عبدالله بن أبي فروة، عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة، عن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم به.

قال الترمذيُّ: «هذا حديث لا يصح، لا يعرف إلا من هذا الوجه، وإسحق بن عبد الله تركه بعض أهل العلم منهم أحمد بن حنبل، وكذا قال النسائي: إن إسحق متروك».

وفي الباب عن عمر رضي الله عنه: بلفظ: «**ليسَ للقاتلِ ميراثٌ**». رواه الدارقطني في "السنن"، من طريق محمد بن سليمان بن أبي داود: نا عبد الله بن جعفر، عن يحيىٰ بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، عن عمر.

ومحمد بن سليمان، قال أبو حاتم الرازي: «متروك الحديث». وسعيد بن المسيب لم يسمع من عمر كما قال ابن القطان.

ورواه الدارقطني أيضًا من طريق أبي حمة: نا أبو قرة، عن سفيان، عن يحيىٰ بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، عن عمر قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ليس لقاتلٍ شيءٌ**».

وأبو حمة، قال ابن القطان: «لا أعرف حاله ولم أر من ذكره إلا ابن الجارود في كتاب "الكنىٰ" ولم يذكر حالًا».

ورواه مالك، والشافعي، وعبد الرزاق، والنسائي، كلهم من طريق عمرو بن شعيب، عن عمر، في قصة بلفظ الدارقطني الأول، وهو منقطع لأن عمرًا لم يدرك عمر.

وعن عبد الله بن عمرو: بلفظ: «**لا يَرِثُ القاتلُ شيئًا**».

رواه النسائي والدارقطني من طريق إسماعيل بن عياش، عن ابن جريج ويحيىٰ بن سعيد -زاد الدارقطني: والمثنىٰ بن الصباح- عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده عبد الله بن عمرو.

قال النسائي: «حديث ابن عياش هذا خطأ». وقال ابن القطان: «رواية ابن عياش من غير الشاميين ضعيفة عند البخاري وغيره».

قلت: قد تابعه محمد بن راشد، فرواه عن سليمان بن موسىٰ عن عمرو بالسند المذكور.

وعن ابن عبَّاسٍ: باللفظ السابق، رواه الدارقطني بإسناد ضعيف.

وقال عبد الرزاق: نا معمر، عن رجل، عن عكرمة، عن ابن عبَّاسٍ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**من قتل قتيلًا فإنه لا يرِثُه وإن لم يكن له وارثٌ غيرهُ**». ثم قال عبد الرزاق: «والرجل هو عمرو بن برق». قال الحافظ: «وهو ضعيف».

وعن عمر بن شيبة بن أبي كثير الأشجعي: في قصة قتله لامرأته خطأ، وأن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال له: «**أعقلها ولا ترثها**». رواه الطبراني.

وعن عدي الجذامي: نحوه رواه الخطابي.

(تنبيه): صنيع المصنف في الاستدلال بحديث الترجمة يقتضي أنه متواتر، وليس كذلك، فإنه كما ترىٰ لم تسلم طرقه من ضعف وانقطاع وإن كان يتقوىٰ بمجموعها لكن لا يبلغ إلىٰ درجة الصحة فضلًا عن التواتر، والله أعلم.

٢٦- وقول البيضاوي: «وبِرَجْمه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم للمُحْصَن».

يقتضي أيضًا أن الرجم متواتر، وهو صحيح، فقد ورد عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رجم ماعز بن مالك الأسلمي من حديث أبي بكر رضي الله عنه، وأبي هريرة، وجابر، وابن عبَّاسٍ، وجابر بن سمرة، وأبي سعيد الخدري، وبريدة، وأبي ذر، وأبي برزة، ورجل من الصحابة، ونصر بن دهر، واللجلاج، ونعيم بن هزال عن أبيه، ومن مرسل ابن المسيب، وعطاء بن يسار، وأبي أمامة بن سهل بن حنيف، والشعبي.

١ - **فحديث أبي بكر** رضي الله عنه رواه أحمد.

٢ - **وحديث أبي هريرة**: رواه الستة.

٣،٤ - **وحديث جابر، وابن عبَّاسٍ**: رواه الستة إلا ابن ماجه.

٥،٦ - **وحديث جابر بن سمرة، وأبي سعيد**: رواه مسلم، وأبو داود، والنسائي.

٧ - **وحديث بريدة**: رواه مسلم.

٨ - **وحديث أبي ذر**: رواه أحمد.

٩ - **وحديث أبي برزة**: رواه ابن أبي شيبة في "المصنف".

٦ - **وحديث الرجل من الصحابة**: رواه النسائي.

٧ - **وحديث نصر بن دهر**: رواه ابن أبي شيبة، والنسائي، بإسناد جيد.

٨ - **وحديث اللجلاج**: رواه أبو داود، والنسائي.

٩ - **وحديث نعيم عن أبيه**: رواه أبو داود، والنسائي، والحاكم.

١٠ - **ومرسل ابن المسيب**: رواه النسائي.

١١- **ومرسل عطاء بن يسار**: رواه ابن أبي شيبة.

١٢- **ومرسل أبي أمامة**: رواه أبو مرة في "سننه".

١٣- **ومرسل الشعبي**: رواه ابن أبي شيبة.

وفي "صحيح مسلم" من حديث بريدة: أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رجم الغامدية لما اعترفت عنده بالزنا.

وفيه أيضًا من حديث عمران بن حصين مثل ذلك في امرأة من جهينة.

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر: أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رجم يهوديين زنيا.

زاد أبو داود، والحاكم، والبيهقي: «وكانا قد احصنا».

وفيهما أيضًا من حديث أبي هريرة، وزيد بن خالد، أن رجلين اختصما إلى النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في زنا ابن أحدهما بامرأة الآخر، الحديث بطوله.

وفيه من قول النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**وعلى ابنك جلد ماية وتغريب عام، واغد يا أنيس على امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها**». فغدا عليها فاعترفت فرجمها.

٢٧- **حديث: «إذا رُوي عني حديثٌ فاعرِضُوه على كتابِ الله، فإن وافَقَه فاقبلُوه وإن خالَفَه فردُّوه»**.

ورد من طرق ضعيفة عن علي، وابن عمر، وثوبان، وأبي هريرة.

١- **فحديث علي كرم الله وجهه**: رواه الدارقطني، من طريق جبارة بن

المغلس، عن أبي بكر بن عياش، عن عاصم بن أبي النجود، عن زر، عن علي صلوات الله عليه مرفوعا: «**إنَّها ستكون بعدي رُواةٌ يروون عنِّي الحديثَ فاعرِضُوا حديثَهم على القرآنِ فما وافقَ القرآنَ فخذُوا به وما لم يوافق القرآنَ فلا تأخذُوا به**».

ثم قال الدارقطني: «هذا وهم والصواب عن عاصم، عن زيد بن علي مرسلًا».

قلت: وجبارة ضعيف مضطرب الحديث كما قال البخاري، بل رماه ابن معين بالكذب.

٢- **وحديث ابن عمر**: رواه الطبراني في "الكبير" من طريق الوضين، عن سالم بن عبدالله بن عمر، عن أبيه رفعه: «**سُئِلت اليهودُ عن موسى فأكثَرُوا فيه وزادُوا ونقصُوا حتَّى كَفَروا، وإنه ستفْشُو عني أحاديثُ، فما أتاكم من حديثي فاقرؤا كتابَ الله واعتبرُوا، فما وافق كتاب الله فأنا قلْته وما لم يوافقْ كتابَ الله فلم أقلْهُ**».

قال الحافظ نور الدين الهيثمي: «فيه أبو حاضر عبدالملك بن عبدربه، وهو منكر الحديث».

٣- **وحديث ثوبان**: رواه الطبراني، من طريق يزيد بن ربيعة، عن أبي الأشعث، عن ثوبان مرفوعًا: «**ألا إنَّ رحى الإسلامِ دائرةٌ**» قالوا: فكيف نصنع يا رسول الله؟ قال: «**اعرِضُوا حديثِي على الكتابِ فما وافقه فهو منِّي وأنا قلْتُه**».

ويزيد، قال البخاري: «منكر الحديث». وقال النسائي: «متروك». وكذا

قال الحافظان الناقدان شمس الدين الذهبي ونور الدين الهيثمي، وأعلَّه ابن الجوزي في "الموضوعات" بأن أبا الأشعث لا يروي عن ثوبان، واعتراض الحافظ السيوطي عليه غير سديد.

٤- **وحديث أبي هريرة**: رواه الهروي في "ذم الكلام"، من طريق صالح بن موسىٰ، عن عبدالعزيز بن رفيع، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رفعه: «**إنَّه ستأتيكم عني أحاديث مُختلِفةٌ، فما جاءكم موافقًا لكتاب الله وسنَّتي فهو مِنِّي، وما جاءكم مخالفًا لكتاب الله وسنَّتي فليس مِنِّي**». وصالح هو الطلحي، قال النسائي: «متروك».

وللبيهقي في كتاب "المعرفة" من حديث أبي جعفر رفعه: «**ما جاءكم عني فاعرِضوه على كتابِ الله فما وافقه فأنا قلتُه وما خالفه فلم أقلْه**».

قلت: أبو جعفر إذا كان هو الأنصاري الذي ولد في عهد النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ ما يفهم من رواية جاءت عنه كما ذكر الحافظ، فالحديث مرسل، وإن كان غيره فهو مجهول، والراوي له عن أبي جعفر خالد بن أبي كريمة وهو ضعيف كما قال ابن معين.

وقد نص جماعة من الأئمة علىٰ أن هذا الحديث لا يصح، في مقدمتهم الإمام الشافعي رضي الله عنه، فإنه قال كما حكاه عنه البيهقي في "المعرفة": «ما روىٰ هذا الحديث أحد يثبت حديثه في شيء صغير ولا كبير».

وقال الحافظ ابن عبدالبر في كتاب "العلم": «هذه الألفاظ لا تصح عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عند أهل العلم بصحيح النقل من سقيمه».

ونقل عن عبدالرحمن بن مهدي أنه قال: «الزنادقة والخوارج وضعوا

حديث: **ما أتاكم عنِّي فاعرضُوه على كتابِ الله**».اهـ

وقال البيهقي في "المدخل": «هذا حديث باطل لا يصح وهو ينعكس على نفسه بالبطلان فليس في القرآن دلالة على عرض الحديث على القرآن. وقال الخطابي: هو حديث باطل لا أصل له وروي عن يحيى بن معين أنه قال: فهذا حديث وضعه الزنادقة».اهـ

وقال الحافظ: «له طرق لا تخلو من مقال».

وعارضه بعضهم فقال: «عرضنا هذا الحديث على كتاب الله فخالفه، لأنا وجدنا كتاب الله يقول: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧]، ووجدنا فيه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، ووجدنا فيه: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]».

٢٨- حديث: «**خلقَ اللهُ الماءَ طهورًا لا ينجِّسهُ شيءٌ إلا ما غيَّر طعمَه أو لونَه أو ريحَه**». لا أصل له بهذا اللفظ، لكن في معناه أحاديث.

ففي معنى صدره ما رواه الشافعي، وأحمد، والأربعة، والدارقطني، والحاكم، والبيهقي، عن أبي سعيد الخدري قال: قيل يا رسول الله، أتتوضأ من بير بضاعة وهي بير يلقى فيها الحيض ولحوم الكلاب والنتن؟! فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ الماءَ طهورٌ لا ينجِّسه شيءٌ**». لفظ الترمذي، وقال: «حسن». وصححه أحمد، وابن معين، وابن حزم.

وما رواه ابن ماجه من طريق شريك، عن طريق ابن شهاب قال: سمعت أبا نضرة يحدث عن جابر قال: انتهينا إلى غدير فإذا فيه جيفة حمار قال: فكففنا

عنه، حتىٰ انتهىٰ إلينا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**إن الماءَ لا يُنجِّسه شيءٌ**». فاستقينا وارويناً وحملنا.

وطريف، قال ابن عبد البر: «أجمعوا علىٰ ضعفه».

وما رواه أحمد بإسناد رجاله ثقات، عن ابن عبَّاسٍ: أن امرأة من أزواج النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم اغتسلت من جنابة فتوضأ النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بفضله، فذكرت ذلك له فقال: «**إنَّ الماءَ لا ينجِّسه شيءٌ**».

وله عند البزار نحوه إلا أنه ذكر «الوضوء» بدل «الجنابة». قال الحافظ الهيثمي: «رجاله ثقات».

وما رواه الدارقطني قال: ثنا محمد بن سليمان الحراني أبو سليمان: نا علي بن أحمد الجرجاني: نا محمد بن موسىٰ الحرثي: نا فضيل بن سليمان النميري، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد، عن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**الماءُ لا ينجِّسه شيءٌ**».

وما رواه أبو يعلىٰ، والبزار، والطبراني، في "الأوسط" بإسناد رجاله ثقات كما قال الحافظ الهيثمي، عن عائشة: أن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**الماء لا ينجِّسه شيءٌ**».

وما رواه الطبراني في "الكبير" بإسناد رجاله موثقون كما قال الحافظ نور الدين، عن ميمونة: أن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**الماء لا ينجسه شيء**».

وما رواه أحمد بإسنادٍ صحيحٍ كما قال الحافظ الهيثميُّ وتلميذه الحافظ، عن معاذة قالت: سألت عائشة عن الغسل من الجنابة فقالت: «إن الماء لا ينجسه

شيء».

وما رواه ابن أبي شيبة قال: ثنا ابن علية، عن داود بن أبي هند، عن سعيد بن المسيب سألناه عن الغدران والحياض تلغ فيها الكلاب فقال: «أنزل الماء طهورًا لا ينجسه شيء».

ورواه الدارقطني: ثنا جعفر بن محمد بن أحمد الواسطي: نا موسى بن إسحق: نا أبو بكر -يعني ابن أبي شيبة- به.

وفي معنى الاستثناء ما رواه الدارقطني من طريق رشدين بن سعد: نا معاوية بن صالح، عن راشد بن سعد، عن ثوبان قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**الماءُ طهورٌ إلا ما غلَبَ على ريحِهِ أو على طعمِهِ**». ورشدين متروك على صلاحه.

وما رواه ابن ماجه، والطبراني، والدارقطني، من طريق رشدين بن سعد، عن معاوية بن صالح، عن راشد بن سعد، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إن الماء لا ينجسه شيء إلا ما غلب على ريحه وطعمه ولونه**». وهو ضعيف أيضا لضعف رشدين.

ورواه البيهقي من طريق عطية بن بقية، عن أبيه، عن ثور، عن راشد بن سعد، عن أبي أمامة بلفظ: «**إن الماء طهور إلا إن تغير ريحُه أو طعمُه أو لونُه بنجاسةٍ تحدث فيه**».

وهذا الطريق -وإن كان ضعيفًا- يرد قول الدارقطني: «لم يرفع الحديث غير رشدين».

ورواه الطحاوي، والدارقطني، من طريق راشد بن سعد مرسلًا بلفظ:

«**الماءُ لا ينجِّسه شيء إلا ما غلبَ على ريحِهِ أو طعمِهِ**». زاد الطحاوي: «**أو لونه**». وصحح أبو حاتم إرساله.

وقال الشافعي: «يروىٰ هذا الحديث عن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من وجه لا يثبت أهل الحديث إرساله». وقال في "العلل": «لا يثبت». وقال النووي: «اتفق المحدثون علىٰ تضعيفه».

٢٩- **حديث: «إذا بلغ الماء قلتين»**. تقدم.

٣٠- **حديث: «حُكْمي على الواحدِ حُكْمي على الجماعةِ»**.

قال المزي، والذهبي، والعراقي، والسخاوي: «لا أصل له».

لكن في معناه ما رواه النسائي من طريق مالك، والترمذي، من طريق سفيان، عن محمد بن المنكدر: سمعت أميمة بنت رقيقة تقول: بايعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في نسوة فقال لنا: «**فيما استطعتُنَّ وأطَقتُنَّ**». قلت: الله ورسوله أرحم منا بأنفسنا، فقلت: يا رسول الله بايِعْنا. قال سفيان -يعني صافحنا-: فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّما قَوْلي لمائةِ امرأةٍ كقَوْلي لامرأةٍ واحدةٍ**». لفظ الترمذي. وقال: «حسن صحيح».

ولفظ النسائي: «**ما قَوْلي لامرأةٍ واحدةٍ إلا كقَوْلي لمائةِ امرأةٍ**».

وأخرجه ابن حِبَّان في "صحيحه"، وكذا الدارقطني وألزم الشيخين إخراجه.

٣١- **قول البيضاوي: «كحديث أبي هريرة رضي الله عنه وعمله في الولوغ»**.

قلت: حديثه في الولوغ متفق عليه، من طريق مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عنه بلفظ: «**إذا شرب الكلبُ في إناء أحدِكم فليغسلْه سبعَ مراتٍ**».

قال الحافظ: «هذا هو المشهور عن مالك، وروي عنه: «إذا ولغ» وهذا هو لفظ أصحاب أبي الزناد أو أكثرهم عنه، وهو المحفوظ. وكذا رواه عامة أصحاب أبي هريرة عنه».اهـ

ولمسلم من طريق هشام، عن ابن سيرين، عنه بلفظ: «**إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم غسل سبعًا أُولاهن بالتراب**».

ورواه الترمذي، من طريق ابن سيرين أيضًا، فقال: «**أُولاهن أو أُخراهن**» وقال: «حسن صحيح».

ورواه البزار فقال: «أحسبه قال: **إحداهن بالتراب**».

قال الحافظ الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح خلا شيخ البزار».

ورواه أبو داود، من طريق أبان، عن قتادة، عن ابن سيرين بلفظ: «**السابعة بالتراب**» وكذا رواه الدارقطني وقال: «صحيح».

ثم رواه من طريق معاذ، عن هشام، عن أبيه، عن قتادة، عن خلاس، عن أبي رافع، عن أبي هريرة بلفظ: «**أولاهن بالتراب**» وقال: «صحيح».

لكن رواه البيهقي من هذا الطريق وقال: «إن كان معاذ حفظه فهو حسن» قال الحافظ: «فأشار إلى تعليله وعمله فيه».

رواه الدارقطني من طريق عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطاء عنه: أنه كان إذا ولغ الكلب في الإناء أهرقه وغسله ثلاث مرات. وكذا رواه ابن عدي.

قال البيهقي في "المعرفة": «عبد الملك لا يحتج به إذا انفرد، فكيف إذا خالف، وقد تفرَّد بهذا من بين أصحاب عطاء، ولمخالفته أهل الحفظ والثقة في بعض رواياته تركه شعبة بن الحجاج، ولم يحتج به البخاري في "الصحيح"».

قال: وروينا عن حماد بن زيد ومعتمر بن سليمان، عن أيوب، عن ابن سيرين، عن أبي هريرة من قوله نحو روايته عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم».اهـ

قلت: رواية حماد بن زيد أخرجها الدارقطني قال: ثنا المحاملي: نا حجَّاج بن الشاعر: نا عارم نا حماد بن زيد، عن أيوب، عن محمد، عن أبي هريرة: في الكلب يلغ في الإناء، قال: «يهراق ويغسل سبع مرات».

قال الدارقطني: «صحيح موقوف».

٣٢- حديث: «أيَّما إهابٍ دُبِغَ فقد طَهُرَ».

مالك، والشافعي، وإسحق بن راهويه، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن حِبَّان، والبزار، من طريق عبد الرحمن بن وَعْلَة، عن ابن عبَّاسٍ بهذا. قال الترمذي: «حسن صحيح».

ورواه مسلم، والدارقطني من هذا الوجه بلفظ: «**إذا دبغ الإهاب فقد طهر**». ورواه الدارقطني، من حديث ابن عمر بلفظ الترجمة وقال: «إسناده حسن». وقال الحافظ: «إسناده على شرط الصحة»، وللخطيب في "تلخيص المتشابه" عن جابر نحوه.

٣٣- قول البيضاوي: مع قوله في شاة ميمونة «دِباغُها طهورُها».

هذا الحديث بهذا السياق لا يوجد، بل هو ملفق من حديثين.

ففي "صحيح مسلم" من حديث ابن عبَّاسٍ قال: تُصُدِّق على مولاة لميمونة بشاة فماتت فمر بها رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: «هلَّا

أخذتم إهابَها فدبغتموه فانتفعتُم به؟» فقالوا: إنها ميتة. فقال: «**إنما حُرِّم أكلُها**». وكذا رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي. ورواه البخاري إلا أنه لم يقل: «فدبغتموه».

وفي لفظ لأحمد: إن داجنة لميمونة ماتت فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ألا انتفعتُم بإهابِها، ألا دبغتموه، فإنَّه ذكاتُه**».

وكذا رواه الدارقطني، ورواه البزار، والطبراني، والبيهقي بلفظ: ماتت شاة لميمونة فقال النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ألا استمتعتم بإهابها فإن دباغ الأديم طهوره**». وفيه يعقوب بن عطاء، ضعفه ابن معين وأبو زرعة.

وأما حديث «**دباغها طهورها** ». فرواه النسائي، والطبراني، وابن حِبَّان، والدارقطني، والبيهقي، من حديث عائشة.

وأخرج وأبو داود، والنسائي، وابن حِبَّان، والدارقطني، والبيهقي، من طريق الجون بن قتادة، عن سلمة بن المحبق: أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في غزوة تبوك دعا بماء من عند امرأة، قالت: ما عندي إلا في قربة لي ميتة، قال: «**أليس قد دَبغْتِها؟**» قالت: بلى، قال: «**فإن دباغَها طهورُها**». إسناده صحيح كما قال الحافظ.

وأما إعّلال الأثرم له بأن أحمد قال في الجون: «لا أعرفه» فمردود، فإن علي بن المديني عرفه، وروى عنه الحسن وقتادة كما قال الحافظ.

قلت: وروى عنه أيضًا سلمة بن الأكوع، وهشيم. فرواية سلمة أخرجها أبو نعيم، ورواية هشيم أخرجها ابن منده وابن عساكر.

وفي الباب عن أنس: أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم استوهب وضوءًا فقيل له: لم نجد ذلك إلا في مسك ميتة. قال: «**أدبغتموه؟**» قالوا: نعم. قال: «**فَهَلُمَّ فإن ذلك طهوره**». رواه الطبراني في "الأوسط" بإسناد حسن كما قال الحافظ الهيثمي.

وأخرج أبو يعلى من طريق درست بن زياد، عن زياد الرقاشي، عن أنس قال: كنت أمشي مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**يا بُنيَّ ادعُ لي من هذه الدار بوضوء**»، فقلت: رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يطلب وضوء. فقال: أخبره فإن دلونا جلد ميتة. فقال: «**سلْهم هل دبغتموه؟**»، قالوا: نعم. قال: «**فإن دباغه طهوره**». ودرست وشيخه مختلف في الاحتجاج بهما كما قال الحافظ نورالدين.

وعن ابن عبَّاسٍ: بلفظ: «**دباغُ كلِّ إهابٍ طهورُه**» رواه الدارقطني، وابن شاهين من طريق فليح بن سليمان، عن زيد بن أسلم، عن عبد الرحمن بن وعلة عن ابن عبَّاسٍ.

وأصله في "صحيح مسلم" من طريق أبي الخير عن ابن وعلة بلفظ: «**دباغه طهوره**».

وفيه قصة لابن وعلة مع ابن عبَّاسٍ في سؤاله عن الأسقية التي تأتيهم بها المجوس. وللدولابي في "الكنى" من طريق إسحق بن عبدالله بن الحارث قال: قلت لابن عبَّاسٍ: الفرا تصنع من جلود الميتة. فقال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**ذكاةُ كلِّ مِسْك دباغه**».

وعن زيد بن ثابت: بلفظ: «**دباغ جلود الميتة طهورها**». رواه الدارقطني بإسناد ضعيف.

وعن ابن عمر: أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: مر بشاة فقال: «**ما هذه؟**» قالوا: ميتة. قال النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ادبغوا إهابَها فإنَّ دباغَه طهورُه**». رواه الدارقطني بإسناد ضعيف.

وعن أبي أمامة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج في بعض مغازيه فمر بأهل أبيات من العرب فأرسل إليهم: «**هل من ماء لوضوء رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؟**» فقالوا: ما عندنا إلا في إهاب ميتة دبغناها بلبن. فأرسل إليهم أن دباغه طهوره. فأتي به فتوضأ ثم صلى.

رواه الطبراني في "الكبير" و"الأوسط" بإسناد ضعيف لأن فيه عفير بن معدان وهو مجمع على ضعفه كما قال الحافظ الهيثمي.

وعن عائشة: بلفظ: «**طهورُ كلِّ أديمٍ دِباغهُ**». رواه الدارقطني بإسناد نص على حسنه.

وعن أم سلمة: قالت: كانت لنا شاة نحلبها ففقدها النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**ما فعلت شاتكم؟**» قالوا: ماتت. قال: «**ما فعلتم بإهابها؟**» قالوا: يا رسول الله ألقيناه. قال: «**أفلا استنفعتم به؟ فإنَّ دباغَها ذكاتُها تَحِلُّ كما يَحِلُّ الخلُّ من الخمرِ**».

رواه الطبرانيُّ في "الكبير"و"الأوسط"، والدارقطني، وقالا: «تفرَّد به فرج بن فضالة»، زاد الثاني: «وهو ضعيف». وقال الحافظ الهيثمي: «ضعفه

الجمهور».

ولهما من حديثها قالت: سمعت النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**لا بأسَ بمَسْكِ الميتةِ إذا دُبِغَ**». وإسناده ضعيف لأن فيه يوسف بن السفر، قال الدارقطني: «متروك». وقال الحافظ الهيثمي: «أجمعوا علىٰ ضعفه».

وعن المغيرة بن شعبة: قال: دعاني رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بماء فأتيت خباء فإذا فيه أعرابية، فقلت: هذا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يريد ماء يتوضأ به، فقالت: بأبي وأمي رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فوالله ما تظل السماء ولا تقل الأرض روحًا أحب إلي من روحه ولا أعز، ولكن هذه القربة مسك ميتة ولا أحب أنجس به رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فرحت إلىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فأخبرته، فقال: «**ارجع إليها فإن كانتْ دَبَغَتْهَا فهي طهورُها**» فرجعت إليها فذكرت ذلك لها فقالت: إي والله لقد دبغتها، فأتته بماء منها.

رواه أحمد، والطبراني في "الكبير"، وفي سندهما علي بن يزيد عن القاسم، قال الحافظ الهيثمي: «فيهما كلام وقد وثقا».

٣٤- حديث: «ألا لا يُقتلُ مسلم بكافرٍ ولا ذو عهدٍ في عهدِه».

ورد من حديث علي عليه السلام، وابن عبَّاسٍ، وابن عمر، وعمران بن حصين، وعائشة، وعبد الله بن عمرو، ومعقل بن يسار، ومن مرسل عطاء، وطاوس، ومجاهد، والحسن.

١- **فحديث علي عليه صلاة الله**: رواه النسائي، والدارقطني من طريق مالك الأشتر قال: أتيت عليًّا رضي الله عنه فقلت: يا أمير المؤمنين إنا إذا

خرجنا من عندك سمعنا أشياء، فهل عهد إليكم رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم شيئًا سوىٰ القرآن؟ قال: لا إلا ما في هذه الصحيفة في علاقة سيفي. فدعا الجارية فجاءت بها، فإذا فيها: «**المؤمنون يدٌ على من سواهم، تتكافأُ دماؤُهم، ويسْعَى بذمَّتِهم أدناهم، لا يقتل مسلم بكافرٍ ولا ذو عهد في عهده**».

وأخرجه أحمد، وأبو داود من طريق قيس بن عُبَاد قال: انطلقت أنا والأشتر إلىٰ علي فقلنا: هل عهد إليك رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم شيئًا لم يعهده إلىٰ الناس عامة؟ قال: لا، إلا ما في كتابي هذا. فأخرج كتابًا فإذا فيه: «**المؤمنون تكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم ويسعى بذمتهم أدناهم ألا لا يقتل مؤمن...**» الحديث.

وأخرج الشافعي، وأحمد، والبخاري وأبو داود، والترمذي وقال: «حسن صحيح»، والنسائي وابن ماجه، والدارقطني من حديث أبي جحيفة قال: سألت عليًّا رضي الله عنه: هل عندكم من النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم شيء سوىٰ القرآن؟ فقال: لا، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إلا أن يوتي الله عبدًا فهمًا في القرآن، وما في الصحيفة. قلت: وما في الصحيفة؟ فقال: «العقل وفكاك الأسير وأن لا يقتل مؤمن بكافر». وفي لفظ للبخاري: «مسلم».اهـ

٢- **وحديث ابن عبَّاسٍ**: رواه ابن ماجه بلفظ: «**لا يقتل مؤمن بكافر ولا ذو عهد في عهده**». وإسناده ضعيف.

٣- **وحديث ابن عمر**: رواه ابن حِبَّان في "صحيحه".

٤- **وحديث عمران بن حصين**: رواه البزار والبيهقي بلفظ: «**لا يقتل مؤمن بكافر**».

٥- **وحديث عائشة**: رواه البيهقي.

٦- **وحديث عبد الله بن عمرو**: رواه أحمد، وأبو داود بلفظ: «**لا يقتل مسلم بكافر ولا ذو عهد في عهده**».

ورواه أحمد، والترمذي، وابن ماجة بلفظ: «قضىٰ النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أن لا يقتل مسلم بكافر» وإسناد اللفظين حسن.

٧- **وحديث معقل بن يسار**: رواه البيهقي بإسناد ضعيف.

٨-١١- **ومرسل عطاء ومن ذكر معه**: رواه الشافعي في "الأم"، قال: أخبرنا مسلم بن خالد، عن ابن أبي حسين، عن مجاهد، وعطاء، وأحسب طاوسًا، والحسن: أن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال في خطبته عام الفتح: «**لا يقتل مؤمن بكافر**».

وفي الباب ما رواه النسائي من حديث عائشة مرفوعًا: «**لا يحل قتل مسلم إلا في أحد من ثلاثِ خصالٍ: زانٍ مُحصَنٍ فيرجمُ ورجلٌ يقتلُ مسلمًا متعمِّدًا...**» الحديث وهو صحيح له طرق عند أبي داود، والحاكم، وغيرها.

وما رواه عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه: أن مسلمًا قتل رجلًا من أهل الذمة فرفع إلىٰ عثمان رضي الله عنه فلم يقتله به وغلَّظ عليه الدية. قال ابن حزم: هذا في غاية الصحة نقله الحافظ في "التلخيص".

٣٥- **قول البيضاوي: «من قوله: لا صلاة ولا صيام»، حمله الإسنوي والبدخشي على حديثي: «لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب»، و«لا صيامَ لمن لم يُبيِّتِ الصيامَ من الليلِ»**.

قلت: أما الحديث الأول فرواه الطبراني في "الأوسط" من حديث عبادة بن الصامت، وزاد: «وآيتين معها»، وفي سنده الحسن بن يحيىٰ الخشني، قال الحافظ نور الدين: «ضعفه النسائي والدارقطني، ووثقه دحيم وابن عدي وابن معين في رواية».

والحديث في الصحيحين بلفظ: «**لا صلاة لمن لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب**» زاد في رواية لمسلم، وأبي داود، وابن حِبَّان: «**فصاعدًا**»، قال ابن حِبَّان: «تفرد بهذه الزيادة معمر عن الزهري». نقله الحافظ.

وفي الباب عن عبادة بن الصامت: قال: «كنا خلف رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، في صلاة الفجر فثقلت عليه القراءة، فلما فرغ قال: «**لعلكُّم تقرؤون خلفي**»، قلنا: نعم، قال: «**فلا تفعلوا إلا بفاتحة الكتاب، فإنَّه لا صلاةَ لمن لم يقرأْها**».

رواه أحمد، و البخاري في "جزء القراءة" وصححه، وأبو داود، والترمذي، وابن حِبَّان، والدارقطني وحسنه، والحاكم، والبيهقي، كلهم من طريق محمد بن إسحق: حدثني مكحول، عن محمود بن الربيع عن عبادة.

وللدارقطني من حديثه: «**لا تجزِئ صلاةٌ لا يَقرأُ الرجلُ فيها بفاتحةِ الكتابِ**»، وقال: «إسناده صحيح». وكذا قال ابن القطان.

وعن أبي هريرة: بلفظ: «**لا تجزئ الصلاةُ لا يقرأُ فيها بفاتحةِ الكتاب**». رواه ابن خزيمة، وابن حِبَّان، والبيهقي في "القراءة"، والجوزقي في "المتفق".

ولأحمد، ومسلم، والأربعة من حديثه: «**من صلَّى صلاةً لا يقرأ فيها بأمِّ القرآن فهي خِداجٌ غيرُ تمامٍ**».

وعن علي عليه الصلاة والسلام: بلفظ: «**كل صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن فهي خِداجٌ**». رواه البيهقي.

وعن أبي أمامة: باللفظ السابق، رواه الخطيب.

وعن عائشة: باللفظ السابق، رواه أحمد وابن ماجة.

وعن عبد الله بن عمرو: بلفظ: «**كلُّ صلاةٍ لا يُقرأُ فيها بأمِّ القرآن فَخِدْجةٌ فَخِدْجَةٌ فَخِدْجَةٌ**». رواه الطبراني في "الأوسط"، وفي سنده سعيد بن سليمان النشيطي، نقل الحافظ نور الدين عن أبي زرعة أنه قال: «ليس بالقوي».

ولابن ماجه من حديثه بإسناد حسن: «**كل صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خِداجٌ فهي خِداجٌ**».

وللبزار، والطبراني في "الكبير"، من حديثه قال: صلينا مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فلما انصرف، قال لنا: «**هل تقرؤون معي إذا كنتم في الصلاة؟**» قلنا: نعم. قال: «**فلا تفعلوا إلا بأمِّ القرآنِ**» وإسناده ضعيف لأن فيه مسلمة بن علي وهو ضعيف كما قال الحافظ نور الدين.

وعن أنس: أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم صلَّى بأصحابه فلما قضى صلاته أقبل عليهم بوجهه فقال: «**أتقرؤون في صلاتكم خلف الإمام والإمام يقرأ**» فسكتوا، قالها ثلاث مرات فقال قائل أو قائلون: إنا لنفعل. قال: «**فلا تفعلوا، ليقرأ أحدكم بفاتحة الكتاب في نفسه**». رواه أبو يعلى والطبراني في "الأوسط" بإسناد رجاله ثقات كما قال الحافظ نورالدين.

وعن أبي قتادة: أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**تقرؤون**

خلفي؟»، قالوا: نعم. قال: «**فلا تفعلوا إلا بأم القرآن**». رواه أحمد وفي سنده راو لم يسم.

وعن مهران: والد ميمون الجزري بلفظ: «**من لم يقرأ بأم الكتاب في صلاته فهي خداج**»، رواه الطبراني في "الأوسط"، وابن السكن، وابن منده. قال الحافظ نور الدين: «في إسناده جماعة لم أعرفهم».

وعن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم: قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لعلكم تقرؤون والإمام يقرأ؟**» قالها ثلاثًا، قالوا: إنا لنفعل ذلك، قال: «**فلا تفعلوا إلا أن يقرأ أحدكم بفاتحة الكتاب في نفسه**»، رواه أحمد. قال الحافظ الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح». وقال تلميذه الحافظ: «إسناده حسن».

وعن رجل من أهل البادية عن أبيه وكان أسيرًا عند النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: سمعت محمدًا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**لا تقبل صلاة لا يقرأ فيها بأم الكتاب**». رواه أحمد.

٣٦- وأما الحديث الثاني:[لا صيامَ لمن لم يبيِّت الصيامَ من اللَّيل]

فرواه: أحمد، والأربعة، وابن خزيمة، وابن حِبَّان، والدارقطني، من طريق عبد الله بن عمر، عن حفصة: أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**من لم يبيت الصيام من الليل فلا صيام له**». لفظ النسائي.

ولفظ أبي داود، والترمذي: «**مَن لم يُجْمِع الصيام قبل الفجرِ فلا صيامَ له**».

ولفظ ابن ماجه: «**لا صيام لمن لم يفرِضه من الليل**».

قال الترمذي: «لا نعرفه مرفوعًا إلا من هذا الوجه، وقد روي عن نافع عن ابن عمر قوله وهو أصح».اهـ **قلت**: «رواه مالك».

وقال البخاري: «الصحيح عن ابن عمر موقوف».

وقال أبوداود: «لا يصح رفعه».

وقال النسائي: «الصواب عندي موقوف».

وقال أبو حاتم روي عن حفصة من قولها وهو أشبه.

قلت: رواه مالك، والنسائي.

وقال الحاكم في "المستدرك": «صحيح على شرط البخاري».

وقال الخطابي: «أسنده عبد الله بن أبي بكر، وزيادة الثقة مقبولة».

وقال الدارقطني: «رفعه عبد الله بن أبي بكر وهو من الثقات الرفعاء». وكذا قال البيهقي.

وقال ابن حزم: «الاختلاف في الحديث يزيده قوة».اهـ

قلت: والحاصل أن إسناده صحيح ورفعه صواب لأنه زيادة ثقة وهي مقبولة كما في الأصول والمصطلح.

وفي الباب عن عائشة: بلفظ: «**من لم يبيت الصيام قبل طلوع الفجر فلا صيام له**». رواه الدارقطني والبيهقي بإسناد ضعيف لأن فيه عبد الله بن عباد؛ مجهول، وذكره ابن حِبَّان في "الضعفاء" وقال: «يقلب الأخبار».

وعن ميمونة بنت سعد: بلفظ: «**من أجمع الصوم من الليل فليصم ومن أصبح ولم يجمعه فلا يصم**». رواه الدارقطني وابن النجار بإسناد ضعيف أيضًا

لأن فيه الواقدي.

٣٧- حديث: «رُفِعَ عن أمَّتي الخطأُ والنسيانُ».

أبو القاسم الفضل بن جعفر التميمي المعروف بأخي عاصم في "فوائده": ثنا الحسين بن محمد: ثنا محمد بن مصفىٰ: ثنا الوليد بن مسلم: ثنا الأوزاعي، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عبَّاسٍ: أن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: **«رَفْعَ الله عن أمتي الخطأُ والنسيان وما استكْرِهوا عليه»**.

ورواه ابن ماجه، وابن أبي عاصم، ومن طريقه الضياء في "المختارة"، عن محمد بن مصفىٰ به، لكن بلفظ: «وضع» بدل «رفع». إسناده صحيح إلا أن فيه انقطاعًا، فقد رواه بشر بن بكر عن الأوزاعي فأدخل بين عطاء وابن عباس عبيد بن عمير.

أخرجه كذلك الطبراني والدارقطني، والحاكم، بلفظ: «تجاوز» بدل «وضع». قال الطبراني، والبيهقي: جَوَّده بشر بن بكر.

وفي الباب عن أبي ذر: بلفظ: **«إنَّ اللهَ تجاوزَ لي عن أمتي الخطأَ والنسيانَ، وما استكرهوا عليه»**. رواه ابن ماجه بإسناد ضعيف لأن فيه أبا بكر الهذلي متفق علىٰ ضعفه، كما قال الحافظ البوصيري.

وعن أبي بكرة: بلفظ: **«رفع الله عن هذه الأمة ثلاثًا الخطأَ والنسيانَ والأمرَ يكرهون عليه»**. رواه أبو نعيم في "تاريخ أصبهان" وابن عدي في "الكامل" من طريق جعفر بن جسر بن فرقد، عن أبيه، عن الحسن، عن أبي بكرة. وجعفر وأبوه ضعيفان.

وعن أبي الدرداء: عند الطبراني بإسناد فيه ضعف.

وعن ثوبان: عند الطبراني بإسناد فيه ضعف كما قال الحافظ.

وقول المناوي: «إسناده حسن» غير حسن.

(تنبيه): نقل عبد الله بن أحمد عن أبيه أنه أنكر الحديث جدًّا. ونقل الخلال عنه أنه قال: «من زعم أن الخطأ والنسيان مرفوع فقد خالف كتاب الله وسنة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؛ فإن الله أوجب في قتل النفس الخطأ الكفارة».اهـ

قلت: هذا غريب من أحمد فإن الحديث صحيح باعتبار طرقه وقد صححه ابن حِبَّان والحاكم وحسنه النووي في "الروضة" و"الأربعين"، وليس فيه ما يخالف كتابًا ولا سنة، إذ المراد من رفع الخطأ والنسيان رفع المؤاخذة بهما كما قال علماء الأصول لا رفع حكمهما كما توهمه والكمال لله.

٣٨- حديث: «فيما سَقَتِ السَّماءُ العُشْرُ».

عبد الله بن أحمد في "زوائد مسند أبيه": حدثني عثمان بن أبي شيبة: ثنا جرير، عن محمد بن سالم، عن أبي إسحق، عن عاصم بن ضمرة، عن علي رضي الله عنه، عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بهذا، وزاد: «**وما سُقِيَ بالغَرْبِ والدَّالِيَةِ ففيه نصفُ العشْرِ**».

قال عبد الله: «فحدثت أبي بحديث عثمان عن جرير فانكره جدًّا وكان أبي لا يحدثنا عن محمد بن سالم لضعفه عنده وإنكاره لحديثه».اهـ

قلت: اتفقت كلمة المحدثين على تضعيف أحاديث محمد بن سالم، وبالغ

أحمد في رواية عنه فادعى أنها موضوعة.

وفي الباب عن ابن عمر: بلفظ: «**فيما سَقَت السماءُ والعيونُ أو كان عَثْرِيًّا العشر**». رواه أحمد، والبخاري، والأربعة.

وعن جابر: بلفظ: «**فيما سقت السماء والأنهار والعيون العشر**». رواه أحمد، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن خزيمة، وأبو عوانة، وابن الجارود، والبيهقي.

وعن معاذ بن جبل: بلفظ: «**فيما سقت السماء والبعل والسيل العشر**».

رواه الطبراني، والدارقطني، والحاكم، والبيهقي، من طريق إسحق بن يحيى بن طلحة، عن عمه موسى بن طلحة، عن معاذ.

قال الحاكم: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وموسى بن طلحة تابعي كبير لا ينكر أن يدرك أيام معاذ».اهـ

قلت: فيما قاله نظر فإن إسحق بن يحيى تركه أحمد والنسائي، وقال يحيى: «لا يكتب حديثه». وقال البخاري: «يتكلمون في حفظه». وقال القطان: «شبه لا شيء». وعمه موسى، قال أبو زرعة: «روايته عن معاذ مرسلة». وقال ابن عبد البر: «لم يلق معاذًا ولا أدركه». فالحديث ضعيف منقطع.

٣٩- قول البيضاوي: فنقض ابن الزِّبَعْرَى بالملائكة والمسيح فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ الآية.

أبو بكر بن مردويه في "تفسيره": حدثنا محمد بن علي بن سهل: ثنا محمد بن حسن الأنماطي: ثنا إبراهيم بن محمد بن عرعرة: ثنا يزيد بن أبي حكيم: ثنا

الحكم يعني ابن أبان، عن عكرمة، عن ابن عبَّاسٍ قال: جاء عبد الله بن الزِّبَعْرَىٰ إلىٰ النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: تزعم أن الله أنزل عليك هذه الآية ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] فقال ابن الزِّبَعْرَىٰ: قد عبدت الشمس والقمر والملائكة وعزير وعيسىٰ ابن مريم كل هؤلاء في النار مع آلهتنا؟ فنزلت: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٧ - ٥٨].

ثم نزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١] رواه الضياء في "المختارة" من هذا الطريق.

ورواه الطبراني من طريق آخر عن ابن عبَّاسٍ قال: لما نزلت: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآية، شق ذلك علىٰ أهل مكة وقالوا: شتم الآلهة. فقال ابن الزِّبَعْرَىٰ: أنا أخصم لكم محمدًا، ادعوه لي. فدعي فقال: يا محمد، هذا شيء لآلهتنا خاصة أم لكل من عُبد من دون الله؟ قال: «**بل لكل من عبد من دون الله**». فقال ابن الزِّبَعْرَىٰ: خصمت ورب هذه البنية -يعني الكعبة- ألست تزعم أن عيسىٰ عبد صالح، وأن عزيرًا عبد صالح، وأن الملائكة صالحون؟ قال: «بلى». قال: فهذه النصارىٰ تعبد عيسىٰ، وهذه اليهود تعبد عزيرًا، وهذه بنو مليح تعبد الملائكة، فضج أهل مكة وفرحوا فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ الآية، ونزلت: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ الآية. وفيه عاصم بن بهدلة قال الحافظ الهيثمي: «وثق».

ورواه الحاكم من طريق الحسين بن واقد عن يزيد النحوي، عن عكرمة، عن ابن عبَّاسٍ وفيه: إن المخاصم المشركون لا ابن الزِّبَعْرَىٰ بخصوصه. وقال: «صحيح الإسناد» وأقره الحافظ الذهبي.

وكذا رواه ابن أبي حاتم في "تفسيره": ثنا أبي: ثنا قبيصة بن عقبة: ثنا سفيان -يعني الثوري-، عن الأعمش، عن أصحابه، عن ابن عبَّاسٍ به. بلفظ الحاكم.

الناسخ والمنسوخ

٤٠- قول البيضاوي: «كان آدمُ عليه السلام يُزوِّجُ بناتِه من بنيهِ».

إسحق بن بشر في "المبتدأ"، وابن عساكر في "التاريخ" من طريق جويبر ومقاتل، عن الضحاك، عن ابن عبَّاسٍ قال: «ولد لآدم عشرون غلامًا وعشرون جارية، وإن الله أمره أن يفرق بينهم في النكاح ويزوج أخت هذا من هذا». جويبر متروك، ومقاتل متكلم فيه، والضحاك عن ابن عبَّاسٍ منقطع.

لكن له شاهد؛ قال ابن أبي حاتم في "تفسيره": ثنا الحسن بن محمد بن الصباح: ثنا حجاج، عن ابن جريج: أخبرني ابن خيثم قال: أقبلت مع سعيد ابن جبير فحدثني عن ابن عبَّاسٍ قال: نُهي -يعني آدم- أن تنكح المرأة أخاها توأمها، وأمر أن ينكحها غيره من أخوتها، وكان يولد له في كل بطن رجل وامرأة. الحديث إسناد جيد.

(فائدة): أخرج الثعلبي في "تفسيره" عن معاوية بن عمران: سألت جعفر الصادق عليه السلام: أكان آدم يزوج ابنته من ابنه؟ فقال: معاذ الله، وإنما زوج

قابيل جنية وزوج هابيل حورية، فغضب قابيل، فقال: يا بني ما فعلته إلا بأمر الله. فكان من خبرهما ما قصه الله في القرآن.

قال الحافظ: «إسناده واه، ولا يثبت هذا عن جعفر ولا عن غيره، ويلزم منه أن بني آدم من ذرية إبليس لأنه أبو الجن كلهم أو من ذرية الحور العين وليس لذلك أصل ولا شاهد».اهـ

٤١- قول البيضاوي: قوله تعالى: ﴿مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ﴾ [البقرة: ٢٤٠] نسخ بقوله تعالى: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤].

أبوداود، والنَّسائيُّ، من طريق عليٍّ بن الحسين بن واقد، عن أبيه، عن يزيد النحوي، عن عكرمة، عن ابن عبَّاسٍ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا﴾ [البقرة: ٢٣٤] الآية. «نسخ ذلك بآية الميراث بما فرض لهن من الربع والثمن، ونسخ أجل الحول بأن جعل أجلها أربعة أشهر وعشرًا». علي بن الحسين فيه مقال.

وأخرجه النسائي بهذا السند من قول عكرمة.

وأخرج البخاري، والبيهقي، من طريق ابن الزبير قال: قلت لعثمان رضي الله عنه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا﴾ [البقرة: ٢٤٠] قد نسختها الآية الأخرىٰ فلم تكتبها أوَندعها قال: يا ابن أخي لا أغير شيئًا من مكانه.

٤٢- قوله: «وأيضًا تقديمُ الصَّدقةِ على النَّجْوى وجبَ بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾ [المجادلة: ١٢] ثم نُسِخَ».

الترمذيُّ: ثنا سفيان بن وكيع: نا يحيىٰ بن آدم: نا عبيد الله الأشجعي، عن

سفيان الثوري، عن عثمان بن المغيرة الثقفي، عن سالم بن أبي الجعد، عن علي بن علقمة الأنماري، عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: لما نزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ﴾ [المجادلة: ١٢] الآية، قال لي النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ما ترى؟ دينارًا؟**» قلت: لا يطيقونه. قال: «**فنصف دينار؟**»، قلت: لا يطيقونه. قال: «**فكم؟**» قلت: شعيرة. قال: «**إنَّك لزهيدٌ**».

قال فنزلت: ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖ﴾ [المجادلة: ١٣] الآية. قال: فبي خفف الله عن هذه الأمة. قال الترمذي: «حسن غريب من هذا الوجه». ومعنى قوله: «شعيرة» يعني وزن شعيرة من ذهب.

وأخرجه ابن جريرٍ: ثنا ابن حميد: ثنا مهران، عن سفيان به. بالسند السابق.

وأخرج الحاكم من طريق منصور، عن مجاهد، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: قال علي، إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد ولا يعمل بها أحد بعدي؛ آية النجوى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ﴾ الآية. قال: كان عندي دينار فبعته بعشرة دراهم، فناجيت النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فكنت كلما ناجيته قدمت بين يدي نجواي درهمًا، ثم نُسِخت فلم يعمل بها أحد فنزلت: ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ﴾ الآية. قال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين». وأقره الذهبي.

وقال عبد الرزاق: أنا معمر، عن أيوب، عن مجاهد قال: قال علي: ما عمل بآية النجوى أحد غيري حتى نسخت. وأحسبه قال: وما كانت إلا ساعة من نهار.

(تنبيه): هذه الآثار عن علي عليه السلام صريحة في أنه لم يعمل بآية

النجوىٰ غيره، ويشكل عليه ما ورد عن سعد بن أبي وقاص أنه قال: نزلت فيَّ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ﴾ [المجادلة: ١٢] الآية. فقدمت شعيرة فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنك لزهيد**»، فنزلت: ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ﴾ [المجادلة: ١٣] الآية.

رواه الطبراني، وفي إسناده سلمة بن الفضل الأبرش.

قال الحافظ الهيثمي: «وثقه ابن معين وغيره، وضعفه البخاري وغيره».

ويمكن الجمع بأن عليًّا عليه السلام لم يطلع علىٰ هذا.

٤٣- قول البيضاوي: «زال لزوال سببه وهو التمييز بين المنافق وغيره».

قلت: سبب نزول الآية ما رواه ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عبَّاسٍ في قوله: ﴿فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗ﴾ [المجادلة: ١٢] قال: إن المسلمين أكثروا المسائل علىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حتىٰ شقُّوا عليه، فأراد الله أن يخفف عن نبيه، فلما قال ذلك جبن كثير من الناس وكفوا عن المسألة فأنزل الله بعد هذا: ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ﴾ [المجادلة: ١٣] الآية. فوسَّع الله عليهم ولم يضيِّق. وروىٰ سعيد بن أبي عروبة عن قتادة ومقاتل نحوه.

٤٤- قوله: «كنسخ وجوب تقديم الصدقة على النجوى والكف عن الكفار بالقتال».اهـ

قلت: تقدَّم نسخ وجوب الصدقة آنفًا.

وأما نسخ الكف بالقتال فرواه الحاكم بسند صحيح علىٰ شرط البخاري عن ابن عبَّاسٍ: أن عبد الرحمن بن عوف وأصحابًا له أتوا النبي صلَّىٰ الله عليه

وآله وسلَّم فقالوا: يا نبي الله كنا في عز ونحن مشركون فلما أسلمنا صرنا أذلة؟! فقال: «**إنِّي أُمِرْتُ بالعفوِ فلا تُقاتِلُنَّ اليومَ**». فلما حوَّله الله إلى المدينة أمره بالقتال.

وأخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك قال: كل آية في كتاب الله تعالى فيها ميثاق بين النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وبين أحد من المشركين وكل عهدة ومدة نسخها (سورة براءة): ﴿وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ [التوبة: ٥]. وفي الباب آثار كثيرة.

٤٥- نسخ قوله تعالى: ﴿مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ﴾ [البقرة: ٢٤٠]. تقدم.

٤٦- قول المصنف: «مثل ما نقل: الشَّيخُ والشَّيخةُ إذا زنيا فارجموهما البتة».

البيهقي من حديث ابن عبَّاسٍ: أن عمر رضي الله عنه قال في خطبته: «إن الله بعث محمدًا نبيًّا وأنزل عليه كتابًا وكان فيما أنزل عليه آية الرجم فتلوناها ووعيناها: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالًا من الله والله عزيز حكيم». وقد رجم النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ورجمنا بعده» الحديث.

وفي آخره: «ولولا أني أخشى أن يقول الناس: زاد في كتاب الله. لأثبته على حاشية المصحف».

وأخرج الترمذي من طريق عبد الرزاق: ثنا معمر، عن الزهري، عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة، عن ابن عبَّاسٍ، عن عمر رضي الله عنه قال: «إن الله بعث محمدًا بالحق وأنزل عليه الكتاب وكان فيما أنزل عليه آية الرجم، فرجم رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ورجمنا بعده، وإني خائف أن يطول بالناس

زمان فيقول قائل: لا نجد الرجم في كتاب الله. فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله». قال الترمذي: «حديث صحيح». وأصله في الصحيحين.

وفي الباب عن أُبَيّ: أنه قال لزر: كم تعدون (سورة الأحزاب)؟ قال: قلت ثلاثًا وسبعين آية، قال: لقد رأيتها وإنها لتعادل (سورة البقرة) ولقد قرأنا فيها: «الشيخ والشيخة... إلخ». رواه أحمد والنسائي والحاكم، وقال: «صحيح الإسناد»، وأقره الذهبي.

وعن زيد بن ثابت: أنه قال لكثير بن الصلت ومروان حاضر: ما تقرأ «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة». قال مروان ألا كتبتها في المصحف؟ قال: ذكرنا ذلك وفينا عمر، فقال: أنا أشفيكم من ذلك. قلنا: فكيف؟ قال: جاء رجل إلى النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: يا رسول الله أنبئني آية الرجم. قال: «**لا أستطيع الآن**». رواه النسائي، وأبو يعلى، والطبراني.

وعن أبي أمامة بن سهل: أن خالته العجماء أخبرته قالت: لقد أقرأنا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم آية الرجم: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة بما قضيا من اللذة». رواه الطبراني، والحاكم.

٤٧- حديث عائشة أنها قالت: «كان فيما أنزلَ الله عشرُ رَضَعَات مُحرِّماتٍ فَنُسِخْن بخمسٍ».

الدارميُّ، ومسلمٌ، وأبو داود، والترمذيُّ، والنَّسائيُّ من طريق مالك، عن عبد الله بن أبي بكر، عن عمرة، عن عائشة أنها قالت: «كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخن بخمس معلومات، فتوفي رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وهن فيما يقرأ من القرآن».

وأخرج ابن ماجه من طريق حماد بن سلمة، عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، عن عمرة، عن عائشة أنها قالت: «كان فيما أنزل الله من القرآن ثم سقط: لا يحرم إلا عشر رضعات أو خمس معلومات».

(تنبيه): قول عائشة في الرواية الأولى: «وهن فيما يقرأ من القرآن» معناه أن النسخ بخمس رضعات تأخر إنزاله جدًّا حتى أنه توفي النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وبعض الناس يجعلها قرآنًا متلوًا لعدم اطلاعه على النسخ لقرب عهده.

٤٨ - قول البيضاوي: «كنسخ الجلد في حق المحصن».

ذكره مثالًا لنسخ الكتاب بالسنة، وقد قدمنا الكلام عليه في التخصيص حيث ذكره، ثم مثالًا لتخصيص الكتاب بالسنة المتواترة. ونازعه الإسنوي هنا في أن الرجم متواتر، وفي منازعته نظر.

٤٩ - قول البيضاوي: «كنسخ القبلة».

ذكره مثالًا لنسخ السنة بالقرآن، والمعنى أن التوجه إلى بيت المقدس كان ثابتًا بالسنة ثم نسخ بالقرآن إلى البيت الحرام.

قلت: هذا أحد القولين في المسألة، وهو قول الحسن البصري وأبي العالية وعكرمة. وعليه فيصح كونه من نسخ السنة بالقرآن كما قال المؤلف.

والقول الثاني: أنَّ التوجَّه نحو بيت المقدس كان ثابتًا بالقرآن. قال الحازمي: وهو قول من يرى التجانس في الناسخ والمنسوخ.

قلت: وقد استدل كل لقوله، واستدل أهل القول الأول بظواهر رويت في الباب.

منها حديث أنس: كان النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وأصحابه يصلون

نحو بيت المقدس فلما نزلت هذه الآية: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤] مر رجل من بني سلمة فناداهم وهم ركوع في صلاة الفجر. الحديث. رواه أبو يعلى، والبيهقي في "السنن".

ومنها حديث البراء: أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان أول ما قدم المدينة نزل على أخواله من الأنصار، وأنه صلى إلى بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرًا. الحديث، رواه الشيخان، والترمذي، والنسائي.

ومنها حديث ابن عبَّاسٍ: كان النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يصلي وهو بمكة نحو بيت المقدس والكعبة بين يديه، وبعدما هاجر إلى المدينة ستة عشر شهرًا ثم صرف إلى الكعبة. رواه أحمد، والطبراني في "الكبير"، والبزار. قال الحافظ نور الدين: «رجاله رجال الصحيح».

ومنها ما رواه أبو داود الطيالسي في "مسنده": ثنا المسعودي: ثنا عمرو بن مرة، عن ابن أبي ليلى، عن معاذ بن جبل: أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قدم المدينة فصلى سبعة عشر شهرًا نحو بيت المقدس ثم نزلت عليه هذه الآية: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ [البقرة: ١٤٤] الآية، قال: فوجَّهه الله إلى الكعبة.

ومنها حديث كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف، عن أبيه، عن جده قال: كنا مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فصلَّى نحو بيت المقدس سبعة عشر شهرًا ثم حولت إلى الكعبة. رواه الطبراني في "الكبير"، والبزار، قال الحافظ نور الدين: «كثير ضعيف وقد حسن الترمذي حديثه».

واستدل أهل القول الثاني بما أخرجه أبو عبيد في "الناسخ والمنسوخ": أخبرنا حجاج بن محمد: أخبرنا ابن جريج وعثمان بن عطاء، عن عطاء، عن ابن عبَّاسٍ قال: أول ما نسخ من القرآن فيما ذكر لنا -والله أعلم- شأن القبلة.

قال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١١٥]، فاستقبل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فصلى نحو بيت المقدس وترك البيت العتيق ثم صرفه إلى بيته العتيق.

ونسخها فقال: ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ [البقرة: ١٠٥].

أخرجه الحاكم: أنا إسماعيل بن محمد الفقيه بالري: أنا محمد بن الفرج الأزرق: ثنا حجاج بن محمد، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عبَّاسٍ به. وقال: «صحيح على شرط الشيخين»، وأقره الذهبي.

قلت: هذا على ما فهمه ابن عبَّاسٍ في الآية.

لكن أخرج مسلم، والترمذي، والنسائي، والطبراني، والبيهقي في "السنن"، عن ابن عمر قال: كان النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يصلي على راحلته تطوعًا أينما توجهت به، ثم قرأ ابن عمر: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١١٥] وقال: في هذا نزلت الآية.

وقد ورد عن ابن عبَّاسٍ نفسه في سبب نزول الآية ما يخالف ما تقدم عنه.

فأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاسٍ: أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لما هاجر إلى المدينة أمره الله أن

يستقبل بيت المقدس، ففرحت اليهود فاستقبلها بضعة عشر شهرًا وكان يحب قبلة إبراهيم وكان يدعو الله وينظر إلى السماء، فأنزل: ﴿فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة: ١٤٤]، فارتاب في ذلك اليهود وقالوا: ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟، فأنزل الله: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ [البقرة: ١٤٢] وقال: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]. قال الحافظ السيوطي: «إسناده قوي».

قلت: فالظاهر ما قاله المؤلف لظواهر الأخبار المتقدمة، ولا يعكر عليه قول ابن عبَّاسٍ في هذا الأثر: «أمره الله أن يستقبل بيت المقدس» لأن السنة ثابتة بالوحي، والله أعلم.

٥٠- حديث: «نهى النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن أكلِ كلِّ ذي نابٍ من السِّباع».

أبو داود في "سننه"، صحيح من حديث أبي ثعلبة الخُشَنِي بهذا، ولأحمد، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، من حديثه: «**كل ذي ناب من السباع فأكله حرام**». وعزاه الزركشي في تخريجه للبخاري فوهم.

وفي الباب عن ابن عبَّاسٍ: بلفظ: «نهى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير». رواه أحمد، ومسلم، وأبو داود، والنَّسائيُّ، وابن ماجه.

وعن جابر: بلفظ: «حرَّم رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم -يعني يوم خيبر- لحوم الحمر الإنسية ولحوم البغال وكل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير». رواه أحمد، والترمذي. قال الحافظ إسناده لا بأس به.

وعن أبي هريرة بلفظ: «**كل ذي ناب من السباع فأكله حرام**». رواه مسلم. قال ابن عبد البر: «مجمع على صحته».

وعن علي عليه السلام: بلفظ حديث ابن عبَّاسٍ، رواه عبد الله في "زوائد المسند" بإسناد لا يصح.

وعن خالد بن الوليد: بلفظ: «**وحرامٌ عليكم حُمُر الأهليَّةِ وخيلُها وبغالُها وكلُّ ذي نابٍ من السِّباع**». رواه أبو داود، وابن ماجه، والنسائي، وإسناده ضعيف مضطرب كما قال الدارقطني.

وعن المقدام بن معدي كرب: بلفظ: «**ألا لا يحل ذو ناب من السباع ولا الحمار الأهلي**». رواه أبو داود، وأشار الدارقطني إلى غرابته.

وعن العرباض: بلفظ: «**لا يحل لكم من السباع كل ذي ناب ولا الحمر الأهلية**». رواه الطبراني في "الكبير".

٥١- قول البيضاوي: «وزيادة التغريب على الجلد ليس بنسخ».

قلت: ثبت التغريب في أحاديث:

منها حديث عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**خذوا عني خذوا عني، البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة والثيب بالثيب جلد مائة والرجم**». رواه أحمد ومسلم، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه.

ومنها حديث أبي هريرة: أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قضى فيمن زنى ولم يحصن بنفي عام وإقامة الحد عليه. رواه أحمد، والبخاري.

ومنها حديث أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني المتقدِّم في التخصيص.

الكتاب الثاني في السنة

٥٢- قال البيضاوي: «وإجماع الصحابة على وجوب الغسل بالتقاء الختانين، لقول عائشة: «فَعَلْتُه أنا ورسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فاغتَسلْنا».

قلت: يأتي الكلام على إجماع الصحابة في كتاب التعادل والتراجيح إن شاء الله.

وأما قول عائشة: «فعلته. .. إلخ» فأخرجه الشافعي في "سنن حرملة"، وأحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، من طريق الوليد بن مسلم: ثنا الأوزاعي: أنبأنا عبد الرحمن بن القاسم: أخبرنا القاسم بن محمد، عن عائشة قالت: «إذا جاوز الختان الختان وجب الغسل، فعلته... إلخ».

قال الترمذي: «حسن صحيح»، وكذا صححه ابن حِبَّان وابن القطان.

قال الحافظ: «وأعلَّه البخاري بأن الأوزاعي أخطأ فيه ورواه غيره عن عبد الرحمن مرسلًا واستدل على ذلك بأن أبا الزناد قال: سألت القاسم بن محمد سمعت في الباب شيئًا؟ قال: لا. وأجاب من صححه بأنه يحتمل أن يكون القاسم نسيه ثم تذكر فحدث به ابنه أو حدث به ابنه ثم نسي، ولا يخلو الجواب من نظر».اهـ

٥٣- حديث: «خذوا عني مناسككم».

النسائي: أخبرنا عمرو بن علي: ثنا يحيى بن سعيد: أنا ابن جريج: أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: رأيت رسول الله صلَّى الله عليه وآله

وسلَّم يرمي الجمرة وهو على بعيره وهو يقول: «**يا أيها الناس خذوا مناسككم فإنِّي لا أدري لعلِّي لا أحجُّ بعد عامي هذا**».

وقال مسلم: ثنا إسحق بن إبراهيم وعلي بن خشرم جميعًا، عن عيسى بن يونس، قال ابن خشرم: أخبرنا عيسى، عن ابن جريج: أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: رأيت النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يرمي على راحلته يوم النحر ويقول: «**لتأخذوا مناسكَكُم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حُجَّتي هذه**».

٥٤- قوله: «كالركوعَيْنِ في الخُسُوفِ».

قلت: في صحيحي "البخاري" و"مسلم" من حديث عائشة قالت: «خسفت الشمس على عهد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فبعث مناديًا: الصلاة جامعة، فقام فصلى أربع ركعات في ركعتين وأربع سجدات».

وفيهما من حديث عبدالله بن عمرو، وابن عبَّاسٍ مثل ذلك.

وفي الباب عن أسماء: عند أحمد، والبخاري، وأبي داود، وابن ماجه.

وعن جابر: عند أحمد، ومسلم،وأبي داود.

وعن علي عليه السلام: عند أحمد.

وعن أبي هريرة: عند النسائي.

وعن ابن عمر: عند البزار.

وعن أم سفيان: عند الطبراني.

٥٥- قوله: «قيل: راجع في الرجم».

يعني في قصة اليهوديين، ففي صحيحي "البخاري" و"مسلم"، من حديث عبد الله بن عمر قال: «إن اليهود أتوا النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم برجل وامرأة منهم قد زنيا، فقال: «**ما تجدون في كتابكم**» فقالوا: تسخم وجوههما ويخزيان. قال: «**فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين**». فجاؤوا بالتوراة وجاؤوا بقارٍ لهم فقرأ حتى إذا انتهى إلى موضع وضع يده عليه، فقيل له: ارفع يدك. فرفع يده فإذا هي تلوح فقال -أو قالوا-: يا محمد إن فيها الرجم ولكنَّا كنا نتكاتمه بيننا. فأمر بهما رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فرجما».

٥٦- قول البيضاوي: «قلنا: للإلزام».

نحوه قول الحافظ أبي محمد بن حزم رحمه الله في كتاب "الإحكام": «إنما دعا عليه السلام بالتوراة حسمًا لشغب اليهود وتبكيتًا لهم في تركهم العمل بما أمروا به وإعلامًا لهم بأنهم خالفوا كتابهم الذي يقرون أنه أنزل عليهم».اهـ

قلت: وهذا هو الذي لا يجوز غيره، ويؤيده ما أخرجه ابن جرير من طريق ابن إسحاق: ثني الزهريُّ قال: سمعت رجلًا من مزينة يحدِّث عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة حدثهم... إلخ.

٥٧- قوله: وأربعون لقوله تعالى: ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤] وكانوا أربعين.

أخرج الطبرانيُّ عن ابن عبَّاسٍ قال: لما أسلم مع النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم تسعة وثلاثون رجلًا وامرأة وأسلم عمر تمام الأربعين فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤].

في إسناده إسحق بن بشر الكاهلي، وهو كذاب كما قال الحافظ الهيثمي. وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: لما أسلم مع النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ثلاثة وثلاثون رجلًا وست نسوة ثم أسلم عمر رضي الله عنه نزلت ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ إلخ. إسناده صحيح لكنه مرسل.

٥٨- قوله: «وثلاثمائة وبضعة عشر عدد أهل بدر».

أخرج البخاري في "صحيحه" من طرق عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «كنا أصحاب محمد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نتحدث أن عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوز معه إلا مؤمن، بضعة عشر وثلاثمائة».

ولأبي عوانة، وابن حِبَّان، عن عمر رضي الله عنه مثله.

واختلفت الروايات في تعيين البضع هل هو ثلاثة عشر أو أربعة عشر أو خمسة عشر أو سبعة عشر أو تسعة عشر؟

فالأول: في مسندي "أحمد"، و"البزار"، ومعجم الطبراني، عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما.

والثاني، والثالث: في "الطبراني"، و"البيهقي"، عن أبي أيوب رضي الله عنه.

والثالث أيضًا: في "سنن" البيهقي عن عبد الله بن عمرو بإسناد حسن.

والرابع: في "مسند البزار" عن أبي موسى.

والخامس: في "صحيح مسلم" عن عمر رضي الله عنه.

وانظر طريق الجمع بين هذه الأقوال في "فتح الباري" للحافظ.

٥٩- قوله: «وادعت الشيعة أن النص دل على إمامة علي رضي الله عنه، ولم يتواتر».

قلت: الشيعة الذين يدَّعون دلالة النص على إمامة علي رضي الله عنه فرقتان:

الأولى: وتسمى «الإمامية» تدعي أن النبي عليه وآله الصلاة والسلام عيَّن عليًّا كرم الله وجهه للخلافة بالنص الصريح.

واستدلوا على ذلك بحديث ابن عبَّاسٍ قال: «سمعت رسول الله عليه وآله الصلاة والسلام يقول وهو آخذ بيد علي رضي الله عنه...».

فذكر حديثًا طويلًا فيه: «**وهو بابي الذي أوتى منه وهو خليفتي من بعدي**». أخرجه العقيلي، وفيه عبد الله بن داهر وهو رافضي كذاب.

ورواه البزَّار من **حديث أبي ذرٍّ**، وفيه محمد بن عبيد الله بن أبي رافع وهو متهم.

وبحديث أنس: قلت لسلمان: سل رسول الله عليه وآله الصلاة والسلام من وصيه؟ فقال له سلمان. قال: «**من كان وصي موسى؟**» قال: يوشع. قال: «**فإنَّ وصيِّي ووارثِي يقْضِي دَيْنِي ويُنجِزُ موعدِي وخيرُ من أخلفُ بَعدي علي**». رواه الأزدي بإسناد ساقط.

ورواه الجوزقاني من حديث سلمان وقال: «باطل، لأن فيه إسماعيل بن زياد: دجال، عن جرير بن عبد الحميد الكندي: لا يعرف له ذكر إلا في هذا الحديث، عن أشياخ من قومه مجاهيل».

وبغير هذين الحديثين مما هو من قبيلهما في وضوح كونه مختلقًا على النبي عليه وآله الصلاة والسلام.

وأما الثانية: وهي «الزيدية» فتقول: لم يصرِّح النبي عليه وآله الصلاة والسلام باستخلاف علي كرم الله وجهه، وإنما أومأ إليه بالنص الخفي الذي يحتاج إلى تأمل في معناه حتى يستنبط منه ذلك.

واستدلوا بحديث: «**يا علي أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي**». رواه الشيخان عن سعد رضي الله عنه، وله أكثر من عشرين طريقًا استوعبها الحافظ ابن عساكر في جزء خاص.

وبحديث: «**من كنت مولاه فعلي مولاه**» رواه أحمد، وابن ماجه، عن البراء رضي الله عنه، وله طرق تجاوز الثلاثين، جمعها الحافظ ابن عقدة في كتاب خاص سماه كتاب "الموالاة"، وأكثر أسانيدها صحيح أو حسن كما قال الحافظ.

وبحديث زيد بن أرقم: «كان لنفر من أصحاب رسول الله عليه وآله الصلاة والسلام أبواب شارعة في المسجد فقال يومًا: «**سدوا هذه الأبواب إلا باب علي**». فتكلم في ذلك الناس، فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**أما بعد فإنِّي أمرتُ بسدِّ هذه الأبواب غيرَ باب علي فقال فيه قائلكُم. والله ما سددت شيئًا ولا فتحته ولكني أُمِرْتُ بشيء فاتَّبعتُه**».

رواه النسائي في "الكبرى"، والحاكم وقال: «صحيح الإسناد»، والحافظ ضياء الدين في "المختارة". وله طرق تسعة، ذكر خمسة منها الحافظ في "القول المسدد" والأربعة الباقية الحافظ السيوطي في "اللآلىء".

وقول ابن تيمية أنه: «موضوع باتفاق المحدثين» خطأ، وقال بوضع هذا الحديث ابن الجوزي، وشنَّع عليه في ذلك الحافظ وقال: «الحديث مشهور له طرق كثيرة، كل طريق منها على انفراده لا يقصر عن رتبة الحسن، ومجموعها

مما يقطع بصحته على طريقة كثير من المحدثين. ثم نقل عن البزار أن هذا الحديث جاء من روايات أهل الكوفة بأسانيد حسان».اهـ

وبحديث: «**ما تريدون من علي؟! ما تريدون من علي؟! ما تريدون من علي؟! إن عليًّا مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي**». رواه ابن أبي شيبة، والترمذي، والحاكم، عن عمران بن حصين رضي الله عنه، بإسناد صحيح.

٦٠- قوله: «كما لم تتواتر الإقامة والتسمية ومعجزات الرسول عليه الصلاة والسلام».

قلت: إن أراد بعدم تواتر الإقامة أن أصل مشروعيتها لم يتواتر فغير مسلم، وإن أراد أنها لم تتواتر بكيفية مخصوصة فيمكن أن يسلم.

وأما المعجزات فمثَّل الشارح لما لم يتواتر منها بحنين الجذع، وتسبيح الحصى، زاد بعض الشراح: انشقاق القمر، وتسليم الغزالة.

فأما حنين الجذع: فرواه الشيخان عن سهل بن سعد.

والبخاري، وأحمد عن جابر.

وابن عمر، والدارمي عن بريدة.

والدارمي، وأحمد، وابن ماجه، عن ابن عبَّاسٍ.

والدارمي عن أبي سعيد الخدري.

وأحمد، والترمذي، وابن ماجه، عن أنس.

والبيهقي في "الدلائل" عن أم سلمة رضي الله عنها.

والشافعي، وأحمد، والدارمي، وابن ماجه، وأبو يعلى، وسعيد بن منصور، عن أُبيِّ بن كعبٍ رضي الله عنه.

وقد عدَّه الحافظ السيوطي من المتواتر في كتاب "الأزهار المتناثرة"، لكن قال الحافظ في "الفتح" عنه وعن حديث انشقاق القمر الآتي: «نقل كل منهما نقلًا مستفيضًا يفيد القطع عند من يطلع على طرق الحديث دون غيرهم ممن لا ممارسة له في ذلك».

وأما تسبيح الحصى: فرواه البزار، والطبراني في "الأوسط" من حديث أبي ذر قال: «تناول رسول الله عليه وآله الصلاة والسلام سبع حصيات فسبحن في يده حتى سمعت لها حنينًا، ثم وضعهن في يد أبي بكر رضي الله عنه فسبحن ثم وضعهن في يد عمر رضي الله عنه فسبحن، ثم وضعهن في يد عثمان رضي الله عنه فسبحن».

وفي رواية للطبراني: «فسمع تسبحيهن من في الحلقة»، وفيها: «ثم دفعهن إلينا فلم يسبحن مع أحد منا».

وأخرجه محمد بن يحيى الذهلي في "الزهريات" والبيهقي في "الدلائل"، وهو حديث ضعيف وإن اشتهر.

٦١- قوله: «قال: طلبوا العدد».اهـ

أخرج مالك، وأحمد، وعبدالرزاق، وسعيد بن منصور، والأربعة، وابن حِبَّان، والحاكم، عن قبيصة بن ذؤيب قال: جاءت الجدة إلى أبي بكر رضي الله عنه تسأله ميراثها، فقال لها: مالك في كتاب الله شيء، وما علمت لك في سنة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم شيئًا فارجعي حتى أسأل الناس. فسأل الناس فقال المغيرة بن شعبة: شهدت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أعطاها السدس، فقال: هل معك غيرك فقام محمد بن مسلمة فقال مثله.

فأنفذه لها أبو بكر رضي الله عنه. الحديث.

قال الحاكم: «صحيح» وأقره الذهبي.

ونقل الحافظ عن ابن عبد البر أنه قال: «إسناده صحيح لثقة رجاله إلا أن صورته مرسل فإن قبيصة لا يصح له سماع من الصديق ولا يمكن شهوده للقصة».اهـ

وروى الشيخان -واللفظ لمسلم- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «كنا في مجلس أبي بن كعب، فأتانا أبو موسى فزعًا أو مذعورًا، قلنا: ما شأنك قال: إن عمر رضي الله عنه أرسل إلي أن آتيه، فأتيت بابه فسلمت ثلاثًا فلم يرد علي فرجعت. فقال: ما منعك أن تأتينا؟ فقلت: إني أتيتك فسلمت على بابك ثلاثًا فلم ترد علي فرجعت. وقد قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا استأذنَ أحدُكم ثلاثًا فلم يُؤذَن له فلْيرجِعْ**». فقال عمر: أقم عليه البينة وإلا أوجعتك. فقال أبي بن كعب: لا يقوم معه إلا أصغر القوم. قال: أبو سعيد قلت: أنا أصغر القوم. قال فاذهب به فذهبت به إلى عمر رضي الله عنه فشهدت.

٦٢- قوله: «خلافًا لابن سيرين».

قلت: كلامه يفيد أن ابن سيرين يمنع الرواية بالمعنى، وليس كذلك. فقد قال الدارمي في "سننه": أخبرنا عبدالله بن سعيد: ثنا ابن علية، عن ابن عون قال: كان الشعبي والنخعي والحسن يحدثون بالحديث مرة هكذا ومرة هكذا فذكرت ذلك لمحمد بن سيرين فقال: «أما أنهم لو حدثوا به كما سمعوه كان خيرًا لهم». وهذا يفيد أنه يستحب رواية الحديث بلفظه لا أنه يوجبها وهو

المنقول عنه في كتب الاصطلاح.

نعم، قال بمنع الرواية بالمعنىٰ مالك.

أخرج الخطيب، وأبو الفضل السليماني في "طلب الحديث" واللفظ له، من طريق ابن عبد الحكم، عن أشهب بن عبد العزيز قال: سألت مالكًا أيؤخذ العلم عمن لا يحفظه؟ زاد الخطيب: وهو ثقة صحيح. قال: لا. قلت: له: إنه يخرج كتابه ويقول: هو سماعي. قال: أما أنا فلا أرىٰ أن يحمل عنه فإني لا آمن أن يكتب في كتابه، يعني ما ليس منه، زاد الخطيب: «بالليل» ثم اتفقا: «وهو لا يدري».

وقال الترمذي في كتاب "العلل": سمعت إسحق بن موسىٰ الأنصاري قال: سمعت معن بن عيسىٰ يقول: كان مالك يشدد في حديث رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في الياء والتاء ونحو هذا.

(فائدة): استدل من جوَّز الرواية بالمعنىٰ بما رواه الطبراني في "الكبير"، وابن منده في "معرفة الصحابة"، من طريق يعقوب بن عبد الله بن سليمان بن أكيمة الليثي، عن أبيه، عن جده قال: قلنا: يا رسول الله إنا نسمع منك الحديث فلا نقدر أن نؤديه كما سمعنا. فقال: «**إذا لم تُحِلُّوا حرامًا ولم تُحرِّموا حلالًا وأصبتُم المعنى فلا بأسَ**».

يعقوب وأبوه قال الحافظ الهيثمي: «لم أر من ذكرهما». وقال الحافظ السخاوي: «هذا حديث مضطرب لا يصح».

قال: «وأورده الجوزقاني وابن الجوزي في "الموضوعات"، وفي ذلك نظر».اهـ

أي لأن مجرد اضطرابه وجهالة راويه لا يقتضي أن يكون موضوعًا كما هو معروف في الاصطلاح.

وتساهل ابن الجوزي في الحكم على الأحاديث بالوضع معروف، ما زال الحفاظ ينبهون عليه ويحذرون منه حتى لقد قال الحافظ: «تساهله وتساهل الحاكم في "المستدرك" أعدم النفع بكتابيهما، إذ ما من حديث فيهما إلا ويمكن أنه مما وقع فيه التساهل، فلذلك وجب الاعتناء على الناقد بما ينقله منهما من غير تقليد لهما».اهـ

وقد اعتنى الحافظ الذهبي بـ"المستدرك" فاختصره معلقًا أسانيده وأقره على ما لا كلام فيه، وتعقب ما فيه من التساهل ثم جرد ما فيه من الموضوع، وهي في مائة حديث في جزء خاص.

واعتنى بـ"موضوعات ابن الجوزي" الحافظ السيوطي في كتاب "اللآلىء المصنوعة" فأقره على ما لا كلام فيه، وتعقب ما فيه من الكلام ثم جرد المتعقب في كتاب خاص سماه: "التعقبات على الموضوعات".

واستدلوا أيضًا بما رواه الطبراني في "الكبير" من حديث أبي أمامة مرفوعًا: «**من كذب عليَّ متعمدًا فلْيتبوَّأ مقعدَه بين عينَي جهنمَ**». قال: «فشق ذلك على أصحابه حتى عرف في وجوههم وقالوا: يا رسول الله قلت هذا ونحن نسمع منك الحديث فنزيد وننقص ونقدم ونؤخر؟ فقال: «**لم أَعْنِ ذلك ولكِنْ من كذَبَ عليَّ يريدُ عَيبي وشيَن الإسلامَ**».

ونقل الحافظ السخاوي عن الحاكم أنه قال: «حديث باطل، في إسناده محمد بن الفضل بن عطية: اتفقوا على تكذيبه».

ثم قال السخاوي: «لكن له طريق آخر رواه أحمد بن منيع في "مسنده"، والخطيب في "كفايته" معًا من رواية خالد بن دريك، عن رجل من الصحابة».اهـ

٦٣- قوله: «مثل: في كلِّ أربعينَ شاةً شاةٌ».

أحمد، وأبو داود، والترمذي، والحاكم من طريق سفيان بن حسين، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه قال: «كتب رسول الله عليه وآله الصلاة والسلام، كتاب الصدقة فلم يخرجه إلى عماله حتى قُبِض فقرنه بسيفه، فعمل به أبو بكر رضي الله عنه حتى قبض، ثم عمل به عمر رضي الله عنه حتى قبض فكان فيه...».

وذكر حديثًا طويلًا في صدقة الماشية وفيه: «**وفي الغنم في كل أربعين شاة شاة**» قال الترمذي: «حديث حسن، وقد روى يونس بن يزيد وغير واحد عن الزهري عن سالم هذا الحديث ولم يرفعوه وإنما رفع سفيان بن حسين».اهـ

قلت: قال الحافظ المنذري: «وسفيان بن حسين أخرج له مسلم واستشهد به البخاري، إلا أن حديثه عن الزهري فيه مقال.

وقد تابع سفيان بن حسين على رفعه سليمان بن كثير وهو اتفق البخاري ومسلم على الاحتجاج بحديثه.

وقال الترمذي في كتاب "العلل": سألت محمد بن إسماعيل البخاري عن هذا الحديث فقال: أرجو أن يكون محفوظًا. وسفيان بن حسين صدوق».انتهى كلام المنذري.

وقال الحاكم عقب تخريج الحديث: «سفيان بن حسين أحد أئمة الحديث وثقه ابن معين». ثم قال: «ويصححه على شرط الشيخين حديث عبد الله بن المبارك، عن يونس بن يزيد، عن الزهري. وإن كان فيه أدنى إرسال فإنه شاهد صحيح لحديث سفيان».

ثم ساق إسناده إلى ابن المبارك عن يونس عن الزهري. قال: «هذه نسخة كتاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم التي كتب الصدقة وهي عند آل عمر رضي الله عنه أقرأنيها سالم فوعيتها على وجهها وهي التي انتسخ عمر بن عبد العزيز من عبد الله وسالم ابني عبد الله بن عمر» وذكر الحديث بطوله. وفيه اللفظ المتقدم. وأقره الذهبي على ذلك إلا قوله: «ويصححه على شرط الشيخين، فأبدله الذهبي بقوله: «ويقويه فقط».

٦٤- قوله: «أو نصف شاة».

ليس بحديث وإنما ذكره مثالًا لزيادة أحد الراويين على الآخر زيادة تغير الإعراب.

الكتاب الثالث في الإجماع

٦٥- قوله: «قال النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «لا تجتمعُ أمتي على خطأ»، ونظائره، فإنها وإن لم تتواتر آحادها لكن المشترك بينهما متواتر».اهـ

قلت: ما قاله صحيح فقد ورد ما يؤدي معنى هذا الحديث من حديث عمر رضي الله عنه وابنه، وابن عبَّاسٍ، وأبي هريرة، وأنس، وأبي مالك الأشعري، وأبي بصرة الغفاري، وحذيفة، وأبي ذر، ومعاذ، وعرفجة، وابن

مسعود، وأبي سعيد، ومعاوية، ورجل من الصحابة، ومن حديث أبي مسعود موقوفًا، والحسن مرسلًا.

فحديث عمر رضي الله عنه: رواه الترمذي، والحاكم، من طريق النضر بن إسماعيل، عن محمد بن سوقة، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر قال: خطبنا عمر بالجابية فقال: يا أيها الناس إني قمت فيكم كمقام رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فينا فقال: «**أُوصيكُم بأصحابي ثم الذين يَلُونهم ثم الذين يلُونهم ثم يفْشو الكذبُ حتى يحلِفَ الرجلُ ولا يُسْتَحلَفُ، ويشهد الشاهد ولا يُسْتَشْهد، ألا لا يَخْلُوَنَّ رجل بامرأةٍ إلا كان ثالثَهما الشيطانُ، عليكم بالجماعة وإياكم والفرقَة فإن الشيطانَ مع الواحدِ وهو من الإثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، من سرته حسنته وساءته سيئته فذلكم المؤمن**».

قال الترمذي: «حسن صحيح غريب من هذا الوجه. وقد رواه ابن المبارك عن محمد بن سوقة، وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن عمر».

قلت: رواية ابن المبارك أخرجها الحاكم من طريق علي بن الحسن بن شقيق وعبدان والحسن بن عيسى ونعيم بن حماد كلهم قالوا: أنبأ ابن المبارك عن محمد بن سوقة به. قال الحاكم: «على شرطهما» وأقره الذهبي.

طريق ثان: قال الحاكم: ثنا أبو بكر بن إسحق الفقيه: أنبأ الحسن بن علي بن زياد، وثني أبوسعيد عبد الرحمن بن أحمد المؤذن: ثنا أحمد بن زيد بن هارون القزاز بمكة قالا: ثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي: ثني محمد بن مهاجر بن مسمار، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: وقف عمر بالجابية

فقال: رحم الله رجلًا سمع مقالتي فوعاها وذكر نحو حديث ابن عمر. قال الحاكم: «إسناد صحيح» وأقره الذهبي.

حديث آخر عن عمر: قال عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن عبد الملك بن عمير، عن عبد الله بن الزبير أن عمر قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**من سرَّه أن يسكن بَحْبوحَة الجنَّةِ فعليه بالجماعةِ فإن الشيطانَ مع الفذِّ وهو مِن الإثنين أبعدُ**».

ورواه البغوي في "تفسيره" قال: أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي: أنا أبو الحسن بن بشران: أنا إسماعيل بن الصفار: ثنا أحمد بن منصور الرمادي: ثنا عبد الرزاق به.

وحديث ابن عمر رضي الله عنهما: رواه الترمذي، والحاكم، من طريق المعتمر بن سليمان: ثنا سليمان المدني، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إن الله لا يجمع أمتي -أو قال: أمة محمد- على ضلالة، ويد الله على الجماعة، ومن شذ شذ إلى النار**».

قال الترمذي: «غريب من هذا الوجه، وسليمان المدني: سليمان بن سفيان». **قلت**: وهو ضعيف.

وأخرجه الحاكم، وأبو نعيم، من طريق خالد بن يزيد القرني، عن المعتمر بن سليمان، عن أبيه، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لا يجمع الله هذه الأمة على الضلالة أبدًا**».

وقال: «**يد الله على الجماعة فاتبعوا السواد الأعظم فإنه من شذ شذ في النار**».

قال الحاكم: «خالد بن يزيد هذا شيخ قديم للبغداديين ولو حفظ هذا الحديث لحكمنا له بالصحة».

قلت: يشير بهذا إلى الاختلاف في سند هذا الحديث، فقد اختلف فيه -كما قال- على المعتمر بن سليمان من سبعة أوجه أسندها كلها في "المستدرك" ثم قال: «فقد استقر الخلاف في إسناد هذا الحديث على المعتمر بن سليمان -وهو أحد أركان الحديث- من سبعة أوجه لا يسعنا أن نحكم أن كلها محمول على الخطأ، فلابد أن يكون للحديث أصل بأحد هذه الأسانيد».اهـ

وحديث ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: رواه الترمذي، والحاكم، من طريق عبد الرزاق: نا إبراهيم بن ميمون: أخبرني عبد الله بن طاوس أنه سمع أباه يحدث: أنه سمع ابن عبَّاسٍ يحدث: أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لا يجمع الله أمتي** -أو قال: **هذه الأمة- على الضلالة أبدًا، ويد الله على الجماعة**». قال الترمذي: «غريب لا نعرفه من حديث ابن عبَّاسٍ إلا من هذا الوجه».

قلت: إسناده حسن، وإبراهيم بن ميمون هو الصنعاني، لم يخرج له من الستة إلا الترمذي، وثقه ابن معين، وقال الحاكم: عدَّله عبد الرزاق.

فلم يُرِد الترمذي بغرابة الحديث ضعفه، وإنما أراد أنه ليس له طريق غير هذا، كما ينبئ عن ذلك آخر كلامه، ولو أراد الضعف ما سُلِّم له فإن رجال السند رجال الصحيح غير إبراهيم وهو ثقة كما قدمنا.

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه: رواه الحاكم من طريق العوام بن حوشب، عن عبدالله بن السائب الأنصاري، عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله

عليه وآله وسلَّم: «**الصلاة المكتوبة إلى الصلاة المكتوبة التي بعدها كفارة لما بينهما، والجمعة إلى الجمعة، والشهر إلى الشهر** -يعني من شهر رمضان إلى شهر رمضان- **كفارة لما بينهما**».

ثم قال بعد ذلك: «**إلا من ثلاث**» فعرفت أن ذلك من أمر حدث فقال: «**إلا من الإشراكِ بالله، ونَكْثِ الصَّفقةِ، وترْكِ السُّنة**». قلت: يا رسول الله أما الإشراك بالله فقد عرفناه، فما نكث الصفقة وترك السنة؟ قال: «**أما نكثُ الصفقة: أن تبايعَ رجلًا بيمينك ثم تخالفَ إليه فتقابلَه بسيفك، وأما ترك السنة: فالخروجُ من الجماعة**». قال الحاكم: «على شرط مسلم» وأقره الذهبي.

وقال الحارث بن أبي أسامة في "مسنده": ثنا إسماعيل بن أبي إسماعيل: ثنا إسماعيل بن عياش، عن يحيى بن عبيد الله التيمي، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إن الله أجارَكم من ثلاثةٍ: أن تسْتجمِعُوا على ضلالةٍ كلُّكم، وأن يظهَر أهلُ الباطلِ على أهلِ الحقِّ، وأن أدعوَ عليكم بدعوةٍ فَتَهلَكُوا، وأبدلكُم بهذا: الدابةَ، والدجالَ، والدخانَ**».

وأخرج ابن عساكر من طريق البحتري بن عبيد، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**اثنان خير من واحد وثلاثة خير من اثنين وأربعة خير من ثلاثة فعليكم بالجماعة فإن يد الله على الجماعة ولم يجمع الله عزَّ وجلَّ أمتي إلا على هدى واعلموا أن كل هوى شاطن في النار**». البحتري ضعيف.

وحديث أنس رضي الله عنه: رواه ابن ماجه: ثنا العباس بن عثمان الدمشقي: ثنا الوليد بن مسلم: ثنا معان بن رفاعة السلامي: ثني أبو خلف

الأعمىٰ قال: سمعت أنس بن مالك يقول: سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**إن أمتي لا تجتمع على ضلالة فإذا رأيتم اختلافًا فعليكم بالسواد الأعظم**». أبو خلف الأعمىٰ ضعيف.

وأخرج الحاكم من طريق مبارك بن سحيم مولىٰ عبد العزيز بن صهيب: ثنا عبد العزيز بن صهيب، عن أنس بن مالك، عن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أنه سأل ربه أربعًا: سأل ربه أن لا تموت أمته جوعًا فأعطي ذلك، وسأل ربه أن لا يجتمعوا علىٰ ضلالة فأعطي ذلك، وسأل ربه أن لا يغلبهم عدو لهم فيستبيح بأسهم فأعطىٰ ذلك، وسأل ربه أن لا يكون بأسهم بينهم فلم يعط ذلك». قال الحاكم: مبارك بن سحيم ليس ممن يمشي في مثل هذا الكتاب. **قلت**: لأنه ضعيف جدًّا.

وحديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه: رواه أبو داود: ثنا محمد بن عوف الطائي: نا محمد بن إسماعيل: ثني أبي: قال ابن عوف: وقرأت في أصل إسماعيل قال: ثني ضمضم، عن شريح، عن أبي مالك -يعني الأشعري- قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إن الله أجاركم من ثلاثِ خلالٍ: أن لا يدعوَ عليكم نبيُّكم فتهلَكُوا جميعًا، وأن لا يظهرْ أهلُ الباطلِ على أهل الحقِّ، وأن لا تجتمعوا على ضلالة**».

إسماعيل هو ابن عياش، وهذا الحديث من مروياته عن الشاميين، وهي مقبولة لا تقل عن رتبة الحسن، وما أُعِلَّ به من الانقطاع بين محمد بن إسماعيل بن عياش وأبيه فإنه لم يسمع منه كما قال أبو حاتم، مدفوع بتصريح ابن عوف في السند الذي نقلناه من "السنن" أنه قرأ الحديث في أصل إسماعيل، وعزا

الحافظ السخاوي هذا الحديث لتخريج الطبراني، وابن أبي عاصم في "السنة".

(تنبيه) الصحيح كما قال الحافظ أن أبا مالك الأشعري راوي هذا الحديث هو كعب بن عاصم.

و حديث أبي بصرة رضي الله عنه: رواه أحمد: ثنا يونس: ثنا ليث، عن أبي وهب الخولاني، عن رجل قد سماه، عن أبي بصرة الغفاري صاحب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**سألت ربي عزَّ وجلَّ أربعًا فأعطاني ثلاثًا ومنعني واحدةً، سألتُ اللهَ أن لا يجمَع أمتي على ضلالةٍ فأعطانيها، وسألت الله عزَّ وجلَّ أن لا يهلِكَهم بالسنين كما أهلك الأمم قبلهم فأعطانِيها...**» الحديث.

وحديث حذيفة رضي الله عنه: رواه أحمد، والحاكم، من طريق أبي عاصم: ثنا كثير بن أبي كثير: ثني ربعي أنه أتى حذيفة بالمدائن يزوره -وكانت أخته تحت حذيفة- فقال حذيفة: ما فعل قومك يا ربعي، أخرج منهم أحد؟ قال: نعم. فسمى نفرًا، وذلك في زمن خروج الناس إلى عثمان رضي الله عنه. فقال حذيفة: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**من فارق الجماعة واستذلَّ الإمارةَ لقي اللهَ ولا حجَّةَ له عند الله**». قال الحاكم: «هذا حديث صحيح فإن كثيرًا كوفي سكن البصرة، روى عنه يحيى بن سعيد القطان وعيسى بن يونس ولم يذكر بجرح». وأقره الذهبي.

وحديث أبي ذر رضي الله عنه: رواه أحمد من طريق أبي بكر بن عياش وزهير، كلاهما عن مطرف بن طريف، عن أبي الجهم، عن خالد بن وهبان، عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**من فارقَ الجماعةَ شبرًا**

خَلَعَ رِبقَةَ الإسلامِ من عُنقه».

ورواه الحاكم من طريق عمرو بن عون: ثنا خالد بن عبد الله، عن مطرف، عن خالد بن وهبان، عن أبي ذر به.

ثم قال: تابعه جرير بن عبد الحميد الضبي، عن مطرف، عن خالد، عن أبي ذر.

وأخرج أحمد من طريق البحتري بن عبيد، عن أبيه، عن أبي ذر قال: قال النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**اثنان خير من واحد وثلاثة خير من اثنين وأربعة خير من ثلاثة فعليكم بالجماعة فإن الله عزَّ وجلَّ لن يجمع أمتي إلا على هدى**». والبحتري ضعيف.

وحديث معاذ رضي الله عنه: رواه أحمد: ثنا روح: ثنا سعيد، عن قتادة: ثنا العلاء بن زياد، عن معاذ بن جبل: أن نبي الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ الشيطانَ ذيبُ الإنسانِ كذيبِ الغنم يأخذ الشاةَ القاصيةَ والناحيةَ، فإياكم والشعابَ وعليكم بالجماعةِ والعامةِ والمسجدِ**».

وقال أيضًا: ثنا عبد الصمد: ثنا عبد الوارث: ثنا عمر بن إبراهيم: ثنا قتادة، عن العلاء بن زياد، عن رجل حدثه يثق به، عن معاذ به. وهذا أشبه بالصواب.

وللطبراني، والسجزي في "الإبانة" من حديثه: «**الشيطانُ ذيب الإنسانِ كذيبِ الغنمِ يأخذ الشاةَ الشاذةَ والقاصيةَ والناحيةَ، فعليكم بالجماعةِ والألفةِ والعامةِ والمساجدِ وإياكم والشعابَ**».

وحديث عرفجة رضي الله عنه: رواه النَّسائيُّ قال: أخبرني أحمد بن يحيى الصوفي: ثنا أبو نعيم: ثنا يزيد بن مرِّدَانُبَه، عن زياد بن علاقة، عن عرفجة بن

ضريح الأشجعي قال: رأيت النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ المنبر يخطب الناس فقال: «**إنه سيكون بعدي هَناتٌ وهَناتٌ فمن رأيتموه فارقَ الجماعةَ أو يريدُ يفرِّق أمرَ أمةِ محمد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كائنًا من كان فاقتلوه فإن يد الله على الجماعة، فإن الشيطان مع من فارق الجماعةَ يركُضُ**». ورواه الطبراني مقتصرًا علىٰ قوله: «**يد الله... إلخ**».

وأصله في "صحيح مسلم" بلفظ: «**إنه ستكون هَناتٌ وهَناتٌ فمن أراد أن يفرِّقَ أمرَ هذه الأمةِ وهي جميعٌ فاضربوه بالسيفِ كائنًا من كانَ**».

وحديث ابن مسعود رضي الله عنه: رواه الخطيب من طريق بكران بن عبد الرحمن البغدادي: ثنا عبد الحميد بن نهشل، عن الفضيل بن عياض، عن منصور بن المعتمر، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**من فارق الجماعة فاقتلوه**».

وروىٰ ابن أبي شيبة قال: نا أبو أسامة، عن الأعمش، عن المسيب بن رافع، عن بشير بن عمرو قال: شيعنا ابن مسعود حين خرج فنزل في طريق القادسية فدخل بستانًا فقضىٰ حاجته ثم توضأ ومسح علىٰ جوربيه ثم خرج وإن لحيته ليقطر منها الماء، فقلنا له اعهد إلينا فإن الناس قد وقعوا في الفتن ولا ندري هل نلقاك أم لا. قال: اتقوا الله واصبروا حتىٰ يستريح بر أو يستراح من فاجر. وعليكم بالجماعة فإن الله لا يجمع أمة محمد صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ ضلالة. قال الحافظ: «إسناده صحيح ومثله لا يقال من قبل الرأي».اهـ

وروىٰ أحمد في كتاب "السنة"، والبزار، والطبراني في "الكبير"، وأبو داود الطيالسي، وأبو نعيم، عن ابن مسعود قال: إن الله عزَّ وجلَّ نظر في قلوب

العباد فوجد قلب محمد صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه وابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقاتلون عن دينه، فما رآه المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن وما رآه المسلمون سيئًا فهو عند الله سيء. إسناده حسن كما قال الحافظ السخاوي.

وحديث أبي سعيد رضي الله عنه: رواه البزار.

وحديث معاوية: رواه الحاكم من طريق حفص بن غياث: ثنا أبي: ثنا أبو بكر بن عياش، عن عاصم، عن أبي صالح، عن معاوية قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**من فارق الجماعة شبرًا دخل النار**».

وحديث الرجل من الصحابة: رواه أحمد قال: ثنا إسحاق بن سليمان الرازي قال: سمعت زكريا بن سلام يحدث عن أبيه، عن رجل قال: انتهيت إلىٰ النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وهو يقول: «**أيها الناس عليكم بالجماعة وإياكم والفرقةَ، عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة، عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة**». ثلاث مرار قالها إسحاق.

وأثر أبي مسعود رضي الله عنه: رواه ابن أبي شيبة من طريق يزيد بن هارون، عن التيمي، عن نعيم بن أبي هند: أن أبا مسعود خرج من الكوفة فقال: «عليكم بالجماعة فإن الله لم يكن ليجمع أمة محمد صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ ضلال». وعزاه الحافظ السخاوي للترمذي وابن أبي عاصم.

ومرسل الحسن: رواه الطبري في "تفسيره" قال: حدثني يعقوب بن إبراهيم: ثنا ابن علية، عن يونس، عن الحسن: أن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله

وسلَّم قال: «**سألت ربي أربعًا فأُعطِيت ثلاثًا ومُنِعتُ واحدة، سألته أن لا يسلط على أمتي عدوًا من غيرهم يستبيح بيضَتهم، ولا يسلِّط عليهم جوعًا، ولا يجمعهم على ضلالة، فأُعطيتهنَّ، وسألته أن لا يلبِسَهم شيعًا ويذيقَ بعضَهم بأسَ بعضٍ فمُنعتُ**».

وفي الباب عن أسامة بن شريك رضي الله عنه: قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يد الله على الجماعة فإذا اشتذَّ الشاذُّ منهم اختطفه الشيطان كما يختطف الذيبُ الشاةَ الشاذةَ من الغنم**».

رواه الطبراني في "الكبير"، والدارقطني في "الأفراد"، وابن قانع في "المعجم"، وأبو نعيم في "المعرفة".

وعن الحارث الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**آمركم بخمس كلمات أمرني الله بهن: الجماعة، والسمع، والطاعة، والهجرة، والجهاد في سبيل الله، فمن خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من رأسه إلا أن يرجع**». رواه أبو داود الطيالسي، والترمذي، والحاكم وصحَّحاه.

٦٦- حديث: «إنَّ المدينةَ تنفي خَبَثَها».

أحمد، والشيخان، والترمذي، و النسائي، من حديث جابر رضي الله عنه أن أعرابيًا بايع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على الإسلام فأصابه وعك فقال: أقلني بيعتي. فأبى، ثم جاءه فقال: أقلني بيعتي. فأبى، فخرج، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنما المدينةُ كالكِيرِ تنفي خَبَثَها وتَنْصَعُ طيِّبَهَا**». وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه عند الشيخين.

٦٧- قوله: «وهم علي وفاطمة وابناهما رضوان الله عليهم لأنها لما نزلت لف عليه الصلاة والسلام عليهم كساء وقال: هؤلاء أهل بيتي».

ابن جرير، والحاكم، والبيهقي، في "السنن"، من طرق عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: نزلت في بيتي هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الأحزاب: ٣٣]. قالت: فأرسل رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إلىٰ علي وفاطمة والحسن والحسين رضوان الله عليهم أجمعين فقال: «**اللهم هؤلاء أهل بيتي**». قالت أم سلمة: يا رسول الله ما أنا من أهل البيت؟ قال: «**إنك أهلي خيرٌ وهؤلاءِ أهلُ بيتي**» قال الحاكم: «علىٰ شرط البخاري». وأقره الذهبي.

وأخرج الترمذي من طريق عطاء بن أبي رباح، عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: لما نزلت هذه الآية علىٰ النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الأحزاب: ٣٣] في بيت أم سلمة دعا فاطمة وحسنًا وحسينًا فجلَّلَهم بكساء وعلي خلف ظهره فجلَّلَه بكساء ثم قال: «**اللهمَّ هؤلاءِ أهلَ بيتي فأذهِب عنهم الرجسَ وطهِّرْهم تَطهيرًا**». قالت أم سلمة: وأنا معهم يا نبي الله؟ قال: «**أنت على مكانك وأنت على خير**». قال الترمذي: «غريب من هذا الوجه من حديث عطاء عن عمر بن أبي سلمة».

وأخرج أحمد، وابن أبي شيبة، والطبراني، والحاكم، والبيهقي، عن واثلة بن الأسقع قال: أتيت عليًّا فلم أجده، فجاء هو والنبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم،

فدخلت معهما فدعا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الحسن والحسين فأقعدهما على فخذيه وأدنى فاطمة من حجره وزوجها ثم لف عليهم ثوبًا وقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] «**اللهم هؤلاء أهل بيتي اللهم أهل بيتي أحق**».

قال الحاكم: «على شرط مسلم» وأقره الذهبي.

وروى أحمد، ومسلم، وابن أبي شيبة، والحاكم، عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرج رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود، فجاء الحسن والحسين فأدخلهما معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها معهما ثم جاء علي فأدخله معهم ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

قال الحاكم: «على شرط الشيخين» وأقره الذهبي.

وفي الباب عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١] دعا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عليًّا وفاطمة وحسنًا وحسينًا فقال: «**اللهم هؤلاء أهل بيتي**». رواه مسلم، والترمذي وقال: «حسن صحيح غريب». ورواه الحاكم وزاد: «وأدخلهم تحت ثوبه».

وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**نزلت هذه الآية في خمسة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾** [الأحزاب: ٣٣]؛ **فيَّ وفي علي وفاطمة والحسن والحسين**». رواه

البزار وفيه بُكَيْر بن يحيىٰ بن زبان، قال الحافظ الهيثمي: «ضعيف».

وللطبراني عنه موقوفًا: «نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الأحزاب: ٣٣]؛ في رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وعلي وفاطمة والحسن والحسين، نزلت في بيت أم سلمة». وفيه عطية بن سعد قال الحافظ الهيثمي: «ضعيف».

وعن أنس قال: كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يمر بباب فاطمة ستة أشهر لصلاة الفجر يقول: «**الصلاة يا أهل البيت**» ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

رواه أحمد، والترمذي وقال: «حسن غريب».

وعن أبي الحمراء مثله. رواه الطبراني، وفيه أبو داود الأعمىٰ قال الحافظ الهيثمي: «ضعيف».

وعن أبي برزة قال: صليت مع النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم سبعة عشر شهرًا فإذا خرج من بيته أتىٰ باب فاطمة فقال: «**الصلاة عليكم أهل البيت**» ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ ...﴾ الآية. رواه الطبراني، وفيه عمر بن شبيب المسلىٰ ضعيف، كما قال الحافظ الهيثمي.

وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما مثل حديث أنس إلا أنه قال: تسعة أشهر وقال: يأتي وقت كل صلاة. رواه ابن مردويه.

٦٨- حديث: «إنِّي تاركٌ فيكم ما إنْ تمسكْتُم به لن تَضلُّوا؛ كتابَ الله وعترتي».

الترمذيُّ من طريق زيد بن الحسن، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر رضى الله عنه قال: رأيت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في حجته يوم عرفة وهو علىٰ ناقته القصواء يخطب فسمعته يقول: «**يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا؛ كتاب الله وعترتي أهل بيتي**». قال الترمذي: «حسن غريب».

وفي الباب عن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال: قام رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يومًا فينا خطيبًا بماء يدعىٰ خمًا بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنىٰ عليه ووعظ وذكر ثم قال: «**أما بعد ألا أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم الثقلين؛ أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به**». فحث علىٰ كتاب الله ورغب فيه. ثم قال: «**وأهل بيتي؛ أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي**».رواه أحمد، ومسلم، ورواه الترمذي بلفظ حديث جابر وقال: «حسن غريب».

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إني تارك فيكم خليفتين؛ كتاب الله عزَّ وجلَّ حبل ممدود ما بين السماء والأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لم يتفرقا حتى يَرِدا علي الحوضَ**». رواه أحمد بإسناد جيد كما قال الحافظ الهيثمي.

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر؛ كتاب الله حبل ممدود مِن السماء إلى الأرض، وعِترتي أهل بيتي، وإنهما لن يتفرَّقا حتَّى يردا عليَّ الحوضِ**». رواه الطبرانيُّ في "الأوسط".

قال الحافظ الهيثمي: « في إسناده رجال مختلف فيهم». وعزاه الحافظ السيوطي في "الجامع الكبير" لابن أبي شيبة، وابن سعد، وأحمد، وأبي يعلى، والباوردي.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إني مقبوض وإني تركتُ فيكم الثقلين؛ كتابَ الله وعترتي أهل بيتي، وإنكم لن تضلُّوا بعدهما وإنه لن تقومَ الساعةُ حتى يُبْتَغَى أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كما تُبْتَغَى الضالة فلا توجد**». رواه البزار وإسناده ضعيف.

وعن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: لما صدر رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من حجة الوداع نهى أصحابه عن سمرات متفرقات في البطحاء وذكر حديثًا طويلًا فيه: «**وإنِّي سائلُكم عن الثَّقَلَين فانظُروا كيف تخلفوني فيهما، الثُّقلُ الأكبرُ كتابُ الله عزَّ وجلَّ سَبَبٌ طَرَفهُ بيد الله عزَّ وجلَّ وَطَرَفهُ بأيديكم فاستَمْسِكوا بهِ لا تضلُّوا ولا تبدِّلُوا، وعِتْرتي أهلُ بيتي فإنه قد نبأني اللطيفُ الخبيرُ أنهما لن يتفرَّقا حتى يَرِدا علي الحوضَ**». رواه الطبراني في "الكبير" بإسنادين قال الحافظ الهيثمي: «رجال أحدهما ثقات إلا زيد بن الحسن الأنماطي فقال أبو حاتم: منكر الحديث، ووثقه ابن حِبَّان».اهـ

٦٩- حديث: «عليكم بسنَّتي وسنةِ الخلفاءِ الراشدين من بعدِي».

أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وابن حِبَّان، والحاكم، عن العرباض بن سارية قال: وعظنا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يومًا بعد

صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب. فقال رجل: إن هذه موعظة مودع فما تعهد إلينا؟ قال: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشي فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدَثاتِ الأمور فإنَّ كلَّ محدثةٍ بدعةٌ وكلَّ بدعة ضلالةٌ**». قال الترمذيُّ: «حسن صحيح». وقال البزار: «هو أصح من حديث حذيفة». يعني الآتي، نقله عنه ابن عبد البر وأقره. وقال الحاكم: «على شرطهما».

٧٠- حديث: «اقتدُوا باللذَيْنِ من بعدي أبي بكر وعمر».

الترمذي من طريق سفيان بن عيينة، عن زائدة، عن عبد الملك بن عمير، عن ربعي، عن حذيفة، عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بهذا. وقال: «حديث حسن». وكذا رواه أحمد، وابن ماجه، وابن حِبَّان، والحاكم، من طريق عبد الملك بن عمير.

ورواه العقيلي من طريق مالك، عن نافع، عن ابن عمر. وقال: «لا أصل له من حديث مالك وهو يروى عن حذيفة بأسانيد جياد تثبت».

وقال البزار وابن حزم: «لا يصح» وأعلَّاه بأن فيه جهالة وانقطاعًا، ودفع ذلك الحافظ في "التلخيص".

وللطبراني في "الكبير" من حديث أبي الدرداء مثله، وزاد: «**فإنَّهما حبلُ الله الممدودُ من تمسَّك بهما فقد تمسك بالعروةِ الوُثقَى التي لا انفصَامَ لها**». قال الحافظ الهيثمي: «في سنده من لم أعرفهم».

(فائدة): عارض الإسنوي هذا الحديث والذي قبله بحديث: «**خذوا شطر دينكم عن الحميراء**». يعني عائشة رضي الله عنها.

وهذا خطأ منه فإن هذا الحديث لا أصل له، فقد ذكر الحافظ ابن كثير أنه سأل عنه الحافظين المزي والذهبي فلم يعرفاه.

وقال الحافظ: «لا أعرف له إسنادًا ولا رأيته في شيء من كتب الحديث إلا في "نهاية ابن الأثير"، ذكره في مادة (ح م ر) ولم يذكر من خرَّجه».اهـ

وذكر بعض الحفاظ -هو ابن القيم- أن كل حديث فيه لفظ «الحميراء» باطل إلا حديثًا واحدًا في "سنن النسائي"، والله أعلم.

٧١- قوله: «لنا الإجماعُ على الخلافةِ بعد الاختلافِ».اهـ

قلت: يعني أن الصحابة أجمعوا على خلافة أبي بكر رضي الله عنه بعد اختلافهم في الخليفة حتى عزم الأنصار أن يجعلوا منهم أميرًا، والقصة مستوفاة في "صحيح البخاري" وغيره.

٧٢- قوله: «كالاتفاق على حرمةِ بيع أم الولدِ والمتعةِ».

قلت: أما الاتفاق على حرمة بيع أم الولد فمأخوذ مما رواه ابن أبي شيبة قال: ثنا أبو خالد الأحمر، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي، عن عبيدة، عن علي قال: استشارني عمر في بيع أمهات الأولاد فرأيت أنا وهو أنها إذا ولدت عتقت فعمل به عمر حياته، وعثمان حياته، فلما وليت رأيت أن أرقهن. قال الشعبي: فحدثني ابن سيرين أنه قال لعبيدة: فما ترى أنت؟ قال: رأي علي وعمر في الجماعة أحب إلي من قول حين أدرك الاختلاف.

وروى عبد الرزاق، عن معمر، عن أيوب، عن ابن سيرين، عن عبيدة قال: سمعت عليًّا كرم الله وجهه يقول: اجتمع رأيي ورأي عمر رضي الله عنه في أمهات الأولاد أن لا يبعن ثم رأيت بعد أن يبعن. قال عبيدة: فقلت له رأيك ورأي عمر في الجماعة أحب إلي من رأيك وحدك في الفرقة.

وروى عبد الرزاق بإسناد صحيح أن عليًّا رضي الله عنه رجع عن رأيه هذا إلى رأيه الأول.

وأما الاتفاق على حرمة نكاح المتعة فمأخوذ مما رواه ابن ماجه بإسناد صحيح عن عمر رضي الله عنه أنه خطب فقال: إن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أذن لنا في المتعة ثلاثا ثم حرمها، والله لا أعلم أحدًا تمتع وهو محصن إلا رجمته بالحجارة.

وفي "صحيح مسلم" من طريق أبي نضرة، عن جابر رضي الله عنه: تمتعنا على عهد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ثم نهانا عمر رضي الله عنه فلم نعد.

وروى مالك والشافعي عن عروة بن الزبير أن خولة بنت حكيم دخلت على عمر رضي الله عنه فقالت: إن ربيعة بن أمية استمتع بامرأة مولدة فحملت منه. فخرج عمر يجر ثوبه فزعًا وقال: هذه المتعة ولو كنت تقدمت فيها لرجمت.

وفي أوسط معاجم الطبراني من طريق إسحق بن راشد، عن الزهري، عن سالم قال: أتي ابن عمر فقيل له: إن ابن عبَّاسٍ يأمر بنكاح المتعة. فقال: معاذ الله، مَا أظن ابن عبَّاسٍ يفعل هذا. فقيل: بلى. قال: وهل كان ابن عبَّاسٍ على عهد

رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إلا غلامًا صغيرًا؟ ثم قال ابن عمر: نهانا عنها رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وما كنا مسافحين. قال الحافظ «إسناده قوي».

قلت: قول ابن عبَّاسٍ بإباحة المتعة في "صحيح البخاري"، وعن ابن مسعود في الصحيحين مثله، وعن أبي سعيد كذلك، رواه ابن جرير في "تهذيب الآثار".

وعن معاوية ويعلىٰ بن أمية رواه عبد الرزاق، عن ابن جريج قال: أول من سمعت منه المتعة صفوان بن يعلىٰ بن أمية قال: أخبرني يعلىٰ أن معاوية استمتع بامرأة بالطائف فأنكرت ذلك عليه، فدخلنا علىٰ ابن عبَّاسٍ فذكرنا ذلك له فقال: نعم.

وهذا يخدش في صحة الإجماع، وممن قال بها من التابعين طاوس وعطاء، وسعيد بن جبير، رواه عنهم ابن حزم في كتاب "الإيصال".

وروىٰ الحاكم في "علوم الحديث" عن الأوزاعي قال: «يترك من قول أهل الحجاز خمس» فذكر فيها متعة النساء من قول أهل مكة، والله أعلم.

٧٣- حديث: «أصحابي كالنُّجومِ بأيِّهم اقتديتُم اهتديتُم».

ابن عبد البر في "كتاب العلم" من طريق الحارث بن غُصَيْن، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بهذا. وقال: «هذا إسناد لا تقوم به حجة لأن الحارث مجهول».

ورواه الدارقطني في "غرائب مالك" من حديث جابر أيضًا، وفيه جميل بن

زيد الراوي له عن مالك؛ مجهول. وقال الحافظ: «لا أصل له، من حديث مالك ولا من فوقه».

ورواه عبد بن حميد في "مسنده" من طريق حمزة النصيبي، عن نافع، عن ابن عمر. وحمزة واه بمرة.

ورواه القضاعي في "مسند الشهاب" من حديث أبي هريرة، وفيه جعفر بن عبد الواحد الهاشمي؛ كذاب.

ورواه البزار من حديث أنس. قال الحافظ: «إسناده واه».

ورواه أبو ذر الهروي في "السنة"، من طريق مندل عن جويبر، عن الضحاك به منقطعًا، وجويبر شديد الضعف.

وروى ابن عدي، والبيهقي، وابن عساكر من طريق نعيم بن حماد، عن عبد الرحيم بن زيد العمي، عن أبيه، عن ابن المسيب، عن عمر رضي الله عنه مرفوعًا: «**سألتُ ربِّي فيما يختلفُ فيه أصحابي فأوحى الله إليَّ يا محمدُ إن أصحابُك عندي بمنزلةِ النجومِ بعضُهم أضْوَأُ من بعضٍ**». وعبد الرحيم بن زيد متروك. وقد اختلف عليه فيه فتارة قال: عن أبيه عن سعيد عن ابن عمر، وتارة قال: عن عمر، وتارة قال: عن أبيه عن ابن عمر بإسقاط سعيد.

وبالجملة فالحديث لا يصح كما قال ابن الجوزي في "العلل".

وقال الذهبي في "الميزان": «باطل». وقال ابن حزم: «هذا خبر مكذوب». نعم قال البيهقي: «ورد ما يؤدي بعض معنى الحديث» يعني تشبيههم بالنجوم فقط، ثم أورد حديث مسلم عن أبي موسى: «**النجومُ أمنةُ أهلِ السماء فإذا**

ذهب النجوم أتى أهلَ السماءِ ما يوعدون، وأصحابي أَمَنةُ أمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون». قال الحافظ: «وفيه الإشارة إلى الفتن الحادثة بعد انقراض عصر الصحابة».

٧٤- حديث: «عليكم بالسواد الأعظم».

ابن ماجه من حديث أنس بإسناد ضعيف، وقد استوفينا الكلام على طرقه أول الباب.

٧٥- قوله: «وافق علي الصحابة رضي الله عنهم على منع بيع أم الولد ثم رجع».

تقدم الكلام عليه قريبًا، وقوله: «ورد بالمنع» إنْ أراد منه رجوع علي عليه صلوات الله فغير صحيح لما تقدم.

الكتاب الرابع في القياس

٧٦- قوله: «الثاني قصة معاذ وأبي موسى».

قلت: أما قصة معاذ رضي الله عنه فرواها أحمد، وأبو داود، والترمذي، والدارمي، والطبراني، وابن عدي، والبيهقي من طريق الحارث بن عمرو، عن رجال من أهل حمص من أصحاب معاذ، عن معاذ: أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لَمَّا أراد أن يبعثه إلى اليمن قال: «**كيف تقضي؟**» قال: أقضي بما في كتاب الله. قال: «**فإن لم يكنْ في كتابِ الله؟**» قال: فبسنة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم. قال: «**إن لم يكنْ في سنَّة رسولِ الله؟**» قال: أجتهد رأي ولا آلو. قال: «**الحمدُ لله الَّذي وفَّقَ رسولَ رسولِ الله لما يُرضي رسولَ الله**».

قال الترمذي: «لا نعرفه إلا من هذا الوجه وليس إسناده بمتصل».

ونقل الحافظ عن البخاري في "تاريخه" أنه قال: الحارث بن عمير عن أصحاب معاذ، وعنه أبو عون، لا يصح ولا يعرف إلا بهذا».

ونقل عن الدارقطني في "العلل" أنه قال: «رواه شعبة عن أبي عون هكذا، وأرسله ابن مهدي وجماعات عنه، والمرسل أصح».

قال أبو داود: «أكثر ما كان يحدثنا شعبة عن أصحاب معاذ أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم. وقال مرة:عن معاذ».اهـ

وقال ابن حزم في "الإحكام": «حديث ساقط لم يروه أحد من غير هذا الطريق وأول سقوطه أنه عن قوم مجهولين لم يسموا وفيه الحارث بن عمرو وهو مجهول لا يعرف من هو، ولم يأت هذا الحديث قط من غير طريقه».

ونقل الحافظ عن عبد الحق قال: «لا يسند ولا يوجد من وجه صحيح».

وعن ابن الجوزي في "العلل" قال: «لا يصح، وإن كان الفقهاء كلهم يذكرونه في كتبهم ويعتمدون عليه وإن كان معناه صحيحًا».

وعن ابن طاهر أنه قال في تصنيف له مفرد في الكلام على هذا الحديث: «اعلم أنني فحصت عن هذا الحديث في المسانيد الكبار والصغار، وسألت عنه من لقيته من أهل العلم بالنقل فلم أجد له غير طريقين، أحدهما طريق شعبة، والآخر عن محمد بن جابر، عن أشعث بن أبي الشعثاء، عن رجل من ثقيف، عن معاذ، وكلاهمًا لا يصح». انتهى ما نقله الحافظ.

ثم قال: «ورواه الخطيب في كتاب "الفقيه والمتفقه" من رواية عبدالرحمن بن غنم عن معاذ قال: فلو كان الإسناد ثابتًا إلى عبد الرحمن لكان كافيًا في صحة الحديث».اهـ

وقد ادعى بعضهم أن الحديث متواتر، وقال الآخرون: مشهور، وهذا باطل، فإنهم إن أرادوا الشهرة الاصطلاحية فالحديث كما عرفت بعيد عنها، وإن أرادوا مطلق الشهرة فذلك لا يفيد في قوة الحديث شيئًا؛ فكم حديث مشهور عند الخواص والعوام وليس له أصل، أو له أصل لا يحتج به، وإذا بطل أن يكون مشهورًا فيعلم بطلان تواتره بالأولى، والله أعلم.

وأمّا قصة أبي موسى فلا أصل لها، نعم في الصحيحين أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعثه ومعاذًا إلى اليمن وقال لهما: «**يَسِّرا ولا تُعَسِّرا وبشِّرا ولا تُنَفِّرا**».

٧٧- قوله: كان ذلك قبل نزول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣].

قلت: لأن بعث معاذ كان قبل حجة الوداع كما قال البخاري في "الصحيح"، وهو مشهور عند أهل المغازي والسير، ونزول الآية كان في حجة الوداع كما في صحيحي "البخاري" و"مسلم" و"تفسير ابن جرير".

٧٨- قوله: «إن أبا بكر رضي الله عنه قال في الكلالة برأي الكلالة ما عدا الوالد والولد».

ابن أبي شيبة، وعبد الرزاق، وسعيد بن منصور، والدارمي، والبيهقي، من طريق الشعبي قال: سئل أبو بكر رضي الله عنه عن الكلالة فقال: إني سأقول فيها برأي فإن كان صوابًا فمن الله وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان، أراه ما خلا الوالد والولد. فلمّا استخلف عمر رضي الله عنه قال إني لاستحي الله أن أرد شيئا قاله أبو بكر.

قال الحافظ: «رجاله ثقات إلا أنه منقطع».

قلت: لأن الشعبي لم يدرك الشيخين رضي الله عنهما.

٧٩- قوله: «وعمر رضي الله عنه أمر أبا موسى في عهده بالقياس».

الدارقطني من طريق عبيد الله بن أبي حميد، عن أبي المليح الهذلي قال: كتب عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى أما بعد: «فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة». وذكر رسالة طويلة وفيها: «الفهم الفهم فيما يختلج في صدرك مما لم يبلغك في الكتاب أو السنة اعرف الأمثال والأشباه ثم قس الأمور عند ذلك، فاعمد إلى أحبها عند الله وأشبهها بالحق فيما ترى». وعبيد الله بن أبي حميد ضعيف.

وأخرجه البيهقي في "المعرفة": أخبرنا أبوعبدالله الحافظ: ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب: ثنا محمد بن إسحق الصغاني: ثنا محمد بن عبد الله بن كناسة: ثنا جعفر بن برقان، عن معمر البصري، عن أبي العوام البصري قال: كتب عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى فذكره. وهو منقطع لأن أبا العوام لم يدرك عمر رضي الله عنه.

وأخرجه ابن حزم في "الإحكام" من طريق يوسف بن موسى القطان: ثنا عبد الله بن موسى: ثنا عبد الملك بن الوليد بن معدان، عن أبيه قال: كتب عمر فذكره.

قال ابن حزم: «عبد الملك بن الوليد متروك الحديث ساقط، وأبوه مجهول».

ورواه أيضًا من طريق أحمد بن محمد الكرجي: ثنا محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني: ثنا سفيان، عن إدريس بن يزيد الاودي، عن سعيد بن أبي بردة بن أبي موسى، عن أبيه قال: كتب عمر. فذكره.

قال ابن حزم: «من بين الكرجي إلى سفيان مجهولون وهو أيضًا منقطع».اهـ

وقال الدارقطني: نا محمد بن مخلد: نا عبد الله بن أحمد بن حنبل: حدثني أبي: نا سفيان بن عيينة: نا إدريس الأودي، عن سعيد بن أبي بردة. وأخرج.

٨٠- قوله: «قال عمر في الجد: أقضي فيه برأيي»، وقوله: «قال عثمان: إن اتَّبعت رأيَكَ فَسديدٌ».

في معناهما ما رواه عبد الرزاق في "المصنف"، والدارمي في "سننه"،

والحاكم في "المستدرك"، والبيهقي في "السنن"، من طريق مروان بن الحكم أن عمر رضي الله عنه لما طعن استشارهم في الجد فقال: إني كنت رأيت في الجد رأيًا فإن رأيتم أن تتبعوه فاتبعوه، فقال له عثمان رضي الله عنه: إن نتبع رأيك فإنه رشد وإن نتبع رأي الشيخ قبلك فلنعم ذو الرأي كان.

قال الحاكم: «على شرط الشيخين» وأقره الذهبي.

٨١- **قوله: «وقال عليٌّ: اجتمعَ رأيِي ورأيُ عمرَ في أمِّ الولدِ»**. تقدم في الإجماع.

٨٢- **قوله: «وقاس ابن عبَّاسٍ الجَدَّ على ابنِ الابنِ في الحَجْبِ»**.

سعيد بن منصور من طريق عطاء، عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: «يرثني ابن ابني دون إخوتي ولاأرث أنا ابن ابني». وعلقه البخاري في "الصحيح" بصيغة الجزم.

وروى عبد الرزاق من طريق قتادة قال: دعا عمر رضي الله عنه علي بن أبي طالب وزيد بن ثابت وعبد الله بن عباس فسألهم عن الجد فذكر الحديث وفيه: وقال ابن عبَّاسٍ: «هو أب ليس للأخوة معه ميراث وقد قال الله تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨] وبيننا وبينه آباء».

(تنبيه): ورد مثل هذا القياس عن أبي بكر رضي الله عنه، فأخرج البيهقي في "السنن" من طريق عطاء قال: كان أبو بكر رضي الله عنه يقول: «الجد أب ما لم يكن دونه أب، كما أن ابن الابن ابن ما لم يكن دونه ابن».

وللدارمي بسند صحيح عن عثمان رضي الله عنه أن أبا بكر رضي الله عنه

كان يجعل الجد أبًا إذا لم يكن دونه أب.

٨٣- قوله: «قيل ذموه».

أخرج ابن أبي شيبة في «فضائل القرآن» من "مصنفه"، وعبد بن حميد في "تفسيره"، قالا: ثنا محمد بن عبيد عن العوام بن حوشب، عن إبراهيم التيمي: أن أبا بكر رضي الله عنه سئل عن قوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٣١] فقال: «أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله برأيي أو بما لا أعلم؟!».

ورواه أبو عبيد في "فضائل القرآن": ثنا محمد بن يزيد، عن العوام بن حوشب، عن إبراهيم به. وفيه انقطاع بين إبراهيم وأبي بكر.

لكن له طريق آخر، قال عبد بن حميد: ثنا أبوأسامة، عن نافع، عن عمر الجمحي، عن ابن أبي مليكة قال: قال أبو بكر رضي الله عنه فذكره.

ورواه ابن عبد البر في "العلم"، من طريق موسى بن هارون الحمال: ثنا يحيى: ثنا حفص، عن الحسن بن عبيد الله، عن إبراهيم النخعي، عن أبي معمر، عن أبي بكر به.

وأخرج محمد بن عبد السلام الخشني: ثنا محمد بن بشار: ثنا يونس بن عبيد العمري: ثنا مبارك بن فضالة، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر، عن عمر رضي الله عنه أنه قال: أيها الناس اتهموا الرأي في الدين فلقد رأيتني وأني لا أرد أمر رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم برأي فأجتهد ولا آلو؛ وذلك يوم أبي جندل والكتاب يكتب وقال: «**اكتبوا: بسم الله الرحمن**

الرحيم» فقالوا: يكتب باسمك اللهم. فرضي رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وأبيت فقال: «يا عمرُ تراني قد رضيتُ وتَأْبَى؟!».

وعزاه الحافظ الهيثمي لأبي يعلىٰ، وقال: «رجاله موثقون وإن كان فيهم مبارك بن فضالة».

وروىٰ ابن عبد البر في "العلم" من طريق عبد الرحمن بن شريك، ثني أبي، عن مجالد بن سعيد، عن عامر الشعبي، عن عمرو بن حريث قال: قال عمر: «إياكم وأصحاب الرأي فإنهم أعداء السنن أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها فقالوا بالرأي فضلوا وأضلوا».

وأخرج ابن عبد البر من طريق البخاري: ثنا سنيد: ثنا يحيىٰ بن زكريا، عن مجالد بن سعيد، عن الشعبي، عن مسروق، عن عبد الله قال: «لا يأتي عليكم زمان إلا وهو شر من الذي قبله أما إني لا أقول: أمير خير من أمير ولا عام أخصب من عام ولكن فقهاؤكم يذهبون ثم لا تجدون منهم خلفًا ويجيئ قوم يقيسون برأيهم».

ورواه من طريق ابن وهب: ثنا سفيان، عن مجالد، عن الشعبي، عن مسروق، عن عبد الله به.

وزاد: «فيهدم الإسلام ويثلم». وعزاه الحافظ الهيثمي بهذه الزيادة للطبراني في "الكبير"، وقال: «فيه مجالد وقد اختلط».

وأخرج أبو داود: ثنا أبو كريب محمد بن العلاء: ثنا حفص بن غياث، عن الأعمش، عن أبي إسحق السبيعي، عن عبد خير، عن علي كرم الله وجهه

ورضي عنه قال: «لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه» الحديث.

وأخرج ابن وهب: أخبرني بشر بن بكر، عن الأوزاعي، عن عبدة بن أبي لبابة، عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: من أحدث رأيًا ليس في كتاب الله ولم تمض به سنة من رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لم يدر على ما هو منه إذا لقي الله عزَّ وجلَّ.

وروى ابن عبد البر من طريق عفان: ثنا عبد الرحمن بن زياد: ثنا الحسن بن عمرو الفقيمي، عن أبي فزارة قال: قال ابن عبَّاسٍ: إنما هو كتاب الله وسنة رسوله فمن قال بعد ذلك برأيه فما أدري أفي حسناته يجد ذلك أم في سيئاته.

وأخرج البخاري في "الصحيح" عن سهل بن حنيف قال: يا أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم لقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أرد أمر رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لرددته.

وفي الباب عن جماعة من الصحابة وقد استوفى ابن حزم آثارهم في "الإحكام" ثم ابن القيم في "إعلام الموقعين".

٨٤- حديث: «تعملُ هذه الأمةُ برهةً بالكتابِ وبرهةً بالسنَّة وبرهةً بالقياسِ فإذا فعلوا ذلك فقد ضلُّوا».

أبو يعلى في "المسند"، وابن عبد البر في "العلم"، من طريق عثمان بن عبد الرحمن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**تعمل هذه الأمة برهة بكتاب الله وبرهة**

بسنة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ثم يعملون بالرأي، فإذا فعلوا ذلك فقد ضلوا». وعثمان ضعيف.

وفي الباب عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**إنَّ اللهَ لا ينزِعَ العِلْم بعد أن أعطاكموه انتزاعًا ولكن ينتزِعُه منهم مع قبض العلماءِ بعلْمِهم فيبقى ناسٌ جُهَّالٌ يستفتون فيفتون برأيِهم فَيَضِلُّون ويُضِلُّون**». رواه الشيخان.

وعن عوف بن مالك قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**تفترق أمتي على بضعٍ وسبعين فرقة أعظمهم فتنة على أمتي قوم يقيسون الأمور برأيهم فيُحِلُّون الحرامَ ويحرِّمون الحلالَ**».

رواه الطبراني في "الكبير"، والبزار، وابن عبد البر في "العلم" ورجاله رجال الصحيح إلا أنه ضعيف اشتبه فيه الحال على رواية نعيم بن حماد فقلب إسناده.

٨٥- قوله: «الثالث ذم بعض الصحابة له من غير نكير».اهـ

قلت: تقدم ذلك قريبًا.

٨٦- قوله: «معارضان بمثلهما».

قلت: تقدم ذكر ما ورد عن الصحابة من القول بالرأي والعمل به.

وأما ما ورد عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من ذلك، فأخرج مسلم من حديث ابن عبَّاسٍ قال: جاء رجل إلى النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: يا رسول الله إن أمي ماتت وعليها صوم شهر أفأقضيه عنها؟ قال: «**لو كان**

على أمِّكَ دَيْنٌ أكنتَ قاضِيهِ عنْها» قال: نعم قال: «**فدينُ الله أحق أن يُقْضَى**».

وأخرج النسائي بإسناد صحيح عن ابن عبَّاسٍ أيضًا قال: قال رجل: يا نبي الله إن أبي مات ولم يحج أفأحج عنه؟ قال: «**أرأيتَ لو كَان على أبيكَ دَينٌ أكنتَ قاضيه؟**» قال: نعم، قال: «**فدَينُ الله أحقُّ**».

وتقدم حديث معاذ رضي الله عنه وهو مما يستأنس به في هذا المقام وإن كان ضعيفًا.

٨٧- حديث: «اختلافُ أمتي رحمةٌ».

قال الحافظ: «هذا حديث مشهور على الألسنة، وزعم كثير من الأئمة أنه لا أصل له، لكن ذكره الخطابي في "غريب الحديث" مستطردًا وقال: «اعترض على هذا الحديث بأنه لو كان الاختلاف رحمة لكان الاتفاق عذابًا» ثم تشاغل برد هذا الكلام ولم يقع في كلامه شفاء في عزو الحديث، ولكنه أشعر بأن له أصلًا عنده».اهـ

وعزاه الحافظ العراقي لآدم بن أبي أياس في كتاب "العلم والحكم" بلفظ: «**اختلافُ أصحابي رحمةٌ لأمتي**» وقال: «هو مرسل ضعيف».اهـ

وأخرج الطبراني، والبيهقي في "المدخل"، والديلمي في "مسند الفردوس"، من طريق سليمان بن أبي كريم، عن جويبر، عن الضحاك، عن ابن عبَّاسٍ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مهما أُوتِيتُم من كتابِ الله فالعملُ به لا عذرَ لأحدٍ في تركِهِ، فإن لم يكُنْ في كتاب الله فسنة مني ماضية، فإن لم تكن سنة مني فما قال أصحابي، إن أصحابي بمنزلة النجوم في**

السماء فأيُّما أخذتُم به اهتديتُم واختلافُ أصحابي لكم رحمةٌ».

سليمان ضعيف، وجويبر متروك، والضحاك عن ابن عبَّاسٍ منقطع.

ورواه أبو نصر السجزي في "الإبانة" من هذا الوجه وقال: «غريب».

وروى البيهقي في "المدخل"، من طريق الليث بن سعد، عن يحيى بن سعيد قال: «أهل العلم أهل توسعة وما برح المفتون يختلفون فيحل هذا ويحرم هذا فلا يعيب هذا على هذا إذا علم هذا».اهـ

٨٨- حديث: «**إنَّما جُعِلَ الاستئذانُ من أجْلِ البَصَر**».

الشيخان، والترمذي، من حديث سهل بن سعد الساعدي قال: اطلع رجل من جُحر في حجر النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ومع النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مدرى يحك به رأسه فقال: «**لو أَعلم أنَّك تنظرُ لطعنت به في عينكَ إنما جُعل الاستئذان من أجلِ البَصَر**».

وفي الباب عن سعد رضي الله عنه عند أبي داود.

وعن سهل بن حنيف رضي الله عنه عند ابن أبي شيبة.

وعن سعد بن عبادة رضي الله عنه عند الطبراني.

٨٩- حديث: «**إنَّما نهيتُكم عن لُحوم الأضَاحي لأجلِ الدَّافَّة**».

أحمد، ومسلم، من حديث عائشة قالت: دفَّ أهل أبيات من أهل البادية حَضْرَة الأضحى زمان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**ادَّخروا ثلاثًا ثمَّ تصدَّقوا بما بَقِيَ**». فلما كان بعد ذلك قالوا: يا رسول الله إن الناس يتخذون الأسقية من ضحاياهم ويحملون فيها الودك فقال: «**وما ذاك**» قالوا:

نهيت أن تؤكل لحوم الأضاحي بعد ثلاث. فقال: «**إنما نهيتكم من أجل الدافة فكلوا وادخروا**».

٩٠- حديث: «**لا تُقَرِّبُوه طِيبًا فإنَّه يحشرُ يومَ القيامة مُلَبِّيًا**».

أحمد، والشيخان، والأربعة، من حديث ابن عبَّاسٍ قال: بينما رجل واقف مع رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بعرفة إذ وقع عن راحلته فوقصته، فذكر ذلك للنبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**اغسِلُوه بماء وسِدْرٍ وكَفِّنوه في ثوبيه ولا تُحنِّطوه ولا تُخمِّروا رأسَه فإنَّ الله تَعالى يَبْعثُه يومَ القيامةِ مُلبيًا**».

وللنسائي من حديثه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**اغسلوا المحرم في ثوبيه اللذين أحرم فيهما واغسلوه بماء وسدر وكفنوه في ثوبيه ولا تَمَسُّوه بطِيبٍ فإنه يُبْعثُ يوم القيامَة مُحْرِمًا**».

٩١- حديث: «**إنَّها من الطَّوَّافِينَ عليكم والطَّوَّافَاتِ**».

مالك، والشافعي، وأحمد، والأربعة، وابن خزيمة، وابن حِبَّان، والحاكم، والدارقطني، والبيهقي، من حديث كبشة بنت كعب بن مالك وكانت تحت ابن أبي قتادة: أن أبا قتادة دخل عليها فسكبت له وضوءًا فجاءت هرة تشرب منه فأصغىٰ لها الإناء حتىٰ شربت. قالت كبشة: فرآني أنظر فقال: أتعجبين يا ابنة أخي؟ فقلت: نعم. فقال: إن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنها ليست بنَجَسٍ إنها من الطوافين عليكم والطوافات**».

قال الترمذيُّ: «حسنٌ صحيحٌ». ونقل الحافظ تصحيحه عن البخاريِّ والعقيلي والدارقطني.

ورواه من طريق عبدالله بن أبي قتادة، عن أبيه: أنه وضع له وضوءًا فولغ

فيه السنور فأخذ يتوضأ منه فقالوا: يا أبا قتادة قد ولغ فيه السنور. فقال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**السنور من أهل البيت وإنه من الطوافين عليكم أو الطوافات**».

قال الحافظ الهيثمي: «رجاله ثقات غير أن فيه الحجاج بن أرطأة وهو ثقة مدلس».اهـ

وفي الباب عن عائشة: أنها أتيت بهريسة فجاءت هرة فأكلت منها فأكلت من حيث أكلت الهرة، وقالت: إن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنها ليست بنجس إنما هي من الطوافين عليكم**».

رواه أبو داود من طريق عبدالعزيز بن محمد الدراوردي، عن داود بن صالح بن دينار التمار، عن أمه: أن مولاتها أرسلتها إلى عائشة بهريسة فوجدتها تصلي فأشارت إلى أن ضعيها فجاءت هرة... إلخ.

قال الحافظ المنذري: «قال الدارقطني: تفرد به الدراوردي عن داود عن أمه بهذه الألفاظ».اهـ

ونقل الحافظ عن الطبراني والبزار نحوه، والمعروف رواية هشام بن عروة عنها موقوفة، ذكرها الدارقطني في "سننه".

٩٢- حديث: «لا تُقَرِّبُوه طِيبًا». تقدم قريبًا.

٩٣- حديث: «زَنَى ماعزٌ فَرُجِمَ». تقدم معناه في التخصيص.

٩٤- حديث: «الأعرابي أنه قال: أفْطَرتُ يا رسولَ الله: فقال: أعْتِقْ رقبةً».

أحمد، والشيخان، والأربعة، من حديث أبي هريرة قال: جاء رجلٌ إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: هلكت يا رسول الله. قال: «**وما**

أهلكك؟» قال: وقعت على امرأتي في رمضان. قال: «**أعتق رقبة**». قال: لا أجدها. قال: «**صُمْ شهرَينِ مُتَتَابعَينِ**» قال: لا أطيق. قال: «**أطعم ستين مسكينًا**». قال: أجِدُ. قال: ثم جلس فأتي النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعرق فيه تمر قال: «**تصدَّق بهذا**». قال: على أفقر منا؟ فما بين لابتيها أحوج إليه منا. فضحك النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حتى بدت نواجذه وقال: «**اذهب فأطعمه أهلك**».

(تنبيه): ليس في شئ من طرق الحديث أن الأعرابي عبَّر بـ«أفطرت» كما قال المصنف، إلا ما جاء في رواية مالك عن جماعة عن الزهري.

قال الحافظ: «وهو محمول على الفطر بالجماع جمعًا بين الروايات، وأيد ذلك بأن البيهقي قال: رواه عشرون من حفاظ أصحاب الزهري بذكر الجماع».

٩٥- حديث: «إنها من الطوافين عليكم». تقدم قريبًا

٩٦- حديث: «تَمرةٌ طيِّبةٌ وماءٌ طهورٌ».

أحمد، والأربعة إلا النسائي، من طريق أبي فزارة، عن أبي زيد مولى عمرو بن حريث، عن ابن مسعود: أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال له ليلة الجن: «**عندك طهور؟**» قال: لا، إلا شئ من نبيذ في أداوة. قال: «**تمرة طيبة وماء طهور**».

زاد الترمذي: فتوضأ منه. وزاد أحمد: وصلى.

قال الترمذي: «أبو زيد رجل مجهول لا نعرف له رواية غير هذا الحديث». وكذا قال البخاري فيما نقله عنه ابن عدي.

وقال ابن حِبَّان في "الضعفاء": «لا يدرىٰ من هو ولا يعرف أبوه ولا بلده».

وقال ابن عبدالبر: «أبو زيد مجهول وحديثه في الوضوء بالنبيذ منكر».

وقال ابن أبي حاتم عن أبي زرعة: «حديث أبي فزارة في الوضوء بالنبيذ ليس بصحيح وأبو زيد مجهول».

ورواه الدارقطني من طريق الحسين بن عبيدالله العجلي: نا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي وائل قال: سمعت ابن مسعود يقول: كنت ليلة الجن مع النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فأتاهم فقرأ عليهم القرآن فقال لي في بعض الليل: «**أمعك ماء يا ابن مسعود؟**» الحديث.

قال الدارقطني: «الحسين بن عبيدالله يضع الحديث علىٰ الثقات».

ورواه ابن ماجه، والطحاوي، والدارقطني، من طريق ابن لهيعة: نا قيس بن الحجاج: نا حنش الصنعاني: عن ابن عبَّاسٍ: أن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال لابن مسعود ليلة الجن: «**معك ماء؟**» الحديث.

قال الدارقطني: «تفرد به ابن لهيعة وهو ضعيف الحديث».

ورواه البزار من هذا الوجه وقال: «لا يثبت؛ لأن ابن لهيعة كانت كتبه قد احترقت وبقي يقرأ من كتب غيره فصار في أحاديثه مناكير، هذا منها».

ورواه أحمد، والطحاوي، والدارقطني، من طريق حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن أبي رافع، عن ابن مسعود قال: كنت مع النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ليلة الجن فاحتاج إلي ماء يتوضأ به ولم يكن معي إلا النبيذ فقال: «**تمرةٌ طيبةٌ وماءٌ طهورٌ**» فتوضَّأ به. لفظ الطحاوي.

قال الدارقطني: «علي بن زيد ضعيف، وأبو رافع لم يثبت له سماع من ابن مسعود، وليس هذا الحديث في مصنفات حماد بن سلمة».اهـ

ورواه أحمد، والطحاوي، من طريق سليمان التيمي: ثني أبو تميمة، عن عمرو البكالي، عن ابن مسعود قال: استتبعني النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فانطلقنا حتى أتينا مكان كذا وكذا فخط لي خطًا وقال لي: «**كُنْ بينَ ظَهْرَي هذا لا تخرجْ منها فإنَّك إنْ خرجتَ هَلَكْتَ**» وذكر الحديث.

وقال الطحاوي: «البكالي هذا من أهل الشام ولم يروه عنه إلا أبو تميمة وليس هو بالهجيمي وإنما هو سلمي بصري ليس بالمعروف».

ورواه ابن عدي من طريق أبي عبدالله الشقري، عن شريك القاضي، عن أبي زائدة، عن ابن مسعود قال: قال لي رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**معك ماء؟**» قلت: لا، إلا نبيذ في أداوة. قال: «**تمرة طيبة وماء طهور**» فتوضأ.

قال ابن عدي: «شوشه أبو عبدالله الشقري، عن شريك، والمحفوظ عن أبي فزارة، عن أبي زيد، عن ابن مسعود، والحديث بأبي زيد ضعيف».اهـ

وله طريقان آخران عند الدارقطني، في أحدهما الحسن بن قتيبة ومحمد بن عيسى بن حيان وهما ضعيفان، وفي ثانيهما ابن غيلان الثقفي وهو مجهول، وبالجملة فالحديث ضعيف لا يصح الاحتجاج به.

٩٧- حديث: «أيَنقُص الرُّطَب إذا جَفَّ؟ قيل: نعمْ. قال: فَلا إذَنْ».

مالك، والشافعي، وأحمد، والأربعة، وابن خزيمة، وابن حِبَّان، والدارقطني، والحاكم، والبيهقي، والبزار، من حديث زيد أبي عياش أنه سأل

سعد بن أبي وقاص عن البيضاء بالسُّلْت فقال: أيتهما أفضل؟ قال:البيضاء. فنهاه عن ذلك وقال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يُسأل عن اشتراء التمر بالرطب فقال لمن حوله: «**أينقص الرطب إذا يبس؟**» قالوا: نعم. قال: «**فلا إذن**». قال الترمذي: «حسن صحيح». وقال الحاكم: «صحيح».

وأعلَّه الطحاوي والطبري وابن حزم وعبدالحق وجماعة بجهالة زيد أبي عياش.

وأجاب الخطابي: «بأنه معروف لأن مالكًا ذكره في "موطئه" وهو لا يروي عن رجل متروك من وجه وهذا من شأن مالك وعادته معلوم».اهـ

وقال الدارقطني: «إنه ثقة ثبت».

وقال الحافظ المنذري: «كيف يكون مجهولًا وقد روىٰ عنه اثنان ثقتان عبدالله بن يزيد مولىٰ الأسود بن سفيان، وعمران بن أبي أنس، وهما ممن احتج به مسلم في "صحيحه"؟! وقد روىٰ عنه مالك في "موطئه" مع شدة تحريه في الرجال ونقده وتتبعه لأحوالهم، وذكره مسلم والحافظ أبو أحمد الكرابيسي كلاهما في كتاب "الكنىٰ" وذكرا أنه سمع من سعد بن أبي وقاص وما علمت أحدًا ضعفه». انتهىٰ كلام المنذري.

٩٨- حديث: «إن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال لعمر رضي الله عنه وقد سأله عن قُبلة الصائم: أرَأيْتَ لو تَمَضْمَضْتَ بماءٍ ثم مَجَجْتَهُ؟».

أحمد، والدارمي، وأبو داود، والنسائي، وابن خزيمة، وابن حِبَّان، والحاكم، من طريق ليث بن سعد: ثنا بكير بن عبدالله الأشج: ثنا عبدالملك بن

سعيد بن سويد الأنصاري، عن جابر بن عبدالله، عن عمر رضي الله عنهما قال: هششت يومًا فقبَّلت وأنا صائم، فأتيت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقلت: صنعت اليوم أمرًا عظيمًا فقبلت وأنا صائم. فقال: «**أرأيت لو تمضمضت بماء ثم مججته وأنت صائم؟**» قلت: لا بأس بذلك. فقال: «**ففيم**».

قال الحاكم: «على شرط الشيخين». وأقره الذهبي، واستنكره النسائي، ولا وجه لاستنكاره فإن رجال الحديث رجال الصحيح، والله أعلم.

٩٩- حديث: «القاتل لا يرث». تقدم في التخصيص.

١٠٠- حديث: «إذا اخْتَلَفَ الجِنْسان فَبِيعُوا كيفَ شِئْتُم يدًا بيد».

أحمد، وابن أبي شيبة، ومسلم، عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبر بالبر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح، مِثلًا مِثلًا سواء بسواء يدًا بيد، فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدًا بيد**». ورواه الأربعة بألفاظ متعددة، وصححه الترمذي.

١٠١- حديث: «الثَّيِّبُ أحقُّ بنفسها».

مسلم، وأبو داود، والنسائي، والدارقطني، عن ابن عبَّاسٍ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**الثيب أحق بنفسها من وليها والبكر يستأذنها أبوها في نفسها وإذنها صماتها**».

قال أبو داود: «أبوها غير محفوظ، هو من قول سفيان» يعني ابن عيينة.

وقال الدارقطني: «لا نعلم أحدًا وافقه على ذلك».

ولأحمد، ومسلم، والأربعة، من حديث ابن عبَّاسٍ أيضًا: «**الأيم أحق بنفسها والبكر تستأذن وإذنها صماتها**».

ورواه ابن عساكر من طريق أبي حنيفة، عن مالك بن عبدالله بن الفضل، عن نافع بن جبير، عن ابن عبَّاسٍ بلفظ الترجمة وزاد: «**والبكر تستأذن وصمتها إقرارها**».

الكتاب الخامس في دلائل اختلف فيها

١٠٢ - حديث: «لا ضررَ ولا ضرارَ في الإسلام».

الطبراني من طريق محمد بن سلمة، عن ابن إسحق، عن محمد بن يحيىٰ بن حبان، عن عمه واسع بن حبان، عن جابر، عن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بهذا.

ورواه أبو داود في "المراسيل" من طريق عبدالرحمن بن معن، عن ابن إسحق، عن محمد بن يحيىٰ بن حبان، عن عمه واسع بن حبان مرسلًا.

قال الحافظ ابن رجب: «هذا أصح». وقال ابن حزم في المرفق من "المحلىٰ" ما نصه: «فإن احتجوا بالخبر: «**لا ضرر ولا ضرار**» فهذا خبر لا يصح لأنه إنما جاء مرسلًا أو من طريق فيها زهير بن ثابت وهو ضعيف إلا أن معناه صحيح».اهـ

وفي الباب عن أبي سعيد الخدري: أن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لا ضرر ولا ضرار**».

رواه الدارقطني، والحاكم، والبيهقي، من طريق عثمان بن محمد بن عثمان بن

ربيعة: ثنا الدراوردي، عن عمرو بن يحيىٰ المازني، عن أبيه، عن أبي سعيد. قال البيهقي: «تفرد به عثمان عن الدراوردي».اهـ

ورواه مالك في "الموطأ" عن عمرو بن يحيىٰ، عن أبيه مرسلًا وهذا أصح.

وعن عبادة بن الصامت: أن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قضىٰ أن: «**لا ضرر ولا ضرار**».

رواه ابن ماجه من طريق فضيل بن سليمان: ثنا موسىٰ بن عقبة: ثنا إسحق بن يحيىٰ بن الوليد، عن عبادة.

ورجاله ثقات، إلا أنه منقطع لأن إسحق لم يدرك عبادة، علىٰ أن ابن عدي ذكره في "الضعفاء" وقال: «عامة أحاديثه غير محفوظة».

وعن ابن عبَّاسٍ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لا ضرر ولا ضرار**». رواه ابن ماجه وفيه جابر الجعفي وهو متروك.

ورواه الدارقطني من وجه آخر وفيه إبراهيم بن إسماعيل وهو ضعيف، عن داود بن الحصين، عن عكرمة. وروايات داود عن عكرمة مناكير.

وعن عائشة أن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لا ضرر ولا ضرار**». رواه الدارقطني، وفيه الواقدي وهو متروك.

ورواه الطبراني من طريقين آخرين ضعيفين.

وعن أبي هريرة أن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لا ضَرَرَ ولا ضِرارَ ولا يَمْنعَنَّ أحدُكم جارَه أن يضعَ خشبةً على حائطِه**».

رواه الدارقطني من طريق أبي بكر بن عياش قال: أراه عن ابن عطاء، عن أبيه، عن أبي هريرة.

وابن عطاء هو يعقوب؛ ضعيف كما قال أحمد وابن معين وأبو حاتم.

وعن عمرو بن عوف المزني قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: **«لا ضرر ولا ضرار»**.

رواه كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف، عن أبيه، عنه. وكثير ضعيف.

وعن أبي جعفر قال: كانت نخلة بين رجلين فاختصما فيها إلى النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال أحدهما: اشققها نصفين بيني وبينه. فقال النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: **«لا ضرر في الإسلام، يتقاومان فيها»**.

رواه عبدالرزاق في "المصنف" قال: أنا ابن التيمي، عن الحجاج بن أرطأة: أخبرني أبو جعفر قال. فذكره، وهو مرسل.

١٠٣ - حديث: «نحنُ نحكُم بالظَّاهر».

اشتهر بين الأصوليين والفقهاء بلفظ: «أمرت أن أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر». ولا أصل له كما قال المزي، وابن كثير، والعراقي، والحافظ، والسخاوي، والسيوطي.

نعم، ورد في السنة ما يؤدي معناه، ففي المتفق عليه من حديث أم سلمة: **«إنَّكم تختَصِمون إليَّ فلعل بعضَكم يكونُ ألْحنَ بحجَّته من بعضٍ فأقضِي له على نحوِ ما أسْمعُ»** الحديث. ورواه النسائي وترجم له في «باب الحكم بالظاهر».

وفي "صحيح مسلم" من حديث أبي سعيد: **«إنِّي لم أومَرْ أن أُنقبْ عن قلوبَ النَّاس ولا أشقَّ بطونَهم»**.

وفيه أيضًا من حديث ابن عبَّاسٍ في قصة الملاعنة: **«لو كنتُ راجمًا أحدًا من غير بيِّنةٍ رجمتها»**.

١٠٤ - قوله: «ولأن الصحابة قنعوا بمعرفة المصالح».

قلت: لم أقف على نقل في ذلك صريحًا لكنه يؤخذ من قضايا متعددة كقضية إشارة أبي بكر وعمر على زيد بن ثابت رضي الله عنهم بجمع القرآن وامتناعه حتى بيَّنا له المصلحة في ذلك، وهي في "صحيح البخاري" وغيره.

وكقول علي رضي الله عنه لعمر رضي الله عنه حين استشار في جلد شارب الخمر: أرى أن يجلد ثمانين لأنه إذا شرب سكر وإذا سكر هذى وإذا هذى افترى وحد المفتري ثمانون. فجلد عمر ثمانين.

رواه مالك، والشافعي، والنسائي في "الكبرى"، والحاكم بإسنادين أحدهما منقطع والآخر ضعيف.

١٠٥ - قوله: «وإجماع الصحابة على مخالفة بعضهم بعضًا».

قلت: هذا الإجماع مستنبط من الوقائع التي خالف فيها الصحابة بعضهم بعضًا وهي كثيرة لا يكاد يحيط بها كتاب كما قال ابن عبدالبر.

منها ما ثبت في الصحيحين: أن عائشة كانت ترى التحريم بالرضاعة للكبير مستندة في ذلك إلى ما روته هي وأم سلمة من أمر النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: لسهلة امرأة أبي حذيفة بإرضاع سالم فأرضعته وصار ابنًا لها. وخالفها سائر أمهات المؤمنين ورأين أن ذلك رخصة لسالم فقط.

ومنها ما تقدم من قول عمر لما طعن: رأيت في الجد رأيًا فإن رأيتم أن تأخذوا به. وقول عثمان له: إن نتبع رأيك فإنه رشد، وإن نتبع رأي الشيخ قبلك فلنعم ذو الرأي كان.

ومنها ما رواه الحاكم بإسناد ضعيف عن ابن عبَّاسٍ أنه قال لعثمان محتجًّا

عليه: كيف ترد الأم إلى السدس بالأخوين وليسا بأخوة؟ فقال عثمان: لا أستطيع رد شئ كان قبلي ومضى في البلدان وتوارث عليه الناس.

ومنها اختلاف عمر وعلي وعثمان وزيد وابن عبَّاسٍ وابن مسعود رضي الله عنهم في مسائل من الفرائض، وآثارهم في ذلك مخرجة في "مسند البزار"، و"مصنف عبدالرزاق"، و"سعيد بن منصور"، و"سنن البيهقي"، وغيرها.

١٠٦ - حديث: «أصحابي كالنجوم». تقدم في الإجماع.

١٠٧ - قوله: «لقوله عليه السلام بعدما أنشدت ابنة النضر بن الحارث: لو سمعتُ ما قتلتُ».

قلت: ابنة النضر اسمها قتيلة بنت النضر بن الحرث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي القرشية، كذا ذكر الزبير بن بكار، وقاسم بن ثابت، والواقدي، وابن عبدالبر.

وقال ابن إسحق: إنها أخت النضر لا بنته وغلَّطه الحافظ السهيلي.

والإنشاد الذي أشار إليه المصنف سببه ما رواه ابن عبدالبر قال: ثنا خلف بن قاسم: ثنا الحسن بن رشيق: نا الدولابي: نا يزيد بن سنان أبو خالد: نا عبدالله بن خالد بن تميم أبو بكر: نا أبو محصن: نا سفيان بن حصين، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبَّاسٍ قال: قتل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يومئذ -يعني يوم بدر- صبرًا النضر بن الحرث من بني عبد الدار وطعيمة بن عدي من بني نوفل وعقبة بن أبي معيط من بني أمية.

قلت: وذكر ابن إسحق أن عليًّا رضي الله عنه قتله صبرًا بالصفراء عند النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

ولا منافاة بينهما لإمكان تأويل قول ابن عبَّاسٍ «قَتَل» بالأمر بالقتل.

فكتبت قتيلة إلى النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعد انصرافه من بدر في أبيها هذه الأبيات:

يا راكبًا إنَّ الأثيلَ مَظِنَّة ... من صُبح خامسةٍ وأنت موفَّق
أبلغْ به ميتًا فإنَّ تحيَّةً ... ما إن تَزالُ بها النَّجائِبُ تخفِقُ
مِنِّي إليه وعَبْرةٌ مَسْفُوحَةٌ ... جادَتْ بوابلها وأخرى تخنقُ
هل يسمعنَّ النضرُ إن ناديتُه ... بل كيف يسمع ميتٌ لا ينطِقُ؟
ظَلَّتْ سيوفُ بني أبيه تَنُوشُهُ ... لله أرحامٌ هُناك تُشَقَّقُ
قَسْرًا يقادُ إلى المنيَّةَ مُتعبًا ... رَسْفَ المقيد وهو عانٍ مُوثَقُ
أمحمَّدٌ ولدتك خيرُ نجيبةٍ ... في قومها والفحلُ فحلٌ مُعْرِقُ
ما كان ضرَّك لو مَنَنْتَ وربَّما ... مَنَّ الفتى وهو المَغِيظُ المُحْنَقُ
فالنَّضر أقربُ إن تركتَ قرابةً ... وأحقُّهم إن كان عِتقٌ يُعْتَقُ

فلما بلغ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ذلك بكى حتى اخضلت لحيته وقال: «**لو بلغني شعرها قبل أن أقتله ما قتلته**». هذه رواية الواقدي وعبدالله بن إدريس.

ورواية الزبير بن بكار: فَرَقَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حتى دمعت عيناه، وقال لأبي بكر رضي الله عنه: «**لو سمعت شعرها ما قتلت أباها**». وروى هذه القصة أيضا قاسم بن ثابت في "الدلائل".

(تنبيه): قال الزبير بن بكار عقب روايته للأبيات السابقة: سمعت بعض

أهل العلم يغمز هذه الأبيات ويقول إنها مصنوعة. والله أعلم.

١٠٨- قوله: «**وسؤال الأقرع بن حابس في الحج أكل عام يا رسول الله؟ فقال: لو قُلتُ ذلك لوجَبَ**».

أبو داود، والنسائي، وابن ماجه، عن ابن عبَّاسٍ قال: سأل الأقرع بن حابس النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: يا رسول الله الحج في كل سنة أو مرة واحدة؟ قال: «**بل مرة واحدة فمن زاد فهو تطوع**».

وفيه سفيان بن حسين الراوي له عن الزهري تكلم فيه ابن معين وغيره.

لكنه لم ينفرد به فقد رواه أحمد من حديث سليمان بن كثير، عن الزهري، عن أبي سنان الدولي، عن ابن عبَّاسٍ قال: خطبنا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**يا أيها الناس إن الله كتب عليكم الحج**». فقام الأقرع بن حابس فقال: أكل عام يا رسول الله؟ قال: «**لو قلتها لوجبت ولو وجبت لم تعملوا بها ولم تستطيعوا أن تعملوا بها، الحج مرة فمن زاد فمتطوع**».

وهذه متابعة جيدة وقد أشار إليها أبو داود، وله شاهد من حديث علي رضي الله عنه، رواه الترمذي والحاكم وسنده منقطع، وآخر من حديث أنس رواه ابن ماجه ورجاله ثقات كما قال الحافظ.

وأصله في "صحيح مسلم" من حديث أبي هريرة بلفظ: خطبنا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**يا أيها النَّاسُ قد فَرَضَ اللهُ عليكم الحجَّ فحُجُّوا**». فقال رجل أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثًا فقال: «**لو قلت نعم لوجبت، ولما استطعتم**» ثم قال: «**ذروني ما تركتكم**» الحديث.

الكتاب السادس في التعادل والتراجيح

١٠٩- حديث: «أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال لأبي بكرٍ: لا تَقْضِي في شيءٍ واحدٍ بحُكْمين مختلِفَينِ».

قلت: أخطأ المصنف في قوله: «أبي بكر» وإنما هو أبو بكرة نفيع بن الحارث. وفي قوله: «لا تقض» ولفظ الحديث: «**لا يقضين أحد**».

قال النَّسائيُّ: أخبرنا الحسين بن منصور بن جعفر: ثنا مبشر بن عبد الله: ثنا سفيان بن حسين، عن جعفر بن أياس، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة وكان عاملًا على سجستان قال: كتب إليَّ أبو بكرة يقول: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**لا يقضين أحد في قضاء بقضائين، ولا يقض أحد بين خصمين وهو غضبان**». وقد نبَّه الزركشي في تخريج أحاديث هذا الكتاب على هذا الخطأ أيضًا.

١١٠- «حديث عائشة في التقاء الختانين وترجيح الصحابة له على حديث: إنَّما الماءُ مِنَ الماءِ».

أما حديث عائشة فرواه الشافعي في "سنن حرملة"، وأحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، من طريق الوليد بن مسلم: ثنا الأوزاعي: أنبأنا عبد الرحمن بن القاسم: أخبرنا القاسم بن محمد، عن عائشة قالت: «إذا جاوز الختان الختان وجب الغسل، فعلته أنا ورسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فاغتسلنا».

قال الترمذيُّ: «حسن صحيح». وقال الحافظ: «صححه ابن حِبَّان، وابن

القطَّان، وأعلَّه البخاري بأن الأوزاعي أخطأ فيه ورواه غيره عن عبد الرحمن ابن القاسم مرسلًا، واستدل على ذلك بأن أبا الزناد قال: سألت القاسم بن محمد: سمعت في الباب شيئًا؟ قال: لا. وأجاب من صححه بأنه يحتمل أن يكون القاسم كان نسيه ثم تذكر فحدث به ابنه أو حدث به ابنه ثم نسي ولا يخلو الجواب من نظر». انتهى كلام الحافظ.

وفي الباب عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا التقى الختانان وتوارت الحشفة فقد وجب الغسل**». رواه ابن ماجه وفيه الحجاج بن أرطأة؛ ضعيف.

وعن ابن عمر باللفظ السابق وزاد: «**أنزل أو لم ينزل**». رواه الطبراني في "الأوسط".

وعن معاذ بلفظ: «**إذا جاوز الختان الختان وجب الغسل**». رواه البزار وفيه أبو بكر بن أبي مريم؛ ضعيف.

ورواه الطبراني من طريق عبد الرحمن بن عائذ قال: سأل رجل معاذًا عما يوجب الغسل من الجماع وذكر الحديث. قال الحافظ الهيثمي: «إسناده حسن».

وعن أبي أمامة بلفظ معاذ، رواه الطبراني، وفيه جعفر بن الزبير، عن القاسم قال الحافظ الهيثمي: «كلاهما ضعيف».

وعن عائشة بلفظ معاذ، رواه الترمذي من طريق سفيان، عن علي بن زيد، عن ابن المسيب عنها.

وعن أبي هريرة بلفظ: «**إذا جاوز الختان الختان أنزل أو لم ينزل وجب**

الغسل». رواه الدارقطني في "الأفراد" أيضًا.

وعن ابن عبَّاسٍ بهذا اللفظ رواه الدارقطني في "الأفراد" أيضًا.

وعن بلال قال: قلت يا رسول الله إذا خالطت أهلي فاختلفنا ولم أمن، أغتسل؟ قال: «**نعم، قد فعلت ذلك مع أهلي فلم أمن فاغتسلنا**».

رواه الطبراني في "الأوسط" بإسناد ضعيف.

وعن علي وابن مسعود موقوفًا مثل حديث معاذ رواه الطبراني وفيه جابر الجعفي؛ ضعيف جدًّا.

وأما حديث: «**إنما الماء من الماء**»: فرواه مسلم من حديث أبي سعيد قال: خرجت مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يوم الإثنين إلى قباء حتى إذا كنا في بني سالم وقف على باب عتبان فصرخ به، فخرج يجر إزاره فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أعجلنا الرجل**». فقال عتبان: يارسول الله أرأيت الرجل يعجل عن امرأته ولم يمن ماذا عليه؟ قال: «**إنما الماء من الماء**».

ورواه مسلم، وأبو داود، وابن خزيمة، وابن حِبَّان، من حديث أبي سعيد أيضًا مختصرًا بدون ذكر القصة.

ورواه أحمد من حديث عتبان قال: قلت: يا نبي الله إني كنت مع أهلي فلما سمعت صوتك أقلعت فاغتسلت. فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**الماء من الماء**». وإسناده حسن كما قال الحافظ الهيثمي.

وفي الباب عن أبي أيوب: نحو حديث أبي سعيد عند أحمد، وعبد الرزاق، والنسائي، وابن ماجه، والطبراني.

وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: انطلق رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في طلب رجل من الأنصار فدعاه فخرج الأنصاري ورأسه يقطر ماء. وذكر الحديث. رواه أبو يعلى، والبزار، وفي سنده ضعف وانقطاع.

وعن رافع بن خديج قال: ناداني رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وأنا على بطن امرأتي، فقمت ولم أنزل فاغتسلت. الحديث.

رواه أحمد والطبراني وفيه رشدين بن سعد؛ ضعيف.

وعن أبي هريرة عند الطحاوي.

وعن أنس عند ابن شاهين في "الناسخ".

وأما ترجيح الصحابة لخبر التقاء الختانين عليه فرواه أحمد، والطبراني، من حديث رفاعة بن رافع وكان عقبيًا بدريًا رضي الله عنه قال: كنت عند عمر رضي الله عنه فقيل له: إن زيد بن ثابت رضي الله عنه يفتي الناس في المسجد برأيه في الذي يجامع ولا ينزل. قال: أعجل علي به، فأتي به فقال: يا عدو نفسه أوَلقد بلغت أن تفتي الناس في مسجد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم برأيك؟! قال: ما فعلت، ولكن حدثني عمومتي عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم. قال: أي عمومتك؟ قال: أبي بن كعب وأبو أيوب ورفاعة بن رافع فالتفت عمر إليَّ وقال: ما يقول هذا الغلام؟ فقلت: كنا نفعله على عهد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم. قال: سألتم عنه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم. قلت: كنا نفعله على عهده.

قال: فجمع الناس واتفق الناس على أن الماء لا يكون إلا من الماء، إلا عليًّا

ومعاذًا رضي الله عنهما فقالا: إذا جاوز الختان الختان وجب الغسل. قال: فقال علي: يا أمير المؤمنين إن أعلم الناس بهذا أزواج النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

فأرسل إلى حفصة فقالت: لا علم لي. فأرسل إلى عائشة فقالت: إذا جاوز الختان الختان وجب الغسل.

قال فتحطم وجه عمر -يعني تغيظ- ثم قال: لا يبلغني أن أحدًا فعله إلا أنهكته عقوبة.

رجال أحمد ثقات إلا أن ابن إسحق مع كونه ثقة، مدلس.

وفي "صحيح مسلم" عن أبي موسى قال: اختلف رهط من المهاجرين والأنصار فقال الأنصاريون: لا يجب الماء إلا من الدفق أو من الماء. وقال المهاجرون: بل إذا خالط وجب الغسل. فقال أبو موسى: أنا أشفيكم من ذلك، قال: فقمت فاستأذنت على عائشة، فأذن لي. فقلت لها: يا أماه -أو يا أم المؤمنين- إني أريد أن أسألك عن شيء وإني أستحييك. فقالت: لا تستحي أن تسألني عما كنت سائلًا عنه أمك التي ولدتك فإني أنا أمك. قلت: فما يوجب الغسل؟ قالت: على الخبير سقطت، قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: **«إذا جلس بين شعبها الأربع ومس الختان الختان فقد وجب الغسل»**.

وروى مالك في "الموطأ" عن الزهري، عن سعيد بن المسيب: أن عمر وعثمان وعائشة كانوا يقولون: «إذا مس الختان الختان وجب الغسل».

وروى الطبرانيُّ بإسنادٍ رجاله ثقات كما قال الحافظ الهيثميُّ، عن إبراهيم

قال: سئل ابن مسعود عن الرجل يجامع المرأة فلا يمني. قال: أما أنا إذا فعلت ذلك من المرأة اغتسلت، قال سفيان: والجماعة على الغسل.

وفي السنن بسند رجاله ثقات كما قال الحافظ عن أبي بن كعب قال: «إنما كان الماء من الماء رخصة في أول الإسلام».

ورواه ابن خزيمة، وزاد: «ثم أمر النبي عليه وآله الصلاة والسلام بالإغتسال بعد».

وكذا رواه ابن أبي شيبة، وابن شاهين وبقي ابن مخلد من طرق.

١١١- حديث: «ألا أخبرُكم بخيرِ الشُّهود؟ قيل: نعم. قال: أن يشهدَ الرجلُ قبلَ أن يُستشهد».

مالك، وأحمد، ومسلم، والأربعة، والطبراني، من حديث زيد بن خالد الجهني: أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ألا أخبركم بخير الشهداء؛ الذي يأتي بشهادته قبل أن يسألها**».

وفي لفظ ابن ماجه: «**خير الشهود من أدى شهادته قبل أن يسألها**».

ولفظ الطبراني: «**خير الشهادة ما يشهد بها صاحبها قبل أن يسألها**».

وروى عبد الرزاق في "المصنف" عن ابن ميسرة قال: بلغني أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**خير الشهداء من أدى شهادته قبل أن يسأل عنها**».

١١٢- حديث: «ثم يفشو الكذب حتى يشهد الرجل قبل أن يستشهد».

الترمذيُّ، والحاكم، عن ابن عمر قال: خطبنا عمر بالجابية فقال: إن النبي

صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قام فينا مثل مقامي فيكم فقال: «**أوصيكم بأصحابي خيرًا ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل ولا يستحلف ويشهد الشاهد ولا يستشهد**» الحديث. وقد تقدم في الإجماع.

وفي الباب عن ابن مسعود: عند الشيخين بلفظ: «**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته**».

وعن عمران بن حصين: عندهما بلفظ: «**خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يكون بعدهم قوم يخونون ولا يؤتمنون ويشهدون ولا يستشهدون وينذرون ولا يفون ويظهر فيهم السمن**».

وعن أبي هريرة: عند أحمد، ومسلم، بلفظ: «**خير أمتي القرن الذي بعثت فيه ثم الذين يلونهم**» والله أعلم أذكر الثالث أم لا، قال: «**ثم يخلف قوم يشهدون قبل أن يستشهدوا**».

وعن بريدة: بلفظ ابن مسعود رواه أحمد، وابن أبي شيبة، والطحاوي، وسعيد بن منصور.

وعن النعمان كذلك رواه أحمد، والطبراني.

وعن بلال بن سعد بن تميم السكوني عن أبيه بلفظ: «**خير أمتي أنا وأقراني ثم القرن الثاني ثم القرن الثالث ثم يكون قوم يحلفون ولا يستحلفون ويشهدون ولا يستشهدون ويؤتمنون ولا يؤدون**»، رواه سعيد بن منصور، والبغوي، والباوردي، وسمويه، وابن قانع.

وعن عمرو بن شرحبيل مرسلًا بلفظ: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء أقوام يعطون الشهادة قبل أن يسألوها». رواه ابن أبي شيبة.

١١٣ - حديث: «ما اجتمع الحلال والحرام إلا وغلب الحرام الحلال».

جابر الجعفي، عن الشعبي، عن ابن مسعود به.

قال البيهقي: «فيه ضعف وانقطاع».

قلت: لأن جابرًا ضعيف، والشعبي لم يدرك ابن مسعود.

ونقل الحافظ السخاوي عن الحافظ العراقي أن هذا الحديث لا أصل له.

١١٤ - حديث: «ادرأُوا الحدودَ بالشُّبُهَاتِ».

الحارثي في "مسند أبي حنيفة" له، عن أبي سعيد بن جعفر الجرمي، عن يحيى بن فروخ، عن محمد بن بشر، عن أبي حنيفة، عن مقسم، عن ابن عبَّاسٍ مرفوعًا بهذا.

ورواه أبو سعد عبد الكريم بن أحمد السمعاني في "ذيل تاريخ بغداد" من طريق الحسين بن علي بن أحمد المقري، عن أبي منصور محمد بن أحمد بن الحسين النديم الفارسي: أنا جناح بن نذير: أنا أبو عبد الله بن بطة العكبري: نا أبو صالح محمد بن أحمد بن ثابت: نا أبو مسلم إبراهيم بن عبد الصمد: نا محمد بن أبي بكر المقدسي: نا محمد بن علي الشامي: نا أبو عمران الجوني، عن عمر بن عبد العزيز، عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مرسلًا.

وفي سنده من لا يعرف كما قال الحافظ.

وفي الباب عن علي رضي الله عنه بلفظ: «**إدرأوا الحدود ولا ينبغي للإمام أن يعطل الحدود**». رواه الدارقطني، والبيهقي، وفيه المختار بن نافع؛ قال البخاري: «منكر الحديث».

وعن عائشة رضي الله عنها بلفظ: «**إدرأوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم فإن كان له مخرج فخلُّوا سبيله فإن الإمام أن يخطئ في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة**».

رواه الترمذي والحاكم، والبيهقي، وأبو يعلى، وفيه يزيد بن أبي زياد قال الترمذي: «ضعيف في الحديث».

قال: «ورواه وكيع، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة نحوه ولم يرفعه وهو أصح».اهـ وكذا قال البيهقي: «رواية وكيع بالوقف أصح».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «**ادفعوا الحدود ما وجدتم له مدفعًا**». رواه ابن ماجه، وفيه إبراهيم بن الفضل؛ ضعيف.

وعن عمر رضي الله عنه موقوفًا: «لأن أخطئ في الحدود بالشبهات أحب إلي من أن أقيمها بالشبهات». رواه ابن حزم في كتاب "الإيصال" بإسناد صحيح.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «ادرأوا الحدود عن عباد الله عزَّ وجلَّ». رواه مسدد من طريق يحيى بن سعيد، عن عاصم، عن أبي وائل عنه.

ورواه الثوري، عن عاصم، عن أبي وائل عنه بلفظ: «**إدرأوا الحدود بالشبهات ادفعوا القتل عن المسلمين ما استطعتم**».

الكتاب السابع في الاجتهاد والإفتاء

١١٥- قوله: «ولأنه ينتظر الوحي».

أخرج أحمد، والشيخان، والنسائي، عن جابر قال: «مرضت فجاء رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يعودني وأبو بكر وهما ماشيان. فأتاني وقد أغمي علي، فتوضأ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ثم صب وضوءه علي فأفقت فقلت: يا رسول الله كيف أقضي في مالي؟ كيف أصنع في مالي؟ قال: فما أجابني بشيء حتىٰ نزلت آية الميراث». هذا لفظ البخاري وقد ترجم له: «باب ما كان النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يسأل مما لم ينزل عليه الوحي فيقول: لا أدري أو لم يُجب حتىٰ ينزل عليه الوحي، ولم يقل برأي ولا قياس».

وأخرج الشيخان عن يعلىٰ بن أمية أنه قال لعمر رضي الله عنه: أرني النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حين يوحىٰ إليه قال: فبينما النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بالجعرانة ومعه نفر من أصحابه جاءه رجل فقال: يا رسول الله كيف ترىٰ في رجل أحرم بعمرة وهو متضمِّخ بطيب؟

فسكت النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ساعة فجاءه الوحي فأشار عمر رضي الله عنه إلىٰ يعلىٰ فجاء وعلىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ثوب قد أظل به فأدخل رأسه فإذا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم محمر الوجه وهو يغط، ثم سري عنه، فقال: «**أين الذي سأل عن العمرة؟**» فأتي برجل، فقال: «**اغسل الطِّيب الذي بك ثلاثَ مرات وانزعْ الجبة واصنعْ في عمرتك ما تصنع في حجَّتِكَ**». وفي الباب أحاديث أخر.

١١٦ - حديث: «منْ أصابَ فله أجران ومنْ أخطأَ فله أجرٌ».

أحمد، والشيخان، وأبو داود، والنسائي، من حديث عمرو بن العاص: أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر واحد**».

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه مثله.

١١٧ - قوله: «وقد نَصَّبَ أبو بكر زيدًا».

قلت: لم أجد ذلك. لكن قال ابن سعد في "الطبقات": أخبرنا عفان بن مسلم: ثنا عبد الواحد بن زياد: ثنا الحجاج بن أرطاة، عن نافع قال: لما استعمل عمر بن الخطاب زيد بن ثابت على القضاء فرض له رزقًا.

وروى البغوي بإسناد صحيح عن خارجة بن زيد قال: كان عمر يستخلف زيد بن ثابت إذا سافر فقلما رجع إلا أقطعه حديقة من نخل.

وروى معتمر بن سليمان، عن داود بن أبي هند، عن يوسف بن سعد، عن وهيب -عبد كان لزيد بن ثابت- وكان زيد على بيت المال في خلافة عثمان قال. وذكر قصة تنظر في "الاستيعاب".

هذا ما بلغنا مما تولاه زيد في عهد عمر وعثمان رضي الله عنهم.

وقد يكون البيضاوي أراد أن أبا بكر رضي الله عنه نصَّب زيدًا لجمع القرآن لما خشي عليه الضياع حين استمر القتل بالقراء في وقعة اليمامة كما ثبت في الصحيح، والله أعلم.

١١٨ - قوله: «قول عبد الرحمن لعثمان: أبايعك على كتاب الله وسنة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وسيرة الشيخين».

البخاري، من طريق مالك، عن الزهري: أن حميد بن عبد الرحمن أخبره: أن المسور بن مخرمة أخبره: أن الرهط الذين ولَّاهم عمر رضي الله عنه اجتمعوا فتشاوروا، فقال لهم عبدالرحمن: لست بالذي أنافسكم عن هذا الأمر ولكنكم إن شئتم اخترت لكم منكم.

فجعلوا ذلك إلى عبد الرحمن فلمَّا ولَّوْا عبد الرحمن أَمْرَهم فمال الناس على عبد الرحمن حتى ما أرى أحدًا من الناس يتبع أولئك الرهط ولا يطأ عقبه، ومال الناس على عبد الرحمن يشاورونه تلك الليالي.

حتى إذا كانت الليلة التي أصبحنا منها فبايعنا عثمان، قال المسور: طرقني عبد الرحمن بعد هجع من الليل فضرب الباب حتى استيقظت فقال: أراك نائمًا! فوالله ما اكتحلت هذه الثلاث بكثير نوم، انطلق فادع الزبير وسعدًا، فدعوتهما له فشاورهما.

ثم دعاني فقال: ادع لي عليًا، فدعوته فناجاه حتى ابْهَارَّ الليل، ثم قام علي من عنده. ثم قال: ادع لي عثمان فدعوته فناجاه حتى فرَّق بينهما المؤذن بالصبح.

فلمَّا صلى للناس واجتمع أولئك الرهط عند المنبر فأرسل إلى من كان حاضرًا من المهاجرين والأنصار وأرسل إلى أمراء الأجناد، وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر رضي الله عنه.

فلما اجتمعوا تشهد عبد الرحمن ثم قال: أما بعد؛ يا علي إني قد نظرت في أمر الناس فلم أرهم يَعْدِلون بعثمان، فلا تجعلن على نفسك سبيلًا.

فقال لعثمان: أبايعك على سنة الله وسنة رسوله والخليفتين من بعده.

فبايعه عبد الرحمن، وبايعه الناس؛ المهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد

والمسلمون.

وبه تمَّ تخريج أحاديث "المنهاج" والحمد لله أولًا وآخرًا، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد وآله وسلَّم.

اللهمَّ وفِّقنا لاتباع سُنَّة نبيِّك وخلفائه الراشدين المهديين، واجعلنا من الذابِّين عنها والناصرين لها حتى نفوز بسعادة الدارين بفضلك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

وكان الفراغ من نقله من المسودَّة ظهر يوم السبت الرابع عشر من شهر شعبان سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة وألف.

٧- تَنْبيهُ البَاحِثِ المُستفِيدِ
للأَخْطاء الواقِعَةِ في الثَّلاثَةِ أجزاء الأُوَل مِن كتاب
"التَّمْهيدِ"

للحافظ أبي عمر بن عبدالبر القرطبي (ت ٤٦٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّدٍ أشرف المرسلين، ورضي الله عن آله الأكرمين وصحابته والتابعين.

وبعد : فإنَّ كتاب "التمهيد" للحافظ أبي عمر بن عبدالبر القرطبيِّ رحمه الله ورضي عنه، من الأصول في عِلْم السُّنَّة المُطهَّرة، وهو أعظم شرحٍ لكتاب "الموطأ"، على كثرة ما كتب عليه من شروح وتعليقات، يمتاز بسعة البحث، وتحريرالقول، وطول النفس، إذ تعرَّض لطُرق الحديث وشواهده، وحشد من الأسانيد وحشر ما تفرَّق في كتب السُّنَّة وانتثر، وبيَّن ما فيها من عللٍ قادحةٍ، أو غير قادحةٍ، وحين يتكلَّم على فقه الحديث ومعناه يطيل الكلام ويُشبع، ويُحاجج عن اختياره حتى يُقنع، مع وضوحٍ في البيان وعِفَّةٍ في اللسان، لا يشتد في العبارة، ولا يحتد في المناظرة.

ومما يدل على عُلوِّ قَدْره أنَّ ابن تيمية تكلَّم على حديث التوسعة يوم عاشوراء وحكم بوضعه، فردَّ عليه الحافظ العراقيُّ بأنَّ للحديث طريقًا على شرط مسلمٍ، وذكر حديث جابر الذي أسنده ابن عبدالبر في هذا الكتاب.

وثناء الحفاظ والعلماء عليه كثيرٌ مشهور، وتوقانهم إلى الاطلاع عليه معلوم، لكنه كان عسير المنال، يحتاج الباحث عنه إلى سفر وارتحال، عسى أن يقف منه على جزء أو أجزاء متفرقة في أنحاء.

إلى أن أراد الله ظهوره، فأصدر جلالة الملك المعظم الحسن الثاني –

نصره الله- أمره الكريم إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بطبعه وتعميم نفعه، وأوصى -حفظه الله- بالعناية به تحقيقًا وتصحيحًا حتى يظهر في الوضع اللائق والمنظر الرائق، وتلك مأثرة عظيمة لجلالة الملك -وما أكثر مآثره- يقدمها إلى العالم الإسلامي.

وظهر من الكتاب ثلاثه أجزاء بطبع أنيق على ورق جيد، فتلقفناها تلقف الظمآن للماء العذب البارد وقرأناها بشغف وإعجاب، فوجدنا فيها أغلاطًا كثيرة منها ما يتعلق بالتصحيح، ومنها ما يتعلق بالتحقيق بمعنى أن المحققين كتبوا أشياء جانبوا فيها الصواب، فجمعناها في صفحات قيامًا بالواجب العلمي، وبعثنا بها إلى «مجلة دعوة الحق»، بإشارة بعض الأصدقاء رجاء نشرها، لتعميم فائدتها.

غير أن المجلة لم تنشرها لسبب لا أعرفه، لكنني أعرف أن المناصحة في العلم واجبة، لما روى أبو نعيم في "الحلية" ، من حديث ابن عبَّاسٍ: «تناصحوا في العلم ولا يكتم بعضكم بعضًا فإن خيانة في العلم أشد من خيانة في المال».

وأعرف أن أهل العلم يقبلون ما يرد عليهم من ملاحظات وتصويبات بسعة صدر وحسن تقدير.

وأذكر مثالًا لذلك: أن الأستاذ حسام الدين القدسي طبع ذيول "تذكرة الحفاظ" بتعليقات صديقنا العلامة المرحوم الشيخ محمد زاهد الكوثري، وهو من هو في التحقيق والاطلاع، وبعث بنسخة منها إلى شيخنا العلامة مسند الديار المصرية السيد أحمد رافع الطهطاوي رحمه الله، فقرأها ووجد فيها ملاحظات وتصويبات، جمعها في رسالة سماها "التنبيه والإيقاظ لما في ذيول

تذكرة الحفاظ" وبعث بها إلى القدسي بدمشق راجيًا منه طبعها، فطبعها مصدَّرة بكلمة شكر وامتنان من الأستاذ الكوثري للسيد أحمد رافع.

وأعرف أيضًا أن العِلْم صلة بين أهله حيثما كانوا، وأن الصواب ليس مقصورًا على شخص أو أشخاص، وأن الخطأ والنسيان لا يسلم منهما إنسان.

ولما كانت الأغلاط الموجودة في الأجزاء المطبوعة مما لا ينبغي السكوت عليه، أفردتها بهذه الكراسة التي سميتها: "تنبيه الباحث المستفيد إلى ما في أجزاء التمهيد".

وسأتتبع بمشيئة الله تعالى ما يطبع من الأجزاء الآتية، وأنبه على ما يكون فيها من أغلاط، ولا أقصد إلا الإسهام في خدمة ذلك الكتاب القيم العظيم، لا سيَّما وهو يحمل اسم جلالة الملك المحبوب الحسن الثاني أيده الله، وذلك مما يزيد في الاعتناء به، وبذل الجهد في إجادته، حتى يسلم مما يشين جماله، أو يخدش كماله.

على أنه لا ينبغي أن يكون غيرنا أوفر حظًا منا، في تحقيق الكتب العلمية وإتقان تصحيحها، فما لنا نرى "مصنف عبدالرزاق"، المطبوع حديثًا مصححًا بدقة تامة لا نكاد نجد فيه -مع ضخامته- غلطًا أو تصحيفًا، على حين نجد في أجزاء "التمهيد"، ما يقرب من مئة غلطة أو تزيد، يضاف إليها أكبر الغلطات وأسوأها ألا وهو رفض التنبيه عليها، وإهدار حق القراء في معرفتها.

ولا يعيب الشخص أن يغلط لكن يعيبه الإصرار على الغلط، ولهذا كان المحدثون يجرحون الراوي بإصراره على الخطأ بعد ظهوره، ولما راجعت امرأة عمر رضي الله عنه في مسألة الصداق، ورأى كلامها صوابًا رجع إلى قولها،

وأعلنها كلمة صريحة مدوية: أصابت امرأة وأخطأ عمر.

وخفيت آيه على ابن عبَّاسٍ ترجمان القرآن لم يفهم معناها ففهمه إياها تلميذه ومولاه عكرمة فكساه ثوبين جزاء له.

وأمثلة إنصاف العلماء وإعلان رجوعهم عن الخطأ كثيرة لا تسعها هذه الكراسة ، وفيما ذكرت كفاية وغناء وبالله التوفيق.

عبدالله بن محمد بن الصِّدِّيق

عُفي عنه

تصويبات الجزء الأول

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٤٩	٦	كرام	كِدام- بكسر الكاف والدال المخففة.
٤٩	١٥	بانتك (كذا)	بابَتِك- بالباء، وفي "مختار الصحاح": وهذا من بابَتِك أي يَصلُح لك.
٥٠	٢٢	عمر	عمرو- بالواو.
٧٢	١	أبي لَهِيعة	ابن لَهِيعة- واسمه عبدالله.
١٠٦	١٠	إذ حج	إذا حج.
١١٠	١	أبي عباس	ابن عبَّاسٍ.
١٢٣	١٨	ابن سعيد	أبي سعيد.
١٢٩	٢١	بآخره	بأَخَرَة- بوزن دَرَجَة.
١٣٥	٤	أبي بريدة	ابن بريدة.
١٤٧	١	ابن باس	ابن عبَّاسٍ.
١٥٤	٢	أبي لهيعة	ابن لهيعة.
١٥٨	١١	فأبا	فأبى.
١٧١	١٥- ٢٣	الدروقي	الدورقي، بتقديم الواو.
١٧٢	١٩	الوافدي	الواقدي، بالقاف.
١٧٥	١١	منه	عنه.

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٢٢	٩-١٨	المحسوس	المحشوش المخشوش بمعجمات، وهو البعير الذي يوضع في أنفه عود من خشاش الأرض لينقاد.
٢٢٦	٣	حران	حَرَام، بالميم.
٢٣٣	٢٠	عمرو	عُمر، بضم العين.
٢٣٧	٢	أتني	ائْتِنِي.
٢٣٧	١٦	يباشر	يُياسِر، أي يكون مياسرًا لشريكه لا مُعاسِرًا.
٢٤٣	١١	دينار	دثار، بالمثلثة.
٢٤٥	١٢	تحليل	تخليل، بالخاء المعجمة أي جَعْل الخَمْرِ خَلًّا.
٢٤٨	٢٣	بآخره	بأخَرَة، كدَرَجَة.
٢٥٢	١٢	حمان	حَمَّاد، بالدال
٢٥٣	٣	جريح	جُرَيْج، بجيمين مصغرًا، وتكرر هذا الخطأ، فليتنبه له.
٢٧٥	١٠	نقول	يقول.
٢٨٤	١٨	ويئين	ويَئِنُّ.
٣١٦	٧	ليليني	لِيّلِني، مجزوم بلام الأمر.

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٣٦	٢	الجوطي	الحوطي، بالحاء المهملة.
٣٦٣	١٤	واحو	واحد
٣٦٧	١٥	أحمد بن عبدالله أبو الحسن أحمد بن عبدالله قال حدثنا محمد بن المثنى. مكرر	
٣٧٦	١٨	من أبا	من أبَى.
٣٧٦	١٨	بوضوءه	من وُضوئِه.
٣٧٩	٨	لحقنا	لحُفِنا، بالفاء جمع لِحَاف.
٣٨٣	٣	بآخره	بأخَرَة.
٣٨٩	٦	بآخرة	بأخَرَة.
٣٩٢	١٥	لاروى	لا أروِي.
٣٩٤	٥	وأشفأ	وأشْفَى.
٣٩٤	١٢	كتاب "الصحابة"	كتاب "الضُّعَفاء"

٣٧٦ ١٥ في الأصل ما نصه: وكذلك قال الوقَار. وكتب عليه المحققان: كذا في نسخة (أ) ولعل به تصحيفًا.

ولا تصحيف فيه، بل هو الصواب. والوَقَارُ بتخفيف القاف: لقب أبي يحيى زكريا بن يحيى المصري المالكي، أحد فقهاء المالكية، له ترجمة في "الميزان" و"لسان الميزان" و"الديباج المذْهَب". وابنه أبو بكر بن زكريا الوقار، مترجَم في "الديباج".

تصويبات الجزء الثاني

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١١	٩-١٤	حماد	حِمَار، باسم الحيوان المعروف.
١١	١٢	قالا	قال.
١٢	١٥	الاه	إلَه.
١٥	١١	اجتج	احتَجَّ.
١٨	١٧	العدومن	العدو ومن
٢٠	٢١	وابن عمران	وأبي عمران.
٢١	١٠	الأميين	الأدميين.
٢٢	١	فاحرقوا	فأحْرِقوا.
٢٢	١	وأضربوه	واضْرِبوه.
٢٣	٧	ابن الزبير	أبو الزبير.
٢٣	١٠	حجة	جهة.
٢٣	١٣	عزامتها	غَرَامتها.
٢٣	٢٤	المزي	المُزَنِي.
٣١	٢٨	أو سهل	أبو سَهْل.
٣٣	٩	أبي مريم لهيعة	أبي مريم، عن ابن لَهِيعَة.
٤٤	١٨	عمر	عَمْرو، بفتح العين.
٤٦	٢٠	أبو بكر	أبو بَكْرَة، واسمه نُفَيْع.

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٥٠	١٨	كلما اقتسموه	كلّ ما اقتسموه.
٥٥	٢٢	أباه وهو	أباه مات وهو.
٥٦	٥	جريح	جُرَيْج، بجيمين، وتكرر هذا الخطأ.
٥٧	٦	قيل	قَبْل، ظرف.
٥٨	٩	زيد	يَزِيد.
٥٩	٢٢	عبدالله	عبيد الله.
٦٣	٢٥	سيار	يَسَار، بتقديم المثناة.
٧٢	٣	هزلا	هُزالًا.
٧٣	٢٢	الرزقي- المزي	الزُّرَقي- المُرِّي، بالراء.
٧٤	٣	جعفر بن محمد	جعفر، محمد.
٧٩	٢٢	فرقا	فَرقِيَ، بكسر القاف.
٨٠	١٠	سعد المزني	سعد والمُزَني.
٨١	١١	ويسلمها	أن يسلمها.
٨٣	١٠	جريح	جُرَيْج.
٨٥	١	لأنه لا يمكن	أنه يُمكِنُ.
٨٨	١٣	المأمور	المأموم.
٩٦	١٧	عن أبي ذئب	عن ابن أبي ذِئب.
٩٧	١٤	فعلى	فعليه.

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٩٩	٢٠	عن أبي مليكة	عن ابن أبي مُلَيْكَة.
١٠٠	٩	السمهي	السَهْمي، بتقديم الهاء.
١٠٠	٢١	الشبيبة	الشَّيْبِيَّة، بتقديم المثناة
١٠٠	٢٤	عمرو	عُمَر، بضم العين.
١٠١	٢٠-٢٢	العوفي	العَوَقي، بالقاف مع فتحِ العين والواو.
١١٢	١٥	بن أبي أمية	بن أُمَيَّة.
١٢٠	٢٤	علىٰ خصوص	علم خصوص.
١٢٢	٢٧	وابن أمامة	وأبي أمامة.
١٣٥	٥	حذافة مالك	حُذافة، عن مالك
١٣٨	١٦	عمر بن دينار	عَمْرو بن دينار.
١٤٠	٢	عمر البزار	عَمْرو البزار، بفتح العين.
١٤٠	٩	ابن ابن دينار	ابن دينار.
١٤٠	١٠	أحمد بن عمرو	أحمد، عن عمرو.
١٤١	٢٠	معمر	مُعْتَمِر، بالتاء.
١٤٢	٢٢	ابن عاصم	أبي عاصِم.
١٤٢	٢٢	وابن مسهر	وأبي مُسْهِر.
١٤٢	٢٨	الدرامي	الدَارِمي.

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٤٦	١٧	ابن الزناد	أَبِي الزِّنَاد.
١٤٧	١٤	بن معين	بن سَعِيد.
١٤٩	٢٩	خلافة عمرو	خلافة عُمَر، بالضم.
١٥١	٩	قال جورية	قال: حدثنا جُوَيْرِيَة.
١٥١	١٨	جورية	جُوَيْرِية، مصغر.
١٥١	٢٢	وابن بكر	وأَبِي بكر.
١٥٢	٧	حدثنا جورية	حدثنا جُوَيْرِيَة.
١٥٦	٦	وأذكرن	واذْكُرْنَ.
١٥٦	١٤	ومعاقر	ومَعَاقِد.
١٦٠	١٧	ستره	سُتْرَة.
١٦١	١٠	ينفي	ينقى.
١٦٢	٣	لجد	أجد.
١٦٧	٣	سجتان	سِجِسْتان.
١٦٧	٥	شرويه	شِيْرَوَيْهِ.
١٦٧	١٠	ابن إبراهيم	ابنه إبراهيم.
١٧٧	١٤	عمر	عُوَيْمِر، بالتصغير.
١٨٠	١	ميهم	مَهْيَمْ، بتقديم الهاء، استفهام.
١٨١	١	سعد	سَعيد.

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٨٥	٢٢	الطرسولي	الطَّرَسُوسِي.
١٨٨	١٠	قياسه قطع	قياسه على قَطْع.
١٩١	١٧	حذب	جذت.
١٩٣	١	قل	قال.
١٩٣	٢١	بموضع	بوَضْع.
١٩٤	١٦	فيم	فبِمَ
١٩٧	١٢	الحوائج	الجوائح، بتقديم الجيم.
٢٠١	١	اليلة	اللَّيْلَة.
٢٠٥	١٠	يسؤلونك	يَسألونك
٢٠٧	١٦	حديث عمر	حديث ابن عُمَر.
٢١٦	٤	كل ما	كلَّما.
٢١٩	١٥	جورية	جُوَيْرِيَة.
٢٢٠	٢٢	الدرامي	الدَارِمي.
٢٢٢	١٤	أويس	أَوْس.
٢٢٥	١٢	نواضجه	نواضِحَه، بالحاء.
٢٣٦	١٧	مغفل	مَعْقِل.
٢٤٣	٢٣	نعيم	نعم.
٢٤٥	٢١	وأبي الحوراء	وأبي الجَوْزَاء.

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٥٧	٢	أبي عروة	عُرْوَة.
٢٦٤	٢٦	وحلل	وجلل، بالجيم.
٢٦٦	١٣	حاضنتها	حاصنتهما.
٢٦٩	٣	ابن أسامة	ابن أبي أسَامة.
٢٦٩	١١	أفاقيهم	أَفَأَرْقِيهِمْ.
٢٨٣	٢٦	وثقه السدي	وثقه النسائي.
٢٨٤	١٣	أثين	اثنين.
٢٨٦	٣	عاص	عاصم.
٢٨٨	١-٢	أن	إن.
٢٨٩	٢٦	قال النسائي	قاله النسائي.
٢٩٣	١٠	محمد بن علي	محملي علي.
٢٩٥	١٢	الوض	الحوض.
٢٩٦	٣١	وابن مسهر	وأبي مُسْهِر.
٢٩٧	٢	علي حسين	علي بن حُسَين.
٢٩٧	٢٤	أبو صابي	الوَصَّابي، بشد الصاد.
٢٩٨	١	رافع	ابن أبِي رافع.
٣٠٣	١	خالد بن أبي شيبة	خالد، عن ابن أبي شَيْبَة.
٣٠٤	٧	آدم	أَدَم، (جِلْد).

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٠٥	١٨	الاسلامي	الإسلام.
٣٠٦	٥	رشيدين	رِشْدِيْن.
٣٠٧	٢	أبي صبرة	أبي نَضْرَة.
٣٠٧	٢٥	المكندر	المُنْكَدِر.
٣٠٩	٣	تنصل الله	تَنَصَّلَ له.
٣٠٩	١٩	التجيفي	التُّجِيْبِي.
٣١٤	١	والمبزابنة	والمُزَابَنَة.
٣١٩	٣	بشيء معلوم	بشيءٍ غير معلوم.
٣٢١	١٤	وأعرفه	واعرِفْهُ.
٣٢٧	٦	حدثناه	حدثاه.
٣٣٧	٥	هكذا جماعة	هكذا عِندَ جماعة.
٣٣٨	٢-٢٢	خالد عن عثمة	خالد بْن عُثْمَة.
٣٣٨	١٩	مالك بن داود	مالك، عن داود.
٣٣٩	٩	قال كان	فإنْ كان.
٣٣٩	٢٠	أبو الحسين	أبو الحَسَن.

٢٨- نقل المؤلف قول سفيان الثوري: «خذوا تفسير القرآن عن أربعة: عن عكرمة، وسعيد بن جُبَير، ومُجاهِد، والضَّحَاك».

فكتب المحققون تحت رقم: (٨٣٨) ما نصه: «الضحَّاكُ هو الضحَّاكُ بن

عثمان بن عبدالله بن خالد بن حِزام -بكسر المهملة- الأَسَدِي الحِزامي أبو عثمان».

وهذا خطأ، والصواب:

أن الضحاك: هو ابن مُزاحِم الهلالي أبو القاسم، ويقال: أبو محمد، الخراساني، فهو المعروف بالتفسير كما في "تهذيب التهذيب"، وتفاسير "ابن جرير"، و"ابن أبي حاتم"، و"ابن مَرْدُوْيَهْ"، و"البغوي"، و"ابن كثير"، و"الدر المنثور"؛ ملأى بالنقل عنه، وكان يعلم الصبيان القرآن في كُتَّاب مسيد.

٢٩ في الأصل: «قال أبو عبدالله المروزي: وحدثنا يحيى بن يحيى».

وكتب المحققون تحت رقم: (٨٤٣): «أبو عبدالله المروزي: هو محمد بن حاتم بن ميمون المروزي، أبو عبدالله القطيعي السمين».

وهذا خطأ، والصواب:

أن أبا عبدالله المروزي هو محمد بن نصر المروزي، الفقيه الحافظ الذي نقل المؤلف عنه في (ص٢٨) من كتابه "الانتفاع بجلود الميتة" وهو الذي يروي عن يحيى بن يحيى النيسابوري. انظر ترجمته في "تذكرة الحفاظ"، و"تهذيب التهذيب".

٣٢ في الأصل: «وقال عثمان بن سعيد: قلت ليحيى بن معين: عِكرِمَةُ أحَبُّ إليك؟ أو سعيدُ بنُ جبير؟ فكتب المحققون تحت رقم (٨٥٢): عثمان بن سعيد، هو عثمان بن سعيد القرضي مولاهم أبو عمر الحمصي، وثقه أحمد وابن معين، توفي في حدود ٢٢٠.

وهذا خطأ من جهتين:

أولًا: كلمة القرضي، صوابها: القرشي، بالشين نسبة إلى قُرَيْش، وأبو عمر صوابها: أبو عَمْرو بفتح العين، انظر: "تهذيب التهذيب"، و"الخلاصة".

وثانيًا: هذا الشخص غير مراد هنا، بل المراد: عثمان بن سعيد بن خالد الدارمي، تلميذ يحيى بن معين، وراويته في الجرح والتعديل.

قال الذهبي في "تذكرة الحفاظ" في ترجمته: لعثمان سؤالاتٌ عن الرجال، ليحيى بن معين توفي سنة ٢٨٠ في ذي الحجة.

وانظر ترجمة عكرمة مولى ابن عبَّاسٍ في "تهذيب التهذيب" و"هَدْي السَّاري" مقدمة "فتح الباري".

٤٦ قال المؤلف: لأنه يدور على عبدالرحمن بن إسحاق، وهو ضعيف.

فكتب المحققون تحت رقم (٨٩٢): عبدالرحمن بن إسحاق بن سعد الواسطي الأنصاري أو الكوفي، ضعفه أحمد.

وهذا صواب، والحديث معروف به كما قال المؤلف وفي ترجمته ذكره الذهبي في "الميزان".

ثم وقع في (ص٤٧) في سند الحديث نفسه: عبدالرحمن بن إسحاق القرشي، فكتب المحققون تحت رقم (٨٩٧): عبدالرحمن بن إسحاق القرشي، عن أبيه والزهري، وثقه ابن معين.

فكان ما كتبوه مبنيا على خطأ لم يتنبهوا له.

ولو تأملوا قول المؤلف: «لأنه يدور على عبدالرحمن بن إسحاق».

وقوله: «حدثناه خَلَفُ ابن قاسم... إلخ»، لأدركوا أنه الواسطي الضعيف، وأن زيادة لفظ: «القرشي» مقحمة من الناسخ على سبيل الغلط.

٥٦ قال المؤلف: «حدثنا ابن أبي رافع: حدثنا إسماعيل بن إسحاق».

كتب المحققون تحت رقم (٩١٠): ابن أبي رافع هو عبد الرحمن بن أبي رافع ويقال ابن فلان ابن أبي رافع شيخٌ لحماد بن سلمة.

وهذا خطأ، لأن ابن أبي رافع يروي هنا عن إسماعيل بن إسحاق، الذي ولد سنة ١٧٩، فكيف يكون شيخًا لحماد بن سلمة الذي توفي سنة ١٦٧؟!

١١٥ جاء في سند المؤلف: حدثنا ابن الجارود.

فكتب المحققون تحت رقم (٩٩٧): ابن الجارود، هو عبدالحميد بن المنذر العبدي، عن أنس وابن سيرين، وثقه النسائي.

وهذا خطأ من وجهين:

الأول: أن ابن الجارود هنا هو عبدالله بن علي بن الجارود النيسابوري الحافظ صاحب كتاب "المنتقى في الأحكام"، وهو مطبوع، توفي سنة ٣٠٧.

الثاني: أن عبدالحميد بن المنذر شيخ ابن سيرين لا تلميذه بل هو تلميذ أنس بن مالك الصحابي.

١١٥ في الأصل: «قال أبو الحسن علي بن عمر» إلخ.

فكتب المحققون تحت رقم (١٠٠١): أبو الحسن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي المدني، عن أبيه، وثقه ابن حِبَّان.

وهذا خطأ، لا أدري كيف وقعوا فيه؟! فأبو الحسن هو الحافظ الدارقطني

المترجم تحت رقم (٩٩٩) ومن مؤلفاته كتاب "اختلاف الموطآت" ومنه نقل المؤلف هنا وهو الذي يتكلم على علل الأسانيد وإليه المنتهى في هذا العلم.

١١٧ في الأصل: وأن عمر بن الخطاب أخذ الجزية من مجوس السَّوَاد.

فكتب المحققون تحت رقم (١٠٠٣) نقلًا عن "القاموس" عدة معان للسواد، ولم يعينوا المراد منها هنا، وهو رُستَاقُ العِرَاق.

١٤٢ في الأصل: حدثنا أبو حفص عمر بن إبراهيم المقرئ الكندي ببغداد: حدثنا عبدالله بن محمد البغوي.

فكتب المحققون تحت رقم (١٠٥٣): أبو حفص هو عمر بن إبراهيم العبدي أبو حفص البصري صاحب الهروي، عن قتادة، وعنه ابنه الخليل، وعباد بن العوام، وثقه ابن معين في رواية الدارمي، في حديثه عن قتادة ضعف.

وهذا خطأ واضح لا أدري كيف خفي عليهم؟! لأن أبا حفص يروي عن البغوي المولود سنة ٢٢٤ كما في التعليقة رقم (١٠٥٤) فكيف يروي عن قتادة المتوفى سنة ١١٧؟! وكيف يوثقه ابن معين المتوفى سنة ٢٣٣ حين كان عمر البغوي تسع سنين؟!

زد على ذلك أن أبا حفص في الأصل كندي، والذي ترجم له المحققون عبدي فاختلفا نسبة وزمانًا.

١٤٧ في الأصل: «عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم».

فكتب المحققون تحت رقم (١٠٧٠): عبدالرحمن بن زيد بن أسلم المدني

عن أبيه وكيع وابن وهب وخلق.

والصواب: عن أبيه، وعنه وكيع...

١٤٩ في الأصل: «عن عمارة بن غزية».

فكتب المحققون تحت رقم (١٠٧٨): عمارة بن غزية، بفتح المعجمة بعدها تحتانية ثقيلة، ونقلوا هذا الضبط عن "تقريب التهذيب" لكنهم اختصروا كلامه اختصارًا أخل بالمقصود.

وعبارته: «غَزِيَّةُ بفتح الغين المعجمة وكسر الزاي بعدها تحتانية ثقيلة» ولزيادة الفائدة أذكر أن عمارة بضم العين المهملة وتخفيف الميم.

١٥٢ في الأصل: «حدثنا أبو قتيبة مسلم بن قتيبة».

فكتب المحققون تحت رقم (١٠٩٢): أبو قتيبة مسلم بن قتيبة الشعيري.

ولفظ "مسلم" خطأ في الأصل: من الناسخ وفي التعليق: من المحققين.

والصواب: سَلْم، بفتح السين وسكون اللام.

١٦٣ في الأصل: حدثنا عبدالله بن إدريس عن يزيد عن مقسم.

فكتب المحققون تحت رقم (١١١١): يزيد هو ابن عبدالرحمن الكوفي.

وهذا خطأ، والصواب: قول المؤلف: هذا الحديث يدور على يزيد بن أبي زياد.اهـ وهو القرشي الهاشمي أبو عبدالله مولاهم الكوفي يروي عن جماعة. منهم مِقْسَمٌ بكسر الميم وسكون القاف وفتح السين.

١٧٣ في الأصل: قال إسماعيل: وحدثنا حفص بن عمر.

فكتب المحققون تحت رقم (١١٢٢): إسماعيل بن حفص بن عمر الإبلي،

أبو بكر البصري عن أبيه... إلخ.

وهذا خطأ عجيبٌ!! فإنَّ إسماعيل هو ابن إسحاق القاضي الذي تقدَّم اسمه ببضعة أسطر حيث قال المؤلِّف: حدَّثنا عبدالوارث بن سفيان قال: حدَّثنا أحمد بن دحيم قال: حدَّثنا إبراهيم بن حماد قال: حدَّثني عمي إسماعيل بن إسحاق. وذكر بقية الإسناد والحديث. ثم نقل عن إسماعيل رواية الحديث بإسناد آخر.

٢٠٦ في الأصل: عن إبراهيم عن الأسود قال: قال عبدالله بن مسعود.

فكتب المحققون تحت رقم (١١٦٤): الأسود هم ممطور الأسود الحبشي أبو سلام، ثقة.

ولقد أبعدوا النجعة وأتوا بخطأ غريب، فالأسود هو ابن يزيد بن قيس النخعي، المعروف بالرواية عن ابن مسعود، وإبراهيم الراوي عنه هو ابن أخته إبراهيم بن يزيد النخعي وهو كثير الرواية عنه على أن المؤلف قال في (ص٢٠٧): وإسناد الأسود بن يزيد أثبت من هذا. فكيف غفلوا عنه؟!

٢٢٥ في الأصل: «واحتجوا بحديث ابن محيصة أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لم يرخص له في أكله وأمره أن يعلفه نواضحه».

وكتب المحققون تحت رقم (١١٩٣): ابن محيصة هو حرام بن سعد بن محيصة بن مسعود الأنصاري المدني عن أبيه وعنه الزهري. قال ابن سعد: ثقة.

عبارة المؤلف تفيد أن ابن محيصة صحابي وعبارة التعليق تصرح بأنه ليس بصحابي وهذا تناقض بيِّن غفل عنه المحققون وزيادة لفظ «ابن» خطأ من الناسخ والصواب حذفه.

وهو محيصة بضم الميم وفتح الحاء والياء ساكنة أو مشددة مكسورة، ابن مسعود الأنصاري، صحابي، راوي الحديث المذكور هنا، وقد أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه.

نواضحه: جمع ناضح وهو البعير الذي يستقىٰ عليه وكتابته بالجيم في الأصل خطأ.

٢٦٠ في الأصل: «حدثني الأسود عن عائشة».

وكتب المحققون تحت رقم (١٢٣٣): الأسود هو الأسود بن سريع التميمي السعدي، نزل البصرة.

وهذا خطأ، والصواب أنه الأسود بن يزيد بن قيس النخعي، وهذا الحديث موجود من روايته عن عائشة في "صحيح البخاري" تحت ترجمة «باب الطيب عند الإحرام»، وكذلك رواه مسلم أيضًا.

وتقدم في (ص٢٠٦) أنهم جعلوا الأسود: ممطورا الحبشي ونبهت عليه هناك، والبحث في الرجال له أسس يعرفها أهل هذا العلم.

٢٧٠ في الأصل: «عن أبي خزامة عن أبيه أنه قال: يا رسول الله...».

فكتب المحققون تحت رقم (١٢٤٥): أبو خزامة بزاي قبلها كسرة، ابن يعمر السعدي يقال: اسمه زيد بن الحارث وهو صحابي.

وأعجب ما في هذا الخطأ: أنهم أثبتوا الصحبة لأبي خزامة مع أنه روىٰ الحديث عن أبيه!! فيكون أبوه صحابيًا لا هو.

وكذلك قال المؤلف في "الاستيعاب" أن أبا خزامة من التابعين لا من الصحابة وخطَّأ من ذكره في الصحابة.

وروى ابن وهب عن عمرو بن الحارث أن ابن شهاب أخبرهم أن أبا خزامة بن يعمر حدثه عن أبيه أنه قال: يارسول الله أرأيت رقى نسترقي بها؟

وضبطهم أبا خزامة بكسر الخاء خطأ، والصواب ضمها كما في "القاموس"، ثم تكلموا تحت رقم (١٢٤٦) عن يعمر فلم يشيروا لصحبته إطلاقًا مع أنه هو الصحابي وهذا عجب عجيب؟!

تصويبات الجزء الثالث

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٧	١٠	أبو حمزة	أبو جمرة، بالجيم والراء.
٢٠	١١	أبو حمزة	أبو جمرة.
٢١	٩	أبو حمزة	أبو جمرة.
٢٥	٢٦	عمرو بن شبة	عمر بن شبة.
٣٠	٤	المشاس	المشاش.
٣١	٣	خالطه معرفة	خالطه فعرفه.
٣٤	٢٠	أبي شهاب	ابن شهاب
٣٨	٤	قال	قالا.
٧٣	٥	مذهب مذهب	ذهب مذهب.
٧٩	٧	جريح	جُرَيَج.
٨٤	٢٩	القاسمي	القاسم.
٩٤	١	الدروقي	الدورقي.
١١١	١	سعيد	سعد.
١٢٠	١٣	بينة	ببينة.
١٥٦	١٣	بنكح	ينكح.
١٥٧	١٧- ٢٠	يزيد	زيد.

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٦٤	٢٢	بشير	بشر.
١٦٦	٥	أبو عوانة عمرو ابن أبي سلمة عن أبيه	أبو عَوَانة، حدثنا عمر أبو سلمة، عن أبيه.
١٦٨	٥	سلم	مسلم.
١٧٧	١٣	زيد	يزيد.
١٨٥	٧	عمرو	عمر، بضم العين.
١٩١	١٠	بن سلمة	بن أبي سلمة.
١٩١	١٧	عمر	عمرو.
٢٠٣	٤	عمر	عمرو.
٢١٠	٩	بن جابر	عن جابر.
٢٢٦	١٢	يزيد	زيد.
٢٣١	٨	البزاز	البزار.
٢٣١	١١	والنساء	دون النساء.
٢٣١	١٢	خصص	خصصن.
٢٣٣	١٥	سفيان بن جريج	سفيان، عن ابن جريج.
٢٦٠	١٦	الفيء	القيء، بالقاف.
٢٦٥	١٧	احترمت	اختُرِمَت.
٢٦٩	٨	أبو عمر	أبو عمرو.

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٨٠	٢	الخزفي	الخرقي.
٢٩٥	٣	سعيد	سعد.
٣٢١	٨	فقال رسول الله	فقال: يارسول الله.
٣٢٦	٤	عن أبي صالح	بن أبي صالح.
٣٣٨	٤	جريح	جُرَيْج.
٣٤١	١٣	جبل	جميل.
٣٤٤	٢٤	بن حبيب	بن أبي حبيب.
٣٤٦	٦	بن سماك	عن سِمَاك.

١٨٣، ١٨٥ في الأصل: أخبرني علي بن سفينة.

وهذا خطأ لم يتنبه له المصحح، والصواب:

ما ذكره تحت رقم (١٤٥٠) ونصه: ابن سفينة مولى أم سلمة عن أم سلمة. قال ابن منده: «اسمه عمر بن سفينه».اهـ

قلت: وسفينة له أولاد: عمر، وإبراهيم، وعبدالرحمن، ليس فيهم علي، فذكره خطأ من الناسخ.

٢٤٥ عزا المحقق للكتاب حديثًا إلى "سنن ابن ماجه" وقال: قال في "مجمع الزوائد": رجاله ثقات، إلخ. ج٢ من حاشية السندي على "سنن ابن ماجه" (ص٥٤٤).اهـ

وأخطأ في تعيين اسم الكتاب، ذلك أن السندي ينقل من كتاب "زوائد

ابن ماجه على الكتب الخمسة" كما صرح بذلك في خطبة حاشيته، وقال الحافظ السيوطي في ذيل "تذكرة الحفاظ" في ترجمة الحافظ شهاب الدين أحمد بن أبي بكر البوصيري ما نصه: «وألف تصانيف حسنة منها "زوائد سنن ابن ماجه على الكتب الخمسه".اهـ وهو كتاب صغير يقع في نحو عشر كراسات.

أما "مجمع الزوائد" فهو للحافظ نور الدين الهيثمي جمع فيه زوائد مسانيد أحمد، والبزار، وأبي يعلى، ومعاجم الطبراني الكبير، والأوسط، والصغير، على الكتب الستة.

٢٨٠ في الأصل: «وللحسين بن زياد اللؤلؤي».

وأشار المصحح إلى أن في نسخة الحسن بن زياد، ولم يبين أي النسختين أصح، وهذا خطأ وتقصير، لأن الإشارة إلى اختلاف النسخ بدون ترجيح بينها إنما يكون في الأسماء المجهولة التي لا يعثر عليها في مراجع التصحيح والتحقيق أما إذا كان الاسم معروفًا فيجب تصحيحه وبيان الخطأ الواقع فيه.

والحسن بن زياد الؤلؤوي من مشاهير فقهاء الحنفية ومن تلاميذ أبي حنيفة وهو مترجم في "الميزان" للذهبي، و"لسان الميزان" للحافظ ابن حجر، و"تاريخ بغداد" للخطيب، و"تاريخ ابن خلكان" وغيرها.

ومن كتب اسمه: الحسين، فهو مخطئ جزمًا.

٣٢١ في الأصل: «مسيرة الغراب شهر ألا يقع ولا يفتر».

وهذا خطأ، والصواب:

«مسيرة شهر للغراب الأبقع، لا يقع ولا ينثني ولا يفتر».

هذا ما وجدت من الأغلاط في الجزء الثالث بعد أن ألقيت عليه نظرة عابرة وهو أقل غلطًا من الجزئين السابقين.

هذا وتركت التنبيه على كثير من الأغلاط الإملائية واقتصرت على بيان ما يغير المعنى أو يفسده.

وتحقيق هذا الكتاب الذي يعتبر موسوعة حديثية وفقهية يحتاج إلى خبرة واسعة ودراية تامة فيما يأتي:

١- متون الأحاديث ومعرفة مظانها من كتب السنة للموازنة بين ألفاظها التي تختلف باختلاف الروايات.

٢- أسماء الرجال وألقابهم لئلا يختلط اسم أو لقب بآخر، ولئلا يشتبه لقبه بلقب غيره، مثل: عمر وعمرو، ومسلم وسلم، والبزار والبزاز.

٣- أنساب الرواة حتى لا يلتبس المزني بالمزي والمري ولا الكندي بالعبدي ولا السهمي بالفهمي ونحو ذلك.

٤- ألفاظ مصطلح عليها بين أهل الحديث يكثر دورانه في كلامهم مثل: بأخرة، وليس هذا من بابتك، ونحو ذلك.

٥- قواعد تحقيق الكتب وتصحيحها وهي ليست قواعد مدونة في كتاب، لكنها ملكة يكتسبها المحقق بالمران والممارسة مع دقة الملاحظة وسرعة الانتباه لكلمة قد يكون فيها تحريفًا أو مخالفة لسياق الكلام أو ما أشبه ذلك.

والله الموفق والهادي لا إله غيره ولا معبود سواه.

المطبعة المهدية ١٣٩٤- ١٩٧٤ تطوان المغرب.

٧- التعليق على بعض أخطاء
للشيخ محمد أبي زهرة

أخطاء للشيخ محمد أبي زهرة

١- حضرت ندوة «مجلة لواء الإسلام» في رجب سنة ١٣٧٥ فوجدت البحث يدور حول الرؤيا وحقيقتها وما ورد فيها، فذكرت رؤيا ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه حين استشهد في واقعة اليمامة فأخذ بعض المسلمين درعًا كانت عليه نفيسة فأتى ثابت إلي بعض الصحابة في النوم وقال له: إن فلانًا أخذ درعي وأكفأ عليها برمة وعلى البرمة رحل وهو في أقصي الجيش فائت خالدًا -يعني ابن الوليد- فمره أن يأخذها وإذا أتيت المدينة فقل لأبي بكر الصديق علي من الدين كذا وكذا، وفلان من رقيقي عتيق وفلان.

فأخبر الرجل خالدًا فبعث إلي الدرع فأخذها وحدَّث أبا بكر برؤياه فأجاز وصيته.

فاستنكر الشيخ محمد أبو زهرة هذه القصة بأسلوب لا يمت إلى العلم بصلة، فقلت له إنها قصة صحيحة رواها ابن عبدالبر في "الاستيعاب"[(١)] بإسنادٍ صحيحٍ كالشمس.

فاستنكف أن يرجع للحقِّ، وكبر عليه أن يعترف بقلَّة اطلاعه مع أنه لو رجع إلي كتاب "الروح"[(٢)] لوجده ذكر هذه القصة وعلَّق عليها بقوله: «فقد اتفق خالد وأبو بكر الصديق والصحابة معه على العمل بهذه الرؤيا وتنفيذ

---

(١) (ص ١٩٤ ج ١) هامش "الإصابة" مطبعة السعادة و(ص ١٩٥ ج ١) "الإصابة"، مطبعة السعادة.

(٢) (ص ٢٢) طبعة أولي بالهند.

الوصية بها وانتزاع الدرع ممن هي في يده بها وهذا محض الفقه».اهـ

ثم استشهد لها بقواعد فقهية وسنوضح ذلك في تعليقنا على كتاب "الروح" الذي طبع في مطبعة دار التأليف بحول الله.

٢- ثم حضرت الندوة في إحدى الجمادين من هذه السنة فوجدت البحث يدور في تشريح جثة الميت هل يجوز لأغراض صحية أو لا؟

فاستدل الشيخ محمد أثناء كلامه بحديثين:

أحدهما: قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إن المؤمن لا ينجس حيًّا ولا ميتًا**».

والثاني: أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مرت عليه جنازة فقام لها فقيل: إنه يهودي! فقال: «**أليس بإنسان؟!**».

واستدل الشيخ محمد أبو زهرة بحديث عن عليٍّ، عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إياكم والمثلة ولو بكلب**».

فقلت: إن الحديث الأول صحيح لكن قوله: «**حيًّا ولا ميتًّا**» ضعيف، والحديث الثاني لم يقل النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «أليس بإنسان» بل قال: «**قمت لمن معه من الملائكة**»، والحديث الثالث موضوع.

فأما الشيخ البنا فسكت، وأما الشيخ أبو زهرة فعارض كعادته، واستنكف أن ينصاع للحق، وكيف ينصاع وهو معجبٌ برأيه مزهوٌّ بنفسه؟!!

فقال له الأستاذ الشيخ أحمد مرسي: ليس هذا طريق الرد العلمي، بل إما أن تثبت أنَّ هذا الحديث غير موضوع، أو تطالبه بإثبات الدليل على ما تقول.

فلم يقبل، لأنه رأى نفسه أعلى من أن يُنَاقش أو يُرَد عليه.

والحديث الذي استدل به ليس له إسناد صحيح في كتب المحدثين[١] وإنما ذكره الإخباريون في قصة قتل علي عليه السلام قالوا: «لما ضربه ابن ملجم لعنه الله، قال لابنه الحسن عليهما السلام: أمسكوا الرجل فإن عشت رأيت رأيي فيه، وإن مت فاقتلوه بي ولا تمثلوا به فإني سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: **إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور**».

وإني أتحدى الشيخ أبا زهرة أن يأتي بسند صحيح لهذا الحديث، وأمهله سنة كاملة، نعم؛ نحن لا ننكر تحريم المثلة ولكنا ننكر أن ينسب للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ما لم يقله وإن كان معناه صحيحًا.

٣- أثناء البحث في حكم تشريح الميت أراد أحد الحاضرين أن يذكر حديث العرنيين فقاطعه الشيخ أبو زهرة بحدَّة ومنعه من قراءة الحديث زاعمًا أنه غير صحيحٍ وإن كان في "البخاري" لأنه مشكل جدًّا إذ كيف يترك محمد – وهذا تعبيره- أولئك النفر يموتون عطاشًا حتى جاء في بعض الروايات أنهم كانوا يكدمون الأرض بلسانهم، وزعم أن الشراح لم يهتدوا لجواب عن هذا الإشكال الذي لا مخلص منه.

فعارضته بأن الحديث لا شك في صحَّته وأنه لا إشكال فيه.

لكنه أصر على زعمه بعنادٍ مع زهوٍّ وإعجابٍ، مُلوِّحًا برأسه ويده ذاكرًا أن له قرَّاء كثيرين وأنه تجنَّب ذكر هذا الحديث في بعض مؤلَّفاته لئلَّا يتناوله

---

(١) نعم رواه الطبراني بإسناد مرسل عن إسماعيل بن راشد وهو مجهول، والحديث الصحيح: «نهي عن المثلة».

بالطعن فيكون في ذلك مساس بمقام البخاريِّ.

في كلام كثير أعرضنا عن ذكره، والحقيقة أن أحدًا لم يستشكل عدم سقيهم الماء إلا القاضي عياض، قال: «للإجماع على أن من وجب عليه القتل فاستسقى لا يمنع».

وأجاب الإمام النووي عن استشكاله: «بأن المحارب المرتد لا حرمة له في سقي الماء ولا غيره، ويدل عليه أن من ليس معه ماء إلا لطهارته ليس له أن يسقيه للمرتد ويتيمم، بل يستعمله ولو مات المرتد عطشًا[1]».اهـ والإجماع الذي حكاه عياض محله إذا وجب القتل على مسلم أو ذمي.

٤- بلغني أن بعض الأزهريين أبلغ الشيخ البنا في الندوة التالية أن حديث «أليس بإنسان» صحيح، فعجبت لجرأة هذا الأزهري الذي كنت أظن فيه التحري والصدق وعجبت أيضًا كيف ساغ له أن يحابي رجال الندوة على حساب الحديث النبوي وبالتالي على حساب دينه وعلمه، فاللفظ المذكور لم يرد إطلاقًا، وإنما وردت هذه الألفاظ: «**إنما قمنا للملائكة**»،«**إنما تقومون إعظاما لله الذي يقبض النفوس**»،«**إن الموت فزع**»، «**أليست نفسًا**».

ولعله فهم من هذا اللفظ الأخير أنه يعطي معنى اللفظ السابق، وهو خطأ من وجوه:

أحدها: أن هذا اللفظ عام والعام لا إشعار له بأخص معين.

ثانيها: أن القاعدة المقررة شرح الوارد بالوارد وعلى هذا يكون قوله

---

(١) فتح الباري (ص ٢١٧ ج ١) مطبعة الخشاب.

«**أليست نفسًا**» معناه أليست: نفسًا مقبوضة فنقوم إعظامًا لقابضها.

ثالثها: صح عن ابن عبَّاسٍ أن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قام لجنازة يهودي وقال: «**آذاني ريحها**» فتصريحه بهذا التعليل يؤيد كونه قام إعظامًا لقابضها إلىٰ جانب إذاية ريحها له، وليس في شيء من هذا إشعار بكونه قام لأنه إنسان. فكيف نستجيز أن نقول جازمين: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «أليس بإنسان»؟!! وهل هذا إلا تحريف للحديث واتباع للهوىٰ؟!

نسأل الله السلامة والعافية.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

١ - نِهايَةُ الآمَالِ في صِحَّةِ وشَرْحِ حَدِيثِ عَرْضِ الأَعْمالِ

مقدِّمة ١١
خطبة الكتاب، والسبب الدَّاعي لتأليفه ١١
باب: في ذكر طُرُق الحديث وبيان صحَّته ١٢
فصل: ذكر شواهد للحديث تؤيِّد معناه، وتقوِّي مَبْناه بحيث يرتفع إلى أعلى درجات الصحَّة والقبول ١٦
القرآن يؤيِّد الحديث ١٧
حديث الحوض يؤيِّد حديث عَرْضِ الأعمال ٢١
عرض الأعمال على الأقارب يؤيِّد حديث: «عرض الأعمال» ٢١
الصَّلاة على النبيِّ تُعرَض عليه وهي من جملة الأعمال ٢٥
باب: في دفع ما أورِد على الحديث ٣٨
تنبيه: لَمَّا تكلَّم الحافظ في "فتح الباري" على حديث: «الحوض» وقع في كلامه ما يشير إلى صحَّة حديث: «عرض الأعمال»، وكونه أمرًا ثابتًا متقرِّرًا ٤٣
تنبيه آخَر: ذكر الإشكال الوارد على حديث: «الحوض» ٤٤
خاتمة في شرح ألفاظ الحديث وبيان معناه ٤٧
فائدة: في صنيع الوهابيين في الأحاديث التي لا توافق هواهم ٥٢
الخاتمة ٥٣

٢- سَميرُ الصَّالِحِين

خطبة الكتاب..... ٥٩
١- بناء البيت..... ٦٠
بيان مفردات..... ٦٣
المعـــنى..... ٦٤
ما يؤخذ مِن القِصَّة..... ٧٣
مناقشاتٌ في القِصَّة..... ٧٦
العِبـــرة..... ٧٧
أوائل إبراهيم..... ٧٨
لطيفة: أوْحَى الله تعالى إلى إبراهيم: يا إبراهيم إنَّك لما أسلمتَ مالك للضِّيفان، وابنك للقُرْبان، ونَفْسَك إلى النيران، وقلبك إلى الرحمن، اتخذناك خليلًا ... ٧٩
تنبيه: في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾..... ٧٩
تنبيه آخر: تقدَّم أنَّ إسماعيل عليه السَّلام تعلَّم اللغة العربيَّة مِن جُرْهُم فهو أبو العرب المُسْتَعْرِبة، وبيان أنَّ العرب ثلاثة أنواعٍ ٨٠
٢- حكم صائب..... ٨٢
المعنى..... ٨٢
ما يؤخذ من الحديث..... ٨٣
العِبـــرة..... ٨٥
تنبيه: سليمان عليه السَّلام أوَّل من فرَّق بين الشهود ٨٥

تنبيه آخر: كان العلاء بن الشِّخِّير يقول: العافية مع الشَّكُر أحب من البلاء مع الصبر..... ٨٦
٣- صدقة مقبولة..... ٨٧
المفردات..... ٨٧
المعنى..... ٨٧
ما يؤخذ من الحديث..... ٨٨
العبـــرة..... ٨٩
قصة أخرى تُشبهها..... ٩٠
تنبيه: فيي حكم من قَتَلَ شخصًا في ثُمَّ تبيَّن أنَّ الشخص المقتول يستحقُّ القتل في قصاصٍ أو حَدٍّ..... ٩٠
٤- إنَّ لنَفْسِكَ عليك حَقًّا..... ٩١
المفردات..... ٩١
المعنى..... ٩١
ما يؤخذ من الحديث..... ٩٥
العِـــبرة..... ٩٧
٥- معجـــزة..... ٩٩
المفردات..... ١٠٠
المعنى..... ١٠٠
ما يؤخذ من القصَّة..... ١٠٤

العِـــبرة..... ١٠٦
٦- فضل الصِّدْقِ..... ١٠٨
المفردات..... ١١٥
المعنى..... ١١٦
كلام في حياة إلياس وبقائه إلى اليوم..... ١٢٢
ما يؤخذ من القصَّة..... ١٢٥
إشكال والجواب عنه..... ١٢٩
العِبرة من القصَّة..... ١٣٠
٧- نذر..... ١٣٢
المعنى..... ١٣٢
ما يؤخذ من الحديث..... ١٣٣
تنبيه: مَن نَذَرَ نَذْرًا مطلقًا ولم يعيِّنه وجب عليه كفَّارة يمينٍ..... ١٣٧
٨- اختيار القائد..... ١٣٨
بيان المفردات..... ١٣٨
المعنى..... ١٣٩
ما وقع في غزوة خيبر..... ١٤٢
ما يؤخذ من الحديث..... ١٤٩
٩- الاستهانة بالمعصية..... ١٥٢
بيان المفردات..... ١٥٢

المعنى..... ١٥٢
ما يؤخذ من الحديث..... ١٥٤
العِبرة من هذه القصَّة..... ١٥٦
تنبيه: قصَّةٌ أخرى تشبه هذه القصَّة..... ١٥٧
حِكَم لطيفة..... ١٥٩
١٠- أخلاق اليهود..... ١٦١
الخاتمة..... ١٧١

٣- الفتح المُبين شرح الكَنز الثَّمين في أحاديث النَّبيِّ الأمين ﷺ

المقدِّمة..... ١٧٥
حرف الألف..... ١٧٦
١- «إنَّما الأعمالُ بالنِّياتِ...» الحديث..... ١٧٦
٢- «آتي بابَ الجنةِ فأستفتِحُ فيقولُ الخازنُ: من أنتَ؟ فأقولُ: محمَّدٌ. فيقولُ: بِكَ أمرتُ أنْ لا أفتحَ لأحدٍ قَبْلَكَ»..... ١٧٨
٣- «آكلُ الرِّبا ومُوكِلُه وكاتبُه وشَاهدَاه إذا علِمُوا ذلكَ...» الحديث..... ١٧٨
٤- «آكلُ كما يأكلُ العبدُ وأجلسُ كما يجلسُ العبدُ»..... ١٧٩
٥- «آمرُوا النِّساءَ في بناتِهِنَّ»..... ١٨٠
٦- «آيةُ الإيمانِ حبُّ الأنصارِ وآيةُ النِّفاقِ بغضُ الأنصارِ»..... ١٨٠
٧- «آيةُ المنافقِ ثلاثٌ: إذا حدَّثَ كذبَ، وإذا وعَدَ أخْلفَ، وإذا اؤْتُمِنَ خَانَ»..... ١٨٠

٨- «ائْتِ حرثَكَ أنَّىٰ شئتَ، وأطْعِمْها إذا طَعِمْتَ، وَاكْسُهَا إذا اكْتَسَيْتَ ولا تُقَبِّحِ الوجْهَ».....١٨١
٩- «ائْتَمِرُوا بالمعروفِ وتناهُوا عن المنكرِ...» الحديث ١٨٢
١٠- «ائتوا الدَّعوةَ إذا دُعِيتُم».....١٨٥
١١- «ائْذَنوا للنِّسَاءِ بِالليل إلىٰ المسَاجدِ».....١٨٥
١٢- «أبَىٰ الله أنْ يجْعلَ لقاتِلِ المؤمنِ توبةً».....١٨٥
١٣- «أبىٰ الله أنْ يقبلَ عملَ صاحبِ بِدعةٍ حتىٰ يدعَ بدعتَه» ١٨٥
١٤- «ابدأْ بنفسِكَ فتصدَّقْ عليهَا...» الحديث.....١٨٦
١٥- «أبرِدُوا بالظُّهرِ فإنَّ شدَّةَ الحرِّ منْ فَيحِ جهنَّم» ١٨٦
١٦- «أبشِرُوا وأمِّلُوا ما يسرُّكم...» الحديث.....١٨٧
١٧- «أبشِرُوا وبشِّرُوا منْ وراءَكم أنَّه منْ شهِدَ أن لا اله إلا الله صادقًا بها دخلَ الجنَّةَ».....١٨٧
١٨- «أبشِرِي يا أمَّ العلاءِ فإنَّ مرَضَ المسلمِ يُذهبُ الله به خطاياه كما تُذهبُ النارُ خبثَ الفضَّةِ».....١٨٨
١٩- «أبغضُ الرِّجالِ إلىٰ الله الألدُّ الخصِمُ».....١٨٨
٢٠- «أبغضُ الناسِ إلىٰ الله ثلاثةٌ: ملحدٌ في الحرمِ، ومبتغٍ في الإسلامِ سنَّةَ الجاهليَّةِ، ومطَّلبُ دم امرئٍ بغيرِ حقٍّ ليهريقَ دمَه».....١٨٩
٢١- «ابغُوني في الضُّعفاءِ، فإنَّما ترزَقُون وتُنصَرُون بضعفَائِكم».....١٨٩
٢٢- «ابغُوني في ضعفائِكم فإنَّما ترزقُون وتنصَرون بضعفائِكم» ١٩٠

٢٣- «ابنُ أختِ القومِ منهم» ١٩٠
٢٤- «أبو بكر في الجنةِ، وعمرُ في الجنَّةِ، وعثمانُ في الجنَّةِ، وعليٌّ في الجنَّةِ...» الحديث..... ١٩٠
٢٥- «أتاكمْ أهلُ اليمنِ هم أضعفُ قلوبًا وأرقُّ أفئدةً، الفقهُ يمانٌ والحكمةُ يمانيةٌ»..... ١٩٠
٢٦- «أتاني آت وأنا بالعقيق فقال: إنك بواد مبارك»..... ١٩١
٢٧- «أتاني الليلةَ آتٍ منْ ربِّي وأنا بالعقيقِ، أنْ صَلِّ في هذا الوادِي المباركِ» ١٩١
٢٨- «أتاني آتٍ من عندِ ربِّي فخيَّرني بينَ أن يدخلَ نصفُ أمتي الجنةَ وبين الشفاعةِ، فاخترتُ الشَّفاعةَ، وهي لمن ماتَ لا يُشْركُ بالله شيئًا»..... ١٩٢
٢٩- «أتاني آتٍ منْ عند ربِّي عزَّ وجلَّ فقال: من صلَّى عليكَ منْ أمَّتِكَ صلاةً كتبَ الله له بها عشرَ حسناتٍ...» الحديث..... ١٩٢
٣٠- «أتاني جبريل فقال: بشِّرْ أمَّتَكَ أنَّه منْ ماتَ لا يُشْرِكُ بالله شيئًا دخَلَ الجنةَ قلتُ: يا جبريلُ، وإنْ سرَقَ وإنْ زَنَى؟ ...» الحديث..... ١٩٣
٣١- «أتاني جبريلُ فبشَّرني أنه من ماتَ من أمَّتِكَ لا يُشرِكُ بالله شَيئًا دخلَ الجنَّةَ. فقلتُ: وإن زَنَى وإن سرقَ؟...» الحديث..... ١٩٣
٣٢- «أتاني جبريلُ فقال: يا محمَّدُ، كنْ عجَّاجًا ثجَّاجًا»..... ١٩٣
٣٣- «أتاني جبريلُ فقال: إنَّ ربِّي وربَّكَ يقولُ لكَ: تدرِي كيفَ رفعتُ ذكرَك؟ قلتُ: الله أعلمُ. قال: لا أُذْكَرُ إلا ذُكِرْتَ معِي»..... ١٩٤

٣٤- «أتاني جبريلُ فقال: يا محمَّدُ، إنَّ الله لعنَ الخمرَ وعاصرَها ومُعتَصِرَها وشاربَها والمحمولةَ إليه وبائعَها ومبتاعَها وساقيَها ومُسقَاها».....١٩٤
٣٥- «أتاني جبريلُ عليهِ السَّلامُ فقال: يا محمَّدُ، من أدرَكَ رمضانَ فلمْ يغفرْ له فأبعدَه الله، فقلتُ: آمين...» الحديث.....١٩٥
٣٦- «أتاني جبريلُ فأمرني أنْ آمرَ أصْحابي ومنْ مَعِي أنْ يرفعُوا أصواتَهم بالإهلالِ والتَّلبيةِ».....١٩٦
٣٧- «أتاني جبريلُ فقال لي: إنَّ الله يأمرُكَ أنْ تأمرَ أصحابَكَ أن يرفعُوا أصواتَهُم بالتَّلبيةِ، فإنَّها منْ شعائرِ الحجِّ».....١٩٦
٣٨- «أتاني جبريلُ فقال: إنِّي كنتُ أتيتُكَ البارحةَ فلمْ يمنَعْني أنْ أكونَ دخلتُ عليكَ البيتَ الذي كنتَ فيه إلا أنَّه كانَ في بابِ البيتِ تمثالٌ...» الحديث .١٩٦
٣٩- «أُتيَ اللهُ بعبدٍ منْ عبادِه آتاهُ الله مالًا، فقالَ لهُ: ماذا عمِلتَ في الدُّنيا؟...» الحديث.....١٩٨
٤٠- «أتدرُونَ منِ المُفلِسُ؟...» الحديث.....١٩٩
٤١- «اتَّقِ الله حيثُما كنتَ، وأَتبعِ السَّيئةَ الحسنةَ تَمحُهَا، وخَالقِ الناسَ بخلقٍ حسنٍ».....٢٠٠
٤٢- «اتَّقِ الله ولا تحقِرَنَّ منَ المعروفِ شيئًا، ولو أنْ تُفرِغَ منْ دلْوِكَ في إناءِ المُستَسقِي...» الحديث ٢٠٠
٤٣- «اتَّقُوا الله في البهائِمِ المعجمةِ، فاركبُوها صالحةً، وكلُوهَا صالحةً» ..٢٠١
٤٤- «اتَّقِ دعوةَ المظلومِ فإنَّه ليسَ بينَها وبينَ الله حجابٌ».....٢٠١

٤٥- «اتَّقُوا اللهَ واعدِلُوا في أولادِكُم».....٢٠٢
٤٦- «اتَّقُوا الله وصَلُّوا خمسَكم، وصُومُوا شَهرَكُم، وأدُّوا زَكاةَ أموالِكُم طيِّبةً بها أنفسُكم، وأطيعُوا ذا أمرِكم تدخُلُوا جَنةَ ربِّكُمْ».....٢٠٢
٤٧- «اتَّقُوا البَولَ فإنَّه أولُ ما يحاسَبُ به العَبدُ في القَبرِ».....٢٠٣
٤٨- «اتَّقُوا الظُّلمَ فإنَّ الظُّلمَ ظلماتٌ يومَ القيامةِ...» الحديث ٢٠٣
٤٩- «اتَّقُوا اللاعِنَينِ: الذي يتخلَّى في طريقِ الناسِ، أو في ظلِّهِم».....٢٠٤
٥٠- «اتَّقُوا الملاعنَ الثلاثَ: البِرازُ في الموارِدِ، وقارعةِ الطريقِ، والظلِّ» .٢٠٤
٥١- «اتَّقُوا النارَ ولو بشقِّ تمرةٍ».....٢٠٤
٥٢- «اتَّقُوا النارَ ولو بشقِّ تمرةٍ، فإنْ لم تجدُوا فبكلمةٍ طيبةٍ».....٢٠٤
٥٣- «اتَّقُوا دعوةَ المظلومِ، فإنَّها تصعدُ إلى السَّماءِ كأنَّها الشرارُ».....٢٠٥
٥٤- «اتَّقُوا دعوةَ المظلومِ، وإن كانتْ منْ كافرٍ، فإنَّها ليسَ دونَها حجابٌ».....٢٠٥
٥٥- «اتقُوا فِراسةَ المؤمنِ فإنَّه ينظرُ بنورِ الله عزَّ وجلَّ».....٢٠٥
٥٦- «اتَّقي الله يا فاطمةُ وأدِّي فريضةَ ربِّكِ واعمَلي عملَ أهلِكَ...» الحديث ٢٠٧
٥٧- «أتمُّوا الركوعَ والسجُودَ، فوالذي نفسِي بيدِه إنِّي لأراكُم منْ وراءِ ظهرِي إذا ركعْتُم وإذا سجَدْتُم».....٢٠٨
٥٨- «أتمُّوا الصُّفوفَ، فإنِّي أراكُم خلفَ ظهرِي».....٢٠٨
٥٩- «أتموا الصفَّ المقدَّمَ، ثمَّ الذي يليهِ، فما كانَ من نقصٍ فليكنْ في الصفِّ

المؤخَّرِ»..... ٢٠٩
٦٠- «أتيتُ بالبراقِ، وهو دابَّةٌ أبيضُ فوقَ الحمارِ ودونَ البغلِ يضعُ حافرَه عند مُنتَهىٰ طرفِه، فركبتُ فسارَ بي حتَّىٰ أتيتُ بيتَ المقدسِ...» الحديث..... ٢٠٩
٦١- «أتيتُ بمقاليدِ الدنيا علي فرسٍ أبلقَ، جاءني به جبريلُ، عليه قطيفةٌ من سُندسٍ»..... ٢١٧
٦٢- «اثنان خيرٌ من واحدٍ، وثلاثةٌ خيرٌ من اثنينِ، وأربعةٌ خيرٌ من ثلاثةٍ، فعليكم بالجماعةِ فإن الله لن يجمعَ أمَّتي إلا علىٰ هُدىً»..... ٢١٧
٦٣- «اثنانِ لا تجاوزُ صلاتُهما رءوسَهما؛ عبدٌ أبقَ منْ مواليهِ حتَّىٰ يرجِعَ، وامرأةٌ عَصَتْ زوجَها حتَّىٰ ترجِعَ»..... ٢١٨
٦٤- «اثنانِ يكرهُهما ابنُ آدمَ: يكرهُ الموتَ؛ والموتُ خيرٌ له من الفتنةِ، ويكرهُ قلَّةَ المال، وقلَّةُ المالِ أقلُّ للحسَابِ»..... ٢١٨
٦٥- «اثنتانِ في الناسِ هما بهم كفرٌ: الطعنُ في الأنسابِ والنِّياحةُ علىٰ الميتِ»..... ٢١٨
٦٦- «اجتمعُوا علىٰ طعامِكم واذكرُوا اسمَ الله عليه يبارَك لكُم فيه»..... ٢١٩
٦٧- «اجتنبُوا السَّبعَ الموبقاتِ...» الحديث..... ٢١٩
٦٨- «اجتنبُوا الخمرَ فإنَّها مفتاحُ كلِّ شرٍّ»..... ٢٢١
٦٩- «اجتنبُوا هذه القاذوراتِ التي نَهىٰ الله عنْها...» الحديث..... ٢٢١
٧٠- «اجعَلُوا آخرَ صلاتِكم بالليلِ وِتْرًا»..... ٢٢٢
٧١- «اجْعَلُوا مِنْ صلاتِكم في بيوتِكم ولا تتَّخِذُوها قبورًا»..... ٢٢٢

٧٢- «اجعلُوا بينكُم وبينَ الحرامِ سترًا من الحلالِ...» الحديث ٢٢٢
٧٣- «أجِلُّوا الله يَغْفِر لكُمْ» ٢٢٣
٧٤- «أجِيبُوا هذهِ الدعوةَ إذا دعيتُم لها» ٢٢٤
٧٥- «أجِيبُوا الدَّاعي ولا تردُّوا الهديةَ ولا تَضرِبُوا المسلمينَ» ٢٢٤
٧٦- «أحبُّ الأعمال إلى الله الصَّلاة لوقتِها، ثمَّ برُّ الوالدينِ، ثمَّ الجهادُ في سبيل الله» ٢٢٥

٤- تعليقاتٌ على كتاب "المتجر الرَّابح في ثواب العمل الصَّالح» للحافظِ شرفِ الدِّينِ الدِّمياطِيِّ

أبوابُ العلم ٢٢٩
التعليق على الحديث رقم $\frac{1}{1}$ ٢٢٩
التعليق على حديث رقم $\frac{2}{2}$ ٢٣٠
التعليق على حديث رقم $\frac{3}{3}$ ٢٣٠
التعليق على حديث رقم $\frac{4}{4}$ ٢٣١
التعليق على حديث رقم $\frac{6}{6}$ ٢٣١
التعليق على حديث رقم $\frac{8}{8}$ ٢٣١
التعليق على حديث رقم $\frac{9}{9}$ ٢٣٢
التعليق على حديث رقم $\frac{11}{11}$ ٢٣٢
التعليق على حديث رقم $\frac{15}{15}$ ٢٣٢
التعليق على حديث رقم $\frac{18}{18}$ ٢٣٢

التعليق على حديث رقم $\frac{19}{19}$ ٢٣٢
التعليق على حديث رقم $\frac{20}{20}$ ٢٣٣
التعليق على حديث رقم $\frac{21}{21}$ ٢٣٣
التعليق على حديث رقم $\frac{22}{22}$ ٢٣٣
تصحيح سماعُ الحسنِ من أبي هريرة ٢٣٣
التعليق على حديث رقم $\frac{30}{30}$ ٢٣٤
التعليق على حديث رقم $\frac{35}{35}$ ٢٣٤
التعليق على حديث رقم $\frac{38}{38}$ ٢٣٤
التعليق على حديث رقم $\frac{41}{41}$ ٢٣٤
التعليق على حديث رقم $\frac{42}{42}$ ٢٣٥
التعليق على حديث رقم $\frac{44}{44}$ ٢٣٥
التعليق على حديث رقم $\frac{45}{45}$ ٢٣٥
التعليق على حديث رقم $\frac{47}{47}$ ٢٣٥
التعليق على حديث رقم $\frac{51}{51}$ ٢٣٥
التعليق على حديث رقم $\frac{52}{52}$ ٢٣٦
أبواب الطهارة ٢٣٦
التعليق على حديث رقم $\frac{3}{56}$ ٢٣٦
التعليق على حديث رقم $\frac{4}{57}$ ٢٣٧
التعليق على حديث رقم $\frac{6}{59}$ ٢٣٧

التعليق على حديث رقم $\frac{9}{61}$ ٢٣٧
التعليق على حديث رقم $\frac{15}{67}$ ٢٣٧
التعليق على حديث رقم $\frac{16}{68}$ ٢٣٨
التعليق على حديث رقم $\frac{18}{70}$ ٢٣٨
التعليق على حديث رقم $\frac{23}{75}$ ٢٣٨
التعليق على حديث رقم $\frac{24}{76}$ ٢٣٨
التعليق على حديث رقم $\frac{26}{78}$ ٢٣٨
التعليق على حديث رقم $\frac{27}{79}$ ٢٣٨
التعليق على حديث رقم $\frac{31}{83}$ ٢٣٩
أبواب الصلاة ٢٤٠
التعليق على حديث رقم $\frac{13}{99}$ ٢٤٠
التعليق على حديث رقم $\frac{18}{104}$ ٢٤٠
التعليق على حديث رقم $\frac{19}{106}$ ٢٤٠
التعليق على حديث رقم $\frac{20}{107}$ ٢٤٠
التعليق على حديث رقم $\frac{24}{110}$ ٢٤٠
مسألة في حكم اتِّخاذِ الأجرِ على الأذان ٢٤١
التعليق على حديث رقم $\frac{27}{113}$ ٢٤١
التعليق على حديث رقم $\frac{30}{117}$ ٢٤١
التعليق على حديث رقم $\frac{50}{136}$ ٢٤٢

التعليق على حديث رقم $\frac{55}{142}$ ٢٤٣
التعليق على حديث رقم $\frac{56}{143}$ ٢٤٤
التعليق على حديث رقم $\frac{57}{144}$ ٢٤٤
التعليق على حديث رقم $\frac{58}{145}$ ٢٤٤
التعليق على حديث رقم $\frac{60}{147}$ ٢٤٤
التعليق على حديث رقم $\frac{63}{150}$ ٢٤٤
التعليق على حديث رقم $\frac{69}{156}$ ٢٤٥
التعليق على حديث رقم $\frac{70}{157}$ ٢٤٥
التعليق على حديث رقم $\frac{75}{162}$ ٢٤٥
التعليق على حديث رقم $\frac{77}{164}$ ٢٤٥
التعليق على حديث رقم $\frac{78}{165}$ ٢٤٥
التعليق على حديث رقم $\frac{81}{168}$ ٢٤٦
التعليق على حديث رقم $\frac{83}{170}$ ٢٤٦
التعليق على حديث رقم $\frac{84}{171}$ ٢٤٦
التعليق على حديث رقم $\frac{89}{176}$ ٢٤٦
التعليق على حديث رقم $\frac{92}{178}$ ٢٤٧
بيان أنَّ الأسباب التي تقتضي تضعيفَ صلاةِ الجماعةِ على صلاةِ الفذِّ: خمسًا وعشرين في الصَّلاة السِّرية، وسبعًا وعشرين في الصَّلاة الجَهرية ٢٤٧
التعليق على حديث رقم $\frac{101}{187}$ ٢٤٩
التعليق على حديث رقم $\frac{103}{189}$ ٢٤٩

التعليق على حديث رقم $\frac{104}{190}$ ٢٥٠
التعليق على حديث رقم $\frac{106}{192}$ ٢٥٠
التعليق على حديث رقم $\frac{108}{194}$ ٢٥٠
التعليق على حديث رقم $\frac{112}{198}$ ٢٥١
التعليق على حديث رقم $\frac{113}{199}$ ٢٥١
استُدلَّ بهذا الحديثِ على أنَّ الملائكةَ أفضلُ من البشرِ ٢٥١
التعليق على حديث رقم $\frac{114}{200}$ ٢٥٢
مما يؤخذ من الحديث أنَّ ما ثبتَ بالسُّنة ينسبُ إلى وحيِ الله وتنزيله ٢٥٣
التعليق على حديث رقم $\frac{115}{201}$ ٢٥٣
التعليق على حديث رقم $\frac{117}{203}$ ٢٥٣
التعليق على حديث رقم $\frac{118}{204}$ ٢٥٤
التعليق على حديث رقم $\frac{119}{205}$ ٢٥٥
التعليق على حديث رقم $\frac{123}{209}$ ٢٥٥
التعليق على حديث رقم $\frac{124}{210}$ ٢٥٥
التعليق على حديث رقم $\frac{128}{214}$ ٢٥٦
التعليق على حديث رقم $\frac{132}{218}$ ٢٥٦
الصلاة في المسجدَ الحرام تزيدُ على المسجدِ النبويِّ بمائة صلاةفقط، وتزيدُ على سائرِ المساجدِ بمائةِ ألفٍ ٢٥٦
التعليق على حديث رقم $\frac{134}{219}$ ٢٥٦
التعليق على حديث رقم $\frac{140}{225}$ ٢٥٦

التعليق على حديث رقم $\frac{142}{228}$ ٢٥٦
التعليق على حديث رقم $\frac{155}{241}$ ٢٥٧
التعليق على حديث رقم $\frac{157}{243}$ ٢٥٧
التعليق على حديث رقم $\frac{159}{245}$ ٢٥٧
التعليق على حديث رقم $\frac{162}{248}$ ٢٥٨
التعليق على حديث رقم $\frac{169}{255}$ ٢٥٨
التعليق على حديث رقم $\frac{171}{257}$ ٢٥٩
التعليق على حديث رقم $\frac{173}{260}$ ٢٥٩
التعليق على أحاديث رقم $\frac{179}{266}$ $\frac{180}{267}$ ٢٥٩
التعليق على حديث رقم $\frac{183}{269}$ ٢٦٠
التعليق على حديث رقم $\frac{184}{270}$ ٢٦٠
التعليق على حديث رقم $\frac{191}{277}$ ٢٦٠
ذكر أحاديث وردت في خصال توجبُ الظِّلال ٢٦١
التعليق على حديث رقم $\frac{193}{279}$ ٢٦٤
التعليق على حديث رقم $\frac{196}{282}$ ٢٦٤
التعليق على حديث رقم $\frac{197}{283}$ ٢٦٤
ثواب من جلس في المسجد ينتظر الصَّلاة ٢٦٥
التعليق على حديث رقم $\frac{204}{290}$ ٢٦٥
التعليق على حديث رقم $\frac{208}{294}$ ٢٦٦
التعليق على حديث رقم $\frac{210}{296}$ ٢٦٦

التعليق على حديث رقم $\frac{211}{297}$ ٢٦٧
التعليق على حديث رقم $\frac{213}{299}$ ٢٦٧
التعليق على حديث رقم $\frac{218}{304}$ ٢٦٧
التعليق على حديث رقم $\frac{220}{305}$ ٢٦٧
التعليق على حديث رقم $\frac{222}{307}$ ٢٦٨
التعليق على حديث رقم $\frac{232}{317}$ ٢٦٨
أبواب صلاة التَّطوع ٢٦٩
التعليق على حديث رقم $\frac{7}{324}$ ٢٦٩
التعليق على حديث رقم $\frac{11}{328}$ ٢٦٩
التعليق على حديث رقم $\frac{14}{331}$ ٢٦٩
التعليق على حديث رقم $\frac{19}{336}$ ٢٧٠
التعليق على حديث رقم $\frac{20}{337}$ ٢٧٠
التعليق على حديث رقم $\frac{28}{345}$ ٢٧٠
التعليق على حديث رقم $\frac{29}{346}$ ٢٧٠
التعليق على حديث رقم $\frac{41}{358}$ ٢٧٠
التعليق على حديث رقم $\frac{56}{373}$ ٢٧٠
التعليق على حديث رقم $\frac{59}{376}$ ٢٧٠
التعليق على حديث رقم $\frac{62}{379}$ ٢٧١
تنبيه: من (سورة تبارك) إلى آخر القرآن ألف آية ٢٧١
التعليق على حديث رقم $\frac{64}{381}$ ٢٧١

التعليق على حديث رقم $\frac{65}{372}$ ٢٧٢
التعليق على حديث رقم $\frac{67}{384}$ ٢٧٢
التعليق على حديث رقم $\frac{69}{386}$ ٢٧٣
التعليق على حديث رقم $\frac{75}{392}$ ٢٧٣
التعليق على حديث رقم $\frac{82}{399}$ ٢٧٣
التعليق على حديث رقم $\frac{84}{410}$ ٢٧٣
التعليق على أحاديث رقم $\frac{89}{406}$ $\frac{90}{407}$ ٢٧٤
اختلاف العلماء في صلاة التسابيح من الصحة إلى الوضع ٢٧٤
التعليق على حديث رقم $\frac{91}{408}$ ٢٧٥
التعليق على حديث رقم $\frac{93}{410}$ ٢٧٦
أبواب الجمعة ٢٧٦
التعليق على حديث رقم $\frac{1}{411}$ ٢٧٦
التعليق على حديث رقم $\frac{3}{413}$ ٢٧٦
التعليق على حديث رقم $\frac{7}{417}$ ٢٧٦
التعليق على حديث رقم $\frac{8}{418}$ ٢٧٧
التعليق على حديث رقم $\frac{10}{410}$ ٢٧٧
التعليق على حديث رقم $\frac{17}{427}$ ٢٧٧
التعليق على حديث رقم $\frac{26}{435}$ ٢٧٧
التعليق على حديث رقم $\frac{28}{437}$ ٢٧٧
أبواب الجنائز ٢٧٨

التعليق على حديث رقم $\frac{9}{449}$ ٢٧٨
التعليق على حديث رقم $\frac{22}{462}$ ٢٧٩
التعليق على حديث رقم $\frac{23}{463}$ ٢٧٩
التعليق على حديث رقم $\frac{24}{464}$ ٢٧٩
التعليق على حديث رقم $\frac{25}{465}$ ٢٨٠
التعليق على حديث رقم $\frac{34}{474}$ ٢٨٠
التعليق على حديث رقم $\frac{38}{478}$ ٢٨٠
التعليق على حديث رقم $\frac{39}{479}$ ٢٨١
التعليق على حديث رقم $\frac{42}{482}$ ٢٨١
تنبيه: الأحاديثُ الواردةُ في فضل بعضِ الأمراض مثل الحمَّى أوالطاعون أو فقد البصر، قصد بها تسلية المصابِ بها... لكنَّها لا تفيد أبدًا بحال الترغيبِ في المرض أو الاستسلامِ له... والدليل على ذلك ٢٨١
التعليق على حديث رقم $\frac{46}{485}$ ٢٨٤
التعليق على حديث رقم $\frac{47}{486}$ ٢٨٤
التعليق على حديث رقم $\frac{54}{493}$ ٢٨٥
استدراك في ذكر خصال أصحابه شهداء ٢٨٥
التعليق على حديث رقم $\frac{55}{494}$ ٢٨٧
التعليق على حديث رقم $\frac{72}{510}$ ٢٨٧
أبواب الصَّدَقات ٢٨٨
التعليق على حديث رقم $\frac{4}{516}$ ٢٨٨

التعليق على حديث رقم $\frac{9}{521}$ ٢٨٨
التعليق على حديث رقم $\frac{10}{522}$ ٢٨٨
التعليق على حديث رقم $\frac{11}{523}$ ٢٨٩
ثواب الصَّدَقة وفضلها ٢٨٩
التعليق على حديث رقم $\frac{23}{535}$ ٢٨٩
التعليق على حديث رقم $\frac{25}{536}$ ٢٩٠
التعليق على حديث رقم $\frac{26}{537}$ ٢٩٠
التعليق على حديث رقم $\frac{29}{540}$ ٢٩٠
التعليق على حديث رقم $\frac{33}{545}$ ٢٩٠
التعليق على حديث رقم $\frac{44}{556}$ ٢٩٠
التعليق على حديث رقم $\frac{45}{557}$ ٢٩٠
التعليق على حديث رقم $\frac{47}{559}$ ٢٩١
التعليق على حديث رقم $\frac{50}{562}$ ٢٩٢
ثواب المقل ٢٩٢
قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ الآية. وسبب نزولها ٢٩٢
ثواب صدقة السر ٢٩٣
قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ الآية، نزلت في عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام ٢٩٣
التعليق على حديث رقم $\frac{68}{579}$ ٢٩٣
التعليق على حديث رقم $\frac{69}{580}$ ٢٩٤

التعليق على حديث رقم $\frac{71}{582}$ ٢٩٤
التعليق على حديث رقم $\frac{74}{585}$ ٢٩٤
التعليق على حديث رقم $\frac{75}{586}$ ٢٩٤
التعليق على حديث رقم $\frac{84}{595}$ ٢٩٤
التعليق على حديث رقم $\frac{90}{601}$ ٢٩٤
التعليق على حديث رقم $\frac{93}{604}$ ٢٩٤
التعليق على حديث رقم $\frac{98}{609}$ ٢٩٥
التعليق على حديث رقم $\frac{108}{619}$ ٢٩٥
التعليق على حديث رقم $\frac{113}{624}$ ٢٩٥
التعليق على حديث رقم $\frac{115}{626}$ ٢٩٥
التعليق على حديث رقم $\frac{116}{627}$ ٢٩٥
التعليق على حديث رقم $\frac{120}{631}$ ٢٩٦
التعليق على حديث رقم $\frac{129}{640}$ ٢٩٦
التعليق على حديث رقم $\frac{130}{641}$ ٢٩٦
التعليق على حديث رقم $\frac{134}{644}$ ٢٩٧
التعليق على حديث رقم $\frac{141}{652}$ ٢٩٧
التعليق على حديث رقم $\frac{144}{655}$ ٢٩٧
التعليق على حديث رقم $\frac{155}{666}$ ٢٩٧
التعليق على حديث رقم $\frac{56}{667}$ ٢٩٧
التعليق على حديث رقم $\frac{167}{678}$ ٢٩٧

أبوابُ الصَّوم.....٢٩٨
التعليق على حديث رقم $\frac{10}{688}$.....٢٩٨
التعليق على حديث رقم $\frac{11}{689}$.....٢٩٨
التعليق على حديث رقم $\frac{13}{691}$.....٢٩٨
التعليق على حديث رقم $\frac{26}{706}$.....٢٩٨
التعليق على حديث رقم $\frac{30}{710}$.....٢٩٩
التعليق على حديث رقم $\frac{37}{715}$.....٢٩٩
التعليق على حديث رقم $\frac{40}{718}$.....٢٩٩
التعليق على حديث رقم $\frac{51}{729}$.....٣٠٠
التعليق على حديث رقم $\frac{69}{747}$.....٣٠٠
التعليق على حديث رقم $\frac{79}{757}$.....٣٠٠
التعليق على حديث رقم $\frac{91}{769}$.....٣٠٠
التعليق على حديث رقم $\frac{92}{770}$.....٣٠٠
التعليق على حديث رقم $\frac{96}{774}$.....٣٠١
التعليق على حديث رقم $\frac{98}{776}$.....٣٠١
التعليق على حديث رقم $\frac{99}{777}$.....٣٠١
التعليق على حديث رقم $\frac{107}{785}$.....٣٠١
التعليق على حديث رقم $\frac{111}{789}$.....٣٠١
التعليق على حديث رقم $\frac{114}{792}$.....٣٠١
أبواب الحجِّ.....٣٠٢

التعليق على حديث رقم $\frac{6}{798}$ ٣٠٢
التعليق على حديث رقم $\frac{9}{801}$ ٣٠٢
التعليق على حديث رقم $\frac{20}{812}$ ٣٠٢
التعليق على حديث رقم $\frac{38}{830}$ ٣٠٢
التعليق على حديث رقم $\frac{48}{840}$ ٣٠٣
التعليق على حديث رقم $\frac{52}{844}$ ٣٠٣
التعليق على حديث رقم $\frac{57}{849}$ ٣٠٣
التعليق على حديث رقم $\frac{59}{851}$ ٣٠٣
التعليق على حديث رقم $\frac{61}{853}$ ٣٠٣
التعليق على حديث رقم $\frac{68}{760}$ ٣٠٤
التعليق على حديث رقم $\frac{69}{861}$ ٣٠٤
التعليق على حديث رقم $\frac{81}{873}$ ٣٠٤
التعليق على حديث رقم $\frac{92}{885}$ ٣٠٤
التعليق على حديث رقم $\frac{95}{887}$ ٣٠٥
التعليق على حديث رقم $\frac{98}{890}$ ٣٠٥
التعليق على حديث رقم $\frac{99}{891}$ ٣٠٥
حديث: «ماءَ زمزم لما شُربَ له» واختلاف الحفاظ فيه بين الصحة والحسن والضعف ٣٠٦
ذكر من قال: حديثُ: «الباذنجانِ لما أكِلَ لَه» أمثل إسنادًا من حديثِ: «ماءُ زمزم لما شُربَ لَه»، والكلام عليه ٣٠٦

التعليق على حديث رقم $\frac{102}{894}$ ٣٠٧
التعليق على حديث رقم $\frac{103}{895}$ ٣٠٧
التعليق على حديث رقم $\frac{106}{898}$ ٣٠٧
التعليق على حديث رقم $\frac{111}{903}$ ٣٠٧
التعليق على حديث رقم $\frac{113}{905}$ ٣٠٨
التعليق على حديث رقم $\frac{118}{910}$ ٣٠٨
أبواب الجهاد ٣٠٩
التعليق على حديث رقم $\frac{121}{913}$ ٣٠٩
التعليق على حديث رقم $\frac{122}{914}$ ٣٠٩
التعليق على حديث رقم $\frac{125}{917}$ ٣٠٩
التعليق على حديث رقم $\frac{126}{918}$ ٣٠٩
التعليق على حديث رقم $\frac{128}{920}$ ٣١٠
التعليق على حديث رقم $\frac{129}{921}$ ٣١٠
التعليق على حديث رقم $\frac{130}{922}$ ٣١٠
التعليق على حديث رقم $\frac{132}{924}$ ٣١١
التعليق على حديث رقم $\frac{135}{927}$ ٣١١
التعليق على حديث رقم $\frac{141}{933}$ ٣١١
التعليق على حديث رقم $\frac{152}{944}$ ٣١١
التعليق على حديث رقم $\frac{157}{949}$ ٣١١
التعليق على حديث رقم $\frac{161}{953}$ ٣١١

التعليق على حديث رقم $\frac{176}{986}$ ٣١٢
التعليق على حديث رقم $\frac{182}{974}$ ٣١٢
التعليق على حديث رقم $\frac{184}{976}$ ٣١٢
بيان معنى: «ثمَّ لم ينسَ حقَّ الله في ظُهورِهَا ولا رقابِها» ٣١٢
التعليق على حديث رقم $\frac{193}{985}$ ٣١٤
التعليق على حديث رقم $\frac{195}{987}$ ٣١٥
التعليق على حديث رقم $\frac{196}{988}$ ٣١٥
التعليق على حديث رقم $\frac{197}{989}$ ٣١٦
التعليق على حديث رقم $\frac{198}{990}$ ٣١٦
التعليق على حديث رقم $\frac{203}{995}$ ٣١٦
التعليق على حديث رقم $\frac{204}{996}$ ٣١٦
التعليق على حديث رقم $\frac{205}{997}$ ٣١٦
التعليق على حديث رقم $\frac{209}{1001}$ ٣١٦
التعليق على حديث رقم $\frac{210}{1002}$ ٣١٧
التعليق على حديث رقم $\frac{213}{1005}$ ٣١٧
التعليق على حديث رقم $\frac{222}{1014}$ ٣١٧
التعليق على حديث رقم $\frac{233}{1025}$ ٣١٧
التعليق على حديث رقم $\frac{236}{1028}$ ٣١٧
ثواب قيام الرجل في الصف ٣١٨
التعليق على حديث رقم $\frac{237}{1029}$ ٣١٨

التعليق على حديث رقم $\frac{238}{1030}$ ٣١٩
التعليق على حديث رقم $\frac{239}{1031}$ ٣١٩
التعليق على حديث رقم $\frac{241}{1033}$ ٣١٩
التعليق على حديث رقم $\frac{246}{1038}$ ٣١٩
المجاهد الذي قتل كافرًا ثمَّ عَمِلَ معاصي اقتضت دخوله النار، لا يجتمعُ معِ الكافرِ الذي قتلَه ولا يراه، والسِّر في ذلك ٣٢٠
التعليق على حديث رقم $\frac{247}{1039}$ ٣٢٠
التعليق على حديث رقم $\frac{250}{1042}$ ٣٢١
ذكر أصناف من الناس لا يفتنُون في قبورِهم ٣٢١
التعليق على حديث رقم $\frac{252}{1044}$ ٣٢٢
التعليق على حديث رقم $\frac{255}{1047}$ ٣٢٢
لطيفةٌ في استدلال مستشرق ألماني على صدق النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بآية ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ ٣٢٣
التعليق على حديث رقم $\frac{256}{1048}$ ٣٢٣
التعليق على حديث رقم $\frac{258}{1050}$ ٣٢٣
التعليق على حديث رقم $\frac{259}{1051}$ ٣٢٤
التعليق على حديث رقم $\frac{260}{1052}$ ٣٢٤
التعليق على حديث رقم $\frac{263}{1055}$ ٣٢٤
التعليق على حديث رقم $\frac{264}{1056}$ ٣٢٤
التعليق على حديث رقم $\frac{265}{1057}$ ٣٢٤

التعليق على حديث رقم $\frac{269}{1061}$ ٣٢٥
التعليق على حديث رقم $\frac{272}{1064}$ ٣٢٥
التعليق على حديث رقم $\frac{274}{1066}$ ٣٢٥
التعليق على حديث رقم $\frac{275}{1067}$ ٣٢٦
التعليق على حديث رقم $\frac{278}{1070}$ ٣٢٦
التعليق على حديث رقم $\frac{279}{1071}$ ٣٢٦
التعليق على حديث رقم $\frac{282}{1074}$ ٣٢٧
التعليق على حديث رقم $\frac{285}{1075}$ ٣٢٨
أبواب قراءة القرآن ٣٢٨
الكلام على آية: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ ٣٢٨
التعليق على حديث رقم $\frac{1}{1077}$ ٣٢٩
التعليق على حديث رقم $\frac{4}{1080}$ ٣٢٩
التعليق على حديث رقم $\frac{8}{1084}$ ٣٢٩
التعليق على حديث رقم $\frac{10}{1086}$ ٣٢٩
التعليق على حديث رقم $\frac{13}{1090}$ ٣٣٠
التعليق على حديث رقم $\frac{14}{1091}$ ٣٣٠
التعليق على حديث رقم $\frac{15}{1092}$ ٣٣١
التعليق على حديث رقم $\frac{17}{1094}$ ٣٣١
التعليق على حديث رقم $\frac{19}{1096}$ ٣٣١
التعليق على حديث رقم $\frac{20}{1097}$ ٣٣١

التعليق على حديث رقم $\frac{21}{1098}$ ٣٣١
التعليق على حديث رقم $\frac{23}{1100}$ ٣٣١
التعليق على حديث رقم $\frac{26}{1103}$ ٣٣١
التعليق على حديث رقم $\frac{29}{1106}$ ٣٣١
التعليق على حديث رقم $\frac{33}{1109}$ ٣٣٢
التعليق على حديث رقم $\frac{42}{1119}$ ٣٣٣
التعليق على حديث رقم $\frac{48}{1125}$ ٣٣٣
التعليق على حديث رقم $\frac{50}{1126}$ ٣٣٤
التعليق على حديث رقم $\frac{52}{1128}$ ٣٣٥
التعليق على حديث رقم $\frac{60}{1136}$ ٣٣٥
التعليق على حديث رقم $\frac{61}{1137}$ ٣٣٦
التعليق على حديث رقم $\frac{62}{1138}$ ٣٣٦
التعليق على حديث رقم $\frac{66}{1142}$ ٣٣٧
التعليق على حديث رقم $\frac{67}{1143}$ ٣٣٧
أبواب الذكر ٣٣٩
التعليق على حديث رقم $\frac{1}{1149}$ ٣٣٩
التعليق على حديث رقم $\frac{2}{1150}$ ٣٣٩
التعليق على حديث رقم $\frac{5}{1153}$ ٣٤٠
التعليق على حديث رقم $\frac{9}{1157}$ ٣٤٠

التعليق على حديث رقم $\frac{12}{1160}$ ٣٤٠
التعليق على حديث رقم $\frac{17}{1165}$ ٣٤١
التعليق على حديث رقم $\frac{18}{1166}$ ٣٤١
التعليق على حديث رقم $\frac{31}{1179}$ ٣٤١
التعليق على حديث رقم $\frac{34}{1182}$ ٣٤١
التعليق على حديث رقم $\frac{35}{1183}$ ٣٤٢
التعليق على حديث رقم $\frac{39}{1187}$ ٣٤٢
التعليق على حديث رقم $\frac{41}{1189}$ ٣٤٢
التعليق على حديث رقم $\frac{42}{1190}$ ٣٤٣
التعليق على حديث رقم $\frac{45}{1193}$ ٣٤٣
التعليق على حديث رقم $\frac{49}{1197}$ ٣٤٣
التعليق على حديث رقم $\frac{50}{1198}$ ٣٤٣
التعليق على حديث رقم $\frac{52}{1200}$ ٣٤٣
التعليق على حديث رقم $\frac{54}{1202}$ ٣٤٣
التعليق على حديث رقم $\frac{58}{1206}$ ٣٤٤
التعليق على حديث رقم $\frac{59}{1207}$ ٣٤٥
التعليق على حديث رقم $\frac{61}{1209}$ ٣٤٥
التعليق على حديث رقم $\frac{62}{1210}$ ٣٤٥
التعليق على حديث رقم $\frac{64}{1212}$ ٣٤٥

التعليق على حديث رقم $\frac{67}{1215}$ ٣٤٦
التعليق على حديث رقم $\frac{68}{1216}$ ٣٤٦
التعليق على حديث رقم $\frac{70}{1218}$ ٣٤٦
التعليق على حديث رقم $\frac{75}{1223}$ ٣٤٦
التعليق على حديث رقم $\frac{76}{1223}$ ٣٤٧
التعليق على حديث رقم $\frac{79}{1226}$ ٣٤٧
التعليق على حديث رقم $\frac{80}{1227}$ ٣٤٧
التعليق على حديث رقم $\frac{85}{1232}$ ٣٤٧
التعليق على حديث رقم $\frac{96}{1243}$ ٣٤٧
وفي قوله عليه السلام: «أرأيتُم لو وضعَها في حرامٍ أكان عليه وزرٌ...» إلخ دليل للأصوليين في قولهم بقياس العكس..... ٣٤٨
التعليق على حديث رقم $\frac{97}{1244}$ ٣٤٨
التعليق على حديث رقم $\frac{98}{1245}$ ٣٤٨
التعليق على حديث رقم $\frac{100}{1247}$ ٣٤٩
التعليق على حديث رقم $\frac{102}{1249}$ ٣٤٩
التعليق على حديث رقم $\frac{103}{1250}$ ٣٤٩
التعليق على حديث رقم $\frac{104}{1251}$ ٣٥٠
التعليق على حديث رقم $\frac{105}{1252}$ ٣٥٠
التعليق على حديث رقم $\frac{107}{1254}$ ٣٥١

التعليق على حديث رقم $\frac{108}{1255}$ ٣٥١
التعليق على حديث رقم $\frac{110}{1257}$ ٣٥١
الذِّكر بلفظٍ يُفيد عددًا كثيرًا أو مقدارًا كبيرًا، هل يكون أجره مساويًا لأجر تكريره؟ ٣٥١
الكلام على أنَّ الصَّلاة على النبيِّ عليه السلام بلفظٍ يفيد عددًا كثيرًا، هل يساوي أجره أجر تكرير ذلك العدد؟ ٣٥٢
التعليق على حديث رقم $\frac{111}{1258}$ ٣٥٣
التعليق على حديث رقم $\frac{114}{1261}$ ٣٥٣
التعليق على حديث رقم $\frac{119}{1266}$ ٣٥٣
التعليق على حديث رقم $\frac{122}{1269}$ ٣٥٣
التعليق على حديث رقم $\frac{123}{1270}$ ٣٥٤
التعليق على حديث رقم $\frac{125}{1272}$ ٣٥٤
التعليق على حديث رقم $\frac{127}{1274}$ ٣٥٤
التعليق على حديث رقم $\frac{129}{1276}$ ٣٥٤
التعليق على حديث رقم $\frac{132}{1279}$ ٣٥٤
التعليق على حديث رقم $\frac{133}{1280}$ ٣٥٤
التعليق على حديث رقم $\frac{136}{1283}$ ٣٥٥
التعليق على حديث رقم $\frac{139}{1286}$ ٣٥٥
التعليق على حديث رقم $\frac{142}{1289}$ ٣٥٥

التعليق على حديث رقم $\frac{144}{1291}$ ٣٥٥
التعليق على حديث رقم $\frac{145}{1293}$ ٣٥٦
التعليق على حديث رقم $\frac{147}{1294}$ ٣٥٧
التعليق على حديث رقم $\frac{148}{1295}$ ٣٥٧
التعليق على حديث رقم $\frac{152}{1299}$ ٣٥٧
التعليق على حديث رقم $\frac{153}{1300}$ ٣٥٧
التعليق على حديث رقم $\frac{158}{1305}$ ٣٥٧
التعليق على حديث رقم $\frac{159}{1306}$ ٣٥٨
التعليق على حديث رقم $\frac{167}{1314}$ ٣٥٨
التعليق على حديث رقم $\frac{170}{1317}$ ٣٥٨
التعليق على حديث رقم $\frac{173}{1320}$ ٣٥٨
التعليق على حديث رقم $\frac{174}{1321}$ ٣٥٨
التعليق على حديث رقم $\frac{175}{1322}$ ٣٥٩
التعليق على حديث رقم $\frac{177}{1324}$ ٣٥٩
تعقُّب ابن الجوزيِّ في حُكْمه على حديث أبي أُمامة في قراءة آية الكرسيِّ بالوضع ٣٥٩
التعليق على حديث رقم $\frac{181}{1328}$ ٣٦٠
التعليق على حديث رقم $\frac{182}{1329}$ ٣٦٠
التعليق على حديث رقم $\frac{183}{1330}$ ٣٦٠

التعليق على حديث رقم $\frac{189}{1336}$ ٣٦٠
التعليق على حديث رقم $\frac{194}{1341}$ ٣٦٠
التعليق على حديث رقم $\frac{195}{1342}$ ٣٦٠
التعليق على حديث رقم $\frac{196}{1343}$ ٣٦١
التعليق على حديث رقم $\frac{200}{1347}$ ٣٦١
التعليق على حديث رقم $\frac{202}{1349}$ ٣٦١
التعليق على حديث رقم $\frac{203}{1350}$ ٣٦١
ثواب الدُّعاء ٣٦١
من أنواع الاعتداء في الدعاء ٣٦٢
فائدة: قول ابنُ عطاء: إنَّ للدعاءِ أركانًا وأجنحةً وأسبابًا وأوقاتًا ٣٦٢
التعليق على حديث رقم $\frac{213}{1360}$ ٣٦٣
التعليق على حديث رقم $\frac{221}{1368}$ ٣٦٣
التعليق على حديث رقم $\frac{223}{1370}$ ٣٦٣
التعليق على حديث رقم $\frac{225}{1372}$ ٣٦٣
التعليق على حديث رقم $\frac{226}{1373}$ ٣٦٣
التعليق على حديث رقم $\frac{232}{1379}$ ٣٦٣
التعليق على حديث رقم $\frac{233}{1380}$ ٣٦٤
التعليق على حديث رقم $\frac{237}{1384}$ ٣٦٤
التعليق على حديث رقم $\frac{240}{1387}$ ٣٦٥

التعليق على حديث رقم $\frac{244}{1391}$ ٣٦٥
التعليق على حديث رقم $\frac{247}{1394}$ ٣٦٥
التعليق على حديث رقم $\frac{248}{1395}$ ٣٦٥
التعليق على حديث رقم $\frac{252}{1399}$ ٣٦٧
التعليق على حديث رقم $\frac{253}{1400}$ ٣٦٧
التعليق على حديث رقم $\frac{255}{1402}$ ٣٦٧
ثوابُ الصَّلاة على أشرف الخَلْق ٣٦٧
تنبيه: حصل السؤال كثيرًا عن السرِّ في تخصيصِ السَّلام بالمؤمنين، والجواب عليه ٣٦٨
التعليق على حديث رقم $\frac{257}{1404}$ ٣٦٨
التعليق على حديث رقم $\frac{269}{1416}$ ٣٦٨
التعليق على حديث رقم $\frac{270}{1417}$ ٣٦٩
التعليق على حديث رقم $\frac{272}{1419}$ ٣٦٩
التعليق على حديث رقم $\frac{274}{1421}$ ٣٦٩
التعليق على حديث رقم $\frac{276}{1423}$ ٣٦٩
التعليق على حديث رقم $\frac{277}{1424}$ ٣٦٩
التعليق على حديث رقم $\frac{278}{1426}$ ٣٦٩
التعليق على حديث رقم $\frac{278}{1426}$ ٣٦٩
التعليق على حديث رقم $\frac{281}{1428}$ ٣٧٠

خاتمةٌ في أنَّ أفضل صيغ الذِّكر : «لا إله إلا الله» ٣٧١
أبوابُ البرِّ والصِّلَةِ ٣٧٢
التعليق على حديث رقم $\frac{1}{1429}$ ٣٧٢
التعليق على حديث رقم $\frac{2}{1430}$ ٣٧٢
التعليق على حديث رقم $\frac{6}{1424}$ ٣٧٢
التعليق على حديث رقم $\frac{7}{1435}$ ٣٧٢
التعليق على حديث رقم $\frac{8}{1436}$ ٣٧٢
التعليق على حديث رقم $\frac{9}{1437}$ ٣٧٢
التعليق على حديث رقم $\frac{10}{1438}$ ٣٧٤
التعليق على حديث رقم $\frac{12}{1440}$ ٣٧٥
التعليق على حديث رقم $\frac{14}{1442}$ ٣٧٥
التعليق على حديث رقم $\frac{15}{1443}$ ٣٧٥
التعليق على حديث رقم $\frac{16}{1444}$ ٣٧٥
تنبيه: قولهم : «من زَنى زُني به ولو بِحيطان دارِه» ليس بحديث ٣٧٥
التعليق على حديث رقم $\frac{17}{1445}$ ٣٧٥
التعليق على حديث رقم $\frac{18}{1446}$ ٣٧٦
التعليق على حديث رقم $\frac{20}{1448}$ ٣٧٦
التعليق على حديث رقم $\frac{23}{1451}$ ٣٧٦
التعليق على حديث رقم $\frac{29}{1457}$ ٣٧٧

التعليق على حديث رقم $\frac{41}{1469}$ ٣٧٧
التعليق على حديث رقم $\frac{43}{1417}$ ٣٧٧
التعليق على حديث رقم $\frac{48}{1476}$ ٣٧٧
التعليق على حديث رقم $\frac{49}{1477}$ ٣٧٨
التعليق على حديث رقم $\frac{50}{1478}$ ٣٧٨
التعليق على حديث رقم $\frac{54}{1482}$ ٣٧٨
التعليق على حديث رقم $\frac{59}{1487}$ ٣٧٩
التعليق على حديث رقم $\frac{60}{1488}$ ٣٧٩
التعليق على حديث رقم $\frac{67}{1495}$ ٣٧٩
ثواب كفالة اليتيم ٣٨٠
التعليق على حديث رقم $\frac{71}{1499}$ ٣٨٠
التعليق على حديث رقم $\frac{72}{1500}$ ٣٨١
التعليق على حديث رقم $\frac{73}{1501}$ ٣٨١
التعليق على حديث رقم $\frac{75}{1503}$ ٣٨١
التعليق على حديث رقم $\frac{79}{1507}$ ٣٨١
التعليق على حديث رقم $\frac{83}{1511}$ ٣٨١
في أنَّ النبوَّة لا تثبت لكلِّ مَن كلَّمته الملائكة إلَّا بتحقق شرطين، وبيان ذلك ٣٨١
التعليق على حديث رقم $\frac{84}{1512}$ ٣٨٢
التعليق على حديث رقم $\frac{86}{1514}$ ٣٨٢

التعليق على حديث رقم $\frac{87}{1515}$ ٣٨٢
التعليق على حديث رقم $\frac{88}{1516}$ ٣٨٣
التعليق على حديث رقم $\frac{96}{1525}$ وهو آخر التعليقات ٣٨٣

٥- تخريج أحاديث كتاب "اللُّمَع" في الأصول لأبي إسحاق الشِّيرازي

خطبة الكتاب ٣٨٧
حديث: «لولا أنْ أَشُقَّ على أُمَّتي لأَمَرْتُهُمْ بالسِّواكِ عند كلِّ صَلاةٍ» ٣٨٧
حديث: «حُكْمِي على الواحِدِ حُكْمِي على الجماعَةِ» ٣٨٨
قوله: (أنَّ ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما احتجَّ على عثمان رضي الله عنه في حجب الأم بالأخوين ... إلخ) ٣٨٨
حديث: «جمع النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بين الصَّلاتين في السَّفَر» ... ٣٨٩
حديث: «قضى النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالشُّفْعَةِ للجارِ» ٣٨٩
حديث: «قضى النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالكفَّارة في الإفطار». ٣٨٩
حديث: «لا نِكاحَ إلَّا بوَلِيٍّ» ٣٩٠
حديث: «لا أُحِلُّ المسجدَ لـجُنبٍ ولا لحائِضٍ» ٣٩٠
حديث: «رُفِعَ القَلَمُ عن ثلاثةٍ» ٣٩١
حديث: «يُجْزِئُكَ ولا يُجْزِئُ أَحَدًا بَعْدَكَ» ٣٩١
حديث: «لا يَرِثُ القَاتِلُ» ٣٩٢
حديث: «هلَّا أَخَذْتُمْ إهابَها فدَبَغْتُمُوهُ فانْتَفَعْتُمْ به» ٣٩٢
حديث: «لا تَنْتَفِعُوا مِن المَيْتَة بشيءٍ» ٣٩٢
حديث: «خير الشُّهودِ مَن شَهِدَ قبل أنْ يُسْتَشْهَدَ» ٣٩٣

حديث: «شرُّ الشُّهُودِ مَن شَهِدَ قبلَ أنْ يُسْتَشْهَدَ».....٣٩٣
حديث: «أيُّما إهابٍ دُبغَ فقد طَهُرَ».....٣٩٣
حديث: «فيما سَقَت السَّماء العُشر».....٣٩٤
حديث: «ليس فيما دُونَ خَمْسَةِ أَوْسُقٍ مِن التَّمْرِ صَدَقَةٌ» ٣٩٤
حديث: «النَّهي عن الصَّلاة عند طلوع الشَّمس».....٣٩٤
حديث: «مَن نامَ عن صلاةٍ أو نَسِيها فليُصَلِّها إذ ذَكَرها» ٣٩٤
قوله: «روي عن عثمان وعليٍّ رضي الله عنهما في الجمع بين الأختين بملك اليمين...» إلخ.....٣٩٥
حديث: «إقراره صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قيسًا علىٰ صلاة ركعتي الفجر بعد الصبح».....٣٩٦
حديث: «النَّهي عن الصِّلاة بعد الصُّبح» ٣٩٧
قوله: (روي عن عمر رضي الله عنه أنَّه حمل قوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «الذَّهبُ بالذَّهبِ رِبًا إلَّا هاءَ وهاءَ» علىٰ القبض في المجلس) ٣٩٧
حديث: «بئر بُضاعَةَ» ٣٩٨
قوله: (حُكي عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما جواز تأخير الاستثناء).....٣٩٨
حديث: «في سَائِمَةِ الغَنَمِ زكاةٌ».....٣٩٩
قوله: (إنَّ الصَّحابةَ اختلفت في إيجابِ الغُسْلِ مِن الجماعِ مِن غير إنزالٍ...) إلخ.....٤٠٠
حديث: «إنما الأعمالُ بالنيَّاتِ».....٤٠١
حديث: «إنَّما الولاءُ لمن أعتقَ».....٤٠١

حديث: «لا تَبِعْ ما ليس عندك» ٤٠١
حديث: «في كلِّ خمسٍ شاةٌ، في أربعٍ وعشرين من الإبل فما دونها الغَنَمُ» .. ٤٠٢
حديث: «أُمِرْتُ أنْ أقاتلَ النَّاسَ حتَّىٰ يقولوا: لا إله إلا الله...» الحديث . ٤٠٢
حديث: «رُفع عن أُمَّتي الخطأُ والنِّسيانُ» ٤٠٢
حديث: «في الرِّقَّة رُبْعُ العُشْرِ» ٤٠٣
حديث: «الشهر هكذا هكذا» ٤٠٣
قوله: (بيَّن -يعني النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم- فرائضَ الزَّكاة وغيرها من الأحكام في كتبٍ كتبها) ٤٠٣
قوله: (نصَّ -يعني النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم- علىٰ أربعة أعيانٍ في الرِّبا) ٤٠٤
قوله: (كآية: الشَّيخ والشَّيخةُ إذا زَنَيا فارْجُموهما البَتَّةَ، فهذا نُسِخَ رَسْمُهُ وحُكْمُهُ باقٍ) ٤٠٤
نسخ لفظ آية لا يجوز عقلًا، وأنَّ الأحاديث الواردة بذلك آحاد لا تُثبِت قرآنيَّة ما ادُّعِي أنَّه قرآنًا، وإنَّما يعمل بها علىٰ أنَّها أحاديث فقط ٤٠٥
قوله: (كالعِدَّةِ كانت حَوْلًا ثمَّ نُسِخَتْ بأربعة أشهرٍ وعشرًا) ٤٠٥
قوله: (كتحريم الرَّضاع كان بعشر رضعاتٍ وكان مما يُتلَىٰ: فنُسِخَ الرَّسْمُ والحُكْمُ جميعًا) ٤٠٦
حديث: «الثَّيِّبُ بالثَّيِّبِ جَلْدُ مائةٍ والرَّجْمُ» ٤٠٦
قوله: (وروي أنَّه -يعني صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم- رجم ماعِزًا ولم يَجْلِدْهُ) ٤٠٦

حديث: «لا تجتمع أمتي على الخطأ» ٤٢٠
حديث: «لا تجتمع أمتي على الضلالة»..... ٤٢٠
حديث: «من فارق الجماعة ولو قيد شبرٍ... الحديث»..... ٤٢١
قوله: (ونهى عن الشذوذ وقال: «من شذَّ شذَّ في النَّار») ٤٢١
حديث: «أنَّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نزل منزلًا، فقيل له: إنَّه ليس برأيٍ فتركه»..... ٤٢٢
حديث: «لا يخلو عصر من قائمٍ لله بحجَّة»..... ٤٢٣
قوله: (كخلاف الصَّحابة لأبي بكر رضي الله عنه في قتال مانعي الزَّكاة وإجماعهم بعد ذلك)..... ٤٢٣
قوله: (وفي قول ابن عبَّاسٍ فيمن نذر ذبح ابنه)..... ٤٢٤
(تنبيه): قوله في الرِّواية الثانية: «كما فدى إبراهيم إسحاق» يفيد أنَّ الذَّبيح إسحاق عليه السَّلام، وهو قولٌ ضعيفٌ أو باطلٌ، لم يثبت في حديثٍ صحيحٍ يعول عليه، وإنَّما هو من الإسرائيليات التي انخدع بها بعض العلماء من السَّلف والخلف ٤٢٥
قوله: (وفي قول عائشة رضي الله عنها في قصَّة زيد بن أرقم)..... ٤٢٥
حديث: «عليكم بالسَّواد الأعظم» ٤٢٧
حديث: «عليكم بسُنَّتي وسنة الخلفاء الرَّاشدين من بعدي» ٤٢٧
حديث: «اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر»..... ٤٢٧
قوله: رُوي أنَّ أبا بكر الصِّديق رضي الله عنه كان إذا ورد عليه حكم نظر في كتاب الله عزَّ وجلَّ، ثمَّ في سنَّة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فإنْ لم يجد

جمع رؤساء النَّاس واستشارهم، فإذا اجتمع رأيهم على شيءٍ قضى به ٤٢٨
قوله: (وكتب عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري...) إلخ ٤٢٩
قوله: (وقال لعثمان رضي الله عنه: إنِّي رأيت في الجد رأيًا فاتبعوني) إلخ. .٤٢٩
قوله: (وقال عليٌّ كرَّم الله وجهه: كان رأيي ورأي أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أنْ لا تباع أمهات الأولاد، ورأيي الآن أنْ يبعن...) إلخ.....٤٣٠
حديث: «إنَّما نهيتكم لأجل الدافَّة» ٤٣٠
حديث: «النَّهي عن التضحية بالعوراء».....٤٣١
حديث: «النَّهي عن البول في الماء الرَّاكد الدَّائم» ٤٣١
حديث: «الأمر بإراقة السَّمن إذا وقعت فيه الفأرة» ٤٣١
حديث: «لا تبيعوا الطَّعام بالطَّعام إلَّا مثلًا بمثلٍ».....٤٣٢
حديث: «أنَّ بريرة أعتقت فكان زوجها عبدًا، فخيَّرها رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم».....٤٣٢
حديث: أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال لمعاذ: «بم تحكم؟».....٤٣٢
حديث: «إنَّما جعل الاستئذان من أجل البصر».....٤٣٣
حديث: «أينقص الرَّطب إذا يبس» ٤٣٣
حديث: «إنه دم عرق، يعني: الاستحاضة» ٤٣٤
حديث: «إنَّها من الطَّوافين عليكم والطَّوافات».....٤٣٥
حديث: «الهرَّة سَبُعٌ» ٤٣٥
حديث: «مَن باع نَخْلًا بعد أنْ يُؤبَّر، فثمرتها للبائع إلَّا أنْ يشترطها المُبتاع».....٤٣٥

حديث: «لا تبيعوا الطَّعام بالطَّعام إلَّا مثلًا بمثل».....٤٣٦
حديث: «النَّهي عن التضحية بالعوراء».....٤٣٦
حديث: «لا يقضي القاضي وهو غضبانٌ».....٤٣٦
حديث: سُئل عن الفأرة تقع في السَّمن... إلخ.....٤٣٦
حديث: «سها رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فسجد».....٤٣٦
حديث: أنَّ أعرابيًّا جامع في رمضان فأوجب عليه عتق رقبة.....٤٣٦
قوله: كما روي عن عمر رضي الله عنه أنَّه قال في قسمة السواد: «لو قسمت بينكم لصارت دولة بين أغنيائكم ولم يخالفوه».....٤٣٦
قوله: (وكما قال عليٌّ كرَّم الله وجهه في شارب الخمر: إنَّه إذا شرب سكر وإذا سكر هذىٰ، وإذا هذىٰ افترىٰ، فأرىٰ أنْ يحد حد المفتري، فلم يخالفه أحدٌ في هذا التعليل).....٤٣٧
حديث: «الطلاق بالرجال والعدَّة بالنِّساء».....٤٣٧
قوله: (ولكن استحسانه للخبر يعني الخيار في البيع).....٤٣٨
حديث: «بعثت بالحنيفية السَّهلة ولم أبعث بالرهبانيَّة المبتدعة».....٤٣٩
حديث: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإنْ اجتهد فأخطأ فله أجرٌ واحدٌ».....٤٤٠
قوله: (ولأنَّ الصَّحابة أجمعت علىٰ تسويغ الحكم بكلِّ واحدٍ من الأقاويل المختلف فيها وإقرار المخالفين علىٰ ما ذهبوا إليه).....٤٤٠
قوله: (وهذا كما فعل عمر رضي الله عنه في الشورىٰ، فإنَّه قال: الخليفة بعدي أحد هؤلاء الستة).....٤٤٠

قوله: (لما روي عن عليٍّ كرَّم الله وجهه أنَّه قال: كان رأيي ورأي أمير المؤمنين عمر أنْ لا تباع أمهات الأولاد ورأيي الآن أنْ يبعن) ٤٤١
قوله: (كما رويناه في قصَّة عمر رضي الله عنه في أمر الشُّورىٰ) ٤٤١
حديث: أنَّ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أمر سعدًا أنْ يحكم في بني قريظة، فاجتهد بحضرته ٤٤١
الخاتمة ٤٤١

٦- الابتهاج في تخريج أحاديث كتاب "المنهاج" للقاضي البيضاوي

خطبة الكتاب ٤٤٥
الباب الأول في الحكم ٤٤٦
تخريج تهجده صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ٤٤٦
تخريج حديث: «إنما الأعمال بالنيات» ٤٤٦
طرق حديث النِّيَّة مِن حيث المعنىٰ مِن ستة وثلاثين وجهًا ٤٤٨
تنبيه: ذكر كلام لأبي لأبي القاسم بن مَنْدَه في الصَّحابة الذين رووا أحاديث النيَّة، والتعليق عليه ٤٥٦
الكتاب الأول: في الكتاب ٤٥٦
تخريج حديث: «والله لأغزون قريشًا» ثلاثًا ٤٥٦
حديث إنكاره عليه وآله الصلاة والسلام قول الخطيب: «ومن عصاهما» ٤٥٧
حديث: «في سائمة الغنم الزكاة» ٤٥٨
تنبيه: قال الحافظ ابن الصلاح: «أحسب أن قول الفقهاء والأصوليين: في سائمة الغنم الزكاة. اختصار منهم للحديث ٤٦١

حديث: «مطل الغني ظلم»..... ٤٦١
حديث: «كل مما يليك»..... ٤٦١
تنبيه: نسب الغزالي في "المستصفى" قصة حديث: «يا غلام سمِّ الله» لابن عبَّاسٍ، وكذا البدخشي في شرح المتن وهو غلط..... ٤٦١
حديث: «إذا لم تستح فاصنع ما شئت»..... ٤٦١
حديث: «لا تنكح المرأة المرأة»..... ٤٦٢
حديث أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم احتج لذم أبي سعيد الخدري وإنما هو أبو سعيد بن المعلى واسمه الحارث بن أوس بن المعلى..... ٤٦٣
تنبيه: ذكر الشيخ أبو إسحق الشيرازي في "المهذب" أن صاحب قصة آية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ ﴾ أبي بن كعب، ووهمه القلعي، قال الزركشي: «وليس كذلك، فقد رواه النسائي» ٤٦٣
أثر تمسك الصديق رضي الله عنه على التكرار بقوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾. ٤٦٤
قول المؤلف: لعله عليه الصلاة والسلام بيَّن تكراره..... ٤٦٤
حديث: النهي عن بيع الملاقيح..... ٤٦٥
قوله: وأيضًا استدلال الصحابة رضي الله عنهم بعموم ذلك في مثل: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي﴾، ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ ﴾، «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله»، «الأئمة من قريش»، «نحن معاشر الأنبياء لا نورث» شائعًا من غير نكير..... ٤٦٥
المستدل بعموم ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي﴾ علي عليه السلام ٤٦٦
والمستدل بعموم آية الفرائض فاطمة الزهراء عليها صلوات الله ٤٦٦

وحديث: «أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يقولوا: لا إله إلا الله» عن ستة عشر صحابيًا..... ٤٦٦
حديث: «الأئمة من قريش»..... ٤٦٩
وحديث: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث»..... ٤٧٠
حديث: «إذا بلغ الماء قلتين»..... ٤٧٣
حديث: «الإثنان فما فوقهما جماعة»..... ٤٧٣
قول البيضاوي: «فقيل أراد به جواز السفر». يرده أمران ٤٧٤
قول البيضاوي: «وعن ابن عبَّاسٍ خلافه»..... ٤٧٥
(تنبيه): ورد عن ابن عبَّاسٍ ما يعارض ما تقدم، وتخريجه ٤٧٦
حديث: «لا صلاة إلا بطهور» عن عدد من الصحابة..... ٤٧٦
حديث: «القاتل لا يرث» ٤٧٨
(تنبيه): صنيع المصنف في الاستدلال بحديث الترجمة يقتضي أنه متواتر، وليس كذلك..... ٤٨٠
قول البيضاوي: «وبرجمه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم للمحصن» وبيان أنه متواتر..... ٤٨٠
حديث: «إذا روي عني حديث فاعرضوه علىٰ كتاب الله، فإن وافقه فاقبلوه وإن خالفه فردوه»، ورد من طرق ضعيفة عن علي، وابن عمر، وثوبان، وأبي هريرة، وتخريجها ٤٨٢
حديث: «خلق الله الماء طهورًا لا يُنجِّسُه شيءٌ إلَّا ما غيَّر طعمَه أو لونه أو ريحه»..... ٤٨٥

حديث: «حكمي على الواحد حكمي على الجماعة».....٤٨٨
قول البيضاويِّ: «كحديث أبي هريرة رضي الله عنه وعمله في الولوغ» ...٤٨٨
حديث: «أيُّما إهابٍ دُبغَ فقد طَهُر».....٤٩٠
قول البيضاوي: مع قوله في شاة ميمونة «دباغها طهورها» ٤٩٠
حديث: «ألا لا يقتل مسلم بكافر ولا ذو عهد في عهده» ٤٩٤
قول البيضاوي: «من قوله: لا صلاة ولا صيام»، حمله الإسنوي والبدخشي على حديثي: «لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب»، و«لا صيام لمن لم يبيت الصيام من الليل» ٤٩٦
تخريج الحديث الثاني: «لا صيام لمن لم يُبيِّت الصِّيام مِن الليل» ٤٩٩
حديث: «رُفع عن أُمَّتي الخطأ والنِّسيان».....٥٠١
إنكار الإمام أحمد للحديث وتعقيب المُصنِّف عليه.....٥٠٢
حديث: «فيما سقت السماء العشر».....٥٠٢
قول البيضاوي: فنقض ابن الزِّبَعْرَى بالملائكة والمسيح فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ الآية.....٥٠٣
الناسخ والمنسوخ.....٥٠٥
قول البيضاوي: «كان آدم عليه السلام يُزوِّج بناته من بنيه».....٥٠٥
قول البيضاوي: قوله تعالى: ﴿مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ﴾ نسخ بقوله تعالى: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾.....٥٠٦
قوله: «وأيضًا تقديم الصَّدَقة على النجوى وجب بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾ ثم نسخ» ٥٠٦

تنبيه: في من عمل بآية النجوىٰ من الصحابة ٥٠٧
قول البيضاوي: «زال لزوال سببه وهو التمييز بين المنافق وغيره»..... ٥٠٨
قوله: «كنسخ وجوب تقديم الصدقة علىٰ النجوىٰ والكف عن الكفار بالقتال» ٥٠٨
قول المصنِّف: «مثل ما نقل: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة» ٥٠٩
تنبيه: في معنىٰ قول السيدة عائشة: «وهنَّ فيما يقرأ من القرآن» ٥١١
قول البيضاوي: «كنسخ الجلد في حقِّ المحصَن»..... ٥١١
قول البيضاوي: «كنسخ القبلة» ٥١١
حديث: «نهىٰ النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن أكل كلِّ ذي نابٍ مِن السِّباع»..... ٥١٤
قول البيضاوي: «وزيادة التغريب علىٰ الجلد ليس بنسخ» ٥١٥
الكتاب الثاني في السنة..... ٥١٦
قال البيضاوي: «وإجماع الصحابة علىٰ وجوب الغسل بالتقاء الختانين، لقول عائشة: «فعلته أنا ورسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فاغتسلنا» ٥١٦
حديث: «خذوا عني مناسككم»..... ٥١٦
قوله: «كالركوعين في الخسوف»..... ٥١٧
قوله: «قيل: راجع في الرجم»..... ٥١٧
قول البيضاوي: «قلنا: للإلزام»..... ٥١٨
قوله: وأربعون لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وكانوا أربعين ٥١٨
قوله: «وثلاثمائة وبضعة عشر عدد أهل بدر»..... ٥١٩

قوله: «وادعت الشيعة أنَّ النصَّ دلَّ على إمامة عليٍّ رضي الله عنه، ولم يتواتر» ٥٢٠
قوله: «كما لم تتواتر الإقامة والتسمية ومعجزات الرسول عليه الصلاة والسلام» ٥٢٢
قوله: «قال: طلبوا العدد» ٥٢٣
قوله: «خلافًا لابن سيرين» ٥٢٤
فائدة: في أدلة من جوَّز الرواية بالمعنى والتعليق عليها ٥٢٥
كلام عن تساهل ابن الجوزيِّ في "الموضوعات" والحاكم في "المستدرك" وموقف الحفاظ منهما ٥٢٦
قوله: «مثل: في كل أربعين شاة شاة» ٥٢٧
قوله: «أو نصف شاة» ٥٢٨
الكتاب الثالث في الإجماع ٥٢٨
قوله: «قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «لا تجتمع أمَّتي على خطأ»، ونظائره، فإنها وإن لم تتواتر آحادها لكن المشترك بينهما متواتر» ٥٢٨
حديث: «إنَّ المدينة تنفي خبثها» ٥٣٨
قوله: «وهم عليٌّ وفاطمة وابناهما رضوان الله عليهم لأنها لما نزلت لف عليه الصلاة والسلام عليهم كساء وقال: هؤلاء أهل بيتي» ٥٣٩
حديث: «إني تارك فيكم ما إن تمسَّكتم به لن تضلُّوا؛ كتاب الله وعترتي» . ٥٤١
حديث: «عليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء الرَّاشدين مِن بعدي» ٥٤٣
حديث: «اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر» ٥٤٤

فائدة: في معارضة الإسنوي هذا الحديث والذي قبله بحديث: «خذوا شطر دينكم عن الحميراء». يعني عائشة رضي الله عنها، وبيان خطأه في ذلك والتعليق عليه..... ٥٤٥
قوله: «لنا الإجماع على الخلافة بعد الاختلاف»..... ٥٤٥
قوله: «كالاتفاق على حرمة بيع أم الولد والمتعة» ٥٤٥
حديث: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» ٥٤٧
حديث: «عليكم بالسَّواد الأعظم» ٥٤٩
قوله: «وافق علي الصحابة رضي الله عنهم على منع بيع أم الولد ثُمَّ رجع» ٥٤٩
الكتاب الرابع في القياس..... ٥٥٠
قوله: «الثاني قصة معاذ وأبي موسى» ٥٥٠
قوله: «إنَّ أبا بكرٍ رضي الله عنه قال في الكلالة برأي الكلالة ما عدا الوالد والولد»..... ٥٥٢
قوله: «وعمر رضي الله عنه أمر أبا موسى في عهده بالقياس» ٥٥٢
قوله: «قال عمر في الجد أقضي فيه برأيي»، وقوله: «قال عثمان: إن اتبعت رأيك فسديد»..... ٥٥٣
قوله: «وقاس ابن عبَّاسٍ الجَدَّ على ابنِ الابنِ في الحَجْبِ » ٥٥٤
تنبيه: ورد مثل قياس الجَدَّ على ابنِ الابنِ عن أبي بكر رضي الله عنه ٥٥٤
قوله: «قيل ذموه»..... ٥٥٥
حديث: « تعملُ هذه الأمةُ برهةً بالكتابِ وبرهةً بالسنَّة وبرهةً بالقياسِ فإذا فعلوا ذلك فقد ضلُّوا »..... ٥٥٧

قوله: «معارضان بمثلهما».....٥٥٨
حديث: «اختلاف أمَّتي رحمة».....٥٥٩
حديث: «إنما جعل الاستئذان من أجل البصر».....٥٦٠
حديث: «إنما نهيتكم عن لحوم الأضاحي لأجل الدافة».....٥٦٠
حديث: «لا تُقَرِّبُوه طِيبًا فإنَّه يحشرُ يومَ القيامة مُلَبِّيًا».....٥٦١
حديث: «إنها مِن الطوَّافين عليكم والطوَّافات».....٥٦١
حديث: «الأعرابي أنه قال: أفْطَرتُ يا رسولَ الله: فقال: أعْتِقْ رقبةً».....٥٦٢
تنبيه: ليس في شيءٍ من طرق الحديث أن الأعرابي عبَّر بـ«أفطرت» كما قال المصنف، إلا ما جاء في رواية مالك عن جماعة عن الزهري.....٥٦٣
حديث: «تَمرةٌ طيِّبةٌ وماءٌ طهورٌ».....٥٦٣
حديث: «أينقُص الرُّطَب إذا جَفَّ؟ قيل: نعمْ. قال: فَلا إذَنْ».....٥٦٥
حديث: «إنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال لعمر رضي الله عنه وقد سأله عن قُبلة الصائم: أرَأَيتَ لو تَمَضْمَضْتَ بماءٍ ثم مَجَجْتَهُ؟».....٥٦٦
حديث: إذا اخْتَلَفَ الجِنْسان فَبِيعُوا كيفَ شِئْتُم يدًا بيدٍ.....٥٦٧
حديث: «الثَّيِّبُ أحقُّ بنفسها».....٥٦٧
الكتاب الخامس في دلائل اختلف فيها.....٥٦٨
حديث: «لا ضررَ ولا ضرارَ في الإسلام».....٥٦٨
حديث: «نحنُ نحكُم بالظَّاهر».....٥٧٠
قوله: «ولأن الصحابة قنعوا بمعرفة المصالح».....٥٧١
قوله: «وإجماع الصحابة على مخالفة بعضهم بعضًا».....٥٧١

قوله: «لقوله عليه السلام بعدما أنشدت ابنة النضر بن الحارث: لو سمعتُ ما قتلتُ»..... ٥٧٢
تنبيه: قال الزبير بن بكار عقب روايته للأبيات السابقة: سمعت بعض أهل العلم يغمز هذه الأبيات ويقول إنها مصنوعة..... ٥٧٣
قوله: «وسؤال الأقرع بن حابس في الحج أكل عام يا رسول الله؟ فقال: لو قُلتُ ذلك لوجَبَ»..... ٥٧٤
الكتاب السادس في التعادل والتراجيح..... ٥٧٥
حديث: «أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال لأبي بكرٍ: لا تَقْضِي في شيءٍ واحدٍ بحُكْمين مختلِفَينِ»..... ٥٧٥
«حديث عائشة في التقاء الختانين وترجيح الصحابة له علىٰ حديث: إنَّما الماءُ مِنَ الماءِ»..... ٥٧٥
حديث: «ألا أخبرُكم بخيرِ الشُّهود؟ قيل: نعم. قال: أن يشهدَ الرجلُ قبلَ أن يُستشهد»..... ٥٨٠
حديث: «ثُمَّ يفشو الكذب حتَّىٰ يشهد الرجل قبل أن يُستشهَد»..... ٥٨٠
حديث: «ما اجتمع الحلال والحرام إلَّا وغلب الحرام الحلال»..... ٥٨٢
حديث: «ادرأُوا الحدودَ بالشُّبُهَاتِ»..... ٥٨٢
الكتاب السابع في الاجتهاد والإفتاء..... ٥٨٤
قوله: «ولأنه ينتظر الوحي»..... ٥٨٤
حديث: «منْ أصابَ فله أجران ومنْ أخطأَ فله أجرٌ»..... ٥٨٥
قوله: «وقد نَصَّبَ أبو بكر زيدًا»..... ٥٨٥

قوله: «قول عبدلرحمن لعثمان: أبايعك على كتاب الله وسُنَّة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وسيرة الشيخين» ٥٨٥
الخاتمة ٥٨٧

٧- تنبيه الباحث المستفيد للأَخْطاء الواقِعَةِ في الثَّلاثَةِ أجزاء الأُوَل مِن كتاب "التَّمْهيدِ"

مقدِّمة المؤلِّف ٥٩١
تصويبات الجزء الأول ٥٩٥
تصويبات الجزء الثاني ٥٩٨
تصويبات الجزء الثالث ٦١٣
الخاتمة ٦١٧

٨- التعليق على بعض أخطاء للشيخ محمَّد أبي زهرة

استنكار الشيخ أبي زهرة لقصة رؤيا ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه وإجازة أبي بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه لوصيَّته في الرُّؤيا ٦٢١
استدلال الشيخ أبي زهرة بحديثٍ موضوعٍ ٦٢٢
إنكار الشيخ أبي زهرة لحديث العرنيين وهو في "صحيح البخاريِّ" ٦٢٣
تصحيح أحد الأزهريين للفظة في حديث لم ترد في كتب المحدِّثين محاباة لأقوام على حساب دينه وعِلْمه ٦٢٤
الخاتمة ٦٢٥
فهرس الموضوعات ٦٢٩

موسوعة

العلامة المحدث المتفنن

سيدي الشريف عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري الحسني

(١٣٢٨ - ١٤١٣هـ) رحمه الله تعالى

قدم لها

الشريف الدكتور

عبد المنعم بن عبد العزيز بن الصديق

إشراف

الدكتور محمود سعيد بن محمد ممدوح

المجلد التاسع

فضائل النبي ﷺ

موسوعة

العلامة المحدث المتفنن

سيدي الشريف عبد الله ابن محمد الصديق الغماري الحسني

(١٣٢٨ - ١٤١٣هـ) رحمه الله تعالى

٩

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية
عام / ١٤٣٨

قام بطباعتها وإخراجها: مركز البحوث والدِّراسات
بكُليَّة الصَّفا الإسلاميَّة بماليزيا

يطلب من:

دار السَّلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

جمهورية مصر العربية: القاهرة – الإسكندرية.
الإدارة: القاهرة ٤٠ شارع أحمد أبو العلا – المتفرِّع من شارع نور الدين بهجت – الموازي لامتداد شارع مكرم عبيد – مدينة نصر.
هاتف: ٢٢٨٧٣٢٤٦ - ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ (٢٠٢+)
فاكس: ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢+)
البريد الإلكتروني: info@dar-alsalam.com
موقعنا على الإنترنت: www.dar-alsalam.com

المجلد التاسع: فَضَائِلُ النبيِّ ﷺ

ويحتوي على:

١ - دَلَالَةُ القُرآنِ المُبِين على أنَّ النَّبيَّ ﷺ أَفْضَلُ العَالَمِين.

٢ - الأحاديث المُنْتَقاةُ في فَضَائِلِ رسولِ الله ﷺ.

٣- السَّيْفُ البَتَّار لِمن سَبَّ النَّبيَّ المُخْتار ﷺ.

٤ - النَّفْحَةُ الإلهيَّة في الصَّلاةِ على خَيْرِ البَرِيَّة ﷺ.

٥ - نَقْدُ قَصِيدَةِ البُرْدَةِ.

٦ - إرشادُ الطَّالبِ النَّجِيبِ إلي ما في المَوْلِدِ النَّبوَيِّ مِن الأكاذيب.

١ - فَضَائِلُ النبيِّ ﷺ في القُرْآن

أو

دَلَالةُ القُرْآنِ المُبين

على أنَّ النَّبيَّ ﷺ أفضلُ العالمين

هــذا كِتَــابُ دَلَالَــة القُــرْآنِ أَوْضَــحْتُ فيــهِ حَقــائِقَ التِّــبْيانِ
وجَعَلْتُــهُ وَضْــعًا رَصِــينًا شُــيِّدَتْ صَــفَحاتُهُ بنَوَاصِــعِ البُرْهــانِ
يُنْبِيــكَ عــن قَــدْرِ النَّبــيِّ وفَضْــلِهِ بسَــواطِعٍ جــاءَتْ مِــنَ الفُرْقَــانِ
فاقَ "الشِّــفا" و"مَوَاهِبًــا" في بَحْثِــهِ وأَجــادَ في سَــبْكٍ وحُسْــنِ بَيَــانِ
واللهَ أرجــو ســائِلًا بكِتابِــهِ ونبِيِّــه أَجْــرًا بــلا حُسْــبَانِ

خطبة الكتاب

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحقِّ بشيرًا ونذيرًا، وجعله داعيًا إليه بإذنه وسراجًا مُنيرًا، اختصَّه بالقرآن المتَضمِّن لقواطِع الحُجَّة ونواصِع البرهان، والمُشتمِل علىٰ حقائق العلوم ودقائق العِرْفان، ومَيَّزه بجوامع الكَلِم وفصاحِة اللسان، وفضَّله علىٰ جميع مخلوقاته من ملَكٍ وإنسٍ وجانٍّ، خُتِمَت به الرِّسالة، فسَلَّم من الجهالة، وهدىٰ من الضلالة، وبَصَّر من العَماية وأرشد مِن الغَوَايَةِ، فتحَ اللهُ به أعينًا عُمْيًا وقُلُوبًا غُلْفًا وآذانًا صُمًّا، فرض علىٰ الناس طاعته، وأوجب عليهم محبَّته، شرح صدره ورفع ذِكْرَهُ وأعلىٰ قدْرَه وخلَّد شريعته وأبقىٰ علىٰ وجه الزمان معجزته، فصلَّىٰ الله وسلَّم وبارك عليه، وزاده رفعةً ومكانةً لديه، ورضي عن آله الأكرمين وصحابته ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين.

أمَّا بعد: فهذا كتابٌ أردتُ أن أذكر فيه الآيات التي تُفيد عِظَم قَدْر النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وعُلوِّ رُتْبته بصريح العبارة أو بطريق الإشارة، أو التضمُّن أو الموازنة، أو غيرها من الطرق التي نُبيِّنها فيما بعد بحول الله تعالىٰ.

وقد رأيتُ في هذا الموضوع كتاب "المدحة الكبرىٰ من الكلام القديم" فوجدته قد أجاد علىٰ توسُّعٍ كبيرٍ في معظمه وإعوازٍ كثير في مواضع منه، وطالما تشوَّفْتُ إلىٰ تأليف كتابٍ من هذا النوع أخدم به الجنابَ النبويَّ، ويكون وسيلةً لي عند الله تعالىٰ يوم يفرُّ المرءُ من أخيه وأُمِّه وأبيه، ومن الخِلِّ الوفيِّ، حتىٰ وفَّقني الله -وله المِنَّة- إلىٰ إنشاء هذا الكتاب الذي أرجو -إن تَمَّ- أنْ يكون وافيًا في بابه، جامعًا لخُلاصة البحث ولُبابِه، علىٰ إعوازٍ في الموادِّ وعدم الاستعداد، إذ لم يكن

لديَّ حين كتابته سوىٰ "حاشية الصاوي علىٰ تفسير الجلالين"[١] مع تكدُّر الخاطر وتبلبل الفكر بهذه المِحنة التي ضاقت واشتدَّت وطالت، حتىٰ كادت تقضي علىٰ كلِّ أملٍ في النجاة منها لولا ثقتي برحمة الله وقرب فرجه، مع إيماني بصدق وعده حيث يقول: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥ - ٦].

فلابد من يسرٍ بعد هذا العسر ومن فرجٍ يعقُب هذه الشِّدَّة.

واللهُ المسئول أنْ يقبل هذا ويجعله سببًا في التعجيل بالفرج والتيسير، إنَّه قريبٌ مجيبٌ وهو علىٰ ما يشاء قديرٌ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين، والصَّلاة والسَّلام علىٰ سيدنا محمد وآله الأكرمين، هذه تعليقات علىٰ كتاب "فضائل النبي في القرآن" تُتمِّم مباحثه، وتشرح بعض ما غمض فيه، وهي وسط بين الإيجاز والإطناب، وفَّقنا الله فيها لإصابة الصَّواب.

(١) ثُمَّ تيسَّر لي بعد تسويده الاطلاع علىٰ تفسيري "الكشاف" و"البيضاوي" فنقلت منهما أثناء تبييضه ما يراه القارئ في مواضعه منه.

مقدمة

تخصيص النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بإتيانه القرآن العظيم تشريفًا يفوق ما أوتي النبيون من كتبٍ ومعجزاتٍ، إذ كان ما أوتوه عليهم السَّلام لا يعدو أنْ يكون خارقًا من الخوارق ينتهي بانتهاء زمانه، أو تشريعاتٍ ووصايا تختصُّ بقبيلٍ من الناس لا تجاوزهم إلى غيرهم.

أمَّا القرآن، فهو معجزة الدَّهْرِ، وكتاب الزمن، ودستور الحياة في شتَّى نواحيها، يُعلِّم الإنسانية ويأخذ بيدها إلى حيث رُقيِّها وسعادتها، صحَّح ما أخطأ فيه كبار الفلاسفة والمُفكِّرين من الحقائق الكونيَّة، ويُقوِّم ما انحرف عنه زعماء المُتديِّنين من العقائد الدِّينيَّة.

يُساير التقدُّم العِلْميَّ، ويدعو إلى تحرير الفكر والعقل من أغلال التقليد وأوهام الجمود، أسَّسَ من النظم والقوانين ما لم يصل إليه فقهاء التشريع في القديم والحديث، وسَنَّ مناهج للأخلاق وأدب السلوك قصرت عنها أنظار علماء الاجتماع في أرقى الأمم حضارةً في شرق الأرض وغربها، يضاف إلى هذا فصاحة أسلوبه وسلاسة ألفاظه وتراكيبه، وروعة تصويره، وأخذه بمجامع القلوب وامتلاكه للنواصي والألباب.

وإنك لتجد البَوْن شاسعًا بينه وبين سائر الكتب[1] المُنزَّلة، القديم منها

---

(١) وهي غير مُعجزةٍ كما صرَّح به الزمخشريُّ في "الكشاف"، إذ الإعجاز خاصٌّ بالقرآن من بين سائر الكتب السماوية، على أنَّ الإنجيل عبارة عن مواعظ ووصايا ألقاها عيسى عليه السَّلام على أتباعه عقب نزولها عليه من غير أن تدوَّن في كتابٍ،

والجديد، فإذا وازنت التوراة -وهي كتاب العهد القديم- بأسلوبها وأحكامها وتعاليمها ووصاياها وما فيها من قصصٍ وتواريخ بسورةٍ من سور القرآن أدركت الفارق الكبير بين الكتابين، وكأنَّك بهذه الموازنة تقيس نور شهابٍ من تلك الشُّهُب التي تعترض في الأُفُق لامعةً ثُمَّ تنطفئ، لا يكاد يشعر بها أحدٌ إلَّا من كان يرصد حركاتها لغرضٍ من الأغراض، بنور الشَّمس الذي يُضيء الدنيا، ويبعث الحرارة في الكون، ويسري مع شعاعه الحياة والنضج، ويذهب ظلام الليل وما حواه من ظلماتٍ وأوهامٍ.

ومن هنا قال الله تعالىٰ لنبيِّه، يمتنُّ عليه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [الحجر: ٨٧] أي: خصَّصناك بهذا الكتاب وشرَّفناك به وذخرناه لك، ولم نُنزِّله علىٰ إبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ؛ لأنَّهم -وإنْ كانوا رسلًا مُكرَّمين- لم يصلوا إلىٰ رتبتك، ولا حاموا حول منزلتك، وقال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [العنكبوت:٥١].

قال الزمخشريُّ: «أو لم يكفهم آيةٌ مُغْنيةٌ عن سائر الآيات، إن كانوا طالبين للحقِّ غير مُتعنِّتين، هذا القرآن الذي تدوم تلاوته عليهم في كلِّ مكانٍ وزمانٍ، فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما تزول كل آيةٍ بعد كونها، وتكون في مكانٍ دون مكانٍ، إنَّ في مثل هذه الآية الموجودة في كلِّ مكانٍ وزمانٍ

والأناجيل الموجودة عند المسيحيين من تأليف بعض الحواريين، كتبوا فيها سيرة عيسىٰ بعد رفعه بمدَّةٍ طويلةٍ، ولهذا يوجد بينها تناقضٌ واختلافٌ.

إلى آخر الدَّهْر ﴿لَرَحْمَةً﴾ لنعمة عظيمة لا تشكر[١]، وتذكرة لقومٍ يؤمنون».اهـ

فإذا نظرنا إلى ما في القرآن من دلائل خاصَّةٍ تقتضي عُلوَّ قدره عليه الصَّلاة والسَّلام مضافًا إلى ما سبق، انتهينا إلى نتيجةٍ ذات وجهين متلازمين:

أحدهما: أنَّه عليه الصَّلاة والسَّلام أفضل المخلوقات يقينًا لا يدخله احتمال، إذ ليس من المعقول أنْ ينزل ذلك الكتاب العظيم على شخصٍ يكون في عالم الوجود من هو أفضل منه.

ثانيهما: القطع بخطأ من فضَّل عليه الملائكة، وهو ابن حزمٍ، أو فضَّل عليه جبريل عليه السَّلام، وهو الزمخشريُّ؛ لأنَّ القرآن بجملته وتفاصيله تشريفًا لم ينله مَلَكٌ ولا رسولٌ، ولأنَّ في آياته وبعض سوره ما يُفيد تفرُّد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بمناقب لم يُعْطَها جبريل عليه السَّلام.

وإيضاح هذه النتيجة بوجهيها هو مقصدنا من هذا المؤلَّف الذي اعتمدنا فيه على فضل الله، وعلى ما يفتح به في فهم آيات كتابه، وهو مما مُنِحْناه في هذه المِحْنة التي نرجو من الله تفريجها عاجلًا.

بقي وجهٌ ثالثٌ، يلحق بالوجهين السَّابقين وهو: أنَّ المفاضلة بين بقيَّة الأنبياء والملائكة ظنِّية؛ لأنَّها لا تستند لدليلٍ قاطعٍ، فنحن نعتقد أنَّ الأنبياء عليهم السَّلام أفضل من الملائكة ولكن لا نقطع بذلك ولا نجزم به، كما لا نقطع بخطأ من فضَّل عليهم الملائكة وهم ابن حزمٍ والمعتزلة وكثيرٌ من الأشعريَّة، منهم الإمام الرَّازي في بعض كتبه؛ لأنَّ بعض الأدلة يقتضي ذلك

---

(١) أي: لا يُقْدَر على شكرها لعِظَم النِّعمة بها عظمًا يجلُّ عن الشكر.

مثل قوله تعالىٰ: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: ١٧]، فهذه الآية تفيد أفضلية الملائكة علىٰ عيسىٰ عليهم السَّلام، وإنْ أجاب عنها علماء الأشعريَّة(١).

وأمر الملائكة بالسجود لآدم عليه السَّلام يقتضي أفضليَّته عليهم كما استنبطه بعض علماء المالكيَّة حسبما بيَّنته في "قصة آدم عليه السَّلام".

فالقطع بتفضيل أحد الطَّرفين علىٰ الآخَر لا يمكن، وإنَّما هو ظنٌّ غالبٌ يتجه إلىٰ هذا الجانب أو ذاك، وقد نصَّ الأشعريَّة وغيرهم علىٰ هذا، لكن لم يُصرِّحوا بأنَّ أفضلية النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قطعيةٌ فيما أعلم، ولعلَّهم لم يتفطَّنوا لما أثبتناه في هذا الكتاب، إلَّا أنَّ الإمام الرازيَّ لما حكىٰ الخلاف في المفاضلة ورجَّح تفضيل الملائكة استثنىٰ النبيَّ عليه الصَّلاة والسَّلام من الخلاف، وقال: إنَّه أفضل من الملائكة وغيرهم بلا نزاعٍ، فقد يُفهَم منه أنَّ أفضليته عليه الصَّلاة والسَّلام قطعيَّةٌ، وفي "الجوهرة":

وأَفْضَلُ الخَلْقِ علىٰ الإطْلاقِ نَبِيُّنا فمِلْ عَنِ الشِّقَاقِ

هذا، ومن الشذوذ بمكان ما نقله العارف الشَّعرانيُّ في «الباب الرابع عشر» من "المنن الكبرىٰ" حيث قال: «وقع في سنة إحدىٰ وأربعين وتسعمائة أنَّ شخصًا زعم أنَّ إبراهيم أفضل من النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مُستنِدًا

---

(١) والذي أعتقده في خاصَّة نَفْسِي -وهو الصواب إن شاء الله- أنَّ الملائكة أفضل من الأنبياء غير إبراهيم وموسىٰ عليهم السلام، **أمَّا الأول**: فإنَّ الله تعالىٰ اختصَّه بالخُلَّة، **وأمَّا الثاني**: فإن الله تعالىٰ كلَّمه تكليمًا، وبذلك كانا أفضل من الملائكة.

إلى تعليمه عليه الصَّلاة والسَّلام للصحابة الصَّلاة الإبراهيمية حين سألوه: كيف نُصَلِّي عليك؟ بناء على قاعدة أهل المعاني من أنَّ المُشبَّه به أعلى مِن المُشبَّه».

ثُمَّ قال بعد كلامٍ في الردِّ عليه: «وقد انتصر علماء مصر، وصنَّفوا في الردِّ على هذا الشخص -بتقدير ثبوت ذلك عنه- كسيِّدي محمد البكري، وسيِّدي محمد الرملي، وناصر الدين الطبلاوي، والشَّيخ نور الدين الطندتائي، وقُرِئَت تلك المُصنَّفات على رؤوس الأشهاد بحضرة خلائق لا يُحصَون».

قلت: يظهر أنَّ ذلك الشَّخص كان ضعيفًا في علم المعاني، إذ من المُقرَّر فيه أنَّ الغرض من التشبيه إلحاق الأدنى بالأعلى نحو زيد كالبدر، أو إلحاق مُتأخِّر بسابقٍ في معنًى من المعاني من غير ملاحظة تفاوت بينهما فيه.

والصَّلاة الإبراهيميَّة من هذا القَبيل، إذ أنَّ معناها: اللهمَّ صلِّ على محمَّدٍ كما حصلت منك الصَّلاة على إبراهيم، وليس هنا أدون ولا أعلى؛ لأنَّ الصَّلاة على إبراهيم منشؤها نبوَّته لا أفضليَّته.

ونظير هذا قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٥] شبَّه الله في هذه الآية استخلاف الأُمَّة المحمَّديَّة باستخلاف اليهود قبلهم من غير نظرٍ إلى التفاوت بين الاستخلافين، مع أنَّ استخلاف الأُمَّة المحمَّديَّة وهي المُشبَّه، أعم وأكمل من استخلاف اليهود المُشبَّه بهم، وهذا واضحٌ لا خفاء فيه، فاستشكال التشبيه في الصَّلاة الإبراهيمية، أو أخذ أفضليَّة إبراهيم منه ناشئٌ عن ضَعْفٍ في عِلْم المعاني أو نسيانٍ لقواعده.

وحكى الشعرانيُّ أيضًا في "طبقات الأولياء" عن العارف أبي المواهب الشاذليِّ أنه قال: «وقع بيني وبين شخصٍ من الجامع الأزهر مجادلةٌ في قول صاحب "البردة":

فمَبْلَغُ العِلْمِ فيهِ أنَّهُ بَشَرٌ وأنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ الله كُلِّهِمِ

وقال: ليس له دليلٌ على ذلك. فقلت له: قد انعقد الإجماع على ذلك، فلم يرجع، فرأيتُ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ومعه أبو بكرٍ وعمر -رضي الله عنهما- جالسًا عند منبر الجامع الأزهر وقال لي مرحبًا بحبيبي، ثُمَّ قال لأصحابه: أتدرون ما حدث اليوم؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: إنَّ فلانًا التعيس يعتقد أنَّ الملائكة أفضل مِنِّي، فقالوا بأجمعهم: ما على وجه الأرض أفضل منك، فقال لهم: فما بال فلان التعيس يعتقد أنَّ الإجماع لم يقع على تفضيلي؟ أما علم أنَّ مخالفة المعتزلة لأهل السُّنَّة لا تقدح في الإجماع؟!».

قلت: وقع من بعض المُتحذلِقين أقبح من هذا فقد رأى تأليفي "الأحاديث المنتقاة في فضائل سيِّدنا رسول الله"، وهو كتابٌ انتقيته من الأحاديث الصَّحيحة، فاستعاره مِنِّي، ولما ردَّه بعد قراءته قال لي: أنت إمامٌ في تأييد الخُرافات. فاعتبر الأحاديث الصَّحيحة الثابتة في فضل النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وفي ذكر بعض معجزاته خرافات!.

وهذا ممَّا دعاني إلى التعجيل بتأليف هذا الكتاب الذي سمَّيته **"دلالة القرآن المُبين على أنَّ النبيَّ أفضل العالمين"**، وسيجد القارئ فيه ما يجدد إيمانه ويقوِّي عقيدته، ويُفحم به مناظره إنْ كان لا يُقنعه الإجماع ولا يلتزم السُّنَّة.

ويجب أنْ أُشير إلى أمرين هامَّين:

الأول: قد يظنُّ بعض الناس أنَّ أفضلية النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ليست ذات أهميَّة في الدِّين، وهذا خطأ كبيرٌ ممن يظنُّه، بل لها أهميَّةٌ كُبرَىٰ؛ لأنَّ تصحيح العقيدة يتوقَّف عليها، لاسيَّما في هذا العصر الذي كَثُر فيه الجهل بالدِّين أصوله وفروعه.

ولقد سُئِل بعض أهل العلم مرة: ما الدليل علىٰ أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أفضل من نوحٍ عليه السَّلام؟ مع أنَّ نوحًا لبث يدعو إلىٰ الله ألف سنةٍ إلَّا خمسين عامًا بنصِّ القرآن فلم يُسْعِفْهُ علمه بدليلٍ.

وقال لي بعض الصُّحفيين مرة: أنا أعتقد أنَّ عيسىٰ أفضل مِن النبيِّ عليهما الصَّلاة والسَّلام، قلت: لِمَ ذلك؟ قال: لأنَّ عيسىٰ ولد من غير أبٍ، فلم يكن من النطفة المُستقذَرة، قلت له: فعلىٰ هذا تكون ناقة صالحٍ عليه السَّلام أفضل من عيسىٰ أيضًا؛ لأنَّها خرجت من صخرة، ولم تخرج من الفرج الذي هو مخرج البول؟!

ولو كان التفضيل منوطًا بهذا، كان آدم عليه السَّلام أفضل الرُّسُل علىٰ الإطلاق؛ لأنَّه خلق من غير أبٍ ولا أمٍّ، فلم تقذفه نطفة ولا ضمَّهُ رَحِمٌ، ولأنَّه عاش ألف سنةٍ كما في "الصحيح"، دعا فيها أولاده إلىٰ الله تعالىٰ.

ولكن التفضيل في الحقيقة مَنوطٌ بخصال الكمال التي يتحلَّىٰ بها النبيُّ مع المزايا التي يهبها الله تعالىٰ له، علىٰ هذا الأساس يتفاضل الرسل والأنبياء وغيرهم، وهذا الأساس نفسه هو مبنىٰ أفضلية النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

أمَّا خِصال الكمال التي كان يتحلَّى بها؛ فينبئ عنها قول الله تعالىٰ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤] ولم يُثنِ بهذا علىٰ نبيٍّ ولا رسولٍ، فأفاد أنه مُتفرِّدٌ

بهذا الخُلُق.

وسئلت عائشة رضي الله عنها: كيف كان خُلُق رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم؟ فقالت: كان خُلُقُه القرآن.

ومعنىٰ هذا الجواب الوجيز الجامع: أنَّ ما في القرآن الكريم من أخلاق وآداب وفضائل ومكارم يتمثَّل في شخصه عليه الصَّلاة والسَّلام، ولذا قال البوصيريُّ رحمه الله تعالىٰ:

فـاقَ النَّبيِّـينَ في خَلْـقٍ وفي خُلُـقٍ ولم يُـدانُوهُ في عِلْـمٍ ولا كَـرَمِ

وأمَّا المزايا التي وهبه الله إياها فكثيرةٌ، مثل: دفاع الله عنه، وندائه بوصف النبوة والرِّسالة، ونهي المؤمنين أنْ ينادوه باسمه المُجرَّد، وتجنيد الملائكة للقتال معه، وإنذارهم علىٰ لسانه، وعموم بعثته، وختمه للنبوَّة، وإقسام الله بحياته، وغير ذلك مما يَتحدَّث عنه هذا الكتاب.

ولا شك أنَّ إثبات هذه المزايا وتلك الأخلاق له صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم واعتقاد اتصافه بها واجبٌ شرعًا تتوقَّف عليه صحَّة عقيدة المسلم كما صرَّح به العلماء؛ لأنَّ كتاب الله تحدَّث بها في صراحةٍ ووضوحٍ، بل السُّنَّة المتواترة والإجماع عليها مِن الأُمَّة بجميع فِرقها، وهذا معنىٰ أفضليته عليه الصَّلاة والسَّلام؛ لأننا نعلم أنَّه لا يوجد نبيٌّ ولا رسولٌ ولا مَلَكٌ جمع هذه الصِّفات كلها غيره، وإذًا فلا يوجد من يساويه؛ فضلًا عن أنْ يفوقه.

ومن هنا قطعنا بأفضليته عليه الصَّلاة والسَّلام، كما قطعنا بخطأ من فضَّل الملائكة أو الرُّسل عليه، وهو -أعني من فضَّل مَلَكًا أو رسولًا عليه- إمَّا متناقضٌ لاعتقاده ثبوت معنىٰ الأفضليَّة له صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مع إثبات

لفظها لغيره، وإمَّا غافلٌ عن أنَّ ثبوت المعنىٰ لشيءٍ يلزمه ثبوت اللفظ لذلك الشَّيء، ضرورة أنَّ اللفظ لازمٌ للمعنىٰ وتابعٌ له.

الثاني: قد يقال: جاءت أحاديث تفيد عدم أفضلية النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وهي قوله عليه الصَّلاة والسَّلام -لمن قال له: يا خير البريَّة-: «**ذاك إبراهيمُ**»(١). وقوله عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لا تُفَضِّلُوني على يونسَ**». وقوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**يَصْعَقُ الناسُ فأكون أوَّلَ مَن يَفيقُ فإذا موسى باطِشٌ بالعَرْشِ، فلا أدري أفاقَ قَبْلي أم جُوزي بصَعْقَتِهِ يومَ الطُّورِ**». وقوله عليه الصَّلاة والسَّلام -من حديث-: «**فعَرَفْتُ فَضْلَ عِلْمِهِ بالله عليَّ**». يعني جبريل عليه السَّلام. ولنا في الجواب عن هذه الأحاديث مسلكان:

الأول: **الترجيح**، وذلك أنَّ الأحاديث المذكورة أخبار آحاد، والأفضليَّة ثابتةٌ بالقرآن والسُّنَّة المتواترة والإجماع، فتكون راجحةً بلا نزاعٍ.

الثاني: **الجمع**، وهو من وجهين:

أحدهما: أنَّ تلك الأحاديث خرجت مخرج التواضع مع الإشارة إلىٰ حفظ رتبة يونس عليه السَّلام، حتىٰ لا يتسرَّب إلىٰ النفوس ما يغض من مقامه الكريم بالنسبة لما حصل له، علىٰ أنَّ حديث الصَّعق لا علاقة له بالأفضليَّة؛ لأنَّ موسىٰ عليه السَّلام إنْ كان لا يُصعق يوم القيامة مجازاةً له بصعقة يوم الطور فالأمر واضحٌ، وإنْ كان يصعق ويفيق أول واحد فتلك ميزة حقًّا، يقابلها من جانب النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في ذلك اليوم مزايا: أهمُّها

---

(١) هذا الحديث يفيد أنه أفضل الخَلْق بعد نبيِّنا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، ثُمَّ يليه موسىٰ عليهما السلام.

الشَّفاعة العُظْمَىٰ التي يتأخَّر عنها موسىٰ نَفْسُه، ويتقدَّم لها نبيُّنا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، تتلوها شفاعاتٌ منه مقبولة حتىٰ يقول له مالكٌ -خازن النَّار-: «**ما تركتَ لغَضَبِ رَبِّكَ في أُمَّتِكَ مِن بَقِيَّةٍ**»، وحتىٰ يناديه ربُّه: «**أقد رضيتَ يا محمَّدُ؟**» فيقول: «**أي ربِّ رَضِيتُ**»، ثُمَّ تقدمه لباب الجنة يستفتحها، فيقول له خازنها: «**بِكَ أُمِرْتُ ألَّا أَفْتَحَ لأحَدٍ قبلك**».

ثانيهما: أنَّ تلك الأحاديث صدرت من النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قبل أنْ يُعْلِمه الله بأفضليته عنده.

بيان ذلك: أنَّ الله تعالىٰ والىٰ إفضاله علىٰ نبيِّه وقتًا بعد وقتٍ، ولحظةً بعد لحظةٍ، فكان أوَّل ما قال له في الإنذار: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعام: ٩٢]، ثم ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]، ثُمَّ صَرَفَ إليه الجِنَّ وبعثه إليهم أيضًا، ثُمَّ عمَّم بعثته فقال: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، ثُمَّ أسرىٰ به وأراه من آياته ما زاده رفعةً وعُلوًّا، ثُمَّ لما أمره بالجهاد أمر الملائكة بأنْ يجاهدوا معه ويكونوا من جنده.

وهكذا كلَّما مرَّت علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لحظةٌ زاد في نفْسِه فضلًا ونال من مولاه موهبةً، وكلما نزلت عليه آيةٌ أو سورةٌ ازداد بها عِلْمًا وقُرْبًا، فكان علمه بأفضليته علىٰ المخلوقات متأخِّرًا عن صدور تلك الأحاديث منه.

وقد قال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بعدها: «**أنا سيِّد ولَدِ آدمَ**». وقال أيضًا: «**رأيتُ ربِّي** -يعني في المنام- **في أحسن صورةٍ، فقال: يا محمَّدُ، قلتُ: لبَّيك ربِّ**

وسَعْدَيْك، قال: فيمَ يَخْتَصِمُ المَلأُ الأَعْلَى؟ قلتُ: لا أدري يا ربِّ، فوَضَعَ يَدَهُ بين كَتِفَي حتَّى وجدتُ بَرْدَها في صَدْري، فتجلَّى لي كلُّ شيءٍ وعرفت...».

الحديث، وهو صريحٌ في أنَّ الله تجلَّىٰ عليه بصفة العلم، فكشف له عن كلِّ معلومٍ، وبناء عليه يكون أعلم من جبريل عليه السَّلام[1].

ولما شَمَسَ البراقُ حين أراد النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ركوبه ليلة الإسراء قال له جبريل: «**أبمحمَّدٍ تفعل هذا؟! فوالله ما ركبك أحدٌ أكرم على الله منه**»، فارفَّض البراق عرقًا.

وجبريل ركب البراق مع الأنبياء، فهذه شهادة منه بأنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أفضل منه ومن الأنبياء عليهم السلام.

(تنبيه): حديث: «**فعرفت فضل علمه بالله عليَّ**». رواه البزَّار من حديث أنسٍ، وفي محفوظي أنَّ إسناده ليس علىٰ شرط الصَّحيح، وبقيَّة الأحاديث المذكورة كلها صحيحةٌ، وبالله التوفيق.

---

(١) هذا الحديث يرد ما أفاده كلام الغزاليِّ في أواخر كتاب التفكر من "الإحياء" من أعلمية الملائكة المقرَّبين علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، حيث قال -أثناء بيان تفضيل المخلوقات في العلم-: «وكلُّ ما عرفناه قليلٌ نزرٌ حقيرٌ بالإضافة إلىٰ ما عرفه جملة العلماء والأولياء، وما عرفوه قليل نزرٌ حقيرٌ بالإضافة إلىٰ ما عرفه الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام، وما عرفوه قليلٌ بالإضافة إلىٰ ما عرفه محمَّدٌ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وما عرفه الأنبياء كلُّهم قليل بالإضافة إلىٰ ما عرفه الملائكة المقرَّبون كإسرافيل وجبريل وغيرهم».اهـ، وهذا خطأ لا ندري كيف وقع فيه؟! وقد ردَّ عليه القطب الكبير عبد العزيز الدباغ في كتاب "الإبريز".

١- ﴿سورة البقرة﴾

قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: ٢ - ٤] الآية، جعل الله الإيمان بما أنزل إليه شرطًا في حصول التقوى، وركنًا للهداية والفلاح، وقدَّمه على الإيمان بما قبله من الكتب إشعارًا بأنَّ الإيمان به أصل للإيمان بها.

وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ أصحاب النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ﴿قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ يعنونهم، قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٣].

دافع الله عن صحابة نبيِّه عليه الصَّلاة والسَّلام بهذه الجملة المؤكَّدة بعدَّة تأكيدات، ولم يفعل ذلك مع أصحاب نبيٍّ قبله.

انظر إلى قوم نوحٍ عليه السَّلام لما قالوا له: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ يحتقرون أصحابه المؤمنين، أجابهم نوحٌ: ﴿قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١١٢ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ [الشعراء: ١١١ - ١١٣]تُدرِك من هذا أنَّ الله تعالى ما دافع عن أصحاب نبيِّه إلَّا لكرامته عليه.

وقال جلَّ شأنه: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [البقرة: ٩٩]نزلت هذه الآية ردًّا لقول عبدالله بن صوريا -أحد أحبار اليهود- للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «ما جئتنا بشيءٍ».

ونذكر لهذه المناسبة أنَّ الله تعالىٰ تولَّىٰ الدفاع عن نبيِّه فيما وُجِّه إليه مِن تُهمٍ، فما من تهمةٍ أو نقيصةٍ رماه بها المشركون أو اليهود أو النصارىٰ إلَّا ردَّها الله عليهم أبلغ رَدٍّ، بالتأكيد تارةً وبالقَسم أخرىٰ، وبغير ذلك مما يقتضيه فنُّ البلاغة كما نُبيِّنه في مواضعه إنْ شاء الله تعالىٰ.

وفي هذه الآية عِدَّة مؤكِّدات: اللام الموطِّئة للقسم، والتقدير: «والله لقد أنزلنا»، و«قد» التي تفيد التحقيق، ووصف «آيات» بـ«بيِّنات» إشارة إلىٰ أنَّه لا يصح إنكارها لوضوحها، وجملة ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ التي تفيد حصر الكفر بها في اليهود مع وصفهم بالفسق، وهذا مما خَصَّ الله به رسوله عليه الصَّلاة والسَّلام وفضَّله به علىٰ سائر رسله، الذين تُركت لهم مهمَّة الدِّفاع عن أنفسهم فيما اتُّهموا به.

فقال نوحٌ يدافع عن نفسه: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٦١].

وقال هودٌ: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٦٧].

وقال موسىٰ -يردُّ علىٰ فرعون اتهامه بالسِّحر-: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢].

وهكذا بقيَّة الأنبياء عليهم السَّلام، فاحفظ هذه القاعدة التي يتبيَّن بها علوُّ رتبة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وقد قلت في الاستغاثة مشيرًا إليها:

نَبِيٌّ تَوَلَّى اللهُ عَنْهُ دِفاعَهُ ... وخَيَّبَ قَوْمًا قَدْ رَمَوْهُ بجِنَّةِ

وقال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ [البقرة: ١٠٤].

هذه الآية كسابقتها، دافع الله بها عن نبيِّه، ذلك أنَّ الصَّحابة أو الأنصار منهم كانوا في مخاطبتهم للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقولون له: «راعنا»، أي: أصغ إلينا وأرعنا سمعك، فقالها اليهود وأرادوا بها: شتمه بالرُّعونة، وهي الحمق، فنهى الله المؤمنين عن هذه الكلمة وأمرهم باستعمال كلمة «انظرنا» التي لا تحتمل تورية ولا غشًّا، والقصد بهذا حماية مقام النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حتى لا يمس بسوءٍ ولو بطريق التورية والإيهام.

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ مشركوا مكة ﴿لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ ﴾ أنك رسوله ﴿أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞ ﴾ على رسالتك، قال تعالى يُسَلِّي رسوله: ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم ﴾ من كفَّار الأمم السَّابقة لأنبيائهم ﴿مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡ ﴾ من التعنُّت وطلب الآيات ﴿تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ ﴾ في الكفر والعناد ﴿قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾ [البقرة: ١١٨].

ثُمَّ قال تعالى مُؤكِّدًا إثبات رسالة نبيه: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ [البقرة: ١١٩] لم لم يؤمنوا؟

فإنما عليك البلاغ، وقد بلَّغتهم ما كلَّفناك به وعلينا حسابهم، وفي قراءة بجزم فعل «تُسأل» المبني للمعلوم بـ«لا الناهية» ومعناها: لا تسأل عن أصحاب الجحيم ما لهم عندنا من العذاب، فإنَّ عذابهم عندنا شديد لا

يوصف، أو: لا تسأل عن أصحاب الجحيم مُستشفعًا لهم؛ لأنَّ العذاب حقٌّ عليهم بكفرهم.

وجاء في حديثٍ أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**أَلَا ليتَ شِعْرِي ما فَعَلَ أَبَوَاي؟**»، فنزل قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ نهاه عن السؤال عنهما؛ لأنَّهما من أهل النَّار.

وهذا الحديث مرسلٌ ضعيفٌ، وسياق الآية يؤكِّد ضعفه وسقوطه، والأبوان الشَّريفان من أهل الفترة وهم ناجون كما بيَّنته في "خواطر دينية".

وقال تعالى يحكي دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السَّلام وهما يبنيان البيت الحرام: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩]. فأجاب الله دعاءهما بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

وفي الحديث الصحيح عن العِرباض بن سارية قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أَلَا إنِّي عبد الله وخاتَمُ النبيِّين وإنَّ آدمَ لَمُنجَدِلٌ في طِينَتِهِ، وسأُخْبِرُكُمْ عن ذلك: دَعْوَةُ أبي إبراهيم، وبِشَارَةُ عيسى...**» الحديث، وهو الخامس من "الأحاديث المنتقاة".

وهذه الآيات الكريمة تفيد علم إبراهيم وإسماعيل بنبيِّنا وبصفاته؛ لأنَّ الله تعالى أخبرهما به، وأخذ عليهما الميثاق كما أخذه على بقيَّة الأنبياء، وكان دعاؤهما بشارةً به سجَّلاها في صورة توجُّهٍ إلى الله وتضرُّعٍ إليه بتحقيق وعده، ولا يخفى ما في هذا من التنويه بعلوِّ مقامه عليه الصَّلاة والسَّلام.

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ خيارًا عدولًا ﴿لِّتَكُونُوا۟﴾ يوم القيامة ﴿شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ الأمم السَّابقة أنَّ رسلهم بلَّغتهم الدعوة ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة ١٤٣] أنَّه بلَّغكم.

خَصَّ الله الأُمَّة المحمَّدية بهذه الفضيلة إكرامًا لنبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

قال كعبٌ: «أعطى الله هذه الأُمَّة ثلاث خلال لم يُعطَهُنَّ إلَّا نبيٌّ مرسلٌ، كان يقول لكلِّ نبيٍّ: «أنت شاهدي على خلقي»، وقال لهذه الأمة: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وكان يقول: «ما عليك من حرجٍ»، وقال لنا: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ ﴾[المائدة: ٦]، وكان يقول: «ادعني أستجب لك»، وقال لنا: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠].

كان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يتطلَّع إلى السماء ينتظر الوحي مُتمنِّيًا تحويل القبلة إلى الكعبة؛ لأنَّها قبلة أبيه إبراهيم، ولأنَّ التوجُّه إليها أدعى لإسلام العرب، فأنزل الله عليه: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ [البقرة: ١٤٤] الآيات، فأعطاه ما كان يتمنَّاه من غير أنْ يسأله إيَّاه، وهذا من كمال عنايته به وشدَّة رعايته له، ولم يحظَ رسول قبله بمثل هذه العناية.

ثُمَّ أخبر تعالى أنَّ نبيَّه معروفٌ لأهل الكتاب بصفاته ومميِّزاته معرفةً ليس فيها شكٌّ ولا ارتيابٌ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ﴾ محمَّدًا ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ ﴾ نعت محمَّدٍ في كتبهم ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

أنَّ الحقَّ ما كتموه، حملهم على كتمانه: الحقد والحسد.

ثُمَّ قال تعالى مُمتنًّا على المؤمنين بإرسال نبيِّه: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١] وفي هذا تنويهٌ كبيرٌ بقَدْر نبيِّنا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

ثُمَّ قال تعالى: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ بالصدق ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٢] هذه الآية ردٌّ لقول الكفار له: لست مرسلًا، ولذا أكدت بثلاثة مُؤكِّدات: «إن، واللام، وإيرادها جملة إسمية» وهي تدل على الثبوت والاستقرار، أي: إنَّ كونك من المرسلين ثابتٌ مستقرٌّ، وهذا غاية ما يطلب في ردِّ قول المُنكِرين لرسالته عليه الصَّلاة والسَّلام، لكنَّه تعالى زاد على هذا فأثبت أفضليَّته على المرسلين فقال سبحانه: ﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ﴾ الإشارة إلى الرسل المذكورين من أول السورة وهم: نبيُّنا المبدوء به في مفتتحها وآدم وإبراهيم وإسماعيل وموسى وإسحاق ويعقوب وداود وسليمان وعيسى عليهم الصَّلاة والسَّلام ﴿فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ بتخصيصه بمزيَّةٍ ليست لغيره ﴿مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ كموسى بنصِّ القرآن، وآدم بظاهره وصريح الحديث، ﴿وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖ﴾[1] [البقرة: ٢٥٣] هو نبيُّنا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، كنَّى عنه

---

(١) قال الزمخشريُّ: «والظاهر أنه أراد محمَّدًا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؛ لأنه هو المفضَّل عليهم، حيث أوتي ما لم يؤته أحدٌ من الآيات المتكاثرة المرتقية إلى ألف آيةٍ أو أكثر، ولو لم يؤتَ إلَّا القرآن وحده لكفى به فضلًا منيفًا على سائر ما أوتي الأنبياء؛ لأنه المعجزة

بـ﴿بَعۡضَهُمۡ﴾ تفخيمًا لشأنه، وإشارة إلى أنَّه المعروف عند الإبهام لا يُقصد غيره ولا يشار إلى سواه، ونكَّر ﴿دَرَجَٰتٖ﴾ إشارة إلى كثرة ما أُعطي منها كإتيانه القرآن، وتفضيل أُمَّته، وجعل الأرض لهم مسجدًا وطهورًا، ويُسر أحكام دينه وخلوِّها من الحرج، وإرساله رحمةً للعالمين، إلى غير ذلك مما لم يعطَ لنبيٍّ ولا رسول. وعبَّر بـ«رَفَعَ» إشارة إلى رفعة رتبته على بقية الرسل.

وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٧٨ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾ [البقرة: ٢٧٨ - ٢٧٩]، يؤخذ من هذه الآية أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حيٌّ في قبره الشريف يُحارِبُ المرابين بالدعاء عليهم أو بما يناسب حياته البَرْزَخِيَّة، وهذا إلى محاربته لهم في حياته الدُّنيوية، وكما أنَّ الله تعالى حاربهم بمَحْقِ مكاسبهم وإذهاب بركتها، فإن رسوله حاربهم بالدعاء عليهم بذلك.

الباقية على وجه الدَّهر دون سائر المعجزات، وفي هذا الإبهام من تفخيم فضله وإعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على أنه العَلم الذي لا يشتبه والمتميز الذي لا يلتبس، وتجويز أن يُراد به إبراهيم ومحمد وغيرهما من أولي العزم من الرسل بعيدٌ؛ لأنَّ أحدًا منهم لم يؤتَ مثل ما أوتي نبيُّنا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ألا ترى أنَّ الآية خَصَّت الكليم وعيسى بالذكر لما أوتيا من الآيات العظيمة والمعجزات الباهرة؟».

قال الزمخشريُّ: «فلما كان هذان النبيَّان قد أوتيا ما أوتيا من عظام الآيات خُصَّا بالذِّكر في باب التفضيل، وهذا دليلٌ بيِّنٌ أنَّ من زيد تفضيلًا بالآيات منهم فقد فضل على غيره، ولما كان نبيُّنا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم هو الذي أوتي منها ما لم يؤتَ أحدٌ في كثرتها وعظمها، كان هو المشهود له في هذه الآية بإحراز قصبات الفضل من غير مدافع».

وأشرت إلى هذا الاستنباط في الاستغاثة بقولي:

وفي آيَـةِ الرِّبَـا دَلِيـلُ حَيَاتِـهِ دَوَامًـا بـلا ثُنْيَـا إلى يَـوْمِ نَفْخَـةِ

وقوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٥] الآيتين إلى آخر السورة، ادَّخرها الله لنبيِّنا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فأنزلهما من كنزٍ تحت العرش، وصحَّ عنه عليه الصَّلاة والسَّلام: «**أنَّ مَن قرأهما في ليلةٍ كَفَتَاهُ**». وفي "صحيح مسلم" عن أبي هريرة في نزول: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ إلى ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَا﴾ [البقرة:٢٨٥-٢٨٦]«**قال الله: نعم**»، وفيه عن ابن عبَّاسٍ: «**قال الله: قد فعلت**».

قلت: معنى الحديث بروايتيه أنَّه لما نزلت ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وقرأها، قال الله له عند قراءة كلِّ دعاء فيها: «**نعم قد فعلت**»، وهذا دليلٌ على أنَّ الله رفع عن هذه الأُمَّة الحرج والخطأ والنِّسيان إكرامًا لنبيِّها صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وسيأتي قوله تعالى في صفة نبيِّه: ﴿وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الأعراف: ١٥٧] وقال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ اللهَ تجاوزَ لي عن أُمَّتي الخطأ والنِّسْيان والأمرَ يُكْرَهُون عليه**». وهو حديثٌ صحيحٌ بيَّنتُ طُرُقه في تخريج أحاديث "منهاج البيضاوي".

وقال تعالى: ﴿وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡ﴾ [الأحزاب: ٥].

وقال سبحانه: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡ

وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٥].

وكانت الأمم السابقة تؤاخذ بهذه الأشياء تشديدًا عليهم لشَطَطِها في طلب الآيات كما قصَّ الله تعالىٰ عن بني إسرائيل، وأخبر بأنَّ التشديد عليها كان جزاء ذلك الشَّطَط منها، ولم يحصل شيءٌ من ذلك لهذه الأُمَّة والحمد لله.

٢- ﴿سورة آل عمران﴾

قدم وفد نصارىٰ نجران علىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقالوا نراك تسبُّ صاحبنا قال: «مَن هو؟». قالوا: عيسىٰ ابن مريم، تزعم أنَّه عبد الله! قال: «**أجل، إنَّه عبد الله ورسولُه**». قالوا: فهل له مَثَلٌ من الخَلْق خُلِقَ من غير أبٍ؟! فأنزل الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٩ - ٦٠].

ثُمَّ أمره أنْ يُباهِلهم: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [آل عمران: ٦١] بأنَّ نقول: لعن الله الكاذب مِنَّا في شأن عيسىٰ، فطلبهم عليه الصَّلاة والسَّلام للمباهلة، وخرج ومعه عليٌّ وفاطمة والحسن والحسن وقال: «**إذا دعوتُ فأمِّنوا**». فعلم الوفد أنَّه نبيٌّ، وخافوا من مُباهَلَته وصالحوه علىٰ دفع الجِزْية ورجعوا.

هذا نوعٌ من دفاع الله عن نبيِّه وهو تلقينه ما يقول لخصومه ومناظريه، مع أنه أفصح الخلق وأعلمهم بطُرق الحِجاج، وأقواهم علىٰ إفهام الخصم، ولكن الله

تعالىٰ يحب أن يُظهر عنايته بمختلف الأساليب مما يأتي في مواضعه.

زعم اليهود والنصارىٰ أنهم علىٰ دين إبراهيم عليه السَّلام، فردَّ اللهُ تعالىٰ عليهم بقوله: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ ﴾ في زمانه ﴿وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ ﴾ عليه السَّلام ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [آل عمران: ٦٧ - ٦٨] مِن أُمَّته.

ويلاحظ أن الله تعالىٰ ذكر إبراهيم باسمه المُجرَّد، ولم يذكر نبيَّنا كذلك، بل ذكره بوصف النبوة وفي هذا فضيلةٌ عظيمةٌ له صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم نوَّه عنها العلماء كما قال الحافظ السخاويُّ في "القول البديع".

وقال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ ﴾ من الكتاب والحِكْمة، هو النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران: ٨١].

هذا تكريمٌ كبيرٌ من الله لنبيِّه بأخذ الميثاق علىٰ الأنبياء أن يؤمنوا به وينصروه إن ظهر في زمانهم، قال التقي السُّبكيُّ: «ويؤخذ منه أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم نبيُّ الأنبياء»، وقال البوصيريُّ:

فإنَّهُ شَمْسُ فَضْلٍ هُمْ كَوَاكِبُهَا ... يُظْهِرْنَ أَنْوَارَهَا للنَّاسِ في الظُّلَمِ

قلت: ذهب جمعٌ من المُفسِّرين إلىٰ أنَّ معنىٰ الآية: أنَّ اللهَ أخذ الميثاق علىٰ كلِّ نبيٍّ في النبيِّ الذي يأتي بعده، فأخذ العهد علىٰ آدم إن جاء رسولٌ مُصَدِّقٌ لما معه آمن به ونصره، وأخذ العهد علىٰ إدريس ونوحٍ وهودٍ وصالحٍ... وهكذا

إلى عيسى عليهم السلام. وهذا التفسير -وإن قال به سعيد بن جُبيرٍ وطاوس- غلطٌ لا يصح اعتماده، والتفسير الذي ذكرناه أوَّلًا هو الذي لا يجوز غيره.

وبيان ذلك من وجوهٍ:

الأول: أنه لم يرد في آيةٍ ولا في حديثٍ صحيحٍ أنَّ الله تعالى أخذ العهد في شأن نبيٍّ غير نبيِّنا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

الثاني: أنَّ القرآن لم يصف نبيًّا بأنه مُصَدِّقٌ لما بين يديه أو مصدِّقٌ لما مع الأنبياء قبله غير نبيِّنا عليه الصَّلاة والسَّلام، ولم يوصف كتاب بأنه مصدِّقٌ لما بين يديه غير القرآن، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [البقرة: ٨٩]، ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ [البقرة: ٩٧] الآية، ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [البقرة: ١٠١] الآية، ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨] ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الأنعام: ٩٢].

وانظر كيف قال الله تعالى في عيسى عليه السَّلام: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٤٦].

فعيسى الذي جاء مُتمِّمًا لشريعة موسى عليهما السَّلام لم يكن إلَّا مُصَدِّقًا لما بين يديه من التوراة، والإنجيل الذي جاء به كان مصدِّقًا لما بين يديه من التوراة فقط، ولكن التوراة التي جاء عيسى مُتمِّمًا ومُصَدِّقًا لها لم تكن مُصَدِّقة لما أُنزل

على إبراهيم أو لوطٍ أو شعيب عليهم السَّلام لتباين الشَّرائع المُنزَّلة، ولأنَّ تصديق الكتب كلها والهيمنة عليها من خصائص القرآن العظيم.

الثالث: أنَّ بعثة نبيِّنا عليه الصَّلاة والسَّلام عامَّةٌ وشريعته دائمةٌ، فناسب أنْ يُؤخَذ العهد على الأنبياء -إنْ ظهر في زمانهم- أنْ يؤمنوا به وينصروه لعموم دعوته التي تشملهم بخلاف الأنبياء، فقد كان كلُّ واحدٍ منهم يُبعث لقومه خاصَّةً، وربما اجتمع في الوقت الواحد نبيَّان وثلاثة وأكثر، كلُّ نبيٍّ في قريةٍ، كإبراهيم ولوطٍ، ويعقوب ويوسف، وموسى والخَضِر عليهم السَّلام، ولم يثبت أنَّ نبيًّا اتبع غيره وترك قومه أو أمرهم باتباع ذلك النبيِّ، ولولا أنَّ موسى ذهب يطلب الخَضِر ليتعلَّم منه بواطن الأمور التي أوحي بها إليه ما قُدِّر لهما أنْ يجتمعا، فلا يعقل أنْ يؤخذ عهدٌ على نبيٍّ في نبيٍّ آخَر لا يلزمه اتباعه ولا الاجتماع به.

ولا يرد على هذا قول الله تعالى في شأن زكريا: ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[آل عمران: ٣٩]؛ لأنَّ الملائكة لم يُبشِّروه بيحيى مُصَدِّقًا بعيسى باسمه وشخصه كما بشَّرت التوراة والإنجيل بنبيِّنا باسمه ونعته، ولكن مصدِّقًا بكلمةٍ من الله؛ أي: بعيسى من حيث كانت ولادته آيةً كما قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً ﴾ [المؤمنون: ٥٠]، والحِكْمة في ذلك: الرد على النصارى؛ لأنَّه إذا كان يحيى -وهو يوحنا المعمدان عندهم- يؤمن بأنَّ عيسى كلمةٌ من الله، أي: أوجده بكلمة «كن»، كان ادعاؤهم فيه أنَّه ابن الله، أو ثالث ثلاثة باطلاً لا ينبني على أساسٍ.

الرابع: أنَّ الله تعالى أخبر عن كبار الأنبياء أنهم بشَّروا بنبيِّنا صلَّى الله عليه

وآله وسلَّم، وقد تقدَّم دعاء إبراهيم وإسماعيل: ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ ﴾ [البقرة: ١٢٩].

وسيأتي قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

ولم يأتِ هذا في شأن نبيٍّ غيره، ومِن ثَمَّ آمَن به تُبَّع الأكبر وحبيب بن إسرائيل النجار وورقة بن نوفل وغيرهم قبل ظهوره، ولم يؤمن بنبيٍّ أحدٌ إلَّا بعد ظهوره كما قال الزمخشريُّ.

الخامس: أنَّ الله تعالى أمَدَّ نبيَّه بالملائكة يقاتلون معه وينصرونه كما سيأتي، وحيث وجب نصره على الملائكة الذين لم يتعبَّدهم الله بشريعة نبيٍّ قبله لا في قتال ولا في غيره، فمن المعقول جدًّا أنْ يجب نصره على إخوانه الأنبياء.

السادس: أنَّ الله تعالى وصف صحابته في التوراة والإنجيل كما سيأتي في (سورة الفتح)، فبهذه الوجوه -وهي مأخوذةٌ من القرآن- تكون آية الميثاق نصًّا في نبيِّنا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لا تحتمل غيره وقد قلت في الاستغاثة:

وفي آيَةِ المِيثَاقِ عَهْدٌ مُؤَكَّدُ ... مِن الله للرُّسْلِ الكِرَامِ بجُمْلَةِ

وقال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] فُضِّلَت الأُمَّة المحمَّديَّة على غيرها من الأُمَمِ إكرامًا لنبيِّها صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؛ لأنَّ شرف التابع إنما هو لشرف المتبوع.

لما التقى المسلمون والمشركون ببدرٍ ورأى النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم

قِلَّة المسلمين وكثرة عدوِّهم استقبل القِبلة ومدَّ يديه هاتفًا بربِّه: «**اللهمَّ أَنْجِزْ لي ما وَعَدْتَني، اللهمَّ آتني ما وَعَدْتني، اللهمَّ إنْ تُهْلِك هذه العِصَابَةَ لا تُعبَد في الأرضِ**». فأنزل الله تعالى هذه الآيات من هذه السورة وآيات من (سورة الأنفال)، وذكرناها هنا لأنَّ موضوعها واحدٌ.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٢٣] وكان النصر إجابة لدعاء النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ﴾ والمستغيث هو النبيُّ عليه الصَّلاة والسَّلام كما سبق، وعبَّر عنه بصيغة الجمع تعظيمًا. ﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ [الأنفال: ٩] بفتح الدال وكسرها.

ثُمَّ تكرَّم الله تعالى فأمدَّهم بثلاثة آلافٍ، ثُمَّ بخمسة آلافٍ، قال تعالى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَـٰثَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ﴾ يكفيكم ذلك، ثم استأنف ﴿إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٤-١٢٥] بفتح الواو وكسرها، نزل الملائكة وقاتلوا مع الصحابة جنبًا إلى جنب كما قال الله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ [الأنفال: ١٢].

فكان الصحابيُّ يقصد ضرب المشرك فتطير رقبته قبل أن يصل سيفه إليها، سبقه الملك فضربها ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ

فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ١٣].

يؤخَذ من هذه الآيات أمورٌ:

أحدها: أنَّ الله تعالىٰ أمَدَّ نبيه بالملائكة علىٰ ثلاث دفعاتٍ: ألفٍ ثُمَّ ثلاثة آلافٍ ثُمَّ خمسة آلافٍ.

ثانيها: أنَّ الملائكة نزلوا علىٰ صورة رجالٍ يركبون خيلًا وهم مُعَلَّمون بعمائم وغيرها من نوع ما كان الصحابة مُعلَّمين به، وثبت في كتب الصحاح من السُّنَّة والسِّيرة أنهم قاتلوا المشركين فقتلوا بعضهم، وأسروا بعضًا آخَر، وخلصوا بعض الصحابة من القتل أو الأَسْر، وساعدوا بعضهم علىٰ أسر بعض المشركين.

ثالثها: أنَّ الله تعالىٰ أمَدَّ نبيَّه أيضًا بإلقاء الرُّعب في قلوب الكفَّار، وثبت في "صحيح مسلم" من حديث أبي هريرة: «**فُضِّلْتُ على الأنبياءِ بستٍّ: أُعطيتُ جوامَعَ الكَلِمِ، ونُصِرْتُ بالرُّعْبِ، وأُحِلَّت لي الغنائِمُ، وجُعِلتْ لي الأرضُ طَهُورًا ومسجدًا، وأُرسِلْتُ إلى الخَلْقِ كافَّةً، وخُتِمَ بي النبيون**». فهذه الخصال لم تُعطَ لنبيٍّ قبل نبيِّنا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

تنبيهات

(التنبيه الأول): ثبت في "الصحيحين" عن سعد بن أبي وقَّاصٍ رضي الله عنه قال: رأيت عن يمين رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وعن يساره يوم أُحُدٍ رجلين عليهما ثياب بيضٌ يقاتلان عنه كأشدِّ القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد، عنىٰ جبريل وميكائيل عليهما السلام.

قال النوويُّ: «في هذا الحديث بيان كرامة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم

على الله تعالى وإكرامه إياه بإنزال الملائكة تقاتل معه، وبيان أنَّ الملائكة تقاتل وأنَّ قتالهم لم يختص بيوم بدرٍ، وهذا هو الصواب خلافًا لمن زعم اختصاصه، فهذا صريحٌ في الردِّ عليه».اهـ

(التنبيه الثاني): زعم بعض المتحذلقين من المعاصرين أنَّ الإمداد بالملائكة في الآيات المذكورة كنايةً عن الإمداد بقوةٍ رُوحِيَّةٍ وهذا جهلٌ فاضحٌ وإلحادٌ في كتاب الله، وكيف غفل عن الأعداد: ألف، ثلاثة آلاف، خمسة آلاف؟! أم كيف نسي نزولهم مردفين ومُسوِّمين؟! وهل القوة الرُّوحية تقدر بكم أو كيف؟!

ولو صح هذا التأويل الفاسد لاقتضى أنَّ الله تعالى لم يُمِد نبيَّه بقوةٍ روحِيَّةٍ في سائر غزواته كغزوة خيبر وفتح مكة، وهذا باطلٌ، فإنَّ الله تعالى لم يتخلَّ عن نبيِّه لحظةً، بل أمده بالقوة الروحية في غزواته وسائر شئونه.

وبهذا الإمداد الرُّوحي قال لصاحبه في أحرج المواقف وأشدها خطورة: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، وقال لعمِّه حين عرض عليه أن يوافق قومه على ترك الدعوة في مقابلة ما قدموه من مال وغيره: «**أي عمِّ؛ والله لو وَضَعُوا الشمسَ في يميني والقمرَ في شمالي على أن أتركَ هذا الأمرَ ما تركتُه حتَّى يُظْهِرَهُ اللهُ أو أَهْلِكَ دُونَهُ**».

ولكن الله أمدَّه في بدرٍ وأحدٍ بالملائكة إمدادًا حِسِّيًّا صرَّح به الكتاب والسُّنَّة وأخبر به الصحابة الذين شاهدوه ولمسوه، بل اعترف به المشركون أنفسهم فقد صرَّح كثيرٌ منهم بأنهم رأوا رجالاً غير الصحابة يوقعون القتل والأسر فيهم، صرَّحوا بهذا في وقعة بدرٍ وبعدها حين كانوا يتحدَّثون عنها.

يضاف إليه إمدادٌ معنويٌّ صرَّحت به الآية أيضًا، وهو إلقاء الرُّعب في قلوب الكفَّار، وهذا مما فُضِّل به نبيُّنا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على سائر الأنبياء الذين شاركوه في الإمداد الروحيِّ، بل أمدَّ الله به المؤمنين جميعًا كما قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].

(**التنبيه الثالث**): أشار القرآن إلى أنَّ الإمداد بالملائكة لم يقع لأحدٍ غير نبيِّنا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، قال الله تعالى في قصة حبيب النجار: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ [يس: ٢٨] الآية.

قال الزمخشريُّ: «المعنى أنَّ الله كفى أمرهم بصيحة مَلَكٍ، ولم يُنزل لإهلاكهم جندًا من جنود السماء كما فعل يوم بدرٍ والخندق.

فإنْ قلت: وما معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾؟

قلت: معناه: وما كان يصح في حِكْمتنا أنْ ننزل في إهلاك قوم حبيب جندًا من السماء؛ وذلك لأنَّ الله تعالى أجرى هلاك كلِّ قومٍ على بعض الوجوه دون البعض، وما ذلك إلَّا بناءً على ما اقتضته الحِكْمة، ألَا ترى إلى قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ [العنكبوت: ٤٠].

فإن قلتَ: فلِمَ أنزل الجند من السماء يوم بدرٍ والخندق: قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٩] ﴿بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩] ﴿بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٤] ﴿بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٥]؟

قلت: إنما كان يكفي مَلَكٌ واحدٌ، فقد أُهْلِكت مدائن قوم لوطٍ بريشةٍ من جناح جبريل، وبلاد ثمود وقوم صالحٍ بصيحةٍ منه، ولكن الله فضَّل محمدًا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بكلِّ شيءٍ علىٰ كبار الأنبياء وأولي العزم من الرسل فضلاً عن حبيب النجار، وأولاه من أسباب الكرامة والإعزاز ما لم يوله أحدًا، فمن ذلك أنَّه أنزل له جنودًا من السَّماء وكأنَّه أشار بقوله: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ [يس: ٢٨] إلىٰ أنَّ إنزال الجنود من عظائم الأمور التي لا يؤهَّل لها إلَّا مثلك، وما كنا نفعله بغيرك».اهـ

قال المشركون للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: ما نعبد الأصنام إلَّا حبًّا لله ليُقَرِّبونا إليه، وقال نصارىٰ نجران: ما عبدنا عيسىٰ وأُمَّه إلَّا محبَّةً لله، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١] جعل الله اتِّباع نبيِّه سببًا في نيل حُبِّه ومغفرته، وقال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لا يؤمِنُ أَحَدُكُمْ حتَّى يكون هواه تَبَعًا لما جئتُ به**». فمن ادَّعىٰ الإيمان أو محبَّة الله ولم يتَّبع رسوله فهو كاذبٌ في دعواه، ومن أظهر الكذب وأبينه دعوىٰ إمكان الوصول إلىٰ الله بطريق فلسفةٍ أو رياضةٍ أو أي طريقٍ غير الطريق الذي بيَّنته هذه الآية الكريمة.

وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢] يفيد أنَّ طاعة الله ورسوله واحدةٌ؛ لأنَّ رسول الله لا يأمر إلَّا بما يرضي الله.

ونذكر هنا مسألةً استخرجناها من تتبُّع أسلوب القرآن الكريم، وهي أنَّ الله تعالىٰ يقرن كثيرًا ذكر رسوله بذكره، مثل الآية المذكورة.

ومثل: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٧٩].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ [النساء: ٥٩].

﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [النساء: ١٠٠].

﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [المائدة: ٣٣].

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ ﴾ [المائدة: ١٠٤].

﴿ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ١].

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ١٣].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾ [الأنفال: ٢٧].

﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [التوبة: ١].

﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ﴾ [التوبة: ٣].

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ ﴾ [التوبة: ٢٤].

﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ

وَرَسُولُهُۥ ﴾ [التوبة: ٢٩].

﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ ﴾ [التوبة: ٥٤].

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ ﴾ [التوبة: ٥٩].

﴿ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [التوبة: ٧٤].

﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ٦٢].

﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ ﴾ [التوبة: ٦٣].

﴿ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [التوبة: ٦٥].

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ [التوبة: ٧١].

﴿ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [التوبة: ٩٠].

﴿ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ﴾ [التوبة: ٩٤].

﴿ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ﴾ [التوبة: ١٠٧].

﴿ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [النور: ٥٠].

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ

وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٥١].

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ [النور: ٥٢].

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [النور: ٦٢].

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ [الجن: ٢٣].

إلى غير هذا من الآيات التي جاء فيها ذكر الرسول مقترنًا بذكر الله تعالى، وهو تشريفٌ لم ينله أحدٌ غير نبيِّنا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

لما خرج النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى غزوة أُحُدٍ جعل ظهره وعسكره إلى الجبل، ورتَّب الجيش وأجلس فرقةً من الرُّماة بسفح الجبل، وأمَّر عليهم عبدالله بن جبيرٍ، وقال لهم: «**انْضَحُوا عَنَّا بالنَّبلِ لا يأتونا مِن ورائنا، ولا تَبْرَحُوا، غُلِبْنا أو نُصِرْنا**». وكانت الغَلَبة أول الأمر للمسلمين وولَّى المشركون الأدبار فرارًا من القتل، وترك بعض الرُّماة مكانهم بسفح الجبل وجروا خلفهم طمعًا في الغنيمة مخالفين أمر الرسول، فعمل الكفار حركة التفاف من ظهر الجبل وباغتوا المسلمين، فانقلبت الكَرَّة عليهم وانهزموا وفروا والنبيُّ يناديهم: «**إليَّ عبادَ الله إليَّ عبادَ الله**». وتعَجَّبوا كيف ينهزمون وهم مسلمون؟! فأنزل الله يعاتبهم ويبين لهم أنَّ سبب هزيمتهم اختلافهم المُعبَّر عنه بالفشل، وعصيانهم أمر الرسول: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم ﴾ تقتلونهم ﴿بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ﴾ الآيات، إلى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ

يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾.

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ ﴾ عظيمة ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ وضعها في قلبك الكبير ﴿لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ وذهبوا إلى الكفَّار ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ ﴾ تجاوز عما أتوه من مخالفة أمرك ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ لأغفر لهم باستغفارك ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ [آل عمران: ١٥٢-١٥٩] ليقتدي بك المسلمون فيجعلوا الشورى أساس حكمهم ويبنوا عليها نظام مجتمعهم.

وهذه الآية تفيد ثلاثة أشياء:

أحدها: وصف النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالرحمة العظيمة؛ لأنَّ تنكير ﴿رَحْمَةٍ ﴾ يفيد تعظيمها، فهو أرحم الرحماء بعد الله تعالى، ومن أسمائه: «نبي الرحمة» كما ثبت في الحديث.

ثانيها: نفي الفظاظة وغلظ القلب عنه؛ لأنَّهما صفتان لا يليقان إلَّا بالمتكبِّر القاسي، وهو عليه الصَّلاة والسَّلام متواضعٌ يفيض قلبه عطفًا ومودَّةً.

ثالثها: أنَّ الله تعالى وهو صاحب العفو والمغفرة يطلب مِن نبيِّه أنْ يعفو عن أصحابه الذين خالفوا أمره ليغفر هو لهم سبحانه وتعالى، وهذا تكريمٌ لم ينله نبيٌّ ولا رسول قبله.

فُقِدَت قطيفةٌ حمراء من غنائم بدرٍ، فقال بعض المنافقين: لعلَّ النبيَّ أخذها، فأنزل الله تعالى يُبرِّئ نبيَّه من هذه التهمة: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ﴾ [آل عمران: ١٦١]، أي: ما ينبغي لنبيٍّ أن يخون في الغنيمة لعصمته، فلا تظنُّوا به ذلك.

وعلى قراءةٍ ﴿لَا يُغَلُّ﴾، بالبناء للمجهول يكون المعنى: ما ينبغي لنبيٍّ أن

يُنسَب إلى الغلول، والجملة خبرٌ مراد بها النهي، والآية على كلتا القراءتين تفيد دفاع الله عن نبيِّه.

ثُمَّ ارتقى من تنزيهه إلى الامتنان به على المؤمنين فقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

فجعل بعثة نبيِّه مِنَّةً على عباده لما ترتَّب عليها من نعمة الإيمان وتطهيرهم من الآثام وتعليمهم الكتاب والحِكْمة، وهذه -لعمر الله- أفضل النِّعَم وأجلها على الإطلاق.

وقال اليهود للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: إنَّ الله عهد إلينا في التوراة ألَّا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربانٍ يقدمه لله، فإنْ كان صادقًا جاءت نارٌ بيضاء من جهة السماء فأكلته، فإنْ كنت رسولاً فقدِّم قربانًا يدل على صدقك.

فأنزل الله تعالى يرد عليهم: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ﴾ بعد هذه الحجة الدامغة فاصبر ولا تحزن ﴿فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ [آل عمران: ١٨٣ - ١٨٤] وصبروا، فهم أسوتك.

وفي هذا دفاع من الله عن نبيِّه وتسليته عما لحقه من تكذيب اليهود له.

٣- ﴿سورة النساء﴾

نزل في اليهود الذين حرَّفوا نعت النبيِّ في كتبهم وكانوا إذا خاطبوه استعملوا ألفاظًا قصدوا بها سبَّه وإيذاءه؛ قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ قوم ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ﴾ الذي أنزل الله في التوراة من نعت النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ التي وضع عليها ﴿وَيَقُولُونَ﴾ للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إذا أمرهم بشيءٍ ﴿سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك ﴿وَ﴾ يقولون أيضًا إذا خاطبوه ﴿وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ دعاء عليه، أي: اسمع لا سمعتَ ﴿وَ﴾ يقولون له ﴿رَاعِنَا﴾ وهي كلمة سبٍّ في قصدهم، وسبق النهي عن خطابه بها في (سورة البقرة)، ﴿لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ﴾ بالطعن في النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ بدل وعصينا ﴿وَٱسْمَعْ﴾ فقط، ولم يزيدوا: «غير مسمع» ﴿وَٱنظُرْنَا﴾ أي: انظر إلينا بدل «وراعِنا» ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٤٦].

فضح الله اليهود في تحريفهم نعت نبيِّه وفي سبِّهم إياه، وجعل الطعن فيه طعنًا في دين الإسلام والطاعن في الدين كافر، فالطاعن في النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كافرٌ، وعليه إجماع العلماء.

زاد المالكية: ويجب قتله[1] ولو تاب، وتوبته تنفعه يوم القيامة.

---

(١) صح في "سنن أبي داود" و"النَّسائي" عن ابن عبَّاسٍ قال: إنَّ أعمى كانت له أمُّ ولدٍ

ومدركهم أنَّ قتل الطاعن حقٌّ للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فلا تُسْقِطُه التوبة كما لا تسقط حدَّ القذف عن القاذف.

ولهذا كان القاضي الشَّافعي في مصر إذا رُفع إليه شخصٌ طعن في النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يحوِّله علىٰ القاضي المالكي، حكاه الحافظ ابن حجرٍ.

ثُمَّ ذكر الله تعالىٰ في معرض عدِّ قبائح اليهود لعنهم الله ﴿أَمْ﴾ بل ﴿يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ﴾ يعني النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

فهو من العام المراد به الخصوص وأطلق عليه لفظ الناس إشارة إلىٰ أنَّه جمع الكمالات الإنسانيَّة، فهو أُمَّةٌ في فردٍ:

كأنَّـــهُ وهُـــوَ فَـــرْدٌ في جَلَالَتِـــهِ ... في عَسْـــكَرٍ حِـــينَ تَلْقَـــاهُ وفي حَشَـــمِ

﴿عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ من النبوة وكثرة الزوجات ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ جده، كموسىٰ وداود وسليمان ﴿ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ النبوة ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤].

تُكثِر الوقيعة في رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وتشتمه، فقتلها الأعمىٰ، فذُكِر ذلك للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: «أشهَدُ أنَّ دَمَها هَدَرٌ».

وفي "سنن أبي داود" عن الشَّعْبيِّ، عن عليٍّ عليه السَّلام قال: إنَّ يهوديةً كانت تشتم رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وتقع فيه، فخنقها رجلٌ حتىٰ ماتت، فأبطل رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم دمها.

وحكىٰ ابن المنذر الإجماع علىٰ قتل مَن سبَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إلَّا إن تاب، فتوقَّف فيه الشافعية وأوجبه المالكية لما ذكر في الأصل، وانظر الحديث الثامن والثلاثين من كتاب "الأحاديث المنتقاة في فضائل سيدنا رسول الله".

كان داود وسليمان مَلِكَين عظيمين، وفي كتب اليهود أنَّ داود كان له تسعٌ وتسعون امرأةً كملهنَّ مائة بزوجة أوريا التي تزوَّجها بعد قتل زوجها في حربٍ أرسله إليها ثلاث مرات، وأنَّ سليمان كان له ألف امرأةٍ ما بين زوجٍ وسرية، فلِمَ يقولون عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «لو كان نبيًّا لاشتغل عن النِّساء»؟!، مستكثرين عليه تسع زوجاتٍ لم يقصد بزواجهنَّ المتعة، وإنما قصد مصالحَ تعود علىٰ الدعوة بأعظم الفائدة كما يظهر من ظروف كلِّ واحدةٍ منهنَّ.

فقد تزوَّج عائشة رضي الله عنها مكافأةً لوالدها الذي لازمه منذ بدء الدعوة الإسلاميَّة وهاجر معه وكان صاحبه في الغار.

ولهذا المعنىٰ تزوَّج حفصة بنت عمر رضي الله عنهما مع قصد جبر خاطره أيضًا؛ لأنَّه كان عرض زواجها علىٰ عثمان فأبىٰ، وقال له -كما في الحديث-: «**يتزوَّج حفصةَ مَن هو خيرٌ من عثمان**».

وتزوَّج بنت عمَّته زينب بنت جحشٍ بأمر القرآن ليُبطل حكم التبنِّي عمليًّا ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب: ٣٧].

وتزوَّج أُمَّ سلمة وزينب بنت خزيمة رضي الله عنهما لأنَّ زوجيهما استشهدا في أحدٍ ولم يكن لهما عائلٌ يكفلهما بعد زوجيهما.

وتزوج أُمَّ حبيبة رضي الله عنها؛ لأنَّها هاجرت مع زوجها إلىٰ الحبشة وتنصَّر زوجها وبقيت غريبةً وحيدةً، ولو عادت إلىٰ مكة لعذَّبها أهلها وفتنوها عن دينها، مع ملاحظة أنَّها بنت أبي سفيان أحد زعماء المشركين بمكة، ففي الزواج

بها مصلحة لا تخفى.

وتزوَّج صفيَّة رضي الله عنها، لأنَّها تعرَّضت للأسر والهوان بعد أنْ كانت عزيزة في أهلها، إذ كان أبوها وعمها سيِّديّ قومهما وخيَّرها بين أنْ تعود إلى أهلها أو تقعد معه فاختارته وهي إسرائيليَّة وأبوها حُيَيُّ بن أخطب سيد بني قريظة.

وتزوَّج سودة بنت زمعة رضي الله عنها، لأنَّ زوجها -وكان ابن عمِّها- مات عنها بعد عودتها من الحبشة وليس لها عائلٌ، وإذا عادت إلى أهلها فتنوها عن دينها.

وتزوَّج جويرية بنت الحارث رضي الله عنها بعد أنْ سُبيَت في غزوة بني المُصْطَلَق فأكرمها عن الإهانة وأعتقها وكان أبوها سيِّد قومه، وحضَّ النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم المسلمين على إعتاق سباياهم في تلك الغزوة، فأعتقوهم فأسلموا جميعا وحَسُن إسلامهم، فكان زواجها بركةً عليها وعلى قومها.

ويلاحظ أنَّ زوجاته كلَّهنَّ كبيراتٌ ثيِّباتٌ إلَّا عائشة فهي الوحيدة التي كانت صغيرةً عذراء، وكان في إمكانه عليه السَّلام -وقد فتح الله له مكة ودانت له الجزيرة العربية- أنْ يتزوَّج أجمل بنات العرب، ويتخذ ما شاء من الجواري، لكنَّه لم يفعل.

وظلَّ إلى جانب هذا وفيًّا لزوجه الأولى خديجة رضي الله عنها يثني عليها كلما ذكرها، ويواصل صديقاتها وأقاربها وجيرانها ببرِّه وعطفه حتى غارت منها عائشة، ولم ترها، كما قالت عن نفسها، وقالت له مرة: «ما تذكرُ مِن عجوزٍ حمراء الشِّدْقَين قد أبدلك اللهُ خيرًا منها»، فردَّ عليها بغضب: «**لا والله ما أبدلني الله خيرًا منها...**». الحديث.

فليست المسألة حكاية متعة جنسيَّة ولكنها معانٍ إنسانيَّة.

ومن الحِكْمة في تعدُّد زوجاته عليه السَّلام أنْ ينقلن عنه الأحكام الخاصَّة بالنِّساء في الجماع والحيض والنِّفاس وما إلى ذلك.

فليس للمُبشِّرين وأمثالهم من الحاقدين على الإسلام ونبي الإسلام أي حُجَّةٍ في هذه المسألة التي هوَّلوا بها وظنُّوا أنهم أتوا بحُجَّةٍ لا يستطيع المسلمون دفعها، والواقع أنَّها حُجَّةٌ داحِضةٌ يدرك سقوطها بأدنى تأمُّلٍ، والله الموفِّق.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ هم الولاة كالخليفة والقاضي.

أعيد الأمر بطاعة الرسول تنبيهًا على وجوب طاعته فيما يصدر عنه من أوامر ونواهٍ زائدة على ما في القرآن، ولم يُعِد الأمر بطاعة أولي الأمر إشارة إلى أنَّ طاعتهم بالتبعية لطاعة الله ورسوله لا استقلالية، ولهذا عقَّب بقوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ﴾ أمركم به الولاة أو نهوكم عنه مثلًا ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: إلى كتابه ﴿وَٱلرَّسُولِ﴾ أي: سنته ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾، فطاعة أولي الأمر واجبةٌ ما كانت داخلةً في دائرة الكتاب والسُّنَّة، فإنْ خرجت عنهما فلا تجب.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الردُّ إلى الله والرسول ﴿خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩] مآلًا وعاقبةً.

وليس خير وأحسن على بابهما بدليل ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ بل المراد بهما إثبات الخير وحسن العاقبة فيكون مقابلها وهو عدم الرد شرًّا وسيئ العاقبة، وهذه الآية تشمل متعصِّبي المقلِّدين الذين يتركون مقتضى الدليل

لقول أئمَّتهم.

إن قيل: ما الحِكْمة في أنَّ الله تعالىٰ قال في الآية السابقة في (آل عمران): ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ [آل عمران: ٣٢] ولم يقل: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩]؟

قلت: خاطب الله بهذه الآية المشركين من أهل الكتاب وغيرهم الذين قالوا: ما نعبد المسيح أو عزيرًا أو الأصنام إلَّا حبًّا لله وتقرُّبًا إليه، فقال الله لنبيِّه: قل لهم أطيعوا الله والرسول فيما يأمركم به من التوحيد، ولا شك أنَّه مصرَّحٌ به في القرآن مقرَّر بدلائله المتنوعة، فالنبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حين يأمر به لم يأمر إلَّا بما أثبته القرآن العظيم وفصل دلائله، ولذا عقَّب بقوله تعالىٰ: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ عن التوحيد ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢].

أمَّا الخطاب هنا فهو موجَّهٌ إلىٰ المؤمنين فيما يختص بالأحكام والعبادات والمعاملات التي يقتضيها مجتمعهم زيادة علىٰ التوحيد الذي أقرُّوا به واطمأنت إليه قلوبهم، والسُّنَّة أتت فيها بأشياء ليست في القرآن فأوجب الله اتباعها، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾ أي: المنافقين الذين نزلت فيهم الآية -وإنْ كان اللفظ عامًّا يشمل غيرهم أيضًا حسب القاعدة المقرَّرة- ﴿إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾ فيه التفات عن الخطاب تعظيمًا له وتفخيمًا لشأنه وتنويهًا بمقامه ﴿لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤].

فاستغفار الرسول لهم سببٌ في توبة الله عليهم ورحمته بهم، ويؤخذ منه أنَّ طلبه مقبولٌ عند الله تعالىٰ وشفاعته لا ترد.

قال البيضاويُّ: «وإنما عدل عن الخطاب ولم يقل: «واستغفرت لهم»؛ لأنَّ القياس يقتضي هذا لقوله: ﴿جَآءُوكَ﴾ تفخيمًا لشأنه وتنبيهًا على أنَّ مِن حقِّ الرسول أن يقبل اعتذار التائب وإن عظم جرمه ويشفع له، ومن منصبه أن يشفع في كبائر الذنوب».

قلت: ولهذا صح عن أنسٍ وغيره من طُرُقٍ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنَّه قال: «**شفاعتي لأهل الكبائر مِن أُمَّتي**».

وقال سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: المنافقون وغيرهم ﴿حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥] ينقادوا انقيادًا مطلقًا لا معارضة فيه.

ويؤخذ منه أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لا يُخطئ، وإلَّا لما وجب التسليم لحُكْمه تسليمًا مطلقًا، فالآية تردُّ قول الذين شذُّوا بتجويز الخطأ عليه.

وأشار التاج السُّبكيُّ في "جمع الجوامع" إلى ردِّ هذا القول الشاذِّ بقوله: «والصَّواب أنَّ اجتهاده عليه السَّلام لا يُخطئ».

هذا وللعارف الكبير التاج أبي العباس أحمد بن عطاء الله السكندري في كتاب "التنوير" كلام على هذه الآية أحببنا أنْ ننقله لفائدته:

قال: «ثم إنه سبحانه لم يكتف بنفي الإيمان عمن لم يُحكِّم، أو حكَّم ووجد الحرج في نفسه، حتى أقسم على ذلك بالربوبيَّة الخاصَّة برسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رأفةً وعنايةً وتخصيصًا ورعايةً لأنَّه لم يقل: «فلا والربِّ» وإنَّما قال: ﴿وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الآية، ففي ذلك تأكيدٌ في القسم وفي المُقسَم عليه إظهارًا

لعنايته برسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، إذ جعل حكمه حكمه، وقضاءه قضاءه، فأوجب على العباد الاستسلام لحكمه والانقياد لأمره، ولم يقبل منهم الإيمان بألوهيَّته حتى يذعنوا لأحكام رسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وفي الآية دلالةٌ أخرى لعِظَم قدره وتفخيم أمره صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وهي قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ ﴾ فأضاف نفسه إليه كما قال في الآية الأخرى: ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾ [مريم: ١ - ٢]، فأضاف الحقُّ سبحانه وتعالى اسمه إلى محمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وأضاف زكريا إليه ليعلم العباد الفرق ما بين المنزلتين، والتفاوت ما بين المرتبتين.

ثُمَّ إنَّه تعالى لم يكتفِ بالتحكيم الظاهر فيكونوا به مؤمنين، بل اشترط فقدان الحرج وهو الضيق في نفوسهم من أحكامه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم سواء كان الحكم بما يوافق أهواءهم أو يخالفها».

وقال أيضًا: «اعلم أنَّ الأحوال ثلاثةٌ: قبل التحكيم، وفيه، وبعده، فأما قبل التحكيم فعبوديتهم التحكيم، وأمَّا في الحكم وبعده فعبوديتهم عدم وجدان الحرج في أمورهم.

فإن قلت: إنَّ ذلك لازمٌ من قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ ﴾.

قيل: ليس كلُّ مَن حكَّم فَقَد الحرج عنه، إذ قد يحكِّم ظاهرًا والكراهة عنده موجودة، فلا بد أن ينضمَّ إلى التحكيم فقدان الحرج ووجود التسليم.

فإن قال قائل: إذا لم يجدوا الحرج فقد سلَّموا تسليمًا، فما فائدة الإتيان بقوله: ﴿وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾ بعد نفي الحرج المستلزم لقبول التسليم الذي ممن

صفته ووجود التأكيد؟

فالجواب: أنَّ قوله تعالىٰ: ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ أي: في جميع أمورهم.

فإنْ قلت: إنَّ ذلك لازمٌ من قوله: ﴿حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾؟

فالجواب: أنَّ التحكيم ما أطلقه بل قيده بقوله تعالىٰ: ﴿فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ فصارت الآية تتضمن ثلاثة أمور:

أحدها: التحكيم فيما اختلفوا فيه.

الثاني: عدم وجدان الحرج في التحكيم.

الثالث: وجود التسليم المطلق فيما شجر بينهم وفيما نزل بينهم في أنفسهم فهو عامٌّ بعد خاصٍّ فافهم.

ثُمَّ أخبر الله تعالىٰ بعموم رسالة نبيه فقال: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ [النساء: ٧٩]، وستأتي آياتٌ كثيرةٌ بهذا المعنىٰ.

وقوله سبحانه: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٩] علىٰ رسالتك ردٌّ علىٰ اليهود والمشركين الذين أنكروا رسالته، ثُمَّ رتَّب علىٰ ما تقدَّم ترتيب النتيجة علىٰ المقدِّمة قوله تعالىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ﴾ في كلِّ ما أمر به أو نهىٰ عنه ﴿فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ فطاعة الرسول طاعة الله، ثُمَّ أنذر المُعرضين عن طاعته فقال: ﴿وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٨٠] بل نحن نتولَّىٰ عقابهم.

ويلاحظ من هذه الآية وما في معناها أنَّ الله تعالىٰ حضَّ تارةً علىٰ طاعة رسوله ورغَّب فيها وجعلها طاعته، وتارةً أمر بها إلىٰ جانب الأمر بطاعته، ولم

يفعل هذا مع الأنبياء قبله عليهم الصَّلاة والسَّلام، فقد قال نوحٌ وهودٌ وصالحٌ ولوطٌ وشعيبٌ وعيسىٰ لقومهم: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء: ١٠٨] والسِّرُّ في ذلك أنَّ الله سبحانه وتعالىٰ لما تولَّىٰ الدِّفاع عنه حسبما بينَّاه في (سورة البقرة)، تولَّىٰ توجيه الأمر بطاعته والحضِّ عليها، وحيث ترك للأنبياء مهمَّة الدِّفاع عن أنفسهم ترك لهم توجيه الأمر بطاعتهم، وبين المقامين بونٌ شاسِعٌ.

(تنبيه): الخطاب في الآية السابقة علىٰ هذه وهي قوله تعالىٰ: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩] موجَّهٌ إلىٰ الإنسان من حيث هو، وقيل: الخطاب موجَّهٌ إلىٰ الرسول والمراد أفراد أُمَّته، وهذا كقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الطلاق: ١].

والمراد بالحسنة النِّعمة وبالسيئة النِّقمة، ومعنىٰ الآية: أنَّ النِّعمة تصيب الإنسان بفضل الله، والنِّقمة تصيبه بشؤم معاصيه، وفي الحديث الصحيح: «**إنَّ الرَّجُلَ ليُحْرَم الرِّزْقَ بالذَّنْبِ يُصِيبُهُ**».

وقال تعالىٰ: يخاطب رسوله: ﴿فَقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ [النساء: ٨٤] ولا يهمك تخلُّف المنافقين وغيرهم، وقد عُدَّ مِن خصائصه عليه الصَّلاة والسَّلام -أخذًا من هذه الآية ومن حديث صحيحٍ- أنه إذا همَّ بحربٍ ولبس لأْمَتَهُ فلا يرجع حتىٰ يحكم الله بينه وبين عدوِّه، وقاتل ولو كان وحده؛ لأنه موعودٌ بالنصر.

وسرق أنصاري اسمه طعمة بن أبيرق -وكان منافقًا- من بيت جاره قتادة درعًا ودقيقًا فطبخ الدقيق وخبَّأ الدرع عند يهوديٍّ اسمه زيد بن السمين،

ووجدت الدرع عنده فقال: «أودعها طعمة عندي»، فأنكر وحلف ما سرقها وأشهد أهله وحلفوا معه.

فهمَّ النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بقطع اليهودي؛ لأنَّ الدِّرع وجدت عنده وشهد طعمة وأهله ضده، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ﴾ طعمة وأهله ﴿خَصِيمٗا﴾ [النساء: ١٠٥] مخاصمًا عنهم.

ولو أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حكم على اليهوديِّ لما كان عليه من حرجٍ في ذلك لوجود الدليل والقرينة كما سبق، ولكن الله لا يرضى لنبيِّه إلَّا أنْ يكون حُكْمُهُ مطابقًا للواقع ونفس الأمر ظاهرًا وباطنًا، فنبَّهه بهذه الآية إلى حقيقة ما وقع.

ومن هنا تعلم بُطلان ما زعمه بعض الشذَّاذ من أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قد يخطئ وأنَّ الله يُنبِّهه بعد وقوع الخطأ حيث نجده هنا يُنبِّهه قبل صدور الحكم، فبان بطلان ما زعموه، ﴿وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ﴾ مما هممت به ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء: ١٠٦].

وإذا كان الله يأمره بالاستغفار من الهمِّ مع أنه غير مؤاخذٍ به، فكيف يتركه يخطئ؟!

فإن قيل: ما الحِكْمة في أمره بالاستغفار من الهمِّ؟

فالجواب: أنَّ الحكمة فيه بيان حفظه من الخطأ حتى في الهمِّ الذي لا يؤاخَذ به، ولهذا عدَّ العلماء من السُّنَّة همَّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالشيء، وقالوا: سُنَّ صيام تاسوعاء بجانب عاشوراء، لأنَّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم همَّ بصيامه

وتوفِّي قبل مجيئه، وعرَّفوا السُّنَّة بأنَّها أقوال النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وأفعاله وتقريره وهمُّه بالشيء.

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ ﴾ من المنافقين ﴿أَن يُضِلُّوكَ ﴾ عن القضاء بالحقِّ في هذه القضية لكنهم لم يضلُّوك لفضل الله عليك وعصمته إياك ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ﴾ لو فرض أنَّهم أضلوك بشهادة الزُّور وحلفهم كذبًا ﴿وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ﴾ لأنَّك حكمت بما سمعتَ من الشهود مع وجود الدرع عند اليهوديِّ، وهذا تأكيدٌ لبراءته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من الخطأ في الحُكْم، ولو حاول المنافقون إيقاعه فيه ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ ما فيه من الأحكام أو المراد بها السُّنَّة ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾ من الأحكام والغيوب والحقائق ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ ﴾ بما ذُكر وغيره ﴿عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٣] لا يعلم قَدْرَه إلَّا واهِبُهُ لك، وفي هذا تنويهٌ كبيرٌ بمقامه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

تنبيهات

(التنبيه الأول): قوله تعالى: ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾ [النساء: ١٠٥] أخذ منه العلماء جواز الاجتهاد له صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وقال عمر رضي الله عنه: «لا يقولنَّ أحدكم: قضيتُ بما أراني الله، فإنَّ الله لم يجعل ذلك إلَّا لنبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ولكن ليجتهد رأيه، لأنَّ الرأي من رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان مصيبًا؛ لأنَّ الله تعالى كان يريه إياه، وإنَّ رأي

أحدنا يكون ظنًّا ولا يكون علمًا»، هذا الكلام صريحٌ فيما قرَّرنا من أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لا يُخطئ في اجتهاده.

(التنبيه الثاني): قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٠٦] أبعد من أخذ منه وقوع الذنب منه عليه السَّلام لأنَّ الهمَّ غير مؤاخذٍ به بالنصِّ والإجماع، والاستغفار ليس خاصًّا بالذنوب بل له حِكَم كثيرة منها ما بينَّا فيما سبق، ومنها استدرار الرِّزق لقوله تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ [نوح: ١٠ - ١١] الآية[1]، ومنها: تفريج الهموم لقوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن أَكْثَرَ مِن الاسْتِغْفارِ جَعَلَ اللهُ لَهُ مِن كلِّ هَمٍّ فرجًا، ومِن كلِّ ضِيقٍ مخرجًا، ورَزَقَهُ مِن حيثُ لا يَحْتَسِب**».

قال الزمخشريُّ في (سورة النصر): «والأمر بالاستغفار مع التسبيح تكميلٌ للأمر بما هو قوام أمر الدين من الجمع بين الطاعة والاحتراس من المعصية، وليكون أمره بذلك مع عصمته لطفًا لأمته، ولأنَّ الاستغفار من التواضع لله وهضم النفس، فهو عبادةٌ في نفسه».اهـ[2]

---

(١) عن الحسن البصريِّ أنَّ رجلًا شكى إليه الجدب، فقال: استغفر الله، وشكى إليه آخر الفقر، وآخر قِلَّة النسل، وآخَر قِلَّة ريع أرضه فأمرهم كلهم بالاستغفار، فقال له الربيع بن صبيح: أتاك رجالٌ يشكون أبوابًا ويسألون أنواعًا فأمرتهم كلهم بالاستغفار؟!، فتلى عليه ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح: ١٠ - ١٢].

(٢) وقال أيضًا في تفسير قوله تعالى: ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى

الثالث: مما استنبطته مِن تَتَبُّع أسلوب القرآن الكريم أنَّ الله تعالىٰ إذا أسند إليه تعليم شخص مُعيَّن، كان ذلك دليلًا علىٰ نبوته مثل: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء: ١١٣].

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١].

﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٥١].

﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [آل عمران: ٤٨].

﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [المائدة: ١١٠].

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ٢١]. ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ [الأنبياء: ٨٠].

ومن هنا كان قوله تعالىٰ في (سورة الكهف): ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥] دليلًا علىٰ نبوة

فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٩٣ - ٩٤].

فإن قلت: كيف يجوز أن يجعل الله نبيه المعصوم مع الظالمين حتىٰ يطلب ألا يجعله معهم؟!

قلت: يجوز أن يسأل العبد ربَّه ما علم أنه يفعله، وأن يستعيذ به مما علم أنه لا يفعله إظهارًا للعبودية وتواضعًا لربِّه وإخباتًا له، واستغفاره صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إذا قام من مجلسه سبعين مرَّةً أو مائة مرَّةٍ لذلك، وما أحسن قول الحسن -في قول أبي بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنهما: «وُلِّيتكم ولست بخيركم»-: «كان يعلم أنه خيرهم ولكن المؤمن يهضم نفسه».

الخَضِر عليه السَّلام، يضاف إلى الأدلة التي ذكرتها في "خواطر دينية".

وقال مشركوا مكة للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «إنا سألنا اليهود عنك وعن صفتك في كتابهم فزعموا أنهم لا يعرفونك»، فأنزل الله تعالى ردًّا عليهم: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦]، وهذا من جملة دفاع الله عن نبيه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

ثُمَّ توعد الله اليهود الذين أنكروا نبوته فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وهم اليهود ﴿وَصَدُّوا۟﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وهو الإسلام بقولهم للمشركين: أنتم أهدى سبيلًا من محمَّدٍ ﴿قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وهم اليهود أيضًا ﴿وَظَلَمُوا۟﴾ النبيَّ بكتم نعته الموجود في كتابهم ﴿لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: ١٦٧- ١٦٩] هيِّنًا، أوجب لهم التأبيد في النار، وهذا يدلك على مقدار حبِّ الله لنبيِّه ورعايته له.

٤- ﴿سورة المائدة﴾

نزلت في حَجَّة الوداع والنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم واقفٌ بعرفة قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

في هذا تشريفٌ للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حيث صرَّح الله تعالى بأنه أكمل له ولأُمَّته دينه، ورضي لهم الإسلام دينًا، ولهذا قال بعض أحبار اليهود

لعمر رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين، نزلت عليكم آيةٌ لو نزلت فينا معشر اليهود لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا، قال عمر: وما هي؟ فذكر هذه الآية، قال عمر: فإنها نزلت يوم الجمعة بعرفة، يعني وهو يوم عيد عند المسلمين، ومثل هذه الآية قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩].

فهذه الآية الكريمة تفيد بطلان كل دينٍ غير دين الإسلام الذي بعث الله به نبيَّه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، ولهذا صرَّح في آياتٍ أخرىٰ بأنَّ مُتَّبع غيره خاسرٌ فقال تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وهذا يفيد عموم بعثة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وأنَّ دينه ناسخٌ لجميع الأديان، فالذين يعتقدون إمكان دخول الكتابيِّ الجنة أو أنَّ عمله الصالح سينفعه يوم القيامة خاطئون بهذا الاعتقاد لمخالفتهم صريح القرآن وانحرافهم عن الدين.

وقال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ وهم اليهود والنصارىٰ ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا ﴾ محمد صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وأضافه إليه تشريفًا ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ التوراة والإنجيل كحكم الرجم وغيره ﴿وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ [المائدة: ١٥] لا يُبيِّنه لعدم تعلق المصلحة ببيانه كبعض الأخبار المحرَّفة.

وقد قسَّم العلماء ما في كتب اليهود والنصارىٰ إلىٰ ثلاثة أقسام:

١ - قسم دلَّ القرآن أو السُّنَّة علىٰ صحَّته فهو مقبولٌ.

٢- وقسم أفاد القرآن أو السُّنَّة عدم صحَّته فهو مردودٌ.

٣- وقسم لم نجد في القرآن أو السُّنَّة ما يؤيِّده أو يردُّه فهذا لا نجزم فيه بقبول ولا ردٍّ، عملًا بقوله عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لا تُصَدِّقُوا أهلِ الكِتابِ ولا تُكَذِّبوهُم، وقولوا: آمَنَّا بالذي أُنزل إلينا وأُنزل إليكم**».

قالوا: غير أنَّه إذا كان في باب المواعظ وترقيق القلوب فلا بأس به؛ لأنَّ عمر رضي الله عنه كان يستمع إلى ما ينقله كعب الأحبار مِن الرَّقائق، بل كان يدعوه أحيانًا إلى ذلك بقوله: خَوِّفنا ياكعبُ.

وممَّا لا يضر نقله عنهم تعيين بعض الأسماء المبهمة في القرآن كتعيين ملكة سبأ بأنَّها بلقيس، والذي عنده علم من الكتاب بأنَّه آصف بن برخيا، ونحو هذا مما لا يمس العقيدة ولا يتعلَّق بشيءٍ من الأحكام.

﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ﴾ هو النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؛ لأنَّه ينور العقل والبصائر، والنور من أسماء الله تعالى سمَّى به نبيَّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ﴿وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ هو القرآن الكريم ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ الكفر والجهل ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ الإيمان والعلم ﴿بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥-١٦] دين الإسلام، وفي هذا تشريفٌ كبيرٌ لنبيِّنا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ محمَّدٌ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، والإضافة للتشريف كما سبق ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن﴾ لا

﴿تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ [المائدة: ١٩] فسمَّىٰ نبيَّه بشيرًا ونذيرًا، وستأتي أسماء كثيرة له، وكثرة الأسماء تدل علىٰ شرف المسمَّىٰ ونباهة قدره، إذ كل اسمٍ منها يُنبئ عن ناحيةٍ من نواحي العَظَمَةِ فيه.

وقال جلَّ شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡ﴾ [المائدة: ٤١] وهم المنافقون، وفي هذا تسلية للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن مسارعة المنافقين إلىٰ إظهار الكفر الذي يُبطنونه كلما وجدوا فرصةً لإظهاره.

وهنا فائدةٌ ينبغي أن نُنبِّه إليها وهي أنَّ الله تعالىٰ لم يناد رسولَه إلَّا باللقب المُشْعِر بالتعظيم نحو: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ [المائدة: ٤١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾ [المزمل: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر: ١].

ونادىٰ غيره من الأنبياء بأسمائهم المجردة ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]، ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَ﴾ [هود: ٤٦]، ﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآ﴾ [هود: ٧٦]، ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ وَلَا تَخَفۡ﴾ [القصص: ٣١]، ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [ص: ٢٦]، ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖ﴾ [مريم: ١٢]، ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ [آل عمران: ٥٥].

ومن هنا يتبيَّن علوُّ رتبته علىٰ جميع الأنبياء، وقد أشرت إلىٰ هذا في الاستغاثة بقولي:

أَجَلَّ إِلَهُ العَرْشِ قَدْرَ نَبِيِّهِ ... فعَظَّمَهُ عِنْدَ النِّدَاءِ بِكُنْيَةِ

وقال الزمخشريُّ في أول (سورة الأحزاب): «جعل نداءه بالنبيِّ والرسول في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ [التحريم: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٦٧].

وترك نداءه باسمه، كما قال: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ﴾، ﴿يَٰمُوسَىٰٓ﴾، ﴿يَٰعِيسَىٰٓ﴾، ﴿يَٰدَاوُۥدُ﴾ كرامة له وتشريفًا وربئًا بمحلِّه وتنويهًا بفضله.

فإن قلت: إن لم يوقع اسمه في النداء فقد أوقعه في الإخبار في قوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩] ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

قلت: ذاك لتعليم الناس بأنه رسول الله وتلقين لهم أن يسموه بذلك ويدعوه به، فلا تفاوت بين النداء والإخبار، ألا ترى إلى ما لم يقصد به التعليم والتلقين من الإخبار كيف ذكره بنحو ما ذكره في النداء: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]، ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ﴾ [الفرقان: ٣٠]، ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢]، ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ﴾ [المائدة: ٨١]». اهـ

وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] فلا يصلون إلى قتلك، وكان صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يُحرَس قبل نزول الآية احتياطًا.

قالت عائشة رضي الله عنها: سهر رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في مَقْدمه المدينة ليلة فقال: «**ليتَ رَجُلًا صالحًا مِن أصحابي يَحْرُسُني الليلةَ**».

قالت: فبينما نحن كذلك، سمعنا خَشْخَشَةَ السِّلاح، قال: «**مَن هذا؟**»، قال: سعد بن أبي وقَّاصٍ، قال «**ما جاءَ بك؟**»، قال: وقع في نفسي خوفٌ علىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فجئتُ أحرسه، فدعا له رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ونام حتَّىٰ سمعتُ غَطِيطَهُ، ثُمَّ نزلت هذه الآية، فأخرج رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم رأسه مِن قبة أدم وقال: «**انصرفوا أيها النَّاسُ؛ فقد عَصَمَنِي اللهُ**».

تنبيهات

(**التنبيه الأول**): عبَّر الله تعالىٰ بقوله ﴿يَعْصِمُكَ﴾ ولم يقل: يحفظك أو يقيك أو يُسلِّمك مع أنَّ معناها متقاربٌ أو واحدٌ؛ لأنَّ العصمة تناسب مقام النبوة، فيؤخذ منه مراعاة الأدب في جانب النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، ووجوب اختيار الألفاظ اللائقة بمقامه الكريم.

(**التنبيه الثاني**): أخبرني الشيخ حمدي أصلان جافا الألباني، وهو من العلماء الذين تلقوا عنِّي في التفسير والأصول، أنه قرأ لمستشرق ألماني- ذَكَرَ اسمه- أنه قال: «تَرْكُ محمَّدٍ للحراسة مع تخوُّفه من المشركين واليهود اعتمادًا علىٰ هذه الآية دليلٌ علىٰ صدقه».

قلت: هذه ملاحظة معقولة، وقال سبحانه: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟﴾ عصيانهما، وأُعيد الأمر بطاعة الرسول لما بيَّنَّاه في (سورة النساء)،

﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوٓا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٢] وجزاؤكم علينا.

شهد الله لرسوله[1] بالبلاغ المبين، وتكرَّرت هذه الشهادة في غير آيةٍ، ومن هنا لم يكن في حاجةٍ إلى من يشهد له يوم القيامة بالبلاغ، بل هو صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يشهد على أُمَّته كما سبق في قوله تعالى: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

وهذا -أي عدم احتياجه إلى من يشهد له- من خصوصياته عليه الصَّلاة والسَّلام.

---

(١) ومثل هذه الشهادة قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ [الذاريات: ٥٤] حيث أباح لنبيِّه الإعراض عن المشركين وأخبر أنه غير مَلُومٍ في إعراضه عنهم، وما ذاك إلَّا لأنه أدَّى لهم الرسالة وبذل معهم غاية الجهد، بحيث أنهم اعترفوا بذلك في قولهم: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ [الفرقان: ٤١ - ٤٢].

قال الزمخشريُّ: «قولهم: «إن كاد ليضلنا» دليلٌ على فرط مجاهدة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في دعوتهم، وبذل قصارى الوسع والطاقة في استعطافهم، مع عرض الآيات والمعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم أن يتركوا دينهم إلى دين الإسلام لولا فرط لجاجهم».اهـ

ويونس عليه السَّلام حين تولَّى عن قومه عاتبه الله بما قصَّه في كتابه.

٥- ﴿سورة الأنعام﴾

قال المشركون للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: ائت بمن يشهد لك، فإنَّ أهل الكتاب أنكروك، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ﴾ إن لم يجيبوا، لا جواب غيره، هو ﴿شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ علىٰ صِدقي.

وهذا من دلائل عناية الله بنبيِّه في ردِّ ما يورده عليه المشركون وأهل الكتاب، وقد نبَّهنا علىٰ هذا فيما سبق ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ﴾ معشر العرب ﴿وَمَن بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩] أي: بلغه القرآن من الإنس والجنِّ، وهذا تصريحٌ بعموم نذارته للثقلين.

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ﴾ محمَّدًا باسمه ونعته ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ﴾ فلا ينكرونه ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ منهم، حيث أوجبوا لها الخلود في النار بإنكاره ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ به [الأنعام: ٢٠].

والآية تسجل الخسران علىٰ منكر النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ولو كان مؤمنًا بموسىٰ وعيسىٰ عليهما السَّلام في ادعائه؛ لأنَّ تكذيبه تكذيب لهما، ثُمَّ أخذ يُسَلِّيه عن تكذيبهم له فقال سبحانه: ﴿قَدْ﴾(١) للتحقيق ﴿نَعْلَمُ إِنَّهُ

---

(١) قال الزمخشري: «قد» بمعنىٰ: «ربما» الذي يجيء لزيادة الفعل وكثرته كقوله:

أَخِي ثِقَةٍ لا تُهْلِكُ الخَمْرُ مَالَهُ ... ولكِنَّهُ قد يُهْلِكُ المالَ نَائِلُه

أي ولكنه كثيرًا يهلك المال نائله أي عطاؤه، وهذا من لطائف اللغة العربية وهو

لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ﴾ من تكذيبك وشتمك ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ ﴾ في الباطن لعلمهم بصِدْقك وقد كانوا يسمونك الأمين ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أظهر في موضع الإضمار تصويرًا لبشاعة كفرهم ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ عنادًا ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ﴾ هذا من جملة تسليته عليه الصَّلاة والسَّلام ﴿فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ﴾ فأهلكنا مُكَذِّبيهم، فاصبر مثلهم فسيأتيك نصرنا ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ ما فيه تثبيت قلبك ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ ﴾ عَظُمَ ﴿عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ تدخل فيه ﴿أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ تصعد عليه ﴿فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ﴾ مما اقترحوا عليك ليسلموا فإنك لا تستطيع ذلك، فاصبر حتى ينصرك الله ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ هدايتهم ﴿لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ لكنه لم يشأ هدايتهم ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ بذلك [الأنعام: ٣٣ - ٣٥].

والنهي عن الشيء لا يستلزم وقوعه، فالنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لم

التعبير عن المعنى بما يُشعر بعكسه تنبيهًا على أنه بلغ الغاية التي ما بعدها إلا الرجوع إلى الضد، ومثل «قد» في هذه الآية في إفادة التكثير «قد» في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ﴾ [النحل: ١٠٣]، ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ﴾ [النور: ٦٣]، ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ ﴾ [النور: ٦٤]، ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ ﴾ [الأحزاب: ١٨]، وفي قول موسى لقومه: ﴿وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ﴾ [الصف: ٥].

يكن قطُّ جاهلًا بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا يجوز عليه الجهل بذلك، وصحَّ عنه عليه الصَّلاة والسَّلام قوله: «**مَن قال حين يُصبِحُ أو يُمْسِي: ما شاء اللهُ كان وما لم يَشَأْ لم يَكُنْ، أَعْلَمُ أنَّ اللهَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ، وأنَّ الله قد أحاطَ بكلِّ شيءٍ علمًا. لم يُصِبْهُ بلاءٌ**».

وإنما المراد بالنهي عنه الأمر باستدامة ضده، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [القصص: ٨٨]، أي: دُمْ على ما أنت عليه في التوحيد.

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تفهُّم فيستجيبون للإيمان ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ﴾ عني بهم الكفار لعدم سماعهم القرآن ﴿يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ فيعاقبهم على تكذيبهم ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي: الكفار ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ كالناقة والعصا ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً﴾ مما اقترحتموها ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٣٦ – ٣٧]. أن نزولها بلاء، ووباله عليهم لوجوب إهلاكهم إن لم يؤمنوا كما حصل للأمم قبلهم، ولكن الله تعالى حكم ببقاء هذه الأُمَّة إلى يوم القيامة.

وهذا مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ﴾ التي اقترحها كفار مكة ﴿إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الإسراء: ٥٩] حين أرسلنا بها وفق طلبهم فأهلكناهم.

ولو أرسلناها إلى هؤلاء وكذَّبوا بها لحقَّ عليهم الهلاك، لكنَّا حَكَمْنا بإمهالهم لإتمام أمر محمَّدٍ وبقاء شريعته وأُمَّته.

مع أنَّ القرآن آيةٌ كبرىٰ ومُعجِزَةٌ عُظْمَىٰ أعجز الجنَّ والإنس أن يأتوا بمثله ولا ببعض ما فيه، ولهذا قال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ما مِن نبيٍّ إلَّا أُوتي ما على مِثْلِهِ آمَن البَشَر، وكان الذي أوتيته وَحْيًا أَوْحَاهُ الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يومَ القِيامَةِ**»(١).

وهذا لايمنع أن يكون له صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم معجزاتٌ ماديَّةٌ اقتضاها الحال واستدعاها الوقت كالإسراء والمعراج، ونبع الماء من أصابعه الشريفة، وحنين الجذع، وانشقاق القمر، ونحو ذلك مما جاء في القرآن وصرَّحت به الأحاديث المقطوع بصحَّتها وأجمع عليه أهل السُّنَّة.

وليس في الآيتين المذكورتين ولا في الحديث المذكور مُتَمسَّك للمُبتدِعة الذين خرجوا عن الإجماع بإنكارها؛ لأنَّ المراد بالآيتين قطع طمع النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في إيمان أولئك المشركين، وبيان أنَّ سؤالهم الآيات قصدوا به العناد لا الاسترشاد، واقرأ قوله تعالىٰ: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ

---

(١) قال بعض العلماء الأندلسيين: إنَّ أعظم المعجزات وأوضحها دلالةً: القرآن الكريم، لأنَّ الخوارق في الغالب مغايرةٌ للوحي الذي تلقَّاه النبيُّ، وتأتي المعجزة شاهدة، والقرآن هو نفسه الوحي المدَّعىٰ وهو الخارق المعجِز، فدلالته في عينه ولا يفتقر إلىٰ دليلٍ أجنبيٍّ عنه، فهو أوضح دلالة لاتحاد الدليل والمدلول فيه، وهذا معنىٰ قوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ما مِن نبيٍّ إلَّا أوتي مِن الآيات ما آمَنَ على مِثْلِهِ البَشَر، وإنما كان الذي أوتيته وَحْيًا إليَّ، فأنا أرجو أن أكون أكثرهم تابِعًا يومَ القِيامَةِ**». يشير إلىٰ أنَّ المعجزة متىٰ كانت بهذه المثابة في الوضوح وقوة الدلالة، وهو كونها نفس الوحي كان المُصدِّق لها أكثر.

ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾ [الإسراء: ٩٠] الآية، تجدهم بلغوا في العناد حدًّا يصير معه إيمانهم من قبيل الممتنع، ولذا أيأسه الله من إيمانهم بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦]، وأمَّا الحديث فالمراد به أنَّ أعظم معجزةٍ أوتيها النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم هي القرآن لما بيَّنَّاه في المُقدِّمة.

طلب المشركون من النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أن يجعل بينه وبينهم حَكَمًا من أحبار اليهود أو أساقفة النصارىٰ ليخبرهم بما في كتبهم من صفاته فيقرُّوه عليها، فأنزل الله تعالىٰ رفض طلبهم علىٰ لسان رسوله: قل: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا﴾ بيني وبينكم ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿مُفَصَّلًا﴾ مبينًا فيه صفاتي المذكورة في التوراة والإنجيل، وقد حرَّفها كثيرٌ من الأحبار والرهبان كما سجَّله القرآن في مواضع فلا يصلحون للتحكيم؛ لأنَّ الغرض أعماهم عن الحقِّ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ كعبدالله بن سلام والنجاشي ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ﴾ أي: الكتاب ﴿مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [الأنعام: ١١٤].

والنبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لا يمتري في حقِّة القرآن ولا يجوز عليه ذلك، والمراد بالنهي عنه الأمر باستدامة ضده، والتعريض بالمشركين بأن شكهم لا ينبغي لأنه لا ينبني علىٰ أساس.

وههنا نكتةٌ نُنبِّه عليها، وهي أنَّ القرآن إذا قال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾

[الأنعام: ٨٩] بإضافة الفعل إلى الله تعالى فهو قصد المُنصِفين كعبدالله بن سلامٍ وتميمٍ الداريِّ ونحوهما ممن آل بهم الإنصاف إلى الإسلام.

وإذا قال: ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [المائدة: ٥٧] ببناء الفعل للمجهول فهو قصد -غالبًا- المُتعصِّبين الذين أصرُّوا على تكذيبهم بغيًا وحسدًا، وقد يقصد مجرَّد التعريف نحو ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ [المائدة: ٥] وستأتي تتمَّة هذه القاعدة في آخر (سورة الإسراء) فانتظرها هناك وشدَّ عليها يد الضنين.

٦- ﴿سورة الأعراف﴾

قال الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ في الدُّنيا ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾ في الآخرة ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الله ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، خصت بالذكر تنبيهًا على أهميتها، ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ﴾ محمَّدًا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ باسمه ونعته وبيان علاماته التي لا تنطبق على غيره، ومنها: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ التي حُرِّمت عليهم في شرعهم كلحم الإبل وشحم البقر والغنم على التفصيل المذكور في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ [الأنعام: ١٤٦] الآية.

﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ كالميتة ولحم الخنزير والخمر، ويؤخذ من الآية

أنَّ ما أحلَّه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أو حرَّمه يجب التزامه ولو لم يكن في القرآن، ومِن هنا قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أَلَا وإنَّ ما حَرَّمَ رسولُ الله مثلُ ما حَرَّمَ اللهُ**».

﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ ثقلهم ﴿وَٱلْأَغْلَٰلَ﴾ القيود ﴿ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ كوجوب قتل النفس في التوبة حسبما تقدم في (سورة البقرة)، وكتحريم صيد السمك يوم السبت حسبما يأتي في قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ [الأعراف: ١٦٣] الآية.

إلى غير ذلك من التشديدات التي كانت في شريعتهم، حتى أنهم أبوا قبول التوراة لشدة أحكامها عليهم، فرفع الله الجبل وهددهم بإسقاطه عليهم إن لم يقبلوها، قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٧١].

بخلاف شريعتنا، فإنَّ تعاليمها سهلةٌ، ولذا قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**بُعِثْتُ بالحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ**».

﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ﴾ منهم ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ وقَّروه ﴿وَنَصَرُوهُ﴾ بأنفسهم وأموالهم ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ﴾ القرآن ﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون [الأعراف: ١٥٦ - ١٥٧]، لا غيرهم ممن بقي على يهوديته أو مسيحيته.

ويلاحظ هنا أنَّ الله سمَّى القرآن نورًا، وكذا سمَّاه في عِدَّة آيات، والنور

إشراق لا إحراق معه، يشير إلى سماحة تعاليمه ويُسْرِ أحكامه فهو مشرقٌ غير محرقٍ مثل نور القمر، أمَّا التوراة وإن سمَّاها الله نورًا فقد بيَّن نوع نورها في (سورة الأنبياء) بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٨]. فهي ضياءٌ، والضياء إشراق فيه إحراق، فهو يشير إلى شدَّة تعاليمها وثقل أحكامها.

وتتبيَّن لك صحة هذه الملاحظة حين تقرأ قوله تعالى في (سوره يونس): ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا ﴾ [يونس: ٥].

هذا، وبعد أنْ سجَّل الله تعالى بعض صفات نبيِّه في التوراة والإنجيل؛ بيَّن عموم رسالته فقال: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ القرآن، أخذ منه بعض المُفسِّرين أنه رسوله إلى نفسه، وهذا ليس خاصًّا به بل يعم الأنبياء أيضًا ضرورة أنَّ كلَّ نبيٍّ مكلَّفٌ بالإيمان بما أوحي إليه وبالعمل به ﴿ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

ذكر من أسمائه هنا: الرسول، النبي، الأُمِّي، وهذا الاسم الأخير يشير إلى معجزة مادية دونها معجزة كل نبيٍّ؛ لأنَّ إتيان الأُمِّي بكتاب يعجز الثقلين مع كونه أعلم الخلق بما تضمَّنه؛ إعجاز جاوز حدَّ النهاية، فلا معجزة إلا وهي دونه.

قال البوصيريُّ:

كَفَاكَ بِالعِلْمِ فِي الأُمِّيِّ مُعْجِزَةً ... فِي الجَاهِلِيَّةِ والتَّأْدِيبِ فِي اليُتُمِ

صعد النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على الصَّفا ليلةً فدعا أهل مكة فخذًا

فخذًا: يا بني فلان، يا بني فلان، يدعوهم إلى الإيمان ويُحذِّرهم بأس الله. فقال بعضهم لبعضٍ: إنَّ صاحبكم لمجنون، بات يهوِّت -يصوت- إلى الصبح.

فأنزل الله تعالى يدافع عنه: ﴿أَ﴾ عموا ﴿وَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ فيعلموا ﴿مَا بِصَاحِبِهِم﴾ الذي عرفوه بكمال العقل ورجاحته ﴿مِّن جِنَّةٍ﴾ جنون ﴿إِنْ﴾ نافية بمعنى: «ما» ﴿هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ بين الإنذار [الأعراف: ١٨٤].

وهذا -كما قلنا- من دلائل عناية الله بنبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

٦- ﴿سورة الأنفال﴾

ذكر الله تعالى إمداد نبيِّه عليه الصَّلاة والسَّلام بالملائكة في غزوة بدرٍ وسبق الكلام على ذلك، ومما ذكر هنا ولم يأتِ في (آل عمران) أنَّ النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أخذ كفًّا مِن حصى قبل بدء القتال ورَمَى بها في وجوه الكفَّار وهم ألف فأصابت عيونهم جميعًا وشغلتهم، فكانت معجزةً سجَّلها الله بقوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ أعين الكفار ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ بالحصى، لأنَّ كفًّا من الحصى لا يصيب عيون جيشٍ كبيرٍ برمية بشرٍ ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] بإيصالها إلى عيونهم فهي معجزةٌ أيَّدك الله بها، وإليها أشار البوصيريُّ بقوله:

ورَمَى بالحَصَى فأَقْصَدَ[1] جَيْشًا ... ما الحَصَى عِنْدَهُ وما الإِلْقَاءُ

وهذه إحدى المعجزات المادية التي اقتضاها الحال كما أشرنا إليه في (سورة

---

(١) أي: أصاب، يقال أقصد شيئًا أي: أصابه.

الأنعام)، بل قتال الملائكة ببدرٍ معجزةٌ ماديَّةٌ أيضًا، شاهدها الصحابة والمشركون وحدَّثوا عنها[١]، ولما أسلم الأنصار علمت قريش أنَّ أمر النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في ازديادٍ وأنَّ دينه في عُلُوٍّ مستمرٍّ، فاجتمع زعماؤهم وزعماء غيرهم من مشركي مكة في دار الندوة للتشاور في شأنه، وحضر معهم

---

(١) قوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ ﴾ [الأنفال: ٢٤]، قال الزمخشريُّ: «وحَّد الضمير -يعني في «دعاكم»- كما وحَّده فيما قبله -يعني: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٠]- لأنَّ استجابة رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كاستجابته، وإنما يذكر أحدهما مع الآخر للتوكيد، والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال، وبالدعوة البعث والتحريض.

وروىٰ أبو هريرة أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مرَّ علىٰ باب أُبيِّ بن كعبٍ فناداه وهو في الصلاة فعجل في صلاته ثُمَّ جاء فقال: «**ما منعك عن إجابتي؟**» قال: كنتُ أُصَلِّي، قال: «**ألم تُخْبَر فيما أوحي إليَّ: ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾؟**» قال: لا جرم لا تدعوني إلَّا أجبتك.، **وفيه قولان:**

أحدهما: أنَّ هذا مما اختصَّ به رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

الثاني: أنَّ دعاءه كان لأمرٍ لم يحتمل التأخير، وإذا وقع مثله للمُصَلِّي فله أن يقطعَ صلاته».

قلت: الحديث صحيحٌ وهو يفيد وجوب إجابة الرسول مُطْلَقًا لا في خصوص أمرٍ واجب التعجيل، ولهذا أورده من كتب في الخصائص كالبلقينيِّ والسيوطيِّ والقسطلَّانيِّ وغيرهم، مستدلِّين به علىٰ وجوب إجابة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ المُصَلِّي ولو كان يُصَلِّي فريضةً، وهو مذهب المالكية والشافعية، وحكاه الزمخشريُّ كما مر في كلامه وهو حنفيٌّ، فإجابته عليه الصَّلاة والسَّلام طاعةٌ مُفترَضةٌ.

إبليس لعنه الله في صورة شيخٍ نجديٍّ وتبادلوا الرأي وانتهوا إلى قتله عليه السَّلام، فبعث الله إليه جبريل عليه السَّلام يخبره بائتمار القوم به وبأنَّ الله يأذن له في الهجرة، فترك صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عليًّا رضي الله عنه ينام في فراشه وقال له: «**لن يُصيبَك أذى**»، وخرج من البيت، والمشركون مُحدِّقون به!

وقرأ أول (سورة يس) حتى بلغ: ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٩] وأخذ كفًّا من تراب ورماهم بها وهو يقول: «**شاهَتِ الوجوهُ**». فأخذهم النوم ومضى لحال سبيله ولم يروه، ولا شعروا به إلَّا في اليوم الثاني حين أخبرهم مخبرٌ أنَّ محمَّدًا ذهب ولم يروه، وأنه رماهم بكفٍّ من تراب، فقاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم وانصرفوا خائبين لم ينالوه بأيِّ أذى.

وهذه معجزةٌ ماديَّةٌ سجَّلها الله تعالى وهو يُذَكِّر نبيَّه بنعمته عليه: ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يحتالون في أذيتك ويتشاورون في القضاء عليك وهم بدار الندوة ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ يحبسوك ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾ كلهم بأن يضربوك بسيوفهم ضربة رجلٍ واحدٍ فيتفرَّق دمك في قبائل العرب، ولا يستطيع بنو هاشم مقاتلتهم، فيضطرون إلى قبول ديتك، وهذا رأي أبي جهلٍ وأيده الشيخ النجديُّ لعنهما الله ﴿أَوْ﴾ يُركبوك بعيرًا و﴿يُخْرِجُوكَ﴾ من مكة ﴿وَيَمْكُرُونَ﴾ بك ﴿وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾ بهم بأن نقض ما أبرموا فنجَّاك وخيبهم ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ أقدرهم على مجازاتهم [الأنفال: ٣٠].

جرت سُنَّة الله مع المُكذِّبين -إذ تحدوا رسولهم- أن يهلكهم ورسولهم حيٌّ ليشفي صدره بهلاكهم، فأهلك قوم نوحٍ بالطوفان، وقوم هودٍ بالصيحة،

وقوم صالحٍ بالريح الصرصر، وقوم لوطٍ بالقذف، وقوم شعيبٍ بالظُّلَّة، وفرعون بالغرق، وقارون بالخسف، إلى غير ذلك.

لكن لما بُعث نبيُّنا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رفع الله القذف والمسخ والخسف وسائر أنواع العذاب التي عَذَّب بها الأمم السَّابقة إكرامًا له، وجعل وجوده عليه الصَّلاة والسَّلام مانعًا من نزول العذاب بأُمَّته رغم طلبهم له.

اقرأ قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالُواْ ﴾ أي: كفار مكة ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا﴾ القرآن ﴿هُوَ ٱلْحَقَّ ﴾ المُنزَّل ﴿مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ كالخسف أو الغرق [الأنفال: ٣٢]، وهذا نهاية العناد والتحدِّي.

قال الله تعالى يخاطب نبيَّه: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ [الأنفال: ٣٣] فوجودك مانعٌ من نزول العذاب الذي طلبوه؛ لأنَّ الحِكْمة اقتضت إمهالهم ليتم أمرك ويظهر دينك، وإنما يُعذِّبهم عذابًا لا استئصال فيه، بأن ينصرك عليهم في الجهاد كما في آية الإمداد بالملائكة، وكما في قوله تعالى: ﴿يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ﴾ [التوبة: ١٤ - ١٥] الآية.

أمَّا قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٣] حيث يقولون في طوافهم: «غفرانك غفرانك»، فهو يشير إلى مانع آخَر يمنع من عذابهم وهو كونهم في حرم الله يطوفون به ويستغفرونه.

لكن هذا ليس بدائمٍ بل هو مرتبطٌ ببقائهم بمكة حيث يطوفون ويستغفرون، فلما أراد تعذيبهم أخرجهم إلى بدرٍ حيث أصابهم القتل والأسر والهوان، ثُمَّ

تتابعت عليهم النكبات في كثيرٍ من الغزوات حتىٰ فتح الله مكة وطهَّرها من الشرك والمشركين.

ومن هنا لم يؤكِّد النفي في جانب استغفارهم، وأكد بلام الجحود في جانب النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إيذانًا بدوام مانعيَّته، فلا خسف ولا مسخ ولا عذاب استئصال في الأُمَّة المحمَّدية.

نعم، ثبت في الأحاديث الصحيحة وقوع المسخ لأفراد مِن هذه الأُمَّة باستحلالهم الخمر والزِّنا وبعض المنكرات في آخر الزمان قرب قيام الساعة، كما وقعت حوادث فردية أعرف منها ثلاثة: حادث ذكرته في كتابي "واضح البرهان علىٰ تحريم الخمر في القرآن"، والثاني ذكره العلامة أبو عبد الله محمد بن النعمان التلمسانيُّ في كتابه "مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام في اليقظة والمنام"، والثالث ذكره الشعرانيُّ في الباب الثاني عشر من "المنن الكبرىٰ" والسبب في الحوادث الثلاثة سبُّ الشيخين رضي الله عنهما.

قوله تعالىٰ: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال: ٦٩] يصرِّح بإحلال الغنائم للأمة المحمَّدية، وهذا مما فُضِّل به نبيُّنا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ الأنبياء كما في الحديث المارِّ في (سورة آل عمران)، وكان مَن قبلنا إذا غنموا غنائم جمعوها في مكان فتأتي نارٌ من السماء فتأكلها، كذلك جاء مُبيَّنًا في حديث "الصحيحين" عن أبي هريرة عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

٨- ﴿سورة التوبة﴾

دعا النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم المسلمين إلى غزوه تبوك، وكانوا في عُسْرةٍ وضيقٍ، وكان الوقت شديد الحرِّ فشقَّ عليهم ذلك وتأخَّر كثيرٌ منهم عن الخروج، فأنزل الله تعالى في لومهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ﴾ تباطأتم عن الجهاد وأخلدتم ﴿إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾، والاستفهام للتوبيخ والإنكار ﴿أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ بدل نعيمها ﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي﴾ مقابلة ﴿ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ حقير ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ﴾ مع الرسول ﴿يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ﴾ يأتِ بهم بدلًا عنكم ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ ومنه عذابكم واستبدال قوم غيركم ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ﴾ أي: النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ﴿فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ﴾ حين ﴿أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ حملوه على الخروج من مكة لما اجتمعوا بدار الندوة واتفقوا على قتله ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ﴾ حال كونه أحد اثنين، والثاني أبو بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه ﴿إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ﴾ بجبل ثور ﴿إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ﴾ الذي رأى الكفار مقابل الغار يبحثون عنهما فقال: يا رسول الله، لو نظر أحدهم تحت قدمه لأبصرنا، فأجابه: ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ وما ظنُّك باثنين الله ثالثهما؟! ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ﴾ أي: أدام نزول

طمأنينته عليه ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: ٣٨-٤٠]. يعني: الملائكة

فالله الذي نصره في هذا الموطن الدقيق الحرج لا يتخلَّى عنه أبدًا، وفي هذا إشارةٌ إلى أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم موعودٌ من الله بالنصر في جميع المواطن كما تقدَّم في (سورة النساء)، وهذا مما خُصَّ به نبيُّنا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

لما عزم النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على الخروج إلى تبوك استأذنه بعض المنافقين في التخلُّف لأعذار أبدوها، فأذن لهم فيه لسببين:

أحدهما: أنَّ الله لم يتقدَّم إليه في ذلك بأمرٍ ولا نهي.

ثانيهما: أنه لم يرد أن يجبرهم على الخروج معه، فقد يكون في خروجهم على غير إرادتهم ضرر.

فأنزل الله تعالى يُبيِّن له أنَّ ترك الإذن لهم كان أولى لما يترتَّب عليه من انكشاف الصادق من الكاذب فيما أبدوه من الأعذار، واستفتح ما أنزله بجملة دعائية هي قوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ [التوبة: ٤٣] على عادة العرب في استفتاح كلامهم بهذه الجملة أو بقولهم: «غفر الله لك» أو: «جعلت فداك» أو نحوها، يقصدون تكريم المخاطب إذا كان عظيم القدر ولا يقصدون المعنى الوصفي للجملة، فالآية بحسب الأسلوب العربي تفيد تكريم النبيِّ وتعظيمه خلافًا لمن وَهِمَ ففهم منها عتابه أو تأنيبه؛ لأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لم يخالف أمرًا ولا نهيًا، فيستوجب ما فهمه ذلك الواهم، وقوله تعالى ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ وهلَّا تركتهم ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [التوبة: ٤٣] هو محطُّ البيان المذكور، وأولوية ترك الإذن سياسة لا علاقة لها

بالدين، والمقصود أنَّ أسلوب الآية من الأساليب التي تفيد تعظيم الله لنبيِّه حين يخاطبه.

تكلَّم جماعةٌ من المنافقين في النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بما لا يليق، فقال بعضهم لبعض: كفُّوا عن هذا الكلام لئلا يبلغه فيؤذينا، فقال الجُلَاس - بضم الجيم وتخفيف اللام- ابن سويد: نقول ما شئنا ثُمَّ نأتيه فننكر ونحلف فيصدِّقنا، فإنما محمَّدٌ أذنٌ.

فأنزل الله تعالى يفضحهم ويدافع عن نبيِّه: ﴿وَمِنْهُمُ﴾ أي: المنافقين ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ﴾ بعيبه، وذَكَرَه بوصف النبوة تكريمًا له وتصويرًا لقبح إذايتهم؛ لأنَّ إذاية النبيِّ أقبح من إذاية جميع الناس، إذ هي إذايةٌ لله تعالى ﴿وَيَقُولُونَ﴾ إذا نهوا عن ذلك ﴿هُوَ أُذُنٌ﴾ يسمع كلَّ قول ويقبله، فإذا حلفنا له أننا لم نقل صدَّقنا، وفي هذا وصفه بالغفلة، قال الله تعالى: ﴿قُلْ﴾ هو ﴿أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ مستمع خير يغضي عن الشرِّ تكرُّمًا ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ﴾ يُصَدِّق ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فيما أخبروه لا لغيرهم ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ﴾ أي: أظهروا الإيمان منكم معشر المنافقين، فهو يرفق بكم ولا يكشف أسراركم لكن لا يُصَدِّقكم، ثم توَّعدهم تعالى بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٦١].

وإذا وازنت هذه الآية بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ [الصف: ٥] الآية، وجدت

رتبة كليم الله دون رتبة حبيب الله بمراحل[١].

ثُمَّ قال تعالىٰ بعد آياتٍ في الموضوع: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ ﴾ ما بلغك عنهم من سبِّك والعيب فيك ﴿وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ ﴾ حيث قال الجلاس: إن كان محمَّدٌ صادقًا فيما يقول فنحن شرٌّ من الحمير، وقال عبدالله بن أبي بن سلول: لئن رجعنا إلىٰ المدينة ليخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ.

أفادت الآية أنَّ العيب في النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كفرٌ، وسبق ذلك في (سورة النساء) ﴿وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ ﴾ أي: أظهروا الكفر، وهو العيب في النبيِّ، بعد إظهارهم الإسلام لأنهم منافقون ﴿وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ﴾ من الفتك بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ليلة العقبة عند عودته من تبوك، وكانوا

---

(١) قال الزمخشريُّ في هذه الآية: «الأُذُن: الرجل الذي يُصَدِّق كل ما يسمع ويقبل قول كل أحدٍ، سمي بالجارحة التي هي آلة السماع كأن جملته أذن سامعة، ونظيره قولهم للربيئة: «عين»، وإيذاؤهم له هو قولهم فيه: «أذن». و«أُذُن خَيْرٍ» كقولك: «رجل صِدْقٍ»، تريد الجودة والصلاح كأنه قيل: «نعم هو أذن، ولكن نعم الأذن»، ثُمَّ فسَّر كونه أذن خير بأنه يُصَدِّق بالله لما قام عنده من الأدلة، ويقبل من المؤمنين الخلَّص من المهاجرين والأنصار، وهو رحمةٌ لمن آمن منكم -أي: أظهر الإيمان- أيها المنافقون حيث يسمع منكم ويقبل إيمانكم الظاهر، ولا يكشف أسراركم ولا يفضحكم ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين مراعاةً لما رأىٰ الله من المصلحة في الإبقاء عليكم، فهو أذن كما قلتم إلَّا أنه أذن خيرٍ لكم لا أذن سوءٍ، فسلَّم لهم قولهم فيه إلَّا أنه فسَّره بما هو مدحٌ له وثناءٌ عليه -وإن كانوا قصدوا به المذمَّة والتقصير- بفطنته وشهامته، وأنه من أهل سلامة القلوب والغرَّة».اهـ وهو نفيسٌ.

اثني عشر رجلًا همُّوا بذلك، فأعلمه الله بما همُّوا به فأخذ حيطته وأبطل مكيدتهم.

وهذا مما اختصَّ الله به نبيَّنا حيث يُعْلِمه بما يُدبِّر أعداؤه من مكايد لاغتياله، فلا يصلون إلى مرادهم ويرجعون خائبين، على حين أنَّ كثيرًا من الأنبياء قتلوا بأيدي أعدائهم كما قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قُتِلَ﴾ [آل عمران: ١٤٦] بالبناء للمجهول.

﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ﴾ من النبيِّ حيث أرادوا قتله ﴿إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ﴾ بالغنائم بعد أن كانوا في جَهدٍ وفاقةٍ [التوبة: ٧٤]. فلم ينلهم من النبيِّ إلا الغنى وهو مما يُحَب.

فالآية من باب تأكيد المدح بما يشبه الذم، وهو نوع من البلاغة معروفٌ، كأنه قيل: ليس في النبيِّ ما يعاب إلَّا أنَّه أغناهم بعد الفاقة وهذا لا يعاب، فهو إذن لا عيب فيه.

ونزل في مُزينة وجُهينة -بالتصغير- وكانوا مؤمنين ينفقون مالهم في الجهاد ونحوه، يقصدون ثواب الله تعالى ودعاء النبي لهم: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾ في سبيل الله ﴿قُرُبَٰتٍ﴾ تقربه ﴿عِندَ ٱللَّهِ وَ﴾ وسيلة إلى ﴿صَلَوَاتِ﴾ دعوات ﴿ٱلرَّسُولِ﴾ له ﴿أَلَآ إِنَّهَا﴾ نفقتهم ﴿قُرْبَةٌ لَّهُمْ﴾ عند الله ﴿سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ﴾ جنته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٩٩].

أفادت الآية أنَّ استجلاب دعاء النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعمل الطاعة من مقاصد التقرُّب إلى الله تعالى الموجبة لرضاه، يؤكِّد هذا قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ بأخذها ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ ادع لهم، فأمره بالدعاء لهم وعلل هذا الأمر بقوله تعالى: ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ طمأنينةٌ لقلوبهم ورحمةٌ لهم ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣].

في هذه الجملة إشارة إلى أنَّ دعاءه عليه الصَّلاة والسَّلام مسموعٌ عند الله سماع قبول.

وقال تعالى بعد الإخبار بقبول توبة المتخلِّفين عن تبوك من المؤمنين: ﴿مَا كَانَ﴾ يصح ﴿لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ﴾ إذا خرج لغزوة ﴿وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ بأن يصونوها عما رضيه لنفسه من الشَّدائد [التوبة: ١٢٠].

أي لا يجوز لهم ذلك، فهو نهيٌ في صيغة خبر للدلالة على تأكده وثبوته.

ويؤخذ منه أنَّ الواجب على المؤمنين أن يؤثروا نفس رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على أنفسهم؛ لأنها نفسٌ كريمةٌ على الله تعالى، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ أي: منكم تعرفونه وتعرفون نَسَبَهُ فيكم ﴿عَزِيزٌ﴾ شديدٌ ﴿عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ ما مصدرية، أي: شديدٌ عليه عَنَتُكُمْ ومشقَّتكم ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ أي: على هدايتكم ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ يريد الخير لهم [التوبة: ١٢٨].

والرأفة شدة الرحمة، قال الحسين بن الفضل: «لم يجمع الله لأحدٍ من أنبيائه اسمين من أسمائه تعالىٰ إلَّا للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فسمَّاه رءوفًا رحيمًا، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحج: ٦٥]».

قلت: سمَّاه فيما سبق نورًا أيضًا وقال: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥](١).

٩- ﴿سورة يونس﴾

ردَّ الله تعالىٰ علىٰ المشركين الذين كذَّبوا بالقرآن الكريم وزعموا أنه مفترىٰ فقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ لأنه لا يقدر علىٰ أن يقوله بشرٌ من قِبل نفسه ولو كان أبلغ الناس وأفصحهم ﴿وَلَٰكِن﴾ كان ﴿تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب ﴿وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ تبيين ما كتبه الله من الأحكام والغيوب والأخبار وحقائق العلوم ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

ثُمَّ صرَّح بدعواهم الباطلة ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ محمدٌ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم؟ ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ في فصاحة تراكيبها وبلاغة أساليبها وإحكام مبانيها وسموِّ معانيها ﴿وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من آلهتكم

---

(١) وسمَّاه: «كريمًا» في (سورة الحاقة): ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة: ٤٠]، والكريم من أسمائه الحسنىٰ، وسماه: «مُبينًا» في (سورة الدخان): ﴿وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ [الدخان: ١٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٥].

وأنصاركم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في أنه افتراءٌ [يونس: ٣٧-٣٨].

وبالضرورة لم يستطيعوا لأنَّ القرآن فوق قدرة البشر، وقد نوَّع الله التحدِّي بالقرآن، فتحدَّىٰ بسورةٍ منه كما في هذه الآية، وهي صادقةٌ بأقصر سورة كالكوثر، وتحدَّىٰ بعشر سور منه في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ [هود: ١٣]، وبحديث مثله في قوله تعالىٰ: ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ﴾ [الطور: ٣٤] وهو صادقٌ بالكثير والقليل منه، وأعم من التحدِّي بسورة.

وبجميعه في قوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨] وذلك لإظهار فضيلة نبيِّه بعُلُوِّ معجزته علىٰ جميع المعجزات، وبقائها ما بقت الأرض والسموات.

١٠- ﴿سورة الرعد﴾

عاب أهل الكتاب علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كثرة الزوجات وقالوا -كما تقدَّم- لو كان نبيًّا لترك النساء وزهد في الدنيا، فردَّ الله عليهم بقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨] كإبراهيم ويعقوب وداود وسليمان عليهم السلام.

فليس النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بِدَعًا منهم، والزواج لا ينافي الزهد، وإنما ينافيه التوسُّع في المباحات من المطعومات وغيرها.

والنبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان يعيش عيشة الكفاف والتقلُّل كما هو معروفٌ من سيرته، «فكان يمرُّ الشهر والشهران لا يوقد في بيته نارٌ لطبخٍ، إن

هما إلَّا الأسودان: التمر والماء» كما تقول عائشة رضي الله عنها.

وكانت الأموال تأتيه من الفَيء والمغانم فيفرِّقها ويبيت على الطوى، ويأتيه السائل فلا يجد ما يعطيه فيأمره أن يستدين على حسابه، وانتقل صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى الرفيق الأعلى ولم يضع لبنة على لبنةٍ في بناءٍ سوى بيته الذي كان يسكنه، ولم يترك دينارًا ولا درهمًا.

ومن أعجب أحواله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنه فرَّق أموالًا جاءته في بعض المرَّات وبقيت منها دراهم دون العشرة نسيها، فأخذه تلك الليلة أَرَقٌ وهو يقول لعائشة «مالي؟» حتى تذكَّر الدراهم المتبقَّاة، فبعث بها إلى من يستحقها وقال: «**ما كان ظنُّ محمَّدٍ بربِّه أن ينام وفي بيته هذه الدراهم؟**». ثُمَّ نام قرير العين، فأي زهدٍ يوازي هذا أو يُقارِبه؟!

وقال الكفار من المشركن والكتابيين: لو كان رسولًا لأتى بما نطلبه من الآيات. فرد الله عليهم بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ لأنَّ الرُّسُلَ عبيدٌ لله تعالى، لا يقدرون على شيءٍ إلَّا بإرادته سبحانه.

وقالوا أيضًا: لو كان رسولًا لحصل ما توعَّدنا به من العذاب على تكذيبه، فردَّ عليهم بقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨] وعند انتهاء الأجل المكتوب ينزل بهم ما أوعدوا به من العذاب، وقد حصل ذلك في غزوة بدرٍ وخيبر وغيرهما.

وقالوا أيضًا: لو كان صادقًا ما نسخ الأحكام التي جاءت في التوراة والإنجيل، فردَّ عليهم بقوله سبحانه: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ من الأحكام

﴿وَيُثْبِتُ﴾ ما شاء منها ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩] وهو اللوح المحفوظ المشتمل على الكتب المذكورة بأحكامها الممحوة والثابتة، قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ [البروج: ٢١ – ٢٢].

فهذه أربع آياتٍ ردَّ الله بها شُبَه الكفَّار ودعاويهم.

ثُمَّ أتبعها بردِّ دعوى خامسة فقال تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٤٣] من منصفي اليهود والنصارى، وهذا يفيد عناية الله بنبيِّه في دفع ما يورد عليه من دعاوى وشبهٍ، ولم يحصل مثله لنبيٍّ ولا رسول قبله.

١١- ﴿سورة الحجر﴾

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] تولَّى الله حفظ كتابه فلا يدخله تبديلٌ ولا تحريفٌ ولا زيادةٌ ولا نقصٌ، فهو باقٍ ما بقي الدهر مصدر السعادة ومنهل العرفان ومُرشد الضال وهادي الحيران، وفي هذا تكريم لنبيِّنا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بدوام معجزته وخلود شريعته، على حين أنَّ التوراة وكل الله حفظها إلى أحبار اليهود كما في (سورة المائدة – آية ٤٤) فحرَّفوها وغيَّروا كثيرًا من أحكامها، وكذلك حصل في الإنجيل[١] فلا يوجد كتابٌ سماويٌّ سالمٌ من التحريف سوى القرآن الكريم[٢] .

---

(١) بل لم يكتب الإنجيل كما نبَّهنا عليه في أول التعليقات.

(٢) وقال الزمخشريُّ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ [الحجر: ٩] ردٌّ لإنكارهم واستهزائهم في

(تنبيه): استدل الحافظ ابن حزمٍ بالآية المذكورة على حفظ السُّنَّة أيضًا من التبديل والضياع، وهو استدلالٌ ظاهر؛ لأنَّ السُّنَّة وحيٌ كالقرآن إلَّا أنها وحيٌ غير متلوٍّ، ولأنَّها بيانٌ لما فيه من الأحكام والمعاني كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] الآية.

والبيان يجب أن يكون محفوظًا كما حفظ المُبيَّن، وقد قيَّض الله للسُّنَّة رجالًا حفظوها غاية الحفظ وضبطوها نهاية الضبط، فلا يحكمون لحديثٍ بالصحة حتى يمرَّ بمراحل من النقد والتمحيص تبتدئ برواته واحدًا واحدًا من حيث العدالة والثقة، ومشافهة كلِّ راوٍ لشيخه، ثُمَّ تنتهي بالمتن من حيث سلامة معناه من النَّكَارة ولفظه من الشُّذوذ والإدراج، فإن حصل عندهم أدنى شبهةٍ فيه

قولهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾ [الحجر: ٦] وكذلك قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾، فأكَّد عليهم أنه هو المُنزِّل على القطع والبتات، وأنه هو الذي بعث به جبريل إلى محمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وبين يديه ومن خلفه رصد حتى نزل وبلغ محفوظًا من الشياطين، وهو حافظة في كلِّ وقتٍ من كلِّ زيادةٍ ونقصان وتبديلٍ وتحريفٍ، بخلاف الكتب المتقدِّمة، فأنه لم يتولَّ حفظها وإنما استحفظها الربَّانيين والأحبار، فاختلفوا فيما بينهم بغيًا فكان التحريف، ولم يَكِل القرآن إلى غير حفظه.

فإن قلت: فحين كان قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ ردًّا لإنكارهم واستهزائهم، فكيف اتصل به قوله ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]؟. قلت: قد جعل ذلك دليلًا على أنه مُنزَّلٌ من عنده آية؛ لأنه لو كان من قول البشر أو غير آيةٍ لتطرَّق عليه الزيادة والنقصان كما يتطرَّق على كلِّ كلامٍ سواه».اهـ

قلت: فالآية من قبيل دفاع الله تعالى عن نبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

حكموا عليه بالضعف أو النكارة أو الوضع حسبما تقتضيه الشبهة قوةً وضعفًا.

ولقد بلغ من شِدَّة تحرِّيهم وتيقُّظهم أنهم يستخرجون كلمةً من الحديث فيحكمون بوضعها وحدها مثل حديث: «**طَلَبُ العِلْمِ فَرِيضَةٌ على كلِّ مُسْلِمٍ ومسلمة**» حكموا بوضع: «مسلمة» لأنهم توصَّلوا ببحثهم إلى أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لم يقلها، وكذلك كلمة «ثلاث» من حديث: «**حُبِّبَ إليَّ مِن دُنْياكُمْ ثلاثٌ: الطِّيبُ والنِّساءُ وجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْني في الصَّلاةِ**». حكموا بوضعها أيضًا للسبب المذكور.

ومثل هذا كثير لا يدركه إلَّا من تعمَّق في علوم السُّنَّة المُطهَّرة وكان من جملة خدمتها، جعلنا الله منهم بمَنِّه.

وقال سبحانه: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ﴾ أي: قوم لوطٍ أو قريشًا ﴿لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ يتردَّدون [الحجر: ٧٢].

﴿لَعَمْرُكَ﴾: كلمة قسمٍ، أي: وحياتك، أقسم الله بحياة نبيِّه عليه الصَّلاة والسَّلام ولم يقسم بحياة نبيٍّ غيره ولا رسول ولا مَلَكٍ، وهذا تشريفٌ كبيرٌ لا يحتاج إلى بيانٍ، قال ابن عبَّاسٍ - في لعمرك-: معناه: وحياتك يا محمَّد، وقال: ما خلق الله نَفْسًا أكرم عليه من محمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وما أقسم بحياة أحدٍ إلَّا بحياته، وذهب بعض المفسِّرين إلى أنَّ في الآية حذفًا تقديره: قالت الملائكة: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾، والخطاب موجَّهٌ إلى لوطٍ عليه السَّلام، فهم يقسمون بحياته على أنَّ قومه يعمهون، وهذا قولٌ ضعيفٌ ردَّه الإمام ابن القيِّم في "أقسام القرآن" وأجاد.

ومما يؤيِّد ضعفه: أنه يحتاج إلى تقدير ما سبق، وعدم التقدير أولى لأنه الأصل.

وأيضًا: إذا احتمل كلام في القرآن أن يكون كلام الله تعالى أو محكيًّا على لسان مَلَكٍ أو نبيٍّ مثلًا، فالواجب حمله على الأول ولا يصرف إلى الثاني إلا لدليلٍ قويٍّ.

وأيضًا: فالمناسب أنْ يكون هذا القَسَم من إنشاء الله تعالى عظَّم به أفضل مخلوقٍ عنده، كما أنشأ أقسامًا غيره ببعض مخلوقاته تعظيمًا لها أو تنبيهًا على ما أودع فيها من الفوائد والحكم.

وأيضًا: فكيف يصح ادِّعاء إقسام الملائكة بحياة لوطٍ؟ ومن أين يأتي به مُدَّعيه ولم يرد به حديثٌ ولا أثرٌ؟!.

وأيضًا: ففي حمل الآية عليه تخريجٌ لها على معنى دائر بين الحرمة و الكراهة وهو الإقسام بغير الله تعالى، هذا إن صحَّ أنَّ الملائكة أقسموا بحياة لوطٍ عليه السَّلام، لكنه لم يُنقَل.

على أنَّ الملائكة عليهم السَّلام أعرف بعظمة الله وبجلاله، فيكف يقدموا على الحلف بغيره؟!.

فإن قيل: قد أقسم الله بالشمس والقمر والنجم والضحى والنهار والليل ونحو ذلك، فهل هذا يُقَلِّل من قيمة القَسَم في هذه الآية؟

فالجواب: أنَّ الله تعالى أقسم بالأشياء المذكورة وما في معناها من بعض المأكولات أو البلاد أو العصر ليدل على عِظَم قُدْرَتة، وكِبَر فضله ومِنَّتة لتسخير هذه المخلوقات لمنفعتنا وإيجادها لمصلحتنا، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ

ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾ [إبراهيم: ٣٢ - ٣٣]، وقال سبحانه: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [الجاثية: ١٣]، فكان في الإقسام بها تذكيرٌ لنعمة الله علينا فيها.

أمَّا القَسَم الذي يقتضي تعظيم المُقْسَم به فلا يكون إلَّا بالله أو بإحدىٰ صفاته نحو: ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ﴾ [التغابن: ٧]، ونحو: ﴿ قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴾ [ق: ١].

وهذا هو المراد هنا، فإنَّ الله تعالىٰ عظَّم نبيَّه حين أقسم بحياته المليئة بالخيرات والبركات، حياة أنقذ صاحبها العالم من ظلمات الجهل والشرك والظلم والفوضى إلىٰ نور العلم والتوحيد والعدل والنظام، وقام لله بحقِّ طاعتة والدعوة إليه، وكان مربِّي رجال ومُنشئ شعوبٍ ومهذِّب نفوسٍ ومُعلِّم أخلاق، فلا جَرَم أن كرَّمه مولاه بهذا التكريم واختصَّه به.

وقد استنبط منه الإمام أحمد أنَّ الحَلِفَ بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ينعقد وفيه الكفَّارة، نقله الحافظ السيوطيُّ في "الإكليل في استنباط التنزيل"

وقال تعالىٰ يَمْتَنُّ علىٰ نبيِّه: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي ﴾ هي الفاتحة ﴿ وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ [الحجر: ٨٧].

في هذا تشريفٌ يفوق ما أوتي النبيون جميعًا كما سبق في المقدمة، وخصت الفاتحة بالذِّكر مع أنها من القرآن تنبيهًا علىٰ عِظَم شأنها، بحيث يكون إيتاؤها وحدها كافيًا في التشريف؛ لاشتمالها علىٰ معاني القرآن إجمالًا حسبما بيَّنَّاه في كتاب "جواهر البيان في تناسب سور القرآن".

كان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في أول الأمر يدعو إلى الإسلام مُختفيًا، ويأمر مَن آمَن به بإخفاء إيمانه، ثُمَّ أمره الله تعالى بإعلان الدعوة ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [الحجر: ٩٤] فأعلن صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الدعوة، وكان بعض المشركين يستهزئون به وهم: الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والحر بن قيس، والأسود بن المطلب، والأسود بن عبد يغوث، فأنزل الله في شأنهم: ﴿ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴾ [الحجر: ٩٥] الآية، فأصيب كلُّ واحدٍ منهم بداءٍ مات به ميتة سوءٍ وهَلَكُوا في أوقاتٍ متقاربةٍ، وهذا مما خُصَّ به نبيُّنا، قال البوصيريُّ:

وكَفَاهُ المُسْتَهْزِئينَ وَكَمْ سَا ءَ نبيًّا مِنْ قَوْمِهِ اسْتِهْزَاءُ

١٢- ﴿سورة النحل﴾

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[النحل: ٤٤]، وَكَلَ اللهُ إلى نبيِّه تبيين القرآن وشرح ما فيه من الأحكام، وتوضيح ما أجملة من المعاني وتفسير ما تضمَّنه من الإشارات.

و هذه الآية تبطل نِحْلَة أولئك المبتدعة الذين يردون ما صح عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في تفسير بعض ما أبهمه القرآن، فلم يقبلوا الأحاديث الواردة في نزول عيسى عليه السَّلام تفسيرًا لقوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦ ﴾ [النساء: ١٥٩]، ولم يقبلوا الأحاديث الواردة في تعيين العبد في قصة موسى بأنه الخَضِر عليهما السلام، ولم يقبلوا

الأحاديث الصريحة بأنَّ الرؤية في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ١٣ - ١٤] حصلت مِن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وهو عند السدرة ليلة المعراج يقظة لا منامًا إلىٰ غير ذلك.

مع أنَّه لو لم يَكِل الله إلىٰ نبيِّه بيان القرآن لكان الواجب اتباع بيانه؛ لأنَّه أعلم بمعاني ما أُنزل إليه، بل قرَّر العلماء وجوب الرجوع إلىٰ الصحابة في التفسير، وعَلَّلوا ذلك بأنَّ الصحابة شاهدوا التنزيل وعرفوا المراد منه، وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ مِن أمور الدِّين ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤].

هذه الآية تؤيِّد الآية السابقة وتؤكِّدها، وكلتاهما تفيدان وجوب الرجوع إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في أمور الدين أصوله وفروعه، وعلىٰ هذا إجماع الأُمَّة.

مِن الشُّبَه التي زَعَم الكفَّار بسببها أنَّ القرآن مفترىٰ: وجود الناسخ والمنسوخ فيه، فردَّ الله عليهم مُبيِّنًا جهلهم بقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾ بنسخها وإنزال غيرها ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ جملة معترضة بين الشرط وجوابه أتىٰ بها لتسليته صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن قولهم فيه: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ١٠١] حقِّيَّةَ القرآن، ولا فائدةَ النسخ التي ترجع لمصلحة المُكلَّف إمَّا بالتخفيف إن كان النسخ من أشد إلىٰ أخف، وإمَّا بكثرة الثواب إن كان من أخف إلىٰ أشد، مع قصد امتحانه ليختبر عزمه علىٰ فعل ما أمر به، وجملة ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ تفيد أن أقلهم يعلمون حقِّيَّةَ القرآن

ولكنهم ينكرونه عنادًا، فهم بين جاهلٍ وجاحِدٍ.

ثُمَّ صرَّح بإبطال زعمهم فقال سبحانه: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ ﴾ جبريل عليه السَّلام ﴿مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ١٠٢] في هذا تعريضٌ بأنَّه خَسَارٌ على غيرهم كما قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢].

ومما تعلَّق به الكفَّار في إبطال القرآن دعواهم أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم تلقَّاه من حدَّادٍ روميٍّ كان نصرانيًّا وكان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يدخل عليه، فأبطل الله هذه الدعوى بقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ﴾ أي: علمنا ﴿أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ هو الحدَّاد المذكور ﴿لِّسَانُ﴾ أي: لغة ﴿ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ ﴾ يميلون ﴿إِلَيْهِ ﴾ أنه يعلمه ﴿أَعْجَمِىٌّ﴾ لأنه روميٌّ ﴿وَهَٰذَا ﴾ القرآن ﴿لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النحل: ١٠٣] ذو فصاحةٍ وبيانٍ، فكيف يعلِّمه أعجميًّا؟!

والتعبير بـ «قد» إشارة لتقليل القائلين لهذه الدعوى، وهذا يؤكِّد ما قدمناه أنَّ الله تعالى تولَّى الدِّفاع عن نبيِّه في جميع ما أورد عليه، عناية خاصَّة به دون سائر أنبيائه عليه وعليهم الصَّلاة والسَّلام.

ثُمَّ عقَّب تعالى بقوله: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ القرآن، بقولهم: هو من قول البشر ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ [النحل:

١٠٥] في قولهم: ﴿يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾.

في هاتين الجملتين عِدَّة مؤكِّدات: «إنما» المفيدة لحصر الافتراء فيهم، وإيراد الجملة النافية معرفة الطرفين، وضمير الفصل، وكون المسند إليه اسم إشارة للبعيد تحقيرًا لهم، وكل هذه المؤكِّدات ردٌّ لقولهم السابق: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرٍ﴾(١).

١٣- ﴿سورة الإسراء﴾

قال الله تعالى ينوِّه بمعجزةٍ مِن أهمِّ المعجزات التي أكرم بها نبيَّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾ محمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم

---

(١) قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗا﴾ [النحل: ١٢٣]، قال الزمخشريُّ: في ﴿ثُمَّ﴾ هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وإجلال محلِّه والإيذان بأن أشرف ما أوتي خليل الله إبراهيم من الكرامة وأجلَّ ما أوتي من النعمة اتباع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ملتة من قبل أنها دلت على تباعد هذا النعت في المرتبة من بين سائر النعوت التي أثنى أنه عليه بها.

قال ابن المنير -تعليقًا عليه-: وإنما تفيد ذلك ﴿ثُمَّ﴾ لأنها في أصل وضعها لتراخي المعطوف عن المعطوف عليه في الزمان، ثم استعملت في تراخيه عنه في علو الرتبة بحيث يكون المعطوف أعلى رتبة وأشمخ محلًّا مما عطف عليه، فكأنه بعد أن عدد مناقب الخليل عليه السَّلام قال تعالى: وهاهنا ما هو أعلى من ذلك كلة قدرًا وأرفع رتبة وأبعد رفعة وهو: أن النبي الأمي الذي هو سيد البشر متبع لملة إبراهيم ومأمور باتباعه بالوحي متلو أمره بذلك في القرآن العظيم، ففي ذلك تعظيم لهما جميعًا لكن نصيب النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من هذا التعظيم أوفر وأكبر على ما مهدناه.

﴿لَيْلًا﴾ منصوب على الظرفية، وصرَّح به مع أنَّ الإسراء لا يكون إلَّا بالليل إشارة إلى تقليل مُدَّته مع بعد المسافة ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ بمكة ﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ بالشام ﴿ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ بالماء والثمار ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ﴾ أي: عجائب قدرتنا، وفي هذا إشارة إلى المعراج الذي رأى فيه من الآيات ما تحدَّث عنه في الأحاديث المتواترة ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

في هذه الآية دليلٌ على أنَّ الإسراء كان في اليقظة حقيقة لا جولة روحية ولا رؤيا منامية، وبيان ذلك من وجوه:

الأول: استفتاحها بالتسبيح الذي يقال عند الأمور العظيمة والخوارق العجيبة استعظامًا لقدرة الله تعالى واعترافًا بنفاذ مشيئته.

الثاني: لفظ ﴿أَسْرَىٰ﴾ فإنَّه نصٌّ في الانتقال الجسمي، ولو كان روحيًّا لقال الله: أرى عبده، كما قال سبحانه: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الفتح: ٢٧].

فقد كان صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رأى بالمدينة قبل خروجة إلى الحديبية أنَّه دخل مكة وطاف بالكعبة وحلق رأسه...إلخ، فسمَّاها الله رؤيا ولم يسمها إسراء؛ لأنَّها كانت في المنام، وكذلك قال في غزوة بدرٍ: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ [الأنفال: ٤٣] ولما عبَّر هنا بأسرى علمنا أنه قصد مدلوله الصريح.

الثالث: لفظ ﴿بِعَبْدِهِۦ﴾ فإنَّه نصٌّ في الشَّخص الجسمي المُسمَّى بمحمَّد بن عبدالله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

الرابع: لفظ ﴿لَيْلًا﴾ الذي أتى ليدل على تحقيق معنى المعجزة؛ لأنَّ

المسافة بين مكة وبيت المقدس بعيدةٌ، ولذا قيل: «المسجد الأقصىٰ» وكان أهل مكة يقطعونها في شهرٍ علىٰ الإبل، فإذا قطعها النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في جزءٍ من الليل بجسمه المادِّيِّ كانت معجزةً عظيمةً تستحقُّ التنويه والتسجيل.

الخامس: قوله تعالىٰ: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ فإنه إنما يقال فيما يرىٰ في اليقظة رؤية حقيقية ولا يقال فيما يرىٰ روحيًّا إلَّا بالتقييد كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾.

السادس: قوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ إن كان الضمير يعود علىٰ الله، وهو المشهور، فتذييل الآية بهذه الجملة يفيد أنَّ الله تعالىٰ كان مع نبيِّه في هذه الرحلة الخارقة للمعتاد المتعارف للناس في رحلاتهم منذ بدء الخليقة، واختيار هاتين الصفتين لإفادة كمال العناية وغاية التأييد والرِّعاية، وهذا كما قال تعالىٰ لموسىٰ وهارون حيث أبديا تخوُّفهما من طغيان فرعون: ﴿لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦].

وإن كان الضمير يعود علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم -كما قيل به- فالتذييل يفيد أنَّه عليه الصَّلاة والسَّلام كان سميعًا لما ألقي إليه بصيرًا لما رآه من الآيات، لم يدهش لبُّه ولا زاغ بصره، ولهذا قال تعالىٰ حين أشار إلىٰ المعراج: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: ١٧].

السابع: أنَّ أهل مكة وهم عربٌ فصُحاء فَهِموا من الإسراء معناه المعروف لهم في لغتهم، ولذلك كذَّبوا النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حين أخبرهم به، وزعموا أنَّه أتىٰ بما لا يُقبَل، وسألوه امتحانًا أنْ يصف لهم بيت المقدس؛ لأنَّهم

يعلمون أنَّه لم يذهب إليه قبل هذه الرحلة، بل ارتدَّ بعض ضعفاء العقيدة عن الإسلام حين سمعوا بهذه المعجزة؛ لأنَّ عقولهم ضاقت عن قبولها.

الثامن: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لم يقل لأهل مكة الذين كذَّبوه، ولا لمن ارتدَّ عن الإسلام: «إنَّ الإسراء كان منامًا أو جولةً روحيَّةً» فيريحهم من خطيئة التكذيب وجريمة الارتداد، بل أقرَّهم على ما فهموه ووصف لهم بيت المقدس حين امتحنوه بالسؤال عنه.

وما يُروى عن عائشة رضي الله عنها أنَّها لم تفقد جسد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم باطلٌ مكذوبٌ؛ لأنَّها لم تبلغ إذ ذاك السَّنة الرابعة من عمرها، بل الثابت في كتب السيرة والحديث أنَّ أمَّ هانئ أخت عليٍّ رضي الله عنها فقدته تلك الليلة -وكان نائمًا عندها- فباتت قلقةً عليه خشية أنْ يكون اغتيل حتى رجع عند الفجر، وأخبرها برحلته فاطمأنَّت وترجَّته ألَّا يُحدِّث بها قريشًا لئلا يُكذِّبوه.

أمَّا قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ [الإسراء: ٦٠] فلا يدل على أنَّ الإسراء كان منامًا كما زعم من لا فهم له، بل يدل على نقيض ذلك، وبيانه من وجوه:

أحدها: أنَّ الرؤيا أحد مصادر «رأى» البصرية كما في معاجم اللغة، ويستعمل أيضًا في الرؤيا المنامية على سبيل الاشتراك اللفظيِّ، والقاعدة في المشترك: ألَّا يجزم فيه بأحد المعاني إلَّا لدليلٍ. والدليل هنا يقتضي أنَّ الرؤيا بصريَّة، وهو الآية السابقة.

والوجه الذي بعده وهو **ثانيها**: قوله: ﴿فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ أي: أهل مكة،

حيث كذَّبوا بالإسراء وقالوا: نحن نذهب إلى بيت المقدس في شهرٍ، ومحمَّدٌ يزعم أنه أتاه في ليلةٍ، ولو كانت الرؤيا منامية ما افتتنوا لعلمهم أنها تتسع لهذا ولأكثر منه، وقد كان الواحد منهم يرى في نومه أنه ذهب إلى الشام أو الحبشة أو فارس، ويُحدِّث بها أصحابه وربما التمس مَن يعبِّرها له، ولا يرون فيها ما يُنكَر.

ثالثها: قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ والمراد بها شجرة الزقُّوم لقوله سبحانه: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ﴾ [الصافات: ٦٢ - ٦٣]، ووجه فتنتهم بها قولهم: النار تحرق الشجر، فكيف تُنبته؟!

كذلك فتنوا بالإسراء وقالوا ما سبق، فدلالة السِّياق تقتضي أنَّ الرؤيا بصريةٌ، وهو واضحٌ.

قال الزمخشريُّ في "الكشاف": قوله: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ إشارةً إلى تفضيل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وقوله: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥] دلالةٌ على وجه تفضيله، وهو أنَّه خاتم النبيين وأنَّ أُمَّته خير الأمم؛ لأنَّ ذلك مكتوبٌ في زبور داود، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] وهم محمَّدٌ وأُمَّته».اهـ

جاء وفد ثقيفٍ إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وقالوا له: «لا ندخل في دينك حتى تعطينا خصالًا نفتخر بها على العرب، لا نعشر، ولا نحشر، ولا نُجَبِّي في صلاتنا[1]، وكل رِبًا لنا فهو ثابتٌ، وكل رِبًا علينا فهو موضوعٌ، وأن تُمتِّعنا

---

(١) «لا نعشر»: لا ندفع العشر، يقصدون الزكاة، «ولا نحشر»: لا نذهب للجهاد، «ولا نُجَبِّي»:

باللَّات سنةً حتى نأخذ ما يُهدىٰ لها، فإذا أخذناه؛ كسرناها وأسلمنا، وأن تُحرِّم وادينا كما حرَّمت مكة، فإن قالت العرب: لم فعلت ذلك؟ فقل: إنَّ الله أمرني».

فسكت النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وطمعوا في سكوتة، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ ﴾ يستنزلونك ﴿عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ﴾ مما طلبوه منك ﴿وَإِذًا ﴾ لو أجبتهم ﴿لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ ﴾ بالعصمة ﴿لَقَدْ كِدتَّ﴾ قاربت ﴿تَرْكَنُ ﴾ تميل ﴿إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا ﴾ ركونًا ﴿قَلِيلًا ﴾ لشدَّة احتيالهم وإلحاحهم عليك.

والآية تفيد أنَّه عليه الصَّلاة والسَّلام ما ركن ولا قارب لتثبيته بالعصمة، فهو عليه الصَّلاة والسَّلام معصوم المصادر والموارد، مؤيَّدٌ في الهمم والمقاصد ﴿ إِذًا ﴾ لو قاربت الركون ﴿لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ﴾ عذاب ﴿ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ﴾ عذاب ﴿ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٧٣-٧٥] يمنع العذاب عنك لأنك صفوة الكملة المختارين.

فمقاربة الركون لو حصلت منك تستوجب التشديد لعُلُوِّ مقامك، وإن كانت هي في الواقع ليست بذنبٍ، وهذا نهاية ما يطلب في تبرئة جنابه الشريف من قصد المخالفة.

وقال تعالىٰ مخاطبًا لنبيِّه: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ ﴾ أي: من وقت

بضم النون وفتح الجيم وكسر الباء المشددة، لا نركع ولا نسجد في الصلاة، وواديهم الذي طلبوا تحريمة: وادي «وج»، و«وَجّ» بفتح الواو وتشديد الجيم بلد بالطائف.

زوالها ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ﴾ إقبال ظلمته بمغيب الشَّفَق، وهذا يشمل الظهر والعصر والمغرب والعشاء ﴿وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ﴾ صلاة الصبح ﴿إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا﴾ تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار، ويؤخذ منه فضل صلاة الصبح، وأنَّ الملائكة مُتعبَّدون بحضور الصلاة معنا، وهذا من خصائص هذه الأُمَّة ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ﴾[1] فريضة زائدةً خاصَّة لك ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٨-٧٩] يحمدك فيه جميع المخلوقات.

وهو مقام الشفاعة في فصل القضاء، و«عَسَىٰٓ» من الله تفيد: وجوب الوقوع، فالمقام المحمود ثابتٌ لنبيِّنا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم[2] وهو مما خُصَّ به نبيُّنا دون سائر الأنبياء.

ثُمَّ قال تعالى يمتنُّ على نبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: ﴿وَلَئِن شِئۡنَا لَنَذۡهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ وهو القرآن، بأن نمحوه من الصدور والمصاحف ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيۡنَا وَكِيلًا ۝٨٦ إِلَّا﴾ لكن أبقيناه ﴿رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّ فَضۡلَهُۥ كَانَ عَلَيۡكَ كَبِيرٗا﴾ [الإسراء: ٨٦-٨٧] بإنزال القرآن وحفظة من التبديل وإعطائك المقام المحمود، وغير ذلك مما خصَّك به.

ثُمَّ أمره أن يتحدَّى بالقرآن الإنس والجنَّ، وهذا مما يدل على قدر نبيِّنا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، حيث كانت معجزته تتحدَّى الثقلين؛ لأنَّه رسولٌ إليهم

---

(١) كان التهجُّد فرضًا عليه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ثُمَّ نسخ وبقي مطلوبًا منه على سبيل الندب.

(٢) ونطقت به الأحاديث في "الصحيحين" وغيرهما وهي كثيرةٌ مستفيضةٌ.

بخلاف سائر الأنبياء عليهم السَّلام، فإنَّ معجزاتهم لا تتجاوز حدود قومهم.

ثُمَّ قال تعالىٰ: ﴿وَقُرْءَانًا﴾[1] عظيمًا ﴿فَرَقْنَٰهُ﴾ أنزلناه مُفرَّقًا في عدَّة سنين ﴿لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ علىٰ مهلٍ وتأنٍّ ﴿وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ آية بعد آيةٍ حسب المقتضيات والأسباب، ﴿قُلْ﴾ لكفار مكة ﴿ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ﴾ بالقرآن ﴿أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟﴾ به، وهذا الأمر للتهديد ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ﴾ وهم مؤمنو أهل الكتاب ﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا﴾ بنزوله وبعث النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ﴿لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ﴾ القرآن ﴿خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩].

وفي هذا تسليةٌ له صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وتسجيلٌ لبعثته ونزول كتابه في الكتب السابقة، وهو يؤكِّد ما قرَّرناه في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾ [آل عمران: ٨١] الآية.

(تنبيه): عبارة ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ حيثما أطلقت في القرآن دلَّت علىٰ المدح، وكذلك عبارة ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾.

بخلاف ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ فإنها تأتي للذمِّ غالبًا، وقد تأتي لمجرَّد التعريف نحو ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ [المائدة: ٥] أمَّا عبارة ﴿أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ فيأتي للمدح تارةً وللذمِّ أخرىٰ.

---

(١) هذا الوصف مأخوذٌ من تنكير ﴿وَقُرْءَانًا﴾ لأنَّ التنكير يدل علىٰ التعظيم والتفخيم.

١٤- ﴿سورة الكهف﴾

قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ محمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ﴿ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ﴾ اللام بمعنى «في»، أي: لم يجعل فيه ﴿عِوَجَا﴾ [الكهف: ١] أي: اختلافًا لقوله في الآية الأخرى ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] وفي الحمد على إنزال القرآن دليلٌ على أنَّه نعمةٌ عظيمةٌ، ودليلٌ على أنَّه أعلى الكتب السماوية وأجلها، وفي هذا تنويهٌ بقَدْر نبيِّنا كما لا يخفى.

١٥- ﴿سورة مريم﴾

في هذه السورة آيةٌ تدل على عِظَم قدر نبيِّنا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم[1] وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤] فإنَّ هذه الآية أنزلها الله تعالى يحكي اعتذار جبريل عليه السَّلام للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حين قال له معاتبًا: «**ما يَمْنَعُكَ أن تَزُورَنا أكثرَ مِمَّا تَزُورُنا**» حسبما جاء في "البخاري" عن ابن عبَّاسٍ، وفي هذا بيان عظم قَدْر نبيِّنا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من وجوهٍ:

١- عتابه لجبريل.

---

(١) تقدَّم الكلام على قوله تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾ [مريم: ٢] في (سورة النساء)، وحاصله: أنَّ الحقَّ سبحانه أضاف اسمه إلى محمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وأضاف زكريا إليه، ليعلم العباد فرق ما بين المنزلتين، وتفاوت ما بين الرتبتين.

٢- اعتذار جبريل له.

٣- تسجيل الله لذلك في كتابه، ولم يصل رسول غيره إلى هذه الرتبة السامية.

قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ [مريم: ٦٨] قال الزمخشريُّ: «في إقسام الله تعالى باسمه -تقدَّست أسماؤه- مضافًا إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم تفخيمٌ لشأن رسول الله ورفعٌ منه».

١٦- ﴿سورة طه﴾

قوله تعالى يخاطب نبيَّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: ٢] لتتعب بما فعلت بعد نزوله من طول قيامك به في صلاة الليل، بل خفِّف عن نَفْسِك، ولهذا كان عليه الصَّلاة والسَّلام ينام بعض الليل ويقوم بعضه، وقيل معنى ﴿لِتَشْقَىٰٓ﴾: لتتعب بتأسُّفك على كُفْرِ مَن كَفَر، فأرِحْ نفسك من هذا التعب، وإنما عليك البلاغ، فالآية على هذين الاحتمالين تفيد أمره عليه الصَّلاة والسَّلام بالتخفيف عن نفسه، ولم يطلب الله من نبيٍّ قبله أن يُخفِّف عن نفسه، وقيل: إنَّ الكفَّار لما رأوا كثرة عبادته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وكثرة تلاوته القرآن، قالوا له إنك لتشقى بترك ديننا، وإنَّ القرآن نزل عليك لتشقى به، فردَّ الله ما قالوا، وهذا أيضًا يدل على عناية الله بنبيِّه عليه الصَّلاة والسَّلام.

كان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حين ينزل عليه القرآن يتعجَّل قراءته قبل انتهاء وحيه، فأنزل الله تعالى يأمره بالانتظار ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ

أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾[1] [طه:١١٤] بالقرآن وبمنزلته تعالىٰ، وبالضرورة دعا وأُجيب، فهو أعلم الناس بالله وبكتابه، وفي "الصحيحين" حديث: «**أنا أَعْلَمُكُم بالله وأَشَدُّكُم له خَشْيَةً**» وقال تعالىٰ يخاطب نبيَّه: ﴿وَسَبِّحْ﴾ صَلِّ مُتلبِّسًا ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ إذ الصلاة مشتملةً التسبيح والتحميد ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾ صلاة الصبح ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ صلاة العصر ﴿وَمِنْ ءَانَآىِٕ ٱلَّيْلِ﴾ ساعاته ﴿فَسَبِّحْ﴾ صلِّ المغرب والعشاء ﴿و﴾ صلِّ الظهر ﴿أَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ عند زوال الشمس لأنه طرف النصف الأول، وطرف النصف الثاني، والمراد بالجمع ما فوق الواحد ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ [طه: ١٣٠] بما تعطىٰ من الهِبات والعطايا.

قال الصاوي: «انظر إلىٰ هذا الخطاب اللطيف المُشعِر بأنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حبيب ربِّ العالمين، وأفضل الخلق أجمعين، حيث قال له ربه: ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ ولم يقل: «لعلِّي أرضى عليك» ونحو ذلك».

ومن هنا قوله عليه الصَّلاة والسَّلام: «**وجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي في الصَّلاةِ**»، وقول السيِّدة عائشة رضي الله عنها: «ما أرىٰ ربَّك إلَّا يُسارِع في هواك»، فصلاته صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مأمورٌ بها ليرضى هو، لا ليُكَفِّر الله عنه سيِّئاته، ولا ليرضى عليه، وحينئذٍ فلا كلفة عليه فيها لأنَّ فيها شهوده لربِّه

---

(١) تفيد هذه الآية أمر الله تعالىٰ نبيَّه باستزادة العلم منه مباشرةً، بخلاف موسىٰ عليه السَّلام فإنَّ الله تعالىٰ أحاله علىٰ الخَضِر، فذهب يطلبه في جنبات الأرض حتىٰ إذا وجده قال له: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦] فانظر فرق ما بين المقامين.

الذي هو قرَّة عينه[١].

١٧- ﴿سورة الأنبياء﴾

قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ﴾ أي: فِرقٌ من العرب وهم: خزاعة وهذيل وجُهينَة وبنو سلمة ﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ من الملائكة، فكانوا يعتقدون أنَّهم بنات الله تعالى ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ تنزيهًا له عن ذلك ﴿بَلْ﴾ هم ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦]عنده، والعبودية تنافي البنوَّة ولا تجتمع معها، ولهذا لو وجد رجلٌ ابنه رقيقًا واشتراه عُتق عليه بمجرَّد الشِّراء ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾ لا يأتون بقولهم إلَّا بعد قوله: ﴿وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ لا يخالفون أمره، ولو كانوا ولدًا له تعالى لأمكن أن يسبقوه بالقول وأنْ يخالفوا أمره، إدلالًا ببنوَّتهم حسب المعتاد من إدلال الولد على والده ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما هم

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [طه: ١٣٣] قال الزمخشريُّ: «اقترحوا -على عادتهم في التعنُّت- آيةً على النبوة، فقيل لهم: أولم تأتكم آية هي أمُّ الآيات وأعظمها في باب الإعجاز؟ يعني القرآن، من قبل أن القرآن برهان ما في سائر الكتب المنزلة ودليل صحته لأنه معجزةٌ وتلك ليست بمعجزات، فهي مفتقرةٌ إلى شهادته على صحَّة ما فيها افتقار المحتجِّ عليه إلى شهادة الحُجَّة» ا.هـ

ففي الآية -كما قال البيضاوي- إشعار بأن القرآن كما يدل على نبوته، برهان لما تقدمه من الكتب من حيث أنه معجز وتلك ليست كذلك، بل هي مفتقرة إلى ما يشهد على صحتها، وهذا مما خُصَّ به نبيُّنا محمَّد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، حيث كانت معجزته دليلًا على صحَّة ما في كتب الأنبياء قبله.

عاملون وما عملوه ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ من المؤمنين، فلا يشفعون إلَّا لمن علموا أنَّ الله قَبِلَ شفاعتهم فيه ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ وَجِلون ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ﴾ من الملائكة ﴿إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ﴾ كما نجزي القائل ﴿نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٧-٢٩] المشركين.

في هذه الآية إنذارٌ إلى الملائكة، وفي الآية الأخرى: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]فيؤخذ منهما أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أرسل إلى الملائكة، ذكر هذا الاستنباط الحافظ السيوطيُّ في "الأرائك في إرسال النبي إلى الملائك" وهو استنباطٌ وجيهٌ يؤيِّده ما تقدَّم من قتال الملائكة معه في غزوة بدرٍ، وما سبق في (سورة الإسراء) مِن تعبُّدهم بحضور الصَّلاة معنا، وما ثبت في "الصحيح" أنَّهم يحضرون خطبة الجُمُعة، ويحضرون معنا صلاة الجماعة، وأنَّ الإمام إذا قال: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ قالوا: آمين، فمن وافق تأمينه تأمينهم غُفِرَ له، وصحَّ[1] أنَّ جبريل سأل النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «ما تعدون أهل بدرٍ فيكم؟»، قال: «**خيارنا أو مِن خيارنا**» قال: «قال جبريل عليه السَّلام: كذلك أهل بدرٍ فينا».

إلى غير ذلك مما يدل على أنَّهم مُتعبَّدون بما يناسبهم من شريعتنا، وهذا من

---

(١) في "صحيح البخاري" عن رفاعة بن رافع الزرقيِّ رضي الله عنه قال: جاء جبريل عليه السَّلام إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، قال: ما تعدُّون أهل بدرٍ فيكم؟ قال: «**مِن أفضل المسلمين**» أو كلمة نحوها، قال: «وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة» ففيهم من حَضَرَ بدرًا وأُحُدًا والخندق كما أنَّ الصحابة كذلك.

خصائص نبيِّنا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم[١].

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ﴾ الكتاب، وهو يعم الكتب كلها يعني المنزلة ﴿مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ وهو اللوح المحفوظ، والمعنى: أنَّ الله يقسم باسمه الأقدس على أنه كتب في اللوح المحفوظ والكتب التي أنزلها ﴿أَنَّ الْأَرْضَ﴾ أي: أرض الجنَّة ﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] من المؤمنين، قال تعالى في أهل الجنَّة: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ [الزمر: ٧٤] ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ٦٣] ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ

---

(١) وحكى الرازي الإجماع على أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لم يرسل إلى الملائكة، وفي هذا الإجماع نظرٌ، فلم يحكه أحدٌ قبله من ناقلي الإجماعات كابن المنذر وابن عبدالبر وابن حزمٍ ولعلَّه حكاه بناءً على ما قام بذهن كثيرٍ من العلماء أنَّ الملائكة معصومون وأنهم مفطورون على التسبيح والتحميد، فلا يتوجَّه عليهم تكليفٌ، وهذا خطأ بل يتوجَّه عليهم التكليف لقوله تعالى في شأنهم: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦] ولما ذكرناه في الأصل، ولأنهم مُتعبَّدون بالصلاة على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وبعباداتٍ كثيرةٍ يطول تتبُّعها.

وممن قال بإرسال النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إليهم: التقي السُّبكيُّ والمازريُّ والسيوطيُّ.

وبعض متأخِّري الأشعرية أراد أن يتوسَّط بين هذين القولين فقال: أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مرسلٌ إليهم إرسال تشريفٍ لا تكليفٍ، وهذا لا معنى له ولا طائل تحته.

تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:٤٣][(١)] ومِن بِدَع التفاسير أنَّ بعض مؤيِّدي الاستعمار من المعاصرين حمل الأرض على الدنيا وفسَّر الآية على معنى: أنَّ الأرض أي: الدنيا يرثها العباد الصالحون لعمارتها وهم المُستعمِرون، وهذا إلحادٌ في القرآن، وكذبٌ على الله، وخروجٌ على دينه، وإبطال لفريضة الجهاد، ونحن نبرأ إلى الله من هذا التفسير ومن صاحبه ﴿إِنَّ فِي هَٰذَا﴾ القرآن ﴿لَبَلَٰغًا﴾ كفاية في وراثة أرض الجنة ﴿لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ﴾ عاملين به ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً﴾ أي: للرحمة، أو إلا حال كونك رحمة ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٦- ١٠٧] الملائكة والإنس والجن، أمَّا الملائكة فإنَّ الله مدحهم في كتابه الذي جعل معجزته، وأمَّا الثقلان فإن المؤمنين منهم سعدوا باتباعه وفازوا بالنعيم الدائم يوم القيامة، والكفار منهم رفع عنهم الخسف والمسخ والقذف وأنواع العذاب التي عذب بها من قبلهم هذا إلى يسر دينه وسماحة تعاليمه وكرم معاملته وسعة عفوه، ولم

---

(١) تقدَّم في (سورة الإسراء) تفسير الزمخشريِّ لهذه الآية بأنَّ المراد بها محمَّدٌ وأُمَّته، والمعنى: أنَّ الله يورث المسلمين أرض الكفَّار بعد هزيمتهم، فقد فتح عليهم بلاد الشام وفارس والهند والعراق ومصر وسائر بلاد شمال إفريقيا، وغير ذلك من البلاد والأصقاع، والدليل على هذا قوله تعالى. ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ﴾ أرض الكفر ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ [الرعد: ٤١] بما نفتح على المسلمين من بلادهم، فننقص دار الحرب ونزيد في دار االإسلام، وذلك من آيات النصرة والغلبة، وقد يسَّر الله للمسلمين الأولين من فتوح البلدان ودخولها تحت لواء الإسلام ما عد معجزة في تاريخ البشر منذ أوجده الله على ظهر الكرة الأرضية.

يكن هذا لنبيٍّ ولا رسول سواه.

١٨- ﴿سورة الحج﴾

قال الله تعالىٰ يخاطب هذه الأُمَّة: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾ اختاركم لدينه وجعلكم أُمَّةً وسطًا كما سبق ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ ضيقٍ، بل جعله سهلًا سمحًا كما قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «بُعِثْتُ بالحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ» ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ عليه السَّلام، وملة منصوب بنزع الخافض أي: كَمِلَّة إبراهيم، والمراد تشبيه ديننا بدين إبراهيم في التوحيد والسهولة ﴿هُوَ﴾ أي: الله ﴿سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل هذا الكتاب في الكتب القديمة ﴿وَفِى هَٰذَا﴾ القرآن حيث قال: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ يوم القيامة أنه بلغكم ﴿وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٨]أنَّ رُسُلَهم بلَّغوهم، وفي هذه الآية من فضائله عليه الصَّلاة والسَّلام: سهولة دينه، واختيار أُمَّته علىٰ سائر الأُمَم، وشهادتها للرُّسل يوم القيامة أنهم بلَّغوا قومهم، وشهادته عليها بأنه بلَّغها، وهو عليه الصَّلاة والسَّلام لا يحتاج إلىٰ من يشهد له.

١٩- ﴿سورة المؤمنون﴾

قال سبحانه: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾ أفلم يدبَّر كفَّار قريشٍ القرآن الدال علىٰ صدق النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم؟ ﴿أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ [المؤمنون: ٦٨-٧٠]

الاستفهام للتقرير بالحقِّ الذي هو صدق النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ومجيء الرسل للأمم الماضية المُعبَّر عنهم بآبائهم الأولين، ومعرفة رسولهم بالصدق والأمانة، وأنه مُبرَّأٌ من الجنون، ومعنى الاستفهام التقريري: أقرُّوا بالحق المذكور ولا تُنكِروه، وفي الآية دفاع الله عن نبيه بهذا الأسلوب الذي يدل على أنهم في إنكارهم على النبي وتكذيبهم له يخالفون ما يعلمون عنه من الصدق والأمانة ورجحان العقل، ولهذا أضافه إليهم للدلالة على أنهم عرفوه وعاشروه، فكيف ينكرونه بعد ذلك؟ ﴿بَلْ﴾ للانتقال من الاستفهام التقريري إلى الرد الصريح ﴿جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ القرآن ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ [المؤمنون:٧٠] ولهذا كرهوا الآتي به سيدنا محمد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم .

٢٠ - ﴿سورة النور﴾

خرج النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى غزوة بني المصطلق، وأخذ معه عائشة رضي الله عنها تُحمل في هودج يسترها وذلك بعد فرض الحجاب، وفي رجوعهم من الغزو تأخَّرت لقضاء حاجتها والبحث عن عقدٍ وقع منها، وسار الجيش وحملوا هودجها يحسبونها فيه وهي خارجه، ووجدت عقدها ورجعت إلى هودجها فلم تجده ونامت في ذلك المكان وهي تؤمِّل أن يفتقدوها فيرجعوا إليها، فجاء صفوان بن المعطل رضي الله عنه -وكان يتأخَّر بعد الجيش يتفقد ما يسقط منهم ليحمله إليهم- فوجدها نائمة، وكان يعرفها لأنه رآها قبل الحجاب، فاسترجع حتى استيقظت، فأناخ الناقة وأدار ظهره حتى ركبت ولحقا بالجيش، فاتهمها عبدالله بن أبي بن سلول رأس النفاق، وتناقل

كلامه بعض الصحابة غفلة منهم عن خبيئة نفسه، واهتم رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بهذه التهمة لأنها تمس زوجه، فأنزل الله في براءتها بضع عشرة آية افتتحها بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ [النور: ١١] واختتمها بقوله سبحانه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: ٢٦] وفي هذه الحادثة دلالة على شدة عناية الله بنبيه من وجوه:

الأول: أنَّ الله برَّأ زوجه بقرآنٍ يُتلَى، ولم يكتف بأن يُبرِّئها برؤيا منامية، وإن كانت رؤيا الأنبياء وحيًا يثبت به الشرع .

الثاني: أنَّه سمَّى قذفها إفكًا، والإفك: أقبح الكذب .

الثالث: أنَّه تعالى توعَّد البادئ به -وهو عبد الله بن أُبيٍّ بن سلول- بعذاب عظيم، وأوقع على الخائضين فيه إثم خوضهم وترويجهم له.

الرابع: أنَّه تعالى وبَّخ الخائضين فيه وزجرهم بعدة زواجر وموبخات، وهي قوله سبحانه: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ

وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور: ١٢ – ٢١].

الخامس: أخبر عن الخائضين فيه أنَّهم كاذبون عنده تعالىٰ: ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ [النور: ١٣].

وهذا يفيد القطع بكذبهم هنا، بخلاف قذف أيٍّ محصنة مسلمة، فإن القاذف لها إذا لم يأت بالشهداء يكون كاذبًا بحسب الظاهر، ولا يقطع بكذبه لجواز أن يكون صادقًا ولم يستطع إحضار الشهود.

السادس: أنَّه تعالىٰ أوجب اللعنة والعذاب علىٰ قاذف إحدىٰ أمهات المؤمنين، حيث قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ هن أمهات المؤمنين ﴿لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النور: ٢٣ – ٢٥].

السابع: نقل القرطبيُّ عن بعض أهل التحقيق، قال: «لما رمي يوسف عليه السَّلام بالفاحشة برَّأه الله علىٰ لسان صبيٍّ في المهد، ولما رُميت مريم بالفحشاء برأها الله علىٰ لسان ولدها عيسىٰ عليهما السَّلام، ولما رميت عائشة بالفحشاء برأها الله بالقول، فما رضي لها براءة صبيٍّ ولا نبيٍّ حتىٰ برَّأها الله بكلامه من القذف والبهتان».

قلت: لما كانت عائشة زوج النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم برَّأها الله بهذه

الطريقة إظهارًا لشدة عنايته بنبيِّه، فالموازنة المذكورة هي في الحقيقة موازنة بين يوسف وعيسىٰ وبين نبينا عليهم الصَّلاة والسَّلام، وفضل نبينا عليهما ظاهرٌ.

وقال الزمخشري في "الكشاف": «ولو فلَّيت القرآن كله وفتَّشت عما أوعد به العصاة لم تَرَ الله تعالىٰ غلظ في شيءٍ تغليظه في إفك عائشة رضوان الله عليها، ولا أنزل من الآيات القوارع، المشحونة بالوعيد الشديد والعتاب البليغ والزجر العنيف، واستعظام ما ركب من ذلك واستفظاع ما أقدم عليه، ما أنزل فيه علىٰ طرق مختلفة وأساليب مفتنة، كلُّ واحدٍ منها كافٍ في بابه».

إلىٰ أن قال: «ولقد برَّأ الله تعالىٰ أربعة بأربعة، برأ يوسف بلسان الشاهد ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ [يوسف: ٢٦]، وبرأ موسىٰ من قول اليهود فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه[1]، وبرأ مريم بإنطاق ولدها حين نادىٰ من حجرها: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ [مريم: ٣٠] وبرأ عائشة بهذه الآيات العظام في كتابة المُعجِز المتلوِّ علىٰ وجه الدهر مثل هذه التبرئة بهذه المبالغات، فانظر كم بينها وبين

---

(١) كان اليهود يغتسلون عراة، وكان موسىٰ عليه السَّلام حييًّا ستيرًا، إذا أراد الاغتسال انفرد في مكانٍ بعيد عنهم حتىٰ لا يروا عورته، فقالوا: لا ينفرد عنَّا إلَّا لأنه آدر -أي خصيتاه منتفختان أو إحداهما- وأراد الله أن يبرئه من هذا العيب الذي ألصقوه به، فذهب يغتسل مرَّةً منفردًا علىٰ عادته، ونزع ثيابه ووضعها علىٰ حجرٍ، ونزل إلىٰ الماء يستحم، فلما اغتسل وأراد أن يلبس ثوبه، جرىٰ الحجر وجرىٰ موسىٰ عاريًا خلفه يناديه: ثوبي حَجَر، ثوبي حَجَر، حتىٰ مرَّ علىٰ جماعة من بني إسرائيل فرأوه عاريًا ليس به داء، وعلموا أنهم اتهموه كذبًا، فوقف الحجر وأخذ ثوبه وضربه بعصاه حتىٰ أثر فيه ندبًا من ضربه. كذا ثبت في "الصحيحين" عن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

تبرئة أولئك، وما ذاك إلا لإظهار علوِّ منزلة رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، والتنبيه علىٰ إنافة محل سيِّد ولد آدم وخيرة الأولين والآخرين وحُجَّة الله علىٰ العالمين.

وَمن أراد أن يتحقَّق عظمة شأنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وتقدُّم قدمه وإحرازه لقصب السبق دون كلِّ سابقٍ، فليتلق ذلك من آيات الإفك، وليتأمَّل كيف غضب الله له في حرمته؟ وكيف بالغ في نفي التهمة عن حجابه؟».اهـ

(تنبيه): اتخذ المستشرقون والمُبشِّرون من حادثة الإفك مغمزًا يعيبون به النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن طريق اتهام زوجه وثلم عرضها، وهم في هذا مغرضون حاقدون، وقد أجاد الرد عليهم الأستاذ العقاد في كتابه "الصديقة بنت الصديق" فليراجَع.

ومما قرأته في بعض الكتب القديمة أنَّ أحد كبار القسيسين ناظر بعض كبار علماء المسلمين في مسائل دينية، وتدرَّج الكلام إلىٰ حديث الإفك، فاتخذه القسيس تكأة للطعن في النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فقال له ذلك العالِم -وأظنه الباقلاني-: علىٰ فرض صحَّة التهمة، فعائشة زوجة يمكن التخلُّص منها بالطلاق، ولكن ما قولك فيمن أتت قومها تحمل طفلها بين يديها؟!! فانقطع القسيس ولم يحر جوابًا.

وقال تعالىٰ في المنافقين الذين ينفرون من التحاكم إلىٰ النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ أي: المنافقون ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا﴾ هما فيما حكما به ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ﴾ يعرض ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ عن حكم الرسول

﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ﴾ المعرضون ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ حقيقة، إذ لو كان إيمانهم حقيقيًّا ما أعرضوا عن حكمه ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾ عن المجيء إليه إن كان عليهم الحق ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ طائعين ﴿أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ كفر ﴿أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ﴾ في نبوته ﴿أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ في الحكم، وبالضرورة لا محل لخوفهم، لاستحالة الجور في حق الله ورسوله ﴿بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [النور: ٤٧ – ٥٠] بالإعراض عن الحكم.

وفي الآية دليلٌ على أنه عليه الصَّلاة والسَّلام لا يخطئ في الحكم، لأنَّ الله تعالى جعل حكم نبيه حكمه، والخطأ في حقِّه تعالى محالٌ، فما زعمه بعض مبتدعة هذا العصر من نسبة الخطأ إليه عليه الصَّلاة والسَّلام في بعض أحكامه ضلالٌ مبنيٌّ على جهلٍ.

وزاد بعضهم جهلًا وضلالة فجوَّز مخالفة بعض قضاياه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إذا اقتضت المصلحة ذلك، ولا أدري كيف خفيت عليه هذه الآية؟ وآية (سورة النساء)؟ وأي مصلحة تقتضي مخالفة حُكْمه؟ والقرآن ينفي الإيمان عمن لم يسلِّم له تسليمًا؟ ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ أفرد الضمير لإفادة أنَّ حكم الله ورسوله واحدٌ ﴿أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ لا أن يردوه لمصلحة أو غيرها ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١] الفائزون.

ثُمَّ حضَّ الله على طاعته وطاعة رسوله وأمر بها، وأخبر أنَّ الهداية في طاعة رسوله، وهذا يؤكِّد ما قدَّمناه أن الله يقرن ذكر رسوله بذكره تشريفًا له

وتكريمًا، وأنه تعالىٰ يتولىٰ توجيه الأمر بطاعته كما تولىٰ الدفاع عنه.

أمر النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بحفر الخندق استعدادًا لمقابلة المشركين الذين عزموا علىٰ غزوه بالمدينة، فكان المنافقون يتباطئون في العمل، وإذا وجدوا فرصة انصرفوا لبيوتهم من غير استئذان بخلاف الصحابة الذين كانوا يعملون مجتهدين، ولا ينصرف أحدهم إلا لعذر بعد استئذان ويعود عند انتهائه، فأنزل الله يمدحهم ويذم المنافقين ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ﴾ مع الرسول ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ كحفر الخندق أو خطبة الجمعة ﴿لَّمْ يَذْهَبُوا۟﴾ لعذر طرأ لهم ﴿حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ﴾ في الانصراف للعذر ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ في هذا غاية المدح للصحابة، ونهاية الذم للمنافقين ﴿فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ فوض إليه الأمر، وهذا دليل مسألة التفويض المذكورة في مبحث الاجتهاد من علم الأصول، ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ﴾ ليعوضهم استغفارك ما فاتهم من شرف مجالستك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٦٢].

وقال الزمخشري في تفسير هذه الآية: أراد عزَّ وجلَّ أن يريهم عظم الجناية في ذهاب الذاهب عن مجلس رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بغير إذنه ﴿وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ فجعل ترك ذهابهم حتىٰ يستأذنوه ثالث الإيمان بالله والإيمان برسوله، وجعلهما كالتسبيب له والبساط لذكره، وذلك مع تصدير الجملة ﴿إِنَّمَا﴾ وإيقاع المؤمنين مبتدأ مخبرًا عنه بموصول أحاطت

صلته بذكر الإيمانين، ثم عقبه بما يزيده توكيدًا وتشديدًا حيث أعاده على أسلوب آخر وهو قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ وضمنه شيئًا آخر وهو أنه جعل الاستئذان كالمصداق لصحة الإيمانين وعرض بحال المنافقين وتسللهم لواذًا، ومعنى قوله: ﴿حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾ لم يذهبوا حتى يستأذنوه ويأذن لهم، ألا تراه كيف علّق الأمر بعد وجود استئذانهم، بمشيئته وإذنه لمن استصوب أن يأذن له.

كان بعض المسلمين ينادي النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم باسمه المُجرَّد أو كنيته: يا محمد أو يا أبا القاسم، فنهاهم الله عن ذلك بقوله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣] كما يقول بعضكم لبعضٍ: يا فلان، ولكن قولوا: يا رسول الله، يا نبي الله ونحوهما من الألفاظ المُشعِرة بالتعظيم ومنها لفظ سيدي كما كان يناديه بعض أجلاء الصحابة حسبما ثبت في "سنن أبي داود" وصحَّحه الحاكم، فالوهَّابية الذين يتشبثون بذكره باسمه المجرَّد خالفوا القرآن الكريم، وجانبوا الذوق السليم، وأبانوا عن قِلَّة أدبٍ في حقِّ الرسول العظيم، الذي خصَّه الله بهذه الخصوصية دون سائر الأنبياء الذين حكى الله عنهم دعاء قومهم لهم باسمهم المُجرَّد نحو: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾ [البقرة: ٦١] ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١١٢] وقالت بلقيس: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

ثُمَّ عاد الكلام إلى ذمِّ المنافقين ﴿قَدْ﴾ للتحقيق ﴿يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾ يخرجون مستترين أثناء خطبة الجمعة ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ أي: الرسول ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] يؤخذ منه أن الأمر للوجوب وعلى أن أمر الرسول واجب الاتباع.

وقال الزمخشريُّ: «إذا احتاج رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى اجتماعكم عنده لأمر فدعاكم، فلا تفرَّقوا عنه إلَّا بإذنه، ولا تقيسوا دعاءه إياكم على دعاء بعضكم بعضًا، ورجوعكم عن المجمع بغير إذن الداعي أو لا تجعلوا تسميته ونداءه بينكم كما يسمي بعضكم بعضًا ويناديه باسمه الذي سماه به أبواه، وتقولوا: يا محمد، ولكن قولوا: يا نبي الله، ويا رسول الله، مع التوقير والتعظيم والصوت المخفوض والتواضع».

قلت: الآية تشمل المعنيين جميعًا، لأنَّ الفعل واقع في سياق النهي فيعم.

□٢١ - ﴿سورة الفرقان﴾

قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١] يفيد أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مرسل إلى الإنس والجن والملائكة، لأنَّ لفظ العالمين يشملهم، ولأنَّه سبق في (سورة الأنبياء) توجيه الإنذار لهم، ومن حمل من المفسرين لفظ العالمين على الثقلين محتجًّا بأن الملائكة معصومون فقد وهم، لأنَّ العصمة لا تنافي التكليف، ولا تمنع توجيه الإنذار بصيغة الشرط كما تقدم في (سورة الأنبياء)، وكما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ

إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الزمر:٦٥] مع أنَّ الأنبياء معصومون أيضا، والحكمة في ذلك: تعبُّدهم بما يزيد في درجات قربهم، والتنبيه على أنهم مع عصمتهم وعلوِّ رتبتهم لو فرض وقوع مخالفة منهم، عذبوا، فكيف بمن هو دونهم؟

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ [الفرقان: ٤] الآيات تتضمَّن تهمًا وشبهًا مع جواب الله عنها بما يبين بطلانها.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣] يؤيِّد ما بينَّاه في (سورة البقرة)؛ أن الله تعالى تولَّى الدِّفاع عن نبيه فيما وجَّه إليه الكفار من تهمٍ وشبهٍ.

قال العلامة الصاوي: «معنى الآية: كلما أوردوا شبهة أو أتوا بسؤال عجيب أجبنا عنه بجواب حسن يرده ويدفعه من غير كلفةٍ عليك فيه، فلو نزل القرآن جملة واحدة لكان النبي هو الذي يبحث في القرآن عن ردِّ تلك الشبهة، كالعالم الذي يبحث في الكتب عن جواب المسائل التي يسئل عنها، فيكون الأمر موكولًا له، فتكون الكلفة عليه، وما كان موكولًا إلى الله تعالى كان أتم مما هو موكول إلى العبد، وفيه قمع للمعاندين».

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾ [الفرقان: ٥١] يفيد أن الله لو أراد أن يبعث رسولًا في كلِّ قريةٍ لفعل، وتكون رسالة نبينا حينئذٍ خاصَّةً بقومه كالأنبياء السابقين، ولكن جعل نبيه رسولًا إلى العالم كله ليعظم أجره، ويعلو ذكره، ويرتفع قدره.

قال الزمخشري: «﴿وَلَوْ شِئْنَا﴾ لخففنا عنك أعباء نذارة جميع القرى ﴿لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ﴾ نبيًّا ينذرها، وإنما قصرنا الأمر عليك وعظَّمناك به وأجللناك وفضَّلناك على سائر الرسل، فقابل ذلك بالتشدد والتصبُّر».اهـ

٢٢- ﴿سورة الشعراء﴾

قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:٣] خرج مخرج الإشفاق عليه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، والمعنى: أشفق على نفسك ولا تقتلها غمًا لأجل أنْ لم يؤمنوا.

وقوله تعالى: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [الشعراء: ٤] خرج مخرج التسلية له صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن عدم إيمانهم، وهذه عناية لم ينلها نبي قبله.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢] الآيات، مدحٌ للقرآن ومُنزِله والمُنزَّل عليه، وبيان أنَّ علماء بني إسرائيل يعلمون أنه حقٌّ ويشهدون بذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ إلى قوله: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء: ٢١٠ - ٢٢٢] الآية، ردٌّ لقول المشركين على سنة الله في رد ما يورد على نبيه عناية خاصة به لم ينلها رسول قبله.

٢٣- ﴿سورة النمل﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل: ٦] ردٌّ لقول المشركين فيه وفي القرآن، ولذا ورد مؤكَّدًا بإن واللام، وهو مع هذا تمهيدٌ لما سيتلى عليه من قصص الأنبياء عليهم السلام.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النمل:٧٠] تسلية له صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن مكر الكفار به، لأنَّ الله تعالى تكفَّل بنصره عليهم.

٢٤- ﴿سورة القصص﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾ [القصص:٤٤] الآيات، نوع من دفاع الله عن نبيه بإقامة الحُجَّة على مُكذِّبيه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

لما خرج النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مهاجرًا إلى المدينة ووصل إلى الجحفة وعرف طريق مكة -لأنَّه كان يسير على غير الطريق المعتاد- اشتاق إلى بلده، فأنزل الله تعالى عليه يعده بالعودة إلى بلده: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥] وهذا من دلائل عناية الله بنبيه(١).

---

(١) قال الزمخشريُّ في تفسير هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه، يعني أن الذي حملك صعوبة هذا التكليف لمثيبك عليها ثوابًا لا يحيط به وصف، و﴿لَرَآدُّكَ﴾ بعد الموت ﴿إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ أي معاد، إلى معاد ليس

٢٥- ﴿سورة العنكبوت﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨] الآيات، إقامة للحجة على اليهود الذين أنكروا نبوته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وهو دفاع أيضًا.

٢٦- ﴿سورة الأحزاب﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب:١] نداء له بوصف النبوة، وقد نبهنا على ذلك في (سورة المائدة)، ونقلنا كلام الزمخشري على هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦] يفيد وجوب تقديم النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وإيثاره، فيجب على المؤمن تقديم نفس النبي على نفسه، ويؤثر طاعته على حظ نفسه، قال حسان:

فإنَّ أبي ووالِدَهُ وعِرْضِي ... لعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُم وِقاءُ

لغيرك من البشر -قلت يعني المقام المحمود- وتنكير المعاد كذلك، وقيل: المراد به مكة، ووجهه: أنه يراد رده إليها يوم الفتح، ووجه تنكيره: أنها كانت في ذلك اليوم معادًا له شأن، ومرجعًا له اعتداد لغلبة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عليها وقهره لها، ولظهور عز الإسلام وأهله، وذل الشرك وحزبه، والسورة مكية، فكأن الله وعده وهو بمكة في أذى وغلبة من أهلها أنه يهاجر به منها، ويعيده إليها ظاهرًا ظافرًا، وقيل: نزلت عليه حين بلغ الجحفة في مهاجره، وقد اشتاق إلى مولده ومولد آبائه وحرم إبراهيم، فنزل جبريل، فقال له: أتشتاق إلى مكة؟ قال: «نعم» فأوحاها إليه.

وقال الزمخشريُّ: «﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ في كلِّ شيءٍ من أمور الدِّين والدُّنيا ﴿مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ ولهذا أطلق ولم يُقيِّد، فيجب عليهم أن يكون أحب إليهم مِن أنفُسِهم، وحُكْمُه أنفذ عليهم مِن حُكْمها، وحَقُّه آثر لديهم من حقوقها، وشفقتهم عليه أقدم من شفقتهم عليها، وأن يبذلوها دونه، ويجعلوها فداءه إذا أعضل خطب، ودفاعه إذا لقحت حرب، وأن لا يتبعوا ما تدعوهم إليه نفوسهم، ولا ما تصرفهم عنه، ويتبعوا كلَّ ما دعاهم إليه رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وصرفهم عنه، لأنَّ كل ما دعا إليه فهو إرشاد لهم إلىٰ نيل النجاة والظفر بسعادة الدارين، وما صرفهم عنه فأخذ بحجزهم لئلا يتهافتوا فيما يرمي بهم إلىٰ الشقاوة وعذاب النار».اهـ

قوله تعالىٰ: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦] يفيد أن أزواجه الطاهرات أمهات للمؤمنين في وجوب تعظيمهنَّ، واحترامهنَّ وحرمة نكاحهنَّ، كما يأتي التصريح به بعد.

قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧].

قال الزمخشري: «فإن قلت: لِـمَ قُدِّم رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ نوحٍ فمَن بعده؟ قلت: هذا العطف لبيان فضيلة الأنبياء الذين هم مشاهيرهم وذراريهم، فلما كان محمد صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أفضل هؤلاء المُفضَّلين، قُدِّم عليهم لبيان أنه أفضلهم، ولولا ذلك لقُدِّم مَن قدَّمه زمانه، فإن قلت: فقد قُدِّم نوح عليه السَّلام في الآية التي هي أخت هذه الآية وهي قوله

تعالىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الشورىٰ:١٣] ثُمَّ قدِّم علىٰ غيره؟ قلت: مورد هذه الآية علىٰ طريقة خلاف طريقة تلك، وذلك أن الله تعالىٰ إنما أوردها لوصف دين الإسلام بالأصالة والاستقامة، فكأنه قال: شرع لكم الدين الأصيل الذي بعث عليه نوح في العهد القديم، وبعث عليه محمد خاتم الأنبياء في العهد الحديث، وبعث عليه من توسط بينهما من الأنبياء والمشاهير».اهـ

قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ يعني الأحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٩].

الريح: ريح الصَّبا، والجنود: الملائكة. وكان هذا في غزوة الخندق، حيث قلعت الريح خيام الكفار، وسفت التراب في وجوههم، وأطفأت نيرانهم، وكبرت الملائكة في جوانب معسكرهم، فقال طليحة بن خويلد الأسدي: أما محمد فقد بدأكم بالسحر، فالنجاء النجاء، فانهزموا من غير قتال(١).

---

(١) قوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] يعني: أنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قدوة حسنة يقتدي به المؤمنون في كل ما يصدر عنه من قول وعمل، لأنه لا ينطق ولا يعمل عن هوىٰ، بل عن وحي ظاهر أو خفي، قال بعض الكبراء:

وخَصَّكَ بالهُدَىٰ في كلِّ أَمْرٍ ... فلستَ تَشَاءُ إلَّا ما يَشَاءُ

ومما يقتدىٰ به فيه ما كان سبب نزول الآية وهو المواساة بنفسه، والثبات في مواطن

طلب أمهات المؤمنين التوسيع عليهن في النفقة واللبس، فأنزل الله في ذلك: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴾ [الأحزاب: ٢٨].

فخيرهن بين الله ورسوله وبين إجابة طلبهن في متعة الحياة الدنيا، وأخبر أن عقابهن مضاعف، وكذلك ثوابهن(١)، وأخبر أنهن لسن كأحد من النساء، ونداؤهن بـ ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٣٠] يفيد أنهن نلن هذا التكريم لأجله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ

القتال، وقوله: ﴿لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٢١] الآية بدل من ﴿لَكُمۡ﴾ فهو بيان لمن ثبتت له الأسوة الحسنة: أي أن المقتدي برسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم هو المتصف بخوف الله واليوم الآخر، والذكر الكثير لله تعالى، ويؤخذ منه أن الاقتداء برسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم شرفٌ لا يناله إلَّا عِلْية المؤمنين وخاصَّتهم.

(١) قال تعالى: ﴿وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ﴾ [الأحزاب: ٣١] مرة على طاعتها، ومرة على خدمتها للرسول في حياته وحبس نفسها عليه بعد انتقاله، وممن يؤتى أجره مرتين: الكتابي إذا أسلم لإيمانه بكتابه وبالقرآن، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ ﴾ [القصص: ٥٢ – ٥٤]وفي الحديث الصحيح: «ثلاثة كلهم لهم أجران: رجل كانت له جارية فأدبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها فتزوجها فله أجران، ورجل كان من أهل الكتاب يؤمن بنبيه فأدرك النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فآمن به فله أجران، ومملوك أدى حق الله تعالى وحق مواليه فله أجران».

تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٣]يفيد طهارة أهل بيت النبوة، وهم كما ثبت في الصحيح: علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، لأنَّ الله لما بين تكريم نسائه بيَّن تكريم أولاده وعصبته، فجمع له الفضل من جميع أطرافه عليه الصَّلاة والسَّلام.

خطب النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من عبد الله بن جحش أخته زينب، فوافق لظنه أنَّه خطبها لنفسه، فلما علم هو وأخته أن الخطبة لزيد كرها ذلك، فأنزل الله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾(١) [الأحزاب: ٣٦]فقال عبد الله وأخته: رضينا بأمر الله ورسوله.

---

(١) قال ابن القيم في "زاد المعاد" تعليقًا على هذه الآية: «فقطع سبحانه وتعالى التخيير بعد أمره وأمر رسوله، فليس لمؤمن أن يختار شيئًا بعد أمره صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بل إذا أمر، فأمره حتم، وإنما الخيرة في قول غيره إذا خفي أمره وكان ذلك الغير من أهل العلم به وبسنته، فبهذه الشروط يكون قول غيره سائغ الاتباع لا واجب الاتباع، فلا يجب على أحد اتباع قول أحد سواه، بل غايته أنه يسوغ له اتباعه، ولو ترك الأخذ بقول غيره لم يكن عاصيًا لله ورسوله، فأين هذا ممن يجب على جميع المكلفين اتباعه ويحرم عليهم مخالفته، ويجب عليهم ترك كل قول لقوله، فلا حكم لأحد معه، ولا قول لأحد معه، كما لا تشريع لأحد معه، وكل من سواه فإنما يجب اتباعه على قوله إذا أمر بما أمر به و نهى عما نهى عنه، فكان مبلغًا محضًا ومخبرًا لا منشئًا ومؤسسًا، فمن أنشأ أقوالًا وأسس قواعد بحسب فهمه وتأويله لم يجب على الأمة اتباعها ولا التحاكم إليها حتى تعرض على ما جاء به الرسول، فإن طابقته ووافقته وشهد لها بالصحة قبلت حينئذ، وإن خالفته وجب ردها واطراحها، فإن لم يتبين فيها

أفادت هذه الآية أنَّ أمر النبي هو أمر الله، ولو كان خارج القرآن، لأنَّ النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم رأىٰ أن يزوج زينب لزيد، وأمر أخاها بتنفيذ الزواج، فأخبر الله تعالىٰ أن هذا أمره، وأتىٰ بصيغة عامة تشمل جميع أوامره عليه الصَّلاة والسَّلام، فالآية تصفع أولئك المبتدعة الذين يقصرون طاعة النبي علىٰ ما كان في القرآن ومتعلقًا بالدين، وزواج زينب بزيد لم يأمر به القرآن، ولا علاقة له بالدين، فإن تمسكوا بقول النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في مسألة تأبير النخل «**أنتم أعلم بأمور دنياكم**». فلا حجة لهم فيه، لأنَّ النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لم يأمر بترك التأبير وإنما قال: «**لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرًا**» فأبدىٰ رأيًا مجردًا، وليس كلامنا فيه، إنما كلامنا فيما أفادته الآية من وجوب اتباع أمره دينيًّا كان أو دنيويًّا مع تذييلها بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

كان الناس يدعون زيدًا ابن محمد؛ لأنَّه عليه الصَّلاة والسَّلام كان قد تبنَّاه قبل النبوة، فأنزل الله في ذلك: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]في هذه الآية -إلىٰ جانب إبطال التبني- إثبات كونه عليه الصَّلاة والسَّلام خاتم النبيين، وهي مزية فضَّله الله بها علىٰ جميع المرسلين.

ويلاحظ هنا أن الله حين ذكره باسمه محمد، أعقبه بوصف الرسالة إشارة إلىٰ أنه لا ينبغي أن يذكر اسمه إلا مقرونًا بما يدل علىٰ التعظيم.

أحد الأمرين جعلت موقوفة وكان أحسن أحوالها أن يجوز الحكم والإفتاء بها وتركه، وأما أنه يجب ويتعين فكلا ولمَّا».اهـ وهو في غاية الحسن ونهاية الإجادة.

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾ [الأحزاب: ٤٥ - ٤٦] يفيد تسمية النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بأسماء تدل على علو قدره وارتفاع منزلته، ولم يسمَّ بها نبيٌّ قبله، ويلاحظ أن الله سماه سراجًا منيرًا، وسمى الشمس سراجًا وهاجًا، والمنير هو الذي ينيرمن غير إحراق بخلاف الوهاج فإن فيه إحراقا وتوهجًا.

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأحزاب: ٥٠].

يفيد أن الزواج بلفظ الهبة ومن غير صداق من خصوصياته عليه الصَّلاة والسَّلام فلا يصح الزواج بلفظ الهبة لأحد من الناس كائنًا من كان.

قال الزمخشري: «فإنْ قلت: لم عدل عن الخطاب إلى الغيبة في قوله تعالى: ﴿نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ﴾ثم رجع إلى الخطاب؟ قلت: للإيذان بأنه مما خص به وأوثر، ومجيئه على لفظ النبي للدلالة على أن الاختصاص تكرمة له لأجل النبوة، وتكريره تفخيم له وتقرير لإستحقاقه الكرامة لنبوته».اهـ

قوله تعالى: ﴿تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ مِمَّنۡ عَزَلۡتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَ ﴾ [الأحزاب: ٥١] يفيد تخييره صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في القسم بين زوجاته من غير وجوب عليه، وهذا من خصوصياته أيضًا.

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ

إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ (١) وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣].

يبين عدة أشياء من حقوق النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ أمته:

أحدها: أنَّ أناسًا كانوا يدخلون بيوت النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بغير دعوة منه وينتظرون نضج الطعام ليأكلوا معه، فحرَّم الله عليهم الدخول إلا بدعوة منه.

ثانيها: دعا النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم الصحابة إلىٰ وليمة أولمها علىٰ بعض أزواجه، ولما تناولوا الطعام مكث بعضهم يتجاذبون أطراف الحديث، فأوجب الله عليهم الخروج عقب تناول الطعام مباشرة.

ثالثها: كان منهم من يتناول الطعام مع النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وبعض أزواجه، ففرض الله الحجاب علىٰ أمهات المؤمنين صيانة لجناب نبيه الكريم عليه الصَّلاة والسَّلام.

رابعها: قال بعض كبار الصحابة: لئن مات النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لأتزوجن عائشة، فحرم الله تعالىٰ نكاح أزواجه من بعده.

قال الزمخشري: «وسمىٰ نكاحهن بعده عظيمًا عنده، وهو من أعلام

---

(١) نضجه.

تعظيم الله لرسوله وإيجاب حرمته حيًّا وميتًّا».اهـ

خامسها: أفادت الآية أنَّ ما يؤذي النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يحرم فعله ولو كان مباحًا في الأصل.

(تنبيه): قوله تعالى: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا﴾ هذا أدب أدَّب به الثقلاء، روى الثعلبي عن العلاء قال: سمعت ابن عائشة يقول: حسبك في الثقلاء أن الله تعالى لم يحتملهم وقال: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا﴾.

قلت: ويناسب هذا ما ورد عن الشَّافعي أنَّ سائلًا سأله: أيمرض الروح؟ قال: نعم، من ظل الثقلاء، وبعد مدة كبيرة مر السائل عليه فوجده جالسا بين ثقيلين، فسأله: كيف الروح يا أبا عبدالله؟ فأجابه على الفور: في النزع!.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] يفيد تشريف النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من جهتين:

الأولى: قال الإمام سهل بن محمد بن سليمان: هذا التشريف الذي شرف الله به محمدًا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بهذه الآية أجمع وأتم من تشريف آدم عليه السَّلام بسجود الملائكة له؛ لأنَّه لا يجوز أنْ يكون الله مع الملائكة في ذلك التشريف، وقد أخبر الله تعالى عن نفسه بالصلاة على النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ثم عن الملائكة بالصلاة عليه، فتشريف يصدر عنه أبلغ من تشريف تختص به الملائكة من غير أن يكون الله تعالى معهم فيه.

والثانية: أن الله تعالى أمر عباده بالصلاة على نبيه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم،

وجعلها قربة يتقرب بها إليه سبحانه، وهذا تشريف لم ينله رسول ولا ملك.

(تنبيه): قال الحافظ السخاوي في "القول البديع": «الملائكة لا يحصي عددهم إلا الله تعالى، لأنَّ منهم الملائكة المقربين، وحملة العرش، وسكان سبع سماوات، وخزنة الجنة والنار، والحفظة على الأعمال وبني آدم كما في قوله تعالى: ﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١] والموكلين بالبحار والجبال والسحاب والأمطار والأرحام والنطف والتصوير ونفخ الأرواح في الأجساد وخلق النبات وتصريف الرياح وجري الأفلاك والنجوم وإبلاغ صلاتنا على النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وكتابة الناس يوم الجمعة، والتأمين على قراءة المصلين، وقول: «ربنا ولك الحمد»، والداعين لمنتظر الصلاة، واللاعنين لمن هجرت فراش زوجها، إلى غير ذلك مما وردت به الأحاديث الصحيحة وغيرها، وأكثر ذلك موجود في كتاب "العظمة" لأبي الشيخ ابن حِبَّان الحافظ.

وثبت في "المستدرك" للحاكم من حديث عبد الله بن عمرو: «**إنَّ الله جَزَّأ الخلقَ عشرَة أجزاءٍ، فجعل الملائكةَ تسعة أجزاء، وجزءًا سائرَ الخلقِ**».

وفي حديث المعراج المتفق على صحته: «**إنَّ البيتَ المعمورَ يصلِّي فيه كلَّ يوم سبعون ألفَ ملك إذا خرجوا لم يعودُوا**».

وفي حديث أبي ذر عند الترمذي وابن ماجه والبزار مرفوعا: «**أطَّت السماءُ وحُقَّ لها أن تَئِطَّ ما فيها موضعُ أربعِ أصابعَ إلا وعليه ملك واضعٌ جبهَته ساجدٌ**». وفي حديث جابر عند الطبراني مرفوعًا، ونحوه من حديث عائشة عند الطبراني: «**ما في السمواتِ السبعِ موضعُ قدمٍ ولا شبرٍ ولا كفٍّ إلا وفيه**

ملَكٌ قائمٌ أو راكعٌ أو ساجدٌ».

ومعلوم أن الجميع يصلون على سيدنا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بنص القرآن حيث كانوا، وأين كانوا، وهذا مما خصه الله به دون سائر الأنبياء والمرسلين».

قلت: ودون الملائكة أيضًا.

٢٧- ﴿سورة سبأ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ [سبأ: ٢٨] يفيد عموم رسالته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وقد تقدم هذا غير مرة وهو من خصوصياته(١).

---

(١) وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ﴾ أرشدكم وأنصحكم بخصلة واحدة، وهي: ﴿أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ ﴾ أي قيامكم ونهوضكم بهمة مخلصين لله تعالى معرضين عن المراء والتقليد ﴿مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ﴾ متفرقين اثنين اثنين، وواحدًا واحدًا، لأنَّ الازدحام يشوش الخاطر، ويبعد عن التفكير المتزن ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ﴾ في أمر محمد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وما جاء به، لتعلموا حقيقته وتعلموا ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ﴾ أي: ما به من جنون يحمله على ادعاء الرسالة، بل علمتموه أرجح قريش عقلًا، وأرزنهم حلمًا، وأثقبهم ذهنًا، وآصلهم رأيًا، وأصدقهم قولًا، وأنزههم نفسًا، وأجمعهم لما يحمد عليه الرجال ويمدحون به، فكان مظنة لأنَّ تظنوا به الخير، وترجحوا فيه جانب الصدق، ويكفيكم أن تطالبوه بآية، فإذا أتى بها تبين أنه ﴿إِنۡ ﴾ ما ﴿هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ ﴾ [سبأ: ٤٦] وهذا من دفاع الله عن نبيه.

٢٨- ﴿سورة فاطر﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [فاطر: ٤] قال الزمخشري: «نعى به على قريش سوء تلقيهم لآيات الله وتكذيبهم بها، وسلى رسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بأن له أسوة حسنة في الأنبياء قبله، ثم جاء بما يشتمل على الوعد والوعيد من رجوع الأمور إلى حكمه، ومجازاة المُكذَّب والمُكذِّب بما يستحقَّانه، فإنْ قلت: ما معنى التنكير في رسل؟ قلت: معناه: فقد كذبت رسل، أي: رسل ذوو عدد كثير، وأولو آيات ونذر، وأهل أعمار طوال، وأصحاب صبر وعزم وما أشبه ذلك، وهذا أسلى له وأحث على المصابرة».اهـ

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [فاطر: ١٠].

قال: «أصله والذين مكروا المكرات السيئات أو أصناف المكر السيئات، وعنى بهن مكرات قريش حين اجتمعوا في دار الندوة وتداوروا الرأي في إحدى ثلاث مكرات يمكرونها برسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، إما إثباته أو قتله أو إخراجه كما حكى الله سبحانه عنهم: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ [الأنفال: ٣٠] ﴿وَمَكْرُ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [فاطر: ١٠] يعني: ومكر أولئك الذين مكروا تلك المكرات الثلاث هو خاصة يبور أي: يكسد ويفسد دون مكر الله بهم حين أخرجهم من مكة وقتلهم وأثبتهم في قليب بدر، فجمع عليهم مكراتهم جميعًا، وحقق فيهم قوله: ﴿وَيَمْكُرُونَ

وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠] وقوله: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾ [فاطر: ٤٣]». اهـ

وعبر بأولئك إشارة لبعدهم عن الرحمة واشتهارهم بالبغي(١).

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [فاطر: ٣٢] الآية، يفيد اصطفاء الأمة المحمديَّة، وما ذاك إلَّا ببركة نبيها صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

وقال الزمخشري: «فإنْ قلت: ما معنى قوله: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ﴾؟

قلت: فيه وجهان:

أحدهما: أنا أوحينا إليك القرآن ثم أورثناه من بعدك، أي: حكمنا بتوريثه أو قال: أورثناه وهو يريد نورثه -لما عليه أخبار الله- ﴿ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ وهم أمته من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم إلى يوم القيامة، لأنَّ الله اصطفاهم على سائر الأمم، وجعلهم أمة وسطًا ليكونوا شهداء على الناس، واختصهم بكرامة الانتماء إلى أفضل رسل الله، وحمل الكتاب الذي هو أفضل كتب الله، ثم ذكر الوجه الثاني وهو يرجع إلى هذا المعنى أيضًا.

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ القرآن، ومن للتبيين ﴿هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا ﴾ حال مؤكدة، لأنَّ الحق لا ينفك عن هذا التصديق ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ لما تقدمه من الكتب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [فاطر: ٣١] يعني أنه خبرك وأبصر أحوالك فرآك أهلًا لأنَّ يوحي إليك هذا الكتاب المعجز الذي هو عيار على سائر الكتب، فالآية مدح للقرآن الكريم وللنبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

(تنبيه): صدرت هذه الآية بذكر المصطفين من عباد الله، ثم قسمتهم إلى ظالم لنفسه مجرم، ومقتصد خلط عملًا صالحًا وآخر سيئًا، وسابق غلبت حسناته على سيئاته ثم ختمت بجنات عدن يدخلونها جميعًا، فاستفيد منها أن عصاة المسلمين لا يخلدون في النار وأن مآلهم الجنة.

٢٩- ﴿سورة يس﴾

قوله تعالى: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [يس:١- ٣] الآية، رد على الكفار الذين أنكروا رسالته عليه الصَّلاة والسَّلام، ولهذا جاء مؤكدًا بالقسم وإن، واقترن خبرها باللام.

قال الزمخشري: «فإنْ قلت: أي: حاجة إلى قوله: ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يس: ٤] وقد علم أنَّ المرسلين لا يكونون إلا على صراط مستقيم؟

قلت: الغرض وصفه ووصف ما جاء به من الشريعة، فجمع بين الوصفين في نظام واحد، كأنه قال: إنك لمن المرسلين الثابتين على طريق ثابت، وأيضًا فإن التنكير فيه دال على أنه أرسل من بين الصرط المستقيمة على صراط مستقيم لا يكتنه وصفه».اهـ فتنكير صراط أفاد تفخيمه وتعظيمه

قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٩] رد لقول الكفار في النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: شاعر، ولقولهم في القرآن شعر، وهذا يؤيد ما ذكرناه غير مرة أن الله تعالى تولى الدفاع عن نبيه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

قوله تعالى: ﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ﴾ [يس: ٧٦] الآية.

قال الزمخشري: «المعنى: فلا يهمك تكذيبهم وأذاهم وجفاؤهم، فإنا عالمون بما يسرون لك في عداوتهم وما يعلنون، وإنا مجازوهم عليه، فحق مثلك أن يتسلى بهذا الوعيد، ويستحضر في نفسه صورة حاله وحالهم في الآخرة حتى ينقشع عنه الهم ولا يرهقه الحزن».اهـ

٣٠- ﴿سورة الصافات﴾

قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ ﴾ أي: المشركين ﴿كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الصافات: ٣٥] عن قولها وعن الاعتراف بما أفادته من التوحيد ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ [الصافات: ٣٦] يعنون النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ﴿ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ ﴾ رد عليهم ﴿وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الصافات: ٣٧] هذا مثل قوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ [فاطر: ٣١].

قال تعالى: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾ أعرض عنهم ﴿حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ وهو موعد نصرك عليهم وهو يوم بدر أو يوم الفتح ﴿ وَأَبْصِرْهُمْ ﴾ وما يحصل لهم من القتل والأسر في الدنيا، والعذاب في الاخرة ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾ [الصافات:١٧٤- ١٧٥] ما يحصل لك من النصر والتأييد في الدنيا، والثواب الكبير في الآخرة، وأمره بالإبصار للدلالة على أن ذلك قريب الوقوع، كأنه واقع أمامه مشاهد له، وفي هذا تسلية له صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وتنفيس عنه.

وقوله تعالى: ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ [الصافات:١٧٨-١٧٩] تسلية بعد تسلية، وتأكيد لوقوع الميعاد إلى تأكيد، وإطلاق لفعلي الإبصار بعد تقييد، للإشعار بأنَّه يبصر وهم يبصرون ما لا يحيط به الوصف من أنواع المسرة والثواب، وصنوف المساءة والعذاب، وفي هذا دلالة على عناية الله بنبيه حسبما نبهنا عليه غير مرة.

٣١- ﴿سورة الزمر﴾

قوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الزمر: ١ - ٢] الآية، يرد أيضًا على الكفار قولهم في النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إنما يعلمه بشر.

٣٢- ﴿سورة الشورى﴾

قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣] يفيد فضل النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على هؤلاء الرسل الذين هم أولو العزم وأصحاب الشرائع من جهتين:

إحداهما: التعبير في جانبهم بـ«وصَّى» إشارة لما قلناه في المقدمة: أن ما أوتيه النبيون لم يعد أن يكون وصايا تختص بقبيل من الناس.

ثانيتهما: التعبير في جانبه عليه الصَّلاة والسَّلام بأوحينا تعظيمًا لشأنه، كأنه

المخصوص بالوحي، وإشارة إلى أن أولئك الأنبياء عليهم السَّلام كانوا أوصياء في غيبته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ولهذا يقول في الشفاعة لأهل الموقف يوم القيامة «**يا رب أسألك أمتي**» فأمته من ضمهم المحشر، والأنبياء أوصياء عنه.

٣٣- ﴿سورة الزخرف﴾

قال الله تعالى: ﴿وَقِيلِهِۦ﴾ أي: قول الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، قرئ بفتح اللام وكسرها وضمها، واختلف في توجيه ذلك على الإعراب، حكاها الزمخشري وضعفها ثم قال: «وأقوى من ذلك وأوجه أنْ يكون الجر والنصب على إضمار حرف القسم وحذفه، والرفع على قولهم: أيمن الله، وأمانة الله، ويمين الله، ولعمرك. ويكون قوله: ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الزخرف: ٨٨] جواب القسم، كأنه قيل: وأقسم بقيله: يا رب أو وقيله: يا رب، قسمي إن هؤلاء قوم لا يؤمنون، ﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ﴾ فأعرض عن دعوتهم يائسًا من إيمانهم، وودعهم وتاركهم ﴿وَقُلۡ﴾ لهم ﴿سَلَٰمٞۚ﴾ أي: تسلم منكم ومتاركة ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٩]،وعيد من الله لهم وتسلية لرسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، والضمير في: وقيله، لرسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وإقسام الله بقيله[1]، رفع منه وتعظيم لدعائه والتجائه إليه».اهـ

---

(١) وهذا يؤيد أن ﴿لَعَمۡرُكَ﴾ [الحجر: ٧٢]في سورة الحجر إقسام بحياته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كما سبق بيانه، وعلى هذا يكون أنه تعالى أقسم بحياته نبيه وبقيله.

٣٤- ﴿سورة الأحقاف﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩] الآية، يفيد إرساله عليه الصَّلاة والسَّلام إلى الجن، وهذا من خصوصياته، وقولهم: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ [الأحقاف: ٣٠] لا يدل على أن موسى أرسل إليهم، وإنما يدل على أنهم آمنوا به، ومن آمن برسول واتبع شرعه قبل نسخه كان ناجيًا، وإن لم يكن ذلك الرسول مرسلًا إليه، أما أن يكون نبي أرسل إلى الجن بحيث يجب عليهم الإيمان به واتباع شريعته، فلم يكن هذا إلا لنبينا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

٣٥- ﴿سورة القتال﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [محمد: ٢] الآية، يفيد أنَّ الإيمان والعمل الصالح لا يقبلان إلا بالإيمان بالنبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

قال الزمخشري: «وقوله: ﴿وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ اختصاص للإيمان بالمنزل على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من بين ما يجب الإيمان به تعظيمًا لشأنه وتعليمًا، لأنه لا يصح الإيمان ولا يتم إلا به، وأكد ذلك بالجملة الاعتراضية التي هي قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ وقيل: معناها: أن دين محمد

هو الحق، إذ لا يرد عليه النسخ وهو ناسخ لغيره».اهـ

قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ أمر له بالتحدث بنعمة الله عليه بعصمته من الذنوب، والتحدث يكون في صورة طلب واستغفار، كما يكون في صيغة خبر واستبشار، والحكمة في هذا الأمر تنبيه الأمة إلى الاستغفار تأسيًا بنبيها صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وعطف قوله: ﴿وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩] ليفيد تشريف الأمة باستغفار نبيها لها، مع الإشارة إلى أنَّه عليه الصَّلاة والسَّلام مأذون له بالشفاعة فيهم، لأنَّ الاستغفار استشفاع.

٣٦- ﴿سورة الفتح﴾

نزلت هذه السورة على النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مرجعه من الحديبية فقال: «**لقد أُنزِلتْ عليَّ سورةٌ هي أحبُّ إليَّ مما طَلعتْ عليه الشَّمسُ**» وقرأ فاتحتها، الحديث.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ۝١ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا﴾ [الفتح: ١-٣] يفيد ما أنعم الله به على نبيه من الفتح الظاهر، والعصمة من الذنوب -إذ المغفرة كناية عنها[1]- وإتمام النعمة، والهداية إلى الصراط المستقيم، والنصر

---

(١) وجه ذلك :أن العصمة تحول بين الشخص وبين وقوع الذنب منه، والمغفرة تحول بين الشخص وبين وقوع العقاب عليه، فكنى عن الأولى بالثانية بجامع الحيلولة، لأنَّ من لا يقع منه ذنب لا يقع عليه عقاب، واختيرت هذه الكناية -أعني الاستعارة- لأنَّ

الذي لا ذل معه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [الفتح: ٨] يفيد عموم أوصافه الأربعة وهي: الرسالة والشهادة والبشارة والنذارة، لأنَّ حذف المتعلق يؤذن بالعموم، ويفيد أيضًا أن نصر رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وتعظيمه واجبان كالإيمان به.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ [الفتح: ١٠] يفيد أن متابعة رسول الله متابعة لله، وطاعتَه طاعتُه، وأن كل ما يصدر عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بإذن الله ورضاه، و هذه منزلة لم ينلها رسول ولا ملك.

وقوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨] يؤيد ما قلناه آنفًا أنَّ ما يصدر عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يرضاه الله تعالى، ومن دلائل عناية الله بنبيه أنَّه تعالى ذكر الشجرة التي وقعت المبايعة تحتها، وهذا يفيد أنَّ رضاه سبحانه وتعالى عم الأشخاص الذين بايعوا ومكان مبايعتهم.

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا﴾ [الفتح: ٢٨] يفيد أن دين الإسلام الذي جاء به النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم هو دين الحق، وأن ما عداه من الأديان باطل، وأنه ظاهر على جميع الأديان بقوة حجته، وموافقة عقيدته للفطر السليمة، وسماحة

المقام مقام امتنان، ثم المراد بعد هذا: ليظهر أثر عصمتك فلا يبطرك الفتح والنصر.

تعليمه ومسايرتها لكل زمان ومكان، وتمشيها مع العقل السليم والمنطق القويم، والله تعالىٰ شهيد علىٰ ذلك وكفىٰ به شهيدًا.

قوله تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] إلىٰ آخر السورة، يفيد تسجيل الله تعالىٰ شهادته لمحمد بأنه رسوله، وتسجيل صفات أصحابه في التوراة والإنجيل، وفي هذا من علو منزلتهم ببركة صحبته صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ما لا يخفىٰ.

(تنبيه): قال الصاوي: «هذه السورة آخر القسم الأول من القرآن وهو المطوَّل، وقد ختم بسورتين هما في الحقيقة للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وحاصلهما الفتح بالسيف والنصر علىٰ من قاتله ظاهرًا كما ختم القسم الثاني - المفصَّل- بسورتين هما نصرة له صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بالحال علىٰ من قصده بالضُّرِّ باطنًا».اهـ، وهو استنباط جيد.

٣٧- ﴿سورة الحجرات﴾

قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١] نهىٰ عن التقدم بين يدي النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بقول أو فعل، واعتبار التقدم بين يديه تقدما بين يدي الله سبحانه وتعالىٰ.

وعلىٰ هذا لا يجوز لشخص أن يقدم رأيًا من الآراء علىٰ حديث صح عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وقد وقع كثيرٌ من المقلِّدين في هذا المحظور، حيث قدموا آراء أئمتهم علىٰ ما صحَّ من حديث رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وهي مخالفة صريحة لكلام الله سبحانه وتعالىٰ.

قوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات: ٢] يفيد أمرين:

أحدهما: حرمة رفع الصوت فوق صوت النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إذا تكلم، ويدخل في هذا حديثه عليه الصَّلاة والسَّلام، فلا يجوز رفع الصوت حين قراءة الحديث النبوي الشريف، ومن فعل ذلك يخشىٰ عليه حبوط عمله.

ثانيهما: حرمة الجهر بالكلام حين مناجاته عليه الصَّلاة والسَّلام، بل يجب الكلام معه بأدب وخفض صوت، وقد أثنىٰ الله علىٰ أبي بكر رضي الله عنه وعلىٰ غيره ممن التزموا هذا الأدب الواجب، فقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [الحجرات: ٣] وعلىٰ هذا يجب علىٰ زائر الروضة الشريفة أن يسلم علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بأدب وخفض صوت مع إطراق وخشوع، لأنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حي في قبره الشريف، يرد السَّلام علىٰ من يسلم عليه.

وكان عمر رضي الله عنه ينهىٰ عن رفع الصوت في المسجد النبوي احترامًا له صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وكانت عائشة رضي الله عنها إذا سمعت دقًّا من البيوت المجاورة للمسجد، بعثت لسكانها: لا تؤذوا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

تنبيهات

(التنبيه الأول): قال الزمخشري: «ليس الغرض برفع الصوت ولا الجهر ما يقصد به الاستخفاف والاستهانة، لأنَّ ذلك كفر، والمخاطبون مؤمنون، وإنما

الغرض صوت هو في نفسه والمسموع من جرسه غير مناسب لما يهاب به العظماء ويوقر الكبراء، فيتكلف الغض منه ورده إلى حد يميل به إلى ما يستبين فيه المأمور به من التعزير والتوقير».

وقال أيضًا: «كان أبو بكر رضي الله عنه إذا قدم على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وفد أرسل إليهم من يعلمهم كيف يسلمون ويأمرهم بالسكينة والوقار عند رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم».

(التنبيه الثاني): قال الزمخشري: «هذه الآية -يعني: إن الذين يغضون أصواتهم- بنظمها الذي رتبت عليه من إيقاع الغاضِّين أصواتهم إسما لأنَّ المؤكد، وتصيير خبرها جملة من مبتدأ وخبر معرفتين معًا، والمبتدأ اسم الإشارة واستئناف الجملة المستودعة ما هو جزاؤهم على عملهم، وإيراد الجزاء نكرة مبهمًا أمره، ناظرة في الدلالة على غاية الاعتداد والارتضاء لما فعل الذين وقروا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من خفض أصواتهم، وفي الإعلام بمبلغ عزة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وقدر شرف منزلته، وفيها تعريض بعظم ما ارتكب الرافعون أصواتهم، واستيجابهم ضد ما استوجب هؤلاء».

(التنبيه الثالث): أسند القاضي عياض في "الشفا" عن ابن حميد قال: ناظر أمير المؤمنين أبو جعفر مالكًا في مسجد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقال له مالك: يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد، فإنَّ الله تعالى أدب قومًا فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢]، ومدح قومًا فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾

[الحجرات: ٣] الآية، وذم قومًا فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ [الحجرات: ٤]الآية، وأنَّ حرمته ميتًا كحرمته حيًّا، فاستكان لها أبو جعفر وقال: يا أبا عبد الله، أستقبل القبلة وأدعو؟ أم أستقبل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؟ فقال: ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السَّلام إلى الله يوم القيامة؟!، بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ﴾ [النساء: ٦٤] الآية.

جاء وفد بني تميم وقت الظهيرة والنبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قائل في منزله، فنادوه غير مراعين راحته، فذمهم الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ٤ – ٥].

وهذا يفيد عناية الله بنبيه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وأن جهل أولئك الوفد بما يجب له من تعظيم واحترام لم يعفهم من توجيه الذم إليهم، بل في تذييل الآية بجملة ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ تعريض بأنهم آثمون فيما فعلوا، وتحريض لهم على التوبة منه.

قال الزمخشري: «ورود الآية على هذا النمط فيه ما لا يخفى على الناظر من بينات إكبار محل النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وإجلاله، منها مجيئها على النظم المسجل على الصائحين به بالسفه والجهل، ومنها إيقاع لفظ الحجرات كناية عن خلوته مع بعض نسائه وتعريفها باللام دون الإضافة[1]، ومنها أن شفع ذمهم

---

(١) أي لم يقل حجرات أزواجك صونًا لهن أن يذكرن في هذا الموطن.

باستركاك عقولهم، وقلة ضبطهم لمواضع التمييز في المخاطبات، تهوينا للخطب على النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وتسلية له، وإماطة لما تداخله من إيحاش تعجرفهم وسوء أدبهم، وهلم جرا من أول السورة إلى آخر هذه الآية.

فتأمل كيف ابتدئ بإيجاب تقديم الأمور التي تنتمي إلى الله ورسوله على الأمور كلها من غير حصر ولا تقييد، ثم أردف ذلك النهي عما هو من جنس التقديم من رفع الصوت والجهر، كأن الأول بساط للثاني ووطاء لذكره، ثم ذكر ما هو ثناء على الذين غضوا أصواتهم دلالة على عظيم موقعه عند الله، ثم جيء على عقب ذلك بما هو أطم، وهجنته أتم، من الصياح برسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في حال خلوته ببعض حرماته من وراء الجدر، كما يصاح بأهون الناس، لينبه على فظاعة ما جسروا عليه، لأنَّ من رفع قدره عن أن يجهر له بالقول -خاطبه جلة المهاجرين والأنصار بأخي السرار- كان صنيع هؤلاء من المنكر الذي بلغ من التفاحش مبلغًا، ومن هذا وأمثاله يقتطف ثمر الألباب وتقتبس محاسن الآداب».اهـ[1].

---

(١) وقال أيضًا: فإن قلت: هل من فرق بين ﴿حَتَّىٰ تَخْرُجَ﴾ وإلى أن تخرج؟

قلت: إن حتى مختصة بالغاية الضرورية، تقول: أكلت السمكة حتى رأسها، ولو قلت: حتى نصفها أو صدرها لم يجز، وإلى: عامة في كل غاية، فقد أفادت حتى بوضعها أن خروج رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إليهم غاية قد ضربت لصبرهم، فما كان لهم أن يقطعوا أمرًا دون الانتهاء إليه.

فإن قلت: فأي فائدة في قوله: ﴿إِلَيْهِمْ﴾؟

٣٨- ﴿سورة النجم﴾

قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم: ١-٢] يفيد نفي الضلال عنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مع تأكيد النفي بالقسم، والتعبير بصاحبكم يفيد أنَّ كفار مكة في اتهامهم إيَّاه بالضلال والغي مكابرون؛ لأنَّهم يعرفونه منذ نشأته بينهم بالأمانة والصدق ورجاحة العقل والخلق القويم، هذا وفي القسم بالنجم إشارة إلىٰ أنه عليه الصَّلاة والسَّلام يهتدىٰ به كما يهتدىٰ بالنجم.

قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ [النجم: ٣]؛ زعم بعض المبتدعة أنه خاص بنفي الهوىٰ في النطق بالقرآن، وأن تعميمه في جميع ما يلفظ به عليه الصَّلاة والسَّلام مما ألقاه الشيطان علىٰ أفواه الناس! وما درىٰ المسكين أنَّ الشيطان هو الذي أوحىٰ إليه بهذه الكلمة التي دلت علىٰ جهله بعلم الأصول وقواعد اللسان العربي، فإنَّ من المعلوم للمتدرجين في هذين العلمين أن الفعل إذا وقع في سياق النفي أو الشرط[1] دل علىٰ العموم وضعًا بلا نزاع،

قلت: فيه أنه لو خرج ولم يكن خروجه إليهم ولأجلهم للزمهم أن يصبروا إلىٰ أن يعلموا أن خروجه إليهم».اهـ

قلت: هاتان نكتتان بديعتان تفيدان غاية الأدب مع النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

(١) عموم النكرة في سياق النفي لا خلاف فيه، وأما في سياق الشرط فاختلف فيه أهل الأصول، وممن قال بالعموم إمام الحرمين، حتىٰ أنه استدرك علىٰ الأصوليين والفقهاء، إطلاق قولهم: النكرة في سياق الإثبات تخص، وقال: إن الشرط يعم،

والمفسرون حين عمَّمُوا الآية في جميع ما ينطق به عليه الصَّلاة والسَّلام من قرآن وسنة إنما قالوا بما يدل عليه اللفظ العربي دلالة وضعية لغوية وبما يقتضية السياق أيضًا، لأنَّ الكلام مسوق لتبرئته عليه الصَّلاة والسَّلام مما رماه به المشركون من الضلال والغي والهوىٰ، فوجب أن يكون النفي عامًّا في الهوىٰ كما كان عامًّا في الضلال والغي، ولأنه لو قصر النفي في الهوىٰ عن القرآن كان ذلك تسليمًا بأنه عليه الصَّلاة والسَّلام ينطق عن الهوىٰ في السنة! وهل يليق بمسلم أن يحمل الآية علىٰ هذا المعنىٰ الذي لا يدل عليه اللفظ ولا يقتضيه السياق؟ ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: ما ينطق به ﴿إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٤] غير أن القرآن وحي متلوٌّ والسنة وحي غير متلوٍّ.

قوله تعالىٰ: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ﴾ [النجم:٥-٦] الآية يفيد

والنكرة في سياقه تعم، واستدل له ابن المنير بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ۝٣٦ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الزخرف: ٣٦ – ٣٧] الآية. قال: وفي هذه الآية للإمام ومن قال بقوله كفاية، وذلك أن الشيطان ذكر فيها منكرًا في سياق شرط، ونحن نعلم أنه إنما أراد عموم الشياطين لا واحدًا لوجهين:

أحدهما: أنه قد ثبت أن لكل أحد شيطانًا، فكيف بالعاشي عن ذكر الله؟

والآخر: أنه أعاد عليه الضمير مجموعًا في قوله: ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ فإنه عائد إلىٰ الشيطان قولًا واحدًا ولولا إفادته عموم الشمول لما جاز عود ضمير الجمع عليه بلا إشكال.

قلت: ويدل لهم أيضًا قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦] الآية، «فاسق» و«نبأ» ذكرا منكرين في سياق شرط، والمراد بهما العموم بلا خلاف.

أمرين: **أحدهما**: تزكية علمه عليه الصَّلاة والسَّلام بأنه تلقاه بواسطة ملك قوي ذي عزم وهو جبريل عليه السَّلام.

ثانيهما: رؤيته لجبريل على صورته الأصلية، ودنو جبريل منه حتى كان قاب قوسين أو أدنى، ولم يحصل هذا لنبي قبله، بل كان الأنبياء يرونه في صورة إنسان ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم: ١١] فؤاد النبي عليه الصَّلاة والسَّلام أي: ما أنكر ﴿مَا رَأَىٰٓ﴾ ببصره من صورة جبريل الحقيقية، والآية -كما ترى- تتعلق برؤية جبريل التي حصلت بمكة قبل الإسراء، وتؤكد الآية موافقة القلب للبصر فيها، ولكن مبتدعًا جاهلًا قحم في التفسير، فهم أن الآية تتعلق بالإسراء وأخذ منها دليلًا قاطعًا على أن المعراج لم يكن يقظة بالجسد والروح! ففضح جهله، وغفل عن قوله تعالى: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ [النجم: ١٢] فإنه يقضي على استنباطه.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ [النجم: ١٣ – ١٥] الآية يفيد أمرين:

أحدهما: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رأى جبريل عليه السَّلام بصورته الحقيقية مرة أخرى.

ثانيهما: أنَّ الرؤية الآخرة حصلت عند سدرة المنتهى، ففي الآية إشارة إلى المعراج الذي تحدث عنه النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في الأحاديث المتواترة، وفي الآية تأكيد لهذه الإشارة من وجوه:

١- القسم الذي تفيده اللام، إذ المعنى: والله لقد رآه، ولو كانت هذه

الرؤية وقعت في الأرض مثل السابقة لم يكن فيها ما يدعو إلى القسم.

٢- جملة ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ [النجم: ١٦] فإنَّها سيقت لبيان ما كان يغشى السدرة حين كان النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم هناك، وإلا لم يكن لذكرها هنا فائدة.

٣- جملة ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: ١٧][1] فإنها تفيد أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان عند السدرة ثابت الجنان، بحيث لم يزغ بصره رغم ما رأى من الآيات العظيمة.

٤- جملة ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٨] الواقعة جوابًا لقسم محذوف، وهي تفيد أنه رأى صلَّى الله عليه وآله وسلَّم هناك آيات كبرى إلى جانب رؤية جبريل عليه السَّلام، وهذا واضح إلا أنَّ مبتدعين جاهلين أبديا في الآية رأيين، يدرك سقوطهما بمجرد سماعهما، أمَّا أحدهما فقال في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ١٣-١٤]: والكلام صالح لأنَّ يكون النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في هذه المرة كان في الأرض أيضًا ورأى جبريل عند سدرة المنتهى، كما تقول: رأيت النجمة في السماء!

وهذا يدل على جهله بعلوم البلاغة، كما دل كلامه السابق على جهله بالأصول وقواعد اللسان العربي.

---

(١) من أول السورة إلى هذه الآية، نزَّه الله عِلْم نبيِّه عن الضلال، وعمله عن الغي، ونطقه عن الهوى، وفؤاده عن التكذيب، وبصره عن الزيغ والطغيان، وأكد التنزيه المذكور بالإقسام عليه، وناهيك بذلك من رب العزة جل جلاله ثناءًا. قاله العلامة الصاوي.

وأما الثاني -وهو الذي أخذ من قوله تعالىٰ: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم: ١١]عدم وقوع المعراج- فقال في سدرة المنتهىٰ: أنَّها شجرة في الأرض ينتهي إليه المسافرون وغيرهم، فيستريحون عندها! ثم أدركه الورع ففوض علمها إلىٰ الله تعالىٰ!

تنبيهان

(التنبيه الأول): أول كثير من المفسرين الرؤية في الآيات المذكورة علىٰ رؤية الله تعالىٰ، ولكنا خالفناهم لسببين:

١- أنَّ الحديث صرَّح بأنَّها رؤية جبريل عليه السَّلام بصورته الحقيقية وهو في الصحيح.

٢- أنَّ سياق الآيات لا يساعد علىٰ تأويلهم إلَّا بشيءٍ من التكلُّف، نعم رأىٰ النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ربه تبارك وتعالىٰ علىٰ الرَّاجح عند أكثر العلماء، كما قال النووي، وصح ذلك عن ابن عبَّاسٍ وأنس وأبي ذر، وذهب إليه الحسن وكعب وأحمد ابن حنبل وابن خزيمة، وانظر تفصيل هذا الموضوع مع الجواب عند نفي عائشة في كتابنا "الأحاديث المنتقاة في فضائل سيدنا رسول الله".

(التنبيه الثاني): ذكر بعض المفسرين قصة الغرانيق في قوله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ [النجم: ١٩]الآية، وبعضهم ذكرها عند قوله تعالىٰ في (سورة الحج): ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج: ٥٢]الآية، وهي قصة باطلة بينا بطلانها في "خواطر دينية" بما لا مزيد عليه.

٣٩- ﴿سورة القمر﴾

قوله تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ [القمر: ١] يفيد وقوع انشقاق القمر، وهو آية من آيات النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الظاهرة، ومعجزة من معجزاته الباهرة، قال أنس بن مالك: إنَّ أهل مكة سألوا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنْ يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر شقتين. رواه الشيخان.

ورويا عن ابن عبَّاسٍ قال: «إنَّ القمر انشقَّ على عهد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم».

وقال ابن مسعودٍ: «بينما نحن مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بمنى، إذ انفلق القمر فلقتين، فكانت فلقة وراء الجبل، وفلقة دونه، فقال لنا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**اشهدوا**». رواه الشيخان أيضًا.

وقال ابن عمر: «وكانت فلقة فوق الجبل، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**اللهم اشهد**». رواه مسلم في "صحيحه".

وقال جبير بن مطعم: انشق القمر ونحن بمكة على عهد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حتى صار فرقتين؛ على هذا الجبل وعلى هذا الجبل، فقالوا: سحرنا محمد، فقال بعضهم: لئن كان سحرنا ما يستطيع أن يسحر الناس كلهم. صححه الترمذي والحاكم على شرط الشيخين وسلمه الذهبي.

وقال علي عليه السَّلام: انشق القمر ونحن مع النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم. رواه الطحاوي في "مشكل الآثار".

وأنكر بعض المبتدعة انشقاق القمر، وأوَّلوا ﴿وَٱنشَقَّ﴾ بأنه ينشق يوم

القيامة، وهذا رأي باطل وتأويل عن التحقيق عاطل، وبيان ذلك من وجوه:

الأول: أن التأويل إنما يلجأ إليه عند استحالة المعنى أو تعذره، وانشقاق القمر ليس بمستحيل ولا متعذر.

الثاني: أن الصحابة الذين شاهدوه أخبروا بوقوعه كما سبق عنهم آنفًا.

الثالث: أن أنسا رضي الله عنه صرح أن الآية المذكورة نزلت بسبب حادثة انشقاق القمر، رواه الترمذي وقال: «حسن صحيح».

الرابع: أن قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ [القمر: ٢] يؤيد وقوعه أيضًا.

قال الزمخشري: «وعن بعض الناس أن معناه ينشق يوم القيامة، وقوله: ﴿ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ يرده، وكفى به رادًّا».اهـ

الخامس: أن أهل السنة أجمعوا على وقوع هذه المعجزة، تمسكًا بظاهر القرآن وبصريح السنة الصحيحة.

قال الحافظ ابن عبد البر: «قد روى حديث انشقاق القمر جماعة كثيرة من الصحابة، وروى ذلك عنهم أمثالهم من التابعين، ثم نقله عنهم الجم الغفير إلى أن انتهى إلينا، وتأيد بالآية الكريمة.

وقال القاضي عياض في "الشفا": «قال الله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ أخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي، وإعراض الكفرة عن آياته، وأجمع أهل السنة والمفسرون على وقوعه».

وقال أيضًا في "الشفا": «أمَّا انشقاق القمر فالقرآن نصَّ بوقوعه وأخبر

عن وجوده، ولا يعدل عن ظاهره إلَّا بدليلٍ، وجاء بنفي احتماله صحيح الأخبار من طرق كثيرة، فلا يوهن عزمنا خلاف أخرق منحل عرىٰ الدين، ولا يلتفت إلىٰ سخافة مبتدع يلقي الشك علىٰ قلوب ضعفاء المؤمنين، بل نرغم بهذا أنفه، وننبذ بالعراء سخفه».

أما قول من قال: لو وقع الانشقاق لنقل متواترًا، واشترك أهل الأرض في رؤيته، ولم يختص به أهل مكة، فالجواب عنه من وجوه:

أحدها: أن الانشقاق وقع في الليل، ومعظم الناس نيام، وأبواب بيوتهم مغلقة وقل منهم من يتفكر في السماء أو ينظر إليها إلا الشاذ النادر، ومما هو مشاهد معتاد أن كسوف القمر -وغيره من العجائب والأنوار الطوالع والشهب العظام وغير ذلك مما يحدث في السماء بالليل- يقع ولا يعلم به إلا الآحاد، ولا علم به عند غيرهم.

ثانيها: إنَّ الانشقاق حصل آية لقوم اقترحوها وطلبوا رؤيتها، فلم يتنبه غيرهم لها، إذ لم يتحدد قبلها موعد وقوعها حتىٰ يترصدها الناس كما ترصد أهل مصر معجزة عصا موسىٰ حين حدد لوقوعها يوم الزينة كما جاء في (سورة طه).

ثالثها: أنَّ القمر كان في ليلة الانشقاق في بعض المجاري والمنازل التي تظهر لبعض الآفاق دون بعض، وهذا ضروري، كما يكون القمر ظاهرًا لقوم غائبًا عن آخرين، وكذلك يجد الكسوف أهل بلد دون بلد.

رابعها: أنَّ أهل مكة بعثوا يسألون المسافرين والقادمين من البلاد الأخرىٰ، فأخبروا أنَّهم شاهدوه منشقًّا، ولذلك قالوا: ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ أي:

قوي عم البلاد والناس.

خامسها: أن ملك بهوبال -واسمه بهوج بال- شاهد الانشقاق، ذكره الفريشته في "تاريخه"، بل شاهده أيضًا ناس كثيرون من بلاد متعددة كما في "تاريخ ابن كثير".

سادسها: أنَّ القرآن أخبر عنه، وهو منقولٌ نقل تواتر بتلقي جيل عن جيل، فالانشقاق منقول بأعلى تواتر وأقواه.

(تنبيه): قال الإمام الخطابي: «انشقاق القمر آية عظيمة، لا يكاد يعدلها شيء من آيات الأنبياء، وذلك أنه ظهر في ملكوت السموات خارجًا عن جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبائع، فليس فيما يطمع في الوصول إليه بحيلة، فلذلك صار البرهان به أظهر».

٤٠- ﴿سورة الرحمن﴾

توجه الخطاب فيها إلى الثقلين بالبشارة والإنذار، وهو من أدلة إرسال النبي صلى الله عليه وآله وسلم إليهما.

٤١- ﴿سورة المجادلة﴾

كان اليهود يقولون للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إذا سلموا عليه: سام عليكم، ويقولون في أنفسهم: لولا يعذبنا الله بما نقول! فأنزل الله تعالى يتوعدهم ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [المجادلة: ٨] وهذا من دلائل عناية الله

بنبيه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

أكثر المسلمون المسائل على النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حتى شَقُّوا عليه، فأراد الله تعالى أن يخفف عنه فأنزل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗ﴾ [المجادلة: ١٢] الآية، فكف كثير منهم عن المسألة، بل لم يناجه بعد نزولها غير علي عليه السَّلام، كان عنده دينار فصرفه دراهم، وناجى بها الرسول عدة مرات، ثم نسخها الله بالآية بعدها: ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖ﴾ [المجادلة: ١٣] الآية.

ولذلك كان يقول: «آية في كتاب الله تعالى لم يعمل بها أحد قبلي، ولن يعمل بها أحد بعدي». وهي آية المناجاة، وفيها دليل على أن الله تعالى يحب من المسلمين ألا يشقوا على النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ولا يضايقوه.

٤٢- ﴿سورة الحشر﴾

لما نزل النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ببني النضير، وتحصنوا بحصونهم، أمر بقطع نخيلهم وتحريقها، فنادوه: يا محمد، قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه، فما بال قطع النخيل وتحريقها: فأنزل الله تعالى ﴿مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ أَوۡ تَرَكۡتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيُخۡزِيَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [الحشر: ٥]، وهذا يؤيد ما قدمناه في (سورة الفتح): أن كل ما يصدر عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بإذن الله ورضاه، ودعوى اليهود فساد التحريق والإتلاف ردها الله بأن حكمته إخزاؤهم، لأنهم كفروا بالله ورسوله عن جحود وعناد، واتفقوا مع

المشركين على عداوته وحربه.

٤٣- ﴿سورة الصف﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦] يفيد أن عيسى عليه السَّلام بَشَّر بالنبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بشارة صريحة، وهذا معلوم للباحثين والدارسين في كتب الديانات، حتى أن المنصفين من المستشرقين يعترفون بذلك.

(لطيفة): كان أحد القسيسين إذا توسم في مسلم الجهل بالمسائل الدينية، ألقى عليه هذا السؤال: هل تؤمن بعيسى: فيجيب المسلم: نعم أؤمن به، لأنَّ القرآن أثبت رسالته، فيقول القسيس: إذن اتفقنا نحن وأنتم على الإيمان بعيسى واختلفنا في محمد، فنحن لا نؤمن به، فيكون عيسى أفضل من محمد؟ لأنَّ المتفق عليه أفضل من المختلف فيه، فلا يدري المسلم ما يقول؟ فألقى مرة على عالم ظنه جاهلًا سؤاله السابق: هل تؤمن بعيسى: فأجابة العالم: إن كنت تريد عيسى الذي بشر برسول يأتي من بعده اسمه أحمد فإني أؤمن به، وإن كنت تريد عيسى آخر فلا أعرفه، فانقطع القسيس ولم يحر جوابًا[1].

---

(١) مما يناسب هذا ما ورد عن بعض العلماء، أنه أسر ببلاد الروم، فقال لهم: لم تعبدون عيسى؟ قالوا: لأنه لا أب له. قال: فآدم أولى، لأنه لا أبوين له. قالوا:كان يحيي الموتى. قال: فحزقيل أولى، لأنَّ عيسى أحيا أربعة، وأحيا حزقيل ثمانية آلاف. قالوا: كان يبرئ الأكمه والأبرص. قال: فجرجيس أولى، لأنه طبخ وأحرق، ثم قام سالما.

ويناسبها ما ذكره المرتضى من "أماليه": أنَّ أبا الهذيل العلاف -في حداثته- بلغه أنَّ يهوديًّا قدم البصرة، وقطع جماعة من متكلميها، فقال لعمه: يا عم امض بي إلى هذا اليهودي حتى أكلمه، فقال له عمه: يا بني كيف تكلمه وقد عرفت خبره؟ وأنَّه قطع مشايخ المتكلمين؟ فقال: لا بد من أنْ تمضي بي إليه، فمضى به، قال: فوجدته يقرر الناس على نبوة موسى عليه السَّلام، فإذا اعترفوا له بها، قال نحن على ما اتفقنا عليه، إلى أن نجمع على ما تدعونه، فتقدمت إليه فقلت: أسألك؟ أم تسألني؟ فقال: بل أسألك، فقلت: ذاك إليك، فقال لي: أتعترف بأنَّ موسى نبي صادق؟ أم تنكر ذلك فتخالف صاحبك؟ فقلت له: إن كان موسى الذي تسألني عنه هو الذي بشر بنبيي عليه السَّلام وشهد بنبوته وصدقه فهو نبي صادقٌ، وإنْ كان غير من وصفت فذلك شيطانٌ لا أعترف بنبوته، فورد عليه ما لم يكن في حسابه، ثمَّ قال لي: أتقول إنَّ التوراة حق؟ فقلت: هذه المسألة تجري مجرى الأولى، إنْ كانت هذه التوراة التي تسألني عنها هي التي تتضمَّن البشارة بنبيي عليه السَّلام فتلك حق، وإنْ لم تكن كذلك فليست بحق ولا أقر بها، فبهت وأفحم ولم يدر ما يقول؟ ثمَّ قال لي: أحتاج أنْ أقول لك شيئًا بيني وبينك، فظننت أنَّه يقول شيئًا من الخير، فتقدمت إليه فسارني فقال لي: أمك كذا وكذا -يعني زانية- وأم من علمك، لا يُكَنِّي، وقَدَّر أني أثِبُ به، فيقول: وثبوا بي وشغَّبوا عليَّ، فأقبلت على من كان في

ذكره في "الكشاف" عند الكلام على قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ [آل عمران: ٥٩].

المجلس فقلت: أعزكم الله، ألستم قد وقفتم على مسألته إياي؟ وعلى جوابي إيَّاه؟ قالوا: بلى، قلت: أفليس عليه أنْ يرد جوابي أيضًا؟ قالوا بلى، قلت: فإنَّه لما سارني شتمني بالشَّتم الذي يوجب الحد، وشتم من علَّمني، وإنما قَدَّر أنني أثب عليه، فيدَّعي أننا واثبناه وشغبنا عليه، وقد عرَّفتكم شأنه بعد الانقطاع فانصروني، فأخذته الأيدي من كل جهة فخرج هاربًا من البصرة.

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٩] تقدم نظيره في (سورة الفتح)، وتقدم مثل هذه الآية في (سورة التوبة)، والحكمة في تكرارها تأكيد شرك أهل الكتاب، وأن دينهم منسوخ بدين الإسلام.

٤٤- ﴿سورة الجمعة﴾

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾ [الجمعة: ٢ - ٣] يفيد استمرار بعثته عليه الصَّلاة والسَّلام، وفضل الصحابة على من بعدهم ببركة صحبته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

٤٥- ﴿سورة المنافقون﴾

قوله تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٧].

دافع الله به عن الصحابة الذين هاجروا إلى المدينة، وكان الأنصار -وهم

أهل البلد- يواسونهم فنهاهم المنافقون عن ذلك، مؤملين أن ينصرفوا إلى شئون معايشهم وما يصلح حالهم، فرد الله عليهم بأن خزائن السموات والأرض بيده تعالى، فهو متكفل برزقهم، لأنهم في صحبة نبيه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، قائمون بخدمته باذلون أنفسهم في نصرة دينه(١).

وقوله تعالى: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

دفاع ثان عن صحابة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ذلك أنَّ عبد الله بن أبي بن سلول قال لإخوانه المنافقين وهم راجعون من غزوة بني المصطلق مع النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. يقصد بالأذل المهاجرين وبالأعز أنفسهم، فرد الله عليهم بأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، ولم يدافع عن صحابة نبي غير نبينا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لكرامته عليه.

(تنبيه): قوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ﴾ الآية، أصل في القول بالموجب المعروف في مبحث القوادح من علم الأصول.

٤٦- ﴿سورة الطلاق﴾

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [الطلاق: ١] الآية، قال الزمخشري: «خص النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالنداء، وعم بالخطاب، لأنَّ النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إمام أمته وقدوتهم، كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم: يا فلان افعلوا

---

(١) دافع الله عنهم أيضًا في (سورة البقرة) كما سبق التنبيه عليه.

كيت وكيت، إظهارًا لتقدمه واعتبارًا لترؤسه وأنه مِدْرَه القوم ولسانهم، والذي يصدرون عن رأيه ولا يستبدون بأمر دونه، فكان هو وحده في حكم كلهم، وسادًّا مسدَّ جميعهم».اهـ

ومثل هذا قول الله تعالى حكاية عن فرعون: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٤٩]عمهما بالخطاب، وخص موسى بالنداء لأنه أفضلهما وأجلهما.

٤٧- ﴿سورة التحريم﴾

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التحريم: ١]يفيد أمرين:

أحدهما: تعظيم الله لنبيه حيث ناداه بوصف النبوة، وقد نبهنا على هذا فيما سبق.

ثانيهما: عتابه على تحريم ما أحل له ليرضى أزواجه، وهذا يشعر بعناية الله بنبيه، بحيث لا يحب له أن يضيق على نفسه في سبيل إرضاء أي: شخص، فكأنه يقول: لا تضيق على نفسك بتحريم سريتك لترضي أزواجك، بل هن أحق أن يسعين في رضاك ليسعدن، وانظر ما تقدم في (سورة طه).

قوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤] يؤيد ما ذكرناه آنفًا، حيث إن الله تعالى يقول لحفصة وعائشة: إنْ تتوبا إلى الله فقد مالت قلوبكما لتحريم مارية، وسركما ذلك مع كراهة النبي له، وذلك ذنب يستوجب التوبة.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ

وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤] يؤيد أيضًا ما تقدم، ويدل على أن عناية الله بنبيه لم يرق إليها رسول ولا ملك، فما نعلم أن الله تعالى نصر رسولًا على أعدائه بهذه الصورة الرائعة التي وعد بها رسوله في هذه الحادثة، ولقد كان في نصر الله كفاية وغناء، لكنه سبحانه أراد أن يظهر مقدار حبه لنبيه ورعايته لجانبه، فجند لنصره جبريل وصالح المؤمنين والملائكة!

فهذه الآية دليل كافٍ على أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أفضل المخلوقات وأحبهم إلى الله على الإطلاق.

٤٨- ﴿سورة القلم﴾

قوله تعالى: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١] إقسام من الله تعالى بالقلم وما يكتب به على ما يأتي ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم: ٢].

هذا أول الأشياء المقسم عليها، وهو نفي الجنون الذي زعمه المشركون، وزيدت الباء في بمجنون لتأكيد النفي.

والثاني: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾[القلم: ٣] أي: غير مقطوع؛ لأنَّه ما من عمل خير يعمله أفراد أمته من الثقلين منذ بعثته إلى يوم القيامة إلا وله عليه أجر الهداية والتعليم.

نقل القسطلاني في "المواهب اللدنية" عن الإمام الشافعي قال: ما من عمل يعمله أحد من أمة النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلا والنبي أصل فيه.

قال في "تحقيق النصرة": فجميع حسنات المؤمنين وأعمالهم الصالحة في

صحائف نبينا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، زيادة علىٰ ما له من الأجر مع مضاعفة لا يحصرها إلا الله تعالىٰ، لأنَّ كل عامل ومهتد إلىٰ يوم القيامة يحصل له أجره، ويتجدد لشيخه مثل ذلك الأجر، ولشيخ شيخه مثلاه، وللشيخ الثالث أربعة، وللرابع ثمانية وهكذا تضاعف كل مرتبة بعدد الأجور الحاصلة بعد النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وبهذا يعرف تفضيل السلف علىٰ الخلف، فإذا فرضت المراتب عشرة بعد النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، كان له عليه الصَّلاة والسَّلام من الأجر ألف وأربعة وعشرون، فإذا اهتدىٰ بالعاشر حادي عشر صار أجر النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ألفين وثمانية وأربعين، وهكذا كلما زاد واحد يتضاعف ما كان قبله أبدًا كما قال بعض المحققين».

قلت: وبيان ذلك بالتفصيل أنَّ الشيخ الأول له أجر علىٰ التعليم، وللشيخ الثاني أجران، وللثالث أربعة، وللرابع ثمانية، وللخامس ستة عشر، والسادس اثنان وثلاثون، وللسابع أربعة وستون، وللثامن ثمانية وعشرون ومائة، وللتاسع - وهو التابعي- ستة وخمسون ومائتان، وللعاشر -وهو الصحابي- اثنا عشر وخمسمائة، وللنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أربعة وعشرون وألف[1]، يضاف إلىٰ هذا ما يناله من أجر عظيم بصلاة الله عليه وملائكته والمؤمنين.

والثالث: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]وهذا أعظم مدح له عليه

---

(١) وأيضًا ما من معصية تقع إلا وله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ثواب النهي عنها والتحذير منها لقوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ما من عمل يقربكم إلى الجنة إلا وقد أمرتكم به، وما من عمل يقربكم إلى النار إلا وقد نهيتكم عنه**» الحديث. رواه الحاكم من حديث ابن مسعودٍ وصححه.

الصَّلاة والسَّلام، حيث إن الله تعالىٰ أثنىٰ عليه بعظمة خلقه، مؤكدًا هذا الثناء بالقسم وإن واللام، وكون خبرها مجرورًا بعلىٰ المفيدة تمكنه من هذا الخلق العظيم واستقراره عليه، وناهيك بخلق يشهد الله تعالىٰ بعظمته، ولله در القائل:

أيا مُصْطَفَىٰ مِن قَبلِ نَشْأَةِ آدَمَ ... والكَونُ لم تُفْتَحْ لَهُ الأَغْلَاقُ
أَيرُومُ مَخْلُوقٌ ثَناءَكَ بَعْدَما ... أَثْنَىٰ علىٰ أَخْلاقِكَ الخَلَّاقُ

٤- ﴿سورة الحاقة﴾

قال تعالىٰ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۝٣٨ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الحاقة: ٣٨ – ٣٩].

أقسم الله بالأشياء كلها الخلق والخالق، النعم الظاهرة والباطنة، الأجسام والأرواح، الإنس والجن، الغيب والشهادة، الدنيا والآخرة ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة: ٤٠] هو النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، يقوله علىٰ وجه الرسالة من عند الله، وفي هذا دفاع عن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وثناء عليه، وقيل: الرسول الكريم هو جبريل عليه السَّلام.

قال الزمخشري: «وقوله: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ۝٤١ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ﴾ [الحاقة:٤١- ٤٢]دليلٌ علىٰ أنَّه محمدٌ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم؛ لأنَّ المعنىٰ علىٰ إثبات أنَّه رسول لا شاعر ولا كاهن».

قلت: وقوله: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الحاقة: ٤٣] دليل علىٰ ذلك أيضا(١).

---

(١) وقد دفع الله عن نبيه هذا الاتهام أيضًا في (سورة الطور) فقال تعالىٰ: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ

٥٠- ﴿سورة الجن﴾

تشتمل على الإخبار بسماع الجن للقرآن ومدحهم له وإيمانهم به، وأنهم اجتمعوا على النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ليسمعوا منه الدعوة، وازدحموا حتى ركب بعضهم فوق بعض، وهذا يقتضي أنهم كانوا كثيرين، وقد قيل: كانوا اثني عشر ألفًا، وقيل: سبعين ألفًا.

فالعجب من بعض المبتدعة حيث زعم في حديث له بالمذياع: أنَّه لا يوجد دليلٌ قطعي على إرسال النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى الجن! وكيف غفل عن هذه السورة وسورتي (الرحمن) و(الأحقاف)؟! وكيف فاته أنَّ الله أمر نبيه أنْ يتحدى بالقرآن الإنس والجن؟! ولو لم يكن رسولًا إليهم لكان ذكرهم في التحدي عبثًا لأنَّ من المقطوع به أن الرسول يتحدى قومه خاصة، كما هو ثابت في قصة صالح وموسى وغيرهم مما سجله القرآن الكريم، وقد رددت عليه برسالة سميتها "قرة العين بأدلة إرسال النبي إلى الثقلين" أوردت فيها خمسة وعشرين دليلًا من الكتاب والسنة والإجماع، وذكرت بعض الصحابة من

أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾ بسبب إنعامه عليك بالنبوة وكمال العقل وعلو الهمة والعصمة ﴿بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ [الطور: ٢٩] أي لست كاهنًا ولا مجنونًا، ولكنك نبي معصوم مؤيد بالوحي ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠] حوادث الدهر فيهلك كما هلك غيره من الشعراء ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا۟﴾ هلاكي ﴿فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾ [الطور: ٣١] هلاككم وقد أهلكهم الله يوم بدر، والمقصود أن التهمة التي نفاها الله عن نبيه في الموضعين واحدة.

الجن، وخرجت بعض ما رووه من الأحاديث، ومنكر إرساله عليه الصَّلاة والسَّلام إلى الجن كافر بلا نزاع.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن: ٨- ٩]يفيد اعتراف الجن المؤمنين بأنهم كانوا يسترقون السمع قبل بعثة النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وأنهم منعوا بعدها من استراق السمع بالشهب المحرقة، والحرس الشديد من الملائكة؟ لأنه عليه الصَّلاة والسَّلام بعث لإبطال الكهانة والتنجيم وغيرهما مما كان يعتقده العرب وغيرهم، وجاء لتنوير العقول وهداية القلوب فأيده الله بالملائكة والشهب وغيرهما مما لم يعطه لنبي قبله.

٥١- ﴿سورة المزمل﴾

نادى الله تعالى نبيه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بهذا الوصف[١] تسجيلًا لحالته التي كان عليها حين رجع إلى خديجة رضي الله عنها بعد أنْ نزل عليه في غار حراء أول آية نزلت من القرآن ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١]الآية، وفؤاده يرجف وقال: «**زملوني، لقد خشيت على نفسي**». فقالت له خديجة رضي الله عنها: كلا والله لا يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتقري الضيف، وتحمل الكل، وتعين على نوائب الحق.

وقال عكرمة: معناه يا أيها الذي زمل أمرًا عظيمًا، أي: حمله، ومن الحكمة

---

(١) ذكر الزمخشري هنا كلامًا يخالف سبب النزول، ويدل على سوء أدب في حق الجناب النبوي الكريم، وقلده فيه البيضاوي من غير تبصر، ورد عليه العلامة ابن المنير فأجاد.

في ندائه بهذا الوصف -إلى جانب ما ذكر- تأنيسه وإزالة ما علق بقلبه من هيبة الوحي، وفي هذا من لطف الله به ورعاية جانبه ما لا يخفى.

٥٢- ﴿سورة المدثر﴾

فتر الوحي نحو ثلاث سنوات كان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم خلالها يعلو شواهق الجبال حزينًا مهمومًا[١]، فنودي -وهو بغار حراء-: يا محمد أنت رسول الله حقًّا، وأنا جبريل، فرفع رأسه فإذا جبريل قاعد على عرش بين السماء والأرض، فرعب ورجع إلى خديجة رضي الله عنها وقال: «دثروني» فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المدثر: ١- ٢] الآية، ويقال هنا ما

---

(١) جاء في بعض الروايات: أنه كان عليه الصَّلاة والسَّلام يعلو شواهق الجبال يريد أن يلقي نفسه، ويرجع حين يظهر له جبريل عليه السَّلام. و هذه رواية وقعت في البخاري مرسلة، فهي ضعيفة. وعلى فرض صحتها، فهمه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالانتحار، لا يعيبه لوجوه:

أحدها: أن الهم بالمعصية لا ينافي العصمة، وقد هم يوسف عليه السَّلام بقربان امرأة العزيز لكن لم يقربها لعصمته.

ثانيها: أن الانتحار لم يكن محرمًا في ذلك الوقت، وإنما نزل تحريمه بعد ذلك في المدينة، بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩].

ثالثها: أن قتل الإنسان نفسه شرع لبني إسرائيل في توبتهم من عبادة العجل. قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٥٤].

قيل في ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾ [المزمل: ١] وفي الوضعين إشارة إلى أنه عليه الصَّلاة والسَّلام تزمل بالنبوة وتدثر بالرسالة.

٥٣- ﴿سورة القيامة﴾

كان النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقرأ القرآن قبل فراغ جبريل من إلقائه حرصًا على حفظه وعدم نسيانه، فأنزل الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ١٦ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ١٧ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٦ - ١٩] وهذا يفيد أن الله تعالى لا يحب لنبيه أن يجهد نفسه بقراءة ما يلقيه عليه جبريل، فتجتمع عليه مشقة التلاوة ومشقة تلقي الوحي، فأمره باستماع ما يلقى إليه، وتكفل سبحانه بجمعه له في صدره وتحفيظه إياه.

٥٤- ﴿سورة عبس﴾

كان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم جالسًا مع زعماء من قريش يدعوهم إلى الإسلام رجاء أن يسلم بإسلامهم أتباعهم فيتأيد الإسلام ويقوى، فدخل عليه عبد الله ابن أم مكتوم الضرير وقال: أقرئني وعلمني مما علمك الله، وكرر الطلب فكره النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كلامه؛ لأنَّه قطع حديثه وشغله عما كان يرجوه من إسلام أولئك الزعماء، وابن أم مكتوم سمع كلامه معهم وعرف اشتغاله بهم، فانصرف النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى بيته ولم يعلمه عقابًا له على سلوكه، فأنزل الله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ﴾ [عبس: ١ - ٤] الآية.

وأتى بضمير الغيبة تلطفًا بنبيه وإجلالًا له، وهذا يقتضي أن الله تعالى يعاتبه عتاب محبة ووداد، ويفهمه أن تجاوزه عن سلوك الأعمى وتعليمه أولى من إتعاب نفسه مع أولئك الزعماء الذين أيأسه من إسلامهم في آية نزلت بعد هذه، فما أكرمه من خطاب وما أجمله من عتاب، يتوجهان من المولى إلى سيد المقربين الأحباب.

وفي الآية تأويل آخر قرأته لبعض المعاصرين وحاصله مع توضيح وتتميم: أن جملة: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾ حكاية لقول الكفار عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ثم وجهوا الخطاب إليه على سبيل الاستهزاء: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ﴾ يقصدون أنفسهم ﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ﴾ يقصدون الأعمى ﴿فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ﴾ [عبس: ١ – ١٠] إلى هنا انتهى كلامهم.

قال الله تعالى يرد عليهم: ﴿كَلَّآ﴾ [عبس: ١١] لا تقولوا ذلك، فمحمد لا يقبل على شخص لأجل غناه ولا يعرض عن آخر لأجل فقره أو عماه، وهو تأويل حسنٌ جيِّدٌ يؤيِّده سياق الآية، فإنَّ قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾ يناسب أنْ يكون من كلام الكفار، قالوه تعييبًا للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بما هو خلاف الواقع؛ لأنَّه لم يعبس لأجل مجيء الأعمى، ولكن لأجل قطع حديثه مع القوم، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ يناسب أن يكون من كلامهم أيضا، لأنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان يدري أن ابن أم

مكتوم تزكى بالإيمان، وأنه يتذكر بما يسمعه من القرآن، إذ هو رضي الله عنه من قدماء المسلمين وابن خالة خديجة رضي الله عنها أم المؤمنين، والقرآن يستعمل عبارة ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ و﴿لَعَلَّ﴾ فيما لا يدري نحو ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣] ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى: ١٧].

والحديث الوارد في قصة ابن أم مكتوم ضعيف، رواه الترمذي عن عائشة وقال: «حديث غريب»، والآيات على هذا من دفاع الله عن نبيه.

٥٥- ﴿سورة التكوير﴾

كان المشركون يعرفون النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم - منذ نشأته بينهم- بالصدق والأمانة والوفاء ومكارم الأخلاق، لا ينكرون ذلك ولا يحاولون إنكاره، فلما أكرمه الله بالرسالة حسدوه واستنكفوا أن يتبعوه وقالوا: إنما يعلمه بشر، ورموه بالجنون، هذا وهم يعلمون أنهم فيما أبدوه من الاتهام مخالفون لما يعرفون من أخلاقه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وصفاته، فأنزل الله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ١٥-٢١].

وهذا رد لقولهم:يعلمه بشر، حيث أثبت أن القرآن نزل به جبريل عليه السَّلام، وأطنب في مدحه ليبين لهم أن السفير بينهما عظيم الصفات، كما أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عظيم الصفات باعترافهم أنفسهم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير: ٢٢] نفي لتهمة الجنون،

وعبر بصاحبكم تنبيها إلى أنهم -في اتهامهم له- مخالفون لما عرفوه عنه من رجاحة العقل، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الأعراف: ١٨٤] وقوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ [سبأ: ٤٦].

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴾ [التكوير: ٢٣]تأكيد لنفي الجنون عنه، إذ تفيد هذه الجملة إقسام الله تعالى على أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رأى السفير الذي يأتيه بالوحي رؤية حقيقية ليس عن جنون أطاف به، ولا عن نوبة إغماء أصابته.

فهذه الآيات -كما ترى- أتت لنفي تهمتين رددهما الكفار مرات، ولم تأت للمفاضلة بين النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وجبريل عليه السَّلام، وقد وهم الزمخشري حيث فهم منها أفضلية جبريل على النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فشذ بهذا الفهم عن الإجماع(١)، وغفل عن الدلائل التي تقتضي أفضليته عليه

---

(١) وقوله تعالى: ﴿ قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ﴾ [الأنعام: ٥٠] لا يدل على أفضلية الملائكة على النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، لأنه قصد به الرد على المشركين الذين طلبوا منه مطالب على سبيل التعنت، حيث قالوا له: إن كنت رسولًا فنريد أن توسع علينا وتكثر أرزاقنا، وقالوا أيضًا: أخبرنا بما يحصل لنا في المستقبل حتى نتهيأ له ونجتنب ما يمكن اجتنابه مما يضرنا، وقالوا أيضًا: مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ويتزوج؟ فجاءت الآية ردًّا لهذه الأقاويل

الصَّلاة والسَّلام على جبريل وغيره كإقسام الله بحياته، وصلاته عليه، وإنذار الملائكة في كتابه، وندائه بوصف التعظيم إلى غير ذلك مما تراه في مواضعه من هذا الكتاب، ولو لم تكن إلا آية النصرة في (سورة التحريم) لكان فيها الكفاية.

٥٦ - ﴿سورة البروج﴾

أخرج البزار بإسناد رجاله ثقات عن عكرمة عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ [البروج: ٣] قال: الشاهد محمد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم والمشهود يوم القيامة، فذلك قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء:٤١] وتنكير شاهد ومشهود للإبهام في الوصف، كأنه قيل: وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما، قاله الزمخشري في "الكشاف"، وفي هذا من التنويه بنبينا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ما لا يخفى.

على هذا الترتيب، ردت قولهم الأول بقوله: ﴿لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ التي يرزق منها عبادة حتى أستطيع أن أوسع عليكم وأكثر أرزاقكم، وردت قولهم الثاني بقوله: ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ فأخبركم بالمستقبل الذي لا يعلمه إلا الله، وردت الثالث بقوله: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ حتى تنكروا مني الأكل والمشي في الأسواق وتزوج النساء، وذيلت هذه الردود بقوله: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الأنعام: ٥٠] أي: ما أنا إلا رسول بشر أتبع ما يوحى إلي فأبلغكم إياه، وهو توحيد الله وعبادته، فلا صلة للآية بالمفاضلة.

٥٧- ﴿سورة البلد﴾

قوله تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ [البلد: ١-٢] يفيد إحلال مكة للنبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وكان ذلك يوم فتحها، حيث أمر بقتل عبد الله بن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة؛ لأنه كان يكتب الوحي ثم ارتد وطعن في القرآن وفي النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وإحلال مكة المكرمة من خصوصياته عليه الصَّلاة والسَّلام، ولم تحل لنبيٍّ قبله.

وقيل في معنى ﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾: مقيم به نازل فيه، فكأنه تعالى عظم حرمة مكة من أجل أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مقيم بها، وقيل معنى ﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ ومن المكابدة والمشقة أن مثلك على عظم حرمتك يستحل بهذا البلد، كما يستحل الصيد في غير المحرم.

عن شرحبيل قال: يحرمون أنْ يقتلوا بها صيدًا، ويستحلون إخراجك وقتلك، وفيه -على هذا- تثبيت لرسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وحث على احتمال ما كان يكابد من أهل مكة، وتعجيب من حالهم في عداوته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

والمراد بقوله: ﴿وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ﴾ [البلد: ٣] رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ومن ولده، أقسم ببلده الذي هو مسقط رأسه، وحرم أبيه إبراهيم، ومنشأ أبيه إسماعيل، وبمن ولده وبه، والتنكير للمدح والتعظيم، وإيثار «ما» على «من» لإفادة معنى التعجب كما في ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ﴾ [آل عمران: ٣٦] قاله الزمخشري.

٥٨- ﴿سورة الضحى﴾

اشتكى النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أيامًا لم يقم فيها لصلاته، فقالت له أم جميل امرأة أبي لهب: يا محمد إني لأرجو أنْ يكون شيطانك قد قلاك، لم أره قربك منذ كذا، فنزل قوله تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ١- ٣] أقسم سبحانه على أنه ما ترك نبيه وما أبغضه، وهذا من كمال عنايته في رد ما قال المشركون للنبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

قوله تعالى: ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ﴾ [الضحى: ٤] يفيد ما أعد الله له في الآخرة من الكرامات والعطايا، ويفيد بدلالة الإشارة أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يترقى دائمًا: لأنَّ اللحظة الآخرة خير له من الأولى.

قال الزمخشري: «فإن قلت كيف اتصل قوله: ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ﴾ بما قبله؟ قلت: لما كان في ضمن نفي التوديع والقلى أنَّ الله مواصلك بالوحي إليك، وأنَّك حبيب الله، ولا ترى كرامة أعظم من ذلك ولا نعمة أجل منه، أخبره أنَّ حاله في الآخرة أعظم من ذلك وأجل، وهو السبق والتقدم على جميع أنبياء الله ورسله، وشهادة أمته على سائر الأمم، ورفع درجات المؤمنين وإعلاء مراتبهم بشفاعته، وغير ذلك[1] من الكرامات السنية».

---

(١) مثل شفاعته للعصاة من أمته في عدم دخول بعضهم النار، وفي إخراج بعضهم الآخر منها، والزمخشري لا يقول بهاتين الشفاعتين لأنه معتزلي، وأهل السنة مجمعون على إثباتهما، ودلائل الكتاب والسنة المتواترة تؤيدهم.

قوله تعالى: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ [الضحى: ٥] وعد من الله تعالى بأن يعطيه فيرضيه، وحذف مفعول يعطيك ليعم أنواع العطاء من الكمالات النفسانية والعلوم الإلهية، وظهور الأمر وإعلاء الدين، والنصر على الأعداء، والشفاعة وغير ذلك مما لا يعلمه إلى معطيه سبحانه وتعالى(١).

قوله تعالى: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾ [الضحى: ٧] معنى الضلال هنا عدم المعرفة، يقال: ضللت الدار، أي: لم أعرفها، والمعنى: أنه لم يكن يعرف الشريعة فهداه الله إليها بالوحي، وهذا كقوله تعالى: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ ﴾ [الشورى: ٥٢] أي: ما كنت تدري القرآن ولا شرائع الإيمان.

قوله سبحانه: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١] أمر له عليه الصَّلاة والسَّلام أن يحدث أمته بما أنعم الله عليه، ليعرفوه ويعتقدوه، ويزدادوا حبًا له وتعظيمًا، فالتحدث بالنعمة في حقه واجب، وفي حق غيره من أفراد الأمة جائز إذا أمن العجب والرياء.

---

(١) وقال الزمخشري: «موعد شامل لما أعطاه في الدنيا من الفتح والظفر بأعدائه يوم بدر، ويوم فتح مكة، ودخول الناس في دين الله أفواجًا، والغلبة على قريظة والنضير وإجلائهم، وبث عساكره وسراياه في بلاد العرب، وما فتح على خلفائه الراشدين في أقطار الأرض من المدائن، وهدم بأيديهم من ممالك الجبابرة، وأنهبهم من كنوز الأكاسرة، وما قذف في قلوب أهل الشرق والغرب من الرعب، وتهيب الإسلام، وفشو الدعوة واستيلاء المسلمين، ولما ادخر له من الثواب الذي لا يعلم كنهه إلا الله».اهـ

٥٩- ﴿سورة ألم نشرح﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١] يفيد أن الله تعالى شرح صدر نبيه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بنوره الإلهي، ليسع مناجاة الحق ودعوة الخلق، وليكون مهبط الرحمات وموضع التجليات.

قال الزمخشري: «معنى «شرحنا لك صدرك»: فتحناه حتى وسع هموم النبوة، ودعوة الثقلين جميعًا، قوله تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ [الشرح:٢-٣] المراد بالوزر: عبء التبليغ وثقل الدعوة، كان الاهتمام بهما يقض مضجعه حتى سهلهما الله تعالى عليه ويسرهما له، فإطلاق الوزر من باب الاستعارة التصريحية كما هو معلوم، وفي قراءة ابن مسعودٍ: «وحللنا عنك وقرك، والوقر الحمل، و هذه القراءة تؤيد ما قررناه».

قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤] يفيد أن الله تعالى رفع ذكر نبيه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فبشر به في الكتب السابقة وأخذ عهدًا على الأنبياء أن يؤمنوا به وينصروه إن ظهر في زمانهم، وقرن اسمه باسمه تعالى في الأذان والإقامة والتشهد في الصلاة، وفي خطب الجمعة والعيدين وفي خطبة النكاح، وفي الشهادة التي لا يكون الشخص مسلمًا إلا إذا نطق بها، وجعل الصلاة عليه عبادة فرضها على المسلمين.

(تنبيه): قال العلامة الصاوي: لو أن رجلًا عبد الله تعالى وصدق بالجنة والنار وكل شيء ولم يشهد أن محمدًا رسول الله لم ينتفع بشيء وكان كافرًا،

وهذا إجماع.

وفي "صحيح مسلم" من حديث أبي هريرة: «**والذي نفسُ محمدٍ بيده لا يسمعُ بي أحدٌ من هذه الأمة يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ ثم يموتُ ولم يؤمن بالذي أرسِلتُ به إلا كانَ من أصحابِ النَّار**»(١).

٦٠- ﴿سورة البينة﴾

كان الكفار من أهل الكتاب وعبدة الأصنام يقولون قبل مبعث النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: لا نترك ما نحن عليه من ديننا حتى يبعث النبي الموعود الذي هو مكتوب في التوراة والإنجيل، فلما بعث صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حسدوه وأنكروه وتفرقوا عنه، فحكى الله عنهم ما كانوا يقولونه: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ﴾(٢) عما هم عليه ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ الحجة

---

(١) هذا الحديث يفيد أن عقاب الآخرة موقوف على بلوغ الدعوة، وقد بينا في "خواطر دينية" أن إبلاغ الدعوة واجب يقوم به كل مسلم في حدود طاقته، لكن يقع معظمه على عاتق الحكام والعلماء والأغنياء، فهم المسئولون قبل كل أحد عن تأليف جماعات وإمدادها بما يلزم للتبشير بالإسلام في جميع بقاع العالم، وإن مشكلة الملَوَّنين في أمريكا وجنوب إفريقيا، ومشكلة المنبوذين في الهند، لا تجد الحل العادل السليم إلا في الإسلام، دين الأخوة والمساواة والسلام العام.

(٢) تأمل هذه الآية، تجدها سلكت أهل الكتاب والمشركين في نظام، ووسمتهم جميعًا بسمة الكفر، لأنَّ أهل الكتاب اتفقوا على الكفر بالنبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، واليهود كفروا أيضًا بعيسى، والنصارى ألَّهوه، وبعض الناس يعتقد أن الكافر هو

الواضحة، وهو النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ بدل من البينة ﴿يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ من الباطل ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ فيها أحكام مكتوبة مستقيمة ناطقة بالحق والعدل ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ [البينة:١- ٤] وهذا كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٨٩] ومن قال: إن المراد بـ ﴿رَسُولٌ﴾ هنا: جبريل عليه السَّلام، فقد أخطأ خطأً كبيرًا؛ لأنَّ جبريل لم يتل عليهم صحفًا ولا غيرها، ولأنه أيضًا لم يكن موصوفًا لهم في التوراة والإنجيل باسمه ونسبه وبلده ومهاجره.

٦١ - ﴿سورة الكوثر﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١] يفيد تشريف النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بهذا العطاء الذي أكد بـ«إن»، وبـ«نون العظمة»، والكوثر نهر في الجنة كما ثبت به الحديث في "صحيح مسلم"، وهو من خصوصياته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وقيل في معنى الكوثر أقوال كثيرة تركناها لأمرين:

١- أنا لا نعدل بالحديث الصحيح غيره.

الذي ينكر وجود الله تعالى، وهذا الاعتقاد خطأ، والصواب لغة وشرعًا أن الكافر يطلق على الأصناف المذكورة كلها، لأنَّ المشرك كفر بوحدانية الله، وأهل الكتاب كفروا برسالة النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ومنكر الله كفر بوجوده، واسمه الخاص به: ملحد.

٢- أن تلك الأقوال متداخلة ولا تفيد فائدة جديدة، وأقربها إلى الإفادة قول من قال: الكوثر الخير الكثير، وهو قول ابن عبَّاسٍ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣] رد لقول المشركين في النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حين مات ولده القاسم: بتر محمد، ولذا جاء مؤكدًا بـ«إن»، وضمير الفصل، وتعريف الأبتر، وذلك يفيد حصر البتر في شانئه أي: مبغضه عليه الصَّلاة والسَّلام، و هذه السورة نزلت لتسليته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وبيان ماله عند مولاه من المنزلة التي ليس فوقها منزلة.

وقال الزمخشري في تفسير هذه السورة بعد حكاية الخلاف في معنى الكوثر والصَّلاة والنحر: «والمعنى أعطيت ما لا غاية لكثرته من خير الدارين الذي لم يعطه أحد غيرك، ومعطي ذلك كله أنا إله العالمين، فاجتمعت لك الغبطتان السنيتان: إصابة أشرف عطاء وأوفره من أكرم معط وأعظم منعم، فاعبد ربك الذي أعزك بإعطائه وشرفك وصانك من منن الخلق مراغما لقومك الذين يعبدون غير الله، وانحر لوجهه وباسمه إذا نحرت مخالفًا لهم في النحر للاوثان، إن من أبغضك من قومك لمخالفتك لهم هو الأبتر لا أنت، لأنَّ كل من يولد إلى يوم القيامة من المؤمنين فهم أولادك وأعقابك، وذكرك مرفوع على المنابر والمنار، وعلى لسان كل عالم وذاكر إلى آخر الدهر: يبدأ بذكر الله ويثني بذكرك، ولك في الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف، فمثلك لا يقال له أبتر، وإنما الأبتر هو شانئك المنسي في الدنيا والآخرة، وإن ذكر ذكر باللعن.

٦٢- ﴿سورة النصر﴾

بشر الله تعالىٰ نبيه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في هذه السورة بنصره علىٰ أعدائه وفتح مكة له، وأمره بالتسبيح والاستغفار[١] استعدادًا للقاء مولاه وتهيؤا لما أعد له من أنواع الكرامات عنده سبحانه وتعالىٰ.

٦٣- ﴿سورة المسد﴾

لما نزل قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] خرج النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إلىٰ البيت ونادىٰ بطون قريش، فاجتمعوا له، فأنذرهم عذاب الله وحذرهم عقابه، فقال له عمه أبو لهب: تبًّا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟!

فأنزل الله تعالىٰ هذه السورة يخبر بهلاكه وهلاك زوجه، ولم يفرد الله سورة لذم أحد بالتعيين سواهما، وذلك لشدة عداوتهما للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وكثرة إيذائهما له[٢].

---

(١) يؤخذ من هنا فضل التسبيح والتحميد والاستغفار، حيث أمر الله به في مقابلة شكر نعمة الفتح والنصر، كما يؤخذ أيضًا أن من حكم الاستغفار أن يكون شكرًا علىٰ نعمه، فتضاف هذه الحكمة إلىٰ حكمه التي بيناها في (سورة النساء).

(٢) يجتنب كثير من الناس هذه السورة في الصلاة معتقدين كراهة قراءتها؟ لأنها تذم عم النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وهذا شيء لا أصل له، والنبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لا يضيره ذم عم كان أكفر قريش بالله، وأشدهم عداوة لرسوله، ويعجبني في

٦٤، ٦٥- ﴿سورتا المعوذتين﴾

لجأ اليهود إلى السحر(١) آخر حيلة لهم في محاربة النبي صلَّى الله عليه وآله

هذا المقام صنيع الزمخشري - حين تكلم على (حمالة الحطب) وحكى القراءتين برفع حمالة ونصبة، ووجه القراءة الثانية بأن النصب على الشتم- فإنه قال: وأنا أستحب هذه القراءة، وقد توسل إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بجميل، من أحب شتم أم جميل ا.هـ، وكذلك أقول: قد توسل إلى النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بسبب، من أحب ذم أبي لهب.

(١) السحر نوعان نوع يتسلط على قلب الشخص أو عقله، فيورث عنده وسوسة أو خبلًا، فيتخيل أمورًا لا وجود لها، ويعتقد أشياء لا حقيقة لها.

وهذا النوع مستحيل في حق الأنبياء عليهم السلام، لقيام الدليل العقلي القاطع على عصمتهم من تسلط شيء على قلوبهم أو عقولهم، ونوع يتسلط على بدن الشخص فقط، مثل ربطه عن زوجه، فلا يقدر على إتيانها مع تمام صحته.

وهذا النوع جائز في حق الأنبياء، لأنه من الأمراض البدنية التي لا تمس مكانتهم، ولا تنقص قدرهم.

وهذا هو الذي حصل للنبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقد ثبت في رواية للبخاري في "الصحيح" عن عائشة رضي الله عنها أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن.

ومعنى كلامها: أنه عليه الصَّلاة والسَّلام كان يرى أن له قدرة على إتيان النساء كسابق عادته، ولكنه إذا أراد المباشرة لا يأتيهن لعدم القدرة عليه، فهو مرض بدني لا علاقة له بالقلب ولا بالعقل، وهذا مثل الحمى.

فقد كان صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يمرض بها، لكنه معصوم من خطر فتكها

وسلَّم، فسحره لبيد بن الأعصم اليهودي ليعقده عن زوجاته، وذلك يؤدي في نظرهم إلى إتعاب النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في بيته وإسقاطه في نظر نسائه، وربما يطلبن الطلاق من رجل لا يقوم بالوظيفة الزوجية، وظل صلَّى الله عليه وآله وسلَّم معقودا عن أهله وهو في تمام صحته لا يدري ماذا جرى له؟ حتى نزلت هاتان السورتان، وأخبره جبريل عليه السَّلام بما حصل له فقرأهما وحل عقد السحر المعمول له، وعاد إلى سابق نشاطه في قربان أهله، وتم نصر الله تعالى له ظاهرًا وباطنًا، ورفع منزلته حسًّا ومعنى، فلم يكن أفضل منه عند مولاه رسول ولا ملك، ولم يكن أقرب منه كليم ولا خليل، صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون.

وهذرها، فكان تسلطها مقصورًا على بدنه.

والمشركون حين قالوا عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [الفرقان: ٨] قصدوا النوع الأول، يريدون أنه مغلوب على عقله، يتخيل أنه يوحى إليه وأنه رسول... إلخ.

وهذا كما قالوا عنه: ساحر وشاعر وكاهن، ولهذا رد الله كلامهم فقال لنبيه: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٨] إلى الحق الذي ضلوا عنه، ونظير هذا قول فرعون في موسى: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء: ٢٧].

خاتمة

بعد الانتهاء من ذكر الآيات الواردة في فضل النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وتكريمه، نلخص منها في هذه الخاتمة المزايا، أي: الخصائص التي اقتضت أفضليته على الأنبياء والمرسلين والملائكة؛ لأنَّها لم تجتمع لأحد سواه، وهي نوعان:

الأول: نوع يتعلق بشخصه.

الثاني: ونوع يتعلق بأمته أو ببعض أفرادها لأجله عليه الصَّلاة والسَّلام.

فمن النوع الأول: دفاع الله عنه بمختلف الأساليب حسبما نبهنا عليه فيما مر، تبشير الأنبياء به، أخذ الميثاق عليهم أن يؤمنوا به وينصروه، إعطاؤه أمنيته قبل السؤال، قتال الملائكة معه، نصره بالرعب يلقى في قلوب أعدائه، إيجاب طاعته وجعلها مثل طاعة الله، طلب الله منه أن يعفو عن أصحابه ويستغفر لهم، اتباعه سبب في محبة الله تعالى وغفرانه، تسليته عن تكذيب الكفار له، الطعن فيه طعن في الدين، نفي الإيمان عمن لم يسلم لحكمه تسليمًا، تنبيه الله له على الخطأ قبل الوقوع فيه، ومن ثم كان لا يخطئ حتى فيما يهم به، شهادة الله له بالتبليغ، نداؤه وذكره بوصف النبوة والرسالة، وجوده منع الخسف والمسخ والقذف، وصفه باسمين من أسماء الله تعالى بل بأكثر[1]، إيتاؤه القرآن العظيم،

---

(١) ووصف خليله باسم واحد قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤] ووصف به إسماعيل أيضًا ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١] كذلك وصف كليمه باسم واحد ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ [الدخان: ١٧] ووصف

حفظ الله له من التبديل والتحريف، إقسام الله بحياته، كفايته المستهزئين به، إسناد بيان القرآن إليه، إعطاؤه المقام المحمود، إعجاز القرآن للثقلين، عتابه لجبريل واعتذار الملائكة في كتابه الذي هو القرآن، تحريم ندائه باسمه أو كنيته، إرساله رحمة للعالمين، يسر دينه، عموم رسالته، وجوب إيثاره بالنفس، ختمه للنبوة، زواجه بالهبة وبدون صداق، عدم وجوب القسم عليه بين نسائه، حرمة إيذائه ولو بمباح، صلاة الله وملائكته عليه، أمر المؤمنين بالصلاة عليه، حرمة التقدم بين يديه بقول أو فعل، حرمة رفع الصوت فوق صوته، حرمة الجهر له بالقول في الكلام معه، تزكية الله له جملة وتفصيلًا، كل ما يصدر عنه بإذن الله ورضاه، تجنيد الله لنصرته على زوجيه جبريل وصالح المؤمنين والملائكة، ثناء الله عليه بعظمة خلقه، أجره على التبليغ مستمر لا ينقطع، إحلال مكة له عام الفتح، دوام ترقيه، شرح صدره لتلقي التجليات، رفع ذكره، إعطاؤه الكوثر إلى غير ذلك.

ومن النوع الثاني: دفاع الله عن صحابته، شهادة أمته على الناس يوم القيامة، رفع الخطأ والنسيان والحرج عن أمته، إحلال الغنائم لهم، تفضيلهم على الأمم، تبرئة زوجه ببضع عشرة آية، أزواجه أمهات المؤمنين، تحريم نكاحهن من بعده، يؤتين أجرهن مرتين، الثناء على صحابته في التوراة والإنجيل.

نوحًا باسم واحد أيضًا ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا﴾ [الإسراء: ٣] ووصف إسحاق باسم واحد أيضًا ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ﴾ [الذاريات: ٢٨]، هذا آخر التعليقات. والحمد لله رب العالمين.

هذه بضع وستون مزية خص الله بها نبيه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وهي في القرآن الكريم، وقد ثبتت خصائص أخرىٰ في الأحاديث الصحيحة والحسنة تضارع هذا العدد، ومن أراد استيفاءها فليراجع كتاب "الخصائص الكبرىٰ" للحافظ السيوطي، فقد استوعبها استيعابًا بالغًا إلَّا أنَّه لم يقتصر علىٰ الأحاديث الثابتة بل حشر فيها كثيرًا من الأحاديث الضعيفة والواهية وبعض الموضوعات ناسيًا ما التزمه في خطبة الكتاب من صونه عن الواهي والموضوع وفي نيتي أن ألخصه بتجريد ما فيه من الأحاديث الصحيحة والحسنة وطرح ما عداها، وفق الله إلىٰ ذلك وأعان عليه، بل شرعت فيه وكتبت منه جملة صالحة تجيء في قدر ثلثه لكن حال دون إتمامه عروض هذه المحنة عجل الله كشفها.

وكان الفراغ من تسويد هذا الكتاب بعد عصر يوم السبت السابع والعشرين من شهر ربيع النبوي سنة ثلاث وثمانين و ثلاث مائه وألف، وتم تبييضة بعد عصر يوم الثلاثاء السابع عشر من شهر ذي القعدة الحرام من السنة نفسها.

واللهُ المسئولُ أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وسببًا لنيل شفاعة نبيِّه في الموقف العظيم، وأن يُفرِّج كربتنا ويستر عورتنا.

والحمد الله أوَّلًا وآخرًا، والصَّلاة والسَّلام علىٰ نبيِّه بداية ونهاية،

ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العليِّ العظيم.

٢- الأحاديثُ المُنتَقاةُ

في فَضَائِلِ سَيِّدنا رَسُولِ الله ﷺ

هـذا كتـابٌ قـد سَـعدتُ بجَمْعِـهِ ... في فَضْـلِ خَـيْرِ الخَلْـقِ أَكْـرَمِ مُرسَـلِ

نُـورُ الوجُـودِ شَـفِيعُنا يـومَ اللِقـا ... هـادي الخَلائِـقِ للصَّـراطِ الأَكْمَـلِ

قـد خصَّـه المـولى بـأقربِ خُلَّـةٍ ... وحَبـاه بـالخُلُقِ العظـيم الأفضـلِ

لجنابـه أُهـدي كتـابي راجيًـا ... أنْ يقبـل المُهـدَى قَبُـول المُفْضِـلِ

ويُضـيفني كَرَمًـا إلى أتباعـه ... أهـلِ الحـديثِ وأهـلِ ذِكـر مُنْـزَلِ

المقدمة

الحمدُ لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، أحمده تعالىٰ وأُثني عليه وأشكره، وأستهديه سبحانه وأستعينه وأستغفره، وأشهد أنْ لا إله إلَّا هو، المُتفرِّد بالخلق والإيجاد، المُنزَّه في ذاته وصفاته وأفعاله عن الشُّرَكاء والأَنْدَاد، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّدًا عبده ورسوله وصَفيُّه وخليله، جعله نبيًّا وآدم مُنْجَدِلٌ في الطين، وأخذ الميثاق به علىٰ جميع النبيّين، ثُمَّ بعثه مؤيَّدًا بالمعجزات الباهرات، وفَضَّله بأنواع الخصائص والمكرمات، فشرح صدره، ورفع ذكره، وأعلىٰ قدره، وأعظم أجره، وختم به الرسل والأنبياء، وكتب لشريعته الخلود والبقاء إلىٰ يوم الجزاء، صلَّىٰ الله وسلَّم وبارك عليه، وزاده شرفا وكرامةً لديه، وأعطاه من صُنُوف الفضل ما لا يصل أحد إليه، ورضي عن آله وأصحابه وكل من اندرج في زُمْرة أتباعه وأحبابه.

أما بعد: فهذه أربعون حديثًا مُنتقاة في فضائل مولانا رسول الله، خدمت بها الجناب النبويَّ وأَتْحَفْتُ بها المُحبِّين لمقامه العليِّ، وجعلتها وسيلةً أنال بها شفاعته يوم يفرُّ المرء من أخيه، وأُمِّه وأبيه، ومن الحَمِيم الوفيِّ. تقبَّلها الله بقبولٍ حسنٍ، وأذهب عنَّا كل كَرْبٍ وهَمٍّ وحَزَن، بفضله وجوده، إنه ذو الفضل العظيم، وصاحب الجود الواسع العميم، لا يَرُدُ من سَأَلَه، ولا يُخَيِّبُ من أَمَّلَه، لا سيَّما وقد استشفعنا إليه بأكرم خَليقَته وأفضل بريَّته، سائلين منه سبحانه أنْ يحقق رجاءنا، ويقبل دعائنا ويمحو وِزْرَنَا، ويَجْبُرُ كَسْرَنا، إنه قريبٌ مجيبٌ.

أبو الفضل
عبدالله الصدِّيق الغُمَاري

١- حديث: «مَتَى وَجَبَتِ النُّبُوَّةُ»

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسولَ الله، مَتَىٰ وَجَبَتْ لك النبوَّةُ؟ قال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**وآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالجَسَدِ**». رواه الترمذي وقال: «حديث حسن صحيح غريب».

قوله: «متىٰ وَجَبَتْ لَكَ النبوَّةُ ؟»، هكذا في هذه الرواية، وهي أيضًا روايةُ الحاكم وأبي نعيم والبيهقي، وصححها الحاكم أيضًا.

وفي روايةٍ: متىٰ كُتِبْتَ نبيًّا؟ قال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**كُتِبْتُ نبيًّا وآدَمُ بَيْنَ الرُوحُ والجَسَدِ**»، وهذه رواية أبي عمرو إسماعيل بن نجيد في جزئه.

وفي روايةٍ: مَتَىٰ كُنتَ نَبيًّا؟، وهي رواية مَيْسَرَة، الآتية في الحديث الثاني.

ومثلها رواية ابن عبَّاسٍ عند البزَّار والطبرانيِّ وأبي نعيمٍ، ورواية ابن أبي الجدعاء عند ابن سعد وابن قانع، ورواية مطرف بن عبد الله بن الشخير عند ابن سعدٍ.

وفي روايةِ الشَعْبِي: أنّ رجلًا قال للنبيّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: متىٰ استُنْبِئْتَ؟ قال:«**وآدَمُ بين الرُوحِ والجَسَدِ، حين أُخِذَ مِنِّي المِيثَاقُ**». رواها ابن سعد أيضًا، لكنَّ الراوي عن الشَعْبِي: جابر الجُعْفِيّ.

وعن الصَنَابِحِيّ قال: قال عمر: متىٰ جُعِلْتَ نَبيًّا؟ قال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم:«**وَآدَمُ مُنْجَدِلٌ في الطِّينِ**». رواه أبو نعيم في "الدلائل".

وهذه الروايات متقاربة، والمراد بها الإخبار بوجوب نبوته، أي: ثبوتها لروحه الشريفة المخلوقة قبل الأرواح، ورواية «مَتَىٰ كُتِبْتَ؟» معنىٰ الكتابة فيها: الوجوب، والثبوت في الخارج أيضًا، فإنّ الكتابة تُسْتَعْمَلُ فيما هو واجبٌ

ظاهرٌ في الخارج، نحو: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة:١٨٣] ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ﴾ [المجادلة:٢١] ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ﴾ [البقرة: ١٧٨]

وحاصلُ المعنَى: أنَّ اللهَ تعالى أفاض على روح نبيه الشريفة، أو حقيقته[1] المحمدية وصف النبوة، في وقت كان آدم لا يزال طريحًا على الأرض، قبل نفخ الروح فيه، وإفاضة النبوة في هذا الوقت تستلزم تقدم خلقه على غيره كما هو ظاهر.

ولهذا جاء من طريقٍ عن قتادة، عن الحسن، عن أبي هريرة، عن النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ﴾ [الأحزاب: ٧] الآية، قال: «**كُنْتُ أَوَّلَ النبيّين في الخَلْق وآخِرَهم في البَعْثِ**»، فبدأ به قَبْلهم. رواه ابن أبي حاتم وغيره.

ورواه ابن سعد عن قتادة مرسلًا، بلفظ: «**كنتُ أوّل النّاس**[2] **في الخَلْقِ وآخِرَهم في البَعْثِ**». قال المَناوي في شرح "الجامع الصغير" ما نَصُّه: «جعله الله حقيقةً تَقْصُرُ عقولُنا عن معرفتها، وأفاض عليها وصف النُّبُوة من ذلك الوقت، ثم لَمَّا انتهى الزمان بالاسم الباطن إلى الظاهر، ظهر بِكُلِّيَّته جسمًا وروحًا».اهـ

وفي حديث الإسراء، من رواية أبي هريرة: «**وجَعَلَني فاتِحًا وخاتِمًا**»، أي:

---

(١) وهذا ما يقصده أصحاب السير والموالد بقولهم: «خُلِقَ نُورُه قَبْلَ الأشياء»، لأنَّ روحه الشريف كان موجودًا متصفا بالنبوة قبل نفخ الروح في آدم كما تبين، والروح جسم نوراني لطيف، كما حققه ابن القيم وغيره، وكذا إذا قلنا أنّ المراد حقيقته، فإنها أمر نوراني تَقْصُرعقولنا عن معرفته، إذ الحقائق تقصر العقول عن معرفتها، كما قاله التقي السبكي في رسالة "التعظيم والمنة".

(٢) المراد بالناس: النبيّون، بدليل الرواية السابقة، فهو عام أريد به الخصوص.

فاتِحًا لخلق الموجودات، وخاتِمًا لظهور النُبُوَّات، ولذا كان من أسمائه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم «الفاتِحُ الخاتِم».

وقد أجاد في تقرير هذا المعنى وإيضاحه الإمامُ الحافظُ تقي الدين السبكي في رسالة: "التعظيم والمنة في لتؤمنن به ولتنصرنه" وهي مطبوعة في "فتاويه"، ونَقَل كلامه الحافظ السيوطي في "الخصائص الكبرى"، والقسطلاني في "المواهب اللدنية" وغيرهما.

(تنبيه): عَرَضَ زكي مبارك في كتاب: "التصوف الإسلامي" لموضوع الحقيقة المحمدية، وَزَعَم أنّ الصوفية تغالوا فيها، كتغالي النصارى في الحقيقة العيسوية، وتكلم على أحاديث: «**كُنتُ نبيًّا وآدمُ بَيْنَ الرُوح والجسد**»، فَزَعَمَ بُطلانها، وأيَّد زَعْمَه بنقل كلام الذهبي في "الميزان" على بعض رجال هذه الأحاديث، وكل ما أبداه خطأ فاحش، فإنّ الصوفية لم يتغالوا، بل ذكروا ما فهموه من الأحاديث بحسب ما ألهمهم الله، ومِنْ عادة الذهبي أنه يصرح في "الميزان" ببطلان الحديث الصحيح، بل المتواتر أحيانًا[1]، وهو يعلم صحته أو

---

(١) كحديث: «**مَن كَذَبَ عليَّ مُتعمدًا**»، فهو حديثٌ متواترٌ، وقد نصَّ على وضعِه في مواضع من "الميزان" في تراجم جماعة من الضعفاء والمجروحين، والمقصود: أنّ الأحاديث الضعيفة والموضوعة يؤخذ حكمها من الكتب الخاصة بها لا من كتب الرجال.

وقد حَصَل في أول طلبي لهذا الشأن أني رأيت الحافظ الدميري ذكر في "حياة الحيوان" حديثًا في الأشياء التي تورث النسيان، ومنها أكل التفاح الحامض، والمشي بين إمرأتين، وبين جملين، وقراءة الكتابة على شواهد القبور...إلخ، ونَصَّ على صحته، فظننته صحيحًا كما قال، ثم وجدته منصوصًا على وضعه في كتب

تواتره، ولا يقصد بطلانه إطلاقًا، ولكن يقصد بطلانه من طريق الراوي المُتَرْجم فقط، وهذه عادة كل من تكلم في الضعفاء، كابن حِبَّان، وابن عَدي، والعَقيلي، وهذا أمر معروف لمن مارس علم الحديث، فاعتماد زكي مبارك على "الميزان" في إبطال الأحاديث المذكورة، جهل كبير لا يليق إلا بأمثاله.

٢- حديث: «مَتَى كُنتَ نَبِيًّا»□

عن مَيْسَرة الفَجْر قال: قلت يا رسول الله: مَتَى كُنْتَ نَبِيًّا؟ قال:«**وآدَمُ بَيْنَ الرُوحِ والجَسَدِ**». رواه الإمام أحمد، والبخاري في "التاريخ"، والطبرانيّ، والحاكم وصححه، وقال الحافظ: «سنده قوي».

قلت: ورواه أبو الحسين بن بَشْران، ومن طريقه ابن الجَوْزي في كتاب "الوفا بفضائل المصطفى" بلفظ: قلت يا رسول الله متى كنت نبيًّا؟ قال:«**لما خَلقَ اللهُ الأرض، واستوى إلى السماء فسوَّاهُنّ سَبْع سماوات، وخَلقَ العرش، كَتبَ على ساق العرشِ محمدٌ رسولُ الله خاتِم النبيِّين، وخَلقَ الله الجنَّة التي أسكَنها آدم وحوَّاء، فكَتب اسمي على الأبواب والأوراق والقِباب والخِيام، وآدم بين الرُّوح والجسد، فلما أحْياه اللهُ تعالى، نظرَ إلى العرشِ فرأى اسمي، فأخبره اللهُ أنَّه سيِّد ولدك، فلمَّا غرَّهما الشيطانُ، تابا واستشفعا باسمي إليه**».

وإسناد هذه الرواية قوي أيضًا.

قوله: «متى كنت نبيًّا؟...» الحديث: تقدم شرح معنى كونه نبيًّا في الحديث

الموضوعات، فعلمت بعد البحث أنّ الدميري أراد أنه صحيح عن الراوي الذي حدَّث به، وأنه هو المتَّهَم بوضعه.

قبله بما لا مزيد عليه، غير أنّ بعض العلماء ذكر أنّ المراد بهذا الحديث وما في معناه: ثبوت نبوته في علم الله وتقديره، وأنّ المعنىٰ: كنتُ نبيًّا في تقدير الله، وآدم بين الروح والجسد، وكذلك قال في حديث: «**كُنْتُ أَوَّلَ النبيّينَ في الخَلْقِ**»، أنّ المراد بالخلق: التقدير، لا الإيجاد، أي: كنتُ أولهم في التقدير، هذا حاصل ما ذكره، وهو باطل لوجوه:

الأول: أنَّ نبوة النبيّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ثابتة في علم الله وتقديره منذ الأزل، فتخصيصها بوقت كَوْن آدم بين الروح والجسد، لَغْوٌ يجب تنزيه الحديث عنه.

الثاني: أنَّ نبوة الأنبياء عليهم السَّلام، بل الموجودات كلها، ثابتة في علم الله وتقديره، فلَمْ يَبْقَ للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في هذا خصوصيَّة علىٰ غيره، والحديث إنما أتىٰ لبيان الخصوصية، فلابد أنْ يكون فيه معنًىٰ زائد لا يشاركه فيه غيره وإلا كان الحديث من قبيل العبث، وذلك باطل.

الثالث: أنَّ الصحابة الذين سألوه بقولهم: متىٰ كنت نبيًّا؟ كانوا يعلمون أنَّ نبوته ثابتة في علم الله وتقديره، بل كانوا يعلمون أنَّ الأشياء كلها ثابته في علم الله وتقديره، فهم بالضرورة إنما أرادوا بسؤالهم قدْرًا زائدًا علىٰ ما كانوا يعلمون.

الرابع: أنَّ عُمَر -رَضيَ اللهُ عنهُ- سأله: متىٰ جُعلت نبيًّا؟، وهذا اللَّفْظ صريح في التَّصْيير، أي: متىٰ صِرْت نبيًّا، وذلك لا يتأتَّىٰ إلّا في موجودٍ يَصِحُّ اتصافه بالصِّفة التي صُيِّر إليها، كما تقول: جعلت قطعة الذهب خاتمًا، أي: صَيَّرْتُها كذلك، وقد كانت القطعة قبل ذلك موجودة، غير أنّها لم توصف بالخاتمية، إلا بعد الجَعْل والتَصْيِير.

الخامس: أنّ وجودَ الأشياء في علم الله وتقديره، لا يُتصور فيه أَسْبَقِيَّة بعضها على بعض، فلا يصح أنْ يقال: كنت أول النبيّين في الخَلْق، لِمَا يلزم عليه مما لا يليق بالله سُبْحانه وتعالى، وإنما تَصِحُّ الأوَّلية في الخلق بمعنى: الإيجاد؛ لأنَّه صفة فِعْل يُتَصور معه أسبقيَّة بعض الحوادث على بعض، كما دلَّ عليه القرآن والسُّنه، فَتَبَيَّن من هذا بُطلان ما ذكره البعض وتَعَيَّن ما ذكرناه، وهو أنَّ اللهَ أفاض على رُوح نبيِّه الشَّريفة أو على حقيقته المحمديَّة وصف النبوَّة، وخلع عليها خِلْعة القرب وآدم بين الروح والجسد، تمييزًا له على سائر المخلوقات واصطفاءً له من بين أنواع الموجودات، فهو خلاصة النوع الإنساني، وسيد الثقلين، وأبو الأنبياء صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وإلى هذا أشار ابن الفارض على لسان الحضرة المصطفوية:

وإنِّي وإنْ كنتُ ابن آدمَ صورة ... فلي فيه مَعْنى شَاهِدًا بأُبوَّتي

يقصد بالمعنى الشَّاهد: النور الذي كان في جَبين آدم عليه السَّلام، ثم انتقل إلى شَيْث من بعده، وهكذا، على ما ثبت في كتب السيرة النبوية، والله أعلم.

قوله: «وقال الحافظ سَنَده قوي»: إذا أُطْلِق الحافظ أو شيخ الإسلام فالمراد به في عُرْف أهل الحديث هو الحافظ ابن حجرٍ العَسْقَلانيّ، الذي كان أُعْجُوبة الدنيا في كثرة الحفظ وسَعَة الاطلاع، والقدرة على الجمع بين الأحاديث المتعارضة، وكتبه ناطقة بذلك، كان يسمى أمير المؤمنين في الحديث، وهو كذلك بحق، وتوفي سنه ٨٥٢ رحمه الله ورضي عنه وأعلى قدره في عِلِّيِّين.

قوله: «ورواه أبو الحسين ابن بَشْران»: اسمه علي بن محمد بن عبد الله بن بَشْران العَدْل البغدادي، أحد شيوخ البيهقي، ويروي عنه كثيرًا في كتبه

كـ"الأسماء والصفات"، و"السنن"، و"الدلائل"، وغيرها، وفي مكتبتنا من كتب ابن بَشْران كتاب: "الفوائد الحِسَان" يشتمل على أحاديث وآثار مُسْنَدة.

قوله: «لمّا خَلَق اللهُ الأرض...» الحديث، اشتملت هذه الرواية على مسائل:

الأولى: أنّ اللهَ تعالى كتب اسم نبيه على ساق العرش، وأبواب الجنّة وأوراقها وقِبابها وخيامها، إعلامًا لآدم والملائكة بمنزلته عنده، وفي ذلك من التَنْويه والرِّفعة ما لا يخفى.

الثانية: قوله: **«وخلق الله الجنّة التي أسْكَنَها آدم وحواء»**: قد يؤخذ منه أنَّها غير جنَّة الخلد المعهودة، بل هي جنَّة خلقت لسُكْنَى آدم وحواء، وفي ذلك خلاف طويل، ليس هذا موضع تفصيله.

الثالثة: قوله: **«فأخْبَره أنه سيد ولَدِك»**: فيه دليل على أنه سيد ولد آدم، والمراد به النوع الإنساني، فيشمل آدم أيضًا، والأحاديث بثبوت سيادته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم متواترة، سَرَدَها بأسانيدها شقيقنا الحافظ المجتهد أبو الفيض السيد أحمد في كتاب "تشنيف الأذان" وهو مطبوع.

الرابعة: قوله: **«تابا واسْتَشْفَعا باسمي إليه»**: فيه دليلٌ على جواز التوسل به من وَجْهَين: (١)

الأول: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حكاه وأقرَّه.

الثاني: أنّ الدعاء لا يختلف باختلاف الشرائع والأديان، فإذا جاز نوع منه في عهد آدم مثلًا، دلَّ على جوازه في سائر العهود.

---

(١) هذا أصلٌ لما اعتاد أهل المغرب من إطلاق لفظ الأولى على الظهر

وهذا الحديث يُقَوِّي حديث توسل آدم الذي صَحَّحَهُ الحاكم، وقال الذهبيّ أنَّه موضوعٌ، والصَّحيح أنّه ضعيف فقط، كما صرَّح به البيهقي في "دلائل النبوة" وهذا الكتاب قال عنه الذهبيّ نفسه: «عليك به، فكُلُّه هُدَىً ونور»، وقد بَسَطْتُ الكلام عليه في كتاب: "الرد المحكم المتين".

قوله: «وإسناد هذه الرواية قوي أيضًا»: لأنَّه عين إسناد الرواية الأولىٰ التي صححها الحاكم وقوَّاها الحافظ، غير أنّ هذه الرواية مُطَوَّلَة وتلك مُخْتَصرة، وهذا أمر معهود بين رواة الحديث، فإنّ الراوي تارة يكون عنده نشاط فيذكر الحديث بتمامه، وتارة يقتصر منه علىٰ ما يرىٰ أنّ الحاجة داعية إليه، وتارة يُسند، وأخرىٰ يرسل، ومن هنا كان جمع طرق الحديث والوقوف علىٰ ألفاظه المتعددة[1] شرطًا في فهمه حق الفهم، وهذه الطريقة سلكها الحافظ في "فتح الباري" فكان كتابه أكمل الشروح وأوفاها، واستعان بها علىٰ حل مشكلات من الأحاديث استعصت علىٰ غيره ممن سبقه، والله الموفق.

(تنبيه): **قوله**: «**وخَلَق العَرْش**»: هذه الجملة حالية، والمَعْنَىٰ: والحال أنّ الله خلق العرش، ويَصِحُّ أنْ تكون معطوفة، والعطف بالواو لا يقتضي الترتيب، فيجوز أنْ يعطف بها متقدم علىٰ متأخر، كما هنا، لأنَّ العرش مخلوق قَبْلَ السماوات والأرض، بدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧]، وبدليل الحديث الآتي بعد صفحة، وعلىٰ هذا، فكتابة اسم النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ ساق

---

(١) ولقد قال الإمام أبو زرعة الرازي: «إذا لم نروِ الحديث من عشرة طرق لم نفهم معناه».

العرش كانت قبل خلق السَّماوات والأرض وقبل خلق الجنَّة التي سكنها آدم عليه السَّلام بمدة لا يعلمها إلَّا الله تعالىٰ.

وقوله في آخر الحديث: «وآدم بَيْن الرُوح والجسد»، يرجع إلىٰ كتابة اسمه علىٰ أبواب الجنّة وأوراقها وقِبابها وخيامها، وكتابة اسمه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ ساق العرش وهو أعظم الأجْرَام علىٰ الإطلاق تناسب كونه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أعظم المخلوقات كذلك.

٣- حديث: «خرجتُ من نِكاحٍ ولم أخرُجْ مِنْ سِفاحٍ»

عن علي عليه السَّلام أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**خرجْتُ مِنْ نِكاحٍ ولَمْ أخرُجْ مِنْ سِفاحٍ مِن لَدُنْ آدم إلى أنْ ولدَني أبي وأمي لَمْ يُصِبْني مِنْ سِفاحِ الجاهِليّةِ شَيءٌ**». رواه الحافظ محمد بن يحيىٰ بن أبي عمر العَدَني في "مسنَده"، قال: حدَّثنا محمد بن جعفر، قال: أشهد علىٰ أبي يحدِّثني عن أبيه، عن جده، عن عليٍّ به. وهذا مسلسلٌ بأهل البيت النبوي الشريف(١).

ورواه أيضا: الطبرانيُّ في "المعجم الأوسط"، وأبو نعيمٍ في: "دلائل

---

(١) روىٰ الخطيب في "التاريخ": عن محمد بن عبدالله بن طاهر قال: كنت واقفًا علىٰ رأس أبي وعنده أحمد بن حنبل، وإسحاق بن رَاهَوَيْه، وأبو الصَّلْت الهرَوي، فقال أبي: ليحدثني كل رجل منكم بحديث، فقال أبو الصلت: حدثني علي بن موسىٰ الرضا -وكان والله رضًا كما سُمّي-: عن أبيه موسىٰ بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه علي قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**الإيمان قولٌ وعملٌ**»، فقال بعضهم: ما هذا الإسناد؟ فقال له أبي: هذا سُعُوط المجانين، إذا سُعِط به المجنون بَرَأ.

النبوة"، وابن عساكر في: "التاريخ"، ووَرَدَ نحوه من حديث ابن عبَّاسٍ، وعائشة، وغيرهما.

قوله: «خرجْتُ مِنْ نِكاحٍ ولَمْ أخرُجْ مِنْ سِفاحٍ»، «أُخْرُج» بفتح الهمزة وضم الراء مبنيًّا للفاعل، وهكذا تلقَّيْتُه عن شقيقي الحافظ أبي الفيض أثناء حضورنا عليه بزاوِيتَنا الصدِّيقية بطَنْجَة -عمَّرها اللهُ بذكره- وهو المُتجِه من جِهة المعنى أيضًا، فاحتمال بِنائه للمجهول كما فهم بعض الناس غلط.

والسِّفاح، بكسر السين: الزِنا، وهذا الحديث أحد الأدلة على طهارة نسبه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وفي معناه أحاديث كثيرة عن ابن عبَّاسٍ بألفاظ وطرق، عند ابن سعد، والطبرانيّ، وأبي نعيم، وابن عساكر، وعن عائشة عند ابن سعد، وابن عساكر، وعن أبي هريرة عند ابن عساكر، وعن أنس عند ابن مَرْدُويَه، وعن غيرهم.

على أنّ طهارة نسبه الشريف لا تحتاج إلى بيان ولا يُعْوِزُها بُرهان، إذ لم يتنازع فيها اثنان، فهو صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: الطاهر المُطَهَّرُ أُمًّا وأبًا، الطَيِّبُ المُطَيَّبُ أصلًا ونسبًا، ومن شك في هذا فليس مسلمًا، وبالله التوفيق.

٤- حديث: اصطفاء الله لنبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم

عن واثلة بن الأسقع قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**إنَّ اللهَ اصطفَى كِنانةَ مِنْ وَلَدِ إسماعِيل، واصطفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنانة، واصطفَى مِنْ قُرَيْشٍ بني هاشِمٍ، واصطَفَاني مِنْ بَني هاشِم**». رواه مسلم، والترمذي وقال: «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ».

قوله: «إنّ الله اصطفى كِنانة من وَلَدِ إسماعيل»؛ الاصطفاء معناه: الاجتباء والاختيار، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣] ومن الاصطفاء: نبوةٌ ورسالة، ومنه: تمييزٌ وتفضيل، وكِنَانَةُ -بكسر الكاف وتخفيف النون- أَحَدُ أجدادِه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

(نسبه الشريف): «سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ بنُ عبدِ الله بنِ عَبدِ المُطَلِبِ بنِ هاشِمِ ابنِ عَبدِ مَنَافِ بنِ قُصَيِ بنِ كِلابِ بنِ مُرَّةَ بنِ كَعْبِ بن لُؤَيِ بن غالِبِ بن فِهْرِ ابن مالِكِ بنِ النَّضْرِ بنِ كِنَانَة بنِ خُزَيْمَة بنِ مُدْرِكَة بن إلياسِ بن مُضَر بن نِزَارِ ابنِ مَعِدّ بنِ عَدْنَان».

وباقي الحديث واضح، وفيه دلالة علىٰ طهارة نسبه وشرف أصله، وكونه خيارًا من خيار صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، واستدل الشافعية بهذا الحديث علىٰ أنّ غَيْرَ قريش من العرب ليس كُفئًا لهم، ولا غير بني هاشم كفئًا لهم، إلا بني عبد المطلب فإنهم وبني هاشم شيء واحد كما في حديث آخر.

قوله: «حديث حسن صحيح غريب»: استشكل العلماء قول الترمذي في الحديث: «حسن صحيح» مع تنافيهما، لأنَّ شرط الصِّحة أعلىٰ من شرط الحسن كما هو معروفٌ، وأجابوا عن ذلك بعدة أجوبة، أحسنها جواب الحافظ ابن حجرٍ وهو أنّ الحديث إنْ كان له إسنادان، فالجمع بينهما باعتبار الإسنادين، أي: حسنٌ بإسناد، وصحيحٌ بآخر. وإنْ كان له إسناد واحد، فالجمع: للتردد في الإسناد، هل بلغ الصحة أوْ لا؟ أي: حسن أو صحيح، غاية ما في الأمر: أنه حذف الواو من الأول أو من الثاني اختصارًا.

أما الغرابة فلا تُنافي الحُسْن ولا الصِحَّة بل تُلاقيهما كما هو معروف، وهذا حديث: «**إنَّما الأعْمَالُ بِالنِّيَاتِ**» صحيحٌ غريب، وكم له من نظير والله أعلم.

(فائدة): العرب على ستِّ طبقات: شَعْبٌ، وقَبيلةٌ، وعِمَارةٌ، وبَطْنٌ، وفَخِذٌ وفَصيلة، فالشعب: يَجْمَعُ القبائل، والقبيلة: تَجْمع العمائر، والعمارة: تَجْمع البطون، والبطن: يَجْمع الأفخاذ، والفَخِذُ: تَجْمع الفصائل.

فمُضَر شَعْبُ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وكِنانة قبيلته، وقُريش عِمارته، وقُصَي بطنه، وهاشم فخذه، وبنو العباس فصيلته، وقيل بنو عبد المُطَّلِب، وعبد مَنَاف بطنه. أفاده الحافظ اليعمري في "سيرته".

٥- حديث: «إنِّي عَبْدُ اللهِ وخاتَمُ النبيّينَ»

عن العِرْباض بن سارية أنّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنِّي عبدُ الله وَخَاتِمُ النبيّينَ، وَإنَّ آدمَ لَمُنجَدِلٌ في طينَتِهِ، وسأُخْبِرُكمْ عن ذلك: أنا دعْوةُ أبي إبراهيمَ، وبِشارةُ عيسى، ورؤيا أمي التي رأتْ، وكذلك أمهاتُ الأنبياءِ يَرَيْنَ، وإنَّ أُمَّ رسولِ الله، صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، رأتْ حِينَ وضعتهُ نُورًا أضَاءَتْ لَهُ قُصورُ الشَّامِ حَتَّى رَأَتْها**». رواه أحمد، والبزَّار، والطبرانيّ، والبيهقي، وصححه ابن حِبَّان والحاكم، وأقر تصحيحهما الحافظ.

قوله: «**إنِّي عبدُ الله وخَاتِمُ النبيّينَ...إلخ**»، هذا يُؤيد ما قدّمناه من تَقُدم خَلْق حقيقته أو رُوحه، واتصافها بالنبوة وآدم مُنجدل في الطين.

وفي رواية: «**إنِّي عند الله لَخَاتِمُ النبيّينَ...إلخ**»، ومعنى العندية هنا: القرب المعنوي من بساط الحضرة الإلهية، أي: إني في بساط القرب مفاض عليَّ وصف

خاتِم النبيّين، وآدم لا يزال منجدلًا في الطين، أي: لا يزال جسما مُصوَرًا من الطين، لم تُنفخ فيه الروح، وفي هذا من عِظَم قدْر نبيِّنا وعُلوّ منزلته، ما لا يحتاج إلى بيان.

(فائدة): جاء في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، عن النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ اللهَ كَتَبَ مَقَادِيرَ الخَلْقِ قَبْلَ أنْ يَخْلُقَ السماوات والأرْضِ بِخَمْسِينَ ألْفَ سَنةٍ، وكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ**». ومن جملة ما كَتَبَ في الذِكْرِ -وهو أُمُّ الكِتاب- أنّ محمدًا خاتِم النبيّين، فهذا وجودٌ كتابيّ، بمعنى أنّ الله كتب اسمه الشريف ونعته المَنيف حين كَتب مقادير الأشياء في أم الكتاب.

وثَمَّ وجود سابق على هذا الوجود، وهو: الوجود العِلْمِيّ، أي: أنَّه كان معلومًا لله تعالى منذ القِدم، لضرورة إحاطة العلم القديم بجميع المعلومات، موجودات ومعدومات، وهذان الوجودان -أعني العِلميّ والكِتابيّ- مجازيان وغير خاصّين بالنبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وإنما المختَص به وجود حقيقته أو روحه وجودًا خارجيًّا، وإفاضة وصف النبوة عليها كما سبق، والله أعلم.

قوله: «**وسأُخبِرُكم عن ذلك**»، أي: سأخبركم عن تصديق ذلك، فالكلام على حذف مضافٍ كما تبين. قوله: «**دَعْوَةُ أبي إبراهيم**»، يُشير إلى قوله تعالى حكاية عنه: ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٩].

قوله: «**وبشارة عيسى**»، يشير إلى قوله تعالى على لسانه: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ [الصف: ٦]. قوله: «**ورؤيا أمي**»؛ هذه رُؤية عين، «**وكذلك أمهات الأنبياء يرين**»: أي: يرين ما يَدُل على نُبوة أولادهن.

قوله: «وإنّ أمَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رأت حين وضعته نورًا أضاء له قصور الشام حتى رأتها»: أي: معاينة، ولابن سعد من طريق ثور بن يزيد، عن أبي العجفاء، عن النبيّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «رَأَتْ أُمِّي حِينَ وَضَعَتْنِي سَطَعَ مِنْهَا نُورًا أَضاءَتْ لَهُ قُصورُ بُصرَى». وبُصرَىٰ موضع بالشام.

ولأبي نعيم من طريق عطاء بن يسار، عن أم سلمة، عن آمنة، قالت: «لقد رأيت ليلة وضعته، نورا أضاءت له قصور الشام حتىٰ رأيتها». وروىٰ الطبرانيّ، والبيهقي، وأبو نعيم، وابن السكن، وغيرهم، عن عثمان ابن أبي العاص قال: حدثتني أمي أنها شهدت ولادة النبيّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قالت: «فما شيء أنظر إليه في البيت إلا نور، وإني لأنظر إلىٰ النجوم تَدْنو، حتىٰ إني أقول لَتَقَعَنَّ عليّ، فلما وَضَعَتْهُ آمنة خرج منها نور أضاء له البيت والدار حتىٰ جعلت لا أرىٰ إلا نورًا».

ثم هو صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم خرج من السبيل المعتاد للولادة، طاهرًا نظيفًا ما به قذارة، كما ورد عَمَّنْ شاهدوه، فادَّعَاء بعضهم أنه خرج من موضع فوق السرة أو دونها[1]، لا أصل له، ولا دليل يؤيده، والله أعلم.

وفي دعوة إبراهيم وبشارة عيسىٰ عليهما الصَّلاة السَّلام، ورؤية والدته وغيرها للنور، دلالة صدق وشهادة حق علىٰ تقدم نبوته وسبق فضيلته كما هو ظاهر، وبالله التوفيق.

---

(١) وكذلك النصارىٰ يعتقدون أنّ عيسىٰ عليه السَّلام خرج من جنب أمه، أو من موضع فوق سرتها، وذلك باطل لا أصل له، بل هو مولود من المكان المعتاد لولادة البشر.

٦- حديث: «مَنْ لَقِيَني وهو جاحِدٌ بأحمد دَخلَ النَّار»[١]

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «أوْحى اللهُ إلى مُوسَى نَبِيّ بَنِي إسْرَائِيلَ أنَّه من لَقِيَنِي وهو جاحِدٌ بأحمد أدخلتهُ النَّارَ قَالَ: يارب ومن أحمدُ ؟، قالَ عزَّ وجلَّ: ما خَلَقْتُ خَلْقًا أكرمَ عليَّ منهُ، كَتبْتُ اسْمَهُ مع اسْمي في العرشِ قبلَ أنْ أخلقَ السماوات والأرض و إنَّ الجنّة مُحرَّمةٌ على جميعِ خلْقي حتَّى يَدخُلَها هو وأُمَّتهُ، قال موسى: ومنْ أُمَّتهُ؟، قال عزَّ وجلَّ: الحمَّادُونَ، يَحْمَدُونَ صُعُودًا وهُبوطًا، وعلى كُلِّ حالٍ، يَشدُّونَ أوساطَهمْ، ويُطَهرونَ أطرافهم، صائمون بالنَّهار، رُهْبانٌ باللَّيل، أقْبَلُ منهم اليَسير، وأُدْخلُهمُ الجنّة بشهادة أن لا إلهَ إلَّا الله، قال: اجْعلني نبيَّ تلك الأُمَّةِ، قال: نَبيُّها منها، قال: اجْعلْني من أُمّةِ ذلك النبيّ، قال: اسْتَقدَمتَ واسْتأخَر ولكنْ سأجمعُ بينك وبينه في دار الجلال». رواه أبو نعيم في "الحلية".

قوله: «مَنْ لَقِيَنِي وهو جاحِدٌ بأحمد أدْخَلتُه النَّار»، أي: من لَقيَني من بني إسرائيل قوم موسىٰ وهو كافر بأحمد؛ أدخلتُه النَّار؛ وذلك لأنَّ اللهَ أخبرهم في التوارة، وبَشَّرهم به موسىٰ عليه السَّلام، فمن جَحد به بعد ذلك كان مُكَذِّبا الله ورسوله، وهو كفر يوجب الخلود في النَّار.

قوله: «ما خَلَقْتُ خَلْقًا أكرم عليَّ منه»[٢]، أكرم أفعل تفضيل من الكرامة، أي:

---

(١) نبَّه المصنِّف رحمه الله علىٰ هذا الحديث في "سبيل التوفيق" قائلا: «الحديث السادس من "الأحاديث المنتقاة" فليضرب عليه من كان عنده ذلك الكتاب». (المشرف)

(٢) وأخرج بن عساكر في "التاريخ": عن عبد الرحمن بن غُنم، عن النبيّ صلَّى الله عليه

ما خلقت خلقًا له من الكرامة عندي مثله، وفي هذا دليل تفضيله على الملائكة، وهو إجماع، إلا ما كان من ابن حزمٍ فإنه فضل الملائكة عليه، وإلا ما كان من الزمخشري فإنه فضل جبريل عليه، وهذان قولان في غاية الشذوذ، لا يعتبر بهما.

يقابلهما في الشذوذ قول من فضل عَوَامَّ المؤمنين على عَوَامَّ الملائكة، وليس في الملائكة عَوَام، بل كلهم رُسُل معصومون، قال الله تعالى: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ [فاطر: ١] وقال جلَّ شأنه: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ﴾ [التحريم: ٦].

قوله: «كَتَبْتُ اسْمَهُ مَعَ اسمي في العرش...إلخ»، أي: كتبت: «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، وهذا وارد في حديث توسل آدم وغيره.

قوله عزَّ وجلَّ: «**إنَّ الجنّة محرَّمةٌ على جميع خَلْقي...**» إلخ، هذا من الخصائص التي أختصه اللهُ بها، فهو أول من يقرع باب الجنّة ويدخلها، وأمته أول الأمم دخولًا الجنّة، وهذه الفضيلة إنما نالتها الأمة إكرامًا لنبيِّها صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

وللطبراني في "الأوسط" بإسناد حسن، عن عمر رَضيَ اللهُ عنهُ: أنّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**الجنّة حُرِّمَت على الأنْبِيَاء حَتَّى أدْخُلهَا، وحُرِّمَت على الأُمَمِ حتى تدخلها أمتي**»، وروى أيضًا من حديث ابن عبَّاسٍ نحوه.

قوله: «الحَمَّادون» صيغة مبالغة، أي: كثيرو الحمد، ثم فَسَّرَ كثرة حمدهم بقوله: يَحمَدون -بفتح الياء والميم- صعودًا إذا صعدوا جبلًا، وهبوطا إذا هبطوا

وآله وسلَّم قال: «**سلَّم علي مَلَك ثم قال لي: لم أزل أستأذن ربي عزَّ وجلَّ في لِقائك، حتى كان هذا أوان أذِنَ لي، وإني أُخبرك أنه ليس أحد أكرم على الله منك**». وقد شرحت هذا الحديث في كتاب "الغرائب والوحدان".

واديًا، ويَحمَدون على كل حال من شدة ورخاء، وبؤس ونعماء، وهذا كان حال الصحابة والتابعين والسلف الماضين، ولا يزال موجودًا إلى الآن وإنْ كان قليلًا.

قوله: «**يشدُّون أوساطهم**»، أي: يأتزرون على أوساطهم، «**ويُطهِّرون أطرافهم**» أي: يتوضأون، ومُقتضىٰ هذا أنَّ الوُضوء من خصوصيات الأمَّة المحمدية، وفي ذلك خلاف. «**صائمون بالنهار رُهْبَان بالليل**»، أي: يقومون الليل ويحيونه بالصلاة والعبادة. «**أقبل منهم اليسير من العمل**»، أي: تيسيرًا عليهم، ولا أكلفهم بالتكاليف الشاقه، كما قال تعالىٰ في حق رسوله: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. قوله: «**وأُدخلهم الجنّة بشهادة أن لا إله إلا الله**»، أي: وأنّ محمد رسول الله، لأنها قرينتها.

لما علم موسىٰ عليه الصَّلاة والسَّلام ببعض خصوصيات هذه الأمة طلب أنْ يكون نبيًّا لها، فأخبره الله تعالىٰ أنّ نبيها منها، أي: عربي من وَلَد إسماعيل، وموسىٰ إسرائيلي، فطَلَب أنْ يكون من أُمَّته، فأخبره أنّ وقت ظهوره متأخر عنه، ولكن وَعَدَه أنْ يجمع بينهما في دار الجلال، وهي الجنّة(١).

وفي معنىٰ هذا الحديث ما رواه الزبير بن بكار، والطبرانيّ من حديث ابن مسعودٍ ولفظه: «صفته أحمد المتوكل، مولده مكة ومُهاجَرُه إلىٰ طيبة، ليس بفظٍّ ولا غليظ، يَجزي بالحسنة الحسنة، ولا يكافئ بالسيئة، أمته الحمادون، يأتزرون علىٰ أنصافهم، ويوضِّئون أطرافهم، أناجيلُهم في صدورهم، يصفُّون للصلاة كما يصُّفون للقتال، قُربانهم الذي يتقربون به إليّ دماؤهم، رُهبانٌ بالليل، ليوثٌ بالنهار».

---

(١) وسُمِّيت في أحاديث أخرىٰ «حظيرة القدس» أيضًا.

والأحاديث في هذا المعنىٰ كثيرة، كلها متضافرة علىٰ التنويه بقدر نبيِّنا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وبيان فَضْلِه وفَضيلَة أمتّه بالتبَعية له، وقد أشار الله تعالىٰ إلىٰ بعض ذلك في سورة الفتح بقوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ [الفتح: ٢٩] الآية، والله أعلم.

٧- حديث: أفضل الخَلْق: محمد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم

عن عائشة -رَضيَ اللهُ عنها- قالت: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**قال لي جبريل: قَلَّبتُ مشارقَ الأرضِ ومغاربَها، فلم أجِدْ رجلًا أفضلَ من محمد، ولم أجدْ بني أبٍ أفضلَ من بني هاشمٍ**». رواه الطبرانيّ، والبيهقي، وغيرهما، وقال الحافظ ابن حجرٍ: «لوائح الصِّحة ظاهرة علىٰ صفحات هذا المتن».

قوله: «قال لي جبريل: قَلَّبت مشارق الأرض...» إلخ، هذا العموم لا يشمل جبريل عليه السَّلام، وإنْ كان الصحيح عند الجمهور أنَّ المخاطِب- بكسر الطاء- يدخل في عموم خِطابه، لقوله: «**فلم أجد رجلًا**»، والمَلَك لا يُسمىٰ رجلًا كما لا يُسمىٰ أنثىٰ، وأيضًا، فإنه قال: «**قلبت مشارق الأرض ومغاربها**»، ولم يتعرض لسكّان السماوات الذين جبريل منهم.

والحاصل: أنّ هذا الحديث يدل علىٰ أفضلية النبيّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ أهل الأرض، أما سكّان السماوات، فلأفضليته عليهم أدلة أخرىٰ منها الحديث رقم [١١][1].

---

(١) والحديث المار قبل هذا تحت رقم (٦)، وحديث ابن عساكر الذي ذكرت تعليقات عليه.

ولابن عساكر: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ما ولدتني بَغِيٌّ قطُّ منذ خَرَجْتُ من صُلْبِ آدم، ولم تَزَلْ تُنازعُني الأمَمْ كابرًا عن كابر، حتى خَرَجْتُ من أفضل حَيَّيْن من العرب: هاشم وزُهرة**».

قوله: «لوائح الصحة ظاهرة على صفحات هذا المتن»، أي: لوامع الصحة ظاهرة...إلخ، وهذه اللوائح اللوامع هي موافقة الحديث للمنقول ومطابقته للأصول وإنعقاد الإجماع على مضمونه، والله أعلم.

٨- حديث: أسماء النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم

عن جُبَير بن مُطْعِم قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**إنَّ لي أسماءٌ، أنا محمدٌ، وأنا أحمدُ، وأنا الماحي الذي يمحُو الله بي الكفرَ، وأنا الحاشرُ الذي يُحْشر الناسُ على قَدَمي، وأنا العاقِبُ، والعاقِبُ: الذي ليس بعده نبيّ**». رواه البخاري، ومسلم.

قوله: «**إنَّ لي أسماءٌ**» أي: كثيرة، نقل ابن العربي في: "شرح الترمذي"، و"الأحكام" عن بعض الصوفية: «إنّ لله تعالى ألف اسم، وللنبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ألف اسم»، قال الحافظ السيوطي: «أَلَّفْتُ كتابًا في شرح أسمائه الكريمة أوردت فيه ثلاثمائة وأربعين اسمًا مأخوذةٌ من القرآن والأحاديث والكتب القديمة».اهـ

وسَرَدَها القسطلّاني في "المواهب اللدنية" فزادت على أربعمائة، تتبعها من كلام القاضي عياض في "الشفاء"، وابن العربي في "الأحكام"، و"القبس"، وابن سيِّد الناس في سيرته، والسخاوي في "القول البديع".

قال القاضي عياض: «وقد خصه الله تعالى بأنْ سمّاه من أسمائه الحُسنَى،

بنحوٍ من ثلاثين اسمًا».اهـ، وأسماؤه كلها أوصاف تدل على مدحه وفضله، ثم ذكر النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من أسمائه خمسة:

الأول: «**محمد**»، ومعناه: المحمود حمدًا متكررًا.

الثاني: «**أحمد**»، ومعناه: أحمد الحامدين لربه، أي: أكثرهم حمدًا، قال القاضي عياض: «كان صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أحمدًا قبل أنْ يكون محمدًا، كما وقع في الوجود، لأنَّ تسميته أحمد وقعت في الكتب السالفة، وتسميته محمدًا وقعت في القرآن، وذلك أنه حَمَدَ ربَّه قبل أنْ يَحمَده الناس».اهـ.

وذلك لأنه خُلق قبلهم كما سبق، ونحو هذا للسهيلي أيضًا في "الروض الأنف"، وسلَّمه الحافظ في "الفتح"، فاعتراض ابن القيم عليه ليس بجيد.

الثالث: "**الماحي**"، ومعناه: الذي يَمْحو اللهُ به الكفر من الجزيرة العربية ومِن سائِر البلاد التي وصَلَت إليها دعوته، وصاروا كُلُّهم أو أغلبهم مسلمين.

الرابع: «**الحاشر**»، وهو مُفَسَّر في الحديث، وقوله: «**قَدَمي**»، ضُبِطَ بتخفيف الياء وكسر الميم على الإفراد، وضُبِطَ بفتح الميم وتشديد الياء على التثنية، ومآلُ اللفظين واحد، أي: يُحشَر الناس على أثر زماني لأني آخر الأنبياء ليس بعدي نبي.

الخامس: «**العاقِب**»، وهو مُفَسر في الحديث، ومعناه: الذي جاء في عَقِب الأنبياء وكان آخرهم، فلا نُبوَّة بعده.

ومن أسمائه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في القرآن: «عبد الله، النبي، الرسول، رسول الله، البشير، النذير، السراج المنير، الداعي إلى الله بإذْنِه، الشاهد، الشهيد، النور، الرؤوف، الرحيم، المدثِّر، المزمل، خاتِم النبيّين»، إلى غير ذلك مما استخرجه العلماء.

ولا شك أنّ كثرة الأسماء تدل على شرف المُسَمَّى ونبالة قَدْره، ومن أسماء الله التي سَمَّى بها النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «رؤوف، رحيم، نور، شهيد، كريم، مبين».

(تنبيه): ذكر الحافظ أبو نعيم، وتبعه غير واحد: «أنّ اللهَ تعالى لم يخاطِب نبيَّه في القرآن باسمه المجرّد، بل خاطَبه بالوصف الدال على الرِفعة وعلوّ القَدْر، نحو: يا أيها النبيّ، يا أيها الرسول، يا أيها المدثر، يا أيها المزمل، ونادى غيره من الأنبياء بأسمائهم: يا نوح، ياإبراهيم، يا داود، وهكذا.

وأمَرَنا ألا نناديه باسمه فقال: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣]، قال ابن عبَّاسٍ وغيره: «لا تقولوا: يا محمد، يا أبا القاسم، ولكن قولوا: يانبي الله، يا رسول الله». انتهى باختصار.

والوهابية وأشكالهم من المُلْحِدين، يُعرِضون عن هَدْي القرآن ويخالفون أمْرَ الله، ويأبون إلا أنْ يَذْكُروه باسمه المُجَرَّد كآحاد النّاس، والعجب أنّ الواحد منهم يُسَوِّدُ نفسَه، ويَخلع عليها الأوصاف الجميلة، مع أنّ الله يقول: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [النجم: ٣٢] فإذا جاء ذِكْرُ سيدُ الخَلْقِ، بَخِلوا على اسمه بالسيادة التي يصفون بها أنفسهم، قاتلهم الله، ما أكثر إساءة أدبهم على الله ورسوله!.

٩- حديث: إثبات التمييز في بعض الجمادات

عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إني لأعْرِفُ حَجَرًا بمكَّة كان يُسلِّم عليّ قَبْل أنْ أُبعَث، إني لأعرفه الآن**».(١) رواه مسلم في "صحيحه" وغيره.

وللترمذيِّ: عن عليٍّ عليه السَّلام، قال: كنت مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بمكَّة، فخرجنا في بعض نواحيها، فما استقبله جبل ولا شجر إلا وهو يقول: «السلام عليك يا رسول الله».

قلت: قصة تسليم الحجر والشجر عليه، واردة من طرق.

قوله: «**إني لأعرف حجرًا بمكة، كان يسلم علي قبل أنْ أبعث، إني لأعرفه الآن**»، قال النووي: «في هذا إثبات التمييز في بعض الجمادات، وهو موافق لقوله تعالى في الحجارة: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤]، وقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤]، وفي هذه الآية خلافٌ مشهور، والصحيح أنه يُسبِّح حقيقة، ويجعل الله فيه تمييزًا بِحَسَبِه كما ذَكَرْنا.

ومنه الحجر الذي فرَّ بثوْب موسى صلى الله عليه وآله وسلم، وكلام الذِّراع المَسْمومة، ومشي إحدى الشجرتين إلى الأخرى حين دعاهما النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وأشباه ذلك».اهـ

---

(١) يسمى هذا الخارق: إرهاصًا، لوقوعه قبل البعثة، ومعنى الإرهاص: الإعلام بأن من وقع له الخارق سيكون نبيًّا، ويؤخذ من الحديث: إلهام الجماد بنبوة النبيّ قبل وقوعها، وهذا كما تتنبأ بعض الحيوانات بالزلزال قبل وقوعه.

وقال ابن العربي في: "الأحكام"، في الكلام على قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤] ما لفظ المراد منه: «ليس يستحيل أن يكون للجمادات -فضلًا عن البهائم- تسبيحٌ بكلامٍ، وإنْ لم نفقهه نحن عنها، إذ ليس من شرط قيام الكلام بالمَحَلِّ عند أهل السنة هيئة آدمية، ولا وجود بَلَّةٍ ولا رُطُوبةٍ، وإنما تكفي له الجَوْهَرِيَّة أو الجِسْمِيَّة، خلافًا للفلاسفة وإخوانهم من القَدَرِيَّة، الذين يرون الهيْئَة الآدمية والبَلَّة والرُطُوبة شرطًا في الكلام، فإذا ثبت هذا الأصلُ بأدلَّته التي تقرَّرَت في مَوْضِعه، وبأنّ كل عاقِل يعلم أنّ الكلام في الآدميين عَرَضٌ يَخلُقُه اللهُ فيهم، وليس يفتقر العَرَضُ إلَّا لوجود جَوْهَر أو جِسْم يقوم به خاصة، وما زاد على ذلك من الشروط فإنّما هي عادة، وللبارئ تعالى نَقْضُ العادة وخَرْقها بما شاء من قدرته لمن شاء من مخلوقاته وبريته، ولهذا حنّ الجِذْع لرسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وسبَّح الحصى في كَفِّه وكَفِّ أصحابه، وكان بمكَّة حَجَر يسلم عليه قبل أنْ يُبْعَثَ، وكانت الصحابة تسمع تسبيح الطعام ببركته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ولم يكن لذلك كله هيئة، ولا وُجِدَت له رُطوبة ولا بَلّة، وعلى إنكار هذه المعجزات وإبطال هذه الآيات، حامت بما ابتدعته من المقالات».اهـ

والأحاديثُ التي أشار إليها هو والنوويّ صحيحةٌ، والمقصود: أنّ تسليم الحَجَر والشَجَر كما في هذا الحديث وحديث علي الذي بعده، معجزةٌ عظيمةٌ أكْرَم اللهُ بها نبيَّه وثبَّت بها فؤاده، وقوَّى بها حُجَّته.

ففي "مسند البزَّار"، و"أبي يعلى"، و"دلائل النبوة" للبَيْهَقِيّ، وأبي نعيم،

بإسناد حسن، عن عمر بن الخطاب: أنّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان علىٰ الحَجُون كَئيبًا لَمَّا آذاه المشركون، فقال: «**اللهم أرني اليوم آية لا أُبالي من كذَّبَني بعدها**»، فأمر فنادىٰ شجرة من جانب الوادي فأقبلت تَخُد الأرض -تشق- خَدًّا حتىٰ وقفت بين يديه[1] فسلَّمَت عليه، ثم أمرها فرجعت إلىٰ موضعها، فقال: «**لا أبالي من كَذَّبَني بعدها مِن قومي**». وتعدَّدت هذه القصة لمناسبات كثيرة، كما ورد في كثير من الأحاديث، وسنشير إلىٰ بعضها.

وفي "صحيح البخاري": عن ابن مسعودٍ قال: «كنا نأكل مع النبيّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ونحن نسمع تسبيح الطعام».

قال العلماء: في هذا تصريح بكرامة الصحابة، لسماع هذا التسبيح وفهمه، وذلك ببركته صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

قوله: «وللترمذي عن علي عليه السَّلام...» إلخ، رواه أيضًا: الدارمي، والحاكم وصححه. وللبزَّار، وأبي نعيم: عن عائشة قالت: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم: «**لما استقبلَني جبريل بالرسالة، جَعَلْتُ لا أَمُرُّ بحجر ولا شجر إلا قال: السَّلام عليك يا رسول الله**»[2]. وسيأتي مزيدًا لهذا في الحديث الثالث عشر بحول الله تعالىٰ.

---

(١) يسمىٰ هذا الخارق آية تثبيت، لأنه ثَبَّتَ فؤاد النبيّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وقوَّىٰ عَزْمَه، وكان تبشيرا له بانقياد الخلق إليه بعد ذلك وإجابتهم لدعوته.

(٢) وروىٰ البَيْهَقيّ: عن جابر بن عبد الله قال: «لم يكن النبيّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يمر بحجر ولا شجرة، إلا سجد له». وهذا في ابتداء نبوته؛ تثبيتًا له أيضًا.

تنبيهات

(التنبيه الأول): قوله في حديث الترجمة: «**إني لأعرف حجرًا بمكة كان يسلم عليّ**»، اختُلِف في هذا الحجر، فقيل: هو الحجر الأسود، وفيه بُعد، وقيل حجرٌ غيره بزُقاق يعرف به بمكَّة، والناس يتبركون بلمسه، كذلك رواه الإمام أبو عبد الله ابن رُشيد -بضم الراء- في رحلته، بإسناده إلى أبي حفص الميانشي، عمن لقيه بمكَّة من أهلها.

(التنبيه الثاني): سُئل الحافظ السيوطي، عن رجل بيده حجر بلور يقعد على الطرقات ويقول: الأحجار سلَّمت على النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وهذا الحجر من جنسها، فقال له رجل: كَذَبْت، فأيهما المخطئ؟، فأجاب: «ثبت من طرق صحيحة أنّ الأحجار سلَّمت على النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ولكن البلور بخصوص، لم يَرِدُ فيه حديث». انتهى باختصارٍ من كتاب "الحاوي للفتاوي" للسيوطي.

(التنبيه الثالث): ذكرتُ آنفًا أنّ الأحاديث التي أشار إليها النووي وابن عربي، فيما نَقلْتُه من كلامهما صحيحة، وهي كذلك، إلَّا حديث تسبيح الحصى في كفه وكف أصحابه فإنه حديث ضعيف، رواه البزَّار، والطبرانيّ في "الأوسط"، وأبو نعيم، والبيهقي في "الدلائل"، وهو حديث مشهور على الألسنة، متداول بين الناس، وضَعْفُه ليس بشديد، وهو في مثل هذا الباب مقبول، لا سيَّما مع تأيده بقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤]، وبحديث تسبيح الطعام، وبتسليم الحجر والشجر، والله أعلم.

١٠- حديث: انشقاق القَمر

عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: انشقَّ القَمَرُ على عهد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فِرْقَتين، فِرْقةٌ فوق الجبل وفِرْقةٌ دونه، فقال رسول الله صلى الله وسلم:«اشهدوا». رواه البخاري ومسلم.

ولهذه القصة طرق عن ابن مسعودٍ وأنس وابن عبَّاسٍ عند البخاري ومسلم، وعن ابن عمر عند مسلم في "صحيحه"، وعن جُبَيْر بن مُطْعِم عند أبي نعيم والبيهقي وغيرهما.

قوله: «انشقَّ القمر على عهد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فِرْقَتين»، لهذا الحديث ألفاظ في الصحيحين هذا أحدهما.

ثانيهما: بينما نحن مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بمِنَى، إذ انْفَلَق القمر فِلْقَتين، فكانت فِلْقَةٌ وراء الجبلِ، وفِلْقَةٌ دونه، فقال لنا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم :«اشهدوا»، زاد الترمذي في روايته: «يعني: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]» ثم قال: «هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ».

وفي رواية أبي داود الطيالسي: عن ابن مسعودٍ قال:«انشق القمر على عهد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقال كفار قريش: هذا سحر ابن أبي كَبْشَة، قال: فقالوا: انظروا ما يأتيكم به السُّفَّار فإنَّ محمدًا لا يستطيع أنْ يَسْحَرَ النَّاس كُلَّهم، فقال: فجاء السُّفَّار فأخبروهم بذلك». وفي رواية البيهقي: «فسألوا السُّفَّار، وقد قَدِموا من كل وجه فقالوا: رأيناه».

وفي "الصحيحين" عن أنس: «أنّ أهل مكة سألوا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنْ يُرِيَهُم آية، فأراهم انشقاق القمر شِقَّتين» وفي روايةٍ: «مرتين»

رواه الترمذي وزاد فيه: فنزلت: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ إلى قوله: ﴿سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ﴾ [القمر: ١-٢] يقول: ذاهب[١]. ثم قال: هذا «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ».

وفي "الصحيحين" عن ابن عبَّاسٍ قال: إنَّ القمر انشقَّ على زمان الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

وفي "صحيح مسلم" عن ابن عمر قال: انشقَّ القمرُ على عهد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فِلْقَتَيْن، فستر الجبل فِلْقَة وكانت فِلْقَة فوق الجبل، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**اللهمّ اشهد**». ورواه الترمذي بنحو مختصر، وقال: «حديث حسن صحيح».

وللبَيْهَقيّ، عنه في قوله تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ [القمر: ١]، قال: قد كان ذلك على عهد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم انشقَّ فِلْقَتَيْن، فِلْقَة دون الجبل، وفِلْقَة فوقه، فقال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**اشهدوا**».

وهذا تفسير صحابيّ للآية، وتقدم تفسيرها بذلك عن أنس أيضًا، ويأتي تفسيرها عن حذيفة، وكل ذلك يؤكد أنّ انشقاق القمر وقع معجزةً للنبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، أما الذين أوَّلوا الآية على معنى: سَيَنْشَق القمر عند اقتراب الساعة، فيَرُدُّه أمران:

الأول: مخالفته لتفسير الصحابة الذين شَهِدوا التنزيل، وشاهدوا انشقاق القمر.

---

(١) أي: ذاهبٌ في الناس، شائعٌ بينهم. قالوا هذه الكلمة لما سألوا المسافرين فأخبروا أنهم رأوه منشقًّا.

الثاني: أنَّ القمر لا ينشقّ عند قرب الساعة، بل يُجمَع مع الشمس ويُكَوَّران، لقوله تعالىٰ: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [القيامة: ٩]، ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١]، أي: والقمر معها كما ثبت في الحديث.

وفي "سننِ الترمذيّ"، عن جُبَير بن مُطْعِم، قال: انشقَّ القمرُ علىٰ عهد رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حتىٰ صار فِلْقَتين، علىٰ هذا الجبل، وعلىٰ هذا الجبل، فقالوا: سَحَرَنا محمد، فقال بعضهم: لئن كان سَحَرَنا، ما يستطيع أنْ يَسْحَرَ النّاس كلهم. وكذا هو في "مسند الإمام أحمد".

وفي رواية أبي نعيم والبيهقي عنه: انشق القمر ونحن بمكة[1] وفي رواية أبي حذيفة الأرحبي: عن علي عليه السَّلام قال: انشق القمر ونحن مع النبيّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم. رواه الطحاوي في "مشكل الآثار".

وورد حديث الانشقاق أيضًا عن حذيفه من طريق أبي عبد الرحمن السلمي ومسلم بن أبي عمران الأزدي، وللطبراني والحاكم وغيرهما من طريق ابن علية عن عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمن قال: خطب حذيفة بالمدائن فقال: إن الساعة قد اقتربت، وإن القمر قد انشق علىٰ عهد رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وذكر حديثًا طويلًا. ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم أيضًا.

قال الحافظ بن عبد البر: «قد رَوَىٰ حديث انشقاق القمر جماعة كثيرة من الصحابة، ورَوَىٰ ذلك عنهم أمثالهم من التابعين، ثم نقله عنهم الجم الغفير،

---

(١) جُبَيْر بن مُطْعِم شاهد انشقاق القمر بمكَّة وهو مشرك، ثم أسلم بعد ذلك وأخبر بما شاهده.

إلى أنْ انتهى إلينا، وتأيد بالآية الكريمة».اهـ

وقال العلامة تاج الدين ابن السبكي، في شرحه لـ"مختصر ابن الحاجب": «والصحيح عندي: أنّ انشقاق القمر متواتر، منصوص عليه في القرآن، مروي في الصحيحين وغيرهما، من طرق من حديث شعبة، عن سليمان، عن إبراهيم، عن أبي معمر، عن ابن مسعودٍ». ثم قال: «وله طرق شتى بحيث لا يُمْتَرى في تواتره».اهـ

وقال القاضي عياض في "الشفاء": «قال الله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر:١-٢]، أخْبَر تعالى بوقوع انشقاق القمر بلفظ الماضي، وإعراض الكَفَرَة عن آياتِه، وأجْمَع أهل السنَّة والمفسِّرون على وقوعه».اهـ، ثم ذكر بعض الطرق وأجاب عن اعتراض بعض المبتدعة فأجاد.

وقال في "الشفاء" أيضًا: «أما انشقاق القمر، فالقرآن نصَّ بوقوعِه وأخْبَر عن وجوده، ولا يُعْدَل عن ظاهِره إلَّا بدليل، وجاء بِرَفْع احتماله صحيحُ الأخبار من طُرُقٍ كثيرة، فلا يوهِن عَزْمَنا خلاف أخْرَق مُنْحَل عُرَى الدين، ولا يُلْتَفت إلى سخافة مُبتدِع يُلقي الشك على قلوب ضعفاء المؤمنين، بل نُرْغِم بهذا أنفه، ونَنْبُذ بالعراء سُخْفَه».اهـ

وقال الإمام الخطابيّ: «انشقاقُ القمرِ آية عظيمة لايكاد يَعْدِلُها شيء من آيات الأنبياء، وذلك أنه ظهر في مَلَكوت السماوات خارجًا عن جملة طِباع ما في هذا العالم المُركَّب من الطبائع، فليس فيما يُطمع في الوصول إليه بحيلة، فلذلك صار البرهان به أظهر».اهـ

وقال الإمام النووي في "شرح مسلم": «قال القاضي -يعني: عياضًا في "شرح مسلم" أيضًا-: انشقاقُ القمر من أمَّهات معجزات نبينا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وقد رواها عدَّةٌ من الصحابة رَضيَ اللهُ عنهُم، مع ظاهر الآية الكريمة وسياقها، قال الزجَّاجُ في كتاب "معاني القرآن": وقد أنكرها بعض المبتدعة المضاهين المخالفي الملة، وذلك لمّا أعمَى الله قلبه، ولا إنكار للعقل فيها، لأنَّ القمر مخلوقٌ لله تعالى يفعل فيه ما يشاء، كما يُفنيه ويُكَوره في آخر أمره، وأمّا قول بعض الملاحدة: لو وقع هذا لنقل متواترًا واشترك أهل الأرض كلهم في معرفته ولم يختص به أهل مكة، فأجاب العلماء بأنّ هذا الانشقاق حصل في الليل ومعظم الناس نيام غافلون والأبواب مغلقة وهم متغطون في ثيابهم، فَقَلَّ من يتفكَّر في السماء أو يَنظر إليها إلا الشاذّ النادر ومما هو مُشاهَد مُعتاد، أنّ كسوف القمر وغيره من العجائب والأنوار الطوالِع والشُّهب العِظام وغير ذلك مما يحدث في السماء في الليل، يقع ولا يتحدث بها إلا الآحاد ولا عِلْم عند غيرهم كما ذَكَرْنا، وكان هذا الانشقاق آية حَصَلَت في الليل لقومٍ سألوها واقترحوا رؤيتها، فلم يتنبه غيرهم لها.

قالوا: وقد يكون القمر حينئذ في بعض المَجاري والمنازِل التي تظهر لبعض الآفاق دون بعض، كما يكون ظاهرًا لقومٍ غائبًا عن قوم، كما يجدُ الكسوفَ أهلُ بلدٍ دونَ بلد، والله أعلم».اهـ[1] وبقية الأجوبة مبسوطة بإيضاحٍ في "الشفاء"

---

(١) من اللطائف في هذا الباب، أنّ أبا بكر الباقلّاني، لما أرسله صاحب الدولة إلى ملِك الروم بالقسطنطينية (الآستانة)، وعَلِم ملِك الروم أنّ هذا أجلّ علماء المسلمين، أحضر بعض بطارِكَته ليناظره، فقال له: تزعمون أنّ القمر انشقَّ لنبيِّكم، فهل للقمر

و"المواهب" وشروحهما.

وقال الحافظ العراقي في "ألفية السيرة": «وانشق مرتين بالإجماع».

قال الحافظ ابن حجرٍ: «قوله بالإجماع، متعلق بانشق، لا بمرتين، فإني لا أعلم من جزم بتعدد الانشقاق»، قال: «ولعل قائل: «مرتين»، أي: -كما في بعض الروايات- أراد فرقتين، وهذا الذي لا يتجه غيره، جمعًا بين الروايتين».

تنبيهات

(التنبيه الأولُ): في ضبط ألفاظ الحديث، قوله: شِقَّتَيْن، هو بكسر الشين، وكذلك فِلقتين وفِرقتين، ومعناها واحد، أي: صار قطعتين متباينتين بحيث رؤيَ الجبل بينهما، والسُّفَّار-بضم السين وفتح الفاء المشددة- جمع سافر، وهم القوم المسافرون، وبقية ألفاظ الحديث واضحة.

(التنبيه الثاني): ما يذكره بعض القصاص واشتهر بين كثير من العوام، من أنّ القمر دخل في جَيْبِ النبيّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وخرج من كمه، ليس له أصل، كما نقله بدر الدين الزركشي عن شيخه الحافظ ابن كثير، ووافقه غير واحد.

وسُئل الإمام النووي عن رجلين تنازعا في انشقاق القمر علىٰ عهد رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فقال أحدهما: انشق فِرقتين دخلت إحداهما في كمه وخرجت من الكم الآخر، وقال الآخر: بل نزل إلىٰ بين يديه فِرقتين، ولم يدخل كمه؟

قرابة منكم حتىٰ ترونه دون غيركم؟! فقال له: وهل بينكم وبين المائدة أُخُوَّة أو نَسَب، إذ رأيتموها ولم تراها اليهود واليونان والمجوس الذين أنكروها وهم في جِوارِكم؟! فانقطع ولم يُحر جوابًا.

فأجاب: «الاثنان مخطئان، بل الصواب أنه انشقَّ وهو في موضعه من السماء، وظهرت منه إحدىٰ الشِّقَّتين فوق الجبل والأخرىٰ دونه، هكذا ثبت في الصحيحين من رواية ابن مسعودٍ رَضيَ اللهُ عنهُ».اهـ

قلت: كوكب القمر مساحته مثل مساحة الكرة الأرضية، فمن المحال عقلا أنْ تدخل شِقة منه في كم النبيّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أو تنزل بين يديه.

(التنبيه الثالث): شاهد انشقاق القمر في الليلة التي وقع فيها: ملك بهوبال من الهند[1] واسمه «بهوج بال».

ذكره الفَرَشْتَة[2] في "تاريخه"، ونَقَله العلامة المحدث محمد أنور الكشميري في: "فيض الباري في شرح صحيح البخاري".

وجاء في السنة الأولىٰ من "مجلة الإنسان" (صـ١٥٠، ١٥١ من العدد الصادر في ٣٠ شوال سنه ١٣٠١ هـ) تحت عنوان: "انشقاق القمر"، ما لفظه: «أخبَر بعض السوَّاحين الجائلين في بلاد الصين، أنه يوجد معبد عظيم في إحدىٰ مدائِن هذه المملكة مكتوبٌ علىٰ بابه: أنه قد تم بناؤه في تاريخ كذا، وأنه في ليلة تمام البناء شاهَد الجميع انشقاق القمر نصفين في وسط السماء، وبالتحقيقات التي أجراها في ذلك التاريخ وجد أنّ تلك الليلة كانت موافِقة

---

(١) وشاهده أيضًا جماعةٌ كثيرةٌ من بلادٍ مختلفة، كما ذكره الحافظ ابن كثير في "تاريخه".

(٢) الفَرَشْتَة: لقب المؤلف واسمه: الحكيم محمد قاسم البيجابوري، وتاريخه في أربعة أجزاء كُتب بالفارسية وتُرجم إلىٰ الأوربية، ألَّفه لإبراهيم عادل شاه ملك بيجابور، وكان شيعيًّا، فرغ من تأليفه سنة ١٠١٥هـ، كذا في: "نزهة الخواطر" (ج٥ ص ٣٨٥).

لليلة التي انشقَّ فيها القمر بإشارته صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فمن يوصلنا إلىٰ زيادة إيضاح في هذه الآية الكبرىٰ أعددنا له المكافأة شُكرانًا لا ينقطِع مَدَىٰ الدهر»[١].اهـ

الرابع: وَرَد أنّ الشمس رُدت علىٰ النبيّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فروىٰ الطحاويّ في "مشكل الآثار" من طريقين[٢] عن أسماء بنت عميس قالت: كان النبيّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يوحَىٰ إليه ورأسه في حِجْرِ علي، فلم يُصَلِّ العصر حتىٰ غربت الشمس، فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم : «**أصَلَّيْتَ يا عليّ**» فقال: لا، فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**اللهمّ إنه كان في طاعتِكَ وطاعة رسولك فارْدُدْ عليه الشمس**»، قالت أسماء: فرأيتُها غربت ثم رأيتُها طَلَعت بعدما غربت، ووقعت علىٰ الجبال والأرض، وذلك في الصهباء بخَيْبَر.

قال الطحاويُّ: «هذان الحديثان ثابتان ورواتُهما ثِقات، ونُقِل عن الإمام أحمد بن صالح المصريِّ أنه كان يقول: «لا ينبغي لمن سبيله العلم التَّخَلُّف عن حِفظ حديث أسماء، لأنه من علامات النبوة».اهـ

---

(١) انظر المجلد الأول من "مجلة الانسان" بدار الكتب تحت رقم (٨٧٣) دوريات.

(٢) قال في الطريق الأول: حدثنا أبو أمية: ثنا عبيد الله بن موسىٰ العبسي: ثنا فضيل بن مرزوق، عن إبراهيم بن الحسن، عن فاطمة بنت الحسين، عن أسماء بنت عميس.
وقال في الطريق الآخر: حدثنا علي بن عبد الرحمن بن محمد بن المغيره: ثنا أحمد بن صالح -هو المصري الحافظ المشهور-: ثنا ابن أبي فديك: حدثني محمد بن موسىٰ، عن عون بن محمد، عن أم جعفر، عن أسماء بنت عميس رضي الله عنها.

ووافق الطحاويَّ على تصحيحِه أيضًا القاضي عياض في "الشفاء"، ورواه الطبرانيُّ في "الكبير"[١] بإسنادٍ حسنٍ كما نصَّ عليه الحافظُ أبو زُرعة ابن

---

(١) قال: حدَّثنا جعفر بن أحمد بن سنان الواسطيُّ: ثنا علي بن المنذر: ثنا محمد بن فضيل: ثنا فضيل بن مرزوق، عن إبراهيم بن الحسن، عن فاطمة بنت علي، عن أسماء بنت عميس. وعزاه الحافظ في "الفتح" إلى الحاكم والبَيْهَقيّ أيضًا، ونصُّ كلامه: «وروى الطحاوي، والطبرانيّ في "الكبير"، والحاكم، والبَيْهَقيّ في "الدلائل": عن أسماء بنت عميس: أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم دعا لمّا نام على رُكْبة علي ففاتته صلاة العصر، فرُدَّت الشمس حتى صلى علي ثم غَرَبت، وهذا أبلغُ في المعجزة، وقد أخطأ ابن الجوزي بإيراده في "الموضوعات" وكذا ابن تيمية في كتاب الرد على الروافض، في زَعْمِ وَضْعِه، واللهُ أعلم».اهـ بلفظه.

وقال الحافظ أبو بشْر الدولابي في كتاب "الذرية الطاهرة": حدثني إسحاق بن يونس: ثنا سويد بن سعيد، عن المُطَّلب بن زياد، عن إبراهيم بن حيان، عن عبد الله ابن الحسين، عن فاطمة بنت الحسين، عن الحسين بن علي رضي الله عنهم قال: كان رأس رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في حِجْر علي، وكان يوحَى إليه فلما سُرِّي عنه قال لي: «**يا علي، صليت العصر؟**» فقلت: لا، قال: «**اللهم إنك تعلم أنه كان في حاجتك وحاجة رسولك، فرُدَّ عليه الشمس**»، فردَّها عليه، فصلى، فغابت الشمس.

قال العلامة المحدِّث أبو عبد الله محمد بن يوسف الدمشقيّ الصالحيّ في جزء "مزيل اللبس عن حديث رد الشمس": «اعلم أنّ هذا الحديث رواه الطحاويّ في كتاب "شرح مُشْكِل الآثار"، عن أسماء بنت عميس من طريقين، وقال: هذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات، ونقله القاضي عياض في "الشفاء"، والحافظ ابن سيد الناس في "بشرى اللبيب"، والحافظ علاء الدين مغلطاي في كتاب "الزهر الباسم"،

وصححه الحافظ أبو الفتح الأزدي، وحسنه الحافظ أبو زُرعة ابن العراقي، وشيخُنا الحافظ جلال الدين السيوطي في "الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة"، وقال الحافظ أحمد بن صالح -وناهيك به-: «لا ينبغي لمن سبيله العلم، التخلف عن حديث أسماء، لأنه من أصل علامات النبوة». وقد أنكر الحافظ على ابن الجوزي إيراده الحديث في "الموضوعات"، فقال الحافظ أبو الفضل ابن حجر في باب قول النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم : «**أُحلَّت لكم الغنائم**» من "فتح الباري" بعد أنْ أورد الحديث: «أخطأ ابن الجوزي بإيراده في "الموضاعات"».اهـ، ثم قال: «إنّ هذا الحديث ورَدَ من طريق أسماء بنت عميس، وعلي، وابنه الحسين، وأبي سعيد الخدري، وأبي هريرة رضي الله عنهم»، ثم أوردها وتكلم على أسانيدها ثم قال: «قد عَلِمْتَ مما أسلفناه من حُكْم الحفاظ في هذا الحديث وتبين حال رجاله أنه ليس فيه متهم ولا من أُجمِع على تركه، ولاح لك ثُبوت الحديث وعَدم بُطْلانه، ولم يبق إلا الجواب عما أُعِلَّ به، وقد أُعِلَّ بأمور...». فذكرها وأجاب عنها بأجوبة شافية.

وكذا في كتاب "الأمم لإيقاظ الهمم" للعلامة المحقق الشيخ إبراهيم الكوراني.

قلت: حسّن الحافظ السيوطي حديث أسماء في أواخر "الدرر المنتثرة" وعزاه في "الخصائص الكبرى" لابن شاهين، وابن منده، والطبرانيّ، وقال: «بعض أسانيده على شرط الصحيح»، وعزا حديث أبي هريرة لابن مَردُويه، وذكر في "الآلئ المصنوعة" جزءًا لبعض المتقدمين في طُرق هذا الحديث، أوْرَدَه بتَمامه، فليُراجع هناك، بل للحافظ السيوطي نفسه جزء "كشف اللَّبس عن حديث رد الشمس"، وذكر الذهبيّ في ترجمة الحافظ الحسكاني: «أنّ له مجلسًا -يعني مجلس إملاء- في تصحيح حديث رد الشمس لعلي، يدل على تشيعه وخبرته بالحديث»، تذكرة الحفاظ (صـ٣٦٨ ج٣)، طبعة ثانية بحيدر أباد.

العراقيّ في: "شرح التقريب"، أمّا ابن الجوزيّ فذكره في "الموضوعات"، وتَبِعَه ابن تيمية فحكم بوضعه أيضًا في رده على الروافض، لأجل ذِكْر علي فيه، ولو ذُكِر أبو بكر أو عمر بَدَلَه، كان أوَّل المصححين له بكلّ قُوَاه[1]، وانحراف ابن تيمية عن علي وأهل البيت معروف، وحتى حُكِم عليه بالنفاق لأجل ذلك[2].

ولا تنسَ أنّ الذهبي شامي من تلاميذ ابن تيمية، وانظر كتاب "تنزيه الشريعة المرفوعة" لابن عراق.

(١) وقعت مناظرة في هذا الحديث بين أبي حنيفة، ومحمد بن علي بن النعمان، حيث سأله أبو حنيفة كالمُنْكِر عليه: عمن رويت حديث «رد الشمس لعلي»؟! فأجابه: عمن رويت أنت: «ياسارية الجبل»؟، فأفحمه.

(٢) ذكر الحافظ ابن حجر في ترجمته من "الدرر الكامنة" أنّ العلماء حَكَمُوا بنفاق ابن تيمية لِمَا ثبت عليه من بُغْضِ علي وانحرافِه عنه، وقد قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لعلي عليه السَّلام: «**لا يبغضك إلا منافق**».

قُلتُ: وقد اطّلعتُ على رسالةٍ له صغيرة، ذكر فيها أنّ الأحاديث الواردة في فضل علي لا تُثْبِت له مَيْزة على مُطْلَق المؤمنين، فضلًا عن الصحابة، وبَيَّن ذلك في بعض الأحاديث التي ذكرها، بكلام ظاهر عليه أثر الحقد والتحامل، وفي كتابه الذي سماه: "منهاج السنة" -وهو في الحقيقة منهاج البدعة- تحامُل كبير على عليّ وانتقاص لعليٍّ مقامه، خصوصًا أوائل الجزء الثالث منه، فإنّ فيه مع ذلك مساسًا بفاطمة الزهراء عليها صلوات الله، ووصمها بشائبة النفاق، وقد عاقبه الله على هذه الوقاحة والخبث فجعله إمام الناصبية والمبتدعة منذ وقته إلى الآن، في كل زمان ومكان، فلا تجد عدوًّا لآل البيت ولا خارجًا على الجماعة إلا وليد أفكاره وتلميذ كتبه الملأى بالضلال،

الخامس: في أوسط معاجم الطبرانيّ، بإسناد حسن، كما قال أبو زُرعة[١] ابن الحافظ العراقي، عن جابر بن عبدالله: أنّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أمَر الشمس فتأخرت ساعة من نهار، وقال القاضي عياض في "الشفاء" بعد أنْ نَقَل حديث أسماء بنت عميس وكلام الطحاويّ في تصحيحه، مانصه: «وروَىٰ يونس بن بكير في زيادة المغازي بروايته عن ابن إسحاق: لما أُسْري برسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وأخبر قومه بالرُفْقَة والعَلامَة التي في العير، قالوا: متىٰ تجيء؟ قال: «**يوم الأربعاء**» قال: فلما كان ذلك اليوم أشْرَفَت قُريش ينظرون، وقد ولَّىٰ النهار ولم تجيء، فدعا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فَزيدَ له في النهار ساعة وحُبِسَت عليه الشمس[٢] وهذان الحديثان ثابتان، ورواتهما ثقات».اهـ

ومن أراد زيادة علىٰ ما أوردناه، فليراجع "الشفاء" و"المواهب" وشروحهما و"الخصائص الكبرىٰ" للسيوطي وغيرها، والله أعلم.

فدونك المُجَسِّمة والمُشَبِّهة ومن علىٰ شاكِلتهم، كلهم يعتمدون عليه ويَرجِعون في نَصر بِدعَتهم إليه، ودونك أعداء الزيارة النبوية الذين يزعمون أنها معصية، لا حُجَّة لهم في زَعمهم إلا كلامه، ودونك المُتَجرِّئين علىٰ القول في الدين بالهوىٰ والغرض، لم يكتسبوا جرأتهم إلا منه، وهكذا بقية صنوف البدع هو الذي فتح أبوابها وسهل أسبابها.

(١) وكذا قال الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" والحافظ السيوطي في "الخصائص الكبرىٰ".

(٢) لا يعارِض هذا حديث أبي هريرة في "صحيح البخاري": «**لم تُحبَس الشمس على أحد إلا ليوشع بن نون**»، لأنَّ معناه: لم تُحبَس الشمس علىٰ أحد من الأنبياء غيري، إلا ليوشع، وقال الحافظ ابن حجر: «الحصر محمول علىٰ الماضي للأنبياء قبل نبينا، وليس فيه أنها لا تُحبَس بعد الماضي».اهـ

قُلتُ: لأنَّ حرف «لم» معناه النفي في الماضي لا في المستقبل.

١١- حديث: الإسراء والبراق

عن أنسٍ رضي اللهُ عنه: «أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أُتي بالبُراق ليلة أسري به، مُلَجَّمًا مُسَرَّجًا فاستَصْعَب عليه، فقال جبريلُ عليه السَّلام: أبمحمَّدٍ تفعل هذا؟! فما رَكِبَك أحدٌ أكرم علىٰ الله منه، قال: فارفضَّ عَرَقًا». رواه أحمد والترمذيُّ والبيهقيُّ وغيرهم، وحسَّنه الترمذيُّ، وصحَّحه ابن حِبَّان.

قوله: «أُتي بالبُراق» هو -بضم الباء وتخفيف الراء- دابّةٌ أبيض فوق الحِمار ودون البَغْل يضع حافِرَه عند منتهىٰ طَرْفه، كذا جاء مُفَسَّرًا في "صحيح مسلم" من حديث أنس أيضًا.

قوله: «فاستصعب عليه» وفي روايةٍ «اشْمَأَزَّ»، وفي رواية «شَمَسَ»، ومعنىٰ الروايات واحد، وجَزَم السُّهَيْليُّ بأنَّ البُراق إنما استصعَب عليه لبُعْد عَهْد ركوب الأنبياء قَبْله، ويؤيِّده ماجاء في "سيرة ابن إسحاق" من رواية وثيمة في ذكر الإسراء: «فاستصعب البراق وكانت بعيدة العهد بركوبهم، ولم تكن رُكِبت في الفترة».

قوله: «فما رَكِبَك أحد أكرم علىٰ الله منه» يدخلُ في هذا العموم جبريلُ نفسه، لأنه ممن ركب البُراق، فيكون النبيّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أكرم علىٰ الله منه، وعلىٰ هذا انعقد الإجماع، إلا ما كان من مخالفة الزمخشري وابن حزمٍ، وهو خلافٌ شاذٌّ كما تقدَّم التنبيه عليه.

قوله: «فارْفَضَّ عَرَقًا» أي: سالَ منه العرق لحيائه وخجله.

وقصة الإسراء مذكورة في القرآن، وواردة في السنَّة المطهَّرة، رواها أكثر

من عشرين صحابيًّا، وكذلك قصة المعراج ذُكِرت في القرآن الكريم في قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ (١) ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ [النجم: ١٣ – ١٨].

ووردت بها السنَّة المشرَّفة، إذ رواها الصحابة الذين رووا حديث الإسراء، كما رواه سائر الصحابة.

وقد أُفرِدَت هذه القصة بالتآليف الكثيرة فللحافظ عبد الغني بن سعيد كتابٌ في جزأين جمع فيه أحاديث الإسراء، وللإمام أبي إسحاق النعماني كتابٌ حافلٌ في الإسراء والمعراج، مشحونٌ بالفوائِد والنفائِس، وللإمام العلامة فخر المالكية، بل فخر المتأخرين قاطبة: ابن المنيَر كتابٌ في أسرار الإسراء والمعراج أجاد فيه كل الإجادة.

وللحافظ السيوطي رسالة "الآية الكبرىٰ في شرح قصة الإسرا" طُبِعَت بالشام وهي مفيدة. الي غير ذلك مما لايُحصىٰ من المؤلَّفات، هذا غير ماجاء عنها في كتب التفسير والحديث والسيرة مما يطول تَتَبُّعُه واستقصاؤه.

---

(١) تفيد الآية: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وصل ليلة المعراج إلىٰ سدرة المُنتهَىٰ، وهي من عالم الآخرة الذي لا يفنىٰ عند النفخ في الصور، ومعنىٰ هذا أنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم طَوىٰ في مِعراجِه عالم الدنيا بكواكبه وسماواته إلىٰ عالم الأُخرىٰ، البقاء فجمع بين العالمين، وتمت له السيادة علىٰ الفريقين، وتشرف برؤية الباري سبحانه، لأنه كان في مكان لا يلحقه فناء، بخلاف موسىٰ عليه السَّلام، فإنه لم ينل الرؤية لكونه طلبها في الدنيا، وهي لاتصلح لها لأنها دار فناء.

ومع ورود هذة المعجزة العظيمة في القرآن والسنة وإجماع العلماء على وقوعها، نَجِدُ مُلْحِدَةُ العصر مثل هيكل يُنكرونها ويؤوّلون وقوعها على وجهٍ يوافق عقولهم الضيقة، وأمزِجَتهم السخيفة، تقليدًا للمستشرقين أعداء الدين، أو طلبًا للشهرة باسم التجديد وحرية الفكر، قاتَلَهم اللهُ أنَّى يؤفَكون.

١٢ - حديث: نبع الماء من أصابع النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم

عن أنسٍ أيضًا، قال: «إنَّ نبيَّ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وأصحابه كانوا بالزَّوْراء، فدعا بقَدَح فيه ماء، فوضع كفّه فيه فجعل الماء يَنبُع من تحت أصابعه، فتوضأ جميع أصحابه. قال قتادة: كم كانوا يا أبا حمزة؟ قال: كانوا زُهاء الثلاثمائة». رواه البخاريّ ومسلم.

قلت: قصة نبع الماء من أصابعه الشريفة تكررت عدة مرات، ووردت في أحاديث كثيرة.

قوله: «كانوا بالزوراء» مكان عند السوق بالمدينة المنورة.

قوله: «فدعا بقَدَح» بفتح القاف والدال، إناء يوضَع فيه الماء.

قوله: «زُهاء الثلاثمائة» زُهاء: بضم الزاي وبالمد، أي: قدر الثلاثمائة.

قال القرطبي: «قصة نبع الماء من أصابعه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قد تكررت منه في عدة مواطن في مشاهد عظيمة، ووردت من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوي، ولم يسمع بمثل هذه المعجزة عن غير نبينا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، حيث نبع الماء من بين عَظمِه وعَصبِه ولَحمِه ودَمِه».

وقد نقل ابن عبد البر عن المزني أنه قال: «نَبْعُ الماء من بين أصابعه صلَّى الله

عليه وآله وسلَّم أَبْلَغ في المعجزة من نبع الماء من الحجر حيث ضربه موسىٰ بالعصا فتفجرت منه المياه، لأنَّ خروج الماء من الحجارة معهودٌ، بخلاف خروج الماء من بين اللحم والدم».اهـ

وقال النووي في "شرح مسلم": «وفي كيفية هذا النبع قَوْلَان حكاهما القاضي وغيره:

أحدهما: -ونقله القاضي عن المزني وأكثر العلماء- أنَّ معناه أنَّ الماء كان يخرج من نفس أصابعه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وينبع من ذاتها، قالوا: وهو أعظم في المعجزة من نَبْعِه من حَجَر، ويؤيد هذا أنه جاء في روايةٍ: «فرأيت الماء ينبُع من أصابعه».

والثاني: يحتمل أنَّ الله كثَّر الماء في ذاتِه، فصار يفور من بين أصابعه[1] لا من

---

(١) وهذا الماء أشرف المياه، قاله سراج الدين البُلقيني، وهو ظاهر.

ويقرب من هذه المعجزة ما رواه ابن إسحاق في "المغازي"، عن عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن أبيه، عن جدِّه عبد الله رضي الله عنه: أنَّ أبا طالب قال: كنت بذي المجاز -وهي سوق بقرب عَرَفة- فأدرَكني العطَشُ فشَكَوتُ إلىٰ ابن أخي -يعني النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم- فقلتُ: يا ابن أخي عَطِشْتُ، وقلت له ذلك وأنا لا أرىٰ عنده شيئًا، فَثَنَىٰ وِرْكَه ثم نزل عن الدابّة -وكان صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم رديفًا لأبي طالب- وقال: «**ياعم، عطشتَ؟**» فقلتُ: نعم، فأهوَىٰ بعَقِبِه إلىٰ الأرض -أي ضرب الأرض بقَدَمِه- فإذا بالماء، فقال: «**اشرب ياعم**» فشربتُ. ورواه ابن سعد وابن عساكر وغيرهما. وهذا حديثٌ عزيزٌ نادر، يرويه أبو طالب، ولا أعلم له حديثا آخر رواه، إلا ماأخبرني به شقيقي الحافظ أبو الفيض رحمه الله تعالىٰ: أنه روىٰ حديثًا قال فيه: حدثني ابن أخي محمد -وصَدَقَ-

نفسها، وكلاهما معجزة ظاهرة وآية باهرة».اهـ

وقصة نَبْعِ الماء وَقَعَت في المدينة، وفي قِباء، وفي غزوة بُواط -بضم الباء، موضع على أبراد من المدينة- وفي غزوة الحديبية، وتبوك، ورواها من الصحابة أنس وجابر وابن مسعودٍ وعمران بن حصين وابن عبَّاسٍ وغيرهم، وأغلب طرقها في الصحيحين أو أحدهما.

(تنبيه): مما يشبه هذه القصة من حيث تكثير الماء، ما رواه الإمام مالك في "الموطّأ" ومُسلِم في "الصحيح": عن مُعاذ رضي اللهُ عنه: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال لهم: «**إنَّكم ستأتون غدًا إنْ شاءَ الله عينَ تبوك وإنكم لن تأتوها حتى يَضْحَى النهار، فمَنْ جاء فلا يَمسّ مِنْ مائِها شيئًا حتى آتي**» قال: فجئناها وقد سَبَق إليها رجلان، والعيْن مثل الشِّراك تبضُّ بشيء من ماء، فسألهما رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**هل مَسَسْتما من مائها شيئًا؟**» قالا: نعم، فسبَّهما وقال لهما ما شاء الله أن يقول، ثم غَرَفُوا مِن العيْنِ قليلًا قليلًا، حتى اجتمع في شيء، ثُمَّ غَسَل صلَّى الله عليه وآله وسلَّم به وجهه ويديه، ثم أعاده فيها فجرت العين بماء كثير فاستقى الناس، ثم قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يامعاذ يوشك إنْ طالَت بك حياة أنْ تَرى ما هاهُنا قد مُلِيء جِنانًا**» يعني: بساتين، زاد ابن إسحاق في روايته: فانحرف الماء حتى كان يقول من سمعه إنّ له حسًّا كحِسِّ الصواعق، وذلك الماء فَوَّارة تَبُوك اليوم. ولهذه القصة نظائر في الصحيحين وغيرهما[1] والله أعلم.

أنَّ: «**من مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله دخل الجنّة**».

(١) في "صحيح البخاري" عن المسور بن مخرمة في غزوة الحديبية: أن النبيّ صلَّى الله عليه

١٣- حديث: استجابة العذق لرسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم

عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنه قال: جاء أعرابيٌّ إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: بم أعرف أنَّك نبي؟ قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أرأيتَ لو دعوتُ هذا العِذْقَ من هذه النَّخلةِ أتشهدُ أنّي رسولُ الله؟**» قال: نعم، فدعا العِذْقَ، فجعل العذقُ ينزل من النخلة حتى سقط في الأرض، فجعل ينقز حتى انتهى إليه فقام بين يديه، فقال له النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ارجعْ إلى مكانك**» فرجع إلى مكانه، فأسلم الأعرابيُّ. رواه أحمد، والبخاري في "التاريخ" والترمذي والحاكم وصحَّحاه، وغيرهم.

وآله وسلَّم وأصحابه نزلوا بأقصى الحديبية على ثَمَدٍ قليل الماء، فلم يَلْبَث الناس حتى نَزحوه وشَكَوْا إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم العطش، فانتزع سهمًا من كِنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله ما زال يَجيش لهم بالري حتى صَدَروا عنه. الثَّمَد: بفتحتين، حفرة فيها ماء.

وفيه أيضًا عن البَراء بن عازب رضي الله عنه: أنّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم توضأ فَتَمَضْمَض ودعا ومجَّ في بِئْر الحديبية منه، فجاشت بالماء.

وفي مغازي أبي الأسْوَد محمد بن عبد الرحمن الأسَدي المَدَني يتيمُ عُروة بن الزبير، عن عروة: أنّ النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم توضأ في الدلو ومضمض فاه، ثم مجَّ في الدلو، وأمر أنْ يُصَبّ في البئر، ونَزَع سهمًا مِنْ كِنانته وألقاه في البئر، ودعا الله تعالى، ففارت إلى أنْ ارتفعت حتى جعلوا يَغْتَرِفُون بأيديهم منها وهم جلوس على شفيرها. وهذه الرواية تَوْضيح وتَبْيين لرواية البَراء المختصرة، وقصة البئر هذه غير قصة الثَّمَد، فهما معجزتان وقَعَتا بالحديبية.

قلت: قصة إجابة الشجر وسجوده وسلامه تَعدَّدَتْ ووردت في غير حديث.

قوله: لو دعوت هذا العِذْق -بكسر العين وسكون الذال المعجمة- معروف، وبقية ألفاظ الحديث واضحة، وفيه معجزة باهرة وآية ظاهرة، وهذا الحديث صحَّحَه الحاكم على شرط مسلم، وسلَّمَه الذهبي.

وفي "صحيح مسلم" عن جابر قال: سِرْنا مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حتى نَزَلْنا واديًا أفْيَح، فذهب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقضي حاجته، فاتَّبَعْتُه بإداوة من ماء، فنظر رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فلم ير شيئًا يَسْتَتِر به، فإذا شَجَرَتان في شاطيء الوادي فانطلق رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى إحداها فأخذ بغصن من أغصانها فقال: «**انقادي عليّ بإذن الله**» فانقادَتْ معه كالبعير المخْشوش[1] الذي يُصانع قائده، ثم صنع بالأُخرى كذلك حتى إذا كان بالمَنْصَف -بفتح الميم، المَوضِع الوَسَط- بينهما قال: «**التئِما** -اجتمعا- **عليَّ بإذن الله**»، فالتأمتا... الحديث.

وروى البزَّار، والبيهقي في "الدلائل" بإسنادٍ جيد عن ابن عمر قال: كنَّا في سفرٍ مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فأقْبَل أعرابي، فلما دنا منه قال له رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أين تريد؟**» قال: إلى أهلي، قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**هل لك إلى خير؟**» قال: وما هو؟، قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله**»

---

(١) بالخاء والشين المعجمتين، هو الجَمَل الذي يوضع في أنفه عود من خِشاش الأرض لينقاد، وإنما نبَّهْتُ عليه لأني رأيت القائمين على طبع المجلد الأول من "التمهيد" بالمغرب، لم يهتدوا لوجه الصواب فيه.

قال: هل لك من شاهدٍ على ما تقول؟، قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**هذه الشجرة**» فدعاها رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وهي على شاطيء الوادي فأقْبَلَت تَخُدُّ الأرض خدًّا فقامت بين يديه، فاستشهدها ثلاث فشهدت، ثم رجعت إلى مَنْبَتها.

وروَى البزَّار من طريق صالح بن حيان، عن عبد الله بن بُرَيْدة، عن أبيه قال: جاء رجلٌ إلى النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: أرني آية؟ قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**اذهبْ إلى تلك الشجرة فادْعُها**» فذهب إليها فقال: إنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يدعوك، فمالت عن كل جانبٍ منها حتى قَلَعتْ عُروقها، ثم أقْبَلَت حتى جاءت إلى النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فأمرها أن تَرْجع، فقام الرجل فقبَّل رَأْسَه ويَديْه ورِجلَيه، وأسلم.

ورواه ابن الأعرابي في "جزء القُبَل" من هذا الطريق، وقال في آخِره: فقال الرجل: إئذن لي أنْ أُقَبِّل رأْسَك ورِجلَيك، فأذِنَ له فقَبَّل رأسه[1] ورجليه، ثم قال: ائذن لي أن أسجد لك، قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لا يسجد أحدٌ لأحدٍ**».

وعَزَاه الحافظ العراقي في "المغني" إلى الحاكم، وقال: «قال صحيح الإسناد».اهـ

وفي "المستدرك"، عن يعلَى بن مُرَّة قال: سافرت مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فرأيت منه شيئًا عجبًا! نَزَلْنا منزلًا، فقال: «**انطلِقْ إلى هاتَينِ الشَّجرتَين فقلْ لهما: إنَّ رسولَ الله يأمُركما أنْ تجتمعا**»، فانطلقتُ، فقلتُ لهما ذلك، فانتُزِعَت كل واحدة منهما من أصلها، فمرَّت كل واحدة إلى صاحبتها

---

(١) هذا الحديث يَرُدُّ على الذين يَزْعمون حُرْمَة التقبيل على وجه التعظيم، وقد أوْرَدته مع أحاديث كثيرة في جزء "إعلام النبيل بجواز التقبيل".

فالتقتا جميعًا، فقضىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حاجته من ورائهما، ثم قال: «**انطلِق فقل لهما: لتَعود كلُّ واحدةٍ إلى مكانِها**» فأتيتُهما فقلتُ لهما ذلك، فعادت كل واحدة إلىٰ مكانها. ثم ذكر معجزتين أُخْرَيَيْن شاهدهما[1]، قال الحاكم: «حديث صحيح»، وسلَّمه الذهبيُّ.

وفي الصحيحين عن مسروق قال: سألتُ ابن مسعودٍ: مَن آذن النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بالجِنِّ ليلة استمعوا القرآن؟ قال آذنَتْه -أَعْلَمَتْهُ- بهم شجرة.

وبَقِيَت أحاديث أخرىٰ أيضًا، اكتفَيْنا عنها بما أوردناه هنا وفي شرح الحديث التاسع، وبالله التوفيق.

١٤- حديث: حنين الجذع

عن جابر بن عبد الله رضي اللهُ عنهُما قال: كان جِذْعٌ يقومُ إليه النبيّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فلما وُضِعَ له المِنْبرُ سَمعْنا للجِذْع مثلَ أصواتِ العِشارِ حتىٰ نزل النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فوضَعَ يدَهُ عليه فسَكَت. رواه البخاري في "صحيحه"، وله طرقٌ عن جابر وبُرَيْدَة وعائشة وابن عمر وأنس وأُبَيّ بن كعب وأبي سعيد الخِدري وابن عبَّاسٍ وأم سلمةَ وسهل بن سعد وغيرهم.

---

(١) ذَكَرْتُ هذا الحديث بتمامه وشرحته في "سمير الصالحين" جـ٢، ولله دَرُّ البوصيري حيث قال:

جاءت لدَعْوتِه الأشجارُ ساجدةً ... تمشي إليه علىٰ ساقٍ بلا قَدَمِ
كأنما سَطَرَتْ سَطْرًا لِمَا كَتَبَتْ ... فُرُوعُها مِن بَديع الخَطِّ في اللَّقَمِ

وروى أبو حاتم الرازي الإمام العلم عن شيخه عمرو بن سَواد، قال: قال لي الشافعيُّ: ما أعطَى الله نبيًّا ما أعطَى محمدًا، فقلتُ: أعطَى عيسى إحياءَ الموتى، فقال: أعطَى محمدًا حنَينَ الجِذْعِ، فهذا أكبر من ذاك.

قوله: «كان جِذْعٌ يقوم إليه النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم» أي: يتكئ عليه حال الخُطْبة وذلك قبل أن يُصنَع له المِنبَر، فلما صُنِع له خَطَب عليه، فسُمِع للجِذْعِ -بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة- مثل أصواتِ العِشار -بكسر العين-: جمع عُشَراء وهي الناقة التي لحملها عشرة أشهر أو الحامل مطلقًا.

قوله: فوَضع يده عليه فسَكَت، في روايةٍ للبخاري: فنزل النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وضمَّها إليه -أي: السارِية التي هي الجذع- فجَعَلَت تَئِنُّ أنين الصبيِّ الذي يُسكَّنُ، قال: كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها، ولهذا الحديث طرق في "البخاري" و"مسند أحمد"، ولا بأس أن نشير إلى عَزْو الطرق المشار إليها في المتن، مع بيان ما في بعضها من الزوائد.

فحديث بُرَيْدَة رواه الدارمي من طريق عبد الله بن بُرَيْدة عن أبيه، وفيه من الزيادة ما نَصّه: فرجع النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فوضع يده عليه وقال: **«اخْتَرْ، أنْ أغْرسَكَ في المكان الذي كنتَ فيه فتكون كما كنتَ، وإنْ شئتَ أنْ أغرسَك في الجنَّة فتشربَ مِن أنهارها وعُيونها فيحسن نَبْتُك وتُثْمِر فيأكل أولياءُ الله مِن ثمرتك»** فسمع النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وهو يقول له: **«نعم قد فعلتُ»**، مرتين، فسُئل النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: **«اختار أن أغرسه في الجنَّة»**.

وحديث عائشة رواه الطبرانيُّ في "الأوسط"، وأبو نعيم والبيهقيُّ في "الدلائل" بنحو حديث بُرَيْدة، وحديث بن عمر رواه البخاريُّ وأحمد.

وحديث أنس رواه أحمد والترمذيُّ وابن ماجه والدارمي وأبو يعلىٰ وأبونعيم والبيهقي، وفيه: «خار الجذع كخوار الثور حتىٰ ارتجَّ المسجد بخواره، فنزَل إليه رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فالتزمه فسكت فقال: **«والذي نَفْسِي بيده لو لم أَلْتَزِمْهُ لما زالَ هكذا إلى يومِ القِيامَةِ حُزْنًا على رسولِ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم»** قال الترمذي: «حديث صحيح غريب».

ورواه البغوي من طريق الحسن عن أنس، وزاد بعده: فكان الحسن -يعني البصري- إذا حدَّث بهذا الحديث بكىٰ ثم قال: يا عباد الله الخشبة تَحِنُّ إلىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم شوقًا إليه لمكانه من الله، وأنتم أحق أنْ تشتاقوا إلىٰ لقائه.

وحديث أُبَيّ بن كعب رواه الشافعي وأحمد والدارمي وابن ماجه و أبويَعْلَىٰ وسعيد ابن منصور وأبو نعيم والبيهقي.

وحديث أبي سعيد الخدري، رواه عبد بن حميد وابن أبي شيبة والدارمي وأبو نعيم.

وحديث ابن عبَّاسٍ رواه أحمد بإسناد صحيح علىٰ شرط مسلم، وراوه أيضًا ابن سعد وابن ماجه والدارمي وأبو نعيم والبيهقي.

وحديث أم سلمة رواه أبو نعيم والبيهقي، وحديث سهل بن سعد رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

وروىٰ الزبير بن بكار في "أخبار المدينة" عن المطلب بن أبي وداعة قال: كان النبيّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يسند ظهره إلىٰ جذع في المسجد إذا خطب، فلما جُعِل له المنبر وجلس عليه، خار الجذع خُوار الثور، فأقْبَل عليه حتىٰ

التزمه فسَكن، وقال: «**لا تلوموه فإنّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لم يفارق شيئا إلا وَجَدَ** -أي: حزن- **عليه**».

قال البيهقي: «قصة حنين الجذع من الأمور الظاهرة التي حمَلَها الخلَف عن السلف».اهـ

وقال القاضي عياض: «حديث حَنِين الجذع مشهور منتشر والخبر به متواتر أخرجه أهل الصحيح ورواه من الصحابة بضعة عشر».اهـ، ثم ذكر عشرة من الصحابة.

وقال التاج ابن السبكي في "رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب": «والصحيح عندي أن حنين الجذع متواتر، رواه البخاري عن نافع عن ابن عمر.

ورواه أحمد من رواية أبي جناب عن أبيه عن ابن عمر.

ورواه ابن ماجه وأبو يعلىٰ الموصلي وغيرهما من رواية حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس وإسناده علىٰ شرط مسلم.

ورواه الترمذيُّ وصحَّحه، وأبو يعلىٰ وابن خزيمة والطبرانيُّ من رواية إسحاق بن عبد الله ابن أبي طلحة عن أنسٍ.

ورواه الطبرانيُّ من رواية الحسن عن أنسٍ.

ورواه أحمد وابن منيع والطبرانيّ وغيرهم من رواية حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن ابن عبَّاسٍ.

ورواه أحمد والدارمي وأبو يعلىٰ وابن ماجه وغيرهم من رواية الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه.

ورواه الدارميُّ من رواية أبي حازم عن سهل بن سعدٍ.

ورواه أبو محمد الجوهري من رواية عبد العزيز بن أبي رَواد عن نافع عن تميم الداري.

قال: ولست أدعي أن التواتر حاصل بما عددت من الطرق، بل من طرق أخرىٰ كثيرة يجدها المحدث ضمن المسانيد والأجزاء وغيرها».اهـ

ولهذا أدْرَجَه الحافظ السيوطي في كتابه الذي ألَّفه في المتواتر، لكن قال الحافظ في "الفتح": «إنه نُقِل نَقْلًا مستفيضًا يفيد القَطْع عند من يَطَّلِع علىٰ طرق الحديث دون غيرهم ممن لا ممارسة لهم في ذلك».اهـ

ولا شك أن معجزة خنين[1] الجذع أكبر من إحياء الموتىٰ، كما قال الإمام الشافعي، لأنَّ خَنين الجماد وبكاءه كالطفل أبعد وأغرب من عودة الحياة إلىٰ جسم كان حيًّا وستعود إليه الحياة عند بعثه، فالميت ليس بجماد صرف، بل من شأنه الحياة كما لا يخفىٰ، والله أعلم.

١٥- حديث: مسح رأسه بيده

عن حَنْظَلة بن حُذَيم: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مسح رأسه بيده وقال له «بورك فيك» قال الذيّال -هو حفيد حنظلة، وراوي الحديث عنه- فرأيتُ حنظلة يؤتىٰ بالشاة الوارم ضرعها والبعير والإنسان به الورم فيتفل في يده ويمسح بصلعته ويقول: بسم الله علىٰ أثر يد رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فيمسحه، ثم يمسح موضع الورم فيذهب الورم. رواه الإمام أحمد والبخاريُّ في

---

(١) خنين الجذع، اشتهر بين المحدثين بالحاء المهملة، والصواب عندي أنه بالخاء المعجمة، وهو صوت البكاء الخارج من الخياشيم، شبه به صوت الجذع، أما الحنين بالحاء المهملة، فهو الشوق، وهو معنىٰ باطني لا صوت له.

"التاريخ" والطبرانيُّ والبيهقيُّ وغيرهم، وإسناد الحديث لا بأس به.

حَنْظَلَة: بفتح الحاء والظاء بينهما نون ساكنة، وحُذيم بضم الحاء، وهو حنظلة بن حذيم بن حنيفة التميمي له ولأبيه ولجده صحبة.

قوله: «مسح رأسه بيده...»إلخ، وسبب ذلك: أن أباه حُذيمًا وجدَّه حنيفة وأعمامه أتوا إلى النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في خصومة لهم ومعهم حنظلة غلام، فقال أبوه للنبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: إن لي بنين ذوي لحى وإن هذا أصغرهم، فادع الله له، فمسح رأسه بيده وقال له: «**بورِك فيك**» أو«**بارك الله فيك**» -شكٌ من الراوي- فكان من أثر مسحه ودعائه ما ذكر في الحديث.

والصَلعة -بفتح الصاد- ما أنحسر عنه الشعر من مقدّم الرأس، وضِرع الشاة معروف، وهذا غير كثير في جانب بركته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وما ورد من برءِ ذوي العاهات والأمراض بتفله عليه الصَّلاة والسَّلام، أو مسح يده أو دعائه، لَشيء كثير جدًّا لو جُمع لجاء في كتاب حافل، ولعل الله يوفقنا إلى جمع ذلك بعد الانتهاء من هذا الكتاب بحول الله[1]، ورجال هذا الحديث ثقات ومعناه صحيح.

---

(١) وفي "صحيح مسلم" والسنن الأربعة إلا الترمذي عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: أنها أخرجت جبّة طيالسة ذات أعلام خضر، وقالت: كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يلبسها، فنحن نغسلها، فنستشفي بها.

وفي الصحيحين في غزوة خيبر: أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم دعا عليًّا ليعطيه الراية فجيء به يُقاد لرمد شديد أصابه، فتفل في عينيه، فبرأ كأن لم يكن بها وجع.

وفي "صحيح البخاري" عن سلمة بن الأكوع، قال: أصابتني ضربة في ساقي يوم خيبر، فقال الناس: أصيب سلمة، فأتيت النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فنفث فيها

١٦- حديث: قصعة من غدوة

عن سَمُرة بن جندب قال: كنا مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نتداول في قصعة من غدوة حتى الليل يقوم عشرة ويقعد عشرة، قلنا: فما كانت تمد؟! قال: «من أي شيء تعجب؟ ما كانت تمد إلا من ههنا وأشار بيده إلى السماء». رواه الترمذي والحاكم والبيهقي وصحَّحوه، وقصة تكثير الطعام وردت في أحاديث كثيرة في الصحيحين وغيرهما.

سَمُرة: بضم الميم، والقَصْعة: بفتح القاف، ومن اللطائف اللغوية قولهم: لا تكسر القصعة، ولا تفتح الجراب، والغدوة ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس، وهذا الحديث صححه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقة الذهبي، وفيه معجزة كبيرة في تكثير الطعام القليل.

ولهذا نظائر كثيرة، ففي الصحيحين عن جابر في غزوة الخندق قال: فانكفأْتُ إلى امرأتي فقلت: هل عندك شيء؟ فإني رأيت بالنبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم

ثلاث نفثات، فما اشتكيتها بعد ذلك قط.

وروى أبو الشيخ في كتاب" الأخلاق النبوية"،عن محمد بن مهاجر قال: كان متاع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عند عمر بن عبد العزيز في بيت ينظر إليه كل يوم، قال: وكان ربما اجتمعت إليه قريش فأدخلهم في ذلك البيت ثم استقبل ذلك المتاع فيقول: هذا ميراث من أكرمكم الله به وأعزكم الله به، قال: وكان سريرًا مرمولًا بشريط، ومرفقة من أدم محشوة بليف، وجفنة، وقدح، وقطيفة صوف كأنها جرمقانية، ورحى، وكنانة فيها أسهم، قال: وكان في القطيفة أثر وسخ رأسه، فأصيب رجل، فطلبوا أن يغسلوا بعض ذلك الوسخ فيعطبه، فذُكر ذلك لعمر، فسعط فبرأ».اهـ

خَمَصًا شديدًا، فأخرجت جرابًا فيه صاع من شعير، ولنا بُهيمة داجن، فذبحتُها وطحَنَتِ الشَّعير، ثم جئت النبيّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فساررته فقلت: يارسول الله ذبحنا بُهيمة -بالتصغير- لنا وطحنت صاعًا من شعير فتعال أنت ونفرٌ معك، فصاح النبيّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**يا أهلَ الخندَقِ إنَّ جابرَ صنع سُورًا** -أي: طعامًا- **يدعو إليه النَّاسَ فحيَّ هلًا بكم**» فقال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لا تُنزِلَنَّ برمَتكُم ولا تخبزن عجينكم حتى أجيءَ**».

فأخرجت له عجينًا فبصق فيه وبارك، ثم عَمَد إلىٰ بُرمتنا فبَصَق وبارك، ثم قال: «**ادع خابزة فلتخبز معك واقدحي** -أي: اغرفي- **من بُرْمَتكم ولا تنزلوها**» وهم ألف. فأُقسم بالله لقد أكلوا حتىٰ تركوه وانحرفوا، وإنّ بُرمتنا لتغط كما هي، وإن عجيننا ليخبز كما هو.

ووقعت قصص من هذا القبيل في غزوة الخندق وتبوك وغيرهما، وهي مُخرّجة في الصحيحين، وبقية كتب الحديث والسيرة.

١٧- حديث: شق صدر النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم

عن أنس بن مالك: أن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أتاه جبريل عليه السَّلام وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه، فاستخرج القلب فاستخرج منه علقة، فقال: «هذا حظُّ الشيطان مِنك»، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لَأَمَه، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلىٰ أمه -يعني: ظئره- فقالوا: إن محمدًا قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون.

قال أنس: ولقد كنت أرىٰ أثر ذلك المخيط في صدره، رواه مسلم في "صحيحه".

قوله: «فصرعه» أي: أضجعه على الأرض إضجاعًا لطيفًا، كما في رواية شداد بن أوس. قوله: «عَلَقَة» بفتحات، أي: قطعة دم منعقدة.

قوله: «هذا حظ الشيطان منك» يعني: أن هذه العلقة أو المضغة السوداء - كما في رواية أخرى- هي محل وسوسة الشيطان من قلب الإنسان، فحيث أزيلت عنك ذهب حظ الشيطان ونصيبه منك.

قوله: ثم غسله في طست، بفتح الطاء، ويجوز ضمها وكسرها، وبالسين المهملة ويجوز إعجامها.

قوله: «ظئره» هي المرضع، قوله: «منتقع اللون» أي: متغير اللون، مثل النقع وهو الغبار.

وفي حديث شدَّاد بن أوس: أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: **«كنت مسترضَعًا في بني سعد بن بكرٍ، فبينا أنا ذات يوم في بطن واد مع أتراب لي من الصِّبيان إذا أنا برَهْط ثلاثة معهم طَسْت من ذهب مُلئ ثلجًا، فأخذوني من بين أصحابي، وانطلق الصبيان هِرابًا مسرعين إلى الحيِّ، فعمد أحدهم فأضجعني على الأرض إضجاعًا لطيفًا، ثُمَّ شَقَّ ما بين مَفْرِق صَدْري إلى مُنتهى عانتي، وأنا أنظر إليه، لم أجد لذلك مسًّا، ثُمَّ أخرَج أحشاء بطني ثُمَّ غسلها بذلك الثلج فأنْعَمَ غسلها، ثم أعادها مكانها.**

ثم قام الثاني فقال لصاحبه: تَنَحَّ، ثم أدخل يده في جوفي فأخرج قلبي وأنا أنظر إليه فصدعه، ثم أخرج منه مضغة سوداء فرمى بها، ثم قال بيده يمنة ويسرة كأنه يتناول شيئًا، فإذا بخاتم في يده من نور يحار الناظر دونه، فختم به قلبي فامتلأ نورًا وذلك نور النبوة والحكمة، ثم أعاده مكانه فوجدت برد ذلك

الخاتم في قلبي دهرًا.

ثم قال الثالث لصاحبه: تَنَحّ، فأمرَّ يده بين مفرق صدري إلى منتهى عانتي فالتأم ذلك الشقُّ بإذن الله تعالى، ثم أخذ بيدي فأنهضني من مكاني إنهاضًا لطيفًا، ثم قال للأول: زِنْهُ بعشرة مِن أُمَّته، فوزنوني بهم فرَجَحْتُهُم، ثُمَّ قال: زِنْهُ بمائة مِن أُمَّته، فرَجَحْتُهم، ثُمَّ قال: زِنْه بألفٍ، فرَجَحْتُهم، فقال: دعوه فلو وزنتموه بأُمَّته كلها لرَجَحَهُمْ، ثُمَّ ضمَّوني إلى صدورهم وقبَّلوا رأسي وما بين عينَيّ ثم قالوا: يا حبيب، لم تُرَعْ إنك لو تدري ما يراد بك من الخير لقَرَّت عيناك». الحديث، رواه أبو يعلىٰ وأبو نعيم وابن عساكر.

وفي حديث أبي ذر عند الدارمي: «فما هو إلا أن وَلَّيا عني فكأنما أرى الأمر مُعاينة».

وفي رواية ابن غنم عند الدارمي أيضًا: «أن جبريل عليه السَّلام قال: قلب وكيع -شديد- فيه عينان تنظران، وأذنان تسمعان». وللحديث طرق أخرىٰ(١).

والحكمة في شَقِّ صدره الشريف واستخراج العلقة من قلبه تطهيره من حالات الصبا، وتنشئته علىٰ الرجولة التامة، ولهذا نشأ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ أكمل الحالات، وأفضل الصفات لم يَمِلْ إلىٰ شيء مما يميل إليه الصبيان، ولم يستهوه ما استهوىٰ غيره من الشبان والفتيان، حتىٰ أكرمه الله بنبوته وأصطفاه لرسالته صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

---

(١) منها حديث عتبة بن عبدٍ السلمي عند الحاكم، وصحَّحه علىٰ شرط مسلمٍ، وسلَّمه الذهبيُّ.

ثم شُقَّ صدره الشريف مرة ثانية عند بعثته عليه الصَّلاة والسَّلام ليتلقّى الوحي بقلب قوي، واستعداد كامل.

ثم شُقَّ صدره الشريف مرة ثالثة ليلة الإسراء كما ثبت في "البخاري" وغيره، ليتهيّأ للترقي إلى الملأ الأعلى والثبوت في المقام الأسنى، وليتقوّى قلبه لمشاهدة العلي الأعلى، ولهذا لما لم يتفق لموسى عليه السَّلام مثل هذا التهيؤ والاستعداد لم تتفق له الرؤية(١).

---

(١) قال الحكيم الترمذيُّ: حدثنا محمد بن رزام الأيلي: ثنا محمد بن عطاء الهجيمي: ثنا محمد بن نصير، عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عبَّاسٍ قال: تلا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم هذه الآية ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] قال: «ياموسى إنه لا يراني حي إلّا مات، ولا يابس إلا تدهده، ولا رطب إلا تفرق، إنما يراني أهل الجنّة الذين لا تموت أعينهم ولا تبلي أجسادهم».

أما نبينا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فالراجح عند أكثر العلماء كما قال النووي أنه رأى ربه ليلة الإسراء بعيني رأسه، وروى الترمذي من طريق الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عبَّاسٍ قال: رأى محمد ربه، فقلت: أليس يقول الله: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] قال: ويحك، ذاك إذا تجلَّى بنوره الذي هو نوره، وقد رأى ربه مرتين، وروى النسائي بإسناد صحيح، وصححه الحاكم أيضًا عن ابن عبَّاسٍ قال: «أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم، والكلام لموسى، والرؤية لمحمد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم».

وللطبراني في "الأوسط" بإسناد رجاله رجال الصحيح، غير واحد، فوثقه ابن حبان، عن ابن عبَّاسٍ أنه كان يقول: إن محمدًا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رأى ربه مرتين مرة ببصره، ومرة بفؤاده.

وروى ابن خزيمة بإسناد قوي عن أنس قال: رأى محمد ربه.

وروى ابن خزيمة عن عبد الرزاق، عن معتمر بن سليمان، عن المبارك بن فضالة قال: كان الحسن يحلف بالله: لقد رأى محمد ربه.

وروى ابن خزيمة أيضًا عن كعب قال: إن الله قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد صلوات الله عليهما، فرآه محمد مرتين، وكلم موسى مرتين.

وروي أيضًا عن عروة بن الزبير إثبات الرؤية أيضًا، وروى ابن الجوزي في "مناقب الإمام أحمد"، عن عبدوس بن مالك العطار قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: أصول السُّنَّه عندنا: التمسُّك بما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والاقتداء بهم، وذَكر شيئا من العقيدة، إلى أن قال: وأن النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قد رأى ربَّه، فإنه مأثور عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. صحيح، رواه قتادة عن عكرمة عن ابن عبَّاسٍ، ورواه الحكم ابن أبان عن عكرمة عن ابن عبَّاسٍ، ورواه علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عبَّاسٍ. والحديث عندنا على ظاهرة، كما جاء عن النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.اهـ

وروى الخلّال في كتاب "السنة" عن المروزي: «قلت لأحمد: إنهم يقولون إن عائشة قالت: من زعم أن محمد رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، فبأي معنى يُدفع قولها؟ قال: بقول النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «رأيتُ ربي» فقول النبيّ أكبر من قولها».اهـ

وهذا الحديث رواه ابن عبَّاسٍ، وأشار أحمد إلى طرقه في كلامه آنفًا، وأفرد ابن خزيمة في كتاب "التوحيد" بابًا لرؤية النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ربه تعالى، وأطال الاستدلال لذلك، وأجاب عن كلام عائشة بأنها نَفَت الرؤية، وابن عبَّاسٍ وأنس وغيرهما أثبتوها، والإثبات مقدم على النفي.

وروي عن عبد الرزاق قال: ذكرت لمعمر حديث عائشة، فقال: ما عائشة عندنا أعلم من ابن عبَّاسٍ، قال ابن خزيمة: ومحال أن يقال: ابن عبَّاسٍ أعظم على الله الفرية، ولا

وفي هذا الحديث لطائفٌ:

منها: أنه تحقق بشق صدره وصدع قلبه إكرامه بالصبر الجميل، كما تحقق لجده إسماعيل الذبيح مثل ذلك لصبره على مقدمات الذبح فأثنى الله عليه بذلك، ولكن صبر نبينا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أشد واحتماله أقوى للفارق

أظن أحدًا من أهل العلم يتوهم أن ابن عبَّاسٍ أثبت الرؤية بالظن والرأي، ولا أنس ابن مالك، ولا أبو ذر. هذا ملخص كلام ابن خزيمة.

وأما قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] فلا يدل على نفي الرؤية لوجهين:

الأول: أن الأبصار لفظ عام، أي: لا تدركه عموم أبصار الناس، وخص منه بصر النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على سبيل التمييز والإكرام، فتكون الآية من قبيل العام المخصوص، وهو كثير في القرآن والسنة.

الثاني: أن الإدراك معناه: الإحاطة، فالآية الكريمة تنفي الإحاطة، ونفي الإحاطة لا يستلزم نفي الرؤية، ألا ترى أن المؤمنون يرون ربهم في الجنّة ولا يحيطون به، بل نحن نرى الشمس والقمر ولا نحيط بهما، فكذلك النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رأى الله من غير أن يحيط به، وتعالى الله عن أن يحيط به أحد من خلقه.

وأما حديث أبي ذر: سألت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم هل رأيت ربك؟ فقال «نور أني أراه» فأجاب عنه ابن خزيمة بأنه يجوز أن يكون سأله قبل حصول الرؤية، ثم حصلت بعد ذلك.

قلت: ويتأيد هذا بما ثبت عن أبي ذر نفسه أن النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رأي ربه بقلبه، وثبت ذلك عن عبد الله بن الحارث بن نوفل أيضا رواه عنهما ابن خزيمة. وأنظر ما كتبناه في التعليق رقم (١) على الحديث رقم (١١).

العظيم بين الأمرين كما لا يخفى.

ومنها: غسل قلبه بطست من ذهب وفيه -كما قال الحافظ- مناسبات:

«منها: أنه من أواني الجنة، ومنها: أنه لا تأكله النَّار ولا التراب ولا يلحقه الصدأ، ومنها: أنه أثقل الجواهر، فناسب قلبه عليه الصَّلاة والسَّلام لأنه من أواني أهل الجنّة، ولا تأكله النَّار ولا التراب، «**إن الله حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**»، ولا يلحقه الصدأ، وأنه أثقل من كل قلب عُدِل به، وفيه مناسبة أخرى: وهي ثقل الوحي فيه». هذا كلام الحافظ في "الفتح".

وقال السهيلي وابن دحية: «إن نُظِر إلى لفظ الذهب ناسب من جهة إذهاب الرجس عنه ولكونه وقع عند الذهاب إلى ربه، وإن نُظِر إلى معناه، فلوضاءته ونقائه».اهـ

ومنها: ما ذكره العارف ابن أبي جمرة: أنه أعطي برؤيته شق صدره وقلبه الشريفين عدم الخوف من العادات الجارية بالهلاك، فحصلت له صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قوة الإيمان من ثلاثة أوجه: بقوة التصديق، والمشاهدة، وعدم الخوف من العادات المهلكات.

فكَمُل له عليه الصَّلاة والسَّلام بذلك ما أريد منه من قوة الإيمان بالله عزَّ وجلَّ، وعدم الخوف مما سواه، ولأجل ما أعطيه مما أشرنا إليه كان عليه الصَّلاة والسَّلام في العالمَين -بفتح الميم أي: العالم العلوي والعالم السفلي- أشجعهم وأثبتهم وأعلاهم حالًا ومقالًا، ففي العلوي كان كما أخبر عليه الصَّلاة والسَّلام أنّ جبريل عليه السَّلام لما وصل معه إلى مقامه قال: ها أنت وربك، هذا مقامي لاأتعداه، فزج فيه أي: في النور زجة ولم يتوان ولم يلتفت فكان هناك في الحضرة

كما أخبر عنه عزَّ وجلَّ بقوله: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: ١٧].

وأما حاله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في هذا العالم، فكان إذا حمي الوطيس في الحرب ركض بغلته في نحر العدو وهم شاكون سلاحهم، ويقول: «**أنا النبيّ لا كذب أنا ابن عبد المطلب**».اهـ وهو نفيس، لكن ما ذكره عن جبريل من قوله: هذا مقامي لا أتعداه، لم أقف له على إسناد.

تنبيه: تحريم استعمال الذهب إنما حصل في المدينة بعد الهجرة، وشق الصدر حصل قبل ذلك، فلا يَرِد أن يقال: كيف صح غسل قلبه في طست من ذهب وهو مُحَرَّم؟ لأنَّ استعمال الذهب إذ ذاك كان مباحًا، والله سبحانه وتعالى أعلم.

١٨- حديث: فضل محمد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على الأنبياء

عن أبي هريرة رَضيَ اللهُ عنهُ: أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال:«**فُضِّلتُ على الأنبياء بسِتٍّ؛ أُعطِيتُ جوامِعَ الكَلِمِ، ونُصرتُ بالرُعب، وأُحِلَّت لي الغنائمُ، وجُعِلت لي الأرض طَهُورًا ومسجدًا، وأُرسِلتُ إلى الخَلْقِ كافَّةً، وخُتِمَ بي النبيُّون**». رواه مسلمٌ في "صحيحه".

قوله: «**فُضِّلتُ على الأنبياء بسِتّ**»، هذا العدد لا مفهوم له لأنَّ له فضائل غير هذه الست كما سيأتي قوله، «**أُعطِيتُ جوامِعَ الكَلِمِ**» أي: الكلم الجوامع وهي الأحاديث القليلة اللفظ الكثيرة المعنى، كحديث«**إنما الأعمال بالنيات**» فإن فيه من الأحكام والفوائد ما أُفرد بالتأليف، وله نظائر كثيرة، ذكر جملة منها القاضي عياض في "الشفاء"، وأحاديث "الأربعين النووية" كلها كَلِمٌ جوامع وهي متداولة مشهورة.

قوله: «**ونُصرت بالرُّعب**» أي: أن الله ينصره بقذف الرعب في قلوب أعدائه، زاد في رواية أخرىٰ في الصحيحين من حديث جابر: «**ونصرت بالرعب بين يديَّ مسيرةَ شهر**».

قوله: «**وأُحِلَّت لي الغنائم**» زاد في رواية جابر: «**ولم تَحل لأحد قبلي**»، والغنائم جمع غنيمه، وهي مايُغنم من العدو في الجهاد، وكان مَنْ قبلنا إذا غنموا غنائم جمعوها في مكان فتأتي نار من السماء فتأكلها، وكذلك جاء مُبيَّنًا في حديث الصحيحين عن أبي هريرة عن النبيّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

قوله: «**وجعلت لي الأرض طهورًا**» -بفتح الطاء-أي: يُتيَمَّم بأجزائها، واستدل به علىٰ أن التيمم يرفع الحدث: كالوضوء.

قوله: ومسجدًا أي: موضعًا للسجود لا يُختص مكان منها دون الآخر، وفي حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: «**وكان من قبلي إنما يصلون في كنائسهم**»، وفي حديث ابن عبَّاسٍ عند البزَّار: «**ولم يكن أحد من الأنبياء يصلي حتى يبلغ محرابه**»، واستدل المالكية والحنفية بقوله: «**وجعلت الأرض طهورًا**»، علىٰ جواز التيمم بجميع أجزاء الأرض من تراب ورمل وحجر ونحو ذلك، وخصَّصَ الشافعية التيمم بالتراب فقط، متمسكين برواية حذيفة في "صحيح مسلم": «**وجعلت تربتها لنا طهورًا**». قالوا: فهذا خاص يُحمل عليه غيره من الروايات التي وردت عامة، ونوقشوا في هذا الاستدلال مناقشات قوية يترجح معها جانب القول الأول المؤيَّد بعموم قوله تعالىٰ: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء: ٤٣]وبهديه عليه الصَّلاة والسَّلام في التيمم،

فإنه لم يُنقل عنه أنه التزم التيمم بالتراب فقط، بل كان يتيمم بالأرض التي كان يصلي عليها ترابًا كانت أوسبخة أو رملًا.

قوله: «وأرسلت إلى الخلق كافة» أي: الإنس والجن، بهذا نطق القرآن وانعقد عليه الإجماع فمدعي خصوص رسالته بالعرب كافرٌ بلا نزاع.

وهل أُرسِل إلى الملائكة؟ حكى فخر الدين الرازي الإجماع على أنه غير مرسل إليهم، وقال جماعة من الأشعرية: أرسل إليهم رسالة تشريف لا تكليف، ورجَّحَ التقي السبكي أنه أرسل إليهم، وكذا رجَّحه البارزي وزاد عليه أنه أُرسِل إلى جميع الحيوانات والجمادات، واستدل بشهادة الضَّب له بالرسالة، وشهادة الحجر والشجر، وألَّف الحافظ السيوطي في الانتصار لهذا القول رسالة سمَّاها "تزيين الأرائك في إرسال النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى الملائك" واستدل فيها بعشرة أدلة أقواها كما قال: «قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٦]يعني: الملائكة إلى أن قال: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ ﴾ -أي: الملائكة- ﴿إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٢٩]قال: فهذه الآية إنذار للملائكة على لسان النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في القرآن الذي أنزل عليه، وقد قال تعالى: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ [الأنعام: ١٩] فثبت بذلك إرسآله إليهم».اهـ[1]، وانظر بقية أدلته في الرسالة المذكورة فهي

---

(١) وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في التبكير إلى الجمعة: «فإذا خَرَجَ الإمامُ حَضَرَتِ الملائكةُ يستمعون الذِّكْرَ».

مطبوعة ضمن كتابه "الحاوي في الفتاوي".

قوله: «وخُتم بي النبيّون»، فهو خاتم الأنبياء، أي: آخرهم، لا نبي معه في عصره ولا بعد عصره، وهذا أمر معلوم من الدين بالضرورة.

فالقاديانية الذين يزعمون نبوة غُلام أحمد القادياني، كفَّار مرتدون بإجماع المسلمين، ولا تصح مناكحتهم، ولا تؤكل ذبيحتهم، وهم دسيسة استعمارية خدموا مصالح الإنجليز في الهند، وكان زعيمهم القادياني يُصرِّح على رؤوس الأشهاد بحبِّه لإنجلترا وولائه لها ويحض أتباعه على خدمتها ويحمد الله على أنه وجد في بلد تحت رايتها، إلى غير هذا من أقواله السخيفة المدونه في كتبهم.

ومثلهم في الكفر والارتداد وخدمة مصالح الاستعمار فرقة البهائية الذين يزعمون أن الإسلام نُسِخ بدينهم، وينكرون البعث والنشور والحشر والجنّة والنَّار والصلاة والصيام، ويجيزون إعارة النساء بعضهم لبعض، ويؤلهون زعيمهم ويحجون إلى عكا[1] يطوفون بقبر إلههم عباس البهاء، وهي قبلتهم في صلاتهم، وهي صلاة خاصة تخالف صلاة المسلمين، إلى غير ذلك[2] من

فحضورهم لاستماع الخطبة دليل على أنهم مكلفون بذلك، وصح في أحاديث: أنهم يصلون معنا صلاة الجماعة، وإذا قال الإمام ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ قالوا: ﴿آمين﴾ وفي "صحيح البخاري" عن رفاعة بن رافع رضي الله عنه قال: جاء جبريل إلى النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: «من أفضل المسلمين» أو كلمة نحوها، قال: وكذلك من شهد بدر من الملائكة. فهذا يدل على أنهم مكلفون بشريعتنا.

(١) وحديث «طوبي لمن رأي عكا» مكذوب باطل.

(٢) والجهاد في دينهم منسوخ، فلا يجوز عندهم جهاد الكفار والمستعمرين، بل يجب

القبائح، وقد غرّوا كثيرا من الناس بمصر فدخلوا في ديانتهم، ولهم بالمحلة الكبرىٰ شُعبة نشيطة، قاتلهم الله ولعنهم إلىٰ يوم الدين.

١٩- حديث: خصائص النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**نُصرتُ بالرُّعْبِ، وأُعطيتُ جوامِعَ الكَلِمِ، وبينما أنا نائم أُتِيتُ بمفاتيح خزائن الأرض فوُضِعَت في يدي**». قال أبو هريرة فذهب رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وأنتم تَنْتَثِلونها. رواه البخاريُّ ومسلمٌ.

قوله: «**وأعطيتُ جوامِع الكَلِمِ**» تقدَّم شرحه، وقال الهروي: «يعني به القرآن، جمع الله تعالىٰ في الألفاظ اليسيرة منه المعاني الكثيرة، وكلامه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان بالجوامع قليل اللفظ كثير المعاني».

قوله: «**وبينما أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي**»، قال النووي: «هذا من أعلام النبوة، فإنه إخبار بفتح هذه البلاد لأمته، ووقع كما أخبر صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ولله الحمد والمنَّة».اهـ

قوله: «وأنتم تنتثلونها» أي: تستخرجون مافيها، يعني خزائن الأرض، وما فتح علىٰ المسلمين من الدنيا بسبب الفتوحات الإسلامية.

تنبيه: ذُكِر في هذا الحديث والذي قبله سبعة خصال من خصوصياته، وبقِيَت خصال أخرىٰ:

إقناعهم بالدخول في دين البهائية، فإن اقتنعوا به ودخلوا فيه، تركوا البلاد لأهلها ورحلوا عنها بلا مقاومة، وهذا كلام سخيف.

منها: إعطائه الشفاعة، رواه الشيخان من حديث جابر، والمراد بها الشفاعة العظمىٰ.

ومنها: تسميته بأحمد، وجعلت أمته خير الأمم، رواه أحمد من حديث علي عليه السَّلام.

ومنها: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة -يعني في الصلاة- رواها مسلم من حديث حذيفة.

ومنها: إعطاؤه الآيات من آخر (سورة البقرة) من كنز تحت العرش، رواه النسائي وابن خريمة عن حذيفة أيضًا.

ومنها: غفران ما تقدَّم مِن ذنبه[1] وماتأخَّر، وإعطائه الكوثر، وكونه

---

(١) قد يشكل عدُّ هذه من خصائصه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم؛ لأنَّ الأنبياء جميعهم مغفور لهم، بل هم معصومون، ومانسب إليهم من ذنوب فهو علي سبيل الكناية أو التعريض، أو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين.

ويجاب علىٰ هذا الإشكال بأنّ هذه الخصلة عدت من خصائصه باعتبار ظهور ثمراتها في الآخره، ذلك أنّ الأنبياء يعتريهم من هول الموقف وفزعه ما ينسيهم حالهم ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩] ويقول كبراؤهم حين تطلب منهم الشفاعة: إن الله قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، نفسي، نفسي، لأنَّ كل واحد منهم لا يأمن أن يؤاخذ بما عدَّ عليه ذنبًا، أما نبينا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فيكون في ذلك الموقف قوي القلب، رابط الجأش، لا يلحقه فزع، ولا يغشاه هول، تُطلب منه الشفاعة فيقول: «أنا لها، أنا لها»، ولا يعتذر كما أعتذر غيره، ويستشهد به الرسل علىٰ تصديقهم في إبلاغ

صاحب لواء الحمد يوم القيامة، رواها البزَّار عن أبي هريرة.

ومنها: إسلام شيطانه، رواها البزَّار عن ابن عبَّاسٍ، فهذه ست عشرة خصلة.

قال الحافظ في "الفتح": «ويمكن أن يوجد أكثر من ذلك لمن أمعن التتبع، وقد ذكر أبو سعيد النيسابوري في كتاب "شرف المصطفىٰ" أنّ الذي اختص به نبينا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ستون خصلة».اهـ

قال الحافظ السيوطي في "الخصائص الكبرىٰ": «ولم أقف علىٰ من عدها، وقد تتبعت الأحاديث والآثار فوجدت القدر المذكور وثلاثة أمثاله معه وقد رأيتها أربعة أقسام:

١- قسم اختُص به في ذاته في الدنيا.

٢- وقسم اختُص به في ذاته في الآخرة.

٣- وقسم اختُص به في أمته في الدنيا.

٤- وقسم اختُص به في أمته في الآخرة».اهـ

ثم أوردها مفصلة علىٰ الأبواب فليراجعها من أراد، والله ولي التوفيق والسداد.

قومهم، فيصدقهم ويؤيدهم، ويراجع ربه في أمته مرة بعد مرة حتىٰ يقول له مالك خازن النَّار: «ما تركت لغضب ربك من أمتك بقية»، وما ذاك إلا لأنه عرف من قول الله تعالىٰ: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]أنه لا يعاتبه يوم القيامة ولا يؤاخذه. فهذه الخصلة مما اختص بها في ذاته في الآخرة كما تبين.

٢٠- حديث: «الله يُعطى وأنا أقسم»

عن أبي هريرة أيضًا قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أنا أبو القاسم، الله يُعطِي وأنا أقسم**». رواه الحاكم وصحَّحه، وسلَّمه الذهبيُّ.

وفي "صحيح مسلم" عن جابر قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**تَسَمَّوا باسمي ولا تَكَنُّوا بكُنيتي فإني أنا أبو القاسم أقْسِمُ بينكم**».

وفي "صحيح مسلم" أيضًا عن جابر قال: وُلِد لرجل منا غلام فسماه محمدًا، فقلنا: لا نكنّيك برسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حتى تستأمره، قال: فأتاه فأخبره فقال النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**سمّوا باسمي ولا تَكَنُّوا بكُنيتى فإنما بعثتُ قاسمًا أقسم بينكم**»(١).

فهذه الروايات الصحيحة تبيّن أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقسم بين أمته ما يرزقهم الله من معارف وعلوم وأموال وغيرها، وليس قسمه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم خاصًّا بمال الفيء والغنائم، بل هو عام كما ذكرنا، والله أعلم.

قوله: «تَسَمَّوا باسمي ولا تَكَنُّوا بكُنيتي»، قال النووي: اختلف العلماء في هذه المسألة على مذاهب كثيرة جمعها القاضي وغيره:

أحدهما: مذهب الشافعي وأهل الظاهر، أنه لا يحل التكني بأبي القاسم لأحد أصلًا سواء كان اسمه محمد أو أحمد أم لم يكن، لظاهر هذا الحديث.

والثاني: أن هذا النهي منسوخ، فإن هذا الحكم كان في أول الأمر، لهذا

---

(١) وروى أحمد وأبو داود عن أبي هريرة، عن النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ما أوتيكم من شيء ولا أمنعكموه إن أنا إلا خازن أضع حيث أمرت**».

المعنىٰ المذكور في الحديث، وهو أن رجلًا نادىٰ بالبقيع: ياأبا القاسم، فالتفت إليه النبيّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: يارسول الله إني لم أعنك، إنما دعوت فلانًا فقال: «**تَسَمَّوا باسمي ولا تَكَنَّوا بكُنيتي**» ثم نسخ، قالوا: فيباح اليوم التكني بأبي القاسم لكل واحد سواء من أسمه محمد وأحمد وغيره، وهذا مذهب مالك، قال القاضي: وبه قال جمهور السلف وفقهاء الأمصار، وجمهور العلماء، قالوا: وقد اشتهر أن جماعة تكنوا بأبي القاسم في العصر الأول، وفيما بعد ذلك إلىٰ اليوم مع كثرة فاعل ذلك وعدم الإنكار.

الثالث: مذهب ابن جرير: أنه ليس بمنسوخ، وإنما كان النهي للتنزيه والأدب، لا للتحريم.

الرابع: أن النهي عن التكني بأبي القاسم مختص بمن اسمه محمد أوأحمد، ولا بأس بالكنية وحدها لمن لا يسمىٰ بواحد من الاسمين، وهذا قول جماعة من السلف وجاء فيه حديث مرفوع عن جابر.

الخامس: أنه ينهىٰ عن التكني بأبي القاسم مطلقًا وينهىٰ عن التسمية بالقاسم لئلا يكنىٰ أبوه بأبي القاسم، وقد غيّر مروان بن الحكم اسم ابنه عبد الملك حين بلغه هذا الحديث، فسماه عبد الملك، وكان أسمه أولا القاسم، وفعله بعض الأنصار أيضًا.

السادس: أن التسمية بمحمد ممنوعة مطلقًا سواء له كنية أم لا، وجاء فيه حديث عن النبيّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**تُسمُّون أولادكم بمحمَّدٍ ثُمَّ تلعنونهم؟!**» وكتب عمر إلىٰ الكوفة: «لا تسموا أحدًا باسم نبي»، وأمر جماعة بالمدينة بتغيير أسماء أبنائهم محمد حتىٰ ذكر له جماعة أن النبيّ صلَّىٰ الله عليه

وآله وسلَّم أذن لهم في ذلك وسماهم به، فتركهم.

قال القاضي: «والأشبه أن فعل عمر هذا إعظام لاسم النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، لئلا ينتهك الاسم كما سبق في الحديث: «**تُسمُّونهم محمدًا ثُمَّ تلعنونهم**». وقيل: سبب نهي عمر أنه سمع رجلًا يقول لمحمد بن زيد بن الخطاب: فعل الله بك يا محمد، فدعاه عمر فقال: أرى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يُسَبُّ بك، والله لا تُدعى محمدًا مابقيت، وسماه عبدالرحمن»[1].اهـ

وحديث: «**تسمون أولادكم محمدًا ثم تلعنونهم**» رواه البزَّار وأبو يعلى وابن

---

(١) انظر الفارق الكبير بين فعل عمر رضي الله عنه وبين فعل «إمام أهل السُّنَّة» -في زعم أتباعه- الشيخ محمود خطَّاب السُّبكي؛ فقد ردَّ على خصمٍ له اسمه محمد الأمير فقال: «إن اسمه على وزن: مخنث، ولقبه على وزن: الحمير»!!.

لكن لم يكتب الرد باسمه بل تستَّر باسم بعض أصحابه كعادته في أغلب ردوده حسبما حقَّقه صديقنا العلامة الشيخ مصطفى الحمامي في كتبه التي كشف بها عن هذا الإمام المزعوم، وهذا الشخص في الحقيقة بعيدٌ عن السُّنَّة وأهلها بعدًا شاسعًا؛ لأنه تعلم في الأزهر، والأزهر أقفر من علوم السُّنَّة منذ سنين.

وقد حضرت دروسه في البخاريِّ قبل أن يحال إلى المعاش فوجدته لا يعرف من الحديث كثيرًا ولا قليلًا، وإن أردت أن تعرف قيمة شرحه لـ"أبي داود" -وقد هول به أتباعه كثيرًا- فاقرأ بعض الشروح المطبوعة بالهند كعون المعبود فعند ذلك لا تملك إلا أن تقرأ على شرحه قول القائل:

سارَتْ مُشَرِّقَةً وسِرْتُ مُغَرِّبًا ... شَتَّانَ بَيْنَ مُشَرِّقٍ ومُغَرِّبِ

وتخاطب «إمام أهل السُّنَّة» بقول آخر:

إذا لم تَسْتَطِعْ شَيْئًا فَدَعْهُ ... وجاوِزْهُ إلى ما تَسْتَطِيعُ

عدي والحاكم من حديث أنس، وهذا الحديث معدود في فضائل التسمية باسمه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، مع دلالته علىٰ احترام الاسم الشريف وتوقيره.

وقال ابن سعد في "الطبقات": أنا مطرف بن عبد الله اليساري: حدثنا محمد بن عثمان العمري، عن أبيه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ما ضَرَّ أحدكم أن يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة**» وهذا مرسل.

وأخرج ابن أبي عاصم من طريق ابن أبي فديك، عن جهم بن عثمان، عن ابن جُشَيب، عن أبيه، عن النبيّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**من تسمى باسمي يرجو بركتي غَدَت عليه البركة وراحت إلى يوم القيامة**». وجَهْمٌ جهَّلَه أبو حاتم، وضعَّفَه الأزدي.

وروىٰ ابن القاسم في "سماعه"، وابن وهب في "جامعه" عن مالك قال: سمعت أهل مكة يقولون: ما من بيت فيه اسم محمد إلا نما ورُزقوا، ورزق جيرانهم.

وللحافظ أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن عبد الله بن بكير البغدادي جزء مطبوع في فضل التسمية بمحمد وأحمد، وفي عزمي أن أعيد طبعه مع التعليق عليه بما يُتم فوائده ويُكمل مقصده مع بيان علل الأحاديث ونقد أسانيدها، يسَّر الله وأعان عليه.

قوله: «يقسم بين أمته ما يرزقهم الله من معارف...» إلخ، يؤيد هذا العموم ويؤكده أمران:

الأول: قوله «**إنما بعثت قاسمًا**»، وهو إنما بعث لقسم ما أوتي من الهدىٰ والنور والعلم والعرفان، فأما قَسْم الفيء والمغانم فهو أمر ثانوي، إنما حصل بعد فرض الجهاد، والأمر بقتال المشركين بعد الهجرة.

الثاني: أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نهى عن غيره أن يكتني بأبي القاسم وعلَّل النهي بأنه يقْسِم ولو كان المراد قَسْم الفيء والمغانم، لم يكن لهذا النهي والتعليل معنى، لأنَّ كل إمام وخليفة يقسم المغانم بين المجاهدين، كما كان يفعل عمر[1] وغيره من الخلفاء، وذلك هو المقرر في الشرع، فلولا أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم اختص في القسم بشيء لم يشركه فيه غيره، لم يكن للنهي معنى كما ذكرنا، ولهذا خص جماعة من الصحابة بأنواع من العلوم، فاختص زيد بن ثابت بالفرائض، ومعاذًا بعلم الحلال والحرام،وأبيًّا وابن مسعودٍ بعلم القرآن، وحذيفة بعلم أحوال المنافقين وكشف أسرارهم، وأبا هريرة بجرابين من العلم بث أحدهما ولم يبث الآخر مخافة القتل كما في "صحيح البخاري"، وعليًّا بعلم القضاء وعلوم أخرى، وسماه «باب مدنية العلم» وهكذا كل صحابي له من رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم باب من العلم أو أبواب، على قدر استعداده[2] ثم هو صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعد وفاته حي في قبره تعرض

---

(١) قال أبو عبيد في "الأموال": أخبرنا عبد الله بن صالح: أخبرنا موسى بن علي، عن أبيه، أنّ عمر خطبهم بالجابية -مكان بالشام- فقال: من أراد القرآن فليأت أُبيًّا، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيدًا،ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذًا، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني، فإن الله جعلني خازنًا وقاسمًا.

(٢) قال العلامه الذائق المحقِّق أبو النجا محمد القوي، في شرحه على "سطور الأعلام في مبادئ الإيمان والإسلام" لولي الدين أبي زرعة العراقي ما نصه: «اعلم أن الله أبرز عالَمين: عالما اختراعيًّا، وعالما إبداعيًّا، أشار إليهما بقوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]وقوله ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الأنعام: ٧٣].

عليه أعمال أمته فيستغفر لهم ويشفع كما سيأتي في الحديث السادس والعشرون، والموفقون من أفراد الأمة يشاهدونه ويسمعون كلامه، ويرون نوره ساريًا في الوجود، ويرون كل خير واصلًا إليهم عن طريقه، لا يرتابون في ذلك، لأنهم رأوه عيانًا، حققنا الله به حتى نزداد معرفة لقدر هذا النبيّ الكريم والرسول العظيم، عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم.

٢١- حديث: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة»

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أنا سيِّد وَلَدِ آدمَ يومَ القِيامَةِ، وأوَّلُ مَن يَنْشَقُّ عنه القبرُ، وأوَّل شافِعٍ وأوَّل مُشَفَّعٍ**». رواه مسلمٌ في "صحيحه".

قال العلماء: قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم «**يوم القيامة**» مع أنه سيدهم في الدنيا أيضًا، لأنَّ في يوم القيامة تظهر سيادته لكل الناس لا ينازعه فيها منازع بخلاف الدنيا، فقد نازعه في ذلك ملوك الكفار وزعماء المشركين، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]مع أن الملك له

فعالم الغيب هو عالم الملكوت، وعالم الملكوت هو عالم الاختراع، وهو عالم الأمر وهو العالم العلوي، وهو عالم الفَتْقِ. وعالم الشهادة هو عالم الملك، وعالم الخلق وعالم الإبداع وهو العالم السفلي، وهو عالم الرَّتْقِ.

ولكل عالم من هذه العوالم سر أودعه الله فيه لشهود العظمة وظهور القدرة، وقد استودع الله مصطفاه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم تلك الأسرار الإلهية وجعله أمينًا عليها، يفيض على من أراد الله من أهَّلَه لاستفاضتها، وما أُهِّل له، ويخاطب الناس على قدر عقولهم».اهـ بلفظه من نسخة عليها خط الغيطي والشوبري.

سبحانه وتعالىٰ قبل ذلك، وإنما قيد بذلك اليوم لخضوع الكل وفقد المنازع.

قوله: «أنا سيد ولد آدم» السيد هو الذي يفزع إليه الناس في النوائب والشدائد فيقوم بأمرهم، ويتحمل عنهم مكارههم، ويدفعها عنهم، وهكذا كان صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في حياته، فكان يصل الرحم ويحمل الكل ويكسب المعدوم ويقري الضيف، ويعين علىٰ نوائب الحق كما قالت خديجة رضي الله عنها، وكان إذا مات مسلم وعليه دين قضىٰ عنه دينه، وإذا أتاه ملهوف أغاثه، وإذا قحط الناس أتوه مستشفعين مستغيثين، كما قال عمه أبو طالب:

وأبيضَ يُستسقَىٰ الغَمامُ بوَجْهِهِ ... ثِمالُ اليتامَىٰ عِصْمَةٌ للأرامِلِ

وقال آخر:

وَلَيْسَ لَنَا إِلَّا إِلَيْكَ فِرَارُنَا ... وَأَيْنَ فِرَارُ النَّاسِ إِلَّا إِلَىٰ الرُّسْلِ

وأما في الآخرة: فيفزع إليه أهل الموقف ليشفع إلىٰ الله في إراحتهم من كرب ذلك اليوم وطوله وهوله، فيقول: **«أنا لها،أنا لها»** فيذهب إلىٰ العرش فيستأذن فيؤذن له، فإذا رأىٰ الله سجد وحمد الله بمحامد لم يحمده بها أحد، فيدَعه الله ساجدًا حامدًا ما شاء أن يدعه ثم يناديه: **«ارفع رأسك، وقل تسمع وسل تعط، واشفع تشفع»**. فيكون أول من يشفع وأول من تقبل شفاعته، ولهذا قال: **«أول شافِع وأول مُشَفَّع»**، بفتح الفاء المشددة.

وقوله: «وأول مَن ينْشَقّ عنه القبر»، وذلك عند قيام الناس للموقف حين يُنفخ في الصور نفخة ثانية، كما قال تعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ (١) ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [الزمر: ٦٨] وإنما أخبر بأنه سيد ولد آدم ليمتثل قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١] وليبين لأمته ذلك حتى يعتقدوه ويعملوا بمقتضاه، فلا ينادونه أو يذكرونه باسمه المجرد كما يفعل الوهابية الجفاة وأمثالهم من مقلدة المستشرقين أعداء الله.

٢٢- حديث: «أنا أول الناس خروجًا إذا بُعِثوا»

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أنا أول الناس خروجًا إذا بُعِثوا وأنا خَطيبهم إذا وَفَدوا وأنا مُبَشِّرهم إذا أيِسوا، لواء الحمدِ يومئذٍ بيدي، وأنا أكرمُ وَلَدِ آدمَ على ربِّي ولا فَخْرَ**». رواه الترمذيُّ وقال: «حديثٌ حسنٌ غريبٌ».

ورواه أبو نعيم في "الدلائل" ولفظه: «**أنا أوَّلهم خروجًا إذا بُعِثوا وقائدهم إذا وَفَدوا وخَطيبهم إذا أنصَتوا وأنا شافِعُهُم إذا حُبِسوا وأنا مُبَشرهم إذا أُبلِسوا لواء الكرامة ومفاتيح الجنّة ولواء الحمد يومئذٍ بيدي، وأنا أكرم وَلَدِ آدمَ على ربي يطوفُ عليَّ ألف خادم كأنهنَّ بيْضٌ مكنون أو لؤلؤٌ منثور**».

---

(١) اختُلِف في المستثنى من هو؟ فقيل هم الملائكة، وقيل: هم حمله العرش، وقيل: جبريل، وقيل: ميكائيل، وقيل: مَلَك الموت، وقيل: الجنّة والحور العين، وكل هذه أقوال ضعيفة أو باطلة، والصحيح أن المستثنى هم الأنبياء والشهداء، فإنهم أحياء عند ربهم يُرزقون، وإذا نفخ في الصور لا يصعقون، تكريمًا لهم وتبجيلًا لقدرهم.

قوله: «**أنا أول الناس خروجًا إذا بُعِثوا**» أي: أُثيروا من قبورهم، وهذا معنىٰ قوله في الحديث السابق: «**وأول من ينشق عنه القبر**».

قوله: «**وأنا خطيبهم إذا وَفَدوا**» أي: علىٰ ربهم، لأنَّ العادة في وفود القوم علىٰ الملك أن يتكلم أمامه زعيم القوم ورئيسهم.

قوله: «**وأنا مُبشِّرهم**» أي: بقبول شفاعتي عند الله، إذا أيِسُوا من وجود شافع بعد ترددهم علىٰ الأنبياء وقول كل نبي: «نفسي، نفسي»، وقوله: «**لواء الحمد**» أي: رايةُ الحمد يومئذ -يوم القيامة- بيدي، وذلك جرْيًا علىٰ العادة عند العرب أنّ اللواء إنما يكون مع كبير القوم ليعرف مكانه، قال الحافظ السيوطي: «وهذا لواء معنوي، والمراد أنه يشهر بالحمد في ذلك اليوم».اهـ، أي: لأنه يحمد الله بمحامد لم يحمده بها أحد قبله، ولأن أهل الموقف كلهم؛ آدم ومن دونه يحمدون موقفه في الشفاعة العظمىٰ التي اختصه الله بها، ولهذا سمي أيضًا صاحب المقام المحمود.

قوله: «**وأنا أكْرُم ولد آدم على ربي ولا فَخْر**» أي: أكثرهم كرامة عنده، وأوفرهم منزلة لديه، «**ولا فَخْر**» أي: لا أقول هذا فخرًا ولكن تحدثًا بالنعمة وقيامًا بواجب التبليغ وإعلامًا للأمة ليزدادوا حبًّا لي واتباعًا لسُنَّتي.

قوله: في الرواية الثانية «**وأنا خطيبهم إذا أنصتوا**» أي: من هيبه الله وجلال الموقف ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨]﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: ٣٨].

قوله: «**إذا حُبِسوا**» أي: في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، وهم وقوف شاخصة أبصارهم ينتظرون ما يُفعل بهم وما يقال لهم.

قوله: «**إذا أُبْلِسوا**» أي: أصيبوا بالإبلاس وهو الإنكسار والحزن من غم ذلك اليوم، قوله: «**لِواء الكرامة**» هو ما يعطىٰ في ذلك اليوم من المزايا والمكرمات، ومفاتيح الجنّة كناية عن عدم دخول أحد لها قبله.

قوله: «**يَطُوف عليَّ ألْفُ خادِم**» إلخ، هذا بيان لبعض ما يُعطاه في الجنّة، و«**البَيْض**» -بفتح الباء- بيض النعام، ومعنىٰ «**مكنون**»: مستور بريشه لايصل إليها غبار، ولونه أحسن ألوان النساء، و«**اللؤلؤ**»: معروف، ومعنىٰ «**منثور**»: منتشر غير مجموع في نظام، وذلك أنهنّ بطوافهن عليه وقيامهن بخدمته أَشْبَهْن لؤلؤًا متفرقًا غير مجتمع، والله أعلم.

٢٣- حديث: «مَثَلي ومثل الأنبياء»

عن جابرٍ عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَثَلي ومَثَلُ الأنبياء كمثلِ رجل بَنَى دارًا فأتمَّها وأكملها إلا مَوْضِع لَبِنَة فَجَعَل النَّاس يَدْخلونها ويتعجَّبُون منها ويقولون لولا مَوْضِعُ اللَّبِنة**». قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**فأنا مَوْضِعُ اللَّبِنة جئتُ فخَتَمْتُ الأنبياءَ**». رواه مسلم في "صحيحه"، ورواه أيضًا من حديث أبي هريرة وأبي سعيد.

ورواه الترمذي من حديث أُبيّ بن كعب، وزاد في آخره عن النبيّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إذا كان يوم القيامة كنتُ إمامَ النبيِّين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فَخْرٍ**» ثم قال: «حديثٌ حسنٌ».

قوله: «**مَثَلي ومَثَلُ الأنبياء**» المُراد من ضرب المثل تقريب المراد للعقل، وتصويره بصورة المحسوس، فإن الأمثال تُصَور المعاني بصورة الأشخاص،

لأنها أثبت في الذهن لاستعانته فيها بالحواس، ومن ثم كان الغرض من التمثيل تشبيه الخفيّ بالجليّ والغائب بالشاهد.

قال الزمخشري: «التمثيل إنما يصار إليه لكشف المعاني، وإدناء المُتَوَّهَم من المشاهد، فإن كان المُمَثل له عظيم، كان الممثل به مثله، وإذا كان حقيرًا كان الممثل به كذلك».اهـ

وقال الأصفهاني: «لضرْب العرب الأمْثال واستحضارُ العلماء للنظائر، شأنٌ ليس بالخفي في إبراز خفيَّات الدقائق، ورَفْع الأستار عن الحقائق، تُرِيك المتَخيَّل في صورة المتَحقَّق، والمتوَّهم في معرض المتيَقَّن، والغائب كأنَّه مُشاهد».اهـ

فالمراد من ضَرْب المثل في هذا الحديث بيان حاله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مع حال الأنبياء قبله، وذلك أن الأنبياء السابقين بُعِثوا لقومهم خاصة، فكانت شرائعهم محمودة تُناسِب حالهم وزمنهم، فمَثلهم في ذلك مِثْل دار بُنِيت وتمّ بناؤها إلا أنه ينقصها موضع لبنة، حتى جاء النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم خاتِمًا للنبوة، وبُعِث بشريعته تامة عامة لا يَعْتَريها نسخ ولا تبديل، فكان مكانه من تلك الدار موضع اللبنة الناقصة، فبه تم بناؤها وحَسُن مظهرها، واستَوْفَت أوْجُه الكَمال، ولهذا لم يبْقَ الناس بعده في حاجة إلى نبي أو رسول، ويُستفاد من الحديث جواز ضرب المثل في العلم وغيره.

وقوله في الرواية الثانية: «**كنت إمام النبيّين وخَطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فَخِر**» بفتح الفاء وكسر الخاء، أي: غير مُفتَخِر بذلك، على ماسَبَق بيانه.

وللدارمي بإسنادٍ رجاله ثِقات عن جابر: «**أنا قائد المُرسَلين ولا فَخْرَ، وأنا**

خاتِمُ النبيين ولا فَخْرَ، وأنا أوَّلُ شافِعٍ وأوَّلُ مُشفَّعٍ ولا فَخْرَ».

وفي هذه الروايات دليل تفضيله على الأنبياء والملائك؛ لأنَّ هذه الفضائل التي أعطيها لم تُعطَ لنبيٍّ ولا مَلَكٍ، صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وزاده تشريفًا وتعظيمًا وتكريمًا.

٢٤- حديث: «حوضى مسيرة شهر»

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**حَوْضي مَسيرَةُ شَهرٍ وزواياه سواءٌ** -أي: طوله كعرضه- **وماؤه أبيضُ من الوَرِق وريحُه أطْيَب من المِسكِ وكِيزانُه كنجوم السماء فمَن شرب منه فلا يظمأ بعده أبدًا**».

رواه البخاري ومسلم، وأحاديث الحوض كثيرة بالغةٌ مبلغ التواتر.

قوله: «**حوضي مَسيرة شَهْرٍ**» أي: مسيرته شهر طولًا عرضًا وهذا كناية عن عَظَمه وسَعته.

قوله: «**ماؤه أبيض من الورِق**» بكسر الراء، أي: الفضة، وفي رواية: اللبن.

قوله: «**كيزانه كنجوم السماء**»، وفي رواية أخرى: «**والذي نفس محمد بيده لآنيَته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها**».

قوله: «**فمن شرب منه لا يظْمَأ بعده أبدا**» أي: ظمأ ألم، ولكن يظمأ ظَمأ اشتهاء والتذاذ، والظمأ: العطش.

قال القاضي عياض: «ظاهر هذا الحديث أن الشرب من الحوض يكون بعد الحساب والنجاة من النَّار، فهذا هو الذي لا يظمأ بعده وقيل: لا يشرب منه إلا من قُدّر له السلامة من النَّار، ويحتمل أن من شرب منه من هذه الأمة

وقُدّر عليه دخول النَّار لا يُعَذّب فيها بالظمأ، بل يكون عذابه بغير ذلك».اهـ

(تنبيه): أحاديث الحوض متواترة والإيمان به واجب كما نَصّ عليه القاضي عياض والنووي وغيرهما، وجمع الحافظ البيهقي في كتاب "البعث والنشور" طُرق حديث الحوض فأفاد، وأوصل الحافظ السيوطي عدد من رواه من الصحابة إلى خمسة وخمسين صحابيًّا، ذكر أسمائهم واحدًا واحدًا، مع عَزْو أحاديثهم وتخريجها في كتاب "الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة" وأنكره المعتزِلة، كما أنكروا الشفاعة والميزان[1] لجهلهم بالسنة النبوية، والله أعلم.

٢٥- حديث: إسلام قرينه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم

عن عبدالله بن مسعودٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مامنكم مِن أحدٍ إلَّا وقد وُكِلَ به قَرينُه من الجنِّ وقَرينُه من الملائكة**» قالوا: وإيَّاك يارسول الله؟ قال: «**وإياي، إلَّا أنَّ الله أعانني عليه فأسْلَمَ فلا يأمرني إلَّا بخيرٍ**». رواه مسلمٌ في "صحيحه".

قوله: «**فأسلم**» قال النوويُّ: «برفع الميم وفتحها، روايتان مشهورتان، فمن رفع قال معناه: فأسلمُ أنا من شرِّه وفتنته، ومن فتح قال: إن القرين أسلمَ

---

(١) وقلَّدهم مبتدعٌ أزهري، فأنكر الميزان في محاضرة له، كما قال في كلمة له نشرت بـ"مجلة الرسالة": «إن الشيطان قوة الشر الكامنة في النفس». وله غير هذا طامات ومصائب، أراد بها الشهرة والظهور على حساب العلم والدين، وكم له في الأزهريين من نظير.

من الإسلام، وصار لا يأمرني إلا بخير، واختلفوا في الأرجح منهما، فقال الخطابي: «الصحيح المختار الرفع»، ورجّح القاضي عياض الفتح، وهو المختار لقوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**فلا يأمرني إلا بخير**».

واختلفوا في رواية الفتح، قيل أسلم بمعنىٰ: استسلم وانقاد، وقد جاء هكذا في غير "صحيح مسلم": «**فاستسلم**»، وقيل معناه: صار مسلمًا مؤمنًا، وهذا هو الظاهر، قال القاضي: واعلم أن الأمة مجتمعة علىٰ عصمة النبيّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من الشيطان في جسمه وخاطره ولسانه».اهـ

قلت: الصحيح الراجح ما رجَّحَه عياض والنووي: أنه أسلم من الإسلام[1] لما رواه البزَّار عن أبي هريرة مرفوعًا: «**فُضِّلتُ على الأنبياء**

---

(١) روىٰ الطحاوي في "مشكل الآثار" حديث ابن مسعودٍ كما في "صحيح مسلم"، وروىٰ من طريق مجاهد، عن الشعبي، عن جابر قال: قال لنا النبيّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لا تدخلوا على المغَيَّبات** -جمع مُغَيَّبة وهي المرأة التي غاب عنها زوجها بسفر أو بغيره- **فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم**». قالوا: ومنك يارسول الله؟ قال: «**ومني ولكن الله أعانني عليه فأسلم**».

وروي أيضًا عن عائشة قالت: فقدت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ليلة، وكان معي علىٰ فراشي، فوجدته ساجدًا... وذَكَرَت الحديث، قالت: فلما انصرف قال «**ياعائشة أخدعك شيطانك؟**» فقالت: أمالك شيطان؟ قال: «**ما من آدمي إلا وله شيطان**» فقلت: وأنت يارسول الله؟ قال: «**وأنا، ولكني دعوت الله فأعانني عليه فأسلم**».

قال الطحاوي: «فوقفنا بهذا علىٰ أن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان في هذا

بخَصْلَتين: كان شيطاني كافرًا فأعانَني الله عليه حتى أَسْلَمَ». ونسيت الأخرىٰ.

وللبيهقي في "الدلائل" بإسناد ضعيف، عن ابن عمر مرفوعًا: «**فُضِّلْتُ على آدم بخَصْلَتَين كان شيطاني كافرًا فأعانني الله حتى أسلم، وكنَّ أزواجي عونًا لي، وكان شيطان آدم كافرًا وزوجه عونًا على خطيئته**».

وعلىٰ هذا دَرَج أصحاب الخصائص فعدُّوا من خصائصه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إسلام قرينه.

وفي الحديث الإخبار بوجود القرين مع كل واحد لنحترز من وسوسته وفتنته، والله المستعان علىٰ ذلك وبالله التوفيق.

المعنىٰ كسائر الناس، وأن الله أعانه بإسلامه فصار في السلامة منه بخلاف غيره من الناس».

ثم قال الطحاوي: «فإن قال قائل: قد رُوي في هذا الباب شيء يجب الوقوف عليه لرفع التضاد عما خُصَّ به من إسلام شيطانه -ثم أسند من حديث صَفْوان الأنصاري: أن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان إذا أخذ مضجعه من الليل قال: «**بسم الله وضعت جنبي اللهم أغفر ذنبي واخسأ شيطاني وفك رهاني وأثقل ميزاني واجعلني في الندى الأعلى**»- قيل له: هذا عندنا -والله أعلم- كان من رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قبل إسلام شيطانه، فلما أسلم استحال أن يدعو صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فيه بذلك مع إسلامه الذي هو عليه».اهـ،وهو جمع جيد، والله أعلم.

٢٦- حديث: حياتى خير لكم

عن ابن مسعودٍ أيضًا، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**حَياتي خيرٌ لكم تُحْدِثون ويُحْدَث لكم، ووفاتي خيرٌ لكم تُعرَضُ علي أعمالُكم فما رأيتُ من خيرٍ حَمَدتُ الله وما رأيتُ من شرٍّ استغفرتُ اللهَ لكم**»(١).

قوله: «**حياتي خيرٌ لكم**» أي: فيها خيرًا لكم، «**تُحْدِثون**» -بضم التاء وسكون الحاء وكسر الدال- أي: أمور وأشياء مما لم يكن فيها حكم، «**ويُحْدَث لكم**» -بضم الياء وفتح الدال المخففة- أي: يُحدث الله لكم من الأحكام بقدر ما حدث منكم مما يقتضي ذلك.

قوله: «**ووفاتي خير لكم**» أي: فيها خير لكم، ثم بيّن ذلك الخير بقوله: «**تُعرَضُ عليَّ أعمالكم**» وهذا لفظ عام يشمل عرض الأعمال من جميع الأمة إلا

---

(١) رواه البزَّار بإسناد جوده الحافظ العراقي، وصحَّحه الحافظ الهيثميُّ والجلال السيوطيُّ والشهاب القسطلانيُّ، ورواه إسماعيل بن إسحاق القاضى في كتاب "الصلاة على النبيِّ" صلى الله عليه من حديث بكر بن عبد الله المزني مرسلًا بإسنادين صحح أحدهما الحافظ ابن عبد الهادي المقدسي، وله مع هذا طرق كثيرة، وعرض الأعمال عام لجميع المسلمين إلا طائفة من العصاة والمبتدعين سبق القضاء بنفوذ الوعيد فيهم لا تعرض أعمالهم عليه، فإذا دعاهم يوم القيامة إلى حوضه، قيل له: لا تدري ما أحدثوا من بعدك، فيقول: «**سحقًا لمن بدل بعدي، سحقًا لمن بدل بعدي**» كما جاء في الصحيحين من طرق، وبهذا يتفق الحديثان، ولا يبقى بينهما تعارض البتة، أما ترجيح أحدهما على الأخر مع إمكان الجمع فغير جائز لأنه إلغاء لأحد الدليلين لغير مقتضى، وهو حرام كما نصَّ عليه العلماء.

من كان مرتدًّا أو كافرًا، عياذًا بالله تعالىٰ، وهذا يستلزم حياته في قبره، لأنَّ العرض يقتضي ذلك عقلًا، «**فما رأيت من خير حمدت الله عليه وسررت به، وما رأيتُ مِن شرٍّ استغفرتُ اللهَ لكم**»، أي: طلبت المغفرة لكم من الله، وفيها تحريض علىٰ ترك المعاصي بطريق لطيف، لأنَّ من علم أن عمله يُعرض علىٰ نبيه، اجتهد أن يسره وألا يُحوجَه إلىٰ الاسغفار من عمله، وقد ذكرت هذا الحديث بإسناده، وأوردت بعض الطرق المؤيدة له في كتاب "الرد المحكم المتين" فليراجع[1].

٢٧- حديث: إلا سببي ونسبي

عن جابر أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول للناس حين تزوج ابنة علي -رَضيَ اللهُ عنهُ-: ألا تُهَنُّوني؟!، سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**ينقطعُ يومَ القيامة كلُّ سَبَبٍ ونَسَب إلَّا سَبَبِي ونسبِي**».

رواه الطبرانيّ والدراقطني، وقال الحافظ الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، غير الحسن بن سهل وهو ثقة، قلت: وصححه أيضًا التاج السبكي في أول "طبقات الشافعية الكبرىٰ"، وللحديث مع هذا طرق عن عمر وابن عبَّاسٍ والمسور بن مخرمة وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر وغيرهم، وقد أوردت هذه الطرق في كتابي "الرد المحكم المتين" وجمعت بينهما وبين حديث الصحيحين «**يافاطمةُ اعملي فإنِّي لا أُغنِي عنكِ من الله شيئًا**».

---

(١) ثم أفردته بجزء سميته "نهاية الأمال في صحة وشرح حديث عرض الأعمال" وهو مطبوع، ولما اطّلَع عليه شقيقنا الحافظ أبو الفيض -رحمه الله- كتب إلي يقول: «قلمك فيه مثل قلم الحافظ الذهبي».

قوله: «ينقطع يوم القيامة كل سبب ونسب» وذلك لقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، قوله: «إلا نسبي وسببي» أي: فإنه موصول غير مفصول، وهذا من خصائصه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كما ذكره الحافظ السيوطي في "الخصائص الكبرى" ولهذا حرص عمر بن خطاب -رَضيَ اللهُ عنهُ- على زواج ابنة علي -رَضيَ اللهُ عنهُ- واسمها أم كلثوم، ليكون له من رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم سبب صهارة ينال بها القرب منه يوم القيامة، وفي هذا دليل على فضل أهل البيت وأن نسبهم موصول في الدنيا والآخرة، وأن في الانتساب إليهم ومصاهرتهم شرفًا وفضلًا.

وليس بين هذا الحديث وحديث فاطمة[1] «اعملي...» إلخ. تعارض أصلًا

---

(١) لفظ الحديث: «يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت أنقذي نفسك من النَّار فإني لا أغني عنك من الله شيئًا». وهذا طرف من حديث طويل، ثبت في الصحيحين وغيرهما، وحاصل الجمع بينه وبين حديث الترجمة من وجوه ثلاثة:

الأول: أن هذا الحديث أخبر بالحقيقة، فإنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لا يغني عن أحد من الله شيئًا ولا يملك لأهله ولا لغيرهم نفعًا ولا ضرًّا، وهذا لا ينافي أن الله يُمَلِّكه نفع أقاربه وجميع أمته بالشفاعة الخاصة والعامة، وقد فعل فأعطاه عدة شفاعات، كما ثبت في الأحاديث الكثيرة في الصحيحين وغيرهما، فهو لا يملك إلا ما يُمَلِّكه له مولاه عزَّ وجلَّ، وقد ملكه الله الشفاعة وغيرها من المكرمات، ذكر هذا المعنى الحافظ المحب الطبري في "ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى".

الثاني: أن هذا الحديث كان قبل أن يعلمه الله أنه ينفع يوم القيامة رحمه وأقاربه

كما بينتُه في "الرد المحكم المتين" من ثلاث أوجه، وبينت فساد ما يزعمه

بالانتساب إليه دون غيره، ذكره السيد السمهودي في "جواهر العقدين"، ويؤيده أن الحديث ورد عند نزول قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] وكان ذلك بمكة في أوائل بعث النبيّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

الثالث: أن يكون المقصود من الحديث تحذيرهم من الشرك، وأنه لا يملك لهم من الله شيئًا إن أشركوا، أو استمر من كان منهم مشركًا علىٰ إشراكه، لأنَّ المشرك لا حظَّ له في الشفاعة، ويؤيد هذا أمور:

أحدها: أن أغلب أقاربه كانوا إذ ذاك مشركين، كما يعلم سبب ورود الحديث.

ثانيها: أنه وجَّه الخطاب إلىٰ جميع أقاربه مؤمنيهم ومشركيهم، فوجب أن يكون علىٰ وتيرة واحدة وهي التحذير من الشرك كما هو واضح.

ثالثها: ما ثبت في الصحيح في قصة وفاة أبي طالب: أن النبيّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال له: «**أي عم قل: لا إله إلا الله كلمة أُحاجُّ لك بها عند الله**». فأفاد هذا الحديث أنه يملك نفعه ويحاجّ عنه إذا هو مات علىٰ التوحيد.

وقد روىٰ أحمد والحاكم والبَيْهَقيّ من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل، عن حمزة بن أبي سعيد الخدري عن أبيه قال: سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول علىٰ المنبر: «**ما بالُ رجالٍ يقولون: إنَّ رحِمَ رسولِ الله لا تنفعُ يوم القيامة؟! بلى والله إن رحمي موصولةٌ في الدنيا والآخرة، وإني أيها الناس فَرَطٌ لكم على الحوض**». فهذا الحديث وَرَد بالمدينة، وقد أنكر فيه النبيّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ من زعم أنه لا ينفع رحمه ولا يملك الشفاعة لهم وقرر أن رحمهم موصولة في الدنيا والآخرة، وأنه بجانب هذا ينفع أمته أيضًا، حيث يكون فرطًا لهم علىٰ الحوض وهذا يؤيد ما قررناه، والحمد لله.

الوهابية الجهلة أعداء أهل البيت النبوي الشريف، فليراجعه من أراد، والله ولي التوفيق والسداد.

٢٨- حديث: إنزال الملائكة تقاتل معه

عن سعد بن أبي وقَّاصٍ رضي الله عنه قال: رأيتُ عن يمين رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وعن يساره يوم أُحُدٍ رجلين عليهما ثيابٌ بيضٌ يُقاتلان عنه كأشد القِتال ما رأيتهما قبل ولا بعد. يعني: جبريل وميكائيل عليهما السلام. رواه البخاريُّ ومسلمٌ.

قوله: «عليهما ثياب بيض» -بكسر الباء- وفي رواية أخرى: ثياب بياض، قال النووي: «في هذا الحديث بيان كرامة النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على الله تعالى، وإكرامه إياه بإنزال الملائكة تقاتل معه، وبيان أن الملائكة تقاتل[1] وأن قتالهم لم يختص بيوم بدر، وهذا هو الصواب خلافًا لمن زعم اختصاصه، فهذا صريحٌ في الردِّ عليه، وفيه فضيلة الثياب البيض، وأن رؤية الملائكة لا تختص بالأنبياء بل يراهم الصحابة والأولياء، وفيه منقبة لسعد ابن أبي وقاص الذي رأي الملائكة».اهـ

ولقد رأى جماعة من الصحابة جبريل عليه السَّلام في صورة دحية منهم: ابن عبَّاسٍ وعائشة وأم سلمة، وكانت الملائكة تسلم على عمران بن حصين حتى اكتوى، ثم لما زال الكي عادت إلى السَّلام عليه كما بينتُه في كتاب "الحجج البينات في إثبات الكرمات" وبالله التوفيق.

---

(١) وأنهم متعبَّدون بشريعة النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وهذا أحد الأدلة على أنه أرسل إلى الملائكة.

٢٩- حديث: آتى باب الجنّة يوم القيامة

عن أنسٍ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**آتي بابَ الجنَّةِ يومُ القِيامَةِ فأسْتَفْتِحُ فيقولُ الخازنُ: مَن أنتَ؟ فأقول: محمدٌ، فيقول: بِكَ أُمِرتُ ألَّا أفتحَ لأحدٍ قَبلكَ**». رواه مسلمٌ في "صحيحه".

قوله: «فيقول بك» أي: بسببك، ولأجلك أمرت، أي: أمرني الله ألا أفتح باب الجنّة لأحد قبلك، لا من الأنبياء ولا من غيرهم، فهو أول من يقرع باب الجنّة، وأول من يدخلها، وهذا من خصائصه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كما ذكره العلماء. وهذا الحديث رواه مسلم في كتاب الإيمان في "صحيحه"، ورواه الإمام أحمد أيضًا، وهو أول حديث في "الجامع الصغير"، و"الجامع الكبير" للحافظ السيوطي، والله أعلم.

٣٠- حديث: كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أجود الناس بالخير

عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في شهر رمضان، إن جبريل عليه السَّلام، كان يلقاه في كل سنة في رمضان حتى ينسلخ، فيعرض عليه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم القرآن فإذا لقيه جبريل كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أجود بالخير من الريح المرسله. رواه البخاريُّ ومسلمٌ.

وفي الصحيحين أيضًا عن جابر بن عبدالله قال: ما سُئل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم شيئًا قطُّ فقال: لا.

قوله: «أجود ما يكون في شهر رمضان» رُوي برفع أجود ونصبه، قال النووي: «والرفع أصح وأشهر»، وفي هذا الحديث -كما قال النووي- فوائد، منها: «بيان عظم جوده صلَّى الله عليه وآله وسلَّم واستحباب إكثار الجود في شهر رمضان، وزيادة الجود والخير عند ملاقاة الصالحين وعقب فراقهم للتأثر بلقائهم، ومنها: استحباب مدراسة القرآن».اهـ

وفي "زاد المعاد" لابن القيم ما نصُّه: «كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أعظم الناس صدقه بما ملكت يده، وكان لا يستكثر شيئًا أعطاه الله تعالى ولا يستقله، ولا يسأله أحد شيئًا عنده إلا أعطاه، قليلًا كان أو كثيرًا، وكان عطائه عطاء من لا يخشى الفقر، وكان العطاء والصدقة أحب شيء إليه، وكان سروره وفرحه بما يعطيه أعظم من سرور الأخذ بما يأخذه، وكان أجود الناس بالخير، يمينه كالريح المرسلة.

وكان إذا عَرَضَ له مُحتاجٌ آثَرهُ على نفْسه، تارة بطعامه وتارة بلباسه، وكان يتنوَّع في أصناف عطائه وصدقته، فتارة بالهبة، وتارة بالصدقة، وتارة بالهدية، وتارة بشراء الشيء، ثم يعطي البائع الثمن والسلعه جميعًا، كما فعل بجابر، وتارة كان يقترض الشيء فيرد أفضل منه، أكثر وأكثر، ويشتري الشيء فيعطي أكثر من ثمنه، ويقبل الهدية ويكافيء عليها بأكثر منها أو بأضعافها تلطفًا وتنوعًا في ضروب الصدقة والإحسان بكل ممكن.

وكانت صدقاته وإحسانه بما يملكه وبحاله وبقوله، فيخرج ما عنده ويأمر بالصدقه ويحض عليها ويدعو إليها بحاله وقوله، فإذا رآه البخيل الشحيح دعاه حاله إلى البذل والعطاء، وكان من خالطه وصحبه ورأى هديه لا يملك

نفسه من السماحة والندى.

وكان هديه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يدعو إلى الإحسان والصدقة والمعروف، ولذلك كان صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أشرح الخلق صدرًا وأطيبهم نفسًا وأنعمهم قلبًا، فإن للصدقة وفعل المعروف تأثيرًا عجيبًا في شرح الصدور، وأضيف ذلك إلى ما خصه الله به من شرح صدره للنبوة، والرسالة وخصائصها وتوابعها، وشرح صدره حسًّا وإخراج حظ الشيطان منه».اهـ وهو نفيس جدًّا.

قوله: «ما سُئل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم شيئًا قط، فقال: لا» معناه كما قال العلماء: أنه إذا كان عنده شيء أعطاه للسائل، وإن لم يكن عنده سكت أو وعد بالعطاء، ولا يقول: لا، لما في هذه الكلمة من قطع طمع السائل وكسر خاطره، وما كان من خُلقه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قطع رجاء من أمَّله، أو رده خائبًا:

حَاشاه أن يَحرِمَ الرَّاجِي مكارمَه ... أو يرجعَ الجارُ منه غيرَ مُحترَمِ

وإذا كان الفرزدق يقول في علي زين العابدين عليه السَّلام:

ما قال لا قطُّ إلا في تشهُّدِه ... لولا التَّشهُّدُ كانتْ لاؤهُ نعم

فما ظنك بالنبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم؟!

فإن قيل: هذا ينافي قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ [التوبة: ٩٢]حيث أثبتت الآية الكريمة ضد ما أفاده هذا الحديث.

فالجواب: أنه لا منافاة بينهما لأنَّ الآية لم تُثبت له قول«لا» المجردة الدالة على عدم الإعطاء، وإنما أثبتت قول:«لا» المقرونة بالفعل المضارع الدال على الحال، أي: لا أجد الآن ما أحملكم عليه، وأرجو في المستقبل، فهو في معنى العِدَة كما لا يخفى،والله أعلم.

٣١- حديث: أكثروا من الصلاة عليَّ

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أكثِروا من الصَّلاةِ عليَّ يوم الجمعةِ؛ فإنَّه يومٌ مشهودٌ تشهدُه الملائكةُ وإنَّ أحدًا لن يصلِّيَ عليَّ إلَّا عُرِضتْ عليَّ صلاتُه حتى يفرغَ منها**». قال: قلت وبعد الموت؟ قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ الله حرَّم على الأرضِ أن تأكلَ أجسادَ الأنبياء**».

رواه ابن ماجه والطبرانيُّ بإسناد جيد، ورواه ابن المقري من طريق آخر، وزاد في آخره من كلام النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**فنبيُّ الله حيٌّ يرزَقُ**».

ولأحمد وأبي داود وابن ماجه من حديث أوس بن أوس قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مِنْ أفضلِ أيامِكم يومُ الجمعةِ فيه خُلق آدم وفيه قُبض وفيه النفْخَة وفيه الصعْقَة فأكثِروا عليَّ مِن الصَّلاةِ فيه فإنَّ صلاتَكم معروضةٌ عليَّ**» قالوا: يارسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقدأرَمْتَ؟ - يعني: بَليت- فقال: «**إنَّ الله عزَّ وجلَّ حرَّم على الأرض أنْ تأكلَ أجسادَ الأنبياءِ**». صحَّحه ابن حِبَّان والحاكم.

قوله: «**أكثروا مِن الصَّلاةِ عليَّ يومَ الجمعة فإنَّه يومٌ مشهودٌ تشهده**

الملائكةُ» أي: يأتون أبواب المساجد ويكتبون الأول فالأول حتىٰ إذا خرج الإمام طووا الصحف وقعدوا يستمعون الذكر(١).

قوله: «**وإن أحدًا لن يصلي علي إلا عُرِضت علي صلاته**» -من أول ما ينطق بها حتىٰ يفرغ منها- بأن تبلغه الملائكة إليه فيدعو للمصلّين عليه ويستغفر لهم، كما جاء في حديث عمر عند ابن بَشْكُوال، والحِكْمة في تخصيص كثرة الصلاة عليه بيوم الجمعة أنه أفضل الأيام كما صحَّ في الحديث، وهو أفضل المخلوقات، فكانت بينهم مناسبة ظاهرة.

قوله: «**إن الله حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**» كناية عن عدم لحوق البلىٰ لأجسادهم الشريفة، مهما تطاول عليهم الزمان.

قوله: «**فنبي الله حي يرزق**» هذا مأخوذ من القرآن الكريم، فإن الله تعالىٰ قال: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم ﴾ [آل عمران: ١٦٩ - ١٧٠]، والأنبياء أولىٰ بهذا من الشهداء إجماعًا.

وفي الصحيح: «أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مرَّ ليلة الإسراء علىٰ موسىٰ وهو قائمٌ يُصَلِّي في قبره». أخرجه مسلمٌ عن أنسٍ.

ولأبي يعلىٰ بإسنادٍ صحيحٍ عن أنسٍ مرفوعًا: «**الأنبياءُ أحياءٌ في قبورهم يُصلُّون**».

---

(١) أي: الخطبة، وهو يفسر ذكر الله في آية الجمعة، فالسعي إلىٰ خطبة الجمعة واجب، ولا عبرة بمن قال خلاف ذلك، والحديث يفيد أن الملائكة متعبدون بحضور خطبة الجمعة.

وفي الباب أحاديث ذكر الحافظ البيهقي جملة منها في جزء "حياة الأنبياء"، وهو مطبوع، بل بَلَغَت في الكثرة إلى حد التواتر كما نص عليه الحافظ السيوطي في "مرقاة الصعود حاشية سنن أبي داود"، وفي "إنباء الأذكياء بحياة الأنبياء"، وأدرجها شيخ بعض شيوخنا العلامة المحدث أبو عبد الله السيد محمد بن جعفر الكتاني في كتابه "نظم المتناثر من الحديث المتواتر".

وذكر القرطبي، ووافقه ابن القيم: أن حياة الأنبياء في قبورهم مقطوعٌ بها، وذلك لتواتر أحاديثها كما بيَّنا، ولانعقاد الإجماع عليها حكاه ابن حزمٍ في "المحلى"، والحافظ السخاوي في "القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع"، وانظر كتابي "الرد المحكم المتين" فقد حررت فيه هذا البحث تحريرًا وافيًا.

قوله في حديث أوس: «**فيها خلق آدم...**» إلخ، وفي "صحيح مسلم" عن أبي هريرة مرفوعًا: «**خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعةِ فيه خلق آدم وفيه دخل الجنّة وفيه أخرج منها**».

ولأحمد وابن ماجه بإسناد حسن عن أبي لبابة بن عبد المنذر مرفوعًا: «**إن يوم الجمعة سيِّدُ الأيامِ وأعظمُها عند الله وهو أعظمُ عند الله من يومِ الأضحى ويومِ الفِطْر وفيه خمس خِلال: خلق الله فيه آدمَ، وأهبطَ الله فيه آدمَ إلى الأرض، وفيه توفَّى الله آدمَ، وفيه ساعة لا يَسْأل اللهَ فيها العبدُ شيئًا إلا أعطاه إياه ما لم يَسْأَلْ حرامًا، وفيه تقوم الساعةُ، ما من مَلَكٍ مقرَّبٍ ولا سماءٍ ولا أرضٍ ولا رياحٍ ولا جبالٍ ولا بحرٍ، إلا وهنَّ يُشْفِقْنَ مِن يومِ الجُمُعَةِ**».

ولابن خزيمة وابن حِبَّان عن أبي هريرة مرفوعًا: «**لا تطلع الشمس ولا تغرب على أفضل من يوم الجمعة وما من دابة إلا وهي تفزع يوم الجمعة إلا هذين الثقلين الجن والإنس**».

قوله: «أَرَمْتَ» -بفتح الهمزة والراء- أي: صرت رميمًا، وإنما قالوا ذلك لعدم علمهم بما خص الله الأنبياء بعد وفاتهم، فأخبرهم صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أن الأنبياء لا يَبْلون، فهو صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حي في قبره الشريف تُعرض عليه أعمال أمته ومنها صلاتهم عليه، وإذا سلَّم عليه أحد رد عليه السَّلام كما ثبت في أحاديث أخرىٰ.

وروىٰ البيهقيُّ في جزء "حياة الأنبياء" عن سليمان بن سحيم قال: رأيت النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في النوم فقلت: يارسول الله هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك أتفقه سلامهم؟ قال: «**نعم، وأرد عليهم**».

وروىٰ أبو نعيم عن سعيد عن سعيد بن المسيب قال: لقد رأيتني ليالي الحرة، وما في مسجد رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم غيري، وما يأتي وقت صلاة إلا سمعت الأذان من القبر، وللزبير بن بكار في "أخبار المدينة" عن سعيد نحوه.

قوله: صحَّحه ابن حِبَّان والحاكم. **قلت**: قال الحاكم بعد أن روىٰ هذا الحديث: «صحيح علىٰ شرط البخاري»، وسلَّمه الحافظ الذهبيُّ، والله أعلم.

تنبيهات

(التنبيه الأول): قال القاضي عياض: «اعلم أنَّ الصَّلاة على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فرضٌ على الجملة غير مُحدَّدٍ بوقت؛ لأمر الله تعالى بالصلاة عليه، وحمله الأئمَّة والعلماء على الوجوب[1] وأجمعوا عليه».اهـ

والواجب منها تكفي فيه مرة واحدة، وما زاد عليها فهو مندوب مرغب فيه لأنه من شعار الإسلام، وأما الصلاة عليه في التشهد الأخير من الصلاة فذهب الشافعي إلى وجوبها وقال: «تبطل الصلاة بتركها»، ووافقه محمد بن المَوَّاز من أئمة المالكية، وذهب جمهور العلماء إلى أنها سُنَّة لا تَبْطُل الصلاة بتركها.

(التنبيه الثاني): تُسَنُّ الصلاة في سائر الأزمان والأمكنة، لكن تتأكَّد في حالات خاصة وردت بها السُّنَّة مثل يوم الجمعة كما ذُكر في حديث الترجمة.

قال الحافظ ابن حجرٍ: «تتأكَّد الصلاة على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في مواضع ورد فيها أخبار خاصة أكثرها بأسانيد جياد عقب:

(١) إجابة المؤذن، (٢) وأول الدعاء، (٣) وأوسطه، (٤) وآخره، وأوله آكد، (٥) وآخر القنوت، (٦) وفي أثناء تكبيرات العيد، (٧) وعند دخول

---

(١) قال بعض العارفين:

اللهُ عَظَّمَ قَدْرَ جاه محمَّدٍ ... وأناله فَضْلًا لَدَيْهِ عَظِيما
في مُحْكَمِ التَنْزِيل قال لخلْقِه ... صَلُّوا عليه وسَلِّموا تَسْلِيما

(١) هذا أصلٌ لما اعتاد أهل المغرب من إطلاق لفظ الأولى على الظهر

المسجد، (٨) والخروج منه، (٩) وعند الاجتماع، (١٠) والتفرق، (١١) وعند السفر، (١٢) والقدوم، (١٣) والقيام لصلاة الليل، (١٤) وختم القرآن، (١٥) وعند الكرب والهم، (١٦) وقراءة الحديث، (١٧) وتبليغ العلم، (١٨) والذكر، (١٩) ونسيان الشيء.

وورد أيضًا في أحاديث ضعيفة:

(٢٠) عند استلام الحجر، (٢١) وطنين الأذن، (٢٢) والتلبية، (٢٣) وعقب الوضوء، (٢٤) وعند الذبح، (٢٥) والعطاس، وورد المنع منها عندهما أيضًا».اهـ

ومن المواضع التي تتأكَّد فيها أيضًا:

(٢٦) التشهد الأول في الصلاة، (٢٧) وبعد التكبيرة الثانية في صلاة الجنازة، (٢٨) وفي خطب الجمعه والعيدين، (٢٩) وعند ذكره، (٣٠) وعند الخروج إلى السوق أو إلى دعوة، (٣١) وعند رؤية المساجد والمرور عليها، (٣٢) وعند كتابة اسمه الشريف، (٣٣) وفي أول النهار وآخره، (٣٤) وعقب الذنب، (٣٥) وإذا أريد تكفيره، (٣٦) وعند حصول الفقر أو خوف حصوله، (٣٧) وعند خطبة النكاح، (٣٨) وعند دخول المنزل، (٣٩) وعند عروض الحاجة وأريد قضاؤها، (٤٠) وعند النوم، (٤١) وإذا أراد الشخص الصدقة ولم يكن عنده مال، (٤٢) وفي الصلاة إذا مر ذكره حال القراءة في غير التشهد، (٤٣) وعند كل كلام خير ذي بال.

وقد ذكر الحافظ ابن القيم في "جلاء الأفهام" والحافظ السخاوي في "القول البديع" هذه المواضع مع إيراد ما ورد فيها من الآثار، وكلا الكتابين

مطبوعان.

الثالث: قال أبو العالية: «معنى صلاة الله تعالى على نبيه ثناؤه وتعظيمه»، ونقل القاضي عياض عن بكر القشيري قال: «الصلاة على النبيّ من الله تشريفٌ وزيادة تَكْرِمة، وعلى من دون النبيّ رحمة».

وقال الحليمي في "شعب الإيمان " -وهو كتاب نفيس ينقل عنه البيهقي كثيرًا في كتاب "الأسماء والصفات"-: «أما الصلاة في اللسان فهي التعظيم»، وذكر كلامًا في هذا المعنى إلى أن قال: «فإذا قلنا اللهم صلِّ على محمد، فإنما نريد اللهم عظِّم محمدًا في الدنيا بإعلاء ذكره وإظهار دينه وإبقاء شريعته، وفي الآخرة بتشفيعه في أمته وإجزال أجره ومثوبته وإبداء فضله للأولين والآخرين بالمقام المحمود، وتقديمه على كافة المقربين الشهود».اهـ

قال الحافظ: «ولا يعكِّر عليه عطف آله وأزواجه وذريته عليه، فإنه لا يمتنع أن يدعى لهم بالتعظيم، إذ تعظيم كل أحد بحسب ما يليق به».اهـ

وأما تفسير الصلاة عليه بالرحمة أو المغفرة فقد أبطله ابن القيم، وخطَّأ قائله من عدة وجوه قوية ذكرها في "جلاء الأفهام".

قال القاضي عياض: «وفي معنى السَّلام عليه ثلاثة وجوه:

الأول: السلامة لك ومعك ويكون السَّلام مصدرًا كاللذاذ واللذاذة.

الثاني: السَّلام على حفظك ورعايتك مثول له وكفيل به، ويكون السَّلام هنا اسم الله تعالى.

الثالث: أن السَّلام بمعنى المسالمة له والانقياد كما قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ

لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥]».اهـ

الرابع: قال الشيخ مصطفى التركماني في شرح مقدمة أبي الليث ما نصه: «فإن قيل: ما الحكمة في أن الله تعالى أمرنا أن نصلي عليه، ونحن نقول: اللهم صلِّ على محمد، فنسأل الله تعالى أن يصلي عليه ولا نصلي عليه نحن بأنفسنا، يعني أن يقول العبد: أصلي على محمد؟ قلنا: لأنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم طاهرٌ لا عيب فيه، ونحن فينا المعايب والنقائص، فكيف يثني من فيه معايب على طاهر؟! فنسأل الله تعالى أن يصلي عليه لتكون الصلاة من ربٍ طاهر على نبيٍ طاهر، كذا في المرغيناني».اهـ

ومن حكمة ذلك أيضًا كما ذكره أبو اليمن ابن عساكر وغيره: «أننا لا نبْلُغ قدر الواجب من ذلك ولا نعرف ما يليق به، فوكَلْنَاها إلى الله تعالى لأنه يعلم ما يليق بنبيِّه، فهو كقوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لا أُحصي ثناء عليك**».

ومباحث الصلاة عليه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من حيث فضلها ومواضعها وفوائدها وغير ذلك واسعة منتشرة، أُفرِدت بتآليف عديدة، ومن أحسنها وأجمعها "جلاء الأفهام في الصَّلاة والسَّلام على خير الأنام" لابن القيم، وأجمع منه كتاب القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع" للحافظ السخاوي، وهو كتاب نفيس لا يستغنى عنه، وقد جمع النبهاني مقاصد هذين الكتابين وغيرهما في كتاب "سعادة الدارين" فجاء كتابًا حافلًا، رحم الله مؤلِّفَه، وجزاه عن صنيعه خير الجزاء، وبالله التوفيق.

٣٢- حديث: «ما ضرب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم شيئًا قطُّ بيده»

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما ضَرَبَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم شيئًا قطُّ بيده، ولا امرأة ولا خادمًا إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن يُنْتَهك شيءٌ من محارم الله فينتقم لله عزَّ وجلَّ». رواه مسلمٌ في "صحيحه".

قوله: «ما ضرب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم شيئًا قط بيده ولا امرأة ولا خادمًا» فيه دليل على حسن خلقه وكرم طبعه وكثرة حلمه.

وفي الصحيح عن أنس: «كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أحسن الناس خُلُقًا».

وقال أنس أيضًا: «خدمت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم تسع سنين فما أعلمه قال لي: لِمَ فعلت كذا وكذا، ولا عاب علي شيء قط».

والخبر عن حلمه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وصبره وعفوه عند المقدرة أكثر من أن يحصر، ويكفي دليلا على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

قوله: «إلا أن يجاهد في سبيل الله» فيكون الضرب حينئذ في طاعة الله ومرضاته.

قوله: «إلا أن يُنْتَهَك شيء من محارم الله» وهذا استثناء منقطع، والمعنى: لكن إذا انْتُهِك شيء من محارم الله انتصر لله تعالى، وانتقم ممن ارتكب ذلك فيكون منتقمًا لله لا لنفسه.

وفي الحديث استحباب الرفق واللين، والحث على العفو والحلم واحتمال الأذى، وترك ضرب الزوجة والخادم وإن كان مباحًا، والانتصار لدين الله تعالى، وعدم التساهل مع من ارتكب محرَّمًا ونحوه، وأنه ينبغي للأئمة والقضاة والولاة أن يتخلقوا بهذا الخلق الكريم، فلا ينتقموا لأنفسهم ولا يتساهلوا في حق الله تعالى، إلى غير ذلك مما بينه العلماء، والله أعلم.

٣٣- حديث: «ما مَسَسْتُ حريرًا ولا ديباجًا أَلْيَنَ من كفِّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»

عن أنسٍ قال: «ما مَسَسْتُ حريرًا ولا ديباجًا أَلْيَنَ من كفِّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ولا شَمَمْتُ مِسْكًا ولا عنْبرًا أطيب من ريح رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم». رواه البخاريُّ ومسلمٌ.

وفي "صحيح مسلم" عن أنسٍ أيضًا قال: «دخل علينا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال عندنا -نام نوم القَيْلُولَة- فعَرِق، وجاءت أمِّي بقارورة فجعلت تَسْلِت العَرَق، فاستيقظ النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**يا أمَّ سُلَيم، ما هذا الذي تَصْنَعين؟!**» قالت: هذا عَرَقٌ نجعله لطِيبِنَا وهو أطْيَب الطيب».

قوله: «ما مسست حريرًا ولا ديباجًا...» إلخ، فيه دليل على لين مسه وطيب ريحه وعرقه، قال النووي: «قال العلماء: كانت هذه الريح الطيبة صفته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وإن لم يَمَسَّ طيبًا ومع هذا فكان يستعمل الطيب في كثير من الأوقات مبالغة في طيب ريحه لملاقاة الملائكة، وأخْذِ الوحي الكريم ومجالسة المسلمين».اهـ

وفي "صحيح مسلم" أيضًا من طريق آخر عن أنس قال: «كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أزهر اللون كأن عَرَقَه اللؤلؤ، إذا مشىٰ تكفَّأ، ولا مَسَسْتُ ديباجة ولا حريرة أَلْيَن من كف رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، ولا شَمَمْتُ مِسْكَة ولا عَنْبَر أطيب من رائحة رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم».

وقوله:«دخل علينا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال عندنا...» إلخ، معناه ظاهر وله طريق آخر في الصحيح أيضًا، وللدارمي والبيهقي وأبي نعيم عن جابر قال: «كان في رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم خصال: لم يكُن في طريق فيتبعه أحد إلا عرف أنه سلكه من طيب عَرَقه أو عَرْفه -بفتح العين، أي: ريحه- ولم يكن يمر بحجر ولا شجر إلا سجد له».

وأخرج أبو يعلىٰ والطبرانيّ في "الأوسط" عن أبي هريرة قال: «جاء رجل إلىٰ النبيّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: يارسول الله إني زوجت ابنتي وأحب أن تعينني، قال: «**ما عندي شيء ولكن إئتني بقارورة واسعة الرأس وعود شجرة**»، فأتاه بهما، فجعل النبيّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يَسْلِت العَرَق من زراعيْه حتىٰ امتلأت القارورة، قال: «**فخذها ومر ابنتك أن تغمس هذا العود في القارورة وتتطيب به**»، فكانت إذا تطيبت به يشم أهل المدينة رائحة ذلك الطيب، فسُمُّوا بيت المطيبين».

وروىٰ عبدان في "الصحابة"، والخطيب في "المؤتلف" من طريق أبي بكر ابن عياش، عن حبيب بن حدرة عن حريش -بفتح الحاء المهملة- قال: كنت مع أبي حين رجم النبيُّ ماعزًا فلما أخذته الحجارة أُرعِدْتُ فضَمَّني النبىٰ صلَّىٰ الله

عليه وآله وسلَّم إليه، فسال عليّ من عَرَقِه»، قال: «مثل ريح المسك».

وفي "صحيح مسلم" عن جابر بن سَمُرة قال: «صليت مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم صلاة الأولى[1] -أي: الظهر- ثم خرج إلى أهله، وخرجت معه فاستقبله وِلْدان -جمع وليد، أي: صبيان- فجعل يمسح خدي أحدهم واحدًا واحدًا، قال: وأمَّا أنا فمسح خديَّ فوجدْتُ ليده بردًا أو ريحًا كأنما أخرجها من جؤنة عطار».

والجؤنة -بضم الجيم وبالهمز وعدمه-: سليلة مستديرة يَجْعَل العطار فيها ما عنده من الطيب.

وروى ابن الأعرابي في جزء "القبل" عن أسامة بن شريك قال: «أتيت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وعنده أصحابه على رؤوسهم الطير، فجاء الأعراب فسألوا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ثم قام وقام الناس فجعلوا يقبلون يده، فأخذتها فوضعتها على وجهي، فإذا هي أطيب من ريح المسك وأبرد من الثلج». إسناده قوي.

وفي "صحيح مسلم" عن أنس قال: كان النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يَدْخُل بيت أم سُلَيم فينام على فراشها وليست فيه، فجاء ذات يوم فنام على فراشِها فأُتِيَت -بكسر التاء الأولى- فقيل لها هذا النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نام في بيتك على فراشك، فجاءت وقد عَرَق واستَنْقَع عرقه على قطعة أديم -بوزن عظيم- على الفراش، ففتَحَت عَتيدَتها -بفتح العين، صندوق

---

(١) هذا أصلٌ لما اعتاد أهل المغرب من إطلاق لفظ الأولى على الظهر

صغير تجعل المرأة فيه ما يعز من متاعها- فجعلت تُنَشِّف ذلك العرق فتعصره في قواريرها ففزع -فاستيقظ- النبيّ فقال: «**ما تصنعين يا أم سُلَيم؟!**» فقالت: يارسول الله نرجو بركته لصبياننا، قال: «**أصبت**».

وفي هذا الحديث استحباب التبرُّك بآثاره صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وقد وردت في ذلك أحاديث كثيرة في الصحيحين وغيرهما، والله أعلم.

٣٤- حديث: وجوب محبة النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم

عن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لايؤمِنُ عبدٌ حتَّى أكونَ أحَبَّ إليه مِن وَلَدِهِ ووالِدِهِ والنَّاسِ أجمعين**». رواه البخاري ومسلم.

قوله: «لا يؤمن أحدكم حتَّى أكون أحبَّ إليه من وَلَدِه...» إلخ، قال القاضي عياض وابن بطال وغيرهما: «المحبة ثلاثة أقسام: محبة إجلال وإعظام كمحبة الوالد، ومحبة رحمة وشفقة كمحبة الولد، ومحبة مشاكلة واستحسان كمحبة سائر الناس، فجمع صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أصناف المحبة في محبته».اهـ

وقال الخطابي: «لم يُرد بالحديث حب الطبع، بل أراد به حب الاختيار، لأنَّ حب الإنسان لنفسه طبع ولا سبيل إلى قلبه، فمعنى الحديث: لاتصدق في حبي حتى تفنى في طاعتي نفسُك وتؤثر رضاي على هواك، وإن كان فيه هلاكك».اهـ

وقال ابن بطال: «معنى الحديث: أن من أستكمل الإيمان علم أن حق النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم آكد عليه من حق أبيه وابنه والناس أجمعين،

لأنَّ به صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم استُنْقِذنا من النَّار وهُدينا من الضلال».اهـ

وقال القاضي عياض في "شرح مسلم": «ومن محبته صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم نصرة سنته[1] والذب عن شريعته وتمني حضور حياته فيبذل نفسه وماله دونه»، قال: «وإذا تبين ما ذكرناه تبين أن حقيقة الإيمان لا تتم إلا بذلك، ولا يصح الإيمان إلا بتحقيق إعلاء قدر النبيّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ومنزلته علىٰ والد وولد ومُحِسن ومُفضِل، ومن لم يعتقد هذا واعتقد سواه فليس بمؤمن».اهـ

وفي "صحيح البخاري": عن عبد الله بن هشام أن عمر بن الخطاب قال للنبيّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: لأنت يا رسول الله أحب إلىٰ من كل شيء إلا نفسي التي بين جنبيّ، فقال النبيّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لن يؤمنَ أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من نفسِه**» فقال عمر: والذي أنزل عليك الكتاب لأنت أحب إلىٰ من نفسي التي بين جنبيّ، فقال له النبيّ: «**الآن يا عمر**»[2]. رواه البخاري في كتاب «الإيمان والنذور».

وروىٰ ابن إسحاق في "السيرة"، والبيهقي في "الدلائل": «أن امرأة من الأنصار قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد مع النبيّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقالت: ما فعل رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ؟ قالوا: خيرًا، هو

---

(١) فالمقلدون الذين يقَدِّمون أقوال أئمتهم علىٰ الحديث ويتمحَّلون في تأويل النصوص وتحريفها لتوافق مذهبهم؛ لا يحبون النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وإن ادَّعوا محبته بلسانهم.

(٢) أي: الآن تم إيمانك يا عمر.

بحمد الله كما تحبين، فقالت: أرونيه حتىٰ أنظر إليه، فلما رأته قالت: كل مصيبة بعدك جَلَل». أي: صغيرة.

وقال عليٌّ رضي الله عنه: «كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد علىٰ الظمأ».

قال سهل بن عبد الله التستري: «من لم ير ولاية الرسول عليه في جميع الأحوال ويرىٰ نفسه في ملكه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لا يذوق حلاوة سنته، لأنَّ النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «لا يؤمن أحدكم حتىٰ أكون أحب إليه من نفسه... الحديث». اهـ

وقال القرطبي: «كل من آمن بالنبيّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إيمانًا صحيحًا لا يخلو عن وجدان شيء من تلك المحبة الراجحة، إلا أنهم متفاوتون فمنهم من أخذ من تلك المرتبة بالحظ الأوفىٰ، ومنهم من أخذ بالحظ الأدنىٰ، كمن كان مستغرقًا في الشهوات محجوبًا في الغفلات في أكثر الأوقات، لكن الكثير منهم إذا ذكر النبيّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم اشتاق إلىٰ رؤيته بحيث يؤثرها علىٰ أهله وماله وولده ويبذل نفسه في الأمور الخطيرة، ويجد رجحان ذلك من نفسه وجدانًا لا تردد فيه، وقد شوهد من هذا الجنس من يؤثر زيارة قبره ورؤية مواضع آثاره علىٰ جميع ما ذكر لما وقر في قلوبهم من محبته صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، غير أن ذلك سريع الزوال لتوالي الغفلات». انتهىٰ.

وما أحسن قول ابن أبي المجد:

ألا يا مُحِبَّ المصطفىٰ زِدْ صَبابَة ... وضَمِّخ لسانَ الذِّكرِ مِنْك بِطِيبِه

ولا تَعْبَأَنْ بالمُبطِلين فإنَّما ... علامَةُ حُبِّ الله حُبُّ حَبيبِهِ

والكلام في محبته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بحر واسع نقتصر من جواهره على ما التقطناه، وما توفيقنا إلا بالله.

٣٥- حديث: من لم يؤمن بالنبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم دخل النار

عن أبي هريرة عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنه قال: «**والذي نَفْسُ محمَّدٍ بيَدِهِ، لا يَسْمَعُ بي أحَدٌ مِن هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، ولا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ ولم يُؤمِنْ بالذي أُرْسِلْتُ بِهِ، إلَّا كان مِن أصحابِ النَّارِ**». رواه مسلمٌ في "صحيحه".

قوله: «**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد...**» إلخ، معناه واضح وفيه دليل على أمور:

أحدها: جواز القسم على الأمور المهمة لتأكيدها وتثبيتها في ذهن السامع.

ثانيها: أن الإيمان به موقوف على بلوغ الدعوة، فلو فُرض وجود شخص في بعض المجاهِل لم تَبْلُغْه دعوة الإسلام؛ يكون معذورًا على الصحيح المقرر في علم الأصول.

ثالثها: نَسْخ الملل كلها برسالته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وهذا ثابت بالقرآن والسنه المتواترة وإجماع الأمة فمنكِره كافر بلا خلاف.

رابعها: أن الإيمان به صلَّى الله عليه وآله وسلَّم شرط أساسي في النجاة من النَّار، فكل من لم يؤمن به دخل النَّار خالدًا فيها أبدًا، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥] وبهذا نطقت السنة المتواترة وانعقد عليه إجماع الأمة، فلا حظَّ ليهودي ولا نصراني في دخول الجنّة أبدًا، ومن شك في هذا فليس مسلمًا، وبالله التوفيق.

٣٦- حديث: «ما حرَّم رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مثل ما حرَّم الله»

عن المقدام بن مَعْدِي كَرِبٍ قال: حرَّم رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أشياء يوم خَيْبَر من الحمار الأهلي وغيره، ثم قال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**يوشِك أن يقْعُد الرجلُ منكم على أريكته يُحَدَّثُ بحديثي فيقول: بيني وبينكم كتابُ الله فما وجدنا فيه حلالًا استحْلَلْناه وما وجدنا فيه حرامًا حرَّمناه، وإنَّ ما حرَّم رسولُ الله مثل ما حرَّم اللهُ**». رواه أبو داود والحاكم والبيهقيُّ بإسنادٍ صحيحٍ.

وفي رواية للبيهقيِّ: «**ألا إني أوتِيتُ الكتاب ومثله معه، ألا يوشِك رجل شبْعان على أريكَتِه يقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلِّوه وما وجدتم فيه مِن حرامٍ فحَرِّموه، ألا لا يحلُّ لكم الحِمارُ الأهليُّ...**» الحديث.

وفي "مسند أبي يعلىٰ" عن جابر قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**عسى أن يُكَذِّبَني رجلٌ منكم وهو متكئ على أريكته يبلُغه الحديثُ عنِّي فيقول: ما قال رسول الله هذا، دَعْ هذا وهاتِ ما في القرآن**». وللحديث طرق.

قوله: «حرَّم رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أشياء يوم خَيْبَر من الحمار الأهلي وغيره»، وروىٰ أحمد عن أبي هريرة: أن النبيّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حرم يومَ خيبر كلَّ ذي ناب من السباع والمُجثَّمة -بضم الميم وفتح الثاء المشددة، كل حيوان يُمسك ويجعل غرضًا للرمي حتىٰ يموت- والحمار الإنسي». صحَّحه الترمذيُّ.

ولأحمد والترمذي بإسناد لا بأس به عن جابر قال: «حرَّم رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم -يعني يوم خيبر- لحوم الحُمر الإنسية ولحوم البغال وكل ذي ناب من السباع وكل ذي مِخْلَب -بكسر الميم وفتح اللام- من الطير».

زاد في حديث العرباض بن سارية عند أحمد بإسناد لا بأس به: «تحريم الخُلْسة». وهي -بضم الميم وسكون اللام- الفريسة يستنقذها الرجل من الذئب أو السبع فتموت في يده قبل أن يذكيها، فبان بهذه الروايات ما أبهمته رواية حديث الترجمة.

قوله: «**يوشك أنْ يقعدَ الرجل منكم على أريكته**» أي: سريره، «**يُحدَّث**»: بالبناء للمجهول، أي: يحدِثه أحد بحديثي، «**فيقول: بيني وبينكم كتاب الله...**» هذا من أعلام النبوة فقد وقع ما أخبر به صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وظهر مبتدعة ملحدة يُنكرون الحديث النبوي عملًا واحتجاجًا، ويَزْعُمون أن الحُجَّة في القرآن خاصة، فإن ذكرت لهم قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧] قالوا: يعني في القرآن لا في غيره، وهكذا كل آية فيها الأمر بطاعة الرسول يحملونها على طاعته في القرآن فقط.

ومنهم من يحتج لهذا الرأي الفاسد بحديث: «**ماجاءكم عني فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فأنا قلته وما خالفه فلم أقله**». وهذا حديثٌ مكذوبٌ.

قال الإمام الشافعي: «ما روى هذا أحد يثبت حديثه في شيء صغير ولا كبير، وإنما هي رواية منقطعة عن رجل مجهول».

وقال يحيى بن معين: «هو حديثٌ موضوعٌ، وضعته الزنادقة».

وقال عبدالرحمن بن مهدي: «الزنادقة والخوارج وضعوا حديث: ما أتاكم عني فاعرضوه على كتاب الله».

وقال البيهقي في "المدخل": «هذا حديثٌ باطلٌ لا يصح، وهو ينعكس على نفسه بالبطلان، فليس في القرآن دلالة على عرض الحديث على القرآن».

وقال الحافظ بن عبدالبر في كتاب "العلم": «هذه الألفاظ لا تصح عن النبيّ صلى الله عند أهل العلم بصحيح النقل من سقيمه».

وعارضه ابن حزمٍ فقال: «عَرَضْنا هذا الحديث على كتاب الله فخالفه، لأنَّا وجدنا كتاب الله تعالى يقول: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]ووجدنا فيه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]ووجدنا فيه: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

وقد أوردت طرق هذا الحديث الباطل، وبينت عِلَلَها في كتاب "الابتهاج بتخريج أحاديث المنهاج" في الأصول.

وقال الشوكاني في "إرشاد الفحول": «اتفق من يُعْتَدّ به من أهل العلم على أن السنة المطهرة مُستقلّة بتشريع الأحكام، وأنها كالقرآن في تحليل الحلال وتحريم الحرام، وقد ثبت عنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنه قال: «**ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه**» أي: أوتيت القرآن وأوتيت مثله من السنة التي لم ينطق بها القرآن، وذلك كتحريم لحوم الحمر الأهلية وتحريم كل ذي ناب من السباع ومِخْلَب من الطير وغير ذلك، مما لم يأت عليه الحصر».اهـ

قلت: وقد انعقد إجماع الأئمة والعلماء على العمل بالسنة المطهرة

والاحتجاج بها في أصول الدين وفروعه، إلا ماكان من بعض المبتدعة الزنادقة الذين يريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله، ويقولون: نؤمن ببعض ونكفر ببعض، فإنهم خرجوا عن إجماع المسلمين ولمزوا السنة وناقليها وأعرضوا عنها، فتصدىٰ الأئمة للرد عليهم، وبيان زيغهم وضلالهم، فللإمام الشافعي في ذلك كلام طويل جميل، ذكره في "الرسالة" ونقله البيهقي في "المدخل"، وعلَّق عليه بما يؤيده من الأحاديث والآثار، فزاده حسنًا علىٰ حسن.

وللإمام أحمد بن حنبل كتاب خاص في الردعليهم، وفي كتاب "العلم" للحافظ ابن عبد البر باب خاص في هذا المعنىٰ، ذكر فيه من نصوص الأئمة ما فيه الكفاية، وللحافظ السيوطي رسالة "مفتاح الجنّة في الاحتجاج بالسنة" وهي مطبوعة، ذكر أنه أَلَّفَها بسبب رافضي زنديق سمعه يقول: إن السنة لا يُحتج بها، وأن الحُجة في القرآن خاصة، وهي رسالة مفيدة قيمة، وللقاضى عياض في "الشفاء" فصل حسن في هذا المعنىٰ، وكذا في "المواهب اللدنية" وغيرها.

والمقصود: أنَّ السُّنَّة أصل من أصول الدين، لا يتم الإسلام إلا بالإحتكام إليها والاستسلام لها كما قال تعالىٰ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ [1] وَيُسَلِّمُوا

(١) قال الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم ابن دحيم في "تفسيره": حدثنا شعيب بن شعيب: حدثنا أبو المغيره: حدثنا عتبة بن ضمرة: حدثني أبي عن رجلين اختصما إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقضىٰ للمُحِق علىٰ المُبْطِل، فقال

المَقْضي عليه: لا أرضى، فقال صاحبه ما تريد؟ قال: نذهب إلى أبي بكر الصِّدِّيق، فذهبا إليه، فقال الذي قضي له: قد اختصمنا إلى النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقضى لي عليه، فقال أبو بكر: أنتما على ما قضى به النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فأبى صاحبه أن يرضى وقال: نأتي عمر بن الخطاب، فأتياه، فقال المقْضي له: قد اختصمنا إلى النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقضى لي عليه، فأبى أن يرضى، ثم أتينا أبا بكرٍ الصِّدِّيق، فقال أنتما على ما قضى به النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فأبى أن يرضى، فسأله عمر، فقال كذلك، فدخل عمر فخرج والسيف في يده فضرب به رأس الذي أبى أن يرضى فقتله، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ الآية.

وقال أيضًا: حدثنا الجوزجاني: حدثنا أبو الأسود، عن ابن لهيعة، عن أبي الأسود، عن عروة بن الزبير قال: اختصم إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رجلان فقضى لأحدهما، فقال الذي قضى عليه: رُدَّنا إلى عمر، فقال رسول الله صلي آله عليه وآله وسلم «**نعم انطلقوا إلى عمر**»، فانطلقا فلما أتيا عمر قال الذي قضي له: يابن الخطاب، إن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قضى لي، وإن هذا قال: ردَّنا إلى عمر، فردَّنا إليك رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقال عمر للذي قضي عليه: أكذلك؟ قال: نعم، فقال عمر: مكانك حتى أخرج فأقضي بينكما، فخرج مشتملا على سيفه فضرب الذي قال: ردنا إلى عمر فقتله، وأدبر الآخر إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقال: يا رسول الله، قتل عمر صاحبي، ولولا ما أعجزته لقتلني. فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ما كنت أظن أن عمر يجترئ على قتل مؤمن**»، فأنزل الله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ ﴾، فبرَّأ الله عمر من قتله.

ورواه ابن أبي حاتم وابن مردويه في تفسيرهما من طريق وهب، عن ابن لهيعة، عن

تَسۡلِيمٗا ﴾ [النساء: ٦٥].

وروى الإمام الشافعي -رَضيَ اللهُ عنهُ- يوما حديثًا وقال أنه صحيح، فقال له قائل: أتقول به يا أبا عبدالله؟ فاضطرب وقال: يا هذا أرأيتني نصرانيًّا؟! أرأيتني خارج من كنيسة؟! أرأيت في وسطي زنارًا؟! أروي عن

أبي الأسود قال: اختصم رجلان... فذكر القصة وفي آخرها: فأهدر دمه، ورويت من غير هذين الطريقين أيضًا.

وجاء في بعض الطرق بيان أن الذي قضي له يهودي، وأن الذي قضي عليه منافق اسمه: بشر، فإن قيل: ثبت في الصحيحين عن عروة بن الزبير عن أبيه أنه خاصم رجلًا من الأنصار، قد شهد بدرًا إلى النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في شراج الحرة كانا يسقيان بها كلاهما، فقال النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم للزبير: «**اسق ثم أرسل إلى جارك**»، فغضب الأنصاري وقال: يارسول الله، أن كان ابن عمتك، فتلون وجه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ثم قال للزبير: «**اسق ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر ثم أرسل الماء إلى جارك**» فاستوفى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم للزبير حقه، وكان قبل ذلك أشار على الزبير برأي أراد فيه سعة للأنصاري وله، قال الزبير: والله ما أحسب هذه الآية أنزلت إلا في ذلك: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ ﴾ فهذا الحديث ينافي ما تقدم.

قلنا: لا تنافي بينهما، لأنَّ الزبير لم يجزم بأن الآية نزلت بسبب هذه الحادثة وعلى فرض وجود الجزم بذلك كما جاء صريحًا عن سعيد بن المسيب، عند أبي حاتم فيجوز تعدد الأسباب لنزول الآية الواحدة، على أن ابن جرير الطبري اختار أن تكون الآية نزلت في المنافق واليهودي، ثم تتناول بعمومها قصة الزبير، قال ابن العربي في "الأحكام": «وهو الصحيح».اهـ

رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حديثًا ولا أقول به؟!.اهـ

وأقوال الأئمة في هذا كثيرة جدًّا.

قوله: «**وإن ما حرَّم**(١) **رسول الله مثل ما حرَّم الله**»، أي: في وجوب الاجتناب كما قال في الحديث الآخر: «**وإذا نهيتكم عن شيءٍ فاجتنبوه**».

قوله: «**ألا إني أوتيتُ الكتابَ ومِثْلَهُ معه**»، وفي رواية أخرىٰ: «**ومِثلَيه معه**» بالتثنية، أي: أوتيت مثل القرآن من السُّنَّة كما تقدَّم في كلام الشوكاني، وذلك أنَّ الوحي نوعان: متلوٌّ وهو القرآن الكريم، وغير متلوٍّ وهو الحديث الشريف، فطاعتهما واجبةٌ علىٰ كلِّ مسلمٍ.

قوله: «**يبلغه الحديث عنِّي فيقول: ما قال الرسول هذا ...**» إلخ، فيه دليل

---

(١) لا يعارض هذا قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَ﴾ [التحريم: ١] أن التحريم يطلق بمعنيين:

أحدهما: منع الشيء شرعًا بحيث يأثم فاعله، وهذا هو المراد في الحديث، لأنَّ النبيّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لما وجد الصحابة يوم خيبر يطبخون لحوم الحمر الأهلية، أمرهم باهراق ما في القدور وأخبرهم أنها لا تحل لهم فصارت حرامًا كتحريم الميتة المنصوصة في القرآن.

والثاني: الامتناع من الشيء مع إباحته لسبب غير شرعي، وهذا هو المراد في الآية فإن النبيّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم امتنع من قربان مارية ليرضي زوجته حفصة، فعاتبه الله علىٰ أن منع نفسه مما أباحه الله له ابتغاء مرضاة أزواجه، وهذا مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ مِن قَبۡلُ﴾ [القصص: ١٢]فإن موسىٰ عليه السَّلام كان رضيعًا لا يتعلق به تكليف لكنه امتنع من قبول المراضع، حتىٰ جاءت أمه فالتقم ثديها.

على أن نفي ورود الحديث لا يكون عذرًا في ترك العمل به، بل يعد تكذيبًا له إلا إن دلَّت القواعد الحديثية على عدم صحته، فحينئذ يكون المرء في حِلّ من تركه.

ومن هنا تعلم ضلال ما عليه مبتدعة اليوم -وفيهم كثير من الأزهريين- من تخلُّصهم من السُّنَّة وفرارهم من العمل بها وحض غيرهم على إلغائها بقولهم: هذا حديثٌ غير صحيحٍ، أو يخالف العقل -أي عقلهم القاصر- أو يخالف العلم الحديث، أو هذا آحاد والمطلوب التواتر، أو طرق الحديث مضطربة أو هذا من الإسرائيليات، ونحو هذا مع الأعذار الواهية التي يتخذونها ذريعة إلى ردِّ السُّنَّة النبوية، مع أنَّ أهل الأزهر لا يعرفون الحديث ولا يميِّزون بين صحيحه وسقيمه، ولا بين مقبوله ومردوده، بل هم أبعد الناس عن هذا العلم الشريف وأجهلهم به، ولو اطَّلَعت على مذكّراتهم في المصطلح والرجال وشرح أحاديث الأحكام، لرأيت فيها من فضائح الجهل ما يُضحك الثكلى ويسلِّي الحزين، ولهذا أكثر فيهم من يُبغض الحديث الشريف ويناصبه العداء، ويدعوا إلى إهماله وعدم الاهتبال به، ويصرح بذلك في غير خجل ولا استحياء، ولا عجب في ذلك فقديمًا قيل: من جهل شيئًا عاداه، وإنما العجب أن يتعيشوا على حساب الدين في وقت يحاربون فيه سنة صاحب الدين، إن هذا لهو منتهى العجب! فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

٣٧- حديث: أوتيت مفاتيح كل شيء

عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**أُوتيتُ مفاتيحَ كلِّ شيءٍ إلا الخمسَ**: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴾ [لقمان: ٣٤]».رواه أحمد والطبرانيّ بإسناد صحيح.

وفي الصحيحين عن حذيفة قال: قام فينا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مقامًا ما ترك فيه شيئًا إلى قيام الساعة إلا ذكره، حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه، إنه ليكون منه الشيء قد كنت نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه، ثم إذا رآه عرفه.

قوله: «**أوتيتُ مفاتيحَ كلِّ شيءٍ**» أي: من العلوم والمعارف وسائر المُغيَّبات، قال القاضي عياض في "الشفاء" في «فصل ما أطلع عليه من الغيوب» مانصه: «والأحاديث في هذا الباب بحر لا يُدرك قعره، ولا ينزف غمره، وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على القطع، الواصل إلينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها على الإطلاع على الغيب».اهـ ثم أورد جملة منها فليُراجع.

وأخرج الطبرانيّ عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إن الله قد رفع لي الدنيا فأنا أنظر إليها وإلى ما هو كائن فيها إلى يوم القيامة كأنما أنظر إلى كفّي هذه**». وقد أخبر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بكثير من أحوال هذا العصر ومخترعاته، جمعها شقيقنا الحافظ أبو الفيض رحمه الله

في كتاب "مطابقة الاختراعات العصرية بما أخبر به سيد البرية".

قوله: «إلا الخمس: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴾ [لقمان: ٣٤]».

وفي "صحيح البخاري" عن ابن عمر مرفوعًا: «**مفاتيحُ الغيب خمسٌ لا يعلمها إلا الله: لا يعلم أحدٌ ما يكون في الغد إلا الله، ولا يعلم أحدٌ ما يكون في الأرحام إلا الله، ولا يعلم أحدٌ متى تقوم الساعةُ إلا الله، ولا تدري نفسٌ بأي أرضٍ تموتُ إلا الله، ولا يدري أحدٌ متى يجيءُ المطرُ إلا الله**».

ومقتضى هذا أنه لم يكن صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يعلم الخمس، وإليه ذهب الجمهور، ولكن قال الحافظ السيوطي في "الخصائص الكبرى": «ذهب بعضهم إلى أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أوتي علم الخمس أيضًا وعلم وقت الساعة والروح وأنه أمر بكتم ذلك». انتهى، وبه جزم كثير من المتأخرين.

وللإمام منصور البغدادي في هذا الموضوع كتاب اسمه "إقامة شواهد المنقول والمعقول على إحاطة علم نبينا الرسول"، وسأل الشيخ أبو العباس أحمد بن عبد الحي الحلبي العلامة المحدث عبد الملك بن محمد التجموعتي قاضي سجلماسة عن هذه المسألة فأجابه برسالة خاصة سماها "ملاك الطلب وجواب أستاذ حلب" جزم فيها بأنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان يعلم الخمس.

وللشيخ أحمد رضا علي خان البريلوي الهندي في هذا الموضوع ثلاث

رسائل: "مالئ الجيب بعلوم الغيب"، و"اللؤلؤ المكنون في علم البشير ما كان وما يكون"، و"إنباء المصطفىٰ بما أسر وأخفىٰ".

وقال العلامة أبو عبد الله محمد الحبيب بن عبد القادر السجلماسي الحسني في "شرح منظومة الأسماء الحسنىٰ" للهلالي: «يجب علينا أن نعتقد أنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لم يخرج من الدنيا حتىٰ حصل له العلم بجميع المعلومات، للحديث الصحيح: «**أوتيت علم كل شيء وتجلى لي كل شيء**». وما ورد مما يخالفه منسوخ بهذا، وبه تظهر مزيَّته وفضيلته العلمية علىٰ سائر الأنبياء، بعد اشتراكهم في علم الغيب المستثنىٰ لهم في آية ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦ – ٢٧]قال فيهم بعض المفسرين: يريد أو ولي، لأنَّ الولي وارث العلم من النبوة».اهـ

وفي "شرح أنموذج اللبيب" للعلامة شمس الدين محمد بن محمد بن عمر الروضي المالكي ما نصه: «الصحيح -كما قاله المحققون- أنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أوتي علم كل شيء حتىٰ الخمسة وحتىٰ عالم الروح وأُمر بكتم ذلك».اهـ

ونحوه في "شرح جوهرة اللقاني" لمؤلفها، و"شرح الأربعين النووية" للشبرخيتي وغيرهما، وفي "فيض القدير بشرح الجامع الصغير" للمناوي في الكلام علىٰ حديث: «**خمسٌ لا يعلمهم إلَّا الله...**» إلخ، ما نصه: «خمس لا يعلمهن إلا الله علىٰ وجه الإحاطة والشمول، كليًّا وجزئيًّا، فلا ينافي فيه إطْلاع الله بعض خواصه علىٰ كثير من المغيبات حتىٰ من هذه الخمس، لأنها جزئيات

معدودة، وإن كان للمعتزلة في ذلك مكابرة».اهـ

قلت: والذي أرجِّحه وأميل إليه أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لم يخرج من الدنيا حتى علَّمه الله هذه الخمس، لأنه لم يزل يترقَّى في العلوم والمعارف كل يوم، بل كل لحظة وعموم الأحاديث يشهد بذلك، منها حديث البخاري عن أسماء بنت أبي بكر: أن النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**ما من شيء لم أكن أُريته قبلُ إلا رأيته في مقامي هذا حتى الجنّة والنَّار**». وهذه الخطبة كانت بالمدينة.

ومنها حديث سمرة بن جندب قال: كسفت الشمس، فصلى النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ثم قال: «**إني والله لقد رأيت منذ قمت أصلي ما أنتم لاقوه من أمر دنياكم وأخراكم**». حديث صحيح رواه أحمد وغيره.

ولا ينافية قوله في حديث الترجمة: «**إلا الخمس**» لأنه كان قبل أن يعلمها، ثم علمها بعد ذلك، وهذا كما نهى عن تفضيله على موسى ويونس وإبراهيم عليهم السلام، ثم أخبر أنه أفضل الأنبياء، ورد على من دعاه سيدًا بأن السيد الله، ثم أخبر أنه سيد ولد آدم، وأمره الله تعالى في القرآن أن يقول للكفار: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [ص: ٦٩]ثم أخبر بعد ذلك أن الله أطلعه على خصامهم.

ففي حديث ابن عبَّاسٍ ومعاذ وغيرهما عن النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**رأيت ربي في أحسن صورة فقال يامحمد، قلت: لبيك رب وسعديك، قال: أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدرى يارب، قال فوضع يده بين**

كتفي حتى وجدت بردها في صدري فتجلى لي كل شيء وعرفت».

وذكر الحديث وهو في "سنن الترمذي"، و"مسند أحمد" وغيرهما بطرق متعددة، وهو حديث صحيح[١]، وقد تكلمت عليه في "قمع الأشرار عن جريمة الانتحار" مع "الأربعين الغمارية" وشرحه الحافظ ابن رجب في جزء مطبوع اسمه "اختيار الأولىٰ في شرح حديث اختصام الملأ الأعلىٰ" وهذا الحديث أحد الأدلة علىٰ علمه بالخمس أيضًا، لأنَّ قوله «**فتجلَّى لي كل شيء**» عام بل هو أقوىٰ صيغ العموم، كما تقرر في الأصول.

قوله في حديث حذيفة: «قام فينا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مقاما ما ترك فيه شيئًا إلىٰ قيام الساعة». يعني: من الفتن والحوادث وغيرهما «إلا ذكره»، الحديث.

نحوه قول عمر: «قام فينا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مقامًا فأخبرنا عن بدء الخلق حتىٰ دخل أهل الجنّة منازلهم وأهل النَّار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه». رواه البخاري معلَّقًا بصيغة الجزم، ووصله الطبرانيّ.

وقال أبو ذر: لقد تركنا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علمًا. رواه أحمد والطبرانيّ بإسناد صحيح.

وكذلك قال أبو الدرداء، رواه أبو يعلىٰ والطبرانيّ وغيرهما، والله أعلم.

---

(١) نقل الترمذي عن البخاري أنه قال: «حديث صحيح».

٣٨- حديث: إهدار دم من سبَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم

عن ابن عبَّاسٍ قال: إن أعمىٰ كانت له أم ولد علىٰ عهد رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم تُكْثر الوقيعة في رسول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وتشتمه فقتلها الأعمىٰ، فذُكر ذلك للنبيّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فقال النبيّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أشهدُ أنَّ دَمَهَا هَدَرٌ**». رواه أبو داد والنَّسائيُّ والبيهقيُّ وهذا لفظه.

وفي "سنن أبي داود" و"البيهقي"، واللفظ للأول عن أبي برزة قال: «كنت عند أبي بكر -رَضيَ اللهُ عنهُ- فتغيظ علىٰ رجل، فاشتد عليه فقلت: ائذن لي يا خليفة رسول الله أضرب عنقه، قال: فأذهبت كلمتي غضبه فقام فدخل، فأرسل إلي وقال: ما الذي قلت آنفًا؟! قلت: ائذن لي أضرب عنقه، قال: أكنت فاعلًا لو أمرتك؟ قلت: نعم، قال: لا والله ما كانت لبشر بعد رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم». صححه الحاكم، وابن تيمية.

قوله: «إن أعمىٰ كانت له أم ولد علىٰ عهد رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم تكثر الوقيعة فيه...» إلخ، وفي "سنن أبي داود"، و"سنن ابن بطة"، عن الشعبي، عن علي عليه السَّلام: أن يهودية كانت تشتم النبيّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وتقع فيه، فخنقها رجل حتىٰ ماتت، فأهدر رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم دمها، وجاء في رواية: أن الرجل كان أعمىٰ.

قال ابن تيمية في كتاب "الصارم المسلول علىٰ شاتم الرسول": «وهذا الحديث نصٌ في جواز قتلها، يعني: اليهودية، لأجل شتم النبيّ صلَّىٰ الله عليه وآله

وسلَّم، ودليلٌ على قتل الذمي، وقتل المسلم والمسلمة إذا سبًّا بطريق الأولى».اهـ

وقال أبو بكر ابن المنذر: «أجمع عوام أهل العلم على أن من سب النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقتل، وممن قال ذلك مالك بن أنس، والليث، وأحمد وإسحاق وهو من مذهب الشافعي».اهـ

وقال القاضي عياض في "الشفاء": «اعلم أن جميع من سب النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أو عابه أو ألحق به نقصًا في نفسه أو نسبه أو دينه أو خصلة من خصاله أو عرَّض به أو شبَّهه بشيء على طريق السبِّ له أو الإزراء عليه أو التصغير لشأنه أو الغض منه والعيب له، فهو ساب له والحكم فيه حكم الساب، يُقتل كما نبينه، ولا نستثني فصلا من فصول هذا الباب على هذا المقصد ولا نمتري فيه تصريحًا كان أو تلويحًا، وكذلك من لعنه أو دعا عليه أو تمنى مضرة له أو نسب إليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم، أو عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول وزور، أو عيره بشيء مما جرى من البلاء والمحنة عليه، أو غمطه ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه، وهذا كله إجماع من العلماء وأئمة الفتوى من لدن الصحابة إلى هلم جرًّا». انتهى.

وقال الإمام محمد بن سحنون: «أجمع العلماء أن شاتم النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم والمنتقض له كافر، والوعيد جار عليه بعذاب الله له، وحكمه عند الأمة القتل، ومن شك في كفرة وعذابه كفر». انتهى.

وقال الإمام ابن عتاب: «الكتاب والسُّنَّة موجبان أن من قصد النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بأذى أو نقص مُعرِّضًا أو مُصرِّحًا وإن قلَّ فقتْله واجبٌ». انتهى.

وسمع رجل قومًا يتذاكرون صفة النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إذ مر بهم رجل قبيح الوجه واللحية، فقال لهم: تريدون تعرفوا صفته؟ هي في صفة هذا المار في خَلْقه ولحيته، فأفتى الإمام ابن أبي زيد القيروإني بقتله وعدم قبول توبته.

وأفتى الإمام أبو الحسن القابسي فيمن قال في النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «الحمال يتيم أبي طالب» أنه يقتل، وفتاوى العلماء ونصوصها في هذا كثيرة(١).

---

(١) من ذلك ما حصل بتونس سنه ٧٨٤هـ وهو أن رجلًا قال لآخر أنا عدوك وعدو نبيك، فعقد له مجلس فأفتى بعض المالكية بأنه مرتد وأخذ كفره من قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ٩٨]وأفتى بعضهم بأن كفره كفر تنقيص، فلا يستتاب، وأخذ ذلك مما في "الشفاء" من أن امرأة سبت النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: «من يكفيني عداوتها؟» فقُتلت.

ومن كون خالد -رضي الله عنه- قتل من قال له عن النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «صاحبكم»، ومن إفتاء ابن عتاب بقتل من قال: «إن سألت أو جهلت فقد سأل وجهل نبيك». واعترضه بعضهم بأن الحديث نص في أن كل ساب عدو، ولا شك فيه، وإنما الكلام في عكس هذه القضية، وهي لا تنعكس كنفسها لكن تنعكس إلى جزئية سالبة وهي: بعض العدو ليس بساب، بل قوله: أنا عدوك وعدو نبيك، ربما أشعر بترفيع المقول له ذلك، لأنا نجد الوُضَعاء يجعلون لنفسهم منزلة بذلك، يقول الواحد منهم: أنا عدو الأمير والأمير عدو لي، وقصده به رفع نفسه لأنه في رتبة من يعادي الأمير، وبأن إفتاء ابن عتاب إنما هو لأنَّ ما ذكر في قضيته صريح في التنقيص، فالتحقيق أن قائل ما مر مرتد لا مُنَقِّص».اهـ والمرتد عند المالكية يستتاب، أما المُنَقِّص فإنه يقتل بلا استتابة. قال العلامة ابن حجرٍ الهيتمي الشافعي: «أما على قواعدنا فالذي يظهر أنه مرتدٌّ».

قوله: «كنت عند أبي بكر فتغيظ على رجل...» إلخ، لهذا الأثر طُرق عند النسائي وغيره، وروى قاسم بن أصبغ في "مصنفه"، ومن طريقة ابن حزمٍ عن أبي برزة قال: أغلظ رجل لأبي بكر الصديق، قلت: ألا أقتله؟ فقال أبو بكر رَضيَ اللهُ عنهُ: ليس هذا إلا لمن شتم النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

ورويا أيضًا عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أنه كان على الكوفة لعمر بن عبد العزيز فكتب إلى عمر: إني وجدت رجلًا بالكوفة يسبك وقامت عليه البينة، فهممت بقتله أو قطع يده أو قطع لسانه أو رجليه، ثم بدا لي أن أراجعك فيه، فكتب إليه عمر بن عبد العزيز: سلام عليك، أما بعد: والذي نفسي بيده لو قتلته لقتلتك به، ولو قطعته لقطعتك به، ولو جلدته لأقدته منك، فإذا جاءك كتابي هذا فاخرج به إلى الكناسة، فسبه كالذي سبني أو اعف عنه فإن ذلك أحب إلي، فإنه لا يحل قتل امرئ مسلم يسب أحدًا من الناس إلا رجلًا سبَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

وروى محمد بن عبد الملك بن أيمن، ومن طريقه ابن حزمٍ، عن علي بن المديني قال: دخلت على أمير المؤمنين فقال لي: أتعرف حديثًا مسندًا فيمن سب النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فيقتل؟ قلت: نعم وذكرت له حديث عبد الرزاق، عن مَعْمَر، عن سِماك بن الفضل، عن عُروة بن محمد، عن رجل من بلقين قال: كان رجل يشتم النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «من يكفيني عدوًّا لي؟» فقال خالد بن الوليد: أنا، فبعثه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقتله.

فقال أمير المؤمنين: ليس هذا مسندًا، هو عن رجل!

فقلت: ياأمير المؤمنين بهذا يعرف هذا الرجل وهو اسمه، وقد أتى النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فبايعه وهو مشهور معروف، قال: فأمر لي بألف دينار.

وقال ابن حزمٍ: «هذا حديث مسند صحيح، وقد رواه علي بن المديني عن عبد الرزاق كما ذكره»، ثم قال ابن حزمٍ بعد ذكر ما تقدم من الآثار ما نصه: «فصحَّ بما ذكرناه أن كل من سبَّ الله تعالى أو استهزء به أو سبَّ مَلَكًا من الملائكة أو استهزأ به أو سبَّ نبيًّا من الأنبياء أو استهزء به، أو سبَّ آية من آيات الله تعالى أو استهزء بها -والشرائع كلها والقرآن من آيات الله تعالى- فهو بذلك كافر مرتد، له حكم المرتد، وبهذا نقول».اهـ

قلت: يدخل في هذا ما بلغني عن بعض السبكيين ممن انضم أخيرًا إلى القصيمي -قصمه الله- أنه قال في مجلس يضم كثيرًا من الناس: إن القرآن ناقص، لأنه لم يشر إلى المخترعات الحديثة، وإنه كان الواجب أن يقول: وإن لكم في اليورانيوم لعبرة بدل قوله: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾ [النحل: ٦٦] مثلًا. وهذا كما ترى كفر صريح يوجب قتل صاحبه والعياذ بالله.

(تنبيه): كثير ما يحصل بين الناس أن يذكر أحدهم نبيًّا من الأنبياء أو ملكًا من الملائكة على سبيل ضرب المثل كأن يقول: إن قيل فيَّ السوء فقد قيل في النبيّ، وإن كُذِّبت فقد كذب الأنبياء، أو صبرتُ كصبر أيوب، أو لا أفعل كذا ولو نزل عليَّ جبريل، أو أنا أسلم من ألسنة الناس، ولم يسلم منهم أنبياء الله ورسله؟، أو كل الناس أذنبوا حتى الأنبياء، ونحو هذا مما يدور بين الناس في محاورتهم ومخاصماتهم.

قال القاضي عياض في "الشفاء" بعد أن ذكر كثيرًا من الأمثلة من هذا القبيل ما نصه: «فحق هذا -إن دُرئ عنه القتل- الأدب والسجن، وقوة تعزيره بحسب شنعة مقاله ومقتضى قبح ما نطق به، ومألوف عادته لمثله أو ندوره أو قرينة كلامه أو ندمه على ما سبق منه، ولم يزل المتقدمون ينكرون مثل هذا ممن جاء به».اهـ ثم نقل فتاوى عمر بن عبد العزيز ومالك وسحنون وغيرهما، فليراجع كلامه، فإنه أجاد فيه غاية الإجادة.

وللحافظ السيوطي رسالة "تنزية الأنبياء عن تشبيه الأغبياء" ألَّفها بسبب حادثة وقعت من القبيل المذكور، وهي مطبوعة في كتابه "الحاوي للفتاوي".

ومن قلة الأدب مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ما سمعته من عالم أزهري -وهو في الواقع جاهل- سمعته يقول في مجلس خليط: إن محمدًا أخطأ وسجَّل الله عليه الخطأ في القرآن، أعادها مرتين أو ثلاثًا، فأخذ بعض الحاضرين حماسة الإيمان ورد عليه بأن هذا لا يليق، وأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لم يُخطئ، فأصرَّ على مقالته وأعادها، وقال: إنه يأسف على تصريحه هذا ولكن دعاه إليه التعليم.

قلت: ما كان أحوجه أن يأسف على قلة أدبه وكثرة جهله وفرط حقده وتعصبه، ومقام النبوة أعلى وأجل عن مثل هذا التعبير الشنيع.

قال ابن السبكي في "جمع الجوامع": «والصواب: أن اجتهاده صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لا يخطئ»، قال شارحه الجلال المحلي: «تنزيهًا لمنصب النبوة عن الخطأ في الاجتهاد، وقيل: قد يخطئ ولكن ينبَّه عليه سريعًا، لما تقدم في الآيتين: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ﴾ [الأنفال: ٦٧] ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ

أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣][1] ولبشاعة هذا القول عبر المصنف بالصواب».اهـ

أي: ليفيد أن مقاله غير صواب، كما قال العلامة العطار في حاشيته على "جمع الجوامع"، والله أعلم.

٣٩- حديث: «إنِّي لأراكم مِن وراء ظهري»

عن أبي هريرة: أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**هل ترونَ قِبْلَتي ههنا؟ فوالله ما يَخفَى عليَّ رُكوعِكُمْ ولا سُجُودِكُم إنِّي لأراكم من وراء ظهري**». رواه البخاريُّ ومسلمٌ.

ولمسلمٍ عن أنسٍ: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**أيها الناس إني إمامكم فلا تسبقوني بالرُّكوع ولا بالسُّجودِ فإني أراكم مِن أمامي ومِن خَلْفي**». وللحديث طرقٌ.

قوله: «هل ترون قبلتي هاهنا...» إلخ، في رواية لأبي هريرة في الصحيح قال: صلى بنا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يومًا ثم أنصرف فقال: «**يافلان ألا تحسن صلاتك، ألا ينظر المصلي إذا صلى كيف يصلي فإنما يصلي لنفسه، إني والله لأبصر من ورائي كما أبصر من بين يدي**».

وفي حديث أنس في الصحيح أيضًا: «**أقيموا الركوع والسجود فوالله إني لأراكم من بعدي -أو: من ظهري- إذا ركعتم وإذا سجدتم**».

قال العلماء في معنى هذه الأحاديث: إن الله تعالى خلق له صلَّى الله عليه وآله

---

(١) بينت في كتاب "فضائل النبيّ في القرآن" أن الآيتين لا تقتضيان نسبة الخطأ إليه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فليراجع.

وسلَّم إدراكًا خلف رأسه يبصر به من ورائه، وقد انخرقت العادة له صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بأكثر من هذا وليس يمنع من هذا عقل ولا شرع، بل ورد الشرع بظاهره، فوجب القول به، ونقل القاضي عياض عن الإمام أحمد بن حنبل وجمهور العلماء: «أن هذه الرؤية رؤية بالعين حقيقة».اهـ من "شرح النووي على مسلم".

ولم يثبت في شيء من الأحاديث أن هذه الرؤية كانت بعينين صغيرتين بين كتفيه كسمِّ الخياط لا تحجبهما الثياب، كما ذكره الزاهدي بختيار محب بن محمود، شارح "القدوري" في رسالته الناصرية، ومثل هذا لا يقبل فيه إلا ما صحّ نقْلُه، وإلا قصر في إثبات كونه معجزة؛ كما قال القسطلَّاني: «حملها على الإدراك بغير آلة» كما تقدم، وأما ما أورده ابن الجوزي في بعض كتبه بغير إسناد أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إني لا أعلم ما خلف جداري هذا**» فلا أصل له كما نقل الحافظ السخاوي عن شيخه الحافظ ابن حجرٍ.

ويؤخذ من روايات حديث الترجمة:

الأمر بإحسان الصلاة والخشوع فيها وإتمام الركوع والسجود، وجواز الحلف بالله لغير ضرورة، ولكن المستحب تركه، إلا لحاجة كتأكيد أمر وتفخيمه أو تمكينه من النفوس كما هنا، فإنه لما كانت الرؤية من الخلف أمرًا خارقًا للعادة أكدها باليمين، وجاء في إحدى روايات أنس في الصحيح: «**أيها الناس إني إمامكم فلا تسبقوني في الركوع ولا بالسجود ولا بالقيام ولا بالانصراف عني فإني أراكم أمامي ومن خلفي**». فيؤخذ من هذه الرواية تحريم سَبْق الإمام بهذه الأشياء، فمن فعل ذلك أثِم وصحَّت صلاته عند الجمهور،

وعن ابن عمر تَبْطُل صلاته، وهو مذهب الظاهرية، ورواية عن الإمام أحمد؛ لأنَّ النهي يقتضي الفساد.

(تنبيه): روىٰ البيهقي في "الدلائل" عن ابن عبَّاسٍ قال: كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يرىٰ بالليل في الظلمة كما يرىٰ بالنهار في الضوء.

وروىٰ البيهقي وابن عدي عن عائشة قالت: كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يرىٰ في الظلمة كما يرىٰ في الضوء.

فهي معجزة أخرىٰ تتعلق ببصره الشريف، وتضعيف ابن دحية لهذين الحديثين لا يضر، لأنهما مؤيدَّان بما ورد في معناهما مما هو خارق للعادة، فقد تواتر رؤيته للملائكة والشياطين، وصح رفع بيت المقدس حتىٰ صار ينظر إليه وهويخبر عنه صبيحة ليلة الإسراء، ورؤيته الجنّة والنَّار وهو في الصلاة، إلىٰ غير ذلك.

وأيضًا فإن شقيقنا الحافظ أبا الفيض رحمه الله قال: أخبرنا أبو البركات عوض محمد العفري: أنا[1] إسماعيل بن زين العابدين البرزنجي: أنا صالح بن محمد العمري: أنا محمد بن سنة: أنا الشريف الوولاتي: أنا الشهاب أحمد المقري: أنا عمي مفتي تلمسان سعيد بن أحمد المقري: أنا أبو عبد الله محمد بن محمد التنسي التلمساني: أنا والدي محمد بن عبد الله التنسي: أنا أبو الفضل محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد ابن مرزوق الحفيد، عن أبيه، عن جده الخطيب قال: أنا أبو المجد أحمد بن أبي عبد الله محمد بن القاضى أبي الفضل عياض، عن أبيه، عن جده الحافظ أبي الفضل عياض بن موسىٰ بن عياض اليحصبي قال:

---

(١) أنا مختصرة من أخبرنا، وثنا أو نا مختصرة من حدثنا، فليعلم ذلك.

أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد العدل من كتابه: حدثنا أبو الحسن المقرئ الفرغاني: حدثتنا أم القاسم بنت أبي بكر، عن أبيها: حدثنا الشريف أبو الحسن علي بن محمد الحسني: حدثنا محمد بن محمد بن سعيد: حدثنا محمد بن أحمد بن سليمان: حدثنا محمد بن محمد بن مرزوق: حدثنا همام: حدثنا الحسن، عن قتادة، عن يحيىٰ بن وثَّاب، عن أبي هريرة، عن النبيّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لما تجلَّى الله عزَّ وجلَّ لموسى عليه السَّلام كان يبصر النملة على الصفا في الليلة الظلماء مسيرة عشرة فراسخ**».

قال القاضي عياض: «ولا يبعد علىٰ هذا أن يختص نبينا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بما ذكرناه من هذا الباب -يعني رؤيته في الظلمات وغير ذلك- بعد الإسراء والحظوة بما رأىٰ من آيات ربه الكبرىٰ».اهـ

وهذا الحديث أخرجه الطبرانيّ في "المعجم الصغير".

٤٠- حديث: لو كان موسى حَيًّا ما وَسِعَهُ إلَّا اتِّباعي

عن جابرٍ قال: أتىٰ عمر رضي الله عنه النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: إنا نسمع أحاديث من يهود تُعجبنا أفترىٰ أن نكتب بعضها؟ فقال: «**أَمُتهَوِّكون أنتم كما تهوَّكت اليهودُ والنصارى؟! لقد جئتُكم بها بيضاءَ نقيَّةً ولو كان موسى حَيًّا ما وَسِعَهُ إلَّا اتِّباعي**». رواه أحمد بإسنادٍ حسنٍ وابن حِبَّان بإسنادٍ صحيحٍ، ورواه أحمد عن ابن عبَّاسٍ بإسنادٍ حسنٍ أيضًا، وله مع هذا طرقٌ.

قوله: «**أمتهوِّكون أنتم**» أي: متحيرون، كما قال الحسن، والتهوك: التحير.

قوله: «**كما تهوَّكَت اليهود والنصارى**» وذلك لأنَّ كتبهم دخلها التحريف بالزيادة والنقصان، فتحيَّروا في دينهم واختلفوا فيه، ولكن ديننا محفوظ كما قال

تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]ولفظ الذكر في الآية الشريفة يشمل القرآن والحديث، كما بينَّه الحافظ المجتهد أبو محمد ابن حزمٍ في كتاب "الأحكام".

قوله: «**لقد جئتكم بها**» أي: الشريعة، «**بيضاء نقيَّة**» كنَّى ببياضها ونقائها عن يسرها وسماحة تعاليمها وما اشتملت عليه من مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب.

قوله: «**ولو كان موسى حَيًّا ما وَسِعَهُ إلَّا اتّباعي**» لأنَّ الله تعالى أخذ عليه وعلى جميع الأنبياء عهدًا أن يؤمنوا به وينصروه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ [آل عمران: ٨١]فهو صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نبي الأنبياء وخاتِمهم.

والقادْيانية -لعنهم الله- يروون هذا بلفظ: «ولو كان موسى وعيسى حيين ما وسعهما إلا اتباعي» ليستدلُّوا على أن عيسى مات وأنه لا ينزل، والحديث باللفظ المذكور باطل لا أصل له، بل هو من جملة أكاذيبهم الكثيرة، أخزاهم الله.

وللطبريِّ في "التفسير"، وأبي داود في "المراسيل"، من طريق يحيى ابن جعدة: أنَّ ناسًا من المسلمين أتوا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بكتف قد كتبوا فيها بعض ما تقول اليهود، فلما نظر إليها ألقاها وقال: «**كفى بها حماقة قوم - أو: ضلالة قوم- أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إلى ما جاء به غير نبيهم**». فنزلت: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ الآية [العنكبوت: ٥١].

والحديث يقتضي النهي عن الأخذ من كتب الإسرائيليات، وذلك فيما يتعلق بالأمور الدينية من أصول وفروع، أما ما يتعلق بالمواعظ والآداب وأخبار الأوائل فلا بأس بذلك، ما لم يخالف ما ثبت بدليل صحيح، وقد كان جماعة من الصحابة يحدّثون عن أهل الكتاب، كعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن عباس وأبي هريرة[١] وكان عمر يقول لكعب الأحبار:خوِّفنا يا كعب، وكذلك كان عبد الله بن الزبير يسمع من كعب أيضًا ويحدث عنه.

أما تحديث التابعين عن أهل الكتاب فكثير، وحصل بين الحافظ السخاوي والبرهان البقاعي نزاع في جواز النقل من كُتب الأناجيل ونحوها، وألف كل منهما في ذلك بحسب رأيه، وأشار السخاوي إلى شيء من ذلك في كتاب "الإعلام بالتوبيخ لمن ذم التواريخ"[٢] وهو مطبوع، والله أعلم.

---

(١) بل قال إبراهيم بن أبي يحيى: أنا معاذ بن عبد الرحمن، عن يوسف بن عبد الله بن سلام، عن أبيه: أنه جاء إلى النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: إني قرأت القرآن والتوراة، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «اقرأ هذا ليلة وهذا ليلة». قال الذهبي في "تذكرة الحفاظ": «هذا إن صح ففيه الرخصة في تكرير التوراة وتدبرها».اهـ

قلت: إبراهيم ابن أبي يحيى ضعيف جدًّا، كذَّبه جماعة من الحفاظ وكان معتزليًّا جهميًّا قدريًّا، وقد أطال الذهبي في ترجمته في "الميزان"، وهو مع ضعفه حافظ كبير، وله موطَّأ أكبر من موطأ مالك بكثير، وقد روى عنه الشافعي ووثَّقَه، وقال الربيع: إذا قال الشافعي: «حدثني من لا أتهم»، أراد إبراهيم بن أبي يحيى.

(٢) وذكر فيه أنه ألَّف كتابا أسماه "الأصل الأصيل في تحريم النقل من التوراة والإنجيل" لكن لم يشر إلى ما حصل بينه وبين البقاعي.

٤١- حديث: «ليهبطنَّ ابن مريم»

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ليهْبطَنَّ ابن مريم حَكَمًا عَادِلًا وإمامًا مُقْسِطًا وليسلُكنَّ فجًّا حاجًّا أو مُعْتَمِرًا وليأتينَّ قَبْري حتَّى يُسَلِّمَ عليَّ ولأَرُدَنَّ عليه**». يقول أبو هريرة: أي بني أخي إن رأيتموه فقولوا: أبو هريرة يقرئك السلام. رواه الحاكم وصحَّحه، وسلَّمه الذهبيُّ.

قوله: «**ليهبطنَّ ابن مريم**» أي: من السماء على منارة بيضاء شرقي دمشق بين مَلَكَين، فيفُك حصار الدجال عن فلسطين ويقتله، ويُلْقي الله الرعب في قلوب اليهود من المسلمين فيقتلونهم، ويكون عيسى إذ ذاك «**حَكَمًا عادلًا وإمامًا مُقْسِطًا**» يحكم بالشريعة الإسلامية ويحيي ما اندرس منها، ويقاتل اليهود والنصارى على الإسلام ولا يقبل الجزية، ويكون حكمه بالكتاب والسنة، ولا يُقلِّد أحدًا من المذاهب خلافًا لما زعم بعض متهوسي الحنفية: أنه يكون على مذهبهم، بل المذاهب في وقته تبطل.

قوله: «**وليسلكنَّ فجًّا**» -بفتح الفاء- طريقًا واسعًا أو اسم موضع في طريق مكة «**حاجًّا أو معتمرًا، وليأتين قبري حتى يسلم عليّ**» تحقيقًا لتبعيته لي، واتباعه لشريعتي، «**ولأردن عليه السَّلام**»، واللام في «ليهبطن، وليسلكن، وليأتين، ولأردن» تدل على قَسَم مقدر، أي: والله ليهبطن، والله ليسلكن، والله ليأتين، والله لأردن، فهذه الأفعال مؤكدة بشيئين: القَسَم في أولها، ونون التوكيد المشدَّدة في آخرها، وذلك غاية ما يُطْلَب في التوكيد كما لا يخف.

ويؤخذ من الحديث أمور:

الأول: فضيلة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لكون عيسى -عليه الصَّلاة

والسَّلام- وهو رسول كريم من أولي العزم، ينزل تابعًا له وملتزمًا لشريعته.

قال العلماء: والحكمة في تخصيص نزوله: الرد على اليهود حيث زعموا أنهم قتَلوه وصلَبوه، وكذَبوا في زَعْمهم ذلك.

الثاني: إثبات نزول عيسى عليه السَّلام، وهذا أمر تواترت به الأخبار عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كما نصَّ عليه الحفَّاظ منهم: ابن جريرٍ الطبري، وأبو الحسين الآبري، والقرطبي، وابن كثيرٍ، وابن حجرٍ العسقلاني، وغيرهم[1] وجهل الشيخ محمد عبده هذا لكونه لا يعرف السُّنَّة، فادَّعى أن

---

(١) وبيان ذلك: أنه رواه عن النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: أبو هريرة، وحذيفة بن أسيد، والنواس بن سمعان، وعبد الله بن عمرو، وجابر، ومجمع بن جارية، وعثمان ابن أبي العاص، وواثلة بن الأسقع، وابن مسعودٍ، وحذيفة بن اليمان، وعائشة، وأنس، وغيرهم من الصحابة.

ورواه عن هؤلاء نحو ثلاثين تابعيًّا منهم: سعيد بن المسيب، وسعيد بن ميناء، وعطاء بن ميناء، وجبير بن نفير، ويعقوب بن عاصم، وأبو الزبير، وأبو نضرة، ومؤثر بن عفازة، وربعي بن حراش، والحسن البصري، وطاوس، وعلقمة، وأبو قلابة، وأبو صالح.

ورواه عن هؤلاء نحو ثلاثين أيضًا منهم: الزهري، وقتادة، والمقبري، وهشام بن عروة، وسليم بن حيان، وفرات القزاز، وعلي بن زيد، وابن جريج، وأبو حازم الأشجعي، وأيوب السختياني، وسعيد بن خثيم.

ورواه عن هؤلاء نحو خمسة وثلاثين شخصًا منهم: سفيان بن عينية، والليث إمام أهل مصر، والأوزاعي إمام أهل الشام، وأبو داود الطيالسي صاحب "المسند"، وشعبة أمير المؤمنين في الحديث، ومعمر صاحب "الجامع"، ويحيى بن جابر الطائي

حديث نزول عيسىٰ آحاد وأنكره بناء علىٰ ذلك حسبما نقله عنه تلميذه في "تفسير المنار"، وقلده مبتدعة الأزهر ومن علىٰ شاكلتهم مثل: المراغي وشلتوت وعبد الوهاب النجار، وقد ألفت كتابا سميته "إقامة البرهان علىٰ نزول عيسىٰ في آخر الزمان" فضَحْتُ به جهل شلتوت في فتوىٰ له نشرها بمجلة "الرسالة" الملحدة، وافق فيها القادْيانيين الكفار، فلما رآه وَلَجّ في العناد، أردفته بكتاب آخر أسميته "إرغام المبتدع الجهول باتباع سنة الرسول".

الثالث: استحباب إتيان قبر النبيّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لزيارته والسلام عليه، وهذا مما لا خلاف فيه، قال القاضي عياض: «وزيارة قبره صلَّىٰ الله عليه

قاضي حمص، وعاصم أحد أئمة القراء، وأبو جعفر المنصور أمير المؤمنين.

ورواه عن هؤلاء خلق كثير يبلغون نحو أربعين، منهم: عبد الرزاق صاحب "المصنف"، وعلي بن المديني الإمام العلم شيخ البخاري، وقتيبة بن سعيد، وروح، ويزيد بن هارون، وبشر بن معاذ، ومعاذ العنبري، وغُندر، وحجاج بن الشاعر، ومحمد بن بشار، وهؤلاء كلهم أئمة مشاهير.

ثم رواه عن هؤلاء وغيرهم أصحاب الكتب المعتبرة في الحديث، ودونوه في كتبهم مثل: أحمد والبخاري، ومسلم، وأبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن خزيمة، وابن حبان، والدارقطني، والحاكم، والبَيْهَقيّ، والطحاوي، والطبرانيّ، وغيرهم ممن لا يكادون يحصون.

فهذا تواتر علىٰ جميع الاصطلاحات المقررة في علم الأصول، ولكن أنَّىٰ لمحمد عبده ومقلديه أن يعرفوا هذا وهم أبعد الناس عن علم السنة وأنواعها، وليتهم إذا جهلوا سكتوا فقد كان السكوت أستر لحالهم، لكن قاتل الله حب الظهور فإنه قاصم للظهور، كما قال الصوفية.

وآله وسلَّم سنة من سنن المسلمين مُجمع عليها وفضيلة مُرغَّب فيها».اهـ

بل ذهب بعض المالكية وبعض الظاهرية إلى أنها واجبة كما حكاه الشوكاني في "نيل الأوطار"، والذي صرَّح بالوجوب من المالكية أبو عمران الفاسي، قال الحافظ عبد الحق الإشبيلي المالكي في كتاب "تهذيب الطالب": «يريد أنها واجبة وجوب السنن المؤكدة».اهـ

وقالت الحنفية: «أنها قريبة من الواجبات» حكاه الشوكاني أيضًا، وحكى ابن هبيرة اتفاق الأئمة على استحبابها.

وشد بلال المؤذن الرحلة من الشام إلى المدينة بقصد الزيارة كما رواه ابن عساكر بإسناد جيد وإن حاول ابن عبد الهادي تضعيفه تعصبًا لرأي ابن تيميه الذي خالف الإجماع بإنكاره مشروعية الزيارة الشريفة، وزعم أن السفر إليها معصية لا تقصر فيه الصلاة، ورد عليه العلماء قوله هذا وبدَّعوه، وأفرد التقي السبكي في الرد عليه كتابًا خاصًّا سماه "شفاء السقام بزيارة خير الأنام" وهو مطبوع، وليس لابن تيمية حجة فيما زعم إلا حديث الصحيحين: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد**»، لكن القصر في الحديث إضافي باعتبار المساجد لا حقيقي، بدليل ما ثبت بإسناد حسن، كما قال الحافظ: «**لا ينبغي للمَطيِّ أن تُشَد رحالها إلى مسجد تبتغى فيه الصلاة غير مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى**»(١).

---

(١) رواه الإمام أحمد في "المسند" عن شهر بن حوشب، قال: سمعت أبا سعيد الخدري - وذكر عنده صلاة في الطور- فقال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «لا

فالزيارة وغيرها خارجة عن النهي كما ترىٰ والأحاديث يفسر بعضها بعضًا والجمع بينها واجب، وإلغاء أحدها بغير دليل حرام كما نبهنا عليه فيما مر، وانظر "الشفاء" للقاضي عياض وشروحه، و"المواهب اللدنية" وشرحها، و"نيل الأوطار" للشوكاني وغيرها.

(تنبيه): قال العلامة ابن الحاج في "المدخل": «من لم يُقَدَّر له زيارته صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بجسمه فليَنْوِها كل وقت بقلبه، وليحضر قلبه أنه حاضر بين

ينبغي للمطي...» إلخ. وحسنه الحافظ الهيثمي أيضًا في كتاب "مجمع الزوائد" وهو كما ترىٰ صريح في أن النهي عن شد الرحال للمساجد لأجل الصلاة لا لأجل شيء آخر، لأن المساجد متماثلة لا فضل فيها لمسجد علىٰ آخر، إلا المساجد الثلاثة.

ويؤيده ما رواه أحمد أيضًا بإسناد رجاله ثقات كما قال الحافظ الهيثمي، عن عمر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام قال: لقي أبو بصرة الغفاري أبا هريرة وهو آت من الطور فقال: من أين أقبلت؟ قال: من الطور صليت فيه، قال: لو أدركتك قبل أن ترتحل ما ارتحلت، إني سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد؛ المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى**».

وروىٰ الطبرانيّ عن الأرقم -وكان بدريًّا- قال: جئت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لأودعه، وأردت الخروج إلىٰ بيت المقدس، فقال لي: «**أين تريد؟**» قلت: أريد بيت المقدس، قال: «**وما يخرجك إليه، أوفي تجارة؟**» قلت: لا ولكني أصلي فيه، فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**صلاة هاهنا** -يعني في مكة- **خير من ألف صلاة ثمَّ**». قال الحافظ الهيثمي: رجاله ثقات.

ورواه أحمد أيضًا بإسناد فيه يحيىٰ بن عمران، قال أبو حاتم: مجهول، ووثقه ابن حبان، وهذا حديث يفيد أن السفر بغرض غير الصلاة كالتجارة غير محظور.

يديه، مستشفع به إلى مَنْ مَنَّ به عليه».اهـ

وهذه زيارة روحية حضورية لا ينالها إلا من له مزيد تعلق واختصاص بالجناب النبوي الشريف، حققنا الله بهذا المقام بمنِّه وفضله.

الرابع: أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حي في قبره الشريف، وقدمنا أن هذا ثابت بالقرآن والسنة المتواترة والإجماع، وقطعنا على الوهابية طريق الزيغ والابتداع.

فإن قيل: قد قال الله تعالى خطابا لنبيه: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر: ٣٠]. وقال: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

قلنا: وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَـٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٤] وقال: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩]الآية.

والنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم جمع الله له بين درجتي النبوة والشهادة، فإنه مات شهيدًا من أثر أكلة خيبر، كما جاء في الصحيح، وأما حديث أبي هريرة: «**ما من أحد يسلم علي إلا رد الله إلي روحي حتى أرد عليه السَّلام**». رواه أحمد وأبو داود، فهو مع كونه ليس في قوة الأحاديث الدالة على حياة الأنبياء- مجاب عنه بثلاثة عشر جوابًا، سردها الحافظ السيوطي في كتاب "إنباء الأذكياء بحياة الأنبياء" وهو مطبوع ضمن كتاب "الحاوي للفتاوي".

بل ذهب بعض العلماء إلى أن هذا الحديث يدل على دوام حياته بطريق

بليغ كما بينته في كتاب "الرد المحكم المتين" مع ذكر بعض الأجوبة للبيهقي والسبكي، فليراجع.

الخامس: يؤخذ من قول أبي هريرة: «إن رأيتموه...» إلخ، ما كان عليه الصحابة من قوة الإيمان وشدة التصديق بما يسمعونه من النبيّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، ولهم في هذا الباب آثار وأحوال تزيد في إيمان سامعها، وتقوي يقينه، وبذلك فازوا و ربحوا وحازوا العز والتمكين في الدنيا مع ما ادخر لهم من عظيم المثوبة في الآخرة.

رَضيَ اللهُ عنهُم وأرضاهم، وحشرنا في زمرتهم تحت لواء نبينا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، والحمد لله رب العالمين.

٤٢- حديث: كان النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أحسن الناس

عن أبي هريرة قال: «كان النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أحسنَ النَّاسِ، كان رَبْعَةً وهو إلىٰ الطول أقرب، بعيدَ ما بين المَنْكَبين، أَسِيلَ الخَدَّين، شديد سواد الشَّعْر، أكْحَلَ العَينين أَهْدَبَ، إذا وَطِئ بقدمه وَطِئ بكلِّها، ليس له أخمصُ، إذا وَضَعَ رِداءه عن مَنْكَبيه فكأنَّه سَبيكةُ فِضَّةٍ، وإذا ضَحِكَ يتلألأ في الجُدُر، لم أرَ قبلَه ولا بعده مِثْلَه». رواه البزَّار والبيهقي.

ولابن سعد وأحمد وابن حِبَّان والبيهقي عن أبي هريرة قال: «ما رأيت شيئًا أحسن من رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كأن الشمس تجري في وجهه، وما رأيت أحدًا أسرع في مشية منه كأن الأرض تطوىٰ له إنا لنجهد وإنه غير مكترث».

قوله: «كان النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أحسن الناس» أي: خَلْقًا -بفتح الخاء- وخُلُقًا -بضمها- وفي حديث البراء في "صحيح البخاري": «كان أحسن الناس وجها وأحسنهم خَلْقًا -أي: بفتح الخاء- وقيل: بضمها.

قوله: «كان ربعة» اتفقت الروايات علىٰ ذلك في الصحيحين وغيرهما، والربعة -بفتح الراء وسكون الموحده- الوسط بين الطول والقصر، كذلك جاء مفسرًا في حديث أنس والبراء وغيرهما.

قوله: «وهو إلىٰ الطول أقرب» أي: يقرب من الطول قليلًا، لكن ليس بالطويل البائن كما سيأتي.

قوله: «بعيد ما بين المنكبين» أي: عريض أعلىٰ الظهر، زاد في حديث لأبي هريرة أيضًا عند ابن سعد: «رحب الصدر»، أي: واسعه.

قوله: «أسيل الخدين» بفتح الهمزة وكسر السين أي: لين الخدين مع طول فيهما.

قوله: «أهدب» أي: طويل الأشفار.

قوله: «إذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له أخمص» الأخمص: ما دخل من باطن القدم، فلم يصب الأرض، والمعنىٰ: أن في قدمه الشريفة خمصًا يسيرًا، بحيث لم يرتفع عن الأرض جدًّا، ولم يستوِ أسفل القدم، وهذا أحسن ما يكون كما قال ابن الأعرابي، وبهذا يجمع بين روايات من أثبت الأخمص ومن نفاها، فمن أثبت أراد الخموصة اليسيرة المعتدلة، ومن نفىٰ أراد الخموصة الشديدة.

قوله: «إذا وضع ردائه عن منكبيه فكأنه سبيكة فضة» وفي حديث محرش الكعبي قال: «اعتمر النبيّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من الجعرانة ليلًا فنظرت

إلى ظهرة كأنه سبيكة فضة». رواه أحمد والبيهقي.

وفي حديث أبي هريرة عند الترمذي والبيهقي: «كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أبيض، كأنما صيغ من فضة». ومعنى هذه الروايات ظاهر.

قوله: «وإذا ضحك يتلألأ في الجدر» أي: يظهر من أثر ضحكه إشراق ينعكس على الحيطان، كما ينعكس نور الشمس في المرآة.

ومن هذا الحديث أخذ شقيقنا الحافظ أبو الفيض -رحمه الله- اسم كتابه "بوارق الأنوار المنيفة بظهور النواجذ الشريفة" جمع فيه الأحاديث التي ورد فيها أنه صلى الله عليه ضحك حتى بدت نواجذه، وهو مطبوع.

وفي "صحيح البخاري" عن كعب بن مالك قال: «كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إذا سر استنار وجهه كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه.

وفيه أيضًا عن عائشة: «أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم دخل عليها مسرورًا تبرق أسارير وجهه».

ووقع في حديث جبير بن مطعم عند الطبرانيّ: «التفت إلينا النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بوجهه مثل شقة القمر».

قوله: «لم أرَ قبله ولا بعده مثله»، إذ ليس في الناس من يماثله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فهو كما قال الإمام البوصيري:

مُنَزَّهٌ عن شَرِيكٍ في محاسِنِهِ ... فجَوهَرُ الحُسنُ فيه غيرَ مُنقَسِمِ

وقال آخر:

وأَجْمَلُ مِنكَ لم ترَ قَطُّ عَيْنِي ... وأَكْمَلُ مِنْكَ لم تَلِدِ النِّساءُ

خُلِقْتَ مُبَرَّءًا مِن كُلِّ عَيْبٍ ... كأَنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ كما تَشاءُ

رواه البزَّار والبيهقي، ورواه أيضًا الذهلي في "الزهريات"، ويعقوب بن سفيان الفسوي في "تاريخه" وغيرهما، وإسناد الحديث حسن، والله تعالىٰ أعلم.

قوله في الرواية الثانية: كأن الشمس تجري في وجهه، قال الطيبي: «شبَّه جريان الشمس في فلكها بجريان الحسن في وجهه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وفيه عكس التشبيه للمبالغة»، قال: «ويحتمل أن يكون من باب تناهي التشبيه، جعل وجهه مقرًّا ومكانًا للشمس».

وفي "تاريخ يعقوب بن سفيان" من طريق يونس بن أبي يعفور، عن أبي إسحاق السبيعي، عن امرأة من همدان قالت: حججت مع رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم. فقلت لها: شبِّهيه، قالت: كالقمر ليلة البدر لم أر قبله ولا بعده مثله.

وروىٰ الدارمي والطبرانيّ وأبو نعيم والبيهقي، عن أبي عبيدة، قال: قلت للرُبيِّع -بضم الراء وكسر الياء المشددة- بنت مُعوِّذ -بضم الميم وكسر الواو المشددة-: صفي لي رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم؟ قالت: لو رأيته لرأيت الشمس طالعة.

وسُئِل البراء بن عازب: أكان وجه رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مثل السيف؟ قال: لا، بل مثل القمر. رواه البخاري.

وفي "صحيح مسلم" عن جابر بن سَمُرة: أن رجلًا قال له: أكان وجه رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مثل السيف؟ -أي في الطول واللمعان- قال: لا، بل مثل الشمس والقمر مستديرًا.

ولا تنافي بين هذا وبين الرواية السابقة: أسيل الخدين، لأنَّ المراد بها طول خفيف لا يمنع الاستدارة.

قوله: «كأن الأرض تُطْوَىٰ له...» إلخ، هذا بيان لسرعة مشيه.

ولابن سعد عن أبي هريرة قال: كنت مع رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في جنازة فكنت إذا مشيت سبقني، فالتَفَتُّ إلىٰ رجل جنبي فقلتُ: تطوىٰ له الأرض وخليل الله إبراهيم.

وسرعة المشي تدل علىٰ شدة الحزم وقوة العزيمة، بخلاف المشي الضعيف فإنه يدل علىٰ التخاذل وخور العزيمة، وقولهم: «سرعة المشي تذهب بهاء المرء»، ليس بحديث، والله أعلم.

٤٣- حديث: وصف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

عن عمر بن عبد الله مولىٰ غفرة قال: حدَّثني إبراهيم بن محمد من ولد علي بن أبي طالب قال: كان عليٌّ عليه السَّلام، إذا وصف رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «لم يكن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بالطويل المُمَغَّط ولا بالقصير المتردِّد، وكان رَبْعَةً من القوم، لم يكن بالجَعْدِ القَطَطِ ولا بالسَبِطِ، كان جَعْدًا رجِلًا، ولم يكن بالمُطَهَّم، ولا بالمُكَلْثَم، وكان في وجهه تدوير، أبيضُ مُشْرَب، أدْعَجُ العينين، أهدَبُ الأشفار، جَليل المُشَاشِ والكَتَدِ، أجردُ ذُو مَسرُبَة، شَثْنُ الكفَّيْن والقدمين، إذا مشىٰ تقلَّع كأنما ينحطُّ في صَبَبٍ، وإذا التَفَت التَفَت معًا، بين كتفيه خاتِم النبوَّة وهو خاتِم النبيِّين، أجود الناس صدرًا، وأصدق النَّاسِ لَهجَةً، وألينَهم عَريكَةً، وأكرمهم عِشْرَةً، مَن رآه بديهةً

هابَهُ، ومَن خالَطه معرفةً أحبَّهُ، يقول ناعِتُه: لم أر قبْلَه ولا بعْدَه مِثلَه».

رواه الترمذيُّ في "السنن" و"الشمائل" وغيره، والله أعلم.

قوله: «غُفْرة» بضم الغين المعجمه وسكون الفاء ويقال: «غُفَيْرة» بالتصغير وهي بنت رباح، وأخت بلال المؤذن، وأخيه خالد.

قال البخاري: هم أخوان وأخت ومولاها عمر بن عبد الله، مدني يكنىٰ: أبا حفص، روىٰ له أبو داود والترمذي، وفيه ضعف، وشيخه إبراهيم بن محمد ابن الحنفية ثقة من رجال الترمذي وابن ماجه، لكن روايته عن جده علي عليه السَّلام مرسلة فيما ذكر أبو زرعة الرازي، وهذا لا يضر هنا، لأنَّ وصف علي للنبيّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم تلقاه الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية عن أبيهم عليهم السلام، ولقنوه لأولادهم وأهل بيتهم فهو من أقوىٰ الموصولات، كما لا يخفىٰ، علىٰ أنَّ معناه وارد في عدة أحاديث.

قوله: «المُمَّغِط» -بضم الميم الأولي وفتح الميم الثانية المشددة وكسر الغين المخففة- اسم فاعل هو المتناهي الطول، فهو بمعنىٰ البائن في الرواية الأخرىٰ، وهو الذي فارق غيره في الطول وظهر عليه، وقيل المَمَغَّط -بفتح الميم الثانية وتخفيفها وتشديد الغين المعجمه المفتوحة- اسم مفعول من التمغيط، وأصله من مَغَط الحبل إذا مده، والمقصود: أنه لم يكن بالطويل البائن الطول ولا بالقصير المتردد -بكسر الدال الأولىٰ المشددة- أي: المتناهي في القصر، كأنه رد بعض خلقه علىٰ بعض وتداخلت أجزاؤه، قاله ابن الأثير، و«كان ربعة من القوم» تقدم شرحه.

وروىٰ ابن أبي خيثمة والبيهقي عن عائشة قالت: «لم يكن رسول الله صلَّىٰ الله

عليه وآله وسلَّم بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد، وكان ينسب إلى الربعة إذا مشى وحده، ولم يكن على حال يماشيه أحد من الناس ينسب إلى الطول إلا طاله رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما، فإذا فارقاه نسبا إلى الطول، ونسب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى الربعة».

قوله: «لم يكن بالجعد القَطَط» بفتح القاف وكسر الطاء الأولي، وقد تفتح، ولا بالسَبِط بفتح أوله وكسر الموحدة، والجعودة في الشعر ألا يتكسَّر ولا يسترسل، والقطط شدة الجعودة، والسبوطة في الشعر ضد الجعودة، وهو الامتداد الذي ليس فيه تعقد ولا نتوء، والمراد: أن شَعْرَه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وسط بين الجعودة والسبوطة، ولهذا قال: كان جعدا رَجِلًا -بفتح الراء وكسر الجيم، وقد تسكن وتفتح- يعني ليس شديد الجعودة ولا سبطًا فهو وسط بينهما، ولم يكن بالمُطَهَّم -بفتح الهاء المشددة- هو البادن الكثير اللحم المنتفخ الوجه من السمن، ولا بالمُكَلْثَم -بضم الميم الأولي وفتح الكاف والثاء المثلثة بينهما لام ساكنة- أي: المدور الوجه، ولذا قال: وكان في وجهه تدوير، فهذه الجملة بيان لقوله: ولا بالمكلثم، والمعنى: أن وجهه الشريف كان وسطًا بين التدوير والإسالة، ويعبر عن ذلك بالسهولة، وهذا أحسن عند العرب وأحلى.

قوله: «أبيض» بالرفع خبر مبتدأ محذوف، أي: هو أبيض مُشْرَب -بضم الميم وسكون الشين وفتح الراء المخففة، أو بفتح الشين وتشديد الراء المفتوحة- روايتان معناهما واحد، أي: مخلوط بحمرة.

كما جاء في حديث علي أيضًا عند سعيد بن منصور والطيالسي والحاكم، قال: «كان النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أبيض مُشْرَبًا بياضه بحمرة».

وفي حديث أنس عند البخاري: «أزهر اللون ليس بأبيض أمْهَق». أي: شديد البياض، لأنه مذموم عند العرب، فمن أثبت البياض للنبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أراد به المشوب بالحمرة، وهو اللون الأزهر الممدوح، وربما سموه أسمر كما قال أنس: «كان النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أسمر». رواه أحمد والبزَّار وابن منده بإسناد صحيح وصححه ابن حِبَّان.

ومن نفى البياض أراد البياض الشديد الذي يسمى مهقًا وصاحبه أمْهَق، وهو مذموم وبهذا تتفق الروايات.

قوله: «أدْعَجُ العينين» أي: شديد سواد الحدقة مع سَعة العين، كما في "الصحاح".

قوله: «أهدب الأشفار» جمع شُفر -بضم الشين، وقد تفتح- وهي حروف الأجفان التي ينبت عليها الشعر، والأهدب -بالدال المهملة- من طال شعر أجفانه، والمعنى ظاهر.

وروى ابن سعد والحرث ابن أبي أسامة عن ابن عبَّاسٍ وغيره: أن الصبيان كانوا يصبحون شعثًا رمصًا ويصبح رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم -وهو صبي- دهينًا كحيلًا.

قوله: «جَليل» أي: عظيم المشاش -بضم الميم وتخفيف الشين المعجمة- رؤوس العظام كالمرفقين والركبتين، والكتد -بفتح الكاف والتاء وقد تكسر- مجتمع الكتفين، والمعنى: أنه عظيم رؤوس العظام، عظيم مجتمع الكتفين،

وذلك يدل على القوة والشجاعة.

قوله: «أَجْرَد» أي: غير أشعر، أي: لم يكن على جسمه شعر كثير، فهو ذو مَسْرُبة -بفتح الميم وسكون السين المهملة وضم الراء- وهو شعر دقيق بين الصدر والسرة.

وفي رواية البيهقي: «له شعرات من سرته تجري كالقضيب ليس على صدره ولا بطنه غيرها».

وروى الطيالسي والطبرانيّ عن أم هانئ: ما رأيت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلا ذكرت القراطيس المثنى بعضها على بعض.

شَثْن -بفتح الشين المعجمة وسكون الثاء المثلثة، وقد يقال شتن، بالتاء المثناة- يعني: غليظ الكفين والقدمين، من غير قِصَر ولا خشونة، لما ورد أنه كان سائل الأطراف لين الكف.

قال المناوي: «ولما فسَّر الأصمعي الشثن في الحديث بالغلظ مع الخشونة، أورد عليه: أنه ورد في صفته أنه لين الكف، فحلف ألا يفسر شيئًا في الحديث».اهـ

وتفسير الحديث لا يكفي فيه معرفة اللغة، بل لابد من جمع الطرق والروايات وغير ذلك مما هو مبسوط في موضعه.

قوله: «إذا مشى تقلَّع» يعني مشى بقوة، ورفع برجليه رفعًا بائنًا متداركًا إحداهما بالأخرى كأنه يمشي مشي القَلَعَة بالتحريك، وهي القطعة العظيمة من السحاب، وقوله: «كأنما ينحط في صَبَب» بيان لقوله تقلع، والصَّبَب -بفتح الصاد والباء الأولي- الحدور، ضد الصعود، والمعنى ظاهر.

قوله: «وإذا التَفَتَ التَفَتَ معًا» أي: جميعًا، أي: إذا التفت إلى إنسان لكلام أو غيره التفت إليه بكله، وأقبل عليه بكليته، ولا يلتفت إليه بلَيٍّ لعُنُق كفعل المختالين المتكبرين.

قوله: «بين كتفيه خاتِم النبوة» بكسر التاء، أشهر وأفصح من فتحها والمراد به أثر بين كتفيه، نُعِت به في الكتب السابقة، وكان علامة عندهم على أنه النبيّ الموعود، حتى لا يشتبهوا في أمره، واختلفت الروايات في وصف هذا الخاتِم قدرًا وشكلًا ولونًا، واستوعبها الحافظ قطب الدين الحلبي في "شرح السيرة" وتبعه العلامة مغلطاي في "الزهر الباسم" ونحن نشير إليها بحول الله.

ففي الصحيحين عن السائب بن يزيد قال: «قمت خلف ظهر النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فنظرت إلى خاتمه بين كتفيه مثل زِرِّ الحَجَلة».

وفي "صحيح مسلم" عن جابر بن سَمُرَة قال: «رأيت خاتِم النبوَّة بين كتفيه مثل بيضة الحمامة يشبه جسده».

وفي رواية الترمذيِّ: «غدة حمراء مثل بيضة الحمامة».

وفي "صحيح مسلم" عن عبد الله بن سرجس قال: «نظرت إلى خاتِم النبوة بين كتفيه عند نُغْض كتفه اليسرى جُمْعا، عليه خيلان كأمثال الثآليل».

النُغْض -بضم النون وسكون الغين المعجمه- فرع الكتف، والجُمْع -بضم الجيم وسكون الميم- الكف إذا جمع، والخيلان: الشامات السود، والثآليل: حبوب تعلو ظاهر الجسد.

ولأحمد والبيهقي عن أبي رمثة قال: «انطلقت مع أبي إلى النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فنظرت إلى مثل السلعة بين كتفيه».

وفي رواية لابن سعد: «مثل التفاحة».

وللبخاريِّ في "التاريخ" عن أبي سعيد قال: «الختم الذي بين كتفي النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لحم ناتئة».

وفي رواية الترمذيِّ: «كان في ظهره بضعة ناشزة».

وفي رواية أحمد: «لحم ناشز بين كتفيه».

وفي حديث ابن عمر عند ابن حِبَّان: «مثل البندقة من اللحم».

وفي حديث أبي زيد بن أخطب عند الطبراني: «محجمة ناتئة».

قال العلماء: اختلفت أقوال الرواة في خاتِم النبوة وليس ذلك باختلاف حقيقة، بل كل واحد شبه بما عرض له.

قال القرطبي في "شرح مسلم": «اتفقت الأحاديث الثابتة علىٰ أن خاتِم النبوة كان شيئًا بارزًا أحمر عند كتفه الأيسر، قدره إذا قلل قدر بيضة الحمامة، وإذا كبر جمع اليد، قال السهيلي: والصحيح أنه كان عند نغض كتفه الأيسر، لأنه معصوم من وسوسة الشيطان، وذلك الموضع منه دخوله».اهـ

وقد روىٰ ابن عبد البر بسند قوي، كما قال الحافظ، عن ميمون بن مهران، عن عمر بن عبد العزيز: «أن رجلًا سأل ربه أن يريه موضع الشيطان فرأىٰ الشيطان في صورة ضفدع عند نغض كتفه الأيسر حذاء قلبه له خرطوم كالبعوضة»، وله شاهد مرفوع من حديث أنس: «**إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم**». الحديث، رواه أبو يعلىٰ وغيره، والصحيح أن الخاتم كان عند شق صدره الشريف، كما قال عياض، ولم يولد به من قبل، والله أعلم.

قوله: «وهو خاتِم النبيّين» جملة متمِّمَة لما قبلها، فهو خاتِم نبوة الأنبياء، لا

نبي بعده، قال المناوي وابن سلطان وغيرهما من شراح "الشمائل": «لا ينافي هذا نزول عيسىٰ عليه السَّلام، لأنه إنما ينزل متابعًا لشريعته مستمدًّا من القرآن والسنة».اهـ

قوله: «أجود الناس صدرًا» أي: أرحبهم صدرًا وأكرمهم قلبًا فلا يمل من الناس، ولا يضجر منهم علىٰ اختلاف طبائعهم وأمزجتهم، بل يخاطب كلًّا منهم علىٰ قدر منزلته، ويبذل لهم ما يسألونه من رفد وعطاء، ويعلِّمهم مما علمه الله مبتدئًا تارة ومجيبًا أخرىٰ، وتقدم شيء من جوده وسَعَة صدرة في شرح الحديث الثلاثين.

قوله: «وأصدق الناس لهجة» عُرِف بهذا منذ طفولته، حتىٰ كان يُدْعىٰ بين قومه بالأمين، فهو صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أصدق الناس لسانًا وأفصحهم بيانًا.

قوله: «وألْيَنَهم عَريكَة» أي: أسهلهم طبيعة لوفور حلمه وكثرة تواضعه، وخفض جناحه للفقير والمسكين،وفرط شفقته علىٰ اليتيم والمحروم.

قوله: «وأكرمهم عِشْرَة» بكسر العين وسكون الشين، اسم من المعاشرة وهي المصاحبة، فمصاحبته صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أكرم مصاحبة، لأنه أشد الناس وفاء، وأكثرهم عن الزَلَّات إغْضاء، يرعىٰ حقوق المعاشرة، ويراعي روابط المودة يكون، مع أصحابه كأحدهم لا يتميز عنهم بشيء، ولا يشق عليهم في شيء.

وفي رواية: «وأكرمهم عشيرة» أي: قبيلة، وهي صحيحة أيضًا، فإن قبيلته أكرم القبائل، ونسبه أشرف الأنساب، كما تقدم في شرح الحديث الرابع والسابع.

قوله: «من رآه» رؤية «بديهة» فجأة من غير سابق مخالطة ومعرفة، «هابه» لما عليه من المهابة الإلهية، لأنَّ قلبه الشريف ممتلىء بعظمة مولاه ومحبته وإجلاله وذلك يورِّث المهابة المذكورة، «ومن خالطه» وعاشره «معرفة»، أي: مخالطة معرفة، «أحبه» حبًّا شديدًا حتى يقدِّمه على أهله ونفسه، ويبذل كل شيء في سبيل طاعته ورضاه، كما كان الصحابة يفعلون، فإنهم كانوا يبذلون أنفسهم دونه.

وهذا واجب على كل مسلم بنص القرآن، قال الله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦]وقال سبحانه: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [التوبة: ١٢٠].

ويعادون -بل يقاتلون- آباءهم وأبنائهم وعشيرتهم، دفاعًا عنه، وحفظًا لحرمته، فمدحهم الله على ذلك ووصفهم بالإيمان.

«يقول ناعته»، أي: واصفه، إذا أراد الإجمال في نعته، لأنَّ التفصيل غير متيسِّرٍ: «لم أرَ قَبْلَهُ ولا بعده مِثله»؛ لأنه جمع بين حسن الجمال، ووقار الجلال، وبلغ الغاية في خصال الكمال، فهو كما قال البوصيري رحمه الله:

مُنَزَّهٌ عَنْ شَرِيكٍ في مَحَاسِنِهِ فجَوْهَرُ الحُسْنِ فيهِ غَيْرُ مُنْقَسِمِ

قال الحافظ أبو نعيم: «وقد اختلفت ألفاظ الصحابة في نعته وصفاته، وذلك لِما رُكِّب في الصدور من جلالته وحلاوته وعظيم مهابته وطلاوته، ولِما جُعِل في جسده الشريف من النور الذي يتلألأ ويغلب على بشرته، فأعْياهم

ضبط صفته، ونعْت حِلْيته حتىٰ قال بعضهم: «كان مثل الشمس طالعة»، وقال بعضهم: «كان يتلألأ تلألؤ القمر ليلة البدر»، وقال بعضهم: «لم أرَ قبله ولا بعده مثله»، فلذلك السبب كان اختلافهم في وصف خِلْقَته».اهـ

وإلىٰ هنا تم هذا الشرح المبارك إن شاء الله تعالىٰ.

وقد رأينا أن نختمه بحديث جامع في صفاته وشمائله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فنقول:

أنبأنا سعيد بن أحمد الفراء الدمشقي: أنا علاء الدين بن محمد بن عمر الحسيني: أنا أبي: أنا محمد بن عبد الرحمن الكزبري: أنا أبي: أنا أبو المواهب الحنبلي: أنا أبي: أنا الشمس محمد بن عبد الله الأنصاري: أنا محمد بن خليل اليشبكي: أنا أبو الفضل الحافظ: أنا أبو إسحاق التنوخي: أنا محمد بن جابر بن محمد الوادآشيء: أخبرنا أبو المواهب ربيع بن أبي عامر يحيىٰ بن عبد الرحمن بن ربيع: أنا الحسن بن علي الغافقي.

(ح) وقال التنوخي: أنا يحيىٰ بن محمد بن سعد كتابة: أنا أبو جعفر أحمد بن علي بن حكم.

(ح) وأنبأنا محمد بن إبراهيم السقا: أنا أبي: أنا ثعيلب: أنا الشهاب الملوي: أنا عبد الله بن سالم البصري: أنا محمد البابلي: أنا سالم بن محمد: أنا النجم الغيطي: أنا القاضي زكريا الأنصاري: أنا الشمس محمد بن علي القاياتي: أنا السراج عمر بن علي بن الملقن الأنصاري: أخبرنا أبو الفتوح يوسف بن محمد الدلاصي: أنا التقي أبو الحسن يحيىٰ بن أحمد بن محمد بن تامتيت اللواتي: أنا أبو الحسن يحيىٰ بن محمد بن علي الأنصاري المعروف بابن الصائغ.

قال هو والغافقي وأبو جعفر ابن حكم: أخبرنا عياض بن موسى الحافظ قال: حدثنا القاضي أبو علي الحسين بن محمد الحافظ بقراءتي عليه: حدثنا الإمام أبو القاسم عبد الله بن طاهر التميمي فيما قرأت عليه: أخبركم الفقيه الأديب أبو بكر محمد بن عبد الله بن الحسن النيسابوري، والشيخ الفقيه أبو عبدالله محمد بن أحمد بن الحسن المحمدي، والقاضي أبو علي الحسن بن علي بن جعفر الوخشي.

قالوا: حدثنا أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد بن الحسن الخزاعي: أخبرنا أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي: أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرَة الحافظ.

قال: حدثنا سفيان بن وكيع: حدثنا جُمَيِّع -بالتصغير- بن عمر بن عبد الرحمن العجلي إملاءً من كتابه، قال: حدثني رجل من بني تميم، من ولد أبي هالة زوج خديجة أم المؤمنين -رَضيَ اللهُ عنها- يكنى أبا عبد الله، عن ابن لأبي هالة، عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضيَ اللهُ عنهُ-قال: سألت خالي هند بن أبي هالة.

(ح) قال القاضي أبو علي: وقرأت على الشيخ أبي طاهر أحمد بن الحسن بن أحمد ابن خُداداد الكرجي الباقلاني، وأجاز لنا الشيخ الأجل أبو الفضل أحمد بن الحسن بن خيرون.

قالا: حدثنا أبو علي الحسن بن إبراهيم بن أحمد بن الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب بن مهران الفارسي قراءة عليه فأقرَّ به: أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبد الله بن الحسين بن علي بن

الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف بابن أخي طاهر العلوي، قال: حدثنا إسماعيل بن محمد بن إسحاق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، عن أخيه موسىٰ بن جعفر، عن جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين.

قال الحسن بن علي -واللفظ لهذا السند-: سألت خالي هندًا بن أبي هالة عن حِلية رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وكان وصَّافًا، وأنا أرجوا أن يصِفَ لي منها شيئًا أتعَلَّق به قال: «كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فخْمًا مفَخَّمًا، يَتَلأْلأُ وجْهُهُ تلَأْلُؤَ القمر ليلة البدر، أطول من المربوع، وأقصر من المشَذَّب، عظيم الهامَة، رَجِل الشعر، وإن انفرقت عقيصَتُه فرق، وإلَّا فلا، يجاوز شعره شحْمَة أذنيه إذا هو وفَّرَه، أزهر اللون، واسع الجبين، أزَجُّ الحواجب سوابِغٌ من غَيْر قرن، بينهما عِرْقٌ يدره الغضب، أقنىٰ العرنين له نور يعلوه، ويحسبه من لم يتأمله أشم.

كث اللحية، أدعج، سهل الخدين، ضليع الفم، أشنب، مفلج الأسنان، دقيق المسربة كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة.

معتدل الخلق، بادنًا متماسكًا سواء البطن والصدر، مشبح الصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس، أنور المتجرد، موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط، عاري الثديين ما سوىٰ ذلك، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر، طويل الزندين، رحب الراحة، شثن الكفين والقدمين، سائل الأطراف، أو قال: سائن الأطراف، وسائر الأطراف، سبط العصب، خمصان الأخمصين، مسيح القدمين ينبو عنهما الماء.

إذا زال زال تقلعًا، ويخطو تكفؤًا، ويمشي هونا، ذريع المشية، إذا مشىٰ كأنما ينحط من صبب، وإذا التفت التفت جميعًا، خافض الطرف، نظره إلىٰ الأرض أطول من نظره إلىٰ السماء جل نظره الملاحظة، يسوق أصحابه، يبدأ من لقيه بالسلام.

قلت: صف لي منطقه. قال: كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم متواصل الأحزان، دائم الفكرة، ليست له راحة، ولا يتكلم في غير حاجة، طويل السكوت، يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه، ويتكلم بجوامع الكلم، فصلًا لا فضول فيه ولا تقصير، دمثًا ليس بالجافي ولا المهين، يعظم النعمة وإن دقت، لا يذم شيئًا، لم يكن يذم ذواقًا ولا يمدحه.

ولا يقام لغضبه إذا تعرض للحق بشيء حتىٰ ينتصر له، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها، إذا أشار أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها، وإذا تحدث اتصل بها فضرب بإبهامه اليمنىٰ راحته اليسرىٰ، وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غض طرفه، جل ضحكه التبسم، ويفترّ عن مثل حب الغمام.

قال الحسن: فكتمتها عن الحسين بن علي زمانًا، ثم حدثته، فوجدته قد سبقني إليه، فسأل أباه عن مدخل رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ومخرجه ومجلسه وسكوته فلم يدع منه شيئًا.

قال الحسين: سألت أبي عن دخول رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم؟ فقال: كان دخوله لنفسه مأذونًا له في ذلك، فكان إذا أوىٰ إلىٰ منزله جزَّأ دخوله ثلاثة أجزاء، جزءًا لله، وجزءًا لأهله، وجزءًا لنفسه، ثم جزء جزئه بينه وبين الناس، فيرد ذلك علىٰ العامة بالخاصة ولا يدخر عنهم شيئًا.

فكان من سيرته في جزء الأمة إيثار أهل الفضل بإذنه وقسمته على قدر فضلهم في الدين، منهم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج، فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما يصلحهم والأمة من مسألته عنهم وأخبارهم الذي ينبغي لهم ويقول: «**ليبلغ الشاهد منكم الغائب، وأبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغي حاجته، فإنه من أبلغ سلطانًا حاجة من لا يستطيع إبلاغها، ثبت الله قدميه على الصراط يوم القيامة**»، لا يذكر عنده إلا ذلك، ولا يقبل من أحد غيره.

قال في حديث سفيان بن وكيع: يدخلون روادًا، ولا يتفرقون إلا عن ذواق، ويخرجون أدلة -يعني فقهاء- قلت: فأخبرني عن مخرجه كيف كان يصنع فيه؟ قال: كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يخزن لسانه إلا مما يعنيهم ويؤلفهم ولا يفرقهم، يكرم كريم كل قوم، ويولِّيه عليهم، ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد بشره وخلقه، ويتفقد أصحابه، ويسأل الناس عما في الناس، ويحسِّن الحسن ويصوبه، ويقبِّح القبيح ويوهنه، معتدل الأمر غير مختلف، لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يملُّوا، لكل حال عنده عتاد، لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه إلي غيره، الذين يلُونَه من الناس خيارهم، وأفضلهم عنده أعمهم نصيحة، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة.

فسألته عن مجلسه عما كان يصنع فيه؟ فقال: كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر، ولا يوطِّن الأماكن، وينهى عن إيطانها وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك، ويعطي

كل جلسائه نصيبه، حتىٰ لا يحسب جليسه أن أحدًا أكرم عليه منه، ومن جالسه أو قاومه لحاجة صابره حتىٰ يكون هو المنصرف عنه، من سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول، وقد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبًا وصاروا عنده في الحق متقاربين متفاضلين فيه بالتقوىٰ.

وفي الرواية الأخرىٰ: صاروا عنده في الحق سواء.

مجلسه مجلس حلم وحياء، وصبر وأمانة، لا ترفع فيه الأصوات ولا تؤبن فيه الحرم، ولا تنثىٰ فلتاته -هذه الكلمة من غير الروايتين- يتعاطفون بالتقوىٰ، متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون الصغير ويُرْفِدون ذا الحاجة ويرحمون الغريب.

فسألته عن سيرته صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في جُلسائه؟ فقال: كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم دائم البشر سهل الخلق لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح، يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه، وقد ترك نفسه من ثلاث: «الرياء، والإكثار، وما لا يعنيه» وترك الناس من ثلاث: «كان لا يذم أحد، ولا يعيره، ولا يطلب عورته»، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما علىٰ رؤوسهم الطير، وإذا سكت تكلموا، لا يتنازعون عنده الحديث، من تكلم عنده أنصتوا له حتىٰ يفرغ، حديثهم حديث أولهم، يضحك مما يضحكون منه، ويتعجب مما يتعجبون منه، ويصبر للغريب علىٰ الجفوة في المنطق، ويقول: «**إذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فأرفِدوه**»، ولا يطلب الثناء إلا من مكافيء، ولا يقطع علىٰ أحد حديثه حتىٰ يتجوزه، فيقطعه بانتهاء أو قيام.

هنا انتهى حديث سفيان بن وكيع.

وزاد الآخر: قلت: كيف كان سكوته صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: كان سكوته على أربع: على الحلم، والحذر، والتقدير، والتفكُّر، فأما تقديره ففي تسوية النظر والاستماع بين الناس، وأما تفكيره ففيما يبقى ولا يفنى، وجمع له الحلم في الصبر فكان لا يغضبه شيء يستفزه، وجمع له في الحذر أربع: أخذه بالحسن ليقتدى به، وتركه القبيح لينتهى عنه، واجتهاد الرأي بما يصلح أمته، والقيام لهم بما جمع لهم أمر الدنيا والآخرة».

وهكذا رويناه في "الشفاء" من طريق الترمذي في "الشمائل"، والحافظ أبي علي ابن شاذان المتوفي ببغداد سنة ٤٢٦هـ.

وأخرجه أيضًا ابن سعد في "الطبقات" والطبرانيّ في "الكبير" وأبو نعيم والبيهقي كلاهما في "الدلائل".

ومعانيه واردة في جملة أحاديث في الصحاح والسنن وغيرها وشرحه مستوفى في شروح "الشمائل" وشروح "الشفا"، وغيرها.

والحمد لله رب العالمين، وصلاته وسلامه على سيدنا محمد سيد المرسلين، وخاتم النبيّين، وعلى آله الطاهرين وخيار صحابته من الأنصار والمهاجرين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

٣- السَّيفُ البَتَّار
لِمَن سَبَّ النَّبِيَّ المُخْتار

مَـنْ عَـابَ أو سَـبَّ النبـيَّ فحُكْمُـهُ سَـيْفٌ يُجَلِّـلُ رأسـه تَفْريعًـا
هـذا قَضَـاءُ المُسـلمينَ جمـيعهم لا خُلْـفَ بيـنَهُمُ ولا تَفْريعًـا

مقدِّمة المؤلف

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عُدوان إلَّا على الظالمين، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّدٍ وآله الأكرمين، ورضي الله عن صحابته والتابعين.

وبعد: فقد كتب عالِمان في حادثةٍ وقعت في زمنهما كتابين مُفيدين، أحدهما: القاضي تقيُّ الدين السُّبكيُّ، ألَّفَ كتاب: "السَّيفُ المَسْلُولُ على من سبَّ الرسول".

والآخر: الحافظُ ابنُ تيميةَ، وسمَّى كتابه: "الصَّارمُ المَسْلُولُ على شاتِم الرسول"، وهو مفيدٌ جدًّا لكنه ليس عندي الآن.

وهذا مؤلَّفٌ ثالثٌ كتبتُهُ لحادثةٍ أوجَبَتْهُ، وسمَّيتُه: **"السَّيفُ البتَّارُ لمن سبَّ النبيَّ المُخْتار"**، كتابنا هذا.

واللهَ أسألُ أنْ يقبلَهُ مني ويجعلَهُ سببًا لنَيْل رِضاه، إنه جوادٌ كريمٌ رؤوفٌ رحيمٌ.

□آراءُ العلماء فيمن سبَّ النبيَّ وأدلتهم على ذلك

قال الإمام ابن المنذر في كتاب "الإقناع": «أجمع عوام أهل العلم على وجوب القتل على من سبَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، هذا قول مالكٍ، والليث بن سعد، والشافعيِّ، وأحمد، وإسحاق، ومن تبعهم».اهـ

قال القاضي عياض في "الشفا": «وهو مقتضى قول أبي بكرٍ الصدِّيق رضي الله عنه، ولا تُقبل توبته عند هؤلاء. وبمثله قال أبو حنيفة وأصحابه، والثوريُّ، وأهل الكوفة، والأوزاعيُّ في المُسْلِم، وقالوا: هي رِدَّةٌ».اهـ

وحكى ابن حزمٍ في "المُحَلَّى" عن أبي حنيفة، ومالكٍ، والشافعيِّ، وأحمد بن حنبلٍ، وإسحاق بن راهَوَيْه، وسائر أصحاب الحديث وأصحابهم: أنَّ من سبَّ النبيَّ -صلَّى الله عليه وآله وسلَّم- كافرٌ مُرتدٌّ.

وقال محمَّد بن سحنون: «أجمع العلماء على أنَّ شاتم النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كافرٌ، والوعيد جارٍ عليه بعذاب الله تعالى، وحكمه عند الأمة القتل».اهـ

وممن صرَّح بوجوب قتل شاتِم النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: أبو بكرٍ الصِّدِّيق، وابن عمر، وعمر بن عبدالعزيز، رضي الله عنهم أجمعين.

أمَّا أبو بكرٍ: فروى أبو داودٍ، والنسائيُّ، عن أبي برزة -رضي الله عنه- قال: كنت عند أبي بكرٍ رضي الله عنه فتغيَّظ على رجلٍ فاشتدَّ عليه، فقلت: تأذنُ لي يا خليفة رسول الله أضرب عنقه؟ قال: فأذْهَبَتْ كلمتي غضبه، فقام فدخل، فأرسل إليَّ وقال: ما الذي قلت آنفًا؟! قلتُ: ائذن لي أضرب عنقه،

قال: أكنتَ فاعلًا لو أمرتُك؟ قلتُ: نعم، قال: لا والله، ما كانت لبشرٍ بعد محمَّدٍ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

وروىٰ ابن حزمٍ من طريق قاسم بن أصبغ قال: حدَّثنا محمَّد بن عبدالسلام الخشنيُّ: نا محمَّد بن بشَّار: أنا معاذ بن معاذ العنبريُّ: نا شعبة، عن توبة العنبريِّ قال: سمعتُ أبا السَّوار القاضي عبدالله بن قدامة يحدِّث عن أبي بَرْزَةَ قال: أغْلَظَ رجلٌ لأبي بكرٍ، فقلتُ: ألا أقتله؟ فقال أبو بكرٍ: ليس هذا إلا لمن شتم النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

وأما ابن عمر رضي الله عنهما: فروىٰ بن المنذر في كتاب "الأوسط"، عن حصين، عن مجاهد قال: قيل لابن عمر: إنَّ رجلًا سبَّ النبيَّ -صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم- فقال: «لو سمعته لقتلته، ما صالحناهم علىٰ سبِّ نبينا».

وروىٰ الخَلَّالُ في "الجامع" في "كتاب المِلَل"، باب من شتم النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، عن حصينٍ، عمن حدثه عن ابن عمر: أنه مرَّ به راهبٌ فقيل له: هذا يسُبُّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فقال ابن عمر: «لو سمعته لقتلته، إنا لم نعطهم الذمَّة علىٰ أن يسبُّوا نبينا».

وأما عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه: فروىٰ ابن حزمٍ في "المُحَلَّىٰ" من طريق قاسم بن أصبغ: نا ابن وضاح: نا سحنون: نا ابن وهب، عن خالد، عن حميد، عن عمر بن عبدالله، عن عبدالحميد بن عبدالرحمن بن زيد بن الخطاب: أنه كان علىٰ الكوفة لعمر بن عبدالعزيز، فكتب إلىٰ عمر بن عبدالعزيز: «إني وجدت رجلًا بالكوفة يسُبُّك، وقامت عليه البيِّنة فهمَمْت بقتله أو قطع يديه أو قطع لسانه أو جلده، ثم بدا لي أن أراجعك فيه».

فكتب إليه عمر بن عبدالعزيز: «سلامٌ عليك، أما بعد: والذي نفسي بيده لو قتلته لقتلتك به، ولو قطعته لقطعتك به، ولو جلدته لأَقَدْتُه منك، فإذا جاءك كتابي هذا فاخرج به إلى الكِناسة فسُبَّه كالذي سبَّني، أو اعف عنه فإنّ ذلك أحب إليّ، فإنه لا يحل قتل امرئ مسلم يسب أحدًا من الناس، إلا رجلًا سب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم».

ويؤيد هذه الآثار أحاديث:

١- قال ابن حزمٍ: حدثنا حُمَام: نا عباس بن أصبغ: نا محمد بن عبدالملك بن أيمن: نا أبو محمد حبيب البخاري -وهو صاحب أبي ثور، ثقة مشهور-: نا محمد بن سهل: سمعت علي بن المديني يقول: «دخلت على أمير المؤمنين، فقال لي: أتعرف حديثًا مسندًا فيمن سبَّ النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فيُقتل؟ قلتُ: نعم، فذكرْتُ له حديث عبدالرزاق، عن مَعْمَر، عن سِماك بن الفضل، عن عروة بن محمد، عن رجل من بلقين: كان رجل يشتم النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقال النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَنْ يَكْفِيني عَدُوًّا لي؟**» فقال خالد بن الوليد: أنا. فبعثه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إليه فقتله».

فقال له أمير المؤمنين: ليس هذا مسندًا، هو عن رجل؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، بهذا يعرف هذا الرجل وهو اسمه، وقد أتى نبيَّ الله فبايعَه، وهو مشهور معروف. قال: فأمر لي بألف دينار». قال ابن حزمٍ: «هذا حديث مسند صحيح».

٢- حديث قتل كعب بن الأشرف اليهودي الذي شتم النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وهو في "الصحيحين" وفي كتب السيرة، روى البخاريُّ عن

جابرٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَنْ لِكَعْب بن الأشْرَف، فإنه قد آذى الله ورسوله؟**»، فقام محمد بن مسلمة فقال: يا رسول الله أتحب أن أقتله؟ قال:«**نعم**»، قال: فائذن لي أن أقول شيئًا، قال: «**قل**». فأتاه محمد بن مسلمة فقال: إن هذا الرجل قد سألَنَا صدقة، وإنه قد عنَّانَا، وإني قد أتيتك أستسلفك، قال: وأيضًا والله لَتَمَلُّنَّهُ، قال: إنَّا قد اتَّبَعْناه فلا نحب أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيء يصير شأنه، وقد أردنا أن تُسْلِفَنَا، قال: نعم، ارهنوني. قالوا: أي شيء تريد؟ قال: ارهنوني نسائكم. فقالوا: كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب؟! قال: فارهنوني أبناءكم. قالوا: كيف نرهنك أبناءنا فيُسَب أحدُهم فيقال: رُهِن بوَسَق أو وسَقين؟! هذا عار علينا، ولكن نرهنك اللأمة -يعني السلاح- فواعده أن يأتيه ليلًا، فجاءه ليلًا ومعه أبو نائلة -وهو أخو كعب من الرضاعة- فدعاهم إلى الحصن، فنزل إليهم، فقالت له امرأته: أين تخرج الساعة؟! أسمع صوتا كأنه يقطر منه الدم!، قال: إنما هو أخي محمد بن مسلمة ورضيعي أبو نائلة، إنّ الكريم لو دُعي إلى طعنةٍ بليلٍ لأجاب.

قال: ويُدْخِل محمد بن مسلمة معه رجلين، فقال: إذا ما جاء فإني قائل بشعره فأشُمَّه، فإذا رأيتموني استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه، فنزل إليهم متوشحًا وهو ينفح منه ريح الطيب، فقال: ما رأيت كاليوم ريحًا -أي: أطيب- قال: عندي أعطر نساء العرب، فقال: أتأذن لي أن أشم رأسك؟ قال: نعم. فشمَّه ثم أشم أصحابه ثم قال: أتأذن لي؟ قال: نعم، فلما استمكن منه قال: دونكم، فقتلوه. فأتوا النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فأخبروه». هذا لفظ رواية البخاري.

وكان كعب قد نَقَضَ العهد وحرَّض قريشًا على قتال المسلمين بعد انتصارهم ببدر، وقال لما بَلَغَه قَتْل صناديد قريش: «لئن كان محمدًا قتل هؤلاء لبَطْن الأرض خير من ظهرها».

٣- حديث قتل أبي رافع اليهودي: روى البخاري في "صحيحه" عن البراء بن عازب قال: «بعث رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى أبي رافع اليهودي رجالًا من الأنصار، فأمّر عليهم عبدالله بن عتيك، وكان أبو رافع يؤذي رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ويُعين عليه، فدخل عليه عبدالله بن عتيك بيته ليلًا فقتله». وكان قَتْلُه بعد كعب بن الأشرف لعنهما الله.

٤- حديث ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: « إنّ أعمى كانت له أم ولد تشتم النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وتقع فيه فينهاها فلا تنتهي ويزجرها فلا تنزجر، قال: فلما كان ذات ليلة، جَعَلت تقع في النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وتشتمه، فأخذ المِغْوَل فوضعه في بطنها واتكأ عليها فقتلها، فوقع بين رجلها طفل فلطخت ما هناك بالدم، فلما أصبح ذُكر ذلك لرسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فجمع الناس فقال: «**أَنْشُدُ اللهَ رَجُلًا فَعَلَ مَا فَعَلَ، لِي عَلَيْهِ حَقٌّ إِلَّا قَامَ**»، قال: فقام الأعمى يتخطى الناس وهو يَتَدَلْدَلُ حتى قعد بين يدي النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: يا رسول الله، أنا صاحبها، كانت تشتِمُكَ وتقع فيك فأنهاها فلا تنتهي وازجرها فلا تنزجر، ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين، وكانت بي رفيقة، فلما كانت البارحة جعلت تشتمك وتقع فيك، فأخذتُ المِغْوَلَ فوضعتُهُ في بطنها واتَّكَأْتُ عليها حتى قَتَلْتُها، فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ألا اشهدوا أنَّ دَمَها هَدَرٌ**». رواه أبو داود والنَّسائيُّ، ورجاله ثقات.

٥- ما رواه أبو داود: عن الشعبي، عن علي عليه السَّلام: «أنّ يهودية كانت تشْتُم النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وتقع فيه فخنقها رجل حتىٰ ماتت فأبطل رسول الله دمها». رجال إسناده رجال الصحيح.

حكم مَن سبَّ النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم

تبيَّن مما أوردناه، أن الحكم بقتل صاحب "آيات شيطانية" صحيحٌ جدًّا، وهو مبنيٌّ علىٰ أساس من الأدلة متين، ومن استبعد هذا الحكم أو استكثره فهو إمّا جاهل بأحكام الدين وقواعده، وإما أنَّ في عقيدته دَخَلًا وخَلَلًا، أما الذي أيَّد ذلك المجرم وجاحَش عنه ممن ينتمي إلىٰ الإسلام، فهو مرتَدٌّ يجبُ قتلَهُ -إن لم يتب- وهذا حكم الإسلام.

سُئل الإمام أبو الحسن القابسي فيمن قال عن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «الحمّالُ، يتيمُ أبي طالب»؟، فأفتىٰ بقتله.

وسُئل أبو محمد بن أبي زيد القيرواني صاحب "الرسالة" المشهورة عن رجل سمع جماعة يتذاكرون في صفة النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، إذ مر عليهم رجل قبيح الوجه واللحية فقال لهم: «تريدون أنْ تعرفوا صفته؟ هي صفة هذا المار في خَلْقِه وخُلُقِه وهيئة لحيته»؟ فأفتىٰ بقتله ولا تقبل توبته.

وقال الشيخ أحمد بن أبي سليمان صاحب سحنون: «من قال: إنّ النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أسود يقتل». والحوادث من هذا القبيل كثيرة، ذكر جملة منها القاضي عياض في "الشفا" رحمه الله ورضي عنه.

وقال حبيب بن الربيع القروي: «مذهب مالك وأصحابه أن من قال في

حق النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ما فيه نقص قُتِل دون استتابة».

وقال ابن عتّاب: «نص الكتاب والسنة موجبان أن من قصد النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بأذىً أو نقصٍ مُعرِّضًا أو مُصرِّحًا، وإنْ قلَّ، فقتله واجب».

قال القاضي عياض: «فهذا كله -أي: ما فيه أذية أو تنقيص له مما عدّه العلماء سبًّا- يجب قتل قائله لم يختلف في ذلك متقدمهم ولا متأخرهم».اهـ

والحوادث التي حكاها القاضي عياض وغيره نُفِّذ حكم القتل في مرتكبيها، مسلمين كانوا أو نصارىً، إذ كانت الحدود قائمة وحكم الإسلام نافذ، أما في هذا العصر المتأخر، حيث أحكام الإسلام معطلة ولا يمكن تنفيذها، بل صار الإسلام غريبًا في بلاده بين أهله، تُقابَل أحكامه منهم باستنكار واشمئزاز لا يلقاه العلماء المخلصون الغُيَّر على دينهم.

خذ مثلا طه حسين؛ كذَّب القرآن الكريم، وجَرَّأ طلبتُهُ على الطعْنِ فيه، وصَرَّحَ بإباحةِ الزنا، وعُيِّنَ بعد ذلك عميدًا لكليةِ الآدابِ، ثم عميدًا للجامعةِ، ثم وزيرَ المعارفِ، ثم مُنحَ لقبَ باشا، ثم عُيِّنَ رئيسًا لمَجْمَعِ اللغةِ العربيةِ، ثم مُنِحَ لقبَ عميد الأدب العربي، فكان كفرُه وإلحادُه سبَب نيل هذه المناصب الخطيرة.

وله نظراء في المغرب لا يقلُّون عنه في الكفر والإلحاد، طعنوا في القرآن وسَمّوا بعض قِصَصَهُ خرافةً، كما سَمُّوا الأحاديثَ الصحيحَة خرافة أيضًا، وهم مع ذلك يتولون مناصِبَ خطيرة توجيهية في التعليم وتثقيف الجيل، حتى أنهم قرروا في المدارس نظرية داروين الخرافية في النشوء والارتقاء، مع ظهور بطلانها واتفاق المدارس العربية والأوروبية على تركها، فهي لا توجد اليوم إلا

في مدارسنا، بسبب هؤلاء الملحدين أفراخ الشيوعية، ولهم مجلاتٌ تَنْشرُ إلحادَهُم وطعنَهُم في النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ولا يمسَّهُم أحدٌ بسوء لأنَّ القانون الأوروبي يحميهم وهو القانون المعمول به في البلاد الإسلامية كلها ما عدا الحجاز.

والنصارىٰ -لعنهم الله- يُرضيهم الطعن في ديننا ويحرِّضُون عليه، ولا يجدون فرصة لذلك إلا انتهزوها.

لمّا كنت في لندن، وجدت في كثير من شوارعها أماكن اللهو والقمار والرقص، ووجدت مكتوبًا علىٰ أبوابها: «مكة» بالأحرف اللاتينية. اتخذوا اسم هذا البلد الذي هو قبلة المسلمين عنوان الميسر والفجور، وعداوة الإنجليز للإسلام أشد من غيرهم من الكفار لعنهم الله أجمعين.

الحرية في الإسلام ليست التهجُّم على الدين

الحرية التي يلوكُها الجهلاء والملحدون لها حد، إذا تجاوزته كانت جريمة يعاقب عليها القانون.

فليس من الحرية التهجم علىٰ الدين بالطعن والتزييف وجرح شعور المسلمين، لأنَّ الدين وَضْعٌ إلهي والطاعن فيه معترضٌ علىٰ الله تعالىٰ، ولا يَعْتَرِض عليه إلا كافر ملعون، وسَبُّ النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم طعنٌ في الدين وهدم له من أساسه، قال الله تعالىٰ: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ﴾ [النساء: ٤٦].

قال ابن كثير في هذه الآية: «ولهذا قال تعالىٰ عن هؤلاء اليهود الذين يريدون بكلامهم خلاف ما يُظْهِرون: ﴿وَطَعْنًا فِي ٱلدِّينِ﴾ يعني بسبِّهم النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم».اهـ

وكان الأنصار يقولون للنبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «راعِنا يا رسول الله» أي: «أرعِنَا سَمعِك»، وكانت هذه اللفظة سبًّا قبيحًا بلغة اليهود، معناها: «الرعونة»، وهي: «الحمق»، فمعنىٰ راعن: «أحمق»، فلما سمع اليهود هذه اللفظة من المسلمين، قالوا فيما بينهم: كنا نسبُّ محمدًا سرًّا، فأعْلِنوا به الآن. فكانوا يأتونه ويقولون: «راعِنا يا محمد»، ويضحكون فيما بينهم، فسمعها سعد بن معاذ، ففطن لها -وكان يعرف لغتهم- فقال لهم: «لئن سمعتها من أحد منكم يقولها لرسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لأضربن عنقه»، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا﴾ [البقرة:١٠٤] لكيلا يجد اليهود لذلك سبيلًا إلىٰ شتم النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

وتوَّعَد الله تعالىٰ من يؤذي رسوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٦١].

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧].

قال المفسرون: «إيذاءُ الله: بنسبة الولد والشريك إليه، وإيذاء رسوله: بسبِّهِ أو نسبَةِ عيب له صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم».

وليس من الحرية أيضًا اغتياب مسلم أو نسبته إلىٰ الفاحشة، لأنَّ الغِيبة

محرمة بنص القرآن في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات:١٢]، والأحاديث كثيرة في تقبيحها وعظم إثمها، وسُئل النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: ما هي الغيبة؟ فقال: «**ذِكْرُك أخاك بما يكره**»، قيل: أرأيت إنْ كان في أخي ما أقول؟ فقال: «**إنْ كان فيه ما تقول فقد اغتبْتَه، وإنْ لم يكنْ فيه فقد بهتَّهُ**».

وأوجب الإسلام علىٰ مَنْ نَسَبَ مسلمًا إلىٰ فعل الفاحشة أنْ يُجلَد ثمانين جلدة، مع الحكم بفسقِهِ ورد شهادته إلىٰ أنْ يتوب، والحكمة في تحريم الغيبة والقذف: حفظ كرامة المسلم، وصون عرضه مِنْ أنْ يصيبه ما يخدشه أو يثلمه.

معنى قوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦] كثير من الناس يفهمون هذه الآية علىٰ غير وجهها الصحيح، وأنا أبين معناها فأقول:

معنىٰ الآية الكريمة: أنّ اليهودي أو النصراني لا يُكره علىٰ الإسلام، بل يُترك علىٰ حاله، لأنه متمسك بدين كان صحيحًا قبل نسخه بالإسلام، أما الشرك وسائر ما يُعبد من دون الله، فليست هذه بدين يعتبره الإسلام، وإنما هي اعتقادات وعادات جاهلية ورثها الأبناء عن الآباء، فهؤلاء لا يُقَرُّون علىٰ ما اعتادوه، بل يجب قتالهم حتىٰ يسلموا، ولا تُقبل منهم جزية.

وبهذا ثبت الحديث المتواتر عن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، أنه قال: «أُمِرْتُ أنْ أقاتل الناس حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك، عَصَمُوا مني دماءهم وأموالهم إلا

بحقها». وهو تنفيذ لقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ٥].

لكن استثنى الحديث المجوس، فقال: «**سُنُّوا بهم سُنَّةَ أهل الكتاب**»، وقال عليٌّ عليه السَّلام: «كان لهم كتاب».

والخلاصةُ: أنَّ أهلَ الكتابِ والمجوسَ يُقَرُّون على دينِهم إذا أعطوا الجزيةَ ولا يُكْرَهُونَ على الإسلام، لأنَّ لهم في الأصلِ دينًا يَعْتَرِفُ به الإسلام.

أما غيرهم من بقية أنواع الكفار فليس لهم دين يُقَرُّونَ عليه، وإنما يعبدون أشياء تلقَّوها عن أبائهم كما قالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٣].

وقال الله تعالى فيهم: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾ [يوسف: ٤٠].

وقال قوم إبراهيم عليه السَّلام عن معبوداتهم: ﴿ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴾ [الأنبياء: ٥٣].

فهؤلاء يجب قتالهم حتى يُسلموا، لأنَّ بقاءَهُم فسادٌ في الأرضِ واللهُ لا يحبُ الفساد، وكذلك الأفكار الهدامة التي حدثت في هذه العصور مثل الشيوعية وغيرها، لا يجوز تركها، بل يجب قتال أصحابها وقتلهم، وبالله التوفيق.

والمسلمُ إذا ارتدَّ يجبُ قتله -بعد استتابته- إن لم يتب للحديث الصحيح: «**من بدَّل دينَه فاقتلوه**».

موقف الدول الإسلامية من الكتب التي تهاجم الإسلام

سكوت الدول الإسلامية عن كتاب "آيات شيطانية" أبان عن تقصير كبير وفُقدان الغيرة الدينية من قلوبهم، لا سيما وفي هذه الدول من تَدَّعِي السهر على حماية العقيدة الإسلامية، مع أنّ الطعن في الرسول هدم للدين من أساسه.

كان الواجب عليهم أنْ يحتجُّوا على الدولة الإنجليزية التي طبعت الكتاب ونشرته، ويقرروا منع تداوله في بلادهم، ويبينوا للعالم ما في الكتاب من كذب وافتراء، هذا أقل ما يجب، ولم يفعلوه، فما حجتهم عند الله تعالى؟!

والعجيب أنّ بعض الدول الكافرة منعت دخول ذلك الكتاب في بلادها مراعاة لشعور المسلمين الذين لم يحركوا ساكنًا ولا نطقوا في هذا الموضوع ببنت شفه!، وصدق الشيخ محمد عبده الذي قال: «لعن الله مادة سَاسَ يسوسُ وما تصرف منها»، ونأسف غاية الأسف على ذهاب الغيرة الإسلامية من قلوب المسلمين ومن وجدانهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وقد حصلت حادثة من هذا النوع، أظهر فيها مسلم من قوة الإيمان ما لا يوجد عند كبراء المسلمين وزعمائهم الذين يتصدرون المجالس ويتشدقون بالخطب الحماسية الجوفاء.

قرأت في جريدة الأهرام المصرية خبر شاب هندي اسمه عبدالقيوم، سمع الحاكم الإنجليزي للهند يشتم النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقتله، والإنجليز كانوا في الهند ظلمة جبارين، فاستكثروا هذه الجرأة واستعظموها

وقدَّموه للمحاكمة، وحُكِم بإعدامه.

فلما سمعت أمه الحُكم عليه زغردت فرحًا، وقالت: ابني يموت شهيدًا، وصَدَقَتْ، فإنه مات شهيدًا رضي الله عنه وعنها، وهكذا تكون الغيرة الإيمانية والحَمِيّة الإسلامية، لا دعاوىٰ تقال وألفاظ تذهب مع الريح هباء منثورًا.

النبي أفضل الخلق على الإطلاق

رأيتُ المُبتدعَ الألباني اعترض علىٰ الدكتور سعيد رمضان البوطي في قوله: «النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أفضل الخلق»، وسأل مستنكرًا: ما دليله علىٰ هذه الدعوىٰ؟! وزعم أن في المسألة خلافًا، أحال به علىٰ "شرح العقيدة الطحاوية".

وهذه المسألة أفردتها بكتاب سميته: "دلالة القرآن المبين علىٰ أنّ النبي أفضل العالمين"، وقد طُبع منذ مدة والحمدلله، ولكن سأُبيِّن هنا بطلان كلام هذا المبتدع الجاهل، وأُثْبِت أفضلية النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بأدلة من الكتاب والسنة بحول الله وتوفيقه.

وأول خطأ في كلام هذا المبتدع: دعواه وجود الخلاف في المسألة، وأنه موجود في "شرح العقيدة الطحاوية"، والخلاف الموجود في الكتاب المذكور: هو في المفاضلة بين الأنبياء والملائكة بوجه عام، ولم يتعرَّض لأفضلية النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، لأنها مُجْمَع عليها بين العلماء، ولم يَشِذَّ عن إجماعهم إلا اثنان: ابن حزمٍ والزمخشري، وشذوذهما لا يؤثر، بل الإجماع حُجَّة عليهما.

وبلغني عن هذا المبتدع أنه يُنكر الإجماع، مثل بقية مبتدعة العصر،

مستندين إلى قولٍ نُسِبَ إلى الإمام أحمد في نفي الإجماع، وهو خطأ عليه، قال ابن القيم في "إعلام الموقعين": «ولم يكن -يعني أحمد- يُقَدِّمُ على الحديث الصحيح عملًا ولا رأيًا ولا قياسًا ولا قول صاحب، ولا عدم علمه بالمخالف الذي يسميه كثير من الناس: إجماعًا، وقد كَذَّبَ أحمد من ادعى هذا الإجماع، وكذلك الشافعي، قال في "رسالته": ما لا يُعْلَم فيه خلافا فليس إجماعًا».

فهذا هو الذي أنكره الإمام أحمد والشافعي من دعوى الإجماع، لا ما يظنه بعض الناس أنه استبعاد لوجوده.

وقال غيره: أنكر الإمام أحمد الإجماع الذي يحكيه الأصم وبِشْر المَرِيسي على أرائهما مع جهلهما بأقوال الصحابة والتابعين وعلماء السلف، والإمام أحمد نفسه حكى الإجماع في مسائل معروفة عند الحنابلة.

ولا تغتر باستبعاد الشوكاني في "إرشاد الفحول" لإمكان الإجماع وإمكان نقله، متأثرا بكلام النظَّام المعتزِلي، وزاد فنقل عن الإمام أحمد أنه قال: «من ادعى وجود الإجماع فهو كاذب»، ولفظ: «وجود» لم يقله أحمد، بل أُضيف إليه ممن يُنكِرون الإجماع، والشوكاني كان زيديًّا معتزليًّا -والزيدية معتزِلة- ولما ترك مذهبه وانضم إلى أهل السنة، بقي عنده بقايا من أثر الاعتزال، منها إنكار الإجماع.

ونظير هذا: أنَّ كعب الأحبار كان من علماء اليهود -وهم لا يعتقدون عصمة الأنبياء- فلمّا أسلم بَقِيَتْ معه عادته تلك، فكان في قصصه عن الأنبياء يَنْسُب إلى بعضهم ما ينافي العصمة، من غير شعور منه بما فيها من خطر.

وأوضح دليل على وقوع الإجماع: ما نشاهده من اجتماع أصحاب المذاهب على قول الإمام في المسائل الفرعية، مثل اجتماع المالكية على أنّ فرائض

الوضوء سبعة، واجتماع الشافعية على أنها ستة، واجتماع الحنفية على أنها أربعة، مع انتشارهم من القارة الإفريقية إلى آسيا والهند، وفيهم علماء كبار بلغوا درجة الاجتهاد، بل صرَّح كثير منهم أنَّ اجتهادهم وافق طريقة الإمام التي اختاروا السير عليها. فاجتماعهم على قول إمام دليل على أنّ اجتماع المجتهدين على حديث النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أولى بالإمكان وأجدر بالوقوع.

ولا التفات إلى ما أبداه النظَّام ومن شايعه من إيرادات مُتَمَحّلَة، حتى قالوا: من يُدرينا، لعل أحد المجتهدين رجع عن قوله، أو وافق ظاهرًا لا باطنًا؟! ونحو هذه السخافات، ولهذا البحث بقية في كتب الأصول.

وبعدُ، فإنّ الدليل على أفضلية النبي على الخلق أمور:

أولًا: قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، رحمة لمن آمن به في الدنيا والآخرة، ورحمة لمن كفر به أنْ يُعافَى مما كان يصيب الأمم السابقة من العذاب في الدنيا بالخسف والمسخ ونحو ذلك، ورحمة للملائكة: أنهم أمِنُوا العاقبة بثناء الله عليهم في القرآن -ولم يكونوا يأمنونها- فهو بهذا أفضل منهم.

ثانيًا: قول الله تعالى في حق الملائكة: ﴿وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٩]، والدليل في هذه الآية من وجهين:

الأول: بيَّنه ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما بقوله: «إنَّ الله عزَّ وجلَّ فضَّلَ محمدًا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على أهل السماء وعلى الأنبياء»، قالوا: يا ابن عبَّاسٍ،

ما فضْلُه على أهل السماء؟، قال: «لأنَّ الله عزَّ وجلَّ قال لأهل السماء: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، وقال الله تعالى لمحمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ١ - ٢]. قالوا: يا ابن عبَّاسٍ، ما فَضْلُه على الأنبياء؟، قال: «لأنّ الله تعالى يقول: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٤]، وقال لمحمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨] فأرسله الله عزَّ وجلَّ إلى الإنس والجن». رواه البيهقي في "دلائل النبوة" (٥/ ٤٨٦).

الثاني: بيَّنه الحافظ السيوطي حيث قال: «فهذه الآية إنذار للملائكة على لسان النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في القرآن الذي أُنزل عليه، وقد قال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، فثبت بذلك إرساله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى الملائكة». انتهى من "تزيين الأرائك في إرسال النبي إلى الملائك"، والرسول أفضل من المرسل إليهم.

ثالثًا: قول الله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢] أخرج البيهقي عن ابن عبَّاسٍ قال: «ما خلق الله خلقًا أحب إليه من محمد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وما سمعت الله عزَّ وجلَّ أقسم بحياة أحد إلا بحياته فقال: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾، وحياتك إنهم لفي سكرتهم يعمهون». "دلائل النبوة" (٥/ ٤٨٨).

قال الإمام السيوطي في "الإكليل": «واستدل بها أحمد بن حنبل على أن من أقسم بالنبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لَزِمَتْهُ الكفَّارة».

قلت: وجه الدلالة من الآية: أنَّ الله تعالى لم يقسم بحياة نبيٍّ ولا مَلَكٍ، وفَسَّرَ الزمخشريُّ الآية على إضْمَارِ فعلٍ مُقَدَّر، أي: قالت الملائكة للوط: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾، وقد ضَعَّفَه ابن القيم، والأصل: عدم التقدير.

رابعًا: المقام المحمود الذي خصَّصَهُ الله به دون الملائكة والأنبياء، قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩].

روى أحمد، وابن جرير، والترمذي، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾، وسئل عنها؟ قال: «**هي الشفاعة**». قال الترمذي: «هذا حديث حسن».

قال ابن جرير: «قال أكثر أهل التأويل ذلك هو المقام الذي يقومه محمد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يوم القيامة للشفاعة للناس، ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم».اهـ

وقال ابن كثير: «أي: افعل الذي أمرتك به، لنقيمك يوم القيامة مقامًا محمودًا، يحمدك فيه الخلائق كلهم وخالقهم تبارك وتعالى».اهـ

وأحاديث الشفاعة العظمى مُخَرَّجَة في "الصحيحين" وغيرهما، مع بيان

أنها من خصوصيات النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وهي متواترة.

خامسًا: وإنْ ذهبنا إلىٰ القول الذي تفرد به مجاهد في المقام المحمود: «أنه إجلاس النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ العرش»، فهو أيضًا خاصٌّ به لم ينله نبي ولا ملك، وهذا ظاهر لا خفاء فيه.

سادسًا: روىٰ الترمذي، من طريق عبدالرزاق، عن مَعْمَر، عن قتادة، عن أنس: «أنَّ النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أُتِيَ بالبراق ليلة أُسري به، مُلَجَّما مُسَرَّجا، فاستصعب عليه، فقال له جبرائيل: أبمحمد تفعل هذا؟! فما رَكِبَكَ أحد أكرم علىٰ الله منه، فارفَضَّ عرقًا». حسنه الترمذي، وصححه ابن حِبَّان.

قال السهيلي: «إنّ البراق استصعب عليه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لبُعْدِ عهده بركوب الأنبياء قبله».

وهذا الحديث يُفيد أفضلية النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ جبريل عليه السَّلام، لأنه رَكِبَ البراق مع النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، كما ثبت في حديث حذيفة رضي الله عنه، وقد خاطَبَ البراق بقوله: «ما ركبك أحد أكرم علىٰ الله منه»، والمخاطِب -بكسر الطاء- داخل في عموم خطابه، كما تقرر في علم الأصول، وأمّا ما يُقال: «أنَّ جبريل عليه السَّلام كان آخذا بركاب النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وهو علىٰ البراق» فمِنْ وَضْع الجهلة القُصَّاص.

وقد حصل بيني وبين الشيخ محمد الشربيني - من تلاميذ الشيخ الألباني - نزاع في هذه المسألة، حيث زعم صحة هذه الخرافة، وأثبتُّ له بطلانها بما نقلتُه من كتاب "فتح الباري" للحافظ ابن حجرٍ رحمه الله تعالىٰ.

ومثل هذا التعبير لا يليق بمقام جبريل عليه السَّلام لأنَّ الله تعالىٰ أثنىٰ

عليه ثناءًا كبيرا في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ١٩ - ٢٠]، فلا يجوز أنْ يقال في حقه: كان خادمًا للنبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، أو ممسكًا بركابه أو مثل هذه العبارات، والنبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نفسه كان يعظم جبريل عليه السَّلام، ويفرح بلقائه ويتواضع معه.

سابعًا: روى مسلم في "صحيحه": عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ألا إني أبرأ إلى كل خل من خلة ولو كنت متخذًا خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، إن صاحبكم خليل الله**». وله طرق في "الصحيح".

فالنبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم خليل الله بنصِّ الحديث، وهذه رتبة لم ينلها أحد من الملائكة، فهو أفضل منهم، والخلَّةُ أفضل من المحبة لأنَّ الله يحب التوابين ويحب المتطهرين، ويحب المؤمنين، ولم يتخذ من خلقه خليلًا إلا إبراهيم -عليه السَّلام- والنبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فهما أفضل الخلق.

ثامنًا: إجماعُ أهل السنة على أفضليته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على الملائكة، ومخالفة ابن حزمٍ والزمخشري لا يعتبر بها لشذوذِهِما كما سبق التنبيه عليه.

تاسعًا: في "صحيح البخاري"، عن رفاعة بن رافع الزُرقيّ -وكان من أهل بدر- قال: «جاء جبريل إلى النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: ما تعدّون أهل بدر فيكم؟ قال: «**من أفضل المسلمين**» أو كلمة نحوها، قال: وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة».

ورواه البيهقي بإسناد البخاري، ولفظه: «سأل جبريلُ النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: كيف أهل بدر فيكم؟ قال: «**خيارنا**»، وقال: وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة هم خيار الملائكة».

أفاد الحديث تفضيل الملائكة الذين شهدوا بدرًا علىٰ من لم يشهدها منهم، وأنهم كانوا تبعًا للنبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من جملة جنوده، فهو أفضل منهم.

وأختم بهذا الأثر الذي رواه البيهقي: عن بِشْر بن شِغَاف الضبي قال: «كنا جلوسًا مع عبدالله بن سلام يوم الجمعة فقال: إنّ أعظم أيام الدنيا يوم الجمعة، فيه خُلِقَ آدم وفيه تقوم الساعة، وإنَّ أكرم خليقة الله علىٰ الله: أبو القاسم صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، قلت: رحمك الله فأين الملائكة؟ قال: فنظر إليَّ وضحك، فقال: يا ابن أخي، وهل تدري ما الملائكة؟! إنما الملائكة خلق كخلق الأرض، وخلق السماء، وخلق السحاب، وخلق الجبال، وخلق الرياح، وسائر الخلائق، وإنّ أكرم الخلائق علىٰ الله أبو القاسم صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم». وذكر بقية الأثر. "دلائل النبوة" (٥/ ٤٨٥)

وهذا آخر ما يَسَّرَهُ الله تعالىٰ وفتح به، وأسألُ اللهَ الذي وفقني له وألهمنيه، أنْ يقبله مني، ويجعله سببا لنيل شفاعة نبيه وخليله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، تم تحريرًا يوم الأحد فاتح شوال سنة ١٤٠٩هـ.

والحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصَّلاة والسَّلام علىٰ أفضل خلقه سيدنا محمد وآله الكرام، ورضي الله عن صحابته الأئمة الأعلام.

٤ - النَّفْحَةُ الإلهيَّة

في الصَّلاةِ على خَيْرِ البَرِيَّة

المقدمة

أحمدك اللهم حمدًا يليق برُبوبيَّتك، وأشكرك قيامًا بحقِّ عُبوديَّتك، وأشهد أن لا إله إلَّا أنت وحدك لا شريك لك، تفعل ما تشاء وتحكم ما تريد، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّدًا عبدُك ورسولُك وصَفيُّك وخَليلُك، أرسلته للخلق عامَّةً، وبعثته بشيرًا ونذيرًا، من اتبعه وأطاعه فهو الفائز السعيد، فصلِّ اللهمَّ عليه صلاةً وسلامًا دائمين بدوام توالي أفضالك عليه، وارضَ عن آله الطاهرين، وعن صحابته الأنصار والمُهاجرين، ووفِّقنا لسلوك نهجهم القويم، واحشرنا في زُمرتهم تحت لوائه في الموقف العظيم.

أمَّا بعد: فهذا جزءٌ في الصلاة على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يشتمل على ثلاثةٍ وأربعين حديثًا في فضلها، ثُمَّ مُبشِّراتٍ فيها فوائد ودعوات، ثُمَّ صيغ صلوات، وسمَّيته **"النَّفْحَةُ الإلهيَّة في الصَّلاةِ على خَيْرِ البَرِيَّة"**.

وقدَّمته هديَّةً إلى جناب النبيِّ الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم، راجيًا أن أفوز بشفاعته وأكون في جملة خَدَمَتِهِ، واللهُ المسؤولُ أن يقبله مِنِّي ويُنيلني مرادي، فعليه اعتمادي وإليه تفويضي واستنادي.

الحديث الأول

عن عبدالله بن مسعودٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ أَوْلَى النَّاسِ بي يومَ القِيامَةِ أَكْثَرُهُمْ عليَّ صَلاةً**». رواه الترمذيُّ وحَسَّنه.

الحديث الثاني

عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ لله سَيَّارةً مِن الملائِكَةِ يَطْلُبونَ حِلَقَ الذِّكْرِ، فإذا أَتَوْا عليهم حَفُّوا بهم ثم بعثوا رائدهم إلى ربِّ العِزَّة تبارك وتعالى فيقولون: ربَّنا أتينا على عِبادٍ مِن عِبادِك يُعَظِّمونَ آلاءَك ويَتْلُونَ كِتابَكَ ويُصَلُّون على نبيِّك محمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ويسئلونك لآخِرَتِهم ودُنياهُم فيقول تبارك وتعالى: غَشُّوهُم رَحْمَتي. فيقولون: يا ربِّ إنَّ فيهم فلانًا الخَطَّاء إنما اغتبقهم اغتباقًا فيقول تبارك وتعالى: غَشُّوهُم رَحْمَتي فهم القوم لا يَشْقَى بهم جَليسُهُمْ**». رواه البزَّار بإسنادٍ حسنٍ.

الحديث الثالث

عن عبدالرحمن بن عوفٍ رضي الله عنهقال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ جبريل عليه السلام أتانى فبَشَّرني فقال: إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يقول: مَن صَلَّى عليك صَلَّيْتُ عليه، ومَن سَلَّمَ عليكَ سَلَّمْتُ عليه**». رواه الإمام أحمد، وصحَّحه الحاكم.

الحديث الرابع

عن أنس بن مالكٍ، ومالك بن أوسٍ رضي الله عنهما قالا: خرجَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يَتبرَّزُ ولم يَجِدْ أحدًا يَتْبَعُهُ فَفَزِعَ عمرُ رضي الله عنه فاتبعه بِمَطْهَرَةٍ -يعني إداوة- فوجده سَاجِدًا فِي شربة فَتَنَحَّى عمر فجلس وراءه حتَّى رَفَعَ رَأْسَهُ فقال: «**أَحْسَنْتَ يا عمرُ حيثُ وَجَدْتَنِي سَاجِدًا فتَنَحَّيْتَ عَنِّي، إنَّ جبريلَ عليه السلام أتَانِي فقال: مَنْ صَلَّى عليك وَاحِدَةً صَلَّى الله عليه عَشْرًا ورَفَعَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ**». رواه البخاريُّ في "الأدب المفرد" ورواه الضياء في "المختارة" من حديث عمر رضي الله عنه وإسناده جيِّدٌ صحيحٌ.

الحديث الخامس

عن الحسن بن علي عليهما السَّلام قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**حيثما كنتم فصَلُّوا عليَّ، فإنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي**». رواه الطبراني في "الكبير" و"الأوسط" وإسناده حسنٌ.

ورواه ابن أبي شيبة في "المصنف" بإسنادٍ صحيحٍ من طريق حسن بن حسن بن علي رضي الله عنهم قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا، وَلَا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ حيثما كنتم، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي**».

الحديث السادس

عن عبد الله بن عمرٍو قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إِذَا سَمِعْتُمُ المُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى الله تعالى عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الجَنَّةِ، لَا**

تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ الله تعالى وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ الله لِي الوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ». رواه مسلمٌ في "صحيحه".

الحديث السابع

عن أوس بن أوس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ الجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ قُبِضَ وَفِيهِ النَّفْخَةُ وَفِيهِ الصَّعْقَةُ فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلاَةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلاَتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ». قَالُوا: وَكَيْفَ تُعْرَضُ عَلَيْكَ صَلاَتُنَا وَقَدْ أَرِمْتَ؟ -يقولون: بَلِيتَ- فقَالَ: «إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ من أَجْسَاد الأنبياء». رواه أحمد وأبو داود والنَّسائيُّ وابن ماجه، وصحَّحه ابن خزيمة وابن حِبَّان والحاكم وغيرهم.

الحديث الثامن

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «أَكْثِرُوا من الصَّلَاة عَلَيَّ يَوْمَ الجُمُعَةِ، فَإِنَّهُ يوم مَشْهُودٌ تَشْهَدُهُ المَلَائِكَةُ، وَإِنَّ أَحَدًا لن يُصَلِّيَ عَلَيَّ إِلَّا عُرِضَتْ عَلَيَّ صَلَاتُهُ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهَا». قُلْتُ: وَبَعْدَ المَوْتِ؟ قَالَ: «وَبَعْدَ المَوْتِ، إِنَّ الله حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ»، فَنَبِيُّ الله حَيٌّ يُرْزَقُ. رواه ابن ماجه والطبراني وابن المقري بإسنادين أحدهما جيد.

الحديث التاسع

عن عليٍّ عليه السَّلام قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «البَخِيلُ مَن ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فلم يُصَلِّ عَلَيَّ». رواه النسائي ورواه أحمد من حديث الحسين بن علي عليهما السلام. وصحَّحه الحاكم.

الحديث العاشر

عَنْ أَبِي طَلْحَةَ الأنصاري رضي الله عنه قَالَ: دَخَلْتُ عَلَىٰ النَّبِيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فَوَجَدْتُهُ مَسْرُورًا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، مَا أَدْرِي مَتَىٰ رَأَيْتُكَ أَحْسَنَ بِشْرًا وَأَطْيَبَ نَفْسًا مِنَ الْيَوْمِ؟ قَالَ: «**وَمَا يَمْنَعُنِي وَجِبْرِيلُ خَرَجَ مِنْ عِنْدِي السَّاعَةَ، فَبَشَّرَنِي أَنَّ لِكُلِّ عَبْدٍ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً يُكْتَبُ لَهُ بِهَا عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَيُمْحَى عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ، وَيُرْفَعُ لَهُ بها عَشْرُ دَرَجَاتٍ، وَتُعْرَضُ عَلَيَّ كَمَا قَالَهَا، وَيُرَدُّ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا دَعَا**». رواه عبد الرزاق في "المصنف"، والإمام أحمد في "المسند".

الحديث الحادي عشر

عنه أيضًا قال: جاء رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ذات يوم والبشرىٰ ترىٰ في وجهه فقال: «**جَاءَنِي الملك فَقَالَ لي: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ الله تعالى يَقُولُ لك: أَمَا تَرْضَى أَنْ لَا يُصَلِّي عَلَيْكَ أحد من أمتك إِلَّا صَلَّيْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا؟ وَلَا يُسَلِّمُ عَلَيْكَ أحد من أمتك إِلَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا؟ قُلْتُ: بَلَى يا رَبِّ**». رواه ابن حِبَّان في "صحيحه".

الحديث الثاني عشر

عن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صلاة واحدة بَلَغَتْنِي صَلَاتُهُ، وَصَلَّيْتُ عَلَيْهِ، وَكُتِبَتْ لَهُ سِوَى ذَلِكَ عَشْرُ حَسَنَاتٍ**». رواه الطبرانيُّ في "الأوسط"، وإسناده لا بأس به.

الحديث الثالث عشر

عن أبي أُمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «أَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِي كُلِّ يَوْمِ جُمُعَةٍ، فَإِنَّ صَلَاةَ أُمَّتِي تُعْرَضُ عَلَيَّ فِي كُلِّ يَوْمِ جُمُعَةٍ، فَمَنْ كَانَ أَكْثَرَهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً كَانَ أَقْرَبَهُمْ مِنِّي مَنْزِلَةً». رواه البيهقي في "حياة الأنبياء" وإسناده حسنٌ.

الحديث الرابع عشر

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «أَكْثِرُوا الصَّلاةَ عَلَيَّ فى الليلةِ الزَّهْرَاءِ واليومِ الأَغَرِّ فإنَّ صَلاتَكُم تُعْرَضُ عليَّ فأَدْعُوا لكم وأَسْتَغْفِر». رواه الحافظ أبو القاسم بن بَشْكُوال.

الحديث الخامس عشر

عن أبي بكرٍ الصديق رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «أكثروا الصلاةَ عليَّ فإن الله وكَّلَ بى ملكًا عند قبري فإذا صلَّى عليَّ رجلٌ من أمتي قال لي ذلك الملك: يا محمَّدُ إنَّ فلان بن فلانٍ صلَّى عليك». رواه الديلمي في "مسند الفردوس".

الحديث السادس عشر

عن أبي مسعودٍ الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «أكثروا الصَّلاةَ عليَّ في يومِ الجُمُعَةِ فإنَّه ليس يُصَلِّي أحدٌ يومَ الجُمُعَةِ إلَّا عُرِضَتْ عليَّ صَلاتُهُ». رواه الحاكم وصحَّحه.

الحديث السابع عشر

عن عمَّار بن ياسرٍ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ لله تبارك وتعالى مَلَكًا أَعْطَاهُ أَسْمَاء الخَلَائِقِ، فهو قائمٌ على قَبْري إذا مُتُّ فَلَيس أَحَدٌ يُصَلِّي عليَّ إلَّا قال: يا محمد صلَّى عليك فُلانُ ابنُ فُلانٍ فيصَلِّي الربُّ تبارك وتعالى على ذلك الرجل بكلِّ واحدةٍ عشرًا**». رواه البزَّار والحارث ابن أبي أسامة وأبو الشيخ والطبرانيُّ، وهو حديثٌ حسنٌ.

الحديث الثامن عشر

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن صَلَّى عليَّ عند قبري سمعتُه ومَن صلَّى عليَّ مِن بعيدٍ أُعْلِمْتُهُ**». رواه أبو الشيخ، وإسناده جيد كما نقل الحافظ السخاوي عن شيخه الحافظ ابن حجرٍ رحمهما الله تعالى.

الحديث التاسع عشر

عن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن صَلَّى عليَّ مائةً في يومِ الجُمُعَةِ وليلةِ الجُمُعةِ قَضَى اللهُ له مائة حاجةٍ، سبعين من حوائج الآخرة وثلاثين مِن حوائج الدنيا، ثُمَّ يوكِّل الله بذلك مَلَكًا يدخلُ عليَّ في قبري كما تدخلُ عليكم الهدايا، إنَّ عِلْمي بعد موتي كعِلْمي في الحياة**». رواه ابن منده في "فوائده" والأصبهاني في "الترغيب" والديلمي في "مسند الفردوس" والبيهقي في "حياة الأنبياء". وليس في سنده متروكٌ.

ورواه ابن منده عن جابر رضي الله عنه، عن النبي صلَّى الله عليه وآله

وسلَّم قال: «من صلى علي في كل يوم مائة مرة قضى الله له مائة حاجة، سبعين منها لآخرته وثلاثين منها لدنياه». قال الحافظ أبو موسىٰ المديني: «حديث غريب حسن».

الحديث العشرون

عن أبي ذرٍّ الغفاريِّ رضي الله عنه قال: أوصاني رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أن أُصلِّيها في السفر والحضر -يعني صلاة الضحىٰ- وأن لا أنام إلَّا علىٰ وترٍ، وبالصلاة علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم. رواه بقي بن مخلد ومن طريقه ابن بَشْكُوال.

الحديث الحادي والعشرون

عن أبي سعيد الخدريِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «أَيُّمَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ صَدَقَةٌ، فَلْيَقُلْ فِي دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، وَصَلِّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، فَإِنَّهَا زَكَاةٌ». وَقَالَ: «لَا يَشْبَعُ مُؤْمِنٌ خَيْرًا حَتَّى يَكُونَ مُنْتَهَاهُ الْجَنَّةُ». رواه ابن حِبَّان في "صحيحه".

الحديث الثاني والعشرون

عن جابرٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «مَا اجْتَمَعَ قومٌ ثُمَّ تَفَرَّقُوا عن غيرِ ذِكْرِ الله، وصلاةٍ على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، إلَّا قاموا عن أَنْتَنِ جِيفَةٍ». رواه أبو داود الطيالسيُّ في "مسنده"، وإسناده علىٰ شرط مسلمٍ.

الحديث الثالث والعشرون

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «ما جلس قوم مجلسًا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلا كان عليهم من الله ترة يوم القيامة، فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم». رواه أحمد والترمذي وحسنه.

الحديث الرابع والعشرون

عن أبي بُرْدَةَ بْنِ نِيَارٍ رضي الله عنه، قال: قال رَسُولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «من صَلَّى عَلَيَّ مِنْ أُمَّتِي واحدة مخلصًا من قلبه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَرَفَعَه بِهَا عَشْرَ دَرَجَاتٍ وَكَتَبَ لَهُ بِهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ،، وَمَحَا عَنْهُ بِهَا عَشْرَ سيئاتٍ». رواه النسائي والطبراني ورجال إسناده ثقات.

الحديث الخامس والعشرون

عن أبي أُمامة رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «مَنْ صَلَّى عليَّ صلَّى عليه عشرًا مَلَكٌ مُوَكَّلٌ بها حتَّى يُبْلِغْنِيهَا». رواه الطبراني.

الحديث السادس والعشرون

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «صَلُّوا عليَّ فإنَّ الصَّلاةَ عليَّ كفَّارةٌ لكم ومَن صَلَّى عليَّ صَلاةً صلَّى الله عليَّ عشرًا». رواه ابن أبي عاصم في كتاب "الصلاة النبوية".

الحديث السابع والعشرون

عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لا صلاة إلا بطهور وبالصلاة علي**». رواه الدارقطني وغيره.

الحديث الثامن والعشرون

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مِن صِلَّى عليَّ حين يُصبح عشرًا أدركته شفاعتى يومَ القِيامَةِ**». رواه الطبرانيُّ بإسنادَين أحدهما جيدٌ.

الحديث التاسع والعشرون

عن ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهم، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**صَلُّوا عليَّ صلَّى الله عليكم**». رواه ابن عديٍّ والنميريُّ من طريقه.

الحديث الثلاثون

عن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن ذُكرتُ عنده فليُصَلِّ عليَّ ومَن صَلَّى عليَّ مرَّةً صَلَّى اللهُ عليه عشرًا**». رواه الإمام أحمد.

الحديث الحادي والثلاثون

عن الحسين بن علي عليهما السَّلام قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن ذُكرتُ عنده فخَطِئ الصَّلاةَ عليَّ خَطِئ طريقَ الجنَّةِ**». رواه الطبريُّ والطبرانيُّ.

الحديث الثاني والثلاثون

عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن صَلَّى عليَّ صلاةً صلَّى الله عليه بها عشرَ صلوات فليقلَّ عبدٌ أو ليُكثرْ**». رواه الطبريُّ وقال: «هذا خبر عندنا صحيحٌ سنده».

الحديث الثالث والثلاثون

عن أنسٍ رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن صَلَّى عليَّ في يومِ الجُمُعَةِ ألف مرة لم يَمُتْ حتَّى يرى مَقْعَدَهُ مِن الجنَّةِ**». رواه أبو حفص بن شاهين واللفظ له، والضياء المقدسي في "المختارة" ولفظه: «**من صلى علي في يوم ألف مرة...**» الحديث.

الحديث الرابع والثلاثون

عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن صلَّى عليَّ كنتُ له شفيعًا يومَ القيامَةِ**». رواه أبو حفص بن شاهين وغيره.

الحديث الخامس والثلاثون

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَّتْ عَلَيْهِ المَلائِكَةُ مَا صَلَّى عَلَيَّ فليكثر عَبْد أَو ليقل**». رواه الضياء المقدسي في "المختارة".

الحديث السادس والثلاثون

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن صَلَّى عليَّ يوم الجمعة ثمانين مرَّة غَفَر اللهُ له ذنوبَ ثمانين سنة**» قيل: يارسول الله كيف الصلاة عليك؟ قال: «**تقول: اللهم صلِّ على محمدٍ عبدِك ونبيِّك ورسولِك النبيِّ الأميِّ وتعقِدُ واحدةً**». رواه الدارقطني، وحسنه الحافظ العراقي.

الحديث السابع والثلاثون

عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**من كتبَ عنِّي علمًا فكتبَ معه صلاةً عليَّ لم يزلْ في أجرٍ ما قُرِئَ ذلك الكتابُ**». رواه الدارقطني وغيره.

الحديث الثامن والثلاثون

عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن صلَّى صلاةً لم يصلِّ فيها عليَّ وعلى أهلِ بيتي لم تُقبلْ منه**». رواه الدارقطني والبيهقي.

الحديث التاسع والثلاثون

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**من صلَّى عليَّ في كتاب لم تزل الملائكةُ تصلِّي عليه ما دام اسْمِي في ذلك الكتاب**». رواه الطبراني وغيره.

الحديث الأربعون

عن أنسٍ رضي الله عنه، عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى الله عَلَيْهِ عَشْرًا، وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ عَشْرًا صَلَّى الله عَلَيْهِ مِائَةً، وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ مِائَةً كَتَبَ الله بَيْنَ عَيْنَيْهِ: بَرَاءَةً مِنَ النِّفَاقِ، وَبَرَاءَةً مِنَ النَّارِ، وأَسْكَنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ الشُّهَدَاءِ**». رواه الطبراني وغيره.

الحديث الحادي والأربعون

عن رويفع بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**من قال: اللهمَّ صلِّ على محمدٍ وأنزلْه المقعدَ المقرب عندك يومَ القيامة وجبَتْ له شفاعتي**». رواه أحمد وابن أبي الدنيا وغيرهما، وهو حديث حسن.

الحديث الثاني والأربعون

عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا ذهب ثلثُ الليل قام فقال: «**يا أيها الناس اذْكُروا اللهَ، جاءت الرَّاجِفةُ تتبعُها الرَّادِفةُ، جاء الموتُ بما فيه**». قال أبي بن كعب فقلت: يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال: «**ما شئتَ**». قلتُ: الربع؟ قال: «**ما شئتَ، وإن زدتَ فهو خير لك**» قلت: فالنِّصف؟ قال: «**ما شئت وإن زدت فهو خير لك**» قلت: فالثلثين؟ قال: «**ما شئتَ، وإن زدتَ فهو خير لك**». قلت: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: «**إذًا تُكْفَى هَمَّكَ، ويُغْفَرُ لك ذَنْبُكَ**». رواه الترمذيُّ والحاكم وصحَّحاه.

الحديث الثالث والأربعون

عن جابرٍ رضي الله عنه قال: رقى النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم المِنبر، فلمَّا رَقَى الدرجة الأولى قال: «آمين»، ثُمَّ رَقَى الثانية فقال: «آمين»، ثُمَّ رَقَى الثالثة فقال: «آمين»، فقالوا: يا رسول الله سمعناك تقول: «آمين» ثلاث مراتٍ؟ قال: «**لمَّا رقيتُ الدرجة الأولى جاءني جبريل عليه السَّلام فقال: شَقِي عبدٌ أدرك رمضان فانسلخ منه ولم يُغْفَر له، فقلت: آمين. ثُمَّ قال: شقي عبدٌ أدرك والديه أو أحدهما فلم يدخلاه الجنة، فقلت: آمين. ثُمَّ قال: شقي عبدٌ ذكرتَ عنده فلم يُصَلِّ عليك، فقلت: آمين**». رواه البخاريُّ في "الأدب المفرد" وهو حديثٌ صحيحٌ بل مشهورٌ.

المبشِّرات

(١)

قال الإمام تاج الدين أبو حفص عمر بن علي الفاكهي المالكي في كتابه "الفجر المنير في الصلاة على البشير النذير": أخبرني الشيخ الصالح موسى الضرير أنه ركب في البحر الملح قال: وقد قامت علينا ريح تسمى: الإقلابية، قلَّ من ينجو منها من الغرق، فنمت فرأيت النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وهو يقول لي: «**قل لأهل المركب يقولوا ألف مرة: اللهمَّ صلِّ على محمَّدٍ صلاةً تُنْجِينا بها من جميع الأهوال والآفات، وتَقْضِي لنا بها جميع الحاجات، وتُطهِّرنا بها من جميع السيِّئات، وترفعنا بها أعلى الدرجات، وتُبلِّغنا بها أقصى الغايات من جميع الخيرات في الحياة وبعد الممات**».

قال: فاستيقظت وأخبرت أهل المركب بالرؤيا، فصلينا نحو ثلاثمائة ففرج الله عنا وأسكن تلك الريح ببركة الصلاة على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

نقلها الإمام مجد الدين الفيروزابادي في كتاب "الصلاة والبشر في الصلاة على خير البشر"، ونقل عقبها عن الإمام الحسن بن علي الأسواني قال: من قالها في كل مهم ونازلة وبلية ألف مرة فرج الله عنه.

قلت: هذا مأخوذٌ من أمر النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لأهل المركب بقراءتها العدد المذكور، وقد جعلها مولانا الأستاذ الإمام الوالد رضي الله عنه من أذكار وظيفة طريقتنا الصديقية.

(٢)

حكىٰ الإمام أبو عبد الله القسطلاني أنه رأىٰ النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في المنام وشكا إليه الفقر، فقال له: «**قل: اللهمَّ صلِّ على محمَّدٍ وعلى آل محمَّدٍ، وهب لنا اللهمَّ مِن رزقك الحلال الطيِّب المبارك ما تصون بها وجوهنا عن التعرض لأحدٍ من خلقك، واجعل لنا اللهمَّ إليه طريقًا سهلًا من غير تعبٍ ولا نَصَبٍ، ولا منَّةٍ ولا تبعةٍ، وجنِّبنا اللهمَّ الحرام حيث كان وأين كان وعند من كان، وحُل بيننا وبين أهله واقبض عنا أيديهم واصرف عنا قلوبهم؛ حتى لا نتقلب إلَّا فيما يرضيك، ولا نستعين بنعمتك إلَّا على ما تحب يا أرحم الراحمين**».

(٣)

قال الحافظ قطب الدين الحلبي: رأيت أبا إسحاق إبراهيم بن علي بن عطية وقال لي: رأيت النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في النوم فقلت: يا رسول الله أسألك شفاعتك فقال: «**أكثر مِن الصَّلاة عليَّ**». صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

(٤)

روىٰ الحافظ أبو موسىٰ المديني وعبد الغني بن سعيد وأبو القاسم ابن بَشْكُوال في كتبهم في فضل الصلاة علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، عن أبي بكر بن محمد بن عمر قال: كنت عند أبي بكر بن مجاهد -أحد أئمة القراء- فجاء الشبلي -من كبار الصوفية- فقام إليه أبو بكر بن مجاهد فعانقه وقبل بين

عينيه. فقلت: ياسيدي تفعل بالشبلي هكذا وأنت وجميع من ببغداد يتصورون أنه مجنون؟ فقال لي: فعلت كما رأيت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فعل به، وذلك أني رأيت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في المنام وقد أقبل الشبلي؟ فقال: «**هذا يقرأ بعد صلاته:** ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾[التوبة: ١٢٨ - ١٢٩] **ويتبعها بالصلاة عليَّ**». صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

(٥)

قال الإمام القسطلاني شارح البخاري في "مسالك الحنفا": روينا عن الطبراني أنه رأىٰ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في المنام في صفته التي اتصلت بنا، فقال له: السَّلام عليك أيها النبيُّ ورحمة الله وبركاته، يا رسول الله قد ألهمني الله كلمات، أقولهنَّ؟ قال: «**وما هنَّ؟**» قال: «اللهمَّ لك الحمد بعدد من حمدك، ولك الحمد بعدد من لم يحمدك، ولك الحمد كما تحب أن تحمد. اللهمَّ صلِّ علىٰ محمَّدٍ بعدد مَن صلَّىٰ عليه، وصلِّ علىٰ محمَّدٍ كما تحب أن يُصلَّىٰ عليه». فتبسَّم رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حتىٰ بدت ثناياه، ورؤي النور يخرج من التفلج الذي بين ثناياه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

(٦)

روى البيهقي في "مناقب الشافعي" من طريق محمد بن حمدان الطرائفي، عن أبي عبدالله الدينوري قال: سمعت أبا عبدالله الشافعي، يقول : رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام، فقلت : يا رسول الله بما جزي الشافعي عنك حيث يقول في كتاب "الرسالة": «وصلى الله على محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون»؟، قال: «**جزي عني أنه لا يوقف للحساب**».

ومثل هذا مارواه الحافظ ابن مسدي في "مسلسلاته" عن أبي الحسين يحيى ابن الحسين الطائي قال: سمعت ابن بنان الأصبهاني يقول: رأيت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في المنام فقلت: يا رسول الله، محمد بن إدريس الشافعي ابن عمك هل خصصته بشيءٍ؟، أو هل نفعته بشيءٍ؟ قال: «**نعم سألت الله ألا يحاسبه**» قلت: يا رسول الله، بم؟ قال: «**لأنه كان يصلِّي عليَّ صلاةً لم يصلِّ عليَّ أحدٌ مثلها**». قلت: فما تلك الصلاة؟ قال: «**كان يقول: اللهمَّ صلِّ على محمَّدٍ كلَّما ذكره الذَّاكِرون وصلِّ على محمَّدٍ كلَّما غَفَلَ عن ذِكْرِهِ الغافلون**».

قلت: هذه الصلاة بليغة جامعة لأنها تعمم عالم الملائكة والإنس والجن، إذ ما من أحد من هذه العوالم إلَّا وهو إما ذاكر للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وإمَّا غافل عنه.

(٧)

روينا من طرق عن الحافظ السخاوي قال في "القول البديع في الصلاة على النبي الشفيع": «أخبرني غير واحدٍ عن القاضي برهان الدين بن جماعة إذنًا، عن الإمام أبي عمرو بن المرابط سماعًا: أنَّ الحافظ أبا أحمد الدمياطي أخبره عن الشيخ علي بن عبدالكريم الدمشقي فيما شافهه به قال: رأيت في المنام محمد ابن الإمام الحافظ زكي الدين المنذري بعد موته، عند وصول الملك الصالح وتزيين المدينة له، فقال لي: فرحتم بالسلطان؟ قلت: نعم، فرح الناس به. فقال: أمَّا نحن فدخلنا الجنة وقبَّلنا يده -يعني النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم- وقال: أبشروا، كل من كتب بيده: «قال رسول لله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم» فهو معي في الجنة».

قال الحافظ السخاوي: «هذا سندٌ صحيحٌ والمرجو من فضل الله حصول ذلك».

(٨)

روى الخطيب وابن بَشْكُوال والتيمي والحافظ في "الترغيب" عن أبي سليمان محمد بن الحسين قال: قال رجل من جواري يقال له الفضل، وكان كثير الصوم والصلاة: كنت أكتب الحديث ولا أصلي على النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فرأيته في المنام فقال لي: «**إذا كتبت أو ذكرت فلم لا تصلِّي عليَّ؟**» ثم رأيته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مرة من الزمان فقال لي: «**بلغتني صلاتك فإذا صليت عليَّ أو ذكرت فقل: صلى الله عليه وآله وسلم**».

(٩)

روى الخطيب وابن بَشْكُوال وأبو اليمن وابن عساكر، عن محمد بن يحيى الكرماني قال: كنا يومًا بحضرة أبي علي بن شاذان -من الحفاظ- فدخل علينا شاب لا يعرفه منا أحد فقال: أيكم أبو علي بن شاذان؟ فأشرنا إليه، فقال: أيها الشيخ رأيت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في المنام فقال لي: «**سَلْ عن مسجد أبي علي بن شاذان فإذا لقيته فأقرئه منِّي السَّلام**». ثُمَّ انصرف الشاب فبكى أبو عليٍّ وقال: ما أعرف لي عملًا أستحق به هذا إلَّا أن يكون صبري على قراءة الحديث، وتكرير الصلاة على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كلما جاء ذكره. قال الكرماني: ولم يلبث أبو عليٍّ بعد ذلك إلا شهرين أو ثلاثة حتى مات رحمه الله تعالى.

قلت: مات ببغداد سنة ٤٢٦ هجرية وانفرد في وقته بإسماع كتاب "الشمائل المحمدية" للترمذيِّ.

(١٠)

روى التيمي في "الترغيب"، وأبو اليمن بن عساكر، عن الإمام أسعد الزنجاني قال: كان عندنا بمصر شخص زاهد يسمى أبا سعيد الخياط وكان لا يختلط بالناس ولا يحضر المجالس، ثُمَّ إنه داوم على حضور مجلس ابن رشيق فتعجب الناس فسألوه، فقال: رأيت النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في منامي فقال: «**احضر مجلسه فإنه يكثر فيه الصلاة عليَّ**». صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

وروى أبو عبد الله النميري المالكي في "الإعلام بفضل الصلاة على النبيِّ

عليه الصَّلاة والسَّلام" وابن بَشْكُوال الحافظ في "القربة إلى ربِّ العالمين بالصلاة على محمد سيد المرسلين": أن الخياط هذا لما حضر مجلس أبي محمد الحسن بن رشيق -وكان من أهل الحديث- أكرمه وقال له: هل للشيخ شيء يقدم؟ فقال اقرؤوا، ثم قال: رأيت النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في المنام فقال: «احضر مجلس ابن رشيق فإنه يصلِّي عليَّ فيه كذا وكذا مرة».

وروى ابن بَشْكُوال أنَّ ابن رشيق هذا رؤي بعد موته في حالة حسنة فقيل له: بم أوتيت هذا؟ فقال: بكثرة صلاتي على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

(١١)

روى أبو اليمن ابن عساكر عمن حدثه عن أبي العباس بن عبد الدايم - وكان كثير النقل لكتب العلم على اختلاف فنونه- أنه حدثه من لفظه قال: كنت إذا كتبت في كتب الحديث وغيرها: «النبي» أكتب لفظ الصلاة دون تسليم، فرأيت النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في المنام فقال لي: «**لم تحرم نفسك أربعين حسنة؟**» قلت: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: «**إذا جاء ذكري تكتب صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وهي أربعة أحرف كل حرف بعشر حسنات**» وعدهن صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بيدي.

(١٢)

روى الحافظ ابن الصلاح بإسناده إلى الحافظ حمزة الكتاني قال: كنت أكتب الحديث وكنت عند ذكر النبيِّ أكتب: صلى الله عليه، ولا أكتب: وسلم. فرأيت

النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في المنام فقال لي: «**مالك لا تتم الصلاة عليَّ؟**» فما كتبت بعد ذلك: صلَّىٰ الله عليه، إلَّا كتبت: وسلَّم.

(١٣)

روىٰ ابن بَشْكُوال عن الحسن بن موسىٰ الخضري المعروف بابن عجينة قال: كنت إذا كتبت الحديث أتخطىٰ فيه الصلاة علىٰ النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أريد بذلك العجلة، فرأيت النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في المنام فقال لي: «**مالك لا تصلِّي عليَّ إذا كتبت كما يصلي علي أبو عمرو الطبري؟!**» قال فانتبهت وأنا فزعٌ فجعلت لله علىٰ نفسي ألا أكتب حديثًا إلا كتبت: صلىٰ الله عليه وآله وسلم.

(١٤)

قال الحافظ ابن الملقِّن في كتاب "الحدائق": كان شاب يطوف في البيت ويشتغل بالصلاة علىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقيل له: هل عندك في هذا شيء؟ قال: نعم، خرجت مع أبي حاجين، فمرض في بعض المنازل ومات فاسودَّ وجهه وازرقَّت عيناه وانتفخ بطنه فبكيت وقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، مات أبي في غربته هذه الموتة!! فلما كان الليل غلبني النوم فرأيت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وعليه ثياب بيض ورائحته عطرة فدنا من أبي ومسح علىٰ وجهه فصار أشد بياضًا من اللبن، ثم مسح علىٰ بطنه فصار كما كان، ثم أراد الانصراف قال: «**إنَّ أباك كان يكثر المعاصي والذنوب وكان يكثر**

الصلاة عليَّ فلما نزل ما نزل استغاث بي فأغثته وأنا غياث لمن أكثر الصلاة عليَّ في دار الدنيا».

(١٥)

روى ابن الملقِّن في "الحدائق" عن علي بن عيسى الوزير قال: كنت أكثر الصلاة على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فلما صرفت عن الوزارة رأيت في المنام كأني راكب حمارًا ورأيت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فترجلت له فقال لي: «**ارجع إلى مكانك**» فأصبحت وقلدت الوزارة ببركة الصلاة عليه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

(١٦)

قال أبو سعيد الواعظ في كتابه "التعبير": بلغنا أنَّ رجلًا رأى النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في المنام فشكا إليه ضيق حاله فقال له: «**اذهب إلى علي بن عيسى وقل له يدفع لك ما تصلح به أمرك**» فقال: يارسول الله بأي علامة؟ قال: «**قل له: بعلامة أنك رأيتني على البطحاء وكنت على نشز من الأرض فنزلت وجئتني فقلت: ارجع إلى مكانك**». وكان علي بن عيسى قد عزل فردت إليه الوزارة، فلما انتبه ذلك الرجل جاء إلى علي بن عيسى وهو يومئذٍ وزير فذكر قصته فقال: صدقت. ودفع إليه أربعمائة دينار فقال: اقض بهذه دينك ودفع إليه أربعمائة دينار أخرى فقال: اجعلها رأس مالك، فإذا أنفقت ذلك فارجع إليَّ.

(١٧)

قال عبد الواحد بن زيد -أحد كبار الزهاد-: كان لنا جار يخدم السلطان وهو معروف بالفساد والغفلة عن الله تعالىٰ، فرأيته ليلة في المنام ويده في يد رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فقلت: يا رسول الله إنَّ هذا العبد السوء من المعرضين عن الله تعالىٰ فكيف وضعت يدك في يده؟! فقال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**قد عرفت ذلك وها أنذا ماض به لأشفع له عند الله تعالى**». فقلت: يا رسول الله بأي وسيلة بلغ ذلك؟ قال: «**بكثرة صلاته علي فإنه في كل ليلة حين يأوي إلى فراشه يصلي علي ألف مرة وإني لأرجو الله تعالى أن يقبل شفاعتي فيه**».

قال عبد الواحد: فلما أصبحت إذا أنا بذلك الغلام قد دخل المسجد باكيًا وكنت أقص علىٰ أصحابي ما رأيته له، فلما دخل سلم وقال: يا عبدالواحد مد يدك فقد أرسلني إليك رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لأتوب علىٰ يدك، وذكر لي ما جرىٰ بينك وبينه الليلة في شأني. فلما تاب سألته عن رؤياه فقال: أتاني رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فأخذ بيدي وقال: «**لأشفعن لك إلى ربي لأجل صلاتك علي**». فلما انطلقت معه شفع لي وقال: «**إذا أصبحت فائت عبد الواحد وتب على يديه واستقم**».

(١٨)

روىٰ البيهقيُّ أنَّ الإمام الشافعيَّ رؤي في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي. فقيل له: بماذا؟ قال: بخمس كلمات كنت أصلي بهن علىٰ رسول الله

صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم. فقيل له: وما هذه؟ قال: كنت أقول: اللهم صل علىٰ محمد عدد من صلىٰ عليه، وصل علىٰ محمد بعدد من لم يصل عليه، وصل علىٰ محمد كما تحب أن يصلىٰ عليه، وصل علىٰ محمد كما تنبغي الصلاة عليه.

(١٩)

روىٰ ابن بَشْكُوال عن الزعفرانيِّ قال: سمعت خالي الحسن بن محمد يقول: رأيت الإمام أحمد بن حنبلٍ في النوم فقال لي: يا أبا عليٍّ لو رأيت صلاتنا علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في الكتب كيف تزهر بين أيدينا.

(٢٠)

روىٰ النميري عن سفيان بن عيينة قال: كان لي أخ مؤاخٍ فمات، فرأيته في النوم فقلت: ما فعل الله بك؟ قال غفر لي. قلت: بماذا؟ قال: كنت أكتب الحديث فإذا جاء ذكر النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كتبت: صلىٰ الله عليه وآله وسلم، أبتغي بذلك الثواب فغفر لي بذلك.

(٢١)

روىٰ أبو اليمن ابن عساكر عن جعفر بن عبد الله قال: رأيت أبا زرعة - من أئمة الحفاظ- في المنام وهو في السماء يصلي بالملائكة فقلت له: بم نلت ذلك؟ قال: كتبت ألف ألف حديث إذا ذكرت النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أصلِّي عليه. صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

وقد قال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «من صلَّى علي مرة صلَّى الله عليه عشرًا».

قلت: بمقتضىٰ هذا الحديث الصحيح يكون الله تعالىٰ قد صلىٰ علىٰ أبي زرعة الرازي المذكور عشرة آلاف ألف مرة، وهذه بشارة عظيمة لأهل الحديث جعلنا الله منهم، لأنهم أكثر الناس صلاة علىٰ النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم نطقًا وكتابة، ومما يزيدهم شرفًا ورفعة أن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إمامهم يوم القيامة وبه يدعون لقوله تعالىٰ: ﴿ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَـٰمِهِمْ ﴾ [الإسراء: ٧١]، ولا إمام لهم في الدنيا إلَّا النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فهو إمامهم في الآخرة.

(٢٢)

روىٰ النميري وابن مسدي وابن بَشْكُوال وغيرهم من طريق أبي صالح عبد الله بن صالح الصوفي قال: رؤي بعض أصحاب الحديث في المنام فقيل له: مافعل الله بك؟ قال: غفر لي. فقيل له: بأي شيءٍ؟ قال: بصلاتي في كتابي علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

(٢٣)

روىٰ ابن بَشْكُوال من طريق إسماعيل بن علي بن المثنىٰ، عن أبيه قال: رؤي بعض أصحاب الحديث في النوم فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي. قيل: بماذا؟ قال: بكثرة ما كتبت بهاتين الإصبعين: صلىٰ الله عليه وآله وسلم.

(٢٤)

روىٰ الخطيب وابن بَشْكُوال من طريقه عن سفيان بن عيينة قال: حدثنا خلف صاحب الخلقان قال: كان لي صديق يطلب معي الحديث فمات، فرأيته في المنام وعليه ثياب خضر جدد يجول فيها. فقلت له: ألست كنت تطلب معي الحديث؟ فما هذا الذي أرىٰ؟! فقال: كنت أطلب معكم الحديث فلا يمر علي حديث فيه ذكر النبي إلا كتبت في أسفله: صلىٰ الله عليه وآله وسلم، فكافأني بهذا الذي ترىٰ. صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

(٢٥)

روىٰ أبو القاسم التيمي في "الترغيب"، عن أبي الحسن الميموني قال: رأيت الشيخ أبا علي الحسن بن عيينة في المنام بعد موته وكأن علىٰ أصابع يديه شيئًا مكتوبًا بلون الذهب أو بلون الزعفران فسألته، عن ذلك وقلت: يا أستاذ أرىٰ علىٰ إصبعيك شيئًا مليحًا مكتوبًا، ما هو؟ قال: يا بني هذا لكتابتي لحديث رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، أو قال: لكتابتي: «صلىٰ الله عليه وآله وسلم» في حديث رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

(٢٦)

روىٰ ابن بَشْكُوال عن عبدالواحد بن زيد قال: خرجت حاجًّا فصحبني رجل فكان لا يقوم ولا يقعد ولا يذهب ولا يجيء إلا صلىٰ علىٰ النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقلت له في ذلك فقال: أخبرك عن ذلك، خرجت منذ سنيات

إلى مكة ومعي أبي فلما انصرفنا قلنا في بعض المنازل فبينما أنا نائم أتاني آت فقال لي: قم فقد أمات الله أباك وسود وجهه. فقمت مذعورًا فكشفت الثوب عن وجه أبي فإذا هو ميت أسود الوجه، فدخلني من ذلك رعب فبينما أنا على ذلك من الغم غلبتني عيناي فنمت فإذا على رأسي أربعة سودان معهم أربعة أعمدة من حديد عند رأسه وعند رجليه وعن يمينه وعن شماله، فأقبل رجل حسن الوجه يمشي في ثوبين أخضرين فقال لهم: «**تنحوا**» فرفع الثوب عن وجهه فمسح وجهه بيديه ثم أتاني فقال: «**قم قد بيض الله وجه أبيك**» فقلت: من أنت بأبي أنت وأمي؟ قال: «**أنا محمد رسول الله**»، صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فكشفت الثوب عن وجه أبي فإذا هو أبيض الوجه، فأصلحت من شأنه ودفنته.

قال الإمام أبو عبد الله محمد بن النعمان التلمساني في "مصباح الظلام" وكان هذا الرجل يكثر الصلاة على النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

(٢٧)

روى أبو نعيم وابن بَشْكُوال عن سفيان الثوري قال: بينما أنا حاج إذ دخل علي شاب لا يرفع قدمًا ولا يضع أخرى إلا وهو يقول: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد. فقلت له: أبعلم تقول هذا؟ قال: نعم. ثم قال: من أنت؟ قلت: سفيان الثوري. قال: العراقي؟ قلت: نعم. قال: هل عرفت الله؟ قلت: نعم. قال: كيف عرفته؟ قلت: بأنه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل، ويصور الولد في الرحم. قال: يا سفيان ما عرفت الله حق معرفته. قلت: كيف

تعرفه أنت؟ فقال: بفسخ الهم ونقض العزم وهممت ففسخ همي وعزمت فنقض عزمي فعرفت أن لي ربًّا يدبرني. قلت: فما صلاتك على النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؟ قال: كنت حاجًّا ومعي والدتي فسألتني أن أدخلها البيت ففعلت فوقعت وتورم بطنها وأسود وجهها فجلست عندها وأنا حزين، فرفعت يدي إلى السماء فقلت: يا رب هكذا تفعل بمن دخل بيتك؟ فإذا بغمامة قد ارتفعت من تهامة وإذا رجل عليه ثياب بيض، فدخل البيت وأمرَّ يده على بطنها فابيض فسكن المرض ثم مضى ليخرج، فتعلقت بثوبه فقلت له: من أنت الذي فرجت عني؟ قال: «**أنا نبيك محمد الذي تصلي عليه**» قلت: يا رسول الله فأوصني. قال: «**لا ترفع قدمًا ولا تضع أخرى إلا وأنت تصلي على محمد وعلى آل محمد**» صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

قلت: كان هذا الشاب من الأولياء الواصلين.

(٢٨)

قال العارف الكبير أبو المواهب الشاذلي: رأيت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقبل فمي وقال: «**أقبل هذا الفم الذي يصلي علي ألفًا بالنهار وألفًا بالليل**». ثم قال: «**وما أحسن** ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر: ١] **لو كانت وردك بالليل**»، ثم قال لي: «**ويكون دعائك: اللهم فرج كرباتنا اللهم أقل عثراتنا اللهم اغفر زلاتنا، وتصلي علي وتقول: وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين**».

(٢٩)

قال الشريف محمد النعماني -من أصحاب العارف الكبير الشيخ محمد الحنفي-: رأيت جدي رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في خيمة عظيمة والأولياء يجيئون فيسلمون عليه واحدًا واحدًا وقائل يقول: هذا فلان هذا فلان. فيجلسون إلىٰ جانبه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حتىٰ جاءت كبكبة عظيمة وخلق كثير وقائل يقول: هذا محمد الحنفي. فلما وصل إلىٰ النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أجلسه بجانبه ثم التفت صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إلىٰ أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وقال لهما: «**إني أحب هذا الرجل إلا عمامته الصماء، أو قال: الزعراء**» وأشار إلىٰ سيدي محمد الحنفي. فقال له أبو بكر: أتأذن لي يا رسول الله أن أعممه؟ قال: «**نعم**» فأخذ أبو بكر رضي الله عنه عمامة نفسه وجعلها علىٰ رأس سيدي محمد وأرخىٰ لها عذبة عن يساره وألبسها له.

فلما قصَّها علىٰ الشيخ محمد الحنفي بكىٰ وبكىٰ الناس، وقال للشريف محمد: إذا رأيت جدك صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فاسأله لي في أمارة يعلمها من أعمالي.

فرآه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بعد أيام وسأله أمارة فقال له: «**بأمارة الصلاة التي يصليها علي في الخلوة بعد غروب الشمس كل يوم وهي: اللهم صلي على محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم عدد ما علمت وزنة ما علمت وملء ما علمت**». فقال الشيخ الحنفي صدق رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

وأرخى لعمامته عذبة وعمل كل من في المجلس مثله وصار إذا ركب يرخي العذبة وترك الطيلسان الذي كان يركب به إلى أن مات رحمه الله تعالى.

قلت: إرخاء العذبة سنة مأثورة عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وورد النهي عن الاقتعاط وهو التعمم بدون عذبة، وهي متأكدة في حق كبار العارفين لمزيد تعلقهم بالنبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وشدة تأسيهم به في كل ما يصدر عنه من قول وعمل في العبادات والعادات لعلمهم أن الله تعالى لا يختار لنبيه إلا أكمل الحالات وأن كل ما يصدر عنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقع من الله بعين الرضا والقبول.

وقد صرَّح علماء الأصول أن من فعل أمرًا عاديًّا كان النبي يفعله كأكلة أو لبسة معينة وقصد بفعله الاقتداء به صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان مثابًا من هذه الجهة واعتبر آتيًا بالسنة.

وممن كان على هذا الحال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان شديد التأسي بالنبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في كل شيء، حتى أنه وهو مسافر في بعض المرات نزل في مكان من الطريق ليس محلًّا للنزول فسأل المسافرون معه نافعًا مولاه عن سبب نزوله غير المعهود فأخبرهم بأنه يروي أنه كان مع النبي في بعض أسفاره ونزل في هذا المكان وقضى حاجته فهو يحب أن يفعل مثله.

(٣٠)

روى أبو سعيد الواعظ في كتاب "التعبير" عن أبي الوفاء القاري الهروي قال: رأيت المصطفى صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في المنام بفرغانة سنة ستين

وثلثمائة وكنت أقرأ عند السلطان وكانوا لا يسمعون ويتحدثون، فانصرفت إلى المنزل مغتمًّا فنمت فرأيت النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كأنه تغير لونه فقال لي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أتقرأ القرآن كلام الله عزَّ وجلَّ بين قوم يتحدثون ولا يسمعون قراءتك؟! لا تقرأ بعد هذا إلا ما شاء الله**» فانتبهت وأنا ممسك اللسان أربعة أشهر فإذا كانت لي حاجة أكتبها على الرقاع، فحضرني أصحاب الحديث وأصحاب الرأي فأفتوا بأني آخر الأمر أتكلم فإنه قال: «**إلا ما شاء الله**» وهو استثناء فنمت بعد أربعة أشهر في الموضع الذي كنت نمت فيه أولًا فرأيت النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في المنام يتهلل وجهه فقال لي: «**قد تبت؟**» قلت: نعم يا رسول الله. قال: «**من تاب تاب الله عليه أخرج لسانك**» فمسح لساني بسبابته وقال: «**إذا كنت بين قوم وتقرأ كتاب الله فاقطع قراءتك حتى يسمعوا كلام الله**». فانتبهت وقد انفتح لساني بحمد الله ومنه.

(٣١)

روى الشيخ أبو حفص عمر بن الحسن السمرقندي عن بعض مشايخه عن أبيه قال: سمعت رجل في الحرم وهو كثير الصلاة على النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حيث كان في الحرم وعرفة ومنى فقلت له: أيها الرجل إن لكل مقام مقال فما بالك لا تشتغل بالدعاء ولا بالتطوع بالصلاة سوى أنك تصلي على النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؟! فقال: إني خرجت من خراسان حاجًّا إلى هذا البيت وكان والدي معي فلما بلغنا الكوفة اعتلَّ والدي وقويت علته فمات، فغطيت وجهه بإزار ثم غبت عنه وجئت إليه فكشفت وجهه لأراه فإذا

صورته كصورة الحمار فحين رأيت ذلك عظم عندي وحزنت حزنًا شديدًا وقلت لنفسي كيف أظهر للناس هذا الحال الذي صار إليه والدي وقعدت عنده مهمومًا فأخذتني سنة من النوم فرأيت في منامي كأن رجلًا دخل علينا وجاء إلى والدي وكشف وجهه فنظر إليه ثم غطاه ثم قال لي: «**ما هذا الحزن العظيم الذي أنت فيه؟**» فقلت: وكيف لا أغتم وقد صار والدي بهذه المحنة فقال: «**أبشر إن الله عزَّ وجلَّ قد أزال عن والدك هذه المحنة**». ثم كشف الغطاء عن وجهه فإذا هو كالقمر الطالع فقلت للرجل: بالله من أنت فقد كان قدومك مباركًا؟ فقال: «**أنا المصطفى**». فلما قال ذلك فرحت فرحًا عظيمًا وأخذت بطرف ردائه فلففته على يدي وقلت: بحق الله يا رسول الله إلا أخبرتني بالقصة. فقال: «**إن والدك آكل الربا وإن من حكم الله عزَّ وجلَّ أن من أكل الربا أن يحول الله صورته عند الموت كصورة الحمار إما في الدنيا وإما في الآخرة ولكن كان من عادة والدك أن يصلي علي في كل ليلة قبل أن يضطجع على فراشه مائة مرة فلما عرضت له هذه الأعمال من أكل الربا جائني الملك الذي يعرض علي أعمال أمتي فأخبرني بحالة والدك فسألت الله فشفعني فيه**».

قال: فاستيقظت فكشفت عن وجه والدي فإذا هو كالقمر ليلة بدره فحمدت الله وشكرته وجهزته ودفنته وجلست عند قبره ساعة فبينا أنا بين النائم واليقظان إذا بهاتف يقول لي: أتعرف هذه العناية التي حفت والدك ما كان سببها؟ قلت: لا. قال: كان سببها الصلاة على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

كيفية الصلاة على النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم

اللهمَّ صَلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آل سيِّدنا محمَّدٍ، كما صلَّيت على سيِّدنا إبراهيم وعلى آل سيِّدنا إبراهيم، وبارك على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آل سيِّدنا محمّدٍ، كما باركت على سيِّدنا وعلى آل سيِّدنا إبراهيم في العالمين إنك حميدٌ مجيد.

اللهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آل سيِّدنا محمَّدٍ، كما صلَّيت على سيِّدنا إبراهيم وعلى آل سيِّدنا إبراهيم إنك حميدٌ مجيدٌ.

اللهمَّ بارك على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آل سيِّدنا محمَّدٍ، كما باركت على سيِّدنا إبراهيم وعلى آل سيِّدنا إبراهيم إنك حميدٌ مجيدٌ.

اللهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آل سيِّدنا محمَّدٍ، وبارك على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آل سيِّدنا محمَّدٍ، كما صليت وباركت على سيِّدنا إبراهيم وعلى آل سيِّدنا إبراهيم في العالمين إنك حميدٌ مجيدٌ

اللهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ النبيِّ الأُمِّيِّ وعلى آل سيدنا محمَّدٍ، كما صلَّيت على سيِّدنا إبراهيم وعلى آل سيِّدنا إبراهيم، وبارك على سيِّدنا محمَّدٍ النبيِّ الأُمِّيِّ وعلى آل سيِّدنا محمَّدٍ، كما صلَّيت على سيِّدنا إبراهيم وعلى آل سيِّدنا إبراهيم إنك حميدٌ مجيدٌ.

اللهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ عبدك ورسولك وأهل بيته، كما صلَّيت على سيِّدنا إبراهيم إنك حميدٌ مجيدٌ.

اللهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى أزواجه وذريَّته، كما صلَّيت على آل سيِّدنا إبراهيم إنك حميدٌ مجيدٌ.

اللهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمد النبيِّ وأزواجه أمهات المؤمنين وذريَّته وأهل بيته كما صلَّيت على سيِّدنا إبراهيم إنك حميدٌ مجيدٌ.

اللهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمدٍ وعلى آل سيِّدنا محمَّدٍ، كما صلَّيت على سيِّدنا إبراهيم وآل سيِّدنا إبراهيم، وبارك على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آل سيِّدنا محمَّدٍ، كما باركت على سيِّدنا إبراهيم وآل سيِّدنا إبراهيم، وترحَّم على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آل سيِّدنا محمَّدٍ كما ترحَّمت على سيِّدنا إبراهيم وآل سيِّدنا إبراهيم، جزى الله عنا سيَّدنا محمدًا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بما هو أهله.

اللهمَّ صلِّ على محمَّدٍ عبدك ورسولك، وصلِّ على المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات.

اللهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي.

اللهم صل على سيدنا محمد وأنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ صلوَاتِكَ ورحمتَكَ وبركاتكَ على سيِّدِ المرسلينَ وإمامِ المُتَّقينَ وخاتمِ النَّبيِّينَ عبدكَ ورسولِكَ إمامِ الخيرِ وقائدِ الخيرِ ورسولِ الرَّحمةِ، اللَّهُمَّ ابعثهُ المَقَام المحمود الذي يغْبطهُ فيهِ الأوَّلونَ والآخرونَ.

اللهمَّ صَلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ حتى لا تَبقَى صلاةٌ.

اللهمَّ صَلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ حتى لا تَبقَى بركةٌ.

اللهمَّ صَلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ حتى لا يبقَى سلامٌ .

اللهمَّ صَلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ حتى لا تَبقَى رحمةٌ .

اللهمَّ صَلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ كما أمرتنا أن نصَلِّي عليه، وصَلِّ عليه كما ينبغي أن يُصَلَّى عليه.

اللهمَّ صَلِّ علىٰ سيِّدنا محمَّد وأبلغه الوسيلة والدرجة الرفيعة من الجنة اللهم اجعل في المصطفين محبته وفي المقربين مودته وفي الأعلين ذكره.

اللهمَّ تقبَّل شفاعة سيدنا محمد الكُبرىٰ، وارفعْ درجتَهُ العُليَا، وأعطِهِ سؤلهُ في الآخرةِ والأُولَىٰ، كما آتيتَ إبراهيمَ وموسَىٰ.

اللهمَّ صلِّ علىٰ سيِّدنا محمَّدٍ كما تحبُّ وترضى له.

اللهمَّ إني أسألك ياالله يا رحمن يارحيم، ياجار المستجيرين، ياأمان الخائفين، يا عماد من لا عماد له، يا سند من لا سند له، يا ذخر من لا ذخر له، يا حرز الضعفاء، يا كنز الفقراء، يا منقذ الهلكىٰ، يا منجي الغرقىٰ، يا محسن يا مجمل يا منعم يا مفضل يا عزيز يا جبار يا منير، أنت الذي سجد لك سواد الليل وضوء النهار، وشعاع الشمس وحفيف الشجر، ودوي الماء ونور القمر، يا الله أنت الله لا شريك لك، أسألك أن تُصلِّي علىٰ سيِّدنا محمَّدٍ عبدك ورسولك وعلىٰ آل سيِّدنا محمَّدٍ.

اللهمَّ صلِّ علي سيِّدنا محمَّدٍ وعلىٰ آل سيِّدنا محمَّدٍ صلاةً تكون لك رضاء، ولحقه آداء، واعطه الوسيلة والمقام الذي وعدته، واجزه أفضل ما جازيت نبيًّا عن أمَّته، وصلِّ علىٰ جميع إخوانه النبيين والصالحين يا أرحم الراحمين.

اللهم صلِّ علىٰ سيدنا محمَّدٍ النبيِّ الأمِّي، الطاهر الزكيِّ، صلاة تُحلُّ بها العُقَد، وتُفكُّ بها الكُرَب.

اللهمَّ صلِّ علىٰ سيِّدنا محمَّدٍ صلاةً تُنجينا بها من جميع الأهوال والآفات، وتَقْضي لنا بها جميع الحاجات، وتُطَهِّرنا بها من جميع السيِّئات، وترفعنا بها أعلىٰ الدرجات، وتُبلِّغنا بها أقصىٰ الغايات من جميع الخيرات في الحياة وبعد الممات.

اللهمَّ صلِّ وسلِّم على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آل سيِّدنا محمَّدٍ، وهب لنا اللهمَّ مِن رزقك الحلال الطيب المبارك ما تصون به وجوهنا عن التعرُّض إلى أحدٍ مِن خَلْقِكَ، واجعل اللهمَّ لنا إليه طريقًا سهلًا من غير تعبٍ ولا نصبٍ ولا مِنَّةٍ ولا تبعةٍ لأحدٍ، وجنِّبنا اللهمَّ الحرام حيث كان وأين كان وعند من كان، وحُلْ بيننا وبين أهله و اقبض عنَّا أيديهم، و اصرف عنَّا قلوبهم، حتى لا نتقلَّب إلَّا فيما يرضيك، ولا نستعين بنعمتك إلا على ماتحب يا أرحم الراحمين.

اللهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ كلَّما ذكره الذاكرون، وصلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ كلَّما غفل عن ذكره الغافلون.

اللهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمَّد عدد مَن صَلَّى عليه، وصلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ بعدد مَنْ لَمْ يُصلِّ عليه، وصلِّ على سيِّدنا محمد كما أمرت أن يُصَلَّى عليه، وصلِّ علي سيِّدنا محمَّدٍ كما تُحب أنْ يُصَلَّى عليه، وصلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ كما تنبغي الصلاة عليه.

اللهمَّ صَلِّ على سيِّدنا محمَّد النبيِّ الأميِّ وعلى آله وصحبه وسلِّم عدد ما عَلِمْتَ وزِنة ما عَلِمْتَ ومِلْء ما عَلِمْتَ.

اللهمَّ صلِّ أفضل صلاة على أفضل مخلوقاتك سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم عدد معلوماتك و مداد كلماتك كلَّما ذكرك وذكره الذاكرون وغفل عن ذكرك وذكره الغافلون.

اللهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ عبدك ورسولك النبيِّ الأمِّي وعلى آله وسلِّم.

اللهمَّ صلِّ صلاةً كاملةً وسلم سلامًا تامًّا على نبيٍّ تنحل به العُقَد، وتنفرج

به الكُرَب وتقضىٰ به الحوائج، وتنال به الرغائب وحسن الخواتيم، ويُسْتَسْقَىٰ الغمام بوجهه الكريم وعلىٰ آله وصحبه.

اللهمَّ صَلِّ علىٰ سيدنا ومولانا محمد النبي الأمي وعلىٰ آله وأصحابه وأزواجه وذريته صلاة تشرح بها صدري وتيسر بها أمري وتجبر بها كسري وتغني بها فقري وتنور بها قبري وتحل بها عقدة لساني.

اللهم رب الحل والحرام ورب البلد الحرام ورب الركن والمقام ورب المشعر الحرام بحق كل آية أنزلتها في شهر رمضان بلغ روح محمد تحية وسلامًا.

يقرأ أربع مرات ليلًا عند النوم بعد قراءة (سورة الملك).

اللهم صَلِّ علىٰ سيدنا محمد النبي الأمي وعلىٰ آله وسلم تسليمًا.

اللهم صلِّ علىٰ عبدك المكمل ورسولك المبجل وخليلك المفضل سيدنا محمد الذي منحته المقام المحمود والحوض المورود وأخذت لأجله علىٰ الأنبياء المواثيق والعهود مفتاح الكائنات وختام النبوات ومجلىٰ الأسماء والصفات صلاة تفرج عنها بها الكرب وتقضي لنا بها الحاجات وتفتح لنا بها أبواب القرب وتيسر بها أسباب المكرمات وعلىٰ آله المطهرين من الأرجاس وصحابته المخاطبين بـ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] وسلم تسليمًا كثيرًا إلىٰ يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

اللهم صلِّ وسلم علىٰ عبدك ونبيك سيدنا محمد الذي نطق له الحجر وسجد له الشجر وانشق بإشارته القمر وزال ببركة مسحه عن ذوي العاهات الضرر، نبع من أصابعه الشريفة الماء النمير ونزل بدعائه المطر الغزير وانزاح

بغوثه الكرب عن الخلق الكثير صلاةً وتسلامًا يكونان سببًا في كشف كربتنا وتفريج غمتنا والتعجل بزوال شدتنا.

اللهمَّ اجعل صلاتنا عليه وسيلة إليك واقبل استشفاعنا به لديك فإنه رسولك الطاهر المطهر وحبيبك الشفيع المشفع هنا وفي المحشر، وارض اللهم عن آله الطيبين الطاهرين وصحابته من الأنصار والمهاجرين.

اللهمَّ وسلم على سيدنا محمد صلاةً وسلامًا دائمين بدوام توالي أفضالك عليه.

اللهمَّ صلِّ وسلم على سيدنا محمد سيد المرسلين وخاتم النبيين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين وشفيع المذنبين.

اللهمَّ اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك على سيدنا محمد رسول الخير وإمام الهدى وعين الرحمة ونبي التوبة.

اللهمَّ اجعل أفضل صلواتك وأزكاها، وأجل تسليماتك وأنماها، علي من أرسلته رحمة عامة، وبعثته نعمة مهداة، سيدنا محمد الذي شرحت صدره ورفعت ذكره، وقرنت اسمه باسمك، وجعلت طاعته من طاعتك، وخلعت عليه من وصفك ونعتك، اللهم إنا نتوسل به إليك ونستشفع به لديك أن تفرج كربتنا وأن تقيل عثراتنا وأن تغفر زلاتنا.

اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد أحب المحبوبين إليك، وزده شرفًا وكرما لديك.

اللهمَّ صلِّ وسلم صلاة وسلامًا يفوقان العد ويجاوزان الحد على منتهى الكمالات الإنسانية وملتقى التنزلات الإلهية سيدنا محمد أصل الوجود

والوسيلة العظمىٰ في وصول الخير إلىٰ كل موجود، اللهم فرج كرباتنا ببركته وارض عن أزواجه وأهل بيته وذريته يارب العالمين.

اللهمَّ صلِّ وسلم وبارك علىٰ إنسان عين الوجود وقطب دائرة الشهود سيدنا محمد القاسم لما تفيض علىٰ عبادك من أنواع العطاء والمخصوص منك بعظيم المدح والثناء صلاة وسلامًا وبركة تناسب قدره وتؤدي عنا شكره.

اللهمَّ صلِّ وسلم علىٰ من جعلته نبيا وآدم منجدل في الطين ثم أرسلته رحمة للعالمين سيدنا محمد صاحب الحنيفية السمحة والدين المتين وعلىٰ آله وذريته الطاهرين.

اللهمَّ اجعل صلواتك وبركاتك علىٰ سيدنا محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت علىٰ آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

اللهمَّ صلِّ وسلم علىٰ سيدنا محمد القائل: «**الدُّعاءُ كلُّه محجوبٌ حتَّى يكون أوَّله ثناءٌ على الله تعالى وصلاةٌ على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ثُمَّ يدعو فيستجابُ لدُعائِهِ**».

اللهمَّ صلِّ وسلِّم علىٰ سيِّدنا محمَّدٍ الوارد عنه: «**إذا طنَّت أُذن أحدِكم فليُصَلِّ عليَّ، وليقُل: ذَكَرَ اللهُ بخيرٍ مَن ذَكَرني**».

اللهمَّ صلِّ وسلِّم علىٰ سيِّدنا محمَّدٍ الوارد عنه: «**إذا فَرَغَ أحدُكم مِن طهوره فليقل: أشهد أن لا إله إلَّا الله وأنَّ محمَّدًا عبده ورسوله ثُمَّ ليصلِّ عليَّ فإذا قال ذلك فتُحِت له أبواب الرحمة**».

اللهمَّ صلِّ وسلِّم علىٰ سيِّدنا محمَّدٍ الوارد عنه: «**إذا نسيتم شيئًا فصَلُّوا عليَّ تَذْكُروه إن شاء اللهُ تعالى**».

اللهمَّ صلِّ وسلِّم على سيِّدنا محمَّدٍ الوارد عنه: «زَيِّنوا مجالسكم بالصَّلاة عليَّ فإنَّ صلاتكم عليَّ نورٌ لكم يومَ القِيامَةِ».

اللهمَّ صلِّ وسلِّم على سيِّدنا محمَّدٍ الوارد عنه: «إنكم تُعرضَون عليَّ بأسمائكم وسيماكم، فأحْسِنُوا الصَّلاةَ عليَّ».

اللهمَّ صلِّ وسلِّم على سيِّدنا محمَّدٍ الذي كان إذا دخل المسجد صلَّى على محمَّدٍ وسلَّم وقال: «اللهمَّ اغْفِرْ لي ذنوبي وافْتَحْ لي أبواب رحمتك». وإذا خرج من المسجد صلَّى على محمَّدٍ وسلَّم وقال: «اللهمَّ اغْفِر لي ذُنوبي وافْتَحْ لي أبواب فَضْلِك».

اللهمَّ صلِّ وسلِّم على سيِّدنا محمَّدٍ القائل: «لا تَجْعَلُوا بيوتكم قُبورًا، ولا تَجْعَلُوا قبري عِيدًا، وصَلُّوا عليَّ فإنَّ صلاتكم تبلغني حيثما كنتم».

اللهمَّ صلِّ وسلِّم على سيِّدنا محمَّدٍ الوارد عنه: «لا وضوء لمن لم يُصَلِّ عليَّ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم».

اللهمَّ صلِّ وسلِّم على سيِّدنا محمَّدٍ القائل: «ما مِن أحدٍ يُسَلِّم عليَّ إلَّا رَدَّ اللهُ تعالى إليَّ روحي حتَّى أردَّ عليه السَّلام».

اللهمَّ صلِّ وسلِّم على سيِّدنا محمَّدٍ القائل: «ما مِن عبدٍ مؤمِنٍ يذكرني فيصلِّي عليَّ إلَّا كتبَ اللهُ له عشر حسناتٍ ومحا عنه عشر سيئاتٍ ورفع له عشر درجات».

اللهمَّ صلِّ وسلِّم على سيِّدنا محمَّدٍ الوارد عنه: «مِن الجَفَاءِ أنْ أُذْكَرَ عند رَجُلٍ فلا يُصَلِّي عليَّ».

اللهمَّ صلِّ وسلِّم على سيِّدنا محمَّدٍ الوارد عنه: «مَن سَرَّهُ أن يَلْقَ اللهَ راضِيًا

فليُكْثِرْ الصَّلاةَ عليَّ».

اللهمَّ صلِّ وسلِّم على سيِّدنا محمَّدٍ الوارد عنه: «مَن صَلَّى عليَّ صلاةً كَتَبَ اللهُ له قِيراطًا، والقِيراطُ مثل أُحُدٍ».

اللهمَّ صلِّ وسلِّم على سيِّدنا محمَّدٍ الوارد عنه: «مَن صَلَّى عليَّ يومَ الجُمُعَةِ كانت شفاعةً له عندي يومَ القِيامَةِ».

اللهمَّ صلِّ وسلِّم على سيِّدنا محمَّدٍ القائل: «مَن قال حين يسمع المؤذِّن: اللهمَّ ربَّ هذه الدَّعْوةِ التامَّةِ والصَّلاة القائمة صلِّ على محمَّدٍ عبدك ورسولك وأعْطِهِ الوَسِيلةَ والشَّفاعَةَ يومَ القِيامَةِ؛ حلَّت له شفاعتي».

اللهمَّ صلِّ وسلِّم على سيِّدنا محمَّدٍ الوارد عنه: «مَن نَسي الصَّلاة عليَّ خطئ طريق الجنَّة».

اللهمَّ صلِّ وسلِّم على سيِّدنا محمَّدٍ القائل: «إذا صَلَّى أحدُكم فليبدأ بتحميد ربِّه والثَّناءِ عليه، ويُصَلِّ على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ثُمَّ يَدْعُو بعدُ بما شاء».

اللهمَّ صلِّ وسلِّم على سيِّدنا محمَّدٍ القائل: «إنَّ لله ملائكةً سيَّاحِينَ يُبلِّغوني عن أُمَّتي السَّلام».

اللهمَّ صلِّ وسلِّم على سيِّدنا محمَّدٍ القائل: «لا يَجْلِسُ قَوْمٌ مَجْلِسًا لا يُصَلُّون فيه على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلَّا كان عليهم حَسْرَة وإن دَخَلُوا الجنَّة؛ لما يَرَوْنَ مِن الثَّوابِ».

اللهمَّ صلِّ وسلِّم على سيِّدنا محمَّدٍ الوارد عنه: «مَن دعا بهؤلاء الدَّعوات في دُبُرِ كلِّ صلاةٍ مَكْتوبةٍ حَلَّت له الشَّفاعة منِّي يومَ القِيامَةِ: اللهمَّ أعْطِ محمَّدًا

الدرجة والوسيلة، اللهمَّ اجعل في المصطفين محبَّته، وفي العالمين درجته، وفي المُقرَّبين داره».

اللهمَّ صلِّ وسلِّم على سيِّدنا محمَّدٍ الذي كان عليٌّ عليه السَّلام إذا وصفه قال: لم يكن بالطَّوِيلِ المُمَّغِطِ ولا بالقَصِيرِ المُتَرَدِّدِ، كان رَبْعَةً مِن الرِّجَال، كان جَعْدَ الشَّعْرِ، ولم يكن بالجَعْدِ القَطَطِ ولا بالسَّبْطِ، كان جَعْدًا رَجِلًا، ولم يكن بالمُطَهَّمِ ولا المُكَلْثَمِ، كان في الوجه تَدْوِيرٌ، أبيضَ مُشْرَبًا حُمْرَةً، أَدْعَجَ العَيْنَيْنِ، أَهْدَبَ الأَشْفَارِ، جَلِيلَ المُشَاشِ والكَتَدِ، أَجْرَدَ ذا مَسْرُبَةٍ، شَثْنَ الكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ، إذا مَشَى تَقَلَّعَ كأَنَّما يَمْشِي فِي صَبَبٍ، وإذا التَفَتَ التَفَتَ مَعًا، بَيْنَ كَتِفَيهِ خَاتَمُ النُّبوَّةِ وهو خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، أَجْوَدَ النَّاسِ كَفًّا وأَجْرَأَ النَّاسِ صَدْرًا، وأَصْدَقَ النَّاسِ لَهجَةً، وأَوْفَى النَّاسِ بذِمَّةٍ، وأَلْيَنَهُمْ عَرِيكَةً وأَكْرَمَهُمْ عِشْرَةً، مَن رَآهُ بَدِيهَةً هَابَهُ، ومَنْ خَالَطَهُ مَعْرِفَةً أَحَبَّهُ، يقول نَاعِتُهُ: لم أَرَ مثله قَبْلَهُ ولا بَعْدَهُ.

صلَّى الله عليه وآله وسلَّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدِّين، وسلم على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

وقع الفراغ منه يوم الجمعة التاسع من شهر جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة وألف هجرية، وقدَّمته وسيلة بين يدي لعل الله تعالى ببركة رسوله وبشفاعته يُعَجِّل بتفريج هذه الكُربة التي طالت واشتدت، وليس من يكشفها غيره إنه قريبٌ مجيبٌ.

٥ - نَقْدُ قَصِيدَةِ البُرْدَةِ

نقد قصيدة البردة

هذه القصيدة من نظم الأديب الشاعر أبي عبد الله محمد بن سعيد البوصيري -بكسر الصاد- الصنهاجي.

وهي من أبدع ما نظم في المديح النبوي، ضمت جملًا من السيرة وطائفة من المعجزات والفضائل النبوية في أسلوب عذب رائق وقد أقبل الناس عليها منذ أنشأها ناظمها إقبالًا كبيرًا فلا يحصى كم من شارح لها ومخمس لأبياتها وناظم على منهاجها.

وانتقدها كثيرون لأبيات منها رأوا فيها غلوًّا ومبالغة، لكنهم بالغوا في الانتقاد وغلوا فيه أيضًا حتى زعموا أنها تشتمل على شرك صريح، وأنا أريد أن أتكلم في هذه المقالة على الأبيات المنتقدة وهي في نظري أربعة، وأبين ما يجاب به عنها من غير تكلف ولا تعسف، أما الشرك فقد احترز عنه الناظم في قوله:

دَعْ ما ادَّعتْهُ النصارى في نبيِّهم ... واحْكُمْ بما شِئْتَ مَدْحًا فيه واحْتكِمِ

فهذا البيت ينفي الشرك عن أبيات هذه القصيدة ويوجب تأويل ما أوهم الشرك عند بعض الناس.

وأول الأبيات الأربعة، قوله:

وكيفَ تَدْعُو إلى الدُّنيا ضَرورةُ مَن ... لولاه لم تُخْرَجِ الدُّنيا مِن العَدَمِ

قال المنتقدون: هذا يرده القرآن، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] أفادت الآية أن الله لم يخلق الدنيا لأجل

النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وكلام الناظم صحيح، وفي القرآن ما يؤيده، والمنتقدون واهمون لأنَّ الله خلق الجن والإنس لعبادته وخلق الدنيا والآخرة لأجلهم وجعل الدنيا مكانا لعبادتهم، قال تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُم﴾ أي: لأجلكم ﴿مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]، وجعل الآخرة مكانًا لجزائهم، فلولا المكلفون ما خلقت الدنيا والآخرة والنبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم سيد المكلفين، ومن عادة العرب أن يخاطبوا سيد القوم بما يشترك معه القوم فيه على سبيل التكريم، فصح قوله: «لولاه لم تخرج الدنيا من العدم»، على قاعدة العرب في مخاطبة السادة والأمراء وذوي القدر العظيم، وفي القرآن الكريم آيات وجه فيها الخطاب للنبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مع أن الأمة تشترك معه، وهي من هذا الباب.

وثاني الأبيات قوله:

وقَدَّمَتْكَ جَميعُ الأنبياءِ بها ... والرُّسْلِ تَقْديمَ مَخْدُومٍ على خَدَمِ

هذا خطأ لا شك فيه لأنَّ الأنبياء بعضهم مع بعض ليس فيهم خادم ومخدوم وليس تفضيل بعضهم يقتضي أن يكون المفضول خادمًا للفاضل بل هم سواء في النبوة وفي حديث المعراج المتواتر ذكر النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أن يحيى وعيسى ويوسف وموسى وهارون وغيرهم حين تلقوه، حيّاه كل واحد منهم بقوله: مرحبًا بالنبي الصالح والأخ الصالح.

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم **«الأنبياء إخوة لعَلاَّت أمهاتهم شتى ودينهم واحد»** الحديث.

رواه أحمد، وأبو داود، وصححه ابن حبان، والحاكم وقد أصلحت هذا البيت بقولي:

وقَـدَّمَتْكَ جَميـعُ الأنبيـاءِ بهـا وكَرَّمُوكَ لفَضْـلٍ فيـك مِـن قِـدَمِ

وطبعت "البردة" بهذا الإصلاح في دبي بالإمارات العربية.

ومما يناسب هذا ما شاع عند كثير من الناس أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ركب البراق ليلة المعراج، وجبريل صلَّى الله عليه وآله وسلَّم آخذ بركابه، وهذا غير صحيح، وبخس بمقام جبريل عليه السَّلام وإقدام على نقص قدره، والله تعالى يقول في حقه: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ١٩ - ٢١] فجبريل رسول إلى الأنبياء جميعًا، ومن هذه الآية أخذ الزمخشري في "الكشاف" أفضلية جبريل عليه السَّلام على النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وهو مخطئ في ذلك.

وقد كان النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يعرف قدر جبريل ويفضله على نفسه ويقول عنه: أخي جبريل.

وفي "مسند أحمد" عن حذيفة في حديث الإسراء قال: «والله ما زايلا البراق حتى فتحت لهما أبواب السماء فرأيا الجنة والنار ووعد الآخرة أجمع، ثم عادا عودهما على بدئهما».

وفي "معجم الطبراني الأوسط" عن أبي ليلى: أن جبريل أتى النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالبراق فحمله عليه بين يديه. الحديث.

ومن الغلو المذموم أيضًا: زعمهم أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لما بلغ

سدرة المنتهى تأخر جبريل، وقال: لو تقدمت خطوة لاحترقت، وهذا كذب قبيح، والواقع أن جبريل عليه السَّلام لم يفارق النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم تلك الليلة لحظة واحدة، كان معه في سدرة المنتهى وفي غيرها.

بل ذكر القرآن من خصائص النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنه رأى جبريل عليه السَّلام عند سدرة المنتهى، قال الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ [النجم: ١٣ - ١٤].

وقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**رأيت جبريل على سدرة المنتهى وله ستمائة جناح**». ولم يره في صورته إلا مرتين، عند سدرة المنتهى مرة، ومرة أولى في قوله: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ [النجم: ٨ - ٩]

ومن الغلو القبيح جدًّا ما يذكره بعض الصوفية أن جبريل عليه الصَّلاة والسَّلام كان يتلقى الوحي من وراء حجاب فيأتي به إلى النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وكشف الحجاب مرة، فإذا الذي يلقي إليه الوحي هو النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: منك وإليك.

والنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم غنيٌّ بفضائله العديدة عن هذا الكذب السخيف المؤدِّي إلى الكفر بمعتقده، والعياذ بالله.

وثالث الأبيات قوله:

يا أَكْرَمَ الخَلْقِ مالي مَنْ أَلُوذُ بِهِ ... سِواكَ عندَ حُلُولِ الحادِثِ العَمِمِ

وهذا عند بعض الناس شرك، وليس كذلك، فإن قوله:

ولن يَضِيقَ رَسولَ الله جاهُكَ بي ... إذا الكَريمُ تَجَلَّى باسْمِ مُنْتَقِمِ

قرينة واضحة على أنه أراد: مالي من ألوذ به في الشفاعة لله في ذلك الموقف العظيم، وهذا المعنى صحيحٌ.

فإن الناس في يوم القيامة يلجأون إلى آدم ليشفع لهم في الإراحة من طول الموقف وكربه، فيعتذر ويقول نفسي، ويحيلهم إلى نوح فيعتذر ويحيلهم إلى إبراهيم فيعتذر ويحيلهم إلى موسى فيعتذر ويحيلهم إلى عيسى فيحيلهم إلى النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فيقول: «**أنا لها أنا لها**»، فيذهب ويسجد تحت العرش، فينادى: «**يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعط واشفع تشفع**» هكذا جاء في الصحيحين، وهو الذي أراده الناظم، والإسراع بالإكفار معصية كبيرة، ربما تؤدى إلى كفر صاحبها.

ومع ذلك فقد أصلحت هذا البيت بقولي:

يا أكْرَمَ الخَلْقِ مالي مَنْ يُشَفَّع في ... سِواك عند حُلُول الحادِثِ العَمِمِ

يُشَفَّع مبنيٌّ للمجهول والفاء مشدَّدة أي: مالي من تقبل شفاعته في سواك، وهذا توضيح لكلام الناظم وليس إصلاحا له.

ورابع الأبيات قوله:

فإنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنيا وضَرَّتَها ... ومِن عُلُومِكَ عِلْمَ اللَّوْحِ والقَلَمِ

وفي هذا مبالغة لا دليل لها، ويظهر أن الناظم استند في الشطر الأول من البيت إلى حديث جابر: «أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر» وهو حديث طويل جاء فيه: أن الله خلق من نوره صلَّى الله عليه وآله وسلَّم العرش والكرسى والملائكة وجميع المخلوقات.

وقد ذكره بطوله ابن العربي الحاتمي في كتاب "تلقيح الأذهان ومفتاح

معرفة الإنسان"، والدياربكري في "تاريخ الخميس من تاريخ أنفس نفيس" في السيرة .

وقال السيوطي في "الحاوي": «إنه غير ثابت»، وهو تساهل قبيح، بل الحديث ظاهر الوضع، واضح النكارة، وفيه نفس صوفي حيث يذكر مقام الهيبة ومقام الخشية، إلى آخر مصطلحات الصوفية.

والعجيب أن السيوطي عزاه إلى عبد الرزاق، مع أنه لا يوجد في "مصنفه" ولا "تفسيره" ولا "جامعه". وأعجب من هذا أن بعض الشناقطة صدق هذا العزو المخطئ فركب له إسنادًا من عبد الرزاق إلى جابر. ويعلم الله أن هذا كله لا أصل له.

فجابر رضى الله عنه برئ من رواية هذا الحديث، وعبد الرزاق لم يسمع به، وأول من شهر هذا الحديث ابن العربي الحاتمي، فلا أدري عمن تلقاه، وهو ثقة، فلابد أن أحد المتصوفة المتزهدين وضعه .

ومثل هذا الموضوع أيضًا: ما روي من طريق أهل البيت عن علي عليه السَّلام مرفوعًا: «كنت نورًا بين يدي ربي قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام». وحديث: «لولاك ما خلقت الأفلاك».

وكتب المولد النبوي ملأى بهذه الموضوعات وأصبحت عقيدة راسخة في أذهان العامة. وأرجو أن يوفقنى الله إلى تأليف حول المولد النبوي خال من أمرين شائنين: الأحاديث المكذوبة، والسجع المتكلف المرذول.

والشطر الثاني من البيت، لعل الناظم استند فيه إلى حديث اختصام الملأ الأعلى الذى رواه أحمد والترمذي ونقل تصحيحه عن البخاري وفيه قول

النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «رأيتُ رَبِّي الليلةَ في أَحْسَنِ صُورَةٍ، فقال: يا محمَّدُ، فيمَ يَخْتَصِمُ المَلَأُ الأَعْلَى ؟ قلت: لا أَدْرِي فوَضَعَ يَدَهُ بين كَتِفَي حتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا في صَدْرِي، فتَجَلَّى لي كلُّ شيءٍ وَعَرَفْتُ». الحديث.

لكنه لا يفيد ما ادعاه الناظم من أنَّ علم اللوح والقلم بعض علوم النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ففي هذه الدعوى مبالغة ليس عليها دليل. وقد أصلحت هذا البيت بقولي:

فـإنَّ جُـودَكَ في الـدُّنيا وضَرَّتِهـا وفي كِتابِـكَ عِلْـمَ اللَّـوْحِ والقَلَـمِ

والنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أجود ولد آدم، وهو في الآخرة أجودهم أيضًا بما له من شفاعات في أمته.

وكتابه القرآن فيه علوم الأولين والآخرين، وهو معجزته الكبرى وكيف لا وهو كتاب أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض، وقال في حقه ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

والمقصود أنَّ الغُلُوَّ في المدح مذمومٌ لقوله تعالى: ﴿لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ﴾ [النساء: ١٧١] وأيضًا فإن مادح النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بأمر لم يثبت عنه، يكون كاذبًا عليه، فيدخل في وعيد «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ».

وليست الفضائل النبوية مما يتساهل فيها برواية الضعيف ونحوه لتعلقها بصاحب الشريعة ونبي الأمة، الذي حرم الكذب عليه وجعله من الكبائر العظيمة، حتى قال أبو محمد الجويني والد إمام الحرمين بكفر الكاذب عليه

صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

وعلى هذا فما يوجد في كتب المولد النبويِّ وقصة المعراج من مبالغاتٍ وغُلُوٍّ لا أساس له من الواقع يجب أن تُحرق لئلَّا يحرق أصحابها وقارئوها في نار جهنَّم، نسأل الله السلامة والعافية .

٦- إرْشَادُ الطَّالِبِ النَّجِيبِ
إلي ما في المولِدِ النَّبويِّ مِن الأكاذيبِ

□تمهيد

لا يخفى أنَّ موضوع المولد النبويِّ مستحدَثٌ في المِلَّة قُصد بإنشائه إتمام ما يتعلَّق بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من جميع الجهات.

فبعد انتهاء العلماء من الكتابة في سيرته الشريفة وشمائله وأخلاقه وكيفيَّة معاملته لجلسائه عليه الصَّلاة والسَّلام وحسن استقباله لزائره ولطف معاملته حتَّى يُظن أن ليس أحدٌ أكرمَ عليه منه، اتَّجه كثيرٌ من العلماء إلى ناحية مولده عليه الصَّلاة والسَّلام فكتبوا فيها المؤلَّفات التي شغلت جانبًا مُهمًّا من الجوانب النبويَّة التي طهَّرها الله بالعصمة وكرَّمها بالسَّداد والتوفيق.

والكتب في المولد النبويِّ كثيرةٌ يعسُر حصرُها، وأوَّل من ألَّف فيها -فيما أعلم- العلامة العَزَفي السَّبتي، ثم الحافظ أبو الخطاب بن دِحْيَة ألَّف كتابًا في المولد النبويِّ وقدَّمه إلى الملك الصالح أيُّوبَ[1] الذي كان يحتفلُ بالمولد النبويِّ في ربيعٍ الأول احتفالًا كبيرًا يدعو إليه العلماء والأعيان والعامة.

ثم تتابع العلماء في هذا الباب فكتبوا موالدَ مختلفةً بالطّول والقصر والبسط والإيجاز، غير أنَّ المتأخِّرين توسَّعوا في ذكر الموضوعات والأخبار الواهية، وهذا ما حدا بي إلى تأليف هذا الكتاب إسهامًا منِّي في خدمة الجناب النبويِّ الكريم.

---

(١) الملك أيوب : هو من المماليك كان حوالي القرن السادس وكان ملكاً صالحًا.

مقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والعاقبةُ للمتَّقين، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمدٍ وآله الأكرمين، ورضي الله عن صحابته والتَّابعين.

وبعد: فإن الذين كتبوا في المولد النبويِّ، أفسدوا مؤلَّفاتِهم بأمرين:

أحدهما: التزامهم السَّجْع المتكلَّف المرذول، الذي يُضيِّع المعنى ويُذهب حلاوةَ العبارة وجزالَتها.

والآخر: ذِكرُهم الأحاديثَ الموضوعةَ والآثارَ الواهيةَ في أنَّ النبيَّ أسبقُ المخلوقات في الوجود، وفيما يتعلَّق بمولده من سوابقَ ولواحقَ.

ولما كان الكذب على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من الكبائر العظيمة باتِّفاق المسلمين، ولأنَّ أولئك المؤلِّفين لم يدركوا كذبَ تلك الأحاديثِ التي جلبوها، وكثُر اغترارُ الناس بها وجعلوا قراءتها والتَّغنِّي بها دَيدَنهم في حفلات المولد التي تقام في البلاد الإسلامية؛ رأيت أن أنبِّه عليها وأطهِّر الجناب النبويَّ من نسبتها إليه، والنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أجلّ من أن يُمدح بالكذب والخرافات.

وفي القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة ما يدل على عظيم قدر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أعظمَ دلالة، واقرأ كتابنا "فضائل النبيِّ في القرآن" تجد ما تَقرُّ به عينك وينشرحُ له صدرُك ويطمئنُّ به قلبُ كلِّ مؤمن محبٍّ للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

وإن من كمال تعظيمه وتمام محبَّته أن ننفي عن جنابه الكذب ونُبعد عن

إلصاقه به فلهذا كتبت هذه الرسالة التي سمَّيتُها: **"إرشاد الطالب النجيب إلى ما قيل في المولد النبويِّ من الأكاذيب"**.

واللهُ المسؤول أن يقبَله وينفعَ به إنه جواد كريمٌ رؤوف رحيمٌ.

□طهارةُ نسَبِ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم

روىٰ ابن سعدٍ وابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**خرجتُ من نكاحٍ غير سفاحٍ**».

وروىٰ الطبرانيُّ عن ابن عبَّاسٍ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ما وَلَدَني مِن سفاحِ الجاهليَّة شيءٌ، ما وَلَدني إلَّا نكاحٌ كنكاحِ الإسلامِ**».

وروىٰ ابن سعدٍ، وابن أبي شيبة في "المصنف" عن محمد بن عليِّ بن حسين: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّما خرجتُ مِن نكاحٍ ولم أخرجْ مِن سفاحٍ مِن لَدُن آدمَ، لم يُصبْني من سفاحِ الجاهليَّةِ مِن شيءٍ ولم أخرجْ إلَّا من طَهَرةٍ**».

وروىٰ أبو نعيمٍ عن ابن عبَّاسٍ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لم يَلْتقِ أبوايَ في سِفاحٍ، لم يزَل اللهُ ينقلُني من أصْلابٍ طيِّبةٍ إلى أرحامٍ طاهرةٍ صافيًا مهذَّبًا لا تَتشعَّبُ شُعبتانِ إلّا كنتُ في خيرِهما**».

قلت: ما أفادته هذه الأحاديث هو من المعلوم بالضَّرورة؛ لأنَّ الله إنما يختار لنبوَّته من هو طاهر النَّسب كريم الآباء والأمَّهات، وههنا أثرٌ غريب نُنبِّه عليه:

روىٰ ابنُ أبي حاتم والبزَّار عن ابن عبَّاسٍ أنه قال في قول الله تعالىٰ: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٩]: «يعني: تقلُّبك من صُلب نبيٍّ إلىٰ صُلبِ نبيٍّ حتىٰ أخرجك نبيًّا». ولعلَّه لا يصحُّ عن ابن عبَّاسٍ وسياقُ الآيةِ يخالفُه، ولم يكن في آبائه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم نبيٌّ غيرُ إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

ومسألةٌ أخرىٰ ننبِّه عليها أيضًا: تقدَّم في الحديث: «**لم يزلِ الله ينقلُني من أصلابِ طيِّبة إلي أرحامٍ طاهرة**».

فهم قوم من هذا الحديث أنه يتنافىٰ مع كون آزر كافرًا، والكافر خبيثٌ غيرُ طيِّب فادَّعوا أنَّ آزر عمُّ إبراهيم عليه السَّلام، وهم واهمون، والحقيقة أنَّ آزر والدُ إبراهيم كما جاء في عدَّة آيات وصفُه بالأبوَّة، ولا داعي لتأويلها بالعمِّ لأنه لما وُلد له إبراهيم كان من أهل الفترة طيِّبَ الصُّلب لا تكليفَ عليه وإنما كفر بعد ذلك حين قال له ابنُه: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ﴾ [مريم: ٤٤] الآيات، فلا يكون كفره المتأخِّر مُبطِلًا لطهارة صُلبه السابقة.

تقدُّم نُبوَّته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم

روىٰ أحمد والحاكم: عن العِرباض بن سارية السُّلميِّ رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنِّي عند الله في أمِّ الكتاب لخاتمُ النبيِّين وإنَّ آدمَ لمنجدلٌ في طِينتِهِ، وسوفَ أنبِّئكُم بتأويل ذلك؛ دعوةُ أبي إبراهيمَ وبشارةُ عيسى ورُؤْيا أمِّي التي رأتْ أنَّه خرج منها نورٌ أضاءتْ له قصورُ الشَّام وكذلك أمُّ النبيِّين يَرِيْنَ**». قال الحاكم: «صحيح الإسناد».

وروىٰ أحمد والطبرانيُّ عن ميسرةَ العجرد قال: قلتُ: يا رسول الله متىٰ كُتِبتَ نبيًّا؟ قال: «**وآدمُ بينَ الرُّوحِ والجسدِ**». قال الحافظ الهيثميُّ: «رجاله رجال الصحيح».

وروىٰ الطبرانيُّ بإسناد حسن عن أبي مريمَ الكنديِّ قال: أقبل أعرابيٌّ حتىٰ أتىٰ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وعنده خلق من الناس فقال: ألا تعطيني

شيئًا أتعلَّمه وأحملُه وينفعُني ولا يضرُّك؟ فقال الناس: مَهْ، اجلس.

فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**دعوه فإنَّما يَسألُ الرَّجلُ ليعلمَ**» فأفرجوا له حتى جلس. فقال: أيُّ شيءٍ كان أولَ نبوَّتِك؟ قال: «**أخذ الله الميثاقَ منِّي كما أخذ من النبيِّين ميثاقَهُم**»، ثم تلى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧].

وبُشرى المسيحِ عيسى بنِ مريمَ، ورأتْ أمُّ رسولِ الله في منامها أنَّه خرجَ من بينِ رجلَيْها سراجٌ أضاءتْ له قصورُ الشَّام ووراءَ ذلك قَرْيتَين أو ثلاثًا».

وروى الترمذيُّ عن أبي هريرة: قالوا: يا رسول الله متى وجبت لك النبوَّة؟ قال: «**وآدمُ بين الرُّوح والجسد**». صحَّحه الترمذي.

يؤخذ من هذه الأحاديث أمور:

١- أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان معروفًا باسمه وصفته قبل خلق آدم عليه السَّلام، وهذا شيءٌ خاصٌّ به فإنَّ الله لم يخبرْ باسم نبيٍّ قبل وجوده وانظر إلى قول الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] ﴿إِنِّي خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ [ص: ٧١]، لم يخبرْهم باسْمه ولم يعرفوه إلَّا بعد وجوده.

٢- أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم استُخرِج من ظهر آدم ونُبِّئ وأخذ ميثاقه وآدم لم ينفخْ فيه الرُّوح، وهذا خاصٌّ به أيضًا.

واستخراج ذريَّة آدم من ظهره كان بعد تمام خَلْقه عليه السَّلام.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله بعد أن ذكر أن أكثر السلف على أنَّ استخراج ذريَّة آدم منه كان بعد نفخ الرُّوح فيه: «وعلى هذا يدلّ أكثرُ الأحاديث، فيُحتمل على هذا أن يكون محمدٌ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم خُصَّ باستخراجه من ظَهر آدم قبل نفْخ الرُّوح فيه، فإنَّ محمَّدًا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم هو المقصود من خلْق النَّوع الإنسانيِّ وهو عينه وخلاصته وواسطة عِقده، فيكون حينئذٍ من حين صوِّر آدم طينًا استُخرج منه محمدٌ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ونبِّئ وأُخذ منه الميثاق. يؤيِّد ذلك ما روي عن قتادة أن النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**كنتُ أولَ النبيِّين في الخلْق وآخرَهم في البعثِ**».

وفي روايةٍ: «**أولَ النَّاسِ في الخلقِ**» خرَّجه ابن سعد وغيره.

وخرَّجه الطبرانيُّ من رواية قتادةَ عن الحسن عن أبي هريرة مرفوعًا، والمرسل أشبه.

وفي رواية عن قتادة مرسلةٍ: ثم تلى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧].

فبدأ به قبل نوح الَّذي هو أول الرُّسل فمحمدٌ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أول الرُّسل خلقًا وآخرهم بعثًا فإنه استُخرج من ظهر آدم لما صوِّر ونبِّئ حينئذٍ وأُخذ ميثاقُه ثم أُعيد إلى ظهره.

ولا يقال: فقد خُلق آدم قبله، لأنَّ آدمَ حينئذٍ كان مَواتًا لا روح فيه ومحمَّدٌ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان حيًّا حين استُخرج ونبِّئ وأُخذ ميثاقه فهو أوَّل النبيِّين خلقًا وآخرهم بعثًا، فهو خاتم النبيِّين باعتبار أنَّ زمانه تأخَّر عنهم».اهـ كلامُه وهو نفيسٌ.

٣- أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نشأ على التوحيد بل قد يُؤخذ من حديثِ العِرباض أنه وُلد نبيًّا.

قال الحافظ ابن رجب: «فإنَّ نُبوَّته وجبتْ له من حين أُخذ الميثاق منه حين استخرج من صلب آدم فكان نبيًّا من حينئذ لكن كانت مدَّة خروجه إلى الدنيا متأخرةً عن ذلك، وذلك لا يمنع كونه نبيًّا قبل خروجه كمن يولى ولايةً ويؤمر بالتصرف فيها في زمن مستقبل فحكم الولاية ثابتٌ له من حين ولايته وإن كان تصرُّفه يتأخر إلي حين مجيء الوقت.

قال حنبل: قلتُ لأبي عبد الله -يعني أحمد- مَن زعم أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان على دين قومه قبل أن يُبعث؟ قال: هذا قول سوء، ينبغي لصاحب المقالة أن يُحذَر كلامه ولا يجالَس.

قلت له: إنَّ جارنا الناقد أبا العباس يقول هذه المقالة.

قال: قاتله الله، وأيُّ شيء أبقى؟! إذ زعم أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان على دين قومه وهم يعبدون الأصنام قال الله تعالى حاكيًا عن عيسى عليه السَّلام: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦] وذكر أنَّ أمَّه حين ولدتْ رأتْ نورًا أضاءت له قصورُ الشَّام أوليس هذا عندما ولدَت رأتْ هذا؟ وقبل أن يُبعث كان طاهرًا مطهّرًا من الأوثان أوليس كان لا يأكل ما ذُبح على النُّصُب؟».اهـ

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: «ومراد الإمام أحمد الاستدلال بتقدُّم البشارة بنبوَّته من الأنبياء الذين قبله وبما شوهد عند ولادته من الآيات على أنَّه كان نبيًّا من قبل خروجه إلى الدنيا وولادته، وهذا هو الذي يدل عليه حديث

العِرباض بن سارية فإنه ذكر فيه أن نبوته كانت حاصلةً من حين كان آدم مُنجدلًا في طينته والمراد بالمنجدل الطريحُ الملقىٰ علىٰ الأرض قبل نفخ الروح فيه». اهـ

وهذا الكلام في غاية النَّفاسة لأنه صدر عن الإمام أحمد ومقلِّده الحافظ ابن رجب رضي الله عنهما.

بشريَّة النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم

قال الله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢].

وقال تعالي: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠]، ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٣]، ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

وفي الحديث المتواتر: «أنا سيِّد ولدِ آدمَ». وهذا أمرٌ لا يحتاج إلىٰ استدلال؛ لأنه معلومٌ بالضرورة العقليَّة، وإنما ذكرته لأبيِّن بطلان الأحاديث المكذوبة التي أمتلأت بها كتب المولد النبويِّ؛ لأنَّ بعض الناس يتشبثون بها ويعتقدون صحَّتها وينكرون علىٰ من يبيِّن حالها وينبِّه علىٰ إثم من يَنسبها إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، ولا يعرفون أنَّ العلماء أجمعوا علىٰ أنه لا يجوز رواية الحديث

الموضوع، ولا يجوز العمل به في الفضائل والترغيب والترهيب، وأنَّ التساهل فيه يوجب الإثم الكبير.

بيان الأحاديث المكذوبة

منها: وهو أشهرها، حديث: «**أوَّلُ ما خلقَ الله نورُ نبيِّك من نُوره يا جابر**».

عزاه السيوطيُّ في "الخصائص الكبرىٰ" لـ"مصنَّف عبد الرزاق" وقال عنه في "الحاوي" في (سورة المدثر) من الفتاوىٰ القرآنية: «ليس له إسنادٌ يُعتمَد عليه» وهذا تساهلٌ كبيرٌ من السيوطيِّ كنت أنزِّهه عنه.

أمَّا أولًا: فالحديث غير موجود في "مصنَّف عبد الرزاق" ولا في شيء من كتب الحديث.

وأما ثانيًا: فإنَّ الحديث لا إسناد له أصلًا.

وأما ثالثًا: فإنه ترك بقية الحديث وهي مذكورة في "تاريخ الخميس" للديار بكري ومن قرأها يجزم بأنَّ الحديث مكذوبٌ علىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

وجاء شخص موريتاني فيلالي من ذريَّة الشيخ محمد بن ناصر الدرعي فألَّف كتابا سماه: "التوجيه والاعتبار إلىٰ معرفة القدر والمقدار" وموضوعه الكلام علىٰ النُّور المحمديِّ أتىٰ فيه بطامَّةٍ كبرىٰ حيث قال في أوله: «ومن أدلَّة سبقيَّته وأصليَّته حديث الإمام عبد الرزاق في "مصنفه" الشهير عن سفيان بن عيينة، عن زيد بن أسلم أحد أعلام المدينة، عن محمد بن المنكدر شيخ الزهريِّ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال: قلتُ يا رسول الله: بأبي

أنت وأمِّي أخبرْني عن أوَّل شيء خلَقه الله قبل الأشياء. قال: «**يا جابرُ، إنَّ الله تعالى خَلقَ قبل الأشياء نورَ نبيِّك مِن نوره...**» وذكر بقية الحديث.

وقد تعجبتُ من وقاحة هذا الشخص وجرأته حيث صنع هذا الإسناد الصحيح لحديث لا يوجد في "مصنف عبد الرزاق" ولا غيره من كتب الحديث المُسندَة.

وهذه جرأةٌ غريبةٌ تشْبه جرأة الخوارج في وضعهم أحاديث على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وهو يقول: «**مَن كَذَبَ عليَّ فليتبوَّأْ مَقْعَدَه في جهنَّم**» فأجاب: نحن لا نكذب عليه ولكن نكذب له؟!!

ولعلَّ هذا الموريتاني يعتقد أنه كذب للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم!!.

وقد استند صاحب «البُردة» إلي هذا الحديث المكذوب حين قال:

فـإنَّ مِـن جُـودِكَ الـدُّنيا وضَرَّتَهـا ... ومِن عُلُومِكَ عِلْمَ اللَّـوْحِ والقَلَـمِ

وهذا غلوٌّ مذمومٌ لا أصل له ولا دليل عليه وقد أصلحته بقولي:

فـإنَّ جـودَك في الـدُّنيا وضرَّتهـا ... وفي كتابِـك عِلْـمَ اللَّـوْحِ والقَلَـمِ

وهو صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أجودُ ولد آدم، كان أجودَ بالخير من الرِّيح المرسلة وكان يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، وجوده في الآخرة بشفاعته العظمى وشفاعاته المتعددة، وكتابه القرآن العظيم فيه علومُ الأولين والآخرين.

ومنها: حديث: «**كنت نورًا بين يدَي ربِّي قبلَ أن يَخلقَ آدمَ بأربعة عشر ألف عام**» وقد نسب هذا الحديث لرواية عليٍّ زين العابدين عن أبيه عن جدِّه

وهو كذب مركب.

ومنها: حديث: «يا عمرُ أتدري من أنا؟ أنا الَّذي خلق اللهُ عزَّ وجلَّ نوري أوَّل كلِّ شيءٍ فسجد لله وبقي في سجوده سَبعمائةِ عامٍ ولا فخرَ. يا عمرُ أتدري من أنا؟ أنا الذي خلق اللهُ القلمَ واللوحَ والعرشَ والكرسيَّ والعقلَ الأوَّلَ ونورَ الإيمانِ من نُوري...»، وكلمة العقل نزعةٌ فلسفيةٌ واضحة.

ومنها: حديث «لولاك ما خلقتُ الأفلاك» وهذا كذب على الله تعالى أيضًا.

ومنها: حديث «أوحى الله إليَّ أني حرمتُ النارَ على صُلبٍ أنزلك وبطنٍ حملَكَ وحجْرٍ كفَلكَ».

ومنها: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حين وُلد أخذته الملائكة وطافتْ به المشرق والمغرب ثم ردَّته.

ومنها: أنه ولد مختونًا، وهذا كذب، وإنما ختنه جده عبد المطلب يومَ سابعِ ولادته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

ومنها: حديث «المعرفةُ رأسُ مالي والحبُّ أساسي والذِّكرُ أنيسي والشَّوق مركبي والعلمُ سلاحي والزُّهدُ حرفتي والحزنُ رفيقي والعجزُ فَخْري والصَّبرُ ردائي والرِّضا غنيمتي واليقينُ قوَّتي والطاعةُ حسَبي».

ومنها: حديث «كنت نبيًّا وآدمُ بين الماء والطِّين».

ومنها: حديث «سألتُ جبريلَ عن عمره؟ قال: لا أدري غير أن نجمًا يظهرُ في السماء الرابعة مرَّةً في كلِّ سبعين ألفِ سنةٍ رأيته سبعين ألف مرَّةٍ. قلت: وربِّي أنا ذلك النَّجمُ».

ومنها: ما ذكروا أنَّ أمَّه حين جاءها الطَّلق حضرت عندها آسية امرأة فرعون وأمُّ موسىٰ وأمُّ عيسىٰ.

والعجب أنَّ السيوطيَّ ذكر في "الخصائص الكبرىٰ" ثلاثة آثار في ولادة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ظاهرة الوضع وعقَّب عليها بقوله: «فيها نكارةٌ شديدة ولم أورد في كتابي هذا أشدَّ نكارةً منها ولم تكن نفسي لتطيب بإيرادها لكنِّي تبعت الحافظ أبا نعيم في ذلك».اهـ

وفي هذا نظر من وجوه:

أحدها: أنَّ تلك الآثار وهي: أثر عمرو بن قتيبة عن أبيه، وأثر ابن عبَّاسٍ، وأثر العباس بن عبد المطلب، كذبها واضحٌ، ووصفها بالنكارة الشديدة تساهلٌ شديد.

ثانيها: أنه ذكر في كتاب "الخصائص الكبرىٰ" أخبارًا موضوعةً سوىٰ هذه الآثار التي أشرنا إليها.

ثالثها: أنَّ اتِّباعه لأبي نعيمٍ عذرٌ غير مقبول أبدًا؛ لأنَّ أبا نعيمٍ لم يلتزم الصحة فيما روىٰ، ولأنَّ الطبرانيَّ وأبا نعيمٍ وغيرَهما ممن يروون الحديث بإسناده يعتقدون أنهم برءوا من عُهدته بإحالتهم علىٰ إسناده، والسيوطيُّ لا يروي بالإسناد فيجب عليه تجنُّب الأخبار الموضوعة، ولا يجوز له أن يتبع أبا نعيمٍ وأمثاله.

والحقيقة أنَّ السيوطيَّ كثير التساهل إلي حدٍّ كبير، يُورد أحاديث في "الخصائص" أو في "الجامع الصغير" نصَّ علىٰ وضعها في "اللآلىٰ المصنوعة" أو في "ذيل اللآلي" ولا أدري ما عذره في ذلك، إلا أن يكون عنده شَرَه

وشغف بجمع الأحاديث كيفما كان حالها؟ وهذا هو الظاهر والله يسامحه ويغفر له.

ومن الأكاذيب القبيحة التي تؤدِّي إلي كفر معتقدها، قولُ بعض جهلة المتصوِّفة: كان جبريل يتلقىٰ الوحي من وراء حجاب وكشف له الحجاب مرَّة فوجد النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يلقي إليه الوحي فقال: منك وإليك.

وهذا يردُّه قول الله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورىٰ: ٥٢].

ومن الكذب القبيح أيضًا في المعراج قولهم :إنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان راكبًا علىٰ البراق وجبريلُ عليه السَّلام آخذٌ بركابه.

وهذا قبيحٌ وسوء أدب في حقِّ مَلَكٍ كريمٍ مدحه الله تعالىٰ بقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ١٩ - ٢٠] وجبريل عليه السَّلام كان راكبًا علىٰ البراق والنبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم خلفه.

وقالوا أيضًا: إن النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لَمَّا وصل إلىٰ سدرة المنتهىٰ تأخَّر جبريل عليه السَّلام وقال: لو تقدمتُ لاحترقتُ.

وإنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لما انفرد في سدرة المنتهىٰ استوحش فسمع صوت أبي بكرٍ فاستأنس.

وهذه عدة أكاذيب لا أصل لها، وجبريل عليه السَّلام لم يفارق النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في سدرة المنتهىٰ بل كان معه فيها وفي جميع المواضع التي زارها النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ليلة المعراج، وكان معه حين فرضت

عليه الصلاة وما فارقه حتَّىٰ رجع إلىٰ الأرض، ولم يستوحش النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في سدرة المنتهىٰ وكيف يستوحش وهو في حضرة الخالق ويأنس بصوت المخلوق؟ !!

ويقولون أيضًا: كان جبريل خادمًا للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وهذه قلّة أدب في حقِّ رسول عظيمٍ قد فضَّله بعض العلماء علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، والواجب أن يكون كلام المسلم عن الأنبياء والملائكة في غاية الأدب والاحترام، ولا يأتي بكلمة فيها جفوة أو نقص مثل هذه الكلمة.

ومثل قول صاحب "البردة":

وقـدَّمتْك جميـعُ الأنبيـاءِ بهـا والرُّسْلِ تقديمَ مَخْدومٍ علىٰ خَدَمِ

وهذا قبيح، والأنبياء إخوةٌ ليس فيهم خادمٌ ومخدومٌ، والنبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**الأنبياءُ إخوةٌ لعلَّات أمَّهاتهُم شتَّى ودينُهم واحدٌ**» ولما عرج إلىٰ السماء كان كل نبيٍّ لقيه في السموات يُحيِّيه بقوله: «مرحبًا بالنبيِّ الصالح والأخ الصالح».

وقد أصلحُت هذا البيتَ بقولي:

وقـدَّمتكَ جميـعُ الأنبيـاءِ بهـا وأكرمـوك لفَضْـلٍ فيـك مِـن قِـدَمِ

(تنبيه): جاء في "الخصائص الكبرىٰ" تحت باب «ذكرُه في التوراةِ والإنجيل» (جـ١ صـ٣٣) طبع دار الكتب الحديثة بمصر ما نصُّه:

«وأخرج أبو نعيم في "الحلية" عن أنسٍ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أَوحَى اللهُ إلى موسى نبيِّ بني إسرائيل أنَّه من لقِيَني وهو جاحدٌ**

بأحمدَ أدخلتُه النارَ. قال: يا ربِّ ومن أحمدُ؟ قال: ما خلقت خلقًا أكرمَ على منه كتبتُ اسمَه مع اسمي في العرشِ قبل أن أخلقَ السمواتِ والأرضَ، إنَّ الجنَّةَ محرَّمةٌ على جميع خلقي حتَّى يدخلها هو وأمته. قال: ومَن أمَّتُه؟ قال: الحمَّادون يحمدون صُعودًا وهُبوطًا وعلى كلِّ حالٍ، يشدُّون أوساطَهم ويطهّرون أطرافَهم صائمون بالنَّهار رهبانٌ بالليل أقبلُ منهم اليسيرَ وأُدخلُهم الجنة بشهادة أنْ لا إله إلَّا الله. قال: اجْعلْني نبيَّ تلك الأمَّة. قال: نبيُّها منها. قال: اجعلني من أمَّة ذلك النبيِّ. قال: استقدمتَ واستأخرَ، ولكن سأجمعُ بينك وبينه في دار الجلال».

وإيراد السيوطي لهذا الحديث أحد الأدلة الكثيرة على شدة تساهله الذي لا يعذر فيه، وقد ذكر السيوطيُّ نفسه هذا الحديث في "الموضوعات". ثم هو لا يوجد في "الحلية"!.

وحديث آخر موضوع ذكره في "الخصائص" تحت ترجمة: «باب ذكره في الأذان على عهد آدم» وهو حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «نزلَ آدمُ بالهندِ واستوحشَ فنزل جبريلُ عليه السَّلام فنادى بالأذان: «اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ»، «أشهد أن لا إله إلَّا الله» مرتين «أشهد أنَّ محمدًا رسول الله» مرَّتين. قال آدم: من محمَّد؟ قال: آخرُ ولدِك من الأنبياء».

وذكر في هذا الباب حديثًا موضوعًا أيضًا، وهو حديث علي عليه السَّلام قال: لما أراد الله أن يعلِّم رسوله الأذان أتاه جبريل عليه السَّلام بدابَّة يقال لها البراق، فذهب يركبها فاستصْعب فقال لها جبريل: اسكُني فوالله ما ركبك عبد

أكرمُ على الله من محمد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فركبها حتَّى انتهى إلى الحجاب الذي يلي الرحمن تبارك وتعالى فبينما هو كذلك إذ خرج ملك من الحجاب، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: يا جبريل من هذا؟ قال: والذي بعثك بالحق إنِّي لأقربُ الخلق مكانًا وإن هذا الملك ما رأيتُه منذ خُلقتُ قبل ساعتي هذه. فقال الملك: الله أكبر الله أكبر. فقيل له مِن وراء الحجاب: صدق عبدي أنا أكبر أنا أكبر، ثم قال الملك: أشهد أن لا إله إلا الله. فقيل له مِن وراء الحجاب: صدق عبدي لا إله إلَّا أنا، فقال الملك: أشهد أن محمَّدًا رسولُ الله. فقيل له من وراء الحجاب: صدق عبدي أنا أرسلت محمَّدًا، قال الملك: حيّ على الصلاة حيّ على الفلاح قد قامت الصلاة ثم قال: الله أكبر فقيل مِن وراء الحجاب: صدق عبدي أنا أكبر أنا أكبر. ثم أخذ الملك بيد محمد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقدمه فأمَّ أهل السماء، فيهم آدم ونوحٌ».

وقد اختصر منه السيوطي، وهو حديثٌ موضوعٌ في سنده راوٍ كذاب تفرَّد به كما يقول البزَّار، وهذا لا يخفى على السيوطي فلا أدري ما أقولُ؟ وقد قلَّدناه في بعض الأحاديث ثقةً به واعتمدناها ثُمَّ تبيَّن لنا أنها موضوعةٌ، وصرَّح هو نفسه بوضعها في "ذيل اللآلي" فتأسَّفْنا غاية الأسَف والأمر لله.

ويمكن أن يكون ثلث الأحاديث الموجودة في "الخصائص" بين واهٍ وموضوعٍ، والبقيَّة فيها ضعيفٌ كثير، وطالما دافعنا عنه ولكن أعيانا أمره ونسأل الله أن يغفر لنا وله.

□خاتمة

في ذكر أحاديث لا أصل لها أو موضوعة:

١ - «الدينُ المعاملةُ». لا أصل له، والدِّين يُبنىٰ علىٰ ثلاثِ دعائمَ: عبادةٍ ومعاملةٍ وسلوكٍ.

٢ - «من عرفَ نفسه عرف ربَّه». كلام يحيىٰ بن معاذ الرَّازي الصُّوفي.

٣ - «اعملْ لدنياك كأنَّك تعيش أبدًا واعملْ لآخرتك كأنَّك تموت غدًا».

٤ - «من تعلَّم لغة قومٍ أَمنَ مكرَهم».

٥ - «كُلوا وتكلَّموا، واهدموا الحدود وخالفوا اليهود».

٦ - «تحدَّثوا علىٰ الطعام ولو بثمن أسلحتكم».

٧ - «من اعتصم بعد النبيِّ كفر».

٨ - «جاءكم الطهور».

٩ - «الوضوءُ سلاحُ المؤمن».

١٠ - «الوضوءُ علىٰ الوضوءِ نورٌ علىٰ نورٍ».

١١ - «مَن أكلَ طعام أخيه ليسُرَّه لم يضرَّه».

١٢ - «الناس علىٰ دِين ملوكِهم».

١٣ - «لا تسيِّدوني في الصلاة».

١٤ - «اللَّهمَّ اجعلْها رياحًا ولا تجعلْها ريحًا».

١٥ - «ليس منَّا من لم يتعاظمْ بالعِلم».

١٦ - «إذا وقفتم في الصَّلاة فلا تَقبِضُوا أيديَكم فإنَّ ذلك تكفيرُ اليهود».

١٧ - «لكلِّ بلدٍ رؤيتُه».

١٨ - «مَن عمِل بما علم أورثه الله علم مَا لم يعلمْ».

١٩ - «توسَّلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم».

٢٠ - «الولد سرٌّ أبيه».

٢١ - «الأدبُ من الأب والصلاحُ من الله».

٢٢ - «أُمرت أنْ أحكمَ بالظاهر والله يتولى السَّرائر».

٢٣ - «حبُّ الوطن من الإيمان».

٢٤ - «الدنيا جِيفةٌ وطلابها كلابٌ».

٢٥ - «الساكت عن الحقِّ شيطان أخرس».

٢٦ - «لا تَكْرهوا الفِتن فإنَّ فيها حصادُ المنافقين».

٢٧ - «تركتُ فيكم أمرين ناطقٌ وصامتٌ».

٢٨ - «جذْبةٌ من جَذْبات الحقِّ تُوازن عملَ الثَّقلين».

٢٩ - «الحمدُ لله رداءُ الرحمن».

٣٠ - «الحيُّ أفضل من الميت».

٣١ - «خذوا شطر دينكم عن الحميراء».

٣٢ - «خيرُ تجارتكم البزُّ، وخيرُ صناعتكم الخزُّ».

٣٣ - «القلب بيتُ الرب».

٣٤ - «قلب المؤمن دليله».

٣٥ - «كلُّ طويلِ اللحية قليلُ العقل».

٣٦ - «من تكلم عند الأذان خِيف عليه زوال الإيمان».

٣٧- «من أسْمكَ فليُتمِرْ».

٣٨- «من أكل فولةً بقشرها أخرج الله منه داءً مثلَها».

٣٩- «مَن أكلَ مع مغفورٍ غُفر له».

٤٠- «من انتهرَ صاحبَ بدعةٍ ملأ الله قلبه أمنًا وإيمانًا».

٤١- «من آذىٰ جاره ورَّثه الله داره».

٤٢- «قلب المؤمن حلو يحب الحلاوة».

٤٣- «إذا أعْيتكُم الأمور فعليكم بأصحاب القبور».

٤٤- « اقتُلوا من لا غَيرة له».

٤٥- «من قلَّد عالمًا لقي الله سالمًا».

٤٦- «أصحابي كالنُّجوم بأيِّهم اقتديتُم اهتديتُم».

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

١ - دَلَالَةُ القُرْآنِ المُبِين على أنَّ النَّبيَّ ﷺ أَفْضَلُ العَالَمِين

خطبة الكتاب..... ١١
سبب تأليف الكتاب..... ١١
مقدِّمة..... ١٣
مكانة القرآن الكريم..... ١٣
دلالة القرآن على أنَّ النبيَّ عليه الصَّلاة والسَّلام أفضل المخلوقات إطلاقًا، والردُّ على مَن فضَّل عليه الملائكة..... ١٥
عدم القطع بأفضلية الأنبياء على الملائكة وأنَّ هذه مسألةٌ ظنيَّةٌ مُختلَفٌ فيها. ١٥
شذوذ مَن زَعَمَ بأنَّ سيِّدنا إبراهيمَ عليه السَّلام أفضل مِن النبيِّ عليه الصَّلاة والسَّلام..... ١٦
مناقشة الشعرانيِّ مع شخصٍ من الجامع الأزهر حول أفضلية النبيِّ عليه الصَّلاة والسَّلام على الملائكة، وذكر رؤية الشعرانيِّ للنبيِّ عليه الصَّلاة والسَّلام تؤيِّد ما ذَهَبَ إليه..... ١٨
مِن الأسباب التي دعت إلى تأليف الكتاب..... ١٨
أفضلية النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ذات أهميَّة في الدِّين؛ لأن تصحيح العقيدة يتوقَّف عليها، لاسيَّما في هذا العصر الذي كَثُر فيه الجهل بالدِّين أصوله وفروعه..... ١٩
الأساس الذي به يتفاضل الرُّسل والأنبياء..... ١٩
خصال الكمال والمزايا التي وهبها الله للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ١٩

إثبات المزايا التي شرَّف الله بها نبيَّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم واجبٌ شرعيٌّ ٢٠
ذكر بعض الأحاديث التي دلَّ ظاهرها على عدم أفضلية النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم والجواب عليها ٢١
تجلِّي الله على نبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بصفة العلم فكشف له عن كلِّ معلومٍ، وبناء عليه يكون أعلم من جبريل عليه السَّلام ٢٢
حديث يرد ما أفاده كلام الغزاليِّ في أواخر كتاب التفكُّر من "الإحياء" من أعلمية الملائكة المقرَّبين على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم (ت) ٢٢
شهادة جبريل عليه السَّلام بأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أفضل الأنبياء ٢٣
تنبيه: حول حديث: « فعرفت فضل علمه بالله عليَّ» ٢٣
١ - (سورة البقرة) ٢٤
جعل الله الإيمان بما أنزل إليه شرطًا في حصول التقوى ٢٤
دفاع الله عن صحابة نبيِّه عليه الصَّلاة والسَّلام ٢٤
دفاع الله عن نبيِّه فيما وُجِّه إليه مِن التُّهم ٢٤
حماية الله لمقام نبيِّه عليه الصَّلاة والسَّلام مَن أن يُمَسَّ بسوءٍ ٢٦
الدليل على ضعف حديث: «ألَا ليتَ شِعْرِي ما فَعَلَ أَبَوَاي؟» ٢٧
علم إبراهيم وإسماعيل بنبيِّنا وبصفاته ٢٧
تخصيص الله لأمَّة حبيبه عليه الصَّلاة والسَّلام بأن جعلهم شهداء على الناس ٢٨

حوَّل الله له القبلة تحقيقا لرغبته صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في هذا الأمر ٢٨
إخبار الله بأنَّ نبيَّه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم معروفٌ لأهل الكتاب..... ٢٨
امتنان الله علىٰ المؤمنين بأنَّ أرسل إليهم نبيَّه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ٢٩
رد الله علىٰ الكفار عند ادعائهم بأنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ليس مرسلًا من عند الله..... ٢٩
الدليل علىٰ أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حيٌّ في قبره..... ٣٠
ادِّخار الله تعالىٰ آخر آيتين من سورة البقرة لنبيِّه عليه الصَّلاة والسَّلام..... ٣١
تكريم الله لأمَّة حبيبه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بأن رفع عنهم الخطأ والنسيان وما استُكرهوا عليه ٣١
٢- (سورة آل عمران)..... ٣٢
قصة نصارىٰ نجران مع النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حول زعمهم بأن عيسىٰ عليه السَّلام لا يشبهه أحد من الخَلْق..... ٣٢
رد الله تعالىٰ علىٰ زعم اليهود والنصارىٰ بأنهم علىٰ دين إبراهيمَ عليه السَّلام..... ٣٣
تكريم الله لنبيِّه بأن أخذ الميثاق علىٰ الأنبياء أن يؤمنوا به وينصروه إن ظهر في زمانهم..... ٣٣
الرد علىٰ المفسِّرين الذين قالوا: إنَّ الله أخذ الميثاق علىٰ كلِّ نبيٍّ في النبيِّ الذي يأتي بعده..... ٣٣
تكريم الله لأمَّة نبيِّه عليه الصَّلاة والسَّلام بأن جعلها خير أمةٍ أخرجت للناس، ثم تكريمه لهم بأن أمدهم بالملائكة عند قتال الكفار..... ٣٦

تنبيهات: التنبيه الأول: حول إكرام الله لنبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بقتال الملائكة معه ودفاعها عنه..... ٣٨
التنبيه الثاني: حول زعم بعض المعاصرين بأن الإمداد بالملائكة إنما هو عبارة عن قوةٍ روحيةٍ، والجواب عليه..... ٣٩
التنبيه الثالث: إشارة القرآن إلى أنَّ الإمداد بالملائكة لم يقع لأحدٍ غير نبيِّنا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم..... ٤٠
جعل الله تعالى اتباع نبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم سببًا في نيل حُبِّه ومَغْفِرته..... ٤١
إقران الله تعالى اسمه باسم نبيه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في كثير من الآيات القرآنية..... ٤١
عتاب الله للصحابة (الرُّماه) الذين خالفوا أمر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يوم أُحُدٍ وتركوا أماكنهم..... ٤٤
الفوائد المأخوذة من قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾..... ٤٥
تبرئة الله لنبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مِن زَعْمِ المنافقين الذين قالوا: إنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أخذ قطيفةً حمراء فُقدت مِن غنائم بدرٍ..... ٤٥
دفاع الله عن نبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عندما أراد اليهود منه أن يُقدِّم قُربانا لله يدل على صِدْقِه..... ٤٦
٣- (سورة النساء)..... ٤٧
رأي المالكية فيمن طعن في النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم..... ٤٧
من قبائح اليهود حسدهم للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم..... ٤٨

الحِكْمة من تعدُّد زوجات النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٤٩
التنويه على وجوب طاعة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم..... ٥١
الحِكْمة في أنَّ الله تعالى أمر عباده بقوله: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ ولم يقل: «وأطيعو الرسول»..... ٥٢
استغفار الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم سبب في توبة الله على العبد ورحمته به..... ٥٢
الدليل على أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لا يُخطئ..... ٥٣
كلام ابن عطاء الله السكندريِّ حول تخصيص الله لنبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بأن جعل حُكْمَهُ عليه الصَّلاة والسَّلام كحُكْمِهِ سبحانه وتعالى ٥٣
إخبار الله تعالى بعموم رسالة نبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٥٥
السر في أنَّ الله حضَّ على طاعة رسوله عليه الصَّلاة والسَّلام ورغَّب فيها، مع أنه سبحانه وتعالى لم يفعل ذلك مع غيره من الأنبياء..... ٥٥
تنبيه: حول الخطاب في قوله تعالى: ﴿ مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾..... ٥٦
المستفاد من قوله تعالى: ﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ﴾..... ٥٦
قصة النصراني الذي سرق درعا ودقيقا من بيت قتادة وخبأهما عند يهودي ٥٦
دليل على آخر على بطلان زعم من قال: بأن النبي يُخطئ..... ٥٧
الحِكْمة في أمر الله له صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالاستغفار..... ٥٧
بيان فضل الله عليه وعصمته من محاولة المنافقين بأن يضلوه صلَّى الله عليه وآله

وسلَّم..... ٥٨
تنبيهات: التنبيه الأول: حول جواز اجتهاده صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٥٨
التنبيه الثاني: حول قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ﴾..... ٥٩
سؤال مشركوا مكة لليهود عن صفات النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.... ٦١
توعُّد الله لليهود الذين أنكروا نبوَّته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٦١
٤- (سورة المائدة)..... ٦١
تشريف الله لنبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بأن أكمل له ولأمَّته الدِّين ٦١
الدليل على أنَّ بعثته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ناسخةٌ لجميع الأديان ٦٢
تقسيم العلماء لما في كتب اليهود والنصارى إلى ثلاثة أقسام ٦٢
حكم نقل المواعظ والرقائق من كتب اليهود والنصارى..... ٦٣
النور من أسماء الله تعالى سمَّى به نبيَّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم تشريفًا له وتعظيمًا..... ٦٣
كثرة أسمائه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم تدل على شرف المسمَّى ونباهة قدره، إذ كل اسمٍ منها يُنبئ عن ناحيةٍ من نواحي العَظَمَةِ فيه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم..... ٦٣
تسلية الله لنبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن مسارعة المنافقين إلى إظهار الكفر الذي يُبطنونه ٦٤
نداء الله لنبيِّه باللقب المشعر بالتعظيم له عليه الصَّلاة والسَّلام..... ٦٤
حراسة الله وعصمته لنبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من أن يناله أحد بمكروه..... ٦٥

تنبيهات: التنبيه الأول: حول تعبير الحق سبحانه وتعالى بقوله: ﴿يَعْصِمُكَ﴾ ٦٦
التنبيه الثاني: حول قول مستشرق ألماني « تَرْكُ محمَّدٍ للحراسة مع تخوُّفه من المشركين واليهود اعتمادًا على هذه الآية دليلٌ على صدقه» ٦٦
النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ليس بحاجةٍ إلى مَن يشهد له يوم القيامة بالبلاغ ٦٧
٥- (سورة الأنعام) ٦٨
من دلائل عناية الله بنبيِّه: رد ما يورده عليه المشركون وأهل الكتاب ٦٨
الدليل على خُسران منكر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ولو كان مؤمنًا بموسى وعيسى عليهما السَّلام ٦٨
حفظ الله لأُمَّة حبيبه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مِن أن يُنزل عليهم البلاء والوباء كالأمم السابقة ٧٠
أعظم المعجزات وأوضحها دلالةً: القرآن الكريم، لأنَّ الخوارق في الغالب مغايرةٌ للوحي الذي تلقَّاه النبيُّ، وتأتي المعجزة شاهدة، والقرآن هو نفسه الوحي المدَّعى وهو الخارق المعجِز، فدلالته في عينه ولا يفتقر إلى دليلٍ أجنبيٍّ عنه، فهو أوضح دلالة لاتحاد الدليل والمدلول فيه (ت) ٧١
طلب المشركون من النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أن يجعل بينه وبينهم حَكَمًا من أحبار اليهود أو أساقفة النصارى ٧٢
نكتة حول قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ ٧٢
نكتة حول قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ ٧٣

٦- (سورة الأعراف).....٧٣
الدليل على أنَّ ما أحلَّه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أو حرَّمه يجب التزامه.....٧٣
تسمية الله للقرآن بالنور دليل على إشراقه وسماحة تعاليمه.....٧٤
المعجزة المادية المتحققة في وصف الله لنبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بـ«الأُمِّي».....٧٥
دفاع الله عن نبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يوم أن وصفه أهل مكة بالجنون عندما صعد إلى الصفا من أجل أن يدعوهم إلى الإيمان.....٧٥
٦- (سورة الأنفال).....٧٦
أخذَ النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الحصى ورماه في وجه الكفار يوم بدرٍ فأصابت عيونهم جمعيًا وشغلتهم.....٧٦
عناية الله بنبيه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وعصمته من الكفار الذين أراد قتله بضربة رجلٍ واحدٍ.....٧٨
سنة الله في إهلاك المكذِّبين الذين تحدوا رسلَه ولما بُعث نبيُّنا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رفع الله القذف والمسخ والخسف وسائر أنواع العذاب التي عَذَّب بها الأمم السَّابقة إكرامًا له، وجعل وجوده عليه الصَّلاة والسَّلام مانعًا من نزول العذاب بأُمَّته رغم طلبهم له ورفع ذلك وعدم الأخذ به مع نبيه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.....٧٨
العِلَّة في عدم تأكيد النفي في جانب استغفارهم، وأكَّد بلام الجحود في جانب النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.....٨٠

إحلال الغنائم لأمَّة حبيبه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وهذا مما فُضِّل به نبيُّنا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على الأنبياء.....٨٠
٨- سورة التوبة.....٨١
توبيخ الله وإنكاره على الذين تباطؤوا عن الجهاد ودعوة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لهم.....٨١
فضح الله لأمر المنافقين الذين تكلَّموا في حقِّ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بكلام لا يليق.....٨٣
كلامٌ نفيسٌ جدًّا للزمخشريِّ في قوله تعالى: ﴿هُوَ أُذُنٌ﴾(ت) ٨٣
العيب في النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم جعله الله بابًا من أبواب الكفر....٨٤
اختصاص الله لنبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بإعلامه مكائد أعدائه له ٨٥
ما نزل في قبيلتي مُزينة وجُهينة من الآيات التي تمدحهم، وإفادة أنَّ دعاءه عليه الصَّلاة والسَّلام مسموعٌ عند الله سماع قبول.....٨٥
معاتبة الله لأهل المدينة وما حولها من الأعراب عندما تخلَّفوا عن تبوك.....٨٦
الواجب على المؤمنين تجاه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.....٨٦
٩- سورة يونس.....٨٧
رد الله على المشركين الذي كذَّبوا بالقرآن وزَعَموا أنه مفترى، و تنويع الله للتحدِّي بالقرآن.....٨٧
١٠- سورة الرعد.....٨٨
رد الله على أهل الكتاب الذين عابوا على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كثرة الزوجات.....٨٨

تأرق النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من دراهم نسيها ولم ينفقها، فأي زهدٍ يوازي هذا أو يُقارِبه؟!.....٨٩
رد الله تعالى على الكفَّار والمشركين الذين أرادوا من النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أن يأتيهم بكلِّ ما يطلبوه منه.....٨٩
١١- سورة الحِجْر.....٩٠
تولَّى الله حفظ كتابه من التبديل والتحريف وفي هذا تكريمٌ لنبيِّنا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بدوام معجزته وخلود شريعته.....٩٠
تنبيه: حول استدلال ابن حزمٍ بقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾على حفظ السُّنَّة.....٩١
تشريف الله لنبيه بأن أقسم بحياته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ولم يفعل ذلك مع نبيٍّ أو رسول أو مَلَك.....٩٢
أقسم الله بالشمس والقمر والنجم والضحى والنهار والليل ونحو ذلك، فهل هذا يُقَلِّل من قيمة القَسَم بنبيه عليه الصَّلاة والسَّلام؟.....٩٣
رأي الإمام أحمد في القسم بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٩٤
١٢- سورة النحل.....٩٥
الدليل على إبطال نِحَل المبتدعة الذين يردون ما صحَّ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في تفسير بعض ما أبهمه القرآن.....٩٥
مِن الشُّبه التي زعم الكفار بسببها أنَّ القرآن مفترى: «وجود الناسخ والمنسوخ» فيه.....٩٦
إبطال دعوى الكفار بأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أخذ القرآن من حدَّادٍ

رومي.....٩٧
١٣- سورة الإسراء.....٩٨
من المعجزات التي أكرم الله بها حبيبه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم معجزة الإسراء والمعراج.....٩٨
الدليل على أنَّ الإسراء كان في اليقظة حقيقة لا جولة روحية ولا رؤيا منامية.....٩٩
تكذيب مَن ادَّعى بأنَّ السيِّدة عائشة لم تفتقد جسد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ليلة أن أسري به.....١٠١
الرؤيا في رحلة الإسراء منامية أم بصرية بالعين.....١٠١
من الدلالات التي تؤكِّد على أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم خاتم النبيين وأنَّ أمَّته خير الأمم.....١٠٢
من خصائص الأمَّة تعبُّد الملائكة بحضور الصَّلاة معنا.....١٠٣
مِنَّة الله على نبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بإنزال القرآن وحفظه من التبديل.....١٠٤
تسلية الله لنبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وتسجيل بعثته ونزول كتابه في الكتب السابقة.....١٠٥
تنبيه: حول عبارات الذمِّ والمدح لأهل الكتاب في القرآن.....١٠٥
١٤- سورة الكهف.....١٠٦
التنويه على أنَّ إنزال القرآن من أعظم النِّعم، وأنه أجل الكتب السماوية..١٠٦
١٥- سورة مريم.....١٠٦

الآية التي أنزلها الله تعالىٰ يحكي اعتذار جبريل عليه السَّلام للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وفي هذا بيان عِظَم قَدْر نبيِّنا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من وجوهٍ.....١٠٦
استدلال الزمخشريِّ بقوله تعالىٰ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ علىٰ تفخيم شأن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.....١٠٧
١٦- سورة طه.....١٠٧
عناية الله بنبيه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بأنه لم ينزل عليه القرآن من أجل أن يشقَىٰ ويتعب نفسه.....١٠٧
خطاب الله اللطيف المُشعِر بأنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حبيب ربِّ العالمين، وأنه أفضل الخلق أجمعين.....١٠٧
صلاته صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مأمورٌ بها ليرضى هو، لا ليُكَفِّر الله عنه سيِّئاته.....١٠٨
١٧- سورة الأنبياء.....١٠٩
الدليل علىٰ أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أُرسِلَ إلىٰ الملائكة.....١٠٩
١٨- سورة الحج.....١١٣
من تفضيل الله لنبيِّه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أن جعل دينه سهلًا واختيار أُمَّته علىٰ سائر الأُمَم.....١١٣
١٩- سورة المؤمنون.....١١٣
دفاع الله عن نبيِّه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم باستفهامه وإنكاره علىٰ كفار قريش يوم خالفوا ما علموه من صِدق النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وأمانته..١١٣

٢٠ - سورة النور..... ١١٤
تبرأة الله لأمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها والدلالة على شِدَّة عناية الله بنبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم..... ١١٤
تولى الله سبحانه وتعالى تبرأة السيدة عائشة ولم يجعل تبرأتها تأتي من طريق صبيٍّ ولا نبيٍّ كما فعل مع سيِّدنا يوسف والسيدة مريم عليهما السَّلام.... ١١٦
تنبيه حول اتخاذ المستشرقين من حادثة الإفك مَغْمَزًا يعيبون به النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم..... ١١٨
إخبار الله تعالى بأن الهداية في طاعته وطاعة نبيه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ١١٩
عظم الجناية في ترك مجلس رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بغير إذنه. ١٢٠
نهي الله تعالى عن مناداة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم باسمه المجرَّد ١٢١
٢١ - سورة الفرقان ١٢٢
من الأدلة الدالة على أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مرسلٌ إلى الإنس والجنِّ ١٢٢
تكفُّل الله تعالى بالردِّ والدِّفاع عن نبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم..... ١٢٣
تعظيم الله لنبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بأن جعله رسولًا إلى العالم كلِّه.. ١٢٣
٢٢- سورة الشعراء..... ١٢٤
إشفاق الله على نبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ودعوته إياه عليه الصَّلاة والسَّلام بأن لا يقتل نفسه غمًّا لأجل أن يؤمنوا..... ١٢٤
مدح القرآن وبيان منزلته والمنزَّل عليه ١٢٤
٢٣- (سورة النمل) ١٢٥

رد الله على المشركين لقولهم في النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وفي القرآن ١٢٥
٢٤- (سورة القصص) ١٢٥
وعد الله لنبيه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالعودة إلى بلده التي يحبها ١٢٥
٢٥ - سورة العنكبوت..... ١٢٦
إقامة الحجَّة على اليهود الذين أنكروا نبوته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم..... ١٢٦
٢٦- (سورة الأحزاب)..... ١٢٦
وجوب تقديم النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وإيثاره على النفس..... ١٢٦
الحِكْمة في تقديم النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على الأنبياء في أخذ الميثاق..... ١٢٧
عناية الله لنبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ومَن معه من الصحابة يوم الخندق ١٢٨
طهارة أهل بيت النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من الرجس؛ لأنَّ الله لما بين تكريم نسائه بيَّن تكريم أولاده وعصبته، فجمع له الفضل من جميع أطرافه عليه الصَّلاة والسَّلام. ١٢٩
تعليق لا بن القيِّم في غاية الحسن ونهاية الإجادة على قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾(ت)..... ١٣٠
تسمية الله لنبيه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بأسماء تدل على رفعة قدره وعلو مكانته فسمَّاه «سراجًا منيرًا» ١٣٢
الزواج بلفظ الهبة ومن غير صداق من خصوصياته عليه الصَّلاة والسَّلام ١٣٢

ذكر عدة أشياء من حقوق النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ أمَّته ١٣٢
تنبيه: حول الأدب الذي أدَّب الله به الثقلاء..... ١٣٤
تشريف الله لنبيِّه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بأن أخبرنا عن نفسه أنه سبحانه وتعالىٰ يُصَلِّي علىٰ نبيِّه وكذا ملائكته، كما أمرنا بالصَّلاة علىٰ نبيِّه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم..... ١٣٤
تنبيه: حول أنَّ جميع الملائكة بمختلف وظائفهم يصلون جميعًا علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم..... ١٣٥
٢٧- (سورة سبأ)..... ١٣٦
مما يفيد عموم رسالته صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ١٣٦
٢٨- (سورة فاطر)..... ١٣٧
تسلية الله لنبيِّه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بنعيه علىٰ قريش سوء تلقيهم لآيات الله وتكذيبهم بها ١٣٧
اصطفاء الله تعالىٰ لأُمَّة حبيبه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بأن أورثهم الكتاب..... ١٣٨
تنبيه: حول أنَّ عصاة المسلمين لا يدخلون النَّارَ وأنَّ مآلهم الجنة ١٣٩
٢٩- (سورة يس)..... ١٣٩
رد الله تعالىٰ علىٰ الكفار وإقسامه علىٰ أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من المرسلين، والحِكْمة من التأكيد بقول الله تعالىٰ: ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ ... ١٣٩
تسلية الله لنبيِّه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بعد تكذيب وإذاء وجفاء المشركين له..... ١٤٠

٣٠- (سورة الصافات)..... ١٤٠
تسلية النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم والتنفيس عنه بأن دعاه بالإعراض عن قولهم واستهزائهم به، وأن الله سوف ينصره عليهم قريبًا ١٤٠
تسلية بعد تسلية وتأكيد لوقوع الميعاد..... ١٤١
٣١- (سورة الزمر)..... ١٤١
الرد علىٰ قول الكفار الذين قالوا بأنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يُعَلِّمُه بَشَرٌ..... ١٤١
٣٢- (سورة الشورىٰ)..... ١٤١
فضل النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ أولي العزم ١٤١
٣٣- (سورة الزخرف) ١٤٢
تسلية الله لرسوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وتوعده للكافرين الذين لم يُصدِّقوه ١٤٢
٣٤- (سورة الأحقاف)..... ١٤٣
من خصوصياته صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إرساله إلىٰ الجنِّ..... ١٤٣
٣٥- (سورة القتال)..... ١٤٣
الإيمان والعمل الصالح لا يقبلان إلا بعد التصديق والإيمان بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم..... ١٤٣
أمر الله لنبيِّه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بالتحدُّث بنعمة الله عليه بعصمته من الذنوب، وتشريف الأمَّة باستغفار نبيها لها..... ١٤٤
٣٦- (سورة الفتح)..... ١٤٤

إنعام الله على نبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالفتح الظاهر بنزول سورة الفتح التي تؤيِّد هذا، وذلك بعد الحديبية ١٤٤
وصف الله لنبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالرِّسالة والشهادة والبشارة والنِّذارة ١٤٥
مبايعة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مبايعةً لله سبحانه وتعالى ١٤٥
تسجيل شهادة الله تعالى لنبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بأنه رسولٌ، وتسجيل صفات أصحابه في التوراة والإنجيل ١٤٦
تنبيه: حول نصرة الله لنبيه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالظاهر والباطن.... ١٤٦
٣٧- (سورة الحجرات) ١٤٦
النهي عن التقدُّم بين يدي النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بقول أو فعل واعتبار التقدُّم بين يديه تقدُّمًا بين يدي الله سبحانه وتعالى..... ١٤٦
حرمة رفع الصوت فوق صوت النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وحرمة الجهر بالكلام حين مناجاته..... ١٤٧
نهي عمر بن الخطاب عن رفع الصوت في مسجد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وفعل السيدة عائشة عندما كانت تسمع دقا في البيوت المجاورة للمسجد..... ١٤٧
تنبيهات: التنبيه الأول: حول أنه: ليس الغرض برفع الصوت ولا الجهر ما يقصد به الاستخفاف والاستهانة..... ١٤٧
التنبيه الثاني: حول الإعلام بعزَّة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وشرف منزلته..... ١٤٨

التنبيه الثالث: حول نهي الإمام مالك لأبي جعفر المنصور أن يرفع صوته في مسجد رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ، وتوجيهه له باستقبال المواجهة الشريفة عند الدعاء.....١٤٨
توجيه الذمِّ إلىٰ وفد بني تميم الذين جاؤوا وقت الظهيرة فنادوه غير مراعين راحته صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.....١٤٩
٣٨- سورة النجم.....١٥١
نفي الضلال عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم والإشارة إلىٰ أنه عليه الصَّلاة والسَّلام يُهتدَىٰ به كما يُهتدَىٰ بالنجم.....١٥١
الدليل علىٰ تزكية علمه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، ورؤيته لجبريل علىٰ صورته الأصلية.....١٥٢
ما يفيد بأنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم رأىٰ جبريل علىٰ صورته الأصلية مرة أخرىٰ ومكان حصول هذه الرؤية.....١٥٣
مؤكِّدات المعراج الذي تحدَّث عنه النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.....١٥٣
تنبيهان: التنبيه الأول: حول مخالفة تأويل المفسِّرين للرؤية في الآيات المذكورة علىٰ رؤية الله تعالىٰ.....١٥٥
التنبيه الثاني: حول قصة الغرانيق.....١٥٥
٣٩- (سورة القمر).....١٥٦
انشقاق القمر للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.....١٥٦
الرد علىٰ من أنكر انشقاق القمر للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ١٥٦
الجواب علىٰ قول من قال: لو وقع الانشقاق لنقل متواترًا، واشترك أهل

الأرض في رؤيته، ولم يختص به أهل مكة.....١٥٨
تنبيه: حول أنَّ انشقاق القمر آيةٌ عظيمةٌ لا يكاد يعدلها شيء من آيات الأنبياء.....١٥٩
٤٠- (سورة الرحمن).....١٥٩
من أدلة إرسال النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم توجيه البشارة والإنذار إلى الثقلين.....١٥٩
٤١- (سورة المجادلة).....١٥٩
أمر الله للمسلمين بأن لا يكثروا من المسائل على النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.....١٦٠
٤٢- (سورة الحشر).....١٦٠
٤٣- (سورة الصف).....١٦١
الدليل على أنَّ عيسى عليه السَّلام بشَّر بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم..١٦١
لطيفة: حول خديعة أحد القسيسين لمن توسَّم فيه الجهل بالمسائل الدينية.١٦١
الحِكْمة من تكرار قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ...﴾.....١٦٣
٤٤- (سورة الجمعة).....١٦٣
الدليل على استمرار بعثته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وفضل الصحابة.....١٦٣
٤٥- (سورة المنافقون).....١٦٣
دفاع الله عن الصحابة الذين هاجروا إلى المدينة.....١٦٣
دفاع الله عن صحابة نبيه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عندما قال المنافقون: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ.....١٦٤

تنبيه: حول قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ﴾ الآية..... ١٦٤
٤٦- (سورة الطلاق)..... ١٦٤
تخصيص النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالنداء، وتعميم الخطاب في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ في أول (سورة الطلاق)..... ١٦٤
٤٧- (سورة التحريم)..... ١٦٥
الدليل على أن الله تعالى اعتنى بنبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عناية لم يرقَ إليها رسولٌ ولا مَلَكٌ..... ١٦٥
٤٨- (سورة القلم)..... ١٦٦
نفي الجنون الذي زعمه المشركون على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وإقسام الله على ذلك..... ١٦٦
جميع حسنات المؤمنين وأعمالهم الصالحة في صحائف نبيِّنا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم..... ١٦٦
أعظم ما مُدح به النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم..... ١٦٧
٤٩- (سورة الحاقة)..... ١٦٨
إقسام الله تعالى بالأشياء كلها على أن ما يقوله النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رسالة من عند الله..... ١٦٨
٥٠- (سورة الجنِّ)..... ١٦٩
الإخبار بسماع الجنِّ للقرآن ومدحهم له وإيمانهم به واجتماعهم بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم..... ١٦٩
التعجُّب مِن زعم بعض المبتدعة الذي قال: بأنَّه لا يوجد دليل قطعي على

إرسال النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى الجنِّ.....١٦٩
اعتراف الجنِّ المؤمنين بأنَّهم كانوا يسترقون السمع قبل بعثة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وأنهم مُنعوا بعدها.....١٧٠
٥١- (سورة المزمِّل).....١٧٠
٥٢- (سورة المدِّثر).....١٧١
٥٣- (سورة القيامة).....١٧٢
الحقُّ عزَّ وجلَّ لا يحب لنبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أن يُجهد نفسه بقراءة ما يلقيه عليه جبريل.....١٧٢
٥٤- (سورة عبس).....١٧٢
عتاب الله لنبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على ما حدث منه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم تجاه ابن أم مكتوم وأن هذه المعاتبة إنما هي معاتبة محبة ومودة ١٧٢
تأويل آخر لقوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾.....١٧٣
درجة الحديث الوارد في قصة ابن أم مكتوم.....١٧٤
٥٥- (سورة التكوير).....١٧٤
ردُّ الله تعالى على قول المشركين: إنما يعلمه بشر.....١٧٤
نفي الله تعالى عن نبيه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم تهمة الجنون.....١٧٤
وَهِمَ الزمخشريُّ حينما فهم أن الآيات جاءت من أجل تبيِّن أفضلية جبريل على النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.....١٧٥
قول الله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٥٠] لا يدل على أفضلية الملائكة على النبيِّ صلَّى الله عليه

وآله وسلَّم (ت).....١٧٥
٥٦ - سورة البروج.....١٧٦
الدليل على أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم هو الشَّاهد والمشهود يوم القيامة.....١٧٦
٥٧ - (سورة البلد).....١٧٧
إحلال مكة للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يوم فتحها.....١٧٧
رأي آخر في قوله تعالى: ﴿وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾.....١٧٧
التعجُّب من حالهم في عداوته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.....١٧٧
تنكير الإقسام برسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم دليل على تعظيمه....١٧٧
٥٨ - (سورة الضحى).....١٧٨
إقسام الله تعالى على أنه ما ترك حبيبه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وما أبغضه.....١٧٨
ما أعده الله تعالى للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من الكرامات والعطايا في الآخرة.....١٧٨
بيانٌ مِن الله بأنَّ حاله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في الآخرة أعظم وأجل، وهو السبق والتقدُّم على جميع أنبياء الله ورسله.....١٧٨
وعد الله لنبيه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بأن يعطيه فيرضيه.....١٧٩
معنى قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ﴾.....١٧٩
أمر الله لنبيه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بأن يحدِّث أمته بما أنعم الله عليه ...١٧٩
٥٩ - (سورة ألم نشرح).....١٨٠

شرح الله صدر نبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ليسع مناجاة الحقِّ ودعوة الخَلْق..... ١٨٠
رفع الله تعالى لذِكْر نبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم..... ١٨٠
تنبيه حول أن من عَبَدَ الله تعالى مع عدم تصديقه برسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فهو كافر..... ١٨٠
٦٠- (سورة البينة)..... ١٨١
حسد وإنكار الكفَّار من أهل الكتاب على بعثة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم..... ١٨١
٦١ - سورة الكوثر..... ١٨٢
تكريم الله لنبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بأن أعطاه نهر في الجنَّة اسمه الكوثر..... ١٨٢
ردُّ الله تعالى على قول المشركين: «بُتر محمد» حين مات أبو القاسم ابن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم..... ١٨٣
٦٢- سورة النصر..... ١٨٤
البُشرى التي ساقها الله تعالى لنبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في سورة النصر..... ١٨٤
٦٣- سورة (المسد)..... ١٨٤
العِلَّة في إنزال سورة المسد..... ١٨٤
كراهة قراءة (سورة المسد) في الصلاة لا أصل له (ت)..... ١٨٤
٦٤،٦٥- سورتا المعوِّذتين..... ١٨٥

لجوء اليهود إلى السحر من أجل محاربة النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ... ١٨٥
خاتمة ١٨٧
الخصائص التي اقتضت أفضليته على الأنبياء والمرسلين والملائكة ١٨٧
دفاع الله عن نبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بمختلف الأساليب ١٨٧
دفاع الله عن صحابته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وإعطاء أمَّته الخصائص التي فضَّلهم بها على سائر الأمم ١٨٨

٢- الأحاديث المُتَفَقاةُ في فَضَائِلِ رسولِ الله ﷺ

المقدِّمة ١٩٥
١- حديث: «مَتَى وَجَبَتْ النُّبُوَّةُ» ١٩٦
جعل الله نبيَّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فاتِحًا لخَلْق الموجودات، وخاتِمًا لظهور النُبُوَّات ١٩٧
تنبيه حول زعم زكي مبارك أنَّ الصوفيَّة تغالوا في كون النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أوَّل المخلوقات ١٩٨
٢- حديث: «مَتَى كُنْتَ نَبِيًّا» ١٩٩
الردُّ على زَعْمِ بعض العلماء بأنّ المراد بالخَلْق: التقدير لا الإيجاد، أي: كنتُ أولهم في التقدير ٢٠٠
فائدة: حول المقصود بقولهم: «الحافظ» ٢٠١
فائدة: حول شيخ البيهقي «أبو الحسين ابن بشران» ٢٠١
ذكر المسائل التي اشتملت عليها رواية: «لمّا خَلَق اللهُ الأرض...» ٢٠٢
من الأدلة على جواز التوسُّل بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٢٠٢

الردُّ على الذهبيِّ الذي قال عن حديث توسُّل آدم: بأنَّه موضوعٌ ٢٠٣
تنبيه حول قوله: «وخَلَق العَرْش» ٢٠٣
٣- حديث: «خرجْتُ من نِكاحٍ ولم أخرُجْ مِنْ سِفاحٍ» ٢٠٤
طهارة نسبه الشريف صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لا تحتاج إلى بيانٍ ٢٠٥
٤- حديث: اصطفاء الله لنبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٢٠٥
معنى اصطفاء الله لنبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٢٠٦
ذكر نسبه الشريف صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٢٠٦
استشكال العلماء على قول الترمذيِّ: «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ» ٢٠٦
فائدة: حول ذكر طبقات العَرب..... ٢٠٧
٥- حديث: «إنِّي عَبْدُ الله وخاتَمُ النبيِّينَ»..... ٢٠٧
معنى قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «إنِّي عند الله لخَاتِمُ النبيِّينَ...» إلخ . ٢٠٧
فائدة حول ما جاء في حديث :«إنَّ اللهَ كَتَبَ مَقَادِيرَ الخَلْقِ قَبْلَ أنْ يَخْلُقَ السماوات والأرْضِ...»..... ٢٠٨
خروجه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من بطن أمِّه طاهرًا نظيفًا ما به قذارة .. ٢٠٩
٦- حديث: «مَنْ لَقِيَني وهو جاحِدٌ بأحمد دَخلَ النَّار»..... ٢١٠
فائدة: حول قوله: «مَنْ لَقِيَني وهو جاحِدٌ بأحمد أدْخَلتُه النَّار» ٢١٠
فائدة: حول قوله: «ما خلقتُ خَلْقًا أكرم عليَّ منه» ٢١٠
شذوذ مَن قال بأنَّ في الملائكة عوام..... ٢١١
من الخصائص التي اختصَّ الله بها نبيَّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنه أوَّل من يَقْرَعُ باب الجنَّة..... ٢١١

تحريم الجنَّةِ على جميع الأنبياء حتي يدخلها النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وكذلك تحريمها على جميع الأُمَمِ حتى تدخلها أمَّته عليه الصَّلاة والسَّلام ٢١١
فائدة: حول قوله: «الحمَّادون» ٢١١
طلب نبي الله موسى عليه السَّلام مِن رَبِّه بعدما عرف ببعض خصوصيَّات الأمَّة المحمدية ٢١٢
ذكر حديث ابن مسعودٍ الذي يقابل هذا الحديث في المعنى ٢١٢
٧- حديث: «أفضل الخَلْق: محمد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم» ٢١٣
فائدة: حول قول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم «قال لي جبريل: قَلَّبت مشارقَ الأرض...» ٢١٣
حكم الحافظ ابن حجرٍ على الحديث ٢١٤
٨- حديث: أسماء النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٢١٤
تناول العلماء لأسماء النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وإفرادهم المؤلَّفات لذلك ٢١٤
ذكر معاني بعض أسمائه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم (محمد وأحمد والماحي والحاشر والعاقب) ٢١٥
أسماء النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم التي وردت في القرآن ٢١٥
تنبيه حول أن الله تعالى لم يخاطب نبيَّه في القرآن باسمه المجرَّد وما ذكره الحافظ أبو نعيمٍ في ذلك ٢١٦
٩- حديث: إثبات التمييز في بعض الجمادات ٢١٧

ما ذكره الترمذيُّ في إثبات التمييز في بعض الجمادات.....٢١٧
ما ذكره ابن العربي في الكلام على قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾.....٢١٨
قصة الشجرة التي جاءت إليه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم تشقُّ الأرضَ....٢١٨
سماع الصحابة لتسبيح الطعام بين يدي رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.....٢١٩
تنبيهات: التنبيه الأول: حول اختلاف العلماء في تعيين الحجر الذي سلم على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٢٢٠
التنبيه الثاني: حول رأي الحافظ السيوطيِّ في حجر البلور.....٢٢٠
التنبيه الثالث: حول حديث تسبيح الحصى في كفِّ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وكفِّ أصحابه ٢٢٠
١٠- حديث: «انشقاق القَمَر».....٢٢١
ذكر طرق حديث انشقاق القمر ٢٢١
الرد على الذين أوَّلوا آية انشقاق القمر على معنى: سَيَنْشَق القمر عند اقتراب الساعة.....٢٢٢
تنبيهات: التنبيه الأول: حول ضبط ألفاظ الحديث.....٢٢٦
التنبيه الثاني: حول ما يذكره بعض القُصَّاص من أنَّ القمر دخل في كُمِّ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وخرج من الكمِّ الآخر.....٢٢٦
التنبيه الثالث: حول من شاهد انشقاق القمر في الليلة التي وقع فيها.....٢٢٧
التنبيه الرابع: حول أنَّ الشمس رُدَّت على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله

وسلَّم.....٢٢٨
التنبيه الخامس: أمر النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم الشمسَ فتأخَّرت ساعة من نهار.....٢٣٢
١١- حديث: الإسراء والبراق.....٢٣٣
قوله:«فما رَكِبَك أحد أكرم علىٰ الله منه» يدخلُ في هذا العموم جبريلُ نفسه، لأنه ممن ركب البُراق، فيكون النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أكرم علىٰ الله منه، وعلىٰ هذا انعقد الإجماع، إلَّا ما كان من مخالفة الزمخشريِّ وابن حزمٍ، وهو خلافٌ شاذٌّ.....٢٣٣
ذكر التآليف التي أُفردت لقصة الإسراء.....٢٣٤
١٢ - حديث: نبع الماء من أصابع النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ٢٣٥
قصة نبع الماء من أصابعه الشريفة تكرَّرت عدة مرات، ووردت في أحاديث كثيرة ٢٣٥
نَبْعُ الماء من بين أصابعه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أبلَغ في المعجزة من نبع الماء من الحجر حيث ضربه موسىٰ بالعصا فتفجَّرت منه المياه، لأنَّ خروج الماء من الحجارة معهودٌ، بخلاف خروج الماء من بين اللحم والدم.....٢٣٥
كيفية نبع الماء من أصابعه الشريفة صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ٢٣٦
تنبيه: حول ما يشبه هذه القصة من حيث تكثير الماء.....٢٣٧
١٣- حديث: استجابة العذق لرسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ٢٣٨
١٤- حديث: حنين الجذع ٢٤١
حنين الجِذع للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أكبر من إحياء الموتىٰ لعيسىٰ عليه

السَّلام..... ٢٤٢
خنين الجذع، اشتهر بين المحدِّثين بالحاء المهملة، والصواب عندي أنه بالخاء المعجمة، وهو صوت البكاء الخارج من الخياشيم، شبه به صوت الجذع، أمَّا الحنين بالحاء المهملة، فهو الشوق، وهو معنىٰ باطنيٌّ لا صوت له (ت) .. ٢٤٥
١٥- حديث: مسح رأسه بيده ٢٤٥
١٦- حديث: قصعة من غدوة..... ٢٤٧
١٧- حديث: شقِّ صدر النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ٢٤٨
الحِكْمَةُ في شَقِّ صدره الشريف صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ٢٥٠
رؤية النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لله عزَّ وجلَّ (ت) ٢٥١
ذكر لطائف مُستبَطةٌ من حديث شقِّ الصدر..... ٢٥٣
تنبيه: حول استشكال غسل قلبه في طست من ذهب وهو مُحرَّم، والجواب عليه..... ٢٥٥
١٨- حديث: فضل محمد صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ الأنبياء ٢٥٥
إرسال النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إلىٰ الملائكة..... ٢٥٧
النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم خاتم الأنبياء، والرد علىٰ القاديانية، والبهائية..... ٢٥٨
١٩- حديث: خصائص النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ٢٥٩
تنبيه: في ذكر ما بقي من خصال أُعطيها النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم .. ٢٥٩
خصائصه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ أربعة أقسام..... ٢٦١
٢٠- حديث: الله يُعطىٰ وأنا أقسم ٢٦٢

حُكْم التسمِّي باسمه والتكنِّي بكُنيته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم..... ٢٦٢
٢١- حديث: «أنا سيِّد ولد آدم يوم القيامة»..... ٢٦٧
٢٢- حديث: «أنا أول الناس خروجًا إذا بُعِثوا»..... ٢٦٩
٢٣- حديث: «مَثَلي ومثل الأنبياء»..... ٢٧١
٢٤- حديث: حوضي مسيرة شهر..... ٢٧٣
تنبيه: أحاديث الحوض متواترة والإيمان به واجب..... ٢٧٤
٢٥- حديث: إسلام قرينه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم..... ٢٧٤
٢٦- حديث: «حياتي خير لكم»..... ٢٧٧
٢٧- حديث: «إلَّا سَبَبي ونَسَبي»..... ٢٧٨
٢٨- حديث: إنزال الملائكة تقاتل معه..... ٢٨١
٢٩- حديث: آتي باب الجنَّة يوم القيامة..... ٢٨٢
٣٠- حديث: كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أجود الناس بالخير..... ٢٨٢
٣١- حديث: أكثروا من الصَّلاة عليَّ..... ٢٨٥
تنبيهات: التنبيه الأول: حول فرضية الصَّلاة على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم..... ٢٨٩
التنبيه الثاني: في ذكر مواضع تُسَنُّ فيها الصلاة على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم..... ٢٨٩
التنبيه الثالث: في معنى الصلاة والسلام على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم..... ٢٩١

٣٢- حديث: ما ضرب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم شيئًا قطُّ بيده.....٢٩٣
٣٣- حديث: ما مَسَسْتُ حريرًا ولا ديباجًا أَلْيَنَ من كفِّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.....٢٩٤
دلالة الحديث على استحباب التبرُّك بآثاره صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وقد وردت في ذلك أحاديث كثيرة في الصحيحين وغيرهما.....٢٩٧
٣٤- حديث: وجوب محبَّة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٢٩٧
أقسام المحبَّة ٢٩٧
٣٥- حديث: من لم يؤمن بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم دخل النَّارَ ٣٠٠
المستفاد من الحديث.....٣٠٠
٣٦- حديث: «ما حرَّم رسولُ الله مثل ما حرَّم اللهُ» ٣٠١
هذا الحديث من أعلام النبوة فقد وقع ما أخبر به صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وظهر مبتدعةٌ مُلحِدة يُنكرون الحديث النبوي عملًا واحتجاجًا، ويَزْعُمون أن الحُجَّة في القرآن خاصَّة.....٣٠٢
حديثٌ موضوعٌ في عرض السُّنَّة على القرآن.....٣٠٢
انعقد إجماع الأئمة والعلماء على العمل بالسُّنَّة المطهَّرة والاحتجاج بها في أصول الدِّين وفروعه ٣٠٣
السُّنَّة أصل من أصول الدِّين، لا يتم الإسلام إلَّا بالاحتكام إليها والاستسلام ٣٠٤
ردُّ مبتدعة اليوم السُّنَّة بأسباب واهيةٍ.....٣٠٨

٣٧- حديث: «أوتيت مفاتيح كل شيءٍ»..... ٣٠٩
ذكر من ذهب من العلماء بعلمه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالخمس..... ٣١٠
ترجيح المصنِّف أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لم يخرج من الدنيا حتى علَّمه الله الخمس..... ٣١٢
٣٨- حديث: إهدار دم من سبَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٣١٤
تنبيه: حول كلام شاع بين الناس فيه إساءة أدبٍ مع مقام النبوة..... ٣١٨
٣٩- حديث: إنِّي لأراكم مِن وراء ظهري ٣٢٠
ذكر ما يُستفاد من الحديث..... ٣٢١
تنبيه: حول معجزة أخرى تتعلَّق ببصره الشريف..... ٣٢٢
٤٠- حديث: لو كان موسى حَيًّا ما وَسِعَهُ إلَّا اتِّباعي ٣٢٣
رواية القاديانية للحديث بزيادةٍ باطلةٍ، ليستدلُّوا على أنَّ عيسى ماتَ وأنه لا ينزل..... ٣٢٤
٤١- حديث: ليهبطنَّ ابن مريم..... ٣٢٦
ما يُستفادُ مِن الحديث..... ٣٢٦
إثبات نزول عيسى عليه السَّلام أمر تواترت به الأخبار عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كما نصَّ عليه الحفَّاظ..... ٣٢٧
تنبيه: حول مَن لم يُقَدَّر له زيارته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بجسمه ٣٣٠
النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حيٌّ في قبره الشريف، وهذا ثابتٌ بالقرآن والسُّنَّة المتواترة والإجماع..... ٣٣١
٤٢- حديث: كان النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أحسن الناس ٣٣٢

٤٣- حديث: وصف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ٣٣٦

٣- السَّيْفُ البَتَّار لِمن سَبَّ النَّبيَّ المُخْتار ﷺ

مقدِّمة المؤلف..... ٣٥٧
آراءُ العلماء فيمن سبَّ النبيَّ وأدلتهم على ذلك..... ٣٥٨
ذكر أحاديث تؤيد هذه الآثار..... ٣٦٠
حكم من سب النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٣٦٣
الحرية في الإسلام ليست التهجُّم على الدين..... ٣٦٥
معنى قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾..... ٣٦٧
موقف الدول الإسلامية من الكتب التي تهاجم الإسلام ٣٦٩
النبي أفضل الخلق على الإطلاق..... ٣٧٠
ذكر الدليل على أفضلية النبيِّ على الخلق ٣٧٢
حديث يُفيد أفضلية النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على جبريل عليه السَّلام..... ٣٧٥

٤- النَّفْحَةُ الإلهيَّة في الصَّلاةِ على خَيْرِ البَرِيَّة ﷺ

المقدمة..... ٣٨١
الحديث الأول: «إنَّ أَوْلَى النَّاسِ بي يومَ القِيامَةِ أَكْثَرُهُمْ عليَّ صَلاةً»..... ٣٨٢
الحديث الثاني: «إنَّ لله سَيَّارةً مِن الملائِكَةِ يَطْلُبونَ حِلَقَ الذِّكْرِ...»..... ٣٨٢
الحديث الثالث: «إنَّ جبريل عليه السلام أتاني فبَشَّرني...»..... ٣٨٢

الحديث الرابع: «مَنْ صَلَّىٰ عليك وَاحِدَةً صَلَّىٰ الله عليه عَشْرًا ورَفَعَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ» ٣٨٣
الحديث الخامس: «حيثما كنتم فصَلُّوا عليَّ، فإنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي» ٣٨٣
الحديث السادس: «إِذَا سَمِعْتُمُ المُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ» ٣٨٣
الحديث السابع: «...فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ» ٣٨٤
الحديث الثامن: «أَكْثِرُوا من الصَّلَاة عَلَيَّ يَوْمَ الجُمُعَةِ، فَإِنَّهُ يوم مَشْهُودٌ» .. ٣٨٤
الحديث التاسع: «البَخِيلُ مَن ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فلم يُصَلِّ عَلَيَّ» ٣٨٤
الحديث العاشر: « لِكُلِّ عَبْدٍ صَلَّىٰ عَلَيَّ صَلَاةً يُكْتَبُ لَهُ بِهَا عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَيُمْحَىٰ عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ، وَيُرْفَعُ لَهُ بها عَشْرُ دَرَجَاتٍ ...» ٣٨٥
الحديث الحادي عشر: «تَرْضَى أَنْ لَا يُصَلِّي عَلَيْكَ أحد من أمتك إِلَّا صَلَّيْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا...» ٣٨٥
الحديث الثاني عشر: «مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ صلاة واحدة بَلَغَتْنِي صَلَاتُهُ...» ٣٨٥
الحديث الثالث عشر: «أَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِي كُلِّ يَوْمِ جُمُعَةٍ...» ٣٨٦
الحديث الرابع عشر: «أَكْثِرُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ فِىْ الليلةِ الزَّهْرَاءِ واليومِ الأَغَرِّ...» ٣٨٦
الحديث الخامس عشر: «أكثروا الصلاةَ عليَّ فإن الله وكَّلَ بي ملكًا عند قبري فإذا صلَّىٰ عليَّ رجلٌ من أمَّتي قال لي ذلك الملك: يا محمَّدُ إنَّ فلان بن فلانٍ صلَّىٰ عليك» ٣٨٦

الحديث السادس عشر: أكثروا الصَّلاةَ عليَّ في يومِ الجُمُعَةِ فإنَّه ليس يُصَلِّي أحدٌ يومَ الجُمُعَةِ إلَّا عُرِضَتْ عليَّ صَلاتُهُ».....٣٨٦
الحديث السابع عشر: إنَّ لله تبارك وتعالىٰ مَلَكًا أَعْطَاهُ أَسْمَاء الخَلَائِقِ، فهو قائمٌ علىٰ قَبْري إذا مُتُّ فَلَيس أَحَدٌ يُصَلِّي عليَّ إلَّا قال: يا محمد صلَّىٰ عليك فُلانُ ابنُ فُلانٍ فيصَلِّي الربُّ تبارك وتعالىٰ علىٰ ذلك الرجل بكلِّ واحدةٍ عشرًا» ٣٨٧
الحديث الثامن عشر: «مَن صَلَّىٰ عليَّ عند قبري سمعتُه ومَن صلَّىٰ عليَّ مِن بعيدٍ أُعْلِمْتُهُ».....٣٨٧
الحديث التاسع عشر: «مَن صَلَّىٰ عليَّ مائةً في يومِ الجُمُعَةِ...».....٣٨٧
الحديث العشرون: عن أبي ذرٍّ الغفاريِّ رضي الله عنه قال: أوصاني رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أن أُصلِّيها في السفر والحضر -يعني صلاة الضحىٰ- وأن لا أنام إلَّا علىٰ وترٍ، وبالصلاة علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم...٣٨٨
الحديث الحادي والعشرون: «أَيُّمَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ صَدَقَةٌ، فَلْيَقُلْ فِي دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ...».....٣٨٨
الحديث الثاني والعشرون: «مَا اجْتَمَعَ قومٌ ثُمَّ تَفَرَّقُوا عن غيرِ ذِكْرِ الله، وصلاةٍ علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، إلَّا قاموا عن أَنْتَنِ جِيفَةٍ» ٣٨٨
الحديث الثالث والعشرون: «ما جلس قوم مجلسًا لم يذكروا الله فيه ولم يصلُّوا علىٰ نبيه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إلَّا كان عليهم مِن الله ترة يوم القيامة...» ..٣٨٩
الحديث الرابع والعشرون: «من صَلَّىٰ عَلَيَّ مِنْ أُمَّتِي واحدة مخلصًا من قلبه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرَ صَلَوَاتٍ...».....٣٨٩
الحديث الخامس والعشرون: «مَنْ صَلَّىٰ عليَّ صلَّىٰ عليه عشرًا مَلَكٌ مُوَكَّلٌ بها

حتَّى يُبْلِغْنِيهَا»..... ٣٨٩
الحديث السادس والعشرون: «صَلُّوا عليَّ فإنَّ الصَّلاةَ عليَّ كفَّارةٌ لكم ومَن صَلَّى عليَّ صَلاةً صلَّى الله عليَّ عشرًا»..... ٣٨٩
الحديث السابع والعشرون: «لا صلاة إلَّا بطهورٍ وبالصَّلاة عليَّ»..... ٣٩٠
الحديث الثامن والعشرون: «مِن صِلَّى عليَّ حين يُصبح عشرًا أدركته شفاعتي يومَ القِيامَةِ»..... ٣٩٠
الحديث التاسع والعشرون: «صَلُّوا عليَّ صلَّى الله عليكم»..... ٣٩٠
الحديث الثلاثون: «مَن ذُكرتُ عنده فليُصَلِّ عليَّ ومَن صَلَّى عليَّ مرَّةً صَلَّى اللهُ عليه عشرًا»..... ٣٩٠
الحديث الحادي والثلاثون: «مَن ذُكرتُ عنده فخَطِئ الصَّلاةَ عليَّ خَطِئ طريقَ الجنَّةِ»..... ٣٩٠
الحديث الثاني والثلاثون: مَن صَلَّى عليَّ صلاةً صلَّى الله عليه بها عشرَ صلوات فليقلَّ عبدٌ أو ليُكثرْ»..... ٣٩١
الحديث الثالث والثلاثون: «مَن صَلَّى عليَّ في يومِ الجُمُعَةِ ألف مرة لم يَمُتْ حتَّى يرى مَقْعَدَهُ مِن الجنَّةِ»..... ٣٩١
الحديث الرابع والثلاثون: «مَن صلَّى عليَّ كنتُ له شفيعًا يومَ القيامَةِ»..... ٣٩١
الحديث الخامس والثلاثون: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَّتْ عَلَيْهِ المَلائِكَةُ مَا صَلَّى عَلَيَّ فليكثر عَبْد أَو ليقل»..... ٣٩١
الحديث السادس والثلاثون: «مَن صَلَّى عليَّ يوم الجمعة ثمانين مرَّة غَفَر اللهُ له ذنوبَ ثمانين سنة»..... ٣٩٢

الحديث السابع والثلاثون: «من كتبَ عنِّي علمًا فكتبَ معه صلاةً عليَّ لم يزلْ في أجرٍ ما قُرِئَ ذلك الكتابُ» ٣٩٢
الحديث الثامن والثلاثون: «مَن صلَّىٰ صلاةً لم يصلِّ فيها عليَّ وعلىٰ أهلِ بيتي لم تُقبلْ منه» ٣٩٢
الحديث التاسع والثلاثون: «من صلَّىٰ عليَّ في كتاب لم تزل الملائكةُ تصلِّي عليه ما دام اسْمِي في ذلك الكتاب» ٣٩٢
الحديث الأربعون: مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ عَشْرًا...» .. ٣٩٣
الحديث الحادي والأربعون: «من قال: اللهمَّ صلِّ علىٰ محمدٍ وأنزلْه المقعدَ المقرب عندك يومَ القيامة وجبَتْ له شفاعتي» ٣٩٣
الحديث الثاني والأربعون: حديث أبيِّ بن كعب فقلت: يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟ ٣٩٣
الحديث الثالث والأربعون: «...شقي عبدٌ ذكرتَ عنده فلم يُصَلِّ عليك، فقلت: آمين» ٣٩٤
المُبشِّرات ٣٩٥
كيفية الصلاة علىٰ النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ٤١٤
خاتمة الكتاب ٤٢٣

٥- نَقْدُ قَصِيدَةِ البُرْدَةِ

قصيدة البردة من أبدع ما نظم في المديح النبوي ٤٢٧
كلام المصنف علىٰ أربعة أبيات في البردة ٤٢٧
أول الأبيات ٤٢٧

ثاني الأبيات..... ٤٢٨
ثالث الأبيات..... ٤٣٠
رابع الأبيات..... ٤٣١
ختام الرسالة..... ٤٣٤

٦- إرشادُ الطَّالبِ النَّجِيبِ إلي ما في المَوْلد النبويِّ مِن الأكاذيب

تمهيد..... ٤٣٧
مقدمة..... ٤٣٩
الذين كتبوا في المولد النبويِّ، أفسدوا مؤلَّفاتِهم بأمرين..... ٤٣٩
طهارةُ نسَبِ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم..... ٤٤١
تقدُّم نُبوَّته صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم..... ٤٤٢
ذكر ما يستفاد من حديث: إنِّي عند الله في أمِّ الكتاب لخاتمُ النبيِّين وإنَّ آدمَ لمنجدلٌ في طِينتهِ...»..... ٤٤٣
بشريَّة النبيّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم..... ٤٤٦
بيان الأحاديث المكذوبة..... ٤٤٧
تنبيه علىٰ حديثٍ موضوعٍ جاء في "الخصائص الكبرىٰ"..... ٤٥٢
خاتمة..... ٤٥٥
في ذكر أحاديث لا أصل لها أو موضوعة..... ٤٥٥
فهرس الموضوعات..... ٤٦١

موسوعة

العلامة المحدث المتفنن

سيدي الشريف عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري الحسيني

(١٣٢٨ - ١٤١٣هـ) رحمه الله تعالى

قدم لها

الشريف الدكتور

عبد المنعم بن عبد العزيز بن الصديق

إشراف

الدكتور محمود سعيد بن محمد ممدوح

المجلد العاشر

أصول الفقه - الفقه الإسلامي

موسوعة

العلامة المحدث المتفنن

سيدي الشريف عبد الله بن محمد الصديق الغماري الحسني

(١٣٢٨ - ١٤١٣هـ) رحمه الله تعالى

(١٠)

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية
عام / ١٤٣٨

قام بطباعتها وإخراجها: مركز البحوث والدِّراسات
بكُليَّة الصَّفا الإسلاميَّة بماليزيا

يطلب من:

دار السَّلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

جمهورية مصر العربية: القاهرة – الإسكندرية.
الإدارة: القاهرة ٤٠ شارع أحمد أبو العلا – المتفرِّع من شارع نور الدين بهجت – الموازي لامتداد شارع مكرم عبيد – مدينة نصر.
هاتف: ٢٢٨٧٣٢٤٦ - ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ (٢٠٢+)
فاكس: ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢+)
البريد الإلكتروني: info@dar-alsalam.com
موقعنا على الإنترنت: www.dar-alsalam.com

المجلد العاشر: أصول الفقه - الفقه الإسلامي

أولًا: أصول الفقه

يحتوي على:

١ - ذَوْقُ الحَلاوَةِ ببيانِ امْتِناعِ نَسْخِ التِّلاوَةِ.

٢ - فَتْحُ الغَنيِّ الماجِدِ ببيانِ حُجِّيَّةِ خَبَرِ الواحِدِ.

٣- القَوْلُ الجَزْل فيما لايُعْذَرُ فيه بالجهْلِ.

٤ - إتقانُ الصِّنعةِ في تحقيق معنىٰ البِدْعَةِ.

٥ - حُسْنُ التفهُّمِ والدَّرْكِ لمسئلةِ التَّرْكِ.

ثانيًا: الفقه الإسلامي

يحتوي على:

٦ - الأدلَّةُ الرَّاجِحَةُ علىٰ فرْضِيَّة قِراءَةِ الفاتحةِ.

٧- الحُجَّةُ المُبَيِّنةِ لفهم عبارة المُدَوَّنَةِ.

٨- كَشْفُ أنواعِ الجهلِ فيما قيل في نُصْرَةِ السَّدْل.

٩- الرَّأيُ القَويمُ في وجُوبِ إتمامِ المُسافِرِ خَلْفَ المُقِيمِ.

١٠ - الصُّبْحُ السَّافِر في تحرير صَلاة المُسَافِر.

١١ - إزالةُ الالتباسِ عمَّا أخطأ فيه كثيرٌ مِن النَّاسِ.

١٢ - القولُ السَّديدُ في حُكْمِ اجْتماعِ الجُمُعَةِ والعيدِ.

١٣ - إسماعُ الصُّمِّ لاثباتِ تحريمِ غُسْلِ الابن للأمِّ.

١ - ذَوْقُ الحَلَاوَةِ

ببيانِ امْتِنَاعِ نَسْخِ التِّلاوَةِ

مقدمة

الحمد لله المُنعم الوهَّاب، الرَّحيم التوَّاب، وفَّق مَن شاء لاقتناص شَوارد الفوائد، وألهمه فابتكر من المعاني الفرائد، وقيَّد من أوابد القواعد ما خفي أو استعصىٰ علىٰ العلماء الأماجد.

والصَّلاة والسَّلام علىٰ سيِّدنا محمَّد كريم الخِصال والشَّمائل، الذي أُعطي مِن المزايا والفضائل، ما لم يُعطَ للأواخِر ولا الأوائل، والرِّضا عن آله الأكرمين، وصحابته والتابعين.

أما بعد: فهذا بحثٌ لم أُسبق -والحمد لله- إليه، ولا غُلبتُ -والمنَّة لله- عليه، وهو يتعلَّق بنسخ تلاوة آيةٍ من القرآن، أي: نسخ لفظها بعد أن كانت من القرآن، فلا تبقىٰ قرآنًا. وهذا هو ما خالفتُ فيه علماء الأصول قاطبةً، ومعهم المُتخَصِّصون في علوم القرآن الكريم. وكتبتُ هذا الجزء لبيان ما ذهبتُ إليه، والاحتجاج له بدلائل قطعيَّةٍ، لا تُبقي شكًّا في صحَّة قولي، ولو تَفَطَّن لها المُتقدِّمون ما عَدَلوا عنها.

ويحسن أن نستشهد بقول ابن مالكٍ رحمه الله تعالىٰ: «وإذا كانت العلوم مِنحًا إلهيَّةً، ومواهب اختصاصيَّةً، فغير مُستبعَدٍ أن يُدَّخَر لبعض المتأخِّرين ما عَسُر فهمه علىٰ كثيرٍ من المتقدِّمين».

وسأذكر فيه بحول الله مسائل تفرَّدتُ بها أيضًا، ومن الله أستمدُّ الإعانة والتوفيق.

الفقير إليه تعالىٰ

عبدالله بن محمَّد بن الصِّدِّيق الغُمَاريُّ

حقيقة النَّسخ

لفظ النَّسْخِ له ثلاثةُ مَعَانٍ:

١ - **النقل**، يقال: نَسَخْتُ الكتاب: أي نقلتُ ما فيه، ومنه قول الله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩].

٢ - **الإزالة ببدل**، يقال: نَسَخَت الشمسُ الظلَّ: أي أزالته وحلَّت بدله.

٣- **الإزالة بدون بدل**، يقال: نَسَخَت الريحُ الأثرَ، أي أزالته ولم تَبْقَ هي أيضًا.

هذه معاني النسخ في اللغة العربية.

وأمَّا معناه في عُرْف علماء الشريعة، فاختلفوا في تحديده على أقوال، استعرضها الشوكانيُّ مع ما أورد عليها في "إرشاد الفحول"، ثُمَّ اختار في تحديده قوله: «**النسخ**: دفع حُكْمٍ شرعيٍّ بمثله مع تراخيه عنه».

ونُبيِّن هذا الحدَّ بمثال: استقبال بيت المقدس كان شرطًا في الصَّلاة، وبعد ستة عشر شهرًا من الهِجْرة نُسخ باستقبال الكعبة، لقول الله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٤٤].

جواز النسخ ووقوعه

لا خلاف بين العلماء في جواز النسخ ووقوعه أيضًا، ولم يُخالِف في ذلك أحدٌ يعتد بخلافه.

وليس كُلُّ خِلافٍ جاءَ مُعْتَبرًا ... إلَّا خِلافٌ له حَظٌّ مِن النَّظَرِ

وأيُّ خلافٍ يُعتبَر بعد ثبوت نسخ القِبْلة بالقرآن؟!

حِكمة النسخ في الأحكام

لا يدخل النسخ في جميع الأحكام، وإنما يدخل في بعضها، وهو: الوجوب، والتحريم، والإباحة.

ودخول النسخ في هذه الأحكام ضروريٌّ لا بد منه، بسبب تطوُّر الأمم، وتدلِّيها أو ترقِّيها، ولكلِّ جيلٍ أو أمَّةٍ أحكامٌ تناسب حالها ومجتمعها، وفي التوراة والإنجيل أحكامٌ وتشريعاتٌ نسخها الله في شريعتنا؛ لأنها كانت تناسب مجتمع الإسرائيلين في ذلك العهد، واستنفذت أغراضها، فلم تعد تناسب عصرنا وأمَّتنا، ولهذا قال الله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

ومن حِكَمِ النَّسخ في شرعنا: تدرُّجٌ بالمكلَّفين من حسنٍ إلى أحسن، وانتقالٌ بهم من حُكْمٍ وقتيٍّ إلى حكمٍ دائمٍ ملائمٍ لجميع الأزمان والأشخاص والمجتمعات.

فلهذه الحِكَم وغيرها نسخ الله بعض الأحكام في أوقات متتابعة، حتى نزل في حَجَّة الوداع قول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]فكان الإسلام دين البشرية عامَّة لاشتماله على تشريعات لا يوجد ما يماثلها، فضلًا على أن يكون أرقى منها.

أقسام النسخ

قَسَّم العلماء النسخ الواقع في القرآن إلى ثلاثة أنواعٍ:

١- نسخ معنى الآية دون لفْظِها، أي نسخ الحُكْم الذي دلَّت عليه، فهو المراد بالمعنى، وهو الذي قدَّمنا أنه ضروريٌّ، وبيَّنا بعضَ حِكَمه آنفًا.

٢- نسخ لفظ الآية ومعناها، ومعنى نسخ لفظها إبطال كونها من القرآن وحرمة وتلاوتها.

٣- نسخ لفظ الآية وبقاء معناها أي إسقاط لفظها وتلاوتها، مع بقاء حكمها.

هل تُنسخ التلاوة؟

قال الآمديُّ في "الأحكام": «اتفق العلماء على جواز نسخ التِّلاوة دون الحُكْم، وبالعكس، ونسخهما معًا، خلافًا لطائفةٍ شاذَّةٍ من المعتزلة، ويدل على ذلك العقل والنقل؛ **أمَّا العقل**: فهو أنَّ جواز تلاوة الآية حُكْمٌ، ولهذا يُثاب عليها بالإجماع، وما يترتَّب عليها من الوجوب والتحريم وغير ذلك حُكْمٌ، وإذا كانا حُكْمين جاز أن يكون إثباتهما مصلحةً في وقتٍ، ومَفْسَدةً في وقتٍ، وألَّا يكون إثبات أحدهما مصلحةً مطلقًا، وإثبات أحدهما مصلحةً في وقتٍ، دون وقتٍ، وإذا كان كذلك، جاز دفعهما معًا، ودفع أحدهما دون الآخَر».

ثُمَّ ذكر في دليل النقل، بعض الآثار التي تدل على أنَّ جملًا من الكلام، كانت قرآنًا ثُمَّ رفعت قرآنيَّتها وسنذكرها بحول الله.

وكلام الغزاليِّ في "المستصفى"، يوافق كلام الآمديِّ، وكذا كلام البزدويِّ الحنفيِّ أيضًا، واستدلَّ شارحه علاء الدين البخاريُّ لكلامه بقوله: «فمثل

صحف إبراهيم فإنَّا قد علمنا حقيقة أنها كانت نازلة، تقرأ ويعمل بها، قال الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾ [الأعلىٰ: ١٨ - ١٩] ثُمَّ نُسِخت أصلًا، ولم يبقىٰ شيءٌ من ذلك بين الخَلْق، تلاوةً ولا عملًا، فلا طريق لذلك سوىٰ القول بانتساخ التلاوة والحكم فيما يحتمل ذلك بصرفها عن القلوب أي برفعها عنها، أو هو من مقلوب الكلام أي بصرف القلوب عنها أي عن حفظها».اهـ

وفي هذا الاستدلال نظرٌ؛ لأن الصُّحُف ومثلها التوراة والكتب المنزَّلة قبل القرآن، لم يرفعها الله من كلامه، وإنما نسخت أحكامها، أمَّا ألفاظها، فهي من كلام الله، ورفعها من القلوب لا يدل علىٰ نسخ لفظها، بدليل أنَّ الله عاب علىٰ اليهود تحريف الكَلِمِ عن مواضِعِهِ، ولو كان لفظها نُسِخَ لما عابهم علىٰ تحريفه.

أمثلة لما قيل بنسخ تلاوته

وهي دليل النقل الذي استدلَّ به مُجيزو نسخ التلاوة بنوعيه وقد نقل الحافظ السيوطيُّ منها جملةً وافرةً في كتاب "الإتقان"، وأنا أذكرها محذوفة الأسانيد؛ لأنها علىٰ فرض صِحَّتها لا تقوم بها حُجَّةٌ في هذا الموضوع الخطير.

ففي "صحيح مسلم" عن عائشة قالت: كان فيما أنزل: «عَشْرُ رَضَعَاتٍ مَعْلُوماتٍ يُحَرِّمنَ، فنُسِخْن بخَمْسٍ مَعْلُوماتٍ، فتوفِّي رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وهُنَّ ممَّا يُقرأ مِن القرآن». وهو مِن أفراد مسلمٍ، وعزاه السيوطيُّ للشيخين فوَهِم.

وفي "الصحيحين" في قصة أصحاب بئر معونة الذين قُتلوا: وقنت

رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يدعو علىٰ قاتليهم، قال أنسٌ: «ونزل فيهم قرآنٌ قرآناه حتَّىٰ رُفِع: أن بَلِّغوا عَنَّا قومنا أنا لَقِينا ربَّنا فرضِيَ عَنَّا وأرضانا».

وروىٰ أحمد والترمذيُّ والحاكم عن أُبيِّ بن كعبٍ قال: إنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال لي «**إنَّ اللهَ أَمَرني أن أقْرأَ عليك القرآن**» قال فقرأ: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [البينة: ١] قال: نقرأ فيها: «**ولو أنَّ ابن آدمَ سأَلَ واديًا مِن مالٍ فأُعْطِيه، لسأل ثانيًا، ولو سأل ثانيًا فأُعْطِيه لسأل ثالثًا، ولا يملأ جوفَ ابن آدمَ إلَّا الترابُ، ويتوب الله على مَن تاب، وأنَّ ذات الدِّين القَيِّم عندالله الحَنِيفِيَّة، غير المُشْرِكة، ولا اليهوديَّة ولا النصرانيَّة، ومَن يفعل خيرًا فلن يُكْفَرَهُ**». وهو في "الصحيحين" عن أنسٍ، ليست فيه هذه الزيادة.

وروىٰ الطبرانيُّ في "الأوسط" بإسنادٍ فيه راوٍ متروكٌ، عن ابن عمر، قال: قرأ رجلان سورة أقرأهما رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إيَّاها، فكان يقرآن بها، فقاما ذات ليلة يُصَلِّيان، فلم يقدرا منها علىٰ حرفٍ، فأصبحا غاديين علىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فذكرا ذلك له، فقال: «**إنها ممَّا نُسِخ ونسي، فالهوا عنها**».

وروىٰ أحمد، والنَّسائيُّ، عن زِرٍّ قال: قال لي أُبيُّ بن كعبٍ: كأيِّن تقرأ (سورة الأحزاب)؟ أو كأيِّن تعدُّها؟ قال: قلت: ثلاثًا وسبعين آيةً، فقال: أقطُّ؟ لقد رأيتها وإنها لتُعادِل (سورة البقرة)، ولقد قرأنا فيها: «الشيخ والشيخة إذا زَنَيا فارْجُموهما البَتَّة نَكَالًا مِن الله، والله عزيزٌ حكيمٌ».

قال ابن كثيرٍ: «وهذا إسنادٌ حسنٌ، وهو يقتضي أنه قد كان فيها قرآنٌ ثُمَّ

نُسخ لفظه وحُكْمُه أيضًا».اهـ

وروى أبو عبيد في "الناسخ والمنسوخ" بإسناد فيه ابن لَهِيعة، عن عروة بن الزبير، عن عائشة قالت: «كانت سورة الأحزاب تُقرأ في زمن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مائتي آية، فلما كتب عثمان المصاحف لم يقدر منها إلَّا ما هو الآن». عنعنه ابن لَهِيعة، وهو مدلِّسٌ.

وروى الحاكم عن حذيفة قال: «ما تقرؤن ربعها». يعني سورة براءة.

وروى أبو عبيد عن أبي واقد الليثيِّ قال: كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إذا أوحي إليه أتيناه، فعلَّمنا ممَّا أوحي إليه، فجئتُ ذات يوم فقال: «**إنَّ الله يقول: إنَّا أنزلنا المالَ لإقامة الصَّلاة وإيتاء الزَّكاة، ولو أنَّ لابن آدم واديًا لأحبَّ أن يكون إليه الثاني، ولو كان إليه الثاني لأحبَّ أن يكون إليهما الثالث، ولا يملأ جوف ابن آدمَ إلَّا الترابُ، ويتوبُ اللهُ على مَن تابَ**». وفي سنده راوٍ مختلفٌ فيه.

وروى أيضًا عن أبي موسى الأشعريِّ قال: نزلت سورةٌ نحو (براءة) ثُمَّ رُفعت، وحُفظ منها: «إنَّ الله سيؤيِّد هذا الدِّين بأقوامٍ لاخَلَاق لهم، ولو أنَّ لابن آدم واديين مِن مالٍ لتمنَّى لهما ثالثًا...» إلخ.

وروى ابن أبي حاتمٍ عن أبي موسى أيضًا قال: كنَّا نقرأ سورةً شبَّهها بإحدى المُسَبِّحات، نسيناها، غير أنِّي حفظتُ منها: «يا أيُّها الذين آمنوا لا تقولوا ما لا تفعلون فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة».

وروى أبو عبيدٍ عن عديٍّ بن عديٍّ قال: قال عمر: «كنَّا نقرأ: لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفرٌ بكم»، ثُمَّ قال لزيد بن ثابت: «أكذلك؟» قال: «نعم». فيه انقطاعٌ.

وروى أبو عبيد عن المِسْور بن مَخْرمة قال: قال عمر لعبدالرحمن بن عوف: «ألم تجد فيما أُنزل علينا: أن جاهدوا كما جاهدتم أوَّل مرَّة؟» فإنا لا نجدها؟ قال: «أُسقطت فيما أُسقط من القرآن».

وروى أبو عبيدٍ أيضًا عن أبي سفيان الكلاعي: أنَّ مسلمة بن مَخْلدٍ الأنصاريَّ، قال لهم ذات يومٍ: أخبروني بآيتين في القرآن، لم تُكتبا في المصحف؟ فلم يخبروه، فقال: «إنَّ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، ألَا أبشروا أنتم المُفلحون. والذين آووهم ونصروهم وجادلوا عنهم القوم الذين غضب الله عليهم أولئك لا تعلم نفسٌ ما أخفي لهم من قُرَّة أعين جزاءً بما كانوا يعملون».

وروى أبو عبيدٍ أيضًا عن ابن عمر قال: لا يقولنَّ أحدكم: قد أخذتُ القرآن كلَّه، وما يدريه ما كله؟ قد ذهب منه قرآنٌ كثيرٌ، ولكن ليقل: قد أخذتُ منه ما ظهر.

وروى أيضًا عن حميدة بنت أبي يونس قالت: قرأ عليَّ أبي وهو ابن ثمانين سنةً، في مصحف عائشة: «إنَّ الله وملائكته يصلون على النبيِّ يا أيها الذين آمنوا صلُّوا عليه وسلِّموا تسليمًا، وعلى الذين يصلُّون الصفوف الأول». قالت: «قبل أن يُغيَّر عثمان المصاحف». وحميدة وأبوها مجهولان.

وقال ابن المنادي في "الناسخ والمنسوخ": «وممَّا رفع رَسْمُه من القرآن، ولم يرفع من القلوب حفظه: سورة القنوت في الوتر، وتسمَّى سورة الحَفْد والخلع». وابن المنادي حافظٌ كبيرٌ، وهو تلميذ أبي داود.

فهذه الآثار هي الدليل النقلي الذي تمسَّك به القائلون بنسخ التلاوة.

وحكىٰ القاضي أبو بكر الباقلَّاني في كتاب "الانتصار" عن قومٍ إنكار هذا النوع من النسخ؛ لأن الأخبار فيه أخبار آحاد، ولا يجوز القطع علىٰ إنزال قرآنٍ ونسخه بأخبار آحاد لا حُجَّة فيها.

وهذا صحيحٌ، وأقول زيادة عليه وإضافة إليه: إنَّ نسخ التلاوة، يقضي العقل باستحالته، وهذا ما لم يتفطَّن إليه أحدٌ ممن قالوا بالجواز، بل بنوا كلامهم علىٰ أنَّ رسم الآية في المصحف حكمٌ، وتلاوتها حكمٌ، فيجوز نسخها كما يجوز نسخ الحكم الذي دلَّت عليه بلفظها. وغفلوا عما قرَّروه: أنَّ مِن الأحكام ما لا يجوز نسخه، وهذا منها.

الأسباب التي اقتضت امتناع نسخ التلاوة

والأسباب التي اقتضت امتناع نسخ التلاوة، هي:

١- أنه يستلزم البَدَاء، وهو ظهور المصلحة في حذف الآية بعد خفائها، وهو في حقِّ الله محالٌ، وما أبدوه من حِكْمةٍ في جوازه مجرَّد تمحُّل وتكلُّف لا يدفع المُحال.

٢- أنَّ تغيير اللفظ بغيره أو حذفه بجملته إنما يُناسب البشر لنقصان علمه وعدم إحاطته، ولا يليق بالله الذي يعلم السِّرَّ وأخفىٰ، فإنا نرىٰ الكاتب البليغ والخطيب المُفوَّه ينشيء موضوعًا يتأنَّق فيه، ثُمَّ يعيد نظره عليه فيجد أنَّ بعض كلماته وجُمله يجب أن يحذف وبعضها يجب أن يغيَّر بما هو أفصح منه أو أوفق أو أليق.

٣- أنَّ ما قيل: أنه كان قرآنًا ونسخ لفظه، لا نجد فيه أسلوب القرآن ولا

طلاوته ولا جَرْس لفظه.

٤- أنَّ منه ما يخالف أسلوب القرآن قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢] قال العلماء: قُدِّمت الزانية في الذِّكْر للإشارة إلىٰ أنَّ الزِّنا منها أشدُّ قبحًا، ولأنَّ الزِّنا في النِّساء كان فاشيًا عند العرب، لكن إذا قرأت: «الشيخ والشيخة إذا زَنَيا»، وجدت الزَّاني مُقدَّمًا في الذِّكْر، علىٰ خلاف الآية، وهذا يقتضي أنَّ تقديم أحدهما كان مصادفة لا لِحِكْمة، وهذا لا يجوز؛ لأن المُقرَّر المعلوم أنَّ ألفاظ القرآن الكريم موضوعةٌ وضعًا حكيمًا، بحيث لو قُدِّم أحدهما عن موضعه أو أُخِّر اختلَّ نظام الآية.

٥- أنه ورد في سبب نسخ هذه الجملة من القرآن أخبارٌ منكرةٌ، نبيِّن ما فيها باختصار:

في "صحيح البخاري": «باب الاعتراف بالزِّنا»، وذكر عن ابن عباسٍ قال: قال عمر: «لقد خشيت أن يطول بالناس زمانٌ حتىٰ يقول قائلٌ: لا نجد الرَّجْم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضةٍ أنزلها الله، ألَا وإنَّ الرَّجْمَ حَقٌّ علىٰ مَن زنىٰ وقد أُحصن».

ولم يروِ البخاريُّ قول عمر: «وقد قرأناها: الشيخ والشيخه إذا زَنَيا..» إلخ. قال الحافظ: «ولعلَّ البخاري تركها عمدًا».اهـ **قلت**: وقد أصاب.

ومن الرِّوايات المنكَرة، ما رواه النَّسائيُّ: أنَّ مروان بن الحكم قال لزيد بن ثابت: ألا تكتبها في المصحف؟ قال: لا، ألا ترىٰ الشابَّين الثيِّبين يُرجمان؟! وهذه نكارةٌ واضحةٌ، كيف يترك زيدٌ آية الرَّجم لأنها تخالف حكم الشابَّين

المُحصَنين؟!

رواية أخرى منكَرةٌ، روىٰ الحاكم عن كثير بن الصلت قال: كان زيد بن ثابت وسعيد بن العاص يكتبان المصحف، فمرَّا علىٰ هذه الآية فقال زيدٌ: سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**الشيخُ والشَّيْخَةُ إذا زَنَيا فارْجُموهما البتَّة**»، فقال عمر: لمَّا نزلت أتيت النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقلت: أكتبها؟ فكأنه كره ذلك، فقال عمر: ألا ترىٰ أنَّ الشيخ إذا زنىٰ ولم يحصن جلد، وأنَّ الشاب إذا زنىٰ وقد أحصن رُجِم.

قال الحافظ ابن حجرٍ: «فيستفاد من هذا الحديث السبب في نسخ تلاوتها، لكون العمل علىٰ غير الظاهر من عمومها».اهـ

قلت: فيه نكارتان:

إحداهما: كراهة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لكتابة آية الرَّجْمِ، وكيف يكره كتابة آية أنزلت عليه؟!

والأخرى: قول عمر: «ألا ترىٰ أنَّ الشيخ إذا زنىٰ ولم يحصن جلد..» إلخ. كيف يعترض عمر علىٰ آيةٍ يعتقد أنها أنزلت من عندالله؟!

وقول الحافظ: «يستفاد من هذا الحديث السبب في نسخ تلاوتها لكون كثيرة العمل علىٰ غير الظاهر من عمومها». سهوٌ منه رحمه الله، ففي القرآن عموماتٌ كثيرةٌ لم ينسخ لفظها مع أنَّ عمومها غير مراد، ولكن بيَّن المراد منها بمخصِّصات في القرآن أو الحديث، ولم يكن الله ليحذف آيةً من القرآن بسبب اعتراض بعض المكلَّفين عليها، فهذه النكارات تؤيد أنَّ آية الرَّجْمِ لم تكن من

القرآن قطُّ، وسمَّيناها آيةً تجوُّزًا، وإلَّا فهي حديثٌ على أكثر تقدير.

(تنبيه): روى عبدالرزاق في "المصنَّف" قول عمر في آية الرَّجْم كما رواه غيره، وزاد عقبة: وقال الثوريُّ: «بلغنا أنَّ ناسًا من أصحاب النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كانوا يقرءون القرآن أصيبوا يوم مسيلمة، فذهبت حروف من القرآن».اهـ

وهذا منكرٌ جدًّا، ولا بُدَّ أنَّ الذي بلَّغه لسفيان الثوريِّ شيطانٌ تمثَّل في صورة إنسان، أو يهوديٌّ ادَّعى الإسلام، وإني لأعجب من سفيان الثوريِّ - رحمه الله- كيف راج عليه هذا الكذب المفضوح وهو يقرأ قول الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

٦- أنَّ تلك الجُمَل التي كانت من القرآن فيما قبل، جاءت مقتطعة، لا رابط يربطها بآيات القرآن الكريم، ولم يقولوا لنا أين كان موضعها في المصحف الشريف.

٧- إذا قرأت خواتيم (سورة البقرة) وخواتيم (سورة آل عمران)، وما فيها من دعاءٍ وتوجُّه إلى الله بأسلوب في نهاية البلاغة، ووازنته بما قيل إنها كانت سورة الحَفْد، وجدت الفرق بينهما بعيدًا جدًّا، هو الفرق بين كلام الله، وكلام البشر؛ لأن قنوت الحَفْد من إنشاء عمر رضي الله عنه.

٨- تقرَّر في علم الأصول أنَّ القرآن لا يثبت إلَّا بالتواتر، وما لم يتواتر لا يكون قرآنًا، والكلمات التي قيل بقرآنيتها ليست بمتواترة، فهي شاذَّةٌ، والشاذُّ ليس بقرآنٍ ولا تجوز تلاوته.

٩- أنَّ السُّنَّة النبوية وقع فيها نسخ المعنى أي الحكم كما وقع في القرآن الكريم، ولم يثبت عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنه رجع عن لفظٍ من ألفاظ حديثه، أو بدَّله بغيره، أو قال للصحابة عن حديث: لا تحفظوه فقد نسخت لفظه، أو رجعت عنه، فلا تُبلِّغوه عني. لم يثبت هذا عنه أصلًا، بل صحَّ عنه من طُرُقٍ بلغت حَدَّ الاستفاضة والشهرة، أنه قال: «**نضَّر اللهُ امْرَءًا سَمِعَ مقالتي فوعاها، فأدَّاها كما سمعها، فرُبَّ حامِل فقهٍ غير فقيهٍ، وربَّ حامل فقهٍ إلى من هو أفقه منه**».

وإذا كان الأمر كذلك، فكيف يجوز أن يُنسب إلى الله تعالى رجوعه عن لفظ آيةٍ، أو نسخ تلاوته؟!

إشكال

يلزم القائلين بنسخ التلاوة إشكالٌ خطيرٌ لو فطنوا له لعدلوا عن قولهم، وأنا أبيِّنه بعد تقديم مقدِّمة تُمهِّد لبيانه:

عرَّف أهل الأصول الحكم الشرعيَّ بأنه: «خطاب الله المُتعلِّق بفعل المُكَلَّف». وخطاب الله كلامه، وهو قديمٌ، وإنما توجَّه إلى المكلَّفين بعد وجودهم بشروط التكليف، بأن يفعلوا كذا ويجتنبوا كذا.

ومعنى نسخه: أنَّ الله أسقط عنهم العمل به، مع أنه لا يزال كلام الله، ولا يزال حكمه، وإنما بطل تعلُّقه بنا، وأبدلنا الله به حكمًا آخَر، يليق بضعفنا، أو يكون أكثر ثوابًا لنا.

إذا تمهَّد هذا فأقول: معنى نسخ التلاوة عند القائلين به: أنَّ الله أسقط الآية

المنسوخة من القرآن، وهذا خطيرٌ جدًّا؛ لأن كلام الله قديمٌ، وكيف يعقل أن يُغيِّر الله كلامه القديم بحذف آياتٍ منه؟! وما القول في هذه الآيات المنسوخة؟ هل يقال كانت من كلام الله، والآن ليست منه؟!

وكيف يجوز هذا والله تعالى يقول: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ٦٤] إشكالٌ لا سبيل إلى حلِّه.

الجواب عن آيتين

تقرَّر في علم الأصول أنَّ ظواهر النصوص تُؤوَّل لتوافق الدليل العقليَّ؛ لأن الظواهر تقبل التأويل، وتأويلها لا يلزم عنه خَلَلٌ في مدلولها إذا كان جاريًا على نهج اللغة وقواعدها، بخلاف ما دلَّ عليه العقل واقتضاه ضرورة أو نظرًا، فإنه لا يدخله احتمال، ولذلك لايقبل تأويلًا ولا تخصيصًا.

وقد ثبت بما ذكرناه من الأدلة استحالة نسخ تلاوة آيةٍ من القرآن، فوجب تأويل آيتين، قد يتوهَّم بعض الناس أنهما تفيدان بما قضي العقل باستحالته.

الأولى: قول الله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البقرة: ١٠٦].

روى أبو داود في "الناسخ"، وابن جريرٍ، وابن أبي حاتمٍ في "تفسيرهما" عن مجاهدٍ، عن أصحاب ابن مسعودٍ في قوله: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾: نُثبت خطَّها ونُبدِّل حكمها، ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾: نؤخِّرها عندنا.

ورواه ابن جريرٍ عن ابن أبي نَجِيحٍ، عن أصحاب ابن مسعودٍ كذلك.

وروى ابن جريرٍ عن ابن عباسٍ، والسُّدِّي وغيرهما في قوله: ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾: «أو نتركها لا نبدِّلها».

قال ابن جريرٍ: «يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ إلى غيره فنبدِّله ونُغيِّره، وذلك أن يُحوِّل الحلالَ حرامًا، والحرامَ حلالًا، والمباح محظورًا والمحظور مباحًا، ولا يكون ذلك إلَّا في الأمر والنهي، والحظر والإطلاق، والمنع والإباحة، فأمَّا الأخبار فلا يكون فيها ناسخٌ ولا منسوخٌ».اهـ

ومعنى الآية: ﴿مَا نَنسَخْ﴾ من حكم ﴿ءَايَةٍ﴾ فنبدِّله بغيره ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ أونتركها فلا نغيِّر حكمها، وكذلك قراءة «نُنسِأها» معناها: نؤخِّرها فلا نُغيِّر حكمها، والمؤخَّر متروكٌ ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾للمكلَّف، إن كان خفيفًا فخيريته بسهولته، وإن كا ن شديدًا فخيريته بكثرة ثوابه.

فالنسخ والترك لحكم الآية وأُسند في الظاهر إلى الآية لأنها أصله وهو مدلولها، وهذا نوعٌ من الإيجاز المعروف في القرآن.

ونظيره قول الله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]أي أهلها. وهذا الذي قررناه، هو المتعيِّن، لا يجوز غيره.

وما رُوي عن الصحابة والتابعين من حمل النسخ في الآية على نسخ اللفظ والتلاوة، يردُّه أمران:

أحدهما: ما بينَّاه من استحالة ذلك.

والآخر: بقيَّة الآية، فإنَّ قوله تعالى: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ يعيِّن إرادة الحكم،

لأن ألفاظ القرآن وآياته بالنسبه للمكلَّفين سواء، تلاوة حرف منها بعشرة حسنات كما في الحديث، ولكن الأحكام تتفاوت، فالحكم السهل خير للمكلَّف من الحكم الصعب، والحكم الكثير الصواب خيرٌ للمكلَّف من الحكم القليل الثواب.

وأمر ثالث يردُّ ذلك التفسير: وهو أنَّ اليهود لعنهم الله حسدوا المسلمين حين حوَّلهم الله من بيت المقدس إلى الكعبة، وهم يعلمون أنها قبلة إبراهيم عليه السَّلام، فقالوا: إنَّ محمدًا يأمر أصحابه بشيءٍ ثُمَّ ينهاهم عنه، فنزلت الآية ردًّا عليهم، ونزل في حقِّهم أيضًا قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١٤٢]

فكان اعتراضهم على تبديل حكمٍ بحكمٍ. ومعرفة سبب نزول الآية يُعين على فهمها، ويرجِّح أحد محتملاتها على غيره.

الآية الآخرى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ١٠١]. وهذه الآية مكِّيَّة نزلت للردِّ على المشركين.

قال البغويُّ في "تفسيره": «﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾ يعني: وإذا نسخنا حكم آيةٍ فأبدلنا مكانه حكمًا آخر ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ أعلم بما هو أصلح لخلقه، فيما يبدِّل ويغيِّر من أحكامه ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ

أَنتَ ﴾ يا محمد ﴿مُفۡتَرٍ﴾ مُختلِق، وذلك أنَّ المشركين قالوا: إنَّ محمدًا يسخر بأصحابه يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غدًا، ما هو إلَّا مُفْتَرٍ يتقوَّله من تِلْقاء نفسه ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ حقيقة القرآن، وبيان الناسخ والمنسوخ».

فالآية نزلت مثل سابقتها، في الردِّ على من أنكر نسخ الأحكام، فعقَّب هذه الآية بجملة: ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ لأن المنكرين أميون، ولم يعقِّب آية (البقرة) بمثل هذه الجملة، لأن المنكرين هناك أهل كتاب، وهم أهل علم.

وإلى هنا انتهى ما أردت تقريره وتحريره، ولم أرد استيفاء الكلام على النسخ، فإن ذلك يُطلب من كتب الأصول.

ولا بأس أن نورد مسائل، لا توجد في غير هذا الكتاب.

ما ينسخ من الأحكام

الحكم الشرعيُّ ينقسم إلى خمسة أنواعٍ:

الواجب: هو ما يُثاب فاعله، ويُعاقب تاركه.

والمندوب: وهو ما يُثاب فاعله، ولا يُعاقب تاركه.

والحرام: وهو ما يُعاقب فاعله، ويُثاب تاركه.

والمكروه: وهو ما يُثاب تاركه، ولا يُعاقب فاعله.

والمباح: وهو ما ليس في فعله أو تركه ثوابٌ أو عقابٌ.

والذي يدخله النسخ من هذه الأنواع ثلاثة:

الواجب، والحرام، والمباح.

أمَّا المندوب فلا يدخله نسخٌ؛ لأنه فضيلةٌ والفضائل لا تُنسخ، فإن ادَّعىٰ أحدٌ في مندوبٍ أنه نسخ فهو مخطئ.

والمكروه لا يُنسخ أيضًا؛ لأنه يقابل المندوب، فهو تابعٌ له.

ومن الفضائل التي لا تنسخ، خصائص النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وفضائله التي أعطاها الله له، في نفسه أو في أمَّته.

قد ينسخ الحكم مرَّتين

نكاح المتعة أُبيح وحُرِّم مرَّتين أو ثلاثًا، ثُمَّ حُرِّم آخر مرة تحريمًا مؤبَّدًا إلي يوم القيامة.

روىٰ الحازميُّ في كتاب "الاعتبار" حديث ابن مسعودٍ، قال: كنَّا نغزو مع رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وليس معنا نساء، فأردنا أن نختصي فنهانا عن ذلك رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، ثُمَّ رخَّص لنا أن ننكح المرأة إلىٰ أجلٍ بالشيء.

وهو في "الصحيحين" وعقب عليه بقوله: «وهذا الحكم كان مباحًا مشروعًا في صدر الإسلام وإنما أباحه النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم للسبب الذي ذكره ابن مسعودٍ، وإنما كان ذلك يكون في أسفارهم، ولم يبلغنا أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أباحه لهم وهم في بيوتهم، ولهذا نهاهم عنه غير مرةٍ، ثُمَّ أباحه لهم في أوقاتٍ مختلفةٍ حتىٰ حرَّمه عليهم في آخر أيامه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وذلك في حَجَّة الوداع، وكان تحريم تأبيدٍ لا تأقيت».اهـ

فعُلِم من هذا: أنَّ كلًّا من المباح والحرام قد ينسخ أكثر مِن مرَّةٍ.

الواجب إذا نسخ لا يعود واجبًا

أمَّا الواجب فلا ينسخ إلَّا مرة واحدة، وإن كان تعدُّد نسخه جائزًا كالمباح والحرام، لكنه لم يقع، وإليك أمثلة من ذلك:

- قيام الليل كان واجبًا ثُمَّ نُسخ.
- الوضوء لكلِّ صلاةٍ كان واجبًا ثُمَّ نُسخ
- صيام عاشوراء كان واجبًا ثُمَّ نُسخ.
- مُصابرة المسلم لعَشَرةٍ من الكفَّار كانت واجبةً ثُمَّ نُسخ وجوبها.

وهكذا من تتبَّع فروع الشريعة لم يجد واجبًا نُسخ ثُمَّ أُعيد وجوبه مرة أخرى.

وحكمة ذلك: أنَّ الوجوب إلزام المكلَّف بالفعل، والإلزام شديدٌ على النفس ولو بالشيء اليسير، ونسخه: إسقاطه، وهو تخفيفٌ، والتخفيف فضلٌ من الله لا يليق به أن يعود فيه.

ومن هنا أخطأ من أوجب ركعتين في السَّفَر مستندًا إلى قول عائشة: «فرضت الصلاة ركعتين فأُقِرَّت صلاة السفر، وزيد في صلاة الحضر ركعتين».

مع أنه صحَّ في الحديث أنَّ الصلاة فرضت ليلة الإسراء أربع ركعاتٍ، وعلى القول بأنها فرضت ركعتين فإنها تمَّت أربعًا بعد الهجرة بشهر، كما جاء عن عائشة نفسها، ثُمَّ في السنة الرابعة من الهجرة شرعت صلاة السَّفَر على سبيل الرخصة بقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾ [النساء: ١٠١]، وقال النبيُّ صلَّى الله عليه

وآله وسلَّم: «إنَّ اللهَ وَضَعَ عن المُسافِرِ الصَّومَ وشَطْرَ الصَّلاة». أي: نصفها.

فكانت الركعتان في السَّفَر مندوبةً لا واجبة، والنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أتمَّ في السَّفَر، لبيان أنَّ القصر ليس بواجبٍ.

أمَّا الحرام فإنَّ مدلوله المنع من الفعل أي تركه، والترك أي عدم الفعل هو الأصل، فلذا تعدَّد نسخه لحكمة اقتضت ذلك. هذا وبالله التوفيق.

تمَّ تحريرًا صباح يوم الأحد ١٢ من شعبان سنة ١٤٠١هـ والحمد لله ربِّ العالمين.

فائدةٌ مُهِمَّةٌ نفيسةٌ

قال علماء الأصول والمعاني: الخبر: ما احتمل الصدق والكذب لذاته.

وهذا التعريف ذكره أهل المنطق أيضًا، وهو مُسلَّم عندهم لم يختلفوا فيه. ولكن العلامة المحقِّق أبو القاسم ابن الشاط أبدى عليه اعتراضًا وجيهًا صحيحًا، فنذكره ليُستفاد:

عرَّف الشهاب القرافيُّ في "الفروق" الخبر بالتعريف المذكور، وقال في محترزاته: «وقولنا: لذاته، احتراز من تعذُّر الصدق أو الكذب فيه لأجل المخبِر به -بكسر الباء- أو المخبَر عنه -بفتحها- فالأول كخبر الله تعالى أو رسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أو خبر مجموع الأمة فإنه لا يقبل الكذب، والثاني كقولنا: الواحد نصف الاثنين فإنه لا يقبل الكذب، أو الواحد نصف العشرة فإنه لا يقبل الصِّدق، ولكن جميع هذه الإخبارات بالنظر إلى ذاتها مع قطع النظر عن المخبِر به أو المخبَر عنه، تقبلهما من حيث هي أخبار».اهـ

وقال العلامة ابن الشاط: «الصحيح حدُّ الخبر أو رسمه بأنه: قولٌ يلزمه الصِّدق أو الكذب، فإنه لا ينفك عن ذلك البته».

وكتب على قول القرافيِّ: «ولكن جميع هذه الإخبارات بالنظر إلى ذاتها تقبلها من حيث هي إخبار» ما نصُّه: «هذا الذي ذكره من قبول الخبر الصدق أو الكذب من حيث هو خبر مقتضاه أنَّ خبر الله تعالى من حيث هو خبر يقبل الكذب لذاته، وما هو ذاتيٌّ لا يتبدَّل، وهذا ليس بصحيحٍ، بل خبر الله تعالى لا يصح أن يكون كذبًا ولا يصح أن يقبل الكذب، وكذلك قول القائل: الواحد نصف الاثنين لا يصح أن يكون كذبًا ولا يصح أن يقبل الكذب، وليس الخبر بالنسبة إلى قبول الصِدْق والكذب كالجوهر بالنسبة إلى قبول السواد والبياض وسائر الألوان، فإنَّ الخبر: الأظهر أنه لا يعرى البتَّة عن أن يكون صِدْقًا أو كذبًا فما ثبت صدقه لا يصح كذبه بعد، وما ثبت كذبه لا يصح صدقه بعد لاستحالة ارتفاع الواقع.

والجوهر إما أن يكون عروة جائزًا وإما ممتنعًا وإما مشكوكًا على حسب اضطراب الناس في ذلك، وما ثبت سواده يصح بياضه بعد، وما ثبت بياضه يصح سواده بعد».اهـ

وهو تحقيقٌ بالغٌ، وفيه إشارة إلى ما في كلام الجمهور من تناقضٍ لم ينتبهوا له، فإن قولهم: خبر الله مقطوعٌ بصدقه وهو بالنظر إلى ذاته يحتمل الكذب -أي يقبله- تناقضٌ صريحٌ إذ كيف يكون الخبر صادقًا، وهو في الوقت نفسه يحتمل الكذب ويقبله؟! هذا غير معقولٍ ولا مقبولٍ.

وما أشار إليه العلامة بقوله: «والجوهر إمَّا أن يكون عروة جائزًا...»إلخ. يقصد به الخلاف في الجوهر هل يجوز خلوه عن الأعراض أو لا يجوز؟.

وفي "جمع الجوامع" مع شرحه للمحلِّي: «ويمتنع خلو الجوهر مفردًا كان أو مركبًا عن جميع الأعراض بأن لا يقوم به واحد منها، بل يجب أن يقوم به عند وجوده شيء منها، لأنه لا يوجد بدون التشخص، والتشخص إنما هو بالأعراض».اهـ

وهذه المسألة مبسوطة بأدلتها في كتابَي: "الطوالع" و"المواقف" وشروحهما.

والخلاصة من هذه الفائدة تنحصر فيما يأتي:

١- تعريف الخبر بأنه قول يلزمه الصدق أو الكذب، وهو لا يخلو عن أحدهما، فإمَّا أن يكون صادقًا أو كاذبًا.

٢- الخبر الصادق لا يحتمل الكذب ولا يقبله، والخبر الكاذب لا يحتمل الصدق ولا يقبله؛ لأن ما ثبت صدقه لا يجوز كذبه، وما ثبت كذبه لا يجوز صدقه.

٣- تعريف الخبر بأنه ما يحتمل الصدق والكذب لذاته غير صحيحٍ، يلزم منه أنَّ خبر الله أو خبر رسوله يحتمل الكذب لذاته، وهذه عظيمةٌ من العظائم، نسأل الله السلامة منها، وبالله التوفيق.

٢- فَتْحُ الغَنيِّ المَاجِدِ
ببيانِ حُجِّيَّةِ خَبَرِ الوَاحِدِ

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على أشرف المرسلين، سيِّدنا محمَّدٍ وآله الأكرمين، ورضي الله عن صحابته والتَّابعين.

أما بعد: فهذا بحثٌ في وجوب العمل بخبر الآحاد" أسأل الله أن يجعله خالصًا له، وبالله التوفيق.

تعريف خبر الآحاد

الخبر إن كان له طرقٌ كثيرةٌ غير محصورةٍ في عددٍ مُعيَّنٍ بحيث يستحيل في العادة أن يتواطئوا على الكذب، أو يحصل منهم مصادفة، فهو المتواتر المفيد للعلم الضَّروريِّ، وإن كان له طريقٌ واحدٌ، أو طرقٌ محصورةٌ فهو خبر الآحاد، ويعنينا منه مسألتان:

المسألة الأولى

هل يفيد العلم أو الظنَّ فقط؟!

اختلف العلماء في ذلك على مذاهب يمكن تلخيصها فيما يلي:

١- **أنَّه يفيد العلم**: قال ابن حزمٍ في "الأحكام": «قال أبو سليمان -يعني داود الظَّاهريَّ- والحسين بن عليٍّ الكرابيسيُّ والحارث بن أسد المُحاسبي وغيرهم: أنَّ خبر الواحد العَدْل عن مثله إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يوجب العَلْم والعمل معًا، وبهذا نقول».اهـ

وقد ذكر هذا القول أحمد بن إسحاق -المعروف بابن خويزمنداد- عن مالك بن أنسٍ.

وقال به أيضًا الإمام أحمد بن حنبلٍ، نقله عنه السُّبكي في "جمع الجوامع"، والشوكاني في "إرشاد الفحول".

٢- **يفيد الظنَّ**: نقله السُّبكيُّ في "جمع الجوامع" عن الأكثر، ونقله ابن حزمٍ في "الأحكام" عن الحنفيَّة والشافعيَّة وجمهور المالكيَّة وجميع المعتزلة والخوارج.

٣- **يفيد العلم بالقرينة لا بنفسه**: وهو قول الآمديِّ وابن الحاجب،

واختاره السُّبكيُّ في "جمع الجوامع".

٤- **الخبر المستفيض يفيد العِلْم النَّظريَّ**: حكاه السُّبكيُّ في "جمع الجوامع" عن الأستاذ أبي إسحاق الإسفراينيِّ وابن فُورك.

٥- **يفيد العَلْم الظَّاهر**: حكاه الغزاليُّ في "المستصفى" عن بعضهم(١) ويحسن أن أورد عبارة الغزاليِّ لبسطاتها ووضوحها، قال في الكلام على الأخبار ما لفظه: «مسألة: اعلم أنَّا نُريد بخبر الواحد في هذا المقام ما لا ينتهي من الأخبار إلى حدِّ التَّواتر المفيد للعلم، فما نقله جماعةٌ من خمسةٍ أو ستةٍ مثلًا فهو خبر الواحد، وأمَّا قول الرسول -عليه الصلاة السَّلام- ممَّا علم صحَّته فلا يسمَّى خبر الواحد، وإذا عرفت هذا فنقول: خبر الواحد لا يفيد العِلْم، وهو معلومٌ بالضَّرورة، فإنَّا لا نُصدِّق بكلِّ ما نسمع ولو صدَّقنا وقدَّرنا تعارض خبرين فكيف نصدِّق بالضدين؟ وما حُكي عن المحدِّثين من أنَّ ذلك يوجب العِلْم، فلعلَّهم أرادوا أنَّه يفيد العلم بوجوب العمل، إذ يسمَّى الظنُّ عَلْمًا، ولهذا قال بعضهم: يورث العلم الظَّاهر، والعلم ليس له ظاهرٌ وباطنٌ، وإنَّما هو الظنُّ.

ولا تمسُّك لهم في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ﴾ [الممتحنة: ١٠]وأنَّه أراد الظَّاهر؛ لأنَّ المراد به: العلم الحقيقي بكلمة الشَّهادة التي هي ظاهر الإيمان دون الباطن الذي لم يكلَّف به، والإيمان باللِّسان يُسمَّى إيمانًا مجازًا.

ولا تمسُّك لهم في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]

---

(١) هو أبو بكر القَفَّال كما في "إرشاد الفحول".

وأنَّ الخبر لو لم يُفد العلم لما جاز العمل به؛ لأنَّ المراد بالآية منع الشَّاهد عن جزم الشَّهادة إلَّا بما يتحقَّق».اهـ

وقول الغزالي: «فإنَّا لا نصَدِّق بكلِّ ما نسمع، ولو صدَّقنا وقدَّرنا تعارض خبرين فكيف نُصَدِّق بالضدَّين؟». هذا دليل الجمهور لقولهم: أنَّ خبر الواحد يفيد الظَّن. وحاصله أن يقال: لو أفاد خبر الواحد العلم لأدىٰ إلىٰ التناقض، إذا أخبر عَدْلان بخبرين متناقِضَين كما يحصل في تعارض البيِّنتين، ووجود تعارض بين خبرين يفيدان العلم يستلزم ثبوت الواقع وعدم ثبوته، وهو محالٌ فثبت أنَّ خبر الواحد يُفيد الظَّن.

وأمَّا القائلون بأنَّ خبر الواحد يفيد العلم، فاستدلوا لقولهم: بأنَّ الإجماع حاصلٌ علىٰ وجوب العمل بخبر الواحد، ولو لم يفيد العلم لما وجب العمل به بل يحرم؛ لأنَّ الله تعالىٰ ذمَّ الظنَّ بقوله سبحانه: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ [الأنعام: ١١٦]فثبت أنَّه يفيد العلم.

وأجاب الجمهور: بأنَّ الآية مخصوصةٌ بأصول الدِّين -أي العقائد- فإنَّها يجب أنْ تُبنَىٰ علىٰ العلم، ولا يجوز العمل فيها بالظنِّ.

وسياق الآية يُفيد ذلك، فإنَّها سِيقَت لذمِّ المشركين الذين يسمُّون الملائكة باسم الإناث، ويزعمونهنَّ بنات الله تعالىٰ. أمَّا فروع الدِّين: فالعمل فيها بالظَّنِّ واجبٌ، ألا ترىٰ أنَّه يجب العمل بظاهر الكتاب -مع أنَّه مظنون- لاحتماله التأويل.

واستدل ابن حزمٍ لإفادة خبر الواحد العِلْمَ بدليلٍ آخَر فقال: أخبر الله

تعالىٰ بأنَّ كلام نبيِّه في الدِّين كله وحيٌ ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣ – ٤]، والوحي ذِكرٌ منزَّلٌ بلا خلافٍ بين أهل اللُّغة والشريعة، وقد وعد الله بحفظ الذِّكر في قوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، فجميع الذِّكر محفوظٌ من الضياع بوعد الله الصَّادق، ولو كان خبر الواحد يفيد الظنَّ لزم عليه أنَّ بعض الذِّكر ضاع أو احتمل الضياع، فيتخلَّف وعد الله، وتخلُّف وعد الله محالٌ، فثبت أنَّ خبر الواحد يُفيد العلم.

واستدلَّ الآمديُّ وابن الحاجب لقولهما: بأنَّ رجلًا لو أخبر بموت ولده المشرف علىٰ الهلاك، ورأيناه أحضر الكَفَنَ والنَّعْش، وسمعنا البكاء من بيته، قطعنا بصحَّة خبره لاحتفافه بالقرائن.

واختار الحافظ ابن حجرٍ هذا القول، وجعل الخلاف بينه وبين قول الجمهور لفظيًّا وعبارته في "النخبة" وشرحها: «وقد يقع فيها أي: أخبار الآحاد المنقسمة إلىٰ مشهورٍ وعزيزٍ وغريبٍ ما يفيد العلم النظريَّ بالقرائن علىٰ المختار خلافًا لمن أبىٰ ذلك. والخلاف في التحقيق لفظيٌّ؛ لأنَّ من جوَّز اطلاق العلم قيَّده بكونه نظريًّا، وهو الحاصل عن الاستدلال، ومن أبىٰ الإطلاق خصَّ لفظ العلم بالمتواتر وما عداه عنده كله ظنيٌّ، لكنَّه لا ينفي أنَّ ما احتفَّ بالقرائن أرجح ممَّا خلا عنها».اهـ

(**تنبيه**): تقدَّم في عبارة الغزالي قوله: «وأمَّا قول الرسول –عليه الصَّلاة السَّلام– ممَّا علم صحَّته فلا يسمَّىٰ خبر الواحد».اهـ

أشار به إلىٰ أنَّ قول المعصوم الذي دلَّت المعجزة علىٰ صدقه، يُسمَّىٰ خبر

حُجَّة ودليلًا وبرهانًا، يجب على من علمه أن يقبله بدون توقُّفٍ كما يجب قبول أي دليلٍ نقليٍّ أو عقليٍّ، أمَّا خبر الواحد فلا يُقال إلَّا على خبر غير المعصوم كصحابيٍّ أو تابعيٍّ أو راوٍ من رواة الأحاديث.

والحديث النبويُّ: يُسمَّى خبر آحادٍ باعتبار وصوله إلينا عن طريق رواةٍ لم يصلوا إلى حدِّ التواتر.

المسألة الثانية

خبر الآحاد حُجَّةٌ يعمل به في بابَي الفتوى والشَّهادة بدليل الإجماع. حكاه الإمام الرَّازي في "المحصول"، والسُّبكي في "جمع الجوامع" فيجب العمل بما يفتي به المُفتي من الأحكام، ويجب على القاضي أن يحكم بشهادة الشَّاهد العَدْل أو الشَّاهدين العَدْلين.

أمَّا بقيَّة الأبواب الفقهيَّة من عباداتٍ ومعاملاتٍ، فالعمل فيها بخبر الآحاد واجبٌ لأدلَّة كثيرةٍ من الكتاب والسُّنَّة، ولإجماع الصَّحابة على قبوله والعمل به.

قال البخاريُّ في "الصحيح": «باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصَّدُوق في الأذان والصَّلاة والصَّوم والفرائض والأحكام، قول الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١٢٢]الآية، ويُسمَّى الرَّجل طائفةً لقوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾ [الحجرات: ٩]. فلو اقتتل رجلان دخل معنى الآية، وقوله تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾ [الحجرات: ٦]، وكيف بعث النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم

أمراءه واحدًا بعد واحدٍ، فإن سها أحدٌ منهم رُدَّ إلى السُّنَّة».اهـ كلامه.

وقال الغزاليُّ في "المستصفى": «الصَّحيح الذي ذهب إليه الجماهير من سلف الأُمَّة من الصَّحابة والتَّابعين والفقهاء والمتكلِّمين: أنَّه لا يستحيل التعبُّد بخبر الواحد عقلًا ولا يجب التعبُّد به عقلًا، وأنَّ التعبُّد به واقعٌ سمعًا، وقال جماهير القدريَّة ومن تابعهم من أهل الظَّاهر كالقاشاني: بتحريم العمل به سمعًا. ويدلُّ على بطلان مذهبهم مسلكان قاطعان:

أحدهما: إجماع الصَّحابة على قبول خبر الواحد.

والثاني: تواتر الخبر بإنفاذ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الولاة والرُّسل إلى البلاد وتكليفه إيَّاهم تصديقهم فيما نقلوه من الشَّرع».اهـ

وفي هذا الكلام إجمالٌ لأدلَّة العمل بخبر الواحد، ويمكن تفصيلها بتقسيمها إلى ثلاثة أنواعٍ:

١- القرآن.

٢- السُّنَّة.

٣- إجماع الصَّحابة.

ولما كانت حُجِّيَّة خبر الواحد أصلًا من الأصول، أحببت أن أبسط الكلام على هذه الأدلَّة حسب ترتيبها المذكور.

الدليل من القرآن

أمَّا القرآن فيدلُّ منه على حُجِّيَّة خبر الواحد آياتٌ:

الآية الأولى: قول الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

قال الإمام الرَّازي في "التفسير": «هذه الآية حُجَّةٌ قويَّةٌ لمن يرى أنَّ خبر الواحد حُجَّةٌ، وقد أطنبنا في تقريره في كتاب "المحصول" والذي نقوله منها: أنَّ كلَّ ثلاثةٍ فرقةٌ، وقد أوجب الله تعالى أن يخرج من كلِّ فرقةٍ طائفةٍ، والخارج من الثلاثة يكون اثنين أو واحدًا، فوجب أن تكون الطَّائفة إمَّا اثنين وإمَّا واحدًا، ثمَّ إنَّه تعالى أوجب العمل بإخبارهم؛ لأنَّ قوله: ﴿وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ﴾ [التوبة: ١٢٢]عبارة عن إخبارهم، وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢] إيجابٌ على قومهم أن يعملوا بأخبارهم، وذلك يقتضي أن يكون خبر الواحد أو الاثنين حُجَّةً».

وقال ابن حزمٍ في "الأحكام": «أوجب الله تعالى على كلِّ فرقةٍ قبول نِذارة النَّافر منها، بأمره النَّافر بالتفقُّة وبالنِّذارة، ومن أمره الله تعالى بالتفقُّه في الدِّين وإنذار قومه فقد انطوى في هذا الأمر إيجابُ قبولِ نذارته على من أمره بإنذارهم، والطَّائفة في لغة العرب يقع على الواحد فصاعدًا، وطائفةٌ من الشَّيء بمعنى بعضه، هذا ما لا خلاف بين أهل اللغة فيه، وإنَّما حدَّ مَن حدَّ في قوله تعالى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢] أنَّهم أربعة، لدليل ادَّعاه، وكان بذلك ناقضًا لمعهود اللغة، ولم يدَّعِ قطُّ قائلٌ ذلك القول أنَّ الطَّائفة في

اللغة لا تقع إلَّا على أربعة، والذي يتلخَّص من هذين النصَّين أنَّ الآية تدلُّ على حُجِّيَّة خبر الواحد من جهتين:

١- أنَّ الطَّائفة حقيقةٌ في الواحد فما زاد، والمراد بها هنا: واحدٌ أو اثنان؛ لأنَّ الفرقة ثلاثة.

٢- أنَّ أمر الطَّائفة بالتفقُّه والإنذار يتضمَّن إيجاب قبول نذارتها، ويرشِّح هذا الإيجاب قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]؛ ولأنَّه لو لم يجب قبول الإنذار لم يكن في الأمر به فائدةٌ.

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ﴾ [الحجرات: ٦] الآية.

وجه الدلالة منها: أنَّ الله تعالى أوجب التثبُّت في خبر الفاسق، وذلك يقتضي أنَّ خبر العدل واجبُ القبول.

قال الإمام الرازيُّ في "التفسير": «تمسَّك أصحابنا في أنَّ خبر الواحد حُجَّةٌ، فقالوا: عُلِّلَ الأمر بالتوقُّف بكونه فاسقًا، ولو كان خبر الواحد العدل لا يُقبل، لما كان للترتيب على الفاسق فائدة، وهو من باب التمسُّك بالمفهوم».اهـ

وهو مفهوم المُخالفة، وأورد ابن حزمٍ في "الأحكام" هذه الآية بجانب الآية الأولى، وعلَّق عليها بقوله: «لا يخلو النَّافر للتفقُّه في الدِّين من أن يكون عَدْلًا أو فاسقًا، ولا سبيل إلى قسمٍ ثالثٍ، فإن كان فاسقًا فقد أمرنا بالتبيُّن في أمره وخبره من غير جهته، فأوجب ذلك سقوط قبوله، فلم يبقَ إلَّا العدل

فكان هو المأمور بقبول نذارته، وهذا برهانٌ ضروريٌّ لا مَحِيدَ عنه، وقد توَّهم من لا يعلم أنَّا إنَّما أوجبنا قبول خبر العدل من قوله تعالىٰ: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ﴾ [الحجرات: ٦] فقط، وقد أغفل من تأوَّل علينا ذلك ولو لم تكن إلَّا هذه الآية وحدها، لما كان فيها ما يدلُّ علىٰ قبول خبر العدل، ولكن استفاضت هذه الآية التي فيها المنع من قبول خبر الفاسق إلىٰ الآية التي فيها قبول نذارة النَّافر للتفقُّه، فصارتا مقدِّمتين أنتجَتَا قبول خبر الواحد العدل دون الفاسق بضرورة البرهان».اهـ

وحاصل كلامه أنَّه استدل بالآيتين علىٰ قبول خبر الواحد العدل بطريقة التقسيم الحاصر.

الآية الثالثة: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟﴾ [البقرة: ١٥٩ – ١٦٠] الآية.

قال الإمام الرازيُّ: «من النَّاس من يحتجُّ بهذه الآيات في قبول خبر الواحد، فقال: دلَّت هذه الآيات علىٰ أنَّ إظهار هذه الأحكام واجبٌ، ولو لم يجب العمل بها لم يكن إظهارها واجبًا، وتمام التقرير فيه قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟﴾ [البقرة: ١٦٠]فحكم بوقوع البيان بخبرهم».اهـ

وفي "صحيح البخاريِّ": عن أبي هريرة قال: إنَّ النَّاس يقولون أكثر أبو هريرة، ولولا آيتان في كتاب الله ما حدَّثت حديثًا، ثمَّ تلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ

يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ [البقرة: ١٥٩]، إلى قوله: ﴿ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٠].

الآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]. قال بعض الأئمَّة: كان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رسولًا إلى النَّاس كافَّةً ويجب عليه تبليغهم بنصِّ هذه الآية، فلو كان خبر الواحد غير مقبولٍ لتعذَّر إبلاغ الشَّريعة إلى الكلِّ ضرورة، لتعذُّر خطاب جميع النَّاس شفاهًا، وكذا تعذَّر إرسال عدد التواتر إليهم».اهـ

قال الحافظ ابن حجرٍ: «وهو مَسْلكٌ جيدٌ».اهـ

الدليل من السنة

وأمَّا السُّنَّة، فأحاديث كثيرة جدًّا زادت على حدِّ التواتر المقرَّر، وروتها كتب السِّيرة وكتب الحديث المختلفة، وتداولها العلماء بالدرس والتحصيل، حتى قال الحافظ ابن حزمٍ في "الأحكام": «إنَّ بَعْثَ النَّبيِّ رسولًا إلى كلِّ جهةٍ من الجهات القريبة أو البعيدة، كاليَمَن ونجران والبحرين وغيرها مشهورٌ بنقل التواتر من كافر ومؤمن لا يشكُّ فيها أحدٌ من العلماء ولا من المسلمين».اهـ

وسأحاول تتبُّع تلك الأحاديث من مصادرها الصَّحيحة وأستوفيها حسب استطاعتي:

١- روى البخاريُّ في "صحيحه" عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما «أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بَعَثَ بِكِتَابِهِ إِلَى كِسْرَى – مع عبدالله ابن حذافة السهميِّ- فأمَرَهُ أن يَدْفَعَه إلى عَظِيمِ البحرين، فدفَعَهُ عَظِيمُ البحرين إلى كِسْرَى، فلمَّا قرأه مَزَّقَهُ، فدعا عليهم رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أن يُمَزَّقُوا كُلَّ مُمَزَّقٍ».

وروى مسلمٌ في "صحيحه" عن أنسٍ رضي الله عنه قال: إنَّ نبيَّ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كَتَبَ إلى كِسْرَى وإلى قَيْصَرَ وإلى النَّجَاشِيِّ وإلى كُلِّ جَبَّارٍ عنيدٍ، يَدْعُوهُمْ إلى الله تعالى، وليس بالنَّجَاشِيِّ الذي صلَّى عليه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

٢- ثبت في "الصحيحين" عن ابن عباسٍ «أنَّ أبا سفيان بن حربٍ أخبره مِن فِيهِ إلى فيَّ قال: انطلقتُ في المُدَّة التي كانت بيني وبين رسول الله صلَّى الله

عليه وآله وسلَّم، قال: فبينما أنا بالشَّام، إذ جِيءَ بكتابٍ مِن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إلىٰ هِرَقْلَ عَظِيم الرُّوم، قال: وكان دِحْيَةُ جاء به فدفعه إلىٰ عَظِيم بُصْرَىٰ، فدفعه عَظِيمُ بُصْرَىٰ إلىٰ هِرَقْل» وذكر قصة إرسال هرقل إلىٰ أبي سفيان، وسؤاله عن النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وهرقل هو قيصر.

٣- روىٰ الطبرانيُّ في "المعجم الكبير" عن المِسْوَر بن مَخْرمة قال: خرج رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ أصحابه فقال: «**إنَّ اللهَ بَعَثَني رحمةً للنَّاسِ كافَّة فأدُّوا عَنِّي رحمكم الله**». فبعث عبدالله بن حُذافة إلىٰ كِسْرَىٰ، وبعث سَلِيط بن عمرٍو إلىٰ هوذة بن عليٍّ صاحب اليمامة، وبعث العلاء بن الحَضْرميِّ إلىٰ المُنذِر بن سَاوَىٰ صاحب هَجَر، وبعث عمرو بن العاص إلىٰ جَيْفَر وعبدٍ ابني الجَلنديِّ مَلِكي عمان، وبعث دِحْية الكَلْبيِّ إلىٰ قَيْصَر، وبعث شجاع بن وهب الأسديُّ إلىٰ ابن أبي شِمْرٍ الغسَّانيِّ، وبعث عمرو بن أميَّة الضَّمْريُّ إلىٰ النَّجَاشِيِّ، فرجعوا جميعًا قبل وفاة رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، غير عمرو بن العاص.

قال الحافظ ابن حجرٍ في "فتح الباري": «وزاد أصحاب السِّير أنَّه بعث المُهاجِر بن أبي أميَّة بن الحارث بن عبد كلال وجريرًا إلىٰ ذي الكلاع، والسَّائب إلىٰ مسيلمة، وحاطب بن أبي بلتعة إلىٰ المُقَوْقِس».اهـ

٤- روىٰ أحمد بإسناد صحيح عن مَرْثَد بن ظبيان قال: جاءنا كتابٌ من رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فما وجدنا له قارئًا يقرؤه علينا، حتىٰ قرأه رجلٌ من بني ضُبَيْعَةَ: «من رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إلىٰ بكر بن وائل «**أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا**».

وروى البزَّار وأبو يعلى بإسناد صحيحٍ عن أنسٍ قال: قال: كتب النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى بكر بن وائل: «**أسلموا تسلموا**» فما وجدوا من يقرأه لهم، إلَّا رجلٌ من بني ضُبَيْعَةَ فهم يُسَمَّون بني الكاتب.

يفيد هذان الحديثان أنَّ بكر بن وائل -وهم قبيلة- اعتمدوا في قراءة الكتاب على رجلٍ واحدٍ، وأسلم من أسلم منهم بسبب ذلك، وصار بنو ضُبَيْعة من اليوم يدعون إلى الكاتب، وهو يدلُّ أيضًا على أنَّ بني ضُبَيْعة كانوا يعتمدون على كاتبهم في قراءة ما يحتاجون إليه من رسائل وغيرها.

٥- روى البخاريُّ في "صحيحه" عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لمعاذ بن جبلٍ حين بعثه إلى اليمن: «**إنَّكَ ستأتي قومًا أهل كتابٍ، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلَّا الله وأنَّ محمَّدًا رسول الله، فإن هم أَطَاعُوا لك بذلك فأخبرهم أنَّ الله قد فَرَضَ عليهم خمس صلواتٍ في كُلِّ يوم وليلةٍ، فإن هم أطاعُوا لك بذلك فأخبرهم أنَّ الله قد فَرَضَ عليهم صَدَقَةً تُؤخَذُ مِن أغنيائهم فتُرَدُّ على فقرائهم، فإن هم أطاعُوا لك بذلك فإيَّاك وكَرَائِمَ أموالهم، واتَّقِ دعوةَ المَظْلُومِ فإنَّه ليس بينها وبين الله حِجَابٌ**». ورواه مسلمٌ وأحمد وأبو داود والترمذيُّ وابن خزيمة وغيرهم.

قال الحافظ ابن حجرٍ في "فتح الباري" أثناء الكلام على ما يُستنبط من هذا الحديث: «وفيه بَعْثُ السُّعاة لأخذ الزكاة، وقبول خبر الواحد ووجوب العمل به».اهـ

وقال الإمام النوويُّ في "شرح مسلم" ما نصُّه: «في هذا الحديث قبول خبر الواحد، ووجوب العمل به».اهـ

(تنبيه): وقع هذا الحديث في "صحيح البخاري": عن ابن عباسٍ، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

قال الحافظ ابن حجرٍ: «وكذا في جميع الطُّرُق فهو مِن مُسنَد ابن عباسٍ، لكن قال مسلمٌ في "صحيحه": حدَّثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب وإسحاق بن إبراهيم جميعًا عن وكيعٍ.

قال أبو بكرٍ: حدَّثنا وكيع عن زكريا بن إسحاق، قال: حدَّثني يحيىٰ بن عبدالله بن صيفي، عن أبي معبد، عن ابن عباسٍ عن معاذ بن جبلٍ.

قال أبو بكرٍ: ربما قال وكيعٌ: عن ابن عباسٍ أنَّ معاذًا قال: بعثني رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم».اهـ

فالحديث علىٰ هذه الرِّواية مِن مُسنَد معاذٍ، قال الحافظ ابن حجرٍ: «لكن لم أرَ ذلك في غير رواية أبي بكر بن شيبة، وسائر الرِّوايات أنَّه من مُسنَد ابن عباسٍ، فإنْ ثبتت رواية أبي بكرٍ فهو من مرسل ابن عباسٍ، لكن ليس حضور ابن عباسٍ لذلك ببعيد؛ لأنَّه كان في أواخر حياة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وهو إذ ذاك مع أبويه في المدينة وكان بَعْثُ معاذٍ إلىٰ اليمن سنة عشر قبل حَجِّ النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كما ذكره المُصنِّف في أواخر "المغازي"».أهـ

٦- روىٰ البخاريُّ في "صحيحه" عن أبي بُرْدَةَ قال: بعث رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أبا موسىٰ ومعاذًا إلىٰ اليَمن قال: وبعث كلُّ واحدٍ منهما علىٰ مِخْلافٍ، قال: واليمن مِخْلافان، ثُمَّ قال: «**يَسِّرُا ولا تُعَسِّرُا وبَشِّرا ولا تُنَفِّرا**». فانطلق كلُّ واحدٍ منهما إلىٰ عمله، فجعلا يتزاوران.

قال الحافظ ابن حجرٍ: «المِخْلاف: بكسر الميم وسكون المعجمة، وآخره فاء هو بلغة أهل اليمن، وهو الكورة والإقليم، وكانت جهة معاذٍ العليا إلى صوب عَدَن، وكان في عمله الجَنَد -بفتح الجيم والنون- وله بها مسجدٌ مشهورٌ إلى اليوم وكانت جهة أبي موسى السُّفْلَى».اهـ

وروى البخاريُّ عن أبي موسى الأشعريِّ أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعثه إلى اليمن فسأله عن أشربةٍ تُصنَع بها؟ فقال: وما هي؟ قال: البِتْعُ والمِزْرُ. فقال: «**كلُّ مُسْكِرٍ حَرامٌ**».

٧- روى ابن حِبَّان في "صحيحه" عن ابن عباسٍ، عن عليٍّ رضي الله عنه، قال: بعثني رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم برسالةٍ فقلت: يا رسول الله: تبعثني وأنا غلامٌ حديث السِّنِّ ؟ فأُسأل عن القضاء ولا أدري ما أجيب قال: «**لا بُدَّ مِن ذلك أنْ أذهب بها أنا أو أنت**». فقلتُ: إن كان ولا بُدَّ فأنا أذهب.فقال: «**انطَلِق فإنَّ الله تعالى يُثبِّت لسانك ويَهْدِي قَلْبَكَ**» ثمَّ قال: «**إنَّ النَّاس يتَقَاضُون إليك، فإذا أتاك الخَصْمان فلا تَقْضِي لواحِدٍ حتَّى تسمع كلام الآخَر، فإنَّه أجدر أنْ تَعْلَمَ لمن الحق**».

وروى الحاكم في "المستدرك" عن ابن عباسٍ قال: بعث النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى اليمن عليًّا فقال: «**عِلِّمهم الشَّرائع و اقْضِ بينهم**». فقال: لا عِلْم لي بالقضاء، فدفع في صدره وقال: «**اللَّهمَّ اهْدِهِ للقضاء**». قال الحاكم: حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين.

والرسالة التي أخذها عليٌّ عليه السَّلام كتابٌ من النبيِّ صلَّى الله عليه وآله

وسلَّم إلىٰ هَمْدان، فذهب به عليٌّ وقرأه عليهم فأسلموا جميعًا، فكتب عليٌّ إلىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بإسلامهم. فلمَّا قرأ الكتاب خَرَّ ساجدًا، ثمَّ رفع رأسه، وقال: «**السَّلام على هَمْدان**». رواه الإسماعيليُّ في "مستخرجه" ونقله الحافظ ابن حجرٍ في "فتح الباري".

٨- قال الواقديُّ في كتاب "الرِّدَّة": حدَّثني معاذ بن محمد بن أبي بكر بن عبدالله بن أبي جهم، عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حَثْمَة، قال: بَعَثَ رَسُولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم العلاء بن الحَضرميِّ إلىٰ المُنذِر بن ساوَىٰ العبدِيِّ بالبحرين، لليَالٍ بَقِينَ مِن رجب سنة تِسْعٍ -مُنْصَرِفَه عليه السَّلام مِن تَبُوكَ- وكتَبَ إليه كتابًا فيه: «**بسم الله الرحمن الرحيم، مِن محمَّدٍ رسول الله إلى المُنذِر بن سَاوَى، سَلَامٌ على مَن اتَّبَعَ الهُدَى، أمَّا بعد: فإنِّي أدعوك إلى الإسلام، فأَسْلِمْ تَسْلَمْ، أَسْلِمْ يجعل الله لك ما تَحْتَ يَدَيْك، واعلم أنَّ دِينِي سيَظْهَرُ إلى مُنْتَهَى الخُفِّ والحَافِرِ**". وخَتَمَ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم الكتاب. وخَرَجَ العلاء بن الحَضْرَمِيِّ إلىٰ المُنذِر، ومعه نَفَرٌ: فيهم أبو هريرة، وقال له رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**اسْتَوْصِ بِهِم خَيْرًا**»، وقال له: «**إنْ أجابك إلى ما دَعْوَته إليه، فأقم حتَّى يأتيك أمري، وخذ الصَّدقة مِن أغنيائهم، فرُدَّها في فقرائهم**»، قال العلاء: فاكتب لي يا رسول الله كتابًا يكون معي، فكتب له رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فرائِضَ الإبِلِ، والبَقَرِ، والغَنَمِ، والحَرْثِ، والذَّهَبِ، والفِضَّةِ، علىٰ وجْهِهَا، وقَدِمَ العلاء بن الحَضْرَمِيِّ عليه، فقرأ الكتاب، فقال: أشهد أنَّ ما دَعَا إليه حَقٌّ، وأنَّه لا إله إلَّا الله وأنَّ محمَّدًا عبدالله ورسوله. وأكرم منزله. ورجع العلاء، فأخبر النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله

وسلَّم خَبَرَهُ، فَسُرَّ.

(تنبيه): قال الزُّرقانيُّ في "شرح المواهب": «لم نرَ أحدًا ذكر لفظ كتاب النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى المُنذِر».اهـ

قلت: قد ذكره الواقديُّ كما سبق، ونقله عنه الحافظ الزيلعيُّ في "نصب الرَّاية" (ج ٤ ص ٤١٩).

٩- روى ابن سعدٍ في "الطبقات" عن عمرو بن شعيبٍ، عن مولى لعمرٍو قال: سمعت عمرو بن العاص: أنَّ النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كتب إلى جَيْفَر وعبدٍ ابني الجَلَنْديِّ الأزديِّينِ مَلِكَي عمان وهو: «**بسم الله الرحمن الرحيم مِن محمَّد بن عبدالله إلى جَيْفَر وعبدٍ ابني الجَلَنْدي، سلامٌ على من اتبع الهُدَى، أمَّا بعد: فإنِّي أدعوكما بدِعَاية الإسلام أسْلِما تَسْلَما، فإنِّي رسول الله إلى النَّاس كافَّةً لأُنْذِرَ مَن كان حَيًّا ويَحِقَّ القول على الكافرين، وإنَّكما إن أقْرَرْتما بالإسلام ولَّيتكما، وإن أبيتما أن تُقِرَّا بالإسلام فإن مُلْكَكُما زائلٌ عنكما وخيلي تحل بساحتكما، وتظهر نبوَّتي على مُلْكِكُما**» وكتبه أُبيُّ بن كعبٍ وختم رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الكتاب.

قال عمرو بن العاص: فخرجت حتى انتهيت إلى عمان فقدمت على عبدٍ وكان أسهل الرجلين. فقلت له: إنِّي رسول رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إليك وإلى أخيك، فقال: أخي المقدَّم عليَّ بالسنِّ والمُلْك، أنا أوصلك إليه فيقرأ كتابك. ثُمَّ سألني أين كان إسلامي؟ فقلت له: عند النجاشيِّ. وأخبرته أنَّ النجاشيَّ أسلم. فقال: ما أظنُّ أنَّ هرقل عرف بإسلامه. قلت: بلى عرف. قال من أين لك؟ قلت: كان النَّجاشي يخرج خراجًا فلمَّا أسلم، قال:

والله لو سألني درهمًا واحدًا ما أعطيته، فلما بلغ ذلك هرقل قيل له: أتدع عبدك لا يخرج لك خراجًا ويدين دينًا مُحدَثًا؟ فقال: وما الذي أصنع؟ رجلٌ رغب في دينٍ واختاره لنفسه، والله لولا الضَّن بمُلْكِي لصنعت مثل الذي صنع. فقال: انظر يا عمرو ما تقول؟! إنَّه ليس مِن خصلةٍ في الرَّجُل أفضح له من الكذب. فقلت له: والله ما كذبت، وإنَّه لحرامٌ في ديننا. فقال: وما الذي يدعو إليه؟ قلت: يدعو إلى الله وحده لا شريك له، ويأمر بطاعة الله والبرِّ وصِلَة الرَّحَم، وينهى عن المعصية، وعن الظلم والعُدْوان، وعن الزِّنا وشرب الخمر وعبادة الحَجِر والوَثَنِ والصَّلِيب. فقال: ما أحسن هذا لو كان أخي يتابعني لركبنا إليه حتى نؤمن به، ولكنَّ أخي أضَّنُّ بملكه من أنْ يَدَعه. قلت: إنَّه إن أسلم مَلَّكه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على قومه. قال: ثُمَّ أخبر أخاه بخبري، فدعاني فدخلت عليه ودفعت إليه الكتاب، ففضَّه وقرأه ثُمَّ دفعه إلى أخيه فقرأه مثله، إلَّا أنَّ أخاه أرق منه، وقال لي: ما صنعت قريش؟ قلت: ما منهم أحدٌ إلَّا وأسلم إمَّا راغبًا في الإسلام، وإمَّا مقهورًا بالسَّيف، وقد دخل النَّاس في الإسلام وعرفوا بعقولهم مع هداية الله أنَّهم كانوا في ضلالٍ، وإنِّي لا أعلم أحد بقي غيرك، وأنت إن لم تُسلِّم توطئك الخير وتبيد خضراءك، فأسلم تَسْلَم. قال: دعني يومي هذا. قال: فلما خلا به أخوه، قال: ما الذي نحن فيه؟ وقد ظهر أمر هذا الرجل وكلُّ من أرسل إليه أجابه. قال فلمَّا أصبح أرسل إليَّ وأجاب هو وأخوه إلى الإسلام جميعًا، وخلَّيا بيني وبين الصَّدقة والحكم فيما بينهم، وكانا عونًا لي على من خالفني.

١٠- روى مسلمٌ في "صحيحه" عن أبي بَرْزَةَ رضي الله عنه، قال: بَعَثَ

رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم رجُلًا إلىٰ حيٍّ مِن أَحْيَاءِ العربِ فسَبُّوهُ وضَرَبوه، فجاء إلىٰ رسولِ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فأخبره فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لو أنَّ أهل عُمانَ أَتَيْتَ مَا سَبُّوكَ ولا ضَرَبُوكَ**».

بَعَثَ النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم رسوله إلىٰ حيٍّ من العرب يدعوهم إلىٰ الإسلام فأساءوا استقباله، وهو يدلُّ علىٰ قبول خبر الواحد، وإلَّا لما اكتفىٰ النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم برجلٍ يبعثه، كما يدل علىٰ فضل أهل عمان.

ومثله في ذلك ما رواه أحمد وأبو يعلىٰ عن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**إنِّي لأعلَمُ أرضًا يُقال لها عُمان يَنضحُ بناحيتها البحر، لو أتاهم رسولي ما رموه بسهمٍ ولا حَجَرٍ**».

١١- قال ابن عبدالبر في "الاستيعاب" في ترجمة حاطب بن أبي بلتعة: روىٰ عبدالرحمن بن يزيد بن أسلم عن أبيه قال: حدَّثني يحيىٰ بن عبدالرحمن بن حاطبٍ، عن أبيه، عن جدِّه حاطب بن أبي بلتعة، قال: بعثني رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إلىٰ المُقَوْقِس مَلِك الإسكندرية فجئته بكتاب رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فأنزلني في منزله، وأقمت عنده ليالي، ثُمَّ بعث إليَّ وقد جمع بطارقته، فقال: إنِّي سأكُلِّمك بكلامٍ أحبُّ أن تفهمه منِّي. قال: قلت: هلمَّ. قال: أخبرني عن صاحبك، أليس هو نبيًّا؟ قلت: بلىٰ هو رسول الله. قال: فما له حيث كان هكذا لم يَدْعُ علىٰ قومه حين أخرجوه من بلدته إلىٰ غيرها؟ فقلت له: فعيسىٰ ابن مريم، أتشهد أنَّه رسول الله؟ فما له حيث أخذه قومه فأرادوا صَلْبَه ألا يكون دعا عليهم بأن يُهْلِكهم الله، حتَّىٰ رفعه الله إليه في سماء الدُّنيا. قال: أحسنت أنت حكيمٌ جاء من عند حكيمٍ.

ولفظ كتاب النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إلىٰ المُقَوْقِس مذكورٌ في كتب السيرة ومطبوعٌ علىٰ حِدة، وقد عُدَّ المُقَوْقِس في الصَّحابة.

قال النوويُّ في "تهذيب الأسماءواللغات": وعدَّه أبو نُعيمٍ، وابن مَنْدَه في الصَّحابة وغلط فيه، والصَّحيح أنَّه مات نصرانيًّا.

ورجَّح الحافظ ابن حجرٍ أيضًا في "الإصابة"، أنه مات نصرانيًّا.

١٢- ذكر الواقديُّ أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كتب إلىٰ النَّجَاشِي كتابًا، وأرسله مع عمرو بن أمية الضَّمري، فيه: «**بسم الله الرحمن الرحيم، من مُحَمَّدٍ رسول الله إلى النَّجاشِيِّ مَلِك الحَبَشَة، سلام عليك، فإنِّي أحمد إليك الله، الذي لا إله إلَّا هو، المَلِك القُدُّوس السَّلام المؤمِن المهيمن، وأشهد أنَّ عيسى ابن مريم رُوح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البَتُول فحملت به فخلقه من روحه ونفخه كما خَلَقَ آدمَ بيده، وإنِّي أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته، وأنْ تتَّبعني وتؤمن بالذي جاءني فإنِّي رسول الله، وإنِّي أدعوك وجنودك إلى الله عزَّ وجلَّ، وقد بلَّغْتُ ونَصَحْتُ فاقبلوا نَصيحتي، والسَّلام على مَن اتَّبع الهدى**».

قال: فكتب إليه النَّجاشي: «بسم الله الرحمن الرحيم، إلىٰ محمَّد رسول الله، من أصحمة النَّجاشي، سلامٌ عليك يا نبيَّ الله، مِن الله ورحمة الله، وبركات الله، الذي لا إله إلَّا هو، أمَّا بعد: فقد بلغني كتابك يا رسول الله، فما ذكرت من أمر عيسىٰ، فورب السَّماء والأرض إنَّ عيسىٰ لا يزيد علىٰ ما ذكرت ثُفْرُوقًا، وإنَّه كما ذكرت، وقد عرفنا ما بُعِثتَ به إلينا، وقد قرَّبنا ابن عمِّك وأصحابه، وأشهد أنَّك رسول الله صادقًا مُصَدَّقًا، وقد بايعتك وبايعت ابن عمِّك وأسلمتُ علىٰ

يديه لله ربِّ العالمين».

وثبت في "الصَّحيحين" أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم نعىٰ النَّجاشيَّ للصَّحابة يوم وفاته وخرج بهم إلىٰ المطيِّ فصَلُّوا عليه، رحمه الله ورضي عنه.

ولم يكن صحابيًّا؛ لأنَّه لم يَلْقَ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

١٣- روىٰ ابن إسحاق في "المغازي" عن عمر بن معبد الجُذاميِّ، عن أبيه قال: وفد رفاعة بن زيد الجُذاميُّ علىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فكتب له كتابًا فيه: «**مِن محمَّدٍ رسول الله لرِفاعة بن زيدٍ، أنِّي بعثته إلى قومه عامَّة ومَن دخل فيهم يدعوهم إلى الله وإلى رسوله، فمن آمن ففي حِزْبِ الله وحِزْبِ رسوله، ومن أدْبَر فله أمان شهرين**». فلما قدم علىٰ قومه أجابوه.

١٤- روىٰ الطبرانيُّ عن خالد بن سعيدٍ قال: بعثني النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إلىٰ اليمن فقال: «**مَن مَرَرْتَ به مِن العربِ فسمعتَ فيهم الآذان فلا تعرض له، ومن لم تسمع فيهم الآذان فادعهم إلى الإسلام**».

١٥- ذكر الواقديُّ أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بعث إلىٰ هَوْذَة بن عليٍّ صاحب اليمامة، كتابًا مع سَلِيط بن عمرٍو العامريِّ، فيه: «**بسم الله الرحمن الرحيم مِن محمَّدٍ رسول الله إلى هَوْذَة بن عليٍّ، سلامٌ على مَن اتَّبَعَ الهُدَى. اعْلَم أنَّ ديني سيظهر إلى منتهى الخُفِّ والحَافِر أسْلِمْ تَسْلَم، وأجعل لك ما تحت يديك**».

فلما قدم عليه سَلِيطٍ أنزله وحيَّاه، وقرأ عليه الكتاب، فكتب إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله! وأنا شاعر قومي وخطيبهم، والعرب تهاب مكاني، فاجعل إليَّ بعض الأمر أتبعك». وأجاز سليطًا بجائزةٍ، وكساه أثوابًا من نسج هَجَر.

فقدم بذلك كله على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وأخبره وقرأ عليه كتابه، فقال: «**والله لو سألني سَيابةً من الأرض ما فعلتُ، بَادَ وبَادَ ما في يديه**».

فلمَّا انصرف رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من الفتح جاءه جبريل عليه السَّلام بأنَّ هَوْذَة مات، فقال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم «**أمَّا اليمامة فسيخرج بها كذَّابٌ يتنبَّأ، يُقتَل بها بعدي**» فقال قائلٌ: يا رسول الله مَن يقتله؟ قال: «**أنت وأصحابك**» فكان كذلك.

١٦- روى أبو داود في "سننه" قال: حدَّثنا مسلم بن إبراهيم: حدَّثنا قُرَّة قال: سمعت يزيد بن عبدالله قال: كنَّا بالمِرْبَد فجاء رجلٌ أشعث الرأس بيده قطعة أديمٍ أحمر، فقلنا: كأنَّك من أهل البادية. فقال: أجل. قلنا: ناولنا هذه القطعة الأديم التي في يدك، فناولناها فقرأناها، فإذا فيها: «**مِن محمَّدٍ رسول الله إلى بني زُهير بن أُقْيَش، إنَّكم إنْ شهدتم أنْ لا إله إلَّا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، وأقمتم الصَّلاةَ، وآتيتم الزَّكاةَ، وأدَّيتم الخُمْسَ مِن المَغنَم، وسَهْمَ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وسهم الصفيِّ، أنتم آمنون بأمان الله ورسوله**».

فقلنا: مَن كتب لك هذا الكتاب؟ قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم. أخرجه أبو داود في كتاب الخراج من "سننه" في باب سهم الصفيِّ.

وأخرجه النَّسائي في "سننه" في كتاب قسم الفيء، عن يزيد بن الشِّخِّير قال: بينا أنا مع مُطَرِّفٍ بالمِرْبَد، إذ دخل رجلٌ معه قطعة أديمٍ، فقال: كتب لي هذه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فهل أحدٌ منكم يقرأ؟

قلت: أنا أقرأ فإذا فيها: «**مِن محمَّدٍ لبني زُهير بن أُقْيَش، أنَّهم إنْ شهدوا أنْ لا إله إلَّا الله وأنَّ محمَّدًا رسول الله، وفارقوا المشركين، وأقروا بالخُمس في**

غنائمهم، وسَهْمِ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وصَفِيِّه، فإنَّهم آمنون بأمان الله ورسوله».

وهذا الرجل: هو النمر بن تولب، جاء مصرَّحًا به في رواية ابن قانع في كتاب "الصَّحابة".

وقال المزربانيُّ: كان النمر شاعرًا فصيحًا، وفد على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وكتب له النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كتابًا، ونزل البصرة بعد ذلك.

١٧- روى أصحاب السُّنن الأربعة عن عبدالله بن عُكَيْم عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كتب إلى جُهَيْنَةَ قبل موته بشهرٍ: «**أنْ لا تنْتَفِعُوا من الميْتَةِ بإهَابٍ ولا عَصَبٍ**».

ورواه ابن حِبَّان في "صحيحه": عن عبدالله بن عُكَيم الجُهنيِّ قال: قريء علينا كتاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ونحن بأرض جُهَينة: «**أن لا تَنْتَفِعوا مِن المَيْتة بإهابٍ ولا عَصَبٍ**».

١٨- قال سيف بن عمر الضبيُّ في كتاب "الرِّدَّة": حدَّثنا المستنير ابن يزيد، عن عروة بن غزية الدثني، عن الضَّحاك بن فيروز، عن حشيش الدَّيْلَميِّ قال: قدم علينا وبرة بن يحنس بكتاب النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، يأمرنا فيه بالقيام على ديننا، والنُّهوض في الحرب، والعمل على الأسود الكذَّاب، وذكر قصة قتل الأسود العَنْسِيِّ بطولها، وقال في آخرها: شننَّا الغارة وكتبنا إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالخبر وهو حيٌّ قد أتاه الوحي من

ليلته، وأخبر أصحابه بذلك، وقدمت رسلنا بعده على أبي بكر الصِّدِّيق، فهو الذي أجابنا على كتبنا.

وقصَّة قتل الأسود العَنْسِي المُتنبِّئ الكذَّاب مشهورةٌ في كتب المغازي، وكان قد ظهر باليمن وتغلَّب على صنعاء وقتل عامل النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بها وهو بادام الفارسيُّ.

١٩- روى أبو داود في "سننه" من طريق أبي كَبْشَة السَّلُوليِّ عن سهل ابن الحَنْظَلِيَّة قال: قَدِمَ على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عُيَيْنة بن حصنٍ والأقْرَع بن حابسٍ، فسألاه فأمر لهما بما سألا، وأمر معاوية فكتب لهما بما سألا، فأمَّا الأقرع فأخذ كتابه فلَفَّه في عمامته وانطلق، وأمَّا عُيَيْنة فأخذ كتابه وأتى النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مكانه فقال: يا محمد أتراني حاملًا إلى قومي كتابًا لا أدري ما فيه كصحيفة المُتلَمِّس.

ورواه ابن أبي شيبة من هذا الطريق، وزاد: فأخذ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الصَّحيفة فنظر فيها فقال:«**قد كتب لك بما أمر لك**».

٢٠- روى النَّسائيُّ في "سننه" من طريق الزُّهريِّ عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزمٍ، عن أبيه، عن جدِّه: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كتب إلى أهل اليمن بكتاب فيه الفرائض والسُّنَن والدِّيَات، وبعث به عمرو بن حزم، فقرأت على أهل اليمن هذه نسختها: «**مِن محمَّدٍ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى شُرَحْبيل بن عبد كُلَالٍ، ونُعيم بن عبد كُلَالٍ، والحارث بن عبد كُلَالٍ، قَيْلِ ذي رُعَين ومَعَافِر وهَمْدَان. أمَّا بعد..**» وكان في كتابه: «**أنَّ مَن اعْتَبطَ**

مؤمنًا قتلًا عن بيِّنةٍ فإنَّه قَودٌ، إلَّا أنْ يرضى أولياء المَقتول، وأنَّ في النَّفس الدِّيَة مائةً من الإبل، وفي الأنْفِ إذا أُوعِبَ جَدْعُهُ الدِّيَة، وفي اللِّسان الدِّيَة، وفي الشَّفتين الدِّيَة، وفي البَيْضَتين الدِّيَة، وفي الذَّكر الدِّيَة، وفي الصُّلْب الدِّيَة، وفي العَيْنين الدِّيَة، وفي الرِّجْل الواحدة نصف الدِّيَة، وفي المَأْمُومة ثلث الدِّيَّة، وفي الجائِفَة ثلث الدِّيَة، وفي المُنَقِّلة خمس عشرة من الإبل، وفي كلِّ أصبعٍ من أصابع اليد والرجل عشر من الإبل، وفي السِّنِّ خمسٌ من الإبل، وفي المُوضِحة خمسٌ من الإبل، وأنَّ الرَّجل يُقتل بالمرأة، وعلى أهل الذَّهب ألف دينارٍ».

وهو كتابٌ طويلٌ، روىٰ النَّسائيُّ منه هذا القدر، وروىٰ مالكٌ منه بعض القول أيضًا، وحديث: «أنْ لا يَمَسَّ القرآنَ إلَّا طاهرٌ».

ورواه ابن حِبَّان في "صحيحه"، وذكر منه ما يأتي: «وإنَّ أكبر الكبائر عند الله يوم القيامة الإشراك بالله، وقتل النَّفس المؤمنة بغير الحقِّ، والفِرار في سبيل الله يوم الزَّحْفِ، وعُقوق الوالدين، ورَمْيُ المُحْصَنة، وتعلُّم السِّحْر، وأكلُّ الرِّبا، وأكلُّ مال اليتيم»؛ نقله الحافظ المنذريُّ في "الترغيب والترهيب".

ورواه أبو داود في "مراسيله" فذكر فيه مقادير الزكاة، والدِّيات والكبائر وأحكامًا أخرىٰ، وكذلك رواه الحاكم في "المستدرك" وصحَّحه، ونقل ابن الجوزيِّ في كتاب "التحقيق" أنَّ الإمام أحمد صحَّحه أيضًا، وقال الحافظ يعقوب بن سفيان الفسويُّ: لا أعلم في جميع الكتب المنقولة أصحُّ منه، كان أصحاب النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم والتَّابعون يرجعون إليه ويدعون آرائهم. اهـ من "نصب الرَّاية" (ج٢ ص٢٤٣).

وفي هذا أوضح دليل على وجوب العمل بخبر الواحد، وترك الرَّأي لأجله.

٢١- قال الواقديُّ في كتاب "الرِّدَّة": حدَّثنا محمد بن عبدالله بن كثيرٍ، عن عبدالله بن أبي بكر بن عمرو بن حزمٍ، قال: لَمَّا قَدِمَ وفد كِنْدَة مسلمين أطعم رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بني وَلِيعة أطعمةً من ثمار حضرموت، وجعل على أهل حضرموت نقلها إليهم، وكتب لهم رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بذلك كتابًا، وأقاموا أيامًا ثمَّ سألوا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أن يبعث عليهم رجلًا منهم، فقال: رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لزياد بن لبيد البياضيِّ الأنصاريِّ: «**سِرْ مع هؤلاء القوم، لقد استعملتك عليهم**» فسار زياد معهم عاملًا لرسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على حضرموت على صدقاتها، الخفِّ والماشية والثمار والكراع والعشور، فقال زياد: يا رسول الله بأبي أنت وأمِّي، اكتب لي كتابًا لا أعدوه إلى غيره، ولا أقصر دونه، فأمر رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أُبيَّ بن كعبٍ فكتب له: «**هذا كتابٌ من محمَّدٍ رسول الله في الصَّدقات، فمن سُئِلها على وجْهِها فليُعْطِها: في كلِّ أربعين شاةٍ سائِمةٍ شاةٌ إلى عشرين ومائة، فإذا زادت ففيها شاتان إلى مائتين، فإذا زادت شاةٌ ففيها ثلاث شياهٍ إلى أنْ تبلغ ثلاثمائة، فإذا زادت ففي كلِّ مائةٍ شاةٌ، وفيما دون خمس وعشرين من الإبل السَّوائِم في كلِّ خمسٍ شاةٌ، فإذا بلغت خمسًا وعشرين ففيها بنت مَخاضٍ، فإذا لم توجد بنت مَخاضٍ ففيها ابن لَبُونٍ ذَكَرٌ إلى أنْ تبلغ ستًّا وثلاثين، فإذا بلغت ستًّا وثلاثين ففيها بنت لَبُون إلى أنْ تبلغ**

ستًّا وأربعين، فإذا بلغت ففيها حِقَّةٌ إلى أنْ تبلغ ستين، فإذا كانت إحدى وستين ففيها جَذَعَةٌ إلى أنْ تبلغ خمسًا وسبعين، فإذا كانت ستًّا وسبعين ففيها بنتا لَبُونٍ إلى أنْ تبلغ تسعين، فإذا كانت إحدى وتسعين ففيها حِقَّتان طَرُوقَتا الجَمَل إلى أنْ تبلغ عشرين ومائة، فإذا زادت ففي كلِّ أربعين بنت لبونٍ، وفي كلِّ خمسين حِقَّةٌ لا يُفرَّق بين مُجتمعٍ، ولا يُجمع بين متفرِّقٍ، وفي صَدَقة البَقَر، في كلِّ ثلاثين من البقر تَبِيعٌ جَذَعٌ أو جَذَعَةٌ، وفي كلِّ أربعين مُسِنَّة، وفيما سقت السَّماء، وسقي بالنيل العُشر، وفيما سقي بالغَرْبِ نصف العُشْر مِن النَّخلِ والعِنَبِ إذا بلغ خمسة أَوْسُقٍ، وإذا بلغت رِقَّة أحدكم خمس أَوَاقٍ ففيها ربع العشر».

٢٢- روىٰ البخاريُّ في "صحيحه" عن ثُمامة أنَّ أنسًا حدَّثه: أنَّ أبا بكرٍ - رضي الله عنه- كتب له هذا الكتاب حين وجَّهه إلىٰ البحرين: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذه فريضة الصَّدقة التي فرض رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ المسلمين، والتي أمر الله بها رسوله، فمن سُئِلها مِن المسلمين فليُعْطِها علىٰ وجهها، ومن سُئل فوقها فلا يُعْطِ، في أربعٍ وعشرين من الإبل فما دونها من الغَنَم في كلِّ خَمْسٍ شاةٌ، إذا بلغت خمسًا وعشرين إلىٰ خمسٍ وثلاثين ففيها بنت مَخاضٍ أنثىٰ، فإذا بلغت ستًّا وثلاثين إلىٰ خمس وأربعين ففيها بنت لَبُونٍ أنثىٰ، فإذا بلغت ستًّا وأربعين إلىٰ ستين ففيها حِقَّةٌ طَرُوقة الجَمَل، فإذا بلغت واحدةً وستين إلىٰ خمس وسبعين ففيها جَذَعَةٌ، فإذا بلغت ستًّا وسبعين إلىٰ تسعين ففيها بنتا لَبُونٍ، فإذا بلغت إحدىٰ وتسعين إلىٰ عشرين ومائة ففيها حِقَّتان طَرُوقتا الجَمَل، فإذا زادت علىٰ عشرين ومائة ففي كلِّ أربعين بنت لبونٍ، وفي كلِّ

خمسين حِقَّةٌ، ومن لم يكن معه إلَّا أربعٌ من الإبل فليس فيها صَدَقَةٌ، إلَّا أن يشاء ربُّها، فإذا بلغت خمسًا من الإبل ففيها شاةٌ، وفي صدقة الغَنَم في سائمتها إذا كانت أربعين إلىٰ عشرين ومائة شاةٌ، فإذا زادت علىٰ عشرين ومائة إلىٰ مائتين شاتان، فإذا زادت علىٰ مائتين إلىٰ ثلاث مائةٍ ففيها ثلاث شياهٍ، فإذا زادت علىٰ ثلاث مائةٍ ففي كلِّ مائةٍ شاةٌ، فإذا كانت سائمة الرجل ناقصةً عن أربعين شاةً واحدةً فليس فيها صدقةٌ، إلَّا أن يشاء ربُّها، وفي الرِّقَّة ربع العشر، فإن لم تكن إلَّا تسعين ومائةً فليس فيها شيءٌ إلَّا أن يشاء ربُّها». وقد روىٰ البخاريُّ هذا الحديث في أحد عشر موضعًا من "صحيحه" بإسنادٍ واحدٍ، مُستدلًّا به لعدَّة أحكامٍ، وهو دليلٌ واضحٌ في حُجِّيَّة خبر الآحاد.

٢٣- روىٰ الطبريُّ عن ابن عباسٍ قال بعث رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أبا بكرٍ أميرًا علىٰ الحَجِّ، وأمره أن يقيم للنَّاس حَجَّهم.

وفي "صحيح البخاريِّ": عن الزهري: أنَّ حُميد بن عبدالرحمن أخبره: أنَّ أبا بكرٍ -رضي الله عنه- بعثه في الحَجَّة التي أمَّره عليها رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قبل حَجَّة الوَدَاع في رَهْطٍ يؤذِّن في النَّاس: «**ألَّا يَحُجَّنَّ بعد العامِ مُشْرِكٌ، ولا يَطُوفنَّ بالبيتِ عُرْيانٌ**».

٢٤- روىٰ الطبريُّ من طريق زيد بن يُثَيْعٍ عن عليٍّ رضي الله عنه قال: بعثني النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حين أنزلت براءة بأربعٍ: «**أنْ لا يَطُوفُ بالبيت عُرْيانٌ، ولا يَقْرَبُ المسجدَ الحرامَ مُشْرِكٌ بعد عامهم هذا، ومَن كان بينه وبين رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عهدٌ فهو إلى مُدَّته، ولا يدخل الجنَّة إلَّا نَفْسٌ**

مُسلِمَةٌ». وروىٰ الترمذيُّ نحوه عن عليٍّ، وقال: «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ».

وروىٰ أحمد والترمذيُّ عن أنسٍ رضي الله عنه قال: بعث النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ببراءة مع أبي بكرٍ، ثمَّ دعاه فقال: «**لا يَنْبَغِي لأحدٍ أنْ يُبلِّغ هذا إلَّا رجلٌ مِن أهلي**» فدعا عليًّا فأعطاه إيَّاه.

قال الترمذيُّ: «هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ».

قال العلماء: الحِكْمة في إرسال عليٍّ ببراءة، أنَّ عادة العرب جرت بألَّا ينقض العهد إلَّا من عقده، أو من هو منه بسبيل من أهل بيته، فأجراهم في ذلك علىٰ عادتهم، وهذا واضحٌ من قوله: «**لا يُبَلِّغ هذا إلَّا رجلٌ مِن أهلي**».

ورواه عبدالله بن أحمد في "زوائد المسند" من حديث عليٍّ عليه السَّلام قال: لمَّا نزلت عشر آياتٍ من براءة علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، دعا النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أبا بكرٍ ليقرأها علىٰ أهل مكَّة، ثمَّ دعاني النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال لي: أدرك أبا بكرٍ فحيثما لقيته فخذ الكتاب منه، فاقرأه علىٰ أهل مكَّة فأخذت الكتاب منه، ورجع إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: يا رسول الله نزل فيَّ شيءٌ؟ قال: لا، ولكن جبريل جاءني فقال: «**لن يؤدِّي عنك إلَّا أنت أو رجلٌ منك**». وهذا يفيد أنَّ اختيار عليٍّ كان بوحيٍ.

وروىٰ إسحاق بن راهويه في "مسنده" والدَّارميُّ والنَّسائيُّ وابن خزيمة وابن حِبَّان من طريق أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حين رجع من عمرة الجِعِرَّانة بعث أبا بكرٍ علىٰ الحَجِّ فأقبلنا معه، حتىٰ إذا كنا بالعرج ثوَّب بالصبح، فسمع رغوة ناقة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله

وسلَّم، فإذا عليٌّ عليها فقال له: أميرٌ أم رسولٌ؟ فقال: بل أرسلني رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ببراءة أقرؤها علىٰ النَّاس فقَدِمنا مكَّة فلمَّا كان قبل التروية بيومٍ، قام أبو بكرٍ فخطب النَّاس بمناسكهم حتىٰ إذا فرغ قام عليٌّ فقرأ علىٰ النَّاس براءة، حتىٰ ختمها ثُمَّ كان يوم النَّحر كذلك، ثمَّ يوم النَّفر كذلك.

وللحديث طرقٌ غير هذه، وفيه دليلٌ علىٰ حُجِّيَّة خبر الواحد، ووجوب العمل به حيث بعث النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أبا بكرٍ يُبلِّغ النَّاس مناسك حَجِّهم، وبعث عليًّا يبلغهم سورة براءة وما فيها من أحكام.

٢٥- روىٰ أحمد في "مسنده" عن سهل بن حُنيفٍ رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**أنت رسولي إلى أهل مكَّة، فقل إنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقرأ عليكم السَّلام ويأمركم بثلاثٍ: لا تَحْلِفُوا بغير الله، وإذا تَخَلَّيْتُم فلا تَسْتَقْبِلُوا القِبلةَ ولا تَسْتَدْبِرُوها، ولا تَسْتَنْجُوا بعَظْمٍ ولا ببَعْرَةٍ**». ورواه الدارميُّ في "سننه".

٢٦- روىٰ الشيخان عن عبدالله ابن أبي أوفىٰ رضي الله عنهما قال: أصابتنا مجاعةٌ ليالي خيبر، فلمَّا كان يوم خيبر وقعنا في الحُمُر الأهليَّة فانتحرناها، فلمَّا غلت القُدُور نادىٰ منادي رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «أنْ أَكْفِئُوا القُدُورَ، فلا تَطْعَمُوا مِن لحُومِ الحُمُرِ شيئًا»، فقلنا: إنَّما نهىٰ النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم؛ لأنَّها لم تُخمَّس، وقال آخرون: حرَّمها البتَّة.

وفي "صحيح مسلم" عن البراء بن عازبٍ قال: أصبنا يوم خيبر حُمُرًا فنادىٰ منادي رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم «أنْ أَكْفِئُوا القُدُورَ».

وفي "صحيح مسلم" أيضًا عن أنسٍ قال: لَمَّا فتح رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم خيبر أصبنا حُمُرًا خارجًا من القرية، فطبخنا منها، فنادىٰ منادي رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «ألَا إنَّ الله ورسوله يَنْهَيَانِكُم عنها، فإنَّها رِجْسٌ مِن عمل الشَّيطانِ». فأُكْفِئت القُدُور بما فيها، وإنَّها لتَفُور بما فيها.

وروىٰ مسلمٌ عن أنسٍ أيضًا قال: لَمَّا كان يوم خيبر جاءَ جاءٍ فقال: يا رسول الله أُكِلَت الحُمُر، ثمَّ جاء آخر فقال: يا رسول الله أُفْنِيت الحُمُر، فأمر رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أبا طلحة فنادىٰ: إنَّ الله ورسوله يَنْهَيَانِكُم عن لحوم الحُمُر، فإنَّها رِجْسٌ أو نَجسٌ. قال: فأكْفُئت القُدُور بما فيها.

أفادت هذه الأحاديث: أنَّ الصَّحابة أكفئوا القُدُور، بمجرَّد سماع منادي رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وذلك دليلٌ علىٰ حُجِّيَّة خبر الواحد.

٢٧- روىٰ الشيخان عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: كنت أسقي أبا طلحة الأنصاري وأبا عبيدة بن الجرَّاح وأُبيَّ بن كعبٍ شرابًا من فَضِيخٍ وهو تمرٌ، فجاءهم آتٍ فقال: إنَّ الخمر قد حُرِّمت، فقال أبو طلحة: يا أنس قُمْ إلىٰ هذه الجِرَارِ فاكْسِرْها، قال أنسٌ: فقمت إلىٰ مِهْرَاسٍ لنا فضربتها بأسفله حتىٰ انكسرت. وهذا لفظ البخاريِّ.

وفي رواية للشَّيخين أيضًا فوالله ما سألوا عنها ولا راجعوها بعد خبر الرَّجُل.

قال النَّووي في "شرح مسلم": «فيه العمل بخبر الواحد، وأنَّ هذا كان معروفًا عندهم».اهـ كلامه.

وقال الحافظ ابن حجرٍ في "فتح البَّاري": «وهو حُجَّةٌ قويَّةٌ في قبول خبر الواحد؛ لأنَّهم أثبتوا به نسخ الشيء الذي كان مباحًا حتىٰ أقدموا من أجله علىٰ تحريمه والعمل بمقتضىٰ ذلك».اهـ كلامه.

وقال الدَّارقطني في "سننه": «خبر الواحد يوجب العمل، وروىٰ فيه حديث أنسٍ نحو رواية الشيخين، وقال بعده: قال أبو عبدالله وهو عُبيدالله ابن عبدالصمد ابن المهتدي بالله: هذا يدلُّ علىٰ أنَّ خبر الواحد يوجب العمل».اهـ وأبو عبدالله هو شيخ الدَّارقطني في هذا الحديث.

٢٨- روىٰ البخاريُّ ومسلمٌ عن حذيفة رضي الله عنه أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال لأهل نَجْران: «**لأبعثنَّ إليكم رجلًا أمينًا حَقَّ أمينٍ**». فاستشرف لها أصحاب رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فبعث أبا عُبيدة. رواه البخاريُّ في باب إجازة خبر الواحد، ورواه أيضًا في قصَّة أهل نَجْران.

وذكر الحافظ ابن حجرٍ في "شرحه" ما فيهما من الفوائد والأحكام، فقال: «وفيها بعث الإمام الرَّجل العالم الأمين إلىٰ أهل الهُدنة في مصلحة الإسلام، وفيها منقبةٌ ظاهرةٌ لأبي عُبيدة بن الجرَّاح رضي الله عنه».اهـ

٢٩- روىٰ الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: بينما النَّاس بقباء في صلاة الصُّبح إذ جاءهم آتٍ، فقال: إنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قد أُنزل عليه الليلة قرآنٌ، وقد أُمِر أن يستقبل الكعبةَ فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلىٰ الشَّام فاستداروا إلىٰ الكعبة.

قال الحافظ ابن حجرٍ في الكلام علىٰ هذا الحديث: «وفيه قبول خبر الواحد

ووجوب العمل به، ونسخ ما تقرَّر بقبول العلم به؛ لأنَّ صلاتهم إلى بيت المقدس كانت عندهم بطريق القطع لمشاهدتهم صلاة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى جهته، ووقوع تحوُّلهم عنها إلى جهة الكعبة بخبر هذا الواحد، وأجيب بأنَّ الخبر المذكور احتفَّت به قرائن ومقدِّمات أفادت القطع عندهم بصدق ذلك الخبر، فلم ينسخ عندهم ما يفيد العلم إلَّا بما يفيد العلم، ويقال: كان النَّسخ بخبر الواحد جائزًا في زمنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مطلقًا، وإنما مُنع بعده ويحتاج إلى دليل».اهـ كلامه.

وأعاده البخاريُّ في باب إجازة خبر الواحد، فكتب عليه الحافظ ابن حجرٍ: «والحُجَّة منه بالعمل بخبر الواحد ظاهرةٌ؛ لأنَّ الصَّحابة الذين كانوا يُصَلُّون إلى جهة بيت المقدس، تحوَّلوا عنه بخبر الذي قال لهم: إنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أُمِر أن يستقبل الكعبةَ، فصدَّقوا خبره وعملوا به في تحوُّلهم عن جهة بيت المقدس وهي شاميَّةٌ، إلى جهة الكعبة وهي يمانيَّةٌ على العكس من التي قبلها.

واعترض بعضهم: بأنَّ خبر المذكور أفادهم العلم بصدقه، لما عندهم من قرينة ارتقاب النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وقوع ذلك لتكرُّر دعائه به، والبحث إنَّما هو في خبر الواحد إذا تجرَّد عن القرينة.

والجواب: أنَّه إذا سُلِّم أنَّهم اعتمدوا على خبر الواحد، كفى في صحَّة الاحتجاج به، والأصل عدم القرينة. وأيضًا فليس العمل بالخبر المحفوف بالقرينة متفقًا عليه، فيصح الاحتجاج به على من اشترط العدد، وأطلق وكذا من اشترط القطع، وقال: إنَّ خبر الواحد لا يفيد إلَّا الظَّن ما لم يتواتر».اهـ كلامه.

ويمكن أن يقال: أنَّ ارتقاب النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم تحويل القبلة لا يفيد العلم في هذه الصُّورة؛ لأنَّ نزول القرآن بالتحويل المرتقب يقتضي أنْ يُشاع أمره وينادىٰ به، ولا يترك حتىٰ يخبر به واحدٌ، لا سيِّما وهو يتعلَّق بالصَّلاة التي تُفعَل في اليوم خمس مراتٍ، ومكانها من الدِّين معروفٌ، وعليه فخبر الواحد في هذه الصُّورة يفيد الظَّنَّ فقط.

٣٠- روىٰ الشَّيخان أيضًا عن البراء بن عازبٍ قال: لما قَدِمَ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم المدينة، صلَّىٰ نحو بيت المقدس ستَّة عشر أو سبعة عشر شهرًا، وكان يُحب أن يوجَّه إلىٰ الكعبة، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ [البقرة: ١٤٤]. فوُجِّه نحو الكعبة، وصلَّىٰ معه رجلٌ العصر، ثُمَّ خرج فمرَّ علىٰ قومٍ من الأنصار فقال هو يشهد أنَّه صلَّىٰ مع النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وأنَّه قد وُجِّه إلىٰ الكعبة، فانحرفوا وهم ركوعٌ في صلاة العصر.

قال النَّووي في "شرح مسلم": «فيه قبول خبر الواحد، وفيه دليلٌ علىٰ أنَّ النَّسخ لا يثبت في حقِّ المكلَّف حتىٰ يبلغه، **فإن قيل**: هذا نسخٌ للمقطوع به بخبر الواحد، وذلك ممتنعٌ عند أهل الأصول. **فالجواب**: أنَّه احتفَّت به قرائن ومقدِّمات أفادت العلم، وخرج عن كونه خبر واحدٍ مجردًا».اهـ كلامه.

وتقدَّم آنفًا الجواب عن احتفاف هذا الخبر بالقرينة، ومسألة نسخ المقطوع به، وهو القرآن والسُّنَّة المتواترة بخبر الواحد، فيها خلافٌ مشهورٌ في كتب الأصول، حكاه الشَّوكانيُّ في "إرشاد الفحول" وقال بعده: «وممَّا يرشدك إلىٰ

جواز النَّسخ بما صحَّ من الآحاد لما هو أقوىٰ متنًا أو دلالةً منها: أنَّ النَّاسخ في الحقيقة إنَّما جاء رافعًا لاستمرار حكم المنسوخ ودوامه، وذلك ظنِّيٌّ وإن كان دليله قطعيًّا، فالمنسوخ إنَّما هو هذا الظَّنِّيُّ لا ذلك القطعيُّ فتأمل».اهـ كلامه.

ثُمَّ إنَّ الذين وصلهم الخبر وهم في صلاة العصر، كما في حديث البراء كانوا داخل المدينة وهم بنو حارثة، أمَّا الذين وصلهم الخبر وقت الصُّبح كما في حديث ابن عمر فهم بنو عمرو بن عوف أهل قباء، وكانوا خارج المدينة، ذكره الحافظ ابن حجرٍ في "فتح البَّاري".

٣١- روىٰ الطبرانيُّ في "المعجم الأوسط" من طريق صفوان بن صالح، عن الوليد بن مسلمٍ قال: حدَّثني سعيد بن منصور بن محرز بن مالك بن أحمر الجذاميُّ، عن أبيه، عن جدِّه مالكٍ: أنَّه لَمَّا بلغه قدوم النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم تبوك وفَدَ إليه مالك بن أحمر فأسلم، وسأله أن يكتب له كتابًا يدعو به إلىٰ الإسلام، فكتب له في رُقْعَةٍ مِن أَدَمٍ: «**بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتابٌ من محمَّد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لمالك بن أحمر ولمن اتَّبعه من المسلمين، أمانًا لهم ما أقاموا الصَّلاةَ وآتوا الزَّكاةَ واتبعوا المسلمين، وجانَبُوا المشركين وأدُّوا الخُمُسَ مِن المَغْنَمَ، وسَهْمَ الغارمين، فهم آمِنون بأمان الله وأمان محمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم**».

٣٢- روىٰ البخاريُّ وابن أبي خيثمة في تاريخيهما من طريق أبي حمزة عبدالعزيز بن زياد الحنظليِّ قال: حدَّثني أبو شدَّاد -رجلٌ من أهل ذمار، قرية من قرىٰ عُمان- قال: جاءنا كتاب النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في قطعةٍ مِن أَدَمٍ «**مِن محمَّد رسول الله إلى أهل عُمانَ: سلامٌ، أمَّا بعد: فأقروا شهادة ألَّا إله إلَّا الله**

وأنِّي رسول الله وأدُّو الزَّكاة، وخُطُّوا المساجد وكذا وكذا وإلَّا غزوتكم». قال أبو شدَّادٍ: فلم نجد أحدًا يقرأ علينا ذلك الكتاب، حتىٰ وجدنا غلامًا فقرأه علينا. قلت: فمن كان يومئذٍ علىٰ عُمَانَ؟ قال أُسْوارٌ مِن أساورة كِسْرَىٰ.

٣٣- روىٰ الطبرانيُّ من طريق مجالد بن سعيد بن عمير بن ذي مران، عن أبيه، عن جدِّه عمير قال: جاءنا كتاب رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: **«بسم الله الرحمن الرحيم من محمَّد رسول الله إلى عمير ذي مرَّان ومن أسلم من هَمْدان، سلامٌ عليكم، فإنِّي أحمد إليكم الله الذي لا اله إلَّا هو. أمَّا بعد: فإنَّه بلغنا إسلامكم بعد مَقْدِمنا من أرض الرُّوم، فأبشروا فإنَّ الله قد هداكم بهدايته، فإنَّكم إذا شهدتم أنْ لا إله إلَّا الله وأنَّ محمدًا رسول الله وأقمتم الصَّلاةَ وأعطيتم الزَّكاةَ، فإنَّ لكم ذمَّةَ الله وذمَّةَ رسوله على دمائكم، وعلى أموالكم، وعلى أرض الرُّوم التي أسلمتم عليها، سهلها وغورها ومراعيها غير مظلومين، ولا مُضَيَّقٌ عليهم، وإنَّ الصَّدقة لا تحلُّ لمحمَّدٍ ولا لأهل بيته، وإنَّ مالك بن مرارة الرهاويَّ قد حفظ الغيب، وأدَّى الأمانة، و بلَّغ الرِّسالة فآمرك يا ذا مرَّان به خيرًا، فإنَّه منظورٌ إليه في قومه، و ليُحْبِبْكُم ربُّكم»**.

وروىٰ البغويُّ في "معجم الصَّحابة" عن مجالد بن سعيدٍ، قال: لَمَّا انصرف مالك بن مرارة الرهاويُّ إلىٰ قومه، كتب معه رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم **«أوصيكم به خيرًا فإنَّه منظورٌ إليه»** قال: فجمعت له هَمْدان ثلاث عشرة[1]، وستة وسبعين بعيرًا.

---

(١) ثلاث عشرة أوقية.

في هذا الحديث دليلٌ على العمل بخبر الواحد، من جهات:

إحداها: إرسال النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كتابه إلى هَمْدان مع شخصٍ واحدٍ.

ثانيتها: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم خاطب هَمْدان خطاب المسلمين، وسلَّم عليهم سلام الإسلام، عملًا بخبر الذي أخبره بإسلامهم، وهو مالك بن مرارة كما جاء في رواية ابن منده.

ثالثتها: أنَّ أهل هَمْدان عملوا بوصيَّة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في كتابه الذي حمله إليهم مالك بن مرارة، فجمعوا له ثلاث عشرة أوقية من فضةٍ أو ذهبٍ، وستة وسبعين بعيرًا.

٣٤- روى ابن أبي عاصم في كتاب "الوحدان"، والطبراني في "الكبير" عن أبي نُعيمٍ قال: أخرج إلينا عبدالملك بن عطاء العامريُّ البكائيُّ كتابًا من النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لهم فقال: اكتبوه ولم يمله علينا، وزعم أنَّ بنت الفُجَيع حدَّثته به فإذا فيه: «**هذا كتابٌ مِن محمَّدٍ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم للفُجَيع ومن تبعه ومَن أسلم، ومن أقام الصَّلاةَ وآتى الزَّكاةَ، وأطاع اللهَ ورسولَهُ، وأعطى من المَغْنَمِ خُمُسَ الله، ونصر نبيَّ الله، وأشهد على إسلامه، وفارق المشركين، فإنَّه آمنٌ بأمان الله ومحمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم**».

ورواه أبو حفص بن شاهين من طريق عبدالرحيم بن زيد البارقيِّ، عن عقبة بن وهب البكائيِّ، عن الفُجَيع.

٣٥- روى الطبرانيُّ في "الكبير" عن زيد بن خالد الجهنيِّ رضي الله عنه قال: أرسلني رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أُبشِّر النَّاس أنَّه من مات

يشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، فله الجنَّة.

٣٦- روىٰ مسلمٌ في "صحيحه" عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: دخلت حائطًا لبني النَّجار فيه رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**يا أبا هريرة**». وأعطاني نعليه قال: «**اذهب بنعلي هاتين، فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أنْ لا إله إلَّا الله مستيقنًا بها قلبه فبَشِّره بالجنَّة**» الحديث.

قال الإمام النَّووي: «إعطاؤه النَّعلين لتكون علامةً ظاهرةً معلومةً، ولا ينكر كون مثل هذا يفيد تأكيدًا، وإن كان خبره مقبولًا من غير هذا».اهـ

٣٧- قال النَّسائيُّ في "سننه": أخبرنا محمد بن سلمة قال: حدَّثنا ابن وهبٍ، عن حَيْوةَ بن شُرَيحٍ، عن عيَّاش بن عبَّاسٍ القِتْبانيِّ: أنَّ شُيَيْم بن بَيْتان حدَّثه أنَّه سمع رُوَيْفِع بن ثابتٍ يقول: إنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**يا رُوَيفِع لعلَّ الحياة ستطول بك بعدي، فأخبر النَّاس أنَّه من عقد لحيته**[1] **أو تقلَّد وَتَرًا، أو استنجى برَجِيع دابَّةٍ أو عَظْمٍ، فإنَّ محمدًا بريءٌ منه**».

ورواه أبو داود من طريق عيَّاش القِتْبانيِّ، عن شُيَيْم بن بَيْتان، عن شيبان، عن رُوَيفع، وهو من المزيد في متصل الأسانيد، وإسناد النَّسائيِّ حسنٌ، أمَّا إسناد أبي داود ففيه شيبان، وهو مجهول الحال.

٣٨- روىٰ الشيخان عن مالك بن الحُوَيْرِث، قال: أتينا النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ونحن شَبَبَةٌ متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلةً، وكان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم رفيقًا فلمَّا ظنَّ أنَّا قد اشتقنا إلىٰ أهلنا، سألنا عمن

---

(١) عقد لحيته: أي فتلها، وكانت العرب تفتل لِحاها في الجاهلية.

تركنا بعدنا فأخبرناه. قال: «**ارْجِعُوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم، وعلِّموهم ومُرُوهم وصلُّوا كما رأيتموني أُصَلِّي، فإذا حضرت الصَّلاةُ فليؤذِّن لكم أحدكم، وليؤمَّكم أكبرُكم**». محلُّ الشَّاهد من الحديث: قوله: «**فليؤذِّن لكم أحدكم**»، فإنَّه يفيد العمل بآذان المؤذِّن.

قال الحافظ ابن حجرٍ: «والمراد بقبول خبره في الآذان: إنَّه إذا كان مؤتمنًا فأذَّن تَضَمَّن دخول الوقت، فجازت صلاة ذلك الوقت».اهـ كلامه.

٣٩- روى البخاريُّ عن ابن عمر أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ بلالًا يؤذِّن بليلٍ، فكلوا واشْرَبوا حتى ينادي ابن أمِّ مكتومٍ**»، ثُمَّ قال: «وكان رجلًا أعمى لا ينادِي حتى يقال له: أَصْبَحْتَ أَصْبَحْتَ».

قال الحافظ ابن حجرٍ في الكلام على هذا الحديث: «واستدلَّ به على جواز اتخاذ مؤذِّنين في المسجد الواحد، وذكر مسائل إلى أن قال: وعلى جواز العمل بخبر الواحد».اهـ كلامه.

٤٠- روى البخاريُّ عن أبي موسى الأشعريِّ: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم دخل حائطًا، وأمرني بحفظ الباب، فجاء رجلٌ يستأذن، فقال: «**ائذَنْ له وبَشِّره بالجنَّة**» فإذا أبو بكرٍ، ثمَّ جاء عمر فقال: «**ائذَنْ له وبَشِّره بالجنَّة**» ثُمَّ جاء عثمان فقال: «**ائذَنْ له وبَشِّره بالجنَّة**».

٤١- روى البخاريُّ أيضًا عن عمر رضي الله عنه قال: جئت فإذا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في مشرُبةٍ[1] له وغلامٌ لرسول الله

---

(١) مشرُبة: برفع الراء؛ مكان مرتفع يصعد إليه.

صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أسود على رأس الدرجة فقلت: قل: هذا عمر بن الخطاب فأذن لي.

ترجم البخاريُّ على هذا الحديث والذي قبله بقوله: «باب قول الله تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥٣] فإذا أذن له واحدٌ جاز».

قال الحافظ ابن حجرٍ: «قوله: "فإذا أذن له واحدٌ جاز" وجه الاستدلال به أنَّه لم يقيِّده بعددٍ، فصار الواحد من جملة ما يصدق عليه وجود الإذن، وهو متفقٌ على العمل به عند الجمهور، حتى اكتفوا فيه بخبر من لم تثبت عدالته، لقيام القرينة فيه بالصِّدق، وأراد البخاريُّ أنَّ صيغة ﴿يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ على البناء للمجهول تصحُّ للواحد فما فوقه، وأنَّ الحديث الصَّحيح بين الاكتفاء بالواحد على مقتضى ما تناوله لفظ الآية، فيكون فيه حُجَّة لقبول خبر الواحد».اهـ كلامه.

٤٢- روى البخاريُّ ومسلمٌ عن جابر رضي الله عنه قال: قال النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن يأتني بخبر القوم؟**» يوم الأحزاب، قال الزبير: أنا، ثُمَّ قال: «**بخبر القوم**». قال الزبير: أنا، فقال النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ لكلِّ نبيٍّ حواريًّا وحَواريَّ الزُّبير**» ترجم عليه البخاريُّ في كتاب الجهاد: «باب فضل الطليعة».

قال الحافظ ابن حجرٍ: «الطليعة من يبعث إلى العدوِّ ليطَّلع على أحوالهم، وهو اسم جنسٍ يشمل الواحد فما فوقه».اهـ كلامه.

وأعاده البخاريُّ في إجازة خبر الواحد مترجمًا عليه: «باب بعث النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم الزبير طَلِيعةً وحْدَهُ».

وسبب بعث طليعةٍ أنَّ الأحزاب من قريش وغيرهم، لَمَّا جاءوا إلىٰ المدينة، وحَفَرَ النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم الخندق، بلَّغ المسلمين أنَّ بني قريظة من اليهود نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين المسلمين، ووافقوا قريشًا علىٰ حرب المسلمين، فبعثه النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ليأتيه بخبر بني قريظة.

وفي "الصَّحيحين" عن عبدالله بن الزبير قال: لَمَّا كان يوم الأحزاب جعلت أنا وعمر بن أبي سلمة في النِّساء فنظرت فإذا أنَّا بالزبير علىٰ فرسه، يختلف إلىٰ بني قريظة مرتين أو ثلاثًا، فلما رجعت قلت: رأيتك يا أبت تختلف؟ قال: أو هل رأيتني يا بني؟ قلت: نعم. قال: كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن يأتِ بني قريظة فيأتيني بخبرهم**». فانطلقت فلما رجعت جمع لي رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أبويه فقال: «**فداك أبي وأُمِّي**».

٤٣- روىٰ الشَّيخان عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بعث رجلًا ينادي في النَّاس يوم عاشوراء: «**أنَّ مَن أكَلَ فلْيُتِمَّ أو ليَصُمْ، ومَن لم يأكل فلا يأكل**».

هذا لفظ البخاريِّ في كتاب الصِّيام، ولفظه في باب خبر الواحد، أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال لرجلٍ من أسلم: «**أذِّن في قومك -أو في النَّاس- يوم عاشوراء: أنَّ مَن أكَلَ فليتمَّ بقيَّة يومه، ومن لم يأكل فليَصُم**».

قال الحافظ ابن حجرٍ: اسم هذا الرجل هند بن أسماء بن حارثة الأسلميُّ له ولأبيه ولعمِّه هند بن حارثة صحبة، أخرج حديثه أحمد وابن أبي خيثمة من طريق ابن إسحاق: حدَّثني عبدالله بن أبي بكرٍ، عن حبيب بن هند بن أسماء الأسلميِّ، عن أبيه قال: بعثني النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إلىٰ قومي من أسلم فقال: «**مُرْ قومَكَ بصيام هذا اليوم -يوم عاشوراء- فمَن وجدته منهم قد أكَلَ في أوَّل يومه فليَصُم آخِره**».

وروىٰ أحمدُ أيضًا: من طريق عبدالرحمن بن حرملة عن يحيي بن هند قال: وكان هند من أصحاب الحُديبية، وأخوه الذي بعثه رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يأمر قومه بصيام عاشوراء، وهو أسماء بن حارثة: فحدَّثني يحيي بن هند عن أسماء بن حارثة: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بعثه فقال: «**مُرْ قومَكَ بصيام هذا اليوم. قال: أرأيتَ إنْ وجدتهم قد طَعِمُوا؟ قال: فليتمُّوا آخِر يومهم**».

قال الحافظ ابن حجرٍ: «فيحتمل أن يكون كل من أسماء وولده هند أُرسلا بذلك، ويحتمل أن يكون أطلق في الرواية الأولىٰ علىٰ الجد اسم الأب، فيكون الحديث من رواية حبيب بن هند عن جدِّه أسماء فتتحد الروايتان، والله أعلم».

٤٤- روىٰ أحمد والبزَّار والطبرانيُّ عن بَعْجَة بن عبدالله بن بدرٍ، أنَّ أباه أخبره: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال لهم يومًا: «**هذا يوم عاشوراء فصُومُوه**»؛ فقال رجلٌ من بني عمرو بن عوفٍ: يا رسول الله إنِّي تركت قومي منهم صائمٌ ومنهم مفطرٌ، فقال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم:

«**اذهب إليهم فمن كان منهم مُفْطِرًا فليتمَّ صومه**». قال الحافظ الهيثميُّ: «إسناده حسنٌ».

٤٥- روىٰ الطبراني في "الكبير" عن معبدالقرشي قال: أتىٰ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بقديدٍ، فأتاه رجلٌ فقال له النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أَطَعِمْتَ اليوم شيئًا ليوم عاشوراء؟ قال: لا إلَّا أنِّي شربتُ ماءً. قال: فلا تَطْعَم شيئًا حتَّى تغرُب الشَّمس، وأمُر مَن وراءك أنْ يصُوموا هذا اليومَ**».

٤٦- روىٰ الشَّيخان -واللفظ للبخاريِّ- عن ابن عباسٍ قال: إنَّ وفد عبدالقيس لَمَّا أتوا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن الوفد**». قالوا: ربيعة. قال: «**مرحبًا بالوفد والقوم غير خَزَايَا ولا نَدَامَى**». قالوا يا رسول الله: إنَّ بيننا وبينك كفَّار مضر، فمرنا بأمر ندخل به الجنَّة ونخبر به مَن وراءنا، فسألوا عن الأشربة فنهاهم عن أربعٍ وأمرهم بأربعٍ، أمرهم بالإيمان بالله قال: «**هل تدرون ما الإيمان بالله؟**»، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال:«**شهادة أنْ لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له وأنَّ محمدًا رسول الله وإقام الصَّلاة وإيتاء الزَّكاة، وتؤتوا مِن المغانِم الخُمُس**». ونهاهم عن الدُّباء[1] والحَنْتَمِ والمُزَفَّت والنَّقِير. وربما قال: «**المُقَيَّر**»، قال: «**احفظوهنَّ وأبلغوهنَّ مَن وراءكم**».

قال الحافظ ابن حجرٍ: «الغرض منه قوله: "**احفظوهنَّ وأبلغوهنَّ من ورائكم**". فإنَّ الأمر بذلك يتناول كلَّ فردٍ، فلولا أنَّ الحُجَّة تقوم بتبليغ الواحد

---

(١) الدُّبَّاء، برفع الدال وتشديد الباء: هي القَرْعُ. والنهي في الحدف جاء عن النهي في اتخاذ القرع اليابسة كأواني للشرب.

ما حضهم عليه».اهـ كلامه.

٤٧- روىٰ البخاريُّ وأبو داود والنَّسائيُّ عن عمرو بن سلمة قال:لَمَّا كانت وقعة أهل الفتح بادر كلُّ قومٍ بإسلامهم وبدر أبي قومي بإسلامهم، فلمَّا قدم قال: جئتكم والله من عند النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حَقًّا، فقال: «**صلُّوا صلاة كذا في حين كذا، وصلُّوا صلاة كذا في حين كذا، وصلُّوا صلاة كذا في حين كذا، فإذا حضرت الصَّلاة فليؤذِّن أحدكم، وليؤمكم أكثركم قرآنًا**». فنظروا فلم يكن أحدٌ أكثر قرآنًا منِّي، قدَّموني بين أيديهم وأنا ابن ست أو سبع سنين.

في هذا الحديث دليلٌ للعمل بخبر الواحد من وجهين:

أحدهما: قوله: «**فليؤذِّن أحدكم**»، وتقدَّم بيانه في حديث مالك بن الحُوَيرث.

ثانيهما: أنَّ قوم سلمة عملوا بخبره في أمامة الأكثر قرآنًا، فقدَّموا ابنه عمرًا يؤمهم، مع أنَّه ما زال في سنِّ الصِّبا، حتىٰ قال عمرو كما في رواية لأبي داود: فما شهدت مجمعًا من جَرْم إلَّا كنت إمامهم. وجَرْم بفتح الجيم وسكون الراء قبيلته، قال الحافظ ابن حجرٍ: «وفي الحديث حُجَّةٌ للشَّافعيَّة في إمامة الصَّبيِّ المُمَيِّز في الفريضة، وهي خلافيَّةٌ مشهورةٌ».

٤٨- روىٰ البخاريُّ وغيره عن أبي بكرة عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال في خطبة الوَدَاع: «**أَلَا لِيُبَلِّغ الشَّاهد الغائب، فلعلَّ من يبلغه أنْ يكون أوعى له من بعض من سمعه**» وهذا الحديث له طرقٌ كثيرةٌ؛ لأنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم خطب في حَجَّة الوداع خطبة عامَّة، حضرها الجمُّ الغفير من الصَّحابة،

ورواها أصحاب الكتب الستة وغيرهم من علماء الحديث.

٤٩- روى أبو يعلى، والطبرانيُّ في "الأوسط" عن وابصة بن معبدٍ الأسديِّ قال شهدت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في حَجَّة الوداع وهو يخطب وهو يقول: «**يا أيها النَّاس أيُّ شهر أحرم؟**» قالوا: هذا الشهر، قال: «**أيُّ يوم أحرم؟**» قالوا: هذا اليوم -وهو يوم النَّحر- قال: «**فأيُّ بلد أعْظَم عند الله حُرْمَةً؟**» قالوا: هذا. قال: «**فإنَّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم محرَّمةٌ عليكم، كحُرْمَةِ يومكم هذا في شَهْرِكُمْ هذا في بَلَدِكُمْ هذا، إلى يوم تَلْقَونَ ربَّكُم أَلَا هل بلَّغت؟**» قال النَّاس: نعم؛ فرفع يديه إلى السَّماء ثمَّ قال: «**اللَّهمَّ اشْهَد**» ثمَّ قال: «**ليبلِّغ الشَّاهد منكم الغائب**». قال وابصة: وإنَّا شهدنا وغبتم، ونبلِّغكم كما قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

٥٠- روى ابن إسحاق في "السيرة"، وعنه الأموي في "مغازيه"، من طريق عمير بن معبد بن فلان الجُذاميِّ، عن أبيه قال: وفد رفاعة بن زيد الجُذاميُّ على نبيِّ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فكتب له كتابًا فيه: «**بسم الله الرحمن الرحيم من محمَّد رسول الله إلى رفاعة بن زيدٍ، إنِّي بعثته إلى قومه عامَّةً ومن فيهم يدعوهم إلى الله ورسوله**». ذكره الحافظ ابن حجرٍ في "الإصابة": في ترجمة معبد بن فلان الجذاميِّ.

٥١- روى الشيخان، واللَّفظ للبخاريِّ: عن أنس بن مالكٍ يقول: بينما نحن جلوسٌ مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في المسجد دخل رجلٌ على جملٍ، فأناخه في المسجد، ثُمَّ عَقَلَهُ، ثمَّ قال لهم: أيكم محمَّدٌ؟ والنَّبيُّ صلَّى الله

عليه وآله وسلَّم متَّكِيءٌ بين ظَهْرانِيهم، فقلنا: هذا الرَّجل الأبيض المُتَّكِيء. فقال له الرجل: ابن عبدالمطلب؟ فقال له النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**قد أجَبْتُك**»، فقال الرجل للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: إنِّي سائلك فمشدِّدٌ عليك في المسألة، فلا تجد عليَّ في نفسك. فقال: «**سَلْ عمَّا بدا لك**». فقال: أسألك بربِّك وربِّ مَن قبلك آلله أرسلك إلىٰ النَّاس كلهم؟ فقال: «**اللَّهمَّ نَعَمْ**». قال: أنشدك بالله آلله أمرك أن نصلِّي الصَّلوات الخمس في اليوم والليلة؟ قال: «**اللَّهمَّ نَعَمْ**»؛ قال: أنشدك بالله آلله أمرك أن نصومَ هذا الشَّهر مِن السَّنة؟ قال: «**اللهمَّ نَعَمْ**». قال أنشدك بالله آلله أمرك أن تأخذ هذه الصَّدقة مِن أغنيائنا فتقسمها علىٰ فقرائنا؟ فقال: «**اللهمَّ نَعَمْ**»؛ فقال الرجل: آمنت بما جئت به، وأنا رسولُ مَنْ ورائي من قومي، وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكرٍ. قال الإمام النوويُّ في "شرح مسلم": «وفي هذا الحديث العمل بخبر الواحد».اهـ كلامه.

وقال الحافظ ابن حجرٍ: «وفي هذا الحديث من الفوائد غير ما تقدَّم: العمل بخبر الواحد، ولا يقدح فيه مجيء ضمام مستثبتًا؛ لأنَّه قصد اللِّقاء والمشافهة، كما تقدَّم عن الحاكم، وقد رجع ضمام إلىٰ قومه وحده، فصدَّقوه وآمنوا، كما وقع في حديث ابن عباسٍ».اهـ كلامه.

وحديث ابن عباسٍ: رواه أحمد في "المسند" من طريق ابن إسحاق، قال: حدَّثني محمد بن الوليد بن نويفع، عن كريبٍ، عن ابن عباسٍ قال: بعث بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فذكر

الحديث في مجيء ضمام وسؤاله كما في "الصَّحيحين"، وفي آخره: أنَّ ضمامًا لَمَّا رجع إلىٰ قومه قال لهم: إنَّ الله قد بعث رسولًا، وأنزل عليه كتابًا، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به، ونهاكم عنه. قال: فوالله ما أمسىٰ من ذلك اليوم في حاضره رجلٌ ولا امرأةٌ إلَّا مسلمًا.

٥٢- روىٰ البزَّار في "مسنده" عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه قال: إنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال يومًا من الأيام: «**من قال: لا إله إلَّا الله وَجَبَتْ له الجنَّة**» فاستأذنه معاذ ليخرج بها إلىٰ النَّاس فيبشِّرهم فأذن له، فخرج فرحًا مستعجلًا، فلقيه عمر، فقال: ما شأنك؟ فأخبره، فقال عمر: كما أنت، لا تعجل. ثمَّ دخل علىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: يا نبيَّ الله أنت أفضل رأيًا، إنَّ النَّاس إذا سمعوا بهذا اتكَّلوا عليها فلم يعملوا. قال«**فرُدَّه فرَدَّه**».

٥٣- روىٰ أحمد في "مسنده" عن أبي الدَّرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن قال: لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، دخل الجنَّة**». قال: قلت: وإن زَنَىٰ وإن سَرَقَ؟! قال: «**وإن زَنَى وإنْ سَرَق**». قلت: وإن زَنَىٰ وإن سَرَقَ؟! قال: «**وإن زَنَى وإن سَرَقَ**». قلت: وإن زَنَىٰ وإنْ سَرَقَ؟! قال: «**وإن زَنَى وإن سَرَقَ على رَغْمِ أنْفِ أبي الدرداء**»، قال: فخرجت لأنادي بها في النَّاس، فلقيني عمر فقال: ارجع فإنَّ النَّاس إن علموا بهذه اتكلوا عليها، فرجعت فأخبرته صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال صلَّىٰ الله عليه وآله سلَّم: «**صَدَقَ عمر**».

٥٤- روىٰ الطبرانيُّ في "الكبير" عن بلال رضي الله عنه قال: قال رسول الله

صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**يا بلال نادِ في النَّاس: من قال: لا إله إلَّا الله قبل موته بسنةٍ، دخل الجنَّة، أو شهرٍ، أو جُمعةٍ، أو يومٍ، أو ساعةٍ**» قال: إذًا يتَّكِلوا قال: «**وإن اتَّكَلُوا**».

قوله: «**وإن اتَّكَلُوا**» يفيد أنَّ التبليغ واجبٌ، وأنَّ مصلحته راجحةٌ علىٰ مفسدة الاتكال.

هذا الحديث وما في معناه: يفيد أن من مات مسلمًا دخل الجنَّة وإن كان عاصيًا؛ فإنه يعذَّب علىٰ عصيانه لكن لا يُخلَّد في النَّار كالكافر، تلحقه الشفاعة أو رحمة الله فيدخل الجنَّة لموته علىٰ الإسلام.

٥٥- روىٰ أحمد والطبرانيُّ عن سوَادة بن الرَّبيع قال: أتيتُ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فسألته فأمَر لي بذَوْدٍ. ثمَّ قال لي: «**إذا رجعتَ إلى بيتك فمُرهم، فليُحْسِنُوا عَذَراتِهم، ومُرهم فليُقَلِّموا أظفارهم، ولا يَعْبِطُوا بها ضُرُوعَ مَواشِيهم إذا حَلَبُوا**». هذا لفظ أحمد.

ولفظ الطبرانيِّ «**إذا رجعت إلى بنيك، فمُرهم فليُحْسِنُوا أعمالهم، ومُرهم فليُقَلِّمُوا أظفارهم، لا يَخْدِشُوا بها ضُرُوع مَواشِيهم إذا حَلَبُوا**» عذراتهم جمع عَذِرة، وهي فِناء البيت، والمعنىٰ: مرهم فلينظِّفوا أفنية بيوتهم.

٥٦- روىٰ البخاريُّ في "التاريخ" من طريق إسماعيل بن أبي أويسٍ قال: حدَّثني عبدالرحمن بن أبي الزِّناد، عن أبيه، عن خارجة بن زيد بن ثابتٍ، عن زيد قال: أُتي بي النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مَقْدِمَهُ المدينة، فأُعجب بي، فقيل له: هذا غلامٌ من بني النَّجار، قد قرأ فيما أنزل الله عليك بضع عشرة

سورة، فاستقرأني، فقرأت (ق). فقال لي:«**تعلَّم كتاب يهودَ، فإنِّي ما آمَن يهود على كتابي**». فتعلَّمته في نصف شهرٍ، حتىٰ كتبت له إلىٰ يهود، وأقرأ له إذا كتبوا إليه.

ورواه ابو داود والترمذيُّ وقال: «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ».

وعلَّقه البخاريُّ في " صحيحه" تحت ترجمة: باب ترجمة الحكَّام وهل يجوز ترجمانٌ واحدٌ؟

قال الحافظ ابن حجرٍ في شرحه: «أشار إلىٰ الاختلاف في ذلك، فالاكتفاء بالواحد قول الحنفيَّة، ورواية عن أحمد، واختارها البخاريُّ وابن المنذر وطائفة. وقال الشَّافعي -وهي الرِّواية الرَّاجحة عند الحنابلة-: إذا لم يعرف الحاكم لسان الخصم، لم يقبل فيه إلَّا عدلين كالشَّهادة».اهـ كلامه.

واشتراط عدلين لا يخرجه عن خبر الآحاد؛ لأنَّه غير متواتر.

٥٧- روىٰ الدارميُّ وأبو داود وابن حِبَّان والحاكم عن ابن عمر قال: تراءىٰ النَّاس الهلال فأخبرت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أني رأيته فصامه وأمر النَّاس بصيامه.

٥٨- روىٰ البزَّار عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: جاءت امرأةٌ إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقالت: يا رسول الله أنا وافدة النِّساء إليك، هذا الجهاد كتبه الله علىٰ الرِّجال، فإن يصيبوا أُجِروا، وإن قُتلوا كانوا أحياءً عند ربِّهم يُرزقون، ونحن معشر النِّساء نقوم عليهم فما لنا من ذلك؟ فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أبلغي من لقيتِ من النِّساء أنَّ طاعة**

الزَّوج واعترافًا بحقِّه يعدل ذلك، وقليلٌ منكنَّ مَن يَفْعَلُه».

٥٩- روىٰ ابن عبدالبر في "الاستيعاب" عن أسماء بنت يزيد أنَّها أتت النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقالت: إنِّي رسول مَن ورائي من جماعة نساء المسلمين كلهنَّ يقلن بقولي، وعلىٰ مثل رأيي، إنَّ الله تعالىٰ بعثك إلىٰ الرِّجال والنِّساء فآمنَّا بك واتَّبعناك، ونحن معشر النِّساء مقصوراتٌ مُخَدَّراتٌ قواعد بيوتٍ، ومواضع شهوات الرِّجال وحاملات أولادهم، وإنَّ الرجال فُضِّلوا بالجماعات، وشهود الجنائز، والجهاد، وإذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم، وربَّينا أولادهم، أفنشاركهم في الأجر يا رسول الله؟ فالتفت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بوجهه إلىٰ أصحابه فقال: «**هل سمعتم مَقَالة امرأةٍ أحسن سؤالًا عن دينها مِن هذه؟!**». فقالوا: لا والله يا رسول الله. فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**انصرفي يا أسماء وأعْلِمي من ورائكِ من النِّساء أنَّ حُسْنَ تَبَعُّل إحداكنَّ لزوجها، وطلبها لمرضاته، واتباعها لموافقته، يعدل كل ما ذكرت للرِّجال**».

٦٠- روىٰ مسلمٌ في "صحيحه" عن أبي موسىٰ قال: اختلف في ذلك رهطٌ من المهاجرين والأنصار، فقال الأنصاريون: لا يجب الغسل إلَّا من الدفق أو من الماء، وقال المهاجرون: بل إذا خالط فقد وجب الغسل. قال أبو موسىٰ: فقلت: أنا أشفيكم من ذلك. فقمت فاستأذنت علىٰ عائشة، فأذنت لي. فقلت: ما يوجب الغسل؟ قالت: علىٰ الخَبِير سقطت، قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا جلس بين شُعَبِهَا الأربع، ومسَّ الخِتَان الخِتَان، فقد وجب الغُسْل**».

٦١- روىٰ أبو داود والترمذيُّ عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**نضَّر الله امْرَءًا سَمِعَ مِنَّا شيئًا فبلَّغه كما سمعه، فرُبَّ مبلِّغٍ أوعى مِن سامِع**» قال الترمذيُّ: «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ»، وصحَّحه ابن حِبَّان أيضًا.

قلت: وهذا الحديث رواه عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم جماعةٌ من الصَّحابة منهم زيد بن ثابتٍ، وأنس بن مالكٍ، وجُبير بن مُطْعِمٍ، ومعاذ بن جبلٍ، وأبو الدرداء، وأبو سعيدٍ الخدريِّ، وعمير الليثيِّ، والنعمان بن بشيرٍ، وبشير والد النعمان، وجابرٍ، وأبو قِرْصَافة، وسعد بن أبي وقَّاصٍ.

٦٢- روىٰ الدولابيُّ وابن مَنْدَه من طريق ابن عبيدالله عبدالجبار بن محرز بن عبدالجبار بن أبي رويحة، عن أبيه، عن أبي رويحة ربيعة بن السكن قال: قدمت علىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فعقد لي رايةً بيضاء، ذراعًا في ذراعٍ، وقال: «**اذهب يا أبا رويحة إلى قومك، فنادي فيهم: مَن دَخَلَ تحت راية أبي رويحة فهو آمِنٌ**».ففعلتُ.

ورواه إسحاق بن إبراهيم الرمليُّ في "الأفراد" من أحاديث بادية الشَّام، من طريق حرام بن عبدالرحمن الخثعميِّ، عن أبي رويحة الفزعيِّ ثمَّ الشماليِّ به.

٦٣- روىٰ الدَّارقطني من طريق الزهريِّ عن سعيد بن المسيِّب، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بديل بن وَرْقَاء الخُزاعيَّ علىٰ جملٍ أوْرَقَ، يصيح في فِجاج مِنًىٰ: ألَا إنَّ الذَّكاة في الحَلْقِ

واللَّبَّة، ألَا ولا تعجلوا الأنفس أن تَزَهَق، وأيام منًى أيام أكلٍ وشُرْبٍ وبِعَالٍ[١].

وروى ابن السَّكَن من طريق مفضل بن صالحٍ، عن عمرو بن دينارٍ، عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أمر بديلًا ينادي... فذكر نحوه.

وروى أبو نُعيمٍ من طريق ابن جريجٍ، عن محمد بن يحي بن حِبَّان، عن أمِّ الحارث بنت أبي عيَّاش بن أبي ربيعة قالت: رأيت بديل بن وَرْقَاء يطوف على جملٍ أوْرَقَ بمنًى يقول: إنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ينهاكم أنْ تصوموا هذه الأيام، فإنَّها أيام أكلٍ وشربٍ.

٦٤- روى أبو داود والترمذيُّ وابن ماجه عن المِقْدَام بن مَعْدِي كَرِب الكِنْديِّ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ألَا إنِّي أُوتِيتُ الكِتابَ ومِثْلَهُ معه، ألَا يوشك رجلٌ شبعانٌ على أرِيكَتِهِ يبلغه الحديث عنِّي، فيقول: بيننا وبينكم كتابُ الله فما وجَدَنا فيه حلالًا اسْتَحْلَلْناه وما وجَدَنا فيه حرامًا حرَّمناه. وإنَّ ما حَرَّم رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كما حرَّم الله**». حسَّنه الترمذيُّ.

في هذا الحديث وجوب العمل بخبر الواحد؛ لأنَّ معظم الأحاديث التي تبلغنا أخبار آحادٍ، وقد ذمَّ الحديث من لم يعمل بها.

٦٥- روى الطبرانيُّ في "الكبير" بإسنادٍ حسنٍ عن عُبادة بن الصامت رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان يقول: «**إنِّي مُحَدِّثكم الحديثَ فليُحَدِّثِ الحاضِرُ منكم الغَائِبَ**».

---

(١) بعال: كناية عن مباشرة الأزواج.

٦٦- روى أحمد وأبو يعلى والطبرانيُّ في "الكبير" عن هشام بن أبي رُقيَّة قال: سمعت مَسْلَمَةَ بن مَخْلَدٍ وهو قائمٌ على المنبر يخطب النَّاس، وهو يقول: يا أيها النَّاس أما لكم في العَصَبِ والكِتَّان ما يُغنيكم عن الحرير، وهذا رجلٌ منكم يخبركم عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قُمْ يا عقبة. فقام عقبة بن عامرٍ، فقال: إني سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**مَن كذبَ عليَّ مُتعمِّدًا، فليَتبوَّأ مقعدَهُ من النَّارِ**»، وأشهد أنِّي سمعته يقول: «**مَن لبس الحرير في الدُّنيا حرَّمه الله أنْ يلبسه في الآخِرة**» قال الحافظ الهيثميُّ: «رجال أسانيدهم ثقاتٌ».

٦٧- روى أحمد والبزَّار، والطبرانيُّ في "الكبير" عن يحيى بن ميمون الحضرميِّ أنَّ أبا موسى الغافقيَّ سمع عقبة بن عامر الجُهنيَّ يُحدِّث على المنبر عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقال أبو موسى: إنَّ صاحبكم هذا لحافظٌ أو هالكٌ، إنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان آخِر ما عهد إلينا أن قال: «**عليكم بكتاب الله، وسترجعون إلى قوم يحبون الحديث عنِّي، فمن قال عليَّ ما لم أقل فلْيَتبوَّأ مَقعدَهُ مِن النَّارِ، ومَن حفظ شيئًا فليحدِّث به**». رجاله ثقاتٌ كما قال الحافظ الهيثميُّ.

٦٨- روى الطبرانيُّ في "الكبير" عن أبي قِرْصَافة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**حدِّثوا عنِّي بما تسمعون، ولا يحلُّ لرَجُلٍ أنْ يكذِّب عليَّ، فمن كَذَبَ عليَّ، أوقال عليَّ غير ما قلتُ، بُنيَ له بيتٌ في جهنَّم يَرْتَعُ فيه**».

٦٩- روى الطبرانيُّ في "الكبير" عن رافع بن خَدِيجٍ قال: خرج علينا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**تَحدَّثوا وليتبوَّأ مَن كَذَبَ عليَّ**

مَقْعَدَهُ في جهنَّم»، قلت: يا رسول الله إنَّا نسمع منك أشياء فنكتبها؟ قال: «اكتُبوا ولا حَرَجَ».

٧٠- روىٰ أحمد وأبو داود والترمذيُّ وابن ماجه عن قَبِيصَةَ بن ذُؤَيْبٍ قال: جاءت الجدَّة إلىٰ أبي بكرٍ فسألته ميراثها، فقال: ما لك في كتاب الله شيءٌ وما علمت لك في سُنَّة رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم شيئًا فارجعي حتىٰ أسأل النَّاس. فسأل النَّاس؟ فقال: المغيرة بن شعبة حضرت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أعطاها السُّدس. فقال: هل معك غيرك؟ فقام محمد بن مسلمة الأنصاريُّ فقال: مثل ما قال المغيرة؛ فأنفذه لها أبو بكرٍ، قال: ثُمَّ جاءت الجَدَّة الأخرىٰ إلىٰ عمر، فسألته ميراثها فقال: ما لك في كتاب الله شيءٌ، ولكن هو ذاك السُّدُس فإن اجتمعتما فهو بينكما، وأيتكما خلت به فهو لها.

في هذا الحديث عمل الخليفتين بخبر المغيرة بن شعبة، وإنَّما طلب أبو بكر شخصًا آخَر مع المغيرة علىٰ سبيل التثبُّت، مع أنَّ رواية اثنين خبر آحادٍ أيضًا.

٧١- روىٰ الشيخان عن هشام بن عروة، عن أبيه، أنَّ عمر نَشَدَ النَّاسَ: من سمع النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قضىٰ في السِّقْطِ؟ فقال المغيرة: أنا سمعته قضىٰ فيه بغُرَّةٍ عبدٍ أو أمةٍ. قال: ائتِ بمن يشهد معك علىٰ هذا. فقال محمد بن سلمة: أنا أشهد علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بمثل هذا.

قال الحافظ ابن حجرٍ في "فتح الباري": «واستشارة عمر في ذلك أصلٌ في سؤال الإمام عن الحكم، إذا كان لا يعلمه أو كان عنده شكٌّ، أو أراد الاستثبات، وفيه أنَّ الوقائع الخاصة قد تخفىٰ علىٰ الأكابر، ويعلمها من دونهم، وفي ذلك ردٌّ علىٰ المقلِّد إذا استدلَّ عليه بخبر يخالفه، فيجيب لو كان صحيحًا

لعلمه فلان مثلًا فإنَّ ذلك إذا جاز خفاؤه عن مثل عمر، فخفاؤه عمن بعده أجوز، وقد تعلَّق بقول عمر: لتأتينَّ بمن يشهد معك مَن يرىٰ اعتبار العدد في الرِّواية ويشترط أنَّه لا يقبل أقل من اثنين، كما في غالب الشَّهادات، وهو ضعيفٌ كما قال ابن دقيق العيد، فإنَّه قد ثبت قبول الفرد في عدَّة مواطن، وطلب العدد في صورة جزئيَّة لا يدلُّ علىٰ اعتباره في كلِّ واقعةٍ، لجواز المانع الخاصِّ بتلك الصُّورة، أو وجود سبب يقتضي التثبُّت وزيادة الاستظهار، ولا سيَّما إذا قامت قرينة، وقريبٌ من هذا قصة عمر مع أبي موسىٰ في الاستئذان».اهـ

٧٢ - روىٰ الشَّيخان عن أبي سعيدٍ الخدريِّ قال: كنت في مجلسٍ من مجالس الأنصار، إذ جاء أبو موسىٰ كأنَّه مَذْعُورٌ، فقال: استأذنتُ علىٰ عمر ثلاثًا فلم يؤذن لي، فرجعت. فقال: ما منعك؟ قلت: استأذنتُ ثلاثًا فلم يؤذن لي فرجعت، وقال: رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا استأذن أحدُكم ثلاثًا، فلم يؤذن له فليرجع**»، فقال: والله لتقيمنَّ عليه بيِّنةً، أمنكم أحدٌ سمعه من النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم؟ فقال أُبيُّ بن كعبٍ: والله لا يقوم معك إلَّا أصغر القوم -فكنت أصغر القوم- فقمت معه، فأخبرت عمر أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال ذلك.

قال الحافظ ابن حجرٍ: «وتعلق بقصة عمر من زعم أنَّه كان لا يقبل خبر الواحد ولا حجَّة فيه؛ لأنَّه قبل خبر أبي سعيد المطابق لحديث أبي موسىٰ ولا يخرج بذلك عن كونه خبر واحد، واستدلَّ به من ادعىٰ أنَّ خبر العدل بمفرده لا يُقبل حتىٰ ينضم إليه غيره، كما في الشَّهادة. قال ابن بطال: وهو خطأٌ مِنْ

قائله وجهلٌ بمذهب عمر، فقد جاء في بعض طرقه أنَّ عمر قال لأبي موسىٰ: أما إنِّي لم أتهمك، ولكنِّي أردت أنْ لا يتجرأ النَّاس علىٰ الحديث عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

قلت: وهذه الزِّيادة في "الموطأ" عن ربيعة عن غير واحد من علمائهم، أنَّ أبا موسىٰ. فذكر القصة، وفي آخره فقال عمر لأبي موسىٰ: أما إنِّي لم أتهمك ولكنِّي خشيت أنْ يتقوَّل النَّاس علىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

وفي رواية عُبيد بن حُنين التي أشرت إليها آنفًا، فقال عمر لأبي موسىٰ: والله إنْ كنت لأمينًا علىٰ حديث رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ولكن أحببت أنْ أستثبت.

ونحوه في رواية أبي بُردة حين قال أُبيُّ بن كعبٍ لعمر: لا تكن عذابًا علىٰ أصحاب رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم. فقال: سبحان الله إنَّما سمعت شيئًا، فأحببت أنْ أتثبَّت.

قال ابن بطال: «فيؤخذ منه التثبُّت في خبر الواحد لما يجوز عليه من السَّهو وغيره، وقد قَبِل عمر خبر العدل الواحد بمفرده في توريث المرأة من ديَة زوجها، وأخذ الجزية من المجوس، إلىٰ غير ذلك، لكنَّه كان يستثبت إذا وقع له ما يقتضي ذلك».اهـ

٧٣- روىٰ البخاري: عن بَجَالة فقال: كنت كاتبًا لجزء بن معاوية عن الأحنف، فأتانا كتاب عمر بن الخطاب قبل موته بسنةٍ: فرِّقوا بين كلِّ ذي محرمٍ من المجوس، ولم يكن عمر أخذ الجِزْية من المجوس، حتىٰ شهد عبدالرحمن ابن عوف أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أخذها من مجوس هَجَر.

ورواه الترمذيُّ ولفظه: فجاءنا كتاب عمر؛ انظر من قبلك من مجوس، فخذ منهم الجزية، فإنَّ عبدالرحمن بن عوف أخبرني أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أخذ الجِزْية من مجوس هَجَر.

قال الحافظ ابن حجرٍ: «في الحديث قبول خبر الواحد، وأنَّ الصحابيَّ الجليل قد يغيب عنه علم ما اطلع عليه غيره من أقوال النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وأحكامه، وأنَّه لا نقص عليه في ذلك، وفيه التمسُّك بالمفهوم؛ لأنَّ عمر فهم من قوله: «أهل الكتاب» اختصاصهم بذلك حتىٰ حدَّثه عبدالرحمن بن عوف بإلحاق المجوس بهم فرجع إليه».اهـ

٧٤- روىٰ أحمد وأبو داود والترمذيُّ وابن ماجه عن سعيد بن المسيِّب أنَّ عمر كان يقول: الدِّيَة للعَاقِلة، ولا ترث المرأة مِن دِيَة زوجها. حتىٰ أخبره الضَّحَّاك بن سفيان الكِلابيُّ أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كتب إليَّ: «أنْ أُورِّث امرأة أَشْيَم الضِّبَابيِّ مِن دِيَة زوجها». صحَّحه الترمذيُّ، ورواه مالكٌ في "الموطأ" عن الزهريِّ وزاد: وكان قَتْلُهم أشيم خطأً.

٧٥- روىٰ أحمد في "مسنده" عن عبيد الله بن عبَّاس بن عبدالمطلب أخي عبدالله قال: كان للعبَّاس مِيزابٌ علىٰ طريق عمر بن الخطاب، فلبس عمر ثيابه يوم الجُمُعة، و كان ذبح للعبَّاس فرخان، فلمَّا وصل الميزاب أُصيب منه بدم الفرخين، فأمر عمر بقلع الميزاب، ثمَّ رجع عمر فطرح ثيابه ولبس ثيابًا غير ثيابه، ثمَّ جاء فصلَّىٰ بالنَّاس، فأتاه العبَّاس فقال: والله إنَّه للموضع الذي وضعه النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال عمر للعبَّاس: وأنَّا أعزم عليك لما صعدت علىٰ ظهري حتىٰ تضعه في الموضع الذي وضعه رسول الله صلَّىٰ الله عليه

وآله وسلَّم، ففعل ذلك العبَّاس.

٧٦- روى أحمد وأبو داود والترمذيُّ عن فُرَيْعَةَ بنت مالكٍ قالت: خرج زوجي في طلب أعْلَاجٍ له، فأدركهم بطَرَفِ القَدَوُمِ فقتلوه، فأتاني نعيه وأنا في دارٍ شاسعةٍ من دور أهلي، فأتيتُ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فذكرت ذلك له. فقلتُ: إنَّ نعي زوجي أتاني في دارٍ شاسعةٍ من دور أهلي ولم يَدَع لي نفقةً ولا مالًا ورثته، وليس المسكن له، فلو تحوَّلتُ إلى أهلي وأخوالي لكان أرفق بي في بعض شأني؟ قال: «**تَحوَّلي**»، فلمَّا خرجت إلى المسجد أو إلى الحجرة، دعاني أو أمر بي فدعيت، فقال: «**امْكُثِي في بَيْتِك الذي أتاك فيه نَعْيُ زوجك حتَّى يبلغَ الكتابُ أجَلَهُ**». قالت: فاعتددت فيه أربعة أشهرٍ وعشرًا. قالت: فأرسل إليَّ عثمان فأخبرته فأخذ به. صحَّحه الترمذيُّ وابن حِبَّان والحاكم.

٧٧- روى البخاريُّ عن ابن عمر، عن سعد بن أبي وقَّاصٍ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: أنَّه مسح على الخُفَّين، وأنَّ عبدالله بن عمر سأل عمر عن ذلك، فقال: نعم. إذا حدَّثك شيئًا سعدٌ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فلا تسأل عنه غيره.

قال الحافظ ابن حجرٍ: «فيه دليلٌ على أنَّ الصِّفات الموجبة للترجيح إذا اجتمعت في الرَّاوي؛ كانت من جملة القرائن التي إذا حفَّت خبر الواحد قامت مقام الأشخاص المتعدِّدة، وقد يفيد العلم عند البعض دون البعض، وعلى أنَّ عمر كان يقبل خبر الواحد، وما نُقل عنه من التوقُّف، إنَّما كان عند وقوع رِيبة له في بعض المواضع، واحتجَّ به من قال بتفاوت رتب العدالة، ودخول

الترجيح في ذلك عند التعارض، ويمكن إبداء الفارق في ذلك بين الرِّواية والشَّهادة، وفيه تعظيمٌ عظيمٌ مِن عُمَرَ لسعدٍ، وفيه أنَّ الصَّحابيَّ القديم الصُّحبة قد يخفىٰ عليه من الأمور الجليَّة في الشَّرع ما يطَّلع عليه غيره؛ لأنَّ ابن عمر أنكر المسح علىٰ الخُفَّين، مع قديم صحبته وكثرة روايته».اهـ

وثبت في "مسند" أحمد عن ابن عمر، قال: رأيت سعد بن أبي وقَّاصٍ يمسح علىٰ خُفَّيه بالعراق حين توضَّأ، فأنكرت ذلك عليه، فلمَّا اجتمعنا عند عمر، قال لي سعدٌ: سَلْ أباك... فذكر الحديث.

٧٨- روىٰ البخاريُّ في "الأدب المفرد" وأحمد وأبو يعلىٰ في "مسنديهما" والطبرانيُّ في "الكبير"، عن عبدالله بن محمد بن عقيلٍ: أنَّه سمع جابر بن عبدالله يقول: بلغني حديثٌ عن رجلٍ سمعه من رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فاشتريت بعيرًا ثُمَّ شددت عليه رَحْلي، فسرت إليه شهرًا حتىٰ قدمت عليه الشَّام، فإذا عبدالله بن أنيسٍ، فقلت للبوَّاب: قل له: جابرٌ علىٰ الباب. فقال: ابن عبدالله؟. قلت: نعم. فخرج يطأ ثوبه فاعتنقني واعتنقته، فقلت: حديثًا بلغني عنك أنَّك سمعته من رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في القصاص فخشيت أن تموت أو أموت قبل أن أسمعه. قال: سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**يُحشَرُ النَّاسُ يومَ القيامةِ -أو قال العِباد- عُراةً غُرْلًا بُهْمًا**» قال: قلنا وما بُهْمًا؟، قال: «**ليس معهم شيءٌ، ثُمَّ يناديهم بصوتٍ يسمعه من قُرْبٍ، أنا الملك أنا الدَّيَّان، ولا ينبغي لأحدٍ من أهل النَّار أنْ يدخل النَّار، وله عند أحد من أهل الجنَّة حَقٌّ حتَّى أَقُصَّه منه، ولا ينبغي لأحدٍ من أهل**

الجنَّة أن يدخل الجنَّة، ولأحد من أهل النَّار عنده حَقٌّ حتَّى أَقُصَّه منه حتَّى اللَّطْمَةُ»، قال: قلنا كيف؟ وإنَّا إنَّما نأتي الله عزَّ وجلَّ عُرَاةً غُرْلًا بهمًا!! قال: «**بالحسنات والسيِّئات**».

علَّقه البخاريُّ في كتاب العلم من "صحيحه" فقال: «ورحل جابر بن عبدالله مسيرة شهرٍ إلى عبدالله بن أنيسٍ في حديثٍ واحدٍ».

٧٩- روى الطبرانيُّ في "الأوسط" عن رجاء بن حَيْوة قال سمعت مَسْلَمةَ بن مَخْلَدٍ يقول: بينا أنا على مصر إذ أتى الآذِنَ البَّواب، فقال: إنَّ أعرابيًّا على بعيرٍ على الباب يستأذن، فقلت: مِن أنت؟. قال: جابر بن عبدالله الأنصاريُّ. قال: فأشرفت عليه. فقلت: أنزل إليك أو تصعد. قال: لا تنزل ولا أصعد، حديثٌ بلغني أنَّك ترويه عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في ستر المؤمن جئت أسمعه، قلت: سمعت النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**مَن سَتَرَ على مُؤمِنٍ، فكأنَّما أحْيَا مَوْؤُدَةً**». فضرب بعيره راجعًا.

قلت في معنى الحديث: العورة معصية توجب حدًّا أو تعزيرًا، فإذا اطلعت من أخيك المؤمن على عورةٍ مثل هذه، وسترتها عليه، ولم تُحدِّث بها أحدًا، فقد أبقيت على كرامته، وأحييت منزلته بين إخوانه، ولذا اعتبرها الشَّارع بمنزلة إحياء المَوْؤُدَة.اهـ من (ص ٤٤) من كتاب "تمام المنَّة ببيان الخصال الموجبة للجنَّة".

٨٠- روى مسلمٌ في "صحيحه" عن نافعٍ أنَّه سمع ابن عمر يقول: كنَّا نكري أرضنا، ثُمَّ تركنا ذلك حين سمعنا حديث رافع بن خَدِيجٍ.

وروي أيضًا: عن نافعٍ أنَّ ابن عمر كان يُكْرِي مزارعه على عهد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وفي إمارة أبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وصَدْرًا من خلافة معاوية حتى بلغه في آخر خلافة معاوية أنَّ رافع بن خَدِيجٍ يُحدِّث فيها بنهيٍ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فدخل عليه وأنا معه فسأله، فقال: كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ينهى عن كِراء المزارع. فتركها ابن عمر بعد ذلك فكان لا يُكْرِيها.

٨١ - روى أحمد في "مسنده" عن البراء بن عازبٍ، قال: ما كلُّ الحديث سمعناه من رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، كان يحدِّثنا أصحابنا عنه، كانت تشغلنا عنه رَعِيَّة الإبل. قال الحافظ الهيثميُّ في "مجمع الزوائد": «رجاله رجال الصحيح».

وروى الطبرانيُّ في "المعجم الكبير" عن حُميد، قال: كنَّا مع أنس بن مالكٍ فقال: والله ماكلُّ ما نُحَدِّثكم عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم سمعناه منه، ولكن لم يكن يَكْذِب بعضُنا بعضًا.

قال الحافظ الهيثميُّ: «رجاله رجال الصَّحيح».

وقد ترجم لهذين الأثرين في "مجمع الزوائد" بقوله: «باب لا تضر الجهالة بالصَّحابة؛ لأنَّهم عُدُولٌ». وهما يفيدان ذلك، كما يفيدان قبول الصَّحابة لخبر الواحد العدل، وعلمهم به، وهذا هو ما أفادته الأحاديث والآثار التي سبق ذكرها.

وأفرد الحافظ أبو بكر الخطيب في كتاب "الكفاية" بابًا لصحَّة العمل بخبر الواحد، قال فيه: «قد أفردنا لوجوب العمل بخبر الواحد كتابًا، ونحن نشير

إلي شيءٍ منه في هذا الموضع، إذ كان مقتضيًا له».اهـ ثمَّ أسند بعض الأحاديث.

منها حديث ابن مسعودٍ: «**نَضَّرَ اللهُ امْرَءًا سَمِعَ مَقَالتي فأدَّاها...**»، وهو الحديث الستون فيما تقدَّم، ثُمَّ روىٰ بإسنادٍ إلىٰ الرَّبيع بن سليمان قال: «قال الشَّافعيُّ: فلما ندب رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إلىٰ استماع مقالته وحفظها وأدائها امرءًا يؤدِّيها، ولو امرؤ واحدٌ، دلَّ علىٰ أنَّه لا يأمر أن يودِّي عنه إلَّا ما تقوم به الحُجَّة علىٰ من أدَّىٰ إليه؛ لأنَّه حلالٌ يؤتىٰ، وحرامٌ يجتنب، وحدٌّ يقام، ومالٌ يؤخذ ويعطىٰ، ونصيحةٌ في دين ودنيا».اهـ

ثُمَّ قال الخطيب: «وعلىٰ العمل بخبر الواحد كان كافَّة التَّابعين ومَن بعدهم من الفقهاء الخالفين في سائر أمصار المسلمين إلىٰ وقتنا هذا، ولم يبلغنا عن أحدٍ منهم إنكارٌ لذلك ولا اعتراضٌ عليه، فثبت أنَّ من دين جميعهم وجوبه؛ إذ لو كان فيهم من لا يرىٰ العمل به لنقل إلينا الخبر عنه لمذهبه فيه».اهـ كلامه.

وقال الحافظ ابن عبدالبر في مقدمة كتاب "التمهيد": «وأجمع أهل العِلْم من أهل الفقه والأثر في جميع الأمصار فيما علمت، علىٰ قبول خبر الواحد العدل وإيجاب العمل به إذا ثبت، ولم ينسخه غيره من أثرٍ أو إجماعٍ، علىٰ هذا جميع الفقهاء في كلِّ عصرٍ من لدن الصَّحابة إلىٰ يومنا هذا إلَّا الخوارج وطوائف من أهل البِدَع شِرْذَمَة لا تُعَدُّ خِلافًا.

وقد أجمع المسلمون علىٰ جواز قبول الواحد السائل المستفتي لما يخبره به العالم الواحد، إذا استفتاه فيما لا يعلمه، وقبول خبر الواحد العدل فيما يخبر به مثله، وقد ذكر الحُجَّة عليهم في ردِّهم أخبار الآحاد جماعةٌ من أئمَّة الجماعة

وعلماء المسلمين».اهـ كلامه.

وقال الحافظ ابن حجرٍ في "فتح البَّاري": «وقد استدلَّ بعض العلماء لقبول خبر الواحد، أن كلَّ صاحبٍ وتابعٍ سُئل عن نازلةٍ في الدِّين فأخبر السَّائل بما عنده فيها من الحُكْم، أنَّه لم يشترط عليه أحدٌ منهم أن لا يعمل بما أخبره به من ذلك، حتىٰ يسأل غيره، فضلًا عن أن يسأل الكواف، بل كان كلٌّ منهم يخبره بما عنده، فيعمل بمقتضاه ولا ينكر عليه ذلك، فدلَّ علىٰ اتفاقهم علىٰ وجوب العمل بخبر الواحد».اهـ كلامه.

دليل الإجماع

وأمَّا إجماع الصَّحابة والتَّابعين، فقد عُلِمَ من كلام الخطيب وابن عبدالبر والحافظ والغزاليِّ وغيرهم.

خاتمة

تبيَّن ممَّا أوردناه: أنَّ حُجِّيَّة خبر الآحاد قطعيَّةٌ معلومةٌ من الدِّين بالضرورة من دين الإسلام، فإنكارها ذريعةٌ إلىٰ إنكار العمل بالسُّنَّة التي هي الأصل الثَّاني بعد القرآن الكريم، ومنكر السُّنَّة النبويَّة كافرٌ لا حَظَّ له في الإسلام.

نسأل الله السَّلامة والعافية، وبالله التوفيق.

٣- القَوْلُ الجَزْلُ
فيما لا يُعْذَرُ فيه بالجَهْلِ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله على ما أنعَم، والشكر له على ما وفَّقنا وألْهَم، وعلَّمنا ما لم نكن نَعْلَم، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّدٍ هادي الأُمَّة مِن الضلالة، ومُعَلِّمهم من الجَهَالة، ورضي الله عن آله وصحابته والتابعين.

وبعد: فإنَّ طالبًا ممن كانوا يحضرون دروس "الموَطَّأ" و"اللُّمَع" التي ألقيتها بالقاهرة سألني: هل يكون الجهل عُذْرًا في الشريعة؟ وطلب أن أُفرد الكلام على هذا السؤال بتفصيلٍ، فأجبت رغبته بهذا الجزء الذي سمَّيته: **"القَولُ الجَزْلُ فيما لا يُعذَرُ فيه بالجَهلِ"**

ومِن الله أستنجد العَوْنَ والتوفيق، فهو سيِّدي وإلهي، عليه توكَّلتُ وإليه أُنيب.

ما هو الجهل ؟

الجهل في اللغة: خلاف العِلْم، والسَّفَه، والخِفَّة، والطَّيش، وإضاعة الحقِّ.

ومعناه في عرف العلماء: عدم العلم عمَّا من شأنه.

وهذا جهلٌ بسيطٌ، فإن عُرف الشيء على خلاف ماهو عليه فجهلٌ مُركَّب، وعلى هذا جاء قول الشاعر:

قال حِمارُ الحَكِيمِ تُومَا لو أَنصَفُوني كنتُ أَرْكَبْ
لأَنَّني جَاهِلٌ بَسيطٌ وراكِبي جَاهِلٌ مُركَّبْ

وهذا على سبيل الاستملاح، لأنَّ الحمار ليس من شأنه العِلْم، فلا يُسمَّى جاهلًا. وإنما أُطلق على الأسد: الجاهل؛ لخفَّة وَثْبه وسرعة غضبه.

الخطأ من جهلٌ

قالت الحنفية: والخطأ من الجهل؛ لأنه غير مطابقٍ للواقع، فهو على هذا جهلٌ مركَّب.

الجهل الذي لا يكون عذرًا لصاحبه

ثُمَّ إنَّ الجهل الذي لا يكون عذرًا لصاحبه أنواع:

الأول: جهل الكفَّار بالله وبرسوله، إذا بلغتهم الدعوة؛ لأنَّ الأدلة العقلية والنقليَّة على وحدانيَّة الله وألوهيَّته، والمعجزات الدالة على صحَّة الرِّسالة، لوضوحها وكثرتها صارت من الضروريَّات، فإنكارها عنادًا ومُكَابرةً لا يُلتفت إليها، وجهلها قصورٌ لا يُعذر به.

ولهذا أوجب الله قتال المشركين حتَّى يسلموا، قال تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥]. وأوجب قتال أهل الكتاب ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩] احترامًا لكتبه التي أنزلها عليهم.

الثاني: جهل المُبتدِع، مثل جهل المعتزلة بتنزيه الله بنفي صفات المعاني عنه، وبنفي رؤيته في الآخرة، ومثل جهل الروافض والمعتزلة بإنكار الشفاعة لأهل الكبائر، وإنكار الميزان والحوض والصراط، ومثل جهل المُجَسِّمة والمشبِّهة، ومثل جهل بقيَّة المبتدعة كالخوارج والشيعة وغيرهم، في عقائدهم وأقوالهم الباطلة بالكتاب والسنة المتواترة المصرِّحة بنقيض ما اعتقدوه.

ولا نُكفِّرهم؛ لتمسُّكهم بالقرآن والحديث في الجملة، فهم مسلمون، وإنما أوقعهم في الضلال توهمهم الفاسد أن ما ذهبوا إليه هو العقيدة الصحيحة. ويدخلون النار يوم القيامة؛ لحديث أبي داود عن معاوية عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ألا إنَّ مَن قَبلكم مِن أهل الكتاب افترقوا على ثِنْتين وسبعين فرقةً، وإنَّ أهل هذه المِلَّة يفترقون على ثلاث وسبعين، ثِنْتان وسبعون في النَّار، وواحدةٌ في الجنَّة وهي الجماعة**». ثُمَّ يخرجون من النَّار، ولا يخلدون فيها لموتهم على الإسلام.

الثالث: جهل الباغي، وهو: الخارج على الإمام الحقِّ بتأويل فاسد.

لا يكون جهله عذرًا، بل يقاتل حتى يرجع، ويُعذَّب في الآخرة إن لم يَتُبْ، لكن لا يُكفَّر؛ لأنَّ الله تعالى قال: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟

بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ ﴾ [الحجرات: ٩]. فسمَّىٰ البُغاة مؤمنين.

وقال عليٌّ -عليه السَّلام- في الخوارج الذين خرجوا عليه: «إخواننا بغوا علينا».

ومعاوية كان باغيًا بلا خلاف، ودعوىٰ أنه كان مجتهدًا -علىٰ فرض صحَّتها- لا تنفي عنه وصف البغي؛ لأنه خرج علىٰ الإمام الحقِّ بتأويل فاسد.

وحديث البخاريِّ: «**وَيْحَ عمَّار تقتله الفِئةُ الباغيةُ، يدعوهم إلى الجنَّة ويدعونه إلى النَّار**». صريحٌ في أنَّ معاوية باغ؛ لأنَّ عمَّارًا قُتل في صِفِّين، وكان مع عليّ عليه السَّلام.

الرابع: جهل المُقدِم علىٰ تفسير القرآن أو آيةٍ منه، برأيه المجرَّد من غير الرجوع إلىٰ كتب التفاسير المعتمدة، فلا يُعذر بجهله، ويلزمه الإثم والعقاب عند الله تعالىٰ، وينبغي للإمام تعذيره، ومثله جهل المتكلِّم في الحديث برأيه، فحكمه التعذير مع الإثم أيضًا.

لأنَّ المفسِّر لآيةٍ أو حديثٍ، يقصد بتفسيره أنه مراد الله ورسوله، فيكون كاذبًا، والكذب علىٰ الله ورسوله من الكبائر العظيمة، ولو فُرض أنه وافق الحقيقة مصادفةً لا تُعفيه من إثْم الإقدام والجُرأة.

وقد روىٰ أحمد، والترمذيُّ وصحَّحه عن ابن عباسٍ، قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن قال في القرآن برأيه فليتبوَّأ مَقْعدَه مِن النَّار**».

قال ابن حجرٍ: «أحقُّ الناس بما فيه من الوعيد، قومٌ من أهل البدع، سلبوا لفظ القرآن ما دلَّ عليه وأُريد به، وحملوه علىٰ مالم يدل عليه، ولم يُرَد به، في كلا

الأمرين مما قصدوا نفيه أو إثباته من المعنى، فهم مخطئون في الدليل والمدلول، مثل تفسير عبدالرحمن بن كيسان الأصم، والجبائيِّ، وعبدالجبار، والرمانيِّ، والزمخشريِّ وأمثالهم. ومن هؤلاء المبتدعة من يدسُّ البدع والتفاسير الباطلة في كلامهم الجزل، فيروج على أكثر أهل السنة، كصاحب "الكشَّاف". ويقرب من هؤلاء "تفسير ابن عطية" بل كان الإمام ابن عرفة المالكيُّ، يبالغ في الحطِّ عليه، ويقول: إنه أقبح من صاحب الكشَّاف، لأنَّ كلَّ أحد يعلم اعتزال ذاك، بخلاف هذا، فإنه يوهم الناس أنه من أهل السُّنَّة».

قلت: من التفاسير العصرية التي يدخل أصحابها في وعيد الحديث المذكور، "تفسير أبي زيد الدمنهوري"، و"تفسير عبدالجليل عيسى"، و"تفسير محمود شلتوت"، و"أوضح التفاسير" لابن الخطيب، وكتاب "في ظلال القرآن"، فيه سقطاتٌ، رغم تحمُّس صاحبه للتمسُّك بالدين وتنفيذ أحكامه.

ولا أعلم سبب حَمْلة ابن عرفة، على ابن عطية وتفسيره، مع أنه لم يُتَّهم ببدعة، ولا نُقِم عليه شئ من أخلاقه.

الخامس: جهل المُقدِم على الفتوى في الدين، بغير تَثبُّت ولا رجوع إلى ما قرَّره الأئمة علماء الشريعة، فيُحرِّم ويُحلِّل ويُفتي بأنَّ هذا واجبٌ، وهذا مندوبٌ. فجهله لا يكون عذرًا، بل هو عاص آثمٌ، ويجب على الحاكم أن يمنعه من الفتوى، حتى لا يضل الناس به، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ [النحل: ١١٦].

وروى الدارميُّ عن عبيد الله بن أبي جعفر، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**أَجرَؤُكم على الفُتْيا أجرؤكم على النَّار**». وروى أبو داود عن أبي

هريرة قال: سمعت النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**مَن قال عليَّ ما لم أقل فليتبوَّأ بيتًا في جهنَّم، ومَن أُفتيَ بغير عِلم كان إِثْمُه علي مَن أفتاه**».

«أُفتيَ» بضمِّ الهمزة فعلٌ مبنيٌّ للمجهول.

قَرَنَ النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بين الكذب عليه، والإفتاء بغير علم، ليُبيِّن أنَّ كلاهما كذبٌ مُحَرَّمٌ.

ومنصب الإفتاء منصبٌ خطيرٌ في الدين، عظيمٌ وَقْعُه، عَميمٌ نفعه؛ لا يقوم به إلَّا مَن تأهَّل له بشروط مُبيَّنة في مؤلَّفاتٍ خاصَّة.

وقد تكلَّم عليها الإمام النوويُّ في مقدَّمة "المجموع"، وابن القيم في أول كتاب "إعلام الموقعين". وقال سفيان بن عُيينة، وسُحْنُون: «أجسر الناس على الفُتيا أقلُّهم علمًا».

السادس: جهل الذي يدعوا إلى الاكتفاء بالقرآن، وترك السُّنَّة، وهذا كفرٌ بواحٌ؛ لأنَّ السنَّة هي الأصل الثاني بعد الكتاب العزيز، وعليهما قام الدين بإجماع المسلمين، فجهل منكر هذا، ليس بعذر، لأنه أنكر معلومًا من الدين بالضرورة.

السابع: جهل مَن يُفرِّق بين السنَّة العملية، فيعمل بها، وبين السنَّة القولية فلا يعمل بها. وهذا جهلٌ ليس يُعذر أيضًا؛ لأنَّ الأدلة أوجبت العمل بالسُّنَّة، وأهمها الإجماع القطعيُّ، لم تفرق بين العملية والقولية، بل جعلتهما في مرتبة واحدة، من القبول والحُجِّيَّة، فالمفرِّق عاص آثمٌ، شقَّ عصا المسلمين، واتبع غير سبيل المؤمنين.

الثامن: جهل الذي يقول: إنَّ الله لم يُحرِّم الخمر في القرآن، فإن أراد بذلك أنَّ الخمر ليست بحرام، فهو كفرٌ لا شكَّ فيه. وإن أراد أنَّ القرآن لم يُصرِّح

بتحريم الخمر فهو جهلٌ لا يُعذر به؛ لأنَّ في القرآن عِدَّة آيات تدل على تحريمها دلالةً أقوى مِن دلالة قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: ٣] الآية. وقد بيَّنتُها في كتاب: "واضح البرهان على تحريم الخمر في القرآن".

التاسع: جهل من لا يعرف حُرمة أخذ العُشُور على تُجَّار المسلمين، مما كان يُسمَّى بالمَكْسِ، ويُسمَّى الآن بالجمارك.

قال العلامة الدرديريُّ في "أقرب المسالك"، وشرحه: «والإجماع على حرمة أخذه من المسلمين، وعلى كفر مستحلِّه؛ لأنه من المعلوم من الدين بالضرورة. ولا يَرِد علينا أنَّ الحنفيَّة جوَّزوا للعَشَّار أخذ ربع العشر كلَّ عام من تجَّار المسلمين، لأنا نقول: كلامهم في ذلك محمولٌ عندهم على الزكاة، ولذلك قالوا: يجوز ربع العشر لا أكثر في كل حول مالم يدَّعِ التاجر أنه دفعه لفقير أو مسكين. فإن لم يدَّعِ ذلك وأخذه العَشَّار، حَسَبه ربُّ المال من الزكاة. وقولنا: "والإجماع..." إلى آخره، ظاهرٌ في أخذ العشر أو أقل أو أكثر من المسلمين ظُلمًا، كما هو واقعٌ الآن».

وقال القموليُّ: «ومِن جَحْدِ الضروريِّ الذي يَكفر به صاحبه: أ ن يعتقد في شيء من المكوس أنه حقٌّ»، قال: «ويحرم تسميتها بذلك».اهـ

نقله الفقيه ابن حجرٍ الهيتميُّ في "الإعلام بقواطع الإسلام" وعلَّق عليه بقوله: «وقضية ذلك أنَّ مجرَّد تسميه الباطل حقًّا، لا يطلق أنها كفرٌ، وهو ظاهرٌ في هذه المسألة مما فيه ضَربٌ من التأويل، وهو أخذ الإمام له على نية الزكاة، أما فيما لا تأويل فيه بوجه، فينبغي أن تكون تسميته حقًّا كفر».اهـ ولا يعذر بالجهل، بل يكون تقصيرًا منه.

العاشر: جهل الذي يدعو إلى تبرُّج المرأة بخروجها عما حَدَّه الإسلام لها، من الصيانة والعفاف والوقار، وقد انتشرت هذه الدعوى بين المثقَّفين المتفرنجين، والذي فتح هذا الباب قاسم أمين، فهو يتحمَّل إثم ما وصلت إليه المرأة من تهتُّك وفجور لقول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَنْ سَنَّ سُنَّةً سيِّئةً فعليه وِزْرُها ووِزْرُ مَن عَمِل بها من غير أن ينقص مِن أوزارهم شيءٌ**». والجهل بهذا ليس بعذر.

الحادي عشر: جهل من يتجنَّس بالجنسية الأوروبية مثل العُمَّال الذين يشتغلون في فرنسا وأسبانيا، فإنهم يتجنَّسون بالجنسية الفرنسية أو الأسبانية، وحُرمة هذا التجنُّس معلومةٌ بالضرورة، والإسلام لا يُبيح لمسلم أن ينتسب فرنسيًّا أو أسبانيًّا أو أي انتساب غير دين الإسلام، وقد حرَّم الله الميل إلى الكفَّار، وجعله كبيرةً توعَّد عليه بالعذاب في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [هود: ١١٣]، والتجنُّس أقبح من الميل وأشدُّ؛ لأنَّ المتجنِّس يصير من أفراد الدولة الكافرة عرفًا وقانونًا، ملتزمًا بأحكامها وقوانينها، ويحظى بامتيازات لا يحظى بها من لم يتجنَّس.

وفي الصحيحين عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**من ادَّعى – انتسب– إلى غير أبيه وهو يعلم، فالجنَّة عليه حرامٌ**». فكيف حال من يتجنَّس وينتسب إلى غير دينه؟! لا شك أنه أقبح وأضل.

وقد بلغني أنَّ مفتيًا أجاز التجنُّس واستدلَّ بهجرة جعفر وأصحابه إلى الحبشة فارين بدينهم، واعتبر عملهم تجنُّسًا، وهذا جهلٌ مُركَّب، وهذا المفتي يجب أن يُستتاب شرعًا، لأنه أباح محرَّمًا معلومًا بالضرورة.

وهجرة الصحابة إلى الحبشة كانت لجوءًا إلى النجاشيِّ طلبًا لعدله، واللجوء قانون دولي يعترف به الإسلام وغيره، واللاجئ إلى بلدة لا يكون من أهلها، ولو مكث فيها عدَّة سنين، بل هو ضيفٌ عليها فقط، بخلاف التجنُّس، فالفرق بينهما واضحٌ لا يشتبه إلَّا على جاهل أو صاحب هوى، وبالله التوفيق.

الثاني عشر: جهل المكتري الذي يبيع مفتاح الدكان أو المنزل الذي يكتريه.

وتحريم هذا معلومٌ بالضرورة؛ لأنَّ المكتري لا يملك المفتاح الذي يبيعه، ولو فرض أنه عمل في الدكَّان إصلاحات وتحسينات فإنَّ ذلك لا يُبيح له التصرف في المفتاح ببيع ولا غيره.

الثالث عشر: جهل المكتري الذي يطلب من صاحب المنزل مبلغًا من المال ليُسلِّمه منزله، وهذا أيضًا مما عُلم تحريمه بالضرورة، وهو كسابقه من أكل أموال الناس بالباطل.

الرابع عشر: جهل صاحب كتاب "السنة بين الفقهاء وأهل الحديث". فقد أتى فيه بجهالات هو فيها آثمٌ خاطئ، وأعظم جهالاته أنه ردَّ أحاديث صحيحةً لأنَّ عقله القاصر لم يقبلها، وجهل معنى قول العلماء في تعارض الحديث والعقل، فإنهم لم يقصدوا عقل الفرد من الناس لأنَّ عقول الأفراد تتفاوت، وليست على وتيرة واحدة من الذكاء والفطنة وإدراك صعاب المسائل، وإنما أرادوا بالعقل: القضية العقلية التي اتفق العقلاء على صحتها. مثل: الواحد نصف الاثنين، والسماء فوقنا. فهذا هو العقل الذي يُردُّ لأجله الحديث، ولا يوجد حديثٌ يخالف ما أجمع عليه العقلاء.

ولا يخفى أنَّ في نصوص القرآن والأحاديث ما يعلو عن الإدراك مثل

المتشابه، ولا يخفى أيضًا أنَّ في عقل الإنسان وإن بلغ درجةً عليا لابد أن يقصر عن فهم بعض نصوص الكتاب والسنَّة لأنَّ وحي الله فوق قدرة البشر، وقد أشار إلى هذا مع مزيد أيضًاح حُجَّة الإسلام الغزاليُّ -رحمه الله- في "قانون التأويل".

وأكبر غلطات الشيخ محمد عبده أنه كان مزكِّيا عقله بدون حدود فأنكر كثيرًا من الأحاديث الصحيحة لأنها جاءت فوق مستوى عقله المحدود.

وصاحب كتاب "السنَّة بين الفقهاء وأهل الحديث" زاد على الشيخ محمَّد عبده وقاحةً وقلة حياء مع إعجابه بنفسه.

الخامس عشر: جهل وزير الأوقاف المغربي الذي قدمت له إدارة نظارة طنجة شهادة خمسين مسلمًا من جهات مختلفة بأنهم رأوا هلال رمضان، وهذا تواترٌ، ومع ذلك أهملها وتحمَّل إثم فطر الشعب ليوم من رمضان بدعوى أنَّ القاضي لم يزكِّها، ولو كان عنده علمٌ وإخلاصٌ لعرض تلك الشهادة على أحد قضاة العاصمة فيزكِّيها، على أنَّ تلك الشهادة مستفيضة، وهي لا تحتاج إلى قاض أو تعديله كما في "شرح الزرقاني على المختصر"، ولكن ذلك الوزير جاهل مخذول.

السادس عشر: جهل الشاعر الذي قال على لسان الحضرة المحمَّدية:

وإذا سألتُكَ أنْ أراكَ حقيقةً فاسمحْ ولا تجعل جَوابيَ لن تَرى

وهذا التعبير فيه جفاءٌ بالنسبة لخطاب الله تعالى؛ إذ لا يجوز أن يقال في سؤاله: «اسمح ولا تجعل جوابي الرفض»، ثُمَّ إنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لا يطلب رؤية الله بعد أن تلا ما أنزل الله عليه في مناجاة كليمه عليه

السَّلام: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] الآية. وزاد هذا الشاعر جهلًا حين قال أيضًا على لسان الحضرة المحمدية:

وأبـــاحَ طَـــرْفي نظـــرةً أمَّلتُهـــا فغَـدوتُ معْروفًـا وكنـتُ مُنكَّـرَا

والنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم سُئل بعد المعراج هل رأيت ربَّك؟ فقال: «**نورٌ أنَّى أراه؟!**» وإنما رأى الله في المنام أمَّا في اليقظة فلا، وقال «**لن يرى أحدٌ منكم ربَّه حتى يموت**». وسبب ذلك يرجع إلى أمرين:

أحدهما: أنَّ الخلائق في الدنيا فانيةٌ، والله الباقي لا يُرى بالفاني، فإذا كان يوم القيامة أُعطوا أبصارًا باقيةً فرأوا الباقي بالباقي، هذا معنى كلام الإمام مالك.

والآخر: أنَّ نعيم الجنَّة أفضلُه أمران: رؤية الله، ورضوانه. فإذا رأوا الله في الدنيا، لم يبقَ لنعيم الجنَّة فائدةٌ، فمن زعم أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رأى الله في الدنيا ببصره غفل عن هذا المعنى، وكان مخطئًا في غفلته، والله يسامحه؛ لأنه حمله على ذلك حبُّه للجناب النبويِّ الشريف. لكن تقويله: «وأباح طرفي نظرة أمَّلتُها...» فيه خطرٌ كبيرٌ.

الجهل الذي يكون عذرًا لصاحبه

فهو الجهل بحكم يخفى على العامَّة، أو كان فيه شبهةٌ، أو كان الجاهل من سكَّان البادية بعيدًا عن الحاضرة التي يوجد فيها العلماء، أو أسلم في بلد الكفر، ولم يهاجر إلى بلد الإسلام.

ولذلك أمثلة:

١- أمَّ رجلٌ قومًا في صلاة الظهر، وقام من الركعة الثانية ولم يجلس للتشهد، فسبَّح له المصلُّون فرجع بعد أن أتمَّ القيام فصلاته باطلةٌ؛ لأنه رجع من فرض إلى سُنَّة.

لكن أفتى مولانا الإمام الوالد -رحمه الله ورضي عنه- بصحَّة صلاته؛ لأنَّ هذا الحكم يخفى على العامَّة.

٢- أمَّنا خطيب الجمعة فلما رفع رأسه من سجود الركعة الأولى لم يجلس بين السجدتين بل قام واقفًا ثُمَّ تنبَّه، فرجع وسجد مرَّة أخرى، وجلس ثُمَّ سجد. فصلاته باطلة لأنه زاد ركنًا في الصلاة، ولم أُفتِه بالبطلان لأنَّ هذا الحكم خفي عليه.

٣- روى البيهقيُّ عن يحيى بن حاطب، قال: تُوفِّي حاطبٌ، وأُعتق من صلَّى مِن رقيقه وصام، وكانت له أَمَةٌ نوبية قد صلَّت، وصامت -وهي أعجمية لم تفقه- فلم تَرُعْهُ إلَّا بحَبَلِها، وكانت ثيِّبا فذهب إلى عمر فحدَّثه، فأرسل إليها عمر فقال: أَحَبَلْتِ؟ قالت: نعم، مِن مرغوش بدرهمين، فإذا هي تستهلُّ بذلك لا تكتمه. قال: وصادف عليًّا وعثمان وعبدالرحمن بن عوف،

فقال: أشيروا عليَّ. فقال عليٌّ وعبدالرحمن بن عوف: قد وقع عليها الحدُّ. فقال أَشِرْ عليَّ يا عثمان. فقال: أراها تستهلُّ به كأنها لا تعلمه، وليس الحدُّ إلَّا على من عَلِمه. فقال: صدقتَ، والذي نفسي بيده ما الحدُّ إلَّا على من عَلِمه. فجَلَدها وغرَّبها، ولم يرجمها.

٤- روى البيهقيُّ عن بكر بن عبدالله المزنيِّ: أنَّ عمر بن الخطاب جاءه كتابٌ من الشام في رجل قيل له: متى عهدك بالنساء؟ فقال البارحة. فقيل بمن؟ قال: أمِّ مَثْواي -يعني صاحبة المنزل الذي يقيم فيه- فقيل له: قد هلكتَ قال: ما علمتُ أنَّ الله حرَّم الزنا. فكتب عمر: يُستحلَف ما علم أنَّ الله حرَّم الزنا، ثُمَّ يُخلَّى سبيله. وفي رواية عن سعيد بن المسيب: فكتب عمر: إن كان يعلم أنَّ الله حرَّمه فحدُّوه، وإن لم يكن يعلم فعلِّموه، وإن عاد فحدُّوه.

٥- شخصٌ قريب عهد بالإسلام أفطر في رمضان وقال: إنه لا يعلم أنَّ صومه فرضٌ. يجب عليه قضاء ما أفطر فيه، ولا إثم عليه.

٦- شخصٌ أفطر في رمضان ناسيًا، وجهل وجوب الإمساك عليه، فتمادى على إفطاره في ذلك اليوم فيجب عليه القضاء، ولا كفَّارة عليه، ولا إثم.

٧- شخصٌ كان مسافرًا في رمضان، ووصل إلى بيته قبل الفجر، وأصبح مفطرًا جاهلًا أنَّ الصوم يجب عليه حين قدم إلى داره. فيقضي ذلك اليوم، ولا إثم عليه لجهله.

٨- شخصٌ أجنب في ليلة من رمضان، واغتسل بعد الفجر فأفطر ذلك اليوم، ولا إثم عليه لجهله.

٩- شخصٌ احتجم في نهار رمضان فأفطر لاعتقاده أنَّ الحجامة تفطر الصائم. يجب عليه القضاء، ولا إثم عليه لجهله.

١٠- قُتل مسلمٌ عمدًا، وعفا أولياءُه عن القاتل إلَّا واحدًا منهم لم يعفُ عنه فقتله قصاصًا. فإن كان لا يعلم أنَّ عفو بعض الورثة يُسقط القصاص فهو معذورٌ بجهله لا إثم عليه عند الله تعالى، ولا قصاص في الدنيا، وإن قتله بعد علمه بأنَّ العفو يسقط القصاص فهو آثمٌ، ويقتل قصاصًا.

خاتمةٌ

في ألفاظ تدور على ألسنة كثير من الناس، وهي دائرةٌ بين الكفر والحرمة:

منها: طبيب كان في مجلس يتكلَّم عن مساواة المرأة للرجل كما يدعو إليه جهلة العصريين، فقال له جليسه: إنَّ الإسلام جعل شهادة رجل تعدل شهادة امرأتين، فقال الطبيب: هذا ظلمٌ. قال له جليسه: إنه في القرآن. قال: هو ظلمٌ ولو في القرآن. وهذا كفرٌ بَواحٌ لا خلاف فيه لأنه نسب الظلم إلى الله تعالى.

ومنها قول بعضهم: يا حُنيِّن يارب. فينطق اسم حُنين بالتصغير، وهذا حرامٌ لأنَّ أسماء الله تعالى لا يجوز تصغيرها، فيجب أن يقال: ياحَنَّان يارب.

ومنها قول بعضهم: مُصيحِف -لمصحف صغير الحجم- وهذا حرامٌ أيضًا. بل يقال: مصحف صغير المقاس، أو صغير الحجم.

ومنها قول بعضهم: سخرية القدر، أو القدر الساخر. وهذا حرامٌ؛ لأنَّ القدر منسوبٌ إلى الله تعالى والله لا يجوز في حقِّه السخرية، وما في معناها كالاستهزاء.

وقول الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ [البقرة: ١٥] ذُكر على سبيل المُشاكلة ردًّا على المنافقين في قولهم: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ [البقرة: ١٤]، والمعنى أنَّ الله يُجازيهم على استهزائهم، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ [الشورى: ٤٠] أطلق على الجزاء سيئة لأجل المُشاكلة، مع أنَّ الجزاء حسنٌ وعدلٌ.

ومنها: القدر أعور، أو المكتوب أعور. وهذا أيضًا حرام، وقبيح؛ لأنه

ينسب العَوَر إلى الله تعالى، وكتابه.

ومنها: ما حكاه ابن حجرٍ الفقيه في كتاب "الأعلام" حيث قال: «ووقع أنَّ أميرًا بنى بيتًا عظيمًا فدخله بعض المجازفين من أهل مكة، فقال: قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لا تُشدُّ الرِّحال إلَّا إلى ثلاثة مساجد**». وأنا أقول: وتشدُّ الرِّحال إلى هذا البيت أيضًا.

وقد سُئلت عن ذلك، والذي يتجه ويتحرَّر فيه: أنه بالنسبة لقواعد الحنفية والمالكية وتشديداتهم يكفر بذلك عندهم مطلقًا، وأمَّا بالنسبة لقواعدنا، وما عرف من كلام أئمَّتنا، فظاهر هذا اللفظ أنه استدراكٌ على حَصْره صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وأنه ساخرٌ به، وأنه شرع شرعًا آخر غير ما شرعه نبيُّنا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وأنه ألحق هذا البيت بتلك المساجد الثلاثة في الاختصاص عن بقية المساجد بهذه المزية العظيمة، التي هي التقرُّب إلى الله تعالى بشدِّ الرحال إليها. وكل واحد من هذه المقاصد الأربعة التي دلَّ عليها هذا اللفظ القبيح الشنيع كفرٌ بلا مرية، فمتى قصد أحدها فلا نزاع في كفره، وإن أُطلق فالذي يتَّجه الكفر أيضًا، لما علمت أنَّ اللفظ ظاهرٌ في الكفر، وعند ظهور اللفظ فيه لا يحتاج إلى نية».

قلت: وهذا الحكم ينسحب على حادثتين وقعتا في هذا العصر.

أولاهما: لمَّا ظهر جمال عبدالناصر وافتتن المصريون به، قال بعض الجهلة في الثناء عليه: جمالٌ عمل ما لم يعمله الأنبياء. وهذا كفرٌ لا خفاء فيه.

والأخرى: وقعت بالمغرب، وذلك أنَّ بعض المتهوِّرين أنشأ قصيدةً في مدح الأستاذ علال الفاسي قال فيها: إنه أتى بما لم يأت به النبيُّ محمَّد صلَّى الله

عليه وآله وسلَّم. وهذا كفرٌ قبيحٌ، وهو أيضًا كذبٌ؛ لأنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إلىٰ جانب كونه رسولًا داعيًا إلىٰ دين الله، عمل عملًا وطنيًّا بمفهوم هذا العصر. وبيان ذلك:

أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بُعث في الجزيرة العربية، وهي مُفكَّكة الأطراف، مُقطَّعة الأوصال، جزءٌ منها تحت حكم فارس، وآخر تحت حكم الروم، وآخر تحت سيطرة أبرهة. وكانت مكَّة المشرَّفة بمثابة منطقة دولية يحترمها العرب وغيرهم، ويحجُّون إليها. فماذا فعل النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم؟

جاهر بدعوته، وجاهد بها وعنها، وجمع شمل العرب، ووصل بين أطراف الجزيرة العربية، ووحَّد أجزائها حتىٰ صارت دولةً مستقلَّةً ذات سيادة لها نظامٌ وقانونٌ مستمدٌّ من كتاب الله وسُنَّة رسوله. وليس هذا فحسب، بل خرج الصحابة غازين فاتحين، ينشرون دين الله وتعاليم كتابه.

فمَن مِن الوطنيين في هذا الوقت عمل هذا العمل؟ أقصىٰ ما وصل إليه الوطنيُّ اليوم -أيُّ وطنيّ كان- أن تستقلَّ بلاده. ولكنَّه استقلالٌ ناقصٌ مبتورٌ؛ لأنَّ بلاده تستمر بعد استقلالها الاسمي في العمل بنظام المُستعمر، وتحكم بقانونه، وتنفِّذ له ما يريد في بلاده المستقلَّة اسمًا.

ومع هذا تجد الوطنيَّ يشمخ بأنفه، ويتبجَّح بأنه سعىٰ في الاستقلال، أو أتىٰ به، ولكن ما هو هذا الاستقلال، وما نتائجه؟

نتائج الاستقلال في جميع البلاد الإسلامية، هو ما نراه من الحكم بالقانون الأوروبي، في كل بلد حسب من كان مستعمر لها، ففي المغرب يحكم بالقانون

الفرنسيِّ، وفي مصر بالقانون الإنكليزيِّ... وهكذا.

وهو مانراه أيضًا من التقليد الأعمىٰ للمستعمرين فيما يضرُّ ولا ينفع، ومن تعظيم للنصارىٰ، وقبول ما يأتي من جهتهم.

هذا هو استقلال البلاد الإسلامية الآن، فصلَّىٰ الله وسلَّم وبارك علىٰ نبيِّنا العظيم الذي لم يأتِ أحدٌ بمثل ما أتىٰ به.

واعترف أحد المستشرقين بأنه أعظمُ مائةٍ هم عُظماء العالم، لأنه حرَّر العقول والبلاد، وجعل من العرب أمَّةً موحَّدة الكلمة، مرهوبة الجانب، قويةً في الحقِّ، عادلةً في الحكم، فيحقُّ أن نقول بفخرٍ واعتزازٍ: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أتىٰ بما لم يأتِ به أحدٌ قبله، ولن يأتِيَ به أحد بعده، والحمد لله ربِّ العالمين.

تتميمٌ

الجهل في العبادة لا يُعذر صاحبه عند المالكية، فالجاهل فيه كالمتعمِّد، نقل القرافيُّ عن الإمام مالك رحمه الله قوله: «إنَّ الجهل في الصَّلاة كالعمد، والجاهل كالمتعمِّد».اهـ وهو المقرَّر في مذهبه كما في "المختصر" وشروحه.

وترجم القرافيُّ في "الفروق" بقوله: «الفرق الرابع والتسعون: بين قاعدة مالا يكون الجهل عذرًا فيه وبين قاعدة ما يكون الجهل عذرًا فيه».

وقال: «اعلم أنَّ صاحب الشرع قد تسامح في جهالات فعفا عن مرتكبها، وأخذ بجهالات فلم يعفُ عن مرتكبها.

وضابط ما يُعفىٰ عنه من الجهالات: الجهل الذي يتعذَّر الاحتراز عنه عادةً، ومالا يتعذَّر الاحتراز عنه ولا يشقُّ لم يُعفَ عنه».

وذكر أمثلةً:

منها: مَن وطئ امرأةً أجنبيةً بالليل يظنُّها امرأته فعُفي عنه، لأنَّ الفحص عن ذلك مما يشقُّ علىٰ الناس.

ومنها: من شرب خمرًا يظنُّه جلَّابًا[1] فلا إثم عليه.

ومنها: لو قتل مسلما في صفِّ الكفَّار يظنُّه حربيًّا، فإنه لا إثم عليه في جهله به؛ لتعذُّر الاحتراز عن ذلك في تلك الحالة. ولو قتله في حالة السعة من غير كشف عن ذلك أثم.

ومنها: الحاكم يقضي بشهود الزُّور مع جهله بحالهم. لا إثم عليه في ذلك،

---

(١) جلَّابا: بوزن رمَّانا: ماء الورد.

لتعذُّر الاحتراز من ذلك عليه. وما عداه فمكلَّفٌ به، ومن أقدم عليه مع الجهل فقد أثم.

النوع الثاني: جهلٌ لم يتسامح صاحب الشرع عنه في الشريعة فلم يعف عن مرتكبه:

وضابط هذا النوع أنَّ كل مالا يتعذَّر الاحتراز عنه ولا يشقُّ، فالجهل فيه غير مقبول، ولا يُعذر صاحبه. ويجري ذلك في ثلاثة أنواع:

الأول: عقائد أصول الدين، فإنَّ الشارع شدَّد فيها تشديدًا عظيمًا، بحيث لو بذل الإنسان جهده واستفرغ وسعه في رفع الجهل عنه في صفة من صفات الله تعالى، أو في شيء يجب اعتقاده من أصول الديانات، ولم يرتفع ذلك الجهل، فإنه آثمٌ كافرٌ بترك ذلك الاعتقاد الذي هو من جملة الإيمان ويُخلَّد في النيران على المشهور من المذاهب.

مثل اعتقاد الفلاسفة أنَّ الله فاعل بالعلة، واعتقادهم أنه لا يعلم الجزئيات، وإنكارهم الحشر الجسماني، فهم كفَّارٌ بهذه العقائد لأنهم -مع اجتهادهم- جهلوا ما يجب في حقِّ الله تعالى فكانوا كفَّارًا مخلَّدين في النار أبدًا.

الثاني: نقل القرافيُّ عن العلماء أنهم قالوا: يلحق بأصول الدين أصول الفقه. ونقل عن أبي الحسين البصريِّ في كتاب "المعتمد في أصول الفقه" أنه قال: «إنَّ أصول الفقه اختصَّ بثلاثة أحكام عن الفقه: أنَّ المصيب فيه واحدٌ، والمخطئ فيه آثمٌ، ولا يجوز التقليد فيه».

قال القرافيُّ: «وهذه الثلاثة التي حكاها، هي في أصول الدين بعينها».

قلت: وأبو الحسين البصريُّ معتزليٌّ، والمتأخِّرون من الأصوليون لا يرون

التخطئة والتأثيم كما قال المحقِّق ابن الشاط رحمه الله تعالىٰ.

الثالث: أنواعٌ من الفروع لا يُقبل فيها الجهل ولا يُعذر صاحبه.

منها: العبادة، تقدَّم قول الإمام مالك: «إنَّ الجهل في الصلاة كالعمد، والجاهل كالمتعمِّد لا كالناسي». نقله القرافي في الفرق الثالث والتسعين، بين قاعدة: النسيان في العبادات لا يقدح، وقاعدة: الجهل يقدح، وكلاهما غير عالم بما أقدم عليه، وقال: «اعلم أنَّ الفرق بين هاتين القاعدتين مبنيٌّ علىٰ قاعدة، وهي أنَّ الغزالي حكىٰ الإجماع في "إحياء علوم الدين"، والشافعيَّ في "رسالته" حكاه أيضًا: في أنَّ المكلَّف لا يجوز له أن يقدم علىٰ فعل حتىٰ يعلم حكم الله فيه. فمن باع وجب عليه أن يتعلَّم ما عيَّنه الله وشرعه في البيع، ومن آجر وجب عليه أن يتعلم حكم الله تعالىٰ في القراض، ومن صلَّىٰ وجب عليه أن يتعلَّم حكم الله تعالىٰ في تلك الصلاة، وكذلك الطهارة، وجميع الأقوال والأعمال.

فمن تعلَّم وعمل بمقتضىٰ ما عَلِم فقد أطاع الله طاعتين، ومن لم يعلم ولم يعمل فقد عصىٰ الله معصيتين، ومن علم ولم يعلم بمقتضىٰ علمه فقد أطاع الله طاعةً، وعصاه معصيةً.

ويدل علىٰ هذه القاعدة أيضًا من القرآن: قوله تعالىٰ حكاية عن نوح عليه السلام: ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ﴾ [هود: ٤٧]

ومعناه: ما ليس لي بجواز سؤاله علمٌ. فدلَّ علىٰ أنه لا يجوز له أن يُقدم علىٰ الدعاء والسؤال إلَّا بعد علمه بحكم الله تعالىٰ في ذلك السؤال، وأنه جائزٌ. وذلك سبب كونه -عليه السلام- عُوتب علىٰ سؤال الله تعالىٰ لابنه أن يكون معه في السفينة، لكونه سأل قبل العلم بحال الولد، وأنه مما ينبغي طلبه أم لا؟

فالعتب والجواب كلاهما يدل أنه لابد من تقديم العلم بما يريد الإنسان أن يشرع فيه.

ومثله أيضًا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦].

نهى الله تعالى نبيَّه -عليه السَّلام- عن اتباع غير المعلوم، فلا يجوز الشُّروع في شيء حتى يعلم، فيكون طلب العلم واجبًا في كلّ حالة.

ومثله قوله عليه السَّلام: «**طلب العلم فريضةٌ على كلِّ مسلم**». قال الشافعيُّ رحمه الله: «طلب العلم قسمان: فرض عين، وفرض كفاية». ففرض العين علمك بحالتك التي أنت فيها، وفرض الكفاية ما عدا ذلك. فإذا كان العلم بما يقدم الإنسان عليه واجبًا كان الجاهل في الصلاة عاصيًا بترك العلم، فهو كالمتعمِّد الترك بعد العلم بما وجب عليه. فهذا هو وجه قول مالك رحمه الله: «إنَّ الجهل في الصَّلاة كالعمد، والجاهل كالمتعمِّد لا كالناسي»، وأمَّا الناسي فمعفوٌّ عنه. لقوله عليه السَّلام: «**رُفع عن أمَّتي الخطأُ والنِّسْيانُ وما استُكْرِهوا عليه**». وأجمعت الأمَّة على أنَّ النِّسيان لا إثم فيه».اهـ

ولا شكَّ أنَّ الجهل في الصوم والاعتكاف والزكاة وبقية العبادات لا يكون عذرًا، فمن كان معتكفًا وعمل عملًا يُفسد اعتكافه جهلًا، فسد اعتكافه ولا يُعذر بجهله، ومن دفع زكاته إلى كافر أو غنيّ جهلًا بحاله لم تُقبل زكاته ووجب أن يدفعها لمستحقِّها، وجهله ليس بعذر، ومن عقد بيعًا أو نكاحًا أو شركةً أو قراضًا وقت نداء الجمعة فسد ذلك العقد ولا يُعذر بجهله.

ومنها -أي مما لا يُعذر فيه بالجهل- فروعٌ ذكرها الشيخ خليل في "التوضيح"، ونظمه تلميذه الشيخ بهرام في قصيدة لامية شرحها العلامة

الأمير ونقَّحها في ثلاث وثلاثين مسألة. نذكر بعضها على سبيل المثال.

منها: إذا أقدم شخصٌ على الفتوى في أمر وهو جاهلٌ، وترتَّب على فتواه فساد أو ضياع، فإنه يضمن ما أفسده، ولا يُعذر بجهله.

ومنها: من تطبَّب وهو ليس بطبيب، يضمن إذا حصل عن طبِّه ضررٌ، ولا يُعذر بجهله.

ومنها: المرأة يغيب عنها زوجها فتنفق على نفسها من ماله، ثُمَّ يأتي نعيه، فترد ما أنفقت من يوم الوفاة، ولا تُعذر بالجهل.

ومنها: من اشترى شخصًا يُعتق عليه جاهلًا، وهو الأب والابن وقريب الحواشي، عُتق عليه، ولا يُعذر بالجهل.

ومنها: من توجَّه له على أبيه أو أمِّه حدٌّ أو يمينٌ فاستوفاه جاهلًا بأنَّ ذلك مفسِّقٌ له، بطلت شهادته، ولا يُعذر بالجهل.

ومنها: من يقطع الدنانير والدراهم لا تجوز شهادته ولا يُعذر بالجهل. وصرَّح المالكية في كتاب الزكاة بحرمة كسر الدنانير المسكوكة ما لم تكن مغشوشة فيجب كسرها.

ومنها: لو أقرَّ بالزنا أو شرب الخمر وجب عليه الحدُّ، ولا يُعذر بادَّعاء الجهل لكونه بدويًّا أو قريب عهد بالإسلام. وهو ظاهر قول مالك: وقد ظهر الإسلام وفشا، فلا يُعذر جاهلٌ في شيء من الحدود. وبقية الأمثلة، تُنظر في كتب المالكية.

تنبيه

سبق أنَّ مَن دفع زكاته لكافر أو غنيّ جهلًا بحاله لم تُقبل، ووجب عليه أن يؤدِّيها لمستحقِّها المسلم الفقير. وقد يُظنُّ أنَّ هذا يُخالف الحديث الذي رواه الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**قال رجلٌ لأتصدَّقَنَّ بصَدَقَةٍ، فخرج بصدقتِهِ فوضعها في يد سارقٍ؛ فأصبحوا يتحدَّثون، تُصُدِّقَ على سارقٍ؛ فقال: اللَّهمَّ لك الحمد على سارقٍ، لأتصدَّقنَّ بصدقةٍ، فخرج بصدقته فوضعها في يد زانيةٍ، فأصبحوا يتحدَّثون، تُصُدِّقَ اللَّيلةَ على زانيةٍ. قال: اللَّهمَّ لك الحمد على زانيةٍ، لأتصَدَّقنَّ بصدقةٍ، فخرج بصدقته فوضعها في يد غنيٍّ، فأصبحوا يتحدَّثون، تُصُدِّقَ الليلة على غنيٍّ. قال: اللَّهمَّ لك الحمد على سارقٍ و زانيةٍ وغنيٍّ، فأُتيَ فقيل له: أمَّا صدقتك فقد قبلت، أمَّا صدقتُك على سارق فلعلَّهُ أن يَسْتَعِفَّ عن سرقته، وأمَّا الزَّانيةُ فلعلَّها أن تَسْتَعِفَّ عن زِناها، وأمَّا الغنيُّ فلعلَّه أن يعتبر فيُنفق ممَّا أعطاه الله**».

فهذا الحديث يفيد أنَّ الصدقة تُقبل ولو وقعت في يد من لا يستحق.

والجواب أنه لا تخالف ولا تعارض؛ لأنَّ الحديث في صدقة التطوع أمَّا الزكاة فقد عيَّن الله مَن يستحقها في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [التوبة: ٦٠].

فلو أُعطيت الزكاة لأحد غير هؤلاء المذكورين في الآية لم تصح ولم تقبل، وبالله التوفيق.

الخلاصة

تبيَّن ممَّا أوردناه أنَّ الجهل الذي لا يكون عذرًا سببه أمران:

أحدهما: وضوح دليله، وشهرته بين الناس، بحيث يكون خفاؤه على الجاهل به في غاية البُعد. وهي الأنواع التي أوردتها من الأول إلى الخامس عشر.

والآخر: الجهل الذي لا يُتعذرالاحتراز عنه، وهو الذي ذكرت بعض أمثلته عن القرافي في "الفروق".

أمَّا الجهل في العبادة فهو غير عذر عند المالكية كما سبق التنبيه عليه، والجهل في العقيدة منه ما هو كفرٌ والعياذ بالله.

مثل عقيدة «قِدَم العالم» المنافية لقول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزمر: ٦٢] ولإجماع المسلمين.

ومثل عقيدة «فناء النار» المنافية لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ٦٤ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗا﴾ [الأحزاب: ٦٤ - ٦٥].

وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧].

﴿كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ﴾[النساء:٥٦]، ومنافية أيضًا لإجماع المسلمين.

ومثل إنكار القدر، فإنه مناف لقول الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾ [القمر: ٤٩]، وللإجماع أيضًا.

ومن الجهل في العقيدة ما هو ضلالٌ، مثل عقيدة المشبِّهة والمعتزلة وأشكالهم من الفرق الضالَّة التي أخبر الحديث عنها.

ففي "سنن ابن ماجه" عن عوف بن مالك عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**افترقت اليهودُ على إحدى وسبعين فرقةً، فواحدةٌ في الجنَّة وسبعون في النَّار، وافترقت النَّصارى على ثِنْتيين وسبعين فرقةً، فإحدى وسبعون في النَّار وواحدةٌ في الجنَّة، والذي نَفْسُ محمَّدٍ بيده لتَفْتَرِقَنَّ أمَّتي على ثلاثٍ وسبعين فرقةً، فواحدةٌ في الجنَّة و ثِنْتان وسبعون في النَّارِ**».

وهذا الحديث يدل على عظم إثم الجاهل في العقيدة، وأنه إذا لم يكفر بجهله، فهو لا محالة ضالٌّ يستحقُّ العذاب عند الله تعالى إلَّا إن رجع عن ضلاله، وصحَّح عقيدته على أهل السنة والجماعة، وهي الفرقة الناجية بفضل الله تعالى.

خاتمة

قال السيوطيُّ في "الأشباه والنظائر" في فقه الشافعية: «**من يقبل منه دعوى الجهل ومن لا يقبل**: كلُّ من جهل تحريم شيء ممَّا يشترك فيه غالب الناس لم يقبل، إلَّا أن يكون قريب عهد بالإسلام، أو نشأ ببلدة بعيدة يخفى عليها مثل ذلك، كتحريم الزِّنا والقتل والسرقة والخمر، والكلام في الصلاة والأكل في الصوم،والقتل بالشهادة إذا رجعا وقالا تعمَّدنا ذلك ولم نعلم أنه يقتل بشهادتنا، ووطء المغصوبة».

قال: «ومن هذا القبيل -أعني الذي يقبل فيه دعوى الجهل مطلقًا لخفائه- كون التنحنح يبطل الصلاة».

ثُمَّ قال: «كلُّ من علم تحريم شيء وجهل ما يترتَّب عليه لم يفده ذلك، كمن علم تحريم الزنا والخمر وجهل وجوب الحدِّ يُحدُّ بالاتفاق. وكذا لو علم تحريم الكلام وجهل كونه مُبطِلًا يبطل. أو علم تحريم الطِّيب وجهل وجوب الفدية تجب». ثُمَّ ختم كتابه بقوله: هذه مسائل لا يُعذر فيها بالجهل، وقد نظمها بعضهم فقال:

ثلاثـون لا عُـذْرَ بجهـل يُـرى بهـا ... وَزِدْها مِنَ الأعدادِ عَشْـرًا لـتَكْمُلا

وذكر القصيدة بتمامها.

قلت: وهي قصيدة الشيخ بهرام التي أشرتُ إليها، وذكرتُ أنَّ العلَّامة الأمير شرحها، ومن هذا يُعلم أنَّ الشافعية والمالكية والحنفية متفقون في معظم مالا يُعذر فيه بالجهل، إلَّا أنَّ المالكية ينفردون باعتبار الجهل في العبادة غير مقبول، والله تعالى أعلم.

٤ - إِتْقَانُ الصِّنْعَةِ

فِي تَحْقِيقِ مَعْنَى البِدْعَةِ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدِّمة

الحمدُ لله بَديعِ السَّمواتِ والأرضِ ذي الجلال والإكرام، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّد الذي جاء بالسُّنَّة والفرض وبيَّن الحلالَ والحرامَ، ورضي الله عن آله الكرام، وصحابته الأعلام.

هذا جزءٌ حرَّرتُ فيه معنى البدعة، وذكرتُ أنواعها، وبيَّنتُ حَسَنها وسيِّئها حسبما اقتضته الأدلَّة، في إطار القواعد الأُصوليَّة، ناكبًا عن طريق التَّزمُّت المَمْقُوت، طَارِحًا للتّساهل المرذول، وبالله أستعين فهو الموفِّق المعين.

خادم الحديث والسُّنة

عبدالله بن الصِّدِّيق الغُماري

(١) معنى البدعة

قال الرَّاغب الأصفهانيُّ في "مفردات القرآن": «الإبداعُ إنشاء صنعةٍ بلا احتذاء واقتداء، وإذا استُعمل في الله تعالى، فهو إيجاد الشيء بغير آلةٍ ولا مادَّةٍ ولا زمانٍ ولا مكانٍ، وليس ذلك إلَّا لله.

والبديع يقال للمُبدِع نحو قوله: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧] ويقال للمُبدَع -بفتح الدال - نحو ركية بديع. وكذلك البدع، يقال لهما جميعا بمعنى الفاعل والمفعول.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩]. قيل معناه مبدعًا لم يتقدَّمني رسولٌ، وقيل: مبدعًا فيما أقوله.

والبدعة في المذهب: إيراد قول لم يستنّ قائلها وفاعلها فيه بصاحب الشَّريعة، وأمثالها المتقدِّمة، وأصولها المتقنة، وروي: «**كلُّ مُحدَثةٍ بدعةٌ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلُّ ضلالةٍ في النَّار**».اهـ

وقال ابن الأثير في "النهاية": «البدعة بدعتان: بدعة هُدًى، وبدعة ضلالٍ فما كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فهو في حيِّز الذمِّ والإنكار، وما كان واقعًا تحت عموم ما نَدَبَ الله إليه، وحَضَّ عليه الله ورسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فهو في حَيِّز المدح.

وما لم يكن له مثالٌ موجودٌ كنوعٍ من الجود والسَّخاء وفعل المعروف فهو في الأفعال المحمودة، ولا يجوز أن يكون ذلك في خلاف ما ورد الشَّرع به؛ لأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قد جعل له في ذلك ثوابًا، فقال: «**مَن سَنَّ سُنَّةً**

حَسَنةً كان له أجْرُها وأَجْرُ مَن عَمِل بها» وقال في ضِدِّه: «ومَن سَنَّ سُنَّةً سيِّئةً كان عليه وِزْرُها ووِزْرُ مَن عَمِل بها» وذلك إذا كان في خلاف ما أمر الله به، أو رسوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

ومن هذا النوع قول عمر رضي الله عنه: «نعمت البدعة هذه»؛ لَمَّا كانت من أفعال الخير، وداخلةً في حيِّز المدح سمَّاها بدعةً ومدحها؛ لأنَّ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لم يسُنَّها لهم، وإنما صلَّاها ليالي ثُمَّ تركها، ولم يحافظ عليها، ولا جمع الناس لها، ولا كانت في زمن أبي بكر، وإنَّما عمر جمع الناس عليها وندبهم إليها، فبهذا سمَّاها بدعةً، وهي علىٰ الحقيقة سنَّة. لقوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «عليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخُلفاء الرَّاشدين مِن بعدي»، وقوله: «اقتدوا بالذين مِن بعدي أبي بكرٍ وعمر». وعلىٰ هذا التَّأويل يُحمل الحديث الآخر: «كلُّ مُحدَثةٍ بدعةٌ»، إنَّما يريد: ما خالف أصول الشريعه ولم يوافق السنَّة».اهـ

وقال الفيوميُّ في "المصباح": «أَبْدَعَ الله تعالىٰ الخلق إِبْدَاعًا خلقهم لا علىٰ مثال، وأَبْدَعْتُ الشيء وابْتَدَعْتُه: استخرجته وأحدثته، ومنه قيل للحالة المخالفة بِدْعَةٌ، وهي اسم من الابْتِدَاعِ، كالرفعة من الارتفاع. ثُمَّ غلب استعمالها فيما هو نقصٌ في الدِّين، أو زيادةٌ لكن قد يكون بعضها غير مكروه، فيُسمَّىٰ بدعة مباحة، وهو ما شهد لجنسه أصل في الشَّرع، أو اقتضته مصلحةٌ يندفع بها مفسدة، كاحتجاب الخليفة عن أخلاط الناس».اهـ

وفي "القاموس وشرحه": «والبِدْعَةُ بالكسر الحَدَثُ في الدِّين بعد الإكمال ومنه الحديث: «إيَّاكم ومُحدَثات الأمور؛ فإنَّ كلَّ مُحدَثةٍ بدعةٌ، وكلُّ بدعةٍ ضَلالةٌ»، أو هي ما استُحدِث بعد النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من الأهواء

والأعمال، وهذا قول اللَّيث، وقال ابن السِّكِّيت: البدعة كلُّ مُحدَثَة».اهـ

ثُمَّ نقل الشَّارح كلام "النِّهاية" كما سبق.

يُستخلَصُ ممَّا سبق أنَّ كلَّ مُحدثة بدعةٌ، في اللغة والشَّرع وأنَّ البدعة في عُرف الشَّرع نوعان: محمودةٌ ومذمومةٌ.

(٢) الترك لا يقتضى التحريم

من المعلوم بالضَّرورة: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لم يفعل جميع المباحات؛ لأنَّها كثيرةٌ لا يستطيع بشرٌ أن يستوعبها عدًّا فضلًا عن أن يتناولها.

ولأنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان زاهدًا مُتقلِّلًا، يَقتصر من المابحات علىٰ ما يسدُّ الخَلَّة وتستدعيه الحاجه ويترك ما زاد علىٰ ذلك.

فمن زعم تحريم شيء بدعوىٰ أنَّ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لم يفعله فقد ادَّعىٰ ما ليس عليه دليلٌ، وكانت دعواه مردودة.

وفي "الصّحيحين" عن خالد بن الوليد أنَّه دخل مع النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بيت ميمونة، فأُتِيَ بضبّ محنوذ فأهوىٰ إليه رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بيده فقيل: هو ضبٌّ يا رسول الله فرفع يده، فقلت: أحرامٌ هو يا رسول الله؟ فقال: «**لا، ولكن لم يكن بأرضِ قَوْمي فأجدني أَعَافُهُ**»، قال خالدٌ: فاجتررته فأكلته، والنبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ينظر.

وفي الحديث دليلٌ للقاعدة الأصوليَّة: «أنَّ ترك الشيء لا يقتضىٰ تحريمه».

قد يقال: سؤال خالد يدلُّ علىٰ خلاف القاعدة، وهو أنَّ التَّرك يقتضي التَّحريم وقد استدلَّ به بعضهم لذلك.

فيقال في جوابه: لَمَّا رأىٰ خالدٌ إعراض النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن الضَّبِّ بعد أن أهوىٰ إليه ليأكل منه، حصل عنده شبهةٌ في تحريمه؛ فلذلك سأل، وكان جواب النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم له مؤيِّدًا للقاعدة، ومؤكِّدًا لعمومها في أنَّ ترك الشيء ولو بعد الإقبال عليه لا يفيد تحريمه.

وفي الحديث دليلٌ أيضًا علىٰ أنَّ استقذار الشيء لا يحرِّمه؛ لأنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم استقذر الضَّبَّ وعافه ولم يحرِّمه.

(٣) فعل الخير مندوب إليه في الكتاب والسُّنَّة

ومن المعلوم أيضًا بالضَّرورة: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لم يفعل جميع المندوبات؛ لاشتغاله بمهامٍّ عِظام استغرقت معظم وقته: تبليغ الدَّعوة، ومجادلة المشركين والكتابيِّين، وجهاد الكفَّار لحماية بيضة الإسلام، وعقد مُعاهدات الصُّلح والأمان والهُدنة وإقامة الحدود، وإنفاذ السَّرايا للغزو، وبعث العمَّال بجباية الزَّكاة، وتبليغ الأحكام، وغير ذلك ممَّا يلزم لتأسيس الدَّوله الإسلاميّة وتحديد معالمها.

بل ترك صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بعض المندوبات عمدًا؛ مخافة أن يُفرض علىٰ أمَّته أو يشقَّ عليهم إذا هو فعله.

ولأنَّه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم اكتفىٰ بالنُّصوص العامَّة الشّاملة للمندوبات بجميع أنواعها منذ جاء الإسلام، إلىٰ قيام السّاعة، مثل: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٧]. ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ

أَمْثَالِهَا ﴾ [الأنعام: ١٦٠]. ﴿ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج: ٧٧].

﴿ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ﴾ [الشورى: ٢٣]. ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة: ٧].

وجاءت الأحاديث النَّبويّة، على هذا المِنوال، وسنذكر بعضها بحول الله تعالى فمن زعم في فعل خير مُستحدث أنَّه بدعةٌ مذمومةٌ، فقد أخطأ وتجرَّأ على الله ورسوله؛ حيث ذمَّ ما ندب الله ورسوله إليه في عموميَّات الكتاب والسُنَّة.

(٤) حديث «كلُّ بدعةٍ ضلالةٌ» من العامِّ المخصوص

روى مسلمٌ في "صحيحه" عن جابرٍ رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان يقول في خطبته: «**إنَّ خير الحديثِ كِتابُ الله، وخيرُ الهدي هَدْيُ محمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وشرُّ الأمورِ مُحدَثاتُها، وكلُّ بدعةٍ ضَلالةٌ**».

قال النَّوويُّ: «قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ**» هذا عامٌّ مخصوصٌ، والمراد غالب البدع، قال أهل اللغة: هي كلُّ شيء عُمل على غير مثال سابق.

قال العلماء: البدعة خمسة أقسام: واجبةٌ؛ ومندوبةٌ؛ ومحرَّمةٌ؛ ومكروهةٌ؛ ومباحةٌ.

فمن الواجبة: نظم أدلَّة المتكلِّمين، للرَّدِّ على الملاحدة والمبتدعين وشبه ذلك.

ومن المندوبة: تصنيف كتب العلم وبناء المدارس والربط وغير ذلك.

ومن المباح: التَّبسُّط في ألوان الأطعمة وغير ذلك.

والحرام والمكروه ظاهران.

فإذا عرف ما ذكرته؛ علم أنَّ الحديث من العامِّ المخصوص، وكذا ما أشبهه من الأحاديث الواردة، ويؤيِّدها قول عمر رضي الله عنه: نعمة البدعة.

ولا يمنع من كون الحديث عامًّا مخصوصًا قوله: «**كلُّ بدعة**»، مؤكدًا بـ«**كل**»، بل يدخله التخصيص مع ذلك كقوله تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأحقاف: ٢٥]».اهـ

وفي حديث العِرْباض بن سارية، قول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**وإيَّاكم ومُحدَثات الأمور؛ فإنَّ كلَّ بدعةٍ ضلالةٌ**».

رواه أحمد، وأبو داود، والترمذيُّ، وابن ماجه، وصحَّحه الترمذيُّ وابن حِبَّان والحاكم.

قال الحافظ ابن رجب في شرحه: «والمراد بالبدعة: ما أُحدث ممَّا لا أصل له في الشَّريعة يدلُّ عليه، وأمَّا ما كان له أصلٌ من الشَّرع يدلُّ عليه فليس ببدعة شرعًا، وإن كان بدعةً لغةً».اهـ

وفي "صحيح البخاريِّ" عن ابن مسعودٍ قال: «إنَّ أحسن الحديث كتاب الله، وأحسن الهديِ هديُ محمَّد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وشرُّ الأمور مُحدثاتها».

قال الحافظ ابن حجرٍ: «والمُحدَثات -بفتح الدال- جمع مُحدثة، والمراد بها ما أُحدث و ليس له أصلٌ في الشَّرع، ويُسمَّى في عُرْف الشَّرعِ: «بدعةً»، وما كان له أصلٌ يدلُّ عليه الشَّرع، فليس ببدعة، فالبدعة في عُرْف الشَّرع مذمومةٌ، بخلاف اللغة، فإنَّ كلَّ شيء أُحدث على غير مثال، يُسمَّى بدعةً سواءً كان محمودًا او مذمومًا».اهـ

قلت: ما أُحدث وله أصلٌ في الشَّرع يشهد له يُسمَّىٰ سُنَّـةً حسنةً، كذلك سمَّاه النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، ومقابله يُسمَّىٰ بدعةً، كما يُسمَّىٰ سُنَّةً سيِّئةً.

وروىٰ أبو نعيمٍ عن ابراهيم بن الجنيد، قال: سمعت الشَّافعيَّ يقول: «البدعة بدعتان بدعةٌ محمودةٌ، وبدعةٌ مذمومةٌ، فما وافق السُّنَّة فهو محمودٌ وما خالف السُّنَّة فهو مذمومٌ».

وروىٰ البيهقيُّ في "مناقب الشَّافعيِّ" عنه، قال: «المحدثات ضربان: ما أُحدث ممَّا يُخالف كتابًا أو سنةً أو أثرًا أو إجماعًا، فهذه بدعة الضَّلالة.

وما أُحدث من الخير لا خلاف فيه لواحد من هذا، فهذه محدثةٌ غير مذمومة، وقد قال عمر في قيام رمضان: «نعمة البدعة هذه» يعني أنَّها محدثةٌ لم تكن، وإذا كانت ليس فيها ردٌّ لما مضىٰ».

وقال الحافظ ابن حجرٍ في "فتح الباري": «وأمَّا قوله في حديث العِرْباض: «**فإنَّ كلَّ بدعةٍ ضلالةٌ**» بعد قوله: «**وإيَّاكم ومُحدَثات الأمورِ**» فإنَّه يدلُّ علىٰ أنَّ المحدث يُسمىٰ بدعةً وقوله: «**كلُّ بدعةٍ ضلالةٌ**» قاعدةٌ شرعيَّةٌ كليَّةٌ، بمنطوقها ومفهومها.

أمَّا منطوقها فكأن يقال: حكم كذا بدعةٌ، وكلُّ بدعة ضلالةٌ، فلا تكون من الشَّرع؛ لأنَّ الشَّرع كلَّه هدًىٰ فإن ثبت أنَّ الحكم المذكور بدعةٌ، صحَّت المقدِّمتان وأنتجتا المطلوب. والمراد بقوله: «**كلُّ بدعةٍ ضلالةٌ**» ما أُحدث ولا دليل له من الشَّرع بطريقٍ خاصٍّ ولا عامٍّ».اهـ

وقال النوويُّ في "تهذيب الأسماء واللغات": «البِدعَةُ -بكسر الباء- في الشَّرع: هي إحداث ما لم يكن في عهد الرسول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وهي

منقسمةٌ إلىٰ حسنة وقبيحة.

قال الشَّيخ الإمام المُجمَع علىٰ إمامته وجلالته، وتمكُّنه من أنواع العلوم وبراعته أبو محمَّد عبدالعزيز بن عبدالسَّلام -رحمه الله ورضي عنه- في آخر كتاب "القواعد": «البدعة منقسمةٌ إلىٰ واجبةٍ، ومُحرَّمةٍ، ومندوبةٍ، ومكروهةٍ، ومباحةٍ».

قال: «والطَّريق في ذلك أن تعرض البدعة علىٰ قواعد الشَّريعة، فإن دخلت في قواعد الإيجاب، فهي واجبةٌ، أو في قواعد التَّحريم فمحرَّمةٌ، أو النَّدب، فمندوبةٌ، أو المكروه فمكروهةٌ، أو المباح فمباحةٌ».

وللبدع الواجبة أمثلةٌ:

منها: الاشتغال بعلم النَّحو الذي يُفهم به كلام الله تعالىٰ وكلام رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وذلك واجبٌ، لأنَّ حفظ الشَّريعة واجبٌ ولا يتأتَّىٰ حفظها إلَّا بذلك، وما لا يتمُّ الواجب إلَّا به فهو واجبٌ.

الثاني: حفظ غريب الكتاب والسنَّة.

الثالث: تدوين أصول الدِّين وأصول الفقه.

الرابع: الكلام في الجرح والتَّعديل، وتمييز الصَّحيح من السَّقيم. وقد دلَّت قواعد الشَّريعة علىٰ أنَّ حفظ الشَّريعة فرض كفاية، في ما زاد علىٰ المتعيِّن، ولا يأتي ذلك إلَّا بما ذكرناه.

وللبدع المحرمة أمثلةٌ:

منها: مذاهب القَدَريَّة والجبْريَّة والمُرجِئة والمُجَسِّمة، والردُّ علىٰ هؤلاء من البدع الواجبة.

وللبدع المندوبة أمثلةٌ:

منها: إحداث الرُّبُط والمدارس وكلُّ إحسان لم يُعهد في العصر الأول.

ومنها: التَّراويح والكلام في دقائق التَّصوف، وفي الجدل.

ومنها: جمع المحافل للاستدلال إن قصد بذلك وجه الله تعالى.

وللبدع المكروهة أمثلةٌ: كزخرفة المساجد، وتزويق المصاحف.

وللبدع المباحة أمثلةٌ:

منها: المصافحة عقب الصُّبح والعصر.

ومنها: التوسُّع في اللذيد من المآكل والمشارب والملابس والمساكن ولبس الطيالسة وتوسيع الأكمام. وقد يُختلف في بعض ذلك، فيجعله بعض العلماء من البدع المكروهة، ويجعله آخرون من السنَّة المفعولة في عهد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فما بعده، وذلك كالاستعاذة في الصَّلاة والبسملة».اهـ

وكذا نقله الحافظ في "الفتح" وسلَّمه وهو حقيقٌ بالتَّسليم.

(٥) العلماء متفقون على تقسيم البدعة

يُعلم ممَّا مرَّ: أنَّ العلماء متَّفقون على انقسام البدعة إلى محمودة ومذمومة، وأنَّ عمر -رضي الله عنه- أول من نطق بذلك.

ومُتَّفقون على أنَّ قول النبيِّ صلَّى الله عيه وآله وسلَّم: «**كلُّ بدعة ضلالةٌ**» عامٌّ مخصوصٌ.

ولم يشذ عن هذا الاتِّفاق إلَّا الشَّاطبيُّ صاحب "الاعتصام"، فإنَّه أنكر هذا الانقسام، وزعم أنَّ كلَّ بدعة مذمومةٌ، لكنَّه اعترف بأنَّ من البدع ما هو

مطلوبٌ وجوبًا أو ندبًا، فجعله من قبيل المصلحة المرسلة، فخلافه لفظيٌّ يرجع إلى التَّسمية، أي أنَّ البدعة المطلوبة، لا تُسمَّى بدعةً حسنةً، بل تُسمى مصلحةً.

(٦) البدعة المذمومة ما ليس له أصل في الشرع

قال الامام الشَّافعيُّ: «كل ما له مُستندٌ من الشَّرع فليس ببدعة، ولو لم يعمل به السَّلف؛ لأنَّ تركهم للعمل به، قد يكون لعُذر قام لهم في الوقت، أو لِما هو أفضل منه، أو لعلَّه لم يبلغ جميعهم عِلمٌ به».اهـ

وقال الإمام ابن لُبّ في الردِّ على من كَرِه الدُّعاء عقب الصَّلاة: «غاية ما يستند اليه مُنكر الدُّعاء أدبار الصَّلوات: أنَّ التزامه على ذلك الوجه، لم يكن من عمل السَّلف وعلى تقدير صحَّة هذا النَّقل فالتَّرك ليس بموجب لحكم في ذلك المتروك إلَّا جواز التَّرك وانتفاء الحرج فيه، وأمَّا تحريم أو لصوق كراهية بالمتروك فلا، ولا سيَّما فيما له أصلٌ جملي متقررٌ من الشَّرع كالدُّعاء».اهـ

وقال ابن العربي: «ليست البدعة والمُحدَث مذمومَين للفظ بدعة ومُحدَث ولا معناهما، وإنَّما يُذمُّ من البدعة ما خالف السُّنَّة، ويُذمُّ مِن المحدَثات ما دعا إلى الضَّلالة».اهـ

(٧) أدلة تخصيص حديث: «كل بدعة ضلالة»

الدليل لما اتفق عليه العلماء من تخصيص حديث: «**كلُّ بدعةٍ ضلالةٌ**» عدَّة أحاديث:

الحديث الأول

روىٰ مسلمٌ، والنَّسائيُّ، وابن ماجه عن جَرِير بن عبدالله البَجَلِيِّ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن سَنَّ في الإسلام سُنَّـةً حَسَنةً فله أَجْرُها وأَجْرُ مَن عَمِل بها بعده من غير أن يَنقُص من أجورهم شيءٌ، ومَن سَنَّ في الإسلام سُنَّة سيِّئةً كان عليه وِزْرُها ووِزْرُ مَن عمل بها بعده من غير أن يَنقُص مِن أوزارهم شيءٌ**».

قال النوويُّ: «فيه الحثُّ علىٰ الابتداء بالخيرات، وسَنِّ السنن الحسنات، والتحذير من الأباطيل والمُستقبحات. وفي هذا الحديث تخصيصٌ لقوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**كلُّ مُحدثة بدعةٌ، وكلُّ بدعة ضلالةٌ**». وأنَّ المراد به المُحدَثات الباطلة والبدع المذمومة».اهـ

وقال السِّنديُّ في "حاشية ابن ماجه": قوله: «**سُنَّـةً حسنةً**» أي طريقةً مرضيَّةً يُقتدَىٰ بها، والتَّمييز بين الحسنة والسيِّئة بموافقة أصول الشَّرع وعدمها».اهـ

الحديث الثاني

روىٰ ابن ماجه بإسنادٍ صحيحٍ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن اسْتَنَّ خيرًا فاسْتُنَّ به كان له أجره كاملًا ومِن أجور مَن استَنَّ به، لا ينقص مَن أجورهم شيئًا، ومَن اسْتَنَّ سُنَةً سيِّئةً فاسْتُنَّ به فعليه وِزره كاملًا ومن أوزار الذي استَنَّ به لا يَنقُص مِن أوزارهم شيئًا**».

الحديث الثالث

روىٰ ابن ماجه عن أبي جُحَيْفَة قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن سنَّ سُنَّةً حَسَنةً فعُمِل بها بعده كان له أجره ومثل أجورهم من غير أن يَنقُصَ مِن أجورهم شيئًا، ومَن سَنَّ سُنَّـةً سيِّئةً فعُمِل بها بعده كان عليه وِزْرُهُ ومثل أوزارهم مِن غير أن يَنقُصَ مِن أوْزارِهم شيئًا**». إسناده جيِّدٌ.

الحديث الرابع

روىٰ أحمد، والبزَّار، والطَّبرانيُّ في "الأوسط" بإسنادٍ حسنٍ عن حذيفه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن سَنَّ خيرًا فاسْتُنَّ به كان له أَجْرُهُ ومِن أُجورِ مَن تَبِعه غير مُنتقِصٍ من أجورهم شيئًا، ومَن سَنَّ شرًّا فاسْتُنَّ به كان عليه وِزْرُهُ ومِن أوزار مَن تَبِعه غير مُنتقِصٍ مِن أوزارهم شيئًا**».

الحديث الخامس

روىٰ الطَّبرانيُّ بإسناد حسن أيضًا عن واثلة بن الأسقع عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**من سنَّ سنَّة حسنةً فله أجرها ما عمل بها في حياته وبعد مماته حتَّى تُترك، ومن سنَّ سنَّة سيِّئةً فعليه إثمها حتَّى تُترك، ومن مات مُرابطًا في سبيل الله جرى عليه عمل الرَّابط حتَّى يُبعث يوم القيامة**».

فهذه الأحاديث تُصرِّح بتقسيم البدعة إلىٰ حسنةٍ وسيِّئةٍ، فالحسنة هي التي توافق أصول الشَّرع، وهي وإن كانت محدثةً باعتبار شخصها، فهي مشروعةٌ باعتبار نوعها لدخولها في قاعدة شرعيَّة، أو عموم آية أو حديث؛ ولهذا سُميَّت حسنةً، وكان أجرها يجري علىٰ من سَنَّها بعد وفاته.

والسيِّئة هي التي تُخالف قواعد الشَّرع وهي المذمومة والبدعة الضَّلالة.

قال الأُبِّيُّ في "شرح مسلم": «ويدخل في السُّنَّة الحسنة البدع المُستحسنة كقيام رمضان، والتحضير في المنار إثر فراغ الأذان وعند أبواب الجامع وعند دخول الإمام، والتصبيح عند طلوع الفجر، كلُّ ذلك من الإعانة على العبادة التي يشهد الشَّرع باعتبارها.

وقد كان عليٌّ وعمر يوقظان النَّاس لصلاة الصُّبح بعد طلوع الفجر.

واتَّفق أنَّ إمام الجامع الأعظم بتونس وأظنُّه البرجيني، حين أتى ليدخل الجامع، سألته امرأةٌ أن يدعو لابنها الأسير، وكان المؤذِّنون حينئذ يحضِّرون في المنار، فقال لها: ما أصاب النَّاس في هذا -يعني التحضير- أشدُّ من أسر ابنك، فكان الشَّيخ -يعني ابن عرفة- يُنكر ذلك، ويقول: ليس إنكاره بصحيح، بل التحضير من البدع المُستحسنة التي شهد الشَّرع باعتبارها ومصلحتها ظاهرةٌ.

قال: وهو إجماعٌ من الشيوخ إذ لم ينكروه، كقيام رمضان والاجتماع على التِّلاوة، ولا شك أنَّه لا وجه لإنكاره إلَّا كونه بدعةً، ولكنَّها مستحسنةٌ، ويشهد لاعتبارها الأذان والإقامة فإنَّ الأذان للإعلام بدخول الوقت، والإقامة بحضور الصَّلاة، وكذلك التحضير هو إعلامٌ بقرب حضور الصَّلاة».اهـ

ويجب أن ننبِّه على مسألةٍ مهمَّةٍ، لا يعرفها أهل العلم فضلًا عمَّن دونهم، وهي تُعِين على فهم هذه الأحاديث، ويُدرَك بها الفرق بين ثلاث حقائق شرعيَّة:

١- سَنٌّ سنَّةً أو استِنُانها أي: إنشاؤها باجتهادٍ واستنباطٍ مِن قواعد الشَّرع أو عمومات نصوصه.

وهذا معنىٰ ما أفادته الأحاديث المذكورة بعبارة: «**مَن سَنَّ سُنَّةً حَسَنةً**» أي: مَن أنشأ سنَّة حسنةً مُستنِدًا في ابتداع ذاتها إلىٰ دلائل الشَّرع كان له أجرها.

ومن سَنَّ سُنَّةً سيئةً، أي ابتدع سُنَّةً مُخالفةً للشَّرع، واستند في ابتداعها إلىٰ ما لا تُقرِّه الشَّريعة كان عليه إثمها.

٢- التمسُّك بالسُّنَّة أي: اتباعها والعمل بها.

وهذا ثابتٌ في أحاديث كثيرة تحضُّ علىٰ اتباع السُّنَّة والعمل بها والاقتداء بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

٣- إحياء سنَّةٍ نبويَّةٍ تُرِك العمل بها.

روىٰ الترمذيُّ، وابن ماجه من طريق كثير بن عبدالله بن عمر بن عوف المُزَنيِّ عن أبيه عن جدِّه أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال لبلال بن الحارث: «**اعلم يا بلال**» قال ما أعلم يا رسول الله؟ قال: «**إنَّه مَن أحيا سُنَّةً مِن سنَّتي قد أُميتت بعدي، كان له من الأجر مثل من عمل بها من غير أن يَنقُص مِن أجورهم شيئًا، ومن ابتدع بدعةً ضلالةً لا يرضاها الله ورسوله كان عليه مثل آثام من عمل بها لا يَنقُص ذلك من أوزارهم شيئًا**». حسَّنه الترمذيُّ، وهو حديثٌ ضعيفٌ، لكن له شواهد.

وروىٰ الترمذيُّ أيضًا من طريق عليِّ بن زيد، عن سعيد بن المسيِّب قال: قال أنس بن مالكٍ: قال لي رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**يا بُنيَّ إن قَدَرت أن تُصبح وتُمسي ليس في قلبك غشٌّ لأحد فافعل**»، ثُمَّ قال لي: «**يا بُنيَّ وذلك مِن سُنَّتي ومَن أحيا سُنَّتي فقد أحياني، ومَن أحياني كان معي في الجنَّة**».

قال الترمذيُّ: حديثٌ حسنٌ. **قلتُ**: بل ضعيفٌ.

ورواه أبو النَّصر السِّجْزِيُّ في "الإبانة" بلفظ: «**مَن أحيا سُنَّتي فقد أحبَّني، ومَن أحبَّني كان معي في الجنَّة**».

الحديث السادس

روى الشَّيخان عن عائشة قالت: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن أحدث في أمْرِنا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ**». وفي رواية لمسلمٍ: «**من عَمِل عملًا ليس عليه أمرُنا فهو رَدٌّ**». وفي بعض ألفاظه: «**مَن أحدث في ديننا ما ليس منه فهو رَدٌّ**».

قال ابن رجب: «هذا الحديث يدلُّ بمنطوقه على أنَّ كلَّ عمل ليس عليه أمر الشَّارع فهو مردودٌ، ويدلُّ على أنَّ كلَّ عمل عليه أمره فهو غير مردود».اهـ

وقال الحافظ في "الفتح": «هذا الحديث معدودٌ من أُصول الإسلام، وقاعدةٌ من قواعده؛ فإنَّ معناه: من اخترع في الدِّين ما لا يشهد له أصلٌ من أُصوله فلا يُلتفت إليه».

ونقل عن الطوفيِّ أنَّه قال: «هذا الحديث يصلح أن يُسمَّى نصف أدلَّة الشَّرع؛ لأنَّ الدَّليل يتركَّب من مقدِّمتين، والمطلوب بالدَّليل إمَّا إثبات الحكم أو نفيه، وهذا الحديث مقدِّمة كبرى في إثبات كلِّ حكم شرعيّ ونفيه؛ لأنَّ منطوقه كلية في كلِّ دليل ناف لحكم، مثل أن يقال في الوضوء بماء نجس: هذا ليس من أمر الشَّرع، وكلُّ ما كان كذلك فهو مردودٌ، فهذا العمل مردودٌ، فالمقدِّمة الثانية ثابتةٌ بهذا الحديث، وإنَّما يقع النِّزاع في الأولى.

ومفهومه أنَّ من عَمِل عملًا عليه أمر الشَّرع فهو صحيح، مثل أن يقال في

الوضوء بالنيَّة: هذا عليه أمْرُ الشَّرع، وكلُّ ما كان عليه أمر الشَّرع، فهو صحيحٌ، فالمقدِّمة الثانية ثابتةٌ بهذا الحديث، والأولى فيها النِّزاع».اهـ

قلت: هذا الحديث مُخصِّصٌ لحديث: «**كلُّ بدعةٍ ضلالةٌ**»، ومُبيِّنٌ للمراد منه كما هو واضحٌ. إذ لو كانت البدعة ضلالةً بدون استثناء، لقال الحديث: من أحدث في أمرنا هنا شيئًا فهو رَدٌّ. لكن لما قال: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ**» أفاد أنَّ المُحدَث نوعان: ما ليس من الدِّين بأن كان مُخالفًا لقواعده ودلائله، فهو مردودٌ، وهو البدعة الضَّلالة.

وما هو من الدِّين بأن شهد له أصلٌ أو أيَّده دليلٌ، فهو صحيحٌ مقبولٌ، وهو السُّنَّة الحسنة.

الحديث السابع

روى أحمد، وأبو داود من طريق عبدالرحمن بن أبي ليلى عن معاذ بن جبل قال: أُحيلت الصَّلاة ثلاثة أحوال، فذكر الحديث وفيه: وكانوا يأتون الصَّلاة، وقد سبقهم ببعضها النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فكان الرجل يُشير إلى الرجل إنْ جاء: كم صلَّى؟ فيقول: واحدةً أو اثنتين فيصلِّيها، ثُمَّ يدخل مع القوم في صلاتهم، فجاء معاذٌ فقال: لا أجده على حال أبدًا إلَّا كنت عليها، ثُمَّ قضيت ما سبقني، فجاء وقد سبقه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ببعضها، فثبت معه، فلمَّا قضى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم صلاته، قام فقضى، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّه قد سَنَّ لكم معاذٌ فهكذا فاصْنَعُوا**». ورواه أحمد أيضًا من طريق آخر عن أبي ليلى عن معاذٍ.

ورواه ابن أبي شيبة: حدَّثنا وكيع: ثنا الأعمش، عن عمرو بن مرَّة، عن

عبدالرحمن بن أبي ليلى قال: «حدَّثنا أصحاب محمَّد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم...» فذكر الحديث. صحَّحه ابن حزمٍ وابن دقيق العيد.

وابن أبي ليلى أدرك عشرين ومائة من الصَّحابة، فالحديث متَّصلٌ صحيحٌ.

وقال الطَّبرانيُّ: ثنا أبو زرعة الدمشقيُّ: ثنا يحيى بن صالح الوُحَاظِيُّ: ثنا فُليحُ بن سليمان، عن زيد بن أبي أنيسة، عن عمرو بن مُرَّة الجَمَليِّ، عن عبدالرحمن بن أبي ليلى، عن معاذ بن جبل قال: كنَّا نأتي الصَّلاة، فإذا جاء رجلٌ وقد سُبِق بشيء من الصَّلاة أشار إليه الذي يليه: قد سُبِقت بكذا وكذا فيقضي، قال: فكنَّا بين راكع وساجد وقائم وقاعد، فجئت وقد سُبِقت ببعض الصَّلاة، وأُشير إليَّ بالذي سُبقتُ به، فقلتُ: لا أجده على حال إلا كنت عليها. فكنت بحالهم التي وجدتهم عليها، فلمَّا فرغ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قمتُ فصلَّيتُ، واستقبل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم النَّاس وقال: «**مَن القائل كذا وكذا؟**» قالوا: معاذ بن جبل، فقال: «**قد سَنَّ لكم معاذٌ فاقتدوا به إذا جاء أحدكم وقد سُبِق بشيء من الصَّلاة فليصلِّ مع الإمام بصلاته، فإذا فرغ الإمام فليقضِ ما سبقه به**». إسناده صحيحٌ.

وهو يدلُّ على جواز إحداث أمر في العبادة صلاة أو غيرها إذا كان موافقًا لأدلَّة الشَّرع، وأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لم يُعنِّف معاذًا ولا قال له: لِمَ أقدمت على أمر في الصَّلاة قبل أن تسألني عنه، بل أقرَّه وقال: «**سَنَّ لكم معاذٌ فاصنعوا كما صنع**»؛ لأنَّ ما صنعه يوافق قاعدة الإتمام، واتباع المأموم لإمامه، بحيث لا يقضي ما فاته حتَّى يُتِمَّ الإمام صلاته.

يؤيِّد هذا ويؤكِده أنَّ أبا بكرة لما ركع قبل الصفِّ، ومشى راكعًا حتى دخل

الصفَّ، قال له النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**زادك الله حِرصًا ولا تَعُد**» فنهاه عن العودة إلىٰ ذلك ولم يُقره عليه لأنَّه يُخالف هيئة الصَّلاة، وينافي السُّكون المطلوب فيها.

ويؤخذ من حديث معاذٍ: أنَّ مُخالفة المأموم لإمامه في أفعال الصَّلاة كانت جائزةً، إذ كان الرجل يُصلِّي ما فاته، فيختلف معه في الركوع أو السجود أو القيام ثُمَّ يُتمُّ معه، فلمَّا فعل معاذٌ ما فعل، وأمر النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم باتباعه نُسِخَ جواز المُخالفة، وتعيَّنت متابعة الإمام في أفعال الصَّلاة والحكم المنسوخ لا يجوز العمل به بإجماع العلماء.

ومن هنا يُعلم بُطلان قول ابن حزمٍ بأنَّ المسافر يقصر الصَّلاة خلف إمامه المُتمُّ، فإنَّه إذا قصر كان مُخالفًا للإمام والمخالفة منسوخةٌ، والعمل بالمنسوخ باطلٌ فصلاته باطلةٌ، كما لو استقبل في صلاته بيت المقدس فإنَّ صلاته باطلةٌ. ويعلم بطلان قوله أيضًا من جهة أُخرىٰ، وهي أنَّه من المعلوم بالضَّرورة أنَّ وفود العرب، كانت تَفِد إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بالمدينة، وتُصلِّي معه، ولم يقل لهم قصروا الصَّلاة، مع أنَّه قال لأهل مكَّة في حجِّه: «**أتمُّوا صلاتكم فإنَّا قومٌ سَفَرٌ**».

ولهذا انجزم بأنَّ الوفود كانوا يُتمُّون الصَّلاة معه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم؛ إذ ليس من المعقول أن يأمرهم بالتَّقصير، ولم يُنقل إلينا. بل هذا محالٌ في حقِّ الصَّحابة الذين كانوا حريصين علىٰ نقل أقواله وأفعاله خصوصًا ما كان منها مُتعلِّقًا بالصَّلاة التي هي من أهمِّ أركان الدِّين. وهذه حُجَّةٌ لازمةٌ لمقلدة ابن حزمٍ لا يستطيعون الانفكاك عنها.

كما لزمتهم الحُجَّة بحديث ابن عباسٍ حين سأله موسىٰ بن سلمة: إذا صلَّينا معكم صلَّينا أربعًا؟ وإذا صلَّينا في رحلنا، صلَّينا ركعتين؟ فقال له ابن عباسٍ تلك سنَّة أبي القاسم صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

وقد أوَّله مُقلدٌ متوقِّحٌ تأويلًا عاميًّا سخيفًا. فلمَّا نبَّهناه إلىٰ سخافته، عَمَد إلىٰ التَّحريف حيث زعم أنَّ ابن عباسٍ قال: تلك السُّنَّة. وهذا كذبٌ قبيحٌ، يزري بصاحبه، ويجعله في مصافِّ الكذَّابين الوضَّاعين مثل الجويباري.

الحديث الثامن

روىٰ ابن ماجه في "سننه" بإسناد رجاله ثقاتٌ عن سعيد بن المسيِّب أنَّ بلالًا أتىٰ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يُؤذِنه بصلاة الفجر، فقيل: هو نائمٌ، فقال: الصَّلاة خيرٌ من النَّوم، الصَّلاة خيرٌ من النَّوم، فأُقِرَّت في تأذين الفجر؛ فثبت الأمر علىٰ ذلك.

ورواه الطَّبرانيُّ في "الأوسط" عن عائشة، والبيهقيُّ عن حفص بن عمر بن سعد المؤذِّن مرسلًا، بإسناد حسن، ولا شكَّ أنَّ الذي أقرَّ بلالًا هو النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

بل روىٰ الطَّبرانيُّ في "الكبير" عن حفص بن عمر، عن بلال أنَّه أتىٰ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يُؤذِنُه بالصُّبح، فوجده راقدًا فقال: الصَّلاة خيرٌ من النَّوم مرَّتين، فقال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ما أحسنَ هذا، اجعله في أَذانِك**». ورواه أبو الشيخ في كتاب "الأذان"، عن ابن عمر نحوه.

فبلال رضي الله عنه زاد في الأذان جملةً أقرَّه عليها الشَّارع؛ لأنَّها توافق ما

شُرِع له الأذان من الدَّعوة إلى الصَّلاة، والإعلام بحضور وقتها؛ وعلى هذا فزيادة السِّيادة في الأذان والإقامة لا بأس بها؛ لأنَّ فيها سلوك الأدب مع موافقتها للواقع، فإنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم سيِّد ولد آدم، وسنتكلَّم عليها بعد بحول الله تعالى.

الحديث التاسع

في "صحيح البخاريِّ" عن رِفاعة بن رَافع الزُّرقيِّ قال: كنَّا نُصلِّي يومًا وراء النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فلمَّا رفع رأسه من الركعة قال: «**سَمِعَ اللهُ لِمَن حَمِدَهُ**» فقال رجلٌ وراءه: «ربَّنا ولك الحمد حمدًا كثيرًا طيِّبًا مباركًا فيه»، فلمَّا انصرف قال: «**مَن المُتكَلِّم؟**» قال: أنا، قال: «**رأيتُ بِضْعةً وثلاثين مَلَكًا يَبْتَدِرُونها أيُّهم يَكْتُبُها**». قال الحافظ ابن حجرٍ في "فتح الباري": «واستُدلَّ به على جواز إحداث ذكر في الصَّلاة غير مأثورٍ إذا كان لا يُخالف المأثور».اهـ

الحديث العاشر

روى الطَّبرانيُّ في "الأوسط" بإسنادٍ جيِّدٍ عن أنسٍ: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مرَّ بأعرابيٍّ وهو يدعو في صلاته ويقول: «يا مَن لا تَراهُ العُيونُ، ولا تُخالِطُهُ الظُّنونُ، ولا يَصِفُهُ الواصِفُونَ، ولا تُغيِّره الحوادِثُ، ولا يَخْشَى الدَّوائِرَ، يَعْلَمُ مَثاقِيلَ الجِبالِ، ومَكاييل البِحارِ، وعَدَدَ قَطْرِ الأَمْطارِ، وعَدَدَ وَرَقِ الأشْجارِ، وعَدَدَ ما أظْلَمَ عليه اللَّيلُ وأشْرَقَ عليه النَّهارُ، لا تُوارِي منه سماءٌ سماءً، ولا أرضٌ أرضًا، ولا بحرٌ ما في قَعْرِه، ولا جَبَلٌ ما في وَعْرِه، اجعل خير عُمْري آخِرَهُ، وخير عَمَلي خَوَاتِيمَهُ، وخير أيَّامي يوم أَلْقَاكَ فيه.

فلمَّا انصرفَ دعاهُ النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ووَهَبَ له ذَهَبًا أُهدي إليه من بعضِ المَعادِنِ وقال له: «**وَهَبْتُ لكَ الذَّهَبَ بحُسْنِ ثنائِكَ على الله عزَّ وجلَّ**».

فالنبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لم يكتف بإقرار هذا الأعرابيِّ، علىٰ الدُّعاء الذي أنشأه، بل أعطاه عليه جائزةً، لأنَّه أحسن فيه الثَّناء علىٰ الله تعالىٰ.

الحديث الحادي عشر

في "صحيح البخاريِّ" قصَّة قتل خُبَيْب، وصلاته ركعتين قبل قتله، قال: «وهو أوَّل مَن سَنَّ صلاة ركعتين عند القتل».

القرآن يؤيِّد البدعة الحسنة

روىٰ الطَّبرانيُّ في "الأوسط" عن أبي أُمامة رضي الله عنه قال: إنَّ الله فرض عليكم صوم رمضان، ولم يفرض عليكم قيامه، وإنَّما قيامه شيءٌ أحدثتموه، فدُوموا عليه، فإنَّ ناسًا من بني إسرائيل ابتدعوا بِدعًا، فعابهم الله بتركها فقال: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧].

في سنده زكريَّا بن أبي مريم، ذكره ابن حِبَّان في "الثِّقات"، وقال النَّسائيُّ: «ليس بالقويِّ». وقال الدارقطنيُّ: «يُعتبر به».

وما استنبطه أبو أُمامة رضي الله عنه صحيحٌ، فإنَّ الآية لم تعب أولئك النَّاس علىٰ ابتداع الرهبانيَّة لأنَّهم قصدوا بها رضوان الله، بل عاتبهم علىٰ أنَّهم لم يرعوها حق رعايتها، وهذا يُفيد مشروعيَّة البدعة الحسنة كما هو ظاهرٌ وابن كثير -رحمه الله- لم يدرك مغزىٰ الآية فحملها علىٰ ذمِّ البدعة مطلقًا، وهو خطأٌ.

البدعة نوعان

بدعةٌ تتعلَّق بأصول الدِّين، وبدعةٌ تتعلَّق بفروعه.

البدعة التي تتعلَّق بأصول الدِّين

فأمَّا البدعة التي تتعلَّق بأصول الدِّين، فهي التي حدثت في العقائد وما يناسبها ولها أمثلةٌ:

أمثلة للبدع التي تتعلَّق بأصول الدِّين

١- **بدعة إنكار القَدَر**: وأوَّل من أظهرها، مَعبد الجُهنيُّ بالبصرة، كما في "صحيح مسلم" عن يحيى بن يعمر. واعتقدها طائفة من المبتدعة يتسمُّون بالقدريَّة وهم صنفان:

أ- صنفٌ يزعمون أنَّ الله لا يعلم الحوادث قبل وقوعها، وهؤلاء كفارٌ، وقد انقرضوا والحمد لله.

ب- وصنفٌ يزعمون أنَّ الله لا يُقدِّر الشرَّ ولا يُريده، وهم المعتزلة. ويزعمون مع ذلك أنَّ القرآن مخلوقٌ، وأنَّ المسلم المرتكب لكبيرةٍ ليس بمؤمنٍ ولا كافرٍ، بل هو فاسقٌ، منزلةٌ بين المنزلتين، وأنَّ المسلم العاصي مُخلَّدٌ في النَّار، ويُنكرون الشَّفاعة في العصاة، ويُنكرون عذاب القبر والحوض والميزان والصراط ورؤية الله في الجنة، ويزعمون أنَّ العبد خالقٌ لأفعاله وأوجبوا على الله رعاية مصالح العباد، إلى غير ذلك من عقائدهم الباطلة المخالفة للكتاب والسُّنَّة.

٢- **بدعة الجَهْميَّة**: أتباع جَهْم بن صفوان، وهو جَبريٌّ، يقول: إنَّ العبد مجبورٌ في أفعاله، لا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار، وإنَّما يخلق الله تعالى الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات وينسب إليه الأفعال مجازًا كما تنسب

إلى الجمادات.

ويُفرِّع على ذلك أنَّ التَّكليف جبرٌ، والثَّواب والعقاب جبرٌ. وهذا يُصادم بدائه العقول وصرائح النقول.

٣- **بدعة مُشبِّهة الحَشْويَّة:** يشبِّهون الله بخلقه، أجازوا عليه المماسَّة والمصافحة، وأجروا ما جاء في الآيات والأحاديث من ألفاظ الاستواء والوجه واليدين والعين والجنب والمجيء والإتيان والفوقيَّة وغير ذلك على ظاهرها الذي يُفهم عند إطلاقها على الأجسام، حتَّى قال داود الخواري من زعمائهم: «اعفوني عن الفرج واللِّحية، واسألوني عمَّا وراء ذلك». ومعنى هذه العبارة: أنَّه يثبت لله جميع الجوارح غير اللِّحية والفرج.

قال التَّاج السبكيُّ في "طبقات الشَّافعيَّة": «إنَّ أبا اسماعيل عبدالله بن محمد الهروي الذي تُسمِّيه المُجسِّمة شيخ الإسلام، قال: سألت يحيى بن عمار عن ابن حِبَّان، قلت: رأيته؟ قال: وكيف لم أرَه ونحن أخرجناه من سجستان. كان له علمٌ كثيرٌ، ولم يكن له كبير دين. قدم علينا فأنكر الحدَّ لله، فأخرجناه من سجستان».

قال السُّبكيُّ: «انظر ما أجهل هذا الجارح! وليت شعري من المجروح، مُثبت الحدِّ لله أو نافيه؟!».

وذكر في "الطَّبقات" أيضًا، في ترجمة أبي عثمان الصابونيِّ: «أنَّ المُجسِّمة بمدينة هراة، لقبوا أبا أسماعيل عبدالله بن محمد الأنصاريَّ المشار إليه بشيخ الإسلام. قال: وكان الأنصاريُّ المذكور كثير العبادة محدثًا، إلَّا أنَّه كان يتظاهر بالتجسيم والتَّشبيه، وينال من أهل السُّنَّة في كتابه "ذمُّ الكلام"، حتى ذكر أنَّ

ذبائح الأشعريَّة لا تحلُّ. وله أيضًا كتاب "الأربعين"، سمَّتها أهل البدعة "الأربعون في السُّنَّة" يقول فيها: باب إثبات القدم لله، باب إثبات كذا وكذا... يعني الأعضاء كاليد والجنب قال: وكان أهل هراة في عصره فئتين: فئة تعتقده وتبالغ فيه، لما عنده من التَّقشُّف والعبادة. وفئة تكفِّره، لما يظهر من التَّشبيه».اهـ

قال: «ومن مصنَّفاته التي فوقت نحوه سهام الملام: كتاب "ذمّ الكلام"، وكتاب "الفاروق في الصفات"، وكتاب "الأربعين"، وهذه الكتب الثلاثة، أبان فيها عن اعتقاد التَّشبيه وأفصح».اهـ

قلتُ: ونقل ابن القيم عن شيخه ابن تيمية أنَّه كان يُثني على مصنَّفات الهروي هذا، ويحضُّ على قراءتها؛ لأنَّ ابن تيمية كان يعتقد التَّشبيه.

٤- **بدعة الخوارج**: وهم فِرقٌ، يجمعهم القول بالتَّبري من عثمان وعليّ رضي الله عنهما. ويقدِّمون ذلك على كلِّ طاعة، ولا يصحِّحون المناكحات إلَّا على ذلك ويكفرون أصحاب الكبائر.

ومن الخوارج طائفة الأزارقة، كفَّروا عليًّا وعثمان وطلحة والزُّبير وعائشة وعبدالله ابن عباسٍ رضي الله عنهم.

وذكر الحسين الكرابيسيُّ في كتابه الذي حكى فيه مقالات الخوارج: «أنَّ الميمونية -طائفة منهم- يُجيزون نكاح بنات البنات، وبنات الأولاد، وبنات أولاد الإخوة والأخوات وقالوا: إنَّ الله حرم نكاح البنات وبنات الإخوة والأخوات ولم يحرم نكاح بنات هؤلاء».

وحكى الأشعريُّ والكعبيُّ عنهم إنكار كون (سورة يوسف) من القرآن.

قلت: حُكِي عن العجاردة أيضًا إنكار (سورة يوسف) وقالوا: لا يجوز أن تكون قصَّة العشق من القرآن.

٥- **بدعة القول بحوادث لا أوَّل لها:** وهي منقولةٌ عن ابن تيمية كما في "فتح الباري" ولأجلها رجَّح رواية حديث: «**كان الله ولم يكن شيء قبله**». على رواية: «**كان الله ولم يكن شيء غيره**». وعلى رواية: «**كان الله قبل كل شيء**». قال الحافظ: «مع أنَّ قضية الجمع بين الروايتين تقتضي حمل الرواية الأولى على ما بعدها لا العكس، والجمع يُقدَّم على التَّرجيح بالاتِّفاق».اهـ

ولأجلها أيضًا انتقد على بن حزم حكاية الإجماع على أنَّ ما سوى الله مخلوقٌ، كما تجد ذلك في تعليقاته على "مراتب الإجماع"، وهذه العقيدة أخذها عن عبدالله بن ميمون الإسرائيليِّ صاحب كتاب "دلالة الحائرين".

فاعجب لرجل يشدِّد النَّكير على المبتدعين في الفروع، ثُمَّ يبتدع بدعةً في الأصول، ويردُّ لأجلها الأحاديث الصَّحيحة! ويستنكر إجماعًا مليًّا أيَّده العقل والنَّقل!!

٦- **بدعة القاديانيَّة:** أتباع غلام أحمد القادياني، ظهر في أوائل هذا القرن، وزعم أنَّه نبيٌّ، وأنَّ نُبوَّته ظلية بمعنى أنَّها ليست ناسخةً للإسلام، بل مُتمِّمةً له، ثُمَّ زعم أنَّه المسيح الموعود بنزوله في آخر الزمان، وأنَّه أفضل من المسيح ابن مريم عليهما السَّلام.

وكان يحضُّ أتباعه على الولاء للإنجليز، ويحمد الله على أنَّه ولد في بلد ترفرف عليه الراية الإنجليزية، وكان دسيسةً استعماريَّة جنَّده المستعمرون لتفريق كلمة المسلمين في الهند وتشكيكهم في عقيدتهم. ولذلك كان إذا ذهب

لمُناظرة مع علماء المسلمين أو لمحاضرة في أتباعه يصحبه حرسٌ إنجليزي لحمايته من المسلمين.

وكانت نهايته بيده من حيث لا يشعر، ذلك أنَّه دعا علماء المسلمين بالهند إلى المباهلة، فدعا في ابتهاله أمام أتباعه: أن يعجِّل الله بهلاك الكاذب من الفريقين كما ابتهل العلماء بذلك أيضًا، فابتلاه الله بإسهال شديد أضعفه وأضناه ولم يمر عليه عامٌ حتَّى دخل حفرته مذمومًا مدحورًا.

هذه نماذج من المُحدَثات في أصول الدِّين، وهي وما شابهها من أقوال الفرق الضَّالة، يتنزل عليها قول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن أَحْدَثَ في أَمْرِنا هذا ما ليس مِنه فهو رَدٌّ**». وقوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**كلُّ بدعةٍ ضلالةٌ**». لأنَّ تلك الأقاويل تخالف الكتاب والسنَّة، وما أجمع عليه الصَّحابة والتَّابعون وعلماء السُّنَّة. فكانت باطلة مردودة، وضلالة بدون استثناء.

وأصحابها هم المرادون بقول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ألا إنَّ من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين مِلَّةً، وإنَّ هذه الأمَّة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النَّار وواحدةٌ في الجنَّة وهي الجماعة**». رواه أحمد وأبو داود من حديث معاوية.

وفي رواية لأبي داود: «**وأنَّه سيخرج مِن أمَّتي أقوامٌ تتَجَارَى بهم الأهواءُ كما يَتَجَارَى الكَلَبُ بصاحِبِهِ لا يُبقِي منه عِرقٌ ولا مَفصِلٌ إلَّا دَخَلَهُ**».

«**الكَلَبُ**» بفتح الكاف واللام: داءٌ يعرض للإنسان إذا عضَّه كلبٌ مسعورٌ.

البدعة التي تتعلق بالفروع

وأمَّا البدعة التي تتعلق بالفروع، فليست بضلالة؛ لأنَّها من جملة الحوادث التي تحدث على مرِّ الزَّمن، ويطلب حكمها من دلائل الشَّريعة وقواعدها العامَّة على مُراعاة المصالح والمفاسد.

وعدم وجودها في عهد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أو عدم فعله لها، لا يقتضي أن تكون محرمةً، فضلًا عن أن تكون ضلالةً.

وقد قدَّمنا أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لم يفعل جميع المباحات ولا جميع المندوبات، وهذا مُقرَّرٌ في علم الأصول على أتمِّ وجهٍ.

ولتوضيح ذلك، وتقريبه نذكر بعض الأمثلة:

١- **تعدُّد الجُمُعة**: لم يكن في عهد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ولا في عهد الصَّحابة والتَّابعين.

روى البيهقيُّ في "المعرفة" من طريق أبي داود في "المراسيل" عن بكير بن الأشجِّ، قال: «كان في المدينة تسعة مساجد مع مسجده صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يسمع أهلها أذان بلال فيصلُّون في مساجدهم». زاد يحيى: «ولم يكونوا يصلُّون الجمعة في شيء من تلك المساجد إلَّا مسجد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم».

قال الحافظ: «ويشهد له صلاة أهل العوالي مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الجمعة كما في الصَّحيح، وصلاة أهل قباء معه، كما رواه ابن ماجه وابن خزيمة. وروى البيهقيُّ أنَّ أهل ذي الحليفة كانوا يُجمِعون بالمدينة، قال البيهقيُّ: ولم ينقل أنَّه أُذِنَ لأحد في إقامة الجمعة في شيء من مساجد المدينة، ولا في القرى التي بقربها.

وقال الأثرم لأحمد: أجمع جمعتين في مصر؟ قال: لا أعلم أحد فعله.

وقال ابن المنذر: لم يختلف النَّاس أنَّ الجمعة لم تكن تُصلَّى في عهد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وفي عهد الخلفاء الراشدين إلَّا في مسجد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم. وفي تعطيل النَّاس مساجدهم يوم الجمعة واجتماعهم في مسجد واحد أبين البيان بأنَّ الجمعة خلاف سائر الصَّلوات، وأنَّها لا تُصلَّى إلا في مكان واحد».اهـ

وذكر الحافظ ابن عساكر في مقدمة "تاريخ دمشق": «أنَّ عمر كتب إلى عمّاله: إلى أبي موسى، وإلى عمرو بن العاص، وإلى سعد بن أبي وقاص: أن يتخذ مسجدًا جامعًا ومسجدًا للقبائل، فإذا كان يوم الجمعة انضموا إلى المسجد الجامع، فشهدوا الجمعة».

وذكر الحافظ الخطيب في "تاريخ بغداد": «أنَّ أوَّل جمعة أحدثت في الإسلام في بلد مع قيام الجمعة القديمة، في أيام المعتضد في دار الخلافة -يعني بغداد- من غير بناء مسجد لإقامة الجمعة، وسبب ذلك خشية الخلفاء على أنفسهم. وذلك في سنة ثمانين ومائتين، ثُمَّ بُني في أيام المكتفي، مسجدٌ فجمعوا فيه».

وقال ابن المنذر: «لا أعلم أحدًا قال بتعدُّد الجمعة غير عطاء».اهـ وهو ابن أبي رباح.

وقال بتعدُّدها أيضًا داود الظاهري، وابن حزمٍ، وابن العربي المعافري، وله في ذلك رسالةٌ خاصَّةٌ، أخبرني بها مولانا الإمام الوالد رحمه الله ورضي عنه.

وعلى التعدُّد استمرَّ عمل المسلمين في البلاد الإسلاميَّة، ولم يقل أحدٌ أنَّه بدعةٌ ضلالةٌ، وأنَّ الذين أجازوه مبتدعةٌ ضالون؛ لأنَّه فرعٌ فقهيٌّ اختلفت

أنظار العلماء فيه بحسب ما ظهر لهم من الأدلَّة.

٢- **إقامة الجمعة في المساجد على التوالي والترتيب:** تعدُّد الجمعة بدعةٌ بلا شك دعت إليها الحاجة لاتِّساع العُمران وكثرة السكَّان، بحيث لا يجمعهم مسجدٌ واحدٌ، وأهل الشرق اقتصروا على التعدُّد المحتاج إليه، ففي القطر المصري وغيره من البلاد الإسلاميَّة إذا أُذِّن للصَّلاة يوم الجمعة سعى النَّاس إلى المساجد المتعدِّدة لأداء شعائر الصَّلاة، امتثالًا لقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَ﴾ [الجمعة: ٩] فحافظوا على أدائها، وقت النِّداء كما أفادته الآية.

أمَّا المغاربة، فزادوا بدعةً أُخرى، وهي إقامة الجمعة في المساجد على التوالي والترتيب، يُؤذَّن للصَّلاة أوَّل الوقت فتُصلَّى الجمعة في مساجد، ثُمَّ يؤذَّن ثاني مرَّة فتُصلَّى في مساجد أُخرى، ثُمَّ يؤذن ثالث مرة فتُصلَّى في مساجد غير السَّابقة، حتَّى تكون آخر جمعة تُقام حوالي الساعة الثانية بعد الزَّوال.

وهذا اتِّساعٌ في الابتداع لا يؤيِّده دليلٌ ولا تشمله قاعدةٌ، والذي يقتضيه النَّظر الصَّحيح أنَّ السَّعي إنَّما يجب عند النِّداء الأوَّل، وأنَّه النِّداء المشروع، وهو المقصود في الآية. والنِّداءات التي بعده لاغيةٌ لا يجب السَّعي عندها، لأنَّها غير مشروعة، والجمعة التي تقام عند النِّداء الأوَّل هي الصَّحيحة وما عداها باطلٌ؛ لأنَّ الحاجة دعت إلى التَّعدُّد، ولم تدع إلى التَّرتيب.

٣- **إعادة الجمعة:** بعض الأئمَّة الجهلة يخطب الجمعة ويصلِّيها في مسجد، ثُمَّ يذهب إلى مسجد آخر فيخطب فيه الجمعة ويُصلِّيها أيضًا، فيرتكب بدعةً قبيحةً ويُصلِّي جمعةً باطلةً يأثم عليها ولا يُثاب.

وقد يقع في أذهان بعض النَّاس قياس إعادة الجمعة على إعادة معاذ صلاة العشاء إمامًا بقومه، بعد صلاتها مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وهو قياسٌ باطلٌ؛ ذلك أنَّ الصَّلوات الأُخرى غير الجمعة لم يأمر الله بالسَّعي إليها عند النِّداء لها، وإنَّما أوجب أداءها في الوقت، فمن هنا جاز أن تُعاد الظهر أو العشاء مثلًا في الوقت مرَّتين لتحصيل فضل الجماعة، أو للتَّصدُّق على من يُصلِّي وحده، أو يؤمُّ من لم يجد إمامًا يُصلِّي به، كما فعل معاذٌ رضي الله عنه.

أمَّا الجمعة فإنَّ الله تعالى أوجب السَّعي إليها عند النِّداء لها، وأوجب الجماعة فيها ولو جازت صلاتها على التعاقب، أو جازت إعادتها لإمام يُصلِّيها في مسجدين، لكان الأمر بالسَّعي إليها في الآية لغوًا لا فائدة فيه، واللازم باطلٌ بالضَّرورة، فبطَل القياس كذلك.

٤- **الأذان للظهر مرتين:** شاع في المغرب الأذان للظُّهر مرَّتين، بينهما نحو ساعة، والأذان للعصر مرَّتين، بينهما عشر دقائق، وفي تطوان يُؤذَّن للعشاء مرَّتين أيضًا، وهذه بدعةٌ سخيفةٌ، لا توجد إلَّا في المغرب، ولم يُشرع الأذان إلَّا عند دخول الوقت للإعلام بالصَّلاة، والأذان بعده لاغ غير مشروع.

٥- **ومن البدع السَّخيفة بالمغرب أيضًا يوم الجمعة:** أن يُؤذِّن ثلاثة على المنار واحدًا بعد آخر، عند طلوع الخطيب إلى المنبر.

٦- **جهر النَّاس بالقراءة في المسجد:** ومن البدع السَّخيفة بالمغرب يوم الجمعة أيضًا: جهر النَّاس بالقراءة في المسجد قبل خروج الإمام، فإذا جاء الرجل إلى المسجد يوم الجمعة، سمع من بعيد أصواتًا مرتفعة، وضجيجًا غير مفهوم، فيُخيَّل إليه أنَّه داخلٌ إلى سوق لا إلى مسجد، حيث يجد هذا يقرأ القرءان، وذاك يقرأ

دلائل الخيرات، وآخر يذكر، وجماعة يقرأون بصوت واحد مرتفع.

وفي هذا تشويشٌ منهيٌّ عنه، لما روي أبو داود بإسناد صحيح عن أبي سعيد الخدريِّ قال: اعتكف رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في المسجد فسمعهم يجهرون بالقراءة، فكشف الستر وقال: «**ألا إنَّ كلَّكم مُناج ربَّه فلا يُؤذينَّ بعضُكم بعضًا، ولا يرفع بعضُكم على بعض في القراءة**» والنَّهي يُفيد التَّحريم، وقال به الشَّافعيَّة كما في "المجموع" للنَّوويِّ، فهذه البدعة محرَّمةٌ، حسبما يقتضه الدَّليل.

٧- **إرسال اليدين في الصَّلاة**: لم يفعله النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ولا الصَّحابة. فهي بدعةٌ بلا شك، والعجيب جدًّا أنَّ المالكيَّة اعتبروا هذه البدعة من مستحبَّات الصَّلاة، واعتبروا القبض من مكروهاتها؛ فخالفوا الإجماع؛ ذلك أنَّ أهل السنَّة أجمعوا قولًا وعملًا على أنَّ القبض من سنن الصَّلاة، بل منهم من أوجبه، كما في "نيل الأوطار". ولم يُخالف إلَّا الشَّيعة الإماميَّة والمالكيَّة، فكرهوا القبض الذي هو السنَّة المتوارثة بنقل جيل عن جيل.

والشَّيعة معروفون بمخالفة أهل السنَّة فلا اعتبار بمخالفتهم، لكن ما حُجَّة المالكيَّة في هذه الزلَّة القبيحة، حيث جعلوا البدعة مندوبةً والسُّنَّة مكروهةً؟! مع أنَّ إمامهم روى حديث القبض في "الموطَّأ"، وكان يقبض في الصَّلاة، ورواه عنه أصحابه المدنيُّون الذين لازموه إلى حين وفاته رضي الله عنه لا حُجَّة لهم إلَّا رواية ابن القاسم في "المدوَّنة"، وهي روايةٌ شاذَّةٌ باطلةٌ لوجوه:

الأوَّل: مخالفتها لما في "الموطَّأ" الذي كتبه الإمام بيده، ورواه عنه مئاتٌ من تلاميذه.

الثاني: مخالفتها لما رواه عنه أصحابه المدنيُّون.

الثالث: مخالفتها لما رواه عنه أصحابه المصريُّون غير ابن القاسم.

الرابع: مخالفتها لفعل الإمام نفسه، فإنَّه كان يقبض في الصَّلاة.

الخامس: مخالفتها لعمل أهل المدينة الذين كانوا يقبضون في الصَّلاة فمن الصَّحابة الخلفاء الأربعة، وسعد بن أبي وقَّاص، وعبدالرحمن بن عوف، وابن عمر، وأبو هريرة، وجابر، وسهل بن سعد، وأمَّهات المؤمنين.

ومن التَّابعين وتابعيهم وفيهم شيوخ مالك وأقرانه: خارجة بن زيد، والقاسم بن محمد، وسالم بن عبدالله بن عمر، وعروة بن الزبير، ونافع مولى ابن عمر، ونافع المقرئ، وزيد بن أسلم، وولده عبدالله، وعبدالرحمن، وسليمان بن يسار، وهشام بن عروة، وربيعة، والزهريُّ، وابن أبي ذئب وغيرهم.

السادس: مخالفتها لإجماع أهل السنَّة، كما مَرَّ.

السابع: مخالفتها للسنَّة المنقولة بالتَّواتر والتَّوارث جيلًا بعد جيل.

وممَّا لاحظته بعد الاستقراء والتَّتبُّع: أنَّ معظم أقوال مالك المخالفة للسنَّة، يتفرَّد بنقلها ابن القاسم، وهذه شبهةٌ قويَّةٌ توجب الرِّيبة فيما ينفرد به عن مالك.

الثامن: أنَّها جاءت فيمن اعتمد على يديه بعد قبضهما لا مُطلقًا؛ بدليل أنَّها وقعت في "المدوَّنة" تحت ترجمة: الاعتماد في الصَّلاة.

٨- **قراءة الحزب جماعة بعد الصُّبح والمغرب**: لم تكن في العهد النَّبويِّ فهي بدعةٌ، لكنَّها ليست بحرام، ومن ادَّعى تحريمها فقد كذب على الله حيث حرَّم ما لم يأتِ تحريمه في الكتاب ولا في السنَّة، كيف وتلاوة القرآن مطلوبةٌ على العموم!!

قال الحافظ حرب الكرمانيُّ تلميذ الإمام أحمد: «رأيت أهل دمشق وأهل

حمص وأهل مكَّة وأهل البصرة يجتمعون على القرآن بعد صلاة الصُّبح ولكن أهل الشَّام يقرأون القرآن كلَّهم جماعةً من سورة واحدة بأصوات عالية، وأهل البصرة وأهل مكة يجتمعون فيقرأ أحدهم عشر آيات والنَّاس يُنصتون، ثُمَّ يقرأ آخر عشر آيات حتَّى يفرغوا»، قال حرب: وكلُّ ذلك حسنٌ جميلٌ.

وأنكر مالكٌ على أهل الشَّام ذلك، روى أبو بكر النيسابوريُّ في "مناقب مالك" عن زيد بن عبيد الدمشقيِّ قال: قال لي مالك بن أنس: بلغني أنَّكم تجلسون حِلَقًا تقرأون؟ فأخبرته بما كان يفعل أصحابنا، قال مالك: عندنا كان المهاجرون والأنصار، ما نعرف هذا، قال زيد: فقلت: هذا طريفٌ، قال مالكٌ: وطريف رجلٌ يقرأ ويجتمع النَّاس حوله.

وروي أيضًا عن إسحاق بن محمَّد الغرويِّ، قال: سمعنا مالك بن أنس يقول: «الاجتماع بكرةً بعد صلاة الصُّبح لقراءة القرآن بدعةٌ؛ ما كان أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ولا العلماء بعدهم على هذا، كانوا إذا صلُّوا يخلو كلٌ بنفسه ويقرأ ويذكر الله تعالى، ثُمَّ ينصرفون من غير أن يُكلِّم بعضهم بعضًا اشتغالًا بذكر الله، فهذه كلُّها مُحدثةٌ».

وروى النيسابوريُّ أيضًا عن ابن وهب قال: سمعت مالكًا يقول:«لم تكن القراءة في المسجد، من أمر النَّاس القديم، وأوَّل من أحدثها في المسجد الحجَّاج بن يوسف، قال مالك: وأنا أكره ذلك الذي يقرأ في المسجد في المصحف».

قلت: حديث مسلمٍ عن أبي هريرة: «**وما اجْتَمَعَ قَوْمٌ في بَيْتٍ مِن بُيُوتِ الله يَتْلُونَ كِتابَ الله ويَتَدارَسُونَهُ بينهم إلَّا نَزَلَتْ عليهم السَّكينةُ، وغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ،**

وحَفَّتْهُمُ الملائكةُ، وذَكَرَهُمُ الله فيمَن عِنْدَهُ». يفيد مشروعيَّة تلاوة القرآن جماعةً في المسجد، فلا ينبغي نسبة إحداثها إلى الحجَّاج أو غيره.

وروى البيهقيُّ عن أبي سعيد الخدريِّ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «يقول الرَّبُّ يومَ القيامَةِ: سيَعْلَمُ أهلُ الجَمْعِ اليومَ مَن أهل الكَرَمِ». فقيل: ومَن أهل الكرم؟ قال: «مَجالسُ الذِّكْرِ في المَساجِدِ».

وروى أيضًا عن زيد بن أسلم قال: قال مِحْجَن بن الأَدْرَعِ: «انطلقتُ مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ليلةً، فمرَّ برجلٍ في المسجد يرفع صوته، قلت: يا رسول الله عسى أن يكون هذا مُرائيًا، قال: «لا، ولكنَّه أوَّاهٌ».

وروى الفريابيُّ في كتاب "الذِّكر" عن عقبة بن عامرٍ: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال لرجل يقال له ذو البِجَادَين: «إنَّه أوَّاهٌ»، وذلك أنَّه كان يكثر ذكر الله بالقرآن والدُّعاء.

وفي "صحيح مسلم" عن أبي موسى الأشعريِّ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «تَعَاهَدُوا القُرْآنَ؛ فوالذي نَفْسُ محمَّدٍ بيَدِهِ لهو أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِن الإبِلِ في عُقُلِها». وقراءة الحزب من طرق تعاهد القرآن، فهو مشروعٌ بهذا الحديث أيضًا.

٩- **قراءة القرآن على الميت**: حرّمها المبتدعة المتنطِّعون، وهذا من جملة كذبهم على الله، والتّقول على دينه بغير علم.

وقد كتبت جزءًا في هذا الموضوع اسمه "توضيح البيان لوصول ثواب القرآن" استوفيت فيه الردَّ على هذه الفئة المتنطِّعة، وسأثبته آخر الكتاب.

١٠- **الذِّكر في تشييع الجنازة:** لم يثبت أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان يُشيّع الجنازة بالذّكر، وكان إذا مشى مع جنازة رُؤيت عليه كآبة.

وروي الطَّبرانيُّ بإسنادٍ ضعيفٍ عن زيد بن أرقم عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يُحبُّ الصَّمْتَ عند ثلاثٍ: عند تِلاوَةِ القُرْآنِ، وعند الزَّحْفِ، وعند الجِنَازَةِ**».

فالذِّكر مع الجنازة بدعةٌ أُحدثت ليُشغل المُشيِّعون بالذِّكر عن الكلام في الميت أو غيره، لكنَّهم لم يشتغلوا بالذِّكر بل استمرُّوا في الكلام فالسُّكوت مع الجنازة أولى وأفضل.

١١- **رفع اليدين في الدُّعاء بعد الصَّلاة:** بالغ المبتدعة المتنطِّعون في تهويل أمره، فزعموا أنَّ الإمام الذي يفعل ذلك مبتدعٌ لا يُصلَّى خلفه، وهذا من جملة تقوُّلهم على الله تعالى وجرأتهم على دينه، وقد أثبت في آخر الكتاب رسالةً تفيد ذلك.

١٢- **السُّبْحَةُ:** صحَّت أحاديث في الذِّكر بأعداد معيَّنةٍ كمائة ومائتين وأكثر، منها حديث ابن عمر عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**قولوا خيرًا، قولوا: سبحان الله وبحمده، فبالواحدة عشرة، وبالعشرة مائة، وبالمائة ألف، ومَن زاد زاده الله عزَّ وجلَّ**».

والسبحة تضبط الأعداد المأثورة، وللوسائل حكم المقاصد، فالسبحة مشروعةٌ.

وصحَّ عن سعد بن أبي وقّاص أنَّه دخل مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على امرأة وبين يديها نوى أو حصى تسبِّح به فقال: «**ألا أُخْبِرُكِ بما هو أَيْسَرُ**

عليكِ مِن هذا أو أفضلُ؟ سُبْحَانَ الله عَدَدَ ما خَلَقَ في السَّماءِ، وسُبْحَانَ الله عَدَدَ ما خَلَقَ في الأرضِ، وسُبْحَانَ الله عَدَدَ ما بين ذلك، وسُبْحَانَ الله عَدَدَ ما هو خالِقٌ، والله أكبرُ مِثْلَ ذلك، والحمْدُ لله مِثْلَ ذلك، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلاَّ بالله مِثْلَ ذلك». حسَّنه الترمذيُّ، وصحَّحه ابن حِبَّان، والحاكم.

وعن صفية أُمِّ المؤمنين قالت: دخل عليَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وبين يديَّ أربعة آلاف نواةٍ أُسبِّح بها، فقال: «**قد سَبَّحْتِ بهذا؟ ألا أُعلِّمك بأكثر ممَّا سَبَّحْتِ به**». فقالت: علِّمني، فقال: «**قولي سُبْحَانَ الله عَدَدَ خَلَقَهُ**». حسَّنه الحافظ ابن حجرٍ.

قال الشّوكانيُّ في "نيل الأوطار": «والحديثان يدلَّان على جواز عدِّ التّسبيح بالنّوى والحصى، وكذا بالسُّبحة لعدم الفارق، لتقريره صلَّى الله عليه وآله وسلَّم للمرأتين على ذلك وعدم إنكاره، والإرشاد إلى ما هو أفضل لا يُنافي الجواز».اهـ

قلت: وكذلك حديث يُسيرة -بالتصغير- وكانت من المهاجرات قالت: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**عليكنَّ بالتّسبيح والتَّهْليلِ والتَّقْديسِ، ولا تَغْفُلْنَ فتَنْسَيْنَ التوحيد، واعْقِدْنَ بالأنامِلِ فإنَّهنَّ مَسْؤولاتٌ ومُسْتَنْطَقاتٌ**». لا ينافي العدَّ بالنّوى والحصى والسُّبحة، بل هي داخلةٌ في معنى الحديث؛ لأنَّ الأنامل التي تعد الذّكر على هذه الأشياء، يثاب صاحبها كما يثاب على العدِّ عليها نفسها.

ووردت آثار عن الصّحابة أنَّهم كانوا يعدُّون على الحصى أو النّوى أو خيط فيه عُقُد على هيئة السبحة، استوفاها الحافظ السّيوطي في جزء "المنحة في

السبحة"، وقال في آخره: «ولم ينقل عن أحد من السّلف ولا من الخلف، المنع من جواز عدِّ الذّكر بالسبحة، بل كان أكثرهم يعدون بها، ولا يرون ذلك مكروهًا، وقد رُؤي بعضهم يعدُّ تسبيحًا فقيل له: أتعدُّ على الله؟ فقال: لا ولكن أعدُّ له. والمقصود أنَّ أكثر الذّكر المعدود الذي جاءت به السُنَّة الشّريفة لا ينحصر بالأنامل غالبًا، ولو أمكن حصره لكان الاشتغال بذلك يُذهب الخشوع، وهو المراد».اهـ

وروى الديلميُّ في "مسند الفردوس" عن عليّ -عليه السَّلام- مرفوعًا: «**نعم المذكِّر السُّبحة**». إسناده ضعيفٌ كما قال علي القاري.

وزعم المبتدع الألبانيُّ المتزمِّت أنَّ الحديث موضوعٌ، وضعَّف حديث سعد بن أبي وقَّاص، وحديث صفيّة، وقد ردَّ عليه العلَّامة الشيخ عبدالله الحبشي الهرري في كتابه "التعقب الحثيث على من طعن فيما صحّ من الحديث" وهو ردٌّ جيّدٌ مُتقنٌ، أبطل مزاعمه، وبيَّن جهله بقواعد أصول الحديث.

وبقي ممَّا لم يُبطله من مزاعمه أمران:

1- قوله عن سند الديلميِّ: وهذا إسنادٌ ظلماتٌ بعضها فوق بعض. وهذه العبارة منه تدلُّ على جهله أو تجاهله باصطلاح أهل الحديث؛ لأنَّ الحفّاظ يقولون هذه العبارة في سند يكون رجاله ضعفاء، وبعضهم أشدُّ ضعفًا من بعض، أما السند الذي يكون فيه مجهولٌ أو مجهولون، فلا يزيدون على أن يقولوا: فيه مجهولٌ، أو فيه مجاهيل

٢- زعمه أنَّ: ابن أبي حاتم يتحرّى في تفسيره أصحَّ الأخبار بأصحِّ الأسانيد.اهـ

ذكر هذا الزعم، ليؤيد حديثًا يرىٰ تحسينه، وهذا غير صحيح، ففي "تفسير ابن أبي حاتم" أخبار واهية، وأثار إسرائيلية كما يظهر ذلك لمتتبعه.

والذي لاحظته علىٰ هذا المبتدع المتزمت: أنَّه ليس بمأمون في الكلام علىٰ الأحاديث، فمتىٰ كان الحديث يخالف غرضه سعىٰ في تضعيفه، وربَّما ادّعىٰ وضعه وضعّف ما له من شواهد، وإذا كان يوافق غرضه سعىٰ في تصحيحه، وتمحَّل بذكر شواهده ويُغضي عمَّا فيه من ضعف؛ وبسبب ذلك يتناقض كلامه، والمبطل متناقضٌ.

وروىٰ السّهميُّ في "تاريخ جرجان" بإسناد ضعيف جدًّا عن أبي هريرة أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان يُسبِّح بالحصىٰ.

وتعليق السبحة بالعنق ليس فيه شيءٌ وهو نظير وضع الكاتب القلم علىٰ أذنه.

روىٰ الترمذيُّ بإسناد ضعيف عن زيد بن ثابت قال: دخلت علىٰ الرسول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وبين يديه كاتب فسمعته يقول: «**ضعِ القلمَ على أُذنك فإنَّه أذكر للمملي**». ونظير وضع حمزة رضي الله عنه ريشة نعامة علىٰ صدره يوم بدر.

ونظير ما رواه الخطيب في "رواة مالك" عنه، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: كان أصحاب رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يضعون أسوكتهم خلف آذانهم، يستنّون بها لكلِّ صلاة.

وروىٰ أبو داود، والترمذيُّ عن أبي سلمة قال: كان السّواك من أذن زيد بن خالد موضع القلم من أذن الكاتب.

(تنبيه): قال الشوكانيُّ في "نيل الأوطار" عن حديث سعد بن أبي وقاص، وحديث صفية أم المؤمنين ما نصُّه: «وفي الحديثين فائدةٌ جليلةٌ وهي أنَّ الذّكر يتضاعف ويتعدّد بعدد ما أحال الذّاكر على عدده، وإن لم يتكرر الذِّكر في نفسه، فيحصل مثلًا على مقتضى هذين الحديثين لمن قال مرة واحدة: سبحان الله عدد كلِّ شيء من التّسبيح ما لا يحصل لمن كرّر التّسبيح ليالي وأيامًا بدون الإحالة على عدد، وهذا ممَّا يشكل على القائلين: إنَّ الثواب على قدر المشقَّة المنكرين للتّفضيل الثابت بصرائح الأدلّة، وقد أجابوا عن هذين الحديثين وما شابههما من نحو قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**من فطّر صائمًا كان له مثل أجره**»، «**ومن عزّى مُصابًا كان له مثل أجره**» بأجوبة متعسّفة متكلَّفة».اهـ

قلت: وفي هذين الحديثين ونحوهما دليلٌ لصاحب "دلائل الخيرات": «اللهم صلِّ على سيدنا محمد عدد الأشجار، وعدد الثمار...» إلخ. والذين يعترضون عليه جهلة أغبياء.

١٣- **الذكر بعد الأذان**: ليس ببدعة، وليس زيادةً في الأذان لأنَّ نهاية الأذان يعرفها الأطفال، فضلًا عن الرجال. والذّكر مأمور به في عموم الأحوال قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٤١]. فهذا الأمر يعمُّ جميع الأوقات، وكونه بعد الأذان له حِكْمةٌ، بيّنها مولانا الشيخ الإمام الوالد رضي الله عنه حيث قال: روى أبو داود والترمذيُّ وحسّنه عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**الدُّعاء لا يُردُّ بين الأذان والإقامة**».

مع ما رواه الدارميُّ، والترمذيُّ وحسّنه عن أبي سعيد الخدريِّ رضي الله عنه

قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يقول الربُّ تبارك وتعالى مَن شَغَلَهُ قراءةُ القرآنِ وذِكْري عن مَسْألتي أعطيتُهُ أفضلَ ما أُعطي السائلين**».

١٤ - الصَّلاة على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعد الصَّلاة المكتوبة:

زعم مبتدعٌ متزمّتٌ أنَّها بدعةٌ، وبئس ما زعم؛ فإنَّ قول الله تعال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] مطلقٌ يصدق بأي وقت تقع فيه الصّلاة، إلَّا إن ورد النّهي عنها في وقت مُعيَّن، وهو غير موجود.

وفي "صحيح مسلم" عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن صلَّى عليَّ واحدةً صلَّى اللهُ عليه بها عشرةً**». فهذا عامٌّ يشمل جميع الأوقات.

ومثله أحاديث كثيرة تفيد العموم، والمقرّر في الأصول: «أنَّ العام يُعمل به في جميع جزئياته»، فالصّلاة على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعد الصّلاة، مشروعةٌ بهذا الحديث وأمثاله، ودعوى بدعيّتها جهلٌ بعلم الأصول.

نعم ورد الحضُّ عليها في أوقات معيّنة، منها عقب الأذان، وعند الدّعاء، وعند دخول المسجد، وعند الخروج منه، وهذا لا يجعلها بدعةً في غير هذه الأوقات؛ لأنَّ تخصيص بعض أفراد العام بالذّكر لا يُخصِّص العام.

١٥- بعض المساجد عندنا بطنجة يذكر المصلّون بعد المكتوبة اسم اللطيف مائة مرّة أو أكثر، يدعون الله به، فزعم مبتدعٌ عاميٌّ أنَّ ذلك بدعةٌ ليست من الدِّين وزعْمُه باطلٌ؛ لأنَّ اللطيف اسمٌ من أسماء الله تعالى، وهو في القرآن الكريم: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾

[الأنعام: ١٠٣]، ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ [الشورى: ١٩]، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤] فهو من أسماء الله الحسنى، والدّعاء بها مطلوبٌ، لقول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] وكل وقت يجوز فيه الدّعاء، وهو بعد الصّلاة من مظانّ الإجابة كما ثبت في الأحاديث، فما لهؤلاء المبتدعة لا يفقهون؟!

١٦- **السّيادة في الأذان والإقامة والتشهد في الصَّلاة:** يمنعها المبتدعة المتنطّعون، ويجهلون ألَّا حرام ولا مكروه إلَّا ما ورد النّهي عنه؛ لقول الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]. ولم يقل وما تركه فانتهوا عنه، أو ما لم يفعله فانتهوا عنه.

ومرَّ في المقدّمة فقرة (٦) أنَّ ترك الشيء لا يدلُّ على منعه ولا كراهته، وهي قاعدة أصوليّة يجهلها المبتدعة، وقد أوضحتها في كتاب "الردِّ المحكم المتين".

وقد أخبرني شخصٌ بينّتها له، أنَّه ذكرها لمبتدع يدَّعي العلم أثناء مناقشة معه، فأنكرها وقال: ليست من علم الأصول.

وأغلب أخطاء هؤلاء المبتدعة -وما أكثرها- تأتي من جهة جهلهم بالأصول، وعدم تمكُّنهم من قواعده، مع ضيق باعهم وقلّة اطّلاعهم.

ثُمَّ السّيادة في الأذان وما ذُكر معه لاستحبابها أربعون دليلًا، ذكرها شقيقنا الحافظ أبو الفيض في كتاب "تشنيف الآذان" مُفصَّلةً دليلًا دليلًا، مع ما يتبعها من إيرادات وأجوبة عنها ويتخلّلها نقولٌ عديدةٌ عن جماعة من الأئمّة والحفّاظ والفقهاء وعلماء المذاهب الأربعة، مضافًا إليه علماء الشيعة الزيديّة والإماميّة،

بحيث من يستوعبه قراءة وفهمًا لم يبقَ له شكٌّ في أنَّ استحباب السّيادة هو الصّواب.

وأنا أذكر هنا دليلين أو ثلاثة، وأُحيل من أراد التوسُّع والبسط على "تشنيف الآذان":

١- نقل جمال الدِّين الإسنوي في "المهمّات" عن الإمام عزّ الدِّين بن عبدالسَّلام أنَّه بنى مسئلة السّيادة على أنَّ الأفضل سلوك الأدب، أو امتثال الأمر وقال ابن ظهيرة: «الأفضل الإتيان بلفظ السّيادة، كما صرّح به جمعٌ، وأفتى الجلال المحلّي جازمًا به، قال: لأنَّ فيه الإتيان بما أمرنا به، وزيادة الأخبار بالواقع الذي هو أدبٌ، فهو أفضل من تركه.

وقال الأبِّي في "شرح مسلم": «وما يستعمل من لفظ السّيد والمولى حسنٌ وإن لم يرد، والمستند فيه ما صحَّ من قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أنا سيّد ولد آدم**». واتفق أنَّ طالبًا يُدعى بابن غمرين قال: لا يزاد في الصَّلاة (على سيّدنا)، قال: لأنَّه لم يرد، وإنَّما يقال: (على محمَّد)، فنقمها عليه الطّلبة، وبلغ الأمر إلى القاضي ابن عبدالسَّلام، فأرسل وراءه الأعوان فاختفى مُدّةً، ولم يخرج حتى شفع فيه حاجب الخليفة فخلّى عنه حينئذ، وكأنَّه رأى أن تغيّبه تلك المدّة هي عقوبته».اهـ

والدليل أنَّ سلوك الأدب أفضل حديثان:

أحدهما: في "صحيح البخاري" عن سهل بن سعد: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ذهب إلى بني عمرو بن عوف ليُصلح بينهم، فحانت الصَّلاة،

فجاء المؤذِّن إلى أبي بكر، فقال: أَتصلِّي للناس فأقيم؟ قال: نعم، فصلَّى أبو بكر، فجاء رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم والناس يصلّون، فتخلَّص حتى وقف في الصفِّ، فصفَّق الناس حتى التفت أبو بكر فرأى النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فأشار إليه رسول الله أن امكث مكانك، فرفع أبو بكر يديه فحمد الله على ما أمره به رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من ذلك، ثُمَّ استأخر حتى استوى في الصفِّ، وتقدّم رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فصلَّى. فلمَّا انصرف قال: «**يا أبا بكر، ما منعك أن تَثْبُتَ إذ أَمرتُك؟**» فقال أبو بكر: ما كان لابن أبي قُحَافة أن يصلِّي بين يدي رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم». فأبو بكر -رضي الله عنه- قدَّم سلوك الأدب على امتثال الأمر، وأقرّه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

والآخر: في "صحيح البخاري" أيضًا عن البراء بن عازب قال: لما صالح رسول الله أهل الحديبية، كتب عليُّ بن أبي طالب -رضوان الله عليه- بينهم كتابًا، فكتب: محمَّد رسول الله. فقال المشركون: لا تكتب محمَّد رسول الله، لو كنت رسولًا لم نقاتلك، فقال لعليّ: «**امْحُهُ**»، فقال علي: ما أنا بالذي أَمْحَاه، فمحاه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بيده.

وهذا أيضًا فضَّل سلوك الأدب على امتثال الأمر، وأقرّه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

٢- قال الله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣] عن ابن عباسٍ قال: كانوا يقولون يا محمَّد، يا أبا القاسم، فنهاهم الله

عن ذلك إعظامًا لنبيّه، فقالوا: يا نبيَّ الله، يا رسول الله، وهكذا قال مجاهدٌ، وسعيد بن جبير، وعكرمة.

وكما لا يجوز نداؤه باسمه المجرّد عن التعظيم، لا يجوز ذكر اسمه مجرّدًا عن وصف السيادة؛ لأنّها من ألقاب التعظيم في العرف، وليس هذا بقياس بل هو حكمٌ في معنى النَّصِّ؛ لأنَّ ذكر الاسم مثل النداء فالآية تشمله.

٣- أنَّ الأذان ورد بألفاظ متعدّدة فيها زيادةٌ ونقصٌ، وزاد فيه بعض الصحابة ألفاظًا لم ترد عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، لعلمهم أنّ القصد بالأذان: الإعلام بدخول الوقت، وأنَّه ليس متعبّدًا بلفظه كالقرآن.

روى مَعْمَرٌ، عن أيوب السختيانيِّ، عن نافع، عن ابن عمر أنَّه كان يؤذِّن ثلاثًا ثلاثًا. وورد عنه: أنَّه كان يختم الأذان بالتكبير بعد لا إله إلا الله.

وروى عبدالرزاق، عن بلال أنَّه كان يثني الأذان والإقامة، وقال ابن حزمٍ: «قد صحَّ عن ابن عمر، وأبي أُمامة، وسهل بن حنيف أنَّهم كانوا يقولون في أذانهم: حي على خير العمل».

قلت: كانوا يقولونها بعد حي على الفلاح، وكان يقولها أيضًا عليٌّ زين العابدين عليه السَّلام، ويقول هو الأذان الأوّل، ويقولها الشّيعة إلى الآن في الأذان.

ومرّ في المقدمة أنَّ بلالًا وجد النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نائمًا، فقال: الصَّلاة خيرٌ من النَّوم، فقال له: «**اجعلها في أذان الفجر**»، وذِكْر السيادة في الأذان وما معه، زيادةٌ في التعظيم، لم تُغيّر لفظًا، ولم تُفسد معنًى، فهي مطلوبةٌ جزمًا.

١٨ - **الفدية عن الميت:** اعتاد بعض الناس أن يدعو إلى داره بعض حفّاظ القرآن والمنشدين، يتلون شيئًا من كتاب الله، ويصلّون على النبيِّ صلَّى الله عليه

وآله وسلَّم، وينشد المنشدون أمداحًا نبويّةً، ثُمَّ يُطعَمون ويوزِّع عليهم صاحب الدّعوة ما تيسّر من نقود، يفعل ذلك صدقةً عن روح ميته، رجاء أن يخفّف الله عنه.

حرَّم المبتدعة المتنطّعون هذا العمل وبالغوا في تحريمه، حتىٰ قال قائل منهم: إنَّ الجلوس في حان مع شَربة الخمر ومُدخّني الحشيش أفضل من الجلوس مع هؤلاء الطلبة والمنشدين.

وهذا قبيحٌ جدًّا إن لم يكن كفرًا فهو قريبٌ من الكفر والعياذ بالله، وإطعام الطعام للإخوان والأصدقاء مطلوبٌ، بل جعل الشّارع إطعام الطعام كفّارةً لحنث اليمين، والظّهار، وفطر رمضان عمدًا، ولغير ذلك.

وتلاوة القرآن والصَّلاة علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عبادتان، وكذلك مدحه عليه الصَّلاة والسَّلام، فلم يبقَ إلَّا الهيئة المجتمعة من هذه الأشياء، وهي غير حرام جزمًا وإن لم توجد في العهد النبويِّ، لما مرّ في المقدمة أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لم يفعل جميع المباحات ولا جميع المندوبات، وأنَّ ترك الشيء لا يدلُّ علىٰ حرمته ولا كراهته.

وأخذ الأجرة علىٰ الوظائف الدّينية كتلاوة القرآن والإمامة وخطبة الجمعة والأذان وتعليم العلوم الشريعة جرىٰ العمل به في البلاد الإسلامية، مِن زمن بعيد.

علىٰ أنَّ أخذ الأجر علىٰ تلاوة القرآن يدخل في عموم حديث البخاريِّ: «**إنَّ أحقَّ ما أخذتم عليه أجرًا كتابُ الله**». وهو أصحُّ من حديث «**لا تَسْتأكِلُوا به**».

وقد صحَّ وصول الحجِّ إلىٰ الميت والصّوم والصّدقة والدّعاء والاستغفار

فكذلك يصل القرآن إليه، بجامع أنَّ كلًا منها عبادةٌ، والتّفريق بينها وبين القرآن تفريق بين المتماثلات، وقراءة القرآن على الميت جرى العمل بها في البلاد الإسلامية من عهد الأنصار.

(تنبيه): لمناسبة ذِكْرِ المنشدين الذين ينشدوا أشعارًا وقصائد المديح النبويِّ، نُشير إلى أنَّ أشهر القصائد التي تُنشد في الحفلات، "قصيدة البردة" للبوصيريِّ رحمه الله، وفيها أبياتٌ انتقدها المبتدعة وهي:

١- وكيفَ تَدْعُو إلى الدُّنيا ضَرُورَةُ مَنْ ... لولاه لم تُخْرَجِ الدُّنيا مِنَ العَدَمِ

٢- وقدَّمَتْكَ جَميعُ الأنبياءِ بها ... والرُّسْلُ تَقْديمَ مَخْدُومٍ على خَدَمِ

٣- يا أَكْرَمَ الخَلْقِ ما لي مَن أَلُوذُ بهِ ... سِواك عند حُلُولِ الحادثِ العَمِمِ

٤- فإنَّ مِن جُودِكَ الدُّنيا وضرَّتها ... ومِن علومِكَ عِلْمَ اللَّوحِ والقَلَمِ

والجواب عن البيت الأول:

أنَّ الله تعالى خلق المكلَّفين لعبادته، فقال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] وخلق الدنيا وما فيها لأجلهم، وخلق الآخرة لأجلهم أيضًا، وجعلها دارين: دار للتكليف والعمل، ودار للجزاء على ما عملوا. ولولا الجن والإنس ما خلقت الدنيا، ولمَّا كان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم سيّد المكلَّفين، ورسول العالمين، وخلاصة النوع الإنساني، صحَّ أن يقال: لولاه لم تخرج الدنيا مِن العدم، وهذا النوع من المجاز لطيفٌ اقتضاه مقام المدح.

وأمَّا الأبيات التالية، فأصلحتها على الوجه الآتي - وإن كان الجواب عنها

مُمكِنًا بتكلّف:

وقدّمتك جميعُ الأنبياءِ بها وكرَّموك لفَضْلٍ فيك مِن قِدمِ
يا أكرم الخَلْقِ ما لي مَن يُشفَّع في سِواك عند حلولِ الحادثِ العَمِمِ

يُشفَّع، بشدِّ الفاء، مبنيٌّ للمجهول. والمعنى: ما لي مَن يقبل الله شفاعته فيّ سواك، وهذا صحيحٌ؛ لأنَّ الله يقول لرسوله يوم القيامة: «**قل تُسْمَعْ، وسَلْ تُعْطَ، واشْفَعْ تُشفَّع**».أي: اشفع تُقبل شفاعتك.

فإنَّ جُودَك في الدُّنيا وضرَّتها وفي كتابِكَ عِلْمُ اللَّوحِ والقلمِ

والنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أجود ولد بني آدم كما في الحديث، وَجُودُه في الآخرة بشفاعته في أمّته، وهو أعظم الجُود.

وكتابه وهو القرآن، فيه علم اللَّوح والقلم بلا نزاع.

١٩- **الاحتفال بالمولد النبويِّ**: قال عنه مبتدعٌ يدَّعي العلم: هو مثل احتفال النّصارى بعيد ميلاد المسيح. يقصد أنَّه حرامٌ، وهذه جُرأةٌ على القول في الدِّين بغير حُجَّة، وما أكثر جراءة المبتدعة على تحريم أمور بدون دليل.

وللحافظ السيوطي رسالة "حسن المقصد في عمل المولد" قال في أوِّلها: «وقع السّؤال عن عمل المولد النبويِّ في شهر ربيع الأول ما حكمه من حيث الشّرع؟ وهل هو محمودٌ أو مذمومٌ؟ وهل يُثاب فاعله أو لا؟

والجواب عندي: أنَّ أصل عمل المولد الذي هو اجتماع الناس وقراءة ما تيسَّر من القرآن، ورواية الأخبار الواردة في مبدأ أمر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وما وقع في مولده من الآيات، ثُمَّ يمد لهم سماطٌ يأكلونه وينصرفون من غير زيادة على ذلك، هو من البدع الحَسَنة التي يُثاب عليها صاحبها، لما فيه

من تعظيم قدْر النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وإظهار الفرح والاستبشار بمولده الشّريف».

ثُمَّ قال: «وقد سُئل شيخ الإسلام حافظ العصر أبو الفضل ابن حجرٍ عن عمل المولد، فأجاب بما نصُّه: «أصل عمل المولد بدعةٌ لم تنقل عن السّلف الصّالح من القرون الثلاثة، ولكنَّها مع ذلك قد اشتملت علىٰ محاسن وضدِّها، فمن تحرّىٰ في عملها المحاسن وتجنّب ضدَّها كانت بدعةً حسنةً، قال: وقد ظهر لي تخريجها علىٰ أصل ثابت، وهو ما ثبت في "الصّحيحين" من أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قَدِم المدينة، فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فسألهم فقالوا: هو يومٌ أغرق الله فيه فرعون ونجَّىٰ موسىٰ، فنحن نصومه شكرًا لله.

فيُستفاد منه فعل الشّكر لله علىٰ ما مَنَّ به في يوم مُعيَّن، من إسداء نعمة، ودفْع نقمة، ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كلِّ سنة، والشّكر لله يحصل بأنواع العبادة، كالسّجود والصّيام والصّدقة والتّلاوة، وأي نعمة أعظم من النّعمة ببروز هذا النبيِّ نبيِّ الرحمة في ذلك اليوم، فهذا ما يتعلّق بأصل عمله، وأمَّا ما يُعمل فيه، فينبغي أن يُقتصر فيه علىٰ ما يُفهِم الشّكر لله تعالىٰ، من نحو ما تقدّم ذكره من التّلاوة والإطعام والصّدقة، وإنشاد شيء من المدائحِ النّبويّة والزهديّة المحرِّكة للقلوب إلىٰ فعل الخير والعمل للآخرة، وأمَّا ما يتبع ذلك من السّماع واللّهو وغير ذلك، فينبغي أن يقال: ما كان من ذلك مباحًا بحيث يقتضي السّرور بذلك اليوم لا بأس بإلحاقه به، وما كان حرامًا أو مكروهًا فيمنع، وكذلك ما كان خلاف الأولىٰ».اهـ

قال السيوطيُّ: «وقد ظهر لي تخريجه علىٰ أصل آخر، وهو ما أخرجه

البيهقيُّ عن أنس أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عَقَّ عن نفسه بعد النّبوة، مع أنَّه قد ورد: أنَّ جدّه عبدالمطلب عَقَّ عنه في سابع ولادته، والعقيقة لا تُعاد مرّةً ثانيةً. فيُحمل ذلك علىٰ أنَّ الذي فعله النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم للشّكر علىٰ إيجاد الله إيّاه رحمة للعالمين تشريعٌ لأمّته، كما كان يُصلِّي علىٰ نفسه لذلك. فيستحب لنا أيضًا إظهار الشّكر بمولده بالاجتماع والإطعام ونحو ذلك من وجوه القربات، وإظهار المسّرات».اهـ

قلت: حديث: «عَقَّ عن نفسه بعد النّبوة»، قال البيهقيُّ عنه: «حديثٌ منكرٌ»؛ وذلك لأنَّه من رواية عبدالله بن محرر، وهو متروكٌ فالأولىٰ الاقتصار علىٰ حديث عاشوراء كما فعل الحافظ ابن حجرٍ، فهو كاف في الاستدلال. والمقصود أنَّ الاحتفال بالمولد النبويِّ مستحبٌّ كما قال هذان الحافظان الجليلان وغيرهما، فلا وجه لإنكاره، والله أعلم.

نبذةٌ ممَّا أحدثه الصحابة بعد العهد النبويِّ

عمر بن الخطَّاب -رضي الله عنه- أحدث الاجتماع في التّراويح، فكانوا يصلُّونها جماعةً في المسجد بإمامة أُبيٍّ بن كعب -رضي الله عنه- تنفيذًا لأمره، وقال حين رآهم يصلّون مجتمعين: «نعمت البدعة هذه والتي ينامون عنها أفضل». يعني: القيام من آخر الليل، والقصّة في "صحيح البخاري".

قال الحافظ في "الفتح" في شرح كلام عمر: «والبدعة أصلها ما أُحدث على غير مثال سابق، وتُطلق في الشرع مقابل السُّنَّة، فتكون مذمومةً. والتحقيق أنَّها إن كانت تندرج تحت مُستحسن في الشرع فهي حسنةٌ، وإن كانت ممَّا تندرج تحت مُستقبح في الشرع فهي مستقبحةٌ، وإلَّا فهي من قسم المباح وقد تنقسم إلى الأحكام الخمسة».اهـ

وفي "الموطأ": وحدَّثني عن مالك: أنَّه بلغه: أنَّ المؤذِّن جاء إلى عمر يُؤذِنه لصلاة الصّبح، فوجده نائمًا، فقال: الصَّلاة خير من النوم، فأمره عمر أن يجعلها في أذان الصبح.

وروى الديرعاقولي في الأول من "فوائده" قال: حدَّثنا إبراهيم بن بشار: حدَّثنا سفيان بن عيينه، عن الزهريِّ، عن عُبيد، عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: «قُبض النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ولم يكن القرآن جمع في شيء».

قلت: عمر هو الذي أشار على أبي بكر -رضي الله عنه- بجمع القرآن في صُحف؛ حين كثر القتل بين الصحابة في وقعة اليمامة، فتوقَّف أبو بكر وقال: كيف نفعل شيئًا لم يفعله رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؟ قال عمر: هو

والله خير، فلم يزل عمر يراجعه حتىٰ شرح الله صدره له، وبعث إلىٰ زيد بن ثابت فكلّفه بتتبّع القرآن وجمعه، قال زيد: فوالله لو كلّفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ ممَّا كلّفني به مِن جمع القرآن، قال زيدٌ: كيف تفعلون شيئًا لم يفعله رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم؟ قال: هو والله خير فلم يزل أبو بكر يراجعني حتىٰ شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. والقصّة مبسوطةٌ في "صحيح البخاري".

وقول أبي بكر وعمر: هو والله خير، يؤيد ما مر في المقدمة من أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لم يفعل جميع المندوبات، أو جميع ما هو خير، وجمْع القرآن كان واجبًا علىٰ المسلمين مع أنَّه بدعةٌ، ليحفظ من الضياع، فألهم الله عمر التفكير في عمل هذه البدعة الواجبة، لما فيها من خير كبير للإسلام والمسلمين.

وقد اعترف الشاطبي بهذا العمل، وأنَّه واجبٌ، وسمَّاه مصلحةً، وأبىٰ أن يسمّيه بدعةً؛ لأنَّ البدعة عنده: ما قصد بها الزيادة علىٰ الشارع، وهذا خطأٌ كبيرٌ؛ لأنَّ من أجاز الزيادة في الشريعة فليس بمسلم؛ ولأنَّ الذين عرفوا البدعة لم يذكروا قصد الزيادة وقسّموها إلىٰ حسنة وسيّئة، وقسّموها باعتبار المصلحة والمفسدة إلىٰ الأحكام الخمسة: الوجوب، والندب، والحرمة، والكراهة، والإباحة، ومرَّ كلامهم في المقدمة فلا داعي لإعادته.

ثُمَّ المصلحة هي الباعثة علىٰ إحداث أمر، وهي غير الأمر المحدث، فحفظ القرآن من الضّياع مصلحةٌ أوجبت جمعه في مصحف.

واستيعاب المساجد للمصلين مصلحةٌ دعت إلىٰ تعدّد الجمعة، وهكذا الشّأن في كلِّ بدعة حسنة.

فالشاطبيُّ شذَّ عن العلماء بما ابتدعه، ولم يأتِ فيما شذَّ به بشيء معقول، واضطر آخر الأمر أن يعترف بأنَّ الأمر المُحدَث ينقسم إلى الأحكام الخمسة كما قال سلطان العلماء وغيره، وسمَّاه مصلحةً لا بدعةً فما صنع شيئًا.

وكان مقام إبراهيم مُلتصقًا بالبيت من عهده إلى أن أخّره عمر، أخرج البيهقي بسند قويّ عن عائشة قالت: «إنَّ المقام كان في زمن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وفي زمن أبي بكر ملتصقًا بالبيت، ثُمَّ أخّره عمر».

قال الحافظ في "الفتح": «ولم تنكر الصحابة فعل عمر، ولا من جاء بعدهم فصار إجماعًا»، قال: «وكأنَّ عمر رأى أنَّ إبقاءه يلزم منه التضييق على الطّائفين أو على المُصلّين؛ فوضعه في مكان يرتفع فيه الحرج، وتهيّأ له ذلك؛ لأنَّه الذي كان أشار باتِّخاذه مُصلًّى، وأوّل من عمل عليه المقصورة الموجودة الآن».اهـ

فعمر حوَّل المقام من مكانه في عهد إبراهيم، وعهد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لمصلحةٍ رآها في تحويله، وعمل عليه مقصورةً ولم ينكر عليه أحدٌ من الصحابة ما فعل فيه؛ لأنَّهم رأوا المصلحة مثل ما رأى.

عثمان بن عفان رضي الله عنه زاد الأذان يوم الجمعة في السوق لما كثر الناس، ففي "صحيح البخاري" عن السّائب بن يزيد قال: كان النِّداء يوم الجمعة أوّله إذا جلس الإمام على المنبر على عهد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فلمَّا كان عثمان رضي الله عنه وكَثُر الناس، زاد النِّداء الثالث على الزوراء، وهي دارٌ في سوق المدينة. وسُمِّي هذا الأذان ثالثًا باعتبار إضافته إلى الأذان الأول والإقامة، ويقال له أول باعتبار سبقه في الزمان على أذان الجمعة، ويقال له: ثان بإسقاط اعتبار الإقامة.

وروى ابن أبي شيبة عن ابن عمر قال: «الأذان الأول يوم الجمعة بدعةٌ».

قال الحافظ في "الفتح": «فيحتمل أن يكون قال ذلك على سبيل الإنكار، ويحتمل أن يريد: أنَّه لم يكن في زمن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وكلُّ ما لم يكن في زمنه يُسمَّى بدعةً، لكن منها ما يكون حسنًا ومنها ما يكون بخلاف ذلك».اهـ

(تنبيه): ذكر بعض المعاصرين: أنَّ ما شاع في المغرب من أذان ثلاثة مؤذِّنين واحدًا بعد آخر يوم الجمعة، عند صعود الخطيب على المنبر، كان هذا على العهد النبويِّ.

وهذا خطأٌ قبيحٌ، وأصله لعبدالملك بن حبيب فإنَّه قال: «كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إذا زالت الشمس، وخرج رقى المنبر، فإذا رآه المؤذِّنون وكانوا ثلاثةً، قاموا فأذَّنوا فوق المنارة واحدًا بعد واحد، ثُمَّ تلاه على ذلك أبو بكر وعمر».اهـ وهذا ليس بصحيح بل لا أصل له.

وهو يخالف ما في "صحيح البخاري" وغيره من كتب السنَّة الصحيحة، وابن حبيب -مع إمامته في الفقه- ضعيفٌ في الحديث، قال الحافظ أبو بكر بن سيِّد الناس: «ضعَّفه غير واحد، وبعضهم اتَّهمه بالكذب».اهـ وممَّن ضعَّفه الدارقطنيُّ، وقال ابن حزم: «ليس بثقة»، وقال أيضًا: «روايته مطروحة».

وفي "صحيح البخاريِّ" عن ابن عمر قال: كان المسجد على عهد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مبنيًّا باللَّبِن وسقفه الجريد وعُمُدُه خشب النّخل، فلم يزد أبو بكر شيئًا، وزاد فيه عمر وبناه على بنيانه في عهد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم باللَّبِن والجريد، وأعاد عُمُدَه خشبًا، ثُمَّ غيَّره عثمان فزاد فيه

زيادةً كثيرةً، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقَصَّة، وجعل عُمُدَه من حجارة منقوشة وسقفه بالسّاج.

«اللَّبِن» بكسر الباء، و«القَصَّة» بفتح القاف وتشديد الصاد: هي الجص، و«السّاج»: نوع من الخشب الجيّد يُؤتى به من الهند.

فعثمان رضي الله عنه وسَّع المسجد زيادةً على توسيع عمر رضي الله عنه وجعل عُمُدَه بالحجارة المنقوشة والجصِّ، وسقفه بالخشب الجيّد، ولم يكن كذلك في العهد النبويِّ؛ لأنَّ المصلحة اقتضته، فما فعله بدعة حسنة بلا شك.

جمع الناس على مصحف واحد، وتحريق ما سواه من قرآن في عهد عثمان رضي الله عنه

لَمَّا جمع زيد بن ثابت القرآن في صحف وضعها عند أبي بكر، فلمَّا تُوفِّي كانت عند عمر، فلما تُوفِّي كانت عند حفصة، وفي أوائل ما تولى عثمان الخلافة حصل الاختلاف في قراءة القرآن، فقال حذيفة بن اليمان لعثمان رضي الله عنهما: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمَّة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنَّصارى. فأهل الشّام يقرأون بقراءة أُبيِّ بن كعب فيأتون بما لم يسمع أهل العراق، وأهل العراق يقرأون بقراءة عبدالله بن مسعود فيأتون بما لم يسمع أهل الشام، فيُكفِّر بعضهم بعضًا. فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا الصّحف ننسخها في المصاحف ثُمَّ نردّها إليك، فأرسلتها إليه، فأمر زيد بن ثابت وعبدالله بن الزّبير وسعيد بن العاص وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وأرسل إلى كلِّ أُفُق بمصحف ممَّا نسخوا، وحبس واحدًا بالمدينة، وأمر بما سواه من القرآن في كلِّ صحيفة أو مصحف أن يحرق،

فاتفق الناس على مصحف واحد وتركوا تلك القراءات الشّاذة كقراءة أُبيّ، وابن مسعودٍ وأبي موسى وهذا العمل -وإن كان بدعة- يُعدُّ من أكبر حسنات عثمان، وأكثرها فائدة للإسلام والمسلمين، بل لو لم يكن له إلَّا هذا العمل العظيم لكفاه فضلًا وشرفًا رضي الله عنه.

(فائدة): قال الحافظ في الفتح: «استُدلَّ بتحريق عثمان الصّحف على القائلين بقدم الحروف والأصوات؛ لأنَّه لا يلزم من كون كلام الله قديمًا أن تكون الأسطر المكتوبة في الورق قديمة، ولو كانت هي عين كلام الله لم يستجز الصحابة إحراقها».اهـ والقول بقدم الحروف والأصوات قاله بعض الغُلاة من حشويّة الحنابلة.

عليٌّ كرم الله وجهه ورضي الله عنه أنشأ صلاةً على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان يُعلِّمها للناس، ولم يكتفِ بالصلاة الإبراهيمية، لعلمه أنَّ الأمر في الأذكار والدعوات واسعٌ لا يوقف فيه عند الوارد.

روى سعيد بن منصور، وابن جرير في "تهذيب الآثار"، وابن أبي عاصم، ويعقوب بن شيبة في "أخبار عليّ"، والطَّبرانيُّ وغيرهم عن سلامة الكندي، قال: كان عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه يُعلِّم الناس الصَّلاة على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فيقول: «اللهمَّ داحِيَ المدحُوَّات، وباريء المسْمُوكات، وجبّار القلوب على فِطرتها شقيِّها وسعيدها. اجعل شرائفَ صلواتِك، ونَوامِيَ بركاتك، ورأفةَ تحيتك، على محمَّد عبدك ورسولك، الخاتمِ لما سبق، والفاتحِ لما أُغلق، والمُعْلِنِ الحقَّ بالحقِّ، والدامِغِ لجَيْشات الأباطيل، كما حُمِّل فاضْطَلَع بأمرك لطاعتك، مُستوفِزًا في مرضاتك بغير نَكْل عن قَدَم، ولا وَهَن في عزم،

واعيًا لوحيك، حافظًا لعهدك، ماضيًا على نفاذ أمرك، حتى أورى قبسًا لقابس آلاء الله تصل بأهله أسبابه، به هديتَ القلوبَ بعد خَوْضَاتِ الفِتَنِ والإثم بموضِحَاتِ الأعلامِ، ومُنيراتِ الإسلامِ، ونائراتِ الأحكامِ، فهو أَمينُكَ المأمون، وخازن علمك المخزون، وشهيدك يوم الدين، وبعِيثُكَ نِعْمةً، ورسولك بالحقِّ رحمةً. اللهمَّ افسح له مَفْسَحًا في عَدْلك، واجزه مُضاعفاتِ الخير مِن فضلك، مُهنَّئات له غير مُكَدَّرات، مِن فَوْزِ ثَوابِكَ المَحْلُول، وجَزيلِ عطائِكَ المَعْلُول. اللهمَّ أعلِ على بناء الناس بناءَه، وأكرم مثواه لديك ونُزُلَهُ، وأتمم له نورَهُ واجْزِهِ مِن ابتعاثك له مقبول الشهادة، ومرضي المقالة. ذا منطق عَدْل، وخُطَّة فصل، وحُجَّة وبرهان عظيم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم».

قال الحافظ المزي: «سلامة الكندي ليس بمعروف، ولم يدرك عليًّا». وقال الحافظ الهيثميُّ: «سلامة الكندي روايته مرسلة، وبقيَّة رجاله رجال الصّحيح». وقال الحافظ ابن كثير: «هذا مشهورٌ من كلام عليّ عليه السَّلام».

عبدالله بن مسعود غيَّر صيغة السّلام على النبيِّ في التشهُّد بعد انتقال النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من الخطاب إلى الغيبة باجتهادٍ منه

عبدالله بن مسعودٍ -رضي الله عنه- تلقَّى تشهد الصَّلاة من النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ويده في يده، بلفظ: «**السَّلام عليك أيها النبيُّ ورحمة الله وبركاته**».

فلمَّا تُوفِّي النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال في تشهده: «السَّلام على النبيِّ ورحمة الله وبركاته»، غيَّر صيغة السّلام من الخطاب إلى الغيبة باجتهاد منه، لا عن توقيفٍ كما زعم الألبانيُّ؛ لجهله بالأصول، وقد بيَّنت بطلان زعمه في

كتاب "الرؤيا في القرآن والسنة".

قال ابن حزمٍ في "الفصل": «وكذلك ما أجمع الناس عليه وجاء به النصُّ من قول كلِّ مصلّ فرضًا أو نافلةً: السّلام عليك أيها النبيُّ ورحمة الله وبركاته».اهـ

وقال ابن تيمية في "الجواب الباهر": «والسّلام عليه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قد شُرع للمسلمين في كلِّ صلاة، وشُرع للمسلمين إذا دخل أحدهم المسجد أي مسجد كان، فالنوع الأول: كلُّ صلاة يقول المصلِّي: السّلام عليك أيها النبيُّ ورحمة الله وبركاته».اهـ

وقال في موضع آخر من هذا الكتاب: «وهم يقولون في الصّلاة: السّلام عليك أيها النبيُّ ورحمة الله وبركاته، كما كانوا يقولون ذلك في حياته».اهـ وروىٰ الطَّبرانيُّ بإسناد صحيح عن الشَّعبيِّ قال: «كان ابن مسعودٍ يقول بعد السّلام عليك أيها النبيُّ ورحمة الله وبركاته: السّلام علينا من ربِّنا. فهذه الجملة زادها ابن مسعودٍ في التشهد باجتهاده».

عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما- زاد التسمية في أول التشهُّد، ولم تصح زيادتها عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم:

روىٰ الطَّحاويُّ، عن ابن جريج قال: قلت لنافع: كيف كان ابن عمر يتشهد؟ قال كان يقول: بسم الله التحيّات لله والصّلوات لله والزّاكيات لله، السّلام عليك أيها النبيُّ ورحمة الله وبركاته، السّلام علينا وعلىٰ عباد الله الصّالحين، شهدت ألَّا إله إلا الله، شهدت أنَّ محمَّدًا رسول الله.

وغيّر أيضًا لفظ أشهد، بلفظ شهدت.

وروىٰ أبو داود عن ابن عمر، عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في

التّشهد: «**التحيَّاتُ لله الصَّلواتُ الطَّيباتُ السَّلام عليك أيها النبيُّ ورحمة الله**»، قال ابن عمر: زدت فيها: «وبركاته». «**السَّلام علينا وعلى عباد الله الصَّالحين أشهد ألَّا إله إلا الله**»، قال ابن عمر: زدت فيها: «وحده لا شريك له». «**وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله**».

قلت: زيادة: «وبركاته» صحّت من حديث ابن مسعودٍ، وزيادة: «وحده لا شريك له» صحّت من حديث أبي موسىٰ لكن ابن عمر لم يسمعها، أو لم تصل عنده، فزادها باجتهاده، وهذا يدلُّ علىٰ أنَّه لا يرىٰ بأسًا في الزيادة علىٰ الذكر المأثور في الصلاة.

والتلبية في الحجِّ زاد فيها عمر وابنه عبدالله والحسن بن عليّ رضي الله عنهم:

روىٰ الستة عن نافع، عن ابن عمر: أنَّ تلبية رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لبّيك اللهمَّ لبَّيك، لبَّيك لا شريك لك لبَّيك، إنَّ الحمد والنِّعمة لك والمُلْك، لا شريك لك**». وكان عبدالله بن عمر يزيد في تلبيته: «لبيك لبيك وسعديك، والخير بيديك، لبيك والرغباء إليك والعمل».

وفي "صحيح مسلم" عن ابن عمر: أنَّ عمر كان يقول هذه الزيادة في التلبية.

وروىٰ اسحاق بن راهويه في "مسنده" عن عبدالرحمن بن يزيد قال: حجَجْنا في إمارة عثمان بن عفّان، مع عبدالله بن مسعود، فزاد في التلبية: «لبيك عدد التّراب»، وما سمعته قبل ذلك ولا بعد.

وروىٰ ابن سعد، عن مسلم بن أبي مسلم قال: سمعت الحسن بن عليّ،

يزيد في تلبيته: «لبيك ذا النعماء والفضل الحسن».

بل زاد الناس في التلبية بحضور النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فأقرَّهم:

روى أبو داود عن جعفر بن محمَّد، عن أبيه، عن جابر قال: أَهَلَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فذكر التلبية بمثل رواية ابن عمر، وزاد: والناس يزيدون: لبيك ذا المعارج، ونحوه من الكلام، والنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يسمع فلا يقول لهم شيئًا.

قال الحافظ في "فتح الباري" بعد أن ذكر زيادة عمر وابنه في التلبية كما هنا: «وأخرج ابن أبي شيبة من طريق المسور بن مخرمة قال: كانت تلبية عمر... فذكر مثل المرفوع، وزاد: «لبيك مَرغوبًا ومَرهوبًا إليك، ذا النَّعماء والفضل الحسن». واستُدلَّ به على استحباب الزيادة على ما ورد عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في ذلك، قال الطحاويُّ - بعد أن أخرجه من حديث ابن عمر وابن مسعودٍ وعائشة وجابر وعمرو بن مَعْدي كَرِب-: أجمع المسلمون جميعًا على هذه التلبية، غير أنَّ قومًا قالوا: لا بأس أن يزيد فيها من الذكر لله ما أحب، وهو قول محمَّد والثوريِّ والأوزاعيِّ واحتجّوا بحديث أبي هريرة، يعني الذي أخرجه النَّسائيُّ، وابن ماجة، وصحّحه ابن حِبَّان والحاكم، قال: كان من تلبية رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لبيك إله الحق لبيك**»، وبزيادة ابن عمر المذكورة.

وخالفهم آخرون فقالوا: لا ينبغي أن يزاد على ما علَّمه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الناس كما في حديث عمرو بن مَعْدي كَرِب، فعله هو ولم يقل: لبوا بما شئتم ممَّا هو من جنس هذا، بل علَّمهم كما علَّمهم التكبير في الصّلاة،

فكذا لا ينبغي أن يتعدَّىٰ في ذلك شيئًا ممَّا علَّمه، ثُمَّ أخرج حديث عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه: أنَّه سمع رجلا يقول: لبيك ذا المعارج، فقال: إنَّه لذو المعارج وما هكذا كنا نلبّي علىٰ عهد رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، قال: فهذا سعد كره الزيادة في التلبية وبه نأخذ.

ويدلُّ علىٰ الجواز، ما وقع عند النَّسائيِّ من طريق عبدالرحمن بن يزيد عن ابن مسعودٍ قال: كان من تلبية النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم... فذكره. ففيه دلالةٌ علىٰ أنَّه قد كان يلبّىٰ بغير ذلك، وما تقدم عن عمر وابن عمر.

وروىٰ سعيد بن منصور من طريق الأسود بن يزيد: أنَّه كان يقول: لبيك غفَّار الذنوب.

وفي حديث جابر الطويل في صفة الحجِّ: حتىٰ استوت به ناقته علىٰ البيداء، أهَلَّ بالتوحيد: «**لبَّيك اللهمَّ لبَّيك...**» إلخ، وأهلَّ الناس بهذا الذي يُهلِّون به، فلم يرد عليهم شيئًا ولزم تلبيته.

وأخرجه أبو داود من الوجه الذي أخرجه مسلمٌ، قال: والناس يزيدون «ذا المعارج» ونحوه من الكلام، والنبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يسمع فلا يقول لهم شيئًا. وفي رواية البيهقيِّ: «ذا المعارج، وذا الفواضل»، وهذا ليدل علىٰ أنَّ الاقتصار علىٰ التلبية المرفوعة أفضل، لمداومته هو صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عليها، وأنَّه لا بأس بالزيادة، لكونه لم يردّها عليهم وأقرّهم عليها، وهو قول الجمهور، وبه صرّح أشهب.

وحكىٰ ابن عبدالبر عن مالك الكراهة، قال: وهو أحد قولي الشّافعيِّ، وقال الشيخ أبو حامد: حكىٰ أحد العراقيين عن الشّافعيِّ - يعني في القديم -

أنَّه كَرِه الزيادة على المرفوع، وغلطوا، بل لا يكره ولا يستحب.

وحكى الترمذيُّ عن الشّافعيِّ، قال: «فإن زاد في التلبية شيئًا من تعظيم الله، فلا بأس، وأحب أن يقتصر على تلبية رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وذلك أن ابن عمر حفظ التلبية عنه، ثُمَّ زاد من قِبَلِهِ زيادةً».

ونصب البيهقي الخلاف بين أبي حنيفة والشَّافعيِّ، فقال: «الاقتصار على المرفوع أحب، ولا ضيق أن يزيد عليها». قال: «وقال أبو حنيفة إن زاد فحسن»، وحكى في المعرفة عن الشَّافعيِّ قال: «ولا ضيق على أحد في قول ما جاء عن ابن عمر وغيره من تعظيم لله ودعائه، غير أن الاختيار عندي: أن يفرد ما روى عن النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في ذلك».

وهذا أعدل الوجوه، فيفرد ما جاء مرفوعًا، وإذا اختار قول ما جاء موقوفًا أو أنشأه هو من قِبَل نفسه ممَّا يليق، قاله على انفراده حتى لا يختلط بالمرفوع، وهو شبيه بحال الدّعاء في التشهد فإنَّه قال فيه: ثُمَّ ليتخيّر من المسألة والثّناء ما شاء، أي بعد أن يفرغ من المرفوع».اهـ كلام الحافظ.

والخلاصة ممَّا ذكر في هذا الحديث: أنَّ الزيادة على المأثور في التشهد والتلبية ونحوهما من الأذكار لا بأس بها؛ لأن النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم سمع الزيادة في التلبية وأقرّها، كما زاد فيها كبار الصحابة عمر وابنه عبدالله، وعبدالله بن مسعود، والحسن بن علي رضي الله عنهم.

وأن جواز الزيادة، هو قول الجمهور، بل هو إجماع؛ لأنَّ الكراهة التي قال بها مالكٌ، والشّافعيُّ في أحد قوليه، تتفق مع الجواز ولا تنافيه، كما تقرّر في علم الأصول.

نعم، لا خلاف أنَّ الوقوف عند الوارد أفضل وأولىٰ، لكن لا ضيق ولا حرج علىٰ من أنشأ ذكرًا أو صلاة علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مما يليق ولا يجوز أن يُسمىٰ مبتدعًا، كما يزعم بعض المتنطّعين المتزمّتين.

وأمَّا ما رواه الشيخان عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: قال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا أتيتَ مَضْجَعَكَ فتوضَّأ وُضُوءَكَ للصَّلاةِ ثُمَّ اضْطَجِعْ على شِقِّكَ الأيمن ثُمَّ قل: اللهمَّ إني أَسْلَمْتُ وجهي إليك، وفوَّضتُ أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رَغْبَةً إليك لا ملجأ ولا مَنْجَا منك إلَّا إليك، اللهمَّ ءامَنْتُ بكتابِكَ الذي أنزلتَ وبنبيِّكَ الذي أرسلتَ، فإن مُتَّ مِن لَيْلَتِكَ فأنتَ على الفِطْرةِ واجعلهنَّ آخر ما تتكلَّم به**» قال: فردَّدتها علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فلمَّا بلغت: اللهمَّ ءامنت بكتابك الذي أنزلت، قلت: ورسولك، قال: «**لا، ونبيِّكَ الذي أرسلتَ**».

فكتب الحافظ في "الفتح" علىٰ قوله: «**لا، ونبيِّكَ الذي أرسلتَ**» ما نصُّه: «قال الخطابي: فيه حُجَّةٌ لمن منع الرواية علىٰ المعنىٰ، قال: ويحتمل أن يكون أشار بقوله: «ونبيّك»، إلىٰ أنَّه كان نبيًّا قبل أن يكون رسولًا، أو لأنَّه ليس في قوله: «ورسولك الذي أرسلت» وصف زائد، بخلاف قوله: «ونبيك الذي أرسلت». وقال غيره: ليس فيه حُجَّة علىٰ منع ذلك؛ لأنَّ لفظ الرسول ليس بمعنىٰ لفظ النبيِّ، ولا خلاف في المنع إذا اختلف المعنىٰ، فكأنَّه أراد أن يجمع الوصفين صريحًا، وإن كان وصف الرسالة يستلزم وصف النّبوّة، أو لأنَّ ألفاظ الأذكار توقيفية في تعيين اللَّفظ وتقدير الثواب، فربما كان في اللَّفظ سرٌّ ليس في الآخر ولو كان يرادفه في الظّاهر، أو لعله أُوحيَ اليه بهذا اللَّفظ، فرأىٰ

أن يقف عنده، أو ذكره احترازًا ممَّن أُرسل من غير نبوّة، كجبريل وغيره من الملائكة لأنَّهم رسل لا أنبياء، فلعله أراد تخليص الكلام من اللبس، أو لأنَّ لفظ النبيِّ أمدح من لفظ الرسول؛ لأنَّه مشتركٌ في الإطلاق على كلِّ من أُرسل، بخلاف لفظ النبيِّ فإنَّه لا اشتراك فيه عُرفًا، وعلى هذا فقول من قال: كلُّ رسول نبي من غير عكس لا يصحّ إطلاقه».اهـ كلام الحافظ.

وبعد هذا فالحديث يتعلَّق بتغيير لفظ الوارد بما ليس بوارد، كتغيير نبيك برسولك، ولا علاقة لهذا بإنشاء لفظ أو ذكر زيادة على الوارد، وهو الذي أجازه الجمهور، بل أقرَّه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فلم يدع لمتعنِّت ما يقول.

ومن قبيح التعنُّت، ما كتبه الألبانيُّ على صلاة ابن مسعودٍ التي رواها إسماعيل القاضي وابن ماجه، بلفظ: «اللهمَّ اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيّد المرسلين، وإمام المتقين، وخاتم النبيّين، محمّد عبدك ورسولك إمام الخير، وقائد الخير، ورسول الرحمة، اللهمَّ ابعثه مقامًا محمودًا يغبطه به الأولون والآخرون...» إلخ.

كتب الألبانيُّ ما نصُّه: «قال الحافظ ابن حجرٍ: إسناده ضعيفٌ، ذكر ذلك في فتوى له في عدم مشروعيّة وصفه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالسيادة في الصّلاة عليه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وهي فتوى مهمة جرى الحافظ فيها على طريقة السّلف في الاتباع، وترك الابتداع».اهـ

وهذا جمود شديد، وتزمُّتٌ ممقوتٌ؛ يُشبه نكتة تُحكى عن فلّاحٍ، ذهب إلى فقيه القرية، يسأله عن يمين أوقعها ختنه على بنته التي تُسمَّى فاطمة، فأخبره الفقيه بحكم اليمين، وقرأ عليه نصَّ الحكم من كتاب الفقه الموجود فيه. فقال

له الفلاح: «لكن لم يذكر اسم ابنتي فاطمة». وكذلك هذا الألبانيُّ المبتدِع، يريد أن يثبت له أنَّ النبيّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: اللهمَّ صلِّ علىٰ سيِّدنا محمَّدٍ، وحيث لم يثبت ذلك فزيادة السيادة بدعةٌ، والنّاطق بها مبتدعٌ. فلقد تحجَّر واسعًا ونطق خُلْفًا، وما أُتي إلَّا من جهله بقواعد علم الأصول، التي تبيِّن كيف يكون جمع الأدلة والتوفيق بينها حتىٰ تسير في خطٍّ مستقيمٍ، لا تناقض بينها ولا تعارض. فهو حين يتعرَّض للأحكام والاستنباط يخبط خبط عشواء، ويمشي في ضلالة عمياء. يجعل المحكم منسوخًا، أو يخرق الإجماع، وكلاهما ابتداع، وهو مع ذلك يرمي غيره بالابتداع، فصدق عليه المثل العربي: «رمتني بدائها وانسلَّت». ويقول النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن قال هَلَكَ النَّاسُ فهو أَهْلَكُهُمْ**» أي: أكثرهم هلاكًا.

وتصرُّفه في المسألة التي نتكلَّم عنها يؤيِّد ما قلناه. فقد نقل عن فتوىٰ الحافظ ابن حجرٍ عدم مشروعيَّة وصف النبيِّ بالسِّيادة في الصَّلاة عليه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم. والفتوىٰ التي أشار إليها نقلها الشيخ جمال الدين القاسمي في شرحه لـ"الأربعين العجلونية" وهي خاصَّةٌ بالمأثور، فقد سُئل الحافظ عن زيادة سيِّدنا في الصَّلاة الإبراهيمية هل تُستحب؟ فقال في الموضوع: لا يزاد ذلك في الكلمات المأثورة، ويجوز أن يزاد في غيرهما.

فالحافظ صرَّح بجواز زيادة السِّيادة في غير المأثور، والألبانيُّ عمَّم كلامه، وتقدَّم قريبًا عن الحافظ: أنَّه أجاز الزيادة في التلبية وحكاه عن الجمهور واختار أن يفصل بين الوارد وغيره حتىٰ لا يلتبس، وعليه فقول ابن مسعودٍ أو غيره: «اللهم صلِّ علىٰ سيّد المرسلين...» لم يكره الحافظ ولا غيره لا من السّلف ولا

من الخلف وكيف يكرهه مسلمٌ وهو الصدق والواقع!!

فالنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم سيّد المرسلين، وسيّد ولد آدم، وإمام المتقين، وقائد الغرِّ المُحجَّلين، وقد خاطبه سهل بن حنيف بقوله: «يا سيّدي والرقى نافعة؟» فأقرَّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

ومرَّ في المقدِّمة: أنَّ ترك الشيء لا يدلُّ على حرمته، ولا كراهته، وأنَّ النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لم يفعل جميع المباحات، ولا جميع المندوبات وأنَّ الله تعالى قال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧]، ولم يقل: وما تركه فانتهوا عنه لأنَّ النّهي حكمٌ، والتّرك ليس بحكم.

وتقدّم أيضًا: أنَّ الأمر الحادث بعد العهد النبويِّ إذا كان يشمله دليلٌ أو قاعدةٌ شرعيّةٌ، فهو سنةٌ حسنةٌ، كما قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وأنَّ أبا بكر وعليًّا رضي الله عنهما خالفا أمر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، واختارا سلوك الأدب معه، فأقرّهما ولم يعنّفهما.

صلاة الضّحى، كان ابن عمر يعتقد أنّها بدعةٌ ويستحسنها:

روى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح عن الحكم بن الأعرج، عن الأعرج قال: سألت ابن عمر عن صلاة الضّحى؟ فقال: «بدعةٌ، ونعمت البدعة».

وروى عبدالرزاق بإسناد صحيح عن سالم، عن أبيه قال: لقد قتل عثمان، وما أحد يسبحها، وما أحدث الناس شيئًا أحب إلي منها.

وروى سعيد بن منصور بإسناد صحيح، عن مجاهد، عن ابن عمر أنَّه قال: «إنَّها -يعني صلاة الضحى- مُحدثةٌ، وإنَّها لمن أحسن ما أحدثوا».

الصَّلاة في مسجد فيه قبور

قال البخاريُّ في "الصحيح": باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مسجدًا؟ وما يكره من الصلاة في القبور، ورأى عمر أنس بن مالك يصلي عند قبر، فقال: القبرَ القبرَ ولم يأمره بالإعادة.

قال الحافظ ابن حجرٍ: «قوله: «وما يكره من الصلاة في القبور» يتناول ما إذا وقعت الصلاة على القبر أو إلى القبر أو بين القبرين، وذلك في الحديث الذي رواه مسلمٌ من طريق أبي مرثد الغنويِّ مرفوعًا: «**لا تَجْلِسُوا على القُبُورِ، ولا تُصَلُّوا إليها أو عليها**».

قلت: وليس هو على شرط البخاريِّ فأشار إليه في الترجمة، وأورد معه أثر عمر للدلالة على أنَّ النَّهي عن ذلك لا يقتضي فساد الصلاة. وقوله: «ولم يأمره بالإعادة» استنبطه من تمادي أنس على الصلاة، ولو كان يقتضي فسادها لقطعها واستأنف.

وقال البخاريُّ: باب كراهيَّة الصلاة في المقابر، وروى فيه عن ابن عمر عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**اجعلوا مِن صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبورًا**». قال الحافظ في الفتح: «استنبط من قوله: «ولا تتخذوها قبورًا» أنَّ القبور ليست محلًا للعبادة، فتكون الصلاة فيها مكروهةً».اهـ

وهذا الاستنباط غير ظاهر وإن كان اللَّفظ يحتمله، بل غيره أولى لتبادره إلى الذهن.

قال ابن التين: «تأوّله البخاريُّ على كراهة الصلاة في المقبرة، وتأوّله جماعةٌ على أنَّه إنَّما فيه الندب إلى الصلاة في البيوت؛ لأنَّ الموتى لا يصلّون، كأنَّه قال:

لا تكونوا كالموتىٰ الذين لا يصلون في بيوتهم وهي القبور».اهـ

وقال ابن قرقول في "المطالع"، وتبعه ابن الأثير في "النهاية": «إنَّ تأويل البخاريِّ مرجوحٌ، والأولىٰ قول من قال: معناه: أنَّ الميت لا يصلي في قبره».اهـ

وقال الخطابي: «يحتمل أنَّ المراد لا تجعلوا بيوتكم للنّوم فقط لا تصلّون فيها، فإنَّ النّوم أخو الموت، والميت لا يُصلِّي. وقال التوربشتي: يحتمل أن يكون المراد: أنَّ من لم يصلِّ في بيته جعل نفسه كالميت وبيته كالقبر».اهـ

وقال الحافظ: «ويؤيِّده ما رواه مسلمٌ: «**مثل البيت الذي يُذكر الله فيه، والبيت الذي لا يُذكر الله فيه كمثل الحيِّ والميت**».اهـ

وروىٰ البيهقيُّ في "السنن" حديث أبي مرثد الغنويِّ: «**لا تجلسوا على القبور ولا تُصلُّوا إليها**»، وعزاه إلىٰ مسلم، ثُمَّ قال: وروينا عن أبي ظبيان عن ابن عباسٍ: أنَّه كره أن يُصلِّي إلىٰ حُشّ، أو حمّام، أو قبر، وكلُّ ذلك علىٰ وجه الكراهية إذا لم يعلم في الموضع الذي يصيبه ببدنه وثيابه نجاسةً؛ لما روينا في الحديث الثابت عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**جُعلتْ لي الأرضُ طيِّبةً طَهُورًا ومسجدًا، وأيُّما رجلٍ أدركته الصَّلاةُ صلَّى حيث كان**»، ثُمَّ روىٰ عن ابن جريج قال: قلت لنافع: أكان ابن عمر يكره أن يُصلَّىٰ وسط القبور؟ قال: لقد صلَّينا علىٰ عائشة وأم سلمة وسط البقيع، والإمام يوم صلَّينا علىٰ عائشة أبوهريرة، وحضر ذلك عبدالله بن عمر».اهـ

وقال البخاريُّ: باب، وروىٰ فيه عن عائشة وابن عباسٍ معًا قالا: لما نزل برسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لعنة الله على اليهود والنَّصارى اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد يُحذِّر ما صنعوا**».

وروى حديث أبي هريرة: «**قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**».

باب قول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا**» وروى فيه حديث جابر: «**أُعطيت خمسًا لم يُعطهنَّ أحدٌ من الأنبياء قبلي: نُصرت بالرُّعْبِ مَسْيرةَ شَهْرٍ، وجُعلتْ لي الأرضُ مسجدًا وطهورًا، وأيُّما رجلٍ مِن أمَّتي أدركته الصَّلاةُ فليصلِّ...**» الحديث.

قال الحافظ: «قوله: «**وجُعلت لي الأرضُ...**» تقدَّم الكلام على هذا الحديث في أوّل كتاب التّيمّم وإيراده له هنا يحتمل أن يكون أراد أنَّ الكراهة في الأبواب المتقدّمة ليست للتحريم، لعموم قوله: «**جُعلت لي الأرض مسجدًا**». أي كلُّ جزء منها يصلح أن يكون مكانًا للسّجود، أو يصلح أن يُبنى فيه مكان للصّلاة، ويُحتمل أن يكون أراد أنَّ الكراهة فيها للتّحريم، وعموم حديث جابر مخصوصٌ بها، والأوّل أولى؛ لأنَّ الحديث سِيق في مقام الامتنان فلا ينبغي تخصيصه، ولا يرد عليه أنَّ الصّلاة في الأرض المتنجِّسة لا تصحُّ؛ لأنَّ التنجّس وصفٌ طارئٌ والاعتبار بما قبل ذلك».اهـ

وقال ابن عبدالبر في "التمهيد" في الكلام على حديث: «**أولئك قومٌ إذا ماتَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ عندهم بنوا على قَبْرِهِ مسجدًا ثُمَّ صَوَّروا فيه تلك الصُّور**». ما نصُّه: «وقد احتجَّ من لم يرَ الصّلاة في المقبرة ولم يُجزها بهذا الحديث، وبقوله: «**إنَّ شرَّ النَّاسِ الذين يتّخذون القبور مساجد**». وبقوله: «**صلُّوا في بيوتكم ولا تتّخذوها قبورًا**». وهذه الآثار قد عارضها قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**جُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا**». وتلك فضيلة خُصَّ بها رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ولا يجوز على فضائله النّسخ ولا

الخصوص ولا الاستثناء، وذلك جائزٌ في غيرها إذا كان أمرًا أو نهيًا، أو في معنى الأمر والنّهي، وبهذا يستبين عند تعارض الآثار في ذلك أنَّ النّاسخ منها قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**جُعلت لي الأرضُ مسجدًا وطهورًا**»، وقوله لأبي ذرّ: «**حيثما أدركتك الصَّلاة فصلِّ فقد جُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا**».اهـ كلامه.

وهذا حديثٌ متواترٌ، ومعناه مُجمعٌ عليه، ومعلومٌ من الدِّين بالضّرورة.

وعليه فالصّلاة في مسجد فيه قبرٌ أو في مقبرة أو على قبر أو إليه أو عنده أو بين قبرين صحيحةٌ لا غبار عليها، لعموم حديث: «**جُعِلَتْ لي الأرضُ مسجدًا وطهورًا**». وهو ناسخٌ لحديث النّهي عن الصّلاة في المقابر، وهذه طريقة ابن عبدالبر.

وطريقة البيهقيِّ وابن حجرٍ أنَّ النّهي معناه كراهة تنزيه فالصّلاة في المقابر مكروهةٌ كراهةً تنزيهيةً، ولا تكون باطلةً، لحديث: «**جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا**».

ولا بد أن ننبِّه على صورةٍ قد تشتبه على بعض الناس فيظنها تخصيصًا أو استثناء من حديث: «**جُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا**». مع أنَّها ليست من ذلك في شيء، وقد أجاب عنها الحافظ ابن حجرٍ فيما سبق من كلامه، حيث قال: بعد أن قرّر أنَّ حديث جابر سِيق في مقام الامتنان فلا ينبغي تخصيصه: ما نصّه: «ولا يرد عليه أنَّ الصّلاة في الأرض النّجسة لا تصحّ؛ لأنَّ التنجُّس وصفٌ طارئٌ والاعتبار بما قبل ذلك».اهـ

يعني أنَّ التنجُّس وصفٌ مانعٌ من الصحّة طارئٌ على الأرض، والعبرة بما

قبل طروئه، وهذا الجواب يحتاج إلى تتمة وإيضاح، ذلك: أنَّ طهارة ثوب المصلِّي ومكانه شرطٌ في صحّة الصّلاة، «وإذا فُقد الشّرط، فُقد المشروط»، قاعدةٌ أصوليّةٌ، لا خِلاف فيها، فمن صلَّى فاقد الطّهارة لم تقع منه صلاةٌ شرعيّةٌ لفقد شرطها، وقولهم: لا تصحُّ أو باطلةٌ كناية عن أنَّها لم تقع أصلًا. فلا تكون مستثناةً ولا مخصوصةً من حديث: «**جُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا**» بخلاف الصّلاة في المقبرة فإنَّها وقعت مستوفاةٌ الشّروط، ولو قلنا ببطلانها لأجل النّهي عن الصّلاة في المقابر كانت مُستثناةً أو مخصوصةً، والفضائل أو الخصوصيّات لايُستثنى منها ولا يدخلها تخصيص.

الجلوس على القبر

اختلف العلماء في الجلوس على القبر الذي ثبت النّهي عنه، فحمله الجمهور على الجلوس المعهود، وفي "الموطّأ": وحدَّثني عن مالك أنَّه بلغه أنَّ عليَّ بن أبي طالب كان يتوسَّد القبور ويضطجع عليها.

قال مالكٌ: «وإنَّما نُهي عن القعود على القبور فيما نُرى -بضم النون- للمذَاهِب». يعني قضاء الحاجة، قال السهيليُّ في "الروض الأنف": «وقوله: خرج الكناني حتى قعد في القليس، أي أحدث فيها، وفيه شاهد لقول مالك وغيره من الفقهاء في تفسير القعود على المقابر المنهي عنه، وأنَّ ذلك للمذَاهِب كما قال مالك».

وقال المازريُّ والنوويُّ: «حَمْله على قضاء الحاجة ضعيفٌ أو باطلٌ».

قلت: بل هو وجيهٌ، والدليل عليه أمران:

١- أنَّ العرب في الجاهلية كانوا لا يعتقدون البعث ولا يعرفونه، وكانوا يرون الشخص إذا مات صار رِمَّةً لا تُرجىٰ له حياة؛ فلا يتحاشون عن قضاء الحاجة فوق القبر ولا يرون فيه شيئًا، فلمَّا جاء الإسلام وأثبت البعث، وأنَّ بعد هذه الحياة حياةٌ أُخرىٰ أكمل من هذه وأدوم، وأنَّ الشخص بعد موته يكون في حياة برزخيّة يُحسُّ ويشعر بمن يزوره ويراه، وإن كنَّا لا نشعر بذلك؛ نهىٰ النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن قضاء الحاجة علىٰ القبر احترامًا لصاحبه، ولأنَّه يرىٰ الشخص إذا كشف عورته لقضاء الحاجة.

ولهذا قال عقبة: ما أبالي قضيت حاجتي علىٰ القبور، أو في السوق والناس ينظرون، يريد أنَّ الموتىٰ يجب الحياء منهم كالأحياء.

٢- أنَّ ذلك التأويل جاء منصوصًا عليه، فروىٰ الطّحاويُّ في "شرح معاني الآثار" عن أبي هريرة مرفوعًا: «**مَن جلس على قبرٍ يبول عليه أو يتغوَّط فكأنَّما جلس على جمرة نارٍ**». روي عن زيد بن ثابتٍ قال: «هلمَّ يا ابن أخي أخبرك إنَّما نهىٰ النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن الجلوس علىٰ القبر لحدث غائط أو بول».

وروىٰ عبدالرزَّاق، عن عبدالله بن طاوسٍ، عن أبيه: «كان يكره أن يُبنىٰ علىٰ القبر أو يُجصَّص أو يُتغوَّط عنده»، وكان يقول: «لا تتخذوا قبور إخوانكم حُشَّانًا». جمع حُشّ، وهو محلُّ قضاء الحاجة.

أمَّا الجلوس لغير حدث، فقد روىٰ الطَّحاويُّ عن مولىٰ لآل عليّ عليه السّلام أنَّ عليَّ بن أبي طالب كان يجلس علىٰ القبر، وقال المولىٰ: كنت أبسط له في المقبرة فيتوسّد ثُمَّ يضطجع.

ورُوي عن نافع أنَّ عبدالله بن عمر كان يجلس على القبور.

وحديث عُمارة -بضم العين- ابن حزمٍ قال: رآني رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على قبر، فقال: «**انزل عن القبر لا تؤذِ صاحب القبر**». رواه الطحاويُّ والطبرانيُّ بإسناد فيه ابن لَهيعة، ورأيت الحافظ عزاه في "الفتح" لأحمد، وقال إسناده صحيحٌ، ووقع في "معاني الآثار": «عمرو بن حزم» وهو خطأٌ وكذلك وقع في "منتقى الأخبار"، ولم ينبّه عليه الشوكانيُّ في "نيل الأوطار"، وعمرو أخو عُمارة، ولكن الحديث حديث عُمارة، والقصّة وقعت له. وهذا الحديث ليس نصًّا في الجلوس؛ لأنَّ قوله: «رآني على قبر» يحتمل أن يكون معناه: رآني قائمًا على قبر، والقيام أشدُّ إهانة من الجلوس. قال ابن عربي: «حمله مالكٌ على ذلك» أي حمل حديث النّهي عن الجلوس على الحدث، وإنَّما حمله عليه لما روي أنَّ عليًّا كان يجلس على القبور، وفي "أبي داود": «أنَّ الصحابة كانوا يخرجون إلى المقبرة، ويجلس النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مستقبل القبلة، حتى يلحد وأصحابه حوله».اهـ

وهذا الحديث رواه أبو داود عن البراء بن عازب.

وعلى قول الجمهور: أنَّ المراد الجلوس المعهود، فلا شك أنَّ القصد بالنهي عنه احترام الميت وعدم إذايته، وهذا حقٌّ من حقوقه أثبته الشارع، ولكن الميت الذي يُدفن في مسجد بطلبه أو طلب أوليائه وعصبته، لتناله بركة ما يحصل في المسجد من صلاة وقراءة وذكر ودعاء، يكون متنازلا عن حقّه في منع الجلوس عليه. وهذا كما يتنازل المجني عليه عن حقّه في القصاص فلا يبقى على الجاني تبعة.

أمَّا ما رواه ابن سعد قال: أخبرنا أبو بكر بن محمَّد بن أبي مرة المكيُّ:

أخبرنا نافع بن عمر: حدَّثني ابن أبي مُلَيكة قال: كانت عائشة تضطجع على قبر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، قال: فرأته خرج عليها في النّوم، فقالت: والله ما هذا إلَّا لأمر فتنت به، ولا يخرج عليَّ أبدًا. قال: فتركَتْ ذلك.

فهذا خاصٌّ بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؛ لعُلوِّ منزلته ولأنَّه لم يأذن لها في ذلك، وهذا الأثر ضعيفٌ.

بناء المساجد على القبور

استدلَّ الذين قالوا بكراهة بناء المسجد على القبر وهم الأكثر، أو بمنعه، بحديث: «**لعن الله اليهودَ والنَّصارى اتَّخذوا قبورَ أنبيائهم مساجدَ**». والحديث صحيحٌ، لكن الاستدلال به لقولهم غير صحيح.

وبيان ذلك من وجوه:

١- أنَّ معنى اتِّخاذ القبور مساجد: الصلاة إليها تعبّدًا، أو السّجود لها، وهذا غير بناء مسجد عليها كما هو ظاهر، وقد تفطّن الكرمانيُّ لهذا، فإنَّ البخاريَّ ترجم بقوله: «باب ما يكره من اتّخاذ المسجد على القبر»، وروى فيه حديث: «**لعنَ اللهُ اليهودَ والنَّصارى اتخذوا قبورَ أنبيائهم مساجدَ**». قال الكرمانيُّ: «مفاد الحديث منع اتّخاذ القبر مسجدًا، ومدلول الترجمة: اتّخاذ المسجد على القبر، ومفهومهما متغاير، ويجاب بأنَّهما متلازمان وإن تغاير المفهوم».اهـ

وإيراده صحيحٌ، وجوابه بالتلازم بينهما ليس بصحيح، بل لا وجود للتلازم بينهما أصلًا، لا في اللغة ولا في الشرع ولا في الواقع.

٢- أنَّ عائشة لما روت قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لعنَ اللهُ اليهودَ**

والنَّصارى اتّخذوا قبورَ أنبيائهم مساجدَ». أعقبته بقولها: ولولا ذلك لأبرزوا قبره، غير أنِّي أخشى أن يُتّخذ مسجدًا.

قال الحافظ في "الفتح": «قوله: لأبرزوا قبره» أي لكشف قبر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ولم يتخذ عليه الحائل، والمراد: الدفن خارج بيته، وهذا قالته عائشة قبل أن يوسّع المسجد النبوي، ولهذا لما وسّع المسجد جعلت حجرتها مثلثة الشكل محدّدة، حتى لا يتأتّى لأحد أن يصلِّي إلى جهة القبر مع استقبال القبلة».اهـ

تبيَّن من هذا أنَّ اتّخاذ القبر مسجدًا معناه: الصلاة إليه والسجود له لا بناء مسجد عليه.

٣ - قال ابن سعد: أخبرنا علي بن عبدالله بن جعفر -هو ابن المديني-: أخبرنا سفيان -يعني ابن عيينة-: أخبرنا حمزة بن المغيرة، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**اللهمَّ لا تجعل قبري وثنًا، لعنَ اللهُ قومًا اتّخذوا قبورَ أنبيائهم مساجدَ**».

وقال أيضًا: أخبرنا معن بن عيسى: أخبرنا مالك بن أنس، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**اللهمَّ لا تجعل قبري وثنًا يُعبد، اشتدَّ غضبُ الله على قوم اتّخذوا قبورَ انبيائهم مساجدَ**».

وقال ابن أبي شيبة: حدَّثنا أبو خالد الأحمر، عن ابن عَجلان، عن زيد بن أسلم قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**اللهمَّ لا تجعل قبري وثنًا يُصلَّى له، اشتدَّ غضبُ الله على قوم اتّخذوا قبورَ أنبيائهم مساجدَ**». ورواه عبدالرزاق، عن معمر، عن زيد به.

فهذه الأحاديث صريحةٌ في أنَّ اتّخاذ القبر مسجدًا معناه: الصلاة له تعبّدًا

والسجود له، لا بناء مسجد عليه.

٤- قال البيضاويُّ: «لما كانت اليهود والنّصارىٰ يسجدون لقبور الأنبياء تعظيمًا لشأنهم، ويجعلونها قبلة يتوجّهون في الصلاة نحوها، واتّخذوها أوثانًا، لعنهم ومنع المسلمين عن مثل ذلك، فأمَّا من اتّخذ مسجدًا في جوار صالح، وقصد التبرُّك بالقُرْبِ منه لا التعظيم له ولا التوجّه نحوه، فلا يدخل في ذلك الوعيد».اهـ نقله الحافظ في "فتح الباري".

وقال التوربشتيُّ في "شرح المشكاة" في الكلام علىٰ حديث: «**لعن الله اليهود اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»: «هو مُخرّج علىٰ وجهين: **أحدهما**: كانوا يسجدون لقبور الأنبياء تعظيمًا لهم، وقصد العبادة في ذلك.

وثانيهما: أنَّهم كانوا يتحرّون الصَّلاة في مدافن الأنبياء، والتوجُّه إلىٰ قبورهم في حالة الصَّلاة والعبادة لله، نظرًا منهم أنَّ ذلك الصنيع أعظم موقعًا عندالله، لاشتماله علىٰ الأمرين: عبادة، والمبالغة في تعظيم الأنبياء. وكلا الطريقتين غير مرضيّة، أمَّا الأولىٰ فشركٌ جليٌّ، وأمَّا الثانية فلما فيها من معنىٰ الإشراك بالله عزَّ وجلَّ، وإن كان خفيًّا، والدليل علىٰ ذمِّ الوجهين قوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**اللهمَّ لا تجعل قبري وثنًا، اشتدَّ غضبُ الله على قوم اتّخذوا قبورَ أنبيائهم مساجدَ**». والوجه الأول أظهر وأشبه».اهـ

فتحصّل من هذه الوجوه أنَّ اتّخاذ القبر مسجدًا معناه: السجود له، والصلاة إليه، والاستدلال به لمنع بناء المسجد علىٰ القبر أو كراهته خطأٌ ظاهرٌ؛ لتباين المعنيين وتغايرهما.

بقي أمرٌ لا بد أن ننبِّه عليه، وهو: إذا كان مسجدًا مبنيًا ثُمَّ دفن فيه ميت أو

أدخل فيه قبرٌ، فلا يدخله الخلاف في بناء المسجد على القبر؛ لأنَّه لم يُبنَ عليه، والدليل على ذلك أمورٌ:

١- قال ابن سعد: أخبرنا محمَّد بن عبدالله الأنصاري: أخبرنا محمَّد بن محمَّد بن عمرو، عن أبي سلمة بن عبدالرحمن، ويحيى بن عبدالرحمن بن حاطب، قالا: قال أبو بكر: أين يدفن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؟ قال قائل منهم: عند المنبر، وقال قائل منهم: حيث كان يُصلِّي يؤم الناس.

وقال أيضًا: أخبرنا معن بن عيسى: أخبرنا مالك بن أنس: أنَّه بلغه أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لَمَّا تُوفِّي، قال ناس: يُدفن عند المنبر، فهؤلاء الناس لم يُشيروا بدفنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عند المنبر، أو حيث كان يؤمُّ الناس، إلَّا لعلمهم بأنَّ هذا لا يشمله بناء مسجد على قبر، وهؤلاء كانوا صحابة.

٢- وقال ابن حزمٍ في "المحلَّى": «قد أنذر عليه السلام بموضع قبره بقوله: «**ما بين قبري ومنبري روضةٌ من رياض الجنّة**». واعلم أنَّه في بيته بذلك، ولم ينكر عليه السّلام كون القبر في البيت ولا نهى عن بناء قائم وإنَّما نهى عن بناء على القبر قبّة فقط».اهـ

وحديث «**ما بين قبري...**». رواه البزّار من حديث سعد بن أبي وقاص، ورجاله ثقاتٌ، ورواه الطبرانيُّ من حديث ابن عمر، قاله الحافظ في "الفتح".

قلت: ورواه الخطيب في "الموضح" من حديث أبي سعيد الخدري (١/ ٤١٩)، ورواه البزَّار من حديث عليّ وأبي هريرة، وإسناده ضعيفٌ، ومعنى الروايتين واحدٌ، فإنَّ قبره في بيته ولهذا ترجم البخاري في "صحيحه":

«باب فضل ما بين القبر والمنبر»، وروى الحديث بلفظ: «البيت»، والحديث يدلُّ على فضل هذا المكان وفضل الصلاة فيه، وهو يُومئ إلى جعله مسجدًا يُصلَّى فيه كما هو حاصل الآن.

٣- إن القبر الشريف أُدخل في المسجد النبويِّ في عهد الوليد بن عبدالملك على يد عمر بن عبدالعزيز ولم يغيّر عمر ذلك في خلافته بأن يفصل بين الحجرة الشريفة والمسجد بجدار، ولم يفعل ذلك خلفاء بني العبّاس، ولا أرشدهم إليه أحدٌ مع كثرة من زار المسجد النبويِّ من الأئمّة والحفّاظ والفقهاء والزهاد وغيرهم، وكان الإمام مالك مسموع الكلمة عند المنصور ولو أشار عليه بإقامة حاجز بين القبر والمسجد لفعله، وما ذلك إلا لأنَّ إدخال قبر في مسجد ليس كبناء المسجد عليه، وهو في المسجد النبويِّ إجماع من الأمّة بجميع طبقاتها والنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**لا تجتمع أمّتي على ضلالة**». وبالله التوفيق.

مسألة

استدلَّ أخي في "إحياء المقبور" بآية (الكهف) من جهة أنَّ الله ذكر قولهم: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١] فأقرَّهم ولم ينكر عليهم.

قال المبتدع الألبانيُّ: هذا الاستدلال باطلٌ من وجهين:

١- لا يصحُّ اعتبار عدم الردِّ عليهم إقرارًا لهم إلَّا إذا ثبت أنَّهم كانوا مسلمين صالحين متمسكين بشريعة نبيّهم، وليس في الآية إشارة إلى ذلك، بل يحتمل أنَّهم كانوا كفَّارًا أو فجَّارًا وهو الأقرب.

٢- أنَّ الله ردَّ صنيعهم على لسان رسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حيث

ثبت في الحديث الصحيح: «**لعنُ الله اليهودَ والنَّصارى اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد**». فأي ردّ أوضح من هذا؟! وما مثل من يستدلُّ بهذه الآية على خلاف الأحاديث الصحيحة إلَّا كمثل من يستدلُّ على جواز صُنْع التماثيل والأصنام بقوله تعالى في الجنِّ المذلَّلين لسليمان عليه السلام: ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ﴾ [سبأ: ١٣].اهـ

وبيان ردِّ كلامه من وجوه:

١- أنَّ جماعةً من المفسّرين قالوا في الذين حكى الله عنهم قولهم: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾ أنَّهم كانوا كفارًا، وهو خطأٌ، والصّواب: أنَّهم كانوا مسلمين كما قال ابن عباسٍ؛ لأنَّهم عزموا على بناء مسجد، وهذا شأن المسلم، ولو كانوا كفارًا لحكى الله عنهم أنَّهم قالوا: لنتخذنَّ عليهم بيعة، والقرآن دقيقٌ في تعبيره فحيث عبّر بمسجد أراد أنَّهم مسلمون لا محالة.

فإن قيل: بل المراد بالمسجد البيعة مجازًا.

فالجواب من وجهين:

أحدهما: أنَّ ما يحكيه القرآن عن الأمم السابقة يجب حمله على الحقيقة، ولا يجوز حمله على المجاز؛ لأنَّ إرادة الحقيقة متيقّنة، بخلاف المجاز فإنَّا لا ندري هل في لغتهم مجازٌ. وقد أوضحت هذا في "بدع التفاسير" فالمسجد في الآية حقيقة وبُناته مسلمون.

والثاني: أنَّ المجاز لا بد له من قرينة تعيّنه، وليس في الآية قرينة على أنَّ المراد بالمسجد البيعة، فيجب بقاؤه على حقيقته. وهذا ما غفل عنه كثير من

المفسِّرين وغيرهم، ومن الخطأ الواضح أن يحمل الشخص آيةً على معنى قائم في ذهنه ويُفسِّرها به من غير أن ينظر في سِياق الآية، ويتأمّل في ألفاظها هل تحتمل هذا المعنى أو ترفضه لمانع اقتضى رفضه، كما في آية سورة (الكهف).

٢- أنَّ حديث: «**لعنَ اللهُ اليهودَ اتّخذوا مِن قبورِ أنبيائهم مساجدَ**». معناه الحقيقي وهو المقصود للشارع السجود للقبر، أو الصلاة إليه تعبّدًا أو تعظيمًا كما سبق بيانه بدليله، وليس معناه بناء المسجد على القبر كما قال به كثيرٌ، فإنَّه خطأ من جهة اللغة والعُرف.

وحديث ابن عباسٍ: «**لعن الله زوّارات القبور والمتَّخذين عليها المساجد والسّرج**». حديثٌ ضعيفٌ لا تقوم به حجّةٌ.

وإذن فالاستدلال بآية الكهف سليمٌ ولم يرد في السنّة ما يُبطله، خلافًا لزعم المبتدع الألبانيِّ.

وحديث: «**أولئك إذا كان فيهم الرجل الصّالح بنوا على قبره مسجدًا ثُمَّ صوّروا فيه تلك الصور أولئك شِرار الخلق عند الله يوم القيامة**». من الأدلة الواضحة على أنَّ بناء القبر على المسجد غير اتّخاذه مسجدًا.

وقد فهم ابن رجب وغيره أنَّ هذا الحديث يدلُّ على تحريم بناء مسجد على القبر، وهو غلطٌ مبنيٌّ على غلط آخر، وهو فهمهم أنَّ اتّخاذ القبر مسجدًا معناه بناء مسجد عليه، وسبب هذا الحديث أنَّ أمَّ حبيبة وأمَّ سلمة ذكرتا أنَّهما رأتا بالحبشة كنيسةً يقال لها: مارية، وفيها تماثيل وتصاوير، فأخبر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنَّ وضع التّصاوير في أماكن عبادتهم من قبيح فعلهم، فالذمُّ في الحديث منصبٌّ على التّصاوير لا على بناء المسجد؛ لأنَّه يوافق القرآن،

ويؤيّد هذا أنَّ عمر لما ذهب إلى الشام وعزمه راهبٌ أن يتغدى عنده في الكنيسة، قال له عمر: إنّا لا ندخل كنيستكم لما فيها من التّصاوير، وتغدّى معه خارجها، فالتّصاوير هي مصدر الذمِّ ومبعثه.

٣- الاستدلال على جواز التماثيل بآية: ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ﴾ جهلٌ كبيرٌ؛ لأنَّ سليمان عليه السلام سأل الله أن يُعطيه مُلكًا لا ينبغي لأحد من بعده، فأعطاه الله ما سأل، وذكر أنواعًا من الملك الذي أعطاه فقال: ﴿ يَعْمَلُونَ ﴾ الجن ﴿لَهُۥ﴾ لسليمان ﴿مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ﴾ الآية. فهذا من خصوصيّات سليمان لا يجوز لغيره، كما كان من خصوصيّاته تسخير الريح والطير وغير ذلك.

مسألة

زعم بعض الناس أنَّ من تكاسل عن صلاة أو أكثر حتى خرج وقتها لا يجوز له قضاؤها، واستدلَّ لذلك بحديث "الصحيحين": «**من نام عن صلاة أو نسيها فليصلِّها إذا ذكرها**».

مفهومه من تركها عمدًا فلا يقضيها، وهو استدلال بمفهوم المخالفة.

لكن اشترط علماء الأصول في تحقق مفهوم المخالفة والعمل به ألَّا يكون المسكوت عنه في النصِّ تركٌ لأمر يقتضي تخصيص المنطوق بالذكر، فإنَّ وجد ما يقتضي التخصيص لم يتحقّق المفهوم ولا يُعمل به.

وحديث: «**مَن نامَ عن صلاة أو نسيها فليصلِّها إذا ذكرها**». اقتضى

تخصيص النائم والنَّاسي فيه بالذكر، إرادة التنبيه على ما سبق إلى الأذهان من سقوط القضاء عنهما بالقياس على الصائم إذا أكل ناسيًا أو احتلم نائمًا لا قضاء عليه. فلم يتحقَّق شرط المفهوم في هذا الحديث، فلا يُفيد سقوط القضاء على العامد لترك الصلاة، بل القضاء عليه واجبٌ لعموم الحديث: «**فدين الله أحقُّ أن يُقضى**». وهو حديثٌ صحيحٌ.

٥- حُسْنُ التَّفهُّمِ والدَّرْك
لمسألةِ التَّرك

الـتَّرْكُ لـيس بحُجَّـةٍ في شَرْعِنـا لا يَقْتَـضِي مَنْعًـا ولا إيجَابَـا
فمَـن ابْتَغَـىٰ حَظْـرًا بـترْكِ نَبِيِّنـا ورَآهُ حُكْـمًا صَـادِقًا وصَـوابَا
قَـدْ ضَـلَّ عـن نَهْـجِ الأدلَّـةِ كلِّهـا بل أخْطَأَ الحُكْـمَ الصَّـحِيحَ وخَابَـا
لا حَظْرَ يُمْكِـنُ دون نَهْـيٍ قـد أَتَـىٰ مُتوعِّـدًا لمُخَالِفيـهِ عَـذَابَا
أو ذَمُّ فِعْـلٍ مُـؤْذِنٍ بعُقُوبَـةٍ أو لَفْـظُ تَحْـرِيمٍ يُواكِـبُ عَابَـا

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمدُ لله الذي هدانا سواءَ السَّبيلِ، ووفَّقنا لمعرفةِ الحُجَّةِ والدَّليلِ، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّد وآله الأكرمين، ورضي الله عن صحابته والتَّابعين.

أمَّا بعد: فقد طَلب مِنِّي تلميذُنا الفاضل الأستاذ محمود سعيد أن أُحِرِّر رسالةً في مسألة التَّرك، تُزيل عن قارئها كلَّ حيرةٍ وشكٍّ، وذكر أنَّه وجد في "إتقان الصِّنعة" إشارةً إليها موجزةً؛ فأجبتُ طلبه، وأسعفتُ رغبته، وكتبتُ هذا المؤلَّف مُحَرَّرًا؛ ليكون قارئه في ميدان الاستدلال على بصيرةٍ من أمره، ويَعرف الدَّليل المقبول من غيره، والله الموفِّق والهادي، وعليه اعتمادي.

تمهيـد

الأدلَّة التي احتجَّ بها أئمَّة المسلمين جميعًا هي الكتاب والسنَّة -لا خلاف بينهم في ذلك- وإنَّما اختلفوا في الإجماع والقياس، فالجمهور احتجَّ بهما، وهو الرَّاجح لوجوه مُقرَّرة في علم الأُصول.

وتوجد أدلَّةٌ مختلفٌ فيها بين الأئمَّة الأربعة، وهي الحديث المرسل، وقول الصَّحابيِّ، وشَرْعُ من قبلنا، والاستصحاب، والاستحسان، وعمل أهل المدينة. والكلام عليها مبسوطٌ في كتاب الاستدلال من "جمع الجوامع" للسُّبكيِّ.

ما هو الحكم الشّرعيُّ؟

الحكم الشّرعيُّ: هو خطاب الله المتعلِّق بفعل المكلَّف، وأنواعه خمسةٌ:

١- **الواجب أو الفرض**: وهو ما يُثاب فاعله ويُعاقب تاركه، مثل: الصَّلاة، والزَّكاة، وصوم رمضان، وبرِّ الوالدين.

٢- **الحرام**: وهو ما يُعاقب فاعله ويُثاب تاركه، مثل: الرِّبا، والزِّنا، والعقوق، والخمر.

٣- **المندوب**: وهو ما يُثاب فاعله ولا يعاقب تاركه، مثل: نوافل الصَّلاة.

٤- **المكروه**: وهو ما يُثاب تاركه ولا عقاب على فاعله، مثل: صلاة النَّافلة بعد صلاة الصُّبح أو العصر.

٥- **المباح أو الحلال**: وهو ما ليس في فعله ولا تركه ثوابٌ ولا عقابٌ، مثل: أكل الطَّيِّبات، والتِّجارة.

فهذه أنواع الحكم التي يدور عليها الفقه الإسلامي، ولا يجوز لمجتهد

صحابيًّا كان أو غيره أن يُصدر حكمًا من هذه الأحكام إلَّا بدليل من الأدلَّة السَّابقة، وهذا معلومٌ من الدِّين بالضَّرورة لا يحتاج إلى بيان.

ما هو التَّرك؟

نقصد بالتَّرك الذي ألَّفنا هذه الرِّسالة لبيانه:

أن يترك النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم شيئًا لم يفعله، أو يتركه السَّلف الصَّالح من غير أن يأتي حديثٌ أو أثرٌ بالنَّهي عن ذلك المتروك يقتضي تحريمه أو كراهته.

وقد أكثر الاستدلال به كثيرٌ من المتأخِّرين على تحريم أشياء أو ذمِّها، وأفرط في استعماله بعض المتنطِّعين المتزمِّتين، ورأيت ابن تيمية استدلَّ به واعتمده في مواضع سيأتي الكلام عليها بحول الله.

أنواع التَّرك

إذا ترك النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم شيئًا فيحتمل وجُوهًا غير التَّحريم:

١ - أن يكون تَرْكُه عادةً:

قُدِّم إليه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ضَبٌّ مشويٌّ فمدَّ يده الشَّريفة ليأكل منه فقيل: إنَّه ضَبٌّ، فأمسك عنه، فسُئل: أحرام هو؟ فقال: «**لا، ولكنَّه لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه!**». والحديث في "الصَّحيحين" وهو يدلُّ على أمرين:

أحدهما: أنَّ تركه للشَّيء ولو بعد الإقبال عليه لا يدلُّ على تحريمه.

والآخر: أنَّ استقذار الشَّيء لا يدلُّ على تحريمه أيضًا.

٢- أن يكون تَرْكُه نِسيانًا:

سها صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في الصَّلاة فترك منها شيئًا فسُئل: هل حدث في الصِّلاة شيءٌ؟ فقال: «**إنَّما أنا بشرٌ أنْسَى كما تنسون، فإذا نسيت فذكِّروني**».

٣- أن يكون تَرْكُه مخافة أن يُفرض على أمَّته:

كتركه صلاة التَّراويح حين اجتمع الصَّحابة ليُصلُّوها معه.

٤- أن يكون تَرْكُه لعدم تفكيره فيه، ولم يخطر على باله:

كان صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يخطب الجمعة إلى جذع نخلة، ولم يفكِّر في عمل كرسيّ يقوم عليه ساعة الخطبة، فلمَّا اقتُرح عليه عمل مِنبَر يَخطب عليه وافق وأقرَّه؛ لأنَّه أبلغ في الإسماع.

واقترح الصَّحابة أن يبنوا له دكَّة من طين يجلس عليها ليعرفه الوافد الغريب، فوافقهم ولم يفكِّر فيها من قِبَل نفسه.

٥- أن يكون تَرْكُه لدخوله في عموم آيات أو أحاديث:

كتركه صلاة الضُّحى وكثيرًا من المندوبات؛ لأنَّها مشمولةٌ لقول الله تعالى: ﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧]، وأمثال ذلك كثيرةٌ.

٦- أن يكون تَرْكُه خَشية تغير قلوب الصَّحابة أو بعضهم:

قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لعائشة: «**لولا حَدَاثَةُ قومِك بالكُفر لنقضتُ البيتَ ثُمَّ لبنيتُه على أساس إبراهيم عليه السَّلام؛ فإنَّ قريشًا استقصَرت بِناءَه**». وهو في "الصَّحيحين".

فترك صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم نقض البيت وإعادة بنائه؛ حِفظًا لقلوب أصحابه القريبي العهد بالإسلام من أهل مكَّة.

ويَحتمل تَرْكُه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وجُوهًا أُخرىٰ تُعلم من تتبُّع كتب السنَّة، ولم يأتِ في حديث ولا أثر تصريحٌ بأنَّ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ترك شيئًا لأنَّه حرام.

التَّرك لا يدلُّ على التَّحريم

قرَّرتُ في كتاب "الرَّدِّ المُحكم المتين" أنَّ ترك الشَّيء لا يدلُّ علىٰ تحريمه، وهذا نصُّ ما ذكرته هناك: «والتَّرك وحده إن لم يصحبه نصٌّ علىٰ أنَّ المتروك محظورٌ لا يكون حُجَّةً في ذلك بل غايته أن يُفيد أنَّ ترك ذلك الفعل مشروعٌ.

وأمَّا أنَّ ذلك الفعل المتروك يكون محظورًا فهذا لا يُستفاد من التَّرك وحده، وإنَّما يستفاد من دليل يدلُّ عليه».

ثُمَّ وجدت الإمام أبا سعيد بن لُبّ ذكر هذه القاعدة أيضًا، فإنَّه قال في الرَّدِّ علىٰ من كَرِه الدُّعاء عَقِب الصَّلاة: «غاية ما يستند إليه مُنكر الدُّعاء أدبار الصَّلوات أنَّ التزامه علىٰ ذلك الوجه لم يكن من عمل السَّلف، وعلىٰ تقدير صحَّة هذا النَّقل، فالتَّرك ليس بموجب لحكم في ذلك المتروك إلَّا جواز التَّرك وانتفاء الحرج فيه، وأمَّا تحريمٌ أو لصوقُ كراهية بالمتروك فلا، ولا سيَّما فيما له أصلٌ جُمليٌّ متقرِّرٌ من الشَّرع كالدُّعاء».

وفي "المُحلَّىٰ" (٢/ ٢٥٤) ذكر ابن حزمٍ احتجاج المالكيَّة والحنفيَّة علىٰ كراهية صلاة ركعتين قبل المغرب بقول إبراهيم النَّخَعيِّ أنَّ أبا بكر وعمر

وعثمان كانوا لا يُصلُّونها، وردَّ عليهم بقوله: «لو صحَّ لما كانت فيه حُجَّةٌ؛ لأنَّه ليس فيه أنَّهم رضي الله عنهم نهوا عنهما».

قال أيضًا: «وذكروا عن ابن عمر أنَّه قال: ما رأيت أحدًا يُصلِّيهما». ورد عليه بقوله: «وأيضًا فليس في هذا لو صحَّ نهيٌ عنهما، ونحن لا ننكر ترك التطوُّع ما لم ينه عنه».

وقال أيضًا في "المُحلَّى" (٢/ ٢٧١) في الكلام عن ركعتين بعد العصر: «وأمَّا حديث عليّ فلا حُجَّة فيه أصلًا، لأنَّه ليس فيه إلا إخباره بما علم من أنَّه لم يرَ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم صَلَّاهما، وليس في هذا نهيٌ عنهما ولا كراهةٌ لهما، فما صام عليه الصَّلاة والسَّلام قَطُّ شهرًا كاملًا غير رمضان، وليس هذا بموجب كراهية صوم شهر كامل تطوعًا».اهـ

فهذه نصوصٌ صريحةٌ في أنَّ التَّرك لا يُفيد كراهةً فضلًا عن الحرمة.

الأدلة على أنَّ التَّرك لا يُفيد الحرمة

وقد أنكر بعض المتنطِّعين هذه القاعدة ونفى أن تكون من علم الأصول فدلَّ بإنكاره على جهل عريض، وعقل مريض. وها أنذا أبيِّن أدلَّتها في الوجوه الآتية:

أحدها: أنَّ الذي يدلُّ على التَّحريم ثلاثة أشياء:

١- **النَّهي**، نحو: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾ [الإسراء: ٣٢]، ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ [البقرة: ١٨٨]

٢- **لفظ التَّحريم**، نحو: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ ﴾ [المائدة: ٣].

٣- ذمُّ الفعل أو التوعُّد عليه بالعقاب، نحو: «**من غشَّ فليس مِنَّا**».

والتَّرك ليس واحدًا من هذه الثلاثة؛ فلا يقتضي التَّحريم.

ثانيها: أنَّ الله تعالىٰ قال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧] ولم يقل وما تركه فانتهوا، فالتَّرك لا يفيد التحريم.

ثالثها: قال النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه**». ولم يقل: وما تركته فاجتنبوه. فكيف دلَّ التَّرك علىٰ التَّحريم؟!

رابعها: أنَّ الأصوليين عرَّفوا السنَّة بأنَّها: قول الرَّسول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وفعله، وتقريره ولم يقولوا: وتركه، لأنَّه ليس بدليل.

خامسها: تقدَّم أنَّ الحكم خطاب الله، وذكر الأصوليين: أنَّ الذي يدلُّ عليه قرآنٌ أو سنَّةٌ أو إجماعٌ أو قياسٌ، والتَّرك ليس واحدًا منها فلا يكون دليلًا.

سادسها: تقدَّم أنَّ التَّرك يحتمل أنواعًا غير التَّحريم، والقاعدة الأصوليَّة: «أنَّ ما دخله الاحتمال سقط به الاستدلال»، بل سبق أنَّه لم يرد أنَّ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ترك شيئًا لأنَّه حرام، وهذا وحده كاف لبطلان الاستدلال به.

سابعها: أنَّ التَّرك أصلٌ لأنَّه عدم فعل، والعدم هو الأصل والفعل طارئ والأصل لا يدلُّ علىٰ شيء لغةً ولا شرعًا، فلا يقتضي التَّرك تحريمًا.

أقوالٌ غير مُحرَّرة

قال ابن السَّمعانيِّ: «إذا ترك الرَّسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم شيئًا وجب علينا متابعته فيه، واستدلَّ بأنَّ الصَّحابة حين رأوا النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أمسك يده عن الضَّبِّ توقَّفوا وسألوه عنه».

قلت: لكن جوابه بأنَّه ليس بحرام -كما سبق- يدل على أنَّ تركه لا يقتضي التَّحريم؛ فلا حُجَّة له في الحديث، بل الحُجَّة فيه عليه.

وسبق أنَّ التَّرك يحتمل أنواعًا من الوجوه، فكيف تجب متابعته في أمر محتمل لأن يكون عادة أو سهوًا أو غير ذلك ممَّا تقدَّم؟!

كلام ابن تيمية
في استدلاله بالترك والرد عليه

سُئل عمَّن يزور القبور ويستنجد بالمقبور، في مرض به أو بفرسه أو بعيره، ويطلب إزالة الذي بهم ونحو ذلك.

فأجاب بجواب مُطوَّل، وكان ممَّا جاء فيه قوله: «ولم يفعل هذا أحدٌ من الصَّحابة والتَّابعين ولا أمر به أحدٌ من الأئمَّة». يعني أنَّهم لم يسألوا الدُّعاء من النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعد وفاته كما كانوا يسألونه في حال حياته.

وقلت في الرَّدِّ عليه: وأنت خبير بأنَّ هذا لا يصحُّ دليلًا لما يدَّعيه وذلك لوجوه:

أحدها: أنَّ عدم فعل الصَّحابة لذلك يحتمل أن يكون أمرًا اتِّفاقيًا، أي اتَّفق أنَّهم لم يطلبوا الدُّعاء منه بعد وفاته. ويحتمل أن يكون ذلك عندهم غير

جائز، أو يكون جائزًا وغيره أفضل منه فتركوه إلى الأفضل، ويحتمل غير ذلك من الاحتمالات، والقاعدة: «أنَّ ما دخله الاحتمال، سقط به الاستدلال». انتهى المراد منه.

قلت: ويؤيّد أنَّه لم يتركوه لعدم جوازه، أنَّ بلال بن الحارث المُزَنيَّ الصَّحابيَّ ذهب عام الرَّمادة إلى القبر النَّبويِّ وقال: يا رسول الله استسق لأمَّتك؛ فأتاه في المنام وقال له: «**اذهب إلى عُمر وأخبره أنَّكم مُسقون وقل له: عليك الكَيْس الكَيْس**». فأخبر عُمرَ فبكى وقال: «اللهمَّ ما آلو إلَّا ما عجزت عنه». ولم يعنِّفه على ما فعل، ولو كان غير جائز عندهم لعنَّفه عُمر.

حديثٌ صحيحٌ لا يردُّ قولنا

قال البخاريُّ في "صحيحه": «باب الاقتداء بأفعال النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم»، وروى فيه عن ابن عمر قال: اتَّخذ النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم خاتمًا من ذهب فاتخذ النَّاس خواتيم من ذهب. فقال: «**إنِّي اتَّخذت خاتمًا من ذهب**». فنبذه وقال: «**إنِّي لن ألبسه أبدًا**»؛ فنبذ النَّاس خواتيهم.

قال الحافظ: «اقتصر على هذا المثال لاشتماله على تأسِّيهم به في الفعل والتَّرك».

قلت: في تعبيره في التَّرك تجوُّز؛ لأنَّ النَّبذ فعلٌ، فهم تأسوا به في الفعل، والتَّرك ناشئ عنه.

وكذلك لَمَّا خلع نعله في الصَّلاة، وخلع النَّاس نعالهم، تأسوا به في خلع النَّعل، وهو فعل نتيجته التَّرك، وليس هذا محلُّ بحثنا كما هو ظاهر.

وأيضًا فإنَّنا لا ننكر اتِّباعه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في كلِّ ما يصدر عنه، بل نرىٰ فيه الفوز والسَّعادة، لكن ما لم يفعله كالاحتفال بالمولد النبويِّ، وليلة المعراج، لا نقول إنَّه حرامٌ، لأنَّه افتراءٌ علىٰ الله، إذ التَّرك لا يقتضي التَّحريم.

وكذلك تَرْك السَّلف لشيء -أي عدم فعلهم له- لا يدلُّ علىٰ أنَّه محظورٌ. قال الإمام الشَّافعيُّ: «كلُّ ما له مستند من الشَّرع فليس ببدعة ولو لم يعمل به السَّلف».

لأنَّ تركهم للعمل به قد يكون لعذر قام لهم في الوقت، أولما هو أفضل منه أو لعلَّه لم يبلغ، جميعهم علم به.

ماذا يقتضي التَّرك؟

بيَّنَّا فيما سبق أنَّ التَّرك لا يقتضي تحريمًا، وإنَّما يقتضي جواز المتروك، ولهذا المعنىٰ أورده العلماء في كتب الحديث.

فروىٰ أبو داود، والنَّسائيُّ عن جابر -رضي الله عنه- قال: «كان آخِر الأمرين من رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ترك الوضوء ممَّا غيَّرت النَّار». وأورده تحت ترجمة: «ترك الوضوء ممَّا مسَّت النَّار».

والاستدلال به في هذا المعنىٰ واضحٌ؛ لأنَّه لو كان الوضوء ممَّا طبخ بالنَّار واجبًا ما تركه النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وحيث تركه دلَّ علىٰ أنَّه غير واجب.

قال الإمام عبدالوهاب التلمسانيُّ في "مفتاح الوصول": «ويلحق في الفعل بالدَّلالة، التَّرك، فإنَّه كما يُستدلُّ بفعله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ عدم

التَّحريم يستدل بتركه على عدم الوجوب، وهذا كاحتجاج أصحابنا على عدم وجوب الوضوء مما مسَّت النَّار به.

رُوي أنَّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أكل كتف شاة ثُمَّ صلَّى ولم يتوضَّأ، وكاحتجاجهم على أنَّ الحِجَامة لا تنقض الوضوء، بما روى أنَّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم احتجم ولم يتوضأ وصلَّى». انظر "مفتاح الوصول" (ص: ٩٣) طبعة مكتبة الخانجي. ومن هنا نشأت القاعدة الأصوليَّة: «جائز التَّرك ليس بواجب».

إزالةُ اشتباه

قَسَّم العلماء تَرْكَ النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لشيء ما على نوعين:

نوع لم يوجد ما يقتضيه في عهده ثُمَّ حدث له مقتض بعده صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فهذا جائزٌ على الأصل.

وقسم تركه النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مع وجود المقتضي لفعله في عهده، وهذا التَّرك يقتضي منع المتروك؛ لأنَّه لو كان فيه مصلحةٌ شرعيَّةٌ لفعله النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فحيث لم يفعله دلَّ على أنَّه لا يجوز.

ومثَّل ابن تيمية في ذلك بالأذان لصلاة العيدين الذي أحدثه بعض الأمراء، وقال في تقريره: «فمثل هذا الفعل تَرَكه النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مع وجود ما يعتقد مقتضيًا له ممَّا يمكن أن يستدلَّ به من ابتدعه، لكونه ذكر الله ودعاء للخلق إلى عبادة الله وبالقياس على أذان الجمعة.

فلمَّا أمر الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالأذان للجمعة، وصلَّى العيدين بلا أذان ولا إقامة، دلَّ تَرْكُه على أنَّ تَرْكَ الأذان هو السنَّة، فليس

لأحد أن يزيد في ذلك...» إلخ كلامه.

وذهب إلى هذا أيضًا الشَّاطبيُّ وابن حجرٍ الهيتميُّ وغيرهما، وقد اشتبهت عليهم هذه المسئلة بمسئلة السُّكوت في مقام البيان.

صحيح أنَّ الأذان في العيدين بدعةٌ غير مشروعة، لا لأنَّ النَّبيَّ -صلَّى الله عليه وآله وسلَّم تركه-، ولكن لأنَّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بيَّن في الحديث ما يعمل في العيدين، ولم يذكر الأذان، فدلَّ سكوته على أنَّه غير مشروع. والقاعدة: «أنَّ السُّكوت في مقام البيان يُفيد الحصر».

وإلى هذه القاعدة تُشير الأحاديث التي نهت عن السُّؤال ساعة البيان.

روى البزَّار عن أبي الدَّرداء قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: **«ما أحلَّ الله في كتابه فهو حلالٌ، وما حرَّم فهو حرامٌ، وما سكت عنه فهو عفوٌ، فاقبلوا من الله عافيته فإنَّ الله لم يكن لينسى شيئًا»** ثُمَّ تَلا: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤] قال البزَّار: «إسناده صالحٌ»، وصحَّحه الحاكم.

وروى الدارقطني عن أبي ثعلبة الخشني عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: **«إنَّ الله فرضَ فرائضَ فلا تُضيِّعوها، وحدَّ حدودًا فلا تعتدوها، وحرَّم أشياء فلا تنتهكوها، وسكتَ عن أشياء رحمةً بكم من غير نسيانٍ فلا تبحثوا عنها»**.

في هذين الحديثين إشارةٌ واضحةٌ إلى القاعدة المذكورة، وهي غير التَّرك الذي هو محلُّ بحثنا في هذه الرسالة، فخَلْط إحداهما بالأُخرى ممَّا لا ينبغي.

ولذا بيَّنت الفرق بينهما حتَّى لا يشتبها على أحد، وهذه فائدةٌ لا توجد إلَّا في هذه الرسالة والحمد لله.

تتميم

قال عبدالله بن المبارك: أخبرنا سَلَّام بن أبي مُطيع، عن ابن أبي دخيلة، عن أبيه قال: كنت عند ابن عمر فقال: «نهىٰ رسول الله عن الزَّبيب والتَّمر» يعني أن يُخلطا، فقال لي رجلٌ من خلفي: ما قال؟ فقلت: حرَّم رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم التَّمر والزَّبيب. فقال عبدالله بن عمر: كَذَبت. فقلت: ألم تقل نهىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عنه؟ فهو حرامٌ. فقال: أنت تشهد بذلك؟ قال سَلَّام: كأنَّه يقول: ما نهىٰ النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فهو أدبٌ.

قلت: انظر إلىٰ ابن عمر -وهو من فقهاء الصَّحابة- كذَّب الذي فسَّر «نهىٰ» بلفظ «حرَّم»، وإن كان النَّهي يُفيد التَّحريم. لكن ليس صريحًا فيه بل يُفيد الكراهة أيضًا وهي المراد بقول سَلَّام: «فهو أدبٌ».

ومعنىٰ كلام ابن عمر: أنَّ المسلم لا يجوز له أن يتجرَّأ علىٰ الحكم بالتَّحريم إلَّا بدليلٍ صريحٍ من الكتاب أو السُّنَّة، وعلىٰ هذا دَرَج الصَّحابة والتَّابعون والأئمَّة.

قال إبراهيم النَّخَعيُّ وهو تابعيٌّ: «كانوا يكرهون أشياء لا يُحرِّمونها، وكذلك كان مالك والشَّافعيُّ وأحمد، كانوا يتوقّون إطلاق لفظ الحرام علىٰ ما لم يتيقَّن تحريمه لنوع شبهة فيه، أو اختلاف أو نحو ذلك، بل كان أحدهم يقول أكره كذا، لا يزيد علىٰ ذلك.

ويقول الإمام الشَّافعيُّ تارةً: أخشىٰ أن يكون حرامًا، ولا يجزم بالتَّحريم يخاف أحدهم إذا جزم بالتَّحريم أن يشمله قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ

يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ﴾ [النحل: ١١٦].

فما لهؤلاء المتزمِّتين اليوم يجزمون بتحريم أشياء مع المبالغة في ذمِّها بلا دليل إلَّا دعواهم أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لم يفعلها، وهذا لا يُفيد تحريمًا ولا كراهةً، فهم داخلون في عموم الآية المذكورة.

نماذجُ من التَّرك

هذه نماذجُ لأشياء لم يفعلها النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم:

١- الاحتفال بالمولد النَّبويِّ.

٢- الاحتفال بليلة المعراج.

٣- إحياء ليلة النِّصف من شعبان.

٤- تشييع الجنازة بالذِّكر.

٥- قراءة القرآن علىٰ الميت في الدَّار.

٦- قراءة القرآن عليه في القبر قبل الدفن وبعده.

٧- صلاة التَّراويح أكثر من ثمان ركعات.

فمن حرَّم هذه الأشياء ونحوها بدعوىٰ أنَّ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لم يفعلها فاتْلُ عليه قول الله تعالىٰ: ﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ [يونس: ٥٩]

لا يقال: وإباحة هذه الأشياء ونحوها داخلةٌ في عموم الآية؛ لأنَّا نقول: ما لم يرد نهيٌ عنه يفيد تُحريمه أو كراهيته فالأصل فيه الإباحة؛ لقول النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**وما سكت عنه فهو عفوٌ**»، أي: مباح.

وبعد: فقد أوضحنا مسئلة التَّرك، وأبطلنا قول من يحتجُّ به بما أبديناه من الدَّلائل التي لم تدع قولًا لمُنصف ولا تركت هربًا لصاحب جدل ولجاج.

والله يقول الحقَّ وهو يهدي السَّبيل، والحمد لله ربِّ العالمين.

٦- الأدلَّـةُ الرَّاجِحَةُ
على فَرْضِيَّةِ قِراءَةِ الفَاتِحَةِ

المقدمة

الحمد لله وكَفَىٰ، وسلامٌ علىٰ عِبادِهِ الذين اصْطَفَىٰ، وبعد:

فقد طلب مِنِّي بعضُ أهل العِلْم أن أكتب بحثًا في قراءة الفاتحة خَلْفَ الإمام، يكون وافيًا في بابه، فلبَّيتُ طلبهم، وحرَّرتُ هذا البحث، عرضتُ فيه الأقوال وأدلَّتها، وبيَّنتُ الرَّاجِح منها بمقتضىٰ القواعد الحديثيَّة والأصوليَّة، غير مُتحَيِّزٍ لرأيٍ، ولا مُتأثِّرٍ بمذهبٍ، مُستمِدًّا مِن الله العَوْنَ والتوفيق.

أقوال الأئمَّة وأدلَّتهم

ونبدأ بذكر الأقوال، وهي ثلاثةٌ:

قول الحنفيَّة: لا يقرأ المأموم خَلْفَ الإمام شيئًا من القرآن، لا الفاتحة ولا غيرها، في الصَّلاة الجَهريَّة والسِّريَّة.

قول المالكيَّة: لا يقرأ المأموم خَلْفَ الإمام في الجهريَّة، ويقرأ في السِّريَّة، وهو قول الإمام أحمد أيضًا.

قول الشافعيَّة: يقرأ المأموم الفاتحة خَلْفَ الإمام في الصَّلاة الجهريَّة والسِّريَّة، وهو قول الأوزاعيِّ واللَّيث بن سعدٍ وابن حزمٍ.

استدلَّ الحنفيَّة بأحاديث:

١- روىٰ أبو بكرٍ الرازيُّ في "شرح مختصر الطحاوي" من طريق الحجَّاج بن أرْطَأة، عن قتادة، عن زُرَارَةَ بن أوفَىٰ، عن عِمران بن حُصينٍ: «أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم نهىٰ عن القراءة خَلْفَ الإمام».

لكن الحجَّاج لا تُعرف له رواية عن قتادة ولا سماع منه، ثُمَّ هو مدلِّسٌ، وصفه بالتدليس عبدالله بن المبارك وأحمد وأبو زرعة وأبو حاتمٍ والنَّسائيُّ ومحمد بن نصر المروزيُّ والبزَّار والساجيُّ والعجليُّ وإسماعيل القاضي وابن عديٍّ والذهبيُّ، وصرَّح أبوحاتمٍ بأنه كان يدلِّس علىٰ الضعفاء؛ فهذا الحديث لا يُحتجُّ به لانقطاع سنده وتدليس راويه، ولا يبعد أن يكون الحجَّاج دلَّسه عن بعض الضعفاء؛ ليؤيِّد مذهب الكوفيين أهل بلده.

ورواه الدارقطني من هذا الطريق مُطوَّلًا، ولفظه: عن عِمران بن حُصينٍ، قال: «كان النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يُصَلِّي بالناس ورجلٌ يقرأ خَلْفَهُ، فلمَّا

فرغ قال: «**مَن ذا الذي يُخالِجُني سورتي؟**» فنهاهم عن القراءة خَلْفَ الإمام.

قال الدارقطني: ولم يقل هكذا غير حَجَّاجٍ، وخالفه أصحاب قتادة، منهم شعبة، وسعيد وغيرهما، فلم يذكروا أنه نهاهم عن القراءة، وحجَّاجٌ لا يُحتجُّ به.

٢- روى الطحاويُّ من طريق يحيى بن سلامٍ: ثنا مالكٌ، عن وهب بن كَيْسان، عن جابر بن عبدالله، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن صَلَّى ركعةً فلم يَقْرأ فيها بأمِّ القرآن فلم يُصَلِّ، إلَّا وراء الإمام**».

رفْعُهُ غَلَطٌ، والصواب أنه موقوفٌ. كذلك رواه الطحاويُّ من طريق ابن وهبٍ، عن مالكٍ بالإسناد السابق عن جابرٍ قوله.

ورواه الترمذيُّ من طريق معنٍ عن مالكٍ موقوفًا أيضًا، وهو كذلك في "الموطأ".

ورواه الطحاويُّ من طريق إسماعيل بن موسى بن بنت السُّدِّي: ثنا مالكٌ. فذكر بإسناده عن جابرٍ قوله. قال إسماعيل: فقلت لمالكٍ: أرفعه؟، فقال: خذوا برجله.

قلت: والغلط في رفعه من يحيى بن سلامٍ وهو البصريُّ، ضعَّفه الدارقطني وابن عديٍّ، وقد وُصِف بالصَّلاح إلَّا أنه يروي مناكير ويغلط.

ومن غلطه: ما رواه عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله تعالى: ﴿سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٥] قال: «مصر». رواه أبو زرعة الرازيُّ واستقبحه وقال: «هو في تفسير سعيدٍ عن قتادة: مصيرهم».

٣- روى الطحاويُّ من طريق جابرٍ، عن نافعٍ، عن ابن عمر، عن النبيِّ

صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن كان له إمامٌ فقِراءَةُ الإمام له قِراءَةٌ**».

جابر هو الجعفيُّ، كذَّابٌ، روىٰ أبو يحيىٰ الحمانيُّ، عن أبي حنيفة قال: «ما لقيت فيمن لقيت أكذب من جابر الجعفيِّ، ما أتيته بشيءٍ من رأيي إلَّا جاءني فيه بأثرٍ».

وقال مِسْعرٌ: كنت عند جابرٍ، فجاءه رسول أبي حنيفة فقال له: ما تقول في كذا وكذا؟ قال: سمعت القاسم بن محمد، وفلانًا وفلانًا حتىٰ عدَّ سبعة. فلمَّا مضىٰ الرسول، قال: إن كانوا قالوا. قيل لأحمد بن حنبلٍ: ما تقول فيه بعد هذا؟ فقال: «هذا شديدٌ»، واستقبحه.

ورواه الدارقطني في "السنن" من طريق محمد بن الفضل بن عطية، عن أبيه، عن سالمِ بن عبدالله، عن أبيه عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن كان له إمامٌ فقراءةُ الإمام له قراءةٌ**». قال الدارقطني: «محمد بن الفضل متروكٌ».

ورواه الطبرانيُّ في "الأوسط" من طريق أبي هارون العبديِّ، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم به. أبو هارون متروكٌ قال ابن حِبَّان: «كان يروي عن أبي سعيدٍ الخدريِّ ما ليس من حديثه».

ورواه الدارقطني من طريق محمد بن عبَّاد الرازيِّ: ثنا أبو يحيىٰ التيميُّ، عن سهيل بن أبي صالحٍ، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم به. قال الدارقطني: «أبو يحيىٰ التيمي ومحمد بن عبَّاد ضعيفان».

وروىٰ الدارقطني من طريق عاصم بن عبدالعزيز، عن أبي سهيلٍ، عن عونٍ، عن ابن عبَّاسٍ عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**يكفيك قراءةُ الإمام خافَتَ أو جَهَرَ**». عاصم بن عبدالعزيز ضعيفٌ، ونقل الدارقطني عن الإمام

أحمد قال: «هذا حديثٌ منكرٌ».

وروى ابن حِبَّان في "الضعفاء" من طريق يَغْنم بن سالمٍ،عن أنسٍ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: « **مَن كان له إمامٌ فقِراءَةُ الإمامِ له قِراءَةٌ** ». يَغْنِم بن سالمٍ كذَّابٌ.

وروى الطبرانيُّ في "الأوسط" من طريق أحمد بن عبدالله بن ربيعة بن العَجْلان، عن سفيان الثوريِّ، عن مغيرة، عن علقمة، عن عبدالله مرفوعًا: «**إذا صلَّى أحَدُكم فليَصْمُت خَلْفَ الإمام، فإنَّ قِراءَةَ الإمام له قراءةٌ، وصلاتُهُ له صَلاةٌ**». قال الخطيب: «أحمد بن عبدالله شيخٌ مجهولٌ»، وقال الذهبيُّ في "الميزان": «هذا حديثٌ منكرٌ بهذا السِّياق»، ووافقه الحافظ في "اللسان".

وروى الدارقطني من طريق محمد بن سالمٍ، عن الشَّعْبيِّ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لا قراءة خَلْفَ الإمام**». قال الدارقطني: «هذا مرسلٌ». **قلت**: ومحمد بن سالمٍ ضعيفٌ متروكٌ.

وروى الدارقطني من طريق غسَّان بن الربيع، عن قيس بن الربيع، عن محمد بن سالمٍ، عن الشَّعْبيِّ، عن الحارث الأعور، عن عليٍّ قال: قال رجلٌ للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أقرأ خَلْفَ الإمام أو أُنصِت؟ قال: «**بل أنْصِتْ، فإنَّه يَكْفيك**». قال الدارقطني: «تفرَّد به غسَّان وهو ضعيفٌ، وقيس ومحمَّد بن سالمٍ ضعيفان».

وروى الطحاويُّ، والدارقطني من طريق أبي حنيفة، عن موسى بن أبي عائشة، عن عبدالله بن شدَّادٍ، عن جابر بن عبدالله، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن كان له إمامٌ فقِراءةُ الإمامِ له قراءةٌ**». قال الدارقطني: «لم يسنده

عن موسىٰ بن أبي عائشة غير أبي حنيفة والحسن بن عِمارة، وهما ضعيفان»[١].

ورواه الطحاويُّ من طريق جابرٍ وليثٍ، عن أبي الزبير، عن جابرٍ، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم به. جابرٌ هو الجعفيُّ، كذَّابٌ. وليثٌ هو ابن سليمٍ، ضعيفٌ مختلِط رفَّاعٌ للموقوفات.

قال الدارقطني في "السنن": «وروىٰ هذا الحديث: سفيان الثوريُّ، وشعبة، وإسرائيل بن يونس، وشريك، وأبو خالد الدلائي، وأبو الأحوص، وسفيان بن عُيَيْنة، وجرير بن عبدالحميد، وغيرهم، عن موسىٰ بن أبي عائشة، عن عبدالله بن شدَّادٍ، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مرسلًا.

وقال البيهقيُّ في "المعرفة": «وقد روىٰ السفيانان هذا الحديث، وأبو عوانة، وشعبة، وجماعةٌ من الحفَّاظ، عن موسىٰ بن أبي عائشة فلم يسندوه عن جابرٍ، ورواه عبدالله بن المبارك أيضًا عن أبي حنيفة مرسلًا.

وقد رواه جابرٌ الجعفيُّ وهو متروكٌ، وليث بن أبي سليمٍ وهو ضعيفٌ، عن أبي الزبير، عن جابرٍ مرفوعًا، ولم يتابعهما عليه إلَّا من هو أضعف منهما.

لكن قال أحمد بن منيعٍ في "مسنده": أخبرنا إسحاق الأزرقيُّ: ثنا سفيان وشريك، عن موسىٰ بن أبي عائشة، عن عبدالله بن شدَّادٍ، عن جابرٍ مرفوعًا: «**مَن كان له إمامٌ فقراءةُ الإمامِ له قِراءةٌ**».

ورواه محمد بن الحسن في "الموطأ"، عن أبي حنيفة موصولًا بذكر جابرٍ، ومحمد بن الحسن ضعيفٌ، ووصله أيضًا الحسن بن عِماره وهو متروكٌ.

---

(١) الحسن بن عمارة ضعيف، وأبو حنيفة ثقةٌ إمامٌ لكنه، مُقِلّ.

ومن التهوَّر القبيح قول ابن الهمام في طريق محمد بن الحسن: «هذا الإسناد صحيحٌ على شرط الشيخين»، وأقبح منه احتجاج الحافظ الطحاويِّ في "معاني الآثار" بهذا الحديث، وهو يعلم ما فيه من العِلل القاضية بسقوطه.

قال البيهقيُّ في "المعرفة": أخبرنا أبو عبدالله الحافظ -يعني الحاكم- قال: سمعت سلمة بن محمد الفقيه يقول: سألت أبا موسى الرازيَّ الحافظ، عن حديث «**مَن كان له إمامٌ فقراءة الإمامِ له قراءةٌ**»، فقال: لم يصح فيه عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم شيءٌ، إنما اعتمد مشايخنا -يعني الحنفية- فيه على الرِّوايات عن عليٍّ، وابن مسعودٍ، وغيرهما من الصحابة.

قال الحاكم: «أعجبني هذا لَمَّا سمعته، فإنَّ أبا موسى أحفظ مَن رأينا من أصحاب الرأي على أديم الأرض».

ثُمَّ إنَّ الحديث مع ضعفه شاذٌّ مخالفٌ للقواعد، فإنَّ مِن المُقرَّر المعلوم أنَّ الإمام لا يحمل عن المأموم شيئًا من فرائض الصَّلاة وإنما يحمل عنه السُّنن، فلو كان هذا الحديث صحيح السَّند، لوجب ردُّه لشذوذه، وعلى فرض صحَّته وعدم شذوذه لا يكون معارضًا لحديث عُبادة الآتي، لوجهين:

١- أنَّ حديث عبادة مخرَّجٌ في "الصحيحين"، وصرَّح البخاريُّ بتواتره.

٢- أنَّ هذا حديثٌ عامٌّ في القراءة، وحديث عبادة خاصٌّ بقراءة الفاتحة، ولا تعارض بين عامٍّ وخاصٍّ، بل يحمل أولهما على ثانيهما.

روى أحمد والطحاويُّ عن عبدالله قال: كانوا يقرأون خَلْفَ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**خَلَطتم عليَّ القِراءةَ**». ولا دلالة فيه، لأمرين:

١- أنه ليس فيه تصريحٌ بالنهي عن القِراءة.

٢- أنه وارد في الجهر بالقراءة، إذ بها يحصل التخليط على الإمام، ولا يمنع القراءة في السرِّ.

يؤيد هذا ما رواه أبو يعلى، والطبرانيُّ في "الأوسط" عن أنسٍ قال: صلَّى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بأصحابه، فلمَّا قضى صلاته أقبل عليهم بوجهه فقال: «**أتقرأون في صلاتكم خَلْفَ إمامكم والإمام يقرأ؟**»، قالوا: إنَّا لنفعل، قال: «**فلا تفعلوا، ليقرأ أحدكم بفاتحة الكتاب في نَفْسِهِ**». رجال إسناده ثقاتٌ، وصحَّحه ابن حِبَّان(١).

وروى الطبرانيُّ في "الكبير" من طريق عثمان بن عبدالرحمن الوقاصيِّ، عن الزهريِّ، عن عبدالله بن جهرٍ، عن أبيه جهرٍ قال: قرأتُ خَلْفَ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فلمَّا انصرف قال: «**يا جَهْرُ أَسْمِعْ ربَّك ولا تُسْمِعْنِي**».

فهذان الحديثان يفيدان طلب الإسرار بالقراءة خلف الإمام؛ لأن الجهر بها يشوِّش على الإمام ويخلط عليه قراءته كما هو مشاهدٌ.

واستدل المالكيَّة بما يأتي:

١- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، وفي الاستدلال بها نظرٌ.

---

(١) روى الحديث أبو يعلى، وابن حِبَّان، والطبرانيُّ من طريق عبيدالله بن عمرو الرقيِّ، عن أيوب، عن أبي قِلابة، عن أنسٍ باللفظ الذي أوردناه.

ورواه الطحاويُّ من هذا الطريق أيضًا إلَّا أنه اقتصر على جملة «فلا تفعلوا». ولم يذكر بقيَّة الحديث، وهو تصرُّفٌ غير مُرْضٍ، والأمانة العلميَّة توجب عليه أن يذكر الحديث بتمامه وإن كان يخالف مذهبه.

أمَّا أولًا: فإن ابن حزمٍ عارض المستدلِّين بها معارضةً قويَّةً حيث قال: تمام الآية حُجَّةٌ عليهم، لأن الله قال: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤، ٢٠٥]

فإذ كان أوَّل الآية في الصَّلاة فآخِرها في الصَّلاة، وإن كان آخِرها ليس في الصَّلاة فأوَّلها ليس في الصَّلاة. وليس فيها إلَّا الأمر بالذِّكر سِرًّا وترك الجهر فقط، وهكذا نقول.

وأمَّا ثانيًا: فإن: الآية ليست نصًّا ولا ظاهرًا في القِراءة خَلْفَ الإمام، بل سياق الآية يأبى ذلك، وإن قال به كثيرٌ من المُفسِّرين والفقهاء، وأطال أبو بكرٍ الرازيُّ في تقرير الاستدلال بها لمذهب الحنفيَّة، كما جعلها ابن العربيِّ حُجَّةً قاطعةً تؤيِّد المالكيَّة، وغفلوا جميعًا عن مراعاة سياق الآية ومناسبتها لما قبلها، وما كان ينبغي لهم ذلك.

قال الإمام الرازي في "تفسيره" عند سرد الأقوال:

وفي الآية قول خامسٌ، وهو أن قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[الأعراف: ٢٠٤]، خطابٌ مع الكفَّار في ابتداء التبليغ. وهذا قولٌ حسنٌ مناسبٌ، وتقريره: أنَّ الله تعالى حكى قبل هذه الآية أنَّ أقوامًا من الكفَّار يطلبون آياتٍ مخصوصةً ومعجزاتٍ مخصوصةً. فإذا كان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لم يأتهم بها قالوا: «لولا اجتبيتها»، فأمره الله أن يقول جوابًا لهم: «إنه ليس لي اقتراحٌ على ربِّي، وليس لي إلَّا انتظار الوحي».

ثُمَّ بيَّن تعالىٰ أنه ترك الإتيان بتلك المعجزات التي اقترحوها لأنَّ القرآن معجزةٌ تامَّةٌ كافيةٌ في إثبات النبوة، وعبَّر تعالىٰ عن هذا المعنىٰ بقوله: ﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٣].

فلو قلنا أنَّ المراد من الآية إنصات المأموم خَلْفَ الإمام، لم يحصل بين هذه الآية وبين ما قبلها تعلُّقٌ بوجهٍ من الوجوه، وانقطع النظم، وحصل فساد الترتيب وذلك لا يليق بكلام الله تعالىٰ، فوجب أن يكون المراد شيئًا سوىٰ هذا الوجه.

وتقريره: أنه لما ادَّعىٰ كون القرآن بصائر وهدًىٰ ورحمةٌ من حيث أنه معجزةٌ دالةٌ علىٰ صدق النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وكونه كذلك لا يظهر إلَّا بشرطٍ، وهو أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إذا قرأ القرآن علىٰ أولئك الكفار استمعوا له وأنصتوا، حتىٰ يقفوا علىٰ فصاحته، ويحيطوا بما فيه من العلوم الكثيرة، فحينئذٍ يظهر لهم كونه معجزًا دالًّا علىٰ صدق محمَّدٍ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فيستغنوا به عن طلب سائر المعجزات.

فثبت أنَّا إذا حملنا الآية علىٰ هذا الوجه استقام النظم وحصل الترتيب الحسن المُفيد، وسقط الاستدلال بها من كلِّ الوجوه علىٰ منع المأموم من القراءة.

ويدل لذلك أيضًا أنَّ الله تعالىٰ حكىٰ عن الكفار أنهم قالوا: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦] فناسب أن يأمرهم بالاستماع والإنصات حتىٰ يمكنهم الوقوف علىٰ ما فيه من الوجوه الكثيرة جدًّا لإعجازه». اهـ كلامه. وهو نفيسٌ للغاية.

وقال عبدالجبار بن أحمد في كتاب "فوائد القرآن": «إنَّ المشركين كانوا

يكثرون اللَّغَطَ والشَّغَبَ تعنُّتًا وعِنادًا، على ما حكى الله عنهم: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦] فأمر الله المسلمين حالة أداء الوحي أن يكونوا على خلاف هذه الحالة وأن يستمعوا، ومدح الجنَّ على ذلك فقال: ﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ الآية [الأحقاف: ٢٩]، وهذا وجهٌ مقبولٌ لا بأس به، وعليه تكون العلاقة بين هذه الآية والتي قبلها، هي التضاد.

وأمَّا ثالثًا: فإن ابن جُزَيٍّ حكى في الآية ثلاثة أقوال:

١ - أنَّ الإنصات المأمور به هو لقراءة الإمام في الصَّلاة.

٢ - أنه الإنصات للخطبة.

٣ - أنه الإنصات لقراءة القرآن على الإطلاق.

ثُمَّ قال: «وهو الرَّاجح لوجهين: **أحدهما**: أنَّ اللفظ عامٌّ، ولا دليل على تخصيصه، **والثاني**: أن الآية مكيَّة والخطبة إنما شُرِعت بالمدينة».اهـ

وإذا كان لفظ الآية عامًّا فمن الذي خصَّصه بالقراءة في الصلاة؟! وقول ابن عبَّاسٍ في تفسيرها: «المؤمن في سعة من الاستماع إليه، إلَّا في صلاة مفروضةٍ أو يوم جمعةٍ أو فطرٍ أو أضحى». لا يصلح تخصيصًا لعموم لفظها، ولكنه اجتهادٌ منه يفتقر إلى دليلٍ.

وحكايةُ النقَّاش -المُفَسِّر- الإجماع من أهل التفسير على أنَّ هذا الاستماع في الصلاة المكتوبة وغير المكتوبة غير صحيحٍ، بل الخلاف موجودٌ بين المفسِّرين وغيرهم، ثُمَّ بعد تسليم صحَّة الاستدلال بالآية للقراءة في الصَّلاة، يُخص منها قراءة الفاتحة سِرًّا لما سيأتي.

٢- روى مالكٌ، وأحمد، والأربعة من طريق ابن شهابٍ الزهريِّ، عن ابن

أُكَيْمة الليثيِّ، عن أبي هريرة: «أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم انصرف من صلاةٍ جَهَرَ فيها بالقِراءة فقال: «**هل قَرَأَ معي أحدٌ منكم آنفًا؟**» فقال رجلٌ: نعم. قال: «**إني أقول: ما لي أُنازَعُ القُرآنَ؟!**» قال: فانتهىٰ الناس عن القراءة مع رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فيما جهر فيه رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حين سمعوا ذلك عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم».

حسَّنه الترمذيُّ، وصحَّحه ابن حِبَّان، وضعَّفه الحميديُّ والبيهقيُّ وابن حزمٍ والنوويُّ.

وهو لا يدل علىٰ منع قراءة المأموم سِرًّا، إنما يدل علىٰ كراهة الجهر بها مع الإمام؛ لأن هذه هي المنازعة.

ثُمَّ زيادة: «فانتهىٰ الناس...» إلخ، مدرجةٌ باتفاق الحفَّاظ.

قال أبو داود في "السنن": سمعت محمد بن يحيىٰ بن فارس يقول: «قوله: "فانتهىٰ الناس..." من كلام الزهريِّ».

وقال البخاريُّ في "جزء القراءة": «وقوله: "فانتهىٰ الناس..." من كلام الزهريِّ».

وقال البيهقيُّ في "المعرفة": «قوله: "فانتهىٰ الناس عن القراءة" من كلام الزهريِّ، قاله محمد بن يحيىٰ الذهلُّي صاحب "الزهريات"، ومحمد بن إسماعيل البخاريُّ، وأبو داود. واستدلوا علىٰ ذلك برواية الأوزاعيِّ، حيث ميَّزه من الحديث وجعله من قول الزهريِّ. وكيف يصح ذلك عن أبي هريرة، وأبوهريرة يأمر بالقراءة خلف الإمام فيما جهر به وفيما خافت؟!». انتهىٰ.

وكذا قال الترمذيُّ في "السنن". وقال الحافظ السيوطيُّ في "المدرج إلىٰ

المدرج" «قوله: "فانتهىٰ الناس...". إلخ، مُدرَجٌ من كلام الزهريِّ، بيَّنه ابن عُيَيْنة».

قلت: لأن ابن ماجه روىٰ الحديث من طريق ابن عُيَيْنة، عن الزهريِّ فاقتصر علىٰ الحديث المرفوع وهو: «**مالي أُنازَعُ القرآنَ؟!**».

ثُمَّ رواه من طريق مَعْمَرٍ، عن الزهريِّ وقال في آخره: «وزاد فيه أبو داود من طريق ابن عُيَيْنة بدون تلك الزيادة، ونقل عن عبدالله بن محمد الزهريِّ، عن سفيان قال: «وتكلَّم الزهريُّ بكلمةٍ لم أسمعها فقال مَعْمَرٌ: إنه قال: «فانتهىٰ الناس...»».

قال أبو داود: ورواه عبدالرحمن بن إسحاق، عن الزهريِّ، وانتهىٰ حديثه إلىٰ قوله: «**ما لي أُنازَعُ القرآنَ؟!**».

قال أبو داود أيضًا: قال مُسدَّدٌ في حديثه: قال مَعْمَرٌ: فانتهىٰ الناس عن القراءة. وقال ابن السرح في حديثه: قال مَعْمَرٌ عن الزهريِّ: قال أبو هريرة: فانتهىٰ الناس.

قلت: جعل بعض المعاصرين هذه الزيادة ناسخةً للقراءة كلِّها في الصَّلاة الجهريَّة. وهذا جهلٌ كبيرٌ بعلم الأصول وقواعد الشريعة؛ لأن النسخ لا يثبت بزيادةٍ مُدرجةٍ من الراوي ولو صحابيًّا، إنما يثبت النسخ بدليلٍ شرعيٍّ، كآيةٍ أو حديثٍ قوليٍّ أو فعليٍّ، ولا يثبت بقول الصحابيِّ: «هذا ناسخٌ أو هذا منسوخٌ»؛ لأنه قد يقوله عن اجتهادٍ منه، والحُجَّة في روايته لا في رأيه.

٣- روىٰ أحمد والبزَّار في مسنديهما من طريق ابن أخي ابن شهابٍ، عن عمِّه قال: أخبرني عبدالرحمن بن هُرْمُز عن عبدالله بن بُحَيْنة -وكان من

أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم- أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم صلَّى صلاةً يجهر فيها فلما انصرف قال: «**أتقرأون خَلْفي؟!**» فقال: بعضهم: إنَّا لنفعل. قال: «**لا تَفْعَلُوا إني أقول: ما لي أُنازَعُ القرآنَ؟!**». قال: فانتهى الناس عن القِراءة فيما جهر فيه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

وهذا لفظ رواية البزَّار، وقال: أخطأ فيه ابن أخي ابن شهابٍ حيث قال: عن ابن بُحَيْنة. ورواه مَعْمَرٌ وابن عُيَيْنة، عن الزهريِّ، عن ابن أُكَيْمة، عن أبي هريرة.

قلت: وابن أخي ابن شهابٍ «كثير الوَهْم رديء الحِفْظ» كما قال ابن حِبَّان. وقال الساجيُّ: «صدوقٌ، تفرَّد عن عمِّه بأحاديث لم يُتابَع عليها»، وجعله محمد بن يحيى الذهليُّ في الطبقة الثانية من أصحاب الزهريِّ، وهم أهل ضعفٍ واضطرابٍ. ولو صح الحديث لم يفد منع القراءة سِرًّا.

٤- قال العقيليُّ في "الضعفاء": حدَّثنا زكريا بن يحيى الحلوانيُّ: ثنا أبو يحيى الوقَار -بتخفيف القاف-: ثنا بشر بن بكرٍ، عن الأوزاعيِّ، عن يحيى، عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعًا: «**إذا أسررتُ بقراءتي فاقرأوا معي، وإذا جهرتُ فلا يقرأنَّ معي أحدٌ**».

قلت: أبو يحيى الوقار المصريُّ فقيهٌ مالكيٌّ، قال ابن عديٍّ: «كان يضع الحديث». وقال الحلوانيُّ: «لمَّا بلغ هذا الحديث أبا الطاهر بن السرح تغيَّظ وأخرج كتاب بشر بن بكر فإذا هو عن الأوزاعيِّ، عن يحيى بن أبي كثيرٍ: «أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم...» إلخ. أو عن الأوزاعيِّ: «أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم...» إلخ. شك الحلوانيُّ.

قلت: يعني أنَّ الحديث عند راويه معضلٌ، ووصله الوقار ليؤيِّد مذهبه. لكن فاته أنَّ الحديث معضلًا أو موصولًا، لا يفيد منع القراءة سِرًّا.

٥- روىٰ أحمد، وأبو داود، والنَّسائيُّ، وابن ماجه عن أبي هريرة: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنما جُعِل الإمامُ ليؤتَمَّ به فإذا كبَّر فكبِّروا، وإذا قرأ فأنْصِتُوا**» الحديث. وهو لا يفيد المطلوب؛ لأن جملة: «**إذا قرأ فأنْصِتوا**» تحتمل ثلاثة معانٍ لا رابع لها:

أ- فأنصتوا عن الكلام وهذا معنىٰ صحيحٌ يوافق الآية: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، ويكون ناسخًا للكلام في الصلاة، كالآية.

ب- فأنصتوا عن القراءة مطلقًا، وهذا معنىٰ باطلٌ؛ لأن القراءة مشروعةٌ في الصلاة بالنصِّ والإجماع فكيف ينهىٰ عنها؟!

ج- فأنصتوا عن الجهر بالقراءة، وهذا معنىٰ صحيحٌ لا يمنع القراءة سِرًّا.

٦- روىٰ الشيخان عن عمران بن حصينٍ: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم صلَّىٰ الظهر، فجعل رجلٌ يقرأ خلفه ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلىٰ: ١] فلما انصرف قال: «**أيكم قرأ؟**»، أو «**أيكم القارئ؟**» فقال الرجل: أنا. فقال: «**لقد ظننتُ أنَّ بعضكم خَالَجَنِيها**».

ليس في هذا الحديث دليلٌ علىٰ المطلوب لوجوهٍ:

١- أنه لم ينهَ عن القراءة، قال أبو داود بعد روايته: «قال ابن كثيرٍ: قلت لقتادة: كأنه كرهه؟ قال: لو كرهه لنهىٰ عنه».

٢- أنه في الجهر، ولا يمنع القراءة في السر.

٣- أنه في قراءة السورة وهي غير واجبةٍ، فكيف يستدل به علىٰ منع قراءة

الفاتحة وهي فرضٌ؟!

٧ - عمل أهل المدينة. ففي "الموطأ": «قال يحيىٰ: سمعت مالكًا يقول: الأمر عندنا أن يقرأ الرجل وراء الإمام فيما لا يجهر فيه الإمام بالقراءة، ويترك القراءة فيما يجهر فيه الإمام بالقراءة».اهـ

ولا يخفىٰ أنَّ عمل أهل المدينة ليس بإجماعٍ؛ لذلك لا يعتبره أهل الأصول دليلًا، إنما الدليل عندهم هو الإجماع، ولا إجماع هنا.

واستدل الشافعيَّة بأحاديث:

١- روىٰ الشيخان عن عبادة بن الصامت: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لا صَلاةَ لمن لم يَقْرَأ بفاتِحةِ الكِتابِ**».

ورواه الإسماعيليُّ بإسنادٍ صحيحٍ بلفظ: «**لا تُجْزِئُ صلاةٌ لا يُقرأ فيها بفاتِحةِ الكِتابِ**». وبهذا اللفظ رواه الدارقطني في "السنن" وصحَّحه، كما صحَّحه ابن القطَّان أيضًا، وهذه الرواية تُبيِّن أنَّ النفي في رواية "الصحيحين" معناه نفي الصحَّة، وأنَّ الصلاة بدون فاتحة الكتاب باطلةٌ.

٢- روىٰ مسلمٌ، والأربعة من طريق أبي السائب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن صَلَّى صلاةً لم يقرأ فيها بأمِّ القرآن فهي خِدَاجٌ، فهي خِدَاجٌ، فهي خِدَاجٌ غير تمامٍ**». قال أبو السائب: فقلت: يا أبا هريرة، إني أكون أحيانًا وراء الإمام؟ قال: فغمز ذراعي وقال: اقرأ بها يا فارسي في نفْسِك.

«**خِداجٌ**»: ناقصة.

وقال ابن خزيمة في "صحيحه": حدَّثنا محمد بن يحيىٰ الذهليُّ: ثنا

وهب بن جريرٍ: ثنا شعبة، عن العلاء بن عبدالرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم :«**لا تُجْزِئُ صلاةٌ لا يُقرأ فيها بفاتِحةِ الكِتابِ**». فقلت: وإن كنت خلف الإمام؟ قال: اقرأ بها في سِرِّك. ورواه ابن حِبَّان في "صحيحه" قال: حدَّثنا محمد بن إسحاق بن خزيمة... فذكره.

٣- روىٰ أحمد، وابن ماجه، وغيرهما عن عائشة قالت: سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**مِن صَلَّى صلاةً لم يقرأ فيها بأمِّ القرآن فهي خِداجٌ**».

٤- وروىٰ ابن ماجه عن عمرو بن شعيبٍ، عن أبيه، عن جدِّه: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**كلُّ صَلاةٍ لا يُقرأ فيها بفاتِحةِ الكِتابِ فهي خِداجٌ، فهي خِداجٌ**». قال الحافظ البوصيريُّ في "الزوائد": «إسناده حسن». ورواه البخاريُّ في "جزء القراءة" بلفظ: «**كلُّ صَلاةٍ لم يُقرأ فيها بأمِّ القرآن فهي مخدجةٌ**».

٥- قال ابن حِبَّان في "صحيحه": أخبرنا عمر بن سعيد بن سنان: حدَّثنا فرج بن رواحة: ثنا عبيدالله بن عمرٍو الرَّقِّي، عن أيوب، عن أبي قِلابة، عن أنسٍ: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم صلَّىٰ بأصحابه فلما قضىٰ صلاته أقبل عليهم بوجهه فقال: «**أتقرأون في صلاتِكم خَلْفَ الإمامِ والإمامُ يقرأ؟**» فسكتوا، قالها ثلاث مرَّاتٍ، فقال قائل: إنَّا لنفعل. قال: «**فلا تفعلوا، وليقرأْ أحدُكم بفاتحة الكتاب في نَفْسِهِ**».

ورواه أبو يعلىٰ والطبرانيُّ في "الأوسط" قال الحافظ الهيثميُّ: «رجاله ثقاتٌ».

٦ - روىٰ أحمد عن أبي قتادة أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال:

«**تقرأون خَلْفِي؟**» قالوا: نعم قال: «**فلا تفعلوا إلَّا بأمِّ القرآن**».

٧- روىٰ أحمد بإسنادٍ صحيحٍ عن رجلٍ من الصحابة قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لعلَّكم تقرأون والإمام يقرأ؟**» قالها ثلاثًا، قالوا: إنَّا لنفعل ذلك. قال: «**فلا تفعلوا إلَّا أن يقرأ أحدُكم بفاتِحةِ الكِتابِ في نَفْسِهِ**».

٨- روىٰ البيهقيُّ في "السنن" عن عليٍّ عليه السَّلام أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**كلُّ صلاةٍ لم يقرأ فيها بأمِّ القرآن فهي خِداجٌ**».

٩- روىٰ أحمد من طريق رجلٍ من أهل البادية عن أبيه -وكان أسيرًا عند رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم- قال: سمعت محمدًا يقول : «**لا تُقْبَلُ صلاةٌ لا يُقرأ فيها بأُمِّ الكِتابِ**».

١٠- روىٰ الطبرانيُّ، وابن السَّكَن من طريق عبدالرحمن بن سوار الهلاليِّ قال: كنت جالسًا عند عمرو بن ميمون فقال له رجلٌ من أهل الكوفة: يا أبا عبدالله، بلغني أنك تقول: من لم يقرأ بأمِّ الكتاب فصلاته خِداجٌ؟ فقال: نعم حدَّثني أبي ميمون، عن أبيه مهران، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بهذا.

قلت: ومهران صحابيٌّ. هذا وقد بقيت أحاديث أخرىٰ بهذا المعنىٰ اكتفينا عنها بما أوردناه.

الترجيح

سردنا أدلَّة المذاهب الثلاثة في القراءة خَلْفَ الإمام، واستوفيناها بقدر ما يقتضيه المقام، والذي نُرَجِّحه منها: أدلَّة قراءة الفاتحة في الصَّلاة الجَهْرِيَّة والسرِّيَّة للمنفرد والمأموم والإمام، وذلك لأسباب:

أحدها: أنَّ البخاريَّ قال في "جزء القراءة": تواتر الخبر عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لا صلاة إلَّا بقراءة أُمِّ القرآن**». وقد أوردنا من طرقه عشرة مروية في الكتب الستة وغيرها، والحديث المتواتر مقدَّم علىٰ خبر الآحاد باتفاق المحدِّثين والأصوليين، والأحاديث التي استدل بها المالكية والحنفية ليس فيها حديث متواتر البتَّة.

ثانيها: أنَّ حديث الفاتحة نصٌّ في معناه، والأحاديث المخالفة له ظاهرة في معناها قابلة للتأويل، والنص مقدَّمٌ لأنه لا يقبله.

ثالثًا: أنه أفاد رُكْنِيَّة الفاتحة للصلاة بجملة: «**لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب**». وهذه صيغة حصر، وهي أعلىٰ أنواعه عند علماء البلاغة، ومعناها: انتفاء الصلاة الشرعية بانتفاء الفاتحة، وهذا مفهوم الركنية. كما أفاد شرطية الفاتحة بعبارة: «**لا تجزئ، صلاة لا يُقرأ فيها بأمِّ القرآن**» لأن الإجزاء يرادف الصحة، وعدمه يقتضي عدمها وهو معنىٰ الشرطية. وهذان حكمان زائدان، لم تُفِدْهما الأحاديث المخالفة له، والأخذ بالحكم الزائد واجب عند الأصوليين والفقهاء.

رابعها: أنه خاصٌّ، وتلك الأحاديث عمومات ولا تَعارض بين عامٍّ وخاصٍّ كما قرَّره الأصوليين لإمكان الجمع بينهما بحمل العامِّ علىٰ الخاصِّ،

وبذلك تتفق الأدلَّة وتأتلف معانيها، وقد تولَّى النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عملية التخصيص بيانًا لنا وتعليمًا.

فروى أبو داود، والترمذيُّ عن عبادة قال: صلَّى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الصبح فثقُلَت عليه القراءة، فلمَّا انصرف قال: «**إني أراكم تقرأون وراء إمامكم؟**» قلنا: يا رسول الله، إي والله. قال: «**لا تفعلوا إلَّا بأمِّ القرآن؛ فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها**». صحَّحه ابن حِبَّان، والحاكم.

وفي رواية لأبي داود، والنَّسائيِّ: «**فلا تقرأوا بشيءٍ مِن القرآن إذا جَهَرْتَ به إلَّا بأمِّ القرآن**». وعن عبادة أيضًا أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لا يقرأنَّ أحدُكم شيئًا مِن القرآن إذا جهرتُ بالقراءة إلَّا بأمِّ القرآن**». رواه الدارقطني وقال: «رواته كلهم ثقاتٌ».

وتقدَّم حديث أنسٍ بلفظ: «**فلا تفعلوا، وليقرأ أحدُكم بفاتِحةِ الكِتابِ في نَفْسِهِ**». وهو حديثٌ صحيحٌ.

هذا بيان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وليس بعد بيانه بيانٌ، وإذا جاء كلامه بطل قول فلانٍ، ورأي فلانٍ.

يؤخذ منه: أنَّ مَن أدرك الإمام راكعًا لا يُعْتَدّ بتلك الركعة ويجب عليه أن يأتي بركعةٍ يقرأ فيها فاتحة الكِتابِ؛ لأنها ركنٌ في الصَّلاة فلا يتحمَّلها الإمام، كما لا يتحمَّل تكبيرة الإحرام والسَّلام.

فصل

والفاتحة فرضٌ في صلاة الجنازة أيضًا لأنها صلاةٌ في عُرف الشرع.

قال البخاريُّ في "صحيحه" : «باب سنة الصلاة على الجنازة، وقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن صلَّى على الجنازة...**»، وقال: «**صَلُّوا على صاحبكم**»، وقال: «**صَلُّوا على النَّجَاشِيِّ**». سمَّاها صلاةً ليس فيها ركوعٌ ولا سجودٌ ولا يُتكلَّم فيها، وفيها تكبيرٌ وتسليمٌ».اهـ

وفي القرآن الكريم: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ﴾ [التوبة: ٨٤] فهي صلاةٌ بالكتاب والسُّنَّة والإجماع.

قال ابن المرابط: «وإنما لم يكن فيها ركوعٌ ولا سجودٌ لئلَّا يتوهَّم بعض الجهلة أنها عبادةٌ للميت فيضلُّوا بذلك».اهـ

وحيث كانت صلاةً، فقراءة الفاتحة فيها فرضٌ، لحديث: «**لا تُجْزِئُ صلاةٌ لا يُقرأ فيها بفاتِحةِ الكِتابِ** »، ولما رواه البخاريُّ في "صحيحه" عن ابن عبَّاسٍ: أنه صلَّى على جنازةٍ فقرأ بفاتحة الكتاب وقال: لتعلموا أنه من السُّنَّة. ورواه أبوداود، والترمذيُّ وصحَّحه، والمراد بالسُّنَّة: الطريقة.

وروى الترمذيُّ، وابن ماجه عن ابن عبَّاسٍ: «أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قرأ على الجنازة بفاتحة الكتاب». في إسناده إبراهيم بن عثما ن -أبوشيبة- ضعيفٌ جدًّا، لكن حديث البخاريِّ يؤيِّده كما قال الحافظ.

ويؤيِّده أيضًا حديث جابرٍ قال: «كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يكبِّر على جنائزنا أربعًا، ويقرأ بفاتحة الكتاب في التكبيرة الأولى».

رواه الشافعيُّ في "الأم" بإسنادٍ ضعيفٍ. ورواه الحاكم من طريقه وقال: «هو شاهدٌ مُفسِّرٌ لحديث ابن عبَّاسٍ». يعني قوله: «أنه من السُّنَّة» فيكون معناه: سُنَّة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وهو المقرَّر في علم الأصول.

وروىٰ الشافعيُّ في "مسنده"عن أبي أُمامة بن سهل بن حنيفٍ: أنه أخبره رجلٌ من أصحاب النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أنَّ السُّنَّة في الصَّلاة علىٰ الجنازة أن يكبِّر الإمام، ثُمَّ يقرأ بفاتحة الكتاب بعد التكبيرة الأولىٰ، سِرًّا ثُمَّ يصلِّي علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، ويخلص الدعاء للجنازة في التكبيرات، ولا يقرأ في شيءٍ منهنَّ، ثُمَّ يُسَلِّم سِرًّا.

إسناده ضعيفٌ، لكن رواه عبدالرزاق بإسنادٍ صحيحٍ، وأبو أُمامة صحابيٌّ صغيرٌ.

وروىٰ ابن ماجه عن أُمِّ شريكٍ قالت: «أمرنا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أن نقرأ علىٰ الجنازة بفاتحة الكتاب».

قال الحافظ: «في إسناده ضعفٌ يسيرٌ». والأمر للوجوب حقيقةٌ.

وروىٰ الطبرانيُّ عن أسماء بنت يزيد قالت: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم : «**إذا صلَّيتم على الجنازة فاقرأوا بفاتحة الكتاب**».

قال الحافظ الهيثميُّ: «فيه مُعَلَّىٰ بن حُمْران: لم أجد من ذكره، وبقيَّة رجاله موثَّقون، وفي بعضهم كلام».

وروىٰ الطبرانيُّ عن أُمِّ عفيفٍ قالت: «بايَعْنا رسولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حين بايع النِّساء، فأخذ علينا ألا تُحَدِّثْنَ الرَّجُل إلَّا مَحْرَمًا، وأمرنا أن نقرأ علىٰ جنائزنا بفاتحة الكتاب».

وفي رواية ذكرها ابن عبدالبر: «فأخذ علينا ألا نُحَدِّث غير ذي مَحْرَمٍ خاليًا به، وأمرنا أن نقرأ فاتحة الكتاب على مَيِّتنا».

وصحَّ عن ابن مسعودٍ وأبي هريرة وأبي الدرداء وأنس بن مالكٍ أنهم كانوا يقرأون فاتحة الكتاب في صلاة الجنازة، ويدعون ويستغفرون للميت، وعن المِسْوَر والضَّحَّاك بن قيسٍ نحو ذلك آيضًا.

وهو قول مجاهدٍ وسعيد بن المسيِّب والزهريِّ والشافعيِّ وأحمد وإسحاق بن راهويه وداود الظاهريِّ وغيرهم، وهو الصحيح.

وذهب الحنفيَّة والمالكيَّة إلى ترك قراءة الفاتحة في صلاة الجنازة، واستدلُّوا بحديث أبي هريرة مرفوعًا: «**إذا صَلَّيْتُم على الميِّت فأخْلِصُوا له الدُّعاء**». رواه أبو داود، وابن ماجه، وهو استدلالٌ غلطٌ لوجوهٍ:

أحدها: أنَّ الحديث على وجوب الدُّعاء للميت زائدًا على ما علم من فرائض الصَّلاة وشروطها، فلهذا لم يصرِّح بالفاتحة ولا بالتكبير ولا بالتسليم ولا بالتطهُّر لها.

ثانيها: لو كان الحديث على عدم وجوب الفاتحة، لدلَّ أيضًا على عدم وجوب التكبير والتسليم والطهارة، واللازم باطلٌ.

ثالثها: أنَّ إخلاص الدُّعاء لا يُنافي قراءة الفاتحة ولا يَنْفِيها، بل يجتمعان فتكون الفاتحة بعد التكبيرة الأولى، ويكون إخلاص الدُّعاء في التكبيرات بعدها.

وبما ورد عن فضالة بن عبيد أنه سُئِلَ: أيقرأ في الجنازة بشيءٍ من القرآن؟ قال: لا، وعن ابن عمر أنه كان لا يقرأ في صلاة الجنازة.

فالجواب: أن معنىٰ هذين الأثرين: أنَّ صلاة الجنازة لا يُقرأ فيها بشيءٍ من القرآن غير أُمِّ الكتاب، أمَّا هي ففرضِيَّتُها معلومةٌ للصحابة لا يختلفون فيها.

وسِرُّ ذلك وحِكْمته أنهم يُصَرِّحون بما يخصُّ الميت وهو الدُّعاء والاستشفاع له، ويتركون الفاتحة وغيرها استنادًا إلىٰ أنها معلومةٌ مِن فرائض الصلاة وشروطها؛ لأنَّ صلاة الجنازة، من أفراد الصلاة.

وعلىٰ هذا إذا خلت صلاة الجنازة من قراءة الفاتحة فإنها تكون باطلةً، وتجب إعادتها ولو علىٰ القبر، إذا لم يمكن إخراج الميت. وبالله التوفيق.

٧- الحُجَّةُ المُبيِّنةُ
لفهم عِبارَةِ المُدَوَّنة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدُ لله حَمْدًا دائمًا بدوامِهِ، والشُّكْر له على تَوَالي إنْعامِهِ، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّدٍ وآلِهِ.

أمَّا بعد: فهذا جزءٌ أكتبه في وضع اليمين على الشِّمال في الصَّلاة المكتوبة، لا مِن جهة سُنِّيَّته الثابتة بالتواتر من فعل النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وقوله، ومن فعل الصحابة والتابعين، لكن مِن جهة تبيين خطأ وقع في فهم رواية ابن القاسم في هذا الموضوع، فأقول مستعينًا بالله ومعتمدًا في جميع أموري عليه:

جاء في "المُدَوَّنة الكبرى" (ج ١ ص ٧٤) ما نصُّه: «الاعتماد في الصلاة، والاتكاء، ووضع اليد على اليد:

قال: وسألت مالكًا عن الرجل يصلِّي إلى جنب حائطٍ، فيتكئ على الحائط، قال: أمَّا في المكتوبة فلا يعجبني، وأمَّا في النافلة فلا أرى بذلك بأسًا. قال ابن القاسم: والعصا تكون في يده بمنزلة ا لحائط.

قال: وقال مالكٌ: إن شاء اعتمد وإن لم يعتمد، وكان لا يكره الاعتماد، وقال في ذلك على قدر ما يرتفق به، فلينظر ما هو أ رفق به فليصنعه.

قال: وقال مالكٌ في وضع اليُمْنَى على اليُسْرَى في الفريضة، قال: لا أعرف ذلك في الفريضة، ولكن في النوافل إذا طال القيام، فلا بأس بذلك يعين به على نفسه.

سحنون، عن ابن وهبٍ، عن سفيان الثوريِّ، عن غير واحدٍ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنهم رأوا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم

واضعًا يده اليُمْنَىٰ علىٰ يده اليُسْرَىٰ في الصلاة».

هذه عبارة "المُدَوَّنة" بتمامها، لم ننقص منها حرفًا.

ومنها فهم المالكيَّة كراهية وضع اليمين علىٰ الشمال في المكتوبة.

واختلفوا في سببها علىٰ أقوال حكاها أصحاب "المختصر" في قوله: «وهل يجوز القبض في النفل أو إن طَوَّل، وهل كراهته في الفرض للاعتماد أو خِيفة اعتقاد وجوبه، أو إظهار خشوعٍ، تأويلاتٌ».

ولا بد أنَّ أحدَ متقدِّمي شُرَّاح "المُدَوَّنة" فهم منها الكراهة، ثُمَّ تبعه المتأخِّرون تقليدًا من غير تمحيصٍ، ثُمَّ تعصَّبوا لإرسال اليدين في الصلاة، حتىٰ زعم زاعمٌ منهم أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان يرسلها في صلاته!! وهو كَذِبٌ يستوجب قائله لعنة الله وعذابه، وزعم آخَر منهم: أنَّ وضع اليمنىٰ علىٰ اليسرىٰ في الصَّلاة منسوخٌ، وهذا أيضًا كذبٌ بَحْتٌ.

ولسنا بصدد تبيين سُنِّيَّة وضع اليمين علىٰ الشمال في الصَّلاة، فقد سبق إلىٰ بيان ذلك كثيرون، منهم المسناوي، والشيخ المكِّي بن عزوز، وسيِّدي محمد بن جعفر الكتاني، وشقيقنا أبو الفيض.

وبلغني عن شيخنا بالإجازة الشيخ أبي شعيب الدّكاليِّ أنه قال متحديًّا لمن يتعصب لإرسال اليدين: «من وجد حديثًا ولو ضعيفًا يصرِّح بأنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم صلَّىٰ مُرْسِلًا يديه، فلينقشه علىٰ رخامةٍ وأنا أعطيه بوزنها ذهبًا». وهذا أشد ما يكون في التحدِّي.

ما المراد بعبارة "المُدَوَّنة"؟

إذا أراد شخصٌ أن يفهم كلامًا فهمًا صحيحًا موافقًا لغرض المُتكلِّم به،

فلينظر إلىٰ دلالة السِّياق والسِّباق.

ما هو السِّياق ؟

السِّياق -بالمثناة التحتية- هو: الموضوع الذي سِيق الكلام لأجله، ودار البحث فيه.

وما هو السِّباق؟

السِّباق -بالموحدة- هو: ما يَسْبِقُ الجملة المراد فهمها.

فبمراعاة هاتين الدلالتين يظهر مراد المتكلِّم ظهورًا بيِّنًا، وتصحُّ نسبته إليه نسبةً صحيحةً، وأكثر الخطأ في فهم كلام الفقهاء سببه عدم الالتزام بما ذكرناه، لغفلةٍ أو ذهولٍ.

وإذا تأمَّلنا عبارة "المُدَوَّنة" مع ملاحظة السِّياق وجدناها معنونةً بعنوان: «الاعتماد في الصَّلاة، والاتكاء، ووضع اليد علىٰ اليد».

فهذا موضوع بحثها، وجرىٰ الكلام فيها عن المصلِّي يتكئ علىٰ حائطٍ، وعن العصا تكون في يده أنها بمنزلة الحائط، وعن الاعتماد في الصَّلاة عمومًا، وقول مالك: «إن شاء اعتمد وإن شاء لم يعتمد...» إلخ كلامه.

ثُمَّ قال: «وقال مالكٌ في وضع اليمنىٰ علىٰ اليسرىٰ في الفريضة: لا أعرف ذلك في الفريضة» فهم منه بعض شُرَّاح المُدَوَّنة كراهة وضع اليمنىٰ علىٰ اليسرىٰ في المكتوبة، وهذا باطلٌ لوجهين:

أحدهما: أنَّ سِياق الكلام وموضوع البحث: الاعتماد والاتكاء في الصلاة، فإدخال حكم الكراهة هنا يأباه السِّياق ولا يقبله، إذ يصير تقدير الكلام علىٰ هذا الفهم الباطل: وقال مالكٌ: إن شاء اعتمد وإن شاء لم يعتمد، وكان لا

يكره الاعتماد، وقال في ذلك: على قدر ما يرتفق به، فلينظر ما هو أرفق به فليصنعه، وقال مالكٌ في وضع اليمنى على اليسرى في الفريضة، قال: لا أعرف ذلك الوضع في الفريضة من سُننها فهو مكروهٌ.

والكلام على هذا التقدير يكون في غاية الرَّكاكة؛ لأنه لا رابط يربط بين الاعتماد في الصلاة وبين الحكم على القبض بالكراهة.

والآخر: أنَّ مالكًا يعرف القبض مشروعًا في الصلاة، وروى فيه حديثين في "الموطأ"، فكيف يقول هنا: «لا أعرفه»؟! هذا تهافتٌ لا يليق بمقام مالكٍ، ولا يصح أن يفهم من كلامه أو ينسب إليه.

ما أراده مالكٌ:

إذن فالمعنى الذي أراده مالكٌ بقوله: «لا أعرف ذلك في الفريضة» أي لا أعرف الاعتماد على القبض في الفريضة؛ لأنه يفعل استنانًا فيكره قصد الاعتماد معه أيضًا.

يؤيِّد هذا قوله: «ولكن في النوافل إذا طال القيام فلا بأس بذلك»، أي بقصد الاعتماد يعين به على نفسه؛ لأن النوافل يتوسَّع فيها.

لم يقصد مالكٌ إلَّا هذا بدلالة السِّياق التي هي أساس في فهم أي كلامٍ، وعلى هذا لا يجوز أن ينسب إلى مالكٍ كراهة القبض في الفريضة اعتمادًا على هذه العبارة التي فهمت على غير ما قصد بها.

يؤيِّد ما قلناه: أنَّ سحنونًا ختم الترجمة بما رواه: عن ابن وهبٍ، عن سفيان الثوريِّ، عن غير واحدٍ من الصحابة أنهم رأوا النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم واضعًا يده اليمنى على اليسرى في الصلاة، ليبيِّن أنَّ الإمام مالكًا قصد

الاعتماد، لا وضع اليمين على الشمال.

ثُمَّ نعود إلى شرح عبارة "المختصَر" على ضوء ما بيناه:

فقوله: «وهل كراهته في الفرض» إن كانت الكراهة مأخوذةً من عبارة "المُدَوَّنة" التي نقلناها، فهي غير صحيحةٍ، ومالكٌ لم يقل بالكراهة تصريحًا ولا كنايةً، وإنما أشار إلى كراهة الاعتماد بالقبض في الفريضة.

«للاعتماد» هذا عكس ما أراد مالكٌ كما بيَّنا.

«أو خيفة اعتقاد وجوبه» وهذا باطلٌ؛ لأنه يؤدِّي إلى كراهة جميع المندوبات؛ ولأن رفع اليدين عند تكبيرة الإحرام مندوبٌ، ولم يقل أحدٌ بوجوبه؛ ولأن المُضِرَّ اعتقاد واجبٍ ليس واجبًا، لا اعتقاد ما ليس بواجبٍ واجبًا.

«أو إظهار خشوعٍ» وهو باطلٌ كسابقه؛ لأنهما تعديلٌ على الشارع، وهو غير جائزٍ.

وظهر بهذا أنَّ القول بكراهة القبض في الفرض وجوازه في النفل نُسب إلى مالكٍ رحمه الله وهو بريءٌ منه براءة الذئب من ابن يعقوب.

وبهذه المناسبة أقول: مذهبُ مالكٍ يحتاج إلى تنقيحٍ وتحريرٍ؛ لأن كثيرًا من مسائله ينبني على خلاف الدليل، أو خلاف قواعد الأصول، أو خطأ في فهم كلام الإمام، كمسألتنا هذه.

والسبب في ذلك: أنَّ المالكية -وخصوصًا منهم المغاربة- ليس عندهم روح البحث والتمحيص، بل يجمدون على قول الإمام أو ابن القاسم وأضرابه من كبار المذهب، ولا يعنيهم أن يكون ذلك القول الذي جمدوا عليه مخالفًا للقواعد أو الدليل، وإن بحث بعضهم في قول من تلك الأقوال -على سبيل الندرة- فإنه

يعقب بحثه بقوله: «هذا مجرَّد بحثٍ، والفقه مسلَّم»، فلم يصنع شيئًا.

وهذا بخلاف الشافعية والحنفية، فإنهم يبحثون ويُمَحِّصون ويناقشون أئمَّة مذاهبهم، ويردون كثيرًا منها، لمخالفته الدليل أو القواعد.

ولقد قال لي بعض الأزهريين مرة: العلم عند الشافعية والحنفية، أمَّا المالكيَّة فهم دراويش.

يعني أنهم يتلقون قول من سبقهم من أهل المذهب، بدون مناقشةٍ، كأنه آيةٌ أو حديثٌ.

وأقرب دليلٍ على هذا أمران:

أحدهما: مسألة عِبارة "المُدَوَّنة" التي بيَّنا معناها الصحيح، فإن بعض شُرَّاح المُدَوَّنة، فهم منها كراهة القبض في الفريضة دون النافلة، فقلَّدوا هذا الفهم المخطئ ولم يبحثوا فيه هل هو صحيحٌ.

والأمر الآخر: أنَّ الشيخ الهِبطي رحمه الله، عمل وقوفًا للقرآن حسب فهمه، ولم يرجع فيها إلى قواعد اللغة العربية ولا إلى عِلْم القراءات ولا كُتُب التفسير، فجاء كثيرٌ منها قبيحًا يفسد معنى الآية، أو يفرِّق بين الفعل وما يتعلَّق به، أو بين المبتدأ والخبر، أو بين العِلَّة والمَعْلُول، أو نحو ذلك، واستمرَّ المغاربة عليها من وقته إلى الآن، لم يفكر أحدٌ منهم في إصلاحها حتى اعتقد العامَّة أنَّ القرآن أنزل بهذه الوقوف.

وقد ذاكرت بعض أهل العلم بهذا، فوافق على كلامي وذكر بعض الوقوف القبيحة التي استحضرها في تلك الساعة.

ثُمَّ كتبتُ مقالًا في مجلة "دعوة الحق"، ذكرت فيه نماذج من تلك الوقوف

الهِبطيَّة، واقترحت على وزارة الأوقاف أن تُخصِّص جماعةً من العلماء العارفين بقواعد اللغة والقراءات والتفسير؛ لإصلاح القبيح من تلك الوقوف بتغييرها بالصحيح الجيِّد، فكان اقتراحي صيحة في وادٍ، ثُمَّ طلبت من صاحب مطبعةٍ أن يقوم بطبع مصحفٍ عملت له وقوفًا صحيحةً، فوافق، لكنه اعتذر بأنَّ المغاربة لا يأخذونه، بل يرفضونه ويعتبرونه مخالفًا لما اعتادوه، وإن كان خطأ.

واعتذاره صحيحٌ، فإن المغاربة يجمدون على ما أَلِفوه، حسنًا كان أو قبيحًا، ولهم قاعدةٌ يوجِّهون بها جمودهم، فيقولون: «خطأ مشهورٌ خيرٌ من صوابٍ مَهْجُورٍ»!!.

وانفردوا بهذه القولة عن بقيَّة المسلمين وغيرهم، فلا أحد في الدنيا يتمسَّك بالخطأ لأنه مشهورٌ، ويترك الصواب لأنه مهجورٌ.

فاللهمَّ غُفْرانك لهذه الكلمة القبيحة، ووفِّقنا لمعرفة الصواب، والتمسُّك به، ولا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، وتُب علينا إنك أنت التوَّاب الرَّحيم.

٨- كَشْفُ أنواعِ الجَهْلِ
فيما قِيل في نُضْرَةِ السَّدْلِ

السَّدْلُ بِدْعَةُ قُبْحٍ لَا صَلَاح بِهِ ... وليسَ فيه سِوَىٰ الإِعرَاضُ عَن سُنَنِ
والقَبْضُ جاءَتْ بِهِ الأَخْبَارُ ثَابتَة ... تُفيدُ شرعته مِن غَيْرِ مَا وَهَنِ
وفيه معنىٰ خُشُوعِ العَبْدِ مُلْتَجِئًا ... يَرجُو بِهِ فَيْضَ رَبٍّ واهِبِ المِنَنِ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّدٍ وآله الأكرمين، ورضي الله عن صحابته والتابعين.

وبعد: فإنَّ المغاربة المتأخِّرين مثل السيِّد محمد القادري، والسيِّد المهدي الوزَّاني، والشيخ: محمد الخضر الشنقيطي تعصَّبوا للسَّدْل في الصلاة وأفرطوا في التعصُّب له، حتى قال بعضهم: «إنَّ القبض قيل بحرمته، والسَّدْل لم يقل أحد بحرمته».

وتبعهم كثيرٌ من الجهلة الأغمار ممَّن لا يُميِّزون بين القاع والدار، ولا بين النافع والضارِّ، حتى إنَّ إحدى الطوائف طلبت من إمام يُصَلِّي بهم أن يَسْدِل في صلاته فلم يقبل، فأبعدوه عن الإمامة بهم.

وليس تعصُّبهم مبنيًّا على دليلٍ أو شبهةٍ، بل على عِدَّة دعاوى ليس لها ما يسندها، وهم لجهلهم بعلم الأصول وقواعد الاستدلال، ظنُّوها أدلَّةً قاطعةً للخِصام، تُلْزِم معارضها بالعيِّ والإحْجام.

فكتبت هذا الجزء الذي سمَّيته: **"كَشْفُ أنواعِ الجَهْلِ فيما قِيل في نُصْرَةِ السَّدْلِ"**.

ذكرت فيه دعاواهم واحدةً واحدةً، وأتبعت كلَّ دعوى بما يبطلها من قواعد علم الأصول والحديث.

وبدأت بذكر حديث في السَّدْل لم يذكروه وبيَّنت ما فيه، ولئن كان تعصُّبهم لرأيٍ لا دليل له، وهو تعصُّبٌ مذمومٌ، فإنَّ تعصُّبي بحمد الله للسُّنَّة

النبويَّة المتواترة، وهو تعصُّبٌ محمودٌ مثابٌ عليه بفضل الله، والفرق بين موقفي وموقفهم هو الفرق بين الحقِّ والباطل، وبين السُّنَّة والبِدْعة، فنحن مع الحقِّ والسُّنَّة وهم على الباطل والبِدْعة.

وَحَسْبُكُمْ هذا التَّفَاوُتُ بَيْنَنَا وكُلَّ إناءٍ بالذي فيه يَرْشَحُ

وأبدأ مستعينًا بحول الله وقوَّته فأقول:

حديثٌ في السَّدْلِ موضوعٌ

روى الطبرانيُّ عن معاذٍ رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان إذا كَبَّر في صلاته رفع يديه قُبالَةَ أذنيه، فإذا كبَّر أرسلهما»، ثُمَّ سَكَت، وربما رأيته يضع يمينه على يساره.

في سند هذا الحديث الخَصِيب بن جَحْدَر: كذَّبه شعبة، والقطَّان، وابن معينٍ، والبخاريُّ، والساجيُّ، وابن الجارود وغيرهم، فالحديث موضوعٌ لا يجوز العمل به.

ذكر الدَّعاوَى والرد عليها

الأولى والثانية □

١- حديث أبي حميد الساعديِّ في صفة صلاة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لم يذكر القبض، فهو دليلٌ على السَّدْلِ.

٢- وكل حديثٍ لم يذكر القبض في صفة الصَّلاة، يدلُّ على السَّدْلِ.

وهاتان الدعويان باطلتان جدًّا؛ لأمورٍ:

الأول: إنَّ عدم ذكر القبض لا يدل على عدم وجوده في الصلاة؛ لما تقرَّر: أنَّ عدم ذكر الشيء لا يدل على عدم وجوده.

الثاني: أنَّ السَّدْلَ لم يذكر في الحديث أيضًا فكيف يكون الحديث دليلًا عليه، وهو لم يذكره؟!

الثالث: حاصل هاتين الدعويين يرجع إلى تناقضٍ واضحٍ لو عَقَلوا؛ لأن عدم ذكر القبض دليلٌ عندهم على عدم مشروعيَّته، وعدم ذكر السَّدْلِ دليلٌ على مشروعيَّته، هذا تهافتٌ!!

الرابع: عند المالكيَّة يُستحبُّ السَّدْلُ: قال ابن عاشرٍ في مستحبَّات الصَّلاة:

سَدْلُ يدٍ تَكْبِيرُهُ مَع الشُّرُوع

ولم يُذكر السَّدْلُ في أحاديث صفة الصَّلاة، مع أنَّ المستحبَّ هو ما طلبه الشارع طلبًا غير جازمٍ. وليس في الأحاديث طلب للسَّدْل، وإنما فيها سكوتٌ عنه وعن القبض، فأخذوا من عدم ذكره استحبابه، أي أخذوا من العدم أمرًا وجوديًّا، وهو باطلٌ؛ لأن العدم لا يكون عِلَّةً لأمرٍ وجوديٍّ.

قالوا: «الأصل هو السَّدْلُ»، وهذا باطلٌ أيضًا؛ لأنَّ الأصل لا يدل على

الاستحباب؛ لأنه ليس بأمرٍ ولا طلب فيه.

ونعارضهم بأنَّ الأصل في الصلاة هو القبض؛ لأنه ورد التصريح بطلبه في عِدَّة أحاديث، ولأنه تحقيقٌ لمعنى قوله تعالى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، أي: خاشعين.

والقبض علامةٌ على الخشوع، والسَّدْل ليس كذلك.

ولأنَّ من رأى القابض يعلم أنه يُصَلِّي، والسَّدْل ليس كذلك.

ولأنَّ السَّادِل يَعْبَثُ بلِحْيته أو أنفه أو يحك جسده، والقابض ليس كذلك.

الخامس: القاعدة المُقرَّرة في الأصول: «إنَّ المُطلَق يُحمَل على المُقيَّد، فيُقَيَّد به».

وعلى هذا فأحاديث صفة الصلاة التي لم تذكر القبض هي مطلقةٌ، فتُقيَّد بالأحاديث التي ذكر فيها القبض، فتكون الأحاديث منسجمةً بعضها مع بعضٍ لا تعارض بينها، ولا دلالة فيها على السَّدْل إطلاقًا.

هذا هو الاستدلال المبنيُّ على القواعد الأصوليَّة، لا قولهم المبنيُّ على قواعد سطحيَّة.

الدَّعوى الثالثة: السَّدْلُ ناسخٌ للقبض

وهي باطلةٌ من وجوهٍ:

الأول: إنَّ القبض سُنَّةٌ وفضيلةٌ، والفضائل لا تُنسَخ كما قال ابن عبد البر وغيره.

وقد بيَّنت في غير هذا الموضع أنَّ الذي ينسخ من الأحكام ثلاثة: الواجب والحرام والمباح، أمَّا المندوب فلا يُنسَخ لأنه فضيلةٌ، والمكروه تابعٌ له، وهذا ممَّا يجهله كثيرٌ ممن لم يتقِن علم الأصول.

الثاني: أنَّ النَّسْخَ معناه رفع الحكم بعد ثبوته، والذي يرفع الحكم هو الشارع.

مثل قول النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**كنتُ نَهيتُكم عن زيارةِ القُبُور، فزُورُوها**»، «**كنتُ نَهيتُكم مِن أجل الدَّافَّة، فكُلُوا وادَّخِرُوا**»، ومثل منعه زيارة النِّساء للقبور، ثُمَّ إذنه لعائشة بزيارتها.

ولا يثبت النسخ باجتهاد صحابيٍّ فضلًا عمن هو دونه، كما هو مقرَّرٌ في علم الأصول.

وفي "إرشاد الفحول" قال الصيرفيُّ: «لا يقع النسخ إلَّا بدليلٍ توقيفي».اهـ أي: عن الشارع.

وقال الشاطبيُّ في "الموافقات": «والأحكام إذا أثبتت علىٰ المكلَّف، فادِّعاء النسخ فيها لا يكون إلَّا بأمرٍ مُحقَّقٍ؛ لأن ثبوتها علىٰ المكلَّف أولًا مُحقَّقٌ، فرفعها بعد العلم بثبوتها لا يكون إلَّا بمعلومٍ مُحقَّقٍ».اهـ

الثالث: إنَّ الذين ادَّعوا نسخ القبض بنوا دعواهم علىٰ مقدِّمةٍ فاسدةٍ؛ ذلك أنهم ظنُّوا أنَّ حديث صفة الصلاة حيث لم يتعرَّض لذكر القبض صار معارِضًا لأحاديث القبض، وضمُّوا إلىٰ هذا أنَّ السَّدْلَ هو الأصل، فأنتج لهم ذلك أنَّ السَّدْلَ ناسخٌ للقبض، فجاءت دعواهم فاسدةٌ مبنيَّةٌ علىٰ مقدِّمةٍ فاسدةٍ، وهذا غاية الخذلان، والعياذ بالله تعالىٰ.

قال الإمام ابن دقيق العيد: «لا يجوز إثبات النسخ بالاحتمال».

وكذا قال الحافظ ابن حجرٍ، وهذا أمرٌ مجمعٌ عليه، لكن الذين ادَّعوا النسخ لا يعلمون.

وقال ابن تيمية في "فتاواه": «وما ثبت من الأحكام بالكتاب والسُّنَّة، لا يجوز دعوىٰ نسخه بأمورٍ محتملةٍ».اهـ

وقال ابن القيِّم في كتاب "الصلاة وأحكام تاركها": «وقد اتخذ كثيرٌ من الناس دعوىٰ النسخ والإجماع سُلَّمًا إلىٰ إبطال كثيرٍ من السنن الثابتة عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وهذا ليس بهيِّنٍ، ولا تترك لرسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم سُنَّةٌ صحيحةٌ أبدًا بدعوىٰ الإجماع ولا دعوىٰ النسخ، إلَّا أن يوجد ناسخٌ صحيحٌ صريحٌ مُتأخِّرٌ نقلته الأئمَّة وحفظته، إذ محالٌ علىٰ الأُمَّة أن تضيِّع الناسخ الذي يلزمها حفظه، وتحفظ المنسوخ الذي قد بطل العمل به ولم يبقَ مِن الدين».اهـ

وقال بعض العلماء الأفاضل:

القَبْضُ والرَّفْعُ مِمَّا صَحَّ مِن سُنُن ... عن الرَّسُول بلا نَسْخٍ ولا وَهَنِ
فلا تَكُنْ يا صَحِيحَ العَقْلِ مُتَّبِعًا ... آثَارَ أشياء لم تُخْلَقْ ولم تكُن

□الدَّعوى الرابعة: السَّدلُ عمل أهل المدينة

وهي باطلةٌ أيضًا مِن وجوهٍ:

الأول: أنَّ هذا العمل لم ينقله أحدٌ ممَّن تخصَّص في نقل مذاهب الأئمَّة، مثل الترمذيِّ وابن المُنذِر وابن جريرٍ الطبريِّ وابن حزمٍ وابن قدامة المقدسيِّ والنوويِّ، وإنما نقله الصاويُّ في "حاشية أقرب المسالك" عن مجهولٍ، ولم يعتمده؛ لأنه حكاه علىٰ صيغة التضعيف وهي: «وقيل».

الثاني: أنَّ عمل أهل المدينة الذي هو حُجَّةٌ عند المالكيَّة: إجماعهم، ولم ينقل

السَّدْلُ بسندٍ صحيحٍ إلَّا عن سعيِّد بن المسيِّب، فأين إجماعهم؟!

الثالث: أنَّ المنقول عن الخلفاء الأربعة فمن بعدهم من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين بالمدينة إلىٰ عهد مالكٍ هو القبض، ما عدا سعيد بن المسيِّب كما سبق.

الرابع: أنَّ المسائل التي عمل فيها مالكٌ بعمل أهل المدينة عددها تسعون مسألة، ليس فيها مسألة السَّدْل، ولولا خوف الإطالة والإملال لذكرتها بتمامها، وقد ذكرها صديقنا العلَّامة السيِّد محمَّد علوي المالكيُّ في كتابه "فضل الموطأ".

الخامس: قال العلَّامة السنوسيُّ في كتابه "إيقاظ الوسنان": «وقد لهج المتأخِّرون مِن المالكيَّة بترجيح القول والرِّواية بمجرَّد وجودهما في "المُدَوَّنة" ولو خالف الكتاب والسُّنَّة الصحيحة المُجمَع علىٰ صحَّتها، كما في مسألة سَدْل اليدين في الصلاة، وردُّوا الأحاديث السالمة من المعارضة والنسخ وتركوها لأجل رواية ابن القاسم في "المُدَوَّنة" عن مالكٍ، مع أنَّ رواية القبض ثابتةٌ عن مالكٍ وأصحابه برواية ثقات أصحابه وغيرهم».اهـ

السادس: ترجيح متأخِّري المالكيَّة لرواية ابن القاسم في السَّدْل علىٰ رواية أصحاب مالكٍ عنه في سُنِّيَّة القبض مخالفٌ لما تقرَّر في علم الأصول والحديث، فإنَّ القاعدة المقرَّرة: «أنَّ الثقة إذا روىٰ ما يُخالف رواية الأوثق منه أو أكثر عددًا، كانت روايته شاذَّةً ضعيفةً»، فرواية ابن القاسم بحكم هذه القاعدة مردودةٌ.

قال ابن عبد البر: «وروىٰ أشهب عن مالكٍ: لا بأس بالقبض في النافلة والفريضة، وكذا قال أصحاب مالكٍ المدنيُّون، وروىٰ مطرف وابن الماجشون أنَّ مالكًا استحسنه».

وقال أيضًا: «لم يأتِ فيه عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم خلافٌ، وهو قول جمهور الصحابة والتابعين، وهو الذي ذكره مالكٌ في "الموطأ"، ولم يحكِ ابن المنذر وغيره عن مالكٍ غيره».اهـ، فأين عمل أهل المدينة؟!

الدَّعوى الخامسة

تضعيف حديث "الصحيحين" في القبض

وهي باطلةٌ جدًّا:

أمَّا أولًا: فإنَّ الطعن في حديث "الصحيحين" خرقٌ للإجماع، وخرق الإجماع حرامٌ، يعصي فاعله ومرتكبه، قال الإمام النوويُّ في "شرح مسلم": «اتفق العلماء على أنَّ أصحَّ الكتب بعد القرآن العزيز، "الصحيحان" للبخاريِّ ومسلمٍ، وتلقَّتهما الأُمَّة بالقبول».اهـ

ومثله في "اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم" لابن تيمية، و"عمدة القاري في شرح البخاري" للعينيِّ، و"إرشاد الساري في شرح البخاري" للقسطلانيِّ، وقال الحافظ العراقيُّ في "الألفية":

وَأَرْفَعُ الصَّحِيحِ مَرْوِيُّهُمَا ... ثُمَّ البُخَارِيُّ فَمُسْلِمٌ، فَمَا
شَرْطَهُمَا حَوَى، فَشَرْطُ الجُعْفِي ... فَمُسْلِمٌ فَشَرْطُ غَيْرٍ يَكْفِي

وأمَّا ثانيًا: فإنَّ تضعيف حديث القبض في "البخاري"، تضعيفٌ للموطأ؛ لأنَّ البخاريَّ روى الحديث من طريق مالكٍ، وهو في "الموطأ"، وكتاب "الموطأ" عظيم القدر تلقَّته الأُمَّة بالقبول، قال الإمام الشافعيُّ: «ما على ظهر الأرض كتابٌ بعد كتاب الله أكثر صوابًا من كتاب مالكٍ».

وقال القاضي عياض: «لم يعتنِ العلماء مثل اعتنائهم بكتاب "الموطأ"»، وذكر ممَّا كتب عليه نحو تسعين كتابًا، فتضعيف حديثٍ رواه مالكٌ والبخاريُّ، وقاحةٌ كبيرةٌ مع كونها خَرْقًا للإجماع.

وأما ثالثًا: فإنَّ الإمام النوويَّ قال في "شرح البخاري": «ما ضعف من حديث "الصحيحين" مبنيٌّ على علل ليست بقادِحَةٍ».اهـ

وأمَّا رابعًا: فإنَّ لفظ حديث سهل بن سعدٍ في "البخاري" و"الموطأ": «كان الناس يُؤمَرون أن يضع الرَّجُل اليد اليُمْنَى على ذراعه اليُسْرَى في الصَّلاة»، قال أبو حازمٍ: «لا أعلمه إلَّا ينمى ذلك إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم».

قال الحافظ: «هذا حكمه الرفع؛ لأنه محمولٌ على أنَّ الآمِر هو النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، واعترض الدانيُّ في "أطراف الموطَّأ" فقال: «هذا معلولٌ؛ لأنه ظنٌّ مِن أبي حازمٍ».

ورُدَّ بأنَّ أبا حازمٍ لو لم يقل: «لا أعلمه...» إلى آخِره، لكان في حكم المرفوع؛ لأن قول الصحابيِّ: «كنَّا نُؤمَر بكذا» يصرف بظاهره إلى من له الأمر، وهو النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؛ لأن الصحابيَّ في مقام تعريف الشرع، فيحمل على من صدر عنه الشرع.

ومثله قول عائشة: «كنا نُؤمَر بقضاء الصوم»، فإنه محمولٌ على أنَّ الآمِر بذلك هو النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

وأطلق البيهقيُّ أنه لا خلاف في ذلك بين أهل النقل، وقد ورد في "سنن أبي داود" و"النَّسائيِّ" و"صحيح ابن السكن" شيءٌ يُستأنس به على تعيين الآمر والمأمور.

فروي عن ابن مسعودٍ قال: رآني النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم واضعًا يدي اليسرىٰ علىٰ يدي اليمنىٰ، فنزعها ووضع اليمنىٰ علىٰ اليسرىٰ.

قيل: لو كان مرفوعًا ما احتاج أبو حازمٍ إلىٰ قوله: «لا أعلم...» إلخ.

والجواب: أنه أراد الانتقال إلىٰ التصريح، فالأول لا يقال له: مرفوعٌ، وإنما يقال له: في حكم الرفع».اهـ كلام الحافظ ابن حجرٍ.

قلت: تعليل الداني للحديث بأنه موقوفٌ غفلةٌ منه؛ لأنَّ قواعد مالكٍ التي بنىٰ عليها مذهبه: «أنَّ قول الصحابيِّ حُجَّةٌ»، وهو مذهب أبي حنيفة أيضًا، فالحُجَّة بقول سهل بن سعدٍ ثابتةٌ علىٰ الاحتمالين.

وأمَّا خامسًا: ففي "صحيح مسلم" عن وائل بن حجرٍ: «أنه رأىٰ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حين دخل في الصلاة كَبَّر، ثُمَّ التحف بثوبه، ثُمَّ وضع يده اليمنىٰ علىٰ اليسرىٰ» الحديث.

ضعَّفه الخضر الشنقيطيُّ -وهو أشد المتعصِّبين للسَّدْل تعنتًا- بأنَّ العلماء ذكروا أنَّ في "صحيح مسلم" أربعة عشر حديثًا، فلعلَّ هذا الحديث منها.

قلت: هذا تضعيفٌ بالترجِّي، ولم يصح ترجِّيه؛ من جهة أن تلك الأحاديث أجاب عنها الحُفَّاظ، وبيَّنوا اتصالها وسلامتها من الانقطاع.

ومن جهة أنَّ الإمام النوويَّ والسيوطيَّ وغيرهما عدُّوا تلك الأحاديث واحدًا واحدًا وليس فيها حديث وائل المذكور.

ومن جهة أنَّ ابن خزيمة روىٰ في "صحيحه" من غير طريق مسلمٍ عن وائل بن حجرٍ، قال: «صلَّيت مع رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فوضع يده اليمنىٰ علىٰ يده اليسرىٰ علىٰ صدره»، فذهب تضعيفه هباءً منثورًا.

الدعوى السادسة

ذمُّ القبض بكونه من فعل بني إسرائيل

ذكر صاحب "الرحلة المراكشية" حديثًا عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال فيه: «**كأنِّي أنظر إلى أحبار بني إسرائيل واضِعِي أيمانهم على شمائلهم في الصَّلاة**»، وادَّعى أنه ذمٌّ للقبض بكونه من فعل بني إسرائيل.

قلت: هذا الحديث رواه ابن أبي شيبة في "المصنف" قال: حدَّثنا وكيعٌ، عن يوسف بن ميمون، عن الحسن مرسلًا، فهو حديثٌ ضعيفٌ، ورده بما ذكر وقاحةٌ شديدةٌ، لا سيِّما من شخصٍ يدعي نُصْرة السُّنَّة ويدعو إلى العمل بها.

فالحديث المذكور بيان لاتفاق شرائع الأنبياء في القبض.

روى ابن أبي شيبة عن أبي الدرداء قال: «مِن أخلاق النبيين وضع اليمنى على الشمال في الصَّلاة، وأحبار بني إسرائيل أتباع موسى ومن بعده من الأنبياء».

وذكر القرطبيُّ وغيره: «أنه إذا بلغنا شرع من قبلنا على لسان الرسول أو لسان من أسلم كعبد الله بن سلامٍ ولم يكن منسوخًا ولا مخصوصًا فهو شرعٌ لنا، وهو المقرَّر عند المالكيَّة».

الدعوى السابعة

تضعيف أثر عبدالكريم بن أبي المخارق

روى مالكٌ، عن عبد الكريم بن أبي المُخارِق البصريِّ: أنه قال: «مِن كلام النبوة: إذا لم تَسْتَحْ فافعل ما شِئتَ، ووضع اليدين إحداهما على الأخرى، وتعجيل الفِطْر، والاسْتِيناء بالسَّحُور»، قالوا: هذا الأثر ضعيفٌ وعبد الكريم ابن أبي المُخارق متروكٌ.

قلت: ثبتت شواهد تقويِّه وتؤيِّد معناه.

ففي "صحيح البخاري" عن أبي مسعودٍ، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ ممَّا أدرك الناس مِن كلام النبوة الأولى: إذا لم تَسْتَحْ فافعل ما شِئتَ**».

وروىٰ الطبرانيُّ بسندٍ صحيحٍ عن ابن عبَّاسٍ: سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**إنَّا معاشر الأنبياء أُمِرنا بتعجيل فِطْرنا، وتأخير سَحُورِنا، وأن نضع أيماننا على شمائلنا في الصَّلاة**».

وروىٰ الطبرانيُّ عن أبي الدرداء، وابن عبد البر عن أبي هريرة رفعه: «**ثلاثٌ من أخلاق النبوة: تعجيل الإفطار، وتأخير السَّحُور، ووضع اليمين على الشمائل في الصَّلاة**». ورواه سعيد بن منصور عن عائشة.

وروىٰ الطبرانيُّ عن يعلىٰ بن مرة، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ثلاثٌ يُحبُّها الله عزَّ وجلَّ: تعجيل الإفطار، وتأخير السَّحُور، وضرب اليدين إحداهما على الأخرى في الصَّلاة**».

الدعوى الثامنة

السَّادِل يشبه الميت، وهو أقوى في تحقيق الخشوع

وهذه حكمةٌ مَيِّتةٌ لا رواج لها في الميدان العلميِّ، وإليكم حِكْمة مشروعية القبض علىٰ لسان العلماء:

قال القاضي أبو بكر بن العربي في "شرح الترمذي": «والحكمة فيه –أي: القبض– عند علماء المعاني: الوقوف بهيئة الذِّلَّة والاستكانة بين يدي ربِّ العِزَّة ذي الجلال والإكرام، كأنه إذا جمع يديه يقول: لا دفع ولا منع ولا حول أدَّعِي

ولا قوَّة، وها أنا في موقف الذِّلَّة، فأسبغ عليَّ فائض الرحمة».اهـ

وقال الإمام الرازيُّ في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]: رُوي عن عليِّ بن أبي طالبٍ أنه فسَّر هذا النحر بوضع اليدين علىٰ النَّحْر في الصلاة، وقال: «رفع اليدين قبل الصلاة عادة المستجير العائذ، ووضعهما علىٰ النَّحْر عادة الخاضع الخاشع».

قلت: روىٰ ابن أبي شيبة، والبخاريُّ في "التاريخ"، والحاكم، والبيهقيُّ في "السنن" عن عليِّ بن أبي طالبٍ في قوله تعالىٰ ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢] قال: «وضع يده اليمنىٰ علىٰ وسط ساعده اليسرىٰ، ثُمَّ وضعهما علىٰ صدره في الصلاة».

وقال الزرقانيُّ في "شرح الموطأ": «قال العلماء: الحكمة في هذه الهيئة أنها صفة السائل الذليل، وهو أمنع من العبث وأقرب إلىٰ الخشوع، ومن اللطائف قول بعضهم: القلب موضع النيَّة، والعادة أن من حرص علىٰ حفظ شيءٍ جعل يديه عليه».اهـ، وهو عند الحافظ في "فتح الباري".

ونختم هذا الجزء بمسائل

المسألة الأولى

قال العلَّامة المُحدِّث السيِّد محمد بن جعفر الكتانيُّ في "نظم المتناثر من الحديث المتواتر": «أحاديث وضع اليدين إحداهما على الأخرى في الصلاة: عن سهل بن سعد الساعديِّ، ووائل بن حجرٍ الحضرميِّ، وعبد الله بن مسعودٍ، وعليِّ بن أبي طالبٍ، وهلب الطائيِّ، وابن الزبير، وأبي هريرة، وجابر بن عبدالله، والحارث بن غطيف الثماليِّ -ويقال: أنه غضيف بن الحارث، بالضاد المعجمة- وعمرو بن حريث المخزوميِّ، ويعلى بن مرة الثقفيِّ، وعبدالله بن عمر، وأبي الدرداء، وحذيفة، وعائشة، وابن عبَّاسٍ، وأنسٍ، وشداد بن شرحبيل، ومعاذ بن جبلٍ، وسفيان الثوريِّ عن غير واحد من الصحابة، ومرسل أبي أمية عبد الكريم بن أبي المُخارق، وطاووس، والحسن البصريِّ، وعطاء بن أبي رباح، وإبراهيم».اهـ

وكذا نصَّ الحافظ السيوطي على تواتر أحاديث القبض.

وقال الخضر الشنقيطي -المتعنِّت-: «والمدعى عندنا هو النسخ، لا أنه غير مرفوعٍ؛ لأنه وارد من طرقٍ عديدةٍ يحصل من مجموعها العلم برفعه».اهـ

وهذا اعترافٌ منه بتواتر حديث القبض؛ لأن حديث الآحاد لا يفيد العلم، ثُمَّ ناقض نفسه فقال: «مع أنَّا -معاشر المالكيَّة- لا نقول أنَّ القبض لم يثبت عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، بل نعترف بأنه ثبت عنه عليه الصلاة والسلام؛ لكثرة رواته عنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وإن كانت ضعيفة، ولكنا

نقول: أنه منسوخٌ بالإرسال».

فكيف يقول: «يحصل العلم من مجموعها برفعه»، ثُمَّ يقول: «وإن كانت ضعيفةً»؟ هذا تناقضٌ، والمبطل يتناقض.

ثُمَّ قال أيضًا: «إنَّ هذا النسخ ليس المراد به النسخ المتعارف عند أهل الأصول، الذي هو: "الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدِّم على وجه لولاه لكان ثابتًا مع تراخيه عنه".اهـ

وإنما المراد به نسخ الاجتهاد، وهو عبارة عن تضعيف المجتهد ما عارضه عنده معارض قوي في اجتهاده، وإن كان المضعف عنده صحيحًا في نفسه».اهـ

وهذا النسخ الاجتهادي باطلٌ أيضًا لأنه مبنيٌّ على أنَّ حديث صفة الصلاة الخالي عن ذكر القبض معارضًا للأحاديث المصرِّحة بالقبض، وهذا فهمٌ باطلٌ لأنه ليس بين الحديثين تعارضٌ، بل هما من قبيل المطلق والمقيَّد كما مَرَّ بيانه.

المسألة الثانية

قال القاضي عبد الوهاب: «رواية ابن القاسم عن مالكٍ -في التفرقة بين الفريضة والنافلة في وضع اليمنى على اليسرى- غير صحيحةٍ؛ لأن وضع اليمنى على اليسرى إنما اختلف هل هو من هيآت الصلاة أو لا؟ وليس فيه اعتمادٌ، فيفرَّق فيه بين الفريضة والنافلة».اهـ نقله الباجيُّ عنه.

ورواية ابن القاسم عليها اعتمد من ادَّعى النسخ الاجتهادي وغيره، وقد تبيَّن أنها غير صحيحةٍ، فما بُني عليها غير صحيحٍ بالضرورة، وبالله التوفيق.

المسألة الثالثة

سبق ذكر دعواهم: أنَّ السَّدْل هو الأصل، وبينَّا بطلانه فيما مرَّ.

ونبيِّن بطلانه هنا بطريقٍ آخَر، فنقول: الأصل عدم التكليف إطلاقًا، ثُمَّ جاءت الشريعة بالتكاليف الناقلة عن الأصل، وبنىٰ العلماء علىٰ ذلك أنه إذا تعارض خبران أحدهما مُقرِّر للأصل والآخر ناقل عنه يرجَّح الناقل.

قال الشوكاني في "إرشاد الفحول" -في الترجيح بحسب المدلول-: «وهو أنواع:

النوع الأول: أنه يقدَّم ما كان مُقرِّرًا للأصل والبراءة علىٰ ما كان ناقلًا، وقيل العكس، وإليه ذهب الجمهور، واختار الأول الفخر الرازيُّ والبيضاويُّ، والحقُّ ما ذهب إليه الجمهور».اهـ

وكذا في "جمع الجوامع" قال المحلِّيُّ: «لأن فيه زيادة علىٰ الأصل، وقال ابن عرفة: قول ابن الحاجب تُقدَّم الناقلة علىٰ المستصحبة هو قول مالكٍ في "المُدَوَّنة"».اهـ وقال ابن القيِّم: «لأن أحكام الشرع ناقلةٌ عما كانوا عليه».اهـ

فلو فرض أنَّ حديث صفة الصلاة مُقرِّرٌ للسَّدْل الذي هو الأصل، وجب تقديم حديث القبض عليه؛ لأنه ناقلٌ عنه، ومن جهة أخرىٰ: لو اعتبرنا حديث صفة الصلاة الساكت عن القبض نافيًا له، كان الحديث المصرِّح بالقبض مُثبتًا له، والمُثبَت مُقدَّمٌ علىٰ النافي كما تقرَّر في علم الأصول.

المسألة الرابعة

قال القادريُّ في ترجيح السَّدْل: «إنَّ القبض قد قيل بحرمته، بخلاف السَّدْل»، وهذا غِشٌّ وتدليسٌ، لجأ إليه لعِلْمه بأنه مبطلٌ، وإلَّا فهو يعلم أنَّ

أحدًا من أهل السُّنَّة لم يقل بذلك، وإنما قاله الروافض الإماميَّة، وهي فئةٌ ضالَّةٌ كما هو معلومٌ، واستدلُّوا فيما قالوه إلى حديثٍ موضوعٍ ذكره القاضي النعمان الشيعيُّ في كتاب "دعائم الإسلام"، جاء فيه: «لا تكفروا في الصَّلاة كتكفير اليهود»، وحملوها على القبض، وهذا خطأ منهم في فهم ما استدلوا به؛ لأن التكفير معناه انحناء الإنسان ويطأطئ رأسه قريبًا من الركوع.

وفي الحديث: لما ذهب عمرو بن أميَّة إلى النَّجَاشيِّ، رأى الحبشة يدخلون عليه من خوخة مكفرين -أي: راكعين- فولَّى ظهره ودخل، ونعوذ بالله من محاربة السُّنَّة إلى هذا الحدِّ الممقوت.

ونقول في نقيض ذلك: أنَّ الشوكانيَّ قال في "نيل الأوطار" بوجوب القبض، واحتجَّ له بأدلَّةٍ قويَّةٍ أصوليَّةٍ، ويراجع كلامه في(ص٤١٠ ج ٢ طبعة الحلبي الأخيرة)، فالسَّدْل على هذا القول حرامٌ؛ لأنه تَرْكٌ للواجب، بل ربُّما يكون مُبطِلًا للصلاة، وبالله التوفيق.

المسألة الخامسة

الأئمَّة الذين اعتبروا القبض من سنن الصَّلاة وهيآتها استنادًا إلى الأحاديث المتواترة، وهم أبو حنيفة، والشافعيُّ، وأحمد بن حنبلٍ شيخ الحفَّاظ، والثوريُّ، والطبريُّ، وابن حزمٍ، وابن عبد البر، وابن العربي، وغيرهم كثير، هل كان هؤلاء كلهم لا يعرفون ما في أحاديث القبض مِن ضعفٍ مزعومٍ، ونسخٍ موهومٍ، حتى جاء الخضر الشنقيطيُّ فعرف ما لم يعرفوه، وبيَّن ما جهلوه، مع أنه ليس من أهل الحديث في قبيلٍ ولا دبيرٍ؟!

فإلى الله المشتكى وإليه المصير.

المسألة السادسة

نقول لهؤلاء المُقلِّدة الذين جدوا في نُصْرة السَّدْل، وجهدوا في الدفاع عنه حتى خرجوا إلى حدِّ التعنُّت المذموم: أريحوا أنفسكم فكلامكم غير مسموعٍ وهذركم غير مقبولٍ؛ لسببٍ واضحٍ وإن خفي عليكم: أنكم مُقَلِّدة، ووظيفة المُقلِّد أخذ قول إمامه، وليس له أن يستدل ويُحاجِج ويرجِّح ويضعِّف، هذه وظيفة المجتهد، فإن فعلها المقلِّد مثلكم، كان غاصبًا لمنصب المجتهد.

والمقرَّر في آداب البحث والمناظرة -وهو علم الجدل-: أنَّ الغاصب لا يسمع قوله، فكلامكم أيها المقلِّدة مرفوضٌ جملةً وتفصيلًا.

المسألة السابعة

قال الشيخ عليش في "شرح مختصر خليل" -ممزوج كلامه مع المتن-: «وهل كراهته، أي القبض، في الفرض لقصد الاعتماد؟، أي الاستناد به، وهذا تأويل عبد الوهاب وهو المُعتمَد، فلو فعله للاقتداء بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أو لم يقصد شيئًا فلا يكره، ويجوز في النفل مطلقًا؛ لجواز الاعتماد فيه بلا عذرٍ».اهـ

فصرَّح باستحباب القبض إذا لم يقصد به الاعتماد، ثُمَّ انتكس في "فتاويه" فصرَّح بكراهة القبض وانتصر للسَّدْل ببعض الدعاوى التي مَرَّ بطلانها، وهذا منه موقفٌ مُزْرِي لا يليق بأهل الإنصاف.

وأخبرني أخي أبو الفيض رحمه الله عن سبب هذا الموقف منه: أنه كراهيَّة للعلَّامة الإمام السيِّد محمد بن علي السنوسيِّ الذي أظهر في جغبوب وطرابلس

الدعوة إلى السُّنَّة مع نشر الطريقة، فتحوَّل الناس إليه، وانصرفوا عن عائلة عليش التي كانت مشهورةٌ هناك بالتصوف، وانقطع ما كان يأتيه من تحفٍ وهدايا، فانتصاره لم يكن لله سامحه الله.

توفِّي السيِّد السنوسيُّ سنة ١٢٧٦هـ، والشيخ عليش سنة ١٣٠١هـ

الخاتمة

أخبرني أخي أيضًا: أنَّ بعض المغاربة المتعصِّبين للسَّدْل احتجَّ لكراهة القبض بقول الله تعالىٰ في صفة المنافقين: ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧].

وهذا استدلالٌ طريفٌ يصح أن يذكر في أخبار المُغفَّلين.

ومرة أخرىٰ قال لبعض المغاربة: السَّدْل لم يكن معروفًا عند السَّلَف، ولا ورَدَ عنهم، فكيف تقولون باستحبابه؟ فرد بحماسٍ: بل في "سنن أبي داود" حديث نهىٰ عن السَّدْل، فقال له أخي: فهو حُجَّةٌ عليك، لكن السَّدْل هنا معناه سَدْل الثوب، وأمَّا السَّدْل الذي هو خلاف القبض فاسمه عندهم: الإرسال، أو إرسال اليدين.

والحاصل: أنَّ المغاربة عَشِقُوا السَّدْل وهاموا به، حتىٰ قال قائلٌ منهم: لو قال لي النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: اقبض، لا أقبض، وهذا وهو يصلِّي وقد حَجَّ ويعمل أعمالًا خيريَّة، ولكنه الخذلان.

نسأل الله السلامة والعافية، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

تم تحريرًا في الخامس من شهر رمضان المعظم، سنة ١٤٠٧هـ

٩ - الرَّأيُ القَوِيمُ
في وُجُوبِ إتْمامِ المُسَافِرِ خَلْفَ المُقِيمِ

إذا كـان بَحْـثٌ في فُـرُوعِ شَريعَـةٍ فاحْـذَرْ مِـن التَّـأثيمِ والتَّضْـلِيلِ
إذْ كُـلُّ فَـرْعٍ لـيس يَبْلُـغُ رُتْبَـةً في الجَـزْمِ كالتَّوحِيـدِ والتَّنْزيـلِ
والفِقْـهُ عِلْـمٌ غَـامِضٌ وبُحُوثُـهُ تَحْتَـاجُ للتَّنْظِـيرِ والتَّعْلِيـلِ
فـإذا أَصَـبْتَ فأنـتَ جـدُّ مُوَفَّـق أو لا فـلا تَفْـزَعْ إلى التَّهْويـلِ
ودَعِ الغُلُـوَّ مـع الغُـرُورِ بجَانِـبٍ واجْـنَحْ لحُسْـنِ القَـوْلِ والتَّأويـلِ
لا شيءَ يَنْفَـعُ في العُلُـومِ كحُجَّـةٍ مَدْعُومَـةٍ بقَواعِـدٍ وأصُـولِ
واللهَ نرجُـو أن يُنِـيرَ عُقُولَنـا ويُنيلَنـا في الحَشْـرِ حُسْـنَ مَقِيـلِ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رافع الحقِّ وخافض الباطل، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّدٍ، سيِّد الأواخِر والأوائل، ورضي الله عن آله وأصحابه النُّجَباء الأمَاثِل، الذين كانوا ينصفون إذا اختلفوا فيما يعرض لهم من النَّوَازِل.

أمَّا بعد: فقد طلب مِنِّي بعض الأساتذة الأفاضل[1] أن أُحَرِّر الكلام في صلاة المُسافِر خَلْفَ المُقيم، وهي مسألةٌ حصل فيها لَغَطٌ وغَلَطٌ، وبالغ بعضهم حتى وصل بها إلى نهاية الشوط في الشَّطط، فأجبت طلبهم بتحرير هذه الرِّسالة التي سمَّيتها: **"الرأي القَويم في وجوب إتمام المُسافِر خَلْفَ المُقيم"**.

وسلكتُ فيها ما تعوَّدت في كتبي ومقالاتي من التمسُّك بالقواعد الأصوليَّة، ردًّا وقبولًا، وتفريعًا وتأصيلًا، فلا أقبل من الأقوال إلَّا ما حكمت بصحَّته تلك القواعد، ولا أرفض من الأدلَّة إلَّا ما هو عن منصب الحُجِّيَّة مُتقاعد، كشفت الحجاب عن وجه الصواب، وقدمت اللباب صافيًا لذوي الألباب، لا يشوبه شتمٌ أو سِباب، ولا يُشينه ذمٌّ للمخالف أو عاب.

فإنَّ مِن المُقرَّر المعلوم أنَّ الباحث -مستدلًّا أو معارضًا- إذا عفَّ لسانه، وحسن بيانه، ظهرت حُجَّته، وعَلَتْ رتبته، وسُمِعت كلمته، وحُمِدت في البحث طريقته.

---

(١) ممَّن يحضرون دروسي في علم الأصول، فهم الذين أثاروا هذا الموضوع لمناسبةٍ اقتضت إثارته أثناء الدرس، وطلبوا تحرير البحث فيه.

أمَّا أن يتمسَّك شخصٌ برأي شاذٍّ، ويُلزم الناس اتباعه، ويقذف مَن خالفه بسيئ القول وقبيح التعبير، فذاك أمرٌ خطيرٌ ووِزْرُه كبيرٌ.

نسأل اللهّ أن يلهمنا الرشد، ويوفِّقنا لاتِّباع الحقِّ، ويرزقنا سداد القول وصلاح العمل، إنَّه قريبٌ مجيبٌ.

مسألة

صلاة المُسافر ركعتان مقصورتان من أربع، والدليل على ذلك أمور:

أحدها: قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[النساء: ١٠١].

في الآية دليلٌ من وجوهٍ:

١- أنَّ القصر عبارة عن أن يُؤتَى ببعض الشيء، ويُقتصَر عليه، قال أبوزيدٍ، أحد أئمَّة اللُّغة: «قَصَرَ مِن صَلاتِهِ قَصْرًا: نَقَصَ مِن عَدَدِها». نقلَه أبوحَيَّان.

٢- أنَّ ﴿مِنَ﴾ في الآية للتبعيض، وهو نصٌّ في الاقتصار على بعض الصلاة.

٣- ثبت في "الصَّحيحين" أنَّ النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حين صَلَّى صلاةً رباعيَّة، وسلَّم فيها من اثنتين، سأله ذو اليدين: أقَصُرت الصَّلاة أم نسيت يا رسول الله؟ فقال: «**لَـمْ أَنْسَ ولَـمْ تُقْصَر**» الحديث. وهو يؤكِّد أنَّ قَصْر الصَّلاة نقصٌ من عددها.

٤- أنَّ الشَّارع أجاز للمريض أن يُصَلِّي قاعدًا ومُضطجعًا وعلى جنبٍ، يومئ بالركوع والسجود، ولم يُسَمِّ صلاته صلاة قَصْرٍ، بل خصَّ القصر بالمُسافِر، وما ذلك إلَّا لأنَّ القصر في عرف الشَّرع نقصٌ من عدد الركعات.

ثانيها: روى مسلمٌ والأربعة عن يعلى بن أميَّة، قال: قلت لعمر بن الخطَّاب: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

فقد أَمِن الناس؟! قال: عجبتُ ممَّا عَجِبتَ منه، فسألتُ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن ذلك، فقال: «**صَدَقَةٌ تَصَدَّقَ اللهُ بها عليكم، فاقْبَلُوا صَدَقَتَهُ**».

يؤخذ من الحديث أمورٌ:

١- أنَّ القَصْرَ في الآية معناه نقصٌ مِن عدد الرَّكعات، هكذا فهم يعلى وعمر، وهما صحابيَّان عربيَّان، وأقرَّ النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عمر على ما فهم، وبيَّنَ له أنَّ قصر الصلاة مع الأمن صَدَقَةٌ من الله تعالى.

٢- أنَّ الأصل في صلاة المسافر هو الإتمام، ولو كان فرضه ركعتين ابتداء، لم يتعجَّب يعلى ولا عمر من قصر المسافر مع الأمن.

قال الخطَّابيُّ: «في هذا الحديث حُجَّةٌ لمن ذهب إلى أنَّ الإتمام هو الأصل، ألا ترى أنهما قد تعجَّبَا من القَصْر مع عدم شرط الخوف، فلو كان أصل صلاة المسافر ركعتين لم يتعَجَّبا مِن ذلك. فدلَّ على أنَّ القَصْر إنَّما هو عن أصلٍ كاملٍ قد تقدَّمه، فحذف بعضه وأبقى بعضه».اهـ

وقال القاضي عياض: «هذا الحديث معارِضٌ لحديث عائشة، وأقوى منه في الحُجَّة؛ لأنه أخبر به نصًّا».اهـ

٣- أنَّهم كانوا يعملون بدليل الخطاب، ويعتبرونه حُجَّةً، وجواب النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بأنها صدقةٌ إقرارٌ للقول بذلك، لكن عارض هذا المفهوم صدقة الله، أو أنَّه خرج مخرج الغالب.

ثالثها: روى أحمد والأربعة عن أنس بن مالكٍ الكعبيِّ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ الله تعالى وَضَعَ عن المُسافِرِ الصَّوْمَ وشَطْرَ الصَّلاة**». حسَّنه الترمذيُّ، قال: «وفي الباب عن أبي أميَّة».

قلت: حديث أبي أميَّة رواه النَّسائيُّ مِن طريق يحيىٰ بن أبي كثيرٍ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوفٍ: حدَّثني عمرو بن أميَّة أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال له: «**إنَّ اللهَ قد وَضَعَ عن المُسافرِ الصِّيامَ ونِصْفَ الصَّلاة**».

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبلٍ: حدَّثنا موسىٰ بن إسماعيل، عن أبان العطَّار، عن يحيىٰ بن أبي كثيرٍ، عن أبي قِلابة، عن أبي أميَّة الضمري: أنه قدم علىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال له رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ألَا تَنْتَظِرُ الغداء؟**» فقال: إني صائمٌ. فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ اللهَ وَضَعَ عن المُسافِرِ الصِّيامَ وشَطْرَ الصَّلاةِ**».

وروىٰ الطبرانيُّ: عن زُرَارَةَ بن أوفىٰ، عن رجلٍ منهم: أنه دخل علىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وهو يأكلُ، فقال: «**هَلُمَّ**». فقال: إني صائمٌ. فقال: «**هَلُمَّ أُحَدِّثك؛ إنَّ اللهَ وَضَعَ عن المُسافِرِ الصِّيامَ وشَطْرَ الصَّلاةِ**».

«**وَضَعَ شَطْرَ الصَّلاةِ**»: حَطَّ نصفها، بعد أن كان إتمامها واجبًا علىٰ المسافر، كما حَطَّ عنه الصوم وقد كان واجبا أيضًا، وهذا حقيقة الوضع في اللغة.

يقال: وضع عن الدابة الحمل إذا حطَّه عنها. وفي الحديث: «**مَنْ أنظَرَ مُعْسِرًا أو وَضَعَ عنه أظلَّه اللهُ في ظِلِّه**». أي حَطَّ عنه بعض دينه.

أمَّا حَمْل «**وَضَعَ شَطْرَ الصَّلاةِ**» علىٰ معنىٰ رفعه ابتداء، كما قال صاحبُنا الشيخ محمد جاد الحق، ليوافق مذهبه الحنفي، فيبُطله أنه معنىٰ مجازيٌّ لا قرينة تدلُّ عليه، كيف وذكر الصوم يُعيِّن إرادة المعنىٰ الحقيقيِّ؟!.

ولا يجوز الجمع بين المعنيين في الحديث لوجهين:

١- امتناع الجمع بين الحقيقة والمجاز لتنافيهما.

٢- أنَّ الفعل مثبت، والفعل المثبت لا يَعمُّ، كما تقرَّر في الأصول، فهذه الأدلة[١] تفيد أنَّ صلاة المسافر مقصورةٌ من تمامٍ، ولا يوجد ما يعارضها إلَّا

---

(١) بقي دليل لم نذكره، وهو ما رواه إسحاق بن راهويه في "مسنده" قال: حدَّثنا بشر بن عمر الزهوانيُّ حدَّثني سليمان بن بلال: ثنا يحيى بن سعيد: حدَّثني أبو بكر بن عمرو بن حزمٍ، عن أبي مسعودٍ الأنصاريِّ قال: جاء جبريل إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: قُمْ فصَلِّ. وذلك لدلوك الشمس حين مالت، فقام رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فصلَّى الظهر أربعًا. ثُمَّ أتاه حين كان ظِلُّه مثله، فقال: قُمْ فصَلِّ. فقام فصَلَّى العصر أربعًا. ثُمَّ أتاه حين غربت الشمس، فقال: قُمْ فصَلِّ. فقام فصَلَّى المغرب ثلاثًا. ثُمَّ أتاه حين غاب الشَّفَق، فقال: قُمْ فصَلِّ. فقام فصَلَّى العشاء أربعًا. ثُمَّ أتاه حين برق الفجر، فقال: قُمْ فصَلِّ. فقام فصَلَّى الصبح ركعتين.

ثُمَّ أتاه من الغد حين كان ظِلُّه مثله، فقال: قُمْ فصَلِّ. فقام فصَلَّى الظهر أربعًا. ثُمَّ أتاه حين كان ظِلُّه مِثْلَيه، فقال: قُمْ فصَلِّ. فقام فصَلَّى العصر أربعًا. ثُمَّ أتاه للوقت الأول حين غربت الشمس، فقال: قُمْ فصَلِّ. فقام فصَلَّى المغرب ثلاثًا. ثُمَّ أتاه بعدما غاب الشَّفَق وأظلم، فقال: قُمْ فصَلِّ. فقام فصَلَّى العشاء الآخرة أربعًا. ثُمَّ أتاه حين طلع الفجر وأسْفَر، فقال: قُمْ فصَلِّ. فقام فصَلَّى الصبح ركعتين. ثُمَّ قال جبريل: ما بين هذين وقت صلاةٍ.

وهكذا رواه الباغنديُّ في "مسند عمر بن عبد العزيز"، والبيهقيُّ في "السنن"، وإسناده صحيحٌ على شرط الشيخين إلَّا أن فيه انقطاعًا.

قال البيهقيُّ: «لم يسمع أبو بكرٍ من أبي مسعودٍ».اهـ

لكن وصله الباغنديُّ في المسند المذكور، والبيهقيُّ في "المعرفة" من طريق أيوب بن عتبة قاضي اليمامة: ثنا أبو بكر بن عمرو بن حزمٍ، عن عروة بن الزبير، عن ابن أبي مسعودٍ، عن أبيه.

واسم ابن أبي مسعودٍ: بشير كما جاء مصرحًا به في "مسند الباغندي"، وهو -كما قال الحافظ- تابعيٌّ جليلٌ، ذكر في الصحابة لكونه ولد في عهد النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ورآه.

قال البيهقيُّ: «أيوب بن عتبة ليس بالقويِّ».اهـ

فالحديث بمجموع الطريقين يكون حُجَّةً كما تقرَّر في علم الحديث والأصول.

ودعوىٰ مخالفته لقول عائشة في "الصحيحين" مردودةٌ بأنه موافقٌ للآية؛ ولحديث يعلىٰ، وعمرو بن أميَّة، علىٰ أنَّ قول عائشة -مع صحة سنده- متنٌ شاذٌّ؛ لمخالفته القرآن والأخبار المتواترة والأصول المعقولة، كما يأتي في كلام ابن العربي.

ثُمَّ وجدت حديثًا آخر أخرجه الدارقطني في "سننه" من طريق أبي حمزة إدريس بن يونس الفراء، عن محمد بن سعيد بن جدار الخزَّاز، عن جرير بن حازمٍ، عن قتادة، عن أنسٍ: أنَّ جبريل أتىٰ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بمكَّة حين زالت الشمس، فأمره أن يؤذِّن للناس بالصَّلاة حين فرضت عليهم، فقام جبريل أمام النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وقام الناس خَلْفَ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فصَلَّىٰ أربع ركعاتٍ لا يجهر فيها بالقراءة، يأتمُّ الناسُ برسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، ورسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يأتمُّ بجبريل. ثُمَّ أَمْهَل حتىٰ دخل وقت العصر، فصَلَّ بهم أربع ركعاتٍ، لا يجهر فيها بالقراءة، يأتمُّ المسلمون برسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، ويأتمُّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بجبريل. ثُمَّ أَمْهَل حتَّىٰ وجبت الشمس، فصَلَّىٰ بهم ثلاث ركعاتٍ، يجهر في ركعتين بالقراءة، ولا يجهر في الثالثة. ثُمَّ أَمْهَلَهُ حتَّىٰ إذا ذهب ثلث الليل، صَلَّىٰ بهم أربع ركعاتٍ، يجهر في الأُولَيَيْنِ بالقراءة ولا يجهر في الأُخْرَيَيْنِ بها. ثُمَّ أَمْهَل حتىٰ إذا طلع الفجر، صَلَّىٰ بهم ركعتين، يجهر فيهما بالقراءة.

أبو حمزة وشيخه لا يعرف حالهما، كما قال ابن القطَّان.

ثلاثةُ آثارٍ:

١- قول عائشة: فُرِضت الصَّلاةُ ركعتين ركعتين، فأُقِرَّت صلاة السَّفر، وأُتمَّت صلاة الحَضَر[(١)].

٢- قول عمر: صلاة السَّفَر ركعتان، وصلاة الأضحىٰ ركعتان، وصلاة الفطر ركعتان، وصلاة الجمعة ركعتان، تمامٌ من غير قَصْرٍ، علىٰ لسانِ محمَّد صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

٣- قول ابن عبَّاسٍ: إنَّ الله عزَّ وجلَّ فرض الصَّلاة علىٰ لسان نبيِّكم علىٰ المسافر ركعتين، وعلىٰ المقيم أربعًا، والخوف ركعة[(٢)].

والجواب عن هذه الآثار بأحد مَسْلَكين:

١- **ترجيح تلك الأدلَّة**؛ لأنها تشتمل علىٰ آيةٍ، وأحاديث مرفوعةٍ نصًّا

وقال أبو داود في "المراسيل": حدَّثنا ابن المثنَّىٰ: ثنا ابن أبي عديٍّ، عن سعيدٍ، عن قتادة، عن الحسن به. قال عبد الحق في "أحكامه": «مرسل الحسن أصح».

قلت: إسناده صحيحٌ، والقاعدة عند المحدِّثين والأصوليين أنَّ المرسل إذا انضمَّ إليه حديثٌ موصولٌ ضعيفٌ -كما هنا- يصير حُجَّةً بلا خلاف.

(١) سيأتي بيان أن هذا القول صدر منها عن اجتهاد.

(٢) صلاة ركعة في الخوف ليست فرضًا عند من يقول بها، بل تجوز الزيادة عليها، فهذا الأثر الذي صرح بفرضيتها لا يخلو من أحد أمرين، إما أن نقول إنه لا يمنع الزيادة علىٰ ركعتين في السفر، كما لم يمنع الزيادة علىٰ ركعة في الخوف، وإما أن نعتبره شاذًا غير معمول به لأنه أخبر بفرضية أمر لم يخبر بها حديث عن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، ولا قال بها أحد من العلماء، فبطل الاحتجاج به من أصله.

بدون احتمالٍ، وغاية هذه الآثار أنها في حكم المرفوع، ولا شكَّ أنَّ المرفوع الصَّريح مُقدَّم على المرفوع الحكميِّ. وتقدَّم قول عياض في حديث يعلى: «إنَّه أقوى من حديث عائشةَ في الحُجَّة؛ لأنه أخبر به نصًّا».اهـ أي: وحديث عائشة أخبر حكمًا لا نصًّا، وهذا ميلٌ منه إلى مسلك الترجيح كما هو ظاهرٌ.

٢- مسلك الجمع، وهو الذي نميل إليه. قال الحافظ ابن حجرٍ في "فتح الباري": «والذي يظهر لي وبه تجتمع الأدلة السَّابقة أنَّ الصَّلوات فرضت ليلة الإسراء ركعتين ركعتين[1] إلَّا المغرب ثُمَّ زيدت عقب الهجرة إلَّا الصُّبح كما روى ابن خزيمة وابن حِبَّان والبيهقيُّ: من طريق الشَّعْبيِّ، عن مسروقٍ، عن عائشة قالت: «فُرِضت صلاة الحَضَر والسَّفَر ركعتين ركعتين، فلما قَدِمَ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم المدينة واطمأنَّ، زِيد في صلاة الحَضَر ركعتان ركعتان، وتركت صلاة الفَجْر؛ لطول القراءة، وصلاة المغرب؛ لأنَّها وتر النهار».اهـ

ثُمَّ بعد أن استقرَّ فرض الرباعية، خُفِّف منها في السَّفَر، عند نزول الآية السَّابقة، وهي قوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ [النساء: ١٠١].

ويؤيِّد ذلك ما ذكره ابن الأثير في شرح "المسند": أنَّ قصر الصلاة كان في السنة الرابعة من الهجرة. وهو مأخوذٌ ممَّا ذكره غيره أن نزول آية الخوف كان فيها.

وقيل: «كان قصر الصلاة في ربيع الآخر، من السنة الثانية». حكاه الدُّولابيُّ، وأورده السهيليُّ بلفظ: «بعد الهجرة بعامٍ أو نحوه».

---

(١) تبيَّن ممَّا قدَّمناه أنها فُرِضت أربعًا فلا حاجة للجمع.

وقيل: «بعد الهجرة بأربعين يومًا». فعلىٰ هذا، المراد بقول عائشة: «فأُقِرَّت صلاة السَّفَر». أي باعتبار ما آل إليه الأمرُ من التَّخفيف، لا أنها استمرَّت منذ فرضت».اهـ كلام الحافظ.

وهو وجِيهٌ يتمشَّىٰ مع القواعد التي تقرَّر تأويل الضعيف ليوافق القوي فيؤوَّل الظاهر ليوافق النصَّ، ويؤوَّل الخفي ليوافق الواضح، ويؤوَّل المرفوع الحكمي ليوافق المرفوع الصَّريح(١).

أمَّا ما فعله بعض النَّاس من تأويل حديث يعلىٰ، وحديث أبي أميَّة، فقلبٌ للقواعد ناشئٌ عن جهلٍ بعلم الأصول(٢).

---

(١) ممَّا يوجب تأويل تلك الآثار أيضًا: إفادتها أنَّ صلاة السَّفَر أصلٌ لا مقصورة، وأنَّ صلاة الحَضَر هي الزائدة. وهذا مُخالِفٌ لنصِّ القرآن ﴿أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ [النساء: ١٠١] وإجماع المسلمين في تسميتها مقصورة، ومتىٰ خالف خبر الآحاد نصَّ القرآن أو إجماعًا؛ وجب ترك ظاهره. قاله النوويُّ في "المجموع"، وهذا وجهٌ من وجوه شذوذ قول عائشة.

(٢) وحكىٰ ابن العربي في "الأحكام" استدلال الحنفية علىٰ أنَّ صلاة السَّفَر عزيمةٌ بقول عائشة: «فرضت الصلاة ركعتين». ثُمَّ قال: «وقد تكلَّمنا علىٰ هذا الحديث، في شرح مسائل الخلاف والحديث وبيَّنا أنه خبرٌ واحدٌ، يُعارِضُه نصُّ القرآن والأخبار المتواترة؛ فإنَّ الله سبحانه جعل في كتابه القصر تخفيفًا والتمام أصلًا، ويعارض أيضًا الأصول المعقولة، فإنه جعل الإقامة في القرآن أصلًا، وهو الواجب، وقلبها الراوي في الحديث».اهـ

فأشار إلىٰ أنَّ قول عائشة شاذٌّ، حيث جعل القصر أصلًا والتمام زيادة، وهو خلاف

مسألة

قول عمر رضي الله عنه: «صلاة السَّفَر ركعتان». يقصد به الحديث الذي رواه ليعلى بن أميَّة؛ لأننا ندرك بالضَّرورة أنه لم يكن ليقول ذلك القول أولًا ثُمَّ يعجب من القصر مع الأمن، ويسأل عنه النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم. وقوله: تمامٌ من غير قصرٍ. يعني: أنَّ صلاة السَّفَر وإن كانت مقصورةً يُعطى صاحبها ثواب صلاةٍ تامَّةٍ؛ لئلَّا يتوهَّم أنها على النصف من صلاة المقيم في الثواب، قياسًا على ما جاء في حديث عائشة وابن عمر أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**صلاةُ القاعدِ على النِّصفِ مِن صلاةِ القائمِ**». يعني في صلاة النفل؛ لأن القادر على القيام يجوز له أن يتنفَّل قاعدًا، ويكون ثوابه نصف ثواب المتنفِّل قائمًا. فأراد عمر أن ينفي هذا التوهُّم بالنسبة لصلاة السَّفَر، فقال: «تمامٌ مِن غير قصرٍ».

ونظير هذا ما ثبت في "الصَّحيحين" وغيرهما في حديث الإسراء: أنَّ الله تعالى فرض خمسين صلاة، وردَّها إلى خمسٍ بسؤال النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وقال له: «**هُنَّ خَمْسٌ، وهُنَّ خَمْسُون**» أي: هنَّ خمسٌ في العدد، وخمسون في الثواب. فكذلك المسافر، صلاته ركعتان في العدد، وأربع في الثواب.

نصِّ القرآن. وأيضًا جعل القرآن الإقامة أصلًا، وبذلك جاءت الأخبار المتواترة والأصول المعقولة، فإنَّ من المعلوم بالبداهة أنَّ الإقامة هي الأصل، وأنَّ السَّفَر عارضٌ طارئٌ، وأنَّ ما شرع لأجله كالقَصْر والفِطْر والتيمُّم تخفيفٌ بلا شك، فجعله أصلًا شذوذٌ بَيِّنٌ.

ويؤيِّد أنَّ هذا مراد عمر قوله في صلاة الجمعة: «قصرت الصَّلاة لأجل الخطبة».

مسألة

صلاة السَّفَر رخصةٌ، سواء قلنا إنها واجبةٌ أو مندوبةٌ؛ لأنها شرعت لعُذْر السَّفَر[1]. وقد قَسَّمَ الأصوليون الرخصة إلى أربعة أنواع: واجبةٌ، ومندوبةٌ ومباحةٌ، ومكروهةٌ.

مثال الرخصة الواجبة: إساغة الغُصَّة بالخمر لمن لم يجد غيرها، وأكل الميتة للمضطرِّ المُشْرِف على الهلاك.

ومثال المندوبة: فِطْر مسافرٍ يشقُّ عليه الصوم من غير ضررٍ يلحقه.

ومثال المباحة: بيع السَّلَم.

ومثال المكروهة: فِطْر مسافرٍ لا يشقُّ عليه الصَّوم.

فإن قيل: كيف تكون الرخصة واجبةٌ مع أنَّ الوجوب فيه كلفةٌ ومشقَّةٌ؟ ولذا قيل في التكليف: إنه إلزام ما فيه كلفةٌ.

قلنا في الجواب: الواجب نوعان:

١- **واجب في حالة العزيمة**، وهو الذي فيه كلفةٌ ومشقَّةٌ، من حيث أنه جاء مخالفًا لغرض النفس، يحتم عليها فعل شيءٍ لم تتعوَّده، وذلك كإيجاب

---

(١) فينطبق عليها تعريف الرخصة، وهو: الحكم المتغيِّر إلى سهولةٍ لعُذْرٍ، مع قيام السبب للحكم الأصليِّ.

روى ابن مَرْدُويه بإسنادٍ لا بأس به عن أبي الوداك قال: سألت ابن عمر عن ركعتين في السَّفَر، فقال: هي رخصةٌ نزلت من السماء فإن شئتم فردوها.

الصَّلاة والصِّيام والزَّكاة والحجِّ والجهاد، ونحو ذلك من الواجبات العزائِم.

٢- **واجبٌ في حالة الرُّخصة**، وهو سهلٌ على النفس لموافقة غرضها وملاءمته لمصلحتها.

فالمغصوص يجب إساغة غصَّته بما يجده لديه من خمرٍ وغيرها. والمُشرف على الهلاك يرغب في دفع الهلاك عن نفْسه بما يتيسَّر له من ميتة خنزيرٍ أو كلبٍ، بله ميتة مباح الأكل، والمسافر يجد في الركعتين خِفَّةً على نفسه، وملاءمةً لحال سفره، فإيجاب هذه الأمور ونحوها تقبله النفس وتسرع إلى امتثاله.

والسِّرُّ في ذلك: أنَّ الواجب في العزيمة ينقل الشخص من حالة عدم التكليف، وهي التي تسمَّى بالبراءة الأصليَّة إلى حالة التكليف والإلزام.

والواجب في الرُّخصة، يرجع بالمكلِّف إلى حالة قبل التكليف، أو إلى ما يقرب منها.

مسألة

اقتداء المقيم بالمسافر

إذا اقتدى مقيمٌ بمسافرٍ في صلاة رباعيَّة، فيجب على المقيم بعد سلام الإمام أن يتمَّ صلاته، والدَّليل على ذلك أمور:

١- روى أحمد والطَّحاويُّ والبيهقيُّ: عن عمران بن حصينٍ قال: ما سافر رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم سفرًا إلَّا صلَّى ركعتين حتى يرجع، وإنه أقام بمكة زمن الفتح ثمان عشرة ليلة، يُصَلِّي بالناس ركعتين ركعتين، إلَّا المغرب، ثُمَّ يقول: «**يا أهل مكَّة قوموا فصلُّوا ركعتين أُخْرَيَيْنِ فإنَّا قومٌ سَفْرٌ**».

قال الحافظ ابن حجر: «حسَّنه الترمذيُّ لشواهده».

قلت: ويتأيَّد بما يأتي:

روىٰ مالكٌ في "الموطأ": عن الزهريِّ، عن سالم بن عبد الله، عن أبيه: أنَّ عمر بن الخطَّاب كان إذا قَدِمَ مكَّة، صلَّىٰ بهم ركعتين، ثُمَّ يقول: «يا أهل مكَّة أتمُّوا صلاتكم فإنَّا قومٌ سَفْرٌ».

وروىٰ أيضًا: عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر بن الخطَّاب مثله.

وروىٰ عبد الرزَّاق، عن مَعْمَرٍ، عن الزهريِّ قال: دخل عبد الله بن عمر علىٰ رجلٍ من أهل مكَّة يعوده، فحضرت الصلاة فصَلَّىٰ بهم ابن عمر ركعتين، ثُمَّ التفتَ إليهم، فقال: «أتمُّوا».

وروىٰ مالكٌ، عن الزهريِّ، عن صفوان بن عبد الله قال: جاء عبد الله بن عمر يعود عبد الله بن صفوان، فصَلَّىٰ لنا ركعتين ثُمَّ انصرف، فقمنا وأتممنا.

وروىٰ عبد الرزَّاق، عن مَعْمَرٍ، عن الزهريِّ، أنَّ ابن عمر قَدِمَ مكَّة، فأتاه ناسٌ في منزله، فحضرت الصلاة، فأمَّهم، فلمَّا سَلَّم، قال: «أتمُّوا».

٢- **الإجماع**، حكاه صاحب "البحر الزَّخار".

٣- **القياسُ**، وذلك أنَّ المقيم بعد سلام إمامه المُسافر؛ بقي من صلاته بقيَّة، فوجب عليه إتمامها كالمسبوق.

مسألة: اقتداء المسافر بالمقيم

أمَّا اقتداء مسافرٍ بمقيم فهذه مسألةٌ قصر فيها ابن حزمٍ، وأخطأ في فهم بعض الآثار التي نقلها، وقلَّده ناقلو كلامه بدون تمحيصٍ.

ونحن نُحَرِّرها بحول الله تحريرًا بالغًا لا تجده في غير هذه الرسالة التي كتبناها؛ لبيان الأوهام التي وقع فيها الكاتبون في هذا الموضوع، وإليك

التَّفصيل:

ذهب الهادي والقاسم وأبو طالبٍ وأبو العباس من أئمَّة أهل اللغة، وطاوس، والشَّعْبيُّ، وداود فيما حكاه الشَّوكانيُّ؛ إلى أنَّ اقتداء المسافر بالمقيم لا يصحُّ؛ لقول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لا تَخْتَلِفُوا على إمامِكم**». وقد خالفَ المُقتدي إمامَه في العدد والنيَّة مخالفةً تقتضي أن يخرج من الصلاة قبل الإمام.

وخصَّصَ الهادوية عدم صحَّة صلاة المسافر خلف المقيم بالركعتين الأوليين من الرباعية، وقالوا بصحَّتها في الركعتين الأخيرتين، ويَشْهدُ لهم ما رواه ابن حزمٍ: من طريق عبد الرَّزاق، عن عبد الرحمن بن تميم بن حذلم، قال: كان أبي إذا أدرك من صلاة المقيم ركعة وهو مسافرٌ صلَّى إليها أخرى، وإذا أدرك ركعتيْنِ اجتزأ بهما.

وروى عبد الرَّزاقِ: عن سليمان التيمي، قال: سمعت طاوسًا وسألته عن مسافرٍ أدرك من صلاة المقيمين ركعتين، فقال: تجزئانه.

وروى أيضًا: عن الشَّعْبيِّ قال: إذا كان مسافرًا فأدركَ من صلاة المقيم ركعتين، اعتدَّ بهما.

وهكذا حكى النوويُّ في "المجموع" هذا القول عن طاوس والشَّعْبيِّ وتميم بن حذلم.

وذهب الجمهور من الصحابة والتابعين وغيرهم إلى صحَّة اقتداء المسافر بالمقيم لعموم أدلَّة الجماعة.

قالوا: ويجب عليه متابعة الإمام في الإتمام.

لكن بم يلزمه الإتمام؟ فقيل: إذا أدرك جزءًا من الصَّلاة أتمَّ، سواء أكان

ركعة أمَّ دونها.

روى ابن أبي شيبة: من طريق حفصٍ، عن ليثٍ، عن مجاهدٍ، عن ابن عبَّاسٍ قال: «إذا دخل المسافر في صلاة المقيمين صلَّى بصلاتِهم».

وروى أيضًا عن ابن مسعودٍ مثلَه.

وفي "الموطأ" و"صحيح مسلم": عن نافعٍ: أنَّ ابن عمر كان إذا صلَّى مع الإمام صلى أربعًا، وإذا صلَّى وحده صلَّى ركعتيْنِ.

وروى عبد الرزَّاق: عن أبي حنيفة، عن حمَّاد، عن إبراهيم قال: إذا دخلت مع قومٍ فصَلِّ بصلاتهم.

وروى ابن أبي شيبة، عن جريرٍ، عن مغيرة، عن إبراهيم وعطاء، عن سعيد بن جُبيرٍ قال: «إذا دخل المسافر في صلاة المقيمين صَلَّى بصلاتهم».

وروى عبد الرزَّاق، عن مَعْمَرٍ والثوريِّ قالا: إذا أدركهم جلوسًا صَلَّى بصلاتهم.

وهذا القول حكاه ابن المنذر عن ابن عبَّاسٍ، وابن عمر، وجماعةٍ من التَّابعين، والثَّوريِّ، والأوزاعيِّ، وأحمد، وأبي ثورٍ، وأصحاب الرأي، يعني الحنفيَّة.

وقيل: إذا أدرك ركعةً لزمه الإتمام، وإن أدرك أقل من ركعة فله القصر.

روى عبد الرزاق، عن هشام بن حسان، عن الحسن في مسافرٍ أدرك ركعةً من صلاة المقيمينَ في الظُّهر، قال: يزيد إليها ثلاثًا، وإن أدركهم جلوسًا صلَّى ركعتين.

وروى عبد الرزَّاق، عن مَعْمَرٍ، عن الزُّهريِّ وقتادة في مسافرٍ يدرك من صلاة المقيمين ركعةً، قالا: يُصَلِّي بصلاتهم، فإن أدركهم جلوسًا صلَّى ركعتيْنِ.

وروىٰ أيضًا عن مَعْمَرٍ، عن رجلٍ، عن عكرمة مثل قولهما.

وروىٰ ابن أبي شيبة مثله أيضًا عن عطاء ومكحول.

وروىٰ عبد الرزَّاق، عن مَعْمَرٍ، عن منصور، عن إبراهيم، وعن عمرو، عن الحسن قالا: «إذا أدركهم جلوسًا صلَّىٰ ركعتينِ». وهذا قول مالكٍ أيضًا.

أمَّا ما رواه عبد الرزَّاق، عن مَعْمَرٍ، والثوريِّ: قال سليمان التيميُّ: عن أبي مِجْلَزٍ قال: قلتُ لابن عمر: أدركت ركعةً من صلاة المقيمين وأنا مسافرٌ. قال: «صَلِّ بصلاتهم». فيقتضي أنه قائلٌ بهذا القول أيضًا، لكنَّ المنقول عنه في كتب الخلاف أنه قائلٌ بالقول الأول كما سبق. ويظهرُ أنَّهم أخذوه من قول نافعٍ: «كان إذا صَلَّىٰ مع الإمام صَلَّىٰ أربعًا». لأن الفعل في سياق الشرط، فيعم ما إذا أدرك مع الإمام ركعةً وأقل. ويكون جوابه لأبي مِجْلَزٍ علىٰ وفق سؤاله، فلا يفيدُ أنَّ ما دون الركعة يخالفُها.

وقال إسحاق بن راهويه: إذا اقتدَىٰ مسافرٌ بمقيمٍ فله القصر علىٰ كلِّ حالٍ، فإذا فرغت صلاة المأموم تشهَّد وحده وسَلَّم، وقامَ الإمام إلىٰ باقي صلاتِه. حكاه النَّوويُ في "المجموع".

وقال ابن حزمٍ في "المحلَّىٰ": قصر المسافر خَلْفَ المقيم واجبٌ.

وقد أحسَّ أنه تفرَّد بهذا القول من بين سائر العلماء من عهد الصحابة إلىٰ وقته، فماذا صَنع؟

أولًا: أضرب عن ذكر الآثار التي أوردناها، مع أنها موجودةٌ في "مصنف عبد الرَّزاق" و"مصنف ابن أبي شيبة"، ليوهم القاصرين أنَّ قوله لا يوجد ما يخالفه عن أحدٍ من الصحابة والتابعين، وهذا إيهام قَبيحٌ.

ثانيًا: أورد من "مصنف عبد الرزاق" أربعة آثارٍ فقط، ظنَّها توافق قوله، وأخطأ في ظنِّه؛ لأنه لم يفهمها، وهي: أثر ابن عمر، وتميم بن حَذْلَمٍ، وطاوس، والشَّعْبيِّ.

أمَّا أثر ابن عمر فسيأتي الكلام عليه بحول الله تعالى، وأمَّا أثر تميم بن حَذْلَمٍ ومن معه فهو موافقٌ لمذهب الهادوية، وفي "المجموع للنَّووي" -أثناء حكاية المذاهب- ما نصُّه: «وقال طاوس والشَّعْبيُّ وتميم بن حَذْلَمٍ: إن أدرك ركعتين معه أجزأتاه».اهـ

(تنبيه): نقلنا فيما تقدَّم عن الشَّوكانيِّ أنَّ طاوسًا والشَّعْبيَّ وداود يقولون بعدم صحَّة اقتداء المسافر بالمقيم، لكن وجدت النوويَّ نقل في "المجموع" عن الشيخ أبي حامد أنه حكى عنهم مثل قول إسحاق بن راهويه، ولم نجد عن طاوس والشَّعْبيِّ إلَّا القول المروي عنهما في "مصنَّف عبد الرزاق". وداود الظاهري يجوز أن يكون له قولان في المسألة، واللهُ أعلم.

أدلةُ الفريقين

دليل القائلين بعدم الصحة حديث: «**لا تختلفوا على إمامِكم**» كما سبق، وهو حديثٌ صحيحٌ كما سيأتي، والمسافر المؤتمُّ بالمقيم يخالفُ الإمام في العدد والنِّيَّة، فتكون صلاته باطلة مع المخالفة؛ لأن النَّهي يقتضي الفساد.

ودليل القائلينَ بالصِّحة عموم الأدلة الحاضَّة على الجماعة.

واستدلوا لوجوب الإتمام، بما يأتي:

١- ما ثبت في "الصحيحين" عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّما جُعل الإمامُ ليؤتَمَّ به، فلا تَخْتَلِفُوا عليه، فإذا كَبَّر فكَبِّروا، وإذا رَكَعَ فاركَعُوا، وإذا قال: سَمِعَ الله لمن حمده، فقولُوا: اللَّهمَّ ربَّنا لك الحمد، وإذا سَجَدَ فاسْجُدوا، وإذا صلَّى قاعدًا فصَلُّوا قُعُودًا أجمعينَ**».

وفي "صحيح مسلم" عن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أيُّها النَّاس إنِّي إمامُكم فلا تَسْبُقُوني بالرُّكوع ولا بالسُّجود ولا بالقيام ولا بالقُعود ولا بالانصرافِ**».

وللحديث طرقٌ عن عائشة عند الشيخين وأبي داود وابن ماجه.

وعن جابرٍ عند مسلمٍ والأربعة إلَّا الترمذي.

وعن أُسَيد بن حُضَير عند أبي داود.

وعن أبي موسى عند ابن ماجه.

وعن معاوية عند ابن ماجه وابن حِبَّان.

وعن ابن عمر عند أحمد والطَّبرانيِّ.

وعن قيس بن قهد -بالقاف- عند عبد الرَّزاق.

وعن أبي أُمامة عند الطبرانيِّ.

وعن سَمُرة عند البزَّار والطَّبرانيِّ.

وعن جُبير بن مُطْعِم عند الطبرانيِّ.

فهذا الحديث -وهو متواترٌ- يفيد وجوب الإتمام من جهتين: أمرٍ بمتابعة الإمام، ونهيٍ عن مخالفته.

والمسافر خلف المقيم إن سلَّم من اثنتين خالف إمامه. وإن جلس بعد التَّشهد الأول ينتظرُه حتىٰ يسلِّم معه، خالفه أيضًا. فكانت صلاتُه في الحالين باطلة؛ لأن النَّهي يقتضي الفساد، فوجب عليه أن يتمَّ الصلاة لمتابعة الإمام.

٢- روىٰ مسلمٌ عن موسىٰ بن سلمة الهذليِّ، قال: سألتُ ابن عبَّاسٍ: كيف أصلِّي إذا كنت بمكَّة إذا لم أصَلِّ مع الإمام؟ فقال: ركعتين، سُنَّة أبي القاسم صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

قال القاضي عياض: «مفهومه أنَّ الإمام إذا أتمَّ يُتمُّ معه. وهو مذهب الكافَّة».اهـ

وقد جاء هذا المفهوم مُصرَّحًا به في "مسند أحمد" عن موسىٰ بن سلمة، قال: كنَّا مع ابن عبَّاسٍ بمكَّة، فقلت: إنا إذا كنَّا معكم صَلَّينا أربعًا، وإذا رجعنا إلىٰ رحالنا صَلَّينا ركعتين. قال: تلك سُنَّةُ أبي القاسم.

فهذه الرِّواية توضِّحُ رواية مسلمٍ وتفصح بمفهومها، ليس فيها زيادة علىٰ ذلك. وقد ذكرها الحافظ في "التلخيص الحبير"، ولم يضعِّفْها بشيءٍ، بل قوَّاها بقوله: «وأصله في "صحيح مسلم" والنَّسائيِّ». وأورد لفظ مسلمٍ، وهذا في

صناعة أهل التَّخريج إشارةٌ إلىٰ تقوية الحديث وتأييدِه.

٣- **القياس**، وهو أنَّ المؤتمَّ يجبُ عليه نيَّة الاقتداء، فإذا نَوىٰ المسافر الائتمام بمقيم، فقد ربط به صلاته، فوجب عليه الإتمام، كما لو نوىٰ الإقامةَ في الصَّلاة.

ودليل من قيَّد وجوب الإتمام بإدراك ركعةٍ لا أقل منها: حديث أبي هريرة أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَنْ أدرك ركعةً من الصَّلاة فقد أدرك الصَّلاة**» وهو حديثٌ صحيحٌ.

قال ابن عبد البَرِّ في "الاستذكار" في الكلام علىٰ هذا الحديث ما نصُّه: «وأمَّا مسألة المسافر يدرك ركعةً من صلاة المقيم، فأسعد النَّاس في ذلك مالكٌ، قال: إذا لم يدرك المسافر من صلاة الإمام ركعة، صَلَّىٰ ركعتين، وإن أدرك منها ركعةً تامَّةً بسجدتيها صَلَّىٰ أربعًا. وهو قول الحسن البصريِّ، وإبراهيم النَّخعيِّ، وابن شهابٍ الزهريِّ، وقتادة».اهـ

ومأخذهم من الحديث أنه حد إدراك الصلاة بركعة، والمسافر الذي أدرك مع المقيم أقل منها، لا يكون مدركًا لصلاة المقيم، فلا يلزمه الإتمام.

ودليلُ الآخرين أنَّ المسافر حين نوىٰ الاقتداء بالمقيم، صدق أنه دخل في صلاته فلزمه الإتمام مطلقًا.

ودليل تميم بن حَذْلَمٍ ومن قال بقوله أنَّ المسافر إذا أدرك الركعتين الأُخرَيَين، أو الركعة الأخيرة لا تحصل منه المخالفة المنهي عنها، فصَحَّ له القصر.

ودليل إسحاق بن راهويه عموم أدلة القصر، فإنها تشمل الفَذَّ والمؤتمَّ بالمقيم أو المسافر، وهذا دليل ابن حزمٍ أيضًا إلَّا أن القصر عنده واجبٌ.

التَّنقيح والتَّرجيح

أمَّا القائلون بعدم صحَّة اقتداء المسافر بالمقيم فإنَّهم رجَّحوا حديث: «**لا تختلفوا على إمامكم**». على حديث فضل الطاعة، أخذًا بقاعدة: «دَرْءُ المَفاسِدِ مُقَدَّمٌ على جَلْبِ المَصالِحِ».

وأما قول طاوس والشَّعْبيِّ وتميم بن حَذْلَمٍ فقال ابن عبد البر: «هو قول شاذٌّ»، وكذا قال عن قول إسحاق بن راهويه، وأحال في بيان شذوذهما على كتاب "التمهيد".

ولعل وجه شذوذ قول طاوس أن إدراك الركعة مع الإمام يوجب الإتمام لحديث: «**مَنْ أدرك ركعةً مِن الصَّلاةِ فقد أدرك الصَّلاةَ**». فجعل إدراكها موجبًا للقصر شذوذ.

أمَّا وجه شذوذ قول إسحاق، فهو أنه لم يقل به أحدٌ قبله من الصحابة والتَّابعين وغيرهم، وفيه مخالفةٌ صريحةٌ للحديث المتواتر في وجوب متابعة الإمام.

ولَمَّا لم يجد ابن حزمٍ أثرًا عن صحابيٍّ يشهد له؛ تصيَّد أثرًا نقله من "مصنَّف عبد الرزاق" عن داود بن أبي عاصمٍ، قال: سألت ابن عمر عن الصلاة في السَّفَر، فقال: ركعتان. قلت: كيف ترى ونحن هنا بمنى؟ قال: ويحك سمعت برسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وآمنت به؟ قلت: نعم. قال: فإنه كان يصَلِّي ركعتين، فصَلِّ ركعتين إن شئت أو دع. وعلَّق عليه بقوله: «فهذا بيان جليٌّ بأمر ابن عمر المسافر أن يُصَلِّي خلفَ المقيم ركعتين فقط».اهـ

والواقع أنَّ هذا الأثر بيانٌ جليٌّ في أنَّ ابن عمر لم يكن عنده إذ ذاك رأيٌ حازمٌ فيما سأله عنه داود، حيث قال له: كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يصَلِّي ركعتين. وهذا معلومٌ للسائل، لكن النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لم يُصَلِّ خَلْفَ مقيمٍ قَطُّ، إنما صَلَّى خَلْفَ مُسافِرٍ[1]، والسَّائل إنما أراد كيف يُصَلِّي بمنًى، والأئمَّة في ذلك الوقت أمويون، يتمُّون وهم مسافرون، فلم يجبه ابن عمر بجوابٍ صريحٍ، بل قال له: «فصَلِّ ركعتين إن شئت أو دع». وهذا تخييرٌ، والسائل قد كان مخيَّرًا بحسب الأصل، وهو يريد أن يعرف ماذا يلزمه، وابن عمر من فقهاء الصحابة، وهو يعلم بفقاهته وبما شاهد من فتاوَى النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وفتاوى الخلفاء الرَّاشدين أنَّ المفتي يجب أن يُلقِي إلى المستفتي حكمًا صريحًا لا يكتنفه غموضٌ، وانظر إليه حين سأله أبومجلزٍ: أدركتُ ركعة من صلاة المقيمين وأنا مسافرٌ؟ كيف أجابَه بقوله: «صَلِّ بصلاتهم». جوابٌ واضحٌ صريحٌ، ليس فيه كنايةٌ، ولا تخييرٌ، ولا تعريضٌ، ولا تفويضٌ. وهو في "مصنف عبد الرَّزاق" أيضًا، وأغفله ابن حزمٍ مع اطلاعه عليه لغرضٍ في نفْسه.

ثُمَّ قال معترضًا على كلام الجمهور: «والعجب مِن المالكيين والشافعيين والحنفيين القائلين بأنَّ المقيمَ خَلْفَ المسافر يتمُّ، ولا ينتقل إلى حكم إمامه في التَّقصير، وأنَّ المسافر خَلْفَ المقيم ينتقل إلى حكم إمامه في الإتمام، وهم يدَّعون أنَّهم

---

(١) وهو عبد الرحمن بن عوف، أدرك معه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ركعةً من صلاة الصبح، وكانوا في غزوة تبوك.

أصحاب قياسٍ بزعمهم. ولو صحَّ قياسٌ في العالم لكان هذا أصح قياسٍ يوجد، ولكن هذا ممَّا تركوا فيه القرآن والسُّنن والقياس». اهـ كلامه وفيه أمور:

الأول: أنَّ تخصيص عجبه بالمالكيَّة والشافعيَّة والحنفيَّة يوهِم أنهم تفرَّدوا بالقول بإتمام المسافر خلفَ المقيم، وليس كذلك، بل سبقهم إلى القول به ابن مسعودٍ، وابن عمر، وابن عبَّاسٍ، وسعيد بن جُبيرٍ، وإبراهيم النَّخعيُّ، والحسن، وقتادة، والزهريُّ، وعكرمة، وعطاء، ومكحولٌ، ومَعْمَرٌ، والثَّوريُّ، والأوزاعيُّ، وأحمد، وأبو ثورٍ. بل هو قول العلماء عامَّة، إلَّا تميم ابن حَذْلَمٍ، وطاوسًا، والشَّعْبيَّ، وإسحاق بن راهويه.

الثاني: أنَّ إلزامهم بقياس المسافر خَلْفَ المقيم على المقيم خَلْفَ المسافر لا يصح؛ لأن المقرَّر عند عُلماء الجَدل والخلاف أنَّ المانعَ لا يجوز له أن يلزم المستدل إلَّا بما يقول هو به، ويلتزُمه في نفسه(١).

---

(١) لأنَّ الغرض من المناظرة في المسائل الشرعيَّة هو الوصول إلى حكمٍ سالمٍ من النقد والنقض، فوجب أن يكون المتناظران ملتزمين بما يُبديانه من أدلَّةٍ وإيرادات عليها، وليس الغرض مُجرَّد الخلاف للعناد وإظهار الغَلَبة وإفحام الخصم بما أمكن، فإن هذا منهيٌّ عنه شرعًا، ويدخل تحت قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ما ضَلَّ قومٌ بعد هدًى كانوا عليه إلَّا أوتوا الجَدَل**». وثبت في "الصحيحين" عن خَبَّاب بن الأَرَتِّ قال: كنت رجلًا قَيْنًا بمكَّة، وكان لي على العاص بن وائل دينٌ، فأتيته أتقاضاه منه، فقال: لا والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمَّدٍ. فقلت: لا والله لا أكفر بمحمَّدٍ حتى تموت ثُمَّ تبعث. قال: فإني إذا متُّ ثُمَّ بعثتُ جئتني ولي ثَمَّ مالٌ وولدٌ فأقضيك، فأنزل الله: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ [مريم: ٧٧] الآية. فانظر كيف ذمَّ اللهُ العاص بن

وابن حزم ينكر القياس، فلا يصحُّ أن يلزم خصومه به.

الثَّالث: أنَّ ذلك القياس الذي ألزمَهم به، وادَّعىٰ أنه أصحُّ قياسٍ يوجد هو قياسٌ باطلٌ؛ جمع بين مقيمٍ ومسافرٍ، والإقامة والسَّفر مُتنافيان، وشرط صحَّة القياس وجود عِلَّة جامعةٍ.

فإنْ قيل: هو قياس مؤتمٍّ مقيمٍ علىٰ مؤتمٍّ مسافرٍ، والعِلَّة الجامعة هي الائتمامُ، فيكون قياسًا صحيحًا في نفسه. قلنا وهو:

الرَّابع: أنه يكون حينئذٍ فاسد الاعتبار؛ لأنه في مقابلة حديث عمران بن حصينٍ الذي قال فيه النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لأهل مكَّة: «**يا أهل مكَّة قوموا فصَلُّوا ركعتينِ أُخرَيَين، فإنَّا قومٌ سَفْرٌ**». وتقدَّم أنَّ التِّرمذيَّ حسَّنه لشواهده.

ثُمَّ هو مؤيَّدٌ بأثر عمر وابنه، وبالإجماع، وبالقياس كما تقدَّم، والحديث الضعيف إذا تأيَّد صارَ حُجَّةً بلا نزاع، علىٰ أنَّ ابن حزمٍ نفسه نقل عن أبي حنيفة أنه يُقدِّم الحديث الضَّعيف علىٰ القياس.

الخامس: دعواه أنَّ هذا ممَّا تركوا فيه القرآن. يقال عليه: القرآن لم يدل علىٰ فرض ركعتيْنِ في السَّفَر، بل صريح قوله تعالىٰ: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَوٰةِ﴾ [النساء: ١٠١]. أنَّ القصر مباحٌ؛ لأن هذه اللفظة إذا أطلقت لا يفهم منها إلَّا الإباحةُ. وهكذا جاءت في القُرآن، نحو: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ

وائل؛ لأنه كان ينكر البعث، وألزم به خَبَّابًا الذي يؤمن به. ولهذا كان الإمام الشافعيُّ يقول: «ما ناظرت أحدًا إلَّا وددت أن يسدَّد ويوفَّق ويظهر الحقُّ علىٰ يديه». رضي الله عن الشافعيِّ وأمثاله العلماء أهل الحقِّ والإنصاف.

أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [البقرة: ١٩٨]. ﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ [البقرة: ٢٣٦]. ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ ﴾ [البقرة: ٢٣٥]. ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ ﴾[النساء: ١٠٢].

﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا ﴾ [المائدة: ٩٣]. ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ﴾ [النور: ٦١]. ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ ﴾ [الأحزاب: ٥]. ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا ﴾ [البقرة: ٢٣٠]. ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ﴾ [البقرة: ٢٢٩]. ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة: ٢٣٤]. ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ﴾ [البقرة: ٢٤٠]. ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ ﴾[النور: ٦٠]. وكذلك قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾[البقرة: ١٥٨]. يفيد الإباحة أيضًا.

قال أبو حَيَّان في "البحر المحيط": «﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ [البقرة: ١٥٨] قرأ الجمهور: ﴿أَن يَطَّوَّفَ﴾ وقرأ أنسٌ، وابن عبَّاسٍ، وابن سيرين، وشهر: «أن لا». وكذلك هي في مصحفِ أُبيٍّ وعبد الله، وخرج ذلك على زيادة: «لا» نحو ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ ﴾[الأعراف: ١٢]. فيتحد معنى القراءتين، ولا يلزم ذلك؛ لأن رفع الجناح في فعل الشيء هو رفع في تركه، إذ هو تخيير بين الفعل

والتَّرك، نحو قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ﴾ [البقرة: ٢٣٠].

فعلىٰ هذا تكون «لا» علىٰ بابها للنَّفي، وتكون قراءة الجمهور فيها رفع الجناح في فعل الطَّواف نصًّا، وفي هذه رفع الجناح في التَّرك نصًّا، وكِلتا القراءتين تدلُّ علىٰ التَّخيير بين الفعل والترك، فليس الطَّواف بهما واجبًا، وهو مرويٌّ عن ابن عبَّاسٍ، وأنسٍ، وابن الزبير، وعطاء، ومجاهدٍ، وأحمد بن حنبلٍ فيما نقل عنه أبو طالبٍ. وأنَّه لا شيء علىٰ من تركه؛ عمدًا كان أو سهوًا، ولا ينبغي أن يتركه، ومن ذهب إلىٰ أنه ركنٌ، كالشَّافعيِّ، وأحمد، ومالكٍ في مشهور مذهبه، أو واجب يجبر بالدم، كالثوريِّ، وأبي حنيفة، أو إن تركَ أكثر من ثلاثة أشواط فعليه دم، أو ثلاثة فأقل فعليه لكل شوط إطعام مسكينٍ، كأبي حنيفةَ في بعض الرِّوايات يحتاج إلىٰ نصٍّ جليٍّ، ينسخ هذا النص القرآني[1].

وقول عائشة لعروة حين قال لها: أرأيت قول الله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨] فما نرىٰ علىٰ أحدٍ شيئًا. فقالت: يا عروة كلَّا، لو كان كذلك لقال: «فلا جناح عليه ألا يطوف بهما». كلام لا يخرج اللفظ عما دل عليه من رفع الإثم عمن طاف بهما، ولا يدل ذلك علىٰ وجوب الطواف؛ لأنَّ

---

(١) ذكر الطحاويُّ أنَّ هذه الآية علىٰ الحتم عند جميع العلماء، وقال: «نفي الجناح قد يكون علىٰ التخيير، وقد يكون علىٰ الإيجاب، ولم يكن لأحدٍ أن يحمل ذلك علىٰ أحد المعنيين إلَّا بدليلٍ». هذا كلامه، وهو خطأ ظاهرٌ؛ لأنَّ السَّعْيَ بين الصفا والمروة مختلفٌ فيه، والذين قالوا بوجوبه أو ركنيَّته استدلوا بالحديث لا بالآية، ونفي الجناح لا يدل علىٰ الحتم لغةً، ولا علىٰ الوجوب شرعًا.

مدلول اللفظ إباحة الفعلِ، وإذا كان مباحًا كنت مخيَّرًا بين فعله وتركه».اهـ كلام أبي حيَّان.

ودليل الذين قالوا بوجوب السَّعي بين الصفا والمروة حديث: «**اسعوا فإنَّ اللهَ كَتَبَ عليكم السَّعْيَ**». بناءً على جواز نسخ القرآن بخبر الواحد، وفي ذلك خلاف مشهورٌ في علم الأصول.

ومِن هنا تدرك أنَّ القول بعدم وجوب قصر صلاة السَّفر هو الرَّاجح؛ لأن القرآن يفيدُه، وقول عائشة وعمر وابن عبَّاسٍ والسَّائب لا ينهض لنسخ الآية؛ لأنه -مع كونه خبر آحادٍ- مرفوعٌ حكمي، وليس بصريحٍ.

فالعجب من ابن حزمٍ ومُقلِّدِيه، حيث جعلوه نصًّا قاطعًا في وجوب القصر وأوَّلوا ما عداه، وغفلوا عن صراحة الآية في التخيير، تلك الصَّراحة التي لا ينسخها إلَّا حديثٌ مرفوعٌ صريحٌ صحيحٌ، إن مشينا على جواز نسخ القرآنِ بخبر الواحد، وإلَّا فلابدَّ من حديثٍ متواترٍ صريحٍ.

ونُنبِّه مُقلِّدة ابن حزمٍ وناقِلي كلامه إلى أنه ضعيفٌ في علم التفسير ضَعْفًا بيِّنًا، وكلامه على الآيات التي يتعرَّض لها في "المحلَّى" يدل على ذلك دلالةً واضحةً.

وبعضهم ادَّعى أنَّ آية القصر خاصَّةٌ بصلاة الخوف، وهذه غفلةٌ كبيرةٌ، وخطأ عظيمٌ؛ لأن المقرَّر عند أهل الأصول أنَّ الفعل الواقع في سياق النَّفي يعمُّ، وفعل ﴿أَن نَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَوٰةِ﴾ واقعٌ في سِياق ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾، فيعمُّ صلاة المسافِر في الأمن والخوف عمومًا شموليًّا.

ومفهوم ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ عارضه صدقة الله، كما في حديث يعلى بن أميَّة أو قيد

خرج للغالب[١].

السَّادس: دعواه أنهم خالفوا السُّنن، إن أراد أنَّ السُّنن دلَّتْ على فريضة صلاة السَّفَر ركعتين فهذا محلُّ نزاعٍ، ومخالفوه مُتمسِّكون بالقرآن كما مرَّ آنفًا، وإن أراد أنَّ السُّنن دلَّت على قصر المسافر خَلْفَ المُقيم، فدون إثبات ذلك خَرْط القَتاد، بل مخالفوه أسعد بموافقة السُّنن منه؛ لأنهم تمسَّكوا بحديث الأمر بمتابعةِ الإمام، وهو حديثٌ متواترٌ.

السَّابع: دعواه أنهم خالفوا القياس، ونحن قد بيَّنَّا أنهم إنما خالفوا قياسًا فاسد الاعتبار، وتمسَّكوا بقياسٍ صحيحٍ تقدَّم تقريره عند ذكر الأدلَّة، وابن حزمٍ لا يجيد علمَ القياس، ولا يحسن تمييز صحيحه من فاسده.

فانظر إليه وهو يعترضُ على قياس الجمهور، فيقول: وما وجدتُ لهم حُجَّةً إلَّا أنَّ بعضهم قال: إنَّ المسافر إذا نوى في صلاته الإقامة لزمَه إتمامها، والمقيم إذا نوى في صلاته السَّفَر لم يقصرها. قال: فإذا خرج بنيَّتِه إلى الإتمام، فأحرى أن يخرج إلى الإتمام بحكم إمامِه.

قال عليٌّ: «وهذا قياسٌ في غاية الفساد؛ لأنه لا نسبة ولا شبه بين صرف النيَّة من السَّفَر إلى الإقامةِ، وبين الائتمام بإمامٍ مُقيمٍ، بل التَّشبيه بينهما هوسٌ ظاهرٌ».اهـ

قلتُ: بل هو قياسٌ صحيحٌ، ووجهه أنَّ المؤتمَّ يجب عليه نيَّة الاقتداء،

---

(١) مثل ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم﴾ [النساء: ٢٣]؛ لأن النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كانت أسفاره غزوات، وهي محفوفة بالخوف.

والمسافر حين ينوي الاقتداء بالمُقيم فقد ربط صلاته بصلاته، فوجب عليه الإتمام، كما لو نوىٰ الإقامة. ووجه الأحرويَّة أنَّ نيَّة الإقامة حيث أثَّرت في الإتمام وهي غير واجبةٍ، فأحْرَىٰ أن تُؤثِّر فيه نيَّة الائتمام وهي واجبةٌ.

ثُمَّ اعترَض استدلالهم بحديث: «**إنَّما جُعل الإمامُ ليُؤتَمَّ به**». قال: فقلنا لهم: فقولوا للمقيم خَلْفَ المسافر أن يأتمَّ به إذن. فقال قائلهم: قد جاء «**أتمُّوا صلاتكم فإنَّا قومٌ سَفْرٌ**». فقلنا: لو صحَّ هذا لكان عليكم؛ لأن فيه أنَّ المسافر لا يتم، ولم يفرِّق بين مأمومٍ ولا إمامٍ».اهـ

قلت: أخفق ابن حزمٍ في هذا الاعتراض غاية الإخفاقِ.

وقوله: فقولوا للمقيم خلف المسافر أن يأتم به إذن مغالطةٌ مكشوفةٌ؛ لأنَّ المُقيم مؤتمٌّ بالمسافر، ولم يخالفه في شيءٍ من أفعال الصلاة، ولمَّا أتمَّ المسافر صلاته قام المقيم يتمُّ ما عليه كما يفعل المسبوق سواء بسواءٍ.

وتقدَّم الكلام علىٰ حديث: «**أتمُّوا صلاتكم**» بما أغنىٰ عن إعادتِه.

ودعواه أنه يدلُّ علىٰ أنَّ المسافر خلف المقيم يقصر دعوىٰ باطلةٌ.

والحديثُ ليس بعامٍّ حتىٰ يشمل صلاة المسافر خلف المقيم. فابن حزمٍ عمَّم ما ليس بعامٍّ.

بَقِيَ بعد هذا بحث يتعلَّقُ بحديث المتابعة، لا بد أن نُنبِّه عليه.

قد يقالُ: يجوز تخصيص المسافر من أحاديث وجوب متابعة الإمام بحيث تشمل المقيم دونه، وبذلك تجتمع الأدلَّة، ويكون المسافر خلف المقيم علىٰ سنة سفره. وقد يبدو هذا الكلام صحيحًا يتمشَّىٰ مع القواعد، لكن يمنع من صحَّته قاعدةٌ أصوليَّةٌ لا يعرفها كثيرٌ من الناس، وهي أنه إذا اجتمع في مسألةٍ

وصفٌ لازمٌ ووصفٌ طارئٌ نيط الحكم باللازم؛ لأنه ألصق بالحقيقة وأقوى في المناسبة.

وبيان ذلك: أنَّ الشَّارع ناط وجوب متابعة الإمام بوصف المأموميَّة، وهو وصفٌ لازمٌ لكلِّ مؤتمٍّ لزوم الظلِّ للشاخص، فإذا اجتمع معه وصف السَّفَر لم يكن له تأثيرٌ عليه؛ لأنه وصفٌ طارئٌ، ولو أنَّنا خصَّصنا به أحاديث وجوب المتابعة كنَّا قد أعملنا الوصف الطَّارئ، وألغينا الوصف اللازم المناسب، وهو خلاف القاعدة، فهذا وجه احتجاج الجمهور بأحاديثِ وجوب المتابعة، وهو سرُّ تقديمهم إيَّاها على غيرها، وصرَّحوا بأنَّ شرط قصر المسافر للصلاة ألَّا يأتم بمتمٍّ، فإن ائتم به، وجب الإتمام، حتى إنَّ الحنفية الذين يقولون: «صلاة المسافر أصلٌ غير مقصورةٍ». وافقوا على أنَّ المسافر خلف المقيم يتمُّ.

قال الطَّحاويُّ في "شرح معاني الآثار" أثناء الكلام على صلاة الصحيح خلف المريض: «فإنَّا رأينا الأصل المجتمع عليه أنَّ دخول المأموم في صلاة الإمام قد يوجِبُ فرضًا على المأموم، ولم يكن عليه قبل دخوله، ولم نره يسقط عنه فرضًا قد كان عليه قبل دخوله، فمن ذلك أنَّا رأينا المسافر يدخل في صلاة المقيم فيجب عليه أن يُصَلِّي صلاة المقيم أربعًا، ولم يكن ذلك واجبًا عليه قبل دخوله معه، وإنما أوجبه عليه دخوله معه، ورأينا مقيمًا لو دخل في صلاة مسافرٍ صلَّى بصلاته، حتى إذا فرغ أتى بتمام صلاة المُقيم، فلم يسقط عن المقيم فرض بدخوله مع المسافر، وكان فرضه على حاله غير ساقطٍ منه شيء».اهـ

ونظير ما ذكره أنَّ المسبوق يزيد تشهُّدًا في الصلاة لمتابعة الإمام، ويزيد سَجْدَتَي السَّهو لمتابعة الإمام عن سهوٍ لم يدرِكْه معه.

وقال أبو بكر الجصَّاص الحنفيُّ في "الأحكام": «واحتجَّ أيضًا من قال بالتَّخيير أنه لو دخل في صلاة المقيم لَزِمَه الإتمام، فدلَّ على أنه مخيَّرٌ في الأصل، وهذا فاسدٌ؛ لأن الدخول في صلاة الإمام يغير الفرض، ألا ترى أنَّ المرأة والعبد فرضهما يوم الجمعة أربع، ولو دخلا في الجمعة صَلَّيَا ركعتين، ولم يدل ذلك على أنهما مخيَّران قبل الدخول بين الأربع والركعتين».اهـ

وقال بعد هذا الكلام: «واختلفُوا أيضًا في المسافر يدخل في صلاة المقيم، فقال أصحابنا، والشَّافعيُّ، والأوزاعيُّ، والثوريُّ: يصلِّي صلاة المقيم وإن أدركه في التشهُّد. وقال مالكٌ: إذا لم يدرك معه ركعةً، صلَّى ركعتين.

والذي يدلُّ على القول الأوَّل قول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ما أدركتم فصَلُّوا، وما فاتكم فاقضوا**». فأمر النبيُّ بقضاء الفائت من صلاة الإمام، والذي فاته أربع ركعاتٍ، فعليه قضاؤها، وأيضًا قد صحَّ له الدخول في آخِر صلاته، ويلزمه سهوه، وانتفى عنه سهو نفسه لأجل إمامه. كذلك لزمه حكم صلاته في الإتمام. وأيضًا لو نوى المسافر الإقامة في هذه الحال لزمه الإتمام، كذلك دخوله مع الإمام، ويكون دخوله معه في التشهُّد كدخوله في أولها كما كانت نيَّة الإقامة في التشهُّد، كهي في أوَّلها».اهـ

ومن هذين النصَّين تعلمُ أنَّ ابن حزمٍ لم يستوعب أدلَّة المخالفين له في رأيه الشاذ.

مناقشات في أثر ابن عبَّاسٍ

تقدَّم ذكره عند سوق الأدلَّة، ونقلنا قول عياض هناك: «مفهومه أنَّ الإمام إذا أتمَّ يتمُّ معه». وذكرنا رواية أحمد، وقلنا: إنها لم تزد على رواية مسلمٍ، إلَّا أنها صرَّحت بالمفهوم.

ووجدنا الكاتبين في هذا الموضوع صُدموا بهذا الأثر، فراحُوا يقلبون وجوه النظر، كيف يحتالون لدفعِه بتأويلٍ أو بتعطيلٍ، فقالوا: رواية مسلمٍ تدلُّ بالمفهوم، والمفهوم لا يُقدَّم على المنطوق.

قلنا: ما لم يتأيَّد بمنطوقٍ، والمفهوم هنا مؤيَّدٌ بقول ابن عبَّاسٍ نفسه: «إذا دخل المسافر في صلاة المقيمين صلَّى بصلاتهم» وقالوا: تأويل قوله: «تلك سُنَّة أبي القاسم». أي صلاتك وأنت منفردٌ ركعتين سُنَّة أبي القاسم.

وقد يكون هذا التأويل صحيحًا في اللغة البربرية أو النبطية، أو أي لغةٍ أعجميَّةٍ، أمَّا على قواعد اللغة العربية، فهو فاسدٌ جدًّا؛ لأنَّ من البدهيَّات عند من مارس شيئًا من لغة العرب وجوب مطابقة الجواب للسُّؤال، ويتأكَّد الوجوب إذا كان الجواب في مسألةٍ شرعيَّةٍ كما هنا.

وأعلُّوا رواية أحمد بالاضطراب والشذوذ، وضعف الطفاوي.

وقدَّمنا أنَّ الحافظ ابن حجرٍ قوَّاها على قاعدة أصحاب التخريج، ونحن في غِنًى عن هذه الرواية، بمفهوم رواية مسلمٍ، ومنطوق رواية ابن أبي شيبة، لكن لا ندعهم يتخبَّطون فيما أبدوا من تضعيف الثِّقات، ونسبة الشُّذوذ لرواية الأثبات، ودعوى الاضطراب في روايةٍ ليس فيها اضطرابٌ.

والمقرَّر عند علماء الحديث أنَّ الاضطراب إنما يكون حيث تختلف

الرِّوايات بالتَّنافي، ولا مُرجِّح، مع تعذُّر الجمع. أمَّا أن تكون رواية مجملة، والأخرىٰ مُفصَّلة، أو رواية دالَّة بالمفهوم والأخرىٰ مصرِّحة به، فذلك بعيدٌ عن الاضطراب بُعْد الضِّب من النون، وحاصل الرِّوايات التي جاءت عن موسىٰ بن سلمة أربعةٌ:

١- قلتُ لابن عبَّاسٍ: إذا كنَّا معكم صلَّينا أربعًا، وإذا رجعنا إلىٰ رحالنا صلَّينا ركعتين. قال: تلك سُنَّة أبي القاسم صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

وهي من رواية أيوب عن قتادة عن موسىٰ بن سلمة.

وهي كما قلنا مصرِّحةٌ بمفهوم رواية مسلمٍ، وموافقةٌ لرواية مجاهدٍ عن ابن عبَّاسٍ قال: إذا دخل المسافر في صلاة المقيمين صلَّىٰ بصلاتِهم.

ومع هذا نسبوا لأيوب الشُّذوذ في روايته، وهذه فضيحةٌ؛ فإنَّ أيوب لو خالف لكان القول قوله؛ لإتقانه وإمامته وجلالته. يدلك علىٰ ذلك أنَّ شعبة سأله عن حديثٍ، فقال أيوب: أشُكُّ فيه. فقال له شعبة: «شكك أحب إليَّ من يقين غيرك».

٢- قلتُ لابن عبَّاسٍ: إذا لم ندرك الصلاة في المسجد، كم نُصَلِّي بالبطحاء؟ قال: «ركعتين، تلك سُنَّة أبي القاسم صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم».

وهِيَ من رواية هشام عن قتادة عنه.

وهي مثل الرِّواية السَّابقة، غير أنه عبَّر بالصلاة في المسجد بدل كنَّا معكم، وبالبطحاء بدل الرِّحال. والخبر في الرواية السابقة معناه السؤال، وهو معروفٌ في اللُّغة شائعٌ.

٣- سألتُ ابن عبَّاسٍ كيف أصَلِّي إذا كنت بمكة إذا لم أصلِّ مع الإمام؟

قال: «ركعتين، سُنَّة أبي القاسم صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم».

وهي عند مسلمٍ من رواية شعبة عن قتادة عنه.

وهي لا تخالف الرِّوايات السابقة، كما هو ظاهرٌ.

٤- سأل ابن عبَّاسٍ قال: تفوتني الصَّلاة في جماعةٍ وأنا بالبطحاء، ما ترىٰ أن أصلِّي؟ قال: «ركعتين، سُنَّة أبي القاسم صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم». وهي من رواية سعيدٍ عن قتادة عنه.

وهي توافق الرِّواية السَّابقة: «كيف أصلِّي إذا كنت بمكَّة إذا لم أصلِّ مع الإمام؟». معنىٰ العبارتين واحدٌ ومفهومهما واحدٌ، وإن اختلف اللفظ.

فمحاولة ترجيح الرِّوايةِ الأخيرة علىٰ ما عداها غفلةٌ عن اتِّحاد معناها. ولو أردنا الترجيح، لكانت رواية أيوب هي الرَّاجحة لوجهين:

١- أنَّها مؤيدةٌ بما قدَّمنا بيانه.

٢- أنَّها أفادت حكم صلاة المسافر خلف المقيم، وهو حكمٌ جديدٌ، لم يفده غيرها، وما أفاد حكمًا جديدًا يرجَّح علىٰ غيره، وزيادة الثقة مقبولةٌ عند المُحدِّثين وأهل الأصول، وأيوب فوق الثِّقة.

أمَّا تضعيف الطفاويِّ، فجرأةٌ غير محمودةٍ تفتح باب الطعن في رجال "الصحيحين"، وهو أمرٌ له خطورته وعواقبه الوخيمة، مع أنَّ الطفاويَّ شيخ أحمد بن حنبلٍ، فهو ثقةٌ عنده؛ لأنَّه لا يروي في "المسند" إلَّا عن ثقةٍ كما قال لابنه عبدالله.

ووثَّقه أيضًا ابن معينٍ وعليُّ بن المدينيِّ، وقال الدَّارقطني: «احتجَّ به البخاريُّ».

فتضعيف أبي زرعة وأبي حاتمٍ لا يعتدُّ به بعد توثيق هؤلاء، على أنَّهما من تلامذة البخاريِّ، وكلامهما في العلل والرجال كله مأخوذٌ من "تاريخه الكبير"، وحكاية أبي أحمد الحاكم في ذلك معروفةٌ، ولما ترجم ابن عديٍّ للطفاويِّ، صرَّح بأنه لم يرَ للمتقدِّمين فيه كلامًا -يعني يقتضي تضعيفه- قال: وإنَّما ذكرته لأحاديث أيوب التي انفرد بها، وكلُّ ذلك فمحتملٌ لا بأسَ به».اهـ

فصرَّح بأنَّ ما تفرَّد به محتملٌ، وأنَّه لا بأس به.

وعقَّبَ عليه الحافظ ابن حجرٍ بقوله: «لكنه أورد ما رواه -من تلك الغرائب- عن هشام بن عروة، والذنب فيها لغير الطفاويِّ، فإنَّها من رواية عمرو بن عبدالجبار السنجاريِّ عن الطفاويِّ، وقد أورد له ابن عديٍّ الحديث الأول، وهو المتَّهم به».اهـ

أي السنجاريِّ هو المتهم لا الطفاوي الثِّقة المحتج به في الصحيح، ومن يحتج به البخاريُّ شيخ الصِّناعة وإمامها المبرِّز، فقد قفز القنطرة.

مسألة

وإذا ائتمَّ مسافرٌ بمسافرٍ متمٍّ وَجَبَ الإتمام أيضًا عند الجمهور، ولهذا قال النَّوويُّ في "المجموع" -تعقيبًا على قول صاحب "المهذَّب": لا يجوزُ القصر لمن ائتم بمقيم- ما نصه: «كان الأحسن أن يقول: بمتمٍّ؛ لأنه أعمُّ».اهـ

وروى الطبرانيُّ والطحاويُّ عن أبي ليلى الكنديِّ قال: أقبل سلمان الفارسيُّ في اثني عشر راكبًا من أصحاب محمد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في غزاة، فلما حضرت الصَّلاة قالوا: تقدَّم يا أبا عبدالله. قال: «إنَّا لا نؤمُّكم، ولا ننكح

نساءكم، إنَّ الله هدانا بكم، فليتقدَّم بعضكم». فتقدَّم رجلٌ من القوم، فصلَّىٰ أربع ركعاتٍ فلمَّا سلَّم سلمان قال: «ما لنا وللمربعة؟ إنَّما كان يكفينا نصف المربعة، ونحن إلىٰ الرُّخصة أحوجُ».

وروىٰ أحمد عن رجلٍ، قال: كنَّا قد حملنا لأبي ذرٍّ شيئًا نريد أن نعطيه إيَّاه، فأتينا الربذة، فسألنا عنه فلم نجده. قيل: استأذن في الحجِّ فأذن له. فأتيناه بالبلد، وهي منىٰ، فبينا نحن عنده إذ قيل له: إنَّ عثمان صلَّىٰ أربعًا. فاشتد ذلك علىٰ أبي ذرٍّ وقال قولًا شديدًا، وقال: صلَّيت مع رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فصلَّىٰ ركعتين، وصلَّيت مع أبي بكرٍ وعمر. ثُمَّ قام أبو ذرٍّ، فصلىٰ أربعًا، فقيل له: عبت علىٰ أمير المؤمنين شيئًا، ثُمَّ تصنعُه؟ فقال: الخلاف أشدُّ. وهذا الأثر ضعيفٌ؛ لأنَّ فيه راويًا مجهولًا. وعلىٰ فرض صحَّته يدل علىٰ أنَّ أبا ذرٍّ لا يرىٰ القصر واجبًا»[1].

أما ما رواه ابن حزمٍ من طريق عبد الرزاق، عن عبد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر: أنَّه كان إذا صلَّىٰ مع الإمام بمنىٰ أربع ركعات، انصرف إلىٰ منزله فصلىٰ فيه ركعتين، أعادَها.

فهذه روايةٌ تفرَّد بها عبد الله بن عمر المكبر، وخالفه أخوه عبيد الله المصغر الثِّقة الثبت، والإمام مالك، فرَوَيا عن نافعٍ: أنَّ ابن عمر كان إذا صلَّىٰ مع

---

(١) لأنه صلىٰ أربعًا وحده لا مع الخليفة، ولم يذكر نصًّا يوجب القصر. وروىٰ أبو داود عن ابن مسعودٍ أنه صلَّىٰ أربعًا فقيل له: عبت علىٰ عثمان، ثُمَّ صلَّيت أربعًا؟ فقال: «الخلاف شرٌّ». إسناده صحيحٌ.

الإمام صلَّى أربعًا، وإذا صلَّى وحده صلَّى ركعتين. هذه هي الرواية الصحيحة التي رواها إمامان إليهما انتهى الضبط والإتقان والتثبُّت، فمخالفةُ عبدالله لهما مردودةٌ حتمًا جزمًا[1]، وهذا لا يخفى على صغار المحدِّثين، فضلًا عن ابن حزمٍ الحافظ الذي ساق هذه الرواية ساكتًا عنها؛ ليرد بها على خصومه، ولو كانت ضده لبادر إلى ردِّها وإنكارها.

ومما يبطلها من جهة المعنى أنه لم يكن من عمل ابن عمر ولا غيره من الصحابة أن يصلِّي صلاةً واحدة مرَّتين؛ لأنَّ هذا منهيٌّ عنه في الشرع، بل لم يحدث هذا إلَّا بعد عهد الصحابة بمدَّةٍ، حين اتخذ غلاة الشِّيعة مبدأ التقية ديدنًا لهم وعادةً، فكانوا يصلُّون مع الأئمَّة الذين لا يقولون بإمامتهم، ثُمَّ يعيدونها إذا خلوا بأنفسهم. وقد أعاذ الله ابن عمر من أن يفعل هذا، فإنه نفاقٌ خبيثٌ. ولو فرضنا صِحَّة تلك الرواية -وهي غير صحيحةٍ- فإنَّها تدل على أنَّ ابن عمر يرى أنَّ الإمام المسافر ليس له أن يتمَّ الصلاة، وإن أتمَّ فللمأموم أن يقصر. ونعود فنؤكِّد أنَّ تلك الرواية باطلةٌ سندًا ومتنًا[2]، فلا ينبغي الاشتغالُ بها.

---

(١) لأنه دونهما بمراحل ودرجات. قال أحمد: كان يزيد في الأسانيد ويخالف، وكان رجلا صالحًا، وكان يسأل عن الحديث في حياة أخيه عبيد الله فيقول: أمَّا وأبو عثمان حي فلا. يعني أنه كان لا يحدث في حياة أخيه عبيدالله أحد الفقهاء السبعة؛ لعلمه أنه لا يبلغ درجته في الضبط والإتقان، وقال عثمان الدارميُّ: قلت لابن معينٍ: مالك أحب إليك عن نافعٍ أو عبيدالله؟ قال: كلاهما. ولم يفصل.

(٢) ممَّا يؤيِّد بطلانها مضافًا إلى ما سبق ما رواه مالك في "الموطأ" عن نافع أنَّ ابن عمر أقام بمكَّة عشر ليالٍ يقصر الصلاة، إلَّا أن يصلِّيها مع الإمام، فيصلِّيها بصلاته.

مسألة

اختلف الناس في إتمام عثمان الصلاة بمنىٰ وهو مسافرٌ، وذهبوا في تأويله مذاهب شتَّىٰ، وقال كلٌّ منهم بحسب ما ظهر له إمَّا رأي رآه، أو معنًىٰ استنبطه من رواية رُوِيتْ له.

والذي نراه -وهو الواقع إن شاء الله- أنَّ عثمان أتمَّ الصلاة لأنه كان يرىٰ القصر غير واجبٍ علىٰ المسافر؛ لأنَّ قولَ الله تعالىٰ: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ [النساء: ١٠١].

صريح في رفع الجناح، ورفع الجناح معناه التَّخيير، وقصر النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقتضي أفضليَّة أحد طرَفَي التخيير فقط، أمَّا إبطاله وإيجاب أحد الطَّرفين علىٰ التَّعيين فيحتاج إلىٰ قولٍ صريحٍ من النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وعثمان لم يسمعه منه، كما لم يسمعه غيره من الصَّحابة أيضًا.

حتىٰ إنَّ الذين اعترضوا عليه، واسترجعوا حين سمعوا أنه أتم لم يقولوا: سمعنا النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يوجب القصر تصريحًا. بل قالوا: رأيناه يقصر الصَّلاة. وعثمان رآه أيضًا، لكن أين الدَّليل علىٰ نسخ الآية وإبطال التخيير الذي صرَّحت به؟ فاعتراض مَن اعترض عليه غير مُتَّجهٍ، إلَّا من جهة أنَّ الأفضل أن يفعل كما فعل النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وكذلك عائشةُ، أتمَّت الصلاة أيضًا.

قال عروة: تأوَّلَت ما تأوَّل عثمان.

يعني أنَّها رأت قصر الصَّلاة غير واجبٍ كما جاء عنها التَّصريح بذلك.

فروىٰ عبد الرزَّاق عن ابن مُحَرَّرٍ، عن ميمون بن مهران، عن عائشةَ، قالت:

مَن صلَّىٰ أربعًا في السَّفَر فحسن، ومَنْ صلَّىٰ ركعتين فحَسنٌ. إنَّ الله لا يعذِّبكم علىٰ الزِّيادة ولكن يعذِّبكم علىٰ النُّقصانِ.

ثُمَّ إنَّ إتمام عائشة في السَفَر يدل علىٰ أنَّ قولها السَّابق: فرضت الصلاة ركعتينِ، فزيد في صلاة الحَضَر، وأقرَّت صلاة السَّفر. كان اجتهادًا منها، ولم تقله عن توقيفٍ؛ لأنَّه لا يمكن أن تكون تلقته عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، ثُمَّ تتم الصَّلاة[1]. فلم يبقَ إلَّا أنها قالته اجتهادًا منها، ثُمَّ أعملت نظرها ثانيًا، فوجدت الآية صريحةً في التخيير، فأخذت به، وهذا هو المتعيِّن؛ فإنَّه لا يجوز ترك صريح القرآن لآثار أقوىٰ ما قيل فيها: إنَّها في حكم المرفوع،

---

(١) مُقلِّدة ابن حزمٍ يقولون في هذا الموطن: العبرة برواية الراوي، لا برأيه. كلمةٌ يقولونها استرواحًا، ولا يعلمون ما فيها من تفصيل في الرواية، وفي المروي، أمَّا الرواية فتارة تكون صريحة الرفع، كأن يقول الراوي قال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وتارة تكون غير صريحةٍ، كأن يقول الراوي كلاما لا يقال من قبل الرأي، فيحكم بأنه مرفوع، ففي الحالة الأولىٰ إذا قال الراوي قولا يخالف روايته، فالحنفية يعملون بقوله، يرونه ناسخًا لروايته، وغيرهم يعمل بروايته، ويرىٰ قوله اجتهادًا لا يلزم اتباعه، والحكم كذلك بالنسبة للحالة الثانية، إلَّا إذا قال الراوي أو عمل ما يقتضي بطلان رفع كلامه الأول، وحال عائشة من هذا القبيل، فإن إتمامها صلاة السَّفَر، وقولها: مَن أتمَّ فهو حسنٌ. يبطلان رفع قولها: فرضت الصلاة ركعتين... إلخ.

وروىٰ البيهقيُّ بإسنادٍ صحيحٍ عن عروة أنَّ عائشة كانت تصَلِّي في السَّفَر أربعًا، فقلت لها: لو صلَّيت ركعتين؟ فقالت: يا ابن أختي إنه لا يشق عليَّ. صحَّحه الحافظ، وهو صريحٌ في أنَّ عائشة كانت ترىٰ القصر رخصةً غير واجبةٍ، وهو يقضي ببطلان رفع قولها السابق.

وإنَّ قائلها أتقىٰ لله وأخشىٰ له من أن يقولها ما لم يكن عنده فيها توقيفٌ. ونحن – مع تسليم هذا – نقول: إنَّ الآية كلام الله مباشرة، بدون تأويلٍ ولا تعليلٍ.

ولابن حزمٍ هنا موقفٌ غريبٌ، ذلك أنه خصَّ الآية بصلاة الخوف، قال: وبهذه الآية قلنا: إنَّ صلاة الخوف في السَّفر إن شاء ركعة وإن شاء ركعتانِ؛ لأنه جاء في القرآن بلفظ ﴿لَّاجُنَاحَ﴾ لا بلفظ الأمر والإيجاب. واستدل لتخصيص الآية بما أسنده من طريق أبي داود الطَّيالسيِّ: حدَّثنا المسعوديُّ، عن يزيد الفَقير قال: سألت جابر بن عبد الله عن الرَّكعتين في السَّفَر أقصرهما؟ قال جابرٌ: لا، إنَّ الركعتين في السَّفَر، ليستا بقصر، إنَّما القصر ركعةٌ عند القتال.

وهذا إسنادٌ ضعيفٌ؛ لأن المسعوديَّ اختلط حتىٰ كان لا يعقل، مع أنَّه قبل اختلاطه كان سيِّئ الحفظ، وأبو داود إنما روىٰ عنه بعد الاختلاط.

قال عمرو بن علي الفلاس: حدَّثنا أبو قتيبة، قال: رأيت المسعوديَّ سنة ثلاث وخمسين ومائة، وكتبت عنه، وهو صحيحٌ، ورأيته سنة سبع وخمسين والذر يدخل في أذنه، وأبو داود يكتب عنه، فقلت له: أتطمعُ أن تحدِّث عنه وأنا حي؟

علىٰ أنَّ الاستدلال هنا بقول جابرٍ لا يُفيد؛ لأن الآية عامَّةٌ كما تقدَّم تشمل صلاة السَّفَر في حالتي الأمن والخوف، وتخصيصُها بإحدىٰ الحالتين يتوقَّف علىٰ وجود حديثٍ صحيحٍ عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بذلك، وهو غير موجودٍ، بل حديث يعلىٰ بن أميَّة يفيد إبقاءها علىٰ عمومِها، كما مَرَّ الكلام عليه.

الخلاصة

وإذ قد انتهينا من تحرير البحث، أردنا أن نجمع أطرافه ونلخِّص مسائله في النقاط الآتية:

١ – صلاة السَّفَر مقصورةٌ من أربع؛ للأدلة التي بسطناها، وما ذُكر ممَّا يخالفها لا ينهض لمقاومتها.

٢ – صلاة السَّفَر رخصةٌ غير واجبةٍ؛ للنصِّ القرآنيِّ الذي لم يوجد ما يقوىٰ علىٰ نسخه، ولقوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ اللهَ وَضَعَ عن المُسافِرِ الصَّومَ ونِصْفَ الصَّلاة**». يفيد الحديث أنَّ الله أسقطَ عن المسافر وجوب الصوم ووجوب نصف الصلاة، والمقرَّر في علم الأصول أنَّ الوجوب إذا سقط بقي الجواز، فيكون إتمام الصلاة للمسافر جائزًا، كما أنَّ الصَّوم له جائزٌ بدلالة الحديث، ولهذا نظائر في الشريعة، منها صوم عاشوراء، كان واجبًا ثُمَّ سقط، وبقي جائزًا. والصدقة عند مناجاة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كانت واجبةً ثُمَّ سقط وجوبها، وبقيت جائزةً. ووجوب الوضوء ساقطٌ عن المريض، لكنه جائزٌ له إذا تحمَّل مَشقَّة استعمال الماء.

٣ – سلام الإمام قبل المأموم واجبٌ شرعًا، ولا يعد تأخُّرُ المأموم بالسَّلام مخالفةً للإمام؛ بدليل النَّصِّ والإجماع في المسبوق. ومن هنا وجب علىٰ المقيم خلف المسافر أن يتمَّ صلاته بعد سلام الإمام، ويصدق عليه أنه سلَّم بعده، كالمسبوق الذي يدرك مع الإمام ركعةً أو أقل، فإنه يكمل صلاته، ويسلِّم بعد الإمام، ولفظ «بعد» ظرف يصدق علىٰ ذلك.

٤ – وسلام المأموم قبل الإمام مخالفةٌ تفسد الصلاة؛ لقول النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم «**أيها الناس إنِّي إمامُكم، فلا تَسْبِقُوني بالرُّكُوعِ، ولا بالسُّجُودِ، ولا بالقيام، ولا بالقُعُودِ، ولا بالانصراف**». ومِن ثَمَّ وجب علىٰ المسافر خلف المتمِّ إتمام الصَّلاة، وإذا جلس بعد التشهُّد الأول، ينتظر الإمام ليسلِّم بعده وقع في مخالفةٍ تبطل الصلاة أيضًا؛ لأنه جالس، والإمام يقوم ويركع ويسجد، مع أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**إنما جُعل الإمام ليؤتمَّ به، فلا تختلفُوا عليه، فإذا كبَّر فكبِّروا، وإذا ركع فاركعوا، وإذا قال: "سَمِعَ الله لمن حمده" فقولوا: "اللهمَّ ربَّنا لك الحمد"، وإذا سجد فاسجدوا، وإذا صَلَّى قاعدًا فصَلُّوا قُعُودًا أجمعون**».

٥ – أجاز الشارع في بعض صور الخوف قصر الصلاة إلىٰ ركعةٍ، وسلام المأموم قبل الإمام؛ ليذهب إلىٰ القتال، وهذه حالة الضرورة؛ لأن الخوف إمَّا أن يكون بسبب جهاد الكفَّار دفاعًا عن الدِّين، أو بسبب قتال قُطَّاع الطريق أو الصَّائلين مثلًا دفاعًا عن النَّفس أو المال.

والدِّين والنَّفس والمالُ من الضَّروريَّات[1]، ووجوب الدفاع عنها والمحافظة عليها أقوىٰ الواجبات، فلذا جاز للمسافر في هذه الحالة الضروريَّة أن يقصر الصَّلاة إلىٰ ركعةٍ، وإذا كانوا جماعةً، قسَّمهم الإمام طائفتين؛ طائفةٌ تباشر القتال،

---

(١) يضاف إليها النَّسب والعِرْض، وتُسمَّىٰ الكُلِّـيَّات، وقد أجمعت الملل السماوية علىٰ وجوب حفظها والمحافظة عليها، وشرع الإسلام لحفظها قتال الكفار وقطاع الطريق والصائلين وقطع يد السارق وحد الزَّاني والقاذف.

وأخرىٰ تُصَلِّي ركعةً مع الإمام، وتُسَلِّم وتذهب لمباشرة القتال، وتأتي الطائفة الأولىٰ فتصَلِّي مع الإمام ركعةً وتسلِّم معه، ولم يجز للمسافر في حالة الأمن قصرُ الصلاة إلىٰ ركعةٍ، ولا سلامه قبل الإمام إن كان مأمومًا؛ لأن السَّفَر في رتبة الحاجيَّات، ولا يجوز إلحاق الحاجي بالضَّروري؛ للبون الشاسع بينهما.

٦- القائلون بوجوب القصر والقائلون بعدم وجوبه مُتَّفقون علىٰ أنَّ المسافر خلف المقيم يتمُّ وجوبًا، وشرطوا في وجوب القصر أو ندبه ألَّا يأتمَّ المسافر بمتمٍّ وإلَّا وجب عليه الإتمامُ.

٧- الحنفيَّة يقولون: إنَّ صلاة السَّفَر أصلٌ بنفسها وليست مقصورةً. ومع هذا أوجبوا علىٰ المسافر خلف المقيم أن يتمَّ الصلاة تبعًا للإمام.

٨- الأحاديث الموجبة لمتابعة الإمام متواترةٌ، والأحاديثُ الموجبة للقصر في السَّفَر عند القائلين به آحادٌ، وأغلبها آثارٌ قيل لها حُكْم الرفع.

٩- صرَّح ابن عبَّاسٍ، وابن عمر، وابن مسعودٍ بأنَّ المسافر خلف المقيم يتمُّ الصلاة، ولم يأتِ عنهم ولا عن غيرهم تصريحٌ بخلاف ذلك.

١٠- إذا ائتمَّ مسافرٌ بمتمٍّ، وسلَّم من ركعتين، أو جلس بعد التَّشهُّد الأوَّل ينتظر الإمام ليُسَلِّمَ معه فصلاته في الحالين باطلةٌ، يجب عليه أن يعيدها أبدًا، ولا يجوز تقليد إسحاق بن راهويه وابن حزمٍ؛ لأن قولهما شاذٌّ، ولا دليل يسندُه[1].

---

(١) إنما تمسَّكا بعمومات تقبل التخصيص بالأدلة التي تمسَّك بها الجمهور، وجمعوا بين الأدلة، فكانوا أسعد وأَقْعَد، ومن المعلوم أنه ما من عامٍّ في الأحكام الفرعيَّة إلَّا دخله

والعجيب أنَّ ابن حزم استدلَّ لقوله الشاذِّ بحديث: «**إنَّ اللهَ وَضَعَ عن المُسافِرِ الصِّيام ونِصْفَ الصَّلاةِ**»!! مع أنَّ الحديث يدلُّ على جواز الإتمام للمسافر مطلقًا فذًّا كان أو إمامًا أو مأمومًا، وهذا نقيض دعواه!!

وتبعه مُقلِّدة كلامه ورأوه غاية التَّحقيق؛ لأنهم صُحفِيُّون لم ينضج فهمهم ولا رسخ في العلم قدمهم، إنما يجدون أقوالًا فجَّةً فيتخذونها محجَّةً، يعتبرون الخروج على الجماعة سُنَّة، ويوجِّهون لمن لم يوافقهم على شذوذهم سهام الأسِنَّة.

فماذا أعدَّ الله لهؤلاء المُهرِّجين؟ إنه سبحانه المنفرد بعلم ذلك، والمجازي كلَّ نَفْسٍ بما كسبت هنالك.

١١ – قولُ عائشة: «فرضت الصلاة ركعتين، فأُقِرَّت صلاة السَّفَر، وأتمَّت صلاة الحَضَر». يعارضه قول ابن عبَّاسٍ: «إنَّ الله فرض الصَّلاة على لسان نبيِّكم على المسافر ركعتين وعلى المقيم أربعًا والخوف ركعةً». وهي معارضة واضحةٌ، تؤيِّد الحكم بشذوذ هذين الأثرين، وعدم العمل بهما.

التخصيص، أو يحتمل التخصيص حتى إنَّ الحافظ السيوطيَّ ذكر في معترك الأقران أنه استخرج بعد الفكر آيةً في الأحكام لم يدخلها تخصيصٌ، وهي قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ [النساء: ٢٣] الآية. **قلت**: ويستدرك عليه قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ﴾ [المائدة: ٩٦]. وكذلك الأحاديث مثل القرآن، ولا يحضرني الآن حديث لم يدخله تخصيص إلَّا قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يَحْرُمُ مِن الرَّضاع ما يَحرمُ مِن النَّسب**». وقوله في البحر: «**هو الطَّهُورُ ماؤُهُ الحِلُّ مَيْتَتُهُ**».

خاتمة

وبعدُ، فقد حرَّرنا المسألة كما طُلِب مِنَّا، وهُدينا فيها إلى سواء السَّبيل، وبسطنا أنواع الدليل، وبيَّنَّا ما فيها من توجيهٍ وتعليلٍ.

ومع اعتقادنا أنَّ الصواب هو ما كتبناه، لا نرمي من خالفه بالغباوة والجهل، ولا نسمِّه بأنه أتى زورًا من القول، أو منكرًا من الفعل؛ لعلمنا أنَّ المسألة فرعٌ فقهيٌّ، اختلفت فيه أنظار العلماء، منهم المصيب والمخطئ، وفيهم الموفَّق وغيره، ولا لوم على من أخطأ في قولٍ أو نظرٍ، ولا على من جانبه التوفيق من حيث يرجو الظفر، إنما اللوم والعتاب على من تمسَّك بالعناد، وأبى الرُّجوع إلى سبيل الرشاد، والمتشبِّث بالرأي الشاذ عن حلي الإنصاف عاطلٌ، والرجوع إلى الحقِّ خيرٌ من التمادي في الباطل، والله يقول الحقَّ وهو يهدي السَّبيل، وهو حسبنا ونِعمَ الوكيل.

١٠ - الصُّبْحُ السَّافِرُ
في تَحْقِيقِ صَلاةِ المُسافِرِ

قـال الصِّـحَابُ وتـابِعُونَ جَمِـيعُهُمْ وكـذا الأئمَّـةُ كـابِرًا عـن كَـابِرِ
بوجُـوبِ إتْمـامِ المُسـافِرِ إنْ نَـوَىٰ خَلْـفَ المُـتِمِّ ولم يَكُـنْ بمُسـافِرِ
فمَـن ادَّعَـىٰ قَـوْلًا سِـوَىٰ ذا نابِـذًا قـولَ الصَّـحابَةِ في ضَـلال ظـاهِرِ
ويَجُـوزُ تَقْلِيـدٌ لمُجْتَهِـدٍ أبَـىٰ قـولَ الشُّـذُوذِ وقَـوْلَ رأيٍ عـاثِرِ
ووجُـوبُ إتْمـامِ المُسـافِرِ سُنَّـةٌ ثَبَتَـتْ بتَعْلِـيمِ النَّبـيِّ الطَّـاهِرِ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد الله مُظْهِر الحق وإن حاول إخفاءَهُ مُتعنِّتٌ عانِد، وناصِرُ أَهْلِهِ وإن عارَضَهُم مُبْطِلٌ حاقِد، أحمده وأشهد أن لا إله إلَّا هو الأحد الواحد، المُنزَّه عن الوَلَدِ والوالد، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسولُهُ نبيُّ الرحمة، وهادي الأُمَّة، والمخصوص بالعصمة، صلَّى الله عليه صلاةً لا ينقطع أمدها، ولا يبلَى جديدها، وسلَّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدِّين، ورضي الله عن آلِهِ وصحابته والتابعين.

أمَّا بعد: فإني كنت أَلَّفت جزءًا سمَّيته: "الرَّأيُ القَويمُ في وجُوبِ إتْمامِ المُسافِرِ خَلْفَ المُقيمِ"، وكان تأليفي إيَّاه إجابةً لرغبة الطلبة الذين يحضرون عليَّ علم الأصول، فاستحسنه كلُّ مَن رآه مِن أهل العِلْم، وأُعجِبوا بما فيه من تحقيق المسائل وتبين الدلائل، مع تمييز صحيح القول مِن فاسِده، وقويِّ الرأي من ضعيفه داخل القواعد الحديثيَّة والأصوليَّة، وبعثتُ به إلي مصر وسوريا، فجاءني خطابٌ من أحد علماء مصر، وهو الشيخ محمَّد عايش عبيد الشافعيُّ المدرِّس، يقول فيه:

«لقد وصلتني الهديَّة القيِّمة ألَا وهي آخِر ما خطَّه قلمك الذكيُّ، وأنتجه فكرك النَّابه، ولقد تصفَّحت هذه الرسالة "الرأي القويم"، وأخذت أقرأ الصفحة أكثر من مرة -أي والله- بحيث أنني لم أستطع إتمامه حتي الآن، ولولا أني قلبت صفحاته لمجرَّد الاطلاع العابر، فإذا بي أجدك قد لخَّصتَ الرسالة في سطورٍ، وهذا منهجٌ جديدٌ في التأليف، يعطي الكتاب قيمةً أخرى،

ولقد رأيتك -في هذه الرسالة الصغيرة الكبيرة- عملاقًا تقف على قدم

المساواة مع كبار المجتهدين من الفقهاء كابن القيِّم وأقرانه، هذا ولأول مرة في تاريخ اطلاعي أتذوَّق أسلوب الجدل، بل وأحبه، وأذكر أنني أحببت هذا الأسلوب الجَدَليَّ من خلال قراءتي لكتاب "قصص الأنبياء" للنجَّار، والجدل بينه وبين أعضاء اللجنة الناقدة للكتاب، بيد أنَّ أسلوب الجدل في رسالتنا يمتاز بالعِفَّة والنزاهة، والبعد عن فاحش القول، وهو ما أشرت إليه في قصيدتك التي قدمت بها للرسالة.

فهنيئًا لك بنعمة الله إليك وعليك، وهنيئًا لنا بك، وسأعطي الكتاب لأصدقائي يقرءونه إن شاء الله».اهـ

وجاء في خطاب من العالم السوري محمد عوامة الحنفيِّ -المدرس أيضًا- يقول فيه: «وصلتني -سيِّدي- هداياكم الكريمة "الرأي القويم" أولًا، وبعد يومين "الرؤيا في القرآن والسُّنَّة"، فشكر الله لكم، وأثابكم الخير العميم في الدارين على تحقيقاتكم الفذَّة الحديثيَّة الفقهيَّة الأصوليَّة، وإنَّ القارئ لينتقل في رياض العلم وجنان التحقيق».اهـ

ثُمَّ أَلَّفتُ هذا الجزء الذي سمَّيته "**الصُّبْحُ السَّافِرُ في تَحْقِيقِ صَلاةِ المُسَافِرِ**" فيه فوائد وتحقيقات زائدة على "الرأي القويم"، وبالله أستعين.

مسألة

صلاة السفر ركعتان مقصورتان من أربع ركعاتٍ، والدليل على ذلك أمورٌ:

أحدها: قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ [النساء: ١٠١].

روى ابن جريرٍ من طريق أبي رَوْقٍ، عن أبي أيوب، عن عليٍّ عليه السَّلام قال: سأل قومٌ مِن بني النَّجَار رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقالوا: يا رسول الله، إنا نضرب في الأرض فكيف نُصَلِّي؟ فأنزل الله: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾.

فلمَّا كان بعد ذلك بحولٍ، غزا النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فصَلَّى الظهر، فقال المشركون: لقد أمكنكم محمَّدٌ وأصحابه من ظهورهم هلا شددتم عليهم؟ فقال قائلٌ منهم: إنَّ لهم مثلها في أثرها، فأنزل الله تبارك تعالي بين الصلاتين: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [النساء: ١٠١] إلى قوله: ﴿عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء: ١٠٢]، فنزلت صلاة الخوف». والغزوة التي نزلت فيها صلاة الخوف: غزوة عُسْفَان.

أخرج أحمد وعبد الرزَّاق وأبوداود والنَّسائيُّ، عن أبي عيَّاش الزُّرَقيِّ قال: «كنَّا مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعُسْفان فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد، وهو بيننا وبين القبلة، فصَلَّى بنا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الظهر، فقالوا: قد كانوا على حال لو أَصَبْنا غِرَّتهم، ثُمَّ قالوا: يأتي عليهم الآن صلاةٌ هي أحبُّ مِن أبنائهم وأنفُسِهم، فنزل جبريل بهذه الآيات بين

الظهر والعصر: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ﴾ [النساء: ١٠٢]».

وذكر الحديث في صلاة الخوف، صحَّحه ابن حِبَّان والحاكم.

وهذه أول صلاة خوفٍ صَلَّاها رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

نزلت الآية في صلاة السَّفَر -كما مرَّ في سبب نزولها- وهي صريحةٌ في أنَّ صلاة السَّفَر مقصورةٌ وليست أصلًا بنفسها، ونزول آخر الآية بعد ذلك في صلاة الخوف لبيان أنَّ الحكم في الحالين واحدٌ، وأنَّ عروض الخوف في السَّفَر يؤكِّد القصر ولا يبطله، وهذا هو المعهود في أسباب النزول، وهو الموافق لقاعدة: «ورُود البَيان عند الحاجة»، حصل السؤال عن صلاة السَّفَر فنزل أول الآية جوابًا وبيانًا، ثُمَّ احتيج إلىٰ معرفة صلاة الخوف فنزل آخر الآية معرِّفًا ومفصِّلًا.

ونظير هذا: ما ثبت في "الصحيحين" عن سهل بن سعدٍ قال: «أنزلت: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، ولم ينزل ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾، فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود، ولم يزل يأكل حتىٰ يتبيَّن له رؤيتها، فأنزل الله بعد: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾، فعلموا: أنه إنما يعني الليل والنهار».

قال القرطبيُّ: «وقد قيل أنه كان بين نزولهما عامٌ كامل»، نقله الحافظ في "الفتح". ولهذا نظائر في آياتٍ أخرىٰ تعرف من أسباب النزول.

وقال الحافظ السيوطيُّ في "الإتقان" في بيان الموصول لفظًا، المفصول معنًىٰ: «ومِن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ الآية [النساء: ١٠١]، فإنَّ ظاهرها يقتضي أنَّ القصر مشروطٌ

بالخوف وأنه لا قصر مع الأمن، وقد قال به لظاهرِ الآيةِ جماعةٌ، منهم عائشة.

لكن بيَّن سبب النزول أنَّ هذا من الموصول المفصول، فأخرج ابن جريرٍ من حديث عليٍّ قال: «سأل قومٌ من بني النجَّار رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقالوا: يا رسول الله، إنَّا نضرب في الأرض فكيف نصلِّي؟...»، وذكر الحديث كما سبق، وقال: «فتبيَّن بهذا الحديث أنَّ قوله: ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ [النساء: ١٠١] شرطٌ فيما بعده، وهو صلاة الخوف لا صلاة السَّفَر، وقد قال ابن جريرٍ: هذ تأويلٌ في الآية حسنٌ لو لم يكن في الآية «إذا»، قال ابن الفرس: ويصح مع إذا بجعل الواو زائدة، قلت: ويكون من اعتراض الشرط على الشرط، وأحسن منه: أن تجعل إذا زائدة على قول من يجيز زيادتها».اهـ

قلت: جاءت الواو زائدة في قوله تعالى: ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ [الصافات: ١٠٣].

وذكر الخازن نحو ما ذكره السيوطيُّ، وقال: «ومثل هذا في القرآن كثيرٌ يجيء الخبر بتمامه، ثُمَّ ينسق عليه خبرٌ آخر، هو في الظاهر كالمتصل به وهومنفصلٌ عنه».اهـ

وقال زين الدين بن المنير: «الشرط إذا خرج مخرج التعليل لا يكون له مفهومٌ، كالخوف في قوله تعالى: ﴿أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ﴾ [النساء: ١٠١]».اهـ

وقال الحافظ ابن حجرٍ في "فتح الباري": «معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ﴾، أي: سافرتم، ومفهومه: أنَّ القصر مختصٌّ بالسَّفَر، وهو كذلك، وأمَّا قوله: ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ فمفهومه: اختصاص القصر بالخوف أيضًا.

وقد سأل يعلىٰ بن أميَّة -الصحابي- عمر بن الخطاب عن ذلك؟ فذكر أنه سأل رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن ذلك؟ فقال: «**صَدَقَةٌ تَصَدَّقَ اللهُ بها عليكم، فاقْبَلُوا صَدَقَتَهُ**». أخرجه مسلمٌ.

فثبت القصر في الأمن ببيان السُّنَّة، واختلف في صلاة الخوف في الحَضَر، فمنعها ابن الماجشون أخذًا بالمفهوم أيضًا، وأجازها الباقون».اهـ

قلت: سبب نزول هذه الآية بيَّن أنها نزلت في صلاة السَّفَر، وإضافة الخوف إليه لا يغير دلالتها علىٰ المطلوب، وهو: أنَّ صلاة السفر مقصورةٌ سواء اعتبرنا الخوف شرطًا فيها أم لم نعتبره، وقصر الصَّلاة نقصٌ من عددها كما قال أهل اللغة.

وثبت في "الصحيحين" عن أبي هريرة: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم صلَّىٰ إحدىٰ صلاتَي العَشِيِّ -الظهر أو العصر- وسلَّم من اثنتين، فقال له ذو اليدين: أقَصُرَت الصلاة، أم نسيتَ يا رسول الله؟ قال:«**لم أَنْسَ ولم تُقْصَر**». وهو صحيحٌ في أنَّ القصر نقصٌ من عدد الصلاة.

ورخَّص الشارع للمريض أن يصَلِّي قاعدًا، أو مضطجعًا، وعلىٰ جنبه يوميء بالركوع والسجود حسب استطاعته، ولم يسمِّ صلاته صلاة قصرٍ، ولا قال: إنَّ الله وضع عن المريض بعض الصلاة، فدلَّ علىٰ أنَّ القصر في عرف الشرع نقصٌ من عدد الصلاة، كما هو في اللغة كذلك.

وتقسيم ابن القيِّم قصر الصلاة إلىٰ نوعين:

قصر في العدد: كصلاة السفر في الأمن.

وقصر في الأركان: كصلاة الخوف.

ومحاولته إدخال النوعين في الآية السابقة مردودٌ بما تقدَّم: أنَّ القصر في

عرف الشرع ليس إلَّا نقص العدد، والآية المذكورة ليس فيها إلَّا ذلك.

أما صلاة المسايفة، أو شدة الخوف، التي يصليها الخائف راكبًا أو راجلًا يومئ بالركوع والسجود، فهي مذكورة في (سورة البقرة) بعنوان الخوف، قال تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٨ – ٢٣٩].

واستحسان الشوكاني لكلام ابن القيِّم ذهولٌ منه عمَّا بيَّنَّاه.

والحاصل: أنَّ الشارع جعل لكلِّ صلاةٍ عنوانًا يخصُّها، فعنون صلاتَي المرض والخوف باسميهما، وخصَّ القصر بصلاة السفر، وابن القيِّم اعترف بأنَّ «تخفيف الأركان في الصلاة نوع قصرٍ وليس بالقصر المطلق في الآية»اهـ، أي: لأن القصر المطلق من عدد ركعات الصلاة، وهذا ممَّا اتفق فيه عرف الشرع مع الوضع اللغويِّ.

ثانيها: ما رواه أحمد ومسلمٌ والأربعة، عن يعلى بن أميَّة قال: قلت لعمر بن الخطاب: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ [النساء: ١٠١]، فقد أمن الناس؟ قال: عَجِبتُ ممَّا عَجِبتَ منه، فسألت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن ذلك، فقال:«**صَدَقَةٌ تَصَدَّقَ اللهُ بها عليكم، فاقْبَلُوا صَدَقَتَهُ**».

في الحديث دلالة لقولنا من جهتين:

أحدهما: أنَّ القصر في الآية معناه نقصٌ من عدد الصلاة، ودلالته على ذلك

صريحةٌ، لا تحتمل تكلُّف ابن القيِّم، ولا تلاعب المبتدِع.

والأخرى: أنَّ الأصل في صلاة المسافر هو الإتمام، ولو كان فرضه ركعتين ابتداء لما عجب عمر ويعلىٰ من القصر في السفر مع الأمن.

ثالثها: ما رواه أحمد والأربعة، عن أنس بن مالكٍ الكعبيِّ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ الله وَضَعَ عن المُسافِرِ الصَّومَ، وشَطْرَ الصَّلاةِ**». حسَّنه الترمذيُّ، قال: «وفي الباب عن أبي أميَّة».

قلت: حديث أبي أميَّة: رواه النَّسائيُّ من طريق يحيىٰ بن أبي كثيرٍ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف: حدَّثني عمرو بن أميَّة: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ الله وَضَعَ عن المُسافِرِ الصِّيامَ، ونِصْفَ الصَّلاةِ**». إسناده صحيحٌ.

طريقٌ آخر: قال عبدالله بن أحمد بن حنبلٍ: حدَّثنا موسىٰ بن إسماعيل، عن أبان العَطَّار، عن يحيىٰ بن أبي كثيرٍ، عن أبي قِلابة، عن أبي أميَّة الضَّمْريِّ: أنه قَدِمَ علىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فقال له رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ الله وَضَعَ عن المُسافِرِ الصِّيامَ، وشَطْرَ الصَّلاةِ**». إسناده صحيحٌ أيضًا، ورواه الدراميُّ والطحاويُّ.

حديث آخر: روىٰ الطبرانيُّ عن زُرَارَةَ بن أوفىٰ -صحابي- عن رجلٍ منهم: أنه دخل علىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وهو يأكل، فقال: «**هَلُمَّ**». فقال: إني صائمٌ، فقال: «**هَلُمَّ أحدثك: أنَّ الله وَضَعَ عن المُسافِرِ الصِّيامَ، وشَطْرَ الصَّلاةِ**».

فهذه ثلاثة أحاديث تصرح: بأنَّ صلاة المسافر مقصورةٌ من أربع ركعاتٍ؛

لأن معنىٰ «وَضَعَ شَطْرَ الصَّلاةِ»: حَطَّ نصفها بعد أن كان إتمامها واجبًا عليه.

وهذه حقيقة الوضع في اللغة، يقال: وضع الحمل عن الدابَّة: إذا حطَّه عنها.

وفي الحديث: «مَن أَنْظَرَ مُعْسِرًا، أو وَضَعَ عنه، أَظَلَّهُ اللهُ في ظِلِّه». أي: حَطَّ عنه بعض دَيْنِهِ.

أمَّا حمل «وَضَعَ شَطْرَ الصَّلاةِ» علىٰ معنىٰ رفعه ابتداء -كما قال بعض الحنفيَّة- فيبطله: أنه معنًىٰ مجازيٌّ لا قرينة تدل عليه، كيف وذِكْر الصوم يؤيِّد الحقيقة؟! ولا يصح الجمع بين المعنيين في الحديث لوجهين:

١- امتناع الجمع بين الحقيقة والمجاز لتنافيهما.

٢-أنَّ فعل «وَضَعَ» في الحديث مثبتٌ، والفعل المُثبتُ لا يعمُّ، حسبما تقرَّر في علم الأصول.

مسألة
فرضت الصلاة أربعًا لا اثنين

أفادت الآية والأحاديث التي أوردتها أنَّ صلاة السفر مقصورةٌ، ومعنىٰ ذلك: أنَّ الصلاة فُرضت في الأصل أربع ركعاتٍ، ثُمَّ وُضِع منها ركعتان لعُذْر السفر.

وهذه أحاديث تصرِّح بهذا المعنىٰ تصريحًا يدفع الاحتمال والتأويل:

١- روىٰ أبو إسحاق بن راهويه في "مسنده" بإسنادٍ علىٰ شرط الشيخين من طريق أبي بكر بن عمرو بن حزمٍ، عن أبي مسعودٍ الأنصاريِّ قال: «جاء

جبريل إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: قُمْ فصَلِّ، ذلك لدلوك الشمس حين مالت، فقام رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فصَلَّى الظُّهر أربعًا. فأتاه حين كان ظِلُّه مثلَه، فقال: قُمْ فصَلِّ العصر أربعًا، ثُمَّ أتاه حين غربت الشمس، فقال: قُمْ فصَلِّ، فقام فصَلَّى المغرب ثلاثًا، ثُمَّ أتاه حين غاب الشَّفَقُ، فقال: قُمْ فصَلِّ، فقام فصَلَّى العشاء أربعًا، ثُمَّ أتاه حين برق الفجر، فقال: قم فصَلِّ، فقام فصَلَّى الصبح ركعتين، ثُمَّ أتاه من الغد حين كان ظِلُّهُ مثلَه، فقال: قُمْ فصَلِّ، فقام فصَلَّى الظهر أربعًا، ثُمَّ أتاه حين كان ظِلُّه مِثلَيه، فقال: قُمْ فصَلِّ، فقام فصَلَّى العصر أربعًا، ثُمَّ أتاه للوقت الأول حين غربت الشمس، فقال: قُمْ فصَلِّ، فقام فصَلَّي المغرب ثلاثًا، ثُمَّ أتاه بعد ما غاب الشَّفَقُ وأظْلَم، فقال: قُمْ فصَلِّ فقام فصَلَّى العشاء أربعًا، ثُمَّ أتاه حين طلع الفجر وأَسْفَر فقال: قُمْ فصَلِّ، فقام فصَلَّى الصبح ركعتين».

ورواه البيهقيُّ في "المعرفة" من طريق أيوب بن عتبة -قاضي اليمامة-: حدَّثنا أبو بكر بن عمرو بن حزمٍ، عن عروة بن الزبير، عن ابن مسعودٍ الأنصاريِّ، عن أبيه.

ورواه الباغنديُّ في "مسند عمر بن عبد العزيز"، وصرَّح في روايته باسم: بشير بن أبي مسعودٍ.

وبشير قال عنه الحافظ ابن حجرٍ: «تابعيٌّ جليلٌ يعد في الصحابة؛ لأنه ولِدَ في عهد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ورآه»، فالحديث بمجموع الطريقين صحيحٌ.

٢- روى الدارقطني في "سننه" عن أنسٍ: «أنَّ جبريل أتى النبيَّ صلَّى الله

عليه وآله وسلَّم بمكَّة حين زالت الشمس، فأمره أن يؤذِّن للناس بالصَّلاة حين فرضت عليهم، فقام جبريل أمام النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وقام الناسُ خلف النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ، فصَلَّىٰ أربع ركعاتٍ لا يجهر فيها بالقراءة، يأتمُّ المسلمون برسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، ويأتمُّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بجبريل، ثُمَّ أَمْهَلَ حتىٰ دخل وقت العصر، فصَلَّىٰ بهم أربع ركعاتٍ لا يجهر فيها بالقراءة، يأتمُّ المسلمون برسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، ويأتمُّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بجبريل، ثُمَّ أَمْهَلَ حتىٰ وجبت الشمس، فصَلَّىٰ بهم ثلاث ركعاتٍ يجهر في ركعتين بالقراءة ولا يجهر في الثالثة، ثُمَّ أَمْهَلَ حتىٰ ذهب ثلث الليل، صَلَّىٰ بهم أربع ركعاتٍ يجهر في الأُولَيين بالقراءة ولا يجهر في الأُخرَيين بها، ثُمَّ أَمْهَلَ حتىٰ إذا طلع الفجر، صَلَّىٰ بهم ركعتين يجهر فيهما بالقراءة». في إسناده مجهولان.

٣-قال أبو داود في "المراسيل": حدَّثنا ابن المثنَّىٰ: ثنا ابن أبي عديٍّ، عن سعيدٍ، عن قتادة، عن الحسن به. مرسلٌ صحيح الإسناد ، وهو مع حديث أنسٍ حُجَّةٌ كما تقرَّر في علم الحديث والأصول.

٤- روىٰ عبدالرازَّق في "المصنف" عن ابن جُريجٍ قال: قال نافع بن جُبيرٍ وغيره: « لَمَّا أصبح النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مِن ليلته التي أُسْرِيَ به فيها، لم يَرُعْهُ إلَّا جبريلُ نزلَ حين زاغت الشمس -فلذلك سُمِّيت الأولىٰ- قام فأمر فصاح في أصحابه: «**الصَّلاة جامعةٌ**». فاجتمعوا فصَلَّىٰ جبريل بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وصلَّىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بالناس طوَّل الرَّكعتين الأُولَيَينِ وقَصَّر الباقِيَتينِ، ثُمَّ سلَّم جبريل علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله

وسلَّم، وسلَّم النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ الناس، ثُمَّ نزل في العصر علىٰ مثله، ثُمَّ نزل في أول الليل، فصاحَ: «**الصَّلاة جامِعةٌ**»، فصلَّىٰ جبريل للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وصلَّىٰ النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم للناس، طوَّل في الأُولَيَينِ وقَصَّر في الثالثة، ثُمَّ سلَّم جبريل علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وسلَّم النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ الناس، ثُمَّ لَمَّا ذهب ثلث الليل، نزل، فصاح بالناس: «**الصَّلاةُ جامِعةٌ**»، فاجتمعوا، فصلَّىٰ جبريل للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وصلَّىٰ النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم للناس، فقرأ في الأُولَيَينِ فطوَّل وجَهَرَ، وقَصَّر في الباقِيَتين، ثُمَّ سلَّم جبريل علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وسلم النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ الناس، ثُمَّ لَمَّا طلع الفجر صَبَّح جبريل، فصاح بالناس: «**الصلاة جامعة**»، فاجتمعوا، فصلَّىٰ جبريل للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وصلَّىٰ النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم للناس، فقرأ فيهما فجَهَرَ وطَوَّل ورفع صوته، ثُمَّ سلَّم جبريل علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وسلَّم النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ الناس». إسناده صحيحٌ.

٥- روىٰ عبد الرزَّاق في "المصنف" عن ابن التيمي-هو معمر بن سليمان- عن قرَّة بن خالدٍ قال: سمعت الحسن يقول: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ ﴾ [هود: ١١٤] حتىٰ ختام الآية، قال: فكانت أول صلاةٍ صلَّاها رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم الظُّهر، فأتاه جبريل فقال: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴾ [الصافات: ١٦٥ - ١٦٦]، فقام جبريل ورسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم خلفه، ثُمَّ الناس خلف رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، قال:

فصَلَّى بهم الظهر أربعًا، حتى إذا كان العصر قام جبريل ففعل مثلها، ثُمَّ جاء جبريل حين غابت الشمس، فصلَّى بهم ثلاثًا يقرأ في الركعتين الأُولَيَين يجهر فيهما ولم يسمع في الثالثة. قال الحسن: وهي وِتْر صلاة النهار، قال: حتى إذا كان عند العشاء وغاب الشَّفَقُ واعتمَّ، جاء جبريل فقام بين يديه، فصَلَّى بالناس أربع ركعاتٍ، يجهر بالقراءة في الركعتين، حتى إذا أصبح من ليلته، فصلَّى به والناس معه، كنحو ما فعل، فصلَّى بهم ركعتين يقرأ فيهما ويُطِيل القراءة، فلم يمت النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حتى حدَّ للناس صلاتهم، ثُمَّ ذكر الحسن الجُمُعة، قال: فصلَّى بهم ركعتين ووضع عنهم ركعتين؛ لاجتماع الناس يومئذٍ وللخطبة». إسناده صحيح أيضًا.

مسألة

قول عائشة رضي الله عنها: «فُرضت الصَّلاة ركعتين ركعتين، فأُقِرَّت صلاة السَّفَر، وأُتِمَّت صلاة الحَضَر» لا يصلح؛ لمعارضة الأدلَّة المذكورة، ولا يمكن أن يقف معها على قدم المساواة؛ لرُجْحانها عليه من وجوهٍ:

الأول: أنه موقوفٌ عليها، كما قال الخطابيُّ وإمام الحرمين، وغلط من جعله في حكم المرفوع.

الثاني: أنه شاذٌّ، والشاذُّ من قبيل الضعيف.

ووجوه شذوذه: أنه أفاد أنَّ صلاة السفر أصلٌ، وأنَّ صلاة الحَضَر مزيدةٌ، وهذا مخالفٌ لنصِّ القرآن: ﴿أَن نَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [النساء: ١٠١]، ولإجماع المسلمين في تسمية صلاة السَّفَر مقصورة.

الثالث: أنه مخالفٌ لصريح قول النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ الله وَضَعَ عن المُسافِرِ الصِّيامَ، وشَطْرَ الصَّلاةِ**».

الرابع: أنَّ حديث إمامة جبريل -عليه السَّلام- صرَّح بأنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم صلَّىٰ صبيحة ليلة الإسراء خمس صلواتٍ في أوقاتها بركعاتها المعهودة، مع بيان ما يُجهر وما يُسرُّ منها، وأنه نودي لها بكلمة: «الصَّلاة جامعةٌ»، وأنه ختمها بالسلام علىٰ الناس؛ لأنه لم يكن شُرِع التشهُّد والسَّلام إذ ذاك، كما لم يُشرع الأذان، وهذا تفصيلٌ واضحٌ بيِّنٌ، فوجب تقديمه علىٰ قول عائشة الشاذِّ المُجمَل، غير المُبيَّن.

الخامس: أنَّ حديث إمامة جبريل -عليه السَّلام- موافقٌ للآية، وقول عائشة مخالفٌ لها.

قال العلَّامة النيسابوريُّ في "تفسيره": «وخبر عائشة لا تعاضده الآية؛ لأن تقرير الصَّلاة علىٰ ركعتين لا يطلق عليه لفظ القَصْر».اهـ

والمقرَّر في علم الأصول: أنَّ الخبر الموافق للآية يقدَّم علىٰ مخالفها.

السادس: أنَّ حديث إمامة جبريل مُفسِّرٌ لقول النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ الله وَضَعَ عن المُسافِرِ الصِّيامَ، وشَطْرَ الصَّلاةِ**»، وقول عائشة معارضٌ له، والمُفسِّر للحديث مقدَّمٌ علىٰ المعارِض له.

السابع: أنَّ حديث إمامة جبريل صرَّح بأنَّ وقت بدء الصلاة أربع ركعاتٍ كان صبيحة ليلة الإسراء، وقول عائشة لم يُبيِّن متىٰ فرضت الصلاة ركعتين؟ فيحتمل أن يكون مرادها: فرض الصلاة قبل الإسراء، حيث كان النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يصلِّي ركعتين صباحًا ومثلها مساءً، ولا شكَّ: أنَّ الصريح

مقدَّمٌ على المحتمل بلا نزاع.

الثامن: أنَّ قول عائشة لم يصرِّح بأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم صلَّى الصلوات الخمس بعد فرضيَّتها، فيجوز أن يكون الله تعالى حين فرض عليه خمسين صلاةً فرضها ركعتين ركعتين وراجعه في تخفيفها، فحطَّها إلى خمسٍ وكمَّلها أربعًا، وهذا احتمالٌ قريبٌ ووجيهٌ، وإن كنت لست في حاجةٍ إلى تأويل قولها وتوجيهه؛ لشذوذه وضعفه.

التاسع: أنَّ قول عائشة مخالفٌ لما عُرف بالتواتر: أنَّ الصلاة فرضت ليلة الإسراء، ونزل جبريل صبيحة تلك الليلة ببيان ركعاتها وأوقاتها،ولم يثبت أن فرضيَّتها تكرَّرت مرَّةً أخرى.

العاشر: أنَّ أهل التفسير والمغازي والسِّير وأسباب النزول تتبَّعوا ما شرع من أحكام بعد الهجرة كصوم عاشوراء، ورمضان، والحجِّ، والتيمُّم، والقبلة، وصلاة السَّفَر، والخوف، والكفَّارات، والحدود، والطلاق، والخُلْع، والإيلاء، والظِّهار، واللِّعان، والرَّضاع، والجهاد، وغير ذلك، ورتَّبوه حسب وروده من بدء الهجرة إلى وفاة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ولم يأتِ في شيءٍ من الطُّرُق التي استندوا إليها -صحيحها وضعيفها- أنَّ الصَّلاة كانت اثنتين ثُمَّ فرضت بعد الهجرة أربعًا، إلَّا أنَّ السمهوديَّ في "وفاء الوفا" قال -في حوادث السنة الأولى من الهجرة- ما نصُّه: «ثُمَّ زِيد صلاة الحَضَر ركعتين بعد مَقْدِمِهِ المدينة بشهرٍ، قلت: قال السهيليُّ: أنَّ ذلك كان بعد الهجرة بعامٍ أو نحوه، والذي عليه الأكثر: أنَّ الصلاة نزلت بتمامها مِن بدء الأمر».اهـ

وقال الطبريُّ في "تاريخه": «وفي هذه السنة -يعني السنة الأولى- زِيد في

صلاة الحَضَر فيما قيل ركعتان، وكانت صلاة الحَضَر والسَّفَر ركعتين، وذلك بعد مَقْدِم النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم المدينة بشهرٍ في ربيع الآخر لمضي ثنتي عشرة ليلة منه، وزعم الواقديُّ: أنه لا خلاف بين أهل الحجاز فيه».اهـ

قلت: أشار الطبري إلى تضعيف هذا النقل بعبارة «فيما قيل»، والواقع أنه نقلٌ ضعيفٌ، بل باطلٌ، ولو حصل هذا لنقله الصحابة الذين نقلوا المضمضة، والاستنشاق، والسِّواك، والمسح على الخُفَّين، مع أنَّ الصلاة أهمُّ منه، بل هي أهمُّ أركان الدين بعد الشهادتين، وقد نقلوا قصرها في السفر كما نقلوا فروضها وسننها وشروطها، فكيف غفلوا عن نقل زيادة ركعتين فيها، وتفرَّد بها الواقديُّ وهو موصوفٌ بالكذب عند المحدِّثين؟!.

الحادي عشر: تقدَّم في سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ [النساء: ١٠١]: «أنَّ قومًا من بني النجَّار قالوا: يا رسول الله إنَّا نضرب في الأرض فكيف نُصَلِّي؟».

وهذا يفيد: أنَّ الصلاة كانت أربعًا فطلبوا التخفيف.

الثاني عشر: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم صَلَّى الظُّهْرَ أربع ركعاتٍ وهو بعُسْفان، وسيأتي تخريج هذا الحديث بحول الله تعالى.

الثالث عشر: نقل الباجيُّ عن بعض العلماء، قال: «رواية عائشة اضطربت في الحجِّ، والرَّضاع، وصلاة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالليل، وقَصْر الصلاة في السَّفَر».اهـ ، ولم يرتضِ الباجيُّ هذا الكلام، وأجاب عن الاضطراب في صلاة الليل فقط، ولكن الاضطراب في صلاة السَّفَر يتبيَّن ممَّا يأتي:

١- قالت عائشة: «فُرضت الصَّلاة ركعتين ركعتين، فأُقِرَّت صلاةُ السَّفَر

وزِيد في صَلاةِ الحَضَرِ».

٢- روىٰ عبدالرزَّاق عن ابن مُحَرَّرٍ، عن ميمون بن مهران، عن عائشة قالت: «مَن صَلَّىٰ أربعًا في السَّفَر فحسنٌ، ومَن صَلَّىٰ ركعتين فحسنٌ، إنَّ الله لا يعذِّبُكم علىٰ الزِّيادة، ولكن يعذِّبُكم علىٰ النُّقصان».

٣- روىٰ البيهقيُّ -بإسنادٍ صحيحٍ- عن عروة: «أنَّ عائشة كانت تصلِّي في السَّفَر أربعًا، فقلتُ لها: لو صَلَّيت ركعتين؟ فقالت: يا ابن أختي إنه لا يَشُقُّ عَلَيَّ».

روىٰ ابن جريرٍ عن ابن جُريجٍ قال: «قلت لعطاءٍ: أي أصحاب رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان يُتِمُّ الصَّلاةَ في السَّفَر؟ قال: عائشة، وسعد بن أبي وقَّاصٍ».

٤- روىٰ ابن جريرٍ من طريق عمر بن عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن بن أبي بكرٍ الصِّدِّيق قال: «سمعت أبي يقول: سمعت عائشة تقول في السفر: أتمُّوا صلاتكم، فقالوا: إنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان يُصَلِّي في السَّفَر ركعتين، فقالت: إنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان في حربٍ وكان يخاف، فهل تخافون أنتم؟.

فهذه عدَّة روايات عن عائشة متعارضةٌ مضطربةٌ.

وعندي: أنَّ عائشة لم تضطرب رواياتها في صلاة السَّفَر، ولكن الناس لم يفهموا رواياتها علىٰ وجهها فظنوها مضطربةً.

وبيان ذلك: أنَّ الحنفيَّة، ومعهم ابن حزمٍ وابن تيمية وابن القيِّم، ظنُّوا: أنَّ قولها الأول في حكم المرفوع، وأخذوا منه: وجوب قصر صلاة السفر، فأخطأوا من جهتين:

١- أنَّ قولها ذلك هو من كلامها واقعًا وحقيقة لا شائبة للرفع فيه.

٢- وهو الخطأ الأعظم: غفلتهم عن أنَّ ذلك القول-مرفوعًا كان أو موقوفًا- لا يفيد وجوب القصر في السَّفَر، وإنما يفيد نسخ الركعتين واستبدال أربع الركعات بهما، يتضح هذا المعنى مِن تتبُّع روايات قول عائشة.

ففي "صحيح البخاري" من طريق مَعْمَرٍ، عن الزهريِّ، عن عروة، عنها قالت: «فُرضت الصَّلاةُ ركعتين، ثُمَّ هاجرَ النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ففُرضت أربعًا»، وحيث فُرضت الصلاة أربعًا -وكان فرضها بعد شهرٍ من الهجرة كما قال الواقديُّ- فمعنى ذلك: أنه نسخ الاقتصار على الركعتين، وبطل الاعتداد بهما في أداء فرض الصلاة، فلمَّا شُرِع قَصْر صلاة السَّفَر في السنة الرابعة أو الخامسة بسبب السؤال عنه، كان شرعًا جديدًا وحكمًا مستقلًّا يدخل في باب الرخصة، ولا علاقة له بالركعتين اللتين نسختا.

هذا مفاد كلام عائشة وهو مرادها؛ ولهذا كانت تتمُّ الصلاة في السفر، وقالت: «من صَلَّى أربعًا في السَّفَرِ فحسنٌ، ومن صَلَّى ركعتين فحسنٌ» أي: لأنَّ القصر رخصةٌ مستحبَّةٌ «إنَّ الله لا يعذِّبكم على الزِّيادة في السفر» لأنها جائزةٌ «ولكن يعذِّبكم على النُّقصان في الحَضَر»؛ لأنه ممنوعٌ.

وقالت لعروة -حين رآها تتمُّ في السفر، وقال لها: لو صلَّيت ركعتين؟-: يا ابن أختي، إنه لا يشق علي الإتمام، والقصر: رخصة أريد به التخفيف؛ لأنها علمت -وهي فقيهةٌ مجتهدةٌ-: أنَّ فرض الأربع نسخ الركعتين، وحظر الإجتزاء بهما، وأن الإذن فيهما للمسافر يقتضي الجواز على قاعدة الإذن بعد الحظر، وهذا منزعٌ أصوليٌّ دقيقٌ غَفَلَ عنه ابن حزمٍ، وابن تيمية، وابن القيِّم،

والشوكانيُّ، وكلُّ من تمسَّك بقولها لوجوب القصر في السفر، ولعل سبب غفلتهم قولها: «فأُقِرَّت صلاة السفر، وزيد في صلاة الحضر»، فهموا منه: أنَّ الشارع زاد في صلاة الحضر وأبقىٰ في صلاة السفر كما هي في وقتٍ واحدٍ، وهذا الفهم غير صحيحٍ لم تقصده عائشة، ولم يقع في الوجود، بل الذي وقع: أنه بين زيادة صلاة الحضر وقصر صلاة السفر فترة زادت علىٰ ثلاث سنوات كما مرَّ.

ولهذا أوَّلَ الحافظ ابن حجرٍ كلامها بقوله: «المراد بقول عائشة: فأُقِرَّت صلاة السفر، أي: باعتبار ما آل إليه الأمر -من التخفيف- لا أنها استمرت منذ فرضت».اهـ، وهذا التأويل متعيِّن ليكون كلامها موافقًا للواقع.

القَصرُ في السَّفَرِ مندوبٌ

لم يأتِ القائلون بوجوب القصر في السفر بدليلٍ سالمٍ من النقد، وهاك جملة أدلتهم، مع تعقيبها بما يرد عليها من قدحٍ مبطلٍ لدلالتها.

١- قول عائشة: «فرضت الصلاة ركعتين ركعتين، فأُقِرَّت صلاة السفر وزِيد في صلاة الحَضَر ركعتان».

٢- قول عمر: «صلا ة السفر ركعتان، وصلاة الأضحىٰ ركعتان، وصلاة الفِطْر ركعتان، وصلاة الجُمُعة ركعتان، تمامٌ من غير قصرٍ علىٰ لسان محمَّدٍ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم».

٣- قول ابن عبَّاسٍ: «إنَّ الله عزَّ وجلَّ فرض الصلاة علىٰ لسان نبيِّكم صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، علىٰ المسافر ركعتين وعلىٰ المقيم أربعًا، والخوف ركعة».

٤- قول النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن القصر: «**صَدَقَةٌ تَصَدَّقَ اللهُ بها**

عليكم، فاقْبَلُو صَدَقَتَهُ»، والأمر يقتضي الوجوب.

٥- أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم دوام علىٰ القصر ولم يتم قَطُّ.

هذا كلُّ ما استدلوا به، ولا دليل لهم في شيءٍ منه.

أمَّا قول عائشة، فقد تبيَّن ممَّا ذكرناه: أنهم أخطأوا في الاستدلال به؛ لخطئهم في فهمه، وأنه يدل علىٰ جواز القصر نقيض دعواهم.

وأمَّا قول عمر، فيدل علىٰ وجوب القصر بدلالة الاقتران بصلاة الجمعة، وهي دلالةٌ ضعيفةٌ في علم الأصول، ويمكن لمخالفهم أن يعكس الاستدلال بها عليهم، فيقول: بل هو يدل علىٰ استحباب القصر؛ لاقترانه بصلاة الأضحىٰ والفطر، ثُمَّ كيف يقول عمر: تمامٌ من غير قصرٍ، والله تعالىٰ يقول: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾، والنبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «إنَّ الله وَضَعَ على المُسافِرِ الصَّومَ وشَطْرَ الصَّلاةِ»، والمسلمون مجمعون علىٰ أنَّ صلاة السَّفَر مقصورةٌ.

وأمَّا قول ابن عبَّاسٍ فهو شاذٌّ لوجهين:

١- مخالفته للواقع المعروف في كتب التفسير والسُّنَّة: أنَّ الصلاة فرضت ليلة الإسراء، ثُمَّ شُرعت صلاة السفر في السنة الرابعة أو الخامسة، ثُمَّ شُرعت صلاة الخوف في غزوة عُسْفان وصلَّاها النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في تلك الغزوة ركعتين، فمتىٰ فرضت صلاة الخوف ركعة، وصلاة السفر ركعتين؟

٢- أنَّ الإجماع منعقدٌ علىٰ عدم وجوب ركعةٍ في الخوف، بل ذهب الجمهور إلىٰ عدم مشروعيَّتها، وقال إسحاق بن راهويه والثوريُّ ومن تابعهما:

تشرع ركعة في صلاة الخوف، لكن لم يقولوا بوجوبها.

ثُمَّ هذا الأثر موقوفٌ، استنبطه ابن عبَّاسٍ من القرآن، ولذا قال: على لسان نبيِّكم؛ لأن القرآن وصلنا على لسان النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ [مريم: ٩٧].

وكذلك قول عمر على لسان محمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يفيد: أنَّ ما قاله استنباطٌ منه، إذ لو كان مسموعًا لهما لقالا : قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

وأمَّا حديث: «**صَدَقَةٌ تَصَدَّقَ اللهُ بها عليكم، فاقْبَلُوا صَدَقَتَهُ**»، فالأمر فيه للندب؛ لأمور:

١- أنَّ الأصل في الرخصة الندب.

٢- الأدلة المقتضية لاستحباب القصر، وسيأتي بيانها بحول الله تعالى.

٣- أنَّ حمل الأمر على الندب يجمع بين الأدلة ولا يهدر شيئًا منها، وحمله على الوجوب يلغي بعضها، والجمع بين الأدلة واجبٌ.

٤- تقدَّم أنَّ الركعتين في الصلاة نُسِختا بالأربع، ووجوب شيءٍ إذا نسخ يبقى مندوبًا ولا يعود للوجوب مرَّةً أخرى، كما سيأتي.

وأمَّا مداومة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على القصر فإنها لا تفيد وجوبه، وإنما تفيد أفضليَّته، ونحن نُسلِّم ذلك.

وأمَّا أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لم يتم في السفر قَطُّ فدعوى باطلةٌ، بل صح أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أتم الظهر في سفره، كما سيأتي.

وحيث تبيَّن بطلان أدلة القائلين بالوجوب بطل قولهم بالضرورة، وبقي

القصر في السفر على الأصل الذي هو الجواز، والأصل لا يحتاج إلى تأييد واستدلال، ولكنا مع ذلك نذكر أدلته تثبيتًا وتأكيدًا.

فمنها: قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾، تقدَّم أنَّ هذه الآية نزلت بسبب السؤال عن الصلاة في السفر.

قال الحافظ ابن كثيرٍ في "تفسيره": «وأمَّا قوله تعالى: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾ [النساء: ١٠١]، فقد يكون خرج مخرج الغالب حال نزول الآية، فإنَّ في مبدأ الإسلام بعد الهجرة كان غالب أسفارهم مَخُوفَة، بل ما كانوا يسافرون إلَّا إلى غزوٍ عامٍّ أو سرية، وسائر الأحياء حرب للإسلام وأهله، والمنطوق إذا خرج مخرج الغالب أو على حادثة فلا مفهوم له، كقوله تعالى: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم ﴾ [النساء: ٢٣]، وكقوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴾ [النور: ٣٣]».اهـ

ولو فرضنا أنَّ الآية خاصَّةٌ بالخوف -كما يزعم مقلِّدة ابن حزمٍ- فإنها تدل على الجواز أيضًا؛ لأنه إذا لم يجب قصر الصلاة في حالة الخوف -وهي مظنة الوجوب- فعدم وجوبه في حالة الأمن أولى.

ومنها: حديث: «**إنَّ الله وَضَعَ عن المُسافِرِ الصَّومَ، وشَطْرَ الصَّلاةِ**»، وهو يدل: على جواز القصر والإتمام، كما بيَّنته في "الرأي القويم" ونبَّهت على غلط ابن حزمٍ في فهمه.

ومنها: عن أبي هريرة: أنَّ رجلًا قال لرسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: أقصر الصلاة في سفر نجدٍ؟ قال: «**نعم، إنَّ الله يُحِبُّ أن يؤخَذَ بُرُخْصَتِهِ**، كما

يحبُّ أن يؤخَذَ بفَرِيضَتِهِ». رواه ابن جريرٍ في "تهذيب الآثار"، وصحَّحه.

فهذا الحديث نصٌّ صريحٌ في أنَّ القصر في السفر رخصةٌ غير واجبةٍ.

ومنها: ما رواه عبد الرزَّاق عن ابن جريجٍ قال: «قال مجاهدٌ في قوله تعالىٰ: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: نزلت يوم كان النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بعُسْفان، والمشركون بضَجْنان، فتوافقوا، فصلَّىٰ النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بأصحابه صلاة الظهر أربعًا، ركعوهم وسجودهم واحد معًا جميعًا، فهَمَّ بهم المشركون أن يُغِيرُوا علىٰ أَمْتِعَتِهم وأثقالهم، فأنزل الله: ﴿فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ﴾ [النساء: ١٠٢]، فصلَّىٰ النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم العصر، وذكر صلاة الخوف»، إسناده صحيحٌ، ورواه ابن أبي حاتمٍ من طريق ابن نجيحٍ، عن مجاهدٍ، كما في "تفسير ابن كثير".

«عُسْفان» -بوزن عثمان-: موضع علىٰ مرحلتين من مكَّة، ويقابله جبل اسمه: «ضَجْنان» بوزن سلمان.

فهذا الحديث يصرِّح بأنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم صلَّىٰ الظُّهر أربع ركعاتٍ وهو مسافرٌ، فدل علىٰ أنَّ القصر في السفر غير واجبٍ.

ومنها: ما رواه عبدالرزاق عن ابن جريجٍ، عن عمرو بن مسلمٍ: أنَّ طاوسًا أخبره: «أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم صلَّىٰ صلاة الظهر أربع ركعاتٍ، وهو والعَدُوُّ في صَحْراء واحدةٍ -يعني عُسْفان- فقال العدوُّ: إنَّ لهم صلاةً أخرىٰ، هي أحب إليهم من الدنيا وما فيها، فقام النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يصلِّي العصر، فقاموا خلفه صفَّين، وذكر صلاة الخوف»، إسناده صحيحٌ، وهو مثل الحديث السابق يفيد جواز الإتمام في السفر.

ومنها: ما رواه البزَّار عن عائشة: «أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان يسافر فيتمُّ الصَّلاة ويَقْصُر»، ورواه الطحاويُّ في "معاني الآثار" ولفظه: «قصر رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في السفر وأتم»، وفي سند الحديث مغيرة بن زياد، قال الحافظ الهيثميُّ: «اختُلف في الاحتجاج به».اهـ

قلت: المغيرة من رجال الأربعة، وثَّقه وكيعٌ وابن معينٍ والعجليُّ وابن عمَّارٍ ويعقوب بن سفيان، وأحمد في رواية ابنه صالح، وقال النَّسائيُّ: «ليس به بأسٌ»، وقال أبو داود: «صالحٌ»، وقال أحمد في رواية ابنه عبدالله: «مضطرب الحديث، منكر الحديث»، وقال ابن عديٍّ: «عامَّة ما يرويه مستقيمٌ، إلَّا أنه يقع في حديثه ما يقع في حديث من ليس به بأسٌ من الغلط، وهو لا بأس به»، وقال ابن حاتمٍ: «سألت أبي وأبا زرعة عنه، فقالا: شيخٌ، قلت: يُحتجُّ به؟ قالا: لا، وقال أبي: هو صالحٌ صدوقٌ، ليس بذلك القويِّ، بابة مجالد يحول من كتاب "الضعفاء" للبخاريِّ».

تبيَّن من هذه النقول ثلاثة أمور:

١- أنَّ أهل الجرح متفقون علىٰ صِدْق المغيرة وصلاحه.

٢- أنَّ معظمهم وثَّقه.

٣-أنَّ مَن ضعَّفه منهم لم يضعِّفه مطلقًا، وإنما ضعَّفه لاضطرابٍ في بعض حديثه، ونكارة في حديث أخذ الأجرة علىٰ تعليم القرآن، وإيَّاه عَنَىٰ ابن معينٍ حين وثَّقه، وقال: «له حديثٌ واحدٌ منكرٌ».

ولهذا اختلف في الاحتجاج بحديثه، فالذين وثَّقوه -وهم الأكثر- يحتجُّون به، والذين وصفوه بالاضطراب توقَّفوا فيه، لكنهم لا يختلفون في الاحتجاج

به إذا وُجِد لحديثه شاهدٌ أو عاضدٌ.

وحديثه الذي أوردناه معضودٌ بحديثَي مجاهدٍ وطاوسٍ وبما يأتي، فهو حُجَّةٌ بلا منزاعٍ.

قال الإمام الشافعيُّ رحمه الله: «لو كان فرض المسافر ركعتين لَمَّا أتمَّها عثمان ولا عائشة ولا ابن مسعودٍ، ولم يجز أن يتمَّها مسافرٌ مع مقيمٍ، وقد قالت عائشة: كلُّ ذلك فَعَلَ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أتمَّ وقَصَر. أخبرنا إبراهيم بن محمَّدٍ، عن طلحة بن عمرٍو، عن عطاء ابن أبي رباحٍ، عن عائشة قالت: كلُّ ذلك فَعَلَ النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أتمَّ وقَصَر».اهـ

قال البيهقيُّ: «وكذلك رواه المغيرة بن زيادٍ، عن عطاء، عن عائشة».

وأصح إسناد فيه: ما أخبرنا أبو بكر الحارثي، عن الدارقطني، عن المحامليِّ: حدَّثنا سعيد بن محمَّد بن أيوب: حدَّثنا أبو عاصم: حدَّثنا عمر بن سعيدٍ، عن عطاءٍ، عن عائشة: «أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان يَقْصُرُ الصَّلاةَ في السَّفَرِ ويُتِمُّ، ويُفْطِرُ ويَصُومُ»، قال الدارقطنيُّ: «هذا إسنادٌ صحيحٌ».

وقال ابن القيِّم في "زاد المعاد": «وكان يقصُر الرباعية فيصلِّيها ركعتين من حيث يخرج مسافرًا إلى أن يرجع إلى المدينة، ولم يثبت عنه: أنه أتمَّ الرباعية في سفره البتة، وأمَّا حديث عائشة: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان يقصر في السفر ويتمُّ ويفطر ويصوم، فلا يصح، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: هو كذبٌ على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم».اهـ

وأقول: ما أجرأ ابن تيمية وما أسرعه إلى ردِّ من يُخالف رأيه!! فحديث

عائشة صحَّحه الدارقطنيُّ كما علمت، وهو أحفظ من ابن تيمية بمراحل، بل لا نسبة بينهما من وجوهٍ:

١- أنَّ الدارقطنيَّ حافظٌ على طريقة المُحدِّثين، وابن تيمية: حافظٌ على طريقة الفقهاء.

٢- أنَّ الدارقطنيَّ نال رتبة أمير المؤمنين في الحديث وهي أعلى رتبة في الحفظ لم ينلها ابن تيمية، ولا من في طبقته.

٣- أنَّ الدارقطنيَّ كان إمامًا مُبرِّزًا في عِلل الأحاديث وأسانيدها حتى عد في صفِّ عليِّ بن المَدينيِّ.

وابن تيمية كان ضعيفًا في هذا العلم، وأغلب الأحاديث التي يعللها أو يضعفها أو يكذِّبها، إنما يتكلَّم فيها من جهة مخالفتها لرأيه، فمعيار الصحَّة والضعف عنده رأيه، ما وافقه صحيحٌ ولو كان في كتاب ابن بطه! وما خالفه ينبغي أن يكون ضعيفًا أو مكذوبًا ولو صحَّحه مثل الدارقطنيِّ أو البخاريِّ!!

مثال ذلك: حديث: «**كان اللهُ ولم يكن شيءٌ غيره**». رواه البخاريُّ في "الصحيح"، وهو موافقٌ لدلائل العقل والنَّقل، لكنه خالف رأي ابن تيمة؛ لأنه يرى وجود حوادث لا أوَّل لها مع الله في الأزل، فعمد إلى روايةٍ للبخاريِّ أيضًا في هذا الحديث بلفظ: «**كان اللهُ ولم يكن شيءٌ قبله**»، فرجَّحها على الرواية المذكورة بدعوى: أنها توافق الحديث الآخر: «**أنت الأول، فليس قَبْلَكَ شيءٌ**».

قال الحافظ ابن حجرٍ: «مع أنَّ قضية الجمع بين الروايتين تقتضي حمل هذه الرواية على الأولى، لا العكس، والجمع يقدَّم على الترجيح بالاتفاق».اهـ

وتعصُّبه لرأيه أعماه عن فهم الروايتين اللتين لم يكن بينهما تعارضٌ؛ لأن

رواية: «**كان اللهُ ولم يكن شيءٌ قبله**»، تفيد معنىٰ اسمه: الأول، بدليل: «**أنت الأول، فليس قَبْلَكَ شيءٌ**»، ورواية: «**كان اللهُ ولم يكن شيءٌ غيره**»، تفيد معنىٰ اسمه الواحد، بدليل رواية: «**كان الله قبل كلِّ شيءٍ**».

مثالٌ ثانٍ: حديث: «أمر رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بسد الأبواب الشارعة في المسجد، وترك باب عليٍّ عليه السَّلام»،حديثٌ صحيحٌ، أخطأ ابن الجوزيِّ بذكره في "الموضوعات"، وردَّ عليه الحافظ ابن حجرٍ وغيره، وابن تيمية منحرفٌ عن عليٍّ كما هو معلومٌ، فلذلك لم يكفه حكم ابن الجوزيِّ بوضعه، فزاد من كيسه حكاية اتفاق المُحدِّثين علىٰ ذلك.

مثالٌ ثالثٌ: حديث عائشة الذي نتكلَّم عليه أفاد أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أتمَّ في السفر، وابن تيمية لا يرىٰ ذلك، فحكم بأنه مكذوبٌ، وسأدع تصحيح الدارقطنيِّ جانبًا وأناقش ابن تيمية في دعواه، وأثبت أنه مجازفٌ شديد المُجازفة.

من المعلوم لصغار طلبة هذا العلم أنَّ الحديث يحكم بوضعه لسببين:

١- أن ينفرد بروايته كذَّابٌ، بحيث لا يوجد إلَّا من طريقه، فلو وُجِد متابعٌ له ارتقىٰ حديثه عن درجة الوضع إلىٰ التي فوقها وهي الواهي ثُمَّ المتروك.

٢- أن يخالف القرآن، أو الحديث الصحيح، أو أصلًا من أصول الشريعة، أو قضية عقليَّة، أو واقعة تاريخيَّة، ويتعذَّر التأويل أو الجمع.

فإذا سَبَرنا حديث عائشة بهذا المسبار، وجدنا رجال إسناده ثقاتٌ، ووجدنا معناه سالمًا من النكارة والمخالفة؛ لأنه أفاد أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله

وسلَّم قصر في السفر وأتمَّ، وصام وأفطر، وهذا المعنىٰ صحيحٌ جدًّا يوافق القرآن ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾، ورفع الجناح يقتضي جواز الأمرين.

ويوافق حال النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم باعتباره مُبلِّغًا يفعل الشئ لبيان حكمه، فهو قد أتم في بعض أسفاره لبيان جواز الإتمام، وقصر في الغالب لبيان أفضليته.

ويوافق الرخصة في أصل وضعها الشرعي، ويوافق الحديث الصحيح: «إنَّ اللهَ وَضَعَ عن المُسافِرِ الصَّومَ، وشَطْرَ الصَّلاةِ».

ويوافق حديثَي مجاهدٍ وطاوسٍ الصحيحين: «أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: أتمَّ صلاة الظهر بغزوة عُسْفان».

ويوافق ما رواه البخاريُّ في "الصحيح" عن جابرٍ قال: «كنَّا مع النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بذات الرِّقاع»، وذكر الحديث إلىٰ أن قال: «وأقيمت الصلاة فصلَّىٰ بطائفةٍ ركعتين، ثُمَّ تأخَّروا وصلَّىٰ بالطائفة الأخرىٰ ركعتين، وكان للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أربع، وللقوم ركعتين».

وفي "زاد المعاد" أثناء الكلم علىٰ هدي النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في صلاة الخوف ما نصُّه: «وتارةً كان يصلِّي بإحدىٰ الطائفتين ركعتين فتُسلِّم قبله، وتأتي الطائفة الأخرىٰ فتصلِّي معه الركعتين الأخيرتين ويسلِّم بهم فيكون له أربعًا ولهم ركعتين ركعتين، وتارة كان يصلِّي بإحدىٰ الطائفتين ركعتين ويسلِّم بهم، وتأتي الأخرىٰ فيصلِّي بهم ركعتين ويسلِّم، فيكون قد صلَّىٰ بهم بكل طائفة صلاة».اهـ

أليس من المجازفة القبيحة والتعصُّب المَمْقُوت، أن يجزم ابن تيمية بكذب حديث عائشة الصحيح، المؤيَّد بالدلائل والشواهد لمجرَّد خطأ في فهم قولها: «فرضت الصلاة ركعتين»؟.

فإن قيل: قد استنكر أحمد حديث عائشة، وقال الحافظ ابن حجرٍ: «صحَّته بعيدة».

فالجواب: أنَّ استنكار الحديث أخفُّ من الحكم بكذبه، على أنَّ الإمام أحمد كان ضيِّق العَطَن في التأويل والجمع بين مختلف الأحاديث يستنكر الحديث لأدني شبهةٍ تعرض له في فهمه، واستنكر حديث الاستخارة وهو في "صحيح البخاري"، واستنكر حديث: «**رُفِع عن أُمَّتي الخطأ والنِّسيان**» مع أنَّ القرآن يؤيِّده، وقد استنكر هذا الحديث؛ لأنه رآه مخالفًا لقول عائشة: «فرضت الصلاة ركعتين»، وكذلك الحافظ ابن حجرٍ استبعد صحَّته لهذا المعنى، كما جاء في آخر كلامه.

والعجيب أنَّ قول عائشة هذا عمي على المحدِّثين والفقهاء على سواء، وذهبوا في فهمه إلى فريقين:

فريقٌ يرى وجوب القصر في السفر، جعلوه حُجَّتهم الناهضة ودليلهم القاطع، ثُمَّ صُدِموا بروايتها لإتمام النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في السفر، وبإتمامها هي أيضًا فاستنكروا حديثها المرفوع، وأوَّلو إتمامها بأنه اجتهادٌ منها.

وفريق يرى أنَّ القَصْر غير واجبٍ، لكنهم سلَّموا دلالة قولها على الوجوب، وذهبوا يتلمسون وجوه الأجوبة للجمع بينه وبين الأدلة على جواز القصر، وكلا الفرقين مخطئان غاية الخطأ.

أمَّا أولًا: فإن قولها لا يدل على وجوب القصر، بل يدل على جوازه كما مرَّ بيانه بأوضح بيان.

وأمَّا ثانيًا: فإن روايتها لإتمام النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لا تُعارض قولها، بل لا تُوافقه في الدلالة على جواز الإتمام.

وأمَّا ثالثًا: فإن إتمامها لم يكن على اجتهادٍ أو تأويلٍ، لكنها علمت أنَّ الركعتين نُسِختا بالأربع، وأنَّ القصر شُرع بعد ذلك على سبيل الرخصة الجائزة.

وقال ابن القيِّم محاولًا تعليل حديث عائشة بعلَّةٍ ضعيفةٍ: وقد روي: «كان يقَصُر وتُتِمُّ»، الأول بالياء آخر الحروف، والثاني بالتاء المثناه من فوق، وكذلك: «يصوم وتُفطر»، أي: تأخذ هي بالعزيمة في الموضعين.

قال شيخنا ابن تيمية: وهذا باطلٌ، ما كانت أمُّ المؤمنين لتخالف رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وجميع أصحابه فتصلِّي خلاف صلاتهم، كيف والصحيح عنها أنَّ الله فرض الصلاة ركعتين ركعتين، فلمَّا هاجر رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى المدينة زِيد في صلاة الحَضَر وأُقِرَّت صلاة السَّفَر، فكيف يظن بها مع ذلك أن تصلِّي بخلاف صلاة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم والمسلمين معه؟!».اهـ

قلت: أصاب ابن تيمية في إبطال الرواية التي حكاها تلميذه، لكنه أخطأ في الاستدلال على بطلانها بما ذكره، بل هي باطلةٌ من جهةٍ لم يتفطَّن لها ابن تيمية وبيانها من وجهين:

١- أنَّ الحديث مرويٌّ عن عائشة أنها قالت: «كان النبيُّ صلَّى الله عليه

وآله وسلَّم يَقْصُرُ في السَّفَر ويُتِمُّ، ويَصُومُ ويُفْطِرُ». فهي تحكي فِعْله عليه الصَّلاة والسَّلام لا فعلها هي، ولو أرادت أن تحكي فعلها لقالت: كان يَقْصُر وأُتِمُّ، وأَصُومُ ويُفْطِرُ.

٢- أنه لم يُعهَد من الصحابة ولا التابعين أن ينقلوا فعلًا للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فَعَلَهُ، وينقلوا بجانبه فعلًا يخالفه لصحابيٍّ علىٰ سبيل المقابلة والمساواة، لم يحصل هذا منهم ولا يمكن أن يحصل أبدًا لما هو معلومٌ بالضرورة أنَّ الصحابة يحرصون علىٰ نقل فعله أو قوله عليه الصَّلاة والسَّلام؛ لأنه حُجَّةٌ ودليلٌ، وفعل غيره أو قوله ليس بحُجَّةٍ ولا دليلٍ، ولهذا قرَّر علماء الأصول أنَّ الإجماع لا ينعقد في حياته صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم؛ لأنه وافق المُجمعين أو خالفهم فالحُجَّة في موافقته أو مُخالفته دونهم.

وإذن، فكيف يجوز في عقل عالمٍ ذكيٍّ كابن القيِّم أن يقال: كان النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقصر في السفر، وعائشة تُتِمُّ، ويفطر وهي تصوم، أي أنها كانت تأخذ بالعزيمة في الموضعين، وما معنىٰ هذه التسوية بين حكاية فعله وفعلها؟ هل عائشة شاركته في التشريع؟! أم أنها اجتهدت كما اجتهد هو؟! أم أنها عصته؟! أم ماذا؟!

فالواقع: أن قول عائشة تحكي عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «كان يقصر في السَّفَر ويُتِمُّ، ويصوم ويفطر»، بالياء آخر الحروف، حديثٌ صحيحٌ سندًا ومتنًا، وما أورد عليه لا يساوي سماعه، وبالله التوفيق.

إشكال

يَرِدُ على المستدلِّين بقول عائشة لوجوب القصر في السَّفَر إشكالٌ خطيرٌ يتعسَّر التخلُّص منه، أو يتعذَّر، وأنا أشرحه بإيضاحٍ وتفصيلٍ:

ادَّعوا أنَّ قول عائشة: «فُرضت الصلاة ركعتين ركعتين» في حكم المرفوع، سلَّمنا ذلك. وفهموا منه وجوب القصر في السفر، سلَّمنا لهم فهمهم.

ثُمَّ صُدِموا بأنَّ عائشة كانت تُتِمُّ في السفر، فأسرعوا إلى الجواب التقليدي، وهو أنها تأوَّلت، وطَفِقُوا يذكرون وجوه التأويل التي سردها ابن القيِّم في "زاد الميعاد"، ولكن الإشكال قائمٌ لم يفطنوا له ولا شعروا به.

ومنشأه دعواهم أنَّ قول عائشة مرفوعٌ حُكْمًا، فإن صحَّت دعواهم -وهم يجزمون بصحَّتها- فيكون مضمون معنى قولها: أنَّ الشارع هو الذي حَدَّ صلاة السَّفَر بركعتين.

وإذا كان الأمر كذلك فكيف جاز لعائشة أن تزيد ركعتين على ما حَدَّه الشارع وفرضه؟! وأي تأويلٍ يصح بل أي اجتهادٍ يُقبَل بعد تعيين الشارع ركعتين في السَّفَر؟!.

إن صحَّ التأويل هنا صحَّ التأويل بزيادة ركعتين في صلاة الصبح، أو زيادة ركعةٍ في صلاة المغرب، هذا إشكالٌ لا مخلِّص لهم منه إلَّا بأن يفهموا قول عائشة فهمًا صحيحًا يطابق مرادها ويوافق قواعد الأصول، وهو ما قرَّرناه مبسوطًا فيما مرَّ.

فإذا استوعبوه أدركوا أنَّ عائشة لم تضطرب روايتها في صلاة السَّفر، ولم تُتِم تأويلًا كما قيل، وإنما علمت أنَّ الزيادة في الصلاة إلى أربع ركعاتٍ نُسِخت

ركعتين، وأبطلت الاعتداد بهما، وأنَّ مشروعيَّة ركعتين في السَّفَر بعد ذلك على سبيل الرُّخصة حكمٌ جديدٌ لا علاقة له بالركعتين اللتين نُسِختا.

يؤيِّد هذا قاعدةٌ أصوليَّةٌ وهي: «أنَّ الشيء قد يُباح ثُمَّ يحرَّم مرَّتين».

مثلًا: كنكاح المُتعة أُبيح ثُمَّ حُرِّم، ثُمَّ أُبيح ثُمَّ حُرِّم إلى يوم القيامة.

أمَّا الشيء الذي يكون واجبًا ثُمَّ يُنسَخ فلا يعود واجبًا.

أيضًا كالصلاة: فُرضت خمسين ثُمَّ نُسِخت بخمسٍ، فلم تُفرض بعد ذلك صلاة أخرى إطلاقًا، وكذلك الركعتان في الصلاة نُسِخَتا بأربعٍ، فلا تعودان إلى الوجوب في حالٍ من الأحوال، وإنما شُرعتا على سبيل الندب في السَّفَر.

وكذلك الوضوء لكلِّ صلاةٍ: كان واجبًا ثُمَّ نُسِخ فلم يجب مرَّة أخرى.

وكذلك مُصابرة مسلمٍ لعشرةٍ من الكفَّار في الجهاد: كان واجبًا ثُمَّ نُسخ بوجوب مصابرة واحدٍ لاثنين، فلم يجب مرَّة أخرى.

ومن هنا يظهر بطلان قول الحنفيَّة بوجوب صلاة الوِتْر؛ لأنه حيث نسخ وجوب خمسين صلاة بخمس صلوات، فلو وجبت صلاةٌ غيرها كانت سادسةً، مع أنَّ الشارع حَدَّ المفروض بخمسٍ.

ويحسن لهذه المناسبة أن أذكر قاعدة أخرى وهي: «أنَّ الذي يُنسَخ مِن الأحكام هو: الواجب والمحرَّم والمباح، أمَّا المندوب فلا يُنسخ»؛ لأنه فضيلةٌ، والفضائل لا تُنسَخ.

وقد جهل هذه القاعدة كثيرٌ من الناس، فوقعوا في أغلاط قبيحةٍ؛ لتهجُّمهم على الكلام في الأحكام الشرعيَّة بغير علمٍ.

من ذلك: زَعْمُ بعضهم أنَّ القبضَ في الصلاة منسوخٌ، واستدل لزعمه بما

قيل: ذكر الحافظ العراقيُّ في "البدور الملتمعة في أدلة الأئمة الأربعة" قال: أخرج الأوزاعيُّ في "مسنده" عن ابن مسعودٍ قال: «ترك رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم القبض في صلاة الفريضة، قبل أن يفارق الأُمَّة بستةٍ وثلاثين يومًا».

وهذا كذبٌ قبيحٌ؛ لأن العراقيَّ لم يؤلِّف كتاب "البدور الملتمعة" بل لا وجود لهذا الكتاب، والأوزاعيُّ ليس له مسنَدٌ، والحديث مكذوبٌ، لم يروِه ابن مسعودٍ، ولم يترك النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم القبض في الصلاة حتىٰ انتقل إلىٰ الرفيق الأعلىٰ.

ويظهر أنَّ الذي وضع هذا الحديث مالكيٌّ متعصِّبٌ؛ لأنه قال فيه: ترك النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم القبض في الفريضة، والقبض عند المالكيَّة مكروهٌ في الفريضة، مستحبٌّ في النافلة، فوضع الحديث لتأييد مذهبه.

وبعد هذا: فالقبض مندوبٌ، والمندوب لا يُنسَخ.

ومن ذلك: زَعْمُ بعضهم نسخ الركعتين بعد أذان المغرب؛ لأنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فعلهما مرَّةً ثُمَّ تركهما.

وهذا خطأ من جهتين: من جهة أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لم يصلهما[1]، ومن جهة أنَّ المندوب لا يُنسَخ.

وقال الحافظ ابن حجرٍ في "الفتح": «وادَّعىٰ بعض المالكيَّة نسخهما، فقال: إنما كان ذلك في أول الأمر، حيث نهي عن الصلاة بعد العصر حتىٰ تغرب الشمس، فبيَّن لهم بذلك وقت الجواز، ثُمَّ ندب إلىٰ المبادرة إلىٰ المغرب في أول

---

(١) ثُمَّ وجدت ابن حِبَّان روىٰ في "صحيحه" عن عبدالله بن مُغَفَّلٍ قال: «صَلَّىٰ النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلم قبل المغرب ركعتين».

وقتها، فلو استمرَّت المواظبة على الاشتغال بغيرها، لكان ذلك ذريعة إلى مخالفة إدراك أول وقتها، وتُعقِّب: بأنَّ دعوى النسخ لا دليل عليها».اهـ ، بل هي باطلةٌ لما بيَّنا.

والمقصود: أنَّ جهل كثيرٍ من الناس لهذه القاعدة جرَّأهم على دعوى نسخ بعض المندوبات التي خالفت مذهبهم، كما أنَّ جهلهم بأنَّ الواجب إذا نُسِخ لا يعود واجبًا مرَّةً أخرى حملهم على اعتقاد وجوب ركعتين في السَّفَر، مع أنهما نُسِخَتا بالأربع.

مسألة

حيث صحَّ أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أتمَّ الصلاة في السَّفَر.

وصحَّ أنه جعل القصر رخصةً غير فريضةٍ، فذلك دليلٌ على أنه جائزٌ كالإتمام.

وثبت عن جماعةٍ من الصحابة أنهم أتمُّوا في السَّفَر أيضًا منهم عثمان، وعائشة، وسعد بن أبي وقَّاصٍ، وابن مسعودٍ، وأبو ذرٍّ، وسلمان[1]،وذلك يقتضي جواز القصر عندهم.

---

(١) والمِسْوَر بن مَخْرمة وهو صحابيٌّ معروفٌ، روى الطحاويُّ في "معاني الآثار" عن عبدالرحمن بن المِسور: «أنَّ سعد بن أبي وقَّاصٍ، والمِسور بن مَخْرمة، وعبدالرحمن بن الأسود، كانوا جميعا في سَفَرٍ، فكان سعد يقصر الصلاة ويفطر، وكانا يتمَّان ويصومان».اهـ

وعبدالرحمن بن الأسود ولد في العهد النبويِّ، وسعد بن أبي وقاصٍ صحَّ عنه الإتمام أيضًا.

وروى أبو داود عن ابن مسعودٍ: أنه عاب على عثمان إتمامه الصلاة في السَّفَر، ثُمَّ صلَّى أربعًا، فقيل له: عِبت على عثمان ثُمَّ صلَّيت أربعًا؟! فقال: الخلاف شَرٌّ، وروى أحمد مثله عن أبي ذرٍّ، إلَّا أنه قال: الخلاف أشد.

وهذا يقتضي أنَّ القصر غير واجبٍ لأمورٍ:

١- أنَّ هذا الذي يترك أو يفعل بعدًا عن الخلاف هو: المندوب أو المباح، أمَّا الواجب فإنه يفعل في جميع الحالات من غير أن يراعى فيه خاطر خليفةٍ، أو ملكٍ، أو أميرٍ، خصوصًا فريضة الصلاة التي هي أهم أركان الدين بعد الشهادتيين فلا يظن بابن مسعودٍ وأبي ذرٍّ مع قديم صحبتهما وفضل علمهما وقوة إيمانهما؛ أن يزيد ركعتين على ما فرضه الله خوفًا من خلاف أمير المؤمنين، هذا ما لايمكن أن يفعلاه، بل المجزوم به أنهما أتمَّا لجواز الإتمام عندهما.

٢- أنَّ عثمان لم يكن في حِدَّة أبي بكرٍ رضى الله عنهما، ولا في شِدَّة عمر رضى لله عنه، بل كان هيِّنًا ليِّنًا ضعيفًا مُستَضْعَفًا، فلم يكن ليهابه ابن مسعودٍ وأبو ذرٍّ، بحيث يزيدان على ما فرضه الله ورسوله مراعاةً له، فلو لم يكن الإتمام جائزًا في نظرهما، ما فعلاه لأجله.

٣- أنَّ عثمان كان يتمُّ الصلاة لنفسه، ولم يأمر رعيَّته بالإتمام، ومِن المعلوم بالضرورة أنَّ فعل الخليفة ليس واجب الاتباع، فكيف يترك ابن مسعودٍ وأبو ذرٍّ واجب القصر لموافقة فعل ليس بواجبٍ؟! ولولا أنَّ الإتمام جائزٌ ما فعلاه.

٤- ثبت في "صحيح مسلم": «أنَّ عثمان كان ينهى عن متعة الحجِّ، وعليٌّ يأمر بها، فقال له عثمان كلمة، فقال عليٌّ عليه السَّلام: ماتريد إلى أمر فعله رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم تنهى عنه؟ فقال عثمان: دَعْنا مِنك، فقال

عليٌّ: لا أستطيع أن أَدَعَكَ، فأَهَلَّ بهما معًا.

فأنت ترىٰ كيف خالف عليٌّ عثمانَ الخليفة فيما نهىٰ عنه، ولم يحصل من خلافهما شَرٌّ ولا فسادٌ، ولم يترك عليٌّ متعة الحَجِّ لنهي الخليفة عنها، مع أنها غير واجبةٍ.فكيف يظن بابن مسعودٍ وأبي ذرٍّ ترك واجب القصر لأجل إتمام عثمان؟! بل ما أتمَّ إلَّا لأنه جائزٌ، وإنما عاب عليه مخالفة ما فعله النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في معظم أسفاره علىٰ سبيل الأفضلية.

مسألة

قال أهل الأصول:

الأداء: فعل العبادة في وقتها المقدَّر لها شرعًا.

والقضاء: فعلها بعد خروج وقتها.

والإعادة: فعلها ثانيًا في الوقت؛ لخللٍ في فعلها أولًا أو لعذرٍ.

فالخلل: كأن يصلِّي بدون وضوءٍ، أو علىٰ ثوبه نجاسةٌ، أويترك ركنًا من الصلاة نسيانًا، فإنه يعيدها وجوبًا.

والعذر أنواع:

١- أن يصلِّي منفردًا، ثُمَّ يجد جماعةً يصلُّون تلك الصلاة.

٢-أن يصلِّي في جماعةٍ، ثُمَّ يؤمُّ جماعةً لا يجدون من يؤمهم.

٣- أن يصلِّي في جماعةٍ، ثُمَّ يجد رجلًا يريد الصلاة وحده، فيتصدَّق عليه بالصلاة معه ليحصل له فضل الجماعة.

أمَّا أن يصلِّي الرجل وحده، ثُمَّ يعيد تلك الصلاة وحده أيضًا بدون مقتضٍ للإعادة، أو يصلِّي في جماعةٍ ثُمَّ يعيدها وحده بدون عذرٍ، فهذا لا يجوز.

ولا تصح الصلاة المُعادَة، لما روىٰ أحمد وأبو داود والنَّسائيُّ، عن سليمان بن يسارٍ قال: أتيت علىٰ ابن عمر وهو بالبلاط، والقوم يصلُّون في المسجد فقلت: ما يمنعك أن تصلِّي مع الناس؟! قال: قد صلَّيت، وإني سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**لا تصلُّوا صلاةً في يومٍ مرتين**». صحَّحه ابن حِبَّان.

ومِن ثَمَّ حكمت في كتاب "الرأي القويم" ببطلان ما رواه عبدالله بن عمر، عن نافعٍ، عن ابن عمر: «أنه كان إذا صلَّىٰ مع الإمام بمنًىٰ أربع ركعاتٍ انصرف إلىٰ منزله فصلَّىٰ فيه ركعتين أعادها»، وهذا وجه بطلانها من جهة المتن.

أمَّا بطلانها من جهة السند: فإن عبدالله بن عمر تفرَّد بها، وهو مختلَفٌ فيه، ضعَّفه قومٌ، ووثَّقه بعضهم، مع اعترافه بأن في حديثه اضطرابًا، وأنه يزيد في الأسانيد، وأنه أدركته غفلة الصالحين، وروايته هذه مردودةٌ، سواء قلنا بثقته أو بضعفه، لما تقرَّر في علم الحديث: أنَّ الثقة إذا خالف من هو أوثق منه، أو أكثر عددًا كانت روايته شاذَّة، وأنَّ الضعيف إذا خالف الثقة كانت روايته منكرة، والشاذُّ والمنكر من قبيل الضعيف.

وعبدالله بن عمر خالف رواية إمامين عظمين هما أخوه عبيدالله، ومالك، فإنهما رَوَيا عن نافعٍ: «أنَّ ابن عمر كان إذا صلَّىٰ مع الإمام صلَّىٰ أربعًا، وإذا صلَّىٰ وحده صلَّىٰ ركعتين».

وروىٰ مالكٌ عن نافعٍ: «أنَّ ابن عمر أقام بمكة عشر ليالٍ يقصر الصلاة، إلَّا أن يصلِّيها مع الإمام فيصلِّيها بصلاته»، وهذا الإسناد يدخل في أصحِّ الأسانيد، وهو سلسلةٌ مُسْبكةٌ بالذهب.

مسألة

قال موسى بن سلمة: كنَّا مع ابن عبَّاسٍ بمكَّة فقلت: إنَّا إذا كنَّا معك صلَّينا أربعًا، وإذا رجعنا إلى رحالنا صلَّينا ركعتين؟.

معنى هذا الكلام: أنَّ موسى سأل عن الفرق بين الحالتين: إذا صلَّى مع الجماعة صلَّى أربعًا، وإذا صلَّى وحده صلَّى ركعتين؟

فأجابه ابن عبَّاسٍ بقوله: تلك سُنَّة أبي القاسم.

أي: التفريق بين الصلاتين بالإتمام والقصر سُنَّة أبي القاسم.

ولم يكن سؤال موسى عن صلاة السَّفَر، لِـمَ كانت ركعتين؟ حتى يؤوَّل جواب ابن عبَّاسٍ له: بأن صلاة ركعتين سُنَّة أبي القاسم، كما أوَّله بذلك من لم يتذوَّق أسرار اللغة العربية، ولا عرف عِلْم البلاغة الذي يُظْهِر تلك الأسرار ويُجَلِّيها، كما لم يفهم ما قرَّره الأصوليون من وجوب مطابقة الجواب للسؤال.

ويدل سؤال موسى على أنَّ إتمام المسافر خلف المتمِّ كان مُقرَّرًا معلومًا عندهم، وإنما سأل، ليعلم هل هو منقولٌ عن الشارع أم اجتهادٌ من الصحابة الذين أفتوا به، أو فعلوه كابن عبَّاسٍ وابن مسعودٍ وابن عمر وسلمان؟ فأجابه ابن عبَّاسٍ: بأنه سُنَّة أبي القاسم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

وقال القاضي عياض في شرح سؤال موسى بن سلمة وجواب ابن عبَّاسٍ له، مانصُّه: «مفهومه أنَّ الإمام إذا أتمَّ يُتم معه، وهو قول الكافَّة».اهـ

وهو كلامٌ صحيحٌ لا غبار عليه، ومنزلة القاضي عياض معروفةٌ لا تُجهَل، فهو حافظٌ على طريقة الفقهاء، إمامٌ في الأصول واللغة والأدب، قاضٍ عادلٌ

نزيهٌ، أشعريُّ العقيدة، ليس بمُشَبِّهٍ ولا مُجَسِّمٍ ولا حَشويٍّ[١]، وبالجملة هو مَفْخَرة المغرب.

على أنَّ البخاريَّ وغيره احتجُّوا بكلام أبي عبيدة في "غريب القرآن والحديث"، وهو خارجيٌّ، وأطبق العلماء على الاحتجاج بكلام الزمخشريِّ في "الكشَّاف"، و"الفائق"، و"أساس البلاغة"، وهو معتزليٌّ جَلْدٌ، والماورديُّ من فقهاء الشافعيَّة معتمَدٌ عندهم وهو معتزليٌّ أيضًا.

وابن تيمية يحتجُّ كثيرٌ من الناس بكلامه، ويُسَمِّيه بعضهم شيخ الإسلام، وهو ناصبيٌّ عدوٌّ لعليٍّ عليه السَّلام، واتهم فاطمة عليها السَّلام بأنَّ فيها شُعبة مِن النفاق. وكان مع ذلك مُشبِّهًا، إلى بدعٍ أخرى كانت فيه، ومِن ثَمَّ عاقبه الله تعالى، فكانت المبتدعة بعد عصره تلامذة كتبه، ونتائج أفكاره، وثمار غرسه.

مسألة

إذا اقتدى مسافرٌ بإمامٍ مُتِمٍّ مقيمًا كان أو مسافرًا، وجب عليه أن يتمَّ الصلاة تبعًا لإمامه، كما فعل سلمان الفارسيُّ، للأحاديث الصحيحة الموجبة لذلك.

وأفتى به من فقهاء الصحابة: ابن مسعودٍ، وابن عمر، وابن عبَّاسٍ، ولم يخالفهم أحدٌ من الصحابة، فهو إجماعٌ سكوتيٌّ.

واتفق الفريقان على القول بوجوبه، من قال بوجوب القصر كالحنفية، ومن قال باستحبابه كالمالكيَّة والشافعيَّة.

فالعجب ممن يزعم أنَّ المسافر إذا أتمَّ الصَّلاة خلف إمامه أتى بمنكرٍ

---

(١) ولم يكن ناصبيًّا، ولم يكن يعتقد قِدَم العالم بالنوع.

عظيمٍ! وهذا جهلٌ ومجازفةٌ وإسرافٌ في التعصُّب للتقليد الباطل.

نسأل الله أن يرزقنا التوفيق والإنصاف، وأن يُجنِّبنا العجب المردي والعناد المَمْقُوت، وأن يحفظنا من القول في الدين بغير علمٍ حتى لا ندخل في وعيد قول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن أُفْتِيَ** -بالبناء للمجهول- **بغير عِلْمٍ فإنما إثْمُهُ على مَن أَفْتَاه**».

الخلاصة

بعد إذ انتهينا من تحقيق الموضوع، نلخِّص مجمله في النقاط الآتية:

١- ثبت في "صحيح البخاري" أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أتمَّ الصلاة في السَّفَر.

٢- صحَّ أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم جعل القَصْرَ في السَّفَر رخصةً غير واجبةٍ، وليس بعد بيان الشارع بيانٌ.

٣- قول عائشة: «فُرضت الصلاة ركعتين ركعتين، فأُقِرَّت صلاة السَّفَر، وزِيد في صلاة الحَضَر»، يدل علىٰ جواز القصر في السَّفَر؛ لأن الركعتين نُسِختا بوجوب الأربع، فلمَّا شُرِع القَصْر بعد ذلك علىٰ سبيل الرُّخصة كان جائزًا غير واجبٍ.

وقولها: «فأُقِرَّت صلاة السَّفَر» مجازٌ، أي: بحسب ما آلت إليه بعد مشروعيَّة القصر، وهذا مجازٌ شائعٌ معروفٌ، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ﴾ [يوسف: ٣٦]، أي: أعصر عِنبًا يؤول إلىٰ خمرٍ، ويُسمَّىٰ مجاز الأول، وهو من قبيل المجاز المرسل.

وممَّا يؤيِّد هذا: أنَّ صلاة الصبح أبقيت كما هي، في حين زيادة الظهر والعصر والعشاء إلىٰ أربع ركعاتٍ، فلم تنسخ ركعتا الصبح، بل استمرَّ وجوبهما الأول علىٰ حاله، ومثل ذلك صلاة المغرب.

٤- القاعدة: «أنَّ الواجب إذا نُسِخ لا يوجبه الشارع مرَّةً أخرىٰ»، وبهذه القاعدة: كانت مشروعيَّة القصر في السفر لا تتجاوز درجة المندوب، ولأجل

هذه القاعدة أيضًا مع ما سبق من شرح قول عائشة على الوجه الصحيح كانت تتمُّ الصلاة في السفر، وقالت لعروة: «لا يشق عَلَيَّ»، لا لأجل أنها تأوَّلت كما قال المخطئون في فهم قولها، الغافلون عن القاعدة التي بيَّناها وتبعهم المقلِّدون الناعقون بما لا يفهمون.

٥- لو كان قول عائشة يفيد وجوب ركعتين في السفر، أو كان الواجب إذا نسخ يعاد وجوبه مرة أخرى لم يجز لعائشة أن تتمَّ صلاة السفر بالتأويل، كما لا يجوز لها أن تزيد في صلاة الصبح ركعتين بالتأويل، ذلك أنَّ الزيادة على ما فرضه الشارع عصيانٌ بحتٌ، والاجتهاد أو التأويل لا يدخل فيما حَدَّه الشارع، كعدد الصلاة، ومن القواعد الأصولية التي يعرفها صغار الطلبة: «لا اجتهاد مع النصِّ».

٦- حديث عائشة: «كان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقصر في السفر ويتمُّ، ويصوم ويُفطر». صحَّحه الدارقطنيُّ، أمير المؤمنين في الحديث.

ومعناه مؤيَّدٌ بأحاديث في "صحيح البخاري" وغيره، وتكذيب ابن تيمية له مبنيٌّ على قاعدته في تكذيب أو تضعيف ما يخالف رأيه، وللمبتدعة جرأةٌ عجيبةٌ في ردِّ ما يخالف رأيهم حتى أنَّ ابن تيمية تطاول على بعض الصحابة؛ لأنه قال خلاف ما يراه، وهو هنا يرى أنَّ القصر واجبٌ، وأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لم يتم في السفر قَطُّ.

فإذا ثبت ما يخالف ذلك فليكن مكذوبًا بدون بحثٍ ولا تمحيصٍ.

وتأويل الحديث على معنى: «كان يَقْصُر وتُتِمُّ، ويُفْطِرُ وتَصومُ» ذهولٌ وغفلةٌ، على أنَّ راوي الحديث: عائشة التي تحدَّثت عن النبيِّ صلَّى الله عليه

وآله وسلَّم لا عن نفسها، وتقول في رواية الشافعيِّ في "الأم": «كلُّ ذلك قد فعل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، قصر الصلاة وأتمَّ».

وفي رواية الطحاويِّ عنها قالت: «قَصَرَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في السَّفَرِ وأتمَّ». وهاتان روايتان صريحتان.

٧- قول ابن عبَّاسٍ: «إنَّ الله فَرَضَ الصَّلاةَ على لسان نبيِّكم على المسافر ركعتين، وعلى المقيم أربعًا، والخوف ركعةً»، ممَّا أخذه ابن عبَّاسٍ من القرآن الذي وصل إلينا على لسان النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

وهو شاذٌّ لوجوهٍ:

أحدها: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لم يُصَلِّ في الخوف ركعةً قَطُّ.

ثانيها: أنه صحَّت في صلاة الخوف أنواع:

منها: أنه صَلَّى صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بطائفةٍ ركعتين وسلَّمت قبله، وجاءت طائفةٌ أخرى فصلَّى بهم ركعتين وسلَّم، فكانت له أربع، وللطائفتين ركعتين ركعتين، وهذا يردُّ قول ابن عبَّاسٍ: «فَرَضَ اللهُ على المسافر ركعتين».

ومنها: صلَّى بطائفةٍ ركعتين وسلَّم، وجاءت أخرى فصلَّى بهم ركعتين وسلَّم، وهذا يدل على صحَّة اقتداء المفترض بالمتنفِّل، خِلافًا للمالكيَّة.

ومنها: صلَّى بطائفةٍ ركعةً وأتمَّت لنفسها ركعةً، وصلَّى بالطائفة الأخرى ركعةً وسلَّم، وأتمَّت لنفسها ركعةً.

ومنها غير ذلك، فلو كان فرض صلاة الخوف ركعة لما صحَّت هذه الأنواع.

ثالثها: أنَّ العلماء اتفقوا على جواز هذه الأنواع وغيرها في صلاة الخوف؛ لصحَّتها، وإنما اختلفوا في أفضلها، ولو كانت الركعة فرضًا ما تركوها أبدًا.

رابعها: أنَّ النَّسائيَّ روىٰ أنَّ الصحابة صلُّوها ركعةً في بعض الحالات، وهذا أوضح دليلٍ علىٰ أنها ليست بفرضٍ، إذ لو كانت فرضًا ما تركوها أبدًا.

٨- قول عمر: «صلاة السفر ركعتان...» إلخ، مُستنبطٌ أيضًا، ولعله حمل قول النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**فاقْبَلُوا مِن الله صَدَقَتَهُ**»، علىٰ الوجوب.

لكن حمله على الندب هو الراجح، لوجوهٍ:

منها: ليتفق مع أدلة جواز الإتمام، كحديث: «**إنَّ اللهَ وَضَعَ عن المُسافِرِ الصَّومَ، وشَطْرَ الصَّلاةِ**»، وحديث: «**إنَّ الله يحبُّ أن يُؤخَذَ برُخْصَتِهِ كما يحبُّ أن يؤخَذَ بفَرِيضَتِهِ**»، وقول عائشة: «فُرضت الصَّلاةُ ركعتين فأُقِرَّت صلاة السَّفَر، وزِيد في صلاة الحَضَر»، والجمع بين الأدلة واجب كما تقرَّر في الأصول.

ومنها: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أتمَّ في صلاة السفر.

ومنها: أنه لو كان الأمر للوجوب لزم وجوب جميع الرُّخَص؛ لأنها صدقةٌ تصَدَّقَ اللهُ بها علينا، لكن الشارع أجاز الصوم للمسافر، وأجاز للمريض المرخَّص له بالتيمُّم أن يتوضَّأ، فدل ذلك علىٰ أنَّ الأمر للندب.

٩- ما رواه عبدالله بن عمر، عن نافعٍ، عن ابن عمر: «أنه كان إذا صلَّىٰ مع الإمام بمنًىٰ صلَّىٰ أربع ركعاتٍ، انصرف إلىٰ منزله فصلَّىٰ فيه ركعتين أعادها» ضعيفٌ، بل باطلٌ مردودٌ؛ لأمورٍ:

منها: مخالفته لما صحَّ عن سليمان مولىٰ ميمونة، قال: أتيت علىٰ ابن عمر وهو بالبلاط -موضع بين المسجد والسوق بالمدينة- والقوم يصلُّون في المسجد، فقلت: ما يمنعك أن تصلِّي مع الناس؟! قال: قد صلَّيتُ، وإني سمعتُ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**لا تصلُّوا صلاةً في يومٍ**

مرَّتين»، فكيف يصح عن ابن عمر وهو راوي هذا الحديث أن يعيد الصلاة وحده بعد أن يصلِّيها في جماعةٍ؟!.

ومنها: مخالفته لما رواه مالكٌ، وعبيدالله بن عمر، عن نافعٍ، عن ابن عمر: «أنه كان إذا صلَّىٰ مع الإمام صلَّىٰ أربعًا، وإذا صلَّىٰ وحده صلَّىٰ ركعتين».

وروىٰ مالكٌ، عن نافعٍ، عن ابن عمر: «أنه أقام بمكة عشر ليالٍ يقصر الصلاة، إلَّا أن يصلِّيها مع الإمام، فيصلِّيها بصلاته».

فهاتان الرِّوايتان المَرْويَّتان بأصحِّ إسنادٍ تُصرِّحان بأنَّ ابن عمر كان في سفره يصلِّي ركعتين وحده؛ أخذًا بسنَّة السَّفَر، وإذا صلَّىٰ خلف إمامٍ مقيمٍ أَتَمَّ معه؛ عملًا بواجب الاقتداء.

ومنها: مخالفته لما رواه عبدالرزَّاق، عن مَعْمَرٍ والثوريِّ: قال سليمان التيميُّ، عن أبي مِجْلَزٍ قال: «قلت: لابن عمر: أدركتُ ركعةً من صلاة المقيمين وأنا مسافرٌ؟ قال: صَلِّ بصلاتهم»، فهذه فتوىٰ ابن عمر -بإسنادٍ صحيحٍ- تفيد إتمام المسافر خلف إمامه المقيم.

١٠- الحكم الشرعيُّ -كالجواز مثلًا- يكفي لإثباته دليلٌ واحدٌ، ولا يشترط فيه تعدُّد الأدلة باتفاق الأصوليين والفقهاء.

وقد كان يكفي لجواز الإتمام: أنه الأصل، والتقصير طارئ عليه لعذر السفر، لكني نوَّعت الأدلة من القرآن الكريم، وقول النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وفعله، تقويةً واستظهارًا.

١١- إتمام المسافر خلف إمامه المتمِّ واجبٌ؛ لأدلةٍ متعدِّدةٍ:

منها: حديث: «**إنما جُعِلَ الإمامُ ليُؤتَمَّ بِهِ**». وهو حديثٌ متواترٌ كما بيَّنته في

"الرأي القويم".

ومنها: قول موسىٰ بن سلمة لابن عبَّاسٍ: «إذا كنَّا معكم صلَّينا أربعًا، وإذا رجعنا إلىٰ رحالنا صلَّينا ركعتين؟» وجواب ابن عبَّاسٍ له: «تلك سُنَّة أبي القاسم صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم»، أي: تلك التفرقة بين صلاة المسافر في الجماعة فيتم، وبين صلاته وحده فيقصر سُنَّة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

ومنها: الإجماع السكوتيُّ: لأن ابن مسعودٍ وابن عبَّاسٍ وابن عمر، أفتوا بمتابعة المُسافر لإمامه المقيم، ولم يخالفهم أحدٌ من الصحابة، بل فعل سلمان وجماعة من الصحابة علىٰ وفق تلك الفتوىٰ، حيث أتمُّوا خلف إمامٍ مُتِمٍّ، وهم جميعًا مسافرون.

ومنها: إذا اقتدىٰ مسافرٌ بمُتمٍّ، فقد ربط صلاته بصلاته، فوجب عليه الإتمام، كما لو نوىٰ الإقامة في الصلاة.

ومنها: القاعدة الأصوليَّة التي تقول: «إذا اجتمع وصفٌ لازمٌ، وآخر طارئٌ نِيط الحكم باللازم؛ لأنه ألصق بالحقيقة وأنسب»، ووصف المؤتمِّ لازمٌ للمأموم في حال حضره وسفره، فوجب عليه اتباع إمامه في كلا الحالين، وأُلغي وصف السفر؛ لأنه طارئٌ

ومنها: أنَّ متابعة الإمام واجبةٌ، والتقصير مندوبٌ، فلزم الإتمام تقديمًا للواجب علىٰ المندوب.

١٢- إنْ قَصَرَ مُسافرٌ خلف إمامه المتمِّ فصلاته باطلةٌ باتفاق الفريقين، من يقول بوجوب التقصير في السفر، كالحنفية ومن وافقهم، ومن يقول: بندبه كالمالكيَّة والشافعيَّة ومن وافقهم.

ولم يقل بصحَّتها إلَّا إسحاق بن راهويه وابن حزمٍ، ولا دليل لهما، فقولهما في غاية الشذوذ، أيصح مع هذا أن يزعم زاعمٌ: أنَّ المسافر إذا أتمَّ مع إمامه المتمِّ أتىٰ بمنكرٍ عظيمٍ؟! ولا حول ولا قوة إلَّا بالله العلي العظيم.

١٣- قال تعالىٰ في صوم رمضان: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وهذا الأسلوب يقتضي: وجوب الإفطار علىٰ المسافر، بقاعدة أصوليَّة هي: «أنَّ وقوع المصدر في جواب الشرط يفيد الوجوب»، وقد بيَّنت هذه القاعدة في "خواطر دينية".

وقال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ليس مِن البرِّ الصِّيام في السَّفَر**».

وأخذ بهذا داود الظاهريُّ وابن حزمٍ والإماميَّة، فقالوا: لا يصح الصوم في السَّفَر ولا يجزئ، ونقل هذا القول عن عمر وأبي هريرة وجماعةٍ من التابعين.

لكن ذهب عامَّة العلماء من الصحابة والتابعين وأئمَّة المذاهب إلىٰ جواز الصوم للمسافر وصحَّته، وأجابوا عن الآية بأنَّ فيها حذفًا، والتقدير: «ومَن كان مريضًا أو علىٰ سَفَرٍ وأفطر فعِدَّةٌ» الآية.

وعن الحديث: بأنه واردٌ فيمن شقَّ عليه السفر وأجهده، فيكون خاصًّا بهذه الحالة؛ لأن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم صام في رمضان وهو مسافرٌ، وأجاز للمسافر أن يصوم.

وقال تعالىٰ في الصلاة في السفر: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [النساء: ١٠١]، وهذه الصيغة تفيد التخيير، وحيث كان التقصير في السفر مع الخوف مخيَّرًا فيه، فهو في السفر مع

الأمن كذلك، بل أولى.

ولم يقل النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: ليس من البرِّ إتمام الصلاة في السفر، بل صحَّ عنه أنه أتمَّ في السفر، وصحَّ أنه سمَّى التقصير رخصة، وبهذا أخذ الجمهور.

فهاتان فريضتان نزلت في كلٍّ منهما رخصةٌ، حملها الجمهور على الندب، وحملتها طائفةٌ على الوجوب، وفرَّقت طائفةٌ فأوجبت رخصة الصلاة، وأجازت رخصة الصيام.

ولهذه الطائفة نقول: كيف يكون الفطر جائزًا ودليل وجوبه أقوى وأظهر؟! ويكون التقصير واجبًا ودليل جوازه أوضح وأمتن؟! أليس هذا تفريق بين المتماثلين وتحكمًا في الأدلة بالهوى؟!

نسأل الله السلامة والعافية.

أغلاط صاحب المنكر العظيم

وهي كثيرةٌ، أذكر منها ما يحضرني الآن:

فمنها: ذلك الإشكال الذي بيَّنت استحالته في جزء "التنصل والانفصال".

ومنها: تعليله حَلْق اللِّحية بتغيير خَلْقِ الله، وبالتشبُّه بالنِّساء.

ومنها: تقليده للألبانيِّ في ذلك التعليل.

ومنها: قياسه حَلْق اللِّحية على التنميص، وهو قياسٌ باطلٌ فقد فيه شرط القياس.

ومنها: تقليده للألبانيِّ في ذلك القياس.

ومنها: تحريمه للذهب على المرأة.

ومنها: تقليده للألباني في ذلك.

ومنها: زعمه أنَّ الأمن من مكر الله كبيرةٌ، مع أنه لم يرد فيه وعيدٌ، ونسي قول الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]، ولا أذكر له الحديث؛ لأنه لا يعرفه.

ومنها: إفتاؤه لمريضٍ صائمٍ أن يبلع الدواء بدون ماء، ولا يكون مفطرًا! مع أنَّ الدواء يشتمل على مواد تتحلَّل في الأمعاء كما يتحلَّل الطعام.

وإذا كان بعض الصحابة يبلع البرد وهو صائم ويقول: «ليس بطعامٍ ولا شرابٍ»، فهو اجتهادٌ منه خالفه فيه سعيد بن المسيِّب فقال: بل يطفئ الظمأ، ثُمَّ لو كان بلع الدواء لا يفطر الصائم لأرشد الله المريض إليه من غير أن

يرخِّص له في الإفطار، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤].

ومنها: دعواه أنَّ الهَجْرَ سنَّةٌ، وما هو إلَّا بدعةٌ شِركيَّة ابتدعها آزر حين قال لابنه: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٦].

ومنها: تشدُّده في حَلْقِ اللِّحية إلى حدٍّ لعن الحالق، وإهماله للخضاب، مع أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أمر به، كما أمر بإعفاء اللحية، وعلَّله بمخالفة المشركين، واليهود أبغض إلى الله منهم؛ لأنهم كفروا عنادًا بعد علم، وجحدوا حسدًا بعد برهان.

ومنها: لعنه حالق اللِّحية قياسًا على المتنمِّصة، والشارع لم يلعن الحالق، والقياس في اللعن ونحوه من العقوبات المعنويَّة لا يجوز، بل الأمر فيه موقوفٌ على النصِّ، ألا ترى أنَّ الله عزَّ وجلَّ لعن قاطع الرَّحم ولم يلعن الزَّاني، ولعن النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مَن يتعامل بالرِّبا ولم يلعن الغاش في معاملته، ولعن المتنمِّصة ولم يلعن الزانية.

فالشارع وحده يعلم من يستحق اللعن أو الغضب مثلًا ومن لا يستحق، وهذا الأمر مُغيَّبٌ عنا لا نعقل حِكْمَته حتى نقيس عليه.

فإذا علَّلنا لعن المرابي بأنه يضر الناس ويأخذ مالهم بغير حقٍّ، وجدنا الغاشَّ مثله لكن لم يلعنه الشارع، وإذا علَّلنا لعن المتنمِّصة بأنها غيَّرت خلقتها لأجل الرجال، فمقتضى ذلك أن تكون الزانية أحق باللعن، لكن لم يلعنها الشارع.

ومنها غير ذلك مما لا أستحضره.

لـه كُـلَّ يـومٍ سَـقْطَةٌ في مَسَـائِلَ ... تُعَـدُّ مِـن الـدِّينِ القَـويمِ وتُحْسَـبُ
فلـيس يَخَـافُ اللهَ فـيما يَقُولُـهُ ... وليس يُراعِـي الحَـقَّ إذ هـو يَكْتُـبُ
ولكـن يُريـدُ أن يُقَـالَ شَرِيفُنـا ... أَجَابَ وأَفْتَىٰ، نِعْمَ ما قَـالَ مَـذْهَبُ
ويَحْـرِصُ أن يَلْقَـىٰ قَبُـولًا لرأيِـهِ ... مِن النَّاسِ حِرْصًا بالغًا ويُرِغِّـبُ[1]
ويَكْـرَهُ جِـدًّا أنْ يُقَـالَ لِرَأْيِـهِ ... خَطَاءٌ[2] فيَعْلُـوهُ اكْتِئَـابٌ ويَغْضَـبُ
وليس لنا شخصٌ صَـوابٌ كَلَامُـهُ ... بـلا خَطَـأ إلَّا النبـيُّ المُقَـرَّبُ

(١) بتشديد الغين المكسورة، أي: يُرغِّب الناس في العمل برأيه، تارةً بالحَلِف على أنَّ ما قاله صوابٌ، وتارةً يقسم على الشخص أن يعمل بقوله، أو يهدِّده بالهَجْر إن لم يعمل به، أو يقول له: «اعمل به على رقبتي».

(٢) خطاء كسحاب.

خاتمة فيها مسائل

المسألة الأولى

بقي من أدلة وجوب إتمام المسافر خلف المقيم أربعة:

١- حديث في "صحيح البخاري" عن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**أما يَخْشَى أحَدُكُمْ إذا رَفَعَ رَأْسَهُ قبلَ الإمامِ أن يجعل الله رَأْسَهُ رَأْسَ حِمَارٍ؟ أو يجعل الله صُورَتَهُ صُورَةَ حِمَارٍ؟**».

في هذا الحديث وعيدٌ شديدٌ للمأموم الذي يسبق إمامه بشيءٍ من أركان الصلاة، والمسافر الذي يقصر خلف المقيم فيسلِّم قبل إمامه من ركعتين أولى بهذا الوعيد، فيجب عليه أن يتمَّ الصلاة مع إمامه المقيم؛ لئلَّا يقع تحت طائلة الوعيد المذكور.

٢- في "الموطأ" عن أبي هريرة قال: «**الذي يَرْفَعُ رَأْسَهُ ويَخْفِضُهُ قبلَ الإمامِ فإنَّما ناصِيَتُهُ بيدِ شَيْطَانٍ**».

هذا الحديث مرفوعٌ حُكْمًا؛ لأنه ليس للرأي فيه مجالٌ ولا دَخْل للاجتهاد فيه، وهو يفيد أنَّ المأموم الذي يسبق إمامه بشيءٍ من أركان الصلاة يفعل ذلك بإرشاد الشيطان وتحريكه، والمسافر الذي يسلِّم من ركعتين قبل إمامه يصدق عليه أنَّ ناصيته بيد شيطانٍ، فيجب عليه أن يتمَّ مع إمامه؛ لئلَّا تبطل صلاته بكون الشيطان يحرِّكه فيها.

٣- ثبت في الحديث الصحيح عند الطبرانيِّ وغيره: أنَّ مخالفة المأموم لإمامه في أفعال الصلاة كانت جائزةً في أوائل الهِجْرة، فكان الرجل إذا أتى والنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يصلِّي بالصحابة، يسأل أحد المأمومين بإشارة يده:

كم صلَّى؟ فيجيبه المأموم بإشارة يده: أنه صلَّى ركعتين أو ثلاثًا. فيصلِّي المَسْبوق ما فاته ثُمَّ يدخل مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في بقيَّة صلاته، فقال معاذ بن جبلٍ رضي الله عنه: «لا أجد النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على حالةٍ إلَّا دخلت معه فيها، فإذا سلَّم أتيتُ بما فاتني». فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**قد سَنَّ لكم معاذٌ، فافْعَلُوا مِثل ما فَعَل، أو فَاقْتَدُوا بِهِ**».

فهذا الحديث نسخ جواز المخالفة السابقة، وأصبحت متابعة المأموم لإمامه واجبةٌ، والمسافر الذي يسلِّم قبل إمامه المتمِّ خالف إمامه، فعمل بحكمٍ منسوخٍ، والعمل بالحكم المنسوخ باطلٌ، فصلاته باطلةٌ، كما لو استقبل المصلِّي بيت المقدس.

٤- بعد فتح مكة جاءت وفود العرب إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أفواجًا لإعلان إسلامها وتعلُّم أحكام الدِّين، فكانوا يُتِمُّون معه الصلاة، ولم يقل: «أقصروا»، كما قال لأهل مكَّة في حَجَّة الوداع: «**أتمُّوا، فإنَّا قومٌ سَفْرٌ**»، ولو قال لهم: «أقصروا» لنقله إلينا الصحابة الذين نقلوا أحاديث الاستنجاء، والسِّواك، ونحو ذلك، بل هذا أهم؛ لأنه يتعلَّق بالصلاة التي هي أهمُّ أركان الدِّين بعد الشهادتين، فنحن نجزم بأنهم كانوا يُتِمُّون الصلاة مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؛ لأن مخالفة المأموم لإمامه نُسِخت بحديث معاذٍ السابق.

المسألة الثانية

قال ابن أبي شيبة في "المصنَّف": «فالمسافر إن شاء صلَّى ركعتين، وإن شاء صلَّى أربعًا»، وصدر الباب بحديث عائشة رضى الله عنها أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «كان يتمُّ الصلاة في السفر ويقصر، ويصوم ويفطر، ويؤخِّر

الظُّهر ويُعجِّل العصر، ويُؤخِّر المغرب ويُعجِّل العشاء»، وهو حديثٌ صحيحٌ كما قال الدارقطنيُّ.

ثُمَّ روىٰ ابن أبي شيبة بعد هذا الحديث الآثار الآتية:

فروىٰ عن أبي نجيحٍ المكِّيِّ قال: «اصطحب أصحاب النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في السفر، فكان بعضهم يُتِمُّ وبعضهم يَقْصُرُ، وبعضهم يصوم وبعضهم يُفطِر، فلا يعيب هؤلاء علىٰ هؤلاء، ولا هؤلاء علىٰ هؤلاء».

وروىٰ عن أبي قِلابة قال: «إن صَلَّيت في السَّفَر ركعتين فالسُّنَّة، وإن صلَّيت أربعًا فالسُّنَّة».

وروىٰ عن بِسْطام بن أسلم قال: «سألتُ عطاءً عن قَصْرِ الصَّلاة في السَّفَر؟ قال: إن قَصَرْتَ فرُخْصَةٌ، وإن شِئتَ أتممْتَ».

وروىٰ عن ميمون بن مهران: «أنه سأل سعيد بن المسيِّب عن الصلاة في السَّفَر؟ فقال: إن شئت ركعتين وإن شئت فأربع».

المسألة الثالثة

أعلن أخي -السيِّد أحمد- رجوعه عن القول بوجوب قصر المُسافِرِ خلف الإمام المُتمِّ، ورأىٰ أنَّ حديث ابن عبَّاسٍ في "صحيح مسلم" صريحٌ في وجوب إتمام المسافر مع إمامه المُتمِّ، «فقد سأله موسىٰ بن سلمة: إذا صلَّينا معكم صلَّينا أربعًا، وإذا صلَّينا في رحالنا صلَّينا ركعتين؟!، فأجابه ابن عبَّاسٍ تلك سُنَّة أبي القاسم».

فكان إعلانه الرجوع إلىٰ هذا الحديث إنصافًا محمودًا، ولكن بعض

تلامذته لم يرجع إليه، واستمرَّ على القول بوجوب قصر المسافر خلف إمامه المتمِّ، وهو خطأ محضٌ لا دليل يؤيِّده ولا حُجَّة تسنده، اللهمَّ إلَّا التعصُّب للرأي، هداه الله.

المسألة الرابعة

اختُلف في المسافة التي يصحُّ فيها القَصْر على أقوال، كثيرٌ منها شاذٌّ ومردودٌ؛ لأنه يفتح باب التساهل في الصلاة والصيام، كالذي يقصر الصلاة إذا ذهب إلى المطار لتوديع مسافرٍ، وفي الخروج للنُّزهة بظاهر البلد، مع أننا نعلم أنَّ مولانا الإمام الوالد -رحمه الله ورضي الله عنه- كان يدرِّس "صحيح البخاري" بالجامع الأعظم بطنجة، وكان الإخوان الصِّدِّيقيون بأصيلة يصلُّون الصبح، ويركبون دوابهم فيصلون طنجة في الساعة الحادية عشرة، ويحضرون درسه ويصلون الظهر معه، ويعودون إلى بلدهم فيَصِلون قبل المغرب بمدَّةٍ، وكان أحيانًا يذهب إلى سيِّدي قاسم للنزهة، فيعلمون بأصيلا، فيذهبون إليه ويقضون معه اليوم هناك، ثُمَّ يعودون إلى بلدهم.

والحكمة في شرعيَّة القصر والفطر في السفر هي المَشقَّة، أو مظنَّتها، والسفر القصير كالسفر إلى أصيلا أو المطار أو النزهة لا مظنة فيه للمشقَّة أصلًا، فالترخص فيه بالقصر ونحوه تساهلٌ كبيرٌ، بل تلاعبٌ بالنصوص وإبطالٌ للعبادة.

ونحن نعلم أنَّ الله حيث أطلق لفظ السفر الشاق الذي يحتاج صاحبه إلى الرخصة، فالآية التي أطلقت السفر هي من قبيل العام المخصوص، والذين أخذوها على عمومها لم يفهموا معنى الرخصة ولا حكمتها، فلا بأس علينا إذا

خالفناهم في اجتهادهم المخطئ.

ونرى السفر الذي يصح فيه الترخص بالقصر ونحوه هو السفر الذي لا يقدر صاحبه أن يعود إلى بلده في اليوم الذي سافر فيه، وهي مسافة ٦٠ كيلو متر، فإن من سافر هذه المسافة ماشيًا على أرجله أو راكبًا دابَّة، لا يمكنه أن يرجع في نفس اليوم إلى بلده، فيصح له القصر، والفطر، وغير ذلك من الترخُّص، أمَّا أقل من هذه المسافة فالترخُّص فيها تساهلٌ وتلاعبٌ، والله أعلم.

المسألة الخامسة

القصر رخصةٌ بلا شكٍّ -ولو قيل بوجوبه- والرُّخصة لا تستمر؛ لأنها لو استمرَّت صارت حكمًا أصليًا، والمفروض في الرُّخصة أنها حكمٌ عارضٌ، هذا خلف، إذًا فالقصر له نهايةٌ فمتى ينتهي؟

صحَّ أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مكث في غزوة تبوك ثمانية عشر يومًا يقصر الصلاة، وصحَّ عنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ذلك في حَجَّة الوداع.

وحيث أنَّ القصر على خلاف الأصل؛ لعذر السفر، فالمسافر إذا زاد على هذه المدَّة وجب عليه الرجوع إلى الأصل، وهو إتمام الصلاة.

نعم، لو سافر شخصٌ لقضاء مصلحةٍ لا يطول أمدها في تقديره، فإنه يقصر ما دام ينتظرها؛ لأنه لا ينوي إقامةً.

وهذا محمل ما روي عن ابن عمر: أنه مكث في أذربيجان ستة أشهر يقصر الصَّلاة، لأنه كان في جيشٍ، وحبسهم مطرٌ غزيرٌ، والجيش لا يقيم بمكانٍ إلَّا بمقدار الرَّاحة أيامًا قلائل وهم لا يعرفون جو أذربيجان، ولا مقدار ما يستمرُّ

المطر فيها، فمكثوا مُكرَهين، ينتظرون الصحو بين لحظةٍ وأخرىٰ، فلهذا قصر ابن عمر.

أمَّا أن يسافر الشخص إلىٰ بلد يريد الإقامة فيه لعملٍ أو غيره، فيجب عليه الإتمام بلا نزاعٍ، ولو قصر فصلاته باطلةٌ.

ألا ترىٰ أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حين وصل إلىٰ المدينة مُهاجِرًا قاصدًا الإقامة فيها ألغىٰ حكم السفر فصلَّىٰ الجمعة قبل أن يستقرَّ بها؟، مع أنه ما صَلَّىٰ الجمعة في سفرٍ قَطُّ، وقال: «لا جُمُعَة لمُسافِرٍ»، وأمر المهاجرين الذين سبقوه إلىٰ المدينة بإقامة الجُمُعة؛ لأنهم صاروا مُقيمين وهذا واضحٌ جدًّا، وبالله التوفيق.

١١ - إزَالَةُ الالتِباسِ
عمَّا أَخْطَأَ فيه كَثِيرٌ مِن النَّاسِ

١ - جَوَازُ الصَّلاةِ حَاسِرَ الرَّأْسِ.

٢ - الصَّلاةُ بالنِّعَالِ.

١- إذهابُ اللَّبسِ عن جوازِ الصَّلاة حاسر الرَّأسِ

مقدمة

الحمد لله الذي رَفَعَ قَدْرَ العلماء، وجعلهم نجومًا يُهتدَىٰ بهم مِن الظَّـلْماء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً نرتفع بها عن حَضِيضِ الجُهلاء، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّدًا عبده ورسوله سيِّد الأصفياء، صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم صلاةً وسلامًا دائمين إلي يوم اللِّقاء.

وبعد: فإنَّ كثيرين مِن العامَّة يستقبحون الصَّلاة بدون عِمامةٍ، ويستعظمون أمرها، ويُبالِغون في انتقاد مَن يصلِّي وليس علىٰ رأسه غطاء مِن طاقية ونحوها، كأنه صلَّىٰ بادي العورة أو غير مستقبل القبلة، وطالما أفهمتُهم الحقَّ فلم يفهموه، وبيَّنتُ لهم الصواب فلم يَقْبلوه، وحاولتُ أن أجد لديهم دليلًا علىٰ ما يقولون فما وجدت شيئًا سوىٰ العِناد والتعصُّب، اللهمَّ إلَّا نفرًا مِن متعلِّمي أولئك العوام استدلوا بقوله: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف: ٣١]وبالأحاديث الواردة في فضل الصلاة بالعِمامة، وبالقياس حيث قالوا: «لا يليق بالواحد منا أن يقابل ملكًا من الملوك أو عظيمًا وهو عاري الرأس لما في ذلك من الإخلال بالأدب، فكذلك لا يليق الوقوف بين يدي الله في الصلاة والإنسان عاري الرأس».

هذا ما قالوه وهذا كل ما يمكن أن يستدلوا به، ونحن نريد في هذه الكلمة الوجيزة أن نبطل استدلالهم ونبيِّن أنَّ تغطية الرأس ليس شرطًا في صحَّة الصلاة ولا كمال لها، فنقول وبالله التوفيق: ينحصر الكلام هنا في ثلاثة فصول.

□الفصل الأول

في الكلام علي الآية

وينحصر في:

المسألة الأولى: في سبب نزولها:

قال ابن عبَّاسٍ: «كانت المرأةُ تَطُوفُ بالبيتِ وهي عُرْيانةٌ، فتقول: من يُعِيرُنِي تَطْوَافًا؟ تَجعَلُهُ علىٰ فَرجِهَا، وتقول:

اليــومَ يَبْــدُو بَعْضُــهُ أو كُلُّــهُ فــما بَــدَا مِنْــهُ فــلا أُحِلُّــهُ

فنزلت هذه الآية: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف: ٣١] رواه مسلمٌ في "صحيحه"، وقال مجاهدٌ والزجَّاج وغيرهما: «نزلت في ستر العورة في الصلاة».

المسألة الثانية: ليس بين القولين المذكورين تضارب ولا تناقض:

لأن الطواف بالبيت صلاةٌ يجب فيه ما يجب في الصلاة من ستر العورة والطهارة وغيرهما، ولهذا ترجم البخاريُّ في "صحيحه" بقوله: «باب وجوب الصلاة في الثِّياب» وقوله تعالي: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف: ٣١] ونقل ابن حزمٍ في "المحلَّىٰ" الاتفاق علىٰ أنَّ المراد بالآية ستر العورة، وسلَّم كلامه الحافظ ابن حجرٍ في "فتح الباري".

المسألة الثالثة : لا يصح الاستدلال بالآية المذكورة على استحباب العِمامة للصلاة: كما يسبق إلي ذهن كثيرٍ من العوام؛ لأن الأمر في الآية للوجوب ومنه استنبط العلماء وجوب سَتْر العورة في الصلاة والطواف، ولبس العِمامة ليس

بواجبٍ إجماعًا، لا داخل الصلاة ولا خارجها، فكيف تشمله الآية؟ هذا لا يمكن أبدًا لتباين الدليل والمدعى، لا يُقال يجوز أن يكون الأمر مرادًا به الوجوب والنَّدب استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه كما ذكر في كتب الأصول، فيدل بحقيقته على وجوب ستر العورة، وبمجازه على ندب العِمامة لأنا نقول:

أولًا: القول بجواز استعمال اللفظ في الحقيقة والمجاز معًا -وإن قال به بعض الأصوليين ورجَّحه ابن السبكيِّ في "جمع الجوامع" ونُسب إلي الشافعيِّ غلطًا- هو قولٌ باطلٌ لا يعوَّل عليه؛ لأن الحقيقة والمجاز متنافيان في المفهوم والماصدق فكيف يمكن اجتماعهما ؟.

ثانيًا: لو سلَّمنا إمكان هذا الاجتماع المستحيل فهو إنما يتأتَّى إذا كان اللفظ عامًّا يستغرق أفرادًا كثيرة كالمفرد المحلَّى، والمفرد المضاف، والفعل في سياق النفي أو النهي، أمَّا إذا لم يكن اللفظ عامًّا فلا يصح اجتماع الحقيقة والمجاز باتفاق الأقوال والآراء، ولا شكَّ أنَّ الفعل في الآية الكريمة وهو: ﴿خُذُواْ﴾ في سياق الإثبات فهو من قبيل المطلق لا العامِّ، والمطلق لا يفيد الاستغراق البدليَّ؛ فبطل الاستدلال بالآية على استحباب العِمامة للصلاة، وبالله التوفيق.

الفصل الثاني
في الكلام علي الأحاديث

ونحن نستوعبها بقدر الحال على سبيل الاستعجال فنقول:

الحديث الأول

عن جابر بن عبد الله مرفوعًا: «**رَكْعَتَانِ بعِمَامَةٍ خَيْرٌ مِن سبعين ركعةً بلا عِمَامَةٍ**». رواه أبو نعيمٍ والديلميُّ.

قال الحافظ السخاويُّ: «لا يثبت». وقال المناويُّ: «حديثٌ غريبٌ».

قلت: وهذا الحديث مع ضَعْفِهِ أقوى ما ورد في هذا الباب.

الحديث الثاني

عن ابن عمر مرفوعًا: «**صَلاةُ تَطَوُّعٍ أو فَريضَةٍ بعِمامَةٍ تَعْدِلُ خمسًا وعشرين صلاةً بلا عِمامَةٍ، وجُمُعَةٌ بعِمامَةٍ تَعْدِلُ سبعين جمعةً بدُون عِمَامَةٍ**». رواه الديلميُّ وابن عساكر.

قال الحافظ ابن حجرٍ: «حديثٌ موضوعٌ». وكذا الحافظ السخاويُّ.

الحديث الثالث

عن أنسٍ مرفوعًا: «**الصَّلاةُ في العِمامة بعشرة آلافِ حَسَنةٍ**». رواه الديلميُّ.

قال الحافظ السخاويُّ: «موضوعٌ».

الحديث الرابع

عن أبي الدرداء رفعه: «**إنَّ الله عزَّ وجلَّ وملائكته يصلُّون على أصحاب العَمائِم يومَ الجُمُعةِ**». رواه الطبرانيُّ والعقيليُّ في "الضعفاء" وابن عديٍّ وقال:

«إنه منكرٌ». وأورده ابن الجوزيِّ في "الموضوعات"؛ لأن في سنده راويًا كذَّابًا.

الحديث الخامس

عن أنسٍ مرفوعًا: «**إنَّ لله ملائكةً مُوَكَّلين بأبواب الجَوامِعِ يومَ الجُمُعَةِ يَسْتَغْفِرون لأصحاب العَمائِمِ البِيض**». رواه الخطيب في "التاريخ".

قال الحافظ الذهبيُّ: «موضوعٌ». وذكره ابن الجوزيِّ في "الموضوعات".

الحديث السادس

عن واثلة ابن الأَسْقَعِ رفعه: «**إنَّ الله يبعث الملائكة يوم الجمعة على أبواب المسجدِ يصلُّون على أصحاب العَمائِمِ**». رواه الطبرانُّي من طريق بشر بن عون، عن بكَّار بن تميمٍ، عن مكحولٍ، عن واثلة.

قال ابن حِبَّان: «بشرٌ له نسخةٌ نحو مائة حديثٍ كلها موضوعةٌ». وقال الحافظ ابن طاهر: «أحاديث بشرٍ نسخةٌ موضوعةٌ».

فهذه جملة الأحاديث التي استند إليها من قال بسنيَّة العِمامة للجمعة أو الصلاة، كأبي طالبٍ المَكِّيِّ المالكيِّ في "قوت القلوب"، والغزاليِّ في "الإحياء"، وابن حجرٍ في "تحفة المحتاج" و "ذر الغمامة"، والمناويِّ في "شرح الجامع الصغير" و "الشمائل"، والباجوريِّ في "شرح الشمائل" وغيرهم.

وحال هذه الأحاديث كما ترىٰ، ودعوىٰ ابن حجرٍ في "التحفة" أنها تنجبر بكثرة طرقها يرد عليها بأنَّ الانجبار إنما يكون حيث لا يكون في الطرق كذَّابون أو متَّهمون بالكذب كما هو مُبيَّنٌ في محلِّه وبالله التوفيق.

الفصل الثالث

في الكلام على القياس الذي ذكروه

وهو قولهم: «لا يليق بالواحد منَّا أن يقابل مَلِكًا مِن الملوك أو عظيمًا وهو عاري الرأس، فكذلك لا ينبغي أن يقف بين يدي الله حاسر الرأس».

والجواب على هذا من وجوهٍ:

الأول: أنَّ السنيَّة وهي الحكم الشرعيُّ لا تثبت إلَّا بدليلٍ شرعيٍّ ثابتٍ عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، ولا تثبت بمثل هذا الكلام الذي يختلف باختلاف أذواق الناس ومشاربهم.

الثاني: أنَّ هذه الأمور تختلف باختلاف العادات والتقاليد فمن البلاد من يكون عادة من أهلها تعرية الرأس حين مقابلة الملوك والعظماء؛ فعلىٰ هذا يسنُّ في حقِّهم تعرية الرأس وقت الصلاة ولو كانوا شافعيَّة.

الثالث: أنَّ قياس ذلك منقوضٌ بالحَجِّ حيث أوجب الله علىٰ الحُجَّاج حَسْرَ رؤوسهم في الطواف والصلاة وغيرهما، وذلك المكان أفضل بقعةٍ، والعبادة التي تؤدَّىٰ فيه أفضل عبادةٍ بنصِّ الحديث الصحيح، فلو كان غطاء الرأس في الصلاة من الأدب مع الله لنبَّه عليه في هذا الموطن الشريف ولم يهمله ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤].

الرابع: ما ورد عن ابن عمر قال: «كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يلبس قلنسوة ذات آذان يلبسها في السفر، وربما وضعها بين يديه إذا صلَّىٰ». رواه الطبراني وأبو الشيخ والبيهقيُّ في "الشعب".

وروىٰ الرويانيُّ وابن عساكر عن ابن عبَّاسٍ قال: «كان رسول الله صلَّىٰ الله

عليه وآله وسلَّم يلبس القلانس تحت العِمامة، ويلبس العمائم بغير قلانس، وكان يلبس القلانس اليمنية ذوات الآذان في الحرب، وكان ربما نزع قلنسوته فجعلها سترة بين يديه إذا كان يصلِّي». فظاهر هذين الحديثين أنه كان يعري رأسه أحيانا في الصلاة وهما وإن كانا ضعيفين فالأصل يؤيِّدهما.

تمَّت رسالة: "جواز الصلاة حاسر الرأس".

بسم الله الرحمن الرحيم

٢- الصَّلاة بالنِّعال

يستقبح كثيرٌ من العامَّة الصلاة بالنِّعال، وينكرون على من يفعلها، مع أنها ثابتةٌ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، قال البخاريُّ في "صحيحه": «باب الصلاة في النِّعال»، حدَّثنا آدم ابن إياسٍ: قال: حدَّثنا شعبة قال: أخبرنا أبومسلمة سعيد بن يزيد الأزديُّ قال: سُئِلَ أنس بن مالكٍ: أكان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يُصَلِّي في نعليه؟ قال: نعم. رواه مسلمٌ، والترمذيُّ، والنَّسائيُّ.

وفي الباب أحاديث كثيرة عن أبي سعيدٍ الخدريِّ عند أحمد، وأبي داود، وابن خزيمة، وابن حِبَّان، والحاكم.

وعن أنسٍ من طريقين آخرين أحدهما عند الطبرانيِّ والبيهقيِّ بإسنادٍ لا بأس به، وثانيهما عند البزَّار.

وعن عبد الله ابن مسعودٍ، من ثلاثة طرقٍ أحدها عند ابن ماجه، وثانيها عند الطبرانيِّ بإسنادٍ فيه ضعفٌ، وثالثها عند البزَّار والطبرانيِّ والبيهقيِّ بإسنادٍ ضعيفٍ.

وعن عبد الله ابن أبي حَبيبة عند أحمد والبزَّار والطبرانيِّ.

وعن عبد الله بن عمرو بن حُرَيْثٍ عند الترمذيِّ في "الشمائل" والنَّسائيِّ.

وعن أوس الثقفيِّ عند ابن ماجه.

وعن عبد الله بن الشِّخِّير من طريقين أحدهما عند مسلمٍ، والثاني عند الطبرانيِّ.

وعن أبي هريرة من طرقٍ أحدها عند أبي داود، والثاني عند أحمد والبيهقيِّ، والثالث عند البزَّار والطبرانيِّ بإسنادٍ ضعيفٍ، والرابع عند ابن مَرْدُويَه بإسنادٍ

ضعيفٍ، أيضًا.

وعن عطاء الشيبيِّ عند ابن منده في "معرفة الصحابة" وابن قانعٍ والطبرانيّ بإسنادٍ ضعيفٍ جدًّا.

وعن البراء بن عازبٍ عند أبي الشيخ بإسنادٍ ضعيفٍ.

وعن ابن عبَّاسٍ من طريقين، أحدهما عند البزَّار والطبرانيِّ وابن عديٍّ بإسنادٍ ضعيفٍ جدًّا، والثاني عند الطبرانيِّ.

وعن ابن عمر عند الطبرانيِّ.

وعن فيروز الديلمي عند الطبرانيِّ بإسنادٍ جيِّدٍ.

وعن مُجَمِّع بن جارية عند أحمد بإسنادٍ ضعيفٍ.

وعن الهِرْمَاس بن زيادٍ عند ابن حِبَّان في "الثقات" والطبرانيِّ.

وعن أبي بكرة عند البزَّار، وأبي يعلىٰ وابن عديٍّ بإسنادٍ فيه ضعفٌ.

وعن أبي ذرٍّ عند أبي الشيخ والبيهقيِّ.

وعن عائشة عند الطبرانيِّ بإسنادٍ صحيحٍ.

وعن أعرابيٍّ من الصحابة عند ابن أبي شيبة وأحمد.

وعن شدَّاد بن أوسٍ عند أبي داود وابن حِبَّان بإسنادٍ صحيحٍ، وسنذكر لفظه بعد.

فهؤلاء أحد وعشرون صحابيًّا يروون الصلاة في النِّعال بألفاظٍ ورواياتٍ وطُرُقٍ، بل ورد بإسنادٍ ضعيفٍ عن أنسٍ عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في قوله تعالي: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف: ٣١]قال: «**الصَّلاةُ في النِّعالِ**».

فالذين يحرصون على تغطية الرأس في الصلاة ويعترضون على من يصلِّي حاسر الرأس لم لا يعترضون على أنفسهم في ترك هذه السُّنَّة التي بلغت حدَّ التواتر على مذهب الحافظ السيوطيِّ وجماعةٍ، هلَّا بحثوا قبل أن يعترضوا أيهما أقوى دليلًا الصلاة بالعمامة أم الصلاة في النِّعال؟ ولله درُّ البوصيري حيث يقول: « إنَّ الهَوَى مَا تَوَلَّى يُصْمِ أو يَصِمِ»

فإن احتجُّوا بما ذكره ابن دقيق العيد حيث قال : «الصلاة في النِّعال من الرُّخَص لا من المُستحبَّات»؛ لأن ذلك لا يدخل في المعنى المطلوب من الصلاة، وهو وإن كان من ملابس الزينة إلَّا أنَّ ملامسة الأرض التي تكثر فيها النجاسات قد تقصر عن هذه الرتبة، وإذا تعارضت مراعاة مصلحة التحسين ومراعاة إزالة النجاسة قُدِّمت الثانية؛ لأنها من باب دفع المفاسد والأخرى من باب جلب المصالح، قال: «إلَّا أن يرد دليلٌ بإلحاقه بما يتجمَّل به فيرجع إليه ويترك هذا النظر». فالجواب على هذا من وجوهٍ :

الوجه الأول: أنَّ الصلاة في النِّعال مستحبَّةٌ لا رخصة لأمرين:

أولهما: ما صحَّ عن شدَّاد ابن أوسٍ مرفوعًا: «**خَالِفُوا اليهودَ فإنهم لا يُصَلُّون في نِعالهم ولا خِفافِهم**».

ورواه البزَّار عن أنسٍ ولفظه: «**خالِفُوا اليهودَ وصَلُّوا في خِفافِكُمْ ونِعالِكُم فإنهم لا يُصَلُّون في خِفافِهم ولا نِعالهم**». وإسناده ضعيفٌ.

وروى ابن مَرْدُويَه عن أنسٍ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ممَّا أكْرَمَ اللهُ بِهِ الأُمَّة لُبْس نِعالهم في صَلاتِهم**».

فهذه الأحاديث تفيد استحباب الصلاة في النعلين لأجل مخالفة اليهود،

ومخالفة اليهود وسائر الكفَّار مِن أهمِّ مقاصد الشريعة الإسلاميَّة كما لا يخفى.

وقد ورد عن ابن مسعودٍ مرفوعًا: «**مِن تَمامِ الصَّلاةِ الصَّلاةُ في النَّعلين**». رواه الطبرانيُّ في "الأوسط" وفيه ضعفٌ.

ثانيهما: أنَّ النِّعال ممَّا يُتجَمَّل به لما ثبت في "صحيح مسلم" عن عبد الله بن مسعودٍ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم : «**لا يدخلُ الجنَّة مِن كان في قَلْبِهِ مِثْقَال ذرَّةٍ مِن كِبْرٍ**». فقال رجلٌ: إنَّ الرَّجُل يحبُّ أن يكون ثوبه حَسَنًا ونَعْلُهُ حَسَنةً قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ اللهَ جميلٌ يحبُّ الجمال، والكِبْر بَطَرُ الحَقِّ، وغَمْطُ النَّاسِ**».

الوجه الثاني: أنَّ الصلاة في النِّعال -لو سلَّمنا أنها رُخصةٌ- يستحبُّ فعلها أيضًا لحديث: «**إنَّ الله يحبُّ أن تُؤتَى رُخَصُهُ كما يحبُّ أن تؤتَى عَزائِمُهُ**».

ولأنَّ الرُّخصة صَدَقَةٌ مِن الله كما في الحديث في صلاة الخوف، والله يحبُّ مِن عباده أن يَقْبلوا صدقته، لأنه أكرم الكرماء.

الوجه الثالث: أنَّ مباشرة النَّعل للأرض التي تكثر فيه النجاسات لم يهملها الشارع، بل نبَّه عليها وذكر علاجها، فروى أبو داود وغيره عن أبي سعيدٍ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: أنه صلَّى فخَلَعَ نَعْلَيْهِ فخَلَعَ الناسُ نِعالهم فلمَّا انصرف قال لهم: «**لم خَلَعْتُم؟**» قالوا: رأيناك خَلَعْتَ فخَلَعْنا، فقال: «**إنَّ جبريلَ أتاني فأَخْبَرني إنَّ بهما خَبَثًا فإذا جَاءَ أَحَدُكُم المسجدَ فليَقْلِبْ نَعْلَيْهِ وليَنْظُر فيهما، فإن رَأَى خَبَثًا فليَمْسَحْهُ بالأرضِ ثُمَّ ليُصَلِّ فيهما**».

وفي الباب أحاديث بهذا المعنى تفيد أنَّ ذلك النَّعل في الأرض مُطَهِّرٌ لها مما يعلق بها من نجاساتٍ، فلا علاج بعد علاج الشارع، ولا كلام بعد كلامه.

نعم يتجه أن يقال الصلاة بالنِّعال في المساجد يؤدِّي إلي تلويث البُسُط والحُصر المفروشة بما ينزل من النَّعل من فضلات الطريق وترابه، وفي ذلك ضياع المال المنهيُّ عنه شرعًا؛ فتجنَّب لهذا الغرض، لكن إذا كان الشخص يصلِّي في فضاءٍ من الأرض أو في مسجدٍ غير مفروشٍ فينبغي له استعمال النَّعل في صلاته اتباعًا للسُّنَّة ومخالفةً لليهود، كما تقدَّم في الحديث، بل ثبت عن أنس ابن مالكٍ أنه قال: لم يخلع النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم نعليه في الصلاة إلَّا مرةً، فخلع القوم نِعالهم فقال لهم النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لِمَ خَلَعْتُم نِعالكم**». فقالوا رأيناك خلعت فخلعنا، فقال: «**إنَّ جبريلَ عليه السَّلام أخبرني أنَّ فيهما قَذَرًا**». يعني نَجَسًا. رواه الطبرانيُّ في "الأوسط" بإسنادٍ صحيحٍ.

وهذا آخِر ما أردنا كتابته في هذه الكلمة الوجيزة المختصرة، راجين من الله أن يُلْقي عليها القبول، ونسأله سبحانه أن يرينا الحقَّ حقًّا ويرزقنا اتباعه، وأن يُجنِّبنا الهوىٰ والغرض، وأن يُبَصِّرنا بعيوب أنفسنا، وأن يشغلنا بمُدَاواتِها وإصلاحها عن عيوب غيرنا، وأن يرزقنا الإخلاص في جميع أقوالنا وأعمالنا، إنه علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ، وبالإجابة جديرٌ.

تمَّت بحمد الله رسالة: "الصلاة بالنِّعال".

حديث الأعمال

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّدٍ سيِّد المرسلين، ورضي الله عن آله الطاهرين، وصحابته الأكرمين.

وبعد: فقد روينا من طريق الإمام أبي عثمان إسماعيل بن عبدالرحمن الصابونيِّ قال: حدَّثنا أبو محمد الحسن بن أحمد المخلديُّ إملاءً: أخبرنا أبوالوفاء المؤهل ابن الحسن بن عيسى الماسرجسيُّ: حدَّثنا عمرو بن محمد بن يحيى العثمانيُّ: حدَّثنا عبدالله بن نافعٍ، عن ابن أبي فديك، عن عبدالرحمن بن عبدالله، عن سعيد بن المسيِّب، عن عبد الرحمن بن سَمُرة القرشيِّ قال: خرج إلينا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم غداةً فقال: «**إنِّي رأيتُ البارِحَةَ عَجَبًا، رأيتُ رَجُلًا مِن أُمَّتي أتاهُ مَلَكُ المَوتِ ليَقْبِضَ رُوحَهُ فجاءَهُ بِرُّ والدَيْهِ فمَنَعَهُ، ورأيتُ رَجُلًا مِن أُمَّتِي قد بُسِطَ عليه عذابُ القَبْرِ فجاءَهُ وُضُوءه للصَّلاةِ فمَنَعَهُ. ورأيتُ رجلًا مِن أُمَّتي قد احْتَوَشَتْهُ ملائكةُ العذابِ فجاءَتْهُ صَلاتُهُ فخَلَّصَتْهُ مِن بينهم. ورأيتُ رَجُلًا مِن أُمَّتي يَلْهَثُ عَطَشًا كُلَّما وَرَدَ حَوْضًا طُرِدَ فجاءَهُ صَوْمُهُ رمضان فسَقَاهُ. ورأيتُ رَجُلًا مِن أُمَّتي والمؤمنون حِلَقًا حِلَقًا كلَّما أتى حَلْقَةً طُرِدَ فجاءَهُ اغتسالُهُ مِن الجَنابَةِ فأجلَسَهُ إلي جَنْبِي. ورأيتُ رَجُلًا مِن أُمَّتي بين يديه ظُلْمَةٌ، ومِن خَلْفِهِ ظُلْمَةٌ، ومِن تَحْتِهِ ظُلْمَةٌ، وهو يتسَكَّعُ في الظُّلْمَةِ، فجاءَهُ حجُّهُ وعُمْرَتُهُ فأخْرَجَاهُ مِن الظُّلْمَةِ وأَدْخَلاهُ النُّورَ. ورأيتُ رَجُلًا مِن أُمَّتي يُكَلِّمُ المؤمنين فلا يُكَلَّم فجاءَتْهُ صِلَتُهُ الرَّحِمَ فقالت: يا مَعْشَرَ المؤمنين كَلِّموه فإنه كان واصَلًا لرَحِمِهِ فكلَّمَهُ المؤمنون وصافحوه وكان معهم.**

ورأيتُ رَجُلًا مِن أُمَّتي يتَّقِي وَهَجَ النَّارِ وشَرَرِها بيَدِهِ عن وَجْهِهِ فجاءَتْهُ

صَدَقَتُهُ فكانت ظِلًّا على رَأْسِهِ وسِتْرًا على وَجْهِهِ. ورأيتُ رَجُلًا مِن أُمَّتي جاثيًا على رُكْبَتَيْهِ بَيْنَهُ وبَيْنَ الله حِجَابٌ فجاءَهُ حُسْنُ خُلُقِهِ فأخَذَ بيَدِهِ وأدْخَلَهُ على الله عزَّ وجلَّ. ورأيتُ رَجُلًا مِن أُمَّتي قد أخذته الزَّبانية مِن كلِّ مكانٍ فجاءَهُ أَمْرُهُ بالمَعْروفِ ونَهْيُهُ عن المُنكَر فخَلَّصَاهُ مِن بينهم فأَدْخَلاهُ مع ملائكة الرَّحمة. ورأيتُ رَجُلًا مِن أُمَّتي يُؤتَى صَحِيفَتَهُ مِن قِبل شِماله فجاءَهُ خَوْفُهُ مِن الله تعالى فأخَذَ صَحِيفَتَهُ فجعلها في يَمِينِهِ. ورأيتُ رَجُلًا مِن أُمَّتي على شَفِيرِ جَهَنَّمَ فجاءَهُ رَجَاؤُهُ في الله عزَّ وجلَّ فخَلَّصَهُ مِن ذلك. ورأيتُ رجُلًا مِن أُمَّتي قد هَوَى في النَّارِ فجاءَتْهُ دُمُوعُهُ التي بَكَى مِن خَشْيَةِ الله فاستَنْقَذَتْهُ مِن ذلك. ورأيتُ رَجُلًا مِن أُمَّتي قائمًا على الصِّراط يَرْعَدُ كما تَرْعَدُ السَّعْفَةُ في ريحٍ عاصِفٍ فجاءَهُ حُسْنُ ظَنِّهِ بالله فسَكَنَ رَوْعُهُ ومَشَى على الصِّراطِ. ورأيتُ رَجُلًا مِن أُمَّتي على الصِّراط يَحْبُو أحيانًا ويَزْحَفُ أحيانًا ويتعَلَّقُ أحيانًا فجاءَتْهُ صَلاتُهُ عَلَيَّ فأقامَتْهُ على قَدَمَيْهِ فمَضَى على الصَّراط. ورأيتُ رَجُلًا مِن أُمَّتي انتهى إلى أبواب الجنَّة كلَّما انتهى إلى بابٍ أُغْلِقَ دُونَهُ فجاءَتْهُ شهادة «أن لا إله إلَّا الله» فأَخَذَتْ بيَدِهِ فأَدْخَلَتْهُ الجنَّة».

لهذا الحديث طُرُقٌ عن سعيد بن المسيِّب أفردها التاج السُّبكيُّ بجزءٍ خاصٍّ، وهو حديثٌ عظيمٌ يشتمل على مواعظ وأخلاق وآداب وأحكام، وسنقدِّم إلى القُرَّاء الكِرام شرحه في رسالةٍ مُستقلَّةٍ قريبًا بحول الله.

١٢ - القَوْلُ السَّدِيدُ
في حُكْمِ اجْتِماعِ الجُمُعَةِ والعِيدِ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على أشرف المرسلين سيِّدنا محمَّدٍ وآله الأكرمين، ورضي الله عن صحابته الأنصار والمهاجرين.

وبعد: فإنِّي أُدرِّس للطلبة بزاويتنا عمَّرها الله بذكره، كتاب "نيل الأوطار"، للعلَّامة الشوكانيِّ رحمه الله تعالى، وتدريسي لهم بطريق البحث والتحقيق، ومناقشة الشوكاني في استنباطاته، والتنبيه على ما يحصل له من غلطٍ في الكلام على الأسانيد وأسماء الرُّواة، وفي تصحيح المتون أو تضعيفها، ولا ننتقل من بابٍ حتى نُتمَّه من جميع جهاته، بحيث لا يبقى للطلبة ما يحتاج إلى سؤالٍ أو استيضاحٍ.

ولو جُمع ما أُقرِّره على هذا الكتاب، كان حاشيةً عليه تُبيِّن ما فيه من خطأ وصوابٍ.

ولمَّا وصلنا إلى: باب ما جاء في اجتماع الجُمُعة والعيد، وجدناه يميل إلى أنَّ العيد إذا حلَّ في يوم جُمعةٍ، فإنَّ حلوله يُسقط فرض الجمعة، وأنَّه لا دليل على وجوب صلاة الظُّهر بدلها.

فأفهمت الطلبة أنَّ هذا مِن شُذوذ الشوكانيِّ رحمه الله، مثل شذوذه بإنكار وجوب خطبة الجُمُعة.

وبيَّنت لهم ذلك بدليله، فطلب مِنِّي بعض الطلبة، أنْ أُحرِّر رسالةً في هذا الموضوع لأهميته، فأجبت طلبه بهذا الجزء الذي سمَّيته: **"القَولُ السَّديدِ في**

حُكْمِ اجتماعِ الجُمُعَةِ والعِيدِ"

وأُحبُّ أنْ أنبِّه أولًا: أنَّ خطأ الشوكانيِّ في هذه المسألة وغيرها، لا يُنقِصُ قَدْرَهُ، ولا يخدِشُ اجتهاده؛ لأنَّ الخطأ ليس بعيبٍ ولا ذمٍّ، لكن الذي يُعاب أشدَّ العيب ويُذم أكبر الذَّم هو الإصرار على الخطأ بعد معرفته، وقد حصل هذا من بعض الرُّواة، فذمَّهم النُّقَّاد، وضعَّفوا روايتهم من أجله، والله المسؤل أنْ يلهمنا رشدنا ويوفِّقنا.

متى فُرضت الصلاة؟

لا خلاف بين العلماء أنَّ الصَّلوات الخمس فُرضت بمكَّة ليلة الإسراء، كما ثبت في أحاديث المِعراج المتواترة.

ومتى فُرضت الجمعة؟

مذهب الجمهور كما قال الحافظ في "الفتح": أنَّها فُرضت بالمدينة، بعد الهِجرة.

وقال أبو حامد الإسفراييني من الشَّافعية: «فُرضت الجُمعة بمكَّة»، واستغربه الحافظ في "الفتح"، وقال النوويُّ في "المجموع": «فيه نظرٌ».

قلت: لعل مستنده ما رواه الدارقطنيُّ من طريق المغيرة بن عبدالرحمن، عن مالكٍ، عن الزُّهري، عن عبيدالله، عن ابن عبَّاسٍ، قال: أُذن النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالجُمعة، قبل أن يُهاجِر، ولم يستطع أن يجمع بمكَّة، فكتب إلى مصعب بن عميرٍ: «أمَّا بعدُ: فانظر اليوم الذي تجهر فيه اليهود بالزبور، فاجمعوا نساءكم وأبناءكم، فإذا مال النَّهار عن شطره، عند الزَّوال من يوم الجُمُعة

فتقرَّبوا إلى الله بركعتين» قال: فهو أوَّل من جمع، حتى قَدِم النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم المدينة فجمع عند الزَّوال في الظُّهر، وأظهر ذلك.

قُلت: هذا الحديث يفيد أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أُذن بإقامة الجُمُعة على سبيل النَّدب وهو بمكَّة، فلمَّا هاجر إلى المدينة وصلَّاها تطوعًا أول مرَّةٍ نزلت آية الجُمُعة بفرضيَّتها.

والحاصل: أنَّ الجُمُعة شُرعت بمكَّة على سبيل الاستحباب، ثمَّ فُرضت بالمدينة. ولعلَّ أبا حامدٍ أراد أنَّها شُرعت بمكَّة، وعبَّر بقوله: «فُرضت» سهوًا منه رحمه الله تعالى.

هل صُلِّيت الجُمعة قبل وجوبها؟

حديث ابن عبَّاسٍ المذكور آنفًا، يُفيد ذلك.

وروى عبدالرزَّاق، عن مَعْمَرٍ، عن أيوبٍ، عن ابن سيرين قال: جمع أهل المدينة قبل أن يقدم النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وقبل أن تنزل الجُمُعة وهم الذين سموها الجُمُعة، فقالت الأنصار: لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيَّام، وللنصارى مثل ذلك، فهلمَّ فلنجعل يومًا نجتمع فيه ونذكر الله ونشكره فيه، فقالوا: يوم السبت لليهود، ويوم الأحد للنصارى، فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا إلى أسعد بن زُرَارَةَ، فصلَّى بهم يومئذٍ وذكَّرهم فسمُّوه الجُمُعه، حتى اجتمعوا إليه وذبح لهم أسعد بن زُرَارَةَ شاةً، فتَغَدَّوا وتَعَشَّوا منها لقِلَّتهم. فأنزل الله بعد ذلك: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩]. وهذا مرسلٌ صحيح الإسناد.

وروى عبدالرَّزاق عن ابن جريجٍ، قال: قلت لعطاء: مَن أوَّل مَن جَمَّعَ؟ قال: رجلٌ من بني عبدالدار، زعموا. قلت: أبأَمْرِ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؟ قال: فمَهْ؟

والرجل من بني عبدالدَّار، وهو مصعب بن عمير.

وروى أبو داود وابن حِبَّان عن عبدالرحمن بن كعب بن مالكٍ: أنَّ أباه كان إذا سمع النِّداء يوم الجُمُعة؛ ترحَّم لأسعد بن زُرَارَةَ، فقلت له: يا أبتاه أرأيت استغفارك لأسعد بن زُرَارَةَ كلَّما سمعت الأذان للجُمُعة، ما هو؟ قال: لأنَّه أوَّل مَن جَمَّعَ بنا في نَقِيعِ الخَضِمات، من حرة بني بياضة. قلت: كم كنتم؟ قال: أربعون رجلًا.

جمع الحافظ بين الروايتين: بأنَّ أسعد كان إمامًا وخطيبًا، ومصعب بن عمير كان أميرًا أمرهم بالتجميع، وحَرة بني بياضة: بفتح الحاء المهملة، قرية على ميل من المدينة وبنو بياضة بطن من الأنصار، ونقيع بالنون، والخَضِمات بفتح فكسر.

خطبة الجمعة فرض

قال ابن رشدٍ في "بداية المجتهد": «اتفق المسلمون على أنَّ الجُمُعة خطبةٌ وركعتان بعد الخطبة، واختلفوا في الخطبة، هل هي شرطٌ في صحَّة الصَّلاة وركنٌ من أركانها؟ أم لا؟ فذهب الجُمهور: إلى أنَّها شرطٌ وركنٌ، وقال قوم: إنَّها ليست بفرضٍ، وجمهور أصحاب مالكٍ: على أنَّها فرضٌ، إلَّا ابن الماجشون».اهـ

وقال الحسن وابن سيرين وابن حزمٍ أيضًا أنَّها غير فرضٍ، ومال إليه الشوكانيُّ. ورأوا أنَّ مواظبة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على الخُطبة لا يدل على وجوبها؛ لأنَّ الفعل لا يدل على الوجوب، وهذا صحيحٌ.

قال ابن حزمٍ: وقد أقدم بعضهم فقال: إنَّ قول الله تعالى: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩] إنَّما مُراده إلى الخُطبة، وجعل هذا حُجَّةً في إيجاب فرضها، ومن لهذا المقدم أنَّ الله تعالى أراد بالذكر الخطبة؟، بل أول الآية وآخرها يُكذِّبان ظنَّه؛ لأنَّ الله تعالى إنَّما قال: ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩].

ثُمَّ قال: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠] فصحَّ أنَّ الله افترض السَّعي إلى الصَّلاة إذا نودي إليها، وصحَّ أنَّ الذِّكر المأمور بالسَّعي إليه هو الصَّلاة».اهـ

وهذا ليس بصحيحٍ، بل الذِّكر الذي أوجب الله السَّعي إليه هو الخطبة، بذلك فسَّر رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الآية، وليس بعد بيانه بيانٌ، ولو تَفَطَّن له ابن حزمٍ، ما عَدَلَ عنه إلى غيره.

ففي "الصَّحيحين" عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن اغْتَسَلَ يومَ الجُمُعَةِ غُسْلَ الجَنَابَة ثُمَّ رَاحَ في السَّاعَةِ الأُولَى فكأنَّما قَرَّبَ بَدَنَةً، ومَن رَاحَ في السَّاعَةِ الثَّانية فكأنَّما قَرَّبَ بَقَرةً، ومَن راحَ في السَّاعَةِ الثَّالثة فكأنَّما قرَّب كَبْشًا أَقْرَن، ومنَ راحَ في السَّاعَةِ الرَّابعة فكأنَّما قرَّب دَجَاجَةً، ومَن راح في السَّاعَةِ الخامسة فكأنَّما قرَّب بَيْضَةً، فإذا خَرَجَ الإمامُ**

حَضَرَتِ الملائكةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ».

وفي روايةٍ للبخاريِّ: «فإذا خَرَجَ الإمامُ طَوَوْا صُحُفَهَمْ ويَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ» زاد ابن عُيَيْنَة عن الزُّهريِّ في آخِر الحديث: «فمَن جاء بعد ذلك فإنما يجيء لحَقِّ الصَّلاةِ». وهذه الزيادة عند ابن ماجه بإسنادٍ صحيحٍ.

وفي "مسند" أحمد بإسنادٍ حسنٍ، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «إذا كان يومُ الجُمُعَةِ قَعَدَتِ الملائكةُ على أبوابِ المسجِدِ فيكتبون النَّاسَ مَن جاء مِن النَّاسِ على مَنَازِلِهِمْ، فرجلٌ قَدَّمَ جَزُورًا، ورجلٌ قَدَّمَ بَقَرَةً، ورجلٌ قَدَّمَ شَاةً، ورجلٌ قَدَّمَ دَجَاجَةً، ورجلٌ قَدَّمَ عُصْفُورًا، ورجلٌ قَدَّمَ بَيْضَةً»، قال: «فإذا أَذَّنَ المُؤَذِّنُ، وجَلَسَ الإمامُ على المِنْبَرِ، طُوِيَتِ الصُّحُفُ، ودَخَلُوا المسجد يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ».

وروى أحمد وأبو داود عن سَمُرَةَ: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «احْضَرُوا الذِّكْرَ وادْنُوا مِن الإمامِ، فإنَّ الرَّجلَ لا يَزالُ يَتَباعَدُ حتَّى يُؤَخَّرَ في الجنَّة وإنْ دَخَلَها».

فهذه الأحاديث، فسَّرت الذِّكر في الآية بالخطبة، فتكون واجبةً؛ لأنَّها المراد بإيجاب السَّعي إليها، وإذا جاء نَهْرُ الله بَطَلَ نَهْرُ مَعْقِل.

وهذا التفسير النبويُّ موافقٌ للمعنى المعقول، ذلك أنَّ الصَّلاة لها وقتٌ معلومٌ أوجب الشَّارع أداءها فيه، ولم يوجب السَّعي إلى صلاة عند النِّداء لها، فلما قال الله تعالى: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩]، كان لا بُدَّ أن يكون ذكر الله غير الصَّلاة التي تُؤدَّى كلَّ يومٍ، وهو الخطبة التي تشتمل على وعظ النَّاس وتذكيرهم وتعليمهم مسائل دينهم.

يُضاف إلى ذلك أنَّ إطلاق الذِّكر على الصَّلاة مجازٌ؛ لاشتمالها عليه، قال الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: ١٤]، والحقيقة مُقدَّمةٌ على المجاز؛ لأنَّها الأصل.

دليلٌ آخر على وجوب الخُطبة

روى الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا قُلتَ لصَاحِبِكَ يومَ الجُمُعَةِ: أَنْصِتْ. والإمامُ يَخْطُبُ، فقد لَغَوْتَ**».

وفي "المسند" عن عليٍّ عليه السَّلام، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن قال: صَهٍ فقد تَكَلَّمَ، ومَن تَكَلَّمَ فلا جُمُعَةَ لَهُ**».

وروى أحمد والبزَّار والطبرانيُّ عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن تَكَلَّمَ يومَ الجُمُعَةِ والإمامُ يَخْطُبُ؛ فهو كمثل الحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفارًا والَّذي يقول له : أَنْصِتْ، ليست له جُمُعَةٌ**».

والأحاديث كثيرةٌ في هذا المعنى، تفيد أنَّ من تكلَّم والإمام يخطب ولو بكلمة خيرٍ، مثل: أنصت، فلا جُمعة له، وذلك يُفيد وجوب الخطبة؛ إذ لو لم تكن واجبةً، لما وجب الإنصات لها، ولما امتنع الكلام حين إلقائها، ألا ترى إلى خُطبة العيد، لما كانت مندوبةً استحبَّ استماعها.

هل صلاة الجُمُعة أصلٌ أو بدلٌ؟

قال ابن رشدٍ في "بداية المجتهد": «أمَّا وجوب صلاة الجُمعة على الأعيان، فهو الذي عليه الجمهور؛ لكونها بدلًا من واجبٍ وهو الظُّهر».اهـ

ونقل صاحب "البحر الزَّخار" عن مالكٍ والشَّافعي ومحمد بن الحسن

وزُفَر وإسحاق بن راهويه أنَّها أصلٌ بنفسها، وإليه مَيْلُ الشوكانيِّ، ورجَّحَهُ صاحب "البحر" أيضًا، وهو ضعيفٌ.

والرَّاجح ما ذهب إليه الجمهور وهو الموافق للواقع، فإنَّ من المعلوم بالضرورة أنَّ الصَّلوات الخمس فُرضت ليلة المعراج، ونزل جبريل -عليه السَّلام- صبيحة تلك الليلة، فبيَّن للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كيفيَّتها، ووقت أدائها بدءًا ونهايةً، واستقرَّ الأمر علىٰ ذلك.

فلمَّا فُرضت صلاة الجُمعة بالمدينة، حلَّت محلَّ ظهر ذلك اليوم، فكانت بدلًا منه، وهذا مما لا شك فيه.

والنبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لم يُصَلِّ الجُمعة في السَّفر قطُّ، وإنَّما كان يُصلِّي الظُّهر؛ لأنَّها الأصل.

وينبني على هذه المسألة أمران:

أحدهما: هل الخُطبتان بدلٌ من الرَّكعتين؟

روىٰ عبدالرَّزاق وابن أبي شيبة: عن الأوزاعيِّ، عن عمرو بن شعيب قال: قال عمر بن الخطاب: «الخُطبة موضع الرَّكعتين، من فاتته الخُطبة صلَّىٰ أربعًا».

وروىٰ ابن أبي شيبة عن يحيىٰ بن أبي كثيرٍ قال: حُدِّثت عن عمر بن الخطاب أنَّه قال: «إنَّما جُعلت الخُطبة مكان الرَّكعتين، فإن لم يُدرِك الخُطبة صلَّىٰ أربعًا». إسنادهما صحيح.

وروىٰ البيهقيُّ عن سعيد بن جُبيرٍ، قال: «كانت الجُمعة أربعًا، فجُعلت الخُطبة مكان الرَّكعتين».

قال ابن حزم: «وقال عطاءٌ وطاووس ومجاهدٌ: من لم يدرك الخُطبة يوم الجُمعة لم يصلها إلَّا أربعًا؛ لأنَّ الخُطبة أُقيمت مقام الركعتين».

وكذا قال الضَّحاك ومكحول: «إنَّما قصرت صلاة الجُمعة من أجل الخُطبة، فمن لم يخطب فليصلِّ أربعًا».

وروى عبدالرَّزاق عن إبراهيم النَّخعيِّ، قال: «إذا لم يخطب الإمام يوم الجُمعة صلَّى أربعًا».

وروى ابن أبي شيبة عن الحسن، قال: «الإمام إذا لم يخطب صلَّى أربعًا».

وروى عبدالرَّزاق عن أيوب، عن ابن سيرين، قال: صلَّيتُ مع رجلٍ صلاة الجُمعة، فلم يخطب، وصلَّى أربعًا فخطَّأته، فلَّما سألت عن ذلك، إذا هو قد أصاب.

قلت: هذا يدل على انصاف ابن سيرين رحمه الله تعالى.

والأمر الثَّاني: إذا لم يحضر صلاة الجُمعة مع الإمام لعذرٍ أو لغيره، صلَّى الظُّهر أربعًا.

قال ابن حزم: «والجُمعة إذا صلَّاها اثنان فصاعدًا، ركعتان يجهر فيهما بالقراءة، ومن صلَّاها وحدها صلَّاها أربع ركعات، يُسِرُّ فيها كلها؛ لأنَّها الظُّهر».اهـ

وهذا هو الصَّواب؛ لأنَّ الظُّهر هي الأصل كما سبق بيانه، فإذا لم يتيسَّر حضور الجُمعة وجب الرُّجوع إلى الأصل، ويؤيِّد هذا أدلة:

الدليل الأول:

روى الشيخان عن أبي هريرة، عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال:

«**مَن أَدْرَكَ رَكْعَةً مِن الصَّلاةِ فقد أَدْرَكَ الصَّلاةَ**».

قال الترمذيُّ في "سننه": «باب فيمن يدرك من الجُمعة ركعةً»، وروىٰ هذا الحديث، وقال عقبه: «هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ، والعمل علىٰ هذا عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وغيرهم، قالوا: من أدرك من الجُمعة ركعةً صلَّىٰ إليها أخرىٰ، ومن أدركهم جلوسًا، صلَّىٰ أربعًا، وبه يقول سفيان الثَّوريُّ وابن المبارك وأحمد وإسحاق».اهـ

وقال البيهقيُّ في "السنن": «باب من أدرك من الجُمعة ركعةً»، وروىٰ الحديث المذكور من طريق الزُّهريِّ، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة بلفظ: «**مَن أَدْرَكَ رَكْعَةً مِن الصَّلاةِ فقد أَدْرَكَهَا**». قال الزُّهريُّ: والجُمعة من الصَّلاة».

قال البيهقيُّ: «وفي هذه الرواية دلالةٌ علىٰ أنَّ لفظ الحديث في الصَّلاة مطلقٌ، وأنَّها بعمومها تتناول الجمعة كما تتناول غيرها من الصَّلوات».اهـ

الدليل الثاني:

روىٰ النَّسائيُّ من طريق يونس، عن الزُّهريِّ، عن سالمٍ: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن أَدْرَكَ رَكْعَةً مِن صَلاةٍ مِن الصَّلواتِ فقد أَدْرَكَهَا، إلَّا أنَّه يَقْضِي ما فَاتَهُ**». مرسلٌ صحيحُ الإسناد، وهو يشمل صلاة الجُمعة أيضًا.

الدليل الثالث:

روىٰ الدارقطنيُّ من طريق عبدالله بن نُميرٍ، ومن طريق عبدالعزيز بن مسلم، كلاهما عن يحيىٰ بن سعيدٍ، عن نافع، عن ابن عمر قال: «**مَن أَدْرَكَ رَكْعَةً مِن الجُمُعَةِ فقد أَدْرَكَها، وليُضِفْ إليها أُخْرَى**» إسناده صحيحٌ.

وروىٰ ابن ماجه والدارقطنيُّ أيضًا من طريق بقيَّة، ثنا: يونس بن يزيد الأيلي، عن الزُّهري، عن سالمٍ، عن ابن عمر به مرفوعًا.

قال الحافظ في "بلوغ المرام": «إسناده صحيحٌ لكن قوَّىٰ أبو حاتمٍ إرساله».

قلت: عادة المتقدِّمين ترجيح الإرسال علىٰ الوصل، والوقف علىٰ الرفع؛ لأجل الاحتياط بدون دليلٍ.

وهذا الحديث صحَّ عن ابن عمر مرفوعًا وموقوفًا، فلا عبرة بما أعلَّه به أبوحاتمٍ وغيره وإن سكت عليه الحافظ؛ لأنَّ القاعدة: أنَّ الثقة إذا رفع الحديث أو وصله، وجب قبوله.

الدليل الرابع:

روىٰ النَّسائيُّ من طريق سفيان، عن الزُّهريِّ، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن أَدْرَكَ مِن صَلاةِ الجُمُعَةِ رَكْعَةً فقد أَدْرَكَ**».

قال العلَّامة أبو الطيب السيد صديق حسن خان القنوجيُّ في كتاب "الموعظة الحسنة بما يخطب في شهور السَّنة": أخرج النَّسائيُّ من حديث أبي هريرة بلفظ: «**مَن أَدْرَكَ رَكْعَةً مِن الجُمُعَةِ فقد أَدْرَكَ الجُمُعَةَ**».

ولهذا الحديث اثنا عشر طريقًا، صحَّح الحاكم ثلاثًا منها، قال في "البدر المنير": هذه الطرق الثلاث أحسن طرق هذا الحديث، والباقي ضعيفٌ.

الدليل الخامس:

روىٰ الطبرانيُّ والبيهقيُّ من طُرُقٍ صحيحةٍ عن ابن مسعودٍ، قال: «من أدرك من الجُمعة ركعةً صلَّىٰ إليها أخرىٰ، ومن فاته الركعتان صلَّىٰ أربعًا».

وروى ابن أبي شيبة بإسنادٍ صحيحٍ عن عبدالله بن معدان، عن جدته، قالت: قال لنا عبدالله بن مسعودٍ: «إذا صَلَّيتُنَّ يوم الجُمعة مع الإمام فصَلِّين بصلاته، وإذ صَلَّيتُنَّ في بيوتِكُنَّ فصَلِّين أربعًا».

وروى البيهقيُّ عن نافعٍ، عن ابن عمر قال: «إذا أدركت من الجُمعة ركعةً، فأضف إليها أخرى، وإن أدركتهم جلوسًا فصلِّ أربعًا». إسناده صحيحٌ.

وروى عبدالرَّزاق بإسنادٍ صحيحٍ عن أبي نضرة، قال: جاء رجلٌ إلى عمران بن حُصينٍ، فقال: رجلٌ قد فاتته الجُمعة كم يُصلِّي؟ قال عمران: ولِمَ تفوته الجمعة؟ فلمَّا ولَّى الرجل، قال عمران: أما إنَّه لو فاتتني الجُمعة صَلَّيتُ أربعًا.

وروى ابن أبي شيبة عن ابن عُيَيْنَة، عن ابن أبي نُجيحٍ، عن عطاءٍ وطاوس ومجاهدٍ قالوا: «من لم يدركِ الخُطبة صلَّى أربعًا».

وروى عبدالرَّزاق مثله عن قتادة والثوريِّ، قال: وبه نأخذ.

وروى عبدالرَّزاق وابن أبي شيبة عن علقمة والأسود، قالا: «إذا أدرك الرجل يوم الجُمعة ركعةً صلَّى إليها ركعة، فإن وجدهم جلوسًا صلَّى أربعًا».

وروى ابن أبي شيبة عن يحيى بن سعيدٍ، عن حسين بن ذكوان، عن الحسن وابن سيرين مثله.

وروى عبدالرَّزاق عن مَعْمَرٍ، عن الزُّهريِّ وقتادة مثله.

وروى هو وابن أبي شيبة من طريق الزبير بن عديٍّ، عن الضَّحاك بن مُزاحمٍ: أنَّه صلَّى مع إمامٍ لم يخطب يوم الجُمعة، فصلَّى الإمام ركعتين. قال: فقام الضَّحاك، فصلَّى ركعتين بعدما قضى الصَّلاة، جعلهنَّ أربعًا.

قال الثَّوريُّ: وقال غيره -أي غير الزبير-: استقبل الصَّلاة أربعًا، ولم يعتد

بما صلَّى الإمام، وتقدَّمت آثار بهذا المعنى في ترجمة الخُطبة بدل ركعتين.

الخلاصة: يستخلص من هذه الأحاديث والآثار، ثلاثة أمورٍ:

أحدها: أنَّ الخُطبة شرطٌ في صحة الصَّلاة ركعتين، فإذا صلَّى جماعة يوم الجُمعة بدون خُطبةٍ، وجب أنْ يصلوا أربعًا.

ثانيها: أنَّ من أدرك مع الإمام أقلَّ من ركعةٍ، وجب أنْ يُصلي أربع ركعاتٍ.

ثالثها: أنَّ من فاتته الجُمعة، صلَّى الظُّهر أربع ركعاتٍ.

ويُستخلص منها أيضًا:

الدليل السادس:

وهو الإجماع، قال ابن المنذر: «وأجمعوا على أنَّ من فاتته الجُمعة من المقيمين، أنْ يصلوا أربعًا».اهـ (ص٤١) من كتاب "الإجماع".

(تنبيه): قال المالكية: من لم يذهب لحضور الجُمعة فلا يجوز له أنْ يُصلي الظُّهر حتى تنتهي صلاة الجُمعة، وهذا مبنيٌّ على قول مالكٍ: أنَّ الجُمعة أصلٌ، فلا يجوز الانتقال إلى البدل إلَّا بعد تعذُّر الأصل.

وتقدَّم قول الجمهور: أنَّها بدلٌ، وعليه تجوز صلاة الظُّهر قبل انتهائها.

إيرادٌ وجوابه

قد يخطر بالبال، حديث عمر: «**صلاة الأَضْحَى ركعتان، وصلاة الفِطْر ركعتان، وصلاة الجُمُعة ركعتان، وصلاة المُسافر ركعتان**». وقد يظن أنَّه معارضٌ لما ذكر هنا من الأحاديث والآثار.

ولو صحَّ أنَّه معارضٌ لها، لوجب ترجيحها عليه لكثرتها وصحة أسانيدها

ووقوع الإجماع عليها، لكن من تأمَّل وأمعن النَّظر في الأدلَّة لم يجد بينها معارضة، وبيان ذلك من وجوه:

الأول: أنَّ لفظ «**صلاة الجُمُعة**» في عرف الشَّرع، اسمٌ لمجموع الصَّلاة والخُطبة والجماعة، ولذلك لا يقال: صلاة السبت أو صلاة الاثنين؛ لأنَّه لا يشترط فيها خُطبة ولا جماعة، فالمراد بصلاة الجُمعة في كلام عمر، تلك الأمور مجتمعة.

وابن حزمٍ الذي استدل بهذا الحديث على نفي وجوب الخُطبة، اعترف بأنَّ الجماعة من مسمَّى الجُمعة، حيث قال: «من صلَّاها وحده صلَّى أربعًا لأنَّها ظهر»، وهو مُخطيءٌ في نفي الخُطبة، كما سبق بيانه، وقد ثبت حديثٌ يشير إلى ما قرَّرته.

روى أبو داود وابن خزيمة عن عبدالله بن عمرو بن العاص، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في حديث: «**ومَن لَغَا وتَخَطَّى رِقابَ النَّاسِ كانت لَهُ ظُهرًا**»، فهذا الحديث يُشير إلى أنَّ الجُمعة إذا فقدت شرطها تكون ظهرًا، ولا تبقى حينئذٍ جُمعة، والظُّهر أربع ركعاتٍ.

وروى عبدالرَّزاق عن ابن جريج، قال: قلت لعطاء: ما الذي أدركه الإنسان يوم الجُمعة قَصَر، وإلَّا أوفى الصلاة؟ -يعني صلَّى أربعًا- قال: الخُطبة.

الثاني: سبق حديث ابن ماجه من طريق ابن عُيينة، عن الزُّهريِّ، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في التبكير إلى الجُمعة، وقال في آخِره: «**فمن جاء بعد ذلك، فإنَّما يجيءُ لحقِّ الصَّلاة**».

أفاد الحديث أنَّ ثواب التبكير ينتهي بخروج الإمام، وهذا يدل على أنَّ الخُطبة هي الذِّكر، كما سبق بيانه، وأنَّها من مُسمَّى الجُمعة ولو كانت صلاة

الجُمعة ركعتين فقط كما فُهم من كلام عمر خطأ، لكانت الملائكة تطوي الصُّحف عند إقامة الصَّلاة لا قبلها، ولما كان التبكير يسقط بخروج الإمام.

الثالث: تقدَّم حديث ابن عبَّاسٍ: أُذن النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالجُمعة قبل أنْ يُهاجر، ولم يستطع أن يجمع بمكة، وأنَّه كتب إلى مصعب بن عُمير أن يجمع بالمدينة. وهو يُصرِّح أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لم يستطع التجميع بمكة، ولو كانت الجُمعة ركعتين فقط، لاستطاع أن يصليها حيث كان في بيته أو في الحرم.

الرَّابع: ثبت في الصَّحيحين: أنَّ عثمان أتى إلى الجُمعة وعمر يخطب، فأنكر عليه تأخرَّه، فاعتذر عثمان.

وهذا دليلٌ على أنَّهما كانا يعرفان وجوب الخُطبة، وأنَّ المقصِّر في حضورها يستحق الإنكار، ولو لم تكن واجبةً لما أنكر عمر، ولما اعتذر عثمان، وهذا في غاية الوضوح.

إعتراض وجوابه

اختار الشوكانيُّ أنَّ الشَّخص إذا فاتته صلاة الجُمعة صلَّاها ركعتين، واحتجَّ بأنَّ القضاء يكون مثل الأداء لا زائدًا عليه، وهذا من شذوذه رحمه الله.

وهو مردودٌ بوجهين:

الأول: مخالفته للإجماع الذي حكاه ابن المنذر.

الثاني: أنَّ «القضاء»: فعل العبادة بعد وقتها، كصلاة العصر بعد المغرب والذي تفوته الجُمعة فيصلِّيها ظهرًا لا يكون قاضيًا، بل مُعيدًا لها في عُرف الأصوليين؛ لأنَّه أعاد عبادة في وقتها لفقد شرطها، والإعادة تزيد على الفعل

المُعاد كما هو معلومٌ، وعجيب أن يخفى على الشوكانيِّ مع أنَّه أُصوليٌّ متينٌ.

اجتماع الجمعة والعيد

عن زيد بن أرقم -وسأله معاوية هل شهدت مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عيدين اجتمعا؟- قال: نعم، صلَّى العيد أول النَّهار، ثُمَّ رخَّص في الجمعة، فقال: «**مَن شاء أن يُجَمِّعَ فليُجَمِّعْ**».

ورواه أحمد وأبو داود والنَّسائيُّ وابن ماجه وغيرهم، وصحَّحه عليُّ بن المديني، وفي إسناده إياس بن أبي رملة، وهو مجهولٌ.

وروى البيهقيُّ عن ذكوان أبي صالح، قال: اجتمع عيدان على عهد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يوم الجمعة ويوم عيدٍ، فصلَّى ثُمَّ قام فخطب النَّاس، فقال: «**قد أَصَبتُمْ ذِكْرًا وخَيْرًا وإنَّا مُجَمِّعُونَ فمَن أحَبَّ أنْ يَجْلِسَ فليَجْلِسْ** -أي في بيته- **ومَن أحَبَّ أنْ يُجَمِّعَ فليُجَمِعْ**».

هذا مرسلٌ صحيح الإسناد وهو مُخصِّصٌ لعموم الحديث الذي قبله، حيث بيَّن أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال في خطبة العيد: «**قد أَصَبتُمْ ذِكْرًا وخَيْرًا**» والذِّكر هو الخطبة، فكانت الرُّخصة خاصَّةٌ بمن صلَّى العيد، ولا تعمُّ جميع النَّاس.

يؤيِّد ذلك مارواه الطبرانيُّ عن ابن عمر، قال: اجتمع على عهد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يوم فِطْرٍ ويوم جمعةٍ، فصلَّى بهم رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم العيد، ثُمَّ أقبل عليه بوجهه فقال: «**يا أيها النَّاس قد أَصَبتُمْ خَيْرًا وأَجْرًا، وإنَّا مُجَمِّعُونَ فمَن أراد أنْ يُجَمِّعَ معنا فليُجَمِّعْ، ومَن أحبَّ أنْ يَرْجِعَ إلى أَهْلِهِ فليَرْجِعْ**». في إسناده راويان، قال الحافظ الهيثميُّ: «لم أجد من

ترجمهما»؛ فهما في عِداد المجهول.

وقد تقرَّر في علم الحديث والأصول: أنَّ المُرسَل إذا اعتضد بحديثٍ موصولٍ -ولو ضعيفًا- تبيَّنت صحَّته، ويُعمل به كما يُعمل بالحديث الصَّحيح، وعلىٰ هذا فمرسل أبي صالح وحديث ابن عمر يقضيان بأنَّ الرُّخصَّة تخصُّ من حَضَرَ صلاة العيد، ويؤيِّدهما فعل عثمان رضي الله عنه.

روىٰ مالكٌ عن الزُّهريِّ، عن أبي عبيد مولىٰ عبدالرحمن، قال: شهدت العيد مع عثمان بن عفان، فجاء فصلَّىٰ ثُمَّ انصرف فخطب فقال: إنَّه قد اجتمع لكم في يومكم هذا عيدان، فمن أحبَّ من أهل العالية أن ينتظر الجُمعة فلينتظر، ومن أحبَّ أن يرجع فليرجع، فقد أذنت له.

مناقشة الشوكاني

قال في "نيل الأوطار"، في الكلام علىٰ حديث زيد بن أرقم: «قوله: «ثم رَخَّصَ في الجُمعة» فيه أنَّ صلاة الجُمعة يوم العيد يجوز تركها، وظاهر الحديثين عدم الفرق بين من صلَّىٰ العيد ومن لم يُصَلِّ، وبين الإمام وغيره؛ لأنَّ قوله: «لمن شاء» يدلُّ علىٰ أنَّ الرُّخصة تعمُّ كلَّ واحدٍ».اهـ

وما استظهره غير ظاهرٍ، بل الظَّاهر وهو الواقع: أنَّ الرُّخصَّة لمن حضر صلاة العيد، كما ثبت في مرسل أبي صالح وحديث ابن عمر، وهو المعقول من جهة المعنىٰ، فإنَّ من يُصَلِّي العيد في الجبَّان ربما يلحقه مشقةٌ في العودة إلىٰ الجُمعة، لا سيَّما والجبَّان الذي فيه المصلَّىٰ يكون بظاهر البلد، فرَّخصَّ له الشَّارع أنْ يُصلي الظُّهر في بيته.

أمَّا من لم يصلِّ العيد فكيف يُرَخصُ له في ترك الجُمعة؟! والرُّخصَة إنَّما تكون لعذرٍ كما تقرَّر في الأصول، والعيد ليس بعذرٍ؛ لأنَّه لا مشقَّة في وجوده.

فالشوكانيُّ كان في هذه المسألة ظاهريًّا أكثر من الظَّاهريَّة أنفسهم، ولم ينظر إلى معنى الرُّخصَّة وكيفية تطبيقها مع أنَّه أصوليٌّ بارعٌ.

وبالغ في ظاهريته، فقال: «ويدلُّ على عدم الوجوب -أي عدم وجوب الجمعة- وأنَّ الترخيص عامٌّ لكلِّ أحدٍ، ترك ابن الزبير للجُمعة وهو الإمام إذ ذاك، وقول ابن عبَّاسٍ: «أصاب السُّنَّة»، وعدم الإنكار عليه مِن أحدٍ مِن الصَّحابة».اهـ

فعل ابن الزبير

روى النَّسائيُّ عن وَهْبِ بن كَيْسانَ، قال: اجتمع عيدان على عهد ابن الزُّبير، فأخَّر الخروج حتى تعالى النَّهار، ثُمَّ خرج فخطب، ثُمَّ نزل فصلَّى ولم يُصَلِّ للناس يوم الجمعة، فذكرت ذلك لابن عبَّاسٍ فقال: «أصاب السُّنَّة».

ولأبي داود عن عطاء، قال: اجتمع يوم الجُمعة ويوم الفطر على عهد ابن الزُّبير، فقال: «عيدان اجتمعا في يومٍ واحدٍ»، فجمعهما جميعًا فصلَّاهما ركعتين بكرةً، ولم يزد عليهما حتى صلَّى العصر.

وروى أبو داود عن عطاء بن أبي رباحٍ، قال: صلَّى بنا ابن الزُّبير في يوم عيد في يوم جُمعة أول النَّهار، ثُمَّ رحنا إلى الجُمعة فلم يخرج إلينا، فصلَّينا وحدانا، وكان ابن عبَّاسٍ بالطَّائف، فلمَّا قدم ذكرنا ذلك له فقال: «أصاب السُّنَّة».

وهذه الرِّواية لم يذكرها صاحب "المنتقى"، فلذلك لم يتكلَّم عليها

الشوكانيُّ. وفيها عنعنة الأعمش، وهو مُدلِّسٌ.

قال الخطابيُّ: «أمَّا صنيع ابن الزُّبير، فإنَّه لا يجوز عندي أنْ يُحمل إلَّا على مذهب من يرى تقديم صلاة الجُمعة قبل الزَّوال، وقد روى ذلك ابن مسعودٍ، وقال عطاء: كلُّ عيدٍ حين يمتد الضُّحى: الجُمعة والفطر والأضحى.

وحكى إسحاق بن منصور عن أحمد: أنَّه قيل له: الجُمعة قبل الزَّوال أو بعده؟ فقال: إنْ صُلِّيَت قبل الزَّوال فلا أعيبه. وكذلك قال أبو إسحاق، فعلى هذا يشبه أن يكون ابن الزُّبير، صلَّى الركعتين على أنَّهما جُمعة، وجعل العيدين في معنى التبع لها».اهـ

وقال المجد ابن تيمية معلِّقًا على رواية وهب بن كيسان: «إنَّما وجه هذا أنَّه رأى تقدمة الجمعة قبل الزَّوال، فقدَّمها واجتزأ بها العيد».اهـ

قال الشوكانيُّ: «لا يخفى ما في هذا الوجه من التعسُّف».اهـ

قلت: لا تعسُّف فيه، بل ظاهر رواية وهب تؤيِّده، حيث قال: «فأخَّر الخروج حتى تعالى النَّهار»، فما أخَّر الخروج إلَّا ليصلِّي الجُمعة، مع أنَّه يعلم أنَّ السُّنَّة التعجيل بصلاة العيد، ثمَّ إنَّه قدَّم الخُطبة، وهو دليلٌ ثانٍ على أنَّه صلَّى الجُمعة.

ففعل ابن الزبير لا دليل فيه على إسقاط الجُمعة بالعيد، بل هو صلَّى الجُمعة، وجعل العيد تبعًا لها، ومنطويًا فيها.

توضيح قول ابن عبَّاسٍ: «أصاب السُّنَّة»

قول ابن عبَّاسٍ: «أصاب السُّنَّة» يحتاج إلى توضيحٍ وبيانٍ، فإن كان المُراد به ما فهمه الشوكانيُّ: أنَّه صلَّى العيد وترك الجُمعة، فهذا خلاف السُّنَّة من جهة أنَّه أخَّر صلاة العيد، ومن جهة أنَّه لم يصلِّ الجُمعة وهو إمامٌ، ومن جهة أنَّه لم

يُنبِّه المصلِّين إلى الرُّخصَةِ وكان تنبيههم لازمًا.

وإنَّما الذي أصاب السُّنَّة هو عثمان، فإنَّه صلَّى العيد مُبكِّرًا، وبيَّن الرُّخصة للمصلِّين في ترك الجُمعة، وجمع هو ومن معه.

تقديم الجمعة سُنَّة

وإن كان المراد به ما فهمه الخطابي وابن تيمية أنَّه صلَّى الجُمعة وأنَّه أصاب السُّنَّة في تقديمها قبل الزَّوال؛ لأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم صلَّاها كذلك قليلًا، فهذا صحيحٌ، وهو المُؤيَّد بالقواعد، لا ما فهمه الشوكانيُّ رحمه الله تعالى.

قال عطاء في روايته التي تقدَّمت: اجتمع يو م جُمعةٍ ويوم فِطْرٍ على عهد ابن الزُّبير في يومٍ واحدٍ، فجمعهما جميعًا فصلَّاهما ركعتين بكرة لم يزد عليها حتى صلَّى العصر.

قوله: «فجمعهما جميعًا»، يعني أنَّه صلَّى الجُمعة وجعل العيد تبعًا لها، لا معنى لجمعهما إلَّا ذلك، ولهذا قدَّم الخطبة كما مرَّ في رواية وهب بن كيسان.

ولهذا قال: لم يزد عليها حتى صلَّى العصر؛ لأنَّه صلَّى الجُمعة، وهذا واضحٌ جدًّا.

وقول الشوكانيِّ تعليقًا على قول عطاء هذا: «قوله: «لم يزد عليهما حتى صلَّى العصر» ظاهره أنَّه لم يصلِّ الظهر» غفلةٌ كبيرةٌ منه عن قول عطاء: «فجمعهما جميعًا فصلاهما ركعتين»، إلَّا أن يكون فهم من عبارة عطاء أنَّ ابن الزُّبير صلَّى العيد وجعل الجُمعة تبعًا له، وهذا فهم يجل عنه مقام الشوكانيِّ.

وقد غاب عنه أنَّ رواية عطاء هذه مخدوشٌ في صحَّتها؛ لأنَّ في سندها

عنعنة الأعمش كما سبق، وهو مدلِّسٌ.

ثُمَّ قال مسترسلًا في استنباطه من فعل ابن الزُّبير: «وفيه أنَّ الجُمعة إذا سقطت بوجهٍ من الوجوه المسوغة، لم يجب على من سقطت عنه أن يصلِّي الظُّهر، وإليه ذهب عطاءٌ، حكى ذلك عنه في "البحر" والظَّاهر أنَّه يقول بذلك القائلون بأنَّ الجُمعة الأصل، وأنت خبيرٌ بأنَّ الذي افترضه الله على عباده في يوم الجُمعة هو صلاة الجُمعة، فإيجاب صلاة الظُّهر على من تركها لعذرٍ أو لغير عذرٍ محتاجٌ إلى دليلٍ، ولا دليل يصلح للتمسُّك به على ذلك فيما أعلم».اهـ

ويظهر أنَّ أحدًا سبق إلى مثل هذا الاستنباط، فكتب العلَّامة السيد محمد بن إسماعيل الأمير الصنعانيُّ يردُّ عليه بقوله: «ولا يخفى أنَّ عطاء أخبر أنَّ ابن الزُّبير لم يخرج لصلاة الجُمعة، وليس ذلك بنصٍّ قاطعٍ أنَّه لم يصلِّ الظُّهر في منزله، فالجزم بأنَّ مذهب ابن الزُّبير سقوط صلاة الظُّهر في يوم الجُمعة يكون عيدًا على مَن صلَّى صلاة العيد لهذه الرِّواية غير صحيحٍ، لاحتمال أنَّه صلَّى الظُّهر في منزله، بل في قول عطاء: أنَّهم صلّوا وُحْدانًا -أي الظهر- ما يشعر بأنَّه لا قائل بسقوطه، ولا يُقال: إنَّ مراده صلاة الجُمعة وُحْدانًا، فإنَّها لا تصحُّ إلَّا جماعةً إجماعًا، ثم القول بأنَّ الأصل صلاة الجُمعة والظُّهر بدل عنها قولٌ مرجوحٌ، بل الظُّهر هو الفرض الأصلي المفروض ليلة الإسراء والجُمعة متأخِّرٌ فرضها، ثُمَّ إذا فاتت وجب الظُّهر إجماعًا فهي البدل عنه، وقد حقَّقناه في رسالةٍ مستقلة».اهـ، وكلامه نفيس.

وقد بيَّنت أنَّ ابن الزُّبير صلَّى الجُمعة، ولذلك لم يخرج من منزله، وعطاء صلَّى الظُّهر مُنفَرِدًا كما صرَّح بذلك، فنسبة القول إليه بسقوط الجُمعة والظُّهر

عمَّن صلَّى العيد غلطٌ، بل لا يصح القول بذلك عنه، ولا عن غيره.

مسألة دقيقة

آية الجُمعة أوجبت الخُطبة بإيجاب السَّعي إليها، حسب تفسير النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ولم تتعرَّض لإيجاب الصَّلاة لأنَّها فُرضت ليلة الإسراء، وحملها على الصَّلاة كما قال ابن حزمٍ وكثيرٌ من المُفسِّرين مردودٌ بالتفسير النَّبوي الصَّحيح، وبقاعدةٍ أصوليَّة وهي: «إذا دار الأمر بين التَّأكيد والتأسيس فحمله على الأخير أولى؛ لأنَّه يُفيد حُكمًا جديدًا»، واستفيد كون صلاة الجُمعة ركعتين من حديث ابن عبَّاسٍ السَّابق، ومن فعل النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ومن أنَّ الخُطبتين بدلٌ من الركعتين.

فقول الشوكاني: «وأنت خبيرٌ بأنَّ الذي افترضه الله على عباده في يوم الجُمعة هو صلاة الجُمعة» إن كان مستندًا في ذلك إلى آية الجُمعة فهو مخطيءٌ؛ لأنَّها لم تتعرَّض لإيجاب الصَّلاة، كما تبيَّن.

ولو سلَّمنا أنَّ المراد بالذِّكر في الآية الصَّلاة على القول المخالف للحديث الصَّحيح، فإيجاب صلاة الجُمعة لم يكن مبتدأ في ذلك اليوم الذي نزلت فيه الآية، بل سبقه إيجابُ الظُّهر ليلة الإسراء، فكان إيجاب صلاة الجُمعة بدلًا عن الظُّهر حتمًا لا مفرَّ من القول بذلك لأنَّه الواقع.

وإذا فاتت الجُمعة أو تُركت وجب الرُّجوع إلى الأصل الذي هو الظُّهر، وهذا أمرٌ بدهيٌّ لا يحتاج إلى دليلٍ، وعليه وقع الإجماع قبل الشوكانيِّ.

ومع ذلك تعسفه بذكر الدَّليل الذي صرَّح بأنَّه لا يعلمه، وهو ثلاثة:

الأول: حديث عبدالله بن عمرو بن العاص: «**ومَن لَغَا وتَخَطَّى رِقابَ النَّاسِ كانت له ظُهْرًا**» وقد مرَّ تخريجه.

فيه إشارةٌ واضحةٌ إلى أنَّ الجُمعة إذا فقدت شرطها، أو تركت فإنَّها تصير ظهرًا، فيصلِّي أربع ركعاتٍ، وفيه أيضًا تأييد للقول بأنَّ الظُّهر أصلٌ.

الثاني: مفهوم قول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**فمَن شاء أن يُجَمِّعَ فليُجَمِّعْ**» يُفيد بطريق المنطوق أنَّ الرُّخصة في ترك التجميع، وبطريق المفهوم أنَّ الظُّهر لا رخصة في تركه.

وعلى هذا المفهوم انبنى الدَّليل **الثالث**: وهو إجماع الفريقين القائلين بأصلية الظُّهر وبأصلية الجمعة على أنَّ صلاة الظُّهر واجبةٌ على من لم يصلِّ الجُمعة في يوم العيد وفي غيره، وعطاء لم يصح عنه خلاف ذلك كما سبق التنبيه عليه.

وقد تساهل الشوكانيُّ كثيرًا حيث اختار تعميم الرُّخصة في ترك الجُمعة لمن لم يحضر العيد، واختار سقوط الظُّهر عمَّن ترك الجُمعة لأدلَّةٍ مختلفٌ في صحَّتها وفي دلالتها على مطلوبه، وما كان ينبغي له ذلك وهو المتمكِّن في علم الأصول العارف بقواعد الاستنباط، ولكن الإنسان لا يخلو من الخطأ والنِّسيان، والكمال لله تعالى، والله يقول الحقَّ وهو يهدي السبيل.

وقع الفراغ منه، يوم السبت الموافق للواحد والعشرين من شهر ربيع الآخر، سنة ثلاث وأربعمائة وألف.

١٣ - إِسْمَاعُ الصُّمِّ
لإِثْباتِ تَحْريمِ غُسْلِ الابنِ للأُمِّ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّدٍ وآله الأكرمين، وبعد: فقد صحَّ عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنه قال: «**لا يَقْبِضُ اللهُ العِلْمَ انْتِزاعًا يَنْتَزِعُهُ مِن النَّاس، ولكن يَقْبِضُ العِلْمَ بقَبْضِ العُلماءِ، حتَّى إذا لم يُبْقِ عالِمًا اتَّخذَ النَّاسُ رُؤوسًا جُهَّالًا، فسُئِلُوا فأَفْتَوْا بغير عِلْمٍ فضَلُّوا وأَضَلُّوا**». صَدَقَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

خَلتِ البلادُ من العلماء وتصدَّر للفتوى مَن لا يُحسنها ولا يستحقُّها، وكثر بفتاويهم الجهل والضلال، وأوقعوا من استفتاهم أو سمع كلامهم في مخالفة أحكام الشريعة مخالفةً صريحةً قبيحةً لا يجوز السكوت عليها، وصدق عليهم قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل: ١١٦].

وتلك الفتاوى الآثِمة كثيرةٌ يعسر تتبُّعها، لكنِّي أفردت الكلام على اثنتين منها لأني سُئلتُ عنها وألحَّ عليَّ الطلبة وغيرهم في الكتابة عليهما لعظم ضررهما.

ولولا ذلك ما كتبت فيهما حرفًا؛ لأن الإنصاف غير موجودٍ، والاعتراف بالخطأ مِن المُخطئ مفقودٌ، وإلى الله المُشتكَى مِن ذهاب العلماء ومِن كثرة الجهل والاختلاف.

وهو المستعان وعليه التُّكلان، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله.

الفتوى الأولى

شخصٌ مُتزوِّجٌ وأراد أن يأخذ امرأةً أخرىٰ وسأل: هل يجوز له أن يتزوَّج علىٰ امرأته بنت أُختها؟

فأجابه بعض المُتفيهقين بالجواز، واستدل بأنَّ الله حرَّم الجمع بين الأختين فقط، وعلمت أنَّ العمل بهذا شائعٌ بين كثيرٍ من الناس يجمعون بين المرأة وخالتها، وهذا النِّكاح باطلٌ؛ لأنه حرامٌ بالسُّنَّة المتواترة وبالإجماع.

أمَّا السُّنَّة: فروىٰ أحمد والبخاريُّ ومسلمٌ وأبو داود والترمذيُّ والنَّسائيُّ وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «نهىٰ النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أن تُنكَحَ المَرأةُ علىٰ عمَّتِها أو خالَتِها».

وفي روايةٍ لهم أيضًا: «نهىٰ النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أن يُجمَعَ بين المرأة وعمَّتها، وبين المرأة وخالتها».

وروىٰ أحمد والبخاريُّ والترمذيُّ عن جابرٍ قال: «نهىٰ النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أن تُنكَحَ المرأةُ علىٰ عمَّتها أو خالتها».

وفي روايةٍ: «نهىٰ أن تُنكَحَ المرأةُ علىٰ ابنة أخيها أو ابنة أختها».

زاد أبو هريرة في "صحيح البخاري": «فنرىٰ -أي: نعتقد- خالة أبيها بتلك المنزلة». يعني أنه لا يجوز الجمع بين المرأة وخالة أبيها.

وللحديث طرقٌ عن عليٍّ عليه السلام، وابن مسعودٍ، وابن عمر، وابن عبَّاسٍ، وعبد الله بن عمرٍو، وأنسٍ، وأبي سعيدٍ الخدريِّ، وعائشة، وأبي أُمامة، وسَمُرة، وأبي الدرداء، وعتَّاب بن أسيدٍ، وسعد بن أبي وقَّاصٍ، وزينب امرأة

ابن مسعودٍ.

قال الحافظ ابن حجرٍ في "فتح الباري": «وأحاديثهم موجودةٌ عند ابن أبي شيبة، وأحمد، وأبي داود، والنَّسائيِّ، وابن ماجه، وأبي يعلىٰ، والبزَّار، والطبرانيِّ، وابن حِبَّان وغيرهم، ولولا خشية التطويل لأوردتها مُفصَّلةً».اهـ فالحديث متواتر.

وأمَّا الإجماع: فقال الإمام الشافعيُّ: «تحريم الجمع بين مَن ذُكِر، هو قول مَن لقيته مِن المُفتِين لا اختلاف بينهم في ذلك».اهـ

وقال الترمذيُّ بعد رواية الحديث: «العمل علىٰ هذا عند عامَّة أهل العلم لا نعلم بينهم اختلافًا، أنه لا يحل للرجل أن يجمع بين المرأة وعمَّتها أو خالتها، ولا أن تنكح المرأة علىٰ عمَّتها أو خالتها».اهـ

وقال ابن المنذر: «لست أعلم في منع ذلك اختلافًا اليوم، وإنما قال بالجواز فرقةٌ من الخوارج، وإذا ثبت الحكم بالسُّنَّة واتفق أهل العلم علىٰ القول به لم يضر خلاف من خالفه».اهـ

قال الحافظ ابن حجرٍ: «وكذا نقل الإجماع ابن عبد البر، وابن حزمٍ، والقرطبيُّ، والنوويُّ، لكن استثنىٰ ابن حزمٍ عثمان البتي، واستثنىٰ النوويُّ طائفةٌ من الخوارج والشيعة، واستثنىٰ القرطبيُّ الخوارج، وقال: ولا يعتد بخلافهم لأنهم مرقوا من الدين».اهـ

وقال القاضي عياض في "شرح مسلم": «وأجمع المسلمون علىٰ الأخذ بهذا النهي إلَّا طائفةً من الخوارج لا يُلتفت إليها».اهـ

وفي "صحيح مسلم" قال ابن شهابٍ: «فنرىٰ خالة أبيها وعمَّة أبيها بتلك المنزلة».

قال عياض: «وهذا صحيحٌ؛ لأن كلًّا منهما يطلق عليه عمَّةٌ وخالةٌ وإن عَلَوْن».

ونقل في "البحر الزَّخار" القول بالجواز عن البتي وبعض الخوارج والروافض.

فتبيَّن مِن هذا إجماع السلف وأهل السُّنَّة وأصحاب المذاهب المتبوعة ومعهم الزيدية علىٰ المنع، فمن عقد علىٰ امرأةٍ وعمَّتها أو خالتها، فالعقد باطلٌ لا يصح، ولو عقد علىٰ إحداهما بعد الأخرىٰ فالعقد الأخير باطلٌ، وكذلك لا يصح الجمع بين المرأة وعمَّة أبيها، أو خالة أبيها، ومن جمع بينهما فهو زانٍ، يجب عليه العقوبة مع التفريق بينهما، والله أعلم.

الفتوى الأخرى

وهي فتوىٰ آثِمةٌ أيضًا، وقد عمَّ البلاء بها عند بعض العامَّة الذين لا يعرفون قبيلًا مِن دبيرٍ، يعمد أحدهم إلىٰ أُمِّه حين تموت فيغسِّلها بنفسه ولا يدعوا امرأةً تُغسِّلها.

وهذه بدعةٌ لم يسبق لها مثيلٌ ولذلك سمَّيتها: «بِدْعَةُ البِدَع» فإنَّ البدع علىٰ كثرتها لم يكن فيها هذا النوع العجيب الذي لا يخطر علىٰ بال إنسانٍ.

ولا أدري المصلحة التي دعت إليها؟ إلَّا أن تكون تلك المصلحة عدم دفع أجرة الغاسلة!

وإن في غسل الرجل لامرأته خلافًا بين العلماء مع أنه يجوز له من كشف عورتها ما لا يجوز لابنها، وقد ماتت بنت النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في حياته فلم يُغسِّلها، لكن دعا أُمَّ عطية التي تُغسِّل النِّساء وعلَّمها كيفيَّة غسلها

فغسَّلتها وهو خارج البيت وقال لها: «**إذا فَرَغْتِ فأَعْلِميني**». فلمَّا فرغت أعلمته فأعطاها إزاره وأمرها أن تلف بنته فيه.

ففي "الصحيحين" وغيرهما عن أُمِّ عطيَّة الأنصارية رضي الله عنها قالت: دخل علينا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حين تُوفِّيت ابنته فقال: «**اغْسِلْنَها ثلاثًا أو خمسًا أو أكثر مِن ذلك بماءٍ وسِدْرٍ واجعلنَ في الآخِرَةِ كافُورًا فإذا فرغتُنَّ فآذِنَّني**». فلمَّا فَرَغْنا آذَنَّاهُ فألقَى إلينا حِقْوَهُ فقال: «**أَشْعِرْنَهَا إِيَّاهُ**». يعني أَلْفِفْنها به.

قال الحافظ ابن حجرٍ: «وهو أصل التبرُّك بآثار الصاحين».اهـ

والحِقْو بكسر الحاء وفتحها وبسكون القاف: الإزار.

فالذي فعله النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم هو الواجب في حقِّ مَن ماتت له امرأةٌ ذات مَحْرَمٍ منه كأُمِّه أو بنته أو أخته، يدعو مَن يُغسِّلها مِن النِّساء ويُجهِّزنها، ولا يجوز أن يباشر غسلها بنفسه، فإن فعل كان عاصيًا آثِمًا عند الله تعالى لأنه فعل حرامًا بالإجماع.

نصوص العلماء في الموضوع

قال ابن قدامة في "المغني": «فصل: وليس لغير من ذكرنا من الرجال غسل أحدٍ من النِّساء، ولا لأحدٍ من النساء غسل غير من ذكر من الرِّجال، وإن كنَّ ذات رَحَمٍ محرم، وهذا قول أكثر أهل العلم.

وقد رُوي عن أحمد أنه حُكي له عن أبي قلابة غسَّل ابنته، فاستعظم ذلك ولم يُعجبه، وذلك أنها محرَّمةٌ حال الحياة فلم يُجز غسلها كالأجنبية وأخته من

الرَّضاع، فإن لم يوجد من يُغسِّلها، فقال مُهَنَّا: «سألت أحمد عن الرجل يغسل أخته إذا لم يجد نساء؟ قال: لا. قلت: فكيف يصنع؟ قال: يغسلها وعليها ثيابها يصبُّ الماء صبًّا، قلت لأحمد: وكذلك كلُّ ذات مَحَرَمٍ تُغسَّل وعليها ثيابها؟ قال: نعم وذلك لأنه لا يحل مسها. والأولى أن تُيَمَّمَ الأجنبية.

وقال الحسن، ومحمدٌ، ومالكٌ، والشافعيُّ: لا بأس بغسل ذات محرمه عند الضرورة».

وقال النوويُّ في "المجموع" بعد أن ذكر أن المرأة إذا ماتت وليس لها زوجٌ يُغسِّلها النِّساء وأولاهنَّ ذوات محارمها كبنتها وأختها: «فإن لم يكن نساء أصلًا غسَّلها الأقرب فالأقرب من رجال المحارم على ما سبق، فيما إذا مات رجلٌ فيقدم الأب ثُمَّ الجد ثُمَّ الابن على الترتيب السابق».

ثُمَّ قال: «فرعٌ: في مذاهبهم في غسل الرجل أمه وبنته وغيرهما من محارمه: ذكرنا أنَّ مذهبنا جوازه بشرطه السابق -يعني فقد النساء أصلًا- وبه قال أبوقِلابة والأوزاعيُّ ومالكٌ، ومنعه أبو حنيفة وأحمد، دليلنا أنها كالرجل بالنسبة إليه في العورة والخلوة».اهـ

وفي "فتح القدير" من كتب الحنفية ما نصُّه: «وإذا ماتت المرأة ولا امرأة فإن كان محرمٌ من الرجال يمَّمها باليد، والأجنبيُّ بالخرقة، ويغضُّ بصره عن ذراعيها».

وفي "المُدَوَّنة الكبرى": قال مالكٌ: «إن ماتت المرأة مع رجالٍ لا نساء معهم، فإن كان فيهم ذو محرمٍ منها غسَّلها من فوق ثوبٍ، ولا يُفْضِ بيده

لجسدها، وإن لم يكن ذو محرم يمَّمَ وجهها ويديها إلي الكوعين». اهـ

وهذا في "مختصر الشيخ خليل" أيضًا ونصُّه: « والمرأة: أقْرَبُ امرأةٍ ثُمَّ أجنبيَّةٌ، ولُفَّ شَعْرُهَا ولا يُضَفَّرُ، ثُمَّ مَحْرَمٌ فوق ثوبٍ ثُمَّ يُمِّمَتْ لِكُوعَيْهَا». اهـ وانظر "شرح الزرقاني" عليه.

وفي "أقرب المسالك" و"شرحه" للعلَّامة الدردير ما نصُّه: «فإن لم يكن للمرأة زوجٌ ولا سيِّد فأقرب امرأة لها تُغسِّلها فالأقرب لها، فتقُدَّم البنت فالأم فأختٌ شقيقةٌ... إلخ، ثُمَّ بعد من ذكرت أجنبيةٌ، ثُمَّ إن لم توجد أجنبيةٌ غَسَّلها مَحرمٌ ويستر وجوبًا جميع بدنها ولا يباشر جسدها بالدلك بل بخرقةٍ كثيفةٍ يلفُّها الغاسل علىٰ يده ويدلك بها، ثُمَّ إذا لم يوجد مَحرمٌ يُمِّمَت الميتة لكُوعَيْها لا لِمِرْفَقَيْها».اهـ

وقال ابن رشدٍ في "بداية المجتهد": «وأمَّا من يجوز أن يُغسِّل الميت فإنهم اتفقوا علىٰ أنَّ الرجال يُغسِّلون الرجال، والنِّساء يُغسِّلن النِّساء، واختلفوا في المرأة تموت مع الرجال أو الرجل يموت مع النساء ما لم يكونا زوجين، علىٰ ثلاثة أقوال:

فقال قوم: «يُغسِّل كلُّ واحدٍ منهما صاحبه من فوق الثِّياب».

وقال قوم: «يُيَمِّم كلُّ واحدٍ منهما صاحبه، وبه قال الشافعيُّ وأبو حنيفة وجمهور العلماء».

وقال قوم: «لا يُغسِّل أحدهما صاحبه ولا يُيَمِّمه، بل يدفن من غير غسلٍ، وبه قال الليث بن سعدٍ».

وسبب اختلافهم هو الترجيح بين تغليب النهي على الأمر أو الأمر على النهي، وذلك أن الغسل مأمور به ونظر الرجل إلى بدن المرأة، والمرأة إلى بدن الرجل منهيٌّ عنه، فمن غلَّب النهي تغليبًا مطلقًا أعني لم يَقِسْ الميت على الحيِّ في كون طهارة التراب له بدلًا من طهارة الماء عند تعذُّرها قال: «لا يُغسِّل واحدٌ منها صاحبه ولا يُيَمِّمه». ومَن غلَّب الأمر على النهي، قال: «يُغسِّل كلُّ واحدٍ منهما صاحبه». أعني غلَّب الأمر على النهي تغليبًا مُطلقًا، ومن ذهب إلى التيمُّم فلأنه رأى أنه لا يلحق الأمر والنهي في ذلك تعارض، وذلك أنَّ النظر إلى مواضع التيمم يجوز لكِلا الصنفين، ولذلك رأى مالكٌ أن يُيَمِّم الرجل المرأة في يديها ووجهها فقط، لكون ذلك منها ليس بعورةٍ، وأن تُيَمِّم المرأة الرجل إلى المرفقين؛ لأنه ليس في الرجل عورةٌ إلَّا من السرة إلى الركبة على مذهبه، فكأن الضرورة التي نقلت الميت من الغسل إلى التيمم عند من قال به هي تعارض الأمر والنهي فكأنه شبَّه هذه الضرورة بالضرورة التي يجوز معها للحيِّ التيمُّم، وهو تشبيهٌ فيه بُعدٌ ولكن عليه الجمهور، فأمَّا مالكٌ فاختلف قوله في هذه المسألة، فمرة قال: «يُيَمِّم كلُّ واحدٍ منهما صاحبه» قولًا مطلقًا، ومرةً فرَّق في ذلك بين المحارم وغيرهم، ومرةً فرَّق بين ذوي المحارم بين الرجال والنساء، فيتحصَّل عنه في ذوي المحارم ثلاثة أقوال:

أشهرها: أنه يُغسِّل كلُّ واحدٍ منهما صاحبه على الثِّياب.

والثاني: أنه لا يُغسِّل أحدهما صاحبه لكن يُيَمِّمه مثل قول الجمهور.

والثالث: الفرق بين الرجال والنساء، أعني تُغسِّل المرأة الرجل ولا يُغسِّل الرجل المرأة.

فسبب المنع: أنَّ كلَّ واحدٍ منهما لا يحل له أن ينظر إلى مواضع الغسل من صاحبه، كالأجانب سواء.

وسبب الإباحة: أنه موضع ضرورةٍ، وهم أعذر في ذلك من الأجنبي.

وسبب الفرق: أن نظر الرجال إلى النساء أغلظ من نظر النساء إلى الرجال بدليل أنَّ النساء حجبن عن نظر الرجال، ولم يحجب الرجال عن النساء».اهـ وهو تحقيقٌ نفيسٌ.

الخلاصة

يتلخَّص ممَّا بيَّنَّاه ونقلناه: أنَّ غسل الرجل لامرأةٍ ذات مَحرمٍ لا يجوز، بل هو حرامٌ بلا خلاف، وإنما حصل الخلاف في حالة الضرورة، ومع ذلك لم يُجز أحدٌ من العلماء أن يفضي الرجل إلي بدن ذات مَحرمه، أو ينظر إليها وهي مُجرَّدةٌ مِن الثياب، بل يُغسِّلها بثيابها ويلف على يده خِرقة يدلكها بها. ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤].

تتمة

أوجب الله الاستئذان على الأبوين والمحارم في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٩] أخرج ابن جريرٍ عن زيد ابن أسلم: أنَّ رجلًا سأل النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: أستأذن على أُمِّي؟ قال: «**نعم، أتحبُّ أن تراها عُرْيانة؟!**».

وروى مالكٌ في "الموطأ"، وابن جريرٍ، والبيهقيُّ في "السنن": عن عطاء بن يسارٍ: أنَّ رجلًا قال: يا رسول الله أستأذن على أُمِّي؟ قال: «**نعم**» قال: إني معها في البيت، قال: «**استأْذِن عليها**» قال: إني خادمها أفأستأذن عليها كلما دخلت؟ قال: « **أتحبُّ أن تراها عُرْيانة؟**» قال: لا، قال: «**فاستأْذِن عليها** ».

وروى ابن أبي شيبة، والبخاريُّ في "الأدب المفرد"، والبيهقيُّ: عن حذيفة رضي الله عنه : أنه سئل: «أيستأذن الرجل على والدته؟ قال: نعم إن لم تفعل رأيت منها ما تكره».

وروى ابن أبي حاتمٍ عن سعيد بن المسيِّب قال: ليستأذن الرجل على والدته، فإنما نزلت: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ﴾ في ذلك.

وروى ابن أبي شيبة، وابن جريرٍ، والبيهقيُّ في "السنن": عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه : أنَّ رجلًا سأله: أستأذن على أُمِّي؟ فقال: نعم، ما على كلِّ أحيانها تحبُّ أن تراها».

وروى ابن أبي شيبة، والبخاريُّ في "الأدب المفرد": عن جابرٍ رضي الله عنه

قال: «ليستأذن الرجل على والده وأُمِّه وإن كانت عجوزًا، وأخيه وأخته وأبيه».

وروى سعيد بن منصور، والبخاريُّ في "الأدب"، وغيرهما: عن عطاء أنه سأل ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: «أستأذن على أختي؟ قال: نعم، قلت: إنها في حِجْري وإني أنفق عليها وإنها معي في البيت، أستأذن عليها؟

قال: نعم، إنَّ الله يقول: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، فالإذن واجبٌ على خلق الله أجمعين.

أفادت هذه الأحاديث والآثار وجوب الاستئذان على الأُمِّ لئلَّا يراها ولدها عريانة، وهذا مستحسنٌ في عرف الناس وعادتهم أن يدخل الرجل على والدته وغيرها من محارمه وهنَّ في ثيابهنَّ مستوراتٌ غير عارياتٍ، وهو أدعى للحشمة والوقار، فكيف يجوز للرجل أن يدخل على أُمِّه وهي على المغسل عريانة؟! وهل هي تحب أن يراها كذلك؟

هي بالضرورة لا تحب ذلك ولا تقبله، فهو بعمله عاصٍ لها ومخالفٌ لرغبتها وهذا نوعٌ من العقوق، بل لو لم يحرِّم الشرع غسل الرجل لأُمِّه الميتة، كانت المروءة والكرامة تأبيانه وتستقبحان عمله.

والإمام الشافعيُّ رضي الله عنه يقول: «لو أعلم أنَّ الماء البارد ينقص مروءتي ما شربته».

ذلك أنَّ الرجل يعيش في المجتمع بمروءته وكرامته محترمًا مُقدَّرًا، فإذا

فقدهما فقد الاحترام والتقدير، فأي مروءةٍ وأي كرامةٍ لمن يدخل على أُمِّه وهي ميتة على المغسل عريانة، ويفضي بيده إلى ثديها وصدرها وفخذيها وفرجها وهو يُغسِّلها؟!!

تالله إنَّ من يقوم بهذا العمل الشائن لهو أشبه بالحيوان الأعجم الذي لا يدرك ولا يعقل، ويجب أن يُعزَّر ويُؤدَّب؛ لانتهاكه حرمة والدته، وامرأة الأب مثل الأم سواء؛ لأنَّ الشرع حَرَّم على الرجل النظر إلى بدن امرأةٍ كان أبوه يستمتع بها، وجعل ذلك مقتًا والعياذ بالله.

(**ملحوظة**): أولئك الجهلة الذين يُغسِّلون أُمَّهاتهم لا يلتزمون بحالة الضرورة التي نصَّ عليها العلماء، وهي مفقودةٌ لكثرة النِّساء الغاسلات، لكنهم اتخذوا ذلك العمل القبيح ديدنًا لهم وعادةً وتركوا حكم الدين وراءهم ظِهْريًّا، فماذا أعدَّ الله لهم من أليم العذاب؟

إنه سبحانه المنفرد بعلم ذلك، والمجازي كلَّ نَفْسٍ بما كسبت هنالك.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

١ - ذَوْقُ الحَلاوَةِ ببيانِ امْتِناعِ نَسْخِ التِّلاوَةِ.

مقدِّمة ٩
هذا البحثُ ممَّا لم يُسبَق المُصنِّفُ إليه..... ٩
استشهاد المصنِّف بقول ابن مالكٍ رحمه الله: «وإذا كانت العلوم مِنحًا إلهيَّةً، ومواهب اختصاصيَّةً، فغير مُستبعَدٍ أن يُدَّخَر لبعض المتأخِّرين ما عَسُر فهمه على كثيرٍ من المتقدِّمين»..... ٩
حقيقة النَّسْخِ ١٠
لفظُ النَّسْخِ له ثلاثةُ مَعَانٍ في اللغة..... ١٠
جواز النسخ ووقوعه..... ١٠
حِكمة النسخ في الأحكام ١١
دخول النسخ في هذه الأحكام ضروريٌّ لا بد منه..... ١١
أقسام النسخ..... ١٢
هل تُنسخ التلاوة؟..... ١٢
أمثلة لما قيل بنسخ تلاوته..... ١٣
الأسباب التي اقتضت امتناع نسخ التلاوة..... ١٧
إشكال: حول تعارض نسخ التلاوة مع كلام الله القديم..... ٢١
تعريف الحكم الشرعي..... ٢١
الجواب عن آيتين: الأولى: قول الله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ

﴿بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ ٢٢
ما رُوي عن الصحابة والتابعين من حمل النسخ في الآية على نسخ اللفظ والتلاوة، يردُّه أمران ٢٣
أمر ثالث يردُّ ذلك التفسير ٢٤
الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٢٤
ما ينسخ من الأحكام ٢٥
أقسام الحكم الشرعي ٢٥
قد ينسخ الحكم مرَّتين ٢٦
الواجب إذا نسخ لا يعود واجبًا ٢٧
الحِكْمَةُ مِن عدم عودة الواجب بعد نَسْخِهِ ٢٧
خاتمة الكتاب ٢٨
فائدةٌ مُهِمَّةٌ نفيسةٌ: حول إبداء العلامة المحقِّق أبو القاسم ابن الشاط اعتراضًا وجيهًا على تعريف الخبر عند الأصوليين ٢٨
الخلاصة من هذه الفائدة ٣٠

٢- فَتْحُ الغَنيِّ الماجِدِ ببيانِ حُجِّيَّةِ خَبَرِ الواحِدِ

تمهيد ٣٣
مقدمة: في تعريف خبر الآحاد ٣٤
المسألة الأولى: هل يفيد العلم أو الظنَّ فقط؟! ٣٤

دليل القائلين بأنَّ خبر الواحد يفيد العلم، ورد الجمهور عليهم ٣٦
تنبيه: خبر الواحد لا يُقال إلَّا على خبر غير المعصوم كصحابيٍّ أو تابعيٍّ أو راوٍ من رواة الأحاديث، أما خبر المعصوم فيُسمَّى خبر حُجَّة ودليلًا وبرهانًا .. ٣٧
المسألة الثانية: خبر الآحاد حُجَّةٌ يعمل به في بابَي الفتوى والشَّهادة بدليل الإجماع ٣٨
الدليل من القرآن ٤٠
الدليل من السنة ٤٤
الأحاديث الدالة على حُجِّيَّة خبر الواحد كثيرة جدًّا زادت على حدِّ التواتر المقرَّر ٤٤
تنبيه: حول قول الزُّرقانيِّ في "شرح المواهب": «لم نرَ أحدًا ذكر لفظ كتاب النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى المُنذِر» ٥٠
اعتراض حول صحة الاحتجاج بخبر الواحد والجواب عليه..... ٦٦
دليل الإجماع ٩٦
خاتمة ٩٦

٣- القَوْلُ الجَزْل فيما لايُعْذَرُ فيه بالجهْلِ

مقدمة ٩٩
ما هو الجهل ؟ ١٠٠
الخطأ من جهلٌ..... ١٠٠
الجهل الذي لا يكون عذرًا لصاحبه ١٠٠

الجهل الذي لا يكون عذرًا لصاحبه أنواع..... ١٠٠
الأول: جهل الكفَّار بالله وبرسوله، إذا بلغتهم الدعوة..... ١٠٠
الثاني: جهل المُبتدِع..... ١٠١
الثالث: جهل الباغي..... ١٠١
الرابع: جهل المُقدِم على تفسير القرآن أو آيةٍ منه، برأيه المجرَّد من غير الرجوع إلى كتب التفاسير المعتمدة..... ١٠٢
التحذير من بعض التفاسير المعاصرة..... ١٠٣
الخامس: جهل المُقدِم على الفتوى في الدين، بغير تَثبُّت ولا رجوع إلى ما قرَّره الأئمة علماء الشريعة..... ١٠٣
منصب الإفتاء منصبٌ خطيرٌ في الدين؛ لا يقوم به إلَّا مَن تأهَّل له بشروط مُبيَّنة في مؤلَّفات خاصَّة..... ١٠٤
السادس: جهل الذي يدعوا إلى الاكتفاء بالقرآن، وترك السُّنَّة..... ١٠٤
السابع: جهل مَن يُفرِّق بين السنَّة العملية، فيعمل بها، وبين السنَّة القولية فلا يعمل بها..... ١٠٤
الثامن: جهل الذي يقول: إنَّ الله لم يُحرِّم الخمر في القرآن..... ١٠٤
التاسع: جهل من لا يعرف حُرمة أخذ العُشُور على تُجَّار المسلمين، مما كان يُسمَّى بالمَكْسِ، ويُسمَّى الآن بالجمارك..... ١٠٥
العاشر: جهل الذي يدعو إلى تبرُّج المرأة..... ١٠٦
الحادي عشر: جهل من يتجنَّس بالجنسية الأوروبية..... ١٠٦

الثاني عشر: جهل المكتري الذي يبيع مفتاح الدكان أو المنزل الذي يكتريه..... ١٠٧
الثالث عشر: جهل المكتري الذي يطلب من صاحب المنزل مبلغًا من المال ليُسلِّمه منزله..... ١٠٧
الرابع عشر: جهل صاحب كتاب "السنة بين الفقهاء وأهل الحديث". .. ١٠٧
الخامس عشر: جهل وزير الأوقاف المغربي..... ١٠٨
السادس عشر: جهل الشاعر الذي قال: وإذا سألتُكَ أنْ أراكَ حقيقةً..... ١٠٨
الجهل الذي يكون عذرًا لصاحبه، وذكر أمثلة له..... ١١٠
خاتمةٌ: في ألفاظ تدور على ألسنة كثير من الناس، وهي دائرةٌ بين الكفر والحرمة..... ١١٣
تتميم: حول الجهل في العبادة لا يُعذر صاحبه عند المالكية ١١٧
تنبيه: حول: مَن دفع زكاته لكافر أو غنيّ جهلًا بحاله..... ١٢٢
الخلاصة..... ١٢٣
خاتمة الكتاب..... ١٢٥
الإشارة إلى قصيدة الشيخ بهرام في نظم مسائل لا يُعذر فيها بالجهل..... ١٢٥

٤ - إتقانُ الصِّنعةِ في تحقيق معنى البِدْعَةِ

مقدِّمة..... ١٢٩
(١) معنى البدعة..... ١٣٠
(٢) الترك لا يقتضي التحريم..... ١٣٢
(٣) فعل الخير مندوب إليه في الكتاب والسُّنَّة..... ١٣٣

(٤) حديث «كلُّ بدعةٍ ضلالةٌ» من العامِّ المخصوص ١٣٤
ما أُحدث وله أصلٌ في الشَّرع يشهد له يُسمَّىٰ سُنَّـةً حسنةً ١٣٦
أمثلة البدع الواجبة..... ١٣٧
أمثلة البدع المحرَّمة..... ١٣٧
أمثلة البدع المندوبة..... ١٣٨
أمثلة البدع المكروهة ١٣٨
أمثلة البدع المباحة..... ١٣٨
(٥) العلماء متفقون علىٰ تقسيم البدعة ١٣٨
(٦) البدعة المذمومة ما ليس له أصل في الشرع..... ١٣٩
(٧) أدلة تخصيص حديث: «كل بدعة ضلالة»..... ١٤٠
الحديث الأول: «مَن سَنَّ في الإسلام سُنَّـةً حَسَنةً فله أَجْرُها وأَجْرُ مَن عَمِل بها بعده من غير أن يَنقُص من أجورهم شيءٌ...» الحديث ١٤٠
الحديث الثاني: «مَن اسْتَنَّ خيرًا فاسْتُنَّ به كان له أجره كاملًا ومِن أجور مَن استَنَّ به، لا ينقص مَن أجورهم شيئًا...» الحديث..... ١٤٠
الحديث الثالث: «مَن سنَّ سُنَّةً حَسَنةً فعُمِل بها بعده كان له أجره ومثل أجورهم من غير أن يَنقُصَ مِن أجورهم شيئًا...» الحديث ١٤١
الحديث الرابع: «مَن سَنَّ خيرًا فاسْتُنَّ به كان له أَجْرُهُ ومِن أُجورِ مَن تَبِعه غير مُنتقِصٍ من أجورهم شيئًا...» الحديث ١٤١
الحديث الخامس: «من سنَّ سنَّة حسنةً فله أجرها ما عمل بها في حياته وبعد

مماته حتَّىٰ تُترك...» الحديث..... ١٤١
تنبيه: حول مسألةٍ مهمَّةٍ تُعِين علىٰ فهم هذه الأحاديث ويُدرَك بها الفرق بين ثلاث حقائق شرعية ١٤٢
الحديث السادس: «مَن أحدث في أمْرِنا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ» ١٤٤
الحديث السابع: عن معاذ بن جبل قال: «أُحيلت الصَّلاة ثلاثة أحوال...» الحديث..... ١٤٥
الحديث الثامن: عن سعيد بن المسيِّب أنَّ بلالًا أتىٰ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يُؤذِنه بصلاة الفجر، فقيل: هو نائمٌ، فقال: الصَّلاة خيرٌ من النَّوم، الصَّلاة خيرٌ من النَّوم، فأُقِرَّت في تأذين الفجر؛ فثبت الأمر علىٰ ذلك ١٤٨
الحديث التاسع: عن رِفاعة بن رَافع الزُّرقيِّ قال: كنَّا نُصلِّي يومًا وراء النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فلمَّا رفع رأسه من الركعة قال: «سَمِعَ اللهُ لِمَن حَمِدَهُ...» الحديث ١٤٩
الحديث العاشر: عن أنسٍ: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مرَّ بأعرابيٍّ وهو يدعو في صلاته ويقول: «يا مَن لا تَراهُ العُيونُ، ولا تُخالِطُهُ الظُّنونُ، ولا يَصِفُهُ الواصِفُونَ... الحديث ١٤٩
الحديث الحادي عشر: قصَّة قتل خُبَيْب، وصلاته ركعتين قبل قتله، قال: «وهو أوَّل مَن سَنَّ صلاة ركعتين عند القتل»..... ١٥٠
القرآن يؤيِّد البدعة الحسنة..... ١٥١
البدعة نوعان ١٥٢

البدعة التي تتعلَّق بأصول الدِّين..... ١٥٢
١- بدعة إنكار القَدَر..... ١٥٢
٢- بدعة الجَهْميَّة..... ١٥٢
٣- بدعة مُشبِّهة الحَشْويَّة..... ١٥٣
٤- بدعة الخوارج..... ١٥٤
٥- بدعة القول بحوادث لا أوَّل لها..... ١٥٥
٦- بدعة القاديانيَّة..... ١٥٥
البدعة التي تتعلق بالفروع وذكر أمثلة لها..... ١٥٧
١- تعدُّد الجُمُعة..... ١٥٧
٢- إقامة الجمعة في المساجد على التوالي والترتيب..... ١٥٩
٣- إعادة الجمعة..... ١٥٩
٤- الأذان للظهر مرتين..... ١٦٠
٥- أن يُؤذِّن ثلاثة على المنار واحدًا بعد آخر، عند طلوع الخطيب إلى المنبر ١٦٠
٦- جهر النَّاس بالقراءة في المسجد..... ١٦٠
٧- إرسال اليدين في الصَّلاة..... ١٦١
٨- قراءة الحزب جماعة بعد الصُّبح والمغرب..... ١٦٢
٩- قراءة القرآن على الميت..... ١٦٤
١٠- الذّكر في تشييع الجنازة..... ١٦٥
١١- رفع اليدين في الدُّعاء بعد الصَّلاة..... ١٦٥

١٢ - السُّبْحَةُ ١٦٥
تنبيه: حول يضاعف وتعدّد الذكر بعدد ما أحال الذّاكر على عدده، وإن لم يتكرَّر الذِّكر في نفسه ١٦٩
١٣ - الذكر بعد الأذان ١٦٩
١٤ - الصَّلاة على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعد الصَّلاة المكتوبة: .. ١٧٠
١٥ - الذكر بعد المكتوبة باسم «اللطيف» مائة مرّة أو أكثر، ودعاء الله به . ١٧٠
١٦ - السّيادة في الأذان والإقامة والتشهد في الصَّلاة ١٧١
الدليل أنَّ سلوك الأدب أفضل ١٧٢
١٨ - الفدية عن الميت ١٧٤
تنبيه: حول اعتراضات على أبيات من بردة البوصيري والرد عليها ١٧٦
١٩ - الاحتفال بالمولد النبويِّ ١٧٧
نبذةٌ ممَّا أحدثه الصحابة بعد العهد النبويِّ ١٨٠
عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه أحدث الاجتماع في التّراويح ١٨٠
زيادة: «الصلاة خير من النوم» في أذان الصبح بأمر عمر رضي الله عنه ... ١٨٠
جمع القرآن ١٨٠
اعتراف الشاطبي بجمع المصحف، وسمَّاه مصلحةً ١٨١
تغيير مكان مقام إبراهيم في عهد عمر ١٨٢
زيادة أذان يوم الجمعة في السوق في عهد عثمان ١٨٢
تنبيه: حول ما شاع في المغرب من أذان ثلاثة مؤذِّنين واحدًا بعد آخر يوم

الجمعة.....١٨٣
توسيع مسجد النبيِّ صلىٰ الله عليه وآله وسلم وبناء جداره بالحجارة المنقوشة والقَصَّة في عهد عثمان رضي الله عنه.....١٨٣
جمع الناس علىٰ مصحف واحد، وتحريق ما سواه من قرآن في عهد عثمان رضي الله عنه ١٨٤
فائدة: حول تحريق عثمان الصُّحف ١٨٥
عليٌّ كرم الله وجهه ورضي الله عنه أنشأ صلاةً علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان يُعلِّمها للناس.....١٨٥
عبدالله بن مسعود غيَّر صيغة السّلام علىٰ النبيِّ في التشهُّد بعد انتقال النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من الخطاب إلىٰ الغيبة باجتهادٍ منه ١٨٦
عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما- زاد التسمية في أول التشهُّد، ولم تصح زيادتها عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم:.....١٨٧
التلبية في الحجِّ زاد فيها عمر وابنه عبدالله والحسن بن عليٍّ رضي الله عنهم ١٨٨
زاد الناسُ في التلبية بحضور النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فأقرَّهم ١٨٩
التنبيه علىٰ تغيير لفظ الوارد بما ليس بوارد.....١٩٢
من قبيح التعنُّت، ما كتبه الألبانيُّ علىٰ صلاة ابن مسعودٍ، والرد عليه ١٩٣
الصَّلاة في مسجد فيه قبور.....١٩٦
التنبيه علىٰ صورةٍ قد تشتبه علىٰ بعض الناس فيظنها تخصيصًا أو استثناء من حديث: «جُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا».....١٩٩

الجلوس على القبر..... ٢٠٠
بناء المساجد على القبور..... ٢٠٣
التنبيه على الفرق بين بناء المسجد على القبر وبين أن يدخل قبر في مسجد مبني..... ٢٠٥
مسألة: في الرد عل الألباني..... ٢٠٧
الجواب على من قال: المراد بالمسجد البيعة مجازًا..... ٢٠٨
مسألة: في قضاء الفوائت..... ٢١٠

٥- حُسْنُ التفهُّمِ والدَّرْكِ لمسئلةِ التَّركِ

مقدمة..... ٢١٧
السبب في تأليف الرسالة..... ٢١٧
تمهيـــد..... ٢١٨
ما هو الحكم الشّرعيُّ؟..... ٢١٨
أقسام الحكم الشرعي..... ٢١٨
ما هو التَّرك؟..... ٢١٩
أنواع التَّرك..... ٢١٩
التَّرك لا يدلُّ على التَّحريم..... ٢٢١
الأدلة على أنَّ التَّرك لا يُفيد الحرمة..... ٢٢٢
أقوالٌ غير مُحَرَّرة: حول ترك الرَّسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم شيئًا والرد عليها..... ٢٢٤

كلام ابن تيمية في استدلاله بالترك والرد عليه..... ٢٢٤
حديثٌ صحيحٌ لا يردُّ قولنا..... ٢٢٥
ماذا يقتضي التَّرك؟..... ٢٢٦
إزالةُ اشتباه حول ترك النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم..... ٢٢٧
تتميم: لا يجوز للمسلم أن يتجرَّأ على الحكم بالتَّحريم إلَّا بدليلٍ صريحٍ من الكتاب أو السُّنَّة..... ٢٢٩
نماذجُ من التَّرك..... ٢٣٠
الخاتمة..... ٢٣٠

٦- الأدلَّةُ الرَّاجِحَةُ على فرْضِيَّة قِراءَةِ الفاتحةِ

المقدمة..... ٢٣٥
[أقوال الأئمَّة وأدلَّتهم]..... ٢٣٦
أدلة الحنفية..... ٢٣٦
أدلة المالكية..... ٢٤٢
أدلة الشافعية..... ٢٥٠
الترجيح..... ٢٥٣
أسباب ترجيح قراءة الفاتحة في الصَّلاة الجَهْريَّة والسرِّيَّة للمنفرد والمأموم والإمام..... ٢٥٣
فصل: الفاتحة فرضٌ في صلاة الجنازة أيضًا لأنها صلاةٌ في عُرف الشرع... ٢٥٥
ذهب الحنفيَّة والمالكيَّة إلى ترك قراءة الفاتحة في صلاة الجنازة، واستدلُّوا

بحديث أبي هريرة مرفوعًا: «إذا صَلَّيْتُم على الميِّت فأَخْلِصُوا له الدُّعاء». وهو غلطٌ من وجوه..... ٢٥٧
إذا خلت صلاة الجنازة من قراءة الفاتحة فإنها تكون باطلةً، وتجب إعادتها ولو على القبر..... ٢٥٨

٧- الحُجَّةُ المُبيِّنةُ لفهم عِبارَةِ المُدَوَّنة

المقدمة..... ٢٦١
نص المدونة في مسألة السدل ٢٦١
ذكر بعض مَن صنَّف في سُنِّيَّة وضع اليمين على الشمال في الصَّلاة..... ٢٦٢
تحدِّي الشيخ أبي شعيب الدّكاليِّ لمن يتعصَّب لإرسال اليدين بأن يأتي بحدث ولو ضعيف..... ٢٦٢
المراد بعبارة المدونة، وتعريف السِّياق والسِّباق..... ٢٦٢
مراد الإمام مالك بقوله: «لا أعرف ذلك -أي الاعتماد على القبض- في الفريضة»..... ٢٦٤
مذهبُ مالكٍ يحتاج إلى تنقيحٍ وتحريرٍ ٢٦٥
الإشارة إلى كتاب "وقوف القرآن" للشيخ الهبطي وكثرة الأخطاء الواقعة فيه..... ٢٦٦
خاتمة الكتاب..... ٢٦٧

٨- كَشْفُ أنواعِ الجهلِ فيما قيل في نُصْرَةِ السَّدْل

مقدمة ٢٧٣
تعصُّب بعض المتأخِّرين من المغاربة للسدل..... ٢٧٣
حديثٌ في السَّدْلِ موضوعٌ..... ٢٧٤
ذكر الدَّعاوَىٰ والرد عليها..... ٢٧٥
الدعوىٰ الأولىٰ: حديث أبي حميد الساعديِّ في صفة صلاة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لم يذكر القبض، فهو دليلٌ علىٰ السَّدْلِ ٢٧٥
الدعوىٰ الثانية: كل حديثٍ لم يذكر القبض في صفة الصَّلاة، يدلُّ علىٰ السَّدْلِ..... ٢٧٥
أحاديث صفة الصلاة التي لم تذكر القبض مطلقةٌ، فتُقيَّد بالأحاديث التي ذكر فيها القبض، ولا دلالة فيها علىٰ السَّدْل إطلاقًا..... ٢٧٦
الدَّعوىٰ الثالثة: السَّدْلُ ناسخٌ للقبض ٢٧٦
وهي باطلةٌ من وجوهٍ..... ٢٧٦
الدَّعوىٰ الرابعة: السَّدْلُ عمل أهل المدينة..... ٢٧٨
وهي باطلةٌ أيضًا مِن وجوهٍ..... ٢٧٨
الدَّعوىٰ الخامسة: تضعيف حديث "الصحيحين" في القبض..... ٢٨٠
وهي باطلة جدًّا..... ٢٨٠
الدعوىٰ السادسة: ذمُّ القبض بكونه من فعل بني إسرائيل..... ٢٨٣
الدعوىٰ السابعة: تضعيف أثر عبدالكريم بن أبي المخارق..... ٢٨٣

الدعوىٰ الثامنة: السَّادِل يشبه الميت، وهو أقوىٰ في تحقيق الخشوع ٢٨٤
ونختم هذا الجزء بمسائل: المسألة الأولىٰ: أحاديث وضع اليدين إحداهما علىٰ الأخرىٰ في الصلاة متواترة..... ٢٨٦
المسألة الثانية: رواية ابن القاسم عن مالكٍ -في التفرقة بين الفريضة والنافلة في وضع اليمنىٰ علىٰ اليسرىٰ- غير صحيحةٍ..... ٢٨٧
المسألة الثالثة: بطلان الدعوىٰ بأن السدل هو الأصل ٢٨٨
أنواع الترجيح بحسب المدلول كما ذكره الشوكاني في "إرشاد الفحول" .. ٢٨٨
المسألة الرابعة: لم يقل أحد من أهل السُّنَّة بحرمة القبض، وإنما قاله الروافض الإماميَّة..... ٢٨٨
المسألة الخامسة: هل كان الأئمة والحفاظ الذين اعتبروا القبض من سنن الصَّلاة وهيآتها استنادًا إلىٰ الأحاديث المتواترة لا يعرفون ما في أحاديث القبض مِن ضعفٍ مزعومٍ، ونسخٍ موهومٍ، حتىٰ جاء الخضر الشنقيطيُّ فعرف ما لم يعرفوه، وبيَّن ما جهلوه. ٢٨٩
المسألة السادسة: الرد علىٰ من تعصَّب في نُصْرة السَّدْل بأنكم مُقَلِّدة، ووظيفة المُقلِّد أخذ قول إمامه، وليس له أن يستدل ويُحاجِج ويرجِّح ويضعِّف ... ٢٩٠
المسألة السابعة: موقفٌ غير لائق للشيخ عليش في مسألة السدل لا يليق بأهل الإنصاف..... ٢٩٠
الخاتمة: احتجَّ بعض المتعصِّبين للسَّدْل لكراهة القبض بقول الله تعالىٰ في صفة المنافقين: ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ وهذا استدلالٌ طريفٌ يصح أن يذكر في

أخبار المُغفَّلين..... ٢٩٢

٩- الرَّأيُ القَويمُ في وجُوبِ إتمامِ المُسافِرِ خَلْفَ المُقِيمِ

مقدمة..... ٢٩٧
مسألة: صلاة المُسافر ركعتان مقصورتان من أربع، والدليل على ذلك أمور..... ٢٩٩
معنى: «وَضَعَ شَطْرَ الصَّلاةِ»..... ٣٠١
صلاة ركعة في الخوف ليست فرضًا عند من يقول بها، بل تجوز الزيادة عليها (ت)..... ٣٠٤
الجواب على الآثار التي تُعارض القول بأن صلاة المسافر مقصورةٌ من تمامٍ..... ٣٠٤
ممَّا يوجب تأويل تلك الآثار أيضًا: إفادتها أنَّ صلاة السَّفَر أصلٌ لا مقصورة، وأنَّ صلاة الحَضَر هي الزائدة. وهذا مُخالِفٌ لنصِّ القرآن ﴿أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَوٰةِ﴾ وإجماع المسلمين في تسميتها مقصورة (ت)..... ٣٠٦
مسألة: معنى قول سيدنا عمر رضي الله عنه: «صلاة السَّفَر ركعتان»..... ٣٠٧
مسألة: أنواع الرخصة..... ٣٠٨
مسألة: اقتداء المقيم بالمسافر..... ٣٠٩
مسألة: اقتداء المسافر بالمقيم..... ٣١٠
حول قول طاوس والشَّعْبيِّ وداود في اقتداء المسافر بالمقيم..... ٣١٤
أدلةُ الفريقين..... ٣١٥

دليل القائلين بعدم الصحة ٣١٥
دليل القائلينَ بالصِّحة..... ٣١٥
دليل القائلين بوجوب إتمام المسافر خلف المقيم..... ٣١٥
التَّنقيح والتَّرجيح..... ٣١٨
الرد على ابن حزمٍ في اعتراضه على الجمهور واستدلاله بالقياس ٣١٩
الغرض من المناظرة في المسائل الشرعيَّة هو الوصول إلى حكمٍ سالمٍ من النقد والنقض (ت) ٣٢٠
مناقشات في أثر ابن عبَّاسٍ ٣٢٩
مسألة: إذا ائتمَّ مسافرٌ بمسافرٍ متمٍّ وَجَبَ الإتمام أيضًا عند الجمهور ٣٣٢
مسألة: في اختلاف الناس في إتمام عثمان الصلاة بمنى وهو مسافرٌ ٣٣٥
توضيح قول المخالف: «العبرة برواية الراوي، لا برأيه» (ت) ٣٣٦
الخلاصة..... ٣٣٨
تمسُّك إسحاق بن راهويه وابن حزمٍ بعمومات تقبل التخصيص بالأدلة التي تمسَّك بها الجمهور، وجمع بين الأدلة، فكانوا أسعد وأَقْعَد (ت)..... ٣٤٠
خاتمة ٣٤٢

١٠ - الصُّبْحُ السَّافِرُ في تَحْقِيقِ صَلاةِ المُسافِرِ

مقدمة ٣٤٧
رسالة الشيخ محمَّد عايش عبيد الشافعيِّ للسيد عبدالله بن الصِّدِّيق ٣٤٧
مسألة: صلاة الصبح ركعتان مقصورتان من أربع ركعاتٍ ٣٤٩
تقسيم ابن القيِّم قصر الصلاة إلى نوعين، والرد عليه ٣٥٢

جعل الشارع لكلِّ صلاةٍ عنوانًا يخصُّها، فعنون صلاتَي المرض والخوف باسمها، وخصَّ القصر بصلاة السفر ٣٥٣
إبطال حمل الحنفية «وَضَعَ شَطْرَ الصَّلاةِ» على معنى رفعه ابتداء ٣٥٥
مسألة: فرضت الصلاة أربعًا لا اثنين ٣٥٥
مسألة: قول عائشة رضي الله عنها: «فُرضت الصَّلاة ركعتين ركعتين، فأُقِرَّت صلاة السَّفَر، وأُتِمَّت صلاة الحَضَر» لا يصلح ٣٥٩
خطأ الحنفيَّة، ومعهم ابن حزمٍ وابن تيمية وابن القيِّم في القول بوجوب قصر صلاة السفر ٣٦٣
القَصْرُ في السَّفَرِ مندوبٌ ٣٦٥
أدلة القائلين بوجب القصر في السفر وبيان خطأهم في الاستدلال ٣٦٥
بيان شذوذ قول ابن عبَّاسٍ من وجهين ٣٦٦
ذكر الأدلة على أنَّ حكم القصر في السفر هو الجواز ٣٦٨
جرأة ابن تيمية في ردِّ من يُخالف رأيه، ومقارنة حديثيَّة بينه وبين الدارقطني ٣٧١
ابن تيمية كا ن ضعيفًا في علم عِلل الحديث، وكان يحكم على الحديث برأيه، وضرب أمثلة على ذلك ٣٧٢
يُحكم بوضع الحديث لسببين ٣٧٣
استنكار الإمام أحمد رحمه الله لحديث السيدة عائشة رضي الله عنها والجواب عليه ٣٧٥

بيان الخطأ في فهم حديث السيِّدة عائشة رضي الله عنها ٣٧٦
إشكال خطير يَرِدُ على المستدلِّين بقول عائشة لوجوب القصر في السَّفَر يتعسَّر التخلُّص منه، أو يتعذَّر..... ٣٧٨
قاعدةٌ أصوليَّةٌ: «الشيء قد يُباح ثُمَّ يحرَّم مرَّتين». مثلًا: كنكاح المُتعة أُبيح ثُمَّ حُرِّم، ثُمَّ أُبيح ثُمَّ حُرِّم إلى يوم القيامة..... ٣٧٩
قاعدة أصولية: «الذي يُنسَخ مِن الأحكام هو: الواجب والمحرَّم والمباح، أمَّا المندوب فلا يُنسخ»؛ لأنه فضيلةٌ، والفضائل لا تُنسَخ. ٣٧٩
حديثٌ موضوعٌ عن ترك القبض في الصلاة، وبيان أنَّ العراقيَّ لم يؤلِّف كتاب "البدور الملتمعة" بل لا وجود لهذا الكتاب، والأوزاعيُّ ليس له مسنَدٌ .. ٣٧٩
مسألة: إتمام النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وبعض الصحبة رضي الله عنهم في السفر يقتضي أنَّ القصر غير واجبٍ..... ٣٨١
مسألة: في إعادة الصلاة..... ٣٨٣
مسألة: في فهم كلام ابن عبَّاسٍ عن صلاة السفر ٣٨٥
مسألة: في الإجماع على وجوب إتمام المسافر خلف المقيم..... ٣٨٦
الخلاصة..... ٣٨٨
شذوذ القول بأن صلاة الخوف ركعة، وبيان ذلك من وجوه..... ٣٩٠
أنواع صلاة الخوف..... ٣٩٠
القول بأن ابن عمر رضي الله عنهما كان إذا صلَّى مع الإمام بمنًى صلَّى أربع ركعاتٍ ثم إذا انصرف إلى منزله صلَّى فيه ركعتين أعادها ضعيفٌ، بل باطلٌ

مردودٌ؛ لأمورٍ.....٣٩١
الحكم الشرعيُّ -كالجواز مثلًا- يكفي لإثباته دليلٌ واحدٌ، ولا يشترط فيه تعدُّد الأدلة باتفاق الأصوليين والفقهاء.....٣٩٢
إتمام المسافر خلف إمامه المتمِّ واجبٌ؛ لأدلةٍ متعدِّدةٍ.....٣٩٢
إنْ قَصَرَ مُسافرٌ خلف إمامه المتمِّ فصلاته باطلةٌ باتفاق الفريقين.....٣٩٣
أغلاط صاحب المنكر العظيم ٣٩٦
خاتمة فيها مسائل.....٣٩٩
المسألة الأولى: بقي من أدلة وجوب إتمام المسافر خلف المقيم أربعة ٣٩٩
المسألة الثانية: المسافر إن شاء صلَّى ركعتين، وإن شاء صلَّى أربعًا ٤٠٠
المسألة الثالثة: رجوع السيِّد أحمد بن الصِّدِّيق عن القول بوجوب قصر المُسافِرِ خلف الإمام المُتمِّ ٤٠١
المسألة الرابعة: المسافة التي يصحُّ فيها القَصْر ٤٠٢
المسألة الخامسة: مُدَّة القصر ٤٠٣

١١- إزالةُ الالتباسِ عمَّا أخطأ فيه كثيرٌ مِن النَّاسِ

١- إذهابُ اللَّبسِ عن جوازِ الصَّلاة حاسر الرَّأسِ.....٤٠٧
مقدمة ٤٠٧
الفصل الأول: آية: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ ٤٠٨
المسألة الأولى: في سبب نزولها.....٤٠٨
المسألة الثانية: رفع التعارض بين القولين في سبب نزول الآية.....٤٠٨

المسألة الثالثة : لا يصح الاستدلال بالآية المذكورة على استحباب العِمامة للصلاة.....٤٠٨
القول بجواز استعمال اللفظ في الحقيقة والمجاز معًا قولٌ باطلٌ لا يعوَّل عليه.....٤٠٩
الفصل الثاني: في الكلام على الأحاديث الواردة في سُنِّيَّة العمامة.....٤١٠
الحديث الأول: «رَكْعَتَانِ بعِمَامَةٍ خَيْرٌ مِن سبعين ركعةً بلا عِمَامَةٍ».....٤١٠
الحديث الثاني: «صَلاةُ تَطَوُّعٍ أو فَريضَةٍ بعِمامَةٍ تَعْدِلُ خمسًا وعشرين صلاةً بلا عِمامَةٍ، وجُمُعَةٌ بعِمامَةٍ تَعْدِلُ سبعين جمعةً بدُون عِمَامَةٍ».....٤١٠
الحديث الثالث: «الصَّلاةُ في العِمامة بعشرة آلافِ حَسَنةٍ».....٤١٠
الحديث الرابع: «إنَّ الله عزَّ وجلَّ وملائكته يصلُّون على أصحاب العَمائِم يومَ الجُمُعةِ».....٤١٠
الحديث الخامس: «إنَّ لله ملائكةً مُوَكَّلين بأبواب الجَوامِعِ يومَ الجُمُعَةِ يَسْتَغْفِرون لأصحاب العَمائِمِ البِيض».....٤١١
الحديث السادس: «إنَّ الله يبعث الملائكة يوم الجمعة على أبواب المسجدِ يصلُّون على أصحاب العَمائِمِ».....٤١١
الفصل الثالث: في الكلام على القياس الذي ذكروه وهو قولهم: «لا يليق بالواحد منَّا أن يقابل مَلِكًا مِن الملوك أو عظيمًا وهو عاري الرأس، فكذلك لا ينبغي أن يقف بين يدي الله حاسر الرأس». والجواب على هذا من وجوهٍ ٤١٢
خاتمة رسالة: "جواز الصلاة حاسر الرأس".....٤١٣

٢- الصَّلاة بالنِّعال..... ٤١٤
ثبوت الصلاة في النعال عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن أحد وعشرين صحابيًّا بألفاظٍ ورواياتٍ وطُرُقٍ..... ٤١٤
قول ابن دقيق العيد «الصلاة في النِّعال من الرُّخَص لا من المُستحبَّات»، والجواب عليه ٤١٦
إذا كان الشخص يصلِّي في فضاءٍ من الأرض أو في مسجدٍ غير مفروشٍ فينبغي له استعمال النَّعل في صلاته اتباعًا للسُّنَّة ومخالفةً لليهود..... ٤١٨
خاتمة رسالة: "الصلاة بالنِّعال" ٤١٨

١٢- القولُ السَّديدُ في حُكْمِ اجْتماعِ الجُمُعَةِ والعيدِ

مقدمة ٤٢٣
الإشارة إلى شرح السيِّد عبدالله بن الصديق كتاب "نيل الأوطار" للعلَّامة الشوكانيِّ بطريق البحث والتحقيق، ومناقشة الشوكاني في استنباطاته، والتنبيه على بعض أخطاءه..... ٤٢٣
تنبيه: خطأ الشوكانيِّ في هذه المسألة وغيرها، لا يُنقِصُ قَدْرَهُ، ولا يخدِشُ اجتهاده..... ٤٢٤
متى فُرضت الصلاة؟..... ٤٢٤
ومتى فُرضت الجمعة؟..... ٤٢٤
هل صُلِّيت الجُمعة قبل وجوبها؟..... ٤٢٥
خطبة الجمعة فرض..... ٤٢٦

دليلٌ آخر على وجوب الخُطبة..... ٤٢٩
كثرة الأحاديث التي تفيد أن من تكلَّم والإمام يخطب ولو بكلمة خيرٍ، مثل: أنصت، فلا جُمعة له، وذلك يُفيد وجوب الخطبة ٤٢٩
هل صلاة الجُمُعة أصلٌ أو بدلٌ؟..... ٤٢٩
ذكر الأدلة على أن الظهر هو الأصل والجمعة بدل منه..... ٤٣١
حديث: «مَن أَدْرَكَ رَكْعَةً مِن الصَّلاةِ فقد أَدْرَكَ الصَّلاةَ» ٤٣١
حديث: «مَن أَدْرَكَ رَكْعَةً مِن صَلاةٍ مِن الصَّلواتِ فقد أَدْرَكَهَا، إلَّا أنَّه يَقْضِي ما فَاتَهُ»..... ٤٣٢
حديث: «مَن أَدْرَكَ رَكْعَةً مِن الجُمُعَةِ فقد أَدْرَكَها، ويُضِفُ إليها أُخْرَى» . ٤٣٢
الحديث: «مَن أَدْرَكَ مِن صَلاةِ الجُمُعَةِ رَكْعَةً فقد أَدْرَكَ» ٤٣٣
خبر: «من أدرك من الجُمعة ركعةً صلَّى إليها أخرى، ومن فاته الركعتان صلَّى أربعًا»..... ٤٣٣
حول قول المالكية: من لم يذهب لحضور الجُمعة فلا يجوز له أنْ يُصلي الظُّهر حتى تنتهي صلاة الجُمعة..... ٤٣٥
إيرادٌ وجوابه..... ٤٣٥
حول حديث وقد يظن أنَّه معارضٌ لما ذكر هنا من الأحاديث والآثار ٤٣٥
إعتراض وجوابه..... ٤٣٧
اختار الشوكانيُّ أنَّ الشَّخص إذا فاتته صلاة الجُمعة صلَّاها ركعتين، وهو مردودٌ من وجهين..... ٤٣٧

اجتماع الجمعة والعيد.....٤٣٨
المُرسَل إذا اعتضد بحديثٍ موصولٍ -ولو ضعيفًا- تبيَّنت صحَّته، ويُعمل به كما يُعمل بالحديث الصَّحيح.....٤٣٩
مناقشة الشوكاني في كلامه عن اجتماع الجمعة والعيد.....٤٣٩
فعل ابن الزبير في اجتماع الجمعة والعيد.....٤٤٠
توضيح قول ابن عبَّاسٍ: «أصاب السُّنَّة».....٤٤١
تقديم الجمعة سُنَّة والدليل عليه.....٤٤٢
مسألة دقيقة: آية الجُمعة أوجبت الخُطبة بإيجاب السَّعي إليها ٤٤٤
خاتمة الكتاب.....٤٤٥

١٣- إسماعُ الصُّمِّ لاثباتِ تحريمِ غُسْلِ الابن للأمِّ

مقدمة ٤٤٩
تصدَّر للفتوىٰ مَن لا يُحسنها ولا يستحقُّها، وكثر بفتاويهم الجهل والضلال.....٤٤٩
الفتوىٰ الأولي: هل يجوز للرجل أن يجمع بين المرأة وخالتها؟.....٤٥٠
إجماع السلف وأهل السُّنَّة وأصحاب المذاهب المتبوعة ومعهم الزيدية علىٰ أن من عقد علىٰ امرأةٍ وعمَّتها أو خالتها فالعقد باطلٌ لا يصح، ولو عقد علىٰ إحداهما بعد الأخرىٰ فالعقد الأخير باطلٌ.....٤٥٢
الفتوىٰ الأخرىٰ: تغسيل الرجل لأُمِّه.....٤٥٢
وهذه نصوص العلماء في الموضوع.....٤٥٣

نصوص العلماء في غسل الرجل لمحارمه من النساء ٤٥٣
الخلاصة..... ٤٥٧
غسل الرجل لامرأةٍ ذات مَحرمٍ لا يجوز، بل هو حرامٌ بلا خلاف، وإنما حصل الخلاف في حالة الضرورة..... ٤٥٧
تتمة ٤٥٨
أوجب الشارع الاستئذان على الأُمِّ لئلَّا يراها ولدها عريانة، فكيف يجوز للرجل أن يدخل على أُمِّه وهي على المغسل عريانة؟! وهل هي تحب أن يراها كذلك؟..... ٤٥٨
ملحوظة: الذين يُغسِّلون أُمَّهاتهم لا يلتزمون بحالة الضرورة التي نصَّ عليها العلماء..... ٤٦٠
فهرس الموضوعات..... ٤٦٣

موسوعة

العلامة المحدث المتفنن

سيدي الشريف عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري الحسيني

(١٣٢٨ - ١٤١٣هـ) رحمه الله تعالى

قدم لها

الشريف الدكتور

عبد المنعم بن عبد العزيز بن الصديق

إشراف

الدكتور محمود سعيد بن محمد ممدوح

المجلد الحادي عشر

الفقه الإسلامي - التصوف الإسلامي

موسوعة

العلامة المحدث المفنن

سيدي الشريف عبد الله بن محمد الصديق الغماري الحسني

(١٣٢٨ - ١٤١٣هـ) رحمه الله تعالى

(١١)

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية
عام / ١٤٣٨

قام بطباعتها وإخراجها: مركز البحوث والدِّراسات
بكُليَّة الصَّفا الإسلاميَّة بماليزيا

يطلب من:

دار السَّلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

جمهورية مصر العربية: القاهرة – الإسكندرية.
الإدارة: القاهرة ٤٠ شارع أحمد أبو العلا – المتفرِّع من شارع نور الدين بهجت – الموازي لامتداد شارع مكرم عبيد – مدينة نصر.
هاتف: ٢٢٨٧٣٢٤٦ - ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ (٢٠٢+)
فاكس: ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢+)
البريد الإلكتروني: info@dar-alsalam.com
موقعنا على الإنترنت: www.dar-alsalam.com

المجلد الحادي عشر : الفقه الإسلامي

ويحتوي على:

١ - الإنارة بأدلَّة زكاة التجارة.

٢ - القول المُشرِق لسبب صومِ المغربِ برؤية المَشْرِق.

٣ - دفعُ الشَّكِّ والارتيابِ في تحريم نصارىٰ أهلِ الكتابِ.

٤ - الاسْتِقْصَاء لأدلَّةِ تَحْرِيمِ الاسْتِمْناء.

٥ - التنصيص علىٰ أنَّ حَلْقَ اللحية ليس بتَنْمِيص.

٦ - تعريفُ أهلِ الإسلام بـأنَّ نقلَ العُضوِ حرام.

٧ - أمنية المُتمَنِّي في تحريم التبنِّي.

٨ - واضِحُ البُرهانِ علىٰ تَحْرِيمِ الخَمْرِ والحَشِيشِ في القُرْآنِ.

التصوف الإسلامي

ويحتوي على:

١ - الإعلامُ بأنَّ التصوُّفَ مِن شريعةِ الإسلامِ.

٢ - حُسْنُ التلطُّفِ في بيانِ وجوبِ سلوكِ التصوُّفِ.

٣ - سِلْسِلَةُ الطَّريقةِ الصِّدِّيقيَّة.

٤ - الدُّرَرُ النَّقيَّة في أذكارِ وأدابِ الطَّريقةِ الصِّدِّيقيَّة.

٥ - إرْشَادُ الأَنامِ إلىٰ ما يُتْلَىٰ مِنَ السُّورِ والأَذْكَارِ في الأَيَّامِ.

١ - الإِنَارَةُ
بأدِلَّةِ وجُوبِ زَكَاةِ التِّجارَةِ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على أشرف المرسلين، سيِّدنا محمَّدٍ وآله الأكرمين.

وبعد: فهذا جزءٌ كتبته في بيان وجوب زكاة التجارة، حملني على كتابته أنِّي حين وصلتُ في تدريس "نيل الأوطار" إلى كتاب الزكاة، ذكر لي بعض الطلبة أنَّ شخصًا يزعم أنه لا يوجد حديثٌ يدلُّ على وجوب زكاة التجارة.

وهذا جهلٌ كبيرٌ، يظهر الكشف عنه في هذا الجزء بحول الله ومشيئته.

والله الموفِّق، وهو المستعان.

وينحصر الكلام هنا في مبحثين:

المبحث الأول
في أدلَّة الوجوب

وهي: **الأول**؛ قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٣] لفظ أموالهم عامٌّ، لأنه جمع مضاف، والمال في اللغة العربية: كلُّ ما تُمُوِّل وتُمُلِّك، وفي الحديث الصحيح: «**يقول ابن آدم: مالي مالي، وإنما له من ماله ما أكل فأفنى أو لبس فأَبْلى أو تصدَّق فأمضى، وما سوى ذلك فهو ذاهبٌ وتاركه لغيره**». والحديث في "صحيح مسلم".

فأموالهم في الآية يشمل النقدين، والماشية، والحبوب، وعُرُوضُ التجارة، وغيرها. ولا يُخَصُّ منه شيءٌ إلَّا بدليل.

الثاني: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

قال ابن مسعودٍ ومجاهدٌ: «من حلالات ما كسبتم بالتجارة والصناعة». نقله البغويُّ في "تفسيره".

وقال القرطبيُّ: «هذا خطابٌ لجميع أمَّة محمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، واختلف العلماء في المراد بالإنفاق هنا، فقال عليُّ بن أبي طالبٍ، وعبيدة السلمانيُّ، وابن سيرين: هي الزكاة المفروضة، نهى الناس عن إنفاق الرَّديء فيها بدل الجيِّد.

قال ابن عطية: والظاهر من قول البراء بن عازبٍ والحسن وقتادة أنَّ الآية

في التطوُّع، نُدبوا على أن لا يتطوعوا إلَّا بمختارٍ جيِّد. والآية تعمُّ الوجهين. لكن صاحب الزكاة تعلق بأنها مأمورٌ بها، والأمر على الوجوب ، وبأنه نهى عن الرديء وذلك مخصوصٌ بالفرض، وأما التطوُّع فكما للمرء أن يتطوَّع بالقليل فكذلك له أن يتطوَّع بنازلٍ في القَدْر، ودرهمٌ خيرٌ من تمرةٍ». اهـ

فالآية تدل على زكاة التجارة وزكاة ما تُنبته الأرض من الحبوب والثمار إلَّا ما خصَّه دليلٌ.

الثالث: حديث ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لَمَّا بعث معاذًا إلى اليمن، فقال:« **ادعُهم إلى شهادة أن لا إله إلَّا الله وأنِّي رسول الله، فإن هم أطاعوك بذلك فأخبرهم أنَّ الله قد افترض عليهم خمسَ صلواتٍ في كلِّ يومٍ وليلةٍ، فإن هم أطاعوك بذلك فأعلمهم أنَّ الله افترض عليهم صدقةً في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وتُردُّ على فقرائهم**». رواه البخاريُّ والدارميُّ.

فلفظ «أموالهم» عامٌّ يشمل التجارة وغيرها.

الرابع: حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه، قال: سمعتُ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول:« **في الإبل صَدَقَتُها، وفي الغنم صدقتُها، وفي البقر صدقتُها، وفي البَزِّ صدقتُه، ومَن رَفَعَ دنانيرَ ودراهمَ أو فِضَّةً لا يعُدُّهَا لغَرِيم، ولا يُنفقُها في سبيل الله فهو كَنْزٌ يُكْوَى به يوم القيامةِ**».

رواه الحاكم من طريق سعيد بن سلمة بن أبي الحسام: ثنا عمران بن أبي أنس بن مالك بن أوس بن الحدثان عن أبي ذرٍّ به.

قال الحافظ في "تلخيص الحبير": «هذا إسنادٌ لا بأس به». وقال في "الدراية": «إسناده حسنٌ».

طريقٌ آخر للحديث: روىٰ البزَّار، والدارقطني، والبيهقيُّ من طريق موسىٰ بن عبيدة: حدَّثني عمران بن أبي أنس، عن مالك بن أوس بن الحدثان، قال : بينما أنا جالسٌ عند عثمان جاءه أبو ذرٍّ فسلَّم عليه فقال له عثمان: كيف أنت يا أبا ذرٍّ؟ قال: بخيرٍ. ثُمَّ قام إلىٰ ساريةٍ فقام الناس إليه فاحتوشوه، فكنت فيمن احتوشه، فقالوا: يا أبا ذرٍّ حدِّثْنا عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، قال سمعتُ رسول الله يقول: «**في الإبل صدقتُها، وفي الغنم صدقتُها، وفي البقر صدقتها، وفي البَزِّ صدقتُه**». قالها بالزاي.

موسىٰ بن عبيدة: هو الرَّبذيُّ، ضعيفٌ مع صلاحه.

قال النوويُّ في "تهذيب الأسماء واللغات": «ذكر في أول زكاة التجارة قوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم:«**في البَزِّ صدقتُه**» هو بفتح الباء، وبالزاي، وهذا وإن كان ظاهرًا لايحتاج إلىٰ تقييد، فإنما قيدته لأني بلغني أن بعض الكتاب صحفه بضم الباء وبالراء. قال أهل اللغة: البَزُّ: الثياب التي هي أمتعة البزَّاز».

الخامس: حديث سمرة، روىٰ أبو داود، ومن طريقه البيهقيُّ، عن جعفر بن سعدٍ: حدثني خبيب بن سليمان، عن أبيه، عن سَمُرةَ بنِ جُنْدُبٍ: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان يأمرنا أن نُخرج الصدقة من الذي نُعدُّ للبيع.

ورواه الدارقطنيُّ في "سننه" والطبرانيُّ في "معجمه" عن سَمُرَة به، ولفظه: كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يأمرنا برقيق الرجل، أو المرأة الذين هم تِلَادُه وهم عملة لا يريد بيعهم ألا يخرج عنهم الصدقة، وكان يأمرنا أن نُخرج الصدقة من الذي يُعدُّ للبيع.

قال ابن عبدالبر: «رواه أبو داود وغيره بإسنادٍ حسنٍ».

لكن قال عبدالحق في "أحكامه": «خُبَيْبٌ ليس بمشهورٍ، ولا نعلم روىٰ عنه إلَّا جعفر بن سعدٍ، وليس جعفرٌ ممن يُعتمد عليه. قال ابن دقيق العيد: وسلمان بن سَمُرة بن جُنْدُب: لم يعرف ابن أبي حاتم بحاله، وذكر أنه روىٰ عنه ربيعة وابنه خُبيبٌ. وقال الحافظ عن سليمان هذا: مقبولٌ».

فالحديث ضَعْفُه قريبٌ، وسكت عنه أبو داود والمنذريُّ، لا سيما وهو مؤيَّدٌ بالأدلة قبله وبما يأتي بعده، وهي الموقوفات علىٰ الصحابة والتابعين.

المبحث الثاني

الآثار

روىٰ الشافعيُّ في "الأم"، وأحمد في "المسند"، وعبدالرازق، وابن أبي شيبة، والدارقطني في "السنن"، والبيهقي في "السنن" أيضًا، من طريق يحيي ابن سعيد، عن عبدالله بن أبي سلمة، عن أبي عمرو بن حِماسٍ، عن أبيه أنه قال: كنت أبيع الأُدُمَ والجِعَابَ، فمرَّ عمر بن الخطاب، فقال: «أَدِّ صدقة مالِكَ». فقلت: يا أمير المؤمنين إنما هو في الأُدُمِ. قال: «قَوِّمْهُ، ثُمَّ أخرج صدقته».

ورواه الشافعيُّ أيضًا عن سفيان: حدَّثنا ابن عجلان، عن أبي الزناد، عن أبي عمرو بن حماس عن أبيه مثله.

ولفظ رواية الشافعيِّ: «مررت بعمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وعلىٰ ظهري آدمة أحملها، فقال عمر: أدِّ زكاتك يا حِماس. فقلت : يا أمير المؤمنين مالي غير هذه التي علىٰ ظهري وآهبة في القَرَظ. فقال: ذاك مالٌ فضع. قال: فوضعتها بين يديه، فحسبها فوجدها قد وجبت فيها الزكاة، فأخذ منها الزكاة».

آدمة: جمع أديم وهو الجلد المدبوغ. وآهبة: جمع إهاب بكسر الهمزة، وهو الجلد غير المدبوغ. والقَرَظ: بفتحتين، ما يدبغ به الجلد.

وعمر رضي الله عنه أخذ الزكاة من هذه العروض لأنها مالٌ، استنادًا إلى عموم الآية والحديث.

وروى عبدالرزاق: أخبرنا ابن جريجٍ: أخبرني موسى بن عقبة، عن نافعٍ، عن ابن عمر، قال: «في كلِّ مالٍ يُدار في عبيدٍ أو دوابٍّ، أو بَزٍّ للتجارة، تدار فيه الزكاة كلَّ عامٍ». إسناده صحيحٌ.

وروى البيهقيُّ من طريق أحمد بن حنبل: ثنا حفص بن غياث: ثنا عبيدالله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر، قال: «ليس في العُرُوض زكاةٌ إلَّا ما كان للتجارة». إسناده صحيحٌ أيضًا.

وروى عبدالرزاق، عن عروة بن الزبير، وسعيد بن المسيب قالوا: «في العُرُوض تدار الزكاة كلَّ عامٍ، لا يُؤخذ منها الزكاة حتى يأتي ذلك الشهر عام قابِل».

وروى ابن أبي شيبة في "المصنَّف" عن ابن سيرين قال: «في المتاع يُقوَّم ثُمَّ تؤدَّى زكاته».

وروى أيضًا عن إبراهيم النَّخعيِّ قال: «كلُّ شيءٍ أريد به التجارة ففيه الزكاة، وإن كان لَبِنًا أوطينًا». قال: وكان الحَكَم يرى ذلك.

وروى أيضًا عن يونس، عن الحسن في رجلٍ اشترى متاعًا فحلَّت فيه الزكاة؟ فقال: «يزكِّيه بقيمته يوم حلَّت».

وروى أيضًا: حدَّثنا عبدالأعلى، عن أبي إسحاق، عن الزهريِّ، عن حميد بن

عبدالرحمن، عن عبدالرحمن بن عبد القاري وكان على بيت المال مع عبدالله ابن الأرقم، فإذا خرج العطاء جمع عمر أموال التجارة فحسب عاجلها وآجلها، ثُمَّ يأخذ الزكاة من الشاهد والغائب.

وروى عبدالرزاق، عن الثوريِّ، عن محمَّد بن سالم، عن الشعبيِّ، قال: «ليس في شيءٍ من الدواب زكاة إلَّا أن تكون لتجارةٍ إلا الغنم والإبل والبقر».

وروى عبدالرزاق، عن الثوريِّ قال: «ليس في الحُمُرِ زكاةٌ إلا أن تكون لتجارةٍ».

وروى أيضًا عن ابن جريج قال: قال عطاء في البَزِّ: «إن كان يُدار كهيئة الرقيق زكَّى ثمنه».

وروى مالكٌ في "الموطأ" عن يحيى بن سعيدٍ، عن زريق بن حيان، وكان زريق على جواز مصر في زمان الوليد بن عبدالملك وسليمان وعمر بن عبدالعزيز، فذكر: أنَّ عمر بن عبدالعزيز كتب إليه: «أن انظر مَن مرَّ بك من المسلمين، فخذ ممَّا ظهر من أموالهم مما يُديرون من التجارات، مِن كلِّ أربعين دينارًا دينارًا، فما نقص فبحساب ذلك حتى يبلغ عشرين دينارًا، فإن نقصت ثلث دينار فدعها ولا تأخذ منها شيئًا، ومَن مرَّ بك مِن أهل الذمَّة فخُذ ممَّا يُديرون من التجارات، مِن كلِّ عشرين دينارًا دينارًا، فما نقص فبحساب ذلك حتى يبلغ عشرة دنانير، فإن نقصت ثلث دينار فدعها ولا تأخذ منها شيئًا، واكتب لهم بما تأخذ منهم كتابًا إلى مثله من الحَوْلِ».

السادس: الإجماع، حكاه ابن المنذر، وعبارته: «وأجمعوا على أنَّ في العُرُوض التي تدار للتجارة الزكاة إذا حال عليها الحول».

وهو يقصد إجماع السلف قبل المائة الثانية، فلا يَرِدُ عليه الاعتراض بخلاف داود الظاهري المتوفَّى سنة (٢٧٠)، لأنه أدرك الخلاف بعد انعقاد الإجماع.

قال الزرقانيُّ في "شرح الموطأ": «وقال داود: "لا زكاة في العُرُوض بوجهٍ كان لتجارةٍ أو غيرها لخبر: «**ليس على المسلم في عبده ولا فرسه صدقة**». ولم يقل إلَّا أن ينوي بهما التجارة، وتُعقِّب بأنَّ هذا نقضٌ لأصله في الاحتجاج بالظاهر لأنَّ الله تعالى قال: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾ [التوبة: ١٠٣] فعلى أصلهم تؤخذ من كلِّ مالٍ إلَّا ما خُص بسُنَّةٍ أو إجماعٍ فتؤخذ من كلِّ مال ما عدا الرقيق والخيل، ولأنه لا يقيس عليهما ما في معناهما من العُرُوض.

وقد أجمع الجمهور على زكاة عُرُوض التجارة، وإن اختلفوا في الإدارة والاحتكار، والحُجَّة لهم ما تقدَّم من عمل العُمَرين، وما نقله مالكٌ من عمل أهل المدينة، وخبر أبي داود: كان صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يأمرنا أن نُخرج الزكاة مما نُعدُّه للبيع.

قال الطحاويُّ : "ثبت عن عمر وابنه زكاة عُرُوض التجارة، ولا مخالف لهما من الصحابة"، وهذا يشهد أنَّ قول ابن عبَّاسٍ وعائشة: "لا زكاة في العُرُوض" إنما هو في عروض القِنْية».اهـ كلام الزرقانيِّ.

وحديث: «**ليس على المسلم في عبده ولا فرسه صدقةٌ**». رواه البخاريُّ ومسلمٌ.

قال الحافظ في "الفتح": «واستدل به من قال من أهل الظاهر بعدم وجوب الزكاة فيهما مطلقًا ولو كانا للتجارة. وأُجيبوا بأنَّ زكاة التجارة ثابتةٌ

بالإجماع، كما نقله ابن المنذر وغيره، فيخص به عموم هذا الحديث والله أعلم».اهـ

وقال القاضي عياض في "شرح مسلم": «هذا الحديث حُجَّةٌ للكافَّة في أنه لا زكاة فيما اتُّخذ من ذلك للقِنْية، بخلاف ما اتُخذ للتجارة».

وقال الإمام النوويُّ: «هذا الحديث أصل في أنَّ أموال القِنْية لا زكاة فيها، وأنه لا زكاة في الخيل والرقيق إذا لم تكن للتجارة، وبهذا قال العلماء كافة من السلف والخلف إلَّا أنَّ أبا حنيفة وشيخه حمَّاد بن أبي سليمان ونفرًا أوجبوا في الخيل إذا كانت إناثًا أو ذكورًا وإناثًا في كلِّ فرسٍ دينارًا وإن شاء قومها وأخرج عن كلِّ مائتي درهم خمسة دراهم، وليس لهم حجَّةٌ في ذلك، وهذا الحديث صريحٌ في الردِّ عليهم».اهـ

ورواه الترمذيُّ وقال عَقِبة: «والعمل عليه عند أهل العلم أنه ليس في الخيل السائمة صدقة، ولا في الرقيق إذا كانوا للخدمة صدقة، إلا أن يكونوا للتجارة، فإذا كانوا للتجارة ففي أثمانهم الزكاة إذا حال عليها الحَوْل».اهـ

وفي السيارات التي تُتَّخذ للتجارة تجب الزكاة في أثمانها أو قيمتها إذا حال عليها الحول لأنها عُرُوض للتجارة.

فظهر مما أوردناه أنَّ زكاة التجارة واجبةٌ بالكتاب والسُّنَّة وإجماع السلف، ولم ينكر وجوبها إلَّا الظاهرية، وهم معروفون بالشذوذ فلا عبرة بخلافهم وبالله التوفيق.

والحمد لله ربِّ العالمين.

٢- القَوْلُ المُشْرِقُ
لسَبَبِ صَوْمِ المَغْرِبِ برُؤْيَةِ المَشْرِقِ

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله ناصر الحقِّ وهازم الباطل وخاذل أربابه، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّدٍ سيِّد أحبابه، والرِّضا عن آله الكِرام وخِيار أصحابه، وعمن تبع هديه وتأدَّب بآدابه.

أما بعد: فإنَّ شقيقنا الحافظ أبا الفيض ألَّف كتابًا سمَّاه: "توجيه الأنظار إلى توحيد المسلمين في الصوم والإفطار" دعا فيه إلى وجوب اتحاد المسلمين في صيام رمضان وفطرهم منه، تفاديًا لما يحصل في كلِّ سنةٍ من التفرقة والاختلاف، حيث نجد البلاد الحجازية يبتدئ رمضان فيها يوم الجمعة مثلًا، ويبتدئ في مصر يوم السبت، أما المغرب فيبتدئ يوم الأحد.

ويحصل مثل هذا الاختلاف في عيد الفطر وفي عيد الأضحى، وهذا يورث بلبلةً في الأفكار وتباعدًا بين المسلمين، وربما يؤدِّي إلى قطيعةٍ وتصارمٍ.

فإنَّ الحجاز أو العراق حين يعلم أنَّ مصر أو ليبيا مثلًا لم تعمل برؤيته مع ثبوتها بالطريق الشرعي يحصل له نفورٌ واشمئزازٌ يستمرُّ على طول الأيام حتى ينتهي إلى جفاء، وهذا خطرٌ كبيرٌ يزيد في التفرقة بين المسلمين ويساعد على تشتيت جهودهم.

فكان تلافي هذا الخطر بتوحيد المسلمين في مواسمهم الدينية من صيام وفطر وتضحية أمرًا بالغ الأهمية يؤيده الدين بتعاليمه السمحة المرضية، وتقتضيه ظروفهم السياسية، ودعا إليه مؤتمر علماء المسلمين المنعقد بالقاهرة المعزية، وهو مع ذلك مذهب المالكية والحنفية.

لكن شخصًا يحب العناد لأجل العناد، ويهوى الخلاف لذات الخلاف آلمه أن يسبق أبو الفيض إلى هذه الفكرة النبيلة السامية التي تواطأ على الدعوة إليها علماء ومثَّقفون من مختلف البلاد الإسلامية، ولم يستطع إبطالها بدليلٍ أو تعليلٍ؛ لأن كتاب: "توجيه الأنظار" محَّصَ الأدلة ونقَّحها، واستعرض الآراء وسبرها، ودلَّل وعلَّل، وحاجج ونافح، وقدم للقُرَّاء بحثًا محرَّرًا، منقَّحًا مُهذَّبًا، ليس فيه ثلمةٌ ولا لوائد أن يزيد عليه كلمة.

فماذا يفعل صاحبنا المريض بالعناد والخلاف؟ لقد جهد جهده، وأكل ذهنه، وعصر مخَّه واستلهم رأيه، ثم طلع بما سمَّاه «إشكالًا» طنطن به ودندن، وتغنى بمدحه وأفتن، واستبدَّ به الغرور، حتى زعم أنَّ الجواب عنه من مستحيلات الأمور، ودعا الذين يصومون ويفطرون برؤية المشرق مستشرقين عيبًا لهم ونقصًا، لتشبيههم بالكفَّار الذين يستشرقون.

وقد كنت أجبت عنه بجوابين، ظننتهما كافيين في رجوعه إلى الصواب وداعيين إلى اعترافه بخطئه، والاعتراف بالخطأ مكرمة لا تعاب، غير أنه لجَّ في الخصام والعناد، وعاد إلى تفسير إشكاله بما زاده بطلانًا وفسادًا على فسادٍ.

فكتبت هذه الرسالة، وأصبت مقاتل إشكاله بهذه العُجالة، ولم أقصد بتحريرها أن أرده إلى حظيرة الصواب، أو أضمّه إلى فئة المنصفين أولي الألباب، لأنه يرى الرجوع عن رأيه منقصةً وعابًا، خطأً كان الرأي أو صوابًا.

وإنما قصدت أن أنقذ من انخدعوا به إن كان عندهم بعض من علم أو بقية من إنصاف، حتى يعودوا إلى جادة الطريق ويدعوه وما اختار من الانحراف. والله الموفِّق الهادي، إليه فوَّضت أمري وعليه اعتمادي.

مقدمة

نُمهِّد بها لموضوع بحثنا، وهي تشتمل على مسائل:

١ - **الحكم الشرعي**: ينقسم قسمين:

حكم تكليفي: وهو خطاب الله المتعلق بفعل المكلف بالاقتضاء أو التخيير.

فإن اقتضى الفعل اقتضاءً جازمًا فإيجاب، والفعل واجب أو فرض كالصلاة والصيام والزكاة.

وإن اقتضى ترك شيء اقتضاءً جازمًا فتحريم، والفعل حرام ومعصية.

وإن اقتضى ترك شيء اقتضاء غير جازم فكراهة، فالفعل مكروه كصلاة نفل بعد العصر.

وإن خير فإباحة والفعل مباح، كالبيع، والإجارة، وتناول الطيبات.

وحكم وضعي: أي جعلي، وهو خطاب الله المتعلق بجعل الشيء سببًا أو شرطًا أو مانعًا.

فالسبب: هو «ما يلزم من وجوده وجود الحكم ومن عدمه عدمه»، كالزوال؛ إذا وجد وجبت صلاة الظهر، وإذا لم يوجد لم يجب الظهر.

والشرط: هو «ما يلزم من عدمه عدم الحكم ولا يلزم من وجوده وجود الحكم ولا عدمه»، كالطهارة من الخبث والحدث؛ شرط في صحة الصلاة فإذا فقدت الطهارة فقدت الصلاة شرعًا، وإذا وجدت لم توجد الصلاة، لجواز أن يتطهر في وقت لا تجوز فيه الصلاة.

والمانع: هو «ما يلزم من وجوده عدم الحكم، ولا يلزم من عدمه وجود

الحكم ولا عدمه»، كالحيض؛ وجوده يمنع وجوب الصلاة والصوم، لكن عدمه يوجب الصلاة والصيام لأن الحائض قد تطهر في وقت لا يجبان فيه واللزوم المذكور في هذه التعريفات شرعي، وليس بعقلي.

٢- **اليوم في عرف الشرع**: هو «الوقت الواقع بين طلوع الفجر، وغروب الشمس». **والليل**: هو «الزمان الواقع بين غروب الشمس وطلوع الفجر».

ولا يخفى أن البلاد المشرقية، يبتدئ اليوم فيها قبل البلاد المغربية بساعة وساعتين وأكثر، حسب اختلاف أطوال البلاد وقرب بعضها من مطلع الشمس، وينشأ عن ذلك سبق بلاد على غيرها في الشروق والغروب.

فالعراق يسبق الحجاز بنصف ساعة، والحجاز يسبق مصر بنصف ساعة أيضًا، ومصر تسبق المغرب بساعتين، وهكذا كلما كان بلد أقرب إلى مطلع الشمس كان سابقًا على غيره في الشروق.

ولكن هذا الاختلاف وصف طردي، أي لغو لم يعتبره الشارع وإنما اعتبر اليوم كله فأوجب صيامه في رمضان وفطره في العيدين.

ثم إن اعتبر اليوم في كل بلد بحسب طوله في بدايته ونهايته ولم يعتبر اليوم في المشرق بالنسبة للمغرب ولا العكس لأن فروق الزمن تمنع من ذلك، فإذا غربت الشمس بالمشرق وجب عليهم صلاة المغرب، وأفطروا إن كانوا صائمين، لكن لا يجب على المغاربة صلاة المغرب في ذلك الوقت ولا يفطرون إن كانوا صائمين، لأن يومهم لم ينته بعد، حتى إذا انقضت الساعات التي سبقهم بها المشرق وغربت الشمس عندهم حل لهم الإفطار حينئذ ووجب عليهم صلاة المغرب.

فيوم الخميس مثلًا في المشرق هو يوم الخميس نفسه في المغرب، وإن كان تتقدم بدايته في المشرق وتتأخر نهايته في المغرب، كما تتقدم بعض البلاد على أخرى في قطر واحد، فبين فاس وطنجة فرق في الوقت، كما بين أسوان والقاهرة أيضًا. هذا أمر واضح لا يحتاج إلى مزيد بيان.

٣- وكذلك الليل يختلف بداية ونهاية مع المشرق كاختلاف النهار لما سبق بيانه، غير أن الشارع اعتبره في عدة أحكام:

١- جعل الهلال الذي يظهر فيه سببًا لوجوب الصيام والفطر في رمضان وتعيين يوم عرفة لوقوف الحجاج به، قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**صُومُوا لرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لرُؤْيَتِه**».

٢- جعله فطرًا للصائم وإن لم يأكل، قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا أَقْبَلَ اللَّيْلُ مِن ها هُنا وأَدْبَرَ النَّهَارُ مِن ها هُنا وغَرَبَتِ الشَّمْسُ فقد أَفْطَرَ الصَّائِمُ**».

ولهذا لما سئل تقي الدين السُّبكي عن صائم حلف لا يفطر على حار ولا بارد، والطعام إما حار أو بارد، فكيف يبر في يمينه؟ فأجاب: «يبر في يمينه بغروب الشمس»، واستدل بهذا الحديث.

٣- جعله ظرفًا لركن من أركان الصيام، وهي النية، قال النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن لم يُبيِّتْ الصِّيَامَ مِن اللَّيْلِ فلا صِيَامَ لَهُ**».

فأي شخص يريد الصيام يجب عليه أن ينويه، في جزء من الليل، وإضافة الليلة إلى الصيام في قول الله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ﴾ الآية [البقرة: ١٨٧].

لأنها تشتمل على ركن من أركانه وهي النية قال الحدوشي: والفقهاء يعنون النية الفارقة فقط. دون النية الصادقة وهذا غلط واضح وقصور قبيح، بل لا بد منهما معًا.

فصل

إذا تمهَّدت هذه المقدمة، فنقول: مذهب المالكية والحنفية وجمهور العلماء أنه إذا ثبتت رؤية هلال رمضان في بلدٍ، وجب الصيام على بقية البلاد الإسلامية.

فإذا رُؤي الهلال في الحجاز مثلًا، وجب الصيام على العراق والشام واليمن ومصر وليبيا والمغرب وغيرها؛ لأن الهلال يولد مرة واحدة ولا يمكن أن تراه جميع البلاد دفعة لأسباب جغرافية تمنع من ذلك.

لا يجوز أن يقال: «لكل قطر رؤية خاصة به». لأنه يلزم عليه أحد أمرين:

إما أن يكون في السماء هلالان وأكثر، يظهر لكل قطر هلال، وهذا باطل.

وإما أن الهلال يولد أكثر من مرة ليظهر في عدة أقطار، وهذا أشد بطلانًا من الأول.

ومعنى وجوب الصيام على الأقطار: إذا رؤي الهلال بعد غروب الشمس يوم الخميس في الحجاز مثلًا، وجب الصيام على الحجاز بلد الرؤية وعلى مصر والمغرب برؤية الحجاز، كذا قرر الفقهاء ونصوصهم موجودة في مظانها من كتب الفقه.

فإن قيل: كيف يجب الصيام على المغرب برؤية مصر أو الحجاز وبينهما فرق كبير في الزمان؟ لأنه إذا كان الوقت في مصر السادسة مساء، يكون

الوقت في المغرب الرابعة.

فالجواب: أن الاختلاف في الوقت بالتقديم والتأخير يعتبر من الناحية الخاصة باليوم نفسه، بمعنى أنه لا يجوز صلاة الظهر في المغرب بزوال الشمس في الحجاز أو مصر، ولا يفطر الصائم في المغرب بغروب الشمس فيهما أيضًا كما سبق بيانه.

أما بالنسبة لأمر عام كرؤية الهلال التي يلزم عنها عموم الشهر لسائر البلاد فهو لغو لم يعتبره الشرع كما مر في المقدمة، لأنه نتيجة اختلاف أطوال البلاد وقرب بعضها من مطلع الشمس، وإنما اعتبر منضبطًا ناط به الحكم وهو الاشتراك في الليل، إن المغرب يشترك مع المشرق في الليل وهو الذي ربط بينهما وقديمًا قال الشاعر:

أليسَ الليلُ يجمعُ أمَّ عمرٍو وإيَّانا فذاكَ بنا تَدَاني

فاعتبر جمع الليل بينه وبين أم عمرو تدانيًا وقربًا بينهما.

فصل

تبيَّن لك مما حرَّرناه أنَّ سبب صيام المغرب برؤية المشرق هو الاشتراك في الليل.

وسبقَ في المقدِّمة أنَّ السبب: «ما يلزم من وجوده وجود الحُكْم، ومِن عدمه عدم الحُكْم».

والاشتراك في الليل كذلك، فإنه إذا وجد وجد صيام المغرب برؤية المشرق، وإذا لم يوجد لم يجب الصيام، هذا هو سبب الحكم وعلته، لا شيء آخر غيره.

وبعد ما استمعت إلى ما بسطناه وأوضحناه، فاستمع إلى ما قاله صاحب

الإشكال، واحمِدْ الله على نعمة العقل الذي أنعم به عليك، واسأله أن يُريك الحقَّ حقًّا ويرزقك اتباعه، ويُريك الباطلَ باطلًا ويرزقك اجتنابه، فإنَّ من الخذلان أن تنعكس الأمور في عقل شخصٍ وقلبه فيرى الحقَّ باطلًا والباطل حقًّا،كما تلمسه في الثنايا هذا الإشكال، وبين سطوره وكلماته.

وإليك خلاصته:

إنَّ العمل برؤية المشرق معناه أن يعتبر العامل نفسه في الشهر الذي رؤي هلاله بالمشرق بحيث يلتزم حكمه في الصوم وفي الكراء وفي كلِّ شيء، فإذا رؤي هلال رمضان بالمشرق وجب على العامل برؤيته أن يعتبر نفسه في رمضان من وقت الرؤية-الذي هو الساعة الثالثة بعد الظهر بالمغرب-فيصوم في تلك الساعة؛ لأنه الوقت من رمضان المشرق باتفاق العقلاء، فإن قال: لا يلزمني الصوم إلا بعد الغروب، سألناه عن ذلك الوقت الذي بين الساعة الثالثة التي رؤي فيها الهلال بالمشرق، وبين الغروب من أي شهر هو؟ فإن قال: «من شعبان»، كان قد ترك العمل برؤية المشرق ورجع إلى العمل برؤية المغرب، حيث لم يعتبر نفسه في رمضان المشرق ولم يلتزم حكمه من وقت ثبوت الرؤية، وإن قال: «من رمضان»، كان مفطرًا في الوقت الذي هو من رمضان باعتبار الرؤية التي يقول بها، وكان مخالفًا للشرع ولعلم الفلك، لأن الشهر في الشرع وفي الفلك لا يكون أوله نهارًا.

انتهى الإشكال العجيب!! وهو فاسد الاعتبار؛ لابتنائه على شفا جُرُفٍ هارٍ.

وبيان فساده من وجوه:

الأول: أن اعتبار العامل لنفسه في رمضان المشرق شيء اخترعه من مخه ولا

أصل له في كلام الفقهاء، فلا عبرة به.

الثاني: أن ذلك الاعتبار الذي اخترعه إما أن يجعله شرطًا للعمل برؤية المشرق أو سببًا له.

والأول باطل، لأنهم صرحوا بأن معنىٰ العمل برؤية المشرق: صيام اليوم التالي للرؤية. وصاحب الكلام أدرىٰ بمعناه، فلا يجوز أن ندع شرحهم ونتمسك بشرح نسبه إليهم، متقول عليهم.

فلم يبق إلا أن يكون سببًا، وهو باطل أيضًا بالوجوه الآتية:

الثالث: أنهم عللوا صوم المغرب برؤية المشرق للاشتراك في الليل، وهو يقضي علىٰ ذلك الاعتبار ويهدمه من أساسه، لأن الساعة التي يرىٰ فيها هلال رمضان بالمشرق لا يحصل بها اشتراك في الليل فلا يجب صيام علىٰ المغرب، سواء اعتبر العامل نفسه في رمضان المشرق أم لم يعتبر.

الرابع: ينشأ عن ذلك الاعتبار مفاسد، منها: أن يعتبر العامل نفسه في نهار المشرق فيصلي الظهر في الساعة العاشرة صباحًا بوقت المغرب، ويصلي العصر في الساعة الواحدة، إذ لا فرق في الاعتبار بين الصلاة والصوم، ولا بين الليل والنهار.

ومن خذلان صاحب الإشكال أن اخترع ذلك الاعتبار ليفسد به قول الداعين إلىٰ صيام المغرب برؤية المشرق، فوقع به في فساد، لم يخطر علىٰ باله.

الخامس: أن الأحكام الفقهية لا تبنىٰ علىٰ الاعتبارات المُخّية لكن تبنىٰ علىٰ الأسباب الشرعية، والعمل برؤية المشرق حكم فقهي بني علىٰ سبب شرعي، وهو الاشتراك في الليل.

السادس: قرر أهل الأصول في مبحث المناسبة: «أن الوصف الذي يبنى عليه الحكم لا بد أن يكون مناسبًا له».

بمعنى أن يترتب على انبناء الحكم عليه مصلحة يقصدها الشارع كمظنة المشقة التي علل بها الفطر وقصر الصلاة في السفر، فإنه ترتب عليها التخفيف، وهو مقصود للشارع، قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وكذلك الاشتراك في الليل مناسبة لصيام المغرب برؤية المشرق لأنه يترتب عليه اتحاد المسلمين في شعائر دينهم، والاتحاد أهم مقاصد الدين بعد الإيمان، حتى إن عمر رضي الله عنه لما رأى الصحابة يصلون التراويح فرادى ساءه منظر تفرقهم واختلافهم في القيام والركوع والجلوس والسجود. فجمعهم على أبي بن كعب رضي الله عنه يؤمهم، ولما خرج مرة أخرى ووجدهم يصلون مجتمعين سره منظر اتحادهم، وقال: «نِعْمَتِ الْبِدْعَةُ هَذِهِ».

وكره بعض التابعين للمصلين في جماعة أن يتنفلوا بعض الصلاة فرادى وقال: «بينما هم جميع، اختلفوا».

واعتبار العامل نفسه في رمضان المشرق لا مناسبة فيه بل لا وجود له، وإنما اخترعه صاحب الإشكال ليفسد به قول الداعين إلى الاتحاد، ناسيًا قول الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣].

السابع: أن السبب الذي بني عليه الحكم يجب أن يكون مطردًا لا يختلف في صورة من صور الحكم، كالزوال لوجوب الظهر، ومغيب الشفق لوجود

العشاء، والاشتراك في الليل لوجوب صيام المغرب برؤية المشرق، فهذه الأسباب قائمة مطردة، لا تتخلف على مدى الدهر.

أما باعتبار العامل نفسه في رمضان المشرق فأمر عدمي لا وجود له إلا في ذهن المعتبر، وليس كل واحد يلاحظ هذا الاعتبار أو يتفطن له كما هو الشأن في الاعتبارات الذهنية الخيالية.

فكيف يبنى حكم فقهي على أمر خيالي لا وجود له؟ وكيف ينسب القول به أو بما يلزم عنه إلى العلماء الذين يوجبون الصيام برؤية المشرق وهم أعقل وأذكى من أن ينطقوا بهذا السخف؟!

فإن قال: هو لازم لقولهم، قيل له: نعم، في مخك! بحسب فهمك، أما عند العلماء فلا تلازم بينهما ولا تقارب.

الثامن: أن ذلك الاعتبار يؤدي إلى أن يكون الناس في رمضان قسمين: من لاحظ واعتبر نفسه في رمضان المشرق وجب عليه الصيام، ومن لم يلاحظ لم يجب عليه الصيام، ولم يعهد في فريضة عينية أن تجب على شخص دون الآخر إلا لعذر كمرض مثلًا.

فإن قيل: يجب على الشخص أن يعتبر نفسه في رمضان المشرق، كما قال صاحب الإشكال فيما مرَّ عنه، فإذا رؤي هلال رمضان بالمشرق وجب على العامل برؤيته أن يعتبر نفسه في رمضان من وقت الرؤية.

قلنا: يبطلها ما يأتي، وهو:

التاسع: أن الواجبات المطلقة تكون أسبابها أمورًا غير مقدورة للمكلف، خذ مثلًا الصلوات الخمس؛ أسباب وجوبها أوقات خارجة عن قدرة المكلف،

كالزوال والغروب، والصيام سببه ظهور الهلال، والزكاة سبب وجوبها حولان الحول، بل التكليف من أصله يُنَاط بسبب ليس في طاقة الشخص؛ وهو البلوغ.

بخلاف الواجبات المقيدة فإن أسبابها أفعال المكلف لأنها إنما وجبت عقوبة عليه وكفارة عنها، كالواجبات التي أوجبها الشارع على القاتل المخطئ، والمظاهر، والمفطر في رمضان عمدًا، والحانث في يمينه، والناذر نذر اللجاج، وذلك الاعتبار فعل المكلف، لا يجوز أن يكون سببًا للصيام الذي هو فريضة مطلقة. وقد جعل الشارع ظهور الهلال لها سببًا ولا يجوز أن نوجب ذلك الاعتبار لأنه لم يأت بوجوبه آية ولا حديث ولا اقتضاء قياس.

بل لا أصل له كما قدمنا، وإنما اخترعه صاحب الإشكال في مخه ليفسد قول الداعين إلى توحيد المسلمين في الصيام والإفطار، ولم يكن له ورع يمنعه من نسبته إليهم وإلزامهم وهم بريئون منه براءة الذئب من دم ابن يعقوب.

العاشر: إنه على فرض الاعتبار في الأحكام الفقهية وأسبابها، فإيراده على الوجه الصحيح هنا أن يقال: إذا رؤي هلال رمضان في المشرق، وجب على العامل برؤيته: أن يعتبر نفسه في تلك الساعة التي هي الساعة الثالثة بعد الظهر أنه رأى الهلال كما رآه أهل المشرق، وحينئذ لا يجب عليه الصيام في تلك الساعة، لأن المقرر في علم الفقه أن رؤية الهلال نهارًا تعتبر لليلة المقبلة.

قال العلامة الشيخ خليل في "المختصر": «ورؤيته نهارًا للقابلة».

وبناء على ذلك يصوم المغرب مع المشرق في اليوم التالي للرؤية هذا هو الاعتبار الصحيح الذي عمي على صاحب الإشكال فلم يهتد إليه لتعصبه

الشديد ولدده في الخصومة.

الحادي عشر: قدمنا أن المشرق يسبق المغرب في الشروق والغروب بساعتين، وأن يوم الخميس مثلًا في المشرق هو يوم الخميس في المغرب، غير أنه يبتديء وينتهي في المشرق قبل المغرب، فإذا رؤي بعد غروب شمسه في المشرق هلال رمضان، فلا أحد من العقلاء يقول عن الساعات التي بقيت منه في المغرب تعتبر من رمضان لأسباب:

١- أنه لم يعهد في يوم أن يكون بعضه من شعبان وبعضه من رمضان، بالنسبة لقُطْر ولا بالنسبة لقطرين.

٢- أن الزمان كما عرَّفه الحكماء: عرض غير قار -بتشديد الراء- أي أنه حركة الفلك إلى أمام، لم يتوقف إلا ساعة من نهار ليوشع، كما ثبت في "صحيح البخاري"، ولا يعود إلى خلف.

فإذا غربت الشمس بالمشرق يوم الخميس مثلًا، خلفت بعدها ثلاث ساعات منه في المغرب، فإذا اعتبرنا تلك الساعات من رمضان فقد رجعنا بالزمان إلى خلف ثلاث ساعات، ثم قفزنا بها قفزة واحدة، فجعلناها من رمضان الذي لم تشرق شمس أول يوم منه في المشرق بعد!.

والرجوع بالزمان إلى خلف ثم القفز به إلى أمام في لحظة محال لا يقبله عقل إطلاقًا، فكيف قبله صاحب الإشكال؟! حيث سحب حكم رؤية الهلال بالمشرق يوم الجمعة على بقية يوم الخميس من شعبان بالمغرب فجعلها من رمضان مدعيًا وجوب صومها ولم يلتفت إلى فروق الوقت بين القطرين، لاختلاف أطوال البلاد وقرب بعضها بعضًا من مطلع الشمس، مما يؤدي إلى

تقدم بعضها على بعض ببضع ساعات.

نعم، لم يلتفت إلى هذا، ولا إلى ما قاله الفقهاء والفلكيون: إن الساعات الباقية على غروب الشمس بالمغرب هي بقية يوم الخميس من شعبان، جغرافيًا وفلكيًا وفقهيًا وزمنيًا، وأن الصيام لا يجب على المغرب إلا يوم الجمعة، بعد اشتراكهم مع المشرق في ليلة الجمعة التي رؤي فيها الهلال، ولعله اعتبر الزمن سيارة بيده ضمانها فهو يردها إلى خلف ويقدمها إلى أمام مسابقة بين المشرق والمغرب.

بل هذا الاعتبار ناشئ عن اعتبار السابق، ولازم له لزوم الظل الناعت، لأن من يقتطع ثلاث ساعات من نهار شعبان ويعتبرها من رمضان، لا يتم له ذلك إلا بأن يعتبر الزمان سيارة يقدمها راكبها ويؤخرها حسب الهوى والمزاج، أما بحسب الواقع الجغرافي للبلاد فالعقلاء جميعًا -ومنهم الفقهاء- يعرفون أن المشرق يسبق المغرب ببضع ساعات، ويدركون الضرورة العقلية أنهم لا يستطيعون اقتطاع ساعة أو أكثر من شهر شعبان بالمغرب وضمها إلى رمضان المشرق.

٣- أن يوم الصيام لا بد أن يتقدم عليه ليلة يحصل في جزء منها نية الصوم، وتلك الساعات الباقية من نهار شعبان لم يتقدم عليها ليل ينوي فيها صيامها فلا تكون من رمضان بل تبقى من شعبان كما خلقها الله كذلك.

ومن عجيب أمر صاحب الإشكال وتناقضاته المكشوفة أن يعمد إلى الاشتراك في الليل الذي هو سبب صيام المغرب برؤية المشرق ويدعي أنه لا علاقة له بالموضوع مع أنه وصف مناسب للحكم، مطرد لا يختلف كما مر بيانه

مفصلًا، ثم ينتزع بقية يوم من شعبان بالمغرب فيضمها إلى رمضان باعتبار خيالي ولا عبرة به ويبني عليه إلزامات لا تلزم إلا في عقل سقيم.

وليس هذا شأن الباحث عن الحقيقة الراغب في الوصول إلى الحق، ولكنه شأن العنيد الألد الخصم الذي يسير في أبحاثه ومناقشاته على مبدأِ «معزة ولو طارت» وهو في الحقيقة مخلص لهذا المبدأ، متمسك به أشد التمسك لم يتخل عنه لحظة ولا ابتعد عنه قيد أنملة، والثبات على المبدأ يمدح ولا يعاب، ينظر الثاني عشر.

فصل

نعيد فيه ذكر الحكم مصحوبًا بسببه لإغلاق باب الهرب على صاحب الإشكال، ولقطع شغبه، فنقول:

إذا رؤي هلال رمضان بعد غروب الشمس يوم الخميس في المشرق فلا يجب على أهل المغرب صيام في تلك اللحظة التي توافق الساعة عندهم لأنهم ليسوا في رمضان بل هم لا زالوا في بقية يوم الخميس من شعبان، حتى إذا انقضى اليوم عندهم بغروب شمسه، ودخلوا في ليلة الجمعة، فحينئذ فقط يجب عليهم الصيام برؤية المشرق لوجود سببه وهو الاشتراك في الليل أما قبل ذلك فلا يجب عليهم صيام حتى ولو اعتبروا أنفسهم مقيمين بالمشرق هذا معنى عمل المغرب برؤية المشرق في مذهب المالكية والحنفية وجمهور العلماء وهو الموافق لعلم الفلك ولفروق الوقت بين البلاد وحسب أطوالها.

وما يقال سوى ذلك مما اخترعه صاحب الإشكال وهول به كله هذر

وهذيان يجب طرحه في زوايا الإهمال والنسيان ويلهب ظهر مفتعله بسياط الدليل والبرهان فإن أنصف ورجع فالخير لنفسه أراد وإن أصر على الخلاف وألحف في العناد، فنحن له بالمرصاد، والله وليُّ التوفيق.

تمت الرسالة "البيان المشرق لسبب صيام المغرب برؤية المشرق" وهي رسالة ناصعة لامعة، جامعة مانعة، وكشفنا بها عن وجه الحق ما غشيه من ضباب، وأقفلنا في وجه المتعنت للهرب كل باب.

والحمد لله في البدء والختام، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمدٍ خير الأنام وعلى آله الكرام، ورضي الله عن صحابته الأعلام.

تمَّ تبييضها عصر يوم السبت الثامن والعشرين من جمادى الأولى سنة تسعين وثلاثمائة وألف هجرية.

٣- دَفْعُ الشَّكِّ والارْتِيابِ
عن تَحْريمِ نِسَاءِ أهْلِ الكِتَابِ

زواجُ النَّصَـــارىٰ قبحُـــهُ متزايـــدٌ يـؤدِّي إلىٰ كُفـرِ البنـينَ مؤكَّـدا
ومَـنْ يـرضَ كُفـرَ ابـنٍ لـه فهُـو كَـافرٌ وإنْ زعَـمَ الإسْـلامَ قَـولًا مفنَّـدا
وقـد يَكْفُـرُ الـزَّوْجُ اتِّباعًـا لزَوْجِـهِ فيـدخلُ في نـارِ الجَحـيمِ مُخلَّـدا
عليـكَ بـذاتِ الـدِّين إن كنـتَ راغبًـا زواجًا صحيحًا تبـدُ فيـه مُسَـدَّدا
وذَرْ عنكَ أهلَ الكُفْرِ واحْذَرْ زواجَهُـمْ فشـرُّهموا يبـدوا كثـيرًا مُنـدَّدا
زواجهمـوا في عَصْـرِنا كلُّـه زِنـا وعقـدُ زواجٍ باطـلٌ حيـثُما بـدَا
وأولادُ هـذا العقـدِ ليسـوا لرِشْـدَةٍ فيكثرُ جيلُ الخبثِ فَرعًـا ومَحتَـدا

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّدٍ وآله الأكرمين، ورضي الله عن صحابته والتابعين.

وبعد: فهذا جزءٌ كتبته في تحريم الزواج باليهوديات والنصرانيات لما يترتَّب عليه من مفاسد ومضار في الدين والدنيا، مع اندفاع كثيرٍ من المسلمين في هذا الزواج المزري بدينهم والداعي إلى كفر أولادهم والعياذ بالله تعالى، وهم لا يرون في ذلك حجرًا ولا عيبًا لانطماس بصيرتهم وجهلهم بقبح ما ينشأ عنه من كفر الأب بكفر أولاده حيث رضى به وأقرَّه، وسمَّيته: **"دفع الشَّكِّ والارتيابِ عن تحريم نساءِ أهل الكتابِ"**.

وكان الباعث لي على تأليفه وقوع السؤال عن حوادث مؤلمة وقعت في الزواج بالنصرانيات يأتي ذكر بعضها إن شاء الله تعالى.

واللهُ المسؤول أن يجعله عملًا خالصًا لوجهه الكريم ويهدينا الصراط المستقيم.

هل يجوز التزوج بالنصرانيات؟

حصل خلاف في ذلك بين العلماء:

قالت طائفة: حرَّم الله نكاح المشركات في سورة (البقرة) في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢].

ثُمَّ خصَّ من هذه الجملة نساء أهل الكتاب فأحلَّهن في سورة (المائدة) في قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [المائدة: ٥].

قال الإمام الشافعيُّ في الآية : «وقد قيل: هذه الآية في جميع المشركين ثم نزلت الرخصة بعدها في إحلال نكاح الحرائر من أهل الكتاب خاصة كما جاءت في ذبائح أهل الكتاب، قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾».اهـ

وقال إسحاق الحربي: «ذهب قوم فجعلوا الآية التي في البقرة هي الناسخة والتي في المائدة هي المنسوخة، فحرَّموا نكاح كلِّ مشركةٍ كتابية أو غير كتابية».

قال النحاس: «ومن الحُجَّة لقائل هذا مما صحَّ سنده أنَّ عبد الله بن عمر كان إذا سُئل عن نكاح الرجل النصرانية أو اليهودية قال: حرَّم الله المشركات على المؤمنين ولا أعرف شيئًا من الإشراك أعظم من أن تقول المرأة ربها عيسى أو عبد من عباد الله».

وردَّ النحاس هذا القول بأنه: «خارج عن قول الجماعة الذين تقوم بهم الحجَّة؛ لأنه قد قال بتحليل نساء أهل الكتاب من الصحابة والتابعين جماعةٌ منهم: عثمان وطلحة وابن عبَّاسٍ وجابر وحذيفة.

ومن التابعين: سعيد بن المسيِّب وسعيد بن جُبيرٍ ومجاهد وطاووس وعكرمة والشَّعْبيُّ والضَّحَّاك، وفقهاء الأمصار عليه.

وأيضًا فيمتنع أن تكون الآية في (سورة البقرة) ناسخة للآية في (سورة المائدة) لأن (البقرة) من أول ما نزل بالمدينة و(المائدة) من آخر ما نزل، وإنما الآخر ينسخ الأول.

وأمَّا حديث ابن عمر، فلا حُجَّة فيه؛ لأن ابن عمر رحمه الله كان رجلًا موقفًا فلما سمع الآيتين؛ في واحدة التحليل وفي أخرىٰ التحريم ولم يبلغه النسخ توقَّف ولم يؤخذ عنه ذكر النسخ، وإنما تؤول عليه، وليس يؤخذ الناسخ والمنسوخ بالتأويل».اهـ

وقال البخاريُّ في "صحيحه": باب قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢١]: «حدثنا قتيبة: حدَّثنا الليث، عن نافع: أنَّ ابن عمر كان إذا سُئل عن نكاح النصرانية واليهودية قال: إنَّ الله حرَّم المشركات علىٰ المؤمنين، ولا أعلم من الإشراك شيئًا أكبر من أن تقول المرأة ربها عيسىٰ وهو عبد من عباد الله».

قال الحافظ ابن حجرٍ في شرحه: «لم يُبيِّن البخاريُّ حكم المسألة لقيام الاحتمال، فالأكثر أنها علىٰ العموم وأنها خصت بآية (المائدة)، وعن بعض

السلف أنَّ المراد بالمشركات هنا عبدة الأوثان والمجوس، حكاه ابن المنذر وغيره.

ثم أورد المصنِّف قول ابن عمر في نكاح النصرانية، وقوله: «لا أعلم من الإشراك شيئًا أكثر من أن تقول المرأة ربها عيسىٰ»، وهذا مصير منه إلىٰ استمرار حكم عموم آية (البقرة)، فكأنه يرىٰ أن آية (المائدة) منسوخة، وبه جزم إبراهيم الحربي، وردَّه النحاس فحمله علىٰ التورُّع كما سيأتي.

وذهب الجمهور إلىٰ أنَّ عموم آية (البقرة) خص بآية (المائدة) وهي قوله: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ٥] فبقي سائر المشركات علىٰ أصل التحريم.

وعن الشافعيِّ قول آخر: أنَّ عموم آية (البقرة) أريد به خصوص آية (المائدة). وأطلق بن عباس أن آية (البقرة) منسوخة بآية (المائدة)، وقد قيل: إن ابن عمر شذ بذلك. وقال ابن المنذر: «لا يحفظ عن أحد من الأوائل أنه حرم ذلك».اهـ

لكن أخرج ابن أبي شيبة بسند حسن أن عطاء كره نكاح اليهوديات والنصرانيات، وقال: «كان ذلك والمسلمات قليل»، وهذا ظاهر في أنه خص الإباحة بحال دون حال. وقال أبو عبيد: المسلمون اليوم علىٰ الرخصة.

وروي عن عمر أنه كان يأمر بالتنزه عنهن من غير أن يحرمهن.

وزعم ابن المرابط تبعًا للنحاس وغيره أن هذا مراد ابن عمر أيضًا. لكنه خلاف ظاهر السياق.

لكن الذي احتج به ابن عمر يقتضي تخصيص المنع بمن يشرك من أهل

الكتاب لا من يوحد، وله أن يحمل آية الحل على من لم يبدل دينه منهم.

وقد فصل كثير من العلماء -كالشافعية- بين من دخل آباؤها في ذلك الدين قبل التحريف أو النسخ أو بعد ذلك وهو من جنس مذهب ابن عمر، بل يمكن أن يحمل عليه».اهـ كلام الحافظ.

ونوضح مواضع فيه تحتاج إلى توضيح:

فقوله: «وأطلق ابن عبَّاسٍ القول بأن آية (البقرة) منسوخة بآية (المائدة)».

يعني: أنها مخصوصة؛ لأن أكثر المتقدمين يطلقون النسخ ويريدون التخصيص كما هنا.

وقوله: «وعن الشافعي قول آخر: أن عموم آية (البقرة) أريد به خصوص آية (المائدة)». **يعني:** أن (البقرة) حرمت المشركات غير الكتابيات، فتكون من العام الذي أريد به الخصوص، أما على القول المشهور أن آية (البقرة) حرمت المشركات عامة كتابيات وغير كتابيات وخصت آية (المائدة) خصوص الكتابيات، فتكون من العام المخصوص.

وقوله: «وقد فصل كثير من العلماء الشافعية... إلخ».

يريد: أن الشافعية وغيرهم فصلوا القول في إباحة الكتابية فقالوا: إن كان آباؤها دخلوا في الدين المسيحي أو اليهودي قبل دخول التحريف فيه أو قبل نسخه بالإسلام فيجوز نكاحها؛ لأنها من الذين أوتوا الكتاب حقيقة، وإن كان آباؤها دخلوا في الدين بعد تحريفه أو نسخه فلا يجوز نكاحها لأنها ليست من أهل الكتاب حقيقة.

وقد كنت أميل إلى هذا الرأي، أن النصارى اليوم تنصروا بعد دخول

التحريف فيه وبعد نسخه بالإسلام فليسوا بكتابيين، فلا يصح التزوج بنسائهم ولا أكل ذبائحهم.

ثم وقعت على ما ينفي ذلك في "صحيح البخاري" عن ابن عبَّاسٍ في الكتاب الذي بعثه النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى هرقل وفيه: «أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين و﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]».

قال الحافظ في "فتح الباري" في الكلام على هذا الحديث: «واستنبط منه شيخنا شيخ الإسلام أن كل من دان بدين أهل الكتاب كان في حكمهم في المناكحة والذبائح، لأن هرقل هو وقومه ليسوا من بني إسرائيل وهم ممن دخل في النصرانية بعد التبديل، وقد قال له ولقومه: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾، فدل على أن لهم حكم أهل الكتاب، خلافًا لمن خص ذلك بالإسرائيليين أو بمن علم أن سلفه ممن دخل في اليهودية أو النصرانية قبل التبديل، والله أعلم».

الخلاصة: حرمت آية (البقرة) نكاح المشركات عامة، ووقع عليه إجماع العلماء، أما آية (المائدة) فأباحت زواج المسلم بالكتابية فحصل الخلاف بين الآيتين بالعموم والخصوص، وللعلماء في الجمع بينهما مسلكان:

١ - **مسلك الجمع**: بتخصيص آية (البقرة) بآية (المائدة):

وهذا مذهب جماعة من الصحابة: عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله

وابن عبَّاسٍ وجابر وحذيفة.

وجماعة من التابعين: سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والحسن وطاووس ومجاهد وعكرمة والشعبي والضحاك. وهو مذهب مالك والثوري والأوزاعي وأبي حنيفة والشافعي والجمهور.

٢- **مسلك الترجيح**: بتحريم زواج الكتابيات تمسُّكًا بعموم آية البقرة:

حكى إبراهيم الحربي هذا القول عن طائفة من العلماء وفي مقدمتهم عبدالله بن عمر، صح النقل عنه بذلك، والإمام البخاري له ميل إليه.

ولهذا القول دليلان:

أحدهما: تقديم مفسدة التحريم على مصلحة الإباحة، كما تقرَّر في الأصول.

ثانيهما: قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٢١]، ولا شك أن الكتابيات داعيات إلى النار بمقالهن وحالهن، فعلة التحريم متحققة فيهن، والحكم يوجد بوجود علته.

(تنبيه): اعتبر الجمهور جواز إباحة الكتابيات رخصة، واستحبُّوا التورع عنها ورغَّبوا في ترك الزواج بهنَّ.

روى ابن أبي شيبة عن عبد الملك قال: سألت عطاء عن نكاح اليهوديات والنصرانيات فكرهه وقال: كان ذلك والمسلمات قليل.

وروى الشافعي، ومن طريقه البيهقي في "السنن" عن أبي الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يُسأل عن نكاح المسلم اليهودية والنصرانية فقال: تزوجناهن زمن الفتح بالكوفة مع سعد بن أبي وقاص ونحن لا نكاد نجد المسلمات كثيرًا، فلما رجعنا طلقناهن.

وروى عبد الرزاق في "المصنف" عن قتادة قال: إن حذيفة نكح يهودية في زمن عمر فقال عمر: طلقها فإنها جمرة، قال: أحرام هي؟ قال: لا، فلم يطلقها حذيفة لقوله، حتى إذا كان بعد ذلك طلقها.

قول عمر: فإنها جمرة، يشير إلى قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾.

ورواه البيهقي من طريق أبي وائل قال: تزوج حذيفة رضي الله عنه يهودية فكتب إليه عمر رضي الله عنه أن يفارقها فقال: إن أخشى أن تَدَعوا المسلمات وتنكحوا المومسات.

وروى عبد الرزاق عن عامر بن عبد الرحمن بن نسطاس أن طلحة بن عبيد الله نكح بنت عظيم اليهود فعزم عليه عمر إلا طلقها.

قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: أحبُّ إليّ لو لم ينكحهن مسلم.

وقال ابن حبيب من أئمة المالكية بالأندلس: ونكاح اليهودية والنصرانية وإن كان قد أحله الله تعالى، مستثقل مذموم.

وكتب مُحشِّي "الهداية" من كتب الحنفية، على قول المؤلِّف: «ويجوز تزويج الكتابيات»، ما نصُّه: «والأولى ألا يفعل ولا يأكل ذبيحتهم إلَّا لضرورة».اهـ

وقد حصل هذا فقد ترك كثيرٌ الزواج بالمسلمات وهرعوا إلى الزواج بالنصرانيات حبًّا لجمالهنَّ، مع ما في ذلك من مفاسدٍ يأتي التنبيه عليها بحول الله.

ثم التزوج بالكتابيات شرطه ألا تكون حربية، فإن كانت من أُمَّةٍ تحارب المسلمين لم يجز التزوج بها إجماعًا.

روى ابن أبي شيبة عن مجاهدٍ، عن ابن عبَّاسٍ قال: لا يحل نكاح نساء أهل الكتاب إذا كانوا حربًا.

روى أيضًا عن أبي عياض قال: نساء أهل الكتاب لنا حلال إلا أهل الحرب فإن نساءهم وذبائحهم عليكم حرام.

وروى أيضًا عن الحكم قال: إن من أهل الكتاب من لا يحل لنا مناكحته ولا ذبيحته: أهل الحرب.

والنصارى في هذا العصر يحاربون المسلمين محاربةً حقيقيةً، فالإنجليز احتلوا الهند منذ قرون وأذاقوا المسلمين هناك أنواع الذل والهوان.

وانتشر الإسلام بجهاد الخلفاء العثمانيين في ألبانيا ويوغوسلافيا ورومانيا وبلغاريا والنمسا، فقام الإنجليز بمحاربة الإسلام في تلك البلاد حتى قضي عليه ولم يبق فيها إلا مساجد خاوية وأوقاف عليها وعلى كتب العلم من عهد الدولة العثمانية.

ثم سعوا في إبطال الخلافة الإسلامية حتى كان السلطان عبد الحميد آخر خليفة أسقطوه بعد الحرب العالمية الأولى، واحتلوا مصر والعراق وعمدوا إلى الشام فجعلوا أقاليمه الأربعة دويلات صغيرة، فأعطوا سوريا ولبنان لفرنسا، وسموا الأردن إمارة وجعلوا عليها الأمير عبدالله، وتركوا فلسطين تحت أيديهم ليسلموها إلى اليهود تنفيذًا لوعد بلفور لعنه الله، وأطلقوا لفرنسا يدها في مراكش، لتسكت عنهم في مصر.

وفرنسا احتلت الجزائر وتونس منذ مدة طويلة.

وإيطاليا احتلت طرابلس وأذاقت أهلها ألوانًا من العذاب.

وإسبانيا تحتل سبتة ومليلية وبعض الجزر بالمغرب إلى الآن.

وبعد الحرب العالمية الأخيرة اغتصب اليهود بمعاونة إنجلترا وأمريكا

فلسطين وأنشأوا بها دولة إسرائيل، واعترف بها دول النصارىٰ في هيئة الأمم المتحدة وأيدوا حقها في اغتصاب فلسطين والقدس، والمنصف منهم من يطلب أن يكون للفلسطينيين دولة بجانب دولة اليهود، وهذه محاربة علنية.

يضاف إلىٰ ذلك ما يُصرِّح به المستشرقون من طعن في الإسلام ونبيِّ الإسلام، وما يقوم به المُبشِّرون بالتبشير بالنصرانية في بلاد المسلمين، وما تصرح به اليونسكو في نشراتها من الطعن في المسلمين وتاريخهم، سوىٰ ما يأتي من زعمائهم في بعض المناسبات من تصريحات تنضح بالحقد والعداوة للدين الإسلامي، مثل محاربة الإنجليز للإخوان المسلمين وقولهم: إنهم أخطر من الشيوعية.

ولما رشَّح الأستاذ حسن البنَّا نفسه رحمه الله تعالىٰ للبرلمان المصري في دائرة الإسماعيلية أبلغ السفير البريطاني مصطفىٰ النحاس رئيس الوزراء أنهم لا يقبلون ترشيح حسن البنَّا أبدًا بحال، ولم يتم ترشيحه.

وتمَّ الانقلاب الذي قام به جمال عبدالناصر بمساعدة الأمريكيين وتأييدهم، وكان شرط الأمريكيين علىٰ جمال أن يقضي علىٰ الإخوان المسلمين، فنفذ الشرط في عام ١٩٥٤ وقضىٰ عليهم كما هو معلوم.

وتردَّد في الصحف والمجلات أنَّ الحكومة السودانية تريد تنفيذ الأحكام الشرعية فاتصلت أمريكا برئيس الحكومة السيِّد صادق المهدي، وأفهمته أنها مستعدة لمساعدتها في أزمتها الاقتصادية بالقمح وغيره، بشرط ألا تنفذ أحكام الإسلام.

وكيسنجر لعنه الله صرَّح في مؤتمر صحفي حين كان هو وزيرًا للخارجية

الأمريكية بقوله: لا نسمح بقيام دولة إسلامية.

فالنصارىٰ يحاربون المسلمين بعملهم وقولهم وسلوكهم، لا فرق فيهم بين دولةٍ وأخرىٰ، فيحرم الزواج بنسائهم بالإجماع.

وينبني علىٰ ذلك أنَّ عقد الزواج بإحداهنَّ عقدٌ فاسدٌ؛ لأنه عقدٌ محرَّمٌ، والعيش معها بهذا العقد عيش في زنا، لأن القاعدة الشرعية أنَّ العقد علىٰ أمرٍ حرامٍ لا ينعقد ولا يحل.

فالمتزوِّج بالنصرانية اليوم إنما يتزوَّج بزانيةٍ؛ لأن عقد زواجها غير صحيحٍ فهما زانيان، وإلىٰ هذا يشير قول عمر الملهَم: فإني أخشىٰ أن تعاطوا المومسات.

يريد أنَّ المسلمين سيكثرون التزوُّج بالكتابيَّات علىٰ وجهٍ حرَّمه الشرع كما هو حاصلٌ الآن، فيكون الزواج زنا، والكتابية حينئذٍ مومسة.

التحريم سدًّا للذريعة

دليل آخر للتحريم:

من القواعد الشرعية المقرَّرة: أنَّ الوسائل تُعطَىٰ حكم المقاصد، فالوسيلة إلىٰ الواجب واجبةٌ، والوسيلة إلىٰ المحرَّم محرَّمةٌ.

فغسل جزءٍ من الرأس عند غسل الوجه في الوضوء واجبٌ؛ لأنه وسيلة لإتمام غسل الوجه الواجب، وما لا يتم الواجب إلَّا به فهو واجبٌ.

وسبُّ معبودات الكفَّار هو في الأصل قربةٌ، لكن لما كان وسيلة إلىٰ أن يسب الكفار المعبود الحقَّ حرَّمه الله تعالىٰ فقال: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ

﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

فسب معبودات النصارىٰ حرامٌ؛ لأنه يؤدِّي إلىٰ سبِّ الله تعالىٰ.

وقال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا﴾ [البقرة: ١٠٤]، كان الأنصار يقولون للنبيِّ صلىٰ الله عليه وآله وسلم: «راعنا» أي انظرنا، وكان اليهود يقولون هذه الكلمة تشبُّهًا بالأنصار ويقصدون أنه فاعل من الرعونة وهي الحمق، فحرَّم الله هذه الكلمة لأنها تؤدِّي إلىٰ شتم النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم . ولهذه القاعدة أمثلة من الكتاب والسُّنَّة وأقوال العلماء وهي قاعدةٌ متفقٌ عليها.

وزواج المسلم بالنصرانية في هذا العصر فيه مفاسد توجب تحريمه:

منها: أنَّ زوجها المسلم يجاملها بإظهار التبرُّك بالصليب.

حكىٰ لي أحد الأخوة أنه عاد مريضًا متزوِّجًا بنصرانية، وأظنه كان شريفًا، قال: فوجدتُ فوق رأسه صليبًا مُعلَّقًا، فقلت له: ما هذا يا فلان، فاعتذر بأن زوجته فعلت ذلك فكيف حاله لو وافته المنية علىٰ هذه الحال؟!

ومنها: أنها لا تغتسل من الحيض، وزوجها لا يأمرها بذلك، والله تعالىٰ يقول: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، فهو يأتيها في نجاسةٍ دائمة، وهي نجاسةٌ شرعيةٌ.

ومنها: أنَّ النصرانية لا تلتزم بالحجاب الشرعيِّ ولا تعرفه، فهي تلتقي بأصحاب زوجها المسلم وهي عارية الصدر مكشوفة الذارعين في حضوره وغيبته، وفي الدار وخارج الدار، وهو لا ينكر ذلك! بل ربما يرضاه ويقرُّه!!.

ومنها: أنَّ النصارىٰ لا يعرفون البكارة ولا يهتمون بها، فقد تذهب بكارتها في زنا -وهو المؤكَّد- ثُمَّ يتزوَّجها مسلمٌ!!

ولما كنت في أمريكا علمت أنَّ البنت تمشي مع شاب مدة ويتصل بها، ثم لا يعجبها فتتركه، وتتصل بشاب آخر وهكذا حتىٰ تقع في شاب تحبه فتتزوَّجه بعد أن زالت بكارتها.

ومنها: أن تشترط النصرانية علىٰ المسلم الذي يتزوجها أن البنات يتبعنها في دينها، وقبوله هذا الشرط كفرٌ وإن لم تولد البنات، وفي طنجة من تزَّوج إنجليزية علىٰ هذا الشرط.

ومنها: وهو أشدها قبحًا أن الأولاد يتنصَّرون حتمًا، تبعًا لأمِّهم النصرانية؛ لأن الزوج إذا مات ضمَّتهم الأم إليها وربَّتهم علىٰ دينها، وإذا طلقها فلا يسمح له القانون أن يأخذ أولاده، بل يبقون مع والدتهم النصرانية.

وأذكر بعض الحوادث شاهدتها أو سئلتُ عنها، وهي نموذج لما لم أذكره وعنوان عليه:

١- كان شخص يسكن بوادي حَرصان بطنجة وهو متزوِّجٌ بإسبانية، له منها ثلاث بنات كبراهن اسمها عائشة، وكنت أراهنَّ إذا ذهبت لزيارة إحدىٰ خالاتي، إذ كنَّ من جيرانه، وبعد مدة توفي الأب، فأخذت الأم بناتها الثلاث وسافرت بهنَّ إلىٰ أسبانيا، وهن الآن نصرانيات.

٢- وكان شخص يسكن بالسقاية الجديدة بطنجة، أعرف داره ومررت عليها مرات، وهو من أشراف وزان، تزوَّج بفرنسية وأنجب منها ثلاثة أولاد، توفي أيضًا فأخذت زوجته أولاده إلىٰ فرنسا فهم يعيشون معها والعياذ بالله.

٣- شخص من كبار الموظفين بالرباط تزوَّج نصرانية فرنسية وله منها أربعة أولاد حصل بينه وبينها نزاع استحكم أمره، فدبرت أمر السفر في خفية منه، وفي يومٍ رجع إلى بيته فوجده خاليًا، وعلم أنها سافرت إلى فرنسا، فذهب إليها لينقذ أولاده منها فلم يفلح وعاد بخفي حنين وأولاده الأربعة هم نصارى فرنسيون!!.

٤- شريف من أولاد ابن عجيبة تزوَّج نصرانية أسبانية، وعاش معها في مدريد وتوفي، فأولاده نصارى، ويحكى من كرامات سيِّدي الحاج عبدالقادر بن عجيبة أنه قال: سيكون في ذريتنا نصارى!!.

٥- شخص يشتغل طبيبًا في بلجيكا وهو من جملة المغاربة الذين يشتغلون هناك، تزوَّج نصرانية وخلف منها ثم انفصل عنها، فلم يستطع أخذ أولاده منها بحكم القانون، وخطب بنت رجل هنا في طنجة وبعث أبو المخطوبة يسأل عن هذا الزواج فأجبته.

٦- شخص تزوج بنصرانية وله منها أولاد ثم طلقها ولم يأخذ أولاده بحكم القانون، وخطب من بعض الناس هنا.

٧- لما كانت بمصر عرفت قضية من هذا القبيل: شخص اسمه محمود ذهب إلى انجلترا يتعلَّم، وتزوَّج إنجليزية وخلف منها ولدًا ثم قامت الحرب العالمية الأولى فرجع إلى مصر واستقرَّ بها وتزوَّج، أما الإنجليزية فربت ولدها وكبر وتزوَّج وأنجب أربعة أولاد، وأخبرته أمُّه أنَّ والده بمصر وأعطته صورته واسمه وعنوانه، وحضر إلى القاهرة وعرف عنوان أبيه بحي باب الشَّعرية، الحي الذي فيه ضريح الشيخ عبدالوهاب الشعراني، واتصل بوالده

ونشرت صورتهم في الأهرام: محمود الأب في الوسط عن جانبه أولاده المصريون المسلمون، وعن جانبه الآخر أولاده النصارىٰ من الإنجليز!!.

٨- محمد بوكماخ من أهل طنجة تزوج ألمانية وأنجب ولدين ثم مرض مرضًا اقتضىٰ أن تعمل له عملية جراحية ولم تنجح، فمات وأخذت امرأته الولدين إلىٰ بلدها ألمانيا.

٩- في بلدة القنيطرة معالجة بلجيكية وهي متعصبة في مسيحيتها، لها أولاد من زوجها المغربي الموجود معها، وهي تعلم أولادها في خفية من أبيهم طقوس دينها، وقيل لها: كيف حال أولادك في الميراث ؟ فأجابت: أولادي لا يرثون من أحد وسيبقون مسيحيين.

هذا وأبوهم لا يعرف عنهم شيئًا ولا يعتني بتعليمهم شؤون الدين، فوزره عند الله كبير ولو كفروا مع أمهم فيعذبه الله معهم عذاب الكفار، وهذا من المواضع التي لا يعذر فيها الجاهل بجهله.

وهناك حوادث كثيرة وقعت وتقع في بلجيكا وألمانيا وهولندا وأمريكا بحيث يحصل القطع بأن من تزوج نصرانية لابد أن يكون أولاده نصارىٰ.

وفي المغرب أيضًا تتكرَّر وقائع من هذا القبيل، والمسلمون مع ذلك يتزوَّجون النصرانيات لأغراض شخصية من الجمال والمال ونحوهما ويدعون المسلمات من قرابتهنَّ!.

وأسجل هنا منقبة عظيمة لمسلمي الباكستان:

لما ذهبت إلىٰ لندن اتصلت بكثير منهم يشتغلون في أعمال ووظائف خطيرة، ونزلت عند بعضهم أيامًا باستدعاء منهم، وحضرت احتفالاتهم

بالمولد النبويِّ وهم لا يجيدون النطق بالعربية إلا في قراءة القرآن، وحضرت احتفالاتهم العائلية الخاصة، وباحثتهم بواسطة ولدنا أحمد درويش الذي يتقن اللغة الإنجليزية -لعن الله أصحابها- فلم أجد أحدًا منهم يتزوَّج إنجليزية أبدًا، ووجدت أولادهم متمسِّكين بالدين، يتعلَّمون القرآن على أستاذ خاصٍّ ويحضرون مع آبائهم الجمع والجماعات والمحاضرات الدينية التي يلقيها بعض العلماء، فسررت بهذا العمل من إخواننا المسلمين الباكستانيين حياهم الله وبياهم، ووقانا الشرَّ وإياهم.

أما أولاد المسلمين الذين يتزوَّجون نصرانيات فهم كفار مثل أمهاتهم، ولا يستطيع آباؤهم أن يردوهم إلى دينهم فتعسًا لهم ونحسًا.

وأذكر هنا قصة الصحابي الذي رغب أن يتزوج كتابية فردته خائبًا:

كانت هند ابنة النعمان بن المنذر ملك الحيرة من أجمل نساء العالم، وكانت نصرانية مثل أبيها، وكانت متزوجة بعدي بن زيد، فلما قتله أبوها ترهَّبت وحبست نفسها في الدير المعروف بدير هند في ظاهر الحيرة، حتى ماتت.

ولما كان المغيرة بن شعبة واليًا على الكوفة مرَّ بديرها ودخل عليها بعد أن استأذن فأذنت له، وبسطت له مِسْحًا فجلس عليه، وقالت له: ما حاجتك؟ قال: جئتك خاطبًا.

قالت: والصليب، لو علمتُ أن فيَّ خصلة من جمال أو شباب رغَّبتك فيَّ لأجبتك، ولكنك أردتَ أن تقول في المواسم: ملكتُ مملكة النعمان بن المنذر ونكحت بنته، فبحق معبودك أما هذا أردتَ؟ قال: إي والله، قالت: فلا سبيل إليه، ثم قام وانصرف وقال فيها:

أدركتِ ما مَنَّيتُ نفسي خاليًا ... لله درُّك يا ابنة النُّعمانِ
فلقد رَدَدْتِ على المغيرة ذِهْنَهُ ... إنَّ الملوكَ نقيَّةُ الأذهانِ
يا هندُ حسبك قد صدقتِ فأمسكي ... فالصِّدقُ خير مَقالة الإنسانِ

وكانت بعد ذلك تدخل عليه، فيكرمها ويسألها عن حالها؟ فقالت في أبيات:

فبينا نسوس الناس والأمر أمرنا ... إذا نحن فيهم سُوقَةٌ نَتَنَصَّفُ
فأُفٍّ لدُنيا لا يَدُومُ نَعِيمُها ... تُقَلِّبُ تاراتٍ بنا وتصَرَّفُ

قولها: نتنصف؛ أي نستخدم، والمنصف بوزن مقعد: الخادم، ويقال: بوزن منبر أيضًا.

وعكس هذه القضية، قصة شاب من الإخوان المسلمين بمصر، كان في السجن وهرب منه وسافر إلى مالطة وتعرف بها على رجل أعمال نصراني، وتردد عليه فرأته ابنته ورغبت في الزاوج به، فعرض عليه أبوها أن يتزوَّجها ويشترك معه في تجارته الواسعة، فامتنع مع أنه لا يملك شيئًا، ثم سافر إلى بعض البلاد الأوروبية لإتمام تعليمه.

جواز نكاح الكتابية استثناء

تقدَّم أن نكاح الكتابية من قبيل الرخصة، وبيان ذلك: أن الأصل هو تحريم نكاح الكافرات؛ لأن اختلاف الدين بين الزوجين يوجب تنافرًا لا يهنأ معه عيش، ثم رخَّص الشارع في زواج الكتابية لعذر كما حصل للصحابة في زمن الفتح بالكوفة، فإنهم تزوَّجوا الكتابيات لعدم وجود المسلمات، وكما قال

عطاء: كان نكاح الكتابيات إذ المسلمات قليل.

ولهذا نصَّ المالكية والشافعية والحنفية على كراهة نكاح الكتابية إلَّا لضرورة، ولا ضرورة مع وجود المسلمات العفيفات اللائي يطمئنَّ الزوج لعفتهنَّ وبكارتهنَّ.

أما إذا كانت الكتابيات من أمَّة حربية كما هو الحال في هذا العصر فالزواج بهنَّ حرامٌ بالإجماع، ولما فيه من المفاسد التي بيَّنا بعضها.

والزواج بهنَّ يعتبر زنا؛ لأنه على خلاف ما حدَّه الشارع، وهو أحد أنواع الزنا التي تقع اليوم باسم الزواج.

والنوع الثاني: ما يحصل من كثير من الشبان، يتصل أحدهم ببنت ويرافقها، فإذا حملت منه تزوَّج بها وهي حاملٌ منه ودخل بها، فهذا زنا.

والنوع الثالث: أن يرافق البنت أيضًا، فإذا شعر بحملها هرب منها، فتشتكيه فيستدعيه البوليس ويلزمونه بالزواج بها أو الحبس، فيعقد عليها وهي حامل.

والنوع الرابع: كان معروفًا أيام الجاهلية قبل الإسلام، كانت البغي من بغايا العرب تزني مع ناس من عشاقها، فإذا حملت ووضعت أرسلت إليهم فحضروا وأخبرتهم بما كان منهم معها، وأن نتيجته مولودها الذي يرونه بين يديها، ثم تختار واحدًا منهم فتقول له: هذا ابنك يا فلان، فيلتصق الولد به وينسب إليه ولا يستطيع إنكاره.

وهذا النوع من الزنا قد أحيته بنات الآن تمشي إحداهن مع الشبان فإذا حملت اختارت واحدًا منهم لمصلحة لها في اختياره، وادعت أنه صاحبها

فيخيره البوليس بين أمرين: إما الزواج بها فورًا، وإما أن يذهب إلى الحبس، فيختار الزواج ويتم العقد في الحال.

النوع الخامس: وهو أشد أنواع الزنا قبحًا وأقبحها فحشًا ألا هو زواج النصراني بالمسلمة، وهذا مع الأسف الشديد يقع في طنجة وفي العرائش وفي الجزائر، تارة يدَّعي الإسلام وينطق بالشهادة كذبًا وفي حالات كثيرة يتزوَّج المسلمة علانية من غير أن يدعي إسلامًا ولا ينطق بشهادة!!.

وتحريم زواج الكافر بالمسلمة مع كونه منصوصًا في القرآن الكريم هو معلوم من الدين بالضرورة، فمن اعتقد جوازه فهو كافرٌ جزمًا.

ذكر بعض حوادث زواج نصراني بمسلمة:

وأذكر حادثةً سئلتُ عنها أيضًا: نصراني إيطالي يشتغل مهندسًا عند حكومة المغرب، وقد أشرف على ستين من عمره، وهو متزوِّج، رأى فتاة مسلمة عمرها ١٩ سنة فأعجبته وأحب الزواج بها وكلمها فرضيت بشرط أن ينطق بالشهادة فنطق بها وأثبت إسلامه أمام القاضي، لكن إجراءات قانونية لم يستطع إتمامها، فحالت دون زواجه بها، فأفتاهم بعض المتساهلين المتلاعبين بأن يتزوجها بالطريق العرفي، ورضيت البنت وأمها وخالتها، وتوقف أبوها وبعث يسألني، فأجبته بأن هذا الزواج لا يجوز ولا يصح، وأن نطق الإيطالي بالشهادة لا يكفي لزواج البنت لأنه لم يكن إسلامًا صحيحًا، بل لغرض الزواج، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ﴾ من دار الكفر إلى دار الإيمان ﴿فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ [الممتحنة: ١٠].

قال ابن عبَّاسٍ: امتحانها أن تستحلف بالله ما خرجت لبغض زوجها ولا لالتماس دنيا، وما خرجت إلا رغبة في الإسلام وحبًّا لله ولرسوله، فاستحلفها النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على ذلك فحلفت فلم يردها.

والذي يسلم ليتزوَّج مسلمة إسلامه لغرض، فهو غير صحيح، ويمنع من الزواج بها معاملة له بنقيض مقصوده.

ولما كنت بمصر أيام الملك فاروق كان من موظفي القصر الملكي شخص قبطي اسمه رياض، أحب فتحية أخت فاروق وأحبته هي أيضًا، وأحب أن يتزوَّجها مدَّعيًا الإسلام، فصدر قرار ملكي يمنع زواجها، ونشر في الجرائد، فهربت والدة فاروق بابنتها ورياض معها إلى أمريكا، وادَّعت أنه أسلم إسلامًا صحيحًا، وأنه يقرأ (سورة الإخلاص)، وتزوج فتحية بدعوى إسلامه وخلف منها أولادًا، ثم تبيَّن أنه نصرانيٌّ وتنصَّرت معه، وأخذ أموالها ومجوهراتها ثم قتلها وهي نصرانية والعياذ بالله، وأمها تنصرَّت أيضًا وتزوَّجت بأمريكي نصراني!!.

ومنذ سنتين مات نصراني وترك زوجة مسلمة عملت له فدية أعدت طعامًا ودعت طلبة تلوا القرآن ودعوا للميت وأخذوا أجرًا فحكم المرأة والطلبة أنهم ليسوا مسلمين قطعًا؛ لأن هذا العمل الذي صدر منهم يعد تكذيبًا للقرآن ومصادمة له، فالله تعالى يقول: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٦٤ - ٦٥].

ويقول: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟

أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [التوبة: ١١٣]، فكيف يجوز لمسلمٍ بعد هذا أن يترحَّم على كافرٍ أو يستغفر له أو يهدي له قرآنًا أو صدقة؟!، من فعل شيئًا من هذا فهو ليس بمسلمٍ، نسأل الله العافية.

ومنذ أيام سمعنا في إذاعة الجزائر أنَّ امرأة سألت المفتي قائلة: إنها تزوَّجت نصرانيًّا، وخلفت منه أولادًا فما حكم الأولاد؟

فأجابها المفتي: إنَّ زواجها بالنصراني زنا، وأن الأولاد منه أولاد زنا، وهي فتوى صحيحة جدًّا.

وقد حصلت حادثة كتبت عنها بعض المجلات، حاصلها أن فتاة مغربية من الدار البيضاء ذهبت إلى هولندا وتزوَّجها نصرانيٌّ، وعلمت أختها المتزوِّجة فسعت في الطلاق من زوجها المغربي، وذهبت إلى تلك المدينة بهولندا ليتزوَّجها نصراني مثل أختها!!.

وهذه الحادثة تدل على تسابق المسلمات إلى الزواج بالنصارى، وهذا انسلاخ من الدين والعياذ بالله تعالى.

والويل الشديد لمسلمة تتزوَّج نصرانيًّا، ويجب عليها أن تراجع دينها وتعجل بالتوبة من فعلها الشنيع.

تتميم

حكم ذبائح النصارى

سبق عن أبي عياض والحكم: أن أهل الكتاب إذا كانوا حربيين تحرم ذبائحهم كما تحرم نساؤهم؛ لأنهم في هذه الحالة لا يؤمن منهم أن يقدموا للمسلمين ذبائح لا يقرها الإسلام ككونها موقوذة مثلًا.

وهذا من فقه هذين الإمامين وبُعد نظرهما رضي الله عنهما، فلا يوجد في ذبائح النصارىٰ اليوم ما يتم علىٰ الطريق الشرعية، كما أخبرني فضيلة الأستاذ الشيخ فؤاد البرازي الواعظ بجيش الإمارات العربية، فقد أوفدته الحكومة إلىٰ أوروبا ليبحث مسألة ذبائحهم التي يرسلونها إلىٰ البلاد الإسلامية، فبحث وحقَّق وشاهد المجازر وما يخنق فيها، فما وجد فيها ما يوافق شريعة الإسلام.

واليهود لعنهم الله أحسن حالًا في هذا الباب، فإنهم لا يأكلون ذبائح النصارىٰ وإنما يأكلون الذبائح التي يقرها حاخامهم، وألزموا شركات الطيران أن تقدم لهم اللحوم التي تتم بطريقتهم الخاصة.

ولما كنت بأمريكا سألت الأمريكيين المسلمين عن اللحوم التي يقدمونها؟

فقالوا: إنهم يذبحونها بمعرفتهم، وقالوا: إذا كنت في الطائرة وأردت أن تأكل لحمًا مذبوحًا علىٰ الطريقة التي يبيحها الشرع فاطلب الكشير، وهو من ذبائح اليهود.

والعجب من الشيخ محمد عبده؛ بعث إليه المسلمون من الترانسفال جنوب أفريقيا يسألونه عن لبس البرنيطة وعن البقرة التي تضرب علىٰ رأسها بساطور فتموت.

فأفتاهم بإباحة البرنيطة مدعيًا أن الإسلام ليس له زي معين، وأباح لهم أكل البقرة الموقوذة قياسًا على قول ابن العربي المعافري بإباحة الدجاجة التي يقتلها النصراني بفتل عنقها، لأنها طعامه.

وردَّ عليه علماء الأزهر مبيِّنين خطأه في فتواه، منهم الشيخ يوسف الشبرانجومي، وردودهم مطبوعة.

والإسلام نهى عن التشبُّه بالكفار في لبسهم وفيما يختص بهم، بل الإسلام ما أتى إلا بمخالفتهم كما هو معلوم لمن تتبع فروعه وقواعده.

وأريد أن أقول: إن الشيخ محمد عبده أخطأ في فتواه من الناحية السياسية مضافًا إلى خطئه في الناحية الدينية، فكان يجب عليه أن يراعي مصلحة المسلمين الغرباء في تلك البلاد البعيدة عن الأقطار الإسلامية، فيفتيهم بتجنُّب لبس البرنيطة واتخاذ غطاءًا للرأس يعرفون به كالعمامة مثلًا، والبرنيطة شعار خاص بغير المسلمين، حتى إن أتاتورك لعنه الله حين انسلخ من الإسلام وأعلن أن تركيا دولة لا دينية، اتخذ البرنيطة شعارًا يُعرفون به أنهم غير مسلمين. وصرَّح المالكية بأن اللبس المختص بالكفار كالزنّار والبرنيطة يكون لبسه ردة إن فعل محبة أو رغبة فيه.

ولما كان الشيخ محمد الخضر حسين شيخًا للأزهر في عهد حكومة جمال خيَّبه الله تركوا الطربوش الذي كان غطاءًا للرأس عند جمهور المصريين، وأرادوا أن يتخذوا البرنيطة بدله واستفتوا شيخ الأزهر في ذلك فلم يوافق، لكنه رأى في مجلة الشؤون الاجتماعية أنه وافق على لبس البرنيطة، فاحتج على رئيس تحرير المجلة، فقال له: إنه أمر بنشر هذا الخبر، فاستقال الشيخ من منصبه.

وكانت الحكومة عازمة على تنفيذ المشروع، لكن عاقتهم عنه عوامل من أهمها استقالة الشيخ فجأة، وبقي الشعب المصري من ذلك الوقت عاري الرأس، ترك الطربوش فلم يرجع إليه، ووقاه الله لبس البرنيطة والحمد لله.

ثم إن الشيخ محمد عبده أخطأه التوفيق في إباحة الموقوذة لمسلمي الترانسفال، كان يجب عليه وهو مفتي مصر بلد الأزهر مطمح أنظار المسلمين أن يكلم حكومته لتتصل بحكومة الترانسفال وتطلب منها مراعاة مصلحة المسلمين وتعين منهم من يقوم بذبائحهم على الوجه الذي يرضاه دينهم، وبذلك يثبت وجودهم وتحترم شريعتهم.

هكذا كان يجب عليه أن يفعل، لكنه لم يكن موفقًا فيما سلك، فكأنه قال للمسلمين الذين استفتوه: لا عليكم ألا تهتموا بلباس إسلامي ولا بذبيحة إسلامية، ولكن ذوبوا في النصارى واندمجوا فيهم بحيث لا يكون لكم وجود ولا كيان، وهذا مآل فتواه ومغزاها، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقد فتح بفتواه باب التساهل للمتساهلين الذين نهجوا على منهاجه، فأباحوا الموقوذة والدجاج المقتول بالكهرباء، وأثموا بما أفتوا به، وشاركهم في الإثم الشيخ محمد عبده لحديث: «**ومَن سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فعليه إثمها وإثم مَن عَمِلَ بها من غير أن ينقصَ مِن إثمهم شيءٌ**».

ومن هؤلاء المتساهلين الشيخ يوسف القرضاوي، وله أيضًا شطحات وشذوذات في كتاب "فقه الزكاة".

ومن المتساهلين أيضًا وزير الأوقاف بالمغرب فإن من إرشاداته للعلماء الذين توفدهم الحكومة إلى أوروبا لتعليم العمال هناك أن يقول لهم: لا يقولوا

لهم عن شيءٍ إنه حرامٌ، كلُّ شيءٍ حلال!!.

والمقصود بكلامه إباحة الموقوذة وما شابهها.

ويصدق على هؤلاء المتساهلين عموم قول الله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة: ١٣]، ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

وهذه أبيات جادت بها القريحة في موضوع ذبائح النصارى:

ذبائحُ أهلِ الكُفْرِ ليست مُباحَةً ... وإن كثر الإفتاء فيها مُسَهِّلا
فليس يجوزُ الأكلُ منها مؤكَّدًا ... وتحريمها قد جاء في الذِّكر مُنزلا
ففيه أتى تحريم وَقْذٍ مُصرّحًا ... وإن كان من أهل الكتاب مسجلا
وتحليله تحريف حكم شريعةٍ ... وفاعله يجزى عذابًا منكلا

تمَّ تحرير هذا الجزء يوم عرفة، سنة ثمان وأربعمائة وألف هجرية، والحمد لله ربِّ العالمين، وصلاته على سيِّدنا محمَّدٍ خاتم النبيين وآله الأكرمين.

٤ - الاسْتِقْصَاء

لأدِلَّةِ تَحْريمِ الاسْتِمْناء

هـــذا كِتـــابٌ لم يؤلَّـــف مِثْلُـــهُ إلَّا كتابًـــا واحـــدًا للمُرْتَضَـــى

لكـــن كتـــابي جـــامِعٌ ومُحَقِّـــقٌ للبحـــثِ لم يَـــتْرُكْ سَـــبيلًا يُبْتَغَـــى

وبُحُوثُـــــهُ مَدْعُومَـــــةٌ بأدلَّـــــةٍ بَلَغَـــتْ إجادتهـــا حـــدودَ المُنتهَـــى

أرجـــو مِـــن الله الكَـــريمِ رِضَـــاءَهُ حتَّـــى أنـــالَ بـــه كَـــمَالَ المُبتغَـــى

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على أشرف المرسلين سيِّدنا محمَّدٍ وآله الأكرمين، ورضي الله عن صحابته والتابعين.

وبعد:

فقد كتب إليَّ شاب من بورسعيد يسألني عن حكم الاستمناء وما جزاء فاعله؟ وماذا ينشأ عنه من الأدواء؟ وذكر أنَّ أكثر الشبان متورطون فيه لغلبة الشهوة عليهم، وكثرة نظرهم إلى الفتيات المتبرِّجات.

فأجبته إجابة مختصرة كافية نشرت في "مجلة الإسلام" في العدد الصادر يوم الجمعة (١١ من ذي القعدة الحرام) من سنتنا هذه سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وألف هجرية، ختمها الله بخير.

ثم ظهر لي أن أُفرِد موضوع الاستمناء لعظم ضرره وعموم البلوى به بكتابٍ مستقلٍّ أدرج فيه الإجابة المذكورة، مع إيراد دلائل لم تذكر فيها وأفند فيه شُبَه القائلين بإباحة هذا الفعل الخطير -وما أقلهم وأوهى شبههم- قيامًا بخدمة ناحية من نواحي المجتمع الذي أصبح في حاجةٍ شديدةٍ إلى كثير من الإصلاح والتهذيب في جميع نواحيه.

وكتابي هذا هو ثاني كتاب في هذا الموضوع بعد رسالة السيِّد مرتضى الزبيدي المسمَّاة بـ"القول الأسد في حكم الاستمناء باليد" ذكرها في شرح "القاموس" ولم نقف عليها.

فإن وُفِّقتُ إلىٰ الصواب فتلك منة من الكريم الوهَّاب، وإلَّا فأملي من الله ألا يحرمني الثواب، وسمَّيته: "**الاسْتِقْصَاءُ لأدِلَّةِ تَحْرِيمِ الاسْتِمْناءِ**".

ورتبته علىٰ مقدِّمةٍ وبابين وخاتمة، وما توفيقي إلَّا بالله عليه توكَّلتُ وإليه أنيب.

مقدمة

الاستمناء في اللغة: استدعاء خروج المني بغير جماع سواء أكان باليد أم بغيرها من الطرق المستعملة في ذلك.

قال الفيومي في "المصباح": «واستمنى الرجل: استدعى منيه بأمر غير الجماع حتى دفق».اهـ

ويسمى الاستمناء بالخضخضة أيضًا، وبجلد عميرة، كما ذكره أبو حَيَّان في "البحر المحيط" وذكر أن العرب يكنون عن الذكر بـ«عميرة» على صيغة التصغير، وسيأتي نحوه في كلام القرطبي مع الاستشهاد عليه ببيت شعر.

وقال ابن الأثير في "النهاية" ما لفظه: «في حديث ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: سئل ابن عبَّاسٍ عن الخضخضة، فقال: هو خير من الزنا، ونكاح الأَمَة خير منه. الخضخضة: الاستمناء وهو استنزال المني في غير الفرج، وأصل الخضخضة التحريك».اهـ

ومثله في "لسان العرب" لابن منظور، وأثر ابن عبَّاسٍ هذا سيأتي الكلام عليه بحول الله تعالى.

وفي "القاموس": «والخضخضة تحريك الماء والسويق ونحوه، والاستمناء باليد».اهـ

قلت: التعبير باليد جرى على الغالب المعتاد من أن الاستمناء يكون باليد. وعبارة ابن الأثير أعم وأشمل.

ومثلها عبارة "تلخيص النهاية" للسيوطيِّ، ونصها: «الخضخضة:

الاستمناء». وفي "القاموس" أيضًا ما نصه: وأبو عمير كنية الذكر، وجلد عميرة كناية عن الاستمناء باليد».اهـ

فتلخص مما ذكر في هذه المقدمة الوجيزة أن «الاستمناء»، و«الخضخضة»، و«جلد عميرة» ألفاظ تطلق على معنى واحد هو استنزال المني بأمر غير الجماع.

وهو ما يسمَّى في مصر بـ«العادة السرية»؛ لأن الغالب في هذه الخصلة الخبيثة أنها تلح على صاحبها الذي تعودها إذا خلا بنفسه لا سيما إذا استعرض في مخيلته ما وقع نظره عليه من الصور الجميلة، ومن هنا وقع في شَركها كثير من الشباب وكادت تودي بهم[1] إلا من حفظه الله منها ومن بلاياها وأضرارها، وهذا ما دعاني إلى تأليف هذا الكتاب النافع إن شاء الله تعالى.

---

(١) كان هذا قبيل الحرب العالمية الثانية حيث كان الرخاء وفراغ الوقت يحملان الشباب على اللهو والعبث.

الباب الأول
في تحريم الاستمناء وبيان دليله

ذهب المالكية والشافعية والحنفية وجمهور العلماء إلى أنَّ الاستمناء حرامٌ، وهذا هو المذهب الصحيح الذي لا يجوز القول بغيره، وعليه أدلة كما سيتبين بحول الله تعالى.

الدليل الأول

قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ٥ - ٧].

وجه الدلالة من هذه الآية الكريمة ظاهر، فإن الله تعالى مدح المؤمنين بحفظهم لفروجهم مما حرَّم عليهم وأخبر برفع الحرج واللوم عنهم في قربانهم لأزواجهم وإمائهم المملوكات لهم، مستثنيًا ذلك من عموم حفظ الفروج الذي مدحهم به.

ثم عقَّب بقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ﴾ أي طلب ﴿وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ أي سوى ذلك المذكور من الأزواج والإماء ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ أي الظالمون المتجاوزون الحلال إلى الحرام؛ لأن العادي هو الذي يتجاوز الحد، ومتجاوز ما حده الله ظالم بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩] فكانت هذه الآية عامة في تحريم ماعدا صنفي الأزواج والإماء، ولا شك أنَّ الاستمناء غيرهما فهو حرامٌ ومبتغيه ظالمٌ بنصِّ القرآن.

وإليك نصوص المفسِّرين وغيرهم من العلماء التي تؤيِّد ما قرَّرناه وتؤكده:

قال الإمام القرطبي في "تفسيره" عند الكلام على هذه الآية ما نص المراد منه مما يتعلق بمسألتنا: «قال محمد بن عبد الحكم: سمعت حرملة بن عبد العزيز قال: سألت مالكًا عن الرجل يجلد عميرة، فتلى هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ٥ - ٧].

وهذا لأنهم يكنون عن الذكر بعميرة وفيه يقول الشاعر:

إذا حَلَلْتَ بوادٍ لا أنيسَ بهِ فاجْلِدْ عُمَيْرَةَ لا داءٌ ولا حَرَجُ[1]

ويسميه أهل العراق: الاستمناء، واستفعال من المني، وأحمد بن حنبل على ورعه يجيزه، ويحتج بأنه إخراج فضلة من البدن فجاز عند الحاجة، أصله الفصد والحجامة، وعامة العلماء على حرمته.

قال بعض العلماء: إنه كالفاعل بنفسه، وهي معصية أحدثها الشيطان وأجراها بين الناس حتى صارت مسألة وياليتها لم تقل، ولو قام الدليل على جوازها لكان ذو المروءة يعرض عنها لدناءتها.

فإن قيل: فقد قيل: إنه خير من نكاح الأمة.

قلت: نكاح الأمة ولو كانت كافرة -على مذهب العلماء- خير من هذا،

---

(١) هذا البيت حجَّة في العربية لكنه ليس بحجَّةٍ في تحسين هذا الفعل القبيح؛ لأن قائله شاعرٌ جاهليٌّ ليس له وازع من دينٍ ولا خُلُقٍ، فهو كأشعار الجاهلية التي افتخر أصحابها بالزنا والقتل والإغارة على الآمنين.

وإن كان قد قال به قائل أيضًا، ولكن الاستمناء ضعيف في الدليل عار بالرجل الدنيء فكيف بالرجل الكبير؟!.

قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ قال الفراء: أي من أزواجهم اللاتي أحلَّ الله لهم لا يجاوزون ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ في موضع خفض معطوفة علىٰ أزواجهم، و﴿مَا﴾ مصدرية[1] وهذا يقتضي تحريم الزنا وما قلناه من الاستمناء. و﴿وَرَآءَ﴾ بمعنىٰ: سوىٰ، وهو مفعول بـ﴿ٱبْتَغَىٰ﴾ أي: من طلب سوىٰ الأزواج والولائد المملوكة له.

وقال الزجَّاج: «أي: فمن ابتغىٰ ما بعد ذلك، فمفعول الابتغاء محذوف، و﴿وَرَآءَ﴾ ظرف، و﴿ذَٰلِكَ﴾ يشار به إلىٰ كل مذكور مؤنثًا كان أو مذكرًا، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ أي المجاوزون الحد، من «عدا» أي: جاوز الحد وجاز».اهـ

قلت: كلام القرطبي من أوله إلىٰ قوله: «فكيف بالرجل الكبير؟!» هو كلام ابن العربي في الأحكام، وزاد بعد قوله: «وعامة العلماء علىٰ حرمته»، ما نصه: «وهو الحق الذي لا ينبغي أن يدان الله إلا به».اهـ

وقال الإمام البغوي في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ ما لفظه: «أي الظالمون المتجاوزون الحلال إلىٰ الحرام، فيه دليل علىٰ أن الاستمناء حرام وهو قول أكثر العلماء».اهـ ومثله في "تفسير الخازن".

---

(١) والمعنىٰ: «أو ملك أيمانه» وليست موصولة كما قد يتوهم.

وقال الحافظ ابن كثير في "تفسيره" ما لفظه: «وقد استدل الإمام الشافعي ومن وافقه على تحريم الاستمناء باليد بهذه الآية الكريمة: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ قال: «فهذا الصنيع خارج عن هذين القسمين، وقد قال الله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾».اهـ

قلت: للإمام الشافعي في الاستدلال بالآية على تحريم الاستمناء عبارتان أحببت أن أذكرهما بنصهما:

١- جاء في كتاب النكاح من "الأم" ما نصه: «باب الاستمناء: وقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ﴾ قرأ إلى ﴿ٱلْعَادُونَ﴾ قال الشافعي: «فكان بينا في ذكر حفظهم لفروجهم إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم تحريم ما سوى الأزواج وما ملكت الأيمان، وبين أن الأزواج وملك اليمين من الآدميات دون البهائم، ثم أكدها فقال عزَّ وجلَّ: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ فلا يحل العمل بالذكر إلا في الزوجة أو في ملك اليمين ولا يحل الاستمناء، والله أعلم».اهـ

٢- وجاء في الجزء الخامس من "الأم" تحت ترجمة: «ما جاء في عدد ما يحل من الحرائر والإماء وما تحل به الفروج» ما لفظه: «وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ دليل على أمرين:

أحدهما: أنه أحل النكاح وما ملكت اليمين.

والثاني: يشبه أن يكون إنما أباح الفعل للتلذذ وغيره بالفرج في زوجة أو ما

ملكت يمين من الآدميين، ومن الدلالة على ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ وإن لم تختلف الناس في تحريم ما ملكت اليمين من البهائم، فلذلك خفت أن يكون الاستمناء حرامًا من قبل أنه ليس من الوجهين الذين أبيحا للفرج».اهـ

فهاتان العبارتان من الإمام واضحتان، وبمقتضاهما حكم الشافعية بتحريم الاستمناء وحكوه عن الإمام الشافعي قولًا واحدًا.

وقال النسفيُّ في "تفسيره": «﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ طلب قضاء شهوة من غير هذين ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ الكاملون في العدوان، وفيه دليل تحريم المتعة والاستمتاع بالكف لإرادة الشهوة».اهـ

وقال العلامة الآلوسي في "تفسيره" بعد الكلام على معنى الآية إجمالًا، ما لفظه: «ويدخل فيما وراء ذلك: الزنا واللواط ومواقعة البهائم، وهذا مما لا خلاف فيه، واختلف في وطء جارية أبيح له وطؤها، فقال الجمهور: هو داخل فيما وراء ذلك أيضًا فيحرم»، وذكر الخلاف في هذه المسألة، ورجح مذهب الجمهور تمسكا بعموم الآية.

وتكلم على نكاح المتعة فذكر أن الشيعة أباحوه، ورد كلامهم أيضًا ثم قال: «وكذا اختلف في استمناء الرجل بيده ويسمَّى الخضخضة وجلد عميرة، فجمهور الأئمَّة على تحريمه وهو عندهم داخل فيما وراء ذلك، وكان أحمد بن حنبل يجيزه لأن المني فضلة في البدن فجاز إخراجها عند الحاجة كالفصد والحجامة، وقال بن الهمام: يحرم، فإن غلبته الشهوة ففعل إرادة تسكينها به، فالرجاء أن لا يعاقب».اهـ

وقال أبو محمد بن أبي زيد القيرواني في "الرسالة" تحت ترجمة: «باب جمل من الفرائض والسنن الواجبة والرغائب» ما لفظه: «ولا تباشر بفرجك أو بشيء من جسدك ما لا يحل لك، قال الله سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ ﴾».

فكتب في شرحه العلامة الشيخ زروق ما نص المراد منه: «ومباشرة الفرج تكون بثلاثة: الزنا واللواط والاستمناء.

فالأولان محرَّمان إجماعًا، والاستمناء مختلفٌ فيه، فذهب الجمهور إلى المنع، وقال أحمد: «هو كالفصادة»، وعن الحسن: «إنما هو ماؤك فأرقه»، وعن مجاهد: «كانوا يعلمونه صبيانهم ليستعفوا به عن الزنا» وعن ابن عبَّاسٍ: «الخضخضة خير من الزنا».

ودليل المنع قوله تعالى: ﴿ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ ﴾ وليس هذا بواحد منهما ولا يدخل المملوك في الاستثناء بدليل القرآن بالأزواج وحكى بعض المقيدين جوازه عن الشافعي، وهو باطل، بل هو عن الشيعة الخارجين[1] عن الحق.

---

(١) قرأت من كتب الشيعة الزيدية كتاب "البحر الزخَّار في فقه الأئمَّة الأطهار" فلم أرَ فيه هذا القول.

وقرأت من كتب الشيعة الإمامية بعض مختصرات فقههم فلم أرَه فيها أيضًا.

وما أظنه يصح عن طائفة تنتمي إلى الإسلام؛ لأنه لواطٌ محرَّمٌ بالكتاب والسُّنَّة وإجماع الأمَّة، وكان الشيعة خارجين عن الحق لأن مذهبهم في العقيدة مذهب المعتزلة إلا

ولما تكلم ابن العربي في "الأحكام" على هذه الآيات ذكر مذهب الإمام أحمد، ثم قال: «وهذا من الخلاف الذي لا يجوز العمل به، وليت شعري لو كان فيه نصٌّ صريحٌ بالجواز أكان ذو همةٍ يرضاه لنفسه؟! وما يذكر فيه من الأحاديث ليس فيها ما يساوي سماعها».اهـ

قلت: كذا قال، ولعله لم يقف على حديث أنس الآتي بعد -إن شاء الله تعالى- فإن ضعفه قريب، بل هو حسن لاعتضاده كما سيأتي.

فإن قيل: إن الاستدلال بالآية المذكورة على تحريم الاستمناء غير تام، لما أبداه أبو حَيَّان من مناقشته فيه، فقد جاء في تفسيره المسمَّى بـ"البحر المحيط" ما نصه: «كان قد جرى لي في ذلك كلام مع قاضي القضاة أبي الفتح محمد بن علي بن مطيع القشيري ابن دقيق العيد، فاستدل على منع ذلك -يعني الاستمناء- بهذه الآية، يعني ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ﴾ الآية.

فقلت: إن ذلك خرج مخرج ما كانت العرب تفعله من الزنا والتفاخر به في أشعارها، وكان ذلك كثيرًا فيهم بحيث كان في بغاياهم صاحبات رايات ولم يكونوا ينكرون ذلك، وأما جلد عميرة فلم يكن معهودًا فيهم ولا ذكره أحد

قليلًا منهم مثل الحاكم وأبي نعيم وغيرهما من أهل الحديث الذين تشيَّعوا وهم من أهل السُّنَّة. وقد قال الذهبيُّ: «إنَّ التشيُّع والاعتزال تآخيا منذ القرن الخامس».

قلت: بل تآخيا قبل ذلك بالنسبة للزيدية؛ لأن زيد بن عليٍّ إمامهم كان تلميذ واصل بن عطاء المعتزلي في العقيدة، فمنذ ذلك الوقت والزيدية معتزلة، إلا أنهم يترضّون عن الشيخين ولا يسبُّون عائشة، أمَّا الإمامية فهم مع اعتزالهم يبغضون الشيخين وعائشة.

فيهم في شعرٍ فيما علمناه فليس بمندرج فيما وراء ذلك».اهـ

ومعنىٰ هذا قصر الآية علىٰ الزنا؛ لأنه الذي كان معتادًا للعرب فعله بخلاف الاستمناء فلم يكن معتادًا للعرب فلا تشمله الآية بالتحريم، هذا حاصل كلام أبي حَيَّان

وهو باطل من وجوه:

الأول: المقرَّر في علم الأصول أنَّ العادة الفعلية لا تُخصِّص العام، فإذا قال الشارع: «الطعام بالطعام ربا» وكانت عادة العرب تناول البر، فالواجب عند جمهرة الأصوليين حمل الطعام علىٰ عمومه فيكون كل طعام بطعام ربا ولا يجوز قصره علىٰ البر الذي اعتادوه.

وكذلك يقال هنا، فإذا كان العرب قد اعتادوا الزنا ولم يعتادوا الاستمناء مع كونه معروفًا لهم ثم جاءت الآية عامة وجب أن نبقيها علىٰ عمومها فتكون شاملةً للزنا والاستمناء وغيرهما، ولا يجوز تخصيصها بالزنا الذي اعتادوه إلا بدليل شرعي، وهو هنا مفقود.

قال العلامة الآلوسي بعد نقله لكلام أبي حيان ما نصه: «وأنت تعلم أنه إذا ثبت أن جلد عميرة كناية عن الاستمناء باليد عند العرب كما هو ظاهر عبارة "القاموس" فالظاهر أن هذا الفعل كان موجودًا فيما بينهم، وإن لم يكن كثيرًا شائعًا كالزنا، فمتىٰ كان ذلك من أفراد العام لم يتوقف اندراجه تحته علىٰ شيوعه كسائر أفراده».

وفي "الأحكام": «إذا كان من عادة المخاطبين تناول طعام خاص مثلًا فورد خطاب عام بتحريم الطعام نحو: حرمت عليكم الطعام، فقد اتفق

الجمهور من العلماء على إجراء اللفظ على عمومه في تحريم كل طعام على وجه يدخل فيه المعتاد وغيره، وأن العادة لا تكون منزلة للعموم على تحريم المعتاد دون غيره، خلافًا لأبي حنيفة عليه الرحمة، وذلك لأن الحجة إنما هي في اللفظ الوارد وهو مستغرق لكل مطعوم بلفظه ولا ارتباط له بالعوائد، فلا تكون العوائد حاكمة عليه.

نعم، لو كانت العادة في الطعام المعتاد أكله قد خصصت بعرف الاستعمال اسم الطعام بذلك الطعام كما خصصت الدابة بذوات القوائم الأربع لكان لفظ الطعام منزلًا عليه دون غيره ضرورة تنزيل مخاطبة الشارع للعرب على ما هو المفهوم لهم من لغتهم، والفرق أن العادة أولًا إنما هي مطردة في اعتياد أكل ذلك الطعام المخصوص فلا تكون قاضية على ما اقتضاه عموم لفظ الطعام.

وثانيًا هي مطردة في تخصيص اسم الطعام بذلك الطعام الخاص فتكون قاضية على الاستعمال الأصلي».اهـ

وذكر الإسنوي في "شرح المنهاج" نقلًا عن الغزالي وأبي الحسن البصري والآمدي ومن تبعه: «أنه لا إشكال في أن العادة القولية تخصص العام كما إذا كان من عادتهم إطلاق الطعام على المقتات خاصة، ثم ورد النهي عن بيع الطعام بجنسه متفاضلًا فإن النهي يكون خاصًا بالمقتات».

قال الإسنوي: «وأما العادة الفعلية ففيها مذهبان وذلك كما إذا كان من عاداتهم أن يأكلوا طعامًا مخصوصًا وهو البر مثلًا فورد النهي المذكور وهو بيع الطعام بجنسه، فقال أبو حنيفة: يختص النهي بالبر لأنه المعتاد. وخالفه الجمهور فقالوا بإجراء العموم على عمومه، هكذا نقله الآمدي وابن الحاجب

وغيرهما»، ثم قال: «وعلى هذا فالمراد من قول الجمهور: أن العادة لا تخصص، أن غير المعتاد يكون ملحقًا بالمعتاد في الدخول».اهـ

فظهر من هذا أن الاستمناء داخل في عموم الآية وإن لم يكن معتادًا للعرب كالزنا، لأن هذا من العادة الفعلية وهي لا تخصص عند الجمهور.

والعجب أن أبا حيان ظاهري، والظاهرية أشد الناس تمسكًا بعمومات الشارع لا يخصصونها إلا بالقرآن أو سُنَّةٍ صحيحةٍ كما يعلم من كتاب "الإحكام" لابن حزمٍ ولا يعتبرون كثيرًا من المخصصات التي اعتبرها جمهور الأصوليين.

الثاني: أن عدم تفاخر العرب بالاستمناء لا يدل على عدم اعتيادهم له فقد يكون معتادًا لهم ولكنهم لا يتفاخرون به لأنهم يرونه مثل قضاء الحاجة، إنما يلجؤن إليه للضرورة في ساعة الخلوة كما قال الشاعر:

إذا حَلَلْتَ بوادٍ لا أنيس به فاجْلِدْ عُمَيْرَةَ لا داءٌ ولا حَرَجُ

وليت شعري أي مفخرةٍ في هذا الفعل الدنيء حتى يتفاخر به العرب ويعطونه حظًّا من أشعارهم؟! وهم إنما كانو يتفاخرون بالزنا لما فيه من الدلالة على قوة الجماع وهي تدل على كمال الرجولة ومتانة الجسم وصحة أعضائه وصاحب هذه الأوصاف يكون في غالب العادة قويًّا شجاعًا يكافح الأهوال وينازل الأبطال، والشجاعة تلازم الكرم عادة وهما -أعني الشجاعة والكرم- أقصى ما تتمدح به العرب، وانظر إلى معلقة امرئ القيس تجده تمدح فيها بالكرم والإقدام مضمومين إلى تغزله وتمدحه بالزنا في قوله:

فمِثْلُكِ حُبْلَىٰ قد طَرَقْتُ ومُرْضِعٍ فألهيتُهـا عـن ذي تَمـائِمِ مُحْـوِلِ

إلىٰ آخر كلامه.

وهكذا إذا تتبعت غالب قصائدهم التي تمدحوا فيها بالزنا تجدهم تمدحوا فيها أيضًا بالجرأة والإقدام أو بالبذل والإنفاق أو بهما جميعًا.

المقصود أنهم كانوا يتفاخرون بالزنا لما كانوا يرون فيه من الدلالة علىٰ كمال الرجولة المستلزم للخصال المحمودة، ولا كذلك الاستمناء وإنه لا يدل علىٰ شيء مما ذكر فلهذا لم يتفاخروا به، لا لأنهم لم يعتادوه.

الثالث: لو قصرت الآية علىٰ الزنا كما يقول أبو حَيَّان لم يكن فيها حينئذٍ كبير فائدة؛ ذلك لأن الزنا ثبتت حرمته وتوعد عليه في عدة آيات، قال تعالىٰ:

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٢].

﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ﴾ [النور: ٢].

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ﴾ [الفرقان: ٦٨] الآيات.

فلو حملت آية المؤمنون علىٰ خصوص الزنا لم يكن فيها من فائدة غير التأكيد لما تضمنته هذه الآيات وهي فائدة قليلة بخلاف ما لو أبقيت علىٰ عمومها فإنها تفيد حكمًا زائدًا علىٰ ما في الآيات المذكورة وتؤسسه.

وإذا احتمل الكلام التأسيس أو التأكيد فلا شك أن حمله علىٰ التأسيس أرجح من حمله علىٰ التأكيد كما تقرر في علم الأصول.

فإن قيل: يرد علىٰ ما قرَّرته إيراد آخر، وهو أن الآية جاءت في معرض

المدح للمؤمنين والثناء عليهم، والعام الوارد في سياق المدح أو الذم فيه خلاف بين علماء الأصول، وممن قال بأنه لا يعم الإمام الشافعي وبعض أصحابه وصحَّحه إِلْكيَا الهراسي وعلىٰ هذا لا تكون الآية شاملة للاستمناء ولا يستفاد منها حرمته؛ لأنها إنما سيقت لمدح المؤمنين بحفظ فروجهم فتقصر علىٰ ذلك.

فالجواب على هذا الإيراد من وجهين:

الأول: أنه وإن يكن خلاف في العام الوارد في سياق المدح أو الذم فالراجح المعمول به من ذلك الخلاف هو إبقاء العام علىٰ عمومه تمسكًا بمدلول اللفظ وهذا مذهب الجمهور قال الشوكاني في "إرشاد الفحول": «وهو الراجح لعدم التنافي بين قصد العموم والمدح أو الذم، ومع عدم التنافي يجب التمسك بما يفيده اللفظ من العموم ولم يأت من منع من عمومه عند قصد المدح أو الذم بما تقوم به الحجة».اهـ

وهو المصحح أيضًا في "جمع الجوامع" وغيره من كتب الأصول للعلة المذكورة وهي عدم التنافي بين العموم وبين قصد المدح أو الذم وثبت القول بالعموم عن جماعة من الصحابة في هذه الآية نفسها.

فأخرج مالك عن الزهري، وعبد الرزاق، عن ابن جريج، عن الزهري، عن قبيصة بن ذؤيب: أن نيارًا الأسلمي استفتىٰ عثمان بن عفان في امرأة وأختها بملك اليمين، فقال عثمان: أحلتهما آية وحرمتهما آية أخرىٰ، ولم أكن لأفعل ذلك.

يعني بالآية التي أحلتهما آية المؤمنون التي نتكلم عنها لقوله تعالىٰ فيها: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾ [المؤمنون: ٦]، ويعني بالآية التي

حرمتهما قوله تعالى: ﴿وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٣].

وجاء مثل قول عثمان عن عليٍّ عليه السلام، رواه ابن أبي شيبة والبزَّار وابن مَرْدُويَه من طرق عنه.

وجاء مثل هذا أيضًا عن محمد بن الحنفية، رواه ابن حزمٍ في "المحلَّى"، من طريق وكيع، عن إسرائيل، عن عبدالعزيز بن رفيع، قال: سألت ابن الحنفية عن الأختين المملوكتين، فقال: حرمتهما آية وأحلتهما آية.

وجاء عن ابن عبَّاسٍ إباحتها عملًا بهذه الآية.

أخرج ابن حزمٍ في "المحلَّى" من طريق عبد الرزاق، عن ابن جريج، عن عمرو بن دينار قال: كان ابن عبَّاسٍ يعجب من قول عليٍّ عليه السلام: «حرمتهما آية وأحلتهما آية»، ويقول: إلا ما ملكت أيمانكم، هي مرسلة.

قلت: كذا جاءت الرواية، ولكن التلاوة: ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ فتوقَّف عثمان وعلي وابنه محمد بن الحنفية في الأختين المملوكتين، وقولهم: «أحلتهما آية وحرمتهما آية أخرى» دليل واضح على أنهم كانوا يرون أن العام الوارد في سياق المدح أو الذم يبقى على عمومه كما قدمنا عن الجمهور.

وإنما توقفوا لتعارض العمومية في نظرهم وفي إباحة ابن عبَّاسٍ لهما دليل على أمر آخر وهو أنه كان يرى أن العام المذكور يبقى على عمومه وإن عارضه عام آخر وهذا قول لبعض الأصوليين وإن صح في "جمع الجوامع" خلافه أي أنه يبقى على عمومه ما لم يعارضه عام آخر، والجمهور حرموا الجمع بين

الأختين المملوكتين في الوطء ووافقهم علي عليه السلام كما صح عنه في "مصنف ابن أبي شيبة" وغيره ترجيحًا لعموم قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾.

وذكروا للترجيح وجوهًا، منها أن العموم الأول محرم والعموم الثاني مبيح، وحيث تعارضا قدم الأول لما في التحريم من درء مفسدة الفعل المنهي عنه، ودرء المفاسد مهم في نظر الشارع، حتى إنه قدمه على جلب المصالح.

يدل لذلك حديث أبي هريرة عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم**» وهذا الحديث من جوامع الحكم وقواعد الإسلام كما قال الإمام النووي وغيره.

ومما يجب التنبيه عليه: أن القول المتقدم في الإيراد عن الإمام الشافعي لا يخلو حاله من أحد أمرين: إما أن يكون غير صحيح عنه وغلط من نسبه إليه، وإما أن يكون مرجوعًا عنه.

ودليلنا على ما نقول أننا رأينا الإمام الشافعي ذكر آية المؤمنون في "الأم" واستنبط منها أشياء من جملتها حرمة الاستمناء ولا شك أن كتاب "الأم" هو أصل مذهبه الجديد وهذا يدل على أنه يرى رأي الجمهور.

الوجه الثاني من وجهي الجواب: أن الخلاف المذكور في العام الوارد في سياق المدح أو الذم محله إذا لم تكن في الكلام قرينة تدل على إرادة العموم، أما إذا وجدت القرينة فيبقى العام على عمومه اتفاقًا من غير خلاف. وآية المؤمنون فيها قرينتان تدلان على العموم:

أولاهما: الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ والاستثناء أقوى القرائن في هذا الباب ولذا جعله الأصوليون معيار العموم وقالوا: كل ما جاز الاستثناء منه مما لا حصر فيه فهو عام ذلك لأنه لا يتأتى دخوله في كلام إلا إذا كان فيه عموم ضرورة أنه -أعني الاستثناء- إخراج ما لولاه لدخل في الكلام فدخوله في هذه الآية قرينة واضحة على إرادة العموم.

ثانيهما: تعقيب قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ﴾ بقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ فإن تعقيب الآيتين على هذا النسق يدل على أن الآية الثانية أتى بها لتفيد حكمًا عامًا هو تحريم غير ما استثني في الآية الأولى فيكون التحريم المستفاد منها واقعًا على الزنا واللواط والاستمناء وعلى كل ما صح أنه غير الأزواج والإماء وهذا من المناسبة بين هاتين الآيتين والحكمة في تناسقهما -فيما نراه- والعلم عند الله.

الدليل الثاني

قال الله تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور: ٣٣].

تدل هذه الآية على حرمة الاستمناء من وجهين:

الأول: أن الله تعالى أمر فيها بالاستعفاف، والأمر يدل على الوجوب كما تقرر في علم الأصول فيكون الاستعفاف واجبًا، وحيث وجب، وجب اجتناب ما ينافيه كالزنا واللواط والاستمناء ونحوها، فتكون هذه الأشياء واجبة الاجتناب محرَّمة الفعل؛ لأن الاستعفاف الواجب لا يتحقق إلا

باجتنابها جميعًا.

فإن قيل: هذه الآية تدل على جواز الاستمناء خلافًا لما ادعيت؛ لأن الاستمناء يفعل بقصد الاستعفاف عن الزنا كما جاء عن مجاهد، قال: «كانوا يعلمونه صبيانهم ليستعفُّوا به عن الزنا»، وإذن فهو من أفراد الاستعفاف المأمور به فتكون الآية دالة على جوازه.

فالجواب: أن الإمام الشافعي ذكر هذا الإيراد وتولَّى الجواب عنه، قال في "الأم" عقب العبارة التي نقلناها عنه في الكلام على الدليل الأول، ما نصه: «فإن ذهب ذاهب إلى أن يحله لقول الله تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ فيشبه أن يكونوا إنما أمروا بالاستعفاف عن أن يتناول المرء بالفرج ما لم يبح له فيصبر إلى أن يغنيه الله من فضله فيجد السبيل إلى ما أحل الله والله أعلم، وهو يشبه أن يكون في مثل معنى قول الله عزَّ وجلَّ في مال اليتيم: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ [النساء: ٦] وإنما أراد بالاستعفاف أن لا يأكل منه شيئًا».اهـ

ومعنى كلامه: أن الاستعفاف في الآية السابقة، يراد به حفظ الفرج من جميع أنواع الشهوة زنا ولواط واستمناء وأن من لم يجد السبيل إلى النكاح ففرض عليه أن يصبر حتى يغنيه الله من فضله فيجد السبيل إلى ما أحل الله، ونظير هذه الآية آية اليتيم فإن المراد بالاستعفاف فيها أن لا يأكل القيم الغني من مال اليتيم شيئًا لا قليلًا ولا كثيرًا.

هذا إيضاح جواب الإمام الشافعي، ويدل عليه ما جاء في باب الاستمناء

من "الأم" عقب ما نقلناه آنفًا ونصه: «وقال الشافعي في قول الله تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ معناها -والله أعلم-: ليصبروا حتى يغنيهم الله تعالى، وهو كقوله تعالى في مال اليتيم: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ ليكف عن أكله بسلف أو غيره».اهـ

ويؤيده أن الاستعفاف في الآيتين مطلق فتقييده ببعض أنواع الاستعفاف يحتاج إلى دليل وهو مفقود وليس قول مجاهد بدليل فلا يقيد به مطلق كتاب ولا سنة.

ووجه آخر يبطل الإيراد المذكور، وهو أنه لو كان الاستمناء من الاستعفاف لكان واجبًا؛ لأن الاستعفاف واجب بالآية المتقدمة وبغيرها من الأدلة، والقول بوجوب الاستمناء حدث في الدين وخرق لإجماع المسلمين.

فإن قيل: يجوز أن يكون الأمر بالاستعفاف في الآية مستعملًا في حقيقته ومجازه فيكون بالنسبة إلى ترك الزنا واللواط للوجوب حقيقة وبالنسبة إلى فعل الاستمناء للجواز على سبيل المجاز، والجمع بين الحقيقة والمجاز في اللفظ الواحد هو مذهب بعض أهل الأصول ورجحه السُّبكي في "جمع الجوامع" وقد حمل الشافعية قول الله تعالى: ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [المائدة:٦] على المعنيين اللمس باليد وهو المعنى الحقيقي، والوطء وهو المعنى المجازي، وعلى هذا لا يلزم من القول بأن الاستمناء من الاستعفاف أن يكون الاستمناء واجبًا لما مر بيانه.

فالجواب: أن الجمع بين الحقيقة والمجاز منعه جمهور أهل العربية فيهم أهل

البيان قاطبة، وجميع الحنفية، وجمع من المعتزلة، والمحققون من الشافعية.

قال الشوكاني في "إرشاد الفحول": «وهو الحق، لتبادر المعنى الحقيقي من اللفظ من غير أن يشاركه غيره في التبادر عند الإطلاق وهذا بمجرده يمنع من إرادة غير الحقيقي بذلك اللفظ المفرد مع الحقيقي».اهـ

فالقول بجواز الجمع بينهما ضعيف كما ترى فلا يصح حمل الآية عليه وإنما تحمل على القول الراجح المعروف.

ولو سلمنا جدليًّا صحته ورجحانه فلا يصح أيضًا حمل الآية عليه وذلك لوجهين:

أحدهما: أن المعنيين هنا متنافيان لأن الاستعفاف بالنظر إلى الزنا ونحوه ترك، وبالنظر إلى الاستمناء فعل، والفعل والترك متنافيان فكيف يجمع بينهما في لفظ واحد؟! وأين القرينة التي تميز بين المتروك والمفعول؟.

ثانيهما: أن اللفظ هنا لا يساعد على الجمع بين المعنيين لأنه فعل في سياق الإثبات فلا يعم وهذا بخلاف قوله تعالى: ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ فإن المعنيين فيه غير متنافيين كما هو ظاهر والفعل واقع في سياق الشرط فلذا ساغ الجمع فيه بين الحقيقة والمجاز لأن الفعل في سياق النفي والشرط يعم على ما في ذلك الجمع من ضعف كما علمت.

وكذلك لا يصح حمل الأمر بالاستعفاف على الوجوب والجواز أيضًا بناء على رأي من يرى أن الأمر مشترك بين الوجوب والندب والإباحة ويكون استعماله هنا فيهما من باب استعمال المشترك في معنييه معًا وهو جائز عند الشافعي والقاضي أبي بكر الباقلاني لأن هذا الحمل يرد عليه جميع ما ورد على

الجمع بين الحقيقة والمجاز، ويرد عليه أيضًا وجه آخر زائد على ما تقدم وهو أن القول بأن الأمر مشترك بين الوجوب والندب والإباحة ضعيف، وكذلك القول بأنه موضوع للقدر المشترك بين هذه الثلاثة أو بين الأولين فقط أو بأنه مشترك بين الأحكام الخمسة، كل هذه الأقوال وغيرها مما ذكر في كتب الأصول ضعيفة واهية.

والقول الراجح المعمول به هو أن الأمر للوجوب حقيقة وأنه لا يستعمل في الندب أو غيره من المعاني إلا بقرينة تدل على ذلك فإن تجرد عن القرينة فهو للوجوب.

هذا هو الذي ارتضاه الجمهور من الفقهاء والأصوليين على اختلاف مذاهبهم، وهو الذي أملاه أبو الحسن الأشعري على أصحاب أبي إسحاق الإسفراييني ببغداد وصححه ابن الحاجب والإمام الرازي والبيضاوي وجماعة. واستدلال الجمهور على ذلك بدلائل لغوية وشرعية ونظرية وهي مبسوطة في كتب الأصول فلتنظر هناك.

فتلخص مما ذكرناه أن الأمر بالاستعفاف في الآية للوجوب فقط لا يصح غير ذلك وأن الاستعفاف واجب عن جميع أنواع الشهوة، وبالله التوفيق.

الوجه الثاني: أن الله تعالى أوجب في الآية الاستعفاف على من لم يستطع القيام بتكاليف النكاح، حيث قال تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٣] ولم يجعل بين النكاح والاستعفاف واسطة فاقتضى ذلك تحريم الاستمناء، ولو كان مباحًا لبينه في هذا الموطن لأن هذا مقام بيانه إذ أحوج ما يكون الرجل إلى جوا ز الاستمناء إذا لم يجد سبيلًا إلى

النكاح لا سيما عند توقان نفسه إلى الوطء فلما سكت عنه في هذا المقام الذي يقتضي بيانه دل على أنه حرام، لأن القاعدة المقررة عند الأصوليين أن السكوت في مقام البيان يفيد الحصر.

قال الإمام القرطبي في تفسير هذه الآية بعد أن ذكر أن فيها أربع مسائل، وذكر ثلاثًا منها، ما نصه: «المسألة الرابعة: من تاقت نفسه إلى النكاح فإن وجد الطول فالمستحب أن يتزوج وإن لم يجد الطول فعليه بالاستعفاف ما أمكن ولو بالصوم فإن الصوم له وجاء كما في الخبر الصحيح»، ثم ذكر حكم غير التائق ثم قال: «ولما لم يجعل الله عزَّ وجلَّ بين النكاح والعفة درجة دل على أن ما عداهما محرم ولا يدخل فيه ملك اليمين لأنه بنص آخر مباح، وهو قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ فجاءت فيه زيادة ويبقي على التحريم الاستمناء ردًا على أحمد، وكذلك يخرج عنه نكاح المتعة بنسخه».اهـ

وقال الإمام العلامة أبو الحسن علي بن محمد الطبري المعروف بالكِيا الهراسي، في "أحكام القرآن" له ما نصه: «قوله تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ أمرهم بالتعفف عند تعذر النكاح عما حرمه الله تعالى وذلك على الوجوب وفيه دليل على أن إباحة الاستمتاع موقوفة على النكاح ولذلك يحرم ما عداه ولا يفهم منه التحريم لملك اليمين لأن من لا يقدر على النكاح لعدم المال لايقدر على شراء الجارية غالبًا وفيه دليل على بطلان نكاح المتعة ودليل على تحريم الاستمناء».اهـ كلامه وهو مؤيد لما قررناه.

وقال العلامة الآلوسي في تفسير هذه الآية بعد كلام، ما نصه: «والمذكور

في معتبرات كتبنا -يعني الحنفية- أن النكاح يكون واجبًا عند التوقان، أي شدة الاشتياق بحيث يخاف الوقوع في الزنا وكذا -فيما يظهر- لو كان لا يمكنه منع نفسه عن النظر المحرم أو عن استمناء بالكف ويكون فرضًا بأن كان لا يمكنه الاحتراز عن الزنا إلا به بأن لم يقدر على التسري أو الصوم الكاسر للشهوة كما يدل عليه حديث: «**ومَن لم يَسْتَطِعْ فعليه بالصَّوْمِ...**» الحديث. فلو قدر على شيءٍ من ذلك لم يبقَ النكاح فرضًا أو واجبًا عينًا بل هو أو غيره مما يمنعه من الوقوع في المحرَّم».اهـ

فجعل من موجبات النكاح أن لا يقدر الرجل على منع نفسه من الاستمناء، وهو يؤيد ما قدمناه أن الاستعفاف واجب عن أنواع الشهوة جميعها.

الدليل الثالث

أخرج البخاري ومسلم، عن عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يا معشرَ الشَّبابِ مَن اسْتطَاعَ مِنكُم الباءَةَ فليتزوَّجْ فإنه أَغَضُّ للبَصَرِ وأَحْصَنُ للفَرْجِ، ومَن لم يَسْتَطِعْ فعليه بالصَّوْمِ فإنَّه له وِجَاءٌ**».

قال الإمام النووي رحمه الله: «اختلف العلماء في المراد بالباءة هنا على قولين، أصحهما أن المراد معناها اللغوي وهو الجماع، فتقديره: من استطاع منكم الجماع لقدرته على مؤنه وهي مؤن النكاح فليتزوج، ومن لم يستطع الجماع لعجزه عن مؤنه فعليه بالصوم ليدفع شهوته ويقطع شر منيه كما يقطعه الوجاء».اهـ

و«**الوِجاء**» بكسر الواو والمد: رض الأنثيين ودقهما. وإطلاقه على الصوم

هنا تشبيه بليغ.

وجه دلالة الحديث على المقصود: أنَّ الشارع أرشد عند العجز عن مؤن النكاح إلى الصوم ولو كان الاستمناء مباحًا لبينه في هذا الموطن، لكنه سكت عنه فدل ذلك على أنه حرام لأن السكوت في مقام البيان يفيد الحصر.

وإلى هذه القاعدة المتقررة يشير ابن حزمٍ في كثير من استدلالاته بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم:٦٤] وذلك لأنه إذا كان الله لا ينسى -وتنزه ربنا عن النسيان وعن كل نقص- فسكوته سبحانه أو سكوت رسوله المبلغ عنه في معرض البيان لشيء من أفعال المكلفين عن شيء آخر يشبهه أو يجانسه لا يكون نسيانًا أو ذهولًا -تعالى الله عن ذلك- ولكنه يفيد قصر الحكم على ذلك الشيء المبين حكمه، ويكون ما عداه وهو المسكوت عنه مخالفًا له في الحكم.

فإن كان المنصوص عليه بالبيان مأذونًا فيه كان المسكوت عنه ممنوعًا كما في الحديث المذكور، وإن كان العكس فالعكس، وهو معنى قولهم: «السكوت في معرض البيان يفيد الحصر»، وهي قاعدة عظيمة بنى عليها العلماء كثيرًا من الأحكام.

هذا وقد استدل بعض العلماء بالحديث المذكور على حرمة الاستمناء أيضًا لكن على وجه آخر أحببت أن أذكره تتميمًا للفائدة:

جاء في "فتح الباري" أثناء الكلام على هذا الحديث، ما نصه: «واستدل به بعض المالكية على تحريم الاستمناء لأنه أرشد عند العجز عن التزويج إلى الصوم الذي يقطع الشهوة، فلو كان الاستمناء مباحًا لكان الإرشاد إليه

أسهل. وتعقب دعوىٰ كونه أسهل لأن الترك أسهل من الفعل».اهـ

قلت: الاستدلال وجيه والتعقيب متعقب، ذلك أن الصوم وإن كان تركًا فهو أشد من الفعل وأشق علىٰ النفس من كثير من الأعمال لأنه حبس للنفس وكبح لها عن شهواتها.

ولهذا ثبت في الحديث الصحيح عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**كُلُّ عَمَلِ ابنِ آدمَ يُضاعَفُ الحَسَنةُ بعَشْرِ أمثالِها إلى سَبعمائةِ ضِعْفٍ، قال الله تعالى: إلَّا الصومَ فإنه لي وأنا أَجْزِي به، يَدَعُ شَهْوَتَه وطَعامَه مِن أجلي**» الحديث. ولم تكن هذه المزيَّة للصوم إلا لما فيه من المشقَّة.

أما الاستمناء وإن كان فعلًا فهو سهل يسير موافق لغرض النفس ولا يستغرق فعله من الزمان ما يستغرقه الصوم لا جرم أن العدول عنه إلىٰ الصوم دليل علىٰ حرمته فيكون في الحديث دلالة علىٰ حرمة الاستمناء من وجهين:

الأول: السكوت عنه في معرض البيان.

الثاني: العدول عنه إلىٰ الصوم الذي هو أصعب.

الدليل الرابع

أخرج الطبرانيُّ، عن عثمان بن مظعون -رضي الله عنه- أنه قال: يا رسول الله إني رجل تشق علي هذه العزبة في المغازي فتأذن لي في الخصاء فأختصي؟ قال: «**لا، ولكن عليك بالصِّيامِ فإنَّها مَخْفَرَةٌ**».

المَخْفَرة: بفتح الميم والفاء، علىٰ وزن مفعلة، من الخفْر، بسكون الفاء، وهو: الحماية والمنع، يقال: خفره إذا حماه ومنع عنه طالبه.

ومعنى الحديث: أن الصوم يخفر الصائم، أي يحميه من الشهوة ويمنعها عنه.

ثم إن رواة هذا الحديث ثقات غير عبد الملك بن قدامة الجمحيي وثقه ابن معين وضعفه أبو حاتم وغيره، وأصل الحديث في الصحيحين عن سعد بن أبي وقاس بلفظ آخر.

وأخرج أحمد عن جابر رضي الله عنه قال: جاء شاب إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: يا رسول الله ائذن لي في الخصاء. قال: «**صم واسأل الله من فضله**». قال الحافظ الهيثمي: «فيه راوٍ لم يسم، وبقية رواته ثقات».

وأخرج أحمد والطبراني عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنه- قال: جاء رجل إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: يا رسول الله ائذن لي أن أختصي فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**خصاء أمتي الصيام والقيام**». قال الحافظ الهيثمي: «رجاله ثقات، وفي بعضهم كلام».

وروى الطبراني بإسناد ضعيف، عن ابن عبَّاسٍ -رضي الله عنهما- قال: شكا رجل إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم العزوبة فقال: ألا أختصي؟ فقال له النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ليس منا من خَصَى أوِ اخْتَصَى ولكنْ صُمْ ووفِّرْ شعرَ جَسدِك**[1]».

الخصاء: استلال الخصيتين، وهما البيضتان، ومعنى خصى استل بيضتي غيره، واختصى استل بيضتي نفسه.

---

(١) يقصد توفير شعر الرأس لأنه إذا وفره شغل بغسله وتمشيطه وتنظيفه وذلك يلهيه عن التفكر في شؤن العزوبة، ويمكننا أن نأخذ من هذا الحديث إشارة إلى مزاولة الشباب بعض الألعاب الرياضية التي تشغلهم عن المسائل الجِنسية.

وجه الدلالة من هذه الأحاديث: أنَّ هؤلاء الجماعة من الصحابة سألوا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أن يرخِّص لهم في الاختصاء -وهو حرام في الآدميين- ليدفعوا به مشقَّة العزوبة عن أنفسهم ويستريحوا من عناء شهوتهم وعناء مقاومتها، فلم يرخِّص لهم النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وأرشدهم إلىٰ الصوم فلو كان الاستمناء جائزًا لأرشدهم إليه لأنه أسهل من الاختصاء ومن الصوم فلما لم يرشد إليه دلَّ علىٰ أنه حرام لأن السكوت في معرض البيان يفيد الحصر كما مر.

ونظير هذه الأحاديث ما أخرجه جعفر الفريابي في كتاب "القدر" والجوزقي في "الجمع بين الصحيحين" والاسماعيلي وأبو نعيم في مستخرجيهما علىٰ البخاري، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قلت: يارسول الله، إني رجل شاب وأنا أخاف علىٰ نفسي العنت ولا أجد ما أتزوج به النساء فائذن لي أن أختصي. فسكت عني، ثم قلت مثل ذلك، فسكت عني، ثم قلت مثل ذلك فسكت عني، ثم قلت مثل ذلك، فقال النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**يا أبا هريرة، جفَّ القلمُ بما أنت لاقٍ فاختَصِ على ذلك أو ذَرْ**». إسناده صحيح. ولذا علقه البخاري في صحيحه بصيغة الجزم.

قال الحافظ في "فتح الباري": «وليس الأمر في الحديث لطلب الفعل -أي فعل الاختصاء- بل هو للتهديد وهو كقوله تعالىٰ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف:٢٩] والمعنىٰ: إن فعلت أو لم تفعل فلابد من نفوذ القدر. وليس إذنًا في الاختصاء بل فيه إشارة إلىٰ النهي عن ذلك كأنه

قال: إذا علمت أن كل شيء بقدر الله فلا فائدة في الاختصاء. وقد تقدم أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نهى عثمان بن مظعون لما استأذنه في ذلك وكانت وفاته قبل هجرة أبي هريرة بمدة».اهـ باختصار.

وحاصل كلامه: أن الاختصاء حرام للنهي عنه في حديث عثمان بن مظعون وأن الأمر به في حديث أبي هريرة للتهديد.

فهذا الحديث مثل الأحاديث التي قبله في الدلالة على حرمة الاستمناء بل هو أصرح منها؛ ذلك أن أبا هريرة اشتكى إلى النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم شبابه وخوفه من العنت -وهو الزنا- وكرر شكايته ثلاث مرات ومع هذا لم يرشده النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى الاستمناء كما لم يرخص له في الاختصاء وهذا أبلغ ما يكون في الدلالة على التحريم.

قال الحافظ في "فتح الباري": «**فإن قيل:** لم لم يؤمر أبو هريرة بالصيام لكسر شهوته كما أمر غيره؟.

فالجواب: أن أبا هريرة كان الغالب من حاله ملازمة الصيام لأنه كان من أهل الصفة. **قلت:** يحتمل أن يكون أبو هريرة سمع: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج**» الحديث. لكنه إنما سأل عن ذلك في حال الغزو كما وقع لابن مسعود وكانوا في حال الغزو يؤثرون الفطر على الصيام للتقوي على القتال، فأداه اجتهاده إلى حسم مادة الشهوة بالاختصاء كما ظهر لعثمان، فمنعه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من ذلك وإنما لم يرشده إلى المتعة التي رخص فيها لغيره لأنه ذكر أنه لا يجد شيئًا، ومن لم يجد شيئًا أصلًا لا ثوبًا ولا غيره فكيف يستمتع؟! والتي يستمتع بها لابد لها من شيء».اهـ

قلت: كان نكاح المتعة مرخصًا فيه حال الضرورة كالغزو[١] ونحوه ثم حرم نهائيًا في غزوة خيبر وفيها أسلم أبو هريرة فلم يكن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ليأذن له فيه بعد تحريمه النهائي.

الدليل الخامس

أخرج الحسن بن عرفة في جزئه المشهور، قال: حدثني علي بن ثابت الجزري، عن سلمة بن جعفر، عن حسان بن حميد، عن أنس رضي الله عنه، عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**سبعةٌ لا يَنْظُرُ اللهُ إليهم يومَ القِيامَةِ ولا يُزكِّيهم ولا يجمعهم مع العالمين ويُدخلهم النَّارَ في أول الداخلين إلَّا أن يتوبوا ومَن تابَ تابَ اللهُ عليه: الناكِح يَدَهُ، والفاعِل، والمفعول به، ومُدْمِنُ الخمرِ، والضارب والديه حتَّى يستغيثا، والمؤذي جِيرانه حتَّى يلعنه الناسُّ، والناكِح[٢] حَلِيلَة جارِهِ**».

ورواه الحاكم أيضًا قال: حدثنا عبد الرحمن بن أحمد المقري: حدثنا زنجويه بن محمد: حدثنا أحمد بن محمد المنحل بن تميم القرشين عن عمر بن

---

(١) تكرَّر تحريم نكاح المتعة وإباحته مرَّتين أو أكثر، ثُمَّ حَرَّمه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في غزوة خيبر تحريمًا نهائيًّا فلم يبح بعدها إطلاقًا، ومِن ثَمَّ أجمع أهل السُّنَّة على تحريمه وشذَّ الإمامية بإباحته.

(٢) أي الزاني بها، لانتهاك حرمة الجار، وفي "مسند أحمد" بإسناد رجاله ثقات، عن المقداد بن الأسود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**ما تقولون في الزنا؟**» قالوا: حرام، حرَّمه الله عزَّ وجلَّ ورسوله، فهو حرام إلى يوم القيامة. فقال رسول الله ﷺ: «**لأن يزني الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره**».

زُرَارَةَ: حدثنا علي بن ثابت الجزري، عن سلمة بن جعفر، عن حسان بن حميد، عن أنس، عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ، فذكره باللفظ السابق، إلا أنه قال: «**ويدخلهم النار مع الداخلين**»، ولم يقل: «**ومن تاب تاب الله عليه**».

وجه الدلالة من هذا الحديث: أن فيه وعيدًا شديدًا على الاستمناء وذلك يقتضي تحريمه كما هو واضح لأن الوعيد لا يكون إلا على فعل محرم أما الجائز والمكروه كراهة تنزيه[1] فلا وعيد على فعلهما ولا عتاب.

فإن قيل: هذا الحديث ضعيف لأن الحافظ الذهبي ذكر في كتاب "الميزان" مسلمة بن جعفر وقال: «يجهل هو وشيخه حسان بن حميد»، ولذا قال تلميذه الحافظ ابن كثير في "تفسيره": «هذا حديث غريب، وفي إسناده من لا يعرف لجهالته».اهـ

ونصَّ على ضعفه أيضًا الحافظ في "التلخيص الحبير"، وإذا كان ضعيفًا فلا يصح الاحتجاج به على حرمة الاستمناء ذلك لما تقرَّر في علم الأصول ومصطلح الحديث أن الحديث الضعيف لا يعمل به في الأحكام، وإنما يعمل به في الفضائل والترغيب والترهيب كما نقله النووي وغيره عن جماهير العلماء بل قال القاضي أبو بكر بن العربي: «لا يعمل بالضعيف مطلقًا لا في الفضائل ولا في الأحكام بطريق الأولى».

فالجواب على ذلك من وجوه:

الأول: أن قولهم: «الحديث الضعيف لا يعمل به في الأحكام» محله إذا

---

(١) أما المكروه كراهة تحريم ففي فعله إثم وعليه عقاب كالمحرم.

استقل الحديث الضعيف بإثبات حكم لم يؤيد فيه بدليل آخر، أما إذا أيد معناه فيعمل به من غير خلاف ويكون حينئذ صحيح المعنى وإن كان ضعيف اللفظ من حيث السند.

وهذا الحديث الذي أوردناه من هذا القبيل فإن ما أفاده من تحريم الاستمناء لم يستقل به بل أيدته فيه الدلائل السابقة وليس بينه وبينها من فرق في ذلك إلا أنه أفاد التحريم بالخصوص وتلك الدلائل أفادته بالعموم فيكون الحديث حجة في مسألتنا بلا نزاع.

أما ما فيه من الوعيد فهو من باب الترهيب فيعمل به فيه على رأي الجمهور، بل حكى الإمام النووي الإجماع عليه في بعض كتبه.

وقول ابن العربي في المنع من ذلك شاذٌّ لم يوافقه عليه أحد إلا صاحب كتاب "نزل الأبرار" على أن بعض العلماء حمل كلامه على الضعيف الشديد الضعف المسمى بالواهي وهو لا يعمل به اتفاقًا وبذلك يكون ابن العربي موافقًا للجمهور.

الوجه الثاني: أن هذا الحديث له طريق آخر، فقد ذكر الحافظ في "التلخيص" أن أبا الشيخ وجعفرًا الفريابي روياه من طريق أبي عبد الرحمن الحبلي[1] عن عبد الله بن عمرو.

---

(١) بضم الحاء المهملة والباء الموحدة، ويقع كثيرًا في كتاب "الترغيب والترهيب": الجبلي أو الجبلي وهو تصحيف، ولَهِيعة: بفتح اللام وكسر الهاء، وهو عبد الله بن لَهِيعة كان عالم مصر والخبير بآثارها.

وفيه ابن لَهِيعة وهو حسن الحديث في المتابعات كما قال الحافظ الهيثمي في غير موضع من "مجمع الزوائد" بل حسن له أحاديث تفرَّد بها.

ولو شئنا أن نغلو كما غلا بعض المعاصرين حيث ادعى أن ابن لهيعة ثقة ثبت حجة لقلنا إن الحديث من هذا الطريق على شرط الصحيح، لكن يمنعنا من ذلك ما في ابن لَهِيعة من الكلام عند أهل الحديث وإن كان لم يتهم بفسق ولا كذب وأكثر ما ضعف به اختلاطه بعد احتراق كتبه أما هو فصدوق وقد بين حاله شقيقنا الحافظ أبو الفيض رحمه الله في "إبراز الوهم المكنون" وذكر أن عمل المحدثين استقر على تحسين أحاديثه، فبانضمام هذين الطريقين يكون الحديث من قبيل الحسن لغيره وهو حجة بلا نزاع.

الوجه الثالث: ولو سلمنا أن الحديث لم يرتق بمجموع الطريقين إلى درجة الحسن فهو معمول به أيضًا.

وقولهم: الحديث الضعيف لا يعمل به في الأحكام هو مما خالف فيه عمل العلماء قولهم، ذلك أنهم استدلوا في كتبهم بكثير من الأحاديث الضعيفة.

فقد سرد شقيقنا الحافظ أبو الفيض رحمه الله في كتاب "المثنوني والبتار" جملة من الأحاديث الضعيفة التي أخذ بها المالكية ثم قال بعد سردها ما نصه: «على أن الاحتجاج بالأحاديث الضعيفة في الأحكام ليس خاصًا بالمالكية بل كل الأئمة يحتجون به.

ولذلك كان قولهم: «الضعيف لا يعمل به في الأحكام» قولًا ليس على إطلاقه كما يفهمه جل الناس أو كلهم، لأنك إذا نظرت في أحاديث الأحكام التي أخذ بها الأئمة على الاجتماع والانفراد تجد فيها من الضعيف ما لعله يبلغ

نصفها أو يزيد[١] وربما وجدت فيها المنكر والساقط القريب من الموضوع.

إلا أن بعضها قالوا فيه: «تلقي بالقبول»، وبعضها قالوا: «انعقد الإجماع على مضمونه»، وبعضها قالوا: «وافقه القياس».

وبقي منها ما لم يجدوا له دعامة فاحتجوا به على علّاته وانفراده، غير ناظرين إلى ما أصلوه من أن الضعيف لا يعمل به في الأحكام كما هو الواجب.

لأن ما ورد عن الشارع صلّى الله عليه وآله وسلّم -وإن كان ضعيف السند- لا يعدل عنه إلى غيره، إذ الشرع شرعه والقول قوله.

والضعيف غير مقطوع بعدم نسبته إليه ما لم يكن واهيًا أو معارضًا بأصل أقوى منه، فلسنا نعيب الاحتجاج به عند عدم ورود غيره بل نرى التمسك به هو الأولى والواجب، وإنما نعيب الاضطراب في شأنه وهو تركه عند المدافعة والاستهجان والعمل به عند الموافقة والاستحسان».

إلى أن قال: «فكم من حديث ضعيف احتج به الإمام الشافعي -رضي الله عنه- في كتبه، بل سأله أصحابه أن يملي عليهم ما صح من السنن فامتنع وأجاب بأن الصحيح من السنن قليل.

كما أنه احتج برجال اشتهروا بالضعف عند غيره وبلغه الجرح فيهم فلم يكن ذلك مانعًا له من الاحتجاج بخبرهم، وكذلك مالك احتج بالمراسيل والبلاغات وبرجال متفق على ضعفهم عند أهل الحديث.

---

(١) انظر "نصب الراية" للحافظ الزيلعي، و"التلخيص الحبير" للحافظ ابن حجر، وتخريج أحاديث "بداية المجتهد" لشقيقنا الحافظ أبي الفيض، فستجد كثيرًا من الأحكام بناها الأئمة على أحاديث ضعيفة.

وهكذا بقية الأئمة ما منهم أحد إلا وقد اضطر إلى الأخذ به في كثير من الأحكام، وصرح بعضهم بأنه عنده أقوى من الرأي ومقدم على القياس ».

قلت: هذا مذهب أحمد وأبي داود.

ثم قال: «بل قدمه أبو حنيفة على القياس في مسائل متعددة وأقرب طريق يوصلك إلى التحقق بهذا ما يذكره الترمذي في "السنن" عقب أحاديث ينص على ضعفها وغرابتها ثم يقول: وعليه العمل عند أهل العلم».اهـ كلامه.

قلت: وقد رأيت كتابًا يسمى "المعيار" لأحد حفاظ المائة الثامنة رتبه على الأبواب الفقهية وذكر في كل باب منه الأحاديث الضعيفة التي أخذ بها الأئمة الأربعة مجتمعين ومنفردين وهو مفيد في بابه نفيسٌ جدًّا وقفت على نسخة مخطوطة منه قريبة من زمن المؤلف ولعله الحافظ ابن الملقن.

إذا تقرر هذا، فالحديث الذي أوردناه ليس بأقل شأنًا من الأحاديث التي احتج بها الأئمة وهي ضعيفة بل لعله أحسن حالًا من كثير منها لأن ضعفه خفيف ولأنه مؤيد بالأدلة التي أوردناها قبله إذ قد تضافرت كلها على تحريم الاستمناء.

ثم وقفت على طريق آخر، عن عبد الله بن عمرو أحببت أن أذكره.

روى أبو الليث السمرقندي في كتاب "تنبيه الغافلين" بإسناده، من طريق علي بن محمد الوراق: حدثنا ابن أنعم، هو عبد الرحمن بن زياد الأفريقي، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**سبعة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ويقول لهم: ادخلوا النار مع الداخلين: الفاعل والمفعول** -يعني اللواط-

والناكح يده، وناكح البهيمة[١] وناكح المرأة في دبرها وجامع المرأة وابنتها والزاني بحليلة جاره، والسابع: المؤذي جيرانه حتى يلعنه الناس، إلا أن يتوب».

إسناده ضعيف لجهالة علي بن محمد الوراق[٢].

لكن بانضمامه إلى الطريقين السابقين يكتسب قوة، ولا يضر اختلاف لفظي الحديث في تعداد السبعة حيث ذكر في أحدهما ما لم يذكر في الآخر فإن ذلك يقع في كثير من الأحاديث وهو محمول على اختلاف المناسبة التي لأجلها ورد الحديث.

على أن اللفظين هنا اتفقا على عد المستمني في السبعة كما هو ظاهر.

الدليل السادس

ثبت في علم الطب أن الاستمناء يورث عدة أمراض:

منها: أنه يضعف البصر ويقلل من حدته المعتادة إلى حد بعيد.

ومنها: أنه يضعف عضو التناسل ويحدث فيه ارتخاءًا جزئيًا أو كليًا، بحيث

---

(١) في "سنن أبي داود" وغيرها، من طريق عمرو بن أبي عمرو، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**من أتى بهيمة فاقتلوه واقتلوها معه**». قال الخطابي: «قد عارض هذا الحديث نهي النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن قتل الحيوان إلا لمأكلة». **قلت:** يشير بهذا إلى أن الحديث غير معمول به عند الأئمة، أما نكاح المرأة في دبرها فقد صحت الأحاديث في تحريمه والوعيد عليه باللعن، بل أخبرت أنه كفر.

(٢) أما علي بن محمد الوراق الذي روى عن الباغندي فمتهم بالكذب.

يصير فاعله أشبه بالمرأة لفقده أهم مميزات الرجولة التي فضل الله بها الرجل على المرأة فهو لا يستطيع الزواج.

وإن فرض أنه تزوج فلا يستطيع القيام بالوظيفة الزوجية على الوجه المطلوب، فلابد أن تتطلع امرأته إلى غيره؛ لأنه لم يستطع إعفافها وفي ذلك مفاسد لا تخفى.

ومنها: أنه يؤثر ضعفًا في الأعصاب عامة نتيجة الإجهاد الذي يحصل من تلك العملية.

ومنها: أنه يؤثر اضطرابًا في آلة الهضم فيضعف عملها ويختل نظامها.

ومنها: أنه يوقف نمو الأعضاء خصوصًا الإحليل والخصيتين فلا تصل إلى حد نموها الطبيعي.

ومنها: أنه يؤثر التهابًا منويًا في الخصيتين فيصير صاحبه سريع الإنزال إلى حد بعيد بحيث ينزل بمجرد احتكاك شيء بذكره أقل احتكاك[1].

ومنها: أنه يورث ألمًا في فقار الظهر وهو الصلب الذي يخرج منه المني وينشأ عن هذا الألم تقويس في الظهر وانحناء.

ومنها: أنه يحل ماء فاعله فبعد أن يكون منيه غليظًا ثخينًا كما هو المعتاد في مني الرجل يصير بهذه العملية رقيقًا خاليًا من الدودات المنوية وربما تبقى فيه دويدات منوية ضئيلة لا تقوى على التلقيح فيتكون منها جنين ضعيف ولهذا

---

(١) ومثل هذا الالتهاب يحصل للمرأة أيضًا فقد ذكر لي من أثق به أن بنتًا أكثرت من الاستمناء أيام المراهقة فحصل لها التهاب منوي فكانت تنزل من أدنى لمس.

تجد ولد المستمني -إن ولد له- ضعيفًا بادي الأمراض ليس كغيره من الأولاد الذين تولدوا من مني طبيعي.

ومنها: أنه يورث رعشة في بعض الأعضاء كالرجلين.

ومنها: أنه يؤثر ضعفًا في الغدد المخية فتضعف القوة المدركة ويقل فهم فاعله بعد أن يكون ذكيًا وربما يبلغ ضعف الغدد المخية إلى حد يحصل معه خبل في العقل.

ومنها: أنه يورث على الوجه صفرة تنذر بحلول السل، والعياذ بالله تعالى.

ومنها: ما ذكره الشيخ داود الأنطاكي في "تذكرته": «أنه يورث غمًا في الصدر».

كل هذه الأمراض تنشأ عن الاستمناء، ومن أراد التفصيل والإيضاح فليرجع إلى الكتب التي استخلصنا منها ما ذكرناه وهي:

١- كتاب "الاستمناء" تأليف الدكتور هـ. فورنيه، وتعريب الدكتور مقصود، مطبوع بمطبعة الآداب والمؤيد.

٢- كتاب "الضعف التناسلي عند الرجال والنساء" للدكتور حسين الهراوي، طبع بدار الكتب المصرية.

٣- كتاب "العلاقات الجنسية" للدكتور حبيب موسى، طبع بمطبعة صلاح الدين بالإسكندرية.

٤- كتاب "الضعف التناسلي" للدكتور فخري، طبع بالمطبعة العصرية. وأول هذه الكتب أوسعها.

وحيث ثبت أن الاستمناء يورث هذه الأمراض، فهو حرام، لأن القاعدة

المقررة في أصول الفقه: أن «الأصل في المضار التحريم»[١].

ودليل هذه القاعدة: قول النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «لا ضرر ولا ضرار». أخرجه ابن ماجه، عن عبادة بن الصامت، وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهم، وله طرق عن أبي سعيد الخدري، وجابر، وعائشة، وأبي هريرة، وعمرو ابن عوف المزني، ومن مرسل أبي جعفر.

وقد استوفيت الكلام عليها في تخريج أحاديث "منهاج البيضاوي" والحديث وإن كان خبرًا في اللفظ فالمراد به النهي كما قال شرَّاح الحديث.

والمعنى: لا تضر نفسك ولا تضر غيرك، وهذا الحديث من جوامع الكلم وقواعد الإسلام لأنه أفاد قاعدة عظيمة تدخل تحتها جزئيات كثيرة، ولهذا قال أبو داود صاحب "السنن": «الفقه يدور على خمسة أحاديث». فذكرها وعد منها هذا الحديث.

(تنبيه): رأيت في كتاب التوراة المسمَّى عند الكتابيين: بـ"العهد القديم" نصًّا يدل على أن الاستمناء كان عندهم قبيحًا ممنوعًا فأحببت أن أذكره ليكون كتابي جامعًا لأكثر ما قيل في الموضوع ولم أقصد الاستدلال والاحتجاج كما فعل بعض أهل العصر في كتاب له في "قصص الأنبياء" فإنه أكثر فيه من الاستدلال بنصوص التوراة والإنجيل حتى أنه قدَّمها في بعض المواضع على

---

(١) تتمة القاعدة: «والأصل في المنافع الإباحة»، فهي ذات شقين دليل شقها الأول مذكور معها في الأصول، ودليل الشق الأخير آية: ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩].

أحاديث في الصحيحين وغيرهما من كتب السنة المعتمدة، وردَّ كثيرًا من الأحاديث الصحيحة تحكُّمًا منه بعقله الفاسد ورأيه الكاسد وهذا خذلان نسأل الله العافية بمنه. وإليك النص المشار إليه:

جاء في الإصحاح الثامن والثلاثين من سفر التكوين: «وأخذ يهوذا زوجة لعير بكره واسمها: ثاماز، وكان عير بكر يهوذا شريرًا في عيني الرب فأماته الرب، فقال يهوذا لأونان: ادخل على امرأة أخيك وتزوج بها وأقم نسلًا لأخيك فعلم أونان أن النسل لا يكون له فكان إذا دخل على امرأة أخيه أنه أفسد على الأرض لكيلا يعطي نسلًا لأخيه فقبح في عيني الرب ما فعله، فأماته أيضًا».اهـ

هذا هو النص، وهو صريح في استقباح الاستمناء وذلك يدل على أنه كان ممنوعًا عندهم، وإنما قال يهوذا لأونان أقم نسلًا لأخيك لأنه كان من عادتهم التي يتدينون بها أن الرجل إذا مات من غير عقب فأول مولود يولد في عائلته بعد موته ينسب إليه على أنه ابنه تخليدًا لذكرى الميت حتى لا ينسى، هكذا جاء في كتبهم.

الباب الثاني
في رد القول بجواز الاستمناء

تقدم في كلام القرطبي وغيره عزو القول بجواز الاستمناء للإمام أحمد.

هكذا أطلقوا العزو ولم يفصلوا، لكن رأيت في كلام ابن القيِّم ما يفهم منه أن الإمام أحمد لم يجز الاستمناء إلَّا في حال الضرورة كالفقر والسفر ونحو ذلك.

فقد جاء في كتاب "بدائع الفوائد" (ج٤ ص٩٦) ما نصه: «فصل: إذا قدر الرجل على التزوج أو التسري حرم عليه الاستمناء بيده قاله ابن عقيل».

قال: «وأصحابنا وشيخنا لم يذكروا سوى الكراهة، لم يطلقوا التحريم».

قال: «وإن لم يقدر على زوجة ولا سُرِّية[1] ولا شهوة له تحمله على الزنا؛ حرم عليه الاستمناء، لأنه استمتاع بنفسه والآية تمنع منه»، يعني آية المؤمنون.

قال: «وإن كان متردد الحال بين الفتور والشهوة ولا زوجة له ولا أمة؛ كره ولم يحرم. وإن كان مغلوبًا على شهوته يخاف العنت كالأسير والمسافر والفقير جاز له ذلك، نص عليه أحمد.

وروي أن الصحابة كانوا يفعلونه في غزواتهم وأسفارهم.

وإن كانت امرأة لا زوج لها واشتدت غلمتها فقال بعض أصحابنا: يجوز

---

(١) بضم السين المهملة وكسر الراء المشددة، هي الأمة، نسبة إلى السُر وهو الجماع، أو أن صحابها يُسِرها، أي: يخفيها عن ضرَّتها الحُرَّة، وقال الأخفش: «هي مشتقةٌ من السرور؛ لأن صاحبها يسرُّ بها».

لها اتخاذ الأكرنبج، وهو شيء يعمل من جلود على صورة الذكر فتستدخله المرأة أو ما أشبه ذلك من قثاء وقرع صغار.

قال: والصحيح عندي أنه لا يباح؛ لأن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إنما أرشد صاحب الشهوة إذا عجز عن الزواج إلى الصوم ولو كان هناك معنى غيره لذكره».اهـ كلامه، وهو ظاهر فيما قلناه.

وقال الحافظ في "الفتح" في الكلام على حديث: «**يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوَّج**» ما نصه: «وقد أباح الاستمناء طائفة من العلماء وهو عند الحنابلة وبعض الحنفية، لأجل تسكين الشهوة».اهـ كلامه.

قلت: قد تقدم في كلام ابن الهمام -وهو حنفي- أن «من غلبت عليه الشهوة ففعله إرادة تسكينها فالرجاء أن لا يعاقب».اهـ

وقال العيني في "عمدة القاري" في الكلام على الحديث المذكور ما نصه: «واستدل به بعض المالكية على تحريم الاستمناء وقد ذكر أصحابنا الحنفية أنه يباح عند العجز لأجل تسكين الشهوة».اهـ

وقال ابن حزمٍ في "المحلَّى" «باب التعزير» منه (ج١١ ص٣٩٢) بعد الكلام على مساحقة النساء، وأنها معصية[1] يجب فيها التعزير، ما نصه: «فلو عرضت فرجها شيئًا دون أن تدخله حتى تنزل، فيكره هذا، ولا إثم فيه.

---

(١) كبيرة، كما في "الزواجر" لابن حجرٍ الهيتمي وروى الطبراني في "الأوسط"، عن أبي هريرة مرفوعًا: «**ثلاثة لا تُقبَل لهم شهادة أن لا إله إلا الله: الرَّاكِبُ والمركُوب، والرَّاكِبَةُ والمركُوبة، والإمام الجائِر**». حديثٌ ضعيفٌ غريب، والمراد بالراكب والمركوب: اللواط، وبالراكبة والمركوبة: مساحقة النساء.

وكذلك الاستمناء للرجال سواء بسواء لأن مس الرجل ذكره بشماله[١] مباح ومس المرأة فرجها كذلك[٢] مباح بإجماع الأمة كلها، فإذ هو مباح فليس هنالك زيادة على المباح إلا التعمد لنزول المني فليس في ذلك حرامًا أصلًا لقول الله تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١١٩] وليس هذا مما فصل لنا تحريمه فهو حلال لقوله تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩] إلا أننا نكرهه لأنه ليس من مكارم الأخلاق ولا من الفضائل، وقد تكلم الناس في هذا فكرهته طائفة وأباحته أخرى.

ثم روى في الكراهة قول مجاهد: سئل ابن عمر عن الاستمناء فقال: ذلك نائك نفسه.

وروى عن أبي يحيى عن ابن عبَّاسٍ أن رجلًا قال له: إني أعبث بذكري حتى أنزل؟ قال: أفٍّ، نكاح الأَمَة خيرٌ منه، وهو خيرٌ من الزنا[٣].

---

(١) قيد بالشمال لأنَّ مسَّ الذَّكَر باليمين حرامٌ في مذهبه؛ للحديث الصحيح: «لا يمس أحدكم ذَكَرَهُ بيمينه». وقال عثمان رضي الله عنه: ما مسست ذكري بيميني منذ أسلمت. وقال أبو العالية: ما مسست ذكري بيميني منذ خمسين سنة.

(٢) أي بشمالها لا بيمينها لما تقدم.

(٣) قال السيِّد مرتضى في "شرح الإحياء": «هذا تنبيه على أن العزب المغتلم مردد بين ثلاثة شرور: أدناها نكاح الأَمَة، وأشد منه الاستمناء باليد، وأفحشه الزنا. ولم يطلق ابن عبَّاسٍ في قوله المذكور الإباحة في شيء منه لأنهما -أي نكاح الأَمَة والاستمتاع بمعالجة- محذوران شرعًا فيفزع إليهما حذرًا من الوقوع في محذور أشد منهما، كما يفزع إلى تناول الميتة حذرًا من هلاك النفس، فليس ترجيح أهون الشرين في معنى

وروي في الإباحة عن رجلٍ، عن ابن عبَّاسٍ أنه قال: وما هو إلا أن يعرك أحدكم زبه حتىٰ ينزل الماء.

وروي عن قتادة، عن العلاء بن زياد، عن أبيه: أنهم كانوا يفعلونه في المغازي -يعني الاستمناء- يعبث الرجل بذَكَره يدلكه حتىٰ ينزل.

قال قتادة: وقال الحسن في الرجل يستمني -يعبث بذكره حتىٰ ينزل- قال: كانوا يفعلونه في المغازي.

وعن جابر بن زيد أبي الشعثاء قال: هو ماؤك فأهرقه. يعني الاستمناء.

وعن مجاهد قال: كان من مضىٰ يأمرون شبابهم باستمناء يستعِفُّون بذلك.

قال عبد الرزاق:وذكره معمر، عن أيوب السختياني أو غيره، عن مجاهد، عن الحسن: أنه كان لا يرىٰ بأسًا بالاستمناء.

وعن عمرو بن دينار: ما أرىٰ بأسًا بالاستمناء.

ثم قال ابن حزمٍ -بعد رواية هذه الآثار- ما نصه: «الأسانيد عن ابن عبَّاسٍ وابن عمر في كلا القولين مغموزة، لكن الكراهة صحيحة عن عطاء، والإباحة المطلقة صحيحة عن الحسن وعن عمرو بن دينار وعن زياد أبي العلاء وعن مجاهد، ورواه من رواه من هؤلاء عمن أدركوا، وهؤلاء كبار التابعين لا يكادون يروون إلا عن الصحابة رضي الله عنهم».اهـ كلامه.

وفي "شرح الإحياء" للسيد مرتضىٰ الزبيدي، في باب النكاح منه ما نصه:

الإباحة المطلقة ولا في معنىٰ الحظر المطلق وليس قطع اليد المتآكلة من الخيرات وإن كان يؤذن فيه عند إشراف النفس علىٰ الهلاك فهذا الأخذ بأهون الأمرين».اهـ

«وقرأت في كتاب "اختلاف الفقهاء" لابن جرير الطبري ما نصه: واختلفوا في الاستمناء فقال العلاء بن زياد: لا بأس بذلك، كنا نفعله في مغازينا. حدثنا بذلك محمد بن بشار العبدي قال: حدثنا معاذ بن هشام قال: حدثني أبي، عن قتادة عنه[1].

وقال الحسن البصري والضحَّاك بن مزاحم وجماعة معهم مثل ذلك.

وقال ابن عبَّاسٍ: هو خير من الزنا، ونكاح الأمة خير منه.

وقال أنس بن مالك: ملعون من فعل ذلك.

وقال الشافعي: لا يحل ذلك، حدثنا بذلك عنه الربيع.

وعلة من قال بقول العلاء: أن تحريم الشيء وتحليله لا يثبت إلا بحجة ثابتة؛ يجب التسليم لها، وذلك مختلف فيه».

ثم ذكر كلامًا لم يتيسر لي فهمه لنقص أو تحريف وقع في كلتا النسختين المصرية والمغربية وفي القطعة المطبوعة من كتاب "اختلاف الفقهاء" لأنها منقولة عن شرح الإحياء أيضًا.

ثم قال: «وعلة من قال بقول الشافعي؛ الاستدلال بقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧﴾ [المؤمنون: ٥ - ٧] فأخبر جل ثناؤه أن من لم يحفظ فرجه عن غير زوجته وملك يمينه فهو من

---

(١) لكن تقدم في كلام ابن حزم روايته عن قتادة، عن العلاء، عن أبيه، ويمكن أن يكون روي عنهما جميعًا.

العادين، والمستمني عاد بفرجه عنهما».اهـ منه بلفظه، سوىٰ العبارة التي حذفناها للخلل الواقع فيها.

قلت: هذه هي أقوال من أجاز الاستمناء مطلقًا أو في حال الضرورة، وهي أقوال ضعيفة واهية لا يصح الاعتماد عليها كما قال أبو بكر بن العربي - وصدق فيما قال-: «ليس هذا من الخلاف الذي يجوز العمل به».اهـ

ولولا أني قصدت ردها وإبطال شبهها لما ذكرتها لأنها -مع ضعفها- سخيفة لإباحتها هذا الدنيء كما اعترف ابن حزمٍ نفسه بدناءته حيث قال: «إنه ليس من مكارم الأخلاق ولا من الفضائل وإذ هو ليس كذلك فهو من دنيء الأخلاق ورذائلها، وهذا وحده كاف في التنفير منه والابتعاد عنه لما روىٰ البيهقي وغيره عن الحسين بن علي عليهما السلام، عن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أنه قال: «**إنَّ اللهَ تعالى يحبُّ مَعالي الأمور وأشرافها ويُبغِضُ**[1] **سَفاسِفَها**».

«**معالي الأمور**»: هي كلُّ خُلُقٍ كريمٍ وخصلة دينية فاضلة، و«**السَّفاسِف**» بفتح السين: الحقير الدنيء من كل شيء. فالاستمناء مُبغَض[2] عند الله تعالىٰ بنصِّ الحديث.

ثم إن الذين أجازوا الاستمناء مطلقًا استدلوا بما ذكره ابن حزمٍ وهو: «أن

---

(١) بضم الياء وكسر الغين: مضارع أبغض، ويأتي هذا الفعل في كثير من الأحاديث في الترغيب والترهيب فيشكله مصححه أحيانًا بفتح الياء والغين وهو لحن وتحريف في الحديث.

(٢) بضم الميم وفتح الغين، وقولهم: «مبغوض» لحن.

مس الذكر مباح وليس الاستمناء زيادة على ذلك إلا التعمد لنزول المني وليس ذلك حرامًا لقول الله تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١١٩] وليس الاستمناء مما فصل لنا تحريمه فهو حلال لقوله تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩] لا نعلم لهم دليلًا غير هذا».

وهو باطل، ذلك أن التعمد لنزول المني حرام لأنه استمتاع المرء بنفسه وآية (المؤمنون)[1] تمنع منه.

أما قول الله تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ فهو دليل لنا، لأن الله تعالى فصَّل لنا تحريم الاستمناء بالأدلة السابقة في الباب الأول، وهي ستة: آيتان من القرآن الكريم وأربعة أحاديث نبوية.

وأما الذين أجازوه للحاجة بقصد تسكين الشهوة -وهم بعض الحنفية وأغلب الحنابلة إلا ابن عقيل فإنه وافق الجمهور- فاستدلوا بأمرين:

أحدهما: القياس، وهو أن المني فضلة في البدن فجاز إخراجه عند الحاجة كما يجوز إخراج الدم بالفصد والحجامة.

ثانيهما: ماورد أن الصحابة كانوا يفعلونه في أسفارهم ومغازيهم.

لا دليل لهم غير هذين ولا دلالة فيهما كما يتبين مما يأتي:

أما القياس، فهو باطل لوجهين:

الوجه الأول: أنه مخالف للأدلة السابقة، فهو فاسد الاعتبار، إذ القاعدة المقررة في الأصول: أن القياس إذا خالف النص من كتاب أو سنة كان فاسد

---

(١) «المؤمنون» تكررت هذه الكلمة مضمومة على الحكاية.

الاعتبار فلا يعمل به.

الوجه الثاني: أن من شرط القياس مساواة الفرع الأصل، والقياس المذكور لم توجد فيه المساواة، بل بين الأصل والفرع فوارق كثيرة، فيكون باطلًا.

ذلك أن المني ليس بفضلة كالدم، وعلى تقدير كونه فضلة فهو يخالف الفصد والحجامة في الأحكام المترتبة عليهما، أما كون المني ليس بفضلة بل هو مادة حيوية في الجسم فالدليل عليه أمور:

الأول: أن الله تعالى قال في معرض تعداد نعمه والاستدلال على وحدانيته وكمال قدرته: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [الواقعة: ٥٨ - ٥٩] فهذا يدل على أن المني ليس بفضلة إذ لو كان كذلك لما ذكره في هذا الموطن الذي عدد فيه بعض نعمه، كما أنه تعالى لم يذكر في كتابه الكريم في معرض الامتنان أو الاستدلال شيئا من الفضلات كالدم ونحوه.

قاعدة نفيسة

وهنا قاعدة نفيسة يجب أن نشير إليها، وهي أن الله تعالى لا يمتن على عباده بأمر حقير كالفضلات وإنما يمتن عليهم بأمر عظيم الأهمية لهم فيه منافع دنيوية.

اقرأ الآيات الآتية: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٥ - ٨].

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٌ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل: ١٠ - ١٨].

وقد امتنَّ سبحانه مُعدِّدًا نعمه على عباده في عدة سور من القرآن الكريم، كسورة (إبراهيم) عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم: ٣٢ - ٣٤].

وفي سورة (الرعد) في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ

يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٣ - ٤].

وسورة (النحل) في الآيات التي سبق ذكرها، وفي قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ الآيات [النحل: ٦٥].

وسورة (فاطر) في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ الآية [فاطر: ١٢]، وفي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ الآية [فاطر: ٢٧]

وسورة (المرسلات)، في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾ الآية [المرسلات: ٢٥ - ٢٦]

وسورة (عبس)، في قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [عبس: ٢٤ - ٣٢].

فإذا تدبر القارئ هذه الآيات ونحوها من آيات الامتنان وجد أن الله تعالى قد امتن بنعم جزيلة ومنافع جليلة وهكذا شأنه سبحانه وتعالى في الاستدلال والاحتجاج لا يستدل إلا بالأمور العظيمة الدالة على ألوهيته ووحدانيته وتفرده بالقدرة التامة التي لا يعتريها وهن ولا خلل، والآيات في هذا كثيرة

أغلبها مذكور في السور المكية.

فهذه قاعدة نفيسة يجب أن يُتنبَّه لها؛ لأنها من أسرار القرآن الكريم التي قد يغفل عنها كثير من الناس.

فإن قيل: ينافي ما ذكرته في المني من أن ذكر الله له في معرض تعداد النعم يدل على عِظم أهميته وأنه ليس بفضلة؛ أننا وجدنا الله تعالى وصفه بالمهانة في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾ [السجدة: ٨] ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٢٠ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ [المرسلات: ٢٠ - ٢١] وهذا يقتضي حقارة المني وأنه فضلة كسائر الفضلات.

فالجواب: أنه لا تنافي ولا تعارض لأن المهين في الآيتين معناه: الضعيف، وهذا الوصف ذكره الله تعالى دليلًا على قدرته حيث خلق من ماء ضعيف بشرًا قويًّا.

وقد صوَّر ابن القيِّم في "بدائع الفوائد" مناظرة بين فقيهين يقول أحدهما بطهارة المني والآخر بنجاسته وكان الظفر فيها للأول.

ومما جاء فيها استدلالا على الطهارة ما نصه: «وأيضًا فإن الله تعالى أخبر عن هذا الماء وكرَّر الخبر عنه في القرآن ووصفه مرة بعد مرة، وأخبر أنه دافق يخرج من بين الصلب والترائب، وأنه استودعه في قرار مكين، ولم يكن الله تعالى ليكرر ذكر شيء كالعذرة والبول ويعيده ويبديه ويخبر بحفظه في قرار مكين ويصفه بأحسن صفاته من الدفق وغيره، ولم يصفه بالمهانة إلا لإظهار قدرته البالغة أنه خلق من هذا الماء الضعيف هذا البشر القوي السوي فالمهين

ههنا الضعيف ليس هو النجس الخبيث».اهـ

فعلم منه أن وصف المني بالمهين لا يدل على الحقارة وإنما هو للحكمة المذكورة.

ثم لا يخفى أن كلام ابن القيم هذايصلح أن يكون وجهًا رابعًا يدل على أن المني ليس بفضلة.

الأمر الثاني: أن الله كرَّم الإنسان وفضَّله كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

والمني منه يتكون الإنسان ويتخلق وليس من المعقول أن يتخلق الإنسان الذي كرمه الله من فضلة كسائر الفضلات وهذا أحد الوجوه التي استدل بها الشافعية على طهارة المني وهو دليل ظاهر قوي.

الأمر الثالث: أن المني يخرجه الإنسان على وجه الاستمتاع واللذة، بل إخراجه هو اللذة الكبرى وهو المقصود من النكاح الذي رغَّب فيه الشارع لما ينشأ عنه من النسل الموجب لتكثير الأُمَّة، وسائر الفضلات يخرجها الإنسان من باب دفع الضرر والخبث كالبول والغائط، أو من باب التداوي كالفصد والحجامة، أو من باب التنظيف والتجمل كالمخاط والبزاق، فهذه الأمور تدل على أن المني ليس بفضلة ودلالتها ظاهرة قوية.

هذا وقد وجدت ابن القيم اختار هذا القول وأيده، فرأيت أن أنقل كلامه لما فيه من الفائدة.

قال في كتاب "التبيان في أقسام القرآن" بعد أن تكلم على كيفية خروج المني وأنه يخرج من جميع أجزاء البدن ما هذا لفظه: «فإن قيل: فهذا اختيار منكم لقول من قال: إن المني يخرج من جميع أجزاء البدن، وهذا وإن كان قد قاله كثير من الناس فقد خالفهم آخرون وزعموا أنه فضلة تتولد من الطعام وهي من أعدل الفضلات ولهذا صلحت أن تكون مبدأ الإنسان وهو جسم متشابه في نفسه.

قيل: القول الأول هو الصواب ويدل عليه وجوه:

منها: عموم اللذة بجميع أجزاء البدن.

ومنها: مشاكلة أعضاء المولود لأعضاء الوالدين.

ومنها: أن المشابهة الكلية تدل على أن البدن كله أرسل المني ولولا ذلك لكانت المشابهة بحسب محل واحد، فدل على أن كل عضو أرسل قسطه ونصيبه فلما انعقد وصلب ظهرت محاكاته ومشابهته له.

ومنها: أن الأمر لو كان كما زعمه أصحاب المقالة الثانية من أن المني جسم واحد متشابه في نفسه لم تتولد منه الأعضاء المختلفة المتشكلة بالأشكال المختلفة لأن القوة الواحدة لا تعمل في المادة الواحدة إلا فعلًا واحدًا فدل على أن المادة في نفسها ليست متشابهة الأجزاء.

ومنها: أن المني فضلة الهضم الآخر وذلك إنما يكون عند نضج الدم في العروق وكونه مستعدًا استعدادًا تامًا لأن يكون من جوهر الأعضاء ولذلك يحصل عقب استفراغه من الضعف أكثر مما يحصل من استفراغ أمثاله من الدم ولذلك يورث الضعف في جوهر الأعضاء الأصلية فدل على أنه مركب من

أجزاء كل منها قريب الاستعداد لأن يكون جزءًا من عضو، ولذلك سماه الله: «سلالة» والسلالة فعالة من السل وهو ما يسل من البدن كالبخار كما سمىٰ أصله: ﴿سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ﴾ [المؤمنون: ١٢] لأنه استلها من جميع الأرض كما في "جامع الترمذي"، عن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض**».

ثم ذكر حجج من زعم أن المني فضلة وردها.

وأما أن المني علىٰ تقدير كونه فضلة مخالف للفصد والحجامة في الأحكام فذلك ظاهر، لأن خروج المني يوجب الغسل ويفطر الصائم، بخلاف الفصد والحجامة فلا يوجبان الغسل ولا يفطران[1] الصائم.

كما أن المني طاهر علىٰ الراجح، بخلاف الدم الخارج بالفصد والحجامة فإنه نجس بالإجماع.

والمني لا يجوز أخذ الأجرة عليه بخلاف الفصد والحجامة، فإنه يجوز أخذ الأجرة عليهما.

وهكذا إذا تتبعت الأحكام المترتبة علىٰ المني في أبواب الفقه من عبادة ونكاح وطلاق تجدها مخالفة لأحكام الفصد والحجامة التي لا تخرج عن أبواب العبادة والإجارة.

ومع هذه الفوارق الواضحة كيف يصح القياس؟! ومتىٰ ينعقد؟!.

---

(١) في مذهب أحمد قول بأن الحجامة تفطر لحديث: «أفطر الحاجم والمحجوم» والجمهور علىٰ خلافه وفي الحديث كلام من حيث دلالته.

وقد قال ابن القيم -أثناء المناظرة المشار إليها آنفًا ردًا على من قاس المني على العذرة والبول بعد أن بين نتانتها وقبحها- ما نصه: «ولا كذلك هذه الفضلة الشريفة التي هي مبدأ خيار عباد الله وساداتهم وهي من أشرف جواهر الإنسان وأفضل الأجزاء المنفصلة عنه ومعها من روح الحياة ما تميزت به عن سائر الفضلات فقياسها على العذرة أفسد قياس في العالم وأبعده عن الصواب».اهـ

ومثله يقال في قياس المني على دم الفصد والحجامة سواء بسواء.

وأما استدلالهم بأن الصحابة كانوا يفعلون ذلك في مغازيهم وأسفارهم فلا يدل على المقصود، لوجوه:

الأول: أن فعل الصحابة ليس بحُجَّةٍ؛ لأن فيهم المجتهد الذي يخطئ ويصيب وفيهم المقلد الذي يقلد صحابيًا مثله، وكل من فعلي المجتهد والمقلِّد لا حُجَّة فيه.

الثاني: أنَّ هذا الفعل حكاه عنهم بعض التابعين وهم: زياد أبو العلاء، والحسن، ومجاهد، ولم يذكروا أن الصحابة فعلوا ذلك في عهد النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وأنه اطلع عليه وحيث لم يذكروا ذلك فهو أثر موقوف لا حُجَّة فيه[1].

---

(١) والعجب أن ابن حزم أزرى كثيرًا على الذين يحتجون بأقوال الصحابة وأفعالهم وصرَّح بأن مذهبه أن قول الصحابي: كنا نقول كذا، أو نفعل كذا، لا يحتج به ولو أضافه إلى عهد النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ما لم يصرح بإقراره صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على ذلك، وتجده هنا يحشد آثارًا عن التابعين يحكون فيها فعل الصحابة

الثالث: ولو فرضنا أن هذا الفعل من الصحابة حجة ودليل بناء على قول من يرى الاحتجاج بقول الصحابي وفعله؛ فهو معارض هنا بالأدلة المذكورة في الباب الأول.

والقاعدة المقررة في الأصول: أن الدليلين إذا تعارضا على وجه لا يمكن معه الجمع بينهما وجب الترجيح بتقديم الأقوى على الأضعف.

وبناء على هذا يكون أدلة التحريم أرجح وأقوى لوجهين:

أحدهما: أنه من كلام الله وكلام رسوله ولا شيء يقوم معهما فضلًا عن أن يقدم عليهما.

ثانيهما: أنها تُحرِّم وفعل الصحابة يبيح، والمقرر في الأصول: ترجيح التحريم على الإباحة؛ لما سبق بيانه في الباب الأول.

تنبيهان

(التنبيه الأول): وقع في كلام ابن حزمٍ وابن القيم الذي نقلناه أول هذا الباب جواز الاستمناء للمرأة.

زاد ابن القيم ناقلًا عن بعض الحنابلة: «أنه يجوز لها أن تستدخل في فرجها شيئًا يشبه الذكر»، وكل ذلك خطأ قبيح لا يجوز الأخذ به ولا التعويل عليه،

للاستمناء، ثم يدعم تلك الآثار بأنها عن كبار التابعين وهم لا يكادون يروون إلا عن الصحابة، حقًا إن هذا لعجيب!.

مع أن الحسن ومجاهد رويا كثيرًا عن التابعين، وهب أن الأمر كما قال؛ فإن فعل الصحابة ليس بحُجَّةٍ كما قرَّره ابن حزمٍ نفسه في كتاب "الأحكام" وهو صحيحٌ.

والصواب الذي لا محيد عنه حرمة الاستمناء للمرأة أيضًا للأدلة السابقة إذ النساء شقائق الرجال في الأحكام.

ثم لا يخفى أن استدخال المرأة شيئا في فرجها -مع ما فيه من الضرر عليها- أشد في التحريم من مجرد الاستمناء ولذا وافق ابن حزمٍ على تحريمه، وكان البعض من الحنابلة في إباحتهم له غير موفق.

(التنبيه الثاني): قال السيد مرتضى في "شرح الإحياء" ما لفظه: «وفي صرة الفتاوى لبعض المتأخرين من أصحابنا -يعني الحنفية- ما نصه: ومن الناس من قال أن الاستمتاع بالكف لا يفسد الصوم، وهل يباح له ذلك في غير رمضان؟ قالوا: إن أراد الشهوة لا يباح، وإن أراد تسكين الشهوة فنرجوا ألا يكون مؤاخذًا ولا آثمًا، والفرق بين فعل الإباحة وعدمها البزاق، فإن لم يكن فللتسكين وسئل ابن نجيم عمن استمنى بكفه في رمضان فأجاب: يلزمه القضاء والكفارة لفساد صومه، والله أعلم».اهـ كلامه.

وهذا مذهب المالكية أيضًا، أما الشافعية والحنابلة فيجب عندهم القضاء فقط، لأن الكفارة لا تجب عندهم في إفساد صوم رمضان إلا بالجماع عمدًا.

والذي قال أن الاستمناء لا يفسد الصوم هو ابن حزمٍ، نصَّ عليه في "المحلَّى" وهو قول شاذٌّ، يوازيه في الشذوذ قول بعض متأخري الشافعية: «إن شرب الدخان لا يفطر الصائم». حكاه الباجوري.

الخاتمة وفيها فصلان

الفصل الأول

في ذكر السؤال والفتوى الذين نشرتهما في "مجلة الإسلام"، فقد رأيت ذكرهما في هذا المحل أليق لما في ذلك من المناسبة التي لا تخفى.

جاء في العدد الثالث والأربعين من السنة الثامنة للمجلة المذكورة ص ١٣ تحت عنوان: «جلد عميرة»، ما هذه صورته:

جائني خطاب من حضرة ح.أ.ع ببورسعيد يقول فيه -بعد الديباجة والتحية-:

نحيط علم فضيلتكم بأن لنا رغبة شديدة جدًا في معرفة هذا الحديث، وهو: «**لا ينكِح أحدُكم نفسَه بيده فيأتيَ بيده يوم القيامة وهي حبلى**». فهل هذا الحديث صحيح؟[1] ومن فعل هذا الفعل فماذا يكون جزاؤه؟ ومن تاب عنه بعد معرفته أنه حرام ورجع إليه ثاني مرة وتاب وهو غير مصر عليه ورجع إليه فماذا يكون عقابه؟ وإذا تاب وأقسم يمينًا بالله العظيم -ثلاثًا- وبعد مرور الشهور عاد إليه عقب نظرات كثيرة إلى المحرمات. فماذا يفعل الآن؟ وهو شاب عمره لا يزيد عن ١٩ سنة. وعن شرط: كل هذه الأعمال وهو محافظ على الصلوات الخمس.

فرجاؤنا الإفادة: ماذا يعمل في هذه الأيام الفاضلة؟ لأجل أن يعفو الله عنه، وهو راجع إلى ربه نادم على ما فعل ويريد أن يعرف ضرر هذا الفعل

---

(١) ليس بصحيح، بل لا أصل له، لكن ورد معناه عن العطاء كما يأتي في الفتوى.

ومنفعة التوبة النصوح وشروط التوبة الصحيحة وصيغة التوبة وكم يستغفر الله؟ وفي أي وقت يتلوها؟ ودعاء يحفظ من هذا الداء، وماذا يعمل في اليمين؟ لأجل أن يحظى برضاء الله ويكون من الناجين يوم الدين برحمة من الله وبفضل منكم، وعسى أن يكون النفع على أيديكم وتكونوا سببًا في معرفة هذا الداء الخفي الذي لم يطرق على بال أحد من العلماء عندنا في بورسعيد.

أفيدونا ولكم منا الشكر ومن الله الثواب الجزيل لأن كثيرًا من الشبان غارقون في تلك المعصية وتقبلوا فائق الاحترام.

الجواب

جائني هذا الخطاب في العشر الأواخر من رمضان ولم يتيسَّر لي أن أجيب عنه إذ ذاك لعروض سفر وشواغل استمرت إلى الآن وشغلت بالي حتى كدت أنساه، ثم رأيت أن أختلس من وقتي فرصة أجيب فيها جوابًا مختصرًا بقدر ما يسمح به الحال راجيًا أن يكون فيه مع اختصاره الكفاية والله الموفق وبيده الهداية، فأقول:

من تأمل الخطاب المذكور وجده يصور حالة شبان هذا العصر أتم تصوير ويعبر عما وقعوا فيه من ورطة هذا الفعل القبيح الذي هو أخطر الأدواء وأشدها ضررًا على الجسم والعقل والدين، فبينما ترى الشاب من هؤلاء المصابين بجلد عميرة قوي الأعضاء جم النشاط يشتعل ذكاء وفتوة ويلتهب حماسًا وقوة تجري نضرة الشباب في وجهه ويغلي دم الحياة في عروقه.

إذا أنت تراه -وقد أنهكه ذلك الفعل- خائر الأعضاء فاقد النشاط قد استحال ذكاؤه إلى غباوة وأفن، وانقلب حماسه وقوته إلى ضعف ووهن،

وصارت نضرته صفرة تنذر بحلول داء عياء، وهبطت حرارة الدم فيه بنسبة ما أخرج من الماء، والتحق بالشيوخ الهرمى وهو لما يزال بعد في سن الشباب.

كل هذه البلايا بفضل ذلك الفعل الخبيث، ولا غرو فإن ماء الرجل قوة عقله ونضارة وجهه ومخ ساقه وخلاصة عروقه فاستخراجه على غير الوجه المشروع يؤدي حتما إلى أسوأ النتائج(١).

ومما لا شك فيه أن هذا الفعل حرام عند المالكية والشافعية والحنفية وجمهور الأئمَّة.

وممن نصَّ على حرمته: الإمام البغوي، والقاضي أبو بكر بن العربي، والحافظان ابن كثير وابن الملقن، والامام المجتهد التقي ابن دقيق العيد، والعلامة ابن الهمام، والمحقق ابن قاسم العبادي، وشيخ الإسلام الشيخ عبدالله الشرقاوي، ومفتي بغداد السيد الآلوسي، وجماعة يطول ذكرهم.

ودليلهم على حرمته قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ٥ - ٧].

قال حرملة بن عبد العزيز: «سألت مالكًا عن الاستمناء باليد فتلا هذه الآية». أي مستدلًا بها على التحريم كما هو ظاهر.

---

(١) ينسب إلى الرئيس ابن سينا هذا البيت:

احْفَظْ مَنِيَّكَ ما اسْتَطَعْتَ فإنَّه ... ماءُ الحياةِ يُصَبُّ في الأرحامِ

وهو من جملة قصيدة تشتمل على نصائح وحكم.

واستدل بها الشافعي أيضًا، قال ابن كثير: «وقد استدل الإمام الشافعي ومن وافقه على تحريم الاستمناء باليد بهذه الآية الكريمة: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ قال: فهذا الصنيع خارج عن هذين القسمين، وقد قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾».اهـ

وقال البغوي عند قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾: «أي الظالمون المتجاوزون الحلال إلى الحرام، فيه دليل على أن الاستمناء باليد حرام، وهو قول أكثر العلماء.

واستدل بها أيضًا تقي الدين ابن دقيق العيد كما نقله أبو حيان. والاستدلال بها ظاهر لا غبار عليه، لأن الله تعالى مدح المؤمنين بأنهم حافظون لفروجهم إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم، فإنهم غير ملومين في ذلك لأنه مباح لهم.

ثم قال: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ أي خلاف ذلك المذكور من الأزواج والإماء ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ الكاملون في العدوان المتناهون فيه كما يستفاد من تعريف الطرفين، وكون المسند إليه معرفًا بالإشارة وتوسيط ضمير الفصل بينهما فإن هذا يفيد تأكيدًا بالغًا وأنهم بلغوا في العدوان بحيث استحقوا أن يجعلوا جنس العادين أو جميعهم.

ولأجل ما في هذا التركيب البليغ من التأكيد البالغ قال الآلوسي: «ولا يخفى أن كل ما يدخل في العموم تفيد الآية حرمة فعله على أبلغ وجه».اهـ

قلت: والذي يدخل في العموم: الزنا واللواط ووطء الجارية المعارة لذلك وإتيان البهيمة والاستمناء[١] فكل هذه الأشياء يشملها قوله تعالى: ﴿وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ وتفيد الآية حرمتها على أبلغ وجه.

وقد حاول أبو حيان أن يخدش في هذا الاستدلال فقال: «إن الآية نزلت لذم ما اعتاده العرب من فعل الزنا والتفاخر به في أشعارهم وقصائدهم وإعلانهم له حتى إنه كان لبغايا العرب رايات يعرفن بها ليقصدهن من أرادهن ولا كذلك الاستمناء، فإنه لم يكن معتادًا لهم ولا له ذكر في شيء من أشعارهم فلا يظهر شمول الآية له».

هذا معنى ما حاوله وهي محاولة باطلة فاشلة لأنه متى كان الاستمناء معروفا للعرب فالآية شاملة له ولابد، سواء اعتادوه أم لم يعتادوه، إذ مما تقرر في علم الأصول: أن العادة[٢] لا تخصص العام. فإذا قال الشارع الطعام بالطعام ربًا وكانت عادة العرب تناول البر فقط فالواجب حمل الطعام في كلام

---

(١) ووطء بنات البحر بناء على ما تقرر في الأصول أن العام يشمل الصورة النادرة، وقد أجاز الشافعية المسابقة على الفيل أخذا بعموم حديث: «**لا سبق إلا في خف أو حافر أو نصل**» وإن كانت المسابقة على الفيل نادرة. فكذلك الحال هنا، فتكون الآية بعمومها شاملة لبنات البحر وهي حيوانات بحرية تظهر في بحر قزوين، وهي على شكل المرأة لها ثدي وفرج وتصدر منها أصوات كالقهقهة فإن ظهرت على وجه الماء جذبها البحارة إل السفينة وجامعوها ثم يردونها إلى البحر هكذا ذكر القزويني وغيره ممن كتبوا في عجائب المخلوقات.

(٢) أي الفعلية، كما مر بيانه في الباب الأول.

الشارع على عمومه الشامل للبر وغيره ولا يجوز قصره على البر الذي اعتادوه.

وكذلك يقال هنا فإذا كان العرب قد اعتادوا الزنا ولم يعتادوا الاستمناء كما يقول أبو حيان ثم جاءت الآية عامة، فليس من المعقول أن نقصرها على ما اعتادوه فنكون قد حكَّمنا العادة في كلام الشارع وهذا ما لا يقبله عقل ولا يؤيده نقل.

ثم مما يبطل محاولة أبي حيان هذه: استدلال مالك والشافعي بالآية على تحريم الاستمناء، وهما عربيان صليبة، بل نص كثير من العلماء على أن الشافعي حجة في اللغة العربية بصرف النظر عن إمامته في الدين، فهل فاتهما وهما بهذه المثابة من العرب والعربية ما أدركه أبو حيان؟!.

ولئن فاتهما ذلك كيف لم يتفطن له ابن العربي والبغوي وابن كثير وغيرهم ممن استدلوا بهذه الآية؟!، اللهم غفرًا.

ووجه آخر يبطل محاولة أبي حيان: وهو أنه لو قصرت الآية على الزنا الذي اعتاده العرب كما يقول؛ لم يكن فيها كبير فائدة لأن الزنا ثبتت حرمته وتوعد عليه في عدة آيات غير هذه تنصيصًا عليه بخصوصه فلا معنى لقصرها عليه والحالة هذه بل يجب حملها على العموم كما هو المتعين في عمومات كلام الشارع حتى يقوم دليل على التخصيص.

فبهذه الأوجه الثلاثة بطلت محاولة أبي حيان، وثبت أن الآية تدل على تحريم الاستمناء وهو مذهب الأئمة.

ومن الأحاديث والآثار في هذا الباب مارواه الحسن بن عرفة في جزئه المشهور قال: حدثني علي بن ثابت الجزري، عن مسلمة بن جعفر، عن حسان بن

حميد، عن أنس، عن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**سبعةٌ لا يَنْظُرُ اللهُ إليهم يومَ القِيامَةِ ولا يُزكِّيهم، ولا يجمعهم مع العالمين، ويدخلهم النار في أول الداخلين إلا أن يتوبوا ومَن تابَ تابَ اللهُ عليه: الناكِحُ يَدَهُ، والفاعِلُ والمَفعولُ به، ومُدْمِنُ الخمرِ، والضارب والديه حتَّى يستغيثا، والمؤذي جِيرانه حتَّى يلعنوه، والنَّاكِح حَلِيلَةَ جارِه**».

مسلمة بن جعفر: قال الحافظ الذهبيُّ: «يجهل هو وشيخه حسان».

فالحديث فيه ضعف ومع ذلك يعمل به في هذا الباب؛ باب الترهيب، لأن الحديث الضعيف يعمل به في الفضائل والترغيب والترهيب كما نص عليه الأئمة: أحمد بن حنبل، وعبد الرحمن بن مهدي، والحاكم، والبيهقي، والنووي، وغيرهم.

علىٰ أن الحديث ضعفه خفيف كما علمت إذ ليس في سنده كذاب ولا متهم ولا شديد الضعف، وإنما فيه مجهول جهالة خفيفة كما يشعر بذلك قول الذهبي: يجهل.

وقال عبدالرزاق: حدثنا سفيان الثوري، عن عبد الله بن عثمان، عن مجاهد قال: سئل ابن عمر عن الاستمناء فقال: «ذاك نائك نفسه».

وروىٰ سفيان الثوري، عن الأعمش، عن أبي رزين، عن أبي يحيىٰ، عن ابن عبَّاسٍ: أن رجلًا قال له: إني أعبث بذكري حتىٰ أنزل، قال: أف، نكاح الأمة خير منه وهو خير من الزنا.

قلت: معنىٰ قول ابن عبَّاسٍ: هو خير من الزنا أن حرمته أخف من حرمة الزنا.

وروى البغوي عن ابن جريج قال: سألت عطاء عنه فقال: مكروه، سمعت أن قومًا يحشرون وأيديهم حبالى، وأظنهم هؤلاء.

وروى أيضًا عن سعيد بن جبير قال: عذب الله تعالى أمة كانوا يعبثون بمذاكيرهم.

وهذه الآثار وإن كان في بعضها مقال من حيث السند فإنما أوردتها استئناسًا لا احتجاجًا إذ لا حجة في أحد بعد كلام الله ورسوله.

وحيث ثبت بالدليل الذي قدمناه وغيره أن الاستمناء حرام فجزاء فاعله أن يعذب في الآخرة بما ذكر في الحديث السابق إلا أن يتوب أو يعفو الله عنه وجزاؤه في الدنيا أن يعزر كما نص عليه ابن الملقن في "شرح المنهاج" ونقله العلامة الشيخ زروق عن مذهب الحنابلة وهو الجاري على قواعد الأئمة الأربعة، لأن من المقرر عندهم -فيما أحسب- أن كل معصية ليس فيها حد ولا كفارة ففيها التعزير[1] لأنه من باب تغيير المنكر الواجب على الإمام إقامته ولهذا كان عمر رضي الله عنه يعلو بدرته كل من رآه مخالفًا للشرع فيما لا حد فيه تعزيرًا له حتى لا يعود، فإن تاب فاعل الاستمناء توبة صحيحة تاب الله عليه ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الشورى: ٢٥] فإن عاد بعد ذلك فليحدث توبة أخرى صحيحة فإن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر

---

(١) وهي عقوبة موكولة إلى اجتهاد الإمام: إما بالجلد؛ على ألا يزيد على عشر جلدات لحديث: «لا تعزير فوق عشرة أسواط»، وأجاز الشافعية الزيادة عليها بشرط ألا يبلغ أقل الحدود وهو أربعون جلدة في حد الخمر، وإما بأخذ جزء من المال ووضعه في بيت مال المسلمين، وإما بغير ذلك مما يكون رادعًا.

كما ثبت في الحديث.

وإن حلف ألا يعود ثم عاد إلى فعله وجب مع تجديد التوبة كفارة اليمين وهي إطعام عشرة مساكين بما يشبعهم أو كسوتهم بأقل ما يسمى كسوة عند الشافعية ولو طاقية أو منديلًا فإن لم يستطع الإطعام ولا الكسوة فليصم ثلاثة أيام[١].

وشروط التوبة الصحيحة:

١- الندم على الذنب وهو أهم الشروط كما يدل على ذلك حديث: «**الندم توبة**».

٢- وترك الذنب في الحال.

٣- والعزم المصمم على عدم الرجوع إليه.

فمتى تحققت هذه الشروط كانت التوبة صحيحة مكفرة للذنوب وموجبة لرضاء الله تعالى ومغفرته ومصفية للقلب من أدران المعاصي وصدئها مع فوائد أخرى لا يتسع المقام لذكرها.

وكيفية التوبة:

أن تتوضأ وتصلي ركعتين بنية صلاة التوبة وإن صليتهما في فضاء من الأرض فهو أحسن لحديث ورد في ذلك[٢]، وتستغفر الله بأي صيغة شئت فإنه

---

(١) لا يشترط فيها التتابع فيجوز صومها متفرقة.

(٢) روى الأربعة عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، قال: سمعت النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**ما من رجل يذنب ذنبًا ثم يقوم فيتطهر ثم يصلي ثم يستغفر الله**

ليس للاستغفار في هذا الموطن صيغة خاصة، والصيغة التي يلقنها بعض أئمة المساجد لمن يقول له من العوام: «توبنا»؛ لم يرد بها حديث ولا أثر، وإنما هي من عمل بعض المشايخ، وليست التوبة ألفاظًا تتلى ولكنها عزم على ترك الذنب وندم ،كما تقدم.

غير أن الأحسن في الاستغفار أن يكون بصيغة واردة كسيد الاستغفار، وهو: «اللهم أنت ربي...» إلخ، أو: «استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه»، أو: «اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت». أو غير ذلك من الصيغ الواردة وإن اقتصرت على «استغفر الله» كفاك.

وأكثِر من الاستغفار فإنه يمحو الذنوب ويذهب الحزن ويُسَهِّل الرزق كما جاء في الحديث، وإن استطعت الزواج ولم يكن عندك عائق من طلب علم ونحوه فتزوج فإنه ليس شيء أصلح لدين المؤمن من الزواج، فإن لم تستطعه فعليك بالصوم، فقد ثبت في الحديث: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم**

إلا غفر الله له» ثم قرأ هذه الآية: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ الآية [آل عمران: ١٣٥]». حسنه الترمذي، هذه صلاة التوبة.

وروى البيهقي، عن الحسن قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ما أذنب عبد ذنبًا ثم توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى براز من الأرض فصلى فيه ركعتين واستغفر الله من ذلك الذنب إلا غفر الله له**». حديث مرسل. بِراز، بكسر الباء: فضاء من الأرض.

الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطعه عليه بالصوم فإنه له وِجاء». الوجاء، بكسر الواو: رض الأنثيين ودقهما كما يفعل بالفحل من الضأن والماعز إذا أريد منعه من طروق الأنثى ليسمن ويكثر لحمه.

وهو هنا تشبيه بليغ، شبه الصوم لإضعافه الشهوة بالوجاء الذي يذهب بها بتاتا ليفيد أن للصوم في منع النفس وتقليل شهواتها تأثيرًا كبيرًا.

هذا دواء الشارع لمن هو على حالتك أيها الشاب، فروِّض نفسك على الصوم وتعاهدها به الفينة بعد الفينة، فإن لم تستطع فجاهد نفسك واكبح جماح شهواتها وكن قوي العزيمة شديد الشكيمة لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الثانية.

ولا تسترسل مع الخيال فإنك ترجع منه إلى عالم الحقائق كمثل هائم على وجهه أو حالم في نومه.

واشغل نفسك في خلوتك بما يدفع عنك التفكر فيما يفضي بك إلى الاستمناء، إما بتلاوة القرآن أو بذكر من الأذكار أو بمطالعة كتب علمية أو نحو ذلك مما يلهيك عن ذلك الفعل الخبيث.

وحذار حذار أن تعود إليه أو تستحلي المداومة عليه فإنه داء خطير وبيل يضعف البصر وينهك القوى ويجهد الأعصاب ويقضي على عضو التناسل فلا يستطيع فاعله إعفاف امرأته إن تزوج، ويحل ماء الرجل فتقل أو تنعدم منه القوة الحيوية التي يتخلق منها الجنين.

ولهذا لا يرجى من صاحبه نسل يفيد المجتمع، بل إما أن يكون لا نسل له أو له نسل ضعيف كثير الأمراض قليل المرح المعهود في مثله، فهو كالزهرة

الذابلة أو الوردة الحائلة، ويورث مرض السل -والعياذ بالله- لبعض فاعليه ممن يكون عندهم قابلية ذلك المرض، ويورث الخبل في العقل والفساد في التفكير.

إلى غير ذلك من أضراره المجربة التي لا يشك فيها إلا جاهل، هذا عدا ما يعقبه من سخط الله وعذابه، زد على ذلك أنه فعل دنئ لا يرضاه إلا دنئ الهمة ساقط النفس وأعيذك بالله أن تكون كذلك.

فتب إلى الله واستغفره والجأ إليه لأن يقطع عنك هذا الداء، فإنه إذا علم منك صدق اللجأ كشف عنك ما بك وقبل توبتك وأنالك من طاعته منالًا.

واحرص على قراءة هذا المقال وتفهمه واقرأه على إخوانك وأصحابك لعلهم يهتدون، هداك الله ووفقك ودفع عنك الشهوات ومواقع الشبهات، والسلام عليك ورحمة الله.

تمت الفتوى وهي كافية في الموضوع جامعة لأهم ما جاء فيه بحيث أن من اقتصر عليها أغنته عن كثير من المطالعة والمراجعة.

فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

الفصل الثاني

في الحض على غض البصر وحفظ الفرج

قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣٠ - ٣١].

أمر الله تعالى في هذه الآية الكريمة نبيه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أن يأمر المؤمنين والمؤمنات بغض أبصارهم وحفظ فروجهم عن المحرمات.

وأخبر تعالى أن ذلك أزكى لهم وأطهر لأنه أبعد عن الريبة وأدعى إلى اطمئنان الناس على أنسابهم وأعراضهم وأجلب لرضا الله ومحبته.

كما أخبر سبحانه أنه خبير بما يصنعون لا يخفى عليه شيء من أعمالهم، فمن قارف محرمًا ببصره أو بفرجه فالله خبير بعمله وناظر إليه ومُجازيه على ذلك ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠].

ثم لا يخفى أن غض البصر وحفظ الفرج عن المحرمات لا خلاف بين المسلمين في وجوبهما للآية المذكورة وغيرها من الأدلة.

وأخرج أحمد من طريق المطلب بن عبدالله بن حنطب، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه: أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**اضْمَنُوا لي سِتًّا مِن أنفُسِكُمْ أَضْمَنْ لكمُ الجنَّةَ: اصْدُقُوا إذا حَدَّثتُم، وأَوْفُوا إذا وعَدْتُم، وأَدُّوا إذا اؤْتُمِنْتُم، واحْفَظُوا فُرُوجَكُم، وغُضُّوا أبصارَكُمْ، وكُفُّوا أيدِيَكُمْ**».

صحَّحه ابن حِبَّان والحاكم.

وأخرج أحمد والبزار والطبراني بإسناد صحيح، عن عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه، قال: قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**العَيْنانِ تَزْنيانِ والرِّجْلانِ تَزْنيانِ والفَرْجُ يَزْني**».

وزنا العينين: هو نظرهما إلى المحرمات، وزنا الرجلين: المشي بهما إلى االمحرمات كما جاء مفسرًا في حديث آخر.

فأخرج مسلمٌ، وأبو داود، والنَّسائيُّ، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**كُتب على ابنِ آدَم نصيبُه مِن الزِّنا فهو مدركٌ ذلك لا محالةَ: العَيْنان زناهما النَّظَر، والأُذنان زناهما الاستماع، واللِّسان زناه الكلام، واليد زناها البَطْشُ، والرِّجْلُ زناها الخُطا، والقَلْبُ يَهْوَى ويتمنَّى، ويُصَدِّق الفرجُ ذلك أو يُكَذِّبُه**».

ورواه البخاري أيضًا مختصرًا.

وفي رواية لمسلم، وأبي داود، واللفظ له: «**واليَدانِ تزنيانِ فزناهُمَا البطشُ، والرِّجلانِ تزنيانِ فزناهما المشيُ، والفمُ يزني فزناه القُبَلُ**».

قال النووي رحمه الله تعالى: «معنى الحديث: أن ابن آدم قُدِّر عليه نصيب من الزنا فمنهم من يكون زناه حقيقيًا بإدخال الفرج في الفرج الحرام ومنهم من يكون زناه مجازًا بالنظر الحرام أو الاستماع إلى الزنا وما يتعلق بتحصيله، أو بالمس باليد بأن يمس أجنبية بيده أو يقبلها، أو بالمشي بالرجل إلى الزنا، أو النظر أو اللمس أو الحديث الحرام مع أجنبية ونحو ذلك، أو بالفكر بالقلب. فكل هذه أنواع من الزنا المجازي. والفرج يصدق ذلك أو يكذبه: معناه أنه قد

يحقق الزنا بالفرج وقد لا يحققه، بأن لا يولج الفرج في الفرج وإن قارب ذلك والله أعلم».اهـ

وأخرج الطبراني بإسناد ضعيف، عن أبي أمامة رضي الله عنه، عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لتَغُضُّنَّ أبصارَكم**[1] **ولتحفظُنَّ فروجَكم أو ليكسفنَّ الله وجوهَكم**».

وأخرج الطبراني أيضًا بإسناد رجاله ثقات، غير واحد فهو مجهول، عن معاوية بن حيدة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ثلاثة لا ترى أعينهم النار: عين حرست في سبيل الله، وعين بكت من خشية الله، وعين كفت عن محارم الله**».

وأخرج أبو داود، والترمذيُّ، عن بريدة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لعلي عليه السلام: «**يا عليُّ، لا تتبع النظرةَ النظرةَ فإنما لك الأولى وليست لك الآخرة**». حسَّنه الترمذيُّ.

وأخرج أحمد والطبرانيُّ، واللفظ له، عن أبي أمامة رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ما مِن مُسلم ينظرُ إلى امرأةٍ رَمْقَةً ثُمَّ يَغُضُّ بصرَهُ إلَّا أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها في قَلْبِه**».

ورواه البيهقيُّ وقال: «إنما أراد: أن يقع بصره عليها من غير قصد فيصرف

---

(١) **لتغُضُنَّ**: بضم الغين والضاد المعجمتين وفتح النون المشددة، وهي نون التوكيد.
ولتَحفَظُنَّ: بفتح الفاء وضم الظاء وفتح نون التوكيد المشددة.
ليَكسِفَنَّ: بفتح الياء المثناة التحتية وكسر السين المهملة وفتح الفاء ونون التوكيد المشددة، ومعنى كسف الوجوه: إذهاب نور الإيمان منها، نسأل الله العافية.

بصره عنها تورعًا».

وأخرج ابن ماجه بإسنادٍ صحيحٍ عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ما مِن صباحٍ إلَّا ومَلَكانِ يناديان: ويلٌ للرِّجال مِن النِّساء وويلٌ للنِّساء مِن الرِّجال**». صحَّحه الحاكم.

وأخرج الطبرانيُ بإسنادٍ صحيحٍ عن مَعْقِل بن يسارٍ رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لأن يُطْعَنَ في رأسِ أحَدِكم بمِخْيَطٍ مِن حَديدٍ خيرٌ له مِن أن يَمَسَّ امْرَأةً لا تحِلُّ له**».

وأخرج الطبرانيُّ أيضًا بإسنادٍ لا بأس به عن وحشي بن حرب: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لعلكم تفتحون بعدي مدائن عظامًا وتتخذون في أسواقها مجالس فإذا كان ذلك فردُّوا السَّلامَ وغُضُّوا مِن أبصاركم واهْدُوا الأَعْمَى وأَعِينوا المظلومَ**».

وأخرج البخاريُّ عن سهل بن سعدٍ رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن يَضْمَنُ لي ما بين لَحَيَيْهِ وما بين رِجْلَيْهِ أضمَّنتُ له الجنَّـةَ**».

ما بين لحييه: اللسان، **وما بين رجليه**: الفرج، ومعنى الحديث: أن من حفظ لسانه وفرجه دخل الجنة.

وأخرج ابن حِبَّان في "صحيحه" عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا صَلَّتِ المرأةُ خَمْسَها وأَحْصَنَتْ فَرْجَها وأطاعَتْ بَعْلَها دَخَلَتْ مِن أي أبواب الجنَّةِ شاءت**».

وعن أبي هريرة أيضًا رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**سبعةٌ يُظِلُّهم اللهُ في ظِلِّهِ يومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّه: الإمامُ العادلُ وشابٌّ نشأ في عبادة الله عزَّ وجلَّ، ورَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بالمساجِدِ، ورَجُلان تحابَّا في الله اجتمعا عليه وتفرَّقا عليه، ورجلٌ دَعَتْهُ امرأةٌ ذات مَنْصِبٍ وجمالٍ فقال: إني أخاف الله، ورجلٌ تَصَدَّقَ بصَدَقَ فأخفاها حتَّى لا تعلم شِماله ما تُنفق يمينُه، ورجلٌ ذَكَرَ اللهَ خاليًا ففاضت عيناه**». هذا حديثٌ صحيحٌ، رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

نسأل الله أن يجعلنا ممن يظلنا في ظلِّه ويشملنا وسائر أحبابنا بكرمه وفضله، ويمن علينا بالإخلاص في كتابنا هذا وفي غيره من الأعمال، ويبلغنا مما نرجوه من فيض عطائه جميع الآمال.

والحمد لله أولًا وآخرًا، والصلاة والسلام على نبينا وشفيعنا سيدنا محمد وعلى آله وصحبه صلاة وسلامًا دائمين متلازمين إلى يوم الدين.

تمَّ الكتاب وكان الفراغ من تأليفه ضحوة يوم السبت الثاني من شهر المحرم الحرام فاتح سنة تسع وخمسين وثلثمائة وألف جعلها الله سنة فتح وخير على جميع المسلمين، وألف بين قلوبهم، وجمع شملهم، آمين.

إنه على ذلك قدير، وإنه عليه لهين يسير، وهو تعالى بالإجابة جدير.

٥ - التَّنْصِيصُ

على أنَّ الحَلْقَ ليس بتَنْمِيصٍ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وآله الأكرمين.

وبعد: فقد جاءني خطاب من بلجيكا، بعثه الطالب محمد الودراسيي الذي كان يحضر دروسي بزاويتنا الصديقية عمرها الله بذكره يقول فيه:

نرجوكم أن تجيبونا على السؤال التالي، ولكم جزيل الشكر: إن بعض الناس هنا ببلجيكا يسموننا بالمتنمصين، ويدخلوننا تحت حديث: «**لعنَ اللهُ النَّامِصَةَ والمُتَنَمِّصَةَ**». حيث أننا نزين لحانا بحلق بعض الشعر الذي يعلو الوجنتين، فهل فعله أحد الصحابة أو التابعين؟ أو أحد الأئمة الأربعة؟ فإن كان هذا يوجد، ففي أي كتاب نجده؟ وما حكمه في الشريعة السمحة؟.

ونقول: ما ذكره السائل عن بعض الناس شيء لا أصل له، بل هو إحداث قول في الدين بدون دليل، وإثمه عند الله كبير، نسأل الله العفو والعافية.

وقبل أن نفيض في الجواب، نوجه إلى تلك الطائفة سؤالًا فنقول لهم: من أين أتيتم بهذه البدعة القبيحة؟! وما دليلكم عليها؟

فقد رجعنا إلى كتب اللغة: "المجمل"، و"النهاية"، و"القاموس"، و"شرحه"، و"أساس البلاغة"، و"المصباح"، و"مختار الصحاح"، فما وجدنا فيها أن الحلق: تنميص، أو أنه مثله!.

ورجعنا إلى كتب شروح الحديث مثل: "شرح مسلم" للإمام النووي، والعلامة الأبي، و"شرح البخاري" للحافظ ابن حجرٍ، فرأيناهم تكلموا على

الحلق والتنميص ولم يقولوا أنهما سواء، فكيف صح لكم أن تتجرءوا علىٰ لعن حالق اللحية أو بعضها بمجرد بدعة أحدثتموها لا أصل لها في الدين؟!

وهذه كتب اللغة والحديث تحكم لنا عليكم.

ثم نشرع في بيان بطلان هذه البدعة من وجوه عشرة.

الوجه الأول

أن الحلق والتنميص حقيقتان متغايرتان في اللغة العربية

فالحلق: إزالة الشعر الظاهر على البشرة بالموسى، مع بقاء بصيلاته التي هي أصوله وجذوره، ولهذا يبدأ ظهور الشعر بعد يومين من حلقه، أما النمص فهو اقتلاع الشعر بأصوله بالمناص، أي: الملقاط، بحيث لا ينبت إلا إذا تخلقت بصيلاته من جديد، فلذلك يتأخر نبات الشعر المقلوع بالنمص مدة يتم فيها تخلق بصيلاته، وهذا معلوم بضرورة الحس والمشاهدة.

الوجه الثاني

أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فرق بين الحقيقتين أيضًا

فقال في الحلق: «**أَعْفُوا اللِّحَى وخَالِفوا المجوسَ**»، وقال في النمص: «**لَعَنَ اللهُ النَّامِصَةَ والمُتنمِّصَةَ، والواشِمَةَ والمُسْتَوْشِمَةَ، والوَاشِرَةَ والمُسْتَوْشِرَةَ، والمُتفَلِّجَاتِ للحُسْنِ المُغَيِّراتِ خَلْقَ الله**».

فأعطى صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لكل حقيقة حكمها مع بيان علته، نهى عن حلق اللحية حين أمر بإعفائها وعلله بمخالفة المجوس، ولعن النامصة وما معها وعلل اللعن بتغيير خلق الله.

ولم يكن هذا التفريق من الشارع مصادفة أو عفو الخاطر بل هو مقصود له مبني على التفريق في اللغة العربية التي هي لغة القرآن والسنة.

الوجه الثالث

الاستدراك على الشارع ممنوع

علل الشارع إعفاء اللحية بمخالفة المجوس فحينئذ تعليل حلقها بالتشبه بالنساء وبتغيير خلق الله تعليل باطل مردود

لأنه استدراك على الشارع، والاستدراك عليه ممنوع، لأن الشارع لا ينسى فيذكر ولا يغفل فينبَّه. والخلاف في جواز التعليل بعلتين محله في العلل المستنبطة، أما العلة المنصوصة للشارع فلا يزاد عليها جزمًا، لأنه أعلم بالعلة المناسبة للحكم، وغيره لا يعلم مثله.

الوجه الرابع

لا يجوز قياس الحلق على التنميص

لأن شرط القياس أن يكون الأصل والفرع متساويين في العلة، كقياس النبيذ على الخمر، لتساويهما في الإسكار، والعلة هنا متباينة، فعلة الحلق: موافقة المجوس، وعلة النمص: تغيير خلق الله، فكيف يصح القياس؟! .

الوجه الخامس

لا يقاس منصوص على منصوص

ولا يجوز القياس أيضًا لأن شرط صحته عند الأصوليين: أن يقاس فرع مسكوت عنه على أصل منصوص، كقياس الأرز في الربا على البر، والأرز لم يُنص عليه، فألحق بالقمح المنصوص عليه.

وهنا حلق اللحية منصوص عليه في حديث: «**اعفُوا اللِّحى**»، فإنه يفيد

النهي عن حلقها، فكيف يقاس منصوص على منصوص؟! هذا لا يكون.

الوجه السادس

إلحاق الحلق بالتنميص باطل

تقرر في الأصول أن تعليق الحكم بالمشتق يؤذن بعلِّية أصل الاشتقاق، والشارع حين لعن النامصة ووصفها بتغيير خلق الله، دلَّ على أن علة ذلك هي النمص، فإلحاق الحَلْقِ بالتنميصِ باطلٌ بنصِّ الحديث؛ لأنه خَصَّصَ العِلَّة بالتنميص.

الوجه السابع

اللعن وتغيير خلق الله لا يشمل حلق اللحية

لو أراد الشارع إزالة الشعر مطلقًا لقال: «لعن الله الحالق والنامصة»، أو «لعن الله من أزال شعر وجهه»، لكنه لم يقل ذلك فدل على أن اللعن وتغيير خلق الله لا يشمل حلق اللحية أبدًا بحال.

الوجه الثامن

تقرر في الأصول أيضًا أن السكوت في مقام البيان يفيد الحصر

والنبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بين في الحديث من يوصف بتغيير خلق الله وحكم بلعنه، وهي: النامصة، والمتنمصة، والواصلة، والمستوصلة، والواشمة، والمستوشمة، والواشرة، والمستوشرة، والمتفلجة للحسن.

ولم يزد على ذلك، فجزمنا بأن حلق اللحية ليس من هذا القبيل أصلًا.

الوجه التاسع

تقرر في الأصول أيضًا أن: تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز

وقد ثبت في الصحيح في بعض طرق حديث النامصة أنه كان إجابة لسؤال امرأة عن وصل الشعر فبيَّن لها النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حكم الوصل، وضم إليه ما في معناه ولم يذكر حلق اللحية، ولو كان مثل النمص لذكره هنا، لأن «تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز».

الوجه العاشر

تقرر في الأ صول أيضًا أن: القياس إنما يكون في الأحكام

كقياس الأرز على البر في الربا، وقياس النبيذ علي الخمر في الحرمة، وقياس النباش على السارق في قطع اليد، أما العقوبات المعنوية كاللعن، والغضب، وعدم دخول الجنة، فلا يجوز القياس فيها، بل يوقف على الوارد فيها لأن الشارع وحده يعلم من يستحق تلك العقوبة، ونحن لا نجرؤ أن نعممها بقياس، لأننا وجدنا الشارع لعن النامصة و لم يلعن الزانية مع أن الزنا أشد وأقبح، ولعن قاطع الرحم ولم يلعن قاطع الطريق، ولعن السارق ولم يلعن الغاش ولا الغاصب، وعليه فقياس حلق اللحية على التنميص في اللعن، قياس باطل مردود باتفاق الأصوليين وغيرهم.

الخلاصة

حالق اللحية مُتشبِّه بالمجوس كما صحَّ في الحديث، ودعوىٰ أنه مُتشبِّهٌ بالنِّساء ومُغيِّر لخَلْق الله، وملعون؛ دعوىٰ باطلة يردها الحديث حسبما مرَّ بيانه مُفصَّلًا.

أمَّا حلق الشعر الذي يعلو الوجنتين فهو من التجمل المطلوب شرعًا، ولا يضر عدم فعل الصحابة والتابعين له، بل لو ثبت أن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لم يفعله، لم يدل علىٰ حرمته ولا كراهته، لأن ترك الشيء لا يدل علىٰ منعه كما بينته في رسالة "حسن التفهم والدرك"، والنهي هو الذي يدل علىٰ التحريم والكراهة.

تنبيه

في مصر يقتلع كثير من الناس بعد حلق لحاهم ما يبقىٰ من شعر رقيق حول الشارب وعلىٰ الوجنتين بالمناص أو بالفتلة التي تعمل عمل المناص، وهذا تنميص حقيقي لا قياس فيه، وحيث أن الشارع حرَّمه علىٰ النساء مع احتياجهن للتجمل به، فالرجال أولىٰ بتحريمه وهو في حقهم أشد قبحًا، لأنه تنعيم للبشرة لا يليق برجولتهم، والله تعالىٰ أعلم.

الخاتمة

ثم بعد هذا البيان الذي فصلناه بالأدلة والقواعد، فالذي يسمي حالق اللحية أو حالق شعر الوجنتين متنمصًا فهو كاذب آثم لأنه نسب إلى الدين قولًا ترده الأحاديث والقواعد ولم يقله أحد من العلماء، وهو إلى جانب هذا لعن من لا يستحق اللعن فتكون لعنته مردودة عليه كما صح في الحديث، زيادة على اللعنة التي يستحقها لكذبه في الدين. والله ولي التوفيق.

٦- تعريفُ أهلِ الإسلامِ
بأنَّ نقلَ العضوِ حرامٌ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّدٍ وآله الأكرمين.

وبعد: فإنِّي لمَّا كنت بمصر من أربع سنواتٍ سألني جماعةٌ من طلبة الطبِّ بالإسكندرية عن مسائل من علم الطبِّ أرادو أن يعرفوا حكم الشرع فيها، فأجبتهم عنها برسالةٍ سمَّيتها "أجوبةٌ هامَّة في الطبِّ"، وقد طُبعت بالإسكندرية والقاهرة.

وكان من جملة أسئلتهم: هل يجوز نقل عضوٍ من صحيحٍ إلى مريضٍ، ومن مَيِّتٍ إلى حيٍّ؟

فأجبت: بأنَّ نقل العضو من شخصٍ لآخر لا يجوز؛ لأنَّ أعضاء الإنسان ليست مِلكًا له، فلا يملك التصرف فيها، وقد أخبر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنَّ في المسلم ٣٦٠ مفصلًا، وأنَّه ينبغي له كل مطلع شمسٍ أن يقدِّم صدقاتٍ بعددها، وأنَّه يقوم مقام الصدقات طاعاتٌ أخرى كالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير بعددها.

ذلك أنَّ الأعضاء مِلْكٌ لله تعالى، لايجوز إزالة عضوٍ منها إلَّا إذا كان به مرضٌ يُخشى أن يتسرَّب منه إلى بقيَّة الأعضاء، فيجب بتره حفظًا لها وإبقاءً عليها.

وقد ظهرت الأَكَلة في رجل عروة بن الزبير، أحد فقهاء المدينة وعلمائها، وأخبره الأطباء أنَّ رجله إذا لم تُقطع فسيسري الداء إلى غيرها، فقطعها.

وبعض المتحذلقين يُسوِّغ نقل عضو من مَيِّتٍ الى حيٍّ بقوله: الحيُّ أفضل

من الميت. وهذا قولٌ باطلٌ؛ فإن الصالح الميت أفضل من الفاسق الحيِّ، والعادل الميت أفضل من الظالم الحيِّ.

وقلت في صدر هذا الجواب: أمَّا نقل عضوٍ من ميتٍ فور موته كعينٍ أو كلوةٍ إلى مريضٍ، فهذا ممَّا شاع عند الأطبَّاء الأوروبيين وقلَّدهم فيه أطبَّاء المسلمين، وهو خطأٌ كبيرٌ؛ لأنَّ الدين الإسلاميَّ يحترم الميت ولا يُجيز نقل عضوٍ منه إلى غيره كيفما كانت الأسباب، ولو أوصى المسلم قبل موته بأن يُنقل منه عضوٌ لمصلحة مريضٍ، لاتُنفَّذ وصيته. انتهى ما أجبت به.

ثُمَّ رأيت في جريدة "اللواء الإسلامي" (العدد ٢٢٦ بتاريخ الخميس ٢٧ من جماد الآخرة سنة ١٤٠٧هـ) بحثًا للشيخ متولي الشعراوي، عنوانه «الإنسان لا يملك جسده فكيف يتبرع بأجزائه أو يبيعها؟!»، وجاء كلامه موافقًا لما أجبت به، وتوسَّع في الاستدلال له، وهذا هو الصواب، وما سواه خطأ محضٌ.

لكن الناس يسارعون إلى تقليد النصارى فيما يأتي عنهم، تصديقًا لقول النبيِّ صلَّى الله عليه وعلى آله وسلَّم: «**لتتبعنَّ سَنَنَ من كان قبلكم شِبْرًا بشبرٍ وذراعًا بذراعٍ...**». وليس هذا بعجيبٍ من العوام تُبَّاع كلِّ ناعقٍ، وإنما العجيب أن يُسرع أهل العلم إلى تسويغ ذلك، والسعي في إيجاد دليلٍ له بتكلُّفٍ وتعسُّفٍ لايُقبلان.

فقد رأيت في جريدة "المسلمون" بتاريخ (٤ شوال ١٤٠٧هـ - ٣٠ مايو ١٩٨٧ م) هذا الخبر العجيب المؤلم: «أجازت الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء برياسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد نقل عضوٍ أو

جزئه من إنسان حيٍّ مسلم أو ذمِّيٍّ إلىٰ آخر، إذا دعت الحاجه إلىٰ ذلك وأُمِن الخطر في نزعه، وغلب الظن علىٰ نجاح زرعه، كما أفتت الهيئة أيضًا بجواز نقل عضوٍ أو جزئه من إنسانٍ ميت إلىٰ مضطرٍّ إلىٰ ذلك ».

وقد لفت نظري في هذه الفتوىٰ الباطلة أمران:

١- ذكر الذميِّ، ولا أدري أين يوجد هذا الذمي؟!

٢- اضطراب الهيئة حيث اكتفت أولًا بالحاجه، ثُمَّ اشترطت الاضطرار، وهذا علامةٌ علىٰ البطلان.

وقد بلغني أنَّ الشيخ أحمد الشرباصي أفتىٰ أيضًا بجواز ذلك مستدلًّا بقاعدة: «الضرورات تبيح المحظورات»، وعهدي بهذا الشيخ أديبًا لغويًّا، فما له وللفتوىٰ الفقهية؟! أنا أعرفه معرفة تامة وكان بيني وبينه مودة وصداقة.

ورأيت في جريدة "الأهرام" بتاريخ (٨/ ٣/ ١٩٧٨): أنَّ رجال الدين والقانون مشغولون مع رجال الطب لوضع تنظيم لعمليات انتزاع أعضاء أو أنسجة من جسم الإنسان بعد وفاته، أو في حالة الاحتضار لكي تنقذ إنسان آخر.

وكلمة: «رجال الدين» عبارةٌ مسيحية لا يعرفها المسلمون، وأنا أبيِّن - بحول الله- بطلان هذه الأقوال، وأنه لا حاجة ولا ضرورة تبيح نقل عضوٍ من شخصٍ لآخر، وأبيِّن معنىٰ القاعدة المشهورة «الضرورات تبيح المحظورات»، فإن كثيرًا من الناس يفهمونها علىٰ غير وجهها، ونسأل الله الإعانة والتوفيق، فهو الموفِّق المعين.

زكاة الجسم والأعضاء

ثبت في "صحيح مسلم" عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنه خُلِقَ كلُّ إنسانٍ من بني آدم على ستين وثلاثمائة مِفْصَلٍ، فمن كبَّر الله، وحمد الله، وهلَّل الله، وسبَّح الله، واستغفر الله، وعَزَل حجرًا عن طريق النَّاس، أو شَوْكَةً أو عَظْمًا عن طريقِ النَّاسِ، وأمرَ بمعروفٍ أو نهى عن منكرٍ عدد تلك الستينَ والثلاثمائةِ السُّلامَى، فأنه يمشي وقد زَحْزَحَ نفسَه عن النَّار**».

السُّلامَى، بضم السين وفتح الميم: كلُّ عَظْمٍ صغيرٍ.

قال العلامة الأُبِّي في "شرح مسلم": «والمقصود من الحديث ما أشار إليه في الطريق الآخر: أنَّ على كلِّ أحدٍ في كلِّ يومٍ من الصدقة بعدد ما فيه من المفاصل شكرًا لله تعالى أن جعل فيه تلك المفاصل، وخالف بين أقدار أصابعه فقدر بذلك على القبض والبسط وتمكَّن من الأعمال، ولو كان دون مفصلٍ أو كانت أصابعه مستوية، لكان كالخشبة ولم يتمكَّن من عمل شيءٍ، وإلى هذا المعنى أشار بقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ [القيامة: ٤]».

وقال العلامه الطيبي: «لعل تخصيص السُّلامى -وهي المفاصل من العظام- بالذكر، لما فيه من دقائق الصنائع التي تتحيَّر الأوهام فيها، ولهذا قال تعالى: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ أي نجعل أصابع يديه ورجليه مستوية كخفِّ البعير وحافر الحمار، لايمكن أن يعمل بها شيئًا مما يعمل بأصابعه المفرقة ذات المفاصل من فنون الأعمال دقها وجلها، ولهذا السر غلب الصغار من العظام على الكبار».اهـ

أحاديث تؤيد هذا المعنى

روىٰ الشيخان عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**كلُّ سُلامى من الناس عليه صدقةٌ كلُّ يوم تطلع فيه الشمس، يعدِلُ بين الاثنين صدقةٌ، ويُعين الرجلَ في دابَّته فيحملُه عليها أو يرفعُ عليها متاعَه صدقةٌ، والكلمةُ الطيبةُ صدقةٌ، وبكلِّ خطوةٍ يمشيها إلى الصَّلاة صدقةٌ، ويُميطُ الأذى عن الطريق صدقةٌ**».

وروىٰ أحمد، وأبو داود عن بُرَيْدَة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**في الإنسان ستونَ وثلاثُمائة مَفْصلٍ، فعليه أن يتصدَّق عن كلِّ مفصلٍ منها صدقةً**». قالوا فمن يُطيق ذلك يا رسول الله؟! قال: «**النُّخامة في المسجد تدفنها، والشيء تنحِّيه عن الطريق، فإن لم تقدرفركعتا الضُّحى تُجزئ عنك**». صحَّحه ابن خزيمة، وابن حِبَّان.

وفي "صحيح ابن حِبَّان" عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ليس مِن نَفْسِ ابن آدم إلَّا عليها صدقةٌ في كلِّ يوم طلعت فيه الشمس**». قيل: يارسول الله من أين لنا صدقةٌ نتصدَّق بها؟! فقال: «**إنَّ أبواب الخير لكثيرةٌ: التسبيحُ، والتحميدُ، والتكبيرُ، والتهليلُ، والأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر، وتُميطُ الأذى عن الطريق، وتُسمعُ الأَصَمَّ، وتَهدي الأعمى، وتُدِلُّ المستدلَّ على حاجته، وتسعى بشدَّة ساقيك مع اللَّهفان المستغيث، وتحمل بشدَّة ذراعيك مع الضعيف، فهذا كلُّه صدقةٌ منك على نفسك**».

زاد البيهقي: «**وتبسُّمك في وجه أخيك صدقةٌ، وإماطتك الحجر والشوكة والعظم عن طريق الناس صدقةٌ، وهديُك الرجلَ في أرض الضلالة صدقةٌ**».

صرَّحت هذه الأحاديث بأنَّ جسم الإنسان وأعضاءه مِلْكٌ لله تعالىٰ، خَلَقها له لينتفع بها في أعماله فلا يملك التصرُّف فيها بهبةٍ أو بيعٍ أو تبرُّعٍ.

وهكذا حرَّم الله الانتحار وتوعَّد المنتحر بالخلود في النار، لأنه أزهق نفسًا لا يملكها، فكان متعدِّيًا ظالمًا وقد كتبت جزءًا سمَّيته "قمع الأشرار عن جريمة الانتحار" طبع بمصر.

أفادت الأحاديث المذكورة أيضًا أنَّ للجسم وأعضائه زكاةً ينبغي للمسلم أن يؤدِّيها كل يومٍ، وإنما لم يوجبها الشارع كما أوجب زكاة المال وزكاة الفطر، لأجل المشقَّة فيها، لكنه مع ذلك حضَّ عليها ورغَّب فيها.

أدلة منع نقل العضو

قال الله تعالىٰ حكايةً عن إبليس لعنه الله: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١١٩].

تشمل هذه الأية بعمومها نقل عينٍ أو كُلْيَةٍ أو قلبٍ من شخصٍ لأخر، وتشمل أيضًا خصاء العبيد الذي كان يفعله الخلفاء بعبيدهم ليدخلوا علىٰ نسائهم، كلُّ هذا تغييرٌ لخلق الله تشمله الآية الكريمة، ونزولها في فقء عين الأنعام وشقِّ آذانها، لايجعلها خاصَّةً بذلك؛ لأنَّ «العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب». وهذه قاعدةٌ أصولية معلومة، وقد ثبت هذا التفسير عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

روىٰ الشيخان واللفظ للبخاريِّ عن عبدالله بن مسعودٍ -رضي الله عنه- قال: «لعن الله الوَاشِمات والمُستَوْشِمات والمُتنمِّصَات والمُتفلِّجات للحُسْن المغيِّرات خلقَ الله تعالىٰ، مالي لا ألعن من لعن النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم،

وهو في كتاب الله تعالىٰ».

وفي الصحيحين عن أسماء بنت أبي بكرٍ -رضي الله عنهما-، قالت: جاءت امرأةٌ إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقالت: يا رسول الله إنَّ لي ابنة عُرَيِّسًا أصابتها حصبةٌ فتمزَّق شعرها أفأصله؟ فقال: «**لعن الله الوَاصلة والمُستَوْصِلة**». وله طرقٌ في الصحيحين.

«عُرَيِّسًا» بضم العين وفتح الراء وكسر الياء المشددة: تصغير عروس، والحصبة بفتح الحاء وسكون الصاد: بُثُورٌ تخرج في الجلد. وتمزُّق الشعر بالراء والزاي: سُقوطه.

شكت المرأة إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مرض بنتها، وطلبت منه أن يأذن لها في وصل شعرها علىٰ سبيل العلاج، فلم يأذن لها في ذلك، فدل علىٰ شيئين:

١- أنَّ العلاج بنقل عضوٍ لا يجوز، بل وفاعله يُلعن.

٢- أنَّ من أُصيب بداءٍ فقد بسببه شعرًا أو عضوًا لايجوز له أن يكمِّله من شخصٍ آخر.

وعلة ذلك: أنه تغييرٌ لخلق الله، وتدليسٌ، وفيه مُثْلةٌ وهي محرَّمةٌ، وتصرُّف الإنسان فيما لايملك، ومنافٍ لكرامة الآدميِّ.

قال الإمام النووي رحمه الله: «وهذه الأحاديث صريحةٌ في تحريم الوصل ولعن الواصلة والمستوصلة مطلقًا وهو الظاهر المختار، وقد فصَّله أصحابنا فقالوا: إن وصلتْ شعرها بشعر آدميٍّ فهو حرامٌ بلا خلاف، سواء كان شعر رجلٍ أو امرأةٍ، وسواء شعر المحرم والزوج وغيرهما بلا خلاف، لعموم

الأحاديث، ولأنه يحرم الانتفاع بشعر الأدمي وسائر أجزائه لكرامته، بل يدفن شعره وظفره وسائر أجزائه».اهـ المراد منه.

وتكلَّم القرطبيُّ في "تفسيره" على خِصاء الآدميِّ، وقال: «إنه مصيبةٌ»، وذكر أضراره، ونقل عن ابن عبدالبر أنه قال: «لايختلف فقهاء الحجازيين وفقهاء الكوفيين أنَّ خِصاء بني آدم لا يحل ولا يجوز لأنه مُثْلةٌ، وتغييرٌ لخلق الله تعالى، وكذلك قطع سائر أعضائهم في غير حدٍّ ولا قودٍ».اهـ وهو مُجمعٌ عليه.

(الخلاصة): تبيَّن مما سبق من الآية والأحاديث وأقوال العلماء تحريم نقل عضوٍ من صحيحٍ إلى مريضٍ، ومن ميتٍ إلى حيٍّ، كيفما كانت الأسباب والدَّواعي.

احترام الإسلام للميت

يتبيَّن احترام الإسلام للميت المسلم من الأحاديث الآتية:

روى أحمد، وأبو داود، وابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**كسرُ عَظْمِ المَيْتِ ككسرِ عَظْمِ الحيِّ**».

ورواه الدارقطني بزيادة: «**في الإثم**».

حسَّنه ابن القطَّان، وقال ابن دقيق العيد: «إنه على شرط مسلمٍ»، وذكره مالكٌ في "الموطأ" بلاغًا عن عائشة موقوفًا، ورواه ابن ماجه عن أمِّ سلمة.

وروى مسلمٌ، والأربعة إلَّا الترمذيَّ عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لأن يجلسَ أحدُكم على جمرةٍ فتحرقَ ثيابه، فتخلص إلى جلده خيرٌ له من أن يجلس على قبرٍ**».

قال العلامة الآبي في "شرحه": «وكالجلوس على القبر في المنع الاستناد إليها، والاتِّكاء عليها كذلك، وكذا المشي بالقبر بطريقٍ أحرى ولا سيما

بالنعال، فإن دعت الضرورة إلى المشي عليها، تُخطِّيت القبور، ولا يبيح المشي عليها وجود طريقٍ قديمةٍ عليها؛ لأن ذلك يزيدها إهانةً».

وروى ابن ماجه بإسنادٍ حسنٍ عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لأن أمشي على جمرةٍ أوسيفٍ، أو أَخْصِفَ نعلي برجلي أحبُّ إليَّ من أن أمشي علي قبرٍ**».

قلت: هذا غاية ما يكون في احترام الميت، ومنع أيِّ عمل يؤذيه أو يهين كرامته، فكيف يتجرَّأ بعض المفتين على تجويز انتزاع جزءٍ منه بدون دليلٍ إلَّا الانسياق مع النصارى الذين لا يرجعون في عملهم إلى خلقٍ ولا دينٍ؟!!

عقوبة من نقل عضوًا

تقرَّر عند العلماء كما قال ابن تيمية وغيره: أنَّ كلَّ معصيةٍ ليس فيها حدٌّ، فيجب فيها التعزير وعلى هذا فالطبيب الذي ينقل عضوًا من شخصٍ لآخر، يُعزِّره الحاكم بما يكون رادعًا له عن العودة الى هذا العمل، ولا يعفيه من عقوبة التعزير احتجاجه بأن قدَّم علاجًا حسبما تقتضيه مهنته؛ لأن العلاج الذي يقبل منه ويُعذر فيه إذا أخطأ هو العلاج الذي أذن فيه الشارع، أمَّا نقل العضو فقد حرَّمه الشرع ولم يسمح به.

والشخص الذي يسمح بنقل جزءٍ منه لدواءٍ أو لغيره يعزَّر ويؤدَّب لئلا يعود، وله مع ذلك عقابٌ في الآخرة إلَّا أن يتوب.

روى مسلمٌ في "صحيحه" عن جابرٍ رضى الله عنه: أنَّ الطُّفيل بن عمرو الدَّوْسي هاجر إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالمدينة، وهاجر معه رجلٌ من قومه، فاجتووا المدينة -يعني لم يوافقهم جوها- فمرض الرجل فجزع

فأخذ مَشَاقِصَ فقطع بَراجِمَه -يعني مفاصل الأصابع- فشخبت -سالت أصابعه دمًا- حتىٰ مات، فرآه الطُّفيل بن عمرو في منامه، فرآه وهيئته حسنة، ورآه مغطِّيًا يديه، فقال له: ما صنع بك ربُّك؟ قال: غفر لي بهجرتي إلىٰ نبيه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم. فقال: مالي أراك مغطِّيًا يديك؟ قال: قيل لي: لن نصلح منك ما أفسدت، فقصَّها الطفيل علىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال رسول الله صلىٰ عليه وآله وسلم: «**اللهمَّ وليديه فاغفر**».

أفاد الحديث أنَّ من تصرَّف في عضوٍ منه بتبرُّعٍ أوغيره فأنه يُبعث يوم القيامة ناقصًا منه ذلك العضو عقوبةً له، فمن تبرَّع بعينٍ بُعث أعور، ومن تبرَّع بقلبٍ أو كُلْيَةٍ فلا يرد له ذلك العضو.

الضرورات تبيح المحظورات

فهم الناس هذه القاعدة علىٰ غير وجهها، واستعملوها في غير موضعها، فغلطوا فيها فهمًا وتطبيقًا.

والصواب أن يقال: الضرورة هي الحالة التي تقوم بالشخص المضطر لا بغيره، فتلجئه إلىٰ شيءٍ محرَّم لإنقاذ نفسه، مثل ما سبق عن عروة بن الزبير أنه قطع رجله لتسْلَم بقية أعضائه.

ومثل ما إذا مرض شخصٌ مرضًا اقتضىٰ بَتْر بعض أعضائه بعملية جراحية، ومثل ما إذا عسرت ولادة امرأةٍ فشق بطنها لإخراج المولود، ولا تتحقَّق الضرورة إلَّا إذا كانت الحالة التي قامت بالمضطر ليس لها بديلٌ مثل الصور المذكورة، فإن كان لها بديلٌ فهي من قبيل الحاجة لا الضرورة، مثل ما يحصل من بعض الناس أن يقترض مالًا بالربا ليبني بيتًا يسكنه، ويظنها ضرورة، وهذا خطأ؛ لأن سكنىٰ

الشخص في مِلْكه له بديل، وهو سكناه في بيت بالإيجار.

وهكذا يجب أن تفهم الضرورة، ويعرف الفرق بينها وبين الحاجة التي قد تشتبه بها على كثير من الناس.

وليس من الضرورة إنقاذ مريض بأخذ عضوٍ من صحيحٍ، بل هذا فساد جسمٍ لإصلاح آخر.

وليس من الضرورة انتهاك حرمة ميت بانتزاع جزءٍ منه لعلاج شخصٍ حيٍّ.

وبالجملة ليس من الضرورة علاج شخصٍ على حساب آخر، بل هذا غير مقبولٍ ولا معقولٍ، وهو عملٌ منكرٌ يأباه الله ورسوله والمؤمنون.

(حكاية): روي عن حذيفه العدوي قال: انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عمٍّ لي ومعي شيء من الماء، وأنا أقول: إن كان به رمقٌ سقيته، فإذا أنا به، فقلت له: أسقيك؟ فأشار برأسه: أن نعم، فإذا أنا برجلٍ يقول: آه آه، فأشار إليَّ ابن عمي: أن انطلق إليه، فإذا هو هشام بن العاص، فقلت: أسقيك؟ فأشار أن نعم، فسمع آخر يقول:آه آه، فأشار هشام أن انطلق إليه، فجئته، فإذا هو قد مات فرجعت الى ابن عمي فإذا هو قد مات.

وهذه الحكاية لا تصح، لأنَّ حذيفه مجهولٌ، وعلى فرض صحَّتها، لايجوز أن تعارض الأدلة التي ذكرنها، ولكن محلها باب الرقاق والمواعظ.

خبرٌ غريبٌ مؤلمٌ:

رأيت في جريدة "المسلمون" (عدد ١٦ بتاريخ ٦-١٢ رمضان ١٤٠٥/ ٢٥- ٣١ مايو ١٩٨٥) خبرًا حاصله: أنَّ طبيبًا جرَّاحًا سودانيًّا كتب هذا

السؤال: السيد رئيس مجلس الإفتاء الشرعي بالسودان؛ أرجو الموافقة والسماح لي بالبدء في إجراء عملية جراحية أعيد بها يد أحد المواطنين المقطوعة إلى مكانها الطبيعي، وهذه اليد قطعت حدًّا في سرقةٍ.

فأجاب مجلس الإفتاء برفض الطلب، وعلل الرفض بما هو معقولٌ شرعًا وعادةً، وهذا هو الحقُّ.

لكن المؤلم حقًّا أن يجيز بعض أهل العلم ردَّ يد السارق المقطوعة إلى مكانها غافلين عما فيه من افتياتٍ على الشارع واستدراكٍ عليه، وكلاهما محرَّمٌ.

وادَّعى بعضهم أنَّ يد السارق بعد قطعها صارت ملكًا له، وهذا الادعاء ترده الأحاديث التي سبق ذكرها وهي تفيد أنَّ أعضاء الإنسان ملكٌ لله تعالى.

والقول بجواز ردِّ يد السارق بعد قطعها من الاجتهاد المحرَّم الذي يأثم صاحبه، ويعاقبه الحاكم على هذا الاجتهاد الخاطئ الآثم.

وقد ورد حديثان يقطعان النزاع، ويلقمان المجوِّزين حجر الخيبة والحسرة:

١ - روى الدار قطني، والحاكم عن أبي هريرة أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أُتِيَ بسارقٍ قد سرق، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ما إِخَالُه سَرَقَ**»: فقال السارق: بلى يا رسول الله، فقال: «**اذهبوا به فاقطعوه، ثُمَّ احْسِمُوه، ثُمَّ ائتوني به**»، فقُطع فأُتيَ به، فقال: «**تُبْ إلى الله**»، فقال: تبتُ إلى الله، فقال: «**تاب الله عليك**». صحَّحه ابن القطَّان.

والحسم: كيُّ موضع القطع بالنَّار لينقطع الدم، لأن منافذ الدم تنسد به، ولأنه ربما استرسل الدم فيؤدي إلى التلف.

وظاهر الحديث يقتضي وجوب الحسم لكونه أمرًا، ولا صارف له عن معناه الحقيقي. قاله الشوكاني.

وجه الدلالة من الحديث على تحريم ردِّ الكفِّ إلى موضعها، أنَّ الشارع أمر بالقطع وأمر بالحسم علاجًا له، ولم يذكر غيره، وهو في مقام بيان الحكم وما يلزم عنه، فدل على تحريم ردِّ الكفِّ المقطوعة، لأنَّ القاعدة المقرَّرة في الأصول: «أنَّ السُّكوتَ في مقام البيان يُفيد الحصرَ».

٢- روى الأربعة عن عبدالرحمن بن مُحَيْريزٍ، قال: سألنا فُضالة بن عبيد عن تعليق اليد في عنق السارق أَمِنَ السُّنَّة؟ قال: أُتي رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بسارقٍ فقُطعت يده ثُمَّ أُمر بها فعلِّقت في عنقه. حسَّنه الترمذيُّ.

وروى البيهقيُّ أنَّ عليًّا -رضي الله عنه- قطع سارقًا فمرُّوا به ويده معلَّقةٌ في عنقه.

تعليق اليد في عنق السارق تحقيق للنَّكال الذي ذكره الله في آية السرقة، وردُّ الكفِّ إلى موضعها يمنع تحقيق النَّكال المطلوب فيكون حرامًا.

٣- **وحديث ثالث**: وهو حديث المخزومية التي سرقت وأهمَّ قريشًا شأنها واستشفعوا إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فيها، فلم يقبل استشفاعهم وأمر بقطعها.

وجه الدلالة من هذا الحديث أنه كان يمكن أن يقطع يدها، ثُمَّ يدعو الله أن يردَّ إليها كفَّها، فيجمع بين إقامة الحدِّ وتحقيق رغبة قريش، ولم يفعل، فدل على أنه لاسبيل إلى ردِّ الكفِّ المقطوعة، مع أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ردَّ عين قتادة بعد أن سالت عن حدقتها في الجهاد فكانت أحسن عَيْنيه وأصحهما.

والسِّر في ذلك أنَّ من تلف منه عضوٌ بسببٍ غير محرَّمٍ جاز له ردُّه بعلاجٍ، ومن تلف منه عضوٌ بسبب حدٍّ، لم يجز له أن يردَّه، ولا يجوز لغيره أن يسعىٰ في ردِّه.

أمَّا الزاني فإن الشارع أوجب فيه أمرين: الجلد، وأن يشهده طائفةٌ من المؤمنين، فشهود الطائفه من تمام الحدِّ للتشهير بالمحدود وبيان شناعة ما فعل، فإذا عُولج بعد ذلك من أثر الجلد، لم يكن عليه من بأسٍ، والله أعلم.

ومسألةٌ أخرىٰ شاعت بين المسلمين في هذا العصر تقليدًا للنصارىٰ خذلهم الله، وهي الإضراب عن الطعام، وهو محرَّمٌ في الشرع تحريمًا بالغًا، ومن مات من ذلك الإضراب، مات مُنتحرًا، والعياذ بالله تعالىٰ.

قال القرافي في "الفروق": «لو مَنع من نفسه طعامها وشرابها حتىٰ مات فإنه آثمٌ قاتلٌ لنفسه». قال: «والفرق بين ترك الغذاء أنه يحرم، وبين ترك الدواء فلا يحرم: أنَّ الدواء غير منضبط النفع، فقد يفيد وقد لا يفيد، والغذاء ضروريُّ النفع».

وقال أيضًا: «والفرق بين ترك دفع الصائل، وبين ترك الغذاء والشراب حتىٰ يموت: أنَّ ترك الغذاء هو السبب التام للموت لم يضف إليه غيره، وترك دفع الصائل سبب ناقصٌ في الموت، لا يتمُّ إلَّا بإضافة فعل الصائل إليه».اهـ ذكر هذا في الفرق السابع والأربعين بعد المائتين.

تمَّ تحرير هذا الجزء يوم الثالث من ذي القعدة سنة ١٤٠٧ هجرية، أحسن الله ختامها.

٧- أُمْنِيةُ المُتمَنِّي
في تَحْريمِ التَّبنِّي

حَـــــرَّمَ اللهُ التَّبَنِّـــــي أَبَـــــدًا فالـــــذي يَفْعَلُـــــهُ الآنَ اعْتَـــــدَىٰ

والـــــذي يُبْنَـــىٰ عليـــه باطِـــلٌ وضَـــلالٌ لـــيس فيـــه هُـــدَىٰ

إنَّـــما كُـــلُّ الهُـــدَىٰ في تَرْكِـــهِ واتِّبـــاعُ الحَـــقِّ حيـــثُ بَـــدَا

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على أشرف المرسلين سيِّدنا محمَّدٍ وآله الأكرمين، ورضي الله عن صحابته والتَّابعين.

أمَّا بعد: فقد سألني تلميذٌ فاضلٌ أن أكتب رسالةً في التَّبنِّي الذي شاع استعماله في طَنجَة وغيرها من البلاد المغربية، وعاد النَّاس باستعماله إلى عهد الجاهِليَّة الأُولى، مع أنَّ الإسلام أبطله وأبطل ما يترتَّب عليه من أحكامٍ.

فأسعفت طلبه بتحرير هذه العُجالة التي سمَّيتها: "**أُمْنِيةُ المُتمَنِّي في تَحْريمِ التَّبنِّي**".

واللهُ المسئولُ أن يوفِّقنا للسَّداد، ويَهدينا طريق الرَّشاد.

ما هو التَّبنِّي؟

كان من عادة العرب في جاهليَّتهم أنَّ الرجل إذا أعجبه شخصٌ لنشاطه أو ذكائه أو ظروفه تَبنَّاه، أي دعاه ابنًا له، وأشهد على ذلك وصار يُنسب إليه دون والده الحقيقيِّ، ويُسمَّى دَعِيًّا بوزن غَنِيٍّ؛ لأنَّه ليس بابنٍ حقيقةً، وإن كان له حكم الابن عندهم في الميراث والزَّواج وغيرهما، واستمرَّ حُكْم التَّبنِّي مَعْمُولًا به في الإسلام حتى أبطله الله تعالى.

قصَّة تبنِّي زيد بن حارِثة

روى ابن مَرْدُويَه في التفسير عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: كان من أَمْر زيد ابن حارثة رضي الله عنه أنَّه كان في أخواله بني معن من طيِّئ، فأُصيب في غِلْمةٍ مِن طَيِّئ، فقدم به سوق عكاظ، وانطلق حكيم بن حزام بن خويلدٍ إلى عكاظٍ يتسَّوق بها، فأوصته عمَّته خديجة -رضي الله عنها- أن يبتاعَ لها غلامًا ظريفًا عربيًّا إن قدر عليه، فلمَّا جاء وجد زيدًا يُباعُ فيه، فأعجبه ظُرْفه فابتاعه فقَدِم به عليها، وقال لها: إنِّي قد ابتعتُ لكِ غلامًا ظريفًا عربيًّا، فإن أعجبك فخذيه، وإلَّا فدعيه فإنَّه أعجبني، فلمَّا رأته خديجة أعجبها فأخذته.

فتزوَّجها النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وهو عندها، فأَعجبَ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ظُرفُه، فاستوهبه منها فقالت: هو لك، فإن أردت عتقه، فالولاء لي، فأبى عليها فوهبته له إن شاء أعتق وإن شاء أمسك.

قال: فشبَّ عند النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ثُمَّ إنَّه خرج في إبلٍ لأبي طالبٍ إلى الشَّام، فمرَّ بأرض قومه، فعرفه عمُّه فقام إليه فقال: مَن أنت يا

غلام؟ قال: غلامٌ مِن أهل مكَّة، قال: من أنفسهم؟ قال: لا، قال: فَحُرٌّ أنت؟ أم مملوك؟ قال: بل مملوكٌ، قال: لمن؟ قال: لمحمَّد بن عبدالله بن عبدالمطلب فقال له: أعربيٌّ أم أعجميٌّ؟ قال: بل عربيٌّ، قال: ممَّن أهلك؟ قال: من كلب، فقال: من أي كلب؟ قال: قال من بني عبد ودٍّ قال: ويحك ابن من أنت؟ قال:ابن حارثة بن شراحيل، قال: وأين أُصبت؟ قال: في أخوالي، قال: ومَن أخوالك؟ قال: طيِّئ، قال: ما اسم أُمِّك قال: سُعدىٰ، فالتزمه وقال: ابن حارثة، ودعا أباه وقال يا حارثة هذا ابنك، فأتاه حارثة فلمَّا نظر إليه عرفه قال: كيف صنع مولاك إليك؟ قال: يُؤثرني علىٰ أهله وولده ورزقت منه حُبًّا، فلا أصنع إلَّا ما شِئتُ.

فركب معه أبوه وعمُّه وأخوه حتىٰ قدموا مكَّة فلقوا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

فقال له حارثة: يا محمَّد أنتم أهل حرم الله وجيرانه وعند بيته، تفكُّون العاني، وتُطعِمون الأسير، ابني عبدك، فامنن علينا وأحسن إلينا في فدائه، فإنك ابن سيِّد قومك، فإنَّا سنرفع لك في الفداء ما أحببتَ.

فقال له رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أُعْطِيكُم خيرًا من ذلك**».

قالوا: وما هو؟ قال: «**أُخيِّره فإن اختاركم فخذوه بغير فداءٍ، وإنْ اختارني فكُفُّوا عنه**». قالوا: جزاك الله خيرًا، فقد أحسنتَ.

فدعاه رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**يا زيدُ، أتعرف هؤلاء؟**». قال: نعم، هذا أبي وعمِّي وأخي.

فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**فأنا مَن قد عرفتَ، فإن اخْتَرتهم**

فاذهب معهم، وإنْ اخترتني فأنا مَن تَعْلَم».

فقال زيدٌ: ما أنا بمختارٍ عليك أحدًا أبدًا، أنت مِنِّي بمكان الوالد والعمِّ.

قال له أبوه وعمُّه: يا زيد تختار العبوديَّة على الحريَّة؟!

قال: ما أنا مفارقٌ هذا الرجل.

فلما رأى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حرصه عليه، قال: **«اشْهَدُوا أنَّه حُرٌّ، وأنَّه ابني يَرِثُني وأَرِثُه».**

فطابت نفس أبيه وعمِّه لَمَّا رأوا من كرامته عليه، فلم يزل زيدٌ في الجاهليَّة يُدعَى زيد بن محمَّدٍ حتى نزل القرآن: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ ﴾[الأحزاب: ٥]، فدُعي زيد بن حارثة.

إبطال التَّبنِّي

قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤]. أدعياء جمع دَعِيٍّ، والمعنى: ما جعل الله الأشخاص الذين تتبنُّونهم، أبناءكم حقيقةً؛ لأنَّ البنوَّة أصالةٌ في النَّسب، والدَّعِيُّ ملصقٌ غير أصيلٍ، ولا يجتمع في الشَّخص أن يكون أصيلًا ومُلصَقًا من جهةٍ واحدةٍ ﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤]. أي: لا حقيقة له.

﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴾ [الأحزاب: ٤] تعريض بأنَّ قولهم في الظِّهار والتبنِّي ليس بحقٍّ، وليس بسبيل الرُّشد.

﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ﴾ الذين ولدوهم ﴿هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: أعدل عند الله [الأحزاب: ٥].

وفي "الصَّحيحين" و"الترمذي" و"النَّسائي" عن ابن عمر: أنَّ زيد بن حارثة مَوْلَى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ما كنَّا ندعوه إلَّا زيد بن محمَّدٍ، حتى نزل القرآن ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [الأحزاب: ٥] فقال النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أنت زيد بن حارثة بن شراحيل**».

وروى ابن عساكر من طريق زيد بن شيبة، عن الحسن بن عثمان، قال: حدَّثني عِدَّة من الفقهاء وأهل العِلم، قالوا: كان عامر بن ربيعة يقال له: عامر بن الخطاب، وإليه يُنسب، فأنزل الله فيه، وفي زيد بن حارثة، وسالم مولى أبي حذيفة، والمِقداد بن عمرٍو: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [الأحزاب: ٥].

وروى عبدالرزَّاق وابن المنذر وابن أبي حاتمٍ والطبرانيُّ عن عائشة: أنَّ أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة -وكان ممن شهد بدرًا- تبنَّى سالمًا وأنكحه بنت أخيه هند بنت الوليد بن عتبة وهو مولى لامرأةٍ من الأنصار، كما تبنَّى النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم زيدًا، وكان مَن تبنَّى رجلًا في الجاهليَّة دعاه النَّاس إليه، ووَرِثَ مِن ميراثه، حتى أنزل الله في ذلك: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ﴾ [الأحزاب: ٥] فرُدُّوا إلى آبائهم، فمن لم يعلم له أبٌ، كان مَوْلًى وأخًا في الدِّين، فجاءت سهلة بنت سُهيل بن عمرٍو، إلى النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقالت: إنَّ سالمًا كان يُدعى لأبي حذيفة، وإنَّ الله قد أنزل في كتابه ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ ﴾ وكان يدخل عليَّ وأنا وحدي ونحن في منزلٍ ضيِّقٍ، فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أَرْضِعي سالمًا تَحْرُمي عليه**».

قصة زواج زيد بزينب

عن ابن عبَّاسٍ وغيره: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم دخل على زينب خاطبًا ومعها أخوها عبدالله بن جحشٍ، فرَضِيَا لظنِّهما أنَّه يخطبها لنفسه، فلمَّا عَلِما أنَّه يخطبها لزيدٍ لم يَرْضَيا، وقالت له زينب: أنا خير منه حَسَبًا، وبنت عمَّتك، فلم أكن لأفعل.

وكانت امرأةً فيها حِدةٌ، فنزلت هذه الآية ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ﴾ يعني: عبدالله ﴿وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ يعني: زينب ﴿إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا﴾ يعني: النِّكاح في هذه الموضع ﴿أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ يعني: ليس لهم أن يختاروا خلاف ما قضى الله ورسوله ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

قالت زينب: «قد أطعناك، فاصنع ما شئت». فزوَّجها زيدًا، ودخل عليها.

وهذه الآية وإن كانت بسبب زواج زينب، فهي عامَّةٌ؛ لأنَّ العبرة بعموم اللَّفظ كما تقرَّر في الأصول.

وقد روى عبدالرزَّاق وابن أبي حاتمٍ والبيهقي في "سننه" عن طاوس: أنَّه سأل ابن عبَّاسٍ عن ركعتين بعد العصر؟ فنهاه.

وقال ابن عبَّاسٍ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

فاستدل بالآية على أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حين نهى عن الصَّلاة بعد العصر لم يبقَ لمؤمنٍ خيارٌ في أن يصِّليها.

استطالة زينب على زوجها

كانت زينب تستطيل على زيدٍ بحسبها، وأنَّها بنت عمَّة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وهو مَوْلًى، وكانت فيها حِدةٌ وفيها جمالٌ، وكان زيدٌ يشكوها للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ويريد طلاقها وهو يأمره بالصَّبر، فنزلت هذه الآية ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ﴾ بالإسلام وهو زيد ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بإعتاقه حين جاء يشكو امرأته زينب، مريدًا طلاقها ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ﴾ ولا تطلقها ﴿وَٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ في معاشرتها ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ وهو أمره لك بزواجها ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ ﴾ أن يقولوا تزَّوج محمدٌ زوجة ابنه ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

أقوال ساقطة

١- عن محمد بن يحيى بن حَبَّان -بفتح المُهملة بعدها موحَّدة- قال: جاء رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بيت زيد بن حارثة يطلبه فلم يجده، فقالت له زينب: ليس هو ههنا يا رسول الله فادخل فأبَى أن يدخل، فأعجبته فولَّى وهو يهمهم بشيءٍ لا يكاد يُفهم منه إلَّا ربما أعلن: «**سبحان الله العظيم سبحان مُصرِّف القُلُوب**»، فجاء زيدٌ فأخبرته امرأته، فأتى زيدٌ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقال: يا رسول الله لعلَّ زينب أعجبتك فأُفارقها؟ فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أَمْسِك عليك زَوْجَك**». فما استطاع زيدٌ إليها سبيلًا بعد ذلك اليوم.

وهذا خبرٌ مرسلٌ وهو كذبٌ مكشوفٌ، والنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم

هو الذي خطب زينب لزيدٍ، فكيف لم تعجبه حتىٰ صارت زوجةً له؟!! وكيف يجرؤ زيدٌ أن يقول لوليِّ نِعمته ومُربِّيه، وهو في الوقت نَفْسِهِ نبيُّه: لعل زينب أعجبتك فأفارقها؟!... وورد قريبٌ من هذا عن عكرمة.

٢- عن قتادة قال: جاء زيد بن حارثة إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: يا نبيَّ الله إنَّ زينب قد اشتد عليَّ لسانُها، وأنا أريد أنْ أُطلِّقها، فقال له النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «اتقِ اللهَ وأَمْسِك زَوْجَك»، قال: والنبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يحب أن يُطلِّقها.

قلت: هذا مع كونه مرسلًا؛ كذبٌ، وتهجُّمٌ علىٰ الغيب، ومن أعلمه أنَّ النّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان يحبُّ أن يطلِّقها؟! وهل جاءه وحيٌ بذلك؟ أم ماذا؟! ألم يعلم قتادة أنَّ أمر النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم زيدًا بإمساك زينب، وهو يحبُّ طلاقها، يدخل في باب النِّفاق؟! وأنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مُنزَّهٌ عن ذلك؟

٣- عن قتادة أيضًا قال تتميمًا لحديثه المارِّ آنفًا: ﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ﴾ [الأحزاب: ٣٨].

يقول: كما هَوَىٰ داود النبيُّ -عليه السَّلام- المرأةَ التي نظر إليها فهويها فتزوَّجها، فكذلك قضىٰ الله لمحمدٍ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فتزوَّج زينب، كما كان سنَّة الله في داود أن يزوِّجه تلك المرأة». اهـ

وهذا كذبٌ محضٌ وافتراءٌ قبيحٌ، وأشهد بالله أنَّ داود -عليه السَّلام- ما نظر امرأةً ولا هويها، وأنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ما هَوَىٰ زينب، ولا أحبَّ طلاقها، ولعن الله الكذَّابين الذين يُلصقون بالأنبياء ما هم منه بُرءاء.

ومحمد بن يحيىٰ بن حَبَّان وقتادة لم يكذبا، لكن يُعاب عليهما أن يصدِّقا مثل هذا الكذب ويرويَاه، نسأل الله أن يتجاوز عنهما.

القول الصحيح

عن عليِّ بن زيد بن جُدْعان، قال: قال لي عليُّ بن الحسين، ما يقول الحسن في قوله: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ [الأحزاب: ٣٧]؟ فقلت له، فقال: لا. ولكنَّ الله أَعْلَمَ نبيَّه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أنَّ زينب -رضي الله عنها- ستكون من أزواجه قبل أن يتزوَّجها، فلمَّا أتاه زيدٌ يشكو إليه، قال: «**اتقِ اللهَ وأَمْسِك عليك زَوْجَك**»، فقال الله: قد أخبرتك أنِّي مُزوِّجُكَها، وتُخفي في نفسك ما الله مُبْدِيه؟

قال القرطبيُّ: «قال علماؤنا: وهذا القول أحسن ما قيل في تأويل هذه الآية، وهو الذي عليه أهل التحقيق من المفسِّرين والعلماء الرَّاسخين، كالزُّهريِّ والقاضي بكر بن العلاء القُشيريِّ والقاضي أبي بكر بن العربيِّ وغيرهم، والمراد بقوله تعال: ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾ [الأحزاب: ٣٧] إنَّما هو إرجاف المنَافقين، بأنَّه نهىٰ عن تَزويج نساء الأبناء، وتزَّوج بزوجة ابنه.

قال: «فأمَّا ما رُوي أنَّ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم هوىٰ زينب، وربما أطلق بعض المُجَّان لفظ «عَشِق»، فهذا إنَّما يصدر عن جاهلٍ بعصمة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن مثل هذا، أو مستخفٍّ بحرمته، قال الترمذيُّ الحكيم في "نوادر الأصول": وقد أُسند إلىٰ عليِّ بن الحسين قوله السَّابق: فعليُّ ابن الحسين جاء بهذا من خِزانة العلم، جوهرًا من الجواهر ودرًّا من الدُّرر، أنَّه إنَّما عتب الله عليه في أنَّه قد أعلمه أن ستكون هذه من أزواجك، فكيف قال

بعد ذلك لزيد: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ [الأحزاب: ٣٧]؟ وأخذتك خشية النَّاس أن يقولوا تزوَّج امرأة ابنه، والله أحقُّ أن تَخشاه؟

وقال النحَّاس: قال بعض العلماء: ليس هذا من النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم خطيئة؛ ألا ترى أنَّه لم يُؤمر بالتَّوبة ولا بالاستغفار منه، وقد يكون الشيء غير خطيئةٍ إلَّا أنَّ غيره أحسن منه، وأخفى ذلك في نفسه خشية أن يفتتن النَّاس.

استشكال وجوابه

قال ابن العربي: فإن قيل: لأي معنى قال له: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ وقد أخبره الله أنَّها زوجه.

قلنا: أراد أن يختبر منه ما لم يعلمه الله به من رغبته فيها أو رغبته عنها، فأبدى له زيدٌ من النَّفرة عنها والكراهية فيها ما لم يكن علمه منه في أمرها.

فإن قيل: كيف يأمره بالتمسُّك بها، وقد علم أنَّ الفراق لا بد منه؟ وهذا تناقضٌ.

قلنا: بل هو صحيحٌ للمقاصد الصَّحيحة لإقامة الحُجَّة ومعرفة العاقبة، ألا ترى أنَّ الله يأمر العبد بالإيمان، وقد علم أنَّه لا يؤمن، فليس في مخالفة الأمر لمتعلِّق العلم ما يمنع من الأمر به عقلًا وحكمًا».

زواج النَّبي بزينب

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ [الأحزاب: ٣٧].

عن أنسٍ قال: لما انقضت عِدَّة زينب، قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله

وسلَّم لزيدٍ: «**فاذْكُرها عليَّ**».

قال: فانطلق زيدٌ حتىٰ أتاها وهي تُخمِّرُ عَجِينها، قال: فلمَّا رأيتها عَظُمت في صدري حتىٰ ما أستطيع أن أنظر إليها؛ أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ذكرها، فولَّيتها ظهري، ونكصت علىٰ عقبي وقلت: يا زينب أرسل رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يذكرك. قالت: ما أنا بصانعةٍ شيئًا حتىٰ أُوَامِرَ ربِّي، فقامت إلىٰ مسجدها ونزل القرآن، وجاء رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فدخل عليها بغير إذنٍ.

وروىٰ الإمام جعفرٌ الصَّادق عن آبائه، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في قوله تعالىٰ: ﴿وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ لَمَّا أعلمه الله بذلك ، دخل عليها بغير إذنٍ ولا تجديد عقْدٍ، ولا تقرير صداقٍ، وهذا من خصوصيَّاته التي لا يشاركه فيها أحدٌ بإجماع المسلمين.

إرجاف المنافقين

أشاع المنافقون أنَّ محمدًا تزوَّج امرأة ابنه، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠].

إبطال التَّبنِّي عمومًا وخصوصًا

أبطل الله في هذه الآية التبنِّي بالنِّسبة للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم خاصَّةً، وأبطله في الآية السَّابقة ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤]. بالنِّسبة للنَّاس عامَّةً.

التبني لا يجوز

يحرم على المسلم أو المسلمة أن يتبنَّى طِفْلًا أو طِفْلةً كيفما كانت الأسباب والدَّواعي، ومن فعل ذلك فقد عصى الله وتحمَّل إثمًا كبيرًا.

وبعض النَّاس لا يكون له أولاد، وعنده مالٌ يخاف أن يرثه بعده إخوته الذين يكون بينه وبينهم خُصومةٌ فيتبنَّى طِفلًا، ويثبته في الحالة المدنيَّة؛ ليَحْرِم إخوته من الميراث، فمعصية هذا مضاعفةٌ وإثمه شديدٌ؛ لأنَّه ضمَّ إلى معصِيَة التبنِّي؛ حرمان ورثته، وكلاهما عند الله عظيمٌ.

التبني يشبه الزِّنا

من مفاسد الزِّنا ونتائجه: أنَّ الزَّاني أو الزَّانية يدخل في العائلة شخصًا دخيلًا، فتختلط الأنساب ويعظم الفساد، وكذلك المُتبنِّي يضمُّ للعائلة شخصًا غريبًا عنها لا علاقة له بها، فهو والزِّنا في هذه المفسدة سواء، ولذا حرَّمه الشَّارع وشدَّد فيه.

فعل الخير مطلوب

إذا أحبَّ شخصٌ أن يُربِّي يتيمًا أو فقيرًا حتى يبلغ رشده فله عند الله ثوابٌ كبيرٌ، وإذا أحبَّ أن يوصي له بشيءٍ من ماله وتكون الوصيَّة في حدود الثلث فثوابه أكثر وأجره أبقى، لكن تبنِّيه حرامٌ ولو كان أبوه مجهولًا.

وجوب التقاط الرضيع

يحصل في بعض الأحيان أن تَلِدَ امرأةٌ في الحرام وتخشى الفضيحة، فتترك مولودها بجانب الطريق أو على باب دارٍ وتلوذ بالفِرار، فمن وجده فلا يجوز له أنْ يتركه على ذلك الحال، بل يجب أن يأخذه إنقاذًا له من الهلاك، ويربِّيه في

بيته أو يسلِّمه إلى ملجأ أو إلى مَن يَعْلَم أنَّه يربِّيه ويعتني به.

ولد الزنا

روى ابن عديٍّ وأبو نُعيم في "الحلية" من طريق مجاهدٍ، عن أبي هريرة مرفوعًا: «**لايَدْخُلُ الجنَّة وَلَدُ زِنْيةٍ**». وأعلَّه الدَّارقطنيُّ بأنَّه منقطعٌ.

وله طرقٌ عن أبي سعيدٍ وعبد الله بن عمرو بن العاص، لكن فيها مجاهيل وضعفاء واضطراب، وقد ذكره ابن الجوزيِّ في "الموضوعات" وتُعُقِّبَ بأنَّه ضعيفٌ، ومع ضعفه يعارضه أمران:

قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١]، ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨]

روى الطبرانيُّ في "الأوسط": عن عائشة، عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**وَلَدُ الزِّنا ليس عليه مِن إثم أبويه شيءٌ**» ثُمَّ قرأ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

قال الحافظ الهيثميُّ: «فيه جعفر بن محمد بن جعفر المدائنيُّ ولم أعرفه، لكن قال الحافظ السَّخاويُّ: «سنده جيدٌ». قلت: وهو مؤيَّدٌ بالقرآن. وذهب جماعةٌ إلى أنَّ الحديث المذكور ليس مُخالِفًا للقرآن ولا للقواعد، وأوَّلُوه بعدَّة تأويلاتٍ، أجودها ما قرأته في كتاب "التدوين في تاريخ قزوين" للإمام الرَّافعي عن الإمام أبي الخير أحمد بن إسماعيل الطالقاني: أنَّه كان في جماعةٍ من العلماء تذاكروا حديث: «**لا يَدْخُلُ الجنَّةَ وَلَدُ زِنْيةٍ**» وتكلَّموا في معناه وتوجيهه، فقال الطالقانيُّ: إذا مات طفلٌ أبواه مؤمنان أُلحق بهما، وبلغ درجتهما بصلاحهما، كما جاء النَّص به في قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ

بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ [الطور: ٢١] الآية، وهذا في ولد الرشدة، أمَّا ولد الزِّنا فلا يدخل الجنَّة بعمل أصليه ولا يلحق بهما، أمَّا الزَّاني فنسبه منقطعٌ به، وأمَّا الزَّانية فشؤمٌ زناها وإن صلحت يمنع من وصول بركة صلاحها إليه، وهذا تأويلٌ جيدٌ جديرٌ بالقبول، وبه يزول الإشكال، ولذلك استحسنه العلماء من الطالقانيِّ أحد أئمَّة الشَّافعيَّة.

اختلاف العلماء في تأويل حديث: «فَرْخُ الزِّنا شرُّ الثلاثة».

اختلف العلماء في تأويل هذا الحديث على أقوال

روى أبو داود عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**وَلَدُ الزِّنا شَرُّ الثلاثة**».

وفي رواية الطَّحاويِّ في "مشكل الآثار": بلفظ «**فَرْخُ الزِّنا شرُّ الثلاثة**».

اختلف العلماء في تأويل هذا الحديث على أقوال:

ذهب الطَّحاويُّ في "مشكل الآثار" إلى أنَّ الحديث ورد في إنسانٍ بعينه، لمعنًى كان فيه، واستدل بما أخرجه من طريق عروة، قال: بلغ عائشة أن أبا هريرة يقول: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**وَلَدُ الزِّنا شَرُّ الثلاثة**» فقالت: يرحم الله أبا هريرة ساء سمعًا فساء إجابةً، لم يكن الحديث على هذا إنَّما كان رجلٌ يؤذِي رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقيل: يا رسول الله أما إنَّه مع ما به وَلَدُ زنا. فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**هو شَرُّ الثلاثة**».

قلت: هذا الحديث رواه الحاكم في "المستدرك" مُطوَّلًا من طريق سلمة بن

الفضل، عن محمد بن إسحاق، عن الزهريِّ، عن عروة، قال: بلغ عائشة أنَّ أبا هريرة يقول: إنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لأن أُمَتَّعَ بسَوْطٍ في سبيل الله، أحبُّ إليَّ من أنْ أَعْتِقَ وَلَدَ زِنا**» وأنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ولد الزِّنا شرُّ الثلاثة، وأنَّ الميت يعذَّب ببكاء الحيِّ**» فقالت عائشة: رحم الله أبا هريرة أساء سمعًا فأساء إجابةً.

أمَّا قوله: «**لأنْ أُمَتَّعَ بسَوْطٍ في سبيل الله أَحَبُّ إليَّ مِن أن أُعتِقَ وَلَدَ زِنا**» فإنَّها لما نزلت ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ [البلد: ١١ – ١٢]، قيل: يا رسول الله، ما عندنا ما نَعتِقُ، إلَّا أنَّ أحدنا له جاريةٌ سوداء تخدمه وتسعىٰ عليه، فلو أَمَرْناهنَّ فزَنَيْنَ فجئنَ بالأولاد فأعتقناهم، فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لأن أُمَتَّعَ بسَوْطٍ في سبيلِ الله، أحبُّ إليَّ مِن آمر بالزِّنا ثُمَّ أُعتِقَ الوَلَدَ**».

وأما قوله: «**ولد الزِّنا شرُّ الثلاثة**» فلم يكن الحديث علىٰ هذا، إنَّما كان رجلٌ من المنافقين، يؤذي رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**مَن يعذرني مِن فلانٍ؟**» فقيل: يا رسول الله مع ما به؛ ولد زنا. فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**هو شَرُّ الثلاثة**». والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

وأمَّا قوله: «**إنَّ الميتَ ليُعَذَّبُ ببكاء الحيِّ**»، فلم يكن الحديث علىٰ هذا، ولكنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مرَّ بدار رجلٍ من اليهود قد مات وأهله يبكون، فقال: «**إنَّهم يبكون عليه، وإنَّه ليُعَذَّب**»، والله عزَّ وجلَّ يقول:

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

صحَّحه الحاكم على شرط مسلمٍ، وليس كذلك؛ سلمة ليس من شرط مسلمٍ، وهو صدوقٌ كثير الخطأ كما في "التقريب"، وفي السند عنعنةٌ ابن إسحاق.

روى عبد الرزَّاق، عن ابن جريجٍ، عن عبدالكريم، قال: كان أبو ولد الزِّنا يكثر أن يمرَّ بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فيقولون: هو رجل سوءٍ يا رسول الله، فيقول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**هو شَرُّ الثلاثة**»، يعني: الأب. قال: فحوَّل النَّاس الولد شرُّ الثلاثة، وكان ابن عمر إذا قيل: «**ولد الزِّنا شرُّ الثلاثة**»، قال: بل هو خير الثلاثة.

قال الخطابيُّ: هذا الذي تأوَّله عبدالكريم أمرٌ مظنونٌ لا يدرى صحَّته، والذي جاء في الحديث إنَّما هو: «**وَلَدُ الزِّنا شرُّ الثلاثة**»، فهو على ما قاله رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

وقول ابن عمر: هو خير الثلاثة، معناه: أنَّه لا إثم عليه في الذنب الذي باشر والده.

قال بعضهم: «إنَّما صار ولد الزِّنا شرًّا من والديه؛ لأنَّ الحد قد يقام عليهما فتكون العقوبة مختصةٌ بهما وكفَّارةٌ لهما، وهذا من علم الله لا يدري ما يصنع به».اهـ وهذا ضعيفٌ أو باطلٌ.

روى البيهقيُّ في "السنن" من طريق معاوية بن صالحٍ: حدَّثني السَّفَرُ بن نُسَيرٍ أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إنَّما قال: «**وَلَدُ الزِّنا شرُّ الثلاثة**» إنَّ أبويه أسلما ولم يُسْلِم هو، فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**هو شرُّ**

الثلاثة»، قال البيهقيُّ: وهذا مرسلٌ.

قلت: والسِّفَر ضعيفٌ ووقع في "عون المعبود"، و"شرح تهذيب السنن" في التعليق عليه: السَّفَر بن بشير بالموحدة والشين المعجمة، وهو خطأ.

روىٰ البيهقيُّ من طريق سفيان الثَّوريِّ، عن سهيل بن أبي صالحٍ، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: سُئل رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن وَلَدِ الزِّنا؟ فقال: «**هو شَرُّ الثلاثة**» قال سفيان: يعني إذا عمل بعمل والديه.

قلت: وعمل والديه أنَّهما خلَّفَاه من الزِّنا فإذا خلف ولدًا من الزِّنا أيضًا كان شرًّا منهما.

روىٰ البيهقيُّ أيضًا عن ابن عبَّاسٍ قال: ولد الزِّنا شرُّ الثلاثة؛ لأنَّ أبويه يتوبان.

روىٰ البيهقيُّ أيضًا عن رجلٍ، عن الحسن، قال: إنَّما سُمِّيَ ولد الزِّنية شرُّ الثلاثة؛ أنَّ أُمَّه قالت له: لست لأبيك الذي تُدعىٰ به، فقتلها، فسُمِّيَ شرُّ الثلاثة.

قال الخطابيُّ: «وقد قال بعض أهل العلم: معناه: إنَّه شرُّ الثلاثة أصلًا وعنصرًا ونسبًا ومولدًا؛ وذلك لأنَّه خُلق من ماء الزَّاني والزَّانية، وهو ماءٌ خبيثٌ. وقد روي في بعض الحديث«**العِرْقُ دسَّاس**» فلا يؤمن أنْ يؤثِّر ذلك الخُبث فيه، ويدبَّ في عُروقه، فيحمله علىٰ الشرِّ ويدعوه إلىٰ الخُبث، وقد قال الله سبحانه في قصة مريم: ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٨]. فقضوا بفساد الأصل علىٰ فساد الفرع».اهـ

قلت: فتكون شَرِّيَّته من جهة الوراثة، لا دخل للعقوبة فيها، وعلم

الوراثة صحيح أثبته النقل والعقل.

فأمَّا ما رواه ابن جريرٍ وابن أبي حاتمٍ وأبو الشيخ عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعًا في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

قال: «**إنَّ الله لَمَّا ذَرَأَ لجهنَّم ما ذَرَأَ، كان وَلَدُ الزِّنا ممَّن ذَرَأَ لجهنَّم**».

فهو حديثٌ واهٍ لا تجوز روايته، ومعناه باطلٌ وبقيَّة الآية ترده ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩] الآية. وولد الزِّنا إن لم يكن فيه هذه الصفات، لم يكن ممَّن ذَرَأَه الله لجهنَّم.

هل يجوز إعتاقه؟

روىٰ أبو داود والحاكم والبيهقيُّ حديث: «**ولد الزِّنا شرُّ الثلاثة**» في كتاب العِتق، إشارةً إلىٰ كراهة عِتق ولد الزِّنا، ومرَّ الجواب عنه بما فيه كفاية.

وفي "الموطأ": «قال مالكٌ: إنَّه بلغه عن المقبريِّ أنَّه قال: سُئل أبو هريرة عن الرَّجل تكون عليه رقبةٌ هل يعتق فيها ابن زنا؟ فقال أبو هريرة: نعم ذلك يُجزئ عنه.

وحدَّثني مالكٌ: أنَّه بَلغه عن فُضالة بن عبيد الأنصاريِّ وكان من أصحاب رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: أنَّه سُئل عن الرجل تكون عليه رقبةٌ، هل يجوز له أن يعتق ولد زنا؟ قال: نعم، ذلك يُجزئ عنه.

وفي "موطأ محمد": «أخبرنا مالكٌ حدَّثنا نافعٌ: أنَّ عبد الله بن عمر أعتق

ولد زنا وأُمَّه. قال محمدٌ: لا بأس بذلك وهو حسنٌ جميلٌ. بلغنا عن ابن عبَّاسٍ، أنَّه سُئل عن عبدين أحدهما لبغيَّةٍ، والآخر لرِشْدَةٍ أيهما يُعتَقُ؟ قال: أغلاهما ثمنًا. فوجدوا ولد الزَّانية أكثرهما ثمنًا بدينارٍ، فأمر به. قال محمدٌ: فهكذا نقول، وهو قول أبي حنيفة والعامَّة من فقهائنا».اهـ

وقول ابن عبَّاسٍ رواه البيهقيُّ في "السنن"، وروي عن الشَّعْبيِّ مثله.

وعن عائشة أنَّها قالت في أولاد الزِّنا: أعتقوهم وأحسنوا إليهم.

وعن نافعٍ: أنَّ ابن عمر أعتق غلامًا له ولد زنا.

وعن نافعٍ، عن ابن عمر: أنَّه أعتق ولد زِنيةٍ، وقال: قد أمرنا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أنْ نَمُنَّ علىٰ مَن شَرٌّ منه، قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمد: ٤].

وعن الحسن: أنَّه كان يرىٰ ولد الزِّنا وغيره في العتق سواء، وهذه الآثار مرويَّـةٌ في "سنن البيهقي".

وروىٰ عبد الرزَّاق عن مَعْمَرٍ، عن الحسن وقتادة، قالا: «يجوز في الرَّقبة الواجبة ولد الزِّنا؛ لأنَّ كلَّ مولودٍ علىٰ الفطرة».

وروىٰ عبدالرَّزاق عن ابن جريجٍ، قال: أخبرني عمرو بن دينار أنَّ الزُّبير بن موسىٰ بن ميناء أخبره أنَّ أمَّ صالحٍ ابنة طارق بن علقمة أخبرته: أنَّها سألت عائشة أمَّ المؤمنين عن إعتاق أولاد الزِّنا، فقالت: «أعتقوهم وأحسنوا إليهم».

ورواه هو والبيهقيُّ من طريق ابن عُيَيْنة، عن الزُّبير بن موسىٰ، عن أمِّ حكيمٍ ابنة طارق، عن عائشة مثله، قال: وأظنه قال: قالت: «واستوصوا بهم».

وروىٰ عبدالرزَّاق عن سليمان بن يسارٍ: أنَّ عمر بن الخطاب قال في أولاد الزِّنا: «أعتقوهم وأحسنوا إليهم».

وروي أيضًا عن خارجة بن زيدٍ: أنَّ زيد بن ثابت أعتق غلامًا له مجوسيًّا، وأعتق ولد زِنْيةٍ.

مَن كَرِه إعتاقه

روىٰ عبدالرزَّاق عن الزُّهري: أنَّ عمر بن الخطاب قال: «لأن أَحْمِلَ علىٰ نعلين في سبيل الله، أَحبُّ إليَّ من أنْ أعتق ولد زنا».

ورواه البيهقيُّ من طريق الزُّهريِّ، عن أبي حسن مولىٰ عبد الله بن الحارث بن نوفل: أنَّه سمع امرأةً تسأل عبد الله بن نوفل في غلامٍ لها ابن زِنيةٍ، في رقبةٍ كانت عليها؟ قال عبدالله: لا أراه يقضي الرَّقبة التي عليك عتق ابن زِنيةٍ، قال عبد الله: سمعت عمر بن الخطاب يقول: «لأنَّ أحمل علىٰ نعلين في سبيل الله، أحبُّ إليَّ من أَعتق ولد زِنْيةٍ».

وروىٰ عبدالرزَّاق، عن مَعْمَرٍ، عن أبي عمر المدنيِّ قال: جاء رجلٌ إلىٰ ابن عمر فقال: إنَّها كانت عليَّ رقبةٌ، ثُمَّ ابتعتُ مِن رجلٍ رقبةً فأَعتَقتُها، ثُمَّ أُخبرت أنَّ صاحبها التَقَطَها التِقَاطًا. فقال ابن عمر: لم يقبل الله منك رقبتك، فاذهب فخُذ ورقك، قال فإنِّي قد أَعتَقتُها، قال: قد أمرتك هو ذاك، لا تجزيء عنك».

قلت: الرِّواية عن ابن عمر بعتق ولد الزِّنا أصحُّ.

وروىٰ عبد الرَّزاق عن طاوس قال: لا يجزئ ولد الزِّنا في الرَّقبة الواجبة، وروىٰ مثله عن الزُّهريِّ.

قلت: مذهب الجمهور وفي مقدمتهم ابن عبَّاسٍ وابن عمر وزيد بن ثابتٍ وفُضالة بن عبيدٍ، وعائشة وأبو هريرة: أنَّ عتق ولد الزِّنا حسنٌ جميلٌ يجزئ عن الرَّقبة الواجبة، وهو الرَّاجح؛ لأنَّ الله تعالىٰ إنَّما شرط في كفَّارة القتل رقبة مؤمنة لا غير، فولد الزِّنا المؤمن يكفي عتقه في أيِّ رقبةٍ واجبةٍ بلا شكٍّ.

الخلاصة

ولد الزِّنا مثل غيره من المسلمين، إن كان صالحًا تقيًّا أو عصىٰ ثُمَّ تاب ومات تائبًا فله الجنَّة، وإن مات عاصيًا فهو تحت المشيئة، إمَّا أن يُعاقب علىٰ عصيانه ثُمَّ يدخل الجنَّة بشفاعةٍ أو عفوٍ، وإمَّا أن يعفو الله عنه فلا يعذِّبه، وهذا حال جميع المسلمين.

إمامة ولد الزنا وشهادته

قال ابن أبي شيبة: حدَّثنا وكيع قال: حدَّثنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة أنَّها كانت إذا سُئلت عن ولد الزِّنا قالت: ليس عليه من خطيئة أبويه شيءٌ، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]. وعن الزُّهريِّ قال: «كان أئمَّةٌ من ذلك العمل». يعني من أولاد الزِّنا.

وقال إبراهيم النَّخعيُّ: «لا بأس أن يؤمَّ ولد الزِّنا».

وعن مُطرِّف، عن الشَّعْبيِّ: أنَّه سُئل عن إمامة ولد الزِّنا؟ فقال: «إنَّ لنا إمامًا، ما نعرف له أبًا».

وعن الشَّعْبيِّ أيضًا قال: «تجوز شهادته ويَؤمُّ».

وعن الحسن قال: «ولد الزِّنا وغيره سواءٌ».

وعن الرَّبيع بن المنذر الثَّوريِّ قال: سألت الحارث العكليَّ عن ولد الزِّنا يؤمُّ؟ قال: نعم.

وقال أبو حنيفة سألت عطاء عن ولد الزِّنا يؤم القوم؟ فقال: لا بأس به أليس منهم -أي أولاد الزِّنا- من هو أكثر صومًا وصلاةً مِنَّا؟

هذه الآثار في "مصنَّف ابن أبي شيبة" بأسانيدها.

وفي "مصنف عبدالرزاق" عن ابن جريجٍ قال: سأل سليمان بن موسىٰ عطاء عن ولد الزِّنا إذا كان رضًا- أي مرضيًّا- أيؤمُّ القومَ؟ قال: نعم. قال سليمان: ونحن نرىٰ ذلك.

وعن ابن جريجٍ قال: أنَّ عمرو بن دينار ما رأىٰ بأسًا.

وعن زهير بن أبي ثابت قال: سمعت الشَّعْبيَّ يقول: «ولد الزِّنا يَنْكح، ويُنْكَح إليه، وتجوز شهادته ويؤمُّ».

وعن مَعْمَرٍ قال: سألت الزُّهري: هل يؤمُّ ولد الزِّنا؟ قال: «نَعَمْ، وما شَانَه[1]»، قلت: فالمخنَّث؟ قال: «لا، ولا كرامة، ولا يؤتمُّ به».

وقال ابن حزمٍ في "المحلَّىٰ": «مسألةٌ: والأعمىٰ والبصير والخَصيُّ والفحل والعبد والحرُّ وولد الزِّنا والقرشيُّ سواءٌ في الإمامة في الصَّلاة، كلُّهم جائزٌ أن يكون إمامًا راتبًا، ولا تفاضل بينهم إلَّا بالقراءة والفقه، وقِدَمِ الخير والسِّنِّ فقط، وكَرِه مالكٌ إمامةَ ولد الزِّنا، وكون العبد إمامًا راتبًا، ولا وجه لهذا القول؛ لأنَّه لا يوجبه قرآنٌ ولا سُنَّةٌ صحيحةٌ ولا سقيمةٌ، ولا إجماعٌ ولا قول صاحبٍ، وعيوب النَّاس في أديانهم وأخلاقهم، لا في أبدانهم وأعراقهم، قال الله عزَّ

---

(١) فعل ماضي معناه: عابه.

وجلَّ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]. ولو كان لشيءٍ ممَّا ذكرنا حُكْمٌ في الدين لما أغفله الله على لسان رسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤].

والعجب كلُّه في الفرق بين الإمام الرَّاتب وغير الرَّاتب!! وروي عن وكيع عن الرَّبيع بن صُبيح عن الحسن، قال: ولد الزِّنا رجلٌ من المسلمين، يؤمُّ وتجوز شهادته إذا كان عَدْلًا.

وذكر آثارًا عن إبراهيم النَّخعيِّ والزُّهريِّ والحسن والشَّعْبيِّ وغيرهم ذكرناها فيما مضى آنفًا.

فإمامة ولد الزِّنا جائزةٌ مُطلقًا بإجماع التَّابعين، إلَّا ما نُقل عن عمر بن عبدالعزيز ومجاهدٍ بإسنادين ضعيفين: أنَّهما كَرِهاها، ولا وجه للكراهة كما قال ابن حزمٍ.

وكذلك أجمع الأئمَّة بعد التَّابعين، على صحَّة إمامة ولد الزِّنا، وشهادته إذا كان عَدْلًا.

وهذا آخر ما أردت كتابته وتحريره، في موضوعٍ غفل النَّاس عن تحريمه في القرآن، بل اعتبره بعضهم نوعًا من أنواع الخَيْر والطَّاعة، ولم يعلموا أنَّ ما حرَّمه الله يكون شَرًّا لا خيرًا، ومعصيةً لا طاعةً.

وأنَّ الله تعالى لا يتقرَّب إليه عبدٌ بما حرَّمه عليه، والله يقول الحقَّ وهو يهدي السبيل والحمد لله ربِّ العالمين.

تتمة

منذ أكثر من خمسين سنةً، حَضَرَ إلى طَنْجَة شاميٌّ اسمه الحاج عيسى، واتصل بمولانا الإمام الوالد -رضي الله عنه- وأخذ عنه نسبة الطريقة، وكان مجتهدًا في العبادة والذِّكر محافظًا على الصَّلوات الخمس ورواتبها، ولسانه لا يفتر عن الذِّكر، وتزوَّج في دشر حسانة من قبيلة أنجرة، وخلَّف ولدين اسم أكبرهما محمَّدٌ ثُمَّ اختفى مدَّةً، ثُمَّ ظهر بعد نحو عشر سنوات في باخرةٍ إنجليزيَّة مرَّت بطَنْجَة في طريقها إلى الشَّرق، ورآه بعض المريدين في الباخرة، وعَلِمَ أنَّه يهوديٌّ ذاهبٌ إلى فلسطين، أمَّا ولده محمد فقد حفظ القرآن وتعلَّم شيئًا من علم العبادات، وكان مدرِّسًا للصبيان يعلمهم القرآن، ويخطب الجُمعة، ويصلِّي بالنَّاس الصَّلوات وكان صالحًا، وعلم بعض النَّاس بحكاية والده، فتوقَّفوا عن الصَّلاة خلفه، وأفتاهم بذلك بعض الجهلة بدعوى أنَّه ابن زنا، أو أنَّ أباه يهوديٌّ، وكلُّ ذلك خطأ قبيحٌ، بل إنَّ أباه حين تزوَّج كان مسلمًا ثُمَّ ارتدَّ فنكاحه قبل رِدَّته صحيحٌ.

٨- واضِحُ البُرْهَانِ
على تَحْرِيمِ الخَمْرِ والحَشِيشِ في القُرْآنِ

الخَمْـــرُ رِجْـــسٌ فاجْتَنِبْهَـــا مُطْلَقًـــا إنْ كُنْتَ تَبْغِي جَنَّـــةَ الرِّضْـــوانِ

وحَشِيشَـــةٌ أَفْيِـــونُ جَـــوْزَةُ بَابِـــلٍ تَبًّـــا لهـــا مُؤْذِيَـــةَ الإنْســـــانِ

الشَّـــرْعُ حَرَّمَهَـــا وبَـــيَّنَ إثْمَـــهَا لا تَقْرَبَنْـــهَا تَـنْجُ مِـنْ خُسْـرَانِ

واقْـــرَأْ لِتَعْـــرِفَ قُبْحَهَـــا وفَسَـــادَهَا هَـــذَا المُؤَلَّفَ واضِحَ البُرْهَـانِ

جَمَـــعَ البُحُـــوثَ مُفَصِّـــلًا أَنْوَاعَهَـــا مُتَضَـمِّنًا تَوْضِيحَـــهَا ببَيَـــانِ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي وَهَبَ الإنسانَ العقل وجعله سبب التكليف، وكرَّمه بذلك على كثيرٍ مِن خَلْقِهِ وشَرَّفَهُ أيَّما تشريف، وحَرَّم عليه استعمال ما يُؤثِّر في هذه الهِبة الإلهيَّة بإزالةٍ أو تخديرٍ أو تفتيرٍ، وتوعَّده على ذلك وحذَّره أيَّما تحذير.

والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّدٍ الذي وصَفَهُ مولاه ذو الجلال بأنه يُحرِّم على أُمَّته الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال، ورضي الله عن آله الأطهار من سائر الأرجاس والأوزار، وعن صحابته الأخيار، وعمن تبع صراطهم السوي من المُوفَّقين الأبرار.

أمَّا بعد: فقد ظهر في هذا الزمن الذي كَثُر شَرُّه، وقَلَّ خيره فكرةٌ خبيثةٌ فَشَتْ بين كثيرٍ من المُتعلِّمين -في زعمهم وهم في الواقع جُهلاء- ردَّدوها في مجالسهم الخاصَّة ثُمَّ تناقلوها في المحافل العامَّة، وجادلوا عنها وجالَدوا، وأبدأوا القول فيها وأعادوا، حتى استمالوا إليهم بعض مَن ضَعُفَ عِلْمه أو سَقُمَ فهمه، وأصبح من العسير على بعض المُتمسِّكِين بدينهم، الغُيُر[1] على عقيدتهم أن يناقشوهم أو يباحثوهم؛ لأن أولئك المُتعلِّمين أو الجُهلاء زَخْرفوا القول ونمَّقوه، فخلعوا على الباطل رُوَاءَ الحَقِّ، وألبسوا الضلالة ثوب الهداية،

---

(١) بضمِّ الغين والياء: جمع غَيُور، مثل رَسُول ورُسُل، ومِن الأغلاط الشائعة بين الكُتَّاب والأُدباء قولهم: الغيورين، وهو غلطٌ، كجمعهم خروفًا على خِراف، وهو خطأ شنيع، والصواب: خِرْفان، بكسر الخاء وسكون الراء.

وساقوا دعواهم الفاسدة وفكرتهم الخبيثة مساق الاستدلال على مقتضى القواعد المعهودة فيما يبدو للنَّظر، حيث قالوا: ليس في القرآن دليلٌ صريحٌ في تحريم الخَمْر، بل غاية ما جاء فيه قوله تعالى عن الخَمْرِ والمَيْسِرِ والأَنصابِ: ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩٠]، والأمر بالاجتناب لا يقْوَى قوَّة التحريم المُصرَّح به في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ﴾ [المائدة: ٣] الآية.

فالتحريم في هذه الآية ونحوها صريحٌ قاطعٌ، بخلاف الاجتناب في الخمر فليس صريحًا في التحريم فَضْلًا عن أن يكون قاطعًا.

وغرضهم بهذا الكلام المُموَّه التوصُّل إلى إباحة الخَمْر والتنصُّل ممَّا ورد في السُّنَّة مِن أدلَّة تحريمها ولعن بائعها ومشتريها وشاربها.

لكنهم لم يصنعوا شيئًا سوى أنهم برهنوا على أنهم ضعفاء الفهم، بسطاء التفكير، قليلو الإدراك؛ لأن في القرآن الكريم أحد عشر دليلًا على تحريم الخمر والتشديد فيها، بحيث تكون في أقصى دركات التحريم.

بل نَظَمَها القرآنُ مع الشِّرك بالله سبحانه وتعالى في سِلْكٍ، لينفي عن قبحها وتحريمها كلَّ وَهْمٍ وشكٍّ.

غير أنَّ تلك الأدلة يحتاج استخراجها إلى شيءٍ من الفِكْر الناضج والتفهُّم الصحيح والتأمُّل الدقيق، فيظهر تحريم الخمر صريحًا ويصير قبحها لكلِّ أحدٍ واضحًا.

وهذا شأن القرآن الكريم، من تَدَبَّره وتفكَّر وتأمَّل فيه وتبصَّر، استخرج منه لآلئ المعاني وغُرَر الفوائد، أمَّا من فهمه فهمًا سَطْحِيًّا فلا يَحظى منه إلَّا

بالمعنى الظاهريِّ الذي يدركه كلُّ واحدٍ.

فلهذا كتبت هذا الجزء في بيان دلالة القرآن الكريم على تحريم الخمر، مع بيان تحريمها من السُّنَّة النبوية الشريفة، وأضفت إليه بيان تحريم المُخَدِّرات، كالحشيشة ونحوها، وسمَّيته **"واضح البرهان، على تحريم الخمر والحشيش في القرآن"**.

ورتبته على بابين وخاتمة، واللهُ المسئول أن يُثيبني عليه، وأن يجعله عملًا مقبولًا لديه، وأن يرزقني التوبة والهداية إلى الرشاد، إنه كريمٌ جوادٌ.

الباب الأول

في استنباط تحريم الخمر من القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠ – ٩١]، قال أبو بكرٍ الرازيُّ في "أحكام القرآن": «يُستفاد تحريم الخمر من هذه الآية من تسميتها رِجْسًا، وقد سُمِّي به ما أجمع على تحريمه وهو الخنزير، ومن قوله: ﴿مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾؛ لأن ما كان من عمل الشيطان حَرُم تناوله[1] ومن الأمر بالاجتناب وهو للوجوب، وما وجب اجتنابه حَرُم تناوله، ومن الفلاح[2] المُرتَّب على الاجتناب، ومن كون الشُّرب سببًا للعداوة والبغضاء

---

(١) لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦] أخبر الله سبحانه أنَّ الشيطان عدوٌّ لنا، وأمرنا أن نتَّخذه عدوًّا، فيحرم علينا كل ما نُسب إليه من أقوال وأعمال، والخمر من عمل الشيطان، فهي حرامٌ.

(٢) والفلاح -هو الفوز في الآخرة- يجب علينا تحصيله بفعل الطاعات واجتناب المعاصي، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١]، وبين فلاحهم بما فعلوه من الطاعات، وما اجتنبوه من المعاصي فقال: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٢] الآيات، ورتَّب حصول الفلاح في آياتٍ كثيرةٍ على فعل طاعةٍ أو اجتناب معصيةٍ، وحيث رتَّب الفلاح في هذه الآية على اجتناب الخمر وما معها، فيكون تناولها حرامًا؛ لأنها ضد الفلاح المطلوب.

بين المؤمنين، وتعاطي ما يُوقِع ذلك حرامٌ[١]، ومن كونها تصدُّ عن ذِكْر الله وعن الصَّلاة[٢]، ومن ختام الآية بقوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾، فإنه استفهام معناه الرَّدْع والزَّجْر[٣]، ولهذا قال عمر لما سمعها: انتهينا. انتهينا».اهـ

وقال الإمام أحمد بن يحي بن المرتضي الزيديُّ المتوفَّى سنة (٨٤٠هـ) في كتاب "البحر الزخَّار الجامع لمذاهب علماء الأمصار" في «كتاب الأشربة» منه ما نصُّه: «والخمر مُحرَّمةٌ إجماعًا، لقوله تعالى: ﴿رِجْسٌ﴾، فحرَّمتها الآية من وجوهٍ: حيث قرنها بالأزلام، وسمَّاها رِجْسًا، ومِن عمل الشيطان، وقال تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾، وقال أيضًا ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، ووصفها بالصدِّ عن ذِكْر الله، وقال تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾».اهـ

---

(١) لأن الله تعالى قال: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣]أوجب الله في هذه الآية الاتحاد والتآلف، ونهانا عن التفرُّق، وبيَّن مَضَارَّ العداوة وما تؤدِّي إليه من دخول النار، وحيث أنَّ الخمر توقع في العداوة والبغضاء فتكون مُحرَّمةً.

(٢) وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]وما يصد عنها يكون مَدْعَاةً لصدهما فيحرُم، والخمر تصدُّ عنهما فهي مُحرَّمةٌ .

(٣) فيكون معناه: ارتدعوا وانزجروا وانتهوا عن شرب الخمر، ولذا قال عمر: انتهينا يا ربِّ؛ لأنه فهم منه زجرًا يزعج القلوب، ويرغمها على الانتهاء من هذه المُحرَّمات.

فاتفق كلامه مع كلام أبي بكر الرازي في استنباط أدلة تحريم الخمر من الآية الكريمة إلا في موضعٍ واحدٍ، فالرازي لم يذكر قرنها بالأزلام، وابن المرتضىٰ لم يذكر إيقاعها في العداوة والبغضاء، وكلٌّ منهما يقتضي تحريم الخمر، إلَّا أن دليل قرنها بالأزلام يُستفاد منه مع ضميمة آيةٍ أخرىٰ دليلٌ ثامن، والآية الأخرىٰ هي قوله تعالىٰ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ﴾ [المائدة: ٣]

فصرَّح الله في هذه الآية بتحريم الاستسقام بالأزلام وسمَّاه فِسْقًا، وحيث قَرَنَ الله الخمر بالأزلام في الآية المُتكلَّم عليها فتكون مُحرَّمةً وفِسْقًا مثلها.

فتبيَّن من هذا: أنَّ الآية تدل علىٰ تحريم الخمر من ثمانية أوجهٍ، كلُّها واضحةٌ في التحريم لا تقبل احتمالًا أو تأويلًا، إلَّا أننا نريد أن نبيِّن أنَّ الأمر بالاجتناب للوجوب إدحاضًا لزعم أولئك الجَهَلة الذين يُنازعون في ذلك؛ لبعدهم عن فهم اللسان العربي، وقصورهم عن تذوُّق أساليب القرآن الكريم وما فيه من المعاني والأسرار.

ثُمَّ إنَّ الكلام علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ ينحصر في ناحيتين:

الناحية الأولى: في معنىٰ الاجتناب المُستفاد من مادَّة اللفظ، ومعناه في اللغة: أن تجعل الشيء جانبًا وناحيةً، بعيدًا منك. فيكون معنىٰ ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾: فاجعلوا الرِّجْسَ من الخمر والميسر والأنصاب في جانبٍ وأنتم في جانبٍ آخر، وهذا أبلغ ما يكون في تحريم هذه الأشياء والبعد عنها والتنفير منها.

الناحية الثانية: في مدلول الأمر المستفاد من صيغة اللفظ، ذلك أن ﴿فَٱجۡتَنِبُوهُ﴾ أمرٌ بالاجتناب، والأمر يدل على الوجوب حقيقةً، والدليل على ذلك من القرآن أيضًا، وذلك في بضعة مواضع:

الأول: قوله تعالى في قصة آدم: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ﴾[1] [الأعراف: ١١ – ١٢].

المراد بالاستفهام في الآية الذمُّ واللوم باتفاق العلماء، فقد ذَمَّ الله سبحانه وتعالى إبليس على ترك السجود لورود الأمر به، ولو لم يكن الأمر للوجوب لما ذمَّه الله ولا لامه؛ لأن الذمَّ لا يكون إلَّا على ترك واجبٍ.

وأيضًا: لو لم يكن الأمر للوجوب لكان لإبليس أن يقول: إنك ما ألزمتني

---

(١) تدل هذه الآية على أنَّ إبليس كان مُخاطبًا بالسجود لآدم وإن لم يكن من الملائكة؛ لأن الأمر للأعلى –وهم الملائكة– أمر للأدنى –وهو إبليس– بالأولى، وفي هذه الآية مع قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ﴾ [الكهف: ٥٠] دليلٌ على عصمة الملائكة؛ لأن الله تعالى أثبت أنهم أطاعوا الأمر جميعًا، واستثنى من ذلك إبليس، وأخبر أنَّ سبب فِسْقِهِ وعِصْيانه كونه من الجنِّ، فثبت أنَّ الملائكة معصومون، وأنَّ الجنَّ غير معصومين، وما يروى عن ابن عبَّاسٍ: أنَّ إبليس كان من صنف من الملائكة يقال لهم: الجن، غير صحيحٍ عنه، ولو صحَّ فالقرآن يردُّه؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوّٞ﴾ [الكهف: ٥٠] والملائكة لا ذريَّة لهم؛ لأنهم لا يتناسلون.

السجود، ولا أوجبته عليَّ. لكنه لم يقل ذلك، لأنه علم أنَّ السجود واجبٌ عليه بالأمر، بل عَدَلَ إلى قوله: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

الثاني: قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ [طه: ٩٢ - ٩٣]، وكان موسى حين ذهب إلى المُناجاة أمر هارون بما جاء في الآية الأخرى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢]، فسمَّى موسى أخاه هارون عاصيًا؛ لظنه أنه خالف أمره، ولا يُسمَّى عاصيًا إلا تارك الواجب، أمَّا تارك المندوب فلا يُسمَّى عاصيًا.

الثالث: قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾[1] أي: يعرضون عنه فلا يمتثلونه ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]

توَّعد الله مخالف الأمر بالفتنة في الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة، وما ذاك إلَّا لأنَّ الأمر يدل على الوجوب؛ لأن تارك المندوب لا يستحقُّ فتنةً ولا عذابًا.

---

(١) الضمير في ﴿أَمْرِهِۦٓ﴾ يعود على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وفي هذه الآية كالتي بعدها وهي: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْۗ﴾[الأحزاب: ٣٦] دليلٌ على وجوب اتباع أوامر الرسول الزائدة على القرآن؛ لأن الله تعالى أثبت لرسوله أمرًا، وأوجب اتباعه، وحذَّر من مخالفته، والأوامر التي في القرآن هي أوامر الله لا تُنسب إلى رسوله حقيقةً ولا مجازًا، بل ليس له فيها إلَّا التبليغ، وهذا واضحٌ لا خفاء فيه، فالمُبتدعة مُلْزَومون باتباع السُّنَّة بنصِّ القرآن.

الرابع: قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، قضى في الآية بمعنى: أمر، والمعنى: وما كان لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ إذا أمر الله ورسوله أمرًا أن يكون لهم الخِيَرة في أن يفعلوا أو لا يفعلوا، بل لابُدَّ من امتثال الأمر وتنفيذه حتمًا مُحتَّمًا، فهذا قاطعٌ في أنَّ الأمر للوجوب، لا سيِّما وقد خَتَمَ الآية بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

الخامس: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧]، قال ابن حزمٍ: «في هذه الآية بيان جَلِيٌّ رافعٌ لكلِّ شكٍّ في أنَّ من لم يفعل ما أمر به فقد عصى؛ لأنه تعالى بيَّن أنَّ نبيَّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إن لم يُبلِّغ كما أمر فلم يفعل ما أمر به، ولا معنى لهذا الخبر إلَّا أنَّ خلاف الأمر معصيةٌ».اهـ

وبقيت أدلةٌ أخرى مبسوطةٌ في كتب الأصول، وفيما ذكرناه من الأدلة كفاية في المقصود -وهو دلالة الأمر على الوجوب- فالأمر في آية الخمر يدل على وجوب اجتنابها قطعًا هذا لو كان وحده، كيف وقد انضمَّ إليه تسميتها رِجْسًا ومِن عمل الشيطان، وتصدُّ عن ذكر الله وعن الصلاة، وتُوقِع العداوة والبغضاء... إلخ ما سبق؟

وإذا كان اجتنابها واجبًا كان شربها حرامًا، ولهذا فهم النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم والصحابة من الآية تحريم الخمر، كما ثبت في الأحاديث الصحيحة الكثيرة، ونحن نورد بعضا منها :

ففي "مسند أبي داود الطيالسي" عن ابن عمر قال: نزلت في الخمر ثلاث آياتٍ، فأول شيءٍ نزل: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ [البقرة: ٢١٩] الآية، فقيل: حُرِّمت الخمر، فقالوا: يا رسول الله دَعْنا ننتفع بها كما قال الله تعالىٰ، فسكت عنهم، ثُمَّ نزلت هذه الآية: ﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ﴾ [النساء: ٤٣]، فقيل: حُرِّمت الخمر، فقالوا: يا رسول الله إنا لا نشربها قُرْبَ الصَّلاة، فسكت عنهم، ثُمَّ نزلت: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ الآيتين، فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «حُرِّمَتِ الخَمْرُ».

وفي "مسند الإمام أحمد" عن أبي هريرة قال: حُرِّمت الخمر ثلاث مرَّاتٍ: قَدِمَ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم المدينة وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر، فسألوا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عنها؟ فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ الآية، فقال الناس: ما حُرِّما علينا، إنما قال: ﴿فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾، وكانوا يشربون حتىٰ إذا كان يوم من الأيام صلَّىٰ رجلٌ من المهاجرين، أَمَّ أصحابه في المغرب وخَلَطَ في قراءته، فأنزل الله عزَّ وجلَّ فيها آيةً أغلظ منها: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾، وكان الناس يشربون حتىٰ يأتي أحدهم الصَّلاة وهو مُفِيقٌ، ثُمَّ أُنزِلت آيةٌ أغلظ منها: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ

تُفْلِحُونَ ﴾ الآية، قالوا: انتهينا يا ربَّنا، فقال الناس: يا رسول الله ناسٌ قُتِلوا في سبيل الله، وماتوا على فُرُشِهم، كانوا يشربون الخمر، ويأكلون المَيْسِرَ، وقد جعله الله رِجْسًا من عمل الشيطان، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ الآية [المائدة: ٩٣]، فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لو حُرِّمَتْ عَلَيهِمْ لتَرَكُوها كما تَرَكْتُمْ**». إسناده حسنٌ.

وفي "صحيح مسلم" عن أبي سعيدٍ الخدريِّ قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يخطب بالمدينة، يقول: «**يا أيُّها النَّاسُ إنَّ اللهَ يُعَرِّضُ بالخَمْرِ، ولعلَّ اللهَ يُنْزِلُ فيها أَمْرًا، فمَنْ كان عِنْدَهُ منها شيءٌ فليَبِعْهُ**[1] **وليَنْتَفِعْ بِهِ**». قال: فما لبثنا إلَّا يسيرًا، حتى قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ اللهَ حَرَّمَ الخَمْرَ فمَنْ أَدْرَكَتْهُ هذه الآية** -يعني آية المائدة- **وعِنْدَهُ منها شيءٌ فلا يَشْرَبْ ولا يَبِعْ**»، قال: فاستقبل الناس بما كان عندهم منها في طريق المدينة فسفكوها، أي: أراقوها.

وفي "الصحيحين" عن أنسٍ قال: كنت ساقي القوم -يوم حُرِّمت الخمر- في بيت أبي طلحة وما شرابهم إلَّا الفضيخ -البسر والتمر- فإذا مُنادٍ يُنادِي[2]: ألَا إنَّ الخمر قد حُرِّمت، قال: فجَرَتْ في سكك المدينة، فقال لي أبو طلحة:

---

(١) في هذا دليل للقاعدة الفقهية المقرَّرة وهي: «الأصل في الأشياء الإباحة، حتى يأتي دليلٌ بالتحريم».

(٢) فيه دليلٌ لحُجِّية خبر الآحاد، والعمل به.

اخرج فأهرقها، فهرقتها، فقالوا، أو قال بعضهم: قتل فلان، قتل فلان، وهي في بطونهم. فأنزل الله: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [المائدة: ٩٣].

ورواه البزَّار بإسنادٍ صحيحٍ عن أنسٍ، وزاد فيه: أنه كان يسقي أبا طلحة وأبا عبيدة بن الجرَّاح ومعاذ بن جبلٍ وسهيل بن بيضاء وأبا دجانة، حتى مالت رءوسهم إذا سمعت مُناديًا ينادي: ألَا إنَّ الخمر قد حُرِّمت. فأهرقنا الشراب، وكسرنا القِلال، وتوضَّأ بعضنا، واغتسل بعضنا، وأصبنا طيب أمِّ سليمٍ، ثُمَّ خرجنا إلى المسجد فإذا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ حتى بلغ: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾، فقال رجلٌ: يا رسول الله فما منزلة من مات وهو يشربها؟ فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ الآية.

وفي "المسند" و"السنن" عن عمر رضى الله عنه قال: «اللهمَّ بيِّن لنا في الخمر بيانًا شافيًا، فنزلت الآية التي في (البقرة): ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ ﴾ الآية، فدُعي عمر فقُرئت عليه، فقال: اللهمَّ بيِّن لنا في الخمر بيانًا شافيًا، فنزلت الآية التي في سورة (النِّساء): ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ ﴾، فدُعي عمر فقُرئت عليه، فقال: اللهمَّ بيِّن لنا في الخمر بيانًا شافيًا، فنزلت الآية التي في (المائدة)، فدُعي عمر فقُرئت عليه، فلمَّا بَلَغَ قوله

تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾، قال عمر: انتهينا». صحَّحه عليُّ بن المدنيِّ والترمذيُّ.

قال العلماء: نزلت في الخمر أربع آياتٍ بمكَّة: قوله تعالى: ﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ [النحل: ٦٧]، وكان المسلمون يشربونها، وهي لهم حلالٌ.

ثُمَّ إنَّ عمر ومعاذًا وآخرين قالوا: يا رسول الله أَفْتِنا في الخمر، فإنها مُذْهِبَةٌ للعقل، مسلبة للمال، فنزل قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢١٩]، فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ اللهَ يُقَدِّمُ في تَحْرِيمِ الخَمْرِ، فمَن كان عِنْدَهُ شيءٌ مِنْها فلْيَبِعْهُ**». فتركها قومٌ لقوله: ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾، وشربها قومٌ لقوله: ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾.

ثُمَّ صنع عبد الرحمن بن عوفٍ رضي الله عنه طعامًا، فدعا ناسًا من الصحابة وأتاهم بخمرٍ، فشربوا وسَكِروا، وحضرت صلاة المغرب فتقدَّم بعضهم ليُصَلِّي بهم، فقرأ: «قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون» هكذا إلى آخر السورة بحذف «لا»، فأنزل الله تعالى: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى﴾ [النساء: ٤٣]، فحُرِّم السُّكْر في أوقات الصلاة، فحَرَّمها قومٌ وقالوا: لا خير في شيءٍ يحول بيننا وبين الصلاة، وتركها قومٌ في أوقات الصلاة فقط، فكان أحدهم يشرب بعد صلاة العشاء فيصبح وقد زال سكره، وبعد صلاة الصبح فيصحوا إذا جاء وقت الظهر.

واتخذ عتبان بن مالكٍ صنيعًا ودعا رجالًا من المسلمين -فيهم سعد بن أبي

وقَّاصٍ- وكان قد شوىٰ لهم رأس بعيرٍ، فأكلوا منه وشربوا الخمر حتىٰ أخذت منهم، ثُمَّ إنهم افتخروا عند ذلك واستبوا، وتناشدوا الأشعار، فأنشد بعضهم قصيدةً فيها هجاء الأنصار وفخر لقومه، فأخذ رجلٌ من الأنصار لحي البعير فضرب به رأس سعدٍ، فشجَّه مُوضِحَةً(١).

فانطلق سعدٌ إلىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وشكا إليه الأنصاريَّ، فقال: «**اللهمَّ بيِّن لنا في الخَمْرِ بيانًا شافيًا**». فأنزل الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾ الآية، فقال عمر: انتهينا يا رب.

وذلك بعد غزوة الأحزاب بأيام، قال أنسٌ رضى الله عنه: حُرِّمت الخمر، ولم يكن يومئذٍ للعرب عيشٌ أعجب منها، وما حَرَّم عليهم شيئًا أشد منها.

قال الإمام الرازيُّ في "تفسيره": «والحكمة في وقوع التحريم علىٰ هذا الترتيب: أنَّ الله تعالىٰ عَلِم أنَّ القوم كانوا قد أَلِفوا شرب الخمر، وكان انتفاعهم بذلك كثيرًا، فعلم أنه لو منعهم دفعةً واحدةً لشقَّ ذلك عليهم، فلا جرم درَّجهم في التحريم رِفقًا بهم.

ومن الناس من قال: إنَّ الله حرَّم الخمر بآية (البقرة)، ثُمَّ نزل قوله تعالىٰ: ﴿لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾، فاقتضىٰ تحريم شربها أيضًا؛ لأن شاربها تتعذَّر عليه الصلاة مع السُّكْر فكان المنع من ذلك منعًا من الشرب ضمنًا، ثُمَّ نزلت آية (المائدة)، فكانت في غاية القوة في التحريم.

وفي "الصحيحين" عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه: أنه قال في خطبته

---

(١) بضم الميم وكسر الضاد: وهي الشجة التي تظهر عظم الرأس.

على منبر رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم : «أيُّها النَّاسُ إنَّه نَزَلَ تَحْريمُ الخَمْرِ وهي مِن خمسةٍ :العنب، والتمر، والعسل، والحنطة، والشعير. والخمر: ما خَامَر العقل».

فقوله رضي الله عنه: «نزل تحريم الخمر»، يقصد بذلك آية (المائدة)، وقوله: «والخمر ما خامَر العقل»، يقصد به: أنَّ الخمر التي كانت شائعة بين العرب من الأنواع الخمسة المذكور، ومع ذلك فليس التحريم خاصًّا بها ولا قاصرًا عليها، بل كلُّ ما خامَر العقل وأسكره: يُسمَّى خمرًا في اللغة، ويكون حرامًا في الشرع.

وروى النَّسائيُّ والبيهقيُّ بإسنادٍ صحيحٍ عن ابن عبَّاسٍ رضى الله عنهما قال: «نَزَلَ تحريم الخَمْرِ في قبيلتين من الأنصار شَرِبوا، فلمَّا ثَمِلَ القومُ عَبَثَ بعضُهم ببعضٍ، فلمَّا أن صَحَوْا جعل الرجلُ يرى في وجهه ورأسه الأثر، فيقول: صنع هذا أخي فلان -وكانوا إخوة ليس في قلوبهم ضغائن- فيقول: والله لو كان بي رحيمًا ما صنع هذا، حتى وقعت في قلوبهم الضغائن، فأنزل الله عزَّ وجلَّ هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾ إلى: ﴿مُّنتَهُونَ﴾، فقال ناسٌ من المتكلِّفين: هي رجسٌ، وهي في بطن فلانٍ وقد قتل يوم أحدٍ، فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ﴾ إلى: ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾».

وفي "مسند أحمد" بإسنادٍ صحيحٍ عن الفضل بن عيسى الرَّقاشِيِّ قال: كنَّا عند عبدالله بن مُغَفَّل رضى الله عنه فتذاكرنا الشراب، فقال: الخمر حرامٌ،

فقلت: الخمر حرامٌ في كتاب الله عزَّ وجلَّ، فقال: فإيش تريد؟ ترىٰ[١] ما سمعت من رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم؟ سمعته: ينهىٰ عن الدُّبَّاء والحَنْتَم والمُقَيَّر[٢].

فانظر كيف فهم رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم تحريم الخمر من الآية، وهو أعلم العلماء بكتاب الله وبمراد الله منه[٣]، وكذلك فهم الصحابة

---

(١) في هذا دليل علىٰ أمرين: الأول: فهم التابعين حرمة الخمر من القرآن، الثاني: أنهم كانوا حريصين علىٰ سماع السُّنَّة واتباعها، كحرصهم علىٰ سماع القرآن واتباعه، فليسمع مبتدعة هذا العصر الذين يحاربون السُّنَّة، ويريدون أن يؤخِّروها عن وضعها الذي وضعها الله فيه، ويأبىٰ الله ذلك ورسوله والمؤمنون.

(٢) الدباء -بضم الدال وتشديد الباء-: هو القرع، والحنتم -بفتح الحاء والتاء بينهما نون ساكنة-: جرار خضر مدهونة، والمقير -بوزن المعظم-: هو المطلي بالقار، هذه أسماء لأواني كانوا ينتبذون فيها، وسبب النهي عن الانتباذ فيها: أنَّ الشراب إذا نبذ فيها أسرع في الشدة والسُّكر، ثُمَّ لما شكوا قلة الأواني رخَّص لهم النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في الانتباذ في هذه الأواني وغيرها، وقال: «**لا تشربوا مُسْكِرًا**».

(٣) هذا هو اعتقادنا، وهو الذي أجمع عليه المسلمون، ولكن مبتدعًا جاهلا شذَّ عن هذا الإجماع فزعم أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم اجتهد في فهم القرآن، وكان فهم غيره هو الصواب !!!

هكذا قال صاحب كتاب "اجتهاد الرسول" في عِدَّة مواضع منه.

منها: أنه لَمَّا تكلَّم عن قصة وفاة عبد الله بن أُبيٍّ بن سلول، وإرادة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم الصلاة عليه إجابة لطلب ابنه عبدالله، ومعارضة عمر في ذلك، ونزول قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾ الآية [التوبة: ٨٤].

قال: «ومن اطَّلع على هذه الرِّوايات التي دُوِّنت في كلِّ تواليف الحديث، وفي مُقدِّمتها "البخاري" و"مسلم"، يعرف أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم اجتهد فاستغفر لبعض المنافقين، واجتهد فصلَّى عليه فعاتبه الله على ذلك، بل ربَّما يسترسل في تخريجها فيرى: أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم اجتهد فوق ذلك في فهم القرآن، وأنَّ فَهْمَ غيره كان هو الصواب». اهـ انظر (ص ١١٧) من الكتاب المذكور.

واسمع حكم الإسلام في هذا المبتدع ومن قال بقوله:

قال الإمام الحافظ أبو محمد بن حزمٍ في كتاب "الإحكام" أثناء الكلام على الأوامر والنواهي -بعد أن أسند من طريق مسلمٍ- عن ابن عمر قال: «لَمَّا تُوفِّي عبد الله ابن أُبيٍّ بن سلول، فقام رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ليُصَلِّي عليه، فقام عمر فقال: يا رسول الله أُتصَلِّي عليه وقد نهاك الله أن تُصَلِّي عليه؟! فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنما خَيَّرني الله تعالى فقال:** ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠]، **وسأزيد على السبعين**»، قال: إنه منافقٌ. فصَلَّى عليه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ [التوبة: ٨٤]».

قال ابن حزمٍ: «ففي هذا الحديث بيانٌ كافٍ في حمل كلِّ شيءٍ على ظاهره. فحمل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم اللفظ الوارد بـ ﴿أَوْ﴾ على التخيير، فلما جاء النهي المُجرَّد حمله على الوجوب».

إلى أن قال: «**فإن قال قائل:** فما مراد الله بالتخيير الذي حمله رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عليه؟ وبذكره تعالى السبعين مرة؟ أتقولون: إنه أراد تعالى ما قال عمر بن الخطاب من أنه لا يُصَلِّي عليهم ولا يستغفر لهم، ثُمَّ نزلت الآية الأخرى مُبيِّنة؟

فالجواب: أنَّنا -وبالله تعالى التوفيق- لا نقول ذلك، ولا يسوغ لمسلمٍ أن يقوله، ولا نقول: إنَّ عمر ولا أحدًا من ولد آدم عليه السَّلام فَهِم عن الله شيئًا لم يفهمه عنه نبيُّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وهذا القول عندنا كُفْرٌ مُجرَّد، وبرهان ذلك: أنَّ الله تعالى لو لم يرضَ صلاة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على عبدالله بن أُبيٍّ، لما أقرَّه عليها، ولأنزل الوحي عليه لمنعه كما نهاه بعد صلاته عليه: أن يصلِّي على غيره منهم، فصح أنَّ قول عمر كان اجتهادًا منه أراد به الخير، فأخطأ فيه، وأصاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وأجر عمر في ذلك أجرًا واحدًا». انتهى.

وانظر بقيَّة كلامه (ص ٢٠ ج ٣) من "الإحكام" مطبعة السعادة.

فانظر كيف وقع هذا المُبتدِع بجهله في الكفر وهو لا يشعر، ولو كان عنده عقلٌ وتبصُّر لأدرك أنه لا يجوز في حكمة الله أن يختار لرسالته شخصًا في فهمه نقصٌ، أو يكون غيره أسعد بالصواب في فهم الوحي منه، إذ لو جاز ذلك لزم عليه كفريَّات ومفاسد أقربها: أن ترتفع الثقة بفهم الرسول للقرآن وغيره من أمور الدين.

وأيضًا: فإن الله تعالى قال لنبيه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] فكيف وكل الله إلى نبيِّه تبيين الذِّكْر للناس، وفيهم من هو أصوب فهمًا منه؟!! أرأيت كيف وقع هذا المُبتدِع الجاهل في الكفر ومعارضة القرآن وهو لا يدري؟!! ومن جهله أيضًا: أنه نسب العصمة وصفًا لله تعالى، فقال في كتابه الخاطئ: «والعصمة لله وحده»، مُكرِّرًا لها في بضع مناسبات، وهذه العبارة لا تجوز في جانب الله تعالى لأمرين: الأول: أنه لم يرد ما يدل على جوازها في الكتاب ولا في السُّنَّة.

الثاني: أنَّ العصمة مَلَكَةٌ تمنع مَن تقوم به من الوقوع فيما يذمُّ شَرْعًا، والمَلَكَةُ، بفتح اللام: هيئةٌ راسخةٌ في النَّفْس، فهي عَرَضٌ مخلوقٌ لله تعالى، وهي من الأوصاف الخاصَّة بالأنبياء والملائكة عليهم السلام، فلا عصمة لغيرهم من المخلوقات، أمَّا الله سبحانه وتعالى فله الكمال المُطلَق.

وهم عربٌ بسَلِيقَتِهم، فصحاء بفِطْرتهم، هذا إلى أنهم لازموا الرسول وعاصروا التنزيل وشهدوا الوحي، أفيصحُّ بعد هذا لقوم خالطتهم لهجةٌ أعجمية، وأفسدت لسانهم رطانةٌ تركية، أن يتبجَّحوا بأنَّ القرآن لا يدل على تحريم الخمر؟ ولا على وجوب اجتنابها؟! تالله إنها لجرأة على الله، وتَقَوُّل على كتابه بغير علمٍ ولا برهانٍ، ولكنها الأهواء تُعمِي وتُصِم.

نسأل الله أن يلهمنا رشدنا، ويوفِّقنا إلى تذوُّق أسرار كتابه، وتفهُّم معاني خِطابه.

فصل

تبيَّن ممَّا أوردناه: أنَّ في الآية ثمانية أدلةٍ، كلُّ دليلٍ منها كافٍ في تحريم الخمر.

وفيها دليلٌ تاسعٌ يُعلَم مِن موازنتها بأخرى، هي قوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾ [الحج: ٣٠-٣١]

فإذا تأمَّلت هذه الآية ووازنتها بآية (المائدة)، وجدت أنَّ الله سبحانه وتعالى سوَّى بين الشِّرك والخمر في شيئين:

١- كونهما رِجْسًا.

٢- ووجوب اجتنابهما.

وهذا أقوى ما يكون في الدلالة على تحريم الخمر وقُبْحِها.

وأشار إلى هذا الدليل الإمام العلَّامة أبو حَيَّان في تفسيره "البحر المحيط".

وسبق الصحابة إلى فهم هذا المعنى وهم سباقون إلى كلِّ خيرٍ، فروى الطبرانيُّ وابن مَرْدُويَه والحاكم من طريق طلحة بن مصرف، عن سعيد بن جُبيرٍ، عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: لَمَّا نَزَلَ تحريم الخَمْرِ مَشَى أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعضُهم إلى بعضٍ، فقالوا: «حُرِّمَتِ الخَمْرُ وجُعِلَتْ عِدْلًا للشِّرْكِ». صحَّحه الحاكم والمنذريُّ والهيثميُّ وابن حجرٍ.

قال أبو الليث السمرقنديُّ: «المعنى أنه لما نزل فيها: أنها رجسٌ من عمل الشيطان وأمر باجتنابها، عادلت قوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾».اهـ

وروى النسائيُّ بإسنادٍ صحيحٍ عن أبي موسى الأشعريِّ أنه كان يقول: «ما أُبالي شَرِبْتُ الخَمْرَ أو عَبَدْتُ هذه السَّارِيَةَ مِن دُونِ الله».

فأبو موسى إنما يقصد بهذا الكلام ما قصده الصحابة -وهو أحدهم- حين قال بعضُهم لبعضٍ: حُرِّمت الخمر، وجعلت عِدْلا للشِّرْك.

ونقل السمرقنديُّ عن مسروق بن الأجدع أنه قال: «شارب الخمر كعابد الوَثَنِ، وشارب الخمر كعابد اللَّات والعُزَّى».

بل أشار النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى ذلك، حيث يقول: «**مَن لَقِيَ اللهَ مُدْمِنَ خَمْرٍ لَقِيَهُ كعَابِدِ وَثَنٍ**». رواه ابن حِبَّان في "صحيحه" عن سعيد بن جُبيرٍ، عن ابن عبَّاسٍ.

ورواه الإمام أحمد من طريق آخر صحيحٍ عن ابن عبَّاسٍ أيضًا، ولفظه: «**مُدْمِنُ الخَمْرِ إن ماتَ لَقِي اللهَ كعَابِدِ وَثَنٍ**».

فالحديث يشير إلى معادلة الخمر للشرك، وإنما قيِّد الإدمان لأجل قوله: «لقي الله كعابِدِ وَثَنٍ»؛ لأن مَن تاب من الخمر قبل موته لا يكون مُدْمِنًا، فيرجى من فضل الله ألا يحشره كعابد وَثَنٍ.

فصل

وفي الآية دليلٌ عاشرٌ يُعلَم مِن موازنتها بآيةٍ أخرى أيضًا هي قوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ ﴾ [الأنعام: ١٤٥]، صرَّح الله في هذه الآية بتحريم لحم الخنزير، وبين العِلَّة في تحريمه: بأنه رِجْسٌ، وتشاركه في هذه العِلَّة الميتة والدم المسفوح، ثُمَّ صرَّح في الخمر بأنها رِجْسٌ، فتكون مُحَرَّمةً بالعِلَّة نَفْسِها التي حَرَّم الله لأجلها الخنزير، وما ذكر معه.

قرَّر هذا الاستدلال قومٌ من العلماء، ونقله عنهم الإمام ابن عطية في "تفسيره" وهو استدلالٌ واضحٌ لا غُبار عليه.

فصل

وبقي دليلٌ حادي عشر يستفاد من آيتين، هما: قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف: ٣٣]، مع قوله تعالى في الخمر والميسر: ﴿ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ ﴾ الآية.

قال الإمام الحافظ أبو محمد بن حزم: «الخمر حرامٌ بنصِّ القرآن وسُنَّة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وإجماع الأُمَّة، فمن استحلَّها ممن سمع النصَّ في ذلك وعَلِم بالإجماع فهو كافرٌ مرتدٌّ حلال الدم والمال.

فأمَّا القرآن: فقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ فأمر تعالىٰ باجتناب الرِّجْس جملةً، وأخبر سبحانه أنَّ الخمر مِن الرِّجْس ففرض اجتنابها؛ لأن أوامر الله تعالىٰ علىٰ الفرض حتىٰ يأتي نصٌّ آخر يبيِّن أنه ليس فرضًا، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾، فنصَّ تعالىٰ علىٰ تحريم الإثم.

وقال تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾، فصح أنَّ الإثم حرامٌ، وأنَّ في الخمر إثمًا، وأنَّ مواقعها مواقع إثمٍ فهو مواقع المحرَّم نصًّا، وأمَّا مِن السُّنَّة فمعلومٌ مشهورٌ». اهـ

وقال أبو حَيَّان: «فما كان إثمًا أو اشتمل علىٰ الإثم فهو حرامٌ، والإثم هو الذنب، وإذا كان الذنب كثيرًا أو كبيرًا في ارتكاب شيءٍ لم يجز ارتكابه، وكيف يُقْدِم علىٰ ذلك مع التصريح بالخسران؟ إذا كان الإثم أكبر من النفع.

وقال الحسن: ما فيه الإثم محرَّم، ولمَّا كان في شربها الإثم سُمِّيت إثمًا في قول الشاعر:

شَرِبْتُ الإِثْمَ حتَّىٰ زَلَّ عَقْلِي ... كذَاكَ الإِثْمُ يَذْهَبُ بالعُقُولِ

انتهىٰ كلامه.

وقال أبو جعفرٍ النحَّاس: «استدلَّ بعضهم لتحريم الخمر بقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾، وقد قال الله تعالىٰ في الخمر والميسر: ﴿فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾، فلما أخبر: أنَّ في الخمر

إثمًا كبيرًا، ثُمَّ صرَّح بتحريم الإثم، ثبت تحريم الخمر بذلك».اهـ وهو استدلالٌ في غاية الوضوح.

فصل

فهذه أحد عشر دليلًا مستخرجة من القرآن الكريم، وتدل كلها على تحريم الخمر ليس فيها تكلُّف ولا تعمل، وإنما تحتاج إلى شيء من التدبُّر والتأمُّل.

ولو ظفر بها ووُفِّق إلى استخراجها أزهريٌّ معروفٌ بالابتداع لما عرَّج على غيرها في محاضراتٍ ثلاثٍ ألقاها في المذياع منذ عدَّة أسابيع، تحدَّث فيها عن تحريم الخمر.

استمعت إليه فإذا هو يستدل بالأحاديث النبوية يدعم بها كلمته ويُقوِّي حُجَّته، مع أني أعرفه حقَّ المعرفة منحرفًا عن السُّنَّة، رادًّا لها في أغلب الأوقات بدعوى أنها روايات[1]، حاضًّا على إهمالها، وعدم الرجوع إليها في تفسير

---

(١) جرَّبنا عليه ذلك عِدَّة مرات فيما كتبه من مقالاتٍ أو ألقاه من محاضراتٍ، مع أنَّ الأحاديث التي يرُدَّها بدعوى الرِّوايات مُخرَّجةٌ في كتب الأئمَّة: مالكٍ، وأحمد، والبخاريِّ، ومسلمٍ، وأبي داود، والترمذيِّ، والنَّسائيِّ، وابن ماجه، وأضرابهم.
بهذه الدعوى الخبيثة، دعوى الرِّوايات، أنكر أحاديث متواترةً مقطوعًا بنسبتها إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، كأحاديث خروج الدَّجَّال، ونزول عيسى عليه السلام، والميزان، والاستشفاء بالقرآن الكريم. بل زاد جرأةً ووقاحةً حيث زعم في مقالٍ له بعنوان: «شخصيات الرسول»، ونشرته "مجلة الرسالة" المُلْحِدة في أحد أعدادها الممتازة بمناسبة عيد الهجرة النبوية: «أنه لا يجب اتباع الرسول فيما قضى به، بل تجوز مخالفته إذا اقتضت المصلحة ذلك»!!.

القرآن الكريم، وفي الكشف عن معنىٰ بعض آياته.

فأدهشني هذا التحوُّل منه، ثُمَّ أدركت أنه أُلجئ إلىٰ السُّنَّة إلجاءً؛ لأنه لم يُسْعِفْهُ فكره باستخراج دليلٍ واضحٍ من القرآن الكريم، يقطع دعوىٰ المُتخرِّصين المنازعين في تحريم الخمر.

ولعلَّه يتنبَّه بهذا إلىٰ عرفان قدر السُّنَّة المُشرَّفة، وأنه لا غِنىٰ عنها في فهم القرآن وتفصيل ما أجمله وتوضيح ما أبهمه، وأنها ركنٌ من أركان التشريع الإسلاميِّ، وأصل من أصول الدين المُحمَّديِّ، بل عليها وعلىٰ القرآن الكريم تنبني سائر الأدلة من إجماعٍ وقياسٍ وغيرهما.

نعم، لعلَّه يتنبَّه إلىٰ هذا -وإن كان لا يجهله- فيعود إلىٰ حظيرة الصواب، وما السُّنَّة النبوية إلَّا صِنْو الكتاب[1].

وقد ردَّ عليه في هذا المقال الخاطئ برسالةٍ خاصَّة فضيلة الأستاذ الشيخ محمد الخِضْر حسين رحمه الله، كما رددتُ عليه في نزول عيسىٰ عليه السلام بكتابين أحدهما "إقامة البرهان علىٰ نزول عيسىٰ في آخر الزمان" والآخر "عقيدة أهل الإسلام في نزول عيسىٰ عليه السلام" وفي ضمنها ردٌّ ضمنيٌّ عليه في مسألة الدَّجَّال، ورددتُ عليه في الاستشفاء بالقرآن برسالة "كمال الإيمان في التداوىٰ بالقرآن" وهذه الردود كلها مطبوعةٌ، وأرجو أن يوفِّقني الله تعالىٰ للردِّ عليه في مسألة الميزان.

(١) صِنْو الكتاب: أي أخوه، كناية عن وحدة مصدرهما، وذلك أنَّ العلماء قسَّموا الوحي إلىٰ قسمين: وحي متلوٌّ؛ وهو القرآن. ووحي غير متلوٍّ؛ وهو السُّنَّة.
أخذًا من قوله في الحديث الصحيح: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الكِتابَ ومِثْلَهُ مَعَهُ». ثُمَّ ما كان من السُّنَّة اجتهادًا منه عليه السلام فهو وحيٌ خفيٌّ، وغيره وحيٌ ظاهرٌ. راجع كتب الأصول.

(تنبيه): ألَّف بعض علماء الحنفيَّة كتابًا جمع فيه الألفاظ المُكفِّرة، ورتَّبه على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في الألفاظ المُتفق على أنها كفرٌ.

الثاني: في الألفاظ التي اختلفت فيها.

الثالث: في الألفاظ التي يُخشى الكفر على من تكلَّم بها.

وذكر في الفصل الأول قول الشخص: «لم تثبت حرمة الخمر في القرآن»، أي فيكون قائله كافرًا باتفاق.

قال العلامة الفقيه أحمد بن حجرٍ الهيتميُّ، موضِّحًا له ما نصُّه: «وكُفْر زاعم أنه لا نصَّ في القرآن على تحريم الخمر ظاهرٌ؛ لأنه مستلزمٌ لتكذيب القرآن الناصِّ في غير ما آيةٍ على تحريم الخمر.

فإن قلتَ: غاية ما فيه أنه كذبٌ، وهو لا يقصد الكفر.

قلتُ: ممنوعٌ؛ لأنه كذبٌ يستلزم إنكار النصِّ المجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة»[1].

---

(١) توضيح كلامه: أنه إذا أنكر الشخص ثبوت حرمة الخمر في القرآن، استلزم ذلك إنكار الآيات الدالة على تحريم الخمر، وإنكار آية من القرآن كفر كما هو معلوم.

الباب الثاني

في تحريم الخمر من السنة النبوية الشريفة

اعلم أنَّ الأحاديث الواردة في الخمر بالغةٌ حدَّ التواتر؛ لتعدُّد طُرُقها، وكثرة رواتها في "الصحاح" و"السنن" و"المسانيد" و"المعاجم"، وغيرها من كتب السُّنَّة المُطهَّرة، ثُمَّ هي ثلاثة أنواعٍ :

١- نوعٌ يُصرِّح بتحريم مطلق الخمر.

٢- نوعٌ يُصرِّح بتحريم قليل ما أسكر كثيره.

٣- نوع يفيد التحريم بطريق الوعيد، كلعن شارب الخمر وتهديده بالعذاب في الآخرة ونحو ذلك.

ونحن نوردها على هذا الترتيب، لكن لا بطريق الاستيعاب، بل نورد من كلِّ نوعٍ جملةً تكون كافيةً في المقصود، والله المستعان وعليه التُّكْلان.

النوع الأول

١- عن أبي موسىٰ الأشعريِّ رضى الله عنه قال: بعثني النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أنا ومعاذ بن جبلٍ إلىٰ اليمن، فقلت: يا رسول الله، إنَّ شرابًا يُصنَع بأرضنا يقال له: المِزْرُ مِن الشَّعير، وشرابٌ يقال له: البِتْعُ مِن العسل؟ فقال: «**كلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ**». رواه البخاريُّ ومسلمٌ وغيرهما.

٢- عن عائشة رضى الله عنها قالت: سُئل رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن البِتْع؟ فقال «**كلُّ شرابٍ أَسْكَرَ فهو حَرَامٌ**». رواه أحمد والبخاريُّ ومسلمٌ.

٣- عن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما: أنَّ رجلًا قدم من جيشان - وجيشان من اليمن- فسأل النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة يقال له: المِزْر. فقال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أَوَمُسِكِرٌ هو؟**» قال: نعم. قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**كلُّ مُسْكِرٍ حرامٌ، إنَّ على الله عَهْدًا لمن يشرب المُسْكِرَ أن يسقيه من طِينَةِ الخَبالِ**». قالوا: وما طِينةُ الخَبالِ يا رسول الله؟ قال: «**عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ**» أو «**عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ**». رواه أحمد ومسلمٌ والنَّسائيُّ وغيرهم.

٤ ـ عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ، وكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، ومَن شَرِبَ الخَمْرَ في الدُّنيا فماتَ وهو يُدْمِنُها لم يَتُبْ؛ لم يَشْرَبْها في الآخِرَةِ**». رواه مسلمٌ وأبو داود.

وفي روايةٍ لمسلمٍ: «**كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ، وكُلُّ خَمْرٍ حَرَامٌ**».

قلت: هذا يفيد أنَّ مُدمِنَ الخَمْرِ لا يدخل الجنَّة؛ لأن الله تعالىٰ قال في حقِّ أهل الجنَّة: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ

طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد: ١٥]، فلو كان مُدْمِنُ الخمر من أهل الجنة لشرب مِن خمرها؛ لأن من دخل الجنَّة لا يحرم شيئًا من نعيمها أصلًا؛ لأنه لا عقاب فيها ولا حرمان.

٥- عن أبي هريرة رضى الله عنه، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ». رواه أحمد والنَّسائيُّ وابن ماجه وصحَّحه الترمذيُّ.

٦- عن ابن عبَّاسٍ رضى الله عنهما، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «كُلُّ مُخَمَّرٍ خَمْرٌ، وكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ». رواه أبو داود بإسنادٍ صحيحٍ.

٧- عن ابن مسعودٍ رضى الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ». رواه ابن ماجه بإسنادٍ صحيحٍ.

٨- عن معاوية قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ على كُلِّ مُؤْمِنٍ». رواه ابن ماجه بإسنادٍ صحيحٍ.

٩- عن عبدالله بن عمرٍو رضى الله عنه: أنَّ نبيَّ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نهى عن الخمر والمَيْسِر والكُوبة والغُبَيراء، وقال: «كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ». رواه أبو داود.

ورواه أحمد ولفظه: «إنَّ الله تعالى حَرَّمَ الخَمْرَ، والمَيْسِرَ، والكُوبَةَ، والغُبَيْراءَ».

الكُوبة بضمِّ الكاف، قيل: النَّرد، وقيل: الطبل الصغير، والغُبَيراء بالتصغير: شرابٌ من الذُّرة، يعمله الحبشة.

ولهذا الحديث، أعني «كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ»، طرقٌ: عن عمرٍو، وزيد بن ثابتٍ، وخوات بن جُبيرٍ، وقيس بن سعدٍ، وقُرَّة بن إياسٍ، وأبي سعيدٍ الخدريِّ، وأنس بن مالكٍ، وميمونة أمِّ المؤمنين، والأَشَجِّ العَصَريِّ، وغيرهم.

١٠- عن عبدالرحمن بن وَعْلَةَ قال: سألت ابن عبَّاسٍ عما يُعصَر من العنب؟ فقال ابن عبَّاسٍ: إنَّ رجلًا أهدىٰ إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم راوية خمرٍ، فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**هل عَلِمْتَ أنَّ اللهَ حَرَّم شُرْبَها؟**» قال: لا، قال: فسارَّ إنسانًا.

فقال له رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**بمَ سَارَرْتَهُ؟**» قال: أمرته ببيعها، فقال: «**إنَّ الذي حَرَّمَ شُرْبَها حَرَّم بَيْعَها**». قال: ففتح المَزَادَةَ حتىٰ ذهب ما فيها، رواه مسلمٌ في "صحيحه".

١١- عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: أنه سمع رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عام الفتح وهو بمكة يقول: «**إنَّ اللهَ ورسوله حَرَّم بيع الخمر، والميتة، والخنزير، والأصنام**»(١).

فقيل: يا رسول الله، أرأيتَ شُحُومَ الميتة، فإنه يُطلَىٰ بها السُّفُن، ويُدْهَن بها الجلود، ويستصبح بها الناس؟ فقال: «**لا، هو حرامٌ**». ثُمَّ قال: «**قاتل اللهُ اليهودَ، حُرِّمَتْ عليهم الشُّحُومُ فجَمَلُوه**(٢) **فباعُوهُ وأَكَلُوا ثَمَنَهُ**». راوه البخاريُّ ومسلمٌ.

١٢- عن نافع بن كَيْسان: أنَّ أباه أخبره: أنه كان يتجر في الخمر في زمن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ، وأنه أقبل من الشام ومعه زقاق خمرٍ يريد بها التجارة، فأتىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فقال: يا رسول الله إني

---

(١) فالصائغ الذي يعمل الصُّلْبان ويبيعها يرتكب كبيرةً، وكسبه من بيعها خبيثٌ مثل بيع الخمر أو الخنزير، بل أشد؛ لأن الصليب يسجُد له الكفَّار.

(٢) أي: أذابوه -يعنىٰ المذكور من الشحوم- ليزعموا أنهم ما باعوا شحمًا، وهذا من تحايلاتهم لعنهم الله، ويشبههم في هذا مَن يُسمِّي الخمر بغير اسمها؛ ليتوصَّل إلىٰ شربها.

أتيتك بشرابٍ جَيِّدٍ. الشُّحُومُ فجَمَّلُوه

فقال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «يا كَيْسانُ، إنَّها قد حُرِّمَتْ بَعْدَكَ». قال: أفأبيعها يا رسول الله؟ قال: «إنَّها حُرِّمَتْ، وحُرِّمَ ثَمَنُها». فانطلق كَيْسان إلىٰ الزِّقاق، فأخذ أرجلها فهراقها. رواه الإمام أحمد في "المسند".

النوع الثاني

١- عن سعد بن أبي وقَّاصٍ رضى الله عنه: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم نهىٰ عن قليل ما أسكر كثيرُه. رواه النَّسائيُّ، وصحَّحه ابن حِبَّان.

قال النَّسائيُّ: «في هذا الحديث دليلٌ علىٰ تحريم السُّكْر قليله وكثيره».اهـ

قلت: لأن النهي يدل علىٰ التحريم شرعًا[1].

٢- عن عائشة رضى الله عنها: أنها سمعت النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، وما أَسْكَرَ الفَرَقُ منه فمِلْءُ الكَفِّ منه حَرَامٌ». وفي روايةٍ: «فالحَسْوَةُ مِنْهُ حَرَامٌ». رواه أبو داود والترمذيُّ وحسَّنه، وصحَّحه ابن حِبَّان. الفرق -بفتح الفاء والراء-: مِكْيال يسع ستة عشر رَطْلًا.

٣- عن عمرو بن العاص: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «ما

---

(١) شرعًا، والأدلة علىٰ ذلك كثيرةٌ، مبسوطةٌ في كتب الحديث والأصول، منها: أنَّ الله تعالىٰ قال عن آدم لَمَّا خالف النهىٰ بأكله من الشجرة: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢١ – ١٢٢].

ومنها: قوله عليه الصَّلاة والسَّلام: «إذا أَمَرْتُكُم بشيءٍ فأْتُوا مِنْهُ ما اسْتَطَعْتُم، وإذا نَهَيْتُكُم عن شيءٍ فاجْتَنِبُوه». حديثٌ صحيحٌ وهو في "الأربعين النووية".

أَسْكَرَ كَثِيرُهُ فقَلِيلُهُ حَرَامٌ». رواه عبد الرزَّاق والنَّسائيُّ وابن ماجه.

٤- عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «ما أَسْكَرَ كَثِيرُهُ فقَلِيلُهُ حَرَامٌ». رواه أبو داود، وابن ماجه، والترمذيُّ وحسَّنه، وصحَّحه ابن حِبَّان.

٥- عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «ما أَسْكَرَ كَثِيرُهُ فقَلِيلُهُ حَرَامٌ». رواه إسحاق بن راهويه في "مسنده" والطبرانيُّ في "معجمه الكبير" و"الأوسط".

٦- عن خوَّات بن جُبيرٍ رضى الله عنه، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «ما أَسْكَرَ كَثِيرُهُ فقَلِيلُهُ حَرَامٌ». رواه الطبرانيُّ في معجميه "الكبير" و"الأوسط"، والدارقطنيُّ في "السنن"، والحاكم في "المستدرك".

٧- عن زيد بن ثابتٍ رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «ما أَسْكَرَ كَثِيرُهُ فقَلِيلُهُ حَرَامٌ». رواه الطبرانيُّ في معجميه "الكبير" و"الأوسط".

٨- عن المختار بن فُلْفُلٍ قال: سألتُ أنس بن مالكٍ عن الشُّرْبِ في الأَوْعِيَةِ، فقال: نَهَى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن المُزَفَّتَةِ، وقال: «كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ»، قال: قلتُ: وما المُزَفَّتَةُ؟ قال: المُقَيَّرَةُ. قال: قلتُ: فالرَّصَاصُ والقَارُورَةُ؟ قال: ما بَأْسٌ بِهِمَا، قال: قلتُ: فإنَّ نَاسًا يَكْرَهُونَهُمَا، قال: دَعْ ما يَرِيبُكَ إلى ما لا يَرِيبُكَ؛ فإنَّ كُلَّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ. قال: قلتُ له: صَدَقْتَ السُّكْرُ حَرَامٌ، فالشَّرْبَةُ والشَّرْبَتَان على طعامنا؟ قال: المُسْكِرُ قَلِيلُهُ وكَثِيرُهُ حَرَامٌ. رواه الإمام أحمد بإسنادٍ صحيحٍ.

النوع الثالث

١- عن ابن عبَّاسٍ رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**أتاني جبريلُ، فقال: يا محمَّدُ، إنَّ اللهَ لَعَنَ الخَمْرَ، وعَاصِرَها، ومُعْتَصِرَهَا، وشارِبَهَا، والمَحْمُولَةَ إليه، وبائِعَهَا، ومُبْتَاعَهَا، وساقِيَهَا، ومُسْقَاهَا**». رواه أحمد بإسنادٍ صحيحٍ، وصحَّحه ابن حِبَّان والحاكم.

قوله: «**مُعتصِرها**» أي: طالب عَصْرها، ومن هنا صرَّح العلماء بحرمة بيع العنب لمن يعلم أنه يعصره خمرًا؛ لأنه يدخل في اللعن.

٢- عن أنس بن مالكٍ رضى الله عنه قال: لعن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في الخمر عشرة: عاصِرَها، ومُعتصِرها، وشارِبَها، وحامِلَها، والمَحْمُولَةَ إليه، وساقِيها، وبائِعَها، وآكلَ ثمنها، والمُشتَرِي لها، والمُشترَىٰ له»[1]. رواه الترمذيُّ وابن ماجه بإسنادٍ رجاله ثقاتٌ.

٣ ـ عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن زَنَى، أو شَرِبَ الخَمْرَ، نَزَعَ اللهُ منه الإيمان كما يَخْلَعُ الإنسانُ القَمِيصَ مِن رَأْسِهِ**». رواه الحاكم بإسنادٍ صحيحٍ.

٤- عن أبي موسىٰ الأشعريِّ رضى الله عنه: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله

---

(١) ولو لم يشربها، كأن اشتراها ليسقيها لضيوفه -كما يحصل عادة في الأفراح- فهو ملعونٌ مع الشاربين، وكلُّ من ساعد علىٰ معصيةٍ يكون شريكًا في إثمها وإن لم يفعلها، كمن يُقدِّم الأكل أو الماء لمُفطِرٍ في نهار رمضان بغير عذرٍ، فهو مثله في الإثم، وإن ظلَّ صائمًا، وهذا ممَّا لا خلاف فيه.

وسلَّم قال: « ثلاثةٌ لا يَدْخُلُونَ الجنَّةَ: مُدْمِنُ الخَمْرِ، وقَاطِعُ الرَّحِمِ، ومُصَدِّقٌ بالسِّحْرِ، ومَن مَاتَ مُدْمِنًا لِلخَمْرِ سَقَاهُ الله جلَّ وعَلَا مِن نَهْرِ الْغُوطَةِ» قيل: وما نَهْرُ الغُوطَةِ؟ قال: «نَهْرٌ يَجْرِي مِن فُرُوجِ المُومِسَاتِ يُؤْذِي أهلَ النَّارِ رِيحُ فُرُوجِهِنَّ ». رواه أحمد، وأبو يعلىٰ، وصحَّحه ابن حِبَّان والحاكم.

قلت: هذا جزاء شارب الخمر المُدْمِن، أمَّا الشارب غير المُدْمِن فجزاؤه كما تقدَّم في حديثٍ صحيحٍ أيضًا: «أن يُسْقَى مِن طِينَةِ الخَبَالِ»، وهي عُصارة أهل النَّارِ، نسأل الله العافية.

ثُمَّ ما هو الإدمان؟

عن عبدالله بن أبي أوفىٰ قال: مَن مَاتَ مُدْمِن خمرٍ مات كعابد اللات والعُزَّىٰ، قيل: مدمن الخمر هو الذي لا يَسْتَفِيق مِن شربها؟ قال: لا، ولكن هو الذي يشربها إذا وجدها ولو بعد سنين(١).

٥- عن ابن عمر رضى الله عنهما: أنَّ أبا بكرٍ وعمر وناسًا جلسوا بعد وفاة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ، فذكروا أعظم الكبائر، فلم يكن عندهم فيها علمٌ، فأرسلوني إلىٰ عبدالله بن عمرٍو: أسأله؟ فأخبرني أنَّ أعظم الكبائر شرب الخمر، فأتيتهم فأخبرتهم، فأكثروا ذلك ووثبوا إليه شِيَعًا، حتىٰ أتوه في داره.

فأخبرهم: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «إنَّ مَلِكًا مِن مُلُوكِ بني إسْرَائِيلَ أَخَذَ رَجُلًا فخَيَّرَهُ بين أنْ يَشْرَبَ الخَمْرَ أو يَقْتُلَ نَفْسًا أو يَزْنِيَ أو يَأْكُلَ لحمَ الخِنْزِيرِ أو يَقْتُلُوهُ إنْ أَبَى فاختار أنْ يَشْرَبَ الخَمْرَ وأَنَّهُ لَمَّا شَرِبَهَا لم

---

(١) أي: هو الذي لا يكون عنده عزم علىٰ تركها.

يَمْتَنِعْ مِن شيءٍ أرادُوهُ مِنْهُ» وأنَّ رسولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال لنا مُجيبًا: «ما مِن أحدٍ يَشْرَبُهَا فيَقْبَلَ الله له صَلَاةً أربعين ليلةً ولا يَمُوتُ وفي مَثَانَتِهِ منها شيءٌ إلَّا حُرِّمَتْ عليه بها الجنَّةُ، فإنْ مَاتَ في أربعين ليلةً مَاتَ مَيْتَةً جاهِلِيَّةً». رواه الطبرانيُّ في "معجمه الأوسط" بإسنادٍ صحيحٍ، وصحَّحه الحاكم علىٰ شرط مسلمٍ.

قوله: «وأنَّهُ لَمَّا شَرِبَهَا لم يَمْتَنِعْ مِن شيءٍ أرادُوهُ مِنْهُ»؛ لأنه فقد عقله الذي يُميِّز به بين الضارِّ والنافع، وبين الحلال والحرام، ومن هنا كانت الخمر أعظم الكبائر كما في هذا الحديث.

وروىٰ ابن أبي حاتمٍ في "تفسيره" عن عبدالله بن عمرو بن العاص أيضًا قال: سألت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن الخمر، فقال: «هي أَكْبَرُ الكَبَائِرِ، وأُمُّ الفَوَاحِشِ، ومَن شَرِبَ الخَمْرَ تَرَكَ الصَّلاةَ، ووَقَعَ على أُمِّه وخَالَتِهِ وعَمَّتِهِ».

وإنما أرسل الصحابة إلىٰ عبد الله بن عمرٍو يسألونه؛ لأنه كان يكتب الأحاديث التي يسمعها من النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم(١).

---

(١) بإذن منه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في الكتابة، ففي "صحيح البخاري" عن أبي هريرة قال: «ما من أصحاب النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أحدٌ أكثر حديثًا مِنِّي إلَّا ما كان من عبدالله بن عمرٍو، فإنه كان يكتب ولا أكتب»، وفي "المسند" وغيره بإسنادٍ حسنٍ عن أبي هريرة قال: «ما كان أحدٌ أعلم بحديث رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مِنِّي إلَّا ما كان من عبدالله بن عمرٍو، فإنه كان يكتب بيده ويعي بقلبه، وكنت أعي ولا أكتب، استأذن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في الكتابة عنه فأذن له».

ويؤخذ من هذا: أنَّ كِبار الصحابة قد تخفىٰ عليهم أحاديث وتوجد عند صِغارهم، وقد خفيت علىٰ أبي بكرٍ وعمر رضى الله عنهما سُنَنٌ وُجِدت عند المغيرة وأبي سعيدٍ وغيرهما مِن صِغار الصحابة.

٦- عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: يا أيها الناس إني سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**مَن كان يُؤْمِنُ بالله واليومِ الآخِرِ فلا يَقْعُدَنَّ على مَائِدَةٍ يُدَارُ عليها الخَمْرُ، ومَن كان يُؤْمِنُ بالله واليومِ الآخِرِ فلا يَدْخُلِ الحَمَّامَ إلَّا بإزَارٍ، ومَن كان يُؤْمِنُ بالله واليومِ الآخِرِ فلا يُدْخِلْ حَلِيلَتَهُ الحَمَّامَ**». رواه أحمد في "المسند".

وروىٰ الطبرانيُّ في "الكبير" من حديث ابن عبَّاسٍ مثله مع تغيير في الترتيب وزاد: «**مَن كان يُؤْمِنُ بالله واليومِ الآخِرِ فلا يَشْرَبِ الخَمْرَ، ومَن كان يُؤْمِنُ بالله واليومِ الآخِرِ فلا يَخْلُوَنَّ بامْرَأَةٍ ليس بَيْنَهُ وبَيْنَها مَحْرَمٌ**».

وفي "المسند" و"سنن أبي داود" و"صحيح الحاكم" عن عبد الله ابن عمرو قال: كنت أكتب كلَّ شيءٍ أسمعه مِن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أريد حفظه، فنهتني قريشٌ، وقالوا: أتكتب كلَّ شيءٍ، ورسول الله بشرٌ يتكلَّم في الغضب والرِّضا؟ فأمسكتُ عن الكتابة، فذكرتُ ذلك لرسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فأومأ بأصبعه إلىٰ لسانه، فقال: «**اكْتُبْ فوالذي نَفْسِي بيَدِهِ ما يَخْرُجُ مِنْهُ إلَّا حَقٌّ**». صحَّحه الحاكم، وسلَّمه الذهبيُّ، وله طُرُقٌ منها: ما رواه الحاكم بإسنادٍ صحيحٍ عن عمرو بن شعيبٍ: أنَّ شعيبًا حدَّثه ومجاهدًا: أنَّ عبد الله بن عمرٍو حدَّثهم: أنه قال: يا رسول الله أكتب ما أسمع منك؟ قال: «نعم». قلت: عند الغضب والرِّضا؟ قال: «**نَعَمْ، إنه لا يَنْبَغِي لي أن أقولَ إلَّا حَقًّا**».

٧- عن عثمان بن عفَّان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «اجْتَنِبُوا أُمَّ الخَبَائِثِ، فإنَّه كان رَجُلٌ ممن قبلَكُمْ يتعَبَّدُ ويَعْتَزِلُ النَّاسَ، فعَلِقَتْهُ امْرَأَةٌ[1] أرسَلَتْ إليه خادِمًا، فقالت: إنَّا نَدْعُوكَ لشَهَادَةٍ، فدَخَلَ فطَفِقَتْ كلَّما يَدْخُلُ بابًا أغْلَقَتْهُ دُونَهُ حتَّى أَفْضَى إلى امْرَأَةٍ وَضِيئَةٍ جَالِسَةٍ، وعندها غُلامٌ وبَاطِيَةٌ فيها خَمْرٌ، فقالت: إنَّا لم نَدْعُكَ لشَهَادَةٍ، ولكن دَعَوْتُكَ لتَقْتُلَ هذا الغُلامَ أو تَقَعَ عَلَيَّ، أو تَشْرَبَ كَأْسًا مِن هذا الخَمْرِ، فإن أَبَيْتَ صِحْتُ بِكَ وفَضَحْتُكَ» قال: «فلمَّا رَأَى أنَّه لا بُدَّ له مِن ذلك، قال: اسْقِينِي كَأْسًا مِن هذا الخَمْرِ، فسَقَتْهُ كَأْسًا مِن الخَمْرِ، فقال: زِيدِينِي، فلم يزل حتَّى وَقَعَ عليها، وقَتَلَ النَّفْسَ، فاجْتَنِبُوا الخَمْرَ فإنَّه والله لا يَجتمِعُ الإيمانُ وإدْمَانُ الخَمْرِ في صَدْرِ رَجُلٍ أبدًا، لَيُوشِكَنَّ أحدُهُما يُخْرِجُ صَاحِبَهُ». رواه ابن حِبَّان في "صحيحه"، وابن أبي الدنيا في كتاب "ذمِّ المسكر"، ورواه البيهقيُّ في "السُّنن" مرفوعًا وموقوفًا، وذكر أنه المحفوظ. قلت: الموقوف هنا له حكم المرفوع.

٩- عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «ثلاثةٌ قد حَرَّمَ اللهُ تبارك وتعالى عليهم الجنَّةَ: مُدْمِنُ الخَمْرِ، والعَاقُّ، والدَّيُّوثُ الذي يُقِرُّ في أَهْلِهِ الخَبَثَ». رواه أحمد والنَّسائيُّ والبزَّار، وصحَّحه الحاكم[2].

---

(١) أي: عَشِقَتْهُ.

(٢) وروى الطبرانيُّ بإسنادٍ رواته ثقاتٌ، عن ابن عبَّاسٍ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «لا يَدْخُلُ الجنَّةَ مُدْمِنُ خَمْرٍ، ولا عَاقٌّ، ولا مَنَّانٌ». قال ابن عبَّاسٍ: فشقَّ ذلك عليَّ؛ لأن المؤمنين يُصِيبون ذنوبًا، حتَّى وجدت ذلك في كتاب الله عزَّ وجلَّ: في

٩- عن ابن عبَّاسٍ رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**اجْتَنِبُوا الخَمْرَ، فإنَّها مِفْتاحُ كُلِّ شَرٍّ**». رواه الحاكم وصحَّحه.

١٠- عن أسماء بنت يزيد رضى الله عنهما: أنها سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**مَن شَرِبَ الخَمْرَ لم يَرْضَ اللهُ عنه أربعين ليلةً، فإنْ ماتَ ماتَ كَافِرًا، وإن تَابَ تَابَ اللهُ عليه، فإن عَادَ كان حَقًّا على الله أن يَسْقِيَهُ مِن طِينَةِ الخَبَالِ**». قيل: يا رسول الله وما طِينَةُ الخَبالِ؟ قال: «**صَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ**». رواه أحمد بسندٍ حسنٍ، ورواه أحمد والبزَّار والطبرانيُّ عن أبي ذرٍّ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بإسنادٍ حسنٍ أيضًا.

فهذه بضعة وثلاثون حديثًا، هي بعض من الأحاديث الكثيرة المُصَرِّحة بتحريم الخمر، والمُتوعِّدة على شربها باللعنة والعذاب وغضب الله تعالى.

قال بعض العلماء: نهى الله عزَّ وجلَّ عن الخمر، بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾ إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾.

وقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**اجْتَنِبُوا أُمَّ الخَبَائِثِ** -يعني الخمر- **فمن لم يَجْتَنِبْها فقد عَصَى اللهَ ورَسُولَهُ، واسْتَحَقَّ العذابَ بذلك**». **قال تعالى:** ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾» [النساء: ١٤].

العاقِّ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ﴾ الآية [محمد: ٢٢] وفي المنَّان: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ الآية [البقرة: ٢٦٤]، وفي الخَمْر: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ الآية [المائدة: ٩٠].

جلد شارب الخمر

والخمر إلى جانب ما تقدَّم إحدى الكبائر التي أوجب الشارع فيها الحَدَّ، كالزِّنا والقتل والسَّرقة.

وإليك بعض الأحاديث في حَدِّ شارب الخمر :

١- عن أنسٍ رضى الله عنه: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أُتي برجلٍ قد شرب الخمر، فجَلَدَهُ بجَرِيدَتين نحو أربعين، قال: وفعله أبو بكرٍ، فلمَّا كان عمر استشار النَّاسَ، فقال عبدالرحمن بن عوفٍ: أخفُّ الحدود ثمانين[1]، فأمر به عمر». رواه أحمد ومسلمٌ وأبو داود والترمذيُّ وغيرهم.

٢- عن عقبة بن الحارث قال: جيء بالنعيمان -أو ابن النعيمان- شاربًا، فأمر رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من كان في البيت أن يضربوه، فكنت فيمن ضربه، فضربناه بالنِّعال والجريد. رواه أحمد والبخاريُّ.

٣- عن السائب بن يزيد قال: كنَّا نؤتَى بالشارب في عهد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ، وفي إمْرَةِ أبي بكرٍ، وصَدْرًا مِن إمْرَة عمر، فنقوم إليه فنضربه بأيدينا ونعالنا وأرديتنا، حتى كان صدرًا من إمرة عمر فجلد فيها أربعين، حتى إذا عتوا فيها وفسقوا جلد ثمانين. رواه أحمد والبخاريُّ أيضًا.

٤- عن أبي هريرة قال أُتي رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم برجلٍ قد شرب، فقال: «اضْرِبُوه». قال أبو هريرة: فمنَّا الضارب بيده، ومِنَّا الضارب

---

(١) هكذا جاءت الرواية: «وحقها: ثمانون»، ولكن تخرج على حذف الخبر، وتقديره: جلد ثمانين، حذف المضاف وبقي المضاف إليه على جره.

بنعله، والضارب بثوبه، فلما انصرف قال بعض القوم: أخزاك الله، قال: «**لا تقولوا هكذا، لا تُعِينُوا عليه الشَّيْطَانَ**». رواه أحمد والبخاريُّ وأبو داود.

قلت: إنما نهى صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن الدعاء بالخزي على الشارب؛ لأن ذلك كان بعد إقامة الحدِّ عليه وتطهيره به، والواجب أن يدعى للمحدود، بعد إقامة الحد بالتوبة ونحوها.

كما ثبت أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أمر سارقًا -بعد قطع يده- بالتوبة، فلمَّا تاب، قال له: «**تَابَ اللهُ عليك**».

بل ثبت عند أبي داود -في الحديث المذكور- بعد قوله: «**لا تُعِينُوا عليه الشيطانَ**». قوله عليه الصلاة والسلام: «**ولكن قولوا اللهمَّ اغْفِرْ له اللهمَّ ارْحَمْهُ**».

٥- عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه: أنَّ رجلًا كان على عهد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان اسمه عبدالله، وكان يلقَّب حمارًا، وكان يُضحِك رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وكان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قد جلده في الشراب، فأتي به يومًا، فأُمِر به فجُلِد.

قال رجلٌ من القوم: اللهمَّ العنه، ما أكثر ما يؤتَى به! فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لا تَلْعَنُوا، فوالله ما عَلِمْتُ، إنَّه يُحِبُّ اللهَ ورَسُولَهُ**»(١).رواه البخاريُّ.

---

(١) ما علمت: ما: مصدرية، والمعنى: والله علمي: إنه يُحبُّ اللهَ ورَسُولَهُ، والحديث يفيد: أنَّ المعصية لا تنفي عن المؤمن حُبَّه لله ولرسوله؛ لأنها تحصل في فترة غفلاتٍ نَفْسَانيَّة.

هذا ما انتقيناه من الأحاديث الكثيرة في حَدِّ شارب الخمر، وقد انعقد الإجماع على ذلك، حكاه القاضي عياض، وتقيُّ الدين ابن دقيق العيد، ومحيي الدين النوويُّ، والحافظ ابن حجرٍ، وغيرهم.

وإنما اختلفوا في تعيين عدد الجلد.

فذهب مالكٌ وأبو حنيفة والشافعيُّ في أحد قوليه إلى أنَّ الشارب يجلد ثمانين جلدةً، والقول الآخر للشافعيِّ وهو الصحيح: يجلد أربعين جلدةً، وهو قول أحمد وأبي ثور وداود الظاهريِّ، وعن أحمد روايةٌ: بأنه ثمانون.

فإن زعم مبتدعٌ زائغٌ أنَّ حَدَّ شارب الخمر لا يوجد في القرآن.

قلنا: وحَدُّ اللُّواط لا يوجد في القرآن مع أنه أفحش من الخمر، ورجم الزاني المُحصَن لا يوجد في القرآن، مع أنه أفحش من الخمر[1] أيضًا، وحَدُّ المرتد لا يوجد في القرآن، وهو أقبح من اللُّواط والزِّنا والخمر؛ لأنه خروج عن المِلَّة والعياذ بالله تعالى، فأخذ المسلمون الحدود الواجبة على هذه المُحرَّمات من سُنَّة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم اتباعًا لأمر القرآن بذلك، حسبما بينَّاه في الباب الأول، والله المُوفِّق.

---

(١) ذكر الحافظ المنذري وغيره أنَّ الزِّنا أعظم إثمًا عند الله تعالى من الخمر، وإن كانتا كبيرتين، بل ذهب بعض العلماء إلى أنَّ الزِّنا يلي الكفر، واستدل بحديث أبي مالكٍ الطائيِّ التابعيِّ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ما مِن ذَنْبٍ بَعْدَ الشِّرْكِ أَعْظَمُ عِنْدَ الله مِن نُطْفَةٍ وَضَعَهَا رَجُلٌ في رَحِمٍ لا تَحِلُّ لَهُ**». رواه ابن أبي الدنيا وغيره.

قتل شارب الخمر بعد جلده ثلاث مرات

١- عن أبي الرمداء -وهو صحابيٌّ اسمه ياسر، نزل مصر-: أنَّ رجلًا منهم شرب، فأتوا به نبيَّ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فضربه، ثُمَّ شرب الثانية، فأتوا به النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ، قال: فما أدري أفي الثالثة أم الرابعة، أمر به فحمل على العَجَل[1] فضرب عنقه». رواه الطبرانيُّ، والدولابيُّ، وابن منده، والبغويُّ.

٢ ـ عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا سَكِرَ فاجْلِدُوهُ، ثُمَّ إنْ سَكِرَ فاجْلِدُوهُ، ثُمَّ إنْ سَكِرَ فاجْلِدُوهُ، فإنْ عَادَ الرَّابِعَةَ فاقْتُلُوهُ**».

رواه أحمد وأبو داود والنَّسائيُّ، وصحَّحه ابن حِبَّان والحاكم وله طُرُقٌ، وقال ابن حِبَّان: «معناه إذا استحلَّ ولم يقبل التحريم»[2].

٣- عن معاوية: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال في شارب الخمر: «**إنْ شَرِبَ فاجْلِدُوهُ، ثُمَّ إنْ شَرِبَ فاجْلِدُوهُ، ثُمَّ إنْ شَرِبَ الرَّابِعَةَ فاضْرِبُوا عُنُقَهُ**».

رواه عبدالرزَّاق وأبو داود والترمذيُّ وابن ماجه والحاكم، وصحَّحه ابن حِبَّان، وابن حزمٍ، والذهبيُّ.

٤- عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّى الله

---

(١) بفتح العين والجيم، جمع عَجَلة بفتحهما أيضًا، وهي: خشب يحمل عليها .

(٢) لأن مَن استحلَّ الخمر يكون مُرتدًّا يجب قتله.

عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن شَرِبَ الخَمْرَ فاجْلِدُوهُ، ثُمَّ إنْ شَرِبَ الخَمْرَ فاجْلِدُوهُ، ثُمَّ إنْ شَرِبَ فاجْلِدُوهُ، ثُمَّ إنْ شَرِبَ الرَّابِعَةَ فاقْتُلُوهُ**».

قال: فكان عبدالله يقول: ائتوني برجلٍ شرب الخمر ثلاث مرَّاتٍ، فلكم علي أن أضرب عنقه. رواه عبد الرزَّاق وإسحاق بن راهويه والحاكم والطبرانيُّ وغيرهم.

قال الحافظ الهيثميُّ: «رواه الطبرانيُّ من طرقٍ، ورجال هذا الطريق رجال الصحيح».

٥- عن شُرَحْبيلِ بن أَوْسٍ الكِنْدِيِّ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال في الخمر: «**إنْ شَرِبها فاجْلِدُوهُ، ثُمَّ إنْ عَادَ فاجْلِدُوهُ، ثُمَّ إنْ عَادَ فاجْلِدُوهُ، ثُمَّ إنْ عَادَ في الرَّابِعَةِ فاقْتُلُوهُ**». رواه أحمد والحاكم والطبرانيُّ وابن مَنْدَه في "معرفة الصحابة".

قال الحافظ بن حجرٍ في "الفتح": «رواته ثقاتٌ، وصحَّحه الحاكم من وجهٍ آخر».اهـ

وقال الحافظ الهيثميُّ عن سند أحمد: «رجاله رجال الصحيح، غير يزيد ابن أبي كبشة فوثَّقه ابن حِبَّان».اهـ

وللحديث طرقٌ عن ابن عمر، وجابر، وجرير، وأبي سعيدٍ الخدريِّ، وابن مسعودٍ، وغيرهم.

وبه أخذ عبدالله بن عمرو بن العاص وبعض الظاهرية وابن حزمٍ، والجمهور قالوا: إنَّ القتل منسوخٌ؛ لأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أُتي برجلٍ قد شَرِبَ أربع مراتٍ فجَلَدَهُ ولم يقتله، فرأوا أنَّ القتل قد رُفِع، وفي

المسألة كلامٌ ليس هذا موضع بسطه.

وسواء أكان القتل منسوخًا أم غير منسوخٍ فإنَّ أمر النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم به، وتنفيذه بالفعل في الشارب من قوم أبي الرمداء البلوي دليل علىٰ تشديد الشارع في الخمر، واهتمامه بتحريمها تحريمًا قاطعًا باتًّا.

يؤيِّد ذلك ويؤكِّده ما رواه أبو داود في "سننه" عن ديلم الحميريِّ قال: سألت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ، فقلت: يا رسول الله إنَّا بأرضٍ باردةٍ، نُعالِج فيها عملًا شديدًا، وإنا نتَّخِذ شرابًا من هذا القمح نتقوَّىٰ به علىٰ أعمالنا وعلىٰ برد بلادنا، قال : «**هل يُسْكِر؟**» قلت: نعم، قال: «**فاجْتَنِبُوه**». قلت: فإنَّ النَّاسَ غير تاركيه، قال: «**فإن لم يَتْرُكُوه فقاتِلُوهم**».

وما رواه أحمد وأبو يعلىٰ، والطبرانيُّ بإسنادٍ حسنٍ، عن أُمِّ المؤمنين أُمِّ حَبيبة رضى الله عنها: أنَّ أُناسًا من أهل اليمن قدموا علىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ، فعلَّمهم الصَّلاة والسُّنَن والفرائض، ثُمَّ قالوا: يا رسول الله إنَّ لنا شرابًا نصنعه من القمح والشعير؟ قالت: قال: «**الغُبَيْراء؟**» قالوا: نعم، قال: «**لا تَطْعَمُوه**». ثُمَّ لَمَّا أرادوا أن ينطلقوا، سألوه عنه، فقال: «**الغُبَيراء؟**» قالوا: نعم، قال: «**لا تَطْعَمُوه**».قالوا: فإنهم لا يدعونه، قال: «**مَن لم يَتْرُكْه فاضْرِبُوا عُنُقَهُ**».

فأنت ترىٰ كيف أوجب النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قتل شارب الخمر المصرِّ عليها، الممانع في تركها؛ لأنه جُرْثُومة فسادٍ يجب استئصاله؛ لئلَّا يُعْدِي مَن يتصل به من أفراد المجتمع الإسلاميِّ الطاهر النظيف.

□لا يجوز التداوي بالخمر

١- عن أُمِّ سلمة قالت: اشتكت ابنةٌ لي، فنَبَذْتُ لها في تَوْرٍ، وفي روايةٍ: كُوزٍ، فدخل النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وهو يَغْلِي فقال: «ما هذا؟» فقلت: إنَّ ابنتي اشتكت، فنبذت لها هذا، فقال: «**إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ لم يَجْعَل شِفَاءَكُم في حَرَامٍ**». رواه أحمد وأبو يعلىٰ والبزَّار بإسنادٍ رجاله رجال الصحيح، وصحَّحه ابن حِبَّان.

٢- عن وائل الحضرميِّ: أنَّ طارق بن سويد الجعفيِّ سأل النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن الخمر، فنهاه، وكَرِه أن يصنعها، فقال: إنما أصنعها للدواء، فقال: «**إنَّهُ ليس بدَوَاءٍ ولكِنَّهُ دَاءٌ**».

رواه أحمد ومسلمٌ وأبو داود وابن ماجه وابن حِبَّان في "صحيحه".

٣- عن عبد الله بن عمر: أنَّ نفرًا قدموا علىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فأسلموا، فسألوا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن أشياء من أمورهم، فخرجوا حتىٰ إذا كانوا بعقبة منًىٰ ذكروا شرابًا لهم، فقالوا: نسينا أن نسأل رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن شرابٍ لنا ببلادنا، لا يصلح لنا غيره، فرجع رجلٌ منهم، حتىٰ انتهىٰ إلىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: إنَّ أصحابي نسوا أن يسألوك عن شرابٍ لهم ببلادهم لا يصلح لهم غيره، وإنَّ أرضنا أرضًا بارِدَةً، وإنَّ أرضنا أرض مَحَمَّةٍ، وإنا قوم نحرث فلا نقوىٰ علىٰ أعمالنا إلَّا به، فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أَيُسْكِرُ؟**» قال: نعم، قال: «**كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ**». فرجع إليهم فأخبرهم، فقالوا: إنَّا لا نراك

أخبرت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بما يدخل علينا من المرفق، قال: فرجعوا بأجمعهم، حتى انتهوا إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقالوا: يا رسول الله إنَّا نسينا أن نسألك عن شرابٍ لنا ببلادنا لا يصلح لنا غيره، وإن أرضنا باردَةً، وإنَّ أرضنا أرض مَحَمَّةٍ، قال: «ما هو؟». قالوا: المِزْرُ، قال: «أَيُسْكِرُ؟» قالوا: نعم، قال: «**كُلُّ مُسْكِرٍ**(١)**حَرَامٌ، إنَّ على الله حتمًا أن لا يشربها أحدٌ في الدنيا إلَّا سَقَاهُ الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة مِن طِينَةِ الخَبَالِ، وهل تَدْرِي ما طِينَةُ الخَبَالِ؟**». قال : «**عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ**».

رواه أبو الحسن أحمد بن عبد العزيز بن ترتال في "جزئه" قال: حدثنا الحسين -يعني ابن إسماعيل المحاملي-: حدثنا خلاد بن أسلم: أخبرنا النضر بن شميل: أخبرنا عبد الملك بن قدامة: سمعت عبد الله بن دينار يقول: سمعت عبد الله بن عمر يقول: فذكره، وهذا حديثٌ حسنٌ.

٤ ـ عن أُمِّ الدرداء، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ الله خَلَقَ الداء والدواء، فتداووا، ولا تداووا بحرامٍ**». رواه الطبرانيُّ بإسنادٍ رجاله ثقاتٌ.

٥- عن أبي وائل قال: اشتكى رجلٌ مِنَّا، فنَعِتَ له السُّكَّر، فأتينا عبدالله بن مسعودٍ فسألناه، فقال: إنَّ الله لم يجعل شفاءَكُم فيما حَرَّمَ عليكم. رواه الطبرانيُّ بإسنادٍ صحيحٍ.

٦- عن إبراهيم النخعيِّ قال: قال ابن مسعودٍ: لا تسقوا أولادكم الخمر،

---

(١) هذا حديثٌ صريحٌ في نفي ما يزعمه أصحاب الخمر من المنافع، فلا دفء فيها، ولا دواء ولا نشاط، بل كلها ضررٌ، وقد أدرك العلم الحديث هذا أخيرًا وأيَّده.

فإنَّ أولادكم وُلِدُوا على الفِطْرة، أتسقونهم ما لا يحل لهم؟ إثمهم على مَن سقاهم، فإنَّ الله لم يجعل شفاءَكُم فيما حَرَّم عليكم.

رواه الطبرانيُّ بإسنادٍ صحيحٍ أيضًا، ورواه داود بن نصير في "نسخته" بإسنادٍ صحيحٍ عن مسروقٍ، عن ابن مسعودٍ، وله طرقٌ صحيحةٌ أخرى عند أحمد وابن أبي شيبة وغيرهما، وعلَّقه البخاريُّ بصيغة الجزم في «كتاب الأشربة» من "صحيحه" في باب شرب الحلواء والعسل.

فانظر -هداك الله- كيف شدَّد الشارع في الخمر، وحرَّم تناولها للدواء؛ لأن الإثم وذهاب العقل والإيمان في تعاطيها محقَّقٌ مقطوعٌ به، وحصول الشفاء بها مظنونٌ، بل موهومٌ، ولا يجوز لمسلمٍ أن يخاطر بإيمانه وبعقله في سبيل الحصول على شفاءٍ يتوهَّمه أو يظنُّه، نعم لو خاف على نفسه، أو على عضوٍ منه التلف، وتعيَّنت الخمر للدواء، وجزم بحصول البرء بها جاز التداوي بها حينئذٍ؛ نظرًا لحالة الاضطرار، وهذا كما لو شرق بلُقْمةٍ ولم يجد ما يُسِيغها به إلَّا خمرًا، جاز إساغة اللقمة بها للضرورة، وهذه حالاتٌ نادرةٌ لا تكاد تقع، ومع هذا لو صبر المُضطر لرأى مِن كَرَمِ الله وفضله وفرجه ما يُغنيه عن تعاطي الخمر، أو غيرها من المُحرَّمات.

قال ابن قدامة في كتاب "المغني": «وكذلك المضطر إليها لدفع الغُصَّة بها إذا لم يجد مائعًا سواها، فإنَّ الله تعالى قال في آية التحريم: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٧٣]، وإن شربها لعطشٍ نظرنا، فإن كانت ممزوجةً بما يروي العطش أُبيحَت لدفعة عند الضرورة، كما تُباح الميتة عند

المَخْمَصَةِ، وكإباحتها لدفع الغُصَّة.

وقد روينا في حديث عبدالله بن حذافة: أنه أسره الرُّوم، فحبسه طاغيتهم في بيتٍ فيه ماءٌ ممزوجٌ بخمرٍ ولحم خنزيرٍ مشويٍّ ليأكله ويشرب الخمر، وتركه ثلاثة أيام، فلم يفعل، ثُمَّ أخرجوه حين خشوا موته، قال: والله لقد كان الله أحله لي لأني مضطرٌ، ولكن لم أكن لأُشمِّتكم بدين الإسلام.

وإن شربها صِرْفًا، أو ممزوجةً بشيءٍ يسيرٍ لا يروي من العطش، أو شربها للتداوي، لم يُبَح له ذلك وعليه الحدُّ».اهـ

قلت: عبدالله بن حذافة السهميُّ: صحابيٌّ توفِّي بمصر ودُفن بمقبرتها، وذلك في خلافة عثمان رضى الله عنه، وقصته مع ملك الروم طويلةٌ، حصلت حين وَجَّه عمر رضى الله عنه جيشًا إلى الروم، فيهم عبدالله ابن حذافة، وكان من قصته حين أُسِر أن قال له ملك الرُّوم: تَنَصَّر، أُشْرِكُكَ في مُلْكِي. فأبَى، فأمر به فصُلِبَ وأُمِر برميه بالسهام، فلم يجزع، فأُنزِل، وأُمِر بقِدْرٍ فصُبَّ فيها الماء وأُغلي عليه وأمر بإلقاء أسير فيها، فإذا عظامه تلوح، فأمر بإلقائه إن لم يَتَنَصَّر، فلمَّا ذهبوا به بكى، قال: رُدُّوه، فقال: لم بَكَيْتَ؟ قال: تمنَّيت أنَّ لي مائة نفسٍ تُلْقَى هكذا في الله! فعجب المَلِك، وقال: قَبِّل رأسي، وأنا أُخلِّي عنك، فقال: وعن جميع أساري المسلمين؟ قال نعم، فقبَّل رأسه فخَلَّى عنهم، فقدم بهم على عمر، فقام عمر فقبَّل رأسه.

وهذه قصة مشهورةٌ رواها البيهقيُّ في "دلائل النبوة"، وابن عساكر في "التاريخ"، وغيرهما من طرقٍ، وكان عبد الله إلى جانب هذا فيه دعابةٌ.

قلت: جديرٌ بمن كان مثل عبدالله بن حذافة في قوة العقيدة، ورسوخ

الإيمان أن يمتنع عن الخمر والخنزير، وإن اضطر إليهما اضطرارًا.

عَلَىٰ قَدْرِ أَهْلِ العَزْمِ تَأْتِي العَزَائِمُ وَتَأْتِي عَلَىٰ قَدْرِ الكِرَامِ المَكَارِمُ

فصل

أخبر النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم : أنَّ ناسًا مِن الأُمَّة يُسَمُّون الخمر بغير اسمها، وبذلك يستَحِلُّون شُرْبَها. ونحن نذكر بعض الأحاديث في ذلك، ثُمَّ نتبعها بتوضيح ما أشارت إليه:

١- عن أبي مالكٍ الأشعريِّ رضى الله عنه: أنه سمع النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**لَيَشْرَبَنَّ أُناسٌ مِن أُمَّتِي الخَمْرَ، يُسَمُّونَها بغير اسْمِها**».

رواه أحمد وأبو داود، وصحَّحه ابن حِبَّان.

ورواه ابن ماجه ولفظه: «**لَيَشْرَبَنَّ ناسٌ مِن أُمَّتِي الخَمْرَ، يُسَمُّونها بغير اسْمِها، يُعْزَفُ على رُؤوسِهِم بالمَعَازِفِ والمُغَنِّيَاتِ، يَخْسِفُ اللهُ بِهِمُ الأَرْضَ، ويجعل منهم القِرَدَةَ والخَنازِيرَ**».

وللبخاريِّ في "الصحيح" عن أبي عامرٍ أو أبي مالكٍ الأشعريِّ، وكلاهما صحابيٌّ، سمع النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**لَيَكُونَنَّ مِن أُمَّتي أقوامٌ يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ، والحَرِيرَ، والخَمْرَ، والمَعَازِفَ...**». الحديث.

ورواه البخاري في "التاريخ" وأحمد، وابن أبي شيبة عن أبي مالك الأشعري بلفظ: «**ليشربن أناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها، تغدو عليهم القيان، وتروح عليهم المعازف**». الحديث.

٢- عن عُبادة بن الصامت رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه

وآله وسلَّم: «لَتَسْتَحِلَنَّ طائِفَةٌ مِن أُمَّتي الخَمْرَ باسْمٍ يُسَمُّونَها إيَّاهُ». رواه أحمد.

ورواه ابن ماجه ولفظه: «تَشْرَبُ طَائِفَةٌ مِن أُمَّتِي الخَمْرَ باسْمٍ يُسَمُّونَها إيَّاهُ». وإسناد الحديث جيِّدٌ.

وروى عبدالله بن أحمد، عن عبادة أيضًا: «والذي نَفْسِي بيَدِهِ ليَبِيتَنَّ أُناسٌ مِن أُمَّتِي على أَشَرٍ وبَطَرٍ ولَعِبٍ ولَـهْوٍ، فيُصْبِحُوا قِرَدَةً وخَنازِيرَ باسْتِحْلَالِهِمُ المَحَارِمَ، واتِّخَاذِهِمُ القَيْنَاتِ، وشُرْبِهِمُ الخَمْرَ، وبأَكْلِهِمُ الرِّبا، ولُبْسِهِمُ الحَريرَ».

٣- عن أبي أُمامة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «لا تَذْهَبُ اللَّيالي والأَيَّامُ حتَّى تَشْرَبَ طَائِفَةٌ مِن أُمَّتي الخَمْرَ يُسَمُّونها بغير اسْمِها». رواه ابن ماجه.

٤- عن ابن مُحَيْريزٍ، عن رجلٍ من الصحابة، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «يَشْرَبُ ناسٌ مِن أُمَّتِي الخَمْرَ يُسَمُّونَها بغير اسْمِها». رواه النَّسائيُّ بإسنادٍ جيِّدٍ.

٥- عن عائشة: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «إنَّ أوَّلَ ما يُكْفَأُ الإسلامَ، كما يُكْفَأُ الإناءُ كَفْءُ الخَمْرِ». قيل: وكيف ذاك يا رسول الله وقد بَيَّن الله فيها ما بَيَّن؟ قال: «يُسَمُّونها بغير اسْمِها، فيَسْتَحِلُّونها». رواه الدارميُّ بإسناد ليِّنٍ، ورواه ابن أبي عاصم من طريق آخَر، عن عائشة أيضًا.

٦- عن أبي ثعلبة الخشنيِّ، عن أبي عبيدة رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «أوَّلُ دِينِكُمْ نُبُوَّةٌ ورَحْمَةٌ، ثُمَّ مُلْكٌ ورَحْمَةٌ، ثُمَّ مُلْكٌ أَعْفَرُ، ثُمَّ مُلْكٌ وجَبَرُوتٌ يُسْتَحَلُّ فِيهَا الخَمْرُ والحَرِيرُ».

رواه الدارميُّ وقال: «معنى أعفر: يشبِّهُهُ بالتُّراب، لا خير فيه».

قلت: يستفاد من هذه الأحاديث أمورٌ:

الأول: وقوع ما أخبر به النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من تحايل بعض الناس للتوصُّل إلىٰ استباحة الخمر باستحداث أسماءٍ لها لم تكن معروفةً في عهد النبوة، أو بدعوىٰ منفعةٍ من المنافع الجائزة، ولكن ذلك لا يفيدهم شيئًا.

قال أبو عبيد: «جاءت في الخمر آثارٌ كثيرةٌ بأسماء مختلفةٍ، فذكر منها: السَكَر -بفتحتين- قال: وهو نقيع التمر إذا أغلي بغير طبخ، ومنها: الجِعة -بكسر الجيم وتخفيف العين-: نبيذ الشعير، والسكركة: خمر الحبشة -من الذرة». إلىٰ أن قال: «وهذه الأشربة المسمَّاة كلها عندي كناية عن الخمر، وهي داخلةٌ في قوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**يَشْرُبونَ الخَمْرَ، يُسَمُّونها بغير اسْمِها**»؛ ويؤيِّد ذلك قول عمر: الخَمْرُ ما خامَرَ العَقْلَ».اهـ

وسبقته إلى هذا عائشة رضى الله عنها: روىٰ ابن وهبٍ والبيهقيُّ: أنَّ أبا مسلمٍ الخولانيَّ حَجَّ، فدخل علىٰ عائشة، فجلعت تسأله عن الشام، وعن بردها؟ فقال: يا أُمَّ المؤمنين، إنهم يشربون شرابًا لهم، يقال له: الطلاء، فقالت: صدق رسول الله وبلَّغ حين سمعته يقول: «**إنَّ ناسًا مِن أُمَّتِي يَشْرَبُونَ الخَمْرَ يُسَمُّونها بغير اسْمِها**».

وفي "صحيح البخاري" عن أبي الجويرية قال: سألت ابن عبَّاسٍ عن البَاذَقِ؟ -نوع من الشراب- فقال: سَبَقَ محمَّدٌ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم البَاذَقَ، فما أَسْكَرَ فهو حَرَامٌ.

قال ابن بطالٍ وغيره مِن شُرَّاح البخاريِّ: «يعني: سَبَقَ حكم محمَّدٍ بتحريم الخمر، وتسميتهم لها بغير اسمها، وليس تغييرهم للاسم بمُحَلِّلٍ له إذا كان

يُسْكِر».اهـ

وفي "صحيح الإسماعيلي" عن أبي حَيَّان التيميِّ: «قلت: يا أبا عمرٍو - يعني الشعبيَّ- شيءٌ يصنع في السِنْد مِن الأُرُزِ يقال له: السادية[1] يدعىٰ الجاهل فيشربه فيصرعه؟ فقال: لم يكن هذا علىٰ عهد رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ، ولو كان لنهىٰ عنه، ألا ترىٰ أنه قد عمَّ الأشربة كلَّها فقال: «**الخَمْرُ ما خَامَرَ العَقْلَ**»، وأصل هذا الأثر في "صحيح البخاري" مختصرًا.

فقد وُجِد التحايل مِن قديمٍ، لكن كان في دائرةٍ محصورةٍ ضيِّقةٍ، وكان المُتحايلون يخشون سَطْوَةَ العلماء العالمين بالله، الذين كانوا يُنكِرون المُنكَر، ويقفون في وجه من يحاول اقتحام شيءٍ من المُحرَّمات، كائنًا مَن كان.

أمَّا في عصرنا هذا -عصر التحلُّل والانحلال- فإنَّ العلماء يُشَجِّعون علىٰ اقتحام المعاصي بما يُصْدِرون من فتاوىٰ ونشرات، يعلم الله أنها صدرت لأغراضٍ شخصيَّةٍ ليس لله ولا لدينه فيها من نصيبٍ، فقد ظهرت أشربةٌ

---

(١) قال الحافظ في "الفتح": «هذا الاسم ما وجدته في "النهاية" ولا في "الصحاح" ولعله فارسي، فإن كان عربيًا فلعله: الشاذبة، قال في "الصحاح": الشاذب: المتنحي عن وطنه، فلعل الشاذبة تأنيثه، وسميت الخمر بذلك: لكونها إذا أحاطت بالعقل تنحَّت به عن وطنه، أمَّا الباذق -المتقدِّم في كلام ابن عبَّاسٍ، بكسر الذال المعجمة وقيل بفتحها- فهو: فارسي معرب، قيل: هو الطلاء، وقيل: هو المطبوخ من عصير العنب إذا أسكر، وقال ابن سيده: هو من أسماء الخمر». انتهىٰ .

ورأيت الشهاب الأقفهسيَّ في كتاب "إكرام من يعيش بتحريم الخمر والحشيش": «نقل بعضهم، قال: هو السوبية» ؛ قلت: هذا بعيدٌ؛ فإن السويبة لا تُسْكِر.

مُستحدَثة مُسْكِرَةٌ مثل الشمبانيا والبيرة والبوظة[١] وشاع شربها في كثيرٍ من الطبقات والبيئات، وشربها كثيرٌ من العلماء بحُجَّة أنها هاضمةٌ، أو تفتح الشهيَّة، أو تُذهِب غثيان الصدر، أو تُدرُّ البول، إلى غير ذلك من الأعذار الواهية.

وبلغني: أنَّ بعض علماء المغرب ألَّف رسالةً في إباحة البيرة، فإن صحَّ هذا فهي محاربةٌ لله ولرسوله، وأجرأ من هذا وأقبح أنَّ بعض العلماء هنا في مصر صرَّح[٢] بإباحة الويسكي والكونياك، بدعوى أنَّ هذه الأنواع نظيفةٌ مُعَقَّمةٌ، لا ينسحب عليها المعني الذي حرَّم الله لأجله الخمر عند العرب؛ لأن تلك الخمر كانت تُستعمَل بطريقةٍ بدائيةٍ، لا تخلو من قذارة وأوساخ، وهذا كفرٌ لا خفاء فيه.

ومنهم من تحايل على إباحة الخمر بطريقةٍ أخرى، فلجأ إلى بعض الأقوال المُفرِّقة بين خمر العنب وغيرها، وبين ما اشتد غليانه وما لم يشتد، فتبيح بعض ذلك دون بعضٍ -على تفصيلاتٍ مبسوطةٍ في محالِّها- وهي أقوال مهجورةٌ منبوذةٌ، ولو صحَّت عن أربابها لكانت مَردودةً عليهم، ولكانوا هم ومَن يُقلِّدهم فيها داخلين في قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يَشْرَبُ ناسٌ مِن أُمَّتي**

---

(١) وكشراب ماء الحياة المعالج بالتقطير، ويسمِّيه المغاربة: المحيا، على طريقة النحت، ألَّف فيه ابن غازي رسالةً حسنةً بيَّن فيها أنه من أقبح أنواع المُسكِرات، فما في "شرح ميارة الكبير" في نواقض الوضوء، عن ابن غازي مِن أنه لم يجزم في رسالته -المذكورة- بأنَّ ماء الحياة مُسكِرٌ غَلَطٌ نبَّه عليه ابن الحاجِّ في "حاشيته".

وكالمريسة وهي: شراب شائع بين أهل السودان.

(٢) على ما بلغني من شخصٍ يعمل معه في مكتبه بمحلِّ وظيفته.

الخَمْرَ يُسَمُّونها بغير اسْمِها». وإثم هؤلاء المُتحايلين أشد ممن يشرب الخمر مُعتقِدًا حرمتها؛ لأن ارتكاب المعصية مع الاعتراف بأنها معصيةٌ أهون من ارتكابها مع اعتقاد إباحتها.

قال الفقيه أبو الليث السمرقنديُّ الحنفيُّ: «شارب المطبوخ إذا كان يُسْكِر أعظم ذنبًا من شارب الخمر؛ لأن شارب الخمر يشربها وهو يعلم أنه عاصٍ بشربها، وشارب المطبوخ يشرب المسكر ويراه حلالًا، وقد قام الإجماع على أنَّ قليل الخمر وكثيره حرامٌ، وقد ثبت قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ**». ومن استحلَّ ما هو حرامٌ بالإجماع كفر».اهـ

قال الحافظ ابن حجرٍ في "الفتح": «وقد سبق إلى نحو هذا بعض قدماء الشعراء في أول المائة الثالثة، فقال- يعرض ببعض من كان يفتي بإباحة المطبوخ:

وأَشْرَبُهَا وأَزْعُمُهَا حَرَامًا ... وأَرْجُو عَفْوَ رَبٍّ ذِي امْتِنَانِ

ويَشْرَبُهَا ويَزْعُمُهَا حَلَالًا ... وتِلْكَ عَلَى المُسِيءِ خَطِيئَتَانِ

قلت: ولهذا أخبر الحديث أنَّ هؤلاء المُستحلِّين للخمر وللزِّنا يعذِّبهم الله في آخر الزمان بالخَسْفِ والقَذْفِ، ويمسخهم قِرَدَةً وخَنازِيرَ، لاستحلالهم المُحرَّمات.

وأخرج أبو نعيمٍ في "الحلية" عن أبي موسى الأشعريِّ قال: أُتِي النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بنَبيذٍ في جَرِيرٍ له نَشِيشٌ، فقال: «**اضْرِبُوا بهذا**[1] **الحائِطَ، فإنَّ هذا شَرَابُ مَن لا يُؤْمِنُ بالله واليوم الآخِرِ**».

---

(١) بهذا، أي: النبيذ، الحائط: منصوب؛ لأنه مفعول للأمر، وهو: اضربوا.

الثاني: إباحة الزِّنا، وهو المراد بقوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لَيَكُونَنَّ مِن أُمَّتي أقوامٌ يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ...**». الحديث.

و«الحِرَ» بكسر الحاء وتخفيف الراء هو: الفرج.

واستحلال الزِّنا حاصلٌ: يعمد الرجل إلىٰ امرأةٍ يتفق معها علىٰ الزِّنا، ويريد أن يتخلَّص من الإثم فيقول لها: هَبِي لي نفسك، فتقول: وهبتُ لك نفسي، فيأتيها ويعتقد أنه فعل مباحًا؛ لأنها لمَّا وهبت نفسها له صارت زوجته في تلك اللحظة، وهذا هو استحلال الزِّنا في أبشع صُوَرِه وأقبحها، وهو شائعٌ بين كثيرٍ من الجَهَلَة المُتورِّعين، وبعض المُتعلِّمين والمُتحَذْلِقين.

وأخبرني رجلٌ عامِّيٌّ يحافظ علىٰ الصلاة في أوقاتها، ويخاف الله فيما يزعم: أنه فعل هذا مرَّاتٍ، فأخبرته: أنَّ هذا زنا محضٌ، وإثمه مُضاعفٌ؛ لأنه ارتكابٌ للزنا واستحلالٌ له وإصرارٌ عليه.

ومن استحلال الزنا: أن يتزوَّج الرجل المرأة بعقدٍ عُرْفِيٍّ لمدَّة مُعيَّنةٍ -كشهرٍ أو سنةٍ أو أكثر- أو يتزوَّجها بشرط ألَّا تلد، فإن ولدت طلَّقها، أو بشرط ألَّا تلد أنثىٰ، فإن ولدتها طلَّقها، وشرط الزواج الذي أباحه الله ورسوله: أن يكون بمهرٍ ووَلِيٍّ وشهودٍ، وأن يُعلَن ولا يُخفَىٰ، وألَّا يتقيَّد بمدَّةٍ محدودةٍ، وألَّا يشترط فيه عدم الولادة مُطلقًا أو عدم ولادة أنثىٰ، فإن هذا من أمر الجاهلية الأولىٰ.

والزواج بلفظ الهِبة خاصٌّ بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، لا يجوز لغيره، بدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب: ٥٠].

الثالث: إباحة الحرير، وهذا حاصلٌ أيضًا، فإنَّ لُبس الحرير شائعٌ بين كثيرٍ من الناس، خصوصًا العلماء والقُرَّاء يلبسون الحرير الصرف لا يرون فيه حُرْمَةً ولا كراهيةً، ولم أرَ أحدًا من علماء الأزهر اجتنب لبس الحرير، إلَّا أفرادًا قلائل[1].

الرابع: إباحة المعازف: وهي آلات اللهو والطَّرَب، وظاهر الحديث يدل على حرمتها، وذهب بعض العلماء منهم ابن حزمٍ الظاهري إلى: جواز سماع الغناء بالآلات وبدونها، وحصَّل السيوطيُّ في ذلك أربعة أقوال: حُرْمَة الغِناء مطلقًا، جوازه مطلقًا، حُرْمته مع الآلات وجوازه بدونها، جوازه للصوفية لاستعانتهم به على الذِّكْر وترقيق القلب وتهييج الشَّوْقِ إلى الله تعالى.

وفي المسألة كلامٌ كثيرٌ ليس هذا محلُّ تفصيله وتمحيصه، وإن كان القرطبيُّ[2] قد حكى الإجماع على حرمة المعازف والاستماع إليها.

الخامس: وقوع المسخ على الذين يستحلُّون الخمر والزِّنا ويأكلون الرِّبا، فيمسخهم الله قِرَدَةً وخَنَازِيرَ، ويُعذِّب طائفةً منهم بالخَسْفِ، وبالقَذْفِ أي: يقذفون بحجارةٍ من السماء، فكل هذا حاصلٌ وواقعٌ في آخِر الزمان حين يتحلَّل الناس من الدين، ويستحلُّون المُحرَّمات، ولا ينافي هذا قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ

---

(١) منهم صديقنا المرحوم الشيخ محمد عبدالحليم الرمالي صاحب رسالة "لسان الدفاع والحجاج عما أورد من الشبه في قصة الإسراء والمعراج".

(٢) صاحب كتاب "المفهم في شرح صحيح مسلم".

ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٢ – ٣٣].

لأن الآية أفادت شيئين :

الأول: أنَّ الله لا يستأصلهم بالإمطار أو المسخ، أو نحو ذلك من العذاب كما فعل بالأمم السالفة.

الثاني: أنَّ الله تعالى لا يُعذِّبهم ورسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فيهم، فلم يقع في حياته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم خَسْفٌ ولا مَسْخٌ ولا قَذْفٌ إطلاقًا، وذلك لكرامته على الله، أمَّا بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى فلا مانع أن يقع ذلك لبعض الأُمَّة، ولا يكون عامًّا لجميعها.

وهذا هو الذي أفادته الأحاديث، فاتفقت الأدلة ولم يكن بينها تعارضٌ والحمد لله، ولهذه المناسبة أنقل ما ذكره العلامة العارف أبو محمد عبدالله بن أسعد اليافعي في "نشر المحاسن الفاشية" عن الشيخ العارف ابن الزِعْب – بكسر الزاي وسكون العين– اليمني: «أنه كان يتردَّد للحَجِّ والزيارة من أقصى اليمن، ويمدح النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وصاحبيه بقصيدةٍ عند قدومه المدينة المنورة وينشدها تجاه القبر الشريف، فلمَّا فرغ من إنشاده في بعض زياراته جاء بعض الرَّافضة والتمس منه أن يكون عنده ضيفًا، فمضى معه وهو لا يعلم حاله، فلما صار في داره أخرج له عبدين فلزماه حتى قطعا لسانه، ثُمَّ قال له: اذهب إلى الذين مدحتهما ليردَّاه لك مكانه، فأخذ لسانه ووقف به عند القبر الشريف، وشكى وبكى، فلما كان تلك الليلة رآه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في النوم وعنده صاحباه رضى الله عنهما وهما متحزنان، فأدنى صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الشيخ، وأخذ لسانه بيده الكريمة ورده مكانه، فانتبه ولسانه صحيحٌ،

فسافر إلى بلده ثُمَّ عاد للحَجِّ والزيارة على عادته، فلمَّا فَرَغَ مِن إنشاده طلب منه رجلٌ أن يذهب معه، فوافقه، فجاء به إلى الدار التي لا ينكر، وقال له: ادخل فدخل واثقًا بالله ومتوكِّلًا عليه، فأكرمه ذلك الرجل وبالغ في الإكرام، فلمَّا فرغ من الطعام جاء به إلى مكان في الدار، وإذا فيه قرد، فقال له: أتعرف هذا؟ قال: لا، قال: هذا الذي قطع لسانك، مَسَخَهُ الله إلى ما ترى، وأنا ولده».اهـ

قال اليافعيُّ: «إنَّ هذا منقولٌ بصحيح الإسناد، واشتهر في آفاق البلاد»[1]اهـ.

فصل

قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في حديث عائشة رضي الله عنها: «**إنَّ أوَّلَ ما يُكْفَأُ الإسلامُ كما يُكْفَأُ الإناءُ كَفْءُ الخَمْرِ**». يحتاج فهمه إلى إعرابه، وتفسير مفرداته.

أمَّا إعرابه: فـ«**أول**» اسم «إنَّ» منصوبٌ بها، و«**كَفْءُ**» بفتح الكاف خبرها مرفوع، وهو مضافٌ إلى «**الخمر**»، والإضافة لإفادة السببية، ويصح أن تكون إضافة «**كَفْءُ**» إلى «**الخَمْرِ**» من إضافة المصدر إلى فاعله، والمفعول محذوفٌ: وهو ضميرٌ يعود على الإسلام، والتقدير: كَفْءُ الخَمْرِ إيَّاه، أي: الإسلام.

وأمَّا تفسير مفرداته: فـ«**الكَفْءُ**» -بفتح الكاف-: مصدر كَفَأَ الإناء كفأ إذا أمالها أو صب فيها، والمعنى: إنَّ أوَّلَ ما يُمالُ الإسلام ويُعْدَل به عن جادَّته الواضحة كما تُمال الإناء لصبِّ ما فيها، إمالته بسبب الخمر؛ لتجرُّؤ الناس على

---

(١) ليس بكثيرٍ ولا مُستبعَدٍ وقوع مثل هذه الكرامة للشيخين رضي الله عنهما.

شربها، وتحايلهم لاستحلالها بتسميتها بغير اسمها، كالطلاء والجعة والبيرة والشمبانيا ونحو ذلك، وقد حصل ما أخبر صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فيدخل في باب الإخبار بالغَيْبيَّات، وهو بابٌ من المعجزات واسعٌ.

فصل

قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في حديث أبي عبيدة: «**أوَّلُ دينكم نبوَّةٌ ورحمةٌ**». يشير إلى عهده صلَّى الله عليه وآله وسلَّم خير العهود وأفضلها.

وقوله: «**ثُمَّ مُلْكٌ ورَحْمَةٌ**» يشير إلى عهد الخلفاء الراشدين، وسمَّاه مُلْكًا مجازًا مشاكلة لما بعده، وفي حديثٍ آخر: «**الخلافة بعدي ثلاثون سنة**»، وقد حُسبت فتمَّ عددها يوم تنازل الحسن بن عليٍّ عليهما السلام لمعاوية بن أبي سفيان على شروط أخلَّ بها معاوية.

وقوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ثُمَّ مُلْكٌ أَعْفَر**» يشير إلى عهد الأمويين وعهد العباسيين، وسمَّاه في حديث آخر: «**مُلْكًا عَضُودًا**» إشارة إلى ما حصل فيه مِن المظالم. وقوله: «**ثُمَّ مُلْكٌ وجَبَروتٌ**» يشير إلى آخر عهد العباسيين حين استولى الأتراك والديلم على أزِمَّة الحكم ولم يبقَ للخليفة العباسي إلَّا الاسم، وإلى ما بعده من العهود.

وقوله: «**يَسْتَحِلُّونَ فيها الخَمْرَ والحَرِيرَ**» يشير إلى عهد المُلْك الأعفر، وما بعده من العهود؛ لأن التساهل في الخمر والحرير ظهر في عهد الأمويين، وفي عهد معاوية بالذات، أمَّا في عهد الخلفاء الراشدين فلم يوجد شيء من ذلك أصلًا، والله أعلم.

الخاتمة

رأينا بمناسبة الكلام على الخمر أن نتكلَّم على الحشيش الذي شاع استعماله في هذه الأزمنة المُتأخِّرة، وصار أغلب الناس يعتقد إباحته، وأحوطهم من يعتقد كراهته فقط.

وقد صرَّح بحرمته علماء المذاهب الأربعة، بل أفرده جماعة بالتأليف:

منهم العلامة بدر الدين الزركشي له رسالة "زهر العريش في الكلام على الحشيش".

ومنهم العلامة شهاب الدين ابن العماد الأقفهسيُّ له كتاب "إكرام من يعيش باجتناب الخمر والحشيش".

ومنهم الإمام أبو بكر محمد ابن الإمام أبي العباس أحمد بن محمد بن الحسن القسطلانُّي له كتاب "تكريم المعيشة بتحريم الحشيشة".

ومنهم الإمام محفوظ ابن الإمام شمس الأئمة محمد بن التمرتاشي الحنفيُّ له رسالة في تحريم الحشيشة.

ومنهم عماد الدين ابن أبي شريف له رسالةٌ في تحريم الحشيشة وجوزة الطِّيب، وتكلَّم فيها على سائر المُخدَّرات.

ومنهم العلامة الفقيه أحمد بن حجر الهيتميُّ الشافعيُّ له كتاب "تحذير الثقات عن استعمال الكفتة والقات" وتكلَّم فيه على سائر المُسكِرات والمُخدَّرات.

ومنهم الفقيه الصوفيُّ الشيخ عبد الغني النابلسيُّ الحنفيُّ، سُئِلَ وهو في

بيت المقدس عن مسائل خمسة، وكان السؤال الخامس منها عن الأفيون والحشيش والبرش -وهو معجون من الحشيش- فأجاب عنه بجوابٍ مُطوَّلٍ يعادل في عدَّة صفحاته رسالة "زهر العريش".

ومنهم العلامة الشيخ محمد أبو عياشة الدمنهوريُّ الشافعيُّ، قرأت في مكتبته رسالة مختصرة من "زهر العريش" لا أدري أهي من تأليفه؟ أم لا؟.

وللعلامة المؤرِّخ تقي الدين المقريزي في "الخطط" بحثٌ واسعٌ ممتعٌ في الحشيش[1].

ونحن نأتي إن شاء الله تعالىٰ بتلخيصٍ وجيزٍ، لما في هذه الكتب وغيرها، والله الموفِّق.

---

(١) دعاه إلىٰ كتابته أنه أثناء الكلام علىٰ أرض الطبالة وما مرَّ بها من أدوار، قال: «وفيها بقعة تعرف بالجنينة -تصغير جنة- من أخبث بقاع الأرض، يعمل فيها بمعاصي الله عزَّ وجلَّ، وتعرف ببيع الحشيشة التي يبتلعها أراذل الناس، وقد فشت هذه الشجرة الخبيثة في وقتنا هذا فشوًا زائدًا، وولع بها أهل الخلاعة والسخف ولُوعًا كثيرًا، وتظاهروا بها من غير احتشامٍ، بعدما أدركناها تعد من أرذل الخبائث، وأقبح القاذورات، وما شيءٍ في الحقيقة أفسد لطباع البشر منها، ولاشتهارها في وقتنا هذا عند الخاصِّ والعامِّ بمصر والشام والعراق والروم، تعيَّن ذكرها والله تعالىٰ أعلم».
ثُمَّ قال: «ذكر حشيشة الفقراء»، وذكر بحثه الطويل المشار إليه.

□أول ظهور الحشيش

ذكر الزركشيُّ وغيره: أنَّ ظهورها كان على يد حيدر في سنة خمسين وخمسمائة تقريبًا، ولهذا سميت حيدرية، وذلك: أنه خرج هائمًا بنفرٍ من أصحابه فمرَّ على هذه الحشيشة فرأى أغصانها تتحرك من غير هواء، فقال في نفسه: هذا السر فيها، فاقتطف وأكل منها، فلما رجع إليهم أعلمهم أنه رأى فيها سِرًّا، وأمرهم بأكلها.

وقيل: ظهرت على يد أحمد القلندري، ولذلك تسمى: «القلندرية»، والأطباء يسمونها: «القنب الهندي»، ومنهم من يسميها: «ورق الشهدانج»، وتسمَّى أيضًا: «الغبيراء».

قال صاحب "السوانح": ويُسمَّى «بالكف»، أنشدني تقي الدين الموصلي:

كف كف الهموم بالكف فالكشف ... شفاء للعاشق المهموم

بابنة القنب الكريمة لا بابنة ... كرم بعدًا لبنت الكروم

ونقل تقيُّ الدين المقريزي في "الخطط" عن الشيخ حسن بن محمد الشيرزايِّ في كتاب "السوانح الأدبية في مدائح القنبية" قال: سألت الشيخ جعفر بن محمد الشيرازيَّ الحيدريَّ عن السبب في الوقوف على هذا العقار -يعني: الحشيش- ووصوله إلى الفقراء خاصَّةً وتعدِّيه إلى العوامِّ عامَّةً، فذكر لي أن شيخه شيخ الشيوخ حيدرا -رحمه الله- كان كثير الرياضة والمُجاهدة، قليل الغذاء، وكان قد اتخذ ببعض جبال خراسان زاويةً وفي صحبته جماعةٌ من الفقراء، وانقطع في ركنٍ منها أكثر من عشر سنين لا يدخل عليه أحدٌ غيري، قال: ثُمَّ إنه خرج ذات يوم وقت القائلة -وقد اشتدَّ الحر- منفردًا بنفسه إلى

الصحراء، ثُمَّ عاد وعليه نشاط وسرور على خلاف عادته، وأذن لأصحابه في الدخول عليه، وأخذ يحادثهم فسألوه عن ذلك؟ فقال: خطر لي أن أخرج إلى الصحراء منفردًا، فخرجت فوجدت كل نبات ساكنًا لا يتحرَّك لعدم الريح وشدَّة القيظ، ووجدت نباتًا له أوراق، فرأيته في تلك الحال يميس بلطفٍ، ويتحرَّك من غير عنف كالثَّمِل النشوان، فجعلت أقطف منه أورقًا وآكلها، فحصل لي من الارتياح ما شاهدتموه، ثُمَّ قال: قوموا بنا لأطلعكم عليه، فلمَّا رأيناه، قلنا: هذا نباتٌ يعرف بالقنب، فأمرنا بالأكل منه، ففعلنا وعدنا إلى الزاوية، فوجدنا من الفرح والسرور ما عجزنا عن كتمانه، فأمر الشيخ بكتمان هذا العقار إلَّا عن الفقراء، وأوصانا ألَّا نعلم به عوام الناس، فزرعناه في الزاوية في حياة الشيخ حيدر وأمرنا بزرعه حول ضريحه بعد وفاته، وعاش الشيخ حيدر بعد ذلك عشر سنين، وأنا في خدمته لم أرَه يقطع أكلها، وكان يأمرنا بتقليل الغذاء، وأكل هذه الحشيشة.

وتوفي الشيخ حيدر سنة ثمان عشرة وستمائة بزاويته في الجبل، وعُمل على ضريحه قبَّةٌ عظيمةٌ، وكان أوصى أصحابه عند وفاته أن يوقفوا ظرفاء أهل خراسان وكبراءهم على هذا العقار وسِرِّه، فاستعملوه.

قال: ولم تزل الحشيشة شائعةً في بلاد خراسان ومعاملات فارس، ولم يكن يعرف أكلها أهل العراق حتى ورد إليها صاحب هرمز ومحمد بن محمد صاحب البحرين -وهما من ملوك سيف البحر المجاور لبلاد فارس- في أيام الملك الإمام المستنصر، وذلك في سنة ثمان وعشرين وستمائة، فحملها أصحابها معهم، وأظهروا للناس أكلها، فاشتهرت بالعراق ووصل خبرها إلى

الشام ومصر والروم فاستعملوها.

وقد نسب إظهار الحشيشة إلى الشيخ حيدر: الأديب محمد بن عليٍّ بن الأعجميِّ الدمشقيُّ في أبيات منها :

دَعِ الخمرَ واشربْ مِن مدامةِ حيدرٍ معنبرة خضراء مثل الزبرجدِ
يعاطيكها ظبي من الترك أغيد يميس على غصنٍ من البان أملدِ

وكذلك نسبها إلى الشيخ حيدر: الأديب أحمد بن محمد بن الرسام الحلبي في أبيات منها:

وإذا هممت بصيد ظبي نافر فاجهد بأن يرعى حشيش القنبس
واشكر عصابة حيدر إذ أظهروا لذوي الخلاعة مذهب المتخمس

قال: «وقد حدَّثني الشيخ محمد الشيرازي القلندريُّ: أنَّ الشيخ حيدرا ما أكل الحشيشة في عمره البتة، وإنما عامَّة أهل خراسان نسبوها إليه لاشتهار أصحابه بها، وأنَّ إظهارها كان قبل وجوده بزمانٍ طويلٍ، وذلك أنه كان بالهند شيخ يسمى بيررطن، هو أول من أظهر لأهل الهند أكلها ولم يكونوا يعرفونها قبل ذلك، ثُمَّ شاع أمرها في بلاد الهند، حتى ذاع خبرها ببلاد اليمن، ثُمَّ فشا إلى أهل فارس، ثُمَّ ورد خبرها إلى أهل العراق والروم والشام ومصر في السنة التي قدمت ذكرها، يعني: سنة ٦٢٨ هجرية».

قال: «وكان بيررطن في زمن الأكاسرة، وأدرك الإسلام وأسلم، وأنَّ الناس من ذلك الوقت يستعملونها، وقد نسب إظهارها لأهل الهند: علي بن مكي في أبيات أنشد فيها من لفظه، وذكر قصيدة جاء في آخرها:

فقم فانف جيش الهم واكفف يد العنا بهندية أمضى من البيض والسمر
بهندية في أصل إظهارها أكلها إلى الناس لا هندية اللون كالسمر
تزيل لهيب الهم عنا بأكلها وتهدي لنا الأفراح في السر

قال: «وأنا أقول: إنه قديمٌ معروفٌ منذ أوجد الله الدنيا، وقد كان على عهد اليونانيين، والدليل على ذلك ما نقله الأطباء في كتبهم عن بقراط وجالينوس من مزاج هذا العقار وخواصِّه ومضارِّه». انتهى.

وقال الحافظ ابن حجرٍ في كتاب "الإصابة" ما نصه: «بيررطن الهندي: شيخ كان في زمن الأكاسرة، له خبرٌ مشهورٌ في حشيشة القنب، وأنه أول من أظهرها بتلك البلاد، واشتهر أمرها عنه باليمن، ثُمَّ أدرك هذا الشيخ الإسلام فأسلم، ذكره الشيخ حسن ابن محمد الشيرازي في كتاب "السوانح" عن شيخه الشيخ جعفر ابن محمد الشيرازي».اهـ

وقال ابن تيمية: «إنما لم يتكلَّم عليها الأئمة الأربعة وغيرهم من علماء السلف؛ لأنها لم تكن في زمانهم، وإنما ظهرت في أواخر المائة السادسة وأول المائة السابعة حين ظهرت دولة التتار».انتهى

قلت: الحشيشة قديمةٌ -بناء على ما مرَّ عن "السوانح"- إلَّا أنها لم تشتهر، ولم يفشُ استعمالها في البلاد العربية وما جاورها إلَّا في أواخر المائة السادسة وأوائل السابعة، يؤيِّد هذا ما ذكره المقريزيُّ حيث قال: «وما برحت هذه الخبيثة تعد من القاذورات حتى قدم سلطان بغداد أحمد بن أويس فارًّا من تيمورلنك إلى القاهرة في سنة خمس وتسعين وسبعمائة، فتظاهر أصحابه بأكلها وشنع الناس عليهم،

واستقبحوا ذلك من فعلهم وعابوه عليهم، فلما سافر من القاهرة إلى بغداد وخرج منها ثانيًا وأقام بدمشق مدة تعلم أهل دمشق من أصحابه التظاهر بها».اهـ

ولما فشت بين الفقراء -الدراويش- وسموها: «أسرار»، قال الشيخ محيي الدين ابن العربي -قدس سره- في كتابه "شجون المسجون وفنون المفتون": «قل لمن أكل حشيشة الفقراء: مَن أَمَّ مَرامَه بالوسائط من المُركَّبات والبسائط فقد أخطأ الصواب، ودخل من غير باب».اهـ

ورأيت ما يدل على أنَّ الحشيش ظهر قبل التاريخ المذكور، فقد نقل الشيخ النابلسيُّ عن ابن الصائغ: «أنه سئل شمس الأئمة الكردي عن الحشيشة التي هي ورق القنب الهندي؟ فقال: لم ينقل عن أبي حنيفة وأصحابه فيها شيءٌ ؛ لأن أكلها لم يظهر في زمنهم، فبقيت على أصل الإباحة كما في سائر النباتات، ولم يؤثَر عن السلف بعدهم شيءٌ في حِلِّها ولا حرمتها إلى زمان المُزنيِّ، حتى فشا أكلها وشاع تناولها فأفتى المُزنيُّ بحرمتها على مذهب الشافعيِّ، وكان أول ظهورها في عراق العرب، والمزني ببغداد فبلغ فتواه إلى القاضي أسد بن عمرو -صاحب أبي حنيفة- وكان بعراق العجم، فقال: إنه يباح -يعني إذا لم يسكر، فلما عمَّت بليَّته وشملت الأماكن فتنته اختار أئمَّة ما وراء النهر حرمته، واتفقوا على ما أفتى به المزني من حرمة أكله وحرمة تناوله، وأفتوا بإحراقها وإن كان ثمنها خطيرًا، وجعلوا قيمتها هدرًا، وأمروا بتأديب بائعها، وقال علماؤنا: من قال بحله فهو زنديقٌ مبتدعٌ فاسقٌ، وحكموا بوقوع طلاق[1] آكل

---

(١) صرَّح بوقوع طلاق متعاطي الحشيش غير واحدٍ، وهو ظاهرٌ؛ لأن الحشيش لا يفقد الشخص معه الوعي إلَّا في بعض حالاتٍ نادرةٍ لا تكاد تُذكَر، بخلاف الخمر فإنَّ

الحشيش إذا سكر منه زجرًا له».اهـ

نقله حافظ الدين النسفيُّ في "شرح التمرتاشي"[١] ومثله في "جامع الفتاوىٰ لقارئ الهداية" عن شمس الأئمة السرخسي.

هل الحشيش مسكر ؟

نصَّ كثيرٌ من الأطباء والعلماء بأحوال النبات علىٰ: أنَّ الحشيش مُسْكِرٌ، منهم أبو عبدالله محمد بن أحمد المالقي العشاب -المعروف بابن البيطار- وكمال الدين بن واصل، بل حكىٰ الزركشيُّ إجماعهم علىٰ ذلك.

قال ابن البيطار في كتاب "الجامع لقوىٰ الأدوية والأغذية": «ومن القنب

شاربها يفقد وعيه، ولا يدري بما يجري حواليه، ولهذا اختلف العلماء في وقوع طلاق السَّكْران، وقال بعض السلف: مَن زوَّج ابنته من شارب الخمر فقد أعطاها لمن يزني بها؛ لأنه يُطلِّق ولا يشعر، وطلاقه نافذٌ.

لطيفة: حكىٰ الصيدلانيُّ في "شرح المختصر" عن المزنيِّ: أنه كان يقول بوقوع الطلاق علي السَّكْران، حتىٰ مرَّ يومًا بسكرانٍ مطروحٍ علىٰ الأرض وقد استقاء ما في جوفه من الطعام، وكلب يلحس فمه، وهو يقول للكلب: حاشاك يا سيِّدي، فرجع المزني وقال بعدم وقوع طلاق السكران.

وذكر ابن أبي الدنيا: أنه مَرَّ بسكران وهو يبول في يده ويغسل به يده -كهيئة المتوضِّئ، ويقول: الحمد لله الذي جعل الإسلام نورًا، والماء طهورًا، قلت: مَن وصَلَ إلىٰ هذا الحدِّ صار في عداد المجانين.

(١) وهذا هو الصحيح، فالحشيش ظهر في القرن الثالث لكنه كان مُنتشرًا في بعض البلاد كعراق العرب، وما وراء النهر، وإنما انتشر في الشرق كله عند مجيء التتار، كما قال ابن تيمية وغيره، بل هي قديمةٌ كما سبق فيما نقلناه عن المقريزيِّ.

نوعٌ ثالث يقال له: القنب، ولم أرَهُ بغير مصر يزرع في البساتين، ويُسمَّى: الحشيشة أيضًا، وهو مُسْكِرٌ جدًا إذا تناول منه الإنسان يسيرًا قدر درهم أو درهمين، حتى إنَّ مَن أكثر منه أخرجه إلى حالٍ غريبةٍ، وقد استعمله قومٌ فاختلَّت عقولهم، وربما قَتَلَتْ»[1].اهـ

وكذلك الفقهاء صرَّحوا بأنَّ الحشيش مُسْكِرٌ، منهم الإمام أبو إسحاق الشيرازيُّ في كتاب "التذكرة في الخلاف"، ومحيي الدين النوويُّ في "شرح المهذب"، والشهاب الأقفهسيُّ في كتاب "إكرام من يعيش"، وهؤلاء شافعيةٌ، قال الزركشيُّ في "زهر العريش": «ولا يعرف فيه خلافٌ عندنا، يعني الشافعية».اهـ

وممن عدَّه مُسْكِرًا من غير الشافعية: تقيُّ الدين ابن دقيق العيد في "شرح مختصر ابن الحاجب" في فقه المالكية، وأبو العباس ابن تيمية الحنبليُّ في "فتاواه الكبرى"، وابن القيم في "زاد المعاد"، ونقل الشيخ عبدالغني النابلسيُّ الحنفيُّ ذلك عن كتاب "تنوير الأبصار وجامع البحار" من كتب الحنفية، وعلَّلوا ذلك بأنَّ السُّكْرَ معناه تغطية العقل، ومنه قوله تعالى: ﴿لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا﴾ [الحجر: ١٥]، أي: غُطِّيت، وهذا المعنى موجودٌ في الحشيش.

---

(١) بقية كلامه: «ورأيت الفقراء يستعملونها على أنحاء شتى، فمنهم من يطبخ الورق طبخًا بليغا ويدعكه دعكًا جيدًا حتى يتعجَّن ويعمل منه أقراصًا، ومنهم من يُجفِّفه قليلًا ثُمَّ يخمضه ويفركه باليد ويخلط به قليل سمسم مقشورٍ وسكر ويستفُّه ويُطيل مضغه، فإنهم يطربون عليه، ويفرحون كثيرًا، وربما أسكرهم فيخرجون به إلى الجنون أو قريبٍ منه، وهذا ما شاهدته من فعلها». انتهى

قال الزركشيُّ: «ويحكىٰ عن بعض من يتناولها: أنه كان إذا رأىٰ القمر يظنُّه لُجَّة ماءٍ فلا يُقدِم عليه».اهـ

أمَّا شهاب الدين القرافيُّ المالكيُّ فخالف في ذلك، وقال: إنَّ الحشيش مُفسدٌ -أي مُخدِّر- وليس بمُسْكِرٍ، قال في "الفروق": «نصَّ العلماء بالنبات علىٰ أنها -الحشيشة- مُسْكِرٌ، والذي يظهر لي أنها مُفْسِدَةٌ، ونحن نفرِّق بين المُفسِد والمُسْكِر والمُرقِد.

أنَّ التناول من هذه إمَّا أن تغيب معه الحواس أو لا، فإن غابت معه الحواس -كالسمع والنظر واللمس والشم والذوق- فهو المُرقِد، وإن لم تغيب معه الحواس فإمَّا أن يحدث معه نشوةٌ وسرورٌ كالخمر، والمُفسد: هو المُشوِّش للعقل في عدم السرور الغالب».اهـ

ولخَّصه الشيخ خليل في "التوضيح" فقال: «المسكر: ما غَيَّب العقل دون الحواس، مع نشوةٍ وفرحٍ، والمُفسِد: ما غيَّب العقل دون الحواس، لا مع نشوةٍ وفرحٍ كعسل البلادر، والمُرقِد: ما غَيَّب العقل والحواس كالشيكران».اهـ

وعلىٰ هذا فالحشيش مُفْسِدٌ -أي مُخدِّر- وليس بمُسْكِرٍ، وهذا هو الذي صحَّحه المالكية، ونصَّ عليه -غير القرافي- أبو الحسن في "شرح المدونة"، وابن مرزوق، وأبو عبد الله بن الحاج -صاحب "المدخل"- وضعَّفوا قول الشيخ المنوفي: إنَّ الحشيش مُسِكْرٌ.

واستدلَّ القرافيُّ لما قاله باختلاف الأعراض التي تظهر علىٰ كلٍّ مِن السكران ومتناول الحشيش، حيث يميل السكران إلىٰ الشجاعة والمسرَّة وقوَّة النفس وحب البطش بالأعداء والمنافسة في العطاء، ولذلك تجد شُرَّاب الخمر

تكثر عرابيدهم[١] ووثوب بعضهم على بعضٍ بالسلاح، ويوجد بينهم قتلى أو جَرْحَى بخلاف متناولي الحشيش، فإنهم لا يميلون إلى العربدة والوثوب والبطش، بل هم همدةٌ سكوتٌ.

قال: «والحشيش يثير الخلط الكامن في الجسد، فصاحب الصفراء يحدث له الحشيش حِدَّةٌ، وصاحب البلغم يُحدِث له سباتًا وصمتًا، وصاحب السوداء يُحدِث له بكاء وجزعًا، وصاحب الدم يُحدِث له سرورًا بقدر حاله.

وأمَّا المُسْكِرات: فلا تكاد تجد أحدًا ممن يشربها إلَّا وهو نشوانٌ مسرورٌ، بعيدٌ عن تصوُّر البكاء والصمت». انتهى كلامه مُلخَّصًا.

وهو ينطبق على الأعمِّ الأغلب من حال الفريقين، فإن وجد بعض السكارى أو بعض الحشاشين بخلاف ذلك فهو من قبيل الشاذِّ النادر، والنادر لا حكم له، فاعتراض الزركشيِّ عليه مُرجِّحًا: أنَّ الحشيش مُسكِرٌ ليس في محله.

وقال العلامة الفقيه أحمد بن حجر الهيتمي الشافعي -بعد حكاية الخلاف في أنَّ الحشيش مُسْكِرٌ، أو مُخدِّرٌ- ما نصُّه: «والحق في ذلك: خلاف الإطلاقين -إطلاق الإسكار، وإطلاق الإفساد- وذلك أنَّ الإسكار يطلق ويراد به مطلق تغطية العقل، وهذا الإطلاق أعم، ويطلق ويراد به تغطية العقل مع نشوةٍ وطَرَبٍ، وهذا إطلاق أخص وهو المراد من الإسكار حيث أطلق، فعلى

---

(١) قيل للعباس بن مرداس الصحابي -في أيام الجاهلية-: لِمَ لا تشرب الخمر؟ فإنها تزيد في جرارتك؟ فقال: ما أنا بآخذ جهلي بيدي فأدخله في جوفي، ولا أرضى أن أصبح سيد قومي وأمسي سفيههم.

الإطلاق الأول بين المُسْكِر والمُخَدِّر عمومٌ مطلَقٌ، إذ كلُّ مُخَدِّرٍ مُسْكِرٌ وليس كلُّ مُسْكِرٍ مخدرًا، فإطلاق الإسكار على الحشيشة والجوزة وغيرهما، المراد منه التحذير، ومن نفاه أراد به معناه الأخص». انتهى

قلت: ومنه تعلم أنَّ كلام الإمام القرافي في غاية التحرير.

حكم الحشيش

تقدَّم: أنَّ المزني أفتى بحرمته على مذهب الشافعيِّ.

ووافقه أئمة ما وراء النهر من الحنفية.

وفي "شرح الوهبانية" لابن الشحنة الحنفيِّ:« ذكر في "المبتغى" -في مسائل شتى- قال: «ويحرم أكل الحشيش: وهو ورق القنب، وقد اتفق مشايخنا ومشايخ الشافعيِّ رضى الله عنه على تحريم تناوله، وأفتوا بإحراقه[1] مع خطر قيمته، وأمروا بتأديب بائعه، والتشديد على أكلته، فالآن فتوى المذهبين على حرمته، حتى قال علماؤنا رحمهم الله تعالى: من قال بحلِّ أكله فهو زنديقٌ مبتدعٌ».انتهى.

وممن نصَّ على تحريمه: النوويُّ في "شرح المهذب"، وابن القسطلانيُّ في كتاب "تكريم المعيشة"، والاقفهسيُّ في كتاب "إكرام من يعيش"، والزركشيُّ في "زهر العريش"، والقسطلانيُّ في "المواهب اللدنية" قبيل الكلام على غزوة خيبر، وابن حجرٍ الهيتميُّ الفقيه في "الزواجر" و"الفتاوى الفقهية" و"تحذير الثقات من تناول الكفتة والقات".

---

(١) وقال تقي الدين ابن دقيق العيد: لا ضمان على متلف الحشيشة، كالخمر.

وقال تقيُّ الدين الحصني الشافعي في "شرح المنهاج" ما نصُّه: «مسألة: ما حكم الحشيش التي تسطل؟ هذه المسألة لم أرَ فيها نقلًا، وقال القرافيُّ المالكيُّ: "يجب على آكله الحدُّ والتعزير؛ لارتكابه أمورًا قبيحة".انتهى، وما قاله صحيحٌ؛ لأنها تثير نشوةً ولذَّةً وطَرَبًا كالخمر، وتزيل العقل، فدخلت في عموم الأدلة، بل هي أولى من الخمر؛ لأنها تورث قبائح مع ذلَّةٍ، والله أعلم».انتهى

وكأنه لم يقف على رسالة "زهر العريش" -لشيخه الزركشي- ففيها نقولٌ بالتحريم عن كبار الشافعية.

وأمَّا الحنابلة: فقال ابن تيمية في باب الأشربة من "مجموعة الفتاوى" - بعد أن تكلَّم على الخمر- ما نصُّه: «والحشيشة المُسْكِرةُ حرامٌ، ومن استحلَّ السُّكْرَ منها فقد كَفَرَ[1]، بل هي في أصح قولَي العلماء نجسةٌ كالخمر، فالخمر كالبول، والحشيشة كالعذرة».انتهى (ص ٢٥٦ ج٤) من "مجموعة الفتاوى".

وأمَّا المالكية: فقد صرَّح بتحريمها منهم غير واحدٍ، كالمنوفيِّ وتلميذه الشيخ خليل، وابن مرزوق، وميارة، وابن الحاج، والصفتيِّ، بل حكى القرافيُّ: الإجماع على ذلك، فقال في "الفروق": «يحرم أكل الحشيش بالإجماع» انتهى، ونقل الإجماع ابن تيمية أيضًا.

---

(١) هذا غلوٌّ شديدٌ، ردَّه الزركشيُّ فقال: «لأن تحريم الحشيشة ليس معلومًا من الدين بالضرورة ولو قلنا إنها مجمع على تحريمها، وشرط كفر منكره أن يكون دليل الإجماع قطعيًّا على أحد الوجهين، ودليل الإجماع على تحريمها ليس قطعيًّا»، هذا توضيح كلام الزركشي، وإنما يكفر منكر المجمَع على تحريمه المعلوم من الدين بالضرورة، كالزِّنا والخمر والرِّبا.

وتكلَّم العلامة المُحدِّث شمس الحق في "عون المعبود شرح سنن أبي داود" (ج٣ ص٣٧٠ ـ ٣٧٩) على الحشيشة والأفيون ونحوهما مِن المُخَدِّرات، وحكى الإجماع على تحريمها أيضًا، فراجعه إن شئت.

دليل تحريم الحشيشة

علمت مما سبق: اتفاق العلماء من المذاهب الأربعة على تحريمها، وإنما اختلفوا هل هي مُسْكِرةٌ أو مُخَدِّرةٌ؟

فالذين قالوا بالأول استدلوا بحديث: «كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ». والذين قالوا بالثاني استدلوا بحديث: «نهى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن كُلِّ مُسْكِرٍ ومُفْتِرٍ» ، رواه أحمد وأبو داود من حديث أُمِّ سلمة رضي الله عنها بإسنادٍ حسنٍ(١).

---

(١) سألني بعض الحنفية عن دليل تحريم الحشيش من الحديث؟ فذكرت له الحديث المذكور، فقال: ما رتبته؟ قلت: حديثٌ حسنٌ، قال لا يكفي، قلت: لِـمَ؟ قال: لأنه لا يفيد إلَّا الظن، فأدركت ضعفه في علم الأصول؛ لأن الأحكام الفقهية -كالحرمة والكراهة ونحوهما- لا يشترط في دليلها القطع، بل يكتفى فيها بما يفيد الظن كما هو معلومٌ، ولعله أراد ما جاء في "الكنز" و"شرحه" لملا مسكين، ونصُّه: «المكروه إلى الحرام أقرب عندهما -أي أبي حنيفة وأبي يوسف- وقال خلف بن يحيى: المكروه إلى الحلال أقرب، ونصَّ محمدٌ: "كُلُّ مكروهٍ حَرَامٌ"، وإنما لم يطلق عليه لفظه؛ لأنه لم تثبت حرمته بدليل قطعيٍّ كما في الحرام». انتهى.

وحاصل ذلك: أنَّ ما ثبت تحريمه بدليلٍ قطعيٍّ -كالزِّنا والرِّبا وشرب الخمر- يقال فيه: «حرامٌ»، وما ثبت تحريمه بدليل ظنيٍّ -كالحشيش- يقال فيه: «مكروهٌ كراهة

قال العلماء: المُفَتِّر كلُّ ما يورث الفُتُور والخدر في الأطراف.

وقال الزركشيُّ: «هذا الحديث أول دليلٍ على تحريم الحشيشة بخصوصها، فإنها إن لم تكن مُسْكِرةً كانت مُفَتِّرةً مُخَدِّرةً، ولذلك يكثر النوم من متعاطيها، وثقل رءوسهم بواسطة تبخيرها الدماغ».انتهى.

وقال الحافظ ابن حجرٍ في "فتح الباري" في الكلام على حديث: «**كُلُّ شَرَابٍ أَسْكَرَ فهو حَرَامٌ**» ما نصُّه: «واستدلَّ بمطلق قوله: «**كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ**»، على تحريم كلِّ مسكرٍ ولو لم يكن شرابًا، فيدخل في ذلك الحشيشة وغيرها، وقد جزم النوويُّ وغيره بأنها مسكرةٌ، وجزم آخرون بأنها مخدِّرةٌ، وهو مكابرةٌ؛ لأنها تحدث بالمشاهدة ما يحدث الخمر من الطرب والنشوة والمداومة عليها والانهماك فيها، وعلى تقدير تسليم أنها ليست بمُسكِرةٍ، فقد ثبت في "أبي داود" النهي عن كُلِّ مسكرٍ ومُفترٍ، وهو بالفاء، والله أعلم».انتهى.

وقال العلقميُّ في "شرح الجامع الصغير": «حُكِيَ أنَّ رجلًا من العجم قدم القاهرة، وطلب دليلًا على تحريم الحشيشة، وعقد لذلك مجلسًا حضره علماء العصر، فاستدل الحافظ زين الدين العراقيُّ بحديث أُمِّ سلمة: "نهى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن كُلِّ مُسْكِرٍ ومُفْتِرٍ"، فأعجب الحاضرين».انتهى.

قال الزركشيُّ: «وأيضًا فإنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وما كان هذا

تحريمٍ»، فالإثم موجودٌ فيهما، وهذه تفرقةٌ اصطلاحيةٌ لا تؤثِّر في جوهر الموضوع، نعم، يترتَّب عليه ما سيأتي: أنَّ حرمة الحشيش دون حرمة الخمر، ثُمَّ لا تنسى أنَّ الحنفية صرَّحوا بتحريم الحشيش كما مرَّ؛ لما فيه من المفاسد والمضارِّ.

وصفه كان حرامًا كالخمر، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وأي خبث أعظم مما يفسد العقول التي اتفقت الملل والشرائع علىٰ إيجاب حفظها، وقد حرَّم الله إذهاب العقول باستعمال ما يزيلها أو يفسدها ويخرجها عن مخرجها المعتاد، ولا شك أنَّ تناول الحشيشة يظهر أثر التغير في انتظام الفعل والقول المستمد كماله من تصرف العقل شرعًا وعرفًا». انتهىٰ، فهذان دليلان آخران يضمان إلىٰ ما سبق.

والخلاصة: أنَّ الأدلة علىٰ تحريم الحشيش خمسةٌ:

الأول: حديث: «كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ»، علىٰ القول بأنها: مُسكِرةٌ، وهو مذهب الحنفية والشافعية والحنابلة، أو حديث: «نهىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن كُلِّ مُسْكِرٍ ومُفْتِرٍ»، علىٰ القول بأنها: مُخدِّرةٌ، وهو الصحيح عند المالكيَّة.

الثاني: الإجماع، حكاه القرافيُّ وابن تيمية وشمس الحق.

الثالث: أنها تصدُّ عن ذكر الله وعن الصلاة، فتكون في معنىٰ الخمر من هذه الجهة، ومعنىٰ صدها: أنَّ متناولها لا يجوز له أن يصلِّي حتىٰ يذهب أثرها من عقله، ومَن صلَّىٰ قبل ذهاب أثرها فصلاته لا تصح.

قال الشيخ عبد القادر النعيميُّ الشافعيُّ: «ورأيت في آداب القضاء لبعض من أدركناهم -سماه "الديباج المذهب"-: «وهذه الحشيشة المعروفة؛ حكمها حكم الخمر في وجوب قضاء الصلوات». انتهىٰ.

قلت: ونقل الزركشيُّ، عن القاضي الحسين في "التعليقة" قال: «إذا شرب

البنج وغيره مما يزيل العقل فعليه قضاء الصلاة والصوم، بعد الإفاقة كالسكران».انتهى.

الرابع: أنها من الخبائث، وهي مُحَرَّمةٌ بقوله تعالى: ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾.

الخامس: ما فيها من الضرر الحِسِّيِّ والمعنويِّ، والقاعدة الشرعية: «**أنَّ ما فيه مَضَرَّةٌ، فهو حَرَامٌ**»، والحديث: «**لا ضَرَرَ ولا ضِرَارَ**». وهو حديثٌ صحيحٌ له طرقٌ ذكرتها في تخريج أحاديث "منهاج البيضاوي" في الأصول.

مضار الحشيشة

قال محمد بن زكريا الرازي الطبيب: «إنها تولد أفكارًا كثيرةً، وتُجفِّف المنيَّ، وتجفيفه إنما يكون من قلة الرطوبة في الأعضاء الرئيسية».انتهى.

قال صاحب "السوانح": «والفقراء إنما يقصدون استعماله -مع ما يجدون من اللذة- تجفيفًا للمنيِّ، وفي إبطاله قطع لشهوة الجماع كي لا تميل إلى ما يوقع في الزِّنا».انتهى، وهذا عذرٌ لا يبيح تعاطي الحشيش كما لا يخفى.

ونقل أبو بكرٍ القسطلانيُّ في "تكريم المعيشة" عن بعض أئمة أهل الشام: «أنها تُصَدِّع الرأس، وتُظلِم البصر، وتعقد البطن، وتُجفِّف المنيَّ».

ونقل الأقفهسيُّ عن بعضهم: «أنَّ في الحشيشة مائة وعشرين مضرة دينية ودنيوية، منها: أنها تُجفِّف الرُّطوبات، وتعرض البدن لحدوث الأمراض كالسلِّ ونحوه، وتورث النِّسيان[1]، وموت الفجأة، واختلال العقل، وتكسب

---

(١) ومن هنا قالوا إنها تنسي الشهادة عند الموت، نسأل الله السلامة، وكذلك ينشأ عن تجفيفها للرطوبات قلة الريق في فم شاربها، بحيث يضطر إلى شرب الماء وغيره من

الرعشة، وتُنتِن الفم، وتحرق الدم، وتُسوِّد الأسنان وتحفرها، وتصفر اللون، وتقلل الحياء، وتورث كثرة المراء، وتسقط شعر الأجفان، وتظهر الداء الخفيَّ، وتُفِّتِر الأعضاء، وتُضيِّق النَّفَسَ، وتقوي الهوس، وتؤثِّر في العين الغشاوة وقلَّة النظر، وتؤدِّي إلى إتلاف الكيس، ومجالسة إبليس، وتورث الكسل والفشل، وتجعل الأسد كالجعل، وتصير العزيز ذليلًا، تجعل الفصيح أبكمًا، والذكيَّ أبلمًا، تذهب الفَطْنة، وتورث البِطْنة، فصاحبها بعيدٌ عن السُّنَّة، طريدٌ من الجنَّة، موعودٌ من الله اللعنة، إلَّا أن يقرع من الندم سنه، ويحسن بالله ظنَّه». انتهى، ملخصًا منه ومن الزركشيِّ.

وذكر ابن البيطار: «أنها خبيثة الطعم، كريهة الرائحة، قال: ولهذا يتحايل بعض من يتعاطاها على تطييبها بما يسوغ تناولها من السمسم المقشور والسكر». انتهى.

وقال صاحب كتاب "إصلاح الأدوية": «إن الشهدانج: عَسِر الانهضام، رديء الخلط للمعدة، ورأيت من خواصها: أنَّ كثيرًا من ذوات السموم - كالحية ونحوها- إذا شمت ريحها هربت، ومن وجد فعلها وأحب أن يذهبه فليقطر في منخريه شيئًا من الزيت، وليأكل من اللبن الحامض، ومما يكسر قوة فعلها: السباحة في الماء الجاري، والنوم يبطله». انتهى باختصار.

وممن تكلَّم على الحشيش من الأطباء القدماء: حنين بن إسحاق، وابن جزلة في كتاب "منهاج البيان"، ويحيى بن ماسويه في كتاب "تدبير أبدان

السوائل، وكذلك تورث الإمساك الشديد.

الأصحاء"، وغيرهم، وذكروا له خواص ومنافع -إلى جانب ما فيه من أضرار- وتلك المنافع إن صحَّت إنما تجوز تعاطيه للتداوي فقط.

وقال الشيخ العارف عفيف الدين أبو محمد عبدالله اليافعي في كتاب "الترغيب والترهيب" -بعد أن صرَّح بتحريم الحشيشة، واستدل بالحديثين السابقين، ونقل كلام ابن تيمية-: ما نصُّه: «فوالله ما فرح إبليس، بمثل فرحه بالحشيشة، إذ زيَّنها للأنفس الخبيثة، فاستحلوها وسموها "لقيمة الراحة ولقيمة الفكر" وإنما هي لقيمة الهم والحزن في الآخرة لمن لم يتب منها».انتهى.

وقال المقريزيُّ في "الخطط": «فما بلي الناس بأفسد من هذه الشجرة لأخلاقهم، ولقد حدَّثني القاضي الرئيس تاج الدين إسماعيل بن عبدالوهاب المخزوميُّ -قبل اختلاطه- عن الرئيس علاء الدين ابن النفيس: أنه سئل عن هذه الحشيشة، فقال: اعتبرتها، فوجدتها تورث السفالة والرذالة، وكذلك جرَّبنا في طول عمرنا من عاناها، فإنه ينحط في سائر أخلاقه إلى ما لا يكاد أن يبقي له من الإنسانية شيءٌ البتة».انتهى.

ثُمَّ ذكر المقريزيُّ -في ختام بحثه الذي أشرنا إليه أول الخاتمة-: أنَّ شخصًا من ملاحدة العجم قدم القاهرة، وصنع الحشيشة بعسلٍ خلط فيها عدَّة أجزاء مجفَّفة، وسماها «العقدة» وباعها خفية، فشاع أكلها بين كثيرٍ من الناس، ثُمَّ وصف آكليها بعدم الحياء، وبسفالة الأخلاق، بل بتجرُّدهم من الإنسانية.

وقال بعضهم فيها:

قُلْ لِمَنْ يَأْكُلُ الحَشِيشَةَ جَهْلًا ... يا خَسِيسًا قد عِشْتَ شَرَّ مَعِيشَةِ

دِيَةُ العَقْلِ بِدُرَّةٍ فلماذا ... يا سَفِيهًا قد بِعْتَها بحَشِيشَةِ

وقال آخَر:

ما للحَشِيشَةِ فَضْلٌ عِنْدَ آكِلِهَا ... لكنَّهُ غيرُ مَهْديٍّ إلى رَشَدِه
حَمْرَاءُ في عَيْنِهِ خَضْرَاءُ في يَدِهِ ... صَفْرَاءُ في جَوْفِهِ سَوْدَاءُ في جَسَدِه

وقال آخَر:

يا مَنْ غَدَا أَكْلُ الحَشِيشِ شِعَارُهُ ... وغَدَا فَلَاحُ عَوَارِهِ وخِمَارُهُ
أَعْرَضْتَ عَن سُنُنِ الهُدَىٰ بزَخَارِفٍ ... لَمَّا اعْتَرَضْتَ لِما أُشِيعَ ضِرَارُهُ
العَقْلُ يَنْهَىٰ أَنْ تَمِيلَ إلى الهَوَىٰ ... والشَّرْعُ يَأْمُرُ أَنْ تُبَعَّدَ دَارُهُ
فمَن ارتَدَىٰ بِرِدَاءِ زَهْرَةِ شَهْوَةٍ ... فيها بَدا للنَّاظِرين خَسَارُهُ
أَقْصِرْ وتُبْ عن شُرْبِها مُتَعَوِّذًا ... مِن شَرِّها فهو الطَّويلُ عَثَارُهُ

وجاء في "المجلة الطبية الشرعية المصرية" (عدد ١ سنة أولى، بتاريخ شهر ١ ـ ١٩٤٠) بحث في الحشيش وتحليله، وبيان خواصه النباتية والكيماوية، وفيه مما يتعلق ببحثنا: ما نصه:

«**التسمم الوقتي**: يحدث بواسطة تعاطي كميات قليلة من الحشيش، ويشاهد في باديء الأمر ميل إلى الحركة، وحرارة في المعدة، وأيضًا في الصدر، ثُمَّ ثِقل في الرأس، ثُمَّ تخدير العضلات حيث تنتشر من الأعضاء الداخلية إلى الخارجية وتكون مصحوبةً بتنميلٍ أو أكلانٍ، فإذا زادت الكمية كان هناك شعورٌ بعسر التنفَّس، وانحراف المزاج، ثُمَّ دوار وألم في الحَلْق، ثُمَّ جفاف في الفم، ثُمِّ ثِقل عام، فإذا زادت الكمية يطرأ نومٌ عميقٌ هاديء وثِقل. وبعد الإفاقة ترتسم هذه المظاهر على وجهه.

التسمم المزمن: إدمان الحشيش يكسب الوجه نوعًا من الوحشية والغباوة، وتكون الإجابة بصعوبة، والحركات بطيئة، ويفقد الشهيَّة، وتفتر العزيمة، ولا يقوىٰ المُدمِن علىٰ العمل». انتهىٰ.

هل الحشيش نجس ؟

تقدم أنَّ الحشيش مُسْكِرٌ عند الشافعية والحنفية والحنابلة، وعلىٰ هذا فهل هو نجسٌ؟

قال الطوسيُّ في "المصباح": «الحشيشة نجسةٌ إن ثبت أنها مُسْكِرةٌ»، وغلَّطه الأقفهسيُّ والزركشي وغيرهما، وقالوا: لا يصح حكايته عن مذهب الشافعيِّ؛ لأن محيي النوويَّ -وهو شيخ الشافعية- قال: إنها طاهرةٌ، ولم يحكِ فيه خلافًا.

وقال ابن تيمية في كتاب "السياسة الشرعية": «الحشيشة المصنوعة من ورق القنب حرامٌ أيضًا، يجلد شاربها كما يجلد شارب الخمر، لكن لمَّا كانت جامدةً ليست شرابا، تنازع الفقهاء في نجاستها علىٰ ثلاثة أقوال: في مذهب أحمد وغيره فقيل: نجسةٌ، وهذا هو الاعتبار الصحيح، وقيل: لا؛ لجمودها، وقيل: يفرق بين جامدها ومائعها». انتهىٰ.

أي: فيكون جامدها طاهرًا، ومائعها نَجِسًا.

وقال القرافيُّ في "الفروق": «سُئِل بعض فقهاء العصر عمَّن صَلَّىٰ بالحشيشة معه: هل تبطل صلاته؟ فأفتىٰ: إنه إن صَلَّىٰ بها قبل أن تحمص أو تصلق، صحَّت صلاته، أو بعد ذلك بطلت صلاته؛ لأنها إنما تغيب العقل بعد التحميص أو الصلق، أمَّا قبل ذلك -وهي ورق أخضر- فلا -قال القرافيُّ- وسألت عن هذا

الفرق جماعةً ممن يعانيها؟ فاختلفوا على قولين: منهم من سلَّم هذا الفرق[١] وقال لا تؤثِّر إلَّا بعد مباشرة النَّار، ومنهم من قال: تؤثِّر مطلقًا، وإنما تحمص لإصلاح طعمها وتعديل كيفيتها، فعلى القول بعدم الفرق تبطل الصلاة مطلقًا، وعلى القول بالفرق يكون الحق ما قاله المفتي، إن صح أنها من المُسكِرات، وإلَّا صحت الصلاة مطلقًا، وهو الذي اعتقده أنها من المفسدات، والمفسدات لا تبطل الصلاة، كالبنج والشيكران وجوزة بابل».انتهى كلام القرافيِّ.

قلت: الصحيح: أنَّ الحشيشة طاهرةٌ[٢] كما قال النوويُّ، وقطع به تقي الدين ابن دقيق العيد في "شرح فرعي ابن الحاجب" بل حكى الإجماع عليه، وكذلك الأفيون وسائر المُخَدِّرات طاهرةٌ أيضًا.

قال الزركشيُّ: «ليس لنا نبات نجس العين قط، إلَّا النبات الذي يُسقَي بالنجاسة، فإنه نجس العين عند الصيدلانيِّ، حتى قالوا في السمِّ الذي هو نبات: إنه طاهرٌ، مع أنه أشد ضررًا من الحشيش».انتهى.

فمن صلَّى وهو يحمل حشيشًا أو أفيونًا فصلاته صحيحةٌ بلا نزاعٍ.

---

(١) وممن اعتمد هذا الفرق ورجَّحه الفقيه أبو عبد الله المقري، فقال في "قواعده": «إنما الخلاف فيها بعد قليها وتكييفها للأكل، وإلَّا فهي كالعنب للخمر، لا يحرم عينه ولا زرعه إجماعًا». اهـ

(٢) سواء قلنا إنها مسكرةٌ أو مخدِّرةٌ، فهي على كلتا الحالتين طاهرةٌ.

هل يجلد شارب الحشيش ؟

تقدَّم عند ابن تيمية أنَّ شارب الحشيش يُجلَد كشارب الخمر، وكذلك قال الزركشيُّ، مُستدِلًّا بأنَّ أدلة الحدِّ في السكر تشمل الحشيش، ولأن صاحبه يهذي، وإذا هذي افترىٰ، فيجلد حدَّ الفرية، ثُمَّ نقل وجوب الحدِّ عن الماورديِّ(١).

وصرَّح بوجوب الحدِّ أيضًا الحافظ الذهبيُّ، وضعَّفه الأقفهسيُّ في "إكرام من يعيش" قال: «لأن شرط القياس في الحدود المساواة، وهذه الأشياء -يعني المُخدِّرات- لا تشبه الخمر في تعاطيها؛ لأنها -أي الخمر- تورث عربدةً وغضبًا وحَمِيَّةً، والسكران يزيد شره وعربدته بالسكر، بخلاف آكل المُخدِّرات

---

(١) وقال بعض العلماء: «اعلم أنَّ الحشيشة المعروفة حرامٌ كالخمر، يحدُّ آكلها كما يحدُّ شارب الخمر، وهي أخبث من الخمر من جهة أنها تفسد العقل والمزاج حتىٰ يصير في متعاطيها تخنثٌ قبيحٌ، وديائةٌ عجيبةٌ، وغير ذلك من المفاسد، فلا يصير له من المروءة شيءٌ البتة، ويشاهد من أحواله خنوثة الطبع وفساده، وانقلابه إلىٰ شرٍّ من طبع النساء، ومن الديائة علىٰ زوجته وأهله فضلًا عن الأجانب ما يقضي العاقل منه بالعجب العجاب.

والخمر أخبث من جهة أنها تفضي إلىٰ الصيال علىٰ الغير، وإلىٰ المخاصمة والمقاتلة والبطش، وكلاهما يصد عن ذكر الله وعن الصلاة.

ورأىٰ آخرون من العلماء تعزير آكلها كالبنج، ومما يقوي القول بأنه يحدُّ؛ أنَّ آكلها ينتشي ويشتهيها كالخمر وأكثر، حتىٰ لا يصبر عنها، وتصده عن ذكر الله وعن الصلاة، مع ما فيها من تلك القبائح». انتهىٰ.

فإنه وإن زال عقله يسكن شرُّه؛ لفتور بدنه وتخدُّره، وكثرة نومه، وأيضًا: فالحشيش ونحوها طاهرةٌ، والخمر نجسةٌ، فيناسب تأكيد الزجر عنها، بإيجاب ألح. وأيضًا: فالخمر يحرم تعاطي قليلها للنجاسة، بخلاف الحشيش فإنه لا يحرم أن يتعاطىٰ منه ما لا يسكِر، فبطل القياس». انتهىٰ كلامه.

وفي فتاوىٰ المرغينانيِّ من كتب الحنفية: «المُسكِر من البنج ولبن الرماك[1]: حرامٌ، ولا يُحَدُّ شاربه، قاله الفقيه أبو حفصٍ، ونصَّ عليه شمس الأئمة السرخسيُّ».انتهىٰ.

وحكىٰ الأقفهسيُّ عن مذهب الشافعيِّ: «أنَّ في الحشيش التعزير».

قلت: وهكذا الحكم عند المالكية والحنفية، وبعضهم قال: إنَّ فيه الحدَّ والتعزير، ونقله الزركشيُّ عن كتاب "الذخيرة" للقرافي، وهذا غلوٌّ وتشديدٌ لا معنىٰ له، وهو قولٌ ساقطٌ.

والقرافيُّ نفْسُه صرَّح بإسقاط الحدِّ في الحشيش، حيث قال في "الفروق": «تنفرد المسكرات عن المرقدات والمفسدات بثلاثة أحكام: الحد، والتنجيس، وتحريم اليسير. والمرقدات والمفسدات لا حد فيها ولا نجاسة، فمن صلَّىٰ بالبنج معه أو الأفيون لم تبطل صلاته إجماعًا، ويجوز تناول اليسير منها».انتهىٰ كلامه.

والخلاصة: أنَّ المُخدِّرات فيها التعزير لا غير، وهو بحسب اجتهاد الإمام، علىٰ ألَّا يبلغ أقل الحدود.

---

(١) بكسر الراء: جمع رمكة -بفتح الراء والميم- وهي: الأنثىٰ من البراذين.

ومما جاء فيها من التعزير ما حكاه المقريزي في "الخطط" فإنه بعد أن نقل كلام ابن البيطار في الحشيش، قال ما نصُّه: «فانظر كلام العارف بها، واحذر من إفساد بشريَّتك، وإتلاف أخلاقك باستعمالها، ولقد عهدناها، وما يرمى بتعاطيها إلَّا أرذل الناس، ومع ذلك فيأنفون من انتسابهم لها؛ لما فيها من الشنعة.

وكان قد تتبع الأمير سردون الشيخوني -رحمه الله- الموضوع الذي يعرف بالجنينة من أرض الطبالة وباب اللوق، وحكر واصل ببولاق وأتلف ما هنالك من هذه الشجرة الملعونة، وقبض على من كان يبتلعها من أطراف الناس ورذلائهم، وعاقب على فعلها بقلع الأضراس، فقلع أضراس كثير من العامَّة في نحو سنة ٧٨٠ هـ».

قلت: هذا تشديد في التعزير، ما كان ينبغي ارتكابه، ومثله في التشديد الحكم فيها بالأشغال الشاقَّة المؤبَّدة.

هل الحشيشة من الكبائر؟

صرَّح الحافظ الذهبيُّ بأنَّ تعاطي الحشيش كبيرةٌ، وفيها الحدُّ كالخمر، قال في كتاب "الكبائر": «وهي أخبث مِن الخمر، من جهة أنها تُفْسِد العقل والمزاج، حتى يصير في متعاطيها تخنيث ودياثة وقوادة، وغير ذلك من الفساد، والخمر أخبث من جهة أنها تفضي إلى المخاصمة والمقاتلة، وكلاهما يصد عن ذكر الله وعن الصلاة».انتهى، وانظر بقية كلامه.

وصرَّح الحافظ أبو زُرْعة العراقيُّ بأنَّ الحشيشة كبيرةٌ أيضًا، وذكرها ابن حجرٍ الهيتميُّ في "الزواجر" كما هو معروفٌ.

هل حرمة الحشيش مثل حرمة الخمر ؟

في "تنوير الأبصار" و"جامع البحار" من كتب الحنفية: «ويحرم أكل البنج والحشيش والأفيون، وذلك كله حرامٌ؛ لأنه يُفسِد العقل حتىٰ يصير الرجل فيه صاحب خلاعةٍ وفسادٍ، ويصد عن ذكر الله تعالىٰ وعن الصلاة، لكن تحريم ذلك دون تحريم الخمر».انتهىٰ، وكذا في كتاب "الجوهرة" من كتب الحنفية أيضًا، وهذا واضح لا خفاء فيه.

هل ينتقض وضوء شارب الحشيش ؟

من تناول الحشيش أو غيره من المُخدِّرات فغاب عقله انتقض وضوؤه كما نصَّ عليه المالكية والحنفية، وكذلك عند الشافعية والحنابلة؛ لأن الحشيش عندهم مُسْكِرٌ.

ومن هنا يعلم: أنَّ مَن يصَلِّي وهو متأثِّرٌ مِن شرب الحشيش أو أكله فصلاته باطلةٌ، ويجب قضاؤها.

قول شاذ

ذكر سليمان الرازيُّ في "تقريب الغريبين" في الكلام علىٰ حديث أبي داود «أنه عليه الصلاة والسلام نهىٰ عن كُلِّ مُسْكِرٍ ومُفْتِرٍ»: «إنَّ النهي عن المُسكِر حرامٌ، وعن المُفتِر مكروهٌ، وجمع بينهما في الحديث».انتهىٰ.

قال النابلسيُّ نقلًا عن بعضهم: «فعلىٰ هذه المقالة، لا يُعزَّر آكل الحشيش والبنج لعدم تحريمها، وإنما يحرم من المُسكِر الشراب خاصَّة، ولعله يفرِّق بينها وبين الخمر بأنها تستعمل للدواء بخلاف الخمر، وبأنها طاهرةٌ قطعًا بخلاف الخمر، وبأنه لا يُحدُّ آكلها بخلاف الخمر، ولا يجب طرحها بخلاف الخمر، ولا

يحرم اقتناؤها بخلاف الخمر، ولا يحرم أكل يسيرها بخلاف الخمر». انتهى.

وهذا قولٌ ضعيفٌ شاذٌّ، يخالف ما تقرَّر عند أهل الحديث والأصوليين أنه: «إذا ورد النهي عن شيئين مُقترنين، ثُمَّ نصَّ على حكم النهي عن أحدهما - من حرمةٍ أو غيرها- أعطي الآخر ذلك الحكم، بدليل اقترانهما في نهيٍ واحدٍ»، وفي الحديث المذكور ذكر المُفتِر مَقْرونًا بالمُسكِر، وتقرَّر عندنا تحريم المُسكِر بالكتاب والسُّنَّة والإجماع، فيجب أن يُعطَى المُفتِر حكمه بقرينة النهي عنهما بلفظٍ واحدٍ انتهى[1].

(تنبيه): للأصوليين قاعدةٌ أخرى نُبيِّنها لئلا تشتبه بهذه القاعدة فيختلط الأمر على من لم يمارس علم الأصول.

وبيان ذلك أنَّ العلماء كثيرًا ما يُصرِّحون في كتب الحديث والاستنباط بأن دلالة الاقتران ضعيفةٌ، يعنون بذلك أنه إذا ورد في آيةٍ أو حديثٍ أشياء متعاطفة، وكان أحد تلك الأشياء معلوم الوجوب مثلًا فلا نقول إنَّ سائرها واجبٌ، بدليل قرنه في الذكر بما هو واجبٌ؛ لجواز أن يكون بعضها مندوبًا وجمع بينه وبين الواجب بطريق عطف النسق، نحو قوله عليه الصلاة والسلام: «**عَشْرٌ مِن الفِطْرَةِ: قَصُّ الشَّارِبِ، وإعْفَاءُ اللِّحْيَةِ، والسِّوَاكُ، واسْتِنْشَاقُ الماءِ، وقَصُّ**

---

(١) ولا يصح أن يقال: يجوز أن يكون النهي بالنسبة للخمر للتحريم، وبالنسبة للحشيش يفيد الكراهة، بناء على القول بجواز الجمع بين الحقيقة والمجاز في اللفظ الواحد، وهو الذي رجَّحه السُّبكي في "جمع الجوامع"؛ لأن هذا القول ضعيفٌ ردَّه علماء البيان قاطبة، وجمهور العلماء من الحنفية والمالكية والشافعية؛ لأن من شرط المجاز أن يكون في اللفظ قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي للفظ، فكيف يصح الجمع بينهما والحالة هذه؟!!

الأَظْفَارِ، وغَسْلُ البَرَاجِمِ، ونَتْفُ الإِبِطِ، وحَلْقُ العَانَةِ، وانْتِقَاصُ الماءِ».

قال رواي الحديث: «ونسيت العاشرة إلَّا أن تكون المَضْمَضَةَ»، فإعفاء اللحية واجبٌ للأحاديث الدالة على ذلك في "الصحيحين" لكن لا يصح أن نقول بوجوب الاستنشاق والسواك بسبب اقترانهما في الحديث مع إعفاء اللحية، بل هما مندوبان عُطِفا عطف نسقٍ على واجبٍ، إذا تقرَّر هذا فالأشياء المتعاطفة: إمَّا أفعال، أو أوامر، أو نواهي، أو أوامر ونواهي.

فالأفعال: كما في الحديث المذكور، والأوامر كما في قوله تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤١]، فالأكل جائزٌ وإيتاء الحقِّ واجبٌ.

والنواهي: كما في قوله عليه الصلاة والسلام: «**لا يَسُبُّ أَحَدُكُمْ الدَّهْرَ، فإنَّ اللهَ هو الدَّهْرُ، ولا يَقُولنَّ أَحَدُكُم للعنب الكَرْمَ، فإنَّ الكَرْمَ الرَّجُلُ المُسْلِمُ**».

فالنهي الثاني للكراهة قطعًا، والأول للتحريم إذا كان الساب يعتقد أن للدهر تأثيرًا في الحوادث، بل يكفر بذلك؛ لأن الذي يُصرِّف الدَّهر ويُقلِّب الليل والنَّهار هو الله.

والأوامر والنواهي: كما في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥]، فالأمر بالأكل للإباحة، والنهي عن الشجرة للتحريم.

فأنت ترى حكم هذه الأمثلة مُتباينًا وإن جمع بينهما بالعطف في سياق الكلام، ومجرَّد عطف بعضها على بعضٍ لا ينهض دليلًا على تماثلها في الحكم؛

لأن دلالة الاقتران ضعيفةٌ، وهذا بخلاف حديث: «نهىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن كُلِّ مُسْكِرٍ ومُفْتِرٍ»، فإن هنا شيئين -وهما المُسكِر والمُفتِر- اندرجا تحت نهيٍ واحدٍ، فوجب أن يتماثلا في مدلوله وهو التحريم.

وبهذا البيان ظهر الفرق واضحًا بين القاعدتين، والله وليُّ التوفيق.

هل يجوز إطعام الحيوان بالحشيش؟

قال الأقفهسيُّ: «ويحرم إطعامها -الحشيشة- للحيوان؛ لأن إسكار الحيوان حرامٌ».انتهىٰ[1].

ونصَّ علىٰ ذلك أيضًا في الرسالة المختصرة من "زهر العريش"، قال النابلسيُّ: «فإن دعت إلىٰ ذلك حاجةٌ، كما إذا أطعمه ليزيد أكله فيسمن، فهذا غرضٌ صحيحٌ، فيحتمل جوازه».

هل يجوز بيع الحشيش ؟

قال الأقفهسيُّ: «ويجوز بيع الحشيش قطعًا؛ لأنها من جملة الأدوية».

ونقل عن ابن القسطلانيِّ في "تكريم المعيشة": «أنَّ فيها منافع من تحليل النفخ، وطرد الرياح، وتنقية الأبرية من الرأس عند غسله بها، والأبرية: مرض يحدث بسطح الرأس، وهو قشور بيض، وقال: ولا يستعملها الأصحَّاء، فإنه يحدث عنها السبات والخدر والإساءة والهذر، فإن ما كان بهذه المثابة يتعيَّن اجتنابه؛ لما يشتمل عليه من المضارِّ التي هي مباديء دواعي الهلاك».انتهىٰ.

---

(١) وقال ابن حجرٍ في "الزواجر": «يحرم إطعام الحشيشة الحيوان أيضًا؛ لأن إسكاره حرامٌ أيضًا».

وكذا قال الزركشيُّ، إلَّا أنه صرَّح بأن بيعها لمن يتحقَّق منه تعاطيها حرامٌ، كما يحرم بيع العنب لمن يعصره خمرًا.

تنبيهات

الأول: قال الزركشيُّ: «لو لم يتضرَّر شخصٌ بأكل الحشيش ولم يَسْكَر بها، فالظاهر: أنها لا تحرم عليه للطهارة وعدم الضرر».انتهى.

وهذا من الفوارق بينها وبين الخمر، حيث أنَّ الخمر يحرم منها القليل والكثير، أسكر أو لم يسكر؛ لورود النصِّ بذلك صحيحًا مشهورًا ولنجاستها، لكن قد يقال: إذا لم تؤثِّر الحشيش في متعاطيها النشوة التي يرغبها، فلماذا يستعملها؟ فإنها لا تدفع جُوعًا ولا تردُّ عطشًا، وإن صرَّح الزركشيُّ والأقفهسيُّ بجواز أكلها عند المَخْمَصَة -أي المجاعة- لظنهما أنها تشبع، وهو غلطٌ.

الثاني: ذكرنا فيما تقدَّم: أنَّ عماد الدين ابن أبي شريف ألَّف رسالةً في تحريم جوزة الطيب والحشيشة.

ونزيد هنا: أنه وقع نزاعٌ بين أهل الحرمين ومصر في جوزة الطيب، ورفع فيها سؤالٌ إلى شيخ الشافعية في عصره الفقيه أحمد بن حجرٍ الهيتميِّ، فأفتى بحرمتها، ونقل عن تقي الدين ابن دقيق العيد: أنها مُسْكِرةٌ، واعتمده المتأخِّرون من المالكية والشافعية.

لكن تقدَّم في كلام القرافيِّ: أنَّ جوزة بابل -وهي جوزة الطيب- من المُفسدات، وجعل الأقفهسيُّ حرمة جوزة الطيب أشد من حرمة الحشيش،

حيث جعلها أصلًا والحشيشة فرعًا، فإنه حكىٰ ما نقله القرافيُّ عن بعض فقهاء عصره أنه فرق في الحشيشة بين كونها ورقًا أخضر فلا تسكر، وبين كونها محمصة فتسكر ثُمَّ قال: «والصواب: أنه لا فرق؛ لأنها ملحقة بجوزة الطيب، والزعفران، والعنبر، والأفيون، والبنج، وهو من المُسكِرات المُخدِّرات، ذكر ذلك ابن القسطلانيِّ في "تكريم المعيشة"».انتهىٰ، فجعل الحشيشة ملحقة بجوزة الطيب.

لكن نصَّ عماد الدين ابن أبي شريف في رسالته المشار إليها أنَّ حرمتها دون حرمة الحشيش، وهذا هو الصحيح، بل يجوز استعمالها في بعض المأكولات للإصلاح.

أمَّا الزعفران والعنبر: فلا وجه لتحريمهما؛ لأنهما من الطيب الذي يستعمل لإصلاح الأكل وللتدفئة، وليس فيها تخديرٌ.

الثالث: ما تقرَّر في الحشيش والأفيون والبنج وجوزة الطيب من الحرمة والضرر ينطبق علىٰ بقية المُخدِّرات، مثل: البانجو والكوكايين والهيروين ونحوها[1].

أمَّا الكفتة والقات: فقد ذكر الفقيه أحمد بن حجرٍ الهيتميُّ أنَّ أهل اليمن

---

(١) مثل الكولَّا: وهو نباتٌ مُرُّ الطعم، يأكله أهل السنغال بكثرة، مُعتقدِين أنه يفيدهم قوةً في الناحية الجنسية، كما يعتقد متعاطو الحشيشة فيها ذلك أيضًا.
وأخبر من ذاقه في بلدة باماكو من السنغال أنه مثل القات، فعلىٰ هذا لا يكون حرامًا في رأىٰ ابن حجرٍ الهيتميِّ حسبما ما مَرَّ عنه من أنه لم يجزم بتحريم القات في كتاب "تحذير الثقات".

اختلفوا فيها، وبعثوا إليه بثلاث مصنَّفات؛ اثنان في تحريمهما، وواحدٌ في حلها، فألَّف كتابه المشار إليه سابقًا "تحذير الثقات"، لكنه لم يجزم بتحريمهما، إذ لم يقم له دليلٌ على إسكارهما أو تخديرهما، وعلى هذا: فلا يحرم شرب التمباك أيضًا؛ لأنه لا تخدير فيه، وكذلك الجوراك الذي يشربه أهل مكة.

نعم إن ثبت ضررٌ عن شربها ثبت تحريمهما.

ومثلهما في هذا الحكم الدخان المعسل، وهو شائعٌ بكثرة بين أهل الريف في مصر، وضرره مُحَقَّقٌ، بخلاف التمباك والجوراك، وقد كنت قرأت كتابًا لبعض علماء اليمن اسمه "قمع الشهوة عن تناول التمباك والكفتة والقات والقهوة" والكفتة نبات مثل القات.

وعلى ذكر القهوة ينجر الكلام إلى تحريمها أو عدمه، والذي نراه فيها: أنها ليست بحرامٍ ولا مكروهةٍ؛ لأنه لا تخدير فيها ولا ضرر، وإنما تنبِّه الفِكْر وتهضم الطعام.

وكذلك الشاي جزم جماعةٌ من العلماء بتحريمه، وهو غلطٌ، بل هو حلال، وقد أخبرني مولانا الأستاذ الإمام الوالد رضي الله عنه: أنه قرأ مؤلَّفات في تحريم السكر بدعوى أنه يستعمل فيه الدم؛ لأجل أن ينعقد[1] وعظام الميتة،

---

(١) ومع ذلك، فالسكر طاهرٌ بالاستحالة؛ لأن الدم الذي يوضع فيه استحال، أي: انقلب إلى حقيقة السكرية، وكذلك الحكم في عظام الميتة التي توضع فيه لتبيضه.

والطهارة بالاستحالة من القواعد الفقهية المقرَّرة، فقد نصَّ الفقهاء على أنَّ الخمر إذا تحجَّر أو خلَّل صار طاهرًا؛ لأنه انقلب من حقيقة الخمر إلى حقيقة الخل، والمالكية يقولون بنجاسة المني، وهم مع ذلك متفقون على طهارة الحيوان الذي يتخلَّق منه سواء

ليبيض بعد احمراره، وهذه شبهة بعض من حرم شرب الشاي.

وأخبرني أنه قرأ للعلامة الأديب الشريف السيد سليمان الحوات في الرد على من حرم السكر رسالة اسمها: "تغيير المنكر فيمن حرَّم السكر".

أمَّا الدخان والنشوق: فقد تكلَّمت عليهما بما فيه كفاية في "خواطر دينية" فارجع إليها.

وهذا آخر ما وفَّقني الله إلى تحريره وتنقيحه، وكان الفراغ منه ضحوة يوم الثلاثاء، الثالث من شهر رمضان المعظم، سنة أربع وسبعين وثلاثمائة وألف هجرية.

ثُمَّ عدت عليه بزيادات وتنقيحات، فرغت منها عصر يوم الثلاثاء، الثالث والعشرين من شهر صفر الخير، سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة وألف، أحسن الله عاقبتها.

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على مولانا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبعه ووالاه.

أكان إنسانًا أم غيره؛ لأنه باستحالته إلى حقيقة أخرى -وهي الحيوانية- صار طاهرًا.

الشعراء وحشيشة الفقراء

وقد وقفت على العدد (٧ ـ ٨ مجلد ٣١) من "مجلة العرفان"، التي تصدر في صيدا، بتاريخ ١٣٦٤هـ-١٩٤٥م، فوجدت فيه مقالة عن الحشيش للأستاذ سليمان ظاهر -عضو المجمع العلمي العربي، ألقاها محاضرة في محطة الشرق الأدني، سنة ١٩٤٢- فأردت أن أثبتها هنا؛ تتميمًا للفائدة، وإن كانت هي بقية بحث نشر أوله في العدد (٥ ـ ٦) من المجلة المذكورة، ولم نقف عليه.

وهذا نصُّ المقالة المُشار إليها :

إنَّ الشعراء الذين لهم في كلِّ عرسٍ قريضٌ، وأولعوا بوصف كلِّ ما تبصره عيونهم، وتحس به مشاعرهم، ولم يفتهم وصف ظاهرة من ظواهر الحياة والاجتماع، وأفردوا للخمرة وأوصافها بأروع الأوصاف باب من القريض سموه بالخمريات، أحجموا عن مدح الحشيشة ووصفها، وقد يكون بينهم المبتلَى بتعاطيها، وما ذاك إلَّا لخسَّتها، ولما لها من الأثر في انحطاط أخلاق من يستعملها، وما يظهر عليهم من الأحوال الغريبة، وما لها من النتائج السيئة التي تنفر منها نفوس الطبقات التي هي أرق من طبقة متعاطيها.

وبعد: فإن ما ورد من ذمِّ الشعراء لها وإن كان قليلًا فهو يزيد أضعافًا مضاعفة على ما مدحت به.

ومن ذلك: بيتان لتقي الدين الموصلي المتقدمان.

ومنه قصيدة لمحمد بن علي بن الأعجمي الدمشقي يعزو بها إظهار الحشيشة واستعمالها إلى الشيخ حيدر -من مشايخ الطرق- أثبتها المقريزي في

بحثه عن الحشيشة في "خططه" مستهلها:

دع الخمر واشرب من سلافة حيدر معنبرة خضراء مثل الزبرجد

ومنه: قول أحمد بن الرسام الحلبي، ويعزو استعمال الحشيشة للشيخ حيدر المذكور وأتباعه:

وإذا هممت بصيد ظبي نافر فاجهد بأن يرعى حشيش القنبس

واشكر عصابة حيدر إذ أظهروا لذوي الخلاعة مذهب المتخمس

ومنه قول علي بن مكي، ينسبها إلى الهند:

فقم فانف جيش الهم واكفف يد العنا بهندية أمضى من الهند والسمر

بهندية في أصل إظهار أكلها إلى الناس لا هندية اللون

استحضار الحشيشة واستعمالها:

أمَّا استحضاراتها: فهي تنقسم إلى طبيِّةٍ، وغير طبيِّةٍ، وهو ما يستحضر للأكل والإسكار، وله طرقٌ كثيرةٌ يستحضر أكلا وشرابًا وتدخينًا، صرفا وممزوجًا بغيره من العقاقير.

يقول الرشيدي -من مترجمي "خلاصة الأثر"- في وصف القهوة:

يقولون لي: قهوة البُنِّ هل تحِلُّ وتُؤمَنُ آفاتُها؟

فقلت: نَعَمْ هي مَأْمُونَةٌ وما الصَّعْبُ إلَّا مُضَافَاتُها

وسُئل عن مضافاتها؟ فأجاب: هي ما يستعمل معها من المكيِّفات[1].

---

(١) لا يضاف إليها الآن إلَّا نبات الحبَّهان، بفتح الحاء وتشديد الباء المفتوحة، قاع قلة

مضار الحشيشة:

لئن فرض لها الطب بعض المنافع، فإن مضارها تربو عليها أضعافًا مضاعفةً، وإثمها أكبر من نفعها فالحشيش -كما يقول الدكتور حسن باشا محمود من مقال نشره في المجلد الحادي عشر من مجلة المقتطف عام ١٨٨٦- يضر بالإنسان ضررًا لا مزيد عليه، وذلك بتأثيره في حواسه وجسمه وعقله، ويعرف الحشَّاش بأنه يكون أصفر اللون، جاحظ العينين، مسبول الأجفان، يتكلَّم ببطءٍ، وألفاظه خاصَّةٌ به، وقوته الطبيعية تقل رويدًا رويدًا كقوته العقلية، ويميل إلى النوم، وأكثر الحشَّاشين مصاب بالنزلات الشعبية المُزمِنة وأغلبهم مصابٌ بالبله.

الحشاشون أو الأساسون في التعبير الفرنجي

يطلق كتاب الفرنج على الإسماعليين أو القرامطة اسم: الحشَّاشين أو الأساسين؛ لما يروى عنهم من أنهم أول من فشا فيهم استعمال الحشيشة.

وأنَّ الحسن بن الصباح صاحب قلعة الموت والملقب بشيخ الجبل، ومؤسس دولة القرامطة في الشرق في بلاد إيران سنة ٤٨٣ هـ سنة ٩٩٠م؛ لما انتهى إليه الأمر وخضع له قرامطة إيران والعراق والشام، قسَّم طائفته إلى ثلاث رتب: الدعاة، الرفاق، الفداوية، وإن الرتبة الثالثة -وهي الفداوية- التي كان ينتقم بها من خصومه، كان يتخذ استعمال الحشيشة وسيلة لإخضاعها إلى مشيئته، وتصريفها بما يريد من ضروب الانتقام، حيث يري

بلهجة المغرب: وهو نبات طيب الطعم لا تخدير فيه .

هذه الرتبة بتأثير تخدير الحشيش وما يبعثه في نفوسها من التخيلات والأوهام صور الجنان ونعيمها جزاءً للمطيع، وصور الجحيم وشقائها عقابًا للعاصي، فإذا صحَّت من سكر الحشيشة حدَّثت بما رأت وشاهدت من صور النعيم والجحيم.

أمَّا مؤرخو العرب والإسلام، فلم نجد في المصادر التاريخية التي بين أيدينا ما ينطبق على هذه الرواية[1]، اللهمَّ إلَّا ما جاء في "صبح الأعشى" عند ذكره لأتباع المستعلي الفاطمي: «ثم هم -المستعلوية- يعظمون راشد الدين سنان وهو رجلٌ كان بقلاع الدعوة بأعمال طرابلس في زمن صلاح الدين بن أيوب انتهت رياستهم إليه، قال في "مسالك الأبصار": وكان رجلًا صاحب سيميا فأراهم به ما احتل به عقولهم، من تخييل أشخاص من مات منهم على طاعة أئمتهم في جنَّات النعيم، وأشخاص من مات منهم على عصيان أئمتهم في نار الجحيم، فثبت ذلك عندهم، واعتقدوه حقًّا».

ويقول في مكانٍ آخر: إن من اشتهروا بالفداوية: وهم المستعلوية لا النزارية، واشتهروا بالفداوية؛ لمفاداتهم بالمال على من يقتلونه، وسنان متأخِّر عن الحسن بن الصباح بما يناهز القرن، ولعل استهواء سنان لأتباعه بما يسمَّى: السيميا، هو نوع مما استهوى به الحسن ابن الصباح أتباعه.

ولعل في هذه الرواية ما يؤيِّد ما كتبه الفرنج وروى الثقات[2] في مثل هذا

---

(١) بل هي من تلفيقات المستشرقين، الذين دأبوا على تلفيق أكاذيب يعيبون بها الشرقيين عامَّةً، والمسلمين منهم خاصَّةً.

(٢) كانت الحشيشة تزرع في مصر أيام ابن البيطار، كما مرَّ في كلامه، وهو من أهل القرن السادس.

الاستهواء بالحشيشة لفرقة باطنية نشأت في الزمن الأخير، وصنعت ما صنعه الحسن بن الصباح وسنان.

محاربة الحكومات للحشيشة ومستعمليها قديمًا وحديثًا

إنَّ عادة استعمال الحشيشة لم تكن مما يمكن التجاهر به كالمُسكِرات السائلة، وكادت تكون منذ ظهرت واتخذت سكرًا ومُخدِّرًا قيد الكتمان والخفاء، ومستعملوها في الغالب هم من الطبقة المنبوذة، بل وكلُّ مستعملٍ لها مهما يكن له من المنزلة هو معدودٌ في هذه الطبقة، ولذلك لم نجد فيما تصفحناه من المراجع التاريخية خبرًا يتعلَّق بمحاربتها، اللهمَّ إلَّا ما رواه المقريزيُّ حيث قال في فصله الممتع في حشيشة الفقراء: «وكان قد تتبع الأمير سودون الشيخوني -رحمه الله- الموضع الذي يعرف بالجنينة من أرض الطبالة وباب اللوق، وحكر واصل ببولاق، وأتلف ما هنالك من هذه الشجرة الملعونة وقبض على من كان يبتلعها من أطراف الناس ورذلائهم، وعاقب على فعلها بقلع الأضراس، فقلع أضراس كثيرٍ من العامَّة في نحو سنة ٧٨٠هـ - ١٣٨٨ م - وما برحت هذه الحشيشة تعد من القاذورات.

لم نجد ذكرًا لهذه الحشيشة في "تاريخ ابن الوردي" و"ابن ساباط" و"ابن صالح" و"الأمير حيدر الشهابي" و"الخالدي"، ولا ذكر لمُحاربتها في كتب هؤلاء المُؤرِّخين، حتى ولا في "تاريخ الجبرتي"، مع أنَّ استعمالها كان ذائعًا في عهودهم، وقد حارب العلماء وذوو السلطان ما هو أقل ضررًا منها، بل ما لا يعد من الضرر في جنب مضارها، كالقهوة والتبغ والتنباك، وكان ما أُلِّف من الكتب والرسائل في تحريم التبغ أضعاف ما أُلِّف في الحشيشة.

يذكر المحبي في ترجمة السلطان مراد ابن السلطان أحمد العثماني -المتوفَّى سنة ١٠٤٩ هـ - ١٦٣٦م-: «أنه أبطل القهوات في جميع ممالكه، والمنع من شرب القهوة بالتأكيدات البليغة، وأمَّا في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، وهما من أعظم أزمنة انتشارها استنباتًا وتجارة واستعمالا فقد صرفت الدول الأوربية وحلفاؤها من الدول الشرقية -التي شاء القدر أن تكون بلادها من منابتها- مجهودات عظيمة في محاربتها، وترصد طرق المُتاجِرين بها ومستعمليها وزراعها، وفرضت عليهم العقوبات الشديدة.

وقد منيت هذه البلاد والديار المصرية -مع كل هذا التشديد- باستنباتها والإتجار فيها، ولا غرو فإن رواجها وتوفُّر رغبات المُبتلَين باستعمالها وإنفاقهم المال في تحصيلها، رأىٰ منه المستنبتون والمتاجرون مادَّةً من الأرباح فيَّاضة المعين، ورأوا منها حجر الكيمياء المزعوم، ضاربين عرض الحائط بتحريم الأديان والحكومات لها، ولم تفتهم الحيلة، والحيلة لا حدود لها إذا لم تصغ النفوس الضعيفة إلىٰ وازع من ضمير ودين، وأمنت سلطان الحكومة بما تخترعه من أساليب للفرار من عقوبات ذلك السلطان.

ومن المؤسف أن يكون فريق من الناس يزعم الوجاهة، من أعظم مُروِّجي زراعتها والاتجار فيها.

هل استعمال الحشيشة عادةٌ في الطبقة المُنحَطَّة فقط؟

الذي ظهر لنا من مصادر هذه المحاضرة أنه قد مني بالحشيشة غير الصنف المرذول من الناس، فسرىٰ استعمالها إلىٰ فريقٍ مُترَفٍ.

يقول الدكتور حسن باشا محمود: ويسوؤنا أن نقول: إنَّ الحشاشين كثيرٌ

في هذه الديار، وهم مِن كلِّ الطبقات، والحشيش الوارد إليها سنويًّا يبلغ ثمنه: نحو نصف مليون جنيه، مع أنَّ الحكومة تمنع إدخاله منعًا باتًّا.

قوَّم الدكتور قيمة الوارد من الحشيشة إلى الديار المصرية في عام ١٨٨٦م، وماذا تكون قيمة المستهلك فيها اليوم ؟ إذا ضم إلى مستهلكيها في بلاد الكاتب المستهلكون من البلاد الأخرى؟ لا جرم أنه كثيرٌ جدًّا.

هذا أثر استهلاكها في أموال البلاد، دع أثرها في العقول والأخلاق والآداب العامَّة والصحَّة، يقول المقريزيُّ: «لما كان في سنة ٨١٥هـ -١٤١٢م، شاع التجاهر بالشجرة الملعونة، فظهر أمرها واشتهر أكلها وارتفع الاحتشام من الكلام بها، حتى لقد كادت أن تكون من تحف المترفين».

وقد مر ذكر فريق ممن كان له مكانة في العلم والأدب ابتلي باستعمالها واستعمال ما يضاهيها من المُكيِّفات، وهناك غيرهم ممن لا يتسع لنا الوقت والمجال لتعداد أسمائهم.

تاريخ ظهور الحشيشة، ومعرفة خواصِّها المُسْكِرة:

أمَّا ظهور الحشيشة: فقديمٌ معروفٌ، منذ أوجد الله تعالى الدنيا، كما يقول المقريزيُّ: أنها كانت على عهد اليونان، وعرف أطبَّاؤهم خواصها الطبية، وعرفها أطباء العرب، وذكرها لغيرهم، ولم يكن عزو إظهارها إلى الشيخ حيدر -المتوفى سنة ٦١٨هـ - ١٢٢م- إلَّا أسطورة.

يقول الدكتور حسن باشا محمود: الحشيش ويُسمَّى أيضًا: بالقنب الهندي، والشهدانج، والحشيشة، بحسب البلاد التي يزرع فيها أصله من بلاد الصين والهند، ونقل إلى بلاد الأعجام، وزرع فيها، واستعمله الأعجام مُسْكِرًا، كما

استعمله الهنود من قبلهم، ثُمَّ نقل إلى مصر في القرن الخامس للهجرة وزرع فيها.

وهذا القول إذا صحَّ، وكان له مستندٌ تاريخيٌّ، وصحَّ ما عزي إلى شيخ الجبل الحسن بن الصباح القرمطي من استعماله له مع أتباعه، كان ذلك مما يزيد في بطلان القول بعزوه إلى الشيخ حيدر، والقول بأنَّ التتار هم الذين حملوها إلى العراق وبلاد الشام التي اجتاحوها بغزوهم البلاد الإسلامية، وإسقاطهم خلافة بني العباس في بغداد سنة ٦٥٨هـ - ١٢٥٩م.

وإذا صح ما قيل أنَّ أهل العراق لم يكونوا يعرفون سِرَّها حتى ورد إليها صاحب هرمز ومحمد بن محمد صاحب البحرين وهما من ملوك سيف البحر المجاور لبلاد فارس في أيام الخليفة المستنصر بالله، سنة ٦٢٨هـ - ١٢٣٠م- فحملها أصحابهما معهم، وأظهروا للناس أكلها، فاشتهرت بالعراق، ووصل خبرها إلى الشام ومصر والروم؛ فيضعف قول الدكتور حسن باشا.

ومهما يكن من أمر الخلاف في بدء ظهورها واستعمالها مُسْكِرًا، مما يهم المؤرِّخ تحقيقه، فقد شملت مضارها هذه البلاد، وقاست منها الأمرين.

خُذْ ما رَأَيتَ ودَعْ شَيْئًا سَمِعْتَ بِهِ
في طَلْعَةِ الشَّمْسِ ما يُغْنِيكَ عَنْ زُحَلِ

أمَّا النوع المُسكِر من الحشيشة، وغير المُسكِر وهو ما يستخرج من لحائه الحبال والخيوط، ووضعهما النباتي، وما إلى ذلك من الأبحاث، فإنَّ المجال أضيق من أن أعرض له بهذه المحاضرة، وهو بأن يُفرَد له كتابٌ بالتأليف أجدر من أن يحاضر به. والسلام عليكم.

موسـوعـة

العلَّامة المُـتَفَنِّن الجامع بين المَعْقُولِ والمَنْقُولِ
سيِّدي الشَّريف عبدالله بن محمَّد بن الصِّدِّيق
الغُماريِّ الحَسنيِّ (١٣٢٨ - ١٤١٣) رحمه الله شص

قدَّم لها
الشَّريف الدكتور
عبدالمنعم بن عبدالعزيز بن الصِّدِّيق

إشراف
الدكتور محمود سعيد بن محمد ممدوح

المجلد الحادي عشر
التصوف الإسلامي

١ - الإعْلَامُ

بأنَّ التَّصُوَّفَ مِن شَريعَةِ الإسلامِ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي منحَ أولياءَهُ جَزيلَ عطائِهِ، ووهبَ أصفياءَهُ جليلَ حِبائِهِ، تجلَّى لهم بمظهرٍ مِن مظاهرِ أسماءِهِ، فتاهت عقولهم في مشاهدة عظمته وكبريائه، وطافت أرواحهم هائمةً في قُدسِ سَنائِهِ، وأفناهم عن أنفسهم فلم يشاهدوا سِواه في أرضه وسَمائِهِ، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له شهادةً ندَّخرها ليوم لقائه، ونستوجِب بها جميل جَزائه، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّدًا عبده ورسوله أفضل رسله وأنبيائه، أفاض عليه مولاه من أنواع العلوم والمعارفِ ما تَنوء الجبالُ الشُمُّ بحمل أعبائه، صلَّى الله عليه وآله وسلَّم صلاةً وسلامًا خالدَيْن مع خلود الدهر باقيَيْن بعد فنائه، ورضي الله عن آله الكرام حُماة الدِّين الدافعين عنه بالسيف والبرهان حَمَلات أعدائه، وعن أصحابه الفِخام، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى قيام الساعة وساعة القيام.

أما بعد: فإنَّ التصوف كبيرٌ قَدْرُه، جليلٌ خطره، عظيمٌ وَقْعُه، عميقٌ نَفْعُه، أنواره لامعة، وأثماره يانعة، واديه قريعٌ خصيب، وناديه يندو لقاصديه من كل خير بنصيب، يُزَكِّي النَّفس من الدَّنَس، ويُطَهِّرُ الأنفاسَ من الأرجاس، ويُرقِّي الأرواح إلى مراقي الفلاح، ويُوصِلُ الإنسان إلى مرضاة الرحمن.

وهو إلى جانب هذا ركنٌ من أركان الدِّين، وجزءٌ مُتمِّمٌ لمقامات اليقين، خلاصته: تسليم الأمور كلها لله، والالتجاء في كلِّ الشؤون إليه، مع الرضا بالمقدور، من غير إهمال في واجب أو مُقاربة محظور.

كثرت أقوال العلماء في تعريفه، واختلفت أنظارهم في تحديده وتوصيفه، وذلك دليل على شرف اسمه ومُسمَّاه، يُنبئ عن سموِّ غايته ومرماه.

فقيل: «التصوف: الجِدُّ في السلوك إلى مَلِكِ المُلوكِ».

وقيل: «التصوف: الموافقة للحقِّ، والمفارقة للخَلق».

وقيل: «التصوف: ابتغاء الوسيلة إلى منتهى الفضيلة».

وقيل: «التصوف: الرغبة إلى المحبوب في درك المطلوب».

وقيل: «التصوف: حفظ الوفاء وترك الجفاء».

إلى غير هذا من الأقوال التي تبلغ نحو ألفٍ، حكاها الحافظ الصوفيُّ أبو نعيم الأصفهانيُّ في كتابه "حِليةُ الأولياء".

وسُئل الإمام أبو القاسم الجُنيد -سيِّد الطائفة- عن التصوف، فقال: «تصفية القلب عن موافقة البَرِيَّة، ومفارقة الأخلاق الطبيعية، وإخماد صفات البشريَّة، ومجانبة الدَّواعي النفسانية، ومنازلة الصفات الرُّوحانية، والتعلُّق بالعلوم الحقيقية، واستعمال ما هو أَوْلى على الأبديّة، والنُصح لجميع الأمة، والوفاء لله على الحقيقة، واتِّباع الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في الشريعة».اهـ

ولعل هذا أبلغ ما قيل في التصوف وكَشْف حقيقته.

وإنْ كانت الأقوال السابقة مختلفة في اللفظ والمبنى، فهي متفقة في الغاية والمعنى، وإنما عبَّر كلُّ قائلٍ بحسب مَدْرَكِه ومَشْرَبِه.

وعلى نحو اختلافهم في التصوف اختلفوا في معنى الصوفي واشتقاقه.

فقال الإمام أبو عليٍّ الرُّوذَبارِيُّ -وقد سُئل عن الصوفي-: «مَن لبس

الصُّوفَ على الصَفا، وأطعمَ الهوىٰ ذوقَ الجفا، وكانت الدنيا منه علىٰ القفا، وسلك منهاج المصطفىٰ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم».

وقال الإمام سهل بن عبدالله التُّسْتَرِيُّ: «الصوفي مَن صفا عن الكَدَر، وامتلأ من الفِكَر، وانقطعَ إلىٰ الله من البشر، واستوىٰ عنده الذهب والمَدَر».

وأنشد الإمام تقي الدين السُّبكي:

تنازع النَّاسُ في الصُّوفيِّ واختلفوا ... قِدْمًا وظنُّوه مُشْتقًّا مِن الصُّوفِ

ولستُ أنْحَل هذا الاسمَ غير فتًىٰ ... صافىٰ فصُوفِي حتَّىٰ لُقِّبَ الصُّوفِي

وهذان البيتان لأبي الفتح البُستي.

وقال العلامة الشيخ محمد ميارة المالكي في "شرح المرشد المعين": «وفي اشتقاق التصوّف أقوال، إذ حاصله اتصافٌ بالمحامد وترك للأوصاف المذمومة، وقيل: من الصفاء».

وقال المحقِّق أبو حفص الفاسي المالكي: «ظهر لي أنه منسوب إلىٰ الصوف، لأنه في الغالب شِعاره ودِثاره، ولأن هذا اللفظ -يعني لفظ صوفي- مشتمل علىٰ ثلاثة أحرف منقطعة من ثلاث كلمات، دالة علىٰ ثلاث معان هي أوصافه المختصة به: فالصاد من الصفاء، والواو من الوفاء، والفاء من الفناء».

قال العلامة ابن الحاج: وقد أشرت إلىٰ ذلك في ثلاثة أبيات، فقلت:

صَفا منهلُ الصُّوفيِّ عن عِلَلِ الهوىٰ ... فما شابَ ذاك الوردَ مِن نفسِهِ حَظُّ

ووَفَّىٰ بعهدِ الحبِّ إذ لم يكن له ... إلىٰ غير مَن يهوىٰ التفاتٌ ولا لَحْظُ

مَحَتْ آيةَ الإظلامِ شمسُ نهارِهِ ... وقد ذهبتْ منه الإشارةُ واللفظُ

ثم إنَّ التصوف مبنيٌّ على الكتاب والسُّنَّة، لا يخرج عنهما قيد أنملة.

قال الإمام الجُنيد: «عِلمنا هذا مشيَّدٌ بالكتاب والسُّنَّة».

وقال أيضًا: «الطريق إلى الله تعالى مسدودٌ إلا على المقتفين آثار رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم».

وقال سهل التُّسْتَري -أحد أئمة القوم-: «أصولنا سبعة أشياء: التمسُّك بكتاب الله، والاقتداء بسُنَّة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وأكل الحلال، وكفُّ الأذى، واجتناب المعاصي، والتوبة، وأداء الحقوق».

وقال أبو العباس الملثَّم -أحد كبار الصوفية-: «لم تكن الأقطاب أقطابًا، والأوتاد أوتادًا، والأولياء أولياءً، إلا بتعظيمهم رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ومعرفتهم به، وإجلالهم لشريعته وقيامهم بآدابه».

وقال الإمام أبو الحسن الشاذلي الغُماري: «مَن دعا إلى الله تعالى بغير ما دعا به رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فهو مُدَّعٍ».

وقال: «ليس هذا الطريق بالرهبانية، ولا بأكل الشعير والنخالة، وإنما هو بالصبر على الأوامر، واليقين في الهداية، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤]

وقال أيضًا: «ما ثَمَّ كرامة أعظم مِن كرامة الإيمان ومتابعة السُّنَّة، فمن أُعطيهما وجعل يشتاق إلى غيرهما فهو عبد مُفْترٍ كذَّاب، أو ذو خطأ في العلم بالصواب، كمن أُكرمَ بشهادةِ المَلِك فاشتاق إلى سياسة الدواب».

وقال تاج الدين السُّبكي في "جمع الجوامع" -وهو من الكتب المقررة في

الأزهر-: «ونرىٰ أن طريق الشيخ الجُنيد وصَحبِه طريقٌ مُقوَّم».

قال شارحه الجلال المحلِّي: «فإنه خالٍ مِن البِدَعِ، دائرٌ علىٰ التسليم والتفويض والتبرِّي مِن النَّفْس».

وقال التاج السُّبكي أيضًا في كتابه "مُعيد النِّعم ومُبيد النِّقم": «الصوفية حيَّاهم الله وبيَّاهم، وجمعنا في الجنَّة نحن وإيَّاهم، وقد تشعَّبت الأقوال فيهم تشعُّبًا ناشئًا عن الجهل بحقيقتهم لكثرة المتلبِّسين بها، والصحيح أنهم المُعرِضون عن الدنيا، المُشتغلون في أغلب الأوقات بالعبادة. ومن ثَمَّ قال الجُنيد: «التصوّف استعمال كل خُلُقٍ سَنِيٍّ، وترك كلُ خُلُقٍ دَنِيٍّ». وقال أبو بكر الشبلي-تلميذ الجُنيد-: «التصوف: ضبط حواسِّك، ومراعاة أنفاسك». وقال ذو النون المصري: «الصوفي من إذا نطق أبان نطقه عن الحقائق، وإذا سكت نطقت عنه الجوارح بقطع العلائق». وقال علي بن بُنْدار -تلميذ الجُنيد-: «التصوف: إسقاط رؤية الخَلْقِ ظاهرًا وباطنًا». وهذه عبارات متقاربة.

والحاصل: أنهم أهل الله وخاصَّتُهُ، الذين تُرتجىٰ الرحمة بذكرهم، ويُستنزل الغيث بدعائهم، فرضي الله عنهم وعنَّا بهم. وللقوم أوصاف وأخبار اشتملت عليها كتبهم، قال الأستاذ أبو القاسم القشيري رحمه الله: «جعل الله هذه الطائفة صفوة أوليائه، وفضَّلهم علىٰ الكافَّة مِن عباده، بعد رسله وأنبيائه صلوات الله عليهم وسلامه، جعل الله قلوبهم معادن أسراره، واختصَّهم بين الأُمَّة بطوالع أنواره، فهُمُ الغِياث للخَلق، والدائرون في عموم أحوالهم مع الحقِّ، ومِن أوصاف هذه الطائفة: الرأفة والرحمة والعفو والصفح وعدم المؤاخذة».

وقد كثُر في هذا الزمان الذي طغىٰ شرُّه علىٰ خيره، من يُنكر التصوف ويزعُم أنه دخيلٌ علىٰ الإسلام، جاء به مُسْلِمةُ الكتابيين والبوذيين ومَنْ علىٰ شاكلتهم، وأنَّ الصوفية أصحاب بِدعٍ وخرافات، إلىٰ غير ذلك مِن الدَّعاوىٰ التي يأباها العقل، ويُكذِّبها النقل، فانتُدبنا لإبطالها بهذا الكتاب الذي نرجو الثواب عليه من الله تعالىٰ، والتزمنا فيه إيراد الأدلة من الكتاب والسُّنَّة، وقَصَدْنَا إيضاح الدلالة بعبارةٍ مبسَّطةٍ هادئةٍ خاليةٍ من التعقيد، مع الاستشهاد بكلام أئمة المسلمين وعلمائهم، ومن الله نستمد المعونة والتوفيق.

فتوى لمولانا الإمام الوالد رضي الله عنه

في فتوىٰ لمولانا الشيخ الإمام الوالد -رضي الله عنه- أجاب بها من سأله عن أول مَن أسَّس الطريقة، وهل تأسيسها بوحيٍ سماوي؟

جاء فيها: «وأما أول من أسَّس الطريقة، وهل تأسيسها بوحي...؟ إلخ. فلتعلم أنَّ الطريقة أسَّسها الوحيُ السماوي في جملة ما أُسِّسَ في الدِّين المُحمديِّ، إذ هي بلا شك مقام الإحسان الذي هو أحد أركان الدِّين الثلاثة التي جعلها النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم -بعد ما بيَّنها واحدًا واحدًا- دينًا، فقال: «**هذا جبريلُ جاءَ يُعلِّمُكم دينكُم**».

فغاية ما تدعو إليه الطريقة وتُشير إليه هو مقام الإحسان، بعد تصحيح الإسلام والإيمان، ليُحرز الداخل فيها والمدعو إليها مقامات الدِّين الثلاثة، الضامنة لمُحرِزها والقائم بها السعادة الأبدية في الدنيا والآخرة، والضامنة أيضًا لمُحرِزها كمال الدين، فإنه -كما في الحديث- عبارة عن الأركان الثلاثة، فمن أخلَّ بمقام الإحسان الذي هو الطريقة فدينه ناقص بلا شك؛ لتركه ركنًا من أركانه، ولهذا نصَّ المحقِّقون علىٰ وجوب الدخول في الطريقة وسلوك طريق التصوف وجوبًا عينيًّا، واستدلوا علىٰ الوجوب بما هو ظاهر عقلًا ونقلًا، ولسنا بصدد بيان ذلك الآن.

وقد بَيَّن القرآن العظيم من أحوال التصوف والطريقة ما فيه الكفاية، فتكلَّم علىٰ المراقبة، والمحاسبة، والتوبة، والإنابة، والذكر، والفكر، والمحبة، والتوكل، والرضا، والتسليم، والزهد، والصبر، والإيثار، والصدق، والمجاهدة، ومخالفة

الهوىٰ والنفس.

وتكلم علىٰ النفس اللّوامة والأمّارة والمُطمئنّة، وعلىٰ الأولياء والصالحين والصِّدِّيقين والمؤيَّدين، وغير هذا مما يتكلَّم فيه أهل التصوف والطريقة رضي الله عنهم، فاعرف وتأمَّل.

وأما قولك: هل لَمَّا أُسِّست الطريقة...؟ إلخ. فجوابه يُعلم مما قبله، فإنها إذا كانت من الدين -بل هي أشرف أركانه- وكانت بوحي كما قلناه، وكان الصحابة بالحالة التي بلغتنا عنهم تواترًا من المسارعة إلىٰ امتثال أمر الله، كانوا بالضرورة أول داخلٍ فيها وعاملٍ بمقتضاها وذائقٍ لأسرارها وثمراتها، ولهذا كانوا علىٰ غاية ما يكون من الزهدِ في الدنيا والمجاهدةِ لأنفسهم ومحبة الله ورسوله والدار الآخرة، والصبر والإيثار والرضا والتسليم، وغير ذلك من الأخلاق التي يحبها الله ورسوله وتُوصلُ إلىٰ قربِها، وهي المُعبّر عنها بالتصوف والطريقة.

وكما كانوا رضي الله عنهم علىٰ هذه الحالة الشريفة كان أتباعهم أيضًا عليها -وإن كانوا دونهم فيها- وكذلك كان أتباع التابعين... وهلُمَّ جرّا، إلىٰ أن ظهرت البِدع وتأخَّرت الأعمال وتنافس الناس في الدنيا، وحَيِيَت النفوس بعد موتها فتأخَّرت بذلك أنوار القلوب، ووقع ما وقع في الدِّين وكادت الحقائق تنقلب، وكان ابتداء ذلك في أواخر المائة الأولىٰ من الهجرة ولم يزل ذلك يزيد سنة بعد سنة إلىٰ أن وصل ذلك إلىٰ حالة تخوَّف منها السلف الصالح علىٰ الدين، فانتدب عند ذلك العلماء لحفظ هذا الدين الشريف.

فقامت طائفة منهم لحفظ مقام الإسلام وضبط فروعه وقواعده، وقامت

أخرىٰ بحفظ مقام الإيمان وضبط أصوله وقواعده علىٰ ما كان عند سلفهم الصالح، وقامت أخرىٰ بحفظ مقام الإحسان وضبط أعماله وأحواله.

فكان من الطائفة الأولىٰ: الأئمة الأربعة وأتباعهم رضي الله عنهم، وكان من الطائفة الثانية: الأشعري وأشياخه وأصحابه، وكان من الطائفة الثالثة: الجُنيد وأشياخه وأصحابه.

فعلىٰ هذا ليس الجُنيد هو المؤسِّس للطريقة -لما ذكرناه من أنها بوحي إلهي- وإنما نسبت إليه لتصدِّيه لحفظ قواعدها وأصولها، ودعائه للعمل بذلك عندما ظهر التأخر، ولهذا السبب نُسبت العقائد للأشعري، والفقه للأئمة الأربعة، مع أن الجميع بوحي من الله تعالىٰ».

وهذا تحقيق نفيس بالغ النهاية في الحُسن والإيجاز، ما ترك لمنصفٍ قولًا.

وهذه أحاديث في تأييد مذهب الصوفية، مشفوعة بما يوضح معناها ويبين وجه الدلالة منها علىٰ ما تقتضيه القواعد الحديثية والأصولية.

عبدالله الصِّدِّيق الغُماري

الحديث الأول

الإحسان - المراقبة - المشاهدة

عن عمرَ رضي الله عنه قال: بينما نحن جُلُوسٌ عند رسولِ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، إذ طلع علينا رجلٌ شديدُ بياضِ الثِّيابِ، شديدُ سوادِ الشَّعر، لا يُرىٰ عليه أثرُ السَّفرِ ولا يعرفه مِنَّا أحدٌ، فجلس إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فأسند رُكْبتَيه إلىٰ رُكْبتَيه ووضع كفَّيه علىٰ فخذيه -تأدبًا كهيئة المتعلِّم- وقال: يا مُحَمَّد، أخبرني عن الإسلام؟ قال: «**الإسلامُ أن تشهدَ أن لا إله إلَّا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، وتُقيمَ الصَّلاةَ، وتُؤتي الزكاةَ، وتصومَ رمضانَ، وتَحُجَّ البيتَ إن استطعتَ إليه سبيلًا**». قال: صَدَقتَ. قال: فعجبنا له يسأله ويُصدِّقه!! قال: فأخْبِرني عن الإيمان؟ قال: «**الإيمانُ أن تؤمنَ بالله وملائكته وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ واليومِ الآخِرِ، وتُؤمنَ بالقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ**». قال: صدقتَ. قال: فأخْبِرني عن الإحسان؟ قال: «**أن تعبدَ الله كأنَّك تراهُ فإن لم تكن تراهُ فإنه يراك**». قال: فأخبرني عن السَّاعة؟ قال: «**ما المسئولُ عنها بأعلمَ مِن السَّائلِ**»، قال: فأخبرني عن أَمَاراتِها؟ قال: «**أن تَلِدَ الأَمَةُ ربَّتها، وأن ترى الحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يتطاولون في البُنْيانِ**». فانطلقَ الرجلُ، فلبثْتُ مَلِيًّا ثُمَّ قال: «**يا عمرُ أتدري مَن السائلُ؟**» قلتُ: الله ورسوله أعلم، قال: «**فإنه جبريلُ أتاكم يُعلِّمُكُم دِينكُم**».

رواه مسلم في "صحيحه"، ورواه الشيخان من حديث أبي هريرة، وله ألفاظ وطُرق، وهو حديث مستفيض.

قال الهروي في "منازل السائرين": «هذا الحديث إشارة جامعة لمذهب

هذه الطائفة».

قال شارحه: لأنّ أصل هذه الطريقة الخاصة: كمال المعرفة، ودوام المراقبة للحق سبحانه في الحركات والسَّكَنات، بل في الأنفاسِ واللّحظات، حتىٰ يستولي سلطانُ الحقِّ علىٰ القلوب، فيضمَحلَّ ما تعلَّقت به أو سكنت إليه من الأحوال والخطوب.

فالإحسان يشتمل علىٰ مقامين: المراقبة ثُمَّ المشاهدة، والحديث بدأ بالمشاهدة إشارة إلىٰ علوّها وسُموّها وأنها المقصد الأهم، أما في السلوك والتَرقّي فيكون البدءُ بالمراقبة، لأنّ دوامها يُورث المشاهدة.

ولهذا لما أراد الجُنيد الدخول في الطريق وذهب إلىٰ خاله وأستاذه السَّرِيِّ السَّقَطي يُفضي إليه برغبته، قال له: يا بني إني ألقنك ثلاث كلمات، إذا أردت أن تنام من الليل فقل عند نومك: الله معي، الله ناظر إليَّ، الله شاهد عليَّ.

قال الجُنيد: فواظبت عليها نحو شهر، ثم قال لي أستاذي: يا بُني إذا كان الله معك وناظر إليك وشاهد عليك فهل يصح أن تعصيه؟!

قال الجُنيد: فنفعني الله بهذه الكلمات طوال حياتي، كلما هَمَمت بمعصيةٍ تذكرتها فما عصيت الله قط.

فانظر كيف لقَّنَ السري تلميذه الجُنيد مقام المراقبة لأنه يُوصل إلىٰ المشاهدة القلبية، أما المشاهدة البصرية فهي في الدنيا خاصة بنبينا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لم تُعطَ لغيره، قال ابن عبَّاسٍ: «إن الله أعطىٰ الخُلة لإبراهيم، والكلام لموسىٰ، والرؤية لمحمَّدٍ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم».

وفي "صحيح مسلم" في حديث الدجّال، وأنه يقول للناس: «أنا ربكم»،

قال النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**واعلموا أن أحدًا منكم لن يرى ربه حتى يموت**».

وسُئل الإمام مالك: لِمَ لَمْ يرَ المؤمنون ربهم في الدنيا وإنما يرونه في الآخرة؟

فأجاب بأنهم في الدنيا فانون والفاني لا يرىٰ الباقي، وفي الآخرة أُعطوا أبصارًا باقية، فرأوا الباقي بالباقي.

ولهذه المناسبة أذكر حادثة وقعت في بغداد: فقد رُفع إلىٰ الخليفة أن أحد مشايخ الطريق ادعىٰ أنه رأىٰ الله ببصره وقامت عليه البينة، فأمر بقتله.

فعلم القطب الكبير الشيخ عبدالقادر الجيلاني رضي الله عنه -وهو حنبلي المذهب صوفي المشرب- فذهب إلىٰ الخليفة، وقال له: إن هذا الشيخ ضاقت عنه العبارة فصدر عنه ما لا يقصد، فقال الخليفة: وماذا يقصد؟ فقال الشيخ عبدالقادر: إنه شاهد الله ببصيرته، فانعكس نور بصيرته علىٰ بصره فشاهد ذلك النور، فصدر عنه ما سمعتموه. فقال ذلك الشيخ: والله ما أردت إلا هذا. وصدر الحكم ببراءته، وسلامة عقيدته.

وهكذا أغلب الألفاظ المشكلة المنقولة عن بعض الصوفية، لها محامل صحيحة ووجوه من التأويل حسنة، ولكن المعترضين عليهم مُغرِضون.

الحديث الثاني

محاربة الله لمن عادى أولياءَه- وطريق الولاية

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ الله تعالى قال: مَن عادَى لي وليًّا فقد آذنتُهُ بالحربِ، وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ ممَّا افترضْتُ عليه، ولا يزال عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنوافل حتَّى أحبَّه، فإذا أحْبَبْتُه، كنتُ سَمْعَهُ الذي يسمعُ به، وبَصَرَهُ الذي يُبصِرُ به، ويدَهُ التي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ التي يَمْشِي بها، ولئن سألني لأُعْطِينّه، ولئن استعاذني لأُعِيذَنَّه**».

رواه البخاري في "صحيحه"، وله طرق عن عائشة، وأبي أُمامة، وعلي، وأنس، ومعاذ، وحذيفة.

في هذا الحديث بيان مبدأ طريق الصوفية ونهايته، ذلك أنهم يبدأون بالمجاهدة ولا يزالون يجاهدون أنفسهم، ويجتهدون في تطهير قلوبهم مِنْ كل ما يُباعد عن الله، وتزيينها بكل ما يُقرّب إليه من الأقوال والأعمال والأحوال، ولزوم الإقبال عليه ودوام المُثول بين يديه في كل وقت وعلى كل حال بحسب الإمكان، حتى يَصِلوا إلى مقام الفناء، ومن وصل منهم إلى هذا المقام كان محبوبًا ملحوظًا ومربوبًا محفوظًا، فني عن نفسه وبقي بربه، فكان الله ولي أمره وحافظ سِرِّه، فهو لذلك سمعه وبصره ويده ورجله، أي: متولي شؤونه كلها.

الحديث الثالث

علم الظاهر والباطن

عن أُبيّ بن كعبٍ رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أنّ موسى قال للخَضِرِ- عليهما السَّلام-: هل أَتَّبِعُكَ على أن تُعلِّمنِ مما عُلمتَ رُشْدًا؟، قال: إنَّكَ لن تستطيعَ معي صبرًا، يا موسى إنِّي على علمٍ مِن علم الله علَّمَنِيه لا ينبغي لكَ أن تعلَمُه، وأنت على علمٍ عَلَّمكَ اللهُ لا ينبغي لي أن أعْـلَمه**». أي جميعه، وكذا قوله: لا ينبغي لك أن تعلمه: أي جميعه.

قال الحافظ ابن حجرٍ في "شرح البخاري": «وتقدير ذلك معتبر؛ لأن الخضر كان يعرف مِنَ الحُكْم الظاهر ما لا غِنىٰ للمكلَّف عنه، وموسىٰ كان يعرف مِنَ الحُكْم الباطن ما يأتيه بطريق الوحي».اهـ

وهذا الحديث رواه أصحاب الكتب الستة من طرق، وفيه إثبات علم الباطن الذي يقول به الصوفية، ولهذا قال الجمهور: «إنّ الخَضِر نبيٌّ، وكان علمه معرفة بواطن أُوحيت إليه، وعلم موسىٰ الحكم بالظاهر». نقله أبو حيان في "البحر المحيط".

فالجمهور -كما ترىٰ- موافقون للصوفية علىٰ إثبات الباطن والظاهر، وأَنّ لكل منهما أهلًا يختصّون به، فماذا يقول المُعترضون؟!

إلا أنّ في الحديث إشكالًا أجاب عنه الحافظ ابن حجرٍ بما سبق في كلامه، وسلك في الجواب عنه الشيخ سراج الدين البلقيني في "شرح البخاري" مسلكًا آخر حيث قال: «هذا الحديث قد يشكل، فإن العلم المذكور في الجهتين

كيف لا ينبغي علمه؟ وجواب هذا الإشكال: أن علم الحقائق والكشوف ينافي علم الظاهر، فلا ينبغي للعالِم الحاكم بالظاهر الذي هو مُكلَّف به أن يعلم الحقائق للتنافي، ولا ينبغي للعالِم بالحقيقة أن يعلم العلم الظاهر الذي ليس مكلَّفًا به، الذي ينافي ما عنده من الحقيقة، ويمكن حمل العلم على تنفيذه، والمعنى: لا ينبغي لك أن تعلمه لتعمل به؛ لأن العمل به منافٍ لمقتضى الشرع، ولا ينبغي لي أن أعلمه فأعمل بمقتضاه؛ لأنه منافٍ لمقتضى الحقيقة، فعلى هذا لا يجوز للوليّ التابع للنبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إذا اطّلع على حقيقة أن يُنَفِّذ ذلك بمقتضى الحقيقة، وإنما عليه أن يُنَفِّذ الحكم الظاهر».اهـ

ويؤيد حمل العِلم على التنفيذ ما جاء في روايةٍ لمسلم: «**أنّ الخَضِر قال لموسى عليه السَّلام: إنك لن تستطيع معيَ صبرًا، وكيف تصبر على ما لم تُحط به خُبرا؛ شيءٌ أُمرت به أن أفعله، إذا رأيته لم تصبر**». فهذا صريح في حَملِ العِلم على تنفيذه.

وفي الحديث مسألة أخرى أشار إليها العلامة الأُبِّي في "شرح مسلم" حيث قال -في شرح قول موسى: «**هل أتبعك...**»إلخ-: «عِلم الخَضِر هو العِلم بالمغيَّبات الموهوبة الدينية غير المكتسبة، فكيف يسأل تعليم مالا يُكتسب؟! وكان الشيخ -يعني شيخه الإمام ابن عرفة، الذي قيل فيه إنه المُجدِّد على رأس المائة الثامنة- يُجيب بأن ذلك قد يكون باعتبار تعلم أسبابه، فيمكن اكتسابها بالتزام نوع من طاعة الله تعالى».اهـ

وهو يشير إلى ما اتفق عليه الصوفية أنَّ المجاهدة والتزام الذكر مع حضور القلب يُورث علومًا وهبية، ويؤيده ما رواه الحسين المروزي في"زوائد الزهد"

لشيخه عبدالله بن المبارك فقال: حدثنا أبو معاوية: أنبأنا حجاج، عن مكحول، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَنْ أخلص لله أربعين يومًا ظَهَرَتْ ينابيعُ الحكمةِ مِن قلبِهِ على لسانِهِ**». إسناده صحيح.

ورواه ابن عدي في "الكامل" من حديث ابن عبَّاسٍ بإسنادٍ ضعيفٍ، ورواه أبو نعيم في "الحلية" من حديث أبي أيوب بإسناد ضعيف أيضًا.

الحديث الرابع
للقرآن ظاهرٌ وباطنٌ

عن الحسن البصري قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لكلِّ آيةٍ ظهرٌ وبطنٌ، ولكلِّ حرفٍ حَدٌّ، ولكلِّ حَدٍّ مَطْلَعٌ**».

رواه الفريابي في "تفسيره" بإسناد صحيح، ورواه أبو عبيد في "فضائل القرآن"، عن الحسن أيضًا، بإسناد حسن.

وروىٰ أبو يعلىٰ، والبّزار، والطبراني في "الأوسط"، عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أُنزل القرآن على سبعة أحرف لكل آية منها ظهر وبطن**». رجال الحديث ثقات، كما قال الحافظ الهيثمي.

قال ابن النقيب في "تفسيره": «ظهر الآية: ما ظهر من معانيها لأهل العلم بالظاهر. وبطنها: ما تضمّنته مِن الأسرار التي أطْلَعَ الله عليها أرباب الحقائق».اهـ

والحدُّ: هو الغامض من المعاني، والمطلع: ما يتوصل به إلىٰ معرفته، ولا يتوصل إلىٰ غامض المعاني إلا أرباب الحقائق، بما أفاض الله عليهم من الأسرار والمعارف.

عليٌّ عليه السلام عنده علم الظاهر والباطن

روى أبو نعيم في "الحلية"، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال :«إنَّ القرآن أُنزل على سبعة أحرفٍ، ما منها حرفٌ إلا له ظهرٌ وبطنٌ، وإنَّ عليَّ بن أبي طالبٍ عنده منه علم الظاهر والباطن».

ورُوِي أيضًا عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: «كنا نتحدَّث أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عهد إلى عليٍّ سبعين عهدًا لم يعهده إلى غيره».

فهذا تصريح بأن الصحابة كانوا يعترفون لعليٍّ بتفوقه في علوم الحقائق والأسرار، وهذا مما لا نزاع فيه، وقد قال فيه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أنا مدينةُ العلمِ وعليٌّ بابها**». وهو حديث صحيح، كما بينه شقيقي الحافظ أبوالفيض في كتاب "فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم عليّ".

وقال ابن عبَّاسٍ: «سلّمَ الصحابة لعليٍّ تسعة أعشار العلم، وشاركهم في العُشر العاشر».

وكان عمر رضي الله عنه يقول: «أعوذ بالله من قضية ليس لها أبو حسن» يعني عليًّا عليه السَّلام، وقال أيضًا: «لولا عليٌّ لهلك عمر». ونَصَّ المناوي على أنّ عمر لم يكن يبعث عليًّا في الفتوحات مع شجاعته الفائقة لاحتياجه إلى علمه.

وحصلت حادثة في عهد أبي بكر رضي الله عنه أشكلت عليه وعلى الصحابة، فأرشدهم ابن عبَّاسٍ إلى إحالتها على عليٍّ عليه السلام، فلمّا أجاب عنها وحَلّ مُغْلَقَها، قال له أبو بكر والصحابة: «يا مُفرّج الكروب».

وهذه الحادثة مروية بإسنادها في كتاب "المجتنىٰ" لابن دريد، ولهذا كان عليٌّ -عليه السلام- أستاذ الصوفية ورئيسهم، كما قال الجُنيد وابن العربي الحاتمي وغيرهما، وسلسلة الطريق لا تتصل إلا به ولا تنتهي إلا إليه، بالتلقين والاقتداء والصحبة، كما فصّله أخي في "البُرهان الجلي".

الحديث الخامس
علوم الحقائق لا يُنكرها إلا المغرورون

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنّ مِنَ العلم كهيئةِ المكنونِ لا يعلمُهُ إلَّا أهل العِلْمِ بالله، فإذا نطقوا به لم ينكره إلا أهل الغِرَّة بالله**». رواه الطبسي في "الترغيب"، ورواه الديلمي في "مسند الفردوس" وهو حديث ضعيف، لكنه يتأيد بشيئين:

أحدهما: ما ثبت في "صحيح البخاري"، عن أبي هريرة أيضًا قال: «حفظت من رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وعاءين، فأَما أحدَهُما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته لقُطع هذا البُلعوم».

قال البخاري: «البُلعوم: مجرىٰ الطعام وهو بضم الباء».

وفي رواية: «لقُطِع هذا» يعنىٰ رأسه، فذلك الوعاء الذي لم يبثه محمول علىٰ الأحاديث التي فيها بيان أُمَراء السُّوء من بني أُمية، وعلىٰ الأحاديث التي تتعلَّق بأشراط الساعة والملاحم في آخر الزَّمان، فينكر ذلك من لم يألفه طبعه، كما حصل من مبتدعة العصر: إنكار المهدي ونزول عيسىٰ وخُروج الدجال والميزان وغير ذلك، وعلىٰ ما تلقاه من الأسرار والحقائق التي يضيق نطاق كثير

من الناس عن فهمها فيبادرون إلى إنكارها.

ثانيهما: ما هو واقع مشاهد، فلا يُنكِر علوم الصوفية وما وهبهم الله من الحقائق إلا الأغرار المفتُونون، أصحاب مطامعٍ وأغراض، ومما يصحح به الحديث الضعيف عند أهل الحديث أن يكون الواقع على وفقه، لأنه ليس بعد الواقع المشاهد دليل.

الحديث السادس

علم الباطن هو العلم النافع

عن الحسن، عن جابر رضي الله عنه، عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**العلمُ عِلمان، فعلمٌ ثابتٌ بالقلبِ فذاك العلمُ النافعُ، وعلم في اللسان فذاك حُجَّةُ الله على عباده**».

رواه الخطيب في «التاريخ»، وحَسّنهُ الحافظان زكي الدين المنذري، وزين الدين العراقي، وأعلَّه ابن الجوزي فلم يُصب، ورواه أبو نعيم، والديلمي في "مسند الفردوس" من حديث أنس بإسناد ضعيف.

وهذا الحديث أورده قطب الدين القسطلّاني -وهو قبل القسطلّاني صاحب "المواهب اللدنية"- في كتابه في التصوف شاهدًا للحديث السابق، يشير بذلك إلى أن العلم الثابت بالقلب هو علم الباطن، بدليل حديث: «**مَن أَخْلَصَ لله أربعين يومًا ظَهَرَتْ ينابيعُ الحكمةِ مِن قلبه على لسانه**». وقد تقدَّم تخريجه، وأنّ علم اللسان هو علم الظاهر، وهو حُجَّة الله على عبده إذا لم يعمل به، وإنما كان علم الباطن الذي هو علم القلب نافعًا؛ لأنه لا يحصل للشخص

إلا بعد المُجاهدة والعمل بالعلم الظاهر، إذ هو نتيجته وثمرته، بخلاف علم الظاهر فلا ينتفع به إلا من يعمل به، وليس كل عالمٍ عاملًا.

وقد روىٰ ابن أبي حاتم في "تفسيره" من طريق سفيان الثوري، عن أبي حيان التيمي، عن رجل قال: «كان يقال العلماء ثلاثة: عالمٌ بالله يخشىٰ الله ليس بعالمٍ بأمرِ الله، وعالمٌ بالله عالمٌ بأمر الله يخشىٰ اللهَ، فذاك العالم الكامل - لِجَمْعِهِ بين علمي الظاهر والباطن- وعالمٌ بأمرِ الله ليس بعالمٍ بالله، لا يخشىٰ الله، فذلك العالم الفاجر». وإنما كان هذا فاجرًا، لأنه لم يعمل بعلم الظاهر، والأول من علماء الباطن وهو من الأبرار لأنه خشي الله واتقاه ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٨٢]

الحديث السابع

الإلهام- التحديث

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لقد كان فيما قَبْلكُم مِن الأمم مُحدَّثون، فإن يكن في أمَّتي أحدٌ فإنه عمرُ**».

وفي رواية: «**قد كان فيمن قَبْلكُم مِن بني إسرائيل يُكَلَّمون مِن غير أن يكونوا أنبياءَ، فإن يكن في أمَّتي أحدٌ فعمرُ**». رواه البخاري.

ورواه مسلم من حديث عائشة -رضي الله عنها- ولفظه: «**قد كان يكون في الأمم قبلكم محدَّثون، فإن يكن في أمَّتي منهم أحدٌ، فعمرُ منهم**».

قال ابن وهب: تفسير محدَّثون-بفتح الدال المشددة-: مُلهمون.

قال أكثر العلماء: «المُلهم: هو الرجل الصادق الظن، يُلْقَىٰ في رُوعه شيء

من قِبَل الملأ الأعلىٰ فيكون كالذي حدَّثه غيره به».

وقيل: «مُكَلَّم تُكلِّمه الملائكة من غير نبوّةٍ». كما تقدّم في إحدىٰ روايتي أبي هريرة.

وجاء في حديث أبي سعيد الخدري: قيل: يا رسول الله، وكيف يُحَدَّث؟ قال: «**تتكلَّم الملائكة على لسانه**». رواه الجوهري في "فوائده".

قال الحافظ ابن حجرٍ: «ويحتمل ردّه إلىٰ المعنىٰ الأول، أي تُكلِّمه في نفسه وإن لم ير مُكلِّما في الحقيقة، فيرجع إلىٰ الإلهام».

وقوله: «**فإن يكن في أمَّتي أحدٌ...**» إلخ، قال الحافظ ابن حجرٍ: «قيل لم يُورد هذا القول مَوْرد الترديد، فإن أمته أفضل الأمم، وإذا ثبت أن ذلك وُجِد في غيرهم فإمكان وجوده فيهم أولىٰ، وإنما أورده مورد التأكيد كما يقول الرجل: إن يكن لي صديق فإنه فلان، يريد اختصاصه بكمال الصداقة لا نفي الأصدقاء، وقيل: الحكمة فيه أن وجودهم في بني إسرائيل كان قد تحقَّق وقوعه، وسبب ذلك احتياجهم، حيث لا يكون حينئذٍ فيهم نبي، واحتمل عنده صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ألا تحتاج هذه الأمة إلىٰ ذلك لاستغنائها بالقرآن عن حدوث نبيٍّ.

وقد حصل ذلك -أي حصل الاستغناء بالقرآن- حتىٰ إن المُحدَّث منهم- بفتح الدال المشددة- إذا تحقق وجوده لا يحكم بما وقع له، بل لا بد من عرضه علىٰ القرآن، فإن وافقه أو وافق السُّنَّة عُمل به وإلا تركه، وهذا -وإن جاز أن يقع لكنه نادر- ممن يكون أمره منهم مبنيًّا علىٰ اتباع الكتاب والسُّنَّة.

وتمَحَّضَت الحِكمة في وجودهم وكثرتهم بعد العصر الأول، في زيادة

شرف هذه الأمة بوجود أمثالهم فيه، وقد تكون الحكمة في تكثيرهم مضاهاة بني إسرائيل في كثرة الأنبياء فيهم، فلما فات هذه الأمة كثرة الأنبياء فيها لكون نبيها خاتم الأنبياء، عُوِّضوا بكثرة الملهمين».اهـ كلام الحافظ.

هذا وقد اهتم علماء الأصول بالإلهام، وعقدوا له بحثًا خاصًا تكلَّموا فيه على معناه والاحتجاج به. قال التاج السُّبكي في "جمع الجوامع": «الإلهام: إيقاع شيء في القلب يُثلَجُ له الصدر». أي ينشرح له.

وقال الشوكاني في "إرشاد الفحول": «دلالة الإلهام ذَكرها بعض الصوفية، وحكى الماوردي، والروياني في "كتاب القضاء" في حُجِّية الإلهام خلافًا، قال الزركشي في "البحر المحيط": «واختار جماعة من المتأخِّرين اعتماد الإلهام، منهم الإمام الرازي في "تفسيره" في أدلة القبلة، وابن الصلاح في "فتاواه"، فقال: إلهام خاطر الحقِّ مِن الحقِّ، قال: ومِن علامته أن ينشرح له الصدر، ولا يعارضه معارضٌ آخر».

وقال أبو علي التميمي في كتاب "التذكرة في أصول الدين": «ذهب بعض الصوفية إلى أن المعارف تقع اضطرارًا للعباد على سبيل الإلهام، بحكم وعد الله سبحانه وتعالى بشرط التقوى، واحتجَّ بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانًا﴾[الأنفال: ٢٩]، أي ما تفرِّقون به بين الحقِّ والباطل، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجًا﴾[الطلاق: ٢] أي مِن كلِّ ما يلتبس على غيره وجه الحكم فيه، وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾[البقرة: ٢٨٢]

فهذه العلوم الدينية تحصل للعباد إذا زكت أنفسهم وسلمت قلوبهم لله

تعالىٰ بترك المَنْهيات وامتثال المأمورات، وخبره صدقٌ ووعدهُ حق.

واحتجّ شهاب الدين السهروردي علىٰ الإلهام بقوله تعالىٰ: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧]، وبقوله: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨]، فهذا الوحي هو مجرد الإلهام، ثم إن من الوحي علومًا تحدث في النفوس الزكية المطمئنة، قال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إن من أمَّتي المُحدّثين والمُكلّمين وإن عمر لمِنهُم**»، وقال تعالىٰ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس: ٧ - ٨] فأخبر أن النفوس مُلهمة.

واختار السهروردي أنّ الإلهام حُجَّةٌ لمن وقع له دون غيره، ومال إليه سعد الدين التفتازاني في بعض مصنفاته، والراجح عند الجمهور أنه ليس بحُجَّةٍ، لانتفاء العصمة، وهو قول جمهور الصوفية أيضًا.

الحديث الثامن

الحقيقة

عن أنس: أن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لقي رجلًا يُقال له: حارثة، في بعض سكك المدينة فقال: «**كيف أصبحتَ يا حارثةُ؟**» قال: أصبحت مؤمنًا حقًّا، فقال: «**إنّ لكلِّ قولٍ حقيقةً، فما حقيقةُ إيمانك؟**»، فقال: عزفت نفسي عن الدُّنيا، فأسْهَرْتُ ليلي وأظْمَأْتُ نهاري، وكأنّي أنظر إلىٰ عرش ربي، وكأنّي أنظر إلىٰ أهل الجنة يتزاورون فيها، وكأنّي أسمع عواء أهل النار. فقال: «**مؤمنٌ نوَّرَ الله قلبَهُ**». وفي رواية: «**عرفتَ فالزمْ، مؤمنٌ نوَّرَ اللهُ قلبَهُ**».

رواه البزار في "مسنده"، والبيهقي في "الشعب"، وله طرق عند ابن المبارك

في "الزهد"، وعبدالرزاق في "التفسير"، والطبراني في "المعجم"، وابن منده.

في هذا الحديث إثبات المجاهدة والزهد، وجَوَلَان الروح في العرش والجنَّة والنَّار بطريق التفكير والمشاهدة القلبية، وفيه أيضًا إثبات الحقيقة وهو المقصود هنا.

قال شارح "منازل السائرين": «حقيقة الشيء عند أهل هذا الشأن: علاماته الدالة عليه»، واستدل بهذا الحديث.

قال الحافظ السيوطي: «ويظهر لي أنّ أهل هذا الشأن إنما سَمُّوا عِلمَهم علَم الحقيقة، أخذًا من لفظ الحقيقة في هذا الحديث، وقد ظهر لي أنّ نسبة علم الحقيقة إلى علم الشريعة كنسبة علم المعاني والبيان إلى علم النحو، فهو سِرّه ومبنيٌّ عليه، فمن أراد الخوض في علم الحقيقة من غير أن يعلم الشريعة فهو من الجاهلين، ولا يحصل على شيء، كما أنّ من أراد الخوض في أسرار عِلم المعاني والبيان من غير أن يُحكم النحو فهو يخبط خبط عشواء، وكيف يُدْرِك أحوال الإسناد، والمُسنَد إليه، والمُسنَد، ومتَعَلَّقَات الفعل، من لم يعرف المبتدأ من الخبر، والفاعل من المفعول؟! هذا بيّن لكل أحد.

والحقيقة سرُّ الشريعة ولبُّها الخالص، كما أن المعاني والبيان سرُّ النحو ولطائفه، والتصوف فقه بلا شك، فإن أكثره تكاليف واجبة ومندوبة، ومنها محرمة ومكروهة، وقد نصَّ على أن أبواب التصوف من الفقه جماعة من أهل الأصول، ووافقهم ابن السُّبكي في "جمع الجوامع".

واعلم أن دقائق علم التصوف لو عرضت معانيها على الفقهاء، بالعبارة التي أَلِفُوهَا في علومهم لاستحسنوها كل الاستحسان، وكانوا أول قائل بها،

وإنما يُنَفِّرُهم منها إيرادها بعبارة مُستَغربة لم يألفوها، ولهذا قال بعضهم: الحقيقة أحسن ما يُعلم، وأقبح ما يُقال.

وأنا أورد لك مثالًا تعرف به صحة ذلك، قال في "منازل السائرين": «حقيقة التوبة ثلاثة أشياء: تميز الثقة من الغرة، ونسيان الجناية، والتوبة عن التوبة أبدًا». فإن سمع الفقيه هذا اللفظ استغربه جدًّا، وقال: كيف يُتاب من التوبة؟! وإنما يُتاب من المعاصي، وتقرير معناه: أنَّ العبد إذا كمل في رجوعه إلى الله لم يلتفت إلى أعماله، ولم يسكن إليها، توبةً كانت أو غيرها، فيتوب من سكونه إلى توبته؛ لأن التوبة -وإن كانت من كَسْبِ العبد- فهي من خَلقِ الله وتوفيقه، ولو لم يَتُب عليه، لَمَا تاب، قال تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ [التوبة: ١١٨]، فرؤية العبدِ التوبةَ مِن نفسه ذنبٌ يُستغفَرُ منه، بل عليه أن يشهد محض مِنّة الله عليه بها وتوفيقه لها، ويلغي نفسه أصلا عن درجة الاعتبار، وهذا مقام الفناء في التوبة، وهي أول منازل السائرين، ويقاس به مقام الفناء في التوحيد، فلا يشهد في توحيده صُنْعًا، بل محض مِنّة الله عليه به وتوفيقه له، وهذا المعنى إذا عُرِضَ على الفقيه بهذهِ العبارة المألوفة، كان أول قائل به، وناصر له».اهـ

وقال سُلطان العلماء الإمام عزّ الدين بن عبدالسلام في "قواعد الأحكام": «الطريق في إصلاح القلوب التي تَصلح الأجساد بِصلاحها وتَفسد بِفسادها: تطهيرها من كل ما يُبَاعد عن الله، وتزيينها بكل ما يُقَرِّب إليه ويُزْلِف لديه، من الأحوال والأقوال والأعمال وحسن الآمال، ولزوم الإقبال عليه والإصغاء إليه، والمثول بين يديه في كل وقتٍ من الأوقات وحالٍ من

الأحوال، على حسب الإمكان من غير أداء إلى السآمة والمَلَل، ومعرفة ذلك هي الملقَّبة بِعلم الحقيقة، وليست الحقيقة خارجة عن الشريعة، بل الشريعة طافحةٌ بإصلاح القلوب بالمعارف والأحوال والعزوم والنيات وغير ذلك مما ذكرناه من أعمال القلوب، فمعرفة أحكام الظواهر معرفةٌ لجل الشرع، ومعرفة أحكام البواطن معرفةٌ لدق الشريعة، ولا ينكر شيئًا منهما إلا كافر أو فاجر، وقد يتشبّه بالقوم من ليس منهم ولا يقاربهم في شيء من الصفات، وهم شرٌ من قُطّاع الطريق؛ لأنهم يَقْطَعُون طريق الذاهبين إلى الله تعالى».اهـ

فتلخَّص من جميع ما تقدَّم: أن الحقيقة صِنو الشريعة، بل هي لُبُّها وسِرُّها الخالص، وأنَّ ما يُثار حولها من اعتراضات قد تصل إلى الكفر أحيانًا، مرجعه إلى أمرين:

أحدهما: صَوْغُ معانيها في عباراتٍ غامضةٍ غير مألوفةٍ، كما أشار إليها الحافظ السيوطي.

ثانيهما: تَشَبُّه الدُّخلاء بأهل الحقائق، كما أشار إليه عزّ الدين بن عبدالسلام، وجَعَل هؤلاء الدُّخلاء شرًّا من قُطّاع الطريق.

وهذا ما حمل رجال العشيرة المحمّدية -وَفَّقَهم اللهُ تعالى- على القيام بحملةٍ واسعةٍ لتطهير التصوّف مما أُلصق به من بدعٍ وخرافات، وإرجاعه إلى ما كان عليه أيام السلف الصالح من السُموّ الروحي، والتهذيب الخُلقي، وَفَّقَ اللهُ الخُطى وحَقَّقَ الآمال.

الحديث التاسع

المكاشفة

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**اتقوا فِراسَةَ المؤمنِ فإنه يَنْظُرُ بنورِ الله**». رواه الترمذيُّ، وابن جريرٍ، وابن أبي حاتمٍ.

ورواه الطبرانيُّ في "الكبير"، وأبو نعيم في "الطب النبويّ"، والترمذيُّ الحكيم في "نوادر الأصول"، من حديث أبي أُمامة رضي الله عنه.

ورواه ابن جريرٍ، وأبو نعيمٍ، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

ورواه ابن جريرٍ من حديث ثوبان رضي الله عنه، ولفظه: «**احذروا فِراسةَ المؤمن فإنه ينظرُ بنورِ الله، وينطقُ بتوفيقِ الله**».

وهو حديثٌ حسنٌ كما قال الحافظان نور الدين الهيثمي، وجلال الدين السيوطي، وأورده ابن الجوزيِّ في "الموضوعات" فلم يُصب.

وروى ابن جريرٍ، والبزَّار: عن أنسٍ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ لله عبادًا يعرفون النَّاسَ بالتَّوَسُّم**». إسناده على شرط الحسن.

هذا الحديث أصل في الكشف الذي يقع لكثير من الأولياء، تجد الواحد منهم يكاشف الشخص بما حصل منه في غيبته كأنه كان حاضرًا معه، ونَصَّ الحافظ ابن حجرٍ في "فتح الباري" في شرح حديث قتل خبيب رضي الله عنه على: « أنّ إجابة الدعوة في الحال، وتكثير الطعام والماء، والمكاشفة بما يغيب عن العين، والإخبار بما سيأتي ونحو ذلك، قد كُثر جدًّا حتى صار وقوع ذلك

ممن يُنسب إلى الصلاح كالعادة».اهـ

وقال أيضًا في شرح حديث «في خمسٍ لا يعلمهنَّ إلا الله»: «وأما ما ثبت بنَصِّ القرآن أن عيسى عليه السَّلام قال أنه يُخبرهم بما يأكلون وما يدَّخِرون، وأن يوسف قال أنه ينَبئهم بتأويل الطعام قبل أن يأتي، إلى غير ذلك مما ظهر من المعجزات والكرامات، فكل ذلك يمكن أن يُستفاد من الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾[الجن: ٢٧] فإنه يقتضي اطلاع الرسول على بعض الغيب، والوليّ التابع للرسول عن الرسول يأخذ وبهِ يُكرم، والفرق بينهما: أنّ الرسول يطّلع على ذلك بأنواع الوحي كلها، والوليّ لا يطّلع على ذلك إلا بمنامٍ أو إلهامٍ والله أعلم».اهـ

الحديث العاشر

الخلوة والانقطاع إلى الله

عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: «أول ما بُدئ به رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من الوحي: الرؤيا الصالحة، فكان لا يرى رؤيا إلَّا جاءت مثل فَلَقِ الصُبح، ثم حُبِّبَ إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء، فيَتَحَنّثُ فيه- وهو التعبد- الليالي ذوات العدد، ويتزودُ لذلك». رواه البخاري.

في هذا الحديث دليلٌ للصوفية في الخَلْوةِ والانقطاع عن الخَلْقِ في الزوايا والمساجد.

قال العارف أبو محمد بن أبي جمرة في "بهجة النفوس": «في الحديث دليلٌ على أنَّ الخَلْوة عَونٌ للإنسان على تعبده وصلاح دينه؛ لأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه

وآله وسلَّم لمّا اعتزل عن الناس وخلا بنفسه أتاه هذا الخير العظيم، وكل أحد امتثل ذلك أتاه الخير بحسب ما قسم الله له من مقامات الولاية».اهـ

ولأن الخَلوة تعين على التفكُّر في عظمة الله وسَعة قُدرته، وعموم نعمته وباهر حكمته، وقد كان تعبُّد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في خلوته بغار حراء تفكُّرًا واعتبارًا، وحضَّ القرآن الكريم على التفكر في غير آيةٍ، منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠- ١٩١]

وأيضًا فإن الخلوة أَجْمَعُ لقلبِ المُريد، وأعْونُ له على التفرغ لذكر الله، وأبعدُ عن الرياء، وأيضًا فإن الخُلوة تُبْعِدُ المُريد عن مواطنِ اللَغْوّ واللَغط، وتُهيِّئه لقبول الواردات الإلهية والتَّجَلِّيات الرَبَّانية، ولهذا رَغَّب الشارع فيها وجَعَلَها من العادات المطلوبة، وأفردها فقهاء المذاهب بباب خاص لها، هو "باب الاعتكاف" ذكروا فيه أحكامه وشروطه وآدابه، وثَبَتَ في "الصحيحين": أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان يعتكف في العشر الأواخر من رمضان، فيلزم المسجد النبوي ويعتزل نساءه، ويُقْبِل على العبادة والذكر وتلاوة القرآن، ولا يخرج إلّا لقضاء حاجة الإنسان.

وفي "سُنن أبي داود"، بإسناد لا بأس به، عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: «السُّنَّةُ على المعتكف: أن لا يعود مريضًا، ولا يشهد جنازة، ولا يمس امرأة ولا يُباشرها، ولا يخرج لحاجةٍ إلا لما لا بُد له منه».

فهذه هي الخلوة التي اتخذها الصوفية، وسموها: تجريدًا؛ لأن المُريد يتجرَّد من العلائق والعوائق، وينقطع إلى الذكر والعبادة مدة قد تطول وقد تقصر بحسب استعداده وما قُسِمَ له، لكنهم صرّحوا مع ذلك بأن المُريد إذا كان له عمل يتكسب به كالتجارة أو صناعة مثلًا، فلا ينبغي له تركه إلى الخلوة والتجريد، بل يبقى في عمله الذي أقامه الله فيه، ويستطيع أن يذكر الله في حالته تلك وفي أوقات فراغه، ولهذا قال ابن عطاء الله في "الحِكَم": «إرادتك التجريد مع إقامة الله إيّاك في الأسبابِ مِن الشهوةِ الخفيّة، وإرادتك الأسباب مع إقامة الله إيّاك في التجريدِ انحطاطٌ عن الهمّة العَلِيَّة».

ودليلهم على ذلك: حديث كعب بن عُجْرةَ رضي الله عنه قال: مرَّ علَى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رجلٌ، فرأى أصحابُ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من جَلَدِه ونشاطه، فقالوا: يا رسول الله، لو كان هذا في سبيل الله! فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إن كان خَرَجَ يسعى على ولده صغارًا فهو في سبيلِ الله، وإن كان خرجَ يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرجَ يسعى على نفسِهِ يعِفُّها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياءً ومُفاخرةً فهو في سبيل الشيطان**». رواه الطبراني بإسناد صحيح.

وقد كان في الصحابة أهل التجريد، وأصحاب الأسباب، أما أهل التجريد: فهم أهل الصُّفَّة، كانوا نحو سبعين صحابيًّا، مقيمين بالمسجد النبويّ لا أهل لهم ولا مال، وكان النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يُنفق عليهم.

واسمع إلى أبي هريرة يتحدَّث عن نفسه وعنهم -وهو أحدهم- فيقول:

«والذي لا إله إلا هو إنْ كنت لأعتمد بكَبِدي على الأرض من الجوع، وإنْ كنتُ لأشد الحجر على بطني من الجوع، ولقد قَعَدْتُ يومًا على طريقهم الذي يخرجون منه، فمرَّ بي أبو بكرٍ، فسألته عن آيةٍ في كتاب الله ما سألته إلا ليشبعني، فلم يفعل، ثم مرَّ عمر، فسألته عن آيةٍ من كتاب الله ما سألته إلا ليشبعني، فلم يفعل.

ثم مر أبو القاسم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فتبسَّم حين رآني، وعرف ما في وجهي وما في نفسي، فقال: «**يا أبا هريرة**» قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «**الحَقْ**» وَمَضى، فاتَّبَعْتُه، فدخل فاستأذن فأُذِنَ له، فدخل فوجد لبنًا في قَدَح، فقال: «**من أين هذا اللبن؟**» قالوا: أهداه لك فلان أو فلانة، قال: «**يا أبا هريرة**». قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «**الحَقْ إلى أهل الصُّفَّة فادعهم لي**».

قال: وأهل الصُّفَّة أضياف الإسلام، لا يلوون على أهلٍ ولا مالٍ ولا على أحدٍ، إذا أَتَتْهُ صدقةٌ بعثَ بها إليهم ولم يتناول منها شيئًا، وإذا أتته هديةٌ أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها.

فأتيتُهم فدعوتهم، فأقبلوا واستأذنوا فأُذِنَ لهم، وأخذوا مجالسهم من البيت، قال: «**يا أبا هريرة**». قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «**خذ فأعطهم**». فأخذْتُ القدَح فجعَلْتُ أعطيه الرجل فيشرب حتى يُروى، ثم يَرُدُّ عليَّ القَدَح، حتى انتهيتُ إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وقد رُويَ القوم كلهم، فأخذ القَدَحَ فوضعه على يده، فتبسَّم فقال: «**يا أبا هريرة**»، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «**وبقَيتُ أنا وأنت**». قلت: صدقت يا رسول الله، قال: «**اقعدْ فاشربْ**»، فشربت، فقال: «**اشربْ**»، فشربت، فما زال يقول: «**اشربْ**»، حتى قلت: لا

والذي بعثك بالحق، لا أجد له مَسْلكًا، قال: «فأرني»، فأعطيته القَدَح، فحمد الله تعالىٰ وسمَّىٰ، وشرب الفَضْلةَ. رواه البخاري وغيره.

وجاء في حديث لأبي هريرة: أن أهل الصفة كانوا سبعين صحابيًّا. قال الحافظ ابن حجرٍ: «وليس المراد حصرهم في هذا العدد، بل المراد عِدّتُهم في أول الأمر، وإلا فمجموعهم أضعاف ذلك». وقد سرد أبو نعيم أسماءهم في أول "الحِليَة" فزادوا علىٰ المائة.

وأما أصحاب الأسباب: فمعظم الصحابة، فالأنصار كانوا أهل نخلٍ وزرعٍ، والمهاجرون أهل تجارةٍ، وفيهم الخلفاء الأربعة، إلا عليًّا عليه السلام، فإنه كان علىٰ حال النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من الزهد وترك الأسباب إلا في القليل النادر، ولذا كان مِن أوصافه اللازمة له -مع لزوم الشجاعة والعلم- زهده.

الفتـــوة

قال الأستاذ أبو القاسم الجُنيد: «الفتوَّة كفُّ الأذىٰ، وبذل الندىٰ».

وقال أبو القاسم القُشيري: «أصل الفتوَّة أن يكون العبد أبدًا في أمر غيره».

ونقل عن شيخه الأستاذ أبي علي الدقّاق أنه قال: «هذا الخُلُق لا يكون كماله إلا لرسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فإن كلَّ أحدٍ في القيامة يقول: نفسي نفسي، وهو صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: « أُمَّتي أُمَّتي».

ثم استدل القُشيري لهذا الخُلق بما رواه بإسناده: عن أبي هريرة، عن زيد بن

ثابت، عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لا يزال الله في حاجةِ العَبْدِ ما دام العَبْدُ في حاجةِ أخيه المسلم**». وهذا الحديث رواه الطبراني أيضًا بإسناد رجاله ثقات كما قال الحافظ المنذري.

وفي "صحيح مسلم" والسُّنن الأربعة عن أبي هريرة، عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن نفَّس عن مسلمٍ كُربةً من كُرب الدُّنيا، نفَّس اللهُ عنه كُرْبةً من كُرَبِ يوم القيامةِ، ومن يَسَّر على مُعسْرٍ في الدُّنيا، يسَّر اللهُ عليه في الدُّنيا والآخرة، ومَن ستر على مُسلمٍ في الدُّنيا، ستر اللهُ عليه في الدُّنيا والآخرة، واللهُ في عونِ العبد ما كان العبد في عونِ أخيه**».

وفي "الصحيحين": عن ابن عمر، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**المسلمُ أخو المسلمِ لا يَظْلِمُهُ ولا يُسْلِمُهُ، مَن كان في حاجةِ أخيه كان الله في حاجَتِهِ، ومن فرَّج عن مسلمٍ كُرْبةً فَرّج اللهُ عنه بها كُربةً من كُرُب يوم القيامة، ومَن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامةِ**».

وهذا الخُلُق -أعني الفتوةَ- مرجعُه إلى سخاوة النفس، وهو شرط في المريد، كما قال جدنا العارف الكبير أبو العباس أحمد بن عَجِيبةَ الحَسني في: "شرح المباحث الأصلية"، فقد قالوا: «مِنْ أَقبحِ القبيح صوفيٌّ شحيح». ثم هو يشتمل على عدة معان:

الأول: الإيثار، وقد مدحه الله تعالى في كتابه الكريم بقوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]

وسبب نزول هذه الآية: ما ثبت في "الصحيحين" عن أبي هريرة: أنَّ رجلًا

أتى النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: يا رسول الله أصابني الجَهْد، فبعث إلى نسائه فقُلن: ما معنا إلا الماء، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**من يَضُمُّ أو يُضِف هذا؟**» فقال رجل من الأنصار: أنا. فانطلق به إلى امرأته، فقال: أكرمي ضيف رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقالت: ما عندنا إلا قُوت صِبياني، فقال: هيِّئي طعامك، وأَصْبِحي سِراجك، ونوِّمي صِبيانك إذا أرادوا عَشاءً. فهيَّأت طعامها وأَصْبحتْ سِراجها ونَوَّمت صِبيانها، ثم قامت كأنها تُصلح سراجها فأطفأته، فجعلا يُرِيَانِهِ كأنهما يأكلان فباتا طاوِيَيْنِ. فلما أَصْبَحَ غَدا إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**ضَحِكَ الله الليلة، أو عجب مَن فعالِكُما**»، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]». الرجل الذي اشتكى الجهد هو: أبو هريرة، والأنصاري الذي ضَيَّفَه هو: أبو طلحة.

وروى ابن مَرْدُويَه في "تفسيره"، عن ابن عمر: «أُهديَ لرجل رأسُ شاة، فقال إن أخي وعياله أحوج مِنا إلى هذا، فبعث به إليه، فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر، حتى رجعت إلى الأول بعد سبعة، فنزلت الآية».

قال الحافظ ابن حجرٍ: «ويحتمل أن تكون نزلت بسبب ذلك كله».اهـ

ومن أروع مواقف الإيثار عند الصوفية، ما حكاه الجلال المحلي في "شرح جمع الجوامع" فقال: «ولا التِفَات لِمَنْ رَمَاهم في جملة الصوفية بالزندقة عند خليفة السلطان، حتى أمر بضرب أعناقهم، فأمسكوا، إلا الجُنيد فإنه تستَّر بالفقه، وكان يفتي على مذهب أبي ثور شيخه، وبُسِطَ لهم النَّطْع، فتقدم من

آخرهم أبو الحسين النوري للسيَّاف، فقال له: لِمَ تقدمت؟! فقال: أوثر أصحابي بحياة ساعة، فبُهِت وأنهى الخبر للخليفة، فرَدّهم إلى القاضي، فسأل النوري عن مسائل فقهية فأجابه عنها، ثم قال -أي النوري- : وبعد، فإن لله عبادًا إذا قاموا قاموا بالله وإذا نطقوا نطقوا بالله...إلخ كلامه، فبكى القاضي وأرسل للخليفة يقول: إن كان هؤلاء زنادِقة فما على وجه الأرض مسلم، فَخَلِّ سبيلهم رحمهم الله ونفعنا بهم».اهـ والخليفة هو: أبو الفضل جعفر المقتدر، والقاضي هو: الإمام إسماعيل بن إسحق أحد أئمة المالكية.

الثاني: هدية المريد إلى شيخه، ودليلها من القرآن والسُنَة.

أمَّا القرآن فقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗ﴾ [المجادلة: ١٢] قال عليٌّ عليه السلام: لمّا نزلت هذه الآية، قال لي النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ما ترى، أدينارًا؟**» قلت: لا يطيقونه، قال: «**فنصف دينار**». قلت: لا يطيقونه، قال: «**فكم؟**» قلت: شعيرة، قال: «**إنك لزَهِيدٌ**». قال: فنزلت: ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖ﴾ [المجادلة: ١٣]، قال: «فبي خففَ اللهُ عن هذه الأُمَّة».

رواه ابن جريرٍ، والترمذي وحَسّنه. وقوله: «شعيرة»: يعني وزنها من ذهب.

وقال عليّ أيضا: «إنّ في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد ولا يعمل بها أحد بعدي، آية النجوى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ﴾ الآية [المجادلة: ١٢]، قال: كان عندي دينار فبعته بعشرة دراهم، فناجيتُ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فكنت كلما ناجيته قدمت بين يدي نجوايَ درهمًا، ثم نُسِخَت، فلم

يعمل بها أحد فنزلت: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا﴾ الآية. رواه الحاكم، وصحّحه على شرط الشيخين، وسلَّمه الذهبي.

وروى الطبراني عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «نزلت في ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ﴾ الآية، فقدمت شعيرة، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «إنك لزَهِيدٌ»، فنزلت: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ﴾ الآية.

وفي سنده راوٍ مُختَلَف فيه، ويمكن الجمع بينه وبين الأول: بأن كلًّا من عليٍّ وسعدٍ لم يطّلع على قصة الآخر، فتكلم بحسب ما في علمه.

وعن ابن عبَّاسٍ في قوله تعالى: ﴿فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾ الآية، وذلك أن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، حتى شَقّوا عليه، فأراد اللهُ أن يخفِّفَ عن نبيِّه عليه السلام، فلمّا قال ذلك، جَبُنَ كثيرٌ من المسلمين وكَفّوا عن المسألة، فأنزلَ اللهُ بعد هذا: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ﴾ الآية، فوسَّع اللهُ عليهم ولم يُضَيق.

يؤخذ من هذا: أن تقديم الصدقة عند مناجاة الرسول كانت واجبة ثم نُسِخَت، وإذا نُسِخَ وجوب شيء بقي استحبابه بل سُنيته، كما في صوم عاشوراء، كان واجبًا ثم نُسخ برمضان فبقي سُنَّة.

وأما السنّة فمَا ثبت بالتواتر في قضايا متعددة، أن الصحابة كانوا يُهْدُون للنبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ثيابًا وطعامًا وغيرهما، وكان يقبل هديتهم، وتقدم قريبًا حديث أبي هريرة في أهل الصُّفَّة، وفيه: «إذا أتته صدقة بعث بها

إليهم، ولم يتناول منها شيئا، وإذا أتته هدية أرسل إليهم، وأصاب منها، وأشركهم فيها».

وفي "مُسند أحمد" بإسناد صحيح عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: «كان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقبل الهدية ولا يقبل الصدقة».

وفي "المسند" أيضًا بإسناد صحيح عن أبي هريرة قال: كان النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إذا أُتِيَ بطعام من غير أهله سأل عنه، فإن قيل هدية أكل، وإن قيل صدقة، قال: «**كلوا**» ولم يأكل.

بل أَمَرَ عليه الصلاة والسلام بقبول الهدية ونهى عن ردِّها، ففي "الصحيحين" عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت عمر يقول: كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يعطيني العطاء، فأقول: أعطه مَنْ هو إليه أفقر مني، فقال: «**خذه، إذا جاءك من هذا المال شيءٌ وأنت غير مُشْرِفٍ ولا سائل، فخذه فَتَمَوَّلْهُ، فإنْ شئت كُله، وإن شئت فتصدَّق به، وما لا، فلا تُتْبِعْهُ نفسك**». قال سالم بن عبدالله: «فلأجل ذلك كان عبدالله لا يسأل أحدًا شيئا، ولا يرد شيئا أُعطيه».

وفي "المسند" بإسناد رجاله ثقات، عن المطلب بن عبدالله بن حنْطَب قال: أهدى عبدالله بن عامر إلى عائشة -رضي الله عنها- نفقة وكسوة، فقالت للرسول: أي بُني لا أقبل من أحدٍ شيئًا. فلما خرج الرسول قالت رُدّوه عَليَّ، فردّوه. فقالت: إني ذكرت شيئًا، قال لي رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يا عائشة، من أعطاك عطاءً بغير مسألةٍ فاقبليه، فإنما هو رِزْقٌ عَرَضَهُ الله عليك**».

وفي "المسند" أيضا بإسناد صحيح عن أم سلمة رضي الله عنها: أنَّ امرأة أهدت إليها رِجْلَ شاة تُصُدِّقَ بها عليها -أي على المرأة- فأمرها النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنْ تقبلها.

وفي "المسند" أيضًا بإسناد صحيح عن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن آتاه الله مِن هذا المال شيئًا من غير أن يسأله فليقبله فإنما هو رزقٌ ساقه الله إليه**».

فهذه الأدلة المتعدّدة وغيرها مما لم نذكره اختصارًا، مستند شيوخ الصوفية على ممر الزمان في قبول هدايا المريدين من نقود وثياب وطعام وغير ذلك، ثم هم ينفقونها على الزوّار في البيت أو الزاوية، فتكون منفعتها عامة، وبذلك يَعْظُم ثواب المُهْدِي ويَكْثُر أجره. أضف إلى ذلك أن الهدية -وإن قَلَّتْ قيمتها- تُوجِدُ محبة ومودة بين المُهدِي والمُهدَى إليه، كما قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**تهادُوا تحابُّوا**». رواه أبو يعلى عن أبي هريرة بإسناد جيّد، وله طرق.

ولا شك أن المُريد إنما ينتفع في السلوك على قدر حبِّ شيخه له وعنايته به، بل كل طالب عِلمٍ من العلوم، لا يُدرِك من العِلم غايته إلا بقدر حب أستاذه له، وعنايته بتعليمه، ومن الحِكَم السائرة: «مَنْ عرف ما طلب، هان عليه ما بَذل».

الثالث: الضيافة، والأحاديث في الأمر بها والحَضِّ عليها كثيرةٌ بالغةٌ حدَّ التواتر المعنوي، ويكفي حديث "الصحيحين": «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلْيُكرِم ضيفه**». وقد جعلها الظاهرية فرضًا على الحضري والبدوي والفقيه والجاهل، والجمهور على أنها سُنّة مُرغَّبٌ فيها، وهي من مكارم الأخلاق ومحاسن الشِّيَم، وللصوفية -خصوصًا الشاذلية- في القيام بحقِّها

القَدَح المُعَلَّى، فزوايا الشاذلية في مُدنِ المغرب وقُراه مُعَدَّة لاستقبال الضيوف، لا ينزل بها غريب إلا لقي أهلًا يُكرمونه ويُتحفونه، وإنْ كان في حاجة إلى مساعدة مدُّوه بها، وذلك بأن يجمع مُقدَّم الزاوية من الفقراء -الدراويش- مبلغًا من المال يُقدّمه للضيف عند سفره، وإنْ كان من أهل الطريق أو ذوي الفضل والعلم تسابقوا إلى إكرامه في بيوتهم، ومهاداته بما يليق به.

والمقصود أنّ الزوايا عندنا أشبه بالفنادق العامة المُعدّة لاستقبال النُّزلاء، إلا أنها لا تأخذ أجرًا، بل تساعد من يرجو المعونة وتهادي من يستحق التكريم، هذا إلى ما يقوم به أصحابها من عيادة المرضى، وتشييع الجنائز، وإقامة حفلات للمولد النبوي الشريف تكون خيرًا وبرًّا للمساكين والضعفاء بما يتناولون من طعام وصدقات.

هذا بعض فضل التصوّف ومزاياه في القُطْر المَرّاكشي، قبل أنْ تكثر فيه النزعة الوَهّابية، مع ابتلائه بالأحزاب السياسية التي فرّقت بين أهله وجعلتهم شيعًا وفِرَقًا، وبَثَّت فيه جُرْثُومة التَحَلُّل من الأخلاق والدين، نسأل الله اللطف والسلامة.

الرابع: صلة الإخوان والأقارب وغيرهم بمختلف أنواع الصلات المادية والأدبية، وفي ذلك أحاديث كثيرة تفوق الحَصْر، منها ما تقدم قريبًا، ومنها ما في "أوسط معاجم الطبراني" عن عمر، عن النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: **«أفضلُ الأعمالِ إدخالُ السُّرورِ على المؤمن، كَسَوتَ عَوْرتَهُ أو أشْبَعْتَ جَوْعَتَهُ، أو قضيتَ له حاجَتَهُ»**.

ورواه أبو الشيخ من حديث ابن عمر، ولفظه: **«أحبُّ الأعمال إلى الله عزَّ**

وجلَّ سرورٌ تُدخله على مسلمٍ، أو تكشف عنه كُربةً، أو تطرد عنه جوعًا، أو تقضي عنه دينًا».

وله طرق وألفاظ متعددة، وأهلُ التصوّف مَضرب المثل في التواصل والتعاون ومساعدة أصحاب الحوائج في قضائها، وكأنَّ النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عناهم بقوله: «**إنّ لله خلقًا خلَقهم لحوائج الناسِ، يَفزعُ الناسُ إليهم في حوائجهم، أولئك الآمنون من عذاب الله**». رواه الطبراني من حديث ابن عمر، وله طرق.

وممن أخذ من هذا الخُلُق بالحظِّ الأوفر: مولانا الشيخ الإمام الوالد رضي الله عنه، فقد كان لا يمر عليه يوم دون أن يقضي دينًا عن مَدِين، أو يدفع أُجرة عن شخص تأخّر في دفع الإيجار، أو يكسو فقيرًا ليس عنده ثياب وإذا كان له أولاد كساهم معه، أو يُصلِح بين متخاصِمَيْن طالت خصومتهما واشتد عداؤهما، فَيَدَعَهُمَا أخوَين متحابّين، أو يشفع عند الحاكم في مظلوم -على أن يبعث رسولًا من طرفه، فما مشى إلى حاكم قط، ولقد أنقذ بشفاعته شخصًا من الإعدام حكمت به عليه الحكومة الإسبانية الغاشمة لاتهامه بتدبير مؤامرة لقلب نظام الحكم- ويتعاهد بيوتًا كثيرة في الأعياد والمناسبات، كزكاة الفطر، واللحم في عيد الأضحى، وغير ذلك. أمَّا تَصَدُّقه بالثياب التي عليه، وقعوده في البيت، حتى يتيسر له غيرها، فقد حصل منه مرات عديدة، حتى كان بعض الإخوان ممن له عليه دالة يعتب عليه في ذلك، فيظهر له من الثقة بالله والتوكل عليه ما يحمله على تشجيع الشيخ في الاستزادة من التصدُّق والإعطاء.

هذه أخلاق الصوفية كما شاهدناها عيانًا، وقرأنا عنها في كتب التراجم

والطبقات، فإذا وجد في شيوخ الطريقة من هو على ضدِّ هذه الخصال، فهو دَعِيّ دخيل، والتصوف بريء منه ومن أمثاله.

مسألة

ويجب هنا أن نعرض لرد مسألة طالما تشدّق بها المنتقدون للتصوّف، ذلك أنهم يزعمون أنّ الصُّوفية أصحاب كسل وخُمول وتواكل، وأنّ الإسلام يدعو إلى العمل والكسب والسعي في طلب الرزق، وهذا كلام مَن قَصُرَ نظره على الجانب الماديّ الضَيّق المحدود، وانصرفَ عن الجانب الروحي الواسع الشامل، مع أنّ الإسلام راعَى الجانبين، وأعطى لكل منهما حظه من العناية والاعتبار، بل غَلَّب الجانب الروحي لأنه أعم وأبقى، وأسباب الرزق كما تكون ماديّة للعوام كالتجارة والصناعة مثلا، تكون روحيّة للخَوَاص كالصلاة والتقوى، قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ [طه: ١٣٢]، وقال: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢- ٣]، وقال: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ [نوح: ١٠ - ١١].

وتقدم أنّ أهلَ الصُفَّة كانوا أكثر من مائة، لا أهل لهم ولا مال، وكان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يُنفِق عليهم، ولم يقل لهم: تَكَسّبوا واسعوا على رزقِكم بالتجارة وغيرها. نعم، لَمْ يقل لهم هذا أصلًا، بل دافع اللهُ تعالى عنهم، حين قال المنافقون في حقهم: ﴿لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا﴾ فردّ اللهُ تعالى عليهم بقوله: ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ

ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٧]، وهذا شرفٌ عظيم لأهل الصفة، ينطوي على التنويه بما كانوا عليه من الانقطاع للعبادة والتفرغ لها.

أما ما رواه أبو داود في "مراسيله"، عن أبي قُلابة: أنّ ناسًا من الصحابة قَدِمُوا يثنون على صاحب لهم خيرًا، قالوا: ما رأينا مثل فلان قط، ما كان في مسيرٍ إلا كان في قراءة ولا نزلنا منزلًا إلا كان في صلاة، قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**فمَنْ كان يكفيه ضَيْعَتَه؟**» حتى ذكر من كان يَعْلِفُ جملَه أو دابَّته؟ قالوا: نحن. قال: «**فكلكم خيرٌ منه**». فهو حديث ضعيف؛ لأنه مُرسَل.

وعلى فَرْضِ صحته، فهو محمولٌ على أنَّ ذلك الشخص كان يستخدم غيره في شؤونه الخاصة به، كعلف دابته وتهيئة مكان نومه وإعداد طعامه ونحو ذلك، كما هو صريح الحديث، وليس من المروءة أن يستخدم الشخص غيره في مثل ذلك، بل يقوم هو بنفسه بإعداده، لاسيَّما في السفر المَبْنِيّ على التعاون التام.

ألا ترى إلى النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حين أراد الصحابة -وكانوا معه في سفر- أن يطبخوا طعامًا لغدائهم، وتعهَّد بعضهم بذبح الشاة، وآخر بسَقي الماء، فتعهَّد هو صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بجمع الحطب، فقال الصحابة: نكفيك هذا يا رسول الله، قال: «**علمت أنكم تكفونني ذلك ولكن كرهتُ أن أتميَّزَ عنكم**». أو كما قال.

وهذا من كمال المروءة، وآداب الصحبة والمعاشرة، وهو بمعزل عما نحن فيه، فالذين يستدلون بذلك الحديث المُرسل على الكَسب والسعي، مخطئون في فهمه، مع غفلتهم عن ضعفه.

ومما يؤيد ما نقول: حديث أنس، قال: «كان أخَوان على عهد النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فكان أحدهما يأتي النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، والآخر يحترف، فشكا المحترف أخاه إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقال: «لعلك تُرزق به». رواه الترمذي، وصحَحَه الحاكم وسلَّمه الذهبي.

فالنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أخبر الأخ المحترف، بأنّ الله يرزقه ببركة إنفاقه على أخيه المتفرغ للعبادة وملازمة الرسول، وليس بعد بيان الله ورسوله بيان.

الأولـــياء

قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٢- ٦٤]

قال الزَمَخْشَريُ في "الكشاف": «الوليُّ: مَن تَولّى الله بالطاعة، فتولَّاه الله بالكرامة».

وقال السعد في "شرح العقائد النسفية"، والجلال المحلي في "شرح جمع الجوامع": «الوليُّ: العارف بالله حسبما يمكن، المُواظب على الطاعات، المُجتنب للمعاصي، المُعرِض عن الانهماك في اللذات والشهوات».

وقيل: الوليّ من يحب أخاه المؤمن لا يُحِبه إلا لله، وقيل غير ذلك.

وهذه الأقوال -وإن كانت في الظاهر مختلفة- فهي في الحقيقة متفقة، إذ ما من وليٍّ إلا وهو مُتَّصِفٌ بما ذُكِرَ فيها من الصفات ومُتَّسِم بغيرها من كريم

الخلال والسمات، وجاءت الأحاديث في هذا الباب مختلفة كاختلاف الأقوال، وذلك محمول على اختلاف الأحوال، مع قصد الشارع الحضّ على أنواع من فضائل الأعمال، ونحن نورد منها ما تيسر:

١- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنّ الله تعالى قال: من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب...**» الحديث، وتقدم أول الكتاب.

٢- عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم:« **إنّ من عباد الله ناسًا ما هم بأنبياء ولا شهداء يَغْبِطُهُم الأنبياءُ والشهداءُ يومَ القيامةِ بمكانهم مِن الله تعالى**» قالوا: يا رسول الله، فخبّرنا مَنْ هم؟ قال: «**هم قومٌ تحابُّوا برُوح الله على غير أرحامٍ بينهم، ولا أموالٍ يتعاطَوْنها فوالله إنَّ وجوهَهم لنورٌ، وإنهم لعلى نورٍ، لا يخافون إذا خاف الناسُ، ولا يحزنون إذا حزن الناسُ**» ثم قرأ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢].

رواه أبو داود في "سننه"، وروى النسائي نحوه عن أبي هريرة، وله طرق كثيرة.

٣- عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما، عن النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه استَحقَّ وِلايةَ الله: حِلمٌ أصيلٌ يدفع به سَفَه السَّفيه عن نفسه، ووَرَعٌ صادقٌ يَحْجِزُهُ عن معاصي الله، وخُلُق حَسَنٌ يداري به النَّاسَ**».
رواه ابن أبي الدنيا في "كتاب الأولياء".

٤- عن عمرو بن الجَموح رضي الله عنه قال: سمعت النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «لا يجد العبد صريح الإيمان حتى يحبَّ لله تعالى ويبغضَ لله، فإذا أحبَّ لله تبارك وتعالى وأبغض لله، فقد استحقَّ الولاية لله». رواه أحمد في "المسند".

٥- عن ابن عبَّاسٍ قال: سُئل رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مَنْ هم أولياءُ الله؟ قال: «**هم الذين يُذْكَرُ الله عند رؤيتهم**». رواه النسائي، والبزار.

ورواه ابن أبي شيبة، وابن أبي الدنيا، وغيرهما عن سعيد بن جبير مرسلًا.

وله طرق، منها: عن أنس قال: قالوا: أيُّنا أفضل، كي نتخذه جليسًا معلمًا؟، قال: «**الذي إذا رُؤيَ ذُكِرَ الله برؤيته**». رواه الحكيم الترمذي.

٦- عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ما جُبِلَ وليٌّ لله عزَّ وجلَّ إلَّا على السَّخاءِ وحُسْنِ الخُلُقِ**». رواه أبوالشيخ ابن حيان في "كتاب الثواب".

٧- عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**قال الله تعالى: حقَّتْ محبَّتي للمتحابِّين فيَّ، وحقَّتْ محبَّتي للمُتَزاوِرين فيَّ، وحقَّت محبَّتي للمُتَجالِسين فيَّ، الذين يُعَمِّرُون مساجدي بذكري، ويُعَلِّمُون النَّاسَ الخيرَ، ويدعونهم إلى طاعتي، أولئك أوليائي الذين أُظِلُّهم في ظلِّ عَرْشي، وأُسْكِنُهم في جِواري، وأؤمِّنهم مِن عذابي، وأُدخلهم الجنَّة قبل الناس بخمسمائة عام، يتنعَّمون فيها وهم خالدون**»، ثم قرأ نبيُّ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢] رواه ابن مَرْدُويَه في "تفسيره".

٨- عن ابن عبَّاسٍ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يقول الله تعالى: إنّما أتقبَّل الصَّلاة مِمَّنْ تواضع لعظمتي، ولم يتعاظم على خَلْقي، وكَفَّ نفسه عن الشَّهوات ابتغاء مَرْضاتي، فقطع نَهارَهُ في ذكري، ولم يَبِتْ مُصِرًّا على خطيئته، يُطعم الجائعَ، ويكسو العاري، ويرحم الضعيفَ، ويؤوي الغريبَ، فذاك الذي يُضيءُ وجههُ كما يُضيءُ نورُ الشمسِ، يَدعوني فأُلبِّي، ويَسألني فأُعطي، ويُقْسِمُ عليَّ فأَبَرّ قَسمَه، أجعل له في الجهالة عِلْمًا، وفي الظُلمة نورًا، أكلأه بقوتي، وأستحفظه ملائكتي**». رواه أبو نعيم في "الحلية"، والبزار بنحوه.

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، يستخلص الباحث من مجموعها أنَّ الوليَّ مَن تولَّى الله بأنواع القُرُبَات، فتولَّاه اللهُ بأنواعٍ من المواهب والمكرمات.

ونُلحق بالأحاديث السابقة أثرًا جامعًا في وصف الأولياء، رواه أحمد في "الزهد"، وابن أبي حاتم في "التفسير"، وأبو الشيخ عن وهب بن منبه قال: «قال الحواريون: يا عيسى، مَن أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون؟ قال عيسى -عليه السلام- : الذين نظروا إلى باطن الدُّنيا حين نظرَ الناسُ إلى ظاهِرِها، والذين نظروا إلى آجل الدُّنيا حين نظرَ الناسُ إلى عاجِلِها، وأماتوا منها ما يَخْشَونَ أن يُميتهم، وتركوا منها ما علموا أنْ سيتركهم، فصار استكثارهم منها استِقْلالًا، وذكرهم إيَّاها فَوَاتًا، وفرحهم بما أصابوا منها حزنًا، وما عارضهم مِن نائلها رفضوه، وما عارضهم من رفعتها بغير الحقِّ وضعوه، بَلِيَت الدنيا عندهم فليس يُجدِّدونها، وخربت بينهم فليس يُعمِّرونها،

وماتت في صدورهم فليس يُحيونها، يهدمونها فيبنون بها آخرتهم، ويبيعونها فيشترون بها ما يبقىٰ لهم، ويرفضونها فكانوا برفضها هم الفَرِحين، وباعوها فكانوا ببيعها هم المربحين، ونظروا إلىٰ أهلها صرعىٰ قد خلت فيهم المَثُلات، فأحبّوا ذِكْرَ الموتِ وتركوا ذِكْرَ الحياةِ، يحبُّون الله تعالىٰ ويستضيئون بنوره ويضيئون به، لهم خبرٌ عجيبٌ، وعندهم الخبر العجيب، بهم قام الكتاب وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا، وبهم عُلِمَ الكتاب وبه علموا، ليسوا يرون نائلًا مع ما نالوا، ولا أمانيّ دون ما يرجون، ولا خوفًا دون ما يحذرون».

الأبـــدال

وهم طائفةٌ من الأولياء يُسمَّوْنَ بهذا الاسم، وقد وردت أحاديث وآثار في تَسْمِيَتِهِم ووصفهم وعلاماتهم وأماكن وجودهم، أفردها الحافظ السيوطي برسالة خاصة سمّاها "الخبر الدال علىٰ وجود القطب والأوتاد والنُّجباء والأبدال"، قال في خطبتها: «وبعد: فقد بلغني عن بعضِ من لا علم عنده، إنكار ما اشتهر عن السادة الأولياء، مِن أنَّ منهم أبدالًا ونُقباء ونُجباء وأوتادًا وأقطابًا، وقد وردت الأحاديث والآثار بإثبات ذلك، فجمعتها في هذا الجزء لتُستفاد، ولا يُعَوَّل علىٰ إنكار أهل العناد».

ولو فُرِض أنه لم يرد في ذلك حديث ولا أثر، وكان مجرد اصطلاح تواطأ عليه الصوفية، لَمَا صح إنكاره؛ لأنَّ كلَّ طائفةٍ من طوائف العلماء: كالفقهاء، والأصوليين، والنحاة، والمناطقة، وأهل المعاني، اصطلحوا علىٰ ألفاظ لها معاني خاصة، يتفاهمون بها فيما بينهم، ودوَّنوها في كتبهم، وصارت جزءًا من

عُلومهم، ولم يعترض عليهم أحد في ذلك. فما وجه تخصيص الصوفية بالاعتراض؟! على أن لفظ الأبدال اشتهر في عهد السلف، ووصف به جماعة من الأئمة.

قال الحافظ السخاوي في "المقاصد الحسنة" -بعد أن تكلم على بعض طرق حديث الأبدال- : «ومما يتقوى به الحديث ويدل لانتشاره بين الأئمة، قول إمامنا الشافعي -في بعضهم- : «كنا نعده من الأبدال»، وقول البخاري في غيره: «كانوا لا يشكُّون أنه من الأبدال»، وكذا وصف غيرهما من النقَّاد والحفَّاظ والأئمة غير واحد بأنه من الأبدال».اهـ

ونُقِل عن يزيد بن هارون -أحد الحفاظ- قال: «الأبدال هم أهل العلم». وعن الإمام أحمد: «إن لم يكونوا أصحاب الحديث فمن هم؟».

وممن وُصِفَ بأنه من الأبدال: الحسن البصري، وحماد بن سلمة، وأبو توبة الحلبي شيخ أحمد بن حنبل، والإمام الشافعي، ومحمد بن واسع، وحسان بن أبي سنان، ومالك بن دينار، ووكيع بن الجراح، وخالد بن معدان، وغيرهم كثير تجد تراجمهم في كتب الرجال وطبقات الحفاظ، ومن راجع "تذكرة الحفاظ" للذهبي، و"تهذيب التهذيب" لابن حجرٍ، وجد فيها كثيرًا من الحُفّاظ وصِفُوا بالبَدَليّة.

وبعد هذا، فاستمع إلى بعض الأحاديث في هذا الموضوع:

١- عن أمِّ سلمة رضي الله عنها، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: **«يكون اختلافٌ عند موتِ خليفةٍ، فيخرج رجل من المدينة هاربًا إلى مكة،**

فيأتيه ناسٌ من أهل مكة، فيُخْرجونه وهو كاره، فيُبايعونه بين الرُّكن والمَقام، ويُبعث إليه بعثٌ من الشام، فيُخْسَف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة، فإذا رأى الناس ذلك، أتاه أبدال أهل الشام وعصائب أهل العراق...» الحديث، رواه أبو داود، وأحمد، وابن أبي شيبة، وأبو يعلىٰ، والحاكم، والبيهقي، وهو حديث صحيح.

٢- عن شريح بن عبيد قال: ذُكر أهلُ الشام عند عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام -وهو بالعراق- فقالوا: العنهم يا أمير المؤمنين، قال: لا، سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**الأبدال بالشام وهم أربعون رجلًا، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلًا، يُسقى بهم الغيث، ويُنتصر بهم على الأعداء، ويُصرف عن أهل الشام بهم العذاب**». رواه أحمد بإسناد صحيح، إلا أن فيه انقطاعًا بين شريح وعليّ.

ورواه الحسن بن عرفة، وابن عساكر، عن شريح أيضًا قال: ذُكر أهل الشام عند عليّ عليه السلام فقالوا: يا أمير المؤمنون العنهم، فقال: لا، إني سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**إنَّ الأبدالَ بالشام يكونون، وهم أربعون رجلًا، بهم تُسقون الغيثَ، وبهم تُنصرون على أعدائكم، ويُصرف عن أهل الأرض البلاء والغَرَق**».

وفي "المُستدرك"، عن عبدالله ابن زرير الغافقي أنه سمع عليًّا يقول: «لا تسُبُّوا أهل الشام فإن فيهم الأبدال، وسُبُّوا ظَلَمَتَهم». صحّحه الحاكم، وسلّمه الذهبي.

والآثار عن عليٍّ عليه السلام في الأبدال كثيرة، واردة بطرق متعددة، وهي مرفوعة حكمًا، لأنها مما لا مجال للرأي فيه.

٣- عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لن تخلو الأرض من أربعين رجلًا مثل خليل الرحمن، فبهم تُسقون وبهم تُنصرون، ما مات منهم أحد إلا أبدل الله مكانه آخر**». قال سعيد: وسمعت قتادة يقول: «لسنا نشك أن الحسن-البصريَّ- منهم». رواه الطبراني في "الأوسط"، قال الحافظ الهيثمي: «إسناده حسن».

٤- عن عُبادة بن الصامت رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنه قال: «**الأبدال في هذه الأمة ثلاثون مثل خليل الرحمن عزَّ وجلَّ، كلما مات رجلٌ أبدل الله تعالى مكانه رجلًا**». رواه أحمد، وهو حديث حسن.

وفي "مُسند البزار"، و"معجم الطبراني"، عنه أيضًا قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لا يزال في أُمتي ثلاثون بهم تقوم الأرض، وبِهِم تُمطَرون، وبهم تُنصَرون**» قال قتادة: «إني أرجو أن يكون الحسن منهم».

وقوله في هذا الحديث «ثلاثون» لا ينافي أنهم أربعون كما في الأحاديث الكثيرة؛ لأن العدد لا مفهوم له، أو أُخْبِر أنهم ثلاثون ثم أعلَمَه الله بزيادتهم إلى أربعين.

٥- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**خيار أُمَّتي في كلِّ قرنٍ خمسمائة، والأبدال أربعون، فلا الخمسمائة ينقصون، ولا الأربعون، كلما مات رجلٌ أبدل الله من الخمسمائة مكانه، وأدخل**

من الأربعين مكانهم» قالوا: يا رسول الله، دُلَّنا على أعمالهم، قال: «**يَعْفُونَ عَمَّن ظَلمهم، ويُحسنون إلى من أساء إليهم، ويتواسون فيما آتاهم الله**». رواه الطبراني، وأبو نعيم، وتمام، وابن عساكر.

وروى الخَلَّال في "كرامات الأولياء"، عنه أيضًا قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لا يزال أربعون رجلًا يحفظ الله بهم الأرض، كلما مات رجلٌ أبدل الله مكانه آخر، وهم في الأرض كلِّها**». وهذان الحديثان وإن كانا ضعيفين، فهما مؤيَّدَان بالأحاديث السابقة وغيرها.

بم استحق الأبدال تلك الرتبة؟

رتبة البدلية من الرتب العزيزة، لا تُنال إلا بشروط بَيَّنتها الأحاديث والآثار، فإذا ادّعى شخص أنه من الأبدال أو ادُّعي فيه ذلك، وكان خلوا من تلك الشروط، عَلِمنا أنَّ دعواه باطلة وعرفنا أنه مِن جُملة الدُّخلاء الذين شَوَّهوا التصوّف وأهله بما اقترفوا من آثام.

فمن شروط الأبدال ما تقدم قريبًا: أنهم يَعفون عَمَّن ظَلمهم، ويُحسِنون إلى مَنْ أساء إليهم، ويَتَواسون فيما آتاهم الله تعالى، وهذه صفات عزيزة قلَّ مَنْ يَتخلَّق بها.

ومن شروطهم ما جاء في الحديث عن عليٍّ -عليه السلام- قال: سألت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن الأبدال؟ قال: «**هم ستون رجلًا**»، فقلت: يا رسول الله جَلِّهم لي، قال: «**ليسوا بالمتنَطِّعين ولا بالمبتَدعين ولا بالمُتعمّقين، لم ينالوا ما نالوا بكثرة صلاةٍ ولا صيامٍ ولا صدقة، ولكن بسخاء**

الأَنفُس وسلامة القلوبِ والنصيحة لأئمتهم».

رواه ابن أبي الدنيا في "كتاب الأولياء"، والخلَّالُ في "كرامات الأولياء"، وزاد في روايةٍ أخرىٰ: «**إنهم يا عليُّ في أُمَّتي أقل مِنَ الكبريت الأحمر**».

وجاء في حديث أنس، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ دِعامة أُمتي عُصَبُ اليمن، وأَبدال الشام وهم أربعون رجلًا، كلما مات رجلٌ أبدل الله مكانه آخر، ليسوا بالمتماوتين ولا بالمتهالكين ولا المتناوشين، لم يبلغوا ما بلغوا بكثرة صومٍ ولا صلاةٍ، وإنما بلغوا ذلك بالسَّخَاء وصحة القلوب والمُناصحة لجميع المسلمين**».

ووَرَد عن الحسن البصري قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنّ بُدلاء أُمَّتي لم يدخلوا الجنَّة بكثرة صومٍ ولا صلاةٍ، ولكن دخلوها برحمة الله وسلامة الصدور وسَخاوة الأَنفُس والرحمة بجميع المسلمين**». رواه الحكيم الترمذي، والبيهقي في "شُعب الإيمان"، وغيرهما.

وروىٰ ابن أبي الدنيا في "كتاب الأولياء": عن بكر ابن خُنَيسٍ يرفعه: «**علامة أبدال أُمتي أنّهم لا يلعنون شيئًا أبدًا**».

فالمبتدعة ومن علىٰ شاكلتهم من المتنطِّعين والمُتعَمِّقين والمتزمِّتين لا نصيب لهم في رتبة البدلية، وكذلك المُتماوتون المُتهالكون الذين يتكلَّفون السَّمْت والوقار. نعم، ولا ينالها اللعَّانون الطعَّانون، سُفهاء اللسان، خُبثاءُ القلب.

ولذا قال الحارث ابن حومل لرجاء بن حيوة -وهما تابعيان- : «يا رجاء اذكر لي رجلين صالحين من أهل بَيْسان -بلد الشام- فإنه بلغني أن الله تعالىٰ اختصَّ أهل بيسان برجلين صالحين مِن الأبدال، لا يموت واحدٌ إلا أبدل الله

مكانه واحدًا، ولا تذكر لي منهما متماوتًا ولا طَعَّانًا على الأئمَّة، فإنه لا يكون منهما الأبدال». رواه ابن عساكر وغيره.

فالأبدال: أسخياء سُمَحَاء، سَلِيمُو الصدور، لا يحملون حقدًا ولا غشًّا، أعفَّاء اللسان، لا يلعَنَون ولا يَسُبُّون وهم -إلى جانب هذا- إيجابيون في الحياة، يرحمون المسلمين وينصحونهم، ويسعون في إيصال الخير لهم، وببركاتهم وتَوجُّهاتهم ينزل الغيث، ويُكشف الكَرْب، ويحصل النصر على الأعداء.

لا جَرَمَ إن كان انقراضهم في آخر الزمان إيذانًا بانقراض الخير، وانتهاء الدنيا، كما جاء في حديثٍ عن أنسٍ مرفوعًا: «**فإذا جاء الأمر قُبِضوا كُلهم فعند ذلك تقوم الساعة**». رواه الترمذي الحكيم، وابن شاهين، وابن عدي وغيرهم.

النُّجباء والنُّقباء والأوتاد والغوث

هذه رتب في الولاية اصطلح عليها الصوفية، وهي مأخوذة عن سلف الأمة وأئمتها، فعن أبي الطفيل -وهو صحابي- عن عليّ -عليه السلام- قال: «الأبدال بالشام، والنُّجباء بالكوفة». رواه ابن عساكر.

ورُوِيَ عنه أيضا قال: «الأبدال من الشام والنُّجباء من أهل مصر، والأخيار من أهل العراق».

وروى ابن عساكر أيضًا عن أحمد بن أبي الحواري قال: «سمعت أبا سليمان يقول: الأبدال بالشام، والنُّجباء بمصر، والعُصَب باليمن، والأخيار بالعراق».

وروى هو والخطيب البغدادي، عن الكتّاني قال: «النُّقباء ثلاثمائة، والنُّجباء سبعون، والبُدلاء أربعون، والأخيار سبعة، والعُمُد أربعة، والغوث

واحد. فمسكن النُّقباء المغرب، ومسكن النُّجباء مصر، ومسكن الأبدال الشام، والأخيار سيّاحون في الأرض، والعُمُد في زوايا الأرض، ومسكن الغوث مكة، فإذا عَرَضت الحاجة من أمر العامة ابتهل فيها النُّقباء، ثم النُّجباء، ثم الأبدال، ثم الأخيار، ثم العُمُد، فإن أُجيبوا، وإلا ابتهل الغوث، فلا تتم مسألته حتىٰ تجاب دعوته».

والعُمُد -بضم العين والميم- هم الأقطاب، وهم أربعة في كلِّ وقتٍ، والعُصَب -بضم العين وفتح الصاد، ويقال: عصائب، كما تقدم في حديث أم سَلَمَة-: طائفة من الزُهّاد، كما في "النهاية".

وقال ابن أبي الدنيا: حدّثنا أبو حاتم الرازي -الإمامُ العَلَم-: حدَّثنا عثمان بن مطيع: حدَّثنا سفيان بن عيينة قال: قال أبو الزناد -أحد شيوخ الإمام مالك- : «لمّا ذَهَبَت النبوة، وكانوا أوتاد الأرض، أخلف الله مكانهم- يعني الأنبياء- أربعين رجلًا من أُمّةِ محمدٍ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، يُقال لهم الأبدال، لا يموت الرجل منهم حتىٰ يُنشيء اللهُ مكانه آخر يخلفه، وهم أوتاد الأرض، قلوب ثلاثين منهم علىٰ مثل يقين إبراهيم عليه السلام، لَمْ يَفْضُلوا الناس بكثرة الصلاة ولا بكثرة الصيام ولا بحُسن التخشّع ولا بحُسن الحِلية، ولكن: بصدق الورع وحُسن النية وسلامة القلب والنصيحة لجميع المسلمين، ابتغاء مرضاة الله، بصبرٍ وخيرٍ وبرٍّ ولبٍّ حليم، وتواضعٍ في غير مذلّة، لا يلعنون أحدًا ولا يُؤذون أحدًا، ولا يتطاولون علىٰ أحدٍ تحتهم ولا يُحقّرونه، ولا يحسدون أحدًا فوقهم، ليسوا بمتخشّعين ولا متماوتين ولا معجبين، لا يحبون لدنيا ولا يحبون الدنيا، ليسوا اليوم في وحشة ولا غدًا في غفلة».

الكَرَامات

اتفق أهل السُنّة على إثبات الكرامات، وأنّ الله يخُصّ بها بعض أوليائه، للأدلة الدّالة على وقوعها في الكتاب الكريم والسنّة الصحيحة، بل المتواترة.

قال الإمام أبو الحسن الأشعري -إمام الأشاعرة- في كتاب "مقالات الإسلاميين واختلاف المُصلِّين": «جملة ما عليه أهل الحديث وأهل السُّنَّة: الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورُسله، وما جاء من عند الله، وما رواه الثقات عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، لا يَرُدون من ذلك شيئا»، وذكر العقيدة، إلى أن قال: «وأنّ الصالحين قد يجوز أن يخُصّهم اللهُ تعالى بآياتٍ تظهر عليهم». وقال في آخر العقيدة: «فهذه جملة ما يأمرون به، ويستعملونه ويرونه، وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول، وإليه نذهب». ونقله الحافظ ابن القيم في كتابه "حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح".

وقال الإمام الحافظ القدوة محيي الدين النووي في كتابه "بستان العارفين": «اعلَم أنَّ مذهب أهل الحقِّ: إثبات كرامات الأولياء، وأنها واقعة موجودة مستمرة في الأعصار، ويدل عليها دلائل العقول وصرائح النقول، أما دلائل العقل: فهي أمر يمكن حدوثه ولا يؤدي وقوعه إلى رفع أصل من أصول الدين، فيجب وصف الله تعالى بالقدرة عليه، وما كان مقدورًا كان جائز الوقوع، وأما النقول: فآيات في القرآن العظيم، وأحاديث مستفيضة».

وفي "شرح المقاصد" لسعد الدين التفتازاني: «ظهور كرامات الأولياء، تكاد تلحق بمعجزات الأنبياء، وإنكارها ليس بعجيب من أهل البدع

والأهواء، إذ لم يشاهدوا ذلك من أنفسهم قط ولم يسمعوا به من رؤسائهم الذين يزعمون أنهم على شيءٍ مع اجتهادهم في أمور العبادات واجتناب السيئات فوقعوا في أولياء الله تعالى أصحاب الكرامات يُمزِّقون أديمهم ويمضغون لحومهم لا يسمُّونهم إلا باسم الجهلة المتصوِّفة ولا يعدُّونهم إلَّا في عداد آحاد المبتدعة، قاعدين تحت المثل السائر: «أوسعتهم سبًّا وأودوا بالإبل»، ولم يعرفوا أنَّ مبنى هذا الأمر على صفاء العقيدة ونقاء السريرة، واقتفاء الطريقة واصطفاء الحقيقة، وإنما العجب من بعض فقهاء السُّنَّة، حيث قال - فيما روي عن إبراهيم بن أدهم أنهم رأوه بالبصرة يوم التروية، وفي ذلك اليوم بمكة - : أن من اعتقد جواز ذلك يكفر، والإنصاف ما ذكره الإمام النَّسَفي، حين سُئل عمّا يُحكى أنَّ الكعبة كانت تزور أحدًا من الأولياء، هل يجوز القول به؟ فقال: نقض العادة على سبيل الكرامة لأهل الولاية جائز عند أهل السنة».

وليت شِعْري، ماذا كان يقول ذلك الفقيه المتسرِّع إلى الإكفار لو رأى مخترعات اليوم، وشاهد الطائرة تنقل الشخص في بضع ساعات مسافات كانت تقطع في شهور؟! فإذا كان العلم وصل إلى هذا وأكثر منه فكيف نستبعده على قدرة الله تعالى؟!.

ومما يعاب على فقهاء الحنفية تسرعهم إلى الإكفار لأسباب بعيدة عن الكفر، ومن قرأ باب الردّة في كتبهم رأى العجب، من ذلك قولهم: من صَغّر عِمامَة العالِم فقال: عُمَيْمَة فإنه يكفر؛ لأنه صغّر ما عظّم الله!.

ومما ثبت بالشُّهرة ما حكاه العلاّمة أحمد بابا التنبكتي المالكي في "نيل الابتهاج بتطريز الديباج" عن الشيخ عبدالخالق التونسي، عن شيخه شعيب

ابن الحسن الأندلسي الشهير بأبي مدين الغوث -وهو شيخ ابن العربي الحاتمي- قال: «سمعت أن رجلًا يُسمَّىٰ موسىٰ الطيار يطير في الهواء ويمشي علىٰ الماء، وكان رجل يأتيني عند طلوع الفجر فيسألني عن مسائل الناس، فوقع لي ليلة أنه موسىٰ الطيار الذي أسمع به، فلما طلع الفجر نقر الباب رجل فإذا هو الذي يسألني، فقلت له: أنت موسىٰ الطيار؟ قال: نعم. ثم سألني وانصرف، ثم جاءني مع آخر، فقال لي: صلَّيتُ الصبح ببغداد، وقدمنا مكة فوجدناهم في الصبح فأعدنا معهم وبقينا في مكة حتىٰ صلينا الظهر، فجئنا القدس، فوجدناهم في الظهر، فقال صاحبي هذا: نُعيد معهم، فقلت: لا، فقال: ولِم أعدنا الصبح بمكة؟ فقلت له: كذلك كان شيخي يفعل وبه أمرنا، فاختلفنا. قال أبو مدين: فقلت لهم: أمّا إعادة الصبح بمكة فإنها عين اليقين، وببغداد علم اليقين، وعين اليقين أقوىٰ من علم اليقين، وصلاتكم بمكة وهي أم القرىٰ فلا تعاد في غيرها، قال: فقنعا به وانصرفا».

والمقصود: أن كرامات الأولياء أجمع علىٰ إثباتها علماء السُّنَّة، ووافقهم من المعتزلة أبو الحسين البصري، وقد أُفْرِد هذا الموضوع بالمؤلفات الكثيرة، وكتابنا "الحجج البينات في إثبات الكرامات" مهمٌّ جدًّا ينبغي مراجعته، ففيه ما لا يوجد في غيره، مع تخريج الأسانيد، وتوخِّي الصحة بغاية الدقة.

ونشير هنا إلىٰ بعض الأدلة توفية للبحث حقه:

١- الأمر الخارق للعادة إن ظهر علىٰ يد مدّعي النبوة، فإمّا أن يكون قبل النبوة أو بعدها، فإن كان قبلها: كَشَقِّ صدره الشريف، وإظلال الغمامة له في مسيره إلىٰ الشام، سُمِّي: إرهاصًا، وإن كان بعدها: فإمّا أن يكون مصحوبًا

بالتحدي: كالقرآن وانشقاق القمر، فيُسمَّىٰ: معجزة، وإمّا أن يكون غير مصحوبًا بالتحدي: كحنين الجذع، ونبع الماء من الأصابع الشريفة، فيُسمَّىٰ: آية.

وإنْ ظهر الخارق للعادة علىٰ يد مدّعي النُبوة بخلاف مُراده، سُمّيَ: إهانة، مثل ما روي أن مُسيلمة الكذَّاب دعا لأعور بأن يفتح الله عينه فعمي، ومسح بيده رأس يتيم فقرع، وَبَلَغهُ أنَّ النبيّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم تَفَلَ في بئرٍ فكَثُر ماؤها وعَذُب بعد أن لم يكن كذلك، فتفل هو في بئرٍ ليَعْذُب ماؤها، فصار ملحًا أُجاجًا.

وإن ظهر الخارق علىٰ يد مؤمن صالح فهو: الكرامة، أو علىٰ يد فاسق كالساحر مثلًا فهو: استدراج، وقد يقع الخارق لبعض عوام المسلمين تخليصًا له من محنة أو مكروه، ويسمىٰ: معونة.

٢- قولهم: «ما وقع معجزة لنبيٍّ جاز أن يكون كرامة للوليّ» محمول علىٰ الآيات التي لم يقع بها التحدي، أما المعجزة التي وقع بها التحدي: كالقرآن الكريم، فلا.

نبَّه علىٰ هذا المعنىٰ العلاّمة الأبي في "شرح مُسلم"، ونحوه قول القشيري: «إنّ كرامات الأولياء لا تنتهي إلىٰ نحو ولدٍ دون والد».اهـ

يشير إلىٰ ولادة عيسىٰ عليه السلام، فهي آية من الله لنبيه ولِأُمه بسببه، كما قال تعالىٰ: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً ﴾ [المؤمنون: ٥٠]، وقال تعالىٰ: ﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ﴾ [مريم: ٢١]

٣- في القرآن الكريم آيات تُثبت كرامات الأولياء، منها قصة أصحاب

الكهف ونومهم أكثر من ثلاثة قرون... إلخ ما قَصّه اللهُ من خبرهم العجيب ولم يكونوا أنبياء.

ومنها قصة مريم عليها السلام، وأن زكريا عليه السلام ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧] وقد كانت صِدِّيقةً بنصِّ القرآن.

ومنها في قصة سليمان عليه السلام، قول الذي عنده علم من الكتاب: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٤٠] وأتى به في غمضة عين، أي سرير ملكة سبأ.

وأما الأحاديث فكثيرة جدًّا نذكر منها عشرة كلها صحيحة:

١- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**انطلق ثلاثة نفرٍ ممن كان قبلكم، حتى آواهم المبيت إلى غارٍ، فدخلوه، فانحدرت صخرةٌ من الجبل فسَدَّت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا يُنْجِيكُم من هذه الصخرة إلَّا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم. قال رجلٌ منهم: اللهمَّ كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما -أي لا أقدِّم في شرب اللبن عليهما- أهلًا ولا مالًا. فنأى بي طلب شجرٍ يومًا، فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أغبق قبلهما أهلًا أو مالًا، فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما، حتى برق الفجر والصبية يتضاغَون عند قدمي، فاستيقظا فشربا غبوقهما. اللهمَّ إنْ كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك، ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئًا لا**

يستطيعون الخروج». قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «قال الآخر: اللهم كانت لي ابنة عمٍّ كانت أحبَّ الناس إليَّ، فأردتها عن نفسها، فامْتَنَعَت مني، حتى أَلَّمت بها سَنةٌ من السنين، فجاءتني، فأعطيتُها عشرين ومائة دينار، على أنْ تُخَلِّي بيني وبين نفسها فَفَعَلَت، حتى إذا قَدَرْتُ عليها، قالت: لا أُحِلُّ لك أنْ تفض الخاتم إلَّا بحقِّه، فَتَحَرَّجْتُ من الوقوع عليها، فانْصَرَفْتُ عنها وهي أحبُّ الناس إليَّ، وتَرَكْتُ الذهب الذي أعْطَيْتُهَا، اللهمَّ إنْ كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة، غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها».

قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «وقال الثالث: اللهم استأجَرْتُ أُجَرَاء وأعطيتُهُم أجرهم، غير رجلٍ واحدٍ، ترك الذي له وذهب، فَثَمَّرْتُ أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين، فقال لي: يا عبدالله أدِّ إليَّ أجري فقلتُ: كل ما ترى من أجرك: من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فقال: يا عبدالله لا تستهزئ بي، فقلت: إني لا أستهزئ بك، فأخذه كله، فاستاقه، فلم يترك منه شيئًا، اللهمَّ إنْ كنتُ فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فانطلقوا يمشون». رواه البخاري، ومسلم.

٢- عن أبي هريرة عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «لم يتكلَّم في المهد إلا ثلاثة: عيسى، وكان في بني إسرائيل رجل يقال له جُريج، كان يُصلِّي، جاءته أُمه فَدَعَتْه، فقال: أُجيبها أو أُصلي؟، فقالت: اللهمَّ لا تُمِتْه حتى تُريه وجوه المومِسات، وكان جُريج في صومعته فتعرَّضتْ له امرأةٌ فكلَّمته، فأَبى، فأَتَتْ راعيًا، فأمكَنَتْهُ من نفسها فولدت غلامًا، فقالت: من جُريج، فَأَتَوْهُ

فكسروا صومعته وأنزلوه وسبُّوه، فتوضَّأ وصلَّى، ثُمَّ أتى الغلام فقال: مَن أبوك يا غلام؟ فقال: الراعي. وكانت امرأة تُرضع ابنًا لها من بني إسرائيل، فمر بها رجلٌ راكبٌ ذو شارة، فقالت: اللهمَّ اجعل ابني مثله، فترك ثديها، فأقبل على الراكب فقال: اللهم لا تجعلني مثله، ثمَّ أقبل على ثديها يمُصُّه». قال أبو هريرة: كأني أنظر إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يمُصُّ أصبعه، «ثم مُرَّ بأَمَة، فقالت: اللهمَّ لا تجعل ابني مثل هذه، فترك ثديها وقال: اللهم اجعلني مثلها، فقالت له ذلك، فقال: الراكب جبّارٌ مِنَ الجبابرة، وهذه الأمَة يقولون: سَرقْتِ زَنَيْتِ، ولم تفعل». رواه البخاري، ومسلم.

٣- عن أبي هريرة، عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنه ذكر رجلًا من بني إسرائيل، سأل بعض بني إسرائيل أن يُسلفه ألف دينار، فقال: ائتني بالشُهداء أُشْهِدهُم، قال: كفى بالله شهيدًا، قال:فائتني بالكفيل، قال: كفى بالله كفيلا، قال: صَدَقَتْ، فدفعها إليه إلى أجل مُسمًّى، فخرج في البحر فقضى حاجته، ثم التمس مركبًا يركبها يَقْدُمُ عليه للأجل الذي أجَّله، فلم يجد مركبًا، فأخذ خشبة فنقرها فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم زَجَّجَ موضعها، ثم أتى بها إلى البحر، فقال: اللهم إنك تعلم أني كنت تَسَلَّفْتُ فلانًا ألف دينار، فسألني كفيلًا، فقلتُ: كفى بالله كفيلًا، وسألني شهيدًا، فقلتُ: كفى بالله شهيدًا، فرضي بك، وإني جَهِدْتُ أنْ أجد مركبًا، أبعث إليه الذي له، فلم أقدر، وإني أستودعكها، فرمى بها في البحر حتى وَلَجَت فيه ثم انصرف، وهو في ذلك يلتمس مركبًا يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذي كان أسلفه، ينظر لعل مركبًا قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التي فيها المال، فأخذها حطبًا

لأهله، فلما نشرها وجد المال والصحيفة، ثم قَدِمَ الذي كان أسلفه، فأتىٰ بالألف دينار فقال: والله ما زلتُ جاهدًا في طلب مَرْكب لآتيك بمالك فما وجدت مَرْكبًا قبل الذي أتيتُ فيه، قال: هل كنتَ بعثتَ إليّ بشيء؟ قال: أُخبرُكَ أنِّي لم أجد مركبًا قبل الذي جئتُ فيه، قال: فإنَّ الله قد أدَّىٰ عنك الذي بَعَثْتَ في الخشبة، وانصرف بالألف دينار راشدًا». رواه البخاري، وأحمد، والنسائي، وابن حِبَّان، وغيرهم.

٤- عن أبي هريرة أيضًا: أنَّ النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**بَيْنا رجل في فَلَاةٍ من الأرض، فسمع صوتًا في سَحَابة : اسْقِ حديقةَ فلان، فتنحَّى ذلك السحابُ، فأفرغَ ماءه في حَرّة، فإذا شَرْجة من تلك الشِّراج قد استوعبتْ ذلك الماء كُلَّه، فتتبَّع الماءَ، فإذا رجلٌ قائمٌ في حديقة يُحَوِّلُ الماء بِمِسْحَاته، فقال له: يا عبدالله، ما اسْمُك؟ قال: فلان - للاسم الذي سمع في السحابة - فقال له: يا عبدالله لم سألتني عن اسمي؟ قال: إني سمعتُ صوتا في السحاب الذي هذا ماؤهُ يقول: اسق حديقة فلان -لاسمك- فما تصنعُ فيها؟ قال: أمَّا إذ قُلْتَ هذا فإني أنظرُ إلى ما يخرج منها، فأتصدق بثلثه، وآكلُ أنا وعيالي ثُلُثا، وأرَدُّ فيها ثُلُثَهُ**». رواه مسلم في صحيحه.

٥- عن ابن عبَّاسٍ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لمّا أُسريَ بي مرت بي رائحةٍ طيبةٍ، فقلت: ما هذا الرائحة؟ قالوا ماشطة بنت فرعون وأولادها، سقط مشطها من يدها، فقالت: بسم الله، فقالت ابنة فرعون: أبي؟ قالت: ربي هو ربُّك وربُّ أبيك، قالت: أَوَلَكِ ربٌّ غير أبي؟! قالت: نعم، فدعاها فقال: ألك ربٌّ غيري؟! قالت: نعم، ربي وربُّك الله، فأمر**

ببقرة من نحاس فأُحْمِيَت، ثم أمر بها لتُلْقَى فيها وأولادها، فألقَوْا واحدًا واحدًا حتى بلغ رضيعًا فيهم، فقال: قَعي يا أُمَّه ولا تقاعسي، فإنّك على الحقِّ». رواه أحمد، وابن أبي شيبة، والبزار، وأبو يعلىٰ، والبيهقي، وصَحَّحَهُ الحاكم، وابن حِبَّان، وغيرهما.

٦- عن أبي سعيد الخدري: أنّ أسيد بن حضير بينما هو يقرأ ليلة في مِرْبَدِه، إذ جالت فرسه، فقرأ، ثم جالت أخرىٰ، فقرأ، ثم جالت أيضًا، قال أسيد: فخشيتُ أنْ تطأ يحيىٰ -ابنه- فقمتُ إليها، فإذا هو مثل الظُّلة فوق رأسي فيها أمثال السُّرُج، عَرَجَت في الجوّ حتىٰ ما أراها، فغدوت علىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فقلتُ: يا رسول الله بينما أنا البارحة من جوف الليل أقرأ في مِرْبَدٍ لي، إذ جالت فرسي، فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: **«اقرأ يا ابن حضير»** قال: فقرأتُ، ثم جالت أيضًا فقال: **«اقرأ يا ابن حضير»** قال: فقرأتُ، ثم جالت أيضًا، فقال **«اقرأ يا ابن حضير»** قال: فانصرفْتُ، وكان يحيىٰ قريبا منها، فخشيت أنْ تَطَأَه، فرأيت مثل الظُّلة فيها أمثال السُّرُج، عرجت في الجو حتىٰ ما أراها، فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: **«تلك الملائكة كانت تَتَسَمَّع لك ولو قرأْتَ، لأصبَحَتْ يراها الناس، ما تستتر منهم»**. رواه الشيخان، ورواه مسلم من حديث البراء بن عازب.

وكان أسيد بن حضير حَسنَ الصوت، كما في رواية أَبِي عُبَيد، عن أُبَيّ بن كعب، وجاء في رواية الإسماعيلي: أنَّ النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال له: **«اقرأ أسيد فقد أُوتيتَ من مزامير آل داود»**، وكان يقرأ في تلك الليلة سورة البقرة، كما في رواية البخاريِّ.

ووقع نظير هذه الكرامة لصحابيٍّ آخر، اسمه ثابت بن قيس بن شماس، فروى أبو عبيد في "فضائل القرآن"، عن جرير بن يزيد: أنّ أشياخ أهل المدينة حدّثوه: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قيل له: ألم تر ثابت بن قيس بن شماس، لم تزل داره البارحة تُزهر مصابيح؟! قال: «**فلعلّه قرأ سورة البقرة**» قال: فسُئل ثابت، فقال: قرأتُ سورة البقرة.

٧- عن أنس: أن أسيد بن حضير ورجلًا من الأنصار، تحدَّثا عند رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، حتى ذهب من الليل ساعة، في ليلةٍ شديدةِ الظُّلمة، ثم خرجا وبيد كلٍ منهما عصاه، فأضاءت عصا أحدهما حتى مشيا في ضوئها، حتى إذا افترقت بهما الطريق أضاءت عصا الآخر، فمشى كل منهما في ضوء عصاه حتى بلغ أهله. رواه عبدالرزاق -وهذا لفظه- وأحمد، والبخاري، والحاكم، وغيرهم، وفي رواية للأخيرين تعيين الرجل من الأنصار بأنه: عباد بن بشر.

٨- روى مالك، عن عبدالرحمن بن أبي صعصعة، أنّه بَلَغَه أنّ عمرو بن الجموح وعبدالله بن عمرو الأنصاري -والد جابر- كانا في قبرٍ واحد، وهما ممن استُشْهِد يوم أُحُد، فحَفَر السيل قبرهما، فحُفِرَ عليهما ليُغَيَّرَا من مكانهما فوُجِدا لم يتغيرا كأنهما ماتا بالأمس، وكان أحدهما قد جُرح فوضع يده على جرحه، فدُفِن وهو هكذا، فأشيلت يده عن جرحه ثم أُرسلت، فرجعت كما كانت، وكان بين أُحد وبين ما حفر عليهما ستة وأربعون سنة.

وروى البغوي، عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، قال: كتب معاوية إلى عامله بالمدينة: أن يُجري عَيْنا إلى أُحد، فكتب إليه عامله: إنها لا تجرى إلا على

قبور الشهداء، فكتب إليه: أنْ أَنْفِذْها، قال جابر: فرأيتهم -يعني شهداء أُحُد- يخرجون على رقاب الرجال، كأنهم رجالٌ نُوَّم، حتى أصابت المِسْحَاة قَدَم حمزة رضي الله عنه، فانبعثت دمًا.

وهذه القصة بلغت حد الاستفاضة أو التواتر، لأنّ عامِلَ معاوية نادى في المدينة يحضّ الناس أنْ يخرجوا لنقل موتاهم، فخرج مَنْ لا يُحصى مِنَ الأنصار وغيرهم، وشاهدوا هذه الكرامة العجيبة، بعد بضع وأربعين سنة من استشهادهم رضي الله عنهم.

٩- روى مالك في "الموطأ" بإسناد على شرط "الصحيحين": أنّ أبا بكر رضي الله عنه استرجع عند وفاته أرضًا كان وهبها لعائشة رضي الله عنها، وقال -يُطَيّب خاطرها-: إنما هما أخواك وأختاك -أي لم أسترجع الأرض الموهوبة إلا لمصلحة الورثة الذين هم إخوتك- قالت لأبيها رضي الله عنهما: إنما هي أسماء فمن الأخرى؟ -أي ليس لي أخت غير أسماء فمن الثانية؟- فأجابها الصدّيق رضي الله عنهما: ذو بطن بنت خارجة- هي امرأته وكانت حاملًا- أراها جارية، فولدت بعد وفاته بنتًا.

١٠- روى الطبراني بإسناد رجاله رجال الصحيح -كما قال الحافظ الهيثمي- عن سعيد بن عبدالعزيز، أنّ عمار بن ياسر رضي الله عنهما أقسم يوم أُحُد فهُزِم المشركون، وأقسم يوم الجمل -اسم موقعة- فَغَلبوا أهل البصرة، وقيل له يوم صِفّين -بكسر الصاد والفاء المشددة، موضعٌ كان فيه قتال بين عليّ عليه السلام وبين معاوية- لو أقسمت؟، فقال: لو ضربونا بأسيافهم حتى نبلغ سعفات هجر لعلمنا أنّا على الحقِّ وهم على الباطل، فلم يقسم، فقتل يومئذ.

وقال يوم أُحُد:

أقسمتُ يا جِبريلُ ويا مِيكَال
لا يغلبنا مَعْشرَ ضُلَّال
إنّا على الحقِّ وهم جُهَّال

وقد أخرج الطبراني في "الأوسط"، عن عائشة قالت: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**كَمْ مِن ذي طِمْرَينِ لا ثوبَ له، لو أَقْسَمَ على الله لأَبَرَّه، منهم عمَّار بن ياسر**».

وباب الكرامات بحر خضمٌّ مترامي الأطراف، وفي كتابنا "الحجج البينات في إثبات الكرامات" استيفاء بالغ لكثير من أنواعها المتعدِّدة فعليك بقراءته.

حلقات الذكر

للحافظ السيوطي -رضي الله عنه- في هذا الموضوع رسالة اسمها "نتيجة الفكر في الجهر بالذكر" قال في أولها: «الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، سألتَ أكرمك الله عما اعتاده السادة الصوفية من عقد حِلق الذكر، والجهر به في المساجد، ورفع الصوت بالتهليل، وهل ذلك مكروه أو لا؟

الجواب: أنه لا كراهة في شيءٍ من ذلك، وقد وردت أحاديث تقتضي استحباب الجهر بالذكر، وأحاديث تقتضي استحباب الإسرار به، والجمع بينهما: أن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص، كما جمع النووي بمثل ذلك بين الأحاديث الواردة باستحباب الجهر بقراءة القرآن، والأحاديث

الواردة باستحباب الإسرار بها». ثم أورد خمسة وعشرين ما بين حديث وأثر، نقتطف منها ما يلي:

١- روىٰ البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**يقول الله تعالى أنا عند ظنِّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذَكَرَني، فإن ذكرني في نَفْسِهِ ذكرته في نَفْسِي وإن ذكرني في ملإٍ ذَكَرتُهُ في ملإٍ خيرٍ مِن مَلَئِهِ**».

قال: «والذكر في الملإ لا يكون إلَّا عن جهر». **قلت**: والحديث رواه بقية الستة إلَّا أبا داود.

٢- روىٰ البزار بإسناد صحيح، عن ابن عبَّاسٍ، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**قال الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم إذا ذكرتني خاليًا ذكرتك خاليًا وإذا ذكرتني في ملإٍ ذكرتك في ملإٍ خيرٍ مِن الذين تذكرني فيهم**».

٣- روىٰ الشيخان- واللفظ لمسلم- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ لله تبارك وتعالى ملائكةً سيَّارةً فُضُلًا يبتغون مجالس الذِّكر، فإذا وجدوا مجلسًا فيه ذِكْرٌ قعدوا معهم، وحفَّ بعضهم بعضًا بأجنحتهم حتى يملئوا ما بينهم وبين السماء، فإذا تفرَّقوا عَرَجُوا وصَعِدُوا إلى السماء، فيسألهم الله عزَّ وجلَّ-وهو أعلم- من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عبادِكَ في الأرضِ، يُسبِّحونك ويُكبِّرونك ويهلِّلونك ويَحمدونك ويسألونك، قال: فما يسألوني؟ قالوا: يسألونك جنَّتك، قال: وهل رَأوا جنَّتي؟ قالوا: لا، أي ربِّ، قال: وكيف لو رأوا جنَّتي؟ قالوا: ويستجيرونك، قال: ومم يستجيرونني؟ قالوا: من نارك يا ربِّ، قال: وهل رَأَوْا ناري؟ قالوا: لا، قال:**

فكيف لو رَأَوْا ناري، قالوا: ويستغفرونك، قال: فيقول: قد غفرت لهم وأعطيتهم ما سألوا، وأجرتهم مما استجاروا، قال: يقولون: ربِّ فيهم فلان عبدٌ خَطَّاءٌ، إنما مَرَّ فجلس معهم، فيقول: وله غفرتُ، هم القوم لا يَشْقَى بهم جَلِيسُهم».

٤- روىٰ البيهقي عن أنس قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «إذا مررتم برياض الجنة فارتَعوا»، قالوا: يا رسول الله، وما رياض الجنة، قال: «حِلَق الذِّكر». قلت: رواه الترمذي وحسَّنه.

٥- روىٰ الطبراني، وابن جريرٍ عن عبدالرحمن بن سهل بن حنيف، قال: لمّا نَزَلَت علىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم -وهو في بعض أبياته- ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ الآية [الكهف: ٢٨]، فخرج يلتمسهم، فوجد قومًا يذكرون الله تعالىٰ، منهم ثائر الرأس، وجاف الجلد، وذو الثوب الواحد، فلما رآهم جلس معهم وقال: «الحمد لله الذي جعل في أُمَّتي مَن أمرني أن أَصْبِرَ نفسي معهم».

وروىٰ أحمد في "الزهد"، عن ثابت قال: كان سلمان في عصابة يذكرون الله، فَمَرَّ النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فَكَفُّوا، فقال: «ما كنتم تقولون؟» قلنا: نذكر الله، قال: «إني رأيت الرحمة تنزل عليكم فأَحْبَبْتُ أنْ أُشارككم فيها»، ثم قال: «الحمد لله الذي جعل في أُمَّتي مَن أُمرت أنْ أَصْبِرَ نفسي معهم». قلت: للحديث طرقٌ كثيرة.

ثم قال السيوطي: «إذا تأمَّلْتَ ما أوردنا من الأحاديث، عرفت من

مجموعها أنه لا كراهة البتّة في الجَهرِ بالذكر، بل فيه ما يدل على استحبابه إما صريحًا أو التزامًا، وأما معارضته بحديث: «خير الذِّكر الخفيِّ» فالجمع بينهما: بأن الإخفاء أفضل حيث خافَ الرياء، أو تأذَّى به مصلُّون أو نيام، والجهر في غير ذلك أفضل لأنّ العمل فيه أكثر، ولأنَّ فائدته تتعدى إلى السامعين، ولأنه يُوقظ قلب الذاكر ويجمع همّه ويصرف سمعه إليه، ويطرد النوم ويزيد في النشاط، وبهذا يحصل الجمع بين الأحاديث.

فإنْ قلتَ: قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، قلتُ: الجواب من ثلاثة أوجه:

أحدها: أنها مكّية كآية الإسراء ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء: ١١٠]، وقد نزلت حين كان النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يجهر بالقرآن، فيسمعه المشركون فيسُبُّون القرآن ومَن أنزله، فأُمر بترك الجهر سدًّا للذريعة، كما نهى عن سبِّ الأصنام لذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨] وقد زال هذا المعنى الآن، أشار إلى ذلك ابن كثير في "تفسيره".

الثاني: أنَّ جماعةً من المفسِّرين، منهم: عبدالرحمن بن زيد بن أسلم وابن جريرٍ، حَمَلوا الآية على الذاكر حالة قراءة القرآن، وأنه أمْرٌ له بالذكر على هذه الصفة تعظيمًا للقرآن أنْ تُرفع عنده الأصوات، ويؤيده اتصالها بقوله: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟﴾ [الأعراف: ٢٠٤]

الثالث: ما ذكره الصوفية: أنّ الأمر في الآية خاصٌّ بالنبيِّ صلَّى الله عليه

وآله وسلَّم، الكامل المُكمَّل، وأما غيره ممن هو محل الوساوس والخواطر الرديئة، فمأمورٌ بالجهر لأنه أشد تأثيرًا في دفعها، فإن قلت: فقد قال تعالىٰ: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾[الأعراف: ٥٥]، وقد فُسِّر الاعتداء: بالجهر في الدعاء.

قلت: الجواب من جهتين:

أحدهما: أنَّ الراجح في تفسيره أنه تجاوز المأمور به، أو اختراع دعوة لا أصل لها في الشرع، ويؤيده ما أخرجه ابن ماجه، والحاكم وصَحَّحَه: عن أبي نعامة: أنَّ عبدالله بن مُغَفَّلٍ سمع ابنه يقول: اللهمَّ إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة، فقال: إني سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**سيكون في هذه الأُمَّة قومٌ يعتدون في الدُّعاء**». فهذا تفسير صحابي، وهو أعلم بالمُراد.

الثاني: علىٰ تقدير التسليم، فالآية في الدعاء لا في الذِّكر، والدعاء بخصوصه الأفضل فيه السِّر، لأنه أقرب إلىٰ الإجابة، ولذا قال تعالىٰ: ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا﴾[مريم: ٣]، ومِن ثَمَّ استُحِبَّ الإسرار بالاستعاذة في الصلاة اتفاقًا؛ لأنها دعاء.

فإن قلت: فقد نُقِل عن ابن مسعود أنه رأىٰ قوما يهلّلُون برفع الصوت في المسجد، فقال: «ما أراكم إلَّا مبتدعين»، حتىٰ أخرجهم من المسجد، قلت: هذا الأثر يحتاج إلىٰ بيان سنده ومَن أخرجه مِن الأئمَّة الحفَّاظ في كتبهم؟، وعلىٰ تقدير ثبوته فهو مُعارَضٌ بالأحاديث الكثيرة الثابتة المتقدمة، وهي مقدمة عليه عند التعارض.

ثم رأيتُ ما يقتضي إنكار ذلك عن ابن مسعودٍ، قال الإمام أحمد في كتاب "الزهد": حدَّثنا حسين بن محمد المسعودي، عن عامر بن شقيق، عن أبي وائل قال: هؤلاء الذين يزعمون أنّ عبدالله كان ينهى عن الذكر، ما جالستُ عبدالله مجلسًا قط إلَّا ذكر الله فيه، وأخرج أحمد في "الزهد": عن ثابت البناني قال: «إنَّ أهل ذكر الله ليجلسون إلى ذكر الله وإنّ عليهم من الآثام أمثال الجبال، وإنهم ليقومون من ذكر الله تعالى ما عليهم منها شيء».

هذا ملخَّص رسالة "نتيجة الفكر"، وهي مطبوعة بتعليقاتي عليها، فليراجعها مَن أرادها.

الذكر بالاسم المفرد

اعترض بعض الفقهاء على الصُّوفية عنايتهم بالاسم المفرد ولَهَجِهِم به زاعمًا أنّ الذكر به بدعة وأنه لا يشتمل على جملة مفيدة مثل الأذكار الواردة نحو: «لا إله إلا الله، والحمد لله، والله أكبر»، وإلى غير ذلك، وقد تولَّى الرد على هذا الاعتراض مولانا الشيخ الإمام الوالد -رضي الله عنه- في بحثٍ وافٍ كافٍ ننقله بنَصّه من مجموعة فتاواه وبحوثه في علوم مختلفة.

قال -تغمده الله برضوانه-: «الحمد لله، ما نقله الحطاب آخر باب الردّة مِن شرحه لـ"مختصر خليل" مِن أنَّ عزَّ الدين بن عبدالسلام سُئل عمَّن يذكر بصيغة: «الله الله» مقتصرًا على ذلك، هل هو مثل: سبحان الله، والحمد لله؟ إلخ. فأجاب بقوله: «هذه بدعة لم تُنقل عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ولا عن أحد السلف...» إلخ.

مردود من وجوه:

أولها: ما ورد في "صحيح مسلم"، من قوله عليه الصلاة والسلام: « **لا تقوم الساعة حتى لا يَبْقى من يقول: الله الله**» وفي رواية له: «**حتى لا يقول أحد: الله الله**»، فإنّ هذا الحديث الشريف شاهد لذكره وتكراره كما ترىٰ، ولا سيما علىٰ رواية النصب، وقد ردَّ جماعةٌ مِن المحقِّقين به علىٰ ابن عبدالسلام، منهم: سيدي عبدالقادر الفاسي، والعارف الشعراني، وابن عبدالسلام بناني، وجماعة يطول ذكرهم.

ثانيها: أنّا لا نُسَلِّم أنَّ الذكر لا يكون إلا جملة، فقد قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]بناء علىٰ أنَّ المُراد بالدعاء الذكر والتسمية.

ثالثها: أنّا وإنْ سلَّمْنَا أنَّ الذكر إنما يكون جملة، فقَوْل الذاكر: «الله الله»، جملةً تقديرًا، إذ معناه: يا الله، أو الله أعظم، أو الله أكبر، أو نحو ذلك، وحذف النداء مع غير المندوب والمُضْمَر والمُسْتَغاث جائز اتفاقًا، كما في الألفية.

رابعها: ما ورد في بعض الأحاديث من أنَّ العبد إذا قال: الله، يشهد له كل من يسمعه. ذكره ابن زكري، والعهدة عليه.

خامسها: تواطُؤ السادات الصُّوفية علىٰ ذكره والاستهتار به -أي الولوع به- سلفهم وخلفهم، وهم من الصِّدِّيقين، وقد قالوا: «إذا اختَلَفَت أقاويل العلماء فعليك بما قاله الصِّدِّيقون منهم»، لمزيد نورهم وكمال عرفانهم وقربهم من الله ورسوله، والسادات الصُّوفية لا خلاف عندهم في ذكره، بل لا يصح

عندهم الفتح والسير في المقامات إلا بواسطته، ولهم فيه تآليف وترتيبات على حسب الأحوال والمقامات.

قال العارف المحقق شهاب الدين أحمد الغزالي: «ما دمت ملتفتًا إلى ما سوى الله، فلابد لك من النفي والإثبات بلا إله إلَّا الله، وما دمت تعتمد على رياسة العلم والجاه، فلابد لك من النفي والإثبات بلا إله إلَّا الله، وما دمت ترى في الوجود سواه، فلابد من لا إله إلَّا الله، فإذا غبتَ في الكلِّ عن الكلِّ، استوحشت من نفي لا إله، ووقفت على إثبات إلا الله، ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١].

وقال العارف الشعراني في "المنن": «ومما منّ الله به عليَّ، مواظبتي -أول دخولي لطريق القوم- على ذكر الله بلفظ الجلالة الله، أربعًا وعشرين ألف مرة كل يوم وليلة، على عدد الأنفاس الواقعة في الليل والنهار، ليكون حُكْمي -إن شاء الله- حُكم مَن لَم يغفل عن الله نفسًا واحدًا، ثم قال: قال الشيخ محيي الدين: وينبغي لمن يذكر الله بلفظ الجلالة أن يحقق الهمزة ويُسَكِّن الهاء، فإن فتح الهاء وأسقط الهمزة ووصل الهاء باللام المدغمة، كان تلفظه بها كتلفظه بكلمة: هلا، فلا يُفتح عليه بشيءٍ، لأنه تعالى ما هو مُسمى بذلك الاسم ثم قال: وصورة الذكر بالجلالة أن يقول: «الله الله»، حتى ينقطع نَفَسُه».اهـ

وذكر أبو علي الدقَّاق أنَّ رجلًا كان يقول: «الله الله» دائمًا، فأصاب حجر رأسه فشجه فقطر منه الدم وكتب على الأرض: «الله الله».

وبقي النوري في منزله سبعة أيام لم يأكل ولم يشرب ولم ينم وهو

يقول: «الله الله الله»، فأُعلم الجُنيد بذلك فقال: انظروا أمحفوظة عليه أوقاته أم لا؟ فقالوا له: إنه يصلِّي الفرائض، فقال: الحمد لله الذي لم يجعل للشيطان عليه سبيلًا.

وسُئل الشبلي: لم تقول: «الله الله»، ولا تقول: لا إله إلَّا الله؟ فقال: لا أبغي له ضدًّا، فقال السائل: أريد أعلىٰ مَن هذا، فقال أخشىٰ أن أوخذ بين وحشية النفي والإثبات، فقال أريد أعلىٰ من هذا فقال: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١] فزعق السائل ومات، فتعلق أولياؤه بالشبلي فقال لهم: روح دُعِيت فسمعت، فلبَّت وأجابت، فما ذنبي؟ فقال الخليفة: خلّو سبيله، لا ذنب له.

قال العارف أبو الوفاء: «وتعليل هذا المذهب أنَّ نفي الشيء إنما يحتاج إليه عند حضور ذلك الشيء بالبال، فمن لا يخطر بباله شريك لا يُكلَّف نفي الشريك، والكامل لا يخطر بباله ولا بخياله إلَّا الله، فيكفيه أن يقول: الله الله».اهـ

وقال القطب الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه: «ليكن ذكرك: الله الله، فإن هذا الاسم سلطان الأسماء، وله بساط وثمرة، فبساطه العلم، وثمرته النور، وليس النور مقصودًا لذاته بل لما يقع به من الكشف والعيان، فينبغي الإكثار من ذكره واختياره علىٰ سائر الأذكار، لتَضَمُّنه لجميع ما في لا إله إلَّا الله من العقائد والعلوم والآداب والحقوق، فإنه يأتي في: (الله)، وفي: (هو)، ما لا يأتي في غيرهما من الأذكار».اهـ

قال الشيخ زروق: «ولهذا اختاره المشايخ ورجَّحوه علىٰ سائر الأذكار، وجعلوا له خَلَوَات، ووصلوا به إلىٰ أعلىٰ المقامات والولايات، وإنْ كان منهم من اختار في الابتداء: لا إله إلا الله، وفي الانتهاء: الله الله».اهـ

وقال ابن حجرٍ في "الفتاوىٰ الحديثية": «ذكر لا إله إلَّا الله أفضل مِن ذكر الجلالة مطلقًا بلسان أهل الظاهر، وأما عند أهل الباطن فالحال عندهم يختلف باختلاف حال السالك، فمن هو في ابتداء أمره ومقاساة شهود الأغيار وعدم انفكاكه عن التعلُّق بها يحتاج إلىٰ النفي والإثبات حتىٰ يستولىٰ عليه سلطان الذكر، فإذا استولىٰ عليه فالأولىٰ له لزوم الإثبات أعني: الله الله».اهـ باختصار.

وقال الجنيد: «ذاكر هذا الاسم ذاهبٌ عن نفسه متصلٌ بربه قائمٌ بأداء حقِّه ناظرٌ إليه بقلبه، قد أحرقت أنوار الشهود صفات بشريته».اهـ

قال الشيخ محيي الدين: «ومن أراد أنْ يُفتح عليه بذكر هذا الاسم الشريف، فليتخذ خلوة وليترك سائر الأذكار والأوراد غيره، ولا يذكره من حيث أنه يدل علىٰ العين فقط، بل لابد أنْ يستحضر أنه يذكر من لا تحصره الأكوان، ومَنْ له الوجود المطلق التام، فبهذا الاستحضار تحصل الثمرة، التي هي النور الذي يقع به الشهود والعيان، وهذا الاستحضار هو المعبَّر عنه بالبساط».اهـ

وفي صلاة القطب مولانا عبدالسلام بن مشيش: «الله الله الله». ثلاث مرات، أفيجترئ أحدٌ أنْ يفوه في ذلك بعيب أو طعن وريب؟! كلا، وكيف وأصول الشريعة لا تأباه، ولا تدل علىٰ خروجه عن ذكر الله لفظًا ولا معنىٰ، إلىٰ غير هذا من نصوص أولياء الله الدالة علىٰ استحباب ذكره.

قال شيخ الشيوخ سيدي عبدالقادر الفاسي -بعد كلام في هذا المعنىٰ-: «ولا يخفىٰ هذا علىٰ من له ممارسة باصطلاحهم، فيكفينا التسليم والتصديق لما قصرت عنه مداركنا من مذاهبهم:

فاشْدُدْ يَدَيْكَ على تَسْلِيمِ ما فَعَلُوا وظنَّ خيرًا ولا تَعْبَأْ بمَنْ عَذَلا

إذ التصديق بطريقهم ولاية، والاعتراض عليهم جناية، قال: وليس في كلام عزّ الدين تصريح بإنكار أو بغيره، بل غاية ما قال: أنه لم يُنقَل عن السلف، وكم من أشياء لم تنقل عن السلف وهي مشروعة، إذ البدعة تنقسم إلى الأقسام الخمسة كما هو معلوم، فلا ينبغي الإنكار على من يذكر هذا الاسم الشريف، ولا التوقف فيه».اهـ كلام سيدي عبدالقادر الفاسي، وهو وحده كافٍ في رد كلام ابن عبدالسلام، والله تعالى أعلم».اهـ

قلت: ثبت عن بلال رضي الله عنه الذكر بالاسم المفرد، قال أبو داود: قُرئ على سلمة بن شبيب وأنا شاهد، قال: حدَّثنا عبدالرزاق: حدّثنا مَعْمَر، عن عطاء الخراساني قال: كنت عند سعيد بن المُسيّب فذكر بلالًا فقال: كان شحيحًا على دينه، فإذا أراد المشركون أن يقاربهم قال: «الله الله»، وذكر بقية الحديث في شراء أبي بكر رضي الله عنه بلالًا وإعتاقه.

وثبت عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «كان أول من أظهر الإسلام سبعة، رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وأبو بكر، وعمار، وأُمُّه سمية، وصُهيب، وبلال، والمقداد، فأما رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر رضي الله عنه فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون، فألبسوهم أدرع الحديد، وأصهروهم في الشمس، فما منهم إنسان إلا وقد واتاهم على ما أرادوا، إلا بلالًا فإنه هانت عليه نفسه في الله، وهان على قومه، فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة، وهو يقول: أحد أحد».

وهذا خبر مشهور، وَرَدَ في كتب السيرة بطرق، فكيف يقال بعد هذا: إنّ الذكر بالاسم المفرد لم ينقل عن السلف؟! على أنّ الأوامر التي حضّت على ذكر الله في الكتاب والسنّة -وهي كثيرة- تشمل الذكر بالاسم المفرد لا محالة، فاشتراط وروده بعينه -رغم شمول مطلق الأوامر له- تعسُّف يأباه الإنصاف، ونريد أن نقول -زيادة على ما تقدم-: أنّ الشارع أَذِنَ في إنشاء أذكار من بنات أفكار الذاكر، بل حضَّ عليها: فروى الطبراني في "الأوسط" بسندٍ جيد -كما قال الحافظ الهيثمي- عن أنس: أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مَرَّ بأعرابيّ وهو يدعو في صلاته ويقول: يا من لا تراه العيون، ولا تخالطه الظنون، ولا يصفه الواصفون، ولا تغيره الحوادث، ولا يخشى الدوائر، يعلم مثاقيل الجبال، ومكاييل البحار، وعدد قطر الأمطار، وعدد ورق الأشجار، وعدد ما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار، لا تواري منه سماء سماء، ولا أرض أرضًا، ولا بحر ما، في قعره، ولا جبل ما، في وَعرِه، اجعل خير عمري آخره، وخير عملي خواتيمه، وخير أيامي يوم ألقاك فيه. فلما فرغ من صلاته، دعاه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وَوَهَبَ له ذهبًا أُهدِي له من بعض المعادن، وقال: «**وهبتُ لك الذَّهبَ بحُسْنِ ثنائِكَ على الله عزَّ وجلَّ**».

فتأمَّل هذا الحديث، تجده يأذن في إنشاء أذكار وأدعية، من غير تقيد بالوارد، بل يمكننا أن نقول: كل ما أنشأه الصوفية من أذكار وأوراد وأدعية، فهو من قبيل الوارد لدخوله في عموم هذا الحديث، وبالله التوفيق.

موقف العلماء من الصوفية

علمتَ -فيما سبق أول الكتاب- أن الدين ينبني على ثلاثة أركان: الإيمان، الإسلام، الإحسان، وأنّ التصوّف هو مقام الإحسان، وأنّ المقامات والأحوال التي يتكلَّم فيها الصوفية كلها واردة في الكتاب أو السنّة بالعبارة الصريحة أو الإشارة الواضحة، وأنّ الصحابة -خصوصًا منهم أهل الصُّفَّة- كانوا متخلِّقين بأخلاق الصوفية، وكذلك التابعون وتابعوهم وهَلُمَّ جَرا، وعلى هذا: فلا عجب أنْ يكون موقف علماء المسلمين من الصوفية موقف التأييد والتعاضد والمساندة، وكان الأئمّة أهل الفقه والكلام، وأكابر أعلام الإسلام -كما يقول الحافظ السيوطي- يصحبون أهل الطريق، ويحضرون مجالس وعظهم ويبالغون في الثناء عليهم، وينقلون عباراتهم وإشاراتهم في دروسهم وتصانيفهم.

وإليك بعض الأدلة على ذلك:

١- نقل الإمام زروق في قواعده، والتتائي: عن الإمام مالك أنه قال: «مَن تصوَّف ولم يتفقَّه فقد تزندق، ومَن تفقَّه ولم يتصوَّف فقد تفسَّق، ومَن جمع بينهما فقد تحقَّق».اهـ

فانظر كيف اعتبر الإمام مالك رضي الله عنه التصوّف والفقه جزأين متلازمين لا يتم أحدهما إلا بالآخر.

٢- قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: «صحبت الصوفية، فلم أستفد منهم سوى حرفين، وفي رواية: سوى ثلاث كلمات، قولهم: «الوقت سيف إنْ

لم تقطعه قطعك»، وقولهم: «نفسك إنْ لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل»، وقولهم: «العدم عصمة». نقله الحافظ السيوطي وغيره، والإمام الشافعي يعدُّه الصوفية من الأبدال.

٣- روى الحاكم، والخطيب-بسند صحيح- عن إسماعيل بن إسحاق السرَّاج قال: قال لي أحمد بن حنبل: يبلغني أنَّ الحارث هذا -يعني المحاسِبي- يُكْثِر الكَوْن عندك، فلو أحضرته منزلك وأجلستني في مكان أسمع كلامه، ففعلتُ، وحضر الحارث وأصحابه، فأكلوا وصلُّوا العتمة، ثم قعدوا بين يدي الحارث وهم سكوت إلى قريب نصف الليل، ثم أخذ الحارث في الكلام، وكأنَّ على رؤوسهم الطير، فمنهم من يبكي، ومنهم من يخرّ، ومنهم مَن يزعق، وهو في كلامه، فصعدتُ الغرفة فوجدت أحمد قد بكى حتى غُشِي عليه، فلما تفرَّقوا، قال أحمد: ما أعلم أني رأيت مثل هؤلاء، ولا سمعت في علم الحقائق مثل كلام هذا، وعلى هذا، فلا أرى لك صحبتهم».اهـ

قال الحافظ ابن حجرٍ في "تهذيب التهذيب": «إنما نهاهُ عن صحبتهم لعلمه بقصوره عن مقامهم، فإنه مقام ضيِّقٌ لا يسلكه كل أحد، ويخاف على مَن يسلكه ألَّا يوفيه حقَّه».اهـ

وقال الحافظ الخطيب أيضًا في "تاريخ بغداد": أخبرنا أبو عبدالرحمن إسماعيل بن أحمد الحيري: أنبأنا محمد بن الحسين السلمي قال: سمعت محمد بن الحسن البغدادي يحكي عن ابن الأعرابي قال: قال أبو حمزة: «كان الإمام أحمد بن حنبل يسألني في مجلسه عن مسائل ويقول: ما تقول فيها يا صوفيّ؟».

قلت: كفى بهذا القول من الإمام أحمد ردًّا على مُـقلِّديه، كابن تيمية

وأذنابه الذين ينكرون على الصوفية، ويرمونهم بالكفر والإلحاد.

هذا، وأما ما اشتهر بين كثير من الناس أنّ الشافعي وأحمد اجتمعا بشيبان الراعي وسألاه عن أشياء في الصلاة والزكاة، فليس بصحيح، لأن الإمامين لم يدركا زمن شيبان، بل كانا بعده كما في "المقاصد الحسنة" للحافظ السخاوي.

٤- كان أبو العباس بن سُريج -أحد أئمة الشافعية- يحضر مجلس الجُنيد ويسمع كلامه، ويقول: «أشهد أنّ لهذا الكلام صولةٌ ليست بصولة مبطل».

وروى القُشيري في "الرسالة"، والخطيب في "تاريخ بغداد"، من طريق أبي الحسين علي بن إبراهيم الحداد قال: «حضرت مجلس أبي العباس بن سريج فتكلَّم في الفروع والأصول بكلامٍ حسنٍ أُعجبت به، فلما رأى إعجابي قال: هذا ببركة مُجالستي لأبي القاسم الجُنيد».

٥- ذو النون المصري أحد أئمة الصوفيّة وعظمائهم، قال الحافظ أبو سعيد بن يونس في "تاريخ مصر": «كان عالمًا، فصيحًا، حكيمًا، أصله من النوبة، وقال الحافظ مسلمة بن قاسم: كان رجلًا صالحًا، زاهدًا، عالمًا، ورعًا، متفننًا في العلوم، واحدًا في عصره، ولم يَسْلَم من نقد الجَهلة واعتراضاتهم، ولهذا قال الحافظ الذهبي في "الميزان": كان -ذو النون- ممن امتحِن وأوذي، لكونه أتاهم بعلمٍ لم يعهدوه، كان أول من تكلَّم بمصر في ترتيب الأحوال في مقامات الأولياء، فقال الجهلة: هو زنديق، قال السلمي: لما مات أَظَلَّت الطيور جنازته».اهـ

ومثله في"لسان الميزان" للحافظ ابن حجرٍ العسقلاني، وهذه الشهادة من هذين الحافظين الكبيرين تدمغ أعداء الصوفية -خصوصًا الحانقين- بالجهل.

٦- ذكر التاج السُّبكي في "طبقات الشافعية": عن ابن السمعاني أنه روىٰ بسنده: أنّ أبا القاسم القشيري -صاحب الرسالة القشيرية- حجّ سنةً من السنين، وقد حجّ في تلك السنة أربعمائة نفس من قضاة المسلمين وأئمتهم من أقطار البلاد وأقاصي الأرض، فأرادوا أن يتكلَّم واحد منهم في حرم الله، فاتفق الكل علىٰ الأستاذ أبي القاسم، فتكلَّم هو باتفاقٍ منهم.

٧- ذكر التاج السُّبكي أيضًا، أنَّ الأئمة كانوا يحضرون مجالس أبي نصر عبدالرحيم بن أبي القاسم القشيري، وهو صوفي كأبيه، وممن كان يحضر دروسه في الكلام: الإمام أبو إسحاق الشيرازي فقيه العراق، وشيخ الشافعية علىٰ الإطلاق، قال السُّبكي أيضًا: «ومما عُظِّم به أبو نصر: أنّ إمام الحرمين -وهو عصريه- نقل عنه في "كتاب الوصية" من "النهاية" وهذا فخار لا يعدله شيء».اهـ

٨- قال الشيخ تاج الدين ابن عطاء الله -وهو من فقهاء المالكية ومشايخ الصوفية- في كتاب "لطائف المنن": «سمعت الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد -وهو إمامٌ مجتهد- يقول: ما رأيت أعرف بالله من الشيخ أبي الحسن الشاذلي، وقال أيضًا: وأخبرني الشيخ مكين الدين الأسمر، قال: حضرت بالمنصورة في خيمة فيها الشيخ عزُّ الدين بن عبدالسلام، والشيخ مجد الدين علي بن وهب القُشيري -هو والد تقي الدين بن دقيق العيد -والشيخ مجد الدين الإخميمي، والشيخ محيي الدين بن سراقة، والشيخ أبو الحسن الشاذلي، ورسالة القشيري تُقرأ عليهم وهم يتكلَّمون، والشيخ أبو الحسن صامت، إلىٰ أنْ فرغ كلامهم، فقالوا: يا سيدي نريد أنْ نسمع كلامك، فقال: أنتم سادات

الوقت وكبراؤه، وقد تكلَّمتم، فقالوا: لابد أنْ نسمع منك، فسكت الشيخ ساعة، ثم تكلَّم بالأسرار العجيبة والعلوم الجليلة، فقال الشيخ عزُّ الدين - وقد خرج من صدر الخيمة وفارق موضعه-: اسمعوا هذا الكلام الغريب، القريب العهد من الله».اهـ

قلت: كان اجتماع هؤلاء الأعلام في المنصورة سنة (٦٤٨هـ) لحضور المعركة الفاصلة بين المسلمين والصليبين، وقد انتهت بانكسارهم وأُسر لويس التاسع ملك فرنسا، ويؤخذ من هذه القصة احترام العلماء -خصوصًا سلطان العلماء وتلميذه ابن دقيق العيد- للصوفية في شخص أبي الحسن الشاذلي زعيم الطائفة ومُجدد رسومها، كما يؤخذ منها اشتراك الصوفية في الواجبات الدينية كالجهاد وغيره مما يعود على المجتمع الإسلامي بالخير العميم، وإذا لاحظنا أن الشاذلي حضر تلك المعركة بعد أنْ كُفَّ بصره، وجاء يسعى إليها من الإسكندرية، علمنا ما كان يأخذ به الصوفية أنفسهم من التمسك بعزائم الأمور، ومَشاق الأشياء، ولا غَرْو في ذلك، فهم أهل عزيمة صادقة، وهمة خارقة، وحزمٍ لا يلين، وجدٍ في العمل والدأب متين، وكأنما عناهم الشاعر بقوله:

على قَدْرِ أهلِ العَزْمِ تأتي العزائمُ وتأتي على قَدْرِ الكرامِ المَكارِمُ
وتَعْظُمُ في عينِ الصَّغيرِ صِغَارُهَا وتَصْغُرُ في عينِ العظيمِ العَظائِمُ

٩- كان العلماء الأجلاء يحضرون دروس تاج الدين بن عطاء الله السكندري، وكانت حلقات دروسه في الأزهر أرحب الحلقات، يرتادها أعظم الجماعات، وممن أخذ عنه طريق الشاذلية وتخرج به في التصوف: الإمام

الحافظ المجتهد قاضي القضاة تقي الدين السُّبكي، وقرأ عليه كتاب "الحكم" له، وقال فيه: «إنه متكلِّم الصوفية على طريق الشاذلية».

وعلى ذكر كتاب "الحكم" نقول: إنّ العلماء اعتنوا به قراءةً وشرحًا ونظمًا، فكان يُدَرّس في الأزهر إلى عهد قريب، وآخر مَنْ أَقرأه: شيخنا عالِمُ مصر ومفتيها، الشيخ محمد بخيت المطيعي الحنفي رحمه الله، وكان يُدَرِّس أيضًا بجامع القرويين بفاس، وهو أكبر معهد علمي بشمال أفريقيا، بُني قبل الأزهر بخمسين سنة، وحضر فيه أئمة أعلام مثل: ابن خلدون، والمُقري صاحب "نفح الطيب"، أمّا شروح الحكم فلا تكاد تُحصى كثرة، ولقد شرحه الشيخ زروق ثلاثين شرحًا، وشرحه العلامة المحقق الشيخ الطيب بن كيران شرحًا مؤَيَّدًا بالسُّنَّة، فأعقب كل حِكمةٍ بحديثٍ يؤيِّد معناها، وهو شرحٌ نفيسٌ يقع في مجلدين، ومن شروح الحكم: شرح جدنا الإمام، الولي الكبير، والقطب الشهير، أبي العباس أحمد بن عجيبة الحسني المتوفى سنة (١٢٢٤هـ)، وهو شرحٌ عظيمٌ، يقلُّ نظيره بين الشروح على كثرتها، ونَظَم "الحِكَم" جماعة كثيرون، منهم شقيقنا الأكبر الحافظ أبو الفيض السيد أحمد بن الصديق، وفي "دائرة المعارف الإسلامية" أنّ "الحكم" تُرجمت وشُرحت باللغة التركية وغيرها.

١٠- ذكر العلامة القاضي أبو عبدالله محمد الطالب ابن الحاج في "حاشية المرشد المعين" -وهو منظومة في التوحيد والفقه المالكي والتصوف-: «أنّ غالب من يشار إليه من علماء الظاهر، ممن له تميز وشفوف ونبوغ في الحفظ

والإتقان، إنما نال بمخالطة بعض العارفين، كابن سُريج بمخالطة الجُنيد، والعز بن عبدالسلام بمخالطة أبي الحسن الشاذلي، والتقي بن دقيق العيد بمخالطة أبي العباس المرسي».اهـ

والأدلة كثيرة جدًّا على أنَّ العلماء كانوا يعتبرون التصوَّف مِن الدِّين، ويعدُّون الصوفيّة مِنَ الصفوة المُختارين.

تمَّ بحمد الله

وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربِّ العالمين.

وصلِّ اللهمَّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه الطَّيبين الطَّاهرين.

٢- حُسْنُ التلطُّفِ
في بيانِ وجوبِ سلوكِ التصوُّفِ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي منحَ أولياءَهُ جَزيلَ عطائِهِ، ووهبَ أصفياءَهُ جليلَ حِبائِهِ، تجلَّىٰ لهم بمظهرٍ مِن مظاهرِ أسماءِهِ، فتاهت عقولهم في مشاهدة عظمته وكبريائه، وطافت أرواحهم هائمةً في قُدسِ سَنائِهِ، وأفناهم عن أنفسهم فلم يشاهدوا سِواه في أرضه وسَمائِهِ، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له شهادةً ندَّخرها ليوم لقائه، ونستوجِب بها جميل جَزائه، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّدًا عبده ورسوله أفضل رُسُله وأنبيائه، أفاض عليه مولاه من أنواع العلوم والمعارفِ ما تَنوء الجبالُ الشُمُّ بحمل أعبائه، صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم صلاةً وسلامًا خالدَيْن مع خلود الدهر باقيَيْن بعد فنائه، ورضي الله عن آله الكرام حُماة الدِّين الدافعين عنه بالسيف والبرهان حملات أعدائه، وعن أصحابه الفِخام، والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ قيام الساعة وساعة القيام.

أما بعد: فإنَّ التصوف كبيرٌ قَدْرُه، جليلٌ خطره، عظيمٌ وَقْعُه، عميقٌ نَفْعُه، أنواره لامعة، وأثماره يانعة، واديه قريعٌ خصيب، وناديه يندو لقاصديه من كل خير بنصيب، يُزَكِّي النَّفس من الدَّنَس، ويُطَهِّرُ الأنفاسَ من الأرجاس، ويُرقِّي الأرواح إلىٰ مراقي الفلاح، ويُوصِلُ الإنسانُ إلىٰ مرضاة الرحمن.

وهو إلىٰ جانب هذا ركن من أركان الدين، وجزء متممٌ لمقامات اليقين، خلاصته: تسليم الأمور كلها لله، والالتجاء في كل الشؤون إليه، مع الرضا بالمقدور، من غير إهمال في واجب أو مُقاربة محظور.

كثرت أقوال العلماء في تعريفه، واختلفت أنظارهم في تحديده وتوصيفه،

وذلك دليل على شرف اسمه ومُسمَّاه، يُنبئ عن سموِّ غايته ومرماه.

فقيل: «التصوف: الجِدُّ في السلوك إلى ملك الملوك».

وقيل: «التصوف: الموافقة للحق، والمفارقة للخَلق».

وقيل: «التصوف: ابتغاء الوسيلة إلى منتهى الفضيلة».

وقيل: «التصوف: الرغبة إلى المحبوب في درك المطلوب».

وقيل: «التصوف: حفظ الوفاء وترك الجفاء».

إلى غير هذا من الأقوال التي تبلغ نحو ألفٍ، حكاها الحافظ الصوفيُّ أبو نعيمٍ الأصفهانيُّ في كتابه "حِليةُ الأولياء".

وسُئل الإمام أبو القاسم الجُنيد -سيِّد الطائفة- عن التصوف، فقال: «تصفية القلب عن موافقة البَرِيّة، ومفارقة الأخلاق الطبيعية، وإخماد صفات البشريّة، ومجانبة الدواعي النفسانية، ومنازلة الصفات الروحانية، والتعلُّق بالعلوم الحقيقية، واستعمال ما هو أولى على الأبديّة، والنُصح لجميع الأمة، والوفاء لله على الحقيقة، واتّباع الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في الشريعة».اهـ

ولعل هذا أبلغ ما قيل في التصوف وكَشْف حقيقته.

وإنْ كانت الأقوال السابقة مختلفة في اللفظ والمبنى، فهي متفقة في الغاية والمعنى، وإنما عبَّر كلُّ قائل بحسب مَدْرَكِه ومشرَبِه.

وعلى نحو اختلافهم في التصوف اختلفوا في معنى الصوفي واشتقاقه، فقال الإمام أبو عليٍّ الرُّوذَبارِيُّ -وقد سُئل عن الصوفي-: «من لبس الصوفَ على الصَفا، وأطعمَ الهوى ذوقَ الجفا، وكانت الدنيا منه على القفا، وسلك

منهاج المصطفى صلَّى الله عليه وآله وسلَّم».

وقال الإمام سهل بن عبدالله التُّسْتَرِيُّ: «الصوفي من صفا عن الكَدَر، وامتلأ من الفِكَر، وانقطعَ إلى الله من البشر، واستوى عنده الذهب والمَدَر».

وأنشد الإمام تقي الدين السُّبكي:

تنازع النَّاسُ في الصُّوفيِّ واختلفوا ... قِدْمًا وظنُّوه مُشْتقًّا مِن الصُّوفِ

ولستُ أَنْحَل هذا الاسمَ غير فتًى ... صافى فصُوفِي حتَّى لُقِّبَ الصُّوفِي

وهذان البيتان لأبي الفتح البُستي.

وقال العلامة الشيخ محمد ميارة المالكي في "شرح المرشد المعين": «وفي اشتقاق التصوّف أقوال، إذ حاصله اتصافٌ بالمحامد وترك للأوصاف المذمومة، وقيل: من الصفاء».

وقال المحقق أبو حفص الفاسي المالكي: «ظهر لي أنه منسوب إلى الصوف، لأنه في الغالب شِعاره ودِثاره، ولأن هذا اللفظ -يعني لفظ صوفي- مشتمل على ثلاثة أحرف منقطعة من ثلاث كلمات دالة على ثلاث معان هي أوصافه المختصة به: فالصاد من الصفاء، والواو من الوفاء، والفاء من الفناء».

قال العلامة ابن الحاج: وقد أشرت إلى ذلك في ثلاثة أبيات، فقلت:

صَفا منهلُ الصُّوفيِّ عن عِلَلِ الهوى ... فما شابَ ذاك الوردَ مِن نفسِهِ حَظُّ

ووَفَى بعهدِ الحبِّ إذ لم يكن له ... إلى غير مَن يهوى التفاتٌ ولا لحظُ

مَحَتْ آيةَ الإظلامِ شمسُ نهارِهِ ... وقد ذهبتْ منه الإشارةُ واللفظُ

إلى غير ذلك من الأقوال التي تجدها مسطورةً في كتب القوم.

فصل

والتَّصوُّف مبنيٌّ على الكتاب والسنَّة كما قال الجنيد: «عِلمنا هذا مُشيَّد بالكتاب والسنَّة». وقال أيضًا: «الطَّريق إلى الله تعالى مسدودٌ على خلقه إلا المقتفين آثار رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم».

وقال التَّاج ابن السُّبكي في "جمع الجوامع": «ونرى أنَّ طريق الشَّيخ الجنيد وصحبه طريقٌ مُقوَّمٌ».

قال جلال الدين المحليُّ في "شرحه": «فإنَّه خالٍ من البدع دائرٌ على التَّسليم والتَّفويض والتَّبري من النَّفس».

وقال سهل بن عبدالله -أحد أئمَّة القوم: «أصولنا سبعة أشياء: التمسُّك بكتاب الله سبحانه وتعالى، والاقتداء بسنَّة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وأكل الحلال، وكفُّ الأذى، واجتناب المعاصي، والتَّوبة، وأداء الحقوق».

وقال أبو العبَّاس أحمد المُلثَّم -أحد أئمَّة القوم: «لم تكن الأقطاب أقطابًا، والأوتاد أوتادًا والأولياء أولياءً، إلَّا بتعظيمهم رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ومعرفتهم به وإجلالهم لشريعته وقيامهم بآدابه».

وقال شيخ الشّيوخ أبو الحسن الشَّاذليُّ الغُمَاريُّ رضي الله عنه: «من دعا إلى الله تعالى بغير ما دعا به رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فهو مُدَّع».

وقال أيضًا: «ليس هذا الطّريق بالرَّهبانيَّة ولا بأكل الشَّعير والنُّخَالة وإنَّما هو بالصَّبر على الأوامر واليقين في الهداية قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً

يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤].

وقال أيضًا: «ما ثَمَّ كرامة أعظم من كرامة الإيمان ومتابعة السُّنَّة فمن أُعطيهما وجعل يشتاق إلى غيرهما فهو عبدٌ مفترٍ كذَّابٌ، أو ذو خطإٍ في العلم بالصَّواب كمن أُكرم بشهادة الملك فاشتاق إلى سياسة الدَّوابِّ».

ونصوصهم في هذا المعنى كثيرةٌ جدًّا يعسر تتبُّعها.

وحكى العارف الشعرانيُّ في مقدِّمة "الطبقات": «إجماع القوم على أنَّه لا يصلح للتصدُّر في طريق الله -عزَّ وجلَّ- إلا من تبحَّر في علم الشريعة وعلم منطوقها ومفهومها، وخاصَّها وعامَّها، وناسخها ومنسوخها، وتبحَّر في لغة العرب حتَّى عرف مجازاتها واستعاراتها وغير ذلك». اهـ

والحكمة في هذا الإجماع الذي حكاه الشعرانيُّ ظاهرةٌ؛ لأنَّ الشخص إذا تصدَّر للمشيخة، والإرشاد اتَّخذه المريدون قُدوةً لهم ومَرجعًا يرجعون إليه في مسائل دينهم وغيرها فإذا لم يكن مُتقنًا لعلم الشَّرع مُتبحِّرًا فيه أَضَلَّ المريدين بفتواه فأحلَّ لهم الحرام وحرَّم عليهم الحلال وهو لا يَشعر، وقد تَعرُض لأحد المريدين مسألةٌ عويصةٌ في الطلَّاق، أو البيوع، أو الميراث، ويرجع فيها إلى شيخه الذي لا يُتقن الشَّرع فيفتيه بما يتراءى له فيقع الشَّيخ والمريد في الخطأ والضَّلال وهما لا يشعران.

وأيضًا فأغلب البدع والخرافات إنَّما دخلت في الطّريق بسبب المشايخ الذين تصدَّروا بغير علمٍ، ونصَّبوا أنفسهم للإرشاد من غير أن يكونوا مُستحقِّين لهذا المنصب الجليل؛ ولولا ذلك لبقي الطَّريق نقيًّا سليمًا كحاله على عهد الجنيد وبشر الحافيِّ والحارث بن أسد المحاسبيِّ وأضرابهم.

فصل

ولكون التَّصوف مبنيًّا على الكتاب والسنَّة دخل فيه عُظماء العلماء، وانضمَّ إلى زُمرة أهله فُحولٌ من الكبراء: كالحافظ أبي نعيمٍ، والإمام عزِّ الدين بن عبدالسَّلام، والحافظ ابن الصَّلاح، والإمام النوويِّ، وتقيِّ الدِّين السُّبكي، وابنه تاج الدِّين السُّبكي، والحافظ السُّيوطيِّ، وغيرهم.

قال الشَّافعيُّ: «صحبت الصُّوفيَّة فاستفدت منهم كلمتين: قولهم: الوقت سيفٌ إن لم تقطعه قطعك. وقولهم: نفسك إن لم تشغلها بالحقِّ شغلتك بالباطل».اهـ

وتكلَّم أبو العبَّاس ابن سُريج في درسه مرَّةً بكلامٍ حسنٍ أعجب الحاضرين فقال: «هذا ببركة مُجالستي لأبي القاسم الجنيد».

وقال شيخ الإسلام زكريَّا الأنصاري -وهو صوفيٌّ-: «إذا لم يكن للفقيه علم بأحوال القوم واصطلاحاتهم فهو فقيهٌ جافٌّ».

وكان الإمامُ الكبير أبو المحاسن يوسف الفاسيُّ -أحد رجال سلسلة الطَّريقة الصِّديقيَّة- تلميذ القطب الكبير سيِّدي عبدالرحمن المجذوب وعلى يديه فُتح عليه وصار جامعًا بين العلم والولاية، وكذلك العلَّامة الإمام عبدالواحد بن عاشر الأنصاريُّ كان تلميذًا للعارف الكبير الشيخ محمَّد التجيبيِّ الشَّهير بابن عزيز.

قال العلَّامة ابن الحاج: «وغالب من يُشار إليه من علماء الظَّاهر ممَّن له تميُّز وشُغُوف ونُبوغ في الحفظ والإتقان إنَّما نال بمخالطة بعض العارفين، كابن

سُريج بمخالطة الجنيد، والعزِّ بن عبدالسَّلام بمُخالطة أبي الحسن الشَّاذليِّ، والتَّقيِّ ابن دقيق العيد بمُخالطة أبي العبَّاس المرسيِّ». اهـ

وكذلك العلَّامة المحقِّق الشيخ أحمد بن المبارك اللَّمَطي شيخ علماء عصره كان تلميذًا للقطب الكبير سيِّدي عبدالعزيز الدبَّاغ الحسنيِّ، ونقل عنه من المواهب والأسرار ما أثبت بعضه في كتاب "الإبريز".

وهكذا لا تجد عالمًا كبيرًا ومُحقِّقًا شَهيرًا، إلَّا دخل في طريق القوم والتمس البركة من أهلها، ونال الحُظوة بسبب الانتساب إليها، وهذا أمرٌ معلومٌ يُدركه مَن قرأ تراجم العلماء وتتبَّع سيرهم واستقصىٰ أخبارهم، ومن لم يعرف ذلك أو لم يعتد به فهو جاهلٌ مُتعنِّتٌ لا اعتداد به ولا عبرة بما يقول.

فصل

وسلوك طريق التَّصوُّف واجبٌ محتَّمٌ؛ لا يكمل دين المرء إلَّا به، وبيان ذلك من وجوهٍ:

الوجه الأول: أنَّه مقام الإحسان الذي هو أحد أركان الدِّين الثلاثة المُبيَّنة في حديث جبريل الطَّويل، ولا شك أنَّ الدِّين يجب اتِّباعه بجميع أركانه: الإيمان، والإسلام، والإحسان.

وجاء في إحدىٰ فتاوىٰ والدي رضي الله عنه في هذا الموضوع ما نصُّه: «وأمَّا أول من أسَّس الطَّريقة، وهل تأسيسها بوحيٍ، فلتعلم أنَّ الطَّريقة أسَّسها الوحي السَّماويُّ في جملة ما أسَّس من الدِّين المحمَّديِّ؛ إذ هي بلا شك مقام الإحسان الذي هو أحد أركان الدِّين الثلاثة، التي جعلها النَّبيُّ صلَّىٰ الله

عليه وآله وسلَّم بعد ما بيَّنها واحدًا واحدًا دينًا فقال: «**هذا جبريل جاء يُعلِّمكم دينكم**». فغاية ما تدعو إليه الطَّريقة وتُشير إليه هو مقام الإحسان، بعد تصحيح الإسلام والإيمان؛ ليُحرز الداخل فيها والمدعو إليها مقامات الدين الثلاثة، الضَّامنة لمُحرزها والقائم بها السَّعادة الأبديَّة في الدنيا والآخرة؛ والضَّامنة أيضًا لمُحرزها كمال الدِّين فإنَّه -كما في الحديث- عبارةٌ عن الأركان الثلاثة؛ فمن أخلَّ بمقام الإحسان الذي هو الطَّريقة فدينه ناقص بلا شك لتركه ركنًا من أركانه؛ ولهذا نصَّ المحقِّقون على وجوب الدُّخول في الطَّريقة، وسلوك طريق التَّصوُّف وجوبًا عينيًّا، واستدلُّوا على الوجوب بما هو ظاهرٌ عقلًا ونقلًا ولسنا الآن بصدد بيان ذلك.

وقد بيَّن القرآن العظيم من أحوال التَّصوُّف والطَّريقة ما فيه الكفاية، فتكلَّم على المراقبة والمحاسبة والتَّوبة والإنابة والذِّكر والفكر والمحبَّة والتوكل والرِّضا والتَّسليم والزُّهد والصَّبر والإيثار والصِّدق والمجاهدة ومُخالفة الهوى والنَّفس، وتكلَّم عن النَّفس اللَّوامة والأمَّارة والمطمئنَّة، وعلى الأولياء والصَّالحين والصِّديقين والمؤيَّدين، وغير هذا ممَّا يتكلَّم فيه أهل التَّصوُّف والطَّريقة رضي الله عنهم فاعرف وتأمَّل». اهـ وهو نفيسٌ جدًّا.

الوجه الثاني: أنَّ التَّصوُّف هو العلم الذي تكفَّل بالبحث عن عِلل النُّفوس وأدوائها، وبيان علاجها ودوائها؛ لتصل إلى مرتبة الكمال والفلاح وتدخل في ضِمن قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾[الشمس: ٩]ولا شك أنَّ علاج النَّفس من أمراضها وأدرانها أمرٌ يوجبه الشَّرع القويم ويستحسنه العقل السَّليم، ولولا ذلك لما كان هناك فرقٌ بين الإنسان والحيوان.

الوجه الثالث: أنَّ التَّصوُّف عُنِي بتهذيب الأخلاق وتزكيتها،ومخالفة هوى النَّفس والأخذ بعزائم الأمور، والارتفاع بالنَّفس عن حضيض الشَّهوات إلى حيث تتمتَّع بما تورثه الطَّاعة من لذَّة روحية تَصغُر بجانبها كلُّ لذَّةٍ مهما عَظُم قدرها.

الوجه الرابع: أنَّ التَّصوُّف هو خلق الصَّحابة والتَّابعين والسَّلف الصَّالح، الذي أُمِرنا بالاقتداء بهم، والاهتداء بهديهم، وقد بيَّن ذلك والدي رضي الله عنه في فتواه التي نقلنا منها آنفًا، فقال عقب كلامه السَّابق ما نصه: «وأمَّا قولك هل أسست الطريقة...إلخ، فجوابه يُعلم ممَّا قبله، فإنَّها إذا كانت من الدِّين -بل وهي أشرف أركانه- وكانت بوحيٍ كما قلناه، وكان الصَّحابة بالحالة التي بلغتنا عنهم تواترًا من المُسارعة إلى امتثال أمر الله، كانوا بالضَّرورة أوَّل داخلٍ فيها، وعامل بمقتضاها، وذائق لأسرارها وثمراتها، ولهذا كانوا على غاية ما يكون من الزهد في الدنيا، والمجاهدة لأنفسهم، ومحبَّة الله ورسوله والدّار الآخرة، والصَّبر والإيثار والرِّضا والتَّسليم، وغير ذلك من الأخلاق التي يُحبها الله ورسوله، وتوصل إلى قُربها، وهي المُعبَّر عنها بالتَّصوُّف والطَّريقة، وكما كانوا رضي الله عنهم على هذه الحالة الشّريفة كان أتباعهم أيضًا عليها وإن كانوا دونهم فيها وكذلك كان أتباع الأتباع وهلمَّ جرًّا، إلى أن ظهرت البدع وتأخَّرت الأعمال، وتنافس النَّاس في الدنيا وحَيَت النُّفوس بعد موتها؛ فتأخَّرت بذلك أنوار القلوب، ووقع ما وقع في الدِّين وكادت الحقائق تنقلب، وكان ابتداء ذلك في أواخر المائة الأولى من الهجرة، ولم يزل ذلك يزيد سنة بعد سنة، إلى أن وصل ذلك إلى حالةٍ تَخوَّف منها السَّلف الصَّالح على

الدِّين، فانتدب عند ذلك العلماء لحفظ هذا الدِّين الشَّريف، فقامت طائفةٌ منهم بحفظ مقام الإسلام وضبط فروعه وقواعده، وقامت أُخرىٰ بحفظ مقام الإيمان وضبط أُصوله وقواعده علىٰ ما كان عند سلفهم الصَّالح، وقامت أُخرىٰ بحفظ مقام الإحسان وأعماله وأحواله.

فكان من الطَّائفة الأولىٰ الأئمَّة الأربعة وأتباعهم -رضي الله عنهم- وكان من الطَّائفة الثانية الأشعريُّ وأشياخه وأصحابه وكان من الثالثة الجنيد وأشياخه وأصحابه، فعلىٰ هذا ليس الجنيد هو المؤسِّس للطَّريقة لما ذكرناه من أنَّها بوحيٍ إلهيٍّ؛ وإنَّما نسبت إليه لتصدِّيه لحفظ قواعدها وأصولها ودعائه للعمل بذلك عندما ظهر التأخُّر عنها؛ ولهذا السبب نفسه نُسبت العقائد للأشعريِّ والفقه للأئمَّة الأربعة مع أنَّ الجميع بوحيٍ من الله تعالىٰ». اهـ

وهو تحقيقٌ بالغٌ يُعلم منه أنَّ ما يُسمَّىٰ الآن تصوُّفًا وطريقةً لم يتجاوز ما كان عليه الصَّحابة والتابعون من الأخلاق الفاضلة والصفات الجميلة التي حَضَّ الله ورسوله علىٰ التخلُّق بها ومدَحَا أصحابَها في غير آيةٍ وحديثٍ.

الوجه الخامس: أنَّ في سلوك الطَّريق صحبة المشايخ الكُمَّل، والاقتداء بهم والاهتداء بهديهم، وقد أمر الله بذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان: ١٥] قال الإمام زرُّوق: والإنابة لا تكون إلَّا بعلمٍ واضحٍ، وعملٍ صحيحٍ، وحالٍ ثابتٍ لا ينقضه كتابٌ ولا سنَّةٌ.

الوجه السادس: أنَّ سلوك الطَّريق يُنوِّر بصيرة الشَّخص ويسمو بهمَّته؛ حتىٰ لا يَبقىٰ له تعلُّقٌ إلَّا بالله ولا يكون له اعتمادٌ إلَّا عليه؛ فيصير مصون السرِّ عن الالتفات إلىٰ الخلق، مرفوع الهمَّة عن تأميلهم اكتفاءً بالحقِّ مُتحقِّقًا

بالحقيقة في جميع الأحوال مُتوسِّمًا بالشَّريعة في الأقوال والأفعال.

وهذا أعلىٰ ما يُطلب من المؤمن، وإليه أشار عليه الصَّلاة والسَّلام بقوله لابن عبَّاسٍ: «**إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**». وبايع الصَّحابة - منهم ثوبان مولاه والصِّديق صاحبه- علىٰ ألَّا يسألوا النَّاس شيئًا؛ وذلك لرفع الهمَّة عن الخلق والاكتفاء بالالتجاء إلىٰ الحقِّ.

الوجه السابع: أنَّ في سلوك الطَّريق بصُحبة شيخٍ مُرشدٍ عارفٍ خروجًا من رعونات النَّفس، وحمايةً للمريد من كلِّ ما يمنعه من الوصول إلىٰ الله تعالىٰ من أنواع الجهل والغرور ودواعي الهوىٰ المُوقعة في ظُلمة القلب وإطفاء النور؛ ولهذا قال ابن عطاء الله في "لطائف المنن": «شيخك هو الذي أخرجك من سجن الهوىٰ ودخل بك علىٰ المولىٰ، شيخك هو الذي مازال يجلو مرآة قلبك حتَّىٰ تتجلَّىٰ فيه أنوار ربك، ونهض بك إلىٰ الله فنهضت إليه، وسار بك حتَّىٰ وصلت إليه، ولازال محاذيًا لك حتىٰ ألقاك بين يديه فزجَّ بك في نور الحضرة وقال: ها أنت وربك».اهـ

وقال أيضًا: «إنَّما يكون الاقتداء بوليٍّ دلَّك الله عليه، وأطلعك علىٰ ما أودعه من الخصوصيَّة لديه، فطوىٰ عنك شهود بشريَّته في وجود خُصوصيَّته؛ فألقيت إليه القياد فسلك بك سبيل الرَّشاد يُعرِّفك برعونة نفسك، ويدلُّك علىٰ الجمع علىٰ الله، ويعلِّمك الفرار عمَّا سوىٰ الله، ويُسايرك في طريقك حتَّىٰ تصل إلىٰ الله. يوقِفك علىٰ إساءة نفسك ويُعرِّفك بإحسان الله إليك؛ فيفيدك معرفة إساءة نفسك الهرب منها وعدم الركون إليها، ويفيدك العلم بإحسان الله إليك الإقبال عليه والقيام بالشُّكر إليه والدَّوام علىٰ ممرِّ السَّاعات بين يديه»،

قال: «فإن قلت: فأين من هذا وصفه؟ لقد دللتني على أغرب من عَنْقَاء مُغْرِب!!

فاعلم أنَّه لا يعوزك وجود الدالِّين وإنَّما يعوزك وجدان الصِّدق في طلبهم. جِد صدقًا تَجِدْ مُرشدًا، وتجد ذلك في آيتين من كتاب الله تعالى، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد: ٢١] فلو اضطَّررت إلى من يُوصلك إلى الله اضطِّرار الظَّمآن إلى الماء، والخائف إلى الأمن؛ لوجدت ذلك أقرب إليك من وجود طلبك، ولو اضطَّررت إلى الله اضطِّرار الأمِّ لولدها إذا فقدته؛ لوجدت الحقَّ منك قريبًا ولك مُجيبًا، ولوجدت الوصول غير متعذِّر عليك ولتوجَّه الحقُّ بتيسير ذلك عليك».اهـ

الوجه الثامن: أنَّ في سلوك الطَّريق الإكثار من ذكر الله والاستعانة بصُحبة الشَّيخ على ذلك، ولا شكَّ أنَّ الذِّكر يُصفِّي القلوب ويدعو إلى اطمئنانها كما قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[الرعد: ٢٨] فإنَّ الله تعالى لم يقيِّده بحدٍّ ولا شرطٍ ولا نهايةٍ حيث قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١ – ٤٢]، وكلُّ أمْرٍ أَمَرَ الله به في القرآن جعل له حدًّا وشرطًا ونهايةً إلَّا الذِّكر.

فلهذه الوجوه التي ذكرناها وغيرها كان سلوك طريق التَّصوُّف واجبًا والانخراط في سلك أهله أمرًا لازمًا، ونحن لا ننكر أنَّه دخل في الطَّريق دُخلاء أدعياء وجُهلاء أغبياء، اتَّخذوا الطَّريق سُلَّمًا لتحصيل أغراضهم

وشهواتهم، وابتدعوا فيه بدعًا ما أنزل الله بها من سلطان، وزعموا أنَّهم أهل الحقيقة يجوز لهم ما يكون مُحرمًا في الشَّريعة وكذبوا؛ فإنَّ الشَّريعة والحقيقة صِنوان وما خالفت الشَّريعةُ الحقيقةَ قَطُّ إلَّا في نظر جاهلٍ.

فمثل هؤلاء ليسوا من الصُّوفية في شيء، وأول من يبرأ منهم الصوفية، ومن الظُّلم البيِّن أن يعترض بعض النَّاس بفعل هؤلاء الجهلة ويجعله حُجَّة على التَّصوُّف والصُّوفيَّة؛ فما التَّصوُّف إلَّا اتِّباع الكتاب والسُّنَّة وما الصُّوفيَّة إلَّا قوم جاهدوا أنفسهم فهداهم الله ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

تَمَّ حُسن التَّلَطُّفِ

في بيان وجُوبِ سُلُوك التَّصوُّف.

٣- سِلْسِلَةُ الطَّرِيقةِ الصِّدِّيقيَّة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام علي أشرف المرسلين، وآله وصحبه أجمعين.

وبعد: هذه سلسة الطَّريقة الشَّاذلية الصِّدِّيقيَّة التي أنشأها شيخ الإسلام، وعلم الأعلام، القطب الكامل، والفرد الواصل، الحافظ المجتهد أبو عبدالله سيِّدي محمد[1] ابن البَدَل الكبير، والعارف الشَّهير، صاحب الكرامات الكثيرة

---

(١) ولد سنة (١٢٩٥هـ) وتوفي سادس شوال سنة (١٣٥٤هـ)، وترجمته مُستوفاةٌ في كتاب "سبحة العقيق في ترجمة سيِّدي محمَّد بن الصِّدِّيق"، واختصارة المسمَّى "بالتَّصور والتَّصديق"، كلاهما لنجله الحافظ النَّاقد أبي الفيض السيِّد أحمد بن محمَّد بن الصِّدِّيق، وقد ترجمه جماعةٌ من تلامذته بعدَّة مؤلفات، ووالده سيِّدي الحاج الصِّدِّيق ترجمته مستوفاةٌ في "سبحة العقيق" أيضًا.

أمَّا جده سيِّدي الحاج أحمد فقد أفرد ترجمته أيضًا السيد أحمد بكتاب خاص سماه: "المؤذن بأخبار سيدي أحمد بن عبد المؤمن" وكانت ولادته سنة (١٢٠٠هـ) ووفاته ضحوة يوم الأربعاء سابع عشر جمادى الأولى سنة (١٢٦٢هـ) وقد أخبر بانقضاء أجله، وأنَّ عمره كعمر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وذلك من جملة كراماته الكثيرة، وجدُّه الأدنى عبد المؤمن مترجمٌ في كتاب "المؤذن"، ومن كراماته أنَّه كان يذهب لرعي الغنم فيتركها في حفرةٍ لا مرعى بها ولا ماء، وربَّما ترك ذئبًا يحرسها ويذهب للصَّلاة في مكَّة، ويرجع بالغنم أخر النَّهار وهي شبعانة ريَّانة، تُوفِّي أوائل القرن الحادي عشر، وقبره بغمَارة ظاهرٌ يزار.

وجدُّه الأعلى سيِّدي عبد المؤمن بن علي مترجم أيضًا في "المؤذن"، و"سبحة العقيق"، وسبب اشتهاره بأبي قبرين أنَّه تُوفِّي ببلدة ورطاس من قبيلة بني يزناسن

سيِّدي الحاج الصِّدِّيق بن الإمام العلَّامة شيخ المُقرئين وأهل الحديث القُطب الجامع أبي العبَّاس شهاب الدِّين سيِّدي الحاج أحمد ابن سيِّدي محمَّد بن قاسم بن محمَّد بن محمَّد ابن الولي الشَّهير صاحب الكرامات العجيبة سيِّدي عبدالمؤمن بن محمَّد ابن القطب الكبير صاحب الكرمات الظَّاهرة سيِّدي عبدالمؤمن الشهير بأبي قبرين ابن علي بن الحسن بن محمَّد بن عبدالله بن أحمد بن عبدالله بن عيسىٰ بن سعيد بن مسعود بن الفضيل بن علي بن عمر بن العربي بن علَّال بن موسي بن أحمد بن داود ابن قطب المغرب مولانا إدريس ابن القطب الأكبر فاتح المغرب وناشر الإسلام بين ربوعه مولانا إدريس ابن الإمام مولانا عبدالله الكامل ابن سيدنا الحسن المثنَّىٰ ابن مولانا الحسن ابن الإمام علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه.

وهي هذه:

الحمدُ لله الذي بنعمته تتمُّ الصَّالحات، والصَّلاة والسَّلام علي سيِّدنا محمَّدٍ مهبط الوحي، ومنبع الرّحمات.

ودفنه أتباعه هناك، فجاء أتباع له ببلدة بيدر من القبيلة نفسها ونقلوه إليها فلمَّا علم أهل ورطاس؛ ذهبوا ليردوه إلي مدفنه الأوَّل، فامتنع أهل بيدر وحصل بين أهل البلدين نزاع كاد يفضي إلىٰ المقاتلة فبينما هم كذالك، إذ وقف الشيخ علىٰ بعضهم في رؤيا مناميَّة، وقال له لما هذا النِّزاع، وأنا موجودٌ بالقبرين فمرهم يكشفوا عن القبرين فسيجدونني فيهما، فلمَّا أخبرهم الرائي بذلك فعلوا، فوجدوا الشيخ في كلا القبرين؛ فرضي الفريقان وبنىٰ كل منهما علىٰ القبر الذي عنده قبَّةً، وهما موجودتان إلي وقتنا هذا مزارتين مقصودتين.

وبعد: فيقول العبد الفقير محمَّد بن الصِّدِّيق الغُمَاريُّ أصلًا، الحسنيُّ نسبًا، المالكيُّ مذهبًا، الأشعريُّ عقيدةً، الدّرقاويُّ طريقةً أصلح الله حاله: لا يخفى على ذوي البصائر والعقول أنَّ الفنون كلَّها لابُدَّ فيها من واسطةٍ، ومن لا واسطة له في فنِّه لا بركة له فيه، ولو حصل فيه علي الغاية القُصوى.

فبركة الفنِّ -أيُّ فنٍّ كان- وسِرُّه ورُوحه وجود الواسطة فيه، فمن رُزِق الواسطة في فنِّه رُزِق الفنَّ وبركته، ومن حُرِمها حُرِم الفنَّ وبركته، وهذا الأمر لا يحتاج إلي برهان؛ إذ ليس الخبر كالعيان.

هذا وإنَّ التَّصوُّف أَوْلَاها بذلك وأحقّها بها هنالك، فمن لا شيخ له في جميع العلوم -وخصوصًا التَّصوُّف- لا يُعبَأ به ولا يُلتفت إليه، بل هو عندهم لقيطٌ لا أَبَ له، وسقيطٌ لا طعم فيه، بل حتَّي لو فُرِض أنَّ شيئًا من المعارف والأذواق حصل لأحدٍ على سبيل خرق العادة بلا واسطةٍ، فالمتعَّين عليه أن يستند إلى الواسطة أدبًا مع الشَّريعة المطهَّرة؛ إذ جاءت باعتبارها، وأمرت بشكرها، وأيضًا فإنَّ الاستناد إليها -أي الواسطة- فيه كمالٌ ورفعة قدرٍ وجلالٌ؛ لأنَّ فيه خروجًا من رعونات النَّفس والأنانيَّة، إلى رفعة التَّواضع والعبوديَّة، وناهيك بها عِزًّا وشرفًا ورِفعةً وفخرًا؛ إذ هي سببٌ للحريَّة بل هي في الحقيقة عينها، ولو صحَّ لأحدٍ شيء بلا واسطةٍ لما كان لمولانا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم جبريل واسطةً، مع أنَّه عليه الصَّلاة والسَّلام أفضل منه، ففي تقديم المفضول على الفاضل رفعةٌ لعبوديَّة الكمال.

فافهم وانظر إلي أمر الله حين أمر الملائكة بالسُّجود لآدم مع أنَّهم لا يَعصون الله ما أمرهم، ينفتح لك الباب، وتفهم سرَّ الخطاب، فما عظمت

الحريَّة في أحدٍ إلا كانت العبوديَّة فيه أعظم؛ إذ ما شُرِّف من شُرِّف إلَّا بها، ولاطُرِد من طُرِد إلَّا بالدَّعوىٰ والركون إلي الحريَّة والأنانية، وبالجملة فما أفلح مَن أفلح، إلَّا بصحبة مَن أفلح. ومن كلام الجنيد: «سبق في علم الله القديم أن لا يدخل أحدٌ إلي حضرته إلَّا علي يد عبدٍ من عباده».

وقال القطب المرسيُّ: «ما صارت الأبدال أبدالًا، إلَّا بمجالسة أمثالنا».

وحيث كان الأمر هكذا، وجب علينا أن نذكر سندنا ونُبيِّن نِسبتا في هذه الطَّريقة الدرقاويَّة، التي هي لبُّ الطَّرق الاتِّصاليَّة الجامعة بين الجيلانيَّة والشَّاذليَّة، المؤسَّسة علي الكتاب، والسُّنَّة، والمخصوصة بالنفحات الربَّانيَّة؛ إذ في اتِّصال سببنا بسببهم، ونسبتنا بنسبتهم، استمطار الرَّحمات الإلهيَّة، واستنزال النَّفحات القدسيَّة، وتحريك السلسلة النَّبويَّة، مع أنَّ الإسناد من الدِّين في كل وقتٍ وحينٍ، طال الزَّمان أو قَصُر، قلَّ عدد الوسائط أو كَثُر.

فنقول: أخذنا هذه الطَّريقة النَّبويَّة عن شيخنا وقدوتنا نور الملَّة والدِّين، ورحمة الله للقاصدين، الواقف في باب الله، الذي لا يميل في وقتٍ من أوقاته إلىٰ سواه، سلطان العارفين، وقطب الواصلين سيِّدي ومولاي محمَّد بن إبراهيم الفاسيِّ[1] أطال الله بقاءه، وبلَّغه في الدَّارين مقصوده ومطلوبه، وهذا

---

(١) ترجمة هذا القطب ومن فوقه إلىٰ مولانا عبدالسَّلام بن مشيش مذكورةٌ في "سبحة العقيق"، "والمؤذن"، وغيرهما تشرَّفتُ بزيارة الكثير منهم، فزرت ضواريح سيِّدي محمَّد بن إبراهيم، وسيِّدي محمَّد أيُّوب، وسيِّدي عبدالرحمن الفاسيِّ، وسيِّدي يوسف الفاسيِّ بفاس، وزرت ضريح سيِّدي عبدالرحمن المجذوب بمكناس، وزرت ضريح جدِّنا سيِّدي الحاج أحمد بقبيلة بني منصور من قبائل غمَارة، وزرت ضريح ابن

الشَّيخ شأنه عند الله عظيمٌ، وقدره جسيمٌ ما رأينا ولا سمعنا في زماننا هذا مثله، وشَرْح حاله يستدعي مُجلَّدات، ولسنا بصدد ذلك الآن، وهو أخذها عن شيخه العارف الربانيِّ سيدي عبدالواحد بناني الفاسيِّ أيضًا، وهو عن شيخه الهائم في الله العارف المحبوب سيِّدي محمَّد أيُّوب دفين زاويته بفاس، وهو أخذها عن جدِّنا الشَّريف، أعجوبة الزَّمان، العالم بالعلمين الظاهر والباطن، القطب الجامع السَّالم مدده الجاري سيدي الحاج أحمد بن عبد المؤمن الغُمَاريِّ، وهو عن إمام الأولياء، ومدد الأقطاب والأصفياء، بحر المعارف الإلهيَّة، ومعدن الأسرار الربَّانيَّة، برزخ البحرين، وشيخ الثَّقلين، الذي كان لغير الله لا يأوي سيِّدنا ومولانا العربي الدَّرقاويِّ، دفين بني زروال، وهو عن بحر البحور، ومعدن الخمور أبي الحسن سيِّدي علي الجمل دفين زاويته بفاس، وهو أخذ عن سيِّدي العربي، وهو أخذ عن والده سيِّدي أحمد بن عبدالله، وهوأخذ عن سيِّدي قاسم الخصاصيِّ، وهوأخذ عن سيِّدي محمَّد فتحا ابن عبدالله المكنَّي معن، وهو أخذ عن سيِّدي عبدالرحمن الفاسيِّ مُحشِّي "تفسير الجلالين" و"صُغرىٰ السَّنوسية"، وهو عن أخيه القطب أبي المحاسن سيدي يوسف الفاسيِّ، وهو عن القطب سيِّدي عبد الرحمن المجذوب، وهو عن أبي الحسن

مشيش بجبل العلم من قبيلة بني عروس، شددنا الرحلة لزيارته من مدينة أصيلا، وشهدنا عند وصولنا إليه كرامةً عجيبةً، وكثيرٌ من النَّاس بمصر يظنُّون أنَّ عبدالسَّلام بن مشيش هو عبدالسَّلام الأسمر، وهوخطأٌ كبيرٌ؛ فإنَّ ابن مشيش متقدِّم علىٰ الأسمر ببضع مئات من السنين، وابن مشيش مراكشي ما خرج عن مراكش وبه دفن، والأسمر طرابلسي وهو مدفون بطرابلس إلي غير ذلك من الفوارق.

سيِّدي علي الشَّيهر بالدوار، عن أبي اسحاق سيِّدي إبراهيم أفحام الزرهوني، عن القطب الجامع سيِّدي أحمد زروق، عن القطب الحضرميِّ، عن أبي زكرياء القادريِّ، عن القطب سيِّدي علي وفا، عن والده القطب سيِّدي محمَّد بحر الصَّفا، عن القطب سيِّدي داود الباخلِّي، عن تاج الدِّين سيِّدي بن عطاء الله صاحب "الحكم"، عن القطب أبي العباس المرسيِّ، عن قطب الأقطاب سيِّدي أبي الحسن الشَّاذليِّ الغُمَاريِّ، عن القطب مولانا عبدالسَّلام بن مشيش دفين جبل العلم، عن القطب سيِّدي عبد الرحمن المدنيِّ[1] المشهور بالزيَّات، عن القطب تقيِّ الدِّين الفُقير -بالتصغير- وهوعن القطب فخر الدِّين، عن

---

(١) هذا القطب ومن فوقه إلي القطب سيِّدي سعيد الغزواني ذكرهم بالترتب المذكور في هذه السِّلسلة المباركة تقيُّ الدين أبو عبدالله محمَّد الإسكندري سبط أبي الحسن الشَّاذليِّ علىٰ ما قيل في كتابه "النبذة المفيدة"، وكتابه "شفاء الغليل ودواء العليل"، وذكر أنَّه وجد هذا الإسناد منقولًا عن تاج الدِّين ابن عطاء الله فنقله كما وجده، وقال أبو العبَّاس الفاسيُّ في "المنح الصَّافية": «ذكر غير واحدٍ أنَّ هذا الإسناد وُجِد بخطِّ ابن عطاء».

وانظر بقيَّة ما يتعلَّق بهذا الإسناد في كتاب "البرهان الواضح الجلي في تحقيق انتساب الصُّوفيَّة إلي علي واتِّصال السَّند بأبي الحسن الشَّاذليِّ" لشقيقنا الحافظ النَّاقد أبي الفيض السيِّد أحمد بن الصِّدِّيق حفظه الله، وهوكتابٌ نفيسٌ يدلُّ علىٰ غزارة العلم، وسعة الاطِّلاع، ما رأيت في الكلام علىٰ سند السَّادة الشَّاذليَّة خصوصًا، وسائر الصُّوفيَّة عمومًا أوسع ولا أحسن منه.

وأمَّا أبو محمَّد جابر فقد رجَّح شقيقنا المذكور أنَّه جابر بن عبد الله الصَّحابيُّ، وبيَّن ذلك بما يراجع في كتابه السَّابق.

القطب نور الدِّين، عن القطب تاج الدِّين محمَّد، عن القطب شمس الدِّين التركي، عن القطب زين الدِّين القزويني، عن القطب أبي إسحاق البصريِّ، عن القطب أبي القاسم أحمد المروانيِّ، عن القطب أبي محمَّد سعيد، عن القطب سعد، عن القطب أبي محمَّد فتح السُّعود، عن القطب سيِّدي سعيد الغزواني، عن القطب سيِّدي أبي محمَّد جابر، عن أوَّل الأقطاب وأجلِّ الأصحاب سيِّدنا الحسن بن فاطمة الزَّهراء، عن والده باب مدينة العلم مولانا عليٍّ كرم الله وجهه، عن سيِّد المرسلين، وحبيب ربِّ العالين سيِّدنا محمَّد عليه الصَّلاة والسَّلام، عن الحقِّ جلَّ جلاله، وتقدَّست أسماؤه وصفاته.

هذه سلسلتنا الروحانيَّة، ونِسبتنا النورانيَّة، ومن أراد الوقوف على أحوال هولاء الأقطاب؛ فليطالع المطوَّلات، كـ"طبقات الشعرانيِّ" وغيرها؛ فإنَّه يقف فيها على معالي أحوالهم، وعوالي أخلاقهم، أماتنا الله على محبَّتهم وحشرنا في زمرتهم.

قال القطب أبو العبَّاس المرسي: «طريقتنا هذه متَّصلةٌ بالأقطاب، إلي قطب الرحمن سيِّدنا محمَّد عليه الصَّلاة والسَّلام».

قلت: ويكفي الإنسان شرفًا وفخرًا وعزًّا ورفعةً أن يعرف رجال هذه السلسة النورانيَّة المحمَّديَّة؛ فإنَّها سلسلة الذَّهب الإبريز، التي من تمسَّك بمحبَّة رجالها نال رضا الملك العزيز، أمَّا من دخل فيها وكان حلقة من حلقاتها فلا يصف الواصف فضله، ولا يلحق أحدٌ شأنه وقدره.

فقد قال القطب الشعراني -رضي الله عنه- في فوائد النِّسبة العامَّة: «إنَّ المنتسب يكون كالحلقة في السِّلسلة، لا يتحرَّك في أمرٍ إلَّا تحرَّكت السِّلسلة كلُّها

معه إلى مولانا رسول الله صلَّي الله عليه وآله وسلَّم، بخلاف غير المنتسب فإنَّه يتحرَّك وحده ويسكن وحده». اهـ

هذه فائدة النِّسبة العامَّة، وأمَّا النِّسبة الخاصَّة، التي هي عبارةٌ عن سلب المريد الإرادة للشيخ، ففائدتها الفتح الربانيُّ، والعلم الصمدانيُّ، وكما اتَّصل سندنا بأهل العلم الباطن، كذالك والحمد لله اتَّصل سندنا بأهل العلم الظاهر، في جميع العلوم من نحوٍ، وبيانٍ، ومنطقٍ، وأصولٍ، وفقهٍ، وحديثٍ، وغير ذلك من علوم الشَّريعة، وليس هذاالمحلُّ مقصودًا لبيان ذلك، وسنجعل لذلك إن شاء الله فهرسةً جامعةً، نذكر فيها إجازة شيوخنا من أهل الظَّاهر[1] والباطن.

هذا وممَّن دخل في هذه الطَّريقة النَّبويَّة المحمَّديَّة، وتمذهب بمذاهب أهلها القويَّة حِبُّنا الولد البارُّ، والنَّجلُّ السَّارُّ الأخ في الله الطالب الأمجد سيِّدي (فلان) أصلحه الله وبلغه مقصوده، وجعله من العلماء الرَّاسخين، وأولياء الله الكاملين إنَّه علي كلِّ شيء قديرٌ، وعلى هذا الأخ أن يعضَّ على هذه الطَّريقة عضًّا، ويرفض الهوى والدَّنيا رفضًا، ويتأدَّب بأداب الطَّريقة، حتَّى ينال من

---

(١) من شيوخه رضي الله عنه شيخ الجماعة العلَّامة السيِّد أحمد بن عمر الزكاريُّ الحسنيُّ، وشيخ الجماعة العلَّامة السيِّد جعفر الكتَّانيُّ الحسنيُّ، وولده العلَّامة المحدِّث السيِّد محمَّد بن جعفر الكتَّانيُّ، والعلَّامة الوليُّ الكبير مولاي عبدالمالك الضرير العلويُّ الحسنيُّ، ومفتي فاس العلَّامة السيِّد المهدي الوزانيُّ الحسنيُّ، والنَّحويُّ البارع السيِّد محمَّد الكامل الأمرانيُّ الحسنيُّ، والعلَّامة المحقِّق السيِّد محمَّد القادريُّ الحسنيُّ، والعلَّامة سيدي حمدون بن الحاج السلميُّ المرداسيُّ، وخطيب جامع القرويين أبو جيدة الفاسيُّ الفهريُّ وغيرهم.

المعارف الإلهيَّة مقصوده وأمله، وكما أدخلناه على يدنا في علم طريقة أهل الباطن، كذلك نطلب الله أن يكرمه على يدنا بدرجة عالية في علم الظاهر ليكون إمام وقته، ومجدِّد عصره.

وممَّا نوصي به ملازمة التَّقوى في السرِّ والعلانيَّة، ومجانبة أهل المعاصي والأخلاق الشيطانيَّة، وليشتك إلى الله في أحواله، وليعرف الرجال بالحقِّ لا الحقَّ بالرجال.

اللهمَّ يامن يعلم الكوائن ما ظهر منها وما بطن، أصلح حالنا وحال هذا الأخ ما ظهر منه وما بطن، بجاه مولانا رسول الله وحبيب الله سيِّدنا محمَّد بن عبدالله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، والحمد لله ربِّ العالمين.

إجازة السيِّد عبدالله بن الصِّدِّيق بالطريقة الصِّدِّيقية

يقول الفقير خادم الحديث عبدالله بن محمَّد بن الصِّدِّيق الغُمَاريِّ: أخذت الطَّريقة الشَّاذلية الصِّدِّيقية عهدًا وتلقينًا عن والدي بسنده المذكور في هذه السِّلسلة المباركة، بعد أن أخذت عنه كثيرًا في علم الحديث، والفقه، والنَّحو، وأخذت أيضًا عن شقيقي الأكبر الحافظ النَّاقد السيد أحمد شيئًا قليلًا من علم النحو، وكثيرًا من علم الحديث ورحلت إلى فاس فحضرت في جامع القرويين -أكبر معهد في شمال أفريقيا، وأقدم من الأزهر- على كبار علمائه[1] في جميع علوم الشَّريعة حتَّي ارتويت من معينهم العذب الصافي، وحصلت على إجازات، وغيرها ممَّا تنشرح له صدور ذوي الهمم العاليات، ثُمَّ حصلت في الجامع الأزهرعلي شهادة العالميَّة الأزهريَّة فلي بحمد الله صلة وثيقة بعلوم الشَّريعة، والحقيقة وقد أجزت لأخينا في الله.....

بهذه الطَّريقة النَّبويَّة الشَّريفة، وأذنت له في نشرها، والدَّعوة إليها حفظه الله وأعانه، ومن نزغات الشيطان صانه، وبالتَّقوى والاستقامة جمَّله وزانه، إنَّه على كلِّ شيء قديرٌ، وبالإجابة جديرٌ.

---

(١) منهم شيخ الجماعة العلَّامة السيد عبدالله الفضيليُّ الحسنيُّ، والمحقِّق البارع السيِّد الراضي السنانيُّ الحسنيُّ، والعلَّامة الأصوليُّ السيِّد الحسين العراقيُّ الحسينيُّ، والعلَّامة السيِّد الحبيب المهاجيُّ الحسنيُّ، وشيخ الجماعة السيِّد أحمد بن الجيلاني الأمغاري الحسني، والقاضي العبَّاس ابن القاضي أبي بكر بناني، والعلَّامة الشيخ محمَّد بن الحاج السلميَّ، وابن عمِّه العلَّامة الشيخ محمَّد بن الحاج، والمحقِّق البارع السيِّد أحمد القادري الحسني. وأجاز لي بالطَّريقة أيضًا شقيقي المذكور يسَّر الله لي وله الأمور.

وصيَّة العارف بالله سيِّدي محمَّد بن الصِّدِّيق إلى إخوانه

الحمد لله وبعد، فأوصيكم بتقوىٰ الله في السرِّ والعلانيَّة، وبالإقلاع عن الأمور التي تستوجب الحرمان، فإنَّ طلب الإمداد بغير استعداد كالسَّفر بلا زاد، وأوصيكم بمراعاة الأنفاس وحفظ الحواس، والرضى بالموجود والصَّبر علىٰ المفقود، والوفاء بالعهود وكثرة الركوع والسجود، وترك التَّدبير والاختيار مع المدبِّر المختار، والعمل بالسنة والاقتداء بالأئمَّة، ومرافقة المُتبتِّل الطَّائع، ومجالسة المُنيب الخاشع، ومعاشرة الوفيِّ الخاضع، وزيارة الساجد الراكع.

وكن يا أخي جوَّال الفكر، جوهريَّ الذِّكر، كثير العلم، عظيم الحلم، واسع الصَّدر، وليكن ضحكك تبسُّمًا، واستفهامك تعلُّمًا، ناصحًا للغافل، معلِّمًا للجاهل، لا تؤذي من يؤذيك، ولا تدخل فيما لا يعنيك، ولا تشمت بمصيبة، ولا تلوِّث لسانك بغيبة، صادق القول، بارئًا من الجهل والحول، واقفًا عند الشُّبهات، أبًا لليتيم، بُشراك في وجهك، وحزنك في قلبك، مشغولًا بفكرك، لا تُفشي سرًّا، ولا تهتك سترًا، كثير العبادة، طالبًا أبدًا للزِّيادة، كثير الصمت، تحمل أذىٰ من جهل عليك، عفوا عمن أساء إليك، ترحم الصَّغير، وتوقِّر الكبير، أمينًا علىٰ الأمانة، بعيدًا عن الخيانة، صبورًا عند الشدائد، قليل المؤونة، كثير المعونة، طويل القيام، كثير الصيام، تُصلِّي رهبةً، وتصوم رغبةً، غاضًّا للطَّرف، قليل الزَّلل، كثير العمل، أديبًا مع الأولياء، كلامك حكمة، ونظرك عبرة، قليل الضَّجر، لا تكشف عورةً، لا حقودًا ولا حسودًا، تطلب الأمور من أعلاها، مُعمِّرًا الأرض بجسمك، وللمقابر بروحك، لابسًا ثياب التَّواضع، مُتجرِّدًا من الطمع، متوكلًا علىٰ المدبر الصانع.

٤ - الدُّرَرُ النَّقية
في أذكارِ وآدابِ الطَّريقةِ الصِّدِّيقية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي أنار قلوبَ العارفين بذِكْره، وأفاض عليهم سَيْبًا مِن سِرِّه، أحمده وأشهد أن لا إله إلَّا الله، شهادةً نغترف بها من موارد كرمه وبِرِّه، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّدًا عبده ورسوله أفضل عبدٍ قام بعبادة مولاه وشُكْرِه، صلَّي الله وسلَّم عليه وعلي آله الغُرِّ الكِرام، ما أعقب الضِّياء الظلام، وبَزَغَ بدرُ التمام.

أما بعد: فإنَّ ذكر الله جلَّ شأنه تطمئنُّ به القلوب، وتُمحىٰ به الذنوب، وتُفرَّج به الكروب، يُزيل عن النفس شجاها، ويُقرِّبها إلىٰ حضرة مولاها، يلين القلب والجوارح فتخشع لعظمة الله وسطوته، وتدمع العين فَرَقًا مِن هيبته، ويُحرِّك الشوق مِن الذاكر فتهتزُّ الأطراف تَوَقانًا إلىٰ القرب من قدس الله وسناه، ويُقوِّي رجاء العبد في حصول مغفرة ربه ورضاه، أمر الله به وبيَّن فضله في غير آيةٍ من القرآن العظيم، فقال تعالىٰ: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾[البقرة: ١٥٢]، وأيُّ شرفٍ أعظم من أن يذكر الله عبده في حضرة قدسه وفي مثل هذا يقول الشاعر:

لك البشارةُ فاخْلَعْ ما عليكَ فقدْ ... ذُكِرْتَ ثَمَّ علىٰ ما فيك مِن عِوَجِ

وقال تعالىٰ: ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾[الرعد: ٢٨]، وقال عزَّ شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١- ٤٢]،وقال جلَّ جلاله: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ

وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥] إلي غير ذلك من الآيات.

وأما الأحاديث الواردة في فضل الذِّكر والاجتماع عليه والإكثار منه فكثيرةٌ جدًّا، فمنها الحديث القدسي عن الله تبارك وتعالى قال: «**أنا عند ظنِّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نَفْسِه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإٍ -أي جماعة- ذكرته في ملإٍ خيرٍ منهم -يعني الملائكة-**». رواه البخاري ومسلم.

وقال أبو الدرداء -رضي الله عنه- قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ألا أُنبِّئكُم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مَلِيكِكُم، وأرفعها في درجاتكم، وخيرٍ لكم من إنفاق الذهب والوَرِق -يعني الفضة- وخيرٍ لكم من أن تلقَوا عدوَّكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم**». قالوا: بلى. قال: «**ذكر الله**». حديثٌ حسنٌ صحيحٌ رواه الإمام أحمد في "مسنده" وغيره.

وروى أبو هريرة عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ لله ملائكةً سيَّارةً فُضُلًا يتَّبعون مجالس الذِّكر، فإذا وجدوا مجلسًا فيه ذِكْرٌ قعدوا معهم، وحفَّ بعضهم بعضًا بأجنحتهم حتى يملأوا ما بينهم وبين السماء الدُّنيا، فإذا تفرَّقوا عَرَجوا وصَعِدوا إلي السماء، فيسألهم الله عزَّ وجلَّ -وهو أعلم-: من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عبادك في الأرض يسبِّحونك ويكبِّرونك**

ويهلِّلونك ويحمدونك ويسألونك، قال: وماذا يسألوني؟ قالوا: يسألونك جنَّتك، قال وهل رَأَوا جنتي؟ قالوا: لا يا رب. قال: فكيف لو رأوا جنَّتي؟ قالوا: ويستجيرونك، قال: وممَّا يستجيرونني؟ قالوا: من نارك يا ربِّ، قال: وهل رأوا ناري؟ فيقولون: لا يا ربِّ، قال: فكيف لو رأوا ناري؟ قالوا: ويستغفرونك فيقول: قد غفرت لهم وأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا، فيقولون: ربِّ فيهم فلانٌ عبدٌ خطَّاءٌ إنما مرَّ فجلس معهم، فيقول: وله غفرتُ هم القوم لا يَشْقَى بهم جَلِيسُهم». أخرجه مسلمٌ في "صحيحه".

وقال معاذ بن جبل- رضى الله عنه-: «ما شيءٌ أنجىٰ مِن عذاب الله مِن ذِكْرِ الله». رواه أحمد والترمذي وغيرهما. إلىٰ غير هذا من الأحاديث والآثار.

ولَمَّا كان الذكر بهذه المنزلة الشريفة والرتبة المنيفة جعله الصوفية شعارهم، واتخذوه وسيلة لتهذيب المريد وتصفية روحه، وتطهير نفسه من كدرات الأغيار، وتدرجوا بالمريد في أنواع الأذكار، بحسب قوة استعداده وقبول آنيته.

والذكر جائزٌ بأيِّ صيغةٍ تخلو من اللَّحن والتحريف؛ لأن الشارع لم يفرض في الذكر صيغةً معيَّنةً، فإليك أيها المريد الصِّدِّيقي الصادق الورد والوظيفة والآداب، داوم علىٰ قراءتها وتأدَّب بآدابها، وسترىٰ بركتها في نفسك ومالك وأهلك، وفقَّك الله تعالىٰ وألهمك التوفيق والسَّداد.

حزب الفتح الصديقي
يقرأ يوميًا صباحًا ومسًاء

«بسم الله الرحمنِ الرحيم ربَّنا افْتَحْ بيننا وبين قومِنا بالحقِّ وأنت خَيْرُ الفاتِحِين، اللهمَّ لك الحمدُ كلُّهُ ولك المُلْكُ كلُّهُ بيدِكَ الخيرُ كلُّهُ إليك يُرْجَعُ الأمْرُ كلُّهُ علانيتُهُ وسِرُّهُ، فأهْلٌ أنْ تُحمَدَ إنَّكَ علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ، اللهمَّ اغفر لي جميعَ ما مَضىٰ مِنْ ذَنْبي واعْصِمْنِي فيما بَقِيَ مِن عُمْرِي وارْزُقْنِي عَمَلًا زَاكِيًا تَرْضَى بِهِ عَنِّي وتُبْ عَلَيَّ.

اللهمَّ إنِّي أَصْبَحْتُ[1] أُشْهِدُكَ وأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ وملائِكتكَ وجميعَ خَلْقِكَ أنَّكَ أنت الله لا إله إلَّا أنت وأنَّ محمَّدًا عبدُكَ ورسولُكَ. (أربع مرَّاتٍ).

سبحانَ الله وبحمده لا قوَّةَ إلاَّ بالله، ما شاءَ الله كان وما لم يَشَأْ لم يكنْ، أعلمُ أنَّ الله علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ وأنَّ الله قد أحاطَ بكلِّ شيءٍ عِلْمًا. (ثَلاثُ مَرَّاتٍ).

اللهمَّ فاطِرَ السَّمواتِ والأرضِ عالِمَ الغيبِ والشَّهادةِ ربَّ كلِّ شيءٍ ومَلِيكَهُ أَشْهَدُ أنْ لا إله إلاَّ أنت أعوذُ بك من شرِّ نفسي وشرِّ الشَّيطانِ وشركه.

اللهمَّ فارجَ الهمِّ كاشفَ الغَمِّ مُجِيبَ دعوةَ المُضْطَرِّين رحمنَ الدُّنيا والآخرةِ ورَحِيمُهُما، أنت تَرحَمُنِي؛ فارحمني رحمةً تُغْنيني بها عن رحمةِ مَن سِوَاكَ.(ثلاث مرات).

أعوذُ بكلماتِ الله التَّامَّاتِ التي لا يُجاوزُهُنَّ بَرٌّ ولا فاجِرٌ مِن شَرِّ ما خَلَقَ وذَرَأ وبَرَأ، ومِن شَرِّ ما يَنْزِلُ مِن السَّماءِ ومِن شَرِّ ما يَعْرُجُ فيها، ومِنْ شَرِّ ما ذَرَأ

---

(١) وفي المساء: أَمْسَيْتُ

في الأرضِ ومِن شَرِّ ما يَخْرُجُ منها، ومِن شَرِّ فِتَنِ الليلِ والنَّهارِ، ومِن شَرِّ كلِّ طارِقٍ إلاَّ طارِقًا يَطْرُقُ بخيرٍ يا رحمنُ.

بسمِ الله الكبيرِ أعوذُ بالله العظيمِ مِن شَرِّ كلِّ عِرْقٍ نَعَّارٍ، ومِن شَرِّ حَرِّ النَّار. (ثلاث مرات).

اللهمَّ إنِّي أعُوذُ بِكَ مِن عِلْمٍ لا يَنْفَعُ، ومِن قَلْبٍ لا يَخْشَعُ، ومِن نَفْسٍ لا تَشْبَعُ، ومِن دُعاءٍ لا يُسْمَعُ.

لا إله إلاَّ أنت سُبحانكَ اللهمَّ أستَغْفِرُكَ لذنبي وأسألُكَ رحمتكَ، اللهمَّ زِدْنِي عِلْمًا ولا تُزِغْ قلبي بعدَ إذ هديتني، وهَبْ لي مِن لَدُنْكَ رحمةً إنَّكَ أنتَ الوهَّابُ.

اللهمَّ ربَّ جبريلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ، فاطِرَ السَّموات والأرضِ، عالِمَ الغيب والشَّهادةِ أنتَ تَحكُمُ بينَ عِبادِكَ فيما كانوا فيهِ يَختَلِفُون، اهدني لِمَا اخْتُلِفَ فيه مِن الحقِّ بإذنِكَ، إنَّكَ أنتَ تَهدي مَن تشاءُ إلىٰ صِراطٍ مُسْتقيمٍ.

اللهمَّ اغْفِرْ لي خطِيئتي وجَهْلي وإسْرَافي في أمري، وما أنتَ أعْلَمُ به مِنِّي، اللهمَّ اغْفِرْ لي هَزْلي وجِدِّي وخَطَئي وعَمْدِي وكلُّ ذلكَ عِنْدي، اللهمَّ اغْفِرْ لي ما قَدَّمْتُ وما أَخَّرْتُ وما أَسْرَرْتُ وما أَعْلَنْتُ، أنت المُقَدِّمُ، وأنت المُؤَخِّرُ، وأنت علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ.

اللهمَّ إنِّي أسألُكُ صِحَّةَ إيمانٍ، وإيمانًا في خُلُقٍ حَسَنٍ، ونَجاحًا يَتْبَعُهُ فلاحٌ، ورحمةً منكَ وعافيةً ومغفرةً منك ورِضْوانًا.

اللهمَّ إنِّي أسألك نَفْسًا بكَ مُطمئنةً، تُؤمنُ بلِقائِكَ، وتَرضَى بقضائِكَ، وتَقْنَعُ بعطائِكَ.

يا حَيُّ يا قيُّومُ برحمتِكَ أَستَغِيثُ، أَصلِحْ لي شأني كُلَّهُ ولا تَكِلْنِي إلىٰ نَفْسي طَرْفَةَ عَيْنٍ.

اللهمَّ ربَّ السمواتِ وربَّ الأرَضِينَ وربَّنا وربَّ كلِّ شيءٍ، وفالقَ الحَبِّ والنَّوىٰ، ومنزلَ التَّوراةِ والإنجيلِ والقرآنِ، أعوذُ بك مِن شَرِّ كلِّ ذي شَرٍّ أنت آخذٌ بناصيته، أنت الأوَّلُ فليس قبلك شيءٌ، وأنت الآخِرُ فليس بعدك شيءٌ، والظَّاهرُ فليس فوقك شيءٌ، والباطنُ فليسَ دُونَكَ شيءٌ، اقْضِ عنِّي الدَّينَ وأغنني مِن الفقرِ.

اللهمَّ إنِّي أسألك الثَّبَاتَ في الأمر، وأسألك عزيمة الرُّشْدِ، وأسألك شُكْرَ نِعمتِكَ وحُسْنَ عبادتِكَ، وأسألك لِسَانًا صادقًا وقَلْبًا سَلِيمًا، وأعوذُ بك منْ شَرِّ مَا تَعلمُ، وأسألك مِن خيرِ ما تَعلَمُ، وأستغفرك ممَّا تعلمُ إنَّك أنت علاَّمُ الغُيُوبِ.

اللهمَّ إني أسألك فِعْلَ الخيراتِ، وتركَ المُنكَرَاتِ، وحُبَّ المساكينِ، وأن تغفر لي وترحَمَنِي وإذا أردتَ فِتْنَةَ قومٍ فتوفَّني غيرَ مَفْتُونٍ، اللهمَّ إني أسألك حُبَّكَ وحُبَّ مَن يُحِبُّكَ وحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إلىٰ حُبِّكَ.

اللهمَّ إني أسألك رحمةً مِن عندك تَهدِي بها قلبي، وتجمع بها أمري، وتلمُّ بها شَعَثِي، وتُصْلِحُ بها غائبي، وترفعُ بها شاهدي، وتُزَكِّي بها عملي، وتُلْهِمُنِي بها رَشَدِي، وتردُّ بها أُلفَتِي، وتَعْصِمُني بها مِن كلِّ سُوءٍ، اللهمَّ أعطني إيمانًا ويقينًا ليس بعده كُفْرٌ، ورحمةً أنالُ بها شَرَفَ كرامتك في الدُّنيا والآخِرَةِ.

اللهمَّ إني أسألك الفوزَ في العطاءِ[1]، ونُزُلَ الشُّهَدَاءِ، وعَيْشَ السُّعَدَاءِ

---

(١) ويروىٰ: فِي الْقَضَاءِ.

والنَّصْرَ على الأعداءِ.

اللهمَّ إني أُنزِلُ بك حاجتي وإنْ قَصُر رأيي وضَعُفَ عملي، افتقرتُ إلى رحمتك فأسألك يا قاضي الأمورِ، ويا شافيَ الصُّدُورِ، كما تُجِيرُ بين البُحُورِ، أن تُجيرَني مِن عَذَابِ السَّعِيرِ، ومِن دَعْوَةِ الثُّبُورِ، ومِن فتنةِ القُبُورِ.

اللهمَّ ما قَصُرَ عنه رأيي ولم تبلُغهُ نيَّتِي ولم تبلُغهُ مسألتي مِن خيرٍ وعدتَهُ أحَدًا مِن خلقِكَ، أو خيرٍ أنتَ مُعْطِيهِ أحَدًا مِن عبادِكَ، فإنِّي أَرْغَبُ إليك فيه، وأسألُكَهُ برحمتكَ ياربَّ العالمين.

اللهمَّ ذا الحَبْلِ الشَّديدِ والأمرِ الرَّشِيدِ، أسألُكَ الأمن يومَ الوعِيدِ، والجنَّةَ يوم الخُلُودِ، مع المُقَرَّبِينَ الشُّهُودِ الرُّكَّعِ السُّجُودِ المُوفِينَ بالعُهُودِ، إنَّك رحيمٌ وَدُودٌ، وأنتَ تفعلُ ما تُرِيدُ.

اللهمَّ اجعلنا هادين مُهتَدِين، غير ضالِّين ولا مُضِلِّين، سِلْمًا لأوليائك وعَدُوًّا لأعدائك، نُحِبُّ بحُبِّكَ مَن أَحَبَّكَ ونُعَادي بعداوتك مَن خَالَفَكَ.

اللهمَّ هذا الدُّعاءُ وعليكَ الاستجابةُ، وهذا الجَهْدُ وعليك التُّكْلاَنُ.

اللهمَّ اجعلْ لي نُورًا في قبري، ونُورًا في قلبي، ونُورًا مِن بين يَدَيَّ، ونُورًا مِن خَلْفِي، ونُورًا عن يميني، ونُورًا عن شمالي، ونُورًا مِن فَوْقي، ونُورًا مِن تحتي، ونُورًا في سمعي، ونورًا في بصري، ونورًا في شَعْرِي، ونُورًا في بَشَرِي، ونُورًا في لَحْمِي، ونُورًا في دَمِي، ونُورًا في عِظَامِي، اللهمَّ أعظمْ لي نُورًا، وأعطني نُورًا، واجعل لي نُورًا.

سُبْحَانَ الذي تَعَطَّفَ بالعِزِّ وقال به، سُبْحَانَ الذي لَبِسَ المَجْدَ وتَكَرَّمَ به، سُبْحَانَ الذي لا يَنْبَغي التَّسبِيحُ إلَّا له، سُبْحَانَ ذِي الفَضْلِ والنِّعَمِ، سُبْحَانَ ذِي

المجد والكَرَمِ، سُبْحَانَ ذِي الجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ.

ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا بالله، وصلَّىٰ الله علىٰ سيِّدنا محمَّدٍ وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا. ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣].

اللهمَّ اجمعنا علىٰ محبَّتك، وأعنَّا علىٰ طاعتك وخِدْمتك، وطهِّرنا تطهيرًا نَصْلُحُ به لحضرتك، ولِقا نبيِّك عليه السَّلام، وزِدْنا فيك تَحيُّرًا، وبك افتتانا، وغيِّبنا فيك عن كلِّ شيءٍ سِواك، حتَّىٰ لا نكون إلَّا بك ولك، واحفظنا فيك سائِرَ يومِنا، وبقيَّةَ عُمُرِنا حتَّىٰ تتوفَّانا، وأنت عنَّا راضٍ، ونحن عنك غير مفتونين، بحَقِّ مولانا رسولِ الله.

سبحان ربِّك ربِّ العِزَّة عمَّا يَصِفُونَ، وسلامٌ علىٰ المرسَلِينَ، والحمدُ لله ربِّ العالمين». اهـ

اللهمَّ صَلِّ علىٰ سيِّدنا محمَّدٍ عبدِكَ ونبيِّكَ ورسُولكَ النبيِّ الأُمِّيِّ (٨٠ مرة) عصر الجمعة.

اللهمَّ صَلِّ علىٰ محمَّدٍ صلاةً تُنْجِينا بها مِن جميع الأَهْوَالِ والآفاتِ، وتَقْضِي لنا بها جميع الحاجاتِ، وتُطَهِّرُنا بها مِن جميع السَّيِّئاتِ، وترفَعُنا بها أعلىٰ الدَّرجاتِ، وَتُبَلِّغُنا بها أَقْصَىٰ الغاياتِ مِن جميع الخَيْرَاتِ، في الحياةِ وبعد المَماتِ، وعلىٰ آله وصحبه وسلِّم تسليمًا كثيرًا.

اللهمَّ صَلِّ صلاةً كاملَةً، وسلِّم سلامًا تامًّا، علىٰ نبيٍّ تَنْحَلُّ به العُقَدُ، وتَنْفَرِجُ به الكُرَبُ، وتُقْضَىٰ به الحوائجُ، وتُنَالُ به الرَّغَائِبُ وحُسْنُ الخَوَاتِيمِ، ويُسْتَسْقَيَ الغَمَامُ بوجْهِهِ الكريم.

ورد الطريقة الصِّدِّيقية

أستغفر الله. (مائة مرة).

اللهمَّ صَلِّ على سيِّدنا محمَّد عبدك ورسولك النبيِّ الأُمِّي وعلى آله وصحبه وسلِّم. (مائة مرة).

لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له المُلْكُ وله الحمدُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ. (مائة مرة).

يقرأ هذا الورد بعد صلاة الصبح، ومثله بعد صلاة المغرب، فبالتزام الشخص لهذا الورد يصير من أهل الطريقة منسوبًا إليها ومحسوبًا عليها، ولا يصح تركه إلَّا لعذر كمرضٍ مانع.

□المعارف الذوقية في الوظيفة الصديقية

اللهمَّ صلِّ وسلِّم بفَيضِ جودك الواسع الممدودِ، على قُطْبِ الوجودِ، وعينِ أعيان دائرةِ الشُّهودِ، المُتوَّجِ بتاجِ إنَّا أرسلناكَ شاهدًا ومُبشِّرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسِراجًا مُنيرًا، مَن مِنه انشقَّتِ الأسرارُ المُودعةُ في نورِ رُوحانيته الموصوفةِ بكنتُ نبيًّا وآدم بين الرُّوحِ والجسدِ، وانفلقتِ الأنوارُ المُشِعَّةُ مِن ذاته على عالمِ الكونِ تَهديه إلى الأَبَدِ، قد جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مبينٌ، يهدي به الله من اتبع رضوانه سُبُل السَّلام، وفيه ارتقتِ الحقائقُ المُمْكِنةُ الكامنةُ في عالمِ الثبوت، لأنه الإنسانُ الكاملُ الصِّفاتِ والنعوتِ، وتنزَّلتْ علومُ آدمَ بتجلٍّ وعلَّمكَ ما لم تكنْ تعلم وكان فضلُ الله عليك عظيمًا، فأعجز الخلائقَ بلوغُ مَدَاهُ، كيف ولِواءُ الحمد بيده تَحْتَهُ آدمُ ومَن عَدَاهُ، وله تضاءلتِ الفهومُ في سائر العلوم، بإفاضة رأيتُ ربِّي في أحسنِ صورةٍ، فوضع يده بين كتفي، حتى وجدتُ بَرْدَها في نَحْرِي، فتجلَّى لي كلُّ شيءٍ وَعَرَفْتُ، فلم يدركه مِنَّا سابقٌ باجتهادِ الأعمالِ، ولا لَاحِقٌ أَدْرَكَهُ فيضُ النَّوَالِ، فرياض الملكوتِ بزَهْرِ جماله السَّاري في عالمِ الوجود مُونِقَةٌ، وحياضُ الجَبروتِ بفَيْضِ أنوارهِ المتلألئةِ في عالمِ الشُّهود مُتدفِّقةٌ، ولا شيءَ إلَّا وهو به مَنُوطٌ، في كلِّ عروجٍ وهبوطٍ، إذ لولا الواسطةُ في وُصُولِ الإمدادِ وحُصُولِ الإسعادِ لذهب كما قيل المَوْسُوطُ، بدليل: إنَّما أنا قاسمٌ والله يُعطي. ولو أنهم إذ ظَلموا أنفسَهم جاءوك فاستغفروا اللهَ واستغفر لهم الرسولُ لوجدوا الله توَّابًا رحيمًا. صلاةً كاملةً تليقُ بك من حيث ألوهيَّتك، صادرةً منك من حيث ربوبيَّتك، تُزْجَى إليه تكريمًا

لقَدْرِهِ العظيمِ، مصحوبًا بخِلْعَةِ لقد جاءكم رسولٌ من أنفُسِكُم عزيزٌ عليه ما عَنِتُّم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤفٌ رحيم. وسلامًا تامًّا يتنزَّل في معارجِ القُدْسِ، علىٰ بِسَاطِ الأُنسِ، يليق به كما هو أهله.

اللهمَّ إنه سِرُّكَ الجامِعُ لجميع الكمالات الإنسانيةِ، المُزَكَّىٰ مِنْ حضرتك العَلِيَّةِ بصفة وإنَّك لعلىٰ خلقٍ عظيمٍ، الدَّال بجميع الحالات عليك، المؤَيَّدُ منك بشهادة والله يعلم إنَّك لرسوله، من يُطِعِ الرسولَ فقد أطاع اللهَ، قل إن كنتم تُحِبُّونَ اللهَ فاتبعوني يُحببكم اللهُ. وحِجَابُكَ الأعظمُ القائمُ لك بتمام العبوديةِ، شكرًا علىٰ ما أَوْلَيتهُ مِن رفيع الرُّتْبةِ وعظيم المنزلةِ، إنَّا فتحنا لك فتحًا مبينًا ليغفر لك اللهُ ما تقدَّم مِن ذنبكَ وما تأَخَّرَ ويُتمَّ نعمته عليك ويهديك صراطًا مستقيمًا وينصرك الله نصرًا عزيزًا. الخاضعُ بين يديك لمقام الربوبيةِ، الذي شرَّفته في مقام القُرْبِ بشرفِ سبحان الذي أسرىٰ بعبده. فأوحىٰ إلىٰ عبده ما أوحىٰ.

اللهمَّ ألحقني في الباطنِ ونَفْسِ الأمرِ بنَسَبِهِ الجِسْمَاني، إلحاقًا يَجْبُرُ ما نَقَصَ مِن رواتبِ الأعمالِ، ويَصِلُ ما انقطعَ مِن وارداتِ الأحوالِ، حتىٰ أسعدَ بالاندراجِ في عمومِ قَضِيَّةِ: «كلُّ سببٍ ونسبٍ ينقطعُ يوم القيامةِ إلَّا سَبَبِي ونَسَبِي»، وحقِّقْني في نفسي وحالي ووِجْدَاني بحَسَبِهِ الرُّوحاني، تحقيقًا يقطع منِّي حظَّ الشيطانِ، ويُدخلني في زُمْرَةِ: «إنَّ عبادِي ليس لك عليهم سلطان». وعَرِّفني إيَّاهُ معرفةً كاشفةً لفضائله وفَوَاضِلِهِ، أَسْلَمُ بها من مَوَاردِ الجهلِ بك وبه، في مخارجِ الأمرِ ومداخلهِ، وأَكْرَعُ بها مِن مَوَاردِ الفضلِ الواصلِ منك إليه، وأنهلُ مِن عينِ وما أرسلناك إلَّا رحمةً للعالمين. إنما بُعثتُ رحمةً مُهْداةً. واحملني

في سَيْرِي إليك على سَبِيلِهِ الواضحةِ للسَّالكِ، لا يَزِيغُ عنها إلَّا هَالِكٌ، قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرةٍ أنا ومن اتبعني. إلى حضرتك القُدُّوسِيَّةِ التي إليها ينتهي سَيْرُ الواصلين، وعندها تقفُ مَطَايا السَّالكين، وأنَّ إلى ربِّكَ المُنْتَهَى. حَمْلًا مَحْفوفًا بنُصْرَتِك الربَّانِيَّةِ، حتى أنجو مِن غَوَائل الطَّرِيقِ ومُضِلَّاتِ الهوى، وأَسْتَمْسِكَ بعُدَّة وتزوَّدوا فإنَّ خير الزَّاد التقوى. واقذف بي على جيش الباطل فأَدْمَغَهُ بصَوْلَةِ الحقِّ، وأَدْحضَهُ بقوَّة الصِّدقِ، فإذا عَزَمَ الأمرُ فلو صدقوا اللهَ لكان خيرًا لهم. وما النَّصرُ إلَّا مِن عند الله. وزُجَّ بي في بحارِ الأَحَدِيَّة الذاتية المُحيطة بجميع هياكل الحقائق والمعاني المُنَزَّهة عن الكَثْرَةِ والقِلَّةِ والكُلِّيةِ والجزئيّةِ والتباعُدِ والتداني، ألا إنه بكلِّ شيءٍ مُحيطٍ. وانشُلني مِن أوحال التوحيد المُوقِعَةِ في ظُلُماتِ الشُّبَهِ والترديد، إلى فضاء تنزيه ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير. سبحانك ما عبدناك حقَّ عبادتك. وأغرقني في عين بَحْرِ الوِحْدَةِ الشُّهوديَّةِ، مع القيام بأداء حقوق العبودية، قل كلٌّ مِن عند الله. ما أصابك مِن حَسَنةٍ فمن الله. وما أصابك مِن سيِّئةٍ فمن نَفْسِك، حتى لا أرى ولا أسمعَ ولا أجِدَ ولا أُحِسَّ إلَّا بها، تحقُّقًا وتعَلُّقًا بإتحاف عناية: فإذا أحببتُهُ كنتُ سَمْعَهُ الذي يسمعُ به، وبَصَرَهُ الذي يُبصر به، ويده التي يَبْطشُ بها، ورجْلَهُ التي يمشي بها، واجعل الحِجَابَ الأعظمَ مِن حيث الإفاضة والتلقين حياةَ رُوحي، وكذلك أوحينا إليك رُوحًا مِن أمرنا، وإنك لتُلَقَّى القرآن من لَدُنْ حكيمٍ عليمٍ، ورُوحه من حيث التوصُّل والتمكين سِرَّ حقيقتي، حتَّى أتذوَّق سِرِّ: «وإذ قال ربُّك للملائكة إني جاعلٌ في الأرض خليفةً»، وحقيقته من حيث الهداية واليقين جامع عَوَالمي الظَّاهرةِ والباطنةِ، في

جميع أطوارها الجَلِيَّة والخَفِيَّة؛ لأتحقَّقَ بالوِراثةِ النَّبويَّةِ، والخِلافة المحمَّدية، وإنَّك لتهدي إلىٰ صراطٍ مستقيمٍ صراطِ الله، وجعلناهم أئمَّة يهدون بأمرنا لَمَّا صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون، بتحقيق الحقِّ الأوَّل في التعين الأوَّل بإشارة كنتُ أوَّلَ النَّاسِ خَلْقًا وآخرهم بَعْثًا، وجعلني فاتحًا وخاتِمًا، مع بشارة وإذ أخذ الله ميثاق النَّبيِّين لما آتيتكم مِن كتابٍ وحكمةٍ ثُمَّ جاءكم رسولٌ مُصدِّقٌ لما معكم لتؤمننَّ به ولتنصُرُنَّه. يا أوَّلُ ليس لأوَّليَّتِهِ ابتداءٌ، يا آخِرُ تقدَّسَ عن لُحُوقِ الفَنَاءِ، ياظاهر لا يلحقُهُ خفاءٌ يا باطِنُ ترَدَّىٰ بِرِدَاءِ العظمة والكبرياء، اسمِعْ ندائي مع ظهور فقري إليك والتجائي بما سمعتَ به نداءَ عبدِكَ زكريَّا، واجعلني صادقَ القول وفيًّا، وارزقني قلبًا تقيًّا، من الشرك نقيًّا، لا جافيًا ولا شقيًّا، وانصرني بك لك نصرًا مؤزَّرًا، إن ينصُرْكُم اللهُ فلا غالبَ لكم، وأيِّدني بك لك تأييدًا مُظَفَّرًا حتىٰ أكون في جماعة أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه، واجمع بيني وبينك بقَطْعِ العَلائِقِ النَّفْسانِيةِ، ومَنْعِ القَوَاطِعِ الشَّهْوَانية، حتىٰ أُشَرَّفَ بخطابِ يا أيَّتها النفس المطمئنَّةُ ارجعي إلي ربِّك راضيةً مرضيَّةً، وحُلْ بيني وبين غيرك حتىٰ لا أشاهد في الكون إلَّا أثر إحسانك وبِرِّك، وما بكم مِن نعمةٍ فمن الله. (الله. الله. الله). الله واحدٌ أحدٌ، الله وِتْرٌ صَمَدٌ، الله لم يكن له كُفُوًا أحدٌ، الله قويٌّ قادرٌ، الله عزيزٌ قاهرٌ، الله عليمٌ غافرٌ، إنَّ الذي فَرَضَ عليك القرآنَ، وأوجب عليك البيان، لرادُّكَ إلىٰ معاد، يوم تَحِقُّ لك السِّيادةُ علىٰ جميع العباد، ومِن الليل فتهجَّدْ به نافلةً لك، عسىٰ أن يَبْعَثَكَ ربُّك مقامًا محمودًا، ربَّنا آتنا من لدُنْك رحمةً وهيِّئ لنا مِن أمرنا رَشَدًا، واغفر لنا مغفرةً عامةً تجلو عن القلب كلَّ صَدا، ورقِّنا في معارج مدارج إنَّ الله

وملآئكته يصلُّون على النبيِّ ياأيُّها الذين آمنوا صلُّوا عليه وسلِّموا تسليمًا.

اللهمَّ صلِّ وسلِّم على سيِّدنا محمَّدٍ سيِّد المرسلين، وخاتِم النبِّين، وإمام المتقين، وقائدِ الغرِّ المُحجَّلين، وشفيع المذنبين، اللهمَّ اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك على سيِّدنا محمَّدٍ، رسول الخير وإمام الهدىٰ، ونبيِّ التوبة وعين الرحمة، اللهمَّ اجعل أفضل صلواتك وأزكاها، وأجل تسليماتك وأنماها على من أرسلته رحمةً عامَّةً، وبعثته نعمةً مهداةً، سيِّدنا محمِّد الذي شرحتَ صَدْرَهُ، ورفعتَ ذِكْرَهُ، وقَرَنْتَ اسمه باسمك، وجعلتَ طاعتَهُ مِن طاعتِكَ، وخَلَعْتَ عليه مِن وَصْفِكَ ونَعْتِكَ، اللهمَّ ارزقنا تَمامَ محبَّته، واتباع سُنَّته، والتأدُّبَ بآداب شريعته، والتمسُّك بأذيال آله وعترته، واحشرنا في زمرته، واجعلنا في الرعيل الأول من أهل شفاعته، اللهمَّ إنَّا نتوسَّل به إليك، ونستشفع به لَدَيْكَ، أن تقبل أعمالنا، وأن تُحسِّنَ أحوالنا، وتُنيرَ بالمعارف قلوبنا، وتُفرِّجَ مِن كُدُورات الأغيار كُرُوبَنا.

﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾.

شهدنا بذلك وأقررنا به، فاكتب اللهمَّ شهادتنا عندك، وأعظم جزائنا عليها، وأكرم نُزُلَنا بها واجعلها حُجَّتنا لديك يوم لقائك، ونجِّنا بها من سوء عذابك ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ (ثلاث مرات)

ثم المعوذتين، ثم ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ آمين.

سبحان ربِّك ربِّ العزَّةِ عمَّا يصفون، وسلامٌ على المرسلين،

والحمد لله ربِّ العالمين.

هذه الوظيفة تقرأ قبل إقامة الحضرة، وذلك بأن يجتمع الإخوان فيفتتحون الحضرة بقراءة سورة الفاتحة، ثم "المعارف الذوقية في الوظيفة الصِّدِّيقية" حتى إذا وصلوا إلى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣] استمرُّوا في ذكر الاسم المفرد «الله» جلوسًا بصوت متوسط نحو (٢٠ مرة)، ثم يقومون للذكر به قيامًا مع إنشاد القصائد الوعظية وما يناسبها، ثُمَّ يجلسون فيقرأ أحد الإخوان بعض آي الذكر الحكيم، ثم يُتمُّون قراءة الوظيفة ويختمون الحضرة بالدعاء الآتي مع رفع الأيدي وهو:

«اللهمَّ اجمعنا على محبَّتك، وأعِنَّا على طاعتك وخِدْمَتِكَ، وطهِّرنا تطهيرًا نصلح به لحضرتك ولِقا نبيك عليه السلام، وزدنا فيك تحيُّرًا وبك افتتانا، وغَيِّبنا فيك عن كل شيءٍ سواك، حتى لا نكون إلَّا بك ولك، واحفظنا فيك سائر يومنا، وبقية عُمُرِنا حتَّي تتوفَّانا وأنت عنَّا راضٍ، ونحن عنك غير مفتونين، بحقِّ مولانا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، سُبْحانَ ربِّك ربِّ العزَّة عمَّا يصفون، وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله ربِّ العالمين».

ثُمَّ يتصافحون مع تقبيل الأيدي، ويتذاكرون فيما يهمّهم مِن أمر دينهم ودنياهم.

صلاتان أنشأهما
أبو الفضل سيِّدي عبدالله بن الصديق
رحمه الله تعالى

* اللهمَّ صلِّ على عَبْدِكَ المُكَمَّلِ، ورَسُولِكَ المُبَجَّلِ، وخَلِيلِكَ المُفَضَّلِ، سيِّدنا محمَّدٍ الذي مَنَحْتَهُ المَقامَ المَحْمُودَ، والحَوْضَ المَوْرُودَ، وأَخَذْتَ لأجْلِهِ على الأنبياءِ المَوَاثِيقَ والعُهُودَ، مِفْتاحِ الكَائِناتِ، وخِتَامِ النُّبوَّاتِ، ومَجْلَى الأسْمَاءِ والصِّفَاتِ، صَلاةً تُفَرِّجُ بِها عَنَّا الكَرْبَ وتَقْضِي لَنا بِها الحَاجَاتِ، وتَفْتَحُ لَنا بِها أبوابَ القُرْبِ وتُيَسِّرُ بها أسْبَابَ المَكْرُمَاتِ، وعلى آلِهِ المُطَهَّرين مِن الأَرْجَاسِ، وصَحَابَتِهِ المُخَاطَبِينَ بـ:﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وسَلِّم تَسْلِيمًا كَثِيرًا إلى يومِ الدِّين، والحمدُ لله رَبِّ العَالمينَ .

* اللهمَّ صَلِّ وسَلِّم على عَبْدِكَ ونَبِيِّكَ سَيِّدنا محمَّدٍ الذي نَطَقَ لَهُ الحَجَرُ، وسَجَدَ لَهُ الشَّجَرُ، وانْشَقَّ بإشَارَتِهِ القَمَرُ، وزَالَ بِبَرَكَةِ مَسْحِهِ عن ذَوِي العَاهَاتِ الضَّرَرُ، نَبَعَ مِن أصَابِعِهِ الشَّرِيفَةِ المَاءُ النَّمِيرُ، ونَزَلَ بِدُعَائِهِ المَطَرُ الغَزِيرُ، وانْزَاحَ بَغَوْثِهِ الكَرْبُ عِن الخَلْقِ الكَثِير، صَلاةً وسَلامًا يَكُونانِ سَبَبًا في كَشْفِ كُرْبَتِنا، وتَفْرِيجِ غُمَّتِنا، والتَّعْجِيلِ بِزَوالِ شِدَّتِنا.

اللهمَّ اجْعَلْ صَلاتَنا عليه وَسِيلَةً إليكَ، واقْبَلْ اسْتِشْفَاعَنا بِهِ لَدَيْكَ، فإنَّهُ رَسُولِكَ الطَّاهِرُ المُطَهَّرُ، وحَبِيبُكَ الشَّفِيعُ المُشَفَّعُ هُنا وفي المَحْشَرِ، وارْضَ اللهمَّ عن آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرينَ، وصَحَابَتِهِ مِن الأَنصَارِ والمُهاجِرينَ . انتهى

استغاثة للمصنف أنشأها سنة ١٣٨٠ هجرية

سَأَلْتُكَ يا اللهُ يا مَن لَهُ الثَّنا ... تُفَرِّجُ فَضْلًا مِنكَ عَنِّي مُصِيبَتِي
ويا رَبُّ يا رحمنُ فارْحَمْ تَذَلُّلي ... إليكَ وأَدْرِكْنِي بنَصْرٍ وعِزَّةِ
رَؤُوفٌ رَحِيمٌ أنتَ فارْأَفْ بحَالتِي ... ويا بَرُّ يا تَوَّابُ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي
ويا صَمَدُ أُنْهِي إليكَ مَطَالِبي ... لتُقْضَى ومِنها مَحْوُ كُلِّ خَطِيئَةِ
عَفُوٌّ غَفُورٌ فاعْفُ عَنِّي وعَافِني ... بسَتْرِكَ يا سَتَّارُ تَشْمَلُ زَلَّتِي
وأنتَ جَوادٌ ماجِدٌ مُتَفَضِّلٌ ... فجُدْ لي بفَضْلٍ مِنكَ يُذْهِبُ عِلَّتِي
ويا مُنْعِمٌ أَنْعِمْ عَلَيَّ تَكَرُّمًا ... بمَنِّكَ يا مَنَّانُ تَكْشِفُ كُرْبَتِي
ويا أَحَدُ مَالي سِواكَ يُمِدُّنِي ... مِن الخَيْرِ ما يَقْضِي بتَفْرِيجِ غُمَّتِي
ويا حَيُّ يا قَيُّومُ أَحْيِي قُلُوبَنا ... بِذِكْرِكَ كَيْ نَنْجُو بِهِ يَوْمَ شِدَّةِ
أَغِثْنِي وعَجِّلْ يا مُغِيثُ فإنَّني ... يَئِسْتُ مِن الدُّنيا وأَهْلِ المُرُوءَةِ
وأَسْأَلُ ربِّي أنْ يُواصِلَ بِرَّهُ ... علىٰ مَن وفَىٰ بالعَهْدِ في وَقْتِ أَزْمَتِي
إلهي لقَدْ يَمَّمْتُ بابَكَ ضَارِعًا ... إليكَ فأَرْغِدْني بفَيْضٍ ونِعْمَةِ
إلهي أَجِبْ واسْمَعْ دُعَائِي فإنَّني ... قَصَدْتُكَ لا أَرْجُو سِواكَ بِدَعْوَتِي
إلهي وخَلِّصْنِي مِن الكَرْبِ والأَذَىٰ ... وأَذْهِبْ سَرِيعًا عَنِّي كُلَّ مَضَرَّةِ
إلهي وتَوِّجْنِي بنَصْرِكَ عَاجِلًا ... فإنِّي شَرِيدُ الفِكْرِ مِن هَوْلِ شِدَّتِي
إلهي ونَجِّنِي مِن الأَزَمَةِ التي ... أُتِي بي إليها كَي تُحَقِّقَ مُنْيَتِي
دَعَوْتُكَ يا اللهُ يا واسِعَ العَطَا ... فحَقِّقْ دُعَائِي واسْتَجِبْ لرَجَاوَتِي

بجَـاهِ رَسُـولِ الله أَفْضَـلِ شَـافِعٍ ... وأَكْمَـلِ مَخْلُـوقٍ أَتَـىٰ بِنُبُـوَّةِ
رَسُولٌ كريمٌ واسعُ الصَّدْرِ سَيِّدٌ ... أَمِـينٌ وَفِيٌّ ذو الخِصَـالِ العَظِيمَـةِ
حَبيبٌ إلىٰ الـرَّحمنِ أَعْظَـمُ مُرْسَـلٍ ... خَلِيـلٌ نَجِـيٌّ نَـالَ أَعْظَـمَ رُتْبَـةِ
صَـفِيٌّ لَـهُ عِنـدَ الإلِـهِ مَزِيَّـةٌ ... سِراجٌ مُنِـيرٌ عَـمَّ كُـلَّ البَرِيَّـةِ
فمِـنْ نُـورِهِ كـانَ النَّبِـيُّون كُلُّهُـم ... ومِـنْ نُـورِهِ كانـتْ جَمِيـعُ الخَلِيقَـةِ
وكـان نَبِيًّـا حيـثُ آدَمُ صُـورَةٌ ... مُجَنْدَلَـةٌ بَـيْنَ المِيـاهِ وطِينَـةِ
أَجَـلَّ إلـهُ العَـرْشِ قَـدْرَ نَبِيِّـهِ ... فعَظَّمَـهُ عنـد النِّـداءِ بكُنْيَـةِ
وفي آيـةِ المِيثـاقِ عَهْـدٌ مُؤَكَّـدٌ ... مِـن الله للرُّسْـلِ الكِـرَامِ بجُمْلَـةِ
وفي آيـةِ الرِّبـا دَليـلُ حَياتِـهِ ... دَوَامًـا بـلا ثنيـا إلىٰ يَـوْمِ نَفْخَـةِ
وكَرَّمُـهُ المَـوْلَىٰ بمَـدْحِ صِـفَاتِهِ ... وطَهَّـرَهُ مِـن كُـلِّ عَيْـبٍ ووَصْـمَةِ
وأَعْـلَىٰ عَـلَىٰ كُـلِّ النَّبِيِّـينَ قَـدْرَهُ ... وشَرَّفَـهُ ليـلَ العُـرُوجِ برُؤْيَـةِ
تَـجَلَّىٰ عليـه لَيْلَهـا بمَعَـارِفٍ ... وعِلْـمٍ وأَسْرارٍ وقُـرْبٍ وحَظْـوَةِ
ومـا زَالَ يَرْقَـىٰ بَعْـدَ ذاك مَرَاتِبًـا ... مِن العِلْمِ والعِرْفَـان في كُـلِّ لحظَـةِ
نبـيٌّ أَتَـىٰ بالـدِّينِ سَـهْلًا مُيَسَّـرًا ... بعيـدًا عـن التَّشْـدِيدِ أو أيِّ كُلْفَـةِ
نبـيٌّ سَـخِيُّ الكَـفِّ أَسْـخَىٰ مَـن ... يَجُـودُ ولا يَخْشَـىٰ مِـن أَيَّـةِ عَيْلَـةِ
نبـيٌّ حَلِـيمٌ ذو أَنَـاةٍ يَزينُهـا ... رَزَانَـةُ رأيٍ لا يَمِيـلُ لِطَـيْشَةِ
نبيٌّ يُحِـبُّ اليُسْـرَ والعَفْـوَ والوَفَـا ... ويَبْغَضُ -طَبْعًا فِيـهِ- كُـلَّ نَقِيصَـةِ
نبـيٌّ أَتَـىٰ بالزُّهْـدِ في هَـذِهِ الـدُّنَا ... ولو شَـاءَها جَـاءَتْ بـأَدْنَىٰ إشَـارَةِ

نبـيٌّ غَنِـيُّ القَلْـبِ بـالله وَحْـدِهِ فمَـوْلَاهُ قَـدْ أَغْنَـاهُ عـن كُـلِّ زِينَـةِ
نبـيٌّ تَـوَلَّى اللهُ عَنْـهُ دِفَاعَـهُ وخَيَّـبَ قَوْمًـا قَـدْ رَمُـوهُ بجِنَّـةِ
نبـيٌّ لَـهُ يَـومَ القِيـامِ شَـفَاعَةٌ وجَـاهٌ عَـرِيضٌ عِنـدَ رَبِّ البَرِيَّـةِ
نبـيٌّ أَتَـى بـالمُعْجِزاتِ قَوَاطِعًـا فمِنهـا حَنِـينُ الجِـذْعِ في يـومِ جُمعَـةِ
ومِنها انشِقاقُ البَدْرِ في وَسَطِ السَّما وتَـأْخِيرُ شَـمْسٍ حِـين كـان بمَكَّـةِ
ونَبْـعُ مِيـاهٍ مِـنْ أَصَـابعِ كَفِّـهِ فَـأَرْوَى نَمِـيرًا للجُمُـوعِ الغَفِـيرَةِ
وأَطْعَـمَ ألفًـا أو يَزِيـدُونَ دَاجِنًـا فأَشْـبَعَهُم والأَكْـلُ فـاضَ بكَثْـرَةِ
وأَسْـمَعَ تَسْـبيحَ الطَّعـامِ لِصَـحْبِهِ الكِـرامِ وكَـانوا يَـأْكُلُون بسـفْرَةِ
وأَبْـرأَ أَسْـقَامًا بنَفْـثٍ لِسَـانِهِ وأَذْهَـبَ أَوْصَـابًا وبُؤْسًـا بلَمْسَـةِ
فصَـلَّى عليـه اللهُ مـا ذَرَّ شَـارِقٌ ومـا دامَـتِ الـدُّنيا إلى يـومِ نَفْخَـةِ
وسَـلِّم تَسْـلِيمًا إلى يـومِ بعثنـا وأَسْـعِدْنا بـالقُرْبِ مِنْـهُ وحَظْـوَةِ

آداب الطريقة الصديقية

أدب المريد مع الله تعالى

يلزم المريد من الأدب مع ربِّه: أن يكون واقفًا مع حدود الشريعة غير متعدٍّ لها ولا متهاون فيها، وأن يكون مواظبًا على فعل السُّنن ونوافل الخيرات، فبذلك يحظى بحبِّ مولاه ورِضاه عنه، جاء في حديثٍ قدسيٍّ صحيحٍ: «**وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ مما افترضتُ عليه، ولا يزال عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنوافل حتى أحبَّه، فإذا أحببتُهُ كنتُ سمْعَهُ الذي يسمعُ به، وبصَرَهُ الذي يُبْصِرُ به، ويده التي يَبْطِشُ بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأُعطينَّه ولئن استعاذني لأُعيذنَّه**».

وأن يكون راضيًا بما يجريه الله من تصاريف الأقدار، قال -عليه الصَّلاة والسَّلام- في وصيِّته لابن عبَّاسٍ رضى الله عنهما: «**واعلم أنَّ ما أخطأك لم يكن ليُصِيبك، وما أصابك لم يكن ليُخْطِئك**». ولا شكَّ أنَّ المريد إذا تحقَّق بهذا وعلمه اطمأنَّ قلبه ورضي بما يصرفه في الكون ربُّه.

وأن يتوجَّه بسؤاله إلى الله في كلِّ شيءٍ، قال تعالى: ﴿وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء: ٣٢]، وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**إذا سألتَ فاسأل الله**»، وفي حديثٍ آخر: «**ليسأل أحدُكم ربَّه حاجَتَه كلَّها حتَّى يسأله شِسْعَ نعله إذا انقطع**». وحصل لبعض السَّلَف ضيقٌ في معيشته حتى همَّ أن يطلب من بعض إخوانه، فرأى في منامه قائلًا يقول له : أيحسن بالحرِّ المريد إذا وجد عند الله ما يريد أن يميل بقلبه إلى العبيد؟! فاستيقظ وهو أغنى الناس قلبًا.

وأن يكون متأدبًا مع الرسول عليه الصَّلاة والسَّلام، متخلِّقًا بسنَّته مقدِّمًا لها على كلِّ شيءٍ، معظِّمًا لأهل بيته وصحابته، وهذا لا يحتاج إلى برهان؛ فقد نصَّ الله في غير آيةٍ من القرآن على وجوب تعظيم رسوله والتأدُّب في حقِّه، وجعل طاعته طاعة لله، ونفي الإيمان عمن لم يرضَ بحكمه، وتوعَّد من خالف أمره بالفتنة والعذاب الأليم.

أدب المريد مع شيخه

يلزم المريد الأدب مع شيخه: أن يعظِّمه ويوقِّره، وألا يتقدَّم بين يديه بقولٍ أو فعلٍ، وأن يذبَّ عنه في غيبته، وألَّا يحضر في مجلسٍ يُنال فيه من عِرْضِ شيخه، وأن يستأذنه في الخروج إذا كان حاضرًا، وألا يخالف ما يُشير به عليه الشيخ... إلى غير ذلك مما لذكره محلٌّ آخر.

وهذه الآداب استخرجها الصوفية مما أدَّب الله به الصحابة في القرآن وأمرهم أن يستعملوها مع النبيِّ -عليه الصَّلاة والسَّلام-، ولا شك أنَّ المشايخ خلفاؤه في الإرشاد والتعليم والتهذيب، كما قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**العلماء ورثة الأنبياء**». فتلزم هذه الآداب في حقِّهم بطريق الوراثة، ولهذا ينبغي ويتأكَّد في حقِّ المريد قبل دخوله في الطريق أن يتخيَّر الشيخ الذي تتحقَّق فيه الوراثة النبوية، وذلك بأن يكون عالمًا بالشريعة متمكِّنًا فيها، عالمًا بالقرآن والسُّنَّة؛ لأنه لا إرشاد ولا سلوك إلَّا بما كان مطابقًا للشرع متمشِّيًا مع أحكامه، ومن لم يكن متمكِّنًا في العلم متزيِّنًا بالاستقامة لا يصلح للإرشاد؛ لأنَّ فاقد الشيء لا يُعطيه.

آدب المريد مع إخوانه

يلزم المريد مِن الأدب مع إخوانه: أن يحترمهم ولا يرىٰ لنفسه فضلًا عليهم، ويواسي محتاجهم ويَعُودُ مريضهم ويعلِّم جاهلهم، ويتعاون معهم علىٰ إقامة شعائر الطريق، ويتغاضى عمن أخطأ منهم في حقِّه ويلتمس له العُذْرَ في ذلك ويحمل حاله علىٰ مَحْمَلٍ حَسَنٍ، ويخدمهم بنفسه، وإذا قابل أحدًا منهم بدأه بالبشر والمصافحة، ومَن زلَّ منهم نَصَحَهُ بالحُسْنَىٰ مِن غير أن يحتقره أو يشنِّع عليه.

ويلزمه من الأدب مع المُقدَّم أن يُعظِّمه ولا يتقدَّم عليه، ويسمع كلامه ويعتبره نائبًا عن الشيخ، وعلىٰ المُقدَّم أن يُعنىٰ بمسائل الإخوان ويتعاهدهم بالمذاكرة المرة بعد المرة، ويتفقَّد غائبهم ويلين لهم الجانب، ويساوي بينهم في المعاملة.

أدب المريد مع المسلمين

يلزمه من الأدب معهم: أن يعاملهم بالصِّدْق، ويتواضع معهم من غير أن يطمع في أحدٍ منهم، ولا يخافه ولا يخشاه، ويسعىٰ في منفعتهم، ويحبَّ لهم مِن الخير ما يحبُّهُ لنفسه لقوله عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لا يؤمن أحدُكم حتَّى يُحبَّ لأخيه ما يُحبُّ لنفْسِهِ**».

فإذا حافظ المريد علىٰ هذه الآداب وواظب عليها كان موقنًا صادقًا، ونال من الله تعالىٰ ما يبتغيه، وفقَّنا الله جميعًا لما فيه الخير والسداد، وأنالنا رضاه إنه جواد كريم رؤوف رحيم.

وصية جامعة

ونختم هذه المجموعة بوصيةٍ جامعةٍ لجملةٍ من الواجبات والآداب، في رسالة كتبها مولانا وإمامنا ومنشئ طريقتنا العارف الأكبر سيدي الشيخ السيِّد محمَّد بن الصِّدِّيق لأهل مدينة العرائش بالمغرب الأقصىٰ وهي:

إلىٰ إخواننا في الله وأحبَّائنا فيه كافَّة، فقراء العرائش حفظكم الله وسلام عليكم ورحمة الله تعالىٰ، أما بعد:

فأُحبِّكم -أَحبكم الله ورسوله- أن تقوموا بالوظائف الدينية القَلْبية والقَالَبية؛ ففيها السعادة الأُخروية والرَّاحة الأبديَّة.

فمن الوظائف النطق بالشهادتين مع اعتقاد معناهما الذي هو ثبوت الوحدانية لله ذاتًا وصفةً وفعلًا، وثبوت رسالة مولانا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مع تصديقه فيما جاء به عن الله واتباع أوامره واجتناب نواهيه.

فمنها وهو أهمها -بعد الشهادتين-: أداء الصلوات الخمس في أوقاتها المعينة لها، مع إيقاعها في الجماعة، والإتيان بجميع شروطها من الطهارة الكُبرىٰ والصُّغرىٰ، واستقبال القبلة، وستر العورة.

وإتقان الوضوء بإتقان الاستبراء الذي هو: استفراغ ما في المحلين من الأذىٰ، مع الاستجمار بالأحجار إن أمكن، والغسل بالماء بعده.

والإتيان بجميع الفرائض والسُّنن والمستحبَّات، ولا بد مع هذا من المحافظة علىٰ النوافل كالوتر والفجر والرواتب القبلية والبعدية.

ومنها: الزكاة فأدُّوها إن وجبت عليكم، ولا بد فإنها طهارةٌ وبركةٌ وسببٌ للغنىٰ.

واحفظوا مع هذا جوارحكم -التي هي: الأذن والعين واللسان والبطن واليد والفرج والرجل- من المنهيات، فلا تسمعوا إلَّا الوعظ والذِّكر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا تنظروا إلىٰ ما لا يحل لكم من النساء والصبيان والأمتعة، واحفظوا ألسنتكم من الكذب والغيبة والنميمة والزور والبهتان، وأيديكم من إذاية الناس في أبدانهم وأموالهم، وبطونكم من الحرام، وفروجكم من مماسَّة مالا يحل لكم، وأرجلكم من المشي في غير طاعة الله، وقلوبكم من العجب، والكبر، والرياء، والحسد، والبغض، والغل، والحقد، والغش، والخديعة، والمداهنة، وحبِّ الرياسة والتقدُّم، وحبِّ المدح وخوف الذم، والاهتمام بالرزق، والخوف من الخَلْقِ. وتفكَّروا في مصنوعات الله، واستحضروا اطِّلاعه عليكم في جميع الحالات، ولا تستعظموا هذا فإنه سهلٌ إن استعنتم عليه بالله.

ثم المؤكد به عليكم الاجتماع لذكر الله وقت فراغكم من الأشغال وخصوصًا فيما بين المغرب والعشاء، وفيما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس، ففي ذِكْرِ الله في هذين الوقتين من الفضل والثواب شيءٌ عظيمٌ، وتزاوروا في الله وتحابُّوا فيه، وواسوا مُحتاجكم، وصِلوا أرحامكم، وعُودوا مرضاكم، وتَوَاصَوْا بالحقِّ وتَوَاصَوْا بالصَّبرِ، واحتملوا أذىٰ مَن أذاكم، ولا تُجالسوا مَن يقطعكم عن ذِكْرِ الله ولا تخالطوه؛ فإنه يميت قلوبكم، وفي موتها فساد الدِّين وضعف اليقين، وفي ذكر الله ذكره ورضاه ومجالسته وطمأنينة القلب، وفي الاجتماع عليه رياض الجنَّة، وغشيان الرحمة، ونزول السكينة، وحفوف الملائكة، حسبما وردت به الأخبار، وصحَّت عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله

وسلَّم الآثار.

وإياكم والإنصات لمن يصدكم أو يلومكم فإنه شيطانٌ ماردٌ ومطرودٌ شاردٌ، ولا تُسيئوا لأحدٍ مِن عباد الله، ولا تخافوه ولا ترجوه؛ فإن الأمور كلها بيد الله لا يملك أحدٌ لأحدٍ منها ضرًّا ولا نفعًا ولا خفضًا ولا رفعًا، وصونوا قلوبكم من الطمع في الخلق فإنه الفقر الحاضر والذل الظاهر، واعلموا أنكم إن فعلتم هذا ثبتت خصوصيتكم، ونلتم مطلوبكم من ربكم، أعانكم الله وقوَّاكم ومن نزغات الشيطان حفظكم ووقاكم، والسلام.

٥- إرْشَادُ الأَنامِ
إلى ما يُتْلَى مِنَ السُّورِ والأذْكَارِ في الأيَّامِ

مقدمة

الحمدُ لله الذي تطمئنُّ بذكرِه القلوبُ، وتنفرجُ بدعائِه الكروبُ، أحمدُه وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا هو غفَّار الذُّنوبِ، ستَّارُ العيوبِ، وأشهدُ أنَّ سيدنا محمَّدا عبدُه ونبيُّه، وخليلُه ونجيُّه، أرسلَه شاهدًا ومبشِّرًا ونذيرًا، وداعيًا إلىٰ الله بإذنه وسراجًا منيرًا، فبلَّغ الرِّسالة وأدَّىٰ الأمانةَ ونصحَ الأُمَّة، وأقام للتوحيد أعلامًا، وهدم للشِّرك أوثانًا وأصنامًا، فصَلَّىٰ الله وسَلَّم وبارك عليه وعلىٰ آله وأزواجه وذريته، وجزاه عنا أفضل ما جزىٰ نبيًّا عن أمته.

وبعد: فهذا كتابُ "إرشادُ الأنامِ إلىٰ ما يُتلىٰ منَ السُّور والأذكارِ في الأيام" يحتوي علىٰ فصولٍ بعددِ أيَّام الأسبوع، ينتظمُ كلَّ فصلٍ منه شيئًا من القرآن الكريمِ، ثمَّ بعضَ صِيَغ الصَّلاة الإبراهيميَّة ودعواتٍ وتسبيحاتٍ وتحميداتٍ أو استغفاراتٍ وتعوُّذاتٍ، والتزمْنا في كلِّ ذلك أنْ يكونَ ممَّا ورد في السُّنَّة، ولم نلتزمْ تخريجَ جميعِ ما فيه منَ الصَّلوات والأذكارِ والدعواتِ لأمرين:

الأول: أنَّ التخريجَ يُشوِّشُ علىٰ الذَّاكر ويغرقُ فكرَه، فيفقدُ بذلك رُكنًا هامًّا من أركان الذِّكر، وهو التدبُّر والتفكُّر.

الثاني: الاكتفاءُ بذكرِ المصادرِ التي نقلْنا منها، وهي مصادرُ موثوقٌ بها، لإمامةِ أصحابِها، وتبْريزِهم في علمِ الحديثِ الشَّريفِ، واللهُ المسئولُ أنْ يقبلَ منِّي هذا العملَ، ويُثيبَني عليه، إنَّه جوادٌ كريمٌ واسعُ الفضلِ العميم.

المبحثُ الأول

كثيرٌ منَ النَّاسِ يَميلونَ إلى قراءةِ الأذكارِ والأدعيةِ يتلمَّسُون في قراءتِها اطمئنانَ قلوبِهم، وراحةَ نفوسِهم، وجلاءَ صدورِهم، ويُنزلون ما يعنُّ لهم من مُهمَّاتِ الأمورِ ببابِ مولاهم وناصرِهم، ويطلبُون منه كشفَ ضرِّهم وكفايةَ ما أهمَّهم.

لكنَّهم يُقبِلون على كتبِ الأذكار والأورادِ التي ألَّفها مشايخُ الطُّرقِ ومنْ على شاكلتِهم يَشْغلون بها معظمَ أوقاتهم، مع أنَّ تلك الكتبَ تشتملُ على أذكارٍ غيرِ واردةٍ، والذِّكرُ بها جائزٌ وإنْ منعه الوهَّابيون المتزمِّتون؛ لأنَّ الأمرَ بالذِّكر يشملُ الواردَ وغيرَه. لكنْ لا نزاعَ أنَّ الذِّكر الواردَ أفضلُ وأكملُ.

فهذا ما حداني إلى تأليفِ هذا الكتابِ وجمعِه مما وردَ عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عسى أنْ يتَّجِه محبُّو الذِّكر وطالبُوه إلى الذِّكر الواردِ فسيجدون فيه سرَّ الوحي ونورَ النبوَّة، وبرَكةَ التِّلاوةِ، ويلقَوْنَ أثرَه نورًا في قلوبِهم، وانشراحًا في صدورِهم، وخشوعًا لله يستولي على أحاسيسِهم وشعورِهم، وحينئذ يتذوَّقُون معنى قولِه تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

المبحث الثاني

اشتملَ هذا الكتابُ على ثلاثةِ أشياءَ: سُورٍ وآياتٍ، وصلواتٍ، ودعواتٍ.

بالمعنى الشَّاملِ للتَّسبيحاتِ والتَّحميداتِ والتَّعوُّذاتِ والاستغفاراتِ.

فأمَّا السُّور والآياتِ: فاعتمَدْنا فيها على الأحاديثِ الواردةِ في فضلِها، وهي مخرَّجة في: "تفسير" الحافظِ ابنِ كثير، "التَّرغيب والتَّرهيب" للحافظِ

المنذريِّ، "المتَّجَر الرَّابحِ في ثواب العملِ الصالحِ" للحافظِ الدِّمياطيِّ.

وأمَّا الصَّلوات: فاقتصرْنا منها على الصِّيغِ الإبراهيميَّة الواردة، واعتمدْنا في إيرادِها على كتابِ "الإعْلام بفضلِ الصَّلاة على النَّبيِّ عليه الصَّلاة والسَّلام" للإمامِ أبي عبدِ الله محمَّد بنِ عبدالرحمن بنِ عليٍّ بن عبدالرحمن النميريِّ، فقد اعتنى بجمعِ الصِّيغ الواردةِ مع عزْوها لمَنْ رواها.

وأمَّا الدَّعواتُ: فأخذناها من كتاب "النَّصيحةُ في الأدعيةِ الصحيحةِ" للحافظِ عبدالغنيِّ المقدسيِّ الحنبليِّ، وأخذنا بعض التَّسبيحاتِ والتَّحميداتِ من كتابِ "التَّرغيب والتَّرهيب" للحافظِ المنذريِّ.

المبحثُ الثالثُ

قال الله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وقال سبحانه: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥] وقال جلَّ شأنُه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١ – ٤٢].

وقال سبحانَه: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح: ١٠ – ١٢]، والآياتُ في هذا كثيرةٌ.

وفي الحديث الصَّحيح : «ما اجتمَعَ قومٌ في بيتٍ من بيوتِ الله يتلُون كتابَ الله ويتدارسُونه بينَهم، إلَّا نزلتْ عليهِمُ السَّكينةُ، وغشيتْهمُ الرَّحمةُ، وحفَّتْهُم الملائكةُ، وذكرهمُ اللهُ فيمنْ عنده» رواه مسلمُ وأبو داودَ وغيرُهما.

وقال صلَّى الله عليه وآله وسلّم: «مَنْ قرأ حرفًا منْ كتابِ الله فله بهِ حسنةٌ والحسنةُ بعشرِ أمثالِها، لا أقولُ ألم حرفٌ ولكنْ ألفٌ حرفٌ ولامٌ حرفٌ وميمٌ حرفٌ» رواه التِّرمذيُّ وقال: حسنٌ صحيحٌ.

وقال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «اقرأوا القرآنَ فإنَّه يأتي يومَ القيامة شفيعًا لأصحابِه» رواه مسلمٌ في "صحيحِه".

وقال صلَّى الله عليهِ وآلهِ وسلَّم: «عليك بتلاوةِ القرآنِ فإنَّه نورٌ لك في الأرضِ وذخرٌ لك في السَّماء» رواه ابنُ حِبَّان في "صحيحِه".

وقال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «يقول الرَّبُّ تبارك وتعالى: من شغلَه القرآنُ عن مسألتي، أعطيتُه أفضلَ ما أعطي السَّائلين، وفضلُ كلامِ الله على سائرِ الكلامِ كفضلِ الله على خلقِه» رواه الترمذي وحسَّنه.

وقال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «مثلُ البيت الذي يُذكرُ الله فيه، والذي لا يُذكرُ الله فيه مثلُ الحيِّ والميتِ» رواه الشَّيخان.

وقال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «يقولُ الله تعالى: أنا عند ظنِّ عبدي بي وأنا معَه إذا ذكرني، فإنْ ذكرني في نفسِه ذكرتُه في نفسي وإنْ ذكرني في ملإٍ ذكرتُه في ملإٍ خيرٍ منهُم» رواه الشَّيخان.

وقال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «الدُّعاء هو العبادةُ». رواه الترمذيُّ وصحَّحه.

وقال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**من لم يسألِ الله يغضبْ عليه**» رواه الإمامُ أحمدُ.

وقال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**منْ لزِمَ الاستغفارَ جعلَ الله له منْ كلِّ همٍّ فرجًا، ومن كلِّ ضيق مخرجًا، ورزقه من حيثُ لا يحتسبُ**». رواه الأربعةُ إلَّا الترمذيَّ وصحَّحَه الحاكمُ.

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] قال البخاريُّ في "صحيحه": قال أبو العاليةِ: صلاةُ الله ثناؤُه عليه عندَ الملائكةِ. وقال ابن عبَّاس: «يصلون يبركون».اهـ

وقال الحافظُ ابنُ كثير: والمقصودُ منْ هذه الآية أنَّ الله سبحانه وتعالى أخبر عبادَه بمنزلةِ عبده ونبيِّه عنده في الملإ الأعلى بأنَّه يُثْني عليه عند الملائكةِ المقرَّبين.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ١ – ٧].

أستغفرُ الله العظيمَ الذي لا إله إلا هوَ الحيَّ القيُّومَ وأتوبُ إليه (ثلاثًا).

هو الله، الرَّحمنُ، الرَّحيمُ، الملِكُ، القُدُّوسُ، السَّلامُ، المؤمنُ، المهَيمِنُ، العزيزُ، الجبَّارُ، المتكبِّرُ، الخالقُ، البارئُ، المصوِّرُ، الغفَّارُ، القهَّارُ، التوَّابُ، الوهَّابُ، الخلاقُ، الرَّزَّاقُ، الفتَّاحُ، العليمُ، الحليمُ، العظيمُ، الواسعُ، الحكيمُ، الحيُّ، القيُّومُ، السَّميعُ، البصيرُ، اللَّطيفُ، الخبيرُ، العليُّ، الكبيرُ، المحيطُ، القديرُ، المولى، النَّصيرُ، الكريمُ، الرَّقيبُ، القريبُ، المجيبُ، الوكيلُ، الحسيبُ، الحفيظُ، المُقيتُ، الودودُ، المجيدُ، الوارثُ، الشَّهيدُ، الوليُّ، الحميدُ، الحق، المبينُ، القويُّ، المتينُ، الغنيُّ، المالكُ، الشَّديدُ، القادرُ، المقتدرُ، القاهرُ، الكافي، الشَّاكرُ، المستعانُ، الفاطرُ، البديعُ، الغافرُ، الأولُ، الآخرُ، الظَّاهرُ، الباطنُ، الكفيلُ، الغالبُ، الحكمُ، العالمُ، الرَّفيعُ، الحافظُ، المنتقمُ، القائمُ، المحيي، الجامعُ، المليكُ، المتعالِ، النورُ، الهادي، الغفورُ، الشَّكورُ، العفوُّ، الرؤوفُ، الأكرمُ، الأعلى، البرُّ، الحفيُّ، الربّ، الإلهُ، الواحدُ، الأحدُ، الصَّمدُ الذي لم يلدْ ولم يولدْ ولم يكنْ له كفوًا أحدٌ.

تنزَّه عن الشَّريكِ والمعاندِ، وتقدَّسَ عن أنْ يكون له ظهيرٌ أو مساعدٌ، أوجدَ المخلوقاتِ ببديعِ صُنْعه، وعظيمِ قدرتِه وصرَّفَ أمورَهم على مقتضَى حكمتِه، ويسَّرهم لما قضَاهُ في سابقِ مشيئتِه، لا رادَّ لما قضاهُ ولا مانعَ لما أعطاهُ،

بيده الميزانُ، يخفضُ ويرفعُ، ويعطي ويمنعُ، ويضرُّ وينفعُ، لا ملجأ منه إلَّا إليه ولا اعتمادَ إلَّا عليه، حيٌّ لا يموتُ، والملائكة والجنُّ والإنسُ يموتون، كلُّ شيءٍ هالكٌ إلَّا وجهَه، له الحكمُ، وإليه ترجَعُون.

أحاط بكلِّ شيءٍ علماً، وأحصَىٰ كلَّ شيءٍ عددًا، يعلمُ ما تكنُّه الضمائرُ وما تنطوي عليه السَّرائرُ، وما يعزبُ عنْ ربِّك منْ مثقال ذرَّةٍ في الأرض ولا في السَّماء، ولا أصغرَ من ذلك ولا أكبرَ إلَّا في كتابٍ مبينٍ.

لا تحتويه الجهاتُ، ولا تمرُّ عليه السُّنون والأوقاتُ، السماواتُ والأرضُ في قبضتِه، والخلقُ جميعًا تحتَ قهرَ سطوتِه، وكلُّ شيءٍ خاضعٌ لعظمتِه لا تشبه ذاته الذَّوات، ولا تلحقُه سماتُ المحدَثاتِ، يكشفُ الكُرباتِ، ويسترُ السَّوءاتِ، ويغفرُ الزَّلَّاتِ، يبسطُ يدَه بالليلِ ليتوبَ مسيءُ النَّهار، ويبسطُ يدَه بالنَّهار ليتوبَ مسيءُ اللَّيلِ، الكبرياءُ رداؤُه، والعظمةُ إزارُه، والنُّورُ حجابُه، لا تدركُه الأبصارُ وهو يدركُ الأبصارَ، وهو اللطيفُ الخبيرُ.

اللَّهم أنت أجودُ من سُئل، وأوسعُ من أعْطَىٰ، وأنت الملكُ لا شريك لك، والفردُ لا نِدَّ لك، كلُّ شيءٍ هالكٌ إلَّا وجهكَ، لن تُطاع إلَّا بإذنك، ولنْ تُعصَىٰ إلَّا بعلمكَ، أخذتَ بالنَّواصي، وكتبتَ الآثارَ ونسختَ الآجال، القلوبُ لك مفْضِيةٌ، والسِّر عندك علانية، والحلالُ ما أحللتَ، والحرام ما حرَّمتَ، والدينُ ما شرعتَ، والأمرُ ما قضيتَ، والخلقُ خلقُك والعبدُ عبدُك، وأنت الله الرّؤوفُ الرَّحيمُ.

نسألك بنورِ وجهِك الذي أشرقتْ له السَّماواتُ والأرضُ، أنْ تسترَ عوراتِنا، وتؤمِّن روعاتِنا، وأنْ تعافيَنا من كلِّ سوءٍ وبليَّة.

اللَّهمَّ إنَّا نعوذُ بك من دركِ الشَّقاءِ وجهْد البلاءِ، وشماتة الأعداءِ. تبارك اسمُك وجلَّ ثناؤُك وعزَّ جارُك ولا إله غيرُك. ربَّنا ظلمْنا أنفسَنا وإنْ لم تغفرْ لنا وترحمْنا لنكونَنَّ من الخاسرينَ.

اللَّهم اغفرْ لنا ما قدَّمنا وما أخَّرنا، وما أسررْنا وما أعلنَّا وما أسرفْنا، وما أنت أعلمُ به منَّا، أنت المُقدِّم وأنت المؤخِّر، لا إله إلَّا أنت، يا ذا الجلال والإكرام، ويا ذا الطولِ والإنعامِ، ولا حولَ ولا قوةَ إلَّا بالله العليِّ العظيمِ. وصلَّى الله على سيدِنا محمَّد خاتم النبيِّين، وعلى آله وأصحابه والتابعين، وسلَّم تسليمًا كثيرًا إلى يومِ الدين.

الفصل الأول: وِرْدُ يومِ الجُمُعة

(سورة الكهف).

اللَّهم صلِّ على سيدنا محمَّد وعلى آل سيدنا محمَّد، كما صلَّيتَ على سيِّدنا إبراهيمَ وآل سيِّدنا إبراهيمَ إنَّك حميدٌ مجيدٌ، وباركْ على سيِّدِنا محمَّد وآلِ سيدنا محمَّد كما باركتَ على سيِّدنا إبراهيمَ وآل سيِّدنا إبراهيم إنَّك حميدٌ مجيدٌ.

اللَّهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آلِ سيدنا محمَّد، كما صلَّيت على سيِّدنا إبراهيمَ وآلِ سيِّدنا إبراهيمَ إنَّك حميدٌ مجيدٌ، وباركْ على سيِّدنا محمَّدٍ وآلِ سيِّدنا محمَّدٍ كما باركتَ على سيدنا إبراهيمَ وآل سيِّدنا إبراهيمَ إنَّك حميدٌ مجيدٌ.

اللَّهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آلِ سيِّدنا محمَّدٍ، كما صلَّيتَ على سيِّدِنا إبراهيمَ وآل سيِّدنا إبراهيمَ إنَّك حميدٌ مجيدٌ، وباركْ على سيِّدنا محمَّدٍ وآل سيِّدنا محمَّدٍ كما باركتَ على سيِّدنا إبراهيمَ وآلِ سيِّدنا إبراهيمَ إنَّك حميدٌ مجيدٌ.

اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آلِ سيِّدنا محمَّدٍ، كما صلَّيتَ على سيِّدنا إبراهيمَ وآلِ سيِّدنا إبراهيمَ إنَّك حميدٌ مجيدٌ، وباركْ على سيِّدنا محمَّدٍ وآلِ سيِّدنا محمَّدٍ كما باركتَ على سيِّدنا إبراهيمَ وآلِ سيِّدنا إبراهيمَ إنَّك حميدٌ مجيدٌ.

اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آلِ سيِّدِنا محمَّدٍ، كما صلَّيتَ على سيِّدنا إبراهيمَ وآلِ سيِّدنا إبراهيمَ إنَّك حميدٌ مجيدٌ، وباركْ على سيِّدنا محمَّدٍ وآل سيِّدنا محمَّدٍ كما باركتَ على سيِّدنا إبراهيمَ وآل سيِّدنا إبراهيمَ إنَّك حميدٌ مجيدٌ.

اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آلِ سيِّدنا محمَّدٍ، كما صلَّيتَ على سيِّدنا إبراهيمَ وآلِ سيِّدنا إبراهيمَ إنَّك حميدٌ مجيدٌ، وباركْ على سيِّدنا محمَّدٍ وآل سيِّدنا محمَّدٍ كما باركتَ على سيِّدنا إبراهيمَ وآلِ سيِّدنا إبراهيمَ إنَّك حميدٌ مجيدٌ،

والسَّلامُ عليك أيُّها النَّبيّ ورحمةُ الله وبركاتُه.

اللَّهمَّ صلِّ علىٰ سيِّدنا محمَّدٍ وعلىٰ آلِ سيِّدنا محمَّدٍ، كما صلَّيتَ علىٰ سيِّدنا إبراهيم وآل سيدنا إبراهيم إنَّك حميدٌ مجيدٌ، وبارك علىٰ سيدنا محمَّدٍ وآل سيِّدنا محمَّدٍ كما باركتَ علىٰ سيِّدنا إبراهيمَ وآل سيِّدنا إبراهيمَ إنَّك حميدٌ مجيدٌ.

اللَّهم صلِّ علىٰ سيِّدنا محمَّدٍ وعلىٰ آل سيِّدنا محمَّدٍ، كما صلَّيتَ علىٰ سيِّدنا إبراهيمَ وآل سيِّدنا إبراهيمَ إنَّك حميدٌ مجيدٌ، وباركْ علىٰ سيِّدنا محمَّدٍ وآل سيِّدنا محمَّدٍ كما باركتَ علىٰ سيِّدنا إبراهيمَ وآل سيِّدنا إبراهيمَ إنَّك حميدٌ مجيدٌ.

اللَّهمَّ اجعلْ في قلبِي نورًا، وفي بصرِي نورًا، وعنْ يمينِي نورًا، وعنْ يسارِي نورًا، وفوقِي نورًا، وتحتِي نورًا، وأمامِي نورًا، وخلفي نورًا، واجعلْ لي نورًا.

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الصافات: ١٨٠ – ١٨٢].

الفصل الثاني: وِرْدُ يومِ السّبتِ

(سورة يس).

اللَّهمَّ اجعلْ صلواتِك وبركاتِك على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آلِ سيِّدنا محمَّدٍ، كما جعلتَها على سيِّدنا إبراهيمَ وآل سيِّدنا إبراهيمَ إنَّك حميدٌ مجيدٌ.

اللَّهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى أزواجِه وذريَّته، كما صلَّيتَ على سيِّدنا إبراهيمَ، وباركْ على سيِّدنا محمَّدٍ وأزواجِه وذريَّتِه، كما باركتَ على آلِ سيِّدنا إبراهيمَ إنَّك حميدٌ مجيدٌ.

اللَّهمَّ صلِّ على سيدنا محمَّد عبدِك ورسولِك، كما صلَّيتَ على آل سيِّدنا إبراهيمَ، وباركْ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آلِ سيِّدنا محمَّدٍ، كما باركتَ على سيِّدنا إبراهيمَ.

اللَّهم صلِّ على سيدنا محمد عبدك ورسولك كما صلَّيتَ على سيِّدنا إبراهيمَ وباركْ على سيِّدنا محمَّدٍ كما باركتَ على سيِّدنا إبراهيمَ.

اللَّهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ عبدِك ورسولِك كما صلَّيتَ على سيِّدنا إبراهيمَ، وباركْ على سيدنا محمَّد وعلى آل سيدنا محمَّد كما باركت على سيدنا إبراهيمَ وعلى آل سيِّدنا إبراهيمَ.

اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّد عبدِك ورسولِك كما صلَّيت على سيدنا إبراهيم، وبارك على سيدنا محمَّد وآل سيدنا محمَّد، كما باركت على سيدنا إبراهيم وآل سيدنا إبراهيم.

اللَّهمَّ آتِنا في الدُّنيا حسنةً، وفي الآخرةِ حسنةً، وقِنا عذابَ النَّارِ.

اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بكَ منَ الهمِّ والحزنِ، والبُخلِ والجُبنِ، وضِلَعِ الدَّينِ وغَلَبةِ

الرِّجالِ والهَرَمِ، وأعوذُ بكَ من عذابِ القبرِ، وأعوذُ بك من فتنةِ المَحْيا والمماتِ، وأرذلِ العمُر.

اللَّهم إنِّي ظلمتُ نفسي ظلمًا كثيرًا ولا يَغفرُ الذُّنوبَ إلَّا أنتَ، فاغفرْ لي مغفرةً من عندك، وارحمْني إنَّك أنت الغفورُ الرَّحيمُ.

اللَّهمَّ اغفرْ خطيئتِي وجهْلي وإسرافي في أمرِي، وما أنت أعلمُ به مِنِّي، اللَّهمَّ اغفرْ لي جَدِّي وهزْلي، وخطئِي وعمدِي، وكلُّ ذلك عندي.

اللَّهم اغفرْ لي ما قدَّمتُ وما أخَّرتُ، وما أسررْتُ وما أعلنتُ، وما أنتَ أعلمُ به منِّي، أنت المقدِّمُ وأنت المؤخِّرُ وأنت علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ.

اللَّهم إنِّي أعوذُ بك منْ فتنة النَّار وعذابِ النَّار، وفتنة القبرِ وعذاب القبرِ، ومن شرِّ فتنةِ الغِنىٰ، ومن شرِّ فتنة الفقْر، وأعوذُ بك من فتنةِ المسيحِ الدَّجَّال.

اللَّهمَّ اغسلْ خطاياي بالماءِ والثَّلجِ والبرَدِ، ونقِّ قلبي من الخطايا كما نقَّيتَ الثَّوبَ الأبيضَ من الدَّنس، وباعدْ بيني وبينَ خطاياي كما باعدتَ بين المشرقِ والمغربِ.

اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بك من الكسلِ والهَرَمِ والمغْرمِ والمأثمِ. اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بك من جهْد البلاءِ ودركِ الشَّقاء، وسوءِ القضاءِ وشماتةِ الأعداءِ.

اللَّهم إنِّي أسألك الهُدىٰ والسَّدادَ. اللَّهم أصلِحْ لي ديني الذي هو عصمةُ أمري، وأصلحْ لي دنيايَ التي هي معاشي، وأصلحْ لي آخرتي التي فيها معادِي، واجعلِ الحياةَ زيادةً لي في كلِّ خيرٍ، واجعلِ الموتَ راحةً لي منْ كلِّ شر.

اللَّهم إنِّي أعوذُ بك من العجْزِ والكسلِ والجُبْنِ والبُخلِ والهَرَم وعذابِ القبرِ. اللَّهم آتِ نفسي تقواها وزكِّها أنت خيرُ من زكَّاها، أنت وليُّها ومولاها.

اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بك من علمٍ لا ينفعُ ومن قلبٍ لا يخشعُ ومن نفسٍ لا تشبعُ ومن دعوةٍ لا يُستجاب لها.

اللَّهمَّ إني أعوذ بك من زوالِ نعمتِك، وتحوُّلِ عافيتِك، وفجاءةِ نقمتِك، ومن جميعِ سخطِك. اللَّهمَّ إنِّي أسألك الهُدىٰ والتُّقىٰ والعفافَ والغِنىٰ.

اللَّهم ربَّ جبريلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ فاطرَ السَّماواتِ والأرضِ عالمَ الغيبِ والشَّهادةِ أنت تحكمُ بين عبادِك فيما كانوا فيه يختلِفون، اهدني لما اختُلف فيه من الحقِّ بإذنِك، إنَّك تهدي مَنْ تشاءُ إلىٰ صراطٍ مستقيمٍ.

اللَّهمَّ ربَّ السَّماواتِ وربَّ الأرضِ وربَّ العرشِ العظيمِ، رَّبنا وربَّ كلِّ شيءٍ فالقَ الحبِّ والنَّوىٰ، مُنزِّل التوراةِ والإنجيلِ والفرقانِ، أعوذُ بك من شرِّ كلِّ شيءٍ أنت آخذٌ بناصيتِه، اللَّهمَّ أنت الأولُ فليس قبلك شيء، وأنت الآخرُ فليس بعدك شيءٌ، وأنت الظَّاهرُ فليس فوقك شيءٌ، وأنت الباطنُ فليس دونك شيءٌ، اقضِ عنا الدَّينَ، واغننا من الفقرِ.

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الصافات: ١٨٠ – ١٨٢].

الفصل الثالث: وِرد يوم الأحد

(سورة الإسراء).

اللَّهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آل سيِّدنا محمَّدٍ كما صلَّيتَ على آلِ سيِّدنا إبراهيمَ، وباركْ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آل سيِّدنا محمَّد كما باركتَ على آل سيِّدنا إبراهيمَ في العالمينَ إنَّك حميدٌ مجيدٌ.

اللَّهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آل سيِّدنا محمَّدٍ كما صلَّيتَ على سيِّدنا إبراهيمَ، وباركْ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آل سيِّدنا محمَّدٍ كما باركتَ على آلِ سيِّدنا إبراهيمَ في العالمينَ إنَّك حميدٌ مجيدٌ.

اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّد وعلى آل سيِّدنا محمَّدٍ كما صلَّيتَ على آل سيِّدنا إبراهيمَ إنَّك حميدٌ مجيدٌ. وباركْ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آل سيِّدنا محمَّدٍ كما باركتَ على آل سيِّدنا إبراهيمَ إنَّك حميدٌ مجيدٌ.

اللَّهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آلِ سيِّدنا محمَّدٍ كما صلَّيتَ على آل سيِّدنا إبراهيمَ، وباركْ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آل سيِّدنا محمَّدٍ كما باركتَ على آل سيِّدنا إبراهيمَ في العالمينَ إنَّك حميدٌ مجيدٌ.

اللَّهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ النَّبيِّ الأُمِّيِّ وعلى آلِ سيِّدنا محمَّدٍ كما صلَّيتَ على سيِّدنا إبراهيمَ وآل سيِّدنا إبراهيمَ، وباركْ على سيِّدنا محمَّدٍ النَّبيِّ الأُمِّي وعلى آل سيِّدنا محمَّدٍ كما باركتَ على سيِّدنا إبراهيمَ وعلى آل سيِّدنا إبراهيمَ إنَّك حميدٌ مجيدٌ.

اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ النَّبيِّ الأُمِّي وعلى آل سيِّدنا محمَّدٍ كما صلَّيتَ على سيِّدنا إبراهيمَ وباركْ على سيِّدنا محمَّدٍ النَّبيِّ الأُمِّيِّ كما باركتَ على سيِّدنا

إبراهيمَ إنَّك حميدٌ مجيدٌ.

اللَّهم إنِّي أعوذُ برضاك من سخطكِ، وبمعافاتكَ من عقوبتِك، وأعوذُ بكَ منك، لا أُحْصِي ثناءً عليك، أنت كما أثنَيتَ علىٰ نفسِك.

اللَّهمَّ أعنِّي ولا تُعنْ عليَّ، وانصُرني ولا تنصُر عليَّ، وامكرْ لي ولا تمكرْ عليَّ، واهدني ويسِّر الهدىٰ لي، وانصُرني علىٰ منْ بغَىٰ عليَّ.

اللَّهمَّ اجعلني لك شكَّارًا، لك ذكارًا، لك رهَّابًا، إليكَ مِطوَاعًا إليك مُخبتًا أوَّاهًا مُنيبًا، ربِّ تقبَّل توبتِي، واغسلْ حوبتِي، وأجبْ دعوتي وثبِّتْ حُجَّتي واهدِ قلبي، وسدِّد لساني، واسْلُلْ سَخِيمَة قلبي.

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الصافات: ١٨٠ – ١٨٢].

الفصل الرابع: وِرد يوم الإثنين

(سورة الزُّمَر).

اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ النَّبيِّ الأُمِّيِّ وعلى آل سيِّدنا محمَّدٍ، كما صلَّيت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، وبارك على سيدنا محمَّد النَّبيِّ الأُمِّي وعلى آل سيدنا محمَّد، كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم إنَّك حميدٌ مجيدٌ.

اللَّهم صلِّ على سيدنا محمَّدٍ كما صلَّيتَ على آل سيِّدنا إبراهيمَ، اللَّهمَّ باركْ على سيِّدنا محمَّدٍ، كما باركتَ على آل سيِّدنا إبراهيمَ، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ، كما صلَّيتَ على سيِّدنا إبراهيمَ إنَّك حميدٌ مجيدٌ. وبارك على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آل سيِّدنا محمَّدٍ، كما باركتَ على آل سيِّدنا إبراهيمَ إنَّك حميدٌ مجيدٌ.

اللَّهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آل سيِّدنا محمَّدٍ، كما صلَّيتَ على سيِّدنا إبراهيمَ وآل سيِّدنا إبراهيمَ إنَّك حميدٌ مجيدٌ. وباركْ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آل سيِّدنا محمَّدٍ، كما باركتَ على سيِّدنا إبراهيمَ وآل سيِّدنا إبراهيمَ إنَّك حميدٌ مجيدٌ.

اللَّهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ، كما صلَّيتَ على سيِّدنا إبراهيمَ وآل سيِّدنا إبراهيمَ، إنَّك حميدٌ مجيدٌ، وباركْ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آل سيِّدنا محمَّدٍ كما باركتَ على سيِّدنا إبراهيمَ وآل سيِّدنا إبراهيمَ، إنَّك حميدٌ مجيدٌ.

اللَّهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ كما صلَّيتَ على سيِّدنا إبراهيمَ، إنَّك حميدٌ مجيدٌ، وباركْ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آل سيِّدنا محمَّدٍ، كما باركتَ على سيِّدنا إبراهيمَ إنَّك حميدٌ مجيدٌ.

يا ربِّ لك الحمدُ كما ينبغي لجلال وجهِك ولعظيمِ سلطانك.

الحمدُ لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحبُّ ربُّنا أنْ يُحمدَ وينبغي له.

اللَّهمَّ لك الحمدُ كلّه، ولكَ الملكُ كلّه وبيدك الخيرُ كله، وإليك يُرجعُ الأمرُ كله، علانيتُه وسرُّه، لك الحمدُ إنَّك على كلِّ شيءٍ قديرٌ، اغفرْ لي ما مضَى من ذنوبي، واعصِمْني فيما بقي من عُمُري، وارزقْني أعمالًا زاكيةً ترضى بها عنِّي، وتُبْ عليَّ.

سبحانَ الله عددَ ما خلقَ، سبحان الله ملءَ ما خلقَ، سبحانَ الله عدد ما في الأرضِ، سبحان الله ملءَ ما في الأرضِ والسَّماءِ، سبحانَ الله عدد ما أحصى كتابُه، سبحانَ الله ملء ما أحصى كتابُه، سبحانَ الله عددَ كلِّ شيءٍ، سبحان الله ملءَ كلِّ شيءٍ.

الحمد لله عدد ما خلق، والحمدُ لله ملءَ ما خلقَ، والحمدُ لله عدد ما في الأرضِ والسَّماءِ، والحمدُ لله ملءَ ما في الأرضِ والسَّماءِ، والحمدُ لله عدد ما أحْصى كتابُه. والحمدُ لله ملءَ ما أحصى كتابُه، والحمد لله عدد كلِّ شيءٍ، الحمدُ لله ملءَ كلِّ شيءٍ.

سبحانَ الله وبحمدِه عدد خلقِه ورضاءَ نفسِه وزنةَ عرشِه ومدادَ كلماتِه. سبحانَ الله والحمد لله والله أكبر ولا إله إلا الله (مائة مرة).

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الصافات: ١٨٠ – ١٨٢].

الفصل الخامس: ورد يوم الثلاثاء

سورتا: (السجدة) و(الملك).

اللَّهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ كما صلَّيت على سيِّدنا إبراهيمَ إنَّك حميدٌ مجيدٌ، وباركْ على سيِّدنا محمَّد كما باركتَ على سيِّدنا إبراهيمَ إنَّك حميدٌ مجيدٌ.

اللَّهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آل سيِّدنا محمَّدٍ كما صلَّيتَ على سيدنا إبراهيم وآل سيِّدنا إبراهيمَ، وباركْ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آل سيِّدنا محمَّدٍ كما باركتَ على سيِّدنا إبراهيمَ وآل سيدنا إبراهيم إنَّك حميدٌ مجيدٌ.

اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آل سيِّدنا محمَّدٍ كما صلَّيتَ على سيِّدنا إبراهيمَ وعلى آل سيِّدنا إبراهيمَ، وباركْ على سيِّدنا محمَّدٍ إنَّك حميدٌ مجيدٌ.

اللَّهمَّ صلِّ على سيدنا محمَّد النَّبيِّ وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته، كما صلَّيت على آل سيدنا إبراهيم إنَّك حميدٌ مجيدٌ.

اللَّهم صلِّ على سيدنا محمَّد وعلى آل سيدنا محمَّد، وبارك على سيدنا محمَّد وعلى آل سيدنا محمَّد كما صلَّيت وباركت على سيدنا إبراهيم وآل سيدنا إبراهيم في العالمين إنَّك حميدٌ مجيدٌ.

اللَّهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آل سيِّدنا محمَّدٍ كما صلَّيتَ على سيِّدنا إبراهيمَ وآل سيِّدنا إبراهيمَ، وباركْ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آل سيِّدنا محمَّدٍ، كما باركتَ على سيِّدنا إبراهيمَ وآل سيِّدنا إبراهيمَ إنَّك حميدٌ مجيدٌ.

اللَّهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمَّد وعلى آل سيِّدنا محمَّدٍ كما صلَّيتَ على سيِّدنا إبراهيمَ وعلى آل سيِّدنا إبراهيمَ إنَّك حميدٌ مجيدٌ. اللَّهمَّ باركْ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آل سيِّدنا محمَّدٍ، كما باركتَ على سيِّدنا إبراهيمَ وعلى آل سيِّدنا إبراهيمَ

إنَّك حميدٌ مجيدٌ. اللَّهم وترحَّم على سيدنا محمَّد وعلى آل سيدنا محمَّد كما ترحَّمت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم إنَّك حميدٌ مجيدٌ.

اللَّهم وتحنَّن على سيدنا محمَّدٍ وعلى آل سيدنا محمَّدٍ كما تحنَّنت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم إنَّك حميدٌ مجيدٌ. اللَّهم وسلِّم على سيدنا محمَّد وعلى آل سيِّدنا محمَّدٍ، كما سلَّمتَ على سيِّدنا إبراهيمَ وعلى آل سيِّدنا إبراهيمَ إنَّك حميدٌ مجيدٌ.

اللَّهمَّ لك الحمدُ أنت ربُّ السَّماواتِ والأرضِ، لك الحمدُ أنت قيومُ السَّماواتِ والأرضِ، لك الحمدُ أنت نورُ السَّماواتِ والأرضِ وما فيهنَّ، أنت الحقُّ وقولك الحقُّ ووعدك الحقُّ ولقاؤُك حقٌّ والجنةُ حقٌّ والنَّارُ حقٌّ والسَّاعةُ حقٌّ.

اللَّهم لك أسلمتُ وبك آمنتُ، وعليك توكَّلتُ، وإليك أنبتُ، ولك خاصمتُ، وإليك حاكمتُ فاغفرْ لي ما قدَّمتُ وما أخَّرتُ وأسررتُ وأعلنتُ، أنت إلهي لا إله غيرُك.

اللَّهم أنتَ ربِّي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدُك وأنا على عهدِك ووعدِك ما استطعتُ، أعوذُ بك من شرِّ ما صنعتُ، أبوءُ لك بنعمتِك عليَّ، وأبوءُ بذنبي فاغفرْ لي فإنَّه لا يغفرُ الذنوبَ إلَّا أنت.

اللَّهمَّ اغفرْ لي ذنبي كله، دِقهُ وجِلهُ وأولهُ وآخرُه، وعلانيتُه وسرُّه، أعوذُ بكلماتِ الله التامَّة من شرِّ ما خلقَ وذرأ وبرأ، ومن شرِّ ما ينزلُ من السَّماءِ ومن شرِّ ما يعرجُ فيها من شرِّ فتنِ الليلِ والنهارِ ومن شرِّ كلِّ طارقٍ إلَّا طارقًا يطرقُ بخيرٍ يا رحمنُ.

أعوذ بكلمات الله التامَّات مِن غضبه وعِقابه وشرِّ عباده ومن همزات الشَّياطين وأنْ يحضُرُون.

اللَّهمَّ ربَّ السَّماواتِ السَّبعِ وما أظلَّتْ، وربَّ الأراضين وما أقلَّت، ورب الشَّياطين وما أضلَّت، كن لي جارًا من شرِّ خلقك أجمعين، أنْ يفرُط عليَّ أحدٌ منهم أو يطغَى، عزَّ جارُك وتبارك اسمُك وجلَّ ثناؤُك ولا إله غيرَك، لا إله إلا أنتَ.

اللَّهمَّ فاطرَ السَّماواتِ والأرضِ عالمَ الغيبِ والشَّهادةِ أنتَ ربُّ كلِّ شيءٍ وإله كلِّ شيءٍ، أشهدُ أنْ لا إله إلَّا أنت، وحدك لا شريك لك وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّدًا عبدُك ورسولك والملائكةُ يشهدون. أعوذُ بك من الشَّيطانِ وشَرَكِه، وأعوذُ بك أنْ أقترفَ على نفسي سوءًا أو أجرَّه على مسلمٍ.

أستغفرُ الله العظيمَ الذي لا إله إلَّا هو الحيُّ القيومُ وأتوبُ إليه، «لا حولَ ولا قوّةَ إلا بالله» (مائة مرة).

«لا إله إلَّا الله وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ» (مائةَ مرَّةٍ).

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الصافات: ١٨٠ – ١٨٢]

الفصل السادس: ورد يومِ الأربعاء

سورة: (الدّخَان) و(الحديد) و(الحشر) و(الصف).

اللَّهمَّ اجعلْ صلواتِك ورحمتِك وبركاتِك على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آلِ سيِّدنا محمَّدٍ، كما جعلتها على آل سيِّدنا إبراهيمَ إنَّك حميدٌ مجيدٌ.

اللَّهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آل سيِّدنا محمَّدٍ وباركْ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آل سيِّدنا محمَّدٍ. كما صلَّيتَ وباركتَ على آل سيِّدنا إبراهيمَ إنَّك حميدٌ مجيدٌ.

اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آل سيِّدنا محمَّدٍ كما صلَّيتَ على سيِّدنا إبراهيمَ وآل سيِّدنا إبراهيمَ إنَّك حميدٌ مجيدٌ. وارحَمْ سيِّدَنا محمَّدًا وآلَ سيِّدِنا محمَّدٍ كما رحمتَ آلَ سيِّدنا إبراهيمَ إنَّك حميدٌ مجيدٌ. وباركْ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آلِ سيِّدنا محمَّدٍ، كما باركتَ على سيِّدنا إبراهيمَ إنَّك حميدٌ مجيدٌ.

اللَّهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آل بيتِه كما صلَّيتَ على آل سيِّدنا إبراهيمَ إنَّك حميدٌ مجيدٌ. اللَّهمَّ صلِّ علينا معهم، اللَّهمَّ باركْ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى أهلِ بيتِه كما باركتَ على آلِ سيِّدنا إبراهيمَ إنَّك حميدٌ مجيدٌ. اللَّهمَّ باركْ علينا معهم.

اللَّهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آل سيِّدنا محمَّدٍ كما صلَّيتَ على سيِّدنا إبراهيمَ وعلى آلِ سيِّدنا إبراهيمَ إنَّك حميدٌ مجيدٌ، اللَّهمَّ باركْ على سيدنا محمَّدٍ وعلى آل سيِّدنا محمَّدٍ كما باركتَ على سيِّدنا إبراهيمَ وعلى آل سيِّدنا إبراهيمَ إنَّك حميدٌ مجيدٌ، اللَّهمَّ وتحنَّنْ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آل سيدنا محمَّدٍ كما تحنَّنتَ على سيِّدنا إبراهيمَ وعلى آل سيِّدنا إبراهيمَ إنَّك حميدٌ مجيدٌ.

اللَّهم اجعلْ صلواتِك وبركاتِك على سيِّدنا محمَّدٍ النَّبيِّ وأزواجِه أمهاتِ

المؤمنينَ وذرِّيتِه وأهلِ بيتِه، كما صلَّيتَ على آل سيِّدنا إبراهيمَ إنَّك حميدٌ مجيدٌ.

أمسيْنا وأمسى الملكُ لله -وفي الصبَاح : أصبَحْنا وأصبحَ الملكُ لله- والحمدُ لله لا إله إلَّا الله وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ.

ربِّ أسألك خيرَ ما في هذه الليلة وخيرَ ما بعدها وأعوذ بك من شرِّ هذه الليلةِ وشر ما بعدها -وفي الصباحِ : ربِّ أسألكَ خيرَ ما في هذا اليومِ وخيرَ ما بعده، وأعوذ بك منْ شرّ هذا اليومِ وشرّ ما بعده- ربِّ أعوذ بك من الكسَلِ والهَرَمِ وسُوءِ الكِبَرِ. ربِّ أعوذ بك من عذابٍ في النَّارِ وعذابٍ في القبرِ.

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الصافات: ١٨٠ – ١٨٢].

الفصل السابع: ورد يوم الخميس

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ١ – ٧].

﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].

﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝٢٨٥ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۝٢٨٦﴾ [البقرة: ٢٨٥ – ٢٨٦].

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۝١٩٠ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۝١٩١ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ۝١٩٢ رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي

لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩٠ – ١٩٤].

﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٥ – ١١٨].

ثمَّ سورةَ (الجمعة)، وسورةَ (التغابن)، وسورةَ (التكوير)، وسورةَ (الانفطار)، وسورةَ (الانشقاق) وسورةَ (إذا زلزلت)، وسورةَ (ألهاكم التكاثر)، وسورةَ (قل يا أيها الكافرون)، وسورةَ (النصر)، وسورةَ (الإخلاص)، و(المعوذتين).

اللَّهمَّ اجعلْ صلواتِك ورحمتِك على سيِّدنا محمَّدٍ وذريتِه وأزواجِه أمَّهاتِ المؤمنين، كما صلَّيتَ على آل سيِّدنا إبراهيمَ إنَّك حميدٌ مجيدٌ.

اللَّهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمَّد وعلى أزواجِه أمهاتِ المؤمنين وذرِّيته وأهلِ بيتِه كما صلَّيتَ على سيِّدنا إبراهيمَ إنَّك حميدٌ مجيدٌ.

اللَّهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آل سيدنا محمَّد وبارك على سيدنا محمَّد وعلى آل سيدنا محمَّد، كما صلَّيت وباركتَ على سيِّدنا إبراهيمَ وآل سيِّدنا إبراهيمَ في العالمين إنَّك حميدٌ مجيدٌ.

اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آل سيِّدنا محمَّدٍ كما صلَّيتَ على سيِّدنا إبراهيمَ إنَّك حميدٌ مجيدٌ، وباركْ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آل سيِّدنا محمَّد، كما باركت على سيِّدنا إبراهيم وآل سيِّدنا إبراهيم إنَّك حميدٌ مجيدٌ.

اللَّهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آل سيِّدنا محمَّدٍ، كما صلَّيتَ على سيِّدنا إبراهيمَ وعلى آل سيِّدنا إبراهيمَ، وباركْ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آل سيِّدنا محمَّدٍ، كما باركتَ على سيِّدنا إبراهيمَ وعلى آل سيِّدنا إبراهيمَ، وترحَّمْ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آل سيِّدنا محمَّدٍ، كما ترحَّمتَ على سيِّدنا إبراهيمَ وعلى آل سِّيدنا إبراهيمَ.

اللَّهمَّ صلِّ على سيدنا محمَّدٍ عبدِك ورسولِك النَّبيِّ الأُمِّيِّ وعلى آلِ سيِّدنا محمَّدٍ وأزواجِه وذريَّتِه، كما صلَّيتَ على سيِّدنا إبراهيمَ وعلى آلِ سيِّدنا إبراهيمَ وباركْ على سيِّدنا محمَّدٍ النَّبيِّ الأُمِّيِّ وعلى آل سيِّدنا محمَّدٍ وأزواجِه وذريَّتِه، كما باركتَ على سيِّدنا إبراهيمَ وعلى آلِ سيِّدنا إبراهيمَ في العالمين إنَّك حميدٌ مجيدٌ.

يا منْ لا تراهُ العيونُ، ولا تخالطُه الظنونُ ولا يصفُه الواصفونَ، ولا تغيِّرُه الحوادثُ ولا يخشى الدوائرَ، يعلمُ مثاقيلَ الجبالِ ومكاييلَ البحارِ وعددَ قطرِ الأمطارِ، وعددَ ورقِ الأشجارِ، وعددَ ما أظلمَ عليه اللَّيل وأشْرقَ عليه النَّهارُ، لا تواري منه سماءٌ سماءً، ولا أرضٌ أرضًا ولا بحرٌ ما في قعرِه، ولا جبلٌ ما في وعرِه، اجعلْ خيرَ عمري آخرَه، وخيرَ عمَلي خواتيمَه، وخيرَ أيَّامي يومَ ألقاكَ فيهِ.

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الصافات: ١٨٠ – ١٨٢].

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الفقه الإسلامي

١- الإنارة بأدلَّة زكاة التجارة

مقدمة ٩
المبحث الأول: في أدلَّة الوجوب..... ١٠
المبحث الثاني: الآثار الدالة على وجوب زكاة التجارة ١٣
نقل الإجماع على أنَّ في العُرُوض التي تدار للتجارة الزكاة إذا حال عليها الحول ١٥
زكاة التجارة واجبةٌ بالكتاب والسُّنَّة وإجماع السلف، ولم ينكر وجوبها إلَّا الظاهرية، وهم معروفون بالشذوذ فلا عبرة بخلافهم..... ١٧
خاتمة الكتاب..... ١٧

٢- القول المُشرِق لسبب صومِ المغربِ برؤية المَشْرِق

تمهيد..... ٢١
الدعوة إلى وجوب اتحاد المسلمين في مواسمهم الدينية، والإشارة إلى كتاب "توجيه الأنظار إلى توحيد المسلمين في الصوم والإفطار" للحافظ السيِّد أحمد بن الصِّدِّيق الغُماريِّ رحمه الله ٢١
مقدمة تشتمل على مسائل..... ٢٣
أقسام الحكم الشرعي..... ٢٣
تعريف السبب والشرط والمانع..... ٢٣

اليوم والليل في عرف الشرع..... ٢٤
فصل: الجمهور على أنه إذا ثبتت رؤية هلال رمضان في بلدٍ، وجب الصيام على بقية البلاد الإسلامية..... ٢٦
استشكال حول فروق التوقيت بين المشرق والمغرب والجواب عليه..... ٢٦
فصل: سبب صيام المغرب برؤية المشرق هو الاشتراك في الليل..... ٢٧
خلاصة الإشكال وبيان فساده من وجوه..... ٢٨
فصل: فيه ذكر الحكم مصحوبًا بسببه..... ٣٥
خاتمة الرسالة..... ٣٦

٣- دفعُ الشَّكِّ والارتيابِ في تحريم نصارى أهلِ الكتابِ

مقدمة..... ٤١
هل يجوز التزوج بالنصرانيات؟..... ٤٢
القائلين بتحليل نساء أهل الكتاب..... ٤٣
كل من دان بدين أهل الكتاب كان في حكمهم في المناكحة والذبائح ٤٥
للعلماء في الجمع بين آية (البقرة) وآية (المائدة) مسلكان ٤٦
دليلان على مسلك الترجيح بتحريم زواج الكتابيات تمسُّكًا بعموم آية (البقرة)..... ٤٧
تنبيه: اعتبر الجمهور جواز إباحة الكتابيات رخصة، واستحبُّوا التورع عنها ورغَّبوا في ترك الزواج بهنَّ..... ٤٧
التزوُّج بالكتابيات شرطه ألا تكون حربيَّة، فإن كانت من أُمَّةٍ تحارب المسلمين

لم يجز التزوج بها إجماعًا..... ٤٨
النصارىٰ في هذا العصر يحاربون المسلمين محاربةً حقيقيةً ٤٩
المتزوِّج بالنصرانية اليوم إنما يتزوَّج بزانيةٍ؛ لأن عقد زواجها غير صحيحٍ.. ٥١
التحريم سدًّا للذريعة ٥١
الوسيلة إلىٰ الواجب واجبةٌ، والوسيلة إلىٰ المحرَّم محرَّمةٌ، وضرب أمثلة علىٰ ذلك..... ٥١
المفاسد المترتبة علىٰ زواج المسلم بالنصرانية في هذا العصر ٥٢
ذكر بعض النماذج من زواج المسلمين بنصرانيات، وما يترتَّب علىٰ ذلك... ٥٣
منقبة عظيمة لمسلمي الباكستان..... ٥٥
قصة الصحابي الذي رغب أن يتزوج كتابية فردته خائبًا ٥٦
جواز نكاح الكتابية استثناء..... ٥٧
أنواع الزنا التي تقع اليوم باسم الزواج..... ٥٨
أشد أنواع الزِّنا قبحًا وأقبحها فحشًا زواج النصراني بالمسلمة، وذكر بعض أمثلة لحوادث في عصر المصنِّف..... ٥٩
تتميم: حكم ذبائح النصارىٰ..... ٦٢
فتوىٰ عجيبة من الشيخ محمد عبده في إباحة أكل البقرة الموقوذة، وبيان خطأه في ذلك..... ٦٢
موقف الشيخ محمد الخضر حسين من لبس البرنيطه في عهد حكومة جمال عبدالناصر..... ٦٣
خاتمة الكتاب..... ٦٥

٤- الاستقصاء لأدلَّة تحريم الاستمناء

تمهيد..... ٧١
مقدمة: في تعريف الاستمناء..... ٧٣
الباب الأول: في تحريم الاستمناء وبيان دليله ٧٥
الدليل الأول: : قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾..... ٧٥
نصوص المفسِّرين وغيرهم من العلماء في الآية تؤيد ما قرَّرناه وتؤكده..... ٧٦
عبارتان للإمام الشافعي في الاستدلال بالآية على تحريم الاستمناء..... ٧٨
لا يوجد في كتب الشيعة جواز الاستمناء، ولماذا كان الشيعة خارجين عن الحق (ت)..... ٨٠
إبطال كلام أبي حَيَّان في منعه الاستدلال بآية ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ﴾ على تحريم الاسنمتاء..... ٨٢
فائدة: إذا احتمل الكلام التأسيس أو التأكيد فلا شك أن حمله على التأسيس أرجح من حمله على التأكيد كما تقرَّر في علم الأصول..... ٨٥
إيراد على الاستدلال بالآية في تحريم الاستمناء والجواب عليه..... ٨٥
الدليل الثاني: قال الله تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾..... ٨٩
إيراد على الاستدلال بآية: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن

فَضْلِهِۦ﴾ على تحريم الاستمناء والجواب عليه..... ٩٠
لو كان الاستمناء من الاستعفاف لكان واجبًا؛ لأن الاستعفاف واجب بالآية المتقدمة، والقول بوجوب الاستمناء حدث في الدين وخرق لإجماع المسلمين..... ٩١
الجمع بين الحقيقة والمجاز منعه جمهور أهل العربية..... ٩١
الدليل الثالث: قول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج...**» الحديث..... ٩٥
وجه آخر للاستدلال بالحديث: أنه أرشد عند العجز عن التزويج إلى الصوم الذي يقطع الشهوة، فلو كان الاستمناء مباحًا لكان الإرشاد إليه أسهل... ٩٦
الدليل الرابع: قول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لمن جاءه يستأذنه في الخصاء: «**لا، ولكن عليك بالصيام فإنها مخفرة**»..... ٩٧
الدليل الخامس: قول النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «سبعة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولا يجمعهم مع العالمين ويدخلهم النار في أول الداخلين إلا أن يتوبوا ومن تاب تاب الله عليه: الناكح يده...» الحديث. ١٠١
القول بأن الحديث الضعيف لا يعمل به في الأحكام هو مما خالف فيه عمل العلماء قولهم..... ١٠٤
الدليل السادس: ثبت في علم الطب أن الاستمناء يورث عدة أمراض... ١٠٧
ذكر بعض الكتب التي تحدثت بالتفصيل عن مضار الاستمناء..... ١٠٩
حيث ثبت أن الاستمناء يورث هذه الأمراض، فهو حرام، لأن القاعدة المقررة

في أصول الفقه: أن الأصل في المضار التحريم.....١٠٩
تنبيه: نص بالتوراة المسمَّى عند الكتابيين بـ"العهد القديم" يدل على أنَّ الاستمناء كان عندهم قبيحًا ممنوعًا.....١١٠
الباب الثاني: في رد القول بجواز الاستمناء.....١١٢
الإمام أحمد لم يُجز الاستمناء إلَّا في حال الضرورة كالفقر والسفر ونحو ذلك، كما يفهم من كلام ابن القيِّم.....١١٢
العزب المغتلم مردد بين ثلاثة شرور (ت).....١١٤
بعض أقوال من أجاز الاستمناء.....١١٥
دليل من أجاز الاستمناء، والرد عليه.....١١٧
الدليل على كون المني ليس بفضلة بل هو مادة حيوية في الجسم.....١١٩
قاعدة نفيسة: وهي أن الله تعالى لا يمتن على عباده بأمر حقير كالفضلات وإنما يمتن عليهم بأمر عظيم الأهمية لهم فيه منافع دنيوية.....١١٩
أمثلة من القرآن لمنن الله تعالى على عباده.....١١٩
اعتراض والجواب عليه.....١٢٢
استدلال لابن القيم على طهارة المني.....١٢٢
كلام قيِّم لابن القِّيم في الرد على من زعم أن المني فضلة.....١٢٤
الاستدلال بأن الصحابة كانوا يفعلون ذلك في مغازيهم وأسفارهم لا يدل على المقصود، لوجوه.....١٢٦
تنبيهان: التنبيه الأول: حول جواز الاستمناء للمرأة.....١٢٧
التنبيه الثاني: حول فتوى لبعض المتأخرين من الحنفية.....١٢٨

الخاتمة وفيها فصلان ١٢٩
الفصل الأول: في ذكر السؤال والفتوى الذين نُشِرا في "مجلة الإسلام" حول مسألة الاستمناء تحت عنوان: «جلد عميرة» ١٢٩
الجواب ١٣٠
معنى قول ابن عبَّاسٍ: هو خير من الزنا ١٣٥
شروط التوبة الصحيحة ١٣٧
كيفية التوبة ١٣٧
الأحسن في الاستغفار أن يكون بصيغة واردة ١٣٨
اشغل نفسك بما يدفع عنك التفكر فيما يفضي بك إلى الاستمناء ١٣٩
أضرار الاستمناء ١٣٩
الفصل الثاني: في الحض على غض البصر وحفظ الفرج ١٤١
خاتمة الكتاب ١٤٥

٥- التنصيص على أنَّ حَلْقَ اللحية ليس بتَنمِيص

مقدمة ١٤٩
لا يوجد في كتب اللغة وكتب شروح الحديث أنَّ الحلق: تنميص، أو أنه مثله ١٤٩
الوجه الأول: أن الحلق والتنميص حقيقتان متغايرتان في اللغة العربية ... ١٥١
الوجه الثاني: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فرق بين الحقيقتين أيضًا . ١٥١
الوجه الثالث: الاستدراك على الشارع ممنوع ١٥٢
الوجه الرابع: لا يجوز قياس الحلق على التنميص ١٥٢

الوجه الخامس: لا يقاس منصوص على منصوص ١٥٢
الوجه السادس: إلحاق الحلق بالتنميص باطل ١٥٣
الوجه السابع: اللعن وتغيير خلق الله لا يشمل حلق اللحية ١٥٣
الوجه الثامن: تقرر في الأصول أيضًا أن السكوت في مقام البيان يفيد الحصر..... ١٥٣
الوجه التاسع: تقرر في الأصول أيضًا أن: تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز..... ١٥٤
الوجه العاشر: تقرر في الأصول أيضًا أن: القياس إنما يكون في الأحكام ١٥٤
الخلاصة: دعوى أنه متشبهٌ بالنساء ومُغَيِّرٌ لخلق الله، وملعون دعوى باطلة..... ١٥٥
تنبيه: استعمال المنماص أو الفتلة في أخذ ما يبقى من شعر رقيق حول الشارب وعلى الوجنتين حرام..... ١٥٥
الخاتمة ١٥٦

٦- تعريفُ أهلِ الإسلام بـأنَّ نقلَ العُضوِ حرام

مقدمة ١٥٩
الإشارة إلى رسالة "أجوبةٌ هامَّة في الطبِّ" للمصنف..... ١٥٩
نقل عضوٍ من ميتٍ فور موته كعينٍ أو كلوةٍ إلى مريضٍ، فهذا ممَّا شاع عند الأطبَّاء الأوروبيين وقلَّدهم فيه أطبَّاء المسلمين، وهو خطأٌ كبيرٌ ١٦٠
أفتى الشيخ أحمد الشرباصي بجواز نقل الأعضاء مستدلًّا بقاعدة: «الضرورات تبيح المحظورات» وهو أديب لغوي وليس من الفقهاء..... ١٦١

كلمة: «رجال الدين» عبارةٌ مسيحية لا يعرفها المسلمون ١٦١
زكاة الجسم والأعضاء ١٦١
أحاديث تؤيد هذا المعنى ١٦٣
أدلة منع نقل العضو..... ١٦٤
احترام الإسلام للميت..... ١٦٦
عقوبة من نقل عضوًا..... ١٦٧
الضرورات تبيح المحظورات؛ قاعدة فهمها الناس على غير وجهها، واستعملوها في غير موضعها..... ١٦٨
حكاية عن حذيفة العدوي يوم اليرموك لا تصح..... ١٦٩
خبرٌ غريبٌ مؤلمٌ..... ١٦٩
حول إجازة بعض أهل العلم ردَّ يد السارق المقطوعة ١٦٩
القول بجواز ردِّ يد السارق بعد قطعها من الاجتهاد المحرَّم الذي يأثم صاحبه، ويعاقبه الحاكم على هذا الاجتهاد الخاطئ الآثم ١٧٠
حديثان يقطعان النزاع في مسألة رد يد السارق ويلقمان المجوِّزين حجر الخيبة والحسرة..... ١٧٠
خاتمة الرسالة..... ١٧٢

٧- أمنية المُتمَنِّي في تحريم التبنِّي

مقدمة ١٧٧
ما هو التَّبنِّي؟..... ١٧٨
قصَّة تبنِّي زيد بن حارِثة..... ١٧٨

إبطال التَّبنِّي ١٨٠
قصة زواج زيد بزينب..... ١٨٢
استطالة زينب على زوجها..... ١٨٣
أقوال ساقطة في طلاق زينب بنت جحش رضي الله عنها..... ١٨٣
القول الصحيح في تفسير قوله تعالى: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ ١٨٥
استشكال: لأي معنى قال له: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ وقد أخبره الله أنَّها زوجه..... ١٨٦
زواج النَّبي بزينب..... ١٨٦
إرجاف المنافقين..... ١٨٧
إبطال التَّبنِّي عمومًا وخصوصًا..... ١٨٧
التبني لا يجوز..... ١٨٨
التبني يشبه الزِّنا..... ١٨٨
فعل الخير مطلوب..... ١٨٨
وجوب التقاط الرضيع..... ١٨٨
ولد الزنا..... ١٨٩
اختلاف العلماء في تأويل حديث: «فَرْخُ الزِّنا شرُّ الثلاثة»..... ١٩٠
هل يجوز إعتاق ولد الزنا..... ١٩٤
مَن كَرِه إعتاقه..... ١٩٦
مذهب الجمهور: أنَّ عتق ولد الزِّنا حسنٌ جميلٌ يجزئ عن الرَّقبة الواجبة، وهو

الرَّاجح.....١٩٧
الخلاصة: ولد الزِّنا مثل غيره من المسلمين، إن كان صالحًا تقيًّا أو عصىٰ ثُمَّ تاب ومات تائبًا فله الجنَّة، وإن مات عاصيًا فهو تحت المشيئة ١٩٧
إمامة ولد الزنا وشهادته.....١٩٧
خاتمة الرسالة.....١٩٩
تتمة ٢٠٠

٨- واضِحُ البُرهانِ على تَحْريمِ الخَمْرِ والحَشِيشِ في القُرْآنِ

مقدمة ٢٠٥
أحد عشر دليلًا في القرآن الكريم علىٰ تحريم الخمر والتشديد فيها، بحيث تكون في أقصىٰ دركات التحريم.....٢٠٦
الباب الأول: في استنباط تحريم الخمر من القرآن الكريم ٢٠٩
سبب تحريم ما كان من عمل الشيطان (ت).....٢٠٩
الكلام علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فَٱجۡتَنِبُوهُ﴾ ينحصر في ناحيتين ٢١١
الأمر يدل علىٰ الوجوب حقيقةً، والدليل علىٰ ذلك من القرآن في بضعة مواضع.....٢١٢
إبليس كان مُخاطبًا بالسجود لآدم وإن لم يكن من الملائكة؛ لأن الأمر للأعلىٰ - وهم الملائكة- أمر للأدنىٰ -وهو إبليس- بالأولىٰ (ت).....٢١٢
المُبتدعة مُلْزَومون باتباع السُّنَّة بنصِّ القرآن (ت).....٢١٣
ذكر بعض الأحاديث التي تثبت تحريم الخمر ٢١٤

حرص التابعين على سماع السُّنَّة واتباعها كحرصهم على سماع القرآن واتباعه (ت)..... ٢٢١
بيان خطأ صاحب كتاب "اجتهاد الرسول" في عِدَّة مواضع (ت) ٢٢١
فصل: دليلٌ تاسعٌ على تحريم الخمر..... ٢٢٤
فصل: دليلٌ عاشرٌ على تحريم الخمر..... ٢٢٦
فصل: دليلٌ حادي عشر يستفاد من آيتين، هما: قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾، مع قوله تعالى في الخمر والميسر: ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ الآية..... ٢٢٦
فصل: هذه أحد عشر دليلًا مستخرجة من القرآن الكريم، وتدل كلها على تحريم الخمر..... ٢٢٨
إنكار مُخالِفٍ أزهريٍّ أحاديث متواترةً مقطوعًا بنسبتها إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم (ت)..... ٢٢٨
تنبيه: حول تكفير من قال: «لم تثبت حرمة الخمر في القرآن»..... ٢٣٠
الباب الثاني: في تحريم الخمر من السنة النبوية الشريفة..... ٢٣١
الأحاديث الواردة في الخمر بالغةٌ حدَّ التواتر، وهي على ثلاثة أنواع..... ٢٣١
النوع الأول: فيما يُصرِّح بتحريم مطلق الخمر..... ٢٣٢
الصائغ الذي يعمل الصُّلْبان ويبيعها يرتكب كبيرةً، وكَسْبُه من بيعها خبيثٌ مثل بيع الخمر أو الخنزير، بل أشد؛ لأن الصليب يسجُد له الكفَّار..... ٢٣٤
النوع الثاني: فيما يُصرِّح بتحريم قليل ما أسكر كثيره..... ٢٣٥

الأدلة على أن النهي يدل على التحريم شرعًا كثيرةٌ، مبسوطةٌ في كتب الحديث والأصول، وذكر أمثلة منها..... ٢٣٥
النوع الثالث: فيما يفيد التحريم بطريق الوعيد، كلعن شارب الخمر وتهديده بالعذاب في الآخرة ونحو ذلك..... ٢٣٧
كلُّ من ساعد على معصيةٍ يكون شريكًا في إثمها وإن لم يفعلها (ت) ٢٣٧
ما هو الإدمان..... ٢٣٨
أعظم الكبائر شرب الخمر..... ٢٣٨
فائدة: كِبار الصحابة قد تخفى عليهم أحاديث وتوجد عند صِغارهم ٢٤٠
حديث:«لا يَدْخُلُ الجنَّةَ مُدْمِنُ خَمْرٍ...» واستدلال ابن عباس -رضي الله عنهما- له من القرآن (ت)..... ٢٤١
جلد شارب الخمر ٢٤٣
ذكر بعض الأحاديث في حَدِّ شارب الخمر..... ٢٤٣
انعقد الإجماع على وجوب حدِّ شارب الخمر..... ٢٤٥
الردُّ على زعم مَن قال: أنَّ حَدَّ شارب الخمر لا يوجد في القرآن..... ٢٤٥
الزِّنا أعظم إثمًا عند الله تعالى من الخمر (ت) ٢٤٥
قتل شارب الخمر بعد جلده ثلاث مرات..... ٢٤٦
لا يجوز التداوي بالخمر ٢٤٩
حديثٌ صريحٌ في نفي ما يزعمه أصحاب الخمر من المنافع، فلا دفء فيها، ولا دواء ولا نشاط، بل كلها ضررٌ، وقد أدرك العلم الحديث هذا أخيرًا

وأيَّده.....٢٤٩
لا يجوز لمسلمٍ أن يخاطر بإيمانه وبعقله في سبيل الحصول على شفاءٍ يتوهَّمه أو يظنُّه، إلا في حالة الاضطرار.....٢٥١
امتناع عبدالله بن حذافة حين أسره الروم عن شرب ماء ممزوجٌ بخمرٍ، وقصته مع ملك الروم.....٢٥٢
فصل: في إخبار النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: أنَّ ناسًا مِن الأُمَّة يُسَمُّون الخمر بغير اسمها، وبذلك يستَحِلُّون شُرْبَها.....٢٥٣
يستفاد من أحاديث إخباره صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بتسمية الخمر بغير اسمها أمورٌ.....٢٥٥
كثرة التحايل في هذا العصر، وصدور فتاوى تُشجِّع على اقتحام المعاصي ٢٥٦
تجرُّأ بعض العلماء على إباحة بعض أنواع الخمر بحُجَجٍ واهيةٍ.....٢٥٧
شارب المطبوخ إذا كان يُسْكِر أعظم ذنبًا من شارب الخمر.....٢٥٨
استحلال الزِّنا في أبشع صُوَرِه وأقبحها، وهو شائعٌ بين كثيرٍ من الجَهَلَة المُتورِّعين، وبعض المُتعلِّمين والمُتحَذْلِقين.....٢٥٩
حكم استعمال آلات اللهو والطَّرَب.....٢٦٠
قصة مسخ رجل إلى قرد.....٢٦١
فصل: في شرح حديث عائشة رضي الله عنها: «إنَّ أوَّلَ ما يُكْفَأُ الإسلامُ كما يُكْفَأُ الإناءُ كَفْءُ الخَمْرِ».....٢٦٢
فصل: في إخباره صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالمراحل التي تمرُّ بها الأُمَّة ٢٦٣

الخاتمة ٢٦٤
في الكلام على الحشيش الذي شاع استعماله في هذه الأزمنة المُتأخِّرة..... ٢٦٤
ذكر بعض من ألَّف في تحريم الحشيش ٢٦٤
بحثٌ واسعٌ ممتعٌ في الحشيش للعلامة المؤرِّخ تقي الدين المقريزي في "الخطط"..... ٢٦٥
أول ظهور الحشيش..... ٢٦٦
الحشيشة قديمةٌ -بناء على ما مرَّ عن "السوانح"- إلَّا أنها لم تشتهر، ولم يفشُ استعمالها في البلاد العربية وما جاورها إلَّا في أواخر المائة السادسة وأوائل السابعة..... ٢٦٩
كلام الشيخ محيي الدين ابن العربي لمن أكل حشيشة الفقراء ٢٧٠
فتوى الإمام المزني الشافعي في تحريم الحشيش..... ٢٧٠
صرَّح بوقوع طلاق متعاطي الحشيش غير واحدٍ (ت) ٢٧١
هل الحشيش مسكر ؟..... ٢٧١
الحشيش مُفْسِدٌ -أي مُخدِّر- وليس بمُسْكِرٍ، وهذا هو الذي صحَّحه المالكية..... ٢٧٣
ردُّ العباس بن مرداس الصحابي -في أيام الجاهلية- على من سأله: لم لا تشرب الخمر؟ (ت)..... ٢٧٣
حكم الحشيش..... ٢٧٥
ذكر من نصَّ على تحريم الحشيش من العلماء..... ٢٧٥

ردُّ الزركشيِّ على ابن تيمية في تكفيره من استحلَّ السُّكْرَ من الحشيشة (ت) ٢٧٦
دليل تحريم الحشيشة ٢٧٧
الأحكام الفقهية -كالحرمة والكراهة ونحوهما- لا يشترط في دليلها القطع، بل يكتفى فيها بما يفيد الظن كما هو مُقرَّرٌ في علم الأصول ٢٧٧
الأدلة على تحريم الحشيش خمسةٌ ٢٧٩
مضار الحشيشة ٢٨٠
هل الحشيش نجس ؟ ٢٨٤
هل تبطل صلاة من صَلَّى بالحشيشة معه ٢٨٤
الصحيح: أنَّ الحشيشة طاهرةٌ - سواء قلنا إنها مسكرةٌ أو مخدِّرةٌ- كما قال النوويُّ، وقطع به تقي الدين ابن دقيق العيد في "شرح فرعي ابن الحاجب" بل حكى الإجماع عليه ٢٨٥
هل يجلد شارب الحشيش ؟ ٢٨٦
مقارنة بين الخمر والحشيش من ناحية الخبث لبعض العلماء (ت) ٢٨٦
المُخدِّرات فيها التعزير لا غير، وهو بحسب اجتهاد الإمام، على ألَّا يبلغ أقل الحدود ٢٨٧
هل الحشيشة من الكبائر ؟ ٢٨٨
هل حرمة الحشيش مثل حرمة الخمر ؟ ٢٨٩
هل ينتقض وضوء شارب الحشيش ؟ ٢٨٩
قول شاذ حول حكم تناول المفتر ٢٨٩

حول تصريح العلماء بضعف دلالة الاقتران..... ٢٩٠
هل يجوز إطعام الحيوان بالحشيش؟..... ٢٩٢
هل يجوز بيع الحشيش ؟..... ٢٩٢
تنبيهات: **الأول**: لو لم يتضرَّر شخصٌ بأكل الحشيش ولم يَسْكَر بها، فالظاهر: أنها لا تحرم عليه للطهارة وعدم الضرر ٢٩٣
الثاني: حكم جوزة الطيب..... ٢٩٣
الثالث: ما تقرَّر في الحشيش والأفيون والبنج وجوزة الطيب من الحرمة والضرر ينطبق على بقية المُخدِّرات، مثل: البانجو والكوكايين والهيروين ونحوها..... ٢٩٤
حكم شرب القهوة والشاي..... ٢٩٥
خاتمة الكتاب..... ٢٩٦
الشعراء وحشيشة الفقراء ٢٩٧

التصوف الإسلامي

١ - الإعلامُ بأنَّ التصوُّفَ مِن شريعةِ الإسلامِ

مقدمة ٣٠٩
ذكر بعض الأقوال في تعريف التصوف ٣١٠
تعريفات التصوف تبلغ نحو ألفٍ، حكاها الحافظ الصوفيُّ أبو نعيم الأصفهانيُّ في كتابه "حِليةُ الأولياء". ٣١٠
تعريف التصوف للإمام الجنيد وهو من أبلغ ما قيل في التصوف وكَشْف حقيقته..... ٣١٠
تعريف الصوفي ٣١٠
بيان أن التصوف مبنيٌّ على الكتاب والسُّنَّة، لا يخرج عنهما قيد أنملة ٣١٢
سبب تأليف الكتاب..... ٣١٤
فتوى لمولانا الإمام الوالد رضي الله عنه..... ٣١٥
حول أول مَن أسَّس الطريقة، وهل تأسيسها بوحيٍ سماوي؟ ٣١٥
غاية ما تدعو إليه الطريقة وتُشير إليه هو مقام الإحسان ٣١٥
الصحابة والتابعون صوفية بأحوالهم ولا مُشاحَّة في الاصطلاح ٣١٦
الحديث الأول: الإحسان - المراقبة - المشاهدة ٣١٨
الحديث الثاني: محاربة الله لمن عادى أولياءَه- وطريق الولاية..... ٣٢١
الحديث الثالث: علم الظاهر والباطن ٣٢٢
الإشارة في الحديث إلى ما اتفق عليه الصوفية أنَّ المجاهدة والتزام الذكر مع حضور القلب يُورث علومًا وهبية..... ٣٢٣

الحديث الرابع: للقرآن ظاهرٌ وباطنٌ..... ٣٢٤
عليٌّ عليه السلام عنده علم الظاهر والباطن..... ٣٢٥
شهادة الصحابة لعليٍّ عليه السلام بتفوقه في علوم الحقائق والأسرار ٣٢٥
الحديث الخامس: علوم الحقائق لا يُنكرها إلا المغرورون..... ٣٢٦
الحديث السادس: علم الباطن هو العلم النافع..... ٣٢٧
الحديث السابع: الإلهام- التحديث..... ٣٢٨
كلام الأصوليين حول حُجِّيَّة الإلهام..... ٣٣٠
الحديث الثامن: الحقيقة ٣٣١
الحقيقة صِنو الشريعة، بل هي لُبُّها وسِرُّها الخالص..... ٣٣٤
العشيرة المحمدية وقيامها بحملةٍ واسعةٍ لتطهير التصوّف مما أُلصق به من بدعٍ وخرافات..... ٣٣٤
الحديث التاسع: المكاشفة ٣٣٥
الحديث العاشر: الخلوة والانقطاع إلى الله..... ٣٣٦
أهل التجريد من الصحابة..... ٣٣٨
الفتـــــوة..... ٣٤٠
ذكر ما تشتمل عليه الفتوة من المعاني..... ٣٤١
الأول: الإيثار..... ٣٤١
من أروع مواقف الإيثار عند الصوفية، ٣٤٢
الثاني: هدية المريد إلى شيخه، ودليلها من القرآن والسُنَة..... ٣٤٣
الثالث: الضيافة..... ٣٤٦

الرابع: صلة الإخوان..... ٣٤٧
مسألة: في الرد على ما تشدّق بها المنتقدون للتصوّف، ذلك أنهم يزعمون أنّ الصُّوفية أصحاب كسل وخُمول وتواكل..... ٣٤٩
الأولـــياء..... ٣٥١
ذكر الأقوال في معنى الولي..... ٣٥١
ذكر بعض الأحاديث عن الولاية والولي..... ٣٥٢
أثر جامع لصفات الأولياء..... ٣٥٤
الأبـــدال..... ٣٥٥
ذكر بعض من وصف أنه من الأبدال..... ٣٥٦
بعض الأحاديث التي جاء فيها ذكر الأبدال..... ٣٥٦
بِم استحق الأبدال تلك الرتبة؟..... ٣٥٩
النُّجباء والنُّقباء والأوتاد والغوث..... ٣٦١
الكَـرَامـات..... ٣٦٣
مما يعاب على فقهاء الحنفية تسرعهم إلى الإكفار لأسباب بعيدة عن الكفر، ومن قرأ باب الردّة في كتبهم رأى العجب..... ٣٦٤
الإشارة إلأى بعض الأدلة على إثبات الكرامات..... ٣٦٥
حلقـات الذكـر..... ٣٧٤
ملخص ما جاء في رسالة الحافظ السيوطي"نتيجة الفكر في الجهر بالذكر"..... ٣٧٤
الجواب على تعارض قول الله تعالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً

وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ مع استحباب الجهر بالذكر ٣٧٧
الجواب على تعارض قوله تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ واستحباب الجهر بالذكر ٣٧٨
الذكر بالاسم المفرد ٣٧٩
الرد على من أنكر الذكر بالاسم المفرد من وجوه ٣٨٠
نقول عن بعض الصوفيه حول الذكر بالاسم المفرد ٣٨١
فتوى الحافظ ابن حجرٍ في "الفتاوى الحديثية" حول الذكر بالسم المفرد.. ٣٨٣
ثبت عن بلال رضي الله عنه الذكر بالاسم المفرد ٣٨٤
موقف العلماء من الصوفية ٣٨٦
قول الإمام مالك في الجمع بين الفقه والتصوف..... ٣٨٦
الإمام الشافعي واستفادته من الصوفية ٣٨٦
ثناء الإمام أحمد ابن حنبل على المحاسبي ٣٨٧
أبو العباس بن سُريج -أحد أئمة الشافعية- يحضر مجلس الجُنيد ٣٨٨
ثناء العلماء على ذي النون المصري أحد أئمة الصوفيّة وعظمائهم ٣٨٨
تقديم الإمام القشيري في موسم الحج على أربعمائة نفس من قضاة المسلمين وأئمتهم من أقطار البلاد وأقاصي الأرض ٣٨٩
ثناء العلماء على سيدي أبي الحسن الشاذلي..... ٣٨٩
حضور العلماء مجلس تاج الدين ابن عطاء الله السكندري، وكلمة حول كتاب الحكم العطائية..... ٣٩٠

خاتمة الكتاب..... ٣٩٢

٢- حُسْنُ التلطُّفِ في بيانِ وجوبِ سلوكِ التصوُّفِ

مقدمة..... ٣٩٥
فصل: التَّصوُّف مبنيٌّ على الكتاب والسنَّة..... ٣٩٨
فصل: لكون التَّصوف مبنيًّا على الكتاب والسُّنَّة دخل فيه عُظماء العلماء، وانضمَّ إلى زُمرة أهله فُحولٌ من الكبراء..... ٤٠٠
فصل: في وجوب سلوك طريق التصوف..... ٤٠١
خاتمة الكتاب..... ٤٠٧

٣- سِلْسِلَةُ الطَّريقةِ الصِّدِّيقيَّة

ترجمة السيد محمد بن الصديق الغماري (ت)..... ٤١١
نسب سيِّدي محمد بن الصِّدِّيق الغُماريِّ..... ٤١١
لا بد من الواسطة في كلِّ الفنون..... ٤١٣
سلسلة الطريقة الصِّدِّيقية..... ٤١٤
المنتسب يكون كالحلقة في السِّلسلة، لا يتحرَّك في أمرٍ إلَّا تحرَّكت السِّلسلة كلُّها معه إلي مولانا رسول الله صلَّي الله عليه وآله وسلَّم..... ٤١٧
فائدة النسبة الخاصة..... ٤١٨
إجازة السيِّد عبدالله بن الصِّدِّيق بالطريقة الصِّدِّيقية..... ٤٢٠
ذكر بعض شيوخ المصِّنف بجامع القرويين (ت)..... ٤٢٠
وصيَّة العارف بالله سيِّدي محمَّد بن الصِّدِّيق إلى إخوانه..... ٤٢١

٤- الدُّرَر النَّقية في أذكارِ وآدابِ الطَّريقةِ الصِّدِّيقية

مقدمة ٤٢٥
فضل ذِكْرِ الله عزَّ وجلَّ..... ٤٢٥
حزب الفتح الصديقي: يقرأ يوميًا صباحًا ومسَّاء ٤٢٨
ورد الطريقة الصِّدِّيقية ٤٣٣
المعارف الذوقية في الوظيفة الصديقية..... ٤٣٤
صلاتان أنشأهما أبو الفضل سيِّدي عبدالله بن الصديق..... ٤٤١
استغاثة للمصنف أنشأها سنة ١٣٨٠ هجرية..... ٤٤٢
آداب الطريقة الصديقية..... ٤٤٥
أدب المريد مع الله تعالى..... ٤٤٥
أدب المريد مع شيخه..... ٤٤٦
أدب المريد مع إخوانه..... ٤٤٧
أدب المريد مع المسلمين..... ٤٤٧
وصية جامعة..... ٤٤٨

٥- إرشَادُ الأَنامِ إلى ما يُتْلَى مِنَ السُّورِ والأَذْكَارِ في الأَيَّامِ

مقدمة ٤٥٣
المبحثُ الأول: في أن الذكر بالأذكار غير الواردة جائز وإنْ منعه الوهَّابيون المتزمِّتون؛ لكنْ لا نزاعَ أنَّ الذِّكر الواردَ أفضلُ وأكملُ..... ٤٥٤
المبحث الثاني: اشتمال هذا الكتابُ على سُورٍ وآياتٍ، وصلواتٍ، ودعواتٍ،

ومصادر ذلك من كتب الأئمة والحفاظ..... ٤٥٤
المبحثُ الثالثُ: في الحض على الذكر في القرآن الكريم والسنة المشرفة ... ٤٥٥
بسم الله الرحمن الرحيم..... ٤٥٨
الفصل الأول: وِرْدُ يومِ الجُمُعة..... ٤٦١
الفصل الثاني: وِرْدُ يومِ السّبتِ..... ٤٦٣
الفصل الثالث: وِرد يوم الأحد..... ٤٦٦
الفصل الرابع: وِرد يوم الإثنين..... ٤٦٨
الفصل الخامس: ورد يوم الثلاثاء..... ٤٧٠
الفصل السادس: ورد يومِ الأربعاء..... ٤٧٣
الفصل السابع: ورد يوم الخميس..... ٤٧٥
فهرس الموضوعات..... ٤٨١

موسوعة

العلامة المحدث المتفنن

سيدي الشريف عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري الحسيني

(١٣٢٨ - ١٤١٣هـ) رحمه الله تعالى

قدم لها

الشريف الدكتور

عبد المنعم بن عبد العزيز بن الصديق

إشراف

الدكتور محمود سعيد بن محمد ممدوح

المجلد الثاني عشر

الأدب والمتفرقات

موسوعة

العلامة المحدث المتفنن

سيدي الشريف عبد الله بن محمد الصديق الغماري الحسني

(١٣٢٨ - ١٤١٣هـ) رحمه الله تعالى

(١٢)

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية
عام / ١٤٣٨

قام بطباعتها وإخراجها: مركز البحوث والدِّراسات
بكُليَّة الصَّفا الإسلاميَّة بماليزيا

يطلب من:

دار السَّلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

جمهورية مصر العربية: القاهرة – الإسكندرية.
الإدارة: القاهرة ٤٠ شارع أحمد أبو العلا – المتفرِّع من شارع نور الدين بهجت- الموازي لامتداد شارع مكرم عبيد – مدينة نصر.
هاتف: ٢٢٨٧٣٢٤٦ - ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ (٢٠٢+)
فاكس: ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢+)
البريد الإلكتروني: info@dar-alsalam.com
موقعنا على الإنترنت: www.dar-alsalam.com

المجلد الثاني عشر: كتاب الأدب والمتفرقات

ويحتوي على:

١ - حُسْنُ البَيانِ في ليلة النِّصْفِ مِن شَعْبانَ.

٢ - غايةُ الإحْسانِ في فَضْلِ زكاةِ الفِطْرِ وفَضْلِ رَمَضانَ.

٣- إتحافُ النُّبَلاء في فَضْلِ الشَّهادَةِ وأنواعِ الشُّهداء.

٤ - القَوْلُ المَسْمُوعُ في بيان الهَجْرِ المَشْرُوعِ.

٥ - النَّفْحَةُ الذَّكِيةُ في أنَّ الهَجْرَ بِدْعَةٌ شِرْكِيَّةٌ.

٦ - قَمْعُ الأَشْرَارِ عن جَريمَةِ الانْتحَارِ.

٧- الرُّؤيا في الكِتابِ والسُّنَّةِ.

١ - حُسْنُ البَيَان
في لَيْلَةِ النِّصْفِ مِن شَعْبان

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

اللهمَّ لك الحمدُ حَمْدًا كثيرًا دائمًا بدوامِك، ولك الحمدُ حَمْدًا باقيًا ببقائك، ولك الحمدُ حمدًا لامُنتهَىٰ له دون عِلْمك، ولك الحمدُ حَمْدًا لا جزاء لقائله إلَّا رضاك. ونسألك اللهمَّ أن تُصَلِّي أفضل الصلوات، وتُسَلِّم أكمل التسليمات، علىٰ من جعلت وجوده نعمةً، ورسالته رحمةً، وفضلَّته علىٰ جميع المخلوقات، وشرَّفت به عالم الأرض والسموات، سيِّدنا محمَّدٍ عبدك النبيِّ الأميِّ، الطاهر الزَّكيِّ، وارضَ اللهمَّ عن آله بحور النَّدَىٰ، وليوث العِدَىٰ، الذين طهَّرتهم من الرِّجْسِ تَطْهِيرًا، وأعطيتهم فضلًا كبيرًا، فكانوا سادة الأُمَّة، وهداة الأئمَّة.

إنَّ عُدَّ أَهْلُ التُّقَىٰ كانوا أئمَّتَهُم أوقِيلَ مَنْ خَيْرُ أَهْلِ الأرضِ قِيلَ هُمُ

وأصحابه اللذين ناصَرُوه ونَصَرُوه، وآزَرُوه وعَزَّرُوه وحَفِظُوا حُرْمَته، وبلَّغوا شريعته، ففازوا بالعِزَّة في الأولىٰ والسعادة في الأخرة، أولئك حزب الله ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

أمَّا بعد: فإنَّ الله جلَّت قُدْرته وتعالت عَظَمَتُه، فاوت بين خَلْقِه في المناصب، وجعلهم طبقاتٍ مُتباينة المراتب، فمنهم رسلٌ وأنبياء، وصِدِّيقون وشُهداء، وعلماء أفاضل، ونُجباء أماثِل، ومنهم كفَّارٌ فَجَرةٌ، وفُسَّاقٌ خَسَرةٌ وجَهَلَةٌ أغبياء، ومَلاحِدَةٌ أشْقِياء، ليتميَّز الشَّقِيُّ من السَّعِيد، والمُقرَّب مِن البعيد، وليظهر عليهم فضل الله وعَدْلُه، وتَنْفُذَ فيهم مَشِيئتُهُ وحُكْمُهُ، ولو شاء ربُّك لجعل النَّاسَ أُمَّةً واحدةً، لكن أراد أن تتجلَّىٰ آثار رُبوبيَّته، ويتبيَّن للعُقلاء

عجزهم عن فهم خَفِيِّ حِكْمته، وكما فاوت -سبحانه- بين أنواع الإنسان، فاوت بين أنواع الأَمْكِنَة والأزمان، فجعل لبعض الأماكن فضلًا على غيرها في العبادة والدُّعاء، وجعل بعض الأزمنة مواسم للهبة والعطاء، ومِن ذلك ليلة النِّصْف مِن شعبان، التي يتجلَّى الله فيها على خَلْقِهِ بعموم مَغْفِرتِهِ، وشمول رَحْمَتِهِ، فيغفر للمُستغفِرين، ويرحم المُسترحِمين ويُجيبَ دعاء السائلين، ويُفرِّجَ عن المَكْروبين، ويُعْتِقَ فيها جماعةٌ مِن النَّارِ، ويكتب فيها الأرزاق والأعمال.

وقد اشتهر فضل هذه الليلة قديمًا عند الناس، فكانوا يُحيونها بالعبادة والذكر والدعاء، وإن اختلفوا في صفة إحيائها هل يكون جماعةً أوفرادى؟ وهل يكون في المسجد أو البيت؟ وهل تخصيصها بشيءٍ زائدٍ من العبادة على سائر الليالي بدعةٌ؟ أوغير بدعةٍ؟

ذهب إلى كلٍّ من هذه الأقوال قائلٌ، ورجَّح ما ذهب إليه بما تيسَّر لديه من الدلائل، والأحاديث في هذا الباب لا تخلو من ضعفٍ أو انقطاعٍ، وإن كان بعضها أخف ضعفًا وأولى بالاتباع، ولا سيِّما وقد ثبت في "صحيح مسلم" عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**إنَّ في الليلِ لسَاعَةً لا يُوافِقُها رَجُلٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللهَ خَيْرًا مِن أَمْرِ الدُّنيا والآخِرَةِ إلَّا أَعْطَاهُ إيَّاهُ**».

وذلك كل ليلةٍ، ولا شك أنَّ ليلة النصف تدخل في هذا العموم؛ فيتأكَّد قيامها والاجتهاد بالعبادة فيها، عسى أن تشمل المُتعَبِّد فيها عنايةً من الله تمحو أوزاره وذنوبه، وتُفرِّج كروبه، وتَسْتُر عُيوبه.

ففي "معجم الطبراني" وغيره، عن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**اطْلُبُوا الخَيْرَ دَهْرَكُم وتَعَرَّضُوا لنَفَحَاتِ رَحْمَةِ رَبِّكُم؛ فإنَّ لله نَفَحَاتٍ مِن رَحْمَتِهِ يُصِيبُ بها مَن يشاءُ مِن عِبادِهِ، وَسَلُوا اللهَ أنْ يَسْتُرَ عَوْرَاتِكُمْ ويُؤَمِّنَ رَوْعَاتِكُمْ**». وسيأتي حديث محمد بن مسلمة بمعناه في هذه الرسالة إن شاء الله.

فصل

سألني كثيرٌ من الناس في عِدَّة مناسبات عمَّا ورد في ليلة النصف من شعبان من الصلاة والدعاء وغيرهما، فكنت أُجيبهم بما يحضرني في ذلك إمَّا مشافَهةً باللسان أو كتابةً في المجلَّات الإسلامية، ولم أُدوِّن ما أجبت به في كتابٍ خاصٍّ لأني كنت أراه -لضآلته- لا يستحق التدوين، حتى كانت هذه السَّنَة وعاد سؤال الناس كعادتهم، رأيت أن أُحَرِّر رسالةً صغيرة الحجم، غزيرة العِلْم، كثيرة الفوائد والدُّرَر، قليلة الفُضُول والهَذَر، واستعنت الله على إنشاءها وإتمامها في ظرفٍ يسيرٍ مِن الزَّمان، فله الحمد وله الشكر وهو المُستعان وعليه التُّكْلان، وسمَّيتها: **"حُسْنُ البَيَان في لَيْلَةِ النِّصْفِ مِن شَعْبَان"**.

وفي هذا الموضوع مؤلَّفاتٌ كثيرةٌ لجماعةٍ من العلماء، منها كتاب: "الايضاح والبيان" لابن حجرٍ الهيتميِّ الفقيه الشافعيِّ، ومِن قبله ألَّف الحافظ أبو الخطاب بن دحية الأندلسيُّ كتاب: "ما جاء في شهر شعبان"، وللعلَّامة الأجهوريِّ شيخ المالكية في عصره كتاب في ليلة النصف أيضًا، وليس من غرضنا استقصاء ما كتب في هذا الباب؛ فإن ذلك يطول، ولكن غرضنا الإشارة والتنبيه، والله الموفِّق لا ربَّ غيره ولا خير إلَّا خيره.

بدء الاحتفال بليلة النصف من شعبان

كان بدء الاحتفال بهذه الليلة أنَّ التابعين من أهل الشام كخالد بن مَعْدان ومكحول ولقمان بن عامر وغيرهم كانوا يُعظِّمونها، ويجتهدون في العبادة فيها ويقال: بلغهم في ذلك آثار إسرائيلية، وعنهم أخذ الناس تعظيمها واشتهر

أمرها في البلاد الإسلامية، وحصل الخلاف بين العلماء فيها؛ فأمَّا طائفةٌ مِن عُبَّاد أهل البصرة وغيرهم فوافقوا أهل الشام تعظيم هذه الليلة، وأمَّا أكثر علماء الحجاز فأنكروا ذلك وقالوا بل هو بدعةٌ، منهم عطاء وابن أبي مُلَيكَة، وفقهاء أهل المدينة فيما نقله عنهم عبدالرحمن بن زيد بن أسلم، وهذا قول أصحاب مالكٍ وغيرهم.

وروى ابن وضَّاح عن زيد بن أسلم قال ما أدركنا أحدًا من مشيختنا ولا فقهائنا- يعني بالمدينة- يلتفتون إلى ليلة النصف من شعبان، ولا يلتفتون إلى حديث مكحولٍ ولا يرون لها فضلًا على سواها.

وقيل لابن أبي مُلَيكة إنَّ زيادًا النميريَّ يقول: إنَّ أجر ليلة النصف من شعبان كأجر ليلة القَدْر فقال: لو سمعته وبيدي عصًا لضربته، وكان زياد قاصًّا.

صفة إحياء هذه الليلة

اختلف علماء أهل الشام في صفة إحيائها فمنهم من قال يُستحَبُّ إحياؤها في المساجد جماعةً؛ وهذا رأي خالد بن مَعْدان ولقمان بن عامر وغيرهما فإنهم كانوا يلبسون فيها أحسن ثيابهم ويتبخَّرون ويتكَّحلون ويقومون في المسجد ليلتهم تلك، ووافقهم إسحاق بن راهوية على ذلك فقال في قيامها في المسجد جماعة: «ليس ذلك ببدعةٍ»، نقله عنه حرب الكرمانيُّ في "مسائله" ومنهم من قال: يُكره الاجتماع فيها للصلاة والقصص والدُّعاء ولا يكره أن يصلِّي الرجل فيها لخاصَّة نفسه وهذا قول الإمام الأوزاعيِّ إمام أهل الشام.

وذهب إلى ترجيح الأوَّل مولانا الإمام الوالد رضي الله عنه فإنه كان يأمر

الأخوان بإحياء هذه الليلة في الزاوية الصِّدِّيقيَّة بالذِّكر والقرآن والدعاء، ثُمَّ يتفرَّقون عن ذَوَاقٍ.

وقد نقل البيهقيُّ في "السنن الكبرىٰ" عن الإمام الشافعيِّ أنه قال: «بلغنا أنه كان يقال: إنَّ الدعاء يُستجَاب في خمس ليالٍ؛ في ليلة الجُمُعة، وليلة الأضحىٰ، وليلة الفِطْر، وأوَّل ليلة مِن رجب، وليلة النِّصف من شعبان».

وورد عن عمر بن عبدالعزيز أنه كتب إلىٰ عامله بالبصرة: «عليك بأربع ليالٍ من السَّنَة فإنَّ الله يُفْرِغ فيهنَّ الرحمة إفراغًا: أول ليلة من رجب، وليلة النِّصف من شعبان، وليلة الفِطْر، وليلة الأضحَىٰ».

فضل هذه الليلة

ورد في فضل هذه الليلة وقيامها واستجابة الدعاء فيها أحاديث لا تخلو من مقال حتىٰ قال أبوبكر بن العربي المعافريُّ: «ليس في ليلة النصف من شعبان حديثٌ يساوي سماعه». وإن كان في هذا غلوٌّ وإفراط، ونحن هنا نُلخِّص ما ورد من الأحاديث والآثار مع الأشارة إلىٰ ما فيها من ضعفٍ وإعلالٍ، سالكين طريق الإنصاف كما هو شأننا -إن شاء الله- في كلِّ ما نكتب وبالله التوفيق.

الحديث الأول

أخرج ابن ماجه في "سننه": عن عليِّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إذا كانت ليلةُ النِّصْفِ مِن شعبانَ، فقُومُوا لَيْلَهَا، وصُومُوا نَهَارَهَا، فإنَّ اللهَ يَنْزِلُ فيها لِغُرُوبِ الشَّمْسِ إلى سماءِ الدُّنيا، فيقول: أَلَا مِن مُسْتَغْفِرٍ لي فأغْفِرَ لَهُ، أَلَا مُسْتَرْزِقٌ فأرْزُقَهُ، أَلَا مُبْتَلًى فأُعَافِيَهُ، أَلَا كذا ألا كذا، حتَّى يَطْلُعَ الفَجْرُ**».

وهكذا رواه عبدالرزَّاق وغيره، وفي سنده أبو بكر بن عبدالله بن أبي سبرة، متروك، وقال أحمد: «كان يضع الحديث ويكذب».

الحديث الثاني

أخرج الترمذيُّ وابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها قالت: فقدت النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فخرجت فإذا هو بالبقيع رافعًا رأسه إلىٰ السماء فقال: «**أَكُنْتِ تَخَافِينَ أَن يَحِيفَ الله عليك ورَسُولُهُ**»، قلتُ: يا رسول الله، إنِّي ظَنَنْتُ أَنَّكَ أَتَيْتَ بعضَ نِسَائِكَ، فقال: «**إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يَنْزِلُ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِن شعبانَ إلى السَّماءِ الدُّنيا، فيَغْفِرُ لأكثرَ مِن عَدَدِ شَعْرِ غَنَمِ كَلْبٍ**».

قال الترمذيُّ: «حديث عائشة لا نعرفه إلَّا مِن هذا الوجه، وسمعتُ محمَّدًا- يعني البخاريَّ- يُضعِّف هذا الحديث؛ وذلك لأنَّ فيه انقطاعًا في موضعين».

الحديث الثالث

أخرج ابن ماجه: عن أبي موسىٰ الأشعريِّ، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ اللهَ لَيَطَّلِعُ في ليلةِ النِّصْفِ مِن شعبانَ فيَغْفِرُ لجَمِيعِ خَلْقِهِ إلَّا لمُشْرِكٍ أو مُشَاحِنٍ**». وهو من رواية ابن لَهيعة وفيه كلامٌ، عن الضَّحَّاك بن أيمن الكلبيِّ قال الذهبيُّ: «لا يُدرَىٰ مَن هو».

الحديث الرابع

أخرج أحمد: عن عبدالله بن عمرٍو، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ اللهَ ليَطَّلِعُ إلى خَلْقِهِ ليلةَ النِّصْفِ مِن شعبانَ، فيَغْفِرُ لعِبادِهِ إلَّا لاثْنَيْنِ: مُشَاحِنٍ، وقَاتِلِ نَفْسٍ**». وإسناده ليِّن كما قال الحافظ المنذريُّ.

الحديث الخامس

أخرج الطبرانيُّ، وابن حِبَّان في "صحيحه" عن معاذ بن جبلٍ رضي الله عنه عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**يَطَّلِعُ اللهُ إلى جَميعِ خَلْقِهِ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِن شعبانَ، فيَغْفِرُ لجَمِيعِ خَلْقِهِ إلَّا لمُشْرِكٍ أو مُشَاحِنٍ**».

الحديث السادس

أخرج الطبرانيُّ، والبيهقيُّ، من طريق مَكْحُولٍ، عن أبي ثعلبة الخشنيِّ رضي الله عنه: أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**يَطَّلِعُ اللهُ عَبَادَهُ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِن شَعْبانَ، فيَغْفِرُ للمؤمنينَ، ويُمْهِلُ الكافِرينَ، ويَدَعُ أَهْلَ الحِقْدِ بحِقْدِهِمْ حتَّى يَدَعُوهُ**». قال البيهقيُّ: «وهو بين مكحولٍ وأبي ثعلبة مرسلٌ جيِّدٌ».اهـ قلت: فيكون فيه انقطاعٌ؛ لأن مكحولًا لم يسمع من أبي ثعلبة.

الحديث السابع

أخرج البزَّار والبيهقيُّ عن أبي بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم : «**يَنْزِلُ اللهُ إلى السَّماءِ الدُّنيا لَيْلَةَ النِّصْفِ مِن شَعْبانَ، فيَغْفِرُ لكُلِّ شيءٍ إلَّا لرَجُلٍ مُشْرِكٍ، أو رَجُلٍ في قَلْبِهِ شَحْنَاءُ**». وإسناده لا بأس به كما قال الحافظ المُنذريُّ.

الحديث الثامن

أخرج البيهقيُّ بإسنادٍ ضعيفٍ عن عثمان بن أبي العاص، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم : «**إذا كان لَيْلَةُ النِّصْفِ مِن شَعْبانَ نَادَى مُنَادٍ: هل مِن مُسْتَغْفِرٍ فأَغْفِرَ لَهُ؟ هل مِن سائِلٍ فأُعْطِيَهُ؟ فلا يَسْأَلُ أحدٌ شيئًا إلَّا أُعْطِي إلَّا زَانِيَةً**

بفَرْجِهَا أو مُشْرِكًا». هكذا جاء في رواية البيهقيِّ.

وجاء في رواية غيره مطلقًا غير مقيَّدٍ بليلة النصف، ففي "المسند" عن الحسن البصريِّ قال: مرَّ عثمان بن أبي العاص على كلاب بن أمية وهو جالسٌ على مجلس العاشر بالبصرة، فقال: ما يُجلِسك هنا؟ قال : استعملني على هذا المكان -يعني زيادًا- فقال له عثمان: ألا أُحَدِّثك حديثًا سمعته من رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ؟ فقال: بلى، فقال عثمان: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**كان لداودَ نبيِّ الله عليه السلام ساعَةٌ يُوقِظُ فيها أَهْلَهُ، يقول يا آلَ داودَ، قومُوا فصَلُّوا فإنَّ هذه السَّاعَةَ يَسْتَجِيبُ اللهُ فيها الدُّعاءَ إلَّا لسَاحِرٍ أو عَاشِرٍ**». فركب كلاب بن أمية سفينة فأتى زيادًا فاستعفاه فأعفاه.

رواه الطبرانيُّ في "الكبير" و"الأوسط"، ولفظه عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**تُفْتَحُ أبوابُ السَّماءِ نِصْفَ اللَّيْلِ، فيُنَادِي مُنَادٍ: هل مِن دَاعٍ فيُسْتَجَابَ له، هَل مِن سائِلٍ فَيُعْطَى، هل مِن مَكْرُوبٍ فيُفَرَّجَ عنه، فلا يَبْقَى مُسْلِمٌ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ إلَّا اسْتَجَابَ الله عزَّ وجلَّ له، إلَّا زانيةً تَسْعَى بفَرْجِهَا، أو عَشَّارًا**». ولا تنافي بين هذه الروايات كما لا يخفى على أنَّ ليلة النصف تشملها رواية أحمد والطبرانيِّ بطريق العموم.

الحديث التاسع

أخرج البيهقيُّ عن العلاء بن الحرث: أنَّ عائشةَ قالت: قَامَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مِن الليل يُصَلِّي فأَطَالَ السُّجُودَ حتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ قد قُبِضَ، فلمَّا رَأيتُ ذلك قُمتُ حتَّى حَرَّكْتُ إبْهامَهُ فتَحَرَّكَ ، فرَجَعْتُ ، فلمَّا رَفَعَ إليَّ رأسَهُ مِن السُّجُودِ، وفَرَغَ مِن صلاتِهِ، قال: «**يا عائشةُ -أو يا حُمَيْرَاءُ -**

أَظَنَنْتِ أنَّ النبيَّ قد خَاسَ بِكِ؟» قلتُ: لا والله يا رسول الله ولكنَّني ظَنَنْتُ أنَّك قُبِضْتَ لطول سجودك، فقال: «أَتَدْرِينَ أَيَّ لَيْلَةٍ هَذِهِ؟» قلتُ: الله ورسولُهُ أعلم، قال: «هذه ليلةُ النِّصْفِ مِن شَعْبانَ، إنَّ الله عزَّ وجلَّ يَطَّلِعُ على عِبادِهِ في ليلةِ النِّصْفِ مِن شَعْبانَ فيَغْفِرُ للمُسْتَغْفِرِينَ، ويَرْحَمُ المُسْتَرْحِمِينَ، ويُؤَخِّرُ أهلَ الحِقْدِ كما هم». قال البيهقيُّ: «هذا مرسلٌ جيِّدٌ، ويحتمل أن يكون العلاء أخذه من مكحولٍ».اهـ

الحديث العاشر

أخرج البيهقيُّ عن مكحولٍ، عن كثير بن مُرَّة، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم : «في لَيْلَةِ النِّصْفِ مِن شَعْبانَ يَغْفِرُ اللهُ لأهلِ الأرضِ إلَّا مُشْرِكًا أو مُشَاحِنًا». قال البيهقيُّ: «هذا مرسلٌ جيِّدٌ».اهـ قلت: لأن كثير بن مُرَّة تابعيٌّ.

الآثار الواردة في هذه الليلة

وأمَّا الآثار فمنها ما ورد عن نَوْفٍ البِكَالِيِّ: أنَّ عليًّا عليه السلام خرج ليلة النِّصف مِن شعبان فأكثر الخروج فيها ينظر إلى السماء فقال: إنَّ هذه الساعة ما دعا اللهَ أحدٌ إلَّا أجابه، ولا استغفره أحدٌ في هذه الليلة إلَّا غَفَرَ له، ما لم يكن عشَّارًا أو ساحِرًا أو شاعِرًا أو كاهِنًا أو عريفًا أو شرطيًّا أو جابيًا أو صاحب كُوبَةٍ أو غرطبة -قال نوف: «الكوبة»: الطبل. و«الغرطبة»: الطنبور- اللهمَّ ربَّ داود، اغفر لمن دعاك في هذه الليلة ولمن استغفرك فيها.

ومنها ما رواه سعيد بن منصور في "سننه" قال: حدَّثنا أبو معشر، عن أبي حازم ومحمد بن قيس، عن عطاء بن يسار قال: ما من ليلة بعد ليلة القَدْر أفضل من ليلة النصف من شعبان؛ ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدُّنيا فيغفر لعباده كلِّهم إلَّا لمشركٍ، أو مشاحنٍ، أوقاطِعِ رَحِمٍ.

فيستفاد من هذه الأحاديث والأثار استحباب قيام هذه الليلة والاجتهاد فيها بتلاوة القرآن والذِّكر والدُّعاء تعرُّضًا لنفحات رحمة الله، كما جاء في حديثٍ رواه الطبرانيُّ وغيره عن محمد بن مسلمة مرفوعًا: «**إنَّ لله في أيام الدَّهْرِ نَفَحَاتٌ فتعَرَّضُوا لها، فلعلَّ أحَدَكُم أن تُصِيبَهُ نَفْحَةٌ فلا يَشْقَى بَعْدَها أبَدًا**».

وما أحسن قول بعض الفضلاء:

فقُمْ لَيْلَةَ النِّصْفِ الشَّريفِ مُصَلِّيًا ... فأَشْرَفُ هذا الشَّهْرِ لَيْلَةُ نِصْفِهِ
فكَمْ مِن فتًى قَدْ بَاتَ في النِّصْفِ آمِنًا ... وقد نُسِخَتْ فيه صَحِيفَةُ حَتْفِهِ
فبَادِرْ بِفِعْلِ الخَيْرِ قَبْلَ انْقِضَائِهِ ... وحَاذِرْ هُجُومَ المَوْتِ فِيهِ بصرفِهِ
وصَمْ يَوْمَهُ لله واحْسِنْ رَجَاءَوهُ ... لتَظْفَرَ عند الكَرْبِ مِنْهُ بلُطْفِهِ

ما يقال من الدعاء في هذه الليلة

ورَدَ في ذلك حديثان عن عائشة رواهما البيهقيُّ:

أحدهما: عنها قالت: دَخَلَ عليَّ رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فوَضَعَ عنه ثَوْبَيْهِ، ثُمَّ لَمْ يَسْتَتِمَّ أنْ قامَ فلَبِسَهُما؛ فأخَذَتني غَيْرَةٌ شديدةٌ ظَنَنْتُ أنَّهُ يأتي بعضَ صُوَيْحِباتي، فخَرَجْتُ أتبَعَهُ فأَدْرَكْتُهُ بالبَقِيعِ -بَقِيعِ الغَرْقَدِ- يَسْتَغْفِرُ للمؤمنين والمؤمناتِ والشُّهداء، فقلتُ: بأبِي وأُمِّي أنتَ في حاجةِ ربِّكَ، وأنا في حاجةِ الدُّنيا فانْصَرَفْتُ، فدَخَلْتُ حُجْرَتي وَلي نَفَسٌ عالٍ، ولحقَنِي رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقال: «ما هذا النَّفَسُ يا عائشةُ؟»، فقلتُ: بأبي وأُمِّي أتيتني فوضَعْتَ عنك ثَوْبَيْكَ ثُمَّ لَمْ تَسْتَتِمَّ أنْ قمتَ فلَبِسْتَهُما فأخَذَتني غَيْرَةٌ شديدةٌ، ظَنَنتُ أنَّكَ تأتي بعضَ صُوَيْحِباتي حتَّى رأيتُكَ بالبَقِيعِ تَصْنَعُ ما تصنعُ، قال: «يا عائشةُ، أكُنْتِ تخَافِينَ أنْ يَحِيفَ اللهُ عليك ورسولُهُ، بل أتاني جبريلُ عليه السَّلام، فقال: هذه اللَّيلةُ ليلةُ النِّصْفِ مِن شَعْبانَ ولله فيها عُتَقَاءُ مِن النَّارِ بعَدَدِ شُعُورِ غَنَمِ كَلْبٍ، لا يَنْظُرُ الله فيها إلى مُشْرِكٍ، ولا إلى مُشَاحِنٍ، ولا إلى قَاطِعِ رَحِمٍ، ولا إلى مُسْبِلٍ، ولا إلى عَاقٍّ لوَالِدَيْهِ، ولا إلى مُدْمِنِ خَمْرٍ» قالت: ثُمَّ وَضَعَ عنه ثَوْبَيْهِ، فقال لي: «يا عائشةُ تَأْذَنِينَ لي في قِيامِ هذه اللَّيلةِ؟»، فقلتُ: نعم بأبي وأُمِّي، فقام فسَجَدَ ليلًا طويلًا حتَّى ظننتُ أنَّهُ قُبِضَ، فقمتُ أَلْتَمِسُهُ، ووضَعْتُ يَدِي على باطن قَدَمَيْهِ فتَحَرَّكَ ففَرِحْتُ وسَمِعْتُهُ يقول في سُجُودِهِ: «أَعُوذُ بِعَفْوِكَ مِن عِقَابِكَ، وأَعُوذُ بِرِضَاكَ مِن سَخَطِكَ، وأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، جَلَّ وَجْهُكَ، لا أُحْصِي ثَنَاءً عليك أنتَ كما أَثْنَيْتَ على نَفْسِكَ»، فلمَّا

أصبحَ ذَكَرْتُهُنَّ له فقال:«يا عائشةُ تَعَلَّمْتِهُنَّ؟»، فقلتُ: نَعَمْ، فقال: «تَعَلَّمِيهِنَّ وَعَلِّمِيهِنَّ، فإنَّ جبريلَ عليه السَّلام عَلَّمَنِيهِنَّ وأَمَرَني أَن أُرَدِّدَهُنَّ في السُّجُودِ»

ثانيهما: عنها قالت: كانت ليلةُ النِّصْفِ مِن شعبانَ ليلتي، وكان رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عندي، فلمَّا كان في جَوْفِ اللَّيلِ فقدْتُهُ، فأخَذَني ما يأخُذُ النِّساءَ مِن الغَيْرَةِ فتلفَّفتُ بمِرْطِي أمَّا والله ما كان خَزٌّ، ولا قَزٌّ، ولا حَرِيرٌ، ولا دِيبَاجٌ، ولا قُطْنٌ، ولا كَتَّانٌ، قيل لها: مِمَّ كان يا أمَّ المؤمنين؟، قالت: كان سُدَاهُ شَعْرًا ولُحْمَتُهُ مِن أوبارِ الإبلِ، قالت: فطَلَبْتُهُ في حُجَرِ نِسائِهِ فلم أجِدْهُ فانصرفتُ إلى حُجرتي فإذا أنا به كالثَّوبِ السَّاقِطِ وهو يقول في سجوده: «سَجَدَ لَكَ خَيَالِي وسَوَادِي، وآمَنَ بك فُؤادي، فهذه يَدِي وما جَنَيْتُ بها عَلَى نَفْسِي يا عَظِيمُ يُرْجَى لِكُلِّ عظيمٍ، يا عَظِيمُ اغْفِرِ الذَّنبَ العظيمَ، سَجَدَ وَجْهِي للذي خَلْقَهُ وشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ»، ثُمَّ رَفَعَ رأسَهُ، ثُمَّ عادَ ساجدًا، فقال: «أعوذُ برضاك مِن سَخَطِكَ، وأعوذُ بعَفْوِكَ مِن عقابك، وأعوذُ بك مِنْكَ لا أُحصي ثناءً عليكَ أنتَ كما أثنيتَ على نَفْسِكَ، أقول كما قال أخي داودُ، أَعْفُرُ وَجْهِي فِي التُّرابِ لسَيِّدي، وحَقٌّ له أنْ يُسْجَدَ»، ثُمَّ رَفَعَ رأسَهُ، فقال: «اللهمَّ ارزُقني قَلْبًا تَقِيًّا مِن الشَّرِّ نَقِيًّا لا جافيًا ولا شَقِيًّا»، ثُمَّ انصَرَفَ فدَخَلَ معي في الخَمِيلَةِ ولي نَفَسٌ عَالٍ، فقال: «ما هذا النَّفَسُ يا حُمَيْرَاءُ؟»، فأخبرتُهُ فطَفِقَ يمسحُ بيديه على رُكْبَتِي، وهو يقول: «وَيْحَ هاتين الرُّكبتين ما لَقِيَتَا هذه الليلة، ليلة النِّصْفِ مِن شعبانَ يَنْزِلُ اللهُ تعالى فيها إلى السَّماءِ الدُّنيا فيَغْفِرُ لعبادِهِ إلَّا المُشرِكَ والمُشَاحِنَ».

وهذا الحديثان ضعيفان.

أصل الدعاء المشهور بين العوام

اعلم أنَّ الدعاء الذي يقرأه الناس بعد صلاة المغرب من هذه الليلة لا أصل له بتلك الكيفية المعروفة، وقراءة (سورة يس) ثلاث مرَّاتٍ كل مرَّةٍ بنيَّةٍ، والصَّلاة التي يصلونها بين الدعاء والدعاء بنية خاصَّةٍ لقضاء حاجةٍ مُعيَّنةٍ، كلُّ ذلك باطلٌ لا أصل له، ولا تصح الصلاة إلَّا بنيَّةٍ خالصةٍ لله تعالى، لا لأجل غرضٍ من الأغراض؛ قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥] وحديث: «يس لِمَا قُرِئَتْ لَهُ». باطلٌ مكذوبٌ وإن اغترَّ به كثيرٌ من الناس، فينبغي اجتناب هذه الأمور وتنبيه العامَّة إلى اجتنابها، وتعليمهم ما ينبغي فعله في هذه الليلة مما ورد في الأحاديث السابقة، فهي وإن كانت ضعيفةً خيرٌ مما ابتدعه الناس، والضعيف يُعمَل به في فضائل الأعمال بشروطٍ معروفةٍ في محلِّها، وقد ذكرتها بأمثلتها في مقدمة "الأربعين الغمارية".

نعم، وردت جملٌ من ذلك الدعاء عن ابن مسعودٍ فقد أخرج ابن أبي شيبة في "المصنف" وابن أبي الدنيا في "الدعاء" عنه قال: ما دَعَا قطُّ عبدٌ بهذه الدَّعَوَاتِ إلَّا وَسَّعَ الله عليه في مَعِيشَتِهِ: يا ذَا المنِّ فلا يُمَنَّ عليك، يا ذا الجلال والإكرام، يا ذا الطَّول والإنعام، لا إله إلَّا أنتَ، ظَهْرُ اللَّاجِئِينَ، وجَارُ المُسْتَجِيرِينَ، ومَأْمَنُ الخَائِفِينَ، إن كنتَ كتبتني عندك في أُمِّ الكتابِ شَقِيًّا، فامْحُ عَنِّي اسمَ الشَّقَاءِ، وأثبتني عندك سَعِيدًا مُوَفَّقًا للخير، فإنَّك تقولُ في كتابك: ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩]».

هذا أصل الدعاء كما ورد وهو مع ضَعْفِه غير مُقيَّدٍ بليلة النصف من

شعبان ولا بساعةٍ من ساعتها، ثُمَّ هو مبنيٌّ على جواز المَحْوِ والإثبات في الأرزاق والشقاء والسعادة، وفي ذلك خلافٌ بين العلماء من الصحابة وغيرهم ليس هذا محل بسطه.

أمَّا مازيد في الدعاء بعد ذلك من قولهم: «إلهي بالتجلِّي الأعظم في ليلة النصف من شعبان المُكرَّم...» إلخ، فهو من زيادة الشيخ ماء العينين الشنقيطيِّ، ذكره في كتاب "نعت البدايات" وكتب هذا الشيخ ملأى بالأحاديث الضعيفة والموضوعة؛ لأنه لم يكن من أهل الحديث.

هل هذه الليلة تنسخ فيها الآجال؟

قال الله تعالى في أول (سورة الدخان): ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٣ - ٤] الآية، فذهب عكرمة وغيره من المُفسِّرين إلى أنها ليلة النصف من شعبان، ووردت في ذلك أحاديث ضعيفةٌ، بعضها أشد ضعفًا من بعضٍ، ولا بأس أن نذكرها تتميمًا للفائدة فنقول:

الحديث الأول

أخرج الخطيب في "التاريخ" من طريق عامر بن يساف اليماميِّ، عن يحيى بن أبي كثيرٍ، عن أبي سلمة، عن عائشة قالت: كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يصوم شعبان كلَّه حتَّى يصله برمضان، ولم يكن يصوم شهرًا تامًّا إلَّا شعبان فإنه كان يصومه كله، فقلت: يا رسول الله إنَّ شعبان لِمن أحب الشهور إليك أن تصومه! فقال: «**نعم يا عائشةُ، إنه ليس نفسٌ تموتُ في سَنَةٍ إلَّا كُتِبَ**

أَجَلُها في شعبانَ، وأُحِبُّ أن يُكتَبَ أجلي وأنا في عبادة ربِّي، وعملٍ صالحٍ». ورواه أبو يعلىٰ بنحوه.

الحديث الثاني

أخرج البيهقيُّ قي كتاب"الدعوات الكبير" عنها: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قام يُصَلِّي ليلة النصف من شعبان وقال: «**في هذه الليلةِ يُكْتَبُ كُلُّ مُوْلُودٍ وهَالِكٍ مِن بني آدمَ، وفيها تُرْفَعُ أعْمَالُهم، وتَنْزِلُ أَرْزَاقُهُمْ**». قال البيهقيُّ: «في هذا الإسناد بعض مَن يُجهَل».

الحديث الثالث

أخرج حُمَيدُ بن زَنْجَوَيْه والديلميُّ: عن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**تُقْطَعُ الآجَالُ مِن شعبانَ إلى شعبان، حتَّى إنَّ الرجُلَ لَيَنْكِحُ ويُولَدُ له وقد خَرَجَ اسْمُهُ في المَوْتَى**».

الحديث الرابع

أخرج الخطيب في "رواة مالك" عن عائشة قالت: سمعت النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**يَفْتَحُ اللهُ الخَيْرَ في أربع ليالٍ: لَيْلَةِ الأَضْحَى، ولَيْلَةِ الفِطْرِ، ولَيْلَةِ النِّصْفِ مِن شَعْبانَ يُنسَخُ فيها الآجالُ والآرزاقُ، ويُكتَبُ فيها الحاجُّ، وفي لَيْلَةِ عَرَفَة إلى الأذان**».

الحديث الخامس

قال حُمَيدُ بن زَنْجَوَيْه: حدَّثنا عبدالله بن صالحٍ: ثنا اللَّيثُ، عن عقيلٍ، عن الزهريِّ قال: أخبرني عثمان بن محمد بن المغيرة بن الأخنس قال: قال رسول الله

صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**تُقْطَعُ الآجَالُ مِن شعبانَ إلى شعبانَ، حتَّى إنَّ الرَّجُلَ يَنْكِحُ ويُولَدُ له وقد خرج اسْمُهُ في المَوْتَى**».

قال الزهريُّ: وحدَّثني أيضًا عثمان بن محمد بن المغيرة أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ما مِن يومٍ طَلَعَتْ شَمْسُهُ إلَّا يقول: مَن اسْتَطَاعَ أنْ يَعْمَلَ فيَّ خَيْرًا فليَعْمَلْهُ فإنِّي غير مُكِرٍّ عليكم أبدًا، وما من يومٍ إلَّا يُنادي مُنادِيان من السَّماءِ يقول أحدهما: يا طالبَ الخَيْرِ أَبْشِر، ويقول الآخر: يا طالِبَ الشَّرِّ أَقْصِر، ويقول أحدهما: اللهمَّ أعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، ويقول الآخر: اللهمَّ أعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا**».

وهكذا رواه ابن جريرٍ والبيهقيُّ في "شعب الأيمان". وهو حديثٌ مرسلٌ.

الحديث السادس

أخرج بن مَرْدُويَه وابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها قالت: لم يكن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في شهرٍ أكثر صيامًا منه في شعبان؛ لأنه ينسخ فيه أرواح الأحياء في الأموات، حتى إنَّ الرجل يَتزوَّج وقد رُفِعَ اسْمُهُ فيمن يَمُوتُ، وإنَّ الرَّجُلَ ليحَجُّ وقد رُفِعَ اسْمُهُ فيمن يَمُوتُ.

الحديث السابع

أخرج الدِّينَوَرِيُّ في "المجالسة" عن راشد بن سعدٍ: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**في ليلةِ النِّصْفِ مِن شعبانَ يُوحِي اللهُ إلى مَلَكِ المَوْتِ بقَبْضِ كُلِّ نَفْسٍ يُريدُ قَبْضَهَا في تِلْكَ السَّنَةِ**».

وهذا حديثٌ مرسلٌ.

الحديث الثامن

أخرج بن أبي شيبة: عن عطاء بن يسار قال: لم يكن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في شهرٍ أكثر صيامًا منه في شعبان، وذلك أنه ينسخ فيه آجال من ينسخ في السَّنَة. وهذا مرسلٌ أيضًا وآخره مقطوع.

فهذه الأحاديث هي مستند من قال أنَّ ليلة النصف تُنسَخ فيها الآجال والأرزاق وغيرها كما سبق عن عكرمة.

وورد مثل ذلك عن عطاء بن يسار، فقد روى ابن أبي الدُّنيا عنه قال: إذا كان ليلة النصف من شعبان دفع إلى ملك الموت صحيفة فيقال: اقْبِضْ مَن في هذه الصحيفة، فإنَّ العبد ليَغْرِسُ الغِراسَ، ويَنْكِحُ الأزواجَ، ويَبْنِي البُنْيان وإنَّ اسْمُهُ قد نُسِخَ في المَوتَى.

لكن هذه الأحاديث ضعيفةٌ كما قلنا، والقرآن يفيد خلاف ما أفادته فإن الله تعالى قال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٣ - ٤] الآية، ثُمَّ قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١].

فأفادت هذه الآية أنَّ الليلة المباركة في (سورة الدخان) هي ليلة القَدْر لا ليلة نصف شعبان، وإلى هذا ذهب الجمهور كما قال الحافظ ابن رجب، ولم يلتفتوا إلى الأحاديث المذكورة لضعفها ومخالفة القرآن لها، وهذه طريقة الترجيح.

ولك أن تسلك طريقة الجمع بما رواه أبو الضحى، عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: إنَّ الله يقضي الأقضية في ليلة النصف من شعبان ويُسَلِّمها إلى أربابها في ليلة القدر، وحاصل هذا أنَّ الله يقضي ما يشاء في اللوح المحفوظ ليلة

النصف من شعبان، فإذا كان ليلة القَدْر سلَّم إلى الملائكة صحائف بما قضاه، فيُسَلِّم إلى ملك الموت صحيفة المَوْتَى، وإلى مَلَك الرِّزق صحيفة الأرزاق، وهكذا كلُّ مَلَكٍ يتسلَّم ما نِيط به، وفي قوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ أشار إلى هذا والله أعلم حيث قال: ﴿يُفْرَقُ﴾ ولم يقل: «يقضى» أو «يكتب» والفرق: التميز بين الشيئين، فالآية تشير إلى أنَّ المقضيات تُفْرَق ليلة القَدْر بتوزيعها على الملائكة المُوكَّلين بها، أمَّا كتابتها وتقديرها فهو حاصلٌ في ليلة نصف شعبان كما في الأحاديث المذكورة، وبهذا يُجمَع شمل الأقوال المُتضارِبة في هذا الباب ويُرْأَبُ صَدْعُها، والحمد لله ربِّ العالمين .

من لا يغفر لهم في هذه الليلة

إذا تأمَّلت الأحاديث التي أوردناها وجدتها تُخبِر بعموم مَغْفِرة الله لعبادة في ليلة نصف شعبان إلَّا أشخاصًا معدودين لا تشملهم مغفرة الله، ولا تنالهم رحمته والعياذ بالله، لاتصافهم بصفاتٍ قبيحةٍ وتلَبُّسِهم بخلالٍ شنيعةٍ، إلَّا مَن تاب منهم وصلح فإنَّ الله يتوب عليه ويُبدِّل سيئاته حسناتٍ، كما قال الله تعالى: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان: ٧٠]. وإليك أسماء الأشخاص المحرومين من المغفرة في هذه الليلة لتجتنَّب ما حُرِمُوا بسببه:

إن الشرك لظلم عظيم

المُشرك: وجديرٌ به أن يُحرَم ويمنع؛ لأنه ارتكب أقبح الذنوب، وتلبَّس بأعظم الظلم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨].

ومثل المشرك في الحِرْمان من المغفرة؛ الكافر وهو الذي لم يعتنق دين الإسلام لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

التشاحن يمنع المغفرة

المُشاحِن: وهو الذي في قلبه حقدٌ على أخيه المسلم لهوىً في نَفْسِهِ، وهذا الحِقْد والتشاحن يمنع المغفرة في أغلب أوقاتها، ففي "صحيح مسلم": عن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**تُفْتَحُ أبوابُ الجنَّةِ يومَ**

الإثنين، ويومَ الخَمِيسِ، فيُغْفَرُ لِكُلِّ عبدٍ لا يُشْرِكُ بالله شيئًا، إلَّا رجُلًا كانت بَيْنَهُ وبَيْنَ أخِيهِ شَحْنَاءُ، فيُقال: أَنْظِرُوا هذين حتَّى يَصْطَلِحَا». قال أبو داود: «إذا كانت الهِجْرة لله فليس من هذا بشيءٍ، فإن النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم هَجَرَ بعض نسائه أربعين يومًا، وابن عمر هجر ابنًا له إلى أن مات»[1].اهـ

قلت: وللحافظ السيوطيِّ في هذا الموضوع رسالة لطيفة اسمها: "الزجر بالهجر" ثُمَّ ما ذكرناه في معنى الشحناء هو المشهور.

وقيل: بل الشحناء المانعة من المغفرة هي الحقد على الصحابة وبغضهم، هذا أحد قولي الأوزاعيِّ، والقول الثاني له: أنَّ الشحناء هي الابتداع ومفارقة الجماعة، وفي معنى هذا قول ابن ثوبان: المُشاحِن هو التارك لسُنَّة نبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، الطاعن على أُمَّته، السافك دمائهم.

وظاهر الأحاديث بل صريحها يفيد أنَّ الشحناء المانعة مِن المغفرة هي تهاجر الأقران وتحاقدهم، الشحناء بهذا المعنى تستلزم غيرها مما ذكر بطريق الأولى؛ لأنه إذا كان هَجْرُ مطلق المسلم والحِقد عليه يمنع المغفرة فيكون ترك السُّنَّة، واتباع البِدعة، وبغض الصحابة أولى بالمنع وأجدر بالحرمان، وهذا واضحٌ.

أعظم الذنوب بعد الكفر

القاتل: والقتل أعظم الذنوب بعد الكفر وهو من السبع المُوبِقات، وفي "سنن أبي داود" عن أبي الدرداء سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**كل ذنبٍ عسى الله أن يَغْفِرَهُ إلَّا رَّجُلٌ يمُوتُ مُشْرِكًا، أو يَقْتُلُ مؤمنًا**

---

(١) بيَّنت خطأ هذا الرأي في كتاب: "النفحة الذكية في أنَّ الهَجْرَ بِدْعَةٌ شِركيَّة" والإسلام يعتبر الهَجْرَ مِن الكبائر مُطلقًا في الدِّين والدُّنيا.

مُتعمِّدًا». صحَّحه ابن حِبَّان والحاكم.

والأحاديث في تعظيم أمر القتل كثيرة، ويكفي قول الله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٣].

لا يدخل الجنة قاطع

قاطِعُ الرَّحِمِ: وقَطْعُ الرَّحِمِ من الكبائر، ففي "الصحيحين" عن جُبير بن مُطْعِمٍ: أنه سمع النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «لا يَدْخُلُ الجنَّةَ قاطِعٌ». قال سفيان: يعني قاطِعَ رَحِمٍ.

وفي "المسند" بإسنادٍ رجاله ثقاتٌ عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «إنَّ أعمالَ بني آدمَ تُعْرَضُ كُلَّ خَمِيسٍ لَيْلَةَ الجُمُعَةِ فلا يُقْبَلُ عَمَلُ قاطِعِ رَحِمٍ». وقد توعَّد الله قاطِعَ الرَّحِمِ باللعنة وغيرها في قوله تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٢٢].

الذي لا ينظر الله له يوم القيامة

المُسبِل: والمراد به من يُسْبِل ثيابه ويجرُّها فَخْرًا وتَكَبُّرًا. ففي "صحيح البخاري" عن ابن عمر أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «بينما رَجُلٌ ممَّن كان قَبْلَكُمْ يَجُرُّ إزَارَهُ مِن الخُيَلاءِ خُسِفَ به، فهو يَتَجَلْجَلُ في الأرضِ إلى يومِ القِيامَةِ».

وفي "صحيح البخاري" أيضًا: عن ابن عمر أيضًا: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «مَن جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاءَ لم يَنْظُرِ اللهُ إليه يومَ القِيامَةِ».

وفي "صحيح مسلم": عن ابن مسعودٍ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لا يَدْخُلُ الجنَّةَ مَن كان في قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِن كِبْرٍ**» فقال رجلٌ: إنَّ الرجل يحبُّ أن يكون ثوبه حَسَنًا ونعله حَسَنًا قال: «**إنَّ اللهَ جَميلٌ يُحِبُّ الجَمالَ، الكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ وغَمْطُ النَّاسِ**».

والمقصود أنَّ الفَخْرَ والخُيلاء والكِبْرَ تمنع صاحبها المَغْفِرة؛ لأنه نازَعَ اللهَ تعالى فيما اختصَّ به؛ لأن الكبرياء لله وحده، والله لا يحبُّ كلَّ مُختالٍ فَخُورٍ.

عقوق الوالدين

العاقُّ لوالديه: والعُقُوق هو الدَّاهية الدَّهْيَاء، وأصل كلِّ مصيبةٍ وبلاء، وليس من ذنبٍ يُعجِّل الله عقوبته في الدُّنيا مع ما يَدَّخِر لصاحبه من العذاب في الآخرة غير البغي والعُقُوق، فتجد العاقَّ يلاحقه البُؤس والشَّقَاء في كلِّ مكانٍ، ويرافقه سوء الحظِّ ونكد الطالِع أينما كان، هذا بعض ما يلقاه في الدنيا وأمَّا في الآخرة فيكفيك دليلًا على عِظَمِ جُرْمِهِ قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ثلاثةٌ حَرَّمَ اللهُ تَبارَكَ وتَعَالَى عليهم الجنَّةَ: مُدْمِنُ الخَمْرِ، والعَاقُّ، والدَّيُّوثُ الذي يُقِرُّ الخَبَثَ في أَهْلِهِ**». حديثٌ صحيحٌ رواه الإمام أحمد والنَّسائيُّ وغيرهما من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص.

وفي حديثٍ آخر: عن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**أربعٌ حَقٌّ على الله أن لا يُدْخِلَهُم الجنَّة ولا يُذيقَهُمْ نَعِيمَهَا: مُدْمِنُ الخَمْرِ، وآكِلُ الرِّبا، وآكِلُ مالَ اليتيمِ بغير حَقٍّ، والعَاقُّ لوالِدَيْهِ**».

وقُبْحُ العُقُوقِ أوضح مِن أن يستدلَّ عليه، فلنقتصر على هذا ففيه كفايةٌ.

الخمر أم الخبائث

مُدْمِنُ الخَمْرِ: والخَمْرُ -أعاذك الله- أُمُّ الخبائث، وأصل البلايا، تُذْهِبُ العَقْلَ والدِّين، وتُسْقِطُ المروءَةَ، وتَدَعُ صاحِبها عُرْضَةً لسُخْرية الأطفال وتضاحكهم منه كما هو مشاهدٌ، وقد رأيت في الحديث المُتقدِّم قريبًا أنَّ مُدْمِنَ الخَمْرِ تحرم عليه الجنَّة ونعيمها؛ وذلك لأن الخمر تُعادِل الشِّرك، وشاربها يُحشَرُ كعابِدِ وَثَنٍ.

فقد روى الطبرانيُّ بإسنادٍ صحيحٍ عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: لَمَّا حُرِّمت الخَمْرُ مَشَى أصحابُ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعضُهم إلى بعضٍ وقالوا: حُرِّمَتِ الخَمْرُ وجُعِلت عِدْلًا للشِّرك.

في "صحيح ابن حِبَّان" عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن لَقِيَ اللهَ مُدْمِنَ خَمْرٍ لَقِيَهُ كعَابِدِ وَثَنٍ**».

ولا شكَّ أنَّ عابِدَ الوَثَنِ لا يدخل الجنَّة، فكذلك مَن كان مثله؛ فلهذا لا يدخل مُدْمِنُ الخَمْرِ الجنَّةَ بنصِّ الحديث.

ومثله في هذا أيضًا مُديم الزِّنا؛ فقد أخرج الخرائطيُّ وغيره، عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**المُقِيمُ على الزِّنا كعَابِدِ وَثَنٍ**».

الزانية بفرجها

الزَّانية بفَرْجِها: وهي التي تحترف وتتكسَّب منه، وفي الحديث الصحيح: «**شَرُّ الكَسْبِ حُلْوانُ الكَاهِنِ، ومَهْرُ البَغِيِّ**».

والزِّنا أعظم عند الله من شرب الخمر، وهو الثالث في الترتيب؛ لأن أكبر

الكبائر الشِّرك ثُمَّ القَتْلُ ثُمَّ الزِّنا، وبعض العلماء قدَّمه على القتل ولكن الرَّاجِح أنه بعده، وقد سمَّاه الله فاحشةً في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٣٢].

وصحَّ في الحديث عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنه قال: «**مَن زَنَى أو شَرِبَ الخَمْرَ نَزَعَ اللهُ منه الإيمان، كما يَخْلَعُ الإنسانُ القَمِيصَ مِن رَأْسِهِ**».

إذا كان هذا حال مَن زَنَى مَرَّةً فما ظنُّك بمن يتَّخِذ الزِّنا طريقًا للكسب والتعيُّش؟! ثُمَّ ما ظنُّك بمن يساعدها على ذلك ويُعْطِيها ترخيصًا به؟! وبربِّك قل لي كيف يستجيب الله لقومٍ هذا حالهم، وكيف ينصرُهم على أعدائهم، مع أنهم قد أحلُّو بأنفسهم عذاب الله واستحقُّوا عِقابه؟!

فيا أيها المسلم الحريص على إحياء ليلة نصف شعبان إن كنت تريد أن يقبلك الله ويشملك برحمته وغفرانه فابتعد عن هذه الكبائر المُوبِقات، وطَهِّر نفسك منها ومن غيرها بالتوبة والاستغفار؛ فإن الله يبسُطُ يده بالليل ليتوب مُسِيءُ النَّهارِ حتى تطلع الشمس من مغربها... وابكِ على خطيئتك، وعُضَّ يد النَّدَمِ على ما فَرَطَ منك، وما أحسن قول بعض الفضلاء:

بَكَيْتُ عَلَى نَفْسِي وحَقَّ لِيَ البُكَا ... وما أنا مِن تَضْييعِ عُمْرِي في شَكِّ
لئن قُلتُ أَنِّي في صَنِيعِي مُحْسِنٌ ... فإنِّي في قَوْلِي لذلك ذو إفْكِ
لَيَالِيَ شَعْبَانَ وَلَيْلَةَ نِصْفِهِ ... بأيَّةِ حَالٍ قَدْ تَنَزَّلَ لِي صَكِّي
وحَقَّ لُعُمْرِي أَنْ أُدِيمَ تَضَرُّعِي ... لعلَّ إلهَ الخَلْقِ يَسْمَحُ بالفَكِّ

هل وردت صلاة معينة في هذه الليلة

لم تَرِد صلاةٌ معيَّنةٌ في هذه الليلة مِن طريقٍ صحيحٍ ولا ضعيفٍ، وإنما وردت أحاديث موضوعةٌ مكذوبةٌ لا بأس أن ننبِّه عليها لئلَّا يغتر بها العوامُّ، ومن في حُكْمِهم من العلماء الذين لا يعرفون الحديث، وإليك بيانها:

الحديث الأول

روى ابن الجوزيِّ في "الموضوعات": عن عليٍّ عليه السَّلام، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنه قال: «**يا عليُّ، مَن صَلَّى مائةَ رَكْعَةٍ في لَيْلَةِ النِّصْفِ مِن شَعْبانَ يَقْرَأُ في كُلِّ رَكْعَةٍ بفاتحة الكتاب و«قل هو الله أحد» عشر مرَّاتٍ**»، قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يا عليُّ، ما مِن عَبْدٍ يُصَلِّي هذه الصَّلَواتِ إلَّا قَضَى اللهُ عزَّ وجلَّ له كلَّ حَاجَةٍ طَلَبَها تِلْكَ اللَّيلَةِ**». قيل: يا رسول الله وإن كان الله تعالى كتبه شَقيًّا يجعله سعيدًا؟ قال: «**والذي بَعَثَني بالحقِّ يا عليُّ، إنَّه مكتوبٌ في اللَّوحِ المَحْفُوظِ أنَّ فلان بن فلانٍ خُلِقَ شَقِيًّا ليَمْحُوهُ اللهُ ويجعله سعيدًا**».

ثُمَّ ذَكَرَ حديثًا طويلًا فيه كثيرٌ من المُبالغات والمُجازفات، وقد حكم ابن الجوزيِّ بوَضْعِهِ.

الحديث الثاني

روى الجوزقانيُّ في كتاب "الموضوعات والأباطيل" عن ابن عمر مرفوعًا: «**مَن قَرَأَ ليلةَ النصفِ مِن شعبانَ ألف مَرَّةٍ «قل هو الله أحد» في مائة ركعةٍ لم يَخرج مِن الدُّنيا حتَّى يبعثَ اللهُ إليه في مَنامِهِ مائةَ مَلَكٍ، ثلاثون يُبشِّرونه بالجنَّة، وثلاثون يُؤمِّنونه مِن النَّارِ، وثلاثون يَعْصِمُونه مِن أن يُخطئ، وعشرة يَكِيدُونَ مَن عَاداه**». حديثٌ مكذوبٌ، حَكَمَ ابن الجوزيِّ وغيره بوضعه.

الحديث الثالث

روىٰ الجوزقانيُّ أيضًا عن عليٍّ عليه السَّلام قال : رأيتُ رسولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ليلةَ النصفِ مِن شعبانَ قامَ فصَلَّىٰ أربع عشرة ركعةً، ثُمَّ جلس بعد الفراغ فقرأ بـ«أمِّ القرءان» أربع عشرة مرَّةً، و«قل أعوذ برب الناس» أربع عشرة مرَّةً، و«آية الكرسي» مرَّةً، و«لقد جاءكم رسول» الآية، فلمَّا فرغ من صلاته سألته فقال: «**مَن صَنَعَ مثل الذي رأيتَ كان له كَعِشْرِينَ حَجَّةً مَبْرُورَةً، وصِيامُ عشرين سَنَةً مَقْبُولَةً، فإن أصبحَ في ذلك اليومِ صائمًا كان له كصيام سنتين سَنَةٍ ماضِيَةٍ، وسَنَةٍ مُسْتَقْبَلَةٍ**». حديثٌ مكذوبٌ حَكَمَ بوضعه البيهقيُّ وابن الجوزيِّ والسيوطيُّ وغيرهم.

الحديث الرابع

روىٰ ابن الجوزيِّ في "الموضوعات" عن أبي هريرة مرفوعًا: «**مَن صَلَّى ليلةَ النصفِ مِن شعبانَ ثنتي عشرة ركعةً يقرأ في كلِّ ركعةٍ «قل هو الله أحد» ثلاثين مرَّةً، لم يخرج حتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِن الجنَّةِ**». حديثٌ مكذوبٌ حَكَم بوضعه ابن الجوزيِّ، ووافقه السيوطيُّ وغيره.

الحديث الخامس

قال الذهبيُّ في "الميزان": محمد بن سعيد الطبري -لا يُدرَىٰ مَن هو- عن محمد بن عمرو البجلي -مجهول مثله- حدَّثنا النضر بن شميل: ثنا شعيب بن عبد الملك: حدَّثني الحسن البصري: ثنا أنسٌ رضي الله عنه مرفوعًا : «**مَن صَلَّى ليلةَ النصفِ من شعبانَ خمسين ركعةً قضى اللهُ له كلَّ حاجةٍ طلبها تلك الليلة، وإن كان كُتِبَ في اللَّوحِ المحفوظِ شَقِيًّا يمحو الله ذلك ويحوِّله إلى السَّعادَةِ،**

ويبعثُ إليه سبعمائة ألف مَلَكٍ يبنون له القُصُورَ في الجنَّة، ويُعطَى بكلِّ حرفٍ قرأه سبعين حوراء، منهنَّ مَن لها سبعون ألف وَصِيفٍ وسبعون ألف وَصِيفَةٍ».

وذكر حديثًا طويلًا فيه كثيرٌ من المبالغات والمُجازفات، قال الذهبيُّ: «فقبَّح الله مَن وَضَعَهُ فلقد فاه من الكذب والإفْكِ بما لا يوصف».

ووافقه الحافظ ابن حجرٍ في "لسان الميزان".

الحديث السادس

روىٰ ابن الجوزيِّ في "الموضوعات" عن أبي جعفرٍ الباقر مرفوعًا: **«مَن قَرَأَ ليلةَ النصفِ مِن شعبانَ «قل هو الله أحد» ألف مرَّةٍ في عشر ركعاتٍ لم يمت حتى يبعث الله إليه مائة مَلَكٍ، ثلاثون يبشِّرونه بالجنَّة، وثلاثون يؤمِّنونه من العذاب، وثلاثون يقوِّمونه أن يُخطئ، وعشرة أملاك يَكْبِتون أعدَاءه».**

قال ابن الجوزيِّ: «حديثٌ موضوعٌ».

فهذه الأحاديث كما ترىٰ مكذوبةٌ مُختلَقةٌ لا يجوز العمل بها في فضائل الأعمال باتفاق العلماء، ونبَّه علىٰ ذلك أهل الحديث.

قال الحافظ العراقيُّ في "المغني": «حديث صلاة نصف شعبان باطلٌ».اهـ

وقال النوويُّ في "المجموع": «أمَّا صلاة الراغائب وهي ثنتا عشرة ركعة بين المغرب والعشاء ليلة أول جمعة من رجب، وصلاة ليلة النصف من شعبان مائة ركعة، فليستا بسُنَّتَيْن بل هما بدعتان قبيحتان مذمومتان، ولا تغتر بذكر أبي طالبٍ المَكِّي لهما في "قوت القلوب" والغزالي في "إحياء علوم الدين"، ولا بالحديث المذكور فيهما، فإنَّ كلَّ ذلك باطلٌ.

ولا يغتر أيضًا ببعض من اشتبه عليه حكميهما من الأئمَّة فصنَّف ورقاتٍ في استحبابها، فإنه غالَط في ذلك، وقد صنَّف العزُّ بن السلام كتابًا نفيسًا في إبطالها فأحسن فيه وأجاد».اهـ

وسُئل الحافظ ابن الصلاح بما صورته: «ما تقولون فيمن ينكر على من يصلِّي صلاة الرغائب ونصف شعبان ويقول إنَّ الزيت الذي يستعمل فيهما - أي في المساجد- حرامٌ ويقول: إنَّ ذلك بدعةٌ، ولا لهما فضل ولا ورد في الحديث فيهما فضلٌ وشرفٌ، فهل هو على الصواب أو على الخطأ؟ أفتونا مأجورين».

فأجاب بما نصُّه: «أمَّا الصلاة المعروفة بصلاة الرَّغائب فهي بدعةٌ وحديثها موضوعٌ، وما حدث إلَّا بعد الأربعمائة من الهجرة، وليس لليلتها تفضيل على أشباهها من ليالي الجمع. وأمَّا ليلة النصف من شعبان فلها فضيلةٌ وإحياؤها بالعبادة مستحبٌّ، ولكن على الانفراد من غير جماعةٍ، واتخاذ الناس لها ولليلة الرغائب موسمًا وشعارًا بدعةٌ مُنكَرةٌ، وما يزيدون فيه على العادة من الوقيد غير موافق للسُّنَّة، ومن العَجَبِ حِرْصُ الناس على البِدَع في هاتين الليلتين وتقصيرهم في المؤكَّدات الثابته عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، والله المُستعان وهو أعلم».اهـ

ووافقه عزُّ الدين بن عبدالسلام، إلَّا أنَّ ابن الصلاح رجع عن فتواه المذكورة، ورأى استحباب صلاة الرغائب وليلة النصف مع اعترافه ببطلان حديثهما، وألَّف رسالة في بيان استحباب ذلك.

وردَّ عليه ابن عبد السلام برسالة أخرى وحصلت بينهما منافرةٌ ووحشةٌ.

قال ابن حجرٍ الهيتميُّ في "الإيضاح والبيان": «ولقد أنصف العزَّ العلماءُ في عصرهما ومن بعدهما، فشهِدوا له بأنه على الحقِّ، وأنَّ مُخالِفه غالط في جميع ما أيَّده وانتحله، حتى أخص جماعة ابن الصلاح وتلامذته -وهو العالم الكبير والحافظ الشهير الشيخ أبو شامة المقرئ المُحدِّث- فإنه تعجَّب مما قاله شيخه ابن الصلاح وبالغ في تغليطه وإنكاره».اهـ

قلت: لأبي شامة في هذا الموضوع كتاب اسمه "الباعث على إنكار البِدَع والحوادث" قرأته والحمد لله.

والنوويُّ أيضًا مع كونه تلميذ ابن الصلاح الخاص به لم يوافق شيخه بل وافق ابن عبدالسلام كما سبق في كلامه آنفًا.

وممن انتصر للعزِّ بن عبدالسلام مِن المُتأخِّرين عن عصرهما تقيُّ الدين السُّبكيُّ ونقل كلامه ابن حجرٍ الهيتميُّ في "الإيضاح والبيان" فارجع إليه.

الخلاصة

إذا تأمَّل القارئ ما كتبناه، وتمعَّن فيما حرَّرناه استخلص منه الأمور الآتية:

الأول: أنَّ فضل ليلة النصف من شعبان ثابتٌ في الجُملة، وأنَّ إنكاره على سبيل الإطلاق كما فعل ابن العربيِّ المعافريُّ غلطٌ.

الثاني: أنَّ إحياءها بأنواع العبادات مُستحَبٌّ، والإحياء لا يكون إلَّا بالليل كما هو معلومٌ، والأحاديث تفيد ذلك كما تقدَّم.

الثالث: أنَّ ما يفعله العوام عقب مغرب تلك الليلة من قراءة (سورة يس) ثلاث مرَّاتٍ بنيَّاتٍ مُتعدِّداتٍ مع الدُّعاء المعروف.. إلخ بدعةٌ مُنكَرةٌ لا ينبغي فعلها؛ لاشتمالها على مفاسد، أقبحها ارتكان كثير من الناس على هذا الدعاء فيظل الواحد منهم طول سنته مُرتكبًا للمعاصي والمُوبِقات لا يُحدِّث نَفْسَه بالتوبة؛ لأنه يعتقد أنه بالدعاء المذكور يغفر الله له كلَّ ما عمل، ويُحوِّل اسمه من ديوان الأشقياء إلى ديوان السعداء.

الرابع: أنَّ صلاة مائة ركعةٍ أو خمسين أو اثنتي عشرة بصفةٍ خاصَّةٍ في هذه الليلة باطلٌ لا أصل له، ولا ينبغي فعله، وللإنسان أن يصلِّي ما قدر عليه من غير تقييدٍ بعددٍ مُعيَّنٍ.

الخامس: أنَّ الإنسان ينبغي له أن يستقبل هذه الليلة بتوبةٍ صادِقَةٍ مخلصةٍ ليفوز ببشارة قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [التحريم: ٨].

٢- غَايَةُ الإِحْسَانِ

فى فَضْلِ زَكَاةِ الفِطْرِ وفَضْلِ شَهْرِ رَمَضَانَ

الإهداء

إلى الذين لم يُراعُوا حُرْمَةَ هذا الشَّهْرِ فأفْطَرُوا فيه . . .

إلى الذين لم يُراعُوا حُرْمَةَ الصَّومِ فأثِموا فيه . . .

إلى الذين اتخذوا شهرَ رمضانَ وسيلةً لاقتناص الملذّات، وطريقًا لنيل الشَّهوات . . .

إلى هؤلاء جميعًا أُهدِي هذا الكتاب

أبو الفضل

عبدالله بن محمَّد بن الصِّدِّيق

الغُمَاريُّ الحَسنيُّ

مقدمة

الحمد لله الغنيِّ الكريم، الرؤوف الرحيم، خَلَقَ العِبادَ على مَراتِب ودرجاتٍ، وجعل لهم في أيام دَهْرِهِم مواسمَ للخيرات، فالسعيد مَن وُفِّق لاغتنام تلك المَواسِم، واتَّخذ فيها لطاعة مولاه خُطًى ومَراسِم، أحمده سبحانه على ما وفَّق وهَدَى، وأعتصمُ به جلَّ شأنه مِن سُلوك سبيل الرَّدَى.

وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، شهادةً ننجو بها من العذاب غَدًا، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ أفضل من دعا إلى طريق الهُدَى، صلَّى الله وسلَّم وبارك عليه وعلى آله ما كَرَّ الجديدان، وتعاقَبَ المَلَوان[1].

أمَّا بعد: فإنَّ شهر رمضان شهرٌ كبير القَدْرِ، جليل الخَطَر، أنزل الله فيه القرآن هدًى للناس وبيِّناتٍ مِن الهُدَى والفرقان، وأكرم الصائمين فيه باستجابة الدُّعاء وعُمومِ الغُفْران، وهيَّأ لهم أسباب الطاعة فيه بفتح أبواب الجِنان، وتغليق أبواب النِّيران، وتَصْفِيدِ مَرَدَةِ الجانِّ، وضاعف ثواب صومه مُضاعَفَةً لا يَقْدِرُ قَدْرَها إنسانٌ، إلى غير ذلك من الفضائل التي يضيق عنها البيان، حتى لقد جاء وصفه في بعض الأحاديث[2] بأنه سيِّد الشُّهور، وكيف لا؟! وهو شهرٌ تَكْثُر فيه الخيرات ويَعْظُم السُّرور، وتُهذَّبُ الطِّباع وتُلَيَّن العَرائِك، ويصير الصائمين أشبه بالمَلائِك.

وهذا كتابٌ صغير الحجم غزير العِلْم، كبير الفائدة، جَمُّ العائِدة، يكشف

---

(١) «المَلَوان»: الليل والنهار. انظر "لسان العرب" لابن منظور (١٥/ ٢٩٠).

(٢) في "مسند البزار" بإسنادٍ ضعيفٍ عن أبي سعيدٍ الخدريِّ قال: قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «سَيِّدُ الشُّهُورِ شَهْرُ رمضانَ، وأَعْظَمُهَا حُرْمَةً ذو الحِجَّة».

لقارئه عن جوانب من فضل هذا الشهر العظيم، ويُبيِّن عمَّا ورد فيه من أنواع التكريم.

ما أوردت فيه إلَّا حديثًا صحيحًا يُحتجُّ به في كلِّ حال، أو حديثًا ضعيفًا يُقبَل في فضائل الأعمال، وأبحتُ جَنَى ثَمَرِهِ ليَنالَ كلُّ قارئٍ مِن خيره، وحشوته بفوائد يحتاج إليها العالِم قبل غيره، وقصدي بذلك أن تنالني دعوةٌ صالحةٌ من بعض القُرَّاء الكِرام، والله المسؤول أن يُكْرِمنا وأحبابنا بخير الدُّنيا والآخِرة، وأن يُوفِّقنا ويستر عَوْراتنا ويؤمِّن رَوْعَاتنا، بفضله وكرمه إنه جوادٌ كريمٌ.

أبو الفضل
عبدالله بن محمَّد بن الصِّدِّيق
الغُمَاريُّ الحَسنيُّ

كيف كان بدء الصيام

ثبت في "الصحيحين" عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان يومُ عاشُورَاءَ تصُومُهُ قريشٌ في الجاهِلِيَّةِ، وكان النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يَصُومُهُ، فلمَّا قَدِمَ المدينةَ صَامَهُ وأَمَرَ بصِيامِهِ، فلمَّا نَزَلَ رمضانُ كان رمضانُ الفَريضَةَ، وتُرِكَ عاشُورَاءُ، فكان مَن شاءَ صَامَهُ ومَن شاءَ لم يَصُمْهُ.

وفي "الصحيحين" عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان عاشُوراءُ يَصُومُهُ أهلُ الجاهِلِيَّةِ فلمَّا نَزَلَ رمضانُ قال: «**مَن شاءَ صَامَهُ ومَن لم يَشَأْ لم يَصَمْهُ**».

وفي "الصحيحين" أيضًا عن علقمة قال: دَخَلَ الأشعثُ بن قيسٍ علىٰ ابن مسعودٍ رضي الله عنه وهو يَطْعَم -بفتح الياء والعين أي يأكل- فقال: يا أبا عبدالرحمن، اليوم عاشُوراءُ!! فقال ابن مسعودٍ: كان يُصَامُ قبل أن يَنْزِلَ رمضانُ فلمَّا نَزَلَ رمضانُ تُرِك، فادْنُ فكُلْ.

وفيهما أيضًا، عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنه قال: قَدِم النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم المدينةَ فرأي اليهودَ تصوم يوم عاشُوراءَ فقال: «**ما هذا؟**» قالوا: هذا يومٌ صالحٌ نجَّىٰ الله بني إسرائيل من عَدوِّهم فصامه موسىٰ قال: «**فأنا أَحَقُّ بموسى مِنكُم**». فصامَهُ وأَمَرَ بصِيامِهِ.

قلت: كانت قريشٌ تصوم يوم عاشُوراءَ وتُعَظِّمُهُ بكِسْوَةِ الكعبة فيه.

وجاء في المجلس الثالث من "مجالس الباغندي الكبير"، عن عكرمة أنه سُئل عن ذلك فقال: أذنبت قريشٌ ذنبًا في الجاهليَّة فعَظُم في صدورهم، فقيل لهم صُومُوا عاشُوراءَ يُكفَّر ذلك.

وأمَّا صوم اليهود يوم عاشوراء فهو شُكْرٌ لله على إنجاء موسى وبني إسرائيل، وإغراق فرعون.

وظاهر هذه الأحاديث التي أوردناها أنَّ صوم يوم عاشوراء كان مفروضًا ثُمَّ نُسِخ بفرضيَّة رمضان، وبهذا قال الحنفيَّة، وهو وجهٌ في مذهب الشافعيَّة. والمشهور عندهم وهو قول الجمهور: أنه لم يجب صومٌ قطُّ قبل رمضان، لا عاشوراء ولا غيره، والأول أصح.

وكان فرضيَّة صوم عاشوراء سنة قُدُوم النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم المدينة، وفي السَّنَة الثانية نزل صوم رمضان.

كيف تدرَّجت أحوال الصِّيام

روى الإمام أحمد في "المسند" عن معاذ بن جبلٍ رضي الله عنه قال: أُحِيلَتِ الصَّلاةُ ثلاثةَ أحْوَالٍ، وأُحِيلَ الصِّيَامُ ثلاثةَ أحْوَالٍ، فأمَّا أحْوَالُ الصَّلاة: فإنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قَدِمَ المدينةَ وهو يُصَلِّي سبعة عشر شَهْرًا إلى بيتِ المقْدِسِ، ثُمَّ إنَّ اللهَ أنزَلَ عليه: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ [البقرة: ١٤٤]، فوَجَّهَهُ اللهُ إلى مكَّةَ قال: فهذا حَوْلٌ.

قال: وكانوا يَجْتَمِعُونَ للصَّلاةِ ويُؤْذِنُ بها بعضُهُم بعضًا حتَّى نَقَسُوا أو كادوا يَنْقُسُونَ. قال ثُمَّ إنَّ رَجُلًا مِن الأنصار يُقالُ له عبدالله بن زيدٍ أتَى رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: يا رسول الله، إنِّي رأيتُ فيما يرى النَّائِمُ -ولو قلتُ إنِّي لم أكُنْ نائمًا لصَدَقْتُ- إنِّي بَيْنَا أنا بين النَّائِمِ واليَقْظَانِ إذ رأيتُ شَخْصًا عليه ثَوْبَانِ أخْضَرَانِ فاسْتَقْبَلَ القِبلَةَ، فقال: اللهُ أكبرُ. اللهُ أكبرُ.

أشهد أن لا إله إلَّا اللهُ. مَثْنَىٰ مَثْنَىٰ حتَّىٰ فَرَغَ مِن الأَذَانِ، ثُمَّ أَمْهَلَ سَاعَةً. قال: ثُمَّ قال مثل الذي قال غير أنَّه يَزِيدُ في ذلك قد قَامَتِ الصَّلاةُ، قد قَامَتِ الصَّلاةُ، فقال رسولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**عَلِّمْهَا بِلَالًا فلْيُؤَذِّنْ بها**». فكان بِلَالٌ أَوَّلَ مَن أَذَّنَ بها. قال: وجاءَ عُمَرُ بن الخطَّابِ فقال: يا رسولَ الله، إنَّه قد طَافَ بي مثلُ الذي أَطَافَ به غير أنَّه سَبَقَني. فهذان حالان.

قال: وكانوا يَأتون الصَّلاةَ وقد سَبَقَهُم صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ببَعْضِها فكان الرَّجُلُ يُشير إلىٰ الرَّجُلِ: كم صَلَّىٰ؟ فيقول: واحدةً أو اثنتين، فيصلِّيها ثُمَّ يدخل مع القوم في صَلاتهم، قال: فجاء معاذٌ فقال: لا أجده علىٰ حالٍ أبدًا إلَّا كنتُ عليها ثُمَّ قَضَيْتُ ما سَبَقَنِي، قال فجاء وقد سَبَقَهُ النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ببعضها قال: فثبتَ مَعَهُ فلمَّا قَضَىٰ الرسولُ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قام فقَضَىٰ، فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّهُ سَنَّ لَكُمْ مُعَاذٌ فهكذا فاصْنَعُوا**». فهذه ثلاثة أحوال.

وأمَّا أحوال الصِّيام، فإنَّ رسولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قَدِمَ المدينةَ فجعل يَصُومُ من كُلِّ شَهْرٍ ثلاثة أيامٍ، وصام عاشُوراءَ، ثُمَّ إنَّ الله فَرَضَ عليه الصِّيامَ وأنزل الله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾ إلىٰ قوله: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖ ﴾ [البقرة: ١٨٣- ١٨٤] فكان مَن شاءَ صَامَ ومَن شاءَ أَطْعَمَ مِسكينًا فأجزأ ذلك عنه.

ثُمَّ إنَّ الله عزَّ وجلَّ أنزل الآية الأخرىٰ: ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ

ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فأثبت الله صيامه على المُقيم الصحيح، ورَّخصَ فيه للمريض والمُسافِر، وثَبَتَ الإطعامُ للكبير الذي لا يستطيع الصِّيام، فهذان حالان.

قال: وكانوا يأكلون ويَشْرَبون ويأتون النِّساءَ ما لم يناموا، فإذا ناموا امتنعوا، ثُمَّ إنَّ رَجُلًا مِن الأنصار يقال له: صِرْمَةُ، كان يعمل صائمًا حتَّى أمسى فجاء إلى أهله حتى صَلَّى العِشاءَ، ثُمَّ نامَ فلم يأكل ولم يشرب حتَّى أصبح، فأصبح صائمًا، فرآه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وقد جَهَدَ جَهْدًا شديدًا فقال: «**مالي أراك قد جَهَدْتَ جَهْدًا شديدًا؟**». قال: يا رسول الله، إني عملت أمس فجئتُ فألقيتُ نَفْسِي فنِمْتُ فأصبحت حين أصبحت صائمًا. قال: وكان عمر قد أصاب من النِّساء بعدما نام، فأتى النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فذكر له ذلك؛ فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧]. وأخرجه أيضًا أبو داود والحاكم.

فتبيَّن من هذا الحديث أنَّ الصيام تدرَّج على ثلاثة أحوال:

أحدها: صيام عاشوراء وثلاثة أيامٍ مِن كلِّ شهرٍ، ثُمَّ فُرِضَ الصِّيامُ على التخيير، بمعنى أنَّ مَن شاء صام ومَن شاء أفطر وفَدَى بالإطعام.

وثانيها: نَسْخُ التخيير وفرض الصِّيام على كلِّ مُقيمٍ صحيحٍ، وبقي الإطعام في حقِّ الشيخ الهَرِم الذي لا يستطيع الصِّيام.

قال البخاريُّ في "الصحيح": وأمَّا الشيخ الكبير الذي لم يُطِق الصيام فقد أَطْعَمَ أنسٌ بعد ما كَبِرَ – عامًا أو عامين– عن كلِّ يومٍ مسكينًا خُبْزًا ولحمًا وأفطر، وكذلك فعل عطاء بعدما كَبِرَ وضَعُفَ عن الصِّيام.

ثالثها: إباحة الأكل والشرب طول الليل قبل النوم وبعده، وكان قبل ذلك مَن نام قبل أن يأكل وجب عليه مواصلة الصوم إلى اليوم الثاني، وكان سبب الإباحة والتخفيف حادثة الأنصاريِّ وعمر رضي الله عنهما كما جاء في هذا الحديث الذي نتكلَّم عنه، وثبت مثله في "صحيح البخاري" أيضًا.

وصِرْمة الأنصاريُّ اضطرب الرواة في اسمه كثيرًا، والصواب في ذلك على ما حقَّقه الحافظ ابن عبد البر أنه: أبو قيس صِرْمة –بكسر الصاد وسكون الراء– ابن أبي أنس قيس بن مالك بن عديِّ بن عامر بن غَنْم –بفتح الغين وسكون النون– بن عديِّ بن النجَّار. قال ابن إسحاق: «كان صِرْمة رجلًا قد ترهَّب في الجاهلية ولبس المُسُوح وفارق الأوثان واغتسل من الجنابة، وهمَّ بالنصرانية ثُمَّ أمسك عنها ودخل بيتًا له فاتَّخذه مسجدًا لا يدخل عليه طامثٌ ولا جُنُبٌ، وقال: أعبد ربَّ إبراهيم، فلمَّا قدم رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم المدينة، أسلم فحسن إسلامه وهو شيخٌ كبيرٌ وكان قوَّالًا بالحقِّ، مُعظِّما لله في الجاهليَّة».

قال سفيان بن عُيَيْنَة، عن يحيي بن سعيدٍ قال: سمعت عجوزًا من الأنصار تقول: رأيت ابن عبَّاسٍ يختلف إلى صِرْمة بن قيسٍ يتعلَّم منه هذه الأبيات، قالها صِرْمة في مَدْحِ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وهي:

ثَوَىٰ فِي قُرَيْشٍ بِضْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً ... يُذَكِّرُ لَوْ يُلْفِي صَدِيقًا مُوَاتِيا
ويَعْرِضُ فِي أَهْلِ المَوَاسِمِ نَفْسَهُ ... فلَمْ يَرَ مَنْ يُؤْوِي ولم يَرَ وَاعِيا
فلَمَّا أَتانَا واسْتَقَرَّ بِهِ النَّوَىٰ ... وأَصْبَحَ مِسْرُورًا بطَيْبَةَ راضِيا
وأَصْبَحَ لا يَخْشَىٰ ظُلَامَةَ ظَالِمٍ ... بَعِيدٍ ولا يَخْشَىٰ مِن النَّاسِ باغِيا
بَذَلْنَا لَهُ الأَمْوالَ مِنْ حِلِّ مَالِنَا ... وأنفُسَنَا عِنْدَ الوَغَىٰ والتَّآسِيَا
نُعادِي الذي عادَىٰ مِن النَّاسِ كُلِّهِمْ ... جَمِيعًا وإنْ كَانَ الحَبِيبَ المُوَاتِيا
ونَعْلَمُ أنَّ اللهَ لا شيءَ غَيْرُهُ ... وأنَّ كِتَابَ الله أَصْبَحَ هَادِيا

هل فرض صوم رمضان من قبلنا؟

اختلف العلماء: هل كان صوم رمضان مفروضًا علىٰ أهل الكتاب من قبلنا أو لَا؟ فذهب الحسن البصريُّ والسُّدِّي إلىٰ أنَّ رمضان كان مفروضًا علىٰ الأمم السابقة، واستدلَّا بحديثٍ رواه ابن أبي حاتمٍ عن ابن عمر مرفوعًا: «**صِيامُ رمضانَ كَتَبَهُ اللهُ على الأُمَمِ مِن قَبْلِكُمْ**». وهو حديثٌ ضعيفٌ.

وروىٰ الطبرانيُّ في "الأوسط" عن دَغْفَل بن حَنْظَلَة النسَّابة، عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**كان على النَّصَارَى صَوْمُ شَهْرِ رمضانَ، وكان عليهم مَلِكٌ فمَرِضَ فقال: لئن شَفَاهُ اللهُ ليَزِيدنَّ عشرة أيامٍ، ثُمَّ كان عليهم مَلِكٌ بَعْدَهُ فأكَلَ اللَّحْمَ فوَجِعَ، فقال لئن شَفَاهُ اللهُ ليَزِيدَنَّ ثمانية أيامٍ، ثُمَّ كان عليهم مَلِكٌ بَعْدَهُ فقال: ما نَفْرُغُ مِن هذه الأيامِ أن نُتِمَّها ونجعل صَوْمَهَا في الرَّبيع، فصارت خمسين يومًا**». وإسناده صحيحٌ.

إلَّا أنَّ الطبرانيَّ رواه في "الكبير" بإسنادٍ صحيحٍ أيضًا موقوفًا علىٰ دَغْفَل،

ولم يرفعه إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ودَغْفَل -بوزن جَعْفَر- لم تثبت له صحبةٌ. وذهب الجمهور إلى أنَّ الصوم إنما فُرض على الأمم السابقة مُطلَق الصوم، غير مُقيَّدٍ برمضان.

وأخرج ابن جريرٍ عن عطاء في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖ ﴾ [البقرة: ١٨٣ - ١٨٤].

قال: كتب عليكم الصيام ثلاثة أيامٍ من كلِّ شهرٍ، وكان هذا صيام الناس قبل ذلك، ثُمَّ فرض الله شهر رمضان.

وورد مثله عن معاذ، وابن مسعودٍ، وابن عبَّاسٍ، وقتادة، والضَّحَّاك بن مُزاحمٍ، وزاد: لم يزل هذا الصوم مَشروعا من زمان نوحٍ عليه السَّلام إلى أن نسخ الله ذلك بصوم شهر رمضان.اهـ

ولهذا عُدَّ شهر رمضان من خصائصه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، انظر كتاب "الخصائص الكبرى" للحافظ السيوطيِّ.

قصة الرجل الذي جاء يسأل عن الإسلام

ثبت في "الصحيحين" وغيرهما عن أنس بن مالكٍ قال: بينما نحن جلوسٌ مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في المسجد دخل رجلٌ على جَمَلٍ فأناخَهُ في المسجد، ثُمَّ عَقَلَهُ ثُمَّ قال لهم: أيُّكُم محمَّدٌ؟

والنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مُتَّكِئٌ بين ظَهْرانِيهم، فقلنا: هذا الرجل الأبيض المُتَّكِئ، فقال له الرجل: ابن عبد المطلب -أي يا ابن عبد المطلب-

فقال له النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «قَدْ أَجَبْتُكَ». فقال الرجل للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: إني سائلك فمشدِّدٌ عليك في المَسْأَلَةِ فلا تَجِد عليَّ في نَفْسِكِ. فقال: «سَلْ عمَّا بَدَا لَكْ». فقال: أسألُكَ برَبِّك ورَبِّ مَن قَبْلَكَ، آللهُ أَرْسَلَكَ إلىٰ النَّاس كلِّهم؟ فقال: «اللهمَّ نَعَمْ». قال: أُنشِدُكَ بالله، آللهُ أَمَرَك أن تُصَلِّي الصلوات الخمس في اليوم والليلة؟ قال: «اللهمَّ نَعَمْ». قال أُنشِدك بالله، آللهُ أَمَرَك أن تصومَ هذا الشهر مِن السَّنة؟ قال: «اللهمَّ نَعَمْ». قال: أُنشِدك بالله، آللهُ أَمَرَك أن تأخذ هذه الصَّدَقة مِن أغنيائنا فتَقْسِمها علي فقرائنا؟ فقال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «اللهمَّ نَعَمْ». فقال الرجل: آمنتُ بما جِئْتَ به، وأنا رسول مَن ورائي مِن قومي، وأنا ضِمَامُ بن ثَعْلَبَةَ أخو بني سعد بن بكرٍ.

وفي روايةٍ عن أنسٍ قال: نُهينا أن نسأل رسولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن شيءٍ فكان يُعجِبنا أن يجيء الرجل مِن أهل البادية العاقل فيسأله ونحن نسمع، فجاء رجلٌ من البادية فقال: يا محمَّد، أتانا رسولك فزعم لنا أن الله أرسلك. قال: «صَدَقَ». قال: فمن خلق السماء؟ قال: «الله». قال: فمن خلق الأرض؟ قال: «الله». قال: فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل؟ قال: «الله». قال: فبالذي خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال، آلله أرسلك؟ قال: «نَعَمْ». قال: وزَعَمَ رسولُك أنَّ علينا خمس صلواتٍ في يومنا وليلتنا؟ قال: «نَعَمْ» قال: فبالذي أرسلك، آللهُ أَمَرَك بهذا؟ قال: «نَعَمْ». قال: وزَعَمَ رسولُك أنَّ علينا زكاةً في أموالنا؟ قال: «صَدَقَ». قال: فبالذي أرسلك، آللهُ أَمَرَك بهذا؟ قال: «نَعَمْ». قال: وزَعَمَ رسولُك أنَّ علينا صوم شهر رمضان في سَنَتِنا؟ قال: «صَدَقَ». قال: فبالذي أرسلك، آللهُ أَمَرَك بهذا؟ قال: «نَعَمْ». قال:

وزَعَمَ رسولُك أنَّ علينا حَجَّ البيت مَن استطاع إليه سبيلًا؟ قال: «صَدَقَ». قال: ثُمَّ وَلَّى، قال: والذي بعثك بالحقِّ لا أزيد عليهنَّ ولا أنقُصُ منهنَّ. فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «لئن صَدَقَ ليَدْخُلَنَّ الجنَّة».

قلت: نهى الله -سبحانه- الصحابة عن سؤال النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فيما لم ينزل به قرآنٌ ولا دَعَتْ إليه ضرورة تعليمٍ مثلًا.

وكان سبب النهي ما رواه البخاريُّ في "صحيحه" عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: كان قومٌ يسألون رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم استهزاءً فيقول الرجل: مَن أبي؟ ويقول الرجل تَضِلُّ ناقَتُه: أين ناقتي؟ فأنزل الله فيهم هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ [المائدة: ١٠١] حتَّى فَرَغَ مِن الآية كلِّها.

فكان الصحابة بعد نزول هذه الآية لا يسألون رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلَّا لعارضٍ مُهمٍّ، وكانوا يحبُّون أن يأتي الرجلُ الغريبُ العاقلُ يسألُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فيستفيدون من ذلك.

وممن وَفَدَ على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مِن الغُرباء العُقلاء ضِمام -بكسر الضاد- بن ثعلبة أَوْفَدَهُ قومُهُ سنة تسعٍ، فأظهر من حُسْنِ أدبه وكمال عقله في سؤال النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ما لفت نظر الصحابة إليه، حتى قال عمر رضي الله عنه: «ما رأيت أحسن مسألةً ولا أوجز مِن ضِمامٍ»، وقال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنه: «ما سمعنا بوافِد قومٍ كان أفضل من ضِمامٍ».

ثُمَّ لَمَّا رَجَعَ ضِمامُ إلى قومه بني سعد بن بكرٍ صدَّقوه وآمنوا، وفي هذه القصة فوائد ولطائف بيَّنها شُرَّاح الحديث.

أسهم الإسلام الثمانية

أخرج البزَّار عن حذيفة رضي الله عنه، وأبو يعلىٰ عن عليٍّ عليه السَّلام، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**الإسلامُ ثمانية أَسْهُم، الإسلام** -يعني الشهادتين- **سَهْمٌ، والصَّلاة سَهْمٌ، والزَّكَاةُ سَهْمٌ، والصَّومُ سَهْمٌ، وحَجُّ البيتِ سَهْمٌ، والأَمْرُ بالمَعْروفِ سَهْمٌ، والنَّهيُ عن المُنكرِ سَهْمٌ، والجِهادُ في سبيل الله سَهْمٌ، وقد خَابَ مَن لا سَهْمَ لَهُ**». وورَدَ موقوفًا علىٰ حذيفة من كلامه، قال الدارقطني وغيره: «وهو أصح».اهـ

قلت: كانت أسهم الإسلام ثمانيةً علىٰ عدد أبواب الجنَّة، وخُصَّت هذه الأَسْهُم بالذِّكر دون غيرها لأن الخمسة الأولىٰ أركان الإسلام وقواعده، والأمر بالمعروف والنهي عن المُنكَر بهما صلاح المُجتمَع واستقامة أحواله، ولا خير في مجتمعٍ يخلو من القائمين بالأمر بالمعروف والنهي عن المُنكَر، وانظر كيف لعن الله بني إسرائيل لتفريطهم في هذا الواجب العظيم، قال تعالىٰ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨ - ٧٩].

والجهاد أساس الدِّين وعصام اليقين، به تُدفَع غائِلَةُ المُعتدين، وتُنال العِزَّة التي كتبها الله للمؤمنين، وما هان المسلمون اليوم وامتُهنت كرامتهم وضاع استقلالهم إلَّا بتركهم الجهاد في سبيل الله، وركونهم إلىٰ الراحة، وإقبالهم علىٰ مصالحهم الشخصية، ولا صلاح يُرجَىٰ لهم إلَّا بالرجوع إلىٰ دينهم والعمل

على استعادة مجدهم ومكافحة قوى الاستعمار وإزالة عوامل الشرِّ والفساد، نسأل الله أن يلهمنا الرشاد والسداد.

فتح أبواب الجنة في رمضان

أخرج الشيخان وغيرهما، عن أبي هريرة: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إذا جاء رمضان فُتِّحَتْ أبوابُ الجنَّةِ وغُلِّقتْ أبوابُ النَّارِ وصُفِّدَتْ الشياطينُ**».

وفي روايةٍ لمسلمٍ: «**فُتِّحَتْ أبوابُ الرَّحْمَةِ، وغُلِّقَتْ أبوابُ جهنَّمَ، وسُلْسِلَتِ الشياطينُ**».

«**غُلِّقت**»: بضمِّ الغين وتشديد اللام المكسورة، «**وصُفِّدت**»: بضم الصاد وتشديد الفاء المكسورة.

قال عياض: «يحتمل أنه على حقيقته وأنَّ ذلك علامة للملائكة على دخول الشهر وتعظيم حُرْمَته، ولمنع الشياطين من أذى المؤمنين، ويحتمل أن يكون فتح أبواب الجنَّة عبارةٌ عمَّا يفتحه الله لعباده من الطاعات، وهي أسبابٌ لدخول الجنَّة، وتغليق أبواب النَّار عبارةٌ عن صَرْفِ الهِمَمِ عن المعاصي الآيلة بأصحابها إلى النَّار، وتصفيد الشياطين عبارةٌ عن تعجيزهم عن الإغْواء وتزيين الشهوات».اهـ

وقال التُّورِبِشْتِيُّ في "شرح المصابيح": «فتح أبواب السماء كناية عن تَنزُّل الرحمة وإزالة الغلق عن مصاعد أعمال العباد، تارةً ببذل التوفيق وأخرى بحسن القبول، وغلق أبواب جهنَّم كناية عن تنزُّه أنفُس الصُّوَّام عن رِجْسِ الفواحش

والتخلُّص من البواعث على المعاصي بقمع الشهوات».اهـ

ورجَّح القرطبيُّ وابن المنير وغيرهما أنَّ فتح أبواب الجنَّة وغَلْقَ أبواب جهنَّمَ وتصفيد الشياطين على ظاهره وحقيقته، وأنه لا ضرورة تدعو إلى تأويله.

قال ابن المنير: «وأمَّا الرواية التي فيها أبواب الرَّحمة وأبواب السماء فمن تصرُّف الرُّواة، والأصل أبواب الجنَّة بدليل ما يُقابله وهو غلق أبواب جهنَّم».

وقال القرطبيُّ: «فإن قيل: نرى الشرور والمعاصي واقعةٌ في رمضان كثيرًا، فلو صُفِّدت الشياطين لم يقع ذلك؟

فالجواب: إنَّ المعاصي إنما تَقِلُّ عن بعض الصائمين، وهم الذين صاموا صومًا حافظوا على شروطه وآدابه، أو أنَّ المُصفَّد بعض الشياطين وهم المَرَدَة كما جاء في رواية النَّسائيِّ: «**وتُغَلُّ فيه مَرَدَةُ الشَّياطِين**». والمَرَدَة هم العُتاة والأكثرون فسادًا.

أو أنَّ المقصود من تَصْفِيد الشياطين تقليل الشُّرور في رمضان، وهذا أمرٌ مشاهدٌ، فإنَّ وقوع الشُّرور في رمضان أقل منها في غيره، أو أنَّ تصفيد الشياطين أجمعين لا يمنع وقوع الشرور والمعاصي، لأنها تقع بأسبابٍ أخرى كالنفوس الخبيثة، والعادات القبيحة، والشياطين الإنْسِيَّة التي هي أقوى في بعض الحالات من الشياطين الجِنِّية.

تنبيه: قال بعض العارفين: «تَصْفِيدُ الشياطين في رمضان إشارةٌ إلى رفع عذر المُكلَّف كأنه يقال له: قد كُفَّت الشياطين عنك فلا تعتل بهم في ترك الطاعة ولا فعل المعصية».

صيام رمضان يُكفِّر الذنوب

أخرج النَّسائيُّ عن أبي هريرة أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن صَامَ رمضانَ إيمانًا واحْتِسَابًا غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ، ومَن قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إيمانًا واحْتِسَابًا غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ**». ورواه أحمد بزيادة: «**وما تأخَّرَ**». وإسناد هذه الزيادة صحيحٌ أيضًا، والحديث في "الصحيحين" بدون هذه الزيادة.

وقال الخَطَّابِيُّ: «قوله: «**إيمانًا واحْتِسَابًا**» أي: نيَّةً وعزيمةً، وهو أن يصومه علىٰ التصديق والرَّغبة في ثوابه، طَيِّبةً به نَفْسُه، غير كارهٍ له، ولا مُستثقِلٍ لصيامه، ولا مُستطيلٍ لأيامه، لكن يغتنم طول أيامه لعِظَم الثَّواب».اهـ

وقال البغويُّ: «قوله احتسابًا: أي طلبًا لوجه الله تعالىٰ وثوابه، ويقال: فلانٌ يحتسب الأخبار ويتحسَّبها أي يتطلَّبها».اهـ

واختُلف في الذنوب التي يُكفِّرها صوم رمضان هل هي الصغائر والكبائر أو الصغائر فقط؟ جزم بالأول ابن المُنذِر، وإليه ميل الأُبِّي، وجَزَمَ بالثاني إمام الحرمين، وعزاه النوويُّ للفقهاء، ودليلهم ما رواه مسلمٌ في "صحيحه" عن أبي هريرة عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**الصَّلَواتُ الخَمْسُ، والجُمُعَةُ إلى الجُمُعَةِ، ورمضانُ إلى رمضانَ، مُكَفِّراتٌ لما بينهنَّ إذا اجْتُنِبَتِ الكَبَائِرُ**». فقيَّد تكفير الذنوب في هذا الحديث باجتناب الكبائر.

قال الحافظ ابن حجرٍ: «وهو -أي التكفير المذكور- في حقِّ مَن له كبائر وصغائر، ومن ليس له إلَّا كبائر خُفِّف عنه منها مقدار ما لصاحب الصغائر، ومن ليس له صغائر ولا كبائر يزاد في حسناته بنظير ذلك».

تنبيه: إنما يُكَفِّر صوم رمضان الذنوب -كلَّها أو بعضها علىٰ الخلاف- إذا

راعىٰ الصائم حدوده وحافظ علىٰ شرائطه، لِما ثبت عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن صَامَ رمضانَ وعَرَفَ حُدُودَهُ، وتَحَفَّظَ ما يَنْبَغِي له أن يَتَحَفَّظَ كَفَّرَ ما قَبْلَهُ**». رواه ابن حِبَّان في "صحيحه"، والبيهقيُّ في "السنن".

فضل الجود في شهر رمضان

في "الصحيحين" عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أَجْوَدَ النَّاسِ، وكان أَجْوَدُ ما يكونُ في رمضانَ حين يَلْقَاهُ جبريل عليه السَّلام وكان يَلْقَاهُ في كلِّ ليلةٍ من رمضان فيُدارِسُهُ القُرآنَ، فلَرسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أَجْوَدُ بالخَيْرِ مِن الرِّيحِ المُرْسَلَةِ». ورواه الإمام أحمد بزيادةٍ في آخره وهي: «لا يُسأل عن شيءٍ إلَّا أَعْطَاهُ».

الجُود: سعة العطاء وكثرته، والله تعالىٰ يوصف بالجود، ومن أسمائه الجَوَاد، بفتح الواو المُخفَّفة.

وفي "سنن الترمذي": عن سعد بن أبي وقَّاصٍ رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ اللهَ جَوَادٌ يُحِبُّ الجُودَ، كَرِيمٌ يُحِبُّ الكَرَمَ**».

وفي "الترمذي" أيضًا عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، عن ربِّه تعالىٰ قال: «**يا عِبادِي لو أنَّ أَوَّلَكُمْ وآخِرَكُمْ وحَيَّكُمْ ومَيِّتَكُمْ ورَطْبَكُمْ ويَابِسَكُمْ اجْتَمَعُوا على أَتْقَى قَلْبِ عَبْدٍ مِن عِبادِي ما زَادَ ذلك في مُلْكِي جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، ولو أنَّ أَوَّلَكُمْ وآخِرَكُمْ وحَيَّكُمْ ومَيِّتَكُمْ ورَطْبَكُمْ ويَابِسَكُمْ اجْتَمَعُوا على أَشْقَى قَلْبِ عَبْدٍ مِن عِبادِي ما نَقَصَ ذلك مِن مُلْكِي جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، ولو أنَّ أَوَّلَكُمْ وآخِرَكُمْ وحَيَّكُمْ ومَيِّتَكُمْ ورَطْبَكُمْ ويَابِسَكُمْ**

اجْتَمَعُوا في صَعِيدٍ واحِدٍ فسَأَلَ كلُّ إنْسَانٍ منكم ما بَلَغَتْ أُمْنِيَّتُهُ فأَعْطَيْتُ كلَّ سَائِلٍ منكم ما سَأَلَ ما نَقَصَ ذلك مِن مُلْكِي إلَّا كما لو أنَّ أحَدَكُمْ مَرَّ بالبَحْرِ فغَمَسَ فيه إبْرَةً ثُمَّ رَفَعَهَا إليه، ذلك بأنِّي جَوَادٌ واجِدٌ ماجِدٌ أَفعَلُ ما أُرِيدُ، عَطَائِي كَلاَمٌ وعَذَابِي كَلاَمٌ، إنَّما أمْرِي لشيءٍ إذا أَرَدْتُهُ أنْ أقولَ له: كُنْ، فيَكُونُ».

وكان النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أجودُ بني آدم علىٰ الإطلاق كما في هذا الحديث.

وفي "الصحيحين" عن أنسٍ رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أحْسَنَ الناسِ، وأَشْجَعَ النَّاسِ، وأجْوَدَ النَّاسِ.

وكان جُودُه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يتضاعَفُ في رمضان ويزداد، وذلك لأسبابٍ:

أحدها: أنَّ شهر رمضان موسم الخيرات؛ لأن نِعَم الله علىٰ عباده فيه زائدةٌ علىٰ غيره، فكان النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يُؤثِر متابعة سُنَّة الله في عِباده.

ثانيها: أنَّ الصدقة في رمضان أفضل منها في غيره لما جاء في "سنن الترمذي" وغيره عن أنسٍ، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ صَدَقَةُ رمضانَ**».

ثالثها: إعانة الصائمين والقائمين والذاكرين علىٰ طاعتهم فيستوجب بذلك مثل أجرهم، لما جاء في سنن: "الترمذي" و"النَّسائي" و"ابن ماجه"، عن زيد بن خالدٍ الجهنيِّ رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن فَطَّرَ صَائِمًا كان له مِثْلُ أَجْرِهِ غير أنَّه لا يَنْقُصُ مِن أُجْرِ الصَّائِمِ شيءٌ**».

وفي روايةٍ للنَّسائيِّ وابن خزيمة في "صحيحه": «**من جَهَّز غَازِيًا، أو جَهَّزَ**

حَاجًّا، أو خَلَفَهُ في أَهْلِهِ، أو فَطَّرَ صَائِمًا، كان له مِثْلُ أُجُورِهِمْ مِن غير أنْ يَنْقُصَ مِن أُجُورِهِمْ شيءٌ».

رابعها: أنَّ شهر رمضان شهر المُواساة والتعاون والمُساعدة، لما رواه ابن خزيمة والبيهقيُّ، عن سلمان الفارسيِّ رضي الله عنه قال: خَطَبنا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في آخر يوم من شعبان قال: «يا أيُّها النَّاسُ قد أَظَلَّكُمْ شَهْرٌ عَظِيمٌ مُبارَكٌ، شَهْرٌ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِن أَلْفِ شَهْرٍ، شَهْرٌ جَعَلَ اللهُ صِيامَهُ فَرِيضَةً، وقِيامَ لَيْلِهِ تَطَوُّعًا، مَن تَقَرَّبَ فيه بخَصْلَةٍ كان كمَن أدَّى فريضَةً فيما سِواهُ، ومَن أدَّى فريضَةً فيه كان كمَن أدَّى سبعين فريضَةً فيما سِواهُ، وهو شَهْرُ الصَّبْرِ، والصَّبْرُ ثَوَابُهُ الجنَّةُ، وشَهْرُ المُوَاسَاةِ، وشَهْرٌ يَزْدَادُ في رِزْقِ المُؤمِنِ فيه، مَن فَطَّرَ فيه صَائِمًا كان مَغْفِرَةً لذُنوبِهِ، وعِتقَ رَقَبَتِهِ مِن النَّارِ، وكان له مِثْلُ أَجْرِهِ مِن غير أن يَنْقَصُ مِن أَجْرِهِ شيءٌ». قالوا: يا رسول الله، ليس كلُّنا يجد ما يُفطِّر الصائم.

فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «يُعْطِي اللهُ هذا الثَّوابَ مَن فَطَّرَ صَائِمًا على تَمْرَةٍ أو شَرْبَةِ ماءٍ أو مَذْقَةِ لَبَنٍ، وهو شَهْرٌ أَوَّلُهُ رَحْمَةٌ، وأَوْسَطُهُ مَغْفِرَةٌ، وآخِرُهُ عِتْقٌ مِن النَّارِ، مَن خَفَّفَ عن مَمْلُوكِهِ فيه غَفَرَ اللهُ له وأَعْتَقَهُ مِن النَّارِ؛ فاسْتَكْثِرُوا فيه مِن أَرْبَعِ خِصَالٍ: خَصْلَتينِ تُرْضُونَ بهما رَبَّكُمْ، وخَصْلَتينِ لا غِنًى بِكُمْ عنهما، فأمَّا الخَصْلَتانِ اللَّتانِ تُرْضُونَ بهما ربَّكُم: فشهادة أَلَّا إله إلَّا الله، وتَسْتَغْفِرونَهُ، وأمَّا الخصلْتانِ اللَّتانِ لا غِناءَ بِكُم عنهما: فتسألون اللهَ الجنَّةَ وتَعوُذونَ به مِن النَّارِ، ومَن سَقَى صَائِمًا سَقَاهُ اللهُ مِن حَوْضِي شَرْبَةً لا يَظْمَأُ حتَّى يَدْخُلَ الجنَّةَ».

فلهذه الأسباب وغيرها كان جُودُه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يتضاعَفُ في رمضان، وينبغي لنا، بل يتأكَّد في حَقِّنا أن نَقْتَدِي به صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في فعل الخير وكثرة الجُودِ في هذا الشهر العظيم المبارك.

فضل تلاوة القرآن في شهر رمضان

وأمَّا تلاوة القرآن في شهر رمضان فلها فضلٌ كبيرٌ، بل يؤخَذُ من هذا الحديث -كما قال النوويُّ- أنها أفضل من سائر الأذكار، إذ لو كان ذِكْرٌ أفضل منها أو يساويها لفعله النبيُّ وجبريل صلى الله عليهما وسلم بدلًا من مدارسة القرآن، وكان السَّلَف يتلون القرآن في شهر رمضان في الصلاة وغيرها.

كان الأسود يقرأ القرآنَ في كلِّ ليلتين في رمضان.

وكان النَّخَعيُّ يقرأ القرآن في كلِّ ثلاث ليالٍ في رمضان، وفي العشر الأواخِر يقرأه في كلِّ ليلتين.

وكان قتادة يختم القرآن في سبع ليالٍ دائمًا، وفي رمضان في كلِّ ثلاث ليال، وفي العشر الأواخِر منه في كلِّ ليلةٍ، وكان يدرس القرآن في شهر رمضان.

وكان الزهريُّ إذا دخل رمضان قال: إنما هو تلاوة القرآن، وإطعام الطعام.

وقال ابن عبد الحكم: كان مالكٌ إذا دخل رمضان يفرُّ مِن قراءة الحديث ومُجالَسَةِ أهل العِلْم، ويُقْبِل على تلاوة القرآن من المصحف.

وقال عبد الرزَّاق: كان سفيان الثوريُّ إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على تلاوة القرآن.

وكان للشافعيِّ في رمضان ستون ختمةً يقرأها في غير الصلاة، وكذلك أبوحنيفة، وقال سفيان: كان زبيد اليامِيُّ إذا حضر رمضان أحضر المصاحف

وجمع إليه أصحابه.

وكانت عائشة أمُّ المؤمنين رضي الله عنها تقرأ في المصحف أول النهار في شهر رمضان، فإذا طلعت الشمس نامت.

والمقصود أنَّ شهر رمضان شهر القرآن ينبغي الإكثار فيه من التلاوة بقَدْرِ الإمكان، ومِن الحِكْمة في ذلك أن ينضمَّ القرآن إلى الصيام في الشفاعة للعبد يوم القيامة، لما جاء في "المسند" عن عبد الله بن عمرٍو، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**الصِّيامُ والقَرْآنُ يَشْفَعَانِ للعَبْدِ يَوْمَ القِيامَةِ، يَقولُ الصِّيامُ: أي رَبِّ مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ والشَّرَابَ بالنَّهارِ فشَفِّعْنِي فيه، ويَقُولُ القُرآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بالليلِ فشَفِّعْنِي فيه، فيَشْفَعانِ**». صحَّحه الحاكم.

ما أعطيته هذه الأُمَّة في شهر رمضان

أخرج البيهقيُّ عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**أُعْطِيَتْ أُمَّتِي في شَهْرِ رمضانَ خَمْسًا لم يُعْطَهُنَّ نبيٌّ مِن قَبْلي، أمَّا واحدةٌ فإنَّهُ إذا كان أوَّلُ لَيْلَةٍ مِن شَهْرِ رمضانَ يَنظُرُ اللهُ عزَّ وجلَّ إليهم، ومَن نَظَرَ اللهُ إليه لم يُعَذِّبْهُ أَبَدًا، وأمَّا الثانية فإنَّ خَلُوفَ أَفْوَاهِهِمْ حين يُمْسُونَ أَطْيَبُ عند الله مِن رِيحِ المِسْكِ، وأمَّا الثالثة فإنَّ الملائكة تَسْتَغْفِرُ لهم في كلِّ يومٍ ولَيْلَةٍ، وأمَّا الرابعة فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يَأْمُرُ جَنَّتَهُ فيقول لها: استعَدِّي وتزيَّني لعبادي أَوْشَكَ أنْ يَسْتَرِيحُوا مِن تَعِبِ الدُّنيا إلى دَارِي وكَرامَتِي، وأمَّا الخامسة فإنَّه إذا كان في آخِرِ لَيْلَةٍ غَفَرَ اللهُ لهم جميعًا**».

فقال رجلٌ من القوم: أهي ليلة القَدْرِ؟ فقال: «**لا، ألم ترَ إلى العُمَّال يعملون**

فإذا فَرَغُوا مِن أعْمَالهم وُفُّوا أُجُورَهُم».

وروىٰ أحمد والبزَّار والبيهقيُّ نحوه من حديث أبي هريرة، هذه خمس خصالٍ أكرم الله بها الصائمين مِن أُمَّة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في شهر رمضان.

أولها: نظر الله إليهم في أول ليلةٍ نظرة عنايةٍ ورحمةٍ، ومَن نَظَرَ اللهُ إليه كذلك لم يُعَذِّبْهُ أبدًا.

ثانيها: خَلُوف أفواههم أطيب عند الله من ريح المِسْك. والخَلُوف -بضم الخاء وفتحها- تغير رائحة الفَمِ لِما يحدث من خُلُوِّ المِعْدَةِ بترك الأكل، ومعنىٰ كونه أطيب عند الله من ريح المسك: أنَّ الله يُثيب عليه في الآخِرة حتىٰ تكون له رائحةٌ أطيب مِن ريح المِسْكِ، وقيل ينال الصائم من الثواب ما هو أفضل من ريح المِسْكِ عندنا.

وأخذ الشافعيُّ من هذا الحديث ونحوه كراهة السِّواك للصائم بعد الزَّوال؛ لأن السِّواك يُذْهِبُ الخَلُوف الذي هو أطيب عند الله من ريح المِسْك.

وأجازه مالكٌ طول النهار للصائم؛ لأن الخَلُوف إن كان من المِعْدَة فالسِّواك لا يُذْهِبه، وأيضًا فإنَّ المَقصُود من مدح الخَلُوفِ الثَّناء علىٰ الصوم وبيان مَزِيَّته، وليس المقصود نَفْس الخَلُوف فذهابه وبقائه سواء.

ويؤيِّد مذهب المالكيَّة ما رواه الطبرانيُّ بإسنادٍ جيِّدٍ عن عبدالرحمن بن غَنْم -بفتح الغين وسكون النون- قال: سألت معاذ بن جبلٍ: أتسوَّكُ وأنا صائمٌ؟ قال: نَعَمْ. قلت: أيُّ النَّهارِ؟ قال: غُدْوَةً أو عَشِيَّةً. قلت: إنَّ النَّاسَ يكرهونه عَشِيَّةً، ويقولون إنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «لَخَلُوفُ فَمِ

الصَّائِمِ أَطْيَبُ عند الله مِن رِيحِ المِسْكِ». قال: سبحان الله!! لقد أمرهم بالسِّواك وما كان بالذي يأمرهم أن يُيبسوا أفواههم عَمْدًا، ما في ذلك من الخير شيءٌ بل فيه شرٌّ.

ثالثها: استغفار الملائكة لهم، واستغفار الملائكة للمؤمنين ثابتٌ بنصِّ القرآن في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [غافر: ٧ - ٩].

والحِكْمة في استغفار الملائكة للمؤمنين أنهم حين تكلَّموا في بني آدم وقالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠] أمرهم الله بالاستغفار للمؤمنين منهم جَبْرًا لِما وقع، ففيه تنبيهٌ على أنَّ مَن تكلَّم في غيره ينبغي أن يَسْتَغْفِرَ له، ثُمَّ إنَّ استغفار الملائكة للصائمين استغفارٌ خاصٌّ يدل على مزيد العناية بهم.

رابعها: تزيين الجنَّة وإعدادها طول شهر رمضان لاستقبال الصائمين القائمين.

خامسها: مغفرة الله لهم ليلة العيد حين ينتهون من أداء صوم رمضان وقيامه ويُكَبِّرون الله على ما هداهم إليه من نعمة الصِّيام والقِيام، وقد جاء في

حديثٍ ضعيفٍ عن ابن عبَّاسٍ عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ لَيْلَةَ عيد الفِطْرِ تُسَمَّى لَيْلَةَ الجائِزَةِ؛ وذلك لأنَّ اللهَ يُجْزِلُ العَطَاءَ للصَّائمين غَدَاةَ العِيدِ، ويَشْمَلُهُم بعَفْوِهِ وسَتْرِهِ ورِضَاهُ**».

وهناك خصال أخرىٰ غير هذه الخمس أكرم الله بها الأُمَّة المُحمَّديَّة في رمضان، منها:

١- عِتْقُ ناسٍ مِن النَّارِ عند كلِّ إفطارٍ، لِما رواه أحمد والطبرانيُّ والبيهقيُّ عن أبي أُمامة رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لله عند كلِّ فِطْرٍ عُتَقَاءُ**».

وفي "مسند البزَّار": عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ لله تبارك وتعالى عُتَقَاءَ في كلِّ يومٍ وليلةٍ** -يعني في رمضان- **وإنَّ لكلِّ مسلمٍ في كلِّ يومٍ وليلةٍ دَعْوَةً مُسْتَجابَةً**».

وفي "سنن الترمذيِّ" و"ابن ماجه" عن أبي هريرة: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إذا كان أوَّلُ ليلةٍ مِن شهر رمضان صُفِّدتِ الشياطين ومَرَدَةُ الجنِّ، وغُلِّقَتْ أبوابُ النَّارِ فلم يُفْتَح منها بابٌ، وفُتِّحَتْ أبوابُ الجنَّةِ فلم يُغْلَقْ منها بابٌ، ويُنادِي مُنادٍ: يا باغِيَ الخَيْرِ أَقْبِلْ ويا باغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، ولله عُتَقاءُ مِن النَّارِ وذلك كلُّ ليلةٍ**».

والصحيح أنَّ عدد العُتقاء غير مُقيَّدٍ بعددٍ مُعيَّنٍ، وجاء تحديده في بعض الأحاديث بستمائة ألفٍ، وفي بعضها بستين ألفًا، وفي بعضها بألف ألفٍ، ولكن تلك الأحاديث ضعيفةٌ مُضطربةٌ لا يصح الاعتماد عليها.

تنبيه: شرط مَن يعتقه الله في رمضان ألَّا يُفْطِر علىٰ مُحرَّم، فإن أفطر علىٰ

مُحَرَّمٍ لم يكن له في الإعتاق نصيبٌ، لما جاء في "معجم الطبراني الصغير" عن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال رسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ لله عزَّ وجلَّ عُتقاءَ في كلِّ ليلةٍ مِن شهر رمضان، إلَّا رَجُلًا أَفْطَرَ على خَمْرٍ**».

ومنها: فتح أبواب الجنَّة، وإغلاق أبواب جهنَّم، وتَصْفِيدُ الشياطين، وقد تقدَّم الكلام عليها قريبًا.

ومنها: استجابة الدعاء، روى الطبرانيُّ عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال يومًا وحَضَرَ رمضان: «**أتاكُمْ رمضانُ شَهْرُ بَرَكَةٍ، يَغْشَاكُم اللهُ فيه فيُنْزِلِ الرَّحْمَةَ، ويَحُطُّ الخَطَايَا، ويَسْتَجِيبُ فيه الدُّعاء، يَنْظُرُ اللهُ تعالى إلى تَنَافُسِكُم فيه، ويُباهِي بِكُمْ مَلائِكَتَهُ، فأَرُوا اللهَ مِن أَنْفُسِكُمْ خَيْرًا؛ فإنَّ الشَّقِيَّ مَن حُرِمَ فيه رَحْمَةَ الله عزَّ وجلَّ**».

وفي "المسند" و"سنن ابن ماجه" و"الترمذي" عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ثلاثةٌ لا تُرَدُّ دَعْوَتُهم: الصَّائِمُ حتَّى يُفْطِرَ، والإمامُ العَادِلُ، ودَعْوَةُ المَظْلُومِ يَرْفَعُهَا اللهُ فَوْقَ الغَمامِ ويَفْتَحُ لها أبوابَ السَّماءِ، ويقول الربُّ: وعِزَّتِي لأَنْصُرَنَّكَ ولَوْ بعد حِينٍ**». حسَّنه الترمذيُّ، وصحَّحه ابن حِبَّان.

ولفظ رواية الترمذيِّ: «**الصَّائِمُ حين يُفْطِرُ...**». والباقي سواء.

وفي "سنن البيهقيِّ" بإسنادٍ فيه ضعفٌ عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ للصَّائِمِ عند فِطْرِهِ لدَعْوَةٌ ما تُرَدُّ**». وكان عبدالله بن عمرو يقول عند فِطْره: «اللهمَّ إني أسألك برحمتك التي وسعت كلَّ شيءٍ أن تغفر لي ذنوبي».

باب الرَّيان للصائمين

في "الصحيحين" وغيرهما عن سهل بن سعدٍ رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ في الجنَّةِ بابًا يُقَالُ له الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ منه الصَّائِمُونَ يومَ القِيامَةِ، لا يَدْخُلُ منه أَحَدٌ غيرهم، فإذا دَخَلُوا أُغْلِقَ فلم يَدْخُلْ منه أَحَدٌ**».

أكرم الله الصائمين فجعل لهم بابًا في الجنَّة خاصًّا بهم، لا يُزاحِمُهُم فيه غيرهم، وتلك مَزيَّةٌ تدل على ما للصوم من الفضل عند الله تعالى.

الصوم جنة ووقاية

ثبت في "الصحيحين" وغيرهما عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**قال الله عزَّ وجلَّ: كُلُّ عَمَلِ ابن آدمَ له إلَّا الصَّومَ فإنه لي وأنا أَجْزِي به، والصِّيامُ جُنَّـةٌ** -بضم الجيم- **فإذا كان يومُ صَوْمِ أَحَدِكُم فلا يَرْفُثُ ولا يَصْخَبُ، فإن سَابَّهُ أحدٌ أو قاتَلَهُ فليَقُلْ إنِّي صَائمٌ، والذي نَفْسُ محمَّدٍ بيده لَخَلُوفُ فَمِ الصَّائمِ أطيبُ عند الله مِن رِيحِ المِسْكِ، للصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُما: إذا أَفْطَرَ فَرِحٌ بِفِطْرِهِ، وإذا لقِيَ ربَّهُ فَرِحَ بصَوْمِهِ**».

اختلف العلماء في معنى قوله تعالى: «**الصِّيامُ لِي وأنا أَجْزِي بِهِ**». مع أنَّ الأعمال كلَّها له سبحانه وتعالى وهو الذي يجزي بها، وذهبوا في تأويل ذلك إلى مذاهب.

منها: أنَّ الصيام لا يقع فيه رياءٌ؛ لأنه نيَّةٌ وإمساكٌ. هذا رأي أبي عبيدٍ.

ويؤيِّده ما رواه البيهقيُّ في "الشعب" عن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**الصِّيامُ لا رِيَاءَ فيه، وقال عزَّ وجلَّ: هو لِي وأنا أَجْزِي بِهِ**». إسناده ضعيفٌ، ولو صحَّ لكان قاطعًا للنِّزاع كما قال الحافظ.

ومعنىٰ أنَّ الصوم لا رياء فيه: أنه لا يدخله الرِّياء بفعله؛ لأنه لا يطَّلع عليه غير الله تعالىٰ، بخلاف غيره من الطاعات يدخل في فعلها الرِّياء؛ لأنها أعمالٌ تُشَاهَد كالصَّلاة ونحوها. نعم، قد يدخل في الصوم من جهة الإخبار عنه، كمن يصوم ثُمَّ يُخبِر النَّاسَ أنه كان صائمًا.

كما يُحكَىٰ عن بعض المُغفَّلين أنه كان كثير الصلاة، فبينما هو يتنفَّل في بعض مساجد الكوفة والناس يُعجَبون مِن كثرة صلاته وحُسْنها، إذ التفتَ وقال لهم: وأنا مع ذلك صائمٌ.

فالصيام قد يدخله الرِّياء من جهة التحدُّث عنه لا من جهة فعله.

ومنها: أنَّ الإضافة في قوله: «**الصِّيام لي**» للتشريف والتعظيم كما يقال: المسجد بيت الله، وإن كانت البيوت كلُّها لله.

ومنها: أنَّ الاستغناء عن الطعام وغيره من الشهوات، من صفات الربِّ جلَّ جلاله، فلما تقرَّب الصائم إليه بما يوافِق صفةً مِن صفاته أضافه إليه.

قال القرطبيُّ: «معناه أنَّ أعمال العباد مُناسبةٌ لأحوالهم إلَّا الصيام، فإنه مناسبٌ لصفةٍ مِن صفات الحقِّ، كأنه يقول: إنَّ الصائم يتقرَّب إليَّ بأمرٍ هو مُتعلِّقٌ بصفةٍ مِن صِفاتي»(١).

ومنها: أنَّ معنىٰ قوله: «**وأنا أجزي به**»، أني أنفرد بعِلْم مِقْدار ثوابه وتضعيف حسناته.

---

(١) ومنها أنَّ الصوم لم يُعبَد به إلَّا الله تعالىٰ، فإنَّ المشركين تقرَّبوا لآلهتهم بركوعٍ أو سجودٍ أو تَضَرُّعٍ ودعاءٍ أو تقديم قُرْبانٍ، ولم يتقرَّب أحدٌ منهم بصومٍ لآلهته، فمعنىٰ قوله: «**الصوم لي**» أنه لم يُعبَد به غيري.

قال القرطبيُّ: معناه أنَّ الأعمال قد كُشفت مقادير ثوابها للناس، وأنها تُضاعَفُ مِن عشرةٍ إلى سبعمائةٍ إلى ما شاء الله، إلَّا الصيام فإنَّ الله يُثيب عليه بغير تقديرٍ؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] والصابرون الصائمون في أكثر الأقوال، والصوم صَبْرٌ؛ لأن الصائم يُصبِّر نَفْسَهُ ويحبسها عن سائر الشهوات. وهذا رأي سفيان بن عُيَيْنَة وأبي عبيدٍ.

هذا بعض ما اخترناه في تأويل هذه الجملة من الحديث، وقد استقصى أبوبكر الطالَقانيُّ في كتاب "حظائر القدس" وجوه التأويلات فيه فأوصلها إلى بضعة وخمسين، ومعنى قوله: «**والصِّيام جُنَّة**» -بضم الجيم وشد النون- أي: وقايةٌ وسترٌ مِن النَّارِ.

قال ابن العربي: إنما كان الصوم جُنَّـةً مِن النَّار لأنه إمساكٌ عن الشهوات والنار مَحفوفَةٌ بالشهوات، فمَن كَفَّ نَفْسَهُ عن الشهوات في الدنيا كان ذلك ساترًا له مِن النَّار في الآخرة، ولكون الصِّيامِ جُنَّـةً، والجُنَّة تنخِرق بالمعاصي عقَّب بقوله: «**فإذا كان يومُ صَوْمِ أَحَدِكُم فلا يَرْفُثُ**» بضمِّ الفاء، أي: يتكلَّم بكلامٍ فاحِشٍ «**ولا يَجْهَلُ**» أي: لا يفعل فعل الجُهَّال من الصِّياح والسَّفَه ونحو ذلك، وفي رواية: «**ولا يَصْخَبُ**» بالصاد والسين، وبفتح الخاء، والصخب أي: الصياح وهو من فعل الجهَّال أيضًا.

وفي رواية الطبريِّ: «**ولا يَسْخَر**» وهي صحيحةٌ في المعنى[1] لأن السخرية بالقول أو الفعل جهلٌ، لقوله: «**فإن سابَّهُ أحدٌ أو قاتَلَهُ فليَقُلْ: إني صائمٌ، إني**

---

(١) وإن لم تصح رواية.

صائمٌ».

وفي رواية سعيد بن منصورٍ: «**فإن سابَّهُ أحدٌ أو مَارَاهُ**». أي جادله.

وفي رواية النَّسائيِّ مِن حديث عائشة: «**وإن امرؤٌ جَهَلَ عليه فلا يَشْتِمُهُ ولا يَسُبُّه**».

والمقصود من هذه الروايات ابتعاد الصائم عن كلِّ ما يوقِعه في الإثم.

واختلف: هل يقول إني صائمٌ بلسانه ويخاطب بها خصمه، أو يقولها في نَفْسِهِ؟ جزم بالثاني المتولِّي من أئمة الشافعية، ونقله الرافعيُّ عن الأئمَّة، ورجَّح النوويُّ الأول في "الأذكار"، وقال في "شرح المهذب": «كلٌ منهما حَسَنٌ، والقول باللسان أقوىٰ، ولو جمعهما لكان حَسَنًا».اهـ

«**للصَّائِمِ فَرْحَتانِ يَفرَحُهُما: إذا أَفْطَرَ فَرِحَ بفِطْرِهِ**»: أي فرح بزوال جوعه وعطشه، وهذا الفرح طبيعيٌّ، أو فرح بفِطْرِه من حيث أنه تمام صومه وخاتمة عبادته، ومعونةٌ علىٰ مُستقبل صيامه، ففرح كلُّ واحدٍ بحسبه.

«**وإذا لَقِيَ ربَّهُ فَرِحَ بصَوْمِهِ**»: أي فرح بجزاء صومه وثوابه الذي يجده عند ربِّه سبحانه وتعالىٰ.

تنبيه: أخذ الحافظ ابن عبد البر من كون الصيامِ جُنَّةً مِن النَّارِ ترجيحه علىٰ سائر العبادات، ويؤيِّده ما رواه النَّسائيُّ وابن خزيمة عن أبي أُمامة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، مُرْني بعملٍ. قال: «**عليكَ بالصَّوْمِ فإنَّه لا عِدْلَ لَهُ**». -بكسر العين- قلت: يا رسول الله مُرْني بعملٍ. قال: «**عليك بالصَّوْمِ فإنَّه لا مَثِيلَ لَهُ**». قلت: يا رسول الله مُرْني بعملٍ. قال: «**عليك بالصَّوْمِ فإنَّه لا مِثْلَ لَهُ**».

ورواه ابن حِبَّان في "صحيحه" في حديثٍ قال: قلت يا رسول الله دُلَّني

علىٰ عملٍ أدخل به الجنَّة. قال: «**عليك بالصَّوْمِ فإنَّه لا مَثيلَ لَهُ**». قال: وكان أبو أُمامة لا يرىٰ في بيته الدَّخان نهارًا إلَّا إذا نَزَلَ بهم ضيفٌ. وهو حديثٌ صحيحٌ.

قال الحافظ ابن حجرٍ: «والمشهور عند الجمهور ترجيح الصلاة».

قلت: ويكفي دليلًا علىٰ ترجيحها أنها فرضت ليلة المعراج والنبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في سِدْرة المُنتهَىٰ، علىٰ أنَّ عبارة ابن عبد البر ليست صريحةً في ترجيح الصوم علىٰ الإطلاق، والله أعلم.

متي يكون الصوم جُنَّةً؟

تقدَّم أنَّ الصيام جُنَّـةٌ مِن النَّارِ، لكنَّه لا يكون كذلك إلَّا إذا سَلِم من آفات اللسان وغيرها من المعاصي، كما جاء مُبيَّنـًا في عِدَّة أحاديث: ففي "المسند" عن أبي عبيدة بن الجرَّاح رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**الصِّيامُ جُنَّـةٌ ما لم يَخْرِقْها**». زاد الدارميُّ في روايته: «**بالغِيبَةِ**».

وفي "الصحيح" عن أبي هريرة قال: قال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ والعَمَلَ بِهِ والجَهْلَ فليس لله حاجَةٌ في أنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وشَرَابَهُ**».

وفي "المعجم الصغير" للطبرانيِّ، عن أنس بن مالكٍ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَنْ لَمْ يَدَعْ الخَنَا والكَذِبَ فلا حَاجَةَ لله أنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وشَرَابَهُ**».

وفي "المعجم الأوسط" للطبرانيِّ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال

رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**الصِّيامُ جُنَّـةٌ ما لم يَخْرِقْهُ**». قيل: «**وبِمَ يَخْرِقُهُ؟**» قال: «**بكَذَبٍ أو غِيبَةٍ**».

فبيَّنت هذه الأحاديث أنَّ الصِّيامِ الذي لا يسلم صاحبه من كذبٍ أو غِيبةٍ أو قول زورٍ أو نحو ذلك من المعاصي لا يكون مقبولًا عند الله، وبالتالي لا يكون جُنَّـةً لصاحبه مِن النَّارِ.

قصة الصائمتين اللتين اغتابتا الناس

أخرج أحمد وابن أبي الدنيا وأبو يعلى، عن عبيدٍ مولى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنَّ امرأتين قد صَامَتا، وأنَّ رَجُلًا قال: يا رسولَ الله إنَّ هاهنا امرأتين قد صَامَتا، وأنهما قد كادتا أن تَمُوتا مِن العَطَشِ. فأَعْرَضَ عنه أو سَكَتَ ثُمَّ عَادَ، وأُرَاهُ قال: بالهاجِرة -يعني وقت الظهر- قال: يا نبيَّ الله إنهما والله قد ماتتا أو كادتا أن تموتا.

قال: «**ادْعُهُما**» قال: فجاءتا. قال: فجِئ بقَدَحٍ أو عُسٍّ -بضمِّ العين وتشديد السين: قَدَحٌ كبيرٌ- فقال لإحديهما: «**قِيئي**». فقاءت قَـيْحًا ودمًا وصديدًا ولحمًا حتى ملأت نصف القَدَحِ، ثُمَّ قال للأخرى: «**قِيئي**». فقاءت من قِيحٍ ودَمٍ وصَدِيدٍ ولحمٍ عَبيطٍ -بفتح العين أي طَريٍّ- وغيره حتى ملأت القَدَحَ، ثُمَّ قال: «**إنَّ هاتين صَامَتَا عمَّا أَحَلَّ اللهُ لهما وأَفْطَرَتَا على ما حَرَّمَ اللهُ عليهما، جَلَسَتْ إحْدَاهُما إلى الأُخْرَى فجَعَلَتَا تَأْكُلانِ مِن لُحومِ النَّاسِ**».

روى أبو داود الطيالسيُّ في "المسند"، وابن أبي الدنيا في "ذم الغيبة"، والبيهقيُّ، عن أنسٍ قال: أمر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بصوم يومٍ وقال:

«**لا يُفْطِرُ أحدٌ منكم حتَّى آذنَ لَهُ**». فصامَ الناسُ، حتَّىٰ إذا أمسوا فجعل الرجل يجئ فيقول: يا رسول الله إني ظَلَلْتُ صائمًا فأذن لي فأُفْطِر. فيأذن له، حتىٰ جاء رجلٌ فقال: يا رسول الله فتاتان مِن أهلك ظلَّتا صائمتين وإنهما تستحيان أن تأتياك فأذن لهما فلتُفْطِرا. فأعْرَضَ عنه، ثُمَّ عاوَدَهُ فأَعْرَضَ عنه، ثُمَّ عاوَدَهُ فأعْرَضَ عنه، ثُمَّ عاوَدَهُ فأعْرَضَ عنه، فقال: «**إنهما لم تَصُوما وكيف صَامَ مَن ظَلَّ هذا اليوم يأكُلُ لُحومَ النَّاسِ، اذهبْ فمُرْهُما وإن كانتا صائمَتين فليَسْتَقِيئا**». فرجع إليهما فأخبرهما فاستقاءتا فقاءت كلُّ واحدةٍ عَلَقَةً مِن دَمٍ، فرجع إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فأخبره، فقال: «**والذي نَفْسِي بيَدِهِ لو بَقِيَتَا في بُطُونِهما لأَكَلَتْهُما النَّارُ**».

وقد أخذ الإمام الأوزاعيُّ بهذا الحديث والذي قبله فقال: «إنَّ الغِيبةَ تُفْطِر الصائم، وتُوجِب عليه قضاء ذلك اليوم».

وحكي عن عائشة أُمِّ المؤمنين رضي الله عنها، وعن إبراهيم النَّخَعيِّ - شيخ أبي حنيفة- قال: «كانوا يقولون الكذب يُفطِر الصائم».

وذهب ابن حزمٍ إلىٰ أنَّ كلَّ معصيةٍ كيفما كانت تُبطِل الصوم وتُفْسِدُه، لكن الجمهور يرون أنَّ المعاصي من غِيبةٍ وغيرها، إنما تُبطل ثواب الصوم وتُذهِب فائدته المُترتِّبة عليه من قبول الدعاء وغفران الذنوب، وكفىٰ بهذا خِزْيًا وحِرْمانًا، ولهذا حَضَّ السَّلَفُ علىٰ صيانة الصوم وحِفْظِهِ من الآفات.

فروىٰ ابن أبي شيبة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «ليس الصِّيامُ من الشَّرابِ والطَّعامِ وَحْدَهُ، ولكنه من الكَذَبِ، والبَاطِلِ واللَّغْوِ». ورُوي أيضًا عن عليٍّ كرم الله وجهه مثله.

وروي أيضًا عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: «إذا صُمتَ فليَصُم سَمْعُك، وبَصَرُك، ولِسَانُك عن الكَذَبِ والمَأْثَمِ، ودَعْ أذىٰ الخادم، وليكن عليك وقارٌ وسكينةٌ يوم صيامك، ولا تجعل يومَ فِطْرِكَ ويَوْمَ صَوْمِكَ سواءٌ».

وقال أبو ذرٍّ رضي الله عنه: «إذا صُمْتَ فتحَفَّظ ما استطعتَ».

وكان أبو هريرة وأصحابه إذا صاموا جلسوا في المسجد وقالوا: «نُطَهِّر صِيامنا». وقال ميمون بن مهران: «أهون الصومِ تَرْكُ الطعامِ والشَّرابِ».

مضاعفات الحسنات والسيِّئات في رمضان

ولا شكَّ أنَّ الحسنات والسيِّئات تُضاعَفُ بحسب الشخص والزمان والمكان، فالحسنة في نَفْسِها حسنةٌ، ولكنَّها مِن رجال الدين وأهل الحكم أحسن، والسيِّئة في نَفْسِها سيِّئةٌ ولكنها ممن يُقتدىٰ به أسوأ، وكذلك بالنسبة للمكان والزمان، ولهذا كانت الحسنات والسيِّئات في شهر رمضان مُضاعفةً؛ لحُرمَة هذا الشهر العظيم.

ففي معجمَي الطبرانيِّ "الأوسط" و"الصغير" عن أمِّ هانئ بنت أبي طالبٍ رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ أمتي لم يُخْزَوا ما أقاموا شهرَ رمضانَ**»، قيل: يا رسول الله: وما خِزْيهم في إضاعة شهر رمضان؟ قال: «**انْتِهَاكُ المَحَارِمِ فيه، مَن زَنَى فيه أو شَرِبَ فيه خَمْرًا لَعَنَهُ اللهُ ومَن في السَّمواتِ إلى مِثْلِهِ مِن الحَوْلِ، فإن ماتَ قبل أن يُدْرِكَهُ رمضانُ لم تبقَ له عند الله حَسَنةٌ يتَّقي بها النَّارَ، فاتقُوا شهرَ رمضانَ؛ فإنَّ الحَسناتِ تُضاعَفُ فيه مالا تُضَاعَفُ فيما سِواهُ، وكذلك السيِّئاتُ**».

الصيام على أنواع

نقل ابن العربي المُعافريُّ عن بعض الزُّهَّاد أنَّ الصوم على أربعة أنواعٍ:

صيام العوامِّ: وهو الصوم عن الأكل والشُّرب والجِماع.

وصيام خَواصِّ العوامِّ: وهو هذا مع اجتناب المُحرَّمات من قولٍ أو فعلٍ.

وصيام الخَواصِّ: وهو الصوم عن غير ذكر الله تعالى وعبادته.

وصيام خَواصِّ الخَواصِّ: وهو الصوم عن غير الله تعالى، فلا فِطْر لهم إلى يوم القيامة.

وهذا النوع الأخير أَحَدُ ما أُوِّل به قوله في الحديث القدسيِّ السابق: «**الصَّوْمُ لِي وأنا أَجْزِي بِهِ**» أي صوم خواصِّ الخواصِّ؛ لأنه صيامٌ عن جميع الكائنات، وفِطْرٌ على مشاهدة خالقها يوم القيامة، وهذا مقامٌ عالٍ كما قال الحافظ؛ فلا ينبغي حصر المراد من الحديث فيه لنُدْرَةِ وقوعه، وإنما يؤخَذ مِن الحديث بطريق الإشارة، ولعل قائله أراد ذلك لأنه منقولٌ عن بعض الزهَّاد والله أعلم.

المَحرُومُ من حُرِمَ خَيْر رمضان

أخرج الحاكم عن كعب بن عَجْرة -بفتح العين وسكون الجيم- رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**احْضَرُوا المِنْبَرَ**». فحَضَرْنا فلمَّا ارتقَى درجةً قال: «آمين». فلما ارتقَى الدرجة الثانية قال: «آمين». فلما ارتقَى الدرجة الثالثة قال: «آمين». فلما نزل قلنا: يا رسول الله، لقد سمعنا منك اليوم شيئًا ما كنَّا نسمعه؟ قال: «**إنَّ جبريلَ عَرَضَ لي فقال: بَعُدَ مَن أَدْرَكَ رمضانَ فلم يُغْفَرْ لَهُ. قلت: آمين، فلمَّا رَقِيتُ الثانية قال: بَعُدَ مَن ذُكِرْتَ عِنْدَهُ**

فلم يُصَلِّ عليك. فقلت: آمين، فلمَّا رَقِيتُ الثالثة، قال: بَعُدَ مَن أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ الكِبَرُ عِنْدَهُ أو أَحَدُهُما فلم يُدْخِلَاهُ الجنَّـةَ. قلت: آمين». صحَّحه الحاكم، وله طرقٌ وألفاظ.

ومعنى «بَعُد»: أبعده الله -كما جاء في رواية أخري- ومن أبعده الله دخل النار.

ومعنى قوله: «أَدْرَكَ رمضانَ فلم يُغْفَرْ لَهُ» أنه قصَّر في هذا الشهر بارتكاب المُخالفات ولم يُلهَم توبةً حتى انتهى رمضان ولم يُغْفَر له.

«بَعُد مَن ذُكِرْتَ عنده فلم يُصَلِّ عليك» وفي روايةٍ: «ومَن ذُكِرْتَ عنده فلم يُصَلِّ عليك فأَبْعَدَهُ اللهُ». وهذا يقتضي وجوب الصلاة عليه إذا ذكر اسمه -وهو كذلك- فإن تكرَّر ذكر اسمه في المجلس مرَّاتٍ كَفَت الصلاة عليه أول مرَّةٍ.

وقوله: «بَعُد مَن أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ الكِبَرُ -بكسر الكاف وفتح الباء وضم الراء- عنده أو أحدَهما -بفتح الدال- فلم يُدْخِلَاهُ الجنَّة» معناه أنه قصَّر في حَقِّ والديه الكبيرين، ولم يُبرِّهما فاستحقَّ البُعْدَ ودخول النار، نسأل الله السلامة والعافية.

فضل السحور

في "الصحيحين" وغيرهما عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «تَسَحَّرُوا فإنَّ في السَّحَوُرِ بَرَكَةٌ». «السَّحَوُر»: بفتح السين وبضمها.

وتوجيه ما فيه من البركة أنه اتباعٌ للسُّنَّة، ومُخالَفةٌ لأهل الكتاب، ويُقَوِّي على العِبادة.

وفي "صحيح مسلم" عن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله صلَّى الله

عليه وآله وسلَّم: «**فصل ما بين صِيامِنا وصِيامِ أهل الكتابِ أَكْلَةُ السَّحَرِ**». يعني أنَّ السَّحُور هو الفارق بين صيامنا وصيام أهل الكتاب؛ لأن الله أباح لنا ما حرَّم عليهم، ومخالفتنا لهم تقع موقع الشكر على تلك النعمة.

وفي "المسند" بإسنادٍ قويٍّ عن أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**السَّحُورُ كُلُّهُ بَرَكَةٌ فلا تَدَعُوهُ ولو أنْ يَجْرَعَ أَحَدُكُمْ جَرْعَةً مِن ماءٍ، فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ وملائكَتَهُ يُصَلُّونَ على المُتَسَحِّرين**». صلاة الله على عبده: رحمته إيَّاه، وصلاة الملائكة: دعاءٌ واستغفارٌ.

تنبيهات

الأول: ينبغي تأخير السَّحُور وتعجيل الفِطْر، وأن يكونا على تمرٍ أو فيهما تمرٌ لما ورد في ذلك من الأحاديث، ففي "الصحيحين" عن سهل بن سعدٍ رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لا يَزَالُ النَّاسُ بخَيْرٍ ما عَجَّلُوا الفِطْرَ**».

وفي "مسند أبي يعلى" عن أنسٍ قال: ما رأيتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قَطُّ صَلَّى المَغْرِبَ حتَّى يُفْطِرَ ولو على شَرْبَةٍ مِن ماءٍ. صحَّحه ابن خزيمة وابن حِبَّان.

وفي "أوسط معاجم الطبراني" بإسنادٍ صحيحٍ عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**إنَّا مَعْشَرَ الأنبياءِ أُمِرْنا أن نُعَجِّلَ فِطْرَنا، وأن نُؤَخِّرَ سَحُورنا، وأن نَضَعَ أَيْمانَنا** –بفتح الهمزة– **على شَمائِلِنا في الصَّلاةِ**».

فالسَّحُور من سُنن الأنبياء أعطاه الله لهذه الأُمَّة إكرامًا لنبيِّها صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

وفي "سنن أبي داود" عن أبي هريرة أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**نِعْمَ سَحُورُ المُؤمِنِ التَّمْرُ**». صحَّحه ابن حِبَّان.

وفي "سنن أبي داود"، و"الترمذي"، و"ابن ماجه"، عن سلمان بن عامر الضبيِّ رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إذا أَفْطَرَ أَحَدُكُمْ فليُفْطِرْ على تَمرٍ فإنه بَرَكَةٌ، فإنْ لم يَجِدْ تَمْـرًا فالماءُ فإنه طَهُورٌ**». صحَّحه الترمذيُّ وابن حِبَّان.

وفي "مسند أبي يعلى" عن أنسٍ قال: كان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يُحبُّ أن يُفْطِرَ على ثلاث تمراتٍ أو شيءٍ لم تُصِبْهُ النَّارُ.

الثاني: طعام السَّحُور إذا كان حلالًا من النعيم الذي لا يُحاسب عليه لما رواه البزَّار والطبرانيُّ في "الكبير" عن ابن عبَّاسٍ: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ثلاثةٌ ليس عليهم حِسابٌ فيما طَعِمُوا -إن شاء الله تعالى- إذا كان حلالًا: الصَّائِمُ، والمُتَسَحِّر، والمُرابِطُ في سبيل الله**». في إسناده ضعفٌ.

الثالث: ينبغي للصائم عند إفطاره أن يقول ما ورد في ذلك، ففي "سنن أبي داود" و"النسائي" عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إذا أفطر قال: «**ذَهَبَ الظَّمَأُ وابْتَلَّتِ** -بتشديد اللام- **العُرُوقُ، وثَبَتَ الأَجْرُ إن شاء الله تعالى**».

وفي "أوسط معاجم الطبراني" عن أنسٍ قال: كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إذا أفطر قال: «**بسم الله اللهمَّ لك صُمْتُ وعلي رِزْقِكَ أَفْطَرْتُ**».

ورواه الطبرانيُّ في "الكبير" من حديث ابن عبَّاسٍ وزاد في آخره: «**فتقبَّل مِنِّي إنَّك أنتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ**».

وروى ابن السنِّي عن معاذ بن زهرة: كان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إذا أفطر قال: «**الحمدُ لله الذي أَعَانَنِي فصُمْتُ، ورَزَقَنِي فأَفْطَرْتُ**».

هذه جملة أذكارٍ واردةٍ يختار الصائم منها ما شاء، فإن شاء أن يجمعها كلها فليقل: «بسم الله، الحمد لله الذي أعانني فصُمْتُ، ورَزَقَني فأَفْطَرْتُ، اللهمَّ لكَ صُمْتُ، وعلى رِزْقِكَ أَفْطَرْتُ، فتقَبَّل مِنِّي إنَّك أنتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ، ذَهَبَ الظَّمَأُ وابْتَلَّتِ العُروقُ وثَبَتَ الأَجْرُ إن شاء الله تعالى».

تقدَّم أنَّ للصائم عند فَطْرِهِ دعوةٌ ما تردُّ، فلا ينسَى أن يدعو بما شاء من الخير.

قيام رمضان

في "الصحيحين" عن أبي هريرة قال: سمعتُ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**مَن قامَ رمضانَ إيمانًا واحْتِسَابًا غُفِرَ له ما تقدَّم مِن ذَنْبِهِ**».

لا خلاف أنَّ قيام رمضان مندوبٌ وليس بواجبٍ، كما ثبت في "الصحيحين" وغيرهما.

عن أبي هريرة قال: كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يُرَغِّبُ في قيام رمضان من غير أن يأمرهم بعزيمةٍ، ثُمَّ يقول: «**مَن قَامَ رمضانَ إيمانًا واحْتِسَابًا غُفِرَ له ما تَقدَّمَ مِن ذَنْبِهِ**».

ثُمَّ اختلف بعد ذلك هل فَعْلُه بالبيت أفضل أو بالمسجد؟ فاستحبَّ مالكٌ أن يكون في البيت؛ لحديث: «**صلاة أَحَدِكُم في بَيْتِهِ أفضل إلَّا المَكْتوبةُ**». ولأنه أحوط لسلامة النيَّة. واستحبَّ غيره أن يكون في المسجد؛ لأنه فعله صلَّى الله

عليه وآله وسلَّم ولأن عمر استحسنه حين رأىٰ الناس عليه.

قال الليث بن سعدٍ: «لو أقامه الناس في البيوت وعَطَّلوا المساجد منه أُجْبِرُوا علىٰ الخروج؛ لأن قيام رمضان من الأمر الذي لا ينبغي تركه».

وبكونه في المسجد أفضل أخذ أحمد والحنفية وابن عبدالحكم من أئمَّة المالكية، واختلف فيه أصحاب الشافعيِّ.

قيامه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالناس في رمضان

في "الصحيحين" عن عائشة رضي الله عنها: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم خَرَجَ من جوف الليل فصلَّىٰ في المسجد -تعني في رمضان كما في روايةٍ للبخاريِّ- فصَلَّىٰ رجالٌ بصلاته، فأصبح الناس يتحدَّثون بذلك، فاجتمع أكثر منهم فخرج رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في الليلة الثانية فصَلُّوا بصلاته، فأصبح الناس يذكرون ذلك، فكَثُر أهل المسجد في الليلة الثالثة فخرج فصَلُّوا بصلاته، فلمَّا كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله، فلم يخرج إليهم رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فطَفِقَ منهم رجالٌ يقولون: الصلاة، فلم يخرج إليهم رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حتىٰ خرج لصلاة الفجر، فلمَّا قضىٰ صلاة الفجر أقبل علىٰ الناس ثُمَّ تشهَّد فقال: **«أمَّا بعد، فإنه لم يَخْفَ عليَّ شَأْنُكم الليلة، ولكني خَشِيتُ أن تُفْرَضَ عليكم صلاة الليل فتَعْجَزُوا عنها»**.

يؤخذ من هذا الحديث استحباب قيام رمضان جماعةً في المسجد، وإنما تركه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم رِفْقًا بأُمَّته لئلَّا يُفْرَضَ عليهم، وهو بالمؤمنين رؤوفٌ رحيمٌ كما قال عنه خالقه ومولاه. قال الزهريُّ: فتُوفِّي رسول الله صلَّىٰ الله عليه

وآله وسلَّم والناس على ذلك -أي على ترك الجماعة في القيام- ثُمَّ كان الأمر على ذلك في خلافة أبي بكرٍ وصدرًا من خلافة عمر رضي الله عنه.

قال عبدالرحمن بن عبدٍ -بالتنوين- القاري: خرجت مع عمر بن الخطاب ليلة في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاعٌ متفرِّقون يُصَلِّي الرجل لنَفْسِهِ ويُصَلِّي الرجل فيصلِّي بصلاته الرَّهْطُ، فقال عمر: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئٍ واحدٍ لكان أمثل، ثُمَّ عَزَمَ فجمعهم على أُبيِّ بن كعبٍ، ثُمَّ خرجت معه ليلةً أخرى والناس يصلُّون بصلاة قارئهم قال عمر: «نِعْمَتِ البدعة هذه، والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون» -يريد آخر الليل- وكان الناس يقومون أوَّله، وهذا بدء اجتماع الناس على صلاة القِيام في المسجد.

عدد ركعات القيام

ثبت في "الصحيحين" عن عائشة رضي الله عنها، وقد سألها أبو سلمة بن عبدالرحمن: كيف كانت صلاة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في رمضان؟ فقالت: ما كان يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعةً، يُصَلِّي أربعًا فلا تسأل عن حُسْنِهِنَّ وطُولهنَّ، ثُمَّ يصلِّي أربعًا فلا تسأل عن حُسْنهنَّ وطُولهنَّ، ثُمَّ يصلِّي ثلاثًا، فقلت: يا رسول الله، أتنام قبل أن تُوتِرَ؟ قال: «**يا عائشةُ، إنَّ عَيْنَيَّ تنامَانِ ولا يَنامُ قَلْبِي**».

وأخرج ابن أبي شيبة والطبرانيُّ، عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يُصَلِّي في رمضان عشرين ركعةً والوِتْر. إسناده ضعيفٌ.

قال الحافظ: «وقد عارضه حديث عائشة هذا المُخرَّج في "الصحيحين" مع كونها أعلم بحال النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ليلًا من غيره».اهـ

قلت: ويعارضه أيضًا ما رواه أبو يعلىٰ، والطبرانيُّ في "الصغير"، عن جابرٍ رضي الله عنه قال: صلَّىٰ بنا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في شهر رمضان ثمان ركعاتٍ وأوتر، فلمَّا كانت القابِلَةُ اجتمعنا في المسجد ورَجَوْنا أن يخرج إلينا، فلم نزل فيه حتىٰ أصبحنا، ثُمَّ دخلنا فقلنا يا رسول الله اجتمعنا في المسجد ورَجَوْنا أن تُصَلِّي بنا! قال: «**إني خشيتُ** -أو: **كَرِهْتُ**- **أن يُكْتَبَ عليكم**». في إسناده ضعفٌ.

والمقصود: أنه لم يصح عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أنه صلَّىٰ في رمضان أكثر من ثمان ركعاتٍ غير الوِتْر، فمن اقتصر عليها في قيامه فهو أفضل، ومَن زاد عليها فلا حَرَجَ؛ لأن الشرع لم يمنع من الزيادة علىٰ ثمان ركعاتٍ، ولأنه ثبت عن السَّلَف أنهم صلُّوا عشرين ركعةً وأكثر وأقل.

فعن داود بن قيس قال: أدركت الناس في إمارة أبان بن عثمان وعمر بن عبدالعزيز -يعني في المدينة- يقومون بستٍ وثلاثين ركعةً ويوترون بثلاثٍ وقال مالكٌ: هو الأمر القديم عندنا.

وعن الزعفرانيِّ، عن الشافعيِّ قال: رأيت الناس بالمدينة يقومون بتسع وثلاثين وبمكَّة بثلاث وعشرين، وليس في شيءٍ من ذلك ضيقٌ.

وعن نافعٍ قال: لم أدرك الناس إلَّا وهم يصلُّون تسعًا وثلاثون يوترون منها بثلاثٍ. وعن زرارة بن أوفىٰ أنه كان يُصَلِّي بهم بالبصرة أربعًا وثلاثين ويُوتِر.وعن سعيد بن جبيرٍ أربعًا وعشرين، وقيل: ست عشرة غير الوِتْر.

وعلىٰ هذا جرىٰ العمل عندنا بالمغرب، يصلُّون بعد العشاء ثمان ركعاتٍ جماعةً في المسجد، ثُمَّ يعودون بعد السَّحُور فيصلُّون ثمانيًا أخرىٰ ويوترون بثلاثٍ.

وقال الترمذيُّ: «أكثر ما قيل فيه أنها تُصَلَّىٰ إحدىٰ وأربعين ركعةً، يعني بالوتر.

وعن السائب بن يزيد قال: «كنَّا نصلِّي زمن عمر في رمضانَ ثلاث عشرة ركعةً، قال ابن إسحاق: هذا أثبت ما سمعتُ في ذلك.اهـ

قال الحافظ: «وهو موافقٌ لحديث عائشة في صلاة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من الليل».اهـ والله أعلم.

ليلة القدر

سُمِّيت ليلة القَدْرِ لتقدير الله تعالىٰ فيها ما يكون في تلك السَّنَة من الأرزاق والآجال وغير ذلك، والمراد بهذا التقدير إظهار ذلك للملائكة عليهم السلام، وهي المراد بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ﴾ [الدخان: ٣ - ٥].

وذهب الروافض إلىٰ أنَّ ليلة القَدْرِ رُفِعَتْ ولم يعد لها وجودٌ، ولكن الذي أجمع عليه أهل السُّنَّة أنها باقيةٌ مُستمِرَّةٌ إلىٰ يوم القيامة، وإنما رُفع تعيينها لا غير.

وقد روىٰ عبدالرزَّاق عن عبدالله بن يَـخْنَس قال: قلت لأبي هريرة: زعموا أنَّ ليلة القَدْر رُفعت، قال: «كذب مَن قال ذلك».

ورُوي عن عبدالله بن شريك قال: ذكر الحجَّاج ليلة القَدْر فكأنه أنكرها، فأراد زِرُّ بن حُبَيشٍ أن يَـحْصِبَهُ -أي يرميه بالحَصْباء- فمنعه قومُهُ.

متى تكون ليلة القدر؟

اختلف العلماء في تعيين ليلة القَدْرِ، وفي أي ليلة تكون؟ وذهبوا في ذلك مذاهب شتَّى وَصَلت إلى بضعةٍ وأربعين مذهبًا، كلُّ مذهبٍ استدل صاحبه بما ترجَّح عنده، وأقرب الأقوال فيها أنها في رمضان وفي العشر الأواخر وأنها ليلة سبعٍ وعشرين، وهو مذهب جماعةٍ من الصحابة منهم: أُبيٍّ بن كعبٍ وعمر وابنه حذيفة، وهو الجادَّة مِن مذهب أحمد ورواية عن أبي حنيفة، وقول أكثر العلماء.

علامة ليلة القدر

في "صحيح مسلم" عن زِرٍّ بن حُبَيشٍ قال: سمعت أُبيَّ بن كعبٍ يقول -وقيل له إنَّ عبدالله بن مسعودٍ يقول: «مَن قامَ السَّنَةَ أصابَ ليلةَ القَدْرِ»-: «والله الذي لا إله إلَّا هو إنها لفي رمضان -يحلف ما يستثني- ووالله إني لأعلم أي ليلةٍ هي، هي الليلةُ التي أَمَرَنَا رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بقيامها، هي ليلةُ صَبِيحَةِ سبعٍ وعشرين، وأَمَارتُها أن تطلع الشمس في صَبيحَةِ يومها بيضاءَ لا شُعاعَ لها».

وعدم شعاعها: قيل لأن الله سبحانه وتعالى لم يخلق لها يومئذٍ علامة لذلك، وقيل لأن الملائكة -عليهم السلام- حجبته بكثرة اختلافهم في النزول والصعود تلك الليلة بكلِّ أمرٍ حكيمٍ وبالثواب والأُجُور. قاله الأُبِّي.

وفي "صحيح مسلم" أيضًا عن أبي هريرة قال: تذاكرنا ليلة القَدْرِ عند رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**أَيُّكُمْ يَذْكُرُ حين طَلَعَ القَمَرُ وهو مِثْلُ شِقِّ جَفْنَةٍ؟**».

قال أبو الحسن القابسيُّ: أي ليلة سبع وعشرين؛ فإنَّ القمر يطلع فيها بتلك الصِّفَةِ. وأخرج البزَّار عن ابن عبَّاسٍ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لَيْلَةُ القَدْرِ طَلْقَةٌ لا حَارَّةٌ ولا بَارِدَةٌ**».

وفي "المسند" بإسنادٍ رجاله ثقاتٌ، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لَيْلَةُ القَدْرِ في العَشْرِ البَوَاقِي مَن قامَهنَّ ابتغاء حِسْبَتِهنَّ فإنَّ الله تبارك وتعالى يَغْفِرُ له ما تقدَّم مِن ذَنْبِهِ وما تأخَّر، وهي ليلةُ وِتْرٍ تسعٍ أو سبعٍ أو خامسةٍ أو ثالثةٍ أو آخِر ليلةٍ**».

وقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ أَمَارَةَ لَيْلَةِ القَدْرِ أنها صافيةٌ بَلْجَةٌ، كأن فيها قَمَرًا ساطِعًا، ساكنةٌ لا بَرْدَ فيها ولا حَرَّ، ولا يَحِلُّ لكَوْكَبٍ يُرْمَى بِهِ فيها حتَّى تُصْبِحَ، وأنَّ أمارتها أنَّ الشمسَ صَبيحَتها تَخْرُجُ مُستويةً ليس لها شُعاعٌ مثل القَمَرِ ليلةَ البَدْرِ، لا يَحِلُّ للشيطان أن يَخْرُجَ معها يومئذٍ**». «بَلْجَةٌ»: مُشْرِقَةٌ.

استنباط ابن عبَّاسٍ تعيين ليلة القدر

زَعَمَ ابن قدامة أنَّ ابن عبَّاسٍ استنبط تعيين ليلة القَدْرِ من عدد كلمات السورة، وأنَّ كلمة ﴿هِيَ﴾ من قوله: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾ [القدر: ٥] سابع كلمةٍ بعد العشرين من قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [القدر: ١] الآية، فتكون ليلة القَدْرِ ليلة سبعٍ وعشرين.

ونقله ابن حزمٍ عن بعض المالكيَّة وبالغ في إنكاره، وقال ابن عطية: «إنَّ هذا مِن مُلَحِ التفاسير وليس من متين العِلْم».

واستنبط بعضهم ذلك من جهةٍ أخرى فقال: «ليلة القَدْرِ تسعة أحرفٍ،

وقد أعيدت في السورة ثلاث مرَّاتٍ فذلك سبع وعشرين».اهـ

وهذه الاستنباطات ليست من العلم في شيءٍ، ولم يصح ما نقل منها عن ابن عبَّاسٍ ولا غيره، والمعروف أن استنباط المعاني من عدد الحروف والكلمات بحساب الجمل الكبير والصغير عادةٌ يهوديةٌ، تلقَّاها أصحاب الطَّوالع وضارِبُو الرَّمل، وبنوا عليها قواعد علمهم الكاسد، ثُمَّ اعتمدها في هذا الزمان طوائف كافرةٌ مثل البهائية لعنهم الله، وجعلوها أُسَّ استدلالاتهم وقطب رحىٰ استنباطهم، وهي في الواقع لا تُسْمِن ولا تُغْنِي من جُوعٍ.

نعم استنبط ابن عبَّاسٍ ليلة القَدْرِ بطريقٍ أُخرىٰ، فروىٰ عبدالرزَّاق والطبرانيُّ وغيرهما عن ابن عبَّاسٍ قال: دعا عمر أصحاب رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فسألهم عن ليلة القَدْرِ فأجمعوا علىٰ أنها في العشر الأواخِر، قال ابن عبَّاسٍ: فقلت لعمر: إني لأعلم أو أظنُّ أيَّ ليلةٍ هي. فقال أيُّ ليلةٍ هي؟ فقلت: سابعةٌ تمضي أو سابعةٌ تبقىٰ من العشر الأواخِر. فقال عمر: من أين علمتَ ذلك؟ قلت: خَلَقَ اللهُ سبع سماواتٍ وسبع أرضين، وسبعة أيامٍ، وإنَّ الشهر يدور علىٰ سبعٍ، وخلق الإنسان من سبعٍ، ويأكل من سبعٍ، ويسجد علىٰ سبعٍ، والطواف بالبيت سبعٌ، ورَمْيُ الجِمار سبعٌ، وأشياء ذكرها، فقال عمر: لقد فَطِنْتَ لأَمْرٍ ما فَطِنَّا له.

وكان قتادة يزيد عن ابن عبَّاسٍ في قوله ويأكل من سبعٍ قال: هو قول الله تعالىٰ: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ٢٧ وَعِنَبٗا﴾ [عبس: ٢٧ - ٢٨] الآية.

قال الحافظ ابن كثيرٍ: «إسناده جيِّدٌ قويٌّ ولكن المتن غريبٌ جدًّا».اهـ

قلت: يعني أنَّ في هذه القصة غرابةٌ ونَكَارةٌ، وهو كذلك، فالله أعلم

بصحَّة هذا الكلام عن ابن عبَّاسٍ.

تنبيه: قال صاحبا "الكافي" و"المحيط" من الحنفية: من قال لزوجه أنت طالق ليلة القَدْر طلقت ليلة سبع وعشرين؛ لأن العامَّة تعتقد أنها ليلة القَدْرِ.

قصة المتخاصمين التي بسببها رفع تعيين الليلة

في "الصحيحين" عن عبادة بن الصامت قال: خرج النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ليُخْبِرنا بليلة القَدْرِ، فتلَاحَى رجلان من المسلمين فقال: «**خَرَجْتُ لأُخْبِرَكُم بليلة القَدْرِ فتَلَاحَى فلانٌ وفلانٌ فرُفِعَتْ، وعسى أن يكون خَيْرًا لكم، فالتمِسُوها في التاسعة والسابعة والخامسة**».

وفي رواية لمسلم: «**فجاء رجلان يختصمان، معهما الشيطان**».

وفي رواية ابن إسحاق أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لقيهما عند سدة المسجد فحجز بينها فكانت المُخاصمة والملاحاة شؤمًا على الأُمَّة، حيث رفع بسببها تعيين الليلة، والله أعلم.

هل علمها النبي بعد نسيانها؟

روى محمد بن نصرٍ، عن واهب المغافريِّ: أنه سأل زينب بنت أُمِّ سلمة: هل كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يعلم ليلة القَدْرِ؟ فقالت: لا، لو علمها لما أقام الناس غيرها.

قال الحافظ: وهذا قالته احتمالًا وليس بلازمٍ، لاحتمال أن يكون التعبُّد وقع بذلك أيضًا فيحصل الاجتهاد في جميع العشر.

قلت: والصحيح أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان يعلمها وذلك لأمرين:

أحدهما: ما نقله البخاريُّ في "الصحيح" في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القدر: ٢] عن سفيان بن عُيَيْنَة قال: «كلُّ شيءٍ من القرآن «وما أدراك» فقد أخبره به، وكلُّ شيءٍ فيه «وما يُدْريك» فلم يخبره به».

ثانيهما: ما رواه الطبرانيُّ في "الكبير" بإسنادٍ حسنٍ، عن عبدالله بن أنيسٍ قال: يا رسول الله، أخبرني أيُّ ليلةٍ تُبْتَغَىٰ فيها ليلة القَدْرِ؟ فقال: «**لولا أن تَتْرُكَ النَّاسُ الصَّلاةَ إلَّا تلك الليلةَ لأَخْبَرْتُكَ**».

وفي "مسند البزَّار" بإسنادٍ رجاله ثقاتٌ، عن مَرْثَد قال: لقيت أبا ذرٍّ عند الجمرة الوسطىٰ فسألته عن ليلة القَدْرِ، فقال: ما كان أحدٌ بأسأل عنها مِنِّي، قال: قلتُ يا رسول الله، أنزلت علىٰ الأنبياء بوحي إليهم ثُمَّ ترفع؟ قال: «**بل هي يوم القيامةِ**».

قلت: يا رسول الله، أيتهنَّ هي؟ قال: «**لو أُذِنَ لي لأَنبَأْتُكَ بها ولكن التمِسْهَا في التسعَين والسبعَين** -بفتح العين فيهما- **ولا تسألني بعدها**».

قال: ثُمَّ أقبل رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فجعل يُحدِّث، قلت: يا رسول الله في أي السبعَين هي؟ فغضب عليَّ غضبةً لم يغضب عليَّ قبلها ولا بعدها مثلها، ثُمَّ قال: ألم أَنْهَكَ عنها لو أُذِنَ لي لأنبأتك بها، ولكن -وذكر كلمة- **أن تكون في السبع الأواخِر**».

ففي هذا دليلٌ علىٰ أنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أُعلمها بعد أن نُسيِّها، ولم يُؤذَن له في تعيينها لئلا يتَّكِل الناس ويتركوا العبادة طول السَّنَة؛ اعتمادًا علىٰ أنَّ ليلة القَدْرِ تُكَفِّر كلَّ الذنوب.

هل يُخبِر بها مَن رآها؟

ذكر تقيُّ الدين السُّبكيُّ في "الحلبيات" استنباطًا من قصة المتخاصمين التي أوردناها آنفًا أنه يؤخَذ منها استحباب كتمان ليلة القَدْرِ لمن رآها، قال: «ووجه الدلالة أنَّ الله قدَّر لنبيه أنه لم يخبر بها والخير كلُّه فيما قَدَّر له، فيستحب اتباعه في ذلك»، قال: «والحِكْمة فيه أنه كرامةٌ، والكرامة ينبغي كتمانها بلا خلافٍ بين أهل الطريق من جهة رؤية النفس فلا يأمن السَّلْب، ومن جهة أن لا يأمن من الرِّياء، ومن جهة الأدب فلا يتشاغل عن الشكر لله بالنظر إليها وذكرها للناس، ومن جهة أنه لا يأمن الحسد فيوقع غيره في المحذور، ويستأنس له بقول يعقوب عليه السَّلام: ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ﴾ [يوسف: ٥] الآية».

كيف يراها الرائي؟

اختلف العلماء هل لها علامةٌ تظهر لمن وفقت له؟، فقيل: يرىٰ كلَّ شيءٍ ساجدًا، وقيل: يرىٰ الأنوار في كلِّ مكانٍ ساطعةً حتىٰ في المواضع المُظلِمة، وقيل: يسمع سلامًا أو خطابًا من الملائكة، وقيل: علامتها استجابة دعاء من وفقت له، واختار الطبرانيُّ: «أن جميع ذلك غير لازمٍ، وأنه لا يشترط لحصولها رؤية شيءٍ ولا سماعه».اهـ، والله أعلم.

هل كانت ليلة القدر في الأمم من قبلنا؟

اختلف العلماء هل كانت ليلة القَدْرِ في الأُمَمِ السابقة، أو هي من خصائص هذه الأُمَّة؟ ففي "الموطأ" قال مالكٌ أنه سمع من يثق به من أهل العلم يقول: إنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم رأىٰ أعمار الناس قبله أو ما شاء الله من ذلك، فكأنه تقاصَرَ أعمار أُمَّته لا يبلغوا من العمل مثل الذي بلغ

غيرهم؛ فأعطاه الله ليلة القَدْرِ خيرًا من ألف شهرٍ. هكذا جاء مرسلًا، وروي مُسندًا من وجهٍ آخَر.

وهذا يقتضي أنها خاصَّةٌ بهذه الأُمَّة، وبه جَزَمَ ابن حبيبٍ وغيره من المالكية، ونقله هو وصاحب "العدة" من الشافعية عن الجمهور، وحكى الخطَّابيُّ الإجماع عليه، لكن الحديث يدل على خلاف ذلك.

ففي "المسند" و"سنن النَّسائي" عن أبي ذَرٍّ: قلت: يا رسول الله، أخبرني عن ليلة القدر، أفي رمضان أم في غيره؟ قال: «**بل هي في رمضان**». قلت: تكون مع الأنبياء ما كانوا فإذا قبضوا رفعت، أم هي إلى يوم القيامة؟ قال: «**بل هي إلى يومِ القيامَةِ**». وقد تقدَّم قريبًا، وهو صريحٌ في أنَّ ليلة القَدْرِ كانت موجودةً في الأمم السابقة، وإليه مال الحافظان ابن كثيرٍ وابن حجرٍ العسقلانيُّ، زاد الحافظ ابن حجرٍ: أنَّ ما رواه مالكٌ واعتمده الجمهور يحتمل التأويل فلا يدفع الصريح في حديث أبي ذرٍّ.

والواقع أنه لم يرد حديثٌ صحيحٌ يدل على اختصاصها بهذه الأُمَّة، بل قوله تعالى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ﴾ [الدخان: ٤ - ٥] يقتضي إنها لو كانت في الأمم السابقة أيضًا وإنما الذي يعد من خصوصيَّات هذه الليلة إنزال القرآن في هذه الليلة، والله أعلم.

قيام ليلة القدر يُكفِّر الذنوب

في "الصحيحين" وغيرهما، عن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إيمانًا واحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، ومَنْ صَامَ رمضانَ إيمانًا واحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**». زاد في بعض الروايات

عند النَّسائيِّ وغيره: «**وما تأخَّر**». وفي هذه الزيادة كلامٌ استوعبه الحافظ في كتاب "الخِصال المُكَفِّرة للذنوب المُقدَّمَة والمُؤخَّرَة".

هل يعطى ثوابها وإن لم يعلمها؟

اختلف العلماء هل يحصل الثواب المُرتَّب على ليلة القَدْرِ لمن اتفق له أنه قامها وإن لم يظهر له شيءٌ؟ أو يتوقَّف ذلك على كشفها له؟، ذهب الطبريُّ والمهلب وابن العربي وجماعةٌ إلى الأول، وذهب الأكثر إلى الثاني.

قال الحافظ: ويدل له ما وقع عند مسلمٍ من حديث أبي هريرة بلفظ: «**مَن يَقُمْ لَيْلَةَ القَدْرِ فيُوافِقها**».

وفي حديث عبادة عند أحمد: «**مَن قَامَها إيمانًا واحْتِسَابًا ثُمَّ وُفِّقَتْ لَهُ**».

قال النوويُّ: «معنى أنه يوافقها أي يعلم أنها ليلة القَدْرِ فيوافقها، ويحتمل أن يكون المراد: يوافقها في نفس الأمر وإن لم يعلم هو ذلك».

وفي حديث زرِّ بن حبيشٍ، عن ابن مسعودٍ قال: «**مَنْ يَقُمْ الحَوْلَ يُصِبْ ليلةَ القَدْرِ**». وهو محتمل للقولين أيضًا.

وقال النوويُّ أيضًا في حديث: «**مَن قَامَ رمضانَ**» وفي حديث «**مَن قامَ ليلةَ القَدْرِ**»: «معناه: من قامه ولو لم يوافق ليلة القدر، ومن قام ليلة القدر فوافقها حصل له، وهو جارٍ على ما اختاره من تفسير الموافقة بالعلم».

قال الحافظ: «وهو الذي يترجَّح في نظري، ولا أنكر حصول الثواب الجزيل لمن قام لابتغاء ليلة القدر وإن لم يعلمها ولو لم توفق به، وإنما الكلام على حصول الثواب المُعيَّن الموعود به، وفرَّعوا على القول باشتراط العلم جواز

أن يعلم بها شخصٌ دون شخصٍ، فيكشف لواحدٍ ولا يكشف لآخَر ولو كانا معًا في بيتٍ واحدٍ».اهـ

هل تمكن رؤيتها؟

تقدَّم أنَّ لها علامات تُعرف بها ويراها من وفقت له، ولكن ابن جريرٍ الطبريَّ لا يوافق على ذلك بل يرى في إخفاء ليلة القَدْرِ وعدم تعيينها دليلًا على كذب من يزعم أنه يظهر في تلك الليلة للعيون ما لا يظهر في سائر السَّنَة، قال: «إذ لو كان ذلك حقًّا لم يخفَ على كلِّ من قام ليالي السَّنَة فضلًا عن ليالي رمضان».

وتعقَّبه ابن المنير بأنه: «لا ينبغي إطلاق قول بالتكذيب لذلك، بل يجوز أن يكون ذلك على سبيل الكرامة لمن شاء الله، فيختص بها قومٌ دون قومٍ، والنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لم يحصر العلامة ولم ينفِ الكرامة».اهـ

أقل ما يحصل به قيام الليل

قال مالكٌ في "الموطأ": بلغني أنَّ سعيد بن المسيِّب قال: من شهد العشاء ليلة القَدْرِ –يعني في جماعة– فقد أخذ بحظِّه منها.

وقال الشافعيُّ في القديم: من شهد العشاء والصبح ليلة القَدْرِ فقد أخذ بحَظِّه منها.

وأخرج أبو الشيخ الأصبهانيُّ، ومن طريقه أبو موسى المدينيُّ بإسنادٍ ضعيفٍ، عن أبي هريرة مرفوعًا: مِن صلَّى العشاء الآخِرة جماعةً في رمضان فقد أدرك ليلة القَدْرِ.

وروى ابن أبي الدنيا عن أبي جعفر محمد بن عليٍّ مُرسلًا أنَّ النبيَّ صلَّى الله

عليه وآله وسلَّم قال: «مَن أَتَى عليه رمضانُ صَحِيحًا مُسْلِمًا صامَ نَهارَهُ وصَلَّى وِرْدًا مِن لَيْلِهِ وغَضَّ بَصَرَهُ وحَفِظَ فَرْجَهُ ولِسَانَهُ ويَدَهُ وحافَظَ على صَلاتِهِ في الجماعَةِ وبَكَّر إلى الجُمُعَةِ، فقد صَامَ الشَّهْرَ واسْتَكْمَلَ الأَجْرَ وأَدْرَكَ لَيْلَةَ القَدْرِ وفَازَ بجَائِزَةِ الرَّبِّ». وهو حديثٌ ضعيفٌ أيضًا.

وعلى كلٍّ ففضل الله واسِعٌ، ومَن شَهِد العِشاء والصبح جماعةً طول شهر رمضان فالرجاء ألَّا يُحرَم مِن ليلة القَدْرِ، وبالله التوفيق.

هل يستحب الاغتسال ليلة القدر؟

قال ابن جريرٍ الطبريُّ: كانوا يستحبُّون أن يغتسلوا كلَّ ليلةٍ من ليالي العشر الأواخِر.

وكان إبراهيم النَّخَعيُّ يغتسل ويتطيَّب في الليالي التي تكون أرجى لليلة القَدْرِ، وأمر زرُّ بن حبيش بالاغتسال ليلة سبع وعشرين من رمضان.

وكان أيوب السختيانيُّ التابعيُّ يغتسل ليلة ثلاث وعشرين وأربع وعشرين ويلبس ثوبين جديدين ويستجمر ويقول: ليلة ثلاث وعشرين هي ليلة أهل المدينة، والتي تليها ليلتنا، يعني البصريين.

وقال حمَّاد بن سلمة: كان ثابتٌ البُنانيُّ وحُميدٌ الطويل يلبسان أحسن ثيابهما ويُطيِّبان المسجد بالنضوح والدخنة في الليلة التي ترجى فيها ليلة القدر.

وقال ثابتٌ البُنانيُّ: كان لتميمٍ الداري حُلَّة اشتراها بألف درهم وكان يلبسها في الليلة التي ترجى فيها ليلة القدر.

وروي عن أنس بن مالكٍ أنه إذا كان ليلة أربع وعشرين اغتسل وتطيَّب

ولبس حلة إزارًا ورداءًا، فإذا أصبح طواهما فلم يلبسهما إلى مثلها من قابل.

قال الحافظ ابن رجبٍ: «تبيَّن بهذا أنه يستحبُّ في الليالي التي ترجَى فيها ليلة القَدْرِ التنظُّف والتزيُّن والتطيُّب بالغُسْل والطِّيب واللباس الحسن كما يشرع ذلك في الجُمُع والأعياد».

قلت: ورد أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان يغتسل في العشر الأواخر من رمضان، ذلك لمكان ليلة القَدْرِ، فأخرج ابن أبي عاصمٍ بإسنادٍ مقاربٍ عن عائشة قالت: كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إذا كان رمضان قام ونام فإذا دخل العشر شدَّ المِئْزَر، واجتنب النِّساء، واغتسل بين الأذانين –بين المغرب والعشاء– وجعل العَشاء سَحُورًا.

وعن عليٍّ عليه السَّلام أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان يغتسل بين العشاءين كل ليلةٍ. يعني العشر الأواخر، في إسناده ضعفٌ.

وروى ابن عاصمٍ عن حذيفة: أنه قام مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ليلةً من رمضان فاغتسل النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وستره حذيفة، وبقيت فضلةٌ فاغتسل بها حذيفة وستره النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

هل للنفساء والحائض نصيبٌ من ليلة القدر؟

قال جُوَيبِرٌ: قلت للضَّحَّاك: أرأيت النُّفَساء والحائض والمُسافِر والنائم لهم في ليلة القَدْرِ نصيبٌ؟ قال: نعم، كلُّ مَن تقبَّل الله عمله سيُعطِيه نصيبه مِن ليلة القدر.

ومعنى هذا أنَّ هؤلاء أحسنوا العمل في شهر رمضان فتقبَّل الله منهم، ومَن تقبَّل الله منه لم يحرمه نصيبه من ليلة القدر، والله أعلم.

أي العمل أفضل في هذه الليلة؟

قال سفيان الثوريُّ: «الدعاء في هذه الليلة أحبُّ إليَّ مِن كثرة الصلاة، قال: وإذا كان يقرأ وهو يدعو ويرغب إلى الله في الدعاء والمسألة لعله يوافق».اهـ

قال الحافظ ابن رجب: ومراده: أنَّ كثرة الدعاء أفضل من الصلاة التي لا يكثر فيها الدعاء وإن قرأ ودعا كان حسنًا.

وقد كان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يتهجَّد في ليالي رمضان ويقرأ قراءةً مُرتَّلةً لا يمرُّ بآيةٍ فيها رحمةٌ إلَّا سأل، ولا بآيةٍ فيها عذابٌ إلَّا تعوَّذ، فيجمع بين الصلاة والقراءة والدعاء والتفكُّر.

وقالت عائشة للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: أرأيتَ إن وافقت ليلة القَدْرِ ما أقول فيها؟ قال: «قولي: **اللهمَّ إنك عَفُوٌّ تحبُّ العَفْوَ فاعْفُ عَنِّي**». فالدعاء مُفضَّلٌ في هذه الليلة، والله أعلم.

إحياء ليلتي العيدين

يُستحَبُّ إحياء ليلة عيد الفطر وليلة عيد الأضحى بما تيسَّر مِن الذِّكر والصلاة لما ورد في إحيائهما من الأحاديث والآثار فإنها وإن كانت ضعيفةً، يعمل بها في مثل هذا الباب من فضائل الأعمال، ففي "سنن ابن ماجه" عن أبي أُمامة رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن قَامَ لَيْلَتَي العِيدينِ مُحْتسِبًا لم يَمُتْ قَلْبُه يومَ تَموتُ القُلُوبُ**».

وروى أبو قاسم الأصبهانيُّ في كتاب "الترغيب"، عن معاذ بن جبلٍ رضي الله عنهقال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن أحْيَا الليالي**

الخَمْسَ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ: ليلة التَّرْوِيَة، وليلة عَرَفة، وليلة النَّحْرِ، وليلة الفِطْرِ، وليلة النِّصْفِ مِن شعبانَ».

وفي "معجم الطبرانيِّ الكبير" و"الأوسط" عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «من أحيا ليلة الفِطْرِ وليلة الأَضْحَى لم يَمُتْ قَلْبُهُ يومَ تَمُوتُ القُلُوبُ».

ويُروَى عن عمر بن عبدالعزيز أنه كتب إلى عامله على البصرة: «عليك بأربع ليالٍ مِن السَّنَة فإنَّ الله يُفْرِغُ فيهنَّ الرحمة إفراغًا: أول ليلة من رجب، وليلة النصف من شعبان، وليلة الفِطْرِ، وليلة الأَضْحَى».

وقال الإمام الشافعيُّ: «بلغنا أنَّ الدعاء يُستجَابُ في خمس ليالٍ: ليلة الجُمُعة، والعيدين، وأول رجب، ونصف شعبان».

هل يكون إحياء ليلتي العيدين في جماعة؟

اختلف العلماء هل يستحبُّ إحياء هاتين الليلتين في جماعةٍ أو لا؟ وعن الإمام أحمد في ذلك روايتان، قال في روايةٍ: لا يستحبُّ إحياؤها جماعةً؛ لأنه لم يُنقَل عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وأصحابه.

وقال في روايةٍ أخرى: يُستحَبُّ؛ لفعل عبدالرحمن بن يزيد بن الأسود لذلك، وهو من التابعين.

أقل ما يحصل به الإحياء

قال النوويُّ في "الأذكار": «اختلف العلماء في القَدْرِ الذي يحصُل به الإحياء فالأظهر أنه لا يحصل إلَّا بمُعْظَمِ الليل، وقيل: يحصل بساعةٍ».اهـ

استحباب التكبير ليلة عيد الفطر

يستحب التكبير ليلة عيد الفطر لقول الله تعالى -وقد ذكر صوم رمضان- ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

قال الحافظ ابن كثيرٍ: «ولهذا أخذ كثيرٌ من العلماء مشروعيَّة التكبير في عيد الفِطْر من هذه الآية: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾ حتى ذهب داود الأصبهانيُّ الظاهريُّ إلى وجوبه في عيد الفِطْرِ لظاهر الأمر في قوله: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾.

في مقابلته مذهب أبي حنيفة رحمه الله أنه لا يشرع التكبير في عيد الفِطْر، والباقون على استحبابه، على اختلاف في تفاصيل بعض الفروع بينهم».اهـ

وفي كتاب "المُحلَّى" لابن حزمٍ الظاهريِّ: «مسألة: والتكبير ليلة عيد الفِطْر فرضٌ، وهو في ليلة عيد الأَضْحَى حَسَنٌ، قال تعالى، وقد ذكر صوم رمضان: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾ بإكمال عِدَّة صوم رمضان وجب التكبير، ويجزئ من ذلك تكبيرة، وأمَّا ليلة الأَضْحَى ويومه ويوم الفِطْر فلم يأتِ به أمر، لكن التكبير فعل خَيْرٍ وأَجْرٍ.

كيفية التكبير

قال الحافظ ابن حجرٍ العسقلانيُّ: «أصح ما ورد في صيغة التكبير ما أخرجه عبد الرزاق بسندٍ صحيحٍ، عن سلمان قال: كَبِّروا الله، الله أكبر الله أكبر كبيرًا». ونقل عن سعيد بن جُبيرٍ ومجاهدٍ وعبدالرحمن بن أبي ليلي، أخرجه

جعفر الفريابيُّ في كتاب "العيدين".

وهو قول الشافعيِّ وزاد: «ولله الحمد»، وقيل يُكَبِّر ثلاثًا ويزيد: «لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له...» إلى آخره، وقيل: يُكَبِّر ثنتين بعدهما: «لا إله إلا الله والله أكبر، الله أكبر ولله الحمد»، جاء ذلك عن عمر، وعن ابن مسعودٍ نحوه، وبه قال أحمد وإسحاق -يعني ابن راهويه- وقد أحدث في هذه الزمان زيادةٌ في ذلك لا أصل لها».اهـ كلامه.

قلت: يكفي من ذلك: الله أكبر ثلاث مرَّاتٍ، فإن زاد فهو خيرٌ وقد ورد عن أبي هريرة مرفوعًا: «**زيِّنوا أعيادكم بالتكبير**». رواه الطبرانيُّ في "الأوسط" و"الصغير"، وهو حديثٌ ضعيفٌ وفيه نكارةٌ، وإنما أوردناه هنا للتنبيه عليه حتى لا يُغتر به، والله أعلم.

يوم عيد الفطر يُسمَّى يوم الجائزة

أخرج الطبرانيُّ في "الكبير"، والحسن بن سفيان في "مسنده"، عن سعيد بن أوسٍ الأنصاريِّ عن أبيه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا كان يومُ عِيدِ الفِطْرِ وَقَفَتِ الملائكةُ على أبواب الطريق فنادوا: اغْدُوا يا مَعْشَرَ المُسلمين إلى ربٍّ كريمٍ يمنُّ بالخَيْرِ ثُمَّ يُثيبُ عليه الجَزيلَ، لقد أُمِرْتُم بقيامِ الليلِ فقُمْتُم، وأُمِرْتُم بصيامِ النَّهارِ فصُمْتُم، وأَطَعْتُم ربَّكُم، فاقبضوا جوائزكم. فإذا صلُّوا نادى منادٍ: ألا إنَّ رَبَّكُم قد غَفَرَ لكم، فارجعوا راشدين إلى رحالكم فهو يوم الجائزة**». إسناده ضعيفٌ.

وله شاهدٌ من حديث ابن عبَّاسٍ عند البيهقيِّ وأبي الشيخ ابن حَيَّان وقد

تقدَّم، وشاع بين كثيرٍ من الخطباء حديثٌ يُرَدِّدُونه في خطبة العيد ولفظه: «مَن عَصَىٰ اللهَ في يوم عيدٍ فكأنما عَصَاهُ يوم الوعيد». وهو حديثٌ باطلٌ لا أصل له، وليس في الأحاديث ما يشهد له، والله أعلم.

استحباب الأكل قبل الصلاة يوم عيد الفطر

في "صحيح البخاري" عن أنسٍ قال: كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لا يغدو يوم الفِطْرِ حتىٰ يأكل تمراتٍ ويأكلهنَّ وِتْرًا.

ورواه ابن حِبَّان والحاكم وغيرهما، بلفظ: ما خرج يوم الفِطْر حتىٰ يأكل تمراتٍ، ثلاثًا أو خمسًا أو سبعًا أو أقل مِن ذلك أو أكثر، وِتْـرًا.

ومِن الحِكْمة في تعجيل الفِطْر قبل الصلاة ما أشار إليه ابن أبي جمرة وغيره: أنه لَمَّا وقع وجوب الفِطْر عقب وجوب الصوم استحبَّ تعجيل الفِطْر مبادرةً إلىٰ امتثال أمر الله تعالىٰ، ويشعر بذلك اقتصاره علىٰ القليل من ذلك ولو كان لغير الامتثال لأكل قدر الشبع.

والحِكْمة في اختيار التمر ما فيه من الحلاوة المُقويَّة للبصر بعد ضعفه بالصوم، ولعل الحلو مما يوافق الإيمان ويُعبَّر به في المنام، ويرقُّ به القلب، وهو أيسر من غيره.

ولهذا استحب ابن سيرين ومعاوية بن قرة وغيرهما من التابعين أن يُفْطِر علىٰ الحلو مُطلقًا كالعسل مثلًا.

وأمَّا الحِكْمة في الإيتار فلأن الله وِتْرٌ يُحبُّ الوِتْرَ، ومَن لم يجد تمرًا ولا حلوًا فليُفْطِر ولو علىٰ جرعة ماءٍ.

زكاة الفطر

أخرج ابن شاهين في "فضائل رمضان" عن جرير بن عبدالله البجليِّ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**صومُ شهر رمضان معلَّقٌ بين السماء والأرض، ولا يرفع إلَّا بزكاة الفِطْر**».

قال ابن شاهين: حديثٌ غريبٌ جيِّد الإسناد.

قلت: إنما توقَّف رفع صوم رمضان على زكاة الفِطْر؛ لأنها فُرضت جَبْرًا وتَطْهيرًا لما عسى أن يُصيبه الصائم من لَغْوٍ أو رَفَثٍ كما سيأتي في الحديث بعده، فمن أراد رفع صيامه وقبوله فليُعَجِّل بزكاة الفِطْر.

حكمة فرضيتها

أخرج أبو داود وابن ماجه عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: «فَرَضَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: صَدَقَةَ الفِطْر طُهْرَةً للصَّائِمِ مِن اللَّغْوِ والرَّفَثِ، وطُعْمَةً للمساكين، فمَن أدَّاها قبل الصَّلاة فهي زكاةٌ مقبولةٌ، ومَن أدَّاها بعد الصَّلاة فهي صَدَقَةٌ مِن الصَّدَقات». صحَّحه الحاكم.

«طُهْرة» و«طُعْمة» -بضم الطاء فيهما- يعني أنَّ الحكمة في فرض زكاة الفطر تطهير الصائم من اللغو والرَّفَث، وإطعام المساكين في يوم العيد.

قال الخطَّابيُّ: قوله فرض رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم زكاة الفِطْر فيه بيان أنَّ صدقة الفِطْر فرضٌ واجبٌ كافتراض الزكاة الواجبة في الأموال، وفيه بيانٌ أنَّ ما فرض رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فهو كما فرض الله؛ لأن طاعته صادرةٌ عن طاعة الله، وقد قال بفرضيَّة زكاة الفِطْر ووجوبها عامَّة أهل العِلْم، وقد عُلِّلت بأنها طُهْرةٌ للصائم من اللَّغْوِ والرَّفَثِ، فهي واجبةٌ على

كلِّ صائمٍ غنيٍّ ذي جِدَةٍ -بكسر الجيم أي يسار- أو فقيرٍ يجدها فاضلة على قوُتِه، إذا كان وجوبها لعِلَّة التطهير، وكلُّ الصائمين محتاجون إليه، فإذا اشتركوا في العِلَّة اشتركوا في الوجوب. وقد روى ابن خزيمة من طريق كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف المُزنيِّ، عن أبيه، عن جدِّه قال: سُئل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن هذه الآية: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ أي تطهَّر ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤- ١٥]

قال: «**أُنزلت في زكاة الفِطْرِ**». هذا حديثٌ ضعيفٌ، وهذه السورة مكيَّة، وزكاة الفِطْر فرُضت بالمدينة.

نعم، يصح أن يؤخَذَ ذلك من الآية بطريق العموم للفظ، وسريان عِلَّة التطهير، كما ورَدَ أنَّ عمر ابن عبدالعزيز كان يأمر الناس بإخراج صدقة الفِطْر ويتلو هذه الآية: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤ - ١٥].

وعن أبي خلدة قال: دخلت على أبي العالية فقال لي: إذا غدوت غدًا إلى العيد فمرَّ بي، فمررتُ به، فقال: هل طَعِمْتَ شيئًا؟ قلت: نعم، قال: أفضت على نَفْسِك من الماء؟ قلت: نعم، قال: فأخبرني ما فعلت زكاتك؟ قلت: قد وجهتها، قال: إنما أردتك لهذه، ثُمَّ قرأ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾ وقال: إنَّ أهل المدينة لا يرون صدقةً أفضل منها ومن سِقاية الماء.

متى تخرج يوم العيد؟

أفضل وقتٍ لإخراجها قبل صلاة العيد كما تقدَّم في حديث ابن عبَّاسٍ، وروى الطبرانيُّ عن ابن عبَّاسٍ أيضًا قال: كنَّا نأكل ونشرب ونُخرِجُ صَدَقَةَ الفِطْر، ثُمَّ نخرج إلى المُصلَّى.

وفي "الصحيح" عن ابن عمر أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أمر بزكاة الفِطْر قبل خروج الناس إلى الصلاة. فإن أُخِّرت الزكاة إلى ما بعد صلاة العيد صحَّت عند الجمهور؛ لأن يوم العيد كلُّه وقتٌ لإخراجها، وإن كانت قبل صلاة العيد أفضل، فإن أُخِّرت عن يوم العيد كان حرامًا كما لو أخرت الصلاة عن وقتها، ويكون إخراجها بعد ذلك قضاء.

هل يشترط فيها النصاب؟

لا يشترط في زكاة الفِطْر مِلْك النِّصاب كما في زكاة المال، بل مَن مَلَكَ زيادةً على قُوته وقُوت مَن تلزمه نفقته قَدْرَ زكاة الفِطْر وجب عليه إخراجها؛ لقوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**صاعٌ مِن بُـرٍّ على كلِّ امرئٍ، صغيرٍ أو كبيرٍ حُرٍّ أو عبدٍ، ذكرٍ أو أنثى، غنيٍّ أو فقيرٍ، أمَّا غنيُّكُم فيزكيِّه الله، وأمَّا فقيركم فيردُّ الله عليه أكثر ممَّا أَعْطَى**». رواه أحمد.

وأيضًا فإنَّ زكاة الفِطْر شُرعت لتطهير الصائم، والفقير يحتاج إلى التطهير كما يحتاج الغنيُّ، ويصحُّ للفقير الذي أدَّى زكاة فِطْره أن يأخذ زكاة الفِطْر مِن الغير باعتباره فقيرًا؛ لقول رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**وأمَّا فَقِيرُكُم فيردُّ اللهُ عليه أكثر ممَّا أَعْطَى**».

مقدار زكاة الفطر

في "الصحيحين" عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: فَرَضَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم زكاةَ الفِطْرِ مِن رمضان صاعًا مِن تمرٍ أو صاعًا من شعيرٍ، على العبد والحُـرِّ والذَّكَر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين، وأَمَرَ بها أن تؤدَّى قبل خروج الناس إلى الصلاة.

وفي "الصحيحين" أيضًا عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه قال: «كنَّا نُخرج في عهد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يوم الفِطْر صاعًا من طعامٍ. وقال أبو سعيدٍ: وكان طعامنا الشعير والزبيب والأَقِط والتمر».

«الأَقِط» بفتح الهمزة وكسر القاف: لبنٌ مجفَّفٌ يابسٌ يُستعمَل عند العرب للطبخ.

اختلف العلماء في تقدير زكاة الفِطْر لاختلافهم في تقدير الصاع، فالصاع أربعة أمدادٍ بمُدِّه عليه الصلاة والسلام، وتحرير ذلك بالكيل المعروف اليوم قدح وثلث على ما حرَّره الأجهوريُّ شيخ المالكية في وقته، وعند الشافعية قدحان، وعند الحنفية قدح وسدس، والزكاة تكون من الطعام المعتاد في البلد قمحًا كان أو غيره، ويجوز دفع القيمة؛ لأنها أيسر وأكثر فائدة، ويصح للمرأة أن تعطي لزوجها الفقير، ولا يصح للرجل أن يعطي زكاته لزوجته الفقيرة؛ لأن مُؤنتها واجبةٌ عليه، ويجوز لفقيرين أن يدفع كلُّ واحدٍ منهما زكاته للآخَر بشرط أن لا يكون ذلك على اتفاقٍ سابقٍ أو عادةٍ مُستمرَّةٍ، بل يكون على سبيل المصادفة، ومن سافر وأوصى أهله أن يخرجوا عنه زكاة الفِطْر كفاه ذلك، ويستحب مع هذا أن يخرج زكاة البلد الذي سافر إليه، فإن لم يوصهم ولا اعتادوا أن يخرجوا عنه وجب عليه إخراج زكاة الفِطْر.

هل يصح إخراجها قبل العيد؟

قال مالكٌ عن نافع: أنَّ ابن عمر كان يبعث زكاة الفِطْر إلى الذي يجمع عنده قبل الفطر بيومين أو ثلاثة، ورواه الشافعي عن مالكٍ، وقال: «هذا حسنٌ وأنا أستحبُّه». يعني تعجيلها قبل يوم الفِطْر.

والمقصود أنه يجوز إخراج زكاة الفِطْر قبل العيد بيومين أو ثلاثة عند المالكية، ويصح عند غيرهم إخراجها من أول رمضان، والله أعلم.

الدعاء يوم العيدين

ورَدَ حديثٌ في دعاء يقال يوم العيد، وهو وإن كان ضعيفًا يقبل في مثل هذا؛ لأن الدعاء مطلوبٌ في القرآن والسُّنَّة، ولم يَرِد تعيين نوعٍ منه بخصوصه، فالأمر فيه واسعٌ، وهذا نصُّ الدعاء المشار إليه: «**اللهمَّ إنَّا نسألُكَ عِيشَةً تقيَّةً، ومِيتَةً سَوِيَّةً، ومَرَدًّا غير مُخْزٍ ولا فاضِحٍ، اللهمَّ لا تُهْلِكْنا فَجْأَةً، ولا تَأْخُذْنَا بَغْتَةً، ولا تُعْجِلْنا عن حَقٍّ ولا وَصِيَّةٍ، اللهمَّ إنَّا نسألُكَ العَفَافَ والغِنَى والتُّقَى والهُدَى، وحُسْنَ عاقِبَةِ الآخِرةِ والدُّنيا، ونعوذُ بك من الشَّكِّ والشِّقاقِ والرِّياءِ والسُّمْعَةِ في دينك، يا مُقَلِّبَ القُلُوبِ لا تُزِغْ قُلوبنا بعد إذ هَدَيْتَنا وَهَبْ لنا مِن لَدُنْكَ رَحْمَةً، إنَّكَ أنتَ الوهَّابُ**».

٣- إتْحافُ النُبَلاءِ

في فَضْلِ الشَّهادَةِ وأنواعِ الشُّهدَاءِ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي رَفَعَ قَدْرَ الشُّهداء، وجعلهم بعد استشهادهم في زُمْرَةِ الأحياء، لا تُحجَب أرواحهم عن الجنَّة ونعيمها إلَّا لدَيْنٍ ليس له أداء، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّدٍ سيِّد الأنبياء، وإمام المُخلَصين والأصفياء، ورضي الله عن آله البَرَرَةِ الأتقياء، وصحابته الكرام الأوفياء.

أما بعد: فهذا جزءٌ كتبته في فضل الاستشهاد في سبيل الله تعالى، وبيان أنواع الشُّهداء الذين ورد ذكرهم في الأحاديث النَّبوية، مع بيان رُتبتها، وسمَّيته: **"إتحاف النُبَلاء في فضل الشَّهادة وأنواع الشُّهداء"**.

ومِن الله أطلب الإعانة والتوفيق، وأسأله الهداية لأقوم طريقٍ.

معنى الشهادة

لفظ «شَهِدَ» من معانيه: حَضَرَ، قال الله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥] أي حضره. ومن أسماء الله تعالى: «الشهيد»، لأنَّه حاضرٌ، قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١].

والشَّهيد أيضًا القتيل في سبيل الله، ويُجمع على شُهداء، واستُشْهِد للبناء للمجهول: قُتل في سبيل الله، والاسم: الشَّهادة.

واختُلف في سبب تسميته شهيدًا على أقوالٍ:

أحدها: أنَّه مشهودٌ له بالجنَّة، فشهيد: فعيل، بمعنى مفعول.

ثانيها: أنَّ الملائكة تشْهَده، لتُبَشِّره، وهو بمعنى مفعول أيضًا.

ثالثها: أنَّ أرواح الشُّهداء حضرت إلى الجنَّة لأنَّهم أحياء عند ربِّهم، وأرواح غيرهم لا تصل إلى الجنَّة، فالشَّهيد بمعنى الحاضر للجنَّة.

رابعها: أنَّه شَهِد على نفسه لله عزَّ وجلَّ حين لزمه الوفاء بالبيعة التي بايعه في قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١]، فاتصلت شهادة الشَّهيد الحقِّ، بشهادة العبد، فسُمِّيَ شهيدًا.

خامسها: أنَّه سقط على الأرض حين استشهاده والأرض الشَّاهِدة.

أمَّا الشَّهادةُ بمعنى الخبر القَّاطع الذي يؤديه الشَّخص أمام محكمةٍ، فيرجِعُ

معناها إلى الحُضور أيضًا؛ لأنَّ الشَّخص يقطعُ بالشَّيء الذي يحضره ويراه، أو يسمعه ولهذا قال الفقهاء: يُشترط في الشَّهادة ثلاثة شروطٍ، لا تتمُّ إلَّا بها، وهي: الحضور، والوعي، والأداء.

أمَّا الحضور: فهو شُهودُ الشَّاهد للمَشْهُودِ.

وأمَّا الوعي: فهو ضبط ما شَهِدَهُ وعَلِمَهُ.

وأمَّا الأداء: فهو الإتيان بالشَّهادة على وجهها، عند الحاجة إليها.

ولهذه المناسبة، ننبِّه على مسألتين:

الأولى: قول الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩].

ليس المُراد بـ«الشُّهداء» فيه: القَتْلى في سبيل الله؛ بل المُراد: الشُّهداء المذْكُورون في قوله تعالى: ﴿وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ﴾ [الزمر: ٦٩]، وهم العُدُول في الدُّنيا والآخرة، القائمون بما أوجب الله عليهم من حقوقه وحقوق عباده؛ فلذلك جعلهم الله شُهداء على النَّاس يوم القيامة، وهي رتبةٌ عظيمةٌ تَلِي رُتبة الصِّديقين.

الثَّانية: الشَّهادة والرِّواية كلاهما خبرٌ يُؤدِّيه الشَّاهد والرَّاوي، غير أنَّ العلماء أو جمهورهم اشترطوا في الشَّهادة شروطًا لم يشترطوها في الرِّواية، فقالوا: لا بُدَّ أنْ يكون الشَّاهد حُرًّا، بخلاف الرِّواية، فتجوز فيها رواية العبد. والشَّهادة لا تكفي فيها امرأةٌ واحدةٌ بل من امرأتين كما جاء في القرآن الكريم: ﴿فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

أمَّا الرِّواية فتكفي فيها امرأةٌ واحدةٌ؛ وسِرُّ ذلك يظهر من معرفة حقيقة كلٍّ منهما.

فالشَّهادة خبرٌ عن أمرٍ خاصٍّ يُمكن الترافع فيه إلى الحاكم، كالخبر بأنَّ لفلانٍ قِبَل فلان مبلغًا من المال، أو أنَّ فلانًا سرق أو قذف أو قتل مثلًا، فلمَّا كانت الشَّهادة تتعلَّق بأشخاصٍ مُعيَّنين، تُلْزِمهم بدفع مالٍ، أو توجب جلدهم، أو قطع أيديهم، أو قتلهم، شدَّد الفقهاء في شروط حاملها زيادةً على شرط العدالة، حتى يطمئنَّ المشهود عليه، ويتقبَّل الحُكْم راضيًا.

والرِّواية خبرٌ عن أمرٍ عامٍّ لا ترافع فيه، كالأحاديث النَّبوية، فإنَّها تعمُّ الأُمَّة كلَّها، فاكتُفي فيها بعدالة الرَّواي، حُرًّا كان أو عبدًا أو ذكرًا أو أنثى، والمسألة مبسوطةٌ في كتب الأصول، وفيما ذكرناه هنا كفايةٌ.

فضل الشَّهادة

أخرج الشيخان عن أنسٍ رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ما أحدٌ يَدْخُلُ الجنَّةَ يُحِبُّ أنْ يَرْجِعَ إلى الدُّنيا وله ما على الأرضِ مِن شيءٍ إلَّا الشهيدُ، يَتَمَنَّى أن يَرْجِعَ إلى الدُّنيا، فيُقْتَلَ عَشْرَ مرَّاتٍ؛ لما يَرَى مِن الكَرَامَةِ**».

وروىٰ النَّسائيُّ عن أنسٍ أيضًا، قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**يُؤتى بالرَّجُلِ مِن أهل الجنَّةِ يوم القيامةِ، فيقول الله: يا ابنَ آدم، كيف وَجَدْتَ مَنزِلَكَ؟ فيقول: يا ربِّ، خَيرَ منزلٍ. فيقول: سَلْ وَتَمَنَّهْ. فيقول: ما أسألُ وأَتمنَّى إلَّا أن تَرُدَّني إلى الدُّنيا، فأُقتَلَ في سبيلك عشر مرَّاتٍ؛ لِمَا يَرَى مِن فضل الشَّهادةِ**».

صحَّحه الحاكم علىٰ شرط مسلمٍ.

و«تمنَّهْ» بهاء ساكنة، وهي هاء السَّكت، مثل الهاء في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ﴾ [الحاقة: ٢٥].

وروىٰ أحمد، والنَّسائيُّ عن ابن أبي عَمِيرَة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ما مِنْ نَفْسٍ مُسْلِمَةٍ يَقبِضُهَا ربُّها تُحبُّ أن تَرجِعَ إليكم وأنَّ لها الدُّنيا وما فيها؛ غير الشَّهيدِ**». قال ابن أبي عَمِيرَةَ قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لأن أُقتلَ في سَبيلِ الله أَحبُّ إليَّ مِن أن يكون لي أهلُ الوَبَرِ والمَدَرِ**». إسناده حسنٌ.

أهلُ الوَبَرِ: هم أهل البَادية. وأهل المَدَرِ بفتح الميم والدال: أهل المُدن.

والنَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يُفضل القتل في سبيل الله علىٰ امتلاك

الدُّنيا بحاضِرتها وباديتها.

وروىٰ البخاريُّ، ومسلمٌ عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**والذي نَفْسُ محمَّدٍ بيدِهِ، لَوَدِدْتُ أني أَغْزُو في سبيل الله فأُقْتَلُ، ثُمَّ أَغْزُو فأُقْتَلُ، ثُمَّ أَغْزُو فأُقْتَلُ**».

أفَادت هذه الأحاديث عِظَمَ فضل الشَّهادة من جهتين:

الأولى: أنَّ المُسلم إذا دخل الجنَّة، لا يُحبُّ أنْ يَخرج منها ويرجع إلىٰ الدُّنيا، ضنًّا بنعيم الجنَّة أن يفارقه، وخوفًا من أن يذوق ألم الموت مرَّةً أُخرىٰ، لكن الشَّهيد يتمنىٰ أن يرجع إلىٰ الدُّنيا فيستشهد عشر مرَّاتٍ، ليستكثر من فضل الشَّهادة الذي شاهده. أمَّا ألم الموت فإنَّ الله صرفه عنه.

روىٰ الترمذيُّ والنَّسائيُّ وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَا يَجِدُ الشَّهِيدُ مِنْ مَسِّ الْقَتْلِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مَسِّ الْقَرْصَةِ**». صحَّحه الترمذيُّ وابن حِبَّان.

الثانية: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم تَمَنَّىٰ أنْ يُقتل في سبيل الله ثلاث مرَّاتٍ، ليُعطَىٰ رُتبة الشَّهادة مُضافةً إلىٰ رُتبة النُّبوة. وقد أعطاه الله ما تمنَّىٰ، فمات شهيدًا من أكلة خيبر صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

ويؤخذ مِن تمنِّيه عليه الصَّلاة والسَّلام أنْ يقتل ويعود: أنَّ الممتنع عادةً - وإن كان جائزًا في العقل- لا يطلب، ولا يُدْعَىٰ به لأنَّ سنة الله في الكون جرت بعدم وقوعه[1].

---

(١) وصرَّح الفقهاء بأنَّه لا يجوز الدُّعاء بالممتنع شرعًا أو عادةً.

فضلُ الشُّهداءِ

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

روى الترمذيُّ وابن ماجه عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: قال لما قُتِلَ عبد الله بن عمرو بن حَرَام يوم أُحد قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «يَا جَابِرُ، أَلَا أُخْبِرُكَ مَا قَالَ الله لأَبِيكَ؟» قلت: بلى. قال: «مَا كَلَّمَ الله أَحَدًا إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وكَلَّمَ أَبَاكَ كِفَاحًا فقال: يا عبد الله تَمَنَّ عليَّ أُعْطِكَ. قال: يا رَبِّ تُحْيِينِي فَأُقْتَلُ فِيكَ ثَانِيَةً. قال: إِنَّهُ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لا يُرْجَعُونَ. قال: يَا رَبِّ فَأَبْلِغْ مَنْ وَرَائِي، فَأَنْزَلَ الله هذه الْآيَةَ: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ﴾ [آل عمران: ١٦٩] الآية كلها». حسَّنَهُ الترمذيُّ، وصحَّحه الحاكم.

كِفاحًا: بكسر الكاف، مواجهة، وهذا لا يعارض قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ

فالأول: كأن يدعو بالرحمة للكافر؛ لأنَّ النصوص الشَّرعية قاطعةٌ في أنَّ الكُفَّار مُخلَّدون في النَّار، ولا تنالهم الرحمة. قال الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [التوبة: ١١٣]. وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾ [البينة: ٦]. كذلك لا يجوز الدُّعاء بالمغفرة لجميع المسلمين؛ لأنَّه لابد من تعذيب طائفةٍ من عُصاتهم، كما ثبت به النصُّ القاطع.

والثاني: كأن يدعو الله بأن يُحييه بعد الموت ليجاهد مثلًا، أو يحيي أباه الذي مات، أو نحو ذلك.

لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ [الشورى: ٥١]. لأنَّ الآية تتعلَّق بالدُّنيا.

والمعنى: أنَّ الله تعالى لم يُكلِّم بَشَرًا على قيد الحياة إلَّا بطريق الوحي، كما أوحى إلى الأنبياء والرسل، أو يُكلِّمه من وراء حِجابٍ كما كلَّم موسى وآدم[1] عليهما السَّلام؛ لأنَّ الله لا يراه أحدٌ في الدُّنيا. وعبدالله بن عمرو، كلَّمه الله مواجهة، بعد انتقاله إلى عالم الآخرة.

والنَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**واعْلَمُوا أنَّ أحدًا مِنْكُمْ لا يَرَى رَبَّهُ حتَّى يَمُوت**»[2]. ثُمَّ يأتي سؤالٌ، وهو: لم اختصَّ والد جابرٍ بهذه الميزة؟

والجواب: أنَّه لم يوجد في شيءٍ من طرق الحديث، ما يكشف عن سبب تلك الميزة، أو يشير إليه، ونحن في حِلٍّ من البحث عنه، ويكفينا اعتقاد ذلك تصديقًا للنصِّ.

ولكنَّا نُحاول استخراجه باجتهادنا فنقول: أكرم الله والد جابرٍ بهذه الكرامة فيما نظنُّ؛ لأنَّه كان عنده بنات لم يتبرَّم بهنَّ، ربَّاهُنَّ وأكرمهُنَّ. ويوم استُشهد، أخبر ابنه جابر بأنَّه مقتولٌ، وأوصاه بهنَّ خيرًا، كما أوصاه بأن يقضي

---

(١) ثبت في الحديث عن أبي ذرٍّ مرفوعًا: أنَّ آدم نبيٌّ مُكَلَّم، وظاهر القرآن يفيد ذلك أيضًا، انظر كتابنا قصة آدم عليه السلام.

(٢) وقد ذمَّ الله اليهود -لعنهم الله- على طلبهم رؤيته في الدُّنيا لأنَّهم طلبوا ما لايجوز. وموسى -عليه السَّلام- لما أكرمه الله بكلامه، طمع في رؤيته فطلبها، فقال الله له: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]،أي لا تستطيع رؤيتي بجسمك الفاني، في دار الفناء، لكن تراني حين تصير من الخالدين في دار البقاء.

دَيْنَه، يضاف إلى ذلك تمثيل المشركين به.

روى الشيخان عن جابرٍ أيضًا رضي الله عنه قال: جِيء بأبي إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، قد مُثِّل به، فوضع بين يديه، فذهبت أكشف عن وجهه فنهاني قومي، فسمع صوت صائحةٍ، فقيل: ابنة عمرو، أو أخت عمرو، فقال: «**لِمَ تَبْكِينَ أو لا تَبْكِينَ ما زَالَتِ المَلاَئِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا**».

يفيد الحديث: أنَّ الشهيد تُظِلُّه الملائكة بأجنحتها تكريمًا له، وهو من خصوصيات هذه الأمة المحمدية.

وروى أبو داود في سننه عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**الشَّهِيدُ يَشْفَعُ فِي سَبْعِينَ من أهل بَيتِه**». صحَّحه ابن حِبَّان.

وروى الطبرانيُّ باسنادٍ حسنٍ، عن أنسٍ رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إِذَا وَقَفَ الْعِبَادُ للحِسَابِ، جَاءَ قَوْمٌ وَاضِعِي سُيُوفِهِمْ على رِقَابِهِمْ تَقْطُرُ دمًا، فَازْدَحَمُوا عَلَى بَابِ الجنَّةِ، فَقِيلَ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قيل: الشُّهَدَاءُ كَانُوا أَحْيَاءً مَرْزُوقِينَ**».

ذَكَرَ السَّيْف في الحديث؛ لأنَّه السِّلاح الغالب استعماله في ذلك الوقت، ويلحق به السِّلاح المُستعمل اليوم، فشهداء عصرنا يأتون يوم القيامة حاملين سلاحهم الذي استعملوه، من بندقيَّةٍ ومَدْفَعٍ ورَشَّاشٍ ومُسَدَّسٍ وقُنبلةٍ وغيرها، ويؤخذ من الحديث: أنَّ الشُّهداء لا يُحاسبون.

وروى الطبرانيُّ بإسنادٍ حسنٍ أيضًا، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أفضلُ الجهادِ عندَ الله يومَ**

القِيامةِ الَّذينَ يَلتقونَ في الصَّفِّ فلا يَلْفِتونَ وجُوهَهم حتى يُقْتَلَوا، أولئك يَتَلَبَّطُونَ في الغُرفِ العُلْيا مِن الجنَّةِ يَضْحَكُ إليهم رَبُّك، إنَّ ربَّك إذا ضَحِكَ إلى قومٍ فلا حِسابَ عليهم».

«يَلْفِتون»: بفتح الياء، وضمها لحنٌ. «يَتَلَبَّطون»: يضطجعون. «يضحك إليهم ربُّك»: يرضى عنهم، فضحك الله إلى عبد رضاه عنه.

وروى أحمد وأبو يعلى في "مسنديهما" عن نعيم بن عمَّار رضي الله عنه: أنَّ رجلًا سأل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: أيُّ الشهداء أفضل؟ قال: «الَّذِينَ إنْ يَلْقَوْا فِي الصَّفِّ لا يَلْفِتُونَ وُجُوهَهُمْ حَتَّى يُقْتَلُوا، أُولَئِكَ يَنْطِلِقُونَ فِي الْغُرَفِ الْعُلَا مِنَ الْجَنَّةِ، ويَضْحَكُ إِلَيْهِمْ رَبُّهم، وَإِذَا ضَحِكَ رَبُّكَ إِلَى عَبْدٍ فِي الدُّنْيَا فَلَا حِسَابَ عَلَيْهِ». إسناده حسنٌ.

«يَلقَوا» بفتح الياء والقاف: أي يلقوا العدوَّ.

أفاد الحديث أنَّ الله يضحك إلى الشُّهداء في الدُّنيا وذلك عند استشهادهم.

وروى الترمذيُّ وابن ماجه، عن المِقْدَام بن مَعْدِي كَرِبَ رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «للشَّهِيدِ عنْدَ الله سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفِرُ لَهُ في أَوَّلِ دُفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ، ويُرَى مَقْعَدَهُ مِنْ الجَنَّةِ، ويُجَارُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، ويَأْمَنُ مِنْ الفَزَعِ الأَكْبَرِ، ويُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الوَقَارِ، اليَاقُوتَةُ منها خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وما فيها، ويُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وسبعين مِنَ الحُورِ العِينِ، ويُشَفَّعُ في سبعين مِنْ أَقَارِبِهِ». صحَّحه الترمذيُّ.

ورواه أحمد والطبرانيُّ من حديث عُبادة بن الصَّامت بلفظ: «إنَّ للشَّهِيدِ عنْدَ اللهِ سَبْعُ خِصَالٍ..» فذكرها، وزاد عليها «ويُحَلَّى حُلَّةَ الإيمَانِ». وإسناده حسنٌ.

لفظ «**سِتُّ خِصَال**» غلطٌ من بعض الرُّواة لـ"سُنن الترمذيِّ"؛ لأنَّ الخِصال في الحديث سبعةٌ، وكذلك لفظ «**سَبْعُ خِصَال**» غلطٌ أيضًا من بعض رواة المُسند؛ لأنَّ الخِصَال ثمانيةٌ.

يُؤَيِّد ذلك: أنَّ المُحدِّث أبا بكر أحمد النَّجَاد أَسْنَدَهُ من حديث المِقْدَام بن مَعْدِي كَرِب، قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لِلْشَّهِيدِ عِنْدَ الله ثَمَان خِصَال...**».

وذكرها مثل حديث عُبَادة بن الصَّامت في "مسند أحمد".

وجديرٌ بمن بذل نَفْسَهُ لله دِفاعًا عن دينه، وتصدِّيقا لوعده: أنْ يُكْرِمه الله بتلك الخِصَال الثَّماني الَّتي تدُل علىٰ عِنَايةِ الله بالشَّهيد، ورِضَاهُ عنه.

وروىٰ النَّسائيُّ عن راشد[1] بن سعدٍ رضي الله عنه، عن رجلٍ مِن أصحاب النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: أنَّ رجلًا قال: يارسول الله ما بالُ المؤمنين يُفْتَنون في قُبُورهم إلَّا الشَّهيد؟ قال: «**كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ على رَأْسِهِ فِتْنَةً**». إسناده جيدٌ.

أفاد الحديث أنَّ الشهيد لا يَسأله المَلَكان في قبره؛ لأنَّ القصد بسؤالهما فتنة الميت وامتحانه، والشَّهيد قد امتُحن بأهوال الحرب وفزعاتها، وتعرُّضه للموت مرَّاتٍ وهو ثابتٌ حتىٰ استُشْهِدَ، فكان ذلك امتحانًا كافيًا في الدَّلالة علىٰ قوة إيمانه.

---

(١) في كتاب "التذكرة" للقرطبي: رشدين بن سعد، وهو خطأٌ من النَّاسخ لم ينتبه له مصحح الكتاب.

وروى ابن حِبَّان في "صحيحه"، عن عُتْبَةَ[١] بن عبدٍ السُّلَميِّ رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**القَتْلَى ثلاثةٌ: رَجُلٌ مؤمِنٌ جاهَدَ بنَفْسِهِ ومَالِهِ في سبيلِ الله، حتَّى إذا لَقِيَ العَدُوَّ قاتَلَهُم حتَّى يُقْتَل، فذلك المُمْتَحَنُ، في جَنَّةِ الله تحت عَرْشِهِ لا يَفْضُلُهُ النَّبِيُّون إلَّا بفَضْلِ دَرَجَةِ النُّبوَّةِ، ورَجَلٌ فَرِق على نَفْسِهِ مِن الذنوب والخَطَايا، جَاهَدَ بنَفْسِهِ ومَالِهِ في سبيل الله حتى إذا لَقِيَ العَدُوَّ قاتلَ حتَّى يُقْتَلَ، فتلك مُمَصْمَصَةٌ تَحُتُّ ذُنُوبَهُ وخَطَايَاهُ، إنَّ السَّيْفَ مَحَّاءٌ للخَطَايا، وأُدْخِلَ مِن أيِّ أَبْوابِ الجنَّةِ شاءَ، فإن لها ثمانية أبوابٍ، ولجهنَّمَ سبعةُ أبوابٍ، وبعضها[٢] أفضل مِن بعضٍ، ورَجُلٌ مُنافِقٌ جاهَدَ بنَفْسِهِ ومَالِهِ، حتَّى إذا لَقِيَ العَدُوَّ، قاتَلَ في سَبيل الله عزَّ وجلَّ[٣] حتَّى يُقْتَلَ، فذلك في النَّارِ، وإنَّ السَّيْفَ لا يَمْحُو النِّفاقَ**». رواه أحمد بإسنادٍ جيِّدٍ.

«**الممتحَن**»بفتح الحاء: المشروح صدره. قال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ﴾[الحجرات: ٣]، أي: شرحها ووسَّعَها. «**فَرِق**» بفتح الفاء وكسر الراء: خائف.

«**مُمَصْمِصَة**»: بضم الميم الأولى، وفتح الثانية، وكسر الثالثة: ماحية.

«**تحت**» بضم الحاء: تمحو. «**إنَّ السَّيْفَ مَحَّاءٌ للخطايا**»: يفيد أنَّ الشَّهيد

---

(١) عتبة بالتاء المثناة الفوقية. ويأتي أحيانًا في كتاب "الترغيب والترهيب" وغيره: عقبة بالقاف، وهو خطأ، وأبوه: «عبد» بدون إضافة. ومن كتبه عبدالله فقد أخطأ.

(٢) أي وبعض أبواب الجنة أفضل من بعضٍ.

(٣) أي بحسب زعمه ودعواه. لكن الله يعلم أنه منافقٌ.

تُمحىٰ عنه ذنوبه، لأنَّه بذل نفسه لله، فجُوزي بتكفير ذنوبه.

وكثيرٌ من النَّاس يُعَمِّم هذا الحكم في كلِّ مقتولٍ، فيقولون في الشخص المقتول في خصومةٍ ونحوها: مُحيت عنه سيئاته، ويزيد بعضهم: أنَّ القاتل يتحمَّل ذنوب المقتول، ويستدل بحديث «**ما تَرَكَ القَاتِلُ على المَقْتُولِ مِنْ ذَنْبٍ**»، وذلك كله خطأٌ، والحديث ليس بصحيحٍ، وعلىٰ فرض صحَّته فهو محمولٌ علىٰ القتل في الجهاد.

والمعنىٰ: أنَّ الكافر إذا قتل مسلمًا لم يترك عليه ذنبًا؛ لأنَّ الشهيد تُكَفَّر ذنوبه كلها، أمَّا المقتول في غير الجهاد فلا تُمحَىٰ ذنوبه بقتله، ولو كان مظلومًا، نعم يُكَفَّر عنه بعضها، باعتبار القتل مصيبة نزلت به.

وروىٰ الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أنَّه سأَل جِبْرِيلَ -عليه السَّلام- عن هذه الآية؟** ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾[الزمر: ٦٨]: **مَنْ الَّذِين لَمْ يَشَأ اللهُ أنْ يصْعَقَهُم؟ قال: هُمْ شُهَدَاءُ الله**». قال الحاكم: «صحيح الإسناد».

أفاد الحديث: أنَّ الشُّهداء هم المُسْتَثْنُونَ من الصَّعق في الآية.

وبهذا قال الإمام الحليميُّ. قال: وهو مَرْوِيٌّ عن ابن عبَّاسٍ. وروىٰ النَّحاس في كتاب "معاني القرآن" بإسناده عن سعيد بن جُبيرٍ، في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾[الزمر: ٦٨]، قال: وهم الشَّهداء، هم ثنية الله عزَّ وجلَّ، متقلدوا السيوف حول العرش. وفي تعيين المستثنين في الآية أقوال خلاف هذا، ضعَّفها الإمام الحليميُّ.

وروى ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: ذُكِرَ الشَّهيد عند النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**لا تَجِفُّ الأَرْضُ مِن دَمِ الشَّهِيدِ حتَّى تَبْتَدِرَهُ زَوجَتَاهُ، كأَنَّهُما ظِئْرَانِ أضَلَّتَا فَصِيلَيْهِما في بَرَاحٍ مِن الأرضِ، وفي يَدِ كُلِّ واحِدَةٍ حُلَّةٌ خَيْرٌ مِن الدُّنيا وما فيها**».

«**ظِئْران**»: بكسر الظاء وسكون الهمزة: ثنية ظِئْرة وهي المُرضع.

«**فَصِيليهما**»: بفتح الفاء وكسر الصاد: مثنى فَصِيل ولد النَّاقة الرَّضِيع.

«**أضَلَّتا**»: فقدتا. «**بَراح**» بفتح الباء: واسع.

«**حُلَّة**»: بضم الحاء: كسوة.

والمعنى: أنَّ الشَّهيد قبل أنْ يجِفَّ دمه على الأرض، تُسْرِعُ إليه زوجتاه من الحُور العِين، في لهفةٍ وشوقٍ وحنانٍ، كأنَّهما ناقتان مُرضعتان فقدتا ولدهما الرضيع، ثُمَّ وجدتاه في مكانٍ واسعٍ من الأرض، فأقبلتا عليه في عَطْفٍ يفوق الوصف، ناهيك بعطف أُمٍّ وجدت ولدها بعد افتقاده مدَّةً، وإنَّما أحضرتا له كسوة؛ لأنَّ ثيابه التي استشهد فيها تمزَّقت واتسخت بتراب الأرض.

وروى البخاريُّ عن سَمُرَة بن جُنْدُبٍ في حديث الرؤيا الطويل قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**رَأيتُ اللَّيلةَ رَجُلَينِ أتَيَانِي، فصَعِدَا بي الشَّجَرَةَ فأدْخَلاَني دَارًا هِي أحْسَنُ وأفْضَلُ، لم أرَ قَطُّ أحسنَ منها، قالا: أمَّا هذه الدَّارُ فَدَارُ الشُّهَدَاء**».

ذنوب لا تُكَفِّرها الشَّهادة

تقدَّم في الأحاديث السَّابقة أنَّ الشهيد يُغفَر له في أول دفعةٍ مِن دَمِهِ، وأنَّ ذنوبه تُكفَّر باستشهاده، إلَّا أنه يُستثنَىٰ منها أربعة أمورٍ:

الأوَّل: الدَّيْن:

روىٰ مسلمٌ في "صحيحه" عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**يُغْفَرُ للشَّهِيدِ كلُّ ذنبٍ إلَّا الدَّيْن**».

وروىٰ مسلمٌ أيضًا عن أبي قتادة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله – صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم- قام فيهم: فذكر أنَّ الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال فقام رجل فقال يا رسول الله أرأيتَ[1] إنْ قُتلتُ في سبيل الله تُكَفَّرُ عني خطاياي؟ فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**نَعَمْ، إنْ قُتِلْتَ في سَبِيلِ الله وأنْتَ صَابرٌ مُحْتَسِبٌ مُقْبِلٌ غيرُ مُدْبِرٍ**». ثم قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**كيف قُلْتَ؟**» قال أرأيت إنْ قُتلتُ في سبيل الله أتُكَفَّرُ عَنِّي خطاياي؟ فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم:«**نَعَمْ، إنْ قُتِلْتَ في سَبِيلِ الله وأنْتَ صَابرٌ مُحْتَسِبٌ مُقْبِلٌ، غيرُ مُدْبِرٍ**». ثُمَّ قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم:«**كيف قُلْتَ؟**» قال: أرأيت إنْ قُتلتُ في سبيل الله أتُكفَّر عَنِّي خطاياي؟ فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**نَعَمْ، إنْ قُتِلْتَ وأنْتَ صَابرٌ مُحْتَسِبٌ مُقْبِلٌ غيرُ مُدْبِرٍ**». ثُمَّ قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم:«**كيف قلتَ؟**»

---

(١) معنىٰ «أرأيت» بفتح التاء: أخبرني.

قال: أرأيت إن قُتلتُ في سبيل الله أتُكفَّر عني خطاياي؟ فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**نَعَمْ، إنْ قُتِلْتَ وأنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ إلَّا الدَّينَ، فإنَّ جِبْرِيلَ قال لي ذلك**».

أفاد الحديث: أنَّ جبريل -عليه السَّلام- نزل خاصَّة ليُخبر النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: أنَّ الدَّيْن لا يُغفر للشَّهيد؛ لأنَّه حقٌّ لآدمي، لم يتنازل عنه، نعم إنْ تَرَكَ الشَّهيد ما يقضي منه دينه، أو أوصى بأنْ يقضى عنه، كما أوصى عبد الله ابنه جابرًا، حين خرج في غزوة أحد، أو قضاه عنه أحد أقاربه، أو بعض المسلمين، فإنَّ الله يغفر له ولا يعاقبه عليه.

الثَّاني: العقوق:

ذكر شرحبيل بن سعد: أنَّ أهل الأعراف قوم استشهدوا في سبيل الله، لكن خرجوا عصاة لآبائهم.

وروى ابن مَرْدُويَه، عن محمد بن المنكدر، عن رجل من مزينة، قال: سُئل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عمَّن استوت حسناته وسيئاته؟ وعن أصحاب الأعراف؟ فقال: «**إنَّهُم قومٌ خَرَجُوا عُصَاةً بغيرِ إذْنِ آبَائِهِمْ. فَقُتِلُوا في سَبِيلِ الله**».

وقال سعيد بن منصور: حدَّثنا أبو معشر: حدَّثنا يحيى بن شبل عن يحيى بن عبد الرحمن المدني، عن أبيه: سُئِلَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن أصحاب الأعراف؟ فقال: «**هُمْ نَاسٌ قُتِلُوا في سَبِيلِ الله بمَعْصِيَةِ آبَائِهِمْ فَمَنَعَهُم مِنْ دُخُولِ الجَنَّةِ مَعْصِيَةُ آبَائِهِمْ ومَنَعَهُمْ مِنَ النَّارِ قَتْلُهُمْ في سَبَيلِ الله**».

ورواه ابن مَرْدُويَه وابنُ جرير وابنُ أبي حاتمٍ من طُرقٍ عن أبي معشر، به[١].

ورواه ابنُ ماجه من حديث ابن عبَّاسٍ، وأبي سعيدٍ الخُدري، مرفوعًا. قال الحافظ ابن كثير: والله أعلم بصحة هذه الأخبار المرفوعة، وقصارها أنْ تكون موقوفة. انتهى.

الثَّالث: الأمانة:

روى الطبراني وأبو نُعيم عن ابن مسعود رضي الله عنه، عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ الله يُكَفِّرُ الذُّنُوبَ كُلَّهَا إِلَّا الْأَمَانَةَ، وَالْأَمَانَةُ في الصَّلَاة، والأمَانَةُ فِي الصَّوْمِ، وَالْأَمَانَةُ فِي الحَدِيثِ، وَأَشَدُّ ذَلِكَ الْوَدَائِعُ**».

الرَّابع: النِّفَاق:

تقدَّم في حديث عُتبة: أنَّ الشَّهيد المُنَافق لا يُغْفَرُ له، ولا تُمحى خطاياه، وأنَّ السَّيْفَ لا يمحو النِّفَاق.

وكذلك الشَّهيد الكافر، لا يُغفر له؛ لأنَّ شرط الشَّهيد أنْ يكون مُسلمًا، فكما لا تصح صلاة الكافر ولا صيامه، كذلك لا تصح شهادته.

---

(١) وأبو معشر ضعيف.

أرْوَاحُ الشُّهَدَاءِ فِي الجنَّةِ

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

روى مُسلمٌ عن مسروقٍ، قال: سألْنَا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية؟ ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، فقال: أمَا إنَّا فقد سَألْنَا عن ذلك رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: «أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لها قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بالعَرْشِ، تَسْرَحُ منَ الجَنَّةِ حيثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأوي إلى تلك القَنَادِيلِ، فاطَّلَعَ إليهِمْ رَبُّهُمُ اطِّلَاعَة، فَقَالَ: هل تَشْتَهُونَ شيئًا؟ قالوا: أيَّ شيءٍ نَشْتَهِي ونحْنُ نَسْرَحُ منَ الجنَّةِ حيثُ شئنَا، ففَعَلَ ذلك بهم ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. فلَمَّا رَأوْا أنَّهُمْ لنْ يُتْرَكُوا مِنْ أنْ يُسْأَلُوا، قالُوا: يا ربِّ، نُرِيدُ أنْ تَرُدَّ أرواحَنا في أجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ في سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَلَمَّا رَأى أنْ ليسَ لهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا».

وروى أبو داود عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «لما أُصيب إخوانُكم بأحُدٍ جعلَ اللهُ أرواحَهم في جَوْفِ طَيرٍ خُضْر تَرِدُ أنهارَ الجَنةِ: تأكلُ من ثمارِها، وتَأوي إلى قَناديلَ من ذهبٍ مُعلَّقةٍ في ظلّ العرشِ، فلما وجَدُوا طِيْبَ مأكَلِهم ومَشربِهم ومَقِيلِهم، قالوا: من يُبلِّغُ إخوانَنا عنّا أنا أحياءٌ في الجنةِ نُرزقُ، لئلَّا يَزهَدُوا في الجهاد ولا يَنكُلوا عند الحرب؟ فقال الله تعالى: أَنا أُبلغهم عنكُم»، قال: «فأنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ الآية كلها».

هذه الآية نزلت في شُهداء أحد.

وروى أبو أحمد الحاكم في "الكُنى" وابن مَنْدَه عن طلحة بن عبيدالله - أحد العشرة - قال: أردت مالي بالغابة فأدركني الليل، فأويت إلى قبر عبد الله بن عمرو بن حرام -والد جابر- فسمعت قراءة من القبر ما سمعت أحسن منها، فجئت إلى النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فذكرت ذلك له، فقال: «**ذاك عبد الله ألم تعلم أن الله قبض أرواحهم فجعلها في قناديل من زبرجد، وعلقها في وسط الجنة، فإذا كان الليل ردت إليهم أرواحهم فلا تزال كذلك حتى إذا طلع الفجر ردت أرواحهم إلى مكانها الذي كانت فيه**». إسناده ضعيف.

وروى الإمام مالك، عن ابن شهاب، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك الأنصاري، عن أبيه كعب، كان يحدث: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ نَسَمَةَ المُؤمِن طَائِر يُعَلَّقُ في شَجَرِ الجنَّة**».

لفظ المؤمن هنا عام، فيحمل على الشَّهيد أخذًا بالقاعدة الأصولية ويكون المعنى: أنَّ روح الشَّهيد المؤمن طائر يعلق، أي: يأكل من شجر الجنَّة.

وإنَّما خصَّصنا عموم الحديث؛ لإجماع الأُمَّة على أنَّه لا يجعل الأكل والنعيم في الجنَّة لأحد إلَّا للشهيد في سبيل الله، حكى الإجماع القاضي أبو بكر بن العربي في "سراج المريدين"[1].

وغيرُ الشَّهيد إذا كان صالحًا يملأ عليه قبره خضـرًا، ويوسَّع له فيه، ويذهب روحه إلى البرزخ، مع تردده على القبر ليرد سلام الزائر ويقبل ما يهدى

---

(١) لكن يرد عليه قول أبي هريرة وابن عمر الآتي: «أرواح المؤمنين في الجنة».

إليه من دعوات وقراءة، قال الحافظ ابن عبد البر: ثبت عن النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أنَّه قال: «مَا مِنْ مُسلمٍ يَمُرُ على قَبْرِ أخِيهِ كان يَعْرِفَهُ في الدُّنْيَا فيُسَلِّم عليه إلَّا ردَّ اللهُ عليه رُوحَهُ حتَّى يَرُد عليه السَّلام».

وروىٰ الحسين المروزي في كتاب "الرقائق" عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنَّه كان يقول: إذا قُتِلَ العَبْدُ في سبيل الله، كان أول قطرة من دمه إلىٰ الأرض كفَّارة الخطايا، ثم يُرسل الله عزَّ وجلَّ برَيِّطة[1] من الجنَّة فيقبض فيها روحه، وصورة من صور الجنَّة فيركب فيها روحه، ثم يعرج مع الملائكة كأنَّه كان معهم والملائكة علىٰ أرجاء السماء يقولون: قد جاء روح من الأرض طيبة، ونسمة طيبة، فلا تمر ببابٍ إلَّا فتح لها ولا ملكٍ إلا صلَّىٰ عليها ودعا لها، ويشيعها حتىٰ يؤتىٰ بها الرحمن فيقولون: يا ربنا هذا عبدك توفيته في سبيلك، فيسجد قبل الملائكة، ثم تسجد الملائكة بعد، ثم يطهر ويُغفر له، ثم يُؤمر فيذهب به إلىٰ الشُّهداء، فيجدهم في قِبابٍ من حريرٍ في رياضٍ خُضْرٍ، عندهم حوت وثور، يظل الحوت يسبح في أنهار الجنَّة يأكل من كل رائحة في أنهار الجنَّة، فإذا أمسىٰ وكز الثور بقرنه، فيذكيه فيأكلون لحمه، فيجدون فيه طعم كل رائحة في الجنَّة، ويبيت الثور في أثناء الجنَّة فإذا أصبح عدا الحوت عليه فوكزه بذنبه، فيذكيه فيأكلون في لحمه طعم كل رائحة في الجنَّة، ثمَّ يعودون وينظرون إلىٰ منازلهم من الجنَّة، ويدعون الله عزَّ وجلَّ أنْ تقوم السَّاعة، فإذا تُوفِيَ العبد المؤمن، بعث الله عزَّ وجلَّ إليه ملكين، وأرسل إليهما بخرقةٍ من

---

(١) ريطة: بفتح الراء وسكون الياء: الكلاءة إذا كانت قطعة واحدة، ولم تكن لفتين.

الجنَّة فقال: أُخرجي أيتها النفس الطيبة، أُخرجي إلى روحٍ وريحانٍ وربٍّ عنك راضٍ غير غضبان، فتخرج كأطيب ريحٍ من مسك ما وجدها بأنفه قط، والملائكة على أرجاء السماء يقولون قد جاء من قبل الأرض روحٌ طيبة ونسمة طيبة، فلا تمر بباب إلا فُتح لها، ولا بملك إلا دعا لها، وصلى عليها، حتَّى يُؤتى بها الرحمن، فتسجد الملائكة، ثم يقولون: هذا عبدك فلان قد توفيته وكان يعبدك لا يشرك بك شيئًا، فيقول: مُرُوهُ فليسجد فتسجد النسمة، ثم يدعو ميكائيل فيقول: اذهب بهذه فاجعلها مع أنفس المؤمنين، حتى أسألك عنها يوم القيامة، ثمَّ يُؤمر فيُوَسَّعُ عليه قبره سبعين ذراعًا عرضه وسبعين ذراعًا طوله، وينبذ له فيه الرياحين، ويُسْتَرُ بالحرير فإنْ كان معه شيءٌ من القرآن كفاه نوره، وإنْ لم يكن معه، جُعِلَ له في قبره نورٌ مثل نور الشَّمس ويكون مثل العروس، ينام فلا يوقظه إلا أحب أهله إليه، قال: فيقوم من نومه كأنه لم يشبع من نومته.

أين تذهب الأرواح بعد الموت

بمناسبة الكلام على أروح الشُّهداء، نتكلم على مستقر الأرواح بعد مفارقة أجسادها، تتميمًا للفائدة وبالله التوفيق.

اعلم أنَّ العلماء اختلفوا في هذه المسألة اختلافًا كبيرًا، فحكى الحافظ أبوعبد الله بن منده عن طائفة من الصَّحابة والتابعين: أنَّ أرواح المؤمنين عند الله عزَّ وجلَّ، ولم يزيدوا على ذلك.

وحكى أيضًا عن طائفة من الصَّحابة والتابعين أيضًا أنَّ أرواح المؤمنين بالجابية -بلد بالشام- وأرواح الكُفَّار ببرهوت، بئر بحضرموت.

وقالت طائفةٌ أُخرىٰ: أرواح المؤمنين ببئر زمزم، وأرواح الكُفَّار ببرهوت.

وقال أبو هريرة وابن عمر: أرواح المؤمنين في الجنَّة شهداء وغيرهم إذا لم يحبسهم عن الجنَّة كبيرة ولا دين وتلقاهم ربهم بعفوه ورحمته وقالت جماعة أُخرىٰ: الأرواح علىٰ أفنية قبورها.

وقال كعب الأحبار: أرواح المؤمنيين في علِّيين، وفي السَّماء السَّابعة. وأرواح الكُفَّار في سجِّين، في الأرض السَّابعة، تحت جسد إبليس.

وقال سلمان الفَّارسي: أرواح المؤمنين في برزخٍ من الأرض تذهب حيث شاءت، وأرواح الكُفَّار في سجِّين.

وقال إسحاق بن راهويه وابن حزمٍ وغيرهما: الأرواح كلها في السَّماء الدُّنيا، حيث رآها رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ليلة المعراج، وأرواح أهل السَّعادة عن يمين آدم عليه السَّلام، وأرواحُ أهل الشقاء عن يساره، واستدل ابن حزمٍ لهذا القول وحكىٰ إجماع أهل العلم عليه.

وبيان الراجح من هذا الأقوال، يقتضي ذكر أدلتها والموازنة بينها، وذلك ليس من غرضنا في هذه الرِّسالة، ويكفي هنا أنْ تعرف أنَّ أرواح الشُّهداء تَرِدُ أنهار الجنة وتأكل من ثمارها، لما تقدَّم في الأحاديث السَّابقة، ولما رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه: أنَّ أم الربيع بنت البراء رضي الله عنها وهي أم حارثة بنت سراقة، أتت النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقالت: يا رسول الله ألا تُحدِّثني عن حارثة -وكان قتل يوم بدر- فإنْ كان في الجنَّة صبرت، وإنْ كان غير ذلك اجتهدت عليه بالبكاء، فقال: «**يا أمَّ حارِثَة: إنَّها جِنَانٌ في جنَّةٍ وإنَّ ابنك أَصَابَ الفِرْدَوْسَ الأعْلَى**».

وروى الطبراني عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**رأيْتُ جَعْفَرَ بن أبي طَالب مَلَكًا يطيرُ في الجنَّة ذَا جِنَاحَيْنِ يطيرُ منها حيثُ شاء، مُضَرَّجَةٌ قَوَادِمُهُ بالدِّمَاءِ**» إسناده حسن.

جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه قُطِعَتْ يداه في سبيل الله يوم مؤته فأبدله الله بهما جناحين.

وفي "صحيح البخاري" عن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّه كان في غزوة مؤتة قال: فالتمسنا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه فوجدناه في القتلى، فوجدنا بما أقبل من جسده بضعًا وتسعين بين ضربة ورمية وطعنة.

تنبيه: تقدَّم في حديث كعب بن مالك: «**نَسَمَةُ المُؤْمِنِ طَائِرٌ**»، وفي رواية الأعمش عن عبد الله بن مرة، عن ابن مسعود: «**أرواحُ الشُّهداءِ عند اللهِ كَطَيْرٍ خُضْرٍ**».

وروى ابن شهاب عن ابن كعب بن مالك عن أبيه: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**أرواحُ الشُّهدَاءِ في طَيْرٍ خُضْرٍ تُعَلَّقُ في شجرِ الجنَّة**».

قال الحافظ ابن عبد البر في "الاستذكار": «هذا كله مطابقٌ لرواية مالك، فهو أصح من رواية من روى أنَّ أرواحهم في جوف طيرٍ خضرٍ». انتهى.

وقال أبو الحسن القابيسي: «أنكر العلماء قول من قال: في حواصل طير، لأنَّها رواية غير صحيحة؛ لأنَّها إذا كانت كذلك فهي محصورة مضيق عليها». انتهى.

وقال القرطبي: «الرِّواية صحيحة؛ لأنَّها في "صحيح مسلم" بنقل العدل عن العدل، فيُحْتَمَل أنْ تكون «في» بمعنى: «على» فيكون المعنى: أرواحهم على جوف طير خضر، كما قال تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه:

٧١]، أي: على جزوع النخل، وجائزٌ أنْ يُسمى الطير جوفًا؛ إذ هو محيطٌ به ومشتمل عليه، قال أبو محمد عبد الحق: وهو حسن جدًّا». انتهى.

وقال إبراهيم بن شبيب في كتاب "الإفصاح": «المنعم على جهات مختلفة، منها: ما هو طائر يعلق في شجر الجنة، ومنها: ما يأوي إلى قناديل تحت العرش، ومنها: ما هو في حواصل طير بيض، ومنها: ما هو في حواصل طير خضر، ومنها: ما هو في حواصل طير كالزرازير، ومنها: ما هو في صور تخلق لهم من ثواب أعمالهم، ومنها: ما تسرح وتعود إلى جثتها تزورها، ومنها: ما تتلقى أرواح المقبوضين، وممن سوى ذلك ما هو في كفالة ميكائيل، ومنها: ما هو في كفالة آدم عليه السَّلام، ومنها: ما هو في كفالة إبراهيم عليه السَّلام». انتهى.

قال القرطبي: «وهذا قولٌ حسنٌ؛ فإنَّه يجمع الأخبار حتى لا تتدافع، والله بغيبه أعلم وأحكم». انتهى.

وكان المرحوم الأستاذ عبدالله الجيَّار، قد سألني مستشكلًا: كيف تكون روح المؤمن في حوصلة الطير؟ فذلك حبس لها وتضييق عليها، وهو بمعنى كلام القابسي وإنْ لم يطلع عليه.

فأجبته بأنَّ الطير مركبة لها، كما يركب أحدنا سيارة تحمله من مكان إلى آخر، ثم وجدت ابن القيم يقول: «إنَّ جعل أرواح الشُّهداء في أجواف طير خضر، فإنَّهم لما بذلوا أنفسهم لله حتى أتلفها أعداؤه فيه؛ أعاضهم عنها في البرزخ أبدانا خيرًا منها تكون فيها إلى يوم القيامة، ويكون نعيمها بواسطة تلك الأبدان، أكمل من نعيم الأرواح المجردة عنها».

ولهذا كانت نسمة المؤمن في صورة طيرٍ، أو كطيرٍ، ونسمة الشُّهداء في

جوف طيرٍ، وتأمَّل لفظ الحديث، فإنَّه قال: «نَسَمَةُ المؤْمِنِ طَيْرٌ»، فهذا يعم الشَّهيد وغيره، ثمَّ خصَّ الشَّهيد بأنْ قال: «هي في جَوْفِ طَيْرٍ»، ومعلوم أنَّها إذا كانت في جوف طير صدق عليها أنها طير، انتهى.

وروى بكر بن خُنَيس، عن ضِرَار بن عمرو، عن يزيد الرَّقَاشِي، عن أنسٍ. وعن أبي عبدالله الشَّامي، عن تميم الدَّاري، عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إذا عَرجَ مَلَكُ الموتِ بروحِ المؤمِن إلى السَّماءِ استقبَلَهُ جبريل في سَبْعينَ ألفًا مِنَ الملائِكةِ كلٌّ منهم يَأتِيه ببشَارةٍ من السَّماءِ، سِوَى بِشَارَةِ صاحِبِهِ فإذا انتهى به إلى العرشِ خرَّ ساجدًا، فيقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ لملكِ الموتِ: انطَلِقْ بروحِ عبدِي فَضَعْهُ في سِدْرٍ مَخْضُودٍ وطَلْحٍ مَنْضُودٍ وظِلٍ مَمْدُودٍ، وماءٍ مَسْكُوبٍ**». إسناده ضعيف(١).

تنبيه آخر: قال النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**والذي نَفْسِي بيدِه لو أنَّ رجُلًا قُتِلَ في سَبِيلِ الله ثُمَّ أُحيِيَ ثمَّ قُتِلَ، ثُمَّ أُحيِيَ ثمَّ قُتِلَ وعلَيْهِ دَيْنٌ، ما دَخَلَ الجنَّة حتَّى يُقْضَى عَنْهُ**».

هذا الحديث يوافق الحديث الصحيح الماضي: «**يُغْفَرُ للشَّهيدِ كُل ذَنْبٍ إلَّا الدَّيْن**». وهذا يدل على أنَّ الشَّهيد المدين لا يدخل الجنَّة، من حين استشهاده ولا تكون روحه طيرًا يُعلق من شجر الجنَّة، فأين تكون؟

الجواب: تكون على نهرٍ بباب الجنَّة، يخرج إليها رزقها بكرةً وعشيًّا.

روى عبد الله بن وهب وأحمد بن حنبل، عن ابن عبَّاسٍ عن النَّبيِّ صلَّى الله

---

(١) لضعف بكر ويزيد الرقاشي.

عليه وآله وسلَّم قال: «**الشُّهداء على بَارِقِ نَهرٍ ببابِ الجنَّةِ، يَخْرُجُ عليهم رِزْقُهم من الجنَّة بُكرةً وعشيًّا**». فهؤلاء الشَّهداء هم الذين عليهم دَيْنٌ، ويلحق بهم من كان عليه حقٌّ لآمي.

قال القرطبي: «لأنَّ الدَّيْن ليس مختصًا بالمال».

شهيد البحر

روى الحاكم عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**غزوةٌ في البحْرِ خيرٌ من عشرِ غَزَوَاتٍ في البرِ، ومن أجازَ البَحْرَ فكأنَّما أجازَ الأوْدِيَةَ كُلها، والمَائِدُ فيه كالمُتَشَحِّط في دَمِهِ**». قال الحاكم: «صحيح على شرط البخاري».

وروى ابن ماجه عن أبي أُمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**لَشَهِيدُ البَحْرِ مِثْلُ شَهيدَي البَرِّ، والمَائِدُ في البَحْرِ كالمُتَشَحِّطِ في دَمِهِ في البَرِّ، وما بين المَوْجَتَيْنِ كقَاطعِ الدُّنْيَا في طَاعَةِ الله عزَّ وجلَّ وإنَّ الله وكَّلَ مَلَكُ الموتِ بِقَبْضِ الأرْوَاحِ إلَّا شهيدُ البَحْرِ فإنَّه يَتَولَى قَبْضَ أرْوِاحِهِم، ويُغفرُ لشهيدِ البَرِّ الذُّنوب كُلها إلَّا الدَّيْن، ولشهيد البحرِ الذُّنوب كُلها والدَّين**».

قال القرطبي: في إسناده لين. أي ضعف. انتهى.

إنَّما كان لشهيد البحر هذا الفضل العظيم؛ لما في ركوب البحر من مُقاساة الأهوال واقتحام المخاطر، ولقد شاهدنا فيه الموت عيانًا، حيث هاج علينا بالقرب من الإسكندرية وصار الموج يلف الباخرة لفًّا وهي تتأرجح كريشةٍ في

مهبِّ الرِّيح، ونحن لا نملك أنفسنا من الدُّوار والمَيْدِ والقَيْءِ، واستعدَّ رجال الباخرة لإنزال قوارب النَّجاة، ثمَّ نجَّانا الله تعالىٰ فسلمنا، ومن الأمثال المتداولة المشهورة: «راكب البحر مفقودٌ والنَّاجي منه مولودٌ»، ولذلك أفتىٰ كثير من علماء المالكية بالأندلس بأنَّ ركوب البحر عذر يسقط فريضة الحج لعدم سلامة راكبه غالبًا، وكان جدُّنا من قبل الأم العلَّامة العارف سيدي أحمد بن عجيبة عزم علىٰ الحج فركب الباخرة من طنجة ثم رجع من جبل طارق، لأنَّه حصل له دوارٌ وميدٌ وقيءٌ، حتَّىٰ فاتته الصَّلاة عن وقتها، فقال: لا يجوز الحج مع تضييع الصَّلاة، وإذا كان هذا حال راكب البحر في سفرٍ اعتياديٍّ آمن، فكيف حال راكبه في جهاد العدو وقتاله؟ لا شك أنَّ الخطر يتفاقم والمتاعب تزيد.

ولهذا جاء في معاجم الطبراني الثَّلاثة، عن عِمرانِ بن حُصَيْنٍ رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَنْ غَزَا في سبيلِ الله غَزْوَةً في البَحْرِ -واللهُ أعلمُ بمن يَغْزُو في سبيلِهِ- فَقَدْ أدَّى إلى الله طَاعَتَهُ كُلَّها، وطَلَبَ الجنَّةَ كلَّ مَطْلَبٍ، وهَرَبَ منَ النَّارِ كَلَّ مَهَرَبٍ**». إسناده ضعيف.

وروىٰ الطبراني في "المعجم الأوسط"، بإسنادٍ ضعيفٍ أيضًا عن وَاثِلَةَ بن الأَسْقَعِ رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم «**منْ فَاتَهُ الغَزْو مَعِي فَلْيَغْزُ في البَحْرِ**».

تنبيه: قال القرطبي: «الدَّيْنُ إذا أخذه المرء في حقٍّ واجبٍ لفاقةٍ أوعُسْرٍ ومات، ولم يترك له وفاء، فإنَّ الله تعالىٰ لا يحجبه عن الجنَّة إنْ شاء الله تعالىٰ، شهيدًا كان أو غيره، لأنَّ علىٰ السُّلْطان فرضًا أنْ يؤدِّي عنه، قال رسول الله

صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَنْ تَرَكَ دَيْنًا أوضَيَاعًا فعلى الله ورسولِهِ، ومَنْ ترك مالًا فَلِوَرَثَتِهِ**». فإنْ لم يؤدِّ عنه السُّلْطان، فإنَّ الله تعالى يقضي عنه، ويرضي خصمه، والدَّليل على ذلك: ما رواه ابن ماجه عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ الدَّيْنَ يُنْقِصُ**[1] **أو يُقْبَضُ من صَاحِبِهِ يوم القِيَامة إذا مات ولم يُؤدِّهِ، إلَّا مِنْ ثلاث خِلالٍ: الرَّجُلُ تَضْعُفُ قوَّتهُ في سبيلِ الله فَيَسْتَدِينُ ليَتَقَوَّى به لعدوِ الله وعدُوهِ، ورجلٌ يموتُ عندَهُ رجلٌ مسلمٌ لا يجدُ ما يُكَفِّنُهُ فيه ويُوَارِيهِ إلَّا بدَيْنٍ، ورجلٌ خافَ على نفسهِ العَزَبَةَ فينْكِحُ خَشْيَةً على دِينِه فإنَّ اللهَ يَقْضِي عنْ هؤلاءِ يومَ القِيَامةِ**».

وأما من استدان في سفه أو سرف فمات ولم يوفه أو ترك له وفاء ولم يوص به أو قدر على الأداء فلم يوفه، فهذا الذي يحبس به صاحبه عن الجنة حتى يقع القصاص بالحسنات والسيئات فيحتمل أن يكون قوله عليه السَّلام في شهيد البحر عامًا في الجميع وهو الأظهر لأنه لم يفرق بين دين ودين، ويحتمل أن يكون قوله فيمن استدان ولم يفرط في الأداء وكان عزمه ونيته الأداء لا إتلاف المال على صاحبه.

وقد قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَنْ أخذَ أمْوَالَ النَّاسِ يُريدُ أدَاءَهَا أدَّى اللهُ عنْهُ، ومن أخذَهَا يُريدُ إتْلَافَهَا أتْلَفَهُ اللهُ**». أخرجه البخاري.

على أنَّ حديث أبي أُمامة في إسناده لين، وأعلى منه إسنادًا وأقوى ما رواه

---

(١) بالصاد المهملة مبنيًا للمعلوم، أي ينقص من عمل المدين بقدر الدين الذي عليه. أو يقبض بالضاد المعجمة مبنيًا للمجهول: أي يقبض من عمل المدين، فيعطى للدائن.

مسلم عن عبد الله بن عمرو، أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**القَتْلُ في سَبِيلِ اللهِ يُكَفِّرُ كلَّ شيءٍ إلَّا الدَّيْن**». ولم يخصّ برًّا من بحرٍ.

ثمَّ ذكر القرطبي حديث أبي قتادة، ثم قال: وخرَّج الحافظ أبو نُعيم بإسناده عن قاضي البصريين شُريح، عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه: أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ الله يَدْعُو صَاحبَ الدَّينِ يومَ القِيَامَةِ فيقولُ: يا ابنَ آدمَ فِيمَ أَضَعْتَ حُقوقَ النَّاسِ؟ فِيمَ أَذْهَبْتَ أَمْوَالَهُمْ؟ فيقولُ: يا رَبِّ لمْ أُفْسِدْهُ ولَكِنْ أَصَبْتَ إمَّا غَرقًا وإمَّا حَرَقًا**[1] **فيقولُ الله عزَّ وجلَّ: أَنَا أَحَقُّ مَنْ قَضَى عَنْكَ اليَوْمَ فتَرْجَحُ حسنَاتُهُ على سَيْئاتِهِ فَيُؤمرُ به إلى الجنَّةِ**». رواه من طرق. انتهى كلامه.

قلت: خلاصة هذا البحث أنَّ شهيد البحر مثل شهيد البر يكفر عنه كل شيءٍ إلَّا الدَّين[2]، والله تعالى أعلم.

شهيد الجو

لشهيد الجو من الفضل مثل ما لشهيد البحر؛ لأنَّ في ركوب الطائرة من الأخطار وعروض الميد والقيء مثل ما في ركوب الباخرة، بل قد يكون الخطر في ركوب الطائرة أعظم، ولقد ركبت طائرة في سفري إلى الحجاز فشاهدت ما حصل لبعض الركاب من دوارٍ وقيءٍ وكانت الطائرة تقع أحيانًا في مطبٍّ جويٍ فترتج إرتجاجة يَنْخَلِعُ لها قلوب الركاب ومنَ النَّاس من يختار ركوب

---

(١) أو آفة من الآفات التي وقعت بغير تقصير منه.

(٢) والعقوق والأمانة والنفاق كما تقدم.

الباخرة على ركوب الطائرة لأنَّ الخطر فيها أشد.

ويُستدل للقتال في الجو بما ثبت في "صحيح البخاري" عن رفاعة الزرقي رضي الله عنه، أنَّ جبريل عليه السَّلام قال للنَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ما تعدون أهل بدر فيكم؟ قال: من خيارِ المُسلِمِينَ، قال: كذلك من شهد بدرًا من الملائكة**».

قلت: كانت الملائكة في بدرٍ يقاتلون من الجو، شاهدهم كثيرٌ من الصَّحابة وبعض المشركين وكان المشرك في بدرٍ تأتيه الضربة من فوق، لا يدري مَنْ ضربه فيقع مَيِّتًا.

تنبيه: شهيد المعركة –هو الذي قُتل في ميدان الحرب– لا يُغسَّل ولا يُصلَّى عليه، سواء أقتل في معركة بريَّة أم بحريَّة أم جويَّة، أمَّا ما ورد من صلاة النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على شهداء أحدٍ فيحمل على أحد أمرين:

١- إمَّا أنْ يكون ذلك قبل نسخ الصلاة على الشهيد.

٢- وإما أن يكون معنى الصلاة الدعاء لهم، والترحم عليهم.

وبقية الشُّهداء الآتية أنواعهم يُغسَّلونَ ويُصلَّى عليهم كسائر موتى المسلمين، وإنَّما جعلهم الشَّارع في حُكم الشُّهداء لخصلة خير اتصفوا بها، أو لمصيبةٍ أصابتهم فقضت على حياتهم رحمة من الله لهم وتفضلًا عليهم والله ذو الفضل العظيم.

١- طالب الشهادة

روىٰ مسلم والأربعة، عن سهل بن حُنَيْفٍ رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَنْ سأَلَ اللهَ الشَّهادةَ بصِدْقٍ، بَلَّغَهُ اللهُ منَازِلَ الشُّهدَاءِ وإنْ ماتَ على فِرَاشِهِ**».

وروىٰ مسلمٌ عن أنسٍ رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَنْ طَلَبَ الشَّهادةَ صَادِقًا أُعْطِيَهَا ولَوْ لَمْ تُصِبْهُ**».

وروىٰ الأربعة عن معاذ بن جبلٍ رضي الله عنه: أنَّه سمع رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**مَنْ قَاتلَ في سبيلِ الله فُواقَ نَاقةٍ فَقَدْ وجبَتْ لهُ الجنَّةُ، ومن سأَلَ القتْلَ مِنْ نَفْسِهِ صَادِقًا فقدْ وَجَبتْ لَهُ الجنَّةُ، ومنْ سأَلَ اللهَ القَتْلَ مِنْ نَفْسِهِ صَادِقًا ثُمَّ مَاتَ أو قُتِلَ فإنَّ لهُ أَجْرُ شَهِيدٍ، ومن جُرِحَ جَرْحًا في سبيلِ الله أوْ نُكِبَ نَكْبَةً فَإنَّها تَجِيءُ يومَ القِيامَةِ كَأغْزَرِ ما كَانت لَوْنُها لَونُ الزَّعفرانِ ورِيحُها ريحُ المسْكِ**». صحَّحه الترمذيُّ.

فُواق: بضم الفاء، وتخفيف الواو: ما بين الحلبتين.

يفيد الحديث عِظَمُ فضل الجهاد، ويفيد أنَّ من طلب الشَّهادة صادقًا بأنْ يكون قصده الجهاد في سبيل الله لنصرة دينه ثم مات علىٰ فراشه، فإنَّ الله يعطيه أجر شهيد، ويبعثه في زمرة الشهداء؛ لأنَّ الله علم صدق نيته وشرف قصده، والقرآن يؤيد هذا، وذلك أنَّ الهجرة قبل فتح مكة، كانت مفروضة، يعصي تاركها، وكان بعض الصَّحابة يموت في الطريق، قبل وصوله المدينة، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى

ٱللَّهِۚ﴾ [النساء: ١٠٠]. أي: فقد حصل له أجر المهاجر، وكتب في زمرة المهاجرين.

وفي الصحيحين عن عمر رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**إنَّما الأعمالُ بالنيَّاتِ، وإنَّما لكلِّ امريءٍ ما نَوَى فمن كانتْ هِجْرَتُهُ إلى الله ورسُولِهِ، فَهجْرَتُهُ إلى الله ورسولِهِ، ومن كانتْ هِجرتُهُ لِدُنْيا يُصيبُهَا أو امْرَأةٍ يَتَزَوجَهَا فهجرتُهُ إلى مَا هَاجرَ إليه**».

وصحَّ عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه: أنَّ رجلًا خطب امرأةً بمكة يُقال لها: أمُّ قيسٍ، فقالت: لا أتزوجك حتى تهاجر، فهاجر إلى المدينة وتزوجها فكنا نسميه مهاجر أم قيس.

٢- الميت في سبيل الله

روى الآجري عن أبي مالك الأشجعي، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَنْ فَصَلَ في سبيلِ الله فَماتَ أو قُتِلَ، فهو شَهِيدٌ، أو وَقَصَهُ فَرسُهُ أو بَعيرُه، أو لَدَغَتْهُ هَامَّةٌ أو ماتَ على فِراشِهِ بأيِّ حَتْفٍ شَاء الله فإنَّه شهيدٌ، وإنَّ له الجنَّة**». ورواه ابن أبي شيبة عن عبد الملك بن عتيك مرفوعًا بمعناه.

فصل: خرج، قال الله تعالى ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ﴾ [يوسف: ٩٤]، أي: خرجت من مصر، والمعنى: أنَّ المسلم إذا خرج للجهاد فمات في الطريق إلى الميدان موتًا معتادًا، أو وقع عن دابته، كفرس أو ناقة، أو صدمته سيارة أو لدغته حية أو عقرب، فمات بذلك فإنَّه يكون شهيدًا، كما لو قتل في المعركة، ويدخل الجنة.

جملة من الشُّهداء

روىٰ مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ما تعدُّون الشُّهداءَ فيكم؟**» قالوا: يا رسول الله من قُتِلَ في سبيل الله فهو شهيدٌ، قال: «**إنَّ شُهداءَ أُمَّتِي إذًا لقليل**». قالوا: فمن يا رسول الله؟ قال: «**مَنْ قُتِلَ في سبيلِ الله فهو شهيدٌ، ومنْ مَاتَ في سبيلِ الله فهو شهيدٌ، ومنْ ماتَ في الطَّاعُونِ فهو شهيدٌ، ومن مَاتَ من البَطْنِ فهو شهيدٌ**». قال ابن مِقْسَمٍ: أشهدُ علىٰ أبيك -يعني أبا صالح- أنَّه قال: «**والغَرِيقُ شهيدٌ**».

وروىٰ مالكٌ والبخاري عن أبي هريرة أيضًا، عن النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**الشُّهداءُ خمسةٌ: المَطْعونُ والمبْطونُ، والغَريقُ، وصَاحبُ الهَدْمِ، والشَّهيدُ في سبيلِ الله**».

وروىٰ الأربعة إلَّا الترمذي عن جابر بن عَتيكٍ، قال: جاء رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يعود عبدالله بن ثابت، فوجده قد غلب عليه. فصاح به، فلم يجبه، فاسترجع رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وقال: «**غُلِبنَا عليك يا أبا الرَّبيع**». فصاحت النِّسوة وبكين، وجعل ابن عتيك يُسكتهن، فقال النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**دَعْهُنَّ فإذا وجبَ فَلا تَبْكِيَنَّ بَاكيةٌ**»، قالوا: وما الوجوب[1] يا رسول الله؟ قال: «**إذا مات**». قالت ابنته: والله إنِّي لأرجو أنْ

---

(١) هذا يدل علىٰ أن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان واسع العلم باللغة العربية، حتىٰ كان الصحابة -وهم عرب- يسألونه عن ألفاظ منها لا يعرفونها، وسيأتي سؤال عائشة له عن الطاعون. ولهذا قال الإمام الشافعي في "الرسالة": «لا يحيط باللغة العربية إلا نبي». وذلك لسعتها، وتعدد فنونها.

تكون شهيدًا، فإنَّك كنت قد قضيت جهازك، قال النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ الله قد أَوْقَعَ أَجْرَهُ على نِيَّتِه، وما تعدُّون الشَّهادة؟**» قالوا: القتل في سبيل الله، فقال النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**الشَّهادةُ سبْعٌ سِوى القَتْلُ في سبيلِ الله؛ المبطونُ شهيدٌ، وصاحبُ الحريقِ شهيدٌ، والغريقُ شهيدٌ، وصاحبُ ذاتِ الجَنْبِ شهيدٌ، والمطعونُ شهيدٌ، والذي يَموتُ تحتَ الهَدْمِ شهيدٌ، والمرأةُ تموتُ بجُمْعٍ شهيدٌ**».

صحَّحه ابن حِبَّان.

وروىٰ الطبراني بإسنادٍ رجاله ثقات، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، قال: دخلنا علىٰ عبدالله بن رواحة نعوده، فأُغمي عليه، فقلنا: رحمك الله، إنْ كنا لنُحب أنْ تموت علىٰ غير هذا، وإنْ كنا لنرجوا لك الشَّهادة، فدخل النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، ونحن نذكر هذا فقال: «**وفِيمَ تَعدُّونَ الشَّهادةَ؟**» فأرَمَّ القوم، وتحرك عبدالله، فقال: ألا تجيبون رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم؟ ثم أجابه هو، فقال: نَعدُّ الشَّهادة في القَتْلِ، فقال: «**إنَّ شهداءَ أُمتِي إذًا لقليلٌ، إنَّ في القتلِ شهادةٌ، وفي الطَّاعونِ شهادةٌ، وفي البطنِ شهادةٌ، وفي الغرقِ شهادةٌ، وفي النُفساءِ يَقْتلها ولدُهَا جُمْعًا شهادةٌ**».

أرَمَّ: بفتح الراء وتشديد الميم: سكت. جمعًا بفتح الجيم وضمها وكسرها.

وروىٰ الطبراني أيضًا عن ربيع الأنصاري رضي الله عنه: أن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عاد ابن أخي جبر الأنصاري فجعل أهله يبكون عليه فقال لهم جبر: لا تؤذوا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بأصواتكم فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**دعْهُنَّ يَبْكينَ ما دَامَ حيًّا، فإذَا وَجبَ فَلْيَسْكُتْنَّ**»،

فقال بعضهم: ما كنا نرىٰ أنْ يكون موتك علىٰ فراشك، حتىٰ تقتل في سبيل الله مع رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أومَا القتل إلَّا في سبيلِ الله؟ إنَّ شهداءَ أُمتي إذًا لقليل؛ إنَّ الطَّعنَ شهادةٌ، والبطنَ شهادةٌ، والطاعونَ شهادةٌ، والنُّفساءَ بجمعٍ شهادةٌ، والحَرَقَ شهادةٌ، والغرقَ شهادةٌ، وذاتَ الجنبِ شهادةٌ**». رجال إسناده محتج بهم في الصحيح.

الحَرَق، بفتح الحاء والراء: النَّار.

وروىٰ أحمد عن راشد بن حبيش: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم دخل علىٰ عُبادة بن الصامت يعوده في مرضه، فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أتعلمُونَ منْ الشَّهيدُ مِنْ أُمتي؟**» فأرَمَّ القوم فقال عُبادة: سَانِدُونِي، فأسْنَدُوهُ فقال: يا رسول الله، الصَّابر المُحتسِبُ. فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ شُهداءَ أُمتي إذًا لقليل، القَتْلُ في سبيلِ الله عزَّ وجلَّ شهادةٌ، والطَّاعونَ شهادةٌ، والغرقُ شهادةٌ، والبطنُ شهادةٌ، والنُّفَساءُ يجُرُّهَا ولَدُهَا بسُرَرِهِ إلى الجنَّة**»، قال: وزاد أبو العوام: «**سَادِنُ بيتِ المَقْدِسِ والحَرْقُ والسَيلُ**».

إسناده حسن.

شملت هذه الأحاديث الخمسة -وهي حديث أبي هريرة، وحديث جابر بن عتيك، وحديث عبادة بن الصامت، وحديث ربيع الأنصاري وحديث راشد بن حبيش، وهو صحابي معروف علىٰ أنواع من أسباب الشهادة، غيرالقتل، في ميدان المعركة، نفصلها فيما يلي:

١- الطاعون

وهو وباءٌ معروف نسأل الله العافية منه ومن كل بلاءٍ، صحَّت الأحاديث فيه أنَّه شهادة.

ففي الصحيحين عن أنسٍ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**الطَّاعونُ شهادةٌ لكلِّ مُسلمٍ**».

وفي "صحيح البخاري" عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن الطَّاعون، فقال: «**كان عذابًا يَبْعثُهُ اللهُ على مَنْ كان قَبْلَكُم فجعلَهُ اللهُ رحمةً للمؤمنينَ، ما من عبدٍ يكونُ في بلدٍ فيكونُ فيهِ فَيَمْكُثُ لا يخرجُ صَابِرًا مُحتَسِبًا يَعْلَمُ أنَّه لا يُصِيبُه إلَّا مَا كَتبَ اللهُ إلَّا كان لهُ مثلُ أجرِ شهيدٍ**».

وروى أحمد بإسناد حسن، عن أبي عسيب رضي الله عنه، مولى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أَتَانِي جِبْرِيلُ -عليه السَّلام- بالحُمَّى والطَّاعونِ فَأَمْسكتُ الحُمَّى بالمدينَةِ وأَرْسَلْتُ الطَّاعُونَ إلى الشَّام، فالطَّاعونُ شهادةٌ لأُمتِي ورِجْسٌ على الكافِرِ**».

وروى أحمدُ بإسنادٍ حسنٍ أيضًا عن جابر رضي الله عنه،قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول في الطَّاعونِ: «**الفَّارُّ منه كالفَّارِّ من الزَّحفِ، ومَنْ صَبرَ فيه كانَ لهُ أَجرُ شهيدٍ**». الفَّارُّ: بتشديدالراء: الهارب.

وروى الحاكم عن أبي مُوسى الأشعري قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**اللهمَّ اجعلْ فَنَاءَ أُمتي قَتْلًا في سَبِيلِكَ بالطَّعْنِ والطَّاعُونِ**». قال الحاكم: «صحيح الإسناد».

وروى أحمدُ وأبو يعلى والطبراني بإسنادٍ حسنٍ عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لا تَفْنَى أُمَّتِي إلَّا بالطَّعْنِ والطَّاعُون**». قلتُ: يا رسول الله هذا الطَّعْنُ قد عرفنا، فما الطَّاعُون؟ قال: «**غُدَّةٌ كغُدَّةِ البَعِيرِ، المُقِيمُ بها كالشَّهيدِ، والفَّارُّ منهُ كالفَّارِّ منَ الزَّحفِ**».

وفي الطَّاعون أحاديثٌ غير هذه، جمعها الحافظ ابن حجرٍ في جزءٍ سمَّاه "بذل الماعون في أخبار الطاعون"، ثمَّ الحافظ السُّيوطي جمع جزءًا سمَّاه: «**مَا رَواهُ الوَاعُونَ مِنْ أخْبارِ الطَّاعُون**».

٢- المبطون

وهو الذي يشتكي بطنه من إسهالٍ، أو استسقاءٍ أو نحو ذلك.

يُقال: بُطِن بضم الباء وكسر الطاء: إذا اشتكى بطنه، فهو مبطون.

روى الترمذيُّ عن أبي إسحاق السبيعي قال: قال سليمان بن صرد، لخالد بن عرفطة: أمَا سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**مَنْ قَتلَهُ بَطْنهُ لمْ يُعذَّب في قَبْرِهِ؟**»، فقال أحدهما لصاحبه: نعم. حسَّنه الترمذيُّ، وصحَّحه ابن حِبَّان.

وروى النَّسائيُّ عن جامع بن شدَّاد قال: سمعت عبدالله بن يسار يقول: كنت جالسًا عند سليمان بن صرد، وخالد بن عرفطة، فذكرا: أنَّ رجلًا مات ببطنه فاشتهيا أنْ يشهدا جنازته، فقال أحدهما للآخر: ألم يقل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَنْ يَقْتلهُ بَطْنُهُ لمْ يُعذَّب في قَبْرِهِ**».

ورواه أبو داود الطيالسي في "مسنده"، قال: حدَّثنا شعبة قال: أخبرني

جامع بن شداد فذكره.

وقال ابن المبارك في "كتاب الجهاد"، حدَّثنا أبو عوانة عن داود بن عبدالله عن حميد بن عبدالرحمن -وهو الحميري- قال: كان رجلٌ يقالُ له: حُمَمَةٌ من أصحاب محمد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، خرج إلى أصبهان غازيًا، في خلافة عمر قال: وفتحت أصبهان في خلافته فقال: اللهم إنَّ حُمَمَةً يزعم أنَّه يحبُّ لقاءك فإنْ كان حُممةٌ صادقًا فاعزم له عليه وصدِّقه، اللهم لا ترد حُممةَ، من سفره هذا، قال: فأخذه بطنه، فمات بأصبهان، فقام أبو موسى، فقال: يا أيها النَّاس ألا وإنَّا فيماسمعنا من نبيكم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وفيما بلغنا علمه: ألَّا أنَّ حُمَمَةَ شهيدٌ. ورواه ابن أبي شيبة في "مصنفه"، وأحمد وإسناده صحيح.

٣- الغريق

إذا سافر الشخص في البحر سفرًا مباحًا أو سفر طاعةٍ ثم هاج البحر، فغرق فإنَّه يكون شهيدًا، كما تقدَّم في الأحاديث السَّابقة.

أمَّا لو ركب البحر عاصيًا لأبويه أو أحدهما، أو قاصدًا سرقة، أو قتلًا أو غير ذلك من المعاصي فغرق؛ فإنَّه لا يكون شهيدًا، بل هو عاصٍ بحسب نيته، كذاك المسافر في البر أو البحر، لا يجوز له قصر الصَّلاة، أو فطر رمضان، إذا كان عاصيًا بسفره لقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٧٣].

٤- المطعون

وهو الذي يُطعن بالرمح مثلًا، فيموت من تلك الطَّعنة فهو شهيد.

٥- صاحب الهدم

وهو الذي وقع عليه بيتٌ، أو نحوه فمات تحت الهَدْمِ، فإنَّه شهيد.

٦- صاحب ذا الجنب

وذات الجنب: دمل أو خرج كبر يظهر في باطن الجنب، وينفجر إلى داخل، قلَّما يسلم صاحبها، وذو الجنب: الذي يشتكي جنبه بسبب ذلك الدمل، أو الخارج وهو يسمى: «دبيله».

قال القرطبي: «وفي بعض الآثار: «**المجنوب شهيد**» يريد صاحب الجنب يقال منه: رجل جنب بكسر النون، وفتح الجيم: إذا كانت به ذات الجنب، وهي «الشوصة».

٧- صاب الحريق

وفي رواية تقدَّمت: «**والحريق شهادةٌ**» يعني: أنَّ المسلم إذا مات محترقًا بالنَّار غير منتحرٍ، فإنَّه يكون شهيدًا، ولو أحرقته نار قنبلة أو نحوها من الأسلحة الحديثة، فإنَّه شهيدٌ أيضًا.

٨- المرأة تموت بجمع

وهي التي تموت بالنِّفاس وولدها في بطنها.

وقيل: التي تموت بالنِّفاس سواء ألقت ما في بطنها أو لا.

وقيل: التي تموت عذراء، لم يمسها الرجال.

وقيل: التي تموت قبل أنْ تحيض.

والصحيح الأوَّل، يؤيده قوله عليه الصَّلاة والسَّلام: «**والنُّفساءُ يجُرُّهَا وَلَدُهَا بسُرره إلى الجنَّة**».

٩- سادن بيت المقدس

السَّادنُ في الأصل: خادم الكعبة، ثم أطلق على كل خادم لأماكن العبادة، والمراد هنا: خادم المسجد الأقصى، الذي هو أحد المساجد الثلاثة التي تُشدُّ إليها الرِّحال، وكان إليه مسرى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

وهل سادن المسجد الحرام، والمسجد النَّبوي كذلك لكونهما أفضل منه؟ أو يختص به النَّص؟ محلُ نظرٍ.

١٠- المريض بالسُّلِّ

وهو مرضٌ معروفٌ، عافانا الله منه بمنِّه.

فهذه عشرة أنواعٍ من الشَّهادة الحُكمية، اشتملت عليها الأحاديث الخمسة المذكورة، لكن ثبت في أربعةٍ منها حديثٌ يفيد تقييدها بأنْ تكون في سبيل الله.

وهو ما رواه النَّسائي عن عقبة بن عامر: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**خمسٌ مَنْ قُبضَ في شيءٍ منهُنَّ فهو شهيدٌ: المقتولُ في سبيلِ الله شهيدٌ، والغريقُ في سبيلِ الله شهيدٌ، والمبطونُ في سبيلِ الله شهيدٌ، والمطعونُ في سبيلِ الله شهيدٌ، والنُّفساءُ في سبيلِ الله شهيدٌ**».

ظاهر هذا الحديث: أنَّ الغريق ومن ذكر بعده لا يكونون شهداء إلَّا إذا كانوا في سبيل الله، مع أنَّ الأحاديث الماضية أثبتت لهم الشهادة من غير تقييد «في سبيل الله»، إلَّا أنْ يجاب بأنَّ الجار والمجرور متعلق بالخبر وهو شهيد، ويكون المعنى: والغريق شهيد في سبيل الله ... إلخ.

وعلى هذا لا إشكال، أو أنَّ التقييد لإفادة أنَّ الغرق وما معه لا يكون شهادة إلَّا إذا كان في سبيل الله، بأن يكون مأذونًا فيه، أو في سببه، أمَّا إنْ كان في

سبيل الشيطان، بأنْ كان معصيةً فلا يكون شهادة، كأن غرق وهو في طريقه إلى قتل أو سرقة مثلًا، أو اشتكى بطنه لتناول محرم، كَسُمٍّ أو خمرٍ مثلًا.

أو كان النِّفاس بسبب نكاح غير شرعي، هذا ما ظهر لي في تأويل هذا الحديث، والله أعلم بمراد رسوله.

١١- المقتول دون ماله

روى مسلمٌ في "صحيحه" عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: يا رسول الله أرأيت[1] إنْ جاء رجلٌ يريد أخذ مالي؟، قال: «**فلا تُعْطِهِ مَالكَ**»، قال: أرأيت إنْ قاتلني؟ قال: «**قَاتِلْهُ**» قال: أرأيت إنْ قتلني؟ قال: «**فأنت شَهيدٌ**» قال: أرأيت إنْ قتلته؟ قال: «**فهو في النَّار**».

ورواه النَّسائي، ولفظه: قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: يا رسول الله أرأيت إنْ عُدي على مالي؟ قال: «**فانْشُدْ بالله**». قال: فإنْ أبَوْا عليَّ؟ قال: «**فانْشُدْ بالله**». قال: فإنْ أبَوْا عليَّ؟ قال: «**فانْشُدْ بالله**» قال: فإنْ أبَوْا عليَّ؟ قال: «**فقَاتِل فإنْ قُتلتَ ففي الجنَّة، وإنْ قَتلتَ ففي النَّار**».

يبيِّن هذا الحديث حكم الصَّائِل الذي يريد أخذ مال الرجل بالقوة والغلب، فأمر صاحب المال أنْ يناشده الله ويستحلفه به ثلاث مراتٍ فإنْ أبي لرابع مرةٍ وأصر على أخذ ماله قاتله ودافع عن حقه، فإنْ قتله الصَّائل كان شهيدًا ودخل الجنَّة؛ لأنَّه قُتل وهو يدافع عن حق له، وإنْ قَتل هو الصَّائل دخل النَّار؛ لأنه ظالمٌ متعدٍّ يريد أخذ مال النَّاس بغير حقٍ.

---

(١) بفتح التاء؛ أي: أخبرني.

ولأحكام الصَّائل باب مخصص في كتب الفقه الإسلامي، وفي "صحيح البخاري": عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**من قُتِلَ دُون مَالِهِ فهو شَهِيدٌ**».

ورواه الترمذيُّ بلفظ: قال: سمعت رسول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**من أُرِيدَ مَالَهُ بغير حقٍّ، فقَاتَلَ فقُتِلَ فهو شهيدٌ**».

وفي رواية النَّسائي: «**من قُتلَ دُون مالهِ مظْلُومًا فهو شهيدٌ**».

١٢- المقتول دون مظلمته

روىٰ النَّسائيُّ عن سويد بن مقرن رضي الله عنه، قال: قال: رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**من قُتلَ دُون مَظْلَمَتهُ فهو شهيدٌ**». صحَّحه الضياء المقدسي.

مظلمته: بفتح الميم واللام: ما أُخذ من الشخص ظُلمًا، كأرض أو بهيمة، أو ثياب، أو ما أشبه ذلك.

وروىٰ أحمد في "المسند" عن عبدالله بن عمرو بن العاص، عن النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ما من مُسْلِمٍ يُظلمُ مَظْلَمَةً فيُقَاتِلَ فيُقْتَلُ إلَّا قُتلَ شهيدًا**». إسناده حسن.

(١٣- ١٤- ١٥)- المقتول دون دينه، أو أهله، أو دمه

كل واحد من هؤلاء الثَّلاثة شهيد.

روىٰ الأربعة عن سعيد بن زيد رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**من قُتلَ دُون مالهُ فهو شهيدٌ، ومن قُتِلَ دُون**

دَمِهِ فهو شهيدٌ، ومن قُتل دُون دِينِهِ(١) **فهو شهيدٌ، ومن قُتل دُون أَهْلِهِ فهو شهيدٌ**». قال الترمذيُّ: «حديث حسن صحيح».

١٦- موت الغربة

روى ابن ماجه عن ابن عبَّاسٍ، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**موتُ الغُرْبَةِ شهادةٌ**»، ورواه الدَّارقطني. بلفظ: «**موتُ الغريبِ شهادةٌ**».

ورواه أيضًا من حديث ابن عمر، وصحَّحه.

وروى أبو بكر الخرائطي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**من ماتَ غريبًا ماتَ شهيدًا**».

وروى الخرائطي أيضًا من طريق محمد بن سيرين، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَنْ مَاتَ غريبًا ماتَ شهيدًا**»(٢).

---

(١) يعني في غير الجهاد، كما حصل لمسلمٍ هندي اسمه: عبدالقيوم فإنَّه سمع إنجليزيًا من حكام الهند، يشتم النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقتله وقدم للمحاكمة، فحكم بإعدامه ولما سمعت والدته الحكم فرحت لأنَّ ابنها سيموت شهيدًا، وهو شهيد بحق رحمه الله؛ لأنَّ الدفاع عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، دفاعٌ عن الدِّين، والله تعالى يقول: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦] يعني: يجبُ عليهم أنْ يبذلوا أنفسهم فداءً لنفسه الكريمة على الله.

(٢) وروى الطبري والثعلبي والبيهقي في الشعب من طريق شريح بن عبيد الحضرمي

١٧- الميت مريضًا

روى ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**منْ ماتَ مريضًا ماتَ شهيدًا ووُقِيَ فِتنةَ القَبْرِ وغُدِيَ عليه. ورِيحَ برزقِهِ مِنَ الجنَّة**». إسناده ضعيف.

ليس المُراد بالحديث مطلق المريض، بل هو محمولٌ على مرض الطاعون؛ لما رواه النَّسائي وغيره، عن العرباض بن سارية رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**يَختصِمُ الشُّهداءُ والمُتوفُونَ على فُرُشِهم إلى ربِنَا في الذين يُتَوَفُونَ في الطَّاعُونِ فيقولُ الشُّهداءُ: قُتِلُوا كما قُتلنَا، ويقولُ المُتوفَونَ على فُرُشِهم: إخْوانُنَا ماتُوا على فُرُشِهِم كما مُتْنَا فيقولُ ربُّنَا تبارك وتعالى: انظُروا إلى جِرَاحِهِم فإنْ أشْبَهت جِرَاحَ المَقْتُولِينَ فَإِنَّهُم مِنهُم. فإذَا جِرَاحُهُم قد أشْبَهَتْ جراحَ المقْتُولِينَ**».

وروى الطبراني بإسنادٍ لا بأس به عن عُتبة بن عبد رضي الله عنه، عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**يَأْتِي الشُّهداءُ والمُتوَفُونَ بالطَّاعونِ فيقولُ أصْحَابُ الطَّاعُونِ: نَحْنُ الشُّهداءُ، فيُقَالُ: انظروا فإنْ كانتْ جِرَاحَهُم كجِرَاحِ الشُّهداءِ تَسِيلُ دَمًا كَرِيحِ المِسْكِ فهُمْ شُهداءُ فيَجِدُونَهُم كذلك**».

فهذان الحديثان يؤيدان أنَّ المراد بالمرض في حديث من مات مريضًا -إنْ صحَّ- مرض الطَّاعون، ثمَّ إنَّ الأحاديث عينت أمراضًا ثلاثة وصفت

عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ الإسلامَ بدَأ غَرِيبًا وسَيَعُودُ غَريبًا، ألَا لا غُرْبةَ على مُؤْمنٍ مَا ماتَ في غُرْبَةٍ غَابَتْ فيها بَوَاكِيهِ إلَّا بَكَتْ عليهِ السَّمَاءُ والأرضُ**».

أصحابها بالشَّهادة وهي الطَّاعون والبطن والسُّل، فلو كان كل مرضٍ يحق لصاحبه الشَّهادة، ما كان لتخصيص تلك الأمراض بالذكر معنىٰ.

ثم وجدتُ القرطبي في "التذكرة" قال ما نصه: قوله عليه السَّلام: «**منْ ماتَ مريضًا مَاتَ شهِيدًا**» عامٌّ في جميع الأمراض، لكن قيَّده في الحديث الآخر: «**من يقتله بطنه**» وفيه قولان:

أحدهما: أنَّه الذي يصيبه الذرب، وهو الإسهال لقول العرب: أخذه البطن، إذا أصابه الداء، وذرب الجرح: إذا لم يقبل الدَّواء، وذربت معدته: فسدت.

الثاني: أنَّه الاستسقاء، وهو أظهر القولين فيه؛ لأنَّ العرب تنسب موته إلىٰ بطنه، تقول: قتله بطنه، يعنون الدَّاء الذي أصابه في جوفه، وصاحب الاستسقاء قلَّ أنْ يموت إلَّا بالذرب، فكأنَّه قد جمع الوصفين وغيرهما من الأمراض، والوجود شاهد للميت بالبطن أنَّ عقله لا يزال حاضرًا، وذهنه باقيًا إلىٰ حين موته، ومثل ذلك صاحب السُّل إذ موت الآخر إنَّما يكون بالذرب، وليست حالة هؤلاء كحال من يموت فجأة، أو من يموت بالسَّام والبِرْسَام، والحُميَّات لشدَّة الآلام ولورم أدمغتهم ولفساد أمزجتها، فإذا كان الحال هكذا فالميت يموت وذهنه حاضر وهو عارف. انتهىٰ.

ومعنىٰ هذا: أنَّ المبطون وصاحب السُّل يعرفان لآخر لحظة: أنَّهما مقدمان علىٰ الموت وهما صابران محتسبان فكانا شهيدين.

كالذي يذهب للقتال وهو عارف أنَّه مقتول فيصير للمقاتلة وهو متوقع للموت في أي لحظة حتىٰ يستشهد.

١٨- قراءة آخر (سورة الحشر)

روىٰ الترمذي عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**منْ قال حِينَ يُصْبِحُ: ثلاثَ مراتٍ أعوذُ بالله السَّميعِ العليم مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجيمِ وقرأَ ثَلاثَ آياتٍ منْ آخرِ سُورَة الحشْرِ، وكلَّ اللهُ به سبعينَ ألفَ ملكٍ يصلونَ عليه حتَّى يُمْسِي، فإنْ ماتَ منْ يَوْمِهِ ماتَ شهيدًا، ومنْ قرأَهَا حين يُمْسِي فكذلك**». قال الترمذي: «حسنٌ غريبٌ»، كذا نقل عنه القرطبي. ونقل ابن كثير: أنَّه قال: «حديثٌ غريبٌ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه».

قلت: رواه الترمذي، عن محمود بن غيلان، عن أبي أحمد الزبيري، عن خالد بن طهمان، عن أبي العلاء الحقاف، عن نافع بن أبي نافع، عن معقل بن يسار. وهذا إسناد ضعيف.

وهذه الآيات من آخر سورة الحشر: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢١ – ٢٤].

وروىٰ الثَّعلبيُّ من طريق يزيد الرَّقاش، عن أنسٍ رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**منْ قرَأ آخرَ سُورةَ الحشْرِ، إلى**

آخرها: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾، فماتَ منْ لَيْلَتِهِ ماتَ شَهيدًا». يزيد الرَّقاش. ضعيف.

وروى ابن عديٍّ والبيهقيُّ عن أبي أُمامة رضي الله عنه قال: قال النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «من قرَأَ خَوَاتِيمَ الحشْرِ منْ ليلٍ أو نهارٍ فقُبِضَ في ذلك اليَّوْم أو اللَّيْلَة فقدْ أَوْجَبَ الجنَّة». إسناده ضعيف.

١٩- الميت على وضوء

روى الآجري عن أنسٍ رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «يا أنسُ إنْ اسْتطعتَ أنْ تكونَ أبدًا على وضوءٍ فافعلْ، فإنَّ ملكَ الموتِ إذَا قَبَضَ رُوحَ العَبْدِ وهو على وضوءٍ كُتِبَ له شهادةً».

قلت: هذا الحديث قطعة من حديث طويل يعرف بوصايا أنس، وهو حديث غير صحيح(١).

٢٠- صلاة الضحى

روى أبو نُعيم من طريق الشعبي، عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «منْ صلَّى الضُّحى وصَامَ ثَلاثَةَ أيامٍ منْ كلِّ شهرٍ، ولمْ يترُك الوترَ في حَضرٍ ولا سَفرٍ، كُتبَ لهُ أجرُ شهيدٍ». إسناده ضعيف

---

(١) لكن جاء في حديث عبدالرحمن بن سمرة، في رؤيا النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم التي رأى فيها أعمالًا تنجي من أهوال القيامة: «ورأيتُ رجلًا من أُمتي قد بُسِطَ عليه عذَابُ القَبْرِ فجَاءَهُ وضوءَهُ فاستَنْقَذَهُ من ذلك». وقد حسَّنه الحافظ أبو موسى المديني في كتاب "الترغيب والترهيب".

٢١- طالب العلم

روى البزَّار عن أبي ذرٍ وأبي هريرة رضي الله عنهما، قالا: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا جاء الموتُ لطَالبِ العِلْمِ وهو على هذِهِ الحالةِ، ماتَ وهو شهيدٌ**». إسناده ضعيف.

وروى الطبراني في "الأوسط" عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**منْ جاءَ أجلهُ وهو يطلُبُ العلمَ لقِيَ اللهَ ولمْ يكنْ بينَهُ وبينَ النبيينَ إلَّا دَرَجَةَ النُّبوة**» إسناده ضعيف أيضًا.

وروى الترمذي عن أنسٍ رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**منْ خَرَجَ في طَلَبِ العِلْمِ فهو في سَبيلِ اللهِ حتَّى يَرْجِعَ**».

قال الترمذي: «حديث حسن».

وروى الطبراني في "الكبير" عن أبي الرُّدَيِّنِ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ما منْ قومٍ يَجتمِعُونَ على كتابِ الله يتَعَاطَوْنَهُ بينهُم إلَّا كَانوا أضْيَافًا لله، وإلَّا حَفَّتهُم الملائكةُ حتَّى يقومُوا أوْ يَخُوضُوا في حَدِيثٍ غيرِهِ، وما منْ عالمٍ يخرجُ في طلبِ علمٍ مخَافةَ أنْ يَمُوتَ أو انْتسَاخِهِ مخَافَةَ أنْ يُدْرَسُ**[1]**؛ إلَّا كان كالغَازِي الرَّائحِ في سبيلِ اللهِ، ومنْ يُبْطِيءُ بهِ عملُهُ لمْ يُسْرعْ بهِ نَسَبُهُ**».

٢٢- العاشق العفيف

روى الخطيب الحافظ من طريق سويد بن سعيد، عن علي بن مسهر، عن أبي يحيى القتَّات، عن مجاهدٍ، عن ابن عبَّاسٍ، عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله

---

(١) بضم الراء: يذهب.

وسلَّم قال: «**مَنْ عَشِقَ فَعفَّ فَكَتَمَ فَمَاتَ، فهو شهيدٌ**[١]».

ورواه الزُّبير بن بكار، عن عبدالملك بن عبدالعزيز بن الماجِشُون، عن عبدالعزيز بن أبي حازم، عن أبي نُجيح، عن مجاهد، عن ابن عبَّاسٍ، عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

ورواه الخطيب أيضًا من طريق سويدٍ، عن أبي مسهر[٢] عن هشام بن عروة ، عن أبيه، عن عائشة، عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**منْ عَشَقَ فَعَفَّ ثمَّ ماتَ، ماتَ شهيدًا**». وفي رواية «**مَنْ عشَقَ وعفَّ وكتَمَ وصبَرَ، غَفَرَ اللهُ لهُ وأدْخَلَهُ الجنَّة**».

تكلَّم العُلماءُ في هذا الحديث، حتَّى حكوا عن يحيى بن معين أنَّه قال: «لو كان عندي فرس ورمح؛ لنزوت سويد بن سعيد»، أي: لأنَّه كفر بهذا الحديث فيما ظنوا، لكنَّه لم ينفرد به، وممن ضعَّف هذا الحديث ابن القيم في "زاد المعاد".

ولشقيقنا الحافظ أبي الفيض -رحمه الله- جزء: "درء الضعف عن حديث من عشق فعف"، وليس ذلك الجزء بيدي الآن لأنِّي بعيد عن كتبي ومراجعي، غيرَ أني أقول: ليس في إسناده كذَّاب ولا متهم بالكذب، وهو موافقٌ للقواعد والأصول، ففي الصحيحين عن حديث السَّبْعَةِ الذين يُظلهم الله في ظله:

---

(١) في الحديث دليل لمسألة نحوية وهي: مجيء فاءات العطف متعاقبة. ومثله قوله تعالى: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾ [الشمس: ١٤ - ١٥]، في قراءة ورش، وقراءة حفص: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾.

(٢) هو علي بن مسهر.

«ورَجُلٌ دعتهُ امرأةٌ ذاتَ منْصِبٍ وجمالٍ فقالَ: إنِّي أخافُ اللهَ»، أكرمه الله بهذه الفضيلة لامتناعه عن المعصية مع وجود الداعي إليها، كذلك أثنى الله على يوسف عليه السَّلام؛ لأنَّه بعد أنْ همَّ بالمرأة التي دعته إلى نفسها، رجع عنها قبل أنْ يعزم وقال: «معاذ الله».

والعاشق الذي يعف عن المعصية مع إلحاح العشق وتوقان النفس وتزيين الشيطان، ويصبر ويقاوم مع كتمان حاله حتى يموت بقصة حُبِّه جديرٌ بأنْ يكون شهيدًا؛ لأنَّه جاهد عدوَّين: نفسه والشيطان، وقد حارباه بسلاح العِشق، وهو لا يكاد يخطيء المقاتل، بل قد يؤدِّي بصاحبه إلى سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى.

قال القرطبيُّ: «يُروى أنَّه كان بمصر رجلٌ ملازمٌ للمسجد للأذان والصَّلاة، وعليه بهاء العبادة وأنوار الطاعة، فرقى يومًا المنارة، على عادته ليؤذِّن، وكان تحت المنارة دارٌ لنصراني دقي، فاطَّلع فيها فرأى ابنة صاحب الدَّار، فافتتن بها وترك الأذان ونزل إليها ودخل الدَّار، فقالت له: ما شأنك؟! ما تريد؟! فقال: أنتِ أُريد، قالت: لماذا؟ قال لها: قد سلبت لُبِّي وأخذت بجامع قلبي، قالت: لا أجيبك إلى ريبة، قال لها: أتزوجك، قالت له: أنت مسلم، وأنا نصرانيَّة وأبي لا يزوِّجني بك، قال لها: أتنصَّر، قالت: إنْ فعلت أفعل، فتنصَّر ليتزوَّجها، وأقام معهم في الدَّار، فلمَّا كان في أثناء النوم ذلك اليوم، رقى إلى سطحٍ كان في الدار، فسقط منه فمات، فلا هو بدينه ولا هو بها، نعوذ بالله ثم نعوذ بالله من سوء العاقبة ومن سوء الخاتمة». انتهى كلام القرطبي.

فما أوقع هذا البائِس في هذه المصيبة إلا عشقه الجارف الذي أخذ عقله ولم يدع له مجالًا للتفكير في شيء سوىٰ محبوبته التي هام بها، ولو أنَّه قاوم عشقه وكبح جماح نفسه حتىٰ مات، لم يبعد في كرم الله أنْ يجعله من الشهداء.

وقد وقع نظير هذه القصَّة في الأندلس لأديبٍ نحوي، قال الوزير جمال الدين القفطي في كتابه "إنباه الرواة بأنباء النحاة": «أحمد بن كُليب النَّحوي، أديبٌ شاعرٌ أندلسي قد أفرط في حبِّ أسلم بن قاضي الجماعة، إلىٰ أنْ مات بذلك، وكان أسلم بن أحمد بن سعيد شاعرًا أديبًا أيضًا، وله كتاب في أغاني زرياب، وكان من أحسن أهل زمانه وأجملهم، فوقع في حبِّه أحمد بن كُليب، وقال فيه أشعارًا حتىٰ غنَّىٰ بها المغنون في الأعراس، فانقطع أسلم عن مقابلته، فمرض حتىٰ مات بمرضه، ولما حضرته الوفاة – وكان شيخه أبو عبدالله محمد بن خطاب النحوي يعوده – قال له: اسمع مني:

أسلمُ يا راحةَ العليلِ ... رِفقًا علىٰ الهَائِمِ النَّحيلِ
وصْلُكَ أشْهَىٰ إلىٰ فُؤادِي ... مِنْ رَحْمَةَ الخَالقِ الجليلِ

ومات عقبها، فانظر كيف وصل به العشق إلىٰ هذه الخاتمة القبيحة؟! نسأل الله السَّلامة والعافية، من غضبه وعقابه.

٢٣- المقتول صبرًا

روىٰ البزَّار عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**قَتْلُ الرَّجلِ صبرًا، كفَّارةٌ لما قَبْلَهُ منَ الذُّنُوبِ**».

وروىٰ البزَّار أيضًا عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله

وسلَّم قال: «**قَتْلُ الصَّبْرِ لا يَمرُ بِذنْبٍ إلَّا مَحاهُ**».

قتلُ الصَّبر: أنْ يُقتل الشخص محبوسًا مقيدًا، وهو منهيٌّ عنه في الحيوان، قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ الله كتبَ الإحْسانَ على كلِّ شيءٍ، فإذا قَتلتُم فأحسِنُوا القِتْلَةَ. وإذا ذَبَحْتُم فأحسِنُوا الذِّبْحَ، وليُحدَّ أحَدُكُم شَفْرَتَهُ ولْيُرِحْ ذَبيحَتَهُ**»، فإذا كان الإنسان مأمورًا بإراحة الحيوان المذبوح وذلك بألَّا يُقَيَّد، وإذا كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لعن من يصبر الدجاجة ليرميها، فلا شك أنَّ تقييد الإنسان حال قتله يكون أشد تحريمًا وأعظم إثمًا، ويكون المقتول صبرًا تكفِّرُ ذنوبه كلها كالشَّهيد.

٢٤- موت يوم الجمعة أو ليلتها

روى أبو نُعيم من طريق عمر بن موسى الوجيهي، عن محمد بن المنكدر، عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**منْ مَاتَ ليلةَ الجُمُعَةِ أو يَومَ الجُمُعَةِ أُجيرَ من عذَابِ القَبْرِ، وجَاء يومَ القِيَامَةِ وعليهِ طابِعُ الشُّهداءِ**» قال أبو نُعيم: «غريبٌ من حديث جابر ومحمد. تفرد به عمر بن موسى الوجيهي». انتهى.

قلت: والوجيهي وضَّاعٌ.

وروى أحمد والترمذي من طريق ربيعة بن سيفٍ، عن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَا من مُسلمٍ يَمُوتُ يومَ الجُمُعَةِ أو لَيلَةَ الجُمُعَةَ إلَّا وقَاهُ اللهُ فتْنَةَ القَبْرِ**».

قال الترمذيُّ: «هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ، وليس إسناده بمتصل، ولا

نعرف لربيعة بن سيفٍ سماعًا من عبدالله بن عمر». انتهى.

ورواه الحكيم الترمذيُّ في "نوادر الأصول" من طريق ربيعة بن سيفٍ الإسكندري، عن عياض بن عقبة الفهري، عن عبدالله بن عمرو: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**منْ مَاتَ يَومَ الجُمُعةِ أو ليلةَ الجمعةِ وقَاهُ الله فتنةَ القبرِ**».

وهذا إسناده متصل.

٢٥- المصروع عن دابته

روى الطبراني عن عقبة بن عامر، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**من صُرِعَ عن دابتِهِ فهو شَهيدٌ**». إسناده ضعيف.

صُرع، بضم الصاد: سقط عنها، والمراد: صُرع عن دابته وهو راكب بنية الجهاد، كما سبق في بحث: الميت في سبيل الله.

٢٦- الآمر لأمير جائر

روى الحاكم والضياء المقدسي عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**سيِّدُ الشُّهداءِ حمزة بن عبدالمطلب، ورجلٌ قال إلى إمامٍ جائرٍ فأمَرَهُ ونهَاهُ فقتَلَهُ**». صحَّحاه.

الشخص الذي يقوم إلى إمامٍ جائرٍ ... فيأمره بالعدل واتِّباع الحقِّ، وينهاه عن الظُّلم والانحراف وهو يعلم جوره وبطشه، فيغضب عليه الإمام ويقتله ويكون من سادات الشُّهداء؛ لأنَّه ضحَّى بنفسه وحياته، في سبيل كلمة حق يقولها، ونصيحة يبذلها.

٢٧- المؤذن المحتسب

روى الطبرانيُّ عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**المؤذِّنُ المُحتسِبُ كالشَّهيدِ المُتشَحِّطُ في دَمِهِ، وإذا مات لم يُدَوَّدْ في قَبْرِهِ**».

وروى الطبرانيُّ أيضًا عن ابن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**المؤذِّنُ المحتسِبُ كالشَّهيدِ المُتَشَحِّطِ في دَمِهِ. يتمنَّى على الله ما يَشْتَهِي بينَ الآذَانِ والإقَامةِ**». إسنادهما فيه رواثق، والحديث حسنٌ.

وروى ابن ماجه والدارقطني في سننهما عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**من أذَّن ثِنْتَي عشْرَةَ سنةً وَجَبَتْ له الجنَّةُ، وكُتِبَ لهُ بكلِّ آذَانٍ ستُّونَ حسنةً، وبكلِّ إقامةٍ ثلاثُونَ حسنةً**». صححه الحاكم على شرط البخاري.

تنبيه: قوله في الحديث الأول: «**وإذَا ماتَ لمْ يُدوَدْ في قبرِهِ**» يفيدُ: أنَّ المؤذن المحتسب إذا مات لا يبلى جسمه، مثل شهيد المعركة، وقد أثبتت المشاهدة ذلك.

قال ابن أبي الدنيا في كتاب "الأولياء": «كتب إليَّ أبو عبدالله محمد بن خلف بن صالح التيمي: أنَّ إسحاق بن أبي نباته، مكث ستين سنة يؤذن لقومه في مسجد بني عمرو بن سعد -يعني بالكوفة- وكان يعلم الغلمان في الكِتَّاب ولا يأخذ الأجر، ومات قبل أنْ يحفر الخندق بثلاثين سنة، فلما حفر الخندق، وكان بين المقابر ذهب بعض أصحابه يستخرجه ووقع قبره في الخندق فاستخرجوه كما دفن لم يتغير فيه شيء، إلا أنَّ الكفن قد جفَّ عليه ويبس والحنوط محطوط عليه، وكان خضيبًا، فرأوا وجهه مكشوفًا، وقد ظهر الحناء

في أطراف الشعر فمضىٰ المسيب بن زهير إلىٰ أبي جعفر المنصور، وهو علىٰ شاطيء الفرات، فأخبره فركب أبو جعفر في الليل، حتىٰ رآه فأمر به فدفن بالليل، لئلا يفتتن الناس.

٣٧- المائد في البحر

روىٰ أبو داود عن أمِّ حرام بنت ملحان رضي الله عنها، أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**المائِدُ في البحرِ الذي يُصِيبُهُ القَيْءُ له أجرُ شهيدٍ، والغَرِقُ له أجرُ شهيدينِ**».

أم حرام بنت ملحان: صحابية جليلة، كان النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يدخل عليها فتطعمه وينام عندها، ودخل بيتها ذات مرة كعادته، فأطعمته ثم جلست تفلي رأسه فنام صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، ثم استيقظ وهو يضحك فقالت: يارسول الله ما يضحكك، قال: «**ناسٌ من أُمتِي عُرِضُوا عليَّ غُزاةً في سبيلِ الله يَرْكبونَ ثَبَجَ هذا البحرِ ملوكًا على الأسِرةِ أو مثلُ الملوكِ على الأسِرةِ**». فقلت يار سول الله: ادع الله أنْ يجعلني منهم فدعا لها، ثم نام واستيقظ وهو يضحك فقالت: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: «**ناسٌ عُرِضوا عليَّ غُزاةً في سبيلِ الله**» كما قال في الأولىٰ، فقالت يا رسول الله: ادع الله أنْ يجعلني منهم، قال: «**أنتِ من الأوَّلِين**».

فلما كان زمن معاوية، بعث زوجها عبادة بن الصامت رضي الله عنه يغزو قبرص، فركبت البحر معه وكان أمير الغزوة، فلما نزلوا إلىٰ البر ركبت دابة، فصرعت عنها، فماتت شهيدة رضي الله عنها، وتقدَّم حديثان في المائد عند الكلام علىٰ شهيد البحر.

٣٩- التمسك بالسنة

روى الطبراني في "الأوسط" عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**المتمسِّكُ بسُنَتِي عندَ فسادِ أُمتِي لهُ أجرُ شهيدٍ**».

إذا انتشرت البدع بين المسلمين في العقيدة كبدعة الاعتزال أو الجهمية أو في التعصب للمذاهب الفرعية، واتخاذ كلام الأئمة دلائل تؤول لها ظواهر الكتاب والسُّنَّة، أو إحداث ما لا تشهد له قواعد الشرع أو لا تؤيده نصوصه، وجب التمسك بالسُّنَّة والدفاع عنها ونشرها بين المسلمين، ولما كانت السُّنَّة صِنو الكتاب، وعليهما ينبني الدين الإسلامي كان المتمسِّك بها، والمدافع عنها شهيدًا في حكم الشريعة؛ لأنه إنَّما تمسك بالدِّينِ وجاهد في دفع الفساد عنه، كما جاهد شهيد المعركة في الميدان.

هذا ما جاء في الأحاديث من أنواع الشُّهداء[1]، ذكرناه باستيفاءٍ حسبما بلغه علمنا ووصل إليه اطلاعنا مبينين رتبة الحديث وموضِّحين ما فيه من إشكالٍ أو إبهامٍ.

وللحافظ السيوطي رسالة "أبواب السَّعادة في أسباب الشَّهادة"، ليست هي عندي الآن، ولكنها فيما أظن لا تزيد على ما في كتابنا هذا -والحمد لله- زيادة ذات قيمة.

---

(١) بقي حديث «**من حفظ على أمتي أربعين حديثًا بعثه الله في زمرة الشهداء**»، وهو حديث ضعيف.

الأولياء يعطون أجور الشهداء

روى الحكيم الترمذي في "نوادر الأصول" عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ليسَ منْ أحدٍ إلَّا ولهُ كرَائمَ مِنْ مَالهِ يأبَى لها الذَّبْح وإنَّ لله خلقًا منْ خلقهِ يأبَى لهمُ الذَّبحُ: أقوامٌ يجعلُ موتَهُم على فُرُشِهم ويُقْسم لهم أُجورَ الشَّهداءِ**».

وروى الطبراني وأبو نُعيم عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ لله تعالى ضَنَائِنَ منْ خَلْقِهِ يَغْذُوهُم في رحمتِهِ يُحَيِيهِم في عافِيةٍ ويُمِيتُهُم في عافيةٍ وإذا تَوَفَّاهُم، تَوَفَّاهُم إلى جنَّتِهِ أولئكَ تَمُرُّ عليهمُ الفِتَن كقِطَعِ اللَّيلِ المُظْلِمِ وهُمْ منها في عافيةٍ**».

والأولياء جاهدوا أنفسهم في الله وخالفوا هواها حتى نالوا رضا الله، وصاروا ضنائن له، يحييهم في عافيةٍ، وينجيهم من فتن الوقت وأغياره، فإذا ماتوا على فرشهم، قسم لهم أجور الشُّهداء، لجهادهم في ذات الله وفنائهم فيه، ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

رضي الله عنهم ونفعنا بمحبتهم.

خاتمة

لا يفهمنَّ أحدٌ من الأحاديث التي أوردناها داخل الكتاب في فضل الطَّاعون والسُّلّ وغيرها أنها ترغب في الاستسلام للمرض وتؤيد عدم مقاومته فإنَّ هذا فهم مخطيء وقد يكون خاطئًا إذا كان عن سوء قصد؛ لأنَّ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أمر بالتداوي وكان إذا مرض يعالج نفسه بالأدوية المعروفة في ذلك الوقت كما يصف الدواء لصحابته الكرام وقد جمع طبَّه عليه الصَّلاة والسَّلام في كتب خاصة مثل كتاب "الطب النبوي" لأبي نعيم وللمستغفري وفي كتاب "زاد المعاد" من طبه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم شيءٌ غير قليلٍ وصرَّح علماء الإسلام بأنَّ تعلم علم الطب فرض كفاية وأنَّ علم صحة الأبدان يعادل علم صحة الأديان.

لكن في بعض الحالات يستعصي الدَّاء ولا ينجع داوء ويتجه الطبيب والمريض إلىٰ رب الأرض والسماء.

فتلك الأحاديث جاءت لعلاج مثل هذه الحالات -وهي غير قليلة- وكأنَّها تقول للمريض الذي عجز الطب عن علاجه: لا تيأس من روح الله وفضله؛ فإنك إذا صبرت واحتسبت، أعطيت ثواب شهيد، ولا يضيع مرضك سُدىٰ، وهذا علاج روحي عظيم، وهو من محاسن الدين الإسلامي، ومن خصوصياته التي تميز بها علىٰ سائر الأديان.

حكاية الشاب الذي باع نفسه لله

روينا عن عبدالواحد بن زيد الصُّوفي الزَّاهد المشهور، قال بينما أنا يومًا في مجلسنا هذا، وقد تهيأنا للخروج إلى الغزو، وقد أمرت أصحابي أنْ يتهيأوا غداة الإثنين.

وقد قرأ رجل في مجلسنا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١]الآية، فقام غلام ابن خمس عشرة سنة أو نحو ذلك -وقد مات أبوه وأورثه مالًا كثيرًا- فقال: يا عبدالواحد إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنَّة؟ فقلت: نعم، حبيبي، فقال: إنِّي أشهدك يا عبدالواحد أني قد بعت نفسي ومالي بأنَّ لي الجنَّة، فقلت له: إنَّ حد السيف أشد من ذلك، وأنت صبي، وإني أخاف عليك ألا تصبر وتعجز عن ذا البيع.

فقال لي: يا عبدالواحد إنِّي أبايع الله بالجنَّة، ثم أعجز؟ إنِّي أشهدك أنِّي بايعت الله، فتقاصرت إلينا أنفسنا، فقلنا: صبي يفعل ونحن لا نفعل؟ قال: فخرج من ماله كله -يعني تصدق به- إلا فرسه وسلاحه ونفقته.

فلما كان يوم الخروج، كان أول من طلع علينا فقال: السَّلام عليك يا عبدالواحد فقلت: وعليك السَّلام ورحمة الله وبركاته، أربح البيع، ثم سرنا وهو معنا، يصوم النَّهار، ويقوم الليل، ويخدمنا ويرعى دوابنا، ويحرسنا إذا بتنا، حتى دفعنا إلى بلاد الروم، فبينما نحن كذلك يومًا إذ أقبل وهو ينادي: واشوقاه إلى العيناء المريضة! حتى قال أصحابي: لعله وسوس الغلام، أو خلط

عقله، حتىٰ دنا، وجعل ينادي: يا عبدالواحد لا صبر لي، واشوقاه إلىٰ العيناء المريضة! فقلت: حبيبي وما هذه العيناء المريضة؟ قال: إني غفوت غفوة، فرأيت كأنَّه أتاني آت، فقال: أذهب بك إلىٰ العيناء المريضة، فهجم بي علىٰ روضة، فيها شط نهر ماء غير آسن، فإذا علىٰ شط النهر جوار، عليهن من الحُلىٰ والحلل ما لا أصف، فلما رأينني استبشرن بي وقلن: هذا زوج العيناء المريضة قد قدم، فقلت: السَّلام عليكنَّ، أفيكن العيناء المريضة؟ فقلن: لا، نحن خدم لها، وإماؤها، فتقدم أمامك، فتقدمت فإذا بنهر فيه لبن لم يتغير طعمه، في روضة فيها من كل زينة، فيها جوار، فلما رأيتهن افتتنت من حسنهن وجمالهن، فلما رأينني استبشرن وقلن: هذا والله زوج العيناء المريضة قد قدم علينا،قلت: السَّلام عليكن، أفيكن العيناء المريضة؟ فقلن: وعليك السَّلام يا ولي الله نحن خدام لها، وإماء لها تقدم أمامك، فتقدمت فإذا بنهر آخر من خمر، علىٰ شط الوادي، فيه جوار، أنسينني من خلفت فقلت: السَّلام عليكن، أفيكن العيناء المريضة؟ فقلن: لا، نحن خدم لها، وإماء لها، امض أمامك، فتقدمت فإذا بنهر آخر من عسل مصفًّىٰ، وروضة فيها جوار لهم من النور والجمال ما أنساني من خلفت فقلت: السَّلام عليكنَّ، أفيكن العيناء المريضة؟ قلن: يا ولي الرحمن نحن إماء لها، امض أمامك فتقدمت، فوقعت في خيمة من درة مجوفة، علىٰ باب الخيمة جارية عليها من الحلىٰ والحلل، ما لا أصفه، فلما رأتني استبشرت ونادت من الخيمة: أيتها العيناء المريضة، هذا بعلك قد قدم قال: فدنوت من الخيمة فدخلت عليها، فإذا هي علىٰ سريرها قاعدة، وسريرها من ذهب مكلَّل

بالدُّر والياقوت، فلما رأيتها افتتنت بها، وهي تقول: مرحبًا بولي الرحمن، قد دنا لك القدوم علينا، فذهبت لأعتنقها فقالت: مهلًا فإنَّه لم يأن لك أن تعانقني، فإنَّ فيك روح الحياة، وأنت تفطر عندنا الليلة، إن شاء الله تعالى، فانتبهت يا عبدالواحد، ولا صبر لي عنها، قال عبدالواحد: فما انقطع كلامه حتى ارتفعت لنا سرية من العدو، فحملنا عليهم، وحمل الغلام، قال فعددت تسعة من العدو الذين قتلهم الغلام وكان هو العاشر، فمررت به وهو يتشحَّط في دمه، فضحك ملء فيه، حتى فارق الدنيا.

قصة أخرى تشبهها

وقريب من هذه القصة ما رويناه في كتاب "رسالة أبي القاسم القشيري" قال أخبرنا أبو عبدالله الشيرازي: حدَّثنا أبو الفرج الورثاني: سمعت علي بن يعقوب بدمشق، قال: سمعت أبا بكر محمد بن أحمد يقول: سمعت قاسمًا الجوعي، يقول: رأيت رجلًا في الطواف لا يزيد على قوله: قضيت حوائج الكل، ولم تقض حاجتي، فقلت: مالك لا تزيد على هذا الدعاء؟

فقال: أحدثك، اعلم أنَّا كنا سبع أنفس من بلدانٍ شتَّى، فخرجنا إلى الجهاد، فأسرنا الروم، ومضوا بنا لنقتل. فرأيت سبعة أبواب، فتحت من السماء وعلى كل باب جارية حسناء من الحور العين، فقدم واحد منا فضرب عنقه، فرأت جارية منهن، هبطت إلى الأرض، بيدها منديل، فقبضت روحه، حتى ضربت أعناق ستة منا، فاستوهبني بعض رجالهم، فقالت الجارية: أي شيء فاتك يا محروم؟ وغلقت الأبواب، فأنا يا أخي متأسِّفٌ متحسِّرٌ، على ما فاتني.

قال قاسم الجوعي: «أراه أفضلهم؛ لأنَّه رأى مالم يروا، وعمل على الشوق بعدهم».

آخر الكتاب. والحمد لله رب العالمين.

٤ - القَوْلُ المَسْمُوعُ
في بَيانِ الهَجْرِ المَشْرُوعِ

الهَجْـرُ هُجْـرٌ[1] لا يَجُـوزُ لمُسْـلِمٍ أنْ يَهْجُـرَ الإخْـوانَ والأَخْـدَانَا

فجَـزَاؤُهُ نَـارُ الجَحِـيمِ كـما أَتَـىٰ خَـبَرُ الرَّسُـولِ مُوَضِّـحًا وبَيَانَـا

إلَّا لأجْـلِ الـدِّينِ يَحسُـنُ وَقْعُـهُ زَجْـرًا لمُبتَـدِعٍ أَتَـىٰ عِصْـيَانَا

أو كـان يَمْنَـعُ شَرَّ مَهْجُـورٍ بَـدَا بَذِي اللِّسَـان، وحَـاكِيًا[2] سُـلْطَانَا

أو كان عن غَضَبٍ لأجْلِ خُصُـومَةٍ إنْ لم يَـزِدْ فَـوْقَ الـثَّلاثِ زَمَانَـا

لكِنَّـهُ هَجْـرٌ جَمِيـلٌ يـا فتَـىٰ فـاحْفَظْ لِسَـانَكَ أنْ تُـرِدْ هِجْرانَـا

واقْـرَأْ رَسَـالَتَنَا بإمْعَـانٍ تَجِـدْ فيهـا المَسَـائِلَ أُتْبِعَـتْ بُرْهَانَـا

---

(١) إثم.

(٢) الواو بمعنىٰ: «أو».

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى، خصوصًا نبينا المصطفى، ورضي الله عن آله ومن لآثارهم اقتفى.

أما بعد: فهذا جزءٌ لطيفٌ ومجموعٌ مُنِيفٌ، سمَّيته: **"القول المسموع في بيان الهَجْر المشروع"**، تكلَّمتُ فيه على حُكْم التهاجر والتشاحن، وبيَّنت أنواعه، وما يجوز منها وما يحرم، وشرحت الأحاديث والآثار التي تحتاج إلى شرحٍ وتفسيرٍ، وأوضحت فيه حقائق خفيت على خلقٍ كثيرٍ، سالكًا فيه الإنصاف، تاركًا طريق التعصب والاعتساف، ورتَّبته على فصولٍ، ومن الله تعالى نستمدُّ التوفيق ونسأله القبول.

فصل
تحريم الهجر

ثبتت أحاديث كثيرة في تحريم الهجر، نقتصر منها على عشرة:

١- عن أبي أيوب الأنصاريِّ رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لايَحِلُّ لمُسْلِمٍ أن يَهْجُرَ أخَاهُ فَوْقَ ثَلاثِ لَيالٍ، يَلْتَقِيانِ فيُعرِضُ هذا ويُعْرِضُ هذا، وخَيْرُهُما الذي يَبْدَأُ بالسَّلامِ**». رواه البخاريُّ ومسلمٌ.

«**يُعرِض**» بضم الياء وكسر الراء، معناه: يُدبر.

ومعنى الحديث: أنَّ المُتهاجِرَين يلتقيان في الطريق، فيلوي كلُّ واحدٍ منهما وجهه عن الآخَر، والذي يُخالف نَفْسَهُ منهما فيبدأ صاحبه بالسلام هو أفضلهما عند الله تعالى.

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم : «**لايَحِلُّ لمُسْلِمٍ أنْ يَهْجُرَ أخَاهُ فَوْقَ ثلاثٍ، فمَنْ هَجَرَ أخَاهُ فَوْقَ ثلاثٍ فماتَ دَخَلَ النَّارَ**». رواه أبو داود والنَّسائيُّ بإسنادٍ صحيحٍ.

٣- عن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم : «**لا تَقَاطَعُوا ولا تَدَابَرُوا ولا تَبَاغَضُوا ولا تَحَاسَدُوا، وكُونوا عِبادَ الله إخْوَانًا، ولا يَحِلُّ لمُسْلِمٍ أنْ يَهْجُرَ أخَاهُ فَوْقَ ثلاثٍ**». رواه البخاريُّ ومسلمٌ.

الأفعال الأربعة: مفتوحة التاء في أولها، وقوله: «**لا تَدَابَرُوا**»، قال الخطَّابيُّ: «معناه: التهَاجُر والتصارم، مأخوذٌ من تولية الرجل دُبَره أخاه إذا رآه وأعرض عنه».اهـ

ومعنى الحديث: أنَّ المسلمين لا يجوز أن يحصل بينهم تَقاطعٌ ولا تَدابرٌ

ولا تَحاسُدٌ ولا تَباغُضٌ، بل يجب أن يكونوا إخوانًا مُتآلِفين، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

٤- عن هشام بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لايَحِلُّ لمُسْلِمٍ أنْ يَهْجُرَ مُسلِمًا فوقَ ثلاثِ ليالٍ، فإنَّهما ناكِبانِ عن الحقِّ ماداما على صِرامِهما، وأوَّلهما فَيْئًا يكون سَبْقُه بالفَيْءِ كفَّارَةٌ له، وإنْ سَلَّمَ فلم يَقْبَل ورُدَّ عليه سلامَهُ رَدَّتِ عليه الملائكةُ، ورَدَّ على الآخِر الشيطانُ، فإنْ ماتا على صِرامهما لم يَدْخُلا الجنَّةَ جَميعًا أبدًا**». رواه أحمد في "المسند" بإسنادٍ صحيحٍ.

«**صِرامهما**» بكسر الصاد، أي: تقاطعهما.

ومعنى الحديث: أن المتهاجرين يكونان بعد ثلاث ليال، ناكبين: أي مائلين عن الحق ماداما متخاصمين، فإذا سبق أحدهما بالرجوع عن الخصام يكون سبقه بالرجوع ماحيًا لإثم الهجر السابق، وإذا سلم علىٰ صاحبه لإنهاء الخصام معه، لكن صاحبه لم يقبل منه ورفض سلامه، ردت عليه الملائكة بدلًا عنه، ورد الشيطان علىٰ صاحبه؛ لتمسكه بالهجر، فإن لم يرجعا عن الخصام حتىٰ ماتا وهما متهاجران، لم يدخلا الجنة جميعًا أبدًا حتىٰ تستوفيا قسطيهما من العذاب، ثم يكون أقلهما بغضًا لصاحبه أولهما خروجًا من النار.

ويؤخذ من الحديث: أنَّ المُتهاجِرَينِ إذا ماتا كذلك، لا تَلْحقهما شفاعةٌ، بل لابد مِن دخولهما النار.

٥- عن فَضَالة بن عُبَيدٍ رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن هَجَرَ أخَاهُ فوقَ ثلاثٍ فهو في النَّارِ، إلَّا أن يَتَدَارَكَهُ اللهُ**

بِرَحْمَتِهِ». رواه الطبرانيُّ بإسنادٍ صحيحٍ.

٦- عن أبي خِراشٍ -حَدْرَد بن أبي حَدْرَد- رضى الله عنه: أنه سمع رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ سَنَةً فهو كسَفْكِ دَمِهِ**». رواه أبو داود بإسنادٍ صحيحٍ.

مَن هَجَرَ أخاه سنةً فقد حَرَمَهُ مِن أن يتعاون معه علىٰ فعل الخير، امتثالًا لقول الله تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾[المائدة: ٢]، فكان بحِرْمانه كأنه قتله؛ لأن الميت لا يقدر علىٰ عمل خير إطلاقًا، والحديث يفيد بشاعة الهَجْرِ وشدَّة قُبْحِهِ، حيث يُعطِّل طاقة المُتهاجِرَين المتَّجهة إلىٰ الخير فتصير سلبيةً، بل قد يوجِّهها نحو الشرِّ بسعي كلٍّ واحدٍ منهما في الإيقاع بخَصْمِهِ.

٧- عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم : «**لو أنَّ رَجُلَيْنِ دَخَلا في الإسلامِ فاهَتْجَرَا، لكان أحدُهما خارجًا عن الإسلام حتَّى يَرْجِعَ**»، يعني: الظالم منهما. رواه البزَّار بإسنادٍ صحيحٍ.

كان بين العرب في الجاهلية إحَنٌ وضَغَائِن وخُصُوماتٌ فرَّقَت بين كثيرٍ منهم، فأفاد الحديث أنه إذا أسلم رجلان كانت بينهما في جاهليَّتهما خصومةٌ، فاهتجرا بعد إسلامهما -إحياء لسُنَّة الجاهليَّة- كان الظالم منهما، وهو المُتمسِّك بالهَجْر والخِصام خارجًا عن تعاليم الإسلام وأوامره التي تَحُضُّ علىٰ الأُلْفَة والتآخِي بين المسلمين، حتَّىٰ يضع يده في يد أخيه ويُسَلِّم عليه ويُصافيه.

٨- عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لا يَحِلُّ لمؤمِنٍ أنْ يَهْجُرَ مُؤمِنًا فوقَ ثلاثٍ، فإن مَرَّت به ثلاثٌ فلْيَلْقَهُ وليُسَلِّم عليه، فإنْ رَدَّ عليه السَّلام فقد اشْتَرَكَا في الأَجْرِ، وإن لم يَرُدَّ عليه فقد**

باءَ بالإثْمِ، وخَرَجَ المُسَلِّمُ مِن الهِجْرَةِ». رواه أبو داود بإسنادٍ حسنٍ.

«المسَلِّم»: بفتح السين، وكسر اللام المشدَّدة.

والمعنى: أنَّ المُتهاجِرَينِ ينبغي لأحدهما بعد ثلاث ليالٍ أن يذهب إلى أخيه فيلقاه ويُسلِّم عليه، فإن ردَّ عليه السلام فقد اشتركا في الثواب؛ لإنهائهما الخِصام وإحلال الصفاء محله، وإن لم يردَّ عليه، بل استمرَّ في الهَجْرِ، كان الذي بدأه بالسلام خارجًا من إثم القطيعة، وتحمَّل صاحبه إثمها وحده، ثُمَّ إذا قابله مرَّةً أخرى فهل يسلِّم عليه؟ قيل: نعم، وقيل: إذا تأكَّد أنه لا يرد عليه، فلا يسلِّم.

٩- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**تُعْرَضُ الأَعْمالُ في كلِّ اثنين وخميسٍ، فيغفر الله لكلِّ امريءٍ لا يُشْرِكُ بالله شيئًا، إلَّا امْرَأ كانت بينه وبين أخيه شَحْنَاءُ، فيقول: اتركوا هذين حتَّى يَصْطَلِحَا**»، وفي روايةٍ: «**تُفْتَحُ أبوابُ الجنَّة يوم الاثنين والخميس، فيغفر الله لكلِّ عبدٍ لا يشرك بالله شيئًا، إلَّا رَجُلًا كانت بينه وبين أخيه شَحْنَاءُ، فيقال: أَنْظِرُوا[1] هذَين حتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هذَين حتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هذَين حتَّى يَصْطَلِحَا**». رواهما مسلم في "صحيحه".

والمعنى: أنَّ الأعمال تُعرضُ على الله تعالى، يوم الاثنين والخميس، ورواية: فتح أبواب الجِنان كنايةٌ عن المغفرة وقبول الأعمال الصالحة من المؤمنين، إلَّا المُتهاجِرَينِ، فإنَّ الله تعالى يقول للملائكة: أَخِّروا هذَين، لا تَعْرِضُوا عملهما،

---

(١) أَنظروا، بفتح الهمزة وكسر الظاء المشالة: أخروا.

فإنِّي لا أغفر لهما حتَّىٰ يَصْطَلِحَا.

١٠- عن معاذ بن جبلٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**يَطَّلِعُ اللهُ إلى خَلْقِهِ ليلةَ النِّصْفِ مِن شَعْبانَ، فيَغْفِرُ لجميعِ خَلْقِهِ، إلَّا لمُشْرِكٍ، أو مُشَاحِنٍ**». رواه الطبرانيُّ والبيهقيُّ، وصحَّحه ابن حِبَّان.

«**يَطَّلع**»: بفتح الياء وتشديد الطاء وكسر اللام.

والمعنى: أنَّ الله تعالىٰ يتجَلَّىٰ علىٰ خَلْقِهِ ليلة النصف من شعبان، فيعمهم بمغفرته، إلَّا أشخاصًا لا تشملهم المغفرة تلك الليلة حتىٰ يتوبوا.

ذكر هذا الحديث منهم اثنين: المُشْرِك والمُشاحِن، وذكرت أحاديث أخرىٰ بقيتهم، وهم: قاطِعُ الرَّحَمِ، وعَاقُّ والديه، ومُدْمِنُ خَمْرٍ، والمُخْتالُ، وقاتلُ نَفْسٍ بغير حَقٍّ، وبَغِيٌّ تتكَسَّب بفَرْجِها، وصاحِبُ مَكْسٍ.

فصل
سبب الهجر

أفادت الأحاديث السابقة: أنَّ هَجْرَ المُسلمِ بعد ثلاثة أيام كبيرةٌ، قال بعض العلماء: «لما فيه من التقاطُع، والإيذاء، والفساد».اهـ

وزَعَمَ بعض الشافعية أنه صغيرةٌ، وهو ضعيفٌ أو باطلٌ؛ لأنه لو كان صغيرةً لما توعَّدت الأحاديث عليه بدخول النَّار، ولما جعلته كسَفْكِ دَمِ المسلم، أمَّا الهَجْرُ لمدَّة ثلاثة أيامٍ، فقد رَخَّصَ فيه الشارع مُراعاةً للطِّباع البشريَّة، فإنَّ المسلم لا يخلو من أن يختلف مع أخيه المسلم في أمرٍ من أمور المُعاملة أو غيرها، فيشتد اختلافهما ويمتد غضبهما فيهتجران، حتىٰ إذا مرَّت ثلاثة أيامٍ، وهدأت نفوسهما وسكن غضبهما وجب عليهما أن يرجعا إلىٰ سابق مودَّتهما، ويصلا ما

انقطع مِن حَبْل أُخُوَّتهما.

قال الإمام الخطَّابيُّ: «فأمَّا الهِجْران أقل من ثلاثٍ، فإنما جاز ذلك في هجران المسلم أخاه لعَتْبٍ ومَوْجِدَةٍ، أو لنَبْوَةٍ تكون منه، فرخَّصَ له في مدَّة الثلاث لقلَّتها، وجعل وراءها تحت الحَظْرِ».اهـ.

قلت: ومن هنا يتبيَّن أن حَظْرَ الهَجْرِ عَزِيمَةٌ[1]، وأنَّ جوازه في الحالات المستثناة رُخْصَةٌ.

فصل

أنواع الهجر

قال العلَّامة الفقيه أحمد بن حجرٍ الهيتميُّ في "الزواجر" بعد أن ذكر أحاديث النهيِّ ما نصُّه: «ويُستثنَىٰ مِن تحريم الهَجْرِ مسائل -ذكرها الأئمة- **وحاصلها**: أنه متىٰ عاد إلىٰ صلاح دين الهاجِرِ والمَهْجُور[2] جاز، وإلَّا فلا».

قلت: قد أشرتُ إلىٰ تلك المسائل في "سمير الصالحين" بقولي: «تفصيل مسألة الهَجْرِ: أنَّ العاصي المُجاهِر بالمعصية أو المُصرَّ علىٰ فعلها: يُهجَر بعد نهيه

---

(١) قال السبكيُّ في "جمع الجوامع": والحُكْم الشرعيُّ إن تغيَّر إلىٰ سهولةٍ لعُذْرٍ مع قيام السبب للحكم الأصليِّ فرخصةٌ، وإلَّا فعزيمةٌ.

بيان هذا التعريف هنا أنَّ الحُكم الأصليَّ للهَجْرِ هو التحريم، وسببه: الإيذاء والتقاطع، وتغيُّره إلىٰ الجواز لعُذْر العتاب أو الزَّجْرِ أو الوقاية يكون رخصةً، مع وجود السبب للحكم الأصليِّ، لكن رُخِّصَ فيه للعُذْرِ.

(٢) صلاح دين الهاجر في الهجر الوقائي، وصلاح دين المهجور في الهجر الإيجابي.

وإسداء النصحية له[١]، وكذلك المُبتدِع المتفَق على ابتداعه -مثل الخارجي، والمعتزلي- يهجر بعد مناقشته -أيضًا- لعله يتوب ويُقلِع، أمَّا أن يختلف شخصان في مسألةٍ فرعيَّةٍ -كالتوسل وما أشبهه- مما يختلف فيه الرأي، وتتجاذب الأدلة، فلا يصح الهَجْر بسببه؛ لأنه لاعصيان فيه ولا ابتداع، ومن هَجَرَ صاحبه بسبب ذلك كان آثمًا عاصيًا[٢]، فإن كان المهجور قريبًا له جمع إلى إثْمِ الهَجْرِ إثْمُ قَطِيعَةِ الرَّحِمِ».اهـ

وأريد أن أبسط هنا التفصيل المذكور، بذكر أنواع الهَجْرِ، وحُكْم كلِّ نوعٍ، مع التوسُّع في إيراد الأمثلة؛ لإيضاح جزئيَّات تلك الأنواع، وبيان انطباق الحكم عليها.

فالهجر ينقسم إلى ثلاثة أنواعٍ:

١- **هَجْرٌ إيجابيٌّ زاجِرٌ**: وهو يحصل ممن له حقُّ الزَّجْرِ والتأديب، إمَّا بسلطةٍ ماديَّةٍ: كالحاكم والزوج والأب، أو سلطةٍ معنويَّةٍ: كالعالِم المقتدَى به، والصالح المُطاع لفضله.

٢- **هَجْرٌ وِقائِيٌّ مانعٌ**: وهو الذي يتقي الهاجر به شرَّ المهجور، أو الافتتان به.

٣- **هَجْرٌ سَلْبيٌّ**: لا زَجْرَ فيه، ولا مَنْعَ.

ويأتي بيانها على هذا الترتيب بحول الله تعالى.

---

(١) كان مذهب عمر، وأبي الدرداء، والنخعيِّ، وجماعةٍ: أنهم لا يهجرون عند الذنب، وكان أبو الدرداء يقول: إذا تغيَّر أخوك واعوجَّ، فلا تتركه لأجل ذلك، فإن الأخ يعوجُّ مرَّةً ويستقيم أخرى.

(٢) وهو من أفراد الهجر السلبي.

فصل

الهجر الإيجابي

١- ثبت في "الصحيحين" عن كعب بن مالكٍ رضي الله عنه -في قصة تخلُّفه عن غزوة تبوك هو، ومُرَارَة بن ربيعة العامِريُّ، وهلال بن أُمَيَّة الواقِفيُّ[1] -قال: «ونهىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن كلامنا -أيها الثلاثة- من بين من تخلف عنه، فاجْتَنَبَنا الناس».

قال الإمام الخطَّابيُّ: «فيه من العلم: أنَّ تحريم الهجر بين المسلمين أكثر من ثلاثٍ إنما هو فيما يكون بينهما من قبل عَتْبٍ ومَوْجِدَةٍ، أو لتقصيرٍ يقع في حقوق

---

(١) ثبت في "صحيح البخاري" في هذه القصة -من قول كعبٍ-: فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرًا، لي فيهما أسوة: مُرارة بن ربيعة العامريَّ، وهلال بن أُمَيَّة الواقِفيَّ.

قال ابن القيِّم: «هذا الموضع ممَّا عدَّ من أوهام الزهريِّ، فإنه لا يُحفَظ عن أحدٍ من أهل المغازي والسِّير، ذكر هذين الرجلين في أهل بدرٍ لا ابن إسحاق، ولا موسىٰ بن عقبة، ولا الأموي، ولا الواقدي، ولا أحد ممن عدَّ أهل بدرٍ، وكذلك ينبغي ألَّا يكونا من أهل بدرٍ، فإن النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لم يهجر حاطِبًا ولا عاقبه، وقد جسَّ عليه، وقال لعمر لما همَّ بقتله: «**وما يُدْرِيكَ أنَّ اللهَ اطَّلَعَ على أَهْلِ بَدْرٍ، فقال: اعملوا ما شِئْتُم، فقد غَفَرْتُ لكم**». وأين ذنب التخلُّف مِن ذنب الجس؟!

قال أبو الفرج ابن الجوزيِّ: «لم أزل حريصًا علىٰ كشف ذلك وتحقيقه، حتىٰ وجدت أبا بكرٍ الأثرم قد ذكر الزهريَّ، وذكر فضله وحفظه وإتقانه، وأنه لا يكاد يحفظ عليه خطأ، إلَّا في هذا الموضع، فإنه قال: إنَّ مرارة بن ربيعة وهلال بن أمية شَهِدا بدرًا، وهذا لم يقله أحدٌ غيره، والغَلَطُ لا يُعْصَمُ منه إنسانٌ». انتهىٰ.

عشرة ونحوها، دون ما كان من ذلك في حقِّ الدِّين، فإن هجرة أهل الأهواء والبدعة دائمةٌ على ممرِّ الأوقات والأزمان، ما لم تظهر منهم التوبة والرجوع إلى الحقِّ».اهـ

وقال ابن القيِّم في "زاد المعاد" في بيان الأحكام التي تؤخذ من هذا الحديث: «ومنها: ترك الإمام والحاكم ردَّ السلام على مَن أحدث حدثًا تأديبًا له، وزَجْرًا لغيره، فإنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لم يُنقَل: أنه ردَّ على كعبٍ، بل قابل سلامه بتبسُّم المُغضَب».اهـ

وقال: «وفيه أيضًا دليلٌ على هجران الإمام والعالم والمطاع لمن فعل ما يستوجِب العَتْب، ويكون هجرانه دواءً له، بحيث لا يضعف عن حصول الشفاء به، ولا يزيد في الكميَّة والكيفيَّة عليه فيهلكه، إذ المراد تأديبه، لا إتلافه».اهـ

وقال أيضًا: «وفي نهي النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن كلام هؤلاء الثلاثة -يعني كعبًا ورفيقيه- من بين سائر من تخلَّف عنه دليلٌ على صِدْقهم وكذب المنافقين، فأراد هجر الصادقين وتأديبهم على هذا الذنب، أمَّا المنافقون فجرمهم أعظم من أن يُقابَل بالهَجْرِ».اهـ

٢- قال ابن أبي شيبة: حدَّثنا وكيعٌ، عن عبدالله بن عامرٍ، عن الزهريِّ: أنَّ رجلًا سلَّم على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم -ثلاث مرَّاتٍ- فلم يرد عليه، فقيل له: لم؟ فقال: «إنه ذو وَجْهَينِ». تَرْكُ ردِّ السلام على هذا الرجل كان تأديبًا له؛ لتخلُّقه بخُلُقٍ قبيحٍ: وهو أن يأتي هؤلاء بوجهٍ، وهؤلاء بوجهٍ، وهذا مِن شرِّ أخلاق المنافقين.

٣- عن عائشة رضي الله عنها قالت: اعتلَّ بعيرٌ لصفية بنت حييٍّ، وعند زينب فضل ظَهْرٍ[١] فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لزينب: «**أَعْطِيها بَعِيرًا**». فقالت: أنا أُعْطِي تلك اليهوديَّة؟، فغَضِبَ النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فهَجَرَها ذا الحِجَّة والمُحرَّم وبعضَ صفرٍ. رواه أبو داود في "سننه".

كان هَجْرُ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لزينب بوصفه زوجًا لها، يملك حقَّ تأديبها. أمَّا هجره في الحديثين السابقين، فكان بوصفين اجتمعا له. كونه خليفةً يُنفِّذ حكم الله.وكونه قدوةً يُقتدَى به. لقول الله تعالى: ﴿ **لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** ﴾[٢] [الأحزاب: ٢١].

٤- ثبت في "صحيح مسلم" عن سعيد بن جُبيرٍ: أنَّ قريبًا لعبدالله بن مُغَفَّلٍ رضي الله عنه حذف، فنهاه عبدالله، وقال: إنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نهى عن الخَذْفِ، وقال: «**إنها لا تَصِيدُ صَيْدًا، ولا تَنْكِي**[٣] **عَدُوًّا، ولكنَّها تَكْسِرُ السِّنَّ، وتَفْقَأُ العَيْنَ**». قال: فعاد فحذَفَ، فقال: أُحَدِّثك أن

---

(١) «**ظهر**»: يطلق على البعير، والمعنى: أنَّ زينب رضي الله عنها كان عندها بعيرٌ زائدٌ عن حاجتها للرُّكوب.

(٢) ذكر القرافيُّ: أنَّ النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان له أربع شخصياتٍ: شخصية النبيِّ المُبلِّغ عن الله، وشخصيَّة الخليفة الذي يقيم أحكام الله، وشخصيَّة القاضي الذي يقضي بين الناس،وشخصيَّة المفتي الذي يُفتي فيما يجد من الحوادث.

قلت: والأسوة أو القدوة داخلةٌ في شخصيته الأولى.

(٣) «تَنْكِي» بفتح التاء، وسكون النون، وكسر الكاف، أي: تجرح العَدُوَّ، أو تُكْثِر فيه الجِراح.

رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نهى عن الخَذْفِ، ثُمَّ عدت تَخْذِفُ، لا أُكَلِّمك أبدًا.

قال الإمام النوويُّ في هذا الحديث: «هجران أهل البِدَعِ والفُسُوقِ، ومُنابذي السُّنَّة مع العلم[1]، وأنه يجوز هجرانه دائمًا، والنهي عن الهجران فوق ثلاثة أيامٍ إنما هو فيمن هَجَرَ لحظِّ نَفْسِهِ، ومعايش الدُّنيا، وأمَّا أهل البِدَعِ ونحوهم فهجرهم دائمٌ»اهـ.

قلت: عبدالله بن مُغَفَّلٍ صحابيٌّ فاضلٌ، يستمدُّ من صحبته لرسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قوةً معنويةً، وسلطة رُوحيَّةً تؤهِّله لزجر من يراه خارجًا عن السُّنَّة بهجره، وإنه لَمَّا رأى قريبه عاد إلى الخَذْفِ بعد سماع النهي عنه، مُعلِّلا بأنه لا يصيد صيدًا...الخ، عرف أنه مُستهتِرٌ، لا يحترم السُّنَّة ولا يطيعها، فهجره تأديبًا وزَجْرًا.

٥- في "مسند أحمد" عن مجاهدٍ: أنَّ عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم : «**إذا اسْتَأْذَنكُم نِساؤكُم بالليل إلى المساجدِ فائذَنُوا لهنَّ**». فقال ابنه: والله لنمنعهنَّ، فما كلَّمه عبد الله حتى مات.

قلت: عبد الله بن عمر هجر ابنه بوصفه والده، يملك حقَّ تأديبه وزجره، ويحق لابنه أن يهجر؛ لأنه صرَّح بردِّ الحديث لغير عذرٍ أبداه، أو تأويلٍ استند

---

(١) هذا القيد لابد منه في شرعيَّة هجر المُبتدِع النابِذ للسُّنَّة، فإذا كان لا يعلمها أو علمها من طريقٍ ضعيفٍ لا يُحتجُّ به أو أوَّلها تأويلًا سائغًا -وهو من أهل التأويل- فلا يحل هجره، وهذا من جملة الأعذار التي ذكرها ابن تيمية في رسالته "رفع الملام عن الأئمة الأعلام".

إليه، ولو أنه قال كما قالت عائشة رضي الله عنها: لو رأىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ما أحدث النِّساء بعده، لمنعهنَّ الخروج إلىٰ المسجد لما هجره[١].

٦- أخرج ابن عساكر عن عمارة بن غزية قال: دخل أبو أيوب الأنصاريُّ رضي الله عنه علىٰ معاوية، فقال: صَدَقَ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، سمعته يقول: «**يا مَعْشَرَ الأنْصَارِ، إنكم سَتَرَوْنَ بعدي أَثَرَةً، فعليكم بالصَّبْرِ.**» فبلغت معاوية، فقال: صَدَقَ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، أنا أوَّل من صدق، فقال أبو أيوب: أجراءة علىٰ الله ورسوله؟! لا أُكلِّمه أبدًا.

في هذا الأثر غموضٌ نوضِّحه؛ ليفهم حقَّ فهمه: كان الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم يعطون للصحابة أعطياتهم المستحقَّة لهم في بيت المال، وكانوا يقسمونها بالعدل، مع مراعاة من له يد في نصرة الإسلام وتأييده - كالمهاجرين، والبدريين، والأنصار- فلما جاء معاوية، آثر أعوانه بالعطاء، وفضَّلهم علىٰ الأنصار الذين أثنىٰ الله عليهم في القرآن، فذكر أبو أيوب الحديث الذي سمعه من النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بخصوص الأَثَرة؛ ليتعظ معاوية، ويرجع ويتوب، لكنه لم يرجع، بل استمرَّ علىٰ غَيِّه، وقال: أنا أول من صدق، يعني أنه أول حاكم صدق قول رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم للأنصار، تصديقًا عمليًّا، حيث آثر أعوانه عليهم.

وهذه جُرْأَةٌ قبيحةٌ، تُؤذِن بأنه لا يقيم لكلام الرسول وزنًا، فلذلك قال

---

(١) علىٰ أنَّ ابن حزمٍ لم يأخذ بكلام عائشة، وقال: «إنَّ إباحة الرسول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم دخول المسجد للمرأة عامَّةٌ لا يجوز تخصيصها، إلَّا بنصٍّ منه».

أبو أيوب مستنكرًا: أجراءة على الله ورسوله؟! وهجره زجرًا.

٧- ثبت في "صحيح مسلم" عن يحيي بن يعمر: «أنَّ عبدالله بن عمر رضي الله عنهما لَمَّا بلغه: أنَّ قومًا ظهروا بالعراق يقولون: لا قَدَرَ، وأنَّ الأمر أُنُفٌ[1] أعلن براءته منهم وأظهر مقاطعتهم».

وهو صحابيٌّ جليلٌ، معروفٌ بشدة اتباعه للسُّنَّة، وأولئك القوم -وهم القَدَريَّة- ابتدعوا في العقيدة بدعة إنكار القَدَرِ، وهي تخالف القرآن مخالفةً صريحةً، حيث يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، والسُّنَّة المتواترة جعلته أحد أركان الإيمان، فبراءة ابن عمر منهم واجبةٌ لأمرين:

أ- تأديبهم على إحداث تلك البدعة التي تثلم الدين وتخدش العقيدة.

ب- وتحذير المسلمين من الانخداع ببدعتهم.

٨- أخرج الدرامي في "مسنده" عن سليمان بن يسار: «أنَّ رجلًا يقال له: صبيغ قدم المدينة فجعل يتساءل عن متشابه القرآن؟ فأرسل إليه عمر رضي الله عنه وقد أعد له عراجين النخل، فقال مَن أنت؟ قال: أنا عبدالله صبيغ، فأخذ عرجونًا من تلك العراجين، فضربه حتى دَمِيَ[2] رأسه»، وفي رواية عنده: «فضربه بالجريد، حتى ترك ظهره دبره، ثُمَّ تركه حتى برأ، ثُمَّ عاد، ثُمَّ تركه حتى برأ، فدعا به ليعود، فقال: إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلًا جميلًا، فأذن له

---

(١) بضم الهمزة والنون، أي: مبتدأ لم يسبق تقديره، أما حديث: «المؤمِنُ كالجَمَلِ الأَنِفِ إنْ قِيدَ انقادَ»، فالأَنِف فيه: بفتح الهمزة وكسر النون، أي: الجمل الذي يشتكي أنفه من البرة التي تحط فيه ، وهو الجمل المخشوش أيضًا.

(٢) بفتح الدال، وكسر الميم، وفتح الياء المثناة من تحت.

إلى أرضه، وكتب إلى أبي موسى الأشعري باليمن: لا يجالسه أحدٌ من المسلمين».

فعمر رضي الله عنه أمر بهجر صبيغ، بوصفه خليفة وقدوة، يملك حقَّ الزَّجْرِ من جهة الوصفين.

٩- روى أحمد في "الزهد" عن سفيان، عن عبدالرحمن بن حميد الرؤاسي، عن رجلٍ من عبس: «أن ابن مسعودٍ رضي الله عنه رأى رجلًا يضحك في جنازة، فقال: أتضحك وأنت في جنازة؟ والله لا أُكلِّمك أبدًا».

ضحك الرجل في مثل هذا الموطن الذي يدعوا إلى التفكير في المصير، يدل على خلوِّ قلبه من خوف الله تعالى، وأنه هازلٌ في موضع الجد، فهجره ابن مسعودٍ زجرًا وتأديبًا.

١٠- روى ابن عونٍ، قال: «جاء رجلٌ إلى محمد بن سيرين، فذكر له شيئًا من القَدَرِ، فوضع أصبعي يديه في أذنيه، وقال: إمَّا أن تخرج عنِّي، وإمَّا أن أخرج عنك».

١١- كان واصل بن عطاء -المعتزلي- تلميذًا للحسن البصريِّ، فلمَّا أحدث أقوالًا مبتدعةً في العقيدة طرده الحسن.

وذكر العلماء: أنَّ واصلًا سُمِّي معتزليًّا من ذلك الوقت، حين قال له الحسن: «اعتزل مجلسنا».

١٢- روى عبد الله بن وهبٍ، عن الإمام مالكٍ: أنه قال: «لا تجالس القَدَريَّة، وعادهم في الله تعالى»[1].

---

(١) وذكر أبو حاتم الرازي: إبراهيم بن المنذر -من شيوخ البخاريِّ- وقال: «عارفٌ

فالهجر في هذه الحالات نوعٌ من التعزير[١] المشروع.

قال العلَّامة ابن فرحون المالكيُّ في "تبصرة الحكام": «قد عزَّر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالهَجْرِ، وذلك في حقِّ الثلاثة الذين خُلِّفوا، وأمر عمر بهجر صبيغ الذي كان يسأل عن مشكلات القرآن، فكان لا يكلِّمه أحدٌ».اهـ

فصل

الهجر الوقائي

وأمَّا الهَجْرُ الوِقائيُّ: فالأصل فيه السُّنَّة، والإجماع.

أمَّا السُّنَّة فحديثان: أحدهما: قول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عند الله يومَ القِيامَةِ: مَن تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقاءَ فُحْشِهِ**». رواه البخاريُّ عن عائشة رضي الله عنها.

والآخَر: قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن بَدَا جَفَا، ومَن اتَّبَعَ الصَّيْدَ غَفَلَ، ومَن أَتَىَ بابَ السُّلْطَانِ افْتُتِنْ**». رواه الطبرانيُّ في "الكبير" عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنه.

وأمَّا الإجماع: فقال ابن عبد البر: «وأجمع العلماء على أنَّ مَن خاف من مكالمة أحد وصلته ما يفسد عليه دينه، أو يدخل عليه مضرَّة دنياه: أنه يجوز له

بالحديث، إلَّا أنه خلط في القرآن، جاء إلى أحمد بن حنبلٍ فاستأذن عليه، فلم يأذن له، وجلس حتى خرج فسلَّم عليه، فلم يرد عليه السلام».

(١) التعزير بالزاي: عقوبة على المعاصي التي ليس فيها حدٌّ، وتكون: بالجلد، أو بالتأنيب، أو بالهجر، أو بأخذ بعض المال، ونحو ذلك مما يراه الإمام حسب اجتهاده.

مجانبته، والبعد عنه»، قال: «ورُبَّ هَجْرٍ جميلٍ خيرٌ مِن مُخالَطةٍ مُؤذيةٍ».

وأخرج ابن أبي حاتم وابن المنذر في تفاسيرهم عن السُّدِّي -في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]- قال: «يُعرضون عنهم لا يُكَلِّمونهم».

وروى البيقهيُّ عن الربيع ابن سليمان قال: «سمعت الإمام الشافعيَّ يقول: لاخير لك في صحبة من تحتاج إلى مداراته». فكلُّ شخصٍ فاحشٍ بذيءٍ، أو خبيثٍ مؤذي: يجوز اتقاء فحشه وأذاه بهجره.

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: «إياكم ومواقف الفتن، قيل: وما هي؟ قال: أبواب الأُمَراء، يدخل أحدُكم على الأمير، فيصدقه بالكذب، ويقول ما ليس فيه».

وقال أبو ذرٍّ رضي الله عنه لسلمة: «يا سلمة، لا تغشى أبواب السلاطين، فإنك لا تصيب من دنياهم شيئًا إلَّا أصابوا من دينك أفضل منه».

فلهذا كان السلف يفرِّون من الأمراء اتقاء ضَرَرهم، ومخافة الافتتان بهم في الدِّين والدُّنيا.

١- قال عمرو بن العاص لعبدالله بن عمر -يغريه بالبيعة لمعاوية-: «هل لك أن تبايع لمن كاد الناس يجتمعون إليه؟ ويكتب لك من الأرضين ومن الأموال ما لا تحتاج أنت ولا ولدك إلى ما بعده؟ فقال ابن عمر: أُفٍّ لك، اخرج من عندي ثُمَّ لا تدخل عليَّ، ويحك!! إن ديني ليس بديناركم ولا بدرهمكم، وإني أرجو أن أخرج من الدنيا ويدي بيضاء نقيَّة»، رواه ابن سعدٍ في "الطبقات". فهذا هجر وقائي كما هو ظاهر.

٢- روى ابن سعد في "الطبقات" قال: «أخبرنا موسى بن عبيدة، عن برد، عن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، وقال: وفدت على عبدالملك بن مروان وعنده محمد بن الحنفيَّة والحجَّاج، فقال ابن الحنفيَّة: يا أمير المؤمنين إن هذا -يعني الحجَّاج- قد آذاني واستخفَّ بحَقِّي، ولو كانت خمسة دراهم أرسل إلي فيها، فقال عبدالملك للحَجَّاج: لا إمْرَة لك عليه، فلما ولَّى محمدٌ، قال عبدالملك للحَجَّاج: أدركه، وسُلَّ سَخيمته[1]، فأدركه، فقال: إنَّ أمير المؤمنين قد أرسلني إليك؛ لأسلَّ سَخيمتك، ولا مرحبًا بشرٍّ ساءك، ولا تسألني شيئًا إلَّا أعطيتك، فقال له محمد: وتفعل؟ قال: نعم، قال: فإني أسألك صرم الدهر». هذا هجرٌ وقائيٌّ أيضًا.

٣- لما لقي المنصورُ عبدَالعزيز بن أبي رواد، هرب منه، وتلا قول الله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة: ٢٢].

٤- وروى أبو أحمد العسكريُّ في كتاب "المواعظ" من طريق نعيم ابن حمَّادٍ قال: حدَّثنا محمد بن ثور، عن يونس، عن الحسن قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**اللهمَّ لا تجعل لفاجرٍ، ولا لفاسِقٍ عندي يدًا ولا نعمةً، فإني وجدتُ فيما أوصيته إلي: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾** [المجادلة: ٢٢]. قال سفيان: «يرون هذه الآية نزلت فيمن يصحب السلطان»، ورواه الديلميُّ في "مسند الفردوس" من طريق الحسن،

---

(١) بفتح السين: غضبه وسخطه.

عن معاذ بن جبلٍ، وإسناده ضعيفٌ منقطعٌ.

والحديث غير ثابتٍ؛ لأنه مرسلٌ، وفي إسناده من تُكَلِّم فيه، ومتنه منكرٌ، لا يليق أن يصدر عن مشكاة النبوة(١)، والاستدلال بالآية علي هجر السلطان خطأٌ كبيرٌ، وبيانه: أنَّ الآية نزلت في قتال المسلمين لأقاربهم المشركين يوم بدرٍ، فلا يصح حملها علي السلطان، أو غيره من أهل الإسلام.

فقد يقول قائل: «العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب».

فنقول له: معنىٰ هذه القاعدة الأصولية: أنَّ اللفظ إذا كان عامًّا، يحمل علىٰ جميع أفراده، وبناءً عليه: تكون الآية شاملةً للكفَّار جميعًا، ولا تختص بكفَّار قريشٍ، ولا بيوم بدرٍ، فيجب علىٰ كلِّ مسلمٍ أن يُعادِي أقاربه الكفَّار في كلِّ زمانٍ ومكانٍ.

لكن إذا حملنا الآية علىٰ الأمراء والسلاطين المسلمين، كما جاء عن عبدالعزيز بن أبي روَّاد وسفيان، فقد حملناها علىٰ معنىٰ لا يشمله لفظها، ولا

---

(١) لأن الله تعالىٰ أنعم علىٰ نبيِّه بالرسالة، والخُلَّة، وأعطاه القرآن، ونصره علىٰ أعدائه، وأغناه عن مخلوقاته، فأي نعمةٍ بعد هذا تأتيه علىٰ يد فاجرٍ؟! ثُمَّ إنَّ الذي يخشىٰ أن يميل قلبه إلىٰ فاجرٍ لنعمةٍ أَسْداها إليه، يكون ضعيف النَّفْس خائر العزيمة، والنبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أقوىٰ الناس نَفْسًا، وأصحُّهم عزيمةً، لا تُميله الدُّنيا بأسرها، فكيف يخشىٰ أن تميله نعمةٌ مِن فاجرٍ؟!! ثُمَّ إنه لا يعقل أن يكون لأحدٍ نعمةٌ علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، بل هو مِنَّة الله علىٰ عباده، ورحمته لهم: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

يدل عليه بمطابقةٍ ولا تضمُّنٍ ولا التزامٍ، وذلك: أنَّ لفظ: ﴿مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وصفٌ لازمٌ للكفَّار لزوم الظلِّ لصاحبه؛ لأن المحادَّة، بتشديد الدال: هي المُعانَدة.

قال ابن كثيرٍ في تفسير هذه الآية: «يُخبر الله عن الكفَّار المُعاندين المُحادِّين لله ورسوله، يعني: هم الذين في حدٍّ، والشرع في حدٍّ، أي: مُجانبون الحقَّ مُشاقُّون له، هم في ناحيةٍ والهدىٰ في ناحيةٍ».اهـ

وقال الآلوسيُّ: «﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ [المجادلة: ٥]، أي: يعادونهما ويشاقُّونهما؛ لأنَّ كلًّا مِن المُتعاديين في حدٍّ وجهةٍ غير حدِّ الآخَر وجهته، كما أنَّ كلًّا منهما في عدوة وشق غير عدوة الآخر وشقه»(١).اهـ

---

(١) وذكر البيضاويُّ بعد هذا المعنىٰ معنىٰ آخَر، فقال: «أو يضعون أو يختارون حدودًا غير حدود الله تعالىٰ ورسوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم».انتهىٰ.

وراعي في هذا المعنىٰ مناسبته لقوله تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٣٠]، قال المولىٰ شيخ الإسلام سعد الله حلبي: «وعلىٰ هذا، ففيه وعيدٌ عظيمٌ للملوك وأمراء السوء، الذين وضعوا أمورًا خلاف ما حدَّه الشرع، وسمُّوها: القانون، والله تعالىٰ المستعان علىٰ مايصفون». انتهىٰ.

قال شهاب الدين الخفاجيُّ بعد نقله: «وقد صنَّف العارف بالله الشيخ بهاء الدين - قدس الله روحه- رسالةً في كفر من يقول: يعمل بالقانون والشرع إذا قابل بينهما، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، وقد وصل الدين إلىٰ مرتبة من الكمال لا يقبل التكميل، وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل، ولكن أين من يعقل؟! قال الآلوسيُّ:

وقال الله تعالى في الآية الأخرى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ﴾ [المجادلة: ٢٠ – ٢١]. فانظر كيف وَصَفَ المُحادِّين بأنهم في الأذَلِّين، ولم يقل هذا في المؤمنين، بل قال فيهم: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]. وانظر كيف قال بعد ذلك: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓ﴾ [المجادلة: ٢١]، أيصح أن يقصد

«وليتني رأيت هذه الرسالة ووقفت على ما فيها؛ فإن إطلاق القول بالكُفْر مشكلٌ عندي، فتأمَّل، ثُمَّ إنه لا شبهة في أنه لا بأس بالقوانين السياسية إذا وقعت باتفاق ذوي الآراء من أهل الحلِّ والعَقْد على وجه يحسن به الانتظام، ويصلح أمر الخاصِّ والعامِّ، ومنها: مراتب التأديب والزجر على معاصٍ وجناياتٍ لم ينص الشارع فيها على حدٍّ مُعيَّنٍ، بل فوَّض الأمر في ذلك لرأي الإمام، فليس ذلك من المُحادَّة لله ورسوله في شيءٍ، بل فيه استيفاء حقِّه تعالى على أتمِّ وجهٍ لما فيه من الزجر عن المعاصي، وهو أمرٌ مهمٌّ للشارع، ويرشد إليه ما في "تحفة المحتاج": «أنَّ للإمام أن يستوفي التعزير إذا عفا صاحب الحقِّ؛ لأن الساقط بالعفو هو حقُّ الآدميِّ، والذي يستوفيه الإمام هو حقُّ الله تعالى للمصلحة».

وفي كتاب "الخراج" للإمام أبي يوسف إشارة إلى ذلك أيضًا، ولا يُعكِّر على ذلك ونحوه قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]؛ لأن المراد إكماله من حيث تضمُّنه ما يدل على حُكْمه تعالى، خصوصًا أو عمومًا، ويرشد إلى هذا عدم التنكير على أحدٍ من المجتهدين إذا قال بشيءٍ لم يكن منصوصًا عليه بخصوصه، وبذلك ما ثبت بالقياس بأقسامه.

نعم القانون الذي يكون وراء ذلك: بأن كان مصادمًا لما نطقت به الشريعة الغرَّاء، زائغًا عن سنن المَحَجَّة البيضاء فيه ما فيه كما لا يخفى على العارف النبيه». انتهى.

المسلمين الذين آمنوا بالله ورسله؟ أم هي نصٌّ في إرادة الكفَّار؟ كما قال تعالىٰ في آيةٍ أخرىٰ: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ [آل عمران: ١٢] وفي (سورة المجادلة) أيضًا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ﴾ [المجادلة: ٥]، معنىٰ كُبتوا: أُخزُوا وأُذلُّوا(١).

من هذا كله يتبيَّن: أن لفظ المُحادَّة، وما اشتق منه: نصٌّ في الكفَّار لا يحتمل غيرهم، خلافًا للآلوسيِّ الذي قال: «إنه ظاهرٌ فقط»، فإنه غفل عما قرَّرناه(٢).

---

(١) مما يجب مراعاته في التفسير، حسبما نبهت عليه في "جواهر البيان": النظر في سياق الآية، ومناسبتها لما قبلها وما بعدها، فإن الآيات في كلِّ سورةٍ متناسقة في ترابطٍ بديعٍ، وتناسبٍ عجيبٍ، لا يدركه إلَّا من أعمل فِكْره مع إلهامٍ وتوفيقٍ.

والمُتدبِّر لسورة (المجادلة) يجدها قد فتحت ببيان حكم الظهار، علىٰ خلاف ما كان عند المشركين، وصرَّحت: بأنه من حدود الله التي من رفضها يكون محادًّا الله ورسوله، وتخلَّصت إلىٰ الكلام علىٰ المشركين، وما ينالهم من خزي وذِلَّةٍ، وأشركت معهم إخوانهم المنافقين واليهود، وعرضت بعض أقوالهم وأفعالهم القبيحة، معنونةً لهم بعنوان: المحادِّين لله ورسوله، ووصمتهم جميعًا: بأنهم حزب الشيطان، وذكرت في مقابلتهم المؤمنين ومدحتهم، ووسمتهم: بأنهم حزب الله، ولم يُقيَّد الإيمان في هذه السورة بالعمل الصالح كما قُيِّد به في آيات أخرىٰ؛ لأن المقصود هنا ذكر الموازنة بين طائفتين متناقضتين، طائفة الكفار بأنواعها الثلاثة، وطائفة المؤمنين صالحهم وفاسقهم، فلو أدخلنا بعض الطائفية الثانية في الطائفة الأولىٰ لاختلت الموازنة، وبطلت المناسبة.

(٢) ذكر أهل الأصول: أنَّ النصَّ نوعان، نصٌّ بمدلول اللفظ كالأعلام الشخصية، ونصٌّ بالقرائن المُحتفَّة به، ومنه: المُحادَّة هنا.

يضاف إلى ذلك: أنَّ الله تعالى علَّل النهي عن موادّتهم في آيةٍ أخرى، بعداوتهم لله وللمؤمنين وبكفرهم، فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الممتحنة: ١] (١)، والمسلم لا يكون عدوًّا لله، ولذلك صحَّ النهي عن قول المسلم لأخيه المسلم: عدو الله، ففي "الصحيحين" عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من حديث: «**ومَن دعا رَجُلًا بالكُفْر، أوقال: عَدُوَّ الله، وليس كذلك، إلَّا حَارَ عليه**». أي: رَجَعَ عليه القول، وهذا وعيدٌ شديدٌ، وفي القرآن الكريم: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، فالمسلم لا يتناوله لفظ المحادة أبدًا، ولو كان عاصيًا أو مبتدعًا ولا يعادى، كما يعادى الكافر عدو الله، نعم.

حكى القرطبيُّ في "شرح مسلم": «أنَّ طائفةً مِن القَدَريَّة -قد انقرضوا- كانوا يزعمون: أنَّ الله تعالى لا يعلم الحوادث قبل وقوعها، فهؤلاء كفَّارٌ، يصدق عليهم: أنهم مُحادُّون لله ورسوله، فإنه تعالى يقول: ﴿عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩]، ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الأنعام: ٧٣]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ

---

(١) وقال تعالى -في السورة نفسها-: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

عَلِيمٌ ﴾[الأنفال: ٧٥]، وهم ينفون علمه الغيب وينسبون له الجهل. تعالى الله عن قولهم عُلُوًّا كبيرًا.

والمقصود: أنَّ قاعدة: «العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب» يغلط كثيرٌ من الناس في تطبيقها، حيث يحملون باسمها لفظ الآية أو الحديث معنى لا يدل عليه ولا يقتضيه، غافلين عما يجب مراعاته في مفاهيم الألفاظ ومقاصدها، كما حملوا قول الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ الآية [الفرقان: ٢٧]، على كلِّ ظالمٍ من المسلمين، وغفلوا عن سبب نزول الآية؛ فإنها نزلت في أُبيِّ بن خلف، واللام في ﴿ٱلظَّالِمُ﴾ للعهد، والمعهود: ظلم الكفر، فهي تعمُّ كلَّ كافرٍ، وحملها على المسلم الظالم نفسه بالمعاصي تحميلٌ لها معنى لا تحتمله، ولا تدل عليه، بل ينافيه سياقها أيضًا(١).

ومن الهجر الوقائي: هجر عوامِّ المسلمين للفِرق الضالَّة؛ لأن المبتدع قد يؤثِّر في الرجل العامِّي بقوَّة كلامه وسِحْر بيانه، فيزيغ عقيدته.

---

(١) لأن الآية تحكي على لسان الكافر قوله: ﴿يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان: ٢٧]، أي: بالإيمان به وبما جاء به، والمسلم لا يقول هذا الكلام يوم القيامة؛ لأنه آمَنَ وأسلم، ومعاصيه لا تُخلِّده في النَّار، بل تلحقه الشفاعة أو رحمة الله، وتحكي الآية بقيَّة قول الكافر: ﴿ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ﴾ [الفرقان: ٢٨ – ٢٩]. والمسلم لا يقول هذا أيضًا لأنه آمن بالذِّكر -وهو القرآن- ولم يضل عنه، وعمل بأوامره، وإن خالفه في أشياء فلم يُخالفه كفرًا وتكذيبًا، بل عصيانًا يعترف به ويطلب من الله التوبة والغفران.

ومما شاهدته في هذا الصدد: أني كنت أعرف شخصًا مالكيَّ المذهب أشعريَّ العقيدة، تعرَّف بشيعيٍّ إماميٍّ وأصهر إليه، وحصل بينهما تآلفٌ وتمازجٌ، وكنت أزورهما مرة بعد أخرىٰ، وفي إحدىٰ زياراتي لصاحبنا المالكيِّ، وجدته يتناول عائشة -رضي الله عنها- ويذمها كما يذمها الإماميَّة، فبيَّنت له خطيئته، وأزلت ما ألقي في ذهنه من شبهٍ واهيةٍ حولها، وأفهمته: أنها زوجة الرسول في الجنَّة، فرجع إلىٰ الحقِّ، وصار بعد ذلك لا يقبل من صهره الإماميِّ شيئًا حتىٰ يعرضه عليَّ.

وأخبرني -صديقي- الأستاذ محمد الشريف: أنه كان يعرف شخصًا من ذرية الشيخ البجيرمي -مُحشِّي "شرح المنهج" في فقه الشافعية- اتصل به بعض البهائية، وأثَّر فيه بكلامه وحسن بيانه فانضمَّ إليهم.

قلت: قد أضل البهائية كثيرًا من عمَّال المحلَّة الكبرىٰ، وضمُّوهم إلىٰ الباطل، فهجر هؤلاء وأمثالهم يقي عامَّة الشعب من إضلالهم وإفساد عقيدتهم، والبهائية كفَّارٌ مُرتدُّون بلا نزاعٍ.

فصل: الهجر السلبي

عُلم مما تقدَّم أنَّ الهجر الإيجابيَّ يصدر ممن يملك حقَّ الزَّجْرِ، وأنَّ الهجر الوقائيَّ يصدر ممن يخاف علىٰ نفسه شرَّ المهجور أو الفتنة بسلطانه أو ماله مثلًا ولذلك كانا مشروعين.

أمَّا الهجر السلبيِّ الخالي من الأمرين فهو ممنوعٌ؛ لأنه لا خير فيه، ولا ثمرة ترجىٰ منه، وضابطه: أن يحصل الهجر علىٰ أمرٍ مُختلَفٍ فيه بين العلماء، بالتحريم وغيره.

مثاله: أكل لحم الخيل: مباحٌ عند الشافعية، حرامٌ عند المالكية، ومع أنَّ دليل التحريم أقوىٰ، لا يجوز لمالكيٍّ أن يهجر شافعيًّا علىٰ أكل الخيل، أو إفتائه بإباحته، وإذا هجره علىٰ ذلك فهجره سلبيٌّ.

مثال آخَر: شُرب الدخان فيه خلافٌ أيضًا؛ فالراجح عند المالكية تحريمه، وهو عند الشافعية مباحٌ، أو مكروهٌ كراهةً تنزيهية، فلا يجوز هجر من يشربه، وهو هجرٌ سلبيٌّ.

ولما كنت أطلب العلم بفاس، نهاني بعض الإخوان الصِّدِّيقين عن حضور دروس العلَّامة الشيخ العباس بناني -مع اعترافه بعلمه- لأنه كان يشرب الدخان، فلم أسمع كلامه وحضرت عليه علم المقولات، و"مقدمة جمع الجوامع" في الأصول، وقسم التوحيد من "منظومة ابن عاشر" بشرح الشيخ الطيب بن كيران، و"شرح السلم" للعلامة الشيخ محمد بناني.

وأهل المغرب يتشددون في الدخان[1].

مثال آخَر: تردُّد العالِم علىٰ السلطان طلبًا للمال مذموم، ولو حمل السلطان المال إليه في بيته، فالورع التنزُّه عنه، لكن لا يهجر إذا قبله بتأويلٍ.

---

(١) لاتفاق علمائهم علىٰ تحريمه، لم يشذ عنهم إلَّا الشيخ أحمد بابا السودانيُّ التنبكتيُّ، فإنه لَمَّا ظهر الدخان في زمنه -ببلده تنبكتو- أفتىٰ بإباحته، وأنشأ قصيدة تائية وذكر فيها منافعه وفؤاده، ولما حضر العلَّامة السيد محمد بن جعفر الكتاني إلىٰ مصر لزيارة بعض الإخوان، دعاه أحد تجار المغاربة للغداء ببيته، وبينما هو جالس عنده في البيت شمَّ رائحة الدخان فقام من فوره يريد مبارحة المكان فاعتذر إليه صاحب الدعوة واسترضاه حتىٰ جلس، وله في تحريمه كتاب قرأته.

فهجر الإمام أحمد ليحيىٰ بن معينٍ حين قال: إني لا أسأل أحد شيئًا، ولو حمل إلي السلطان شيئًا لأخذته؛ هجرٌ سلبيٌّ.

وستأتي أمثلة أخرىٰ ، بحول الله تعالىٰ.

فصل: الابتداع في العقيدة

البدعة المُحرَّمة المذمومة علىٰ الإطلاق هي الابتداع في العقيدة، كالقول بخَلْق القرآن، وإنكار القَدَر، وإثبات منزلةٍ بين الإيمان والكفر، ونحو ذلك، وهي المقصودة بقول النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن أَحْدَثَ في أَمْرِنَا – ديننا– هذا ما ليس مِنْهُ، فهو رَدٌّ**». أي: مردودٌ.

فبدعة العقيدة مردودةٌ علىٰ كلِّ حالٍ، وأصحابها هم أهل البدع والأهواء، كالقَدَريَّة، والمعتزلة، والخوارج، والمُرجِئة، والخطابية، وغيرهم من الفِرق الضالَّة، وهم الذين اختلف أهل الجرح والتعديل في قبول روايتهم علىٰ مذاهب مبسوطةٍ في كتب المصطلح والأصول، وهم أيضًا الذين نهىٰ السَّلَف عن مُجالستهم وكلامهم.

ولَمَّا ألف الحارث بن أسد المحاسبيُّ في الردِّ علىٰ المعتزلة، هجره الإمام أحمد، وقال له: إنَّك لابد تورد شبهتهم، وتحمل الناس علىٰ التفكُّر فيها، ثُمَّ ترد عليهم[1]، وهذا تشدُّدٌ بالغ يُخالف طريقة القرآن، فإنه يحكي أقوال الكفَّار

---

(١) مما أخذ علىٰ الإمام الرازي في "تفسيره": أنه يذكر في بعض الأحيان أقوال المعتزلة أو الفلاسفة ويبسط أدلتهم بتفصيل، حتىٰ إذا شرع في ردها لحقه كسل أو ملال، فيقتصر في الرد، وقد يترك بعض أدلتهم فلا يردها، لنسيان ونحوه.

وشبهتهم ويردها.

ومِن تشدُّد الإمام أحمد: هجرانه لأبي ثورٍ على تأويله لحديث: «إنَّ اللهَ خَلَقَ آدمَ على صُورَتِهِ»؛ لأن مذهبه إبقاء الحديث على ظاهره في إثبات الصورة لله[1]، وتفويض معناها إليه، مع تنزيهه عن الصورة المعهودة، لكن غاب عنه أمرٌ ظاهرٌ في الإعراب، وهو: عود الضمير في صورته على آدم؛ لأنه أقرب مذكورٍ، ولأنه المقصود من سِياق الحديث.

إذ أنَّ خَلْقَ الله لآدم معلومٌ بالضرورة العقلية، فالإخبار به يساوي الإخبار بأن الواحد نصف الاثنين، وإنما المراد الخبر بأنَّ الله خَلَقَ آدم على صورته التي أوجده بها. فأفاد الحديث أمرين:

---

(١) قد يكون عذره في ذلك ما جاء في بعض طرق الحديث: «إن الله خلق آدم على صورة الرحمن»، فحصل التصريح بلفظ الرحمن بدلًا من الضمير، لكنه تصرف من بعض الرواة حسب فهمه: أن الضمير يعود على الله، وهو تصرف قبيح غير المعنى، وأوقع العلماء في إشكال، حيث ذهبوا يلتمسون وجوه التأويل له، فحمل بعضهم لفظ الصورة، على الصفة، وقال: المعنى: أن الله خلق آدم بصفات الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام، وهي الصفات المسماة بصفات المعاني القائمة بذات الله تعالى، وإن كانت صفة آدم حادثة وصفة الله قديمة، فلا شبه بينهما إلا في الاسم، وقال آخرون: بل المراد: أن الله خلق آدم على صفته التي عم بها الكائنات: وهي الرحمة: التي أخبر عنها في الحديث القدسي أنها: سبقت غضبه، وفي رواية: غلبت غضبه؛ لأنها صفة ذاتية له تعالى بخلاف الغضب، فهو صفة فعل لا يتعلق إلا بالشخص الذي يستحقه، ثم يزول بالتوبة والاستغفار.

١- أنَّ آدم عليه السلام لم يكن نُطْفةً ثُمَّ عَلَقَةً ثُمَّ مُضْغَةً... إلى آخر الأطوار التي تمرُّ بالجنين في الرَّحِم.

٢- أنَّ آدم عليه السلام لم يكن من فصيلة الحيوان الأعجم ثُمَّ ترقَّى إلى أن صار قِرْدًا ثُمَّ إنسانًا، فالحديث -كما ترى- محكمٌ واضحٌ، وليس من قبيلة المتشابه كما فهم الإمام أحمد رحمه الله تعالى.

ثُمَّ إنَّ الذي استقرَّ عليه عمل أهل السُّنَّة: قبول رواية المُبتدِع من تلك الفِرق الضالَّة إذا كان ثقةً، وكتب السُّنَّة -من صِحاحٍ، وسُننٍ، ومعاجم، وغيرها- ملأى بالرواية عن القَدَريَّة، والخوارج، والناصبية، والإباضية، وغُلاة الشيعة، ونحوهم، وكذلك كتب التفسير مشحونةٌ بالنقل عن تفاسير المعتزلة وغيرهم -كالرمانيِّ، والجبائيِّ، والزمخشريِّ، والطبرسيِّ- لا يجتنبون منها إلَّا ما كان مُتعلِّقًا بعقيدتهم المُخالفة للسُّنَّة، ويقبلون غيرها.

وللعلَّامة ابن المنير كتاب "الانتصاف" بيَّن فيه ما في "تفسير الزمخشري" من عقائد الاعتزال.

إذن، فهجران المبتدعة إنما هو في خصوص عقيدتهم المخالفة، أمَّا في الحديث والتفسير وأصول الفقه وغيرها من العلوم الإسلامية فهم مثل علماء السُّنَّة، وفي كتب أصول الفقه عند المالكية والشافعية والحنفية آراء كثيرةٌ منقولةٌ عن أئمَّة المعتزلة، وكتبهم فيها تحقيقاتٌ علميةٌ وفوائد نفيسةٌ يجب الانتفاع بها؛ لأنها تراثٌ إسلاميٌّ عظيمٌ.

فصل

الابتداع في الأمور الفرعية

وأمَّا البدعة في الأمور الفرعية: فليست مذمومةً على الإطلاق، ولا ممدوحةً كذلك، بل تنقسم بمقتضى ما فيها من المصلحة والمفسدة إلى أقسام الحكم الخمسة: الوجوب، والندب، والتحريم، والكراهية، والإباحة.

وقد بينها بأمثلتها سلطان العلماء عزُّ الدين ابن عبدالسلام في "القواعد الكبرى"، وعليها يتنزَّل قول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن سَنَّ في الإسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً فلَهُ أَجْرُهَا وأَجْرُ مَن عَمِلَ بها، مِن غير أن يَنْقُصَ مِن أُجُورِهم شيءٌ، ومَن سَنَّ في الإسْلامِ سُنَّةً سيِّئةً فعليه وِزْرُها ووِزْرُ مَن عَمِلَ بها، من غير أن يَنْقُصَ مِن أَوْزَارِهِم شيءٌ**». ومن فعل شيئًا من أنواع تلك البدعة المذكورة لا يُسمَّى ضالًّا، ولا مُبتدعًا؛ لأن وصف الضلال والابتداع في عرف الشرع خاصٌّ بالمخالفة في العقيدة، لا يتجاوزها إلى غيره.

فصل: في المنكر

يُشترَط في المُنكَر الذي يجب إنكاره، ويُهجَر صاحبه إذا أصرَّ على فعله ألَّا يكون محلَّ اجتهادٍ. قال الغزاليُّ في "الإحياء" في شروط إنكار المُنكَر ما نصُّه: «الشرط الرابع: أن يكون كونه مُنكَرًا معلومًا بغير اجتهادٍ، فكلُّ ما هو في محلِّ الاجتهاد فلا حسبة فيه، فليس للحنفيِّ أن يُنكِر على الشافعيِّ أكله للضبِّ والضبع ومتروك التسمية، ولا للشافعيِّ أن ينكر على الحنفيِّ شربه النبيذ الذي لايُسْكِر، وتناوله ميراث ذوي الأرحام، وجلوسه في دارٍ أخذها بشفعة

الجوار... إلىٰ غير ذلك من مجاري الاجتهاد».اهـ

وقال أيضًا في منكرات المساجد: «فمما يشاهد كثيرًا في المساجد: إساءة الصلاة بترك الطمأنينة في الركوع والسجود، وهو مُنكَرٌ مُبطِلٌ للصلاة بنصِّ الحديث، فيجب النهي عنه، إلَّا عند الحنفيِّ الذي يعتقد أنَّ ذلك لا يمنع صحَّة الصلاة، إذ لا ينفع النهي معه».اهـ

وقال ابن حجرٍ الهيثميُّ في "الزواجر": «ولا يُنكِر العالِم إلَّا مُجمعًا علىٰ إنكاره، أو ما يرىٰ الفاعل تحريمه، دون ما عدا ذلك»اهـ.

ومثال ما يرى الفاعل تحريمه: أن يشرب مالكيٌّ أو شافعيٌّ نبيذًا لا يُسْكِر، فإنه يجب إنكاره عليه؛ لأنه يرىٰ تحريمه.

ومما لا يجوز إنكاره -لأنه محلُّ اجتهادٍ-: بناء القباب أو المساجد علىٰ القبور؛ لأنه مختلَفٌ فيه بين العلماء، فالذي يرىٰ تحريمه لا يجوز له أن ينكِر علىٰ من يرىٰ جوازه أو ندبه، ومنه الاستغاثة بالمخلوق كالوليِّ، لا يجوز إنكاره ووصف فاعلها بالإشراك، لأن من يجيزها يستدل بما ذكره ابن تيمية وغيره، مما خلاصته: أن الاستغاثة لها معنيان:

١- طلب إغاثة المخلوق بما يقدر عليه، كقوله تعالي: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ الآية [القصص: ١٥]، فالإسرائيليُّ استغاث بموسىٰ أن ينقذه من القبطيِّ، فأغاثه بما يقدر عليه، وهو وَكْزُ القِبْطِيِّ وإبعاده، وكذلك الاستغاثة بالوليِّ هي طلب إغاثته بدعاء أو شفاعة أو نحوها مما يقدر عليه وهذا المعنىٰ جائزٌ بلا خلافٍ.

٢- طلب خلق ما به الغوث، وهذا المعنى خاصٌّ بالله تعالى، لا يطلب من غيره، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ الآية [الأنفال: ٩]، أي: تطلبون منه: أن يخلق ما يغيثكم به.

ومثلها النصر، جاء في القرآن الكريم بالمعنيين أيضًا، قال الله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾ [الأنفال: ٧٢]، معنى النصر هنا: فعل ما يقدرون عليه من حمل السلاح، وقتال المعتدي، وإبعاده عن المستنصرين بهم، أمَّا قوله سبحانه: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٢٦]، فالمراد به خلق النصر وإيجاده، وتغليب طائفةٍ على أخرى، وهذا المعنى خاصٌّ بالله تعالى، لا يَقْدِر عليه غيره(١).

وكذلك التصوُّف في جملته وتفاصيله، مما لا يجوز إنكاره، ولا اعتبار أحواله بدعًا مُحَرَّمةً، بسبب إنكار طائفةٍ من الحنابلة له -كابن تيمية، وابن القيم- ومعهم المعتزلة؛ لأن علماء السُّنَّة من المذاهب الأربعة اعترفوا به، واعتبروه من

---

(١) تجد القرآن الكريم يسند أشياء إلى أسبابها، مع أنها خاصَّةٌ بالله تعالى، اقرأ قوله سبحانه: ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الأنعام: ٦٨]، ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾[الكهف:٦٣]،﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ﴾ [المجادلة: ١٩]، والإنساء: محو المعلوم من الذاكرة، وهذا لا يقدر عليه الشيطان ولا يستطيعه، وإنما أسند إليه في هذه الآيات لتسببه فيه بوسوسته، فكذلك يجوز إسناد الإغاثة أو النصر إلى الولي؛ لتسببه فيه بدعوته أو شفاعته، مع أن هذا وذاك فعل الله حسب مشيئته.

العلوم الإسلامية المبنية على الكتاب والسُّنَّة، وما من مسألةٍ فيه من مسائله المختلف عليها إلَّا وللصوفية دليلٌ على صِحَّتها[١]، بل انضمَّ إليه، وكان من جملة أهله أئمَّةٌ كِبارٌ، مثل: أبي عمرو بن بُجَيدٍ، وابن الأعرابيِّ، وأبي نُعيمٍ، والمُنذِريِّ، والنوويِّ، وابن المُلَقِّن، والسيوطيِّ، والدقَّاق، وأبي القاسم القُشيريِّ، والغزالي، والعز ابن عبدالسلام، وابن المنير، والتقيِّ السُّبكيِّ، وابنه التاج الذي قال في "جمع الجوامع" عطفًا على ما هو من عقائد أهل السُّنَّة ما نصُّه: «وأنَّ طريق الجُنيد وصحبه طريقٌ مُقَوَّمٌ».اهـ، وغير هؤلاء كثيرٌ في البلاد الإسلامية.

فصل

الحكم على المنكر

روى الترمذيُّ عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لَمَّا وَقَعتْ بنو إسرائيل في المعاصي، نهاهُم عُلماؤُهُم فلم يَنْتَهُوا، فجالَسُوهُم ووَاكَلُوهُم وشارَبُوهُم، فضَرَبَ اللهُ قُلُوبَ بعضهم ببعضٍ، ولعَنَهُم على لسانِ داودَ وعيسى بن مريم، ذلك بما عَصَوا وكانوا يَعْتَدُون**». فجلس رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم -وكان مُتَّكِئًا- فقال: «**لا والذي نَفسِي بيده حتَّى تَأْطُروهُم على الحَقِّ أَطْرًا**». معنى «**تَأْطُروهُم**»: تعطفوهم وتردُّوهم إلى الحَقِّ.

هذا الحديث ومثله أصلٌ في إيجاد وظيفة المُحتسِب، وهو شخصٌ عَدْلٌ أمينٌ عالمٌ بما لابد منه مِن أحكامٍ شرعيَّةٍ، يُكلِّفه الحاكم بمراقبة الأسواق

---

(١) الأمثلة المذكورة في هذا الفصل كلها من الهجر السلبيِّ.

والشوارع والأماكن العامَّة، فإذا رأىٰ مُنكَرًا أزاله، وعزَّر فاعله، أو رفع أمره إلىٰ الحاكم؛ ليعزِّره بما يراه.

والحسبة من الوظائف الإسلامية المُستحدَثة، تكلَّم عليها الغزاليُّ في "الإحياء"، وأنشئت فيها كتب ورسائل لابن تيمية وغيره[1]، وهي من البدع الواجبة؛ لأنه يؤدِّي بها واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكَر.

وإذن فقوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**حتَّى تَأْطُروهُم على الحَقِّ أَطْرًا**»، خطابٌ لحُكَّام المسلمين أن يجبروا المجاهرين بالمعاصي والبدعة علىٰ الرجوع إلىٰ الحَقِّ؛ لأن عندهم من قوة السلطة ما يمكنهم من ذلك، ولأن الحاكم إذا نهىٰ عن أمرٍ اعتبره منكرًا في مذهبه وجب الانتهاء عنه، لو كان جائزًا في نظر فاعله حسبما تقرَّر في كتب الفقه.

وقد صرَّح بعض الصحابة بأنهم فعلوا أشياء في عهد النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ثُمَّ تركوها حين نهىٰ عنها عمر رضي الله عنه، أمَّا أفراد الشعب فهم أحد رجلين: إمَّا عامِّيٌّ، وإمَّا عالِمٌ، فالعامِّيُّ إذا خاف علىٰ نفسه أن يفتنه المبتدِع هجره هجرًا وقائيًا كما تقدَّم، والعالِم له حالان:

١- أن يكون له من وفور علمه أو شدة ورعه أو كبر سِنِّه أو عظم منزلته، ما يحمل المبتدِع علىٰ الرجوع عن بدعته أو الكفِّ عن الدعوة إليها إذا هجره، أو حرَّض الناس علىٰ هجره، فالهجر في هذا الحال واجبٌ؛ لأن له فائدة إيجابية.

---

(١) وقد استُحدثت في العُهُود الأولىٰ للإسلام، فقد ذكر ابن سعدٍ في "الطبقات" في ترجمة عاصم بن سليمان الأحول: «أنه كان قاضيًا بالمدائن في خلافة أبي جعفرٍ المنصور، وأنه كان بالكوفة علىٰ الحسبة في المكاييل والموازين.

٢- ألا يكون له من الصفات المذكورة شيءٌ، فلا يجوز له الهجر؛ لأنه هجرٌ سلبيٌّ لا ثمرة له، نعم، يستعين بالحاكم، أو بذي جاهٍ في إزالة المنكر، أو ردِّ البدعة.

فصل

في الجهاد ضد المنكر

روى مسلمٌ في "صحيحه" عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ما مِن نبيٍّ بَعَثَهُ اللهُ إلَّا كان له مِن أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ، يَأْخُذُونَ بسُنَّتِهِ، ويَقْتَدَونَ بأَمْرِهِ، ثُمَّ إنه يَخْلُفُ مِن بعدهم خُلُوفٌ، يقولون مالا يَفْعَلُون، ويَفْعَلُون مالا يُؤمَرون، فمَن جاهَدَهُم بيَدِهِ فهو مُؤمِنٌ، ومَن جاهَدَهُم بلِسانِهِ فهو مُؤمِنٌ، ومَن جاهَدَهُم بقَلْبِهِ فهو مُؤمِنٌ، ليس وراء ذلك من الإيمان حَبَّةُ خَرْدَلٍ**».

فهم بعض الناس أنَّ الجهاد في هذا الحديث على حقيقته، وقال: «إنَّ الجهاد أعظم من القطيعة وأطمُّ وأقبح أثرًا»، وهذا خطأٌ كبيرٌ، فإنه لا يجوز لأفراد الشعب أن يحملوا السلاح، ويقاتلوا المبتدعة في الشوارع والبيوت، فإن ذلك أعظم مَفْسَدَة، وأشد ضَرَرًا من الابتداع، والمبتدعة لما يلزم عليه من إزهاق الأرواح واضطراب الأحوال، واختلال الأمن، هذا إلى أنَّ حمل السلاح للقتال لا يكون إلَّا بأمر الإمام وإذنه.

لكن المقصود بالجهاد هو التغيير والإنكار، والمعنى: فمن غيَّر ما هم عليه وأنكره بيده فهو مؤمِنٌ، ومن أنكر ما هم عليه بلسانه فهو مؤمنٌ، ومن أنكر ما هم عليه بقلبه فهو مؤمنٌ، وسمَّى الإنكار جهادًا على سبيل المجاز؛ لما فيه من

مشقَّة التجاذب بين الطرفين باليد وباللسان، يؤيِّد هذا: إضافة الجهاد إلى القلب، والقلب لا يُقاتِل لكنه مُنكِر.

فهذا الحديث مثل الحديث الآخر الثابت في "صحيح مسلم" أيضًا: «**مَن رَأَى مِنْكُم مُنْكَرًا فليُغَيِّره بيَدِهِ، فإن لم يَسْتَطِعْ فبلِسَانِهِ، فإن لم يَسْتَطِعْ فبِقَلْبِهِ، وذلك أَضْعَفُ الإيمانِ**». والأحاديث يُفسِّر بعضها بعضًا، وتغيير المنكر باليد أو باللسان ممكنٌ، بل هو مطلوبٌ شرعًا، وقد غيَّر كثيرٌ من العلماء منكراتٍ بأيديهم وبألسنتهم، واستجاب لهم الحُكَّام في ذلك امتثالًا لأمر الشرع.

فصل
في معنى الهجر

روى البخاريُّ في "الصحيح" عن عائشة رضي الله عنها: أنَّ فاطمة والعباس -عليهما السلام- أَتَيا أبا بكرٍ رضي الله عنه يلتمسان ميراثهما من رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقال لهما أبو بكرٍ رضي الله عنه: سمعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**لا نُورَثُ، ما تَرَكْنَاهُ صَدَقَةٌ، إنما يَأْكُلُ آل محمَّدٍ مِن هذا المال**». قال أبو بكرٍ: والله لا أدع أمرًا رأيتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يصنعه فيه إلَّا صنعتُه، قال : فهجرته فاطمة فلم تُكلِّمه حتى ماتتْ.

قلت: قد يستدل بعض الناس بهذا الأثر على جواز الهجر فوق ثلاثة أيام، لأجل معايش الدُّنيا، وهو استدلالٌ غير صحيحٍ؛ لأن ما وقع هنا لا يُعتبَر هجرًا حقيقة، إذ الهجر المنهي عنه: أن يتقابل شخصان، فيعرض هذا ويعرض هذا، ولا يُسلِّم أحدهما على الآخر، وفاطمة -عليها السلام- لم تكن تخرج من بيتها حتى

تقابل أبا بكرٍ رضي الله عنه، ولم تكن في حاجةٍ إلى التردُّد عليه ، إذ لم تعرض لها قضيةٌ تقتضي الذهاب إلى الخليفة للفصل فيها، ثُمَّ إنها لم تعِش بعد والدها صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلَّا ستة أشهرٍ، وهي مدَّةٌ قليلةٌ، قد يغيب أحد الصديقين عن صديقه مثلها أو أكثر، تشغلهما شئون الحياة، ولا يعتبران متهاجرين.

غاية ما في الأمر أنَّ بعض الرواة سمَّى خروج فاطمة -عليها السلام- من عند أبي بكر وهي غَضْبَى هجرًا تجوُّزًا، ألا ترى إلى العباس رضي الله عنه منع نصيبه من الإرث أيضًا ولم يهجر أبا بكرٍ رضي الله عنه؟! بل كانا يتكلَّمان إذا تقابلا في الشارع وفي المسجد، ثُمَّ إنه ثبت أنَّ أبا بكرٍ رضي الله عنه استأذن عليها وهي مريضةٌ، فقال لها عليٌّ -كرم الله وجهه-: هذا أبو بكرٍ يستأذن؟ فقالت: أتأذن له؟ قال: نعم، فأذنت له، فدخل يعودها، وقال لها كلمته المشهورة: والله لَقَرابَةُ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أحب إلي أن أصل مِن قرابتي. وهو صادقٌ من غير يمينٍ.

والذي نراه في هذه القصة وهو الحقيقة والواقع: أنَّ فاطمة -عليها السلام- أكرم نَفْسًا وأجل قدرًا من أن تهجر شخصًا على شيءٍ من الدُّنيا، فهي بنت أبيها صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ووارثة خُلُقِهِ، وهي صِدِّيقةٌ أيضًا، وإنما الذي حصل: أنها لما طلبت حقَّها في الميراث مستندةً إلى عموم قول الله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ﴾ [النساء: ١١]، وفوجئت بمنع الصِّدِّيق لها، مستدلًّا بالحديث المُخصِّص للآية -ولم تكن سمعته من قبل- اعتراها غضبٌ لصدمة المفاجأة، شأن الطبيعة البشرية، ثُمَّ لما عادت إلى بيتها، وهدأت نفسها، أدركت صدق أبي بكرٍ رضي الله عنه فتركت الموضوع، ولو كان غير ذلك لما

سكت عليٌّ -عليه السلام- عن طلب حقِّها، ولما سكت العباس عن طلب حقِّه، وهو كان أحرص على المال وأكثر طلبًا له.

ثبت في "صحيح البخاري" أيضًا عن عوف بن مالك بن الطفيل: «أنَّ عائشة -رضي الله عنها- حدَّثت: أنَّ عبدالله بن الزبير قال في بيعٍ أو عطاءٍ أعطته عائشة: والله لتنتهينَّ عائشة أو لأَحْجُرَنَّ عليها، فقالت : أهو قال هذا؟ قالوا: نعم، قالت: هو لله علي نذرٌ ألَّا أُكلِّم ابن الزبير أبدًا، فاستشفع إليها ابن الزبير حين طالت الهجرة، فقالت: لا والله، لا أُشَفِّع فيه أبدًا، ولا أتحنَّث إلى نذري.

فلما طال ذلك على ابن الزبير، كلَّم المِسْوَر بن مَخْرَمَةٍ وعبدالرحمن بن الأسود بن عبديغوث، وقال لهما: أنشدكما الله لما أدخلتماني على عائشة -رضي الله عنها- فإنها لا يحل لها أن تنذر قطيعتي، فأقبل به المسور وعبدالرحمن، حتى استأذنا على عائشة، فقالا: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أندخل؟ قالت عائشة: ادخلوا، قالوا: كلنا؟ قالت: نعم، ادخلوا كلكم، ولا تعلم أنَّ معهما ابن الزبير، فلمَّا دخلوا، دخل ابن الزبير الحجاب، فاعتنق عائشة -رضي الله عنها- وطفق يناشدها ويبكي، وطفق المسور وعبدالرحمن يناشدانها إلَّا كلمته، وقبلت منه، ولا يحل لمسلمٍ أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ، فلمَّا أكثروا عليها من التذكرة والتحريج، طَفِقَت تذكرهما وتبكي، وتقول: إني نَذَرتُ، والنَّذْر شديدٌ، فلم يزالا بها حتى كلمت ابن الزبير، وأعتقت في نذرها ذلك أربعين رقبةً، وكانت تذكر نذرها بعد ذلك فتبكي، حتى تبل خمارها».

قال الحافظ ابن حجرٍ في "فتح الباري": «أراد البخاريُّ بإيراد أثر عائشة

هذا أن يُبيِّن: أنَّ حديث النهي عن الهجرة ليس على عمومه، بل هو مخصوصٌ بمن هجر بغير موجبٍ لذلك». ا هـ

قلت: هذا الأثر أظهر في الاستدلال على جواز الهجر فوق ثلاث لغير مصلحة الدِّين، لكنه لا دليل فيه كما يتبيَّن بحول الله تعالى.

وإنَّ الناظر في هذه القصة بعين الفاحص المتأمل يجدها تفيد أشياء:

١- أنَّ عائشة -رضي الله عنها- لم تهجر عبد الله بن الزبير لمعصيةٍ اقترفها، وإنما غضبت من اعتراضه على تصرُّفٍ مِن تصرُّفاتها، وكان لها أن تهجره بضعة أيامٍ حتى يهدأ غضبها، لكنها أسرعت بنَذْر هجره؛ لِحِدَّةٍ كانت فيها ورثتها عن أبيها رضي الله عنها.

٢- أنَّ ابن الزبير صَرَّح: بأنَّ عائشة لا يحل لها أن تنذر قطيعته؛ لأن قوله: «والله لتنتهينَّ عائشة أو لأَحْجُرَنَّ عليها»، لا يستوجب ذلك[١].

٣- أنَّ المِسْوَر وعبدالرحمن قالا لها: إنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نهى عن الهجرة، وأنه لا يحل لمسلمٍ أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ، فلم تذكر لهما حديثًا يُخصِّص ما أبدياه من الدليل.

٤- أنها اعتذرت بالنَّذْر، واعتبرته مُخصِّصًا لحديث النهي عن الهجرة، وغاب عنها أنَّ هذا النذر لا يجب الوفاء[٢] به؛ لأنه يشتمل على قطيعةٍ، لكنها

---

(١) يظهر أنها أرادت زجره بهجره؛ لأنه تعدَّى على مقامها، باعتراضه على تصرُّفها، وهي أُمُّه من جهة الإيمان: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾[الأحزاب: ٦]، وخالته من جهة الرَّحَم؛ لأنها أخت أُمِّه أسماء -رضي الله عنهم- لكنها اشتدت عليه، وجاوزت الحدَّ المطلوب.

(٢) لأنه يشتمل على معصيةٍ، وقد نسيت الحديث الذي روته عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله

اجتهدتْ فأخطأت، فهي مأجورةٌ على اجتهادها غير مأخوذةٍ بخطئها، لكن لا يجوز الاستدلال بقصَّتها على جواز الهجر غير المشروع؛ لأن النصَّ بتحريم الهجرة ثابتٌ عامٌّ لا مُخصِّص له.

فصل

الإسراف في معنى الهجر

أسرف بعض الناس في استعمال الهجر السلبيِّ، وقطع رَحِمَ إخوته ومعظم أقاربه زاعمًا أنهم ضالُّون مبتدعةٌ بل وصف والده وأجداده بالضلال والابتداع وهو يعلم أنهم كانوا على عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة[1].

والعجيب أنه يرميهم بهذه الذميمة؛ لأمورٍ كان هو نفسه إلى عهدٍ قريبٍ يعتقد صحَّتها، ومعنى ذلك أنها أمورٌ لا تمس العقيدة أولا، وأنها ليست بدعًا متفقًا على بدعيَّتها ثانيًا، وإلَّا لما اعتقد صحَّتها ومشروعيتها معظم سِني حياته، ثُمَّ أدركه الخرف على كِبَرٍ فاعتقد بدعيَّتها، وطبَّق عليها أحاديث أخطأ في

وسلَّم أنه قال: «مَن نَذَرَ أن يُطِيعَ اللهَ فليُطِعْهُ، ومَن نَذَرَ أن يَعْصِي اللهَ فلا يَعْصِهِ». رواه البخاريُّ.

(١) أهل المغرب كلهم مالكية، وليس في المالكية معتزليٌّ ولا غيره من الفِرق الضالَّة، وهذا مما امتاز به المذهب المالكيُّ كما قال السبكيُّ في "الطبقات"، أمَّا الشافعية والحنفية، ففيهم معتزلةٌ كثيرون، وفي المذهب الحنبليِّ مُشبِّهةٌ، ومذهب الزيدية -باليمن- عقيدته اعتزالية؛ لأن إمامهم زيدًا تلقَّى العقيدة عن شيخه واصل بن عطاء المعتزليِّ، ومن جهة أخرى ففي الجزائر وتونس وطرابلس طائفة الإباضية، أتباع عبدالله بن إباض -بكسر الهمزة- الخارجي، ولا يوجد أحد منهم في المغرب.

فهمها حسب قواعد علم الأصول.

وأعجب من هذا أنه يصرُّ على رمي إخوته وأصحاب والده بصفات النفاق والضلال والابتداع والفسوق، كأن الله أباح له أعراضهم يُمزِّقها كيف يشاء؟! لا يدع منهم حيًّا ولا ميتا[1] ولا حاضرًا ولا غائبًا، مع أنه يقرأ قول الله تعالى لنبيه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في شأن المشركين: ﴿وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل: ١٠]، ولم يأخذ منه عِظةً وعِبرةً، ولا قال لنفسه: حيث أمر الله بالهجر الجميل في حقِّ المشركين، فهو في جانب المسلمين أولى وأوكد.

نعم، لو تدبَّر تلك الآية حين قرأها لكفَّ عن شتم إخوته وأقاربه، ولو تتبَّع كتب السُّنَّة لم يجد فيها إلَّا الهجر الجميل، لكنه لم يتدبَّر الآية، ولا تتبَّع كتب السُّنَّة؛ لأن عقله وقلبه مُتَّجهان إلى القطيعة السيئة المصحوبة بنهش الأعراض وهتك الأستار، فتلك القطيعة هي عنده سُنَّة الهجر التي يطلب من الله تعالى أن يعينه على إحيائها!

لذلك ألَّفت هذا الجزء لأُبيِّن له خطأه بل خطيئته، وأنكر عليه هجره لعائلته وقطيعته لهم، وأنا أعلم مُسبَّقًا أنه سيرميني بالنفاق والضلال،

---

(١) بل يُسمِّي الميت منهم: هالكًا، وهو وصفٌ لا يطلق إلَّا على الميت الكافر، أمَّا المسلم الذي يؤمن بالله ورسوله فلا يُسمَّى هالكًا وإن عصى. وانظر إلى قول الله تعالى حين تكلَّم على ميراث الكلالة: ﴿إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ [النساء: ١٧٦] الآية، ولم يقل: «إن مسلمٌ هَلَك» ولا «إن امرؤٌ مسلمٌ هلك»، تجنُّبًا لأن يوصف مسلم بالهلاك، وهو من دقائق القرآن الكريم.

وسيكتب ردًّا بالغًا في الشتم والمغالطات، لكنه لن يمسَّ الموضوع العلميَّ للكتاب؛ لأنه فوق طاقته، ولأنه غير ما اعتاد من السباب، وفَّقنا الله وإياه إلى السداد والصواب.

والحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على أشرف المرسلين، سيِّدنا محمَّدٍ وآله الطاهرين.

٥- النفْحَةُ الذَّكِية

في أنَ الهَجْرَ بِدْعَةٌ شِرْكِيَّة

الهَجْرُ إثْمٌ لا يَجُوزُ لمُسْلِمٍ ... أن يَهْجُرَ الإخْوَانَ والخُلَّانا
فجَزاؤهُ نارُ الجَحيمِ كما أتَى ... خَبَرُ النبيِّ مُوضِّحًا وبَيانا
والهَجْرُ مُبْتَدَعٌ لكُفَّارٍ أبَوْ ... دِينًا أتاهُمْ سَاطِعًا بُرْهَانا
فاسْتَعْمَلُوا لرَسُولِهِمْ أعْرَاضَهم ... و اسْتَبْدَلُوا بالطَّاعَةِ الهُجْرانا
لا هَجْرَ في دِينٍ وفي دُنيا إذا ... ما قَدْ عَدا فَوْقَ الثَّلاثِ زَمَانا
فبِذا أتَى لَفْظُ الحَدِيثِ مُعَمِّمًا[1] ... فقَضَى على مَن يَتْبَعُ الشَّيْطَانا
و قَطِيعَةُ الأرْحامِ ليْسَتْ شِرْعَةً ... في دِيننا أعْظِمْ بها عِصْيانَ
و القَاطِعُ المَلْعُونُ في آي الكِتابِ ... له العَمَى[2] نَصًّا فبِئْسَ هَوَانا
و القَاطِعُ الأعْمَى لَهُ صَمَمٌ وسُوءُ ... مَغَبَّةٍ ممَّا أتَى خُسْرَانا
و العَاقُّ لا تَسْأَلْ على أهْوالِهِ ... سيَكُونُ في نارِ الجَحِيمِ مُهَانا

---

(١) في الصحيحين: «لا يَحِلُّ لمُسْلِمٍ أن يَهْجُرَ أخاهُ فوقَ ثلاثٍ». وهو نصٌّ في العموم.

(٢) (آية ٢٥ سورة الرعد)، و(آيتا ٢٢/ ٢٣ سورة محمد)

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله المُنعِمِ الوهَّاب، الرحيم التوَّاب، أنعم علينا بدين الإسلام وأمرنا بالتآلُفِ والوِئامِ، ونهانا عن التفرُّقِ والخِصامِ، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّدٍ نبيِّ الرحمة ورسول السَّلام، دعا إلى وحدة الصفِّ وجمع الكلمة وضمِّ الشَّمْلِ، وحرَّم الهَجْر والمُشاحَنة وشدَّد في تحريمهما، وتوعَّد عليهما بدخول النَّارِ واستحقاق غضب الجبَّار، ورضى الله عن آله المُكرَّمين الأطهار، وصحابته المهاجرين والأنصار.

أمَّا بعد: فإني كنتُ كتبتُ جزءًا سمَّيته: " القول المسموع في بيان الهجر المشروع" قسمت فيه الهجر إلى ثلاثة أنواعٍ:

١- هجر إيجابيٌّ زاجرٌ، يكون ممن له سلطةٌ ماديةٌ كالحاكم والوالد، أو سلطة معنويةٌ كالأستاذ والقُدْوة.

٢- هجرٌ وِقائيٌّ مانعٌ يكون ممن يخاف على نفسه فتنة المهجور.

٣- هجرٌ سلبيٌّ لا زجر فيه ولا وقاية.

وقلت أنَّ الهجرين الأول والثاني مشروعان، والثالث ممنوعٌ على الأصل في الهجر، وبيَّنت ذلك بأمثلةٍ من آثارٍ تساهلت في إيرادها مع ضعف معظمها، لأني لم أوردها للاستدلال وإنما أوردتها على سبيل المثال، فجاء ذلك الجزء تحفة في بابه لجمعه أطراف البحث مع ترتيبٍ وتهذيبٍ، واخترعت فيه أسلوبًا لم أُسبق إليه ولم أُغلَب -بفضل الله- عليه وكان أحسن من رسالة "الزجر بالهجر" للحافظ السيوطيِّ حيث حشد فيها الآثار وحشر، وطوى مِن البيان ما

حقُّه أن يُنشَر، ولم يُرتِّب الأنواع ولا هذَّبها، ولم يُبيِّن مواقع الآثار المختلفة ولا شذَّبها، فكانت رسالته خليطًا من الآثار والأقوال، غير مرتَّبةٍ ولا مُهذَّبةٍ.

و كنت حين كتبت ذلك الجزء مُتأثِّـرًا بما قاله كثيرٌ من العلماء أنَّ الهجر لأجل الدين مشروعٌ كهجر المُبتدِع وشارب الخمر ونحوهما.

ثُمَّ عاودتُ البحث وأمعنتُ النظر مُسترشدًا بقواعد الأصول وأسس البحث، فوجدتني مُخطئًا فيما قرَّرتُ أشد الخطأ، بعيدًا عن الصواب في اتباع من تأثَّرت بهم غاية البعد.

و تبيَّن لي بعد تمحيصٍ وتحقيقٍ أنَّ الصواب الذي ليس بعده إلَّا الخطأ حُرْمَةُ الهَجْر بجميع أنواعه، ولا يوجد هَجْرٌ مشروعٌ لأجل الدِّين ولا لغيره، وأنه منابذٌ لروح التشريع الإسلاميِّ.

و الذين قالوا بمشروعيته مخطئون واهمون، استندوا إلى ماليس بدليلٍ توهَّموه دليلًا، فهم مُثابون على اجتهادهم مغفورٌ لهم خطؤهم، لكن يحرم على الحاقدين المُتنطِّعين أن يتخذوا خطأهم ذريعةً لقطيعة الرَّحَم وعقوق الوالدين، ومُصارمة من لم يوافق هواهم.

و قد يُعذر المُقلِّد لمجتهدٍ مخطئ إذا كان تقليده عن حسن نيَّةٍ، أمَّا المُقلِّد عن سوء قصدٍ فهو آثمٌ مغرورٌ، ولا يُعفيه من الإثم أن يورد آيات وأحاديث يوهم بإيرادها أنه من أهل الاستدلال والاحتجاج، بل هذا مما يضاعف إثمه ويغلظ عقوبته عند الله تعالى؛ لأنه أصر على التقليد بعنادٍ، وحمل الآيات والأحاديث خلاف ما تقتضيه من المعنى المراد.

وهذا جزءٌ سمَّيته **"النَفْحَةُ الذَّكِيَّةُ في أنَّ الهَجْرَ بِدْعَةٌ شِرْكِيَّةٌ"**، أوضحتُ

فيه أنَّ الهجر في الأصل ابتدعه المشركون، قاطعوا به رُسُلَ الله الداعين إلى توحيده، وأنَّ الإسلام حرَّمه تحريمًا باتًّا، وجعله من الكبائر المُوبقات، ولم يرخِّص فيه لأحدٍ من المسلمين، إلَّا في حالة عذرٍ ضروريٍّ كما رخَّص للمضطر في أكل الميتة، وما رخَّص فيه الشارع لعذرٍ لا يكون مشروعًا على الإطلاق، بل شرعيته مُقيَّدةٌ بحالة العذر لا يتجاوزها، ومن القواعد المقرَّرة المعروفة: «أنَّ ما أُبيح للضرورة يتقدَّر بقَدْرِها».

و ليس في الحالة التي أبيح فيها الهجر كون المهجور مبتدعًا أو فاسقًا بشرب خمرٍ أو غيره، فإن الإسلام لا يعرف هجر المسلم لبدعته أو فسقه، بل ولا يُقرِّه فضلًا عن أن يُدَّعَى فيه أنه واجبٌ أو سُنَّةٌ، تالله إنَّ هذه الدعوى كاذبةٌ، وسيأتي بيان ذلك مُفصَّلًا إن شاء الله تعالى.

الهجر من فعل المشركين

مِن المُقرَّر المعلوم أنَّ الشخص إذا ضَعُفُ في ميدان المناظرة احتجاجُه واختلَّ برهانُه، ولم يُسْعِفْهُ بيانُه، ووجد مُناظِرَه قويَّ الحُجَّة صحيح البرهان واضح البيان، لم يجد سبيلًا لمقاومته إلَّا أن يهجره ويوصي أصحابه بهجره حتَّى لا يتأثَّروا بحسن مَنْطِقِهِ فينضمُّوا إليه.

وهذا هو ما فعله المشركون في مقاومة دعوة التوحيد، وهي الدعوة التي أيَّدتها قضايا العقول وشهد بصحَّتها الفِطَرُ السليمة ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ [الروم: ٣٠] ومِن المشركين مَن لجأوا في محاربة دعوة التوحيد إلى طريقةٍ بدائيَّةٍ حين كان العقل الإنسانيُّ ما زال في دور طفولته.

استمع إلى نوحٍ عليه السلام، وهو يشكو إلى الله قومه: ﴿ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴾ [نوح: ٧].

قال ابن عبَّاسٍ: جعلوا أصابعهم في آذانهم لئلَّا يسمعوا ما يقول.

﴿وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ ﴾: قال غَطُّوا بها وجوههم لكي لا يروا نوحًا ولا يسمعوا كلامه.

ونحن نعلم أنَّ الأطفال إذا تنازعوا في شيءٍ مِن لعبهم يضع أحدهم أصبعه في أذنيه لئلَّا يسمع كلام منازعه يغيظه بذلك، وإذن فقد استعمل قوم نوحٍ طريقةً صبيانيَّةً.

ومِن المشركين مَن استعمل التشويش كما يستعمل الآن في الإذاعة بين الدول المتحاربة.

اتلُ قول الله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦].

قال ابن عبَّاسٍ: كان النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وهو بمكة إذا قرأ القرآن يرفع صوته، فكان المشركون يطردون الناس عنه، ويقولون: ﴿لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾. قال: بالتصفير والتخليط في المنطق.

وقال قتادة: ﴿وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ﴾، يقولون اجحدوه وأنكروه وعادوه.

ومنهم من يضيف إلىٰ النهي عن سماعه سبَّه وسبَّ مَن أنزله.

قال ابن عبَّاسٍ: فكان النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم -وهو متوارٍ بمكة- إذا صلَّىٰ بأصحابه رفع صوته بالقرآن فإذا سمع ذلك المشركون سبُّوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به، فقال الله لنبيه ﴿وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ﴾ [الإسراء: ١١٠] الآية.

والسبُّ حُجَّة العاجز السفيه الحاقد؛ لأن ضعفه عن مقاومة خصمه الغالب بالحُجَّة، وحقده عليه، يحمله علىٰ التشفِّي منه بشتمه.

ولله درُّ بعض الظرفاء حيث يقول: إذا رأيت شخصًا يشتم مناظره في مسألةٍ عِلْميَّةٍ، فاعلم أنه خَسِرَ القضية.

وأول مَن ابتدع الهجر مِن المشركين: آزر والد إبراهيم عليه السلام، فإنه لما ضاق ذرعًا بدعوة ابنه إلىٰ التوحيد وعجز عن معارضة حُجَّته لم يجد مخلصًا منه إلَّا أن قال له: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي

مَلِيًّا ﴾ [مريم: ٤٦] أي اعتزلني دهرًا طويلًا حتىٰ لا أسمع دعوتك.

وكذلك فعل المشركون مع النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ومع صحابته؛ فإنه لما ضاق كفَّار قريشٍ بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم اتفقوا فيما بينهم علىٰ أن يقاطعوا بني هاشم وبني المطلب فلا يُجالسونهم، ولا يُنكِحُونهم، ولا يعاملونهم في تجارةٍ وغيرها. ودخل بنو هاشمٍ وبنو المطلب شِعْبَ أبي طالب وظلُّوا في ضيقٍ مِن العيش من أجل المقاطعة حتَّىٰ سعىٰ بعض زعماء المشركين في نقض صحيفةٍ كُتبت بذلك وعُلِّقت علىٰ الكعبة، وتَمَّ نقضها رغم معارضة أبي جهلٍ لعنه الله.

وخرج النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وأقرباؤه مِن الشِّعْبِ بعد مقاطعةٍ استمرَّت ثلاث سنواتٍ، والقِصَّة مبسوطةٌ في كتب السِّيرة.

وعقد عتبة وعُتيبة ولدا أبي لهبٍ، علىٰ رقية وأمِّ كلثوم، بنتَي النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم. فلمَّا نزلت ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١] قال لولديه: رأسي مِن رأسكما حرامٌ إن لم تُطلِّقا بنتَي محمَّدٍ. وكذلك قالت لهما حمَّالةُ الحَطَبِ، فطلَّقا بنتَي عمِّهما بأمر والديهما إمعانًا في مقاطعته.

وحكىٰ الله تعالىٰ شكاة نبيه: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠] هَجَرُوه وأعرضوا عنه؛ لأنهم لا يستطيعون سماع ما فيه من الأدلة القاطعة والحُجَجِ النَّاصِعَةِ التي تَدْمَغُ الشِّركَ وتُبطِلُه.

ومِن هذا المعنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُواْ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [الكهف: ١٠٠ - ١٠١] أي كانوا

لا يستطيعون أن يسمعوا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لشدَّة عداوتهم له، فهم يهجرونه ويتعدون عنه.

وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٦] يعني أنَّ كفَّار مكة ينهون الناسَ عن مجالسة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وسماع كلامه، ويبتعدون عنه بأنفسهم مبالغةً في مقاطعته ومقاطعة دينه.

وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٦] يؤذي المشركين أن يسمعوا القرآن ينادي بتوحيد الله، وأفراده بالألوهية، ويقرعهم بالأدلة الدامغة. فيَفِرُّون منه، ليريحوا أنفسهم من سماع ما يُكَدِّر صفوهم، ويُبَلْبِلُ بالهم.

قال ابن زيدٍ في قوله: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا﴾ بُغضًا لما يتكلَّم به، لئلَّا يسمعوه كما كان قوم نوحٍ يجعلون أصابعهم في آذانهم لئلَّا يسمعوا ما يأمرهم به من التوبة والاستغفار.

وروىٰ البيهقي في "الدلائل" وابن عساكر وغيرهما عن جابر بن عبدالله قال: قال أبو جهلٍ والملأ من قريش: قد انتشر علينا أمر محمَّدٍ، فلو التمستم رجلًا عالمًا بالسِّحْرِ والكَهَانَةِ والشِّعْر. قال عُتْبة بن ربيعة: علمتُ مِن ذلك عَلْمًا وما يَخْفَىٰ عليَّ إن كان كذلك. فذهب إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عارضًا عليه أن يُمَلِّكوه عليهم إن أراد، أو يجمعوا له مالًا إن أحبَّ الغِنَىٰ، أو يعالجوه إن كان به جِنَّة. فقرأ عليه النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم (حم فصلت) حتىٰ بلغ: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَـٰعِقَةً مِّثْلَ صَـٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾

[فصلت: ١٣] فأمسك عتبة على فيه وناشده الرَّحِمَ أن يكفَّ عنه، ولم يخرج إلى قريشٍ واحتبس عنهم.

فقال أبو جهلٍ: يا معشر قريش ما نرى عتبة إلَّا قد صبأ إلى محمَّدٍ، انتقلوا بنا إليه. فأتوه فقال أبو جهلٍ: والله يا عتبة ما حسبنا إلَّا أنك صبوتَ إلى محمَّدٍ، وأعجبك أمره. فإن كانت بك حاجةٌ جمعنا لك من أموالنا ما يُغنيك عن محمَّدٍ. فغضب وأقسم بالله لا يُكَلِّم محمَّدًا أبدًا. وذكر بقية القصة في ثنائه على القرآن، وأنه ليس بشِعْرٍ ولا كهانةٍ ولا سِحْرٍ وأنه خاف نزول العذاب بهم؛ لأن محمَّدًا صادقٌ... إلى آخر ما هو مبسوطٌ في كتب السيرة.

والشاهد مِن القِصَّة: أنَّ عتبة أقسم على هجر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم هَجْرًا دائمًا؛ لإرضاء إخوانه المشركين، ولأنه وجد للقرآن حلاوةً يَخْشَى أن تدعوه لمعاودة سماعه فامتنع منها بيمينه(١).

وروى ابن عبدالبر في كتاب "الاستيعاب" عن الطُّفَيل بن عمرٍو الدوسيِّ، قال: كنتُ رجلًا شاعرًا سيِّدًا في قومي، فقدمت إلى مكة. فمشى إليَّ رجالات قريشٍ، فقالوا: يا طُفَيل إنك امرؤٌ شاعرٌ سيِّدٌ مُطاعٌ في قومك. وإنَّا قد خشينا أن يلقاك هذا الرجل فيصيبك ببعض حديثه، فإنما حديثه كالسحر فاحذره أن يُدْخِلَ عليك وعلى قومك ما أَدْخَلَ على قومنا وعلينا، فإنه يُفَرِّق بين المرء

---

(١) ونظير هذا ما أخبرني به بعض الإخوان أنَّ وهَّابيًّا مِن أصحاب وهَّابي طنجة قال: إنه يريد مقابلتي ويرغب فيها إلَّا أنه يَخْشَى أن أغلبه بالحُجَّة فيرجع عن رأيه وهو يحبُّ التمسُّك به فلذلك لا يُقابلني.

وابنه، وبين المرء وزوجه، وبين المرء ووالده. فوالله ما زالوا يُكَلِّمونني وينهونني أن أسمع منه حتىٰ قلت: والله لا أدخل المسجد إلَّا وأنا سادٌّ أُذُني. فعمدت إلىٰ أذني فحشوتها كرسفًا، ثُمَّ غدوت إلىٰ المسجد، فإذا برسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قائما في المسجد فقمت قريبًا منه، فأبىٰ الله إلَّا أن يُسمِعَني بعض قوله، فقلت في نفسي: والله إنَّ هذا للعجز، والله إني امرؤٌ ثبتٌ، ما يَخْفَىٰ عليَّ مِن الأمور حسنها ولا قبيحها. والله لأسمعنَّ منه، فإن كان أمره رشدًا أخذت منه وإن كان غير ذلك اجتنبته، فنزعت الكرسفة من أذني فألقيتها، ثُمَّ استمعتُ له فلم أسمع كلامًا قطُّ أحسن مِن كلامٍ يتكلَّم به. فقلت في نفسي: يا سبحان الله. ما سمعت كاليوم لفظًا أحسن منه ولا أجمل.

ثُمَّ ذكر بقية القصة في إسلامه وذهابه إلىٰ قومه داعيًا للإسلام.

وهي صريحةٌ في مقاطعة المشركين للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ونهي الوافدين إلىٰ مكة عن الاتصال به، وهو مُتضمِّنٌ معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾.

وروىٰ المُسْتَغْفِريُّ من طريق البكائيِّ، عن محمد بن إسحاق، عن الزهريِّ، قال: قال عمرو بن أُميَّة الدُّوسيُّ: دخلتُ المسجد الحرام فلقيني رجالٌ مِن قريشٍ. فقالوا: إياك أن تَلْقَىٰ محمَّدًا أو تسمع مقالته فيخدعك. ولكن قُدِّر له أن يسمع كلام النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، مع تحفُّظه وتحرُّزه اتباعًا لوصية قريشٍ. فلم يتمالك أن أعلن إسلامه، كما حصل لسميِّه عمرو بن الطُّفَيل.

وهذا هو ما يفعله مُبتدِع طنجة، يحض أصحابه علىٰ مقاطعة آبائهم

وأُمَّهاتهم، وهجر المسلمين بدعوىٰ الابتداع. وألَّا يُسلِّموا عليهم ولا يردوا عليهم السلام. وأمر أولاده بمقاطعة أعمامهم، لما يغلي في قلبه مِن حقدٍ وبغضٍ لإخوته علىٰ مخالفتهم له، وردهم لبعض أخطائه الكثيرة.

وروىٰ ابن عبدالبر في كتاب "الاستيعاب" عن خالد بن سعيد بن العاص: أنه رأىٰ في المنام أنه وُقِفَ به علىٰ شَفير جهنَّم، ورأىٰ والده يدفعه فيها، ورأىٰ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أخذ بحِقْوَيْهِ لئلَّا يقع فيها، ففَزِعَ وقال: أحلف بالله إنها لرؤيا حَقٌّ. ولقي أبا بكرٍ رضى الله عنه فذكر ذلك له. فقال أبو بكرٍ: أُريد بك خيرًا هذا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فاتبعه، وإنك ستتبعه في الإسلام الذي يَحْجِزُك مِن أن تقع فيها، وأبوك واقعٌ فيها. فلقي رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بأجياد، فأسلم وسُرَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بإسلامه. وعلم أبوه فأرسل في طلبه مَن بقي من ولده -ولم يكونوا أسلموا- فوجدوه، فأتوا به أباه أبا أُحَيْحَة، فأنَّبه وبكَّته وشتمه وضربه بمقرعةٍ في يده، حتَّىٰ كسرها علىٰ رأسه. ثُمَّ قال: تبعتَ محمَّدًا وأنت ترىٰ خلافَهُ قومَهُ، وما جاء به من عَيْبِ آلهتهم، وعَيْبِ مَن مَضىٰ مِن آبائهم؟!

فقال: قد والله تبعته علىٰ ما جاء به. فغضب أبو أُحَيْحَة، ونال منه وشتمه وقال: اذهب يا لُكَعُ حيث شِئْتَ، والله لأمنعنَّك القوت، فقال خالدٌ: إن منعتني فالله يرزقني ما أعيش به. فأخرجه، وقال لبنيه: لا يُكلِّمه أحدٌ منكم إلَّا صنعتُ به ما صنعتُ به.

فأبو أُحَيْحَة، لم يجد حيلةً في ابنه الذي أسلم إلَّا أن يهجره ويأمر أخوته بهجره.

وقال الزهريُّ ومحمد بن جعفر بن الزبير: لما رجع المشركون من وقعة بدرٍ إلى مكة. أقبل عمير بن وهبٍ حتَّى جلس إلى صفوان بن أميَّة في الحِجْر، فقال: قبَّحَ اللهُ العيش، بعد قَتْلَى بدرٍ. قال عمير أجل والله ما في العيش خيرٌ بعدهم، ولولا دَيْنٌ عليَّ لا أجد له قضاءً وعيالٌ لا أجد لهم شيئًا لرحلتُ إلى محمَّدٍ فقتلته، إن ملأتُ عيني منه. فإن لي عنده عِلَّةً أعتلُّ بها عليه. أقول: قدمت من أجل ابني هذا الأسير. ففرح صفوان، وقال له: عليَّ دينك، وعيالك أسوة عيالي في النفقة. لا يسعني شيءٌ فأعجز عنهم. فاتفقا وحمَّله صفوان وجهَّزه، وأمر بسيف عمير فصُقِلَ وسُمَّ، وقال عمير لصفوان: اكتم عليَّ إياها. وقدم عمير المدينة، ودخل على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وعمر ممسكٌ بتلابيبه؛ لأنه كان من شياطين العرب وخبثائهم. فقال له النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم «**أَرْسِلْهُ يا عمرُ**» فأرسله. فقال: انعموا صباحًا. فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**قد أَكْرَمَنا اللهُ عن تَحِيَّتك وجعل تحيَّتنا تحيَّة أهل الجنَّةِ وهو السَّلام**» فقال عمير: إنَّ عهدك بها لحديث. فقال: «**ما أقدمك يا عمير؟**» فقال: قدمت على أسيري عندكم. تفادونا في أسرانا، فإنكم الأهل والعشيرة. فقال: «**ما بال السَّيفِ في عُنُقِكَ؟**» قال: قبَّحها اللهُ مِن سيوفٍ، وهل أغنت عنَّا شيئًا إنما نسيته في عنقي حين نزلت. فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**اصْدُقْني، ما أقدمك يا عميرُ؟**» قال: ما قدمت إلَّا في طلب أسيري. فقال: «**فماذا شرطت لصفوان في الحِجْر؟**» ففزع عمير، وقال: ماذا شرطت له؟ قال: «**تحمَّلت له بقتلي، على أن يعول أولادك ويقضي دينك، والله حائلٌ بينك وبين ذلك**».

فقال عمير: أشهد أنك رسول الله، وأشهد ألَّا إله إلَّا الله. كنا يا رسول الله

نُكذِّبك بالوحي وبما يأتيك من السماء. وإنَّ هذا الحديث كان بيني وبين صفوان في الحِجْر كما قلتَ، فأخبرك الله به. فالحمد لله الذي ساقني هذا المساق. ففرح به المسلمون، وقال له رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**اجْلِسْ يا عميرُ نواسِك**» وقال لأصحابه: «**عَلِّموا أخاكم القرآنَ**» وأطلق له أسيره. وجعل صفوان يقول لقريشٍ: أبشروا بفتح يُنسيكم وقعة بدرٍ. وجعل يسأل كلَّ راكبٍ قدم مِن المدينة: هل كان بها مِن حَدَثٍ؟ حتَّى قدم عليهم رجلٌ، فقال: قد أسلم عمير، فلعنه المشركون. وقال صفوان: لله عليَّ ألَّا أكلمه أبدًا، ولا أنفعه بشيءٍ. الحديث بطوله، وهو في كتب السيرة.

ويلاحظ أنَّ صفوان المشرك نذر هجر عمير المسلم فاعتبر هجره قُربة. وكذلك مُبتدِع طنجة يزعم أنَّ هجر المسلمين طاعةٌ وقربةٌ.

ويلُّح على تثبيت ذلك في عقول أصحابه البسطاء مع اعتقاده في داخل نفسه أنه كاذبٌ مخادعٌ؛ لأنه إنما يهجر المسلمين عامَّةً وأخوته خاصَّةً لغرضٍ شخصيٍّ لا علاقة له بالدِّين. وسنكشف عن ذلك الغرض موضحًا بالأدلة والشواهد فيما يأتي، إن شاء الله تعالى.

فصل

يتبيَّن مِن المُثُل المذكورة في هذه المقدِّمة أنَّ المشركين توافقوا على الهجر الذي جعلوه سلاحًا ضد رسول الله منذ عهد قوم نوحٍ إلى عهد كفَّار قريشٍ.

ومِن القواعد التي يجهلها وهَّابي طنجة أنَّ ما ابتدعه المشركون أعداء الله لا يمكن أن يشرعه الله لأوليائه المؤمنين، وجوبًا أو ندبًا يتعاملون به فيما بينهم، وإنما يشرعه ليعاملوا به الكفار معاملة بالمثل.

ألا ترىٰ إلىٰ الاسترقاق لما ظهر الإسلام وجده معمولًا به عند الكفَّار في بقاع الأرض شرقها وغربها عجمها وعربها فأجاز اللهُ للمسلمين إذا جاهدوا الكفَّار أن يسترقُّوا أسراهم من باب المعاملة بالمثل، وحرَّم عليهم إذا قاتلوا البُغاة أو الخوارج أن يسترقوا أسيرًا منهم لأنهم مسلمون.

كذلك الهجر، أجازه الله بالنسبة للكفَّار معاملةً بالمثل، قال تعالىٰ: ﴿وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل: ١٠] ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٠٦]

وحرَّمه علىٰ المسلمين فيما بينهم تحريمًا بالغًا، وجعله مِن الكبائر المُوجِبة للنَّار ولم يُرخِّص لمسلمٍ أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيامٍ.

و الأحاديث متواترةٌ[1] صريحةٌ في تحريم الهجر تحريمًا باتًّا، ذكرتُ بعضها في "القول المسموع"، وهو مطبوعٌ.

وقد غلط أبو داود رحمه الله حيث قال في "سننه" بعد أن روىٰ جملةً مِن أحاديث تحريم الهجر: «إذا كانت الهجرة لله، فليس من هذا في شيءٍ، هَجَرَ النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بعض نسائه أربعين يومًا، وابن عمر هَجَرَ ابنًا له إلىٰ أن مات».اهـ

و بيان غلطه من وجوهٍ:

١- أنَّ هجر النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لبعض نسائه أربعين يومًا لا

---

(١) رواها عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أنسٌ، وأبو أيوب الأنصاريُّ، وسعد بن أبي وقَّاصٍ، وأبو هريرة، وعائشة، وهشام بن عامرٍ، وابن عبَّاسٍ، وفضالة بن عبيد، وحدرد بن أبي حدرد، وابن مسعودٍ، وجابرٌ، ومعاذ بن جبلٍ، وأبو موسىٰ، وأبو بكرٍ، وابن عمر، وأبو ثعلبة، وعوف ابن مالكٍ، وابن عمرو بن العاص، وأسامة بن زيدٍ.

يصلح لتخصيص أحاديث تحريم الهجر؛ لأنه ضعيفٌ، ولأنه من باب الإيلاء الذي يكون بين الرجل وزوجته.

٢- لو فرض صلاحيته للتخصيص، فهو يفيد تخصيص النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في عموم تحريم الهجر؛ لأن المُقرَّر في علم الأصول، في صور تعارض قوله وفعله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أنَّ قوله إذا كان عامًّا له وللأُمَّة نحو: «**لا يَحِلُّ لمُسْلِمٍ أن يَهْجُرَ أخاه فوق ثلاث ليالٍ**» وجاء فعله مخالفًا له، كهجرة بعض نسائه أكثر من ثلاث، يكون الفعل خاصًّا به ولا يشمل غيره لأنه ليس مِن صِيَغِ العُموم.

والدليل علىٰ هذه القاعدة ما رواه أحمد وأبو يعلىٰ بإسنادٍ صحيحٍ عن أُمِّ سلمة قالت: صلىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم العصر، ثُمَّ دَخَلَ بيتي فصلَّىٰ ركعتين. قلت: يا رسول الله صليت صلاة لم تكن تصليها؟ قال: «**قدم خالدٌ فشغلني عن ركعتين كنت أركعهما بعد الظهر فصلَّيتهما الآن**». فقلتُ: يا رسول الله أفنقضيهما إذا فاتتا؟ قال: «**لا**».

وروىٰ أبو داود عن عائشة قالت: كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يُصلِّي بعد العصر ويَنْهَىٰ عنها، ويواصل ويَنْهَىٰ عن الوصال.

فأحاديث تحريم الهجر عمومها ثابتٌ في حقِّنا بلا إشكال.

٣- أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم خَصَّص عموم تحريم الهجر بكونه فوق ثلاثٍ، فأفاد أنَّ الهجر لمدَّة ثلاثة أيام جائزٌ والعام لا يُخصَّص مرَّتين.

٤- أنَّ تخصيص عموم تحريم الهجر بإخراج الهجر لأجل الدِّين؛ استدراكٌ علىٰ الشارع، والاستدراك عليه لا يجوز.

٥- أن تخصيص الشارع بثلاثة أيامٍ، يشمل الهجر للدِّين أو الدُّنيا، فقصره على هجر الدُّنيا تصرُّفٌ لا دليل عليه.

والذي أفادته الأحاديث الصحيحة المتواترة أنَّ هجر المسلم لأخيه كبيرةٌ توجب النار، ولا يجوز إلَّا لمدَّة ثلاثة أيامٍ، سواء كان لأجل الدِّين أو الدُّنيا.

٦- أنَّ هجر ابن عمر لابنه لا يصلح مُخصِّصًا للحديث[1]، وإنما هو اجتهادٌ منه أخطأ فيه، فله ثواب اجتهاده، وخطأه مغفورٌ لكن لا يجوز ترك نصِّ الشارع واتباع غيره.

فصل

وتحريم هجر المسلم للمسلم له أسبابٌ وحِكَمٌ:

منها: أنه بدعةٌ شركيَّةٌ كما مَرَّ بيانه، والإسلام إنما جاء لمخالفة المشركين في بِدَعِهِمْ، خصوصًا ما اتَّخذوه سلاحًا لمحاربة الدعوة الإسلامية.

ومنها: أنه منافٍ لروح الاسلام ومُباينٍ له، فالإسلام يدعوا إلى التواصل والتوادد والتعاطف والتآلُف، والهجر يُؤدِّي إلى التقاطع والتدابر والتباغُض.

ومنها: أنَّ الإسلام يدعو إلى إبداء النصيحة ويؤكِّد وجوبها، حتَّى قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**الدِّين النصيحة**» فأفاد بهذا الأسلوب البليغ: أنَّ الدِّين ينحصر في النصيحة. إيذانًا بأنها مِن أهم مقاصد الإسلام، ومِن أحقِّ تشريعاته بالاهتمام، وهي لا تختصُّ بالعلماء وأُولي الأمر، بل تُطلَب مِن كلِّ مَن يستطيع القيام بها، كالرجل في بيته والتاجر في متجره والصانع في مصنعه والأخ

---

(١) وكذلك هجر عائشة لابن الزبير، وهجر عبدالله بن مُغفَّلٍ لبعض أقاربه.

مع أخيه والصديق مع صديقه، ولا شكَّ أنَّ الهجر يُعَطِّل النصيحة، إذ لا يمكن أن يتناصح متهاجران.

ومنها: أنَّ الهجر يُعطِّل طاقة الخير في المتهاجرين بالنسبة إلى بعضهما. فلا يتعاونان على فعل برٍّ ولا يجتمعان على مصلحةٍ.

ومنها: أنَّ الهجر يقضي بقبض يد المساعدة عن المهجور، وهو عقوقٌ إن كان المهجور أحد الوالدين، وقطيعة رَحِمٍ إن كان أحد الأقارب، والعاقُّ والقاطع لا يدخلان الجنَّة.

ومنها: أنَّ الهجر أمرٌ سَلْبيٌّ لا يمنع عاصيًا مِن معصيةٍ، ولا يرد مُبتدعًا عن بدعة، بل يبقى المهجور على ما هو عليه وكأنه يهزأ بالهاجر، مُتمثِّلًا بقول الشاعر:

كِلانا غَنِيٌّ عن أَخِيهِ حياته ونَحن إذا مِتْنا أَشَدُّ تَغانِيا

ولهذا لم يوجب الله علينا هجر الكفَّار، مع أنه قال عنهم: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾[البقرة: ١٠٩]، وقال سبحانه: ﴿ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ﴾[النساء: ٨٩].

والإرساليات التبشيرية، تسعى جهدها في تكفير المسلمين بالمساعدات المالية والصحية وبالتعليم والمحاضرات، فالواجب مقاومتهم بالمثل، عملًا بقول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم : «**جاهدوا الكفَّار بأيديكم وألسنتكم وأموالكم**» ولم يقل: جاهدوهم بهجرهم؛ لأنَّ الهجر سلاح العَجَزة المُستضعَفين.

وروى الترمذيُّ عن ابن مسعودٍ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال:

«لَمَّا وَقَعَتْ بنو إسرائيل في المعاصي نهاهم علماؤهم فلم ينتهوا، فجالسوهم وواكلوهم وشاربوهم، فضربَ اللهُ قلوبَ بعضهم ببعضٍ، ولعَنَهُمْ على لسان داود وعيسى بن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون».

فجلس رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وكان مُتَّكِئًا فقال: «لا والذي نَفْسِي بيده حتَّى تَأْطُروهُمْ على الحقِّ أَطْرًا».

تأمَّل هذا الحديث جيِّدًا، تجده ينفي الهجر نفيًا باتًّا، فإنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لم يقل: حتَّىٰ تهجروهم هَجْرًا. ولكن قال: «حتَّى تأطروهم على الحقِّ أَطْرًا» أي تعطفوهم علىٰ الحقِّ عطفًا. إمَّا بسطوة الحُكْم، وإما بمداومة النُّصْح وتكرار الإرشاد مرَّةً بعد مرَّةٍ. فأمر بعلاجهم علاجًا إيجابيًّا مثمرًا.

وإنما لعن اللهُ بني إسرائيل؛ لأنهم تركوا النهي عن المُنكَر كما جاء ذلك صريحٌ في قوله تعالىٰ: ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ [المائدة: ٧٩]. ولم يقل: كانوا لا يهجرون أهل المُنكَر؛ لأنَّ الهجر لا يرضاه الشارع، ولا يُقرُّه كما مرَّ بيانه.

ولحديث ابن مسعودٍ رواياتٌ، ففي رواية أبي داود: «كلَّا والله لتأمُرُنَّ بالمعروفِ ولتَنْهَوُنَّ عن المُنكَرِ ولتأخُذُنَّ على يدِ الظَّالمِ وتأْطُرُنَّهُ على الحقِّ أَطْرًا، أو تَقْصُرُنَّهُ على الحقِّ قَصْرًا».

وفي رواية ابن أبي حاتمٍ: «والذي نَفْسِي بيَدِهِ لتَأْمُرُنَّ بالمَعْروفِ ولتَنْهَوُنَّ عن المُنكَرِ ولتَأْخُذُنَّ على يَدِ المُسِيء ولتَأْطُرُنَّهُ على الحقِّ أَطْرًا أو لَيَضْرِبَنَّ اللهُ قلوبَ بَعْضِكُمْ على بَعْضٍ أو لَيَلْعَنَكُمْ كما لَعَنَهُمْ» وهي عند أبي داود أيضًا.

والهاجر أول داخلٍ في هذا الوعيد؛ لأنه لم يأمر بالمعروف ولا نهىٰ عن منكرٍ. ولعنة الله لم تنزل علىٰ بني إسرائيل لمجرَّد مُواكلتهم أهل المنكر، بل لتركهم النهي كما مَرَّ ولرضاهم بفعل العُصاة، ومِن المُقرَّر المعلوم أنَّ مواكلة الكافر جائزةٌ، وهو أسوأ حالًا مِن العاصي، وزوج اليهودية أو النصرانية يواكلها ويُشاربها وكفرها قائمٌ بها.

ومنها: أنَّ الهجر انعزالٌ وانخزالٌ، والإسلام ينهي عنهما ويحضُّ علىٰ الجماعة ويجعل المُنعَزِل المُنخزل سهل الانقياد للشيطان لخروجه عن عامَّة المؤمنين. وضرب له مثلًا بالشاة المُنفَرِدَة عن الغَنَمِ يسهل للذئب اختطافها.

روىٰ الطبرانيُّ عن أسامة بن شريكٍ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**يَدُ الله على الجماعَةِ فإذا شَذَّ الشَّاذُّ مِنهم اخْتَطَفَهُ الشيطانُ كما يَخْتَطِفُ الذِّئْبُ الشَّاةَ مِن الغَنَمِ**».

وروىٰ أحمد والطبرانيُّ عن معاذ بن جبل: أنَّ نبيَّ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ الشَّيْطانَ ذِئْبُ الإنسانِ، يَأْخُذُ الشَّاةَ القَاصِيَةَ والشَّاذَّةَ، وإيَّاكم والشِّعابَ، وعليكم بالجماعة والعامَّة والمسجدِ**».

وفي الحديث أمرٌ بتجنُّب طريقة المبتدعة الذين لا يُصَلُّون مع جماعة المسلمين بدعوىٰ أنَّ الإمام مُبتدِعٌ أو حالق لحيته مثلًا.

ولقد بلغني عن أحدهم أنه حين ذهب إلىٰ الحجِّ لم يكن يُصَلِّي مع الجماعة في البيت الحرام والمسجد النبويِّ، بل كان ينتظر حتَّىٰ تنتهي الصلاةُ ثُمَّ يُصَلِّي هو ومَن معه!.

ومنها: أنَّ الهجر يُعطِّل حقوق المسلم بين المتهاجِرَين فلا يُسَلِّم أحدهما علىٰ

الآخر ولا يرد سلام، ولا يعوده إذا مرض ولا يُشيِّع جنازته إذا مات، مع أنه قد يعود صاحبه اليهوديَّ أو النصرانيَّ ويُسَلِّم عليه!.

رأيت شخصًا مِن هذه الطائفة سَلَّم عليه رجلٌ مسلمٌ فلم يردَّ عليه لاعتقاده ابتداعه، ودخل علىٰ بقال نصرانيٍّ فحيَّاه وصافحه وضحك إليه كأنه أخوه!.

ومنها: أنَّ الهاجر يفرح إذا أصابت المهجور مصيبةٌ، كما يحزن إذا أصابته نعمةٌ، وهذا مناقِضٌ لروح الإسلام غاية التناقض.

ومنها: أنَّ المُتهاجِرَين لا يجتمعان علىٰ خير أبدًا فقد يترك أحدهما صلاة الجماعة لأن خصمه إمام الصلاة، ويترك عيادة مريضٍ أو تشييع جنازةٍ لئلَّا يقابل خصمه هناك.

ولقد سُئلتُ عن شخصٍ في بعض القُرَىٰ ترك صلاة الجماعة والجمعة؛ لأن بينه وبين الإمام شحناء وتقاطعًا، فأجبتُ بأنه آثمٌ عاصٍ، ولا عُذر له في التخَلُّف عن الجماعة والجمعة.

ومنها: أنَّ المتهاجِرَين يتجه كلٌّ منهما إلىٰ تعييب خصمه وإفشاء عوراته، بالصِّدْق أو الكذب، فهما دائران بين الغِيبة والبهتان وكلاهما كبيرةٌ.

ومنها: أنَّ المُتهاجِرَين قد يَسْعَىٰ أحدهما في تعطيل مصلحةٍ لخصمه، أو إفسادها، وقد بلغنا من ذلك وقائع وشاهدنا بعضها، وهي تدل علىٰ ما وصل إليه انحطاط بعض الناس بسبب تمسُّكهم بالهجر الممقوت، بحيث لو استطاع أن يقضي علىٰ خصمه ما تأخَّر لحظةً ولا يرقب فيه إلًّا ولا ذِمَّةً.

ومنها: أنَّ المُتهاجِرَين يلعن أحدهما خصمه لعنًا صريحًا بدعوىٰ فِسْقِهِ أو بدعته، ولعن المُسلم المُعيَّن لا يجوز.

وفي "الصحيحين" عن ثابت بن الضَّحَّاك عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في حديث: «**ولَعْنُ المُؤمِنِ كقَتْلِهِ**».

ومنها: أنَّ المُتهاجِرَين محرومان مما يفيض الله علىٰ المسلمين في مواسم الخير، فصلاتهما لا تُرفَع وعملهما موقوفٌ حتىٰ يَصْطَلِحا.

ولو لم يكن من قبائح الهجر إلَّا هذا لكان كافيًا في الابتعاد عنه، ففي "صحيح مسلم" عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**تُعْرَضُ الأعمالُ في كلِّ اثنين وخميسٍ، فيَغْفِرُ اللهُ في ذلك اليومِ لكلِّ امرئٍ لا يُشْرِكُ بالله شَيْئًا إلَّا امْرَأً كانت بينه وبين أخيه شَحْناءُ فيقول: اتْرُكُوا هذَين حتَّى يَصْطَلِحَا**».

وفي "صحيح ابن حِبَّان" عن معاذ بن جبل، قال: قال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم : «**يَطَّلِعُ اللهُ إلى جَميعِ خَلْقِهِ ليلةَ النِّصْفِ مِن شعبانَ فيَغْفِرُ لجَميعِ خَلْقِهِ إلَّا لمُشْرِكٍ أو مُشاحِنٍ**».

وفي "سنن البيهقي" عن عائشة، قالت: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أتاني جبريل فقال: هذه ليلةُ النِّصْفِ مِن شعبانَ ولله فيها عُتقاءُ مِن النَّارِ بعَدَدِ شُعورِ غَنَمِ كَلْبٍ، لا يَنْظُرُ اللهُ فيها إلى مُشْرِكٍ ولا إلى مُشاحِنٍ ولا إلى قاطِعِ رَحِمٍ ولا إلى مُسْبِلٍ ولا إلى عاقٍّ لوالِدَيْهِ ولا إلى مُدْمِنِ خَمْرٍ**».

ومنها: أنَّ المُتهاجِرَين لا يردُّ أحدهما سلام الآخر لو سلَّم عليه، مع أنَّ ردَّ السلام[1] مما خصَّ الله به المسلمين تشريفًا لهم، وحسدتهم اليهود علىٰ ذلك.

---

(١) وهو فرضٌ بالإجماع، لقول الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء: ٨٦] فالآية توجب رَدَّ التحية علىٰ مَن بدأ بها، ولم تفرِّق بين صالحٍ وفاسقٍ

روى الطبرانيُّ في "الأوسط" بإسنادٍ حسنٍ عن معاذ بن جبلٍ رضى الله عنه، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ اليهودَ قومٌ حُسَّدٌ، وإنَّهم لم يَحْسُدوا المسلمين على أفضل مِن ثلاثٍ: رَدِّ السَّلامِ، وإقامَةِ الصَّفِّ، وقولهم خَلْفَ إمامهم في المَكْتُوبةِ: آمين**». فما أخسر صفقة مَن تَخلَّى عن هذه الفضيلة التي شرَّف اللهُ بها المُسلم، ويتخذ ترك ردِّ السلام على أخيه دَيْدَنًا له وعادةً، مُنحازًا بذلك إلى صفِّ اليهود لَعَنَهُمُ اللهُ.

فصل

فرض الشارع عقوباتٍ على المعاصي، وهي أنواعٌ:

كفَّارَةٌ: وهي في حَقِّ مُفْطِرِ يومٍ مِن رمضانَ عَمْدًا، والمُظاهِر، والحانِثِ في يَمِينِهِ.

حَدٌّ: وهو في الحَرابة والقَتْلِ والزِّنا والقَذْفِ والسَّرِقَةِ واللِّواطِ وشُرْبِ الخَمْرِ.

تَعْزيرٌ: وهو في كلِّ معصيةٍ لا كفَّارة فيها ولا حَدٌّ، وهو أنواع:

تَوْبيخٌ: ثبت في "الصحيحين" عن أبي ذرٍّ قال: سابَبْتُ رَجُلًا مِن إخواني، فعَيَّرْتُهُ بأُمِّه، وفي روايةٍ: قلتُ له يا ابن السَّوْداء، فقال لي النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يا أبا ذرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بأُمِّهِ؟ إنَّك امْرُؤٌ فيك جاهِلِيَّةٌ**».

ولا بين سُنِّيٍّ ومُبتدِعٍ، ولذا قال ابن عبَّاسٍ: مَن سَلَّم عليك مِن خَلْقِ الله فارْدُدْ عليه وإن كان مجوسيًّا ذلك بأنَّ اللهَ يقول: ﴿فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾، ولا يوجد حديثٌ يمنع رَدَّ التحيَّة على فاسقٍ أبدًا.

وجاء في رواية الوليد بن مسلمٍ: أنَّ الرجل الذي عيره أبو ذرٍّ، هو بلال رضى الله عنهما، فوبَّخَهُ النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم .

أخذ بعض المال: والأصل فيه مارواه أحمد والنَّسائيُّ وأبو داود عن بَهْزِ بن حكيمٍ، عن أبيه، عن جدِّه، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في الزكاة قال: **«مَن أَعْطَاهَا مُؤتَجِرًا فله أَجْرُها، ومَن مَنَعَها فإنَّا آخِذُوها، وشَطْرَ مالِهِ عَزْمَةٌ مِن عَزَماتِ رَبِّنا»** وفي صحَّة هذا الحديث خلافٌ.

وأخذ به الشافعيُّ في القديم، فقال: للإمام أن يعاقب بأخذ المال.

ثُمَّ رجع عنه وقال: «بهزٌ ليس بحُجَّةٍ، وهذا الحديث لا يثبته أهل العلم بالحديث، ولو ثبت لقلنا به».اهـ

وقال البيهقيُّ وغيره: «حديث بَهْزٍ منسوخٌ»، وتعقَّبه النوويُّ بأنَّ: «الذي ادَّعوه مِن أنَّ العقوبة كانت بالأموال في أول الإسلام ليس بثابتٍ ولا معروفٍ، ودعوىٰ النسخ غير مقبولةٍ مع الجهل بالتاريخ».اهـ

قال الحافظ ابن حجرٍ في "التلخيص": «والجواب عن ذلك ما أجاب به إبراهيم الحربيُّ، فإنه قال: في سِياق هذا المتن لفظٌ وهم فيها الراوي «و إنما آخذوها مِن شَطْرِ مالِهِ» أي نجعل ماله شطرين، فيتخيَّر عليه المصدق. ويأخذ الصدقة مِن خير الشطرين عقوبةً لمنعه الزكاة، فأمَّا ما لا يلزمه فلا».اهـ

قال الشوكانيُّ: «والأخذ مِن خير الشطرين صادقٌ عليه اسم العقوبة بالمال؛ لأنه زائدٌ علىٰ الواجب».

قلت: وفي "صحيح مسلمٍ" عن عمران بن حصينٍ قال: بينما رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في بعض أسفاره، وامرأةٌ من الأنصار علىٰ ناقةٍ،

فضجرت فلعنتها. فسمع ذلك رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ، فقال: «**خُذُوا ما عليها ودَعُوها فإنَّها مَلْعُونَةٌ**». الحديث.

قال القرطبي: «يؤخذ منه العقوبة بالمال».

وانظر كتاب "الاعتصام" الباب الثامن منه، والمثال السادس.

وفي المسألة كلامٌ كثيرٌ، ينظر في "نيل الأوطار".

الضرب: ثبت في "الصحيحين" عن أبي بُـرْدَةَ بن نِيَارٍ قال: كان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول : «**لا يُجْلَدُ فوقَ عَشْرِ جَلْدَاتٍ إلَّا في حَدٍّ مِن حُدودِ الله**».

وفي روايةٍ للبخاريِّ: «**لا عقوبة فوق عشر ضَرْباتٍ إلَّا في حَدٍّ مِن حُدودِ الله**».

وفي "الصحيحين" عن ابن عمر قال: كانوا يضربون على عهد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إذا اشتروا طعامًا جزافًا أن يبيعوه في مكانهم، حتى يُؤوه إلى رحالهم.

قال الحافظ ابن حجرٍ: «استفاد منه جواز تأديب مَن خالف الأمر الشرعيَّ فتعاطى العقود الفاسدة بالضرب، ومشروعية إقامة المحتسب في الأسواق، والضرب المذكور محمولٌ على مَن خالف الأمر بعد أن عَلِمَ به».اهـ

وروى الطبرانيُّ في "الأوسط" من طريق يحيى بن أبي كثيرٍ، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «لا تعزير فوق عشرة أسواطٍ».

الحبس: روى البيهقيُّ في "السنن" مِن طريق سفيان بن عُيَيْنَة، عن ابن أبي ليلى عن إسماعيل عن أبي مِجْلَزٍ: أنَّ أخوين مِن جُهينة كان بينهما عبدٌ، فأعتق أحدهما نصيبه، فحبسه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حتى باع غنيمة له.

وفي "السنن" غير ابن ماجه من طريق بَهْز بن حكيم، عن أبيه، عن جدِّه: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حَبَسَ رَجُلًا في تهمةٍ ثُمَّ خَلَّىٰ عنه.

صحَّحه الحاكم، وروىٰ له شاهدًا من حديث أبي هريرة: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حَبَسَ رَجُلًا في تهمةٍ يومًا وليلة، استظهارًا أو احتياطًا. إسناده ضعيفٌ.

وروىٰ الطبرانيُّ في "الأوسط" عن نُبَيْشَةَ: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حَبَسَ في تُهْمَةٍ. وإسناده ضعيفٌ أيضًا.

وروىٰ عبدالرزَّاق في "المصنَّف": أخبرنا ابن جُرَيْجٍ: أخبرني يحيي بن سعيد بن عِراك بن مالكٍ قال: أقبل رَجُلان من بني غِفارٍ حتَّىٰ نَزَلا مَنْزِلًا بضَجْنانَ مِن مياه المدينة، وعندها ناسٌ مِن غَطَفانَ معهم ظَهْرٌ لهم. فأصبح الغَطَفَانِيُّون وقد فقدوا بعيرين مِن إبلهم، فاتهموا الغِفارِيَّيْنِ، فأتوا بهما إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ، وذكروا له أمرهم، فحَبَسَ أحد الغفاريين وقال للآخر: «اذهبْ فالتمِسْ» فلم يك إلَّا يسيرًا حتَّىٰ جاء بهما. فقال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم للمحبوس: «اسْتَغْفِرْ لي» فقال: غَفَرَ اللهُ لك يا رسول الله. فقال عليه الصلاة والسلام: «ولكَ، وقَتَلَكَ في سَبيلِهِ» قال: فقُتِلَ يومَ اليمامَةِ.

وروىٰ أبو داود في "سننه" عن أزهر بن عبدالله الحرازيِّ: أنَّ قومًا سُرِقَ لهم متاعٌ، فاتهموا أناسًا مِن الحاكة. فأتوا النُّعمان بن بشيرٍ صاحب النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم . فحَبَسَهُم أيامًا ثُمَّ خلَّىٰ سبيلهم. فأتوا النُّعمان فقالوا: خَلَّيتَ سبيلهم بغير ضربٍ ولا امتحانٍ؟. فقال النُّعمان: إن شئتم ضربتهم فإن خرج متاعكم فذاك، وإلَّا أخذتُ مِن ظهوركم مثله. فقالوا: هذا حكمك؟ قال: هذا

حكم الله ورسوله.

النفي: روىٰ البخاريُّ عن ابن عبَّاسٍ قال: لَعَنَ النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم المُخَنَّثين مِن الرِّجال، والمُترَجِّلات مِن النِّساء، وقال: «**أَخْرِجُوهُم مِن بيوتكم**» قال: فأخرج النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فلانًا، وأخرج عمر فلانًا. ترجم عليه البخاريُّ: «باب نفي أهل المعاصي والمُخنَّثين».

ورواه الطبرانيُّ، وتمَّام في "فوائده" مِن حديث واثلة بن الأسقع، وقال فيه: وأخرج النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أَنْجَشَةَ.

وروىٰ أبو داود في "سننه" عن أبي هريرة : أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أُتي بمُخَنَّثٍ قد خَضَبَ يَدَيْهِ ورِجْلَيْهِ بالحِنَّاء. فقال: «**ما بالُ هذا؟!**» فقيل: يارسول الله يتشبَّهُ بالنِّساء، فأقرَّ. فنُفي إلىٰ النَّقيعِ. فقالوا: يا رسول الله ألا تَقْتُلُهُ؟ فقال: «**إنِّي نُهيتُ عن قتلِ المُصَلِّين**».

و«النقيع» بالنون: مكانٌ خارج المدينة، وفيه أُقيمت أول جمعةٍ، واسمه نقيع الخَضِمات.

ونفىٰ النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم الحكم بن أبي العاص إلىٰ الطائف؛ لأنه كان يحكيه في مِشيته ويُشيع سِرَّهُ. وقِصَّته معروفةٌ في كتب السيرة، و"الاستيعاب" و"الإصابة".

وروىٰ أبو الحسن المدايني في كتاب "المغربيين" عن مسلمة بن محارب، عن إسماعيل ابن مسلم: أنَّ أمية بن يزيد الأسدي، ومولىٰ مزينة: كانا يحتكران الطعام بالمدينة فأخرجهما عمر.

وروىٰ أيضًا قصة جعدة السلميِّ: أنه كان يخرج مع النساء إلىٰ البقيع

ويتحدث إليهنَّ. حتىٰ كتب بعض الغزاة إلىٰ عمر، يشكو ذلك فأخرجه.

وقصته مبسوطةٌ في كتاب "الإصابة" للحافظ ابن حجرٍ.

ومن أنواع التعزير ما رواه البغوي في "الجعديات" قال: حدَّثنا عليُّ بن الجعد: ثنا شريك، عن عاصم بن عُبيدالله، عن عبدالله بن عامرٍ قال: أُتي عمر بشاهد زُورٍ، فوقفه للناس يومًا إلىٰ الليل. يقول: هذا فلانٌ شاهِد زُورٍ، فاعرفوه، ثُمَّ حَبَسَهُ.

والتعزير موكولٌ إلىٰ الإمام يفعله هو أو من ينوب عنه، كالقاضي أو المُحتسِب، وليس لغيره أن يفعله مع أحدٍ، إلَّا الوالد مع ولده والزوج مع امرأته.

وللإمام أن يترك تعزير شخصٍ إذا رأىٰ مصلحته في ذلك. وعليه يحمل حديث: «**أَقِيلُوا ذَوي الهيئاتِ عَثَرَاتِهِمْ**» وحديث: «**تَجافُوا عن ذنبِ السَّخِيِّ**» علىٰ فرض ثبوتهما، لكنهما غير ثابتين، أمَّا الحد فلا يجوز تركه بعد وصوله إلىٰ الإمام؛ لأنه حَقُّ الله تعالىٰ.

فصل

وليس الهجر من التعزير في شيءٍ، لما سبق بيانه في ذكر أسباب تحريمه.

والذين جعلوه من أنواع التعزير المشروعة، واستدلوا لمشروعيته بقصة كعبٍ وصاحبيه، مخطئون من جهتين:

إحداهما: غفلتهم عن كونه بدعةً شِركِيَّةً، ومنابذته لروح التشريع الإسلاميِّ، وأنه يؤدِّي إلىٰ الحقد والعقوق وغيرهما مِن المفاسد، وأنَّ الله لم يأمرنا بهجر الكفَّار، ولا حرَّم علينا معاملتهم.

ثانيتهما: أنَّ قِصَّة كعبٍ وصاحِبَيْهِ لا تفيد مُدَّعاهم؛ لأنها قضيَّة عَيْنٍ وحكاية

حال لا تتجاوز موردها. كما تقرَّر في الأصول.

و بيان ذلك من وجوهٍ:

١ - أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أمر كعبًا وصاحِبَيْهِ، باعتزال نسائهم من غير طلاقٍ، ونحن نعلم أنه لا يجوز التعزير بذلك لإمامٍ أو خليفةٍ. فهو مما خَصَّصَ به النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أولئك الثلاثة.

٢- أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم نهىٰ عن كلامهم بعد صِدْقِهِمْ ونَدَمِهِمْ[1] والصِّدْقُ دليل التوبة. وهذا نقيض ما يدَّعيه القائلون بمشروعية الهجر، فإنهم لا يختلفون أنه ينتهي بالتوبة. ولو كان الحديث عامًّا لزم هجر العاصي بعد توبته، وهو باطلٌ، إذن فالهجر خاصٌّ بأولئك الثلاثة لا يتعدَّاهم.

٣- أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال لكعبٍ حين أخبره بحقيقة

---

(١) ذكر النوويُّ أنَّ المبتدِع ومَن اقترف ذنبًا عظيمًا ولم يتب منه لا يُسَلَّم عليهم... إلخ.

قال الحافظ ابن حَجَرٍ: «التقييد بعدم التوبة جيدٌ، لكن في الاستدلال لذلك بقصة كعبٍ نظرٌ؛ فإنه نَدِمَ علىٰ ما صدر منه وتابَ، ولكن أخَّر الكلام معه حتىٰ قبل الله توبته، وقضيته ألَّا يُكلَّم حتىٰ تقبل توبته. ويمكن الجواب بأنَّ الاطلاع علىٰ القبول في قصة كعبٍ كان ممكنًا وأمَّا بعده، فيكفي ظهور علامته مِن النَّدَم والإقلاع وأمارة صدق ذلك».اهـ

قلت: تنبَّه الحافظ إلىٰ أنَّ هجر كعبٍ كان بعد توبته، ونظر في الاستدلال به لهجر المبتدع أو العاصي قبل التوبة، وهذا صحيحٌ، لكن ما أجاب به ضعيفٌ أو باطلٌ؛ لأنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ضَمَّ إلىٰ هجر كعبٍ وصاحِبَيْهِ، أمرهم باعتزال نسائهم، وهذا أمرٌ لم يفعله مع غيرهم قطُّ. فالقصة خاصة بأصحابها، مِن غير نزاعٍ.

تخلُّفه: «**أمَّا هذا فقد صَدَقَ، فقُمْ حتَّى يَقْضِي اللهُ فيك**» وكذلك قال لصاحبيه، وهذا صريحٌ في أنَّ هجرهم كان ينتظر به قبول توبتهم من الله تعالىٰ بوحي ينزل عليه، فانتظار قبول التوبة دليلٌ قاطعٌ علىٰ الخصوصية؛ إذ لا يجوز لأحدٍ أن يهجر عاصيًا بعد توبته حتَّىٰ يتيقَّن قبولها من الله تعالىٰ.

٤- أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قبل توبة حاطب بن أبي بلتعة حين تجسَّس عليه، وأخبر أنه صَدَقَ فيما اعتذر به، وأنه مِن أهل بدرٍ، ولم يهجره، وأرجأ قبول توبة مرارة بن الربيع وهلال بن أمية وهما بدريان، مع أنَّ التخلُّف أهون مِن التجسُّس وذلك دليلٌ علىٰ أنَّ الحُكْم خاصٌّ بهم لا يجوز تعديته إلىٰ غيرهم.

٥- أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان يأتيه عصاةٌ ومخالفون، فيرشدهم إلىٰ التوبة ويستغفر لهم. وأخبر في غير حديثٍ: «**أنَّ التوبةَ تَمْحُو الذَّنْبَ، وتَصْقُلُ القَلْبَ**».

ولم يوقف توبة أحدٍ حتَّىٰ ينزل الوحي بقبولها كما فعل مع هؤلاء الثلاثة، فذاك دليلٌ قاطعٌ علىٰ الخصوصية.

ولعل سائلًا يسأل عن حِكْمَةِ تخصيصهم بهذا الحكم؟

والجواب: «أنَّ تخلُّفهم عن الغزو صادف تخلُّف المنافقين مَرْضَى القلوب، قال كعبٌ يحكي قصة تخلُّفه: فكنت إذا خرجتُ في الناس بعد خروج رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فطفت فيهم أحزنني أنني لا أرىٰ إلَّا رجلًا مَغْمُوصًا عليه النِّفاق، أو رجلًا ممن عَذَرَ اللهُ مِن الضعفاء».

فلو أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قَبِلَ توبتهم واستغفر لهم كما فعل مع المنافقين ساء ظنُّ المسلمين بهم، واعتبروهم من جملة المغموص عليهم،

يؤيِّد ذلك أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم سأل وهو في تبوك عن كعبٍ، فقال له بعض الصحابة: شغله النظر في عطفيه.

فكان من مصلحتهم ما فعله النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بهم -مع ما فيه من امتحانٍ لإيمانهم- حتَّىٰ نزل فيهم قرآنٌ يُتْلَىٰ، أعلن قبول توبتهم وأخبر عن صِدْقِ مقالهم وحالهم، ووصف مَن اعتذروا كذبًا بأنهم رجسٌ وأنهم فاسقون، وكان ذلك مِن أكبر نعم الله عليهم بعد الإسلام كما قال كعبٌ رضي الله عنه.

والحاصل: أنَّ قِصَّة كعبٍ وصاحِبَيْهِ تدل بألفاظها وسياقها والظروف المُحيطة بها علىٰ أنها قضية عينٍ لا شائبة للعموم فيها.

فالعجب مِن الذين اقتطعوا منها حكاية الهجر وأغفلوا بقيتها كيف ساغ لهم ذلك؟ وعلىٰ أيِّ أصلٍ بنوه؟!

و لطالما نعىٰ ابن حزمٍ علىٰ الذين يستدلون ببعض الحديث فيما يوافقهم ويتركون بعضه الآخر، وهو محقٌّ في ذلك وقواعد الاستدلال تؤيِّده.

فصل

روىٰ الدارميُّ عن سليمان بن يسارٍ: أنَّ رجلًا يقال له صَبيغٌ قَدِمَ المدينة، فجعل يتساءل عن مُتشابه القرآن؟ فأرسل إليه عمر رضى الله عنه، وقد أعدَّ له عَرَاجِينَ النَّخْلِ. فقال: مَن أنتَ؟ قال: أنا عبدالله صَبيغٌ. فأخذ عُرْجُونًا مِن تلك العراجين فضربه حتَّىٰ دَمِيَ رأسُهُ، ثُمَّ تركه حتَّىٰ بَرَأَ، ثُمَّ عادَ، ثُمَّ تركه حتَّىٰ بَرَأَ، فدعا به ليعود. فقال: إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلًا جميلًا. فأذن له إلىٰ أرضه وكتب إلىٰ أبي موسىٰ الأشعريِّ باليمن: لا يُجالسه أحدٌ مِن المسلمين.

وروىٰ أيضا عن نافع: أن أبا موسىٰ كتب إلىٰ عمر أنه صلح حاله، فعفا

عنه.

وقال أبو أحمد العسكري: اتهمه عمر برأي الخوارج.

وروى إسماعيل القاضي في "الأحكام" من طريق هشام، عن محمد بن سيرين، قال: كتب عمر إلى أبي موسى: لا تجالس صبيغًا واحرمه عطاءه.

أفاد هذا الأثر أنَّ عمر رضى الله عنه عزَّر صَبيغًا بالضرب والنفي والمقاطعة؛ لأنه رأى بنظره النافذ -وهو المُلهَم- أنَّ هذا أقرب طريقٍ لتوبة صبيغٍ، وكذلك كان، فقد تاب وحسنت حالته.

ولم ينقل عنه: أنه أمر بمقاطعة شخصٍ غير صَبيغٍ، وإنما كان يستعمل التوبيخ أو الدرَّة أو النفي. وكان مِن مذهبه ومذهب أبي الدرداء وإبراهيم النخعي وجماعته أنهم لا يهجرون عند الذنب.

فاستعمال عمر للهجر في هذه الحادثة وحدها لا يدل على أنه مشروعٌ عنده ولكن الظروف اقتضته، فهو كأكل الميتة للمضطر.

و كان عمر رضى الله عنه عظيمًا في عيون الرعية مهابًا في صدورهم يحترمون كلمته ويخشون سطوته، فإذا هجر أو أمر بهجرٍ كان أشد على المهجور من ضرب الجريد والحديد، ومع ذلك لم يستعمله إلَّا مرة واحدة على سبيل الترخُّص لا المشروعية المُطلَقة.

و ليس لإمامٍ أو قاضٍ أن يأمر أحدًا بهجر عاصٍ أو مُبتدِعٍ، ولو أمر به لا يُطاع؛ لأن الهجر كبيرةٌ، ولا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق.

فصل

تصيَّد وهابيٌّ مُتزمِّتٌ أحاديث توهم أنها تفيد مشروعية الهجر الدائم، وهو مخطئ في ذلك بل خاطئ آثمٌ؛ لأنه حمَّل الأحاديث مالا تحتمله، ونسب ما لا تدل عليه.

و تلك الأحاديث نوعان:

١- فعلٌ نُسب إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مثل ما روى ابن أبي شيبة عن الزهري: أنَّ رجلًا سلَّم على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ثلاث مرات فلم يرد عليه. فقيل له: لِمَ؟ فقال: «**إنه ذو وَجْهين**».

حديثٌ ضعيفٌ مرسلٌ مُنكَر المعنى؛ لأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان يرد السلام على المنافقين، وهم ذووا وجهين.

فهذا الحديث ونحوه، مما فيه أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ترك رَدَّ السلام على شخصٍ أو لم يُكَلِّمه خاصٌّ به صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، لما سبق بيانه في نقد كلام أبي داود رحمه الله.

ثُمَّ إنه لم يصح عنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنه هجر شخصًا مدةً كبيرةً.

٢- أحاديث قولية، وليس فيها حديثٌ يفيد شرعية الهجر على الدوام، وإنما هي ظواهر وعمومات انتزع المتزمِّتُ منها ما يريد بطريق اللزوم البعيد، ولكنه لا يدري أنَّ تلك الظواهر والعمومات مردودةٌ بصراحة الأحاديث الدالة على تحريم الهجر تحريما باتًّا، والقاعدة المُقرَّرة: «أنَّ النصَّ يُقدَّم على الظاهر، ويُخصِّصُ العمومَ».

و حديث: «**إنَّ لكلِّ أُمَّةٍ مجوسًا، وإنَّ مجوسَ هذه الأُمَّةِ القَدَريَّة، فلا تَعُودُوهم إذا مَرِضُوا، ولا تُصَلُّوا عليهم إذا ماتوا**» ذكره ابن الجوزيِّ في "الموضوعات"، واعترض عليه بأنَّ للحديث طرقًا يرتقي بها إلى الحسن الجيد.

و رواه أبو داود من حديث ابن عمر بلفظ: «**القَدَريَّةُ مَجوسُ هذه الأُمَّةِ، إن مَرِضُوا فلا تَعُودُوهُمْ، وإن ماتوا فلا تَشْهَدُوهُمْ**».

و أعلَّه الحافظ المنذريُّ بالانقطاع، لكن نقل الحافظ ابن حجرٍ أنَّ الحافظ ابن القطَّان، قال: «هو صحيحٌ على شرط مسلم».

و رواه أبو داود عن حذيفة بلفظ: «**لكلِّ أُمَّةٍ مجوسٌ، ومجوسُ هذه الأُمَّةِ الذين يقولون: لا قَدَرَ، مَن مات منهم فلا تَشْهَدُوا جنازَتَهُ، ومَن مَرِضَ منهم فلا تَعُودُوهُ، وهم شِيعةُ الدَّجَّالِ، وحَقٌّ على الله أن يُلْحِقَهُمْ بالدَّجَّالِ**».

و في "صحيح مسلم" و"السنن الأربعة" عن يحيى بن يعمر قال: كان أول مَن تكلَّم في القَدَر بالبصرة مَعْبَدٌ الجُهَنيُّ. فانطلقت أنا وحُميد بن عبدالرحمن حاجَّيْنِ أو مُعتمِرَينِ، فقلنا: لو لقينا أحدًا مِن أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فسألناه عما يقول هؤلاء في القَدَرِ؟ فوفق الله لنا عبدالله بن عمر داخلًا في المسجد، فقلتُ: يا أبا عبدالرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناسٌ يقرأون القرآن، ويَتَقَفَّرون العِلْمَ، يزعمون ألَّا قَدَرَ وأنَّ الأمرَ أُنُفٌ. فقال: إذا لقيتَ أولئك فأخبرهم أني بريءٌ منهم، وهم براء مِنِّي... ثُمَّ روى عن أبيه حديث جبريل الطويل في السؤال عن الإيمان والإسلام والإحسان.

و فيه جعل الإيمان بالقدر جزءًا في الإيمان.

«أُنُف» بضمَّتين: مستأنَفٌ، لم يسبق به قَدَرٌ ولا عَلْمٌ من الله به، ولا يعلمه إلَّا بعد وقوعه.

تبيَّن بهذه الروايات والطرق أنَّ القَدَرِيَّة الذين نهانا النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أن نُصلِّي علىٰ موتاهم وأن نعود مرضاهم كفارٌ خارجون عن الإسلام؛ لأنهم نفوا القَدَرَ وهو جزءٌ من الإيمان، ونسبوا الجهل إلىٰ الله تعالىٰ عن ذلك عُلُوًّا كبيرًا.

فحمل الحديث علىٰ المبتدعة المسلمين يؤكِّد ما قدَّمنا أنَّ المتزمت يحمل الأحاديث ما لا تحتمله، وينسب إليها ما لا تدل عليه.

و لعله يجهل ما هو معلومٌ مِن الدين بالضرورة مِن وجوب الصلاة علىٰ الميت المسلم كيفما كان حاله، ولا يجوز دفنه حتىٰ يُصَلِّىٰ عليه، لعموم قول النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**صَلُّوا على صاحبكم**». والمسلم صاحب للمسلمين وأخوهم.

وروىٰ عبدالرازَّق وابن أبي شيبة عن عمرو ابن يحيي قال: صلَّىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ ولد الزِّنا، وأُمُّه ماتت في نفاسها. ورواه الطبرانيُّ في "المعجم الكبير" من حديث ابن عمر.

و روىٰ عبدالرزَّاق عن محمد بن زهيرٍ، والطبرانيُّ عن عطاء بن السائب، عن أبيه، عن جدِّه: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مَرَّ علىٰ بئرٍ فيها عبدٌ أسود ميتٌ، فأشرف علىٰ البئر، فإذا هو ملقًىٰ فيها. فقال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ماله مُلقًى في البئر؟**» قالوا: يا رسول الله أنه كان جافي الدين

يُصَلِّي أحيانًا، وأحيانًا لا يُصَلِّي. فقال: «**ويحكم أخرجوه**». فأمر النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فغُسِّل وكُفِّن، وقال: «**احْمِلُوهُ إن كادت الملائكة لتَسْبِقُنا**» قال: وصَلَّىٰ عليه. رواية الطبرانيِّ.

ورواية عبدالرازق: «**والذي نَفْسِي بيَدِهِ إن كادت الملائكةُ تحولُ بيني وبينه آنفًا**»، ثُمَّ أمر به فغُسِّل، ثُمَّ كفَّنه من عنده، ثُمَّ صلىٰ عليه.

قال ابن مسعودٍ: صَلِّ علىٰ مَن ماتَ مِن أهل قِبْلَتِنا وإن كان مَصْلُوبًا.

وقال عطاءٌ: لا أدع الصلاة علىٰ مَن قال: لا إله إلَّا الله. قال تعالىٰ: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣] قال عطاءٌ: فمَن يعلم أنَّ هؤلاء -يعني العصاة- مِن أصحاب الجحيم؟

قال ابن جُريجٍ: فسألت عمرو بن دينار، فقال مثل قول عطاءٍ.

وقال عطاء بن أبي رباحٍ: ما كنتُ لأدع الصلاة علىٰ أحدٍ مِن أهل القِبْلَةِ، ولو كانت حبشية حُبْلَىٰ مِن الزِّنا؛ لأن الله لم يحجب الصلاة إلَّا عن المشركين.

وقال إبراهيم النَّخَعِيُّ: لم يكونوا يحجبون الصلاة عن أحدٍ من أهل القِبلة.

وقال قتادة: ما أعلم أحدًا مِن أهل العِلْم اجتنب الصلاة علىٰ مَن قال: لا إله إلَّا الله.

وقال ابن سيرين: ما أدركتُ أحدًا يتأثَّم مِن الصلاة علىٰ أحدٍ من أهل القِبلة. والآثار في هذا كثيرةٌ تفيد إجماع الصحابة والتابعين علىٰ ذلك.

وروىٰ الحاكم عن أبي بردة قال: كنت جالسًا عند عُبيدالله بن زياد، فأُتي برؤوس الخوارج، كلما جاء رأسٌ، قلت: إلىٰ النَّار. فقال عبدالله بن يزيد

الأنصاريُّ: أولا تعلم يا بن أخي أني سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**إنَّ عَذابَ هذه الأُمَّةِ جُعِلَ في دُنْيَاهَا**».

صحَّحه الحاكم، وسلَّمه الذهبيُّ.

و روىٰ أبو يعلىٰ بإسنادٍ صحيحٍ عن ابن عمر، قال: كنا نمسك عن الاستغفار لأهل الكبائر، حتَّىٰ سمعنا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**إنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أن يُشْرَكَ به ويَغْفِرُ ما دُونَ ذلك لمن يشاءُ**» وقال: «**إنِّي ادَّخَرْتُ دَعْوَتي شفاعةً لأهلِ الكبائرِ مِن أُمَّتي**» فأمسكنا عن كثيرٍ مما كان في أنفسنا ثُمَّ نطقنا بعد -يعني بالاستغفار- ورجونا.

وصحَّ عن الشَّعْبيِّ: أنه قال في رجلٍ قتل نَفْسَهُ: ما مات فيكم منذ كذا وكذا، أحوج إلىٰ استغفاركم منه.

و قال ابن حزمٍ: «لقد رجَّانا الله تعالىٰ في العفو والجنَّة، حتىٰ نقول: فزنا، ولقد خوَّفنا عزَّ وجل، حتىٰ نقول: قد هلكنا، إلَّا أننا علىٰ يقينٍ مِن ألَّا خلود علىٰ مسلمٍ في النَّارِ وإن لم يفعل خيرًا قطُّ غير شهادة الإسلام بقلبه ولسانه، ولا امتنع مِن شرٍّ قطُّ غير الكفر، ولعله قد تاب من هذه صفته قبل موته، فسبق المجتهدين. أو لعل له حسناتٌ لا نعلمها تغمر سيئاته، فمن صلَّىٰ علىٰ من هذه صفته أو علىٰ ظالمٍ للمسلمين مُتبلِّغٍ فيهم، أو علىٰ من له قبله مظالم لا يريد أن يغفرها له، فليدع له كما يدعو لغيره، وهو يريد بالمغفرة والرحمة ما يؤول إليه أمره بعد القصاص».اهـ، وهذا مذهب أهل السُّنَّة جميعًا.

و يحكىٰ عن الفقيه سيدي علي بن ريسون أنه حضر جنازة رجلٍ مسرفٍ علىٰ نفسه، ورأىٰ بعض الفقهاء المتزمِّتين امتنع مِن الصلاة عليه وذكر قول

صاحب "المختصر": «و صلَّىٰ عليه غير فاضلٍ». فقال سيِّدي عليٌّ: أنا غير فاضلٍ، وتقدَّم فصَلَّىٰ عليه.

و مات جارٌ لنا كان لا يُصَلِّي، فصَلَّىٰ عليه مولانا الإمام الوالد رحمه الله ورضي عنه(١).

و قول المالكية: إنَّ الميت العاصي أو المحدود لا يُصلِّي عليه أفاضل الناس خطأٌ لا دليل عليه، بل العاصي أحق بصلاة الفُضُلاء عليه وشفاعتهم فيه، وقد ادَّخَرَ النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم شفاعته للخاطئين المتلوِّثين مِن أُمَّته، كما صحَّ في الحديث، وقال: «**مَن اسْتَطَاعَ مِنكُمْ أن يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ**».

و أيُّ نفعٍ أعظم من شفاعة المسلم في أخيه العاصي بصلاته عليه ودعائه له؟!.

نعم كان النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لا يُصَلِّي علىٰ المَدين – في أول الأمر – حِفْظًا لحقِّ الدَّائن. ولما فتح الله عليه بالفتوحات والغنائم والفيء ونشأ بيت المال، قال: «**مَن تَرَكَ مالًا فلوَرَثَتشهِ ومَن تَرَكَ دَيْنًا فعَلَيَّ**» وصلَّىٰ علىٰ المدين

---

(١) ومِن بِدَعِ هذا الوهَّابي أنه كان صديق شخصٍ اسمه علال الأزعر رحمه الله، وكان يهاديه ويتحفه، وبلغ من صداقته له أن احتفل مرة بليلة المولد في منزله. وكان يحلق لحيته، فلم يهجره، بل ظلَّ صديقًا له، ولما مات امتنع من الصلاة عليه، واحتجَّ بأنه كان يحلق لحيته، فهل في التلاعب باسم الدين أعجب من هذا؟!!

ومن تلاعباته أنه مكث يُصلِّي الجماعة والجمعة في زاويتنا الصِّدِّيقية مدة عشرين سنة أو تزيد، ولما خرج منها حين عدت من مصر، صار يفتي الناس بأن الصلاة فيها باطلةٌ؛ لأجل ما فيها من القبور!!

وأدَّىٰ دينه.

و أمَّا حديث: «**مَن أحبَّ لله، وأَبْغَضَ لله، وأَعْطَى لله، ومَنَعَ لله فقد اسْتَكْمَلَ الإيمانَ**». رواه أبو داود مِن حديث أبي أُمامة.

فهو واردٌ علىٰ الوهَّابيِّ المُتزَمِّت؛ لأنه ينطبق أولًا وبالذات علىٰ اليهود والنصارىٰ وهو لم يهجرهم، ولا حثَّ أولاده وأصحابه علىٰ هجرهم. بل قال: إنَّ جيرة اليهود أفضل من جيرة المسلمين.

فإن زعم أنه يبغضهم بقلبه، وذلك كافٍ في الامتثال.

قيل له: فلم لم تكتف ببغض قلبك لإخوتك وتلامذة والدك رحمه الله ورضي عنه، وأفرطتَ في بغضهم حتىٰ حذَّرت أولادك وأصحابك من مكالمتهم؟!

فإن زعم أنهم أضر علىٰ المسلمين من اليهود والنصارىٰ، كما قال في كتاب بعث به إليَّ ما هذا لفظه: «إنِّي أعتقد أنَّك أضر علىٰ المسلمين من اليهود والنصارىٰ».

قيل له: هذا كفرٌ صُراحٌ؛ لأنه يناقض ما عُلِمَ مِن الدِّين بالضرورة أنَّ الكفر أقبح المعاصي علىٰ الإطلاق، وأنه لا كبيرة ولا بدعة توازيه في القبح والضرر، فضلًا عن أن تكون أضر منه، والنبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**مَن قالَ لأخيه كافرٌ ولم يكن كذلك حَارَتْ عليه**» فما ظنك بمَن يقول لأخيه: أنت أضر علىٰ المسلمين من الكفار.

لا شك أنَّ قائل هذا أولىٰ بالكفر؛ لأنه استهون الكفر الذي جعله الله أقبح المعاصي بلا استثناء.

قال الحافظ ابن حجرٍ في "الفتح": «وقد استشكل كون هجران الفاسق أو المبتدع مشروعًا، ولا يشرع هجران الكافر وهو أشد جرمًا منهما، لكونهما من أهل التوحيد في الجملة.

و أجاب ابن بطال: بأنَّ لله أحكامًا فيها مصالحٌ للعباد، وهو أعلم بشأنها، وعليهم التسليم لأمره فيها، فجنح إلى أنه تعبُّدٌ لا يُعقَل معناه، وأجاب غيره بأن الهجران على مرتبتين: الهجران بالقلب، والهجران باللسان

فهجران الكافر بالقلب وبترك التودُّد والتناصر لا سيما إذا كان حربيًّا، وإنما لم يشرع هجرانه بالكلام لعدم ارتداعه بذلك عن كفره، بخلاف العاصي المسلم فإنه ينزجر بذلك غالبًا. ويشترك كلٌّ مِن الكافر والعاصي في مشروعية كلامه بالدعاء إلى الطاعة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».اهـ كلام الحافظ.

و الإشكال واردٌ على مَن زعم مشروعية الهجر، وجواب ابن بطال عنه بأنه الهجر تعبُّدٌ، جوابٌ باطلٌ مردودٌ؛ لأنَّ الهجر على فرض مشروعيته، عقوبة يراد بها الزجر والردع فهو معقول المعنى، ولأجل أنَّ الكافر لا يرتدع بالهجر، لم يشرع في حقِّه باتفاق.

و الجواب الذي نقله الحافظ أخيرًا هو الصحيح، ويُعلَم منه أنَّ العاصي أو المُبتدِع إذا كان لا ينزجر بالهجر، فإنه لا يشرع في حقِّه، لانعدام ثمرته وفائدته.

على أنَّ الحافظ صرَّح بأن العاصي أو المُبتدِع المهجور، يشرع الكلام معه بدعوته إلى الطاعة، ونهيه عن المعصية؛ لأن النصيحة واجبةٌ، والهجر جائزٌ باتفاق القائلين بمشروعيته ولا يجوز ترك واجبٍ لأجل جائزٍ.

و لِـما رواه أبو داود عن عمَّار بن ياسرٍ قال: قدمت على أهلي وقد تشقَّقَت يداي، فخَلَّقوني بزعفران. فغدوتُ على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فسلَّمْتُ عليه فلم يردَّ عليَّ وقال: «**اذهبْ فاغْسِلْ هذا عنك**». فالنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مع إعراضه عن عمَّار نَصَحَهُ بإزالة ما أعرض عنه لأجله.

و حديث عبدالله بن عمرٍو قال: مَرَّ على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رَجُلٌ عليه ثوبان أحمران، فسلَّم فلم يردَّ عليه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم .

رواه أبو داود والترمذيُّ. وهو حديثٌ ضعيفٌ؛ في سنده أبو يحيى القتات، قال المنذريُّ: «كوفيٌّ لا يحتجُّ بحديثه». وقال الحافظ ابن حجرٍ: «حديثٌ ضعيف الإسناد، وإن وقع في بعض نسخ الترمذيِّ أنه حديثٌ حسنٌ».اهـ

و على فرض ثبوته فهو خاصٌّ بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لما بيَّـنَّا مِن القاعدة المُقرَّرة في تعارض قوله وفعله.

و **الخلاصة**: أنه لا يوجد دليلٌ مِن الكتاب أو السُّنَّة الصحيحة يفيد جواز هجر العاصي أو المُبتدِع، وإنما يوجد الحديث المتواتر الذي يفيد أنَّ الهجر كبيرةٌ يوجب دخول النار، وأنه لا يجوز إلَّا لمدَّة ثلاثة أيام، على سبيل الرخصة، سواء أكان للدِّين أم للدُّنيا.

و يوجد أيضًا القرآن والحديث المتواتر، يوجبان ردَّ السلام من غير فرقٍ بين صالحٍ وعاصٍ، ولا بين سُنِّيٍّ ومُبتدِعٍ.

و لا يجوز تخصيصهما بقول صحابيٍّ، أو اجتهاد عالمٍ، كما تقرَّر في علم الأصول، بل كان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يردُّ السلام على المنافقين والكفَّار، فهل العاصي والمُبتدِع أقبح شأنًا منهم؟!

وهذه مسائل تؤكِّد ما قدَّمناه مِن تحريم الهجر في الإسلام تحريمًا قاطعًا، وتُبيِّن خطيئة مَن زَعَمَ مشروعيته:

١- قال الله تعالىٰ: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [النساء: ١٤٠] وهذه الآية تُشير إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [الأنعام: ٦٨].

أفادت الآيتان النهي عن مجالسة الكفَّار وقت استهزائهم بآيات الله وكفرهم بها، حتىٰ إذا خاضوا في حديثٍ غير ذلك جازت مجالستهم، ولم يأمر بهجرهم علىٰ الدوام. فكيف يزعم زاعمٌ أنَّ هجر العاصي أو المُبتدِع مشروعٌ؟! تالله إنَّ هذا لكذبٌ علىٰ الله تعالىٰ، وتحريفٌ لأحكام شريعته.

٢- قال القَرافيُّ في "الفروق" في الفرق بين قاعدة التفضيل بين المعلومات النصية: «القاعدة الثالثة: التفضيل بطاعة الله تعالىٰ، وله مُثُلٌ: أحدها: تفضيل المؤمن علىٰ الكافر، ثانيها: تفضيل أهل الكتاب علىٰ عَبَدَةِ الأوثان.

فأحلَّ الله عزَّ وجلَّ طعامهم، وأباح تزويجنا نساءهم دون عَبَدَةِ الأوثان، فإنه جعل ما ذَكُّوه كالميتة، وتصرُّفهم فيه بالذَّكاة كتصرُّف الحيوان البهيميِّ مِن السِّباع والكَوَاسِر في الأنعام، لا أثر لذلك.

وجعل نسائهم كإناث الخيل والحمير محرَّمات الوطء، كلُّ ذلك اهتضامٌ لهم لجَحْدِهِمْ الرسائل والرسل. وأهل الكتاب عَظَّموا الرُّسل والرسائل مِن حيث الجملة فقالوا بصحَّة نبوة موسىٰ وعيسىٰ وغيرهما من الأنبياء صلوات الله

وسلامه عليهم، وبصحة التوراة والإنجيل، وغيرهما من الكتب فحصل لهم هذا النوع من التعظيم والتمييز بحلِّ طعامهم ونسائهم فجعل ذكاتهم كذكاتنا ونسائهم كنسائنا. ولم يلحقهم بالبهائم بخلاف المجوس ونحوهم، لما حصل لأهل الكتاب من الطاعة من حيث الجملة وإن كانت لا تفيد في الآخرة إلَّا تخفيف العذاب أمَّا في ترك الخلود فلا».اهـ

وإذا كانت نهاية تفضيل أهل الكتاب مساواة ذكاتهم لذكاتنا ونسائهم لنسائنا، وهو تفضيلٌ جزئيٌّ، فكيف يصح لمُتنطِّعٍ أن يجعل العاصي أو المبتدِع أحطَّ قَدْرًا منهم فيوجب هجره إلى الأبد، مع أنه مُسْلِمٌ، والمسلم أفضل من الكافر بالنصِّ والإجماع؟ تالله إنَّ هذا لكذبٌ على الله تعالى، وتحريفٌ لأحكام شريعته.

٣- أوجب الله تعالى قتال المشركين عامَّةً، حتَّى يُسْلِموا فقال سبحانه: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ﴾ [التوبة: ٥].

و قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أُمِرْتُ أن أُقاتِل النَّاسَ حتَّى يقولوا لا إله إلَّا اللهُ، فإذا قالوها عَصَمُوا مِنِّي دِماءَهُم وأموالَـهُمْ إلَّا بحَقِّها، وحِسابُهُمْ على الله**». رواه الشيخان، وهو حديثٌ متواترٌ.

و خَصَّ منهم أهل الكتاب فأجاز ترك قتالهم إذا دَفَعُوا الجِزْية ودخلوا في ذِمَّتنا، وأباح أكل ذكاتهم وزواجنا بنسائهم قال تعالى: ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا

يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ [التوبة: ٢٩].

و قال سبحانه: ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ﴾ [المائدة: ٥].

في الآيتين تصريحٌ بالعلَّة، وهي كونهم أوتوا الكتاب، ومعنىٰ هذه العِلَّة أنَّ الله تعالىٰ خَصَّ اليهودَ والنصارىٰ بتلك الأحكام احترامًا لكتابه الذي أنزله عليهم، وإن كانوا قد حرَّفُوه.

و العاصي أو المبتدِع أحقُّ بالاحترام وأولىٰ به؛ لأنه مِن أهل القرآن ومِن أشرف الأُمَمِ، فكيف يصحُّ لمُتنطِّعٍ أن يجعله أحطَّ قَدْرًا، وأبخس حَظًّا فيوجب هجره علىٰ الدوام؟! لقد كذب علىٰ الله تعالىٰ، وحَرَّف حُكْمَ شريعته.

٤- إذا صاحب مسلمٌ صالحٌ عاصيًا أو مُبتدِعًا ومال إليه حتَّىٰ مات علىٰ معصيته أو بدعته، فإنه يموت مسلمًا يُصَلَّىٰ عليه، وتُرجَىٰ له المغفرةُ كما تُرجَىٰ للمسلمين.

كان عمران بن حِطَّان -بكسر الحاء وتشديد الطاء- مِن أهل السُّنَّة وتزوَّجَ خارجيَّةً ليردها إلىٰ السُّنَّة، فغلبته علىٰ رأيه وانقلب خارجيًّا مثلها أو أشد ومات علىٰ ذلك، فلم يخرج مِن حظيرة الإسلام. واستمرَّ أهل الحديث علىٰ رواية أحاديثه، كالبخاريِّ وغيره.

وفي علماء المسلمين مُبتدِعةٌ كثيرون: كعمرو[١] بن عبيد وعكرمة وواصل بن عطاءٍ وأبي عبيدة والرمانيِّ والجبائيِّ والزمخشريِّ والماورديِّ والجوزجانيِّ والهرويِّ وابن تيمية وغيرهم. ولهم تصانيفٌ في التفسير والحديث والأصول والفقه، وغيرها من العلوم الإسلامية، ومنهم من كان مضرب المثل في الزهد والورع مع ابتداعه، وكان الإمام زيد بن عليٍّ إمام الزيدية معتزليًّا في العقيدة، وأهل مذهبه باليمن معتزلةٌ، لا يعرفون عقيدةً غير الاعتزال، أخبرني بذلك القاضي عبدالله بن عبدالكريم الجرافيُّ الصَّنْعَانيُّ حينما كان يُصحِّح معي كتاب "البحر الزخار" في فقه الزيدية.

و إمارة عُمان -بضم العين وتخفيف الميم- على مذاهب الخوارج الإباضية، وفي ليبيا وتونس والجزائر طائفةٌ كبيرةٌ مِن الإباضية أيضًا، رأيتهم بمصر وجالستهم، وكان أحد علمائهم عضوًا معنا في جمعية الهداية الإسلامية، وكثيرًا ما صلَّينا خلفه. وقرأتُ مِن كتبهم "مسند الربيع بن حبيب"، و"قناطر الخيرات".

ودولة إيران الإسلامية على مذهب الإمامية وهم شيعةٌ مُتطرِّفةٌ، وكذلك أهل النَّجَفِ بالعراق ومن علمائهم العلَّامة السيِّد هبة الله الحسيني رحمه الله كان شيخ علماء النَّجَف. كاتبته وأنا بمصر واستجزته فأجاز لي.

و في الهند أيضًا شيعةٌ إماميةٌ ولم يقل أحدٌ مِن العلماء بهجر هؤلاء المبتدعة

---

(١) كان عمرو بن عبيد سنيًّا من أصحاب الحسن البصريِّ، اشتهر بصحبته ثُمَّ اتصل به واصل بن عطاءٍ، وأزاله عن مذهبه فصار مُعتزليًّا جلدًا داعيةً.

ومقاطعتهم؛ لأن الهجر ليس من الدين.

و أخبرني أحد الجزائريين بالأزهر أنَّ بعض الإباضيين عندهم طلبوا من الحاكم الفرنسيِّ أن يُخصِّصَ لهم قطعة أرضٍ لدفن موتاهم، فأجابهم إجابة حَكِيمة، قال لهم: إن كنتم مسلمين فادفنوا في مقابرهم، وإن كنتم نصارىٰ فادفنوا في مقابرنا، ولم يُعطِهم قطعة الأرض.

والحاصل: أنَّ المُبتدِع أو العاصي مسلمٌ، معاشرته لا تخرج عن الإسلام.

أمَّا إذا صاحب مسلمٌ كتابيًّا وأحبَّه ومال إلىٰ دينه ومات علىٰ ذلك، فإنه يموت كافرًا والعياذ بالله تعالىٰ، ولا حظَّ له في رحمة الله ولا في شفاعة نبيِّه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الأحزاب: ٦٤ - ٦٥] فكيف يزعم مُتنطِّعٌ وجوب هجر العاصي أو المبتدِع ومصاحبته لا تخرج المسلم مِن دينه، ولا يهجر الكتابيَّ مع أنَّ معاشرته تفضي إلىٰ الرِّدَّة؟! لقد كذب علىٰ الله، وحَرَّف حُكْمَ شريعته.

٥- أباح الله للمسلمين زواج الكتابيَّات ولم يشترط علىٰ المسلم أن يهجر زوجته الكتابية ويُقاطعها، بل جعل لها من الحقوق مثل ما للزوجة المسلمة في وجوب الإنفاق عليها ومعاشرتها بالحسنىٰ، وعدم الإضرار بها مع أنَّ بغض الكفَّار واجبٌ فرضٌ، خصوصًا اليهود لعنهم الله.

فكيف يصح لمُتنطِّعٍ بعد هذا أن يزعم وجوب هجر العاصي والمبتدِع علىٰ الدوام؟! لقد كذب علىٰ الله تعالىٰ وحَرَّف حُكْمَ شريعته.

٦- إباحة الزواج بالكتابيَّة معناه إدخال المسلم في بيته باختياره زوجةً

يهوديةً أو نصرانيةً ويواكِلها ويُحاملها، ولا يجب عليه أن يدعوها للإسلام بل لا يجوز له أن يضطرها إليه بوعيدٍ أو تهديدٍ، ويستتبع زواجه بها أن يستقبل أقاربها الكفَّار في بيته إذا زاروها ولا يمنعها مِن مباشرة طُقُوسِ دينها في بيته.

فهل هذا أخفُّ قُبْحًا مِن معصية المسلم أو بدعته؟!

لا يمكن أن يقول هذا مسلمٌ؛ لأنه كفرٌ صُراحٌ، إذن فكيف يصح لمتنطِّعٍ أن يزعم وجوب الهجر للعاصي أو المبتدِعِ على الدوام؟! لقد كذب على الله تعالى، وحَرَّفَ حُكْمَ شريعته.

٧- إباحة زواج المسلم بالكتابية يؤول به أو بأولاده منها إلى الكفر، فقد تزوَّج كثيرٌ مِن المسلمين بنصرانيَّات، واتفقوا معهنَّ على أن تكون بنته منها تتبع أُمَّها في دينها وهذا كفرٌ، وفي أسبانيا الآن بنات متنصرِّات مع أمهاتهنَّ وكان آباؤهم مسلمين بطنجة وغيرها.

و مِن الناس مَن يتساهل مع زوجته النصرانية فيسمح لأولاده أن يكونوا على دينها ذكورًا أو إناثًا، ومنهم مَن يترك دينه إلى دين زوجته لحبِّه لها، ومنهم من تهرب زوجته إلى بلدها ومعها أولاده منها، فتنشئهم على دينها، ومنهم من يموت ويترك أولاده صغارًا مع زوجته النصرانية فتربِّيهم على دينها.

هذا كله حاصلٌ واقعٌ، كتبت عنه الجرائد والمجلات، وصار معلومًا بالضرورة بحيث لا يمكن إنكاره.

و إذا كان الشارع أباح زواج الكتابية مع ما فيه من الخطر العظيم، فكيف يصح لمتنطِّعٍ أن يزعم وجوب هجر العاصي أو المبتدِع دائمًا خوفًا من معصيته أو بدعته؟! لقد كذب على الله وحَرَّفَ حُكْمَ شريعته.

٨- قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤] هذه الآية مدنيةٌ، وهي نَصٌّ في موضوعنا. أَعْلَمَ الله المؤمنين فيها بأنَّ مِن أزواجهم وأولادهم عدوًّا لهم، وهي عداوةٌ دينيةٌ، ولم يقل فاهجروهم ولا فصارموهم وإنما قال: ﴿فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ والحذر إنما يكون مع المُخالطة والمعاشرة كما هو معلومٌ.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤] نزل يُرغِّب في العفو رجالًا من الصحابة حلفوا أن يعاقبوا أزواجهم وأولادهم الذين ثبَّطوهم عن الهجرة، حتى فاتهم خيرٌ كثيرٌ. ومعنى ﴿فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ أي لا تطيعوهم فيما يُثَبِّطُكم عن الدِّين.

فالآية حُجَّةٌ قاطعةٌ تدمغ المتنطِّعَ الذي يحضُّ أصحابه على عقوق آباءهم وأمَّهاتهم، وقطيعة أرحامهم، بدعوى أنهم مبتدعةٌ.

لقد كذب على الله تعالى وحَرَّفَ حُكْمَ شريعته.

٩- روى الطبرانيُّ عن طلحة بن البراء: أنه أتى النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: ابْسُطْ يدك أبايعك. قال: «**علامَ؟**» قلت: على الإسلام. قال: «**وإن أَمَرْتُكَ بقَطِيعَةِ والِدَيْكَ؟**» قلت:لا. ثُمَّ عدتُ له فقال مثل قوله، قلت: لا. ثُمَّ عدتُ الثالثة فقال مثل قوله، قلت: نعم. فقال: «**يا طلحةُ، إنَّه ليس في ديننا قطيعةُ الرَّحِمِ، ولكن أحببتُ ألَّا يكون في دينك رِيبةٌ**»(١).

قول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنه ليس في ديننا قطيعةُ الرَّحِمِ**»

---

(١) حديث حسنٌ

سالبةٌ كليَّةٌ، تنفي مشروعية قطعية الرَّحِمِ في دين الإسلام، فمن زَعَمَ شرعيَّة مقاطعة مبتدِعٍ أو عاصٍ، فقد كذب على الله تعالى وحَرَّف حُكْمَ شريعته.

و روى أبو حاتمٍ الرازيُّ والطبرانيُّ عن كَرْدَمَ ابن قيسٍ قال: قلت للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: نذرت لأنحرنَّ ذُودًا بمكان كذا وكذا، فقال: «**هل فيه عيدٌ مِن أعياد الجاهلية؟ أو قطيعة رَحِمٍ؟ أو ما لا يملك؟**» قلت: لا، فقال: «**أوفِ بنَذْرِكَ**» ثُمَّ قال: «**لا نَذْرَ في قطيعةِ رَحِمٍ ولا فيما لا يَمْلِكُ ابن آدمَ**».

الحقيقة أنَّ المتنطِّع اتخذ الهجر وسيلة لتحقيق غرضٍ شخصيٍّ بحت.

ذلك أنه مريضٌ بحبِّ الرياسة والجاه، وهذا المرض تمكَّن فيه بسبب زهوه وإعجابه بنفسه، ونشأ له عن هذا وذاك بغضه الشديد لمن يخطئه في رأي، أو يعارضه في قول. وكان أخوته يعارضونه في كثير من المسائل لكثرة غلطه، فيتألَّم ويغضب ويثور[1] وكان يتحامَى الاجتماع بهم في مجلسٍ عامٍّ، وإذا استدعي إلى

---

(١) حكى لي بعض الأخوة أن تذاكر معه مرة في مسألة من الزكاة، وكانا يمشيان في طريق الجبل بطنجة على سبيل الفسحة، قال: ولما رددتُ عليه بعض قوله. توقَّف فجأة، واتجه إليَّ في غضبٍ ظاهرٍ، وحلف بالله إني إن عدت أناقشه، فإنه لا يكلِّمني، فتملَّكني الغضب وقلت له: لا تحلف عليَّ واحلف على أهل دارك. ونحن نتكلَّم في مسألةٍ علميةٍ، وأناقشك بالدليل، فإن كان عندك جوابٌ عنه فاذكره وإلَّا فاسكت، وأعجب من هذا أنَّ الأخ سيدي حسنًا أخبرني أنه كان يدرس عليه وعلى الأخر الأكبر في علمين، وبعد مدَّةٍ علم بذلك، فخيَّره بين أن يدرس عليه وحده أو يفارقه وقال له: إني أحب مَن يدرس عليَّ لا يدرس على غيري. ومنعه من دراسته عليه! وهذه ديكتاتورية في العِلْم، لم يسبق لها نظيرٌ، ولهذا منع أولاده من القراءة على غيره؛

حفلٍ، يوصي صاحب الحفل ألَّا يستدعىٰ أخوته، ويُخبره أنه لا يحضر إذا استدعاهم. وقد يفاجأ بوجودهم في مكانٍ لا يظن وجودهم فيه. فيحصل له ما كان يهرب منه. يضاف إلىٰ ذلك أنهم حين يكونون معه يقتسمون وإياه رياسة المجلس، ويشاطرونه نظرة الاحترام؛ لأن الناس يحترمونهم وإياه لأجل والدهم العظيم وهو لا يحب ذلك، بل يحب أن تتوجَّه الأنظار إليه ويقتصر الاحترام عليه. فماذا يفعل للتخلُّص مِن مضايقة إخوته ومعارضتهم؟ دلَّه شيطانه علىٰ مقاطعته لهم وهجره إيَّاهم. لكن بماذا يُعَلِّل ذلك للناس إذا لاموه؟ دلَّهُ شيطانه أيضًا أن يقول: أنهم مبتدعةٌ؟ وهجر المبتدعة واجبٌ شرعًا ونفَّذ هذه الخطة الشيطانية التي سمَّاها سُنَّةً، حيث قال لي في رسالةٍ بعث بها إلىٰ مصر: «إني عزمت أن أُحيي سُنَّة الهجر التي أُميتت في هذا العصر».

و كذب فيما ادَّعىٰ، فما كان الهجر إلَّا بِدْعَةٌ شِرْكِيَّةٌ وسُنَّةٌ شيطانيةٌ.

ثُمَّ وصىٰ أصحابه بمقاطعة إخوته مقاطعةً تامَّةً، وأوجب علىٰ أولاده مقاطعتهم أيضًا وألقىٰ بذلك في روع أصحابه أن معارضة إخوته له لا قيمة لها عنده؛ لأن كلام المبتدعة ضلالٌ فاستراح مِن جهتهم، لكن بقي ما يُنغِّص عليه صفوه، فقد كان بعض مريدي والده يعارضونه الفينة بعد الفينة بأنه خالف والده، فكان يعتذر ببعض الأعذار تارةً، وأخرىٰ يلوح بالطعن في والده ولا

لأنه يعلم أنهم حين يحضرون علىٰ غيره، سيقفون علىٰ معلوماتٍ صحيحةٍ، تُبيِّن خطأ معلوماته بل فساد بعضها، وسيخالفونه جزمًا، وهو لا يحب ذلك بل يغضبه ويبغضه. وهذا سر منع مَن يقرأ عليه مِن القراءة علىٰ غيره. وقد تبيَّن لتلاميذه الذين انفصلوا عنه واتصلوا بغيره أنهم كانوا علىٰ جهلٍ عظيمٍ وهم لا يشعرون.

يُصرِّح، وضاق بهذه الحالة من المعارضة، وأراد أن يغلق هذا الباب فصرَّح بأن والده ضالٌّ، وأنه يتبرَّأ منه كما تبرَّأ إبراهيم مِن أبيه!! وكأنه يقول لأولئك المريدين: هذا الوالد الذي تعارضون به رأيي وتحتجون به علي لا أعتبره؛ لأنه ضال، وهكذا صار عاقًّا لوالده قاطعًا لرحمه لأجل الرياسة والجاه اللذين بدأ في العمل لنيلهما، وهو مستعدٌّ لمصاحبة كلِّ فاسقٍ ومُبتدِعٍ على مذهبه إلَّا أخوته ومريدي والده ومَن على هديهم في معارضته وبيان خطيئاته فإنه لا يصالحهم أبدًا، إلَّا بشرطٍ اشترطه لمن توسَّط في الصلح بينهم وبينه، وهذا الشرط هو أن يعترفوا له كتابة بأنهم مخطئون وهو مصيبٌ.

فصل

و حديث: «**مَن أحبَّ لله، وأبغضَ لله، وأعطَى لله، ومَنَعَ لله، فقد اسْتكْمَلَ الإيمانَ**». صريحٌ في أنَّ الحبَّ لله والبغض لله مِن كمال الإيمان وليس جزءًا منه، ولا شرطًا في صحَّته؛ لأن الإنسان يعرض له في حياته حبٌّ وبغضٌ وإعطاءٌ ومنعٌ، فأراد الشارع أن يحضَّ المسلم على أن تكون هذه الأفعال صادرةً منه طمعًا في ثواب الله تعالى لا لمصلحةٍ دنيوية ولا لشهوة نفسيةٍ، وليس في الحديث إيجاب بعض الفاسق والمبتدِع.

كيف وبغض الكافر ليس بواجبٍ؟ وإنما الواجب ترك موالاته. ونُبيِّن ذلك بقاعدةٍ لا يعرفها الوهابيُّ المُتزمِّت ولم يسمع بها مِن قبل.

قال العلماء: الحبُّ والبغض بالنسبة إلى الله تعالى نقيضان، فإذا قيل إنَّ الله يحب كذا، فمعناه أنه لا يبغضه. وإذا قيل: لا يحب كذا، فهو يساوي أنه يبغضه، فلا واسطة بينهما.

أمَّا بالنسبة إلينا، فهما ضِدَّان، بينهما واسطةٌ، فإذا قيل: فلانٌ لا يحب فلانًا فلا يقتضي أنه يبغضه، وإذا قيل: لا يبغضه فلا يقتضي أنه يحبُّه؛ لجواز أنه لا يُحبُّه ولا يبغضُهُ.

مثلًا لو سُئلتَ عن شخصٍ لا تعرفه، أو بينك وبينه معرفةٌ سطحيةٌ: هل تحبُّه؟ فإنك تجيب: لا أحبه ولا أبغضه؛ لأنه لم يحصل منه ما يقتضي أحدهما، وهذا أمرٌ مشاهدٌ يحسه كثيرٌ مِنَّا بحيث لا يمكن إنكاره.

و لهذا قلنا إنَّ الشارع لم يأمرنا ببغض الكفار، وإنما نهانا عن مولاتهم، وهي غير البغض قال الله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الممتحنة: ١] والمودة موالاة.

وقال سبحانه: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٨ - ٩].

وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

نعم رغَّب الله في بغضهم من غير إيجابٍ، قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا

بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة: ٤] فبغضهم من كمال الإيمان كما أفاده الحديث الماضي: «**مَن أحبَّ لله، وأبغض لله فقد اسْتكْمَلَ الإيمانَ**».

و ليس بغضهم شرطًا في صحَّة الإيمان حتىٰ يكون واجبًا، وإذا لم يكن هجر الكفار ولا بغضهم واجبًا فكيف يزعم مُتنطِّعٌ أنَّ هجر الفاسق أو المبتدِع وبغضه واجبٌ؟! لقد كذب علىٰ الله وحَرَّف حُكْمَ شريعته.

علىٰ أنه لو وجب بغض الكفار لما جاز أن يقاس عليهم المسلم العاصي أو المبتدِع في وجوب بغضه؛ لأنَّ مِن أركان القياس مساواة الفرع للأصل في العِلَّة، والمساواة هنا مفقودةٌ لأمورٍ:

١- أنَّ الكفَّار أعداءٌ لنا بدلالة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ [الممتحنة: ١] والمؤمنون أخوةٌ بنصِّ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠] والنبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**المُسْلِمُ أخو المُسْلِمِ**» ويقول: «**صَلُّوا على صاحِبِكُمْ**»، والعاصي أو المبتدِع أخو المسلمين وصاحبهم.

٢- أنَّ الكفار أعداء الله بشهادة: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾[البقرة: ٩٨] والمؤمنون أولياؤه بنصِّ: ﴿وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٨].

٣- أنَّ الكافر لا يغفر الله له إلَّا إذا ترك كفره إلىٰ الإسلام، والعاصي أو المبتدِع قد يغفر الله له وإن لم يتب: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨] ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾[الأنفال: ٣٨].

٤- أنَّ الكافر مُخَلَّدٌ في النَّار لا تلحقه شفاعةٌ أبدًا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ [الأحزاب: ٦٤ - ٦٥] والعاصي أو المبتدِع تلحقه الشفاعة لحديث: «**شَفَاعَتِي لأَهْلِ الكَبائِرِ مِن أُمَّتي**». وهو حديثٌ صحيحٌ. وحديث: «**هي لكم** -أي الشفاعة- **ولمن قال لا إله إلَّا الله**» وهو حديثٌ صحيحٌ أيضًا والأحاديث في هذا المعنىٰ متواترةٌ.

٥- أنَّ حقيقة الكفر تناقض حقيقة الإسلام، والمتصف بالكفر نقيض المتصف بالإسلام، والمعصية والابتداع لا ينافيان الإسلام.

و إذا كانت العِلَّة في بغض الكافر كفره، فكيف يجوز إلحاق العصيان والابتداع بها مع وجود الفوارق العظيمة، أهمها أنَّ الكافر عدوٌّ لله، والمؤمن وَلِيُّهُ، وهل يجوز في عقل عاقلٍ أن يقاس وليٌّ علىٰ عدوٍّ؟!

و في هنا تدرك خطيئة من يحمل آيات واردة في الكفَّار علىٰ بعض المسلمين، ويزعمه تعميمًا بحسب المعنىٰ، ولكنه في الواقع تحريفٌ آثم، وإليك مثلًا من ذلك:

قال الله تعالىٰ: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾ [الفرقان: ٢٧ - ٢٩].

فالآية واردة في أُبيِّ بن خلفٍ الذي يندم علىٰ اتباعه عقبة بن أبي مُعَيْطٍ في ترك الإسلام بعد أن هَمَّ به.

والظالم فيها مرادٌ به الكافر، وهي عامَّةٌ في كلِّ كافرٍ، وقال بعض المُفسِّرين:

«وحكم هذه الآية عامٌّ في حَقِّ كل مُتحابَّين اجتمعا على معصية الله».اهـ

وهذا خطأٌ فاحشٌ وتحريفٌ لكلام الله تعالى؛ لأنَّ المسلم لا يندم ولا يعضُّ على يديه ولو كان عاصيًا؛ لأنه اتخذ مع الرسول سبيلًا بإسلامه، واتبع الذِّكر وهو القرآن فآمَن به، بل لم يحكِ الله الندم والتلاوم يوم القيامة وتبرؤ المتبوع من التابع ولعن بعضهم بعضًا إلَّا عن الكفار.

اقرأ الآيات التالية: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦]، ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [العنكبوت: ٢٥].

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓاْ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾ [سبأ: ٣١ - ٣٣].

﴿ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٢ - ٢٣].

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات: ٢٧ - ٢٩]. ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ إِنَّهُمْ

صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴾ [ص: ٥٩ - ٦٠].

ثُمَّ اقرأ ما قاله الله عن المسلمين: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ ﴾ على الكُفْر في الدُّنيا ﴿يَوْمَئِذٍۭ﴾ يومَ القيامَةِ ﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ كما سبق في الآيات التي أوردناها ﴿ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ الذين اتقوا الكفر ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴾ [الزخرف: ٦٧ - ٦٩] فقط.

روى ابن جريرٍ عن مُعْتَمِر بن سليمان، عن أبيه قال: سمعتُ أنَّ الناس حين يُبعثون ليس منهم أحدٌ إلَّا فَزِع، فينادِي مُنادٍ: ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ فيرجوها الناسُ كلُّهم، فيتبعها: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴾ فييأس الناس منها من غير المسلمين فيقال لهم: ﴿ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴾ [الزخرف: ٦٨-٧٠].

وقال تعالى: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾ [الحديد: ٢١] الآية فيها دليل على أنَّ الإيمان وحده كافٍ في دخول الجنَّة.

ثُمَّ نقول لأولئك المُحرِّفين لكلام الله تعالى: إذا كان المسلم العاصي يعضُّ على يديه نَدَمًا كما يعضُّ الكافر، فما فائدة الإسلام الذي عاش فيه حياته؟ وما نتيجة الطاعات التي قدمها؟ ولو كانت المعاصي أو البدعة تمنع صحَّة الإسلام لاستوى الكافر والمسلم واللازم باطلٌ. بدليل قول الله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴾ [السجدة: ١٨].

و استدلَّ المالكية والشافعية بهذه الآية على أنه لا يُقتَلُ مُسلمٌ بكافرٍ قصاصًا؛ لأنَّ المساواة شرط في القصاص، وقد نفاها الله في هذه الآية وفي قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [الحشر: ٢٠] فلا يقتص لكافرٍ مِن مسلمٍ، خلافًا للحنفية.

وثبت عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنه قال: «**لا يُقتَلُ مُسْلِمٌ بكافرٍ**» وهو يؤيِّد الأخذ بعموم الآيتين ولعلة عدم التساوي. فمن سوَّى العاصي أو المبتدِع بالكافر في الهجر والقطيعة فقد خالف كتاب الله وسُنَّة رسوله، وحَرَّف حُكْم شريعته، فهو المُحَرِّف الكاذب وهو المبتدِع حقيقةً.

ثُمَّ إنه لا خلاف بين المسلمين أنه لا يجوز قتل العاصي أو المبتدِع إذا لم يفعل ما يوجب قتله شرعًا، فكذلك لا يجوز هجره دائمًا؛ لأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن هَجَرَ أَخَاهُ سَنَةً فهو كسَفْكِ دَمِهِ**».

وإذ كان مجرَّد عصيان المسلم أو ابتداعه لا يُجيز قتله ولا هجره فإنه لا يجيز بغضه أيضًا؛ لأن الهجر والتقاطع والبغض إنما تشرع في حقِّ الكافر عدوِّ الله، لا في حقِّ المسلم وليِّ الله.

وأيضًا فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد: ١٩] فالمسلم صدِّيقٌ بنصِّ هذه الآية، ولو كان عاصيًا أو مُبتدِعًا؛ لأنَّ العِصمة لا تشترط في الصِّدِّيق، فكيف يزعم زاعمٌ وجوب هجر الصِّدِّيق وبغضه كما يهجر الكافر الخبيث ويبغض؟!

وكيف يصح الجمع بين مَن آمن بالله ورسله وبين مَن كفر بهما وكذَّب؟!

والعصيان والابتداع لا يصلحان جامعًا؛ لأنهما لا ينافيان التصديق، ولا يمنعان الإسلام.

وأيضًا فان الله تعالىٰ يقول: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴾ [الحجر: ٢] ثبتت أحاديث وآثار عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وعن الصحابة والتابعين في معنىٰ هذه الآية: أنَّ الكفار إذا رأوا عصاة المسلمين خرجوا مِن النار برحمة الله، قالوا: ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما خرجوا.

والذين يخرجون من النار بعد دخولهم فيها طائفةٌ مِن عصاة المسلمين ومبتدعيهم، والكفار يتمنون أن لو كانوا مثل هؤلاء العصاة والمبتدعة حتىٰ تنالهم الرحمة، ومعنىٰ هذا أنَّ المسلم مآله الجنة وإن أصابه عذابٌ قبلها؛ لأنه يحبُّ الله ورسوله، ومعاصيه لا تُحبِط عمله، فكيف يجوز هجر من هذا حاله أو بغضه أو لعنه أو مقاطعته؟!

والحاصل: أنه يحرم هجر المسلم العاصي أو المبتدِع وبغضه ولعنه ومقاطعته، ومن فعل شيئًا في ذلك فقد أتىٰ كبيرةً مِن الكبائر.

و ينبغي لوهَّابيٍّ طنجة أن يُصرِّح بالحقيقة ويقول أنه يقاطع أخوته ومريدي والده ويبغضهم لأنهم يخالفونه ويردون عليه قوله[1] وهو يبغض مَن يخالفه ولو كان أعلم الناس وأتقاهم، ويحب من يوافقه ولو كان أفسق الناس.

و السُّنَّة التي يدعو إليها ليست سُنَّة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، لكنها

---

(١) وقد صرَّح بذلك، فقد أخبرني بعض الإخوان أنه سأله عن سبب مقاطعته لأخوته فأجابه بقوله: لأنهم لا يسمعون كلامي.

سنة رأيه وقوله، وإليك أمثلة من ذلك:

١- مَن وافقه على أنَّ حالق لحيته ملعونٌ وصلاته باطلةٌ فهو سُنِّيٌّ، ومَن خالفه في ذلك فهو مُبتدِعٌ ضالٌّ تجب مقاطعته.

٢- مَن وافقه على أنَّ القصر في السفر واجبٌ فهو سُنِّيٌّ، ومَن قال أنَّ القصر رخصةٌ غير واجبةٍ فهو مبتدعٌ ضالٌّ تجب مقاطعته.

٣- مَن وافقه على أنَّ المسافر المُصلِّي خلف المُقيم يقصر الصلاة فهو سُنِّيٌّ، ومَن قال أن يتمَّ الصلاة فهو مبتدعٌ ضالٌّ تجب مقاطعته.

٤- مَن وافقه على تضليل والده ووصفه بالتخريف والجهل فهو سُنِّيٌّ، ومَن قال له: والدك عالمٌ تقيٌّ وَرِعٌ، شهد بفضله العدوُّ والصَّدِيقُ، وتضليلك إيَّاه عقوقٌ، فهو مُبتدِعٌ ضالٌّ تجب مُقاطعته.

٥- مَن وافقه على أنَّ لكلِّ بلدٍ رؤيةً في الصوم والإفطار، فهو سُنِّيٌّ، ومَن خالفه في ذلك فهو مستشرقٌ ومبتدعٌ ضالٌّ تجب مقاطعته.

٦- مَن وافقه على أنَّ قراءة القرآن على الميت بدعةٌ غير جائزةٍ فهو سُنِّيٌّ، ومَن خالفه في ذلك فهو مُبتدِعٌ ضالٌّ تجب مُقاطعته.

٧- كتبتُ له في مصر أقول له: إذا اخترت أن تكون وهَّابيًّا فلك ذلك، لكن ليس لك أن تصف والدك بالضلال، فأجابني بقوله: أن عدت تقول لي وهَّابيٌّ، فإنِّي أقاطعك إلى يوم القيامة!!

٨- لنا ابنا عمٍّ، كلاهما درقاويٌّ، أحدهما تكلَّم فيه ووصفه بالبلادة، فقاطعه مقاطعةً تامَّةً، بحيث لم يعده في مرضه الذي مات منه، والآخر لم يعارضه فظل يواصله ويزوره مرَّةً بعد أخرى حتى مات، وهو يعلم أنه درقاويٌّ.

٩- يقاطع إخوته لمعارضتهم له، ويواصل أخواته وهو يعلم أنهنَّ على طريقة والدهنَّ العظيم رحمه الله ورضي عنه؛ لأنهنَّ لا يعارضنه فيما يقول ويعتقدن فيه أنه عالِمٌ، ولو عارضنه فإنَّ معارضتهنَّ لا تتجاوز جدران بيتهنَّ، ولا تصل إلى أصحابه.

١٠- أعرف شريفًا مِن أولاد ابن عجيبة درقاويًّا كأبيه يواصله الوهابيُّ ويزوره؛ لأنه لم يعارضه في رأي.

١١- له أصحاب وأصدقاء فيهم فُسَّاقٌ يوادهم ويحبهم؛ لأنهم لا يردون له قولًا، ولا يعارضون له رأيًا.

١٢- يُطلِق على مَن خالفه في رأيه: عدوُّ الله، فإن كان يعتقده كذلك حقيقةً فهي رِدَّةٌ، وإن لم يعتقده كذلك فهي كبيرةٌ.

ثبت في "صحيح مسلم" عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في حديث: «**ومَن دعا رَجُلًا بالكفر أو قال: عدوُّ الله وليس كذلك إلَّا حارَ عليه**».

١٣- كان أحد الشرفاء البقاليين يده اليمنى، يستعين به في كثيرٍ مِن مصالحه التي مِن أهمِّها سبُّ إخوته، وكان يُحرِّضه على أن يتعرَّض لهم بالإذاية، ثُمَّ خالفه في رأي له، فقاطعه وصار يصفه بالابتداع والضلال، وعامله صاحبه بالمثل، هذا وهما وهَّابِيَّان.

١٤- كان طالب انجري تلميذًا ملازمًا له، وكان مِن أقرب الناس إليه، لأنه لم يخالفه في رأي، ولما عُيِّن في مسجد بأحد أسواق طنجة ذهب إلى ذلك المسجد وصلَّى خلفه وزكَّاه للمُصَلِّين هناك، وحرَّضه أن يكتب إليَّ بمصر في مسألة صوم المغرب برؤية المشرق، فأجبته بما هو صواب في الموضوع، فبعث

كتابًا آخر بتحريض منه أيضًا ينبئ عن قِحَّةٍ بالغةٍ وسوء أدبٍ كبيرٍ، هذا ولا يعرفني ولا أعرفه، ولكن المبتدع يُجرِّئ أصحابه على سبِّ أخواته ليسقط احترامهم في زعمه.

و مِن إخلاص هذا الطالب الأنجري للمبتدِع أنه رآني مِن بعيدٍ أمشي في اتجاه طريقه مصادفةً، ومعي سيِّدي الحسن شيخه أيضًا فأشار إليه بيده مُسلِّمًا، ثُمَّ نكص على عقبيه لئلَّا يُسَلِّم عليَّ، ثُمَّ خالفه في رأيه إذ مال إلى ترجيح إتمام المسافر خلف المقيم، وقدم له -على ما بلغني- سؤالا مُحرِجًا لم يجد له جوابًا حاصله: أنَّ وفود العرب بعد الفتح كانت تأتي إلى المدينة من أطراف الجزيرة العربية وكانوا يُصلُّون مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وكانوا يُتمُّون معه بالضرورة، ولم ينقل عنه أنه قال لهم قصروا كما قال لأهل مكة: «أتمُّوا». فقاطعه المبتدِع وأفتى أصحابه بألَّا يصلوا خلفه، وما قَصَّر في ذَمِّه، مع أنهما في مذهب الوهَّابية صِنوان.

١٥- ذهب العمُّ سيِّدي مصطفى يزوره مرَّةً كعادته معه، فاستقبله بغضبٍ شديدٍ وشتمه، وضجع فيه القول، وكان فيما قال له: «أنت تمشي مع عبدالله الأحمق» يعنيني؛ لأنه يعلم أني أخالفه على طول الخطِّ، ولكني لست أخالفه عنادًا وحبًا في المخالفة، كما يفعل هو في خلافاته مع غيره، خصوصًا أخوته. وإنما أخالفه لأحد أمرين:

١- خطأ ما اعتمده أو ضعف دليله.

٢- شذوذ ما قلَّده مِن أقوال.

و هذا بيانٌ إجماليٌّ لأهم المسائل التي خالفته فيها:

١- حلق اللحية كبيرةٌ: أنا لقنته إيَّاه، وعنِّي أخذه، ثُمَّ لما رجعت عنه لأنِّي وجدته خطأ والصواب أن حلق اللحية صغيرة.

٢- تعليله بالتشبُّه بالنِّساء، وبتغيير خلق الله قياسًا على حديث المُتنمِّصة[1]، أخذ هذا التعليل عن الألبانيِّ، وهو -وإن كان مُحدِّثًا- لا يعرف علم الأصول، ولذلك تجد استنباطاته الحديثية المتعلِّقة بالأحكام غالبها ما بين

---

(١) وأذكر بالمناسبة أنَّ هذا الوهابيَّ اخترع حكايةً أو اخترعها له بعض أصحابه، وذكرها في بعض وريقاته، ليلمزني بالجهل. فدلَّت على جهله بالأصول وهو لا يشعر.

قال حاكيًا عن بعض أصحابه: أنه لقيني في مكتبة ابن حزمٍ، وسألني عن التنميص، فأجبته بأنه حرامٌ، والمُتنمِّصة ملعونة. فقال لي: وحالق اللحية؟ قلت له: ليس بملعونٍ. فقال لي: إذا كانت المُتنمِّصة ملعونةٌ وهي امرأةٌ أبيح لها التزيُّن، أفلا يكون حالق اللحية ملعوناً مثلها؟ قال: فأجبته بأني حاقنٌ.

هذا معنى ما اخترعته أو اخترع له، وهي حكايةٌ غير صحيحةٍ، ولو صحَّت فإعراضي عن جواب صاحبه لأني علمت جهله التام المركَّب والمكعب، وقولي له: إنِّي حاقنٌ، إشارة إلى الجواب الذي يستحقُّه!!

و قد بيَّنت فساد هذا القياس في "الصبح السافر"، و"تنوير البصيرة" لكني أعجب من هذا الوهابيِّ كيف بلغ به الجهل إلى هذه الدرجة؟! مع أني درَّست له مقدِّمات "جمع الجوامع" وغيرها. وتلاميذي والحمد لله كلهم نبهاء إلَّا هذا الوهابي، ويظهر أنَّ شؤم عقوقه لوالده ولشيخه سبب بلادته، نسأل الله العافية.

و القياس الصحيح هنا أن يقال: يحرم التنميص على الرجل كالمرأة، بل هو أولى. وصاحب الحكاية لجهله، ترك هذا القياس الموافق للأصول وتمسَّك بقياسٍ فاسدٍ ليرميني بالجهل، فصدق عليه المثل العربي: «رَمَتْني بدَائِها وانْسَلَّت».

ضعيفٍ وباطلٍ، وهذا منها وقد بيَّنتُ بطلانه في غير هذا المحل.

٢- وجوب القصر في السفر: هو مذهب الحنيفة وأخذ به ابن حزمٍ ومن المتأخِّرين ابن تيمية وابن القيِّم. واستدلوا بقول عائشة فرضت الصلاة ركعتين فأُقرَّت صلاة السفر وزِيد في صلاة الحَضَر. وهذا الاستدلال خطأ؛ سببه عدم فهم كلام عائشة، ولو فهموه لعدلوا عن القول بالوجوب جزمًا.

٣- وجوب قصر المسافر خلف المقيم، قولٌ شاذٌّ لم يقل به غير ابن حزمٍ ولا دليل له أصلًا، وقال إسحاق بن راهويه: «يجوز قصر المسافر خلف المقيم»، وقال تميم بن حذلم: إذا أدرك المسافر الركعتين الأخيرتين مع المقيم اكتفي بهما، وهذه أقوال شاذَّةٌ، فلذلك خالفناها(١).

٤- صوم المغرب برؤية المشرق: فيه مذهبان معروفان، مذهب المالكية

---

(١) روىٰ ابن أبي شيبة عن أبي نجيحٍ المكِّيِّ، قال: اصطحب أصحاب النبيِّ صلىٰ الله عليه وسلم في السفر، فكان بعضهم يتمُّ وبعضهم يَقْصِر، وبعضهم يصومُ وبعضهم يُفْطِر، فلا يعيب هؤلاء علىٰ هؤلاء، ولا هؤلاء علىٰ هؤلاء. وروىٰ عن أبي قِلابة قال: إن صلَّيتَ في السفر ركعتين فالسُّنَّة، وإن صلَّيت أربعًا فالسُّنَّة. وروىٰ عن بسطان بن أسلم قال: سألتُ عطاء عن قصر الصلاة في السفر؟ فقال: إن قصرت فرخصةٌ؟ وإن شئت أتممت . وروىٰ عن ميمون بن مهلان أنه سأل سعيد بن المُسيِّب عن الصلاة في السفر فقال : إن شئت ركعتين، وإن شئت فأربع.

هذه الآثار بوَّب لها ابن أبي شيبة في "المصنَّف" بقوله: في المسافر إن شاء صلَّىٰ ركعتين وإن شاء أربعًا. وصدر الباب بحديث عائشة: إنَّ النبيَّ صلىٰ الله عليه وسلم يتمُّ الصلاة في السفر ويقصر، ويصوم ويفطر، ويؤخِّر الظهر ويُعجِّل العصر، ويؤخِّر المغرب ويُعجِّل العشاء. وهو حديثٌ صحيحٌ كما قال الدار قطنيُّ.

والحنفية بوجوب الصوم، ومذهب الشافعية بعدمه وقد اخترنا المذهب الأول، ورأينا أدلَّته أرجح، فلا معنىٰ للتشنيع علينا وتسميتنا مستشرقين، لولا التعصُّب والعناد. ونحن لا نلزم أحدًا باتباعنا ولا نقول له: إن لم تَصُمْ معنا أو لم تفطر معنا لا نُكَلِّمك إلىٰ يوم القيامة.

و ما ذنبنا إذا كان الناس يسألوننا عن هلال رمضان أو شوال راغبين في الصوم والإفطار معنا. كما أني رأيت زوارًا جاءوا إلىٰ الزاوية وهم صائمون أو مفطرون برؤية المغرب، فلم أكلمهم في ذلك؛ لأني لا أحب الرياسة ولا أحب أن أكون متبوعًا.

بخلاف الوهَّابي فإنه يُلْزِم أصحابه باتباع رأيه ويهددهم بالمقاطعة الدائمة إن لم يتبعوه؛ لأنه يحب أن يكون متبوعًا مسموع القول، ومِن أعجب ما سمعته عنه في هذه السنة بمكة: ما حدَّثني به بعض أصحابه أنه كان يوصيهم ويؤكِّد عليهم أن يقصروا الصلاة في الحرم المكِّي والمدني ولو صلُّوا مع الإمام الراتب!!

١٦- زاره في بيته الفقيه العلامة الحاج العربي العبادي وقدم له هدية فرحَّب به لأجل الهدية! وأدخله الدار، فلما جرىٰ الحديث سمعه يتكلَّم في والده العظيم ويصفه بالضلال، فقال له: هذا عقوقٌ فغضب المبتدِع الوهابيُّ، وقال له: قم اخرج من داري وطرده[1].

١٧- ولهذه المناسبة أذكر ما حدَّثني به صديقه البقالي الذي كان يمينه وساعده قال، والعهدة عليه: استدعيته مرة للغداء عندي فحضر وكان عندي

---

(١) ولم يرد له ما أخذه منه.

ناسٌ استدعيتهم، وبعد الغداء جرىٰ الحديث في أمورٍ مختلفةٍ حتىٰ جاء ذكر والدكم، فقال للحاضرين أنتم لا تعرفون والديي أنا أحدِّثكم عنه، وصار يذكر عنه معايب اندهشنا لها[1]، وكان اندهاشي أكثر من إشاعة هذا عن والده أمام أجانب عنه، قال: ولو كان والدي لسترت عليه. وسألت أنا أحد أولاده لأتأكَّد فقلت له: هل صحيح أنَّ والدك يُضلِّل جدَّك؟ فأجابني باعتزازٍ: هو يعلن ذلك ولا يخفيه قلت له: وهل تبرَّأ منه كما تبرَّأ إبراهيم من أبيه؟ قال: نعم. قلت: لكن أبو إبراهيم مشركٌ وجدك مسلمٌ عالمٌ تقيٌّ. فأجابني بجواب يدل علىٰ منتهي الجهل، قال -ويالجهالة ما قال- آه إذا تبرَّأ إبراهيم مِن أبيه المشرك والشرك أعظم فبالأولىٰ يتبرَّأ والدي من أبيه الضال؟ إي والله هذا

---

(١) وهو كاذبٌ فيما حكىٰ عن والده، قاذفٌ له، والغٌ في عرضه بعد وفاته، مع أنه لم يجالسه في حياته لحظة، ولا حضر عليه درسًا ولا سمع منه كلمة. وإنما سمع ما يحكيه الناس عن والده فلم يميز صدقه من كذبه، والنبيُّ صلىٰ الله عليه وسلم يقول: «**كفَى بالمرءِ كَذِبًا أن يُحَدِّثَ بكلِّ ما سَمِعَ**». وأنا بحمد الله لازمت والدي رحمه الله وحضرت عليه في الحديث والفقه والنحو والبلاغة، سوىٰ ما استفدته منه أثناء المذاكرة في مسائل شتىٰ. وحين كتبت شرح "الآجرومية" كنت أعرض عليه ما أكتبه أولًا بأول فيصلح لي ما أخطأت فيه، ولما سافرنا إلىٰ مصر كنت أكاتبه باستمرار، ولم يكتب له الوهابي خطابًا واحدًا، وكنت أكاتبه من فاس أيضًا وقبل سفري كنت أناقشه في المسائل العائلية الخاصة، وأبلغه ما أسمعه عنه من شائعاتٍ، فيصحِّح الوقائع وينفي الكذب ويُبيِّن التحريف. وبالجملة كان الوهابي أقلنا اتصالًا بمولانا الوالد رحمه الله ورضي عنه، وأجهلنا بأحواله، لا يعرف عنه إلَّا ما يسمعه من أفواه الخادمات ومن في حكمهنَّ، فحديثه عنه كحديث شخصٍ بعيد الصلة عنه.

جوابه وهذه المناقشة حصلت بيني وبينه، وأنا مسئولٌ عن كلِّ كلمةٍ فيها.

وقال لي أحد المريدين الصِّدِّيقيين: بأذني سمعت أخاك يتكلَّم في والده، لم يخبرني أحدٌ عنه، سمعته في الجامع الكبير.

وكان الرجل الصالح الأخ مسعود رحمه الله يزوره ويتردَّد عليه باعتبار أنه أحد أولاد شيخه، وكان لا يُصدِّق ما ينقل عنه من عقوقٍ، حتى قال له في بعض المناسبات: لو قلت لك ما كان يفعله الوالد لما اعتقدت فيه. فتأكَّد أنه عاقٌّ، وترك زيارته.

ولما كنا بمصر، وأتانا نعي مولانا الإمام الوالد رحمه الله ورضي عنه، أصابنا كربٌ شديدٌ، وبتنا بشرِّ ليلةٍ بكاءً وحزنًا أنا والأخ الأكبر والحاج الشكارة، وكنت أنظر إلى الوهابيِّ فأجده جامد الوجه، لم تنزل من عينه دمعةٌ، ثُمَّ بلغني أنه لما مات صاحبه الأنجري في حادث تصادمٍ، بكى عليه بكاء الثَّكْلَى!! ومما لاحظته عليه أنه لا يترحَّم على والده إذا جاء اسمه في خطاباته إلى حين كان يكاتبني، ورأيت هنا خطابًا له بخطِّه كتبه لبعض الإخوان ذكر فيه والده مرات، لم يقل فيها. رحمه الله، وهذه معصيةٌ وعقوقٌ؛ لأن الله تعالى يقول ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٤].

تتمَّة فيها مسائل

١- ابتدع هذا الوهَّابيُّ بدعةً شيطانيةً ليضمن بها التفاف أصحابه حوله، وعدم انصرافهم عنه. وهي ذات شِقَّين:

الشِّقُّ الأول: أنه كذب عليهم وأفهمهم أن مواصلة من يسميهم مبتدعة حرامٌ، فقاطعوا آبائهم وأمَّهاتهم وأصحابهم، وانعزلوا عن عامَّة المسلمين متقوقعين، بعد أن صاروا عَقَقَةً قاطعين، فضمن بهذا ألَّا يسمعوا كلام خصومه، ولو سمعوه مصادفةً لم يقبلوه.

والشِّقُّ الآخر: أنه حرَّم عليهم قراءة كتب غيره ممن يسميهم مبتدعةً. وأكَّد عليهم أن يمتنعوا عن قراءة كتبي بصفة خاصَّةٍ، وذلك حين علم بأني راجع من مصر، فحصرهم في دائرة معلوماته المخطئة غالبًا، والفاسدة أحيانًا. وصار يكذب عليهم ويظهر أمامهم بقوة الحُجَّة، فيقول لهم: إني رددت على خصومي، ولم يستطيعوا أن يردوا عليَّ، مع أنهم ردوا عليه وبيَّنوا جهله وخطأه لكن أصحابه لا يعلمون؛ لأنه سَدَّ في وجوههم باب القراءة والاطلاع بما ألقى في روعهم من كذبٍ وخداعٍ.

٢- هذا الوهَّابيُّ يبغض أخوته بدرجات متفاوتةٍ، فأنا أبغضهم إليه إطلاقًا بعد الأخ الأكبر، بحيث يود أن يعمى ولا يراني. وذلك لأسبابٍ تقتضي المحبَّة والألفة والاعتراف بالجميل، لكنها عنده توجب الكراهية الشديدة، والمصارمة التامة، والشتم القبيح:

١- أني أكبر، وهو يرى لنفسه حقًّا له على إخوته الصغار أن يحترموه، ويوقِّروه، ولا يرى مثل ذلك الحق لي عليه. بل أوسعني سبًّا وشتمًا بألفاظ

بذيئةٍ، تجرىٰ بين السُّقَّاط والسفلة.

٢- أني أستاذه، علمته النحو والأصول، وحين كان يؤلِّف رسالته في تحريمه حلق اللحية، كان يعرض عليَّ ما يكتبه منها صحيفة صحيفة، فأصلح له العبارة بحذف أو زيادة؛ لأنه كان حديث العهد بالكتابة، وكنت له مرشدًا ومُعَلِّمًا.

٣- أني نشرتُ له مقالات في "مجلة الإسلام"، أشهر مجلة إسلامية في ذلك الوقت، فشهرت اسمه وعرفه الناس بعد أن كان مغمورًا، وهو كَنُودٌ جَحَودٌ لا يعترف بفضلٍ لأحدٍ عليه حتَّىٰ والده العظيم رحمه الله ورضي عنه وقدس نوره.

و اشتد بغضه لي، وحنقه للأسباب الآتية:

١- كان في آخر شعبان ينشر وريقة يتحدَّىٰ فيها الذين يصومون مع المشرق بإشكال زعم أنه لا حل له، فأبطلته في جزء "التنصل والانفصال"، فلم يعد يذكره علىٰ لسانه ولا نشر تلك الوريقة بعده إذ تبيَّن له أنه كان ينطق بالمحال، وهو لا يشعر.

٢- أني تتبَّعت أغلاطه، وكشفتها لمن لا يعرفها فبيَّنت بالدليل والقواعد:

أنَّ حلق اللحية ليس بكبيرةٍ، وأنَّ تعليله بالتشبُّه بالنساء وبتغيير خلق الله مأخوذٌ من الألبانيِّ، وهو باطلٌ، وأنَّ قياس الحالق علىٰ المُتنمِّصة قياسٌ فاسدٌ؛ لأنه قياس منصوصٍ علىٰ منصوصٍ، والشرط في صحَّة القياس أن يقاس مسكوتٌ علىٰ منصوصٍ.

و أنَّ القصر في السفر رخصةٌ غير واجبةٍ، وأنَّ المسافر إذا صلَّىٰ خلف المتمِّ وجب عليه الإتمام، وأنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أتمَّ في السفر... إلىٰ

غير ذلك مما أفردته بمقال أو رسالةٍ.

أني واصلت متابعة أغلاطه رغم شتائمه القذرة ولم أبال بها، مع أنها سلاحه الذي اعتاد أن يسكت به خصومه، هربًا مِن قذائف لسانه المنتنة. ويتبجَّح بين أصحابه بأنه أسكت خصومه، ولكن بماذا أسكتهم؟!

فمثله كمثل الحُبَارَىٰ، تهربُ مِن الصقر فتَسْلَحُ عليه سَلْحًا خبيث الرائحة. وفي المثل: أَسْلَحُ مِن الحُبَارَىٰ في الخوف، فسَلْحُها سِلاحها!!.

وهو مع هذا كلِّه مصابٌ بحلم اليقظة، ولليقظة أحلام، كما أنَّ للنوم أحلامًا، وهذا مُقرَّرٌ في علم النفس.

وحلم اليقظة: أن يتمنَّىٰ الشخص حصول شيءٍ ويلح في تمنِّيه حتَّىٰ يُخيَّل إليه أنه قد وقع، فيتحدَّث عنه كأنه حقيقةٌ واقعةٌ، وما هو إلَّا حلم اليقظة.

وهذا الوهَّابيُّ تمنَّىٰ في نفسه أن أخرف ويذهب عقلي، وتلجلج ذلك في خاطره، حتىٰ قال عنِّي في بعض وريقاته أني خرف، ولا خرف ولا شيء، وإنما هو حلم يقظةٍ عنده، شفاه الله.

٤- له اجتهاداتٌ خرج بها عن جماعة المسلمين.

منها: صلاة الموظَّف في الكنيف محافظةً علىٰ الوقت!!

ومنها: بلع المريض الدواء بدون ماءٍ في رمضان ولا يفطر!!

ومنها: وجوب عقوق الوالدين أو أحدهما إذا كانا درقاويين أو أحدهما!!

ومنها: وجوب قطيعة الرحم كذلك!!

ومنها: لا يساعد الشخص أبويه المحتاجين إذا كان عنده أولاد وقد أخبر آباء وأمهات أنَّ أولادهم كانوا يساعدونهم فلما اتصلوا بالوهابي منعوا تلك

المساعدة تنفيذًا لوصيته.

وثبت في الصحيح عن أسماء بنت أبي بكرٍ أنَّ أُمَّها زارتها وطلبت مساعدتها وهي مشركةٌ، فسألت النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال لها: «**صِلِي أُمَّكِ**». أي ساعديها. صلىٰ الله عليك يا مَن قلت: «**ليس في ديننا قطيعة الرَّحِمِ**».

٥- كان قبل أن يتوهَّب، انشأ قصيدةً في مدح النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فلما اعتنق الوهَّابية وتعمَّق فيها، طلب تلك القصيدة ممن كانت عنده، فشطب عليها بالحبر شطبًا تامًّا، بحيث لم يترك منها حرفًا يقرأ، ويظهر أنه شطب عليها ندمًا علىٰ إنشائها، وهذا قبيحٌ جدًّا، لكنه أحسن من حيث أنه ستر عيبه في تلك القصيدة؛ لأنه لا يحسن الشعر ولا يعرف قواعده، فشعره ليس له ميزانٌ ولا قافيةٌ، ولا ينطبق عليه بحرٌ من بحور الشِّعْر. لكن ينطبق عليه ميزان القرع المعروف عند العامة، وهو:

خبز وزيتون ومغفرة، قتلتم الشيخ عثمان بن عفانا

أو: خبز وزيتون ومغفرة، وأبو الحسن والقمر

٦- ومن حِيَلِهِ المكشوفة عندي والتي لا يعرفها عنه غيري أنه إذا وجد خصمًا قويًّا أغلق عليه الباب في غلطةٍ مِن غلطاته الكثيرة وأحكم إغلاقه عليه بما أبدىٰ من دلائل وقواعد ولم يترك له منفذًا ينفذ منه، فماذا يفعل؟

يبحث عن نقطةٍ ضعفيةٍ في كلام خصمه لا تعلُّق لها بالموضوع، فيرد عليها، ويُطَنْطِن بردِّه ليوهم أصحابه أنه ردَّ علىٰ خصمه، أمَّا أن ينصف ويعترف بالحقِّ، فهذا عنده محالٌ، لا يقبله عقله أبدًا بحال.

مثال ذلك: وجدني أغلقت عليه باب الهرب، في كتاب "الصبح السافر"، بما قرَّرتُ فيه من بحوثٍ فوق مستواه، حتىٰ أنَّ بعض أهل العلم بمصر حين قرأه كتب إلىٰ يقول: إن كتابك كشف عن مسائل خفيت علىٰ ابن تيمية وابن القيِّم وغيرهما من كبار العلماء.

فعمد الوهَّابيُّ إلىٰ كلامي علىٰ شذوذ حديث ابن عبَّاسٍ: «إنَّ الله فرض الصلاة علىٰ لسان نبيِّكم علىٰ المسافر ركعتين، وعلىٰ المقيم أربعًا، والخوف ركعة». حيث ذكرت من وجوه شذوذه أنه صحَّ في صلاة الخوف أنواع ليس فيها صلاتها ركعة، ولو كانت الركعة واجبةٌ لما تركها النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم والصحابة.

فتعقَّب علىٰ كلامي بما نقله عن "الفتح" من ذكره روايةً تفيد أنَّ الصحابة صلوها ركعة وهي رواية أخرجها النَّسائيُّ، وضعَّفها الشافعيُّ، وصحَّحها ابن حِبَّان فكان تعقُّبه حُجَّةً عليه.

وبيان ذلك من وجوهٍ:

أنه اعترافٌ منه بأنَّ ما في كتابي كله صحيح إلَّا هذه المسألة، لأنه لو وجد فيه ما يتعقَّب غيرها لبادر إليه ولما سكت عنه.

أنَّ تلك الرواية لا تبطل كلامي بل تؤيِّده؛ لأن الصحابة إذا صلوا صلاة الخوف ركعة، في بعض الروايات، كان ذلك دليلًا علىٰ أنَّ الركعة ليست بفرضٍ.

وقد شعر الوهَّابيُّ بهذا فأجاب بأنَّ مراد ابن عبَّاسٍ فرضت صلاة الخوف ركعةً أي لمن اقتصر عليها.

هذا الجواب حُجَّةٌ عليه أيضًا؛ لأننا نقول: معنىٰ قول ابن عبَّاسٍ: فرض الله الصلاة في السفر ركعتين لمن اقتصر عليهما، ويكون الواجب في حقِّ المسافر الآمن أحد أمرين علىٰ التخيير: صلاة أربع ركعات، أو ركعتين.

والواجب في حقِّ المسافر الخائف أحد ثلاثة أمور علىٰ التخيير: صلاة أربع ركعات، أو ركعتين، أو ركعة، وهذا في باب الواجب المخير المعروف في علم الأصول.

لم يتعقَّب قولي في بيان شذوذ الحديث المذكور: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لم يصلِّ صلاة الخوف ركعةً قطُّ؛ لأنه لم يجد إلىٰ تعقُّبه سبيلًا. وهذا دليلٌ قاطعٌ علىٰ صحَّة قولي، والحمد لله.

٧- من المعقول أن يرجع الإنسان من خطأ إلىٰ صوابٍ ومِن سيِّءٍ إلىٰ حسنٍ، وهو مطلوبٌ شرعًا وعقلًا، أمَّا أن يرجع من صواب إلىٰ خطأ ومن حسنٍ إلىٰ سيئ فهذا غير معقول، وقد حصل من الوهَّابي بضع مرات:

كان عف اللسان، سليم الصدر، بسَّامًا بَشُوشًا، فلما توهَّب انتكس وصار شتَّامًا هَجَّامًا علىٰ إخوته خاصَّةً والمسلمين عامَّةً باللعن والقذف الصريح، حقودًا عليهم إلَّا من كان علىٰ رأيه عبوسًا قمطريرًا.

ردَّ علىٰ الألباني في تحريم الذهب علىٰ النِّساء وأصاب، ثُمَّ انتكس فقلَّده في ذلك الرأي القبيح، حتىٰ أنه -علىٰ ما بلغني- لعن العلماء الذين أباحوا الذهب للنِّساء بإطلاق.

رأيت له خطبة أنشأها في التحذير من ابن تيمية وآرائه الضالَّة، ثُمَّ توهَّب وانتكس وصار يترضَّى عنه ويقول كلما ذكره: قدس الله سِرَّه، مع أنَّ ابتداعه

معروفٌ لا يُنكِره إلَّا من أعماه التعصُّب.

والعجيب أنه[1] حارب البِدَعَ في الفروع وكان مُبتدِعًا في الأصول، فهو يعتقد قِدَم العالَم بالنوع، ويرىٰ أنَّ الله لو أراد لاستقرَّ علىٰ جناح بعوضةٍ، وكان ناصبيًّا يبغض عليًّا رضي الله عنه وينتقصه، وآذىٰ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بكلامه في فاطمة عليها السلام، حيث قال: «فيها شبه بالمنافقين»، إلىٰ غير ذلك من الطامَّات القبيحة.

وجميع البدع الفرعية التي أنكرها وحاربها لا تصل إلىٰ قبح بدعة اعتقاد قِدَم العالَم بالنوع، وإذاية النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في بنته، وبغض عليٍّ عليه السلام.

فابن تيمية يصدق عليه الحديث: «**يُبْصِرُ أَحَدُكُمْ القَذَاةَ فِي عَيْنِ أَخِيهِ، ويَدَعُ الجِذْعَ فِي عَيْنِهِ**».

---

(١) أي: ابن تيمية.

٦- قَمْعُ الأَشْرَارِ عن جَرِيمَةِ الانْتِحَارِ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيِّدنا محمَّدٍ وآله الأكرمين.

أمَّا بعد: فإني لَمَّا رأيتُ حوادث الانْتِحَار شاعت في البلاد المصرية شيوعًا عظيمًا بين الكهول والشُّبَّان من مختلف الطبقات[1]، وفشا فيهم استحسان ذلك حتى صار أكثرهم يعد من قتل نفسه شهمًا شُجاعًا، جمعتُ هذا الكتاب، وبيَّنتُ فيه حكم الانتحار، وما ورد في شأنه من الوعيد الشديد؛ عسى أن يهدي الله به أحدًا فيكون ذلك خيرًا لي مما طلعت عليه الشمس كما جاء في الحديث[2].

---

(١) أَلَّفت هذه الرسالة سنة ١٣٥٢هـ أو ٥٣ وهي سنةٌ كَثُر فيها المُنتحِرون بشكلٍ فظيعٍ، فلم يكن يمرُّ علينا يومٌ دون أن نقرأ في الجرائد أو نسمع من الناس خبر شابٍّ انتحر لرسوبه في الامتحان، أو كهلٍ ضاقت ذات يده، أو مريضٍ استعصى مرضه، أو عاشقٍ أخفق في عِشْقِهِ، أو بنتٍ أحرقت نفسها لأن أهلها زوَّجوها ممن لا تحبه، أو امرأةٍ لأن زوجها تزوَّج عليها، أو نحو ذلك من مختلف الأسباب.

(٢) وهو حديث أبي رافع مرفوعًا: «**لأن يَهْدِيَ اللهُ على يَدَيْكَ رَجُلًا خيرٌ لك مِمَّا طَلَعَتْ عليه الشَّمْسُ وغَرَبَتْ**». ورواه الطبرانيُّ وغيره. وهو حديثٌ حسنٌ، وفي "الصحيحين" عن سهل بن سعدٍ أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال لعليٍّ عليه السلام لَمَّا أعطاه الراية يوم فتح خيبر: «**لأن يَهْتَدِيَ بِكَ رَجُلٌ واحدٌ خيرٌ لك مِن حُمْرِ النَّعَمِ**». و«**حُمْرُ النَّعَم**» هي الإبل الحُمْر، وهي أنفَسُ أموال العرب، يضربون بها المثل في نَفَاسَة الشيء، وأنه ليس شيءٌ أعظم منه. قاله النوويُّ.

ورتَّبته على بابين وسمَّيته: "قَمْعُ الأَشْرَارِ عن جَريمَةِ الانْتِحَارِ".

واللهَ أسألُ أن ينفعَ به، إنه الجواد الكريم.

ومعنى الحديثين أن من كان سببًا في هداية شخصٍ إلى طريق الرَّشاد فإنَّ ذلك خيرٌ له من أن تكون له الدُّنيا بما فيها من نَفَائِس الأموال وذخائر الأعلاق. قال المناويُّ: «لأن الهدى على يديه شعبة من الرسالة فله حظ من ثواب الرسل».اهـ

الباب الأول

في النهي عن الانتحار وما جاء من الوعيد في فعله

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: ٢٩ - ٣٠] فهذه الآية تنهى عن قتل الإنسان نَفْسَهُ كما أوَّلها عمرو بن العاص بمسمعٍ من النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فأقرَّه.

وذلك فيما أنبأنا أبو عبدالله محمد إمام بن برهان الدين أبي المعالي إبراهيم السقَّا: أنا أبي: أنا ثعيلب: أنا الشهاب أحمد بن عبد الفتاح الملويُّ: أنا عبدالله بن سالم البصريُّ: أنا شمس الدين محمد بن علاء الدين البابليُّ: أنا سالم بن محمد السنهوريُّ.

(ح) وأنبأنا عاليًا محمد كمال الدين وأبو النصر ابنا أبي المحاسن القاوقجيُّ قالا: أنا والدنا قال: أنا عابد السِّنديُّ: أنا صالح الفُلَّانيُّ: أنا الشريف محمد بن عبدالله المغربيُّ قالا: أنا الشمس العلقميُّ: أنا الجلال السيوطيُّ الحافظ: أنا محمد بن مقبلٍ الحلبيُّ: أنا الصلاح بن أبي عمر المقدسيُّ: أنا الفخر بن البخاريِّ: أنا حنبل بن عبدالله بن الفرج المكيُّ: أنا أبو القاسم هبة الله بن محمد بن عبدالواحد بن الحصين: أنا أبو عليٍّ الحسن بن عليِّ بن المذهب: أنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعيُّ قال: حدَّثنا عبدالله بن الإمام أحمد بن حنبلٍ: حدَّثني أبي: ثنا حسن بن موسى: ثنا ابن لَهيعة: ثنا يزيد بن أبي حبيبٍ، عن عمران بن أبي أنسٍ، عن عبدالرحمن بن جُبيرٍ، عن عمرو بن العاص، أنه قال لما بعثه النبيُّ

صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عام ذات السلاسل[١] قال: احتلمت في ليلةٍ باردة شديدة البرد فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك؛ فتيمَّمتُ ثُمَّ صليتُ بأصحابي صلاة الصبح.

قال: فلمَّا قدمنا على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ذكرت ذلك له، فقال: «**يا عمرو، صَلَّيتَ بأَصْحَابِكَ وأنت جُنُبٌ؟!**»[٢] قال: قلتُ: يا رسول الله، إني احتلمت في ليلةٍ باردةٍ شديدة البرد، فأشفقتُ إن اغتسلتُ أن أَهْلَك فذكرتُ قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩] فتيمَّمتُ ثُمَّ صليتُ. فضَحِكَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ولم يقل شيئًا[٣]. وهكذا رواه أبو داود قال ثنا ابن المثنَّى: نا وهب بن جريرٍ: نا أبي قال: سمعت يحيى بن أيوب يُحدِّث عن يزيد بن أ بي حبيبٍ، عن عمران بن أبي أنسٍ، عن عبد الرحمن بن جبيرٍ، عن عمرو بن العاص، مثله[٤].

---

(١) ذات السلاسل موضع وراء وادي القرى، وكانت غزوة ذات السلاسل في شهر جمادى الأولى سنة ثمانٍ من الهجرة.

(٢) فيه دليلٌ للمالكية والشافعية على أنَّ التيمَّم لا يرفع الحدث وإنما يبيح الصلاة، وفيه أيضًا دليل على صحَّة اقتداء المُتوضِّئ بالمتيمَّم.

(٣) فيه دليلٌ لمالك وأبي حنيفة ومن قال بقولهما أنَّ مَن تيمَّم لشدَّة البرد مخافة الهلاك لا تجب عليه إعادة الصلاة؛ لأن النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أقرَّ عمرًا على ما فعل، ولم يأمره بإعادة صلاة الصبح، ثُمَّ محل جواز التيمُّم لشدَّة البرد إذا لم يمكن تسخين الماء أو استعماله على وجهٍ يُؤمَن معه الضرر، أمَّا إذا أمكن ذلك فالتيمُّم لا يُجزء اتفاقًا.

(٤) هذا الإسناد قويٌّ كما قال الحافظ، لكن حصل اضطرابٌ فيه وفي المتن، حيث رواه

وقال أيضًا: ثنا محمد بن سلمة: نا ابن وهبٍ، عن ابن لَهيعة وعمرو بن الحرث، عن يزيد بن أبي حبيبٍ، عن عمران بن أبي أنسٍ، عن عبدالرحمن بن جبيرٍ، عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص: أنَّ عمرو بن العاص كان على سَرِيَّة. وذكر الحديث نحوه، غير أنه لم يذكر التيمُّم، وذكر أنه غسل مغابنه وتوضَّأ وضوءه للصلاة وصلَّى بهم.

قال الحافظ ابن كثيرٍ: «هذا -والله اعلم- أشبه بالصواب».اهـ

قلت: يعني أنَّ ذكر أبي قيس في السند أشبه بالصواب من إسقاطه، وذلك لما قيل: إن عبدالرحمن بن جبيرٍ لم يسمع من عمرو بن العاص، وقيل: بل سمع منه، ويؤخذ من صنيع الحافظ في "تهذيب التهذيب" ترجيحه.

وللحديث طريقٌ آخَر، عن ابن عبَّاسٍ ذكره ابن مَرْدُويَه في "تفسيره"

أبو داود والحاكم من طريق يحيى بن أيوب، وأحمد من طريق ابن لَهيعة، كلاهما عن يزيد بن أبي حبيب، عن عمران، عن عبد الرحمن، عن عمرو به، مرفوعا.

ورواه أبو داود والحاكم أيضًا وابن حِبَّان، من طريق عمرو بن الحرث، عن يزيد بن أبي حبيبٍ بالسند نفسه، غير أنه قال: عن عبد الرحمن، عن أبي قيس، عن عمرٍو.

ولم يذكر في الحديث التيمُّم، بل ذكر أنه غسل مغابنه وتوضَّأ، وهي مخالفةٌ ظاهرةٌ، وكنت أظنُّ أنَّ البخاريَّ علَّق الحديث بصيغة التمريض لهذا، لكني وجدت الحافظ يقول: «علَّقه بالتمريض لأنه اختصره»، ويمكن الجمع بين الروايتين المختلفتين، أمَّا في السند فبأن يجعل ذكر أبي قيس من المزيد في متصل الأسانيد، وهو لا يضر، وأمَّا في المتن فبأن يحمل -كما قال البيهقيُّ- على أنه فعل ما في الرِّوايتين جميعًا، فيكون قد غسل ما أمكن وتيمَّم للباقي، قال النوويُّ: «وهذا الجمع مُتعيِّن».

فقال: ثنا عبدالرحمن بن محمد بن حامد البلخي: ثنا محمد بن صالح بن سهلٍ البلخيُّ: ثنا عبيد الله بن عمر القواريريُّ: ثنا يوسف بن خالدٍ: ثنا زياد بن سعدٍ، عن عكرمة، عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ عمرو بن العاص صلَّى بالناس وهو جُنُبٌ، فلما قَدِمُوا على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ذكروا ذلك له، فسأله عن ذلك فقال: يارسول الله، خِفْتُ أن يقتلني البردُ، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩] فسكت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

يوسف بن خالدٍ: هو السمتيُّ ضعيفٌ جدًّا، بل كذَّبه يحي بن معينٍ.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا﴾ [النساء: ٣٠] هو راجعٌ إلى النهي قبله كما قال عطاء فيما رواه عن ابن جريجٍ، وقال غيره: بل هو راجعٌ إلى جميع ما تقدَّم من قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ [النساء: ٢٣] الآيات، إلى قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩].

وعلى كلٍّ فالوعيد المذكور في الآية شاملٌ لقتل الإنسان نفسه إمَّا بطريق الخصوص أو العموم، فإن قيل: ورد عن أبي صالحٍ وعطاء والحسن ومجاهد وعكرمة أنهم قالوا: معنى ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾: لا يقتل بعضكم بعضًا، وقال غيرهم: معناه لا تقتلوا أنفسكم بارتكاب محارم الله وتعاطي معاصيه فكيف التوفيق بين هذين التأويلين وبين التأويل الأول؟

قلنا: لو كانت المسألة من باب التعارض لرجَّحنا التأويل الأول؛ لأنه في حكم المرفوع، ولكنه لا تعارض بل الآية شاملةٌ للمعاني المذكورة كلها؛ لأن

الفعل فيها مُتضمِّن لمصدرٍ مُنكَرٍ، والنَّكِرة في سِياق النفي والنهي ونحوهما تفيد العموم بطريق الوضع على ما عرف من الأصول.

قال التاج ابن السُّبكيِّ في "جمع الجوامع" ما نصُّه: «والنَّكِرة في سِياق النفي للعموم وضعًا، وقيل لزومًا وعليه الشيخ الإمام»، زاد شارحه: «كالحنفية».

وقال الشوكانيُّ في "إرشاد الفحول" بعد أن ذكر أيضًا النكرة في سياق النفي تعمُّ وَضْعًا، واستدل له بوجهين ما لفظه: «واعلم أنَّ حُكْم النَّكِرة الواقعة في سياق النهي حكم النكرة الواقعة في سياق النفي».اهـ

فصل

أخرج البخاريُّ من طريق أبي الزِّناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**الذي يَخْنُقُ نَفْسَهُ يَخْنُقُها في النَّارِ، والذي يَطْعُنُها يَطْعُنُها في النَّارِ**».

وأخرجه البيهقيُّ في "الشعب" ولفظه: «**الذي يَخْنُقُ نَفْسَهُ في النَّارِ، والذي يَقْتَحِمُ يَقْتَحِمُ في النَّارِ، والذي يَطْعُنُ نَفْسَهُ يَطْعُنُ نَفْسَهُ في النَّارِ**».

يَخنُق، ويَطعُن: بفتح أولهما وضم ثالثهما، والخنق والطعن معروفان، والاقتحام: أن يرمي الشخص بنفسه في الأمر من غير رَوِيَّةٍ، يقال: اقتحم عقبةً أو حفرةً، أي رمى بنفسه فيها، وتقحَّمها مثله.

ومعنى الحديث: أنَّ من قتل نفسه بخنقٍ أو طعنٍ أو اقتحامٍ عُذِّب به يوم القيامة في النار، وهذا وعيدٌ شديدٌ نسأل الله السلامة والعافية.

وأخرج البخاريُّ من طريق الأعمش قال: سمعت ذكوان -يعني أبا صالح السمان- يُحدِّث عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن تَرَدَّى مِن جَبَلٍ فقَتَلَ نَفْسَهُ فهو في نَارِ جَهَنَّمَ، يَتَرَدَّى فيه خالِدًا مُخَلَّدًا فيها أَبَدًا، ومَن تَحَسَّى سُمًّا فقَتَلَ نَفْسَهُ فسُمُّهُ في يَدِهِ، يَتَحَسَّاهُ في نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فيها أَبَدًا، ومَن قَتَلَ نَفْسَهُ بحَدِيدَةٍ فحَدِيدَتُهُ في يَدِهِ يَجَأُ بها في بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، خالِدًا مُخَلَّدًا فيها أَبَدًا**».

وأخرجه مسلمٌ والترمذيُّ وابن مَرْدُويَه من هذا الطريق بلفظ: «**مَن قَتَلَ نَفْسَهُ بحَدِيدَةٍ فحَدِيدَتُهُ في يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بها في بَطْنِهِ في نَارِ جَهَنَّمَ خالِدًا مُخَلَّدًا فيها أَبَدًا، ومَن**

شَرِبَ سُمًّا فقتَلَ نَفْسَهُ فهو يَتَحَسَّاهُ في نَارِ جَهَنَّمَ خالِدًا مُخَلَّدًا فيها أبَدًا، ومَن تَرَدَّى مِن جَبَلٍ فقتَلَ نَفْسَهُ فهو يَتَرَدَّى في نَارِ جَهَنَّمَ خالِدًا مُخَلَّدًا فيها أبَدًا».

التحسِّي: شرب الماء ونحوه في مهلةٍ، فمعنىٰ تحسَّىٰ سُمًّا: شربه، ويتوجَّأ بها أي يضرب نفسه بها.

وأخرج البخاريُّ ومسلمٌ من طريق يحيىٰ بن أبي كثيرٍ، عن أبي قِلابة: أنَّ ثابت بن الضَّحَّاك وكان من أصحاب الشجرة رضي الله عنه، حدَّثه أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن حَلَفَ على**[1] **مِلَّةٍ غير الإسلام كاذبًا فهو كما قال، وليس على ابن آدم نَذْرٌ فيما لا يَمْلِك، ومَن قَتَلَ نَفْسَهُ في الدُّنيا عُذِّبَ به يومَ القِيامَةِ، ومَن لَعَنَ مُؤْمِنًا فهو كقَتْلِهِ ومَن قَذَفَ مُؤْمِنًا بكُفْرٍ فهو كقَتْلِهِ**». هذا لفظ البخاريِّ في إحدىٰ الروايات.

ولفظ مسلم في إحداها أيضًا من طريق يحيىٰ بن أبي كثيرٍ قال: حدَّثني أبو قِلابة،

---

(١) «علىٰ» بمعنىٰ «الباء» للتعدية كما جاء مُفسَّرًا في رواية أخرىٰ في "الصحيحين" أيضًا ولفظها: «**مَن حَلَفَ بمِلَّةٍ سِوى الإسلام كاذبًا مُتعمِّدًا فهو كما قال**»، والحلف بغير الإسلام أن يقول: «هو يهوديٌّ أو نصرانيٌّ إن فعل كذا» أو «يكون كافرًا إن كان حصل كذا» ونحو ذلك.

وفي الحديث وعيدٌ شديدٌ عليه، بل ظاهره أنَّ من حلف بذلك يكون كافرًا كما قال، وهو محمولٌ علىٰ ما إذا أراد الكفر وأضمره بقلبه، أو قصد تعظيم المِلَّة التي حلف بها؛ لأن إرادة الكُفْر أو تعظيمه كلٌّ منهما كفرٌ، فإن قصد مجرَّد الابتعاد من فعل المحلوف عليه فلا يكفر. وهل تجب عليه كفارة يمينٍ أو لا؟ قولان، الحنفية والثوريُّ والأوزاعيُّ وأحمد علىٰ الأول، والجمهور علىٰ الثاني.

عن ثابت بن الضَّحَّاك، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ليس على رَجُلٍ نَذْرٌ فيما لا يَمْلِكُ ولَعْنُ المُؤْمِنِ كقَتْلِهِ، ومَن قَتَلَ نَفْسَهُ بشيءٍ في الدُّنيا عُذِّبَ به يومَ القِيامَةِ، ومَن ادَّعى دَعْوَى كاذِبةً ليَتكثَّر بها لم يزده الله إلَّا قِلَّـةً، ومَن حَلَفَ على يمينٍ صَبْرٍ**[1] **فاجِرَةٍ**». أي لم يزده الله إلَّا قِلَّةً فحذف الخبر من الجملة الثانية لدلالة خبر الجملة الأولى عليه، وللحديث في "الصحيحين" ألفاظٌ وطرقٌ.

وكذا أخرجه الترمذيُّ وقال: «حسنٌ صحيحٌ» ولفظه: «**ليس على العَبْدِ نَذْرٌ فيما لا يَمْلِكُ، ولَاعِنُ المُؤْمِنِ كقَاتِلِهِ، ومَن قَذَفَ مُؤْمِنًا بكُفْرٍ فهو كقَاتِلِهِ، ومَن قَتَلَ نَفْسَهُ بشيءٍ عَذَّبَهُ اللهُ بما قَتَلَ به نَفْسَهُ**».

وروى الشيخان -واللفظ لمسلمٍ- عن سهل بن سعدٍ الساعديِّ رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم التقى هو والمشركون فاقتتلوا، فلمَّا

---

(١) «**يمين صَبْرٍ**»: بالإضافة، وأصل الصبر الحبس والإمساك، ويمين الصبر هي اللازمة لصاحبها من جهة الحكم، فيصبر من أجلها إلى أن يحبس، قاله الخطَّابيُّ. وورد تسميتها باليمين المصبورة في حديث رواه أبو داود والحاكم عن عمران بن حصينٍ، وباليمين الصابرة في حديث رواه أحمد، عن أبي هريرة.

وفي الحديث من الأحكام والفوائد: غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، وتحريم لَعْنِ المؤمن ورميه بالكفر، واليمين الفاجرة التي يقتطع بها مال غيره، والحلف بغير الإسلام، وقوله في الحديث: «كاذبًا» قال النوويُّ: «ليس للتقييد بل هي حال لازمة؛ لأن الحالف بملَّةٍ غير الإسلام إمَّا أن يكون معتقدًا تعظيم ما حلف به فهو كاذب في اعتقاده، وإمَّا أن يكون غير معتقدٍ تعظيمه فهو كاذب في الصورة؛ لأنه عظَّمه بالحلف به، فهو دائمًا كاذب». وفيه أنه لا يصح النذر فيما لا يملكه الشخص ولا يلزمه بنذره ذلك شيءٌ.

مال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى عَسْكَرِهِ ومال الآخرون إلى عسكرهم، وفي أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رجلٌ لا يدع لهم شاذَّةً إلَّا اتبعها يضربها بسيفه، فقالوا ما أجزأ منا اليوم أحدٌ كما أجزأ فلانٌ، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أمَا إنه مِن أَهْلِ النَّارِ**».

فقال رجلٌ من القوم أنا صاحبه أبدًا، قال: فخرج معه، كلَّما وقف وقف معه وإذا أسرع أسرع معه، قال: فجُرح الرجل جُرْحًا شديدًا فاستعجل الموتَ فوَضَعَ نَصْلَ سَيْفِهِ بالأرض وذُبابَهُ بين ثَدْيَيْهِ ثُمَّ تحامل عليه فقَتَلَ نَفْسَهُ.

فخرج الرجل إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: أشهد أنك رسول الله. قال: «**وما ذاك؟**» قال: الرجل الذي ذكرت آنِفًا أنه من أهل النَّار، فأعظم الناس ذلك، فقلت: أنا لكم به، فخرجت في طلبه حتى جُرِحَ جُرْحًا شديدًا، فاستعجل الموتَ فوضع نَصْلَ سيفه بالأرض وذُبابَهُ بين ثدييه، ثُمَّ تحامل عليه فقَتَلَ نَفْسَهُ.

فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عند ذلك: «**إنَّ الرَّجُلَ ليَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الجنَّةِ فيما يَبْدُوا للنَّاسِ، وهو مِن أَهْلِ النَّارِ، وإنَّ الرَّجُلَ ليَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ فيما يَبْدُو للنَّاسِ، وهو مِن أَهْلِ الجنَّةِ**».

ورَوَيَا أيضًا -واللفظ للبخاريِّ- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: شهدنا خيبر، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لرجل ممن معه يَدَّعِي الإسلام: «**هذا مِن أَهْلِ النَّارِ**». فلمَّا حَضَرَ القتالُ قاتل الرَّجُلُ أشدَّ القتال حتَّى كَثُرتْ به الجِراحَةُ، فكاد بعض الناس يَرْتابُ، فوجَدَ الرجل ألم الجراحة فأهوى بيده إلى كِنانَتِهِ فاستخرج منها أَسْهُمًا فنَحَرَ نَفْسَهُ، فاشتدَّ رجالٌ من المسلمين

فقالوا: يارسول الله، صَدَقَ اللهُ حديثك، انتحر فلانٌ فقَتَلَ نَفْسَهُ، فقال: «**قُمْ يافلان فأذِّن أنه لا يدخلُ الجنَّةَ إلَّا مُؤمِنٌ، إنَّ اللهَ يؤيِّدُ الدِّين بالرَّجُلِ الفَاجِرِ**».

وأخرج البخاريُّ ومسلمٌ، عن الحسن البصريِّ قال: حدَّثنا جُنْدُبُ بن عبدالله في هذا المسجد -يعني مسجد البصرة- وما نسينا منذ حدَّثنا، وما نخشىٰ أن يكون جُنْدُبُ كَذَبَ علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**كان فيمَن قَبْلَكُم رَجُلٌ به جُرْحٌ فجَزِعَ، فأَخَذَ سِكِّينًا فحَزَّ بها يَدَهُ، فما رَقَأَ الدَّمُ حتَّى ماتَ، قال الله عزَّ وجلَّ: بادَرَني عبدي بنَفْسِهِ؛ حَرَّمْتُ عليه الجنَّـةَ**». هذا لفظ البخاريِّ.

ولفظ مسلمٍ: «**أنَّ رَجُلًا ممَّن كان قبلك خَرَجَتْ به قُرْحَةٌ، فلمَّا آذَتْهُ انتَزَعَ سَهْمًا من كِنانَتِهِ فنَكَأَها فلم يَرْقَأ الدَّمُ حتَّى ماتَ، قال ربُّكُم: قد حَرَّمْتُ عليه الجَنَّـةَ**».

فصل

صريح ما تقدَّم من الأحاديث يقتضي أنَّ الانتحار كبيرةٌ، بل من أكبر الكبائر؛ لأن مااشتملت عليه تلك الأحاديث من الوعيد مثل التخليد في النار وتحريم الجنَّة، ما ورد إلَّا في معاصي قليلةٍ عدَّها العلماء بسببه من أكبر الكبائر، فعدُّ هذا منها واضحٌ، واقتصر جماعةٌ من العلماء علىٰ عدِّه كبيرة، منهم الإمامان تقيُّ الدين ابن دقيق العيد، ومحي الدين النواويُّ، والفقيه ابن حجرٍ الهيتميُّ.

والمعنىٰ في ذلك ما ذكره التقي ابن دقيق العيد: «أنَّ نَفْسَ الإنسان ليست مِلْكًا له وإنما هي ملك لله تعالىٰ؛ فلا يتصرَّف فيها إلَّا بما أذن الله».اهـ

ولما فيه أيضًا من الجَزَع والتسخُّط لقضاء الله، واليأس من روحه ورحمته؛ لأن الشخص لا يُقْدِم علىٰ قتل نَفْسِهِ إلَّا إذا نزلت به مصيبةٌ، فيطيش لها عقله

وينسَىٰ أن ما نزل به أمرٌ قدَّره الله وقضاه، وأنه إن صَبَرَ فرَّج الله عنه، كما جاء بذلك القرآن والحديث، فتُظْلِم عليه الدُّنيا حينئذٍ، ويستولي عليه الجَزَعُ واليأس، فلا يجد عند ذلك مُخلِّصًا إلَّا قتل نَفْسِهِ، يرىٰ بذلك أنه أراحها، ولا يدري أنه بفعله قدَّمها لعذابٍ دائمٍ مستمرٍّ، لا يفتر عنه طرفة عينٍ إلَّا أن يتداركه الله بلُطْفِه ورحمته.

فصل

ثُمَّ ما ذكرناه من أنَّ الانتحار كبيرةٌ متفقٌ عليه بالنسبة للمنتحِر المعصوم الدم، وهو الذي لم يفعل ذنبًا يوجب قتله شرعًا، فأمَّا إذا كان المنتحِر مُهدَر الدم، كأن كان زانيًا مُحصَنًا، أو قاتل نفسٍ مسلمةٍ بغير حَقٍّ، فاختلف هل يكون الانتحار في حَقِّه كبيرةً أو لا؟ فاختار الإمام عزُّ الدين ابن عبدالسلام أنه صغيرةٌ، قال ذلك في فتاويه الموصلية، وهي جملة أسئلة بعث بها إليه خطيب الموصل شمس الدين عبدالرحيم، عرف بابن الطوسي جاء في أولها: «هل يجوز للمكلَّف قتل نَفْسِهِ إذا علم أنه أتىٰ ما يوجب القتل أو يستحب أو يحرم؟ فإذا فعل ذلك هل يُسمَّىٰ بَرًّا أو فاسِقًا؟».

فأجابه عزُّ الدين بما هذا لفظه: «مَن تحتَّم قتله بذنبٍ من الذنوب لم يجز له أن يقتل نَفْسَهُ، وستره علىٰ نفسه أولىٰ به، وإن أراد تطهير نفسه بالقتل فليقر بذلك عند وليِّ الأمر ليقتله علىٰ الوجه الشرعيِّ، فإن قتل نَفْسَهُ لم يجز له ذلك، لكنه إن قتل نَفْسَهُ قبل التوبة كان ذنبه صغيرة؛ لافتئاته علىٰ الإمام، ويلقىٰ الله فاسقًا بالجريمة الموجبة للقتل، فإن قتل نفسه بعد التوبة فإن جعلت توبته مسقطة لقتله فقد لقي الله فاسقًا بقتل نَفْسِهِ؛ لأنه قتل نفسًا معصومةً، وإن قلنا

لا يسقط قتله بتوبته لقي الله عاصيًا بافتئاته على الأئمَّة، ولا يأثم بذلك إثم مرتكب الكبائر؛ لأنه فوت حياة يستحقُّ الله تفويتها، وأزهق نفسًا يستحقُّ الربُّ إزهاقها، وكان الأصل يقتضي أن يجوز للآحاد القيام بحقِّ الله في ذلك، لكن الشرع فوَّضه للأئمَّة كي لا يفرط الاستبداد به في الفتن».اهـ

واستظهر ابن حجرٍ الهيتميُّ أن قتل المُهدَر لنَفْسِهِ كبيرةٌ أيضًا، قال لأن الإنسان وإن أُهدِر دمه لا يباح له هو إراقته، بل لو أراقه لا يكون كفَّارةً له؛ لأنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إنما حكم بالكفَّارة على من عُوقِب بذنبه، وأمَّا من عاقب نَفْسَهُ فليس في معنى من عُوقِب».اهـ

وهذا هو الصواب؛ لأن الأحاديث التي ذكرناها عامَّةٌ، وإخراج المُهدَر منها يحتاج إلى دليلٍ، ولم يُنقَل عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ما يُخصِّص تلك الأحاديث، فوجب التمسُّك بعمومها، والله أعلم.

فصل

تمسَّكتِ المعتزلة لدعواهم المعروفة، وهي أنَّ مُرتَكِبَ الكبيرة يَخْلُد في النَّار(١) بقوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في حديث أبي هريرة: «**خالِدًا مُخلَّدًا فيها**

---

(١) وهي دعوى باطلةٌ؛ يردُّها القرآن والسُّنَّة المتواترة المقطوع بها وإجماع أهل السُّنَّة، أمَّا القرآن فقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] مع قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥] وقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾﴾ [الزلزلة: ٧] والإيمان عمل خيرٍ لا بد له من جزاء، ولا يمكن أن يرى

جزاءه قبل دخول النار ثُمَّ يدخلها مُخَلَّدًا، لأنه باطلٌ بالإجماع، فتعيَّن الخروج من النار لقوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [التوبة: ٧٢] وآيات من هذا القبيل.

وأمَّا السُّنَّة: ففي "الصحيح" عن عبادة بن الصامت، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «مَن شَهِدَ أن لا إله إلَّا الله وأنَّ محمَّدًا رسول الله؛ حَرَّمَ اللهُ عليه النَّارَ». أي الخلود فيها.

وفي "الصحيح" أيضًا عن عبادة مرفوعًا: «مَن قال: أَشْهَدُ أن لا إله إلَّا الله وحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، وأنَّ مُحمَّدًا عبده ورسوله، وأنَّ عيسى عبد الله وابن أَمَتِهِ، وكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إلى مريمَ ورُوحٌ مِنْهُ، وأنَّ الجنَّة حَقٌّ، وأنَّ النَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ الجنَّـةَ على ما كان مِن عَمَلٍ».

وفي "الصحيح" أيضًا عن أبي هريرة مرفوعًا: «أَشْهَدُ أن لا إله إلَّا الله وأنِّي رسول الله، لا يَلْقَى اللهَ بهما عَبْدٌ غير شاكٍّ فيهما إلَّا دَخَلَ الجنَّـةَ».

ورواه ابن فيل والطبرانيُّ والحاكم وصحَّحه على شرط الشيخين وأقرَّه الذهبيُّ، من حديث أبي عمرة الأسديِّ وصحَّحه ابن حِبَّان أيضًا.

وفي "الصحيح" أيضًا عن عثمان مرفوعًا: «مَن ماتَ وهو يَعْلَمُ أنَّه لا إله إلَّا اللهُ دَخَلَ الجنَّـةَ». والمراد: لا إله إلَّا الله مع قرينتها محمَّدٌ رسول الله، بدليل ما تقدَّم وما سيأتي.

وفي "الصحيح" عن معاذ بن جبلٍ مرفوعًا: «ما مِن عَبْدٍ يَشْهَدُ أن لا إله إلَّا اللهُ وأنَّ محمَّدًا عَبْدُه ورَسُولُهُ إلَّا حَرَّمَهُ اللهُ على النَّارِ».

وفي "الصحيح" أيضًا عن عتبان بن مالكٍ مرفوعًا: «لا يَشْهَدُ أحدٌ أن لا إله إلَّا الله وأنِّي رسول الله فيَدْخُلَ النَّارَ أو تَطْعَمُهُ».

وفي "الصحيح" عن جابرٍ مرفوعًا: «مَن لَقِيَ اللهَ لا يُشْرِكُ به شيئًا دَخَلَ الجنَّـةَ، ومَن لَقِيَهُ يُشْرِكُ به دَخَلَ النَّارَ».

وعن أبي ذرٍّ مرفوعًا: «أتاني جبريلُ عليه السلام فقال: بَشِّرْ أُمَّتكَ أنه مَن ماتَ لا يُشْرِكُ بالله شيئًا دَخَلَ الجنَّـةَ، قلت: ياجبريل وإن سَرَقَ وإن زَنَى؟، قال: نعم، قلت: وإن سَرَقَ وإن زَنَى؟ قال: نعم، وإن شَرِبَ الخَمْرَ». وله لفظٌ آخَر في "الصحيحين" أيضًا.

وروى البزَّار والطبرانيُّ بإسنادٍ صحيحٍ عن أبي هريرة مرفوعًا: «مَن قال: لا إله إلَّا الله، نَفَعَتْهُ يومًا مِن دَهْرِهِ يُصِيبُهُ قبل ذلك ما أَصابَهُ».

وقال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «شَفاعَتِي لأَهْلِ الكَبائِرِ مِن أُمَّتي». رواه الترمذيُّ وابن خزيمة والحاكم من طريق قتادة عن أنسٍ، ورواه أحمد وأبو داود وابن خزيمة من طريق مالك بن دينارٍ، عن أنسٍ، ومن طريق يزيد الرَّقاشِيِّ وزياد النميريِّ كلاهما عنه، ورواه ابن خزيمة وابن حِبَّان والحاكم والبيهقيُّ من طريق محمدٍ الباقر عن جابرٍ، ورواه البيهقيُّ من طريق الشعبي عن كعب بن عجرة، ورواه البيهقيُّ وابن عديٍّ من حديث ابن عمر، ورواه عبدالرزَّاق عن مَعْمَرٍ عن ابن طاوس عن أبيه.

وصحَّحه الترمذيُّ وابن حِبَّان والحاكم والبيهقيُّ والذهبيُّ والسخاويُّ والسيوطيُّ وغيرهم من الحفَّاظ، وهو حديثٌ مشهورٌ مستفيضٌ.

وعن ابن عمر مرفوعًا: «خُيِّرتُ بين الشَّفاعَةِ أو يَدْخُلُ نِصْفُ أُمَّتي الجنَّـةَ فاخْتَرتُ الشَّفاعَةَ؛ لأنها أَعَمُّ وأَكْفَى، أَمَّا إنها ليست للمؤمنين المُتقين، ولكنها للمُذنبين الخطَّائين المُتلوِّثين». رواه أحمد والطبرانيُّ بإسنادٍ صحيحٍ.

وفي "صحيح مسلم" عن أبي سعيدٍ مرفوعًا: «أَمَّا أهلُ النَّارِ الذين هُمْ أَهْلُها، فإنهم لا يَمُوتُونَ فيها ولا يَحْـيَوْنَ، ولكنْ نَاسٌ أصابَتْهُمُ النَّارُ بذُنُوبِهِم -أو قال بخَطاياهُم- فأماتَهُم إمَاتَةً حتَّى إذا كانوا فَحْمًا، أَذِنَ بالشَّفاعَةِ، فجِيءَ بهم ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ، فبُثُّوا على أنهارِ الجنَّة، ثُمَّ قيل: يا أهلَ الجنَّة، أَفيضُوا عليهم، فيَنْـبُتُونَ نباتَ الحِبَّةِ تكون في حَمِيلِ السَّيْلِ».

وهو في "صحيح البخاري" بلفظٍ آخَر والمعنى واحدٌ.

وأحاديث الشفاعة المُصرِّحة بإخراج عصاة المؤمنين مِن النَّار ودخولهم الجنَّة بالغةٌ مبلغ التواتر؛ إذ قد زادت طُرُقها على أربعين طريقًا فيما قرأته ووقفت عليه، ونصَّ على تواترها جماعةٌ من الحفَّاظ كالقاضي عياض والنوويُّ والعراقيُّ والسيوطيُّ وغيرهم.

وكثيرٌ مِن طُرُقها في "صحيحي البخاري ومسلم" وباقي الكتب الستة.

وقد روى الطبرانيُّ والبيهقيُّ عن ابن عبَّاسٍ مرفوعًا: «**يُوضَعُ للأنبياءِ مَنَابِرُ مِن ذَهَبٍ يَجْلِسُونَ عليها، ويَبْقَى مِنْبَرِي لا أَجْلِسُ عليه، قائِمٌ بين يَدَيْ رَبِّي عزَّ وجلَّ مُنتَصِبًا لأُمَّتي مَخَافَةَ أن يَبْعَثَ بي إلى الجنَّةِ، وتَبْقَى أُمَّتي بعدي، فأقول: يا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي. فيقول الله عزَّ وجلَّ: يا محمَّدُ، ما تُرِيدُ أن أَصْنَعَ بأُمَّتِكَ؟ فأقول: يا رَبِّ اعْدِلْ حِسَابَهُمْ، فيُدْعَى بهم فيُحَاسَبُونَ، فمنهم مَن يَدْخُلُ الجنَّة برحْمَةِ الله، ومنهم مَن يَدْخُلُ الجنَّة بشَفاعَتي فما أزالُ أَشْفَعُ حتَّى أُعْطَى صِكَاكًا برجالٍ قد بُعِثَ بهم إلى النَّارِ، وحتَّى إنَّ مَالِكًا خازِنَ النَّارِ يقول: يا محمَّدُ ما تَرَكْتَ لغَضَبِ رَبِّكَ مِن أُمَّتِكَ مِن نِقْمَةٍ**».

وروى البزَّار والطبرانيُّ، عن عليٍّ عليه السلام مرفوعًا: «**ما أَزَالُ أَشْفَعُ لأُمَّتِي حتَّى يُنادِيني رَبِّي تبارك وتعالى فيقول: أقد رَضِيتَ يامحمَّدُ؟ فأقول: أي ربِّ رَضيتُ**».

إسناده حسنٌ.وهل تراه يرضى وأحد ممن يؤمِن به مخلَّدٌ في النَّارِ؟! هذا لا يكون أبدًا.

وأمَّا الإجماع: فقال الإمام النوويُّ في "شرح مسلم": «مذهب أهل السُّنَّة وما عليه أهل الحقِّ مِن السَّلَف والخَلَف أنَّ مَن ماتَ مُوحِّدًا دخل الجنَّة قطعًا على كلِّ حالٍ، فإن كان سالمًا من المعاصي كالصغير والمجنون الذي اتصل جنونه بالبلوغ، والتائب توبة صحيحة إذا لم يحدث معصيةً بعد توبته، والمُوفَّق الذي لم يبتل بمعصية أصلًا، فكل هذا الصنف يدخلون الجنَّة ولا يدخلون النار أصلًا، لكنهم يرِدُونها بمرورهم على الصراط، وهو منصوبٌ عل ظهرها، وأمَّا من كانت له معصيةٌ كبيرةٌ ومات من

أبدًا»، وبقوله في حديث جُنْدب بن عبدالله: «حَرَّمْتُ عليه الجنَّة». وأجاب أهل السُّنَّة عن الحديثين.

غير توبةٍ فهو في مشيئة الله تعالىٰ، فإن شاء عفا عنه وأدخله الجنة أوَّلًا وجعله كالقسم الأول، وإن شاء عذَّبه القَدْر الذي يريده سبحانه وتعالىٰ ثُمَّ يدخله الجنة، فلا يخلد في النار أحدٌ مات علىٰ التوحيد ولو عمل من المعاصي ما عمل، كما أنه لا يدخل الجنة أحد مات علىٰ الكفر ولو عمل من أعمال البرِّ ما عمل. هذا مختصرٌ جامعٌ لمذهب أهل الحقِّ في هذه المسألة، وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسُّنَّة وإجماع من يعتد به من الأئمَّة علىٰ هذه القاعدة، وتواترت بذلك نصوصٌ تحصل العلم القطعي، فإذا ورد حديثٌ في ظاهره مخالفة -بأن أفاد تخليد بعض أهل العصر في النار- وجب تأويله ليجمع بين نصوص الشرع».اهـ

وأيضًا، فقد أجمع الصحابة والتابعون ومن بعدهم إلىٰ وقتنا علىٰ الصلاة علىٰ عصاة المؤمنين والترحُّم عليهم والاستغفار لهم، ولو كانوا مُخلَّدين في النار لما جاز ذلك أصلًا، كما لا تجوز الصلاة علىٰ غير المؤمن ولا الدعاء له بالمغفرة أو الرحمة بإجماع المسلمين؛ لأنه مُخَلَّدٌ في النار مُعذَّبٌ دائمًا، والعذاب والرحمة نقيضان لا يجتمعان.

فبان مما ذكرناه أنَّ القول بتخليد عصاة المؤمنين في النار يُبطِله الكتاب والسُّنَّة وإجماع من يعتدُّ به من الأُمَّة، ويُبطِله وجهٌ آخَر من جهة العقل والمعنىٰ، ذكره العلامة السعد في "شرح العقائد النسفية" وهو: أنَّ الخلود في النار من أعظم العقوبات، وقد جعل جزاء للكفر الذي هو أعظم الجنايات، فلو جوزي به غير الكافر كان زيادةً علىٰ قَدْر الجناية فلا يكون عَدْلًا، وهذا الدليل يتمشَّىٰ مع أصول المعتزلة كما لا يخفىٰ فهو دليلٌ إلزامي.

وقد أطلت في هذا البحث بعض الإطالة لداعٍ اقتضىٰ ذلك، والله يقول الحقَّ وهو يهدي السَّبيل.

فأمَّا الجواب عن حديث أبي هريرة فمن وجوهٍ:

الأول: توهيم تلك الكلمة، قال الترمذيُّ بعد أن أخرج الحديث: «وروى محمد بن عجلان، عن سعيدٍ المقبريِّ، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن قَتَلَ نَفْسَهُ بسُمٍّ عُذِّبَ بِهِ في نار جَهَنَّمَ**». ولم يذكر فيه: «**خالِدًا مُخَلَّدًا فيها أبدًا**»، وهكذا رواه أبو الزِّناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وهذا أصح لأن الرِّوايات تجيء بأنَّ أهل التوحيد يُعذَّبون في النار ثُمَّ يخرجون منها، ولا يذكر أنهم يُخلَّدون فيها».اهـ

وهذا جوابٌ ضعيفٌ؛ لأن تلك الكلمة مع كونها مُخَرَّجة في "الصحيحين" وراويها ثقةٌ لا مطعن فيه جاء على وفاقها القرآن، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ﴾ الآية [النساء: ٩٣].

فهب أنَّا تجرَّأنا ووَهَّمنا رواية الأعمش، أفترى أن نوَهِّم أصحاب القراءات في رواية هذه الآية الكريمة؟!، كلَّا لا سبيل إلى ذلك.

الثاني: أنَّ الحديث محمولٌ على مَن استحلَّ ذلك فإنه يصير باستحلاله كافرًا والكافر مُخَلَّدٌ بلا ريب، وهذا أيضًا ضعيفٌ.

الثالث: أنه ورد مورد الزَّجْرِ والتغليظ وحقيقته غير مرادةٍ. وهذا جوابٌ ساقطٌ لا ينبغي أن يلتفت إليه، وما ذكرته إلَّا للتحذير منه لأنه يتمشَّى مع قول المُرجئة في تعطيل نصوص الوعيد.

الرابع: أنَّ المراد بالخلود طول المكث والإقامة المتطاولة كما يقال: «خلَّد الله

مُلْكَ السلطان»، قال الحافظ: «وهذا أبعدها».

قلت: ليس بأبعد من الثالث ولا مما بعده وهو:

الخامس: وهو ما حكاه ابن التين عن بعضهم أنَّ المراد به رجلٌ مُعيَّنٌ، ولست أدري من أنبأه بهذا الرجل المُعيَّن!.

السادس: أنَّ الحديث تقديرًا والمعنى مُخلَّدًا فيها إلى أن يشاء الله، وهذا أيضًا ليس بذاك.

السابع: أنَّ ذلك الوعيد جزاؤه إلَّا أن يتكرَّم الله تعالى، وقد تكرَّم سبحانه على الموحِّدين فأخرجهم من النَّار بتوحيدهم وشهادتهم أن لا إله إلَّا الله وأن محمَّدًا رسول الله، بل تكرَّم سبحانه وتعالى فسامح بعض فاعلي ذلك من غير سابقة عذابٍ. قال الحافظ: «وهذا أولى ما حمل عليه هذا الحديث، ونحوه من أحاديث الوعيد».اهـ

قلت: ويؤيِّده ما رواه أحمد ومسلمٌ عن جابرٍ رضي الله عنه قال: لما هاجر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى المدينة هاجر إليه الطُّفَيل بن عمرو الدُّوسيُّ وهاجر معه رجلٌ من قومه فاجتووا المدينة فمَرِضَ فجَزِعَ فأخذ مَشاقِصَ له فقطع بها براجمه فشخبت يداه حتى مات، فرآه الطُّفَيل بن عمرٍو في منامه فرآه وهيئته حسنةٌ ورآه مُغطِّيًا يديه فقال: ما صنع بك ربُّك؟ فقال: غفر لي بهجرتي إلى نبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم. فقال: مالي أراك مُغطِّيًا يديك قال: قيل لي: لن نصلح منك ما أفسدت. فقصَّها الطُّفَيل على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**اللهمَّ ولِيَدَيْه فاغْفِر**».

قال الإمام الحافظ النووي -رحمه الله ورضي عنه ونفعنا به- في "شرح

مسلم" ما لفظه: «في هذا الحديث حُجَّةٌ لقاعدةٍ عظيمةٍ لأهل السُّنَّة أنَّ مَن قتل نَفْسَهُ أو ارتكب معصيةً غيرها ومات من غير توبةٍ فليس بكافرٍ، ولا يقطع له بالنار، بل هو في حكم المشيئة، وهذا الحديث شرح للأحاديث التي قبله الموهم ظاهرها تخليد قاتل النفس وغيره من أصحاب الكبائر في النار، وفيه إثبات عقوبة بعض أصحاب المعاصي، فإنَّ هذا عوقب في يديه ففيه ردٌّ على المُرجِئة القائلين بأن المعاصي لا تضر، والله أعلم».اهـ

ونقل ابن سلطان في "شرح المشكاة" عن التوربتشيِّ أنه قال: «هذا الحديث وإن كان فيه ذكر رؤيا أريها الصحابي فإن قول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**اللهمَّ وليَدَيْهِ فاغْفِر**» من جملة ما ذكرنا من الأحاديث الدالة على أنَّ الخلود غير واقع في حقِّ من أتى بالشهادتين وإن قتل نفسه؛ لأن النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم دعا للجاني عل نَفْسِهِ بالمغفرة، ولا يجوز في حقِّه أن يستغفر لمن وجب عليه الخلود بعد أن نُهي عنه».اهـ

وأمَّا الجواب عن حديث جُنْدُبٍ رضي الله عنه فهو أيضًا من سبعة وجوه:

أولها: أنَّ الرجل استحلَّ ذلك الفعل -وهو الانتحار- فصار كافرًا.

ثانيها: أنه كان كافرًا في الأصل وعُوقِب بهذه المعصية زيادة على كفره، وهذا مبنيٌّ على أنَّ الكافر مخاطبٌ بفروع الشريعة، وهو ما ارتضاه البيضاويُّ في "المنهاج" وصحَّحه ابن السُّبكيِّ في "جمع الجوامع" وحكاه الشوكانيُّ عن الجمهور وقال إنه الحقُّ.

ثالثها: أنَّ المراد أنَّ الجنَّة حُرِّمت عليه في وقتٍ ما، كالوقت الذي يدخل فيه السابقون أو الوقت الذي يُعذَّب فيه الموحِّدون في النار ثُمَّ يخروجون، وهذا

٣١٦ ـــــــ

لن نصلح منك ما أفسدت» قد يؤخذ منه ذلك فإنه إذا لم يرد قتل نَفْسِهِ لا معنى لعقابه في يديه، وبالجملة ما أجاب به ضعيفٌ؛ لأنه مجرَّد احتمال لم يقم عليه دليلٌ فاطرحه وتمسَّك بما لأهل السُّنَّة، وبالله التوفيق.

فصل

استشكل ابن دقيق العيد وغيره قوله في حديث جُنْدُبٍ: «**بادَرني عبدي بنَفْسِهِ**» فإنه يقتضي أن قاتل نَفْسِهِ لو لم يفعل كان قد تأخَّر أجله وعاش لكنه بادر فتقدَّم. وأُجيب عنه بجوابين ذكرهما الحافظ في "الفتح".

أحدهما: أنَّ المبادَرة من حيث التسبُّب في ذلك والقصد له والاختيار، وأطلق عليه المبادرة لوجود صورتها، وإنما استحق المعاقبة لأن الله لم يطلعه على انقضاء أجله، فاختار هو قتل نَفْسِهِ فاستحقَّ المعاقبة لعصيانه.

ثانيهما: ما قاله القاضي أبو بكر الباقلَّانيُّ المالكيُّ: قضاء الله مطلقٌ ومقيَّدٌ بصفةٍ، فالمطلق يمضي على الوجه بلا صارف، والمُقيَّد على الوجهين، مثاله: أن يُقدَّر لواحدٍ أن يعيش عشرين سنةً إن قتل نَفْسَهُ وثلاثين سنةً إن لم يقتلها، وهذا بالنسبة إلى ما يعلم به المخلوق كمَلَكِ الموت مثلًا، وأمَّا بالنسبة إلى عِلْم الله تعالى فإنه لا يقع إلَّا ما علمه، ونظير ذلك الواجب المخير فالواقع منه معلومٌ عند الله والعبد مُخيَّر في أي الخصال يفعل».اهـ

وهذا الجواب يطَّرد في كلِّ حديثٍ من هذا الباب، كحديث: «**مَن سَرَّهُ أن يُبْسَطَ لَهُ في رِزْقِهِ ويُنْسَأُ في أَجَلِهِ**» أي يؤخَّر، وحديث: «**صِلَةُ الرَّحِمِ تَزيدُ في العُمُرِ**»، وحديث: «**إنَّ المقتولَ يتعلَّق بقاتِلِهِ يومَ القِيامَةِ، ويقول: رَبِّ قتلني وظلمني وقَطَعَ أَجَلي**»، وغيرها مما أخذ بظاهره المعتزلة وهوَّلوا به على أهل

السُّنَّة، والله أعلم.(١)

---

(١) تنبيه: في معنى القضاء والقَدَر والفرق بينهما وبعض ما يتعلق بهما:

قال صاحب "المصباح": «القَدَرُ -بالفتح لا غير- القضاء الذي يُقَدِّره الله تعالى».اهـ وقال الراغب: «القَدَر بوضعه يدلُّ على القُدْرَة وعلى المَقْدُور الكائن بالعلم، ويتضمَّن الإرادة عقلًا والقول نقلًا، وحاصله وجود شيءٍ في وقتٍ وعلى حالٍ بوفق العلم والإرادة والقول: «وقَدَّر الله الشيء» بالتشديد قضاه ويجوز بالتخفيف، ونقل الكرمانيُّ عن العلماء أنهم قالوا: القضاء هو الحكم الكُلِّيُّ الإجماليُّ في الأزل، والقَدَر: جزئيات ذلك الحكم وتفاصيله. وهذا بمعنى قول بعضهم كما نقله الحافظ في كتاب الدعوات من "الفتح": «القضاء: الحكم بالكُلِّيَّات على سبيل الإجمال في الأزل، والقَدَر الحكم بوقوع الجزئيَّات التي لتلك الكليَّات على سبيل التفصيل».اهـ وحاصل ما للمتكلِّمين في القضاء والقدر أنَّ الأول معناه الإرادة الأزليَّة المُتعلِّقة بالأشياء على ما هي عليه فيما لا يزال، والثاني إيجاد الأشياء على قدرٍ مخصوصٍ.

وقد نظم العلامة الشيخ الأجهوريُّ المالكيُّ ذلك في أبياتٍ فقال:

إرادَةُ الله مَـــعَ التَّعَلُّـــقِ ... في أَزَلٍ قَضَـــاؤُهُ فحَقِّـــقِ
والقَـدَرُ الإيجـادُ للأَشْـيَا عَـلَى ... وَجْـــهٍ مُعَـــيَّنٍ أرادَهُ عَـــلَا
وبعضُهُمْ قد قـال مَعْنَـى الأوَّلِ ... العِلْـــمُ مَـــعْ تَعَلُّـــقٍ في الأَزَلِ
والقَـــدَرُ الإيجـــادُ للأُمُـــورِ ... عَـــلَى وِفـــاقِ عِلْمِـــهِ المَـــذْكُورِ

وقال الإمام النوويُّ -رضي الله عنه- في "شرح مسلم": «واعلم أنَّ مذهب أهل الحقِّ إثبات القَدَر، ومعناه أنَّ الله تعالى قَدَّر الأشياء في القِدَم، وعَلِمَ سبحانه أنه ستقع في أوقاتٍ معلومةٍ عنده، وعلى صفاتٍ مخصوصةٍ، فهي تقع على حسب ما قدَّرها سبحانه وتعالى.

وأنكرت القَدَريَّة هذا وزَعَمتْ أنه سبحانه لم يقدِّرها ولم يتقدَّم علمه بها، وأنها مُستأنفة العلم، أي إنما يعلمها سبحانه بعد وقوعها، وكَذَبوا على الله سبحانه وتعالى عن أقوالهم الباطلة عُلوًّا كبيرًا، وسُمِّيت هذه الفِرقة قَدَريَّة لإنكارهم القَدَر، قال أصحاب المقالات من المُتكلِّمين: وقد انقرضت القَدَريَّة القائلون بهذا القول الشنيع الباطل، ولم يبقَ أحدٌ من أهل القِبلة عليه، وصارت القَدَريَّة في الأزمان المُتأخِّرة تعتقد إثبات القَدَر ولكن يقولون الخير من الله والشرُّ من غيره».اهـ

وأوَّل مَن فاه بإنكار القَدَر وقال إنَّ الله لا يعلم الأشياء قبل وقوعها مَعْبَد الجُهَنيُّ، كما جاء في "صحيح مسلم" فتبرَّأ منه الصحابة والتابعون وقتله الحجَّاج صَبْرًا.

وقال الحافظ في "الفتح": «والقَدَر مصدر، تقول: قَدَرت الشيء -بتخفيف الدال وفتحها- أَقْدِرُه -بالكسر والفتح- قدَرا وقدْرا -بفتح الدال وسكونها- إذا أحطت بمِقْداره، والمراد أنَّ الله تعالى علم مقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها، ثُمَّ أوجد ما سبق في علمه أنه يوجد، فكلُّ مُحدَثٍ صادرٌ عن علمه وقدرته وإرادته. هذا هو المعلوم من الدين بالبراهين القطعية وعليه كان السَّلَف من الصحابة وخيار التابعين، إلى أن حدثت بدعة القَدَر في أواخر زمان الصحابة. وقد روى مسلمٌ القصة في ذلك وحكى المُصنِّفون في المقالات عن طوائف من القَدَريَّة إنكار كون البارئ عالمًا بشيءٍ من أعمال العباد قبل وقوعها منهم، وإنما يعلمها بعد كونها.

قال القرطبيُّ وغيره: قد انقرض هذا المذهب ولا نعرف أحدًا ينسب إليه من المُتأخِّرين. قال: والقَدَريَّة اليوم مُطْبِقون على أنَّ الله عالمٌ بأفعال العباد قبل وقوعها، وإنما خالفوا السَّلَف في زعمهم بأنَّ أفعال العباد مَقْدُورةٌ لهم وواقعةٌ منهم على جهة الاستقلال، وهو مع كونه مذهبًا باطلًا أخف من المذهب الأول، وأمَّا المُتأخِّرون منهم فأنكروا تعلُّق الإرادة بأفعال العباد فِرارًا مِن تعلُّق القديم بالمُحدَث وهم

مخصومون بما قال الشافعيُّ: «إن سَلَّمَ القَدَرِيُّ العِلْمَ خُصِمَ» يعني يقال له: أيجوز أن يقع في الوجود خلاف ما تضمَّنه العلم فإن منع وافق أهل السُّنَّة، وإن أجاز لزمه نسبة الجهل تعالى الله عن ذلك».اهـ

والقَدَريَّة الأوَّلون النافون لعِلْم الله كفَّارٌ بلا خلافٍ كما قال القاضي عياض رحمه الله، وأمَّا المُتأخِّرون منهم الذين يُثبِتون العِلْمَ ويزعمون أنَّ الشرَّ بقُدْرة العبد وإرادته على جهة الاستقلال فهم ضالُّون زائغون، مخالفون لما أطبقت عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ويكفي ردًا عليهم قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [التكوير: ٢٩]، وقوله عليه الصلاة والسلام: «**كُلُّ شيءٍ بقَدَرٍ حتَّى العَجْزِ والكَيْسِ**». رواه مسلمٌ، وفي حقِّ هؤلاء ورد قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**القَدَريَّة مجوس هذه الأُمَّة**». رواه أبو داود والحاكم وقال: «صحيحٌ على شرط الشيخين إن صحَّ سماع أبي حازم من ابن عمر».

قال الخطَّابيُّ: «إنما جعلهم مجوسًا لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس في قولهم بالأصلين النور والظلمة، يزعمون أنَّ الخير من فعل النور والشر من فعل الظلمة فصاروا ثنوية، وكذلك القَدَريَّة يضيفون الخير إلى الله والشرَّ إلى غيره، والله سبحانه خالق الخير والشر جميعًا، لا يكون شيء منهما إلَّا بمشيئته فهما مضافان إليه خَلْقًا وإيجادًا، وإلى الفاعلين لهما فعلًا واكتسابًا».اهـ

وقد ألَّف في إثبات القَدَر جماعةٌ مِن أهل السُّنَّة، فلابن وهبٍ كتاب "القَدَر" ولأبي داود صاحب "السُّنن" كتابٌ خاصٌّ في القَدَر أيضًا، وكذا للفريابيِّ وللبيهقيِّ وغيرهم.

والمقصود: أنَّ التصديق بالقَدَر جزءٌ من الإيمان لا يتم إيمان العبد إلَّا به، كما دلَّت عليه الأحاديث المُستفيضة وإجماع أهل الحقِّ، فيجب على الشخص أن يؤمِنَ بالقَدَرِ خيره

الباب الثاني

في حكم الصلاة على قاتل نفسه

اختلف العلماء هل يُصلَّى عليه أو لا؟

فقال عمر بن عبدالعزيز والأوزاعيُّ وأبو يوسف صاحب أبي حنيفة: لا

وشرِّه حُلْوه ومُرِّه، ويعلم أنَّ ما أخطأه لم يكن ليُصيبه، وأنَّ ما أصابه لم يكن ليُخطِئه، كما يجب عليه أن يترك الخوض في القضاء والقَدَر، ويَكِل الأمر فيهما إلى الله؛ فقد روى الطبرانيُّ عن ابن مسعود مرفوعًا: «**إذا ذُكِرَ القَدَرُ فأَمْسِكُوا**». سنده حسنٌ.

وجاء النهي عن الخوض في القَدَر في عدَّة أحاديث، وروى الحاكم وغيره عن أبي هريرة مرفوعًا: «**أُخِّرَ الكلامُ في القَدَرِ لشِرارِ أُمَّتِي في آخِرِ الزَّمانِ**». قال الإمام أبو المُظفَّر السمعانيُّ: «القَدَر سرٌّ مِن أسرار الله تعالى التي ضرب من دونها الأستار، اختصَّ الله به وحَجَبَهُ عن عقول الخَلْق ومعارفهم لما علمه من الحِكْمة، وواجبنا أن نقف حيث حدَّ لنا ولا نتجاوزه، وقد طوى الله تعالى علم القَدَر على العالم فلم يعلمه نبيٌّ مرسلٌ ولا مَلَكٌ مُقرَّبٌ، وقيل إنَّ سرَّ القَدَر ينكشف لهم إذا دخلوا الجنَّة ولا ينكشف لهم قبل دخولها».اهـ

ونقله الإمام النوويُّ والحافظ وأقرَّاه، ويؤيِّده حديث: «**القَدَرُ سِرُّ الله**» رواه ابن عديٍّ وغيره وإسناده ضعيفٌ، على أنه يجب أن تعلم أن ليس في القَدَرِ إجبار العبد على فعل المُقدَّر كما يتوهَّم كثيرٌ من الناس، قال الخطَّابيُّ: «وقد يحسب كثيرٌ من الناس أنَّ معنى القضاء والقَدَر إجبار الله تعالى العبد وقهره على ما قدَّره وقضاه، وليس الأمر كما يتوهمونه، وإنما معناه الإخبار عن تقدُّم علم الله سبحانه وتعالى بما يكون من اكتساب العبد وصدورها عن تقديرٍ منه وخلق لها خيرها وشرها».اهـ

والعلم ليس من خاصيته التأثير والإجبار كما هو معروفٌ، والمسألة طويلة الذيل وفيما كتبناه كفايةٌ، وبالله التوفيق.

يُصلِّي عليه الإمام ولا غيره.

وقال أحمد: لا يُصلِّي عليه الإمام ويُصلِّي عليه بقية الناس، واستدل بما رواه مسلمٌ والأربعة من طريق سماك بن حربٍ، عن جابر بن سَمُرة قال: أُتي النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم برَجُلٍ قَتَلَ نَفْسَهُ بمشاقِصَ له فلم يُصَلِّ عليه.

ولفظ أبي داود: أنَّ رجلًا أتى النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فأخبره أنَّ جاره قد مات قال: «**وما يُدْريك؟**» قال: رأيته ينحر نَفْسَهُ بمشاقِص معه، قال: «**أأنت رأيته؟**» قال: نعم، قال: «**إذًا لا أُصلِّي عليه**».

وأخرج تمَّام وابن عساكر من حديث أنسٍ أنَّ رجلًا قال: يا رسول الله، إنَّ أُمِّي أصابها جهد فلم تفطر حتى ماتت، قال: «**اذهب فصلِّ عليها فإنَّ أُمَّك قتلت نَفْسًا**». وقال ابن مسعودٍ، والشَّعْبيُّ، وإبراهيم النَّخَعِيُّ، وعطاء بن أبي رباحٍ، والحسن، وقتادة، وسفيان الثوريُّ، ومالكٌ، وإسحاق بن راهويه، وأبو حنيفة، والشافعيُّ، ومحمد بن الحسن، وزُفَر، وداود بن عليٍّ الأصبهانيُّ الظاهريُّ، وجماهير العلماء: يُصلِّي عليه الإمام وغيره، ويُفعَل به ما يُفعَل بموتى المسلمين، وإثمه على نَفْسِهِ.

قال مالكٌ في "المدوَّنة": «يُصلَّى على قاتل نَفْسِهِ، ويُصنَع به ما يُصنَع بموتى المسلمين، ويُورث، وإثمه على نَفْسِهِ».

واستدلَّ ابن حزمٍ لذلك بعموم قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**صَلُّوا على صاحِبكُم**». والمسلم صاحبٌ لنا، قال تعالى: «﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] وقال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١] هذا استدلال ابن حزمٍ.

وقد استدلَّ غيره بما رواه ابن ماجه من طريق الحارث بن نبهان، عن عتبة بن يقظان، عن أبي سعيدٍ -هو المصلوب- عن مكحول، عن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**صَلُّوا على كلِّ مَيِّتٍ**(١) **وجاهِدُوا مع كلِّ أَميرٍ**». وهذا إسنادٌ مسلسلٌ بالضعفاء.

وأخرج الدارقطنيُّ بأسانيد ضعيفةٍ جدًّا من حديث ابن عمر: «**صَلُّوا خَلْفَ مَن قال: لا إله إلَّا الله، وصَلُّوا على مَن قال: لا إله إلَّا الله**».

وأخرج الطبرانيُّ عنه مرفوعًا أيضًا: «**صَلُّوا على مَن قال: لا إله إلَّا الله، وصَلُّوا وراء مَن قال: لا إله إلَّا الله**». وفي سنده محمد بن الفضل، وهو كذَّابٌ، وله طرقٌ واهيةٌ أصحها ما رواه الدارقطنيُّ والبيهقيُّ من طريق مكحولٍ عن

---

(١) أي كل ميِّتٍ من المسلمين بدليل الأحاديث التي بعده، أمَّا غير المسلم فتحرم الصلاة عليه لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [التوبة: ٨٤] والإجماع على هذا؛ ولأنَّ الصلاة على الميِّت شفاعةٌ له بما تشتمل عليه من الاستغفار له والترحُّم عليه، والكافر ليس من أهل الشفاعة بل هو محرومٌ منها أبد الآبدين ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ﴾ [النساء: ٥٦] وأدلة الكتاب والإجماع مُتضافِرَةٌ على هذا.

ومِن هنا تعلم أنَّ ما شاع استعماله في الجرائد المصرية من وصف موتى المسيحين وغيرهم من الكفَّار والمُلحدين بالمرحوم الخواجه فلان، أو المغفور له الخواجه فلان، ونحوه من العبارات التي تفيد الترحُّم والاستغفار مُحَرَّمٌ تحريمًا باتًّا لا رخصة فيه أبدًا، فعسى أن يتنبَّه صحفيوا المسلمين إلى هذا الخطأ الذي يمس عقيدتهم في جوهرها وصميمها فيتداركوه، وبالله التوفيق.

أبي هريرة مرفوعًا بنحو حديث ابن عمر ورجاله ثقاتٌ إلَّا أنه مُنقطعٌ.

وأخرج ابن أبي شيبة قال: حدَّثنا حفص بن غياث، عن أشعث، عن أبي الزبير، عن جابرٍ، قال: -أي أبي الزبير-: سألته -أي جابرًا- عن المرأة تموت في نِفاسِها مِن الفُجُور؟، قال: صلِّ على من قال: لا إله إلَّا الله.

وقال بن أبي شيبة أيضًا: حدَّثنا جريرٌ، عن مغيرة، عن حمَّادٍ، عن إبراهيم قال: يُصلَّى على الذي قتل نَفْسَهُ وعلى النُّفَساء مِن الزِّنا وعلى الذي يموت مريضًا من الخمر.

وقال أيضًا: حدَّثنا مروان بن معاوية، عن ابن عونٍ، عن عمران قال: سألت إبراهيم النَّخَعِيَّ عن إنسانٍ قتل نَفْسَهُ، أيُصَلَّى عليه؟ قال: نعم، إنما الصلاة سُنَّةٌ.

وقال أيضًا: حدَّثنا عبد الله بن إدريس، عن هشام، عن ابن سيرين قال: ما أعلم أنَّ أحدًا من أهل العلم ولا التابعين ترك الصلاة على أحدٍ من أهل القبلة تأثمًا.

وقال ابن حزمٍ في "المحلى" ما نصُّه: «وصحَّ عن إبراهيم النَّخَعِيِّ أنه قال: «لم يكونوا يحجبون الصلاة عن أحدٍ من أهل القِبلة»، وصحَّ عن قتادة أنه قال: «صلَّ على من قال: لا إله إلَّا الله، فإن كان رجل سوءٍ جدًّا فقل: اللهمَّ اغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات، ما أعلم أحدًا من أهل العلم اجتنب الصلاة على من قال: لا إله إلَّا الله»، وصحَّ عن ابن سيرين: «ما أدركت أحدًا يتأثم من الصلاة عل أحدٍ من أهل القِبلة».اهـ باختصار.

فهذه الآثار الصحيحة تنقل إجماع العلماء من الصحابة والتابعين على أنَّ

مُرتكِب الكبيرة يُصلَّىٰ عليه، ودليله من جهة المعنىٰ أنَّ الصلاة علىٰ الميت شفاعةٌ له، والعاصي أشد الناس احتياجًا إليها فكيف نمنعها عنه.

قال ابن حزم في "المحلَّىٰ": «صحَّ عن الحسن أنه قال: «يُصلَّىٰ علىٰ مَن قال: لا إله إلَّا الله وصلَّىٰ إلىٰ القِبلة، إنما هي شفاعةٌ»، وعن ابن مسعودٍ أنه سُئل عن رجلٍ قتل نَفْسَهُ: أيُصَلَّىٰ عليه؟ فقال: «لو كان يعقل ما قتل نَفْسَهُ»، وصحَّ عن الشَّعْبيِّ أنه قال في رجلٍ قتل نَفْسَهُ: «ما مات فيكم مذ كذا وكذا أحوج إلىٰ استغفاركم منه».اهـ

وأمَّا امتناع النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من الصلاة علىٰ الرجل الذي قتل نفسه كما مرَّ في حديث جابر بن سمرة فقد أجاب عنه العلماء بأنَّ ذلك كان للتأديب وزجر الناس عن مثل فعله، كما قال النوويُّ في "شرح مسلم"، قال: «وصلَّت عليه الصحابة، وهذا كما ترك النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم الصلاة في أوَّل الأمر علىٰ من عليه دينٌ زَجْرًا لهم عن التساهل في الاستدانة، ومِن إهمال وفائه، وأمر أصحابه بالصلاة عليه فقال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**صَلُّوا على صاحِبِكُم**».اهـ كلامه.

ولَمَّا روىٰ ابن أبي شيبة في "مصنَّفه" حديث جابرٍ المذكور أعقبه بما نصُّه: «وذكر شريكٌ عن أبي جعفر قال:إنما أدع الصَّلاة عليه أدبًا له».اهـ

ومِن ثَمَّ أخذ المالكيَّة أنه ينبغي لأهل الفضل والصلاح أن يجتنبوا الصلاة علىٰ الفُسَّاق زَجْرًا وتأديبًا.

قال الشيخ خليل في باب الجنائز في "مختصره": «وكره صلاة فاضلٍ علىٰ بِدْعِيٍّ أو مُظهِر كبيرة، والإمام علىٰ مَن حَدُّه القتل بحَدٍّ أو قود ولو تولَّاه -أي

القتل- الناس دونه».اهـ

وقال ابن يونس: «يكره للإمام وأهل الفضل أن يصلُّوا على البُغاة وأهل البِدَع، قال أبو إسحاق: وهذا باب الردع، قال: ويُصلِّي عليهم الناس، وكذلك المُشتهِر بالمعاصي، ومَن قُتل في قصاصٍ أو رَجْمٍ لا يُصلِّي عليه الإمام ولا أهل الفضل، وقال اللخميُّ: أرى فيمن حكمه الأدب أو القتل أو غير ذلك فمات قبل أن يؤدَّب بذلك أن يجتنب الإمام وأهل الفضل الصلاة عليه ليكون ذلك رَدْعًا لغيره من الأحياء».اهـ

خاتمة

في النهي عن تمني الموت والدعاء به إلا إذا خاف أن يفتن في دينه

روىٰ البخاريُّ ومسلمٌ من طريق النضر بن أنسٍ قال: قال أنسٌ رضي الله عنه: لولا أني سمعتُ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**لا تَمَنُّوا المَوْتَ**» لتمنَّيتُ.

وأخرج البخاريُّ، من طريق قيس بن أبي حازمٍ قال: أتينا خَبَّابَ بن الأَرَتِّ نعوده وقد اكتوىٰ سبعًا، فقال: لولا أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم نهانا أن نَدْعُوا بالموتِ لدَعَوْتُ به.

وأخرج البخاريُّ ومسلمٌ والنَّسائيُّ، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لا يتمنَّ أَحَدُكُم المَوْتَ، ولا يَدْعُ بِهِ قبلَ أنْ يَأْتِيَهُ؛ إمَّا مُحْسِنًا فلعلَّهُ يَزْدادُ، وإمَّا مُسيئًا فلعلَّهُ يَسْتَعْتِبُ**».

وأخرج أحمد والشيخان، عن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُم المَوْتَ مِن ضُرٍّ أَصَابَهُ، فإنْ كان لابُدَّ فاعِلًا فليَقُلْ: اللهمَّ أَحْيِني ما كانت الحياةُ خَيْرًا لي، وتَوَفَّني إذا كانت الوَفاةُ خَيْرًا لي**».

وأخرجه ابن حِبَّان في "صحيحه"، ولفظه: «**لا يَتَمَنَّى أَحَدُكُم المَوْتَ لضُرٍّ نَزَلَ بِهِ في الدُّنيا ولكن ليَقُلْ: اللهمَّ أَحْيِني ما كانتْ الحياةُ خيرًا لي، وتَوَفَّني ما كانت الوفاةُ خَيْرًا لي وأَفْضَلَ**».

قال الحافظ في "الفتح": «هذا يدل علىٰ أنَّ النهي مُقيَّدٌ بما إذا لم يكن علىٰ هذه الصيغة؛ لأنَّ في التمنِّي المُطلق نوع اعتراضٍ ومراغمة للقَدَر المحتوم، وفي

هذه الصورة المأمور بها نوع تفويضٍ وتسليمٍ للقضاء».اهـ

وأخرج أحمد والبزَّار بإسنادٍ حسنٍ، عن جابرٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لا تتمَنَّوا الموتَ فإنَّ هَوْلَ المَطْلَعِ شَديدٌ، وإنَّ مِن السَّعادَةِ أنْ يَطُولَ عُمُرُ العَبْدِ ويَرْزُقَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ الإنابَةَ**».

وأخرج أحمد بسندٍ ليِّنٍ، عن أبي أُمامة رضي الله عنه قال: جلسنا إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فذكَّرَنا ورقَّقَنا فبكى سعد بن أبي وقَّاصٍ فأكثر البكاء وقال: ياليتني مِتُّ، فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يا سعدُ، أعندي تَتَمَنَّى المَوْتَ؟!**» فردَّد ذلك ثلاث مرَّاتٍ ثُمَّ قال: «**يا سعدُ، إن كنتَ خُلِقْتَ للجنَّةِ فما طالَ مِن عُمُرِك وحَسُنَ مِن عَمَلِك فهو خيرٌ لك**».

وأخرجه الطبرانيُّ، ولفظه: «**لئن كنتَ خُلِقْتَ للنَّارِ وخُلِقَتْ لك، ما النَّار بشيءٍ يُسْتَعْجَلُ إليها، ولئن خُلِقْتَ للجنَّة وخُلِقَتْ لك لأن يَطُولَ عُمُرُك ويَحْسُنَ عَمَلُك خيرٌ لك**».

وأخرج الإمام أحمد قال: ثنا أبو سلمة الخزاعيُّ: أنا ليث ويونس قال: ثنا ليث -يعني ابن سعدٍ- عن يزيد بن الهاد، عن هند بنت الحارث، عن أُمِّ الفضل: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم دَخَلَ على العبَّاس وهو يَشْتكِي فتمنَّى الموتَ، فقال: «**ياعبَّاسُ، ياعمَّ رسولِ الله، لا تتمَنَّ المَوْتَ، إن كنتَ مُحْسِنًا تَزْدَادُ إحْسَانًا إلى إحْسَانِكَ خيرٌ لك، وإن كنتَ مُسِيئًا فإنْ تُؤَخَّرَ تَسْتَعْتِبْ خيرٌ لك، فلا تتَمَنَّ المَوْتَ**».

ورواه الحاكم وقال: «صحيحٌ على شرطهما» يعني الشيخين.

ثُمَّ إنَّ هذا النهي مُقيَّدٌ بما إذا لم يخفِ الإنسانُ فتنةً في دينه كما قاله غير واحدٍ

من العلماء، فأمَّا إذا خاف ذلك فيجوز له حينئذٍ تمنِّي المَوْتَ والدُّعاء به، ففي القرآن العظيم حكايةً عن مريم لما جاءها المَخَاضُ: ﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا﴾[مريم: ٢٣]، لعلمها أنَّ الناسَ سيتهمونها ويرتابون في أمرها إذا رأوها تحمل مولودًا لها من غير أن تكون ذات زوجٍ، وقد حصل منهم ذلك كما قصه الله في كتابه.

وجاء في "الموطأ" عن عمر رضي الله عنه أنه قال: «اللهمَّ كَبِرَتْ سِنِّي وضَعُفَتْ قُوَّتي وانْتَشَرَتْ رَعِيَّتي فاقْبِضْني إليك غير مُضَيِّعٍ ولا مُفَرِّطٍ».

فعمر رضي الله عنه بسط عذره في هذا الدعاء، وهو كِبر سِنِّه وضعف قوَّته وهما مظنَّة التفريط في حقوق الله وحقوق الناس، وذلك ما لا يرضاه عمر ولا يخطر له على بالٍ، لا جرم أن دعا بالموت ليلقى ربَّه غير مُضَيِّعٍ ولا مُفَرِّطٍ.

وأخرج أحمد، وأبو عبيد في "فضائل القرآن"، من طريق عثمان بن عمير، عن زاذان أبي عمر، عن عُلَيمٍ قال: كنَّا جلوسًا على سطحٍ معنا رجلٌ من أصحاب النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم -قال يزيد بن هارون وهو شيخ أحمد وأبي عبيد في هذا السند: لا أعلمه إلَّا عَبْسًا الغِفارِيَّ- والناس يخرجون في الطَّاعُونِ، فقال عَبْسٌ: «ياطَاعُونُ خُذْني» ثلاثًا يقولها، فقال له عُلَيمٌ: لِـمَ تقول هذا؟! ألم يَقُلْ رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لا يَتَمَنَّى أحَدُكُم المَوْتَ فإنه عند انقِطاعِ عَمَلِهِ، ولا يُرَدُّ فيُسْتَعْتَبَ**»؟ فقال: إني سمعتُ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**بادِرُوا بالمَوْتِ سِتًّا: إمْرَةَ السُّفَهاءِ، وكَثْرَةُ الشُّرَطِ، وبَيْعَ الحُكْمِ، واسْتِخْفَافًا بالدَّمِ، وقَطِيعَةَ الرَّحِمِ، ونَشْوًا يتَّخِذُونَ القُرْآنَ مَزامِيرَ**

يُقَدِّمونه[1] يغنِّيهم وإن كان أقلَّ منهم فِقْهًا».

---

(١) الضمير في «يقدمونه» يعود على الأحد المفهوم من المقام، وقد ذُكِر صريحًا في رواية الطبرانيِّ بلفظ: «**يُقَدِّمون أحَدُهم يُغنِّيهم**» وقد اشتمل هذا الحديث على ستِّ خِصالٍ جعلها الشارع مِن أشراط الساعة وعلامة على قرب زمن وقوعها، وهي الأشراط الصغرى.

ستِّ خِصالٍ جعلها الشارع مِن أشراط الساعة وعلامة على قرب زمن وقوعها (ت)

أحدها: إمرة السفهاء -بكسر الهمزة- أي ولايتهم على الناس وتحكُّمهم في رقابهم كما تولَّى يزيد بن معاوية والحجَّاج ونحوهما أمر الناس وحكموا فيهم بما سجَّله التاريخ.

ثانيها: كثرة الشُّرَط -بضم الشين وفتح الراء وتسكن- واحدة شُرْطة وشُرْطي -بسكون الراء فيهما- وهم الحرَّاس الذين يكونون على أبواب الحُكَّام والوُلاة يمنعون الناس من الدخول إليهم لقضاء مصالحهم، فلا يصل إليهم إلَّا ذو واسطةٍ أو جاهٍ، وبذلك تهمل كثيرٌ من الحقوق وتضيع كثيرٌ من المصالح وهو ظُلْمٌ بيِّنٌ، ولذا جاء في حديثٍ صحيحٍ: «**مَن وَلِي أَمْرَ النَّاسِ ثُمَّ أَغْلَقَ بابَهُ دون المِسْكينِ والمَظْلُومِ وذي الحاجة أَغْلَقَ اللهُ تعالى أبوابَ رَحْمَتِهِ دُونَ حاجَتِهِ، وفَقْرِهِ أَفْقَرُ ما يكونُ إليه**». وإغلاق الباب كنايةٌ عمَّن يوقف عليه مِن الحرَّاس لمنع الناس.

ثالثها: بيع الحُكْم، ومعناه أخذ الرِّشْوة على الأحكام وهو كبيرةٌ من الكبائر، فقد صحَّ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لعن الرَّاشي والمُرتَشي، وصحَّ أنه قال: «**الرَّاشِي والمُرْتَشِي في النَّارِ**». وصحَّ أيضًا أنه لعن الرائِش وهو الواسطة الذي يسعى بين الرَّاشِي والمُرْتَشِي، وصحَّ عن عبدالله بن مسعودٍ -رضي الله عنه- قال: «**الرِّشْوَةُ في الحُكْمِ كُفْرٌ**».

رابعها: الاستخفاف بالدم، وهو أنواعٌ، منها ترك الاقتصاص من القاتل بعد ثبوت

موجبه بالطرق الشرعية.

ومنها: قتل الشخص على سبب لا يوجب ذلك، كما يفعل كثيرٌ من المجرمين الاشقياء. وفي "صحيح البخاري"، عن ابن عمر مرفوعًا: «**لن يزالَ المُؤمِنُ في فُسْحَةٍ مِن دِينِهِ ما لم يُصِبْ دَمًا حَرَامًا**». وقال ابن عمر: «مِن وَرَطَاتِ الأُمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها: سَفْكُ الدم الحرام بغير حِلِّه». وجاء في حديثٍ حسنٍ: «**لزَوَالُ الدُّنيا أَهْوَنُ على الله مِن قَتْلِ مُؤمِنٍ بغير حَقٍّ**».

ومنها: قتل المسلم بالكافر بدعوى أنه ذمِّيٌّ، مع أنه لا ذمي يوجد الآن على الوجه الشرعيِّ، وفي الحديث الصحيح: «**لا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بكافِرٍ، ولا ذو عَهْدٍ في عَهْدِهِ**» بل هو حديثٌ مشهورٌ، وهو وإن كان خبرًا في اللفظ فمعناه النهي.

خامسها: قطيعة الرَّحِمِ، وهي تكون بهجران الأقارب من ذوي الرَّحِم أو إذايتهم أو عدم مواساتهم إن احتاجوا إليها، أو نحو ذلك مما يعد تقصيرًا من الشخص في حَقِّ أقاربه، وقد شدَّد الشارع في قطيعة الرَّحِم تشديدًا عدَّها العلماء بسببه من الكبائر.

ففي "الصحيحين" عن أبي هريرة مرفوعًا: «**إنَّ اللهَ خَلَقَ الخَلْقَ حتَّى إذا فَرَغَ منهم قامِتِ الرَّحِمُ فقالت: هذا مَقامُ العائِذُ بك مِن القَطيعَةِ، قال: نعم، أما تَرْضينَ أنْ أَصِلَ مَن وَصَلَكِ وأَقْطَعَ مَن قَطَعَكِ؟ قالت: بلى. قال: فذاك لك**». ثُمَّ قرأ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾ [محمد: ٢٢ - ٢٣] والأحاديث في هذا الباب كثيرةٌ.

ومن قطيعة الرحم بل هو من أشدِّ أنواعها ما يحصل بين أفراد الأسرة الواحدة من التقاطع والتناحُر بسبب الاختلاف في سياسة الأحزاب أو الترشُّح لعضوية النوَّاب، فيتصدَّع بناء الأسرة وتدبُّ فيها عوامل الفساد، وينقلب الودُّ والحنان بين الأخوة

والأصهار ضغينةً وحقدًا وغِلًّا، وربما انتصر لكلٍّ من الفريقين أصحابٌ وأصدقاء فتتسع شقَّة الخلاف والشِّقاق؛ ويصعب حينئذٍ الوصول إلى طريق التآلُف والوِفاق، وفي ذلك من الخطر ما لا يخفى.

سادسها: نشؤ، أي ناشئة من الأُمَّة وجيل منهم يتخذون القرآن مزامير يتغنُّون بقراءته ويراعون فيها أصول فنِّ الغناء وأنواع الألحان، كالبياتي والحجاز والسِّيكة وأصبهان، ونحو ذلك كما هو مشاهد في أغلب قرَّاء مصر، وهم يتبارون أيهم يكون أكثر غناءًا في قرائته وتلحينًا لها، وقد عاب ذلك عليهم قديمًا الإمام القرطبيُّ في كتاب "التذكار في أفضل الأذكار" وقال إنَّ ما يفعلونه حرامٌ باتفاق العلماء.

ثُمَّ قال: «إنَّ وقوع هذا منهم تصديقٌ لخبر الصَّادِقِ المَصْدُوقِ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم» وذكر ما رواه الترمذي الحكيم عن حذيفة مرفوعًا: «**اقرأوا القُرْآنَ بلُحُونِ العَرَبِ وأَصْواتِها، وإيَّاكُم ولُحونِ أَهْلِ الفِسْقِ ولُحونِ أهل الكِتابَين، وسيجيءُ بعدي قومٌ يَرْجِعونَ بالقُرْآنِ تَرْجِيعَ الغِناءِ والنُّوحِ لا يُجاوِزُ حَناجِرَهُم مَفْتُونَةٌ قُلوبُهم وقُلوبُ الذين يُعْجِبُهم شَأْنُهم**».

وقد يحتجُّ بعضهم لهذا بأنه من باب تحسين الصوت المطلوب في قراءة القرآن وهي مُغالَطةٌ؛ فإنَّ حُسْنَ الصوت وتحسينه غير الغناء قطعًا وبينهما تبايُن، فقد يكون الشخص حَسَن الصوت وهو لا يعرف الغناء، وقد يكون مُغنِّيًا وصوته قبيحٌ، وما لنا نذهب بعيدًا وهذا أبو موسى الأشعريُّ أحسن الناس صوتًا وقراءة بشهادة الرسول ومع ذلك ما عرف الغناء قطُّ.

وكذلك سالم مولى أبي حذيفة -رضي الله عنهما- كان حسن الصوت والقراءة حتى أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لما سمع قراءته قال:«**الحمد لله الذي جعل في أُمَّتي مثل هذا**». رواه ابن ماجه بإسنادٍ صحيحٍ، ولم يكن يعرف الغناء أيضًا بل هذا

ورواه الطبرانيُّ وابن شاهين من طريق موسىٰ الجهنيِّ، عن زادان قال: كنت مع رجلٍ من أصحاب النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقال له عابس أو ابن عابس علىٰ سطحٍ فرأىٰ الناس يتحمَّلون فقال: ما للناس؟ فقيل: يَفِرُّون من الطاعون فقال: يا طاعُونُ خُذني... وذكر الحديث نحوه.

وأخرج أحمد من طريق النَّهَّاسِ بن قَهْمٍ أبي الخطاب، عن شدَّاد أبي عمار الشاميِّ قال: قال عوف بن مالكٍ: ياطاعون خُذني إليك. قال: فقالوا: أليس قد سمعتَ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**ما عَمَّر المُسلِمُ كان خيرًا له**»؟ قال: بلىٰ ولكني أخاف سِتًّا: إمارةَ السُّفَهاءِ، وبَيْعَ الحُكْمِ، وكَثْرَةَ

رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان أحسن الناس علىٰ الإطلاق صوتًا وقراءة وغيرهما وقال: «**ليس مِنَّا مَن لم يَتَغَنَّ بالقُرْآنِ**» وقال: «**زَيِّنُوا أَصْوَاتَكم بالقُرْآنِ**» وهو معنىٰ حديث: «**زَيِّنوا القُرْآنَ بأَصْوَاتِكُم**» فهو من باب القلب كما قال العلماء، لأن القرآن نورٌ وزينٌ لا يحتاج إلىٰ تزيين أبدًا، ومع ذلك ما ثبت أنه غنَّىٰ في قراءته ولا يليق الغناء به عليه الصلاة والسلام، فيجب علينا أن نقتدي به: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

ومما ذكرناه يُعلم أنَّ المراد بالتغنِّي بالقرآن الوارد في الأحاديث هو تحسين الصوت في قراءته، وحُسن المدِّ والإظهار والإخفاء والغُنَّة، وغير ذلك مما يتوقَّف عليه تجويد القرآن، وما زاد عليه فهو داخلٌ في لحون أهل الفسق ولحون أهل الكتاب، فليتنبَّه القُرَّاء إلىٰ هذا ولينتهوا عما اعتادوه في قرائتهم من التغنِّي المُنكَر باتفاق العلماء، وليعلموا أنَّ القرآن نزل بحُزنٍ فليقرأوه بحُزنٍ وتخشُّع كما جاء في الحديث، وفَّقنا الله وإياهم فهو الموفِّق لا رب غيره.

الشُّرَطِ، وقَطِيعَةَ الرَّحِمِ ونَشْءً يَنْشَؤن يتَّخِذونَ القُرْآنَ مَزامِيرَ، وسَفْكَ الدَّمِ.

وأخرج الترمذيُّ عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «رأيتُ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ -يعني في المنام- فقال لي: يامحمَّدُ، قلت: لبَّيكَ رَبِّي وسَعْدَيْكَ، قال: فيمَ يَخْتَصِمُ المَلأُ الأَعْلَى؟ قلت: لا أَعْلَم، فوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ حتَّى وجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ -أو قال: في نَحْرِي- فعَلِمْتُ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ، قال: يا محمَّدُ، هل تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ المَلأُ الأَعْلَى؟ قلتُ: نَعَمْ، في الكَفَّاراتِ، والكَفَّارَاتُ المُكْثُ في المساجِدِ بعد الصَّلاةِ، والمَشْيُ على الأقْدامِ إلى الجماعاتِ، وإِسْبَاغُ الوضُوءِ في السَّبَرات، ومَنْ فَعَلَ ذلك عاشَ بخَيْرٍ ومَاتَ بخَيْرٍ، وكان مِن خَطِيئَتِهِ كيومِ ولَدَتْهُ أُمُّهُ، وقال: يا محمَّدُ، إذا صَلَّيْتَ فقُل: اللهمَّ إنِّي أسألُكَ فِعْلَ الخَيْرَاتِ، وتَرْكَ المُنْكَرَاتِ، وحُبَّ المَسَاكِينِ، وإذا أرَدْتَ بعِبَادِكَ فِتْنَةً فاقْبِضْنِي إليك غيرَ مَفْتُونٍ، قال: والدَّرَجَاتُ إفشاءُ السَّلامِ، وإطْعَامُ الطَّعَامِ، والصَّلاةُ باللَّيْلِ والنَّاسُ نِيَامٌ». (١)

---

(١) هذا الحديث دليل الجمهور على جواز ووقوع رؤية الله تعالى في المنام، وقد وَقَعَتْ لجماعةٍ مِن السَّلَفِ كالإمام أحمد وحمزة بن حبيب الزيات -أحد أئمَّة القراءات- وغيرهما، أمَّا رؤية الله في اليقظة فهي وإن كانت جائزةً عند أهل السُّنَّة لم تقع لأحدٍ في الدنيا ولن تقع؛ لقوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «لن تَرَوا رَبَّكُم حتَّى تَموتُوا». رواه مسلمٌ؛ لأنَّ موسى عليه السلام طلبها فلم يُعْطها فمَن دُونه أولى بألَّا يُعْطاها.

واختلف العلماء هل حصلت الرؤية لنبيِّنا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ليلة الإسراء؟ فأثبتها ابن العباس -رضي الله عنهما- ونفتها عائشة -رضي الله عنها- وانتصر لكلٍّ منهما

قال الترمذيُّ: «حديثٌ حسنٌ غريبٌ». وأخرجه أحمد من حديث معاذ بن جبلٍ رضي الله عنه قال: خَرَجَ علينا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ذات غداةٍ وهو طيِّبُ النَّفْسِ مُشْرِقُ الوَجْهِ فقلنا يارسول الله، إنَّا نراك مُشْرِقَ الوَجْهِ

جماعةٌ، ومن أراد بسط المقام فليرجع إلى "فتح الباري" للحافظ و"المواهب" وشرحها.

والملأ الأعلى هم الملائكة، وقيل: بل هم المُقرَّبون منهم، وقوله: «**فوَضَعَ يَدَهُ بين كَتِفَي**» كناية على تجلِّي الله عليه بصفة العِلْم وإنعامه عليه به، فاليد يد نعمةٍ لا جارحةٍ، والوضع تعلُّقٌ وتجلٍّ من غير مَسٍّ ولا لمسٍ تعالى الله عن ذلك وتنزه.

وقوله: «**حتَّى وَجَدْتُ بَرْدَها في نَحْرِي**» كناية عن وجود الأثر والتحقُّق عقب التجلِّي والتعلُّق، ولهذا قال: «**فعلمت ما في السماوات وما في الأرض**»، وقال في رواية أحمد: «**وتجلَّى لي كلُّ شيءٍ وعَرَفْتُ**»، والكفَّارات: هي نقل الأقدام إلى الجماعات أو الجُمُعات روايتان كلتاهما صحيحةٌ، «**وانتظار الصلاة بعد الصلاة**»: أي الجلوس في المسجد بقصد ذلك، «**وإسْباغُ الوُضوءِ في السَّبَرات**» وسُمِّيت هذه كفَّارات لأنها تُكفِّر وتمحو صغائر الذنوب، أمَّا الكبائر فلا يُكفِّرها إلَّا التوبة الصادقة، أو مغفرةٌ مِن الله شاملةٌ.

وإسباغ الوضوء بتمامه وإبلاغه مواضعه الشرعية كالثوب السابغ المغطي للبدن، والسَّبرات: بفتح السين والموحدة، جمع سَبْرة بفتح السين وسكون الموحدة والسَّبرة الغداة الباردة، وقد تستعمل في مطلق الزمن البارد صباحًا كان أو غيره، وإسباغ الوضوء مطلوبٌ في كلِّ وقتٍ، وإنما قيد في هذا الحديث بالسَّبرات لأنَّ الأوقات الباردة يشقُّ فيها على النَّفْس إتمام الوضوء ويصعب، وكلَّما كان العمل أشق كان أجره أعظم. وفي الحديث فوائد وأحكام ذكرها الحافظ زين الدين بن رجب في شرحه عليه في كتاب خاص سمَّاه: "اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى" وهو مطبوعٌ ينبغي الوقوف عليه لحسن فائدته، وبالله التوفيق.

فقال: «**وما يَمْنعُني وأتاني ربِّي الليلةَ في أحسن صورة...**» وذكر الحديث نحو ما تقدَّم، وفي آخره: «**يا محمَّدُ، إذا صَلَّيتَ فقل: اللهمَّ إني أسألُك الطَّيِّبات وتَرْكَ المُنْكَرات وحُبَّ المَساكِين وأن تتوبَ عليَّ وإذا أردتَ في الناس فتنةً فتوفَّني غير مَفْتونٍ**». قال الحافظ الهيثميُّ: «رجاله ثقاتٌ».

وأخرجه الطبرانيُّ من طرق عن عبدالرحمن بن عائش، ورجال أحدها ثقاتٌ كما قال الحافظ الهيثميُّ.

وأخرجه البزَّار من حديث ثوبان رضي الله عنه بإسنادٍ صحيحٍ غير أنَّ فيه مجهولًا، وأخرجه أيضًا من حديث ابن عمر رضي الله عنهما بإسنادٍ ضعيفٍ ومحل الشاهد منه قوله: «**وإذا أردتَ بعبادك فتنةً فاقْبِضْني إليك غير مَفْتونٍ**».

فإنَّ هذا دعاء بالموت مقيَّدٌ بحالة الفتنة مخافة أن تصيب الداعي في دينه وهو أعز شيء لديه، فلذلك أجازه الشارع، أمَّا إقدام الشخص على التخلُّص من الحياة بقتل نَفْسِهِ كما يفعل كثيرٌ من الجهلة فلا يجوز في حالٍ من الأحوال أبدًا، بل هو كبيرةٌ كسائر الكبائر العظيمة القبيحة، ويزيد عليها بأمرٍ آخَر وهو جميع المعاصي كالزِّنا والرِّبا والخَمْر قد يمنُّ الله على مرتكبها بالتوبة والإنابة فيأتيه أجله وهوتائبٌ مُبتعدٍ عنها، أمَّا الانتحار فإنَّ فاعله يموت مُتلَبِّسًا به، غير تائبٍ لأنه سبب موته، وتلك ميتة سوءٍ نعوذ بالله منها ومِن كلِّ بليَّةٍ.

وليكن هذا آخِر ما أردنا جمعه في هذا المقام، والحمد لله في البدء والخِتام، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّدٍ خير الأنام، وعلى آله الكرام وصحابته الفِخام.

٧- الرُّؤيـــا
فِي القـُرآنِ والسُّـنَّةِ

إنَّ النُّبُـــوَّةَ أُنهيـــتْ بنبيِّنـــا صـــلَّى عليـــه الله مـــا بَـــدْرٌ بَـــدَا

لا وَحْـــيَ بعـــد نبيِّنـــا يَـــأْتي إلى شَخْصٍ ولـو بَلَـغَ النِّهايـةَ في التُقَـى

لكـنَّ فَضْـلَ الله قـد أبقَـى لنـا رُؤْيـا تُبَشِّـــر أو تُحَـذِّر مِـن رَدى

فهـي البِشَـارة أُعْطِيَـتْ للمُتَّقِـي وهي النِّذَارةُ أَزْعَجَت مَن قد غَـوى

قد جاءَ في القُـرآنِ رؤيـا يوسَـفَ وكـذا الخَلِيـلِ بشَـأنِ ذِبْـحٍ والفِـدَا

ونبيُّنـا قـد كـان يَسْـأَلُ صَـحْبَهُ مَـنْ مِنكُمُـو في نَوْمِـهِ رُؤْيـا رَأَى

وكتابُنـا هـذا يُنسِّـق جَمْعَهـا ولقـد غَـدا فيهـا عَزيـزًا مُفْـرَدا

فـاقْرَأْهُ وادْعُ لنـا بصـالِح دَعْـوةٍ واللهُ يَمْـنَحُ فَضْـلَه لِمـن احْتَـدَا[1]

---

(١) احتدا: اتَّبع. انظر "لسان العرب" لابن منظور (١٤/ ١٦٨).

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله حقَّ حَمْدِه، وما كلُّ نعمةٍ إلَّا مِن عِنده، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّدٍ رسوله وعَبْدِه، ورضي الله عن آله وصحبه وجُنْدِه.

أمَّا بعد: فهذا كتابٌ في الرؤيا، ذكرتُ فيه ما جاء منها في القرآن العظيم والسُّنَّة المُشرَّفة، كتبته على قِلَّةٍ مِن المواد، وضعفٍ في الاستعداد، ولا يخلو مع ذلك من نفائس اللطائف، وعَوَارف المعارف.

وقد كتب -قبلي- في هذا الموضوع جماعةٌ من الحُفَّاظ، فلجعفرٍ الفِرْيابيِّ كتاب "الرؤيا"، وكذا لأبي ذرٍّ الهرويِّ، ولابن أبي الدنيا كتاب "المنامات"، وكذا لجعفرٍ المستغفريِّ. وكتابي أوسع وأعمُّ بفضل الله.

واللهُ المسؤول أن يرزقني التوفيق والقَبول، ويُنيلني حُصول المَأمول.

مقدمةٌ تشتمل على مسائل

المسألة الأولى

الرؤيا -بوزن فُعلىٰ-: مايراه الشخص في منامه، وقد تُسهَّل همزتها.

قال الواحديُّ: «هي في الأصل مصدر، كاليسرىٰ، فلما جُعلت اسما لِما يتخيَّله النائم أُجريت مجرىٰ الأسماء».

وقال الراغب: «الرؤيه -بالهاء-: إدراك المَرئي بحاسَّة البصر، وتُطلق علىٰ ما يُدرك بالتخيُّل، نحو: أرىٰ أنَّ زيدًا مسافر. وعلىٰ التفكُّر النظري نحو: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ﴾ [الأنفال: ٤٨]، وعلىٰ الرأىٰ، وهو اعتقاد أحد النقيضين علىٰ غلبة الظنِّ».اهـ

وقال القرطبيُّ في "شرح مسلم": «قال بعض العلماء: وقد تجيئ الرؤيا بمعنىٰ الرؤية، لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠] فزَعَم أنَّ المراد بها ما رآه النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ليلة الإسراء من العجائب، وكان الإسراء جميعه في اليقظة».ا هـ

وصحَّ عن ابن عبَّاسٍ أنه رؤية عينٍ، وقال الحافظ ابن حجرٍ: «ويحتمل أن تكون الحِكْمة في تسمية ذلك رؤيا، كون أمور الغيب مخالفةً لرؤية الشهادة، فأشبهت ما في المنام».اهـ

والخلاصة: أنَّ الرؤيه -بالهاء-: خاصَّةٌ بما يُدرك بحاسَّة البصر، والرؤيا -بالألف-: تُستعمل فيما يُدركه النائم غالبًا، وتُجمَع علىٰ رُؤًىٰ بضمِّ الراء والتنوين، وقد تُستعمل قليلًا فيما يُدرَك بحاسَّة البصر.

المسألة الثانية

قال الإمام المازريُّ في "شرح مسلم": «كثُر كلام الناس في حقيقة الرؤيا، وقال فيها غير الإسلاميين أقاويلَ كثيرةً مُنكرةً؛ لأنهم حاولوا الوقوف على حقائق لا تُدرك بالعقل ولا يقوم عليها برهانٌ، وهم لا يُصدِّقون بالسمع فاضطربت أقوالهم.

والصحيح ما عليه أهل السُّنَّة: أنَّ الله يخلق في قلب النائم اعتقادات كما يخلقها في قلب اليقظان، فإذا خلقها فكأنه جعلها عَلَمًا على أمورٍ أخرى يخلقها في ثاني الحال، ومهما وقع منها على خلاف المُعتَقَد، فهو كما يقع لليقظان، ونظيره أنَّ الله خلق الغَيْم علامة على المطر وقد يتخلَّف، وتلك الاعتقادات تقع تارة بحضرة المَلَك فيقع بعدها ما يسرُّ، أو بحضرة الشيطان فيقع بعدها ما يضرُّ، والعِلْمُ عند الله تعالى».اهـ

وكذا قال القاضي أبو بكرٍ الباقلانيُّ: «إنَّ الرؤيا اعتقاداتٌ».

لكن قال القاضي أبو بكر ابن العربي: «الرؤيا إدراكاتٌ علَّقها الله تعالى في قلب العبد على يد مَلَكٍ أو شيْطانٍ، إمَّا بأسمائها أي حقيقتها، وإمَّا بمكانها أي بعبارتها، وإمَّا تخليط. ونظيرهما في اليقظة الخواطر، فإنها قد تأتي على نسقٍ في قصدٍ، وقد تأتي مسترسلة غير محصلةٍ. هذا حاصل قول الأستاذ أبي إسحاق.

وذهب القاضي أبو بكر بن الطيب إلى أنها اعتقاداتٌ، واحتجَّ بأنَّ الرائي قد يرى نفسه بهيمةً أو طائرًا مثلًا، وليس هذا إدراكًا، فوجب أن يكون اعتقادًا؛ لأنَّ الاعتقاد قد يكون على خلاف المعتقَد.

والأول أولى، والذي يكون من قبيل ما ذكره ابن الطيب، من قبيل المثل،

فالإدراك إنما يتعلق به لا بأصل الذات».اهـ

ويؤيد رأيَ الباقلانيِّ قولُ الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ٢١]. فسمَّى الرؤيا حديثًا، والحديث يشتمل على نسبة تصديقية.

وقال القرطبيُّ في "شرح مسلم": «سبب تخليط غير الشرعيِّين إعراضهم عما جاءت به الأنبياء من الطريق المستقيم، وبيان ذلك: أنَّ الرؤيا إنما هي من إدراكات النَّفْس، وقد غُيِّب عنَّا عِلْمُ حقيقتها -أي النَّفْس- وإذا كان كذلك، فالأَوْلى ألَّا نعْلَم عِلْمَ إدراكاتها، بل كثير ممَّا انكشف لنا من إدراكات السمع والبصر إنما نعلم منه أمورًا جُمَليَّة لا تفصيلية». ثُمَّ نقل القرطبيُّ عن بعض أهل العلم: «أنَّ لله تعالى ملَكًا يَعْرِضُ المرْئِّيات على المحَلِّ المُدْرِك مِن النائم فيمثل له صورةً محسوسةً، فتارةً تكون أمثلةً موافِقَةً لما يقع في الوجود، وتارةً تكون أمثلةً لِمَعانٍ معقولةٍ، وتكون في الحالين مُبشِّرةٌ ومُنذِرةٌ».

قال القرطبيُّ: «ويَحتاج فيما نقله عن الملَك إلى توقيف من الشرع، وإلَّا فجائزٌ أن يخلق الله تلك المِثالات من غير ملَك، وقيل: إنَّ الرؤيا إدراك أمثلةٍ مُنضَبِطةٍ في التخيُّل، جعلها الله أعلامًا على ما كان أو يكون».اهـ

تنبيه

قال القاضي أبو بكر بن العربي: «شذَّ بعض القَدَريَّة فقال: الرؤيا لا حقيقة لها أصلًا، وشذَّ بعض الصالحين فزعم أنها تقع بعينَيْ الرأس حقيقةً، وقال بعض المتكلِّمين: هي مدرَكة بعينين في القلب».اهـ وفي شرح الأُبِّي لـ"صحيح

مسلم": «قال صالح المعتزليُّ: الرؤيا هي رؤية العينين[١]. وقال آخرون: هي بعينين يخلقهما الله تعالىٰ في القلب، وسماعٌ بأذنين يخلقهما الله تعالىٰ. وقال أكثر المعتزلة: هي تخيُّلاتٌ لا حقيقة لها ولا تدلُّ علىٰ شيءٍ».اهـ وهذا إنكارٌ للمُشاهَد المحسوس.

المسألة الثالثة

قال القاضي عياض: «اختُلِف في النائم المستغرِق، فقيل: لا تصحُّ رؤياه ولا ضرْبُ المثل له؛ لأنَّ هذا لا يُدْرِك شيئًا مع استغراق أجزاء قلبه؛ لأنَّ النوم يُخرج الحيَّ عن صفات التمييز والظن والتخيُّل، كما يُخرجه عن صفة العِلْم».

وقال آخرون: بل للنائم مع استغراق أجزاء قلبه بالنوم أن يكون ظانًّا ومتخيِّلًا، وأمَّا العِلْم فلا؛ لأنَّ النوم آفةٌ تمنع حصول الاعتقادات الصحيحة. نعم، إن كان بعض أجزاء قلبه لم يحلّ فيه النوم فيصح، وبه يضرب المثل وبه يرىٰ ما يتخيَّله، ولا تكليف عليه حينئذٍ؛ لأنَّ رؤياه ليست علىٰ حقيقة وجود العلم ولا صفة التمييز، وإنما بقيت فيه بقيةٌ يُدرك بها ضرب المثل.

وقال القرطبيُّ: «فإن قيل: لا يصح تفسير الرؤيا بالإدراك، لأن النوم ضدٌّ عامٌّ للإدراك كما أنَّ الموت ضدٌّ عامٌّ له فلا يجامعه. **فالجواب**: أنَّ الجزء المدرِك من النائم لا يحله النوم، فلم يجتمع الإدراك مع النوم، فالعين نائمةٌ والقلب يقظان، كما قال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**تنام عيني ولا ينام قلبي**».اهـ

---

(١) قال ابن حزمٍ: «ذهب صالح تلميذ النظَّام إلىٰ أنَّ ما يرىٰ أحدنا في الرؤيا حقٌّ كما هو، وأنَّ من رأىٰ أنه بالصين وهو بالأندلس فإنَّ الله اخترعه في ذلك الوقت بالصين».اهـ

المسألة الرابعة

روىٰ الحاكم من طريق محمَّد بن عَجْلان، عن سالم بن عبدالله بن عمر، عن أبيه قال: لَقِيَ عمر عليًّا رضي الله عنهما فقال: يا أبا الحسن، الرجل يرىٰ الرؤيا فمنها ما يصْدُق، ومنها ما يَكْذِب؟ قال: نعم، سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**ما مِن عبدٍ ولا أَمَةٍ ينام فيمتلئ نومًا إلَّا عُرِج برُوحه إلى العَرْشِ، فالذي لايَسْتَيْقِظُ دون العَرْشِ فتلك الرؤيا التي تَصْدُقُ، والذي يَسْتَيْقِظُ دون العَرْشِ فتلك الرؤيا التي تَكْذِبُ**». قال الذهبيُّ: في "تلخيص المستدرك": «هذا حديثٌ منكَرٌ لم يصحِّحه المؤلِّف، ولعلَّ الآفة مِن الراوي عن ابن عجلانٍ».اهـ

قال الحافظ: «الراوي عنه أزهر بن عبدالله الأزدي الخراسانيُّ، ذكره العقيليُّ في ترجمته، وقال: «إنه غير محفوظٍ»، ثُمَّ ذكره من طريقٍ أخرىٰ عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن الحارث، عن عليٍّ ببعضه، وذكر فيه اختلافًا في رفعه ووقفه».ا هـ

قلت: هكذا رواه الحاكم مختصرًا، ورواه ابن مَنْدَهْ في كتاب "النَّفْس والرُّوح" مُطوَّلًا مِن طريق عبدالرحمن بن مَغراء الدوسيِّ، عن الأزهر بن عبدالله الأزديِّ، عن محمَّد بن عجلان، عن سالم بن عبدالله بن عمر، عن أبيه. وهو حديثٌ منكرٌ(١).

---

(١) ممَّا يُبيِّن نكارته: اقتضاؤه أنَّ الكافر إذا صدقت رؤياه يكون روحه قد عَرَجَ إلىٰ العرش، وهذا باطلٌ.

وروى ابن مَنْدَهْ أيضًا من طريق بقيَّة بن الوليد قال: حدَّثنا صفوان بن عمرو، عن سليم بن عامر الحضرميِّ، قال: قال عمر بن الخطاب: عجِبْت لرؤيا الرجل يرى الشيء لم يخطر له على بالٍ فتكون كأخذٍ بيد، ويرى الشئ فلا يكون شيئًا.

فقال عليُّ بن أبي طالبٍ: يا أمير المؤمنين يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [الزمر: ٤٢] قال: والأرواح يُعرَج بها في منامها، فما رأت وهي في السماء فهو الحقُّ، فإذا رُدَّت إلى أجسادها تلقَّتها الشياطين في الهو اء فكذَبَتها، فما رأت من ذلك فهو الباطل.

وروى الطبرانيُّ من طريق عليِّ بن أبي طلحة: أنَّ عبدالله بن عبَّاسٍ قال لعمر بن الخطاب: يا أمير المؤمنين، أشياء أسألك عنها. قال: سَلْ عمَّا شئتَ. قال: يا أمير المؤمنين، مِمَّ يَذْكُر الرجل ومِمَّ يَنْسى؟ ومِمَّ تَصْدُق الرؤيا ومِمَّ تَكْذِب؟ فقال له عمر: إنَّ على القلب طخاوةٌ كطخاوة القمر، فإذا تغشَّت القلب نسي ابن آدم، فإذا انجلت ذكر ما كان نسي، وأمَّا مِمَّ تَصْدُق الرؤيا ومِمَّ تكْذِب: فإنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ﴾ [الزمر: ٤٢] فمن دخل منها في ملكوت السماء فهي التي تَصْدُق، وما كان منها دون ملكوت السماء فهي تكذب. في إسناده انقطاعٌ.

وقال الحكيم الترمذيُّ في "نواد الأصول": «وكل الله بالرؤيا ملَكًا اطَّلع على أحوال بني آدم من اللوح المحفوظ، فينسخ منها، ويضرب لكلٍّ على قصته

مثلًا، فإذا نام مثَّل له تلك الأشياء على طريق الحكمة لتكون له بُشْرى أو نِذارةٌ أو معاتبةٌ، والآدميُّ قد تسلَّط عليه الشيطان لشدة العداوة بينهما، فهو يكيده بكلِّ وجهٍ، ويريد إفساد أموره بكلِّ طريقٍ، فيُلَبِّس عليه رؤياه إمَّا بتغليطه فيها، وإمَّا بغفلةٍ عنها، ثُمَّ إنَّ جميع المرائي تنحصر على قسمين:

الصادقة: وهي رؤيا الأنبياء ومن تَبِعَهم من الصالحين، وقد تقع لغيرهم بنِذُورٍ، وهي التي تقع في اليقظة على وِفْقِ ما وقعت في النوم.

والأضغاث: وهي لا تُنذر بشيءٍ.

وهي أنواعٌ:

الأول: تلاعب الشيطان ليُحْزِن الرائي، كأن يرى أنه قطع رأسه وهو يتبعه، أو يرى أنه واقعٌ في هو لٍ ولا يجد من يُنجده، ونحوذلك.

الثاني: أن يرى بعض الملائكة يأمره أن يفعل المحرَّمات مثلًا، ونحوه من المُحال عقلًا.

الثالث: أن يرى ما تتحدَّث به نفسه في اليقظة أو يتمنَّاه فيراه كما هو في المنام، وكذا رؤيا ما جرت به عادته في اليقظة أو ما يغلُب على مزاجه ويقع عن المستقبل غالبًا، وعن الحال كثيرًا، وعن الماضي قليلًا». انتهى كلامه[1].

---

(١) وقال ابن حزمٍ في "الفصل": «الرؤيا أنواعٌ:

منها: ما يكون مِن قِبَل الشيطان، وهو ما كان من الأضغاث والتخليط.

ومنها: ما يكون من حديث النفس وهو ما يشتغل به المرء في اليقظة فيراه في النوم.

ومنها: ما يكون من غَلَبة الطبع، كرؤية من غَلَب عليه الدم للأنوار والزهر والحمرة والسرور، ورؤية من غلب عليه الصفراء للنيران، ورؤية صاحب البلغم للثلوج

قلت: بَقِيَت أنواع أخرىٰ للرؤيا، تتبيَّن من الأحاديث التي نوردها.

فروىٰ أحمد، والترمذيُّ، والنَّسائيُّ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**الرؤيا ثلاثٌ: فرؤيا حقٌّ، ورؤيا يُحدِّث بها الرجل نفْسه، ورؤيا تَحْزينٌ مِن الشيطان**». وهو في "صحيح مسلم" بلفظ: «**الرؤيا ثلاثٌ، فالرؤيا الصالحة بُشرى من الله والباقى سواء**».

وروىٰ ابن ماجه بإسنادٍ حسنٍ: عن عوف بن مالك، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**الرؤيا ثلاثٌ: منها أهاويل الشيطان ليَحْزُنَ ابن آدم، ومنها ما يَهِمُّ به الرجل في يقظته، ومنها جزءٌ مِن ستةٍ وأربعين جزءًا من النُّبوَّة**».

وفي "صحيح مسلم" عن جابرٍ قال: جاء أعرابيٌّ فقال: يارسول الله، رأيت في المنام كأنَّ رأسي قُطع فأنا أتبعه -وفي رواية: تدحرج فاشتددتُ في أثره- فقال: «**لا تُخبر بتلاعب الشيطان بك في المنام**».

فالرؤيا أنواعٌ:

١- رؤيا حقٌّ، وهي الرؤيا الصادقة.

٢- رؤيا باطلةٌ، وهي رؤيا مَلَك أو نبيٍّ يأمر بمعصية.

٣- أهاويل مِن الشيطان ليَحْزن ابن آدم.

٤- تلاعب الشيطان بالإنسان في المنام.

والمياه، ورؤية من غلب عليه السوداء للكهوف والظلم والمخاوف.

ومنها: ما يريه الله للحالِم إذا صفت نفسه من أكدار الحسد، وتخلَّصت من الأفكار الفاسدة، فيشرف الله به علىٰ كثيرٍ من المُغيَّبات التي لم تأتِ بعد.

وعلىٰ قدر تفاضل النفس في النقاء والصفاء يكون تفاضل ما يراه في الصدق».اهـ

٥- ما يَهِمُّ به الرائي في اليقظة.

٦- ما يعتاده الرائي في اليقظة، كمن اعتاد لعب النرد مثلًا فرأىٰ في المنام أنه يلعبه.

٧- الأضْغاث: وهي ما لا تدل علىٰ معنىٰ مُحَصَّلٍ، بل هي مجرَّد تخيُّلاتٍ لا مغزىٰ لها، وفي القرآن: ﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖ﴾[يوسف: ٤٤].

وقال ابن القيم في كتاب "الروح": «الرؤيا ثلاثة أنواعٍ: رؤيا من الله، ورؤيا من الشيطان، ورؤيا من حديث النفس، والرؤيا الصحيحة أقسام:

منها: إلهامٌ يلقيه الله في قلب العبد، وهو كلامٌ يكلِّم به الربُّ عبده في المنام، كما قال عبادة بن الصامت وغيره.(١)

ومنها: مثَل يضربه ملَك الرؤيّا الموكَّل بها.

ومنها: التقاء روح النائم بأرواح الموتىٰ مِن أهله وأقاربه وأصحابه وغيرهم.

ومنها: دخول روحه إلىٰ الجنَّة(٢)، ومشاهدتها، وغير ذلك».اهـ

(تنبيه): قال العلماء بالتعبير: «إذا رأىٰ الكافر أو الفاسق الرؤيا الصالحة فإنها تكون بُشرىٰ له بهدايته إلىٰ الإيمان أو التوبة أو إنذارًا من بقائه علىٰ الكفر أو الفسق، وقد تكون لغيره ممَّن يُنسب إليه من أهل الفضل، وقد يرىٰ ما يدل علىٰ الرِّضا بما هو فيه وتكون من جملة الابتلاء والغرور والمَكْر».اهـ

---

(١) رواه الطبرانيُّ عن عبادة مرفوعًا، وإسناده واهٍ. انظر المسألة الثامنة.

(٢) دخول الجنَّة في المنام جائزٌ واقعٌ، أمَّا دخولها في اليقظة فلم يقع إلَّا لنبيِّنا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، ولو ادَّعىٰ شخصٌ أنه دخل الجنَّة يقظةً يكون كافرًا بالإجماع. حكاه القاضي عياض في "الشفا"، وابن جُزيٍّ في "القوانين الفقهية".

المسألة الخامسة

روىٰ البخاريُّ عن أبي قتادة رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**الرؤيا الصادقة مِن الله، والحُلْم من الشيطان**». وفي روايةٍ له: «**الرؤيا من الله والحُلْم من الشيطان، فإذا حَلَمَ أحدكم الحُلْم يكرهه فليبصق عن يساره، وليستعذ بالله منه، فلن يَضُرَّه**».

«الحُلْم» بضم الحاء وسكون اللام وتُضم: ما يراه النائم حَسَنًا كان أو قبيحًا، وغَلَب استعماله في القبيح، وأضيف إلىٰ الشيطان؛ لأنه يناسب صفته التي هي الكذب والتهو يل ونحو ذلك، بخلاف الرؤيا الصادقة فأنها أضيفت إلىٰ الله للتشريف، وإن كان الكل بخلق الله وتقديره.

وروىٰ البخاريُّ أيضًا عن أبي سعيدٍ الخدريِّ أنه سمع النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**إذا رأى أحدكم رؤيا يحبُّها فإنما هي من الله، فليحمد الله عليها وليُحدِّث بها، وإذا رأى غير ذلك ممَّا يكره فإنما هي مِن الشيطان، فليستَعِذ من شرِّها ولا يذْكُرها لأحدٍ فأنها لا تَضُرُّه**».

وفي الصحيحين عن أبي سلمة قال: لقد كنت أرىٰ الرؤيا فتُمرضني حتىٰ سمعت أبا قتادة يقول: وأنا كنت أرىٰ رؤيا تمرضني، حتىٰ سمعت النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**الرؤيا الحسنة من الله، فإذا رأى أحدكم ما يحبُّ فلا يحدِّث به إلَّا مَن يحبُّ، وإذا رأى ما يكره فليتعوَّذ بالله مِن شرِّها ومِن شرِّ الشيطان، وليَتْفُل ثلاثًا ولا يُحدِّث بها أحدًا فإنَّها لن تَضُرَّه**».

وفي رواية لمسلمٍ: «**فليبصق عن يساره حين يَهُبُّ من نومه ثلاث مرَّاتٍ**».

وفي روايةٍ له أيضًا: «**الرؤيا الصالحة مِن الله، فإن رأى أحدكم رؤيا حسنةً**

فليَبْشُر، ولا يُخبر إلَّا من يحبُّ». فليَبْشُر: بفتح الياء وسكون الباء الموحدة وضم الشين.

وفي "سنن أبي داود" و"ابن ماجه" من حديث أبي رَزِينٍ: «**ولا يقصُّها إلَّا على وادٍّ أو ذي رأيٍ**». وادٌّ -بتشديد الدال-: اسم فاعلٍ من المودَّة.

وفي رواية الترمذيِّ: «**ولا تُحدِّث بها إلَّا لبيبًا أو حبيبًا**».

وفي "سنن الترمذيِّ" من حديث أبي هريرة: «**لا تقصُّ الرؤيا إلَّا على عالمٍ أو ناصحٍ**». قال الترمذيُّ: «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ».

وهو عند الحاكم من حديث أنسٍ بلفظ: «**فإذا رأى أحدكم رؤيا فلا يحدِّث بها إلَّا ناصحًا أو عالمًا**». قال الحاكم: «صحيح الإسناد».

قال القاضي أبو بكر بن العربي: «أمَّا العالِم فإنه يؤوِّلها على الخير، مهما أمكنه، وأمَّا الناصح فإنه يُرشد إلى ما ينفعه ويعينه عليه، وأمَّا اللبيب وهو العارف بتأويلها فإنه يُعْلِمُهُ بما يعول عليه في ذلك أو يسكت، وأمَّا الحبيب فإن عرف خيرًا قاله، وإن جهل أو شكّ سكت». قال الحافظ ابن حجرٍ: «والأولى الجمع بين الروايتين، فإنَّ اللبيب عبَّر به عن العالِم، والحبيب عبَّر به عن الناصح».اهـ

قلت: والوادُّ: أراد به الحبيب، وذوالرأي: أراد به اللبيب.

والحاصل: أنَّ الذي يرى رؤيا صالحةً، ينبغي له أن يحمد الله عليها ويستبشر بها ويقصَّها على عالمٍ أو ناصحٍ، أمَّا الذي يرى رؤيا يكرهها، فيتأكَّد في حقِّه أمورٌ:

١ - أن يتعوَّذ بالله من شرِّها، ومن شرِّ الشيطان ثلاثًا.

٢- أن يتفل حين يَهُبُّ من نومه عن يساره ثلاثًا.

٣- ألَّا يذكرها لأحدٍ أصلًا.

٤- أن يتحوَّل عن جنبه الذي كان عليه.

ففي "صحيح مسلم" عن جابر، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبْصُق عن يساره ثلاثًا وليستَعِذ بالله من الشيطان ثلاثًا وليتحوَّل عن جنبه الذي كان عليه**».

٥- أنْ يصلِّي، ففي الصحيحين عن أبي هريرة: «**فمن رأى شيئًا يكرهه فلا يقصُّه على أحدٍ، وليقم فليصلِّ**». ويكفي أن يصلِّي ركعتين بنية التحصُّن من شرِّ الرؤيا.

٦- قراءة آية الكرسي، ذكرها بعض شرَّاح البخاري، قال الحافظ: «ولم يذكر لذلك مستندًا، فإن كان أخذه من عموم قوله في حديث أبي هريرة: «**ولا يقربنك شيطانٌ**». فيتَّجه، وينبغي أن يقرأها في صلاته المذكورة»اهـ

قال العلماء في بيان حِكْمة هذه الأمور:

- **أنَّ الاستعاذة من شرِّ الرؤيا**: لأنها مشروعةٌ عند كلِّ مكروهٍ، والاستعاذة من الشيطان: لما ثبت في بعض طُرُق الحديث أنَّ الرؤيا المكروهة منه، وأنه يُخيِّل بها لقصْد تحزين الإنسان والتهو يل عليه.

-**والتَفْلُ**: لطرد الشيطان الذي حضر الرؤيا المكروهة تحقيرًا له واستقذارًا، وخُصَّت به الشمال لأنها محلُّ الأقذار، والتثليث: للتأكيد، وقيل: فيه إشارةٌ إلى أنه في مقام الرُقْيَة ليتقرَّر عند النفس دفعه عنها.

-**والصَّلاة**: لأن فيها التجاءًا إلى الله تعالى وتوجُّهًا إليه، وقد كان النبيُّ

صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إذا حَزَبَه أمرٌ، فزَع إلى الصلاة.

-**والتحوُّل إلى الجنب الآخر**: للتفاؤل بتحوُّل تلك الحال التي رأى فيه الرؤيا المكروهة.

-**وقراءة آية الكرسي**: لأنها تمنع الشيطان منه، كما ثبت في الصحيح.

قال النوويُّ: «وينبغي أن يجمع بين هذه الأمور كلِّها، فإن اقتصر على بعضها أجزأه في دفع ضررها بإذن الله تعالى، كما صرَّحت به الأحاديث».اهـ

قال الحافظ: «لم أرَ في شيءٍ من الأحاديث الاقتصار على واحدةٍ، نعم أشار المهلب إلى أنَّ الاستعاذة كافيةٌ في دفع شرِّها، وكأنه أخذه من قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [النحل: ٩٨ - ٩٩] فيحتاج مع الاستعاذة إلى صحَّة التوجُّه، ولا يكفي إمرارُ الاستعاذة باللسان».اهـ

وقال القرطبيُّ: «الصلاة تجمع ذلك كله، لأنه إذا قام فصلَّى تحوَّل عن جنبه، وبصق ونفث عند المضمة في الوضوء، واستعاذ قبل القراءة، ثُمَّ دعا الله تعالى في أقرب الأحوال إليه، فيكفيه الله شرها بمنِّه وكرمه».اهـ

(تنبيه): ثبت في كيفية الاستعاذة ما رواه عبدالرزاق، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، بأسانيد صحيحة عن إبراهيم النخعيِّ قال: إذا رأى أحدكم في منامه مايكره فليقل إذا استيقظ: «أعوذ بما عاذت به ملائكة الله ورسله من شرِّ رؤياي هذه، أن يُصيبَني فيها ما أكره في ديني ودنياي».

وثبت فيما يقول إذا رأى أهاويل الشيطان: ما رواه مالك في "الموطأ" قال: بلغني أنَّ خالد بن الوليد قال: يا رسول الله، إني أُروَّع في منامي فقال: «قل:

أعوذ بكلمات الله التامَّات من غضبه وعذابه، وشرِّ عباده، ومِن هَمَزات الشياطين وأن يَحْضُرون».

وصَلَه النَّسائيُّ من طريق عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدِّه، قال: كان خالد بن الوليد يفْزَع في منامه فذكر نحوه، وزاد في أوَّله: «**إذا اضطجعت فقل: بسم الله...**» وذَكَر الحديث كما في "الموطَّأ"، وأصْله في "أبي داود"، "والترمذي" وحسَّنه، وصحَّحه الحاكم.

المسألة السادسة

ثبت في الصحيحين عن أنس بن مالكٍ: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**الرؤيا الحَسَنةُ من الرجل الصالح جزءٌ من ستةٍ وأربعين جزءًا من النُّبوَّة**». وفي "صحيح مسلم" من حديث ابن عمر بلفظ: «**جزءٌ من سبعين جزءًا من النُّبوَّة**».

وفيه أيضًا من حديث أبي هريرة: «**ورؤيا المسلم جزءٌ من خمسٍ وأربعين جزءًا من النُّبوَّة**». وفي الحديث رواياتٌ:

منها: روى أحمد، وأبويعلى من طريق سليمان بن عَريب - بفتح العين المهملة - عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**رؤيا الرجل المؤمن بُشرى من الله جزءٌ من ستةٍ وأربعين جزءًا من النُّبوَّة**» قال سليمان: فحدَّثْتُ به ابن العباس، فقال: قال العباس بن عبد المطلب: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**جزءٌ من خمسين جزءًا من النُّبوَّة**».

ومنها: روى أحمد عن جابرٍ: أنه سمع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**رؤيا الرجل المؤمن جزءٌ من النُّبوَّة**».

ومنها: روىٰ ابن عبدالبر من طريق عبدالعزيز بن المختار، عن ثابتٍ، عن أنسٍ مرفوعًا: «**جزءٌ من ستةٍ وعشرين جزءًا من النُّبوَّة**». قال الحافظ ابن حجرٍ: «والمحفوظ من هذا الوجه كالجادة».اهـ، يعني «**ستة وأربعين**» كذلك ثبت في الصحيحين.

ومنها: روىٰ الترمذيُّ من حديث أبي رَزِينٍ العقيليِّ: «**جزءٌ من أربعين**». ثُمَّ رواه من طريقٍ آخر كالجادة. ورواه البزار من حديث أبي هريرة، بلفظ: «**أربعين**» أيضًا، وسنده ضعيفٌ.

ومنها: رواية: «**ستةٍ وسبعين**» رواها الطبرانيُّ من حديث ابن مسعودٍ، وسنده ضعيفٌ.

ومنها: رواية: «**أربعة وأربعين**» رواها الطبريُّ من حديث عبادة، وسندها ضعيفٌ.

ومنها: رواية «**تسعةٍ وأربعين**» رواها أحمد، والطبريُّ من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص.

وبقيت رواياتٌ أخرىٰ، وأصحها مطلقًا: الرواية الأولىٰ، وهي الجادة، ثُمَّ رواية السبعين.

قال القاضي أبو بكر ابن العربي: «رؤيا المؤمن الصالح هي التي تُنسب إلىٰ أجزاء النبوَّة، ومعنىٰ صلاحها: استقامتها وانتظامها، وعندي أنَّ رؤيا الفاسق لا تُعدُّ في أجزاء النُّبوَّة، وقيل: تُعدُّ في أقصىٰ الأجزاء، وأمَّا رؤيا الكافر فلا تُعدُّ أصلًا».اهـ

وقال القرطبيُّ: «لا تكون الرؤيا من أجزاء النُّبوَّة إلَّا إذا وقعت من مسلمٍ

صادقٍ صالحٍ؛ لأنه الذي يُناسب حاله حال الأنبياء، وكفىٰ بالرؤيا شرفًا أنها نوعٌ ممَّا أُكرمت به الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام، وهو الاطِّلاع علىٰ شيءٍ من عِلْم الغيب، والكافر والكاذب والمُخلِّط -وإن صدقت رؤياهم في بعض الأحيان- فإنها لا تكون من الوحي ولا من النُّبوَّة، إذ ليس كلُّ مَن صَدَق في حديثٍ عن غيبٍ يكون خَبَرُه نبوَّةً، بدليل الكاهن والمنجِّم».اهـ

وقال ابن الجوزيِّ: «لما كانت النُّبوَّة تتضمَّن اطِّلاعًا علىٰ أمورٍ يظهر تحقيقها فيما بعد، وقع تشبيه رؤيا المؤمن بها، وقيل:إنَّ جماعةً من الأنبياء كانت نبوتهم وحيًا في المنام فقط، وأكثرهم ابتُدئ بالوحي في المنام، ثُمَّ رُقُّوا إلىٰ الوحي في اليقظة. فهذا بيان مناسبة تشبيه المنام الصادق بالنُّبوَّة».اهـ

(تنبيه): قال بعض شُرَّاح البخاريِّ: لفظ: «من النُّبوَّة» ثَبت في جميع طُرُق الحديث، ولم يأتِ في شيءٍ منها لفظ: «من الرسالة» وكأنَّ السرَّ فيه: أنَّ الرسالة تزيد علىٰ النُّبوَّة بتبليغ الأحكام للمكَلَّفين بخلاف النُّبوَّة المُجرَّدة، فإنها اطِّلاعٌ علىٰ بعض المُغَيَّبات، وقد يقرِّر بعض الأنبياء شريعة مَن قبله، ولكن لا يأتي بحكمٍ جديدٍ مُخالفٍ لمن قبله.

قال الحافظ: «فيؤخذ من ذلك ترجيح القول بأنَّ من رأىٰ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في المنام، يأمر بحكمٍ يخالف حكم الشرع المستقر في الظاهر: أنه لا يكون مشروعًا في حقِّه ولا في حقِّ غيره حتىٰ يجب عليه تبليغه».اهـ

(استشكالٌ):

رؤيا النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من أجزاء النبوة حقيقةً، ورؤيا غيره من أجزاء النُّبوَّة علىٰ سبيل المجاز، لما تُنبئ عنه من أمورٍ غَيْبيَّة. وهذا جوابٌ

ضعيفٌ[١].

قال الخطابي: المعنىٰ: «أنَّ الرؤيا تجيء علىٰ موافقة النبوة، لا أنها جزءٌ باقٍ من النبوة»، وفيه بُعْدٌ.

أنها جزءٌ من عِلْم النبوة، لأنَّ النبوة -وإن انقطعت- عِلْمُها باقٍ، لكن يَرُدُّ عليه ما حكاه ابن عبدالبر عن الإمام مالكٍ أنه سُئل: أيُعَبِّر الرؤيا كلُّ واحدٍ؟ فقال: أبالنبوة يُلعب؟! ثُمَّ قال: «الرؤيا جزءٌ من النبوة، فلا يُلعب بالنبوة».

وأجيب بأنَّ الإمام مالكًا لم يُرِد أنها نبوةٌ باقيةٌ، وإنما أراد أنها لما أشْبَهت النبوة من جهة الاطلاع علىٰ بعض الغيب، لا ينبغي أن يُتكلَّم فيها بغير علمٍ

قال ابن بطال: «كون الرؤيا جزءًا من النبوة مما يُستعظم، ولوكانت من

---

(١) لابن حزمٍ في "الفصل" رأيٌ قريبٌ من هذا، حيث قال: «وقد جاء عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: أنه لم يبقَ من النبوة إلَّا المُبشِّرات وهي الرؤيا الصالحة، يراها الرجل أوتُرىٰ له. وأنها جزءٌ من ستةٍ وعشرين جزءًا من النبوة، إلىٰ جزءٍ من ستةٍ وأربعين جزءًا من النبوة، إلىٰ جزءٍ من سبعين جزءًا من النبوة وقد تُخرَّج هذه النسب والأقسام علىٰ أنه -عليه السَّلام- إنما أراد بذلك رؤيا الأنبياء عليهم السَّلام. فمنهم من رؤياه جزء من ستةٍ وعشرين جزءًا من أجزاء نبوته وخصائصه وفضائله، ومنهم من رؤياه جزءٌ من ستةٍ وأربعين جزءًا من نبوته وخصائصه وفضائله. ومنهم من رؤياه جزءٌ من سبعين جزءًا من نبوته وخصائصه وفضائله». قال: «وهذا هو الأظهر والله أعلم، ويكون خارجًا علىٰ مقتضىٰ ألفاظ الحديث بلا تأويلٍ بتكلُّف».اهـ

وهو تأويلٌ ضعيف مُتكلَّف، والحديث يصرِّح بأنَّ الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزءٌ من ستةٍ وأربعين جزءًا من النبوة، فكيف يصح حمله علىٰ ما ذكره؟

ألف جزءٍ، فيمكن أن يُقال أنّ لفظ النبوة مأخوذٌ من الإنباء، وهو الإعلام لغة، فعلىٰ هذا، فالمعنىٰ: أن الرؤيا خَبَرٌ صادق من الله، لا كذب فيه، كما أنَّ معنىٰ النبوة: نَبأ صادق من الله، لا يجوز عليه الكذب، فتشابهت الرؤيا والنبوة في صدق الخبر».اهـ

قال المازريُّ: «يُحتمل أن يُراد بالنبوة في هذا الحديث الخبر بالغيب لا غير، وإن كان يتبع ذلك إنذارٌ أو تبشيرٌ، فالخبر بالغيب من ثمرات النبوة، وهو غير مقصودٍ لذاته؛ لأنه يصحُّ أن يُبعث نبيٌّ ويُقرِّر الشرع ويُبيِّن الأحكام وإن لم يُخبر في طول عمره بغيبٍ، ولا يكون ذلك قادحًا في نبوَّته ولا مُبطلًا لها، والخبر من النبيِّ لا يكون إلَّا صدقًا ولا يقع إلَّا حقًّا».اهـ

قال القاضي أبو بكر ابن العربي: «أجزاء النبوة لا يَعلم حقيقتها إلَّا ملَكٌ أو نبيٌّ، وإنما القدْر الذي أراده النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أن يُبيِّن أنَّ الرؤيا جزءٌ من أجزاء النبوة في الجملة؛ لأنَّ فيها اطلاعًا علىٰ الغيب من وجهٍ ما، وأمَّا تفصيل النسبة فيختص بمعرفته درجة النبوة».اهـ

ظهر لي جوابٌ لم أرَ أحدًا أشار إليه، وهو: أنَّ رؤيا الأنبياء وحيٌ -كما تقرَّر في علم الأصول- ويثبت بها تشريعٌ، كما في قصة إبراهيم عليه السَّلام، ووقوعها للرجل الصالح لا يستلزم ثبوت النبوة له؛ لأنها مُركَّبة من ستةٍ وأربعين جزءًا، والمُركَّب من أجزاء ينتفي بانتفاء جزءٍ منها، فكيف يثبت بواحدٍ منها؟!

وقد مكث عمران بن حُصينٍ ثلاثين سنةً يسمع سلام الملائكة عليه كلَّ ليلة ويسمعه أهل بيته معه، ولا يخفي أنَّ سلام الملائكة وسماعه من خصائص

النبوة، ولم يقدح ذلك في انقطاعها بوفاة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لما بيَّناه آنفًا، وهذه مريم عليها السَّلام كلَّمتها الملائكة ببشارةٍ وأوامر ومع ذلك سمَّاها الله صدِّيقةً لأنَّ أجزاء النبوة لم تجتمع لها، والله تعالى أعلم.

المسألة السابعة

اختُلف في أجزاء النبوة التي أشار إليها الحديث السابق: هل يمكن معرفتها؟ قال المازريُّ: «لا يَلزم العالِم أن يعرف كلَّ شيءٍ جملةً وتفصيلًا، فقد جعل الله للعالِم حدًّا يقف عنده، فمنه ما يَعلم المراد به جملةً وتفصيلًا، ومنه ما يَعلمه جملةً لا تفصيلًا، وهذا من هذا القبيل».اهـ

ومرَّ آنفًا قول ابن العربي: «أجزاء النبوة لا يعلم حقيقتها إلَّا مَلكٌ أو نبيٌّ».

وقال الطبريُّ: «رواية السبعين عامَّةً في كلِّ رؤيا صادقةٍ من كلِّ مسلمٍ، ورواية الأربعين خاصَّةٌ بالمؤمن الصادق الصالح، وأمَّا بين ذلك فبالنسبة لأحوال المؤمنين».اهـ

وقال ابن بطال: «أمَّا الاختلاف في العدد قِلَّةً وكثرةً، فأصح ما ورد فيها: «من ستةٍ وأربعين»، «ومن سبعين»، وما بين ذلك من أحاديث الشيوخ.

وقد وجدنا الرؤيا تنقسم قسمين:

جليَّةٌ ظاهرةٌ: كمن رأى في المنام أنه يُعطى تمرًا، فأعطي تمرًا مثله في اليقظة، فهذا القسم لا إغراب في تأويلها، ولا رمز في تفسيرها.

ومرموزةٌ بعيدة المرام: فهذا القسم لا يقوم به حتى يعبره إلَّا حاذِق، لبُعد ضرب المثل فيه.

فيمكن أنَّ هذا من السبعين، والأول من الستة والأربعين، لأنه إذا قلَّت الأجزاء كانت الرؤيا أقرب إلى الصدق وأسلم من وقوع الغلط في تأويلها، بخلاف ما إذا كثرت.

وقد عرضْتُ هذا الجواب على جماعةٍ فحسَّنوه، وزادني بعضهم فيه: أنَّ النبوَّة على مثل هذين الوصفين، تلقَّاها الشارع من جبريل، فقد أخبر أنه كان يأتيه بالوحي مرة، فيكلمه بكلام فيَعيه بغير كُلفة، ومرة يُلقى إليه جُملًا وجوامِع يشتد عليه حمْلها حتى تأخذ الرُّحَضاء[1]، ويتحدَّر منه العرق، ثم يُطْلعه الله على بيان ما أُلقي عليه منها».اهـ

ونقل أبوسعيد السفاقسيُّ: «أنَّ بعض أهل العلم ذكر أنَّ الله تعالى أوحى إلى نبيه في المنام ستة أشهر، ثُمَّ أوحى إليه بعد ذلك في اليقظة بقية مدة حياته، ونسبتُها من الوحي في المنام جزءٌ من ستةٍ وأربعين جزءًا؛ لأنه عاش بعد النبوة ثلاثًا وعشرين سنة على الصحيح». انتهى كلامه.

وتعقَّبه ابن ابطال، فقال: « هذا التأويل يفسد من وجهين: **أحدهما**: أنه قد اختُلف في قدر المدَّة التي بعد بَعْثِ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى موته. **والثاني**: أنه يبقى حديث السبعين جزءًا بغير معنى».اهـ

قلت: ويُبْطله وجهٌ ثالثٌ أيضًا، وهو ما قاله النوويُّ: «أنه لم يثبت أنَّ زمن الرؤيا للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان ستة أشهرٍ».

وقال العارف ابن أبي جمرة مُنكِرًا لهذا التأويل أيضًا: «ليس فيه كبير فائدةٍ، ولا ينبغي أن يُحمل كلام المؤَّيد بالفصاحة والبلاغة على هذا المعنى، ولعلَّ قائله

---

(١) بضم الراء وفتح الحاء: العرق الناشئ عن الحُمَّى.

أراد أن يجعل بين النبوة والرؤيا نوع مناسبةٍ فقط، ويُعكِّر عليه الاختلاف في عدد الأجزاء». اهـ

وذكر الحليمي تلك الأجزاء -حسب اجتهاده- فقال:

أعلاها: تَكْليم الله بغير واسطةٍ.

ثانيها: الإلهام بلا كلام.

ثالثها: الوحي على لسان مَلَكٍ، يراه فيكلمه.

رابعها: نَفْثُ الملَك في رُوعِه، وهو الوحي الذي يُخصُّ به القلب دون السمع.

خامسها: كمال عقله، فلا يعرض له فيه عارضٌ أصلًا.

سادسها: قوة حفظه، فلا ينسى ما يُلقى إليه.

سابعها: عصمته من الخطأ في اجتهاده.

ثامنها: ذكاء فهمه، فيتسع لضروب من الاستنباط.

تاسعها: ذكاء بصره، فيُرِه ما لا يرى غيره.

عاشرها: ذكاء سمعه، فيسمع مالا يسمع غيره.

حادي عشرها: ذكاء شَمِّه، كما وقع ليعقوب في قميص يوسف.

ثاني عشرها: تقوية جسده، حتى سار في بعض ليلة مسيرة ثلاثين ليلة.

ثالث عشرها: عُروجه إلى السماوات السبع.

رابع عشرها: مجيء الوحي له في مثل صلصلة الجرس.

خامس عشرها: تَكْليم الشاة.

سادس عشرها: إنطاق النبات.

سابع عشرها: إنطاق الجزع.

ثامن عشرها: إنطاق الحجر.

تاسع عشرها: إفهامه عواء الذئب، أن يفرض له رزقًا.

العشرون: إفهامه رغاء البعير.

الحادية والعشرون: أن يسمع الصوت ولا يرىٰ المتكلِّم.

الثانية والعشرون: تمكينه من مشاهدة الجنِّ.

الثالثة والعشرون: تمثيل الأشياء المغيَّبة له، كما مُثِّل له بيت المقدس صبيحة الإسراء.

الرابعة والعشرون: حدوث أمرٍ يعلم به العاقبة، كما قال في الناقة التي بركت في الحديبية: «**حبَسها حابس الفيل**».

الخامسة والعشرون: استدلاله باسمٍ علىٰ أمر، كما قال لهم لمَّا جاءهم سُهيل بن عمرو: «**قد سَهُل لكم الأمر**».

السادسة والعشرون: أن ينظر شيئا علويًّا، يستدل به علىٰ أمر يقع في الأرض كما قال: «**إن هذه السحابة لتستهل بنصر بنى كعب**».

السابعة والعشرون: رؤيته مِن وراءه.

الثامنة والعشرون: اطلاعه علىٰ أمرٍ يقع لمن مات قبل أن يموت، كما قال في حنظلة: «**رأيت الملائكة تُغسِّله**». وكان استُشهد وهو جُنُبٌ.

التاسعة والعشرون: أن يظهر له ما يستدل به علىٰ فتوحٍ مستقبل، كما ثبت ذلك يوم الخندق.

الثلاثون: اطِّلاعه علىٰ الجنَّة والنَّار في الدنيا.

الحادية والثلاثون: الفِراسة.

الثانية والثلاثون: طواعية الشجر، حتىٰ انتقلت بعروقها وغصونها من مكانٍ إلىٰ مكانٍ ثُمَّ رجعت.

الثالثة والثلاثون: إفهامه شكوىٰ الغزالة.

الرابعة والثلاثون: معرفة تأويل الرؤيا بحيث لا يُخطئ.

الخامسة والثلاثون: حَزْر الرطب وهو علىٰ النخل أنه يجئ كذا وكذا وَسَقًا من التمر، فجاء كما قال.

السادسة والثلاثون: الهداية إلىٰ الاحكام.

السابعة والثلاثون: الهداية إلىٰ سياسة الدِّين والدنيا.

الثامنة والثلاثون: الهداية إلىٰ هيئة العالَم وتركيبه.

التاسعة والثلاثون: الهداية إلىٰ مصالح البدَن بأنواع الطب.

الأربعون: الهداية إلىٰ وجوه القُربات.

الحادية والأربعون: الهداية إلىٰ الصناعات النافعة.

الثانية والأربعون: الاطِّلاع علىٰ ما سيكون.

الثالثة والأربعون: الاطِّلاع علىٰ ما كان ممَّا لم ينقله أحدٌ قبله.

الرابعة والأربعون: التوقيف علىٰ أسرار الناس ومُخبَّآتهم.

الخامسة والأربعون: تعليم طُرق الاستدلال.

السادسة والأربعون: الاطِّلاع علىٰ طريق التلطُّف في المعاشرة.

قال الحليميُّ: «فقد بلغت خصائص النبوة فيما مرجعه العلم ستة وأربعين وجهًا، ليس منها وجهٌ إلَّا وهو يصلح أن يكون مقارِبا للرؤيا الصالحة التي أخبر أنها جزءٌ مِن ستةٍ وأربعين جزءًا من النبوة، والكثير منها وإن كان قد

يقع لغير النبيِّ لكنه للنبيِّ لا يُخطئ أصلًا ولغيره قد يقع فيه الخطأ».اهـ

قلت: مما لم يذكره من خصائص النبوة: إخبار الذراع له بأنها مسمومةٌ، وإعلام الشجرة له بحضور وفد الجنِّ، وتسبيح الطعام بين يديه حتى سمعه الصحابة وهم يأكلونه، ومخاطبته المرأة التي كانت تقمُّ المسجد وهي في قبرها، وإخبارها له بأنها وجدت قَمَّ المسجد أفضلَ عملٍ.

وقال الغزاليُّ في كتاب «الفقر والزهد» من "الإحياء" لمَّا ذكر حديث: «**يدخل الفقراء الجنَّة قبل الأغنياء بخمسمائة عام**»، وفي رواية: «**بأربعين عامًا**»: «وهذا يدل على تفاوت درجات الفقراء، فكأنَّ الفقير الحريص على جزءٍ من خمسةٍ وعشرين جزءًا من الفقير الزاهد؛ لأنَّ هذه نسبة الأربعين إلى الخمسمائة، ولا يُظنُّ أنَّ تقدير النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يتجزَّأ على لسانه كيفما اتفق، بل لا ينطق إلَّا بحقيقة الحقِّ، وهذا كقوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**الرؤيا الصالحة من الرجل الصالح جزءٌ من ستةٍ وأربعين جزءًا من النبوة**». فإنه تقدير تحقيقٍ، لكن ليس في قوة غيره أن يعرف علَّة تلك النسبة إلَّا بتخمينٍ؛ لأنَّ النبوة عبارةٌ عمَّا يختصُّ به النبيُّ ويُفارق به غيره، وهو يختصُّ بأنواعٍ من الخواصِّ، منها أنه يعرف حقاق الأمور بالله وصفاته وملائكته والدار الآخرة لا كما يعلمه غيره، بل عنده من كثرة المعلومات وزيادة اليقين ما ليس عند غيره، وله صفةٌ تتمُّ له بها الأفعال الخارقة للعادات كالصفة التي تتمُّ بها لغيره الحركات الاختيارية، وله صفةٌ يُبصر بها الملائكة ويُشاهد بها الملكوت كالصفة التي يفارق بها البصير الأعمى، وله صفةٌ بها يُدرك ما سيكون في الغيب، ويطالع بها ما في اللوح المحفوظ، كالصفة التي يفارق بها الذكيُّ البليدَ.

فهذه صفات كمالاتٍ ثابتةٌ للنبيِّ يمكن انقسام كلِّ واحدٍ منها إلىٰ أقسامٍ، بحيث يمكننا أن نُقسِّمها إلىٰ أربعين جزءًا وإلىٰ خمسين وإلىٰ أكثر، وكذا يمكننا أن نُقسِّمها إلىٰ ستةٍ وأربعين جزءًا، بحيث تقع الرؤيا الصحيحة جزءًا من جملتها، لكن لا يرجع إلَّا إلىٰ ظنٍّ وتخمينٍ، لا أنه الذي أراده النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حقيقة». انتهىٰ كلامه.

قال الحافظ في "الفتح": «وأظنه أشار إلىٰ كلام الحليمي فإنه مع تكلُّفه، ليس علىٰ يقينٍ أنَّ الذي ذكره هو المراد، والله أعلم».

المسألة الثامنة

أخرج البخاريُّ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**لم يبقَ من النبوة إلَّا المُبشِّرات**» قالوا: وما المُبشِّرات؟ قال: «**الرؤيا الصالحة**».

وفي "صحيح مسلم" عن ابن عبَّاسٍ: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كشف الستارة ورأسه معصوبٌ في مرضه الذي تُوفِّي فيه، والناس صفوفٌ خلف أبي بكرٍ، فقال: «**يا أيها النَّاسُ، إنه لم يبقَ مِن مُبشِّرات النُّبوَّة إلَّا الرؤيا الصَّالحةُ، يراها المسلم أو تُرى له**».

وروىٰ النَّسائيُّ عن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنه ليس يبقى بعدي من النُّبوَّة إلَّا الرؤيا الصَّالحةُ**». صحَّحه الحاكم.

وروىٰ أحمد بإسنادٍ صحيحٍ عن عائشة: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لا يبقى بعدي مِن النُّبوَّة إلَّا المُبشِّرات**». قالوا: يارسول الله، ما

المُبشِّرات؟ قال: «**الرؤيا الصَّالحةُ يراها العبد أو تُرى له**».

وروى أحمد، والطبرانيُّ عن أبي الطُّفَيل قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لا نبوَّة بعدي إلَّا المُبشِّرات**». قالوا: يارسول الله، ما المُبشِّرات؟ قال: «**الرؤيا الحَسَنةُ، أو قال: الصَّالحةُ**». رجال إسناده ثِقاتٌ.

وروى الطبرانيُّ عن حُذيفة بن أَسيدٍ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ذهبت النُّبوَّة، فلا نبوَّة بعدي إلَّا المُبشِّرات**». قيل: وما المُبشِّرات؟ قال: «**الرؤيا الصَّالحةُ يُراها الرجل أو تُرى له**». رجال إسناده ثِقاتٌ.

وروى أحمد، وابن ماجه عن أمِّ كُرْزٍ الكعبية قالت: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**ذهبت النُّبوَّة وبقيت المُبشِّرات**». صحَّحه ابن خزيمة وابن حِبَّان.

وروى الحاكم عن أنسٍ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ الرسالة والنُّبوَّة قد انقطعت، فلا رسول بعدي ولا نبيَّ**». قال: فشقَّ ذلك على الناس، فقال: «**لكن المُبشِّرات**» فقالوا: يارسول الله، ما المُبشِّرات؟ قال: «**رؤيا المسلم، وهي جزءٌ مِن أجزاء النُّبوَّة**». صحَّحه الحاكم على شرط مسلمٍ.

وروى الترمذيُّ، والحاكم من طريق أبي سلمة قال: نُبِّئتُ عن عبادة بن الصامت، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، في قوله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [يونس: ٦٤] قال: «**هي الرؤيا الصَّالحةُ يراها المؤمن أو تُرى له**». صحَّحه الحاكم -مع أنَّ فيه انقطاعًا- وروى له شاهدًا من طريق عطاء بن يسار عن أبي الدرداء عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مثله.

ثُمَّ وجدت أبا سعيدٍ الواعظ أسنده في كتاب "التعبير" من طريق العباس بن الوليد بن مزيد: أخبرنا عقبة بن علقمة المعافري: أخبرني الأوزاعي: حدَّثنا يحيىٰ بن أبي كثير: حدَّثني: أبوسلمة بن عبدالرحمن: حدَّثني عبادة بن الصامت. فذكر الحديث، وبهذه الرواية انتفىٰ الانقطاع وتمَّ اتصال السند.

وروىٰ ابن مَرْدُويَه في "تفسيره" عن عبدالله بن مسعودٍ قال: سألت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن قوله تعالىٰ: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [يونس: ٦٤] فقال: «**هي الرؤيا الصَّالحةُ**».

وروىٰ أحمد، عن عبدالله بن عمرو بن العاص، عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أنه قال: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [يونس: ٦٤] قال: «**الرؤيا الصَّالحةُ يُبَشَّرُها المؤمن**». الحديث. قال الحافظ الهيثميُّ: «في سنده ابن لَهيعة، عن دَرَّاج، وحديثهما حسنٌ وفيهما ضعفٌ، وبقية رجاله ثِقاتٌ».

وروىٰ البزَّار، عن جابر بن عبدالله بن رئاب، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في قوله تبارك وتعالىٰ: ﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[يونس: ٦٤] قال: «**هي الرؤيا يَراها المسلم أو تُرى له**». في سنده الكلبيُّ، وهو ضعيفٌ جدًّا.

قال المُهلَّب: «التعبير بالمبشِّرات خرج للأغلب، فإنَّ من الرؤيا ما تكون مُنذِرة وهي صادقةٌ يُريها الله للمؤمن رفقًا به ليستعدَّ لما يقع قبل وقوعه».اهـ

قلت: والتعبير بالمُسلِم خرج للأغلب أيضًا فإنَّ رؤيا المرأة المسلمة كذلك.

وروىٰ الحكيم الترمذيُّ، والطبرانيُّ عن عبادة بن الصامت: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**رؤيا المؤمن كلامٌ يُكلِّم به العبدُ ربَّه في المنام**».

قال الحافظ ابن حجرٍ: «إسناده واهٍ».

ونقل الحكيم الترمذيُّ عن بعض أهل التفسير في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ [الشورىٰ: ٥١] أي في المنام، ورؤيا الأنبياء وحيٌ بخلاف غيرهم، فالوحي لا يدخله خللٌ لأنه محروسٌ، بخلاف رؤيا غير الأنبياء فإنها قد يحضرها الشيطان».اهـ

المسألة التاسعة

روىٰ البخاريُّ عن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**مَن رآني في المنامِ فسَيَراني في اليقظةِ، ولا يَتمثَّل الشَّيطانُ بي**». ورواه مسلم، وزاد: «**أو لكأنما رآني في اليقظة**» علىٰ الشك.

ورواه ابن ماجه من حديث أبي جحيفة بلفظ: «**مَن رآني في المنام فكأنما رآني في اليقظة إنَّ الشيطان لا يستطيع أن يتمثَّل بي**». وإسناده حسنٌ.

ورواه ابن ماجه من حديث ابن مسعودٍ بلفظ: «**مَن رآني في المنام فقد رآني في اليقظة، إنَّ الشيطان لا يتمثَّل على صورتي**».وصحَّحه الترمذيُّ وأبوعوانة.

وهكذا رواه الطبرانيُّ في "الأوسط" من حديث عبدالله بن عمرو.

وفي الصحيحين عن أبي قتادة قال: قال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن رآني في المنام فقد رأى الحقَّ**».

وفيهما من حديث أبي سعيدٍ الخدريِّ مثله، بزيادة: «**فإنَّ الشيطان لا يَتكَوَّنُني**».

قال القاضي أبو بكر بن العربي: «رؤيا النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم

بصفته المعلومة إدراكٌ على الحقيقة، ورؤياه على غير صفته إدراكٌ للمِثال، فإنَّ الصواب: أنَّ الأنبياء لا تُغيِّرهم الأرض، ويكون إدراك الذات الكريمة حقيقةً، وإدراكُ الصفات إدراكَ المثل، وقوله: «**فسيراني**»، معناه: فسيرى تفسير ما رأى؛ لأنه حقٌّ وغَيْبٌ أُلقي إليه، وقيل: معناه: فسيراني في القيامة، ولا فائدة في هذا التخصيص.

وأمَّا قوله: «**فكأنما رآني**» فهو تشبيهٌ، ومعناه: أنه لو رآه في اليقظة لطابق ما رآه في المنام، فيكون الأول حقًّا وحقيقةً والثاني حقًّا وتمثيلًا، وهذا كله إذا رآه على صورته المعروفة، فإن رآه على خلاف صفته فهي أمثالٌ، فإن رآه مُقبلًا عليه مثلًا، فهو خيرٌ للرائي، وعلى العكس فبالعكس».اهـ

وقال القرطبيُّ: «الصحيح في تأويل هذا الحديث أنَّ مقصوده أنَّ رؤيته في كلِّ حالةٍ ليست باطلةً ولا أضغاثًا، بل هي حقٌّ في نفسها ولو رُؤي على غير صورته، فتصَوُّر تلك الصورة ليس من الشيطان، بل هو من قِبَل الله، وهذا قول القاضي أبي بكر بن الطيب وغيره، ويؤيده قوله: «**فقد رأى الحقَّ**». أي: رأى الحقَّ الذي قُصِد إعلام الرائي به، فإن كانت على ظاهرها، وإلَّا سعى في تأويلها، ولا يُهمل أمرها لأنها إما بُشرى بخيرٍ أو إنذارٌ من شرٍّ، إمَّا ليُخيف الرائي، وإمَّا لينزجر عنه، وإما لينبَّه على حكمٍ وقع له في دينه أو دنياه».اهـ

قلت: اختلف العلماء في تأويل الحديث على أقوالٍ، نلخِّصها فيما يلي:

١- أنَّ المراد به التشبيه، بدليل قوله: «**فكأنما رآني في اليقظة**».

٢- أنَّ المعنى: مَن رآني في المنام فسيرى تأويل تلك الرؤيا في اليقظة بطريق الحقيقة أو التعبير. قاله ابن العربي وغيره.

٣- أنه خاصٌّ بأهل عصره ممَّن آمن به ولم يره، فيكون مُبشِّرًا له بأن يراه قبل موته. نقله ابن التِّين عن القزاز، وأبداه المازري احتمالًا.

٤- أنَّ من رآه في المنام يراه يوم القيامة رؤيةً خاصَّةً بمزيد تَكْرمةٍ وقُرْبٍ لا تحصل لمن لم يره في المنام. ذكره القاضي عياض، قال: «ولا يبعد أن يعاقب الله بعض المذنبين في القيامة بمنع رؤية النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مدةً».

٥- أنَّ من رآه في المنام يراه في اليقظة في جميع العصور.

ونقل العارف أبو محمَّد ابن أبي جمرة عن جماعةٍ من الصالحين أنهم رأوا النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في المنام، ثُمَّ رأوه بعد ذلك في اليقظة وسألوه عن أشياء كانوا منها متخوِّفين فأرشدهم إلى طريق تفريجها فجاء الأمر كذلك، واختاره الحافظ السيوطيُّ، وذكر أنَّ الشخص من عوام المسلمين إذا رأى النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في المنام لا بد أن يراه في اليقظة ولو لحظة خروج روحه تحقيقًا لوعده الصادق.

أنَّ فائدة رؤيا النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم تسكين شوق الرائي لكونه صادقًا في محبَّته ليعمل على مشاهدته، وإلى ذلك الإشارة بقوله: «فسيراني في اليقظة». أي: من رآني رؤيا معظِّمٍ لحرمتي ومشتاقٍ إلى مشاهدتي وصل إلى رؤية محبوبه وظفر بكلِّ مطلوبه. قاله القرطبي، وفيه تلميحٌ إلى ما حكاه ابن أبي جمرة.

أن يكون مقصود رؤياه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم معنى صورته، وهو دينه وشريعته، فيُعبَّر بحسب مايراه الرائي من زيادةٍ ونقصانٍ أو إساءةٍ أو إحسانٍ. قاله القرطبيُّ أيضًا.

قلت: من هذا المعنى ما حكاه الشيخ خليل بن شاهين الظاهريُّ: أنَّ رجلًا

رأىٰ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في المنام عريانًا فغطَّاه وقام مسرورًا من هذه الرؤيا، فسأل عن تعبيرها، فقال له المعبِّر: النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حقٌّ، وتغطيتك له تغطيةٌ للحقِّ(١).

---

(١) وذكر الشيخ محي الدين بن العربي الحاتمي: «أنه رأىٰ مرةً في صباه في المنام في جامع إشبيلية، النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ميتًا مُسَجًّىٰ في بعض زواياه، فلما كان بعد ذلك بسنين، دخل ذلك الجامع مع بعض أهل بلده ليَعْبُر من أحد أبوابه إلىٰ الجانب الآخر لبعض مصالحه، فقال لصاحبه: إني لا أجوز الجامع حتىٰ أركع فيه ركعتين، فقال له صاحبه: تعال نركع في تلك الزاوية، وأشار إلىٰ ذلك الموضع الذي رأيت فيه النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ميتًا مُسَجّىٰ، فأبيت، فقال لي: لم تتأبَّ من الصَّلاة هناك؟ فأخبرته بالرؤيا وقلت: لذلك أكره الصلاة هناك، فتعجَّب وقال: رأيتَ الحقَّ، وسأخبرك عن سرِّ رؤياك: اعلم أنَّ ذلك الموضع كان بيتي، وأراد صاحب بلاد المغرب أن يوسِّع الجامع فرفع أحد حيطانه واشترىٰ البيوت التي كانت وراءه ليدخلها في المسجد ولم يبقَ إلَّا بيتي، فثامنوني عليه ولم يعطوني ما أرضى به، فأبَيْتُ، فأخذوه بغير رضاي بما اشتهوا، فالذي رأيت لم يكن النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إنما هو شرعه مات بالنسبة إلىٰ هذا الموضع وسُتِر بصورة المبايعة، ولم تكن مبايعةً صحيحةً بل الموضع كان مغصوبًا، وأمَّا الآن فأُشهِدك أني قد تركت حقِّي للمسلمين، فتعال صلِّ فيه، فمضينا وصلَّينا وخرجنا لحاجتنا».

نقل هذه الحكاية، عن الشيخ محي الدين تلميذه صدر الدين القونوي في "شرح الأربعين"، في الكلام علىٰ الحديث الثاني والعشرين، وهو حديث ابن مسعود: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «مَن رآني في المنام فقد رآني فإنَّ الشيطان لا يتمثَّل بي». وذكر صدر الدين أيضًا قال: رأيت في الليلة التي أُخذِت بغداد بصبيحتها النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مكفَّنًا علىٰ نعشٍ، وأقوام يشدونه علىٰ النعش ورأسه

ونقل القاضي عياض عن بعض العلماء قال: «خصَّ الله نبيَّه بعموم رؤياه كلها، ومنع الشيطان أن يتصوَّر في صورته لئلَّا يُتذرَّع بالكذب على لسانه في النوم، ولما خرق الله العادة للأنبياء للدلالة على صحَّة حالهم في اليقظة واستحال تصوُّر الشيطان على صورته في اليقظة، ولا على صفةٍ مضادَّة لحاله - إذ لوجاز ذلك لدخل اللبس بين الحقِّ والباطل ولم يوثق بما جاء من جهة النبوة- حمى الله حماها لذلك من الشيطان وتصوره وإلقائه وكيده، وكذلك حمى رؤياهم أنفسهم ورؤيا غير النبيِّ للنبيِّ عن تمثيل بذلك، لتصح رؤياه في الوجهين ويكون طريقًا إلى علمٍ صحيحٍ لا ريب فيه».اهـ

مكشوف وشعره يكاد يمس الأرض، فقلت لأولئك: ما تصنعون؟ فقالوا: إنه مات ونحن نريد حمله ودفنه، فوقع في قلبي أنه عليه السَّلام لم يمت، فقلت لهم: ما أرى وجهه وجه ميت، اصبروا حتى أتحقَّق الأمر، فدنوت إلى فمه وأنفه فوجدته يتنفس نفسًا ضعيفًا، فصحت عليهم ومنعتهم ممَّا كانوا عازمين عليه، واستيقظت فزعًا كئيبًا، وعَرفتُ بما كنت أعلم من هذه المسألة والتجارب المكررة أنَّ ذلك مثال حادثٍ عظيم حدث في الإسلام، وقد كان الخبر وصل بأنَّ المغول قد قصدوا بغداد، فضبطت التاريخ، فجاء غير واحدٍ ممَّن حضر الوقعة من أهل الخبرة وذكر أنَّ في ذلك اليوم أُخِذَت بغداد، فخرَجَت الرؤيا على نحو ما وقع لي في تعبيرها.

قلتُ: حكى هذه الرؤيا والتي قبلها تأييدًا لما قرَّره من أنَّ رؤيا النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على غير صورته الحقيقية لا يكون المرئي فيها ذاته الشريفة، بل ذلك المرئي صورة الشرع بالنسبة إلى اعتقاد الرائي أو حاله، أو بالنسبة إلى صفةٍ أو حكمٍ من أحكام الإسلام، أو بالنسبة إلى ذلك الموضع الذي رأى فيه الرائي تلك الصورة التي ظنَّها صورة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

وقيل - في عدم تمثل الشيطان به -: إنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مظهر الاسم الهادي، ولذلك قال تعالىٰ يخاطبه: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ﴾ [الشورىٰ: ٥٢] والشيطان مظهر المُضِّل، والهداية والإضلال ضدَّان، فمُنع الشيطان عن ظهورٍ بصورته صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

وروىٰ ابن أبي عاصمٍ بإسنادٍ ضعيفٍ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن رآني في المَنامِ فقد رآني فإنِّي أُرى** - بضم الهمزة - **في كلِّ صُورةٍ**».

قال العلماء: مَن رأىٰ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في المنام، فقد رآه حقيقةً؛ فإنَّ الشيطان لا يتمثَّل به، لكن إذا رآه علىٰ صورته كانت رؤياه علىٰ ظاهرها لاتحتاج إلىٰ تأويل، وإن رآه علىٰ خلاف صورته كانت رؤياه تحتاج إلىٰ تأويلٍ.

وقال العارف أبومحمد ابن أبي جمرة: «من رآه في صورةٍ حسنةٍ فذاك حُسْنٌ في دين الرائي، وإن كان في جارحةٍ من جوارحه شَيْنٌ أو نَقْصٌ فذاك خَلَلٌ في الرائي من جهة الدِّين، وهذا هو الحقُّ. وقد جُرِّب ذلك فوُجِد علىٰ هذا الأسلوب، وبه تحصل الفائدة الكبرىٰ في رؤياه، حتىٰ يتبيَّن للرائي هل عنده خَلَلٌ أو لا؟ لأنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم نورانيٌّ، مثل المرآة الصقيلة، ما كان في الناظر إليها من حُسْنٍ أو غيره تصوَّر فيها، وهي في ذاتها علىٰ أحسن حالٍ لا نقص فيها ولا شَيْن، وكذلك يقال في كلامه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في النوم، أنه يُعرض علىٰ سُنَّته فما وافقها فهو حقٌّ وما خالفها فالخَلَلُ في سمع الرائي، فرؤيا الذات الكريمة حقٌّ، والخلل إنما هو في سمع الرائي له أو بصره». أهـ

قلت: حكىٰ الحافظ في "الفتح" وجهين في النائم لو رأىٰ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يأمره بشيءٍ: هل يجب عليه امتثاله ولابد؟ أو لابدَّ أن يعرضه علىٰ الشرع الظاهر؟ قال: «فالثاني هو المعتمد».اهـ

وقال القرافي: «واختلف قول الفقهاء: لوقال لرائيه: امرأتك طالقٌ ثلاثًا، وهو يجزم أنه لم يُطلِّق ثلاثًا، هل يلزمه الطلاق ثلاثًا لأنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لا يقول إلَّا حقًّا، أو لا يلزمه شيءٌ؟ وهو الأظهر؛ لأن إخباره صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في اليقظة مقدَّم علىٰ إخباره في النوم، لأنَّ احتمال الغلط في ضبط المثال في النوم أرجح من الغلط في ضبط عدم الطلاق، لأنَّ هذا لا يُتخَيَّل إلَّا علىٰ النَّادر من الناس، وأمَّا المثال في النوم فلا ينضَبِط إلَّا للأفراد من الحفَّاظ لصفته صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، والعمل بالراجح واجب».اهـ

وقال الشوكانيُّ في "إرشاد الفحول": «رؤيا النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ذكر جماعة من أهل العلم -منهم الأستاذ أبو إسحاق- أنها تكون حُجَّةً ويلزم العمل بها، وقيل: لا تكون حُجَّةً ولا يثبت بها حكمٌ شرعيٌ، وإن كانت رؤياه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم رؤيا حق والشيطان لا يتمثَّل به، لكن النائم ليس من أهل التحمُّل للرواية لعدم ضبطه.

وقيل: إنه يعمل بها ما لم تُخالف شرعًا ثابتًا، قال: ولا يخفاك أنَّ الشرع الذي شرعه الله لنا، قد كمَّله الله عزَّ وجلَّ وقال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] ولم يأتنا دليلٌ يدل علىٰ أنَّ رؤيته في النوم بعد موته صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إذا قال قولًا أو فعل فعلًا يكون حُجَّةً، وبهذا تعلم أن لو قدَّرنا ضبط النائم، لم يكن ما رآه من قوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أو فعله حُجَّةً عليه ولا

على غيره من الأُمَّة».اهـ

قلت: حكى التاج السبكيُّ: «أنَّ رجلًا من أهل الشام رأى النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في المنام يقول له: في الموضع الفلاني رِكازٌ، خذه ولا خمس عليك، فذهب إلى ذلك الموضع ووجد الرِّكاز، واستفتى العلماء فأفتوه ألَّا خمس عليه، ورأوا ذلك خاصًّا به، إلَّا عز الدين بن عبدالسَّلام أفتاه بوجوب الخمس وقال له: إخراج الخمس ثابتٌ بالتواتر، ورؤياك غايتها أن تكون خبر آحادٍ، والتواتر مُقدَّم على الآحاد».

وقال الأُبِّي: «يُذكر أنَّ الشيخ الفقيه ابن البراء كان يقرأ في مسجد القبة من تونس، فأتاه رجلٌ فقال له: رأيت البارحة النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وقال لي: «قل لفلانٍ يعطيك جُبَّةً»، فقال له الفقيه: قال لي أنا في اليقظة لا أعطيك شيئًا.

فذهب الرجل، فدخل على الرجل الصالح أبي عبدالله -المشتهر بالمغربي- في موضعه القريب من المسجد المذكور فأعطاه، فقيل له: إنَّ الرجل يتخرَّص، فقال الشيخ: لو علمت أنه محقٌّ أعطيته»(١).

---

(١) روى حمَّاد بن أسامة، عن عمر بن حمزة: أخبرني سالم بن عبدالله، عن أبيه قال: قال عمر: رأيت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في المنام لا ينظرني، فقلت: يا رسول الله ماشأني؟ فقال: «ألست الذي تُقبِّل وأنت صائم؟» قلت: فوالذي بعثك بالحقِّ لا أُقبِّل بعدها وأنا صائم. قال ابن حزمٍ في "المحلَّى": «الشرائع لا تثبت بالمنامات، لاسيما وقد أفتى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عمر في اليقظة حيًّا بإباحة القبلة للصائم، وعمر بن حمزة: لا شيء».اهـ

قلتُ: حديث إباحة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم القُبلة لعمر وهو صائمٌ: رواه

وللعلامة الشيخ حسن العطار، رسالة في رؤيا النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أشبع فيها القول، وتشتمل علىٰ نفائس.

تنبيهات

الأول: روىٰ الطبرانيُّ في "الأوسط" عن أبي سعيدٍ الخدريِّ عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن رآني في المَنامِ فسَيَراني في اليَقَظَةِ، ولا يَتَمَثَّل الشيطانُ بي ولا بالكَعْبَةِ**». وقال الطبرانيُّ: «لا تحفظ هذه اللفظة إلَّا في هذا الحديث».اهـ

وقال الحافظ الهيثميُّ: «في سنده محمَّد بن أبي السَّري، وثَّقه ابن معينٍ وغيره، وفيه لِينٌ، وبقية رجاله رجال الصحيح».اهـ

قوله «**ولا بالكعبة**» معناه: أنَّ الشيطان لا يستطيع أن يُخَيِّل للنائم بنايةً تُشبه بناية الكعبة؛ لأنها بناية إبراهيم وإسماعيل عليهما السَّلام، وقبلة المسلمين.

الثاني: قال أبوسعيدٍ الواعظ في كتاب "التعبير": أخبرنا أبوالحسن عبدالوهاب بن حسن الكلابي بدمشق، قال: حدَّثنا أبو أيوب سليمان بن محمَّد الخزاعيُّ، عن محمَّد بن المصفي، عن يحي بن سعيد القطَّان، عن سعيد بن مسلمٍ، عن أنس بن مالكٍ: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن رآني في المنامِ فلن يدخلَ النَّار**».

سليمان بن محمَّد الخزاعيُّ، قال ابن عبدالبر: «لا يُحتجُّ به»، وقال الحافظ:

أحمد وأبو داود والنَّسائيُّ، وصحَّحه ابن خزيمة وابن حِبَّان والحاكم. وعمر بن حمزة ضعَّفه أحمد وابن معينٍ والنَّسائيُّ، وذكره ابن حِبَّان في "الثِقات" وقال: «يُخطئ». وصحَّح له الحاكم وقال: «أحاديثه كلها مستقيمةٌ». وهو من رجال مسلمٍ.

«ما عرفت حاله». ومحمَّد بن المصفي يُدلِّس تدليس التسوية.

وروي أيضًا من طريق محمَّد بن المصَفَّي، عن بكر بن سعيدٍ، عن سعيد بن قيسٍ، عن أبيه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لن يدخلَ النَّارَ مَن رآني في المنامِ**». محمَّد بن المصَفَّي مدلِّس.

الثالث: قال العارف أبو محمَّد ابن أبي جمرة: «يؤخذ من قوله: «**فإنَّ الشيطان لا يتمثَّل بي**» إن تَمَثَّلَت صورتُه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في خاطرِه من أرباب القلوب وتَصَوَّرت له في عالم سره أنه يكلِّمه، أنَّ ذلك يكون حقًّا، بل ذلك أصدق مِن مرأى غيرهم لما مَنَّ الله به عليهم من تنوير قلوبهم».اهـ

قال الحافظ ابن حجرٍ: «وهذا المقام الذي أشار إليه هو الإلهام، وهو من جملة أصناف الوحي إلى الأنبياء، ولكن لم أرَ في شيءٍ من الأحاديث وَصْفَه بما وُصِفَت به الرؤيا: أنه جزءٌ من النبوة، وقد قيل في الفرق بينهما: أنَّ المنام يرجع إلى قواعد مقرَّرة، وله تأويلات مختلفة، ويقع لكل أحدٍ، بخلاف الإلهام فإنه لا يقع إلَّا للخواص، ولا يرجع إلى قاعدةٍ يُميَّز بها بينه وبين لَمَّة الشيطان، وتُعقِّب بأنَّ أهل المعرفة بذلك ذكروا أنَّ الخاطر الذي يكون من الحقِّ يستقر ولا يضطرب، والذي يكون من الشيطان يضطرب ولا يستقر، فهذا إن ثبت كان فارقًا واضحًا ومع ذلك فقد صرَّح الأئمة بأنَّ الأحكام الشرعية لا تَثْبُت بذلك».

قال أبوالمظفر بن السمعاني -بعد أن حكى عن أبي زيد الدَّبُوسيِّ من أئمة الحنفية أنَّ الإلهام ما حرَّك القلب لعلمٍ يدعو إلى العمل به من غير استدلال-: «والذي عليه الجمهور أنه لا يجوز العمل به إلَّا عند فقد الحُجَج كلِّها في باب المباح، وعن بعض المبتدعة أنه حُجَّةٌ واحتجَّ بقوله تعالى: ﴿**فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا**

وَتَقْوَىٰهَا﴾[الشمس: ٨] وبقوله: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾[النحل: ٦٨] أي ألهمها حتىٰ عرفت مصالحها، فيؤخذ منه مثل ذلك للآدمي بطريق الأولىٰ، وذكر قوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**اتقوا فِراسة المؤمن**». وقوله لوابصة: «**ما حاك في صدرك فدعه وإن أفتوك**». فجعل شهادة قلبه حُجَّةً مقدَّمة علىٰ الفتوىٰ، وقوله: «**قد كان في الأُمَم مُحدَّثون**». فثبَت بهذا أنَّ الإلهام حقٌّ وأنه وحيٌ باطنٌ، وإنما حُرِمَه العاصي لاستيلاء وحي الشيطان عليه».

قال: «وحُجَّة أهل السُنَّة: الآيات الدالة علىٰ اعتبار الحُجَّة، والحثُّ علىٰ التفكُّر في الآيات، والاعتبار والنظر في الأدلة، وذمُّ الأماني والهواجس والظنون وهي كثيرةٌ مشهورةٌ، وبأنَّ الخاطر قد يكون من الشيطان، وقد يكون من النفس، وكلُّ شيءٍ احتمل أن لا يكون حقًّا فليس بحقٍّ».

قال: «والجواب عن قوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾[الشمس: ٨] أنَّ معناه: عرَّفها طريق العلم وهو الحُجَج، وأمَّا الوحي إلىٰ النحل فنظيره في الآدمي فيما يتعلَّق بالصنائع وما فيه صلاح المعاش، وأمَّا الفِراسة فنسلِّمها لكن لا نجعل شهادة القلب حُجَّةً؛ لأنَّا لا نتحقَّق كونها من الله أو من غيره».اهـ

قال ابن السمعاني: «وإنكار الإلهام مردودٌ، ويجوز أن يفعل الله بعبده ما يُكرمه به، ولكن التمييز بين الحقِّ والباطل في ذلك: أنَّ كلَّ ما استقام علىٰ الشريعة المحمدية ولم يكن في الكتاب والسُّنَّة ما يرُدَّه فهو مقبولٌ، وإلَّا فمردودٌ يقع من حديث النفس ووسوسة الشيطان». قال: «ونحن لا نُنكر أنَّ الله يُكرم عبده بزيادة نورٍ منه يزداد به نظره ويَقْوَىٰ به رأيه، وإنما نُنكر أن يرجع إلىٰ قلبه بقولٍ لا يُعرف أصله، ولا نزعم أنه حُجَّةٌ شرعيةٌ وإنما هو نور يختصُّ الله به من

يشاء من عباده، فإن وافق الشرع كان الشرع هو الحُجَّة».اهـ

وفي "جمع الجوامع": «الإلهام: إيقاع شيءٍ في القلب يثلج له الصدر يَخصُّ به الله تعالىٰ بعض أصفيائه، وليس بحُجَّةٍ، لعدم ثقة من ليس معصومًا بخواطره، خلافًا لبعض الصوفية».اهـ

وقال أبو علي التميمي في كتاب "التذكرة في أصول الدين": «ذهب بعض الصوفية إلىٰ أنَّ المعارف تقع اضطرارًا للعباد علىٰ سبيل الإلهام بحكم وعد الله سبحانه وتعالىٰ، بشرط التقوىٰ. واحتجَّ بقوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانًا ﴾[الأنفال: ٢٩] أي: ما تُفَرِّقون به بين الحق والباطل، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجًا ﴾[الطلاق: ٢] أي عن كلِّ ما يلتبس علىٰ غيره وجه الحكم فيه، وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة: ٢٨٢] هذه العلوم الدينية تحصل للعباد إذا زَكَت أنفسهم وسَلَّمت قلوبهم لله تبارك وتعالىٰ بترك المنهيات وفعل المأمورات، وخبره صدقٌ ووعده حقٌّ.

واحتجَّ السهروردي علىٰ الإلهام بقوله تعالىٰ: ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِ ﴾ [القصص: ٧]، وبقوله سبحانه: ﴿ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ ﴾[النحل: ٦٨] فهذا الوحي مجرَّد الإلهام، ثُمَّ إنَّ من الوحي علومًا تحدث في النفوس الزكية المطمئنَّة. قال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ مِن أُمَّتي المُحَدَّثين والمكَلَّمين**» وقال تعالىٰ: ﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴾ [الشمس: ٧ - ٨] فأخبر أنَّ النفوس مُلْهَمةٌ، والحديث الذي أشار إليه رواه الشيخان، ولفظ رواية مسلمٍ: «**قد كان يكون في الأُمَمِ قبلكم مُحدَّثون فإن يكن في أُمَّتي منهم**

٣٨٢ ـــــــ

وقال الشوكانيُّ: «على تقدير الاستدلال لثبوت الإلهام بمثل ما تقدَّم من الأدلة، مِن أين لنا أنَّ دعوى هذا الفرد لحصول الإلهام له صحيحة؟ وما الدليل على أنَّ قلبه من القلوب التي ليست بموسوسةٍ ولا بمتساهلةٍ؟».اهـ

والحاصل: أنَّ الإلهام ليس بحُجَّةٍ شرعية، لكن إذا أيَّده دليلٌ شرعيٌّ ساغ لصاحبه أن يعمل به في حقِّ نفسه، وهو مُلْحَقٌ بالكرامات كما سبق في كلام ابن السمعانيِّ والقرطبيِّ، والله أعلم.

الرابع: حديث «**اتقوا فِراسة المؤمن فإنَّه ينظرُ بنور الله**». رواه الترمذيُّ، وابن أبي حاتمٍ، وابن جريرٍ من حديث أبي سعيدٍ الخدريِّ، ورواه ابن جريرٍ من حديث ابن عمر، ورواه الطبرانيُّ من حديث أبي أمامة، ورواه ابن جرير من حديث ثوبان بلفظ: «**احذروا...**»الحديث. وهو حديثٌ حسنٌ كما قال الحافظ الهيثميُّ، والحافظ السيوطي، وأخطأ ابن الجوزيِّ بذكره في "الموضوعات".

وشاهِدُه ما رواه البزَّار، وابن جريرٍ من حديث أنس بن مالكٍ، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ لله عبادًا يعرفون النَّاس بالتوَسُّم**».

المسألة العاشرة

رؤيا الله تعالى في المنام، حكى وليُّ الدين العراقي في "شرح جمع الجوامع" خلافًا فيها عن الصابوني من الحنفية، والقاضي أبي يعلى من الحنابلة؛ لأنَّ ما يُرى في المنام خيالٌ ومثالٌ وهو في حقِّ الله تعالى مُحالٌ.

ولهذا بالغ ابن الصلاح في إنكارها، كما حكاه المحليُّ في "شرح جمع الجوامع"، لكن قال عياض في "شرح مسلم": «ولم يختلف في جواز رؤية الله تعالى في المنام، حتى لو رؤي على صفةٍ لا تليق، كرؤيته في صفة رجلٍ، للعلم

بأنَّ ذلك المرئي ليس ذاته الكريمة؛ لاستحاله صفة الأجسام عليه».

وقال القاضي أبو بكر بن العربي: «رؤيته تعالىٰ في النوم أوهامٌ وخواطرٌ في القلب يتعالىٰ الله سبحانه عنها، وهي دلالةٌ للرَّائي علىٰ أمورٍ ممَّا كان أو سيكون كغيرها من الرؤيات».

قال القرافي: «هذا إن ادَّعاه مَن هو مِن أهله، كوليٍّ مُتَّقٍ، ويكون ذلك تخصيصًا لعموم قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[الأنعام: ١٠٣] وإذا قُبل قول الوليِّ في الكرامة الخارقة للعادة المخصَّصة للعلوم القطعية، فكيف في تخصيص العموم الذي لا يُفيد إلَّا الظنَّ؟! وأمَّا إن ادَّعاه مَن ليس مِن أهله كالعاصي أو المقصِّر فإنَّا نُكذِّبه.

وأمَّا رؤيته تعالىٰ علىٰ ما يستحيل، كرؤيته في صورة رجلٍ يتقاضى مِن الرَّائي أمرًا أو يأمره بخيرٍ أو ينهاه عن شرٍّ، ويقول: «أنا الله لا إله إلَّا أنا فاعبدني» فهو أيضًا جائزٌ، وتكون رؤيا تأويل تدل علىٰ ما كان أو سيكون كغيرها من الرؤيات، فيسأل عن تعبيرها. والرائي يعلم أنَّ ذلك المرئي أمرٌ واردٌ من الله، أو خلقٌ مِن خلقه يدل علىٰ أمره، وإطلاق اسم الله تعالىٰ علىٰ ذلك المرئيِّ مَجازٌ، كما أطلق في حديث: «**ينزل ربُّنا إلى سماء الدُّنيا**» والمراد الرحمة، علىٰ أحد التأويلات».اهـ

وقال الغزالي في كتاب "المضنون به علىٰ غير أهله": «الحقُّ أنَّا نطلق القول بأنَّ الله تعالىٰ يُرىٰ في المنام، كما نطلق القول بأنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يُرىٰ، لكن المَرئي مثالٌ محسوسٌ من نورٍ وغيره مِن الصور الجميلة التي

تصلح أن تكون مثالًا للجمال الحقيقي المعنوي الذي لا صورة له ولا لون، ويكون ذلك المثال صادقًا حقًّا وواسطةً في التعريف، فيقول الرائي: «رأيت الله في المنام» لا بمعنىٰ رأيت ذاته، كما يقول: رأيت النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لا بمعنىٰ أني رأيت ذات روحه أو ذات شخصه، بل بمعنىٰ أنه رأىٰ مثاله».

قال: «فإن قيل: النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم له مِثْلٌ، والله تعالىٰ لا مِثْل له. قلنا: هذا جهلٌ بالفرق بين المِثْل والمِثال، فليس المِثال عبارةً عن المِثل، إذ المِثل: المساوي في جميع الصفات.

والمِثال لا يُحتاج فيه إلىٰ المساواة، فإنَّ العقل معنىٰ لا يُماثله غيره مماثلةً حقيقيةً، ولنا أن نضرب له الشمس مِثالًا لما بينهما من المناسبة في شيءٍ واحدٍ وهو أنَّ المحسوسات تنكشف بنور الشمس كما تنكشف المعقولات بالعقل فهذا القدر من المناسبة كافٍ في المثال.

ويمثل في النوم السلطان بالشمس والوزير بالقمر، والسلطان لا يُماثل الشمس بصورته ولا بمعناه ولا الوزير يماثل القمر، إلَّا أنَّ السلطان له استعلاءٌ علىٰ الكلِّ، ويعمُّ أمره الجميع والشمس تناسبه في هذا القدر، والقمر واسطةٌ بين الشمس والأرض في إفاضة النور كما أنَّ الوزير واسطةٌ بين السلطان والرعية في إفاضة نور العدل، فهذا مثالٌ وليس بمِثْلٍ.

وقال الله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ﴾ الآية [النور: ٣٥]. ولا مماثلة بين نوره وبين الزجاجة والمشكاة، وعبَّر النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن اللبن في المنام بالإسلام، والحبل بالقرآن، وأيُّ مماثلةٍ بين اللبن والإسلام وبين الحبل والقرآن؟! إلَّا في مناسبة، وهو أنَّ الحبل يُتمسَّك به

في النجاة، واللبن غذاء الحياة الظاهرة، والإسلام غذاء الحياة الباطنة، فهذه كلها مثال وليست بمثل، فذات الله تعالىٰ وذاته صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لا يُريان في المنام، وإنَّ مثالًا يعتقده النائم ذات الله تعالىٰ وذات النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يجوز أن يُرىٰ، وكيف يُنكَر ذلك مع وجوده في المنامات؟! فإن لم يره بنفسه، فقد تواتر إليه عن جماعةٍ أنهم رأوا ذلك».اهـ وهو تحقيقٌ نفيسٌ.

وعلىٰ هذا فمعنىٰ قول النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في حديث اختصام الملأ الأعلىٰ: «رأيت ربِّي في أحسن صورةٍ...»الحديث: أنَّ الله تعالىٰ أراد أن يُطلِع نبيه علىٰ الملأ الأعلىٰ وعلىٰ ما شاء من غيبه من غير واسطة جبريل عليه السَّلام، فتعرَّف إليه بهذه الصورة التي كانت آلةً أدَّت ما أوحىٰ الله إليه بواسطتها، فهي مِثالٌ وليست بمثلٍ، وعالم الرؤيا عالم مِثال يُرىٰ فيه ما ليس بجسمٍ في صورة الجسم، فيُرىٰ العِلْم في صورة اللَّبَن، والدِّين في صورة القَميص، والعهد في صورة الحبْل وهكذا.

وقد اشتهر عن الإمام أحمد بن حنبلٍ أنه رأىٰ الله تعالىٰ في المنام مرَّات، سأله في إحداها: «ما أفضل ما يتقرَّب به المتقرِّبون إليك؟ قال: كلامي يا أحمد. قال: بفهمٍ أم بغير فهمٍ؟ قال: بفهمٍ وبغير فهمٍ».

وروىٰ أبو سعيدٍ الواعظ عن عبدالله بن خفيف، قال: حدَّثني ابن أخت بشر بن الحارث، قال: جاء رجلٌ إلىٰ بشر فقال: أنت بِشْر؟ قال: نعم. قال: رأيتُ الربَّ عزَّ وجلَّ في المنام وهو يقول: ائت بِشْرًا وقل له: لو سجدْتَ لي علىٰ الجَمْر ما أدَّيت شُكْري، لما قد بيَّنْتُ اسمك في الناس.

وروي أيضًا عن عثمان الأحول -تلميذ أبي سعيدٍ الخرَّاز- قال: بات عندي

أبوسعيد فلمَّا مضىٰ ثلثٌ مِن الليل صاح بي: يا عثمان، قم أَسْرِج، فقمت فأسرجتُ، فقال لي: ويحك رأيت الساعة كأني في الآخرة والقيامة قد قامت، فنودِيتُ فأوقِفت بين يدي ربِّي وأنا أرعُدُ لم تبقَ عليَّ شعرةٌ إلَّا قد ماتت، فقال: أنت الذي تُشير إليَّ في السماع بسلمىٰ وبثينة؟! لولا أعلم أنك صادقٌ في ذلك لعذَّبتك عذابًا لا أعذبه أحدًا مِن العالمين.

قلت: يقع لكثير من الصوفية الرمز للحضرة الإلهية بليلىٰ وسُعْدىٰ ونُعْمىٰ - بضم النون وسكون العين- ونحو ذلك من أسماء النِّساء، وهو خطأٌ قبيحٌ لا عُذْر لهم فيه إلَّا أن يقال: أنه خرج منهم في حالة شطحٍ وعدم وعي؛ لأنَّ الحضرة الإلهية أعلىٰ وأجلُّ مِن أن تكون موضع تغزُّل وتشبيب.

ومن الخطأ القبيح أيضًا تغزُّل المُدّاح في النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم والرمز إليه بالغزال وبالرشأ، وأنه سباهم بكحل عينه وحسن قوامه ونحو ذلك من ألفاظ الغزل التي يَجِلّ مقام النبوة عنها.

وروىٰ أبو سعيدٍ الواعظ عن أبي القاسم البزَّار، قال: قال علي بن الموفق: حَجَجْتُ نيفًا وخمسين حَجَّةً، وجعلت ثوابها للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، ولأبي بكرٍ وعمر وعثمان وعليٍّ رضي الله عنهم، ولأبوي، وبقيت حَجَّةٌ واحدةٌ فنظرت إلىٰ أهل الموقف بعرفات وضجيج أصواتهم فقلت: اللهمَّ إن كان في هؤلاء واحدٌ لم يتقبَّل حَجُّه، فقد وهبت له هذه الحَجَّة ليكون ثوابها له. قال: فبتُّ تلك الليلة بالمزدلفة فرأيت ربِّي تبارك وتعالىٰ في المنام، فقال: «يا علي بن الموفق، أعَلَيَّ تتسَخَّىٰ؟! قد غفرت لأهل الموقف ومثلهم معهم وأضعاف ذلك، وشفَّعت كلَّ رجلٍ منهم في أهل بيته وخاصَّته وجيرانه، وأنا أهل

التقوىٰ وأهل المغفرة»[١].

---

(١) قال القرطبيُّ في "التذكرة": «روي عن يحيىٰ بن أكثم القاضي -وقد رؤي في النوم بعد موته- فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: أوقفنىٰ بين يديه، ثُمَّ قال: يا شيخ السوء فعلت كذا وفعلت كذا، فقلت: يا رب ما بهذا حُدِّثتُ عنك، قال فبماذا حُدِّثتَ عنِّي يا يحيىٰ؟ فقلتُ: حدَّثني الزهريُّ، عن مَعْمَرٍ، عن عروة، عن عائشة، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلم، عن جبريل، عنك سبحانك أنك قلت: «**إني لأستحيي أن أُعذِّب ذا شيبةٍ شاب في الإسلام**». فقال: يا يحيىٰ، صدقتَ، وصدق الزهري، وصدق مَعْمَرٌ، وصدق عروة، وصدقت عائشة، وصدق محمَّدٌ، وصدق جبريل، وقد غفرت لك». **قلت**: هذا الحديث لا أعرفه بهذا الإسناد، ويحيىٰ لم يدرك الزهريَّ، ومعمرٌ من تلاميذ الزهريِّ.

لكن روىٰ أبويعلىٰ بإسنادٍ ضعيفٍ عن أنسٍ، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**يقول الله تبارك وتعالى: إنِّي لأستحيي مِن عبدى وأَمَتى يشيبان في الإسلام، فتشيب لِحية عبدى ورأس أَمَتى في الإسلام أعذِّبهما في النَّارِ بعد ذلك**».

وذكر القرطبيُّ أيضًا عن منصور بن عمار: أنه رُؤي في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: أوقفني بين يديه، وقال لي: «بماذا جئتني يا منصور؟» قلت: بستٍ وثلاثين حَجَّةً، قال: «ما قبلت منها واحدة»، ثُمَّ قال: «بماذا جئتني؟» قلت: بثلاثمئةٍ وستين ختمةً من القرآن. قال: «ما قبلت منها واحدة» ثُمَّ قال: «بماذا جئتني؟» قلت: جئتك بك، قال سبحانه: «الآن جئتني، اذهب فقد غفرت لك».

وروىٰ أبونعيمٍ في "الحلية" من طريق عبدالرحمن بن المطرف قال: رؤي منصور بن عمَّار بعد موته، فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي وقال: «يا منصور غفرت لك علىٰ تخليطٍ منك كثيرٌ، إلَّا أنك كنت تحوش الناس -تجمعهم- إلىٰ ذكري».

ورُؤي ابن نباتة بعد موته، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: أوقفني بين يديه، وقال:

المسألة الحادية عشرة

روىٰ أحمد عن أبي سعيدٍ الخدريِّ، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**أصدق الرؤيا بالأَسْحَار**». صحَّحه ابن حِبَّان، والحاكم.

قال نصر بن يعقوب الدِّينوَري: «إنَّ الرؤيا أول الليل يبطئ تأويلها، ومن النصف الثاني يسرع بتفاوت أجزاء الليل، وإن أسرعها تأويلًا رؤيا السَّحَر ولا سيِّما عند طلوع الفجر».

قلت: إنما كانت الرؤيا عند السَّحَر أَصْدَقَ لسببين:

أحدهما: بُعد عهد النائم باليقظة.

والآخر: أنَّ السَّحَر وقت التجلِّي الإلهي علىٰ عباده، وساعة إجابة الدعاء مِن الدَّاعين.

وقال جعفر الصَّادق عليه السَّلام: «أسرع الرؤيا تأويلًا رؤيا القيلولة». يعني: بعد رؤيا الأَسْحار، والسرُّ في ذلك: أنَّ نوم القيلولة يُستعان به علىٰ قيام الليل، فهو في حكم العبادة، لذلك كانت الرؤيا فيه يسرع تأويلها.

وروىٰ عليُّ بن أبي طالب القيرواني في كتاب "التعبير" من طريق مسعدة بن اليسع، عن عبدالله بن عون، عن محمَّد بن سيرين قال: «رؤيا النهار مثل رؤيا

«أنت الذي تخلص كلامك حتىٰ يقال: ما أفصحه؟»، فقلت: سبحانك كنت أصفك، قال: «قل كما كنت تقول في دار الدنيا». فقلت: أبادهم الذي خلقهم، وأسكتهم الذي أنطقهم، وسيوجدهم كما أعدمهم، وسيجمعهم كما فرَّقهم. قال لي: «صدقت، اذهب فقد غفرت لك».

الليل». يعني الرؤيا بالليل والرؤيا بالنهار كلتاهما تُعَبَّر وتَـحْصُل.

قال عليُّ بن أبي طالب القيرواني: «لا فرق في حكم العبارة بين رؤيا الليل والنهار، وكذا رؤيا النساء والرجال». وقال أيضًا: «إنَّ المرأة إذا رأت رؤيا ليست لها أهلًا فهي لزوجها، وكذا حكم العبد لسيِّده، كما أنَّ الطفل لأبويه».

قلت: يعني أنَّ المرأة إذا رأت في رؤيا أنها تؤمُّ الرجال أو تتولَّى الحُكم عليهم أو نحو ذلك ممَّا ليست أهلًا له فالرؤيا لزوجها، فإن لم يكن لها زوجٌ فهي لأبيها أو أخيها أو أحد أقاربها، ومثلها الطفل والعبد إذا رأيا رؤيا لا يليقان لها فهي لأبوي الطفل وسيِّد العبد، وقد تتحقَّق الرؤيا لغير الرائي وإن كان لها أهلًا، فقد رأيت رؤيا تحقَّقت لشقيقي الحافظ أبي الفيض رحمه الله.

وحكى ابن بطَّال في "شرح البخاري" الاتفاق على أنَّ رؤيا المؤمنة الصالحة داخلة في قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم-: «**رؤيا المؤمن الصالح جزءٌ من ستةٍ وأربعين جزءًا من النُّبوَّة**».

المسألة الثانية عشرة

روى الترمذيُّ عن عليٍّ عليه السَّلام، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَنْ كَذَبَ في حُلْمِهِ كُلِّفَ يوم القيامةِ عَقْدَ شَعِيرَةٍ**».

زاد أحمد في روايته «**متعمِّدًا**». قال الحافظ: «سنده حسنٌ، وقد صحَّحه الحاكم، لكنه من رواية عبدالأعلى بن عامرٍ، ضعَّفه أبوزرعة».اهـ

وروى الحاكم عن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ أعظم الفِرْية أن يَفْتري الرجلُ على عَيْنَيْه، يقول: رأيتُ، ولم يرَ، أو يَفْتري على والديه، أو يقول: سَمِعَني ولم يَسْمَعْني**». قال الحاكم:«صحيحٌ على

شرط الشيخين»، وسلَّمه الذهبيُّ.

وروىٰ أحمد بإسنادٍ صحيح عن أبي شُرَيحٍ الخُزَاعيِّ: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ من أَعْتَى النَّاسِ على الله مَن قَتَل غير قاتله، أو طلب بدم الجاهلية في الإسلام، أو بصَّر عينيه في النوم ما لم تُبْصِرا**».

وفي "صحيح البخاري" عن ابن عمر: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ من أَفْرَى الفِرى أن يُرِي عينه ما لم ترَ**».

«**أَفْرى**»: أفعل تفضيل: أي أعظم الكذبات. و«**الفِرى**» -بكسر الفاء وفتح الراء-: جمع فِرْيةٍ.

قال ابن بطال في "شرح البخاري": «الفِرية: الكذبة العظيمة التي يُتعجَّب منها».اهـ

وفي "صحيح البخاري": أيضًا عن ابن عبَّاسٍ، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**من تحلَّم بحُلْمٍ لم يرَه كُلِّف أن يَعقِد بين شعيرتين ولن يفعل، ومَن استمع إلى حديث قومٍ وهم له كارهون صُبَّ في أذنيه الآنُك يوم القيامة، ومن صوَّر صورة عُذِّب، وكُلِّف أن ينفخ فيها الرُّوح وليس بنافخٍ**».

«**الآنُك**» -بالمد وضم النون-: الرصاص المُذَاب.

قال الطبريُّ: «إنما اشتد الوعيد علىٰ الكذب في المنام مع أنَّ الكذب في اليقظة قد يكون أشد مَفْسدةً منه، إذ قد يكون شهادةً في قتلٍ أو حدٍّ أو أخذ مال؛ لأنَّ الكذب في المنام كذبٌ علىٰ الله أنه أراه ما لم يره، والكذب علىٰ الله أشد من الكذب علىٰ المخلوقين لقوله تعالىٰ: ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ

رَبِّهِمْ ﴾[هود: ١٨].

وإنما كان الكذب في المنام كذبًا على الله لحديث: «**الرؤيا جزءٌ من النُّبوَّة**». وما كان من أجزاء النبوة فهو من قِبَل الله تعالى».اهـ

وقال العارف أبومحمَّد ابن أبي جمرة: «إنما سمَّاه حُلُمًا ولم يسمِّه رؤيا لأنَّه ادَّعى أنه رأى، ولم يرَ شيئًا فكان كاذبًا والكذب إنما هو من الشيطان، وقد قال: «**إنَّ الحُلْم من الشيطان**». كما مضى في حديث أبي قتادة، وما كان من الشيطان فهو غير حقٍّ، فصدَّق بعض الحديث بعضًا».

قال: «ومعنى العقد بين شعيرتين: أن يَفْتل إحداهما بالأخرى وهو ممَّا لا يمكن عادةً، ومناسبة الوعيد المذكور للكاذب في منامه وللمصوِّر: أنَّ الرؤيا خَلْقٌ من خَلْق الله وهي صورةٌ معنويةٌ فأدخل بكذبه صورة لم تقع، كما أدخل المصوِّر في الوجود صورةً ليست بحقيقةٍ؛ لأنَّ الصورة الحقيقية هي التي فيها الروح، فكُلِّف صاحب الصورة اللطيفة أمرًا لطيفًا، وهو الاتصال المُعَبَّر عنه بالعَقْد بين الشعيرتين، وكُلِّف صاحب الصورة الكثيفة أمرًا شديدًا وهو أن يُتِمَّ ما خَلَقه بزعْمِه بنفخ الرُّوح فيه، ووقع وعيد كل منهما بأنه يُعَذَّب حتى يفعل ما كُلِّف به وهو ليس بفاعلٍ، فهو كنايةٌ عن تعذيب كلٍّ منهما على الدوام، والحكمة في هذا الوعيد الشديد: أنَّ الأول كذَب على جنس النبوة، وأنَّ الثاني نازع الخالق في قدرته».اهـ

والحكمة في صبِّ الآنُك في أذن من استمع حديث قوم وهم له كارهون: أنه جزاءٌ من جِنس العمل، صُبَّ في أذنيه ما يكره لاستماعه قومًا يكرهون

استماعه، والله تعالىٰ أعلم.

المسألة الثالثة عشرة

روىٰ أبويعلىٰ في مسنده من طريق يزيد الرقاشي، عن أنسٍ، قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**الرُّؤيا لِأوَّل عَابرٍ**». إسناده ضعيفٌ.

ويشهد له ما رواه أبو داود، والترمذيُّ، وابن ماجه، عن أبي رَزَينٍ العقيليِّ، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، قال: «**الرُّؤيا على رِجْلِ طائرٍ ما لم تُعبَّر فإذا عُبِّرت وقَعَتْ**». لفظ أبي داود، ولفظ رواية الترمذيِّ: «**سقطت**». إسناده حسنٌ، وصحَّحه الحاكم. ورواه الإمام أحمد من حديث معاوية بن حَيِّدَةَ.

وروىٰ الحاكم من حديث أنسٍ مرفوعًا: «**الرُّؤيا تقع على ما تُعبر، ومَثَلُ ذلك مَثَلُ رجلٍ رفع رجله فهو ينتظر متى يضعها، فإذا رأى أحدكم رؤيا فلا يحدِّث بها إلَّا ناصحًا أو عالمًا**». قال الحاكم: «صحيحٌ». وسلَّمه الذهبيُّ، ورواه عبدالرزَّاق عن أبي قِلابة مرسلًا.

وروىٰ الدارميُّ، عن سليمان بن يسار، عن عائشة قالت: كانت امرأة من أهل المدينة لها زوجٌ تاجرٌ يختلف -يعني في التجارة- فأتت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فقالت: إنَّ زوجي غائبٌ وتركني حاملًا، فرأيت في المنام أنَّ سارية بيتي انكسرت، وأني ولدت غلامًا أَعْوَر. فقال: «**خيرٌ، يرجع زوجك إن شاء الله صالحًا وتلدين غلامًا بَرًّا**». فذَكَرَت ذلك ثلاثًا، فجاءت ورسول الله غائبٌ، فسألتُها فأخبرتني بالمنام، فقلت: لئن صدَقَت رؤياك ليموتنَّ زوجك وتلدين غلامًا فاجرًا، فقعَدَت تبكي، فجاء رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**مَهْ يا عائشة، إذا عَبَرْتم للمسلم الرُّؤيا فاعْبُروها على خيرٍ، فإنَّ**

الرؤيا تكون على ما يَعْبُرها صاحبُها». قال الحافظ: «إسناده حسنٌ».

وروى سعيد بن منصور بإسنادٍ صحيحٍ، عن عطاء قال: «كان يقال: الرؤيا على ما أُوِّلَت».

أفادت هذه الأحاديث: أنَّ الرؤيا تقع حسبما يُعبِّرها العابر الأول لكن خصَّصَها البخاريُّ بما إذا كان مصيبًا في تعبيره فقال في صحيحه: «باب مَن لم يَرَ الرؤيا لأوَّل عابرٍ، إذا لم يُصب» واستدل بحديث الرجل الذي رأى ظُلَّةً تَنْطُفُ سَمْنًا وعَسَلًا -وسيأتي إن شاء الله- وفيه: أنَّ أبابكر عبَّر الرؤيا، وقال: فأخبرني يا رسول الله -بأبي أنت- أصبتُ أم أخطأتُ؟ فقال: «**أصبتَ بعضًا وأخطأتَ بعضًا**».

قال الحافظ ابن حجرٍ: «يؤخذ منه: أنَّ الذي أخطأ فيه لو بيَّنه له لكان الذي بيَّنه هو التعبير الصحيح ولا عبرة بالتعبير الأول، ونُقِل عن أبي عبيد أنه قال: معنى قوله: «**الرُّؤيا لأوَّل عابرٍ**»: إذا كان العابر الأول عالمًا فعبَّر فأصاب وجه التعبير، وإلَّا فهي لمن أصاب بعده إذ ليس المدار إلَّا على إصابة الصواب في تعبير المنام ليُتوصَّل إلى مراد الله بذلك فيما ضربه من المثل، فإذا أصاب فلا ينبغي أن يسأل غيره، وإن لم يصب فيسأل الثاني، وعليه أن يُخبِر بما عنده ويُبيِّن ما جهل الأول».اهـ

قال الحافظ: «وهذا التأويل لا يساعد عليه حديث أبي رَزين: «**الرُّؤيا إذا عُبِّرت وقعت**». إلَّا أن يدَّعي تخصيص «**عُبِّرت**» بأن عابرها يكون عالمًا مصيبًا فيُرَد عليه قوله في الرؤيا المكروهة: «**ولا يحدِّث بها أحدًا**» فقد تقدَّم في حكمة هذا النهي أنه ربما فسَّرها تفسيرًا مكروهًا على ظاهرها، مع احتمال أن تكون

محبوبةً في الباطن فتقع على ما فَسَّر، ويمكن الجواب بأنَّ ذلك يتعلَّق بالرائي، فله إذا قصَّها على أحدٍ ففسَّرها على المكروه أن يبادر فيسأل غيره ممن يصيب، فلا يتحتَّم وقوع الأول بل يقع تأويل من أصاب، فإن قصَّر الرائي فلم يسأل الثاني وقعت على ما فسَّر الأول».اهـ

المسألة الرابعة عشرة

قال أهل التعبير: مِن أدب الرَّائي أن يكون صادق اللهجة، وأن ينام على وضوءٍ، وأن يقرأ عند نومه: «والشمس، والليل، والتين، وسورة الإخلاص، والمعوِّذتين»، ويقول: «اللهمَّ إني أعوذ بك من سيِّء الأحلام، وأستجير بك من تلاعب الشيطان في اليقظة والمنام، اللهمَّ إني أسألك رؤيا صالحةً صادقةً نافعةً حافظةً غير منسيَّة، اللهمَّ أرني في منامي ما أحب».

ومن أدب الرائي: ألَّا يقُصَّها على امرأةٍ ولا عدوٍّ ولا جاهلٍ، بل يقصُّها على وادٍّ أو ناصحٍ أو عالمٍ، كما تقدَّم في الحديث.

وروى عبدالرزاق، عن مَعْمَرٍ، عن سعيد بن عبدالرحمن، عن بعض علمائهم، قال: «لا تقصُصْ رؤياك على امرأةٍ، ولا تُخبِر بها حتى تطلع الشمس». ومن أدب العابر: ما رواه عبدالرزاق، عن عمر رضي الله عنه: أنه كتب إلى أبي موسى الأشعري: «فإذا رأى أحدكم رؤيا فقصَّها على أخيه فليقل: خيرٌ لنا وشرٌ لأعدائنا».

وورد في حديثٍ ضعيفٍ عن عبدالله بن زِمْل[١] قال: كان النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إذا صلَّىٰ الصبح، قال: «**هل رأى أحدٌ منكم شيئًا؟**» فقلت: أنا يا رسول الله، قال: «**خيرًا تَلْقَاهُ وشَرًّا تَوقَّاهُ، وخيرٌ لنا وشَرٌّ على أعدائنا، والحمد لله ربِّ العالمين، اقْصُصْ رؤياك...**».الحديث.

ومن أدب العابر أيضًا ألا يعبِّر عند طلوع الشمس ولا عند غروبها، ولا عند الزوال، ولا في الليل.

وقال بعض أهل التعبير: «يستحب أن يكون تعبير الرؤيا من بعد طلوع الشمس إلىٰ الرابعة، ومن العصر إلىٰ قبل المغرب».

لكن ترجم البخاريُّ في صحيحه: «باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح» وروىٰ فيه حديث سَمُرَة الطويل الآتي إن شاء الله.

قال الحافظ: «الحديث دالٌّ علىٰ استحباب تعبيرها قبل طلوع الشمس». ونقل عن المُهلَّب في "شرح البخاري" قال: «تعبير الرؤيا عند صلاة الصبح أولىٰ من غيره من الأوقات:

- لحفظ صاحبها لها لقرب عهده بها وقبل ما يعرض له نسيانها.
- ولحضور ذهن العابر وقلَّة شغله بالفكرة فيما يتعلَّق بمعاشه.
- وليعرف الرائي ما يعرض له بسبب رؤياه فيستبشر بالخير ويحذر من الشرِّ ويتأهَّب لدفعه؛ فربما كان في الرؤيا تحذيرٌ من معصيةٍ فيكفَّ عنها، وربما كانت إنذارًا لأمرٍ فيكون له مترقِّبًا. فهذه عدَّة فوائد لتعبير الرؤيا أول النهار».اهـ.

---

(١) زِمْل: بكسر الزاي وسكون الميم.

ومن أدب العابر: أن يحسن الاستماع إلى الرؤيا ثم يُفهِم السائل الجواب.

ومنها: أن يتأنَّى في التعبير ولا يستعجل به.

ومنها: أن يكتم الرؤيا ولا يُفشِها لغير رائيها فإنها أمانةٌ.

ومنها: أن يُميِّز بين أصحاب الرؤيا، فإنها تختلف باختلاف أحوال أصحابها فيُعبِّر لكلِّ سائلٍ بحسب حاله.

المسألة الخامسة عشرة

علم تعبير الرؤيا أو تأويل الأحاديث -كما سمَّاه القرآن الكريم- أصله مأخوذٌ بالتوقيف.

ففي "صحيح البخاري" عن ابن عمر قال: كنت غلامًا شابًّا عَزَبًا في عهد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وكنت أبيت في المسجد، وكان من رأى منامًا قصَّه على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقلتُ: اللهمَّ إن كان لي عندك خيرٌ، فأرني منامًا يعبِّره لي رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

قال ابن بطال في "شرح البخاري": «فيه أنَّ أصل التعبير من قِبَل الأنبياء، ولذلك تمنَّى ابن عمر أن يرى رؤيا فيعبِّرها له الشارع ليكون ذلك عنده أصلًا، وقد صرَّح الأشعريُّ بأن أصْل التعبير بالتوقيف من قبل الأنبياء وعلى ألسنتهم، وهو كما قال، لكن الوارد عن الأنبياء في ذلك -وإن كان أصلًا- فلا يعُمَّ جميع المرائي، فلابد للحاذق في هذا الفنِّ أن يستدل بحسن نظره فيرُدَّ ما لم يُنَصُّ عليه إلى حكم التمثيل، ويحكم له بحكم النسبة الصحيحة، فيجعل أصلًا يلحق به غيره كما يفعل الفقيه في فروع الفقه».اهـ

ولهذا صرَّح علماء التعبير بأنه لا يجوز لمن لا يعرف هذا العلم أن يعبِّر الرؤيا لأحدٍ، ولو فعل يكون آثمًا كما يأثم المفتي بغير علمٍ.

قال ابن جُزَيٍّ في كتاب "القوانين الفقهية": «ولا ينبغي أن يُعبِّر الرؤيا إلَّا عارفٌ بها، وعبارتها على وجوهٍ مختلفة، فمنها مأخوذٌ من اشتقاق اللفظ، ومن قلبه، ومن تصحيفه، ومن القرآن، ومن الحديث، ومن الشِّعر، ومن الأمثال، ومن التشابه في المعنى، ومن غير ذلك، وقد تعبَّر الرؤيا الواحدة لإنسان بوجهٍ ولآخر بوجهٍ حسبما يقتضيه حالهما».اهـ

وروى أبوعبيد في "فضائل القرآن"، وابن أبي داود في "المصاحف"، عن محمَّد بن سيف قال: «سألت الحسن عن المصحف ينقط بالعربية؟[1] فقال: أوَما بلغك كتاب عمر: أن تفقَّهوا في الدِّين وأحسنوا عبارة الرؤيا وتعلَّموا العربية؟». وتقدَّم في المسألة السادسة: أنَّ الإمام مالكًا سُئِل: أيُعبِّر الرؤيا كلُّ واحدٍ؟ فقال: «الرُّؤيا جزءٌ من النُّبوَّة، فلا يُلعب بالنُّبوَّة».

وقال ابن أبي زيد في "الرسالة": «ولا ينبغي أن يُفسِّر الرؤيا من لا علم له بها».

قال أبوالحسن في "شرحه" على قوله: «ولا ينبغي»: بمعنى: ويحرم أن يفسِّر الرؤيا من لا علم له بها. قال زرُّوق: «يعني الرائي وغيره لأنه يكون

---

(١) أي هل يجب نقط حروفه بالعربية أويجوز نقطه على أساس لغة أجنبية؟ لأن نقط الحروف يختلف باختلاف اللغات، فأفاد الحسن البصري أن نقطه بالعربية واجب كوجوب قراءته بالعربية، وأن أمر عمر بتعلم العربية قَصَد به المحافظة على عروبة القرآن نُطْقًا ونَقْطًا، وإحسان عبارة الرؤيا يكون بمعرفة علم التعبير وضبط قواعده.

كاذبًا، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦] ومفهوم كلامه: أنه إذا كان له علمٌ بها يفسِّرها، وهو العالِم بالكتاب والسُّنَّة وكلام العرب، وكان له فضلٌ وصلاحٌ وفِراسة».اهـ

قال الشيخ علي الصعيدي في حاشيته: «فلا يجوز له تعبيرها بمجرَّد النظر في كتاب التفسير كما يقع الآن، فهو حرامٌ، لأنها تختلف باختلاف الأشخاص والأحوال والأزمان وأوصاف الرَّائين».اهـ

وفي "شرح أقرب المسالك" للشيخ الدردير: «والعلم بتعبير الرؤيا ليس من كتبٍ كما يقع للناس من التعبير من ابن سيرين، فيحرم تعبيرها بما فيه، بل يكون بفهم الأحوال والأوقات وفِراسةٍ، وعلمٍ بالمعاني».اهـ

وقال التازي في شرح "الرسالة": «فإن قيل: فالذي ينظر في الفروع التي وضعها من ألَّف في تعبير المنام كعليِّ بن أبي طالبٍ القيرواني وغيره، فيجد نصَّ ما رأىٰ والجواب عليه؟ قيل: هذا كالمقلِّد في الفروع، ينظر نصَّ المسألة وجوابها وقد يغلط في التنظير».اهـ

وعليه، من نظر في كتب التعبير وغلب علي ظنِّه أنه لم يغلط في التنظير لم يحرم عليه تأويل الرؤيا فيما يظهر.

وفي شرح جسُّوس للرسالة تعليقًا علىٰ قول مالكٍ: «أبالنُّبوَّة يُلعب؟» ما نصُّه: «أي لأنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم جعل الرؤيا جزءًا من أجزاء النُّبوَّة، وقد أخذ الحُكَّم من مرائي أصحابه، كما في رؤيا الآذان[1] ورؤيا ليلة

---

(١) وأخْذُ السجدة في (سورة ص) من رؤيا أبي سعيدٍ الخدريِّ، كما يأتي في الفصل الثاني

القَدْر، وكل ذلك بناءً على أنها وحيٌ، كما أشار إليه القرطبيُّ ونقله الأُبِّي».اهـ

فمن الأنبياء المنقول عنهم كلام في التعبير: يعقوب عليه السَّلام، قال له ابنه يوسف: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤] فحذَّره من ذكرها إخوته: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [يوسف: ٥]. ثُمَّ بشَّره بما تدل عليه رؤياه: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [يوسف: ٦].

ومنهم يوسف عليه السَّلام، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ٢١]، وقد عبَّر الرؤيا لصاحبيه في السجن، ثُمَّ لملِك مصر كما يأتي بحول الله.

ومنهم سليمان عليه السَّلام، رُوي أنَّ رجلًا جاءه فقال: رأيتُ في المنام بستانًا مُزيَّنًا وفيه أنواع الفواكه، وفيه خنزير كبير قاعد، وقيل لي: هذا البستان مِلْك هذا الخنزير، فتعجَّبت من ذلك!! ورأيت في هذا البستان خنازير كثيرةً تأكل فواكه البستان بإذن الخنزير الكبير. فقال له سليمان: ذلك الخنزير الكبير مَلِكٌ ظالمٌ، وباقي الخنازير: العلماء الآكلون الحرام، المطيعون لذلك المَلِك الظالم، الذين يبيعون آخرتهم ودينهم بالدنيا ولا يخافون الله تعالى.

وكان نبيُّنا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في الذروة من هذا العلم، وصحَّ عنه

إن شاء الله تعالى.

فيه الكثير الطيب.

وفي حديث الصحيحين الآتي عن سَمُرة قال: كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مما يكثر أن يقول لأصحابه: «**هل رأى أحدٌ منكم رؤيا؟**».

قال العلامة الطيبي: «تحرير هذه العبارة: كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يجيد تعبير الرؤيا، وكان له مشارك في ذلك منهم؛ لأنَّ الإكثار من هذا القول لا يصدر إلَّا ممن تدرَّب فيه ووثق بإصابته كقولك: كان زيد من العلماء بالنحو، ومنه قول صاحِبَي السِّجن ليوسف عليه السَّلام: ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٣٦]. أي من المُجيدين في عبارة الرؤيا، وعَلِما ذلك ممَّا رأياه منه».اهـ

ثُمَّ كان أبو بكرٍ رضي الله عنه أعبر النَّاس للرؤيا بعده صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

قال أبوالحسن عليُّ بن محمَّد الخزاعيُّ في كتاب "تخريج الدلالات السمعية": «ذكر عليُّ بن سعد الخولاني القيرواني في كتابه في التعبير: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**أَعْبَرُ أُمَّتي للرُّؤيا أبو بكرٍ وأسماء بنت عُمَيْسٍ**»، وفي الصحيحين ذِكْرُ مرائي تقدَّم أبو بكرٍ لتعبيرها، ثُمَّ سأل رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن تعبيره، فقال له: «**أصبت بعضًا وأخطأت بعضًا**».اهـ

والحديث الذي ذكره لا يصح، لكن روىٰ ابن سعدٍ عن محمَّد بن سيرين قال: «كان أبو بكرٍ أعبر هذه الأمَّة بعد النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم».

وروىٰ الديلمي في "مسند الفردوس"، وابن عساكر في "التاريخ"، عن

سمرة قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أُمرتُ أن أُولِّي الرُّؤيا أبا بكرٍ**». وهو حديثٌ ضعيفٌ.

وفي "مختصر السِّير" لابن فارس: «وقد رأىٰ عليه السَّلام رؤيا، قال: «**رأيت أني لَقِمتُ لقمةً من حَيْسٍ فالتذذتُ طعمها، فاعترض في حلقى منها شيءٌ، فأدخل عليٌّ يده فنزعه**». فقال أبو بكرٍ: يا رسول الله هذه سرية من سراياك يأتيك منها بعض ما تحب ويكون في بعضها اعتراضٌ، فتبعث عليًّا فيسهله، فكانت سرية خالد إلىٰ تهامة ووقع ما لم يُرضِه عليه الصلاة والسَّلام؛ فبعث عليًّا عليه السَّلام»(١).

وقال الحافظ ابن حجرٍ في ترجمة أسماء بنت عُمَيسٍ من "الإصابة": «وكان عمر يسألها عن تفسير المنام، ونقل عنها أشياء من ذلك ومن غيره».اهـ

ثُمَّ كان عليٌّ رضي الله عنه يجيد التعبير ويُتقنه.

ثُمَّ عمر رضي الله عنه كان يجيد التعبير أيضًا، رُوي أنَّ قاضي حمص في عهده رأىٰ كأنَّ الشمس والقمر اقتتلا وتفرَّقت الكواكب، فكان شطرٌ مع

---

(١) وروىٰ عبدالرزاق في كتاب الحيض من "المصنَّف"، عن مَعْمَرٍ، عن أيوب، عن أبي قِلابة: أنَّ رجلًا قال لأبي بكرٍ الصِّدِّيق: رأيت في المنام أني أبول دمًا؟ قال: أنت رجلٌ تأتي امرأتك وهي حائضٌ، فاستغفر الله ولا تَعُد.

وروىٰ أبو بكرٍ الشافعي في "الغيلانيات" في الجزء الأول، عن الشعبي، عن جابر بن عبدالله قال: جاء رجلٌ إلىٰ أبي بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه فقال: رأيت كأني أجري مع الثعلب أحسن جري؟ فقال: أجريت ما لا يجري، أنت رجلٌ في لسانك كذبٌ، فاتقِ الله عزَّ وجلَّ.

الشمس وشطرٌ مع القمر، فقصَّ رؤياه على عمر، فقال له: مع أيهما كنت؟ قال: مع القمر، فقرأ عمر: ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢] وعزله من القضاء. فلمَّا كانت وقعة صِفِّين بين عليٍّ ومعاوية انضمَّ إلى جيش معاوية وحارب معه حتى قُتِل.

وكانت عائشة رضي الله عنها تجيد التعبير، تلقَّته عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وكذلك أختها أسماء كانت تجيد التعبير أيضًا، تلقَّته عن أبيها.

قال القسطلَّاني في "شرح البخاري" في «باب غسل الدم من كتاب الوضوء» حيث ذكر نبذةً من ترجمة أسماء: «كانت عارفة بتعبير الرؤيا حتى قيل: أخذ ابن سيرين التعبير عن ابن المسيِّب، وأخذه ابن المسيِّب عن أسماء، وأخذته عن أبيها».اهـ

وكان سعيد بن المسيِّب أعبر الناس للرؤيا في عصره، وكان بعض الصحابة يسألونه عن التعبير، وقال له رجلٌ: رأيت كأني أبول في يدي!! قال: تحتك ذات مَحْرمٍ، فنظر الرجل وبحث، فوجد بينه وبين امرأته رضاعة.

وعن سعيدٍ تلقَّى محمَّد بن سيرين علم التعبير واشتهر به وظهرت فيه أقواله ودُوِّنت كلماته.

وممن اشتهر بهذا العلم أيضًا وتخصَّص فيه: جعفر الصَّادق عليه السَّلام، كان إمامًا يُرجع إليه ويُؤخذ بأقواله.

وللحافظ أبي محمَّد الحسن الخلال كتاب "طبقات المعبِّرين" ذكر فيه نحو خمسة آلاف، من مشاهير المعبِّرين، وجعلهم خمسة عشر قسمًا، في مقدِّمتهم

الأنبياء، ثُمَّ الصحابة، ثُمَّ التابعون، ثُمَّ الفقهاء، ثُمَّ المذكِّرون[١]، ثم المؤلفون، إلى آخر ما أورده في كتابه المذكور[٢].

ثُمَّ ظهرت كتب في هذا العلم بأنواعه الثلاثة:

الأول: ما جاء في الرؤيا من الأحاديث والآثار، وذكرنا فيما مرَّ بعض الكتب المؤلفة في ذلك.

الثاني: أصول التعبير، ومن المؤلفات فيه: كتاب "الأصول" لدانيال الحكيم، وكتاب "الدستور" لإبراهيم الكرماني، وكتاب "منهاج التعبير" لخالد الأصفهاني، وكتاب "الكوكب المنير في أصول التعبير" لخليل بن شاهين الظاهري.

الثالث: تعبير الرؤيا وتأويلها، وفيه كتبٌ كثيرةٌ، منها: كتاب "الجوامع"، وهو مجموعٌ من كلام ابن سيرين وأقواله، وكتاب "التقسيم" المنسوب لجعفر الصادق، وكتاب "الإرشاد" لجابر المغربي، وكتاب "التعبير" لإسماعيل بن الأشعث، وكتاب "التعبير" للجاحظ، وكتاب "التعبير" لعليٍّ بن أبي طالبٍ

---

(١) هم الوعَّاظ والقُصَّاص.

(٢) قال الذهبيُّ في ترجمة ابن الأنباري من "تذكرة الحفاظ": «قيل أنه كان يتردَّد إلى أولاد الراضى بالله يعلمهم، فسألته جاريةٌ عن تعبير رؤيا؟ فقال: أنا حاقنٌ، ثُمَّ عاد من الغد، وقد صار عابرًا، درس كتاب الكرماني».اهـ

ونقل السيوطي في بغية الوعاة هذه القصة عن أبي الحسن العروضى الذي شاهدها، وأبو بكر ابن الأنباري مع إمامته في النحو والأدب كان من حُفَّاظ الحديث، وهو من شيوخ الدارقطني، وهو ثقةٌ خَيِّرٌ دَيِّنٌ إلَّا أنه بخيلٌ على يَسارٍ عنده وجِدَةٍ.

القيرواني، وكتاب "التعبير" لأبي سعيدٍ الواعظ، وكتاب "التعبير المنيف والتأويل الشريف" لمحمَّد بن قطب الدين الأزنيقي، وكتاب "الإنذارات النومية" لأبي سليمان المنطقي، وكتاب "تحفة الملوك في التعبير" لأبي العباس أحمد بن خلف بن أحمد السجستاني، وكتاب "كنز الرؤيا" للمأموني، وكتاب "بيان التعبير" لعبدوس، وكتاب "كامل التعبير" لأبي الفضل حبيش بن إبراهيم بن محمَّد النفيسي، وكتاب "الوجيز" لمحمَّد بن ساموبه، وكتاب "المرقبة العليا في تعبير الرؤيا" لأبي عبدالله محمَّد بن راشد البكري التونسي المالكي شارح "مختصر ابن الحاجب"، وكتاب "الإشارات إلى علم العبارات" لأبي عبدالله محمَّد بن أحمد بن عامر السالمي، ومثله لخليل بن شاهين الظاهري، وكتاب "الدر المنظَّم في السر المعظَّم" لمحمَّد القرشي النصيبي، وكتاب "فرائد الفوائد" لابن الدقَّاق، وكتاب "التعبير" لأبي طاهر إبراهيم بن يحيى بن غانم الحنبلي المُعَبِّر، وهو مرتَّبٌ على حروف المعجم، وكتاب "تعطير الأنام في تعبير المنام" للشيخ عبدالغني النابلسي الحنفي، وهو على أسلوب كتاب ابن غانم وأكبر منه بكثير، ومنظومة ألفية في التعبير للعلَّامة ابن الوردي الشافعي.

وممن كتب في التعبير أيضًا: ابن قتيبة، والإمام الرازي، وأوحد الدين عبداللطيف الدمياطي، وعبدالقادر الأشموني، وحسن الرملي، ونور الدين الكرخي الغزاوي، وتقي الدين المقدسي، وشرف الدين الكركي، ويوسف الكربوني الإسكندري، وشمس الدين حمدون الصفدي.

واعتنى كمال الدين الدميري في "حياة الحيوان" بتأويل ما يظهر في الرؤيا من الحيوانات التي ترجم لها، وذكر أنَّ الخيل تحلم مثلما يحلم الإنسان.

(تنبيه): روىٰ البزَّار عن أنسٍ قال: كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يُعبِّر علىٰ الأسماء. يعني يُعبِّر اسم سالمٍ بالسَّلامة، ورباح بالرِّبح، ونجاح بالنَّجاح، ويسار باليُسْر، وسَهْلٌ بالسُّهو لة، وهكذا(١).

وروىٰ الطبراني بإسنادٍ ضعيفٍ عن أبي بكرة قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن رآني في المنام فقد رآني في اليقظة، ومن رأى أنه يشرب لبنًا فهي الفِطْرة، ومن رأى أن عليه دِرْعًا من حديدٍ فهي حصانة دينه، ومن رأى أنه يبني بيتًا فهو عمل يعمله، ومن رأى أنه غرق فهو في النَّار**». وعند البزَّار عن أبي هريرة رفعه: «**اللبن في المنام فِطْرة**».

وفي "صحيح مسلم" عن أبي هريرة قال: «وأحبُّ القَيْد وأكره الغُلَّ، والقَيْد ثباتٌ في الدِّين»، وهو في "صحيح البخاري" بلفظ: «وكان يكره الغُلَّ في النوم وكان يعجبهم القيد، ويقال: القيد ثباتٌ في الدِّين». وقد اختلف الرواة في هذا الأثر، منهم من رفعه ومنهم من وقفه، ورجَّح الخطيب في "المدرج" رواية الموقوف.

قال القرطبي: «هذا الحديث وإن اختلف في رفعه ووقفه فإنَّ معناه صحيحٌ؛ لأنَّ القيد في الرجلين تثبيت للمقيَّد في مكانه، فإذا رآه من هو علىٰ حالة كان ذلك دليلًا علىٰ ثبوته علىٰ تلك الحالة، وأمَّا كراهة الغُل، فلأنَّ محلَّه الأعناق نكالًا وعقوبةً وقهرًا وإذلالًا، وقد يسحب علىٰ وجهه ويخرُّ علىٰ قفاه، فهو مذمومٌ شرعًا وعادةً، فرؤيته في العنق دليلٌ علىٰ وقوع حالٍ سيئةٍ للرائي

---

(١) وروىٰ ابن ماجه من طريق يزيد الرقاشي عن أنسٍ عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**اعتبروها بأسمائها، وكَنُّوها بكُناها، والرؤيا لأوَّل عابرٍ**».

تُلازمه ولا ينفكُّ عنها، وقد يكون ذلك في دينه كواجباتٍ فرَّط فيها، أومَعاصٍ ارتكبها، أو حقوقٍ لازمةٌ له لم يوفِّها أهلها مع قدرته، وقد تكون في دنياه كشدَّةٍ تعتريه أو تلازمه».اهـ

قال الحافظ: «وقد يكون الغُلُّ في بعض المرائي محمودًا، يعني إذا كان في غير العُنُق، فأخرج ابن أبي شيبة بإسنادٍ صحيحٍ عن مسروقٍ، قال: مرَّ صهيب بأبي بكرٍ رضي الله عنهما فأعرض عنه، فسأله، فقال: رأيت يدك مغلولةً على باب أبي الحشر -رجلٌ من الأنصار- فقال أبو بكرٍ: جُمع لي ديني إلى يوم الحشر».اهـ.

قلت: هذا راجعٌ إلى اختلاف التعبير لاختلاف حال الرائي كما سبق التنبيه عليه في أدب العابر.

ومنه ما يُحكى عن ابن سيرين أنَّ رجلًا قال له: رأيت كأني أؤذن؟ فقال: تحجُّ، وقال له آخر: رأيت كأني أؤذن؟ فقال: تُقطع يدك. قيل كيف فرَّقت بينهما؟ قال: رأيت للأول سيما حسنةً فأولت: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾[الحج: ٢٧] ورأيت للآخر سيما غير صالحةٍ فأولت: ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ﴾[يوسف: ٧٠].

وقال ابن القيِّم في فصل «قدوم وفد بني حنيفة» من "زاد المعاد" ما نصُّه: «وأنبأني أبو العباس أحمد بن عبدالرحيم بن عبدالمنعم بن نعمة بن سرور المقدسي -المعروف بالشهاب العابر- قال: قال لي رجلٌ: رأيت في رجلي خلخالًا، فقلت له: تتخلخل رجلك بألمٍ، فكان كذلك.

وقال لي آخر: رأيت كأنَّ في أنفي حلقة ذهبٍ، وفيها حب مليح أحمر، فقلت له: يقع بك رعافٌ شديدٌ، فكان كذلك.

وقال لي آخر: رأيت كُلَّابًا معلَّقًا في شفتي، فقلت: يقع بك ألم يحتاج إلى الفصد في شفتيك، فجرى كذلك.

وقال لي آخر: رأيت في يدي سِوارًا والناس يبصرونه، فقلت له: سوء يبصره الناس في يدك فعن قليل طلع في يده طلوع. ورأى ذلك آخر، لم يكن يبصره الناس، فقلت: تتزوَّج امرأةً حسنةً وتكون رقيقةً.

قلت: عبَّر له السِّوار بالمرأة لَمَّا أخفاه وستره عن الناس، ووصفها بالحسن لحسن منظر الذهب وبهجته، وبالرقَّة لشكل السِّوار.

والحلية للرجل تنصرف على وجوهٍ، فربما دلَّت على تزويج العزب لكونها من آلات التزويج، وربما دلت على الإماء والسراري، وعلى الغِني، وعلى البنات، وعلى الخدم، وعلى الجهاز، وذلك بحسب حال الرائي وما يليق به.

قال أبوالعباس العابر: وقال لي رجلٌ: رأيت كأنَّ في يدي سِوارا منفوخًا لا يراه الناس، فقلت له: عندك امرأةٌ بها مرض الاستسقاء.

فتأمَّل كيف عبَّر له السِّوار بالمرأة؟ ثُمَّ حكم عليها بالمرض لصفرة السوار، وأنه مرض الاستسقاء الذي ينتفخ معه البطن.

قال: وقال آخر: رأيت كأنَّ في يدي خُلْخالًا وقد أمسكه آخر وأنا ممسكٌ له وأصيح عليه وأقول: اترك خلخالي فتركه، فقلت له: فكان الخلخال في يدك أملس؟ فقال: بل كان خشنًا تألَّمت منه مرة بعد مرة وفيه شراريف، فقلت له: أمك وخالك شريفان ولست بشريف واسمك عبدالقاهر، وخالك لسانه نجسٌ

رديءٌ يتكلَّم في عرضك ويأخذ مما في يدك، قال: نعم، قلت: ثُمَّ إنه يقع في يد ظالمٍ معتدٍ ويحتمي بك فتشد منه وتقول: خلِّ خالي، فجرىٰ ذلك عن قليل.

قلت: تأمَّل أخذه الخال من لفظ الخلخال ثُمَّ عاد إلىٰ اللفظ بتمامه حتىٰ أخذ منه: خَلِّ خالي، وأخذ شرفه من شرائف الخلخال، ودل علىٰ شرف أمِّه إذ هي شقيقة خاله، وحَكَم عليه بأنه ليس بشريفٍ إذ شرفات الخلخال الدالة علىٰ الشرف اشتقاقًا هي أمرٌ خارجٌ عن ذاته، واستدل علىٰ أنَّ لسان خاله رديءٌ يتكلَّم في عرضه بالألم الذي حصل له بخشونة الخلخال مرة بعد مرة فهي خشونة لسان خاله في حقِّه، واستدل علىٰ أخذ خاله ما في يديه بتأذيه به وبأخذه من يديه في النوم بخشونته، واستدل بإمساك الأجنبي للخلخال ومجاذبة الرائي له علىٰ وقوع الخال في يد ظالمٍ متعدٍّ يطلب منه ما ليس له، واستدل بصياحه علىٰ المُجاذب له وقوله: خلخالي علىٰ أنه يُعين خاله علىٰ ظالمه ويشده منه، واستدل بقهره لذلك المجاذب له وأنه القاهر يده عليه علىٰ أن اسمه عبدالقاهر. وهذه كانت حال شيخنا هذا ورسوخه في علم التعبير، وسمعت عليه عدة أجزاء ولم يتفق لي قراءة هذا العلم عليه لصغر السنِّ واخترام المنيَّة له رحمه الله تعالىٰ».اهـ كلام ابن القيِّم رحمة الله عليه.

المسألة السادسة عشرة

قال أبوسعيدٍ الواعظ في "كتاب التعبير": أخبرنا محمَّد بن عبدالله بن حمدويه: أخبرنا أبو محمَّد الحسن بن محمَّد بن إسحاق: حدَّثنا محمَّد بن أحمد بن البراء: حدَّثنا عبدالمنعم بن إدريس، عن أبيه، عن وهب بن مُنبِّه قال: أوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ آدم عليه السَّلام: «إنك قد نظرت في خلقي فهل رأيت منهم شبيهًا؟

قال: لا يارب، وقد كرَّمتني وفضَّلتني وعظَّمتني، فاجعل لي زوجًا تشبهني أسكن إليها حتىٰ تعبدك وتوحِّدك معي، فقال الله تعالىٰ له: نعم، فألقىٰ عليه النعاس فخلق منه حوَّاء علىٰ صورته وأراه في منامه ذلك -وهي أول رؤيا كانت في الأرض- فانتبه وهي جالسةٌ عند رأسه، فقال له ربه: ما هذه الجالسة عند رأسك يا آدم؟ فقال: الرؤيا التي أريتني في منامي يا إلهي».

قلت: عبدالمنعم كذَّاب، والله تعالىٰ أعلم.

ما جاء في القرآن من الرؤيا

سجَّل القرآن الكريم ست مرائي نذكرها حسب ترتيبها في الزمن:

الرؤيا الأولى

رؤيا إبراهيم عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ٩٩ - ١٠١] هو إسماعيل عليه السَّلام ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠٢ - ١٠٧]

قال عبدالوهاب النجَّار في كتاب "قصص الأنبياء": «كانت المنامات عند الصالحين من عباد الله بمثابة الوحي والأمر المباشر».اهـ

قلت: هذا خطأٌ كبيرٌ؛ فإنَّ المقرَّر في علم الأصول أنَّ رؤيا الأنبياء وحيٌ، والدليل عليه أمورٌ:

الأول: أنَّ إسماعيل قال لأبيه: ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ وما سمَّاه أمرًا إلَّا لأنه وحيٌ.

الثاني: أنَّ إبراهيم لم يكن ليُقدم على ذبح ابنه وحيده لمجرَّد الرؤيا لولا أنها وحيٌ حقيقة.

الثالث: تقدَّم الحديث الصحيح: «**الرُّؤيا جزءٌ من أجزاء النُّبوَّة**».

الرابع: روى ابن أبي حاتمٍ من طريق سفيان بن عُيَيْنَة، عن إسرائيل، عن سِماك، عن عكرمة، عن ابن عبَّاسٍ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**رؤيا الأنبياء في المنام وحيٌ**».

الخامس: في "صحيح البخاري" عن عائشة قالت: «أول ما بُدئ به رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من الوحي الرؤيا الصادقة». وقال ابن عبَّاسٍ: «رؤيا الأنبياء وحيٌ». وقال عبيد بن عمير: «رؤيا الأنبياء وحيٌ»، ثُمَّ تلى هذه الآية: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾. وفرَّق أبوسعيد الواعظ بين النبيِّ والرسول بأنَّ النبيَّ يكون وحيه رؤيا، والرسول يكون يقظةً.

والذبيح إسماعيل عليه السَّلام، كما بيَّنته في "خواطر دينية" و"بِدَع التفاسير"، وقال بعض العلماء:

إنَّ الذَّبيح فُدِيتَ إسماعيلُ ... نَطَقَ الحديثُ بذاك والتَّنزيلُ
شَرَفٌ به خَصَّ الإله نبيَّنا ... وأبانه التفسيرُ والتأويلُ

ومما يدل لذلك أيضًا ما رواه أحمد في "المسند": حدَّثنا سفيان: حدَّثني منصور، عن خاله مسافع، عن صفية بنت شيبة قالت: أخبرتني امرأة من بني سُليمٍ ولدت عامَّة أهل دارنا: أرسل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى عثمان بن طلحة، وقالت مرة أنها سألت عثمان: لِمَ دعاك رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؟ قال: قال لي رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إني كنت رأيت قَرْني الكبش حين دخلت، فنسيت أن آمرك أن تُخمِّرهما فخمِّرهما، فإنه لا**

ينبغي أن يكون في البيت شيءٌ يشغل المُصلِّي».

قال سفيان: لم يزل قرنا الكبش معلَّقين في البيت حتى احترق البيت فاحترقا، وإسماعيل هو الذي كان بمكة لا إسحاق عليهما السَّلام.

قوله تعالى: ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ قال ابن عبَّاسٍ: «هو الكبش الذي قرَّبه ابن آدم فتُقُبِّلَ منه فكان مخزونًا». وفي الآية دليلٌ على جواز نسخ الأمر قبل فعله[1]، وهو الصحيح عند الأصوليين خلافًا لمن منعه.

الرؤيا الثانية
رؤيا يوسف عليه السلام

قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [يوسف: ٤ - ٥]

وقال سبحانه: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾ [يوسف: ١٠٠]

قال ابن كثير: «تكلَّم المفسِّرون على تعبير هذا المنام أنَّ الأحد عشر كوكبًا عبارة عن إخوته وكانوا أحد عشر رجلًا سواه، والشمس والقمر عبارة عن أمِّه وأبيه. رُوي هذا عن ابن عبَّاسٍ والضَّحَّاك وقتادة وسفيان الثوري وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم».اهـ

---

(١) ويدل لذلك أيضًا فرض خمسين صلاة في اليوم والليلة وردّها إلى خمس صلوات بمراجعة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كما في حديث المعراج.

تنبيهان

الأول: روى الحاكم من طريق عمرو بن حمَّاد، عن طلحة: ثنا أسباط بن نصر، عن السُّدِّي، عن عبدالرحمن بن سابط، عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: جاء شيبان اليهوديُّ إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: يا محمَّد هل تعرف النجوم التي رآها يوسف يسجدون له؟ فسكت عنه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حتى جاءه جبريل عليه السَّلام فأخبره بما سأله اليهوديُّ، فلقي النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم اليهوديَّ فقال: «**يا يهوديُّ لله عليك إن أنا أخبرتك لتسلِمَنَّ؟**» فقال: نعم، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**النُّجومُ: حَدَثان والطَّارق والذَّبَّال وقَابِس والعُودان والفَلِيق والنُّصْحُ والقَرُوحُ وذو الكَنَفان وذو الفَرَع والوَثَّاب، رآها يوسف محيطةً بأكناف السماء ساجدةً له، فقصَّها على أبيه فقال له أبوه: إنَّ هذا أمرٌ مُشتَّتٌ وسيجمعه الله إن شاء بَعْدُ**».

قال الحاكم: «هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط مسلمٍ».

قلت: بل هو حديثٌ منكرٌ لا يصح رفعه إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وأسباط بن نصر يحدِّث بمناكيرٍ، هذا منها، وهو من الإسرائيليات.

الثاني: روى الطبري والحاكم، والبيهقي في "الشعب" بإسنادٍ صحيحٍ، عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: «كان بين رؤيا يوسف وعبارتها أربعون عامًا».

وروى الطبري، والبيهقي مثله عن عبدالله بن شدَّاد، وزاد: «وإليها ينتهي أمد الرؤيا». يعني أنَّ تعبيرها قد يتأخَّر إلى أربعين عامًا[1].

---

(١) وذكر الحافظ ابن عبدالبر في كتاب "بهجة المجَالس وأنس المُجَالِس": «أنه قيل لجعفر

وروى ابن جرير عن الحسن قال: «كان منذ فارق يوسف يعقوب إلى أن التقيا ثمانون سنة»، وعنه أيضًا: «ثلاث وثمانون سنة».

وقال محمَّد بن إسحاق: «ذُكر -والله أعلم- أنَّ غيبة يوسف عن يعقوب كانت ثماني عشرة سنة، وأهل الكتاب يزعمون أنها كانت أربعين سنةً أو نحوها». انتهى كلامه.

قلت: لا بأس بالاعتماد في هذا على أهل الكتاب؛ لأنه مجرَّد تاريخٍ لا يتعلَّق بعقيدةٍ ولا بحكمٍ شرعيٍّ ولا ثبت عندنا ما يخالفه.

الرؤيا الثالثة

رؤيا صاحبي السجن

قال الله تعالى في قصة يوسف: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ وَقَالَ ٱلْأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف: ٣٦]

قوله: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾، يعني: عنبًا يصير بعد خمرًا، قال الضَّحَّاك: «وأهل عمان يسمون العنب خمرًا».

قلت: لكن الفَتيَيْن مصريَّان ولغة مصر إذ ذاك هي الهيروغليفية، والقرآن

الصادق رضي الله عنه: كم تتأخَّر الرؤيا؟ فقال: خمسين سنةً؛ لأنَّ النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رأى كأنَّ كلبًا أبقع وَلَغ في دمه فأوَّلَه بأنَّ رجلًا يقتل الحسين رضي الله عنه، فكان شمر بن ذي الجوشن قاتل الحسين، وكان أبرص، فتأخَّرت الرؤيا بعده خمسين سنةً». اهـ

حكىٰ معنىٰ ما قاله الفتيان بالأسلوب العربي ولم يحكه بلفظه.

وأوَّلَ يوسف رؤياهما فقال: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ﴾ [يوسف: ٤١] وهو الذي رأىٰ أنه يعصر عنبًا[1] وكان ساقي الملِك، فغضب عليه وسجنه ثُمَّ أطلقه وردَّه إلىٰ عمله.

﴿وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ﴾ وهو الذي رأىٰ أنه يحمل فوق رأسه خبزًا ﴿فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦ﴾ وكان خبَّاز الملك، اتهم بأنه كان يريد أن يسمَّ الملك وثبتت التهمة عليه فصَلَبه.

وقوله: ﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ﴾[يوسف: ٤١] هو بمعنىٰ الحديث السابق: «**الرؤيا على رجل طائرٍ ما لم تُعبَّر فإذا عُبِّرت وقعت**». وهكذا تطابق القرآن والحديث.

وروىٰ ابن جرير عن ابن مسعود قال: «ما رأىٰ صاحبا يوسف شيئًا وإنما تحالما ليجرِّبا عليه فلما أخبرهما بالتأويل قالا: ما رأينا شيئًا. فقال لهما: ﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ﴾ يعني أنَّ من تحلَّم بحُلمٍ باطلٍ وفسَّره فإنه مُلْزَم بتأويله».

قلت: ظاهر القرآن يفيد أنهما رَأَيا رؤيا حقيقةً والتمسُّك بالظاهر واجبٌ.

---

(١) روىٰ ابن أبي حاتم عن عكرمة: أنَّ السَّاقي قال ليوسف: رأيت فيما يرىٰ النائم أنِّي غرست حبَّة فنبتت فخرج فيها ثلاثة عناقيد فعصرتهن ثُمَّ سقيت الملك، فقال: تمكث في السجن ثلاثًا ثُمَّ تخرج فتسقيه.

الرؤيا الرابعة

رؤيا ملك مصر

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ [يوسف: ٤٣ - ٤٥] أي: مدة، وكان يوسف أوصاه أن يذكره عند الملك فأنساه الشيطان ذلك حتى رأى الملك هذه الرؤيا فتذكر وقال: ﴿ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٤٥ - ٤٦]

رأى الملك هذا المنام وهو أنه رأى سبع بقراتٍ جميلاتٍ سميناتٍ طالعاتٍ مِن النَّهر فأرتعت في روضة، ثُمَّ رأى سبع بقراتٍ أُخَر قبيحاتٍ عِجَافًا خرجت من النهر وأكلت البقرات السمينة، فاستيقظ مِن منامه، ثُمَّ عاد إلى النوم فرأى سبع سنابل حسنةً خضراء طالعةً في ساقٍ واحدةٍ، وإذا سبع سنابل يابساتٍ خلفها قد عَدَت على تلك السنابل الخضر فأكلتها، فهاله ما رأى وتعجَّب منه وطلب تفسيره من الكَهَنة وكُبراء دولته فلم يكن عندهم علمٌ به، وفسَّره يوسف عليه السَّلام: ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ [يوسف: ٤٧ - ٤٩]

وحاصل التفسير: أنَّ البقرات السِّمان والسَّنابل الخُضر كنايةً عن سبع سنين خَصْبة متوالية تُنبت الأرض فيها ثمراتها وتُخرج بركاتها، ثُمَّ تعقبها سبع سنين مجدبة -وهي البقرات العجاف- تأتي على الأقوات وتهلكها، ثُمَّ بشَّرَهم بأنه بعد سنين الجدب المتوالية يأتي عام يغاثون فيه ويعصرون الأعناب والزيت وقصب السكر، ويُلاحظ هنا أمور:

أحدها: أنَّ يوسف عليه السَّلام ساق تعبير الرؤيا في أسلوب بيَّن لهم به الطريقة التي يتَّقون بها الجدْب الذي يصيب البلاد وتُجنِّبهم مجاعة مهلكة، فكان عابرًا ناصحًا ومعلِّمًا مرشدًا.

ثانيها: أنه زاد على التعبير المطلوب منه بُشرى بعام الغوث.

ثالثها: أنه لم يُعنِّف صاحبه الذي نسي قضيته مدَّة بلغت سبع سنين بل عبَّر له الرؤيا مُعرِضًا عن عِتابه.

رابعها: أنه عبَّر لهم الرؤيا من غير أن يشترط عليهم إخراجه من السِّجن، وكان من حقِّه ذلك وهذا دليلٌ على قوة صبره.

قال عبدالرزاق: أخبرنا ابن عُيَيْنَة، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لقد عجبتُ من يوسف وصبره وكرمه - والله يغفر له- حين سُئل عن البقرات العِجاف والسِّمان، ولو كنتُ مكانه ما أجبتُهم حتى أشترط أن يخرجوني، ولقد عجبتُ من يوسف وصبره وكرمه - والله يغفر له- حين أتاه الرسول ولو كنتُ مكانه لبادرتُهم الباب ولكنه أراد أن يكون له العذر**». إسناده صحيح، لكنه مرسل.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «نحن أحقُّ بالشَّكِّ من إبراهيم[1] إذ قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، ويرحم الله لوطًا لقد كان يأوي إلى ركنٍ شديدٍ، ولو لبثتُ في السِّجن ما لبث يوسف لأجبتُ الدَّاعي».

الرؤيا الخامسة

رؤيا النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يوم بدر

قال الله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ [الأنفال: ٤٣] ضمير «هم» يعود على المشركين الذين أتوا من مكَّة إلى بدر لقتال المسلمين.

روى الطبري عن مجاهد: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ قال: أراه الله إيَّاهم في منامه قليلًا، فأخبر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أصحابه بذلك فكان تثبيتًا لهم وكذا قال ابن إسحاق وغيره، وقيل: في منامك أي: في عينك، لأنها محلُّ النوم وهذا خطأ.

(تنبيه): قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلْقُرْءَانِ﴾[الإسراء: ٦٠].

قال ابن عبَّاسٍ في قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾: هي رؤيا عين أُريها رسول الله -صلَّى الله عليه وآله وسلَّم- ليلة أُسري به وليست

---

(١) أي ونحن لا نشك، فإبراهيم لم يشك، نفي للشك عنه بأسلوب كنائي بليغ، وإبراهيم لم يشك بنصِّ القرآن لكنه طلب عين اليقين بعد علم اليقين الذي كان عنده.

برؤيا منامٍ. رواه البخاريُّ.

وكذا قال سعيد بن جُبير والحسن وأبو مالك ومسروق وإبراهيم وقتادة وابن جريج وابن زيد والضَّحَّاك ومجاهد، ورجَّحه الطبري وابن كثيرٍ وغيرهما.

وقيل: «إنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أُري أنه دخل مكة هو وأصحابه وهو يومئذٍ بالمدينة، فعجَّل رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم السَّير إلىٰ مكة قبل الأجل فرده المشركون، فقال أُناس: قد رُدَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وقد كان حدَّثنا أنه سيدخلها، فكانت رجعته فتنتهم». روي هذا عن ابن عبَّاسٍ، وإسناده ضعيفٌ.

وقيل: إنَّ الله تعالىٰ أراه في المنام مَصارِع كفَّار قريشٍ يوم بدرٍ حتىٰ قال: «**والله لكأنِّي أنظر إلى مَصارِع القوم**» وهو يأتي الأرض ويقول: «**هذا مَصْرعُ فلانٍ، وهذا مَصْرعُ فلانٍ**» فلما سمع قريش ذلك جعلوا رؤياه سخرية وكانوا يستعجلون بما وَعَد.

وروىٰ ابن جريرٍ عن سهل بن سعدٍ قال: رأىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بني فلان -يعني بني أمية- ينزون علىٰ منبره نزو القردة فساءه ذلك، فما استجمع ضاحكًا حتىٰ مات، وأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ إسناده ضعيفٌ.

وروىٰ ابن مَرْدُويَه من حديث الحسين بن علي رفعه: «**إني رأيت كأنَّ بني أمية يتعاورون منبري هذا فقيل: هي دنيا تنالهم**»ونزلت هذه الآية.

ورواه ابن أبي حاتمٍ من حديث عمرو بن العاص، ومن حديث يعلىٰ بن مرة، ومن مرسل سعيد بن المسيب وأسانيدها ضعيفةٌ كما قال الحافظ في "الفتح".

الرؤيا السادسة

رؤيا النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في الحديبية

قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ٢٧]

أخرج الفريابي، وعبد بن حميد، والطبري من طريق ابن أبي نجيح، عن مجاهدٍ -في هذه الآية- قال: «أُري النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وهو بالحديبية أنه دخل مكَّة هو وأصحابه محلِّقين، قال: فلما نحروا الهدْي قال أصحابه: أين رؤياك؟!» فنزلت الآية.

وأخرج الطبري عن ابن زيد -في هذه الآية- قال: «قال لهم النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إني قد رأيت أنكم ستدخلون المسجد الحرام محلِّقين رؤوسكم ومقصِّرين**». فلما نزل بالحديبية ولم يدخل ذلك العام طعن المنافقون في ذلك فقالوا: أين رؤياه؟ فقال الله: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾ فقرأ حتى بلغ: ﴿وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ إني لم أُرِه -بضم الهمزة وكسر الراء- يدخلها هذا العام، وليكوننَّ ذلك.

وروى ابن مَرْدُويَه في تفسيره عن ابن عبَّاسٍ -في هذه الآية- قال: «تأويل رؤيا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في عمرة القضاء، قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ قال مجاهد: النحر بالحديبية، فرجعوا ففتحوا خيبر ثم اعتمر بعد ذلك، فكان تصديق رؤياه».

وفي تفسير العلامة النيسابوري: «ثُمَّ قصَّ رؤيا نبيِّه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بيانًا لإعجازه فإنَّ الرؤيا الصادقة جزءٌ من ستةٍ وأربعين جزءًا من النبوة، وقصته: أنه رأىٰ في المنام أن مَلَكًا قال له: ﴿لَتَدْخُلُنَّ﴾ إلىٰ قوله: ﴿لَا تَخَافُونَ﴾ فأخبر أصحابه بها ففرحوا وجزَموا بأنهم داخلوها في عامهم، فلما صُدُّوا عن البيت واستقرَّ الأمر علىٰ الصلح، قال بعض الضَّعَفَةُ: أليس كان يعدنا النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أن نأتي البيت فنطوف به؟! فقال لهم أهل البصيرة: هل أخبركم أنكم تأتونه العام؟ فقالوا: لا، قال: فإنكم تأتونه وتطوفون به، فأنزل الله تصديقه.

ومعنىٰ ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا﴾: صدقه في رؤياه ولم يكذبه وقوله ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ إمَّا أن يكون متعلقًا بصدق، أي: صدقه فيما رأىٰ صدقًا متلبسًا بالحقِّ، وهو أن يكون ما أراه كما أراه، وإما أن يكون حالًا من الرؤيا، أي: متلبسة بالحقِّ، يعني بالغرض الصحيح، وهو الابتلاء، وتميز المؤمن المخلص من المنافق المرائي.

وجوَّز أن يكون ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ قسمًا لأنه اسم من أسماء الله سبحانه، أو لأنَّ المراد الحق الذي هو نقيض الباطل فتكون اللام في ﴿لَتَدْخُلُنَّ﴾ جواب القسم لا للابتداء، فيحسن الوقف علىٰ الرؤيا. وفي ورود ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ في خبر الله عزَّ وجلَّ، أقوال:

أحدها: أنه حكاية قول المَلَك في الرؤيا.

والثاني: أنَّ ذلك خارج علىٰ عادة القرآن من ذكر المشيئة، كقوله: ﴿يَغْفِرُ

لِمَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ١٢٩] ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ﴾ [الأحزاب: ٢٤] والمعنى: أنَّ الله يفعل بالعباد ما هو الصلاح، فيكون استثناء تحقيق لا تعليق.

والثالث: أنه أراد: لتدخلنَّ جميعًا إن شاء ولم يمت أحد أو لم يغب.

والرابع: أنه تأديبٌ وإرشادٌ إلى استعمال الاستثناء في كل موضع كقوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وقد دخل البقيع: «**وإنَّا إن شاء الله بكم لاحقون**» وليس في الموت استثناء.

الخامس: أنه راجعٌ إلى حالة الأمن وعدم الخوف».اهـ

قلت: الاستثناء في حديث البقيع ليس من وقوع الموت ولا للتبرُّك، بل هو للتعليق حقيقة، وبيان ذلك: أنَّ الخاتمة مُغيَّبة لا يعلمها إلَّا الله تعالى، والنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم علَّم أمَّته إذا زاروا مقابر المسلمين أن يسلِّموا عليهم ويقولوا: «**وإنَّا إن شاء الله بكم لاحقون**». أي: إن شاء الله موتنا على الإسلام لحقنا بكم؛ لأنَّ المسلم إن خُتم له بالكفر -والعياذ بالله تعالى- لم يلحق بموتى المسلمين بل بموتى الكفَّار.

باب: ما جاء في السنة من الرؤيا

يشتمل هذا الباب على ثلاثة أنواع:

١ - ما رآه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

٢ - ما رآه الصحابة في عهده صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

٣- ما رآه الصحابة بعده صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

وسنُفرد لكلِّ نوعٍ من هذه الأنواع فصلًا بحول الله.

الفصل الأول
ما رآه النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم

روىٰ الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت: «أول ما بُدئ به رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرىٰ رؤيا إلا جاءت مثل فَلَقِ الصبح».

وروىٰ أحمد من طريق عبدالرحمن بن عائش، عن مالك بن يَخَامِرَ، عن معاذٍ- رضي الله عنه- قال: احتبس علينا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ذات غداة من صلاة الصبح حتىٰ كِدْنا نتراءىٰ قَرْن الشمس فخرج سريعًا فثوَّب بالصَّلاة فصلَّىٰ وتجوَّز في صلاته فلما سَلَّم قال: «كما أنتم». ثُمَّ أقبل إلينا فقال: «إني قمتُ من الليل فصَلَّيت ما قُدِّر لي، فنَعِستُ في صلاتي فاستثقلت فإذا أنا بربِّي في أحسن صورةٍ فقال: يا محمَّد، أتدري فيمَ يَختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري يا ربِّ -أعادها ثلاثا- فرأيته وضع كفَّه بين كتفي حتَّى وجدت برد أنامله بين صدري، فتجلَّى لي كلُّ شيءٍ وعرفت، فقال: يا محمَّد، فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: في الكَفَّارات قال: «وما الكَفَّارات؟» قلت: نقل الأقدام إلى الجماعات، والجلوس في المساجد بعد الصلوات، وإسباغ الوضوء عند الكَرِيهات، قال: وما الدرجات؟ قلت: إطعام الطعام، ولين الكلام، والصَّلاة والناس نِيام، قال: سَلْ قلت: اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات، وحبَّ المساكين، وأن تغفر لي وترحمني، وإذا أردت فتنةً بقومٍ فتوفَّني غير مَفْتونٍ، وأسألك حبَّك وحبَّ من يحبُّك وحبَّ عملٍ يقربني إلى حبِّك». وقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «إنها حقٌّ فادرُسُوها وتعلَّموها».

ورواه الترمذيُّ وقال: «هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ، سألت محمَّد بن إسماعيل -يعني البخاري- عن هذا الحديث فقال: هذا صحيحٌ».

قلت: الصواب في رواية أحمد والترمذيِّ أنها من طريق يحي بن أبي كثيرٍ، عن زيد بن سلَّام، عن جدِّه أبي سلَّام، عن أبي عبدالرحمن السَّكْسَكِيِّ، عن مالك بن يَخَامِر، عن معاذ بن جبل. كذلك أخرجه الدارقطني في كتاب "الرؤية"، وابن عدي، ونُقل عن أحمد أنه قال: «هذه الطريق أصحها».

أمَّا عبدالرحمن بن عائش الحضرمي فيروي هذا الحديث عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مشافهة: روىٰ ابن خزيمة، والدارمي، والبغوي، وابن السَّكَن، وأبو نعيمٍ من طريق الوليد بن مسلمٍ: حدَّثني عبدالرحمن بن يزيد بن جابر، عن خالد بن اللَّجْلَاج، عن عبدالرحمن بن عائش الحضرمي، أنه سمع رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**رأيت ربِّي في أحسن صورةٍ، فقال لي: يا محمَّد فيمَ يَختصِمُ الملأ الأعلى؟ قلت: أنت أعلم يا ربِّ، فوضع كفَّه بين كتفي فوجدتُ بردها بين ثَدْيَيَّ فعلمت ما في السموات وما في الأرض**» ثُمَّ تلىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾[الأنعام: ٧٥] ثُمَّ قال: «**فيمَ يَختصِمُ الملأ الأعلى؟ قلت: في الكَفَّارات. قال وما الكَفَّارات؟ قلتُ: المشي إلى الجُمُعات، والجلُوس في المساجد خِلاف الصَّلوات، وإسباغ الوضوء أماكنه في المَكاره، قال: قال الله عزَّ وجلَّ: ومَن يفعل ذلك يَعِشْ بخيرٍ ويَمُتْ بخيرٍ ويكون من ذنوبه كيوم ولدته أُمُّه، ومن الدرجات إطعام الطعام، وبذل السَّلام، وأن تقوم بالليل والناس نيام، ثُمَّ قال: يا محمَّد، قل: اللهم إني أسألك فعل الطيِّبات، وترك المنكرات، وحبَّ**

المساكين، وأن تغفر لي وترحمني وتتوب عليَّ، وإذا أردتَّ بقوم فتنةً فتوفَّني غير مفتونٍ». فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**تعلموهنَّ فوالذي نفسي بيده إنهنَّ لحقٌّ**».

لم ينفرد به الوليد بن مسلم، بل تابعه الوليد بن يزيد البيروتي.

أخرج الحاكم، والبيهقيُّ، وابن مَنْدَهْ من طريق العباس بن الوليد، عن أبيه: حدَّثنا ابن جابر والأوزاعي قالا: ثنا خالد بن اللجلاج: سمعت عبدالرحمن بن عائش يقول: «صلَّى بنا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم صلاة الصبح...» فذكر الحديث.

قال الحافظ ابن حجرٍ: «لكن المحفوظ عن الأوزاعي ما رواه عيسي بن يونس والمعافى بن عمران، كلاهما عن الأوزاعي، عن ابن جابر. أخرجه ابن السَّكَن من رواية عيسى بن يونس، وقال في سِياقه: سمعت خالد بن اللَّجْلَاج، عن عبدالرحمن بن عائش: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول...» فذكر الحديث.اهـ

قلت: يعني أنَّ الأوزاعي يروي الحديث عن ابن جابر لا عن خالد.

ورواه ابن خزيمة، والبغويُّ من طريق حمَّاد بن مالكٍ قال: حدَّثنا ابن جابر قال: بينا نحن عند مكحول إذ مرَّ به خالد بن اللَّجْلَاج فقال له مكحول: يا أبا إبراهيم، حدِّثنا حديث عبدالرحمن بن عائش، فقال: نعم، سمعت عبدالرحمن بن عائِش يقول: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول... فذكر الحديث نحو ما سبق، وفي آخره قال مكحول: «ما رأيت أحدًا أعلم بهذا الحديث من هذا الرجل».

ورواه الدارقطني في كتاب "الرؤية" من طريق عمارة بن بشر قال: حدَّثنا عبدالرحمن بن جابر قال: بينا نحن عند مكحول فمر به خالد بن اللجلاج... وذكر الحديث كما سبق مع كلام مكحول.

ورواه الطبراني من طريق خالد بن اللَّجْلَاج قال: سمعت عبدالرحمن بن عائش يقول: خرج علينا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ذات غداة. قال... فذكر الحديث نحو ما سبق.

قال الحافظ الهيثمي: «رجال الحديث ثِقاتٌ، وقد سُئل الإمام أحمد عن حديث عبدالرحمن بن عائش، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فذكر أنه صوابٌ».اهـ

فهذه الروايات تؤيد صحبة عبدالرحمن بن عائش، خلافًا لمن نفاها.

وأمَّا ما أخرجه أحمد، من طريق زهير بن محمَّد، عن يزيد بن يزيد بن جابر، عن خالد بن اللَّجْلَاج، عن عبدالرحمن بن عائِش، عن رجلٍ من الصحابة أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم خرج عليهم ذات غداة وهو طيِّب النفس مُشرق الوجه فقلنا: يا رسول الله، إنا نراك مشرق الوجه فقال: «**ما يمنعني وأتاني ربِّي الليلة في أحسن صورة...**» وذكر الحديث نحو ما مَرَّ.

وقال الحافظ الهيثمي: «رجاله ثِقاتٌ وهو معلول، وعلَّته أنه من رواية زهير بن محمَّد عن شامي، ورواية زهير عن الشاميين ضعيفة. قاله البخاريُّ وغيره».

وروىٰ جعفر الفريابي في كتاب "الذكر" من طريق سهيل بن أبي صالحٍ، عن أبيه، عن عبدالرحمن بن عائش، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حديثًا

في فضل لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له قال: «فكان ناسٌ ينكرون ذلك ويقولون لابن عائش: لأنت سمعت هذا من رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم؟! فيقول: نعم، فأُري رجل ممن كان ينكر ذلك رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في المنام فقال: يا رسول الله أنت قلت كذا وكذا؟ وقصَّ عليه حديثه فقال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**صدق ابن عائش**».

وروىٰ أبونعيم في "معرفة الصحابة" وفي "عمل اليوم والليلة" من طريق أبي معاوية، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن عبدالرحمن بن عائش قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن نزل منزلًا فقال: أعوذ بكلمات الله التامَّات مِن شرِّ ما خَلَق، لم يرَ في منزله ذلك شيئًا يكرهه حتى يرتحل عنه**».

قال سهيل: قال أبي: فرأيت عبدالرحمن بن عائش في المنام فقلت له: حدَّثك رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم هذا الحديث؟ قال: نعم.

قلت: هذا إسنادٌ صحيحٌ.

قال أبو نعيمٍ: تابعه - أي أبا معاوية - موسىٰ بن يعقوب الزمعي عن سهيل نحوه. وهذا ولحديث اختصام الملأ الأعلىٰ طرق أخرىٰ:

منها: طريق ابن عبَّاسٍ، عند الترمذيِّ من جهة أيوب، عن أبي قِلابة، عن ابن عبَّاسٍ.

ورواه هو وأبو يعلىٰ من جهة هشام الدَّسْتَوائيِّ، عن قتادة، عن أبي قِلابة، عن خالد بن اللَّجْلَاج، عن ابن عبَّاسٍ. وقال الترمذيُّ: «حديثٌ حسنٌ غريبٌ» لكن قال أحمد: «أخطأ فيه قتادة».

ورواه أحمد من جهة أيوب عن أبي قِلابة مرسلًا.

ورواه الدارقطني في كتاب "الرؤية" من طريق بكر بن عبدالله المُزَني، عن أبي قِلابة مرسلًا أيضًا.

ومنها: طريق ابن عمر: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم تلَبَّث عن أصحابه في صلاة الصبح حتى طلعت الشمس أوكادت تطلع، ثُمَّ خرج فصلَّى بهم صلاة الصبح فقال: «اثبتوا على مصافِّكم» ثُمَّ أقبل عليهم، فقال لهم:«هل تدرون ما حَبَسني عنكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم قال: «إني صلَّيت في مصلَّاي فضُرب على أذني فجاءني ربِّي في أحسن صورةٍ فقال: يا محمَّد، فقلت: لبَّيك ربِّي وسَعْدَيك، قال: فيم يَختصِمُ الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري يا ربِّ، فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثَدْيَيَّ، قلتُ: في الكَفَّارات والدرجات، قال: وما الكَفَّارات والدرجات؟ قلتُ: الكَفَّارات إسباغ الوضوء عند الكَرِيهات، ومشيٌ على الأقدام إلى الجماعات، وجلوسٌ في المساجد خَلْفَ الصَّلوات، وأمَّا الدرجات: فإطعام الطعام، وطِيبُ الكلام، والسجود بالليل والناس نِيام، فقال لي ربِّي تبارك وتعالى: سَلْني يا محمَّد، قلت: أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحُبَّ المساكين، وأسألك أن تغفر لي وترحمني، وإذا أردت بقوم فتنةً فتوفَّني غير مفتونٍ، اللهمَّ إني أسألك حبَّك، وحبَّ عملٍ يقرِّبني إلى حبِّك، اللهم إني أسألك إيمانًا يباشر قلبي حتى أعلم أنه لا يصيبني إلَّا ما كُتب لي، ورضًا بما قضيت لي». رواه البزَّار، وفي سنده ضعفٌ.

ومنها: طريق أبي أُمامة رضي الله عنه، رواه الطبرانيُّ وفي سنده ليث بن أبي سُليم.

ومنها: ما رواه الدارقطني في كتاب "الرؤية" من طريق يوسف بن عطية،

عن قتادة، عن أنس. ويوسف متروكٌ.

ومنها: ما رواه سعيد بن بشير، عن قتادة بن أبي قِلابة، عن أبي أسماء، عن ثوبان. سعيد بن بشير ضعيفٌ.

ورواه البزَّار من طريق أبي يحيىٰ، عن أبي أسماء، عن ثوبان. قال الحافظ الهيثميُّ: «أبو يحيىٰ لم أعرفه، وبقية رجاله ثِقاتٌ».

وللحافظ ابن رجب جزء في شرح هذا الحديث اسمه: "اختيار الأَوْلَىٰ في شرح حديث اختصام الملأ الأعلىٰ" وهو مطبوع.

وقال نعيم بن حمَّاد: حدَّثنا ابن وهب: حدَّثنا عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبي هلال، عن مروان بن عثمان، عن عمارة بن عامر، عن أمِّ الطُّفَيل: أنها سمعت النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**رأيت ربِّي في أحسن صورةٍ شابًّا موفرًا رجلاه في خضر عليه نعلان مِن ذهبٍ**».

قال النَّسائيُّ: «ومَن مروان حتىٰ يُصدَّق علىٰ الله تعالىٰ؟!»

وقال ابن حِبَّان: «هذا حديثٌ منكرٌ، ذكره في ترجمة عمارة من الثِّقات».

وقال الحافظ ابن حجرٍ في "تهذيب التهذيب": «هو متنٌ منكرٌ». وقال في "الإصابة": «مروان متروكٌ».

(تنبيه): يستدل بعض غُلاة أهل السُّنَّة بحديث رؤيا الله في المنام علىٰ إمكان رؤيته تعالىٰ في اليقظة وهو خطأ؛ لأنَّ الله لا يُرىٰ في المنام حقيقةً وإنما المرئي مِثال يتعرَّف الله به إلىٰ عبده ويُريه ما يريد أن يُبيِّنه له من بشارةٍ أو إنذارٍ، والمِثال غير المثل كما سبق تحقيقه في المسألة العاشرة من المقدِّمة.

وروىٰ الشيخان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله

وسلَّم: «**نُصرتُ بالرُّعب، وأعطيتُ جوامع الكَلِمِ، وبينا أنا نائمٌ أُتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوُضعتْ في يدي**». مفاتيح خزائن الأرض كناية عما فُتح لأمَّته من البلاد والممالك وانتشار الإسلام بها.

وفي "صحيح البخاري" عن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**بينا أنا نائمٌ فإذا زمرةٌ حتى إذا عرفتهم خرج رجلٌ من بيني وبينهم فقال: هَلُمَّ، فقلت: أين؟ قال: إلى النَّار والله. قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدُّوا بعدك على أدبارهم القَهْقَرَى**». وذكر حديث الحوض.

قوله: «**بينا أنا نائمٌ**» قال الحافظ ابن حجرٍ: كذا بالنون للأكثر، وللكشميهني: «**قائم**» بالقاف، وهو أوجه. والمراد به: قيامه علىٰ الحوض يوم القيامة، وتُوجَّه الأولىٰ بأنه رأىٰ في المنام في الدنيا ما سيقع له في الآخرة.

وروىٰ البخاريُّ عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم- قال: «**أراني الليلة عند الكعبة فرأيت رجلًا آدمَ كأحسن ما أنت راء من أُدْمِ الرجال، له لِـمَّةٌ كأحسن ما أنت راءٍ من اللِّمم، قد رجَّلها تقطر ماءً، مُتَّكئًا على رجلين أو على عواتق رجلين يطوف بالبيت. فسألت: من هذا؟ فقيل: المسيح ابن مريم، وإذا أنا برجلٍ جَعْدٍ قَطَطْ أعور العين اليمنى كأنها عنبةٌ طافيةٌ، فسألت: مَن هذا؟ فقيل: المسيح الدَّجَّال**».

وروىٰ الشيخان عن أنسٍ رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يدخل علىٰ أمِّ حِرامٍ بنت مِلْحان -وكانت تحت عبادة بن الصامت- فدخل عليها يومًا فأطعمته وجعلت تُفلِّي رأسه، فنام رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ثم استيقظ وهو يضحك، قالت: فقلت: ما يضحكك يا رسول الله؟

قال: «**ناسٌ مِن أُمَّتي عُرضوا عليَّ غزاةً في سبيل الله يركبون ثَبَج هذا البحر ملوكًا على الأسِرَّة، أو مثل الملوك على الأسِرَّة**». فقلت: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فدعا لها رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ثُمَّ وضع رأسه ثُمَّ استيقظ وهو يضحك، فقلت: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: «**أناسٌ مِن أُمَّتي عرضوا على غزاةً في سبيل الله**» كما قال في الأولى قالت: فقلت: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «**أنت من الأوَّلين**».

فركبتِ البحر في زمان معاوية بن أبي سفيان فصرعت عن دابَّتها حين خرجت من البحر فهلكت.

ثَبَج البحر -بفتح الثاء والباء-: وسطه ومعظمة، والحديث يدل على مشروعية الغزو في البحر، وأنَّ المصروع عن دابَّته في الجهاد شهيدٌ.

وروى الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**بينا أنا نائمٌ أُتيت بقَدَح لبنٍ فشربتُ منه حتى إني لأرى الرِّيَّ يخرج من أظفاري، ثم أعطيت فَضْلي عمر**» قالوا: فما أوَّلته يا رسول الله؟ قال: «**العِلْم**».

وروى البخاريُّ ومسلمٌ عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**بينا أنا نائمٌ رأيت الناس يُعرَضُون عليَّ وعليهم قُمُصٌ منها ما يبلغ الثدي**[1] **ومنها ما يبلغ دون ذلك، ومرَّ عليَّ عمر بن**

---

(١) يعني أنَّ القميص قصير يبلغ ثدي الرجل فقط، ومنهم من يبلغ قميصه دون ذلك إلى الركبة.

الخطاب وعليه قميصٌ يجرُّه» قالوا: ما أوَّلته يا رسول الله؟ قال: «الدِّين».

وروى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «أُرِيتُك في المنام قبل أن أتزوَّجك مرَّتين، رأيت المَلك يحملك في سَرَقة من حريرٍ، فيقول: هذه امرأتك، فقلت له: اكشف فكشف فإذا هي أنت، فقلت: إن يكن هذا من عند الله يُمْضِه، ثُمَّ أُرِيتك يحملك في سَرَقة من حريرٍ، فقلت: اكشف، فكشف فإذا هي أنت، فقلت: إنْ يكن هذا من عند الله يُمْضِه».

سَرَقة -بفتح السين والراء-: شقة حرير أبيض، قوله: «إن يكن من عند الله يمضه». قال القرطبي: «ظاهره الشك في صحَّة هذه الرؤيا، وهو مشكلٌ».

وأجاب القاضي عياض عن ذلك بثلاثة أوجه:

الأول: أنه لم يشُكّ في أنها رؤيا من الله تعالى، وإنما شَكَّ هل هي على وجهها وظاهرها فلا تحتاج إلى تأويل، أو المقصود منها غير معناها فتحتاج إلى تعبير.

الثاني: أنه شَكَّ هل هي زوجته في الدنيا والآخرة، أو في الآخرة فقط؟

الثالث: أنه لم يكن عنده شَكٌّ، وإنما كان محققا لكنه جاء به في صورة الشك، وهذا نوع من البديع يسمى: تجاهل العارف، ومنه:

أيا ظَبْيَةَ الوَعْساءِ بين جُلاجِلٍ ... وبين النَّقا أ أنتِ أمّ أُمُّ سالمِ؟

لأنه لا يشك أنَّ الظبية ليست أمَّ سالمٍ، وبعض أرباب البلاغة يسمِّي هذا: «مزج الشكِّ باليقين».

وروى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينا نحن جلوسٌ عند رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «بينا أنا نائمٌ رأيتني في الجنَّة، فإذا امرأةٌ تتوضَّأ إلى جانب قصرٍ، قلت: لِمَن هذا القصر؟ قالوا لعمر بن الخطاب،

فذكرت غَيْرته فولَّيت مُدْبرًا». قال أبوهريرة: فبكىٰ عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه، ثُمَّ قال: أعليك -بأبي أنت وأمي يا رسول الله- أَغَار؟!

ورويا عن جابرٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**دخلتُ الجنَّة فإذا أنا بقصرٍ من ذهبٍ، فقلت: لِـمَن هذا؟ فقالوا: لرجلٍ من قريشٍ، فما منعني أن أدخله يا ابن الخطَّاب إلَّا ما أعلم مِن غَيْرتك**» قال: وعليك أَغَار يا رسول الله؟!

قوله: «**فإذا امرأةٌ تتوضَّأ إلى جانب قصرٍ**» ليس وضوؤها لأجل صلاة؛ فإنَّ الجنَّة لا تكليف فيها، ولكن الوضوء يرمز إلىٰ أنَّ الجنَّة لا تُنال إلَّا بالعبادة، وأساسها الطهارة والنظافة فإنه لا يدخل الجنَّة إلَّا نظيفٌ.

وروىٰ البخاريُّ عن جابرٍ رضي الله عنه قال: قال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**رأيتني دخلت الجنَّة فإذا أنا بالرُّمَيْصاء امرأة أبي طلحة، وسمعت خَشَفَةً فقلتُ: مَن هذا؟ فقال: هذا بلالٌ، ورأيت قصرًا بفنائه جارية فقلت: لِمن هذا؟ فقال لعمر، فأردت أن أدخله فأنظر إليه فذكرت غَيْرتك**». فقال عمر: بأبي وأُمِّي يا رسول الله أعليك أَغَار؟!

ورواه مسلمٌ، ولفظه: «**أُريتُ الجنَّة فرأيت امرأة أبي طلحة، ثُمَّ سمعت خَشْخَشَةً أمامي فإذا بلال**».

ورواه من حديث أنسٍ ولفظه: «**دخلتُ الجنَّةَ فسمعتُ خَشَفَةً فقلتُ: مَن هذا؟ قالوا: هذه الغُمَيْصَاء بنت مِلْحَان أمُّ أنس بن مالكٍ**».

«**الرُّمَيْصَاء والغُمَيْصَاء**» بالراء وبالغين بصيغة التصغير، والرَّمَصُ: ما يخرج من العين، وكذلك الغَمَصُ. «**خَشَفة**»: مثل حركة وزنا ومعنىٰ.

«خَشْخَشَة» بفتح الخاءين بينهما شين ساكنة: حركة أيضًا. «الفِناء» بكسر الفاء: جانب الدار.

وروىٰ الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لبلال صلاة الغداة: «**يا بلال، حدِّثني بأرجى عملٍ عملته عندك في الإسلام منفعةً، فإني سمعت الليلة خَشَفَ نعليك بين يدي في الجنَّة**» قال بلال: ما عملت عملًا في الإسلام أرجىٰ عندي منفعةً مِن أني لا أتطهَّر طهورًا تامًّا في ساعةٍ من ليلٍ ولا نهارٍ إلَّا صلَّيتُ بذلك الطهو ر ما كتب الله لي أن أصلِّي.

وروىٰ الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**بينا أنا نائمٌ إذ أوتيت خزائن الأرض، فوُضِع في يدي سِوَاران من ذهبٍ، فكبرا عليَّ وأهمَّاني، فأُوحي إلى أن انفخهما، فنفختهما فطارا، فأوَّلتهما الكذَّابَيْن الذين أنا بينهما: صاحب صنعاء وصاحب اليمامة**».

وروىٰ الشيخان عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: قَدِم مسيلمة الكذَّاب علىٰ عهد رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فجعل يقول: إن جعل لي محمَّدٌ الأمر من بعده اتبعته. وقدم في بَشَرٍ كثيرٍ مِن قومه، فأقبل إليه رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ومعه ثابت بن قيس بن شَمَّاس وفي يد رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قطعة جريد حتىٰ وقف مسيلمة في أصحابه فقال له: «**لو سألتني هذه القطعة ما أَعْطَيْتُكَها، ولن تَعْدُو أمر الله فيك، ولئن أَدْبَرتَ ليعقِرنَّك الله، وإنِّي لأراك الذي رأيتُ فيه ما رأيتُ، وهذا ثابتٌ يُجيبك عنِّي**». ثُمَّ انصرف عنه.

قال ابن عبَّاسٍ: فسألت عن قول رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم:

«**إنَّك الذي رأيتُ فيه ما رأيتُ**» فأخبرني أبو هريرة: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**بينا أنا نائمٌ رأيتُ في يدي سِوارين مِن ذهبٍ فأهمَّني شأنهما، فأُوحي إليَّ في المنام: أن انفخهما، فنفختمها فطارا، فأوَّلتهما كذَّابين يخرجان بعدي أحدهما الأسود العَنْسِيُّ، والآخر مُسَيلِمَةُ**».

استشكال

قوله يخرجان بعدي فيه إشكال؛ لأنَّ الأسود العَنْسِيَّ ادَّعىٰ النبوة في حياة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وحارب المسلمين وغلب علىٰ صنعاء وأخرج منها المهاجر بن أسد المخزومي عامل رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وانتشر أمره حتىٰ قتله فيروز الدَّيلمي.

ويجاب بأنَّ المراد بقوله «**بعدي**»: بعد نبوَّتي، أو المراد: تغليب حال مسيلمة الكذَّاب، فإنه خرج بعد النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وعظُمت شوكته وجهَّز أبو بكر رضي الله عنه جيشًا لقتاله بقيادة خالد بن الوليد، واجتمع علىٰ مسيلمة جيشٌ عظيمٌ، وحصلت بينهم حروبٌ لم يُسمع بمثلها، فكانت فتنة أشد من فتنة الأسود العَنْسيِّ.

وروىٰ مسلمٌ عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم «**رأيت ذات ليلة فيما يرى النائم كأنَّا في دار عقبة بن رافع فأُتينا برُطَبٍ من رُطَبِ ابن طاب، فأوَّلت الرِّفعة لنا في الدنيا والعاقبة في الآخرة، وأنَّ ديننا قد طَابَ**». عقبة بن رافعٍ أنصاري صحابي، ورطب ابن طاب: نوع من التمر معروف، قال النووي: «يضاف إلىٰ ابن طاب رجل من أهل المدينة».

وروى الشيخان عن ابن عمر: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**أراني في المنام أتسوَّك بسواك فجذبني رجلان أحدهما أكبر من الآخر، فناولت السِّواك الأصغر منهما، فقيل لي: كبِّر، فدفعته إلى الأكبر**». قوله: «**فقيل لي كبِّر**» قائل ذلك هو جبريل، كما جاء في "معجم الطبراني"، وهو يفيد تقديم الأكبر سِنًّا.

وروى البخاري عن ابن عمر: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**رأيت امرأةً ثائرة الرأس سوداء خرجت من المدينة حتى قامت بمَهْيَعة فأولت أنَّ وباء المدينة ينقل إلى مَهْيَعة**» وهي الجُحْفَةُ. مَهْيَعة: بفتح الميم والياء، بينهما هاء ساكنة.

وروى الشيخان عن أبي موسى، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**رأيتُ في المنام أنِّي أهاجر من مكَّة إلى أرض بها نخلٌ، فذهب وَهَلي إلى أنَّها اليمامة أو هَجَر فإذا هي المدينة يَثْرب، ورأيت في رؤياي هذه أني هَزَزْتُ سيفًا فانقطع صدره، فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أُحُدٍ، ثُمَّ هززته أخرى فعاد أحسن ما كان، فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين، ورأيت فيها أيضًا بقرًا والله خيرٌ، فإذا هم النَّفر من المؤمنين يوم أحدٍ وإذا الخير: ما جاء الله به من الخير بعد، وثواب الصِّدْق الذي أتانا الله به بعد يوم بدرٍ**».

«**ورأيت فيها بقرًا**» أي تذبح، كما في حديث ابن عبَّاسٍ عند أبي يعلى.

وروى أحمد والنَّسائيُّ والدارميُّ بإسناد صحيح عن جابر رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**رأيت كأنِّي في دِرْعٍ حصينةٍ ورأيت بقرًا تُنْحَر، فأوَّلتُ الدِّرْع الحصينة: المدينة، وأنَّ البَقَر: بَقْرٌ والله خيرٌ**» بَقْر: بفتح

الباء وسكون القاف: مصدر بَقَرَه إذا طعنه، والمعنى: أنه أوَّل البَقْر -وهو النحر- بما أصاب الصحابة يوم أحد من القتل.

«**والله خير**» هذه الجملة من جملة الرؤيا كما جزم به عياض وغيره، والجملة مبتدأ وخبر، والمعنى: أنه رأى بقرًا تذبح، ورأى أنه يقول: والله خير،أي: وصنع الله خير.

وعند ابن إسحاق في "المغازي": «**وإني رأيت والله خيرًا رأيت بقرًا تُنحر**». وهذه الرواية أوضح، والواو للقسم، واسم الجلالة مجرور قسم، وخيرًا مفعول رأيت وهو منصوب.

وروى الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**بينا أنا على بئرٍ أنزعُ منها إذ جاء أبو بكرٍ وعمر فأخذ أبو بكرٍ الدَّلوَ فنزع ذَنُوبًا أو ذنوبين وفي نَزْعِهِ ضعفٌ فغفر الله له، ثُمَّ أخذها ابن الخطَّاب من يد أبي بكرٍ فاستحالت في يده غَرْبًا فلم أرَ عبقريًّا مِن الناس يَفْري فَرِيَّه حتى ضربَ النَّاسُ بعَطَنٍ**».

ورويا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**بينا أنا نائمٌ رأيتني على قَلِيب عليها دَلْوٌ فنزعتُ منها ما شاء الله، ثُمَّ أخذها ابن أبي قحافة...**» وذكر الحديث نحو ما سبق.

القَلِيب: البئر، والغَرْب -بفتح الغين وسكون الراء-: الدلوالعظيمة، والنزع من البئر: الاستقاء منها، والعبقري: السيد العظيم، والفَرْي -بفتح الفاء وسكون الراء-: القطع، والمعنى: لم أر عظيمًا يعمل عمل عمر.

والحديث يشير إلى خلافة الشيخين وما كان فيها من خير للإسلام، وأنَّ

مدَّة خلافة عمر كانت أطول من خلافة أبي بكر، وكثرت فيها الفتوحات واستقرَّ المسلمون وعمهم العدل والخير.

ورواه أبوذر الهروي في كتاب "الرؤيا" من حديث ابن مسعود، وزاد في آخره: «**فأوِّلها يا أبا بكرٍ**» قال: أَلِي الأمر بعدك ويَلِيه بعدي عمر، قال:«**كذلك عبَّرها الملَك**».

قال الحافظ: «في سنده أيوب بن جابر ضعيف، وهذه الزيادة منكرة».

وروىٰ الطبراني بإسناد حسن عن أبي الطُّفيل: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**بينا أنا أنزع الليلة إذ وردتُ على غنمٍ سُودٍ وعُفْرٍ فجاء أبو بكر فنزع ذنوبًا أو ذنوبين وفي نزعه ضعفٌ والله يغفر له، فجاء عمر فاستحالت غَرْبًا فملأ الحِياض وأروى الواردة فلم أرَ عَبْقَريًّا أحسن نزعًا من عمر فأوَّلت السُّودَ: العربَ، والعُفْرَ: العَجَم**».

(تنبيه): روىٰ أحمد وأبو داود، واختاره الضياء، عن سَمُرَةَ بن جُنْدُبٍ: أنَّ رجلًا قال: يا رسول الله، رأيت كأنَّ دَلْوًا دُلِّيَ من السماء فجاء أبو بكرٍ فأخذ بعراقيها فشرب شربًا ضعيفًا، ثُمَّ جاء عمر فأخذ بعراقيها فشرب حتىٰ تضلَّع، ثُمَّ جاء عثمان فأخذ بعراقيها فشرب حتىٰ تضلَّع، ثُمَّ جاء عليٌّ فأخذ بعراقيها فانتشطت وانتضح عليه منها شيءٌ.

الدلو، يُذَكَّر ويؤنَّث. «**دُلِّي**» بكسر اللام المشدَّدة: أُنزل. «**عِراقَيها**» بكسر العين وفتح القاف: خشبتان تُجعلان علىٰ فم الدلو متخالفتين لربط الدلو. «**تضلَّع**» بالضاد المعجمة: ملأ أضلاعه، كناية عن الشبع. «**انتُشِطت**» بضمِّ التاء وكسر الشين: انتزعت واضطربت، وسقط بعض ما فيها.

في حديث ابن عمر وأبي هريرة: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم هو الرائي، وفي حديث سَمُرَة: أنَّ رجلا أخبر النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أنه رأىٰ.

قال الحافظ: «هما قصَّتان تشد إحداهما الأخرىٰ، وكأن قصَّة سَمُرة سابقة فنزل الماء من السماء -وهي خزانته- فأُسْكِن في الأرض -كما يقتضيه حديث سمرة- ثم أُخرِج منها بالدلو كما دلَّ عليه حديث ابن عمر، وفي حديث سَمُرَة إشارة إلىٰ نزول النصر من السماء علىٰ الخلفاء، وفي حديث ابن عمر إشارة إلىٰ استيلائهم علىٰ كنوز الأرض بأيديهم، وكلاهما ظاهر من الفتوح التي فتحوها، وفي حديث سَمُرَة زيادة إشارة إلىٰ ما وقع لعليٍّ عليه السَّلام من الفتن والاختلاف عليه، فإنَّ الناس أجمعوا علىٰ خلافته ثُمَّ لم يلبث أهل الجمل أن خرجوا عليه، وامتنع معاوية في أهل الشام ثُمَّ حاربه بصفِّين، ثُمَّ غلب بعد بقليل علىٰ مصر وخرجت الحرورية علىٰ عليٍّ فلم يحصل له في خلافته راحة، فضرب المنام المذكور مثلًا لأحوالهم رضوان الله عليهم أجمعين».اهـ كلام الحافظ، وهو نفيس.

وروىٰ أبو داود من طريق الزهريِّ، عن عمرو بن أبان بن عثمان، عن جابر بن عبدالله أنه كان يحدِّث: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**أُري الليلة رجلٌ صالحٌ أنَّ أبا بكرٍ نِيطَ برسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ونِيطَ عمر بأبي بكرٍ، ونِيطَ عثمان بعمر**» قال جابر: فلما قمنا من عند رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قلنا: أمَّا الرجل الصالح فرسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وأما تَنُوُّط بعضهم ببعض فهم ولاة هذا الأمر الذي بعث الله به

نبيِّه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

قال أبو داود: «ورواه يونس وشعيب ولم يذكرا عمر».

قال الحافظ المنذريُّ: «فعلىٰ هذه الرواية يكون الحديث منقطعًا؛ لأن الزهريَّ لم يسمع من جابر بن عبدالله».

وروىٰ الشيخان عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه قال: قام رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم خطيبًا صبيحة عشرين من رمضان فقال: «**مَن كان اعتكف معي فليرجع؛ فإنِّي رأيت ليلة القدر وإنِّي أُنسيتها وإنها في العشر الأواخر في وَتْرٍ، وإنِّي رأيت كأنِّي أسجد في طينٍ وماءٍ**». وكان سقف المسجد من جريد النخل وما نرىٰ في السماء شيئًا، فجاءت قزعة فمُطرنا فصلَّىٰ بنا النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حتىٰ رأيتُ أثر الطين والماء علىٰ جبهة رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم تصديق رؤياه.

وروىٰ البخاريُّ عن سَمُرَة قال: كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مما يُكْثِر أن يقول لأصحابه: «**هل رأى أحدٌ منكم رؤيا؟**» فيقصُّ عليه من شاء الله أن يقصَّ، وإنه قال لنا ذات غَداةٍ: «**إنه أتاني الليلة آتيان وإنهما ابتعثاني وإنهما قالا لي: انطلق، وإنِّي انطلقت معهما، وأنَّا أتينا على رجلٍ مضطجعٍ وإذا آخر قائمٌ عليه بصخرة، وإذا هو يهو ي بالصخرة لرأسه فيَثْلَغُ رأسه فيَتَدَهْدَهُ الحجر ههنا فيتبع الحجر فيأخذه فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان، ثُمَّ يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل المرة الأولى، قلت لهما سبحان الله! ما هذان؟ قالا لي: انطلق انطلق.**

فانطلقنا فأتينا على رجلٍ مستلقٍ لقفاه وإذا آخر قائم عليه بكَلُّوبٍ مِن

حديدٍ، وإذا هو يأتي أحد شِقَّي وَجْهِهِ فيُشَرْشِرُ شِدْقَهُ إلى قفاه، ومَنْخَرِه إلى قفاه، وعينه إلى قفاه، ثُمَّ يتحوَّل إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأوَّل، فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان، ثُمَّ يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل المرة الأولى، قلت سبحان الله! ما هذان؟ قالا لي: انطلق انطلق.

فانطلقنا فأتينا على مثل التنُّور فإذا فيه لَغَطٌ وأصوات فاطَّلعنا فيه فإذا فيه رجالٌ ونساءٌ عُرَاةٌ وإذا هم يأتيهم لهيبٌ مِن أسفل منهم فإذا أتاهم ذلك اللهب ضَوْضَوْا، قلت لهما: ما هؤلاء؟! قالا لي: انطلق انطلق.

قال: فانطلقنا، فأتينا على نهرٍ أحمر مثل الدَّم وإذا في النَّهر رجلٌ سابحٌ يسبح، وإذا على شطِّ النَّهر رجلٌ قد جمع عنده حجارةً كثيرةً، وإذا ذلك السابح سَبَحَ ما سبح، ثُمَّ يأتي ذلك الرجل الذي قد جمع عنده الحجارة فيَفْغَر له فاه فيلقمه حَجَرًا فينطلق يسبح ثُمَّ يرجع إليه، كلَّما رجع إليه فَغَر له فاه وألقمه حجرًا، قلت لهما: ما هذان؟! قالا لي: انطلق انطلق.

فانطلقنا، فأتينا على رجلٍ كريه المَرآة كأكره ما أنت راءٍ رجلًا مَرآةً. فإذا هو عنده نار يحشُّها ويسعى حولها. قلت لهما: ما هذا؟ قالا لي: انطلق انطلق.

فانطلقنا، فأتينا على روضة مُعْتِمة فيها من كلِّ لون الربيع، وإذا بين ظَهْرَي الروضة رجلٌ طويلٌ لا أكاد أن أرى رأسه طولًا في السماء، وإذا حول الرجل من أكثر ولدانٍ رأيتهم قطُّ، قلت لهما: ما هذا؟ما هؤلاء؟ قالا لي: انطلق انطلق.

فانطلقنا فانتهينا إلى دَوْحةٍ عظيمةٍ لم أر دَوْحَةً قطُّ أعظم منها ولا أحسن، قالا لي: إرقَ فيها فارتقينا فيها فانتهينا إلى مدينة مبنيَّة بلَبِنٍ ذهب ولَبِنٍ فِضَّة،

فأتينا باب المدينة فاستفتحنا ففُتح لنا فدخلناها، فتلقانا فيها رجالٌ شَطْرٌ من خَلْقهم كأحسن ما أنت راءٍ وشَطْرٌ كأقبح ما أنت راءٍ، قالا لهم: اذهبوا فقعوا في ذلك النهر، وإذا نهرٌ معترضٌ يجري كأنَّ ماءه المَحْض من البياض، فذهبوا فوقعوا فيه، ثُمَّ رجعوا إلينا وقد ذهب عنهم ذلك السوء وصاروا في أحسن صورة، قالا لي: هذه جنة عدنٍ، وها هو ذاك منزلك. فسَمَا بصري صعدًا فإذا قصر مثل الرَّبابة البيضاء، قالا لي: هذاك منزلك، قلت لهما: بارك الله فيكما، ذراني فأدخله، قالا لي: أمَّا الآن فلا، وأنت داخله، قلت لهما: فإنِّي قد رأيت منذ الليلة عجبًا! فما هذا الذي رأيت؟ قالا لي: أمَا إنا سنخبرك:

أمَّا الرجل الأول الذي أتيت عليه يَثْلَغُ رأسه بالحجر، فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة.

وأمَّا الرجل الذي أتيت عليه يُشَرْشِرُ شِدْقه إلى قفاه، ومَنْخِرَهُ إلى قَفاه، وعينه إلى قَفاه، فإنه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق.

وأمَّا الرجال والنساء العُراة الذين في مثل بناء التنُّور، فهم الزُّناة والزَّواني.

وأمَّا الرجل الذي أتيت عليه يسبح في النهر ويُلْقَم الحجارة، فإنه آكل الرِّبا.

وأمَّا الرجل الكريه المَرآة الذي عند النار يحشُّها ويسعى حولها فإنه مالكٌ خازن جهنَّم.

وأمَّا الرجل الطويل الذي في الروضة فإنه إبراهيم عليه السَّلام، وأمَّا الوِلْدان الذين حوله فكل مولود ولد على الفِطْرة.

فقال بعض المسلمين: يا رسول الله، وأولاد المشركين؟ فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «وأولاد المشركين».

قال:«**وأمَّا القوم الذين كانوا شطرًا منهم حسن وشطرًا منهم قبيح، فإنهم قد خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئا تجاوز الله عنهم، والدار الأولى التي دخلت دار عامَّة المؤمنين وهذه الدار دار الشهداء، وأنا جبريل وهذا ميكائيل**».

وروىٰ مسلمٌ والترمذيُّ أوَّله، وهو: كان النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يكثر أن يقول لأصحابه:«**هل رأى أحدٌ منكم رؤيا؟**»

ورواه ابن أبي حاتمٍ من طريق زيد بن عليِّ بن الحسين بن عليٍّ، عن أبيه، عن جدِّه عليٍّ عليه السَّلام قال: صلَّىٰ بنا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يومًا صلاة الفجر فجلس. وذكر الحديث بطوله نحوحديث سمرة. قال الحافظ: «والراوي عن زيد ضعيفٌ».

«**يَثْلَغ رأسه**»: يفتِّته. «**يَتدَهْدَه الحَجَر**»: يتدحرج، «**كَلُّوب**»: بفتح الكاف وضمِّ اللام المشدَّدة. «**يُشَرْشِرُ شِدْقَهُ**»: يشقُّ جانب فمه بالكَلُّوب. «**ضَوْضَوْا**» بفتح الضادين: صرخوا، «**فَغَر فاه**»: فتح فمه، «**المَرآة**» بفتح الميم: المنظر. «**يُحُشُّها**» بضمِّ الحاء وشد الشين: يشعلها، «**مُعْتِمة**» بضمِّ الميم وسكون العين وكسر التاء: مُظْلِمة لكثرة أشجارها، «**ظَهْرَي**» بلفظ التثنية: وسط الروضة. «**دَوْحَة**» بفتح الدال والحاء المهملتين بينهما واو ساكنة: شجرة. «**لَبِن**» بفتح اللام وكسر الباء: «**الآجر**» الذي يُبنىٰ به، «**شطر**»: نصف، «**المَحْض**» بفتح الميم: اللَّبن، وكلَّ شيءٍ أبيض خالص البياض، «**الرَّبابة**» بفتح الراء وتخفيف الباء: السحابة المتراكم بعضها فوق بعض.

وقال الفريابي في كتاب "الرؤيا": حدَّثنا هشام بن عمار: حدَّثنا صدقة بن خالد: ثنا عبدالرحمن بن يزيد بن جابر، عن سليم بن عامر الكلاعي قال:

حدثنا أبو أُمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «بينا أنا نائمٌ إذ أتاني رجلان فأخذا بضَبْعَي[١] فأخرجاني وأتيا بي جبلًا وَعْرًا فقالا لي: اصعد، فقلت: لا أطيقه، قالا: إنا سنسهله لك، فصعدْتُ حتى إذا كنت في سواء الجبل إذا أنا بصوتٍ شديدٍ، فقلت: ما هذه الأصوات؟ فقالا: هذا عُوَاءُ أهلِ النَّارِ.

ثُمَّ انطلقا بي، فإذا بقوم معلَّقين بعراقيبهم، مُشقَّقةً أشداقهم تسيل دمًا، فقلت: من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يفطرون قبل تحلَّة صومهم.

ثُمَّ انطلقا بي، فإذا بقومٍ أشد شئ انتفاخًا وأنتنه ريحًا كأن ريحهم المراحيض، فقلت: من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الزَّانون والزَّواني.

ثُمَّ انطلقا بي، فإذا بغلمان يلعبون بين نهرين فقلت: من هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذَرَاري المسلمين.

ثُمَّ شرفا بي شرفًا، فإذا بنفرٍ ثلاثة يشربون من خَمْرٍ لهم، فقلت: مَن هؤلاء؟ قال: هؤلاء زيد وجعفر وابن رواحة[٢].

ثُمَّ شرفا بي شرفًا آخر فإذا بنفر ثلاثة، فقلت: من هؤلاء؟ قالا: هؤلاء ابراهيم وموسى وعيسى عليهم السَّلام، وهم ينتظرونك». إسناده جيد.

ورواه الطبراني باختلاف وزيادة، ولفظه: عن أبي أُمامة قال: خرج علينا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعد صلاة الصبح فقال: «إني رأيت الليلة

---

(١) «ضَبْعَي» بفتح الضاد وسكون الباء وفتح العين: تثنية ضبع وهو العضد.

(٢) زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبدالله بن رواحة استشهدوا في غزوة مؤتة وكانت في جمادى الأولى سنة ثمان من الهجرة، ومؤتة: موضع بمشارف الشام.

رؤيا فاعقِلوها، أتاني رجلٌ فأخذ بيدي فاستتبعني حتى أتى جبلًا طويلًا وَعْرًا فقال: إرقَه، فقلت: لا أستطيع، فقال: إني سأسهِّله لك، فجعلت كلما وضعت قدمي وضعتها على درجة حتى استويت على سواء الجبل، ثُمَّ انطلقنا فإذا نحن برجال ونساء مُشقَّقة أشداقهم، فقلت: مَن هؤلاء؟ قال: الذين يقولون ما لا يعلمون، ثُمَّ انطلقنا، فإذا نحن برجالٍ ونساءٍ أقبح شيءٍ منظرًا وأنتنه ريحًا كأن ريحهم المَراحِيض، فقلت: ما هؤلاء؟ قال:هؤلاء الزُّناة والزَّواني، ثُمَّ انطلقنا فإذا نحن بموتى أشد شيءٍ انتفاخًا وأنتنه ريحًا فقلت: ما هؤلاء؟ قال: موتى الكفَّار، ثم انطلقنا، فإذا نحن برجالٍ نيامٍ تحت ظلال الشجر، قلت: ما هؤلاء؟ قال: موتى المسلمين، ثُمَّ انطلقنا فإذا نحن برجالٍ أحسن شيءٍ وجهًا وأطيبه ريحًا، قلت: ما هؤلاء؟ قال: هؤلاء الصِّدِّيقون والشهداء والصالحون...». الحديث، وإسناده جيد.

ورواه ابن خزيمة في "صحيحه" مطوَّلًا، ولفظه: «بينا أنا نائمٌ أتاني رجلان فأخذا بضَبْعَي فأَتَيا بي جبلًا وَعْرًا فقالا: اصعد، فقلت: إنِّي لا أطيقه، فقال: إنا سنسهِّله لك، فصعدت حتى إذا كنت في سواء الجبل فإذا أنا بأصواتٍ شديدةٍ، فقلت: ما هذه الأصوات؟ قالا: هذا عُوَاءُ أهل النَّارِ، ثُمَّ انطلق بي فإذا أنا بقوم معلَّقين بعراقيبهم مُشقَّقةً أشداقهم تسيل أشداقهم دمًا، قلت: مَن هؤلاء؟ قيل: هؤلاء الذين يفطرون قبل تَحِلَّة صومهم، فقال: خابت اليهود والنَّصارى»، فقال سليم: ما أدري أَسَمِعَه أبو أُمامة من رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، أم شيءٌ من رأيه- «ثُمَّ انطلق بي، فإذا أنا بقومٍ أشد شيءٍ انتفاخًا وأنتنه ريحًا كأن ريحهم المَراحيض، قلت: من هؤلاء؟ قالا:هؤلاء

الزَّانون، ثُمَّ انطلق بي فإذا أنا بنساء تنهش ثديهنَّ الحيَّات، قلت ما بال هؤلاء؟ قيل: هؤلاء يمنعن أولادهنَّ ألبانهنَّ[١]، ثُمَّ انطلق بي، فإذا بغلمان يلعبون بين نهرين، قلت من هؤلاء؟ قالا:هؤلاء ذراري المؤمنين، ثُمَّ شرفا بي شرفًا فإذا بثلاثة يشربون من خمرٍ لهم، قلت: مَن هؤلاء؟ قال: هؤلاء جعفر وزيد وابن رواحة، ثُمَّ شرف بي شرفًا آخر، فإذا أنا بنفر ثلاثة، قلت: من هؤلاء؟ قال: هذا إبراهيم وموسى وعيسى، وهم ينتظرونك». ورواه ابن حِبَّان في صحيحه أيضًا.

وروى الحاكم عن أبي أيوب رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «إني رأيت في المنام غَنَمًا سوداء يتبعها غَنَمٌ عُفْرٌ، يا أبا بكر، اعْبُرها» فقال أبو بكر: يا رسول الله هي العرب تتبعك، ثُمَّ تتبعها العجم حتى تغمرها. فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «هكذا عَبَرها الملَك بسَحَر».

ورواه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «رأيت غنمًا كثيرة سوداء دخلت فيها غَنَمٌ كثيرة بِيض» قالوا: فما أوَّلته يا رسول الله؟ قال: «العَجَمُ يشركونكم في دينكم وأنسابكم» قالوا: العجم يا رسول الله؟ قال: «لو كان الإيمان بالثريَّا لناله رجالٌ مِن العَجَمِ وأسعدهم به الناس». صحَّحه الحاكم على شرط البخاريِّ، ووافقه الذهبيُّ.

وروى البخاريُّ عن جابرٍ رضي الله عنه قال: «جاءت ملائكة إلى النبيِّ

---

(١) فيحْرُم على المرأة أن تمنع طفلها الرضيع مِن لَبِنها، وترضعه بالبزَّازة، أوتعطيه لمرضعة فإنَّ ذلك ضارٌّ بالطفل صحِّيًّا ومعنويًّا، إلا إن كانت الأمُّ مريضةً أو لبنها قليل، فلها العذر حينئذٍ.

صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وهو نائمٌ، فقال بعضهم: إنه نائمٌ، وقال بعضهم: إنَّ العين نائمةٌ والقلب يقظان، فقالوا: إنَّ لصاحبكم هذا مثلًا فاضربوا له مثلًا، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إنَّ العين نائمةٌ والقلب يَقْظَان.

فقالوا: مَثَله كمثل رجلٍ بنى دارًا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيًا فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المَأْدُبة، ومن لم يُجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المَأْدُبة، فقالوا: أوِّلوها له يفقهها، فقال بعضهم: إنه نائمٌ، وقال بعضهم: إنَّ العين نائمةٌ والقلب يَقْظَان.

فقالوا: فالدار: الجنَّة، والداعي: محمَّدٌ، فمن أطاع محمَّدًاصلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقد أطاع الله، ومَن عصى محمَّدًا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقد عصى الله، ومحمَّدٌ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فَرْقٌ بين النَّاس».

ورواه الترمذيُّ عن جابرٍ قال: خرج علينا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يومًا فقال: «**إنِّي رأيت في المنام كأنَّ جبريل عند رأسي وميكائيل عند رجلي يقول أحدهما لصاحبه: اضرب له مثلًا، فقال: اسمع سمعت أذنك، واعقل عقل قلبك.**

إنما مثلك ومثل أُمَّتك كمثل ملِكٍ اتخذ دارًا ثُمَّ بنى فيها بيتًا ثُمَّ جعل فيها مائدةً ثُمَّ بعث رسولًا يدعوالناس إلى طعامه، فمنهم مَن أجاب الرسول ومنهم مَن تركه. فالله هو الملِك والدار الإسلام والبيت الجنَّة وأنت يا محمَّد رسول. مَن أجابك دخل الإسلام ومَن دخل الإسلام دخل الجنَّة ومَن دخل الجنَّة أكل ما فيها». قال الترمذيُّ: «هذا حديث مرسل، سعيد بن أبي هلال لم يدرك جابر بن عبدالله».اهـ

قلت: يريد أنه منقطعٌ بين سعيدٍ وجابرٍ. فالمراد بالإرسال: الانقطاع، وقد وصله الحاكم من طريق الليث، عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن عطاء، عن جابر به. وقال: «حديث صحيح الإسناد»، ووافقه الذهبيُّ.

ورواه الطبرانيُّ عن ربيعة الجرشي: أنَّ نبيَّ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أُتي فقيل له: لِتَنَمْ عينك ولِتَسْمَعْ أذنك ولِيَعْقِل قلبك قال: «**فنامت عيني وسمعت أذني وَعَقَلَ قلبي، وقيل لي: سَيِّدٌ بنى دارًا وصنع مَأْدُبةً وأرسل داعيًا، فمن أجاب الدَّاعي دخل الدَّار وأكل مِن المَأْدُبة ورضي عليه السيِّد، ومَن لم يُجب الدَّاعي لم يدخل الدَّار ولم يَنَلْ مِن المَأْدُبَةِ وسَخِطَ عليه السيِّد، والسيِّد: الله، والدَّاعي: محمَّدٌ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، والمَأْدُبة: الجنَّة**». إسناده حسن.

ورواه الترمذيُّ عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: صلَّىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم العشاء ثُمَّ انصرف وأخذ بيدي حتىٰ خرج بي إلىٰ بطحاء مكَّة فأجلسني ثُمَّ خَطَّ عليَّ خَطًّا، ثُمَّ قال: «**لا تبْرَحَنَّ خَطَّك فإنَّه سينتهي إليك رجالٌ فلا تكلِّمهم فإنَّهم لن يكلِّموك**».

ثُمَّ مضىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حيث أراد، فبينا أنا جالسٌ في خطِّي إذ أتاني رجالٌ كأنهم الزُّطُّ أشعارهم وأجسامهم، لا أرىٰ عورةً ولا أرىٰ قِشْرًا وينتهون إليَّ ولا يجاوزون الخطَّ، ثُمَّ يصدرون إلىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حتىٰ إذا كان من آخر الليل، لكن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قد جاءني وأنا جالسٌ فقال: «**لقد أراني منذ الليلة**» ثُمَّ دخل عليَّ في خطِّي فتوسَّد فخذي، وقد كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إذا نام نَفَخَ. فبينا أنا قاعدٌ ورسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم متوسِّد فخذي إذ أنا

برجالٍ عليهم ثيابٌ بِيضٌ، الله أعلم ما بهم من الجمال، فانتهوا إليَّ فجلس طائفةٌ منهم عند رأس رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وطائفةٌ منهم عند رجليه، ثُمَّ قالوا: ما رأينا عبدًا قطُّ أُوتي مثل ما أُوتي هذا النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إن عينيه تنامان وقلبه يَقْظَان، اضربوا له مثلًا: مثل سيِّدٍ بنىٰ قصرًا ثُمَّ جعل مائدةً، فدعا الناس إلىٰ طعامه وشرابه، فمن أجابه أكل من طعامه وشرب من شرابه،ومَن لم يجبه عاقبه، ثُمَّ ارتفعوا، واستيقظ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**سمعت ما قال هؤلاء، وهل تدري مَن هم؟**». قلت الله ورسوله أعلم. قال: «**هم الملائكة، فتدري ما المثل الذي ضربوه؟**» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**المثل الذي ضربوه: الرحمن بنى الجنَّة ودعا إليها عباده، فمن أجابه دخل الجنَّة ومَن لم يُجبه عاقبه أو عذَّبه**». قال الترمذيُّ: «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ»، ورواه أحمد بإسناد صحيحٍ أيضًا.

«**كأنهم الزُّطُّ**»: بضم الزاي جنس من السودان والهنود، «**لا أرى لهم عورة**»: أي منكشفة، «ولا أرىٰ قشرًا»: أي لا أرىٰ عليهم ثيابًا، «**لكن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قد جاءني**»: استدراك علىٰ جملة مفهومة من السِّياق، والمعنىٰ: «**فلما كان آخر الليل، لم يجئني أحد منهم لكن....**» إلخ، «**إذا رقد نَفَخَ**»: أي شخر، «**أراني منذ الليلة**»: أي صاحيًا لم أنم.

وروىٰ الحاكم عن سَمُرَة بن جُنْدُبٍ قال: كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**هل رأى أحدٌ منكم رؤيا؟**» فيقُصُّ عليه من شاء، وأنه قال ذات غداةٍ: «**إنه أتاني الليلة مَلَكان، فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عن رجلي، فقال الذي عند رجلى للذي عند رأسي: اضرب مثل هذا ومثل أمُّته، فقال: إنَّ**

مثله ومثل أمَّته كمثل قومٍ سفرٍ انتهو ا إلى رأس مفازةٍ ولم يكن عندهم من الزاد ما يقطعون به المفازة ولا ما يرجعون به، فبينما هم كذلك إذ أتاهم رجلٌ مُرَجَّلٍ في حُلَّةٍ حِبَرةٍ فقال: أرأيتم إن وردت بكم رياضًا مُعْشِبةً وحياضًا رُواءً، أتتبعوني؟ قالوا: نعم، فانطلق بهم فأوردهم رياضًا مُعْشِبَةً وحياضًا رُواءً فأكلوا وشربوا وسَمِنُوا فقال لهم: ألم ألقكم على تلك الحال فقلت لكم: إن وردت بكم رياضًا مُعْشِبَةً وحِياضًا رُوَاءً، أتتبعوني؟ فقالوا: بلى، فقال: إن بين يديكم رياضًا أعشب مِن هذه وحِياضًا أروى مِن هذه، فاتبعوني، فقالت طائفة: صدق والله لنتبعه وقالت طائفة: قد رضينا بهذا، نقيم عليه».

قال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين»، ووافقه الذهبيُّ.

ورواه أحمد والبزّار والطبرانيُّ بإسنادٍ حسنٍ عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: «أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أتاه فيما يرى النائم مَلَكان فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه...» وذكر الحديث مثل رواية الحاكم.

وروى الترمذيُّ والحاكم من طريق يونس بن بُكَيرٍ: حدَّثني عثمان بن عبدالرحمن، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: سُئِل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن ورقة؟ فقالت له خديجة: إنه كان صدَّقَك، ولكنه مات قبل أن تظهر، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «أُريته في المنام وعليه ثياب بِيضٌ، ولوكان مِن أهل النَّار لكان عليه لِباسٌ غير ذلك». ضعَّفه الترمذيُّ من أجل عثمان بن عبدالرحمن الوقاصي فإنه متروك.

لكن رواه أحمد من طريق ابن لَهيعة، عن أبي الأسود، عن عروة، عن عائشة.

وقال أبوالفرج الأصبهاني في كتاب "الأغاني": أخبرنا الطوسي: حدَّثنا

الزبير بن بكار: ثنا عبدالله بن معاذ، عن معمر، عن الزهري، عن عروة، قال: سئل رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن ورقة بن نوفل -فيما بلغنا- فقال: «**قد رأيته في المنام كأن عليه ثيابًا بيضًا، فقد أظنُّ أن لوكان من أهل النَّار لم أرَ عليه البياض**».

وقال الزبير بن بكَّار: حدَّثني عمِّي: ثنا الضَّحَّاك بن عثمان، عن عبدالرحمن بن أبي الزناد، عن هشام بن عروة: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال لأخي ورقة أو لابن أخيه: «**شعرت إني رأيت لورقة جنَّة أو جنتين؟**». شك هشام. هذا مرسل ضعيف الإسناد.

ورواه يونس بن بُكَيرٍ في "زيادات المغازي" عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: سابَّ أخٌ لورقة رجلًا فتناول الرجل ورقة فسبَّه، فبلغ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**هل علمت أني رأيت لورقة جنَّةً أو جنتين؟**» فنهىٰ عن سبِّه.

ورواه البزَّار من طريق أبي معاوية، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لا تسبُّوا ورقة، فإني رأيت له جنَّةً أو جنتين**». إسناده صحيح.

وروىٰ البيهقيُّ في "الدلائل" من طريق يونس بن بُكيرٍ، عن يونس بن عمرو بن أبي إسحاق السَّبيعيِّ، عن أبيه، عن جدِّه، عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل -وهو من كبار التابعين-: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال لخديجة: «**إني إذا خلوت وحدي سمعت نداءً، فقد خشيت والله على نفسي**» فقالت: معاذ الله، ما كان ليفعل بك وذكر كلامها وذهابها معه إلىٰ ورقة بن نوفل وتبشيره له بأنه رسول الله وأنه إن يدركه ينصره نصرًا مؤزَّرا، وقال: فلما توفِّي،

قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لقد رأيت القِسَّ في الجنَّة عليه ثياب الحرير لأنه آمن بي وصدَّقني**». قال البيهقيُّ: «هذا منقطعٌ».

قلت: لكنه مؤيَّد بما تقدَّم من الطرق، لا سيما وإسناده صحيح.

وروىٰ البزَّار عن عبدالله بن أبي أوفىٰ رضي الله عنهما قال: خرج رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ أصحابه أجمع ما كانوا فقال: «**إني رأيت الليلة منازلكم في الجنَّة وقرب منازلكم**». ثُمَّ أقبل علىٰ عمر فقال: «**يا عمر قد رأيت في الجنَّة قصرًا من درَّةٍ بيضاء لؤلؤه أبيض مشيَّد بالياقوت، فقلت: لمن هذا؟ فقيل: لفتى من قريش، فظننت أنه لي، فذهبت لأدخله فقال: يا محمَّد، هذا لعمر بن الخطَّاب، فما منعني من دخوله إلَّا غَيْرتك يا أبا حفص**». فبكىٰ عمر وقال: بأبي وأمِّي، أعليك أغار يا رسول الله؟ ثُمَّ أقبل علىٰ عبدالرحمن بن عوف فقال: «**لقد بطَّأ بك عنَّا من بين أصحابي حتى خشيت أن تكون هلكت، وعرقت عرقًا شديدًا، فقلتُ: ما بطَّأ بك؟ فقلت: يا رسول الله، من كثرة مالي ما زلت موقوفًا محاسبًا أُسأل عن مالي: مِن أين اكتسبته،وفيمَ أنفقته؟**».

فبكىٰ عبدالرحمن، وقال: يا رسول الله، هذه مائة راحلة جائتني الليلة من تجارة مصر، فإني أُشهدك أنها علىٰ فقراء أهل المدينة وأيتامهم لعل الله يخفِّف عنِّي ذلك اليوم.

ورواه الطبرانيُّ بنحوه، قال الحافظ المنذري: «رجال الحديث ثِقاتٌ إلَّا عمار بن سيف، وقد وُثِّق».

قلت: عمار بن سيف هو الضَّبِّي الكوفي، قال العجليُّ: «ثَبْتٌ مُتعبِّدٌ ثقةٌ، صاحب سنَّةٍ»، وروىٰ عثمان الدارمي عن ابن معين: «ثقةٌ»، وضعَّفه أبوزرعة

وأبوحاتم، وروىٰ أحمد بن زهير عن ابن معين: «ليس حديثه بشيءٍ»، وقال أبو داود: «كان مغفلًا»، وقال الذهبيُّ: «له حديثٌ منكرٌ جدًّا»، يعني حديث: «تبني مدينة بين دجلة ودجيل وقرطبل والصرة...». الحديث، وهو مذكور في كتب الموضوعات.

وروىٰ أبو الشيخ وأحمد من طريق مطرح بن يزيد، عن عُبيدالله بن زُحْرٍ، عن عليِّ بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أُمامة رضي الله عنه، قال: قال رسول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**رأيت أنِّي دخلت الجنَّة فسمعت فيها خَشْفَةٍ بين يدي فقلت: ما هذا؟ قالوا بلال، فمضيت فإذا أكثر أهل الجنَّة فقراء المهاجرين وذراري المؤمنين، وإذا ليس فيها أحدٌ أقلَّ من النِّساء ومِن الأغنياء، فقيل لي: أمَّا الأغنياء فإنهم على الباب يُحاسبون ويُمحَّصون، وأمَّا النِّساء فألهاهنَّ الأحمران الذهب والحرير. ثُمَّ خرجنا من أحد أبواب الجنَّة الثمانية، فلما كنت عند الباب أُتيت بكفَّةٍ ووضعت فيها ووضعت أمَّتي فرجحت بها، ثُمَّ أتي بأبي بكرٍ فوضع في كفَّة وجيء بجميع أمَّتي فوضعوا، فرَجَح أبو بكرٍ، ثُمَّ جيء بعمر فوضع في كفَّة وأُتي بجميع أمتي فوضعوا فرَجَح عمر، وعُرِضَت عليَّ أمَّتي رجلًا رجلًا فجعلوا يمرُّون، فاستَبْطَأتُ عبدالرحمن بن عوفٍ، ثُمَّ جاء بعد الإياس، فقلت: عبدالرحمن؟ فقال بأبي أنت وأمِّي يا رسول الله ما خَلَصْتُ إليك حتى ظَنَنْتُ أنِّي لا أَخْلُصُ إليك إلَّا بعد المُشيبات، قلت: وما ذاك؟ قال: مِن كثرة مالي، أُحَاسب وأُمحَّص**». وإسناده مسلسل بالضعفاء.

قال الحافظ الهيثمي: «ومما يدلك علىٰ ضعف هذا: أنَّ عبدالرحمن بن عوف أحد أصحاب بدر والحديبية، وأحد العشرة، وهم أفضل الصحابة والحمد لله».اهـ

وروىٰ أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: خرج علينا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ذات غداةٍ بعد طلوع الشمس، فقال: «**رأيت قبيل الفجر كأنِّي أُعطيت المَقاليد والموازين، فأمَّا المقاليد فهذه المفاتيح، وأمَّا المَوازين فهذه التي يوزن بها، فوُضِعتُ في كِفَّةٍ ووضعت أُمَّتي في كِفَّةٍ، فوُزِنتُ بهم فرجَحتُ، ثُمَّ جيء بأبي بكرٍ فوُزِن بهم فوَزَن، ثُمَّ جيء بعمر فوُزِنَ بهم فوَزَن، ثُمَّ جيء بعثمان فوُزِن بهم ثُمَّ رُفعت**». رجال إسناده ثِقات.

ورواه الطبراني عن معاذ بن جبلٍ رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أُريت أنِّي وُضعت في كِفَّةٍ وأمَّتي في كِفَّةٍ فعدلتها، ثُمَّ وضع أبو بكرٍ في كِفَّةٍ وأمَّتي في كِفَّةٍ فعدلها، ثُمَّ وضع عمر في كِفَّةٍ وأُمَّتي في كِفَّةٍ فعدلها، ووضع عثمان في كِفَّةٍ وأمَّتي في كِفَّةٍ فعدلها، ثُمَّ رُفع الميزان**». رجاله ثِقات إلَّا عمرو بن واقد.

وروىٰ الطبراني أيضًا عن عَرْفَجَةَ قال: صلَّىٰ بنا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم الفجر، ثُمَّ قال: «**وُزِنَ أصحابيِّ الليلة فوُزِنَ أبو بكرٍ فوَزَن، ثُمَّ وُزِن عمر فوَزَن، ثُمَّ وُزِنَ عثمان فوَزَن**» في إسناده راوٍ متروك. ورواه الطبرانيُّ أيضًا من حديث أسامة بن شريك نحوه.

وروىٰ أحمد عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**رأيت كأني أُتيت بكُتْلةٍ تمرٍ فعَجَمْتُها في فمي فوجدتُ فيها نواة آذتني فلفظتها، ثُمَّ أخذت أخرى فعَجَمْتُها في فمي فوجدت فيها نواة فلفظتها، ثُمَّ أخذت أخرى فوجدت فيها نواة فلفظتها**». فقال أبو بكرٍ رضي الله عنه: دعني فلأعْبُرها، قال: «**عبِّرها**» قال: هو جيشك الذي بعثت، فيسلمون

ويغتنمون، فيلقون رجلًا فينشدهم ذمتك فيدعونه،ثُمَّ يلقون رجلًا فينشدهم ذمتك فيدعونه، ثُمَّ يلقون رجلًا فينشدهم ذمتك فيدعونه. قال: «**كذلك قال الملَك**». قال الحافظ الهيثميُّ: «في إسناده مجالد بن سعيد، وهو ثقة وفيه كلام».

قلت: وقال الذهبيُّ في "جزء الدينار": «حديثه حسن».

وروى يعقوب بن سفيان والطبرانيُّ، عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**بينا أنا نائمٌ، رأيت عمود الكتاب احتمل من تحت رأسي فأتبعته بصري فإذا هو قد عُمِد به إلى الشام، ألا وإن الإيمان حين تقع الفتن بالشام**». وفي روايةٍ: «**فإذا وقعت الفتن فالأمن بالشام**». صحَّحه الحاكم.

وروى أحمد والطبرانيُّ عن أبي الدرداء عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**بينا أنا نائمٌ رأيت عمود الكتاب احتمل من تحت رأسي فظننت أنه مذهوبٌ به فأتبعته بصري فعُمِد به إلى الشام**». قال الحافظ: «إسناده صحيح». وجمع طرقه ابن عساكر في مقدَّمة تاريخه.

وروى الطبراني عن سالم بن أبي الجعد قال: أُريهم النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم -يعني شهداء غزوة مؤتة- في النوم، فرأى جعفرًا ملَكًا ذا جناحين مُضرَّجين بالدماء، وزيدًا مقابله على السَّرير.

ورواه ابن أبي شيبة، عن يحيى بن آدم، عن قطبة بن عبدالعزيز، عن الأعمش، عن عدي بن ثابتٍ، عن سالم بن أبي الجَعْد قال: أُري النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في النوم جعفر بن أبي طالب ذا جناحين مُضرَّجًا بالدم.

مرسلٌ صحيح الإسناد.

وقال البزَّار: حدَّثنا محمد بن المثنَّىٰ: حدَّثنا عبيد الله الحنفي: ثنا زمعة، عن سلمة بن وَهْرَام، عن عكرمة، عن ابن عبَّاسٍ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**دخلت البارحة الجنَّة فإذا فيها جعفرٌ يطير مع الملائكة وإذا حمزة مع أصحابه**»(١).

وروىٰ الحاكم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم للمسلمين: «**قد أريت دار هِجْرَتكم أُريت سَبِخَةً ذات نخلٍ بين لَابَتين وهما الحَرَّتان**»، صحَّحه الحاكم علىٰ شرط الشيخين، ووافقه الذهبيُّ.

وروىٰ الحاكم عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم رأىٰ فيما يرىٰ النائم قال: «**رأيت كأنِّي مردفٌ كبشًا وكأن ظُبَّة سيفي انكسرت، فأوَّلْتُ أن أقتل كبْش القومِ، وأوَّلْتُ أنَّ ظُبَّة سيفي رجلٌ من عِتْرتي**». فقُتل حمزة، وقَتَل رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم طلحة(٢) وكان حامل لواء المشركين.

وروىٰ الحاكم أيضًا عن عائشة: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**رأيت في المنام كأنَّ أبا جهلٍ أتاني فبايعني**». فلما أسلم خالد بن الوليد قيل لرسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: قد صدق الله رؤياك يا رسول الله، هذا كان إسلام خالد، فقال: «**ليكونَنَّ غيره**». حتىٰ أسلم عِكْرِمة بن أبي جهل،

---

(١) حمزة: عمُّ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وأخوه من الرضاعة وأصحابه شهداء أحدٍ رضى الله عنهم.

(٢) هو ابن أبي طلحة، من بني عبدالدار، وكان حامل لواء المشركين يوم أحدٍ، وقُتل مشركًا، وكان الكبش في الرؤيا رمزًا له.

وكان ذلك تصديق رؤياه. صحَّحه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبيُّ.

وروى يعقوب بن الجصاص في "فوائده"، والحاكم في "المستدرك" عن أمِّ سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**رأيت لأبي جهل عَذْقًا في الجنَّة**». فلما أسلم عكرمة بن أبي جهل، قال: «**يا أمَّ سلمة هذا هو**».

وذكره الحافظ ابن عبدالبر في "أنس المجالس" فقال: «رأى النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في منامه: أنه دخل الجنَّة ورأى فيها عَذْقا فأعجبه وقال: «**لمن هذا؟**» فقيل: لأبي جهل، فشقَّ ذلك عليه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وقال: «**لا يدخلها إلَّا نفسٌ مؤمنةٌ**» فلما جاء عكرمة بن أبي جهل مسلمًا فرح به، وأوَّل ذلك العذق له».اهـ

وروى المحاملي في "أماليه" عن أنسٍ رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم استعمل عتَّاب بن أَسيد على مكَّة، وكان شديدًا على المُريب لينا على المؤمنين، وكان يقول: والله لا أعلم متخلِّفًا عن هذه الصَّلاة في جماعةٍ إلَّا ضربت عنقه فإنه لا يتخلَّف عنها إلَّا منافق، فقال أهل مكَّة: يا رسول الله استمعلت على أهل الله أعرابيًا جافيًا؟! فقال: «**إني رأيت فيما يرى النائم أنه أتى باب الجنَّة، فأخذ بحلقة الباب فقَعْقَعَها حتى فُتح له ودخل**».

وذكر الأزرقي في "تاريخ مكة": أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لقد رأيت أَسيدًا في الجنة، وأنَّي يدخل أَسيد الجنَّة؟!**» لأنه مات مشركًا. فعرض له عتَّاب بن أسيد وهو مسلم، فقال: «**هذا الذي رأيت**». يعني أوَّل

الرؤيا عليه. وذكر الحديث في توليته على مكة.

قلتُ: «**عتَّاب**» -بتشديد التاء- ابن أَسيد -بفتح الهمزة- الأمويُّ، أسلم عام الفتح، وكان صالحًا فاضلًا، توفِّي في خلافة عمر رضي الله عنهما.

وروى الحاكم عن أمِّ سلمة رضي الله عنها: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم اضطجع ذات ليلةٍ للنوم فاستيقظ وهو خائِرٌ، ثم اضطجع فرقد، ثُمَّ استيقظ وهو خائِرٌ دون ما رأيت به المرة الأولى، ثُمَّ اضطجع فاستيقظ وفي يده تربة حمراء يقلبها، فقلت: ما هذه التربة يا رسول الله؟ قال: «**أخبرني جبريل أنَّ هذا يقتل بأرض العراق**»-للحسين- «**فقلتُ لجبريل: أرني تربة الأرض التي يُقتل بها، فهذه تربتها**». صحَّحه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبيُّ.

وروى أحمد من طريق شعبة، عن أبي إسرائيل، عن جَعْدة بن خالد الجشمي -صحابي-: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رأى لرجلٍ رؤيا، فبعث إليه، فجاء فجعل يقصُّها عليه، قال: وكان الرجل عظيم البطن، قال: فجعل يقول بأصبعه في بطنه: «**لوكان هذا في غير هذا لكان خيرًا لك**». إسناده صحيح. ويؤخذ منه أنَّ الرجل إذا رأى رؤيا لصديقه فينبغي له أن يقصَّها عليه.

وروى البزَّار عن ابن عبَّاسٍ قال: تَنَفَّل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم سيفه ذا الفقار يوم بدرٍ، وهو الذي رأى فيه الرؤيا يوم أحدٍ، قال: «**رأيت كأنَّ في سيفي ذي الفَقَار فَلًّا**[1] **فأوَّلته قتلًا يكون فيكم، ورأيت أنِّي**

---

(١) بفتح الفاء وتشديد اللام مع التنوين يعني ثلما.

مُرْدِفٌ كَبْشًا، فأوَّلته كَبْشَ الكتيبة، ورأيت أنِّي في دِرْعٍ حَصِينةٍ، فأوَّلته المدينة...» الحديث.

وقال الحافظ أسلم بن سهل الواسطي في "تاريخ واسط": حدَّثنا سريع أبو عبدالرحمن قال: حدَّثنا حمزة بن عبدالقاهر بن حمزة قال: حدَّثنا مخلد بن عبدالواحد الواسطي، عن عليِّ بن زيد بن جَدْعان، عن سعيد بن المسيِّب عن عبدالرحمن ابن سَمُرَةَ قال: خرج علينا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ونحن في مسجد المدينة فقال: « ألا أُخْبِرُكُمْ بِالعَجَبِ؟ فلقد رَأيتُ البَارِحَةَ عَجَبًا. رَأيتُ رَجُلًا مِن أُمَّتي أَتَاهُ مَلَكُ الموتِ ليَقْبِضَ رُوحَهُ، فجاءهُ بِرُّهُ بوالِدَيْهِ فرَدَّهُ عنه.

ورَأيتُ رَجُلًا مِن أُمَّتي بُسِطَ عليه عَذَابُ القَبْرِ، فجاءَهُ وُضُوؤُهُ فاسْتَنْقَذَهُ مِن ذلك.

ورَأيتُ رَجُلًا مِن أُمَّتي احْتَـوَشَتْهُ الشَّياطينُ فجاءَهُ ذِكْرُ الله تعالى فخَلَّصَهُ مِن بينهم.

ورَأيتُ رَجُلًا مِن أُمَّتي احْتَوَشَتْهُ ملائكةُ العَذَابِ، فجاءَتْهُ صَلاتُهُ فاسْتَنْقَذَتْهُ مِن أيدِيهِمْ.

ورأَيتُ رَجُلًا مِن أُمَّتي يَلْهَثُ عَطَشًا كلَّما أَتَى حَوْضي مُنِعَ، فجَاءَهُ صِيَامُ شهر رمضانَ فأورَدَهُ فسَقَوْهُ.

ورَأَيتُ رَجُلًا مِن أُمَّتي والنَّبيُّونَ حِلَقًا كُلَّما أَتَى حَلْقَةً طَرَدُوهُ، فجَاءَهُ غُسْلُهُ مِن الجَنَابَةِ فأخَذَ بيَدِهِ فأقْعَدَهُ إلى جانِبي.

ورَأَيتُ رَجُلًا مِن أُمَّتي، بين يَدَيْهِ ظُلْمَةٌ ومِن خَلْفِهِ ظُلْمَةٌ ومِن فوقِه ظُلْمَةٌ،

فهو مُتحَيِّرٌ في ظُلَمِهِ، فجاءه حَجُّهُ وعُمْرَتُهُ فاستنقذاه مِن ظُلَمِهِ وأدْخلاهُ في النُّورِ.

ورأيتُ رَجُلًا مِن أُمَّتي يُكَلِّمُ المؤمنين فلا يُكَلِّمونَهُ فجاءَتهُ صِلَته للرَّحِمِ، فقالت: يا مَعْشَرَ المؤمنين إنَّ هذا كان وَصُولًا لرَحِمِهِ فكَلِّمُوهُ، فكلَّمَهُ المؤمنون وصافَحُوهُ وكان معهم.

ورأيت رَجُلًا مِن أُمَّتي يتَّقي وَهَج النَّارِ وشَرَرِها بيده عن وَجْهِهِ، فجاءته صَدَقَتُهُ فصارت سترًا على وجهه وظِلًّا على رأسه.

ورأيت رَجُلًا مِن أُمَّتي قد أَخَذَتْهُ الزَّبانيةُ مِن كلِّ مكانٍ، فجاءَهُ أَمْرُهُ بالمَعْروفِ ونَهْيُهُ عن المُنكَرِ فاسْتَنْقَذاهُ وأَدْخَلاهُ مع ملائكةِ الرَّحْمَةِ فكان معهم.

ورَأيتُ رَجُلًا مِن أُمَّتي جاثيًا على رُكْبَتَيْهِ وبينه وبين الله حِجابٌ فجاءَهُ حُسْنُ خُلُقِهِ فأخَذَ بيَدِهِ فأَدْخَلَهُ على الله تعالى.

ورأيتُ رَجُلًا مِن أُمَّتي قد هَوَتْ صَحِيفَتُهُ قِبلَ شِمالِهِ فجاءِهُ خَوْفُهُ مِن الله تعالى فأخَذَ صَحيفَتَهُ فجعلها في يَمينِهِ.

ورأيتُ رَجُلًا مِن أُمَّتي قائمًا على شَفِيرِ جهنَّم، فجاءَهُ وَجَلُهُ مِن الله تعالى، فاسَتَنْقَذُهُ مِن ذلك فمَضَى.

ورأيتُ رَجُلًا مِن أُمَّتي يَهْوِي في النَّارِ، فجاءَهُ دُموعُهُ وبُكاؤهُ مِن خَشْيَةِ الله تعالى، فاسْتَخْرَجَتْهُ مِن النَّارِ.

ورأيتُ رَجُلًا مِن أُمَّتي يَمُرُّ على الصِّراطِ، يُرْعَدُ كما تُرْعَدُ السَّعْفَةُ يومَ ريحٍ عاصِفٍ فجاءَهُ حُسْنُ ظَنِّهِ بالله تعالى فسَكَّنَ رِعْدَتَهُ فمَضَى على الصِّراطِ.

ورأيتُ رَجُلًا مِن أُمَّتي قائمًا على الصِّراطِ، يَزْحَفُ أَحْيانًا ويَحْبُو أَحْيانًا ويَتَعَلَّقُ أَحْيانًا، فجَائتهُ صَلاتُهُ عليَّ، فأقامَتهُ على الصِّراطِ فجازَ الصِّراطَ.

ورأيتُ رَجُلًا مِن أُمَّتي انتهى إلى أبواب الجنَّةِ، فغُلِّقَتِ الأبوابُ كلُّها فجاءَتْ شهادة أنْ لا إله إلَّا الله وأنَّ محمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ ففُتِحَتْ الأبوابُ لَهُ ودَخَلَ الجنَّةَ».

في سنده مخلد بن عبدالواحد، قال ابن حِبَّان: «منكر الحديث جدًّا، وهو الذي روىٰ عن عليِّ بن زيد، عن سعيد بن المسيِّب، عن عبدالرحمن بن سَمُرَة قال: خرج علينا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**رأيتُ البارِحَةَ عَجَبًا...**». الحديث بطوله».اهـ

قلت: لكنه لم ينفرَّد به، فقد رواه الحكيم الترمذيُّ في "نوادر الأصول" قال: حدَّثنا أبي رحمه الله، حدَّثنا عبدالله بن نافع، حدَّثني ابن أبي فديك، عن عبدالرحمن بن أبي عبدالله، عن سعيد بن المسيِّب، عن عبدالرحمن بن سَمُرَةَ رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ذات يومٍ، ونحن في مسجد المدينة فقال: «**إني رأيتُ البارِحَةَ عَجَبًا...**» وذكر الحديث بطوله وزاد فيه -بعد أخذ الصحفية-: «**ورأيتُ رَجُلًا مِن أُمَّتي قد خَفَّ مِيزانُهُ، فجاءَتْهُ أَفْرَاطُهُ فثَقَّلوا مِيزَانَهُ**».

وقال الإمام أبوعثمان الصابونيُّ: حدَّثنا أبو محمَّد الحسن بن أحمد المخلديُّ: أخبرنا أبوالوفاء المؤمل بن الحسن بن عيسىٰ الماسرجسيُّ، حدَّثنا عمرو بن محمَّد بن يحيي العثمانيُّ: ثنا عبدالله بن نافع عن ابن أبي فديك، عن عبدالرحمن بن أبي عبدالله، عن سعيد بن المسيِّب، عن عبدالرحمن بن سَمُرَة القرشيِّ قال: خرج علينا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم غداة، فقال: «**إني رأيتُ البارِحَةَ عَجَبًا...**». وذكر الحديث بطوله، غير أنه لم يذكر جملة: «**ورأيتُ رَجُلًا مِن أُمَّتي**

احْتَوَشَتْهُ الشَّياطينُ»، ولا جملة «**ورأيتُ رَجُلًا مَن أُمَّتي خَفَّ مِيزانُهُ**»، وقال: «**ورأيتُ رَجُلًا مِن أُمَّتي والمؤمنون حِلقًا حِلقًا...**»، «**ورأيتُ رَجُلًا مِن أُمَّتي على شَفيرِ جهنَّم فجاءَهُ رَجاؤهُ في الله عزَّ وجلَّ فخَلَّصَهُ مِن ذلك...**»، وقال في آخره: «**فجاءته شهادة أن لا اله إلَّا الله مخلصًا بها قلبه ففُتِحَتْ له الأبوابُ**».

ورواه أبو علي الحسن بن أحمد بن شاذان قال: أخبرنا أبو محمَّد عبدالخالق بن الحسن بن محمَّد بن العدل السَّقَطيُّ، أخبرنا أبو يعقوب إسحاق بن الحسن بن ميمون الحربيُّ: حدَّثنا الفضل بن زيادٍ: حدَّثنا عبَّاد بن عبَّاد المهلبيُّ، عن سعيد بن عبدالله، عن هلال بن عبدالرحمن، عن عليِّ بن زيدٍ، عن سعيد بن المسيِّب به.

وهلال بن عبدالرحمن هو الحنفيُّ، قال العقيليُّ: «منكر الحديث»، قال: «وروىٰ عن علي بن زيدٍ، عن سعيدٍ، عن عبدالرحمن بن سَمُرة الحديث الطويل في المنام»، وذكر له حديثين آخرين، وقال: «كل هذه مناكير لا أصول لها ولا يتابع عليها».

قلت: لكن توبع علىٰ حديث المنام وتبيَّن أنَّ له أصلًا كما رأيت.

ورواه أبوموسىٰ المديني في كتاب "الترغيب والترهيب" من طريق الفرج بن فضالة: حدَّثنا هلال أبوجبلة، عن سعيد بن المسيِّب، عن عبدالرحمن بن سَمُرة قال: خرج علينا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**إني رأيتُ البارِحَةَ عَجَبًا...**» فذكر الحديث بطوله، غير أنه لم يذكر خصلة الوضوء، وذكر الرجاء بدل الوَجَل، وذكر خصلة الإفراط، قال الحافظ أبوموسىٰ بعد روايته: «هذا حديثٌ حسنٌ جدًّا رواه عن سعيد بن المسيِّب عمر بن ذرٍّ وعليِّ بن زيد بن جَدْعان».اهـ

قلت: رواه عنه أيضًا عبدالرحمن بن أبي عبدالله كما مرَّ آنفًا، ورواية عمر بن ذرٍّ عن سعيدٍ لم تقع لي، لكن وقعت لي روايته عن مجاهدٍ، وسأذكرها قريبًا بحول الله تعالى.

وتكلَّم ابن القيم على سند أبي موسى فقال: «راوي هذا الحديث عن ابن المسيِّب: هلال أبوجبلة، مدنيٌّ لا يُعرف بغير هذا الحديث، ذكره ابن أبي حاتمٍ هكذا، وذكره أبو أحمد الحاكم وأبو عبدالله الحاكم: أبوجبل، بلا هاء وحكياه عن مسلمٍ، ورواه عنه الفرج بن فُضالة، وهو وسطٌ في الرواية، ليس بالقويِّ ولا المتروك، ورواه عنه بشر بن الوليد الفقيه، كان حسن المذهب جميل الطريقة، وسمعت شيخ الإسلام -يعني ابن تيمية- يُعظِّم أمر هذا الحديث، وقال: أصول السُّنَّة تشهد له وهو من أحسن الأحاديث».اهـ

وذكر ابن القيم أيضًا: «أنَّ الحافظ أبا موسى المديني جعل كتاب "الترغيب والترهيب" شرحًا لهذا الحديث».

قلت: وقد كان هذا الحديث من بواعث تأليفي لهذا الكتاب.

وقال الحافظ أبوعمرو عبدالوهاب بن أبي عبدالله محمد بن إسحاق بن منده في فوائده: أخبرنا أبو عثمان عمرو بن عبدالله البصري: حدَّثنا أحمد بن معاذ السلمي: حدَّثنا خالد بن عبدالرحمن السلمي، حدَّثنا عمر بن ذرٍّ أراه عن مجاهدٍ، عن عبدالرحمن بن سَمُرة قال: خرج النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على أصحابه فقال: «**رأيتُ الليلة عَجَبًا، رأيتُ رَجُلًا مِن أُمَّتي يُعَذَّب في القَبْرِ فأتاه الوضوءُ فاسْتَنْقَذَهُ.**

ورأيتُ رَجُلًا مِن أُمَّتي احْتَوَشَتْهُ ملائكةُ العذابِ فاسْتَنْقَذَتْهُ صَلاتُهُ.

ورأيتُ رَجُلًا مِن أُمَّتي يَلْهَثُ عَطَشًا كلَّما أتى حَوْضًا مُنِع، فاسْتَنْقَذَهُ صيامُهُ.

ورأيتُ رَجُلًا مِن أُمَّتي بين يديه ظُلْمَةٌ وخلفه ظُلْمةٌ وعن يمينه ظُلْمةٌ وعن شماله ظُلْمةٌ، فاسْتَنْقَذَهُ حَجُّهُ وعُمْرَتُهُ.

ورأيتُ رَجُلًا مِن أُمَّتي يُكلِّم المؤمنين ولا يكلِّمونه فجاءته صِلَتُه رحمَه فاستنقذته حتى كُلِّم.

ورأيتُ رَجُلًا مِن أُمَّتي جاثيًا على ركبتيه قد حُجِب عن النور، فاستنقذه حُسْنُ خُلُقِهِ.

ورأيتُ رَجُلًا أُعطي كتابه بشماله فاستنقذه خوفه من الله فأعطيه بيمينه.

ورأيتُ رَجُلًا مِن أُمَّتي على شفير جهنَّم، فاستنقذه وَجَلَه من الله عزَّ وجلَّ.

ورأيتُ رَجُلًا مِن أُمَّتي هوى من الصراط في جهنَّم، فاستنقذه دموعه من خوف الله.

ورأيتُ رَجُلًا مِن أُمَّتي يَلْفَحُ وجهَهُ شَرَرُ النَّارِ فاسْتَنْقَذَتْهُ صَدَقَتُهُ.

ورأيتُ رَجُلًا مِن أُمَّتي أخذته الزَّبانية فاسْتَنْقَذَهُ أَمْرُهُ بالمَعْروفِ ونَهْيُهُ عن المُنكَر.

ورأيتُ رَجُلًا مِن أُمَّتي يَرْعَدُ على الصِّراط فاستنقذه حُسْنُ ظَنِّه بالله عزَّ وجلَّ.

ورأيتُ رَجلًا مِن أُمَّتي لا يجوز على الصِّراطِ فاسْتَنْقَذَتْهُ صَلاتُهُ عليَّ.

ورأيتُ رَجُلًا انتُهي به إلى باب الجنَّة، فأُغلِق عنه، فاستنقذته شهادة أن لا إله إلا الله.

ورأيت أعجب العجب، ناسًا تُقْرَض شفاههم، فقلت: من هؤلاء يا

جبريل؟ قال: هؤلاء المشاؤون بالنميمة بين الناس.

ورأيت رجالًا يعلَّقون بألسنتهم فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يرمون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا».

قال ابن مَنْدَهْ: «هذا حديثٌ غريبٌ بهذا الإسناد، تفرَّد به خالد بن عبدالرحمن عن عمر بن ذرٍّ، وروي من حديث يحيىٰ بن سعيد الأنصاري وعبدالرحمن بن حرملة وعليِّ بن زيدٍ وغيرهم، عن سعيد بن المسيِّب، عن عبدالرحمن بن سَمُرة رضي الله عنه».اهـ

ورواه الطبرانيُّ بإسنادين، لكن بدون الزيادة التي في رواية ابن مَنْدَهْ، وقال الحافظ الهيثميُّ: «في أحد أسانيده سليمان بن أحمد الواسطي، وفي الآخر خالد بن عبدالرحمن المخزومي، وكلاهما ضعيفٌ».اهـ

وقال تاج الدين السُّبكيُّ في "الطبقات": «قد خرَّجت جزءًا أمليته في طُرُق هذا الحديث مستوعبًا».[1]اهـ

---

(١) روىٰ ابن زَبالة - بفتح الزاي - في "أخبار المدينة" عن إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع مرسلًا قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إني رأيت الليلة أني أصبحت على بئر من الجنَّة**» فأصبح علىٰ بئرِ غَرْس، فتوضَّأ منها وبزق فيها وأُهدي له عسل فصبَّه فيها، وغُسِّل منها حين توفِّي. ومن طريقه رواه ابن النجَّار في "تاريخ المدينة" دون قوله: «وأُهدي له عسل... إلخ»، وابن زَبالة وإبراهيم بن إسماعيل متروكان، وعن ابن عمر قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم -وهو قاعد علىٰ شفير غَرْس-: «**رأيت الليلة كأني جالسٌ على عين من عيون الجنَّة**». يعني بئرَ غرس، ذكره المجد الفيروزابادي في كتابه في فضل المدينة، وغَرْس: -بفتح الغين وسكون الراء- بئر بقباء.

وقال الحافظ أبو محمَّد الرَّامَهُرْمُزيُّ في "الأمثال": حدَّثنا أبوشعيب الحرَّاني: ثنا يحيىٰ ابن عبدالله البابلتي: ثنا صفوان بن عمرو، قال: حدَّثني سليم بن عامر قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**نُصِرتُ بالرُّعبِ مَسيرة شهرٍ، وأوتيت جوامع الكَلِم، وأوتيت الحِكْمة، وضرب لي من الأمثال مثل القرآن، وإنِّي بينا أنا نائمٌ إذ أتاني ملَكَان فقام أحدهما عند رأسي وقام الآخر عند رجلي، فقال للذي عند رأسي: اضرب مثلًا وأنا أفسِّره، فقال الذي عند رأسي وأهوى إلي: لِتَنَمْ عينك ولِتَسْمَعْ أذنك ولِيَعِ قلبك، قال: فكنت كذلك، أمَّا الأذن فتسمع وأمَّا القلب فيَعِي وأمَّا العين فتنام، قال: فضرب مثلًا فقال: بِرْكَةٌ فيها شجرةٌ ثابتةٌ وفي الشجرة غصنٌ خارجٌ فجاء ضاربٌ فضرب الشجرة فوقع الغصن ووقع معه وَرَقٌ كثيرٌ كل ذلك في البركة لم يَعْدُهَا، ثُمَّ ضرب الثانية فوقع ورقٌ كثيرٌ كل ذلك في البركة لم يَعْدُها، ثُمَّ ضرب الثالثة فوقع ورقٌ كثيرٌ لا أدري ما وقع فيها أكثر أو ما خرج منها، قال: ففسَّر الذي عند رجلي فقال: أمَّا البِركة فهي الجنَّة، وأمَّا الشجرة فهي الأُمَّة، وأمَّا الغصن فهو النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وأمَّا الضارب فمَلَك الموت، ضرب الضربة الأولى في القرن الأول فوقع النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وأهل طبقته، وضرب الثانية في القرن الثاني فوقع كل ذلك في الجنَّة، ثُمَّ ضرب الثالثة في القرن الثالث فلا أدري ما وقع فيها أكثر أم ما خرج منها؟**».

قلت: هذا حديثٌ مرسلٌ، والبابُلُتِّي: بضمِّ الباء الأخيرة واللام وتشديد التاء.

«**وضرب لي من الأمثال مثل القرآن**»: يعني أنَّ الله تعالىٰ ضرب له أمثالًا

كثيرةً، تكون في كثرتها مثل حجم القرآن، وهذا كقوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في السُّنَّة: «**ألا وإنِّي أوتيت القرآن ومثله معه**».

وفي "مسند أحمد" بإسنادٍ حسنٍ عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: حفظت من رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ألف مثل.

ورواه الحسن العسكري وبنى عليه كتاب "الأمثال"، فذكر فيه ألف مَثَلٍ نبويٍّ.

«**ولْيَعِ**»: -بسكون اللام وفتح الياء وكسر العين- فعل مضارع مجزوم بلام الأمر، والمعنى: ليحفظ قلبك ما يُلْقى إليك، «**لم يَعْدُها**»: -بفتح الياء وسكون العين وضم الدال- أي لم يخرج منها.

«**نصرت بالرُّعْبِ مَسيرة شهرٍ**»: قال الحافظ ابن حجرٍ: «ظهر لي أنَّ الحكمة في الاقتصار على الشهر: أنه لم يكن بينه وبين الممالك الكبار التي حوله أكثر من ذلك، كالشام والعراق واليمن ومصر، ليس بينه وبين المدينة الواحدة منها إلَّا شهرٍ فما دونه».اهـ

وقال أيضًا: «وهذه الخصوصية حاصلةٌ له على الإطلاق حتى لو كان وحده بغير عسكر، وهل هي حاصلةٌ لأمته من بعده؟ فيه احتمال».اهـ

قلت: لا تحصل لهم؛ لأنه غايَر في الأسلوب بينها وبين خصوصية التيمُّم، وجَعْل الأرض مسجدًا، وإحلال الغنائم.

الفصل الثاني

فيما رآه الصحابة في العهد النبوي

قال إسحاق بن راهويه في "مسنده": حدَّثنا وهب بن جريرٍ: ثنا أبي: ثنا محمَّد بن إسحاق قال: حدَّثني محمَّد بن إبراهيم بن الحارث التيمي، عن محمَّد بن عبدالله بن زيد الأنصاري، عن أبيه قال: أتيت النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وأخبرته بالذي رأيته من الأذان، فقال: «**إن هذه الرؤيا رؤيا حَقٌّ، فألقها على بلال فإنه أندى صوتًا منك**». قال: ففعلت، قال: فجاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه لَمَّا سمع الأذان يجرُّ ثوبه، وقال: يا رسول الله رأيت مثل ما رأى عبدالله بن زيدٍ، فقال: «**الحمد لله فذاك أثبت**».

ورواه الحسن بن سفيان في "مسنده"، عن إسحاق بن راهويه به.

ورواه أبو داود والترمذيُّ وابن ماجه من طريق محمَّد بن إسحاق: حدَّثني محمَّد بن إبراهيم بن الحارث التيميُّ، عن محمَّد بن عبدالله بن زيد بن عبد ربِّه: حدَّثني أبي عبدالله بن زيد قال: لَمَّا أمر رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالناقوس يعمل ليضرب به للناس لجمع الصلاة طاف بي وأنا نائمٌ رجلٌ يحمل ناقوسًا في يده، فقلت: يا عبدالله أتبيع الناقوس؟ قال: وما تصنع به؟ فقلت: ندعوا به إلى الصَّلاة، قال: أفلا أدلُّك على ما هو خيرٌ مِن ذلك؟فقلت له: بلى، قال: تقول: «الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، أشهد أن لا إله إلَّا الله، أشهد أن لا إله إلَّا الله، أشهد أنَّ محمَّدًا رسول الله، أشهد أنَّ محمَّدًا رسول الله، حَيَّ على الصَّلاة، حَيَّ على الصَّلاة، حَيَّ على الفلاح، حَيَّ على الفلاح، الله

أكبر، الله أكبر، لا إله إلَّا الله»، ثُمَّ استأخر عنِّي غير بعيدٍ، ثُمَّ قال: ثُمَّ تقول إذا أقمت الصَّلاة: «الله أكبر، الله أكبر، أشهد أن لا إله إلَّا الله، أشهد أنَّ محمَّدًارسول الله، حَيَّ على الصَّلاة، حَيَّ على الفلاح، قد قامت الصَّلاة، قد قامت الصَّلاة، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله» فلمَّا أصبحت أتيت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فأخبرته بما رأيت، فقال: «**إنها لرؤيا حَقٌّ إن شاء الله، فقم مع بلالٍ فألقِ عليه ما رأيت فليؤذِّن به فإنه أندى صوتًا منك**». فقمت مع بلال فجعلت ألقيه عليه ويؤذِّن به. فسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو في بيته فخرج يجرُّ رداءه يقول: والذي بعثك بالحقِّ يارسول الله لقد رأيت مثل ما رأى. فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**فلله الحمد**».

هذا لفظ أبي داود، ولفظ ابن ماجه قريبٌ منه، غير أنه لم يذكر الإقامة، وزاد في آخره: قال أبوعبيد -شيخ ابن ماجه-: فأخبرني أبو بكر الحكميُّ: أنَّ عبدالله بن زيد الأنصاري قال في ذلك:

أَحْمَدُ اللهَ ذا الجَلالِ والإكْـ ... ـرامِ حَمْدًا على الأَذَان كَثيرا
إذ أَتانِي به البَشِيرُ مِن الله ... فأَكْرِمْ بِهِ لَدَيَّ بَشِيرا
في ليالٍ وَالَى بِهِنَّ ثَلاثٍ ... كُلَّما جَاءَ زادَنِي تَوْقِيرا

وأمَّا الترمذيُّ فرواه مختصرًا نحو رواية إسحاق بن راهويه وأشار إلى هذه الرواية الطويلة وقال: «حديث عبدالله بن زيدٍ حديثٌ حسنٌ صحيحٌ»، وقال في كتاب "العلل الكبير": «سألت محمَّد بن إسماعيل -يعني البخاريَّ- عن هذا الحديث؟ فقال: هو عندي صحيحٌ».

ورواه ابن حِبَّان في "صحيحه" قال: أخبرنا أحمد بن عليِّ بن المثنَّى: حدَّثنا عمرو بن محمد الناقد: حدَّثنا يعقوب بن إبراهيم: حدَّثنا أبي، عن ابن إسحاق: حدَّثنا محمَّد بن إبراهيم التيمي، عن محمَّد بن عبدالله بن زيد بن عبد ربِّه: حدَّثني عبدالله بن زيدٍ قال: لَمَّا أمر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالناقوس ليضرب به ليجمع النَّاسَ إلى الصَّلاة، أطاف بي من الليل وأنا نائمٌ رجلٌ عليه ثوبان أخضران وفي يده ناقُوسٌ... وذكر الحديث مثل رواية أبي داود، ورواه الحاكم وأحمد والبيهقي وغيرهم، وله طريق عن ابن عمر عند ابن ماجه بإسنادٍ ضعيفٍ.

(تنبيه): استشكل إثبات الأذان برؤيا عبدالله بن زيدٍ؛ ورؤيا غير الأنبياء لا يثبت بها حكمٌ شرعيٌّ لأنها ليست بوحيٍ.

وأجيب باحتمال مقارنة الوحي لها، بدليل قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «أنها رؤيا حَقٌّ»، أو: أنَّ ألفاظ الأذان والإقامة لما كانت مشتملة على تعظيم الله والشهادة له بالوحدانية ولنبيِّه بالرسالة والدعاء إلى الصَّلاة -وهذه معان لا يمكن أن تصدر عن الشيطان- عُلِم أنَّ الذي ألقاها إلى عبدالله بن زيدٍ مَلَكٌ من الملائكة بإذن الله تعالى.

على أنَّ الإشكال مدفوعٌ من أصله؛ لأنَّ هذه الرؤيا شهد النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بأنها حَقٌّ فصارت حُجَّةً في ثبوت الحكم بلا نزاع، وإنما الممنوع ثبوت الحكم برؤيا لم يشهد لها الشارع.

فإن قيل: ما الحكمة في أنَّ الأذان رآه صحابيٌّ ولم يره النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؟!

فالجواب: ما قاله السهيليُّ، وهو: «أنَّ الحكمة في ذلك: التنويه بعلوِّ قَدْر النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حيث جاء الأذان الذي يسجِّل الشهادة له بجانب الشهادة لله علىٰ لسان غيره تفخيمًا لشأنه».

وروىٰ الترمذيُّ وابن ماجه وأبو أحمد الحاكم وابن حِبَّان في "صحيحه"، والحاكم في "المستدرك" من طريق محمَّد بن يزيد بن خُنَيسٍ، عن الحسن بن محمَّد بن عبيد الله بن أبي يزيد قال: قال لي ابن جريج: يا حسن أخبرني جدُّك عبيد الله بن أبي يزيد، عن ابن عبَّاسٍ قال: كنت عند النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فأتاه رجلٌ فقال: إني رأيت البارحة فيما يرىٰ النائم كأنِّي أُصلِّي إلىٰ أصل شجرةٍ فقرأت السجدة فسجدتُ فسجدتِ الشجرة لسجودي فسمعتها تقول: «اللهمَّ احْطُطْ عنِّي بها وِزْرًا واكتب لي بها أَجْرًا واجعلها لي عندك ذُخْرًا وتقبَّلها مِنِّي كما تقبلتها من عبدك داود».

قال ابن عبَّاسٍ: فرأيت النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قرأ السجدة فسجد فسمعته يقول في سجوده مثل الذي أخبره الرجل عن قول الشجرة.

زاد الحاكم: قال محمَّد بن يزيد بن خُنيس: كان الحسن بن محمَّد بن عبيدالله بن أبي يزيد يصلِّي بنا في المسجد الحرام في شهر رمضان فكان يقرأ السجدة فيسجد ويطيل السجود فقيل له في ذلك فيقول: قال لي ابن جريج: أخبرني جدُّك عبيدالله بن أبي يزيد بهذا.

ثُمَّ قال الحاكم: «هذا حديثٌ صحيحٌ، رواته مكيُّون لم يُذكر واحدٌ منهم بجرحٍ وهو من شرط الصحيح»، ووافقه الذهبيُّ، لكن قال الترمذيُّ: «هذا حديثٌ غريبٌ»، يعني أنه ضعيفٌ.

ونقل الحافظ في "التلخيص": أنَّ العقيليَّ ضعَّفه بالحسن بن محمَّدٍ، فقال: فيه جهالة، ونقل في "تهذيب التهذيب" عن العقيليِّ، قال: «لا يتابع على حديثه، وليس بمشهور النقل»، قال الحافظ: «وحكى الذهبيُّ -يعني في "الميزان"- عمَّن لم يسمه: أنَّ فيه جهالة ولم يرو عنه غير ابن خُنيس»، ثُمَّ تعقَّبه الحافظ فقال: «قد أخرج ابن خزيمة وابن حِبَّان حديثه في صحيحيهما، وذكره ابن حِبَّان في "الثِّقات"، وقال الخليلي لَمَّا ذكر حديثه في سجود الشجرة: «هذا حديثٌ غريبٌ صحيحٌ من حديث ابن جريج، قصد أحمدُ بن حنبلٍ محمَّدَ بن يزيد بن خُنيسٍ وسأل عنه، وتفرَّد به الحسن بن محمَّد المكي وهو ثقةٌ».اهـ

قلت: فتلخَّص من هذا أنَّ الحديث صحيحٌ.

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا عفَّان: ثنا يزيد بن زُريعٍ: ثنا حميد: ثنا بكر -هو ابن عبدالله المُزَنيُّ- أنه أخبره أنَّ أبا سعيدٍ الخدريِّ رأى رؤيا: أنه يكتب (سورة ص) فلما بلغ إلى الآية التي يسجد بها رأى الدواة والقلم وكلَّ شيءٍ بحضرته انقلب ساجدًا قال: فقصَّها على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فلم يزل يسجد بها بعد. إسناده صحيح.

ورواه الحاكم من طريق حمَّاد بن سلمة، عن حميد، عن بكر بن عبدالله المزني: أن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه قال: رأيت فيما يرى النائم كأني افتتحت سورة (ص) حتى انتهيت إلى السجدة، فسجَدَت الدَّواةُ والقَلَمُ وما حوله، فأخبرت بذلك النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فسجد فيها. قال الذهبيُّ: «على شرط مسلمٍ».

ورواه الثعلبيُّ، ولفظه: عن أبي سعيدٍ، قال: قلت يا رسول الله، رأيتني في

النوم، كأنِّي تحت شجرةٍ والشجرة تقرأ (ص) فلمَّا بلغت السجدة سجدت فيها فسمعتها تقول: «اللهمَّ اكتب لي بها أجرًا وحُطَّ عَنِّي بها وِزْرًا وارزقني بها شُكْرًا وتقبَّلها مِنِّي كما تقبَّلت من عبدك داود سجدته». فقال لي النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أفسجدتَ أنت يا أبا سعيدٍ؟**» فقلت: لا والله يا رسول الله. فقال: «**لقد كنتَ أحَقَّ بالسُّجُودِ مِن الشَّجَرَةِ**».

وروى مسلمٌ في "صحيحه" عن جابرٍ رضي الله عنه: أنَّ الطُّفَيل بن عمروالدَّوسيَّ أتى النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: يا رسول الله، هل لك في حصنٍ حصينٍ ومَنَعةٍ؟ قال: حِصنٌ كان لدَوْسٍ في الجاهلية فأبى ذلك النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم للذي ذخر الله للأنصار، فلما هاجر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى المدينة هاجر إليه الطُّفيل بن عمرو وهاجر معه رجلٌ من قومه فاجتوَوا المدينة فمرض فجزع فأخذ مَشَاقِصَ له فقطع بها براجِمه فشَخَبت يداه حتى مات، فرآه الطُّفيل بن عمرو في منامه فرآه وهيأته حسنة ورآه مغطيًا يديه فقال له: ما صنع بك ربك؟ فقال: غفر لي بهجرتي إلى نبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم. فقال له: ما لي أراك مغطيًا يديك؟ قال: قيل لي: لن نصلح منك ما أفسدت، فقصَّها الطفيل على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**اللهمَّ وليديه فاغْفِرْ**».

«**حصن حصين**»: قصر محصن. «**ومَنَعة**» -بفتح الميم والنون-: جماعةٌ تمنعك وتدافع عنك، «**فاجتوَوا المدينة**» -بفتح الواو الأولى-: كرهوا الإقامة فيها، «**مَشَاقِصَ**»: جمع مِشْقَصٍ، وهو سهمٌ حادُّ النَّصْلِ مثل السكِّين، «**البَراجِم**»: مفاصل عظام الأصابع، «**شَخَبتْ يده**»: سالت بالدم.

وهذا الحديث دليل لأهل السُّنَّة في جواز العفو عن العاصي، وحُجَّةٌ على المعتزلة في قولهم بتخليد العاصي في النَّار؛ لأن هذا المنتحر لم يدخلها، وعلى الخوارج في تكفيرهم بالذنوب؛ إذ لو كان هذا المنتحر كافرًا لم يُغفر له، وعلى المرجئة في قولهم: لا يضر مع الإيمان معصية؛ لأن هذا عوقب في يديه، ويؤخذ منه أيضًا استحباب الاستغفار للعاصي.

قال القرطبيُّ: «والظاهر قبول دعوته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وأنه غفر لجميعه». فمعنى «لن نصلح منك ما أفسدت»: ما لم يدعُ لك رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم[1].

---

(١) روى أحمد عن أبي هريرة قال: كان رجلان من بَلِيّ - بوزن علي، حي من قضاعة - أسلما مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فاستشهد أحدهما وأُخر الآخر سنةً، قال طلحة بن عبيد الله: فرأيت المؤخَّر منهما أدخل الجنَّة قبل الشهيد، فتعجَّبت لذلك، فأصبحت فذكرت ذلك للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أليس قد صام بعده رمضان وصلَّى ست آلاف ركعة وكذا وكذا ركعة صلاة سنة؟**». إسناده حسنٌ.

ورواه ابن ماجه وابن حِبَّان في "صحيحه" عن طلحة بن عبيدالله قال: قدم على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رجلان من بَلِيّ وكان إسلامهما جميعًا واحدًا، وكان أحدهما أشدَّ اجتهادًا من الآخر، فغزا المجتهد واستشهد وعاش الآخر سنةً حتى صام رمضان ثُمَّ مات، فرأى طلحة في المنام: جاء رجل خرج من الجنة فأذن للذي توفي آخرهما ثُمَّ خرج فأذن للذي استشهد ثُمَّ رجع إلى طلحة فقال: ارجع فإنه لم يأن لك، فأصبح طلحة يحدِّث به الناس، فبلغ ذلك النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم

وروى البخاريُّ عن أمِّ العلاء -وهي امرأة من نساء الأنصار ومن المبايعات- قالت: طار لنا -أي وقع في سهمنا- عثمان بن مظعون في السُّكنى حين اقترعت الأنصار على سكنى المهاجرين فاشتكى فمرَّضناه حتى توفِّي، ثُمَّ جعلناه في أثوابه فدخل علينا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقلت: رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتي عليك: لقد أكرمك الله. قال: «**وما يدريك؟**» قلت: لا أدري والله، قال: «**أما هو فقد جاءه اليقين، إني لأرجو له الخير من الله، والله**

فحدَّثوه الحديث وعجبوا، قالوا: يا رسول الله كان أشد الرجلين اجتهادًا واستشهد في سبيل الله ودخل هذا الجنَّة قبله؟! فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أليس قد مكث هذا بعده سنةً؟**» قالوا: نعم، قال: «**وأدرك رمضان وصامه، وصلَّى كذا وكذا في المسجد في السنة؟**» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**فلما بينهما أبعد مما بين السماء والأرض**».

وروى أبو يعلى والبزَّار بإسناد صحيح عن عبدالله بن شدَّاد، عن طلحة بن عبيد الله: أن نفرًا ثلاثة من بني عذرة أسلموا فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**من يكفيهم؟**» قال طلحة: أنا، قال: فكانوا عنده، فبعث النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعثًا فخرج فيه أحدهم فاستشهد، ثُمَّ بعث بعثًا فخرج فيه آخر فاستشهد، ثم مات الثالث على فراشه، قال طلحة: فرأيت هؤلاء الثلاثة الذين كانوا عندي في الجنَّة، فرأيت الذي مات على فراشه أمامهم ورأيت الذي استشهد أخيرا يليه ورأيت أولهم آخرهم، قال: فداخلني من ذلك، فذكرت ذلك للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**وما أنكرت مِن ذلك؟ ليس أحد أفضل عند الله عزَّ وجلَّ من مؤمنٍ يُعمَّرُ في الإسلام لتسبيحه وتكبيره وتهليله**». ورواه أحمد، لكن في سنده إرسال.

ما أدرى وأنا رسول الله ما يُفعل بي ولا بكم». قالت أمُّ العلاء: فوالله لا أزكِّي أحدًا بعده، قالت: ورأيت لعثمان في النوم عينًا تجري فجئت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فذكرت ذلك له، فقال: «**ذلك عمله يجرى له**».

عثمان بن مَظْعُونٍ: صحابيٌّ قديم أسلم بعد ثلاثة عشر رجلًا، وهاجر إلى الحبشة هو وابنه السائب الهجرة الأولى، وتوفِّي بعد شهوده بدرًا في السَّنة الثانية من الهجرة، وهو أوَّل مَن مات بالمدينة من المهاجرين وأول مَن دُفن بالبقيع منهم.

وروى الترمذيُّ عن عائشة رضي الله عنها قالت: قبَّل النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عثمان بن مَظْعُونٍ وهو مَيِّتٌ، وهو يبكي وعيناه تَذْرِفان، ولما توفِّي إبراهيم ابن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إلحقْ بسَلَفِنا الصَّالِحِ عثمان بن مَظْعُونٍ**».

والحديث يرُدُّ على أولئك الذين يقولون في نعي موتاهم: «انتقل فلان إلى الرفيق الأعلى، أو توفِّي المغفور له فلان، أو توفِّي وليُّ الله أو حبيب الله فلان» فيتهجَّمون على الغيب ويقولون ما لا علم لهم به شاهدين على الله أنه غفر لميتهم أو نعَّمه في جنَّته أو أدخله في جملة أحبابه وأوليائه، وكل ذلك قبيح لا يرضاه الله ولا يحبه، ويكفي أن يُدعى للميت بالرحمة والمغفرة ودخول الجنَّة مع رجاء القبول، على أنَّ الرفيق الأعلى مكانٌ خاصٌّ بالأنبياء لا يصل إليه غيرهم.

وقال أبوسعيد الواعظ: أخبرنا أبوالحسن أحمد بن محمَّد بن جميع الغساني بصيدا: أخبرنا أبو محمَّد جعفر بن محمَّد بن عليٍّ الهمداني: حدَّثنا إبراهيم بن الحسين بن عليٍّ الهمداني، عن أبي مَعْمَر عبدالله بن عمر المقري، عن عبدالوارث بن سعيد، عن الحسين بن ذكوان المعلِّم: أنَّ يحيى بن أبي كثير

حدَّثهم: أنَّ عكرمة بن خالد حدَّثه: أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأىٰ في المنام، قيل له: لتتصدَّق بأرضك ثَمْغ، قيل له ذلك ثلاث مرات، فأتىٰ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فحدَّثه بذلك وقال: يا رسول الله إنه لم يكن لنا مال أنفس منه، فقال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**تصدَّق بها واشرط**».

قلت: في "صحيح البخاري" عن ابن عمر: «أنَّ أباه تصدَّق بمال له علىٰ عهد النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقال له: ثَمْغ، وكان نخلًا...» الحديث.

قال الحافظ في "الفتح": «وروىٰ عمر بن شبة بإسناد صحيح، عن أبي بكر بن محمَّد بن عمرو بن حزم: أنَّ عمر رأىٰ في المنام ثلاث ليال أن يتصدَّق بثَمْغ.

«وثمغ»: بفتح الثاء المثلثة وسكون الميم وتفتح. قال في "القاموس": «مال بالمدينة لعمر رضي الله عنه وقفه».اهـ

وروىٰ الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: رأيت علىٰ عهد النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كأن بيدي قطعة إستبرقٍ فكأني لا أريد مكانًا من الجنَّة إلَّا طارت بي إليه، ورأيت كأن اثنين أتياني أرادا أن يذهبا بي إلىٰ النَّار، فتلقَّاهما ملَكٌ فقال: لم تُرَع، خليًّا عنه. فقصَّت حفصة علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**نِعْمَ الرَّجُلُ عبدالله لو كان يُصَلِّي مِن الليلِ**». فكان عبدالله رضي الله عنه يصلِّي من الليل.

وكانوا لا يزالون يقصُّون علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم الرؤيا: أنها -يعني ليلة القدر- في الليلة السابعة من العشر الأواخر، فقال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أرى رؤياكم قد تَواطَأت في العشر الأواخِر، فمن كان مُتحرِّيها فليتحرَّها في العشرِ الأواخِر**».

وفي رواية للبخاريِّ عن ابن عمر أيضًا: أنَّ أُناسًا أُروا ليلة القدر في السبع الأواخر، وأنَّ أُناسا أُروها في العشر الأواخر، فقال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**التمسوها في السبع الأواخِر**».

«**أُروا وأُروها**» -بضمِّ الهمزة والراء-: أراهم الله في المنام.

وفي "الصحيحين" عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إنَّ رجالًا من أصحاب النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كانوا يرون الرؤيا علىٰ عهد رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فيقصُّونها علىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فيقول فيها رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ما شاء الله، وأنا غلامٌ حديث السِّنِّ وبيتي المسجد قبل أن أنكح، فقلت في نفسي: لوكان فيك خير لرأيت مثل ما يرىٰ هؤلاء، فلما اضطجعت ليلة قلت: اللهمَّ إن كنت تعلم في خيرًا فأرني رؤيا، فبينا أنا كذلك إذ جاءني ملَكان بيد كلٍّ منهما مِقْمَعَةٌ من حديدٍ يُقبِلان بي إلىٰ جهنَّم وأنا أدعوالله: اللهمَّ أعوذ بك من جهنَّم، ثُمَّ أراني لقيني ملَكٌ في يده مِقْمَعَةٌ من حديدٍ فقال: لم ترع، نِعم الرجل، لوتكثر من الصَّلاة، فانطلقوا بي حتىٰ وقفوا بي علىٰ شفير جهنَّم، فإذا هي مطوية كطيِّ البئر لها قرون كقرون البئر، بين كل قرنين ملَك بيده مِقْمَعَةٌ من حديدٍ، وأرىٰ فيها رجالًا معلَّقين بالسلاسل رؤوسهم أسفلهم عرفت فيها رجالًا من قريش، فانصرفوا بي عن ذات اليمين، فقصصتها علىٰ حفصة، فقصَّتها حفصة علىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ عبدالله رجلٌ صالحٌ**».

وروىٰ الشيخان عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما كان يحدِّث: أنَّ رجلًا أتىٰ

رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: إني رأيت الليلة في المنام ظُلَّـةً تَنْطُفُ السَّمن والعسل، فأرىٰ الناس يتكفَّفون منها فالمستكثرُ والمستقلُّ، وإذا سَبَبٌ واصلٌ من الأرض إلىٰ السماء، فأراك أخذتَ به فعلوتَ، ثُمَّ أخذ به رجلٌ آخر فعلا به، ثُمَّ أخذ به رجلٌ آخر فعلا به، ثُمَّ أخذ به رجلٌ آخر فانقطع به ثُمَّ وصل، فقال أبو بكرٍ يا رسول الله -بأبي أنت- والله لتدعنِّي فأعْبُرها، فقال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم له: «**اعْبُرْها**».

قال: أمَّا الظُّلَّة فالإسلام، وأمَّا الذي ينطُف مِن العسل والسَّمن فالقرآن حلاوته تنطُف فالمستكثر مِن القرآن والمستقلُّ، وأمَّا السبب الواصل من السماء إلىٰ الأرض فالحقُّ الذي أنت عليه تأخذ به فيُعْلِيك الله، ثُمَّ يأخذ به رجلٌ آخر فيعلو به، ثُمَّ يأخذ به رجلٌ آخر فيعلو به، ثُمَّ يأخذ به رجلٌ آخر فينقطع به ثُمَّ يوصل له فيعلو به،فأخبرني يا رسول الله -بأبي أنت- أَصَبْتُ أم أَخْطَأْتُ؟ قال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أَصَبْتَ بَعْضًا وأخْطَأْتَ بَعْضًا**» قال: فوالله لتحدِّثني بالذي أخطأت، قال: «**لا تُقْسِمْ**».

وروىٰ الشيخان عن عبدالله بن سلام قال: رأيت كأنِّي في روضة، وسط الروضة عمود، في أعلىٰ العمود عروة، فقيل لي: إرْقَه، قلت: لا أستطيع، فأتاني وَصِيفٌ فرفع ثيابي فرقيت فاستمسكت بالعروة، فانتبهت وأنا مستمسك بها فقصصتها علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**تلك الرَّوْضَةُ رَوْضَةُ الإسلامِ، وذلك العَمُودُ عَمُودُ الإسلامِ، وتلك العُرْوَةُ عُرْوَةُ الوُثْقَى، لا تَزَالُ مُسْتَمْسِكًا بالإسلامِ حتَّى تَمُوتَ**».

ولهذا الحديث روايات في "الصحيحين"، وفي "سنن النَّسائي" وغيرها،

تركتها اختصارًا[١].

---

(١) منها ما رواه أحمد وابن ماجه والنَّسائي عن خَرَشَةَ بن الحُرِّ قال: قدمت المدينة فجلست إلى مشيخة في مسجد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فجاء شيخٌ يتوكَّأ على عصًا فقال القوم: من سرَّه أن ينظر إلى رجلٍ من أهل الجنَّة فلينظر إلى هذا، فقام خلف ساريةٍ فصلَّى ركعتين فقلت له: قال بعض القوم: كذا وكذا؟ فقال: الجنَّة لله يُدخلها من يشاء، وإنِّي رأيت على عهد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رؤيا كأنَّ رجلًا أتاني فقال: انطلق، فانطلقت معه، فسلك بي منهجًا عظيمًا فعرضت لي طريقٌ عن يساري فأردت أن أسلكها فقال: إنك لست من أهلها، ثُمَّ عرضت لي طريقٌ عن يميني فسلكتها حتى انتهيت إلى جبلٍ زَلِقٍ فأخذ بيدي فزَجَل بي فإذا أنا على ذروته فلم أتقارَّ ولم أتماسك، فإذا عمودٌ من حديدٍ في ذروته حلقةٌ من ذهبٍ فأخذ بيدي فزَجَل بي حتي أخذت بالعروة فقال: استمسك فقلت: نعم، فضرب العمود برجله فاستمسكت بالعروة فقصصتها على رسول الله -صلَّى الله عليه وآله وسلَّم- فقال: «**رأيتَ خَيْرًا أمَّا المَنْهَجُ العَظِيمُ فالمَحْشَرُ، وأمَّا الطَّرِيقُ التي عَرَضَتْ عن يَسَارِكَ، فطَرِيقُ أهْلِ النَّارِ ولستَ مِن أهلِهَا، وأمَّا الطَّرِيقُ التي عَرَضَتْ عن يَمِينِكَ، فطَرِيقُ أهْلِ الجنَّةِ، وأمَّا الجبَلُ الزَّلِقُ فمنزلُ الشُّهَدَاءِ، وأمَّا العُرْوَةُ التي اسْتَمْسَكْتَ بها فعُرْوَةُ الإسلامِ، فاسْتَمْسِكْ بها حتَّى تَمُوتَ**». قال: فإنما أرجو أن أكون مِن أهل الجنَّة، قال: وإذا هو عبدالله بن سلام. ورواه مسلمٌ بنحو هذا اللفظ.

وفي "الصحيحين" عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: ما سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول لحيٍّ يمشي: «إنه في الجنَّة» إلَّا عبدالله بن سلام. وسبب قول سعد هذا: ما رواه أحمد وإسحاق بإسناد حسنٍ، عن مصعب بن سعدٍ، عن أبيه قال: أتي النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بقصعة، فأكل منها، وفضلت فضلة.

وروىٰ أحمد عن عبدالله بن عمرو بن العاص: قال: رأيت فيما يرىٰ النائم كأنَّ في إحدىٰ أصبعي سمنًا وفي الأخرىٰ عسلًا فأنا ألعقهما، فلما أصبحت ذكرت ذلك للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**تقرأ الكتابين: التوراة والفرقان**» فكان يقرأهما.

وروىٰ أحمد وأبو يعلىٰ في "مسنديهما" عن أنسٍ رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم تعجبه الرؤيا الحسنة، فربما رأىٰ الرجل الرؤيا فسأل عنه إذا لم يكن يعرفه فإذا أثني عليه معروف كان أعجب لرؤياه، فأتته امرأة فقالت: يا رسول الله رأيت كأني أُتيت فأُخرجت من المدينة فأُدخلت الجنَّة فسمعت وَجْبَةً ارتجَّت لها الجنَّة فإذا فلان بن فلانٍ وفلان بن فلانٍ، حتىٰ عدَّت اثنىٰ عشر رجلًا وقد بعث رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم سريَّةً قبل ذلك، فجىء بهم عليهم ثيابٌ طُلْسٌ تَشْخَبُ أَوْداجُهم، فقيل: اذهبوا بهم إلىٰ البَيْذَخ[1] -أو قال: نهر البَيْدح- قال: فغُمسوا فيه فخرجوا ووجوههم كالقمر ليلة البدر فأُتوا بكراسيَّ من ذهبٍ فقعدوا عليها وأُتي بصحفةٍ من ذهبٍ فيها بُسْرَةٌ فأكلوا من بُسرها ما شاؤا، فما يقلبونها من وجه

فقال: «**يجىء رجلٌ من هذا الفجِّ يأكل هذه الفضلة، من أهل الجنَّة**» وكنت تركت أخي عميرًا يتوضَّأ، فقلت: هو عمير، فجاء عبدالله بن سلام فأكلها.

قلت: تأمَّل هذا جيِّدًا ثُمَّ وازنه بما زعمه صاحب: "أضواء علىٰ السُّنَّة المحمدية" - ذلك المبتدع الجاهل- من أنَّ إسلام عبدالله بن سلام كان دسيسة قصد بها إفساد الإسلام.

(١) **البيذخ**: نخلةٌ معروفةٌ، أضيف النَّهر إليها لأنها نابتةٌ عند مَنبعِهِ.

إلَّا أكلوا من الفاكهة ما شاؤا، وأكلتُ معهم.

فجاء البشير من تلك السرية فقال: كان من أمرنا كذا وكذا فأصيب فلان وفلان حتىٰ عد اثنىٰ عشر رجلًا، فدعا النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم المرأة وقال: «**قُصِّي على هذا رؤياك**» فقصَّتها فجعلت تقول: جيء بفلان وفلان فقال: هو كما قالت. صحَّحه ابن حِبَّان، وصحَّحه الحافظ الضياء في "المختارة" علىٰ شرط مسلمٍ.

وروىٰ أبو داود والترمذيُّ عن أبي بكرة رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال ذات يومٍ: «**من رأى منكم رؤيا؟**» فقال رجل: أنا رأيت كأن ميزانًا نزل من السماء فوُزِنت أنت وأبو بكرٍ فرجحت أنت، ووُزِنَ أبو بكرٍ وعمر فرجح أبو بكر، ووزن عمر وعثمان فرجح عمر، ثُمَّ رفع الميزان، فرأينا الكراهية في وجه رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم. قال الترمذي: «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ».

قال الحافظ المنذريُّ: «قيل: يحتمل أن يكون النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كره وقوف التخيير وحصر درجات الفضائل في ثلاثة، ورجا أن يكون في أكثر من ذلك فأعلمه الله أنَّ التفضيل انتهىٰ إلىٰ المذكور فيه فساءه ذلك».اهـ

ثُمَّ رواه أبو داود بإسنادٍ ضعيفٍ وفي آخره: فاستاء لها رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**خلافة نبوةٍ ثُمَّ يؤتي الله المُلْك من يشاء**[1]» وهذه زيادة

---

(١) ورواه الحاكم من طريق سعيد بن جُمْهان عن سفينة مولىٰ أم سلمة قال: كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إذا صلىٰ الصبح، ثم أقبل علىٰ أصحابه قال: «**أيكم رأى**

منكرة.

قال صاحب "عون المعبود": «وقد بسط الكلام فيما يتعلَّق بالخلافة الذي لا مزيد عليه: الشيخ الأجل المحدِّث وليُّ الله الدهلوي في "إزالة الخفا عن خلاف الخلفا" وهو كتاب لم يؤلف مثله في هذا الباب وفي كتاب "قرة العينين في تفضيل الشيخين"».اهـ

قلت: كان الدهلوي مع علمه منحرفًا عن عليٍّ عليه السَّلام بعض الانحراف.

وروى الطبرانيُّ عن أبي بكرة قال: قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**هل أحدٌ منكم رأى رؤيا؟**» فقالت عائشة: يا رسول الله، رأيت ثلاثة أقمار هوين في حجرتي، فقال لها: «**إن صدقت رؤياك دفن في بيتك أفضل أهل الجنَّة**». فقُبض رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وهو أفضل أقمارها، ثُمَّ قُبض أبو بكر، ثُمَّ قُبض عمر فدفنوا في بيتها.

في سنده: عمر بن سعيدٍ الأَبَحُّ، وهو ضعيفٌ.

ورواه الطبرانيُّ أيضًا من طريق أيوب، عن نافع، عن ابن عمر، أو محمد بن سيرين، عن عائشة أنها قالت: رأيت كأنَّ ثلاثة أقمارٍ سقطن في حجرتي، فقال

الليلة رؤيا» قال: فصلى ذات يوم فقال: «**أيكم رأى رؤيا**» فقال رجل: أنا، رأيت يا رسول الله كأن ميزانا دُلِّي من السماء، وذكر الرؤيا كما في الأصل، وقال: فتغيَّر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: «**خلافة النبوة ثلاثون عامًا ثم يكون مُلْكٌ**». قال سعيد بن جمهان: قال لي سفينة: أمسك سنَّتي أبي بكر، وعشر عمر، وثنتي عشرة عثمان، وست عليٍّ رضى الله عنهم أجمعين.

أبو بكرٍ: إن صدقت رؤياك دفن في بيتك خير أهل الأرض ثلاثة، فلما مات النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، قال لها أبو بكرٍ: خير أقمارك يا عائشة، ودفن في بيتها أبو بكر وعمر. قال الحافظ الهيثميُّ: «رجاله رجال الصحيح».

قلت: ولا يضر الشك الذي وقع في سنده؛ لأنه تردَّد بين طريقين صحيحين، علىٰ أنه رواه في "المعجم الأوسط" عن عائشة بدون تردُّدٍ.

وروىٰ الطبرانيُّ عن زكريا بن إبراهيم بن عبدالله بن مطيع، عن أبيه، عن جدِّه، قال: رأىٰ مطيع بن الأسود في منامه: أنه أُهدي إليه جراب تمرٍ، فذكر ذلك للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**هل بأحدٍ من فتياتك حملٌ؟**» قال: نعم، بامرأة من بني ليث، وهي أمُّ عبدالله، قال: «**إنها تلد غلامًا**». فولدت غلامًا، فأتىٰ به النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فسمَّاه عبدالله، وحنَّكه بتمرةٍ ودعا له بالبركة. قال الحافظ الهيثمي: «زكريا وإبراهيم لم أعرفهما».

قلت: زكريا، قال عنه الذهبيُّ: «ليس بمشهور النقل»، ذكر ذلك في ترجمة يحيىٰ بن محمد الجاري من "الميزان"، لكن وجدت الحافظ ابن حجرٍ عزاه في "الإصابة" للطبرانيِّ وابن مَنْدَهْ من هذا الطريق وقال: «إسناده جيد».

وروىٰ أحمد من طريق أبي جعفر الخطمي، عن عمارة بن عثمان، عن خزيمة بن ثابت: أنه رأىٰ في منامه يُقبِّل النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فأخبره بذلك فنام له النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقبَّل جبهته.

قال الحافظ الهيثمي: «عمارة بن عثمان لم يرو عنه غير أبي جعفر الخطمي، وبقية رجاله رجال الصحيح». **قلت**: هو علىٰ شرط الحسن.

وروىٰ أحمد والطبراني عن خزيمة بن ثابت قال: رأيت في المنام كأني

أسجد على جبهة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فأخبرت بذلك رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**إنَّ الرُّوح ليلقى الرُّوح**». فأقنع النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رأسه هكذا فوضع جبهته على جبهة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

هذا لفظ أحمد، ورجاله ثِقاتٌ. ولفظ الطبرانيِّ: فقال له النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**اجلسْ واسْجُدْ واصْنَعْ كما رأيتَ**». ورجاله ثِقاتٌ أيضًا.

وله عند أحمد طرق، منها: ما رواه عن عامر بن صالح الزبيري عن الزهري عن عمارة بن خزيمة عن عمه -وكان من أصحاب النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم-: أنَّ خزيمة بن ثابتٍ رأى في النوم أنه سجد على جبهة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فجاء رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فذكر ذلك له، فاضطجع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فسجد على جبهته. إسناده حسنٌ[1].

---

(١) ورواه ابن حِبَّان في "صحيحه" من طريق يونس، عن الزهريِّ: أخبرني خزيمة بن ثابت بن خُزيمة بن ثابت الذي جعل النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم شهادته بشهادة رجلين: أنَّ خُزيمة بن ثابت أُري في النوم أنه سجد على جبهة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فأتى خُزيمة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فأخبره، قال: فاضطجع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ثُمَّ قال: «**صَدِّق رؤياك**» فسجد على جبهة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

ويؤخذ منه استحباب تصديق المسلم رؤيا صديقه إذا كان يمكنه تصديقها. ويظهر لي أنَّ في سند ابن حِبَّان خطأ وقع من بعض النسَّاخ ولم يتنبَّه له مصحِّح "زوائد ابن

وروى ابن عساكر في "تاريخ دمشق" عن كعب قال: كان إسلام أبي بكر الصِّدِّيق بوحيٍ من السماء وذلك أنه كان تاجرًا بالشام فرأى رؤيا[١] فقصَّها على بحيرا الراهب فقال له: من أين أنت؟ قال: من مكَّة قال: من أيها؟ قال: من قريش قال: فإيش أنت؟ قال: تاجر قال: صدق الله رؤياك فإنه يبعث نبيٌّ من قومك تكون وزيره في حياته وخليفته بعد موته. فأسرَّها أبو بكر حتى بُعث النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فجاءه فقال: يا محمَّد، ما الدليل على ما تدَّعي؟ قال: «**الرؤيا التي رأيت بالشام**» فعانقه وقبَّل بين عينيه، وقال: أشهد أنك رسول الله.

وروى ابن أبي الدنيا وابن عساكر عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: رأيت في المنام قبل أن أسلم بثلاث كأنِّي في ظُلْمةٍ لا أُبصر شيئًا إذ أضاء لي قمرٌ فاتبعته فكأنِّي أنظر إلى من يسبقني إلى ذلك فأنظر إلى زيد بن حارثة وإلى أبي بكرٍ وكأنِّي أسألهم: متى أتيتم إلى ههنا؟ قالوا: الساعة، وبلغني أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يدعو إلى الإسلام مستخفيًا فلقيته في شعب أجياد فقلت: إلام تدعو؟ قال: «**تشهد أن لا إله إلَّا الله وإنِّي رسول الله**». فشهدت[٢].

حِبَّان"، فإنَّ الحديث معروفٌ من رواية الزهريِّ، عن عمارة بن خُزيمة، عن عمِّه. كما تراه في الأصل منقولًا عن أحمد.

(١) رأى القمر نزل إلى مكَّة فدخل في كلِّ بيت منه شعبة ثُمَّ كان جميعه في حجره.

(٢) وروى ابن سعدٍ والطبرانيُّ عن عمرو بن مُرَّة الجُهَنى قال: خرجت حاجًّا في جماعةٍ من قومي في الجاهلية، فرأيت في المنام وأنا بمكَّة نورًا ساطعًا من الكعبة حتى وصل إلى جبال يثرب، فسمعت صوتًا في النور وهو يقول: «انْقَشَعَتِ الظَّلْمَاءُ، وسَطَعَ

وروى الحاكم عن أبي أُمامة رضي الله عنه، قال: بعثني رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى قومي أدعوهم إلى الله تبارك وتعالى وأعرض عليهم شرائع الإسلام، فأتيتهم وقد سَقَوْا إبلهم وحلبوها وشربوا فلمَّا رأوني، قالوا: مرحبًا

الضِّياءُ، وبُعِثَ خَاتَمُ الأنبياءِ». ثُمَّ أضاء إضاءة أخرى حتى نظرت إلى قصور الحِيرة وبياض المدائن فسمعت صوتًا في النور وهو يقول: «ظهر الإسلام، وكُسرت الأصنام، ووُصِلتِ الأرحام». فانتبهت فَزِعًا وقلت لقومي:والله ليحدثنَّ في هذا الحيِّ من قريشٍ حَدَثٌ. وأخبرتهم بما رأيت، ثُمَّ قصصتها على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**يا عمرو بن مرَّة أنا النبيُّ المُرسَل إلى العباد كافَّةً، أدعوهم إلى الإسلام، وآمرهم بحَقْنِ الدِّماءِ وصِلَةِ الأرْحَامِ، وعِبادةِ الله ورَفْضِ الأصنامِ، وحَجِّ البَيْتِ، وصِيامِ شَهْرِ رمضانَ مِن اثني عشر شهرًا، فمن أجاب فله الجنَّةُ ومَن عَصَى فله النَّارُ فآمن بالله يا عمرو يُؤَمِّنْك الله مِن هَوْلِ جَهنَّمَ**». قلت: أشهد أن لا إله إلَّا الله وأنك رسول الله، وآمنت بكلِّ ما جئت به من حلالٍ وحرامٍ، وأن أُرْغِمَ ذلك كثيرًا من الأقوام... وذكر بقيَّة الخبر في ذهابه إلى قومه وإسلامهم بدعوته غير واحدٍ، ووفادتهم على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فكتب لهم كتابًا يشتمل على بعض الأحكام.

وروى البيهقيُّ في "دلائل النبوة" عن الحاكم، عن الأصمِّ، عن أحمد بن عبدالجبَّار، عن يونس بن بُكير، عن عبدالأعلى بن أبي المُسَاوِر القرشيِّ، عن محمَّد بن عمرو بن عطاء، عن أبي هريرة قال: كانت امرأة من دَوْسٍ يقال لها: أمُّ شَرِيكٍ أسلمت في رمضان، وذكر الحديث في هجرتها وصحبة يهوديٍّ لها، وأنها عطشت فأبى أن يسقيها حتى تتهوَّد. الحديث فنامت فرأت في النوم من يسقيها فاستيقظت وهي ريَّانة فلمَّا جاءت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قصَّت عليه القِصَّة... وذكر الحديث.

بالصُّديِّ -بصيغة التصغير- ابن عَجْلان ثُمَّ قالوا: بلغنا أنك صَبَوْتَ إلى هذا الرجل؟ قلت: لا ولكن آمنت بالله وبرسوله، وبعثني رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إليكم أعرض عليكم الإسلام وشرائعه. فبينا نحن كذلك إذ جاؤا بقَصْعَة دمٍ فوضعوها واجتمعوا عليها يأكلون فقالوا: هلم يا صُدَيُّ، فقلت: ويحكم إني أتيتكم من عند من يحرِّم هذا عليكم بما أنزله الله عليه، فجعلت أدعوهم إلى الإسلام وهم يأبون عليَّ، فقلت لهم: ويحكم ائتوني بماءٍ فإني شديد العطش، قالوا: لا ولكن ندعك تموت عطشًا، فاعْتَمَمْتُ ونِمت في الرَّمْضاء في حرٍّ شديدٍ، فأتاني آتٍ في منامي بقَدَح زجاجٍ لم يرَ الناسُ أحسن منه، وفيه شرابٌ لم يرَ الناس ألذَّ منه فأمكنني منها فشربتها، فحيث فرغت من شرابي استيقظت، ولا والله ما عطشت ولا عرفت عطشًا بعد تلك الشربة، فسمعتهم يقولون: أتاكم رجلٌ من سُراة قومكم فلم تمجعوه بمَذْقَةٍ؟! فأتوني بمَذِيقَتهم فقلت: لا حاجة لي فيها، إنَّ الله تبارك وتعالى أطعمني وسقاني. فأريتهم بطني فأسلموا عن آخرهم.

ورواه أبويعلى في "مسنده"، والبيهقي في "دلائل النبوة"، وسكت عنه الحاكم فلم يصحِّحه. وقال الذهبي: «في سنده صدقة بن هرمز، ضعَّفه ابن معينٍ». وكذا قال في "الميزان" ولم يزد.

قلت: وذكر الحافظ في اللسان: أنَّ ابن حِبَّان ذكره في "الثِقات".

وروى الحاكم عن أمِّ الفضل بن الحارث: أنها دخلت على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقالت: يا رسول الله إني رأيت حلمًا منكرًا الليلة، قال: «**وما هو؟**» قالت: إنه شديدٌ، قال: «**وما هو؟**» قالت: رأيت كأن قطعة من

جسدك قُطِعت ووضعت في حجري. فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**رأيت خيرًا، تلد فاطمة إن شاء الله غلامًا فيكون في حجرك**» فولدت فاطمةُ الحسين فكان في حجري كما قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

ونقل الدميري في "حياة الحيوان" عن عائشة قالت: لما تكلَّم الناس في الإفك رأيت في منامي فتىٰ، فقال لي: مالك؟ قلت: حزينة مما ذكر الناس، فقال: ادعي بهذا الدعاء يفرِّج الله عنك، قلت: وما هو؟ قال: قولي: يا سابغ النِّعِم، ويادافع النِّقِم، ويافارج الغُمَم، ويا كاشف الظُّلَم، ويا أعدل من حَكَم، ويا حَسيب من ظُلِم، ويا أول بلا بداية ويا آخر بلا نهاية، اجعل لي من أمري فرجًا ومخرجًا، قالت: فقلت ذلك، فانتبهت، فأنزل الله فَرَجي[1].

وروىٰ الحاكم عن جويرية بنت الحارث قالت: رأيت قبل قدوم النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم تعني لغزو بني المصطلق بثلاث ليالي: كأنَّ القمر أقبل يسير من يثرب حتىٰ وقع في حِجْري فكرهت أن أخبر أحدًا من الناس حتىٰ قدم رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فلما سُبينا رجوت الرؤيا، فلمَّا أعتقني

---

(١) روىٰ هذه القصة ابن النجَّار في "التاريخ" في ترجمة محمد بن عمر الحنبليِّ عن أنسٍ قال: كنت عند عائشة أبشِّرها بالبراءة فقالت: لقد هجرني القريب والبعيد حتىٰ هجرتني الهرة وما عرض عليَّ طعام ولا شراب فكنت أرقد وأنا جائعةٌ فرأيت الليلة في منامي فتىٰ فقال: مالك حزينة؟ وذكرت القصة غير أنها زادت بعد «ويا حسيب من ظلم»: ويا ولي من ظلم -بضم الظاء وكسر اللام- وزادت بعد «ويا آخر بلا نهاية»: ويا من له اسم بلا كنية، وقالت: فانتبهت وأنا ريانة شبعانة، وقد أنزل الله برائتي وجاءني الفرج.

وتزوَّجني والله ما كلَّمته في قومي حتىٰ كان المسلمون هم الذين أرسلوهم، وما شعرت إلَّا بجاريةٍ من بنات عمِّي تخبرني الخبر فحمدت الله عزَّ وجلَّ.

وروىٰ ابن سعيد من طريق إسماعيل بن عمرو بن سعيدٍ الأمويِّ قال: قالت أمُّ حبيبة: رأيت في المنام كأنَّ زوجي عبيدالله بن جحش بأسوأ صورة، ففزعت، فأصبحت فإذا به قد تنصَّر، فأخبرته بالمنام فلم يحفل به وأكب علىٰ الخمر حتىٰ مات، فأتاني آتٍ في نومي فقال: يا أمَّ المؤمنين، ففزعتُ، فما هو إلَّا أن انقضت عِدَّتي، فما شعرت إلَّا برسول النَّجاشي يستأذن فإذا هي جاريةٌ يقال لها: أبرهة. فقالت: إنَّ الملِك يقول لك: وكِّلي من يزوِّجك، فأرسلت إلىٰ خالد بن سعيد بن العاص بن أمية فوكَّلته. وذَكَرت قصة تزويجها برسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

وروىٰ الطبرانيُّ وابن أبي عاصم عن أبي بَرْزة قال: لَمَّا نزل رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم خيبر، وصفية عروس في مجاسدها[1] فرأت في المنام: أنَّ الشمس وقعت علىٰ صدرها، فقصَّتها علىٰ زوجها، فقال: والله ما تمنين إلَّا هذا الملك الذي بيثرب. فافتتحها رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فضرب عنق زوجها صبرًا، وتعرَّض لها مَن هنالك من فتيان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فتزوَّجها رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

وروىٰ الطبرانيُّ عن ابن عمر قال: كان بعيني صفية خضرة، فقال لها النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ما هذه الخضرة بعينيك؟**» قالت: قلت لزوجي: إني

---

(١) مجاسدها أي ثيابها المصبوغة بالزعفران، وكانت العرائس تتزيَّن بتلك الثياب.

رأيت فيما يرىٰ النائم كأنَّ قمرًا وقع في حِجْري، فلطمني، وقال: أتريدين ملك يثرب؟

قالت: وما كان أبغض إليَّ من رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قتل أبي وزوجي، فما زال يعتذر إليَّ، وقال: «**يا صفيَّة إنَّ أباك ألَّبَ عليَّ العرب، وفعل وفعل**» حتىٰ ذهب ذلك من نفسي.

قال الحافظ الهيثميُّ: «رجال إسناده رجال الصحيح»، ولرؤيا صفية رضي الله عنها روايات في "سيرة ابن إسحاق" وغيرها.

وروىٰ ابن شاهين في "الصحابة" من طريق أبي الحسن المدايني عن شيوخه قالوا: قدم وفد النخع في المحرَّم سنة عشر، عليهم زرارة بن عمرو وهم مائتا رجلٍ فقال زرارة: يا رسول الله، رأيت في طريقي رؤيا هالتني، رأيت أتانًا خلفتها في أهلي ولدت جديًا أسفع أحوىٰ، ورأيت نارًا خرجت من الأرض حالت بيني وبين ابن لي يقال له: عمرو وهي تقول: لظىٰ لظىٰ بصيرٌ وأعمىٰ، ورأيت النعمان بن المنذر وعليه قُرْطَانِ وَدُمْلُجَانِ وَمَسْكَتَانِ ، ورأيتُ عَجُوزًا شَمْطَاءَ خرجت من الأرض. فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**هل خلفت أمه مسرَّة حَمْلًا؟**» قال: نعم، قال: «**قد ولدت غلامًا وهو ابنك**». قال: فما باله أسفع أحوىٰ؟ قال: «**ادن منِّي**» فدنا، قال: «**أبك بَرَصٌ تكتُمه؟**» قال: نعم، والذي بعثك بالحقِّ ما علمه أحدٌ من الخلق قبلك، قال: «**فهو ذاك، والنار فتنةٌ تكون بعدي**» قال: وما الفتنة؟ قال: «**يقتل الناس إمامهم ويشتجرون**» وخالف بين أصابعه «**حتى يصير دم المؤمن عند المؤمن أحلى من شرب الماء، يحسب المُسيء أنه محسنٌ، فإن متَّ أدرَكَتِ ابنك، وإن أنت بقيت**

أدركتْكِ». قال: فادع الله ألَّا تدركني، فدعا له. قال: فإن ابنه عمرو بن زرارة أول خلق الله تعالىٰ خلع عثمان بن عفان. قال: «**وأمَّا النعمان وما عليه فذاك مُلْكُ العربِ يصير إلى أفضل بهجةٍ وزينةٍ، والعَجُوزُ الشَّمْطَاءُ بقيَّة الدُّنيا**»(١).

وقال جعفر الفريابيُّ في كتاب "الرؤيا": حدَّثني أبو وهب الوليد بن عبدالملك بن عبدالله بن مسرح الحرَّاني: حدَّثنا سليمان بن عطاء القرشي الحرَّاني، عن مسلمة بن عبدالله الجُهَني، عن عمِّه أبي مشجعة بن ربعي عن ابن زِمْل الجُهَنيِّ قال: كان رسول الله عليه وسلم: إذا صلَّىٰ الصبح يقول -وهو ثانٍ رجليه-: «**سبحان الله وبحمده استغفر الله إنَّ الله كان توَّابًا**» سبعين مرة، ثُمَّ يقول: «**سبعون بسبعمائة لا خير لمن كانت ذنوبه في يومٍ واحد أكثر من سبعمائة**» يقول ذلك مرتين، ثُمَّ يستقبل الناس بوجهه -وكان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم تعجبه الرؤيا - ثم يقول: «**هل رأى أحدٌ منكم شيئًا؟**»

قال ابن زِمْل: فقلت: أنا يا رسول الله، فقال: «**خيرٌ تَلْقَاه وشرٌّ توقَّاه، وخيرٌ لنا وشرٌّ لأعدائنا، الحمد لله ربِّ العالمين، اقصص رؤياك**». فقلت: رأيت جميع الناس علىٰ طريقٍ رَحْبٍ سَهْلٍ لاحِبٍ والناس علىٰ الجادَّة منطلقون، فبينما هم كذلك إذ أَشْفَىٰ ذلك الطريق علىٰ مَرْجٍ لم ترَ عيني مثله يَرِفُّ رفيفًا ويقطر ماؤه فيه من أنواع الكلأ، فكأني بالرَّعْلَة الأولىٰ حين أشفوا علىٰ المرج كَبَّروا ثُمَّ ركبوا رواحلهم في الطريق، فلم يظلموه يمينًا ولا شمالًا فكأنِّي أنظر إليهم منطلقين،

---

(١) وروىٰ البزَّار والطبرانيُّ بإسنادٍ رجاله ثِقاتٌ، عن العبَّاس بن عبدالمطلب قال: رأيت في المنام كأنَّ الأرض تنزع إلىٰ السماء بأشطان شداد -يعني حبالا قوية- فقصصت ذلك علىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**ذاك وفاة ابن أخيك**».

ثُمَّ جاءت الرَّعْلَة الثانية وهم أكثر منهم أضعافًا فلمَّا أشفوا على المَرْج كبَّروا ثم ركبوا رواحلهم في الطريق، فمنهم المُرتع ومنهم الآخذ الضِّغْث ومضوا على ذلك، ثُمَ قَدِمَ عِظَمُ الناس فلما أشفوا على المَرْج كبَّروا وقالوا: هذا خير منزل كأني أنظر إليهم يميلون يمينًا وشمالًا، فلما رأيت ذلك التزمت الطريق حتى آتي أقصى المرج، فإذا أنا بك يا رسول الله على منبرٍ فيه سبع درجاتٍ وأنت في أعلاها درجة، وإذا عن يمينك رجلٌ آدم شثن أَقْنى، إذا هو تكلَّم يسمو فيفرع الرجال طولًا، وإذا عن يسارك رجلٌ ربعة باز كثير خيلان الوجه كأنما حمم شعره بالماء، إذا هو تكلَّم أصغيتم إكرامًا له، وإذا أمام ذلك رجل شيخ أشبه الناس بك خَلْقًا ووجهًا كلكم تؤمونه تريدونه.

وإذا أمام ذلك ناقة عجفاء شارف وإذا أنت يا رسول الله كأنك تبعثها. قال: فامتقع لون رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ساعة ثُمَّ سري عنه وقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أمَّا ما رأيتَ مِن الطَّرِيقِ السَّهْلِ الرَّحْبِ اللَّاحِبِ فذاك ما حَمَلْتُكُمْ عليه مِن الهُدَى، وأنتم عليه، وأمَّا المَرْجُ الذي رأيتَ فالدُّنيا ونضارةُ عَيْشِهَا مَضَيْتُ أنا وأصحابي لم نتَعَلَّقْ منها، ولم تتَعَلَّقْ مِنَّا، ولم نُرِدْهَا ولم تُرِدْنا، ثُمَّ جاءتِ الرَّعْلَةُ الثَّانيةُ مِن بَعْدِنا وهم أكثرُ مِنَّا أضْعَافًا، فمنهم المُرْتِعُ ومنهمُ الآخِذُ الضِّغْثَ، ولَجُّوا على ذلك، ثُمَّ جاء عِظَمُ النَّاسِ فمالوا في المَرْجِ يَمِينًا وشِمَالًا فإنَّا لله وإنَّا إليه راجِعُونَ، وأمَّا أنتَ فمَضَيْتَ على طريقةٍ صَالِحَةٍ فلن تَزَالَ عليها حتَّى تَلْقَاني، وأمَّا المِنْبَرُ الذي فيه سَبْعُ دَرَجَاتٍ وأنا في أَعْلَاها دَرَجَةً فالدُّنيا سَبْعَةُ آلافِ سَنَةٍ أنا في آخِرِها أَلْفًا وأمَّا الرَّجُلُ الذي رأيتَ على يَمِيني الآدَمُ الشَّثْلُ فذلك موسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- إذا تَكَلَّمَ يَعْلُو**

الرِّجَالَ بفَضْلِ كَلامِ الله إيَّاهُ والذي رأيتَ مِن التَّارِّ الرَّبْعَةِ الكثيرِ خِيلَانِ الوَجْهِ كأنَّما حُمِّمَ شَعْرُهُ بالماءِ فذاك عيسى ابنُ مريمَ نُكْرِمُهُ لإكرامِ الله إيَّاهُ. وأمَّا الشَّيخُ الذي رأيتَ أَشْبَهَ النَّاسِ بي خَلْقًا ووَجْهًا فذلك أبونا إبراهيمُ كلُّنا نَؤُمُّهُ ونَقْتَدي به وأمَّا النَّاقَةُ التي رأيتَ ورأَيْتَني أبْعَثُهَا فهي السَّاعَةُ عَلَيْنا تَقُومُ لا نبيَّ بعدي ولا أُمَّةَ بعد أُمَّتي». قال فما سأل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن رؤيا بعد هذا إلَّا أن يجئ الرجل فيحدِّثه بها متبرِّعًا.

ورواه البيهقيُّ في "دلائل النبوة" قال: أخبرنا أبو نصر بن قتادة: أخبرنا أبو عمر بن مطر: أخبرنا جعفر الفريابيُّ به.

ورواه الطبرانيُّ في "المعجم الكبير" قال: حدَّثنا أحمد بن النضر العسكريُّ وجعفر بن محمد الفريابيُّ قالا: حدَّثنا الوليد بن عبدالملك بن مسرح الحرانيُّ: حدَّثنا سليمان بن عطاء القرشيُّ به.

وقال ابن حِبَّان في كتاب "الضعفاء": حدَّثنا أبو بدر أحمد بن خالد بن عبدالملك الحرانيُّ: حدَّثنا عمِّي الوليد: حدَّثنا سليمان به.

ورواه ابن السنيُّ في "عمل اليوم والليلة". ومداره على سليمان بن عطاء، قال فيه أبوحاتمٍ: «ليس بالقويِّ»، وقال البخاريُّ: «في حديثه بعض المناكير»، وقال ابن حِبَّان: «يروي عن مسلمة الجهنيِّ عن عمِّه أشياء موضوعةٌ، فالتخليط منه أو مِن مسلمة»، وقال أبو زرعة: «منكر الحديث». وقد أشار الحافظ في "الفتح" إلى هذا الحديث ونقل جمله منه وقال: «إسناده ضعيفٌ جدًّا».

ولم يثبت حديث في أنَّ عمر الدنيا سبعة آلاف سنة، وما ورد في ذلك عن بعض الصحابة والتابعين مأخوذٌ من الاسرائيليات.

والذي أراه في هذا: أنَّ الدنيا مضىٰ عليها -منذ خلقها الله- سنون لا يعلمها إلَّا الله، ومضىٰ علىٰ سكنىٰ الجنِّ بها زمانٌ طويلٌ لا يعلمه غير الله تعالىٰ، أمَّا سكنىٰ آدم وذريته علىٰ الأرض فلا تزيد مدتها علىٰ خمسين ألف سنةٍ مِقْدار وقوف النَّاسِ يوم القيامة في انتظار الحساب، والله أعلم.

الفصل الثالث
فيما رآه الصحابة بعد العهد النبويِّ

روىٰ الحاكم من طريق حمَّاد بن سلمة: حدَّثنا ثابت، عن أنس بن مالكٍ: أنَّ ثابت بن قيس جاء يوم اليمامة وقد تحنَّط ولبس أكفانه وقد انهزم أصحابه وقال: اللهم إنِّي أبرأ إليك ممَّا جاء به هؤلاء -يعني أهل الردة- وأعتذر إليك ممَّا صنع هؤلاء -يعني المسلمين- فبئس ما عودتم أقرانكم، خلوا بيننا وبين أقراننا ساعة، ثُمَّ حمل فقاتل ساعة فقُتل، وكانت درعه قد سرقت فرآه رجلٌ فيما يرىٰ النائم فقال: إنَّ درعي في قدر تحت إكاف بمكان كذا وكذا وأوصىٰ بوصايا، فطلب الدرع، فوجدها حيث قال فأنفذوا وصيته.

قال الحاكم: «صحيح علىٰ شرط مسلمٍ»، ووافقه الذهبيُّ. ثُمَّ قال الحاكم: «ولحديث وصاياه، قصة عجيبة».

ثُمَّ أسند من طريق بشر بن بكر: حدَّثني عبدالرحمن بن يزيد بن جابر: حدَّثني عطاء الخرساني قال: قدمت المدينة فأتيت ابنة ثابت بن قيس بن شَمَّاس فذكرت قصة أبيها قالت: لما أنزل الله علىٰ رسوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ الآية [الحجرات: ٢]، وآية: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[الحديد: ٢٣] جلس أبي في بيته يبكي ففقده، رسول الله صلَّىٰ الله

عليه وآله وسلَّم فسأله عن أمره؟ فقال: إني امرؤٌ جهير الصوت وأخاف أن يكون قد حبط عملي، فقال: «**بل تعيش حميدًا وتموت شهيدًا ويُدخلك الله الجنَّة بسلام**». فلما كان يوم اليمامة مع خالد بن الوليد استشهد فرآه رجلٌ من المسلمين في منامه فقال: إني لما قتلت انتزع درعي رجلٌ من المسلمين وخَبَّأه في أقصىٰ العسكر، وهو عنده وقد أكبَّ علىٰ الدِّرع برُمَّةً، وجعل علىٰ البُرْمة رَحْلًا فائت الأمير فأخبره وإيَّاك أن تقول: «هذا حلم» فتضيِّعه، وإذا أتيت المدينة فقل لخليفة رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إنَّ عليَّ من الدين كذا وكذا، وفلان من رقيقي عتيق، وإياك أن تقول: «هذا حلم» فتضيِّعه.

فأتىٰ الرجل خالدًا فأخبره الخبر فوجد الأمر علىٰ ما أخبره، وأتىٰ أبا بكرٍ فأخبره فأنفذ وصيَّته، فلا نعلم أحدًا بعدما مات أُنفذت وصيته غير ثابت بن قيس بن شَمَّاس.

ورواه جعفر الفريابي في كتاب "الرؤيا" قال: حدَّثنا هشام بن عمار قال: حدَّثنا صدقة بن خالد: حدَّثنا عبدالرحمن بن يزيد بن جابر قال: حدَّثني عطاء الخرساني به وهذا إسناد صحيح.

وعزاه الحافظ الهيثمي لرواية الطبرانيِّ وقال: «بنت ثابت بن قيس لم أعرفها، وبقية رجاله رجال الصحيح، والظاهر: أنَّ بنت ثابت بن قيس صحابية فإنها قالت: سمعت أبي، والله أعلم».اهـ

قلت: لم تسمع بنت ثابت من أبيها إلَّا في حياة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فهي صحابية جزمًا؛ لأن أباها استشهد بعد النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بسنةٍ. وكان يُسمَّىٰ خطيب الأنصار، ويقال له: خطيب رسول الله صلَّىٰ الله

عليه وآله وسلَّم؛ لأنه كان يخطب في الوفود ويجيبهم عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وتكلَّم حين وضع في القبر فقال: «محمَّدٌ رسول الله، أبو بكرٍ الصِّدِّيق، عمر الشهيد، عثمان الرحيم».

قال ابن القيم في كتاب "الروح": «فقد اتفق خالدٌ وأبو بكرٍ الصِّدِّيق والصحابة معه علىٰ العمل بهذه الرؤيا، وتنفيذ الوصية، وانتزاع الدرع ممن هي في يده، وهذا محض الفقه».اهـ

وروىٰ ابن أبي الدنيا في كتاب "المنامات" من طريق حمَّاد بن سلمة، عن ثابت، عن شهر بن حَوْشَبٍ: أنَّ الصعب بن جَثَّامة وعوف بن مالكٍ كانا متواخيين قال صعب لعوف: أي أخي أيُّنا مات قبل صاحبه فليتراء له، قال: أو يكون ذلك؟ قال: نعم.

فمات الصعب فرآه عوف فيما يرىٰ النائم كأنه قد أتاه، قال: قلت: أي أخي قال: نعم قلت: ما فعل بكم؟ قال: غفر لنا بعد المصائب قال: ورأيت لمعة سوداء في عنقه، قلت: أي أخي ما هذا؟ قال: عشرة دنانير استسلفتها من فلان اليهوديِّ فهنَّ في قرني فأعطوه إياها واعلم أي أخي: أنه لم يحدث في أهلي حدثٌ بعد موتي إلَّا قد لحق بي خبره حتىٰ هِرَّة لنا ماتت منذ أيام، واعلم أنَّ بنتي تموت إلىٰ ستة أيام فاستوصوا بها معروفًا. فلما أصبحت قلت: إن في هذا لمعلما، فأتيت أهله فقالوا: مرحبًا بعوف أهكذا تصنعون بتركة إخوانكم؟! لم تقربنا منذ مات صعب قال: فاعتللت بما يعتل به الناس، فنظرت إلىٰ القرن فأنزلته فانتثلت ما فيه فوجدت الصرة التي فيها الدنانير فبعثت إلىٰ اليهوديِّ فقلت: هل كان لك علىٰ صعب شيء؟ قال: رحم الله صعبًا كان من خيار

أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم هي له، قلت: لتخبرني قال: نعم أسلفته عشرة دنانير، فنبذتها إليه قال: هي والله بأعيانها، قلت: هذه واحدة. قال: قلت: هل حَدَث فيكم حَدَثٌ بعد موت صعب؟ قالوا: نعم، حَدَث فينا كذا، حدث فينا كذا قلت: اذكروا، قالوا: نعم هِرَّة ماتت منذ أيام فقلت: هاتان اثنتان. قلت: أين ابنة أخي؟ قالوا: تلعب فأتيت بها فمسستها فإذا هي محمومة فقلت: استوصوا بها معروفًا فماتت لستة أيام.

وروى أبو بكر بن لال في كتاب "المتحابين" من طريق جعفر بن سليمان، عن ثابت قال: آخى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بين عوف بن مالك والصعب بن جَثَّامة فقال كل منهما للآخر: إن مت قبلي فتراء لي، فمات الصعب قبل عوف فتراءى له. وذكر القصة نحو ما سبق.

قال ابن القيم: «وهذا من فقه عوف رحمه الله -وكان من الصحابة- حيث نفذ وصية الصعب بن جَثَّامة بعد موته، وعلم صحَّة قوله بالقرائن التي أخبره بها من أنَّ الدنانير عشرة وهي في القرن، ثُمَّ سأل اليهوديَّ فطابق قوله لما في الرؤيا، فجزم عوف بصحَّة الأمر فأعطى اليهوديَّ الدنانير، وهذا فقهٌ إنما يليق بأفقه الناس وأعلمهم وهم أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم». قال: «ولعل أكثر المتأخِّرين ينكر ذلك ويقول: كيف جاز لعوفٍ أن ينقل الدنانير من تركة الصعب وهي لأيتامه وورثته إلى يهوديٍّ بمنام؟!».اهـ

قلت: ما فعله عوف بن مالك موافق لحكم الشريعة؛ لأنَّ القرآن صرَّح بأنَّ التركة تقسم على الورثة بعد الوصية أو الدين، لا سيما وقد وجد الدنانير العشرة هي بعينها دنانير اليهوديِّ، والمقرَّر في الفقه: أنَّ الدائن إذا وجد دينه بعينه لم يتغيَّر

كان أحق به.

ورُويت هذه القصة بلفظ آخر: قال جعفر الفريابي في كتاب "الرؤيا": حدَّثني محمَّد بن الحسين البَلْخي، عن عبدالله بن المبارك، عن أبي بكر بن أبي مريم الغسَّاني، عن عطية بن قيس، عن عوف بن مالك الأشجعيِّ: أنه كان مؤاخيًا لرجلٍ من قيس يقال له: مُحلِّم، ثم إنَّ مُحلِّمًا حضره الموت فأقبل عليه عوف فقال له:يا مُحلِّم إذا أنت وردت فارجع إلينا وأخبرنا بالذي صنع بك فقال: إن كان ذلك يكون لمثلي فعلت. فقُبض مُحلِّمٌ ثُمَّ أقام عوف بعده عامًا فرآه في المنام فقال: يا محلِّم ما صنعت، وما صنع بكم؟ قال: قد وفِّينا أجورنا كلنا إلَّا الأحراض -قد هلكوا في الشر- الذين يشار إليهم بالأصابع، والله قد وفيت أجري كله حتىٰ وفيت أجر هِرَّةٍ ضلَّت من أهلي قبل وفاتي بليلة. وأصبح عوف فغدا علىٰ امرأة مُحلِّمٍ فلما دخل قالت له: مرحبًا من زائر -ضيفًا- بعد مُحلِّمٍ، فقال عوف: هل رأيت مُحلِّمًا بعد وفاته؟ قالت: نعم رأيته ونازعني ابنتي ليذهب بها معه فأخبرها عوف بالذي رأىٰ وما ذكره من الهِرَّة التي ضلَّت، قالت: لا علم لي بذلك خدمي أعلم بذلك، فدعت خدمها فسألتهم عن الخبر فأخبروها أنَّ هِرَّةً ضلَّت لهم قبل موته بليلة.

قلت: أبو بكر بن أبي مريم ضعيف، وإسناد القصة الأولىٰ أصح من إسناد هذه. «ومُحلِّم»: بضمِّ الميم وشدَّة اللام المكسورة.

وقال عبدالرزاق: أنبأنا مَعْمَرٌ، عن الزهريِّ، عن أُبيِّ بن كعبٍ، قال: كان معاذ بن جبلٍ شابًّا جميلًا سمحًا من خير شباب قومه لا يسأل شيئًا إلا أعطاه، حتىٰ كان عليه دينٌ أغلق ماله، فكلَّم رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أن

يكلِّم غرماءه ففعل، فلم يضعوا شيئًا فلو ترك أحد بكلام أحد لترك معاذ بكلام رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم. قال: فدعاه رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فلم يبرح أن باع ماله وقسَّمه بين غُرَمائه، فقام معاذٌ ولا مال له فلما حَجَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بعث معاذًا إلىٰ اليمن، فكان أوَّل من تجر في هذا المال فقدم علىٰ أبي بكرٍ الصِّدِّيق من اليمن وقد توفِّي رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فجاء عمر فقال: هل لك أن تطيعني فتدفع هذا المال إلىٰ أبي بكرٍ فإن أعطاكه فاقبله؟ فقال معاذٌ: لن أدفعه إليه وإنما بعثني رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ليجبرني فلما أبىٰ عليه انطلق عمر إلىٰ أبي بكرٍ فقال: أرسل إلىٰ هذا الرجل فخذ منه ودع له فقال أبو بكرٍ: ما كنت لأفعل إنما بعثه رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ليجبره فلست آخذ منه شيئًا. قال: فلمَّا أصبح معاذٌ انطلق إلىٰ عمر فقال: ما أراني إلَّا فاعل الذي قلت؛ إني رأيتني البارحة في النوم أُجَرُّ إلىٰ النَّارِ وأنت آخذ بحجزتي. قال: فانطلق إلىٰ أبي بكرٍ بكلِّ شيءٍ جاء به حتىٰ جاءه بسوطه وحلف له: أنه لم يكتمه شيئًا فقال أبو بكرٍ رضي الله عنه: هو لك لا آخذ منه شيئًا.

وروىٰ البيهقيُّ لهذا المنام شاهدًا من طريق الأعمش، عن أبي وائل، عن ابن مسعودٍ وزاد: أنه كان من جملة ما جاء به عبيد فأتىٰ بهم أبا بكرٍ، فلمَّا ردَّ الجميع إليه رجع بهم، ثُمَّ قام يصلِّي فقاموا كلهم يصلُّون معه فلمَّا انصرف قال: لمن صلَّيتم؟ قالوا: لله قال: فأنتم له عتقاء فأعتقهم.

وروىٰ أبوسعيدٍ الواعظ قال: أخبرنا الشريف أبوالقاسم جعفر بن محمد بمصر: حدَّثنا حمزة بن محمَّد الكتاني: أخبرنا أبوالقاسم عيسىٰ بن سليمان

البغدادي: حدَّثنا داود بن عمرو الضبي: حدَّثنا موسىٰ بن جعفر الرضا، عن أبيه، عن جدِّه قال: قال الحسن بن عليٍّ رضي الله عنهما: رأيت عيسىٰ بن مريم عليهما السَّلام في النوم فقلت: يا روح الله إني أريد أن أنقش علىٰ خاتمي فما أنقش عليه؟ قال: انقش عليه: «لا إله إلَّا الله، الملِك الحقُّ المُبين» فإنه يذهب الغمَّ والهمَّ. وروىٰ الحاكم في "المستدرك" من طريق سلام بن مسكين، عن عمران بن عبدالله قال: رأىٰ الحسن بن عليٍّ فيما يرىٰ النائم بين عينيه مكتوبًا: «قل هو الله أحد» فقصَّها علىٰ سعيد بن المسيِّب، فقال: إن صدقت رؤياك، فقد حضر أجلك. قال: فسُمَّ في تلك السَّنة، ومات رضي الله عنه.

وروىٰ الحاكم من طريق سالم بن أبي الجعد، عن معدان بن أبي طلحة اليعمري، عن عمر رضي الله عنه: أنه قال علىٰ المنبر: إني رأيت في المنام كأنَّ ديكًا نقرني ثلاث نقراتٍ فقلت: أعجمي، ولا أرىٰ ذلك إلَّا لحضور أجلي وإني قد جعلت الأمر إلىٰ هؤلاء الستة الذين توفِّي رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وهو عنهم راضٍ: عثمان وعلي وطلحة والزبير وعبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقَّاص فمن استُخْلِف فهو الخليفة.

وقال عبدالرزاق: أنبأنا مَعْمَرٌ، عن ابن شهاب: أخبرني عبدالله بن عامر بن ربيعة: أنَّ عمر استعمل قُدَامة بن مظعون علىٰ البحرين وهو خال حفصة وعبدالله ابني عمر، فقدم الجارود سيِّد عبدالقيس علىٰ عمر فقال: يا أمير المؤمنين، إنَّ قُدَامة شرب فسَكِر وإني رأيت حدًّا من حدود الله حقًّا عليَّ أن أرفعه إليك. وذكر القصة في جَلْدِ عمر لقُدامة رضي الله عنهما بعد ثبوت الشهادة عليه. قال: فغاضب عمر قُدامة فهجره فحجَّ عمر وحجَّ قُدامة وهو

مغاضبٌ له فلما قفلا من حجِّهما ونزل عمر بالسقيا نام، فلمَّا استيقظ من نومه قال: عجِّلوا بقُدامة فائتُوني به فوالله لقد أتاني آتٍ في منامي فقال لي: سالم قُدامة فإنه أخوك عجِّلوا عليَّ به، فلما أتَوْه أبىٰ أن يأتي، فأمر به عمر أن يجرُّوه إليه فكلَّمه واستغفر له.

قلت: قدامة بن مظعون أخوعثمان بن مظعون أسلم قديمًا وهاجر الهجرتين وشهد بدرًا رضي الله عنه.(١)

وقال ابن إسحاق في "السيرة": فلما ارتدت العرب خرج الطُّفيل بن عمروالدُّوسي مع المسلمين، فسار معهم حتىٰ فرغوا من طليحة ومن أرض نجد كلها، ثُمَّ سار مع المسلمين إلىٰ اليمامة ومعه ابنه عمرو بن الطُّفيل فرأىٰ رؤيا وهو متوجِّه إلىٰ اليمامة فقال لأصحابه: إني قد رأيت رؤيا فاعبروها لي، رأيت أنَّ رأسي حلق وأنه خرج من فمي طائرٌ، وأنه لقيتني امرأة فأدخلتني في فرجها، وأرىٰ ابني يطلبني طلبًا حثيثًا ثُمَّ رأيته حُبِس عنِّي.

قالوا: خيرًا قال: أما إني والله فقد أوَّلتها قالوا: ماذا؟ قال: أمَّا حَلْق رأسي فوضعه، وأمَّا الطائر الذي خرج من فمي فروحي، وأمَّا المرأة التي أدخلتني في فرجها فالأرض تحفر لي فأغيب فيها، وأمَّا طلب ابني إياي ثُمَّ حَبْسه عنِّي فإني أراه سيجهد أن يصيبه ما أصابني. فقُتل رحمه الله شهيدًا باليمامة وجرح ابنه جراحة شديدة ثُمَّ استبل منها، ثُمَّ قُتل عام اليرموك في زمن عمر رضي الله

---

(١) وقد قال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لعمر: «**وما يدريك؟ لعلَّ الله اطَّلع إلى أهلِ بدرٍ فقال: اعملوا ما شِئتم فقد غفرتُ لكم**». علىٰ أنَّ قدامة شرب متأوِّلا، كما يُعلم مِن مراجعة القصة.

عنهما شهيدًا.

وقال عبدالرزاق: أنبأنا مَعْمَرٌ قال: حدَّثني شيخ لنا: أنَّ امرأةً جاءت إلى بعض أزواج النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقالت لها: ادعي الله أن يطلق لي يدي قالت: وما شأن يدك؟ قالت: كان لي أبوان فكان أبي كثير المال كثير المعروف كثير الفضل كثير الصَّدَقة، ولم يكن عند أمِّي من ذلك شيءٌ، لم أرها تصدَّقت بشيءٍ قطُّ، غير أنَّا نحرنا بقرةً فأعطت مسكينًا شحمةً في يده وألبسته خرقة، فماتت أمِّي ومات أبي فرأيت أبي على نهرٍ يسقي الناس فقلت: يا أبتاه هل رأيت أمِّي؟ قال: لا، أَوَ ماتت؟ قلت: بلى قالت: فذهبت ألتمسها فوجدتها قائمة عريانة ليس عليها إلَّا تلك الخرقة وتلك الشحمة في يدها وهي تضرب بها في يدها الأخرى ثم تعض أثرها وتقول: واعطشاه فقلت: يا أمَّه ألا أسقيك: قالت: بلى فذهبت إلى أبي فذكرت ذلك له وأخذت من عنده إناء فسقيتها فنبه بي بعض من كان عندها قائمًا فقال: مَن سقاها؟ أشل الله يده فاستيقظت وقد شلَّت يدي.

وقال محمَّد بن إسحاق: حدَّثني أبوالأكام الهُذَليِّ، عن الهِرْماس بن صَعْصَعَة الهُذَليِّ، عن أبيه: أن أبا ذؤيب الشاعر حدَّثه قال: بلغنا أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عليلٌ، فاستشعرت حزنًا وبت بأطول ليلةٍ لا ينجاب دَيْجُورها ولا يطلع نورها، فظللت أقاسي طولها حتى إذا كان قرب السَّحَر أغفيت فهتف بي هاتفٌ وهو يقول:

خطبٌ أجلَّ أناخَ بالإسلامِ ... بين النَّخيلِ ومَعْقِدِ الآطَامِ

قُبِض النبيُّ محمَّدٌ فعيُونُنا ... تَذْرِي الدُّمُوعَ عليه بالتِّسْجَامِ

قال أبوذؤيب: فوثبت من نومي فَزِعًا نظرت إلى السماء فلم أرَ إلَّا سعد الذابح، فتفاءلت به ذبحًا يقع في العرب، وعلمت أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قد قُبض أو هو ميِّتٌ من عِلَّته، فركبت ناقتي وسرت فلمَّا أصبحت طلبت شيئًا أزجر به، فعنَّ لي شَيْهَم -يعني القُنفذ- وقد قبض على صِلٍّ -يعني الحيَّة- فهي تتلوَّى عليه والشَّيْهَمُ يقضمها حتى أكلها فزجرت ذلك فقلت: الشَّيْهَم: شيءٌ مهمٌّ، والتواء الصِّلِّ التواء الناس عن الحقِّ على القائم بعد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ثم أوَّلت أكل الشَّيْهَم إياها: غلبة القائم بعده على الأمر فحثثت ناقتي حتى إذا كنت بالغابة فزجرت الطائر فأخبرني بوفاته، ونعب غرابٌ سانح فنعق بمثل ذلك، فتعوَّذت بالله من شرِّ ما عنَّ لي في طريقي[1]، وقدمت المدينة ولها ضجيجٌ بالبكاء كضجيج الحَجيج إذا أهلُّوا

---

(١) من عجيب زجر الطير ما ذكره أبو الفرج المعافَى بن زكريا في كتاب "الجليس والأنيس" قال: كنَّا نجلس في حضرة القاضي أبي الحسين -يعني الأزدي المالكي- فجئنا على العادة فجلسنا عند بابه، وإذا أعرابيٌّ جالسٌ كانت له حاجة إذ وقع غراب على نخلةٍ في الدار فصرخ ثُمَّ طار، فقال الأعرابيُّ: إنَّ هذا الغراب يقول: «إنَّ صاحب هذه الدار يموت بعد سبعة أيام» فزجرناه فقام وانصرف، ثُمَّ خرج الإذن من القاضي إلينا فدخلنا فوجدناه متغيِّر اللون مغتمًّا فقلنا له: ما الخبر؟ فقال: رأيت البارحة في النوم شخصًا يقول:

منازل آل عبَّادِ بن زيدٍ ... على أَهْلِيكِ والنَّعَمِ السَّلامُ

وقد ضاق صدري لذلك، فدعونا له وانصرفنا، فلما كان اليوم السابع من ذلك اليوم دُفن. قال القاضي أبوالطيب الطبري: «سمعت هذه الحكاية من لفظ شيخنا أبي

بالإحرام. فقلت: مَهْ؟ قالوا: قُبِض رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم. ثُمَّ ذكر حضوره بيعة أبي بكرٍ رضي الله عنه بسقيفة بني ساعدة، ثُمَّ رجوعه للمدينة وحضوره دفن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم. ورواه ابن عساكر أيضًا.

وأبو ذؤيب الهُذَلي من شعراء العرب المشهورين، أسلم في عهد النبيِّ صلَّى الله

الفرج المذكور».

وأعلم العرب بزجر الطير بنو لِهْب -بكسر اللام وسكون الهاء- حيٌّ من الأزد، قال الشاعر العربي:

خبير بنو لِهْبٍ فلا تَكُ مُلْغِيًا مَقَالَةَ لِهْبِيٍّ إذا الطَّيرُ مَرَّت

وهذا البيت من شواهد "شرح المَكُوديِّ" أو "ابن عقيل" على "الألفية"، في باب المبتدأ والخبر، قرأته بأحدهما أيام كنت أطلب العلم بجامعة القرويين، أعاد الله مجدها العلميَّ المسلوب.

ويقرب من هذه الحكاية ما كتبه الشريف السيِّد الهاشمي المؤذن العلمي على هامش ترجمة الفقيه محمد بن الحسن الجنوي من كتاب "أزهار البستان" لابن عجيبة، قال: «لما ذهب الفقيه الجنوي من تطوان إلى مراكش باستدعاء السلطان سيدي محمد بن عبدالله سِرْتُ ذات يوم مع الشيخ أحمد بن عجيبة في بعض أزقة تطوان، فقال لي: أما تسمع هذا الطائر ما يقول؟ وأشار إلى طائر على منارة مسجد، قلت له: وما يقول؟ قال: يقول: إنَّ الشيخ الجنوي مات. فذهبنا معًا إلى دار الشيخ وسألنا عنه؟ فقيل لنا أنَّ خبره جاء بصحَّة وعافية، قال السيِّد الهاشمي: فقيَّدت ذلك الحديث فما مكثنا إلَّا أيامًا قلائل حتى جاء خبر موت الشيخ في ذلك الوقت المُقَيَّد فيه تلك المقالة». وهذه الحكاية تدخل في باب الكرامات.

عليه وآله وسلَّم ولم يرَه، ثُمَّ حضر غزو أفريقية ومات في أرض الروم غازيًا في عهد عمر رضي الله عنه، وقيل: بل مات في أفريقية في زمن عثمان رضي الله عنه، وقيل غير ذلك.

وروى البيهقي في "الزهد" عن أبي سلمة بن عبدالرحمن: أنَّ امرأةً كانت عند عائشة ومعها نسوة فقالت امرأة منهنَّ: والله لأدخلنَّ الجنَّة فقد أسلمت وما سرقت وما زنيت فأُتيت في المنام فقيل لها: أنت المتألِّية لتدخلنَّ الجنَّة؟ كيف وأنت تبخلين بما لايغنيك وتتكلَّمين فيما لا يعنيك؟! فلمَّا أصبحت المرأة دخلت على عائشة فأخبرتها بما رأت وقالت: اجمعي النسوة اللاتي كنَّ عندك حين قلتِ ما قلتِ، فأرسلت إليهنَّ عائشة رضي الله عنها فجئن فحدَّثتهنَّ المرأة بما رأت في المنام.

خاتمة

في ذكر بعض مبشِّرات رُؤي فيها النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم

وهي غير المُبشِّرات المذكورة في كتاب "النفحة الإلهية في الصَّلاة على خير البرية"

روى أحمد بإسنادٍ صحيحٍ، عن المثنَّى بن سعيدٍ قال: سمعت أنسًا يقول: قَلَّ ليلةٌ تأتي عليَّ إلَّا وأنا أرى فيها خَلِيلي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم. وأنسٌ يقول ذلك وتدمع عيناه(١).

وروي عن ابن سعدٍ قال: حدَّثنا محمد بن عمر: حدَّثنا جعفر بن محمَّد بن خالد بن الزبير، عن محمَّد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان قال: كان إسلام خالد بن سعيد بن العاص قديمًا، وكان أول إخوته إسلامًا، وكان بَدْءُ إسلامه أنه رأى في النوم أنه وُقِفَ به على شفير النَّار، فذكر من سعتها ما الله به أعلم، وكأن أباه يدفعه فيها، ورأى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم آخذًا بحقويه لا يقع، ففزع من نومه وقال: أحلف بالله إنها لرؤيا حقٌّ، ولقي أبا بكرٍ فذكر ذلك له فقال أبو بكرٍ: أريد بك خير، هذا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فاتَّبِعْهُ، وإنك ستتبعه في الإسلام الذي يحجزك من أن تقع فيها، وأبوك واقعٌ فيها، فلقي رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وهو بأجياد فقال: يا محمَّد إلى ما تدعو؟ قال: «**أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمَّدًا عبده ورسوله،**

---

(١) وفي "الحلية" عن الإمام مالكٍ قال: ما نمت ليلةً إلَّا رأيت فيها رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

وتخلع ما أنت عليه من عبادة حجرٍ لا يسمع ولا يُبصر، ولا يضرُّ ولا ينفع، ولا يدرى من عبَدَه ممن لم يعبُده».

قال خالدٌ: فإني أشهد أن لا إله إلَّا الله وأشهد أنك رسول الله، فَسُرَّ النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بإسلامه، وعلم أبوه فأرسل في طلبه فضربه وأنَّبَه وقال: والله لأمنعنَّك القوت، قال خالدٌ: إن منعتني فإنَّ الله يرزقني ما أعيش به. ورواه البيهقيُّ في "الدلائل" من هذا الطريق.

قلتُ: خالد بن سعيد ذكره الحافظ ابن حجرٍ في "الإصابة" وقال فيه: «من السابقين الأوَّلين قيل: كان رابعًا أو خامسًا وكان سبب إسلامه رؤيا رآها، أنه علىٰ شفير نار فأراد أبوه أن يرميه فيها فإذا النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قد أخذ بحجزته، فأصبح فأتىٰ أبا بكرٍ فقال: اتبع محمَّدًا فإنه رسول الله، فجاء فأسلم، فبلغ أباه فعاقبه ومنعه القوت ومنع إخوته من كلامه، فتغيَّب حتىٰ خرج بعد ذلك إلىٰ الحبشة، فكان ممَّن هاجر إلىٰ الحبشة وولد له هناك بنته أمُّ خالد.

ورأىٰ رؤيا أخرىٰ قبل البعثة، رواها ابن سعد عن صالح بن كَيْسان. ورواها الدارقطني وابن عساكر من طريق الواقدي، عن إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة، عن عمِّه موسىٰ بن عقبة، عن أمِّ خالد بنت خالد بن سعيدٍ، عن أبيها قال: رأيت في المنام قبل مبعث النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ظُلْمةً غشيت مكَّة حتىٰ ما أرىٰ جبلًا ولا سهلًا، ثُمَّ رأيت نورًا خرج من زمزم مثل ضوء المصباح كلما ارتفع عَظُم وسَطَع، حتىٰ ارتفع فأضاء لي أول ما أضاء البيت، ثُمَّ عَظُم الضوء حتىٰ ما بقي من سهلٍ ولا جبلٍ إلَّا وأنا أراه، ثُمَّ سطع في السماء

ثُمَّ انحدر حتىٰ أضاء لي نخل يثرب فيها البسر، وسمعت قائلًا يقول في الضوء: سبحانه سبحانه تمت الكلمة وهلك ابن مارد بهضبة الحصا بين أذرح والأكمه، سعدت هذه الأمَّة جاء نبيُّ الأميين وبلغ الكتاب أجله، كذبته هذه القرية تعذَّب مرَّتين تتوب في الثالثة ثلاث بقيت اثنتان بالمشرق وواحدة بالمغرب.

فقصها خالد علىٰ أخيه عمرو بن سعيد فقال: لقد رأيت عجبًا! وإني لأرىٰ أمرًا يكون في بني عبدالمطلب، إذ رأيت النور خرج من زمزم.

فذكر خالد رؤياه للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**يا خالد أنا والله ذلك النور، وأنا رسول الله فأسْلِم**». قوله:فأسلم، أمرٌ بالإسلام، ويحتمل أن يكون فعلًا ماضيًا خبرًا عن إسلامه.

وروىٰ الحاكم من طريق رَزينٍ: حدَّثني سلمان قال: دخلت علي أمِّ سلمة وهي تبكي فقلت: ما يُبكيك؟ قالت: رأيت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في المنام يبكي وعلىٰ رأسه ولحيته التراب، فقلت مالك يا رسول الله؟ قال: «**شهدت قتل الحسين آنفًا**».

وروىٰ ابن خزيمة، ويعقوب ابن شيبة، والحاكم من طريق نعيم بن أبي هند، عن أبي حازم، عن الحسين بن خارجة، قال: لما كانت الفتنة الأولىٰ أشكلت عليَّ فقلت: اللهمَّ أرني أمرًا من أمر الحقِّ أتمسُّك به قال: فأُريت الدنيا والآخرة وبينهما حائط غير طويلٍ، وإذا أنا بجائزٍ فقلت: لوتشبثت بهذا الجائز لعلي أهبط علىٰ قتلىٰ أشجع ليخبروني، قال: فهبطت بأرض ذات الشجر وإذا بنفر جلوس فقلت: أنتم الشهداء؟ قالوا: لا، نحن الملائكة، قلت: فأين

الشهداء؟ قالوا: تقدَّم إلى الدرجات العلا إلى محمَّد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فتقدمت إلى درجةٍ الله أعلم ما هي في السعة والحسن؟ فإذا أنا بمحمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وإبراهيم عليه السلام وهو يقول لإبراهيم:«**استغفر لأمَّتي**»، فقال له إبراهيم عليه السَّلام: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، أراقوا دماءهم وقتلوا إمامهم، ألا فعلوا كما فعل خليلي سعد؟ قلت: أراني قد أُريت، أذهُب إلى سعد -ابن أبي وقاص- فأنظر مع من هو فأكون معه.

فأتيته فقصصت عليه الرؤيا، فما أكثر فرحه بها! وقال: قد شقي من لم يكن له إبراهيم خليلًا. قلت: في أي الطائفتين أنت؟ قال: لست مع واحدٍ منهما. قلت: فكيف تأمرني؟ قال: ألك ماشية؟ قلت: لا، قال: فاشتر ماشية واعتزل بها حتى تنجلي. قال الحاكم: «صحيح»، وسلَّمه الذهبيُّ.

وروى الحاكم من طريق كثير بن الصلت، قال: أغفى عثمان بن عفَّان في اليوم الذي قُتِل فيه، فاستيقظ فقال: لولا أن يقول الناس: تمنَّى عثمان الفتنة لحدَّثتكم. قال:قلنا: أصلحك الله فحدِّثنا فلسنا نقول ما يقول الناس، فقال: إني رأيت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في منامي هذا فقال: «**إنك شاهدٌ معنا الجمعة**». صحَّحه الحاكم، وسلَّمه الذهبيُّ.

وروى الحاكم أيضًا عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ عثمان رضي الله عنه أصبح فحدَّث فقال: إني رأيت النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في المنام الليلة، فقال: «**يا عثمان أفطر عندنا**». فأصبح عثمان صائمًا فقُتل من يومه.

وقال البيهقي في "دلائل النبوة": أخبرنا أبوعثمان إسماعيل بن عبدالرحمن: أنبأنا أبو نعيمٍ أحمد بن محمد بن إبراهيم البزَّار: حدَّثنا أبو حامد بن بلال:

حدَّثنا أبو الأزهر: حدَّثنا يزيد بن أبي حكيمٍ قال: رأيت في النوم رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قلت: يا رسول الله، رجل من أمتك يقال له: سفيان الثوري، لا بأس به؟ فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لا بأس به**».

قلت: حدَّثنا عن أبي هارون العبدي، عن أبي سعيد الخدريِّ، عنك يا رسول الله ليلة أسري بك قلتَ: «**رأيت في السماء...**» فحدثته بالحديث، فقال لي: «**نعم**». فقلت له: يا رسول الله، إن ناسًا من أمتك يحدِّثون عنك في المَسْرَىٰ بعجائب؟! فقال لي: «**ذلك حديث القُصَّاص**».

قلت: أبو هارون العبدي -واسمه عمارة بن جوين- ضعيف عند أهل الحديث متروك، وحديثه في الإسراء فيه غرابة لكن له شواهد، مع قول الدارقطني: «يعتبر بما روىٰ عنه الثوري».

وروىٰ سعيد بن منصور، عن ابن جريج، عن عطاء قال: رأيت النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في المنام، فقلت: يارسول الله، مسألة؟ قال: «**هاتها**» فقلت: الجهاد أفضل أم الرِّباط؟ قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**الرِّباط، رباط يومٍ وليلةٍ خير من عبادة ألف سنةٍ**».

وحكىٰ البيهقيُّ: أنَّ شيخه الحاكم صاحب "المستدرك" قَرِحَ وجهه -خرج فيه قُروح- وعالجه بأنواع المعالجة فلم يذهب وبقي قريبًا من سنةٍ، فسأل الأستاذ الإمام أبا عثمان الصابوني أن يدعو له في مجلسه يوم الجمعة، فدعا له وأكثر الناس التأمين، فلما كان من الجمعة الأخرىٰ ألقت امرأة في المجلس رقعة بأنها عادت إلىٰ بيتها واجتهدت في الدعاء للحاكم أبي عبدالله تلك الليلة فرأت في منامها رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كأنه يقول لها: «**قولي لأبي عبدالله**

يوسع الماء على المسلمين».

فجئت بالرقعة إلى الحاكم فأمر بسقايةٍ بنيت على باب داره وحين فرغوا من بنائها أمر بصب الماء فيها وطرح الجمد -الثلج- في الماء وأخذ الناس في الشرب فما مر عليه أسبوع حتى ظهر الشفاء وزالت تلك القروح وعاد وجهه إلى أحسن ما كان وعاش بعد ذلك سنين».اهـ(١)

---

(١) وذكر الحافظ أبو بكر بن نقطة: أنَّ أبا البيز -بكسر الباء- عليًّا الحربي كان ضرير البصر فأمَرَّ النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يده على عينه في المنام فأصبح مبصرًا.

وقال الحافظ الذهبيُّ في "تذكرة الحفَّاظ": قال ابن الحاجب -فيما قرأت بخطه- حدَّثني زين الأمناء قال: حدَّثني ابن القزويني، عن والده مدرس النظامية أبي الخيرقال: حكى لنا الفراوي قال: قدم ابن عساكر فقرأ عليَّ ثلاثة أيام فأكثر وأضجرني وآليت على نفسي أن أغلق عليَّ بابي، فلمَّا أصبحنا قدم عليَّ شخصٌ فقال: أنا رسول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إليك قلت: مرحبًا بك، فقال: قال لي في النوم: «اذهب إلى الفراوي وقل له: قدم بلدكم -يعني نيسابور- رجلٌ شاميٌّ أسمر اللون يطلب حديثي فلا تمل منه». قال القزويني: فوالله ما كان الفراوي يقوم حتى يقوم الحافظ ابن عساكر.

وفي ترجمة أبي مدين الغوث من "نيل الابتهاج" ما نصُّه: «واختلف أهل مجلسه: هل الخضر نبيٌّ أو وليٌّ؟ فرأى رجلٌ صالحٌ منهم معروفٌ بالولاية تلك الليلة النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال له: الخضر نبيٌّ وأبو مدين وليٌّ».اهـ

والقول بولاية الخضر قول ساقط وإن قال به كثير من الصوفية، إذ ليس من المعقول أن يكون الوليُّ الملهَم أعلم من النبيِّ الموحَى إليه، وليس من المعقول أن يقول الوليُّ للنبيِّ ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧]، وليس من المعقول أن يُقدم الوليُّ

وحكى القاضي أبو علي الزجاجي: أنَّ رجلًا حمل ثورًا من طريق قريةٍ إلى قريةٍ أخرى لإنسان آخر، فتعرَّض له بعض اللصوص وخوَّفه بالقتل إن لم يسلمه إليه، فأعطاه الثور خوفًا على حياته. فاختلف علماء الوقت في تغريم قيمة الثور من حمله، فأوجب أبو العباس بن القاص الغرامة على حامله لأنه افتدى نفسه بمال غيره، وقال أبو جعفر الحناطي: لا غرامة عليه لأنه أكره على ذلك.

فاتفق أنَّ القاضي الزجاجي رأى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في المنام وسأله عن هذه المسألة؟ فقال: «**الصواب ما قال أستاذك ابن أبي أحمد**» - يعني ابن القاص- ففرح الزجاجي لموافقة أستاذه الصواب.

وذكر التاج السُّبكي في "طبقات الشافعية الكبرى"، قال: حكى القاضي

على خرق السفينة وقتل غلام دون البلوغ بمجرَّد إلهام الولاية، وليس من المعقول أن يقول الوليُّ للنبيِّ: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾[الكهف: ٨٢] ومن أعلمه بأرادة الله إذا لم يكن نبيًّا يوحي إليه؟! وبعضهم يستروح في هذا بعبارة: «المزية لا تقتضي التفضيل» وهي كلمة خبيثة ألقاها الشيطان على أفواه بعض الناس ليفسد دينهم، فبهذه الكلمة تجرَّأ بعض الملحدين على زعم أنَّ الوليَّ يعلم من الحقائق ما لا يعلمه نبيٌّ، وحملوا على ذلك قول أبي يزيد البسطامي: «خضنا بحرًا وقفت الأنبياء بساحله». ولو قصد البسطامي هذا المعنى كان مرتدًّا بلا نزاع، وإنما قصد تنزيه الأنبياء وتأكيد عصمتهم بأنهم وقفوا على ساحل بحر الذنوب يحذِّرون الناس من خوضه والوقوع فيه، لكننا خضناه اتباعا لشهو اتنا. وبتلك الكلمة الشيطانية فضَّل بعض الناس بعض الأذكار على القرآن، وجهل هؤلاء وأولئك أنَّ المزيَّة هي أساس التفضيل ومبناه، فما فضَّل الله نبيًّا ولا وليًّا ولا عالمًا ولا زمانًا ولا مكانًا إلا بمزيَّة أو مزايا فيه لا توجد في غيره.

أبو بكر الحِيري: أنَّ شخصًا من الصالحين حكىٰ: أنه رأىٰ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في المنام فقال له: يا رسول الله بلغني أنك قلت: ولدت في زمن الملك العادل، وإني سألت الحاكم أبا عبدالله عن هذا الحديث؟ فقال: هذا كذبٌ، ولم يقله رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم. فقال: «**صدق أبوعبدالله**».

وقال السُّبكي أيضًا: حكىٰ الشيخ عبدالله الساوجي قال: استأذن نظام المُلْك السلطان ملكشاه في الحجِّ فأذن له، وهو إذ ذاك ببغداد فعبر دجلة وعبروا بالآلات والأقمشة وضربت الخيام علىٰ شطِّ دجلة قال: فأردت يومًا أن أدخل عليه فرأيت بباب الخيمة فقيرًا يلوح عليه سيما القوم -يعني الصوفية- فقال لي: يا شيخ أمانة توصلها إلىٰ الصاحب؟ قلت: نعم، فأعطاني رقعة مطوية، فدخلت بها ولم أنظر فيها حفظًا للأمانة، ووضعتها بين يدي الوزير، فنظر فيها وبكىٰ بكاءًا شديدًا، ثُمَّ قال لي: يا شيخ أدخل عليَّ صاحب هذه الرقعة، فخرجت فلم أجده وطلبته فلم أظفر به، فأخبرت الوزير بذلك فدفع إليَّ الرقعة فإذا فيها: رأيت النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وقال لي: «**اذهب إلى الحسن** -اسم الوزير نظام الملك- **وقل له: أين تذهب إلى مكة؟ حجُّك ههنا، أما قلت لك: أقم بين يدي هذا التركي** -يعني ملكشاه- **وأعن أصحاب الحوائج من أمَّتي؟!**» فرجع نظام الملك. قال الحافظ ابن الصلاح: «الساوجي هذا كان خيِّرًا كثير المعروف، يعرف بشيخ الشيوخ».

وروىٰ عبدالرزاق، عن مَعْمَرٍ، عن خُصَيْفٍ -بالتصغير- الجزري قال: رأيت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في النوم جاءني فقلت: يا رسول الله، اختلف علينا في التشهد: قال فلان كذا، وقال فلان كذا، وقال ابن مسعودٍ

كذا، قال: «**السُّنَّة سُنَّة ابن مسعودٍ**».

قلت: ثبت في التشهد أحاديث أصحُّها حديث ابن مسعودٍ رضي الله عنه، رواه البخاريُّ ومسلمٌ عنه عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**التحيات لله والصَّلوات والطَّيبات، السَّلام عليك أيها النبيُّ ورحمة الله وبركاته، السَّلام علينا وعلى عباد الله الصَّالحين، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله**».

وقد علَّمت عائشة رضي الله عنها ابن أخيها القاسم التشهد بهذا اللفظ وقالت: «هذا تشهُّد رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم». رواه البيهقيُّ عنها بإسنادٍ صحيحٍ.

وحديث ابن عبَّاسٍ في "صحيح مسلم" وكذلك حديث أبي موسىٰ، وحديث عمر في "الموطأ" و"سنن البيهقي" بإسناد صحيح، وهو -وإن كان موقوفًا- له حكم المرفوع.

ومما يجب التنبيه له: أنَّ ألفاظ التشهُّد المرفوعة ثبتت جميعها بلفظ «السَّلام عليك أيها النبيُّ» بتعريف السَّلام وتنكيره أحيانًا، وأخذ بها الشافعية فقالوا بوجوب الخطاب في السلام علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، لكن ثبت عن ابن مسعودٍ في "صحيح البخاري" بعد روايته للحديث قوله: «وهو بين ظهرانينا فلما قُبِضَ قلنا: السلام، يعني علىٰ النبيِّ».

قال الحافظ: «كذا وقع في "البخاري" وأخرجه أبو عوانة في "صحيحه"، والسراج، والجوزقي، وأبونعيم الأصبهاني، والبيهقي، من طرق متعدِّدة إلىٰ أبي نعيم شيخ البخاري فيه بلفظ: «فلما قُبض، قلنا السلام علىٰ النبيِّ»، بحذف لفظ يعني، وكذلك رواه أبو بكر بن أبي شيبة عن أبي نعيم.

قال السُّبكي في "شرح المنهاج" بعد أن ذكر هذه الرواية من عند أبي عوانة وحده: «إن صحَّ هذا عن الصحابة، دل على أنَّ الخطاب في السَّلام على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم غير واجبٍ فيقال: السَّلام على النبيِّ».

قلت: قد صحَّ بلا ريب، وقد وجدت له متابعًا قويًّا:

قال عبدالرزاق: أخبرنا ابن جريج: أخبرني عطاء: أنَّ الصحابة كانوا يقولون والنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حيٌّ: «السَّلام عليك أيها النبيُّ»، فلمَّا مات قالوا: «السَّلام على النبيِّ». وهذا إسناد صحيح».اهـ كلام الحافظ.

وقول ابن مسعود ومن وافقه من الصحابة، يقتضي كما قال السبكي: أنَّ الخطاب في السلام ليس بواجب كما قال الشافيعة، فلو قال المصلِّي: «السلام على النبيِّ» صحَّت صلاته، ومع ذلك فلا ينكر السُّبكي ولا الحافظ أنَّ الخطاب أفضل؛ لأنه الثابت عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من حديث ابن مسعودٍ وابن عبَّاسٍ وأبي موسى وابن عمر وعائشة وأبي سعيدٍ الخدريِّ وجابر وابن الزبير وغيرهم[1]، ورواه عن ابن مسعودٍ: أبو معمر وأبو وائل

---

(١) وواظب عليه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى، فهو سُنَّة قولية وعملية، وقوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**صلُّوا كما رأيتموني أصلِّي**» يقتضي وجوب الخطاب، كما قال الشافعية، فهم أسعد بالدليل. وتحويل ابن مسعودٍ صيغة السَّلام إلى الغيبة -إن سلم أنه عن توقيف- يكون قرينة صارفة عن الوجوب فقط، أمَّا أن يترك الخطاب لأجله فلا يجوز؛ لأن القواعد الأصولية تأباه. وإن ادعى ذلك المعاصر نسخ الخطاب بفعل ابن مسعودٍ -وليس ببعيد عليه أن يدَّعيه- فنجيبه بأن دعواه باطلة، ولوسلَّمناها جدلًا يكون الخطاب مستحبًّا؛ لأن الوجوب إذا نسخ بقي

وأبو الأحوص والأسود وغيرهم، وهذا تواتر.

قال بعض المعاصرين: «وقول ابن مسعود: «قلنا: السلام على النبيِّ» يعني أنَّ الصحابة رضي الله عنهم كانوا يقولون: «السلام عليك أيها النبيُّ» في التشهد والنبيُّ حيٌّ بينهم، فلما مات عدلوا عن ذلك وقالوا: «السلام على النبيِّ» ولا بد أن يكون بتوقيف منه، ويؤيده: أنَّ عائشة رضي الله عنها كذلك كانت تعلِّمهم التشهُّد في الصَّلاة: «السَّلام على النبيِّ» رواه السراج في "مسنده"، والمخلص في "الفوائد"، بسندين صحيحين عنها».اهـ

ودعوى التوقيف باطلة، بل ما فعله ابن مسعودٍ ومن وافقه كان اجتهادًا منهم، والدليل عليه أمور:

الأول: أنَّ قول ابن مسعود: «فلما قُبض قلنا: السَّلام على النبيِّ» نَصٌّ أو كالنصِّ في أنهم قالوه رأيًا، استنادًا منهم إلى أنَّ الوفاة تناسبها الغيبة.(١)

الثاني: أنَّ التشهُّد يتعلَّق بالصَّلاة التي هي أهمُّ أركان الإسلام وكان الصحابة يتعلَّمونه كما يتعلَّمون السورة من القرآن، فلو كان عندهم توقيف من النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بتغيير صيغة السَّلام عليه بعد وفاته لنقلوه

الاستحباب، فقد نسخ وجوب الوضوء لكل صلاة وبقي مستحبًّا، ونسخ وجوب قيام الليل وبقي مستحبًّا، ونسخ وجوب صوم عاشوراء وبقي مستحبًّا، ولهذا نظائر كثيرة.

(١) ولوكان عندهم توقيف لقال ابن مسعود: «فلما قُبض قلنا بأمره أو بإشارته أوبإرشاد منه: السلام على النبيِّ»، فلما لم يقل ذلك مع إخباره بأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم علَّمه التشهُّد ويده في يده، دل دلالة قاطعة على أنه مجرَّد اجتهادٍ منه.

إلينا كما نقلوا ألفاظ التشهُّد؛ لأنه قيدٌ متمِّمٌ لها وهم يعرفون أنَّ نقل المقيَّد بدون قيده لا يجوز.

الثالث: ثبت في "الموطأ" وغيره بأسانيد صحيحة عن عبدالرحمن بن عبدالقاري: أنه سمع عمر رضي الله عنه يعلِّم الناس التشهُّد على المنبر وهو يقول: قولوا: «**التحيَّاتُ لله، الزَّاكياتُ لله، الصَّلواتُ لله، السَّلام عليك أيها النبيُّ ورحمة الله وبركاته، السَّلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، اشهد أن لا إله إلَّا الله وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله**».

هكذا علَّم عمر التشهد على منبر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بحضرة المهاجرين والأنصار، ولو كان توقيف بتغيير صيغة السَّلام من الخطاب إلى الغيبة لما خفي على عمر، ولوخفي عليه لنبَّهه بعض الصحابة الذين سمعوا تعليمه.

ومثل هذا ما رواه الطحاويُّ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان أبو بكرٍ رضي الله عنه يعلِّمنا التشهُّد على المنبر كما تعلِّمون الصِّبيان الكتاب، ثُمَّ ذكر مثل تشهُّد ابن مسعودٍ الذي رواه. لكن في سنده زيد العمِّي، وهو متروكٌ.

الرابع: روى الطبرانيُّ بإسنادٍ صحيحٍ عن الشَّعْبِي قال: كان ابن مسعودٍ يقول بعد «السَّلام عليك أيها النبيُّ ورحمة الله وبركاته»: «السَّلام علينا من ربِّنا».

فهذه الجملة لم تثبت في التشهُّد مرفوعة، لكن زادها ابن مسعودٍ اجتهادًا منه، فكذلك تغيير صيغة السَّلام من الخطاب إلى الغيبة هو اجتهادٌ منه أيضًا.

الخامس: روى أبوعاصم قال أخبرنا ابن جريج قال: سُئل عطاء -وأنا

أسمع- عن التشهُّد؟ فقال: «التحيات لله...» وذكر تشهُّد ابن عبَّاسٍ، ثُمَّ قال: لقد سمعت عبدالله ابن الزبير يقولهنَّ على المنبر يعلمهنَّ النَّاس، ولقد سمعت عبدالله بن عبَّاسٍ يقول مثل ما سمعت ابن الزبير يقول، قلت: فلم يختلف ابن الزبير وابن عبَّاسٍ؟ فقال: لا. أخرجه الطحاوي.

ووقع هذا الأثر في "مصنَّف عبدالرزاق" بصيغة الغيبة، وما هنا أرجح لأنه أحال على تشهد ابن عبَّاسٍ والسلام فيه بصيغة الخطاب.

السادس: أنَّ المسلمين المقيمين في عهد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بمكة واليمن وأطراف الجزيرة العربية كانوا يسلِّمون علي النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في تشهُّد الصلاة بصيغة الخطاب ولم ينقل أنه أمرهم بتغيير صيغة السَّلام لكونهم غائبين عنه.

السابع: أنَّ وفاته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لا تقتضي تغيير الخطاب إلى الغيبة؛ لأن سلامنا عليه يبلغه حيثما كنا.

روى أحمد والنَّسائيُّ عن ابن مسعودٍ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ في الأرض ملائكةً سيَّاحين يبلغوني عن أمَّتي السَّلام**». صحَّحه ابن حِبَّان.

وروى الطبرانيُّ في "الكبير" عن الحسن بن عليٍّ عليهما السَّلام: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**حيثما كنتم فصلُّوا عليَّ فإنَّ صلاتكم تبلغني**». «إسناده حسن» كما قال المنذريُّ.

وعهدنا بذلك المعاصر يُظهر الحرص على التمسُّك بالوارد عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فما بالنا نراه في هذه المسألة يَحيد عن اللفظ النبويِّ المتواتر

المتوارث بين الأمَّة جيلًا بعد جيلٍ، ثُمَّ يختار لفظًا يزعم أنه عن توقيفٍ؟!(١)

---

(١) قال ابن حزمٍ أثناء الردِّ على مَن زعم أنَّ رسالة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم تنتهي بانتقاله، ما نصُّه: «وكذلك ما أجمع الناس عليه وجاء به النصُّ من قول كلِّ مصلٍّ فرضًا أو نافلةً: السَّلام عليك أيها النبيُّ ورحمة الله وبركاته».اهـ من كتاب "الفصل" (ج١ص٨٩) طبعة بيروت. وذلك المعاصر يتكلَّم على فقه الحديث وهو لا يعرف الأصول ولا يحسن قواعد الاستنباط فيَخْبِطُ خَبْط عَشْوَاء يجعل المُحكَم منسوخًا والمخصوص عامًّا والموقوف مرفوعًا كما هنا، ولوأنه اقتصر على ما يتقنه من الكلام على سند الحديث ورجاله لكان خيرًا له وأفضل، واستر لحاله وأجمل، على أنه كثيرًا ما يُضَعِّف الحديث بالهوى والعصبية متعاميًا عن المتابعات والشواهد، ويريد إحياء أقوال ميتة كقول ابن العربي: «لا يجوز العمل بالضعيف في فضائل الأعمال» ويزعم أنَّ إقرار النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لأمرٍ يفيد استحبابه، وعلى هذا فالسَّلام على المصلِّي مستحبٌّ وأكل الضبِّ مستحبٌّ، وتارة يرمي بقاعدة أصولية في غير موضعها فيؤكِّد بذلك أنه لا يعرف الأصول، فقد استعمل في "كتاب الجنائز" قول الأصوليين: «تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز»، فضحكنا من حسن استعماله لهذه القاعدة، وطورًا يتحمَّس للتغليظ في حكم فيؤدِّي به الحماس إلى الزيادة على الشارع. ثبت في الصحيح عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**اعفوا اللحى خالفوا المجوس**» اشتمل الحديث على أمر بإعفاء اللحية وتعليله بمخالفة المجوس؛ لأنهم يحلقون لحاهم، فلم يقف عند هذا التعليل واعتبره غير كافٍ في زجر الناس عن حَلْق اللحية فعلَّل بعلَّتين أخريين ذكرهما في رسالة "أدب الزفاف" وهما: تغيير خلق الله، والتشبُّه بالنِّساء. وقلَّده في هاتين العلَّتين بعض المتنطِّعين عندنا، فلما نبَّهناه إلى ما تورَّط فيه أجاب بعد شتمٍ وسَفَهٍ بأن تعدُّد العلل الشرعية جائز، فزاد تورطًّا على تورط، وأبان عن جهلٍ عريضٍ؛ لأن تعدُّد العلل يكون في المستنبطة حيث تختلف أنظار المجتهدين

وقال القاضي عياض في ترجمة محمَّد بن عليٍّ المعروف بابن الصيقل الشاطبي من معجم شيوخه: حدَّثنا أبو عبدالله محمَّد بن عليٍّ من لفظه قال: «حدَّثنا أبوالحسن طاهر بن مفوز رحمه الله قال: كان أبو محمَّد عبدالله بن أحمد بن الحاج الهواري من أهل جزيرة شقرة ممن لزم القاضي أبا الوليد الباجي وتفقَّه عليه، فكان حسن الفهم وكان يميل إلى مذهب الباجي في جواز مباشرة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الكتاب بيده في حديث المقاضاة في الحديبية على ما جاء في ظاهر بعض رواياتها ويُعجب به، وكنت أُنكر ذلك عليه، فلما كان بعض برهة أتاني زائرًا على عادته وأعلمني أنَّ رجلًا من إخوانه كان يرى في النوم أنه بالمدينة وأنه يدخل المسجد فيرى قبر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أمامه، فيجد له قشعريرة وهيبة عظيمة، ثُمَّ يراه ينشق ويميد ولا يستقر فيعتريه منه

في تعيين العلَّة، وتتضارب آراؤهم في أنسبها للحكم فيعلِّل كلٌّ منهم بما يراه محقِّقًا لمقصود الشارع، فتعدُّد العلل مع التلاقي أوالتباين، أمَّا إذا علَّل الشارع حكما -كما في إعفاء اللحية- فيجب الانتهاء إليه ولا يبقى مجال للزيادة عليه؛ لأنه أعلم بالعِلَّة المناسبة للحكم، وأدرى بمصلحة المكلَّف، ولأن الزيادة تعتبر استدراكًا والاستدراك على الشارع لا يجوز؛ لأنه لا ينسى فيذكَّر ولا يغفل فينبَّه. نعم، إن علَّل الشارع بعلَّتين أو أكثر اتبع في ذلك، على أنَّ في جواز تعدُّد العلل الشرعية خلافًا معروفًا في كتب الأصول، وبالجملة فلذلك المعاصر في استنباطاته سقطات عظيمة يتحمَّل وزرها ووزر من يقلِّده فيها؛ لإقدامه على الخوض فيما لا يُحسنه، وقد أخطأ من جعله وهَّابيًّا بل هو أعمق من الوهَّابيين تعصُّبًا وأشد منهم تعنُّتًا، وأجمد على بعض النصوص بغير فهم، وأكثر ظاهرية من ابن حزم، مع سلاطة في اللسان، وصلابة في العناد لا تخطر بخلد إنسان، وهذا شعار أدعياء السُّنَّة في هذا الزمان.

فزع عظيمٌ وسألني عن عبارة رؤياه؟ فقلت: أخشىٰ علىٰ صاحب هذا المنام أن يصف رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بغير صفته أو ينحله ما ليس له بأهل ولعله يفتري عليه فسألني: من أين قلت هذا؟ فقلت: من قوله تعالىٰ: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدًا﴾ [مريم: ٩٠ - ٩١] فقال: لله درُّك يا سيِّدي وأقبل يقبِّل رأسي وبين عيني ويبكي مرَّة ويضحك أخرىٰ، ثُمَّ قال لي: أنا صاحب الرؤيا، واسمع تمامها يشهد لك بصحَّة تأويلك: لما رأيتني في ذلك الفزع العظيم كنت أقول: والله ما هذا إلَّا لأني أقول وأعتقد أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كتب، فكنت أبكي وأقول: أنا تائبٌ يا رسول الله، وأكرِّر ذلك مرارًا، فأرىٰ القبر قد عاد إلىٰ هيئته أوَّلًا وسكن، فاستيقظت. ثُمَّ قال لي: وأنا أشهد بأنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ما كتب حرفًا قطُّ وعليه ألقىٰ الله تعالىٰ. فقلت: الحمد لله الذي أراك البرهان، فأشكره كثيرًا».اهـ

قلت: ثبت في "صحيح البخاري" في عمرة القضاء لما كتب المسلمون: هذا ما قاضى عليه محمَّدٌ رسول الله، وقال المشركون: لا نُقِرُّ لك بهذا، قال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لعليٍّ: «امحُ رسولَ الله» قال عليٌّ: لا والله لا أمحوك أبدًا، فأخذ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم الكتاب -وليس يحسن أن يكتب- فكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبدالله.

وكان أبوالوليد الباجي يدرِّس "صحيح البخاري" بدانية من الأندلس، فلمَّا وصل إلىٰ هذا الحديث تكلَّم عليه وذكر قول من قال بظاهر هذا اللفظ، فأنكره عليه ابن الصائغ وكفَّره بإجازته الكتابة علىٰ النبيِّ الأمِّي، وأنَّ هذا

تكذيب للقرآن، وشنَّعوا عليه وقبَّحوا عند العامَّة ما أتىٰ به، حتىٰ لعنه غلاتهم وتبرؤا منه، وأنشأ في ذلك عبدالله بن هند -الشاعر- قصيدة جاء فيها:

بَرِئْتُ مِمَّنْ شَرَىٰ دُنْيَا بِآخِرَةٍ وقَالَ: إنَّ رسولَ الله قَدْ كَتَبَا

قال القاضي عياض في "المدارك": «أخبرني الثقة أنه سمع خطيب دانية ضمَّنَها خطبته يوم الجمعة، فأنشدها علىٰ رؤوس الناس».اهـ

وقال الحافظ في "الفتح" علىٰ قوله: «فكتب»، ما لفظه: «وقد تمسَّك بظاهر هذه الرواية أبو الوليد الباجي فادَّعىٰ أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كتب بيده بعد أن لم يكن يحسن يكتب، فشنَّع عليه علماء الأندلس في زمانه ورموه بالزندقة، وإنَّ الذي قاله يخالف القرآن حتىٰ قال قائلهم:

بَرِئْتُ مِمَّنْ شَرَىٰ دُنْيَا بِآخِرَةٍ وقَالَ: إنَّ رسولَ الله قَدْ كَتَبَا

فجمعهم الأمير، فاستظهر الباجي عليهم بما لديه من المعرفة وقال للأمير: هذا لا ينافي القرآن بل يؤخذ من مفهو م القرآن؛ لأنه قيَّد النفي بما قبل ورود القرآن فقال: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾ [العنكبوت: ٤٨] وبعد أن تحقَّقت أميَّته وتقرَّرت بذلك معجزته وأمن الارتياب في ذلك لا مانع من أن يعرف الكتابة بعد ذلك من غير تعليمٍ فتكون معجزةً أخرىٰ، وذكر ابن دحية: أنَّ جماعةً من العلماء وافقوا الباجي في ذلك منهم شيخه أبوذرٍّ الهرويُّ وأبوالفتح النيسابوريُّ وآخرون من علماء إفريقيا وغيرها.

واحتجَّ بعضهم لذلك لما أخرجه ابن أبي شيبة وعمر بن شبة من طريق مجاهد، عن عون بن عبدالله قال: «ما مات رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم

حتىٰ كتب وقرأ»[١]. قال مجاهد: فذكرت ذلك للشعبي فقال: صدق، قد سمعت من يذكر ذلك.

ومن طريق يونس بن ميسرة، عن أبي كبشة السلولي، عن سهل بن الحنظلية: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أمر معاوية أن يكتب للأقرع وعُيَيْنَة، فقال عُيَيْنَة: أتراني أذهب بصحيفة المتلمس؟ فأخذ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم الصحيفة فنظر فيها فقال: «**قد كتب لك بما أُمر لك**». قال يونس: «فنرىٰ أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كتب بعد ما أُنزل عليه».

قال عياض: «وردت آثار تدل علىٰ معرفة حروف الخط وحسن تصويره، كقوله لكاتبه: «**ضَعِ القَلَمَ على أُذنك فإنَّه أَذْكُر لك**»، وقوله لمعاوية: «**ألقِ الدَّواةَ، وحرِّف القَلَمَ، وأقِمْ الباءَ، وفرِّق السِّين، ولا تعور الميم**»، وقوله: «**تمد بسم الله**» قال: وهذا وإن لم يثبت أنه كتب فلا يبعد أن يرزق علم وضع الكتابة فإنه أوتي علم كلِّ شيءٍ».

وأجاب الجمهور: بضعف هذه الأحاديث، وعن قصة الحديبية: بأنَّ القصَّة واحدة والكاتب فيها عليٌّ، وقد صرَّح في حديث المِسْوَر بأنَّ عليًّا هو

---

(١) روىٰ الطبرانيُّ عن عون بن عبدالله بن عتبة بن مسعودٍ، عن أبيه قال: ما مات رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حتىٰ قرأ وكتب. قال الطبراني: «هذا حديثٌ منكرٌ، وأبو عقيل ضعيف، وهذا معارِض لكتاب الله تعالىٰ، وإن معناه: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لم يتوفَّ حتىٰ قرأ عبدالله بن عتبة وكتب. يعني أنه كان يعقل في زمانه».اهـ

قلت: كان عبدالله بن عتبة صغيرًا في عهد النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عمره ست سنوات بتقدير الحافظ في "الإصابة"، فيكون تأويل الطبرانيِّ صحيحًا.

الذي كتب، فيُحمل على أنَّ النكتة في قوله: «فأخذ الكتاب وليس يحسن يكتب» لبيان أنَّ قوله: «**أرني إياها**»: أنه ما احتاج إلى أن يريه موضع الكلمة التي امتنع علي من محوها إلَّا لكونه كان لا يحسن الكتابة. وعلى أنَّ قوله بعد ذلك: «فكتب»، فيه حذف تقديره: «فمحاها لعليٍّ، فكتب». وبهذا جزم ابن التين، وأطلق «كتب» بمعنى: أمر بالكتابة، وهو كثير. كقوله: كتب إلى قيصر، وكتب إلى كسرى. وعلى تقديره حمله على ظاهره، فلا يلزم من كتابة اسمه الشريف في ذلك اليوم -وهو لا يحسن الكتابة- أن يصير عالمًا بالكتابة ويخرج عن كونه أمِّيًّا، فإن كثيرًا ممن لا يحسن الكتابة يعرف تصوير بعض الكلمات ويُحسن وضعها بيده وخصوصًا الأسماء، ولا يخرج بذلك عن كونه أمِّيًّا ككثير من الملوك. ويحتمل أن يكون جرت يده بالكتابة حينئذٍ وهو لا يحسنها فخرج المكتوب على وفق المراد فيكون معجزة أخرى في ذلك الوقت خاصَّة، ولا يخرج بذلك عن كونه أمِّيًّا. وبهذا أجاب أبو جعفر السمناني، أحد أئمة الأصول من الأشاعرة، وتبعه ابن الجوزي.

وتعقَّب ذلك السهيليُّ وغيره بأنَّ هذا وإن كان ممكنًا ويكون آية أخرى، لكنه يناقض كونه أمِّيًّا لا يكتب، وهي الآية التي قامت بها الحُجَّة وأفحمت الجاحد وانحسمت الشبهة، فلو جاز أن يصير يكتب بعد ذلك لعادت الشبهة وقال المعاند: كان يحسن الكتابة لكنه كان يكتم ذلك. قال السهيلي: «والمعجزات يستحيل أن يدفع بعضها بعضًا، والحقُّ: أنَّ معنى قوله: «فكتب» أي: أمر عليًّا أن يكتب».اهـ

وفي دعوى أنَّ كتابة اسمه الشريف فقط على هذه الصورة تستلزم مناقضة

المعجزة وتثبت كونه غير أمِّيٍّ نظرٌ كبيرٌ».اهـ كلام الحافظ.

وذكر القاضي عياض: «أنَّ الباجي ألَّف رسالة سمَّاها: "تحقيق المذهب من أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كتب" بيَّن فيها وجوه المسألة لمن لم يفهمها، وأنها لا تقدح في المعجزة كما لم تقدح القراءة في ذلك بعد أن لم يكن قارئًا، بل في هذا معجزةٌ أخرى، وأطال في ذلك الكلام وذكر من قال بهذا القول من العلماء، وكتب بالمسألة إلى شيوخ صقلية وغيرها فأنكروا إنكارهم عليه وأثنوا عليه وسوَّغوا تأويله، منهم ابن الجزَّار».اهـ

وقال الذهبيُّ في "تذكرة الحفاظ" تعقيبًا على كلام الباجي: «ما كل من عرف أن يكتب اسمه فقط بخارج عن كونه أمِّيًّا؛ لأنه لا يسمَّى كاتبًا وجماعة من الملوك قد أدمنوا في كتابة العلامة وهم أمِّيون، والحُكم للغلبة لا للصورة النادرة فقد قال عليه السَّلام: «**إنَّا أُمَّةٌ أمِّية**». أي أكثرهم كذلك لندرة الكتابة في الصحابة وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [الجمعة: ٢].اهـ

قلت: الحكم بالكفر إفراط وشَطَط، وقد غفل الفقيه أبو بكر بن الصائغ ومن شايعه عن حديث السِّحْر الثابت في "الصحيحين"، فإنه مخالف للقرآن ومنافٍ للعصمة ومع ذلك قبله العلماء وأجابوا عنه ولم يخطر ببالهم أن يحكموا بكفر راويه أو فسقه، فالإسراع إلى رمي العالِم بالكفر أو الزندقة لرأيٍ أبداه مستندًا فيه إلى دليل خطة سوء عاقبتها وخِيمة، نسأل الله العافية.

تنبيهات

الأول: زعم بعض المعاصرين أنَّ وصف «الأمِّي» الذي وُصِف به النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في القرآن والسُّنَّة، ليس معناه عدم القراءة والكتابة لكنه نسبة إلىٰ الأمم، قال: واليهود يطلقون لفظ الأمم علىٰ الشعوب غير الإسرائيلية كالعرب. واستشهد علىٰ ذلك بجمل من التوراة قال: فجاء في كتبهم وصف النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بالأمِّي لبيان أنه ليس بإسرائيلي.(١)

---

(١) تأويل الأمِّي بهذا المعنىٰ لا يُعرف في اللغة العربية وهو يؤيد قول المستشرقين الذين يزعمون أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان كاتبًا قارئًا، وقد تولَّىٰ القرآن تفسير الأمِّي بما يبطل دعوىٰ المستشرقين ومن لفَّ لفَّهم قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨] وقال ابن جرير في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨]: «يعني بالأمِّيين الذين لا يكتبون ولا يقرؤون، ومنه قول النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم «**إنا أمَّة أمِّية لا نكتب ولا نحسب**» يقال منه رجلٌ أمِّيٌّ أي بيِّن الأميَّة»، ونقل مثل هذا عن إبراهيم النخعي، ثُمَّ نقل بإسناد منقطع عن ابن عبَّاسٍ قال: «الأمِّيون قومٌ لم يصدِّقوا رسولًا أرسله الله ولا كتابًا أنزله الله»، ثُمَّ قال الطبريُّ: «وهذا التأويل تأويل علىٰ خلاف ما يُعرف من كلام العرب المستفيض بينهم، وذلك أنَّ الأمِّي عند العرب هو الذي لا يكتب قال: وأرىٰ أنه قيل للأمِّي أمِّي نسبة له بأنه لا يكتب إلىٰ أمِّه؛ لأن الكتاب كان في الرجال دون النساء، فنسب من لا يكتب ولا يخط من الرجال إلىٰ أمِّه في جهله بالكتابة دون أبيه. كما ذكرنا عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من قوله «**إنا أمَّة أمِّية لا نكتب ولا**

الثاني: حديث سهل بن الحنظلية الذي عزاه الحافظ إلى ابن أبي شيبة وعمر بن شبة، رواه أبو داود في سننه، لكن ليس فيه اللفظ المستدَل به، فلذلك لم يعزه إليه.

الثالث: قول عُيَيْنَة بن حصن: «كصحيفة المُتَلَمِّس» هذا مَثَلٌ يضربه العرب لمن حمل شيئا فيه هلاكه وهو لا يشعر.

وأصْلُه: أن المُتَلَمِّس -واسمه عبدالمسيح- قَدِم هو وطَرَفَة -بفتحات- على الملك عمرو بن المنذر فأقاما عنده، فنَقِم عليهما أمرًا، قيل: بلغه هَجْوُهُما له، فكتب إلى بعض عمَّاله يأمره بقتلهما، وقال لهما: «إني قد كتبت لكما بِصِلَةٍ»، فاجتازا بالحيرة فأعطى المُتَلَمِّس صحيفته صبيًّا فقرأها، فإذا فيها الأمر بقتله، فألقاها وقال لطَرَفَة: «ألقِ صحيفتك فإن فيها مثل ما في صحيفتي» فأبى عليه وقال: «ما كان الملك ليأمر بقتلي»، فأخذ صحيفته ومضى إلى عامل الملك، فقرأها وقتله.

الرابع: حديث سهل بن الحنظلية أصح حديث جاء فيه كتابة معاوية للنبيِّ

نحسُب». وكما قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [الجمعة: ٢]».اهـ نحسُب بضم السين: نعد من الحساب بمعنى العدد، أي: لا نعمل في الصوم والفطر بالحساب الفلكي بل نعمل برؤية الهلال. والعجب من ذلك المعاصر يشرح لفظ الأمِّي بمعنى ينقله من كتب اليهود مخالفًا للقرآن والسُّنَّة واللغة العربية، ثُمَّ يرُدُّ أحاديث المعراج زاعمًا أنها إسرائيليات، بعد أن يسرد أسماء الصحابة الذين رووها نقلًا عن "تفسير ابن كثير"! وإنَّ رجلًا يجوِّز في أحاديث متواترة أطبقت على روايتها كتب السُّنَّة الصحيحة والتفاسير المعتمدة أن تكون من الإسرائيليات، بل يجزم بذلك ويؤكِّده لهو جاهلٌ هالكٌ في جهله، أومختل العقل مكانه اللائق به مستشفي الأمراض العقلية.

صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ولم يثبت أنه كتب شيئًا من القرآن[1] والذين عدُّوه في كُتَّاب الوحي استندوا إلى ما رواه مسلمٌ من طريق عكرمة بن عمَّار، عن أبي زُميل، عن ابن عبَّاسٍ قال: «كان المسلمون لا ينظرون إلى أبي سفيان ولا يقاعدونه فقال للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: يا نبيَّ الله، ثلاث أَعْطِنِهِنَّ قال: «نعم» قال: عندي أحسن العرب وأجمله أمُّ حبيبة أزوِّجُكَها، قال: «نعم» قال: ومعاوية تجعله كاتبًا بين يديك، وتؤمِّرني حتى أقاتل الكفَّار كما كنت أقاتل المسلمين، قال: «نعم».

وهذا الحديث غير صحيح؛ فإنَّ أمَّ حبيبة تزوَّجها النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وهي بأرض الحبشة، وأبوسفيان إنما أسلم يوم الفتح.

قال القرطبي في "شرح مسلم": «وإذا صحَّ أنه تزوَّجها قبل الفتح، فيكون ما وقع في هذا الحديث من طلب أبي سفيان أن يزوجها منه بعد إسلامه خطأ ووهمًا، وقد بحث النقَّاد عمن وقع ذلك الوهم منه فوجدوه وقع من عكرمة بن عمَّار. قال ابن الجوزي: اتهموه بذلك وقد ضعَّف أحاديثه يحيى بن معينٍ وابن حنبلٍ، ولذلك لم يخرج عنه البخاري وإنما خرج عنه مسلم لأنه قال فيه يحيى ابن سعيد: هو ثقة.

وقال الحافظ علي بن أحمد -يعني ابن حزم-: «هذا حديثٌ موضوعٌ لا شك في وضعه، والآفة فيه من عكرمة بن عمار». قال بعضهم: ومما يحقِّق الوهم فيه: قول أبي سفيان: أريد أن تؤمِّرني قال: «نعم»، ولم يُسمع قطُّ أنه أمَّره إلى أن

---

(١) قال المدائنيُّ: «كان زيد بن ثابت يكتب الوحي، وكان معاوية يكتب للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فيما بينه وبين العرب».

توفِّي، وكيف يُخلِف رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم الوعد؟! هذا مما لا يجوز عليه».اهـ كلام القرطبي.

وقال الذهبيُّ في ترجمة عكرمة بن عمار من "الميزان" بعد ذكر من وثَّقه أو ضعَّفه: «وفي "صحيح مسلم" قد ساق له أصلًا منكرًا، عن سماك الحنفيِّ، عن ابن عبَّاسٍ في الثلاثة التي طلبها أبوسفيان».اهـ

وعلىٰ تقدير صحَّة هذا الحديث، فلا يدل علىٰ أنَّ معاوية كتب شيئًا من الوحي لرسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، والله تعالىٰ أعلم.

الخامس: قال العلامة عبدالله بن أسعد اليافعيُّ: «أخبرني وليُّ الله الشيخ الكبير القطب شهاب الدين أحمد بن الميلق الشاذلي، عن شيخه الشيخ الكبير العارف بالله ياقوت العرشي الشاذلي، عن شيخه الكبير العارف بالله أبي العباس المرسي، عن شيخه الكبير شيخ الشيوخ أبي الحسن الشاذلي: أنَّ أبا الحسن علي بن حرزهم خرج علىٰ أصحابه يومًا ومعه كتاب فقال: أتعرفونه؟ قال: هذا الإحياء -وكان الشيخ المذكور يطعن في الغزالي وينهىٰ عن قراءة الإحياء- فكشف لهم عن جسمه فإذا هو مضروبٌ بالسِّياط، وقال: أتاني الغزالي في المنام ودعاني إلىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فلما وقفنا بين يديه قال: يا رسول الله هذا يزعم أني أقول عليك ما لم تقل، فأمر بضربي فضُرِبت.

نقل هذه الرؤيا الحافظ أبو الفيض السيِّد مرتضىٰ الزَّبيدي في "شرح الإحياء" والعلامة السيد عبدالقادر بن شيخ بن عبدالله العيدروس باعلوي في كتاب "تعريف الأحياء بفضائل الإحياء".

ونقل السيِّد مرتضىٰ أيضًا عن الإمام فخر الدين أبي بكر الشاشي قال: كان

في زماننا رجلٌ يكره الغزالي يذمه ويستعيبه في الديار المصرية فرأىٰ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في المنام وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما بجانبه والغزالي جالس بين يديه وهو يقول: يا رسول الله هذا يتكلَّم فيَّ فإذا النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**هاتوا السِّياط**». وأمر به فضُرِب لأجل الغزالي، وقام الرجل من النوم وأثر السياط علىٰ ظهره لم يزل، وكان يبكي ويحكيه للناس.

وقال الإمام الرازي في الفصل العاشر من المقالة الثالثة من الكتاب السابع من "المطالب العالية" في الاستدلال علىٰ أن النفس تبقىٰ بعد موت الجسد: «الحجة الرابعة: أنَّ الإنسان قد يرىٰ أباه وأمَّه في المنام ويسألهما عن أشياء وهما يذكران إجابات صحيحة، وربما أرشداه إلىٰ دفينٍ دفناه في موضع لا يعلمه أحد، وأقول: إني حين كنت صبيًّا في أول التعلم وكنت أقرأ مسألة حوادث لا أول لها رأيت أبي في المنام، فقال: «أجود الدلائل أن يقال: الحركة انتقال من حالة إلىٰ حالة، فهي تقتضي بحسب ماهيتها كونها مسبوقة بالغير والأول ينافي كونه مسبوقًا بالغير، فوجب أن يكون الجمع بينهما محالا». وأقول: ظاهرٌ أنَّ هذا الوجه أحسن ما قيل في المسألة. وسمعت أنَّ الفردوسي الشاعر لما صنَّف كتابه المسمىٰ "شاهنامه" علىٰ اسم السلطان محمود بن سبكتكين، وأنه ما قضىٰ حقه كما يجب وما راعاه كما يليق بذلك الكتاب، ضاق قلب الفردوسي فرأىٰ رُستم في المنام فقال له: «إنك مدحتني في هذا الكتاب كثيرًا وأنا في زمرة الأموات فلا أقدر علىٰ قضاء حقك، ولكن اذهب إلىٰ الموضع الفلاني واحفر فإنك تجد فيه دفينا دفنته فخذه». فكان الفردوسي الشاعر يقول: إن رستم بعد موته كان أكثر كرمًا من محمود حال حياته».اهـ كلام الإمام الرازي.

قاعدة عظيمة في التعبير

قال ابن القيِّم في "أعلام الموقعين" أثناء الكلام على حُجِّيَّة القياس والعمل به: «قالوا -أي المُثْبِتون للقياس-: قد ضرب الله الأمثال وصرَّفها قدَرًا[1] وشرعًا ويقظةً ومنامًا، ودلَّ عباده على الاعتبار بذلك، وعبورهم من الشيء إلى نظيره واستدلالهم بالنظير على النظير، بل هذا أصل عبارة الرؤيا التي هي جزءٌ من أجزاء النبوة ونوعٌ من أنواع الوحي، فإنها مبنيَّة على القياس والتمثيل واعتبار المعقول بالمحسوس. ألا ترى أنَّ الثياب في التأويل -كالقميص- تدل على الدِّين، فما كان فيها من طول أو قصر أو نظافة أو دنس فهو في الدين، كما أوَّل النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم القميص بالدين والعلم، والقدر المشترك بينهما أنَّ كلًا منهما يستُر صاحبه ويجمِّله بين الناس، فالقميص يستر بدنه والعلم والدين يستر روحه وقلبه ويجمِّله بين الناس.

ومن هذا تأويل اللبن بالفطرة لما في كل منهما من التغذية الموجِبة للحياة وكمال النشأة، وأنَّ الطفل إذا خُلِّي وفطرته لم يَعدِل عن اللبن فهو مفطور على إيثاره على ما سواه، وكذلك فطرة الإسلام التي فطر الله عليها الناس.

ومن هذا تأويل البقر بأهل الدين والخير الذين بهم عمارة الأرض كما أن

---

(١) يعني أنه سبق في قدر الله تعذيب الكفار والطغاة وتعجيل هلاكهم، فكان إنزال العذاب بهم ضرب مثل من جهة القدر على أن من فعل مثل فِعلهم يعذب كما عذبوا ولهذا لما قصّ الله في سورة القمر كيف عذب قوم نوح وهود وصالح ولوط قال بعد ذلك: ﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴾ [القمر: ٤٣].

البقر كذلك مع عدم شرها وكثرة خيرها وحاجة الأرض وأهلها إليها ولهذا لما رأىٰ النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بقرًا تُنْحر كان ذلك نحرًا في أصحابه.

ومن ذلك تأويل الزرع والحرث بالعمل؛ لأن العامل زارعٌ للخير والشر، ولا بد أن يخرج له ما بذره، كما يخرج للباذر زرع ما بذره، فالدنيا مزرعة، والأعمال البذر، ويوم القيامة، يوم طلوع الزرع للباذر وحصاده.

ومن ذلك تأويل الخشب المقطوع المتساند بالمنافقين، والجامع بينهما أنَّ المنافق لا روح فيه ولا ظل ولا ثمر، فهو بمنزلة الخشب الذي هو كذلك؛ ولهذا شبَّه الله تعالىٰ المنافقين بالخُشُب المسنَّدة لأنهم أجسام خالية عن الإيمان والخير.

ومن ذلك تأويل النَّار بالفتنة؛ لإفساد كلٍّ منهما ما يمر عليه ويتصل به، فهذه تحرق الأثاث والمتاع والأبدان، وهذه تحرق القلوب والأديان والإيمان.

ومن ذلك تأويل النجوم بالأشراف والعلماء؛ لحصول هداية أهل الأرض بكلٍّ منهما ولارتفاع الأشراف بين الناس كارتفاع النجوم.

ومن ذلك تأويل الغيث بالرحمة والعلم والقرآن والحكمة وصلاح حال الناس.

ومن ذلك خروج الدم، في التأويل يدل علىٰ خروج المال، والقدر المشترك: أنَّ قوام البدن بكل واحدٍ منهما.

ومن ذلك الحدث، في التأويل يدل علىٰ الحدث في الدين فالحدث الأصغر ذنبٌ صغيرٌ والحدث الأكبر ذنبٌ كبيرٌ.

ومن ذلك أنَّ اليهودية والنصرانية في التأويل بدعة في الدين، فاليهودية تدل علىٰ فساد القصد واتباع غير الحقِّ، والنصرانية تدل علىٰ فساد العلم

والجهل والضلال.

ومن ذلك الحديد في التأويل، وأنواع السلاح، يدل على القوة والنصر بحسب جوهر ذلك السلاح ومرتبته.

ومن ذلك الرائحة الطيبة، تدل على الثناء الحسن وطيب القول والعمل، والرائحة الخبيثة بالعكس.

والميزان يدل على العدل، والجراد يدل على الجنود والعساكر والغوغاء الذين يموج بعضهم في بعض، والنحل تدل على من يأكل طيبًا ويعمل صالحًا، والديك رجل عالي الهمَّة بعيد الصيت، والحيَّة عدوٌّ أو صاحب بدعة يُهلِك بسُمِّه، والحشرات أوغاد الناس، والخُلْد[1] رجل أعمى يتكفف الناس بالسؤال، والذئب رجلٌ غشومٌ ظالمٌ غادرٌ فاجرٌ، والثعلب رجلٌ غادرٌ مكَّارٌ محتالٌ مراوغٌ عن الحقِّ، والكلب عدوٌّضعيفٌ كثير الصخب والشر في كلامه وسبابه، أو رجلٌ مبتدع متَّبعٌ هواه مؤْثِر له على دينه، والسِّنَّوْر: العبد والخادم الذي يطوف على أهل الدار، والفأرة امرأة سوء فاسقة فاجرة، والأسد رجل قاهر مُسلَّط، والكبش الرجل المنيع المتبوع.

ومن كُلِّيات التعبير: أنَّ كل ما كان وعاء للماء فهو دالٌّ على الأثاث، وكل ما كان وعاء للمال كالصندوق والكيس والجراب فهو دال على القلب، وكل مدخول بعضه في بعض وممتزج ومختلط فدال على الاشتراك والتعاون أو

---

(١) بضم الخاء وسكون اللام، نوع من الفئران، أعمى لا يُدْرِك إلا بالشم، وعن الخليل بن أحمد: جواز فتح الخاء وكسرها.

النكاح، وكل سقوط وخرور من علو إلى سفل فمذموم، وكل صعود وارتفاع فمحمود إذا لم يجاوز العادة[١] وكان ممن يليق به، وكل ما أحرقته النار فجائحة وليس يُرجى صلاحه ولا حياته، وكذلك ما أنكسر من الأوعية التي لا ينشعب مثلها.

وكل ما خُطِف وسرق من حيث لا يُرى خاطفه ولا سارقه فإنه ضائع لا يُرجى، وما عرف خاطفه أو سارقه أو مكانه أو لم يغب عن عين صاحبه فإنه يُرجى عوده، وكل زيادة محمودة في الجسم والقامة واللسان والذكر واللحية واليد والرجل فزيادة خير، وكل زيادة متجاوزة للحدِّ في ذلك فمذمومةٌ وشرٌّ وفضيحةٌ، وكلُّ ما رؤي من اللباس في غير موضعه المختص به فمكروه، كعمامة في الرِجْلِ والخُف في الرأس والعقد في الساق، وكل من استُقْضِي أو استُخلِف أو أُمِّر أو اسُتوزِر أو خَطَب ممن لا يليق به ذلك نال بلاءً من الدنيا وشرًّا وفضيحة وشهرة قبيحة، وكل ما كان مكروهًا من الملابس فخلقه أهون على لابسه من جديده، والجوز مال مكنوز فإن تفقع كان شرًّا وقبيحًا، ومن صار له ريشٌ أو جناحٌ صار له مال، فإن طار سافر.

وخروج المريض من داره ساكتًا يدل على موته، ومتكلِّمًا يدل على حياته، والخروج من الأبواب الضيقة يدل على النجاة والسلامة من شرٍّ وضِيقٍ هو

---

(١) أمَّا إذا جاوز العادة بأن ارتفع في السماء حتى غاب ولم يظهر فهو استشهاد، وإن كان الارتفاع ممن لا يليق به بأن كان لا يصلح لولاية ولا لرياسة فهو فضيحة يُعرف بها بين الناس.

فيه، وعلى توبة، ولا سيَّما إن كان الخروج إلى فضاء وسَعَة فهو خير محض، والسفر والنقلة من مكان إلى مكان انتقال من حالٍ إلى حال بحسب حال المكانين، ومن عاد في المنام إلى حالٍ كان فيها في اليقظة، عاد إليه ما فارقه من خيرٍ أو شرٍّ، وموت الرجل[1]، ربما دل على توبته ورجوعه إلى الله؛ لأن الموت رجوع إلى الله، قال تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٦٢] والمرهون مأسور بدَيْن أو بحق عليه لله أو لعبيده، ووداع المريض أهله أو توديعهم له دال على موته.

وبالجملة: فما تقدَّم من أمثال القرآن، كلها[2] أصول وقواعد لعلم التعبير لمن أحسن الاستدلال بها، وكذلك من فهم القرآن؛ لأنه يعبر به الرؤيا أحسن تعبير، وأصول التعبير الصحيحة إنما أُخذت من مشكاة القرآن فالسفينة تعبر بالنجاة لقوله تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾ [العنكبوت: ١٥] وتعبر

---

(١) وربما دلَّ موت الرجل على فسادٍ في دينه.

(٢) ما تقدَّم من الأمثلة في كلامه تقع في آيات: (١٧-٢٠ سورة البقرة)، (١٧ سورة الرعد)، (٢٤ سورة يونس)، (٢٤ سورة هود)، (٤١ سورة العنكبوت)، (٣٩-٤٠ سورة النور)، (٣٤-٣٨ سورة النور)، (٤٤ سورة الفرقان)، (٢٨ سورة الروم)، (٧٥-٧٦ سورة النحل)، (٤٩-٥٠-٥١ سورة المدثر)، (٥ سورة الجمعة)، (١٧٥-١٧٦ سورة الاعراف)، (١٢ سورة الحجرات)، (١٨ سورة ابراهيم)، (٢٤-٢٦ سورة ابراهيم)، (٢٠-٢١ سورة الحج)، (٧٣-٧٤ الحج)، (١٧١ سورة البقرة)، (٢٦٤-٢٦٦ سورة البقرة)، (١٠-١٢ سورة التحريم).

بالتجارة، والخشب بالمنافقين، والحجارة بقساوة القلب، والبيض بالنساء واللباس أيضًا بهنَّ، وشرب الماء بالفتنة[١] وأكل لحم الرجل بغِيبته، والمفاتيح بالكسب والخزائن والأموال، والفتح يعبر مرة بالدعاء ومرة بالنصر، وكالملك يُرىٰ في محلة لا عادة له بدخولها يعبر بإذلال أهلها وفسادها، والحبل يعبر بالعهد والحق والعضد، والنعاس قد يعبر بالأمن[٢]، والبقل والبصل والثوم والعدس يعبر لمن أخذه بأنه قد استبدل شيئًا أدنىٰ بما هو خير منه من مالٍ أو رزقٍ أو علمٍ أو زوجةٍ أو دارٍ، والمرض يعبر بالنفاق والشك وشهو ة الزنا[٣] والطفل الرضيع يعبر بالعدوِّ، لقوله تعالىٰ: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨]، والنكاح بالبناء، والرماد بالعمل الباطل،

---

(١) وقد يعبَّر بالعلم، نقل التاج ابن السُّبكي في "طبقات الشافعية"، في ترجمة الإمام أبي بكر محمد ابن الإمام أبي المظفر السمعاني، أنه تأخَّر يومًا عن حضور درس والده، ثُمَّ جاء وقد احمرَّت عيناه من البكاء، فسأله أبوعبدالله النيسابوري: ما الذي خلَّفك وما شأنك؟ فقال: رأيت النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في المنام، فناولني قدحًا مملوءًا ماء وقال لي: «اشرب» فأخذته وشربته كله، فانتبهت وقد أثر ذلك في عروقي وسائر جسدي فنهض الإمام أبوعبدالله الىٰ الصفة التي فيها الإمام أبوالمظفر وهو يقول: البشارة البشارة وأخبره بالمنام الذي رآه ولده فقال أبوالمظفر: الحمد لله، وقال: إني رأيت مثل هذا المنام. ولكني ما شربت جميع الماء بل بعضه، وهو شرب جميعه، فيجتمع عنده جميع أحاديث النبيِّ صلىٰ الله عليه وسلم.

(٢) لقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ [آل عمران: ١٥٤]

(٣) لقوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢]

لقوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ أَعْمَـٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ ﴾ [إبراهيم: ١٨] والنور يعبر بالهدى، والظلمة بالضلال.

ومن ههنا قال عمر بن الخطاب لحابس بن سعد الطائي -وقد ولّاه القضاء- فقال: يا أمير المؤمنين رأيت الشمس والقمر يقتتلان والنجوم بينهما نصفين، فقال عمر: مع أيهما كنت؟ قال: مع القمر على الشمس، قال: كنت مع الآية الممحوَّة، اذهب فلست تعمل لي عملًا ولا تُقْتَل إلا في لبس من الأمر فقُتِل يوم صفِّين(١).

وقيل لعابر: رأيت الشمس والقمر دخلا في جوفي، فقال: تموت، واحتج بقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴾ [القيامة: ٧ - ١٠].

وقال رجل لابن سيرين: رأيت معي أربعة أرغفة خبز فطلعت الشمس، فقال: تموت إلى أربعة أيام، ثُمَّ قرأ قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَـٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴾ [الفرقان: ٤٥ - ٤٦] وأخذ هذا التأويل: أنه حمل رزقه أربعة أيام، وقال له آخر: رأيت كيسي مملوءًا أرضة، فقال: أنت ميت، ثم قرأ: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ ﴾ [سبأ: ١٤]

والنخلة تدل على الرجل المسلم وعلى الكلمة الطيبة، والحنظلة تدل على ضد ذلك. والصنم يدل على العبدالسوء الذي لا ينفع، والبستان يدل على

---

(١) وكان في جيش معاوية ضد عليٍّ عليه السلام.

العمل، واحتراقه يدل على حبوطه، لما تقدَّم في أمثال القرآن[١].

ومن رأى أنه ينقُض غزْلًا أو ثوبًا لعبيده مرة ثانية فإنه ينقض عهدًا وينكثه، والمشي سويًّا في طريق مستقيم يدل على استقامته على الصراط المستقيم، والأخذ في بنيات الطريق يدل على عدوله عنه إلى ما خالفه، وإذا عرضت له طريقان ذات يمين وذات شمال فسلك أحدهما فإنه من أهلها، وظهور عورة الإنسان له ذنب يرتكبه ويفتضح به، وهربه وفراره من شيءٍ نجاة وظفر، وغرقه في الماء فتنة في دينه ودنياه، وتعلقه بحبل بين السماء والأرض تمسُّكه بكتاب الله وعهده واعتصامه بحبله، فإن انقطع به فارق العصمة إلا أن يكون ولي أمرًا، فإنه قد يُقتل أو يموت.

فالرؤيا أمثال مضروبة، يضربها الملك الذي قد وكله الله بالرؤيا ليستدل الرائي بما ضرب له من المثل على نظيره ويعبر منه إلى شبهه ولهذا سُمِّي تأويلها تعبيرًا وهو تفعيل من العبور، كما أن الاتعاظ يسمى اعتبارًا وعبرة لعبور المتعظ من النظير إلى نظيره، ولولا أنَّ حكم الشئ حكم مثله وحكم النظير حكم نظيره لبطل هذا التعبير والاعتبار».اهـكَمُل كتاب "الرؤيا"، وكان الفراغ من تبييضه ضُحى يوم السبت الموافق عشرين من ذى الحجة الحرام من شهو ر سنة ١٣٩١ هجرية، أحسن الله ختامها، والحمد لله ربِّ العالمين.

---

(١) وهو قوله تعالى: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ﴾ [البقرة: ٢٦٦]

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

١ - حُسْنُ البَيان في ليلة النِّصْفِ مِن شَعْبان

مقدِّمة ٩
التفاوت بين الخَلْقِ في الرُّتَب والمناصِبِ..... ٩
فصل: في سبب تأليف هذه الرِّسالة..... ١٢
ذكر بعض المؤلَّفات في ليلة النِّصف مِن شعبان..... ١٢
بدء الاحتفال بليلة النِّصف مِن شعبان..... ١٢
صفة إحياء هذه الليلة..... ١٣
فضل هذه الليلة..... ١٤
ذكر بعض الأحاديث الدالَّة على فضل ليلة النِّصف مِن شعبان ١٤
الحديث الأول: «إذا كانت ليلةُ النِّصْفِ مِن شعبانَ، فقُومُوا لَيْلَهَا، وصُومُوا نَهَارَهَا...» الحديث..... ١٤
الحديث الثاني: «إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يَنْزِلُ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِن شعبانَ إلى السَّماءِ الدُّنيا، فيَغْفِرُ لأكثرَ مِن عَدَدِ شَعْرِ غَنَمِ كَلْبٍ»..... ١٥
الحديث الثالث: «إنَّ اللهَ لَيَطَّلِعُ في ليلةِ النَّصْفِ مِن شعبانَ فيَغْفِرُ لجَمِيعِ خَلْقِهِ إلَّا لمُشْرِكٍ أو مُشَاحِنٍ»..... ١٥
الحديث الرابع: «إنَّ اللهَ ليَطَّلِعُ إلى خَلْقِهِ ليلةَ النِّصْفِ مِن شعبانَ، فيَغْفِرُ لعِبادِهِ إلَّا لاثْنَيْنِ: مُشَاحِنٍ، وقَاتِلِ نَفْسٍ» ١٥
الحديث الخامس: «يَطَّلِعُ اللهُ إلى جَمِيعِ خَلْقِهِ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِن شعبانَ، فيَغْفِرُ

لجَمِيعِ خَلْقِهِ إلَّا لمُشْرِكٍ أو مُشَاحِنٍ» ١٦
الحديث السادس: «يَطَّلِعُ اللهُ عَبَادَهُ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِن شَعْبانَ، فيَغْفِرُ للمؤمنينَ، ويُمْهِلُ الكافِرينَ، ويَدَعُ أَهْلَ الحِقْدِ بحِقْدِهِمْ حتَّىٰ يَدَعُوهُ» ١٦
الحديث السابع: «يَنْزِلُ اللهُ إلىٰ السَّماءِ الدُّنيا لَيْلَةَ النِّصْفِ مِن شَعْبانَ، فيَغْفِرُ لكُلِّ شيءٍ إلَّا لرَجُلٍ مُشْرِكٍ، أو رَجُلٍ في قَلْبِهِ شَحْنَاءُ» ١٦
الحديث الثامن: «إذا كان لَيْلَةُ النِّصْفِ مِن شَعْبانَ نَادَىٰ مُنَادٍ: هل مِن مُسْتَغْفِرٍ فأَغْفِرَ لَهُ؟ هل مِن سائِلٍ فأُعْطِيَهُ؟ فلا يَسْأَلُ أحدٌ شيئًا إلَّا أُعْطِي إلَّا زَانِيَةً بفَرْجِهَا أو مُشْرِكًا» ١٦
الحديث التاسع: «هذه ليلةُ النِّصْفِ مِن شَعْبانَ، إنَّ الله عزَّ وجلَّ يَطَّلِعُ علىٰ عِبادِهِ في ليلةِ النِّصْفِ مِن شَعْبانَ فيَغْفِرُ للمُسْتَغْفِرِينَ، ويَرْحَمُ المُسْتَرْحِمِينَ، ويُؤَخِّرُ أهلَ الحِقْدِ كما هم» ١٧
الحديث العاشر: «في لَيْلَةِ النِّصْفِ مِن شَعْبانَ يَغْفِرُ اللهُ لأهلِ الأرضِ إلَّا مُشْرِكًا أو مُشَاحِنًا» ١٨
الآثار الواردة في هذه الليلة ١٩
ما يقال من الدعاء في هذه الليلة ٢٠
أصل الدعاء المشهور بين العوام ٢٢
هل هذه الليلة تنسخ فيها الآجال؟ ٢٣
ذكر الأحاديث الدالَّة علىٰ أنَّ ليلة النصف من شعبان تُنسخ فيها الآجال وبعضها أشد ضعفًا من بعضٍ ٢٣
الحديث الأول: «إنه ليس نفسٌ تموتُ في سَنَةٍ إلَّا كُتِبَ أَجَلُها في شعبانَ،

وأُحِبُّ أن يُكتَبَ أجلي وأنا في عبادة ربِّي، وعملٍ صالحٍ» ٢٣
الحديث الثاني: «في هذه الليلةِ يُكْتَبُ كُلُّ مُوْلُودٍ وهَالِكٍ مِن بني آدمَ، وفيها تُرْفَعُ أعْمَالُهم، وتَنْزِلُ أَرْزَاقُهُمْ» ٢٤
الحديث الثالث: «تُقْطَعُ الآجَالُ مِن شعبانَ إلى شعبان، حتَّى إنَّ الرجُلَ لينْكِحُ ويُولَدُ له وقد خَرَجَ اسْمُهُ في المَوْتَى» ٢٤
الحديث الرابع: «يَفْتَحُ اللهُ الخَيْرَ في أربع ليالٍ: لَيْلَةِ الأَضْحَى، ولَيْلَةِ الفِطْرِ، ولَيْلَةِ النِّصْفِ مِن شَعْبانَ...» الحديث ٢٤
الحديث الخامس: «تُقْطَعُ الآجَالُ مِن شعبانَ إلى شعبانَ، حتَّى إنَّ الرَّجُلَ يَنْكِحُ ويُولَدُ له وقد خرج اسْمُهُ في المَوْتَى» ٢٤
الحديث السادس: لم يكن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في شهرٍ أكثر صيامًا منه في شعبان؛ لأنه ينسخ فيه أرواح الأحياء في الأموات...» الحديث ٢٥
الحديث السابع: «في ليلةِ النِّصْفِ مِن شعبانَ يُوحِي اللهُ إلى مَلَكِ المَوْتِ بقَبْضِ كُلِّ نَفْسٍ يُرِيدُ قَبْضَهَا في تِلْكَ السَّنَةِ» ٢٥
الحديث الثامن: لم يكن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في شهرٍ أكثر صيامًا منه في شعبان، وذلك أنه ينسخ فيه آجال من ينسخ في السَّنَة ٢٦
مناقشة القول بأنَّ ليلة النصف تُنسَخ فيها الآجال والأرزاق وغيرها ٢٦
من لا يغفر لهم في هذه الليلة ٢٨
إن الشرك لظلم عظيم ٢٨

التشاحُن يمنع المغفرة ٢٨
أعظم الذنوب بعد الكُفْر ٢٩
لا يدخل الجنَّة قاطِعٌ ٣٠
الذي لا ينظر الله له يوم القيامة ٣٠
عُقوق الوالدين ٣١
الخمر أمُّ الخبائث ٣٢
الزَّانية بفرجها ٣٢
هل وردت صلاة مُعيَّنة في هذه الليلة ٣٤
أحاديث موضوعةٌ مكذوبةٌ ذكرها المصنِّف للتنبيه عليها ٣٤
الحديث الأول: «يا عليُّ، مَن صَلَّىٰ مائةَ رَكْعَةٍ في لَيْلَةِ النِّصْفِ مِن شَعْبانَ يَقْرَأُ في كُلِّ رَكْعَةٍ بفاتحة الكتاب و«قل هو الله أحد» عشر مرَّاتٍ...» الحديث ٣٤
الحديث الثاني: «مَن قَرَأَ ليلةَ النِّصفِ مِن شعبانَ ألف مَرَّةٍ «قل هو الله أحد» في مائة ركعةٍ لم يَخرج مِن الدُّنيا حتَّىٰ يبعثَ اللهُ إليه في مَنامِهِ مائةَ مَلَكٍ...» الحديث ٣٤
الحديث الثالث: «مَن صَنَعَ مثل الذي رأيتَ كان له كَعِشْرِينَ حَجَّةً مَبْرُورَةً...» الحديث ٣٥
الحديث الرابع: «مَن صَلَّىٰ ليلةَ النِّصفِ مِن شعبانَ ثنتي عشرة ركعةً يقرأ في كلِّ ركعةٍ «قل هو الله أحد...» الحديث ٣٥
الحديث الخامس: «مَن صَلَّىٰ ليلةَ النِّصفِ من شعبانَ خمسين ركعةً قضىٰ اللهُ له

كلَّ حاجةٍ طلبها تلك الليلة» ٣٥
الحديث السادس: «مَن قَرَأَ ليلةَ النِّصفِ مِن شعبانَ «قل هو الله أحد» ألف مرَّةٍ في عشر ركعاتٍ...» الحديث ٣٦
فتوىٰ للحافظ ابن الصَّلاح حول ليلة النِّصف من شعبان..... ٣٧
الخلاصة..... ٣٩

٢- غايةُ الإحْسانِ في فَضْلِ زكاةِ الفِطْرِ وفَضْلِ رَمَضانَ

الإهداء..... ٤٣
مقدِّمة ٤٤
كيف كان بدء الصِّيام..... ٤٦
كيف تدرَّجت أحوال الصِّيام..... ٤٧
هل فُرض صوم رمضان مِن قبلنا؟ ٥١
قصة الرجل الذي جاء يسأل عن الإسلام ٥٢
أسهم الإسلام الثمانية ٥٥
فتح أبواب الجنَّة في رمضان..... ٥٦
صيام رمضان يُكفِّر الذنوب..... ٥٨
فضل الجود في شهر رمضان..... ٥٩
من أسباب تضاعف جُوده صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في رمضان ٦٠
فضل تلاوة القرآن في شهر رمضان..... ٦٢
ما أعطيته هذه الأُمَّة في شهر رمضان..... ٦٣

باب الرَّيَّان للصائمين ٦٨
الصوم جُنَّـةٌ ووِقايةٌ ٦٨
من معاني قوله تعالىٰ في الحديث القدسيِّ: «الصِّيامُ لِي وأنا أَجْزِي بِهِ» ٦٨
اختُلف: هل يقول إني صائمٌ بلسانه ويخاطب بها خصمه، أو يقولها في نَفْسِهِ؟ ٧١
تنبيه: حول ترجيح الحافظ ابن عبدالبر الصوم علىٰ كلِّ العبادات ٧١
متي يكون الصوم جُنَّـةً؟ ٧٢
قصة الصائمتين اللتين اغتابتا النَّاسَ ٧٣
مضاعفات الحسنات والسيِّئات في رمضان ٧٥
الصيام علىٰ أنواع ٧٦
المَحْرُومُ من حُرِمَ خَيْر رمضان ٧٦
فضل السَّحُور ٧٧
تنبيهات: الأول: ينبغي تأخير السَّحُور وتعجيل الفِطْر ٧٨
الثاني: طعام السَّحُور إذا كان حلالًا من النعيم الذي لا يُحاسب عليه. ٧٩
الثالث: ينبغي للصائم عند إفطاره أن يقول ما ورد في ذلك من أذكار ٧٩
قيام رمضان ٨٠
قيامه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بالناس في رمضان ٨١
عدد ركعات القيام ٨٢
ليلة القَدْر ٨٤

متى تكون ليلة القَدْر؟ ٨٥
علامة ليلة القَدْر ٨٥
استنباط ابن عبَّاسٍ تعيين ليلة القَدْر ٨٦
قصة المتخاصمين التي بسببها رُفع تعيين الليلة ٨٨
هل علمها النبيُّ بعد نسيانها؟ ٨٨
هل يُخبِر بها مَن رآها؟ ٩٠
كيف يراها الرائي؟ ٩٠
هل كانت ليلة القَدْر في الأُمَمِ مِن قبلنا؟ ٩٠
قيام ليلة القَدْر يُكفِّر الذنوب ٩١
هل يُعطَى ثوابها وإن لم يَعْلَمْها؟ ٩٢
هل تمكن رؤيتها؟ ٩٣
أقل ما يحصل به قيام الليل ٩٣
هل يستحب الاغتسال ليلة القَدْر؟ ٩٤
هل للنُّفَساء والحائض نصيبٌ مِن ليلة القَدْر؟ ٩٥
أي العمل أفضل في هذه الليلة؟ ٩٦
إحياء ليلتي العيدين ٩٦
هل يكون إحياء ليلتي العيدين في جماعة؟ ٩٧
أقل ما يحصل به الإحياء ٩٧
استحباب التكبير ليلة عيد الفِطْر ٩٨

كيفية التكبير ٩٨
يوم عيد الفِطْر يُسمَّىٰ يوم الجائزة ٩٩
استحباب الأكل قبل الصلاة يوم عيد الفطر ١٠٠
من الحِكْمة في تعجيل الفِطْر قبل الصلاة يوم عيد الفطر ١٠٠
الحِكْمة من الإفطار علىٰ التمر ١٠٠
زكاة الفِطْر ١٠١
حِكْمَة فرضيَّتها ١٠١
متىٰ تخرج يوم العيد؟ ١٠٢
هل يشترط فيها النِّصاب؟ ١٠٣
مقدار زكاة الفِطْر ١٠٣
هل يصح إخراجها قبل العيد؟ ١٠٤
الدعاء يوم العيدين ١٠٥
خاتمة الكتاب ١٠٥

٣- إتحافُ النُّبلاء في فَضْلِ الشَّهادَةِ وأنواعِ الشُّهداء

مقدِّمة ١٠٩
معنىٰ الشَّهادة ١١٠
التنبيه علىٰ مسألتين: الأولىٰ: المراد بـ «الشهداء» في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ١١١

الثانية: اشترط العلماء شروطًا لم يشترطوها في الرِّواية ١١١
فضل الشَّهادة..... ١١٣
فائدتين عظيمتين في فضل الشَّهادة..... ١١٤
صرَّح الفقهاء بأنَّه لا يجوز الدُّعاء بالممتنع شرعًا أو عادةً (ت) ١١٤
فضلُ الشُّهداءِ..... ١١٥
الحِكْمة مِن اختصاص والد جابرٍ رضي الله عنهما بكلام الله له بعد استشهاده ١١٦
الشُّهداء لا يُحاسبون..... ١١٧
أفضل الشُّهداء..... ١١٨
القَتْلَى ثلاثةٌ..... ١٢٠
ذنوب لا تُكَفِّرِها الشَّهادة..... ١٢٣
الأوَّل: الدَّيْن ١٢٣
الثَّاني: العُقوق: ١٢٤
الثَّالث: الأمانة:..... ١٢٥
الرَّابع: النِّفَاق..... ١٢٥
أَرْوَاحُ الشُّهَدَاءِ في الجنَّةِ..... ١٢٦
أين تذهب الأرواح بعد الموت..... ١٢٩
تنبيه: حول اختلاف الرِّويات في مكان أرواح الشهداء ١٣١
استشكال حول وجود روح المؤمن في حَوْصَلة الطير والجواب عليه ١٣٢

تنبيه آخر: حول من استُشهد وعليه دين ١٣٣
شهيد البحر..... ١٣٤
تنبيه: حول الدين الذي لا يحجب صاحبه عن الجنَّة شهيدًا كان أو غيره.. ١٣٥
شهيد الجوِّ..... ١٣٧
١- طالب الشَّهادة..... ١٣٩
٢- الميت في سبيل الله..... ١٤٠
جملة من الشُّهداء..... ١٤١
١- الطاعون..... ١٤٤
٢- المبطون..... ١٤٥
٣- الغريق..... ١٤٦
٤- المطعون..... ١٤٦
٥- صاحب الهدْم..... ١٤٧
٦- صاحب ذا الجنب..... ١٤٧
٧- صاب الحريق..... ١٤٧
٨- المرأة تموت بجمع..... ١٤٧
٩- سادن بيت المقدس..... ١٤٨
١٠- المريض بالسُّلِّ..... ١٤٨
١١- المقتول دون ماله..... ١٤٩
١٢- المقتول دون مظلمته..... ١٥٠

(١٣- ١٤- ١٥)- المقتول دون دينه، أو أهله، أو دمه..... ١٥٠
١٦- موت الغربة..... ١٥١
١٧- الميت مريضًا..... ١٥٢
١٨- قراءة آخر (سورة الحشر)..... ١٥٤
١٩- الميت على وضوء..... ١٥٥
٢٠- صلاة الضُّحَى..... ١٥٥
٢١- طالب العِلْم..... ١٥٦
٢٢- العاشق العفيف..... ١٥٦
٢٣- المقتول صَبْرًا..... ١٥٩
٢٤- موت يوم الجمعة أو ليلتها..... ١٦٠
٢٥- المصروع عن دابَّته..... ١٦١
٢٦- الآمر لأميرٍ جائرٍ..... ١٦١
٢٧- المؤذن المُحتَسِب..... ١٦٢
٣٧- المائد في البحر..... ١٦٣
٣٩- التمسُّك بالسُّنَّة..... ١٦٤
الأولياء يُعطَون أجور الشُّهداء..... ١٦٥
خاتمة..... ١٦٦
حكاية الشاب الذي باع نفسه لله..... ١٦٧
قصة أخرى تشبهها..... ١٧٠

٤ - القَوْلُ المَسْمُوعُ في بيان الهَجْرِ المَشْرُوعِ

مقدِّمة ١٧٥
فصل: تحريم الهَجْر ١٧٦
فصل: سبب الهَجْر ١٨٠
فصل: أنواع الهَجْر ١٨١
الهَجْر ينقسم إلى ثلاثة أنواعٍ ١٨٢
فصل: الهَجْر الإيجابي ١٨٣
النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان له أربع شخصياتٍ (ت) ١٨٥
فصل: الهَجْر الوقائي ١٩٠
كلمة حول القانون الوضعي إذا خالف ما حدَّه الشرع (ت) ١٩٤
قاعدة: «العِبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب» يغلط كثيرٌ من الناس في تطبيقها ١٩٨
من الهجر الوقائيِّ: هجر عوامِّ المسلمين للفِرق الضالَّة ١٩٨
فصل: الهجر السلبيِّ ١٩٩
فصل: الابتداع في العقيدة ٢٠١
فصل: الابتداع في الأمور الفرعية ٢٠٤
فصل: في المنكَر ٢٠٤
القرآن الكريم يسند أشياء إلى أسبابها، مع أنها خاصَّةٌ بالله تعالى وأمثلة على ذلك ٢٠٦

فصل: الحكم على المُنكَر..... ٢٠٧
فصل: في الجهاد ضد المُنكَر..... ٢٠٩
فصل: في معنى الهَجْر..... ٢١٠
فصل: الإسراف في معنى الهَجْر..... ٢١٤
ليس في المالكية معتزليٌّ ولا غيره من الفِرق الضالَّة، وهذا مما امتاز به المذهب المالكيُّ (ت)..... ٢١٤

٥- النَّفْحَةُ الذَّكِيةُ في أنَّ الهَجْرَ بِدْعَةٌ شِرْكِيَّةٌ

تمهيد..... ٢٢١
الصواب الذي ليس بعده إلَّا الخطأ حُرْمَةُ الهَجْر بجميع أنواعه، ولا يوجد هَجْرٌ مشروعٌ لأجل الدِّين ولا لغيره..... ٢٢٢
الهَجْر من فعل المشركين وأمثلة على ذلك..... ٢٢٤
فصل: ما ابتدعه المشركون أعداء الله لا يمكن أن يُشَرِّعه الله لأوليائه المؤمنين..... ٢٣٢
بيان كلام أبي داود رحمه الله في سننه عن هَجْر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعض نسائه أربعين يومًا..... ٢٣٣
فصل: تحريم هجر المسلم للمسلم له أسبابٌ وحِكَمٌ..... ٢٣٥
فصل: أنواع العقوبات التي فرضها الشارع..... ٢٤١
فصل: في بيان أنَّ الهجر ليس من التعزير في شيءٍ، وخطأ الاستدلال بقصة كعبٍ وصاحِبَيه..... ٢٤٦

الحِكْمَة في تخصيص كعبٍ وصاحِبَيه بتوقيف توبتهم حتَّىٰ ينزل الوحي بقبولها.....٢٤٨
فصل: في استعمال سيِّدنا عمر رضي الله عنه للهَجْر.....٢٤٩
فصل: تصيَّد وهابيٌّ مُتزمِّتٌ أحاديث توهم أنها تفيد مشروعية الهَجر الدائم.....٢٥١
استشكال حول كون هجران الفاسق أو المبتدع مشروعًا، ولا يشرع هجران الكافر وهو أشد جرمًا منهما والجواب عليه.....٢٥٨
الخلاصة: أنه لا يوجد دليلٌ مِن الكتاب أو السُّنَّة الصحيحة يفيد جواز هجر العاصي أو المُبتدِع، وإنما يوجد الحديث المتواتر الذي يفيد أنَّ الهجر كبيرةٌ يوجب دخول النار، وأنه لا يجوز إلَّا لمدَّة ثلاثة أيام، علىٰ سبيل الرخصة، سواء أكان للدِّين أم للدُّنيا.....٢٥٩
مسائل تؤكِّد تحريم الهجر في الإسلام تحريمًا قاطعًا، وتُبيِّن خطيئة مَن زَعَمَ مشروعيته.....٢٦٠
في علماء المسلمين مُبتدِعةٌ كثيرون ولم يقل أحدٌ مِن العلماء بهجر هؤلاء المبتدعة ومقاطعتهم؛ لأن الهَجْر ليس من الدين.....٢٦٣
فصل: في معنىٰ البُغض في الله.....٢٦٩
لو وجب بُغض الكفَّار لما جاز أن يقاس عليهم المسلم العاصي أو المبتدِع في وجوب بُغضه.....٢٧١
يحرم هَجْر المسلم العاصي أو المبتدِع وبغضه ولعنه ومقاطعته، ومَن فعل شيئًا

في ذلك فقد أتىٰ كبيرةً مِن الكبائر..... ٢٧٦
تتمَّة فيها مسائل..... ٢٨٥

٦- قَمْعُ الأَشْرَارِ عن جَريمَةِ الانْتحَارِ

مقدِّمة..... ٢٩٥
سبب تأليف الرِّسالة..... ٢٩٥
الباب الأول: في النهي عن الانتحار وما جاء من الوعيد في فعله..... ٢٩٧
فصل: مَن قتل نفسه بشيءٍ عُذِّب به يوم القيامة..... ٣٠٢
حُكْم مَن حلف بملَّةٍ غير الإسلام (ت)..... ٣٠٣
فصل: الانتحار كبيرةٌ، بل من أكبر الكبائر..... ٣٠٦
حُكْم المنتحِر مهدر الدم..... ٣٠٧
فتوىٰ عزِّ الدين فيمن قتل نَفْسِهِ إذا علم أنه أتىٰ ما يوجب القتل أو يستحب أو يحرم..... ٣٠٧
فصل: هل مَن قتل نفسه يُخلَّد في النار..... ٣٠٨
الردُّ علىٰ المعتزله في دعواهم أنَّ مُرتَكِبَ الكبيرة يَخْلُد في النَّار (ت)..... ٣٠٨
الجواب علىٰ حديث أبي هريرة: «**خالِدًا مُخلَّدًا فيها أبدًا**» من وجوه..... ٣١٣
الجواب علىٰ حديث جُنْدب بن عبدالله: «**حَرَّمْتُ عليه الجنَّة**» من وجوه أيضًا..... ٣١٥
فصل: في استشكل ابن دقيق العيد وغيره قوله في حديث جُنْدُبٍ: «**بادَرني عبدي بنَفْسِهِ**» فإنه يقتضي أن قاتل نَفْسِهِ لو لم يفعل كان قد تأخَّر أجله وعاش

لكنه بادر فتقدَّم، والجواب عليه بجوابين..... ٣١٧
تنبيه: في معنى القضاء والقَدَر والفرق بينهما وبعض ما يتعلَّق بهما (ت) .. ٣١٧
الباب الثاني: في حكم الصلاة على قاتل نفسه..... ٣٢١
تحرم الصلاة على غير المسلم، وبيان خطأ ما شاع استعماله في الجرائد المصرية من وصف موتى المسيحين وغيرهم من الكفَّار والمُلحدين بالمرحوم الخواجه فلان، أو المغفور له الخواجه فلان (ت)..... ٣٢٣
إجماع العلماء من الصحابة والتابعين على أنَّ مُرتكِب الكبيرة يُصلَّى عليه .. ٣٢٤
امتناع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من الصلاة على الرجل الذي قتل نفسه أجاب عنه العلماء بأنَّ ذلك كان للتأديب وزجر الناس عن مِثل فِعْلِهِ..... ٣٢٥
خاتمة: في النهي عن تمنِّي الموت والدُّعاء به إلَّا إذا خاف أن يُفتَن في دينه.. ٣٢٧

٧- الرُّؤيا في الكِتابِ والسُّنَّة

تمهيد..... ٣٤١
مقدمةٌ تشتمل على مسائل..... ٣٤٣
المسألة الأولى: الفرق بين الرُّؤيا -بوزن فُعلى- و الرؤيه بالهاء..... ٣٤٣
المسألة الثانية: حقيقة الرُّؤيا..... ٣٤٤
تنبيه: حول بعض مَن أنكر الرُّؤيا..... ٣٤٥
المسالة الثالثة: اختُلِف في النائم المستغرِق هل تصح رؤياه أم لا ٣٤٦
المسألة الرابعة: ما يَصْدُق من الرُّؤيا وما يكذب..... ٣٤٧
أنواع الرُّؤيا..... ٣٤٩

أقسام الرُّؤيا الصحيحة..... ٣٥١
تنبيه: حول تعبير رؤيا الكافر أو الفاسق إذا كانت صالحة..... ٣٥١
المسألة الخامسة: الرؤيا الصادقة مِن الله، والحُلُم من الشيطان..... ٣٥٢
ماذا يفعل من رأىٰ رؤيا صالحة..... ٣٥٣
ماذا يفعل من رآىٰ رؤيا يكرهها، وبيان الحِكْمة من ذلك..... ٣٥٣
تنبيه: حول كيفية الاستعاذة إذا رأىٰ المسلم في منامه ما يكرهه..... ٣٥٥
المسألةالسادسة: الرؤيا الحَسَنةُ من الرجل الصالح جزءٌ من ستةٍ وأربعين جزءًا من النُّبوَّة..... ٣٥٦
رواية حديث: «ورؤيا المسلم جزءٌ من خمسٍ وأربعين جزءًا من النُّبوَّة» .. ٣٥٦
تنبيه: حول ثبوت لفظ: «من النُّبوَّة» في جميع طُرُق الحديث، ولم يأتِ في شيءٍ منها لفظ: «من الرسالة»..... ٣٥٨
كيف تكون الرؤيا جزءًا من النُّبوَّة، مع أنها خُتمت بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم؟! والجواب عليه من وجوه:..... ٣٥٨
المسألة السابعة: اختُلف في أجزاء النبوة التي أشار إليها الحديث، هل يمكن معرفتها؟..... ٣٦١
أجزاء النبوة كما ذكرها الحليميُّ حسب اجتهاده..... ٣٦٣
المسألة الثامنة: «لم يبقَ من النبوة إلَّا المُبشِّرات»..... ٣٦٧
المسألة التاسعة: قال: رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم «مَن رآني في المنامِ فسَيَراني في اليقظةِ، ولا يَتمثَّل الشَّيطانُ بي»..... ٣٧٠

اختلف العلماء في تأويل الحديث على أقوالٍ..... ٣٧١
رؤياه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم تُعبَّر بحسب مايراه الرائي من زيادةٍ ونقصانٍ أو إساءةٍ أو إحسانٍ..... ٣٧٢
ذِكْر رؤيتين للشيخ محيي الدِّين بن العربي الحاتمي للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم تأييدًا لما قرَّره من أنَّ رؤيا على غير صورته الحقيقية لا يكون المرئي فيها ذاته الشريفة، بل ذلك المرئي صورة الشرع بالنسبة إلى اعتقاد الرائي أو حاله (ت)..... ٣٧٢
تنبيهات: الأول: حول زيادة لفظ: «ولا بالكَعْبَةِ» في قول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «مَن رآني في المَنامِ فسَيَراني في اليَقَظَةِ، ولا يَتَمَثَّل الشيطانُ بي ولا بالكَعْبَةِ»..... ٣٧٨
الثاني: حول قول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلّم: «مَن رآني في المنامِ فلن يدخلَ النَّار» ٣٧٨
الثالث: الفرق بين الرؤيا والإلهام، وكلام حول حُجِّيَّة الإلهام ٣٧٩
الرابع: حول حديث «اتقوا فِراسة المؤمن فإنَّه ينظرُ بنور الله» ٣٨٣
المسألة العاشرة: رؤيا الله تعالى في المنام..... ٣٨٣
ذكر بعض من نقل عنهم رؤية الله تعالى في المنام..... ٣٨٦
يرمز بعض الصوفية للحضرة الإلهية بليلى وسُعْدى ونُعْمى - بضم النون وسكون العين- ونحو ذلك من أسماء النِّساء وهو خطأٌ قبيحٌ لا عُذْر لهم فيه إلَّا أن يقال: أنه خرج منهم في حالة شطحٍ وعدم وعي؛ لأنَّ الحضرة الإلهية

أعلىٰ وأجلُّ مِن أن تكون موضع تغزُّل وتشبيب..... ٣٨٧
المسألة الحادية عشرة: أصدق الرؤيا بالأَسْحَار والسبب في ذلك ٣٨٩
أسرع الرؤيا تأويلًا بعد الأَسْحار رؤيا القيلولة..... ٣٨٩
المسألة الثانية عشرة : الكذب في الرُّؤيا..... ٣٩٠
لماذا اشتد الوعيد علىٰ الكذب في المنام؟..... ٣٩١
المسألة الثالثة عشرة: الرُّؤيا لِأَوَّل عَابرٍ..... ٣٩٣
المسألة الرابعة عشرة : مِن أدب الرَّائي..... ٣٩٥
تعبير الرؤيا عند صلاة الصبح أولىٰ من غيره من الأوقات لأسباب ٣٩٦
من أدب العابر..... ٣٩٧
المسألة الخامسة عشرة : علم تعبير الرؤيا أصله مأخوذٌ بالتوقيف..... ٣٩٧
يحرم أن يُفسِّر الرُّؤيا من لا علم له بها..... ٣٩٨
ذكر الأنبياء المنقول عنهم كلام في التعبير..... ٤٠٠
ذكر من كان يُجيد التعبير من الصحابة..... ٤٠١
ذكر من اشتهر بهذا العلم من التابعين والعلماء ٤٠٣
ذكر الكتب المُصنَّفه في هذا العلم بأنواعه الثلاثة..... ٤٠٤
تنبيه: كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يُعبِّر علىٰ الأسماء. يعني يُعبِّر اسم سالم بالسَّلامة، ورباح بالرِّبح، ونجاح بالنَّجاح، ويسار باليُسْر، وسَهْل بالسُّهو لة، وهكذا ٤٠٦
تعبير ابن سيرين لرؤيا رجلين علىٰ حسب حالهما ٤٠٧

تعبير بعض الرؤىٰ لأبي العباس المقدسيِّ المعروف بالشهاب العابر.....٤٠٧
المسألة السادسة عشرة: أول رؤيا كانت في الأرض.....٤٠٩
ما جاء في القرآن من الرُّؤيا.....٤١١
الرؤيا الأولىٰ: رؤيا إبراهيم عليه السَّلام.....٤١١
بيان خطأ عبدالوهاب النجَّار في كتاب "قصص الأنبياء" حول كلامه عن المنامات عند الصالحين.....٤١١
الرؤيا الثانية: رؤيا يوسف عليه السَّلام.....٤١٣
تنبيهان: الأول: حول حديثٍ مُنكَرٍ عن النجوم التي رآها يوسف يسجدون له.....٤١٤
الثاني: حول مدَّة تحقق الرُّؤيا.....٤١٤
الرؤيا الثالثة: رؤيا صاحِبَي السِّجن.....٤١٥
الرؤيا الرابعة: رؤيا مَلِك مصر.....٤١٧
الرؤيا الخامسة: رؤيا النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يوم بدرٍ.....٤١٩
تنبيه: حول قوله الله تعالىٰ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾.....٤١٩
الرُّؤيا السادسة: رؤيا النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في الحديبية.....٤٢١
باب: ما جاء في السُّنَّة من الرُّؤيا.....٤٢٥
الفصل الأول: ما رآه النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.....٤٢٦
رؤيا اختصام الملأ الأعلىٰ.....٤٢٦

تنبيه: يستدل بعض غُلاة أهل السُّنَّة بحديث رؤيا الله في المنام على إمكان رؤيته تعالى في اليقظة وهو خطأ..... ٤٣٢
استشكال: حول قول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «فأوَّلتهما كذَّابين يخرجان بعدي أحدهما الأسود العَنْسِيُّ، والآخر مُسَيلِمَةُ» لأنَّ الأسود العَنْسِيَّ ادَّعى النبوة في حياة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، والجواب عليه..... ٤٣٨
تنبيه: في الكلام على حديث سَمُرَةَ بن جُنْدُبٍ: أنَّ رجلًا قال: يا رسول الله، رأيت كأنَّ دَلْوًا دُلِّيَ من السماء... الحديث..... ٤٤١
ذكر رؤيا النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لعذاب بعض العصاة مِن أُمَّته .. ٤٤٣
يحْرُم على المرأة أن تمنع طفلها الرضيع مِن لَبِنها (ت) ٤٤٩
رؤيا النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لفضل بعض الأعمال الصالحة ٤٦٢
الفصل الثاني: فيما رآه الصحابة في العهد النبويِّ..... ٤٧١
تنبيه: حول استشكال إثبات الأذان برؤيا عبدالله بن زيدٍ؛ ورؤيا غير الأنبياء لا يثبت بها حكمٌ شرعيٌّ لأنها ليست بوحيٍ..... ٤٧٣
الفصل الثالث: فيما رآه الصحابة بعد العهد النبويِّ..... ٤٩٨
من عجيب زجر الطير (ت)..... ٥٠٧
خاتمة: في ذكر بعض مبشِّرات رُؤي فيها النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.. ٥١٠
تنبيهات: الأول: زعم بعض المعاصرين أنَّ وصف «الأمِّي» الذي وُصِف به النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في القرآن والسُّنَّة، ليس معناه عدم القراءة والكتابة لكنه نسبة إلى الأمم..... ٥٣٠

تأويل الأمِّي بهذا المعنى لا يُعرف في اللغة العربية وهو يؤيد قول المستشرقين الذين يزعمون أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان كاتبًا قارئًا (ت)... ٥٣٠
الثاني: حديث سهل بن الحنظلية الذي عزاه الحافظ إلى ابن أبي شيبة وعمر بن شبة، رواه أبو داود في سننه، لكن ليس فيه اللفظ المستدَل به، فلذلك لم يعزه إليه..... ٥٣١
الثالث: قول عُيَيْنَة بن حصن: «كصحيفة المُتَلَمِّس» هذا مَثَلٌ يضربه العرب لمن حمل شيئا فيه هلاكه وهو لا يشعر..... ٥٣١
الرابع: حديث سهل بن الحنظلية أصح حديث جاء فيه كتابة معاوية للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ولم يثبت أنه كتب شيئًا من القرآن..... ٥٣١
الخامس: حول رؤيا فيها دفاع عن كتاب "الإحياء" للغزاليِّ ٥٣٣
قاعدة عظيمة في التعبير..... ٥٣٥
فهرس الموضوعات..... ٥٤٥

موسوعة

العلامة المحدث المتفنن

سيدي الشريف عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري الحسني

(١٣٢٨ - ١٤١٣هـ) رحمه الله تعالى

قدم لها

الشريف الدكتور

عبد المنعم بن عبد العزيز بن الصديق

إشراف

الدكتور محمود سعيد بن محمد ممدوح

المجلد الثالث عشر

الأدب والمتفرقات

خواطر دينية (١-٢)

موسوعة

العلامة المحدث المتفنن

سيدي الشريف عبد الله بن محمد الصديق الغماري الحسني

(١٣٢٨ - ١٤١٣هـ) رحمه الله تعالى

(١٣)

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية
عام / ١٤٣٨

قام بطباعتها وإخراجها: مركز البحوث والدِّراسات
بكُليَّة الصَّفا الإسلاميَّة بماليزيا

يطلب من:

دار السَّلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

جمهورية مصر العربية: القاهرة – الإسكندرية.
الإدارة: القاهرة ٤٠ شارع أحمد أبو العلا – المتفرِّع من شارع نور الدين بهجت – الموازي لامتداد شارع مكرم عبيد – مدينة نصر.
هاتف: ٢٢٨٧٣٢٤٦ - ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ (٢٠٢+)
فاكس: ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢+)
البريد الإلكتروني: info@dar-alsalam.com
موقعنا على الإنترنت: www.dar-alsalam.com

المجلد الثالث عشر: الأدب والمتفرِّقات

ويحتوي على:

١- خواطر دينية الجزء الأول.

٢- خواطر دينية الجزءالثاني.

١ - خواطـر دينيـة

الجزء الأول

هَـــــذِي خَـــــوِاطِرُ دِينيَـــــه جـــــاءت بفَضْـــــلِ إلهِيَـــــهْ
وفوائـــــــــدٌ حَرَّرتُهـــــــــا وبُحُـــــوثُ عِلْـــــمٍ عَالِيَـــــهْ
بقَرِيحَتِـــــــــي اسْـــــــــتَنْبَطْتُها فبَـــــدَتْ جَـــــوَاهِر غَالِيَـــــهْ
وبَسَـــــــــطْتُها بعِبَـــــــــارَتِي فغَـــــدَتْ قُطُوفًـــــا دَانِيَـــــهْ
خُـــــذْها إليـــــك بهِمَّـــــةٍ واطْلُـــــبْ لي مَحْـــــوَ ذُنوبِيَـــــهْ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، قيوم السَّموات والأرضين، والصَّلاة والسَّلام على نبيِّه الصادق الأمين، سيِّدنا محمَّدٍ وآله الأكرمين، ورضي اللهُ عن صحابته والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدِّين، وبعد:

فهذه ورقات كتبت فيها ما سنحَ لي من بحوثٍ تتعلَّق بآياتٍ من كتاب الله تعالى، وأحاديث نبويَّة، وغير ذلك من المسائل العلميَّة، واعتمدت فيها على حفظِي وفهمِي، إذْ لم يكن لدي حين كتابتها مرجع علمي يُرجَع إليه، إلَّا تفسير الجلالينِ.

وسيجد القارئ فيها تحقيقات نفيسة وُفِّقت إليها، وحلًّا لإشكال في بعض الآياتِ لم يهتدِ كثير من المفسِّرين إلى حَلِّه، واستنباطات ما سُبقت إليْها، ولا غُلبت بفضل الله عليْها. ولم أراع فيها التَّنسيق والتَّرتيب لأنِّي أردت أن أسجِّل ما جال بفكري من تلك المسائل كما اتَّفق. وافتتحتها برسالةٍ في معنى الإيمان المنجي يوم القيامة، لأثبتَ عقيدتي الَّتي هي عقيدة الفرقة النَّاجية، تأسيًّا بمن فعل ذلك من العلماء قبلي. ولأنِّي رأيت كثيرًا من المسلمين في هذا العصر لا يفهمون معنى الإيمان حقَّ الفهم، فيغلطون في بعضِ أركانه غلطًا يؤدِّي إلى خدشٍ في عقيدتهم وهم لا يشعرونَ، وفي ذلك خطرٌ كبير لو يعلمونَ.

واللهَ أسأل وبنبيِّه إليه أتوسَّل أن يُسدِّدني ويوفِّقني ويُعجِّل بتفريجِ كربتي، إنَّه قريبٌ مجيبٌ.

أركان الإيمان المنجي يوم القيامة

الحمدُ لله المتفرِّد بالعظمة والكبرياء، المنزَّه عن الأنداد والشُّركاء، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّدٍ سيد الأنبياء، ورضي الله عن آله وأصحابه السَّادات الأتقياء.

هذه كلمات تُبيِّن أركان الإيمان المُنجي يوم القيامة عند الله تعالى، وهي ستَّة:

١- الإيمان بالله سبحانه:

يجب على المكلَّف ذكرًا أو أنثى أن يعتقد بقلبه اعتقادًا جازمًا لا يخالطه شيءٌ من الشَّكِّ أو التَّردد بأنَّ الله إله واحدٌ أحد فرد صمد، لم يلدْ ولم يولد ولم يكنْ له كفوًا أحد. ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

تنزَّه عن النقائص والآفات، وتعالى عن سمات المُحدَثات، لا يمرُّ عليه زمانٌ، ولا يحويه مكانٌ؛ هو الأول بلا بداية، والآخر بلا نهايةٍ، كان ولا مكان ولا زمان، وهو الآن على ما عليه كان.

ثم أوجد المخلوقاتِ كلَّها من غير احتياجٍ إليها، ولو شاء سبحانه ما أوجدها، كلُّ ما سِواه فقيرٌ إليه، وهو الغنيُّ الحميد.

لا تنفعُه طاعةٌ ولا تضرُّه معصيةٌ، ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧].

لا يقع في مُلْكِه إلَّا ما يُريد، فلا إيمان ولا فكر، ولا طاعة ولا معصية، ولا مصيبة كبرتْ أو صغرتْ، ولا نعمة دقَّت أو جلَّت، إلا بإرادتِه ومشيئتِه، ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣] ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ

أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحديد: ٢٢]، ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [الرحمن: ٢٩].

يهدِي ويُضِلُّ، ويُعزُّ ويُذلُّ، ويُشْقِي ويُسْعِد، ويُقرِّب ويبعدُ، ويُعطي ويَمنع، ويَضرُّ وينفع، ويخفض ويرفع، لا ملجأَ منه إلَّا إليه، ولا اعتمادَ إلَّا عليه، حيٌّ قيومٌ، لا تأخذه سِنةٌ ولا نوم.

تفرَّد بالبقاء، وكتب على خَلْقِه الفناء، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص: ٨٨].

أحاط بكلِّ شيءٍ عِلْمًا، وأحصى كلَّ شيءٍ عددًا، ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ ﴾ [غافر: ١٩].

ويطلع على مكنونات الضَّمائر، ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [يونس: ٦١].

وسع سمعه الأصوات، وعمَّ بصره الموجودات، ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴾ [الرعد: ١٠].

قدرته عامَّةٌ، وإرادته شاملةٌ، وحكمه نافذٌ، ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴾ [طه: ٦]، ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [الرعد: ٤١].

لا إلَه إلا هو، له الأسماء الحُسْنَىٰ والصِّفات العُلَىٰ، وَسِعَتْ رحمته، وعمَّتْ نعمته، وتوالىٰ علىٰ عباده جوده وفضلُه، بيده الملك والملكوت، وهو ربُّ العزَّة والجبروت، يجيب المضطر إذا دعاه، ويقبل التَّوبة ممن عصاه، لا يحفيه سؤال سائل، ولا يثقل عليه إنالة نائل، ولا يشغلُه شأنٌ عن شأنٍ آخر من الشُّئون، ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٨٢ - ٨٣].

٢- الإيمان بالملائكة:

وأنَّ الملائكة عباد مُكْرَمون، ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]مخلوقون من نور، ﴿أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [فاطر: ١] لا يوصفون بذكورة ولا بأنوثةٍ، لا يأكلون ولا يشربونَ ولا ينامونَ ولا يتناكحونَ ولا يتناسلونَ، ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠] منهم جبريلُ، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت ومالك خازن النَّار، ومنهم حملةُ العرشِ، والحافُّون حوله، وسكَّان السموات، وخزنة الجنَّةِ، وخزنة النَّار، والكرام الكاتِبون والحفظة للإنسانِ، ومنهم غير ذلك، وكُلُّهم رسل معصومينَ، قال الله تعالىٰ: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ [فاطر: ١] وليس فيهم عوامٌّ، بل كلهم خواص. وفيهم فاضل وأفضل، وهم أفضلُ من البشر جميعًا إلا الأنبياءَ، ومن قال خلاف هذا بأن فضل عليهم بعض الصَّحابة أخطأ خطأ فاحشًا، وقد أعطىٰ الله للملك منهم القدرة علىٰ الأعمال العظيمةِ التي لا يستطيعها الإنسُ والجنُّ مجتمعينَ.

٣- الإيمان بالرسل:

إنَّ الله تعالى رحمة بعباده أرسل إليهم رسلًا منهم، اختارهم من أشرف العناصر وأكرم القبائل، مطهرين من سيئِ الأخلاقِ ورذائل الأعمالِ، معصومينَ منذ نشأتهم من الكذب والخيانة وسائر المعاصي، جاءوا يدعون النَّاس إلى توحيد الله وعبادته، وأيَّدهم بالمعجزات الدالَّة على صِدْقهم فيما يقولون.

إذْ مُعْجِزَاتِهِمْ كقَوْلِهِ وَبَرْ صَدَقَ هذا العَبْدُ في كُلِّ خَبَرْ

وأهلك مكذبيهم بأنواع من العذاب، وهم كثيرون، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨] والمذكور منهم في القرآن: آدم، إدريس، نوح، هود، صالح، إبراهيم، لوط، إسماعيل، إسحاق، يعقوبُ، يوسف، شعيب، موسى، هارون، يونس، أيوب، اليسع، إلياس، داود، سليمان، زكريا، يحيى، عيسى، ذو الكفل، محمد صلى الله عليهم جميعًا.

وثبت في حديث أنَّهم ثلاثمائة وبضعة عشر، وأنَّ الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا، والنَّبيُّ من ليس له شريعة أو ليس له كتاب، والإيمان بهم جميعًا واجبٌ، فمن لم يؤمن بواحدٍ منهم فهو كافرٌ مخلَّدٌ في النَّار أبدًا.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء: ١٥٠ - ١٥١].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ [الأحزاب: ٦٤ - ٦٥].

وليس فيهم امرأة، ومن ذكر في الأنبياء بعض النِّساء مثل أمِّ موسى وأمِّ عيسى استنادًا إلى أنه أُوحي إليهما وَهِم في ذلك؛ لأنَّ ما أوحي إليهما إنما هو بشارة ووعد بخير، ومثل هذا يحصل للصالحين، كما صحَّ أن عمرانَ بن حصين كانت الملائكة تسلِّمُ عليه. وقد قال الله تعالى في مريم: ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة: ٧٥] وهو نصٌّ في أنها غير نبية.

ثمَّ إن الرسل والأنبياء تجري عليهم الأعراض البشريَّة من أكل ومقتضياته، ومعاملة بالتِّجارة وما شابهها، ومرض غير منفِّر، وما يحكى عن مرضِ أيوب -عليه السلام- تشويهات إسرائيليَّة، يتنزَّه منصب النبوة عنها.

وأفضل الرُّسل نبينا صلى الله عليه وآله وسلم، يليه إبراهيمُ عليه السلام، يليه موسى[1] عليه السلام، يليه عيسى عليه السلام، يليه نوح عليه السلام.

وهؤلاء هم أولو العزم من الرُّسل، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧].

وقال سبحانه: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

ومما يجب اعتقادُه أيضًا ويكفر منكره، لوُرودِه في القرآن الكريم؛ أنَّ الله

---

(١) يلي هؤلاء الثلاثة الملائكة؛ فهم أفضل من عيسى ونوح وبقية الرسل عليهم جميعًا صلوات الله.

اتخذ إبراهيم خليلًا، وكلَّم موسىٰ تكليمًا، وأنَّ عيسىٰ لم يُقتَل ولم يُصلَب بل رفعَه الله إليه، وأنَّ نبيَّنا محمدًا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم رسولٌ إلىٰ العالمين الإنس والجنِّ، وأنَّه خاتم النَّبيينَ، قال الله تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]. وقال سبحانه: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وأنَّ الإسلام هو دين الله في الأرض، ولا دينَ لله سواه، وأنَّ معتنق غيره من الأديانِ كافرٌ؛ لا يقبل الله منه عملًا، وأنَّ مصيرَه إلىٰ النَّار.

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقد سمَّىٰ الله أهل الكتاب -وهم اليهود والنصارىٰ- كفارًا في سورة البقرة والنِّساء والحشر والبيِّنة وغيرها، وكُفرهم واضحٌ لا خفاءَ فيه.

٤- الإيمان بالكتب:

وأنَّ الله تعالىٰ أنزل كتبًا وصحفًا، ذكر منها صحف إبراهيم وموسىٰ، والتَّوراة أنزلها علىٰ موسىٰ، والزَّبور علىٰ داود، والإنجيل علىٰ عيسىٰ، والقرآن ختامُ الكتب السَّماوية وأفضلها والمهيمن عليها، سمَّاه الله كتابًا وذكرًا وحكيمًا وهدًىٰ ونورًا وشفاءً ورحمةً وروحًا وتنزيلًا، إلىٰ غير ذلك من الأسماء، وذلك

دليل على علو قدره، وقد تحدى الله به الإنسِ والجن وأخبر أنهم لا يستطيعونَ أن يأتوا بمثله ولو كان بعضُهم لبعض ظهيرًا، وهو معجز من جهة نظمه وأسلوبه وروعته التي تأخذ القلوبَ، وباستطراداته البديعة، وبما فيه من الأحكام التشريعيَّة، والأخبار الوعظيَّة، والحقائق العلميَّة، وغير ذلك مما لاستقصائه موضعٌ غير هذا.

٥- الإيمان باليوم الآخر:

وأنَّ الخلق بعد فنائهم مبعوثون فمحشورونَ للعرضِ على الله، في يوم كان مقدارُه خمسين ألف سنة، وهو يوم عسير على الكافرينَ، يسيرُ على المؤمنين، هناك يعطى كل واحد كتاب أعمالِه، يقرأه بنفسه قارئًا كان أو غير قارئ، فيجد فيه ما فعله منذ بلوغه إلى وَفاته من خير وشرٍّ ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩] والمؤمنُ يأخذ كتابه بيمينه، والكافرُ يأخذُه بشماله من وراء ظهرِه.

وتوزن الأعمالُ في ميزان له لسان وكفتان، فمن ثقلت موازينه بأن رجحتْ حسناته فاز وربح، ومن خفَّت موازينه بأن رجحت سيئاتُه خسر وهلَك، ويمرُّ الناس على الصِّراط -وهو على متن جهنم- فناج مسلم، ومخدوش مكردس، في ذلك اليوم العظيمِ الهول ﴿يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤ - ٣٧]، في ذلك اليوم يتفرَّق الناس، فأصحابُ اليمين إلى الجنَّة، وأصحابُ الشِّمال إلى النَّار.

وقد وصف القرآن الكريم بإفاضة وإسهابٍ هولَ يوم القيامة وما يحصُلُ

فيه، كما وصف النَّار وأنواع عذابها، وحذَّر منها، ووصف الجنَّة ونعيمها، وشوق إليها، نسألُ الله أن يجعلنا من أهلها من غير سابقةِ عذاب.

وأصحابُ الجنَّة خالدون فيها أبدًا، وأصحاب النَّار خالدون فيها أبدًا، أما عصاة المؤمنين الذين لم يتوبوا، أو لم تقبل توبتُهم فيعذبون في النَّار بقدر عصيانهم ثم يخرجون منها إلى الجنَّة بشفاعة النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، أو الملائكة، أو بعض إخوانهم المؤمنينَ، أو بمُجرَّد رحمة الله سبحانه وتعالى، ومن عُصاة المؤمنين مَنْ لا يدخل النَّار أصلًا، بشفاعة النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، أو بعفوِ الله سبحانه وتعالَى.

ومِنَ الدَّليل على أنَّ عصاة المؤمنين لا يخلَّدون في النَّار، قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧] أي: يرى ثوابه، ولا شَكَّ أن الإيمانَ خير، بل هو أصلُ الخير، فالمؤمن العاصي لابد أن يخرج من النَّار، ليرى ثوابَ إيمانه، ولا يجوز العكسُ، لأنَّ من يدخل الجنة لا يخرج منها، قال الله تعالى: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨].

والدَّوابُّ والطير وسائر العجماوات محشورة، لقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨] ليقتصَّ لها من بعضها لبعض، كما صحَّ في الحديث: «**لتُؤدَّنَّ الحقوقُ إلى أهلها يومَ القِيامَةِ حتَّى إنَّه ليُقادُ للشَّاة الجَمَّاء مِن الشَّاة القَرْناءِ**». أي تُعطى قرونًا تنطحها عليها بها كما نطحتها القَرْناء في الدنيا، وليقتصَّ لها من الإنسان الذي قَسَا عليها بضرب، أو حمَّلها ما لا تطيق، أو

قتلها ولم تكن مما أذن في قتلها، وبعد انتهاء القصاص يقال لها: كوني ترابًا فتكون. فهناك يقول الكافر: يا ليتني كنت ترابًا.

ومَنْ زعم أن بعض الحيواناتِ مثل ناقة صالح، وكبش إسماعيل، وكلب أهل الكهف، يدخل الجنَّة، وَهِمَ وهمًا شنيعًا، وقال ما لا دليلَ عليه[1].

(تنبيهٌ): الجن مثل الإنس فيما تقدم، فكافرهم يخلَّدُ في النَّار، وعاصيهم لا يُخلَّدُ فيها، ومؤمنهم يدخل الجنة؛ لأنَّهم مكلَّفون مثلنا وفي (سورة الرحمن) وجه الخطاب إليهم مع الإنس مقترنينَ في الإنذار بالنَّار وعذابها، والبِشارة بالجنَّة ونعيمها.

وإلى هذا ذهب الأئمَّة الثلاثة والجمهور، ونسبَ إلى أبي حنيفة أن مؤمني الجنِّ لا يدخلون الجنَّةَ، وأنَّ جزاءَهم أن يجاروا من النَّار ثم يصيرون ترابًا، وهذا القول يخالف القرآن الكريم وقواعد الشَّريعةِ.

٦- الإيمان بالقدر:

وأنَّ القدر كله، خيره وشره، حلوه ومره، واقعٌ بإذن الله تعالى حسبما سبقَ في علمه القديم، قال تعالى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾ [التوبة: ٥١].

وقال سبحانه: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ﴾ [الحديد: ٢٢].

---

(١) للشيخ حسن الجبرتي شعر في الحيوانات التي تدخل الجنة، ذكره ابنه الشيخ عبدالرحمن في ترجمته من "عجائب الآثار"، وجاء في حديث موضوع أن ذئبًا يدخل الجنة، لأنه أكل ابن شرطي.

وقال النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في وصيته لابن عبَّاسٍ: «**اعلم أنَّ ما أخطأك لم يكن ليُصيبك وأنَّ ما أصابك لم يكن ليُخطئك**».

ولا ينفعُ الاحتجاج به في دفع عقاب المعصيةِ، فقد حكىٰ الله عن الكفار في (سورة الأنعام) و(النَّحل) وغيرهما أنهم يحتجون لكفرهم بالقدرِ، لكن لم يقبل منهم، لأنَّ الله تعالىٰ أرسل الرُّسلَ، وأنزل الكتب، وبيَّن طريق الشرِّ، فلم يبقَ للمكلَّف حُجَّةٌ يحتجُّ بها، والقَدَر غَيبٌ لا يُعلَم إلَّا بعد وقوعِه، والمكلَّف يعاقب علىٰ إقدامِه علىٰ الشَّرِّ باختياره قبل أن يعرف أنه مقدرٌ عليه، فلا تكونُ المعرفةُ اللَّاحقة ذات أثر رجعيٍّ يبطل العقاب علىٰ الإقدام السَّابق.

كذلك لا يجوز ترك العمل النَّافع في الدين والدنيا اتِّكالًا علىٰ أنَّ ما قُدِّر لابد أنَّ يكون، ومن فعل ذلك يكون مفرِّطًا آثمًا.

وسر القَدَر مما اختصَّ الله بعلمِه، لم يُطْلِع عليه أحد من خَلْقِه، وإنَّما يُطْلِعهم عليه بعد دخول الجنَّة، فهناك فقط ينكشفُ لهم الحجاب عما كان منه خفيًّا.

والكلام في القَدَر اشتغالٌ بما لا يعني، والاحتجاج به عَجْزٌ وسَفَه، والاتكال عليه تفريطٌ وإهمال، فعلىٰ المؤمن أن يسير علىٰ هدي الحديث الذي رواه مسلمٌ في "صحيحه" عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، قال: «**المؤمن القويُّ خير وأحب إلى الله من المؤمن الضَّعيف وفي كلٍّ خير، احرصْ على ما ينفعك واستعن بالله ولا تَعْجَز، وإن أصابك شيء فلَا تقل: لو أنِّي فعلت كان كذا ولكن قل: قَدَّر الله، وما شاء فعل، فإن «لو» تفتح عمل الشَّيطان**».

فهذا الحديث يوجب عليك العملَ والحرصَ علىٰ ما ينفعك، وينهاك عن

العَجْز والكسل، فإذا فعلت ذلك وجانبت الكسل والتَّفريط، ثم أصابك إخفاقٌ مثلًا، فذاك مرجعه إلى القَدَر، لا إليكَ، فلا تحاول أن تُتعبَ نفسك وفكرك بقولك: «لو فعلت كذا، كان كذا». فتلك محاولةٌ من وسوسة الشَّيطان وإيحائه، ليحزنك، فلا تصغ إليه، ولكن قل: «هذا قَدَر الله، وما شاء فعل».

وهكذا يجب على المؤمن إذا أصابَه شيءٌ خارج عن إرادتِه، غير ناشئ عن تفريطٍ منه، أن يردَّه إلى قضاءِ الله وقدره، فبذلك يطمئنُّ قلبه، وتهدأ نفسُه، ويستريحُ بالُه.

هذه أركان الإيمان المنجي عند الله تعالى، ذكرتها ملخَّصةً مبسوطةً، خاليةً من المصطلحات العلميَّة والمسائل الخلافيَّة ليسهل فهمها على النَّاس بشتى مستوياتِهم، فاعرض إيمانَك عليها، فإن وجدتَه مطابقًا لها فتمسك به واحمد الله عليه، وإن وجدتَ فيه مخالفة لها، أو لبعضِها، فصحِّح إيمانك وعقيدتك، فبغير هذه الأركان، لا يَصِحُّ إيمان.

والله المسئول أن يقبل هذا العمل، ويجعله سببًا في التَّعجيل بتفريج كربتنا التي لا يفرِّجها غيره، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله العليِّ العظيم.

تلازم أركان الإيمان

وهذه الأركان متلازمة شرعًا، بمعنى أنَّ الإيمان ببعضها يستلزم الإيمان بسائرِها، وإذا وجدت القرآنَ اقتصر على بعضها، فليس لأنَّه يكفي في الإيمانِ كما فهم بعض المعاصرين خطأ، بل لأنَّه يستلزم بقية الأركان في عُرفِ الشَّرع، فقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ

بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٦٢].

فهم منه بعض النَّاس أن الإيمان بالله واليوم الآخر يكفي في النَّجاة، ولا يشترط الإيمان بالرسل، وحاول أن يصدرَ بذلك فتوىٰ من الأزهر، ليَبني عليها ما كان يَرْمي إليه من توحيد بين الأديان الثلاثة، لكنَّه عُورض معارضة شديدة ردَّته عما كان يريدُ.

وذلك الفهم منه يدل علىٰ أنه لم يَخْبُر قواعد الشَّرع، ولا عرفَ أسلوب القرآن الكريمِ، ولو تأمَّل وأمْعن لأدرك أنَّ الآيةَ الكريمة سلكت أسلوب الاكتفاءِ، وهو من فنون اللغة العربيَّة، ذلك أنَّ الإيمانَ بالله واليوم الآخر يستلزمُ الإيمان بالرُّسل وببقية الأركان، لأنَّنا لم نعرفهما إلا عن طريق الرُّسل، فالإيمان بهما ملزوم، والإيمان بالرسل لازم، ولا يعقل وجودُ ملزوم بدون لازمه.

ثم إنَّ الإيمان بالرسول الواحد يستلزمُ الإيمان بجميعهم، كما أنَّ تكذيب واحد منهم تكذيب لجميعهم، يدل علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء: ١٠٥]، ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء: ١٢٣] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء: ١٤١]، ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء: ١٦٠]، ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء: ١٧٦]، مع أنَّ كلَّ قوم من هؤلاء كذبوا رسولهم فقطْ، فدلَّ علىٰ أن تكذيب رسول تكذيب للجميع.

ثم إنَّ الآية مع هذا ذكرت وصفًا يستلزم شرعًا الإيمان بجميع الرسل

أيضًا، وهو قوله تعالىٰ: ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [القصص: ٦٧]، والعمل الصالح يختلف باختلاف شرائع الرُّسل، قال تعالىٰ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

فرُبَّ عمل صالح في شريعة يكون محرمًا في شريعة بعدها، كما يُعلم بالموازنة بين شرائع الأديانِ السَّماوية، إذنٌ فسبيل من يريد النَّجاة من اليهود والنَّصارىٰ وغيرهم أن يؤمن بجميع الرسل، ويعمل صالحًا في شريعة الإسلام.

والدَّليل علىٰ ما قدمناه قوله تعالىٰ: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].

أخذت الآية بأنَّ أهل الكتاب –وهم اليهود والنصارىٰ– لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، لماذا؟ لأنَّ اليهود لا يؤمنون بعيسىٰ ومحمَّد عليهما السلام، والنَّصارىٰ لا يؤمنون بمحمَّدٍ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فصحَّ نفي الإيمان بالله واليوم الآخر في حقِّهم شرعًا، لانتفاء لازمه، ولا تُعتبر دعواهم بلسانِهم، لأنَّ الحقائق الشرعية يرجع فيها إلىٰ عُرف الشَّرع.

وهذا كما لو صلَّىٰ أحد بدون وضوء مثلًا، فإنَّ الشَّرع لا يعتدُّ بصلاته تلك ويعدها باطلة، وإن كان هو في الواقع قد فعل أفعال الصَّلاة من قيام وقراءة وركوعٍ وسجود، ومن القواعد المقرَّرة: «أنَّ المفقود شرعًا كالمفقود حسًّا»، وهذا واضح لا خفاءَ فيه.

لكن بعض المعاصرين زعمَ أنَّ الآية سلكت سبيلَ المبالغة، وهذا زعمٌ باطلٌ يدل على ضعف صاحبه في فهم القرآن الكريمِ، وخُلو وِفاضه من قواعِدِ علم الشَّريعةِ، والدَّليل عليه أمور:

الأوَّل: أنَّ الآية أمرت بقتال أهل الكتاب حتَّى يعطوا الجِزية، ففيها وجوب قتالهم، وأخذ الجزية منهم، والأحكام الشَّرعية لا تنبني على المبالغة.

الثاني: أنَّ الله لم يكن ليُبيح دماء أهل الكتاب وأموالهم، بناءً على مبالغة يَصِفهم بها، فلولا أنهم يستحقُّون ذلك بوصفهم المذكور ما أمرَ به.

الثالثُ: أنَّ الآية وصفتهم بأنهم لا يُحرِّمون ما حرَّم الله ورسولُه، أي كالخمر والخنزير، وهذا حقٌّ لا مبالغة فيه، وبأنهم لا يدينونَ دين الحقِّ، أي الإسلام، وهذا أيضًا حقٌّ لا مبالغةَ فيه.

الرَّابع: أنَّ المبالغة من أصلها غير موجودةٍ في كلام الله ورسوله؛ لأنَّها كذبٌ، نبَّه عليه ابن القيِّم في كتاب "الفوائد".

الخامس: وهو منشأ غلطه في فهم الآية؛ أنه اغترَّ بقول أهل الكتاب أنَّهم يؤمنون بالله واليوم الآخر، فاعتبر نفيه عنهم في الآية من قبل المبالغة تحريضًا على قتالهم، لكنه غفل عن أشياء:

أحدها: فقدانهم لبعض أركان الإيمان كما سبق بيانُه.

ثانيها: أن ذلك أفقدهم حقيقة الإيمان الشَّرعية، وإن ادَّعوها بلسانهم.

ثالثها: أنَّ الآية قصدت ذلك لا غيره، حيثُ أمرتْ بقتالهم، وهو حكمٌ شرعيٌّ وبنته على ثلاثةِ أسباب شرعيَّة:

الأوَّل: فقدهم الإيمان الشَّرعيَّ.

الثاني: عدم تحريمِهم ما حرَّم اللهُ ورسوله.

الثالث: عدم اعتناقهم الدِّين الحق وهو الإسلام، فلو كان لذلك المعاصر فَهمٌ وتذوق لقواعد الشَّريعة لأدرك أن الآية لا علاقة لها بالمبالغة أصلًا، وقد كنت ألفت رسالة سمَّيتها: "التَّحقيق الباهر في معنى الإيمان بالله واليوم الآخِر" ذكرتُ خلاصتها في هذا الموضِع، وبالله التَّوفيق.

تأبيد الكفَّار في النَّار

صرَّح الله بتأبيد خلود الكفار في النَّار في ثلاثة مواضع من القرآنِ الكريم:

الأوَّل: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [النساء: ١٦٨ - ١٦٩].

الثَّاني: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الأحزاب: ٦٤ - ٦٥].

الثَّالث: في قولِه تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣].

الآيةُ الأولى في (سورة النِّساء)، والثَّانية في (سورة الأحزاب)، وهما مدنيتانِ، والمُراد بالكفَّار فيها أهل الكتاب، والآية الثَّالثة في (سورة الجن)، وهي مكيَّة، والمراد بالعاصي فيها المشرك، وبذلك يكون القرآن الكريم صرَّح بتأبيد خلود الكفار في النَّار بجميع طوائفهم: كتابيين ومشركين، فمن زَعم أن بعض الكفار لا يخلدون في النار، فقد ألحدَ في دين الله وعارضَ كتاب الله.

هذا ومن الصِّيغ الدالة على التأبيد أيضًا:

١- قولُه تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦].

٢- قولُه تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧].

٣- قولُه تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا﴾ [الحج: ٢٢].

٤- قولُه تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا﴾ [السجدة: ٢٠]، لأن «كلما» تدلُّ على الدَّوام والتَّكرار، وهُو معنى التَّأبيد.

٥- قولُه تعالى: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]، ودخول الجمل في إبرة الخياطة محالٌ، فدخولُ الكفار للجنة محال فهم مؤبَّدون في النَّار.

٦- قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى﴾ [العنكبوت: ٢٣] أي جنتي، فيأسُهم من دخول الجنة تأبيدٌ لهم في النَّار.

عيسى عليه السلام لا يشفع للنصارى

قولُ عيسى -عليه السلام- مجيبًا لله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨].

سئلت مِنْ بعض أهل العلم[1] لم لم يقل: فإنك أنت الغفور الرحيم، مع أنَّه

(١) هو الشيخ أحمد الأهواني الغزي، من علماء الأزهر.

أنسبُ؟ فأجبت: لم يقل ذلك لئلَّا يكون مستشفعًا لهم، وهم لا يستحقُّون الشفاعة لكفرهم، والله وليُّ التوفيق.

من صيغ الوجوب

من الصِّيغ المفيدةِ للوُجوب في القرآنِ، وقوع المصدر أو اسمه في جوابِ شرطٍ ملفوظٍ أو مقدرٍ، مثالُ ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ﴾ [النساء: ٩٢].

«من» اسم شرط، و«قتل» فعل الشرط، و«تحرير» مصدر واقع في جوابه، و«دية» معطوف عليه، فالإعتاق والدِّية واجبان[١] بهذه الآيةِ.

مثال آخر: قولُه تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠]. «إن» حرف شرط، و«كان» فعله، و«نظرة» اسم مصدر واقعٌ في جوابه، فإنظار المُعسِر واجبٌ.

مثال آخر: قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ﴾ [المائدة: ٨٩] الآيةَ.

«كفَّارته» اسم مصدر واقع في جواب شرط محذوفٌ للعلم به، تقديره: «فإن حلفتم وحنثتم فكفَّارته»، ومن هنا حكم العُلماءُ بوُجوبِ كفَّارة اليمينِ.

(تنبيه): إنظار المُعسِر واجبٌ كما تقدَّم، ومسامحته سُنَّة مرغَّبٌ فيها، وهي

---

(١) وسر ذلك: أن المصدر في هذا الموضع بدل من اللفظة بفعله، وهو فعل الأمر، والتقدير: «فحرروا رقبة وسلموا الدية»، وهكذا بقية الأمثلة.

أفضلُ من الإنظار الواجبِ، وهذا من المواضع المُستثناة التي كانت السُّنةُ فيها أفضلَ من الواجب، على خلافِ القاعدة وهي ثلاثةُ مواضِعَ، نظمها الحافظ السيوطي في بيتين، هما:

الفرضُ أفضلُ مِن تطوُّع عابدٍ حتَّى ولو قد جاءَ منه بأكثر
إلَّا التَّطهر قبلَ وقتٍ وابتداء بالسَّلام كذاك إبرا المُعْسِر

السُّكوت في مقام البيان يفيد الحصر

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤] أخذَ منه العلماء قاعدة فقهية عظيمة، وهي: أنَّ السكوت في مقام البيان يُفيدُ الحصر، فإذا نَصَّ الله أو رسوله المبلِّغ عنه، على شيء بإيجابه، أو تحريمِه، أو إباحته، وسكتَ عن شيء آخر يشبه المنصوص عليه أو يماثله، فالسُّكوت عنه يفيد أنه بخلاف المنصوص، فإن كان المنصوص واجبًا كان المسكوت غير واجب، وإن كان حرامًا كان المسكوت غير محرم، وإن كان مباحًا كان المسكوت غير مباح.

وقد جاء الحديثُ مفصحًا عن هذه القاعدة، قال النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ الله فرض فرائض**» كالصَّلاة والزكاة «**فلا تضيِّعوها**» بل أدوها كما أمر بها «**وحَدَّ حدودًا**» كأحكام الطلاق والعدة والمواريث «**فلا تعتدُوها**» فتظلموا أنفسكم، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ [الطلاق: ١] «**وحَرَّم أشياءَ**» كالزِّنا والخمر «**فلا تَنتهكوها**» فتستوجبوا عقابَ الله تعالى «**وسَكتَ عن أشياءَ**» تشبه ما نصَّ عليه أو تماثله وكان سكوته عنها «**رَحمةً لكم غير نسيان**» ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢] ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم:

٦٤] «**فلا تسألُوا عنها**» فلربما حرمت، أو فرضت، فعجزتم عنها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ ﴾ [المائدة: ١٠١].

فتأمَّل الحديث تجده يوضح تلك القاعدةَ، ويبينها غاية البيانِ.

مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿ وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡ ﴾ إلى قولِه تعالى: ﴿وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغۡنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ ﴾ [النور: ٣٢-٣٣].

أباحَ الله في هذه الآية النكاح للمستطيع، وأوجب التَّعفف على من لم يستطع، وسكت عن الاستمناء فيكون حرامًا، ولو كان مباحًا لبيَّنه في هذا الموضع، وانظر كتابنا "الاستقصاء لأدلة تحريم الاستمناء".

مثال آخر: جاء رجلٌ إلى النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقال: هلكت قال «**ومَا أهلكك؟**» قال: واقعتُ أهلي في نهار رمضان، قال «**هل تستطيع أن تعتقَ رقبة؟**» قال: لا، قال: «**هل تستطيع أن تطعمَ ستِّينَ مسكينًا؟**» قال: لا...الحديث.

عرض على المستفتي أنواع الكفَّارة الواجبة عليه وسكتَ عن قضاء اليوم الذي واقع فيه، فدلَّ على أن قضاءه غير واجب[1]، وبهذا أخذ الظَّاهرية، وسكت أيضًا عن المرأة فدلَّ على أنَّه لا كفارة عليها، وبه أخذ الأئمَّة فيما أظنُّ.

---

(١) جاء في رواية عند البيهقي -فيما أظن- أنه أمره بصوم يوم مكان اليوم الذي جامع فيه، فإن صحت، أفادت وجوب قضاء اليوم.

حياة النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- في قبره الشريف

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٧٨- ٢٧٩].

يفيد أن النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حيٌّ في قبره الشريف يحارب المُرابينَ بالدعاء عليهم، أو بما يُناسب حياته البرزخيَّة، ولم أرَ مَنْ سبقني إلى هذا الاستنباطِ.

أمر الله نبيه بالاستشفاع لأمته

قوله تعالى: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. أمر من الله لنبيه بالاستشفاع لأمته، إذ الاستغفار استشفاع، ومثله قوله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [محمد: ١٩].

والآيتانِ تؤيدان الحديث الذي رواه ابن مسعود رضي الله عنه عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، قال: «**حياتِي خير لكم، تحدثون ويحدث لكم، ووفاتي خيرٌ لكم، تُعرضُ عليَّ أعمالكم، فما وجدت من خير حمدتُ الله، وما وجدت من سيئٍ استغفرتُ لكم**»، وانظر كتابنا "نهاية الآمال في صحة حديث عرض الأعمال".

الأنبياء لا يبلون بعد الموت

قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ﴾ على سليمان ﴿ٱلْمَوْتَ ﴾ مات، ومكث قائمًا على عصا حولًا، والجنُّ يعملون الأعمال الشَّاقَّةِ التي كلَّفهم بها لا يشعرون بموتِه، حتى أكلتِ الأرضَةُ عصاه كما قال تعالى: ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا

دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ ﴾ مصدر أرضت الخشبة بالبناء للمجهول أكلتها الأَرَضَةُ: ﴿تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ عصاه ﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾ وقع على الأرض ﴿تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ [سبأ: ١٤] العمل الشَّاق، لظنِّهم حياته وهو ميتٌ. وهذه الآيةُ تُفِيدُ أنَّ أجسادَ الأنبياءِ عليهم السَّلام لا تَبلى، ولا يغيرها الموتُ، وعلى هذا دلَّتِ السُّنة المتواترة، وانعقدَ الإجماعُ.

فإن قيل: كيف علم أنه مكث سنة؟

فالجوابُ: علم ذلك إمَّا بأنَّ الجنَّ أخبروا بأنَّهم مكثوا سنةً في العمل الشَّاق، وإمَّا بأنَّهم حسبوا ما أكلتْه الأرضة في يوم وليلة، وعلى وزانه عرَفوا المدةَ.

الذَّبيح هو إسماعيل عليه السلام

اختلف في الذبيح: هل هو إسماعيل؟ أو إسحاق عليهما السلام؟ وقال بكُلٍّ طائفةٌ، وللحافظ السُّيوطيِّ رسالة "القول الفصيح في تعيين الذَّبيح" حشد فيها أقوال الطَّائفتين، وأحاديث وآثارا تدل لكليهما، ثم اختار التَّوقف[1] الجزم بأحدِهما، وهذا منه عجيب! فإن التوقف إنما يصار إليه حيث تتكافأ الأدلة ولا مرجِّح، لكنه انخدعَ بالإسرائيليَّات وبالعلماء الذين اعتمدوها من قبلَه، ثم إنَّ الأحاديث التي أوردها دليلًا للطَّرفين واهية، لا يجوزُ الاحتجاج بها، فلا أدري كيف خَفِيَ عليه حالها؟! ونحن إذا تأمَّلنا القرآن الكريم وجدناه يدلُّ دلالة قاطعة على أن الذَّبيح إسماعيل عليه السلام، وإليك البيانَ:

---

(١) فلم يفِ بما ادعاه في العنوان، حيث لم يُعيِّن الذبيح.

١- لما أنجى الله إبراهيم من النَّار، ترك قومه، وذهب مهاجرًا إلى الشَّام ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩]فلما وصلها قال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠] قال الله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١] أي: ذي حلم كثير.

٢- فكان هذا الغلام الحليم إسماعيل عليه السلام، ووصفه بالحلم يوافِقُ قوله لأبيه حين أخبره بأمر الذَّبح: ﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢] وبالضَّرورة لا يقدر على مواجهةِ هذا الموقف الذي تطيشُ عنده الأحلام إلا الحليم الصَّابر.

٣- ولكونه كان بكر أبيه ووحيدِه، كان الامتحان بذبحه أشدَّ، ولذا قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ [الصافات: ١٠٦].

٤- قال اللهُ تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ [مريم: ٥٤] وَعَدَ أباه بالصَّبر على محنة الذَّبح، ووفى بوعده، فاستحقَّ الثَّناء على ذلك.

٥- قال الله تعالى بعد حكاية الذَّبح والفداء: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: ١١٢] فكان هذا دليلًا على أن الذَّبح غيره من وجهين:

أحدهما: أنَّ البشارة به جاءت بعد مسألة الذَّبح.

ثانيهما: وهو القاطع في الموضوع؛ أن الله بشَّره به نبيًّا أي موعودًا بأنه يبلغ مبلغ الرِّجال ويصير نبيًّا، والبشارة خبر، والخبر لا يدخله نسخٌ، فمِنَ المستحيل أن يأمُره بذبحِه.

٦- أنَّ الله وهب إسحاق لإبراهيم عليهما السَّلام، منحة له على استسلامه لمحنةِ ذبح ابنه الوحيدِ.

٧- قال الله تعالى: ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴾ [هود: ٧١] هذه بشارةٌ من الله تعالى بأنَّ إسحاق يعيش ويولد له يَعقوب، فمِنَ المحال أن يأمر بذبحِه، وهذا دليلٌ قاطع أيضًا.

٨- قال الله تعالى عن ضيف إبراهيم: ﴿ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴾ [الحجر: ٥٣] وقيل أيضًا: ﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: ٢٨] فوصف إسحاق بالعلم الكثير، وهذا العِلمُ إما عن طريق الوحيِ، أو التَّعليم، وعلى كلا الحالين لا يمكن أن يأمر بذبحه، وهو دليلٌ قاطع أيضًا.

٩- أنَّ إسماعيل بشَّر به إبراهيم من غير وعد بنبوته، ولا بأن يولدَ له ولدٌ، فكان من المعقول أن يؤمر بذبحه ابتلاء وامتحانًا.

١٠- أنَّ إسماعيل وهب لإبراهيم بدعائه كما تقدم، فأراد الله أن يمتحنَ خليله في مطلوبه، ليبين أهليته لمقام الخلة.

١١- أنَّ إسحاق وُهِب له بدعاء امرأته، حيث غارت من ضَرَّتها هاجر التي رزقت ولدًا دونها، واللهُ أكرم من أن يمتحن امرأة في ولد وهبه لها بعد كبرها وعقمِها.

١٢- أنَّ أعز ما تتمنَّاه المرأة في بيت الزوجيَّة أن تُرزَق ولدًا يعيش، وتفرح بزواجه وبأولاده، وعلى وِفاقِ هذه الأمنية التي كانت تجول بخاطر سارة،

جاءتها البِشارَة: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١] فبشَّرها الله بولدٍ ضمن لها حياته حتىٰ تفرح به، وترىٰ ولدَه، فكيف يأمر بعد هذا بذبحِه؟!

١٣- أنَّ مناسك الحج من طوافٍ وسعيٍ ورمي للجمار وذبح للضَّحايا وغيرها، مأخوذة عن إبراهيمَ وإسماعيل وهاجر، ولا علاقةَ لشيءٍ منها بإسحاق، فدَعوىٰ أنَّه الذَّبيح، فرية إسرائيلية انخدعَ بها بعض علماءِ المسلمين، وما دَرَوْا أنَّ اليهودَ حسدوا النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم والعربَ علىٰ أن اختص الله تعالىٰ جدّهم إسماعيل بهذا الفضلِ، فحاولوا بكذبهم تحويلَه إلىٰ جَدِّهم إسحاق عليه السلام.

وجوب الخلود في الجنة والنَّار نقلي

قال الله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٦-١٠٨].

اختلفَ في الاستثناء من الخلود في الموضِعين، فقيل: إلا ما شاء ربُّك من الزيادة علىٰ مدة دوام السَّموات والأرض مما لا مُنتهىٰ له، فيكون بمعنىٰ خالدينَ فيها أبدًا، وقيل: المراد سموات النَّار وأرضها، وسموات الجنَّة وأرضها، وهما مؤبَّدان، وذكر المشيئة علىٰ سبيل التَّبرُّك، فهو مثل قوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ

مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ٢٧] ذكرت المشيئة هنا للتَّبرك؛ لأنَّ وعد الله بدخولهم المسجد الحرام حق، وقيل: إلا ما شاء ربُّك من المدة التي مكنوها في الموقف قبل دخول النَّار والجنة، وقيل غير ذلك.

ويظهر لي وجه لعلَّه يكون صوابًا إن شاء الله تعالىٰ وهو: أنَّ الاستثناء في الموضعين ليس المراد به نفي تأبيد الخلودِ، بل نفي وجوبه، وأنَّ عدمه تتعلَّق به القدرة لإمكانِه، ويرشح هذا قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧] فهو مثل قوله تعالىٰ: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾ [النساء: ١٣٣] لكنَّه لم يشأ، والمعنىٰ: إلا ما شاء ربك من عدمِ الخلود، فله ذلك، لكنَّه لم يشأ. والآية بهذا التَّقريرِ ترد قول من زَعم من المعتزلة ومَنْ يرىٰ رأيهم: أنَّ خلود النَّوعين واجب عقلًا، وأنَّ عدمَه لا تتعلَّق به القدرة لاستحالتِه ولك أن تقول علىٰ فرض أنَّ الاستثناءَ مراد به نفي الخلود، تكون الآية دالَّة عليه بطريق المفهوم؛ لأنَّ الاستثناء من مفاهيم[1] المخالفة كما تقرَّر في علم الأصول، ودلالة المفهوم مؤخَّرة عن دلالة المنطوق حسبما هو مقدر في محلِّه، وعليه فدلالة الاستثناء هنا غير معمولٍ بها إلا من حيث التَّبرك؛ لتصريح آيات أخرىٰ بتأبيدِ خلود أهل النَّار فيها، وبتأبيد خلودِ أهل الجنَّة فيها.

---

(١) وهي عشرة: الصفة والشرط والعلة واللقب: أي العلم، والاستثناء والعدو وظرف الزمان وظرف المكان والحصر والغاية. جمعها بعضهم في قوله:

صِفْ واشْتَرِطْ عَلِّلْ ولَقِّبْ ثَنِّيا ... وعُدَّ ظَرْفَيه وحَصِّرًا أَغْيا

فرعون مات كافرًا

نُسبَ إلى الشَّيخ الأكبر محيي الدين ابن العربي الحاتمي رضي الله عنه القول بقبول إيمان فرعون، وافترق الناس بعده ثلاث فرق: فرقة أيَّدته، منهم الجلال الدواني الصديقي. وفرقة خطَّأته وتحاملت عليه، منهم ملا علي القاري، وفرقة من الصوفيَّة أوَّلتْ كلامه بأنه لم يرد فرعون المعروف، وإنما أطلقَه رمزًا على النَّفس في بعض أطوارِها.

لكنَّ العارف الشَّعرانيَّ حقَّق في كتاب "اليواقيتِ والجواهر" نفي[1] صدور هذا القول عنه، ونقل نصوصًا من "الفتوحات الملكية" تُثبت كفر فرعون. وهذا هو اللَّائق بعلمه وذكائه، بله ولايته وما ألهم من المعارِفِ، ذلك أن كفرَ فرعون وعدم قبول إيمانِه ثابتٌ بنصِّ القرآن ثبوتًا قطعيًّا ليس للاحتمال فيه مجال، وإليك البيان:

١- قال الله تعالى يخاطِبُ موسى عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾ [طه: ٣٧-٣٩] أخبرَ الله تعالى أنَّ فرعونَ عدوٌّ له ولرسوله موسى، إذْ هو الذي التقطه بواسطة أعوانه، والخبرُ لا يدخُله نسخ، فهذا قاطعٌ في أنَّ فرعون مات كافرًا عدوًّا لله ورسوله.

---

(١) ثم تبيَّن لي أنَّ كلامه في إثبات إيمان فرعون صريحٌ صحيحٌ، وهو مسبوقٌ به، فقد حكى القاضي عبد الصمد الحنفي في "تفسيره" عن الصوفية أن الإيمان ينفع صاحبه ولو حصل عند معاينة العذاب، لكن ما ذكرته هنا قاطعٌ في كفر فرعون.

٢- قال الله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٩٠].

آمن فرعون عند المعاينةِ، وهو إيمان غير مقبول، لقولِه تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [غافر: ٨٤-٨٥].

ولذا ردَّ الله عليه بقولِه: ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾ بجثتك ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ﴾ [يونس: ٩١-٩٢] عبرة. وجثته موجودة بالمتحفِ الذي يضمها وغيرها من آثار قدماءِ المصريين.

٣- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴾ [القصص: ٨] عاصين، هذا إخبار بأنَّ فرعون عاصٍ، وعصيانه عداوته لله ولرسوله، وهو قاطعٌ في هلاكه على الكفر، كهامان.

٤- قال الله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴾ [ص: ١٢-١٤] أخبرت الآية أن فرعون كذَّب الرُّسل فاستحق عقاب الله تعالى وهذا قاطع أيضًا.

٥- قال الله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ

وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ [ق: ١٢-١٤] هذا أيضًا خبر بأن فرعون كذَّب الرسل فاستحق العقاب، وهو قاطع في الموضوع.

٦- قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ [المزمل: ١٥-١٦] شديدًا، وهذا أيضًا خبر صريحٌ.

٧- قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا﴾ بناء عاليًا مرتفعًا: ﴿لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ أيقنوا ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ للحساب والعرض ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ بدفع العذاب عنهم: ﴿وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾ [القصص: ٣٨-٤٢] المشوَّهين بالعذاب، أو المبعدين من الرحمة، وهذا أيضًا خبرٌ صريحٌ قاطعٌ.

٨- قال الله تعالى: ﴿هَلْ﴾ قد ﴿أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ﴾ اسمه ﴿طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ تجاوز الحد في الكفر ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ وهي العصا ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ

نَكَالَ ٱلْأَخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴾ [النازعات: ٢١ - ٢٥] ﴿وَٱلْأُولَىٰٓ﴾ وهي قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨]وكان بينهما أربعون سنة، ولو قبل إيمانه ما أخذه نكالًا، ولا أخذًا وبيلًا كما مضىٰ في آية المزمل.

٩- آيات في (سورة هود)، و(الإسراء)، و(طه)، و(العنكبوت)، و(الحاقة)، و(الفجر)، وغيرها تصفه تارة بالكفر والتكذيب، وتارة بإضلاله قومه، وتنظِّمه تارة مع عاد وثمود وقارون في سلك واحد، وأخرىٰ تدرجه مع من أهلكوا بالغرق أو الخسف أو الصيحة.

١٠- مَنْ تتبع أسلوب القرآن الكريم في سياق أخبار الماضِين، وقصص الأولين، استخلص منه قاعدة هامة، تنفعه في هذا البحث وما يماثله، وهي:

أن القرآن إذا ذكر قومًا أو شخصًا بالكفر والتَّكذيب، وأخبر عن إهلاكهم، وكرر ذلك، فهو دليلٌ علىٰ أنهم هلكوا كفارًا خاسرين، خذ لذلك مثلًا قوم نوح، عاد، ثمود، قوم لوط، مدين، أصحاب الأيكة، قارون، هامان، فرعون، ذكرهم الله بالكُفرِ والتَّكذيب، والاستكبار والفساد.

وأخبر عن إهلاكهم تارةً في سياق واحد، وتارةً متفرقين، فهذا في صنيع القُرآن يدلُّ علىٰ أنهم هلكوا كافرين، وانظر إلىٰ قوم يونس كيف تحدث عنهم في قوله تعالىٰ: ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلا ﴿كَانَتْ قَرْيَةٌ﴾ أي أهل قرية ﴿ءَامَنَتْ﴾ عند رؤية العذابِ ﴿فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ﴾ أي لم ينفعها إيمانها حينئذٍ ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟﴾ عند رؤية أمارة العذابِ، ولم يؤخروا إلىٰ حلوله ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨] ينقضي فيه آجالهم

وفي قوله سبحانه: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ﴾ بل ﴿يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُواْ﴾ عند معاينةِ أمارة العذاب ﴿فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الصافات: ١٤٨]، ثم لم يذكرهم بعد هذا ولا ذمَّهم.

فلو أن الله قبل إيمان فرعون لسكت عنه كما سكت عن قوم يونس، لكنه ذمه بالكُفر مرات، وذكر أن امرأته طلبتِ النَّجاة منه ومن عمله، وجعله مثلًا للمستكبرين المفسدين، فاحفظ هذه القاعدة النفيسة التي لا تجدها في غير هذا المكان.

حديث منكر

ورد في حديثٍ: «أن جبريل عليه السلام قال للنَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: لو رأيتني وأنا أدس من حال البحر في فم فرعون خشية أن تناله الرحمة». وهذا حديثٌ منكر[1].

وجبريل لا يقول هذا لأنَّه نزل على أمِّ موسى بقوله تعالى: ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾ [طه: ٣٩]وهو يعلم أنَّ خبر الله لا يتخلَّف. ولو سُلِّم جَدَلًا أنَّ الله أراد قبول إيمان فرعون، فلا يستطيعُ جبريل أن يمنعه بدسِّ الطين في فمه! وما كانت وظيفته قطُّ منع قبول الإيمان، وبالله التَّوفيق.

---

(١) أي متنه منكر، وإن كان إسناده صحيحًا.

الرسل المذكورون في (سورة البقرة)

قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ﴾ تلك اسم إشارة أشير به إلى الرُّسل المذكورين من أول السُّورة إلى هذا الموضع، وهم عشرة: آدم وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وموسى وداود وسليمان وعيسى ومحمد صلَّى الله عليهم وسلَّم، ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ بتخصيصه بمزية ليست لغيره ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾كموسى بنص القرآن، وآدم بظاهره وصريح الحديث الصَّحيح ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] هو محمد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

كنَّى عنه تفخيمًا وتعظيمًا، وتنكير درجات للتَّكثير والتَّعظيم، إذ رفعه درجات كثيرة عظيمة: منها ختم النبوة به، وعموم رسالته، وإيتاؤه جوامع الكلم، وجعل الأرض له ولأمته طهورًا ومسجدًا، وجهاد الملائكة معه، وغير ذلك.

ويُؤخذُ من الآية أمران:

الأوَّل: أنَّ آدم رسولٌ، وهو إجماع، مع أدلة أخرى من الكتاب والسُّنَّة، بينتهما في قصة "آدم عليه السلام" ورسالته إلى أولادِه.

الثَّاني: أنَّ سليمان عليه السلام رسولٌ، وذكر أيضًا في آية: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٣]وفي آية ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ﴾ [الأنعام: ٨٣]. وبالله التوفيق.

بنو إسرائيل لم يعودوا إلى مصر بعد غرق فرعون

قال الله تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [القصص: ٥] هم بنو إسرائيل كانوا مستذلين في أرض مصر ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً ﴾ يقتدى بهم ﴿وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ أرض الشام ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أرض الشام ﴿وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴾ [القصص: ٦] يخافون من المولود الإسرائيليِّ الذي يكون هلاكهم على يديه.

ولأجل أن يرثوا أرضَ الشَّام، أمر الله موسى وهارون أن يطلبا منْ فرعون إرسالهم معهما، قال تعالى: ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [طه: ٤٧] إلى الشام، فكفر فرعون وأبى إرسالهم لأنه كان يستخدمهم، فأرسل الله عليهم ﴿ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ﴾ [الأعراف: ١٣٣] فطلبوا من موسى أن يدعو الله بكشف العذاب عنهم، ووعدوا بالإيمان وبإرسال بني إسرائيل ثم نكثوا فأغرقهم الله، وأورث بني إسرائيل أرض الشَّام.

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ ﴾ العذاب المذكور ﴿قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَـٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ ﴾ بالاستعباد وهم بنُو إسرائيل ﴿مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ ﴾ مفعول ثان لأورثنا ﴿وَمَغَـٰرِبَهَا ﴾ معطوف

عليه ﴿ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ بالماء والشَّجر، صفة للأرض، وهي الشَّام ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ هي قوله تعالىٰ: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: ٥] الآية. ﴿عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾ علىٰ أذىٰ فرعون وقومِه ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ﴾ من العِمارة ﴿وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٤-١٣٧] يرفعون من البنيان.

يتبين من هذه الآيات بوضوح أن بني إسرائيل بعد تجاوزهم البَحر ونجاتهم من فرعون أورثوا أرضَ الشام، ومكن لهم فيها[1].

ولم يثبت في التَّاريخ أنهم عادوا إلىٰ مصر ومكثوا بها، فضلًا عن إن يرثوها ويُمَكَّن لهم فيها، فكيف ساغ للمفسِّرين أن يقولوا: أن بني إسرائيل ورثوا أرض مصر بعد غرق فرعون؟! وعلىٰ أي شيءٍ استندوا؟! القرآن لا يفيد ذلك، والتاريخ لا يثبته.

أما قولُه تعالىٰ: ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ﴾ [الشعراء: ٥٧-٦٠] فالضمير في ﴿وَأَوْرَثْنَٰهَا﴾ هو منشأ غلطهم، حيث أعادوه علىٰ ما ذكر في الآية، ولو تأمَّلوا ما أوضحناه وتنبَّهوا له لأدركوا أن الضَّمير لا يمكن عودُه إلىٰ ما ذكر، لمخالفته للآيات الأخرىٰ، ولأدركوا أن المعنىٰ: وأورثنا مثيلاتها بني إسرائيل في أرض الشام، ففي الآية شبه استخدام، وهو من المحسِّنات البديعية.

---

(١) لكن بعد أن مكثوا في التيه أربعين سنة، ومات هارون وموسىٰ عليهما السلام.

ويدل على هذا أيضًا أمران:

أحدُهما: قوله تعالى: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ مُّجۡرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسۡرِ بِعِبَادِي لَيۡلًا ﴾ وهم بنو إسرائيل ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًا ﴾ ساكنا ﴿إِنَّهُمۡ جُندٞ مُّغۡرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمۡ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ﴿٢٦﴾ وَنَعۡمَةٖ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَۖ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ﴾ [الدخان: ٢٤-٢٨] من قبط مصر، وليسوا بني إسرائيل كما قال المفسِّرون، وإلا لكان السياق: كذلك وأورثناها عبادي النَّاجين، أو لقيل في الآية بعد: ولقد نجيناهم من العذاب المهين بدلا من ﴿ وَلَقَدۡ نَجَّيۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ ﴾ [الدخان: ٣٠]فدلالة السِّياق تفيد أنَّ المورث قوم غير بني إسرائيل، والمفسِّرون غفلوا عن ذلكَ.

ثانيهما: قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام يخاطب قومه: ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ [المائدة: ٢١-٢٦].

فهذه الحادثة حصلتْ بعد خروجهم من مصر؛ لأنهم لما تجاوزوا البحر قاصدين إلى الشام، علموا أن فيها قومًا جبَّارين أشداء فجبنوا عن مقاتلتهم، وقالوا لموسى: ﴿إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَاۖ فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾ [المائدة: ٢٤] فعاقبهم الله بالتِّيه، مكثوا تائهين في نحو أربعين ميلًا من الأرض أربعين سنة، وفي التيه أنزلت التوراة، ورفع الله الجبل فوقهم

إنذارًا لهم ليقبلوا أحكامَها، وفيه أنزل عليهم المن والسَّلوىٰ، وظللهم بالغمام، وأنبع لهم من الحجر -بضرب موسىٰ- اثنتي عشرة عينًا، وفيه عبدوا العجل الذي صاغه السَّامريُّ، وذهبوا ليعتذروا إلىٰ الله من عبادته، فقالوا: أرنا الله جهرة، فأخذتهم الصَّاعقة بظلمهم، وفيه أيضًا هلك معظمهم عقابًا لهم، وفيه توفىٰ الله هارون عليه السلام، رحمة له بمفارقتهم، ومات موسىٰ عليه السلام، بعد أن ضاق بمخالفاتِ بني إسرائيل، وكثرة عصيانهم، غير أنَّه سأل أن يدنيه من الأرض المقدَّسة رمية بحجر؛ فأدناه.

وبعد انتهاء التيه، أوحىٰ الله إلىٰ يوشع -وكان نبيًّا- بقتال الجبارين، فذهب بمن بقي معه من بني إسرائيل، وقاتلوا الجبَّارين وانتصر عليهم، واستقرُّوا بفلسطين من أرض الشَّام، وهي المرادُ بالأرض في قوله تعالىٰ: ﴿ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ ﴾[1] [الإسراء: ١٠٤]. أي الأرض المقدسة بالشَّام.

ولم يثبت أنهم عادوا إلىٰ مصر، ولا يوجد بها شيء من معابدهم ولا أثر من آثارهم.

الاستخدام

الاستخدام إطلاق لفظ بمعنىٰ، وإعادة الضمير عليه بمعنًىٰ آخر، نحو:

فسَقَىٰ الغَضَا والسـاكِنِيهِ وإنْ هـمُ شَـبُّوهُ بـينَ جَـوانِحِي وضُـلُوعِي

أطلق الغضا علىٰ شجر معروفٍ، وأعاد عليه الضَّمير في «السَّاكنيه» بمعنىٰ

---

(١) «أل» في ﴿ٱلْأَرْضَ﴾ للعهد، والمعنىٰ اسكنوا الأرض التي وعدتكم بها، ومنعكم من الذهاب إليها فرعون.

المكان الذي ينبت فيه، وفي «شبوه» بمعنىٰ النَّار المشتعلة من أعواده.

ومثله قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥]، أطلق المصابيح علىٰ النُّجوم، وأعيد الضَّمير في ﴿وَجَعَلْنَٰهَا﴾ بمعنىٰ الشهب المنفصلة عن النجوم كالقبس، فتصيب الشَّياطين، كما قال تعالىٰ في آية أخرىٰ: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ١٠]وهو من المحسنات اللَّفظية في علم البديع.

والآية الكريمة لما ذكرت أن فرعون وقومه تركوا جنَّات وعيونًا وزروعًا، وكان في الشام مثيلات لها؛ أعادت الضَّمير بهذا المعنىٰ، فكان فيها محسِّنان: معنوي، وهو الإيجاز؛ إذ لو ذكر الكلامُ علىٰ الأصل لقيل: كذلك وأورثنا بني إسرائيل مثيلاتها في أرضِ الشام، وهو طويل لا داعيَ إليه.

ولفظي، وهو شبه الاستخدام، وإنما قلنا: شبه؛ لأن الضَّمير عاد علىٰ الجنَّات والعيون والزروع بمعناها، لكن مع اختلاف المكان، إذ المتروكة بمصر، والموروثة بالشام، ومن هنا كان شبه الاستخدام.

معنى خيانة امرأتي نوح ولوط

قال الله تعالىٰ: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ [التحريم: ١٠].

زعم بعض الجهلة ممن تسَوَّروا التفسيرَ بغير عِلْمٍ، أنَّ المراد بالخيانة هنا: الزِّنا. وزاد فأكَّد بأن الله قال لنوحٍ حين شفع لابنِه: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾

[هود: ٤٦] أي هو ابن زنا، كذا قال!!

وهي مقالة شنيعة تدل على جهل بمقام النُّبوة، وبما يجب له من تكريم وإعظام، وإنِّي أبرأ إلى الله من هذا القول وصاحبه.

وليست الخيانةُ هنا إلا المخالفة في العقيدة ومساعدة الكفار على زوجيهما، وهو خلافُ ما تقتضيه العشرة الزوجيَّة من صفاء المودة؛ وحسن المراعاة، والدَّليل على ذلك أمور:

الأوَّلُ: أن امرأة نوح كانت ترمي زوجها بالجنون، وتساعد قومها عليه في شتمِه وإيذائه، وامرأة لوط كانت تدلُّ قومها على ضيوفِه إذا كانوا حسان الوجوه، لم يُنقل عنهما غيرُ ذلك.

الثَّاني: لو ثبت عليهما شيء من الزِّنا، لأسرع قومهما إلى تعييرِهما به، والتَّشنيع عليهما، لكنهم لم يعرِّجوا على ذلك بحالٍ.

الثَّالث: أن من يقع الزِّنا في بيته وهو لا يشعر، كيف يكون أهلًا لأنْ يدعوَ أمة؟ ويتزعم شعبًا؟!

الرابع: أنَّ أقبح عار يلحق الرجل، ويسقط حرمتَه وكرامته، وقوع الزِّنا في أهله، فكيف ينسب إلى رسولين كريمَيْنِ؟!

الخامس: لا يجوز أن يقعَ الزِّنا في بيت نبي يوحى إليه ولا ينبِّهه الله عليه، هذا محال؛ لأنَّ الله تعالى غيور، يبغض الفاحشة لعوامِّ الناس، فكيف يرضاه في بيتِ رسول يختاره لتلقِّي وحيه ودعوة الناس إلى توحيدِه وإقامة دِينه؟!

السَّادس: أنَّ من الشروط التي يجب عقلًا توافرها في الرسل: الفِطنة والذكاء، والذي يقع الزِّنا في أهله وهو لا يشعرُ، يكون بالغ النِّهاية في الغفلة

والبلاهة، ولا يجوز أن يكون الرسولُ مغفلًا ولا أبله، بل الغفلة مذمومةٌ في عموم الصَّالحين، ألا ترىٰ إلىٰ قول عمر رضي الله عنه: «لست بخِبٍّ والخِبُّ لا يخدعني»؟

تجده يتبرَّأ من الغفلة، كما يتبرَّأ من الخبث، فهو ليس بخبيث، لكنه ليس من الغفلة بحيث يخدعه خبيثٌ، بل هو فَطِنٌ حَذِرٌ، شأن بقية إخوانه الصَّالحين.

السَّابع: أنَّ كفر المرأة لا يعيبها، ولا يلحق زوجها بعارٍ بسببه، لأنه ينشأ من عناد في الرأي أو اعتداد به أو تقليد للآباء، لكن زناها عار يُشينها ويشين أهلها، لأنه ينشأ عن اغتلام الشهوة، وانحطاط الخلق، ودناءة الهمَّة، وسوء التَّربية.

ولهذا لما جاءت هند زوج أبي سفيان لتُسلم -وهي من العنيدات في الشِّرك، المفتخرات به- وعرض عليها النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فيما عرض «ولا تزنين» قالت مستنكرة: أَوَتزني الحُرَّة؟!

فمِنْ ثم جاز أن تكون زوج النبيِّ كافرة، ولم يجز أبدًا بحال أن تكون زانيةً.

الثَّامن: أنَّ الله تعالىٰ قال: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ﴾ [هود: ٤٢] فنسبَه إلىٰ أبيه، وهو دليلٌ قاطعٌ علىٰ أنه ابنه، وأن أمَّه لم تزنِ به.

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ﴾ [القمر: ٣٤] فنسب الآل إليه، وهن بناته، فدلَّ علىٰ أنهم آله حقيقة، وأن زوْجَه لم تزن بهن وإن كانت كافرةً.

أما قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [هود: ٤٦] فليس المراد به

نفيَ الولد منه، لأنه نسبه إليه أولا، فكيف ينفيه؟ هذا خلف! وإنما المراد: ليس من أهلِك الموعود بنجاتهم، لكفره، والكفَّار لا نجاة له، ولا شفاعة تقبل فيه.

والخلاصة: أنَّ ما نسب إلى امرأتي نوحٍ ولوطٍ من الزِّنا يبطله العقل، ويردُّه النقل، ويستقبحه العرف، وأنَّ قائلَه خالف الدِّين، وجانب الواقِع، وباين الذَّوق.

فتنة داود عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ﴾ خبرهم ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾ محراب داود عليه السلام، وهو مسجده الذي أعدَّه للصلاة في بيته.

وكان قد رتَّب أيام الأسبوع، فجعل يومًا للقضاء بين الناس، ويومًا للعبادة، ويوما لأهله، ويومًا ينظر فيه شئون معايشِه، لأنه كان يأكل من عمل يده.

وجاء هؤلاءِ الخصومُ في يوم العبادة، فمنعهم الحرس من الدُّخول، وهم مستعجلون يريدون الفصل في قضيتهم، فتسوَّروا المحراب ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ حيث نزلوا من جهة السَّقف، وظنَّ أنهم يريدون به شرًّا، إذِ الملِك لا يخلو في العادة ممن يقصده بالشَّر من رعاياه ﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ﴾ لا نقصدك بشرٍّ، نحن ﴿خَصْمَانِ﴾ فريقان، أو شخصان، كانت بيننا مشاركة في نعاجٍ، واختلفنا فيها بحيث ﴿بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾ لا تُجر ﴿وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ أرشدنا إلى وسط الطريق، فاطمأنَّ وسألهم عن قضيتهم، فقال أحدُهم: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى﴾ أي: إسرائيلي مثلي ﴿لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ حقيقة، لا كناية عن النِّساء كما قيل، ﴿وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾

اجعلني كافلها بأن أضمَّها إلىٰ نعاجي ﴿وَعَزَّنِي﴾ غلبني ﴿فِي ٱلْخِطَابِ﴾ أي الجدال بقوة منطقِه ﴿قَالَ﴾ داود مصدرًا حكمه بعد موافقةِ الخصم علىٰ كلام خصمه، أو ثُبوت البينةِ عليه ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ﴾ ليضمَّها ﴿إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ﴾ الشُّركاء ﴿لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فلا يبغون، والبغيُ الظُّلم، ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ «ما» لتأكيدِ القِلَّة ﴿وَظَنَّ﴾ أيقن ﴿دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ ابتليناه بالفزع الذي حصل منه حين تسوَّر الخصوم عليه المحراب، وما كان ينبغي له الفزع من المخلوقِ وهو في حضرة الخالقِ وعبادته ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ﴾ من فزعه الذي لا يليق بمنصبه ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا﴾ ساجدًا ﴿وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢١-٢٤] رجع إلىٰ الله.

فتبيَّن من سياق القصَّة أنه كانت خصومة بين شركاء في نعاجٍ حقيقة، وأنَّه لم يحصل من داود قبلها ما يستوجبُ لومه أو عقابه، وكل ما حصلَ منه فزعه من الخصوم الذين هبطوا عليه من جهة السَّقف والفزع غريزةٌ بشريةٌ.

فقد قال موسىٰ وهارُون من قبله: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ [طه: ٤٥] وما من رسول إلا وقد خاف إذاية قومه، غير أنَّه اعتبر فزعه من المخلوق وهو بين يدي الخالق لا يليق بمنصبه الكريم، وعده ابتلاءً وامتحانًا، فاستغفر الله منه.

ولا أصل لما جاء في الإسرائيليَّات: أنه نظر من طاق بيته فرأىٰ امرأة عريانة تغتسل، فأعجبتُه، فسأل عنها، فقيل له: إنَّها امرأة شخصٍ يقال له: أوريا، فبَعثه إلىٰ الحرب ليُقتل، فانتصر وعاد، فبعثه ثانية، وثالثة، حتَّىٰ قتل، وتزوَّج امرأته،

وكان له تسع وتسعون امرأةً.

وقيل: بل كانت خطيبة أوريا، فبعث داوُد يخطبها، ولم يعلم بخطبتها، فآثره أهلها على خطيبها الأول، فزوَّجوها له، وهي أمُّ سليمان، فبعث الله إليه مَلَكَيْنِ، في صورة رجلين يختصمانِ في نعاج، كنَّيا بها عن الزَّوجات، فلما قضى لهما صعدا إلى السَّماء، وهما يقولان: قضى الرَّجل على نفسه، فأدرك خطأه وتابَ.

وبعضهم قال في خطأ داود: إنَّه قضى للخصم قبل أن يسمع كلام خصمه، وبعد الحكم أدرك خطأه وتاب، وهذا باطلٌ أيضًا، لأنَّ من البدهيات في القضاء ألا يحكم القاضي إلَّا بعد سماع الخصميْنِ وإبداء حُجَجهما والموازنة بينهما، فكيف يَخْفَى هذا الأمر البدهي على نبيٍّ آتاه الله الملك والحِكْمة وفصل الخطاب؟!

والحاصل: أنَّ ما ذكرناه في فتنة داود عليه السلام، هو الصواب، فتمسَّك به، وانبذ سواه، وبالله التوفيق.

فتنة سليمان عليه السلام

فتنة سليمان عليه السلام شوَّهتها الإسرائيليَّات، وحمل عليها المفسِّرون قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾ [ص: ٣٤].

فقالُوا في فتنته: تزوَّج امرأة أحبها -كما أحب أبوه والدته من قبله- وكانت تعبد الصَّنم في بيته بغير عِلْمِه، وكان ملكه في خاتمه -كما يقال في قصص الأطفال- فنزعه عند إرادة الخلاء، ووضعه عند امرأتِه المسمَّاة بالأمينة، فجاءها جنيٌّ في صورته، وأخذه منها، وقعد على كرسيه، وعكفت عليه الطَّير وغيرها. وجاء سليمان في غير هيئته، وقال: أنا سليمان، فأنكره النَّاس، ثم توصَّل إلى

الخاتم -لعله وجده في بطن سمكة- فرَجعَ إليه ملكه، ونسوا:

أولًا: أنَّ الجنِّيَّ لا يُسمَّىٰ جسدًا، لأنه كان حيًّا لا ميتًا.

ثانيًا: أنَّ الجنِّيَّ لا يمكن أن يتصوَّر في صورة نبيٍّ ولا يقدر علىٰ ذلك، لِمَا يترتَّب عليه من المفاسِد.

ثالثًا: لو جاز للجنِّيِّ أن يأتي امرأة سليمان في صورتِه، ويأخذ منها خاتم ملكه، لجازَ أن يَزني بها وبغيرها من نسائه، وذلك يبطُله العقل والنَّقل كما سَبق.

رابعًا: أنَّ خاتم ملكه كان خاتم علىٰ هيئتِه أيضًا، فإنَّه لما ذهب، ذهبتْ هيئته، وأنكره النَّاس، ولما وجده رجعتْ إليه هيئته.

خامسًا: أنَّها -مع كونها كذبًا غير محبوك- خالية من العِبرة، والله تعالىٰ يقول: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [يوسف: ١١١].

وإليك قصة فتنة سليمان علىٰ حقيقتِها:

كان له مائة امرأة، فقال يومًا لبعض جلسائه: لأطوفنَّ الليلة علىٰ نسائي، فتأتي كل واحدة منهن بفارسٍ يجاهدُ في سبيل الله. فقال له جليسه: قل: إن شاء الله. فلم يقل -نسيانًا أو عرضت له قضية شغلته- فلم تحمل منهنَّ إلا واحدة، ولدت شَقَّ إنسان، فهو الجسد الذي ألقي علىٰ كرسيِّه، فرآه وعلم سبب ابتلائه، ثم أناب. قال النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**والَّذي نفس محمد بيده لو قال: إنْ شاء الله؛ لجاهدوا كلهم فرسانًا أجمعون**».

والعِبرة من هذه القصة: أنَّ الله تعالىٰ يحب من عباده أن يردُّوا المشيئة إليه في كل أمورهم، فإذا غفلوا نبَّههم، بمثل ما هنا.

وحصل شبه ذلك للنَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: فقد سأله أهل مكة عن

قصة أهل الكهف، فقال: «أجيبكم غدًا» ولم يقل: إن شاء الله. فأبطأ الوحيُ عنه خمسة عشر يومًا، ثم نزل قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [الكهف: ٢٣ - ٢٤] الآيةَ.

أما سؤال سليمان مُلْكًا لا ينبغي لأحدٍ من بعده، فليس حسدًا أو حبًّا للاستئثار كما قال بعض المارقين، بل ليكون معجزته على نبوته كما كانت النَّاقة معجزة صالح، والعصا معجزة موسى، وإنَّما طلب الملك معجزة؛ لأنه رسولُ إلى اليهود، وهم عبيد المال، فلا يخضعهم إلَّا مظاهر الملك وبريق الذَّهب، وانظر إلى عيسى عليه السلام حين جاءهم بالزُّهد والتَّقلُّل، حاولوا قتله كما قتلوا زكريا ويحيى عليهما السَّلام، وما خضعوا لموسى عليه السلام إلَّا لشدَّته عليهم، فقد كان يسوقهم سوق العبيد بالعصا، وكانوا يستضعفون هارون عليه السلام، كما جاء في قوله: ﴿ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي ﴾ [الأعراف: ١٥٠] والله أعلمُ.

فرعون كان يستخدم السَّحرة مجانا

قول الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾ [الشعراء: ٤١] يفيد أنه كان يستخدمهم من غير أجرٍ، وقولهم له: ﴿ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ﴾ [طه: ٧٣] يُفيدُ أنَّه كان يكرههم على السحر تعلمًا وعملًا، فاعجب لإله يستكره عابديه على العمل لمصلحته، ويأكل عليهم أجورهم!!

موسى لم يدرك شعيبًا عليهما السلام

قال كثير من المفسِّرين[١] في المرأتين اللتين سألهما موسىٰ عليه السلام حين ورد ماء مدين: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص: ٢٣] أنَّهما ابنتا شعيب عليه السلام، لكن ليس في القصة ما يومئ إلىٰ ذلك سوىٰ ذكر مدين، وهذا ليس بدليلٍ، ومن المستبعد ألا تشير المرأتان إلىٰ نبوةِ أبيهما، كما لم تشرْ إليه الآية إطلاقًا، وليس في إخفائه حِكْمة، فقد ذكر الله لوطًا مع إبراهيم، ويعقوب مع إسحاق، وهارون مع موسىٰ، ويوسف مع يعقوب، ويحيىٰ مع عيسىٰ عليهم السلام فلِمَ أخفىٰ شعيبًا؟!

ثم إنِّي تأمَّلت (سورة الأعراف)، فوجدتها ذكرت نوحًا وهودًا وصالحًا ولوطًا وشعيبًا علىٰ هذا التَّرتيب، وقالت بعد ذلك: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ فَظَلَمُوا بِهَا﴾ [الأعراف: ١٠٣] فأفادت الآية أنَّ موسىٰ بعد شعيب عليهما السَّلام، فلا أدري كيف غفل عنها المفسِّرون؟!

وفي (سورة الحج): ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ﴾ [الحج: ٤٢-٤٤] وبهذا التَّرتيب ذكروا أيضًا في (سورة هود).

فلهذا أرجح أن الشَّيخ الكبير والد المرأتين ليس شعيبًا عليه السلام، وما يذكر في ذلك من الحديث ليس بصحيحٍ، والله أعلم.

---

(١) وهو قول الحسن ومالك بن أنس.

نكت في كلام الخضر عليه السلام

قد يُقال: لِمَ قال الخَضِر عليه السلام في خَرْقِ السفينة: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩] وفي قتل الغلام: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾ [الكهف: ٨١]، وفي إقامة الجدار: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ وهل هو تفنُّنٌ في العبارة كما قيل؟ أو له حِكْمة؟

والجوابُ: أن لذلك حِكْمة، هي -والله أعلم- أنَّه لما كان خرق السفينة عيبًا -بحسب الظَّاهر- نسب إرادته إلى نفسِه، ولما كان الباعث على قتل الغلام خشيته أن يرهق أبويه -وهو باعثُ ديني شريف- ناسب أن يقابلها بإرادته خلفًا عنه خيرًا منه لهما، فيكون الباعث على القتل والغاية منه متحدي المصدر، ولشرف الباعثِ عبر بنون الجمع في ﴿فَخَشِينَآ﴾ ﴿فَأَرَدْنَآ﴾، ولما كانت إقامة الجدار خيرًا محضًا نسب إرادتها إلى الله تعالى.

وهذا هو الأدب الواجب، أن ينسب العبد الخير إلى الله، والشَّر إلى نفسه. قال تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَٰكَ﴾[1] [النساء: ٧٩]، وفي الحديث «والخير كله بيديك والشر ليس إليك». هذا ما ظهر لي في توجيه كلام الخضر، مما فتح الله به علي، وله الحمد.

---

(١) ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ﴾ أي: نعمة كخصب ورخاء وغنى فمن فضل الله، ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ﴾ أي: نقمةٍ كجدبٍ وبؤسٍ وفقرٍ، فمن نفسك أي: بسبب عِصيانك، وليس المراد بالحسنة والسيئة: الطاعة والمعصية، كما يفهم كثيرون خطأ، انظر كتابنا "بدع التفاسير".

الفرق بين: اسطاعوا، واستطاعوا

وقع السؤال عن الحِكْمة في قول الله تعالىٰ في سدِّ ذي القرنين: ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا﴾ [الكهف: ٩٧].

والجواب: أنَّ الحِكْمة -مما يظهر لي والله أعلم- أن الظُّهور علىٰ السدِّ لا يحتاج إلا إلىٰ محاولة بالأيدي والأرجل، أو وضع ما يرقىٰ عليه كالسُّلم، فلذلك عبر فيه باسطاعوا، ولكن نقبه يحتاج فيه إلىٰ مُعدِّات النَّقب، كالفئوس والمعاول، فعبَّر فيه باستطاعوا، لأن زيادة المبنىٰ تدل علىٰ زيادة المعنىٰ، كما تقرَّر في علوم العربية.

ولهذا -والله أعلم- لَمَّا أراد الخضر أن يُبيِّن لموسىٰ سرَّ تصرُّفاته، قال له: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٨] فعبَّرَ بتستطع؛ لأن موسىٰ في سرعته بالإنكار عليه، وشدة تشوفه لمعرفة حِكْمة تصرُّفاتِه، لا يقدر علىٰ الصبر إلا بمشقَّةٍ وتكلُّفٍ، وهو حين يحاوله، يحاول أمرًا يخالف طبعه، فكان التعبير بلم تستطع يناسب حالَه، ولَمَّا اطمأنتْ نفسُه إلىٰ معرفة أسرار تلك التَّصرُّفات التي أثارتْ إنكاره، وسَكَنَ إليها، صار الصبر ميسورًا له، لا يتكلَّف فيه مشقة، فناسب أن يقولَ له: ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٨٢].

فمَنْ قال من المفسِّرين أنه جمع بين اللُّغتين، لم يتفطَّن لهذه الحِكْمة الدقيقة، والحمدُ لله علىٰ ما ألهم وعَلَّمَ.

الفرق بين الضياء، والنور

قال الحافظ ابن رجب: الضِّياء نور فيه إحراق، ولذا سمى الله الشَّمس ضياء، فقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ ﴾ [يونس: ٥] وسَمَّى التَّوراة ضياء، حيث قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً ﴾ [الأنبياء: ٤٨] لأن تكاليفها شديدةٌ، وأحكامها صعبة وسَمَّى القرآن نورًا في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾ [الأعراف: ١٥٧] لأنَّ أحكامه سهلة، وتكاليفه سمحة، وبالله التَّوفيق.

قصة الغرانيق

قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ﴾ إيمان النَّاس، لينجوا من العذابِ، ويعظِّم له عند الله الثواب، بدليلِ قوله تعالى: ﴿ لَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ قاتلها غمًّا من أجل ﴿أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣] فتمنَّى على حقيقته كما تبين ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِىٓ﴾ طريق ﴿أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ الشبه والشكوك في عقول النَّاس حتى لا يُؤمنوا ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ ثُمَّ﴾ أي: يبطلُه بما يبديه الرسول من المعجزاتِ والدَّلائل ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ﴾ يثبتها في قلوب النَّاس وعقولهم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما يلقي الشَّيطان ﴿حَكِيمٌ﴾ [الحج: ٥٢] في تمكينه من ذلكَ ليختبر عبادَه.

وتفسير الآية بهذا المعنى[1] واضحٌ معقولٌ، يتمشَّى مع نظم القرآنِ،

---

(١) وهو مضمون ما أملاه القطب الكبير السيد عبد العزيز الدباغ، على تلميذه الإمام

ويوافق حال الرسل في حرصهم على إيمان النَّاس.

ولكن كثيرًا من المفسِّرين عدلوا عنه إلى تفسيرٍ آخر، فقالوا: معنى تمنَّى قرأ، واستدلُّوا بقول الشاعر:

تمنَّى كِتابَ الله أوَّل ليلةٍ تمنِّي داودَ الزَّبُورَ على رِسْلِ

قالوا: والمعنى: إلا إذا قرأ ألقى الشيطان في قراءته ما ليس من الوحي، مما يرضاه المرسل إليهم. قالوا: وقد قرأ النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم (سورة والنجم)، بمجلس من قريش، فلما بلغ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٩- ٢٠] ألقى الشيطان على لسانه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بغير علمه به «تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهن لترتجى» ففرح المشركون، ولما قرأها على جبريل عليه السلام، قال له: ما أتيتك بهذا.

فحزن صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فأنزل الله هذه الآيات من (سورة الحج) يسليه بهن.

فهذه القصة -وتُسمَّى قصة الغَرانيق- منكرةٌ باطلةٌ، وإن قال الحافظ ابن حجرٍ رحمه الله: «لها طريقان صحيحان مرسلان»، لأن ما يمسُّ العصمة ويتصل بصميم العقيدة، لا تقبل فيه المسندات الصَّحيحة، فضلًا عن المراسيل.

وأوَّل نكارة في تلك القصة: تسلط الشيطان على النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بإلقاء شيءٍ على لسانِه وهو لا يعلمه، مع أنَّ من البدهيات العقلية عصمة النَّبيِّ من الشيطان، فكيف تمكَّن منه في هذه الحادثة؟!

العلامة أحمد بن المبارك اللمطي، وسجله في كتاب "الإبريز".

هل كان نائمًا؟ لنفرض ذلك، فهو معصوم في نومه، ولذا كانت رؤيا الأنبياءِ وحيًا يعمل بها في التَّشريع، كما في قصة الذَّبيح إسماعيل عليه السلام.

ثم كيف خَفِيَ عليه الفرق بين إلقاء المَلَك؟ وإلقاء الشَّيطان؟!

ولئن جاز الاشتباه عليه في هذه الحادثة، جاز الاشتباه في غيرها، فترتفع الثِّقة بالوحي، ثم كيف خَفِيَ عليه تناقض الكلامين؟ إذ ﴿ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ صفة ذم، وكلام الشَّيطان المقمم للمدح، وهل يجوز في عقلٍ أن يمتزج كلامان متناقضان على لسان أفصح العرب وأعلمهم بكلام الله تعالى، ثم لا يشعر بتنافُرها؟!

ثم بعد هذا كله كيف يسلي الله نبيَّه بأن جميع الرسل تمكن الشَّيطان أن يلقي على لسانهم ما لم يوح إليه؟! وما معنى العصمة الواجبة لهم عقلًا؟!

وبعضهم أراد تقليلَ نكارات القصَّة، فقال: لم يقل النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ذلك الكلام، ولا ألقي على لسانه، وإنَّما كان من عادته أن يسكت عند مقطع كلِّ آيةٍ حين يقرأ القرآنَ، فتحيَّن الشَّيطان سكوتَه عند: ﴿ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ فتكلَّم بتلك الجملة، بقراءة تشبه قراءة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وألقاها في أسماع المشركين، فظنوها قراءته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ففرحوا. وهذا وجه قريب، لكن يبطلُه أمور:

أحدها: أنَّ الشَّيطان لا يتمثل بالنَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في شيءٍ من أمورِه، بمعنى أنه لا يَقْدِر على ذلك ولا يتمكَّن منه حفظًا لمقام النبوة من الخلط والاشتباهِ، ولذا صحَّ في الحديث: «**مَنْ رآني في المنام فقد رآني حَقًّا، فإن الشيطان لا**

يتمثَّلُ بي». وفي رواية: «فإنَّ الشيطان لا يتكوَّنني» وهو حديثٌ مشهورٌ. مع أن الشيطان قد يظهر لبعض الناس في اليقظة أو المنام، فيدعي أنه الله، ولا ضرر في ذلك، إذِ العقل يقضي بتنزُّه الله عن سِمات المُحْدَثاتِ، فكذبُ الشيطان في دعواه هذه واضِحٌ لا يحتاج إلى بيانٍ.

ثانيهما: تنافر كلام الله وكلام الشَّيطان، والمشركون عرب فصحاء لا يخفى عليهم ذلك.

ثالثهما: أنَّ الشَّيطان لا يفعل ما يؤدِّي إلى التقارب بين النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وبين المشركين، بل هو يعمل على عكس ذلك.

وبالجملة فالقِصَّةُ مُنكَرةٌ باطلةٌ كما قال ابن العربي وعياض وغيرهما، وبالله التوفيق.

معنى آية العفو

قول الله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [التوبة: ٤٣] قال فيه بعض المفسِّرين: ذكر العفو يؤذن بالجريمة. وبئس ما قال!

والعجيب أنه من المعتزلة الذين يرجعون العصمة للنبيِّ قبل النبوة وبعدها، فكيف سقط هذه السَّقطة الشَّنيعة؟!

والحقيقة أنه لا ذنبَ ولا جريمة، لسببٍ واضحٍ، هو أنَّ الذَّنبَ أو الجريمةَ أو المعصية مخالفةُ النهي، ولم يسبق من الله نهي عن الإذن للمنافقين، والنَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أذن لهم اجتهادًا منه، فكيف تنسب إليه جريمة؟!

بل لو فرض أنَّه أخطأ لكان مثابًا على اجتهاده غير مؤاخذٍ بخطئه، وهو صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لم يُخطئ، لأنَّه سلك ما هو الأوفق بخلقه، من التَّيسيرِ على أصحابه، والميل إلى ستر حالهم، وتفويض أمرهم إلى الله تعالى، لكنَّ الله أراد منه أن يكون شديدًا على المنافقين، فهو كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣] فالإذن للمنافقين كان جائزًا بحسب الأصل، ثم نسخ بهذه الآية. كما كان الاستغفار لهم والصَّلاة عليهم جائزين، ثم نُسخَا بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾ [التوبة: ٨٤] وفاعل الحكم المنسوخ قبل نسخه لا يكون عاصيًا، بل هو مثابٌ مبرورٌ، وقوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ ﴾ [التوبة: ٤٣] استفتاح كلام، على عادة العرب في استفتاح مخاطباتهم بهذه الجملة، أو بقولهم: أطال الله بقاءَك، ونحو ذلك، ولا يقصدونَ المدلول اللَّفظيَّ للكلام، وإنما يريدونَ تكريمَ المخاطب، فهذه الجملة تفيد تكريم النَّبيِّ لا تحريمه.

معنى آية فداء الأسرى

قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ ﴾ [الأنفال: ٦٧] الآية.

قال بعضُ المفسِّرين: في هذه الآية دليل على خطأ النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ذلك أنه استشار الصَّحابة في أسرى بدر، فأشار أبو بكر رضي الله عنه بأخذ الفداء منهم، وأشار عمر رضي الله عنه بقتلِهم، فمال إلى رأي أبي بكر،

ونزل القرآنَ برأي عمر.

لكن لا خطأ في تصرف النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، لأنه مال إلى الأوفق بطبعه، وهو التَّيسير، وترك التفسير، ثم ترتَّب على ذلك خير كثير؛ لأن كثيرًا من الأسرى الَّذين دفعوا الفداء أسْلموا بعد، وحسن إسلامهم، ولهذا لم يوجِّه الله لومًا لنبيِّه، وإنَّما لام الصَّحابة: لأنهم قصدوا بالفداء النَّاحية المادية فقال تعالى: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾ [الأنفال: ٦٧].

يؤيد هذا ما ثَبتَ في الصَّحيح أنَّ عمر رضي الله عنه دخل على النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قبته يوم بدر، فوجده يبكي هو وأبو بكر رضي الله عنه فسألَه عن سبب بكائهما، فقال: «**عرض عليَّ عذابكم أدنى من هذه الشَّجرة**» وأشار إلى شجرةٍ قريبةٍ منه، ثم أخذت الآية أن ما حصلَ من الفداء والغنائم، سبق الكتاب بإحلاله لهم، فقال تعالى: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال: ٦٨-٦٩].

والحاصل: أنَّ ما مال إليه النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ترتَّبَ عليه ثلاثة أمور:

الأول: موافقة الكتاب السابق بذلك.

الثاني: إسلام كثير من الأسرى الذين دفعوا الفداء.

الثالث: إحلال الغنائم، فعمل تترتَّب عليه هذه النَّتائج العظيمة، لا يكون خطأ أبدًا، وبالله التوفيق.

قصة زيد وزوجه زينب

قال الله تعالى يخاطِبُ نبيه: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ﴾ بالإسلام ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بالإعتاق، وهو زيد بن حارثة؛ كان من سبي الجاهليَّة، فاشتراه النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قبل البعثة، وأعتقه وتبنَّاه ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ﴾ زينب بنت جحش ﴿وَٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ في طلاقها، وكان عازمًا عليه، لتعاليها عليه بحسبها ونسبها ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ ﴾ من وقوع حبِّها في قلبِك حين نظرت إليها بعد زواجِ زيد بها، وقلتَ في نفسك «لو فارقها زيد تزوجتها» ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ ﴾ أن يقولوا: تزوج امرأة ابنه ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾ [الأحزاب: ٣٧] في كل شيء، فتزوَّجها ولا تهتم بكلام الناس.

هكذا قال كثير من المفسِّرين، وهو صحيح إلا قولهم: إنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نظر إلى زينب بعد زواج زيد بها، فوقعتْ في قلبه... إلخ، فإنه غير صحيحٍ، بل هو باطلٌ، لوُجوه:

الأول: أن النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، كان يرى زينب قبل زواجها، وهي بنت عمَّته، فلِمَ يقع حبها في قلبه إلا بعد زواجها؟!

الثاني: أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، هو الذي خطبها من أخيها عبد الله، وكان يمكنه أن يخطبها لنفسه لو أرادها، بل كان هذا أملها وأمل أخيها حين خطبها منه، فلما صرَّح لهما بزيد، أبيَا، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٣٦] فقالا

رضينا بأمرِ الله ورسولِه.

الثَّالث: أن حكم التبنِّي كان إذ ذاك قائمًا، لم يُبطله إلَّا الإسلامُ بعد، ولم يكن النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لينظر إلى زوج ابنه المتبنَّى نظرة حُبٍّ وشهوةٍ.

الرَّابع: أنه لو كان ما زعموه صحيحًا، لكان قوله لزيدٍ: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٧] نفاقًا؛ لأنَّه أظهر بلسانه خلاف ما يُضمِره في نفسه! لكن الله عصم نبيَّه من ذلك.

الخامس: أنَّ الله لم يبد حبَّ النبيِّ لزينب، ولا ميله إلى طلاقها ليتزوَّجها، فمن أين أتوا به؟ وكيف أقحموه في تفسير الآية؟!

السَّادس: أنَّ ما أخفاه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وأبداه الله تعالى، هو أمره بزواج زينب، ليبطل حكم التَّبنيِّ، هذا ما صرَّحت به الآية، لا شيء آخر غيره، فكيف يعدلون عن صريحِ القرآن، إلى رواياتٍ لا زِمام لها ولا خطام؟!

النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أفضل الخلق

مما يدل على قدر نبيِّنا في القرآن الكريم أمور:

الأوَّل: أنَّ الله لم يناده إلا باللقب الدَّال على التعظيم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ [الأنفال: ٦٥] ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ [المائدة: ٤١] ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ [المزمل: ١] ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر: ١] ونادى غيره من الأنبياءِ بأسمائهم ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥] ﴿يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ﴾ [هود: ٤٨] ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ [هود: ٧٦] ﴿يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ﴾ [القصص: ٣١] ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ [ص: ٢٦] ﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ

وَمُطَهِّرُكَ ﴾ [آل عمران: ٥٥].

الثَّاني: نهى الله الأُمَّة أن تناديه باسمه فقال تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ [النور: ٦٣]قال ابن عبَّاسٍ: كانوا يقولون: يا محمَّد، يا أبا القاسم، فلما نزلت الآية، قالوا: يا نبيَّ الله، يا رسول الله.

وحكى الله تعالى عن الأمم السابقة: أنهم كانوا ينادون أو يذكرون أنبياءَهم بأسمائهم ﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا ﴾ [الأعراف: ١٣٨] ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة: ١١٢] ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [النمل: ٤٤].

الثَّالث: أنَّ الله تعالى أقسم بحياتِه، فقال: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الحجر: ٧٢] ولم يقسم بحياة مَلَكٍ ولا رسول سواه، ومن هذا أخذ الإمام أحمد في أحد قولَيه: أنَّ اليمين بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم تنعقد، وفيها الكفَّارة.

الرَّابع: كان من لغة الأنصار وغيرهم من بعض قبائل العرب في الجاهليَّة أن يقول الشخص لمن يخاطبه: راعني سمعك، فقالها اليهودُ للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قاصدين سبه بالرعونة -وهي الحمق- فنهى الله المسلمين الذين كانوا يقولونها بحسن نية، فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا ﴾ في مخاطبتكم للنبي ﴿رَاعِنَا وَ﴾ لكن ﴿قُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا ﴾ [البقرة: ١٠٤] وذمَّ اليهود على قصدهم السَّيئ بهذه الكلمة، فقال: ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا ﴾ هم اليهود ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ﴾ للنبي ﴿سَمِعْنَا ﴾

قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك ﴿وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ دعاء عليه، أي لا سمعت ﴿وَ﴾ يقولون له أيضًا ﴿رَٰعِنَا﴾ وهي سب بالحمق في قصدهم ﴿لَيًّۢا﴾ تحريفًا ﴿بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا﴾ قدحًا ﴿فِى ٱلدِّينِ﴾ الإسلام بسبِّ النَّبيِّ والقدح فيه ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟﴾ له ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ بدل «وعصينا» ﴿وَٱسْمَعْ﴾ ولم يقولوا: «غير مسمع» ﴿وَٱنظُرْنَا﴾ بدل «وراعنا» ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ﴾ مما قالوه ﴿وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٤٦].

وفي الآية دليل على أمر آخر، وهو:

الخامس: أنَّ الله تعالى جعل سبَّ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم طعنًا في الدِّين والطاعن في الدِّين كافرٌ، فسابُّ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كافرٌ، وعلى هذا إجماع العلماء.

السَّادس: أنَّ بعض الرسل كانت لهم زوجات كافرات، كنوحٍ ولوطٍ عليهما السَّلام، ونبينا حرَّم الله عليه نكاح الكافرات، فكانت زوجاته مؤمنات كلهنَّ رضي الله عنهنَّ.

السَّابع: أنَّ الله جعل زوجاته أمهات المؤمنين، قال تعالى: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦].

الثامن: أنَّ الله تعالى حرَّم نكاحهنَّ من بعده صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ ذنبًا

﴿عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣].

فمكثن بعده في بيته وعلى نفقته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، من فدك وخيبرَ، والسِّر في ذلك: أنه حيٌّ في قبره الشَّريف، والحي لا تتزوَّج نساؤه.

التَّاسع: أخبر الله تعالى أنه وملائكته يصلُّون عليه، وأمرنا بالصَّلاة والسلام عليه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] وهذه رتبةٌ لم ينلها مَلَكٌ ولا رسولٌ.

العاشر: أنَّ الله تعالى أمدَّه بالملائكة جاهدت معه في غزوتي بدرٍ وأُحدٍ، كما جاء في سورتي (آل عمران) و(الأنفال)، وهذه رتبة لم ينلْها رسولٌ قبله.

الحادي عشر: أنَّ الله تعالى نصره بإلقاء الرُّعب في قلوب أعدائه، قال تعالى: ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢].

الثَّاني عشر: أنَّ الله تعالى يُعطيه قبل أن يسأله، كان صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يرفع رأسه إلى السَّماء يريد تحويل القبلة إلى الكعبة، فأنزل الله تعالى عليه ﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤].

وهمَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بطلاق بعض نسائه خشيةَ أن يكون ميله لغيرها أكثر، فأنزل الله عليه: ﴿تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ﴾ تؤخر من تشاء من

أزواجك عن نوبتها ﴿وَتُـْٔوِيٓ﴾ تضم ﴿إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾ منهن ﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾ عن القسمة ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ [الأحزاب: ٥١].

في طلبها وضمها إليك، فأعفاه من وجوب القَسم بينهن، وخيره فيه، حتَّى لا تحرم إحداهن من شرفِ انتسابها إليه، وكونها من زوجاته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ولما نزلت هذه الآية قالتْ له عائشة رضي الله عنها: «أرى ربك يسارع في هواك».

الثَّالث عشر: لما اتهم ابن أُبيّ المنافق، عائشة رضي الله عنها، أنزل الله يبرئها ببضع عشرة آية من (سورة النُّور)، افتتحها بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم﴾ [النور: ١١]واختتمَها بقوله تعالى: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: ٢٦].

قالت عائشةُ: كنت أرجو أن يبرِّئني الله برؤْيا يراها رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وكنتُ في نفسي أقل من أن يُنزل في شأني قرآنٌ يُتلَى.

قلت: لكن الله لشدَّة عنايته بنبيِّه سجَّل براءة زوجه في كتابه الكريم، ليبيِّن بوضوح طهارة ساحته الكريمة مما يشين.

الرَّابع عشر: لما حصل عن عائشة وحفصة في حقِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ما يحصل عادةً بين الرجل وأزواجه، خاطبهما الله تعالى بقوله: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ مالت إلى تحريم مارية الذي أسره إلى حفصة، وأفشته إلى عائشةَ، وهو أمر يستوجب التَّوبة ﴿وَإِن تَظَـٰهَرَا عَلَيْهِ﴾ تتعاونا على النبيِّ

فيما يكرهه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ﴾ ناصره عليكما ﴿وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤]، أي: عونًا في نصره عليكما.

وهذه الآية تدل على أنَّ الله تعالى يعتني برسوله عنايةً دونها كل عنايةٍ، وأنَّ منزلته عند مولاه لا توازيها منزلة، فما نعلم أنَّ الله تعالى نصر رسولًا على أعدائه بهذه الصُّورة الرائعة التي وعد بها رسوله في نصره على زوجيه.

حقًّا إنها صورة يعجز القلم عن وصفها ويحارُ العقل في تقدير عِظمها!

الخامس عشر: حكى الله عن الأنبياء أنَّهم دافعوا عن أنفسهم تهم قومهم لهم، فنوح، قال: ﴿يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٦٧]وموسى، قال لفرعونَ: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢] هالكًا، وهكذا لوط وشعيب وغيرهما.

ونبينا تولَّى الله الدفاع عنه، قال له المشركون: ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ [الرعد: ٤٣] فردَّ الله عليهم بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٢] ووصفوه بالجنون، فردَّ الله عليهم بقوله: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم: ٢] وبقوله: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير: ٢٢] وقالوا له -حين أبطأ عليه الوحي- قلاك شيطانك، فردَّ الله عليهم بقوله: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ٣] وقالوا: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ قين نصراني. فردَّ عليهم: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ

إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النحل: ١٠٣] وأنكر اليهود نبوَّته حين سئلوا عنه، فأنزل الله ردا عليهم ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ١٦٦].

ولما ماتَ ابنه إبراهيم عليه السلام، قال المشركون بتر محمد، فأنزل الله ردًّا عليهم (سورة الكوثر)، قال فيها: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ مبغضك ﴿هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣].

وهكذا لا تجد المشركين أو اليهود، وجهوا تهمة للنبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلا ردها الله عليهم أبلغ رد، وكذبهم فيها أقبح تكذيب، ولم يفعل ذلك مع رسول قبله، وإلى هذا أشرت بقولي في الاستغاثة الآتية بعد:

نبيٌّ تولَّى الله عنه دِفاعَهُ ... وخَيَّبَ قومًا قد رَمَوْهُ بجُنَّةِ

السَّادس عشر: أن الله تعالى دافع عن أصحابه، تكريمًا له عليه الصَّلاة والسَّلام، اقرأ قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ يقصدون أصحاب النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال تعالى يرد عليهم أبلغ رد: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣] ولم يدافع عن أصحاب رسول قبله.

السَّابع عشر: أنَّ الله تعالى زكى جملته بقوله: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ وزكَّى نطقه بقوله: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ وزكى علمه بقوله: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ ﴾ [النجم: ٥- ٦]وزكى

قلبه بقوله: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم: ١١] وزكّى بصره بقوله: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: ١٧] ثم زكى خلقه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، فزكّاه جملة وتفصيلًا، وما زكّى رسولًا بهذه الكيفية.

الثّامن عشر: أنَّ الله تعالى جعله خاتم النبيين، قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

التّاسع عشر: أنَّ الله تعالى أرسله للعالمين الإنس والجنِّ، وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، وفي (سورة الرحمن) توجَّه الخطاب بالبشارة والإنذار للإنسِ والجنِّ جميعًا.

العشرون: أنَّ الله تعالى أرسله رحمة للعالمينَ، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. ومعنى ذلك أنَّ الله تعالى دفع برسالته الخسف والمسخ والقذف بالحجارة من السماء، وغير ذلك ممَّا كان في الأمم السَّابقة.

الحادي والعشرون: أنَّ الله جعل وجوده في مكان مانعًا من نزول العذاب بأهله ولو كانوا أبغض الخلق إلى الله، إكرامًا له عليه الصَّلاة والسَّلام، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا۟﴾ أي مشركو مكة ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا﴾ ما أتى به محمد ﴿هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢] وهذا منتهى العناد في الكفر يستوجب الغضب والمقت، ونزول العذاب العاجل.

ومع ذلك قال الله تعالى يخاطب نبيَّه: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ [الأنفال: ٣٣]، هذا تكريم لا يوازيه تكريمٌ.

الثاني والعشرون: أنَّ الله تعالى وجه إنذارًا للملائكة في القرآن الذي أنزل عليه، قال تعالى: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ ﴾ أي: الملائكة ﴿إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ﴾ [الأنبياء: ٢٩].

وبهذه الآية مع آية: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ [الأنعام: ١٩]. استدل الحافظ السُّيوطيُّ على أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رسول إلى الملائكة، انظر كتابه "الأرائك في إرسال النبي إلى الملائك".

الثالث والعشرون: أنَّ الله تعالى أنزل سورًا خاصة تنوه بعظم قدره، مثل (سورة الفتح)، و(الضُّحى)، و(الانشراح)، و(الكوثر)، و(النصر).

الرَّابع والعشرون: أنَّ الله تعالى أخذ الميثاق على النبيينَ أن يؤمنوا به وينصروه، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ﴾ وهو محمد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ﴿قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى﴾ عهدي ﴿قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ ﴾ أعرض ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ ﴾ الميثاق من أتباعِكم ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ٨١،٨٢]. وفي هذا تنويهٌ كبير بقدر نبيِّنا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وإليه الإشارة بقولي في الاستغاثةِ:

وفي آيـةِ المِيثَـاقِ عَهْـدٌ مُؤكَّـدُ مِن الله للرُّسْـلِ الكِـرامِ بجُمْلَـةِ

يقاربه ما حكاه الله تعالى عن خليلِه إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السَّلام ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ﴾ أي: أهل البيت الحرام ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩] فاستجاب الله تعالى دعاءهما بنبينا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

وما حكاه عن التوراة والإنجيل ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ في الدنيا ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾ في الآخرة ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ محمدًا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ باسمه ونعته ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾ مما حرَّم في شرعهم ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ كالميتة والخنزير ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ ثقلهم ﴿وَالْأَغْلَالَ﴾ الشَّدائد ﴿الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ كقتل النفس في التوبة وقطع أثر النَّجاسة من الثوب ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ﴾ وقروه ﴿وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦-١٥٧].

وما حكاه عن عيسى عليه السلام ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]. وهؤلاء زعماء الرُّسل وكبراؤهم، فأي تنويه يوازي هذا أو يقاربه؟!

الخامس والعشرون: أنَّ الله تعالىٰ: جعل محبَّته موقوفة علىٰ اتباع رسوله وجعل طاعته طاعة له، وأمر بطاعتِه وطاعة رسوله: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٣١ - ٣٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩].

﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠].

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر: ٧].

في آياتٍ كثيرةٍ، وأخبر عن الأنبياء نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وعيسىٰ وغيرهم أنهم أمروا قومهم بطاعتِهم حيث قال كل واحد لقومه: ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [آل عمران: ٥٠].

والسِّر في ذلك: أنَّ الله تعالىٰ كما تولَّىٰ الدِّفاع عنه، تولىٰ توجيه الأمر بطاعته، وحيث ترك الأنبياء يدافعون عن أنفسِهم ترك لهم توجيه الأمر بالطَّاعة، وبين المقامين فرق لا يَخفىٰ.

السَّادس والعشرون: أن الله تعالىٰ كثيرًا ما يقرن ذكر رسوله بذكره، نحو: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٩].

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ

ٱلْعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ١٣].

﴿ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال: ٢٤].

﴿ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾ [الأنفال: ٢٧].

﴿ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [الأنفال: ١].

﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾ [التوبة: ٦٢].

﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ﴾ [التوبة: ٣].

﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ ﴾ [التوبة: ١].

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [التوبة: ٢٤].

﴿ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ﴾ [النور: ٥٠].

﴿ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

﴿ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾ [الأحزاب: ٢٢].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [الأحزاب: ٥٧].

﴿ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [الحجرات: ١]وفي هذا تشريف كبير لنبيِّنا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، لم ينله رسول قبله.

السَّابع والعشرون: أنَّ الله تعالى أوجب الاستسلام لحكمه، والانقياد له وجعل الإيمان موقوفًا على ذلك ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا

شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

فهذه الآية أوجبتِ الاستسلام لحكمه استسلامًا مطلقًا لا معارضة فيه، ومعنى هذا: أن حكمه لا يكون إلا صوابًا، لأن الصَّوابَ هو الذي يجب قبوله والذين قالوا: إنَّه عليه الصَّلاة والسَّلام يخطئ في اجتهاده، غفلوا عن هذه الآية التي ترد قولهم.

وانظر هذه الآية، ووازنها بقول الله تعالى لداود عليه السلام: ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [ص: ٢٦] تجد الفرق واضحًا بين المقامين، والبون شاسعًا بين الخطابين.

الثامن والعشرون: أن الله تعالى نهى عن رفع الصوت فوق صوته عليه الصَّلاة والسَّلام، وعن الجهر له بالقول كما يجهر بعض الناس لبعض، وجعل ذلك موجبًا لحبوط الأعمال كالرد، فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ ﴾ مخافة ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات: ٢].

التاسع والعشرون: أن الله تعالى ذم الأعراب الذين نادوه من وراء الحجرات، ولم ينتظروا خروجه من غير أن يزعجوه ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات: ٤ – ٥] لمن تاب منهم.

الثلاثون: أن الله تعالى وكل إلى اليهود حفظ التوراة، حيث قال:

﴿وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾ [المائدة: ٤٤].

فأضاعوها وحرفوها حسب أهوائهم، كما سجل الله تعالىٰ عليهم ذلك في غير آية، وكان مصير الإنجيل كذلك، لكنه تعالىٰ تكفل بحفظ كتابه الذي جعله معجزة نبيه الكبرىٰ، فقال جل شأنه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]فلم يدخله تبديل ولا تحريف، ولن يدخلاه أبدًا، فهو خالد مدىٰ الدهر، يرشد الإنسانية إلىٰ طريق سعادتها، ويسايرها في حضارتها الحقة، وينبه العلماء إلىٰ استجلاء أسرار الطبيعة، واكتشاف خفايا المادة، ويخاطبهم بأن ما وصلوا إليه من ذلك -وإن كان كثيرًا عندهم- قل من كثر، وغيض من فيض ﴿رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] وليس من الكتب المنزلة كتاب يحفظ عن ظهر قلب غيره. قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ سهلناه للحفظ وهيأناه للتذكر: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧] فهل من حافظ له؟ ومتعظ به؟ والاستفهام بمعنىٰ الأمر: أي احفظوه واتعظوا به.

فلهذه الأمور وغيرها -مما يزيد أن نجمعه في كتاب خاص[(١)] بحول الله تعالىٰ- أجمع العلماء علىٰ أن نبينا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أفضل الخلق علىٰ الإطلاق، حتىٰ أن الإمام الرازي وغيره ممن قالوا بأفضلية الملائكة علىٰ الأنبياء، صرحوا بأن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مستثنىٰ من هذا وأنه أفضل من

---

(١) وفَّقني الله إلىٰ تأليف كتاب "دلالة القرآن المبين علىٰ أن النبي أفضل العالمين" وهو مطبوع.

الملائكة بلا نزاع ولم يشذ عن هذا الإجماع إلا اثنان: أحدهما: ابن حزم، فإنه زعم أن الملائكة أفضل منه، والثاني: الزمخشري فإنه زعم أن جبريل عليه السلام أفضل منه. وهذان القولان في غاية الشذوذ ولو تأمل صاحباهما تلك الأمور التي قدمناها، بإمعان. لما خرجا على الإجماع ولا شذا عنه، وبالله التوفيق.

حل إشكال في آية القذف

قوله تعالى في قصة الإفك: ﴿لَّوْلَا جَاءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النور: ١٣]هذا خاص بعائشة رضي الله عنها، للقطع ببراءتها حيث برأها الله تعالى.

وكذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٣ – ٢٥].

هو أيضًا خاص بقذف أمهات المؤمنين رضي الله عنهن وهذا يضاف إلى الأمور السابقة الدالة على علو قدر نبينًا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، حيث أوجب الله تعالى على قاذف أزواجه اللعنة والعذاب، ولم يذكر في شأنه توبة.

أما قاذف غيرهن فقد ذكر الله حكمه في أول السورة، حيث قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٤-٥].

وحاصل الحكم المذكور أن من قذف عفيفة بالزِّنا، إن لم يأت بأربعة شهود

شهدوها تزني، يجلد ثمانين جلدة حد القذف وترد شهادته لفسقه، فإن تاب بعد ذلك قبلت شهادته وزال عنه حكم الفسق غير أنه -في حالة جلده ورد شهادته- لا يقطع بكذبه، لجواز أن يكون صادقًا ولم يقدر على إحضار شهود. والأحكام الشرعية تكون بحسب الظاهر.

وعلى هذا لا مغمز في أبي بكرة حيث جلده عمر رضي الله عنه حد القذف في شهادته على المغيرة بالزِّنا ولم يكمل نصاب الشَّهادة. على أن الجلد في حالة عدم تمام النصاب، اجتهاد من عمر رضي الله عنه ، غير مجمع عليه. فأبو بكرة صحابي عدل مقبول الشَّهادةِ والرواية، وبالله التوفيق.

بعض الحقائق العلمية في القرآن

قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس: ٦١].

وقال سبحانه: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٣].

تفيد هاتان الآيتان أن الذرَّة تتجزأ وقد توصل إليه العلم أخيرًا، بعد أن درج القدماء على أن الذرة لا تتجزأ، ولم يتفطنوا إلى أن القرآن يشير إلى خلاف ما يقولون، وهكذا كلما تقدم العلم واكتشف حقيقة، وجد القرآن سبقه إلى الإشارة إليها. ولنذكر لذلك أمثلة حضرتنا الآن، هذا أحدها.

والثاني: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ [الأنعام: ٦٥].

ورد في حديث أنه لما نزلت هذه الآية، قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**أما إنها كائنة ولم يأت تأويلها بعد**».

وقد أتىٰ تأويلها الآن في هذه الحروب التي تلقىٰ فيها الطائرات القنابل المدمرة، وتنفجر تحت الأرجل الألغام المهلكة، ووقع التفرق والاختلاف والتطاحن علىٰ وجه لم يسبق له مثيل.

والثالث: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ ﴾ جبالًا ثوابت ﴿أَن﴾ لا ﴿تَمِيدَ ﴾ تميل ﴿بِكُمْ ﴾ [النحل: ١٥]. يقال: مادت السفينة إذا مالت في سيرها بشدة الموج، وهكذا تفيد الآية تحرك الأرض مع عدم ميلها لإرسائها بالجبال.

والرابع: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ ﴾ [الحجر: ٢٢] تلقح النبات، تجمع بين ذكره وأنثاه، وفي آية أخرىٰ: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴾ [طه: ٥٣]وفي ثالثة ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ﴾ [الرعد: ٣]فهذه الآيات تشير إلىٰ أن في النبات ذكرًا وأنثىٰ وأن الرياح تلقحه، وكل ذلك توصل إليه العلم أخيرًا.

والخامس: ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾ [الحجر: ١٩] تشير الآية إلىٰ ما اكتشفه العلم أخيرًا؛ أن النبات مكون من عناصر بنسب معينة، ومقادير محدودة، لا تنضبط إلا بأدق الموازين.

والسادس: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٨]كالقطار والسيارة والطائرة بأنواعها، وغير ذلك من المخترعات للركوب، فالآية نص في الإشارة إلى ما ذكر.

والسابع: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ [الأنبياء: ٣٠] تشير الآية إلى حقيقتين علميتين:

أحدهما: أن السموات والأرض انفتقتا عن النظام الشمسي.

ثانيتهما: أن كل شيء حي، من الماء؛ حتى الجماد، له حياة قائمة بماء التبلور.

والثامن: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴾ [القيامة: ٣ – ٤] أي أصابعه.

توصل الغربيون بعد البحث عن حكمة تخصيص الأصابع بالذكر في الآية إلى اكتشاف حقيقة هامة، فقد وجدوا أن خطوط الأصابع والتعاريج التي فيها، لا تتشابه، رغم صغر رقعتها وكثرة المخلوقات.

ومن هنا صارت البصمة تدل على صاحبها دلالة قاطعة[1] أخبرني المرحوم متولي العوضي أن مستشرقًا إنجليزيًا حدثه بهذا، أثناء كلامهما عن القرآن الكريم، وما فيه من الحقائق العلمية.

والتاسع: ﴿ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ [النحل:

---

(١) كتب أخي العلامة السيد حسن الصِّدِّيق في هذا الموضع ما نصه: «وشيء آخر، وهو أنَّ علم التشريح الحديث أثبت أنَّ أدقَّ أعضاء الجسم تركيبًا أصابع الإنسان، حتى إنهم ليقضون في دراستها مدة تعادل المدة التي يقضونها في جسم الإنسان كلِّه».

٦٩]. ثبت علميًا أن عسل النحل ينفع علاجًا لأمراض كثيرة، لا سيما بعد أن وجد فيه الجلوكوز الذي يعالج به عدة أمراض مستعصية وتوصل علماء الطب أخيرًا إلى استخراج دواء من العسل، لعلاج مرض السكر.

والعاشر: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧] تشير هذه الآية إلى حقيقة علمية، وهي أن السماء تتسع شيئًا فشيئًا في الفضاء اللانهائي، حتى تصل إلى النهاية التي تمزق عندها وتتشقق.

والحادي عشر: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١]كلمة «دخان» تشير إلى ما اكتشفه العلم من أن الأمشير مادة الكون. وهذا قل من كثر وبعض من كل.

ومن استعمل فكره وأمعن نظره، هدي إلى كثير من الحقائق العلمية المختلفة. ولشقيقنا الحافظ أبي الفيض رحمه الله كتاب "مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية" فيه بيان بعض المكتشفات المستخرجة من القرآن الكريم، وهو مطبوع فليراجع.

الإسراء والمعراج كانا يقظة

الإسراء والمعراج من أهم معجزات نبينا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وهما مسجلان في القرآن الكريم:

فالإسراء في قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

والمعراج في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾ رأىٰ محمد جبريل علىٰ صورته ﴿نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣] مرة أخرىٰ ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ١٤] شجرة نبق ينتهي إليها علم المخلوقات.

ورآه المرة الأولىٰ في الأرض ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣] وسدرة المنتهىٰ مبدأها في السماء السادسة، ومنتهاها فوق السماء السابعة ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ [النجم: ١٥ – ١٦] من أنوار وأسرار ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ﴾ من محمد عليه السلام، وهذا تصريح بأن الرؤية حقيقة، لا منامية، ولا روحية. والصريح لا يقبل التأويل، كما تقرر في علم الأصول ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾ ما تجاوز مرئيه، تأكيد لكون الرؤية حقيقة ﴿لَقَدْ رَأَىٰ﴾ ببصره هناك ﴿مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٨]العظام.

وقد أجمع العلماء علىٰ أن الإسراء والمعراج كانا يقظة بالجسد والروح، وما نقل عن عائشة رضي الله عنها من أنها لم تفقد جسم النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ليلة الإسراء، كذب عليها، لأن عمرها إذ ذاك أربع سنوات أو أقل ولم يتزوجها النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إلَّا بعد الهجرة، والإسراء كان قبل الهجرة بخمس سنين.

وإنما صح عنها بالطرق الموثوق بها أنها قالت مثل ما قال غيرها من الصَّحابة، وانعقد عليه الإجماع، ولفظ «بعبده» صريح ذلك أيضًا.

وزعم بعض العصريين المتحذلقين أنهما كان منامًا، وزعم آخر أنهما جولة

روحية، بمعنى أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم -وهو قاعد بمكة- جال بروحه في بيت المقدس والسموات وغيرهما، وهذان القولان في غاية السخف.

إذ لو كان الأمر كذلك، فلم كذب المشركون النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ؟! ولما سألوه أن يصف لهم بيت المقدس؟!

ولما ارتد بعض ضعفاء المسلمين ممن لم يتسع أفقهم لإدراك هذه المعجزة؟!

لقد كان من السهل جدًّا أن يقول النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، إنها رؤية منامية، أو جولة روحية فلا يحصل تكذيب ولا ارتداد، لكنه -عليه الصَّلاة والسَّلام- صرَّح كما صرح القرآن بأنه كان في رحلة حقيقية، ووصف لهم بيت المقدس -ولم يذهب إليه قبل ذلك وهم يعرفون- وأخبرهم عن العير التي مر بها في الطريق.

ثم لا معنى لاستبعاد الإسراء والمعراج، والتماس تأويلهما مع شهادةِ العقل بإمكانهما، بل توصل العلم إلى ما يقربهما إلى الأذهان، ويزيد عنهما كل إشكال.

فالطائرة تقوم من القاهرة صباحًا، وتصل إلى جدة قبل الظهر. بل تقطع المسافة بين مصر وموسكو في أربع ساعات، وبينهما بضعة آلاف ميل.

وهذه الأقمار الصناعية، أو سفن الفضاء تتجاوز منطقة الجاذبية، وتدور حول الأرض عدة مرات بمعدل ساعة ونصف لكل مرة، وفيها آلات تسجل ما هناك، ثم تعود.

لقد أصبح هذا وشبهه أمرًا عاديًّا بسبب تقدم العقول البشرية فيما وهبه الله لها من العلوم الكونية، المشار إليها بقوله تعالى: ﴿عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٤ – ٥].

أفيستبعد -بعد هذا- على واهب العقول، وخالق القوى والقدر أن ينقل نبيه إلى بيت المقدس ثم إلى سدرة المنتهى ويرده في ليلته؟ لا سيما وقد نقله على ركوبة أسرع من الطائرة، فقد كان البراق يضع حافره عند منتهى بصره، وكان معه في معراجه جبريل الذي ينزل من السماء السابعة إلى الأرض في لحظة.

وبهذا استدل الصديق رضي الله عنه على صحة الإسراء وإمكانه، فإنه لما قال له بعض المشركين: أصاحبك يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس وأصبح بين أظهرنا! فقال: لئن قال ذلك، لقد صدق. قيل له: أو تصدقه في ذلك؟ قال: أنا أصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه في الوحي ينزل عليه من السماء في لحظة!

والخلاصة: أن منكر الإسراء والمعراج أو مؤولهما خالف القرآن، وصادم العقل، وجانب المنطق، وجهل ما وصل إليه العلم الحديث. فلا اعتداد بإنكاره ولا لتأويله، وبالله التوفيق.

أقسام الوحي

قسم العلماء الوحي إلى قسمين: متلو، وغير متلو. فالمتلو القرآن، وغير المتلو السنة.

وقسموا الثاني إلى قسمين: ظاهر وخفي، فالظاهر السنة القولية أو الفعلية، والخفي اجتهاده عليه الصَّلاة والسَّلام.

واستدلوا على أن السنة وحي بقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣-٤].

وبيان الاستدلال أن «ينطق» فعل يشتمل على مصدر منكر، وقع في سياق النفي، والقاعدة المقررة في الأصول: أن النكرة الواقعة في سياق النفي، أو الشرط للعموم بالوضع.

فتقدير الآية: وما يحصل منه نطق عن الهوى ما هو إلا وحي يوحى فجميع نطقه المتعلق بالدين، صادر عن الوحي، سواء أكان قرآنًا أم سنة؟ وهذا واضح جدًا، والمسألة مبسوطة بدلائلها في كتب الأصول.

معنى الحروف المقطعة

الحروف المقطعة في أوائل بعض السور، وهي «ألم، ألمص، ألر، ألمر، كهيعص، طه، طسم، طس، يس، ص، حم، عسق، ق، ن» اختلف فيها؛ فقيل: هي من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله.

وقيل: رموز بين الله ورسوله.

وقيل: أقسام أقسم الله بها.

وقيل: أسماء للسور، فيقال: سورة ألم: كما يقال: سورة البقرة.

وقيل في طه ويس إنهما اسمان من أسماء النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم [(١)].

وقيل: أنزلها الله تعالى لتكون معجزة للنبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، حيث عرف مسميات الحروف «ألف، لام، ميم» ونطق بها، وهو أمي.

وقيل: لما قال المشركون: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾

---

(١) كتب أخي السيد حسن في الموضع ما نصه: قال ابن القيم: لم يصح في أنهما اسمان للنبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حديث.

[فصلت: ٢٦] أنزلت هذه الحروف ليضطروا إلى استماعها واستماع ما بعدها، لغرابتها عليهم.

وقيل: أنزلت للإشارة إلى أن القرآن مؤلف من حروف يتكلمون بها، وتجري في لغتهم، وهم -مع ذلك- عاجزون عن معارضته.

ويؤيد هذا أن هذه الحروف المقطعة تشتمل على نصف حروف المعجم، وفيها من حروف الحلق والإطباق والقلقلة والاستعلاء والصفير والغنة، ومن الحروف الرخوة والشديدة والمهموسة والمجهورة، إلخ[(١)].

فكأنه يقول: إن القرآن مع كونه مؤلفًا من حروف لغتكم بمخارجها وخصائصها عجزتم عن الإتيان بمثله أو بسورة منه، وما ذاك إلا لأنه كلام الله تعالى.

وهذا قول جيد لا بأس به، والقولان قبله كذلك، والله أعلم بسر كلامه.

---

(١) ويؤيده أيضًا أن هذه الحروف جاء بعدها ذكر القرآن أوالكتاب: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ﴾ [البقرة:١-٢]، ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [آل عمران:١-٣]، ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ [الأعراف:١-٢]، ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ﴾ [مريم:١-٢]، أي هذا الكتاب ذكر رحمة ربك.

وهكذا في سائر السور إلا في ثلاث سور لم يأت بعدها ذكر القرآن ولا الكتاب وهي: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ [العنكبوت:١-٢]، ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ [الروم: ١-٢] ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ [القلم: ١].

وسر ذلك بينته في كتاب "جواهر البيان في تناسب سور القرآن".

آية تتعلق باليهود

قال الله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا﴾ أي ضربت على اليهود حيثما وجدوا، فلا عز لهم ولا اعتصام ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٢] أي المسلمين فيما مضى، كانوا يحمونهم من أن يقع عليهم عسف أو اضطهاد، والدول الغربية اليوم، فبحبل من أمريكا وإنجلترا وفرنسا -أي بعهد منهم- اغتصب اليهود فلسطين، ولولا حبل هذه الدول اللعينة، ما استطاع اليهود أن يقفوا أمام العرب يومًا واحدًا، وإن يوم الانتصاف منهم لقريب بمشيئة الله تعالى.

أما قوله تعالى في اليهود أيضًا: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ﴾ [الأعراف: ١٦٧]أي إلى قرب يوم القيامة، ولا بد من هذا التأويل، فليس بينه وبين الآية السابقة تناقض. إذ قد دلت الأحاديث الصَّحيحة أن من علامات قرب الساعة أن يكون لليهود دولة يرأسها الدجال وينزل عيسى عليه السلام فيقتله ويقتل اليهود، فدولتهم الآن من دلائل قرب خروج الدجال الذي هو من علامات الساعة الكبرى، وبالله التوفيق.

هل عم الطوفان جميع الأرض؟

هل عم الطوفان الأرض؟ أو كان خاصًّا بجزء منها؟

والجواب: لم يعم الأرض كلها بسبب واضح، هو: أن الأرض لم تكن حينئذ معمورة بالسكان وإنما كان المسكون منها منطقة الشرق الأوسط، فلما فار التنور بالماء، أمر الله نوحًا عليه السلام أن يحمل في السفينة من كل زوجين

اثنين من السباع والطير وغيرهما، وأن يحمل معه من آمن به من أهله وغيرهم، وهم قليل. وعم الطوفان هذه المنطقة كلها، فلم يبق فيها نازل دار، ولا نافح نار. ولأجل أن هذه المنطقة التي عمها الطوفان كانت مسكونة دون غيرها، ترتب على ذلك أمران:

أحدهما: أن رسالة نوح بعد الطوفان كانت عامة، وهو عموم طارئ، لأنه لم يبق على الأرض غير من كان معه على السفينة.

ثانيهما: أن سكان الأرض اليوم كلهم من أولاد نوح عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ [الصافات: ٧٧]فهو أبو البشر الثاني بعد آدم عليهما السلام.

فإن قيل: أليس قد نجا معه ناس آمنوا به؟ قيل: نعم. ولكنهم قليلون، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠]وهم -وإن كان لهم ذرية كما يفيده قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ [الإسراء: ٣]- فهم مغمورون بالنسبة لذرية نوح الباقية إلى يوم القيامة بنص القرآن.

أدلة نبوة الخضر عليه السلام

قول الخضر عليه السلام: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [الكهف: ٨٢] دليل على أنه فعل تلك الأمور بوحي من الله تعالى، فيكون نبيًا، وهو الصَّحيح. وما قاله كثير من المفسرين أنه فعل ما فعله بإلهام، بناء على قولهم بولايته، ليس بصحيح، لوجوه:

أحدها: أن ما أقدم عليه من خرق السفينة، وقتل الغلام، لا يجوز حصوله

بأمر إلهام.

ثانيها: لا يجوز أن يدرك الخضر -وهو ولي- أن الغلام سيرهق أبويه كفرًا، ولا يدركه موسىٰ وهو نبي.

ثالثها: لا يجوز أن يكون الولي ولو بلغ أعلىٰ درجات الولاية أعلم من النبي.

رابعها: لو فعل ما فعله عن إلهام كما يقال، لوجب عليه القصاص في قتل الغلام ودفع قيمة تعييب السفينة، ولا تعفيه ولايته من ذلك: لكن شيئًا من ذلك لم يحصل، فدل علىٰ أنه كان يفعل بوحي تشريع.

خامسها: أن تعليله لما فعل بقوله: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩] ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾ [الكهف: ٨١] ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢]يدل علىٰ أنه واثق من نتيجة عمله، جازم بها، وهي غيب لا يدرك إلا بوحي نبوة، ولو كان إلهامًا لقال: فرجوت أن يكون كذا، ولم يجزم أبدًا بحال.

سادسها: لو لم يكن نبيًا بوحي إليه، لم يدرك بمجرد الإلهام أن الله أراد أن يبلغ اليتيمان أشدهما ويستخرجا كنزهما.

سابعها: قوله لموسىٰ عليهما السلام بأسلوب الواثق المتأكد مما يقول: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧-٦٨] هذا وهو يعلم أنه موسىٰ رسول بني إسرائيل، ما تجرأ علىٰ مخاطبته بهذا الأسلوب اعتمادًا علىٰ مجرد الإلهام الذي يناله الأولياء، فضلًا عن رسول كريم.

ثامنها: أن موسىٰ حين قابل الخضر عليهما السلام قال له: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦] فأراد أن يتعلم منه علمًا زيادة علىٰ ما عنده في التوراة، وذلك بأن يتعلم تشريعات ليست في شريعته، والإلهام ليس بعلم ولا تشريع، وليس له قاعدة ينضبط بها، وإنما هو كما قال أهل الأصول: إيقاع شيء في القلب ينشرح له الصدر، وهو لا يفيد اليقين، لجواز أن يكون للشيطان دخل فيه؛ إذ الولي غير معصوم كما هو معلوم، فهل يعقل أن يطلب موسىٰ أن يتعلم من شخص شيئًا -ولا أقول علمًا- للشيطان فيه دخل؟!

إذن فالخضر كان نبيًا، وهذا ما يفيده سياق قصتهما في القرآن الكريم، وصرح بنبوته في السنة النبوية. انظر كتابنا (سمير الصالحين جـ٢) والله الموفق.

المزية تقتضي التفضيل

مما شاع بين كثير من أهل العلم، عبارة «المزية لا تقتضي التفضيل» فإذا قلت لأحدهم: كيف يكون الخضر وهو ولي أعلم من موسىٰ وهو نبي يوحىٰ إليه؟ أجابك بأنه مزية، والمزية لا تقتضي التفضيل. وهي عبارة كما ترىٰ قصد بها الاسترواح وليس عليها دليل، بل الدليل يقتضي ضدها، ذلك أن التفضيل ينبني علىٰ المزية، فبقدر مزايا الشخص يكون تفضيله، وكل نبي فضل بمزية اختص بها، كاختصاص إبراهيم بالخلة وموسىٰ بالكلام، ومحمد عليه الصَّلاة والسَّلام بالرؤية، وهكذا.

وفضل نبينا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لكثرة مزاياه التي اختصَّ بها وهي التي تسمَّىٰ خصائص، ومناقب، وفضائل.

والأولياء والعلماء يتفاضلون بالمزايا التي عند كل واحد منهم، وكذلك الشهور والأيام والساعات والأذكار، تتفاضل بالمزايا التي وضعها الله فيها، فقد تبين بطلان تلك العبارة من أساسها، وتجويز كون الولي أعلم من النبي ينبني عليه أمران خطيران:

أحدهما: فتح باب الزندقة للمدعين الذين يدعون الولاية، ويزعمون أنهم أعطوا علومًا لم يعطها بعض الأنبياء، وقد وضع بعض الملاحدة حديث: «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل» وهذا يؤدي إلى الاستخفاف بمقام النبوة.

ثانيهما: المساواة بين علم النبي الذي هو يقيني معصوم من الشيطان وبين علم الولي الذي هو إلهام مظنون غير معصوم. فتأمل هذا جيدًا وبالله التوفيق.

من توسعات اللغة العربية

من توسعات اللغة العربية:

ورود الاستفهام بمعنى الأمر، مثل: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ [آل عمران: ٢٠] أي أسلموا ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١] أي انتهوا. ولهذا قال عمر رضي الله عنه عند نزولها: انتهينا يا رب.

وورود الظن بمعنى العلم، نحو: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ يعلمون ﴿أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٤٦].

ونحو ﴿فَظَنُّوٓاْ﴾ وعلموا ﴿أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ [الكهف: ٥٣].

وورود «هل» بمعنى «قد» مثل: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ﴾ [الإنسان: ١] ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ [النازعات: ١٥] ﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ﴾ [ص: ٢١] فـ«هل» في هذه الآيات بمعنى «قد».

وورود المضارع بمعنى الماضي مثل: ﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَا﴾ [البقرة: ١٤٤] ﴿قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلۡمُعَوِّقِينَ مِنكُمۡ﴾ [الأحزاب: ١٨] أي قد رأينا، قد علم الله.

وورود كلمة مكان أخرى، نحو: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ﴾ [الكهف: ٧٧] أي يكاد ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا﴾ [طه: ١٥] أي أريد، ومثل ذلك كثير.

لم لم تتكرر قصة أهل الكهف وذي القرنين؟

قصة يوسف عليه السلام، وقصة ذي القرنين، وقصة أهل الكهف، ذكرت مرة واحدة ولم تتكرر كغيرها من القصص، والسر في ذلك أنها نزلت إجابة للسؤال عنها.

قال تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [يوسف: ٧].

وقال سبحانه: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِ﴾ [الكهف: ٨٣].

وسأل أهل مكة عن أهل الكهف، فقال النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «أجيبكم غدًا» فأبطأ عنه الوحي خمسة عشر يومًا، ثم نزل قوله تعالى: ﴿وَلَا

نَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣ - ٢٤] ونزلت القصة.

ولم تتكرَّر قصة موسى والخضر عليهما السلام؛ لأنها تعتبر جانبًا من حياة موسى المتعددة الجوانب:

جانب تربيته في بيت فرعون إلى أن قتل القبطي وخرج فارًّا إلى مدين.

وجانب رسالته إلى فرعون وقومه، وما قاسى من تكذيبهم وإذايتهم حتى أغرقهم الله تعالى.

وجانب حياته بعد ذلك مع بني إسرائيل ومجيئه بالتوراة، وما عانى من مخالفاتهم وعصيانهم.

وجانب على الاستزادة من العلم، وذهابه إلى مجمع البحرين، والتقائه بالخضر هناك. فقصته معه متممة لجوانب حياته المتعددة كما بينا، وبالله التوفيق.

أرسل الله إلى أهل المغرب رسولا

استخرجت من قصة ذي القرنين معنى لم أسبق إليه فيما أعلم، وهو أن الله تعالى أرسل إلى القوم الذين عند مغرب الشمس رسولًا.

اقرأ قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ في رأي العين، لأن الشمس أكبر من الأرض ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾ كفارًا، بدليل ما يأتي: ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ بوحي إن كان نبيًا، وإن لم يكن نبيًا فبواسطة نبي بعث إليه، وقد قيل: إن الخضر كان معه ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ﴾ القوم بالقتل ﴿وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [الكهف: ٨٦]بالأسر. ولو كانوا مؤمنين أو لم يبعث إليهم رسول ما

خير فيهم بين القتل والأسر؛ إذ كفرهم لا يتأتى إلا بعد إرسال رسول إليهم، وقبل ذلك لا يكون كفر ولا عذاب بالقتل ولا غيره.

قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٣١] لم يرسل إليهم رسولًا، وقال سبحانه: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥]وهذا واضح.

يزيده وضوحًا ما يأتي في قوله: ﴿قَالَ﴾ ذو القرنين: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ﴾ منهم بالشرك ﴿ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾ [الكهف: ٨٧ – ٨٨]أي نأمره بما يسهل عليه.

فكلام ذي القرنين دليل أيضًا على أن القوم أرسل إليهم رسول، وهو – على القول بنبوته– لم يذهب إليهم داعيًا، وإنما ذهب رحالة مستكشفًا، ولولا أن الله تعالى خيره منهم بين القتل والأسر ما تعرض لهم، كما لم يتعرض موسى –وهو رسول– للقوم الذين كانوا عاكفين على أصنام لهم، وقال له بنو إسرائيل: ﴿يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ﴾ لهم ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ﴾ هالك ﴿ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٨-١٣٩] ويلاحظ أن موسى عليه السلام لم يخبر من هؤلاء بأنهم معذبون لأنه لم يرسل إليهم رسول.

يزيد هذا وضوحًا أن ذا القرنين لم يخيره الله تعالى في القوم الذين وجدهم عند مطلع الشمس بين القتل والأسر، وما ذاك إلا لأنه تعالى لم يرسل إليهم رسولًا، فتأمله جيدًا والله يتولَّى توفيقك.

معنى: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ﴾ أي همَّت امرأة العزيز بيوسف أن يواقعها حيث راودته على ذلك، وقالت له: هيت لك ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ أن يواقعها، لجمالها واستسلامها له، بل تحريضها وإغرائها إياه، وكونه في قبضتها ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: ٢٤] لَوَاقَعَها، للمغريات المذكورة، لكنه رأى برهان ربه، فلم يتجاوز الهم إلى العزم، فضلًا عن المواقعة.

وبرهان ربه، قيل: رؤيته أباه، فضرب على صدره، فخرجت شهوته من أنامله. وقيل: هو ما لقي من حسن معاملة زوجها، وائتمانه إياه، وأمله أن ينفعه، أو يتبناه، فلا يليق به أن يخونه.

ومن هنا يتبيَّن أنَّ يوسف عليه السلام -مع كونه تام الرجولة قوي الشهوة- ملك نفسه وقمع شهوته في ظروف مغرية ودواع مهيجة فاستحق التنوية والثناء.

أما من فسَّره بأن المعنى وهمَّ بها: بدفعها عنه بالقوة، أو: لولا أن رأى برهان ربه همَّ بها، فقد سلب عنه كمال الرجولة وميزة العصمة؛ لأنه إن لم تتحرَّك شهوته -مع جمالها وطلبها وإلحاحها عليه- لم يكن له فضل في الامتناع منها؛ لضعف رجولته حينئذ، وضعيف الرجولة لا يستحق الثناء في امتناعه مما لا يحل له من النساء.

ومما يجب التنبيه عليه في هذا الموضع أن الهم بالمعصية ليس محظورًا في حقِّ الأنبياء عليهم السلام، وإنما المحظور في حقهم العزم عليها، فهم -باعتبارهم

بشر- قد يهمون بالمعصية، تتحقق بشريتهم، وبالامتناع من العزم عليها -مع الدواعي إليها تظهر ميزة عصمتهم.

وبهذه المناسبة نذكر بيتين في مراتب القصد مع بيان المعاقب عليه منها، وهما:

مَراتِبُ القَصْدِ خَمْسٌ هاجِسٌ ذَكَرُوا فخَاطِرٌ فحَديثُ النَّفْسِ فاسْتَمِعَا
يَلِيهِ هَمٌّ فعَزْمٌ كُلُّها رُفِعَتْ سِوَى الأَخِيرُ ففيه الأَخْذُ قَدْ وَقَعَا

ترك المعصية على ثلاثة أوجه

قال العلماء: ترك المكلف للمعصية يقع على ثلاثة أوجه:

الأول: أن يتركها طبعًا وعادة، كمن نشأ في عائلة لا يعرفون الخمر، ولا يشربونها فلم يشربها، ولم تدعه نفسه إلى شربها، فهذا لا يعاقب، لأنه لم يشرب الخمر ولا يثاب، لأنه لم يتركها بقصد امتثال نهي الشارع.

الثاني: أن يتركها اضطرارًا مع عزمه على فعلها، كأن عزم على الزِّنا أو شرب الخمر مثلًا، ومنعته ظروف قاهرة، إما مادية أو زمنية أو مكانية. فهذا يعاقب على عزمه، إذ تركه لم يكن باختياره.

الثالث: أن تتهيأ له أسباب المعصية، وتدعوه نفسه إليها، ويتركها مع ذلك امتثالًا للنهي، وخوفًا من الله تعالى.

فهذا يثاب ثوابًا كبيرًا، جاء ذكره في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠ - ٤١].

الصبر على ثلاثة أقسام

وقسموا أيضًا الصبر إلى ثلاثة أقسام:

الأول: صبر على المصيبة، وثوابه مذكور في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧] وهذا الثواب مشروط بأن يكون صبره جميلا، ولا يشوبه تبرم بقضاء الله تعالى، ولا تسخط لقدره.

الثاني: صبر على الطاعة، أي صبر على عملها ومداومتها من غير كسل ولا تهاون.

الثالث: صبر على المعصية، أي صبر عن فعلها، وهو تركها مع تهيؤ الأسباب كما سبق.

وثواب هذين مذكور في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢-٢٤].

ويشمل الثلاثة قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [الزمر: ١٠].

وتقسيم الصبر إلى هذه الأنواع مأخوذ من حديث ضعيف، وهو في "كتاب الإحياء" للغزالي.

معنى الظلم

الظلم وضع الشيء في غير مستحقه، ولذا قال لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]لأنه إطلاق وصف الألوهية على الملائكة أو عيسى أو الأصنام أو غيرهم من المخلوقات، وهم لا يستحقونها.

وجاء إطلاق الظلم على الشرك، والظالمين على المشركين، في غير آية من القرآن الكريم، مثل: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] أي بشرك، كذا ثبت مفسرًا في حديث الصَّحيحين: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾ بشرك ﴿وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣١] ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ﴾ أشرك ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾ [الكهف: ٨٧] ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ٥]بالشرك ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]المشركين ﴿فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٩] المشركين ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ﴾ المشرك ﴿عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ [الفرقان: ٢٧] وهو أبي بن خلف ﴿أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠] المشركين ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ [الشعراء: ١١] معه. وكل ظلم في القرآن معناه وضع الشيء في غير مستحقه، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [النساء: ١٠] لأنهم أخذوا أموالًا لا يستحقونها، لأنها حق لليتامى.

والظلم بهذا المعنى هو الذي مدح الله تعالى نفسه بتنزهه عنه فقال سبحانه

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا ﴾ [يونس: ٤٤] أي لا يعذبهم وهم غير مستحقين ﴿ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٩]أي لا يعذب العاصي بغير استحقاق، ولا ينقص من ثواب يستحقه مؤمن ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ ﴾ [العنكبوت: ٤٠]ليعذبهم بغير استحقاق ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ٥٧] بكفرهم الذي استحقوا به العذاب ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ ﴾[1] بذي ظلم ﴿لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت: ٤٦] فيعذبهم بغير ذنب وفي الحديث القدسي الذي رواه مسلم عن أبي ذر: «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا**» وهو في "الأربعين النووية"، وللنبراوي في حاشيته عليها في الكلام على هذه الجملة عبارة لا تليق.

وهذه النصوص تدل على أن الظلم تتعلق به القدرة، إلا أن الله تعالى تنزه عنه، وتمدح بأنه لا يفعله، بل زاد أنه لا يريده فقال سبحانه: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴾[غافر: ٣١].

والأشاعرة عرفوا الظلم بأنه التصرف في ملك الغير، وبنوا عليه أن القدرة لا تتعلق به، لأنه لا يوجد ملك لغير الله تعالى، وتمحلوا في تأويل النصوص المذكورة التي تفيد إمكان تعلق القدرة بالظلم، حتى صدرت من النبراوي تلك العبارة غير اللائقة، كما أشرنا إليه آنفًا، وما سلكناه أسعد بموافقة

---

(١) ظلَّام. معناه هنا: النسبة؛ أي وما ربك بمنسوب لظلم للعباد. ومن معاني فعال في اللغة النسب. مثل: نجار، حداد، خباز، جزار، لبان، تمار، جمال، غنام، حمار.

النصوص وأبعد عن التأويل.

فإن قلت: كيف يكون الظلم محالًا، ويجوز تعلق القدرة به؟ وهل هذا إلا تناقض؟!

فالجواب: أن المحال نوعان: عقلي بحت، لا يختلف في استحالته كإيجاد شريك للباري تعالىٰ، أو لحوق العدم للذات المقدسة، أو طرء نقص أو آفة علىٰ الصفات العلية، ونحو ذلك.

ونقلي؛ كالظلم بالمعنىٰ السابق، فإن العقل يجوز تعلق القدرة به، إذ لا يرىٰ في تعذيب غير المستحق محظورًا عقليًّا، ألا ترىٰ أن الأشاعرة قالوا: يجوز في حق الله تعالىٰ تعذيب المطيع وإثابة العاصي وإيلام الدواب والأطفال، إلا أن الله تعالىٰ أخبر أنه ظلم، وأنه لا يفعله، ولا يريده. فصار محالًا من هذه الجهة، إذ العقل يقضي بأن خبر الله تعالىٰ صدق وأن ما أخبر بأنه لا يفعله في حيز المحال حتمًا، وهذا من المحال الذي استعان فيه العقل بالنقل.

والخلاصة: أن ما كان من المحال عقليًا صرفًا لم يجز تعلق القدرة به[1]. وما

---

(١) كتب أخي السيد حسن في هذا الموضوع ما نصه: وذهب ابن حزم إلىٰ جواز تعلق القدرة بالمحال العقلي، دون المحال المطلق. مستدلًا علىٰ ذلك بأن المحال العقلي قد يرىٰ في المنام والذي جعله ممكنًا في النوم، قادر علىٰ أن يجعله ممكنًا في اليقظة. وأنه إنما صار محالًا منذ خلق الله العقل لا قبله. فلو شاء أن لا يجعله محالًا، لما كان محالًا بل الذي خلق العقل المحيل له، قادر علىٰ أن يخلق غيره يماثله، أو يخالفه. واستدل كذلك بقوله تعالىٰ: ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤] انظر كلامه إن شئت في كتاب "الملل والنحل" له. في

كان منه عقليًّا مبنيًّا على النقل كالظلم، جاز تعلق القدرة به، وبهذا ينحل الإشكال، وبالله التوفيق.

وعدم تعلق القدرة بالمستحيل العقلي، ليس يرجع لنقص فيها، بل لأنه لا يصلح متعلقًا لها. إذ هو ما لا يتصور في العقل وجوده، فإن تعلقت القدرة به لتعدمه، فهو معدوم. وإن تعلقت به لتوجده، فهو لا يقبل الوجود. وإن أوجدته -فرضًا- انقلب ممكنًا، والغرض أنه محال!

فقد تبين لك عدم صلاحية المحال لأن تتعلق به القدرة، وبالله التوفيق.

تلخيص قصة إبراهيم عليه السلام

قصة إبراهيم عليه السلام في كسر أصنام قومه، ذكرت مرتين: في (سورة الأنبياء) وفي (سورة الصافات). وبينهما تخالف في العبارة، قد يظنه ضعيف الإدراك تضاربًا، فلهذا أردت تلخيصها مع تفسير يزيل ما قد يتوهم من تضارب.

لما جادل إبراهيم عليه السلام قومه في الأصنام التي يعبدونها: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ

مبحث القدرة ج٢. والمحال المطلق عنده هو ما أدَّى إلى تغيير صفة من صفاته تعالى. ومع ذلك جعل مسألة اتخاذ الولد من قبيل المحال العقلي. وظاهر أنها من قبيل المطلق على حد تقسيمه. ولهذا استهدف فيها إلى انتقادات مرة، حتى لعنه بعضهم. وأجاب الجمهور عن الآية التي استدل بها بأنها قضية شرطية، لا تقتضي الوقوع.

ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٢-٥٦].

وقال لهم أيضًا[1]: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء: ٧٥-٨٢].

ولم تكن له خطيئة لعصمته، وإنما قال ذلك تعريضًا بخطاياهم، وتحريضًا لهم على الإيمان بالله تعالى ليغفر لهم، وقال أيضًا: ﴿أَئِفْكًا﴾ أكذبًا ﴿ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ٨٦- ٨٧] إذا عبدتم غيره: أنه يترككم بلا عقاب؟ لا.

حصلت هذه المجادلة والمراجعة بينه وبين أبيه وقومه، وحصلت أيضًا مجادلات ومراجعات أخرى، والقرآن -على طريقته في الإيجاز- لم يذكر تلك المراجعات بتمامها، بل يذكر في كل مرة روحها وخلاصتها، وهو توحيد الله تعالى، وبطلان عبادة الأصنام، ثم هذه الخلاصة ذكرها القرآن بأساليب مختلفة، متساوية في بلاغة التعبير، ووضوح الحجة، وقوة التأثير.

بعد حصول هذه المناقشات التي تكررت من إبراهيم عليه السلام، أنذر من كان حاضرًا من قومه بقوله: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟

---

(١) في سورة الشعراء.

مُدْبِرِينَ ﴾ [الأنبياء: ٥٧] فانتقل من تغيير المنكر باللسان، إلى تغييره باليد والقوة، حيث لم ينجح فيهم البرهان، وكان لهم يوم عيد يجتمعون فيه، فدعوا إبراهيم يذهب معهم، وتركوا طعامَهم عند الأصنام للتبرك، فاعتذر إبراهيمُ من الذهاب معهم. وكانوا نجامين ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴾ يوهمهم أنه يعتمدها، ليقبلوا كلامه ﴿ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ يقصد أنه عليل بكفرهم، وفهموا أنه مريض ﴿ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴾ إلى اجتماعهم ﴿ فَرَاغَ ﴾ فمال خفية ﴿ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ ﴾ أصنامهم وعندها الطَّعام ﴿ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ وبالضَّرورة لم ينطقوا فقال تهكمًا ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ ﴾ مال ﴿ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِٱلْيَمِينِ ﴾ [الصافات:٨٨-٩٣] بالقوة، بفأس معه ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا ﴾ فتاتا ﴿ إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ ﴾ علق الفأس برأسه ﴿ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾ [الأنبياء: ٥٨] فيرون ما فعل بالأصنام الصغيرة، فرآه من لم يخرج معهم لمرض وحراسة ونحوهما ﴿ فَأَقْبَلُوٓا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴾ [الصافات: ٩٤]يسرعون قالوا له: نحن نعبدها وأنت تكسرها ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٥-٩٦].

أخذ منه أنَّ أعمال العباد مخلوقة لله تعالى، خلافًا للمعتزلة القائلين بأن العبد يخلق أفعاله.

فلما رجع من الاجتماع رؤسائهم وأعيانهم، ورأوا أصنامهم مكسرة ﴿ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴾ [الأنبياء: ٥٩ - ٦٠] أي الذين سمعوه يقول: ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ

أَصْنَٰمَكُم﴾ [الأنبياء: ٥٧]: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ بالعيب والتَّهديد ﴿يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ تجاهلوه استصغارًا له في نظرهم، وعلموا أن ناسًا ممن لم يخرجوا معهم شاهدوه يكسرها ﴿قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ﴾ الذين رأوه ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ أنه الذي كسرها ﴿قَالُوٓا۟﴾ له بعد إتيانهم به ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾. وهذا استفهام تقرير، أي أقر بفعلك ﴿قَالَ﴾ ساكتا عن فعله، لئلا يكون كاذبًا لو نفاه عن نفسه ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٠- ٦٣] وليس في هذا كذب، لأنه نسب الفعل إلى كبير الأصنام على تقدير حصول الشرط، وهو نطقهم، والمعلق على حصول شرط لا يقع إلا بوقوعه. وفي هذا تعريض لهم بما صرحوا به في قولهم له: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٥] فاعترفوا بأن آلهتهم عاجزة عن النطق، وهي عن الفعل أعجز، وتمت الحجة عليهم باعترافهم، لكنهم استمرُّوا في كفرهم وعنادهم، فقال موبخًا لهم: ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٦-٦٧]فانقطعت حجتهم، ولم يبق لهم من برهان إلا أن قالوا: ﴿ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا﴾ واملئوها حطبًا فإذا اشتعل ﴿فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٩٧] و﴿قَالُوا۟﴾ أيضًا ﴿حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٨] نصرتها.

فأرادوا به كيدًا بإحراقه، فأنجاه الله تعالى، وجعلهم الأسفلين الأخسرين،

وتركهم إبراهيم ذاهبًا ومعه ابن أخيه لوط إلى الشَّام، وبهذا تمت قصته معهم بما فيها من عظة وعبرة، وبالله التَّوفيق.

قصة يونس عليه السلام

ذكرت هذه القصة في سورتي (الأنبياء) و(الصافات) أيضًا.

وخلاصتها: أن الله تعالى بعثه إلى أهل نينوى، فكذبوه وأتعبوه بكفرهم وعنادهم، فتركهم غضبًا عليهم، ولم يؤذن له في تركهم. وإلى هذا يشير قوله تعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ ﴾ صاحب الحوت وهو يونس ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ قومه، لما قاس منهم ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧]نضيق عليه في ذلك حيث خرج بغير إذننا. وجد مركبًا فركب فيه كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذۡ أَبَقَ ﴾ هرب من قومه ﴿إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴾ [الصافات: ١٣٩-١٤٠] المملوء بالركاب وأمتعتهم، فركب فيه، فتوقف الفلك وسط البحر، فقال الملاحون: هنا عبد أبق من سيدة تظهره القرعة ﴿فَسَاهَمَ﴾ قارع أهل الفلك على أن من خرج سهمه يلقى في البحر، فخرج السهم عليه ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُدۡحَضِينَ ﴾ [الصافات: ١٤١]المغلوبين بالقرعة. فألقوه في البحر ﴿ فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ ﴾ ابتلعه ﴿وَهُوَ مُلِيمٞ﴾ [الصافات: ١٤٢] آت بما يلام عليه، حيث ترك قومه بغير إذن من ربه ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧]وإلى هذا يشير قوله تعالى: ﴿ فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴾ أي لكان بطن الحوت قبرًا له

﴿فَنَبَذْنَٰهُ﴾ ألقيناه من بطن الحوت ﴿بِٱلْعَرَآءِ﴾ بساحل البحر ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ عليل ﴿وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾ ما ينبت على ساق كالقرع ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ﴾ ثانيًا ﴿إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ﴾ بل ﴿يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُواْ﴾ عند رؤية أمارة العذاب كما في (سورة يونس) ﴿فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الصافات: ١٤٣- ١٤٨] يبلغ فيه آجالهم. وقال سبحانه يأمر رسوله بالصبر ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ وهو يونس عليه السلام ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ في بطن الحوت ﴿لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ﴾ أدركه ﴿نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ﴾ بالأرض الفضاء ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ لكنه رحم فنبذ غير مذموم ﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ بالرسالة إلى قومه ثانيًا ﴿فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [القلم: ٤٨-٥٠].

والصالح هو الذي يؤدي حق الله تعالى، وحق الناس هذا ما جاء عن يونس عليه السلام في القرآن الكريم، وليس فيه نسبة معصية إليه، غاية ما في الأمر أنه لما بلغ الرسالة إلى قومه وكذبوه؛ فارقهم مغاضبًا بدون إذن من الله تعالى، مجتهدًا في ذلك.

وما حصل له من ابتلاع الحوت إياه، ليس بعقاب، ولكنه عقاب، صاحبته معجزات وألطاف وربك يفعل ما يشاء.

وثبت في "صحيح البخاري" عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، قال: **«لا تفضلوني على يونس ابن متى»**.

سئل إمام الحرمين عن هذا الحديث؟ فقال: «إنه ينفي الجهة عن الله

تعالى». فقيل له: كيف ذلك؟ فقال: عندي ضيف، عليه ألف دينار، فإن كان فيكم من يؤديها عنه، ذكرت الجواب. فتكفل بها رجلان في المجلس، فقال: يشق عليه أن يتبع اثنين. فقال رجل في المجلس: هي علي.

فقال: إنما خص الحديث يونس دون غيره، للإشارة إلى أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وهو عند سدرة المنتهى ليلة المعراج لم يكن بأقرب إلى الله من يونس وهو في بطن الحوت. وهو جواب نفيس، وبالله التوفيق.

أسماء يوم القيامة في القرآن الكريم

ليوم القيامة في القرآن أسماء كثيرة:

أحدها: هذا. وهو أشهدها وأكثرها ورودًا في عدة آيات، منها قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِ﴾ [النساء: ٨٧].

ثانيها: يوم الدين: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤].

ثالثها: اليوم الآخر: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [البقرة: ٦٢] الآية.

رابعها: اليوم المشهود: ﴿وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ﴾ [هود: ١٠٣] يشهده جميع المخلوقات.

خامسها: يوم البعث: ﴿لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الروم: ٥٦].

سادسها: الساعة: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي

لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ﴾ [سبأ: ٣].

سابعها: يوم الفصل: ﴿ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾ [الصافات: ٢١].

ثامنها: يوم الحساب: ﴿ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا ﴾ كتاب أعمالنا ﴿قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴾ [ص: ١٦].

تاسعها: يوم التلاقي: ﴿لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ﴾ [غافر: ١٥-١٦] لتلاقي جميع المخلوقات فيه.

عاشرها: يوم الآزفة: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ ﴾ [غافر: ١٨] ﴿ أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ﴾ [النجم: ٥٧] قربت القيامة.

حادي عاشرها: يوم التناد ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴾ [غافر: ٣٢] لأنه يكثر فيه النداء بالشقاء والسعادة، ونداء أهل الجنة لأهل النَّار، والعكس.

ثاني عشرها: يوم الجمع: ﴿وَنُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [الشورى: ٧] تجمع فيه المخلوقات.

ثالث عشرها: الواقعة: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴾ [الواقعة: ١ - ٢].

رابع عشرها: اليوم المعلوم: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ [الواقعة: ٤٩ - ٥٠].

خامس عشرها: يوم التغابن: ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ﴾ [التغابن: ٩] يغبن

المؤمنون الكافرين بأخذ منازلهم في الجنة لو آمنوا.

سادس عشرها: الحاقة: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ [الحاقة: ١ - ٣] يحق ويثبت فيها ما أنكره الكفار.

سابع عشرها: اليوم الموعود: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ﴾ [البروج: ١ - ٢].

ثامن عشرها: الغاشية: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ﴾ [الغاشية: ١] تغشى الخلق بأهوالها.

تاسع عشرها: القارعة: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ١ - ٣]تقرع القلوب.

العشرون: يوم الحشر: ﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [ق: ٤٤].

الحادي والعشرون: اليوم الحق: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ﴾[النبأ: ٣٩].

الثاني والعشرون: يوم الحسرة: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ [مريم: ٣٩] يتحسر فيه الكافر على ترك الإيمان، والمسيء على ترك الإحسان.

الثالث والعشرون: يوم عظيم: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأنعام: ١٥].

الرابع والعشرون: يوم كبير: ﴿تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [هود: ٣]. ويمكن استخراج أسماء أخرى، مثل يوم العرض، لقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨] ويوم النشور، لقوله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ

ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].

ولا شك أن كثرة الأسماء تدل على عظم هذا اليوم، وشدة هوله. نسأل الله أن يهونه علينا، وينجينا من كربه، إنه قريب مجيب.

معنى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾

قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤] ونحوه، رد على المشركين الذين يعتقدون أن أصنامهم تقربهم إلى الله تعالى وتشفع لهم عنده، فبينت لهم هذه الآية وما في معناها بطلان هذا الاعتقاد، وأن الأصنام لا تملك شيئا لا شفاعة ولا غيرها. وليس معناه نفي الشفاعة عن أصلها.

كيف وقد قال تعالى لرسوله عليه الصَّلاة والسَّلام: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] وثبت في الصَّحيحين وغيرهما أن المقام المحمود هو الشفاعة في فصل القضاء.

كما ثبت في الأحاديث الصَّحيحة إثبات الشفاعة يوم القيامة، للأنبياء والملائكة وصالحي المؤمنين بل في القرآن ما يشير إلى ذلك، فقد قدمنا آيتين أمر الله تعالى فيهما نبيه بالاستغفار لأمته، وإليك آية ثالثة: ﴿فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ﴾ [النور: ٦٢].

وقدمنا أن الاستغفار استشفاع، وبقيت آية رابعة وهي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤].

بل جعلت هذه الآية توبة المنافقين موقوفة على استغفار الرسول لهم، وقال تعالى عن حملة العرش: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ يقولون: ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ ﴾ يوم القيامة ﴿ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [غافر: ٧ – ٩].

وقال سبحانه ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ من المؤمنين ﴿ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الشورى: ٥].

فهذا استشفاع الملائكة للمؤمنين، وهو بالضرورة صادر بإذن الله تعالى ورضاه، والمقصود أن الشفاعة المنفية شفاعة المعبودات الباطلة لعابديها، والشفاعة المثبتة شفاعة الأنبياء والملائكة والصالحين بإذن الله تعالى ورضاه. فنفيهما جميعا خلط يأباه الإنصاف، ويجافي الأمانة العلمية، وبالله التوفيق.

معنى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم: ٣٩] استدل به طائفة من العلماء على أن قراءة القرآن لا يصل ثوابها إلى الميت، وأجاب آخرون بأن المراد بالإنسان فيه: الكافر، أما المؤمن فله مع سعيه سعي إخوانه المؤمنين مما أهدوه إليه، ومنه قراءة القرآن، قالوا: لأن الإيمان رابطة قوية بين المؤمنين،

يستطيع أن ينفع بعضهم بعضًا بسببها.

واستدلوا بما رواه أحمد وغيره عن عبد الله بن عمرو: أن العاصي نذر في الجاهلية أن ينحر مائة بدنة، فنحر هشام بن العاص خمسة وخمسين بدنة.

وأن عمرًا سأل النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن ذلك، فقال له النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أما أبوك فإنه لو أقر بالتوحيد فصمت وتصدقت عنه نفعه ذلك**». فالحديث يقرر بوضوح: أن الإيمان سبب في وصول عمل المؤمن إلى أخيه المؤمن.

وعندي في الآية وجه آخر. وهو: الإشارة إلى تحقيق العدل المطلق، بأنه لا ينقل سعي الخير من شخص إلى آخر، ولو كانت بينهما قرابة الأبوة أو الأخوة مثلًا، فكل واحد له عمله الصالح، لا ينقص منه شيء يزاد لغيره.

بدليل أن هذه الجملة ذكرت في مقابلة قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ٣٨] فكما لا يؤخذ الشخص بذنب غيره، كذلك لا ينتفع بحسنة غير.

ولا علاقة للآية -على هذا- بإهداء عمل صالح كقراءة القرآن للميت، بل يستفاد حكمه من دليل آخر.

فقد صح أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم سمع في الجمع رجلا يقول: لبيك عن شبرمة. فقال: «**من شبرمة؟**» قال أخ لي مات، قال: «**هل حججت عن نفسك؟**» قال: لا. قال: «**حج عن نفسك ثم حج عن شبرمة**».

وصح أيضًا أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أذن لرجل أن يحج عن أبيه، ولامرأة أن تحج عن أمها.

وصح أيضًا عنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنه قال: «**من مات وعليه صيام**

صام عنه وليه».

فأثبتت السنة الصَّحيحة وصول العبادة إلى الميت، وهل قراءة القرآن إلا عبادة؟ فهي تصل كما يصل غيرها من العبادات. لا سيما والحج المأذون في فعله عن الميت مشتمل على القراءة أيضًا، إذ من أفعاله صلاة ركعتين بعد الطواف عند مقام إبراهيم عليه السلام، هذه خلاصة المسألة وبالله التوفيق.

أنواع الجهاد

الجهاد نوعان:

أحدهما: الجهاد في سبيل الله. وهو قتال الكفار والمنافقين لإعلاء كلمة الله ودينه. وقد حض الله عليه، وبين أحكامه في (سورة آل عمران) و(النساء) و(الأنفال) و(التوبة) وغيرها.

ويكفي في الترغيب فيه، قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

ثانيهما: الجهاد في الله، وهو عبارة عن مخالفة النفس فيما تهواه، ورياضتها بالصلاة والذكر ونحوهما من العبادة، وقد ذكره الله في موضوعين[١] من كتابه.

---

(١) تذكرت موضعًا ثالثًا، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ آية (٦) من (سورة العنكبوت)، وهي مكية.

الأول: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ [الحج: ٧٧ – ٧٨].

الثاني: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا﴾ في ذاتنا وحقنا ﴿لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾ طرق السير الموصلة إلينا ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩] وبالرعاية والعناية والتأييد.

ولم يقل «المؤمنين» للإشارة إلى أن الجهاد في الله تعالى يوصل إلى مقام الإحسان الذي هو أعلى مقامات الدين، إذ هو -كما قال النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**».

وحاصله: أن تعبد الله على المشاهدة، فإن لم تستطع فعلى المراقبة.

وهذا دليل الصوفية على المجاهدة التي جعلوها أصل طريقهم، واعتمدوها في سلوكهم وتكلموا على ما تورثه من الأسرار والمواهب حسب أذواقهم ووجداناتهم.

وقالوا: إن جهاد النفس أشق من جهاد الكفار، واستدلوا بما رواه البيهقي في "الشعب" عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: لما رجعنا من غزوة تبوك، ووصلنا إلى المدينة قال النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**قدمتم خير مقدم، رجعتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر جهاد العبد هواه**».

سمى النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم جهاد الكفار جهادًا أصغر وجهاد النفس جهادًا أكبر، فدل على أنه أفضل وأهم. واعترض عليهم ابن تيمية بأن

الحديث موضوع، وهو خطأ، لأن الحديث ضعيف فقط، ويتأيد بأمور:

١- أسلوب القرآن الكريم حيث سمى جهاد الكفار جهادًا في سبيل الله، وجهاد النفس جهادًا في الله، وبين العبارتين بون يؤذن بالفرق بين المقامين.

٢- أن الجهاد في سبيل الله فرض كفاية، يتعين في بعض الحالات، وجهاد النفس فرض عين، وهو أفضل من فرض الكفاية حسبما تقرر في علم الأصول.

٣- أن الكفار أعداء ظاهرون، لا يكون بينهم وبين المسلمين حرب دائمة، بل في أوقات لمناسبات، ثم تنتهي بنصر، أو صلح، أو هدنة، أو غير ذلك، إذا قتلوا مسلمًا فهو شهيد، بخلاف النفس، فإنها بين جنبي الإنسان لا يمكنه الانفصال عنها، وهي عدو له، لتحريضها إياه على اقتراف الشهوات والمعاصي، يساعدها الشيطان، فإن غلبت صاحبها وقتلته، كان مصيره إلى النَّار، لكفره، أو عصيانه، فمن هنا كان جهادها أكبر وأشق من جهاد الكفار.

أفضل الذكر

أفضل الذكر: «لا إله إلا الله»، لأن معناها: إثبات الألوهية لله تعالى، ونفيها عما سواه. وهذا هو التوحيد الذي بعث الله به الرسل من لدن آدم إلى النبي عليه الصَّلاة والسَّلام، ولذا جاء في الحديث: «**أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله**».

وقد جعل الشرع النطق بهذه الكلمة علامة على إسلام الكافر، لا يقوم غيرها مقامها، فإذا أضيف إليها: «وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد،

وهو على كل شيء قدير»، كان تصريحًا بما أفاده مضمونها إجمالًا، وزيادة ثناء على الله تعالى.

تليها: «الحمد لله»، ومعناها: الثناء على الله تعالى بإثبات كل كماله سبحانه. ولذا رغب الشرع في قول هذه الكلمة عقب حصول نعمة، كشبع وري وشفاء ونحو ذلك، لأن الإنسان بطبيعته ناقص محتاج إلى ما يكمل أغراضه، يحس بالجوع، فيدفعه بالطَّعام. ويحس بالظمأ فيدفعه بالماء. ويمرض، فيلجأ إلى العلاج. وهكذا كلما كملت له نعمة، وتكمل غرضه بها حق عليه أن يحمد صاحب الكمال المطلق سبحانه وتعالى.

تليها: كلمة «سبحان الله»، ومعناها: تنزيه الله عن كل نقص، كالولد والصاحبة والظلم والغرض ونحو ذلك. فإذا اجتمع التسبيح والتحميد، نحو سبحان الله، والحمد لله، أو سبحان الله وبحمده، أفاد اجتماعهما الثناء على الله بشقيه: الإيجاب، وهو معنى الحمد والسلب، وهو معنى التسبيح.

ولذا ورد في فضل ذكرهما معا أحاديث كثيرة، منها: قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**سبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماء والأرض**».

وقوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**».

وهو آخر حديث في "صحيح البخاري" عند أبي هريرة.

بل نوه القرآن عنهما في غير آية، مثل ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤]أي ما من شيء من المخلوقات ناطقها وصامتها إلا وهو ينزه الله

تعالى عن النقص، مثبتا له الكمال المطلق.

وفي الآية تعريض بالكفار الذين شذوا عن المخلوقات بنسبتهم النقص إلى الله تعالى كالشريك والصاحبة والولد. مثل ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٩٨].

﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ [غافر: ٧].

﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الروم: ١٧ – ١٨] إلى غير ذلك من الآيات.

تليها: الله أكبر. ومعناها: الثناء على الله تعالى بأنه أعظم من كل عظيم، ولذا جعل الشرع هذه الكلمة في الأذان والإقامة والصلاة، ليستحضر المكلف عظمة الله سبحانه وتعالى، فيقبل على العبادة بخشوع وخضوع.

فإذا اجتمعت هذه الكلمات الأربع. لا إله إلا الله، والحمد لله، وسبحان الله، والله أكبر. أفادت الثناء على الله تعالى بتوحيده، وبكماله المطلق، وبتنزهه عن النقائص، وبعظمته.

وحق لكلام جمع هذه المعاني العظيمة أن يكون أفضل الكلام، ولذا صح في الحديث: «**إن الله اصطفى من الكلام أربعًا لا يضرك بأيهن بدأت: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر**».

وجاء في الحديث أن إبراهيم قال للنبي صلى الله عليهما وسلم: «**أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غرسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر**» وكان هذا في ليلة

المعراج والحديث صحيح.

وثبت أيضًا في حديث صلاة التسابيح، وهو حديث صحيح، خلافًا لمن قال بوضعه أو ضعفه: أن من صلاها غفر الله له ذنبه كله: أوله وآخره، وقديمه وحديثه، وخطأه وعمده، وصغيره وكبيره، وسره وعلانيته، لأنها تشتمل على ذكر تلك الكلمات ثلاثمائة مرة تضرب في أربعة، يصير المجموع ألفًا ومائتي مرة، وجدير بمن ذكر هذا العدد ثناء وتمجيدًا لله تعالى، أن تغفر ذنوبه كلها، وربك واسع المغفرة. ويحب من عبده أن يحمده ويمجده، ويعطي على ذلك ما لا يعطي على غيره.

وبعد هذا تأتي كلمة: لا حول ولا قوة إلا بالله. ومعناها: لا تحول عن المعصية، ولا قوة على فعل الطاعة إلا بالله، أي بإرادته وقدرته، وفيها الاعتراف بالقدر، وبأن قدرة العبد مخلوقة لله تعالى. وقد ثبت في الصَّحيح من حديث أبي موسى «أنها كنز من كنوز الجنة». ثم يأتي الاستغفار، وله صيغ:

«أستغفر الله، أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، رب اغفر لي».

وأفضل صيغة، ما ثبت في "صحيح البخاري" عن شداد بن أوس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**سيد الاستغفار: اللَّهمَّ أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**».

ومن فوائد الاستغفار تكثير الرزق: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا

﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح: ١٠ – ١٢].

ومن فوائده أيضًا ما جاءت في الحديث: «**من أكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجًا**».

ثم تأتي الصلاة على النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم. ولها صيغ وأفضلها الصلاة الإبراهيمية: «اللَّهمَّ صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين، إنك حميد مجيد».

ولهذه الصلاة صيغ كثيرة، استوعبها تقي الدين السبكي في آخر كتاب "شفاء السقام" وتراجع في كتاب "القول البديع" للحافظ السخاوي.

ويستحب ذكر السيادة، فإنها من الأدب الواجب في هذا المقام، وحديث: «لا تسيدوني في الصلاة»، مكذوب.

ومن فوائدها تفريج الهموم والكروب وقد أنشأت بهذا القصد صلاتين أثبتهما هنا.

١- اللَّهمَّ صل على عبدك المكمل، ورسولك المبجل، وخليلك المفضل؛ سيدنا محمد الذي منحته المقام المحمود، والحوض المورود، وأخذت لأجله على الأنبياء المواثيق والعهود. مفتاح الكائنات، وختام النبوات، ومجلى الأسماء والصفات. صلاة تفرج عنا بها الكرب وتقضي لنا بها الحاجات، وتفتح لنا بها أبواب القرب وتيسر بها أسباب المكرمات وعلى آله المطهرين من الأرجاس،

وصحابته المخاطبين بكنتم خير أمة أخرجت للناس، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

٢- اللهم صل وسلم على عبدك ونبيك. سيدنا محمد الذي نطق له الحجر، وسجد له الشَّجر، وانشقَّ بإشارته القمر. وزال ببركة مسحه عن ذوي العاهات الضرر. نبع من أصابعه الشريفة الماء النمير، ونزل بدعائه المطر الغزير، وانزاح بغوثه الكرب عن الخلق الكثير، صلاة وسلامًا يكونان سببًا في كشف كربتنا وتفريج غمتنا، والتعجيل بزوال شدتنا. اللَّهم اجعل صلاتنا عليه وسيلة إليك، واقبل استشفاعنا به لديك. فإنه رسولك الطاهر المطهر وحبيبك الشفيع المشفع هنا وفي المحشر. وارضى اللَّهمَّ عن آله الطَّيبين الطاهرين، وصحابته من الأنصار والمهاجرين[1].

القرآن أفضل الأذكار

القرآن أفضل الأذكار على الإطلاق، لا يوجد ذكر يوازيه، فضلًا عن أن يكون أفضل منه، ومن فضل ذكرًا عليه -كصلاة الفاتح- فقد ضل ضلالًا بعيدًا وإذا كان الحديث القدسي -وهو كلام الله أيضًا- دون القرآن، فكيف يكون غيره أفضل منه؟! هذا لا يجوز ولا يعقل! وأفضل أحوال القرآن قراءته في الصَّلاة وإنما اختيار الصوفية للسالك ذكر الاسم المفرد أمر والهيللة على تلاوة القرآن لأمرين:

---

(١) ذكرتهما مع صلوات أخرى في كتاب "النفحة الإلهية في الصلاة على خير البرية". وهو مطبوع.

أحدهما: أن الاسم المفرد والهيللة من القرآن الكريم.

ثانيهما: أن السالك يحتاج -أثناء سلوكه- إلى ما يجمع فكره وقلبه، وليس ذلك إلا في الذكرين السابقين. أما القرآن فإنه ينتقل بالتالي من الكلام على وحدانية الله تعالى، إلى الاستدلال على البعث، إلى بيان الأحكام، إلى الحض على جهاد الكفار، إلى قصص الأنبياء وبيان ما فيها من عبرة، غير ذلك من المقاصد السامية التي عرض لها القرآن، وجلَّاها بأوضح بيان. ولا شك أنها تشتت فكر السالك وقلبه، لكنه إذا وصل وفتح عليه، كان أحسن ما يعطاه فهمًا في كتاب الله تعالى واستخراج ما فيه من حكم ومعارف وأسرار. فالقرآن هو المقصود على كل حال، وما اختاروه أثناء السلوك، وسيلة إليه. فتقديمه من باب تقديم الوسائل أمام المقاصد، وبالله التوفيق.

معنى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾

قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر: ٦] معناه: لا تعط شيئًا لتطلب أكثر منه. وهذا الخطاب خاص بالنبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، لأنه مأمور بأكمل الآداب، وبرفع الهمة عن الخلق. وقد اختص عليه الصَّلاة والسَّلام بأشياء حرمت عليه وحده، زيادة في رفع منزلته، هذا منها.

ويجوز لغيره أن يهدي هدية ليطلب أكثر منها، وتسمى في كتب الفقه «هبة الثواب» وصورتها: أن تهدي لصديقك في مناسبة كزواج، هدية من نقود أو غيرها ليرد لك في مناسبة عندك، مثلها أو أكثر منها، وهي «النقوط» في عرف العامة، فإن لم يفعل فلك أن تأخذ منه قيمة ما أهديت له، لا أكثر، ويحكم له به القضاء.

وهبة الثواب مذكورة في (سورة الروم)، في قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا﴾ بأن تعطوا شيئًا لتطلبوا أكثر منه، وأطلق عليه ربا، للزيادة في المعاملة ﴿لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾ ليزيد في أموال المعطى لهم ﴿فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٩] أي لا يذكر عنده، إذ لا ثواب فيه، لأنه قصد به المعاوضة، فهو نوع من المعاملة كالبيع ونحوه، فالآية لا تحرمها، وإنما بينت أنه لا ثواب فيها؛ لأنها ليست بعبادة.

المسلم لا يقتل بالكافر

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [الحشر: ٢٠] استدل به الشَّافعيَّة على أن المسلم لا يقتل بالكافر إذا قتله، وجه ذلك: أن الفعل يتضمن مصدرًا منكرًا، والنكرة في سياق النفي تعم وصفًا. فيكون المعنى: لا استواء بين أصحاب النَّار وأصحاب الجنة، ولو قتل مسلم بكافر لاستويا من هذه الجهة، والآية تنفي استواءهما من جميع الجهات.

وأيدها الحديث الصَّحيح: «**لا يقتل مسلم بكافر**».

وقد ذكرت طرقه في كتابي "الابتهاج بتخريج أحاديث المنهاج" وهو كتاب ألفته زمان الطلب، خرجت فيه أحاديث "المنهاج" للبيضاوي في الأصول، وكنا نقرأه بشرح الإسنوي.

وبتأليفه تدربت في صناعة الحديث، وقد خرج أحاديثه قبلي العلامة المحدث المطلع بدر الدين الزركشي، والحافظ ابن الملقن، ولا أعلم لهما ثالثًا.

وقد وقفت على تخريجهما فوجدت كتابي أوسع من كتابيهما، وأغزر مادة،

وأكثر فائدة، ومع ذلك فقد استفدت من كل منهما فائدة واحدة.

وخرجت أيضًا أحاديث كتاب "اللمع" في الأصول، لشيخ الشَّافعيَّة الإمام أبي إسحاق الشِّيرازيِّ، ولا أعلم أحدًا خرج أحاديثه قبلي.

جواز الفطر للصائم المتطوع بغير عذر

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣] استدل به المالكية والحنفية على حرمة فطر الصائم المتطوع بغير عذر، وعلى حرمة قطع صلاة التطوع بغير عذر، لأنه إبطال لهما، وقد نهى الله عنه، والنهي يفيد التحريم، وهو استدلال قوي، إلا أن الجمع بين الأدلة واجب، وإلغاء أحدها لا يجوز.

وقد صحَّ عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنه قال: «**الصائم المتطوع أمير نفسه إن شاء صام وإن شاء أفطر**». وصحَّ أيضًا أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، دخل بيته ضحى، فإما سأل عن إدام، وإما قدم له فقال: «**أرونيه فلقد أصبحت صائمًا**» وأفطر. وتقاس الصلاة عليه، وهو قياس جلي، فيخصصان من الآية بالحديث في الصوم، وبالقياس في الصلاة، وتبقى عامَّة فيما سواهما كالحج والصدقة ونحوهما، وبهذا أخذ الشَّافعية.

ويؤيده أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ذم العائد في هبته، فقال: «**العائد في هبتِه كالكلب يقيء ثم يعود في قيئه**» لأنه بعد أن أمضى هبته حمله الشح على العود فيها فأبطل عمله وكان عاصيًا لله تعالى بمقتضى الآية الكريمة، واستحق الذم البليغ على لسان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم .

أسماء النار في القرآن الكريم

أسماء النار في القرآن الكريم كثيرة:

أحدها: النَّار: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾[البقرة: ٢٤].

ثانيها: جهنم: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٤٣].

ثالثها: السَّعير: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ٥].

رابعها: لظى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ [المعارج: ١٥ – ١٦].

خامسها: سقر: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾[المدثر: ٢٦].

سادسها: الهاوية: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ [القارعة: ٩ – ١١].

سابعها: الحُطَمَة: ﴿كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلْحُطَمَةِ﴾ [الهمزة: ٤].

ثامنها: السُّوأى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ [الروم: ١٠] أي جهنم.

وهي دركات، والمنافقون في الدرك الأسفل منها: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥] أعاذنا الله منها بفضله وكرمه.

أسماء الجنة في القرآن الكريم

أسماء الجنة في القرآن الكريم:

أحدها: الجنة: ﴿وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد: ٦].

ثانيها: دار السلام: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ﴾ [الأنعام: ١٢٧].

ثالثها: الحسنى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ﴾ الجنة ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ هي النظر إلى وجه الله تعالى [يونس: ٢٦].

بذلك فسرها النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، كما ثبت في "صحيح مسلم" من حديث صهيب رضي الله عنه .

رابعها: عدن: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ [الرعد: ٢٣].

خامسها: الفردوس: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾ [المؤمنون: ١٠ – ١١].

سادسها: روضة: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ﴾ جنة ﴿يُحْبَرُونَ﴾ يسرون [الروم: ١٥].

سابعها: دار المقامة: ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ﴾ [فاطر: ٣٥].

ثامنها: المأوى: ﴿عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾ [النجم: ١٥].

تاسعها: النعيم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾ [لقمان: ٨].

عاشرها: رحمة الله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ أي الجنة ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٧].

وثبت في الحديث الصَّحيح أن الفردوس أعلى الجنان وأفضلها، نسأل الله أن يجعلنا من أهلها من غير سابقة عذاب، بجوده وكرمه.

معنى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا ﴾ الآية

قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٣].

سألت عنه مولانا الإمام الوالد رضي الله عنه ، فقلت: هذه الآية تفيد أن القاتل مخلد في النَّار، فكيف يُجابُ عنها، لتتفق مع الأدلة الدالة على أن عصاة المؤمنين لا يخلدون في النَّار؟

قال: الجواب في الآية نفسها. قلت: كيف ذلك؟ قال: في قوله تعالى: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ﴾ أي أن هذا جزاؤه ولكن الله تعالى تفضل فلم يعاقبه بهذا الجزاء، وهذا كما يقول الرجل لولده إذ خالفه جزاؤك أن أضربك مائة سوط، ثم يسامحه، أو يضربه عشرة أسواط، وبهذا تكون الآية متفقة مع الأدلة من الكتاب والسنة المتواترة المفيدة بالقطع أن عصاة المؤمنين يخرجون من النَّار، ويدخلون الجنة.

وقد ثبت في الحديث أن الكفار إذا رأوا العُصاة خرجوا من النَّار تمنوا لو كانوا مسلمين، ليخرجوا مثلهم، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴾ [الحجر: ٢].

وما ورد عن ابن عبَّاسٍ من أنه حمل الآية السابقة على ظاهرها، وجعلها ناسخة لآيات المغفرة، لعله لا يصح عنه، لأنه يعلم أن آيات المغفرة أخبار، وأن الأخبار لا يدخلها نسخ، ولأنه أحد رواة الأحاديث الدالة على خروج العصاة من النَّار، والقاتل مؤمن، بدليل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ

عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ﴾ [البقرة: ١٧٨].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ﴾ [الحجرات: ٩]. الآية، والله تعالى أعلم.

المعاصي نوعان

قسم الله تعالى المعاصي إلى كبائر، وسيئات أو لمم. فقال تعالى: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ [النساء: ٣١].

وقال جل شأنه: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ﴾ [النجم: ٣٢].

والسيئات أو اللمم هي الصغائر وتغفر باجتناب الكبائر كما سبق، أو بفعل الحسنات، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [هود: ١١٤].

ثبت في الصَّحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: أصاب رجل - هو أبو اليَسَر - من امرأة قبلة، فأتى النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فأخبره، وأنزل الله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [هود: ١١٤] فقال الرجل: ألي هذا؟ قال: «**لجميع أمتي كلهم**».

أما الفواحش فهي من الكبائر، لكن القرآن يطلقها في الغالب على الكبائر المتعلقة بالفروج، إيذانًا بشدة قبحها، كنكاح امرأة الأب، والزِّنا، واللواط.

وذهب بعض العلماء منهم تقي الدين السبكي إلى أن المعاصي كلها كبائر،

وإنما يقال لبعضها صغائر بالنسبة لما هو أكبر منها. وصنيع القرآن يرد عليهم. وأيضًا فإننا ندرك بالضرورة أن القبلة لا توازي الزِّنا، وأن سرقة قرش لا توازي سرقة مائة وأن قولك لشخص: يا بخيل، أو يا لئيم. لا يوازي قولك له: يا زاني أو يا لائط.

ثم إن أكبر الكبائر بعد الكفر: القتل، للآية السابقة: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا ﴾ [النساء: ٩٣] الآية.

ولحديث: «**كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافرًا أو يقتل مسلمًا متعمدًا**».

ولحديث: «**لا يزال الرجل في فسحة من دينه ما لم يصب دمًا حرام**».

يليه الزِّنا، سماه الله فاحشة: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٣٢] ولأن فيه مفسدة هتك الأعراض، واختلاط الأنساب، وغير ذلك.

وجاء في حديث: «**ما مِن ذَنْبٍ بعد الشِّرْكِ أعظم عند الله مِن نُطْفَةٍ وَضَعَها رَجُلٌ في رَحِمٍ لا يحلُّ له**». وذكر النطفة خرج مخرج الغالب، لا مفهوم له، فالعزل أو استعمال حائل يمنع نزول المني في الفرج، لا يخفف الإثم لأن هتك العرض حاصل به على كل حال، وهو أنواع، أقبحها: الزِّنا بإحدى المحارم. فقد سماه القرآن فاحشة ومقتًا، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ٢٢].

ثم الزِّنا بامرأة الجار، لقوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لأن يزني أحدكم بعشرة نسوة أهون من أن يزني بحليلة جاره**» وفي معناه الزِّنا بامرأة من بينك وبينه صلة أو صداقة أو معاملة.

ثم اللواط؛ سماه الله تعالى فاحشة أيضًا، وعذب أهله بعذاب لم يعذب به أمة مثلهم.

وفي الحديث: «**لعن الله من عمل عمل قوم لوط، لعن الله من عمل عمل قوم لوط، لعن الله من عمل عمل قوم لوط**».

ولأنه شذوذ في الطبيعة، وانحط في الخلق، ولذا ثبت في الحديث: «**من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به**».

وللحافظ السيوطي في تصحيح هذا الحديث رسالة "بلوغ المأمول من خدمة الرسول" وهي من جملة رسائل الحاوي للفتاوى. وبهذا الحديث أخذ المالكية.

ثم الرِّبا؛ لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٧٨ – ٢٧٩].

ولحديث: «**ما ظهر الزِّنا والرِّبا في قرية إلا أحلوا بأنفسهم عذاب الله**».

ونرى أن ما هو حاصل اليوم من الحروب والتهديد بها، وإصابة المزروعات بالجوائح، وذهاب البركة من المال والقوت والوقت، سببه انتشار الرِّبا بين الدول والأفراد، حتى أصبح التعامل به من ضروريات الحياة. وانتشر

معه جمود العين، وقسوة القلب، وعدم إجابة الدعاء، والزِّنا في هذا دخل أيضًا، لكنه لم يأخذ طابع الدولية مثل الربا، كما هو ظاهر.

ثم الخمر؛ قرنها الله تعالى بالأصنام في وجوب الاجتناب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ﴾ الأصنام ﴿وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

لما نزلت هذه الآية مشى الصَّحابة بعضهم إلى بعض، وقالوا: حرمت الخمر وجعلت عدلا للشرك. وقال أبو موسى الأشعري: ما أبالي شربت الخمر أو عبدت هذه السارية من دون الله. يعني أن القرآن جعلهما سواءً. وفي الحديث: «**مدمن الخمر كعابد وثن**». وفي الحديث أيضًا: «**من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الإيمان كما يخلع الإنسان القميص من رأسه**».

وسمى النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الخمر أم الخبائث، لأن الشخص إذا سكر وفقد عقله، استسهل الكفر والزِّنا وكل معصية.

والميسر -وهو القمار- تفيد الآية أنه في درجة الخمر؛ لأنها جمعتهما في سياق واحد، وهو حقيق بذلك، لأنه يضيع على المقامر ماله، ووقته، ودينه، وعمله، وقد يتسبب في فراق زوجه، وخراب بيته. وربما يموت حسرة. أو انتحارًا على خسارته.

والقمار يشمل سباق الخيل -وهو غير المسابقة الشرعية- والنرد (الطاولة) والدومينو. والضامة والسيكة. وكل ما يلعب في مقابل شيء ولو مليمًا فهو قمار.

أخرج الإمامان مالك وأحمد عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله

صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**من لعب بنرد أو نرد شير فقد عصى الله ورسوله**».

وفي حديث آخر: «**اللاعب بالنرد قمارًا كآكل لحم الخنزير واللاعب به بغير قمار كالمدهن بشحمه**». وشحم الخنزير نجس، والمدهن بالنجاسة آثم.

ثم تأتي بقية الكبائر على حسب ما فيها من مفاسد ومضار، كآكل مال اليتيم، وعقوق الوالدين، وقذف المحصنة العفيفة، وغير ذلك.

والكبيرة: كل معصية توعد الله أو رسوله عليها بالعذاب، أو اللعنة، أو الغضب، أو كانت تؤذن بتهاون مرتكبها بالدين.

والصغيرة ما دون ذلك كالقبلة والنظرة واللمسة، وسرقة ما دون النصاب، وكشرب الدخان، والشيشة والجولاك؛ وهو نوع من الشيشة يشربه أهل الحجاز، والقات يمضغه أهل اليمن.

فكل هذه محرمة لثبوت ضررها على الصحة والمال، والمداومة على الصغيرة يصيرها كبيرة، كذا قال الجمهور واستدلوا بحديث: «**لا صغيرة مع إصرار ولا كبيرة مع الاستغفار**». لكنه حديث ضعيف.

وقد ناقش الشوكاني في "إرشاد الفحول" ما ذهب إليه الجمهور، واختار أن الإصرار على الصغيرة لا يخرجها عن حقيقتها.

قلت: ومع ذلك فالإصرار عليها حرام يضاف إلى حرمتها، فيكون فيه إثمان: إثم الصغيرة، وإثم الإصرار عليها.

وقد حض القرآن على الإقلاع عنها، قال الله تعالى: ﴿ **وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً** ﴾ كبيرة كالزِّنا ﴿**أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ** ﴾ بما دونها كالقبلة ﴿**ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ** ﴾

أي عقابه ﴿فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ﴾ من الفاحشة وما دونه ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥] أن ما فعلوه حرام.

هذا وقد ألف في عدد الكبائر جماعة من العلماء منهم ابن القيم والذهبي، ثم جاء الفقيه ابن حجرٍ الهيتميُّ المكي الشَّافعيُّ، فعمد إلى قسم الترهيب من كتاب "الترغيب والترهيب" للحافظ المنذري، فجرده في كتاب "الزواجر عن اقتراف الكبائر" وضم إليه بحوثا فقهية، فجاء كتابًا حافلًا في موضوعه إلا أنه توسع فأدخل فيها ما لا يسلم له، وفي عزمي أن ألخصه تلخيصًا جيِّدًا، بحيث أحذف منه ما لا يساعد عليه الدَّليل، أو كان دليله ضعيفًا أو غير ظاهر الدلالة، وفق الله إلى ذلك وأعان عليه، إنَّه الموفق المعين.

ما يجب فيه الحد من المعاصي

المعاصي التي يجب فيها الحد الشرعي سبعة:

إحداها: الردة: إذا خرج المسلم عن دينه بقول أو عمل، يمهل ثلاثة أيام يستتاب فيها من غير إكراه ولا تعذيب، فإن تاب قبل، وإن لم يتب قتل لحديث «**من بدل دينه فاقتلوه**». وهو في "صحيح البخاري".

ثانيتها: القتل: من قتل مسلمًا متعمدًا، قتل به، لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَىٰ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ﴾ [البقرة: ١٧٨] الآية.

ثالثتها: الزِّنا: من زنى ولم يسبق له زواج يجلد مائة جلدة، لقوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢]الآية، وينفى سنة، لحديث

الصَّحيح «**البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام**».

ومن زنىٰ وقد سبق له زواج -وهو المحصن- يرجم حتىٰ يموت؛ لأن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم رجم الزانيين المحصنين، ورجم بعده الخلفاء الراشدون وانعقد عليه الإجماع.

رابعتها: اللواط: يرجم الفاعل، وكذا المفعول به إن كان بالغًا، سواء أكانا محصنين أم لا، لحديث: «**من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به**».

خامستها: القذف: من قذف مسلمًا أو مسلمة بالزِّنا ولم يأت بشهود أربعة يثبتون ما قال، يجلد ثمانين جلدة، ويفسَّق، ولا تقبل له شهادة في شيء إلا أن يتوب، لقوله تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: ٤ – ٥].

سادستها: الخمر: من شربها يجلد ثمانين جلدة، وثبت في الحديث أن الشارب يقتل في المرة الرابعة، وبه أخذ عبد الله بن عمرو وابن حزم وغيرهما فقالوا في شارب الخمر: يجلد ثلاث مرات، وفي الرابعة يقتل.

سابعتها: السرقة: قال الله تعالىٰ: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٨].

وبينت السنة أن من سرق ربع دينار نقدًا أو ما يعادله من ثياب وغيرها تقطع يده اليمنىٰ من الكوع، فإن عاد قطعت رجله اليسرىٰ من مفصل القدم،

فإن عاد الثالثة قطعت كفه اليسرىٰ، فإن عاد الرابعة، قطعت قدمه اليمنىٰ، فإن عاد الخامسة يعذر بما يكون دعا له. وذلك موكول إلىٰ اجتهاد الحاكم، وورد في حديث أنه يقتل، لكنه حديث ضعيف، وبقية المعاصي التي لا حد فيها شرعًا، يجب فيها التعزير بضرب أو نفي أو غيرهما حسب اجتهاد الحاكم.

والحكمة في اختصاص الحد بهذه السبعة: أنها تتعلق بالضروريات التي لا يستغنىٰ عنها، وهي:

١- **الدين**: وهو ضروري للإنسان، وللمجتمع. ومحافظة علىٰ بقائه وجب جهاد الكفار، وقتل المرتد.

٢- **النفس**: وهي أساس الحياة، فوجب القصاص ممن أزهقها بغير حق.

٣- **النسب**: وبه يمتاز النوع الإنساني، وحفظًا له من التلوث والاختلاط، وجب حد الزاني. وألحق به اللواط؛ لأنه -مع شذوذه- ينشأ عنه امتهان الرجولة، وتقليل النسل، وفي تقليله قطع للنسب، ولكونه قلبًا للطبيعة، عذب الله قوم لوط بقلب بلدهم بأن جعل عاليها سافلها، جزاءً وفاقًا.

٤- **العرض**: وهو مناط الكرامة، وبدونه لا كرامة للشخص، فلهذا وجب حد خادش العرض بغير حق، فيعيش الإنسان مصون العرض، موفور الكرامة.

٥- **العقل**: وهو الموهبة الكبرىٰ، وبه يتميز الإنسان ويتقدم في العلوم والمخترعات، واستجلاء أسرار الطبيعة، فوجب الحد علىٰ شرب الخمر؛ لأنها تغتاله، وتعطل مواهبه، ومن هنا حرمت سائر المخدرات: الحشيش والأفيون وغيرهما، ووجب التعزير علىٰ تعاطيها: والذين يتعاطونها للناحية الجنسية

واهمون مخطئون؛ لأنها لا تأثير لها في تلك الناحية إلا في خيالهم، ولأن حفظ عقولهم - لو علموا- أهم من المتعة التي يطلبون.

٦- **المال**: وهو عصب الحياة، وبه قوامها، فوجب حفظه بالحد على السرقة.

أنواع الكفر

الكفر أنواع:

١- الإشراك: وهو أيضًا أنواع:

اعتقاد أن الملائكة بنات الله تعالى، أو عزير ابن الله، أو عيسى ابن الله، تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا، أو عبادة الجن، أو الأصنام، أو الشيطان، أو الكواكب كلها أو بعضها، أو النَّار، أو ملك كفرعون، أو البقر، أو بعض الحيوانات، أو فروج النساء، أو اعتقاد أن للعالم إلهين: إله الخير وإله الشر، أو اعتقاد أن الإله مركب من أقانيم، أو أجزاء، أو له جوارح كالأيدي مثلًا، أو أنه حل في جسم من الأجسام، أو امتزج به، فكل هذا شرك يشمله قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢].

٢- إنكار وجود الله تعالى.

٣- إنكار نبوة نبي، كإنكار اليهود نبوة سليمان وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، وكإنكار النصارى نبوة النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم .

٤- نسبة كفر أو معصية إلى نبي، كقول اليهود: كان سليمان ساحرًا وقولهم أيضًا: إن داود شرب الخمر وزنى ببنته، لعنهم الله.

٥- سب نبي، أو لعنه، أو الاستهزاء به، أو التحريض على إذايته.

٦- سب مَلَك، كجبريل أو ملك الموت، أو وصفه بما لا يليق بمنصبه.

٧- إهانة المصحف أو تقذيره، أو نسبة الخطأ إليه، أو دعوى إمكان معارضة سورة منه.

٨- اعتقاد نبوة شخص بعد نبينا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، مثل القاديانية الكفرة الذين يعتقدون نبوة رئيسهم الكذاب غلام أحمد القادياني، الذي كان يعمل لمصلحة الاستعمار البريطاني في الهند، وكان يصرح بحبه للإنجليز، ويحض أتباعه على حبهم.

٩- إنكار البعث وما بعده، مثل البهائية الذين ينكرون البعث، ويزعمون أن الدنيا لا تفنى، وزادوا كفرًا آخر، فزعموا أن الإسلام نسخ بدينهم الباطل.

وهم يخدمون الاستعمار في كل مكان، بدليل أنَّ فرنسا سمحت لهم بإنشاء فرع في تونس، لأنهم يدعون إلى ترك الجهاد، ويقولون: إن دينهم نسخ الجهاد وأتى بالسلم العام.

وقد ناقشت أحدهم في هذا، فقلت له: هذه البلاد المصابة بالاستعمار الإنجليزي أو الفرنساوي، ماذا يفعل أهلها؟ هل يتركون الجهاد؟ قال: نعم. قلت: ويتركون المستعمرين يستغلونهم؟ قال: يبشرونهم بالدين البهائي، فإن المستعمرين إذا اعتنقوا هذا الدين تركوا الاستعمار بدون جهاد! قلت له: وإذا لم يعتنقوه؟ قال: لا بد أن يعتنقوه، قلت: كم سنة تلزم لاعتناقهم الدِّين؟ قال: ليس المهم المدة، فقد تكون خمسين سنة أو أكثر، وإنما المهم اقتناعهم بالدِّين، واعتناقهم له. قلت له: وعلى هذا نترك المستعمرين يتحكمون فينا مئات

السنين، في انتظار اقتناعهم بدينكم، ليدعوا بلادنا عن طيب خاطر منهم!! قال: فالتَّبشير جهاد!! ولهذا يجدون المساعدات المادية والأدبية من المستعمرين في مستعمراتهم، لأنَّهم يثبطون الناس عن جهادهم، ومقاومة استغلالهم وطغيانهم.

١٠- السِّحر؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ باستعمال السحر ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾ [البقرة: ١٠٢][(١)].

١١- إنكار أحد أركان الإسلام، كالصلاة أو الصيام أو الزكاة أو الجمعة، أو إنكار حرمة الزِّنا أو الخمر أو الربا، أو نحو ذلك مما هو معلوم.

فمن ارتكب أحد الأنواع المذكورة فهو كافر[(٢)]، وإن ادعى الإسلام بلسانه، لا يقبل الله منه عملًا، وإن مات على ذلك مات كافرًا، وكان مخلَّدًا في النَّار أبدًا.

الفرق بين العقيدة والتعصب والتسامح

كثير من الناس في مصر -ومنهم علماء- يخلطون بين هذه الأشياء خلطًا معيبًا يؤدي إلى خلل في دينهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا، فإذا سمعك

---

(١) انظر "تفسير الفخر الرازي" في هذه الآية، وكذا "تفسير القرطبي".

(٢) للعلامة الفقيه أحمد بن حجر الهيتمي المكي الشافعي كتاب "الإعلام بقواطع الإسلام" ذكر فيه الأمور المكفرة التي يعتبر فاعلها خارجا عن الدين، وهو مفيد، على توسع فيه.

أحدهم تقول: لا يجوز الترحم على اليهودي أو النصراني، لأنه لا يدخل الجنة، اعتبر هذا تشددًا وتعصبًا، وتشدق بأن رحمة الله واسعة، وعد نفسه متمسكًا بسماحة الإسلام، وما درى أنه خرج من دينه وهو لا يشعر، وما أتى إلا من قبل جهله وضعف عقيدته.

ولكشف النقاب عن خلطهم نقول:

إن التعصب والتسامح لا يكونان إلا في المعاملة، فالتعصب أن تعامل اليهودي أو النصراني بحيف، وتبخسه حقه، والشرع يأبى ذلك ولا يرضاه.

والتسامح أن تحسن معاشرته، وتجامله في المناسبات، فإذا حصلت له مصيبة واسيته فيها، وإذا حصل عنده فرح كعيد مثلًا هنيته عليه. ولا بأس أن تقدم له هدية، أو تمشي إلى كنيسته، بشرط ألا تشارك في شيء من طقوس دينه.

ولا بأس أيضًا أن تساعده في أمور دنياه، كقرض أو صدقة إن كان محتاجًا أو نحو ذلك مما لا تعلق له بالدين.

وتراعي جيرته إن كان جارًا لك، وإن كان بينك وبينه قرابة فَصِلْهُ، وبِرَّ قرابته، غير ألا تعطيه من زكاة مالك ولا من زكاة فطرك، لأنهما خاصتان بفقراء المسلمين.

وإذا كان بينه وبين أحد من المسلمين نزاع في شيء من المعاملة، ورأيت الحق في جانبه، فانصح أخاك المسلم بإعطائه حقه.

والخلاصة: أن المطلوب منك أن تعامل اليهودي أو المسيحي بالعدل والإنصاف، وتعاشره بالمجاملة والألطاف.

ومع هذا يجب عليك أن تعتقد اعتقادًا جازمًا لا تردد فيه أنه على باطل،

وأنه إن مات كافرًا، لا يجوز الترحم عليه، ولا الدعاء له بالمغفرة، لأنه لا يدخل الجنة أبدًا. وإذا عمل صالحًا فإن الله تعالى يجازيه عليه في الدنيا بالصِّحة أو المال أو الأولاد، أو تيسير الأمور، فإذا كان يوم القيامة لم يكن له ثواب لقوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ﴾ من الخير كصدقة وصلة رحم وإغاثة ملهوف ﴿فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣] لا ثواب له.

وهذه الآية تفيد أنه لا يوجد منهم ولي أو قديس كما يقولون، لأنَّ الولاية أو القداسة نتيجة العمل الصالح المقبول، وعملهم غير مقبول لبطلان دينهم بظهور الإسلام، فمن جوز وجود ولي منهم، أو تبرك بأحد قديسيهم، أو توسل به، فقد تخلى عن عقيدته ودينه، إذ التساهل في شيء من العقيدة لا يكون تسامحًا كما ظن المخلطون الواهمون لكنه تنازل عنها، يلزم منه الخروج من الدين. لأنه مبني على العقيدة، فإذا فقدت، فقد. وهذا واضح لا يحتاج إلى بيان، لولا خفاؤه على كثير من الناس، وبالله التوفيق.

أفراد القرآن

لفظ «الأرض»: حيثما ورد في القرآن، فالمراد به معناه المعروف، إلا في (سورة سبأ)، في قوله تعالى: ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ﴾ [سبأ: ١٤] فهو مصدر أرضت الخشبة بالبناء للمجهول، أكلتها الأرضة.

ولفظ «التقوى»: حيثما ورد في القرآن، فالمراد به طاعة الله تعالى، إلا في (سورة البقرة)، في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧] فالمراد به ما يتقى به سؤال الناس.

ولفظ «الجنة»: حيثما أطلق، فالمراد به جنة الخلد، إلا في (سورة ن)، في قوله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [القلم: ١٧] فالمراد به بستان في الدنيا.

ولفظ «الدنيا»: حيثما ورد في القرآن، فالمراد به مقابل الآخرة، إلا في (الصافات) و(حم السجدة) في قوله تعالى: ﴿زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾ [الصافات: ٦] فالمراد به القربى إلى الأرض، وإلا في (سورة الأنفال) في قوله تعالى: ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ﴾ [الأنفال: ٤٢] فالمراد به القربى إلى المدينة.

ولفظ «الكفار»: حيثما ورد، فالمراد به مقابل المؤمنين، إلا في (سورة الحديد)، في قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾ [الحديد: ٢٠] فالمراد به الزرع.

ولفظ «ربا»: يراد به الرِّبا المحرم، إلا في (سورة الروم)، في قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾ [الروم: ٣٩] فالمراد به هبة الثواب.

ولفظ «شركاء»: يراد به ما اتخذ إلهًا من دون الله، إلا في (سورة الزمر)، في قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا﴾ [الزمر: ٢٩] فالمراد به المشركون في ملكية عبد.

ولفظ «الذرية»: يراد به معناه المعهود، إلا في (سورة يس)، في قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [يس: ٤١] فالمراد به آباءهم.

ولفظ «البروج»: حيثما ورد، يراد به منازل الكواكب، إلا في (سورة

النساء) في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ﴾ [النساء: ٧٨] فالمراد به الحصون المنيعة.

ولفظ «حق»: يراد به الأمر الثابت، إلا في (سورة هود)، في قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ [هود: ٧٩] فالمراد به: حاجة.

ولفظي «البر»، و«البحر»: يراد بهما معناهما المعروف، إلا في (سورة الروم) في قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الروم: ٤١] فالمراد بالبر القفار، وبالبحر القرى التي على شواطئ الأنهار.

ولفظ «اليأس»: يراد به عدم الأمل، إلا في (سورة الرعد)، في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَايْئَسِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الرعد: ٣١] فالمراد به: يعلم.

ولفظ «الفحشاء»: يراد به المعصية القبيحة كالزِّنا، إلا في (سورة البقرة) في قوله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨] فالمراد به البخل.

وهذا النوع، يسمى «أفراد القرآن» وللإمام الحسين بن أحمد بن فارس اللغوي المالكي فيه مؤلف خاص.

لِمَ لَمْ يكن في الجن نصارى

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٢٩ – ٣٠].

سئلت: ما السر في عدم ذكرهم لعيسىٰ عليه السلام؟[(١)].

والجواب: السر في ذلك أحد أمرين: إما أنهم كانوا علىٰ دين موسىٰ عليه السلام ولم يسمعوا بعيسىٰ أو لم يؤمنوا به، وإما أنهم أرادوا أن القرآن كتاب تشريع وأخبار وقصص كالتوراة، بخلاف الإنجيل فإنه لم يكن كذلك، وإنما نزل تابعًا لشريعة التوراة ومتممًا لها، ولم يخالفها إلا في شيء قليل، كما ينبئ عنه قول عيسىٰ عليه السلام مخاطبًا لليهود: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [آل عمران: ٥٠] هذا ما ظهر في الجواب، والله الموفق للصواب.

من أدب الجن

روىٰ الحاكم بإسناد صحيح عن جابر رضي الله عنه ، قال: قرأ علينا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم (سورة الرحمن)، حتىٰ ختمها، فقال: **«ما لي أراكم سكوتا؟ للجن كانوا أحسن منكم ردا. ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة: ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣] إلا قالوا: ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب، فلك الحمد»**.

في هذا تشريف للجن، حيث أثنىٰ علىٰ أدبهم في استماع السورة وحسن ردهم. وأخبر الصَّحابة بذلك، ليعملوا مثله. وهذا من الأدب المأخوذ عن الجن، وبالله التوفيق.

---

(١) السائل هو الدكتور محمد عبد السلام العيادي رحمه الله.

الجمع بين آيتين

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٨] يعني الكافرين، وقال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢ - ٩٣] ليس بين الآيتين تعارض، كما قد يتوهم، بل هما متوافقان تمام الموافقة. وبيان ذلك أن السؤال نوعان:

١- سؤال عتاب يعقبه غفران، وهذا يقع لبعض عصاة المؤمنين، يسألهم الله تعالى عن ذنوبهم، سؤال تقرير وعتاب، حتى إذا أقروا واعترفوا بها، ونكسوا رءوسهم حياء وخجلًا. قال الله تعالى لهم: «سترتها عليكم في الدنيا وأنا أغفرها لكم اليوم» فهذا هو المنفي في الآية الأولى، والمعنى على هذا ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ سؤال عتاب، لأنهم لا نصيب لهم في المغفرة.

٢- سؤال توبيخ وحساب يتبعه عذاب، وهذا هو المثبت في الآية الثانية والمعنى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ سؤال حساب لا نترك لهم مثقال ذرة، ثم نعذبهم بعد ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾ [الطلاق: ٨] وإنما يكون هذا يوم القيامة، وعبر عنه بالماضي لتحقيق وقوعه. فحيثما وجدت سؤالًا منفيًّا عن الكفار في آية فاحمله على المعنى الأول، وحيثما وجدت مثبتًا في آية أخرى، فاحمله على المعنى الثاني وبالله التوفيق.

لا يعذب الله أحباءه

قول الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ

﴿يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ [المائدة: ١٨] يفيد أن الأب لا يعذب ولده، ولا الحبيب حبيبه. وعلى هذا فالله تعالى لا يعذب أحبابه، وذنوبهم مغفورة.

يؤيد هذا ما ثبت في الصَّحيح أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، اطلع على كتاب من حاطب بن أبي بلتعة -وكان بدريًّا- إلى ناس من المشركين بمكة، يخبرهم فيه ببعض أمر النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقال: «**ما هذا يا حاطب؟**» قال: لا تعجل عليَّ يا رسول الله، إني كنت ملصقًا في قريش، ولم أكن من أنفسها. وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم بمكة فأحببت إذا فاتني ذلك من نسب فيهم أن أتخذ يدًا يحمون بها قرابتي، وما فعلت ذلك كفرًا، ولا ارتدادًا عن ديني، ولا رضًا بالكفر.

فقال عمر رضي الله عنه: دعني أضرب عنقه، فقد نافق.

فقال النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**وما يدريك؟ لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**».

فانظر كيف غفر الله ذنوب أهل بدر؟! لأنهم أحبابه، نصروا دينه في موقعة كانت الحد الفاصل بين الإسلام والشرك. ولولا انتصارهم في هذه المعركة، لم يكتب للإسلام بقاء كما قال النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في دعائه يوم بدر: «**اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض**».

ومن دعاء الصوفية: «اللَّهمَّ اجعل سيئاتنا سيئات من أحببت ولا تجعل حسناتِنا حسنات من أبغضت». وهو دعاء جميل، يرمي إلى فلسفة وجيهة، ذلك أن سيئات المحبوب مغفورة، وحسنات المبغض مكفورة ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا

عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣].

من ذكروا في القرآن بأسمائهم

الأشخاص المذكورون في القرآن بأسمائهم، من غير الأنبياء، سبعة عشر؛ تسعة مؤمنين وثمانية كفار.

فالمؤمنون هم:

١ - ذو القرنين: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ﴾ [الكهف: ٨٣].

٢ - عزير: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣٠].

٣ - لقمان: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَـٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ ﴾ [لقمان: ١٢].

٤ - طالوت: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

٥ - عمران: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ ﴾ [آل عمران: ٣٥].

٦ - مريم: ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ﴾ [التحريم: ١٢].

٧ - هارون: رجل صالح شبهت به مريم ﴿ يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ ﴾ [مريم: ٢٨].

٨ - تبع: ﴿ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ﴾ [ق: ١٤] وكان ملكًا صالحًا.

٩ - زيد بن حارثة الصحابي: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَـٰكَهَا ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

والكفار هم:

١ - آزر والد إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ ﴾ [الأنعام:

٧٤].

٢- العزيز: ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ﴾ [يوسف: ٥١].

٣- السامري: ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾ [طه: ٨٥].

٤- فرعون: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ﴾ [الفجر: ١٠].

٥- هامان: ﴿يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا﴾ [غافر: ٣٦].

٦- قارون: ﴿يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا﴾ [غافر: ٣٦].

٧- جالوت: ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

٨- أبو لهب: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ [المسد: ١].

ذو القرنين رومي، ولقمان نوبي، وتبع يمني، وعزير وعمران وبنته وطالوت وهارون إسرائيليون، وزيد عربي، وآزر حراني، والعزيز قبطي، والسامري يهودي، وفرعون وهامان وقارون أقباط، وجالوت أبو البربر، وأبو لهب عربي.

تنبيهان

(التنبيه الأول): ذو القرنين وعزير ولقمان قيل بنبوتهم، والصَّحيح أنهم ليسوا بأنبياء.

(التنبيه الثاني): قيل: إن العزيز آمن بيوسف عليه السلام، فإن صح هذا فيكون مؤمنًا يعد مع المؤمنين التسعة والله أعلم.

الحشرات والحيوانات المذكورة في القرآن

ذكر في القرآن من الحشرات والحيوانات:

البعوضة: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ [البقرة: ٢٦].

البقرة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ﴾ [البقرة: ٦٧].

السبع، الخنزير: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ ﴾ [المائدة: ٣].

الغراب: ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [المائدة: ٣١].

القردة، الخنازير: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ ﴾ [المائدة: ٦٠].

الإبل، والبقر، والضأن، والمعز: ﴿ مِنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ﴾، ﴿ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ ﴾ [الأنعام: ١٤٣، ١٤٤].

العجل: ﴿ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴾ [الذاريات: ٢٦].

الجمل: ﴿ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾ [الأعراف: ٤٠].

الناقة: ﴿ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً ﴾ [الإسراء: ٥٩].

الغنم: ﴿ وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى ﴾ [طه: ١٨].

الجراد، القمل، الضفادع: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ ﴾ [الأعراف: ١٣٣]. والقمل هو السوس، أو نوع من القراد.

الثعبان: ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ [الأعراف: ١٠٧].

الحية: ﴿ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾ [طه: ٢٠].

الذئب: ﴿ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ ﴾ [يوسف: ١٣].

الكلب: ﴿ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ﴾ [الكهف: ١٨].

الخيل، البغال، الحمير: ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾ [النحل: ٨].

الحمار: ﴿ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ [الجمعة: ٥].

النحل: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾ [النحل: ٦٨].

النمل، النملة: ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ﴾ [النمل: ١٨].

الذباب: ﴿ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ﴾ [الحج: ٧٣].

الهدهد: ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ ﴾ [النمل: ٢٠].

الحوت: ﴿ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ ﴾ [الكهف: ٦٣].

العنكبوت: ﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ ﴾ [العنكبوت: ٤١].

الأرضة: ﴿ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ ﴾ [سبأ: ١٤].

الحمر الوحشية: ﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴾ [المدثر: ٥٠] وحشية، وأكلها حلال.

الأسد: ﴿ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴾ [المدثر: ٥١]؛ أسد.

الفيل: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ [الفيل: ١].

وفي القرآن الكريم ست سور مسماة بأسماء بعض الحيوانات والحشرات هي: (سورة البقرة)، و(سورة الأنعام)، و(سورة النحل)، و(سورة النمل)، و(سورة العنكبوت)، و(سورة الفيل).

حرمة مجالسة أهل المعصية

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠].

تفيد هاتان الآيتان حرمة مجالسة أهل المعصية حال ارتكابهم لها، ووجوب الإعراض عنهم حتى يتركوها، وأن من جالسهم كان مثلهم في الإثم وإن لم يعمل المعصية، وفي الحديث: «**من كان يؤمن بالله وباليوم الآخر فلا يقعد على مائدة يشرب عليها خمر**».

وعلى هذا لا يجوز القعود في مجلس يشرب فيه الخمر، أو الحشيش أو تنتهك فيه الأعراض بغيبة، أو بذكر محاسن النساء أو الغلمان أو نحو ذلك، وإن كان قاعدًا وجرى شيء من المعاصي المذكورة أو غيرها، وجب عليه أن

يقوم في الحال بعد أن ينصحهم إن وجد فرصة للنصيحة.

وكذا لا يجوز مساعدة مرتكب المعصية، فيحرم مناولة شارب الخمر كأسًا يشرب فيها، ومناولة مفطر رمضان -بغير عذر- أكلًا أو شربًا، وإخفاء سرقة سترًا على سارقها.

والقاعدة الشرعية: أن من ساعد عاصيًا كان مثله في الإثم. ولا يقبل اعتذاره بأن عمله يقتضي ذلك، فالذي يفتح مطعمه في نهار رمضان عاص آثم، وإن كان هو صائمًا. والصائم الذي يقدم لزائره في نهار رمضان القهوة أو الدخان آثم، وإن كان الزائر نصرانيًا؛ لأنه مأمور بالإسلام وبالصيام، إذ الكفار مخاطبون بفروع الشريعة، كما تقرر في علم الأصول.

هذه أحكام يجهلها كثير من المسلمين اليوم، وبسبب جهلها يقعون في معاصي بمساعدتهم أصحابها وهم لا يشعرون.

ومن هنا عم الحرام أسباب معايشهم، وارتفعت البركة من أرزاقهم، وقست قلوبهم، وشاركهم في هذا الجهل عدد غير قليل من العلماء.

زار فرنسي أزهريًا في مكتبه -وهو وزير الأوقاف- وكانت الزيارة في رمضان، فقدم له القهوة والدخان. وكان الواجب عليه أن يعتذر لزائره بالصيام، ويدعوه إلى العشاء أو شرب الشاي في بيته. فإن هذا أوفق بدينه وإكرام له في عين زائره، إذ الأجانب ينظرون بعين الاحترام إلى المسلم الذي يرونه متمسكًا بدينه، ولكن معظم الأزهريين يشاركون العامة في الجهل بحرمة مساعدة العاصي، فيقعون في أشياء من هذا القبيل.

التجارة في الحرام

في الحديث الصَّحيح: «إن الله إذا حرَّم شيئًا حرم ثمنه» فلا تجوز التجارة في الأشياء المحرمة كالخمر والخنزير ونحوهما، لكن كثيرًا من المسلمين يتعاطون هذه التجارة لجهلهم بأحكام الدين.

كنت في مرسيليا سنة ١٣٥٤ مع المرحوم أخي الأكبر الحافظ أبي الفيض والسيد محمد الزمزمي، وذهبنا نسأل عن شخص مغربي مقيم هناك اسمه الحاج علي، فدللنا عليه في خمارة، فلما وصلنا إليها، وجدنا امرأته -وهي فرنسية- تبيع الخمر، فسألناها عنه، فأشارت إلى محل داخل الخمارة، فإذا هو زاوية، وعلى بابه ستارة، وهو مفروش بحصر مغربية جيدة، وفي القبلة علامة المحراب برسوم، ووجدنا الحاج عليًا قد انتهى من صلاة المغرب؛ وفي يده مسبحة يذكر فيها ورد الطريقة الناصرية!! فقلنا له بعد التحية والملاطفة: زاوية في قلب خمارة؟ وصلاة وذكر وبيع الخمر؟! إيش هذا؟! قال: إيش فيه؟ قلنا: أنت رجل حاج، ومحافظ على دينك، وبيع الخمر يضيع الدين. قال: هذا رزقي لا دخل له بالدين. قلنا: افتح قهوة، وقدم فيها الشاي الأخضر المغربي، وأنواع المشروبات المباحة، أو افتح مطعمًا وقدم فيه الأطعمة المغربية المرغوبة هنا. فلم يقبل النصيحة، بل نصحنا هو بأن نترك هذا التشدد المنافي للدين!! وهذا وهو يناهز السبعين، ولكن جهله حسن له هذا العمل فرآه حلالًا طيبًا.

وهنا في مصر كثير من الناس يتاجرون في الخنازير أو الخمر أو الحشيش، ويحجون من كسب هذه التجارة المباركة!! وأعرف في حي الدرب الأحمر حاجا يبيع الخمير وأهل الحي يسمونه الحاج بنيوتي، تنكيتا عليه.

الغموس هو الصبغ

الغموس في اللغة المصرية، أو الجواز بلغة المغرب، اسمه في القرآن «صبغ» قال الله تعالى: ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ ﴾ وهي شجرة الزيتون ﴿وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴾ [المؤمنون: ٢٠]

أي إدام يصبغ اللقمة بغمسها فيه.

الحصانة الديبلوماسية في القرآن

قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾ [التوبة: ٦] أصل فيما يسمى في العرف الدولي بالحصانة الديبلوماسية، ونفذه النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مع الرسل الوافدين عليه في مهمة دينية أو سياسية.

من ذلك: أن مسيلمة الكذاب أوفد إليه شخصين يبلغانه أنه أشرك معه الأمر؛ ويفاوضانه في أن ينضم إليه، على أن يكون الأمر لمسيلمة بعده صلَّى الله عليه وآله وسلَّم . فقال لهما: «**ما تقولان؟**» قالا: نقول: إنه رسول الله. فقال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما**». ورفض ما أتيا لأجله.

مع أن مسيلمة كان قد وفد على النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في وفد بني حنيفة، وأسلم، ثم ارتد وادعى النبوة، فلم يكن إلا مجرد ثائر فاشل، ولكن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عامل رسله معاملة رسل دولة رسمية! وهذا من كرمه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في المعاملة.

الاستيلاء على الأقوات وقت الأزمات

ما تفعله حكومات هذا العصر عند أزمات الحروب أو المجاعات من استيلائها على الأقوات الضرورية كالدقيق، وتوزيعها على الشعب بثمن محدد، سبق إليه يوسف عليه السلام، وهو أول من سن هذا النظام؛ وذلك حينما رأى ملك مصر رؤيا أفزعته، وسأل عن تعبيرها، فعبر له يوسف بقحط يصيب القطر المصري سبع سنوات، وعلمه كيف يتفاداه ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ [يوسف: ٤٧] الآية.

فلما طلبه الملك، وسأله من يقوم بتنفيذ هذا النظام؟ ﴿قَالَ﴾ يوسف ﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥] فولَّاه وزارة التموين.

وأخذ العلماء من هذه الحادثة: أن الإنسان إذا كان كفؤا في عمل من الأعمال ولم يكن غيره في كفاءته، تعين عليه أن يطلب ذلك العمل، ويبين كفاءته فيه، ويكون ذلك من النصيحة التي يقدمها لأولي الأمر، حتى يمكنه خدمة المجتمع بتولي ذلك العمل[1] وله عند الله ثواب كبير إن لم يقصد غرضًا آخر كرياسة أو جمع مال لمصلحته الشخصية وبالله التوفيق.

---

(١) من هنا يتبين خطأ بعض المتشددين الذين يعيبون العالم الفاضل بتوليه منصب القضاء ونحوه، وقد عيب على الحافظ ابن حجرٍ أنه تولى منصب قاضي القضاة بمصر، وليس ذلك بعائبه.

آزر[1] والد إبراهيم عليه السلام

قول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٧٤] يفيد أن أباه كان زعيم قومه ورئيسهم وآزر لقبه؛ واسمه تارح، وزعم بعضهم أنه عمه، وليس كذلك، فقد ذكره القرآن بوصف الأبوة عدة مرات؛ في هذه الآية وفي آيات أخر:

﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ ﴾ [التوبة: ١١٤].

﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ ﴾ [مريم: ٤١ - ٤٢].

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ [الشعراء: ٦٩ - ٨٦].

وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الشعراء: ٨٦].

﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴾ [الصافات: ٨٣ - ٨٥].

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ٥٢].

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴾ [الزخرف: ٢٦ - ٢٧].

﴿ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ﴾ [الممتحنة: ٤].

وكذا جاء وصفه بالأبوة في حديث الصَّحيحين.

---

(١) هذا لقبه، واسمه المعروف في كتب التاريخ: تارح.

ولا يعيب الرسول أن يكون أبوه أو ابنه كافرًا، وإنما قلنا بنجاة أبوي النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، لأنهما كانا في زمن الفترة، لم يكن في زمنهما رسول، والله تعالىٰ يقول: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]وبعضهم استدل علىٰ إيمان أجداد النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم -ومنهم والد إبراهيم وهو غير آزر علىٰ هذا القول- بقوله تعالىٰ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٧ - ٢١٩]أي أنه عليه الصَّلاة والسَّلام كان يتنقل نطفة في أصلاب آبائه الساجدين، وهو استدلال بعيد لا يفيد المقصود.

والمتبادر من الآية الكريمة: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ إلىٰ الصلاة ﴿وَ﴾ فإنْ يرىٰ ﴿وَتَقَلُّبَكَ﴾ في أفعالها قائمًا وقاعدًا وراكعًا وساجدًا ﴿فِي السَّاجِدِينَ﴾ أي المصلين.

ويمكن توجيه الاستدلال السابق علىٰ وجه آخر، وهو: أن آزر حينما ولد إبراهيم كان من أهل الفترة، إذ لم يرسل إليه رسول. وإنما كفر بعد بعثة ابنه إليه، فصح أن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم تقلب نطفة في أصلاب أجداده وليس فيهم مشرك. وهذا وجه دقيق يحتاج إلىٰ تأمل.

وإن تعجب فعجب من الحافظ السُّيوطيِّ الذي ألف ست رسائل في نجاة الأبوين الكريمين، واستدل بهذه الآية وغيرها، ثم يذكر في كتاب أسباب النزول عن محمد بن كعب القرظي، وداود ابن أبي عاصم: أن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ليت شعري ما فعل أبواي؟**» فأنزل الله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ

أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [البقرة: ١١٩] فما ذكرهما حتى مات.

وهذان مرسلان ضعيفان يزيدهما ضعفًا أنَّ النبيَّ عليه الصَّلاة والسَّلام لا يسأل ما فعل أبوه؟ وهو يقرأ منذ كان بمكة قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥].

ويذكر السيوطي أيضًا في (سورة التوبة) أحاديث عن ابن مسعود وابن عبَّاسٍ وبريدة أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وقف على قبر أمه فبكى طويلًا، ثم قال: «**استأذنت ربي أن أستغفر لها فنهيت**». ونزل قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ ﴾ [التوبة: ١١٣] مع أنه خرج حديثًا للصحيحين يصرح بنزول الآية في أبي طالب! ويظهر أنه اعتمد على الأدلة التي أوردها في رسائله المشار إليها، ورأى أن ما ذكره في سبب نزول الآيتين المذكورتين لا يقوى على معارضتها، لكن كان يجب عليه أن يبين، لئلا يسبق إلى الوهم أنه تناقض.

أهل الفترة ناجون

أهل الفترة هم الذين عاشوا في زمن لم يكن فيه رسول إليهم، كالعرب الذين عاشوا فيما بين زمني إسماعيل والنبي عليهما الصَّلاة والسَّلام، وكأهل الكتاب الذين كانوا بين زمني عيسى والنبي عليهما السلام.

والحكم فيهم عند الجمهور أنهم ناجون، ولو عبدوا الأصنام، لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥] ولقوله سبحانه ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي

إرسال الرسل ﴿أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾ بشرك ﴿وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣١] لم يرسل إليهم رسول.

وأجابوا عن الأحاديث التي تفيد تعذيب بعض أهل الفترة، بأنها آحاد، لا تقوىٰ علىٰ معارضة القرآن. وذهب جماعة من العلماء منهم النووي والأبي والحافظ ابن حجرٍ إلىٰ أن أهل الفترة ينقسمون إلىٰ ثلاثة أقسام:

الأول: قوم اتبعوا شريعة من الشَّرائع الصَّحيحة، وإن لم يكونوا مخاطبين بها؛ مثل تبع أحد ملوك اليمن، الذي اتبع دين اليهودية، ومثل زيد ابن عمرو الذي تنصر في الجاهلية، فهؤلاء مؤمنون بلا شك لاتباعهم شريعة لم تنسخ.

الثاني: قوم أشركوا وغيروا بابتداع أمور شركية، مثل امرئ القيس، وعمرو بن لحي الخزاعي، وهؤلاء يعذبون لشركهم، ولا يعذرون بعدم وجود رسول بينهم، لأن التوحيد كلف به الخلق منذ أرسل الله آدم إلىٰ أولاده، ثم تتابعت الرسل، وإنما اختلفت شرائعهم في غيره من الأحكام لحديث: «**الأنبياء أولاد علات أمهاتهم شتى ودينهم واحد**» وهو التوحيد، وعلىٰ هؤلاء تتنزل الأحاديث الواردة في عذاب أهل الفترة.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾ أي علىٰ المعاصي كالزِّنا والظلم ﴿حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] يبين الأحكام، فهو مؤول كما علمت.

الثالث: قوم لم يتبعوا شريعة سابقة، ولا أشركوا، ولكنهم عاشوا علىٰ الطبيعة، ما عرفوا كفرًا ولا إيمانا، فمنهم من قال: إنهم ناجون، ومنهم من قال: يمتحنون يوم القيامة مع من يمتحن، وهم الذين أدركوا البعثة وقد

فقدوا الوعي، لكبر وخرف، والذين أدركوا البعثة وهم مجانين.

وكيفية امتحانهم أن يخرج لهم عنق من النَّار، ويقال لهم: «اقتحموه»، فمن أجاب واقتحم، كان عليه بردًا وسلامًا ودخل الجنة. ومن تلكأ، قال الله له: «إياي عصيت، فكيف برسلي؟» ويدخل النَّار. كذا جاء في أحاديث رواها البزَّار وغيره.

قال الحافظ ابن حجرٍ: «والظن في أبوي النبي أن يجيبا، لتقر بهما عينه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم».

قلت: والذي أرجِّحه رأي الجمهور، لأن القرآن قاطع فيه، ولأنه اللائق بكرم الله وفضله، فأهل الفترة ناجون بدون امتحان ولا غيره، والأحاديث الواردة بخلاف ذلك معلولة، والصَّحيح منها آحاد، ثم هو يحتمل التأويل.

ومما يؤيد ما ذهب إليه الجمهور قوله تعالى: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ﴾ يعبدونها ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ﴾ هالك ﴿مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨ – ١٣٩].

فموسى لم يخبر عن هؤلاء القوم الذين يعكفون على الأصنام بأن الله معذبهم، لأنهم أهل الفترة، لم يأتهم رسول ولا بد أنهم سمعوا بموسى وبدعوته، ومع ذلك لا يلحقهم عذاب، إذ لم يعرفوا شريعة، ولا أتاهم رسول.

ويزيده تأييدًا قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا﴾ محمد عليه السلام ﴿يُبَيِّنُ لَكُمۡ﴾ الدين أصوله وفروعه ﴿عَلَىٰ

فَتْرَةٍ ﴾ انقطاع ﴿مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ لأجل ﴿أَن ﴾ لا ﴿تَقُولُواْ ﴾ يوم القيامة ﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ﴾ [المائدة: ١٩] فلا عذر لكم بعد مجيئه. فإذا كان اليهود والنصارى وهم أهل كتاب جاءهم به رسل يقبل عذرهم عند الله حسبما أفادته الآية، لو لم يأتهم نبينا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فما ظنك بالعرب الأميين الذين ما عرفوا رسولًا، ولا قرءوا كتابًا منذ عهد إسماعيل عليه السلام؟ لا شك أنهم أولى بقبول العذر، وأجدر بالنجاة.

أما بعد البعثة المحمدية التي عمت أهل الأرض جميعًا، فلا يوجد أهل فترة، ولا محل لافتراض وجودهم. لكن قد يعترض وجود من لم تبلغه الدعوة، فلو افترضنا وجود شخص في بعض مجاهل القارة الأفريقية مثلًا لم يسمع بالإسلام، ولا بالقرآن، ولا عرف شيئًا عن توحيد الله تعالى، وعاش بين الجبال والغابات. فإنه ناج بلا شك، حتى ولو اعتنق بعض الديانات الشركية، كالنصرانية مثلًا، ذلك لأن بلوغ الدعوة شرط في توجه التكليف للشخص، فحيث لم تبلغه بدون تقصير منه لم يكلف، وبالله التوفيق.

أما الذين ولدوا بين أبوين يهوديين أو نصرانيين، فهم كفار بلا نزاع، لأنهم سمعوا القرآن، وعرفوا المسلمين ويضمرون للإسلام كراهية شديدة، بحيث لو خير أحدهم بين الإسلام والموت، لاختار الموت عليه. وكثير من المسيحيين يقرون ببلاغة القرآن، وبتأثرهم بروعته عند سماعه، وباشتماله على حقائق علمية، ويصرون مع ذلك على مسيحيتهم، فكفر هؤلاء عن إصرار وعناد، وهو أقبح الكفر، والعياذ بالله تعالى.

أيما أفضل في الصلاة؛ طول القيام أم الركوع والسجود؟

اختلف أيما أفضل في الصلاة؟ طول القيام؟ أم كثرة الركوع والسجود؟ قال بكلٍّ طائفةٌ، ورجَّح المالكية الأول، مستدلين بقوله تعالى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨] ومما قيل في تفضيل الركوع، ما ينسب إلى الإمام البخاري:

اغْتَنِمْ في الفَرَاغِ فضلَ رُكُوعٍ ... فعسى أنْ يكونَ مَوْتُك بَغْتَة
كَمْ صَحِيحٍ رأيتَ مِن غَيْرِ سقمٍ ... ذَهَبَتْ نَفْسُهُ الصَّحِيحَةُ فَلْتَة

وقال أديب يرد على من فضل السجود:

كأنَّ الدَّهْرَ في خَفْضِ الأعَالي ... وإعْلَاءُ الأسَافِلَةِ اللِّئَامِ
فقِيهٌ صَحَّ في فَتْوَاهُ قَوْلٌ ... بتَفْضِيلِ السُّجُودِ على القِيَامِ

وإذا تأمَّلت صنيع القرآن وجدته يقتضي تفضيل السجود والركوع، لأنهما أكثر ما ذكره من أركان الصلاة. نحو: ﴿وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣].

﴿وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥].

﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِي وَٱرْكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٣].

﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ﴾ [التوبة: ١١٢].

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٩٨].

﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا﴾ [الحج: ٧٧].

﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٨ - ٢١٩].

إلى غير ذلك من الآيات التي ذكر فيها السجود وحده، وذلك يقتضي تفضيله على الركوع، وهو على القيام ووجه ذلك من جهة المعنى: أن الحكمة في الصلاة إظهار الخضوع لله تعالى، وهو في الركوع أقوى منه في القيام، وفي السجود أقوى منه فيهما، بل هو نهاية الخضوع، حيث يضع الإنسان وجهه - وهو أشرف أعضائه - في الأرض، تواضعًا لله تعالى، ولذا كان السجود وحده عبادة مستقلة، كسجود التلاوة، وسجود الشكر.

وأخبر الله أن جميع مخلوقاته يسجدون له تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل: ٤٨ - ٤٩].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ١٨].

وفي الحديث الصَّحيح: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا فيه الدعاء**».

وفي حديث صحيح أيضًا: «**واعلم أنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة**».

وطلب صحابي من النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أن يشفع له يوم القيامة، فقال: «**سأفعل فأعني على نفسك بكثرة السجود**».

إلا أن القيام يترجح بقراءة القرآن فيه، وهي مكروهة في الركوع والسجود، وهذا مدرك من فضله عليهما، وهو مدرك قوي.

ويمكن التفضيل في التفصيل بحسب الأفراد، فمن كان في صلاته يرتل القرآن، ويجود تلاوته، ويتدبر معانيه، كان طول القيام في حقه أفضل.

وهذا كان حال النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في صلاته، يقوم في الرَّكعة بسورة البقرة ونحوها، يقرأ قراءة لو عدها العاد أحصاها، لا يمر بآية رحمة إلا وقف عندها وسأل، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف عندها وتعوذ، وهكذا كان حال الصَّحابة أيضًا. ومن لم يحسن القراءة بالكيفية المذكورة، فكثرة الركوع والسجود في حقه أفضل، وبهذا التفضيل يزول الإشكال.

لم قيل لمريم: ﴿وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾؟

سئلت عن قول الله تعالى: ﴿يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٣] لم لم يقل: واركعي مع الراكعات؟

والجواب: لم يقل ذلك، لأنها كانت مقيمة بغرفة داخل المسجد، خصصها لها زكريا عليه السلام، ولم يكن في المسجد إلا رجال هم خدمته، وهي المرأة الوحيدة بينهم، فأمرت بالصلاة معهم، وفيه دليل مشروعية الصلاة في الجماعة.

أما قوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [التحريم: ١٢] الطائعين، يوم القيامة، فلم يقل: القانتات، لإفادة أن الرجال أغلبية الطائعين وأن النساء قليلات بالنسبة لهم.

ولا يرد على هذا أن المؤمن في الجنة يكون له عدة أزواج، لأن تلك الأزواج من الحور العين المنشآت فيها كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٣٥ – ٣٨]ولو كانت المؤمنات في الدنيا أكثر من المؤمنين لم ينشئ الله لهم الحور العين.

عزيز مصر كان عديم الغيرة

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَا﴾ العزيز ﴿قَمِيصَهُۥ﴾ قميص يوسف ﴿قُدَّ مِن دُبُرٍ﴾ قطع من خلف ﴿قَالَ﴾ لامرأته ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي قولك: ما جزاء من أراد بأهلك سوءًا إلخ، ﴿مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ﴾ أيها النساء ﴿عَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٨].

وقال ليوسف يا ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾ الذي حصل، ولا تذكره لئلا يشيع. ثم قال لامرأته ﴿وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَٰطِـِٔينَ﴾ [يوسف: ٢٩] الآثمين.

أخذ من هذا أن العزيز كان عديم الغيرة، فاقد النخوة، إذ مع تحققه بخيانتها، وتلويث عرضها، لم يزد على أن نصحها في هدوء بأن تستغفر لذنبها،

وفي هذا الموضع من تفسير "البحر المحيط" كلام ينبغي الوقوف عليه. وفي التعبير بالخاطئين دون الخاطئات إشارة إلى أن ما تجرأت عليه من المراودة، يكون من الرجال لا من النِّساء، والله أعلم.

الخلاف في أكل الفسيخ

أهل مصر يأكلون السمك الفسيخ بنهم وشره، مع أنه مختلف في إباحته، فحرمه المالكية والشَّافعية والحنابلة، وأباحه الحنفيَّة بناء على أنه طاهر، إذ لا دم له، وما ينزل منه دهن، بدليل أنه لو نشف صار أبيض لا أحمر.

والدليل يقتضي تحريمه، لأمرين:

الأول: أنه منتن، والنبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لما سئل عن سمك العنبر الذي وجده الصَّحابة ميتًا على سيف البحر، قال: «**كلوه ما لم ينتن**».

الثاني: أنه متنجس بما يخرج منه من فضلات، ووقفت على رسالة مخطوطة، اسمها "ألف سيخ[1] في عين من يقول بطهارة الفسيخ" رد بها العلامة السِّجاعي الشَّافعي على بعض أهل مذهبه، حيث قال بطهارته.

وقال الشيخ الدردير المالكي: «الذي أدين الله به أن الفسيخ بجميع أجزائه طاهر، يجوز أكله».

ومما شاهدته بنفسي مما يؤيد نتانة الفسيخ أني كنت في منزل صديقي الحاج عبد الخالق إبراهيم الزهيري بشر مساح، وبينما نحن نتغدى أحضر بعض أهل البلدة سردينا وهو من نوع الفسيخ فرمى صاحب البيت سردينة إلى كلب،

---

(١) هو المغرس بلغة العرب.

فشمها وابتعد عنها، فعجبنا لذلك!!

وليس في البلاد الإسلامية من يأكل الفسيخ غير المصريين، كما أن سائر البلاد الإسلامية يأكلون الجراد، إلا المصريين فإنهم يستقبحونه ويعجبون ممن يأكله، ويجهلون أنه مباح شرعًا، حسبما ذكره العلماء، لقوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم «**أُحِلَّتْ لنا مَيْتَتانِ ودَمانِ، فأمَّا المَيْتَتان فالسَّمَكُ والجَرادُ، وأمَّا الدَّمَانِ فالكَبِدُ والطُّحَالُ**».

وهو لذيذ يؤكل مشويًا ومسلوقًا، ويعمل منه سفوف لتقوية الباه، وطعمه أشبه بطعم البيض فالعجب ممن يأكلون الفسيخ والملوحة وأم الخلول، كيف يستقبحون الجراد المباح الطاهر؟!!

المصريون والسحر

كان قدماء المصريين مهرة في علم السحر، يشهد لذلك قول الله تعالى في سحرة فرعون ﴿فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ﴾ [الأعراف: ١١٦] وكانوا يعتقدون السحر علمًا عظيمًا، ويقدسون السحرة. يدل على ذلك قوله تعالى في سورة الزخرف: ﴿وَأَخَذۡنَٰهُم﴾ أي فرعون وقومه ﴿بِٱلۡعَذَابِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٤٨] عن كفرهم ﴿وَقَالُواْ﴾ لموسى حين رأوا الآيات؛ الطوفان والجراد إلخ: ﴿يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّٰحِرُ﴾ [الزخرف: ٤٩] أي العالم الكامل، لأن السحر عندهم علم عظيم، ولولا أنه عندهم كذلك، ما نادوا موسى في ساعة شدتهم واستغاثتهم بهذا اللقب.

ولا زالوا إلى الآن يعتقدون السحر، ويلجئون إلى السحرة في أشياء تهمهم

إلا أنهم يرمون المغاربة بمعرفته، وإذا طبع أحد الكتبية كتابًا في السحر وما يتصل به، وأراد أن يضمن له الرواج، نسبه إلى بعض أهل المغرب كابن الحاج الكبير مثلًا، أو كتب عليه أنه طبع على أصل مخطوط بخط مغربي.

وأذكر لهذه المناسبة أن بعض علماء الأزهر ممن تلقى عني في علوم التوحيد والأصول والمنطق عرفني ببعض كبار الموظفين، في إحدى الوزارات، وقدمني له بصفتي عالمًا من علماء الحديث المبرزين فيه، فتكلمنا في مسائل شتى ثم سألني عن السحر؟ فقلت: لا أعرفه، وهو عندنا قبيح، وأكثر من يتعاطاه أهل سوس -إقليم بالمغرب- يغلب عليهم الجهل، لبعدهم عن الحضارة، وذكرت له أن مذهب مالك الذي يعتنقه المغاربة يحرمه تحريمًا بالغًا.

فقال لي بعد سماع الكلام: لا تحاول الإنكار، فأنا أعتقد أنكم تعرفون السحر، كما أعتقد أن القرآن أنزل على محمد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وأعتبر ما قلته من ذم السحر وتقبيحه تهربًا مني، وضنًّا به عليه.

وبالضرورة لم يستند في اعتقاده هذا على حقيقة تاريخية، وإنما استند على ما هو شائع بين عامة المصريين رجمًا بالغيب. وكم لهذا من نظير، لجئوا إليَّ لأساعدهم بالسحر في مسائل تهمهم، وكنت أجد صعوبة في إقناعهم بأني لا أعرفه، بل وأمقته، وقد قدَّمنا أن مذهب المالكية يحرمه تحريمًا بالغًا، وذلك أن تعلمه ليسحر به الناس، فإن تعلمه لا لشيء فهو مكروه، وإن تعلمه ليبطل به السحر، فهو جائز، وهذا بناء على تعريفه بأنه علم يستفاد منه حصول ملكة نفسانية يقتدر بها على أفعال غريبة، بأسباب خفية.

وعرفه ابن العربي المعافري المالكي بأنه: كلام مؤلف يعظم به غير الله

تعالى، وتنسب له المقادير، وعليه فهو كفر مطلقًا من غير تفصيل.

وأغرب بعض النظار حيث جعل تعلمه فرض كفاية، لجواز ظهور ساحر يدعي النبوة، فيكون في الأمة من يكشفه[1] ويقطعه. نقله ابن صاعد في "إرشاد القاصد" وقد عده الحديث من السبع الموبقات، وبالله التوفيق.

علامات الساعة الكبرى

علامات الساعة الكبرى عشرة، ذكر منها في القرآن أربعة:

١- طلوع الشمس من مغربها: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾ [الأنعام: ١٥٨] الآية، فسر حديث الصَّحيحين ﴿بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ بذلك.

٢- يأجوج ومأجوج: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦].

٣- الدابة: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ [النمل: ٨٢].

٤- نزول عيسى عليه السلام: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ تعلم بنزوله ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ﴾ [الزخرف: ٦١] بذلك فسره حديث في صحيح ابن حِبَّان.

---

(١) يرد هذا بأن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم خاتم النبيين كما نطق به القرآن الكريم، والسنة المتواترة إلا أن يقال: يمكن ظهور مدعي النبوة في قوم جهلة، يؤمنون بالسحر، ولا يعرفون الحجة والبرهان فلا يقنعهم إلا من يرد دعوى المتنبي بسحر مثله أو أقوى منه.

٥- الدَّجَّال: تواترت به الأحاديث عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ومن السنة العملية المنقولة بالتوارث: التعوذ الذي يقال قبل السلام من الصلاة ولفظه: «**اللَّهمَّ إني أعوذُ بكَ مِن عَذابِ القَبْرِ، ومِن عَذَابِ جَهَنَّمَ، ومِن فِتْنَةِ المَحْيا والمماتِ، ومِن فِتْنَةِ المَسيحِ الدَّجَّالِ**».

وهذا التعوُّذ مرغَّبٌ فيه ترغيبًا أكيدًا بل أوجبه الظاهرية، بحيث من لم يقلها بطلت صلاته عندهم. وقد أشار إليه القرآن، على ما قال بعض التابعين.

وَرَد عن أبي العالية، قال: جاءت اليهود إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فذكروا الدجال، فقالوا: يكون منا في آخر الزمان، فعظموا أمره، وقالوا: يصنع كذا: فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ﴾ [غافر: ٥٦]. فأمر نبيه أن يتعوذ من فتنة الدجال.

﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧] قال: من خلق الدجال.

وقال كعب الأحبار في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ﴾ هم اليهود نزلت فيما ينتظرونه من أمر الدجال. وعلى هذا فإطلاق الناس على الدجال، من قبيل العام المراد به الخصوص. نظير إطلاقه على نعيم بن مسعود، في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ﴾ [آل عمران: ١٧٣] الآية، فالمراد بلفظ الناس الأول نعيم.

٦- الدخان: ثبت به الحديث في "صحيح مسلم".

٧، ٨، ٩- ثلاث خسوفات: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب.

١٠- نار تخرج من عدن تسوق الناس إلى المحشر.

ثبتت هذه العلامات في "صحيح مسلم" من حديث أبي أسيد الغفاري رضي الله عنه.

لا تقوم الساعة حتى تحصل هذه العلامات، ومن ادعى إمكان قيام الساعة قبل هذه العلامات بسبب طارئ من الطوارئ كحرب ذرية، أو اجتماع كواكب في برج من البروج، فهو كاذب، لا يلتفت إلى كلامه.

حكم الدخان والنشوق

قدمنا فيما مضى أن الدخان حرام، وأنه صغيرة، ونبسط الكلام عليه هنا بعض البسط فنقول:

ظهر شرب الدخان في القرن العاشر الهجري، في تنبكتو، من بلاد سودان المغرب، فألف في إباحته العلامة أحمد بابا السوداني، ونظم قصيدة تائية ذكر فيها منافعه وفوائده، ثم وصل إلى المغرب، فاتفق العلماء عندنا على تحريمه، وقد جلب كثيرًا من نصوصهم شيخنا العلامة المرحوم السيد محمد بن جعفر الكتاني في كتابه الذي ألفه في تحريم الدخان، وقد قرأته أيام الطلب.

وحرمه أيضًا من مالكية مصر العلامة الشيخ إبراهيم اللقاني في كتاب ألفه لذلك، أما بقيتهم ومعهم الشَّافعية فتردد رأيهم فيه بين الإباحة والكراهة.

وزاد الباجوري في حاشيته على ابن قاسم: «أن المرأة لو كانت تشرب

الدخان فعلى زوجها أن يحضره لها في ضمن النفقة» توسع كبير وتساهل غير مرضي.

وممن ألف في إباحته الشيخ عبد الغني بن إسماعيل النابلسي الحنفي، وقال إنه لم يشربه، وإنما أباحه بحسب ما ظهر له من الدليل، أي على أصول مذهبه، وهو إباحته الدخان شذ عن الصوفية فإنهم متفقون على تحريمه، والتشديد فيه.

ثم إن العلامة الشيخ عبد الحي اللكنوي -من محققي الحنفيَّة- ألف رسالة في الدخان، استعرض فيها الآراء، ومحص أدلتها، وانتهى إلى أنه مكروه كراهة تحريم بناء على أصل الحنفية في التفريق بين قولهم في الشيء: حرام، وقولهم: مكروه كراهة تحريم. والاسم شامل النوعين، والتفرقة مجرد اصطلاح لهم ومالكية المغرب استدلوا على تحريمه. بقوله تعالى: ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧] قالوا: وهو خبيث كريه الرائحة، ويكفي في خبثه أن شاربه يستف النَّار في جوفه استفافًا، ويورث سوادًا في الأسنان، وصفرة كريهة المنظر في الأصابع ويحرك البلغم، ويكثر السعال، إلى غير ذلك من الأضرار، ضرره في المال، وما كان كذلك فهو حرام، لقوله عليه الصَّلاة والسَّلام: «**لا ضرر ولا ضرار**». وهو خبر بمعنى النهي، أي لا تضروا أنفسكم، ولا تضروا غيركم. ومنه أخذ العلماء القاعدة الفقهية الأصل في المضار التحريم.

ومما استدل به على تحريمه، ما ذكره لي مولانا الإمام الوالد رضي الله عنه أن العلامة الولي الشيخ محمد[1] بن ناصر، لما حج، مر بمصر، واجتمع بعلمائها

---

(١) كتب أخي السيد حسن في هذا الموضع ما نصه: «وفي "حاشية ابن الحاج على المرشد"

وجرت بينهم مناقشات في مسائل علمية، منها الدخان -وكانوا يرون إباحته- فكان مما قال لهم: أرأيتم لو أن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، دخل عليكم وأنتم تشربونه، فهل تستمرون؟ أو تخفونه استحياء منه؟ قالوا: نخفيه استحياء منه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم . قال: إذن فهو حرام، إذ لو كان مباحًا ما أخفيتموه استحياء، فلم يجيبوا بشيء.

وقد يبدو هذا الاستدلال غريبًا لأول وهلة، لكن إذا تأملته وجدته سليمًا، يتمشىٰ مع ما عرف من حال النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وطبعه، فإنه عليه الصَّلاة والسَّلام كان يكره النَّار، ولا يحبها[1]، وقد استعمل صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم الحجامة وغيرها من الأدوية، ولم يكتو قط، لبغضه النَّار.

وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**إن كان في شيءٍ من أدويتكم شفاءٌ ففي ثلاث: لعقة عسلٍ أو شرطة محجمٍ أو كَيَّةٍ بنار. وأنا أكره الكَيَّ**».

وقدم إليه طعام، فوجده حارًّا، فرفع يده عنه، وقال: «**اللَّهمَّ لا تُطْعِمْنا نارًا**». وقال أيضًا: «**الطَّعامُ الحارُّ لا بركة فيه**». وذلك لقرب عهده بالنَّار.

وكذلك الملائكة الكرام، يبغضون النَّار أيضًا. فقد صحَّ من طُرقٍ أنهم

نسبة الحكاية إلىٰ ابن ذكري، فحققه، ولا مانع أن تكون الحادثة حصلت لكليهما ويجوز أن يكون حصل لي سهو، فإني سمعتها منذ أربعين سنة».

(١) كتب أخي ما نصه: وقد ذكر لي أخي أبو الفيض رحمه الله عن سيدي محمد بن جعفر الكتاني: أن بعض الأغوات خدام الحجرة الشريفة، ممن كان يشار إليه بالفتح والمعرفة. رأىٰ النبي ﷺ؛ فقال له: كل من دخل الحجرة من باب الرحمة استقبلته ما عدا شارب الدخان.

كانوا يسلمون على عمران بن حصين رضي الله عنه لصبره على ألم البواسير، فلما شق عليه الألم واكتوى، انقطع تسليمهم عليه، ولم يعودوا إلا بعد ذهاب أثر الكي نهائيًا.

فنحن نجزم بأنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لا يحب الدخان، ولا يحب مجلسًا يشرب فيه، وكذا الملائكة الكرام عليهم السلام. وما يقال فيه من المنافع والفوائد تخيلات وأوهام.

نعم، ثبت في علم الطب أن له علاقة وثيقة بسرطان الرئة، ومرض القلب، وأنه يورث ضيقًا في التنفس، وضعفًا في العملية الجنسية، واضطرابًا في جهاز الهضم، ويقلل شهية الأكل، إلى غير ذلك، ولو سلَّمنا -جدليًّا- أن فيه منافع، فهي لا تعادل ما فيه من المضار. وحتى لو عادلتها فيجب تركه أيضًا للقاعدة المقررة، وهي: دفع المضار يقدم على جلب المنافع.

أما النشوق -وتسمى طابا بلغة المغرب- فعلماء المغاربة متفقون أيضًا على تحريمها، قال صاحب العمليات:

وحَرَّموا طابا للاستعمال ... وللتجارة على منوال

والصوفية متفقون معهم على التحريم، ومشددون في استعمالها؛ حتى لقد قال جدي الإمام القطب الكبير سيدي الحاج أحمد رضي الله عنه: إذا رأيتم الفقير (المريد) ينفح بتشديد الفاء المكسورة (يتنشق) فاعلموا أنه شيطان في الطريق. ومالكية مصر -ومعهم الشَّافعية- رأوا إباحتها، ومنهم من كرهها.

وأنا أميل إلى التحريم، لوجوه:

الأول: أن إنفاقَ المال فيها إسراف وإضاعة للمال، لأنَّها ليستْ بأكلٍ ولا

شربٍ، ولا فاكهة، ولا نفع فيها للجسم، وقد قال الله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]وقال النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم «**وكره -الله- لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال**».

الثاني: أنها مستقذرة والمستقذر يحرم، ولو كان طاهرًا. ألا ترى إلى المخاط؟ فإنه طاهر، وتناوله حرام لاستقذاره، وكذلك المني، يحرم لاستقذاره، وهو طاهر.

الثالث: أنها تؤثر طبقة سميكة تحت الأنف، تمنع وصول الماء إلى البشرة، فيبطل وضوء متعاطيها وغسله، وتبطل تبعا لذلك صلاته.

الرابع: أنها تؤثر خللًا في بعض مخارج الحروف، كالميم والنون، وذلك يؤدي إلى بطلان الصلاة، لأن الفاتحة من أركانها، فإذا لم يحسن المصلي حروفها، بطلت صلاته لاختلال ركن منها.

الخامس: أنها تنزل الحلق بعد الصبح، فتفطر الصائم على مذهب المالكية.

وقد كان مولانا الإمام الوالد رضي الله عنه ، يتكلم عليها في بعض مذكراته العلمية، فكان مما قاله: من تنشق بعد السحور، ووجدها في حلقه بعد الفجر، بطل صومه، ووجبت عليه الكفارة، فظن بعض أهل العلم أنه قصد المبالغة في التحذير منها، فأطلعهم على شرح الشيخ خليل، فإذا هو ينص على ذلك[1] فأذعنوا.

---

(١) كتب أخي أيضًا ما نصه: «لكن ابن الحاج محشِّي "ميارة"، نص على أنه لا عبرة بالنازل إلى الحلق بعد الفجر، لأنه بمثابة المنحدر من الرأس».

ومذهب المالكية وجوب الكفارة بأي مفطر لأن علة الكفارة عندهم: انتهاك حرمة رمضان وهو موجود في كل مفطر. وقالوا: إن الحديث أوجب الكفارة في الجماع، لأنه مفطر، ولأن الانتهاك به أشد.

أنواع الاجتهاد

الاجتهاد بذل الفقيه -وهو العالم- وسعه لتحصيل ظن بحكم شرعي وهو نوعان:

الأول: اجتهاد استقلال، وهو أن يستقل العالم بتأصيل أصول وتقعيد قواعد يمشي عليها في اجتهاده، مثل تمسك أبي حنيفة بالاستحسان، ومثل تمسك مالك بقول الصحابي، وعمل أهل المدينة، ومثل أخذ الشَّافعيُّ بأقل ما قيل، وهذا النوع يختص بالأئمة الأربعة وشيوخهم وأقرانهم ومن في طبقتهم.

ولا يوجد الآن بل انقطع منذ زمن بعيد، لأن الأصول والقواعد دونت وفرغ منها، ولا يمكن أن يزاد عليها أصل ولا قاعدة.

الثاني: اجتهاد إطلاق وهو أن يأخذ العالم الحكم من الدليل، غير متقيد بمذهب من المذاهب، فتارة يوافق مالكًا وتارة يخالفه، وهكذا بالنسبة للشَّافعيِّ وغيره، بل تارة يخالف الأئمة الأربعة مجتمعين.

قلت: هذه طريقة مالكية المغرب، والشيخ عليش طريقته طريقة الأجاهرة، مالكية مصر. ونظريتهم في هذه المسألة أن المتنشق بعد السحور، يعلم أن النشوق ينزل إلى حلقه، فقد تعمد تعاطي ما يفطر، وهي نظرية فيها شدة، فلذلك لم يعتمدها مالكية المغرب.

وليست مخالفتهم خرقًا للإجماع، كما يفهم كثير من متعلمي العوام، لكنه يمشي في اجتهاده على الأصول المدونة، والقواعد المقررة وهذا النوع لا ينقطع، ولا يمكن أن ينقطع إلى قرب يوم القيامة، حين ينزل عيسى عليه السلام، وإن أطبق المتأخرون على القول بانقطاعه، فهم واهمون مخطئون، لقول النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها**». رواه أبو داود وغيره بإسنادٍ صحيحٍ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

والتجديد لا يتأتى إلا من المجتهد الذي يقدر على النظر في الأدلة، واستخراج الأحكام منها حسب الوقائع والحوادث المتجددة. وبه تقوم الحجة، وهو المراد بقوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**العلماء ورثة الأنبياء**». أما المقلدون فلا يقدرون على التجديد، ولا تقوم بهم حجة، ولا يسمون علماء في عرف الشرع، وإنما هم مجرد رواة، يفتون بما وجدوه وتعلموه في كتب المذاهب التي يقلدونها، فينبني قبول فتاويهم على وجود شرائط الراوي فيهم من العدالة والضبط، وفهم ما ينقلونه من كتب مذاهبهم.

وثم نوع آخر من الاجتهاد، يسمى صاحبه مجتهد مذهب، وهو الذي يجتهد داخل حدود مذهب معين؛ كمذهب مالك أو الشَّافعيِّ مثلًا، ولا يخرج عنه إلا في النادر.

ومثل هذا الاجتهاد يصح أن يسمى اجتهادًا في التقليد؛ لأن صاحبه اجتهد في ترجيح قول لإمامه على قول له آخر، أو الجمع بينهما، وليس كلامنا

في هذا النوع، وإنما نتكلم على الاجتهاد المطلق الذي ينصرف له اللفظ عند إطلاق لفظ الاجتهاد، ويشترط فيه أن يكون الشخص عالمًا بالقرآن، ووجوه تأويله، وبالحديث وعلله ومعانيه، حتى يعطي كل حديث حقه من البحث في صحته، وفي فهمه فهمًا صحيحًا، بصيرًا بأقوال فقهاء الصَّحابة والتَّابعين، عارفًا بمواقع الإجماع والخلاف، حتى لا يدَّعي الإجماع في موضع الخلاف، وبالعكس.

وأن يكون اجتهاده في حدود القواعد الشرعية المقررة، وداخل إطار ما تقتضيه ألفاظ الكتاب والسنة حسب مدلولاتها اللغوية، على اختلاف أنواعها المعروفة في اللغة العربية. لا على أساس المصطلحات المستحدثة في العصور المتأخرة، ولا على أساس تحميل الألفاظ ما لا تحتمله من المعاني.

وألا يؤول النص الصريح، إذ الصريح لا يقبل التأويل، ويلحق به في عدم التأويل أيضًا الظواهر الكثيرة المتواردة على معنى واحد. وألا يجتهد مع وجود النص. لأن معنى الاجتهاد بذل الجهد في استخراج الحكم من دليل شرعي، بطريق من طرق الاستنباط المعروفة المقررة، وحيث كان الحكم منصوصا، فلا عبرة بالاجتهاد حينئذ. لأنه إما أن يوافق النص، فيكون لاغيا. وإما أن يخالفه، فيكون باطلًا.

والدليل الشرعي نوعان:

الأول: دليل متفق عليه بين العلماء، وهو الكتاب والسنة، والإجماع، والقياس. ويوجد خلاف في الآخرين، إلا أن معظم العلماء على حجيتهما.

الثاني: دليل مختلف فيه بين العلماء، مثل الحديث المرسل، وقول الصحابي،

ويشرع من قبلنا، وعمل أهل المدينة، والاستصحاب، والاستحسان، والمصالح المرسلة، وسد الذرائع، وقول الأكثر، والأخذ بأقل ما قيل. وتوجد قواعد كلية، تعتبر دليلًا لكثير من الجزئيات، مثل:

- الأصل في المضار التحريم، وفي المنافع الإباحة.
- المشقة تجلب التيسير.
- الأمور بمقاصدها.
- درء المفاسد، مقدم على جلب المصالح.
- العادة محكمة، فيما لم يرد فيه نص.

إلى غير هذا من القواعد التي أخذت من دلائل الكتاب والسنة، ومن روح الشريعة. ولا يستغني مجتهد عن معرفتها، والإلمام بها إلمامًا كاملًا. زيادة على اتصافه بالشروط السابقة، مع فقاهة نفسه، وورع يحجزه عن الزيغ والميل مع الهوى.

والاجتهاد المطلق، بالوصف الذي بيناه وأوضحناه، فرض كفاية، يجب أن يقوم به من الأمة فرد أو أفراد، لتجديد الدين، باستخراج أحكام لما تجدد من الحوادث، ولتبليغه على الوجه الحق، ولقيام الحجة على الخلق، بوجود ورثة الأنبياء بين ظهرانيهم، يرجعون إليهم فيما يشكل من أمور الدين، ويدحضون ما يرد من شبه تؤثر في عقائد عوام المسلمين.

أما الذين يسارعون إلى إباحة بعض المحرمات، ويصدرون فتاوى يرضون بها رؤساء بعض الحكومات، وقد تختلف فتاويهم بالتحليل والتحريم حسب اختلاف الأغراض والشهوات، فهؤلاء مجتهدون في محو الدين، مجدون في

تغيير أحكامه. ولن يفلتوا من عقاب الله تعالى، ولا من شديد انتقامه، وما الله بغافل عما يعملون.

ليس لبشر أن يتناول الدين بإصلاح أو تهذيب

عرف العلماء الدين بأنه: وضع إلهي سائق لذوي العقول السليمة، إلى ما فيه صلاح دنياهم، وسعادة آخرتهم.

وهذا التعريف مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. وحيث كان الأمر كذلك، فلا يمكن لبشر أن يتناول الدين بإصلاح أو تهذيب، لأن ما وضعه الله وأكمله، لا يقدر مخلوق أن يصلحه. وعلى هذا فقول الشيخ محمد عبده:

ولست أبالي أن يقال محمد ... أبل أم اكتظت علي المآتم
ولكن دينًا قد أردت صلاحه ... أحاذر أن تقضي عليه العمائم

ويعني بصلاحه إصلاحه، خطأ، لما علمت. فإن أراد بالإصلاح التجديد عن طريق الاجتهاد، فهو ليس من أهله؛ لأنه:

أولًا: لم يكن يعرف السُّنَّة، بشهادة تلميذه البار الشيخ رشيد رضا، وفتاواه تدل على ذلك أبلغ دلالة.

ثانيًا: كان يجتهد مع وجود النص ويخالفه! سأله مسلموا الترانسغال عن حكم البقرة التي تقتلها حكومته الإنجليزية بضربها على رأسها بآلة حادة كالساطور؟ هل تجوز أكلها؟ فأفتاهم بالجواز. قياسًا على قول ابن العربي المالكي بإباحة أكل الدجاجة التي يقتلها النصارى بلي عنقها، لأنها طعامَهم.

والله تعالىٰ يقول: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ﴾ [المائدة: ٥].

فكانت هذه الفتوىٰ باطلة، لوجوه:

أحدها: أنه أباح ما صرَّح الله بتحريمه في قوله تعالىٰ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾ [المائدة: ٣] الآية. والبقرة المضروبة علىٰ رأسها موقوذة.

ثانيًا: أنه قلَّد ابن العربي في رأي خطَّأه فيه أهل مذهبه، وبينوا أنه غفل عن القاعدة المتفق عليها، وهي: أن طعامَ الكتابيين يحل لنا ما لم يكن حرامًا في شريعتنا. والدجاجة المقتولة بلي عنقها حرام في شرعنا، فلا تحل بالإجماع.

ثالثًا: وفيه خطأ من الناحية السياسية، أنه سوَّغ لهم الاستسلام لحكومتهم الكافرة فيما يخالف تعاليم دينهم، وكان الواجب عليه أن يرشدهم لمطالبة حكومتهم بإقامة مذبح خاص بهم، وإشعارها بقوة كيانهم، واعتزازهم بتعاليم دينهم.

وسألوه عن حكم لبس البرنيطة؟ فأجابهم بإباحته، لاتقاء حر الشمس ونحوه. فخالف قول النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**من تشبه بقوم فهو منهم**».

وقوله عليه الصَّلاة والسَّلام: «**ليس منا من تشبه بغيرنا**».

وغفل عن حكمة التحريم وهي أن البرنيطة شعار خاص بالنصارىٰ، يتميزون به. ومشاركتهم فيه، تورث ميلًا إليهم، واستحسانًا لعاداتهم، وركونًا

إليهم. فيفقد المسلمون شعارهم وعاداتهم، ويسهل حينئذ إذابتهم في غيرهم، وهذا ما قصد إليه المستعمرون حين غزوا بلاد الإسلام، وقوضوا الخلافة، استوردوا معهم عادات أوروبية، وتقاليد أفرنجية، غزوا بها المسلمين في لبسهم، وفراشهم، ومجتمعهم. فتقبلوها باسم المدنية والحضارة والتقدم. وانسلخوا من عاداتهم وتقاليدهم الإسلامية العربية. فاستعجمت قلوبهم، وتفرنجت مظاهرهم، ولم يبق لهم من العروبة والإسلام، إلا دعاوىٰ باللسان، وصدق عليهم قول النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**قلوبهم قلوب الأعاجم وألسنتهم ألسنة العرب**».

وهذه تركيا الحديثة حينما أرادت التنصل من إسلامها وشرقيتها، اتخذت البرنيطة شعارًا لها، وأتبعتها بقوانين تعارض كتاب الله وسنة رسوله، فكانت أول مادة في دستورها: أنها دولة لا دينية، وأباحت زواج المسلمة بغير المسلم، وساوت بين الرجل والمرأة في الميراث، إلىٰ غير ذلك، واستبدلت الحروف اللاتينية بالحروف العربية. فأحبتها الدول المستعمرة: أمريكا وإنجلترا وفرنسا، وخصوها بودهم، واتخذوها حليفة لهم، وأمدوها بالمال والسلاح، واعتبروا أي عدوان عليها عدوانا عليهم يقاومونه بالسلاح، وما ذلك إلا لاندماجها في تقاليدهم، وتنكرها لدينها وقوميتها.

وأنكر ليلة القدر، وزعم أن الأحاديث الواردة في فضلها، وفضل قيامها، رواياتها مضطربة، وأغلبها ضعيف، والكثير منها موضوع. قال: ومثل ذلك لا يصح الأخذ به في باب العقائد.

وهذا دليل واضح من كلام الشيخ يدل علىٰ جهله بالسنة، لأن أحاديث

فضل ليلة القدر، وفضل قيامها والدعاء فيها. ثابتة في صحيحي "البخاري" و"مسلم"، وبقية الكتب الستة وغيرها من كتب السنة المعتبرة من حديث ابن عبَّاسٍ وعائشة وأبي سعيد الخدري وعبادة بن الصامت وغيرهم، بحيث بلغت حد الاستفاضة والشهرة. لكن الشيخ لم يقرأ "صحيح البخاري" طول حياته، كما يقول عنه تلميذه الشيخ رشيد رضا.

ثم لست أدري ما علاقة قيام ليلة القدر بالعقيدة؟!! فهل كان الشيخ يجهل الفرق بين ما هو من قبيل الفروع، وما هو من قبيل العقائد؟!! أو أن الخلط بينهما نوع من الاجتهاد عنده؟!! ثم إنه تمحل في بيان معنى ليلة القدر، وتكلف في تفسير قوله تعالى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ﴾ [الدخان: ٤ - ٥] بما ينافي العلم والإنصاف. وقد كشف عن تمحله وتكلفه الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الأزهر السابق، في رسالة ألفها في ليلة القدر.

ثالثًا: يؤول نصوص الشريعة بالمصطلحات المستحدثة في هذه العصور غير مبال بالمدلولات اللغوية لتلك النصوص. وإليك البيان:

نشأ عن الاستعمار الأوروبي تدفق جيش من المبشرين على البلاد الإسلامية يغشون المستشفيات، والنوادي والمجتمعات، يبشرون بدينهم المسيحي، ويفضلونه بأنه دين الرحمة والمحبة والسلام والتسامح. إلى كلام من هذا القبيل، ردده أولئك المبشرون في مصر والسودان والمغرب، وغيرها من البلاد الشرقية الإسلامية، وسمعه الشيخ -وكان ذكيا- فهداه ذكاؤه إلى أن يؤول به نصوصًا تصرح بخلاف رأيه، فإنه تعرض في بعض دروسه -كما في

"تفسير المنار"- لأحاديث نزول عيسىٰ وقتله الدجال، وهو لا يرىٰ ذلك، فأولها بأنها تشير إلىٰ انتشار رسالة عيسىٰ وتعاليمه من الدعوىٰ إلىٰ المحبة والتسامح.. إلخ.

وفاته أمور:

١- أن هذا المعنىٰ مستحدث لم يعرف إلا بظهور المبشرين الذين جاءهم الاحتلال، فلا يجوز ولا يصح أن تؤول به ألفاظ الكتاب والسنة.

٢- أن يبين من الذي يقوم بنشر تعاليم المسيح؟ النصارىٰ؟ أم المسلمون؟ إن كان الأول فهل معنىٰ أن الأحاديث أخذت بانتشار النصرانية؟ وإن كان الثاني، فهل معنىٰ ذلك أن المسلمين، رأوا تعاليم المسيح خيرًا من تعاليم دينهم فقاموا بنشرها؟!!

٣- أن الأحاديث صرحت بأن عيسىٰ حين نزوله يدعو إلىٰ الإسلام ويقاتل عليه، ولا يقبل الجزية ولا يبقىٰ في عهده يهودي ولا نصراني.

فرض الكفاية في الإسلام

عرَّف علماء الأصول فرض الكفاية بأنه أمر مهم يقصد حصوله من غيره نظر بالذات إلىٰ فاعله، فالطلب به يتوجه إلىٰ مجموع الأمة، فإن تركوه أثموا جميعًا، وإن قام به بعض الأمة سقط الإثم عن الباقين، وهو نوعان: ديني، ودنيوي.

فالديني: ماله تعلق بالدين، مثل الاشتغال بعلم التجويد، وعلم القراءات لأن بهما يمكن تلاوة القرآن علىٰ الوجه المتلقىٰ، وقراءاته بالوجوه المروية عن

النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم .

والاشتغال بعلوم النحو، واللغة، والبلاغة، والأصول، لأنها وسائل لفهم الكتاب والسنة.

والاشتغال بعلم الكلام، وما يتوقف عليه من علم المنطق، لأن به تقام الأدلة على صحة العقيدة، وتدفع الشبه الواردة عليها.

والاشتغال بعلم الفقه على وجه التعمق والبحث، لأن به تعرف الأحكام المتعلقة بأفعال المكلفين في عبادتهم ومعاملاتهم.

والاشتغال بعلم الفلك، لأن به تعرف مواقيت الصلاة، ومواقيت الإمساك والإفطار في رمضان.

والاشتغال بعلم الحساب لأن به تعرف قسمة المواريث، ونصيب كل وارث وأنواع من المعاملات في البيوع وغيرها.

والاشتغال بصناعة الأسلحة، للجهاد في سبيل الله، واستعدادًا لدفع عادية المعتدين من المستعمرين والصهيونيين، تنفيذًا لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وقال النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم «**ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي**». والرمي عام يشمل رمي البنادق والمدافع والقنابل والصواريخ وغيرها.

ومن فروض الكفاية تبليغ الإسلام، ودعوة غير المسلمين إليه، لقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤] أي

الإسلام. وذلك بشرح عقائده، وبيان سماحته، وسهولة أحكامه، ويسر تعاليمه. بوسائل الدعوة: كالكتابة والخطابة والمناظرة وغيرها، ويستدعي ذلك تعلم لغات أجنبية ليمكن ترجمة معان من تفسير القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، وغير ذلك مما يوضح معنى الإسلام، ويرغبهم فيه فيكون تعلم اللغات الأجنبية واجبًا، لتوقف واجب التبليغ عليه.

وقد أمر النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم زيد بن ثابت بتعلم اللغة العبرية، وقال: «**لا آمن هؤلاء اليهود على كتبي**». فيستفاد منه أن من مقاصد تعلم اللغة الأجنبية دفع ما يكتبه الأجانب عن الإسلام من تحريفات وتشنيعات يزعمونها مترجمة عن تعاليمه وأحكامه.

وأكثر الأجانب عداء للإسلام، وأحرصهم على تشويه سمعته المستشرقون الفرنسيون والهولنديون. وقد كانت حملة هاتوتو الفرنسي على الإسلام حملة قذرة كشخصه، فردها الشيخ محمد عبده رحمه الله وأحسن جزاءه.

ومن المعروفين بالعداء للإسلام، وللنبي عليه الصَّلاة والسَّلام الكاتب والفيلسوف الغربي المشهور بسخريته برنارد شو أخزاه الله.

وواجب التبليغ أهمله المسلمون، وقصَّروا فيه تقصيرًا شائنًا، حتى لاحظه الأجانب أنفسهم، فقد رحل المستشرق الإنجليزي إدوارد ويليام لين، إلى مصر في القرن الماضي، ومكث مدة عاشر فيها المصريين، وعرف عاداتهم كأنه واحد منهم، وسجل ما شاهده في كتاب جاء فيه: «ورغم أني لم ألمس كل يوم دليلًا جديدًا على شدة تحمس المسلمين، واعتزازهم بدينهم، إلا أنني كثيرًا ما تساءلت عن السر في أنهم لا يحاولون مطلقًا أن ينشروا دينهم عن طريق

التبشير، وقد أبديت هذه الملاحظة لكثير من الناس، وسألتهم لم لا يفعلون كما كان أجدادهم يفعلون في صدور الإسلام؟ فينشرون دينهم كما نشروه؟ فما كان جوابهم إلا أن قالوا: وأي فائدة نجنيها من ضم ألف من الكافرين إلى حظيرة الإسلام؟ إن هؤلاء لن يزيدوا عن عدد المؤمنين إطلاقًا لأنَّ عدد المؤمنين قد كتبه الله عنده؛ وليس في قدرة أحد من البشر أن يضيف إلى ذلك العدد أو ينقص منه».

وملاحظة هذا المستشرق في محلها، وسؤاله وجيه، لكن الإجابة عنه تدل على ضعف في التفكير، وميل إلى الكسل، وفهم خطأ لعقيدة المقدر المكتوب، مع مخالفتها للواقع الملموس لأن في إدخال بعض الكفار إلى حظيرة الإسلام فوائد:

منها: اكتساب ثواب الله تعالى، للقيام بتنفيذ قوله سبحانه: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤] الآية.

ولقول النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لعلي كرم الله وجهه «**لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت**» أو كما قال.

ومنها: إنقاذ الداخلين في الإسلام من النَّار، وهو فوز وفلاح. لقوله تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥] وكفى بها فائدة.

ومنها: اكتساب إخوان في الدين، والتعارف بهم والتعاون معهم على إقامة دين الله، تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ

كَآفَّةً ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

وقوله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ﴾ [الحجرات: ١٣].

وقوله جل شأنه: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة: ٢].

ومنها: انتفاع المسلمين بخبرة أولئك الداخلين في الإسلام، فيما أتقنوه من الصناعات والمهن المفيدة. وقد كان النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في بعض غزواته[1] جعل تعليم بعض المسلمين الكتابة، فدية لإطلاق أسرىٰ الكفار من الأسر. فكيف يفوتنا الانتفاع بمن يدخلون في ديننا؟ ويصيرون إخواننا؟!

ومنها: أن عدد المؤمنين يزيد بالداخلين في الإسلام، وتقوىٰ رابطتهم، ويشتد بأسهم، لا سيما إذا كان في الداخلين ذوو نجدة وبصر بالأمور السياسية ونحوها، إلىٰ غير هذا من الفوائد.

والمقصود أن واجب التبليغ يقع إثم إهماله علىٰ المسلمين خصوصًا منهم الحكام والعلماء وذوي اليسار. فهؤلاء الطوائف الثلاثة يتحملون كبر هذا الإثم، ويلزمهم عظم وزره، وفقهم الله وهدانا وإياهم سواء السبيل.

أما دعوىٰ أن عدد المؤمنين قد كتبه الله عنده، وليس في قدرة أحد من البشر أن يضيف إليه أو ينقص منه، فكلمة ألقاها الشيطان علىٰ ألسنة المسلمين في هذه العصور، ليثبطهم عن الأعمال النافعة ويخذلهم عن القيام بخدمة دينهم علىٰ الوجه الصَّحيح فاستناموا إلىٰ الراحة، واستكانوا إلىٰ الخمول واشتغلوا

---

(١) هي غزوة بدر.

بتوافه الأمور، حتى سبقتهم الأمم، وغلب عليهم الاستعمار، فصاروا مغلوبين في ديارهم، متأخرين في أفكارهم. هذا وهم يعلمون أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم -وهو أول المؤمنين بالقدر- قام بالدعوة، وكافح في نشرها، وصبر وصابر وجاهد بالحجة والبرهان، ثم جالد بالسيف والسنان، حتى نصره الله، ونشر دينه، والله تعالى يقول: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١] أفلا يأتسون به في نشر الدين؟ والدعوة إليه؟ لا سيما وقد قال النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في حجة الوداع: «**ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب**».

وفرض الكفاية الدنيوي كثير أيضًا، مثل الاشتغال بعلوم الطب والهندسة والزراعة والجغرافيا وغيرها.

ومثل الاشتغال بالمهن والصناعات، كالتجارة والخياطة والخراطة والحدادة والبناء وغيرها. ومثل الاشتغال بالصِّناعات المستحدثة كالتليفون والرَّاديو والتِّليفزيون والكهرباء.

وكالبحث عن المعادن، مثل الحديد والنحاس والذهب والبترول وغيرها مما أودعه الله باطن الأرض، وأرشد إليه في مثل قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ ﴾ أي أخرجناه من المعادن ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ حيث يتخذ منه معدات الجهاد وآلاته ﴿ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾ [الحديد: ٢٥] حيث يتخذ في بناء البيوت والمصانع وغيرها.

قوله تعالى يمتن على سليمان عليه السلام ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ﴾ أذبنا له ﴿عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ﴾ [سبأ: ١٢] النحاس.

وفي الحديث الذي يقوله: «**التمسوا الرزن**» أي ما تنتفعون به «**في خبايا الأرض**» أي فيما خبأه الله في باطن الأرض من المزروعات والمعادن. وكتعلم السباحة والغوص، ولانتشال الغرقى، ولاستخراج اللؤلؤ والمرجان اللذين امتنَّ الله علينا بهما في قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢] إلى غير ذلك من الحرف الكثيرة.

روى الديلمي وابن عساكر عن عطية بن بسر مرفوعًا في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]. قال: «**علمه الله في تلك الأسماء ألف حرفة من الحرف وقال له: لولدك وذريتك يا آدم: إن لم تصبروا على الدنيا فاطلبوها بهذه الحرف، ولا تطلبوها بالدين، فإن الدين لي وحدي خالصًا، ويل لمن طلب الدين بالدين، ويل له**».

والتَّعبير بالألف ليس للتحديد بل هو كناية عن الكثرة، أو باعتبار أنها أصل للحرف التي تولدت بعد ذلك وتطورت مع تطور الناس حسب مصالحهم ومقتضيات أحوالهم.

والقاعدة عند فقهاء الإسلام: أن الاشتغال بالعلوم النافعة والحرف المفيدة فرض كفاية، تأثم الأمة بتركه، وإن قام به طائفة منهم سقط الإثم عن الباقين.

ومن هنا يتبين أن الإسلام لم يكتف بالتَّرغيب في تعلم العلوم والصِّناعات، بل جعله واجبًا تأثم الأمة بالتقصير فيه. وهذا لا يوجد في دين من الأديان، ولا في نظام من النظم، وبهذا يمتاز الإسلام عن غيره. وينبغي لمن يتعاطى شيئًا من الحرف والصناعات المذكورة أن ينوي بتعاطيها القيام بواجب الكفاية، فيكون مثابًا عند الله في عمله الدنيوي، وهذا من خصائص الإسلام أيضًا.

ومن فروض الكفاية ما قصد به إيجاد تآلف بين أفراد الأسرة والمجتمع. مثل ما إذا سلم شخص على جمع من الناس، وجب عليهم رَدُّ السلام، فلو رد واحد منهم كفي، وسقط الإثم عن بقيتهم.

وإذا عطس في مجلس وحمد الله تعالى، وجب على الحاضرين تشميته بقولهم له: يرحمك الله. فإن شمته أحدهم، سقط الإثم عن بقيتهم، ومثل هذا كثير.

الزكاة والخمس علاج لمشكلة الفقر

الزكاة ركن من أركان الدين، وحق معلوم في مال الغني للفقير، وليس أمرها موكولًا إلى رغبة الغني يدفعها إن شاء، بل الواجب شرعًا على الحكومة أن تقوم بتحصيل الزكاة من التجار والمزارعين والأغنياء، وتوزعها على مستحقيها، فإن امتنع أحد من أدائها، أخذت منه قهرًا، وعوقب ليكون عبرة لغيره، لقول النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**من أدى الزكاة مؤتجرًا فله أجره ومن منعها فإنا آخذوها وشطر ماله غرمة من غرمات ربنا**». رواه أحمد والنَّسائيُّ وغيرهما.

وإن امتنع منها جماعة قوتلوا عليها، كما فعل الصديق رضي الله عنه، حيث جهز جيشًا لقتال أهل اليمامة حين امتنعوا من دفعها له، وقالوا كنا نعطيها للنبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وقد توفاه الله تعالى وراجعه عمر رضي الله عنه فقال: كيف تقاتل قومًا يقولون: لا إله إلا الله، وقد قال النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أُمِرْتُ أن أقاتلَ النَّاسَ حتَّى يقولوا: لا إله إلَّا الله، فإذا قالوها عَصَمُوا مِنِّي دماءَهَمُ وأموالَهم إلَّا بحَقِّها**» فقال: أليس قد قال: «**إلا بحقِّها**»؟ والزكاة حق المال، والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونه إلى رسول الله

صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لقاتلتهم عليه. وقاتلهم حتىٰ رجعوا.

ومن الوظائف التي كانت في العهد النبوي: تعيين الجباة الذين كانوا يحصلونها من أرباب الأموال ويسلمونها إلىٰ النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حيث يفرقها علىٰ مستحقيها، ومنهم الجباة، وهذه الوظيفة أسسها القرآن الكريم، حيث أرشد إليها في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ﴾ الزكوات ﴿ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ﴾ [التوبة: ٦٠] الآية. العاملون عليها: جباتها، المصنف يرىٰ أنه يجب علىٰ كل حكومة إسلامية أن تنشئ مصلحة خاصة تسمىٰ «مصلحة جباية الزكاة»، وبيان مهامها وشروط موظفيها، فيجب علىٰ كل حكومة إسلامية أن تنشئ مصلحة خاصة تسمىٰ «مصلحة جباية الزكاة» تكون مهمة موظفيها ثلاثة أشياء:

١- خرص التجارات، والحبوب، والمزروعات، والأنعام، والنقود المودعة في المصارف، ثم تحصل الزكاة من أصحابها علىٰ رأس كل سنة هجرية، بالنسبة التي عينها الشارع لكلِّ نوع من الأنواع السابقة، إلا المزروعات فتؤخذ الزكاة منها حين نضجها، ثمَّ توزيعها علىٰ مستحقيها.

٢- تحصيل زكاة الفطر في رمضان من كل مسلم أو مسلمة يملك زيادة عن قوت يومه. كبيرًا كان أو صغيرًا، ويدفع عن الأطفال أبوهم، وعن المرأة زوجها، ومن لا زوج لها تدفع عن نفسها إن كانت تملك قوت يومها ثم توزيعها علىٰ الفقراء يوم العيد نفسه، ليكون الابتهاج بالعيد عامًا لجميع المسلمين، ويحرم تأخير توزيعها إلىٰ ثاني يوم العيد إلا لعذر.

٣- تحصيل الخمس علىٰ ما يستخرج من الكنوز والمعادن، ثم توزيعه علىٰ

مستحقيه، ويجب أن يكون موظفو هذه المصلحة مستوفين لشروط:

١- معرفة كافية بشئون التجارة والزراعة والمعادن وما إلى ذلك، ليكون حرصهم وتقديرهم موافقًا للحقيقة، لا إجحاف فيه على أصحاب المال، ولا على المستحقين.

٢- علم تام بأحكام الزكاة والخمس وأنواعهما ومصارفهما، وما يتصل بذلك ليكون عملهم مطابقًا لما قررته الشريعة.

٣- الأمانة التامة، ليؤدوا ما يحصلونه إلى مستحقيه، قليلًا كان أو كثيرًا.

٤- مراعاة العدل في توزيع الزكاة أو الخمس على أصحابه، بعد التحري عن كل من يأخذ، ومعرفة مدى استحقاقه.

لو أنشئت هذه المصلحة في كل بلد إسلامي، لما بقي في المسلمين فقير ولا مسكين، ولارتفع مستوى معيشتهم. ولكن الحكومات الإسلامية تركت القيام بهذا الواجب الذي سيعاقبها الله عليه عقابًا شديدًا، وذهبت تتلمس علاجًا للفقير في نظم غريبة عن ديننا، تنافي تقاليدنا، فكانت كمثل مريض ترك دواءه في يده، وذهب يسأل الناس أن يمنحوه دواء لعلاج مرضه!!

معجزة نبوية

روى الحاكم والبيهقي بإسناد صحيح عن ابن عمر رضي الله عنه، قال: أتى رجل من بني سليم بزكاة قومه، وجاء بقطعة من معدن لهم، فلما رآها رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، قال: «**ستظهر معادن وسيحضرها شرار الخلق**». صدق رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وحصل ما أخبر به؛ بعد

مضي أكثر من ألف سنة. فقد ظهر في الحجاز وغيره من البلاد العربية، معادن البترول والذهب، وحضرها نوعان من شرار الخلق:

١- الشركات الأمريكية والإنجليزية التي استكشفت تلك المعادن، واشترت امتياز استخراجها، واتخذت من تلك المعادن أداة للتدخل في شئون البلاد العربية، والضغط عليها لقضاء مصالحها الاستعمارية، بل إن تلك الشركات أخذت تساعد اليهود على اغتصاب فلسطين بالأموال التي تربحها من بترول العرب!!

٢- حكام تلك البلاد، فقد اعتبروا المعادن ملكًا خاصًّا بهم، وأخذوا ينفقون المال الذي يستولون عليه منها، في مصالحهم الشخصية، وشهواتهم الجسمية، وأغرقوا في ذلك وأفرطوا، حتى خرجوا عن الحد المعقول ولم يخطر قط ببالهم أن ينفذوا -ولا أن يعرفوا- ما يوجب الشرع عليهم عمله في ذلك المال، وهو أمران:

١- توزيع خُمُسَه على اليتامى والمساكين وغيرهم من بينتهم كتب الفقه الإسلامي.

٢- إنفاق أربعة أخماس الباقية في مصالح الشعب كالتعليم والصحة وتيسير الطرق وتعيين الموظفين الأكفاء، وغير ذلك مما يعود على البلاد وأهلها بالنفع العام. ويأخذ الحكام أجرهم من ذلك المال، باعتبارهم موظفين يقومون بما عهد إليهم خير قيام، لو أنهم فعلوا ذلك، لكانت بلادهم من أحسن البلاد رقيًّا وتقدمًا في التعليم والصحة والعمران وفي سائر شئون الحياة بل لو أنهم -في حرب فلسطين- منعوا الشركات من استخراج البترول، لعدلت أمريكا وإنجلترا عن

مساعدة اليهود، ولما ضاعت فلسطين، وإن يوم الخلاص لقريب بحول الله.

معنى يخرج الحي من الميت

قال الله تعالى: ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ ﴾ يعني يخرج الجنين الحي من أمه بعد موتها ﴿وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ ﴾ [الروم: ١٩] يخرج الجنين الميت من أمه وهي حية. ويصح أن يكون المراد: ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ ﴾ المؤمن ﴿مِنَ ٱلْمَيِّتِ ﴾ الكافر ﴿وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ ﴾ الكافر ﴿مِنَ ٱلْحَيِّ ﴾ المؤمن.

يدل على هذا المعنى قوله تعالى ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا ﴾ بالكفر ﴿فَأَحْيَيْنَٰهُ ﴾ [الأنعام: ١٢٢]بالهداية إلى الإيمان، والله تعالى أعلم بسرِّ كلامه.

السبعة عدد كامل

للأديب الصفدي كتاب "عين النبع على طرد السبع"، قال فيه: «إن السبعة جمعت العدد كله، لأن العدد أزواج وأفراد، والأزواج لها أول وثاني، والاثنان أول الأزواج، والأربعة زوج ثاني، والثلاثة أول الأفراد، والخمسة فرد ثاني، فإذا اجتمع الزوج الأول مع الفرد الثاني، أو الفرد الأول مع الزوج الثاني، كان سبعة، وإذا أخذ الواحد الذي هو أصل العدد، مع الستة التي هي عند الحكماء عدد تام، يكون منها السبعة التي هي عدد كامل، لأن الكمال درجة فوق التمام، وهذه الخاصة لا توجد في غير السبعة، ولذلك يفصلون بينها وبين الثمانية بالواو، فيقولون: واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة ستة، سبعة، وثمانية، وتسعة وعشرة.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ [الكهف: ٢٢] ثم ساق أمثلة من استعمال العرب لفظ «السبعة» في كل ما يريدون به الكمال، أو التيمن، أو المبالغة.

والواو التي ذكر أنها تزاد بين السبعة، والثمانية، سبقه إليها ابن خالويه والحريري، ومثَّلا لها بالآية السابقة وبقوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧١] بدون واو، وقال في أهل الجنة: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾ [الزمر: ٧٣] بزيادة واو، لأن أبواب الجنة ثمانية، وسميا هذه الواو «واو الثمانية».

وردَّ كلامهما ابن هشام في "المغني"، وقال: «ابن خالويه من ضعفاء النحويين، والحريري من الأدباء، وأن ليس لواو الثمانية أصل»، وأجاب عن الآيتين بما يراجع في كتابه المذكور، ولا يحضرني الآن لطول العهد به.

ونجيب عن الآيتين بما حضرنا ولعله خلاصة ما في "المغني" وغيره.

أما آية الكهف، فإنها دخلت الواو فيها بعد السبعة، لتفيد أن الذين قالوا إنهم سبعة، متأكدون من قولهم، ولم يرجموا بالغيب كالذين من قبلهم، ولهذا زادوا الواو، ليفصلوا بين القوم وبين كلبهم الذي ليس منهم إلا في العدد، كما أن عدم دخولها في الجملتين السابقتين أفاد أن القائلين بذينك العددين، شاكون

غير متأكدين من قولهم، ولذا عقب الله عليهم بقوله تعالى: ﴿رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ﴾.

وأما آية (الزمر)، فليس فيها عدد مذكور، لا سبعة ولا ثمانية. وإنما زيدت الواو، لتفيد أن أبواب الجنة فتحت قبل مجيء المتقين، إكرامًا لهم، فإذا جاءوا لم يتحملوا ألم انتظار فتحها، بل وجدوها مفتحة في انتظارهم، فيزيد فرحهم وسرورهم. بخلاف أبواب النَّار، فإنها تظل مغلقة، حتى إذا جاء الكفار فتحت أمامهم، فكان لفتحها وهم وقوف ينتظرون، رهبة في قلوبهم، وألم في نفوسهم، هذا ما ظهر في توجيه زيادة الواو، وحذفها في الآيتين الكريمتين، والله سبحانه وتعالى أعلم.

وبعد هذا لا شك أن للسبعة شأنًا عند العرب، وجاء الشرع على وفاق ما عندهم. فأخذ القرآن أن السموات سبع، والأرضون كذلك، وأنَّ أبوابَ النَّار سبعة أشواط، والسعي بين الصَّفا والمروة سبع مرات، ورمي الجمار سبع، وفي الحديث الصَّحيح: «**طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات**». وفرائض الوضوء في مذهب مالك سبعة، وأيام الأسبوع سبعة إلى غير هذا مما يطول تتبعه.

استغاثة أنشأتها سنة ١٣٨٠ هجرية

سَأَلْتُكَ يا اللهُ يا مَن لَهُ الثَّنا ... تُفَرِّجُ فَضْلًا مِنكَ عَنِّي مُصِيبَتِي
ويا رَبُّ يا رحمنُ فارْحَمْ تَذَلُّلي ... إليكَ وأدْرِكْنِي بنَصْرٍ وعِزَّةِ
رَؤُوفٌ رَحِيمٌ أنتَ فارْأَفْ بحَالتِي ... ويا بَرُّ يا تَوَّابُ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي
ويا صَمَدُ أُنْهِي إليكَ مَطَالِبي ... لتُقْضَى ومِنها مَحْوُ كُلِّ خَطِيئَةِ
عَفُوٌّ غَفُورٌ فاعْفُ عَنِّي وعَافِني ... بسَتْرِكَ يا سَتَّارُ تَشْمَلُ زَلَّتِي
وأنتَ جَوادٌ ماجِدٌ مُتَفَضِّلٌ ... فجُدْ لي بفَضْلٍ مِنكَ يُذْهِبُ عِلَّتِي
ويا مُنْعِمٌ أَنْعِمْ عَلَيَّ تَكَرُّمًا ... بمَنِّكَ يا مَنَّانُ تَكْشِفُ كُرْبَتِي
ويا أَحَدُ مَالي سِواكَ يُمِدُّنِي ... مِن الخَيْرِ ما يَقْضِي بتَفْرِيجِ غُمَّتِي
ويا حَيُّ يا قَيُّومُ أَحْيِي قُلُوبَنا ... بِذِكْرِكَ كَيْ نَنْجُو بِهِ يَوْمَ شِدَّةِ
أَغِثْنِي وعَجِّلْ يا مُغِيثُ فإنَّني ... يَئِسْتُ مِن الدُّنيا وأَهْلِ المُرُوءَةِ
وأَسْأَلُ ربِّي أنْ يُواصِلَ بِرَّهُ ... علىٰ مَن وفَىٰ بالعَهْدِ في وَقْتِ أَزْمَتِي
إلهي لقَدْ يَمَّمْتُ بابَكَ ضَارِعًا ... إليكَ فأَرْغِدْني بفَيْضٍ ونِعْمَةِ
إلهي أَجِبْ واسْمَعْ دُعَائِي فإنَّنِي ... قَصَدْتُكَ لا أَرْجُو سِواكَ بِدَعْوَتِي
إلهي وخَلِّصْنِي مِن الكَرْبِ والأَذَىٰ ... وأَذْهِبْ سَرِيعًا عَنِّي كُلَّ مَضَرَّةِ
إلهي وتَوِّجْنِي بنَصْرِكَ عَاجِلًا ... فإنِّي شَرِيدُ الفِكْرِ مِن هَوْلِ شِدَّتِي
إلهي ونَجِّنِي مِن الأَزْمَةِ التي ... أُتِي بي إليها كَي تُحَقِّقَ مُنْيَتِي
دَعَوْتُكَ يا اللهُ يا واسِعَ العَطَا ... فحَقِّقْ دُعَائِي واسْتَجِبْ لرَجَاوَتِي

بجَـاهِ رَسُـولِ الله أَفْضَـلِ شَـافِعٍ وأَكْمَـلِ مَخْلُـوقٍ أَتَـىٰ بِنُبُـوَّةِ
رَسُولٌ كريمٌ واسعُ الصَّـدْرِ سَيِّدٌ أَمِـينٌ وَفِيٌّ ذو الخِصَـالِ العَظِيمَـةِ
حَبيـبٌ إلىٰ الـرَّحمنِ أَعْظَـمُ مُرْسَـلٍ خَلِيـلٌ نَجِـيٌّ نَـالَ أَعْظَـمَ رُتْبَـةِ
صَـفِيٌّ لَـهُ عِنـدَ الإلِـهِ مَزِيَّـةٌ سِراجٌ مُنِـيرٌ عَـمَّ كُـلَّ البَرِيَّـةِ
فمِـنْ نُـورِهِ كـانَ النَّبِـيُّون كُلُّهُـم ومِـنْ نُـورِهِ كانـتْ جَمِيـعُ الخَلِيقَـةِ
وكـان نَبيًّـا حيـثُ آدَمُ صُـورَةٌ مُجَنْدَلَـةٌ بَـيْنَ المِيـاهِ وطِينَـةِ
أَجَـلَّ إلـهُ العَـرْشِ قَـدْرَ نَبِيِّـهِ فعَظَّمَـهُ عنـد النِّـداءِ بكُنْيَـةِ
وفي آيـةِ المِيثـاقِ عَهْـدٌ مُؤَكَّـدٌ مِـن الله للرُّسْـلِ الكِـرَامِ بجُمْلَـةِ
وفي آيـةِ الرِّبـا دَليـلُ حَياتِـهِ دَوَامًـا بـلا ثنيـا إلىٰ يَـوْمِ نَفْخَـةِ
وكَرَّمُـهُ المَـوْلَىٰ بمَـدْحِ صِـفَاتِهِ وطَهَّـرَهُ مِـن كُـلِّ عَيْـبٍ ووَصْـمَةِ
وأَعْـلَىٰ عَـلَىٰ كُـلِّ النَّبِيِّـينَ قَـدْرَهُ وشَرَّفَـهُ ليـلَ العُـرُوجِ برُؤْيَـةِ
تَـجَلَّىٰ عليـه لَيْلَهـا بمَعَـارِفٍ وعِلْـمٍ وأَسْرارٍ وقُـرْبٍ وحَظْـوَةِ
ومـا زَالَ يَرْقَـىٰ بَعْـدَ ذاك مَرَاتِبًـا مِن العِلْمِ والعِرْفَـان في كُـلِّ لحظَـةِ
نبـيٌّ أَتَـىٰ بالـدِّينِ سَـهْلًا مُيَسَّـرًا بعيـدًا عـن التَّشْـدِيدِ أو أيِّ كُلْفَـةِ
نبـيٌّ سَـخِيُّ الكَـفِّ أَسْـخَىٰ مَـن يَجُـودُ ولا يَخْشَـىٰ مِـن أَيَّـةِ عَيْلَـةِ
نبـيٌّ حَلِـيمٌ ذو أَنَـاةٍ يَزينُهـا رَزَانَـةُ رأيٍ لا يَمِيـلُ لِطَـيْشَةِ
نبيٌّ يُحِـبُّ اليُسْـرَ والعَفْـوَ والوَفَـا ويَبْغَضُ -طَبْعًا فِيـهِ- كُـلَّ نَقِيصَـةِ
نبـيٌّ أَتَـىٰ بالزُّهْـدِ في هَـذِهِ الـدُّنَا ولو شَـاءَها جَـاءَتْ بـأَدْنَىٰ إشَـارَةِ

نبـيٌّ غَنِـيُّ القَلْـبِ بـالله وَحْـدِهِ فمَـوْلَاهُ قَـدْ أَغْنَـاهُ عـن كُـلِّ زِينَـةِ
نبـيٌّ تَـوَلَّى اللهُ عَنْـهُ دِفَاعَـهُ وخَيَّـبَ قَوْمًـا قَـدْ رَمُـوهُ بجِنَّـةِ
نبـيٌّ لَـهُ يَـومَ القِيـامِ شَـفَاعَةٌ وجَـاهٌ عَـرِيضٌ عِنـدَ رَبِّ البَرِيَّـةِ
نبـيٌّ أَتَـى بـالمُعْجِزاتِ قَوَاطِعًـا فمِنهـا حَنِـينُ الجِـذْعِ في يـومِ جُمعَـةِ
ومِنها انشِقاقُ البَدْرِ في وَسَطِ السَّما وتَـأْخِيرُ شَـمْسٍ حِـين كـان بمَكَّـةِ
ونَبْـعُ مِيـاهٍ مِـنْ أَصَـابعِ كَفِّـهِ فَـأَرْوَى نَمِـيرًا للجُمُـوعِ الغَفِـيرَةِ
وأَطْعَـمَ ألفًـا أو يَزيـدُونَ دَاجِنًـا فأَشْـبَعَهُم والأَكْـلُ فـاضَ بكَثْـرَةِ
وأَسْـمَعَ تَسْـبيحَ الطَّعـامِ لِصَـحْبِهِ الكِـرامِ وكَـانوا يَـأْكُلُون بسـفْرَةِ
وأَبْـرأَ أَسْـقَامًا بنَفْـثِ لِسَـانِهِ وأَذْهَـبَ أَوْصَـابًا وبُؤْسًـا بلَمْسَـةِ
فصَـلَّى عليـه اللهُ مـا ذَرَّ شَـارِقٌ ومـا دامَـتِ الـدُّنيا إلى يـومِ نَفْخَـةِ
وسَـلِّم تَسْـلِيمًا إلى يـومِ بعثنـا وأَسْـعِدْنا بـالقُرْبِ مِنْـهُ وحَظْـوَةِ

□

أنواع النفاق

النفاق ثلاثة أنواع:

١- نفاق الكفر: وهو أن يظهر الإنسان الإسلام، ويستبطن الكفر، مثل المنافقين الذين كانوا مع النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، يعلنون تمسكهم بالإسلام وأحكامه، وهم مصدون على الكفر في باطنهم. وقد فضحهم الله تعالى في سورة التوبة وغيرها، وأكذبهم في قوله سبحانه: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١].

٢- نفاق العمل: وهو أن يكون عمل الإنسان بخلاف قوله، كأن يحدث فيكذب ويعاهد فيغدر، ويخاصم فيفجر.

قال النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**آيةُ المنافِقِ ثلاثٌ: إذا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذا وَعَدَ أَخْلَفَ، وإذا ائتُمِنَ خَانَ**».

وقال أيضًا عليه الصَّلاة والسَّلام: «**أربعٌ مَن كُنَّ فيه كان مُنافِقًا خالِصًا ومَن كانتْ فيه خَصْلَةٌ مِنهنَّ كانت فيه خَصْلَةٌ مِن النِّفاقِ حتَّى يَدَعَها وإن صامَ وصَلَّى وزَعَمَ أنه مُسلِمٌ: إذا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذا وَعَدَ أَخْلَفَ، وإذا عَاهَدَ غَدَرَ وإذا خَاصَمَ فَجَرَ**».

٣- نفاق اجتماعي: وهو أن يصف الإنسان شخصًا ذا رياسة أو جاه بما ليس فيه، كأن يمدحه بالكرم وهو بخيل، أو بالشجاعة وهو جبان، أو بالصلاح وهو فاسق، أو بالسماحة وهو لئيم.

وهذا يسمى مداهنة وهي مذمومة شرعًا وعرفًا، بخلاف المداراة وهي معاملة الشخص بما يليق بمركزه في المجتمع، وإن كان في الواقع فاسقًا أو لئيمًا مثلًا. ولهذا قال أبو الدرداء رضي الله عنه: إنا لنبش في وجوه قوم وإن قلوبنا لتلعنهم.

والخلاصة: أن المداهنة نفاق اجتماعي مذموم، والمداراة واجب اجتماعي ممدوح، وبالله التوفيق.

غلط في فهم قوله تعالى: ﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾

كثير من أهل العلم يدعي في قوله تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ [الرحمن: ٣٣] أنه يشير إلى الطائرات وسفن الفضاء، ويقولون معنى لا تنفذون إلا بسلطان، إلَّا بعلم، ففيه الإشارة إلى أن العلم سيصل إلى اختراع ما ذكر، وقد حصل ذلك أخيرًا كما هو مشاهد.

وهذا غلط، وسياق الآية لا يفيد ذلك ولا يساعد عليه.

بل الخطاب فيها لتعجيز الثقلين، وإعلامهم أنهم لا يقدرون على الخروج من نواحي السموات والأرض، هربًا من يوم الحساب، إلا بسلطان؛ أي بقوة، ولا قوة لهم على ذلك.

وهذه الطائرات وسفن الفضاء لم تخرج عن أقطار السموات والأرض ولا يمكن أن تخرج عنها أبدًا، وإنما هي تطير داخلها، مهما أبعدت في طيرانها.

ولم يخرج أحد عن أقطار السموات إلا النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ليلة المعراج، حيث تجاوز السموات السبع إلى سدرة المنتهى وإلى الجنة، وكان ذلك إكراما خاصًّا به عليه الصَّلاة والسَّلام، فهل تجاوزت طائرة أو سفينة السماء الدنيا؟! بل هي وصلت إليها؟!

نعم أشار القرآن إلى الطائرات بأنواعها إشارة صريحة في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٨] راجع ما كتبناه فيما سبق.

آية جمعت الدين كله

قال الله تعالى يخاطب موسى عليه السلام: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ وهذا تصريح بوجود الله وتوحيده، وفيه إشارة إلى العقائد العقلية، أي التي أثبتها العقل، وإن كان النقل أثبتها أيضًا، فالاعتماد فيها على العقل ﴿فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾ وهذا تصريح بالأعمال الفرعية، وخصت الصلاة منها بالذكر لأهميتها ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ١٣-١٥] وهذا تصريح بالعقائد النقلية، أي التي أثبتها النقل، وحكم العقل بجوازها، بل بوجوبها، لإيجاب النقل الصادق لها، فهذه الآية جمعت جملة الدين كما ترى.

ونذكر لهذه المناسبة بعض الآيات الجوامع:

منها: قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] قال جعفر الصادق عليه السلام: ليس في القرآن آية أجمع

لمكارم الأخلاق من هذه الآية.

والمراد بالعفو: السهل الميسور، وبالعرف: المعروف من الفضائل، وبالجاهلين: السفهاء، والإعراض عنهم: ترك مقابلة سفاهتهم بمثل.

كما يحكى أن بعض الجهلة أراد أن يستفز زين العابدين عليه السلام -وكان حليمًا- فتعرض له في بعض طرقه بقبيح الشتم، وزين العابدين لا يجيبه، فتبعه ذلك الجاهل، وقال له: إياك أعني بشتمي! فأجابه زين العابدين بقوله: وعنك أعرض! فقال له: أشهد أنك من بيت النبوة، واستسمحه وتاب على يديه.

وورد في الحديث: لما نزلت هذه الآية، سأل النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم جبريل عنها، فقال: حتى أسأل ربي، فذهب ثم رجع، فقال: «**رَبُّك يأمرُكَ أنْ تَصِلَ مَن قَطَعَكَ، و تُعْطِي مَن حَرَمَكَ، وتَعْفُو عمَّن ظَلَمَكَ**».

ومنها: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]. قال ابن مسعود رضي الله عنه ، هذه أجمع آية في القرآن للخير والشر.

وبيان ذلك: أن صدورها اشتمل على الأمر بثلاثة أشياء:

أحدها: العدل، وهو لفظ عام يشمل التوحيد، وهو شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله.

والإنصاف في الحكم، بأن ينصف الحكام المظلوم من الظالم.

وفي المعاملة بأن يعامل المسلم أهله وإخوانه بما يحب أن يعاملوه به، ويحب لهم من الخير ما يحب لنفسه، ولا يستأثر عنهم بشيء.

وفي النفقة بأن لا يسرف ولا يقتر. وفي العبادة بأن يجتنب فيها الإفراط

والتفريط.

ثانيها: الإحسان، وهو نوعان: الإحسان مع الله تعالىٰ، وهو يشمل أداء الفرائض علىٰ الوجه الأكمل، والإخلاص في أدائها، وعبادته علىٰ المشاهدة، فإن لم تستطع فعلىٰ المراقبة، كما قال النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حين سأله جبريل عن الإحسان: «**أن تعبدَ اللهَ كأنَّكَ تَراهُ فإن لم تَكُنْ تَراهُ فإنَّه يَرَاكَ**».

والإحسان مع عباد الله، وهو أن تعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك وتصل من قطعك.

ثالثها: إيتاء ذي القربىٰ، أي إعطاء القريب، وبذل المعروف له، لأنه صدقة وصلة رحم، ولأنه يقوي روابط الأسرة، ويذهب ما قد يكون في نفس بعض أفرادها من نفور وفتور.

وآخرها أفاد النهي عن ثلاثة أشياء أيضًا:

أحدها: الفحشاء، وهي الزِّنا، لأن فيه تلويث الأعراض، واختلاط الأنساب، وغير ذلك من المفاسد.

ثانيها: المنكر، وهو ما ينكره الشرع، كالكفر والمعاصي جميعها كبيرها وصغيرها.

ثالثها: البغي، وهو الظلم للناس، والتعدي علىٰ حقوقهم.

وأفرد الزِّنا والظلم بالذكر مع أنهما من المعاصي للاهتمام بهما، وبيان فريد قبحهما. فلم تدع الآية خيرًا إلا أمرت به، ولا شرًّا إلا نهت عنه.

ولذا قال العلماء: لو لم يكن في القرآن غير هذه الآية، لكفت في البيان. وتفسيرها بتوسع وإيضاح لما تشتمل عليه من المعاني، يستدعي إنشاء كتاب

حافل، ونرجو من الله أن يوفقنا لذلك.

ولما ابتدع الأمويون منذ عهد معاوية سب علي عليه السلام، في الخطبة الثانية من يوم الجمعة، قطعه عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، في خلافته واستبدل هذه الآية الكريمة به، واستمر الحال على ذلك إلى الآن.

ومنها: قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ [النور: ٥٢].

قال بعض الأحبار: هذه الآية جمعت ما في التوراة وما في الإنجيل، ذلك لأن طاعة الله ورسوله تشمل الفرائض والنوافل القولية والفعلية، البدنية والمالية.

وخشية الله تقتضي ترك جميع المعاصي بجميع أنواعها، لأن من يخاف الله لا يمكن أن يعصيه. وتقوى الله معناها فعل المأمورات، واجتناب المنهيات.

فالآية كما ترى جمعت خلاصة الكتب السماوية، وهي جديرة بالتدبر والتمعن، وبالله التوفيق.

أرجى آية في القرآن

ما هي أرجى آية في القرآن بالنسبة لعصاة المسلمين؟

اختلف في ذلك، فالمشهور أنها قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨].

وقال جماعة من العلماء: أرجى آية في القرآن قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣] لما ثبت في الصَّحيحين عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنه،

قال: إن ناسًا من المشركين قتلوا فأكثروا، وزنوا فأكثروا، ثم أتوا محمدًا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة. فنزلت: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ إلى قوله ﴿غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان:٦٨-٧٠] ونزل: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟﴾ [الزمر: ٥٣] الآية.

وروى الطبراني بإسناد ضعيف عن ابن عبَّاسٍ قال: بعث رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى وحشي قاتل حمزة، رضي الله عنه ، يدعوه إلى الإسلام. فقال: كيف تدعوني وأنت تزعم أن من قتل أو زنى أو أشرك، يلق أثامًا يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانًا. وأنا صنعت ذلك؟ فهل تجد لي من رخصة فأنزل الله: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [مريم: ٦٠] الآية.

فقال وحشي: هذا شرط شديد، إلا من تاب وآمن وعمل عملًا صالحًا. فلعلي لا أقدر على هذا.

فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]. فقال وحشي: هذا أرى بعده مشيئة، فلا أدري أيغفر لي أم لا؟ فهل غير هذا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣] الآية. قال وحشي: هذا نعم، فأسلم. وفي هذه الآية مما يقوي الرجاء ويؤكده إضافة العباد إلى الله في قوله: ﴿يَٰعِبَادِىَ﴾ جبرًا لانكسارهم، وتشريعا لهم، وإيراد جملة: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يوسف: ٩٨] معرفة الطرفين، مع تأكيدها بأن وضمير الفصل.

وقال علي عليه السلام: أرجى آية في كتاب الله قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾ [الشورى: ٣٠]وإذا كان يكفر عني بالمصائب ويعفو عن كثير، فأي شيء يبقى بعد كفارته وعفوه؟!

وورد عنه قال: ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله -يعني بالنسبة للعصاة- حدثنا بها النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ ﴾ [الشورى: ٣٠]الآية، «**ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم والله أكرم من أن يثني عليكم العقوبة في الآخرة. وما عفا عنه في الدنيا فالله أحلم من أن يعاقب به بعد عفوه**».

وقال بعض العلماء: أرجى آية قوله تعالى في آخر (سورة الأحقاف): ﴿فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ [الأحقاف: ٣٥] الكافرون. قصرت الآية الإهلاك بالعذاب على الكفار، فأطمعت عصاة المسلمين في رحمة الله.

وقيل: قوله تعالى: ﴿ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴾ [الضحى: ٥] ورد أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال عند نزول هذه الآية: «**إذن لا أرضى وواحد من أمتي** -يعني أمة الإجابة- **في النَّار**».

وصح في الحديث عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لا أزال أشفع يوم القيامة فأشفع حتى يناديني ربي: أقد رضيت يا محمد؟ فأقول أي رب رضيت**». وقال بعض العارفين في هذا المعنى:

قَرَأْنا في الضُّحَى ولسَوْفَ يُعْطِي ... فسَرَّ قُلُوبُنَا ذَاكَ العَطَاءُ
وحاشَا يا رَسُولَ الله تَرْضَى ... وفِينا مَن يُعَذَّبُ أو يُسَاءُ

كتابان سارا مسير الشمس

"المقدمة الآجرومية"،"دلائل الخيرات"

كتابان لعالمين مغربيين اشتهرا في سائر الآفاق، وكان لهما أثر عند الناس لا يعرف لغيرهما من الكتب، وذلك دليل على إخلاص مؤلفيهما، وحسن قصدهما في تأليفهما.

أحد هذين الكتابين: "المقدمة الآجرومية" في علم العربية، للإمام أبي عبد الله محمد بن محمد بن آجروم الصنهاجي المتوفى سنة ٧٢٣ بفاس.

فمنذ ظهر هذا الكتاب أقبل الناس عليه في مشرق الأرض ومغربها حفظًا وقراءة ودرسًا، ووضعوا عليه من الشروح والحواشي ما لا يكاد يحصى[١]. وترجم إلى بعض اللغات الأجنبية. ولقد بلغ من شهرة هذا الكتاب أن البلاد الأوروبية مثل فرنسا وغيرها اشتقوا منه لفظ «جرومير»[٢]، وجعلوه علمًا على

---

(١) وقد وضعت عليه وأنا في سن الطلب شرحًا سمَّاه شقيقنا الحافظ أبو الفيض رحمه الله "تشييد المباني لتوضيح ما حوته المقدمة الآجرومية من الحقائق والمعاني" وهو شرح واسع مفيد، لم أرَ شرحًا أكبر منه، على كثرة ما رأيت من شروحها وحواشيها المخطوطة والمطبوعة.

(٢) ولهذه المناسبة أذكر لفظ «الشفرة» عند الأوروبيين مأخوذ من «الجفر» عندنا وكذلك معناه. فإن السرية التي تستعمل فيها الشفرة، مأخوذة من معنى الجفر أيضًا. لأنه عبارة عن جلد ثور صغير، كتبت فيه تنبؤات وأسرار خاصة مرموز لها برموز لا يفهمها إلا من تلقاها عن أهلها. وهي متلقاة عن جعفر الصادق عليه السلام. كما يقال. وانظر الكلام على الجفر في "مقدمة ابن خلدون".

العلم الخاص بقواعد لغاتهم.

ثانيهما: "دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في الصلاة على النبي المختار" للعارف الكبير سيدي محمد بن سليمان الجزولي المغربي، لقي هذا الكتاب أيضًا إقبالًا منقطع النظير، فلا تجد قطرًا إسلاميًّا في مشرق الأرض ومغربها إلا وفيه جماعات اتخذوا قراءة هذا الكتاب وردهم في يوم الجمعة وغيره.

ووقفت أوقاف لقراءته بالمسجد النبوي في المدينة المنورة، وبالمسجد

هذا وقد قال بعضهم في كلمة «جرومير»: إنها كلمة تدل على قواعد لغتهم بحسب وضعها القديم: أي فهي توافق اللغات. وهذه دعوى بعيدة، يصعب إقامة دليل على صحتها. والمعلوم على سبيل القطع أن اللغة العربية -مع كونها أوسع اللغات وأغزرها مادة- لم يكن لها علم يضبط قواعدها، ويحصي موادها، طوال قرون كثيرة حتى نزل القرآن، واضطر المسلمون إلى فهمه للعمل به. فكروا في وضع علم النحو، وما يتبعه من علوم اللغة العربية وآدابها. فوضعوا تلك العلوم في وقت كانت القارة الأوروبية، تعيش في جهالة جهلاء، وضلالة عمياء، لم تكن لهم علوم في قواعد لغاتهم ولا في غيرها، واستمروا على ذلك بضعة قرون. حتى بدءوا يفدون على الأندلس، ينهلون من جامعاتها ومعاهدها العلمية. فحينئذ اتجهوا إلى البحث والتأليف، بعد أن شرعوا في ترجمة الكتب العربية في مختلف العلوم، إلى لغاتهم. فوضعوا مؤلفات في قواعد لغاتهم احتذوا فيها بعلم النحو عندنا. كما كتبوا في المنطق والفلسفة والرياضة والاجتماع والفلك وغير ذلك، مقتدين بمناهجنا. وكان فيهم رشديون: أي فلاسفة على طريقة ابن رشد، وغزاليون على طريقة الغزالي. فلا شك أنهم حين وضعوا علم لغاتهم اشتقوا له اسما من كتاب عربي، اشتهر عندهم. ومن يقل خلاف هذا، فليثبت أن علم النحو كان عندهم قبل اتصالهم بالعرب.

الحسيني في مصر، وبمسجد مولاي إدريس في فاس. وبمساجد كثيرة في سائر البلاد الإسلامية.

وتأنق الناسخون في كتابته بالخطوط الجميلة، وزينوه بماء الذهب، وطبع مرات عديدة، في تركيا ومصر وغيرها.

وطبعه الشيخ رشيد الحواصلي من علماء الشام المشتغلين بتجارة الكتب في تركيا بخط جميل موشىٰ بماء الذهب، والنسخة من هذه الطبعة تساوي ثلاثة جنيهات.

هذا مع أن كتبًا كثيرة ألفت في موضوعه، قبل الجزولي وبعده لكن لم تلق من الإقبال عشر ما لقيه دلائل الخيرات، ومثل هذا يقال في المقدمة الآجرومية، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

أصل الرقم الأفرنجي

أرقام العدد التي يستعملها المغاربة عربية، وإن كان أهل المشرق جميعًا يعتقدون أنها أفرنجية، وأول من اخترعها عربي أندلسي كما في "نفح الطيب"، اخترعها علىٰ أساس الزوايا، فرقم واحد يكون زاوية ورقم اثنين يكون زاويتين، وهكذا إلىٰ تسعة، وقد أشرنا إلىٰ الزاوية بنقطة في داخلها.

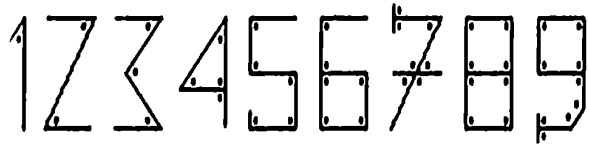

وجعل رقم العشرة صفرًا بجانبه واحد هكذا (10) إشارة إلىٰ تكرار العدد

بعدها، وعن الأندلسيين أخذ الأوروبيون هذه الأرقام[١] وطوروها إلى وضعها الحالي، غير ملاحظين مسألة الزوايا التي لاحظها المخترع العربي. أما الأرقام التي يستعملها المشارقة، فهي أرقام هندية.

سقطات شنيعة للشيخ الصاوي في "حاشية الجلالين"

حكى الشيخ الصاوي في "حاشية الجلالين" عند الكلام على قوله تعالى في (سورة الكهف): ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤] أقوال ابن عبَّاسٍ وغيره في جواز الاستثناء بالمشيئة من اليمين إذا نسيه، والإتيان به ما دام في المجلس أو بعد شهر، أو بعد سنة، أو متى ما تذكره، إلى غير هذا من الأقوال التي سردها هناك، وقال عقيبها ما نصه: «وعامة المذاهب الأربعة على خلاف ذلك كله، فإن شرط حل الإيمان بالمشيئة أن تتصل، وأن يقصد بها حل اليمين، ولا يضر الفصل بتنفس أو سعال أو عطاس، ولا يجوز تقليد ما عدا المذاهب الأربعة ولو وافق قول الصَّحابة والحديث الصَّحيح والآية، فالخارج عن المذاهب الأربعة ضال مضل، وربما أداه ذلك إلى الكفر لأن الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر».اهـ

وهذه سقطات كنا نربأ بالشيخ الصاوي العالم الفاضل أن يسقطها لما نعهده فيه من ورع وتقوى وصلاح، لكن الكمال لله تعالى، والعصمة لأنبيائه عليهم السلام.

---

(١) كتب أخي السيد حسن ما نصه: وأول من طبقها البابا سلفستر الثاني سنة ٩٩٩، بعد أن كان الأوروبيون يستعملون الأرقام الرومانية الخالية من الصفر.

ونحن نبين تلك السقطات، موضحين ما فيها من شناعات:

أولاها: قوله: «لا يجوز تقليد ما عدا المذاهب الأربعة»، يقصد بعدم الجواز تحريم تقليد غير الأربعة، ونحوه قول صاحب الجوهرة: «وواجب تقليد حبر منهم»، يعني الأربعة.

ومن المعلوم بالضرورة: أن الوجوب والتحريم من الأحكام الشرعية، وهي لا تثبت إلا بدليل شرعي من الكتاب أو السنة وبالضرورة ليس في الكتاب ولا في السنة ولا في الاجتماع وجوب تقليد الأربعة، وتحريم تقليد من عداهم.

ثانيتها: وهي أشنع من الأولى؛ قوله: «ولو وافق قول الصَّحابة والحديث الصَّحيح والآية». وهذا إغراق عجيب في التقليد!! يقتضي تعطيل الكتاب والسنة وأقوال الصَّحابة عن العمل والاحتجاج إلا في حدود ما أخذ به الأربعة، كأن الله ورسوله فوضا إليهم فهم الكتاب والسنة، وحظراه حظرًا باتًا على من سواهم.

ثالثتها: قوله: «فالخارج عن المذاهب الأربعة ضال مضل». والمعروف من قواعد الدِّين أن الضَّلال لا يكون إلا في الخروج عن العقائد الصَّحيحةِ المأخوذة عن السلف الصالح، مثل الخوارج وغيرهم من الفرق الضالة التي ابتدعت عقائد زائفة، أنكرها عليهم الصَّحابة والتَّابعون. أما المخالفة في الفروع فما كانت قط من الضلال، ولا تسمح القواعد الدينية بذلك.

وقد كان الأوزاعي إمام أهل الشام يقلدونه، وانتقل مذهبه إلى الأندلس وظل معمولًا به بجانب الإمام مالك مدة من الزمن.

والإمام محمد بن جرير الطبري كان له مذهب في الفروع، وأتباع يعرفون في كتب العلم بالجريرية.

والإمام داود بن علي الأصبهاني كان إمام مذهب أهل الظاهر، وظل مذهبه معمولًا به مدة من الزمن تزيد على ثلاثمائة سنة.

والإمام زيد بن علي، إمام الزيدية، لا يزال مذهبه في الفروع معمولًا به في اليمن إلى وقتنا هذا.

وقد ذكر جماعة من العلماء في الطوائف الضالة لزيغ عقائدهم مع أنهم حنفية أو شافعيَّة أو حنابلة، وحين اجتهد الإمام الشَّافعيُّ، وأنشأ مذهبه اعتبره متعصبو الحنفيَّة والمالكيَّة مبتدعًا، لخروجه على ما ألفوه.

بل نجد أبا عبيد القاسم بن سلام وهو مجتهد مستقل عن المذاهب الأربعة يعرض في بعض كتبه بالإمام الشَّافعيِّ، ويعتبر بعض آرائه خارجة عن الإجماع!

رابعتها: وهو أشنع من سابقتها، قوله: «وربما أداه ذلك للكفر». ولا ريب أن إكفار المسلم لعدم تقليده أحد المذاهب الأربعة أمر لا يقره الدين ولا تقبله قواعده. ولا يجوز أبدًا بحال اعتقاد الضَّلال أو الكفر في الأوزاعية أو الجريرية أو الظاهرية أو الزيدية أو غيرهم. وإن ضل أحد منهم، فضلاله يكون لزيغ عقيدته، كما يضل الشَّافعي أو الحنبلي أو الحنفي لزيغ عقيدته سواء بسواء، وليس الإسلام مقصورًا على أهل المذاهب الأربعة.

خامستها: وهي أشنع وأبشع، قوله: «لأن الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر».

لقد كنا نود أن تصدر هذه الكلمة عن غير الشيخ الصاوي الذي نعتقد صلاحه وفضله، ولعله كتبها ساهيًا عن خطورتها لأنه لا يمكن لمسلم عاقل - فضلًا عن فاضل- أن يقول: إن الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر. عياذًا بالله من هذه الكلمة التي هي كفر صريح ممن قصد مدلولها وأجبر عليه، ونحن نبرئ الشيخ الصاوي من ذلك، ونعتبر صدورها منه خطأ غير مقصود.

وإنما نهى العلماء عن التمسك بمتشابه الكتاب والسنة، وعن الخوض فيه، وأوجبوا تفويض علمه إلى الله تعالى لأن حمله على ظاهره يؤدي إلى الكفر.

نحو قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨] ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤] ﴿مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ [طه: ٣٩].

ونحو قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ قلوبَ بني آدمَ كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلبٍ واحدٍ**»، «**إنَّ الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام بيده الميزان يَخْفِضُ القِسْطَ ويرفعه يُرفع إليه عمل النهارِ قبل عَمَلِ الليل وعَمَلُ الليلِ قبل عَمَلِ النهارِ**»، «**حِجابُه النور لو كَشَفَهُ لأحْرَقَتْ سُبُحات وَجْهِهِ ما انتهى إليه بصره من خَلْقِهِ**»، «**إنَّ الله يَبْسُطُ يَدَهُ بالنَّهارِ ليتوبَ مُسيء الليل ويَبْسُطُ يده بالليل ليتوب مُسيء النهار حتى تطلع الشمسُ مِن مغربها**».

وقد ذمَّ الله تعالى المتتبعين للمتشابه، فقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ

فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران: ٧].

أما الأخذ بظواهر الكتاب والسنة في التشريع والأخلاق والآداب والمواعظ فهو أصل الهدىٰ والنور، ومجلبة للسعادة والسرور.

وبعد فقد قدمنا أن الاجتهاد المطلق باق إلىٰ قرب قيام الساعة، وأن القيام به فرض كفاية علىٰ الأمة. ويجب أن تعلم -مضافًا إلىٰ ذلك- أن التقليد ليس بواجب، لا للأربعة ولا لغيرهم. وإنما يجب علىٰ العامي بعد تصحيح عقيدته أن يسأل فيما ينوبه من الأحكام من يكون من أهل العلم والورع، ويعمل بما يفتيه، ولا عليه أن يكون موافقًا لأحد المذاهب الأربعة أولًا.

وإطباق المتأخِّرين علىٰ وجوب تقليد الأربعة حتىٰ قال قائلهم:

وجـــازَ تَقْليـــدٌ لغَـــيْرِ الأربعـــة ... في غـــير إفتـــاءٍ وفي هـــذا سَـــعَه

دعوىٰ لا دليل عليها وتضييق لا معنىٰ له، وسماحة الشريعة الإسلامية لا توافق علىٰ ذلك.

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾

قال الله تعالىٰ: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ ﴾ أي لكل واحد من الإنس والجن خاف ﴿مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ أي قيامه بين يديه للحساب فترك معصيته ﴿جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦]أي يعطىٰ إباحة التنقل بين جنتين، لأنه حين خاف مقام ربه، وقاوم عدوين قويين: نفسه الأمارة بالسوء، والشيطان، أبيح له التنقل بين جنتين جزاءًا وفاقًا.

وقد صرَّح بمقاومة النفس في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠- ٤١].

وإنما صرح بها لإثبات خطرها وعظم تأثيرها، ولم يصرح بالشيطان، إما للعلم به، فقد حكىٰ القرآن عنه أنه قال: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [ص: ٨٢ – ٨٣]، وإما لأنه لا يمكن التخلص منه إلا بالاستعاذة وذكر الله مثلًا، بخلاف النفس فلا يمكن الخلاص منها.

وقال هنا: ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤١]لأن الجنة ذكرت هنا في مقابلة الجحيم أول الآية ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٣٧ – ٣٩].

ولأن الجنة مأوىٰ الخائف لمقام ربه علىٰ كل حال، وإنما أبيح له التنقل بين جنتين للحكمة التي بيناها، ولهذا قال: ﴿ وَلِمَنْ ﴾ فعبر باللام المفيدة للإباحة.

والحاصل: أن الخائف لمقام ربه مع كون الجنة مأواه؛ يكرم زيادة علىٰ ذلك بإباحة التنقل بينها وبين جنة ثانية.

وليس معنىٰ الإباحة الجواز المقابل للتحريم، فإنه لا تكليف ثَمَّ، ولكن أهل الجنة لا يبرحون أماكنهم ولا يلهمون ذلك لرضاهم بما فيه من النعيم الذي لم تره عين ولم تسمع به أذن ولم يخطر علىٰ قلب بشر.

أما الخائف لمقام ربه، فيلهم الرغبة في التنقل بين جنته والجنة الثانية، فيعطىٰ ذلك.

هذا ما ظهر لي في معنى الآيتين الكريمتين، مما لم أرجع فيه إلى كتاب، والله الموفق والهادي.

موالد أهل البيت والصالحين في مصر

يعتقد كثير من الناس أن المولد الحسيني ابتدع في عهد الفاطميين، أو بعده بقليل، والحقيقة أنه نشأ منذ عهد قريب.

ذكر الجبرتي في الجزء الرابع من "تاريخه" أن هذا المولد أنشأه مباشر لوقف المسجد الحسيني، يسمى السيد بدوي بن فتيح، أصابه مرض، فنذر إن شفاه الله، أن يقيم هذا المولد، وكان المولد أول الأمر هو إضاءة المسجد وقبته بالقناديل والشموع، وترتيب فقهاء يقرءون القرآن نهارًا ويتدارسونه، وآخرين يقرءون ليلًا "دلائل الخيرات".

ثم تغير الحال، وانضم إلى الفقهاء كثير من الجهلة وأهل البدعة، واستمر في وصف ما يحصل منهم من المكفرات، وانتهاك حرمة المسجد وتوسيخه إلى أن قال: «وكان يجتمع إلى هذا المولد، العامة والسوقة وأهل الحرف السافلة، ومن لا يجد ما يأكله، يحملون القناديل والشموع والطبول والزمور، وينطقون بكلام محرف، يظنون أنه ذكر وتوسلات يثابون عليها، فإذا اعترضهم معترض، أو تصدى لهم لائم، رموه بالاعتزال والخروج والزندقة، واستمر الاحتفال بهذا المولد عشر سنين، وناذره السيد البدوي فتيح لم يزدد إلا مرضًا ومقتًا. ثم بطلت إقامته عند دخول الفرنسيين للقاهرة، لكنهم لما علموا ذلك أمروا بإقامته لأنه يوافق هوى العامة، لأن أكثرهم مطبوع على المجون والخلاعة، وتلك طبيعة الفرنساوية».

ووصف ما يحصل أيضًا في مولد السيدة زينب، والسيدة نفيسة، والإمام الشَّافعي.

والحقيقة: أن هذه الموالد وغيرها التي تقام في القطر المصري للأولياء في زعم العامة وأشباههم، هي مواسم لإقامة المنكرات والمآثم، يجب إبطالها ومحاربة من يسعون في إقامتها بالتأديب اللائق بهم.

والسكوت عن هذه الموالد مدعاة إلى شيوع المنكر، وفساد الأخلاق بدعوى الاحتفال بأهل البيت والأولياء، والله يعلم أنهم يتبرءون من ذلك، ولا يقبلونه بحال، ومن يزعم أن وليًا جاءه في النوم، فدعاه إلى الاحتفال بمولده، يعتبر كاذبًا، أو مخرفًا حيث يعتمد على رؤيا المنام، وما يدريه، لعل الذي جاءه شيطان؟!

وحتى لو فرض أنه ولي حقيقة، ما جاز العمل بكلامه، لأن الولي لو أمر في اليقظة ببدعة أو معصية لم يتبع، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

ولكن سدنة الأضرحة وأشياعهم من المقرئين والخدمة، لهم في هذا الباب أكاذيب وحيل، يستجلبون بها هدايا الزوار من نفائس الأقمشة والأطعمة والأموال ثم يقتسمونها فيما بينهم، كما يفعل اللصوص حين يشتركون في سرقة ثمينة! ولو علمت بعض الحيل التي يرتكبونها لابتزاز أموال الزائر وهو راضي مسرور، لتأكدت أنهم أبالسة في صور أناس!! وعلى هؤلاء وأشكالهم يصدق الحديث الذي رواه التِّرمذيُّ والخطيب في "الكفاية" من أسماء بنت عميس، وفيه: «**بئس العبد عبد يختل الدنيا بالدين**» فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون.

ضريح الشيخ علي البكري

يوجد بقرب جامع الرويعي، بجهة العتبة، زاوية فيها ضريح لشيخ يقال له: الشيخ علي البكري، يزار ويعمل له مولد كل سنة، وأهل القاهرة يعتقدون أنه من السادة البكرية الذين ينتمون إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

والحقيقة خلاف ذلك، فهذا الرجل لا علاقة له ببيت البكريين، وإنما قيل له البكري، لسكناه في سويقة البكري. ثم هو لا علاقة له بعلم ولا بولاية، وإنما هو -كما يقول الجبرتي في "تاريخه"- رجل أبله، كان يمشي في الطريق عريانًا مكشوف الرأس والسوأتين غالبا. وكان له أخ كثير المنازعة والخصومة له، لكنه صاحب دهاء وحيلة، فلما رأى الناس يعتقدون في أخيه الولاية، ويلتمسون بركته. استغل ذلك ومنع أخاه من مغادرة البيت، وألبسه ثيابًا، وأظهر للناس أنه قد أذن للشيخ بلبس الثياب، لأنه تولى القطبانية. فأقبل الناس وخصوصًا النساء، إلى بيت الشيخ، للتبرك به والإصغاء إلى كلامه الذي هو عبارة عن تخليطات، يئولونها بما يلائم رغباتهم، وكثرت هدايا الزوار ونذورهم، وأخوه صاحب الدهاء والحيلة، يذيع في الناس كرامات الشيخ، ومعرفته بأسرار النفوس. وامتلأ بيت الشيخ وأخيه بالأموال والخيرات. واستمر الحال على ذلك، حتى مات الشيخ سنة ١٢٠٧ فأقام أخوه ضريحًا ومقامًا، وزاد في ذكر كراماته وفيوضاته، ورتب له المقرئين والمنشدين والمداحين يشيدون بولايته وقطبانيته، ويذكرون أوصافه في قصائدهم، وهم يتواجدون ويتصارخون، ويمرغون وجوههم على شباكه وأعتابه، ويغرفون بأيديهم من الهواء المحيط به، ويضعونه في جيوبهم وعبهم. وللأديب العالم

الشيخ حسن البدري الحجازي قصيدة في هذا الشيخ مطلعها:

ليتنـــا لم نَعِـــشْ إلى أن رأينـــا كـلَّ ذي جنَّـةٍ لـدى النَّـاسِ قُطْبـا

وانظر بقيتها في "تاريخ الجبرتي".

وكثير من الضواريح والمقامات في مصر وغيرها من البلاد الإسلامية، مقامة على مثل الشيخ علي البكري الأبله الذي كان يمشي بادي العورة. أو على مجاهيل، مثل سيدي الأربعين الذي له عدة ضواريح في مصر، ومثله سيدي المخفي في المغرب. والعجيب في الأمر أن المتعلمين ينساقون مع العوام في التمسك بهذه الخرافات، وذلك دليل على ضعف في العقل، ونقص في الإدراك وخلل في الدين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

لم اختص موسى باللحية في الجنة

سئلت عن الحكمة في اختصاص موسى عليه السلام باللحية في الجنة، دون سائر أهلها؟

فأجبت بأن ذلك لم يرد به حديث صحيح[1]، وإنما هو من الإسرائيليات. والحكمة فيه -مع ذلك- أن موسى عليه السلام لما ذهب إلى فرعون وأبلغه أنه رسول الله إليه، يأمره بتوحيده وعبادته. أمسك فرعون بلحيته استصغارًا له.

---

(١) روى الطبراني بإسناد ضعيف عن ابن مسعود مرفوعًا: «**أهل الجنة جُرْدٌ مُرْدٌ إلا موسى عليه السلام كان له لحية تضرب إلى سرته**».

وقيل: ورد أيضًا: أن لهارون لحية في الجنة ولآدم ولإبراهيم ولأبي بكر الصديق، وكل ذلك لا أصل له.

وقال امتنانًا عليه: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٨ - ١٩] فكانت لحيته أول شيء منه أهين في الله، فجوزي ببقائها في الجنة. وهذا كما اختص أيضًا بأنه لا يصعق عند نفخة الصعق، لأنه جوزي بصعقته حين تجلى ربه للجبل، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣] والله تعالى أعلم.

الأصل في رقابة الأخبار الحربية

جاء في كتب التفسير وغيرها: أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان يبعث البعوث والسرايا للجهاد، فإذا غلبوا الكفار أو غلبهم الكفار بادر المنافقون للاستخبار عن حالهم، ثم يتحدثون بذلك، ويشيعونه قبل أن يسمعوه من رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ومن كبار الصَّحابة. وقصدهم بذلك افتتان ضعفاء المؤمنين بهزيمة المجاهدين، وتثبيط همتهم عن الخروج للجهاد. فأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ﴾ أي بالنصر للمسلمين ﴿أَوِ ٱلْخَوْفِ﴾ أي بهزيمتهم ﴿أَذَاعُوا۟ بِهِۦ﴾ أفشوه. ويفشيه تبعًا لهم ضعفاء الإيمان، جهلًا بقصد المنافقين ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾ أي خبر النصر أو الهزيمة ﴿إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ أي ذوي الرأي من أكابر الصَّحابة، أي لو سكتوا عنه حتى يخبرهم النبي وأكابر الصَّحابة ﴿لَعَلِمَهُ﴾ هل هو مما ينبغي أن يذاع به أو لا؟ ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ﴾ يتتبعونه، وهم

المنافقون المذيعون ﴿مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣] من الرسول وأولي الأمر.

فمنعت الآية إفشاء خبر الهزيمة والنصر أيضًا، حتى يذيعه الرسول وأولي الأمر بعد تمحيصه، لأنه قد يكون في نشر خبر النصر قبل ذلك ما يفيد العدو. وهذا هو الأصل في وضع رقابة على الأخبار الحربية، ومنع نشر شيء منها إلا ما يجيزه المختصون من قواد الجيش، ورجال الحكومة. فالإسلام سبق إلى وضع هذا النظام كغيره من الأنظمة التي سبق إلى وضعها، والدول الأوروبية لا تزال غارقة في جهلها إذ ذاك.

علم اليقين، عين اليقين، حق اليقين

علم اليقين: إدراك الشيء ببرهان، لكن من غير مشاهدة. كالعلم بأن الله واحد، وباتصافه بصفات الكمال، ونحو ذلك من العقائد.

وعين اليقين: إدراك الشيء مع المشاهدة. كرؤية الجنَّة والنَّار وغيرهما من أمور الآخرة، قال الله تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٥ – ٧].

وحق اليقين: مشاهدة الشيء مع ملامسته والامتزاج به. قال تعالى: ﴿وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ۝٩٢ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ۝٩٣ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ۝٩٤ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ [الواقعة: ٩٢ – ٩٥].

وقيل حق اليقين هو الشيء الثابت في نفسه سواء ألمس أم لا، كالجنَّة والنَّار ونحوهما، وهذا هو الصَّحيح، قال تعالى في القرآن الكريم ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ [الحاقة: ٥١] أي أنه ثابت حق، ولو أنكره الكفار.

أخفى الله تعالى أمورًا في أمور، لحكم

قال العلماء: أخفى الله تعالى أمورًا في أمور، لحكم:

وأخفى ليلة القدر في ليالي رمضان، لتقام لياليه كلها.

وأخفى الصلاة الوسطى في الصلوات ليحافظ عليها جميعًا.

وأخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة ليدعى في جميعه.

وأخفى الاسم الاعظم في أسمائه ليدعى بجميعها.

وأخفى رضاه في طاعته ليحصل الحرص على فعل جميع الطاعات.

وأخفى غضبه في معصيته لتجتنب جميع المعاصي.

وأخفى الولي في المؤمنين ليحسن الظن بجميعهم.

وأخفى أجل الإنسان ليكون على أهبة الاستعداد بعمل الخير.

وأخفى وقت قيام الساعة ليحصل الإشفاق منها، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّ﴾ [الشورى: ١٨].

وقال بعض الفضلاء:

وكُلُّ امْرِئٍ تَلْقَاهُ فالخَضِر اعْتَقِدْ ... وكلُّ ليالي الشَّهْرِ فاعْتَقِدْ لَيْلَة القَدْرِ

وقوله: «فالخضر اعتقد» يعني تحسين الظن بالمؤمن بحيث يعتقد ولايته بناء على ما اشتهر من ولاية الخضر، ولكنا قدمنا أدلة نبوته وهو الصَّحيح.

هذه مواضع ذكرها العلماء، يضاف إليها عاشر وهو:

أن الله أخفى نفحاته في أيام المواسم. مثل عاشوراء، ونصف شعبان، وعرفة. ليتعرض لها بالعبادة والدعاء. لحديث: «**إن لربكم في أيام دهركم**

نفحات، فتعرضوا لنفحات رحمة ربكم وسلوه أن يستر عوراتكم ويؤمن روعاتكم». وحسن الظن بالمؤمن ليس على إطلاقه فقد يستدعي الحال سوء الظن، كما في بابي الرواية والشَّهادة، وغيرها مما يجب فيه الحذر والتثبت، ويعد حسن الظن حينئذ تقصيرًا معيبًا.

مناقشة الجلال المحلي في مسائل من تفسيره

قال تعالى في (سورة القمر): ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ﴾ [القمر: ٣٣ - ٣٤].

قال الجلال المحلي في تفسير هذه الآية: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ ريحًا ترميهم بالحصباء وهي صغار الحجارة، الواحد دون ملء الكف، فهلكوا ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾ وهم ابنتاه معه ﴿نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ﴾ من الأسحار، أي وقت الصبح من يوم غير معين، ولو أريد من يوم معين لمنع الصرف، لأنه معرفة معدول عن السحر، لأن حقه أن يستعمل في المعرفة بأل. وهل أرسل الحاصب على آل لوط أو لا؟ قولان.

وفيه مناقشتان:

إحداهما: تفسيره «سحر» بوقت الصبح، ومعناه في اللغة: آخر الليل قبل الصبح، وهو المراد هنا. فإنَّ لوطًا عليه السلام خرج بابنتيه ليلًا بدليل قوله تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ [الحجر: ٦٥] وهذا معنى إنجائهم.

ثانيتهما: قوله: وهل أرسل الحاصب على آل لوط أو لا؟ قولان. وليس لدي الآن من التفاسير غير الجلالين، فلا أعرف على التعيين من قال من المفسرين بإرسال الحاصب على آل لوط ولكني أعرف المحقق المحلي وَهِم في حكاية هذا الخلاف، وأنه لو تأمل قليلًا لأدرك أنه خلاف لا يصح، لأنَّ لوطًا عليه السلام خرج بآله قبل الصبح، والعذاب إنما نزل بقومه عند شروق الشمس قال تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾ وقت الشروق ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٣ - ٧٥] فكيف يقال بإرسال الحاصب على آل لوط، وهم قد بارحوا البلد قبل إرساله بعدة ساعات؟!

ثم قال الجلال المحلي: «وعبر عن الاستثناء على الأول بأنه متصل وعلى الثاني بأنه منقطع -وإن كان من الجنس- تسمحًا». انتهى.

يعني أن كون الاستثناء منقطعًا فيه تجوز لأن آل لوط من جنس قومه، سواء أقيل بإرسال الحاصب على الجميع أم على غير آل لوط، فالاستثناء متصل في الحقيقة. هذا إيضاح كلامه، وقد علمت مما سبق أن الخلاف لا وجه له لعدم إرسال الحاصب على آل لوط.

وأما الاستثناء فيمكن جعله منقطعًا بلا تجوز، وذلك بأن يراد بالجنس هنا جنس المهلكين، أو الظالمين، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [العنكبوت: ٣١] وآل لوط لم يكونوا من المهلكين، ولا من الظالمين، فيكون الاستثناء منقطعًا حقيقة بهذا الاعتبار، وهو واضح لا

غبار عليه. ويمكن اعتبار «إلا» اسما بمعنى غير، وهي منصوبة على الحال من الضمير في «عليهم» لكن ظهر إعرابها فيما بعدها، لكونها على صورة الحرف، والتقدير: إنا أرسلنا عليهم حاصبًا حال كونهم غير آل لوط، وجملة «نجيناهم بسحر» مستأنفة استئنافًا بيانيًّا، كأن سائلًا سأل: ماذا حصل لهم؟ فقيل: «نجيناهم بسحر» وهذا وجه جيد صحيح والحمد لله.

ومما وهم فيه الجلال المحلي أيضًا: قوله في تفسير قوله تعالى في آخر (سورة الروم): ﴿وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ [الروم: ٥٨] ما نصه: «حذف منه نون الدفع لتوالي النونات والواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين».اهـ ومن الواضح أن الفعل هنا مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وفاعله الذين كفروا. وفي الألفية:

وجَرِّدْ الفِعْلَ إذا ما أُسْنِدا لاثْنين أو جمعٍ كفَازَ الشُّهَدَا

ومما سها فيه: أنه كتب في (سورة طه) على قول موسى لأهله: ﴿إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ [طه: ١٠] ما نصه: وقال لعل، لعدم الجزم بوفاء الوعد. ونسي أن يعلل تعبيره بالسين في (سورة النمل)، حيث قال: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [النمل: ٧] ومعنى السين يغاير معنى لعل، كما هو معلوم. ولم تتبين لي حكمة هذه المخالفة في التعبير، إلا أن يقال: إنه لما رأى النَّار، قال لأول وهلة سآتيكم. وحين عزم على الذهاب إليها ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا﴾ هنا ﴿إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ فعبر بلعل كما في سورتي (طه)

و(القصص)، ليكون أهله -وهم في انتظاره- متوكلين على الله تعالى، واثقين بالفرج من جهته، ولأجل أنه ترجى -ولم يجزم- أن يجد على النَّار هدى إلى الطريق، حقق الله رجاءه، ومنحه الهدى الكامل، هدى الرسالة له ولأخيه هارون عليهما السلام.

هذا ما ظهر لي من الحكمة في هذه الآيات، والله أعلم بسر كلامه.

ومما غفل عنه: أنه لم يذكر معنى ﴿أَكَادُ﴾ من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ [طه: ١٥] -أي أريد أخفيها- وهي غفلة لا تليق منه، لأنَّ كثيرًا من الناس لا يعرفون معناه، وإن كان واضحًا عنده فهو مجهول لجمهور قراء تفسيره، وفائدة التفسير أن يبين معاني مفردات القرآن ثم تراكيبه.

ومما سها فيه: أنه فسر الآية من (سورة الفرقان)، فقال: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ﴾ المشرك عقبة بن أبي معيط. كان نطق بالشهادتين ثم رجع إرضاء لأبي بن خلف ﴿عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ [الفرقان: ٢٧] ندما وتحسرًا في يوم القيامة».اهـ

فوضع عقبة موضع أبي، والثابت عن ابن عبَّاسٍ وغيره أن أبيًا كان يحضر النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فيزجره صديقه عقبة، وأنه صنع طعامًا فدعا الناس، ودعا النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فلما حضر الطَّعام، قال له النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ما أنا بآكل طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله**». فشهد، فأكل النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من طعامِه. فعلم عقبة، فقال له: صبأت؟ قال أبي: لا، ولكن دخل علي رجل، وأبى أن يأكل من طعامِي إلا أن أشهد له فاستحيت أن يخرج من بيتي ولم

يطعم، فشهدت له، فطعم. فقال له عقبة: ما أنا براض عنك حتىٰ تكفر بمحمد وتشتمه. ففعل أبي ونزلت الآية.

هذه خلاصة ما في كتب التفسير والسيرة. وفيها أن عقبة أسر يوم بدر، فقتله علي عليه السلام صبرا، بأمر النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وأن أبيًا هجم يوم أحد علىٰ النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وهو يقول: لا نجوت إن نجا محمد.

والنَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم راجل، وأبي راكب. فأراد بعض الصَّحابة أن يتعرض له. فقال: «دعوه» فلما قرب منه، خطف النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حربة من يد صحابي وانتفض انتفاضة أفزعت الصحابة من حوله ووثب فضربه في عنقه ضربة تراجع لها، وهو علىٰ ظهر بعيره. ثم تماسك، وقفل راجعًا وهو يخور خوار الثور. فقال له أصحابه: ما نرىٰ بك بأسًا فقال: والله لو بصق علي لقتلني. أليس قد قال لي: «**لئن رأيتك خارج مكة لأقتلنك؟**». وهلك وهو راجع إلىٰ مكة، قبل أن يصل إليها.

وقد بينت في "الفتاوىٰ" جوابًا عن سؤال ورد إلي في هذه الآية، أنها وإن كانت قد نزلت في أبي وعقبة فلفظ الظالم فيها عام يشمل أهل المعاصي. فكل صديق ساعد صديقه علىٰ معصية، يندم يوم القيامة، ويتمنىٰ لو لم يكن اتخذه صديقًا في الدنيا، ويعاديه إذ ذاك، ويتبرأ منه. قال الله تعالىٰ: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ ﴾ علىٰ المعصية في الدنيا ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف: ٦٧].

الذين كانوا في الدنيا أخلاء في الطاعة، يكونون في الآخرة أيضًا أخلاء متصادقين. وسفهاء اليوم يعتبرون الصداقة بمقدار ما يقوم به الصديق لصديقه من عون على المعصية أو مشاركة فيها. فكلما قدم له عونًا في معصية، أو مشاركة فيها كشرب خمر أو لعب قمار أو شهادة زور أو ما يشبه ذلك. اشتدت صداقتهما، وتأكدت روابط المحبة بينهما. وهذا خلاف ما جاء في القرآن، والأمر لله.

معنى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ١ - ٢] الآية. قال الجلال المحلِّي: «هو مؤوَّل، لعصمة الأنبياء بالدليل العقلي القاطع، من الذنوب». وقد ذكر القاضي عياض في "الشِّفا" وجوها من التأويل في هذه الآية، كما ذكرها غيره من المفسرين. واستخلصت من بعض الوجوه التي ذكروها وجهًا لعله يكون أقرب وأسهل، وحاصله: أن الغفر معناه الستر، والستر نوعان:

١- ستر بين العبد وبين وقوع الذنب، وهذا يوافق معنى العصمة، لأنها صفة تحول بين النَّبيِّ وبين المعصية مع بقاء الاختيار.

٢- ستر بين العاصي وبين العقاب على ذنبه، فمعنى قول القائل: اللَّهمَّ اغفر لي: اللَّهمَّ استر بيني وبين العقاب على ذنوبي، فلا تؤاخذني بها.

والمراد بالمغفرة هنا: العصمة، لتقارب معناهما كما تبين. وإنما أوثر التعبير بها، لأن المقام مقام امتنان. ثم المعنى بعد هذا: ليظهر الله عصمتك للناس،

فيروا فيك حقيقة الإنسان الكامل، ويلمسوا منك معنى الرحمة العامة لا تبطرك عزة الفتح، ولا تسكرك نشوة النصر، فلا تنتقم ولا تتشفى ولكن تعفو وتغفر.

ولهذا دخل صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مكة يوم الفتح مطأطئًا رأسه حتى كاد يمس مقدمة رحله، وهو راكب على بعيره، تواضعًا لله تعالى. وأمر مناديًا ينادي في أهل مكة: من أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن.

وأبو سفيان كان من أكبر أعدائه، وبعد انتهائه من شعائر الطواف والسعي، جيء إليه بالأسارى يجللهم خزي الهزيمة وتعلوهم ذلة الأسر. وقد كانوا لغاية الأمس القريب، جاهدين ما وسعتهم القدرة في قتله.

ثم قال لهم: «**ما تظنون أني فاعل بكم؟**» قالوا: خيرًا، أخ كريم وابن أخ كريم. فقال: «**أقول كما قال أخي يوسف** ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ [يوسف: ٩٢]**اذهبوا فأنتم الطلقاء**» وهذا موقف رائع في سمو الخلق، لا يصدر إلا ممن كان عظيم الحلم، رحب الصدر يتسع قلبه لمواساة جراح الإنسانية، وعلاج أدوائها. مسددًا بالتوفيق، مؤيدًا بالعصمة. وصدق الله حيث يقول لنبيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

أما قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ [الشرح: ١ – ٣] فجملة: «ووضعنا عنك وزرك». تحتمل أيضًا وجوها من التأويل، كلها صحيحة مليحة. نقتصر هنا على وجهين منها، طلبًا للإيجاز:

أحدهما: أن الوزر معناه في اللغة: الحمل الذي يثقل الظهر، ومنه سمي الذنب وزرًا، لأنه يثقل العاصي بالعذاب يوم القيامة.

وعلى هذا فمعناه هنا: ثقل عبء النبوة والتبليغ. لأن النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حين نبئ كان الوحي عليه شديدًا، حتى خاف على نفسه الهلاك. فأخذت خديجة رضي الله عنه تعضده وتشد أزره، ثم لما أمر بالتبليغ، زاد الأمر شدة لما لاقاه من إذاية القريب والبعيد، له ولأصحابه. وهذه أثقال تثقل الظهر، وتنوء بها قوة الإنسان. فوضعها الله عنه ووفقه للقيام بما كلف به على خير ما يرام.

ثانيهما: أن الوزر إن كان معناه الذنب، فالمراد بالوضع العصمة. وإنما عبر عنها به، لأن الذنب يثقل الظهر بعقابه، وبالندم عليه في حالة التوبة منه. والعصمة -لكونها تمنع وقوع الذنب- تريح صاحبها من ثقل عقابه ومن ثقل الندم عليه. فعبر عنها بالوضع لذلك. هذان الوجهان في غاية الوضوح، وبالله التوفيق.

وقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: ٧] ليس المراد بالضلال فيه: الانحراف عن الحق، لوجوه:

الأول: أنه قبل النبوة لم يكن شرع قائمًا، فيوصف المنحرف عنه بالضلال.

الثاني: ما ثبت بالدليل العقلي القاطع على عصمة الأنبياء قبل النبوة من الضلال.

الثالث: ما ثبت بالتواتر عن حال النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في نشأته، من أنه نشأ على بغض الأوثان والشعر، وبغض ما كان عليه قومه من عادات الجاهلية، وأنه كان يختلي بنفسه، يتفكر في آيات الله الكونية، وبدائع صنعه.

ويتألم لما يرى عليه قومه من وثنية وجهالة، ويحب لهم الخير والرشاد. ولا يدري كيف يرشدهم؟ إذن فمعنى الضلال: إما التحير، والمعنى: ووجدك متحيرًا لا تدري كيف تخلص قومك من شركهم وقبائحهم، فهداك بالوحي إلى طريق تخليصهم.

وإما الحب، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يوسف: ٩٥] أي حبك القديم ليوسف.

والمعنى على هذا: ووجدك محبًّا للحق، فهداك إلى إعلانه، والدعوة إليه. وبقيت وجوه أخرى من التأويل، تراجع في كتاب "الشِّفا" وكتب التفسير، وليس شيء منها عندي الآن سوى "حاشية الصاوي على تفسير الجلالين".

للمرأة حق اختيار الزوج

في مذهب المالكية: أن للأب أن يجبر بنته البكر على الزواج بالرجل الذي يختاره لها، لكن الأحاديث تفيد خلاف ذلك.

ففي "المسند" و"سنن النَّسائيِّ" عن بريدة رضي الله عنه ، قال: جاءت فتاة إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم . فقالت: إن أبي زوجني ابن أخته، ليرفع بي خسيسته. قال: فجعل الأمر إليها. فقالت: قد أجزت ما صنع أبي، ولكن أردت أن أعلم النساء أن ليس إلى الآباء من الأمر شيء.

فهذا الحديث يفيد أن الأب ليس له إجبار بنته على قبول زوج لا تحبه، ولها الحق في رفضه زوجًا لها. وهذا هو ما يؤيده النظر الصَّحيح. لأن المفروض في الزواج أن عشرة دائمة لتكوين أسرة، وإنجاب أولاد، وتنشئة جيل، ولا يكون

ذلك إلا بنماذج من الزوجين وتوافق بينهما، وتلافي رغبتيهما. فإذا زوجت البنت بشخص لا تقبله، فقد التمازج المطلوب لدوام العشرة، وانهد بناء الأسرة قبل تمام تكوينها. ولم تتحقق الحكمة المذكورة في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم: ٢١].

فلهذا أعطى الشرع للبنت حقَّ اختيار الزوج الذي تعاشره، ويسكن هو إليها. وجعل الخلع طريق لخلاصها من زوجها الذي لم يحصل بينه وبينها وفاق بعد زواجهما.

صح في الحديث: أن امرأة جاءت للنبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم . فقالت: يا رسول الله، زوجي -وكان من خيار الصَّحابة- لا أعيب عليه في خلق ولا دين، ولكن لا أحبه. قال عليه الصَّلاة والسَّلام «**أتردين عليه حديقته؟**» قالت: نعم. فبعث صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى زوجها فقال له: «**خذ حديقتك وفارقها**».

بل ذهب الشرع إلى أبعد من هذا، فجعل للأمة المملوكة المتزوجة حقَّ مفارقة زوجها إذا هي عتقت ونالت حريتها. فقد كانت بريرة أمة متزوجة ثم اشترتها عائشة رضي الله عنها وأعتقتها. فاختارت فراق زوجها، وكانت تكرهه، وهو يحبها. فكان يمشي خلفها في طريق المدينة يبكي، ويطلب منها أن ترجع إليه، فقال لها النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**اتق الله فإنه زوجك**» قالت: أتأمرني؟ قال: «**لا، إنما أنا شافع**» قالت: لا حاجة لي به.

غلط في فهم حديث

قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**البكر تستأمر**» أي تستشار بأن يطلب رأيها في الشخص الذي يخطبها. ولما كانت البنت شديدة الحياء، ولا سيما فيما يتعلق بأمر الزوج؛ قال: «**وإذنها صماتها**» فاكتفى بالسكوت منها ولم يكلفها التصريح، لأن السكوت علامة الرضا. أما المرأة التي سبق لها الزواج وطلقت، أو توفي زوجها، فإنها تصرح برأيها، لأنها عرفت الزواج، وذهب عنها حياء البكر.

فلهذا قال: «**والثيب تعرب**» تفصح «**عن نفسها**» فتقول: أرضى بهذا الخاطب، أو لا أرضى به.

والحنفية فهموا الجملة الأخيرة على معنى أن الثيب تعرب عن نفسها بعقد الزواج. وبنوا على هذا الفهم أن المرأة الرشيدة يصح أن تعقد على نفسها عقد الزواج من غير حاجة إلى ولي. فكان قولهم غلطًا مبنيًّا على غلط، لأن معنى «والثيب تعرب عن نفسها» هو ما بيناه، لا ما فهموه. والدليل عليه أمران:

أحدهما: أنه ذكر في مقابلة قوله في البكر: «**وإذنها صماتها**».

ثانيهما: قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في حديث عائشةرضي الله عنها: «**لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل**» فجملة لا نكاح، من أقوى صيغ العموم. والمعنى لا نكاح يصح لامرأة بكرًا أو ثيبًا، رشيدة. إلا بولي، وخير ما فسر، بالوارد.

أما قولهم بصحة عقد المرأة على نفسها، فبيان غلطه من وجهين أيضًا:

أحدهما: أنه مبني على فهم في الحديث وقد تبين أنه غلط، فما بني عليه

يكون غلطًا.

ثانيهما: أنه لا يجوز من جهة العرف، ولا من جهة الذوق أن تتولى المرأة عقدًا يكون المقصود به الاستمتاع بها، ولعلهم لم يقرءوا المثل العربي: إليك يساق الحديث[1].

بل الواجب أن تبقى المرأة بعيدة عن هذا العقد. فهو أصون لكرامتها، وأدعى لرغبة الزوج فيها، وأمكن لتعزيز مركزها في عائلتها والوسط المحيط بها. وهذا هو ما قصد إليه الشرع الحكيم حين جعل عقد النكاح إلى وليها. فإن لم يكن لها ولي، أو كان لها أولياء، واختلفوا أيهم يعقد عليها أو عضلوها؛ عقد عليها القاضي أو غيره ممن يتولى أمور المسلمين. كما جاء في بقية الحديث السابق «**فإن اشتجروا** - أي اختلفوا- **فالسلطان ولي من لا ولي له**».

فإن لم يكن سلطان، تولى العقد عليها أحد صلحاء المسلمين من أهل حيها. والمسلمون إخوة، يقوم بعضهم بمصالح بعض، والله الموفق.

قاعدتان أصوليتان

حكي عن الإمام الشَّافعيِّ رضي الله عنه ، أنه قال: «حكاية الحال إذا طرقها الاحتمال كساها ثوب الإجمال، وسقط بها الاستدلال».

وحكي عنه أيضًا: «ترك الاستفصال في حكاية الحال مع قيام الاحتمال

---

(١) أصل المثل: ما ذكره المفضل بن سلمة في كتاب "الفاخر" قال: زعموا أن رجلًا ذهب يخطب امرأة، فلما تكلمت أنعظ. وجعل كلما تكلمت يزداد إنعاظًا، وهو يستحي ممن حضر من أهلها فوضع يده على ذكره، وقال: إليك يساق الحديث، فذهبت مثلًا.

ينزل منزلة العموم في المقال».

يبدو لأول وهلة أن بين هاتين القاعدتين تناقضًا، لكن عند تدقيق النظر، يظهر توافقهما، وعدم تناقضهما.

ذلك أن الاحتمال إما أن يكون لفظ حكاية الحال نفسه، نحو قول الصحابي: سها رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فسجد.لفظ: «سها» يحتمل السهو بالزيادة وبالنقص، ولفظ «سجد» يحتمل السجود قبل السلام وبعده. وحيث لم يعين الراوي أحد الاحتمالين، في كلا اللفظين، صارا مجملين، وسقط بهما الاستدلال. وهذا معنى القاعدة الأولى.

وإما أن يكون الاحتمال في متعلق من متعلقات لفظ حكاية الحال، بأن يكون عارضًا من عوارضه، نحو قول ابن عمر: أسلم غيلان الثقفي، وله عشر نسوة في الجاهلية فأسلمن معه، فأمره النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أن يمسك منهن أربعًا.

لفظ الحكاية هنا واضح في أن غيلان أسلم وهو متزوج بعشر نسوة، لكنه مع ذلك احتمل أن يكون تزوج بهن في وقت واحد، أو في أوقات متتابعة.

وحيث لم يستفصل منه النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن ذلك، وأمره بإمساك أربع منهن، كان تعميمًا للحكم في الحالتين. وهذا معنى القاعدة الثانية.

ويؤخذ من الحديث رد مذهب الحنفية، حيث قالوا في الكافر يسلم وعنده أكثر من أربع نسوة: إن كان تزوجهن في أوقات متتابعة، لزمه أن يختار الأربع الأول، لأن زواجهن صحيح ويفارقه البقية، لأن عقد الزواج عليهن كان باطلًا.

فوائد طاعة الله تعالى

طاعة الله سبحانه ولزوم تقواه، تؤول بالمسلم إلى الخلود في الجنة. كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [النساء: ١٣] وقد تكرر هذا في عدة آيات من القرآن الكريم نظرًا لأنَّه المقصود الأعظم، والمطلوب الأهم، لكنه لا يقتضي نفي فوائد أخرى تعود على المسلم في حياته الدنيوية، بالنفع العام له ولإخوانه المسلمين المتقين، أشار إليها القرآن العظيم في مواضع:

منها: تعليم العلم النافع، قال تعالى ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢] عطف جملة التعليم على جملة التقوى من عطف المسبب على السبب. فالتقوى سبب في الحصول على العلم، وهذا يشمل وجهين:

أحدهما: أن طالب العلم إذا اتقى الله، فتح الله له أبواب العلم، وسهل له ما صعب منه.

وإلى هذا أشار الإمام الشَّافعيُّ بقوله:

شكوتُ إلى وكيعٍ سُوءَ حِفْظِي ... فأرشدَني إلى تَرْكِ المعاصي
وأخبرني بأنَّ العِلْمَ نُورٌ ... ونورُ الله لا يُهدَى لعاصي

وليس هذا خاصًّا بالعلوم الدينيَّة، بل طالب العلوم الدنيوية -كالطِّبِّ والهندسة مثلًا- إذا لزم التقوى والطاعة، فتح الله له من هذه العلوم أبوابها، وسهل له أسبابها.

على أننا قدمنا أن تعلم العلوم الدنيوية، والصناعات النافعة، فرض كفاية. فينبغي لطالب شيء منها أن ينوي القيام بهذا الفرض، ليكون مثابًا في طلبه. قائمًا بالعبادة وهو مشتغل بعلمه أو صناعته.

ثانيهما: أن العالم الديني إذا عمل بعلمه، أعطاه الله علومًا وهبية، بطريقة الإلهام، ولذا قال الإمام مالك: «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم». وكثير من الناس يعتقدون هذا الكلام حديثًا نبويًا، وليس كذلك، لكنه صحيح المعنى، صدقته التجربة المتكررة. فلا يحصى عدد العلماء العاملين الذين ألهمهم الله علومًا وهبية، ومعارف ذوقية، وإشارات قدسية، ومواهب فتحية. ظهرت فيما تركوه من الآراء، والمؤلفات الكثيرة.

ومنها: إيجاد مخرج من الضيق والكرب، وإتيان الرزق من حيث لا يخطر على البال، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ - ٣] فالتقوى سبب تفريج ما يعرض للمتقي من ضيق وكرب، وسبب في تيسير أسباب الرزق له. بحيث لا يشعر كيف تتأتى أسبابه، وتنقاد له صعابه، بل قد يأتيه الرزق من غير أن يسعى إليه، أو يشد رحال العزم للحصول عليه.

ومنها: تيسير الأمور له في جميع شئون حياته، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤] فأمور المتقي ميسرة، ومصالحه مسهلة غير متعسرة.

ومنها: إصلاح حاله. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟

نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ وهؤلاء هم المتقون ﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ [محمد: ٢] أي حالهم، فصلاح حال المجتمع الإسلامي، متوقف على تقوى أفراده، كما أعادته الآية الكريمة.

ومنها: الاستخلاف والتمكين واستقرار الأمن بعد الخوف، قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من بني إسرائيل، بدلًا عن الجبارين: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ وهو الإسلام، بأن يظهره على الأديان ويوسع لهم في البلاد فيملكوها كما حصل للصَّحابة من الفتوحات العظيمة ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور: ٥٥] فالله تعالى يجزي المتقين في الدنيا بتعليمهم، وتفريج كربهم، وإيصال الرزق إليهم من حيث لا يحتسبون. وتيسير أمورهم، وإصلاح حالهم، واستخلافهم وتأمينهم بعد الخوف. وفي الآخرة بالخلود في الجنة وهو الفوز العظيم. فإن لم تكن التقوى واجبة على المسلم لصلاح دينه وآخرته فهي واجبة عليه لصلاح دنياه ومعيشته.

نكتة في قوله تعالى:

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾

قد يقع السؤال عن قول الله تعالى في (سورة يونس): ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يونس: ٤٢ – ٤٣].

فيقال: لم أسند فعل الاستماع إلى ضمير الجمع؟ وفعل النظر إلى ضمير المفرد؟

وجواب النحويين في مثل هذا أن يقولوا: روعي في الجمع معنى «من»، وفي الإفراد لفظها.

وهذا لا يكفي هنا، إذ يقال: ما الحكمة في مراعاة معنى من في الفعل الأول؟ ولفظها في الثاني؟

والجواب الكافي: أن الاستماع يحصل من المبصر والأعمى، ومع حجاب كجدار مثلًا، وبدونه. فجمع فعله بالنظر لحالاته المتعددة، بخلاف النظر. فإنه لا يحصل إلا في حالة واحدة، وهي أن يكون الناظر في مواجهة المنظور إليه. فلم يجمع فعله، نظرًا للحالة المذكورة، وهذا مما فتح الله به علي وألهمنيه، وله الحمد والمنة.

نكتة في قوله تعالى: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾

سئلت عن قوله تعالى في (سورة النحل): ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٢٦] لم قيل: من فوقهم؟ مع أن السقف لا يكون إلا من جهة الفوقة؟ وهل هذه العبارة لمجرد التأكد؟

والجواب: أنها ليست للتأكيد كما يتبادر إلى الوهم، لكنها جاءت لإفادة معنى لا يفهم إلا بذكرها. فلما قيل: من فوقهم، تبين أنهم هلكوا جميعًا تحته، ولم يستطع أحد منهم الإفلات. وهذا هو المقصود من الآية فإنها جاءت لبيان

إهلاك الله للكفار، وإفساد ما أبرموه من المكر برسله[(١)].

كتاب: "في الشعر الجاهلي"

ألَّف هذا الكتاب الدكتور طه حسين، وذكر فيه كفريات صريحة، منها: إنكار إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وزعمه أنهما شخصيتان وهميتان لا حقيقة لهما في التاريخ، وأن القرآن لا يكفي دليلًا على وجودهما، وقد رد عليه كثير من العلماء وحوكم إلى القضاء. وكانت محاكمته مهزلة، بسبب السياسة التي تدخلت في الموضوع.

وخرجت المسألة عن كونها غيرة دينية، وحمية إسلامية، إلى تنازع بين

---

(١) وقوله تعالى في السورة نفسها: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [النحل: ٥٠] المراد بالفوقية في هذه الآية -والله أعلم- الإشارة إلى قهره وعلوه؛ كما قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ١٨] فليست الفوقية حسية، ولكنها معنوية.

مثلها في قوله تعالى حكاية عن فرعون: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٢٧] وبالضرورة لم يكن فرعون وقومه فوق أكتاف بني إسرائيل ولا على رءوسهم، وإنما المعنى الذي يقصده فرعون بعبارته: أنه يتحكم في بني إسرائيل ويملكهم بسلطته وجبروته، بحيث يستخدمهم فيما يريد من غير معارضة. وهذا من الاستعمال الشائع في معظم لغات العالم، لا تكاد لغة تخلو منه. والسائل عن الآية. صديقنا الفاضل علي حسن خميس التونسي.

حزب الأحرار الذي كان يؤيد المؤلف ويعطف عليه، وبين حزب الوفد الذي كان يخاصمه ويحقد عليه.

والحقيقة أن هذا الكتاب الذي ارتدَّ به عن دين الإسلام، واستوجب غضب الله عليه ليس من تأليفه، وإنما هو نسخة من كتاب "كلمة في الإسلام" للمبشر الإنجليزي جرجس سال، وقد ترجمه إلى العربية شخص مجهول، يسمى: هاشم العربي. ورجَّح بعضهم أن مترجمه الحقيقيَّ هو الأديب ناصيف اليازجي المسيحي المعروف.

والعجيب أن طه حسين كتب بعد هذا، في مواضيع دينية، مثل على "هامش السيرة"، كأنه يتملق المسلمين أو يضحك على عقولهم!! ولكنَّ الله ليس بغافل عنه.

قد يقال: إنه تاب عما كان في ذلك الكتاب، وإن كان كذلك فلم لم يعلن توبته كما أعلن ردَّته؟! ولنسلم أنه تاب سرًّا بيَّنه وبين الله تعالى، فما باله قال في كتابه "في الصيف" وقد ألَّفه بعد الكتاب الأول بمدة: «يجب أن ينقد القرآن كأي كتاب أدبي»؟!!

وهل هذه الكلمة تصدر من مؤمن يعتقد أن القرآن كتاب الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؟

الحقيقة أن الأدباء الملحدين، وجدوا الكتابة الدينية تجارة رابحة درت عليهم أموالًا كثيرة وافرة، فلذلك أقبلوا عليها واتجهوا بكليتهم إليها. وحصلوا على ما طلبوا من المال ولم تخطر التوبة لهم على بال.

"الإسلام وأصول الحكم"

هذا اسم كتاب ألفه الشيخ علي عبد الرازق، الذي كان قاضيًا شرعيًا ثم وزيرًا للأوقاف، وقد أنكر فيه أن تكون الخلافة أو القضاء من الوظائف الدينية، وزعم أن الدين لا يعرفهما ولا ينكرهما، ولا أمر بهما ولا نهى عنهما.

وهذا خطأ كبير توصل إليه بمغالطة في الاستدلال وتحوير في النصوص، مع كونه خرقًا لإجماع العلماء. لكنه لا يستحقُّ تلك الضجة التي أثارها عليه الأزهريون، ووصموه بالإلحاد وألفوا لمحاكمته لجنة من هيئة كبار العلماء فحكموا بتجريده من شهادةِ العالميَّة، ومن لقب صاحب الفضيلة الذي يمنح لحاملها.

ولم تكن ضجتهم خالصة للعلم والدين، بل كانت مجاراة للملك فؤاد الذي كان يطمع أن يكون خليفة للمسلمين، وعمل مؤتمرًا للخلافة عقد بالقاهرة تحت إشراف شيخ الأزهر، فغضب من هذا الكتاب الذي اعتبره عقبة في طريقه، ولمَّا علم أن المرحوم محمد الخضر حسين التونسي رد عليه، أمر بأن يطبع الرد على نفقته الخاصة الملكية وبأن تعطى للشَّيخ شهادة العالمية الأزهريَّة.

والشيخ علي عبد الرازق أراد بكتابة المذكور إغضاب الملك فؤاد الذي جار على عائلته بشراء أرض زراعية مجاورة لأرضهم، كانوا هم أحقَّ بها.

ثم مات فؤاد، وتطور الزمان، ومنح فاروق للشيخ علي رتبة باشا، وعين وزيرًا للأوقاف. ودعا الشيخ المراغي الذي كان شيخًا للأزهر إلى اجتماع كبار العلماء، لرد شهادةِ العالمية إليه، ووافق معظم الأعضاء إلا الشيخ الدجوي،

فإنه عارض بشدة وكان مما قاله: نحن سحبنا الشَّهادة لأجل الكتاب الذي ألفه، فلا يجوز أن نردها إليه إلا بعد أن ينقض كتابه أو يعلن رجوعه عنه.

وألح عليه بعض الأعضاء ليوافق، منهم الشيخ الزنكلوني، لكنه أصر على موقفه فاقترح الشيخ اللبان إرجاء البت في الموضوع إلى اجتماع آخر، وانفض المجلس على هذا الاقتراح.

زواج المسلم بالكتابية

سئلت غير مرة عن الحكمة في إباحة زواج المسلم بالكتابية، وحرمة زواج المسلمة بالكتابي؟

والجواب: أن المسلمين يؤمنون بجميع الأنبياء الذين منهم موسى وعيسى ويؤمنون بكتب الله المنزلة كلها.

لكن الكتابيين وهم اليهود والنصارى لا يؤمنون بمحمد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ولا بكتابه، ويوجهون إلى شخصه الكريم وكتابه العظيم جملة من المطاعن تنبئ عن داء دفين وحقد كمين، والمنصفون منهم يعترفون بعظمته ولا يؤمنون بنبوته، فمن ثم جاز لنا أن ننكح نساءهم ولم يجز لهم أن يتزوجوا نساءنا. هذه حكمة.

وحكمة ثانية، وهي: أن الإسلام دين التسامح، لا يجيز إكراه أي شخص على اعتناقه وهو يعتمد في نشر دعوته، على الاقتناع بالحجة والبرهان. قال الله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن﴾ [البقرة: ٢٥٦]وعلى حين يتزوج المسلم بكتابية، ولا يفكر في إكراهها على مفارقة دينها بل يدعها حرة في عقيدتها. ولكن الكتابي إذا تزوج مسلمة يحاول إخراجها عن دينها بمختلف

الوسائل[١] ولو بالتهديد.

وقد تزوج فرنسيون بمسلمات جزائريات -أيام استعمارهم للجزائر- فأخرجوهن عن دينهن، بترغيب مشوب بترهيب.

وحكمة ثالثة، وهي: أن الكتابي لا يؤتمن على امرأته المسلمة، فهو يظلمها، ويهضمها حقَّها، لأنه يعتقد أن إذاية شخص على غير دينه، يتقرب بها إلى الله تعالى. لكن المسلم لا يظلم امرأته الكتابية، لأن دينه يأمره بالعدل، ويحرم عليه أن يظلم أحدًا؛ مسلما كان أو غيره.

وحكمة رابعة، وهي: أن الإسلام أعدل الأديان وأكملها، لصحة عقيدته في الله سبحانه. وإيجابه الإيمان بجميع الأنبياء، وباعتقاد عصمتهم من المعاصي والذنوب. وسائر الأديان سواه ناقصة، لفساد اعتقادها في الله بنسبته إلى التثليث أو الإثنينية، أو نسبة الولد إليه، أو تشبيهه بخلقه، تعالى عن ذلك علوا كبيرا. يتبع ذلك فساد اعتقادها في الأنبياء، بنسبة المعاصي إلى بعضهم، أو إنكار نبوة بعضهم الآخر. فلو تزوج كتابي بمسلمة، لزم أن يستعلي ناقص الدين على كاملته، ويتحكم فيها وفي عواطفها. والله لا يرضى لكامل الدين أن يستكين لناقصه، ويستسلم له.

ولهذا حرم على المسلمين أن يستكينوا للمستعمر، ويستذلوا له. وأوجب

---

(١) والشواهد على ذلك كثيرة، أقربها: أن نظلة أم الملك فاروق، تزوجها طبيب أمريكي، فأخرجها عن دينها، فهي الآن نصرانية. وبنتها فتحية، تزوجها قبطي مصري، بدعوى أنه أسلم. ثم تبين عدم إسلامه، فحملها على أن تنصرت معه، وأخذ مالها وفارقها.

عليهم جهاده، ومقاومته باللسان والمال والسلاح،. ووعد من استشهد منهم في هذا الميدان بالجنَّة والرَّضوان، ومن عاش بالعزة والغلبة، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين.

وإذا ولدت الكتابية من زوجها المسلم، فالأولاد مسلمون تبعًا لأبيهم حسب القاعدة الشرعية، سواء أكانوا ذكورًا أم إناثًا. ولا يجوز أن تتبع البنت أمها في دينها، والمسلم الذي يرضى بذلك، يكون خارجًا عن دينه مرتدًا، لأنه رضي لبنته أن تعتنق دينًا غير دينه، أما زواج المسلمة بالكتابي -لو وقع- فلا ينعقد ولا يصح، وتكون معاشرتها زنا، والأولاد الذين يأتون من تلك المعاشرة، أولاد زنا، هذا حكم الإسلام، وتلك حكمة.

أشد آية في القرآن

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٠ - ١٣١] قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى: هذه الآية أخوف آية في القرآن، حيث أوعد الله المؤمنين بالنَّار المعدة للكافرين إن لم يتقوه في اجتناب محارمه.

قلت: فالعجب من بعض العلماء الذين يتحايلون لإباحة صور من الربا، بعد سماعهم للآية الكريمة.

وفي (سورة الزمر) آية مثل هذه في الشدة، إن لم تكن أشد منها، وهي قوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ ﴾ [الزمر: ٤٧].

قال الزمخشري: « وبَدا لهم مِن الله وعيد لهم -للذين ظلموا- لكنه

لفظاعته وشدته، وهو نظير قوله تعالىٰ في الوعد: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم ﴾ [السجدة: ١٧].

وجزع محمد بن المنكدر عند موته، فقيل له. فقال: وهذه والله قاصمة الظهر، نسأل الله العفو والعافية.

وآية ثالثة مثل سابقتها، وهي قوله تعالىٰ: ﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ [المائدة: ٦٢ – ٦٣].

عبر في المسارعين إلىٰ الإثم وأكل السحت بجملة: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ وعبر في التاركين لنهيهم بجملة: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾.

قال الزمخشري: «كأنهم جعلوا آثم من مرتكبي المناكير لأن كل عامل لا يسمىٰ صانعًا، ولا كل عمل يسمىٰ صناعة، حتىٰ يتمكن فيه، ويتدرب وينسب إليه. وكأن المعنىٰ في ذلك: أن مُواقع المعصية، معه الشهوة التي تدعوه إليها. وأما الذي ينهاه، فلا شهوة له في فعل غيره. فإذا فرط في الإنكار، كان أشد حالًا من المواقع: ولعمري أن هذه الآية مما يقد المسامع، وينص علىٰ العلماء توانيهم.

وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنه: هي أشد آية في القرآن. وعن الضحاك: ما في القرآن آية أخوف عندي منها.»

وتوضيح ذلك أنه حيث ذم ترك الإنكار علىٰ مرتكبي المناكير، معبرًا عنه بالصناعة، كان هذا الذم أشد من سابقه لأنه جعل ما ذموا به صناعة لهم،

وحرمة لازمة، وهم فيها أمكن من أصحاب المناكير في أعمالهم. وهذا وجه الأشدية التي أشار إليها ابن عبَّاسٍ ب، والأخوفية التي ذكرها الضحاك.

وفي (سورة التوبة): آية شديدة أيضًا، وهي قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ﴾ [التوبة: ٢٤].

قال الحسن: «أمره» عقوبة عاجلة أو آجلة.

قال الزمخشري: «وهذه آية شديدة، لا ترى أشد منها: كأنها تنعى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين، واضطراب حبل اليقين. فلينصف أروع الناس وأتقاهم من نفسه: هل يجده عنده من التصلب في ذات الله، والثبات على دين الله. ما يستحب له دينه على الآباء والأبناء والإخوان والعشائر والمال والمساكن وجميع حظوظ الدنيا؟ ويتجرد منها لأجله؟ أم يزوي الله عنه أحقر شيء منها لمصلحته، فلا يدري أي طرفيه أطول؟ ويغويه الشيطان عن أجل حظ من حظوظ الدين، فلا يبالي كأنما وقع على أنفه ذباب فطيره؟!

من لطائف اللغة

كلمة: «قد» إذا دخلت على الفعل المضارع، كانت في بعض الأحيان بمعنى ربما. فوافقتها في خروجها إلى معنى التكثير، في نحو قوله:

فإن تُمْسِ مَهْجُورَ الفِناءِ فرُبَّما ... أقامَ به بعدَ الوفُودِ وفُودُ

أي فكثيرًا أقام بالفناء وفود بعد وفود. مثال إفادة قد للتكثير قوله تعالى:

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ١٤٤].

قال الزمخشري: «قد نرىٰ: ربما نرىٰ. ومعناه: كثرة الرؤية. كقوله: قد أترك القِرن مصفرًّا أنامله. أي كثيرًا أترك القِرن مصفر الأنامل، كناية عن قتله. والقِرن -بكسر القاف- كفؤك في الشجاعة».

قال ابن المنير تعليقًا علىٰ قول الزمخشري: هذا من المواضع التي تبالغ العرب فيها بالتعبير عن المعنىٰ بضد عبارته ومنه: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴾ [الحجر: ٢] والمراد: كثرة مودتهم للإسلام يوم القيامة عند معاينة جزائه وثوابه.

وقوله تعالىٰ: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٣].

قال الزمخشري: «قد» بمعنىٰ ربما الذي يجيء لزيادة الفعل وكثرته، كقوله:

أخـي ثِقَـةٍ لا تُهْلِـكُ الخَمْـرُ مَالَـهُ ... ولكنَّـهُ قَـدْ يُهْلِـكُ المـالَ نائِلُـهُ

أي: ولكنه كثيرًا يهلك المال نائله: أي عطاؤه.

قال ابن المنير: ومثل هذه الآية: قوله تعالىٰ: ﴿وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ﴾ [الصف: ٥] فإنه يكثر علمهم برسالته. ويؤكده ظهور آياته، حتىٰ يقيم عليهم الحجة في جمعهم بين متناقضية أذيته؛ ورسوخ علمهم برسالته. والغرض التعبير عن المعنىٰ بما يشعر بعكسه تنبيها علىٰ أنه بلغ الغاية التي ما بعدها إلَّا الرجوع إلىٰ الضد، وذلك من لطائف لغة العرب وغرائبها.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣] و﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾ [النور: ٦٣] ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ [النور: ٦٤].

﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ﴾ [الأحزاب: ١٨] فكلمة قد في هذه الآيات تفيد التكثير وتأكيد العلم، عكس ما هو معروفٌ من إفادتها التقليل إذا دخلت على الفعل المضارع.

والنُّكتة في ذلك، هي التعبير عن المعنى بما يشعر بعكسه، كما مر في كلام ابن المنير.

أما قوله تعالى: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢] فقيل: ربما فيه للتكثير كما مر. واختلف في توجيهه.

وقيل: للتقليل، لأن أهوال يوم القيامة تدهشهم، فيبقون مبهوتين، فإن أفاقوا من سكرتهم في بعض الأحيان، تمنوا لو كانوا مسلمين. راجع تفسير "الكشاف" وما كتب عليه.

نكتة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ﴾

قال الله تعالى: ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾ [الإنسان: ٢٨] ربطنا عظامهم موصلين بعضها ببعض، ووثقنا مفاصلهم بالأعصاب ﴿وَإِذَا شِئْنَا﴾ أهلكناهم و﴿بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ﴾ [الإنسان: ٢٨] في شدة الأسر، يعني النشأة الأخرى.

وقال الزمخشري: وقيل: ومعناه: بدلنا غيرهم ممن يطيع. وحقُّه: أن يجيء بإن لا بإذا. كقوله: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨]. ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ [النساء: ١٣٣].

قلت: هذه زلة لا تليق منه، وحقُّه إذ لم يهتد للنكتة في إيثار التعبير بـ«إذا» أن يكل أمرها إلى الله الذي يفتح بها على من يشاء من عباده، كما فتح عليه في تفسيره بدقائق لم يسبق إلى كثير منها.

وإذا جاءت هنا لتحقيقِ القدرة، كما قال البيضاوي. يعني: لما كان تبديل غيرهم متحقِّقًا في القدرة، ميسورًا لها أتى بإذا، بيانا لذلك. ألا ترى إلى قوله: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٩] كيف أتبعه بقوله تعالى: ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [إبراهيم: ٢٠][1]. ليبين به تحقق القدرة وأن الإتيان بخلق جديد، سهل ميسور. فكلمة إذا أفادت ما أفادته هذه الجملة.

لا غيبة لكافر

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا﴾ [الحجرات: ١٢] الخطاب موجه للمؤمنين، بدليل صدر الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢] يؤخذ منه أن الكافر لا تحرم غيبته.

---

(١) وكذلك قوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾ أتبعه بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٣٣].

وعلى هذا المنوال جاءت الأحاديث، فقوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم للصَّحابة: «**أتدرون ما الغِيبة؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**الغِيبة ذِكْرُكَ أخاكَ بما يَكْرَه..**» الحديث، رواه مسلم. يريد بقوله: «**أخاك**»: المؤمن.

وفي الصَّحيحين، في حديث حجَّة الوداع: أن النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال في خطبته يوم النحر: «**إنَّ دماءَكم وأموالكم وأعراضكم حرامٌ عليكم كحُرْمَةِ يومِكم هذا في بلدِكم هذا**». وفي "صحيح مسلم": قوله عليه الصَّلاة والسَّلام: «**كلُّ المسلمِ على المسلمِ حرامٌ دَمُهُ ومَالُهُ وعِرْضُهُ**».

وفي "سنن ابن ماجه" بإسناد حسن: أن النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، نظر إلى الكعبة فقال يخاطبها: «**ما أعظم حُرْمَتكِ؛ ولَلْمِؤمِنُ أعظمُ حُرْمَةً مِنك، حَرَّمَ اللهُ دَمَهُ ومَالَهُ وعِرْضَهُ، وأن يُظَنَّ به ظَنُّ السوء**».

فقد تضافرت نصوص الكتاب والسنة على تحريم غيبة المؤمن، لأن إيمانه يحمي عرضه كما يحمي دمه وماله، بخلاف الكافر، فإنما يحميه العهد، أو الأمان، أو الذمة، أي أن أحد هذه الثلاثة، يحمي دمه وماله، أما اغتيابه فلا حرمة فيه، والله أعلم.

معنى البر والإحسان

سألني الأستاذ أبو الخير نجيب عن تحديد معنى كلمة البر تحديدًا لغويًّا دقيقًا؟ وما الفارق بينها وبين كلمة الإحسان؟ وهل هما متساويتان؟

فأجبت: أما كلمة البر، فمعناها بالتحديد هو الارتفاق والانتفاع، ومن هنا أطلقت على ما هو خير. لأن الخير يرتفق به فاعله وينتفع.

فمعنى بر الولد بوالديه: أن يقدم لهما من الطاعة وحسن الانقياد لمطالبهما وخفض الجناح لهما، ما ارتفقا به وانتفعا.

ومعنى البر بالمسكين أو اليتيم: نفعه بما يعطي من طعام أو ثياب، أو بما يناله من حنان وعطف.

وقولهم: فلان بار، معناه: نافع لنفسه بطاعة الله تعالى، ونافع للخلق بالمعاملة الحسنة.

وقوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [البقرة: ١٧٧] الآية.

ينفي ما تمسك به اليهود من خيرية استقبال بيت المقدس، حين حولت القبلة منه إلى الكعبة. لأنه بعد نسخه لم يبق فيه بر. ولكن البر الذي يجب التمسك به: ما كان نافعًا لفاعله وهو الإيمان بالله والملائكة والكتاب والنَّبيينَ واليوم الآخر وإقامة الصلاة والصبر في البأساء والضَّراء والوفاء بالعهد، أو نافعًا لغيره وهو إيتاء المال لمن ذكروا في الآية.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾ [البقرة: ١٨٩] يفيد نفي البر عمَّا كان يفعله العرب قبل الإسلام؛ كانوا إذا أحرموا بحج أو عمرة، يرون من تمام إحرامهم ألا يدخلوا بيوتهم من أبوابها، بل من ظهورها بأن ينقبوها. فأخبر الله تعالى أنه ليس من البر، لأنه لا نفع لهم فيه. ولكن البر الذي ينفعهم هو بر من اتقى، لأن التقوى سبب

السعادة، ويقول الناس: بر نفسك: أي انفعها. وهذا الغذاء لا بر فيه: أي لا ينتفع به الجسم.

وأما الإحسان، فمعناه بالتحديد الإتقان، يقال: أحسن فلان بناء بيته إذا أتقنه. وقوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء**» معناه: أن الله كتب الإتقان على المكلفين في كل شيء من أعمالهم، ولهذا ثبت في الحديث الآخر: «**إن الله يحب أحدكم إذا عمل عملًا أن يتقنه**» وقوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

يفيد أمر المؤمنين بالجهاد في سبيل الله ونهيهم عن الإخلال به لأن فيه هلاكهم باستيلاء العدو على بلادهم، وأمرهم بإتقان الجهاد وذلك بأن يخلصوا النية فيه لله تعالى، ويعدوا العدة له بالسلاح، وبالقيادة الرشيدة واتفاق الكلمة.

غير أن لفظة الإحسان، وإن كان معناها الإتقان، فإنها تفيد نهايته وغايته. ومن هنا كان قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

يقتضي فضل الإحسان على المجاهدة، وزيادته عليها لأنه بعد أن وعد المجاهدين فيه بهدايتهم سبله، أخبر بمعيته للمحسنين. وهي تدل على شرف لم ينالوه إلا ببلوغهم نهاية الإتقان للمجاهدة في ذاته، والإخلاص له. ولهذا كان مقام الإحسان أعلى مقامات الدين الثلاثة، وهي: الإسلام، وهو الانقياد الظاهري، والإيمان، وهو التصديق وما يتبعه من أعمال الباطن، وهو أعلى من

سابقه. والإحسان الذي هو عبادة الله على المراقبة، أو المشاهدة. وهما يقتضيان نهاية إتقان العبادة، فمن ثم كان الإحسان أرقى مقامات الدين.

المبشرون بالجنة

بشر النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم جماعة الصَّحابة رجالًا ونساءً بأنهم من أهل الجنَّة. وقد عنَّ لي أن أذكر أسماءهم في هذا المكان، قاصدًا استيعابهم ما أمكنني الجهد، غير متقيد بصحة الحديث. بل أذكر كل من وردت بشارته ولو في حديث ضعيف.

ولم أذكر شخصين ذكرا في المبشرين بالجنَّة، لأني جازم بأن الحديث الوارد فيهما موضوع وهما أبو سفيان صخر بن حرب، وابنه معاوية[1].

فإن النَّواصب أعداء علي وأهل البيت عليهم السلام، لما لم يجدوا ما يعيبون

---

(١) أما أبو سفيان فذكروا أنه حضر غزوة الطائف، وأن أهلها تحصنوا داخل حصن هناك: ورموا المسلمين بالنبل فأصيب أبو سفيان في عينه. فذهب إلى النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إن شئت دعوت فردت عينك وإن شئت فعين في الجنة**». قال: فالجنة، وهذا كذب محض. وأبو سفيان لم يحضر غزوة، ولم تصب عينه قط.

وأما ابنه معاوية فذكروا في فضله حديث السفرجلات الثلاث المكذوب على مالك، وذكروا أيضًا أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال له: «**يا معاوية أنت مني وأنا منك لتزاحمني على باب الجنة كهاتين**» وأشار بأصبعيه الوسطى والتي تليها. وهذا كذب مكشوف. وحديث السفرجلات ذكره أمين الخولي في كتابه الذي ألفه عن الإمام مالك، معتقدًا أنه حديث صحيح. وهي سقطة شنيعة منه، فالحديث منبه على كذبه في كتب الموضوعات.

به عليًّا وأهل بيته، عمدوا إلى محاربه وعدوه، فوضعوا فيه أحاديث تدل على فضله وفضل أبيه وأهل بيته. لكنهم لم يحسنوا الوضع فافتضحوا وكشف جهابذة الحديث كذبهم على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم . وسيتبوءون مقعدًا في جهنم، كما ثبت في الحديث المتواتر لفظه ومعناه.

وهذه أسماء المبشرين بالجنة جعلنا الله من أهلها:

العشرة: قال النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أبو بكر في الجنَّة وعمر في الجنَّة وعثمان في الجنَّة وعلي في الجنَّة وطلحة في الجنَّة والزبير في الجنَّة وعبد الرحمن بن عوف في الجنَّة وسعد ابن أبي وقاص في الجنَّة**». رواه أحمد والضياء المقدسي عن سعيد بن زيد، ورواه التِّرمذيُّ عن عبد الرحمن ابن عوف.

فاطمة عليها السلام: قال النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**الحسن والحسين سيدًا شباب أهل الجنَّة إلا ابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا وفاطمة سيدة نساء أهل الجنَّة إلا ما كان من مريم**[1] **بنت عمران**». رواه أحمد وأبو يعلى وابن حِبَّان والطبراني والحاكم، وله طرق.

خديجة رضي الله عنها: ثبت في الحديث الصَّحيح أن جبريل عليه السلام[2] بلغها السلام من الله، وبشرها ببيت في الجنَّة من قصب لا صخب فيه ولا نصب.

بلال رضي الله عنه: في الصَّحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال

---

(١) أي فهي تساويها لأنها أم نبي، وفاطمة بنت نبي، وكلتاهما صدِّيقتان، بتشديد الدال.

(٢) بلغها ذلك بواسطة النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام فإني سمعت دف نعليك في الجنَّة أمامي**» الحديث، وهو في فضل صلاة ركعتين بعد الوضوء.

ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه: في الصَّحيحين عن أنس، لما نزل قوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ [الحجرات: ٢] الآية. اعتزل في بيته، فتفقده النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فأخبر بشأنه. فدعاه فسأله؟ فقال: يا رسول الله لقد نزلت هذه الآية وأنا رجل جهير الصوت، فأخاف أن يكون حبط عملي، فقال له رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنك تعيش بخير وتموت بخير وإنك من أهل الجنَّة**». زاد أحمد والطبراني، فقال أنس: فكنا نراه يمشي بين أظهرنا، ونحن نعلم أنه من أهل الجنَّة. قلت: ومات شهيدًا في حرب الردة، علىٰ عهد أبي بكر رضي الله عنه.

عمار بن ياسر وأبوه وأمه سمية: ثبت في كتب السيرة أن النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان يمر بهم وهم يعذبون بمكة علىٰ الإسلام، فيقول لهم: «**صبرًا آل ياسر فإن موعدكم الجنَّة**».

وثبت في الحديث الصَّحيح عن النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنَّة ويدعونه إلى النَّار**».

وقتل يوم وقعة صفين وكان في جيش علي عليه السلام.

عبد الله بن سلام رضي الله عنه: في الصَّحيحين عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: ما سمعت النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول لأحد

يمشي على الأرض أنه من أهل الجنَّة إلا لعبد الله ابن سلام.

عكاشة بن محصن رضي الله عنه: في الصَّحيحين عن ابن عبَّاسٍ، في حديث السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنَّة بغير حساب. فقال عكاشة: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: «**أنت منهم**» فقام آخر، فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: «**سبقك بها عكاشة**».

أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب: جاء في كتب السيرة عنه قال: لما لقينا العدو بحنين، اقتحمت عن فرس، وبيدي السيف مصلتا. والله يعلم أني أريد الموت دونه -يعني النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم - وهو ينظر إلي، فقال له العباس: يا رسول الله، أخوك وابن عمك أبو سفيان، فارض عنه. فقال: «**غفر الله له كل عداوة عادانيها**» ثم التفت إلي وقال: «**يا أخي**» فقبلت رجله في الركاب.

وقال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في حقِّه: «**أبو سفيان بن الحارث من شبان أهل الجنَّة أو من فتيان أهل الجنَّة**».

وأبو سفيان هذا كان ابن عم النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وأخاه في الرضاعة.

عكرمة بن أبي جهل: جاء في "بهجة المجالس" للحافظ ابن عبد البر: أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رأى في منامه أنه دخل الجنَّة، ورأى فيها عذقا فأعجبه، وقال: «**لمن هذا؟**» فقيل لأبي جهل. فشق ذلك عليه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وقال: «**لا يدخلها إلا نفس مؤمنة**» فلما جاءه عكرمة مسلمًا، فرح به

وأول ذلك العذق لعكرمة. وكان عكرمة قبل إسلامه بارز رجلًا من المسلمين فقتله، فضحك النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم . فقال له بعض الأنصار: ما أضحكك يا رسول الله وقد فجعنا بصاحبنا؟ فقال: «**أضحكني أنهما في درجة واحدة في الجنَّة**».

قلت: أسلم عكرمة عام الفتح وحسن إسلامه، ثم استشهد في وقعة اليرموك، رضي الله عنه.

عتاب ابن أسيد: في تاريخ مكة للأزرقي: أن النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لقد رأيت أسيدًا في الجنَّة وأنى يدخل أسيد الجنَّة؟**»، فعرض له عتاب بن أسيد. فقال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**هذا الذي**[1] **رأيت، أدعوه لي**» فدعي له، فدعى له، فاستعمله يومئذ على مكة.

قال سبط ابن الجوزي: استعمل النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عتاب بن أسيد على أهل مكة، لما خرج إلى حنين، وعمره ثماني عشرة سنة.

أم أنس رضي الله عنه: جاء في "السيرة الحلبية" عن أنس ابن مالك قال: قال النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**دخلتُ الجنَّة فسمعتُ خشخشةً فقلت: مَن هذا؟ فقالوا: هذه العُميصاء بنت مِلْحان أمُّ أنسٍ بن مالك**».

عبد الله بن أنيس: جاء في كتب السيرة أن النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعثه لقتل سفيان بن خالد الهذلي اللحياني الذي جمع الجموع لحرب رسول الله

---

(١) أي هذا تأويل الذي رأيت، لأن أسيدًا كان مشركًا، وابنه عتاب مسلم، والله تعالى أعلم.

صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فذهب إليه وقتله وجاء برأسه حتى وضعه بين يدي رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فدفع له عصا. وقال: «**تخصر بهذه في الجنَّة، فإن المتخصرين في الجنَّة قليل**» وكان يقال له: ذو المخصرة بكسر الميم، كما في القاموس.

دحية الكلبي رضي الله عنه: لما أراد النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أن يبعث كتابًا إلى هرقل، يدعوه إلى الإسلام. قال: «**من ينطلق بكتابي هذا فيسير إلى هرقل وله الجنَّة**» فقال دحية: أنا يا رسول الله، فدفعه إليه.

أنس ابن مالك رضي الله عنه: جاء في كتاب السيرة عنه، قال: دخل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم علينا، وما هو إلا أنا وأم حرام خالتي. فقالت أمي: يا رسول الله خويدمك أنس، ادع الله له. فدعا لي بكل خير، وكان في آخر ما دعا: «**اللَّهمَّ أكثر ماله وولده وبارك له فيه وأطل عمره واجعله رفيقي في الجنَّة**» فكان أنس يقول بعد أن طال عمره وكثر ماله وولده: وأنا أرجو هذه، يعني مرافقته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في الجنَّة.

زيد بن صوحان: روى ابن عدي والبيهقي: أن النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال في زيد بن صوحان العبدي: «**يسبقه عضوٌ من أعضائه إلى الجنَّة**». فقطعت يده في الجهاد.

مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: جاء في "سنن سعيد بن منصور" وكتب السيرة أن النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لما جرح في وجهه يوم أحد، مص مالك بن سنان جرحه حتى أنقاه، ولاح بعد المص أبيض، فقال: «**مجه**» فقال: لا والله لا أمجه أبدًا، ثم ازدرده. فقال النَّبيُّ صلَّى الله عليه

وآله وسلَّم: «**من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنَّة فلينظر إلى هذا**» فاستشهد يومئذ بأحدٍ، رضي الله عنه.

عبد الله بن الزبير: روىٰ الشعبي، قال: هاج الدم برسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فحجمه أبو طيبة، فقال: «**اشكموه**» فأعطوه دينارًا، وقال لابن الزبير «**واره**» يعني الدم. فتوارىٰ ابن الزبير، فشربه. فبلغ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فعله. فقال: «**أما إنه لا تصيبه أو لا تمسه النَّار**».

صفية بنت عبد المطلب: روىٰ التِّرمذيُّ وغيره أن صفية أم الزبير بن العوام، قالت يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنَّة فقال لها مداعبًا: «**يا أم فلان، إن الجنَّة لا يدخلها عجوز**» فجزعت. فقال لها: «**إنك تعودين إلى صورة الشباب في الجنَّة إن الله تعالى يقول**: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝٣٥ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا﴾ [الواقعة: ٣٥ – ٣٦]».

حفصة أم المؤمنين: روىٰ ابن سعد عن قيس بن زيد: أن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم طلق حفصة. فقال: «**أتاني جبريل فقال لي: راجع حفصة فإنها صوامة قوامة وهي زوجك في الجنَّة**». ورواه الحاكم من حديث أنس نحوه، والبزار والطبراني من حديث عمار.

عمير بن الحمام رضي الله عنه: في "صحيح مسلم" عن أنس في حديث غزوة بدر: أن النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض**». قال عمر بن الحمام. يا رسول الله، جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: «**نعم**» قال: بخ بخ. قال النبي صلَّىٰ الله عليه وآله

وسلَّم: «**ما يحملك على قول بخ بخ؟**» قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها قال: «**فإنك من أهلها**» وذكر الحديث وفي آخره: أنه استشهد في ذلك اليوم.

أنس بن أبي مرثد الغنوي رضي الله عنه: روى أبو داود والنَّسائيُّ عن سهل بن الحنظلية: أنهم ساروا مع النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يوم حنين، فأطنبوا السير حتى كان عشية، فحضرتْ صلاة الظهر مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فجاء فارس فقال: يا رسول الله، إني انطلقت بين أيديكم حتى طلعت على جبل كذا وكذا. فإذا أنا بهوازن على بكرة أبيهم بظعنهم ونعمهم ونسائهم اجتمعوا إلى حنين. فتبسم رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وقال: «**تلك غنيمة المسلمين غدًا إن شاء الله تعالى**» ثم قال: «**من يحرسنا الليلة؟**» قال أنس بن أبي مرثد الغنوي: أنا يا رسول الله قال: «**اركب**» فركب فرسًا له، وجاء إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم . فقال له: «**استقبل هذا الشعب حتى تكون في أعلاه ولا نغرن من قبلك الليلة**». فلما أصبحنا خرج رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى مصلَّاه، فركع ركعتين. ثم قال: «**هل أحسستم فارسكم؟**» قالوا يا رسول الله ما أحسسناه فثوب بالصلاة، فجعل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يصلي وهو يلتفت إلى الشعب. حتى إذا قضى صلاته وسلم. قال: «**أبشروا فقد جاء فارسكم**» فجعلنا ننظر إلى خلال الشَّجر في الشعب، فإذا هو قد جاء حتى وقفَ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم . فقال: إني انطلقت حتى كنت في أعلى هذا الشعب، حيث أمرني رسول

الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم . فلما أصبحت، اطلعت الشغبين، فنظرت فلم أر أحدًا. فقال له رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**هل نزلت اللَّيلة؟**» قال: لا، إلا مصليًّا أو قاضي حاجة. فقال «**أوجبت**». معناه، أوجبت الجنَّة لنفسك بحراستك لجيش المسلمينَ.

سعد بن مالك الأنصاري رضي الله عنه: ثبت في الحديث الصَّحيح عن أنس وعبد الله بن عمر: أنهم كانوا جلوسًا عند رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال لهم: «**يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنَّة**» فطلع سعد بن مالك تنطف لحيته من وضوئه قد علق نعليه بيده الشمال. ثم قال لهم في اليوم الثاني واليوم الثالث: «**يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنَّة**». فطلع سعد أيضًا في المرتين. فتَبِعَه عبد الله بن عمرو بن العاص، وبات عنده ثلاث ليال فم ير عنده كبير عمل. فذكر له الحديث، وسأله عما بلغ به تلك المنزلة؟ فقال له سعد: لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشًّا ولا أحسد أحدًا على خير أعطاه الله إياه. فقال عبد الله: هذه التي بلغت بك، وهي التي لا نطيق.

سعد بن معاذ رضي الله عنه: لما ذهب خالد بن الوليد إلى دومة الجندل، وأسر رئيسها أكيدر بن عبد الملك، وكان عليه قباء من ديباج مخوص -فيه مثل خوص النخل- منسوج بالذهب. فأخذه خالد منه، وبعث به إلى النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فتعجب الصَّحابة منه. فقال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لهم: «**لمناديل سعد بن معاذ في الجنَّة أحسن منها**».

أبو الدحداح رضي الله عنه: في "صحيح مسلم" عن جابر بن سمرة

رضي الله عنه عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، قال: «**كم من عذق معلق لأبي الدحداح في الجنَّة**».

غلام حجام: روى ابن حِبَّان ابن عبَّاسٍ. قال: حجم النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم غلامٌ لبعض قريش. فلما فرغ من حجامته، أخذ الدم، فذهب به من وراء الحائط، فنظر يمينا وشمالًا فلم ير أحدًا، فحساه: أي شربه حتى فرغ. ثم أقبل، فنظر صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في وجهه. فقال: «**ويحك ما صنعت به**». فقال: غيبته في بطني. فقال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**اذهب فقد أحرزت نفسك من النَّار**».

أعرابي نجدي: عن ابن عمر: أن النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مر بخباء أعرابي وهو في أصحابه، يريدون الغزو. فقال الأعرابي: من القوم؟ فقيل: رسول الله وأصحابه يريدون الغزو. فعمد إلى بكر له فاعتقله وسار معهم، فجعل يدنو ببكره إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم و جعل أصحابه يذودون بكره عنه، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**دعوا لي النَّجدي فوالذي نفسي بيده إنه لمن ملوك الجنَّة**». قال فلقوا العدو فاستشهد، وذكر الحديث. رواه البيهقي.

رجل: في "سنن التِّرمذيّ" عن عائشة: أن النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعث رجلًا على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ«قل هو الله أحد». فلما رجعوا أتاهم النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، أخبروه الخبر، فقال: «**يا فلان ما يحملك على لزوم هذه السُّورة في كل ركعةٍ؟**» قال: إني أحبها.

فقال: «**حبك إياها أدخلك الجنَّة**».

رجل آخر: في "الموطأ" عن أبي هريرةَ. قال: كنت مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، مارًّا ببعض طرق المدينة. فسمع رجلًا يقرأ قل هو الله أحد. فقال: «**وَجَبَتْ**» فقلت: يا رسول الله ما وجبت؟ قال: «**الجنَّة**».

فتى: روى الحاكم عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنه، قال: لما أنزل الله عزَّ وجلَّ على نبيه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦].

تلاها رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ذات يوم على أصحابه فخر فتى مغشيًا عليه فوضع النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يده على فؤاده، فإذا هو يتحرك. فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يا فتى، قل: لا إله إلا الله**» فقالها: فبشره بالجنَّة. فقال أصحابه: أمن بيننا يا رسول الله؟ فقال: أو ما سمعتم قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٤].

امرأة سوداء: في الصَّحيحين عن عطاء بن أبي رباح. قال: قال لي ابن عبَّاسٍ: ألا أريك امرأة من أهل الجنَّة؟ فقلت: بلى. قال هذه المرأة السَّوداء. أتت النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم . فقالت: يا رسول إني أصرع وإني أتكشف. فادع الله لي. قال: «**إن شئت صبرت ولك الجنَّة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك**» فقالت: أصبر. فقالت: إني أتكشَّف، فادع الله لي ألا أتكشف، فدعا لها.

مسكينة أم بنتين: عن عائشة رضي الله عنها: قالت جاءتني مسكينة تحمل بنتين لها، فأطعمتها ثلاث تمرات. فأعطت كل واحدة منهما تمرة، ورفعت إلى

فمها تمرة لتأكلها. فاستطعمتها ابنتاها، فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما. فأعجبني شأنها، فذكرت الذي صنعت لرسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فقال: «**إنَّ الله قد أوجب لها بهما الجنَّة**» أو «**أعتقها بهما من النَّار**».

نسأل الله أن يعتقنا من النَّار، ببركة نبينا المختار، صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وعلىٰ آله الأبرار.

هذا آخر الخواطر الدينية أو القطوف الدَّانية.

ونستغفر الله مما حصل لنا فيها من خطأ وسهو، فإننا اعتمدنا في كتابتها علىٰ مجرد الذاكرة، ولم يتيسر لنا الاطلاع علىٰ شيء من المراجع إلا مراجع قليلة لا يكاد عددها يتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة.

والله المسئول أن يعمَّنا بعفوه وعافيته وغفرانه، إنه قريب مجيب.

٢- خَوَاطِر دينيَّة

الجزء الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الشورى: ٤٢ - ٤٣]

صدق الله العظيم.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢ - ٧٣] صدق الله العظيم.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله المنعم الوهَّاب الرحيم التوَّاب، فاتح الأبواب لمن التجأ إليه وأناب، وأحمده وأشهد أن لا إله إلا هو شهادة عبدٍ مخلصٍ أوَّاب، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله سيد المقرَّبين الأحباب، صلَّى الله عليه وآله وسلَّم صلاة وسلامًا دائمين متلازمين إلى يوم المئاب، والرضا عن آله الأكرمين، وسائر الأصحاب.

أما بعد: فهذا هو الجزء الثاني من «خواطر دينية» وهو على نمط سابقه في اشتماله على بحوث وفوائد وأحكام، في مسائل مختلفة، بعضها مبتكر جديد، لم أسبق -بفضل الله- إليه. وأوردت فيه محاضرتين قيِّمتين، ألقاهما أخي العلامة المحقق السيد حسن حفظه الله، وأدام توفيقه.

إحداهما: عن المرأة في الإسلام، بيَّن فيها كذب المستشرقين والمبشرين وأذنابهم، الذين يزعمون أن الإسلام بخس المرأة حقها وعزلها عن شئون الحياة عزلًا تامًّا.

والأخرى: عن الزوايا الصوفية، وأثرها في نشر الإسلام، وبث تعاليمه في القارة الأفريقية. وما قام به رجالها من محاربة المستعمرين والمبشرين، بالسيف والقلم، وبالجهاد والجدال، حتى اعترف لهم بذلك أعداء الدين أنفسهم، وصرحوا أن لا أمل لهم في نشر المسيحية، ما دامت الزوايا قائمة.

والمحاضرتان تنبئان عن اطلاعه، وجودة نظره، ودقة استنباطه، زاده الله علمًا وتوفيقًا وتحقيقًا.

كذلك أدرجت فيه بحثًا نفيسًا لصديقنا الدكتور عز الدين عبد القادر- بارك الله في عمره- بيَّن فيه بالأدلة الواضحة: أن الإسكندر الأكبر، ليس هو ذا القرنين المذكور في القرآن؛ خلافًا لما يعتقده كثير من الناس، بل هو غيره. وذكر اسمه، وحدد موضع السد الذي بناه تحديدًا علميًّا مطابقًا للحقيقة والواقع، فكشف بذلك عن كثير من الاستفهامات والتخمينات التي كانت تدور حول سد ذي القرنين؟ وهل هو سور الصين العظيم؟ أم غيره؟ فهو بحث ممتع، أمتع الله بصاحبه، وأطال عمره في عافية.

وأرجو أن ينفع الله بهذا الجزء، كما نفع بصنوه، وأن يجعلهما خالصَين لوجهه الكريم. إنه قريب مجيب، سميع الدعاء لطيف لما يشاء.

اتحاد البلاد الإسلامية في الصوم

كتب شقيقنا الحافظ أبو الفيض -رحمه الله تعالى- كتابًا بيَّن فيه بالدلائل القوية المتعددة، وجوب اتحاد المسلمين في مواعيد الصيام في رمضان، ومواعيد الإفطار بانتهائه، بحيث إذا رُئي الهلال في مصر مثلًا، وجب العمل بتلك الرؤية في بلاد المغرب، وبالعكس. وهذا الرأي موافق لروح الشريعة الإسلامية.

فإن الدين الإسلامي أتى بتوحيد الله، وإفراده بالعبادة: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [التوبة: ٣١] وفرض على المسلمين حج بيت واحد ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧] وأوجب عليهم الاتجاه إليه في صلاتهم أينما كانوا ﴿وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ﴾ [البقرة: ١٤٤] وجعل لهم عيدًا في الأسبوع، يجتمعون في المساجد حيث يستمعون إلى درس ديني، يعرفون منه أحكام دينهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَ﴾ [الجمعة: ٩] وذكر الله خطبة الجمعة(١)؛ لما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن رسول الله

---

(١) رأيت وريقات زعم كاتبها أن المراد بذكر الله: صلاة الجمعة. وهذا من بدع التفاسير، وهو باطل من وجوه:

أحدها: مخالفته لسياق الآية؛ لأن بقيتها تقول: ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾ [الجمعة: ١١] ثبت في الصحيحين عن جابر رضي الله عنه: أنهم لما

خرجوا لاستقبال العير التي جاءت من الشام تحمل الطعام تركوا النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قائمًا يخطب على المنبر، ولم يبق معه إلا اثنا عشر رجلًا. وهذا يبين أن ذكر الله في الآية: خطبة الجمعة، ومن هذه الآية أخذ العلماء أن الخطبة تكون من قيام.

ثانيها: قوله في الحديث الذي أوردناه «**فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر**» يفسر الذكر في الآية بالخطبة، وخير ما فسر به الوارد. فلا يجوز العدول عنه إلى غيره.

ثالثها: لو كان المراد الصلاة، لقيل: إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إليها. فإنه أوضح وأوجز، وليس هذا من المواطن التي يستحسن فيها الإطناب، بذكر الظاهر بدل المضمر، كما يعلم من علم المعاني.

رابعها: تقرر في علم الأصول: أن الكلام إذا احتمل تأسيسًا وتأكيدًا، وجب حمله على الأول دون الثاني. وعلى هذا إذا فسر ذكر الله بالصلاة، كانت الآية مؤكدة لما أفادته آيات كثيرة، من وجوب الصلاة. وحتى لو ادعى مدعٍ أنها أفردت بالذكر اعتناء بها، فإن الاعتناء تأكيدًا أيضًا. بخلاف ما لو فسرناه بالخطبة، فإن الآية حينئذ تفيد معنًى جديدًا وتؤسسه، وهو وجوب السعي للخطبة.

خامسها: المقرر في علم الأصول أيضًا: أن الصلاة واجب موسع، وليس مضيقًا كالصوم. والواجب الموسع لا يجب السعي إليه في أول وقته، بإجماع العلماء. وبدليل أن الله تعالى لم يوجب السعي إلى صلاة الظهر، في بقية أيام الأسبوع، فلما أوجب السعي عند نداء الجمعة خاصة، علمنا أن السعي لأمر غير الصلاة، وهو الخطبة جزمًا.

سادسها: أن الصلاة متماثلة في سائر الأيام، لا فرق بين الجمعة ولا غيرها. إذ هي كما قال الفقهاء: عبادة ذات أقوال وأفعال، مفتتحة بالتكبير، مختتمة بالتسليم. والجماعة

مشروعة فيها في سائر الأيام أيضًا، وجوبًا أو ندبًا كما هو معروف، فلما أوجبت الآية السعي عند نداء الجمعة، علمنا بالضرورة العقلية: أن السعي ليس لأجلها، بل لأجل الخطبة التي لا تكون إلا في ذلك اليوم.

سابعها: أن الصلاة لا تسمى ذكر الله، حقيقة لغوية ولا شرعية. وفي القرآن آيات تدل على أن الصلاة غير ذكر الله. اقرأ قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: ١٤] فهذا دليل قاطع على أن الصلاة غير الذكر. ولو كانت عينه، لكان معنى الآية: وأقم الذكر لذكري. وهو معنى سخيف يتنزه القرآن عنه.

وقوله تعالى: ﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [النور: ٣٧] دليل أيضًا على أن الصلاة غير الذكر، إذ لو كانت عينه، لكان المعنى: لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام ذكر الله، وهو سمج ركيك. وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ﴾[العنكبوت: ٤٥] كسابقيه تغايرهما.

ثامنها: قد يطلق لفظ الذكر على الصلاة، مجازًا مرسلًا، علاقته الكلية والبعضية. لكن لا يخفى على من مارس قواعد الأصول أن آيات الأحكام لا تحمل على المجاز، بل يجب حملها على الحقيقة، والخطبة ذكر الله حقيقة لغوية وشرعية، فتفسير الآية بها متعين.

تاسعها: صحت الأحاديث عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: أن من لغا يوم الجمعة والإمام يخطب فليست له جمعة، وأن من مس الحصى فقد لغا، ومن قال لصاحبه: أنصت، فقد لغا، وهذا دليل قاطع على أن السعي لأجل الخطبة. وهو يرد قول من زعم أن استماع الخطبة مندوب، وهو زعم فاسد. إذ كيف يكون استماع الخطبة مندوبًا، والأحاديث تفيد بطلان جمعة من يلغو فيها؟!!

عاشرها: أن الأحاديث الصحيحة التي أخبرت بكتابة الملائكة لأسماء المبكرين إلى المسجد يوم الجمعة، صرحت بأنه إذا خرج الإمام، طوت الملائكة الصحف وجلست لاستماع الذكر، يعني الخطبة. ولم يرد في شيء من طرق تلك الأحاديث: أن

صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «مَن اغْتَسَلَ يومَ الجُمُعَةِ غُسْلَ الجَنابَةِ ثُمَّ راحَ في السَّاعَةِ الأولى فكأنما قرَّبَ بَدَنَةً، ومَن راحَ في السَّاعَةِ الثانيةِ فكأنَّما قَرَّبَ بقَرةً، ومَن راحَ في السَّاعَةِ الثالثةِ فكأنما قَرَّب كبشًا أَقْرَنَ، ومَن راحَ في السَّاعَةِ الرَّابعةِ فكأنما قَرَّبَ دَجاجَةً، ومَن راحَ في السَّاعَةِ الخامسة فكأنما قَرَّبَ بَيْضَةً، فإذا خَرَجَ الإمامُ حَضَرَتِ الملائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ»(١).

وشرع الجماعة في الصلوات الخمس، ليجتمع المسلمون بعضهم ببعض، كل يوم خمس مرات. ونهى عن الفرقة والاختلاف، وعما يؤدي إليهما من قول وعمل. وقال النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم «يد الله على الجماعة»(٢)، فإذا اتحد

الملائكة يستمرون في كتابة الصحف إلى حين إقامة الصلاة، وهذا دليل قاطع على أن السعي لأجل استماع الخطبة.

حادي عشرها: أنه اجتمع في عهد النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يوم عيد وجمعة، فصلى بهم صلاة العيد، وخطب خطبته وقال في آخرها: «وإنا مجموعون» ورخص لأهالي العوالي: ألا يحضروا معه صلاة الجمعة؛ لأن الغرض من حضورها سماع الخطبة، واستفادة ما فيها من أحكام ومواعظ. وقد استفادوا ذلك من سماع خطبة العيد، فيمكنهم أن يصلوا الظهر في مسجدهم بالعالية، من غير أن يتحملوا مشقة السعي إلى المدينة.

(١) أل للعهد، أي الذكر المعهود، وهو الخطبة. فالحديث رتب فضل التبكير إلى الجمعة على استماع الخطبة، بحيث أن الملائكة الذين يكتبون المبكرين إلى المسجد يطوون صحفهم إذا خرج الإمام، ويجلسون لاستماع خطبته.

(٢) كثير من الناس يقولونه بلفظ: «مع الجماعة» ولم يصح في شيء من طرق الحديث، وإنما ثبت بلفظ: «على الجماعة» وهو الموافق للقرآن ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠].

المسلمون في مواعد الصوم والإفطار، مع تنائي البلاد، وبعد الديار، كان ذلك مظهرًا من مظاهر الوحدة التي جاء بها الدين، بل هي المقصودة من معظم أحكامه.

ومع قوة هذا الرأي، وموافقته لحكمة التشريع، عارضه بعض أفاضل علماء المغرب معارضة واهية، لم يأت فيها بدليل، ولا شبه دليل، غير أنه أبدى إشكالًا، ظنه ناقضًا لذلك الرأي من أساسه.

حيث قال: إذا ظهر الهلال بالمشرق، فإن الوقت يكون في المغرب، العصر أو بعده بقليل، وعليه فيجب على مَن يعمل برؤية المشرق؛ أن يمسك عن المفطرات في ذلك الوقت؛ لأنه نهار رمضان برؤية المشرق، وقد يكون اليوم الذي يمسكون فيه عن الطعام اليوم التاسع والعشرين، فإذا اعتبر من رمضان صار شعبان ثمانية وعشرين يومًا. هذا حاصل إشكاله، وبيان فحواه. وهو إشكال باطل، وعن حلي التحقيق عاطل. وإني لأعجب من صاحبه كيف خفي عليه بطلانه؟ وهو واضح وضوح الشمس في كبد السماء!! أم كيف تخيله أمرًا ثابتًا مع أنه هباء في هباء؟!! يحسبه الناظر فيه شيئًا، وهو شيء لا يُعبأ به، ويخاله القارئ له كلامًا، وهو هذر وهراء.

وقبل كشف أستاره، وإبداء عواره نبين حقائقَ متفقًا عليها بالإجماع، تحريرًا لمحل النزاع.

١- لا خلاف بين المسلمين: أن الله تعالى ربط عبادتي الحج والصوم برؤية هلال الشهور العربية. قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩] وقال النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**صوموا لرؤيته**

وأفطروا لرؤيته».

٢- ولا خلاف أن الليل في عرف الشرع، يبتدئ بغروب الشمس، وينتهي بطلوع الفجر، حيث يبتدئ النهار، وينتهي بالغروب. قال الله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

وقال النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم «**إذا أدبر النهار من ههنا** -يعني المشرق- **وأقبل الليل من ههنا** -يعني المغرب- **فقد أفطر الصائم**»[(١)]. ومما كان يدعو به صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، عند أذان المغرب: «**اللهم هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك وأصوات دعاتك فاغفر لي**».

٣- ولا خلاف أيضًا أن الليل ينسب إلى اليوم الذي يسفر عنه صباحه، لا لليوم السابق. قال الله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧] أي ليلة يسفر صباحها عن يوم الصيام.

٤- ولا خلاف بين العقلاء: أن الهلال يظهر بعد غروب الشمس، أي بعد دخول الليل.

والذي نقوله وندعو إليه: أنه إذا ظهر الهلال في بلد، وجب العمل به على البلاد التي تشاركه في جزء من الليل. فلو ثبتت رؤية هلال رمضان في الحجاز

---

(١) أخذ منه التقي السبكي أنه لو حلف شخص صائم ألا يفطر على طعام حار ولا بارد، فإنه يتحلل بأذان المغرب من يمينه. وبعضهم قال: يتحلل من يمينه بالفطر على الجماع.

مثلًا، وجب الصيام على العراق وإيران وتركيا والشام ومصر والسودان وشمال إفريقيا، وإن كان بعض هذه البلاد يتقدم على الحجاز في الوقت ساعة أو أقل أو أكثر، وبعضها يتأخر عنه ساعة أو أقل أو أكثر. فإنها جميعًا تشاركه في جزء من الليل الذي هو وقت ظهور الهلال، ووقت رؤيته، ووقت نية الصوم أيضًا.

فمناط وجوب الصوم -كما تبين- هو اشتراك البلاد مع بلد الرؤية في جزء من الليل، ولا يضر التقدم عليه أو التأخر عنه بساعة أو ساعتين أو أربع ساعات، أو أقل أو أكثر. فإن العراق يسبق الحجاز بنحو نصف ساعة، والحجاز يسبق المغرب بنحو ثلاث ساعات. لكنها تشترك جميعًا في الليل، فيجب الصوم على أحد هذه البلاد، برؤية البلد الآخر. هذا تحرير محل النزاع، وتحقيق مناط الحكم فيه.

ثم الذي يترتب على رؤية الهلال، وجوب صوم اليوم الذي يلي ليلة الرؤية، وتنسب هي إليه. فإذا رئي الهلال غروب يوم الخميس، وجب على بلد الرؤية والبلاد التي تشاركه في الليل، صوم يوم الجمعة؛ لأن الهلال رئي في ليلته. ولا يجب صوم يوم الخميس، ولا الإمساك عن الطعام فيه؛ لأن الهلال إنما رئي بعد انتهائه. ولم يقل أحد من علماء الدين ولا الفلك: يجب الإمساك عصر يوم الخميس بالمغرب، لرؤية الهلال ليلة الجمعة بالمشرق! لم يقل هذا أحد قبل صاحب الإشكال.

ودعواه أن برؤية الهلال في المشرق يصير اليوم في المغرب معدودًا من أيام رمضان، تخريف ما بعده تخريف؛ لأن يوم الخميس انتهى في المشرق ولم يُرَ فيه هلال، ثم بعد انتهائه ودخول ليلة الجمعة، رئي الهلال. فكيف ينسحب حكم

ليلة الجمعة في المشرق، على يوم الخميس في المغرب؟!! فنجعله من رمضان!! مع أن المشرق الذي وقعت فيه الرؤية، لا يصوم إلا يوم الجمعة!! وهل يعقل أن يسبق المغرب المشرق بالصوم؟! مع أن المشرق هو السابق بالزمان وبالرؤية؟! ما هذا التخليط والتخريف؟! بل ما هذا المحال؟ يا صاحب الإشكال!! أيكون كل من المغرب والمشرق سابقًا مسبوقًا في آن؟! ألم تعلم أن هذا دور؟ وأن الدور محال في قضايا العقول؟ كما هو مقرر في علمي الكلام والأصول؟! فإشكالك الذي أفضى إلى هذا المحال العقلي باطل عقلًا.

ويبطله من الناحية الشرعية أيضًا: أنه لو فرض ظهور الهلال في الحجاز عصر يوم الخميس، لم يجب الإمساك على الحجازيين، ولا على المغاربة بطريق الأولى؛ لأن المقرر عند علماء الفقه: أن ظهور الهلال نهارًا، يعمل به في الليلة المقبلة. قال الشيخ خليل في "المختصر": ورؤيته نهارًا للقابلة. وفي "حاشية الصفتي على العشماوية" -أثناء كلام- ما نصه: «لأن العلماء نصوا على أنه إذا ظهر الهلال نهارًا، كان لليلة المقبلة، سواء رآه قبل الزوال أو بعده. ويستمرون على الفطر إن كان آخر شعبان، وعلى الصوم إن كان آخر رمضان». انتهى.

فإذا كان ظهور الهلال نهار يوم الخميس، لا يوجب إمساك بقية اليوم؛ لأن الهلال يعتبر فلكيًّا هلال ليلة الجمعة.

فكيف يدَّعي صاحب الإشكال وجوب الإمساك عصر يوم الخميس، برؤية الهلال في ليلة الجمعة؟ وعلى أي شيء استند في دعواه؟ وليس معه ما يؤيده، لا نص فقهي، ولا قاعدة فلكية، فليراجع نفسه، وليسلك سبيل الإنصاف، نابذًا سبل التعصب والاعتساف.

وليكن في إنصافه، وسرعة رجوعه للحق، مثل القاضي الفاضل رحمه الله.

فقد قال العلامة القاضي ناصر الدين أحمد بن المنير، في كتاب "الانتصاف" - عند الكلام على قوله تعالى: ﴿ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا﴾ [التحريم: ٥]- ما نصه: «وقد ذكر لي الشيخ أبو عمرو ابن الحاجب رحمه الله: أن القاضي الفاضل عبدالرحيم البيساني الكاتب رحمه الله، كان يعتقد أن الواو في الآية، هي التي سماها بعض ضعفة النحاة واو الثمانية؛ لأنها ذكرت مع الصفة الثامنة.فكان الفاضل يتبجح باستخراجها زائدة على المواضع الثلاثة المشهورة: أحدها التي في الصفة الثامنة من قوله: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ﴾ [التوبة: ١١٢] عند قوله: ﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ [التوبة: ١١٢].

والثانية في قوله: ﴿وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡ﴾ [الكهف: ٢٢].

والثالثة في قوله: ﴿وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣].

قال الشيخ أبو عمرو ابن الحاجب: ولم يزل الفاضل يستحسن ذلك من نفسه، إلى أن ذكره يومًا بحضرة أبي الجود النحوي المقري، فبين له أنه واهم في عدها من ذلك القبيل.

وأحال البيان على المعنى الذي ذكره الزمخشري، من دعاء الضرورة إلى الإتيان بها ههنا؛ لامتناع اجتماع الصفتين في موصوف واحد. وواو الثمانية -إن ثبتت- فإنما ترد بحيث لا حاجة[1] إليها، إلا للإشعار بتمام نهاية العدد الذي هو

---

(١) وتسمى صلة أي زائدة.

السبعة. فأنصفه الفاضل رحمه الله، وقال: أرشدتنا أبا الجود».

فلينصف صاحب الإشكال من نفسه، فإن الإنصاف شيمة العلماء، وسيزيده إنصافه رفعة عند الله، ومكانة عند الناس.

لا يجوز وصف النبي بالثائر

درج كثير من الكتاب في محاضراتهم ورسائلهم، على وصف النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بأنه الثائر الأول. وقد وجه إليَّ الأستاذ الكبير أبو الخير نجيب سؤالًا في هذا الموضوع، قال فيه: هل يصح أن يوصف الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بأنه كان ثائرًا؟ وأن الإسلام ثورة؟

وكلمة الثائر تفيد معنى الانفجار والطيش والهيجان، فيحرم إطلاقها على النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ولو فرضنا أن لها معنى صحيحًا.

أولًا: أن العلماء نصوا على أن من وصف النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، بغير صفته كأن قال هو أسود، فإنه يكفر؛ لأن وصفه بغير صفته يقتضي التكذيب بوجوده. وبيان ذلك: أنك إذا قلت: رأيت زيدًا من الناس، فسألك مَن يعرفه بقوله: صِفه لي. فقلت: هو أسود، والواقع أنه أبيض. أو قلت: هو قصير، والواقع أنه طويل. فإنه يقول لك على الفور: ليس هو زيدًا فنفى ذات الشخص؛ لانتفاء صفته.

فالذي يقول: كان محمد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أسود، أو ثائرًا. يتضمن كلامه نفي وجوده عليه الصلاة والسلام؛ لأن محمدًا النبي المعروف كان غير أسود، وغير ثائر.

ثانيًا: أن نسبة وصف إلى النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كنسبة حديث إليه. فكما يجب التثبت في نسبة الحديث، بحيث لا يقال: قال النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كذا، إلا إذا كان ذلك الحديث صحيحًا بالطرق المعروفة عند المحدثين.

كذلك يجب التثبت فيما ينسب إليه من صفات، فلا تنسب إليه صفة إلا إذا ثبت اتصافه بها. ولو نسب شخص إلى النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حديثًا أو صفة، وهو غير واثق بصحتها، كان كاذبًا عليه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، يتبوأ مقعده في جهنم نسأل الله العافية. ولا شك أن الذي يصف النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بأنه ثائر، لا يجد ذلك الوصف في شيء من كتب السيرة النبوية، والشمائل المحمدية. لا باللفظ، ولا بالمعنى، فهو لا محالة كاذب.

ثالثًا: أن الإسلام كمل واستقر، في مدى ثلاث وعشرين سنة، مكث النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم منها ثلاث عشرة سنة، يدعو إلى التوحيد بمكة، وفرضت الصلاة ليلة الإسراء، فلما هاجر إلى المدينة، فُرض الصوم والزكاة في السنة الثانية من الهجرة، ثم فرض الحج في السنة السابعة، وحرمت الخمر بعد الهجرة على ثلاث مراحل. وهكذا توالت فرائض الإسلام وأوامره ونواهيه، متدرجة بالترتيب، حتى أنزل الله تعالى في حجة الوداع: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] فلا يجوز أن يقال: الإسلام دين الثورة؛ لأنه يخالفها بطبيعة تكوينه، وبأوامره التي تحض على التأني والتريث، ومعالجة ما يشكل من الأمور بالحكمة وبنواهيه التي تذم العجلة، وسرعة الاندفاع.

لا يقال: «الله محبة»

غنت أم كلثوم أغنية، جاء فيها جملة: الله محبة، فاندفع الشعب يكرر هذه الجملة بين حين وحين. وتحملت أم كلثوم وزر إشاعتها، وترديد الشعب لها؛ لأنها حرام في حكم الشرع، بل تكون كفرًا لمن فهم معناها وأطلقها مع ذلك على الله تعالى. وبيان تحريمها من وجوه:

الأول: أن هذه الكلمة مأخوذة عن النصارى، فهم الذين لهجوا بها، وجعلوها شعارهم، ووضعوها على مكاتبهم، فلا يجوز لنا معشر المسلمين أن نستعملها؛ لأنهم لا يتحرزون عن وصف الله بما لا يليق به، فقد وصفوه بأنه أحد الأقانيم الثلاثة، ومنهم من وصفه بأبوته لعيسى، تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا. فكل وصف انفردوا هم أو اليهود بإطلاقه على الله تعالى، يحرم علينا أن نقلدهم فيه، وأن نستعمله كما استعملوه[1].

الثاني: أن المحبة مخلوقة لله تعالى، والخالق غير المخلوق بالضرورة، كما أن الصنعة غير الصانع. وإذا كان لا يصح في اللغة والعرف، تسمية الصانع باسم صنعته، فلا يسمى النجار بابًا، ولا المهندس قنطرة؛ لأن الباب والقنطرة مصنوعان للنجار والمهندس. فكذلك لا يجوز ولا يصح أن يسمى الله محبة؛ لأنها من جملة مخلوقاته التي أوجدتها قدرته سبحانه.

الثالث: أن المحبة في اللغة: ميل القلب إلى الشيء، فمحبة المرأة ميل قلب

---

(١) من ذلك وصف الله بالأب في قولهم: أبانا الذي في السماء، فلا يجوز إطلاقه على الله حقيقة ولا مجازًا.

الرجل إليها لجمالها، ومحبة المال ميل القلب لِجَمْعِه. ومحبة الخير ميل القلب لفعله. فالمحبة معنىٰ قائم بقلب الإنسان أو الحيوان. فإذا قيل: الله محبة، فمعناه أن الله تعالىٰ معنىٰ وعَرَض قائم بقلب كل إنسان وحيوان. وهذا المعنىٰ إذا قصده الشخص، كان كافرًا بإجماع المسلمين؛ لأن الله ليس بجسم ولا عرَض، بل هو ذات منزَّه عن صفات المخلوقات ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١].

الرابع: أن المحبة -مع كونها معنىٰ كما تقدم- تتعلق بالأشياء التي يبغضها الله، فمن الناس من يحب الكفر، ومنهم من يحب القتل، ومنهم من يحب الزنا ومنهم من يحب الخمر، إلخ.

فإذا قلت: الله محبة، فقد وصفته بأنه محبة الكفر والقتل والزنا.. إلخ، وهذا كفر لا شك فيه.

فإن قيل: بل المراد: الله محبة الناس بعضهم لبعض، أو محبة الخير للناس.

قلنا: هذا التقدير -مع ركاكته- لا يفيد ولا ينفع؛ لأن اللفظ مطلق، يصدق بكل محبة، وتقييده بما ذكر لا يجدي؛ لأنه لا دليل عليه. ومن القواعد المقررة: أن المراد لا يدفع الإيراد.

الخامس: أن تلك الكلمة تفيد انحصار معنىٰ الله في المحبة، وهو كذب ومخالفة للواقع؛ لأن الله تعالىٰ يبغض الكفار، ويبغض المنافقين، ويبغض الفاسقين، ويبغض الظالمين، ويبغض القتلة، ويبغض المتكبرين. والأشياء التي يبغضها الله، أكثر من الأشياء التي يحبها الله؛ لأن أهل الكفر والفسوق

والعصيان أكثر من أهل الطاعة والإيمان. بدليل قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٣] ﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنعام: ١١٦] ومن المحرم قطعًا: أن يوصف الله بصفة تكون كذبًا، كتلك الكلمة الآثمة.

السادس: أن العلماء قرروا أنه لا يجوز وصف الله بصفة إلا إذا جاءت في القرآن الكريم، أو في الحديث الصحيح، وتلك الكلمة لم تأتِ في آية قرآنية، ولا في حديث نبوي. بل هي مأخوذة عن النصارىٰ كما قدمنا، فلا يجوز وصف الله بها جزمًا.

السابع: أن وصف الله بتلك الكلمة إلحاد في أسمائه، وقد توعد الله الملحدين في أسمائه بقوله تعالىٰ: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

والإلحاد في أسماء الله: تسميته بما لم يسمِّ به نفسه مما لا يليق بكماله. قال الزمخشري: «كما سمعنا أهل البدو لجهلهم يقولون: يا أبا المكارم، يا أبيض الوجه، يا نخوي». انتهىٰ.

وكلمة: «الله محبة» مثل ما حكاه عن أهل البدو، بل هي أقبح؛ لأنها تفيد أن الله عرَض قائم بغيره، كما قدمنا.

الثامن: أن العلماء صرحوا بأنه إذا كان للكلمة معنيان: معنىٰ سليم، ومعنىٰ فيه إيهام نقص بالنسبة لله تعالىٰ، لا يجوز إطلاقها عليه بالمعنىٰ السليم؛ منعًا لإيهام النقص في حقِّه سبحانه.

ومثلوا لذلك بالعلم الضروري. فإن له معنيين:

أحدهما: ما لا يتوقف على نظر واستدلال، وعلم الله وإن كان كذلك، لا يطلق عليه ضروري. منعًا للإيهام الذي يفيده.

المعنى الآخر، وهو: ما يلجأ صاحبه إليه ولا يمكنه دفعه. والله تعالى منزه عن ذلك، لا يلجئه شيء إلى شيء. وإنما يقال: علم الله حضوري بمعنى أن معلوماته كلها حاضرة، لا يغيب عنه منها شيء. وتلك الكلمة الآثمة -لو أمكن تصحيح معناها بتقدير مضاف، بأن يقال: الله ذو محبة- فإنه لا يجوز إطلاقها في حقه سبحانه، لمعانيها القبيحة التي سبق بيانها.

لا يقال: «اسعَ يا عبدي وأنا أسعى معك»

يتردد كثيرًا على ألسنة المصريين تلك العبارة. يقولونها في معرض النصيحة للشخص الذي يكون متكاسلًا عن السعي في طلب المعيشة، ويسوقونها مساق آية، أو حديث قدسي. حيث يقولون: ربنا قال: «اسعَ يا عبدي وأنا أسعى معك». والسعي في طلب المعيشة ليقوت الشخص نفسه أو أهله، واجب لا شك فيه، حض عليه القرآن والسنة؛ لكن الاستدلال بتلك الجملة، لا يجوز لوجهين:

أحدهما: أنها ليست بآية من القرآن الكريم، ولا جملة من حديث قدسي، فنسبتها إلى الله كذب عليه. وهو كبيرة، بل يصل إلى الكفر.

والآخر: أن نسبة السعي إلى الله لا يقره الدين؛ لأن معنى السعي: حركة الشخص في تجارته، أو صناعته، أو زراعته، طلبًا للرزق، والله تعالى منزه عن

السعي لا يوصف بحركة، ولا سكون. لاستحالتهما في حقه سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

فصواب العبارة أن يقال: اسع يا عبدي وأنا أوفقك، أو أيسر لك الأسباب. كما تقول الحكمة الصوفية: «إذا أراد الله أمرًا يسر أسبابه».

فإن قيل: المراد بأسعى معك: أوفقك على سبيل المجاز كما ثبت في الحديث القدسي: «**فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها**». أي كنت موفقًا له في هذه الأعضاء، أو حافظًا لها، فلا يرتكب بها معصية.

فالجواب: أن المجاز في هذا الحديث واضح لا يخفى على عامة الناس، ولا مثقفيهم. فإن أحدًا لا يخطِر بباله أن يكون الله يد شخص أو عينه مثلًا. بخلاف السعي في تلك الجملة، فإن كثيرًا من الناس يجوِّز في حق الله أن يتحرك ويسكن، ولا يدرك أن ذلك محال؛ لأنه من لوازم الجسمية، والله ليس بجسم. ولو سلمنا أنه مجاز واضح، بقي الوجه الأول واردًا، وهو كذب تلك الجملة؛ لأن الله لم يقلها، وهو كافٍ في تحريم نسبتها إليه.

نكت في فهم آيات

قال الله تعالى: ﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ [آل عمران: ٢٧] إيلاج الليل في النهار، يكون بأخذ جزء من النهار وضمه إلى الليل، وإيلاج النهار في الليل، يكون بأخذ جزء من الليل وضمه إلى النهار. ولما كان الإيلاج فيه إفناء جزء من الليل في النهار

وبالعكس، ذكر معه في سياقه، إخراج الحي من الميت، وإخراج الميت من الحي، لتناسب بينهما بالتضاد؛ لأن في الأول إدخال شيء في شيء، وفي الثاني إخراج شيء من شيء.

وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [الحج: ٦١] ذكرت هذه الآية دليلًا على قدرة الله، على نصرة المبغي عليه المظلوم؛ لأن مَن قدر على إيلاج الليل في النهار، وإيلاج النهار في الليل، وهما يغشيان الدنيا؛ قادر على أن يأتي بالليل أو النهار الذي ينصر فيه المظلوم على ظالمه، ويأخذ له حقه منه. وختمت بصفتي السمع والبصر؛ إشارة إلى أنه يسمع استغاثة المظلوم، ويبصر فعل الظالم.

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [لقمان: ٢٩]. ذكرت الآية دليلًا على قرب البعث المذكور في الآية السابقة: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [لقمان: ٢٨]والمعنى: ألم تر أن الله يدخل الليل في النهار، فيصير النهار قصيرًا والليل طويلًا، ويدخل النهار في الليل، فيصير النهار طويلًا والليل قصيرًا، فينهي آجالكم بتعاقبهما عليكم. وسخر الشمس والقمر لمصلحتكم، كل من الليل والنهار والشمس والقمر يجري إلى أجل مسمى عند الله، وهو فناء الدنيا وانتهاء الحياة فيها، حيث يبعثكم للحساب والجزاء، وختمت بجملة: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان: ٢٩]؛ لبيان أن الأعمال لا تخفى عليه، كما قال في (سورة الحاقة): ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾

[الحاقة: ١٨].

وقال سبحانه: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾ [الزمر: ٥]ذكر التكوير في هذه الآية؛ إشارة إلى سرعة مرور الوقت، كما قال في الآية الأخرى: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ [الأعراف: ٥٤] وإشارة إلى كروية الأرض التي يلفها الليل والنهار.

ولما كان السياق هنا في الرد على المشركين، وإثبات وحدانية الله وتفرده بخلق السموات والأرض، ختمت الآية بصفتي العزيز الغفار، لبيان أن مع تفرده بالعزة والقوة، يمهل المشركين فلا يعاجلهم بالعقوبة، وإذا رجعوا إلى التوحيد والإيمان، غفر لهم.

الحكمة من اختصاص مريم وولدها عيسى عليهما السلام بأن الشيطان لم يمسهما عند ولادتهما؟

سئلت: لِمَ اختصت مريم وولدها عيسى عليهما السلام، بأن الشيطان لم يمسهما عند ولادتهما؟

والجواب: ثبت في الحديث الصحيح عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ما من مولود يولد إلا يمسه الشيطان عند ولادته فيستهل صارخًا من مس الشيطان إياه إلا مريم وابنها ذهب يطعن فطعن في الحجاب**».

والحكمة في ذلك: أن مريم نذرتها أمها لله تعالى وهي لا تزال في بطنها: ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ

ٱلْعَلِيمُ ﴾ [آل عمران: ٣٥] فلم يكن الشيطان ليقدر على مسها، وهي منذورة لله تعالى. لاسيما وقد قال: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ [آل عمران: ٣٧]. فكيف يتعرض الشيطان لمن تقبلها الله؟ وأما عيسى عليه السلام فلم يمسه الشيطان؛ لأن جدَّته قال عن والدته مريم: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [آل عمران: ٣٦] فكانت استعاذتها حجابًا له عند ولادته.

فإن قيل: لِمَ يمس الشيطانُ المولودَ حين ولادته؟

قلنا: لما امتنع من السجود لآدم عليه السلام، ولعنه الله على ذلك وطرده من رحمته، سأل النظرة إلى آخر الدنيا: ﴿لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذۡهَبۡ فَمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمۡ جَزَآءٗ مَّوۡفُورٗا ﴾ [الإسراء: ٦٢ – ٦٣] ومعنى لأحتنكن ذريته: لأستولين عليهم. فكان مسه للمولود علامة على تمكنه منه، واستيلائه عليه. وهذا كما يتبارز شخصان بسيف، فيضرب أقواهما مبارزه بصفح.

تعصب مذموم

التمسك بالحق، وعدم التهاون فيه، والدفاع عنه من الخصال الحميدة التي تخلَّق بها الأنبياء، واقتدى بهم فيها عظماء الرجال فجاهدوا في سبيل نصرة الدين، ونشر لواء العدل، وبذلوا النفس والنفيس لإقامة الحق ودعم قواعده وأسسه.

أما التمسك بالباطل، أو ادعاء ما لا دليل عليه، أو رفع شخص مثلًا فوق

رتبته، فهو التعصب المذموم الذي يأثم صاحبه ويعاقب. فمن التمسك بالحق والثبات عليه: قول النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لعمه أبي طالب لما طلب منه أن يهادن قريشًا، ويخفف عنهم وطأة الدعوة: «**أي عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلِك دونه**».

ومنه: قول أبي بكر لعمر -رضي الله عنهما- لما راجعه في قتال مانعي الزكاة، وخوَّفه مغبة محاربتهم، والله لو منعوني عقالًا كانوا: يؤدونه إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لقاتلتهم عليه.

ومنه: إصرار علي رضي الله عنه على عزل معاوية عن الشام، أو يبايع له؛ لأنه الخليفة الحق، بإجماع أهل الحَل والعقد من الصحابة. ومن ثَمَّ أجمع العلماء على أن معاوية كان باغيًا!

والتعصب -ولا يكون إلا مذمومًا- أنواع:

منه: ادعاء النصارى في عيسى أنه ابن الله، أو ثالث ثلاثة، تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا. والواقع أن عيسى إنما هو رسول أرسله الله إلى بني إسرائيل يدعوهم إلى توحيد الله وعبادته، فكفروا به وحاولوا صلبه، فنجاه الله منهم ورفعه إليه.

ومنه: قول اليهود والنصارى: نحن أبناء الله وأحباؤه، كما حكى الله عنهم في القرآن الكريم. فهذه الدعوى سببها الغرور، ورضاهم عن أنفسهم، قال الله تعالى: ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ٢٤].

ومنه: قول النضر بن الحارث عن القرآن الكريم: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢]. وهذا تعصب ممقوت بالغ النهاية في التمسك بالشرك والضلال.

ومنه: التعصب لقراءة من قراءات القرآن الكريم، مثل ما ذكر السكندري في "شرح العشماوية": أن قراءة أهل الجنة، بقراءة ورش. وهذه دعوىٰ لا دليل عليها. ولم لا تكون قراءة أهل الجنة بالقراءات المتواترة كلها؟ أو تكون قراءة كل جماعة منهم بالقراءة التي كانوا يقرءون بها في الدنيا؟ فالمغاربة والجزائريون والبلاد الأفريقية بقراءة ورش. وتونس وليبيا، بقراءة قالون، واليمن بقراءة نافع، والسودان بقراءة أبي عمرو، وبقية بلاد الإسلام بقراءة حفص. لو قيل هذا لكان قولًا وجيهًا.

ونظير هذه المسألة سؤال القبر. فقد اشتهر أن يكون بالسريانية لغة الملائكة[1]. حتىٰ قال الحافظ السيوطي في "منظومة التثبيت":

ومِن عَجِيبِ ما تَرَىٰ العَيْنانِ ... أنَّ سُؤالَ القَبْرِ بالسِّرْياني
نَصَّ عليه شَيْخُنا البُلْقِيني ... ولم أرَهُ لغَيْرِه بعيني

وسئل عنه الحافظ ابن حجرٍ، فقال: لم يرد في ذلك حديث، واستظهر أن يكون السؤال بالعربية، لغة النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، قال: ويحتمل أن يكون سؤال كل واحد بلغته.

---

(١) يقول الملكان للميت: مرزهو، فيرد عليهما: مرد أزر هو، وقيل غير ذلك، مما لا دليل عليه. وهذه أمور غيبية، لابد فيها من خبر صحيح عن المعصوم، ولا يوجد.

قلت: وهذا الاحتمال متجه، ولا مانع أن يُلهم الله تعالىٰ ملكي السؤال، لغة كل مقبور.

ومنه: التعصب لمذهب من المذاهب الفرعية.

كتعصب بعض الحنفية[1] لأبي حنيفة ومذهبه. حتىٰ زعم أن عيسىٰ والمهدي يقلدانه ويكونان علىٰ مذهبه!!

قال العلامة البرزنجي في "الإشاعة": «ومن العجائب أنه وقع للقهستاني -مع فضله وجلالته- شيء من ذلك، فقال في شرح خطبة "النقاية": «إن عيسىٰ إذا نزل عمل بمذهب أبي حنيفة، كما ذكره في "الفصول الستة"». قال البرزنجي: «وليت شعري ما الفصول الستة؟ وما الدليل علىٰ هذا القول؟ فإنا لله وإنا إليه راجعون». انتهىٰ.

وللعلامة الشيخ علي القاري رسالة "المشرب الوردي في رسالة المهدي" ألفها لرد هذه الدعوىٰ الفاسدة. ذكر فيها: «أن جاهلًا عارضه في هذه القضية -يعني تقليد المهدي لأبي حنيفة- ونقل ذلك عن كتاب مجهول. قال: وقد صرح الإمام ابن الهمام بعدم جواز النقل من غير الكتب المتداولة، سواء العلوم

---

(١) من التعصب المذهبي: ما ذكره بعض الأصوليين المتأخرين: أن المقلد يتحتم عليه أن يعتقد أن مذهبه صواب يحتمل الخطأ، ومذهب غيره خطأ يحتمل الصواب، وهذا كلام فاسد، لا معنىٰ له. وهو يؤدي إلىٰ محال؛ لأن مقتضىٰ اعتقاد كل مقلد، ذلك أن تكون المذاهب الأربعة كلها صوابًا يحتمل الخطأ، وهي في الوقت نفسه خطأ يحتمل الصواب.

(١) بل هو شافعي، وهو صاحب "الرسالة القشيرية" في التصوف.

الأصلية والفرعية. قال: ثم إن ركاكة ألفاظه ومبانيه، تدل على بطلان معانيه. قال: وها أنا أذكره بلفظه لتحيط به علمًا، حيث قال -ولم يخش ما عليه من الوبال، وغضب الكبير المتعال-: اعلم أن الله قد خص أبا حنيفة بالشريعة والكرامة، ومن كراماته: أن الخضر عليه السلام كان يجيء إليه كل يوم، وقت الصبح. ويتعلم منه أحكام الشريعة، إلى خمس سنين. فلما توفي أبو حنيفة ناجى الخضر ربه. قال: إلهي إن كان لي عندك منزلة، فائذن لأبي حنيفة، حتى يعلمني من القبر، على حسب عادته. حتى أعلم شرع محمد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على الكمال، ليحصل لي الطريقة والحقيقة. فنودي: أن اذهب إلى قبره، وتعلم منه ما شئت. فجاء الخضر، وتعلم منه ما شاء كذلك، إلى خمس وعشرين سنة أخرى. حتى أتم الدلائل والأقاويل. ثم ناجى الخضر ربه، وقال: إلهي ماذا أصنع؟ فنودي: أن اذهب إلى صعانك، واشتغل بالعبادة إلى أن يأتيك أمري... إلى أن قال له: اذهب إلى البقعة الفلانية، وعلم فلانًا الشريعة. ففعل الخضر عليه السلام، ما أمر.

ثم بعد مدة ظهر في مدينة ما وراء النهر شاب، وكان اسمه أبا القاسم القشيري، وكان يخدم أمه ويحترمها، ثم إنه قال -وقتًا من الأوقات لأمه-: يا أماه قد حصل لي الحرص على طلب العلم، وقد قال علي كرم الله وجهه: من كان في طلب العلم كانت الجنة في طلبه. فائذني لي حتى أذهب إلى بخارَى، وأتعلم العلم. فتفكرت والدته، وقالت: إن لم أعطه الإذن أكون مانعة للخير، وإن أذنت له لم أصبر على فراقه. فلم يكن لها بد حتى أذنت له، فودَّع القشيري أمَّه وعزم على السفر مع شاب صاحب له، يطلبان العلم، فقعدت أمه على

الباب باكية حزينة، وقالت: إلهي اشهد أني حرمت على نفسي الطعام والمنزل، ولا أقوم من مقامي، حتى أرى ولدي. فمضى القشيري وصاحبه حتى نزلا في منزل ليأكلا فيه طعامًا. فقام القشيري ليقضي حاجته، فتلوثت ثيابه ببوله. وقال لصاحبه: اذهب أنت، فإني أريد أن أرجع إلى المنزل. وأخاف أن تصيب النجاسة جسمي في المنزل الثاني، وتصيب روحي في الثالث، فقعودي عند والدتي أولى. ورجع إلى أمه، وكانت قاعدة على مكانها الذي ودعت ابنها فيه، فقامت وتصافحت مع ولدها، وقالت: الحمد لله. فأمر الله تعالى الخضر: أن اذهب إلى القشيري، وعلمه ما تعلمت من أبي حنيفة؛ لأنه أرضى أمه. فجاء الخضر إلى أبي القاسم وقال له: أنت أردت السفر لطلب العلم، وقد تركته لرضا أمك؟ وقد أمرني الله أن أجيء إليك كل يوم على الدوام وأعلمك. فكل يوم يجيء إليه الخضر، حتى ثلاث سنين، وعلَّمه العلوم التي تعلم من أبي حنيفة في ثلاثين سنة حتى علمه علم الحقائق والدقائق، ودلائل العلم. وصار مشهور دهره، وفريد عصره. حتى صنف ألف كتاب، وصار صاحب كرامات، وكثر مريدوه وتلاميذه. فكان له مريد كبير متدين، لا يفارق الشيخ، فعدَّ له الشيخ ألف كتاب من مصنفاته، ووضعها في الصندوق، وأعطى لذلك المريد، وقال: قد بدا لي أمر، فاذهب وارم هذا الصندوق في جيحون. فحمل المريد الصندوق، وخرج من عند الشيخ، وقال في نفسه: كيف أرمي مصنفات الشيخ في الماء؟ لكن أذهب وأحفظ الكتب، وأقول للشيخ: رميتها. وحفظ الكتب وجاء وقال للشيخ: رميت الصندوق في الماء. قال الشيخ: وما رأيت

من العلامات؟ قال: ما رأيت شيئًا. قال الشيخ: اذهب وارم الصندوق. وأراد أن يرميه، فلم يهن عليه، ورجع إلى الشيخ، مثل الأول وقال: رميته؟ قال: نعم. قال: وما رأيت؟ قال: لم أر شيئًا. قال الشيخ: ما رميته، فاذهب فارمه. فإن لي فيها سرًّا مع الله، ولا ترد أمري. فذهب المريد ورمى الصندوق، فخرج من الماء يد وأخذت الصندوق. قال المريد له: من أنت؟ فنادى في الماء: إني وكلت أن أحفظ أمانة الشيخ. فرجع المريد، وجاء إلى الشيخ فقال: رميت؟ قال: نعم. قال: وما رأيت؟ قال: رأيت الماء قد انشق، وخرج منه يد وأخذ الصندوق، وقد صرت متحيرًا، وما السر في ذلك؟ قال الشيخ: السر في ذلك أنه إذا قربت القيامة وخرج الدجال ونزل عيسى ببيت المقدس فيضع الإنجيل بجنبه، ويقول: أين الكتاب المحمدي؟ وقد أمرني الله أن أحكم بينكم بكتابه، ولا أحكم بالإنجيل. فيطلبون الدنيا، ويطوفون البلاد، فلم يوجد كتاب من كتب الشرع المحمدي، فيتحير عيسى. ويقول: إلهي بماذا أحكم بين عبادك؟ فينزل جبريل ويقول: قد أمر الله أن تذهب إلى نهر جيحون، وتصلي ركعتين بجنبه وتنادي: يا أمين صندوق أبي القاسم القشيري، سلم إليَّ الصندوق، وأنا عيسى بن مريم، وقد قتلت الدجال. فيذهب عيسى إلى جيحون، ويصلي ركعتين، ويقول مثل ما أمره جبريل. فينشق الماء، ويخرج الصندوق، ويأخذه ويفتحه، ويجد فيه ختمة وألف كتاب، فيحيي الشرع بذلك الكتاب. ثم سأل عيسى جبريل: بمَ نال أبو القاسم هذه المرتبة؟ فقال: برضاء والدته». نقل من كتاب "أنيس الجلساء"». اهـ

قال الشيخ علي القاري: «ولا يخفى أن هذا مع ركاكته ولحنه، كلام بعض الملحدين الساعين في إفساد الدين. إذ حاصله: أن الخضر الذي قال الله تعالى في حقه: ﴿عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥]. وقد تعلم منه موسى عليه السلام، من جملة تلاميذ أبي حنيفة. ثم عيسى وهو من أولي العزم، يأخذ أحكام الإسلام من تلميذ تلميذ أبي حنيفة! وما أسرع فهم التلميذ، حيث أخذ عن الخضر في ثلاث سنين، ما تعلمه الخضر من أبي حنيفة حيًّا وميتًا في ثلاثين سنة!! وأعجب منه: أن أبا القاسم القشيري ليس معدودًا في طبقات[1] الحنفية!! ثم العجب من الخضر أنه أدرك النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ولم يتعلم منه الإسلام، ولا من علماء الصحابة الكرام، كعليٍّ باب مدينة العلم، وأقضى الصحابة. وزيد أفرضهم، وأبيٍّ أقرئهم، ومعاذ بن جبل أعلمهم بالحلال والحرام. ولا من عظماء التابعين، كالفقهاء السبعة، وسعيد بن المسيب بالمدينة، وعطاء بمكة، والحسن بالبصرة، ومكحول بالشام. وقد رضي بجهله بالشريعة حتى تعلم مسائلها في أواخر عمر أبي حنيفة!! فهذا مما لا يخفى بطلانه، حتى على العقول السخيفة حتى إن علماء المذاهب، أخذوا هذه المقالة على وجه السخرية!! وجعلوها دليلًا على قلة الطائفة الحنفية. حيث لم يعلموا أن أحدًا منهم لم يرض بهذه القضية بالكلية. ثم لو تعرضت لما في منقوله من الخطأ في مبانيه ومعانيه الدالة على نقصان معقوله لصار كتابًا مستقلًّا، إلا أني أعرضت عنه صفحًا، لقوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ

---

(١) بل هو شافعي، وهو صاحب "الرسالة القشيرية" في التصوف.

بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]. فبطل قول القائل، بل وكفر فيما ظهر. لاسيما بالنسبة إلى نبي الله عيسى المجمع على نبوته، سابقًا ولاحقًا. فمن قال بسلب نبوته، كفر حقًّا، كما صرح به الإمام السيوطي. فإن النبي لا يذهب عنه وصف النبوة، ولا بعد موته.

وأما حديث: لا وحي بعدي، فباطل لا أصل له. نعم ورد «**لا نبي بعدي**»[1] ومعناه عند العلماء: أنه لا يحدث بعده نبي بشرع ينسخ شرعه.

وقد صرح الإمام السبكي في تصنيف له: أن عيسى عليه السلام يحكم بشريعة نبينا بالقرآن والسنة. وحينئذ يترجح أن أخذه للسنة من النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بطريق المشافهة بغير الواسطة، أو بطريق الوحي والإلهام.

وقد روي[2] عن أبي هريرة: أنه لما أكثر الحديث، وأنكر عليه الناس قال: لئن نزل عيسى بن مريم قبل أن أموت، لأحدثنه عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فيصدقني. فقوله: فيصدقني، دليل على أن عيسى عليه السلام عالم بجميع سنة النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، من غير احتياج إلى أن يأخذها عن أحد من هذه الأمة. حتى إن أبا هريرة الذي سمع من النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم احتاج إلى أن يلجأ إليه، ليصدقه فيما رواه ويزكيه.

---

(١) الواجب أن يقول: صح «لا نبي بعدي» لأنه حديث صحيح جدًّا، وطرقه بلغت حد الاستفاضة، ومعناه متواتر.

(٢) هذه الصيغة تستعمل في الخبر الضعيف، وهذا الخبر صحيح عن أبي هريرة. فكان الواجب أن يقول: وقد ثبت، أو صح.

ثم وقفت على سؤال رفع إلى شيخ الإسلام ابن حجرٍ العسقلاني: هل ينزل عيسى عليه السلام في آخر الزمان حافظًا للقرآن الكريم، ولسنة نبينا الكريم؟ أو يتلقى الكتاب والسنة من علماء ذلك الزمان؟

فأجاب: لم ينقل في ذلك شيء صريح، والذي يليق بمقام عيسى عليه السلام: أنه يتلقى ذلك عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فيحكم في أمته، كما تلقاه عنه. لأنه في الحقيقة خليفة عنه». انتهى المقصود من كلام الشيخ علي القاري.

وقد أبطل أيضًا دعوى تقليد المهدي لمذهب الحنفية، وقرر: أنه يكون مجتهدًا مطلقًا. فارجع إلى الرسالة المذكورة، تجد فيها ما يكفي ويشفي.

ومنه: التعصب بطريق من الطرق الصوفية: كتعصب الطائفة التيجانية، لطريقتهم وشيخهم تعصبًا غير معقول.

فزعموا أن طريقتهم تغني عن غيرها، ولا تغني طريقة أخرى عنها. وأن من ترك طريقتهم إلى طريقة غيرها، يموت على سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى، وهذا غلو ينافي مبدأ التصوف، والصوفية الذين هم أبعد الناس عن الدعوى وحب الظهور. والطرق ليست مقصودة لذاتها، ولكنها مقصودة لتسليك المريد وإيصاله إلى الله تعالى بوسائل الذكر، وتطهير النفس من أدرانها بالرياضة الشرعية. وذلك ممكن بأي طريق من الطرق المعروفة، كالشاذلية والقادرية والرفاعية والأحمدية والخلوتية والتيجانية[1] والنقشبندية وغيرها.

---

(١) الطريقة التيجانية، فرع من الطريقة الخلوتية.

جاء مرة إلى مولانا الإمام الوالد رضي الله عنه شخص وزاني الطريقة - وهي فرع من الشاذلية- وطلب منه أن يلقنه عهد الطريقة الصديقية. فذكر له محاسن الطريقة الوزانية، ومناقب شيخها مولاي عبد الله شريف، جد أشراف وزَّان. وأفهمه أن الطريقة الصديقية والوزانية وغيرهما في الدلالة على الله سواء. فعدل عن طلبه، وانصرف راضيًا بطريقته.

وجاء مرة أخرى مريد صديقي من تلاميذه، ومعه شقيق له تيجاني يريد الانتساب للطريقة الصديقية، مبديًا ضجره من طريقته، لما نسب إليها من أشياء، لم يقبلها عقله. فذكر له أن طريقته من جملة الطرق الموصلة إلى الله، وأن الأشياء المنسوبة إليها بعضها صحيح وله تأويل يوافق الشرع، وبعضها من زيادات الجهال، أو من سوء تصرفهم وفهمهم. ووضَّح له ذلك بالأمثلة المتعددة، حتى عدل عن رأيه، وانصرف من عنده محبًّا لطريقته التي جاء وهو يريد الخروج منها. وهكذا لم يكن يزوره شخص يريد الانتساب للطريقة الصديقية، وهو منتسب لطريقة أخرى، إلا أمره بالتمسك بطريقته وحببها إليه، وعرفه أن الطرق كلها توصل إلى الله.

وزعموا أيضًا: أن شيخهم الشيخ أحمد التيجاني، خاتم الأولياء، وأنه لا وَلِيَّ بعده يظهر في الأمة المحمدية. وزعموا أن كلام محيي الدين بن العربي الحاتمي، عن خاتم الأولياء، ينطبق على شيخهم انطباقًا تامًّا. فإذا قيل لهم: دعواكم هذه فيها حجر على فضل الله. أجابوا: كما كان النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم خاتم الأنبياء، ولم يكن حجرًا على فضل الله. فكذلك شيخنا هو خاتم الأولياء من غير أن يكون فيه حجر على فضل الله. وهذه دعوى باطلة،

وقياس فاسد لوجوه:

أحدها: أن الله تعالى صرح في القرآن الكريم بأن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم خاتم الأنبياء ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠]. وانعقد عليه إجماع المسلمين. ودعواهم في شيخهم لم تأت في آية، ولا حديث، ولم يعترف بها أحد من رجال الصوفية.

ثانيها: أن قياس شيخهم على النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم سوء أدب منهم، يلزم فيه التعزير، والأدب البالغ؛ للفوارق البعيدة بينهما. فالنبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رسول معصوم ينزل عليه الوحي، ومن أنكره أو أنكر رسالته فهو كافر. بخلاف شيخهم في ذلك كله، فهو ليس برسول، ولا معصوم. ومَن أنكر وجوده أو أنكر ولايته، لا يلزمه نقص في عقيدته، ولا دينه.

ثالثها: أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أرسله الله إلى العالمين، وأنزل عليه القرآن الكريم الذي يشتمل على علوم الأولين والآخرين، ويضم بين دفتيه أتم التشريعات، وأفضل الآداب، وأكمل الأخلاق. فلم يكن لمجيء نبي بعده من فائدة؛ لأنه ما من تشريع حكيم، ولا خُلُقٍ كامل، ولا أدب فاضل، إلا وهو مبين في الكتاب والسنة أتم بيان.

رابعها: أن الله تعالى يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣] فإذا كان الله تعالى يصرح بأنه قد أكمل الدين، وأتم نعمته على المسلمين، فلا حاجة بعد هذا إلى نبي ولا رسول.

خامسها: أن الولاية نتيجة حتمية للعمل بمقام الإحسان الذي هو أحد

مقامات الدين. فدعوى ختمها بولي معين تستلزم:

أولًا: الكذب لأنها دعوى لا دليل عليها، وكل ما لا دليل عليه فهو كذب.

وثانيًا: تعطيل مقام الإحسان وإلغاءه؛ لأن الولاية إذا انقطعت بموت ولي معين، لم يبق فائدة للعمل به.

وثالثًا: التحريض على طرح المجاهدة، وترك السلوك؛ لأن المريد إنما يسلك الطريق، ويجاهد نفسه بأنواع الرياضة الشرعية، ليصل إلى مقام الولاية، حيث يفيض الله عليه من المعارف والأسرار ما يناسب حاله، فإذا علم أن الولاية ختمت، وانتهى أمرها. فتر عن المجاهدة، وانقطع عن السلوك.

سادسها: إجماع الصوفية على أن الإمام المهدي هو خاتم الأولياء. وفي ذلك يقول ابن العربي الحاتمي في "الفتوحات":

أَلَا إنَّ خَـــتْمَ الأوليـــاءِ شَـــهِيد ... وعَـــيْنَ إمـــامَ العـــالمين فَقِيـــدُ
هـو السـيِّدُ المَهْـديُّ مِـن آلِ أحمـد ... هـو الصَّـارِمُ الهِنْـديُّ حِـين يُبِيـدُ
هو الشمسُ يَجْلُو كُلَّ غَيْمٍ وظُلْمَـةٍ ... هو الوابِـلُ الوَسْـمِيُّ حـين يَجُـودُ

ومعنى البيت الأول: أن خاتم الأولياء -وهو المهدي- يكون شهيدًا: أي حاضرًا حين فقد عين -أي ذات- إمام العالمين صلَّى الله عليه وآله وسلَّم. يشير إلى أن ظهور المهدي يكون في وقت اندثار السنة النبوية، وفقدان العاملين بها. فيحيها ويدعو إلى العمل بها، ويبطل التقليد، ويعاديه الفقهاء المقلدون، لإبطاله علمهم الذي يتكسبون به. وفي وقته يظهر الدجال ويحاربه، فينزل عيسى عليه السلام، ويقتله بباب اللد، ثم تتابع أشراط الساعة الكبرى. ويقل

المؤمنون، بل ينقرضون. فلا يوجد مؤمن فضلًا عن ولي؛ لأن الساعة لا تقوم إلا على شرار الخلق؛ لأن قيامها مظهر غضب الله على أهل الأرض.

وفي الصحيح عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لا تقوم الساعة وعلى الأرض أحد يقول: الله الله**». فختم الأولياء بالمهدي هو المعقول، وهو المجمع عليه.

ومن تعصب التيجانية: أنهم لا يصلون في زاوية غير زاويتهم، فلا يصلون في زاوية الطائفة الدرقاوية، أو القادرية، أو العيساوية، أو الحمدوشية، أو الصادقية، مع أن هؤلاء يصلون في زاوية التيجانيين، لا يرون في ذلك حرجًا ولا منعًا. لأنهم يعتقدون أن الطريقة التيجانية، من جملة الطرق الصوفية.

ولما كانت أطلب العلم بفاس سنة ١٣٤٦هـ أردت أن أكلم العلامة مولاي عبد السلام العلوي-وهو تيجاني الطريقة- ليدرس لنا "شرح السعد على التلخيص" في علوم البلاغة. وكان يدرس "شرح المختصر للخرشي"، بجامع القرويين، لكنه لا يصلي فيه الظهر، فسألت: أين أجده؟ فقيل لي: إنه لابد أن يصلي الظهر في الزاوية التيجانية، وذهبت إليها وقابلته هناك. فعجبت كيف يدع الصلاة في جامع القرويين، وهو أقدم جامع في الشمال الأفريقي؛ بل هو أقدم من الجامع الأزهر، وحضر فيه كبار العلماء والأولياء، مثل أبي الحسن الشاذلي وابن العربي الحاتمي وابن خلدون وابن غازي. وزروق والونشريسي وغيرهم كثير. وفيه أماكن رئي فيها النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، كما أخبر بذلك بعض الصالحين. منها مكان اسمه: العنزة، كنا نقرأ فيه "شرح الدردير لمختصر خليل" على الفقيه العلامة القاضي عبد الرحمن بن القرشي رحمه الله.

ثم يذهب للصلاة في الزاوية التيجانية الحادثة البناء، لم يمض على تأسيسها مائتا سنة، منذ دفن فيها الشيخ أحمد التيجاني سنة ١٢٥٠هـ، وليس لها[1] ماض، في نشر العلم ودراسته.

وهكذا في سائر بلاد المغرب، تجد طوائف الصوفية على اختلاف طرقهم، يصلون في الزاوية التيجانية، كما يصلون في سائر المساجد.

لكنك لا تجد تيجانيًّا يصلي في زاوية غير زاويته. وأغرب من هذا أن ضريح مولاي إدريس بفاس، مبني عليه جامع كبير، تقام فيه الجمعة والصلوات الخمس، ويقصده المغاربة من كل حدب وصوب، مثل سيدنا الحسين بالقاهرة.

---

(١) لكن لا عجب في ذلك على أصلهم. فإنهم يعتقدون أن شيخهم أفضل الناس بعد الصحابة، لا يفضله تابعي ولا إمام ولا غير ذلك. فهو أفضل من أويس القرني، سيد التابعين، كما صح في الحديث، وأفضل من الأئمة الأربعة، ومن علي زين العابدين وآل البيت النبوي جميعًا، ما عدا الحسن والحسين؛ لأنهما صحابيان، وأفضل من الجنيد وشيوخه وأصحابه، ومن جميع الأقطاب جملة وتفصيلًا. والمكان الذي يحل فيه تغمره البركة، بحيث لا يضيره ألا يحضر فيه عالم ولا ولي؛ لأن الشيخ أحمد التيجاني يغني عن جميع الأولياء، وهم مجتمعون لا يغنون عنه. فمن هنا يفضلون الصلاة في زاوية شيخهم، على الصلاة في جامع القرويين.

لكن لا يزوره تيجاني أبدًا، ولا يصلي فيه[1].

معنى حديث التداوي بالعسل

سألني الأستاذ الشيخ أحمد مرسي عن بيان معنى حديث العسل؟

والجواب: روى الشيخان من طريق أبي المتوكل عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رجلًا أتى النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: إن أخي يشتكي بطنه، وفي رواية: استطلق بطنه. فقال «**اسقه عسلًا**» فذهب، ثم رجع فقال: قد سقيته فلم يغن عنه شيئًا. وفي لفظ: فلم يزده إلا استطلاقًا -مرتين أو ثلاثًا- كل ذلك يقول «**اسقه عسلًا**» فقال له في الثالثة، أو الرابعة «**صدق الله وكذب بطن أخيك**».

---

(١) لأن شيخهم نهاهم عن زيارة أي شيخ كان، غير الصحابة. وحدثني ثقة أن العلامة الشيخ أحمد البناني الشهير بكلّا، مر بمصر في طريقه إلى الحج، ورغب في زيارة ضريح الإمام الشافعي، وبعد الزيارة، علم أن الشيخ التيجاني نهى عن زيارة الأولياء. وهو تيجاني- فرجع من الطريق إلى الضريح، وقال يخاطب الإمام الشافعي: يا إمام زيارتك رد عليك، قالها ثلاثًا وانصرف. فإن صحت فهي تدل على تعصب شديد، ومع غباوة أشد. وقد يؤيد صحتها أن التيجانيين بالمغرب، لا يزورون وليًّا من الأولياء، ولا يحضرون المواسم التي تقام لهم. مثل موسم مولاي إدريس الأكبر، بمدينة زرهون، وموسم مولاي عبد السلام بن مشيش، ببني عروس، وموسم مولاي العربي الدرقاوي، ببني رزوال. وموسم سيدي محمد بن عيسى، بمكناس. فالتيجانيون بالمغرب هم وهابية الطرق الصوفية. أما التيجانيون بالمشرق، فينكرون هذه الأشياء، ويتظاهرون بزيارة بعض الأولياء، على سبيل التقية.

كان استطلاق بطن الرجل، بسبب تخمة أصابته عن امتلاء. فأمره النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بشرب العسل، لدفع الفضول المجتمعة في نواحي المعدة والأمعاء. لكن الرجل سقى أخاه من العسل مقدارًا لا يفي بمقاومة الداء، ولا يبلغ الغرض. فلما رجع إلى النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، أمره بمعاودة سقيه العسل مرة ثانية وثالثة، حتى وصل للمقدار الذي يقاوم الداء، فبرأ بإذن الله تعالى.

ولا شك أن اعتبار مقادير الأدوية وكيفياتها، ومقدار قوة المرض والمريض، من أهم قواعد الطب.

وقوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**صدق الله**» في إخباره بأن العسل فيه شفاء، فهو دواء نافع. ولكن «**كذب بطن أخيك**» أي كثرت فيه المادة الفاسدة فلم ينتفع بما أخذه من العسل. فلما سقاه مرة أخيرة، وبلغ المقدار الذي قاوم فساد بطنه صح وبرأ.

وهذا كما يكون بالشخص مرض شديد، ويأخذ مقدارًا من الدواء لا يكفي لدفعه. فلا يكون بقاء المرض، لعدم نفع الدواء، بل لعدم أخذ المقدار الكافي منه.

قال ابن القيم: «وليس طبه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كطب الأطباء. فإن طب النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم متيقن قطعي إلهي صادر عن الوحي،

ومشكاة النبوة وكمال العقل. وطب غيره أكثره حدثي وظنون وتجارب. ولا ينكر عدم انتفاع كثير من المرضى بطب النبوة، فإنه إنما ينتفع به من تلقاه بالقبول، واعتقاد الشفاء به، وكمال التلقي بالإيمان والإذعان. فهذا القرآن الذي هو شفاء لما في الصدور، إن لم يتلق هذا التلقي، لم يحصل به شفاء الصدور من أدوائها، بل لا يزيد المنافقين إلا رجسًا إلى رجسهم، ومرضًا إلى مرضهم. وأين يقع طب الأبدان منه؟ فطب النبوة، لا يناسب إلا الأبدان الطيبة، كما أن شفاء القرآن لا يناسب إلا الأرواح الطيبة، والقلوب الحية. فإعراض الناس عن طب النبوة كإعراضهم عن الاستشفاء بالقرآن الذي هو الشفاء النافع. وليس ذلك لقصور في الدواء، ولكن لخبث الطبيعة، وفساد المحل، وعدم قبوله».اهـ

وذكر للعسل فوائد كثيرة فراجعها في كتاب "زاد المعاد"[1]. وللدكتور

---

(١) جاء في جريدة الأهرام يوم ٢/ ١١ سنة ١٩٦٨– تحت عنوان: «تجارب على عسل النحل، شفاء أمراض مختلفة به»:

أجرى طبيب تركي من أساتذة الجامعات سلسلة من التجارب عالج فيها ١٩٧ مريضًا مصابين بأمراض مختلفة. وكانت النتيجة التي خلص إليها هي أن الدواء الذي يحتاج إليه بعض هؤلاء ليس سوى عسل النحل. وقد عمل هذا الطبيب على أساس أن عسل النحل، غني بالفسفور والكالسيوم والحديد والفيتامين، وذكر ١٧ حالة أمكن علاجها بالعسل. وطريقته لعلاج آلام الظهر على سبيل المثال، هي خلط

١٠٠ جرام من عسل النحل السائل بدهن من الضأن، ودعك الخصر به. وبهذه الطريقة يزول الألم بعد ثلاثة أيام. أما في حالة قرحة المعدة، فعلى المريض أن يأكل من عسل النحل ٤ كيلو جرامات أسبوعيًّا، لمدة شهر، وبذلك تزول القرحة.

وفي جريدة الأهرام أيضًا يوم الأربعاء ١٢/ ١١/ ١٩٦٨ تحت عنوان: «عسل النحل يستعمل كغذاء لمرضى السكر في الاتحاد السوفيتي».

لم يكن الطبيب التركي أستاذ الجامعة الذي عالج ١٩٧ مريضًا بعسل النحل وحده، إلا استمرارًا لخط أساسي هام، موجود في الاتحاد السوفيتي منذ سنوات طويلة، ولا يزال آخذًا في ازدياد. وهو استخدام عسل النحل، كمادة علاجية لكثير من الأمراض، وخصوصًا أمراض الجهاز التنفسي، وأمراض القلب، وتصلب الشرايين. ويستعمل العسل من الظاهر، كعلاج لبعض أنواع الروماتيزم وعدد من الأمراض الجلدية. وفي الاتحاد السوفيتي، معهد لأبحاث عسل النحل. وله فروع في جمهورياته المختلفة. وبلغ من التقدم في استعمال عسل النحل كعلاج، أنهم بدءوا في استعماله كغذاء لمرض السكر، ونجحت هذه الطريقة، بعد اتباع نظام خاص يسمح بكميات العسل أن تهضم بغير أن تضيف رصيد إلى نسبة السكر في الدم وفي البول. وعقد في الاتحاد السوفيتي مؤتمر دولي، لمناقشة مشروعات استخدام العسل الأبيض في العلاج. ونشرت عشرات التقارير الطبية، والدراسات المدعمة بالأرقام، عن نتائج استعمال العسل في علاج الربو وأمراض البرد وفقر الدم والروماتيزم واضطرابات المعدة وأمراض الكبد؛ ولأن تركيب عسل النحل يختلف بعض الشيء حسب نوعية الغذاء الذي يعيش عليه النحل، فإن الدراسات العامة التي أجريت في الاتحاد السوفيتي، عن علاقة عسل النحل بنوعية غذاء النحل، فتحت الطريق للحصول على أنواع من العسل تناسب الاستعمالات المختلفة. ويقومون بتعبئتها بطرق خاصة كالأدوية

تمامًا، ويكتب عليها التركيب الخاص بها واستعمالاته. وبدأ الاتحاد السوفيتي يصدر هذه الأنواع من العسل إلى دول أوربا وأمريكا، ومن أكثر دول أوربا استيرادًا لهذه الأنواع. اليونان، ولو أنه لا توجد الطرق العملية لتقييمه، كما في الاتحاد السوفيتي. وقد نشر الاتحاد السوفيتي عدة كتب عن استعمالات العسل في العلاج الطبي، وترجمت إلى أكثر لغات العالم، وتعتبر الآن مراجع في العلاج بالعسل. وتركيب العسل يتراوح بين ٤١٪ سكر فواكه، ٣٤٪ سكر عنب، ٨,١٪ دكسترين، ٩,١٪ سكروز، ٣,٠٪ بروتين، ٤,٠٪ فتروجين بالإضافة إلى عناصر الحديد والكالسيوم والصوديوم والمغنسيوم والبوتاسيوم والفسفور ومواد عطرية. وهذا غير حبوب اللقاح التي تعتبر أساسية من أساسيات أهمية عسل النحل، وخصوصًا لتقوية النشاط العام. وهذا غير بعض مكونات العسل الخاصة التي توجد في غذاء ملكات النحل، داخل الخلية ذات التركيب الخاص، والذي يقطع الذين جربوه بأنه أحسن هرمون طبيعي للنشاط. وقد أعلن الدكتور ألفريد أستاذ التغذية ببريطانيا أن العسل يحتوي على منجنيز ونحاس وحديد، كما وجد في بعض أنواعه التي تعيش في مزارع قرب مشارف مناطق التعدين. وأن هذه العناصر، تدخل في تكوين الهيكل العظمي للإنسان. ولهذا فإن هذا النوع من العسل، ولو أنه يبدأ فاتحًا بالنسبة لأنواع العسل الشفاف، إلا أنه أكثر فاعلية لعلاج أمراض الصدر، وفقر الدم. وفي بريطانيا مركز دولي لأبحاث النحل، في كوين بكنجهام شاير. يضم اتحاد المشتغلين بأبحاث النحل من ٩٠ دولة. وترأسه الدكتورة ايفاكرين، ويضم الأبحاث الخاصة بالنحل، وبعسل النحل، بسبعة وأربعين لغة. وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩] وهذا مما يؤكد إعجاز القرآن العلمي.

أحمد لطفي عبد السلام كتاب "نحل العسل" أثبت فيه علاج أمراض الكبد والمعدة والحموضة والسكر والأمراض العصبية وغيرها بالعسل، وهو مطبوع. ولأبي العباس أحمد بن إبراهيم بن سمكة القمي، كتاب العسل، استوفى فيه ما جاء في ذكر العسل وصفته، وما قيل في النحل.

حكم الصلاة في القمر

جاءني خطاب من أخي العلامة السيد حسن بن الصديق حفظه الله، يقول فيه: سيدي علمتم نبأ وصول الإنسان إلى القمر، فماذا عسى يكون حكم الصلاة عليه؟ وفي الطريق إليه بالنسبة لاستقبال القبلة؟ ولأوقات الصلاة إن كانت تختلف عن الأرض؟ وكذلك بالنسبة للصيام؟ لو فرضنا أن الإنسان استطاع المكث فيه أو في غيره من الكواكب الأخرى التي يمكن العيش فيها، بسبب وجود الهواء فيها كالمريخ مثلًا؟ إذ من المعلوم أن الصيام مرتبط بظهور الهلال، وقد أصبح الإنسان على ظهره، أو على كوكب آخر، لا علاقة للقمر به، أرجو الإفادة مشكورين.

والجواب: هذه أسئلة بكر تتعلق بموضوع لم يسبق له وجود قبل اليوم منذ وجد الإنسان على ظهر البسيطة. إذا استثنينا النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فإنه عرج إلى السموات العلى، حتى وصل إلى قرب سدرة المنتهى، وإلى مستوى سمع فيه صريف الأقلام، لكنه لم يذهب إلى القمر، وإن تجاوزه بمسافات بعيدة؛ لأن عروجه كان للتكريم، ومشاهدة آيات الخالق العظيم، كما قال تعالى: ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ [النجم: ١٨] ومجرد الوصول إلى

القمر لا تكريم فيه؛ لأن أرضه جرداء، لا نبات فيها ولا كائنات حية، ولا يمكن الإقامة عليها، حسبما أثبتته التحاليل التي أجريت على تربته وصخوره. فإن تغيرت تلك التحاليل، وفرض إمكان سكناه في المستقبل القريب أو البعيد، فإن حكم الصلاة والصيام لساكنيه ينبني على مقدمة، يتبين بعد تقريرها الجواب، والله الموفق للصواب:

لا شك أن الله سخر الشمس والقمر والكواكب لأهل الأرض، كما جاء في عدة آيات: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩]. ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [الأعراف: ٥٤]. ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ [إبراهيم: ٣٣]. ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [النحل: ١٢]. ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦]. ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٢ - ٣٣]. ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [لقمان: ٢٩]. ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣]. وكذلك خطاب التكليف موجه إلى أهل الأرض ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ [الأعراف: ٣١]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا

ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ [النساء: ١]. ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ [آل عمران: ٩٧]. ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾ [البقرة: ١٥٠]. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [البقرة: ١٨٣].

إلى غير ذلك من آيات والأحكام التي تفيد ذلك المعنى، وهو توجيه التكليف إلى أهل الأرض على سبيل الأصالة.

فإن ذهب جماعة منهم إلى القمر وسكنوه، كانوا في شروط التكليف تابعين لأهل الأرض.

وبيان ذلك: أن اليوم في القمر طويل، يعادل أربعة عشر يومًا. فالمقيمون فيه لا يصلون صلاة يوم واحد، بل يقدرون له، فيصلون صلاة أربعة عشر يومًا بزمن أهل الأرض. ومن جهة استقبالهم في الصلاة، فإن العلماء[1] قرروا أن الكعبة قبلة هي والهواء الذي يسامتها من فوقها إلى السماء السابعة، فإن أمكنهم أن يستقبلوا ذلك الهواء، توجهوا إليه في صلاتهم، وكانوا مستقبلين للقبلة، وإن تعذر عليهم استقباله، توجهوا حيث شاءوا؛ لأن المقرر في الفقه أن استقبال الكعبة شرط في صحة الصلاة مع الإمكان، وإن تعذر الاستقبال،

---

(١) حيث يوجد البيت المعمور، قبلة أهل السماء. وهو موازي للكعبة، بحيث لو سقط وقع عليها.

توجه إلى أي مكان. وعليه حمل بعض العلماء قول الله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥][(١)].

أما الصيام، فيتعين في حقهم: أن يعتمدوا فيه على الحساب؛ لأن رؤية الهلال في حقهم متعذرة. فيعملون حسابًا فلكيًّا: متى يظهر مكانهم الذي هو القمر، هلالًا لأهل الأرض؟ فيصومون، وكذلك يفطرون بالحساب. ويكون يوم صومهم مقدرًا كتقديره في الصلاة.

أما الحج، فإنهم ينتقلون إلى الأرض لأدائه. والمسافر إلى القمر، إن أمكنه التحرك في سفينة الفضاء، صلَّى فيها بركوع وسجود، متجهًا إلى هواء الكعبة كما سبق. فإن لم يمكنه التحرك ولا الاستقبال، صلى بالإيماء متجهًا إلى أي جهة تتيسر له.

وحكم سكان الكواكب الأخرى -إن أمكنت سكناها- حكم سكان القمر في الصلاة والصيام والحج؛ إلا أنهم في الصيام إن أمكنهم رؤية الهلال، صاموا وأفطروا برؤيته، وإن لم يمكنهم، عملوا بالحساب.

وإن لم يوجد ماء في الكواكب، فالتيمم يكفي للوضوء وغسل الجنابة. وإن وجدت فيها حيوانات -على سبيل الفرض- فما كان منها مثل الحيوانات المباحة في الأرض، كالأرنب مثلًا، كان مباحًا. وما كان مثل الحيوانات المحرمة، كالفأر

---

(١) وقال جماعة: نزلت الآية في صلاة المسافر النفل على دابته حيثما توجهت به. على أنها نزلت ردًّا على اعتراض اليهود، حين حولت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة.

والخنزير، كان حرامًا. وإن لم يعرف له شبيه في الأرض يُنظر، فإن كان ذا ناب يفترس به، أو مخلِب يجرح به، أو يتغذىٰ بالنجاسة، كان حرامًا، وإن لم يكن له ناب، ولا مخلب، ولا يتغذىٰ بالنجاسة، كان مباحًا. هذا حكم سكان الكواكب(١)، حسبما تقتضيه قواعد الشريعة الإسلامية، والله أعلم.

---

(١) يجب أن ننبه علىٰ أن وصول الإنسان إلىٰ الكواكب الأخرىٰ كالقمر، لا ينقض قوله تعالىٰ: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴾ [الرحمن: ٣٣].

فقد فهم بعض الناس أن وصول الإنسان إلىٰ القمر، أبطل معنىٰ الآية. وهذا خطأ كبير؛ بل التحدي في الآية قائم، ينادي علىٰ الإنس والجن بالعجز التام، وسيظل كذلك يتحداهم إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ لأن الآية تقول: يا معشر الجن والإنس إن قدرتم أن تخرجوا من السموات والأرض بحيث لا يلحقكم عذاب الله، فاخرجوا فإنكم لا تستطيعون الإفلات من عذاب الله إلا بسلطان أي بقوة، ولا قوة لكم، هذا معنىٰ الآية بإيضاح وتفصيل. والقصد بها إعلام الجن والإنس أنهم لا يقدرون علىٰ الفرار من عذاب الله إن كفروا؛ لأن مصيرهم إليه. وهم في قبضته لا يستطيعون أن يهربوا منه إلىٰ غيره. اقرأ قوله تعالىٰ: ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴾ [الرحمن: ٣٥ – ٤٤]

وجوب التحرز في الحديث النبوي

قول النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم شرع ثابت وكذلك فعله وتقريره؛ لأنه مبلغ عن الله تعالى، ومبين لكتابه. كما قال سبحانه يخاطبه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] ومن هنا كان الحديث عنه

فانظر كيف توعد المجرمين من الجن والإنس بنار جهنم، بعد أن أخبر أنهم لا يستطيعون الهرب منها إلا بالخروج عن هذه الدنيا بأرضها وسمواتها، إلى مكان لا حكم لله فيه. وذلك غير ممكن من جهتين:

الأولى: أنه في نفسه محال.

والأخرى: أنه على فرض إمكانه فإن قدرتهم لا تصل إليه. والآية اقتصرت على هذه الجهة؛ لأن المقام مقام تحدي، والتحدي إنما يتوجه إلى القدرة لأنها مناط العمل.

وننبه على مسألة أخرى، وهي أن علم الفلك أثبت أن الأرض كوكب من جملة الكواكب الواقعة في المجموعة الشمسية. وأن الشمس ثابتة، والأرض تدور حولها. وأن في الفضاء اللانهائي مائة ألف مليون مجرة، كل مجرة تحتوي على مائة ألف مليون كوكب أكبر من الشمس. وهذا يدل على أن الأرض تابعة للشمس، وأنها كوكب صغير بالنسبة للكواكب الضخمة الجبارة. ومع ذلك فالآيات التي أوردناها آنفًا، مصرحة بأن الله خلق الشمس والقمر والنجوم وسخرها لنا، وخلق ما في السموات والأرض جميعًا لمصلحتنا. وقال للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] يعني آدم وذريته. ثم إن الشمس وتلك النجوم التي هي أضخم منها وأعظم، ما هي إلا أجرام جامدة، لا قيمة لها بالنسبة للإنسان الذي جعله الله أهلًا للتكليف، واصطفى منه الرسل والأنبياء، وجعل منه المصلحين والفلاسفة والعلماء.

شديدًا، والخطأ فيه جد خطير.

وقد أجمع العلماء على أن الكذب في الحديث النبوي من الكبائر؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «**مَن قال عَلَيَّ ما لم أَقُلْ فليتبوَّأ مَقْعَدَهُ مِن النَّارِ**».

وفي لفظ آخر: «**مَن كَذَبَ عَلَيَّ مُتعَمِّدًا فليتبوَّأ مَقْعَدَهُ مِن النَّارِ**». وهو حديثٌ متواترٌ.

وفي حديثٍ صحيحٍ: «**مَن حَدَّث عَنِّي بحَديثٍ يُرَى أَنَّه كَذِبٌ فهو أَحَدُ الكاذبين**». يرى بضم الياء، معناه: يظن. والكاذبين: روي بالتثنية وبالجمع.

والمعنى: أن من حدث عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بحديث وهو يظن أنه كذب كان من جملة الكاذبين، يلحقه إثم الكذب، ولعنة الله تعالى.

ولقد علم النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أن رجلًا ذهب إلى أناس في ضواحي المدينة، وقال لهم: إن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعثني إليكم، وأمركم أن تزوجوني بنتكم. فغضب عليه الصلاة والسلام غضبًا شديدًا، وأرسل إليه أبا بكر وعمر، وأمرهما بقتله وإحراقه. وما ذاك إلا لشناعة الكذب على النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم .

ولعل هذا الحديث، هو مدرك الإمام أبي محمد الجويني والد إمام الحرمين، في حكمه بكفر الكاذب على النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، إذ لو لم يكن ما فعله كفرًا لما أمر بقتله. وهذا الموضوع مبسوط في كتب الحديث بتفصيل.

وإنما ذكرنا هذه النبذة هنا، لننبه على حديث مكذوب، أذيع ليلة المولد النبوي الشريف سنة ١٣٨٩هـ فقد أجرت مجلة الهواء في تلك الليلة حديثًا مع

الشيخ أحمد الباقوري، تكلم فيه عن رفق النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالنساء وعطفه عليهن، فنسب إلى البخاري: أنه روى حديثًا جاء فيه: أن رجلًا جاء إلى النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يدعوه إلى بيته لتناول طعام، فقال له النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «وهذه معي؟» يعني عائشة. فقال الرجل: لا. فقال النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم «لا» ورجع الرجل إليه ثاني مرة، فكان الجواب هو الجواب. فلما وافق ثالث مرة، على دعوة عائشة. أجاب النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم دعوته.

وهذا حديث مكذوب، لم يروه البخاري ولا أحد من أصحاب الكتب الستة، بل لا أصل له إطلاقًا.

وهو مخالف لما عرف من حال النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم . فقد كان إذا دعي إلى طعام، أجاب الداعي، ولم يشترط عليه أي شرط. بل ثبت في الصحيحين عن أبي مسعود البدري قال: دعا رجل النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لطعام صنعه له خامس خمسة. فتبعهم رجل، فلما بلغ الباب قال له النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إن هذا تبعنا فإن شئت أن تأذن وإن شئت رجع**» قال: بل آذن له يا رسول الله.

وأيضًا فإنه ليس بلائق، ولا مستساغ أن يدعى الرجل إلى طعام، فيشترط على الداعي أن يدعو معه زوجته. ومن فعل هذا يكون دنيء الطبع ساقط المروءة، عديم الذوق، ومن البدهيات في علمي التوحيد والأصول أن الأنبياء معصومون من دناءة الطبع، وخوارم المروءة، كعصمتهم من المعاصي. إذ من المستحيل عقلًا: أن يكون دنيء الطبع داعيًا إلى الله، أو ساقط المروءة هاديًا إليه.

والشيخ الباقوري يتحمل تبعة هذا الحديث، وعليه يقع إثمه. وهو جريء على القول في الدين بغير تثبت. فكم له من فتاوى لا سند لها ولا دليل! بل له آراء تناقض دلائل الشرع وقواعده، دفعه إلى إبدائها رغبته في أن يعرف بين الناس بالتحرر والمرونة. وإني كلما قرأت له فتوى أو سمعت رأيًا له. تذكرت ما يحكى عن شخص سئل: هل تعرف العلم؟ فأجاب: نعم وأزيد فيه! والشيخ الباقوري يزيد في الشرع حسب الحاجة والهوى!!

أباحت الشريعة للرجل الخاطب أن ينظر إلى المرأة المخطوبة. فزاد هو على ذلك بأن أباح له: أن يخاصر مخطوبته ويقبلها!!

ورخصت الشريعة -في بعض المذاهب للابس الخاتم المأذون له فيه -إذا كان ضيقًا- ألا يحركه في الوضوء. فأباح هو للمرأة التي تستعمل المونيكير في أظافرها: أن تتوضأ به ووضوؤها صحيح، مع أنه يحجز الماء عن الوصول إلى الظفر، والوضوء به باطل، باتفاق المذاهب.

وأباح أخذ الفوائد التي تتعامل بها المصارف في القرض، بحجة أن التعامل بها صار ضروريًّا في هذا العصر، وتركها يعد تخلف عن ركب الحضارة!!

ولو ذهبنا نعد سقطاته، بل طاماته لاحتجنا إلى تأليف كتاب مستقل، نسأل الله لنا وله التوفيق.

﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

محاضرة عن التصوف في إفريقيا وخدمته للإسلام

أثر التصوف في نشر الإسلام بأفريقيا

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وآله وصحبه وبعد: فإن الحديث عن التصوف والصوفية، وإسهامهم في المحافظة على التراث الإسلامي بالمغرب، هو حديث طويل، له ذيول كثيرة، ونواح متعددة. والاستفاضة فيه تقتضي وقتًا طويلًا، ومراجع كثيرة، ودراسة حقب طويلة من تاريخ المغرب، والإلمام بتراجم شخصيات عديدة، لا تكفي فيها محاضرة أو محاضرتان. فضلًا عن إعواز المراجع اللازمة لهذا البحث، وأكثرها لا يزال مخطوطًا.

وحتى المطبوع منها أصبح نادرًا، يعز الحصول عليه في طنجة التي لا تحتوي على مكتبات تجارية هامة ولا على خزانات عامة، أما المخطوطات فلا وجود لها إطلاقًا، وما بها من مكتبات لا يغني شيئًا، لاسيما في بحث تاريخي كهذا.

وطالما شكا الباحثون وأهل العلم من إعواز المراجع بهذه المدينة، ولا أنسى أنني احتجت أثناء تحضيري لدرس إلى كتاب في التوحيد، متداول مشهور، طبع عدة مرات، فاستقصيت في البحث عنه جهد الطاقة، ولم أترك شخصًا أعرفه من أهل العلم بها إلا سألته عنه، ولكن بدون فائدة.

وإذا كان هذا هو الشأن في كتاب دراسي مشهور، فماذا عسى أن يكون الحال في كتاب نادر، وفي موضوع لا يهم إلا من يعنيه أمره بالذات؟!

لهذا ولجميع ما تقدم، فإني أعتذر إليكم مقدمًا عن عدم تمكني من إيفاء

الموضوع حقه، وما يستحقه من عناية، لاسيما وهو موضوع طريف، لا يزال بكرًا. يحتاج -زيادة على المراجع- إلى وقت وتفرغ، ولا وقت، ولا تفرغ. فمعذرة، والعذر عند كرام الناس مقبول.

ومع هذا وذاك، وعملًا بقاعدة: ما لا يدرك كله، لا يترك كله. فإني آمل بحول الله أن أعطي نظرة مصغرة موجزة على ما كان للصوفية من فضل في ميدان نشر العلم والمعرفة والدعوة إلى الله تعالى، والتمسك بأخلاق الإسلام وآدابه، وبث روح المقاومة والجهاد ضد الاحتلال الأجنبي. وكيف اضطلع أهل الزوايا بمهمة الدفاع عن البلاد! حتى انحصرت فيهم في حقب من تاريخ المغرب.

وما دام الحديث يتعلق بالتصوف والصوفية، فإن من المناسب التعرض في البداية للكلام على التصوف نفسه، لنخلص منه إلى صوفية المغرب.

التصوف هو من الموضوعات الخصبة التي شغلت حيزًا مهمًا من التراث الإسلامي. وما كتب فيه: له أو عليه، يحتل مكانة بارزة في المكتبة الإسلامية، ومع أن التصوف في العصر الحاضر لم تتبق له تلك الصولة التي كانت له في القديم، فإن من حسن الحظ أن نرى العناية به تشتد في هذه الأيام، ولو في نطاق البحث العلمي. فنرى رجالًا كثيرين أخذوا يولون عنايتهم ببعث التراث الصوفي الأصيل، والتخصص في البحث فيه، وفي رجالاته.

وتألفت أخيرًا في مصر لجنة نشر التراث الصوفي، وأخذت على نفسها نشر أمهات كتب التصوف. وبالفعل نشرت طائفة من هذه الأمهات، ككتاب "الرعاية لحقوق الله" للمحاسبي، و"اللمع" لأبي نصر الطوسي. و"التعرف"

للكلاباذي وغيرها، كما ظهرت عدة دراسات وأبحاث وكتب خاصة بالتصوف، كالتصوف لزكي مبارك، والتصوف لأبي العلاء العفيفي وآخرين، وأدرج بحث التصوف ضمن برنامج الفكر الإسلامي، المقرر بالسادسة من التعليم الثانوي.

وكان للمستشرقين دور هام في بعث هذا الاتجاه والعناية بالتصوف كمظهر من مظاهر الفكر الإسلامي وروحانيته. فكتبوا عنه وعن رجالاته الشيء الكثير، بل كثير منهم تخصصوا فيه، وقصروا بحوثهم عليه.

أما ما هي حقيقة التصوف؟ وما هو موضوعه؟ فإن العلماء اختلفوا اختلافًا كثيرًا طويلًا في تعريف التصوف، وصعب على الباحثين فيه وجود تعريف عام جامع مانع -كما يقول المناطقة- للتصوف. ذلك أن التصوف ليس مذهبًا قائمًا على حدود ضيقة أو أصول وقواعد محدودة، شأن المذاهب الفقهية أو الكلامية مثلًا. ولا هو كذلك علم ذو حدود خاصة، وموضوعات معينة، يمكن اكتسابه بمجرد الاطلاع عليها، والإلمام بها، وإنما هو قبل كل شيء: سلوك ومعاملة، وزهد وعبادة وعزوف عن الدنيا وإقبال على الله تعالى.

وهو -بالتالي- ثمرة الإخلاص في العبادة والمجاهدة في الله ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩] واسترواح إلى الخواطر الربانية، والإلهامات النورانية. والطرق إليه بهذا المعنى كثيرة ومتعددة، فأي طريق سلك بك إلى هذه الغاية، وتحققت معه بثمرة العبادة والمجاهدة، قيل فيه: تصوف.

ولما كانت هذه الطرق لا تنحصر، حتى قال بعضهم: إن الطرق إلى الله على عدد أنفاس بني آدم، اختلفت أنظار الصوفية أنفسهم في تعريف التصوف وحقيقته. فعرفه كل واحد منهم بحسب الطريق التي رأى أنها أقرب في الوصول إلى الله، وقد أوصل أبو نُعيم في "الحِلية" ما قيل في التصوف، إلى ألف قول أو تعريف. وأعقب كل ترجمة في كتابه بتعريف يناسب حال المترجم له وسلوكه، قائلًا عقب كل ترجمة: وقد قيل: التصوف كذا وكذا، مما ينطبق على أحوال صاحبها. وهذا الاختلاف في الواقع، ليس اختلاف تضاد، يوجب سقوطها عن الاعتبار، وإنما هو اختلاف في حال، ودليل على شمول التصوف لكل ما قيل فيه. فهو إلى تعدد الأسماء أقرب، وبه أشبه من الخلاف، بالمعنى المفهوم من الخلاف. وذاك دليل على شرفه، وأنه من السعة والشمول، بحيث لا يحصره حد، ولا يجمعه تعريف. وهذا هو سر نسبة الصوفية إلى شعارهم الظاهر وهو لبس الصوف، دون نسبتهم إلى ما اختصوا به من الكلام على الأحوال والمقامات والمجاهدات. وكان الأولى أن ينسبوا إليها، كما نسب الفقهاء إلى ما اختصوا به من الأحكام، والمحدِّثون إلى الحديث، والمؤرخون إلى التاريخ، والأدباء إلى الأدب وهكذا.

وفي هذا المعنى يقول أبو نصر الطوسي: «فإن سأل سائل فقال: قد نسبت أصحاب الحديث إلى الحديث، والفقهاء إلى الفقه. فلم قلت: الصوفية. ولم تنسبهم إلى حال ولا إلى علم؟ ولم تضف إليهم حالًا كما أضفت الزهد إلى الزهاد، والتوكل إلى المتوكلين، والصبر إلى الصابرين. فيقال له: لأن الصوفية لم

ينفردوا بنوع من العلم دون نوع، ولم يترسموا برسم من الأحوال والمقامات دون رسم. وذلك لأنهم معدن جميع العلوم، ومحل جميع الأحوال المحمودة، والأخلاق الشريفة سالفًا ومستأنفًا. وهم مع الله في الانتقال من حال إلى حال، مستجلين للزيادة. فلما كانوا في الحقيقة كذلك، لم يكونوا مستحقين اسمًا دون اسم. فلأجل ذلك ما أضفت إليهم حالًا دون حال، ولا أضفتهم إلى علم دون علم؛ لأني لو أضفت إليهم في كل وقت حالًا، هو ما وجدت الأغلب عليهم من الأحوال والأخلاق والأعمال، وسميتهم بذلك؛ لكان يلزم أن أسميهم في كل وقت باسم آخر، وكنت أضيف إليهم في كل وقت حالًا دون حال، حسبما يكون الأغلب عليهم. فلما لم يكن ذلك، نسبتهم إلى ظاهر اللبسة، وكان ذلك مجملًا عامًّا مخبرًا عن جميع العلوم والأعمال والأخلاق والأحوال الشريفة المحمودة». اهـ

وهو كلام نفيس للغاية. ومع كل هذه الأقوال التي تبلغ الألف أو تزيد، والتي يصعب تتبعها. لا بأس بذكر بعضها نموذجًا لما قيل في التصوف، وعرف به. وللتأكد من أن الاختلاف بينها ليس من قبيل التضاد، وإنما هو من باب الاختلاف في أهم الأسس التي ينبني عليها التصوف، ويقوم على ملاحظتها، والتخلق بها. فعبر كل واحد عما رآه أولى وأنسب، أو أهم وأشمل.

فمن هذه الأقوال أو التعريفات:

١ - التصوف: أن تكون مع الله بلا علاقة.

٢ - التصوف: الجد في السلوك إلى ملك الملوك.

٣- التصوف: الموافقة للحق، والمفارقة للخلق.

٤- التصوف: ابتغاء الوسيلة، إلى منتهى الفضيلة.

٥- التصوف: حفظ الوفاء، وترك الجفاء.

٦- التصوف: أن لا تملك شيئًا ولا يملكك شيء.

٧- التصوف استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريده... إلخ.

أما الجنيد فعرفه بقوله: التصوف تصفية القلب عن موافقة البرية، ومفارقة الأخلاق الطبيعية، وإخماد صفات البشرية، ومجانبة الدواعي النفسية، ومنازلة الصفات الرُّوحانية، والتعلق بالعلوم الحقيقية، واستعمال ما هو أولى على الأبدية والنصح لجميع الأمة، والوفاء لله على الحقيقة واتباع الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في الشريعة.

قال أخونا أبو الفضل: ولعل هذا التعريف، من أشمل وأوفى ما عرف به التصوف؛ لأنه تضمن الأسس العامة التي ينبني عليها، ولا عجب فهو صادر عن الجنيد، إمام الطائفة، ورئيس الطريقة التي به عرفت، وإليه تنتسب.

ومثله ما عرفه به ابن خلدون في المقدمة من أنه: العكوف على العبادة، والانقطاع إلى الله، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة. ومهما قيل في حقيقته، واختلف في تعريفه، فقد أصبح متميزًا بمناهجه وطرقه وموضوعاته وأبحاثه وكتبه ورجالاته.

ومن ثم عُدَّ من جملة العلوم الشرعية المستحدثة في الملة الإسلامية، واعتبر

ثالث علوم الدين، بعد التوحيد والفقه. هذه العلوم الثلاثة التي تشرح مقامات الدين، وهي التي ثبتت في حديث جبريل عليه السلام. وذلك فيما رواه مسلم في "صحيحه" عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرىٰ عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتىٰ جلس إلىٰ النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فأسند ركبتيه إلىٰ ركبتيه ووضع كفيه علىٰ فخذيه[1]. وقال: يا محمد، أخبرني عن الإسلام؟ أخبرني عن الإيمان، أخبرني عن الإحسان؟ فأجابه النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن الإسلام والإيمان، وقال له عن الإحسان: «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**» الحديث. قال عمر: ثم انطلق الرجل فلبث مليًّا، ثم قال: «**يا عمر أتدري من السائل؟**» قلت: الله ورسوله أعلم. قال «**فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**». فسمىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كلًّا من الإيمان الذي هو موضوع العقائد، والإسلام الذي هو موضوع الفقه، والإحسان الذي هو موضوع التصوف، دينًا. وحين أخذ المسلمون يشتغلون بالتأليف والتدوين، اشتغلت طائفة منهم ببيان أركان الإيمان والعقيدة، فأطلق عليهم علماء التوحيد والكلام. واشتغلت طائفة أخرىٰ ببيان أركان الإسلام وقواعده، فسموا الفقهاء. بينما اشتغل أقوام ببيان مقام الإحسان والطرق

---

(١) أي فخذي نفسه، فعل ذلك تأدبًا مع النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وللإشارة إلىٰ أن الطالب ينبغي له أن يتأدب مع أستاذه.

الموصلة إليه، فلقبوا بالصوفية.

وهكذا يكون التصوف في أصله من صميم الدين، وأحد علومه. قال الطوسي في "اللمع": وجملة علوم الدين لا تخرج عن ثلاث: آيات من كتاب الله عزَّ وجلَّ، وخبر عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أو حكمة مستنبطة خطرت علىٰ قلب ولي من أولياء الله، وأصل ذلك حديث الإيمان، حيث سأل جبريل النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن أصول ثلاث؟ عن الإيمان والإسلام والإحسان الظاهر والباطن، وهو قول النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**». وصدقه علىٰ ذلك جبريل. قال: والعلم مقرون بالعمل، والعمل مقرون بالإخلاص، والإخلاص أن يريد العبد بعلمه وعمله وجه الله تعالىٰ. وهؤلاء الأصناف الثلاثة، في العلم والعمل متفاوتون، وفي مقاصدهم ودرجاتهم متفاضلون. إلىٰ أن قال: فكل من أشكل عليه أصل من أصول الدين وفروعه وحقائقه وحدوده وأحكامه ظاهرًا وباطنًا، فلابد له من الرجوع إلىٰ هؤلاء الأصناف الثلاثة: أصحاب الحديث والفقهاء والصوفية.

فتوى الإمام الوالد عن أصل التصوف ونشأته

وفي هذا المعنى قال الوالد رحمه الله تعالى -في جواب له عن أول من أسس طريق التصوف-: وأما أول من أسس الطريقة، وهل كان تأسيسها بوحي؟ فاعلم أن الطريقة أسسها الوحي في جملة ما أسس من الدين المحمدي، إذ هي بلا شك مقام الإحسان الذي هو أحد أركان الدين الثلاثة التي جعلها النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعد ما بينها واحدًا واحدًا، دينًا. فقال: «**هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**».

فغاية ما تدعو إليه الطريقة وتشير إليه: مقام الإحسان، بعد تصحيح الإسلام والإيمان. فالدين كما في الحديث، عبارة عن الأركان الثلاثة. فمن أخلَّ بمقام الإحسان الذي هو الطريقة، فدينه ناقص بلا شك؛ لتركه ركنًا من أركانه. ولهذا نصَّ المحققون على وجوب سلوك طريق التصوف وجوبًا عينيًّا[1]، واستدلوا على ذلك بما هو ظاهر عقلًا ونقلًا».

إلى أن قال في جواب هل كان الصحابة صوفية؟ جواب هذا يعلم مما قبله، فإن الطريقة إذا كانت من الدين؛ بل هي أشرف أركانه. وكانت بوحي كما قلنا، وكان الصحابة بالحالة التي بلغتنا عنهم تواترًا من المسارعة إلى امتثال أمرًا لله، كانوا بالضرورة أول داخل فيها، وعامل بمقتضاها، وذائق لأسرارها وثمراتها، ولهذا كانوا على غاية ما يكون من الزهد في الدنيا، والمجاهدة لأنفسهم، ومحبة الله تعالى ورسوله والدار الآخرة، والصبر والإيثار والرضا

---

(١) بينت ذلك في رسالة "حسن التلطف في بيان وجوب التصوف" وهي مطبوعة.

والتسليم وغير ذلك، من الأخلاق التي يحبها الله ورسوله، وتوصل إلى قربهما، وهي المعبر عنها بالتصوف[١] والطريقة.

وكما كانوا رضي الله عنهم على هذه الحالة، كان أتباعهم أيضًا عليها، وإن كانوا دونهم فيها. وكذلك كان أتباع الأتباع، وهلم جرا. إلى أن ظهرت البدع، وتأخرت الأعمال، وتنافس الناس في الدنيا، وحييت النفوس بعد موتها. فتأخرت بذلك أنوار القلوب، وكادت الحقائق تنقلب. وكان ابتداء ذلك في أواخر المائة الأولى من الهجرة، ولم يزل ذلك يزيد ويشتد سنة بعد أخرى، إلى أن وصل إلى حالة تخوف منها السلف الصالح على الدين. فانتدب عند ذلك العلماء لحفظ الدين، فقامت طائفة منهم بحفظ مقام الإسلام، وضبط فروعه وقواعده، وقامت أخرى بحفظ مقام الإحسان، وضبط أعماله وأحواله.

فكان من الطائفة الأولى، الأئمة الأربعة وأتباعهم، وكان من الطائفة الثانية الأشعري وأصحابه، وكان من الثالثة الجنيد وأشياخه وأصحابه. فعلى هذا ليس الجنيد هو المؤسس للطريقة، وإنما نسبت إليه، لتصديه لحفظ قواعدها وأصولها، ودعائه للعمل بذلك، عندما ظهر التأخر عنها. ولهذا السبب نفسه نسبت العقائد إلى الأشعري، والفقه إلى الأئمة الأربعة وغيرهم، مع أن الجميع بوحي من الله تعالى. انتهى.

---

(١) هذا يبين أن الصحابة كانوا متلبسين بالتصوف العملي، وهو كذلك. إلا أن عليًّا رضي الله عنه امتاز عنهم بتبريزه في التصوف العملي أيضًا، فإنه تكلم في التوحيد والقضاء والقدر، وفي الحقائق والرقائق والحكم بأسلوب عالٍ وبيان متين.

وقال ابن خلدون في "المقدمة": «التصوف من العلوم الشرعية الحادثة في الملة، وأصله: أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، طريقة الحق والهداية. وأصلها العكوف على العبادة، إلى آخر ما سبق نقله عنه. ثم قال: وكان ذلك عامًّا في الصحابة والسلف. فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده، وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة.

إذن فالذي حدث هو الاسم، وتمييز المقبلين على العبادة باسم التصوف. أما النهج والطريقة، فهي نفس ما كان عليه الصحابة والتابعون ومن بعدهم إلى أن قال– بعد أن تكلم على الأحوال والمقامات التي خاضوا فيها: فظهر أن أصل طريقتهم كلها محاسبة النفس على الأفعال والتروك، والكلام في الأذواق والمواجيد التي تحصل عن المجاهدات، ثم تستقر للمريد مقامًا، ويترقى منها إلى غيرها.

ثم لهم مع ذلك آداب مخصوصة بهم، واصطلاحات في ألفاظ تدور بينهم. إذ الأوضاع اللغوية، إنما هي للمعاني المتعارفة، فإذا عرض من المعاني ما هو غير متعارف، اصطلحنا على التعبير عنه بلفظ يتيسر فهمه منه، فلهذا اختص هؤلاء بهذا النوع من العلم الذي ليس لواحد غيرهم من أهل الشريعة الكلام فيه. وصار علم الشريعة على صنفين: صنف مخصوص بالفقهاء وأهل الفتيا، وهي الأحكام العامة في العبادات والمعاملات. وصنف مخصوص بالقوم، في القيام بهذه المجاهدة ومحاسبة النفس عليها. والكلام في الأذواق والمواجيد

العارضة في طريقها، وكيفية الترقي منها من ذوق إلى ذوق، وشرح الاصطلاحات التي تدور بينهم في ذلك. فلما كتبت العلوم ودونت، وألف الفقهاء في الفقه وأصوله والكلام والتفسير وغير ذلك، كتب رجال من أهل هذه الطريقة في طريقهم، وصار علم التصوف في الملة مدونًا، بعد أن كانت الطريقة عبادة فقط. وكانت أحكامها إنما تتلقى من صدور الرجال، كما وقع في سائر العلوم التي دونت. يعني أن نفس هذه العلوم ابتدأت أولًا عن طريق التلقي شفويًّا، ثم دونت كما وقع في التصوف تمامًا.

وإنما أكثرت من هذه النقول هنا، لتتبينوا حقيقة التصوف، وأنه من صميم علوم الدين والمسلمين. وأن مصدره الأول كتاب الله وسنة رسوله، لا كما يزعم بعضهم -متأثرًا بآراء المستشرقين- من أنه علم مبتدع في الدين، ودخيل في الإسلام. وأنه متأثر بالمسيحية والأفلاطونية الحديثة، وتصوف الهنود البوذيين.

رد أحمد أمين على من زعم أن التصوف دخيل في الإسلام

ويعجبني ما قاله أحمد أمين في هذا الموضوع، في الجزء الرابع من "ظهر الإسلام"، قال: «ويحق لنا أن نتساءل هل وجود فكرة في إحدى هذه الأمم، ثم وجودها بعد ذلك في المتصوفة، دليل على أنها أخذت عنها؟ فإذا وجدنا الفناء في البوذية، ثم وجدت فكرة الفناء في الصوفية، هل يكون هذا دليلًا على أخذ الآخرين من الأولين؟ قد يكون هذا من التفكير الذي يدعو إلى الشك لا الجزم، خصوصًا وأن هناك موانع كثيرة من هذا الرأي، مثل أن رابعة العدوية

امرأة عربية، لم يثبت لنا أنها ثقفت ثقافة أجنبية، وهي أول من تكلم في الحب الإلهي. فمن أين وصل إليها الحب النصراني؟ ثم إن الاتجاهات المتحدة والأمزجة المتحدة، تنتج نتائج متحدة.

قد لا نعجب إذا وجدنا النتائج العقلية متحدة في العالم؛ لأن عقول الناس في العالم متشابهة، وهي تسير على قوانين منطقية واحدة، من مقدمات مشروطة بشروط، وأنواع من القياس. أما العواطف، فمختلفة كثيرة عند الناس. ومع ذلك لما اتحد الصوفيون في طريقة رياضة النفس والمجاهدة والأخذ عن المشايخ، رأيناهم أيضًا تقاربوا في النتائج، ورأينا الصوفي العراقي، يفهم الصوفي الأندلسي والعكس. ومحي الدين ابن العربي الأندلسي، استطاع أن يفهم الحلاج العراقي وهكذا، أفبعد هذا نستطيع أن نجزم بتسرب بعض العناصر المختلفة إلى التصوف؟... إلخ.

وهو كما ترى في غاية الوجاهة والنفاسة. ومن كل ما سبق ندرك أن التصوف نشأ أول ما نشأ، عبادة وزهدًا وإقبالًا على الله، وأن ما يدعو إليه كان هو طريقة السلف الصالح عامة من الصحابة والتابعين... ولذلك لم يعرفوا به، ولم يختصوا بلقبه، إذ كان الشأن في كل مسلم، في تلك العصور أن يكون متحليًا به، متحققًا بمقامه. فكما لم يعرف الصحابة بالفقهاء والمحدثين والمفسرين، مع أنهم كانوا في الواقع فقهاء وأصحاب حديث ومفسرين ولغويين، فكذلك لم يعرفوا بالصوفية. وإنما عرفوا بالصحابة؛ لأن شرف الصحبة التي خصوا بها، لا يعادله شيء في الفضل. قال الطوسي: الصحبة مع

رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، لها حرمة وتخصيص، من شمله ذلك فلا يجوز أن يطلق عليه اسم، على أنه أشرف من الصحبة، وذلك لشرف رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وحرمته. ألا ترى أنهم أئمة الزهاد والعباد والمتوكلين والفقراء والراضين والصابرين والمخبتين وغير ذلك وما نالوا جميع ما نالوا إلا ببركة الصحبة مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم . فلما نسبوا إلى الصحبة التي هي أجل الأحوال، استحال أن يفضلوا بفضيلة غير الصحبة التي هي أشرف الأحوال.

هذا وكما اختلفوا في حقيقة التصوف وتعريفه، اختلفوا في لفظة صوفي وأصلها؟ فقيل: إنها نسبة إلى الصف الأول، لما كان شأن أصحابه التزام الصف الأول أي في الصلاة. وقيل: إنها نسبة إلى الصفة الحميدة، أو الصفاء. وأن الأصل فيها كان: صفوي على القياس، ثم عدل عنها إلى الصوفي تخفيفًا.

وقيل:إنها نسبة إلى الصُّفَّة -بضم الصاد المشددة ثم الفاء المشددة المفتوحة- وهي موضع مظلل في آخر المسجد النبوي، كان يأوي إليه فقراء الصحابة والمنقطعون منهم للعبادة. وقيل: إنها نسبة إلى رجل اسمه صوفة أو إلى كلمة سوفيا -اليونانية- بمعنى الحكمة.

وقال التادلي في "التشوف": الذي يعول عليه: أن الصوفي هو المنقطع بهمته إلى الله تعالى، المتصرف في طاعته. وهو في الأصل منسوبًا إلى صوفة، وهم قوم من العرب. والمتصوف هو المدخل نفسه في الصوفية. كقولهم تقيس إذا أدخل نفسه في قيس غيلان. وقال ابن فارس في مجمله: صوفة قوم كانوا في

الجاهلية يخدمون الكعبة ويجيزون الحاج. قال أبو عبيدة: هم قبائل اجتمعوا وتشبكوا، كما تشبك الصوف.

قال الخليل بن أحمد في "كتاب العين": صوفة حي من تميم، وهم الصوفان الذين كانوا يجيزون الحاج، من عرفات. كان أحدهم يقوم فيقول: أجيزي صوفة. فإذا أجازت، قال: أجيزي خندف، فإذا أجازت، أذن للناس كلهم في الإجازة والإفاضة».اهـ

والأقرب إلى الاشتقاق والواقع أنها نسبة إلى الصوف، لما كان الصوف هو اللباس الغالب عليهم؛ لأنه يدل على الزهد والخشونة ولأنه كان لباس الأنبياء والصديقين، وشعار المساكين، كما قاله غير واحد منهم. ويروون في ذلك حديثًا.

قال ابن خلدون: والأظهر -إن قيل بالاشتقاق، يعني أخذه من شيء للإشارة به إلى حالة خاصة وليس لقبًا كما قال القشيري- أنه من لبس الصوف، وهم في الغالب مختصون بلبسه. لما كانوا عليه من مخالفة الناس في لبس فاخر الثياب، إلى لبس الصوف.

وسئل أبو علي الروذباري عن الصوفي؟ فقال: من لبس الصوف على الصفاء، وأطعم الهوى طعم الجفا، وكانت الدنيا منه على القفا، وسلك منهج المصطفى. والشاهد منه: أنه اعتبر الصوفي من كان لباسه الصوف.

ولكنه وإن كان هو الأصل فيه فإنه أصبح بعدُ لقبًا، يعني ما يعنيه اللقب، أو العلم من غير تقيد بأصل الكلمة وما تشعر به، فمن تحقق به فهو صوفي،

حتى ولو لم يلتزم لباسه.

قال أبو الفتح البستي:

تَنـازَعَ النَّـاسُ في الصُّـوفيِّ واخْتَلَفُـوا قِـدْمًا وظَنُّـوهُ مُشْـتقًّا مِـنْ الصـوف
ولستُ أنحل هـذا الاسْـمَ غـيرَ فَتـى صافَى فصُوفي حتَّـى لُقِّـبَ الصُّـوفي

ولغيره:

ليس التصوفُ لبسِ الصُّـوفِ تَرْقَعُـهُ ولا بُكـاءُكَ إذ غَنَّـى المُغَنُّونـا
ولا صِـياحٌ ولا رَقْـصٌ ولا طَـرَبٌ ولا تَغاشٍ كأن قَـدْ صِرْتَ مَجْنونـا
بـل التصـوُّفُ أن تَصْـفُو بـلا كَـدَرٍ وتَتَبَّـعَ الحَـقَّ والقُـرْآنَ والـدِّينا
وأنْ تُـرَى خَاشِـعًا لله مُكْتَئِبًـا على ذُنوبِكَ طُـولَ الـدَّهْرِ مَحْزُونـا

وأول استعماله لقبًا على الزهد والعبادة، كان في القرن الثاني.

ويقال: إن أول من أُطلق لقب صوفي عليه، هو أبو هاشم الكوفي المتوفى سنة ١٢٠هـ على أن الطوسي نقل عن الحسن البصري المتوفى سنة ١١٠هـ أنه قال: رأيت صوفيًّا في الطواف، فأعطيته شيئًا، فلم يأخذه. وقال: معي أربعة جواليق فيكفيني ما معي. بل نقل عن ابن إسحاق في "أخبار مكة": ما يفيد أن هذا اللفظ كان معروفًا عند العرب قبل الإسلام، وأنهم كانوا يطلقونه على أهل الصلاح.

وإذا رجعنا إلى تاريخ التصوف لنرى المراحل التي مر بها، نجد أنه كغيره من العلوم والحركات الإسلامية الأخرى، قطع عدة مراحل، وتقلب في عدة أطوار. ففي الطور الأول ويمتد إلى أواخر القرن الثاني، لم يكن التصوف

متميزًا بميزات تخصه. إذ كان كما سبق عبارة عن التقيد بالكتاب والسنة واتباع طريقة الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم . ولم يكن لأصحابه تميز عن غيرهم، ولا أمكنة خاصة بهم، ولا اصطلاحات ولا مقامات. نعم ابتداء من منتصف هذا الطور، أخذ الزهد وحب الله، يتفلسف مع الحسن البصري ورابعة العدوية.

وكان من أعلامهم في هذا الطور بعد الصحابة: أويس القرني، والحسن البصري، ورابعة العدوية وإبراهيم بن أدهم، والفضيل بن عياض، وشقيق البلخي، ومعروف الكرخي، وغيرهم.

ثم جنح بعد إلى الفكر والتأمل، وظهرت المقامات والاصطلاحات الصوفية، وأخذ في تدوين الكتب التي تعنى بشرحه وبيان حقائقه. ومن رجاله في هذا الطور: ذو النون المصري المتوفى سنة ٢٤٥هـ وهو أول من تكلم في المقامات الصوفية بمصر.

والحارث المحاسبي صاحب "الرعاية"، وبشر الحافي، وأبو يزيد البسطامي، وقيل: هو أول من تكلم في مقام الفناء، والحسين بن منصور الحلاج، والجنيد وهو أول من صاغ المعاني الصوفية، وهذبها حتى نسب التصوف إليه. فقيل فيه: طريق الجنيد.

يقول صاحب "المرشد المعين": وفي طريقة الجنيد السالك، ومثله قول ابن السبكي في "جمع الجوامع": «وأن طريق الجنيد وصحبه طريق مقوم»، يعني ان التصوف وتوفي ببغداد سنة ٢٩٧هـ ومن كلامه: طريقنا مضبوط بالكتاب والسنة، من لم يحفظ القرآن، ولم يكتب الحديث، ولم يتفقه، لا يقتدى به. وأجمع

الناس على الثناء عليه.

ثم أخذ التصوف ينتشر بعد على نطاق واسع، وأخذت تبدو من منتحليه أقوال موهمة الظاهر، غامضة المعاني، وهي ما اصطلح على تسميته شطحات. فأنكرها علماء الظاهر، وحاربوا أصحابها، وحذروا منهم. ولم يتوقفوا في الحكم عليه بالإلحاد والزندقة؛ لأنهم لم يدركوا مقاصد القوم بها، أو لم يشاءوا أن يتأولوها، خوفًا على العامة من ظاهرها. ومن ثم أفتوا بكفر الحلاج والسهروردي وقتلهما، وقتلا فعلًا. وسعوا بذي النون المصري إلى المتوكل فأشخص إلى بغداد، وسجن بها مدة، ثم أطلق سراحه(١).

---

(١) قال ذو النون المصري: لما حملت من مصر في الحديد، إلى بغداد. لقيتني امرأة زمنة، فقالت: إذا دخلت على المتوكل، فلا تهبه، ولا ترى أنه فوقك، ولا تحتج لنفسك، محقًّا كنت أو متهمًا. لأنك إن هبته، سلطه الله عليك. وإن حاججت عن نفسك، لم يزدك ذلك إلا وبالًا؛ لأنك باهت الله فيما يعلمه. وإن كنت بريئًا فاسأل الله أن ينتصر لك، ولا تنتصر لنفسك. فيكلك إليها. فقلت لها: سمعًا وطاعة. فلما دخلت على المتوكل، سلمت عليه بالخلافة. فقال لي: ما تقول فيما قيل فيك من الكفر والزندقة؟ فسكت فقال وزيره: هو حقيق عندي بما قيل فيه. ثم قال لي: لم لا تتكلم؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، إن قلت: لا، كذبت المسلمين. وإن قلت: نعم، كذبت على نفسي بشيء لا يعلمه الله مني. فافعل أنت ما ترى، فإني غير منتصر لنفسي. فقال المتوكل: هو رجل بريء مما قيل فيه. فخرجت إلى العجوز، فقلت لها: جزاك الله خيرًا، فعلت ما أمرتني به. ثم قلت لها: من أين لك هذا؟ فقالت: من حيث ما خاطب به الهدهد سليمان عليه السلام. وكان ذو النون بعد ذلك يقول: من أراد تجريد التوحيد، وخالص

وهكذا بدأ النزاع بين الصوفية وغيرهم من علماء الرسوم والظواهر، كما يسميهم الصوفية، أو رجال الفقه والحديث.

إلى أن جاء الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥هـ، فعني بالتصوف، وهذبه وبين حقيقته ومراميه، وشرح كثيرًا من مقاماته وحقائقه، في أسلوب مؤثر مدعوم بالنصوص والأدلة. فأبان بذلك فضل التصوف على علم الفقه الذي يقتصر على ظواهر الأحكام، دون النفوذ إلى بواطنها، والحكمة منها، والعمل على تحقيق غايتها وثمرتها. وهي خوف الله ومراقبته، والإنابة إليه. وجعل الاشتغال بالباطن وتهذيبه وتطهيره من العيوب والنقائص الباطنية، كالكبر والحسد والرياء الذي هو موضوع علم التصوف، أهم من معرفة كثير من الأحكام النادرة التي تمتلئ بها كتب الفروع الفقهية. وقلما تقع أو تدعو الحاجة إليها، بينما كل واحد محتاج إلى تطهير نفسه وتزكيتها. فكان لذلك الاشتغال به فرضًا عينيًّا.

وأقر القول بالكرامات والكشف واعتبره أفضل طريق إلى معرفة الله تعالى. وهو إنما يكون نتيجة مجاهدة وإقبال بالكلية على الله سبحانه وتعالى. كما حمل على أدعياء التصوف، وشنع عليهم، وجعل التصوف قوامه العمل والاقتداء برسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم . وبذلك أرضى كلًّا من الفريقين: الصوفية والفقهاء، عن الآخر.

التوكل فعليه بالنساء الزمنى ببغداد. ووجه الأخذ من قصة الهدهد: أنه لم يعتذر لسليمان ولم يحتج لنفسه. بل ترك قضيته، وانتقل إلى الكلام عن ملكة سبأ.

وشرح في كتابه "المنقذ من الضلال" كيف اهتدى إلى التصوف؟ وأنه العلم الوحيد الموصل إلى الله، ومن أجل ذلك هجر ما كان مشتغلًا به من تدريس العلوم، وأقبل بكليته عليه، وألف فيه الكتب العديدة، وأعظمها فائدة، وأكبرها أثرًا كتاب "الإحياء" الذائع الصيت.

ثم ظهر بعد الغزالي الشيخ محيي الدين ابن العربي الحاتمي الأندلسي المتوفى سنة ٦٣٨هـ. ومعاصره الشيخ عمر بن الفارض المصري المتوفى سنة ٦٣٢هـ الشاعر الصوفي الكبير، فأوغلا في الشطح، والقول بوحدة الوجود التي لا يدركها على حقيقتها إلا أصحابها. وتبعهما في ذلك عبد الحق بن سبعين المرسي الأندلسي المتوفى سنة ٦٦٩هـ وتلميذه الشيخ أبو الحسن علي الششتري الأندلسي أيضًا[1]. فكثر فيهم الطعن والقيل والقال، واختلف الناس فيهم من الكفر والزندقة، إلى القطبانية أكبر درجات المعرفة في اصطلاح الصوفية. وسلك التصوف معهم مسلكًا فلسفيًّا غامضًا، قلَّ من يفهمه على وجهه وحقيقته. وهو في الواقع تصوف الخواص والعارفين، لا تصوف العوام والمريدين، وفهمه يحتاج إلى استعداد خاص. ولذلك نهى كثير من المشايخ عن مطالعة كتب هؤلاء، إلا لمن كان ذا أهلية واستعداد لذلك، خوفًا من أن تفهم على غير وجهها وحقيقتها. فيضل القاصر عن القصد، ويتيه في متاهات ربما أدت به إلى الكفر والانحلال من الدين بالمرة، كما وقع لكثير من القاصرين

---

(١) وكذلك الشيخ عبد الكريم الجيلي، صاحب كتاب "الإنسان الكامل" والعينية المشهورة.

الذين تطاولوا على غير مقامهم، فضلوا وأضلوا.

وهكذا أخذ التصوف وجهة فلسفية، مع هؤلاء وأضرابهم، في الوقت الذي كان أبو الحسن الشاذلي الغماري المتوفى سنة ٦٥٦هـ ينشر طريقته ومدرسته الصوفية القائمة على مشرب التصوف العملي، والتقيد بطريقة السلف، في الزهد والعبادة والاشتغال بذكر الله.

ولذلك ناصر طريقته جماعة من العلماء، مثل عز الدين بن عبد السلام وغيره، وألف الحافظ السيوطي في تأييدها كتاب "تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية" وهو مطبوع بمصر، بتحقيق وتعليق أخينا أبي الفضل.

وأبو الحسن الشاذلي هو تلميذ المولى عبد السلام بن مشيش، أخذ عنه، ثم انتقل بعد إلى تونس، واستقر بشاذلة، فنسب إليها ثم انتقل عنها إلى مصر، واستوطن الإسكندرية، حوالي سنة ٦٤٢هـ. فحصل عليه إقبال كبير، وأخذ عنه خلق كثير. منهم عز الدين بن عبد السلام الملقب بسلطان العلماء، والشيخ أبو العباس المرسي الذي صحبه من تونس، وهو أجل تلامذته، ووارث سره، وخليفته من بعده. وهو صاحب المشهد الكبير بالإسكندرية، وشيخ البوصيري صاحب البردة والهمزية، وابن عطاء الله صاحب الحكم، ولم يزل أبو الحسن مستوطنًا مصر إلى أن مات بها، وهو في طريقه إلى الحج، في حميثرى قرب أسوان، وتبعد عن القاهرة بنحو ألف كيلو مترًا، وعلى قبره قبة ومسجد، رغم أن الموضع صحراء وقفار، وقد زرته والحمد لله.

وهو صاحب الطريقة التي تعتبر من أكبر الطرق الصوفية أو أكبرها انتشارًا في المعمورة، وعنها تفرعت سائر الطرق الصوفية بالمغرب ومصر. بل

تكون هي والمذهب المالكي وعقيدة الأشعري في التوحيد الشخصية الدينية للمسلم في المغرب العربي، وتعتبر المذاهب الرسمية فيه.

والطريقة المقيدة بالنسبة إلى شيخ مثلًا، هي في اصطلاحهم صحبة المشايخ، والأخذ عنهم سند الطريقة المتسلسل بالشيوخ شيخًا عن شيخ إلى أن ينتهوا به إلى الحسن البصري، فعلي بن أبي طالب، فرسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم . وهذا السند بهذه السلسلة... وإن لم يصح عند علماء الحديث والسند، ونفى كثير منهم اجتماع الحسن البصري بعلي فضلًا عن أن يكون سمعه وتلقى عنه الطريقة، وألبسه الخرقة التي أصبحت سند الصوفية في التلقي عن الأشياخ فإن بعض الحفاظ صحح سماع الحسن من علي، كالحافظ ابن حجرٍ العسقلاني، والحافظ السيوطي، وأثبتا رواية الحسن عن علي حديث: **«مثل أمتي مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره»**.

ولأخي سيدي أحمد كتاب قيم سماه: "البرهان الواضح الجلي في ثبوت نسبة الصوفية إلى علي" وهو أجمع ما كتب في سند الصوفية وأوفاها بحثًا وتحقيقًا في الموضوع، ولا يزال مخطوطًا.

ومهما يكن من أمر فقد أجمع الصوفية على ضرورة التلقي عن الشيوخ، وكون الأخذ من الشيخ هو الركن الأساسي في طريقتهم. وأنه لا سبيل إلى الوصول إلى مقاماتهم، وإلى المعرفة بالله على اصطلاحهم إلا على يد شيخ عارف كامل. وأن من لا شيخ له، لا عبرة به عندهم. بل هو دعي في الطريق، لا يثمر ثمرًا.

وإلى ذلك أشار ابن عاشر في منظومته "المرشد المعين" بقوله:

يَصْحَبُ شَيْخًا عَارِفَ المَسالِك يَقِيهِ في طَرِيقِهِ المَهالِك
يُذَكِّرُهُ الله إذا رَآهُ ويُوصِلُ العَبْدَ إلى مَوْلاهُ

ونقل الشيخ ميارة في شرحه عن ابن عباد شارح "الحكم العطائية" أنه قال: ولابد للمريد في هذا الطريق من صحبة شيخ محقق مرشد، قد فرغ من تأديب نفسه، وتخلص من هواه. فيسلم نفسه إليه، وليلتزم طاعته والانقياد إليه، في كل ما يشير به عليه، من غير ارتياب ولا تأويل. فقد قالوا: من لم يكن له شيخ، فالشيطان شيخه.

وقال أبو علي الثقفي: لو أن رجلًا جمع العلوم كلها وصاحب طوائف الناس، لا يبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضة من شيخ أو إمامٍ مؤدب ناصح. ومن لم يأخذ أدبه من آمر له أو ناهٍ عنه، يريه عيوب عمله، ورعونات نفسه، فلا يجوز الاقتداء به في تصحيح المقامات.

وقال أبو الحسن الشاذلي: لا يتم لعالم سلوك في طريق القوم، ولو ارتفعت درجته في العلم، إلا بصحبة شيخ ناصح. وهذا معنى قولهم: ما أفلح من أفلح، إلا بصحبة من أفلح.

قالوا: والفائدة من الشيخ أن يحمي المريد من كل ما يمنعه من الوصول إلى الله، من دواعي النفس والهوى والشيطان والشهوة الموقعة في ظلمة القلب، والتي كثيرًا ما تقهر صاحبها وتغلبه على نفسه، أو تخفى عليه، فلا يهتدي إليها، حسن ظن منه بنفسه، واندفاعًا نحو غريزة حب الذات واستعلائها. فيكون الشيخ بمثابة عالم نفساني للمريد، يريه مكامن الداء، ويحمله على ما من شأنه أن يبصره بعيوب نفسه وشهواتها حتى تتخلص من كدوراتها وتصبح شفافة

لطيفة مصقولة قابلة لانطباع الأسرار فيها، وحلول الأنوار بها، بعد أن تكون خلصت من حظ الشيطان الذي يجري من ابن آدم مجرى الدم. وحظه هو الذي أشار إليه حديث شق صدر النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ليلة الإسراء، وقول الملك له: هذا حظ الشيطان منك[1]. وهذا تفسير قولهم: من لا شيخ له: فالشيطان شيخه. لأنه إذ ذاك يتولاه بحكم تمكنه منه. قال شارح "الشريشية"، وهي منظومة في التصوف: إن سلوك الطريق وخصوصًا لمريد الكشف والتحقيق، لا يكون من غير التزام الطاعة والانقياد، لشيخ محقق مرشد؛ لأن الطريق عويص، وأدنى زوال يقع عن المحجة يؤدي إلى مواضع غاية في البعد.

قال ابن البنا في "المباحث الأصلية":

---

(١) إنما قيل له هذا الكلام حين شق صدره الشريف عند حليمة السعدية، وهو ابن ست سنين. وأخرجت من قلبه علقة سوداء كانت رمزًا لحظ الشيطان منه. ثم شق صدره الشريف، عند البعثة، ليتلقى الوحي بقلب شديد، واستعداد قوي. ثم شق صدره الشريف ليلة الإسراء والمعراج للترقي إلى الملأ الأعلى، والثبوت في المقام الأسنى، وليتقوى قلبه لمشاهدة العلي الأعلى. ولهذا لما لم يتفق لموسى مثل هذا الاستعداد، لم تتفق له الرؤية. وكثير من العلماء أنكر شق صدره الشريف عند البعثة وليلة الإسراء، ومن الحفاظ من أنكر شق الصدر ليلة المعراج، واعتبره من أوهام شريك القاضي. وقال القطب سيدي عبد العزيز الدباغ: إنه سأل النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن شق صدره ليلة المعراج؟ فقال: لم يحصل. ورأيت بعض المعاصرين، أنكر شق الصدر من أصله، واعتبر ما صح فيه من وضع القصاص، وكتاب السيرة. وهذا جهل كبير، وجرأة على إنكار الحديث الصحيح، بدون تثبت.

وإنـــما القـــوم مُســـافرون لحضـــرة الحـــقِّ وظـــاعِنون
فـــافْتَقَروا فيـــه إلى دليـــل ذي بصـــر بالسَّـــيْرِ والمَقِيـــلِ
قـــد سَـــلَكَ الطَّريـــقَ ثُـــمَّ عَـــادَ ليُخْـــبِرَ القَـــوْمَ بـــما اسْـــتَفادَ

إذن فاتخاذ شيخ، شرط أساسي عندهم، ولكن بشرط أن يكون كما وصفوه: كاملًا عارفًا عالمًا متحققًا مقبلًا على الله تعالى، معرضًا عن الخلق، قد هذب نفسه، وأذن له في التربية والتلقين. فإذا لم يكن بهذه الصفة، فهو دعيٌّ في الطريق ومتطفل عليها، لا يجوز الأخذ عنه. وهذا ما يجعل وجوده عزيزًا أو نادرًا. لا كما نرى اليوم من أدعياء المشيخة وما أكثر أدعياء المشيخة اليوم وقبل اليوم؛ الذين شوهوا الطريق، واتخذوها شبكة ومكسبًا.

وقد وقع خلاف بين صوفية الأندلس حول ما إذا كان يكفي في التصوف أخذه عن كتب القوم أم لابد فيه من شيخ. واشتد بينهم الخلاف، حتى تضاربوا بالنعال. فحرروا في ذلك سؤالًا وجهوا به إلى علماء الأمصار، وكان من جملة من وجهوا إليه سؤالهم: ابن خلدون، فأجاب كل واحد بحسب ما رأى وظهر له. وألف ابن خلدون في المسألة كتابًا خاصًّا ذكره سيدي أحمد بن عجيبة في شرحه على "المباحث الأصلية" ثم نقل تلخيص جوابه عن الشيخ زروق، وحاصله: أن التصوف إذا كان يراد منه الترقية في المقامات، والوصول إلى مرتبة الكشف، فلابد فيه من صحبة شيخ. أما إذا كان يراد فيه مجرد الاقتداء والعمل، فيكفي فيه مطالعة كتبهم، للبيب الحاذق الفطن، ولكنه لا يسلم من رعونات النفس وإن وصل، لابتلاء العبد برؤية نفسه.

منشأ الزوايا الصوفية بالمغرب

والمقصود: أن الأخذ عن الشيوخ هو العمود الفقري في التصوف، ومن أجل ذلك تعددت الطرق في التصوف بتعدد شيوخه، وأصبحت كل طريقة منسوبة إلى شيخها والقائم على أمرها. وصحبة المشايخ وسلوك الطريق على أيديهم وتحت مراقبتهم وإرشادهم، اقتضى وجود أمكنة خاصة بهم، كالمدارس بالنسبة لطلبة العلم. وهذه الأماكن هي ما اصطلح على تسميتها عندنا بالمغرب: زوايا، وفي المشرق: خانقاه، وتكية، وكلاهما لفظ أعجمي.

ومع أن الزوايا تأسست أول ما تأسست بقصد تلقين المريدين، والقيام بالشعائر الصوفية، فإنها لم تلبث أن تحولت إلى مدارس دينية، لم تقتصر على تلقين الأذكار، والتفرغ للخلوة والعبادة، بل تعدت ذلك إلى تلقين العلوم الشرعية. وتدريس مختلف العلوم الإسلامية. وأقيمت حولها المدارس والأبنية لسكن الطلبة. فأصبحت الزاوية تقصد لأخذ التصوف والعلم معًا. كما أصبحت مقصودة للضيافة، وإيواء الغرباء والمسافرين حتى قيل في تعريفها: إنها مدرسة دينية، ودار مجانية للضيافة. ولا زال هذه المعنى مفهومًا عندنا بالمغرب، حيث يفهم من (دار الزاوية) أنها الدار المقصودة للضيافة، وإطعام الطعام فيقال مثلًا: دارهم دار الزاوية.

ومن أقدم الزوايا التي اشتهرت بهذا الاسم في المغرب، زوايا الشيخ أبي محمد صالح الأسفي المتوفى سنة ٦٣١هـ، وقد تعددت زواياه حتى بلغت ستًّا وأربعين زاوية. وانتشرت في كل من المغرب ومصر والشام، إذ كان هذا الشيخ

يشجع أصحابه على الحج إلى بيت الله. فأسس عدة زوايا، لينزل بها الحاج المغربي في ذهابه وإيابه من آسفى إلى الحجاز، ويعد ركبه الذي كان على شئونها والوافدين إليها. وظلت زاويته بالإسكندرية قائمة إلى القرن الحادي عشر، حيث زارها الشيخ أبو سالم العياشي سنة ١٠٧٤هـ وقال: إنها من مزارات الإسكندرية، ينزل بها الحجاج المغاربة ولهم أوقاف عليها.

وابتداء من القرن الثامن للهجرة الموافق للرابع عشر الميلادي، تكاثرت الزوايا بالمغرب وانتشرت في كل جهاته، وتأسست حول أمهاتها مدارس لطلبة العلم. ويرى بعض الباحثين المعاصرين: أن أهل الزوايا كان لهم فضل السبق إلى تأسيس هذه المدارس، مما دعا المرينيين إلى العناية بها وإقامتها بجانب المراكز العلمية بالمغرب، وخاصة القرويين.

وإذا كنا نعلم ما كان لمدارس بني مرين التي أسسوها في كل من فاس ومكناس ومراكش، عواصم العلم إذ ذاك، من أثر على ازدهار الحركة العلمية وتشجيعها، فضلًا عن ناحيتها الفنية والمعمارية التي لا تزال مفخرة المغرب إلى الآن. وعلمنا ما كان لعملهم هذا من حمل من جاء بعدهم من ملوك المغرب على الاقتداء بهم في هذا الميدان. وكان فضل السبق إلى تأسيسها يرجع إلى الزوايا. علمنا أي فضل أسدته الزوايا إلى النهضة العلمية بالمغرب، سواء من هذا الطريق غير المباشر، أو من طريقها المباشر. وهو ما قامت به مدارسها الخاصة من دور مهم في ميدان العلم والثقافة لا يقل في بعضها عن دور القرويين المعروف، إن لم يفقه في بعض الأحيان كما سيأتي. بالإضافة إلى ما

قامت به في ميدانها الرئيسي ميدان الوعظ والإرشاد والدعوة إلى الله، وترويض النفوس وتهذيبها، وتحبيب العباد إلى ربهم، وجعل ذلك غايتهم الأولى التي يبذلون من أجلها كل جهودهم. فيضحون بأوقاتهم من أجلها، ويطوفون البلاد في سبيلها طولها وعرضها، سهولها وجبالها، قاصيها ودانيها. فكانوا يتخذون من أنفسهم دعاة ومبشرين -في اصطلاح الوقت- إلى الإسلام وفضائله. يعلمون الجاهل، ويعظون الغافل. ويحثون على تقوى الله، ويعطون من أنفسهم القدوة الصالحة، والمثال الحسن، مما يجعل الإقبال عليهم والتأثر بكلامهم، سهلًا مقبولًا. فما أن يستقر مريد من مريديهم بين أهله وذويه، حتى يكون موضع تقدير وإكبار. ثم لا يزال بهم إلى أن يحملهم على سلوك طريقته والاقتداء به في أعمال الخير، والإنابة إلى الله تعالى.

ولن يقدر أعمالهم هذه حق قدرها ويقدر ما كان لها من أثر على أخلاق الناس وتهذيبهم، وحملهم على التمسك بجادة الدين، والتعلق بأحكامه وتعاليمه إلا من درس تاريخ المغرب في العصور التي اجتاحت البلاد فيها فتن داخلية وخارجية، وتقلص نفوذ السلطة المركزية، في حظيرة المدن وحدها، ولم تبق هناك سلطة قادرة على حفظ النظام، وكفِّ الظالم عن المظلوم، فضلًا عن تعهد الرعية من الناحية الدينية والعلمية والأخلاقية، وإمدادها بما يلزم من الوعاظ والعلماء، لاسيما في النواحي النائية عن مركز سلطتهم. فعمت الفوضى، وانتشر الجهل، وخلت جهات كثيرة من أهل العلم. وعاد أهلها إلى جاهليتهم الأولى، فحكموا الأعراف والتقاليد، وامتشقوا الحسام للنهب والغزو.

ثم جاء الغزو الأجنبي ضغثًا على إبالة. فزاد في حيرة الناس واضطرابهم، وساءت الأحوال عمومًا وأصيب الناس بإبلاس وحيرة. فأظلم الجو في البلاد، وفتن الناس في دينهم ودنياهم. وخاصة في الجهات النائية التي لم تستضئ بنور العلم، ولم يكن بها علماء يثبتون الناس ويعظونهم. فكان من عناية الله بهذه البلاد وفضله على أهلها، أن صادفت هذه الأحوال المدلهمة التي تردى فيها المغرب ابتداء من العصر الوطاسي وما رافقه وتبعه من أحداث، وجود هذه الزوايا، وانتشار أتباعها في طول البلاد وعرضها. فأخذت على عاتقها مهمة التذكير، وتثبيت الناس على دينهم وعقائدهم. فكانت بمثابة منارات في وسط ليل بهيم، يشع منها نور الإيمان والعلم والإسلام، ويهتدي الناس في ضوئها إلى الطريق المستقيم.

وبالرجوع إلى تاريخ قبائل المغرب، نجد أن أغلب القبائل التي عرفت التصوف والصوفية وكانت ميدانًا لرجالاته، ظلت في الغالب محافظة على دينها، في تقاليدها وأحكامها، لم تستبدل به عرفًا. وظل أهلها محافظين على تعليم أبنائهم القرآن، وتوظيف الفقهاء والطلبة بمساجدهم، على عكس القبائل الأخرى التي تردت إلى أعراف جاهلية وإباحية، يجعل الواحد منهم يتزوج بلا عدد، ويطلق كذلك بلا عدد. ويقدم الرجل منهم زوجته إكرامًا لضيفه، ويغضب إذا تعفف فردها عليه. وقل مثل هذا، في معاملاتهم الأخرى. مما أطمع الفرنسيين أخيرًا في فصلهم عن الأمة، تمهيدًا لتنصيرهم، في الظهير البربري المعروف الذي كان له فضل بعث الحركة الوطنية في المغرب. وما إن هاجم البرتغال والأسبان شواطئ المغرب، واحتلوا بعض مدنه

الساحلية، حتى ظهر فضل آخر لهذه الزوايا، في بعث حركة الجهاد والمقاومة، وقيادة الأمة لطرد العدو عنها، في معارك ظافرة، انتهت بطرد البرتغال عن الشواطئ الجنوبية، وإيقاف زحفه في الجهات الشمالية وتنصيبهم الشرفاء السعديين ملوكًا على المغرب.

يقول أحمد الناصري في الاستقصاء: لما كانت سنة ثمان وخمسين وتسعمائة، أمر السلطان أبو عبد الله محمد الشيخ بامتحان أرباب الزوايا، والمتصدرين للمشيخة، خوفًا على ملكه منهم. ولما كان للعامة فيهم من الاعتقاد والمحبة، والوقوف عند إشارتهم، ألا ترى أن بيعة والده أبي عبد الله القائم، لم تنعقد إلا بهم ولا ولج بيت الملك إلا من بابهم، إلى آخر كلامه. وشاهدنا منه: تصريحه بأن السعديين إنما قاموا على يد أصحاب الزوايا[1]. وحكى لي ولدا صاحب "الاستقصاء" الأستاذان الأديبان الجليلان السيد جعفر والسيد محمد: أن قيام الدولة العلوية، كان بإيعاز من الشيخ سيدي محمد بن ناصر، وهو الذي عمل على نصرة مولاي محمد بن الشريف إلى أن تم له الأمر. وقالا: إن السلطان المرحوم مولاي يوسف حدث أخاهما السيد العربي بهذا. والقضية معروفة عند السادة العلويين. وممن ذكرها بتفصيل سيدي الحسين الشرحبيلي السوسي تلميذ الشيخ سيدي محمد في شرحه المسمى "هداية مالك الأمر لمسالك سيف

---

(١) كتب صاحب المحاضرة، هذه الكلمة: يقول الأستاذ داود في "تاريخ تطوان": وظهور التصوف، وانتشار الطرق، وخصوصًا في أوساط العوام. كان له ولا شك أثر كبير في الحياة العامة، وخصوصًا من الناحية الاجتماعية.

٣٥٢ ـــــــ

ولو وجدت من يعتني بها، لكانت صفحة جديدة مشرقة من تاريخ رجال الزوايا الطويل في ميدان الجهاد والكفاح الوطني. إلى ما قام به المجاهد الأمير السيد عبد القادر محي الدين بالجزائر، وهو مغربي الأصل، وابن زاوية مشهورة بنواحي تلمسان. وبسبب مركز أبيه وزاويته انتدب أهل تلك البلاد أباه إلى القيام بالجهاد ضد الاحتلال الفرنسي، ورغبوا إليه أن ينظم حركتهم، ويبايعوه على الطاعة فأشار إليهم بابنه عبد القادر فتزعم الحركة، وكان من أمره ومثابرته للعدو وحده ١٧ سنة إلى أن اضطر إلى الاستسلام؛ لعوامل الغدر والخيانة، وتكالب قوى الشر عليه. كما اضطر الأمير عبد الكريم إلى ذلك، للسبب نفسه. والأمير عبد القادر نفسه صوفي كبير[١]، له في التصوف كتاب "المواقف"، في ثلاثة أجزاء، طبعته امرأة غنية بمصر، ووزعته مجانًا. ومن وقف عليه وقرأه، يعرف ماله من مكانة في التصوف، رحمه الله.

ويأتي أخيرًا الشيخ سيدي محمد بن علي السنوسي، صاحب الطريقة السنوسية المشهورة في مجموع القارة الأفريقية، فيؤسس زاويته بجغبوب بطرابلس الغرب، ليبيا ليستحيل إلى معهد علمي كبير، ثم إلى جامعة كما هي عليه الآن. ولتنشر أنوار الهداية الإسلامية ساطعة في قلب إفريقيا السوداء. ثم ليتبوأ حركة الجهاد والمقاومة ضد الاحتلال الإيطالي لطرابلس. تلك الحركة التي أقضت مضاجع الإيطاليين، وكبدتهم من الخسائر ما لا يحصى. وكانت

---

(١) وهو شاذلي الطريقة، أخذها عن العارف الكبير الشيخ محمد بن مسعود الفاسي بمكة.

هي مع ثورة الأمير عبد القادر بالجزائر، وثورة الأمير عبد الكريم أخيرًا بالمغرب، من أعنف وأشد ما عرفه الاستعمار من مقاومة الشعوب الإسلامية. وأرجع إلى ما كتبه شكيب أرسلان عن هذه الثورات، في حاضر العالم الإسلامي، ولاسيما حركة السنوسي التي كان له برجالها اتصال مباشر. وما مبايعة أهل طرابلس لأحد أبناء السنوسي ملكًا عليهم، وهو الملك السيد إدريس السنوسي الأول، إلا دليل على ما كان لجده من فضل عليهم، واعتراف بجميل الزاوية السنوسية على طرابلس.

قال المؤرخ الإنجليزي المعاصر دوم لاندوز، في "تاريخ المغرب في القرن العشرين": «إن الطرق الصوفية من الملامح المهمة في التاريخ المغربي، وثمة وثائق تدل على ازدهارها منذ القرن الحادي عشر للميلاد -الخامس والسادس للهجرة- وزوايا هذه الطرق كثيرًا ما كانت تستعمل بالإضافة إلى كونها مراكز لنشاط ديني، مدارس وملاجئ وبيوتًا لعمل الخير، على نحو ما كانت تقوم به الأديرة في أوربا في العصور الوسطى. وقد كان الدين بطبيعة الحال، وثيق الاتصال دومًا بالحياة اليومية لكل مغربي، إنه حياته، وليس مجرد أمور ثانوية، ومن ثَم لم تلبث الطرق الدينية أن أخذت تقوم بدور هام في الحياة الوطنية، وثمة بضعة من الأسد الذين أنشئوا الأسر المغربية الحاكمة، بدءوا زحفهم نحو العرش من إحدى هذه الزوايا. وفي الزمن الذي كان يحاول فيه الأسبان والبرتغال أن يحتلوا المغرب، كانت الزوايا فقط، الالتقاء الرئيسي للحياة الوطنية والمقاومة».

ويقول في (ص٣٩) من الكتاب نفسه: «وبما أن هذه الطرق كانت تقوم

بدورها كنقطة انطلاق للوطنية والمقاومة، فإنها لم تكن تنظر إلى الكفار والأجانب نظرة ارتياح. وغالبًا ما كان تأثيرها يحول دون إقامة علاقات أفضل بين المخزن[1]، والدول الأوربية».

اعتراف المبشرين
بأن خصمهم في إفريقيا هم الصوفية

وكما كان لهم فضل الجهاد بالسيف، ضد العدو في المغرب وشمال إفريقيا بصفة عامة، كان لهم فضل جهاد من نوع آخر، وهو عملهم ضد التبشير المسيحي، وحيلولتهم دون الوصول إلى أغراضه في إفريقيا السوداء. ونشر الإسلام بها على نطاق واسع، أدهش رجال التبشير والأمم النصرانية. حتى إن كثيرًا من البلاد الأفريقية إنما عرفت الإسلام عن طريقهم. قال صاحب كتاب "حاضر العالم الإسلامي" الذي علق عليه شكيب أرسلان في جـ٢ صـ٣٩٣: «إنه من سنة ١١٥٠ إلى سنة ١٩٠١ نهض الإسلام بإفريقيا نهضة ثالثة، على أيدي مشايخ الطرق. وذلك أنه في أواخر القرن ١٨، لما دخلت الدعوة البرتوستانتية من كل نوع إلى أفريقيا، وضاعفت الكنيسة الكاثوليكية فيها مجاهديها بدافع المنافسة، كان لابد من أن يتنبه الإسلام لمقاومة النصرانية، وأن يشتد الصراع بين هاتين القوتين المتقاتلتين. وأكثر أسباب هذه النهضة الأخيرة، راجع إلى التصوف».

---

(١) المخزن في اللهجة المغربية، هو الحكومة. والمخزني هو الشرطي الذي يدعو المتخاصمين إلى الحضور عند الحاكم.

إلى أن قال: في القرن الثاني عشر والثالث عشر تأسست طرق الدراويش - يعني الصوفية- كأنها نوع مقابلة للرهبانية النصرانية، وللحروب الصليبية. وفي القرنين ١٨، ١٩ حصلت نهضة جديدة عند أتباع الطريقتين القادرية والشاذلية، ووجدت طريقتان هما التيجانية والسنوسية[١].

ونقل صاحب كتاب "الغارة على العالم الإسلامي" في تاريخ التبشير المسيحي، عن بلس أنه قال: «إن الدين الإسلامي هو العقبة القائمة في طريق تقدم التبشير بالنصرانية في أفريقيا، وليس خصمنا هو العربي الذي يرتاد البلاد للتجارة. بل إن هذا الخصم المعارض هو الشيخ أو الدرويش -أي الفقير الصوفي في اصطلاح المغاربة- صاحب النفوذ في أفريقيا، أكثر مما هو كذلك في فارس».

وذكر في موضع آخر أن إحصائيات المبشرين دلتهم على أن أكبر عامل على انتشار الإسلام بإفريقيا هو رجال الطرق الصوفية. وارجع إلى ما كتبه شكيب أرسلان في تعاليقه على حاضر العالم الإسلامي، وما كتبه الدكتور حسن إبراهيم حسن عن موضوع انتشار الإسلام في إفريقيا ودور الطرقيين فيه، لترى أي فضل لهم في نشر الإسلام بالديار الأفريقية؟

والحاصل: أن الحديث عن التصوف والصوفية، ذو شجون فمعذرة إذا كنت أطلت عليكم وأستسمحكم شاكرًا لكم صبركم معي، لو تفضلتم بإتمام

---

(١) سبق أن الطريقة التيجانية، فرع عن الطريقة الخلوتية، أما الطريقة السنوسية، فإنها ترجع إلى الشاذلية.

ما تبقى من المحاضرة، بالكلام على ذكر بعض الزوايا التي كان لها يد طولى، وفضل كبير، في نشر العلم والمعرفة بهذه الديار، بمن أخرجتهم من علماء وأدباء وفقهاء، فضلًا عن رجالات التصوف وأعلامه.

ومن أهم هذه الزوايا: الزاوية الدلائية التي تأسست في الثلث الأخير من القرن العاشر الهجري، بناحية تادلا. وينتسب أهلها إلى قبيلة مجَّاط، إحدى فروع قبيلة صنهاجة الكبرى بالصحراء، وقد استوطنوا تادلا في أواخر القرن الثامن الهجري.

ومنذ استوطنوها وهم محل تكريم وإجلال من ملوك عصرهم، سواء في عهد بني مرين أو الوطاسيين، أو السعديين، مما يدل على ما كان لهم من مكانة، حتى قبل تأسيس زاويتهم وأول من ظهر على مسرح التصوف منهم، وأسس زاويتهم هو الشيخ أبو بكر بن محمد الدلائي، بإشارة من شيخه أبي عمر القسطلي دفين روض العروس بمراكش، تلميذ عبد الكريم الفلاح تلميذ سيدي عبد العزيز التباع، تلميذ الشيخ الشهير سيدي محمد بن سليمان الجزولي صاحب "دلائل الخيرات" الشاذلي المتوفى سنة ٨٧٠هـ.

وما أسس محمد بن أبي بكر الدلائي زاويته، حتى أصبحت مورد المريدين والطلبة والمساكين وأهل العلم وغيرهم. إلى أن استحالت بعد إلى مدينة عامرة بأسواقها ومدارسها وتجارها، وكان أبو بكر ذا ثروة هائلة؛ لأنه من أسرة ثرية. فصار يطعم الطعام الكثير، ويكرم الواردين على زاويته، في سخاء نادر اندهش له الناس، وتعجبوا منه. ثم سار على نهجه ابنه محمد بن محمد بن أبي بكر، وفي أيامه زادت شهرة الزاوية، وعظم صيتها، حتى غصت رحابها بالوافدين

والطلاب والمريدين. وكان يقيم كل سنة، احتفالًا عظيمًا بالمولد النبوي، يقصده الناس من كل مكان. وقدر عدد الحاضرين في أحد الاحتفالات، بسبعين ألف نفس. وكانوا جميعًا ينزلون ضيوفًا عليه، فينالون من حفاوته وإكرامه وصلاته وجوائزه، ما تقر به أعينهم. وكان الشعراء يقصدونه في هذه المناسبة، وينشدون بين يديه قصائدهم في مدح الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فيكافئهم على ذلك بالصلات السنية. فإذا ما مدحوه، قصر في حقهم، ولم يلتفت إليهم. فقد جاءه الأديب عمرو بن قاسم الرباطي، بقصيدتين: أحدهما في مدح الرسول، والأخرى في مدحه. فلما انقضى الحفل، وحضر الأديب لوداعه، أعطاه صرة فيها مائتا دينار بيده اليمنى، وأعطاه فلسًا واحدًا بيده اليسرى. وقال له: هذه الدنانير، جائزتك على مدح الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم . وهذا الفلس جائزتك على مدح محمد بن أبي بكر، إذا لا يستحق أن يمدح.

وبقدر ما كان معنيًّا بشأن الفقراء والمريدين والزوار، كان معنيًّا كذلك بنشر العلم وتدريسه. فأصبحت الزاوية الدلائية في عهده، مركزًا علميًّا كبيرًا، يقصده الطلاب من كل حدب وصوب. فكثرت المدارس بها لإيواء الطلبة، وكان بإحداها فقط ألف وأربعمائة بيت[1]. ومع ذلك ولكثرة الطلبة، كان يسكن بالبيت الواحد من هذه المدارس العديدة، طالبان فأكثر. وهذا يدلنا على عظمة الزاوية، وإلى أي عدد بلغ طلابها. ولما أصبحت مركزًا علميًّا، اقتضى

(١) أي غرفة أو أوضة باللهجة المصرية.

ذلك تأسيس خزانة علمية بها. فأسست بها خزانة عظيمة، شبهها بعضهم بخزانة الحكم المستنصر الأموي. ونحن نعرف مقدار ما كان بخزانة الحكم من الكتب، وأن فهارسها وحدها كانت تبلغ أربعًا وأربعين فهرسًا، في كل فهرست عشرون ورقة، ليس بها إلا أسماء الكتب. ويظهر من تشبيههم لها بخزانة الحكم، دون أي خزانة أخرى بالمغرب. أنها كانت أعظم خزانة إذ ذاك بالمغرب. وإلا لما عدلوا عن تشبيهها بخزانة مغربية حاضرة، إلى خزانة أندلسية تاريخية.

وبلغ شأن هذه الزاوية في الميدان العلمي، حتى نافست القرويين، أو زادت عليها. يقول الأستاذ عبد الله كنون في كتابه "خل وبقل": «إن الثقافة اللغوية المتينة التي كانت موجودة في زاوية الولائيين، حيث درس اليوسي أقوى منها في فاس. بل إننا نقول: إن الثقافة اللغوية المتينة التي كانت موجودة في زاوية الدلائيين، هي التي أحيت ذمار الأدب العربي في المغرب بعد عدم».

ويقول في كتابه "النبوغ" بعد أن ذكر ما كان لتنازع أبناء المنصور على الملك من الأثر السيئ على الأوساط العلمية بالمغرب: «ولكن من الألطاف الخفية أن ظهرت الزاوية الدلائية، في ذلك الحين. فكأنما بعثها الله لحفظ تراث العلم والأدب الذي كاد أن يضيع فقامت عليه خير قيام. وما هي إلا مدة قليلة حتى صارت مركزًا مهمًا لنشر الثقافة العربية بين قبائل المغرب. ولو لم يقض عليها المولى رشيد، لكان للمعارف اليوم بالمغرب شأن غير هذا الشأن».

وقال الناصري في "الاستقصاء": «وكان لهذه الزاوية، صيت عظيم، في

أيام محمد الحاج وأبيه محمد بن أبي بكر السالف الذكر. وكان بها من معاطاة العلوم والدأب على درسها وإقرائها وقراءتها ليلًا ونهارًا، ما تخرج به جماعة من صدور العلماء، كالشيخ اليوسي وأضرابه. حتى كانت إليها الرحلة في المغرب، لا يعدوها الطالب، ولا يأمل سواها الراغب. وتمهد بها الأمر لأبي عبد الله محمد الحاج وأولاده وإخوانه وبني عمه، إلى أن تملك مدينة فاس ومكناسة، وأحوازهما وكافة القطر التادلي. ولو لم يكن بين خريجي هذه الزاوية -وما أكثرهم وأكثر علمهم وتآليفهم- إلا الشيخ أبو علي الحسن اليوسي لكفى. وهو الذي قيل فيه:

مَن فاتَهُ الحَسَنَ البَصْرِيَّ يُدْرِكُهُ فليَصْحَبِ الحَسَنَ اليُوسيَّ يَكْفِيهِ

وكان إلى مكانته العلمية، وتضلعه في علوم الشريعة من فقه وأصول وكلام ومنطق، ذا مكانة أدبية ممتازة، وشاعرًا كبيرًا، حتى قال عن نفسه: لو شئت ألا أتكلم إلا بالشعر، لفعلت. وله ديوان شعر في جملة ما خلف من الآثار العلمية. وقد رثى الزاوية الدلائية بعد نكبتها بقصيدة بليغة مطلعها:

أكلف جفن العين أن ينشر الدرا فيأبى ويعتاض العقيق بها خمرًا

هذا إلى أبنائها العلماء الأفذاذ، كالسادة الذين عرفوا بعد بالمسنادين، كالشيخ محمد والطيب وغيرها. وقد خصهم محمد بن عبد الودود التازي بترجمة خاصة سماها "نزهة الأخيار المرضيين في مناقب العلماء الدلائيين" وخص كذلك الزاوية الدلائية الأديب سيدي سليمان الحوات العلمي الشفشاوني بترجمة حافلة، سماها "البدور الضاوية في التعريف بالسادات أهل الزاوية الدلائية" ولا يزال مخطوطًا. وكتب فيهم أخيرًا الأستاذ محمد حجِّي

أستاذ بكلية الآداب بالرباط، بحثًا مفيدًا نال به درجة الدبلوم في الدراسات العليا، من كلية الرباط.

وبعد الزاوية الدلائية في الأهمية تأتي زوايا أخرىٰ كثيرة. منها: الزاوية الناصرية بتامكروت بدرعة جنوبي المغرب، علىٰ مقربة من زاكورة. وقد أسس هذه الزاوية أولًا: الشيخ عمر الأنصاري، أحد أعيان درعة وصلحائها. ثم استقر بها بعد الشيخ عبد الله بن حسين الرقي الشاذلي، فقصده بها الشيخ محمد بن ناصر مؤسس الطريقة الناصرية، للأخذ عنه عام ١٠٤٠هـ، ولما مات الشيخ عبد الله الرقي، تصدر سيدي محمد بن ناصر لرياسة الزاوية واستقل بها. وأقبل علىٰ تدريس العلم بها للطلبة، والأخذ بيد المريدين. فانتفع به خلق كثير، وطار صيته شرقًا وغربًا؛ لأنه حج مرتين، فأخذ عنه كثير من المشارقة. ومن تلامذته الشيخ اليوسي الآنف الذكر؛ لأنه كان أخذ عنه الطريقة الشاذلية، قبل أن يتصل بالزاوية الدلائية. وله في مدحه قصيدة دالية طويلة، تبلغ ٤٥٠ بيتًا. وهي مطبوعة علىٰ حدة. ومن تلامذته كذلك، العلامة المطلع المشارك أبو سالم العياشي صاحب الزاوية العياشية، ومؤلف الرحلة المشهورة. وتاريخ الزاوية الناصرية، وما تفرع عنها من زوايا، وتاريخ رجالها وأبنائها، مبسوط في كتاب "طلعة المشترىٰ" المطبوع بفاس، وهو لصاحب "الاستقصاء".

ومن الزوايا الشهيرة بالمغرب، والتي تأسست هي كذلك في هذا العصر: الزاوية الفاسية التي أسسها الشيخ أبو المحاسن سيدي يوسف الفاسي أحد رجال الطريقة الدرقاوية، والمتوفىٰ سنة ١٠١٣هـ وهو تلميذ سيدي عبدالرحمن المجذوب. وقد تخرج من هذه الزاوية علىٰ يد أبنائها علماء أجلة، ورجال

كبار... وكان للسادة الفاسيين من المجد العلمي، واليد الطولى في التصوف وعلومه، ما هو معروف. ويكفي في مجدهم أن السلطان مولاي سليمان ألف في تراجمهم بنفسه كتاب "غاية المجد بذكر آل الفاسي ابن الجد" والكتاب مطبوع.

ثم الزاوية العياشية المعروفة اليوم بزاوية سيدي حمزة، بسفح جبل العياشي، بناحية ميدلت.

وأول من أسسها هو الشيخ محمد بن أبي بكر العياشي والد أبي سالم المتقدم، بإشارة من شيخه محمد بن أبي بكر الدلائي عام ١٠٤٤هـ وآل أمرها من بعده إلى أبي سالم، ثم حمزة ابنه، وبه عرفت. وقد قامت بها كذلك حركة علمية، وأسست بها خزانة، لا تزال موجودة إلى الآن، وتعد ذات قيمة كبرى.

ثم تأسست بعدُ، الزاوية الدرقاوية مع الشريف مولاي العربي الدرقاوي، دفين بني زروال، بأحواز فاس. والمتوفى سنة ١٢٣٩هـ وكان في وقته كالشيخ عبد الله الغزواني، دفين القصور بمراكش، في كثرة أتباعه وما تفرع عن طريقته من عدة طرق، انتشرت في مجموع البلاد الإسلامية. ولم يمت مولاي العربي حتى خلف نحو الأربعين ألفًا من التلاميذ، كلهم متأهلون للدلالة على الله عزَّ وجلَّ. ومن أشهر أتباعه الشيخ محمد البوزيدي، دفين غمارة، وتلميذه الشريف سيدي أحمد بن عجيبة صاحب التفاسير، و"شرح الحكم" وغيرهما من الكتب القيمة في التصوف، والشيخ محمد الحراق دفين تطوان، وصاحب الديوان في الشعر الصوفي. وجدنا الإمام سيدي الحاج أحمد بن عبد المؤمن، صاحب "أدب المريد"، ودفين غمارة، وهو وارث سره من بعده وقد ترجم له غير واحد، منهم محمد بن القاضي، ألف في ترجمته كتاب "النور القوي في ترجمة

شيخنا سيدي عبد الواحد الدباغ وشيخه مولاي العربي الدرقاوي".

ثم الزاوية التيجانية وما تفرع عنها من زوايا في جل العالم الإسلامي، وخاصة في إفريقيا من المغرب إلى مصر.

ثم الزاوية الوزانية مع مولاي عبد الله الشريف، وكان بها كذلك خزانة علمية مهمة، حتى إن الشيخ العلامة الرهوني ألف حاشيته التي تعتبر عمدة الفقهاء والقضاة والمفتيين من خزانتها[1]. وقل مثل ذلك في الزاوية الريسونية بتازروت، من قبيلة بني عروس وقد أسسها سيدي محمد بن عليّ بن ريسون، تلميذ الشيخ سيدي عبد الله أمغار الحسني، في أواسط القرن التاسع الهجري، وتخرج منها كذلك عدد من العلماء.

هذا عدا الزوايا التي قامت في جنوب المغرب وصحرائه. ومن أشهرها الزاوية السملالية التي أسسها الشيخ سيدي أحمد بن موسى بتازوالت، وكان لها من النفوذ والظهور ما مكن رجالها بعد، من تملك سوس وغيرها من البلاد الصحراوية. بل امتد سلطانها إلى السودان، في عهد إمارة الشيخ إيلغ التي أسسها أحد حفدة الشيخ أبي حسون المعروف ببودميعة. وبلغ من شأن مؤسسها سيدي أحمد بن موسى تلميذ سيدي عبد العزيز التباع، أن زاره السلطان أبو عبد الله الغالب السعدي، وأخذ عنه. وارجع إلى تاريخ هذه

---

(١) وهي حاشيته على "شرح الزرقاني لمختصر خليل"، وله حاشية على "شرح ميارة الكبير للمرشد المعين"، في أربعة مجلدات. اطلع عليها مولانا الأستاذ الإمام الوالد وأثنى عليه كثيرًا.

الزاوية في كتاب "إيلغ قديمًا وحديثًا" للمرحوم محمد المختار السوسي. وكزاوية الشيخ ماء العينين بشنقيط، وما كان من أبنائها من محاربة الاحتلال الفرنسي، بموريتانيا ونزوح ماء العينين عنها إلى المغرب في نحو عشرة آلاف من أتباعه، ثم قيامهم بمحاربة الفرنسيين عند إعلان الحماية، مدة قاس منها الفرنسيون كثيرًا، وتمكن من الاستيلاء على مراكش مدة، ثم خرج عنها وتاريخ أحمد الهيبة -ابن ماء العينين- في الكفاح معروف.

وكما كان نشاط هذه الزوايا قائمًا على أشده، في داخل المغرب، كان لأخواتها الممتدة في طول البلاد وعرضها، نشاطها كذلك. وكان هناك تواصل وتزاور وتبادل بين هذه الزوايا المختلفة، مما جعل حركة علمية مباركة، ونهضة صوفية عظيمة، تشمل العالم الإسلامي كله تقريبًا. ولذلك تراهم يتصدرون المعركة في وجه الاستعمار الأجنبي هنا وهناك؛ لما كان لهم من نفوذ ومنزلة.

أفبعد هذا يصح أن ينظر إلى التصوف ورجاله على أنهم من عوامل انحطاط المسلمين وتأخرهم؟ كما يلذ لمن يجهل تاريخهم أن ينسبه إليهم. وقديمًا قيل: من جهل شيئًا عاداه.

نعم أنا لا أنكر أنه كثر الدخيل في التصوف، وكثر المدعون له، والمحترفون به. ولكن لا يمكن بحال أن يتحمل التصوف ذاته تبعة ذلك، ويكون سبب الحكم عليه وعلى جميع رجالاته جملة وتفصيلًا، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

وكذلك لا أنكر من جهة أخرى أنه كثر فيه الابتداع، وألصقت به

خرافات وأوهام، بسبب الجهلة من الطرقيين والمغترين بهم. ولكن الإنصاف يقضي بقصر الانتقاد على البدع المحدثة، دون شموله لكل طرقي ومتصوف. فمن الحق أن يعترف لكل واحد بعمله، ويميز في ميدان النقد والإصلاح الصوفي الذي نتمناه من كل قلوبنا، بين الطيب والخبيث، والجيد والرديء. فنعيب على الطرقيين الذين انحدروا إلى هوة سحيقة من الابتداع والجهل، حتى صار التصوف عندهم مخرفة وألعابًا بهلوانية، أول من يتبرأ منها شيوخ الطريقة التي ينتسبون إليها، قبل غيرهم.

فمثل هؤلاء يجب الضرب على أيديهم وتنزيه التصوف عن ترهاتهم وأباطيلهم، التي كثيرًا ما اتخذ منها أعداء الدين سببًا للطعن فيه، ولمزه بما شاءوا. والدين من هؤلاء وأعمالهم براء، والتصوف كذلك. وللكلام في إصلاح التصوف وتهذيبه، مجال آخر، لا يسع المقام له الآن. فلنكتف بهذا القدر. وشكرًا لكم جميعًا مرة أخرى، والسلام.

تكريم الإسلام للمرأة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وآله الأكرمين ورضي الله عن صحابته والتابعين.

أيها السادة: إن من بركات رمضان -وما أكثر بركاته- هذه السهرات، وهذه الندوات، وهذه الدروس والمحاضرات التي تلقى هنا وهناك. وفي كل مكان، وعلى مختلف المستويات.

إنها ظاهرة رمضانية مباركة تزيد من روعة هذا الشهر وقدسيته. وتتناسب مع جوه وروحانيته حيث تتهذب النفوس فيه بالصيام. وترتفع عن مستوى الشهوات وتحكم الغرائز البهيمية، إلى مستوى أشرف وأسمى، يجعلها متفتحة لقبول الحكمة والموعظة والذكرى، بعد أن تكون ضيقت على الشيطان مجاريه، بقطع مادة الشهوات عنه.

ولعل هذا سر تشريف رمضان، وتخصيصه بنزول القرآن فيه هدى للناس، وبينات من الهدى والفرقان. وفرض عبادة الصيام فيه، ليجتمع الجو الصالح المناسب لدراسة القرآن، والتعبد به، تلاوة وتدريسًا، وتعلمًا وتعليمًا؛ لأنه أنسب الأزمنة بتدبر آياته، وتفقه معانيه، واستجلاء حكمه وأسراره، والغوص على خبايا درره ولآلئه. حيث كان القرآن كله هدى ونورًا وحكمة، وموعظة ورحمة. ودعوة إلى الخير والبر والجود والمواساة، وإيثار رضا الله على رضا النفس والهوى والشيطان.

وهذه كلها معان أنسب بالصيام، بل هي من حكمه وأسراره، فلا عجب أن كان شهر رمضان شهر القرآن.

فإن من المسلم به أن من رق شعوره، وتهذب حسه، وتحرر من ربقة شهواته وهواه. يكون أقرب إلى الصواب، وأنفذ إلى الحقيقة، ممن استعبدته شهواته، وتحكمت فيه أهواؤه. وإلى هذا يشير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦].

وقوله سبحانه: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ﴾ [الجاثية: ٢٣].

فعلى قدر التهيؤ الذاتي، والتخلي عن الأهواء والشهوات، وعلى قدر التحلي بالمعاني التي يرمز إليها الصيام. يكون الاستعداد أتم للتجاوب مع روح القرآن، واستجلاء أسراره، والتأثر بهديه وأخلاقه.

وهو استعداد خاص، فوق الاستعداد العادي، لإدراك مقتضيات الألفاظ ومقتضياتها، عن طريق الوضع والتركيب والإسناد. فهذا استعداد يتوفر في كل من له إلمام باللغة العربية ومعانيها وقواعدها. ولذلك لا أعني هنا هذا الاستعداد العادي العام، ولكني أعني وأقصد ما وراء هذه المدلولات الوضعية، مما يكون مرجعه إلى الموهبة والاستعداد الخاص ولذلك تجد العلماء يتفاوتون ويختلفون في تفسير القرآن. كل حسب مشربه وذوقه واستعداده الخاص به. وتجد منهم من يستخرج من الآية الواحدة، ما يدهشك، وتقضي منه العجب، من حكم ولطائف وفوائد وأسرار، لا يمكن أن يرد بحال إلى العلم بمدلولات اللغة، وعلوم اللسان؛ لأنها معان خارجة عن نطاق الوضع والإسناد. خذ مثلًا: (الفاتحة)، وارجع إلى ما قيل فيها، وما كتب حولها وما

استخرج منها من علوم وأسرار، حتى لقد كتب فيها وحدها مجلدات[(١)].

فهذه اللطائف أو الفوائد أو النكت، كما يحلو لكل شخص أن يسميها، إنما منشؤها هذا الاستعداد الخاص، يهبه الله لمن يشاء من عباده. نتيجة صقل النفس وتهذيبها، بتقوى الله سبحانه. مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانًا ﴾ [الأنفال: ٢٩]ويضيف السادة الصوفية، هنا آية أخرى في معناها. وهي قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ [(٢)] وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة: ٢٨٢] ولعل هذا ما عناه الإمام مالك رحمه الله بقوله: ليس العلم عن كثرة الرواية، وإنما العلم نور يقذفه الله في القلوب. ويشهد له: أن الله تعالى وصف الكفار بالصمم والبكم والعمى في غير آية، وجعلهم كالأنعام، بل أضل سبيلًا. حيث حال كفرهم وعنادهم دون نفوذ الحق إلى قلوبهم، حتى قالوا عن أنفسهم: ﴿قُلُوبُنَا غُلۡفُۢ﴾ [البقرة: ٨٨] ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ﴾ [فصلت: ٥] الآية. فكانوا لعدم انتفاعهم بحواسهم في معرفة الحق، والاهتداء إليه، كالعادمين لها. كما قال سبحانه: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحج: ٤٦] والمقصود أن شهر رمضان بروحانيته وجوِّه الخاص، أنسب بدراسة

---

(١) ولقد قرأ تفسيرها طول شهر رمضان، مولانا الأستاذ الإمام الوالد رضي الله عنه، فأتى بما أدهش الألباب، من الفوائد وأسرار الكتاب.

(٢) والعطف هنا عطف مسبب على سبب.

القرآن. ولهذا كان جبريل عليه السلام، يخصه بمدارسة النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم القرآن فيه.

ففي الصحيحين عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان، حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن. وكان جبريل يلقاه كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن. فلرسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أجود بالخير من الريح المرسلة.

ومن أجل ذلك كان السلف الصالح إذا دخل شهر رمضان، قصروا عبادتهم فيه، على تلاوة القرآن. فكان سفيان الثوري رحمه الله إذا دخل شهر رمضان، ترك كل عبادة كان يشتغل بها، واقتصر على تلاوة القرآن.

وكان ابن شهاب الزهري يقول: إذا دخل شهر رمضان إنما هو إطعام الطعام، وتلاوة القرآن.

وكان الإمام الشافعي يختم في رمضان ستين ختمة، عدا الذي يقرأ في الصلاة. وروي عن أبي حنيفة مثل هذا. وإذا كان هذا دأب سلفنا الصالح، فما أحرانا نحن باتباعهم، والاهتداء بهديهم.

ولذلك فإن المسلم يسره كثيرًا أن يرى مثل هذه الدراسات، تكثر في رمضان، في المسجد والإذاعة والتلفزة والنادي والمدرسة. وإذ المقصود هو التذكير وإحياء هذا الشهر بما يقرب إلى الله، ويدل عليه ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات: ٥٥].

وقد اجتمعنا الليلة -أيها السادة- للكلام عن المرأة في الإسلام. كما اقترحه

منظمو [١] هذا الاجتماع. جزاهم الله وسائر العاملين، على تنظيم هذه الاجتماعات المفيدة، خير الجزاء.

إن الحديث عن المرأة في الإسلام، أو عن حقوق المرأة في الإسلام، أو مكانة المرأة المسلمة في المجتمع، أو المرأة المسلمة عبر التاريخ، وما إلى هذه العناوين التي كثيرًا ما تتردد على الألسن والتي كتب عنها، وقيل فيها الشيء الكثير. ومنذ زمن ليس بالقصير أي منذ احتك الشرق بالغرب إلى الآن، هو في الواقع حديث رغم ما كتب عنه، وما قيل فيه، محتفظ بجديته وأهميته. ولا يزال الميدان واسعًا أمام الخائض فيه، بل في حاجة إلى المزيد من العناية به، ونشره على نطاق واسع.

تتجدد دواعي الكلام فيه، أمام سيل من الاتهامات المغرضة، والادعاءات الملفقة التي يحاول بها أعداء الإسلام وخصومه، التأثير بها على شبابنا وناشئتنا. خصوصًا المرأة المعاصرة، والفتاة المتعلمة. ليتوصلوا عن طريق هذه الاتهامات إلى تصوير الإسلام، في نظر ناشئتنا وجيلنا بأنه دين جمود وتحجير، وعامل من عوامل تأخر المسلمين ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥].

والمؤسف حقًّا أن يغتر بمثل هذه الدعاوى الباطلة كثير من شبابنا نتيجة جهلهم بالإسلام وتعاليمه، وجهلهم بتاريخه وحضارته. فتجد الكثير منهم يعتقد صدق ما تلقاه، أو ما قرأه عن أعداء الإسلام، في حق المرأة المسلمة،

---

(١) هم رجال جمعية الأمل بطنجة.

وظلم الإسلام لها، وحرمانها من حقوقها الطبيعية في الحياة والعيش الكريم. وأن المرأة المسلمة تعامل كمخلوق أقل شأنًا من الرجل، بل لا حق لها إطلاقًا في التمتع بمتع الحياة. وأن الإسلام قد حكم عليها بالسجن المؤبد، ومن ثم حرمها حق التعليم والتصرف في شئونها، ومنعها من أن تسهم بنشاط في تكوين مجتمعها، وأن تكون عضوًا صالحًا فيه.

وأعجب من هذا، وأشد أسفًا: أنهم ينظرون إلى تعاليم الإسلام في حق المرأة -وكلها تعاليم ترفع من شأنها وقيمتها، وتحوطها بهالة من التقدير والإكبار- ينظرون إليها على عكس ما أريد منها، تحت تأثير مفاتن المرأة الغربية، ومغريات تبرجها وانحلالها. واعتبار ذلك منها تحضرًا وتمدنًا، كأن سر الرقي والتمدن: هو أن تفقد المرأة حشمتها، وتعري جسمها، وتكشف عن فخذيها. وتحضر حفلات الرقص، وتبالغ في الزينة، وتصادق من تشاء، وتختلي بمن تشاء. وتثور على أعراف الحياء والعفاف، وتهجر بيتها لتزاحم الرجال في الشوارع ذهابًا وجيئة، وفي قاعات السينما، وعلى شواطئ البحار. وتتفنن في الأزياء المزرية وغير ذلك مما لا يعد من المدنية، والحضارة الصحيحة، والرقي والتقدم في قليل أو كثير. وهؤلاء عقلاء أوربا وأمريكا، أخذوا يضجون مما وصلت إليه المرأة الغربية، من انحراف وخلاعة وانحلال. ولكن شبابنا -وأعني المتطرفين منهم والمفتونين بمظاهر المرأة الغربية بالطبع- لا يقيسون الحضارة إلا بمقياس هذه المظاهر الجوفاء. أما أن يقيسوها بمقياسها الصحيح، مقياس العلم والتسابق في ميادين المعرفة والفضيلة، ويعمدوا إلى التفريق بين ما هو من جوهر المدنية ولبابها، وبين ما هو من قشرها وتمويهاتها، فهذا أبعد ما

يكونون عنه.

فإن كان هؤلاء يعيبون على الإسلام أنه صان المرأة عن الابتذال، وحرم عليها الاختلاء بمن لا يحل لها من الرجال. والتبرج وإثارة غرائز الشهوة من الرجال، وتعرية جسمها، وإبداء مفاتنها.

وبالجملة: حرم عليها كل ما يغري بها، ويكون مثار فتنة الرجال بها. إن كانوا يعيبون عليه هذا، فأكرم بما يعيبونه عليه!! وأجمل بما ينقمونه منه!!

فإن الإسلام من صفاته أنه دين الحياء والوقار، والعفة والحشمة والطهر والعفاف، والتعقل والحكمة. والحفاظ على الكرامة الإنسانية، والمقومات البشرية التي بها يتميز الإنسان عن الحيوان.

ولن يرضى الإسلام بحال لأتباعه أن ينحدروا وراء هذه المغريات إلى الهوة التي انحدرت إليها أمثال عشيقة «سارتر» حين قالت: إن الزنا أمر عادي، لا معنى لاستقباحه واستهجانه.

وأمثال بعض القوانين الحديثة، حين اعتبرته أمرًا لا ضرر فيه إذا خلا عن عنصر الإكراه، ووقع باتفاق الطرفين، وتبعًا لذلك اعترفت بشرعية ابن الزنا وأعطته حقوق الابن الشرعي، مما يعطي الزنا صفة المشروعية!! فهذا طبعًا لن يرضى عنه الإسلام بحال.

أما إن كانوا يعنون أن الإسلام ظلم المرأة في حقوقها المشروعة وحجر عليها التعليم، أو منعها من حق مباشرة مالها، والتصرف فيه كما يحلو لها. أو استهدف مما أحاطها به من صون وتشريف وتكريم، ظلمها أو اتهامها. فهذا أبعد ما يكون عن الواقع والمنطق والتاريخ. ولا يعدو أن يكون تشويهًا

للحقيقة والتاريخ، وظلمًا للإسلام، فيما سبق إليه المدنية الحديثة من ضمان لحقوق المرأة المشروعة، كما يشهد بذلك التاريخ، والمنصفون من الأوروبيين. وها هو ذا القرآن أمامنا، فتعال نستعرض بعض آياته المتعلقة بالمرأة لنرى منها أي حق أعطى الإسلام للمرأة؟ وأي مكانة أحلها فيها؟ وكيف اعتبرها شريكة الرجل وعماد حياته؟ وعليهما معًا يقوم نظام الحياة، وتتحقق معاني الإنسانية. فلا غنى للمرأة عن الرجل، ولا غنى للرجل عن المرأة. وكيف جعلها شقيقة الرجل في الأحكام، وفي كل شيء إلا ما كان راجعًا لطبيعة كل منهما خلقة، وإعدادًا للوظائف التي ميز الله بها الرجل عن المرأة ليقوم نظام الكون على الوجه الأكمل. وهو أمر لا مدخل للإسلام فيه. فهي فروق فرضتها طبيعة المرأة ذاتها، فجاءت وفق النظام الذي خلق الله عليه كلًّا من الرجل والمرأة. حتى يكون دينًا متمشيًا مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وتلك من محاسن الإسلام، وسر من أسرار تعاليمه الخالدة.

استعراض بعض الآيات الواردة في المرأة

وإذا أردنا استعراض جميع الآيات التي تعرضت للمرأة، فإننا نجدها من الكثرة بحيث لا يسع لها وقتنا هذا، ولا يكفي فيها محاضرة واحدة. فهي من الكثرة، بحيث تكون جزءًا مهمًّا من القرآن. وقد تتبعها محمد صديق حسن خان ملك بهوبال، فجمع منها ومن الأحاديث الواردة في المرأة، كتابًا خاصًّا سماه "حسن الأسوة بما ثبت عن الله ورسوله في النسوة" وهو مطبوع في الأستانة في حجم متوسط بلغت أوراقه ٤٢٤ صحيفة، وتقع فهرسته وحدها في ٣٠ صفحة ومن هنا ندرك أهمية المرأة في الإسلام، إذ كانت تحتل هذا الحيز

المهم من كتاب الله تعالىٰ، وسنة رسوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم .

وإذا كان لا يمكننا استعراض جميعها في هذه المحاضرة كما قلنا، فلا أقل من استعراض بعضها، والوقوف عنده قليلًا.

وهي آيات موزعة في كثير من سور القرآن، فمنها آيات تبين مكانة المرأة في الحياة، وأنها كالرجل في كل شيء، ومنهما معًا كان المجتمع البشري. قال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ [الحجرات: ١٣].

قال تعالىٰ: ﴿خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ﴾، فلا فرق أبدًا بين الذكر والأنثىٰ في حقيقة الإنسانية، ولا في الحكمة من وجود الإنسان علىٰ هذه البسيطة، ولا في الأعمال التي يقوم بها الإنسان. ولا فضل للرجل علىٰ المرأة والعكس، إلا بالتقوىٰ والعمل الصالح. إن أكرمكم عند الله أتقاكم، فالخطاب لكل من الرجل والمرأة علىٰ سواء.

وقال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗ ﴾ [النساء: ١].

فتقرر بهذه الآية أن المرأة بشر وأنه لا غنىٰ للمجتمع الإنساني عن كل من الرجل والمرأة فعليهما معًا يقوم نظام الكون ﴿ وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الذاريات: ٤٩]. قرر هذا ردًّا علىٰ من كانوا يزعمون أن المرأة من الحيوان الأعجم، أو من الشيطان، لا من نوع الإنسان بحال. فقد كان هناك كثير من المجتمعات، دأبت علىٰ اعتبار أن المرأة ليست من نوع الإنسان، حتىٰ

قرر أحد المجامع في روما: أنها حيوان نجس، لا روح له ولا خلود، ولكن يجب عليها العبادة والخدمة وأن يكمم فمها كالبعير والكلب العقور، لمنعها من الكلام والضحك باعتبارها أحبولة الشيطان.

واعتبرت في فرنسا مدة: أنها حيوان، وليست بإنسان حتى سنة (٥٨٦م) حيث قرروا إنصافها باعتبارها إنسانًا لا حيوانًا ولا شيطانًا، ولكنها خلقت لخدمة الرجل.

ويقول العالم الفرنسي «هنري ماريون» وهو من الرجال المختصين في تربية البنات بفرنسا، في كتابه عن المرأة، ترجمة إميل زيدان: إن مجمع باكون في القرن الخامس بحث في: هل للمرأة نفس كالرجل؟ أو لا؟ ولم يكن جوابه على هذا السؤال بالإيجاب، إلا فيما يخص مريم العذراء.

فوازن هذا بما ذكر عنها القرآن، ودع الأفاكين يقولون بعدُ ما شاءوا.

وقال تعالى في معرض الامتنان على الإنسان، حيث خلقه من ذكر وأنثى، ليكمل كل منهما الآخر، وبهما معًا تتم سعادة كل منهما، فيرتاح الرجل للمرأة، وترتاح المرأة للرجل، باعتبار أن كلًّا منهما متمم لمعنى إنسانية الآخر، وسبب سعادته وغبطته: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١]. وهكذا جعل الإسلام من الزواج، سبب سعادة وتآلف وغبطة واطمئنان. بعد أن كان الزواج في كثير من قبائل البدو، وحتى في الشعوب المتحضرة، ضربًا من استرقاق الرِّجال للنساء. قال قاسم أمين في كتابه "المرأة الجديدة": «ترتب

على دخول المرأة في العائلة، حرمانها من استقلالها، لذلك نرى رئيس العائلة عند اليونان والرومان والجرمان والهنود والصينيين والعرب، مالكًا لزوجته. كان يملكها كما يملك الرقيق، بطريق البيع والشراء بمعنى أن عقد الزواج كان يحصل على صورة بيع وشراء. وهذا أمر يعرفه كل مطلع على التاريخ الروماني، يشتري الرجل زوجته من أبيها، فتنتقل إليه جميع حقوق الأب عليها. ويجوز له أن يتصرف فيها بالبيع لشخص آخر».اهـ

ولم يكن الزواج عند عرب الجاهلية بأحسن حالًا من هذا، حيث كانت الزوجة تعتبر إرثًا، تورث في جملة ما يورث عن الرجل وللابن الحق في أن يمسك امرأة أبيه لنفسه أو يحبسها حتى تفتدي بصداقها أو تموت، فيذهب مالها.

قال السدي: إن الرجل في الجاهلية كان يموت أبوه أو أخوه أو قريبه، فإذا مات وترك امرأته، فإن سبق وارثه فألقى عليها ثوبه، فهو أحق بها أن ينكحها بمهر صاحبه -أي موروثه- أو ينكحها لغيره، فيأخذ مهرها هذا بينما اعتبرت هذه الآية الزواج سكونًا نفسيًّا واطمئنانًا روحيًّا، يربط أحد الزوجين بالآخر، برباط المحبة والمودة والرحمة وهذا سر تسمية كل من الرجل والمرأة زوجًا، مع أنه شخص واحد، وهي كذلك، والزوج يعني الشفع والإثنينية، ولكن القوم غفلوا عن معنى التسمية، وجعلوا من الزواج عبودية للمرأة، واسترقاقًا وتجارة بكرامتها.

وقال تعالى ردًّا على اعتقاد العرب وما كانوا عليه من كراهية للبنت، واعتبارها سبة وعارًا وتسفيهًا لآرائهم وعاداتهم التي كانت تجعل الواحد

منهم إذا بشر بولادة أنثى، توارى عن القوم واختفى عن أنظارهم خجلًا مما لحقه من عار ولادة الأنثى على فراشه وفي بيته: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [النحل: ٥٨ – ٥٩].

ولهذه الكراهية كان بعضهم يئد بناته أحياء، والوأد وإن لم يكن عامًّا عند جميعهم، كان في نظرهم غير محظور، ولا داعي إلى الإنكار على فاعله. هذا إذا لم نسلم ما ذكره الهيثم بن عدي، من أنه كان مستعملًا في قبائل العرب كلها وأن نسبة الوائدين تصل إلى واحد من عشرة. وكانت أسباب الوأد متعددة عندهم:

فمنهم من كانوا يئدون بناتهم مخافة لحوق العار بهم، إذا كبر بناتهم فسبين أو استرققن أن أتين بفاحشة تلحق العار بهم.

ومنهم من كانوا يئدونهن مع الأولاد مخافة الفقر.

ومنهم من كانوا يئدون المعيبات منهن فقط كالبرصاء والعرجاء والسوداء.

ومنهم من كانوا يئدون تقربًا إلى الله في زعمهم ببناتهم، لاعتقادهم أن الملائكة بنات الله، فكانوا يتقربون إليه، بما هو من نوع بناته، تعالى الله عن جهلهم وكانوا أحيانًا يئدونهن في صورة من القسوة والوحشية، إذا ما حبس الأب عذر عن وأد بنته وهي صغيرة، أمهلها إلى أن تكبر وتعقل ثم يعمد إلى دفنها وهي على قيد الحياة أو يلقي بها من شاهق.

فجاء الإسلام وحرر المرأة من هذا الظلم الفاحش، وأثبت أن قتلها خطأ

كبير وإثم عظيم، وأن وائدها مسئول عن الذنب الذي من أجله وأد ابنته، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨ - ٩] قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٣١](١).

وقرر في عدة آيات، استواء الرجل والمرأة في الأعمال وأحكام الشرع، فقال سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [غافر: ٤٠].

وقال سبحانه: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥] أي فهم سواء في المجازاة.

وأخرج الترمذي والحاكم عن أم سلمة رضي الله عنها: أنها قالت: يا رسول الله لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء. فأنزل هذه الآية، تطيبًا

---

(١) هذه الآية، خطاب لذوي اليسار الذين كانوا يئدون أولادهم خشية الفقر. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١] خطاب للفقراء. ولذا لم يقل هنا: ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ لأن الفقر خفف الإثم.

لنفوسهن، وإعلامًا بأنهن والرجال سواء في الأعمال والجزاء عليها.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وورد في سبب نزول هذه الآية، قول النساء: لو كان فينا خير لذكرنا. كما قالت أم سلمة في الآية السابقة، أعني آية (آل عمران).

ولعل في هذا القدر من الآيات التي ذكرنا ما يكفي للتدليل على المكانة التي وضع الإسلام فيها المرأة ويلقم حجرًا أولئك الأفاكين المتخرصين المتقولين على الإسلام ما شاءت لهم أحقادهم وأغراضهم الفاسدة.

استعراض بعض الأحاديث الواردة عن المرأة

ولا بأس أن نتبع هذا القدر من الآيات، ببعض الأحاديث النبوية التي تحث على إكرام المرأة واحترامها ومعاملتها بما يليق، بمكانتها ووظيفتها في المجتمع، حتى إذا أتينا على بعضها، انتقلنا إلى ذكر بعض الحقوق التي ضمنها الإسلام للمرأة. وما قلنا عن الآيات، نقول مثله عن الأحاديث. فهي أيضًا كثيرة جدًّا، ولكن مع ذلك نذكر بعضًا منها تتميمًا لإعطاء نظرة عامة عما حظيت به المرأة في القرآن والسنة.

فمن هذه الأحاديث توصيته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالمرأة والمبالغة في

شأنها في خطبة الوداع، تلك الخطبة التي تعرفون أهميتها في الإسلام. إذ كانت آخر خطبة منه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في جمع عام. واقترن بها إكمال الدين، وإتمام نعمة الله على المسلمين.

وكان النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فيها كالناعي نفسه لأمته، إشعارًا بانتهاء مهمة الرسالة التي بعثه الله من أجلها. فضمن صلَّى الله عليه وآله وسلَّم هذه الخطبة وصايا هامة، وقرر فيها ما ضمنه الإسلام لأتباعه من حقوق، تعتبر حجر الأساس في تكوين المجتمع الإسلامي الصالح كما أراده الله عزَّ وجلَّ. في هذه الخطبة بالذات، قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم - حسب رواية عمرو بن الأحوص-: «**ألا واستوصوا بالنساء خيرًا فإنهن عوانٍ**[1] **عندكم ليس تملكون منهن شيئًا غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة**». إلى أن يقول: «**ألا وإن لكم على نسائكم حقًّا ولنسائكم عليكم حقًّا، فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون، ألا وإن حقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن**» الحديث.

وقال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقًا رضي آخر**». رواه مسلم. والفرك: البغض والكراهية.

وقال عليه الصلاة والسلام: «**استوصوا بالنساء خيرًا، فإن المرأة خلقت**

---

(١) بكسرتين جمع عانية أي أسيرة. والتنوين هنا تنوين العوض، مثل غواش. ومن قرأ: «عوانٌ» بضمتين، فقد لحن، وغير المعنى، إذ العوان الوسط بين أمرين، قال تعالى: ﴿عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨].

من ضلع وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء». رواه البخاري ومسلم.

وفي رواية لمسلم: «**إن ذهبت تقيمه كسرتها، وكسرها طلاقها**».

ومعنى الحديث: أن في طبع المرأة عوجًا وصلابة طبع، فهي كالضلع في العوج وعدم الاستقامة. فيجب على الرجل ألا يحاول تقويم هذا الاعوجاج منها بالقوة، أو يجاريها فيه. بل يعدل إلى الحسنى ويريد بها خيرًا. فإنه إذ ذاك فقط يمكنه أن ينتفع بها، كما جاء في حديث آخر: «**فدارها تعش بها**».

نعم إن كان اعوجاجها خارجًا عن نطاق الفطرة والطبيعة، فلا مانع من تأديبها ومقاومتها، لرد انحرافها وزيفها.

وقال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي، ما أكرم النساء إلا كريم ولا أهانهن إلا لئيم**». رواه ابن عساكر، ورمز له السيوطي في "الجامع الصغير" بعلامة الصحة.

وقال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لعمر حين سأله عن آية الوعيد على كنز الذهب والفضة: «**ألا أخبرك بخير ما يكنز؟ المرأة الصالحة إذا نظر إليها سرَّته وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته**»[1]. رواه أبو داود وغيره.

وقال عليه الصلاة والسلام: «**من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو**». وضم أصابعه. رواه مسلم.

ولفظ الترمذي: «**دخلت الجنة أنا وهو كهاتين**».

---

(١) في رواية «**حفظته في نفسها وماله**».

٣٨٢ ـــــــ

بولادتها ويعمدون إلى وأدها؟!!

الآن وقد عرفنا كل هذا، فلا بأس أن ننتقل إلى ما ضمن لها من الإسلام من حقوق، وما أعطاها من حرية التصرف المطلق في نفسها ومالها. وكيف اعتبرها مسئولة في مجتمعها ربيتها وعن أولادها، وكيف عاملها على أساس المساواة التامة بينها وبين الرجل إلا في جزئيات ترجع إلى اعتبارات خاصة، دون أن يكون في ذلك مساس بحقها، أو إهانة لقدرها، أو نقص من إنسانيتها.

أعطى الإسلام للمرأة حق اختيار زوجها بكرًا كانت أم ثيبًا:

وأول هذه الحقوق الخاصة، بعد تلك الحقوق العامة التي تقدمت: حق اختيار زوجها وشريكها في الحياة، وقرينها إلى الأبد. أو بعبارة أخرى: تحويل زواجها من أن يكون استعبادًا واستغلالًا وإكراهًا، إلى نعمة وحرية واستمتاع ومودة ورحمة. إذ جعل الإسلام من الزواج عقدًا دينيًّا مقدسًا؛ لقضاء حق الفطرة بسكون النفس من اضطرابها الجنسي، وجعله يستهدف إلى المودة والرحمة عن طريق المعاشرة بالمعروف والإحسان. كما أرشدت إليه آية: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم: ٢١].

وآية: ﴿ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، وآية: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾[النساء: ١٩].

وإذا كان الإسلام قد اعتبر الزواج مودة ورحمة وسبب سكون نفس كل من الزوجين إلى الآخر، كان حتمًا إعطاء المرأة حق اختيارها لهذا الزوج الذي

يجب أن تسكن إليه، ويسكن هو إليها. ومن أجل ذلك منع الأولياء حتى الآباء من الاستبداد في تزويج بناتهم ممن لا يرضين. مع العلم بأن كل الأمم والدول كانت تعطي الرجل حق إكراه بنته وقريبته على الزواج ممن يحب هو، لا ممن تحب هي.

فأعلن صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لأول مرة في التاريخ حق المرأة في اختيار عشيرها ورفيقها في الحياة، وأبطل كل إكراه من جانب الأب أو الولي عليها.

أخرج أهل السنن إلا مسلما عن خنساء بنت خدام الأنصارية: أن أباها زوجها وهي ثيب، فكرهت ذلك فأتت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فرد نكاحها.

وأخرج أحمد والنسائي من حديث بريدة: أن فتاة جاءت إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقالت: إن أبي زوجني من ابن أخيه، ليرفع بي خسيسته -ليرفع من شأنه- قال: فجعل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الأمر إليها. فقالت: قد أجزت ما صنع أبي، ولكن أردت أن أعلم النساء: أنه ليس إلى الآباء من الأمر شيء، تعني أن ليس لهم إكراه بناتهم على التزوج ممن لا يرضين.

وقال عليه الصلاة والسلام في الحديث المشهور الذي أخرجه الجماعة إلا البخاري: «**الثيب أحق بنفسها من وليها، والبكر تستأذن في نفسها، وإذنها صماتها**». أي يكتفى بسكوتها لحيائها، ويعتبر السكوت منها رضا وموافقة؛ لأن العادة تقضي أنها ما سكتت إلا عن رضا. فإن لم ترضَ واعترضت، بطل

النكاح، وإلا لم يكن لاستئذانها فائدة.

قال ابن القيم في "الهدي"، في تقرير حق البنت في اختيار زوجها: إن البالغة العاقلة الرشيدة، لا يتصرف أبوها في أقل شيء من مالها إلا برضاها، ولا يجبرها على إخراج اليسير منه، بدون إذنها فكيف يجوز أن يخرج نفسها منها بدون رضاها؟!! ومعلوم أن إخراج مالها كله بغير رضاها، أسهل عليها من تزويجها ممن لا تختاره. إلى أن قال: فلو لم تأتِ السنة الصريحة بهذا القول، لكان القياس الصحيح وقواعد الشريعة لا تقتضي غيره.

ولأجل هذا كان مذهب مالك -رحمه الله- في إعطاء الأب حق إجبار بنته البكر، ضعيفًا مخالفًا لصريح الأحاديث السابقة. ولقد أحسنت مدونة الأحوال الشخصية بتقرير هذا الحق، للبنت في التشريع المغربي.

وبعد أن أعطى المرأة حق اختيار زوجها، ساوى بينها وبين الرجل في اقتسام الواجبات والحقوق بالمعروف، مع جعل الرياسة على البيت، والقيام على الشئون التي يقتضيها الزواج بيد الزوج؛ لأنه أقدر على النفقة والحماية لحقوقها وحقوق الأولاد، بحكم طبيعته ومؤهلاته الفطرية التي خلقه الله عليها. قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨]. فأبطل بهذه الآية الكريمة جميع النظريات والدعاوى والعادات والتقاليد التي كانت تجعل الحقوق كلها في جانب الرجل القوي، دون أن يكون للمرأة الضعيفة أي حق معه في نفسها أو مالها أو ولدها.

قال الشيخ رشيد رضا في تفسير هذه الآية: «هذه كلمة جليلة جدًّا، جمعت

على إيجازها ما لا يؤدى بالتفصيل إلا في سفر كبير. فهي قاعدة كلية ناطقة بأن المرأة مساوية للرجل في جميع الحقوق، إلا أمرًا واحدًا عبر عنه بقوله: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، وهذه الدرجة مفسرة بقوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤].

وقد أحال في معرفة ما لهن وما عليهن، على المعروف بين الناس في معاشراتهم ومعاملاتهم لأهليهم. وعُرف الناس، تابع لشرائعهم وعقائدهم وآدابهم وعاداتهم.

فهذه الآية ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨] تعطي الرجل ميزانًا يزن به معاملته لزوجه في جميع الشئون والأحوال، فإذا همَّ بمطالبتها بأمر، تذكر أنه يجب عليه مثله بإزائه ومقابله. ولهذا قال ابن عبَّاسٍ: إني لأتزين لامرأتي كما تتزين لي؛ لهذه الآية. فما من عمل تعمله المرأة للرجل إلا وللرجل عمل يقابله، إن لم يكن مثله في شخصه، فهو مثله في جنسه. فهما متماثلان في الحقوق والأعمال، كما أنهما متماثلان في الذات والإحساس والشعور والعقل.

فليس من العدل أن يتحكم أحد الصنفين في الآخر، ويتخذه عبدًا يستذله ويستخدمه في مصالحه، لاسيما بعد عقد الزوجية والدخول في الحياة المشتركة التي لا تكون سعيدة إلا باحترام كل من الزوجين للآخر والقيام بحقوقه. ثم نقل عن الشيخ محمد عبده: أن هذه الدرجة التي رفع النساء إليها في الإسلام لم يرفعن إليها في دين سابق، ولا شريعة من الشرائع. بل لم تصل إليها أمة من

الأمم قبل الإسلام ولا بعده. حتى الأمم الأوربية التي كان من تقدمها في الحضارة عنايتها بالمرأة وتربيتها وتعليمها، لا تزال قوانين بعضها كفرنسا تمنع المرأة من حق التصرف في مالها[1] بدون إذن زوجها، وغير ذلك من الحقوق التي منحتها إياها الشريعة الإسلامية، منذ ثلاثة عشر قرنًا ونصف. وقد كان النساء في أوربا منذ خمسين سنة بمنزلة الأرقاء، كما كن في عهد الجاهلية عند العرب، أو أسوأ حالًا.

وقد صار هؤلاء الإفرنج الذين قصرت مدنيتهم عن شريعتنا، في إعلاء شأن المرأة يفخرون علينا، بل يرموننا بالهمجية في معاملة النساء. ويزعم

---

(١) كتب هنا صاحب المحاضرة، هذه الجملة: قال الكاتب الهندي همايون كبير في كتاب "العلم والديمقراطية والإسلام" ترجمة نوية بمطبعة دار الهلال صـ٢٥: «إن الدعوة إلى الديمقراطية، قد وجدت تعبيرًا حيًّا عنها، في نظم جديدة، استحدثها الإسلام. وكان أول هذه النظم وأبرزها، هو الاعتراف للمرأة بالشخصية القانونية. فجعل لها الحق في التصرف والتملك... إلى أن قال: وهذا الاستقلال الاقتصادي، لم تكن تستمتع به المرأة قبل الإسلام. وحرمانها حق التمتع بالتصرف والتملك، لم يجعل لها كيانًا في نظر القانون المدني. وصحيح أن الحقوق التي خولت للنساء المسلمات، لم تكن في كل الجوانب ذات الحقوق المخولة للرجال. ولكنها على أي حال كانت الضربة الأولى، قضت على الامتيازات التي كان يستأثر بها الرجل. والاعتراف بمركزها الاقتصادي يمثل نصرًا جديدًا للديمقراطية، في مجال المساواة بين الجنسين».اهـ وما أفاده كلامه من وجود فوارق بين الحقوق المخولة للرجل والمرأة في الإسلام، سبق، ويأتي الجواب عنه.

٣٨٨ ـــــــ

الأوراش وما إليها. فضلًا عن تعرض المرأة للحمل والولادة، واضطرارها إلى التوقف عن أعمالها أثناء فترات الولادة وما يتبعها من واجبات الرضاع والعناية بالوليد. إلى ما يجر عليها الاندفاع وراء الكسب، من مضايقات لا تشرفها بحال، ولا تليق بها كربة بيت، وذات زوج.

إذن فالطبيعة التي أوجدها الله عليها تقتضي إعفاءها من مسئولية النفقة حتى على نفسها، فكيف على زوجها وأولادها؟ وإذا كان الأمر كذلك، تعين هذا الحق على الرجل وحده. وبموجبه يكون له حق الإشراف عليها، وحق حمايتها، والسهر على مصالحها، وذلك هو معنى الدرجة في الآية.

لم كان المهر على الرجل دون المرأة؟

وهنا تدعونا المناسبة إلى الكلام على سر جعل المهر على الرجل دون المرأة، حيث يصور بعضهم دفع المهر، بعمل يتنافى مع كرامة المرأة؛ لأن الغربيين لا يدفعون مهرًا لأزواجهم، بل المرأة هي التي تدفع المهر لزوجها. ونحن نقول لهؤلاء: ما دام هناك مهر، واعتباره واسطة في الزواج، وعربونًا على إتمام عقد الزوجية. فالمهر هو المهر، سواء دفعته المرأة للرجل، أو دفعه الرجل. فما يقال عليه في جانب الرجل، يقال في جانب المرأة سواء. فما بالكم لا تستقبحونه من جانب المرأة وتستقبحونه من جانب الرجل؟ وما بالكم تستقبحونه من جانب المسلمين ولا تستقبحونه من جانب الأوربيين المسيحيين؟!! أليس هذا مجرد تحكم وهوى وتعصب بارد؟!!

ثم نرجع إلى أنفسنا لنتساءل: أي الأمرين أنسب بالشهامة والمصلحة؟

٣٩٠ ـــــــ

الإسلام من إباحته تعدد الزوجات؛ لأنه من أكبر الأمور التي يعيب بها الإسلام أعداؤه والجاهلون بسر تعاليمه، وحِكم شرائعه.

فنقول: إن تعدد الزوجات كان أمرًا معمولًا به عند العرب وغيرهم من الأمم، كان فاشيًا عند الرومان واليونان والأوربيين وغيرهم، وما منعه أهل أوربا إلا في القرون الأخيرة. ولكنهم استبدلوا بتعدد الزوجات الشرعيات، السفاح واتخاذ الأخدان -الصواحب- وكان للرجل الحق في أن يتزوج من شاء بدون حد، أو اشتراط العدل في معاملتهن.

فلما جاء الإسلام، حصر هذا العدد في أربع. واشترط له العدل حتى إذا خاف ألا يعدل، وجب عليه الاقتصار على واحدة: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٣].

ثم هو مع ذلك، لم يوجبه على الرجل، وإنما اعتبره بمثابة ضرورة من ضرورات الاجتماع، في أحوال خاصة، يكون معها التعدد على وجه شرعي، ومضمون فيه الحق للزوجات، خيرًا على كل حال من الزنا واتخاذ الأخدان سرًّا. كما إذا كانت المرأة مريضة، مرضًا يمنع من الاستمتاع، أو عقيمًا، والرجل له رغبة في الأولاد، أو تكون حرب تخلف وارءها جيشًا من الأرامل والأيتام، فيكون من الرفق بهن إذ ذاك صون كرامتهن وعفافهن، بدلًا من أن يتركن للفاحشة والضياع، واحتراف البغاء. مع ما ينشأ عنه من أمراض ومصائب، ولاسيما في شرع يشتد في تحريم الزنا، والعقوبة عليه، ويسد كل الذرائع الموصلة إليه.

ثم هو مع ذلك لم يبح التعدد، إلا مع القدرة على العدل بين الزوجات. فإذا تحقق هذا العدل على الوجه الشرعي، لم يكن على المرأة ضرر في أن يغيب عنها زوجها ليلة أو ليلتين إلى ثلاث ليال، وهي أقصى ما يمكن. يغيب عنها في الفراش فقط، مع ضمان كل الحقوق المفروضة لها، وهي وحدها. وإذا كان التعدد يؤدي إلى مشاكل في حياة الأسرة، فالآفة من التربية وطغيان الأنانية، أو من عدم تطبيق العدل في معاملتهن، أما لو صحت التربية، وطبق العدل على الوجه المطلوب، فما أظنه يترتب عنه في حد ذاته ما يكون سبب مشكل يدعو إلى منعه.

كذلك الطلاق، هو أيضًا من محاسن الإسلام؛ لأنه في بعض الحالات يكون ضرورة حتمية، إذا تعذر على الزوجين القيام بالحقوق الزوجية. فإذا لم يبح لهما الطلاق، فقد حكمنا عليهما بالشقاء المؤبد. وحكمنا على الأسرة كلها بالتعاسة، والحرمان من نعمة الاستقرار. إلى ما ينشأ عن التقيد بهذا الزواج الذي أصبح لا يحقق من حكمته شيئًا، من اندفاع الوقوع في الزنا من كلا الطرفين.

ولذا كان من المصلحة والرحمة بكل من الزوجين في حال تعذر إقامة حياة زوجية سعيدة، أن يعطى كل منهما فرصة يستعيد فيها تجربة الزواج من شخص آخر، ليحقق الزواج غايته وأهدافه بالنسبة لهما ولأسرتهما ومجتمعهما ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٠].

ثم هو مع ذلك غير مرغوب فيه فأبغض الحلال إلى الله الطلاق، كما في

الحديث الذي أخرجه أبو داود وغيره.

وورد عن علي مرفوعًا: «**تزوجوا ولا تطلقوا، فإن الطلاق يهتز منه العرش**».

وأخرج ابن ماجه وابن حِبَّان عن أبي موسىٰ الأشعري مرفوعًا كذلك: «**ما بال أحدكم يلعب بحدود الله يقول: قد طلقت. قد راجعت**».

أضف إلىٰ ذلك أن الإسلام ليس أول من أباحه، وإنما كان مشروعًا عند كثير من الأمم، حتىٰ أهل الكتاب، وكان غير محدود بحد، فكان يلحق النساء منه ظلم كثير، حتىٰ تظل المرأة من جرائه معلقة لا هي مزوجة ولا هي مطلقة. يعمد أحدهم إليها فيطلقها، فإذا قاربت إنهاء العدة ارتجعها، ثم عاد فطلقها، وهكذا دواليك. فجاء الإسلام فيه بإصلاح لم يسبق إليه، وجعل نهايته ثلاث تطليقات، ثم تحرم بعدُ علىٰ الرجل، حيث تكون التجربة أبانت عن عدم جدوىٰ مثل هذا الزواج الذي وقع فيه الطلاق ثلاث مرات، دون أن ينحسم السبب الذي أدىٰ إليه أولًا وثانيًا وثالثًا.

وكان الغربيون يعيبونه أولًا علىٰ الإسلام، ثم اضطروا إلىٰ إباحته. فأسرفوا فيه إسرافًا، ويكفي أن تتبعوا الصحف التي تنشر أحكام الطلاق التي تقع في محاكم أوربا وأمريكا والأسباب التي تقع من أجلها، لتروا كيف يطلقون أحيانًا من أسباب واهية، يضحك منها العقلاء.

بيد أنه يبقىٰ هنا سؤال، وهو: لماذا كان الطلاق بيد الزوج وحده؟

والجواب هو: أن الطلاق تبيع عقد النكاح، وهو إنما يكون بيد الرجل؛

لأنه أحرص على بقاء الزوجية، حيث تكلفة نفقات في عقدها وجلها؛ ولأن الرجال بحكم التجربة والواقع، أقدر على ضبط العواطف، وأثبت من النساء، وأشد صبرًا. وبعد هذا وذاك فالمرأة حين رضيت بالزواج منه، فقد رضيت مسبَّقًا بجعل الطلاق بيده، كسائر حقوق الزوج عليها.

نعم قد ينتقل إليها حق الطلاق منه بواسطة الخُلع الذي يكون عندما ترغب المرأة في الطلاق لغير ضرر يلحقها منه. أما إذا ثبت الضرر، كان لها حق الطلاق منه بغير خُلع. وما عليها إلا أن ترفع أمرها إلى الحاكم، ليوقع عليه الطلاق إجبارًا. ويرى بعض العلماء أن لها حق اشتراط جعل الطلاق بيدها عند العقد، إذا قبله الزوج لقوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أحق الشروط أن توفوا به ما استحللتم به الفروج**».

وعليه فيكون الشرع قد احتاط لجانب المرأة حين جعل الطلاق بيد الرجل، وحيث جعل من موجبه الخلع وثبوت الضرر فما أعدل هذه الشريعة الغراء! وما أعظم حكمتها!! وأدق نظرها!! ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

أثبت الإسلام للمرأة حق التصرف المطلق في مالها

هذا ما يتعلق بحق زواجها، أما حق التصرف في مالها، فقد أثبت الإسلام لها حق التصرف المطلق في مالها بيعًا وشراءً وإجارة وهبة وصدقة، دون أن يكون عليها رقيب في ذلك. بينما لا تزال المرأة الأوربية في بعض الدول كفرنسا، مقيدة بإرادة زوجها في جميع التصرفات المالية، والعقود القضائية.

لمَ ترث المرأة نصف نصيب الرجل؟

وأعطاها حق الإرث الذي كانت محرومة منه: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء: ٧].

وهنا يأتي تساؤل كثيرًا ما يردده الناس ويتخذه بعض ذوي الأغراض الفاسدة من الأجانب وأذنابهم وسيلة إلى اتهام الإسلام بظلم المرأة، وكم ألقاه بعض الأساتذة الفرنسيين على تلامذتهم. وهو: لماذا كان نصيب المرأة في الإرث على النصف من نصيب الرجل؟ ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١].

والجواب: أنه كان على النصف؛ لأن الإسلام الذي ورَّثها بعد أن كانت محرومة من الإرث عند بعض الأمم كالعرب، أعفاها من النفقة حتى على نفسها، وجعلها على الرجل وحده. فلو أعطيت مثله والحال أن عليه تقع جميع تبعات النفقة، لكان الرجل مظلومًا ظلمًا بيِّنًا.

فما بالهم لا ينظرون إلى مزية الإسلام وينصفونه حين ورثها وضمن لها حق التصرف في مالها؟ ويأخذون أحكام الإسلام منفصلًا بعضها عن بعض؟ فلا ينظرون إلا إلى نقص ميراثها عن الرجل، ويصرفون نظرهم عن إعفائها من النفقة وجميع توابعها؟!! مع أن القاعدة: أن جميع القوانين، ينظر إليها كمجموعة يقيد بعضها الآخر، ويشرح البعض منها البعض الآخر، ويحيل البند منها على غيره من بنودها.

أمَا لو فعلوا، لأنصفوا البحث والحقيقة قبل أن ينصفوا الإسلام.

ثم مع هذا وذاك، إذا نظرنا إلى الواقع نجد أن نصيبها إما مساوٍ للرجل، أو يزيد عليه. فإن الرجل الذي يرث ألفين إذا تزوج تكون الألف بينه وبين زوجته وأسرته، بينما ألف المرأة يبقى لها وحدها تصرفه في كمالياتها إذا كانت متزوجة، أو على نفسها وحدها إذا كانت غير ذات زوج. ويمكنها أن تنميه، فيصبح أضعاف نصيب الرجل الذي أذهبته النفقة.

فبان من هذا أن الشرع حكيم، وتعاليمه في غاية الانسجام مع نفسها وأهدافها، حين جعلت نصيب الرجل مثل حظ الأنثيين.

ونظير هذا ما تراعيه قوانين الوظيفة العامة والخاصة حين تجعل لذي الأولاد تعويضًا يجعل مرتبه يفوق شريكه في العمل والرتبة، نظرًا لتكاليف ذي العيال. أفيقال: إن هذا من الظلم كذلك؟ أم هو أمر له ما يبرره؟ وإذا كان، فهو نفس المبرر في إرث المرأة.

حق تعليم المرأة

وأخيرًا يأتي حق تعليمها؛ إن الإسلام جعلها شقيقة الرجل في الأحكام. ومن ثَم أوجب عليها ما أوجب على الرجل سواء فهي مطالبة بمعرفة ما يلزمها في دينها وبيتها ورعايتها. إذ جعلها راعية كالرجل فقال: «**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالرجل راع في بيته وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيتها**».

وكيف تكون راعية ومسئولة عن رعيتها وهي تجهل حقيقة هذه الرعاية وتوابعها؟ كما جعل لها حق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ

ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١].

وذاك يقتضي منها معرفة أحكام الشرع، لتعرف ما هو معروف فتأمر به، وما هو منكر فتنهى عنه. ثم أثبت لها حق الولاية مع المؤمنين، فتدخل فيها ولاية الأخوة والتعاون والنصيحة. ومن ثَم أعطاها حق إجارة من تشاء كالرجل، وهذه منقبة للمرأة لم تنلها حتى المرأة العصرية في أرقى الأمم. فإذا أجارت أحدًا، أو أمنت عددًا، وجب تنفيذ أمانها، وحماية عهدها.

ولذلك لما فتح النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مكة، جاءته أم هانئ بنت أبي طالب، وقالت يا رسول الله: قد أجرت رجلين. فقال لها رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم «**قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ**».

وعن عائشة: إن كان المرأة لتجير على المؤمنين فيجوز، ونقل ابن المنذر الإجماع على صحة إجارة المرأة وأمانها. ويشهد له قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم**». فهذه الولاية التي جعلها الإسلام لها، تقتضي منها أن تعلم حقوقها؛ لأن من موجبها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما سبق، وذاك يقتضي تعليمها ما هو معروف في الشرع، وما هو منكر، لتطبق في نفسها أولًا، ولتأمر به ثانيًا.

وإذا كانت الكتابة من جملة وسائل التعليم، بل من أهمها، أُعطيت حكم المقصد. إذ لم يصح في النهي عن تعليم الكتابة للمرأة حديث، وحديث: «**لا تعلموهن الكتابة**». ضعيف[1]، وقد طعن الحفاظ في سنده، بل أورده ابن

---

(١) في سنده عبد الوهاب بن الضحاك، وهو كذاب.

الجوزي في "الموضوعات".

ثم هو مع ذلك معارض بالحديث الصحيح الذي أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي عن الشفاء بنت عبد الله، قالت: دخل عليَّ النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وأنا عند حفصة، فقال: «**ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة**».

ونقل الأثرم عن أحمد بن حنبل: أنه قال: هذا الحديث رخصة في تعليم النساء الكتابة، وكذلك استدل به صاحب "المنتقى" على جواز تعلم النساء الكتابة.

أضف إلى هذا أنها داخلة في عموم حديث: «**أيما رجل كانت عنده وليدة فعلمها فأحسن تعليمها وأدَّبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران**». فيدخل في عموم التعليم: الكتابة ولا شك.

فمن رام إخراجها من الحديث، فقد تعسف على أن ما درج عليه المسلمون من عهد الصحابة والتابعين إلى وقتنا هذا من مشاركة المرأة للرجل في سائر ميادين العلم والأدب، لكاف في بطلان ما يدعيه بعضهم من كراهة تعليم المرأة الكتابة. وها هي ذي كتب التاريخ والطبقات مملوءة بذكر العالمات والأديبات والمحدِّثات والنوابغ في كل علم وفن. وقد عد البلاذري في "فتوح البلدان"، جماعة من النساء الكاتبات، وذكر فيهن حفصة، وأم كلثوم بنت عقبة، وعائشة بنت سعد التي قالت: علمتني أمي الكتابة.

وفي مقدمة النساء العالمات، أزواج النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وخاصة السيدة عائشة رضي الله عنهن جميعًا. وناهيك بما روي عنها من فقه

وحديث وفتوى، حتى لقد روي عنها ألفان ومائتان وعشرة أحاديث. بينما لم يرو عن أبيها رضي الله عنه إلا مائة واثنان وأربعون حديثًا، ولم يرد عن عمرو وعلي رضي الله عنهما خمسمائة ونيف وثلاثون حديثًا، عن كل منهما.

وحسب المرأة فخارًا أن تكون قد اختيرت لوضع أول مصحف في الإسلام، في حفظها وذمتها وذلك يدل على ثقتها، ومكانتها في الدين، وأهليتها لتحمل العلم وأمانته. فإن الصحف التي جمعها أبو بكر رضي الله عنه، دفعت إلى حفصة بعد مقتل أبيها رضي الله عنهما. فظلَّت عندها إلى أن طلبها منها عثمان رضي الله عنه، حين اعتزم كتابة المصاحف، كما هو معلوم، وقد قدمنا أن حفصة كانت كاتبة، فلعل لذلك علاقة بوضع المصحف عندها.

إذن فتعليم المرأة في حد ذاته وكون المرأة المسلمة حظيت منه بنصيب وافر عبر العصور المختلفة، ولاسيما في العصور الأولى، وكون النساء كان منهن العالمات والفقيهات والأديبات والمعلمات والصوفيات والمحدِّثات والطبيبات؛ هو مما لا ينبغي أن يكون موضوع خلاف، أو جدال، إذ التاريخ أعظم شاهد على ذلك، وحسب المرأة فخارًا أن يقول عنها الذهبي في "الميزان": «ما علمت في النساء من اتهمت أو تركت، في حين أن المتهمين والمتروكين من الرجال لا يحصرهم عد».

ولكن موضوع التساؤل، هو الطريقة التي تُعلم عليها البنت في الوقت الحاضر. حيث أصبح من لوازمه -مع الأسف الشديد- التعري والسفور، واختلاط الذكور بالإناث في الجامعات، وكثير من المدارس الثانوية. وفهم التعليم من جانب البنت، على أنه وسيلة إلى الحرية والخروج عن التقاليد

والأعراف والآداب الإسلامية.

ثم ما ينشأ بعد عن تعليم البنت من إعراضها عن واجبات البيت، والقيام بشئون الزوجية على الوجه المطلوب، وإهمال فروض التربية، والاندفاع نحو الوظيفة والعمل في مهنة خارج البيت.

ثم الكيفية التي تعلم عليها، والبرامج التي تدرسها. ومدى السهر على العناية بأخلاقها وصون عفتها، وحصص التعاليم الدينية، والحرص على تطبيقها ونوع توجيهها... إلى غير ذلك من المسائل التي تضع علامات استفهام عن مصير المرأة المسلمة المتعلمة على الطريقة المذكورة.

فالقضية إذن ليست قضية تعليم، أو حرمان من التعليم. وإنما هي قضية طرق التعليم وبرامجه، والمشاكل التي اقترنت به نتيجة التأثر بالغرب وأنظمته.

والإفاضة في جميع هذه النقط، بما تحتاجه من شرح وعناية وتفصيل، تحتاج إلى محاضرة خاصة، ووقت أكثر.

ولعلني أطلت عليكم بما لا يسمح الوقت لزيادة عليه، فمعذرة وشكرًا على الصبر معنا طول هذه الحصة والسلام.

بحث في ذي القرنين

من دواعي سروري: أن يهتم أستاذي الكبير العالم الجليل مولاي السيد أبو الفضل عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري، بالبحث العلمي في كتبه ومؤلفاته التي أربت على الأربعين، وأن يفسح في مجال الكتابة لي مؤلفه هذا الذي طبع ونشر الجزء الأول منه تحت عنوان "خواطر دينية".

وإنه ليسعدني أن أشير هنا: أنه كان لي حظ تبادل أوجه الرأي ومناقشة كثير من موضوعات هذا الكتاب قبل طبعه فكان مولاي أبو الفضل أطال الله حياته يتقبل مني وجهات نظري وتعليقاتي في هذه المناقشات بروح الأستاذ العالم المعلم، واهتمام الصديق العظيم.

من هذه المواضيع: السؤال الحائر؛ من هو ذو القرنين الذي جاء ذكره في القرآن الكريم؟

الحقيقة والواقع: أن هذا السؤال شغل بال أجيال كثيرة منذ سأله سادات قريش من كفار مكة سيدنا محمدًا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بين أسئلة أخرى عن أهل الكهف، وعن الروح، وعن موسى والخضر عليهما السلام، كما علمهم يهود يثرب. حنقًا على النبي الأمي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وامتحانًا له ولنبوته، ورغبة في تعجيزه، والتغلب عليه وإسكاته، وهو لم يزل بعد في أول طريق الدعوة إلى الإسلام.

ولما كان القرآن الكريم هو وحده الوثيقة الأصلية، والمرجع الأوحد الذي يمكن أن يعتمد عليه أولًا وقبل كل شيء آخر في بحثنا عن الحقيقة لمعرفة الإجابة الصحيحة لهذا السؤال، فإن مهمتي تكون سهلة في دارسة كل المراجع

الأخرىٰ التي تساعد علىٰ إلقاء الضوء في هذا السبيل... وأن مهمة الباحث بطبيعة الحال هي أن يعرض دائمًا النتائج التي يصل إليها في بحثه، بأسلوب واضح بعد اقتناعه بها.

ولقد قضيت أكثر من أربعين سنة أجوب فيها بلاد العالم في طلب العلم والعمل... فسافرت وعشت فيما بين أقطار العالم من أقصىٰ الشرق -اليابان- إلىٰ أقصىٰ المغرب -كندا بأمريكا- وعشت بصفة خاصة في معظم بلدان الشرق الأوسط، حيث لم أترك فرصة للاستفادة منها في معرفة تاريخ هذه البلاد ودراسة آثارها إلا انتهزتها. وبهذا استطعت أن أطمئن فيما يتعلق بذي القرنين وشخصيته إلىٰ جواب شاف، ارتاحت له نفسي واطمأن ضميري. فنشرت ما توصلت إليه ورجح عندي أنه ذو القرنين المذكور في القرآن الكريم في بعض مجلات إيران والمغرب والباكستان وأذعت ذلك أيضًا في إذاعة الكويت.

كانت هناك علىٰ مدىٰ أجيال طويلة مضت آراء كثيرة متضاربة حول شخصية ذي القرنين ومَن يكون؟

منها ما يقول: إنه الإسكندر الأكبر المقدوني، ومنها ما يقول أنه قورش الفارسي، ومنها ما يقول أنه كان عبدًا صالحًا ملَّكه الله الأرض، وقيل ملَكًا من الملائكة إلخ. "كما جاء في الكشاف" للزمخشري وغيره.

فمن الضروري والحالة هذه: أن نجعل الحقيقة الخالصة بقدر الإمكان نصب أعيننا، لتكون سبيلنا إلىٰ الاقتناع التام بأننا في إجابتنا علىٰ هذا السؤال لا نعتمد علىٰ مجرد تفاسير تقليدية، أو مسلَّمات موروثة، لا تتفق مع وقائع التاريخ، وشواهد الآثار... وحتىٰ لا نشك لحظة في صدق ما توصلنا إليه في

هذا الشأن يجب علينا أن نضيء النور لنبدد الظلمة تمامًا، ونجعل رؤيتنا واضحة جلية، أوضح مما مضىٰ، وأظهر وضوحًا عن كل ما كان من قبل، مما قيل عن ذي القرنين، في كل العصور السابقة، حتىٰ نؤمن يقينًا بأن ما نقرره في هذا الأمر هو الحق.

طبيعة السؤال وملابساته:

لما اشتدت الدعوة الإسلامية التي نادىٰ بها محمد صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في مكة، وتحيَّرت قريش في مقاومتها، وحاول سادات قريش عبثًا القضاء عليها بكل الوسائل، ووجدوا في انتشارها يومًا بعد يوم، وزيادة اتساعها وقوتها وذيوع أمرها، في شبه الجزيرة العربية، تهديدًا خطيرًا مستمرًّا لهم ولمكانتهم ومعتقداتهم ومصالحهم الحيوية- الأمر الذي أزعج كذلك في نفس الوقت يهود يثرب في الشمال، وأثار مخاوفهم مع بُعد الشُّقة بينهم وبين مكة في الجنوب- التمس سادة قريش عند أهل الكتاب من يهود يثرب العون لمحاربة محمد ودعوته وأفكاره، بأفكار علمية، قد تعجزه وتكشفه وتسكته إلىٰ الأبد.

ومع شدة حرص اليهود التقليدي المعروف علىٰ كتمان علومهم عن أبناء الأمم الأخرىٰ وكتمانهم الحق الذي يعرفونه في التوراة كما يعرفون أبناءهم أو أكثر؛ فقد رأىٰ يهود يثرب الاستجابة إلىٰ طلب كفار قريش؛ لأنهم وجدوا في مجيء سادات قريش إليهم، في مدينتهم يثرب الفرصة والمبادرة لتحطيم الدعوة الجديدة في مهدها، وذلك بمد خصوم محمد من قومه العرب بما يحتاجون إليه من العلم، كسلاح فعال في المعركة الدائرة في مكة، لهذا أوعز اليهود إلىٰ رجالات قريش أن يسألوا محمدًا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن أشياء مكتوبة

في توراتهم، لا يعرفها أحد سواهم، وسوىٰ أحبارهم. فقالوا لقريش: سلوا صاحبكم عن ثلاثة أشياء: أصحاب الكهف، وذي القرنين، والروح، وقيل: عن موسىٰ والخضر أيضًا، فإن أجاب عنها جميعًا أو سكت عنها جميعًا، فليس بنبي، وإن أجاب عن بعض، وسكت عن بعض، فهو نبي.

وكان اختيار أحبار اليهود وعلمائهم في يثرب لهذه الأسئلة عملًا مدروسًا مخططًا بدقة، يهدفون من ورائه تعجيز النبي؛ لأنهم كانوا يعرفون تمامًا أن العرب في زمنهم، يجهلون حقيقة شخصية ذي القرنين المشار إليها في أسفارهم، والمحفوظة لديهم بحرص في بطون كتبهم المقدسة، كما يبدو من اختيار هذه الأسئلة بالذات: أنها اختيرت بعناية فائقة، بحيث يلتبس الأمر علىٰ محمد إن لم يكن نبيًّا يأتيه الوحي بعلم السماء، فلا يمكنه أن يعرف شخصية ذي القرنين المقصودة. خاصة أنه كان بعض العارفين من الناس في ذلك الوقت يسمعون عن الإسكندر المقدوني. وكانوا يذكرون أن الإسكندر مات في زمانه إلياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان، جد النبي وقبائل قريش، وزعيم قومه، وسيد مكة في ذلك الوقت، فظن اليهود أنه إن كان محمد من هؤلاء الناس فإنه سوف يسقط حتمًا في امتحانهم، ويقع في الشرَك الذي نصبوه له بهذه الأسئلة الماكرة التي رتبوها بإتقان، كما ترتب عادة الأحاجي والألغاز.

وكدأب اليهود دائمًا، فإنهم لم يسألوا النبي هذه الأسئلة بواسطة رجالات قريش وسادتها، إلا وهم يعلمون تمامًا، ما وراءها من الحق. كما وصفهم الله تعالىٰ بقوله: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦] ويقول

عزَّ من قائل: ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ ﴾ [البقرة: ٧٦]. وأهم حقيقة يجب علينا ألا نغفلها أن يهود يثرب، أدركوا بحاستهم الخفية التي لا تخيب، مقدار الخطورة الكامنة التي تهددهم في تفوق الإسلام وانتصار محمد.

سؤال: يقول القرآن الكريم: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾ [الكهف: ٨٣ – ٨٤].

إن في كتاب الله الكريم إشارات كثيرة يحتاج تفسيرها إلى معرفة شاملة بالتاريخ وسعة اطلاع بأحوال الأمم السابقة، وما كان لها من معتقدات وحضارات ونظم وآثار.

ومن أسرار إعجاز القرآن الكريم: أنه جديد دائمًا أبدًا، يساير الفكر والحضارة الإنسانية في تطورها، في كل زمان ومكان؛ لأنه ﴿ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢].

وكان توجيه مشركي قريش للنبي الكريم هذا السؤال وقتئذ عن ذي القرنين، إشارة من إشارات كتاب الله التاريخية الكثيرة التي شغلت المفسرين والمؤرخين طوال عصور وأجيال ماضية. فلم يخرجوا في أبحاثهم بنتيجة حاسمة، بعد أن حيرتهم شخصية ذي القرنين في الاهتداء إليها.

وكان أسلوب القرآن الكريم، في الإجابة على هذا السؤال واضحًا. فإنه لم يشأ، لحكمة يعلمها الله عز جلاله وحده، أن يذكر صراحة اسم ذي القرنين ويحدده بالنص وقت نزول هذه الآية... إلا أنه جاء رده بكل التفاصيل

الدقيقة الوافية عن شخصية ذي القرنين، بحيث نتعرف على ذي القرنين بسهولة ويسر، إذا أمعنا النظر قليلًا. وقمنا بدرس سيرة هذه الشخصية من خلال هذه التفاصيل التي فصلها القرآن الكريم، مطابقة تمامًا لهذه الشخصية وأبعادها.

القرآن الكريم، وذو القرنين:

ماذا جاء عن ذي القرنين في القرآن الكريم؟

يقول الله تعالى في محكم كتابه العزيز وهو أصدق القائلين، وذلك إجابة على سؤال سادة قريش ما يلي: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا

بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ [الكهف: ٨٣ – ٩٩].

التوراة، وذو القرنين:

قال الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾!.

فمن هم السائلون؟ كلنا نعرف: أنهم سادة قريش، ومن ورائهم يهود يثرب. فالسؤال الأساسي إذن الواجب علينا طرحه الآن هو: كيف وضع اليهود سؤالهم هذا؟ إنهم بلا شك نظروا في توراتهم فوجدوا بها اسم ذي القرنين. وهم يعلمون من أمره ما كان يجهله العرب وقتئذ. وهذا يجرنا إلى سؤال آخر، وهو: فماذا كان يعلم اليهود من ذي القرنين في ذلك الوقت؟

كان اليهود يعلمون بأن ذا القرنين لم يرد وصفه في توراتهم إلا مرة واحدةوأنه لم يذكر اسمه بالنص في أسفار أنبيائهم إلا مرة واحدة كذلك.

ذكر وصف ذي القرنين مرة واحدة، في رؤيا النبي دانيال، أو بلطشاصر، كما كان يسمى، وذكر اسم ذي القرنين بالنص مرة واحدة، في سفر النبي يشعياه، أو إشعياء.

ففي المرة الأولى: كان ذلك في رؤيا النبي دانيال، وهي رؤيا رآها خلال أيام أسر بني إسرائيل، ووجودهم الذليل في بابل. بعد أن قام الملك الكلداني الجبار بختنصر الثاني الأكبر بن نابو بلصر، بغزو مملكة يهوذا، وسحقها تحت أقدامه وقام بتخريب أورشليم عام ٥٨٧ قبل الميلاد، وهدم الهيكل ودمره تدميرًا، وطرد بني إسرائيل من فلسطين وساقهم أمامه إلى الأسر في بابل– جنوبي العراق– حيث ظلت عشرة قبائل من قبائل بني إسرائيل الاثنتي عشرة

في أسر بابل، خمسين سنة كاملة أو تزيد.

وكانت رؤيا النبي دانيال تتلخص في أنه رأىٰ في منامه كبشًا قويًّا له قرنان عاليان، ينطح بهما غربًا وشرقًا. ثم رأىٰ تيسًا أقبل من الغرب بقرن واحد، عينيه بارزتين، فلما اقترب التيس، من الكبش نطحه فكسر قرنيه وصرعه. وذكر السفر: أن جبريل عليه السلام فسر لدانيال رؤياه بأن الكبش ذو القرنين هو رمز اتحاد لمملكتي ميديا وفارس المتجاورتين -بإيران- فيملكهما ملك واحد لا تقدر دولة علىٰ مواجهته. أما التيس ذو القرن الواحد، فقد فسره له جبريل بصراحة بأنه يرمز إلىٰ ملك اليونان.

وكان اليهود في بابل، بعد أن قضوا عشرات السنين في ذل الأسر، وعذاب العبودية، في أشد الحاجة إلىٰ الأمل يُبعث في نفوسهم المحطمة. فأرسل لهم الله تعالىٰ النبي دانيال يرفع من معنوياتهم المنهارة بهذا الحلم المبشر المضيء، وهذه الرؤيا الإلهية التي تجدد في نفوسهم أمل مجيء المنقذ الذي يخلصهم من العذاب والعبودية والأسر، ويفرج عنهم، ويعيدهم جميعًا من جديد إلىٰ وطنهم، وإلىٰ بيت المقدس وإلىٰ الحرية...

وهكذا نرىٰ أن ذا القرنين، لم يذكر هنا في هذه الرؤيا إلا إشارة ورمزًا.

كما نرىٰ بما لا يدع مجالًا للشك أن جبريل عليه السلام، فسر للنبي دانيال رؤياه هذه تفسيرًا واضحًا غاية الوضوح، مؤكدًا أن ذا القرنين إنما هو ملك فارسي، سيوحد بقوة سيفه ميديا وفارس، ويحكمهما تحت تاج واحد، ولا تقدر دولة علىٰ مواجهته حتىٰ إذا قضىٰ هذا الملك وأشرف عهد مملكته الزاهر علىٰ الزوال، جاء ملك أجنبي من الغرب يهاجم هذه المملكة ويحطمها ويقضي

عليها وعلى استقلالها، هو ملك اليونان.

لهذا فإني أعتقد أنه لم يكن يهود يثرب من البلاهة أو الغفلة وهم يمتحنون محمدًا ونبوته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ويحاولون تحطيمه وسحقه بالكلمة والفكرة وهذه أفتك الأسلحة في حرب العقيدة، أن يقصدوا بسؤالهم إياه عن ذي القرنين، إلا قورش الفارسي لا الإسكندر المقدوني الذائع الصيت، وذلك بسبب بسيط هو أن الإسكندر المقدوني، لم يذكر اسمه مطلقًا في توراة اليهود، أما الذي ذكر اسمه بالنص في توراتهم فإنما هو قورش، ووصفه الله تعالى فيها بأنه ذو القرنين.

بعد ذلك مباشرة، أي بعد قول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾ قال: ﴿قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ أي عن ذي القرنين.

وهنا يجدر بنا أن نقف قليلًا لنسأل مع من سبقونا في السؤال من قبل: هل كان ذو القرنين ملكًا أو نبيًّا أو فردًا عاديًّا من البشر؟

هل عاصر إبراهيم عليه السلام؟ هل كان ملكًا عربيًّا أو يهوديًّا أو يمنيًّا من ملوك تُبع الذين كانوا يحملون لقب ذو؟

هل هو الإسكندر؟

أم هو قوروش؟

أم أنه كان ملكًا من الملائكة؟ أو غير ذلك؟

وهنا فإننا لا نستطيع أن نترك هذه الأسئلة ونخطو خطوة واحدة للإجابة على أي منها، قبل أن نذكر ما جاء في رواية للسدي: أن اليهود قالوا: إن ذا

القرنين ذكر اسمه بالنص، مرة واحدة فقط في التوراة.

ففي سفر يشعياه أو إشعياء، نبوءة أخرىٰ غير نبوءة دانيال النبي السالف الذكر عن ظهور ملك قوي، اسمه: قوروش الذي يكون عليه فك أسر اليهود في بابل؛ لأنه كما يقول عنه الله تعالىٰ في توراته «مسيح الرب».

بالإضافة إلىٰ سفر برمياه الذي جاءت فيه إشارة إلىٰ ما حدث لليهود من أسر وإفراج بعد ذلك، تفسيرًا وتحقيقًا لرؤيا دانيال ونبوءة إشعياء.

وخلاصة كل هذا، تدل علىٰ أن تصور قورش، أو قوروش الفارسي، كان قد وجد فعلًا عند اليهود. وبذلك يكون المقصود في سؤال يهود يثرب الذي طرحه مشركو قريش علىٰ سيدنا ونبينا محمد صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن ذي القرنين، هو قورش الموجود اسمه عندهم في التوراة.

وإني أسوق هنا الآن الدليل علىٰ صحة ما ذهبت إليه، بتسجيل ما جاء في التوراة بالنص وهو ما يلي:

«في السنة الثالثة من ملك بَيْلشاصر، ظهرت لي أنا دانيال رؤيا بعد التي ظهرت لي في الابتداء، فرأيت في الرؤيا -وكان في رؤياي وأنا في شوشال القصر الذي في ولاية عيلام- ورأيت في الرؤيا وأنا عند نهر أولاتي. فرفعت عيني ورأيت وإذا بكبش واقف عند النهر وله قرنان والقرنان عاليان والواحد أعلىٰ من الآخر والأعلىٰ طالع أخيرًا. رأيت الكبش ينطح غربًا وشمالًا وجنوبًا فلم يقف حيوان قدامه، ولا منقذ من يده، وفعل كمرضاته وعظم. وبينما كنت متأملًا إذا بتيس من المعز جاء من الغرب علىٰ وجه الأرض، ولم يمس الأرض،

وللتيس قرن معتبر بين عينيه. وجاء إلى الكبش صاحب القرنين الذي رأيته واقفًا عند النهر، وركض إليه بشدة قوته ورأيته قد وصل إلى جانب الكبش فاستشاط عليه، وضرب الكبش، وكسر قرنيه، فلم تكن للكبش قوة على الوقوف أمامه، وطرحه على الأرض وداسه، ولم يكن للكبش منقذ من يده. فتعظم تيس المعز جدًّا. ولما اعتز انكسر القرن العظيم وطلع عوضًا عنه أربعة قرون معتبرة نحو رياح السماء الأربعة».

هذا ما جاء بالنص في الإصحاح الثامن من سفر دانيال بالتوراة من آيات عن رؤيا دانيال النبي. أما عن تفسير جبريل لهذه الرؤيا، فإنه فيما يلي نصه:

«وكان لما رأيت أنا دانيال الرؤيا وطلبت المعنى إذا بشبه إنسان واقف قبالتي وسمعت صوت إنسان بين أولاتي فنادي وقال: يا جبريل فهم هذا الرجل الرؤيا... فقال: افهم يا بني آدم أن الرؤيا لوقت المنتهى... أما الكبش الذي رأيته ذا القرنين فهو ملوك مادي -أي ميديا- وفارس. والتيس العافي ملك اليونان. والقرن العظيم الذي بين عينيه هو الملك الأول. وإذا انكسر وقام أربعة عوضًا عنه فستقوم أربع ممالك من الأمة، ولكن ليس في قوته إلخ...».

وفي سفر إشعياء بن آموص بالتوراة نص على الاسم بوضوح قاطع فقد جاء في آخر الإصحاح ٤٤ الآية ٢٨: «القائل عن كورُش راعيَّ فكل مسرتي يتمم، ويقول عن أورشليم ستبنى والهيكل ستؤسس».

وبعد ذلك جاءت الآية الأولى من الإصحاح الخامس والأربعين وفيها ما

يلي: «وهكذا يقول الرب لمسيحه لكوروش الذي أمسكت بيمينه لأدوس أمامه اسما وأحفاد ملوك، لأفتح أمامه المصراعين والأبواب لا تغلق. أنا أسير قدامك والهضاب أمهد أكسر مصراعي النحاس ومغاليق الحديد أقصف ٣. وأعطيك ذخائر الظلمة وكنوز المخابئ لكي تعرف أني أنا الرب الذي يدعوك باسمك إله إسرائيل ٤».

وفي الآية ١٤ يقول الله تعالى:

«أنا قد أنهضته بالنصر وكل طرقه أُسَهِّل هو يبني مدينتي -يعني أورشليم- ويطلق سبيي -أي أسرى بابل من بني إسرائيل- لا بثمن ولا بهدية، قال رب الجنود ١٤.

وهنا نقف لحظة لنتأمل الأوصاف المحددة بصراحة في قوله تعالى: في الآية الخامس من الإصحاح الثامن في سفر دانيال حيث يقول: «رأيت الكبش ينطح غربًا وشمالًا وجنوبًا فلم يقف حيوان قدامه».

وفي الآية ٢١ من نفس الإصحاح الثامن: «أما الكبش الذي رأيته ذا القرنين فهو ملوك مادى -أي ميديا- وفارس، وملوك يعني إمبراطور أو كسرى، والتيس العافي ملك اليونان».

فاتجاه مسير ذي القرنين متفق عليه في التوراة والقرآن على أنه كان في بدايته متجهًا إلى الغرب، إلى مغرب الشمس. وهذه نقطة هامة جدًّا من معالم البحث عن حقيقة ذي القرنين، نحدد بها شخصيته.

من هو الاسكندر، ومن هو قورش؟

ليس هنا المجال المناسب لتناول سيرة الإسكندر الثالث وأعماله، ولا تاريخ قورش الثاني، وسيرته بطريقة مسهبة، لاعتبارات كثيرة من أهمها ضيق الحيز المتاح لي للكتابة فيه ولعدم توفر المادة العلمية والمراجع، بالإضافة إلى افتقادي أصول ما سبق لي كتابته ونشره وإذاعته حول هذا الموضوع من قبل.

على أية حال فإن الإسكندر الثالث الأكبر ولد في صيف عام ٤٥٦ق م في مقدونيا– في نفس الليلة التي اشتعلت فيها النيران وأحرقت بناء معبد ارتميس القديم في مدينة إفسوس Ipsus (بالأناضول) وهو ابن الملك فيليب الثاني عن الأميرة أولمپياس. وافسوس تقع بجوارها مدينة أُبْلُسْتِين وهي مدينة أهل الكهف في بلاد الروم، كما ذكر ياقوت في "معجمه".

ولما كان الإسكندر في سن السادسة عشرة تولى حكم مقدونيا أثناء غيبة أبيه الملك فيليب ونجح في إخماد ثورة في تراقيا.

وفي الثامنة عشر تولى إمرة الجناح الأيسر في جيش فيليب في حرب خيرونيا Chaeronea وشتت شمل «عصبة طيبة المقدسة».

وخلف أباه على عرش مقدونيا عام ٣٣٦ ق م إثر اغتياله بيد أحد أعوانه من النبلاء، وهو بوزانياسPausanias بإيعاز من زوجته أولمپياس نفسها أم الإسكندر.

ورغم أن الإسكندر كان من أصل يوناني، إلا أن دم الليريا أي ألبانيا كان يجري في عروقه يقينًا منحدرًا إليه من والديه.

وقد تتلمذ الإسكندر وهو في الثالثة عشر، على الفيلسوف أرسطوطاليس المعلم الأول وكان من المعروف أن الإسكندر عانى من عقدة الشك فيما إذا كان حقيقة ابنًا شرعيًّا لأبيه فيليب الذي كثيرًا ما أهانه أبوه بذلك، حتى كان الإسكندر يكره أباه فيليب كراهية الموت أو أشد.

وعقب موت أبيه الفجائي غيلة تحركت الفتن واشتعلت الثورات والانتفاضات ضده فقام يوطد نفوذه في خارج مقدونيا، بمجرد أن تخلص هو وأمه من خصومهما الشخصيين والسياسيين في الداخل، بعد أن اتهمهم الإسكندر بمؤامرة اغتيال أبيه الملك فيليب لحساب الفرس الأعداء. وذلك بإعدامهم جميعًا وفيهم كليوباترة، ابنة أخت قائده أتالوس Attalus التي كانت في نفس الوقت ضرة أمه.

ولما تهيأ للإسكندر بعد ذلك الجو لتحقيق أحلامه وآماله، اتجه الإسكندر أولًا شرقًا... شطر بلاد اليونان لشدة خطورتها عليه، وتحركها ضده. وذلك في نهاية صيف ٣٣٦ ق م، ثم سارع نحو الجنوب للالتفاف حول تيمپي Tempe التي كانت قد احتلها التساليون فتسلق عليهم الإسكندر وقواته، جانب جبل اوسا Ossa الوعر واستولى عليها بلا قتال.

وبعد أن استعاد مكانته في أقاليم حلف كورنثة، وفرض نفسه قائدًا أعلى لهذا الحلف، بدأ يتطلع إلى غزو آسيا.

وفي ربيع عام ٣٣٥ ق م، قام الإسكندر بحملته الخاطفة في حوض الطونة فحارب التريباليين Triballis متخذًا طريقه صوب الشرق.

وبعد قتال عنيف، أوقع الإسكندر بأعدائه الهزيمة، ثم قام بغزو اليونان، ففتح طيبة ونهبها ودمرها، فسارعت كل مدينة يونانية إلى الخضوع والاستسلام، وتقديم الولاء، وخرت أثينا نفسها ساجدة تحت أقدامه.

وفي خريف عام ٣٣٥ ق م تأهب الإسكندر، لغزو الإمبراطورية الفارسية المترامية الأطراف، بأكملها تحقيقًا لأحلامه ومشاريعه التوسعية، والأخذ بالثأر لأبيه. وكان أستاذه ومعلمه العظيم أرسطو طاليس يرى أن هذه الحرب طبيعية وعادلة!

وفي ربيع عام ٣٣٤ ق م، عبر الإسكندر مياه الدردنيل بجيش عرمرم يزيد على الثلاثين ألفًا من المشاة، وأكثر من خمسة الآف من الفرسان، وسار بهم، وهو على صهوة جواده الشهير بوكيفالوس Bucephalus متجهًا صوب الشرق.

كأنما كان الإسكندر يشعر بأنه مقدر له أن يحطم الإمبراطورية الفارسية العتيدة... إمبراطورية قوروش... تمامًا كما تنبأ بذلك من قبل في بابل، نبي الله دانيال، لبني إسرائيل.

وتقدم الإسكندر في زحفه فتوجه إلى آسيا الصغرى- التي كانت أرضًا خاضعة وقتئذ للفرس صوب أنقرة ثم هبط جنوبًا إلى طرسوس ومعناها: جبال الفضة، وهناك عند السهل الصغير قرب إسوس Isuus من أبواب سوريا التقى الإسكندر بغريمه الملك دارا الثالث، أو دار أبو سند الفارسي، وجيشه الذي كان يبلغ ربع مليون مقاتل. وكان ذلك عام ٣٣٣ ق م، ودارت

معركة تاريخية فاصلة كبرىٰ انتصر فيها الإسكندر، انتصارًا عظيمًا، وأسر في هذه المعركة أم دارا وزوجته وبنتيه، فأحسن الإسكندر معاملتهن. ثم تزوج الإسكندر فيما بعد الأميرة بارسيني Barsine واسمها الفارسي روشنك، إحدىٰ بنات دارا وذلك في مدينة سوسا عام ٣٢٤ ق م إثر عودته من غزو الهند.

ثم زحف الإسكندر جنوبًا في بلاد الشام نحو صور في يوليو عام ٣٣٢ ق م، فاحتلها كما احتل مدينة دمشق، ثم القدس وفلسطين كلها، ثم زحف من غزة علىٰ مصر، فوصلها في أواخر نوفمبر عام ٣٣٢ ق م، فاستسلم له حاكمها الفارسي. ومن هناك ركب الإسكندر النيل إلىٰ مدينة ممفيس عاصمة مصر وقتئذ، حيث قدم الإسكندر القرابين لعجل أبيس Apis وكان في وسعه لو أراد، أن يفعل ما فعله قمبيز الفارسي من قبل ابن قوروش المؤمن بإله واحد، هو رب السماء والأرض. فإن قمبيز لما فتح مصر عام ٥٢٥ قبل الميلاد، قتل بيده عجل أبيس المقدس في معبده، علىٰ مرأىٰ ومسمع من جميع المصريين والكهنة بطعنة خنجر سددها إليه بيمينه. وأبىٰ قمبيز عبادة المصريين للعجل، كما أبىٰ الاعتراف به والسجود له.

ثم شد الإسكندر رحاله إلىٰ واحة سيوة، حيث سجد للإله الضم آموله رع. وفي سيوة أو واحة آمون كما كان اسمها القديم. اجتاز الإسكندر، احتفالًا بتتويجه صار بمقتضاه ابنًا لآمون. وألبسه الكهنة القرنين المقوسين لكبش طيبة، كبرهان علىٰ أنه من نسل إلهي، وأنه أصبح بذلك حسب الطقوس المرعية في

مصر، ملكًا شرعيًّا وفرعونًا لمصر.

ثم عاد الإسكندر في ربيع عام ٣٣١ ق م إلى مدينة صور مرة أخرى. وفي يوليو عبر الإسكندر نهر الفرات، حيث التحم مع دارا في معركة حاسمة قرب قرية جوجاميلا Gauoamela ومنها تقدم جنوبًا إلى بابل فسلمت له بلا قتال، ثم زحف شرقًا إلى فارس.

والحقيقة أن انتصار الإسكندر في صور بلبنان كان من أعظم انتصاراته، لهذا قدم الإسكندر القرابين والأضاحي للإله ميلكات الوثن.

فلما وصل فارس دخل إقليم برسيس Persis أولًا ثم أسرع بعد ذلك إلى مدينة برسبوليس العريقة Persepolis وهي إصطخر، عاصمة الفرس في ذلك الوقت فغنم منها مغانم كثيرة، ثم طارد الملك دارا الثالث في إكباتانا - واسمها القديم بالفارسية هكمتانة، وفي التوراة اخمنتا، وهمذان حاليًا في إيران- وكانت عاصمة ميديا فهرب منه دارا إلى الشمال، حيث اغتاله اثنان من خونة رجاله الفرس، طعناه في الطريق، فمات وهما بارسائنيتس أو باسيوس Bessius وساتيبارزانيس، وقد أعدمهما الإسكندر، انتقامًا منهما لاغتيالهما داريوس الثالث غدرًا بعد هزيمته أمام الإسكندر في معركة إربيللا أو أربيل الفاصلة بالعراق عام ٣٣١ ق م.

ومدينة أربيل تقع في الشمال الشرقي من بغداد، في سهل متسع بين نهري الزاب الكبير، والزاب الصغير، وهي مدينة تاريخية ترجع إلى عهد الآشوريين، وهي من أهم مدن الأكراد ومعظم سكانها اليوم منهم.

ومما هو جدير بالذكر: أن الإسكندر أدرك خصمه داريوس وهو طريح على الأرض، يلفظ آخر أنفاسه، فغطاه الإسكندر بعباءته الأرجوانية، حتى مات، ثم حمله في إعزاز مكرمًا ودفنه في موكب حافل، كما يدفن عادة الملوك الأخمينيين. وكان داريوس الثالث آخرهم. ودفنه في مقابر الأكاسرة من آبائه وأجداده في برسبوليس مدينة فارس أو إصطخر العاصمة الكبرى التي أحرقها الإسكندر ودمرها.

وقد تزوج الإسكندر الأميرة روشنك ابنة دارا بناء على توصيته وهو في النزع الأخير. ولما مات الإسكندر بعد ذلك في بابل، بحمى الملاريا التي قيل: إنه أصيب بها هناك -وكان ذلك في إقليم المستنقعات في منطقة العمارة الحالية والقرنة جنوبي العراق، حيث تسكن اليوم قبائل عرب المنتفق- حزنت عليه أم دارا الثالث حزنًا شديدًا، جعلها تقضي على حياتها بنفسها -انتحرت- وذلك بامتناعها حتى الموت عن الأكل، حزنًا على وفاة الإسكندر الأكبر، هذا الرجل الذي لم تنسَ له أنه أكرمها هي وزوجة ابنها وبنتاها، وأظهر لهن شهامة نادرة يوم أن وقعن جميعًا أسرى في يده، وهكذا ماتت أم دارا الثالث الملكة الفارسية سيسيجامبيس Sisyoambis .

وبموت دارا الثالث، قضى على عائلة قوروش الحاكمة في فارس التي استمرت تحكم هذه الإمبراطورية العظمى قرابة قرنين من الزمان، باسم عائلة هتامنسي كما قضى على هذه الإمبراطورية نفسها، وانتهى استغلالها.

بعد ذلك قام الإسكندر بفتح شرقي إيران، ثم تابع الزحف والمسير شرقًا

مارًّا بباميان Bamyan يعني المدينة الحمراء، وهي قرب كابول بالأفغانستان. وبعدها قاسى الجيش أهوالًا من الجوع وقلة الوقود والتآمر. ولكن الإسكندر استطاع تسوية هذه الأمور، وواصل الزحف إلى نهر جيجون واسمه الإغريقي اوكسوس Oxus ميممًا شطر جنوبي نهر سيحون حيث جرح هناك.

وفي نهاية عام ٣٢٨ ق م هاجم الإسكندر قلعة صغد التي كانت تسمى صخرة صغد المنيعة، وكانت على قمة جبل شامخ الارتفاع قرب ديربنت Derbent فاقتحمها على رأس وحدة من رجاله الفدائيين، عددهم ثلثمائة رجل فقط. وكان هذا الحصن هو الذي يعتصم فيه أوكسيارتيس وكان متغيبًا يومئذ خارج حصنه. فلما هاجم الإسكندر هذا الحصن، واستولى عليه، لم يجد فيه إلا أسرة خصمه، فأسرها مع من أسرهم من رجال الحامية بالقلعة. ثم تزوج الإسكندر الأميرة روكسانا Roxane بنت اوكسيارتيس تعيسة الحظ. فقد أعدمها فيما بعد، عام ٣١١ ق م، الملك المقدوني كاسندر Cassandre زوج أخت الإسكندر، في المذبحة الكبرى التي قضى فيها على جميع أفراد أسرة الفاتح العظيم الإسكندر المقدوني.

وفي العام التالي ٣٢٧ ق م قام الإسكندر بغزو إقليم صغد في سمرقند أو ماراقندا كما كانت تسمى، وأما اسمها القديم فهو زادراكارتا. وفتح الإسكندر الإقليم كله وهناك وصلته إمدادات كثيرة، وهو في باكتيريا ببلخ، استعدادًا لغزو الهند، وكانت الهند وقتئذ جزءًا من الإمبراطورية الفارسية الكبرى التي حكمها دارا الأول -داريوس الأكبر أو دار يافوس حفيد قوروش الثاني

(٥٢١ ق م– ٤٨٥ ق م).

ولم يتعد الإسكندر في كل زحفه الطويل أرض خوارزم شمالًا، ثم وصل أخيرًا إلى سمرقند، وهي بجمهورية أوزبكستان حاليًا، فيما بين بلاد ما وراء النهر بآسيا الوسطى.

وفي أوائل صيف عام ٣٢٧ ق م زحف الإسكندر جنوبًا عن طريق ممر كوشان الذي يبلغ ارتفاعه أكثر من أربعة آلاف متر بقيادة جنرالات جيش مقدونيا البواسل، ومنهم هيبابستول وبيرديكاس صوب الهند.

ثم انحدر لغزو البنجاب، ففتحها بعد أن تغلب على قبائل الأفريدي والباتان الأشداء سكان ممر خيبر ذي الأخدود السحيق الموجودين بمنطقة الممر بامتداد الأرض من مرتفعات أفغانستان الشامخة إلى سفوح سلاسل جبال سليمان غرب سهول بشاور في شمال باكستان الغربية منذ عام ٧٠٠ ق م.

وظل الإسكندر وجيشه ينتقل من نصر إلى نصر، رغم إصابته مرارًا بجراح في معاركه البطولية التي تشبه الأساطير، حتى وصل إلى بباس. وهناك تذمر الجيش وقام رجاله باعتصام، ورفضوا التقدم أبعد من ذلك. فعاد الإسكندر من حيث أتى متجهًا هذه المرة شمالًا، وهو يخوض أشد المعارك الوحشية بعنف من جديد، بينما اجتاز أسطوله البحري أثناء عودته من الهند بقيادة الأميرال المقدوني نيارك مياه الخليج الفارسي مستكشفًا شواطئه، وممهدًا هذا الطريق الملاحي لقوافل السفن إلى الهند، حاملة منها العطور والحرير والتوابل التي كانت تفوق في قيمتها الذهب.

وأخيرًا وصل الإسكندر في سبتمبر عام ٣٢٥ ق م مدينة جدروسيا (المقران) الجنوبية ومنها وصل إلى سوسا Susse حيث أقام الإسكندر أعظم عرس عرفه التاريخ تزوج فيه بارسيني أو الأميرة روشنك بنت دارا الثالث وزوج فيه معه في نفس الليلة ثلاثين ألفًا من رجاله بفارسيات في مقدمتهم قائده وصديقه هيفايستيون زوَّجه من ابنة دارا الصغرى دريبتيس Drypetis، وسوسا اتخذها الإسكندر عاصمة لفارس.

أنا ربكم الأعلى:

في هذه المرحلة من حياة الإسكندر الأكبر، أصدر مرسومًا إلى المدن والأقاليم التي فتحها وأخضعها، فرض به على جميع رجاله ورعاياه تأليهه وعبادته والسجود له. وهو إجراء أحمق، وتصرف لم يكن له ما يبرره، أثار استياء الجيش وسخطه وثورته، الأمر الذي انتهى بغضب الإسكندر غضبًا عارمًا أمر خلاله بتسريح الجيش كله، وإعفائه من خدمته وعن جميع التزاماته.

وفي ٣١ مايو ٣٢٣ ق م، أصيب الإسكندر الأكبر -الذي لا يقهر- بحمى الملاريا وقيل: إن أمه نفسها التي قتلت زوجها من قبل- دست له السم، وبعد عشرة أيام، مات الإسكندر في ١١ يونيو عام ٣٢٣ قبل الميلاد، وهو في الثالثة والثلاثين من عمره. وكانت وفاته في قصر نبختنصر الثاني Nabuchodonosor في بابل أو بابليون.

وقد امتد حكم الإسكندر الأكبر، اثني عشر عامًا وثمانية أشهر.

وبابل -مدينة الحِلَّة حاليًا جنوبي بغداد بالعراق- هي إحدى المدن الأثرية

القديمة الموجودة أطلالها حتى الآن، ويعني اسمها بالسريانية: النهر، وبابليون يعني النهر المبارك، أما بابل بالسوميرية، فمعناها: بوابة الله، أو باب الله.

أين قبر الإسكندر؟

يهمني وأنا أسجل هنا ملخصًا عن حياة الإسكندر، أن أشير إشارة عابرة إلى أن معلوماتي التاريخية، تحملني على الاعتقاد بأن قبر الإسكندر الموجود فعلًا في مدينته الإسكندرية عروس البحر الأبيض المتوسط، يقع في المكان الموجود به حاليًا مسجد النبي دانيال. فإنه من المؤكد أن نبي الله دانيال مات ودفن في الشرق أي في أرض المملكة الفارسية القديمة -وبالتحديد في الموصل- وأنه لم ير مصر في حياته قط.

أما مسجد الإسكندرية هذا المنسوب خطأ إلى النبي دانيال، فهو في الواقع وحقيقة الأمر، قد أنشئ إحياء لذكرى ولي الله الصالح الفقيه الشافعي الشيخ محمد بن دانيال المصري[1]. وأصله مغربي من أهل مدينة فاس -المتوفى بالإسكندرية في القرن التاسع الهجري. حيث كان هذا المكان المشهور المدفون فيه من قديم، مكان جبانة الإسكندرية التاريخية التي عرفت باسم سوما Soma -أي الجسد باليونانية- والتي يوجد بها قبر الإسكندر الأكبر في سرداب تحت الأرض... أرض هذا المسجد القائم هناك حتى اليوم. وقد زار الإمبراطور أغسطس الروماني قبر الإسكندر عام ٣٠ ق م ووجده بحالة جيدة.

---

(١) كان ماهرًا في علم الفرائض، وهو مدفون في ذلك المكان بالإسكندرية.

لقد دفن الإسكندر بعد نقله من منف في عهد بطليموس فيلادلفوس الثاني، في جبانة الإسكندر «سوما» وهو اسم تحرف إلى سيما. كانت مدافن سوما في الحي الملكي بالإسكندرية القديمة في ذلك الوقت، حيث كان يوجد بقربها أربعة عشر قصرًا ملكيًّا لملوك البطالمة، وحدائق حيوانات كبيرة، ودار الحكمة الشهيرة، أو الموزيون أكاديمية الإسكندرية. كما كان بها قبور البطالمة قرب المنار فاروس، أعجوبة العالم القديم، ومكتبة الإسكندرية التي احترقت في القرن الرابع الميلادي، قبل الفتح الإسلامي لمصر، بقرنين من الزمان أو يزيد. كما أثبت ذلك بما لا يدع مجالًا للشك المستشرقون المحققون المعاصرون كازانوف Casanova P ونايدو Naidu P.V. وفورلاني Furlani G.A. وغيرهم من العلماء المنصفين الثقات، فإنهم أكدوا أنه من الصعب تصور وجود مكتبة عامة سليمة في الإسكندرية بعد القرن الرابع الميلادي؛ لأن المدينة كانت في ذلك الوقت نهبًا للفوضى والعنف وممزقة بالخلافات الدينية والسياسية، وثورات الجماهير ضد أباطرة بيزنطة، والحكم الإغريقي.

الكلام عن قوروش الملك الفارسي القديم:

أنتقل الآن إلى الكلام عن قوروش الملك الفارسي القديم، وسيرته بإيجاز. ويهمني أن أقول: أنه عندما درست تاريخ حياة هذا الفاضل الكبير، وأمعنت فيه النظر، وجدت أن له مثيلًا في تاريخنا المعاصر يشبهه تقريبًا... ففي تاريخ حياة الملك العربي عبد العزيز آل سعود، وسيرته مثلًا، نجد أنه كان سليل دوحة حاكمة عريقة في نجد العربية، وأن والده فقد عرشه الذي اغتصبه منه

آل الرشيد. وأن عبد العزيز كان أميرًا فقيرًا طريدًا مغلوبًا على أمره، غمرته الحياة، حتى صار يجوب الأقطار والأصقاع المجاورة لملك آبائه المغتصب، خائفًا يترقب. حتى إنه في وقت من الأوقات، سكن هو وآل بيته والمخلصون القلائل من أتباعه، الربع الخالي المخيف القاسي في صحراء شبه الجزيرة العربية. ثم مكن له الله في الأرض، فوثب عبد العزيز بسيفه يومًا على خصمه الطاغية، فقضى عليه. وهكذا استولى الملك عبد العزيز على الرياض مع حفنة قليلة من الأتباع، وحرر بلاده، ووحد نجدًا والحجاز، تحت تاج واحد... تاجه هو، وأسس المملكة العربية السعودية المترامية الأطراف بسيفه وعدله، وأقام حكمه على شريعة الله، ففتح الله عليه كنوز الأرض. وتفجر البترول الذهب الأسود، وغمر أرض بلاده بسيول لا انقطاع لها من الثروة والرخاء والسلام.

ولقي الملك الكبير عبد العزيز آل سعود، ربه بعد أن خلف من بعده لأسرته وأمته المملكة العربية السعودية، ترفرف عليها ألوية العزة والقوة والاستقرار والنصر. آية من آيات الله للناس، والتاريخ يعيد نفسه. فمن هو كوروش؟

من هو قورش؟

قورش أو كيروس الأكبر Cyrus Le Grand أو كوروش الثاني، هو قوروش الأنزاني، مؤسس الإمبراطورية الفارسية القديمة، وحاكمها من عام ٥٦٠ ق م إلى حوالي عام ٥٢٩ ق م، أي أنه وجد في فارس، قبل ظهور

الإسكندر المقدوني بحوالي قرنين من الزمان. وقد دامت إمبراطوريته هذه من بعده إلى وقت دخول الإسكندر الأكبر فارس في عهد داريوس الثالث، آخر أكاسرة الفرس من أسرة هتمامنسي... أسرة قوروش.

وكان قوروش في صباه راعيًا للغنم، ذلك أنه فقد أباه «قمبيز» صغيرًا. وكان أبوه قد فقد الإمارة التي كان يحكمها من قبل، واغتصبها منه حماه الملك الميدي استياجس وقضى عليه.

وكان الأمير قمبيز قبل هلاكه، متزوجًا من الأميرة الفارسية رائعة الجمال ماندان الميدية ابنة الملك استياجس نفسه، فولدت لقمبيز ابنه قوروش.

وظل قوروش في صغره فقيرًا منبوذًا مطاردًا، هو وأمه من جده الطاغية عدو أبيه، حتى عثر عليه فاستعبده، وجعله مولى من مواليه، وعبدًا من عبيده يستذله ويستخدمه.

وكان استياجس أو استياج: Astyage هذا الحاكم الميدي -نسبة إلى ميديا، والدولة الميدية القديمة هي ولاية كرمنشاه حاليًا في إيران- يحكم ميديا حوالي عام ٥٨٠ ق.م. وميديا معناها الجبل، وهو اسم معار من الأرامية، كان يطلق على فارس، ثم على الإمبراطورية الفارسية القديمة.

وفي عام ٥٤٩ ق.م، ثار قوروش راعي الغنم القديم، على مولاه استياجسن وخلعه من العرش، وهكذا قضى قوروش الذي عرف فيما بعد في التاريخ باسم قوروش الأكبر ملك أنزان. قضى على جده استياجس، وثأر لأبيه قمبيز منه، وبذلك قضى على آخر الملوك الميديين.

والحق أن استياجس، قد اعتلى عرش الميديين، ولكنه بعد أن كان أسلافه

يفخرون بعدالتهم ورعاية شعبهم، وبذل كل جهد لإسعاده ورفاهيته، جاء الملك الجديد، بالظلم والقهر والاستبداد والفساد، بينما تمكن قوروش في ذلك الوقت من حكم أنزان، وكان حاكمًا نابهًا محبوبًا. وكانت أنزان أو ولاية أنشان الفارسية تابعة للميديين، فسار قوروش في حكمه بين الناس بالعدل، ويتألف قلوب رعيته بالإحسان، وقد زاد في محبة الجماهير له: أنه كان وسيمًا بهي الطلعة، حتى إن الفرس اتخذوه نموذجًا لجمال الجسم، وخلدوه في فنونهم إلى آخر أيام فنهم القديم.

أما أستياجس، فقد كان مخنثًا. يرتدي الثياب الناعمة المزركشة، ويتثنى في مشيته ويتمايل تمايل الغواني. وكان رغم ذلك جبارًا عاتيًا، إذا بطش لا يرحم. فقد حدث أنه حينما غضب في إحدى المرات على أحد ولاته، ذبح ابن هذا الوالي، ثم أرغمه على أكل لحم ابنه الذبيح انتقامًا منه. فخرج الوالي المسكين من الوليمة المشئومة وهو يسرع إلى قوروش، وتحالف معه فورًا، ثم حارب عدوه اللدود الظالم استياجس. وقد انتصر قوروش عليه وخلعه، ووثب على العرش وانتزعه منه.

وهكذا كانت هناك في القرن السادس قبل الميلاد، قوة جديدة تنشأ في عيلام... وعيلام القديمة هي إقليم الأهواز الحالي في إيران... وهذه القوة كانت ظهور قوروش على مسرح الأحداث التاريخية بهذه الصورة في أنشان أو أنزان Anzan.

وهكذا أصبح قوروش الأنزاني، سيد ميديا، ثم وحَّد قوروش ميديا وفارس تحت تاج واحد؛ تاجه هو، وقد ابتهج الميديون، المغلوبون أنفسهم،

وفرحوا لانتصار قوروش العادل على طاغيتهم.

أما اليهود من بني إسرائيل الأسرى في بابل يوم ذاك، فقد كانت فرحتهم لا توصف بهذا النصر، وهذه الوحدة؛ لأنهم وجدوا فيها نبوءة نبيهم دانيال، قد بدأت تتحقق.

وبعد ذلك هاجم قوروش ليديا غربًا في الأناضول حيث كانت شهرة ملكها كريسوس: Cresus قد جلبت إلى عاصمته سارديس: Sardes أكثر اليونانيين ثقافة. وقد استولى قوروش بعد موقعة بتريوم: Pterium في قابادوقيا عام ٥٤٧ ق م، على هذه المدينة، وأنهى بذلك دولة ليديا عام ٥٤٦ ق م. ثم اتجه نحو بابل جنوبًا التي كانت تعضد ضده كريسوس، بالاتفاق مع مصر، ففتحها وقهر الكلدانيين، وأدبهم وأصبح بذلك سيد بابل. وصحت نبوءة النبي دانيال، وتحققت أحلام اليهود في الحرية والعودة من الأسر في بابل إلى أورشليم، وبناء هيكل الرب من جديد بأمر قوروش.

أورشليم بناها ملك عربي

وأورشليم أو أورشالم معناها مدينة السلام، بناها الملك العربي المحب للسلام مليك صادق، من اليبوسيين، وكان موحدًا بالله يعبد «الله العلي» وقد بارك سيدنا إبراهيم عندما مر بعاصمته؛ لأن مليك صادق وجده موحدًا مثله، فأكرمه كما ذكر في الإصحاح ١٦. ومِلِك صادق أو مليكصادق يبوسي من الذين كانوا أول من بنى مدينة القدس وسورها القديم، وبعض الأبراج لحمايتها. وكان العرب أول من نزل هذا المنزل الذي بنى فيه الملك

«مليكصادق» عاصمته منهم الكنعانيون، ثم العموريون الذين جاءوا جميعًا من الجزيرة العربية إلى فلسطين، منذ أربعة آلاف سنة، قبل ميلاد المسيح.

هذا وقد ظلت سيطرة الفرس على بابل الكلدانية بالعراق إلى عام ٣٣١ ق م حين غزاها الإسكندر المقدوني.

وهكذا نرى قوروش راعي الغنم، بعد أن أصبح ملكًا ووحد ميديا وفارس، قد اتجه غربًا، وحارب الليديين أولًا في آسيا الصغرى، ثم اتجه شرقًا، حيث حارب في بلخ (تركستان).

مولد الحركة الصهيونية العالمية

والمعروف عن قوروش أنه آمن بزرادشت وتعاليمه، وتتلخص دعوته، في عبادة إله واحد: لا شريك له هو (أهورا مزدا) إله النور والسماء. وتقول سيرة زرادشت: أنه كان يتلقى رسالته من إله السماء، وأنه كان ينزل عليه الوحي بواسطة (فاهومانا) كبير الملائكة.

وتم إيمان قوروش بزرادشت النبي في عاصمته بلخ، وآمن بإله واحد القائل: «أنا الرب وليس آخر، لا إله غيري». حتى أن أشعياء الثاني نبيَّ اليهود في الأسر ببابل، تفاءل بالملك الجديد قوروش وعهده، وقد لعب اليهود دورًا بارعًا بواسطة إستر Esther وعشيقها مردوك Merodach أو Mardochee بعد أن أوقعت الملك الطيب القلب قوروش في حبائلها، فأحبها واستطاعت بهذا التأثير عليه والزواج منه، وبذلك عجلت أمر قوروش، بتحرير بني إسرائيل جميعًا وإطلاق سراحهم من الأسر، وإعادة السبي والأسرى منهم إلى

أورشليم من جديد، بعد أن أمضوا في بابل إثر نكبتهم على يد نبختنصر الثاني وجيوشه خمسين سنة.

وهكذا أحرزت الحركة الصهيونية السرية الأولى التي ولدت إبان أسر اليهود في بابل منذ سبعة وعشرين قرنًا، نصرها الأول. أما نصرها الثاني، فكان كما ذكرته التوراة: أن الملكة إستير أو إستر، قد أنقذت اليهود من هامان الذي كان أضاع اليهود، وعذبهم عذابًا مستمرًّا، وانتقمت منه بشنقه عام ٥٢٨ ق م ويزعم اليهود أن هامان هذا، كان رئيس وزراء قوروش وأنه كان يذبح اليهود في عهده بأعداد كبيرة، قبل ظهور هتلر بمئات السنين.

ولقد قمت يومًا بزيارة قبر الملكة الغانية إستر ومردخاي أو مردوك ابن عمها وعشيقها اليهودي، ولعله كان عمها لا ابن عمها، زرته في همذان- اكبتانا القديمة- عاصمة ميديا. فوجدت للغرفة بابًا، أو مدخلًا واطئًا منخفضًا بحيث لا يمكن لأحد الدخول منه إلا منحنيًا راكعًا! ولم أفهم لماذا دفنت هذه المرأة مع عشيقها الأفاق، ولم تدفن مع زوجها الملك؟

المهم أن اليهود... كل اليهود آمنوا منذ ذلك الوقت... وقت المحنة والأسر في بابل، مع مولد الحركة الصهيونية العالمية لأول مرة... آمنوا بعقيدة لا تتزحزح هي أنه لا حياة لهم في أورشليم ولا سلام. ما لم يثبوا على جيرانهم، والأمم والشعوب المتاخمة لهم، ويغتصبون أرضهم، ويستولون عليها ويستعبدونهم، لتكون لهم اليد العليا من بابل إلى مصر، وأنهم منذ ذلك الحين وهم يترقبون فرصتهم بصبر لا ينفد، ليثبوا وثبتهم ويحققوا أحلامهم، وشعارهم المنقوش في قلوبهم، قبل أن ينقشوه على مدخل الكنيست: «من

النيل إلى الفرات هنا ملكك يا إسرائيل».

هذه هي سيرة الملك قوروش الكبير الذي صرعه سهم طائش قتله، وهو يخمد ثورة صغيرة في شمال فارس شرقي بحر قزوين، قام بها الماساجيتيون. Les Massagetes . بعد أن تحالف مع العرب. وزحفت جيوشه على مصر حوالي عام ٥٢٥ ق.م، في عهد فرعون مصر أحمس أمازيس الثاني، وقد فتح مصر ابنه قمبيز، بعد موته. وقد دفن قوروش مؤسس الإمبراطورية الفارسية العظيم في باسرجاد العاصمة التي بناها قوروش شمال شرقي شيراز بإيران.

وقوروش هذا لم تزل العملة المصرية تحمل اسمه حتى اليوم في مصر، وتنسب إليه، وهي القروش أو غروش. ولم يزل المصريون يستعملون آلاف الكلمات الفارسية في لغتهم حتى اليوم كأثر باق من آثار الوجود الفارسي القديم في مصر، منذ قوروش وقمبيز.

موازنة بين سيرة إسكندر المقدوني، وقوروش الفارسي في ضوء القرآن الكريم:

هذه هي سيرة كلا الرجلين: إسكندر المقدوني، وقوروش الفارسي، استعرضناها باختصار شديد، لنرى مَن من الرجلين هو الذي ينطبق عليه الوصف الذي فصله القرآن الكريم لذي القرنين؟ وسبيلنا لمعرفة ذلك هو القرآن الكريم نفسه.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٤ – ٨٥].

من هذا نفهم بوضوح لا يقبل الشك أن التمكين الإلهي المشار إليه في هذه الآية الكريمة، كان لقوروش مولى استياجس الميدي، وخادمه راعي الغنم المغمور الفقير، فكون قوروش يصل بعد هذا إلى العرش، والملك العريض، ويجلس على العرش ثلاثين سنة، وينجح في بناء إمبراطورية عظمى موحدة تمتد من شاطئ الدردنيل إلى حدود الصين، وتكتسح العالم القديم كله تقريبًا، فامتلك الفرس تحت لوائه من الهند إلى تونس، ومن بحر العرب إلى روسيا. وتدين لقوته وحكمه مائة وثمان وعشرون أمة كالمصريين والأتراك والأرمن والأكراد والآراميين والغرثيين والسكيثيين والماديين والهركانيين والدانيين والبكتاريين والارغوسيين والثابوريين والسوسيين والساسانيين والقادسيين إلخ. ونجاحه في تأسيس أسرة ملكية تتولى حكم هذه الإمبراطورية المترامية الأطراف طوال قرنين كاملين من الزمان، فهذا هو التمكين الرباني حقًّا. ولا يمكن أن يسري هذا الوصف بأي حال من الأحوال أبدًا على الإسكندر المقدوني ولا غيره. وكلنا نعرف أن الإسكندر ولد في فمه ملعقة من ذهب كما يقولون. فقد ولد أميرًا وعاش وليًّا للعهد... وكان هو نفسه ملكًا، ولم يتجاوز التاسعة عشر من عمره.

ويقول الله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٤ – ٨٥].

ولعل من أهم أسباب التمكين ودوام نجاحه في الحياة، الإيمان والأخلاق الثمرة الطبيعية للحكمة كما يقول الله تعالى: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن

يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

فإذا وازنا على هذا الأساس بين ما نعرفه في سيرة الإسكندر المقدوني تلميذ أرسطوطاليس، وبين قوروش راعي الغنم المغمور الذي آتاه الله الملك، ومكَّن له في الأرض، نجد أن الإسكندر كان يعيبه: أنه كان يكره أباه كراهية الموت؛ لأنه تعقد منه بسبب الشك في بنوته له.

ولقد نسب كثير من معاصري الإسكندر إليه أمورًا شائنة، فقد كانت تتمثل فيه القسوة والشر والوحشية. واستباح الطاغية لنفسه طوال حياته الانغماس في الملذات والشهوات والإفراط في شرب الخمر، والتردي في هاوية الشذوذ وحبِّ الخصيان من الفتيان المرد، والنساء. وكان في مقدمة شائنيه من معاصريه، كيرتيوس Curtius.

بينما المعروف عن قوروش: أنه كان حريصًا على العدالة والرحمة والتسامح حتى مع أعدائه، فأعاد أسراه جميعًا إلى بلادهم، وحررهم وأعاد بناء هيكل الرب في أورشليم.

وكان طبع الإسكندر ومزاجه -رغم الأعمال العظيمة التي قام بها- يكشفان أحيانًا بصورة بشعة عن حقيقة شخصيته التي تبدو في صورة وحش كاسر، يرتكب من الأعمال المفجعة ما لا تقره العدالة. ففي إحدى مرات غضبه قتل بيده بلا اتهام ولا محاكمة أقرب أصدقائه وأعزهم لديه، وهو كليتوس: Cleitus طعنه بحربة في قلبه. بالإضافة إلى قتله قائده العظيم بارمينيون، وسماحه بالمذابح الدامية التي أمر بها، فجرت الدماء أنهارًا في طيبة،

وماساجا وفي كثير غيرها من المدن التي كثيرًا ما كان الإسكندر يعطيها العهود والمواثيق؛ مواثيق الأمان والسلام، حتى إذا ما سلمت له، أو استسلمت غدر بها وبطش بأهلها في مذابح رهيبة، يشيب من هولها الولدان وكان يبيحها لرجاله الكواسر المتعطشين لسفك الدماء، والسلب والنهب وهتك الأعراض، وإشاعة الموت والخراب والدمار والفساد في كل مكان.

هذا بينما كان قوروش حريصًا على الأخلاق والعدالة، طيب القلب، رحيمًا ميالًا للسلام والعفو والتسامح.

وهنا أترك الكلام لزعيم الهند «جواهر لال نهرو» الذي سجله في "لمحات من تاريخ العالم" في عرض تاريخي سريع كان قد كتبه في سجنه حوالي شهر يناير سنة ١٩٣١ إلى ابنته انديرا غاندي رئيسة حكومة الهند الآن، قال عن الإسكندر المقدوني ما نصه:

«كان فيليب أبو الإسكندر ملك مقدونيا ملكًا قديرًا، استطاع أن يجعل من مملكته الصغيرة مملكة قوية، وأن ينشئ جيشًا ذا كفاية. والفضل في معظم ما نجح فيه الإسكندر من فتوحات وانتصارات، إنما يرجع إلى مجهود أبيه فيليب من قبله. وعظمة الإسكندر أو عدم عظمته هي في الحقيقة أمر مشكوك فيه، وإذا قسته بمقياسي للبطولة، فهو بالتأكيد ليس بطلًا من أبطالي.

وقد ثارت ضد الإسكندر مدينة إغريقية واحدة، هي مدينة «طيبة» ولكنه ضربها ضربة قاضية، بفظاعة وقسوة شنيعتين، لقد ضرب هذه المدينة العظيمة، وهدم مبانيها، وقتل كثيرًا من رجالها ونسائها وأطفالها، وباع آلافًا من أهلها عبيدًا، وبهذا العمل البربري أدخل الرعب والفزع على قلوب الإغريق.

ولكن هذا وأمثاله من أعمال البربرية التي تخللت حياته، لا تنال إعجابنا، وإنما تثير فينا التقزز والاشمئزاز».

هذا من جهة الأخلاق أما عن الإيمان، فإن الباحث المنصف يجد في سيرة الإسكندر ابن التسعة عشر ربيعًا: أنه قام بعد انتصاره الرائع في صور وفتحها قام بتقديم الأضاحي والقرابين إلى الإله الصنم ميلكارت، وأنه سجد له كما يسجد كل وثني.

حتى إذا فتح مصر ودخلها بجيوشه غازيًا، ذهب إلى ممفيس -وهي الآن قرية ميت رهينة، قرب البدرشين في الجيزة- منذ حوالي ٢٣٠٠ سنة مضت، وقدم أيضًا القرابين والأضاحي لآلهتها -الثالوث المقدس- بتاح (الإله الخالق عند المصريين القدماء) وشركائه سخمت التي تمثل بشكل لبؤة، ووليدها نفرتم. آلهة ممفيس -المدينة المحصنة ذات السور الأبيض والمائة باب- وهناك في معبد بتاح سجد الإسكندر للأصنام متعبدًا بحضور الكهنة المصريين الذين أعلنوا الإسكندر فرعونًا على مصر أي ملكًا شرعيًّا على البلاد.

ثم قام الإسكندر بعد ذلك برحلة نيلية في الفرع الكانوبي للنيل -وكان للنيل سبعة أفرع- حتى إذا بلغ مصبه قرب رشيد، قام الإسكندر باختيار شقة رملية من الساحل غربي بوقير أو أبو قير، حاليًا حيث كانت توجد هناك وقتئذ من قديم قرية صغيرة للصيادين اسمها راكوتي أو راقودة وبالتحديد: راكوتسي Rhacotis فأمر ببناء عاصمته الجديدة الإسكندرية هناك، تحقيقًا لأعز أمانيه. وفعلًا قام مهندسه العظيم دينوقراطيس Deinocrates بتخطيط المدينة وبنائها، وكان ذلك عام ٣٣٢ ق.م.

ثم رحل الإسكندر إلى مرسى مطروح، وكانت تسمى ياراتيونيوم وشق الطريق عبر الصحراء الغربية جنوبًا إلى واحة سيوة، لزيارة معبد آمون. وكانت واحة سيوة قديمًا، تسمى واحة آمون.

وكان معبد آمون مقامًا في واحة صغيرة قرب واحة سيوة، لا في واحة سيوة نفسها. ولقد اهتدى الإسكندر إلى الواحة بصعوبة، بعد أن كاد يضيع ويهلك هو وجيشه معه، كما هلك من قبل جيش قمبيز بن قوروش في رمال الصحراء المتحركة وعواصفها. فلما اهتدى للواحة، واسمها واحة الخورمي، قام الكاهن الأكبر المصري لهذا المعبود المقدس بإسباغ التحية التقليدية على الإسكندر، ومناداته بأنه ابن زيوس– آمون. وكان قصد الإسكندر من حجه إلى معبد آمون في سيوة، وتحمله مشقة السفر إليه، هو استشارة الإله الصنم وسماع نبوءته، ووحيه على لسان الكاهن الأعظم. وهناك قدم الإسكندر خضوعه وإيمانه بالإله آمون، وسجد له أمام تمثاله الحجري الضخم. وفعل ما كان يفعله الوثنيون من قبل، من عمالقة الإغريق برسيوس وهرقل.

وهكذا نرى الإسكندر يتلقى الوحي، من التمثال المتحرك لرب الأرباب المصري آمون رع رب طيبة والدولة، ونصير جيوشها الفرعونية، وواهبها الغلبة والظفر كما نراه يؤمن بالأصنام ويسجد لها، كأي وثني. بل وتراه هو وجيوشه خلال زحفه صوب الشرق نحو فارس والهند، نرى الإسكندر وجميع جيشه يسجدون لنار النفط التي لا تخبو... عندما مروا بها في أبشرون بجوار باكو الحالية وعبدوها باعتبارها مقدسة.

ثم نرى الإسكندر في مرحلة أخرى بعد قليل وهو في سوس Susse عام ٣٢٤ ق.م يصدر مرسومًا ملكيًّا إلى جيوشه ورعاياه في كل مكان... في المدن والأقاليم التي فرض عليها سلطاته بقوة السلاح، يأمرهم فيه بعبادته، وتأليهه والسجود له. وزعم الإسكندر في هذا المرسوم أنه أصبح هو الإله ديونيسوس بالذات.

وهو تصرف لا يوجد ما يبرره، الأمر الذي أثار ضده سخط واستياء الجيش كله، مما أغضب الإسكندر، وحكم كبرياءه، لدرجة الجنون فقام بتسريح الجيش كله، وأعفاه من خدمته، وهذه حالة نادرة وشاذة في تاريخ الطغاة.

هذا وبينما كان قوروش يؤمن بإله واحد، لا شريك له. هو (أهورا مزدا) إله النور والسماء، ويعبده ويخشاه، لأنه كان يقول: «أنا الرب وليس آخر، لا إله غيري».

وكان يؤمن بزرادشت النبي الذي يأتيه الوحي من السماء، ويدعو لعبادة إله واحد، ويأمر بعمل الخير، والابتعاد عن الشر، كل ذلك بواسطة فاهومانا كبير الملائكة.

قوروش هو ذو القرنين

فمَن إذن من الرجلين الإسكندر، أم قوروش، يستحق أن يشرفه الله سبحانه وتعالى بندائه ومخاطبته بقوله عز من قائل: ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ [الكهف: ٨٦]؟

وإذا كان هناك شخص ثالث آخر... فمن يكون؟

إن تاريخ الشرق الأوسط كله في التوراة، لا يسمح باحتمال وجود أي شخص ثالث غير قوروش والإسكندر، يمكن أن يكون ذو القرنين أحدهما.

وقد بيَّن القرآن الكريم حكمه البات في هذا الأمر... ووصفه التفصيلي الدال عليه، وذلك في سورة الكهف، وأهم صفاته: أنه إنسان كبير القلب عادل يؤمن بالله الواحد الأحد، ولا يعبد أو يسجد لسواه... جدير بشرف مخاطبة الله سبحانه وتعالى، وندائه له، وتكليفه بالإصلاح في الأرض بعد أن مكنه الله سبحانه وتعالى من أسباب كل شيء يريده.

الإتجاه إلى مغرب الشمس:

إننا إذا تتبعنا مسيرة الأحداث، ومقدار موافقة آيات القرآن الكريم عليها. وجدنا أن الله تعالى وتبارك، أخبرنا في محكم تنزيله -مؤيدًا بذلك ما جاء من قبل في التوراة- بأن ذا القرنين بلغ أولًا مغرب الشمس، يعني أنه اتجه أول ما اتجه في حروبه ومسيره العسكري صوب الغرب، فإذا بحثنا عن هذا الاتجاه ومَن مِن الإسكندر المقدوني، أو قوروش سار نحوه في مساراته العسكرية؟ نجد أن الإسكندر خرج من مقدونيا إلى الشرق، فاتحًا اليونان وأسيا الصغرى، في طريقه بعد ذلك جنوبًا إلى سوريا ومصر، ثم إلى الشرق من جديد. فاتحًا العراق وإيران وأفغانستان وباكستان في شبه الجزيرة الهندية، ثم عاد إلى سوسا في فارس -إيران- ثم إلى بابل في العراق أي أنه اتجه آخر المطاف نحو الغرب، حيث مات.

أما قوروش الفارسي، فقد اتجه غربًا من اللحظة الأولى، فانطلق في فارس في حروبه مع ليديا الواقعة في الأناضول بآسيا الصغرى، حتى وصل في انتصاراته على الليديين إلى شاطئ البحر الأبيض المتوسط، وهناك لابد أنه

شاهد أحد الخلجان الضيقة الكثيرة عند أزمير وقت الغروب، حيث يخيل للرائي هناك حتى اليوم أن الشمس وهي تغرب في تلك الجهة، كأنها تغرب في عين حمئة؛ لأن تفتت صخور الشاطئ هناك يجعل الماء مسودًا معكرًا، مما يطابق وصف الآية القرآنية الكريمة لهذا المكان، فضلًا عن أن طبيعة الشاطئ وتعاريجه عند خليج أزمير الصغير بالذات يشبه في رسمه شكل العين.

أما القوم الذين وجدهم قوروش عند مغرب الشمس، أي في ليديا فكانوا من اليونانيين أصحاب الفكر والحضارة الإغريقية، فاتخذ فيهم قوروش حسنًا وإكرامًا لما كانوا عليه من علم ومدنية، فتسامح معهم كما أخبرنا القرآن الكريم، ولم يعذبهم أو يرهقهم[(١)].

فلما بلغ مطلع الشمس بعد فتح ليديا، اتجه قوروش إلى بلخ (بتركستان) حيث كانت تعيش هناك بعض القبائل الرُّحَّل شديدة المراس التي كانت تقلقه بغاراتها المتكررة على حدود بلاده الشرقية فأخضعها. ولما كان رجال هذه القبائل رحلًا، لا بيوت ثابتة لهم يسكنونها، فقد وصفهم القرآن الكريم بقوله: ﴿لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ [الكهف: ٩٠] أي منازل مبنية أو مستقرة وهذا ينطبق وصفه على قوروش لا الإسكندر.

---

(١) لفظ الآية: ﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [الكهف: ٨٦ – ٨٨] وهكذا أفادت الآية أنه قسمهم نوعين: ظالمًا أي مشركًا يعذبه جزاء شركه. ومؤمنًا صالحًا يلين له القول، ويعامله معاملة حسنة.

السد بين الحقيقة والخيال:

يصف القرآن الكريم المرحلة الأخيرة لذي القرنين بأنه يوجد مضيق بين جبلين أي صدفين فيه ممر تعبر منه أقوام همج من آسيا، يعيثون فسادًا، فقام ذو القرنين ببناء سد في هذا الممر، منع عن أهالي هذه المنطقة خطر الغزو الداهم الذي كان يتهددهم دائمًا من هذا الممر، ومنع شرهم.

وبقدر ما اختلفت آراء المفسرين والمؤرخين في الماضي حول شخصية ذي القرنين، اختلفوا كذلك حول السد الذي بناه، وجاء ذكره في القرآن الكريم، وإن كانت التوراة لم تذكره، ولم تشر إليه على الإطلاق.

ومن أعجب ما قرأت وسمعت عن السد: أن بعضهم اعتبر هذا السد، سدًّا خياليًّا. كما زعم آخرون: أن هذا السد إنما هو سد رمزي في القرآن بين الخير والشر! وقال البعض: أنه في الصين ظنًّا منهم: أنه سور الصين العظيم، بينما المعروف أن جدران هذا السور تمتد حوالي ثلاثة آلاف كيلو مترًا على حدود الصين، ومنغوليا. وليس هذا سدًّا كما وصفه القرآن، بل هو سور هائل، بناه أحد ملوك الصين القدماء حوالي عام ٢٥٠ قبل ميلاد المسيح، أي بعد قرن تقريبًا، من موت الإسكندر، وثلاثة قرون من موت قوروش.

كما أن آخرين زعموا أن هذا السد موجود في شمال إفريقيا من تونس والمغرب. وأن يأجوج ومأجوج أقوام من الجن يحاولون في كل يوم عبثًا تخطي هذا السد، فلا يستطيعون له نقبًا. أو أن يأجوج أو جوج، هو ملك قبيلة يأجوج الذي طالما حرم جيرانه السلام والأمن، بسبب عدوانه عليهم، وغزواته ضدهم.

وفي الحقيقة: أن هذا كله وهم، وإغراق في الخيال.

أما حقيقة هذا السد، فإنها بسيطة وواضحة للغاية، فإنه لما جاء قوروش الملك الأنزاني الكبير، وتتابعت انتصاراته، واشتهر أمره في مشارق الأرض ومغاربها. وعرف بين الناس بعدله ورحمته، وحبه للإنسانية والتسامح والسلام. هرع إليه أهل البلاد الواقعة جنوب هذا الممر، وطلبوا منه العمل على حمايتهم من غارات جيرانهم أهل الشمال العدوانية. ولما كان هذا الممر يقع في مضيق بين جبلين من سلاسل جبال القوقاز الممتدة بين بحر الخزر (قزوين) أو البحر الهيركاني، كما كان يسمى في زمن قوروش، وبين البحر الأسود. فقد أقام قوروش سدًّا منيعًا، وردمًا مصفحًا بالحديد، قطع به دابر هجمات الغزاة، وغزوات المعتدين من قبائل آسيا التي استمرأت الحرب الخاطفة مع جيرانها في الجنوب، وخاصة مأجوج وهم من المغول قصار القامة الشداد، ذوي البأس والعنف. ويأجوج من قبائل الروس طوال القامة، من عمالقة سيبريا الجبابرة. أما طول هذا السد، فقرابة المائة متر فقط.

ولما كان أهل هذه المنطقة التي أقيم فيها السد، وهم من الأرمن. ليسوا على شيء في ذلك الوقت من التحضر، فقد وصفهم القرآن الكريم بأنهم: ﴿لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ [الكهف: ٩٣]. ومن الواضح أن الإسكندر الذي وصل في زحفه في آسيا الوسطى إلى نهري جيجون وسيحون، جنوبي بحر خوارزم، وهو الآن بحر أورال... لم يصل أبدًا إلى هذه المنطقة التي بنى فيها الملك قوروش السد، قبل وجود الإسكندر نفسه، بقرنين من الزمان؛ لأن الإسكندر

كان يسرع الخطى في زحفه نحو هدفه الأكبر، وهو غزو الهند، حينما مر في آسيا الوسطى، متجهًا نحو الهند، مارًّا بجهة باميان وكابول عبر ممر خيبر.

ومن الثابت تاريخيًّا: أنه لا يوجد في أي مكان مر به الإسكندر طوال حياته، أي سد ينسب إليه. ولا يوجد أي سد آخر، في هذه المنطقة التي كانت مسرح الأحداث العسكرية التي حفظها لنا تاريخ تلك الحقبة من الزمن، التي عرفت الإسكندر وقوروش وحياتيهما الحافلة. إلا السد الذي بناه قوروش في شمال إيران بأرض أرمينيا، والذي ينطبق عليه وصف القرآن الكريم. وهو موجود حتى اليوم، في ذلك المضيق، وفي ذلك الممر بين جبلين من سلسلة جبال القوقاز، بين بحر قزوين والبحر الأسود. وهذا السد يسمى هناك حتى اليوم «سد غورائي» نسبة إلى غوروش، وهو الملك قوروش الإنزاني الفارسي، لا الإسكندر المقدوني... وبهذا لم يعد أدنى شك في أن ذا القرنين الذي عناه يهود يثرب، وذكره القرآن الكريم، هو قوروش. وإلا فدلوني بربكم على السد الذي بناه الإسكندر، إن كان هناك سد آخر. دلوني إذن، أين هو؟!

ومتى وصلنا في بحثنا إلى هذا الحد نذكر قوله تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: ٩٨].

ولعل وجود هذا السد وبقاءه قائمًا حتى الآن هناك، في ممر جبال القوقاز تصديق لقول الله تعالى في هذه الآية الكريمة عن بقاء السد إلى مجيء وعد الله الحق وشاهد على ذلك. كما أنه يجب وقد وصلنا في بحثنا إلى هذا الحد، أن نضرب صفحًا عن جميع المزاعم والأوهام التي قيلت عن السد من قبل،

وإسقاط سائر الأسئلة القديمة المطروحة عن ذي القرنين، وعدم الرد عليها، أو الالتفات إليها، فإن ذا القرنين، والحالة هذه -كما بينا بوضوح- ليس هو الإسكندر المقدوني. وبالتالي لا يمكن أن يكون نبيًّا، ولا ملكًا من ملوك تبع، ولا هو مَلَكٌ من الملائكة[1]. كما قيل في الماضي من بعض الناس. لا يمكن أن يكون ذو القرنين واحدًا من هؤلاء. وإنما هو قوروش الإنزاني الفارسي، بلا شك ولا جدال. وهذا هو ما أرجحه نتيجة دراستي وبحثي وأبحاث من سبقني من العلماء المحققين الثقات، وأقطع بصحته وصوابه.

وأستطيع أن أجزم بأن كل مَن قال من قبل بأن ذا القرنين المقصود في القرآن الكريم هو الإسكندر الأكبر المقدوني، أو أحد غير قوروش... أجزم بأنه جانبه الصواب، وخانه التوفيق.

لماذا لُقِّب بذي القرنين؟

بقي أن أوضح في نهاية كلمتي هذه: أن الإسكندر كان يلقب عند معاصريه وبعدهم بذي القرنين، ولعل هذا اللقب عرف به رمزًا لقوته البدنية، أو تمجيدًا له بعد تكريمه بمعرفة كهنة مصر الفرعونية، في معبد آمون -رع- في سيوة، حيث كان الكبش المصري في وادي النيل يرمز للقوة والسلطان، وكانت كباش مصر قديمًا في عصور الفراعنة ضخمة القرون، قوية البنية من

---

(١) لم يقل أحد من العلماء: إن ذا القرنين كان من الملائكة، نعم قال بعضهم بنبوته، وهو قول ضعيف. ولعل الكاتب انتقل ذهنه إلى الخضر عليه السلام، فقد قال بعض العلماء: إنه كان من الملائكة، وهو قول ضعيف، بل ساقط.

النوع المعروف علميًّا باسم أوفيس بلاتيرا ايجيبتياكا Ovis Platyra Aegyptiaca

وقيل: إن خوذة الإسكندر الأكبر الذهبية، كان منقوشًا على جانبيها قرون بارزة، رمزًا للقوة والسلطان. وإن كانت الحقيقة التاريخية تؤكد أن كهنة آمون، وضعوا على رأس الإسكندر تاجًا له قرنان مقوسان كقرني كبش طيبة، إعلانًا منهم بتتويج الإسكندر فرعونًا على مصر، وابتهاجًا بانتصاره على أعدائهم الفرس، وتخلصهم من الحكم الفارسي البغيض لمصر، وقتئذ على أيدي الإسكندر الفاتح. ومما يذكر: أن أطلال معبد آمون، وقاعة الاحتفال بتتويج الإسكندر التاريخية به، لم تزل قائمة وموجودة حتى الآن في واحة الخورمي، في سيوة بالصحراء الغربية بمصر.

وربما عرف الإسكندر بذي القرنين بعد غزوته لفارس فلعله ورث اللقب ضمن ما ورثه من تركة قوروش، فالمعروف أن قوروش أيضًا كان له قرنان، قبل الإسكندر بمائتي سنة. إذ إنه لم يكن الإسكندر وحده في التاريخ القديم ذا القرنين، بل كذلك كان آمون مثلًا إله كوش، كان له قرنان، وكان يرمز إليه بهيئة الكبش ذي القرنين، واسمه القديم بين المعبودات المصرية، هو بيتي.

وثور منيفس، أو عجل أبيس Apis كما يسميه العامة، أو جالي إله الخير، وإله مدينة هيليوبوليس، وهي أون القديمة On– وهي الآن قرية عرب الحصن، بجوار عين شمس، من ضواحي القاهرة– كان له قرنان، بينهما قرص الشمس، تجسيدًا للإله رع إله الشمس. وعجل أبيس أو جالي– اسمه الفرعوني القديم هو: كا–هاه–كا. ولقد سمي باسمه شهر كيهك، في التقويم القبطي في

مصر المعمول به حتى اليوم، وهو الشهر الرابع في السنة القبطية.

والأمثلة على ذلك كثيرة لا يحصرها عد. فكان للآلهة إيزيس قرنان، ولكل من الملكة الفاتنة الجمال نفرت-ايتي، يعني الجميلة قادمة، أو نفرتيتي، والأميرة بنت- عنت ابنة رمسيس الثاني، والملكة كليوباترة السابعة، وعشرات غيرهم من أميرات وملكات وأمراء وملوك في مصر وغيرها قديمًا، كان لهم جميعًا قرونًا من الأمام إلى الخلف، كما هو ثابت في آثارهم القديمة السليمة الموجودة حتى الآن، وذلك غير من كان لهم قرون مقوسة.

وكذلك كان قوروش الثاني الأكبر، ذا قرنين. وهكذا صورته رؤيا النبي دانيال، وسفر أشعياء في التوراة، وهكذا لقبه القرآن الكريم.

وقد عثر حديثًا على بعض النقوش الأثرية لقوروش منحوتة في الصخور وله قرنان، كما عثر له على تمثال بشاطئ نهر مرغاب بإصطخر -پرسپوليس- عاصمة الفرس القديمة، على بعد خمسين ميلًا منها، ووجد لهذا التمثال قرنان أيضًا تمامًا، كما وصفته التوراة. إلا أن الفارق بين قرني قوروش في آثاره وتمثاله، وفي التوراة، وبين قرني الإسكندر، هو: أن قرني الإسكندر مقوسان على جانبي رأسه مثل قرني الكبش أما قرنا قوروش فهما من الأمام وإلى الخلف... يخرجان من وسط الرأس وقمته تمامًا: وأحدهما بارز يمتد إلى الأمام فوق الجبهة، والآخر يخرج مثله من وسط الرأس ويمتد إلى الوراء، فيشكل القرنان حرف باء العربية فوق الرأس.

ولا عجب في ذلك، فهكذا وصف الوحي قرني الملك قوروش للنبي دانيال في رؤياه، كما جاء في التوراة، وهكذا أيضًا كان الفنان المصري القديم،

قبل زمن دانيال بآلاف السنين يرسم صورة المعبود أنوبيس في الآثار المصرية، بشكل جسم آدمي له رأس ابن آوي وله فوق رأسه قرنان بارزان من وسط الرأس إلى الأمام، وإلى الخلف تمامًا، مثل قرني قوروش، في صوره المنحوتة، وفي تماثيله الأثرية التي صنعها قديمًا الفنان الفارسي. وأنوبيس كان رب الجبانة، وإله مصر الوسطى والمنيا عند قدماء المصريين.

والمعروف من آثار فارس الباقية حتى الآن: أنه كان قبل قوروش بقرون سحيقة في القدم، كان السوميريون القدماء والأكاديون الأوائل، كان من أمرائهم مَن يلبس فوق رأسه التيجان، ذوات القرون البارزة، من وسط قمة الرأس إلى الأمام، وإلى الخلف، بشكل حرف باء كبير. وذلك عكس القرون الحلزونية الجانبية، الشبيهة بقرون الكباش التي نعرفها جميعًا ونميزها بسهولة.

أما هذه القرون البائية الشكل، الغريبة المنظر، التي توج بها قوروش نفسه، واستعملها غيره من قبل سواء في مصر الفرعونية، أو فارس، فقد كان يسميها الملك الكاسي... آجام كاكزين عصابة السيادة، أو علامة الألوهية ورمزها.

وحسبي هذا القدر من البيان، للدلالة على أن الملك قوروش الفارسي... وقوروش وحده... هو يقينًا... ذو القرنين... المذكور في القرآن الكريم والله أعلم.

تعليق
على بحث يأجوج ومأجوج

هذا بحث مفيد، كشف النقاب عن وجه الحقيقة، في تعيين ذي القرنين، بعد أن كثرت فيه الآراء، وتعارضت. وذهب كثير من المفسرين إلى أنه الإسكندر[1] المقدوني. وكنت لا أرتاح إلى هذا الرأي، لأن الإسكندر كافر، وذو القرنين الذي تحدث عنه القرآن مؤمن. بل قيل: إنه نبي، أخذًا بظاهر قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ [الكهف: ٨٦] فإنه يقتضي أنه أوحى إليه بهذا القول. والصحيح أنه ليس بنبي، وبلغ إليه ذلك القول بواسطة نبي كان في عصره. قيل: هو الخضر. وقيل: نبي من أنبياء بني إسرائيل.

ثم إن خط سير الإسكندر، عكس خط سير ذي القرنين المذكور في

---

(١) قال أبو الريحان البيروني في كتاب "الآثار الباقية عن القرون الخالية" ذو القرنين هو أبو كرب بن عمير بن إفريقش الحميري وهو الذي افتخر به تُبع اليمن، حيث قال:

قَدْ كانَ ذو القَرْنين جَدِّي مُسْلِمًا ... مَلِكًا عَلا في الأرضِ غير مُفند
بلغَ المغاربَ والمشارقَ يَبْتغِي ... أسبابَ مُلْكٍ مِن حكيمٍ مُرشدِ
فرأى مَغيبَ الشمسِ عند غُروبها ... في عين ذي خلبٍ وثأطة حرمَدِ

قال أبو الريحان: ويشبه أن يكون هذا القول أقرب؛ لأن الملقبين بكلمة «ذي» كانوا من اليمن. واختار هذا القول صاحب "كشف الظنون"، وقال: «إنه في عصر إبراهيم عليه السلام، وأنه اجتمع به في مكة وتعانقا». اهـ.

قلت: لكن لم يثبت أنه بنى سدًّا، فلا يكون هو المذكور في القرآن.

القرآن. فكيف غفل المفسرون عن هذا؟ لكنه التقليد، يوقع صاحبه في الخطأ من حيث لا يشعر، حكي قول عن كعب أو غيره: أن ذا القرنين هو الإسكندر، فنقله المفسرون تقليدًا من غير تمحيص، وكم في كتب التفسير من أقوال ضعيفة، بل ساقطة، يجب حذفها، وتنزيه التفسير عنها.

أما الردم الذي بناه ذو القرنين، فقد كثرت فيه الأقاويل أيضًا، حتى اختار بعض المعاصرين التوقف عن الكلام فيه، واعتبره من المشكلات التي تترك للزمان يكشف عنها ويجليها للعيان.

والواقع أنه لا إشكال فيه، فموقعه -كما تبين من هذا البحث- في شمال إيران بأرض أرمينيا، بين جبلين، من سلسلة جبال القوقاز. وقد وصل إليه بعض الناس وشهدوه عيانًا. ففي العهد النبوي، روى الطبراني في "مسند الشاميين" من طريق قتادة عن رجل عن أبي بكرة الثقفي رضي الله عنه: أن رجلًا قال: يا رسول الله رأيت الردم. قال «انعته لي» قال: كالبرد المحبر، طريقة حمراء من نحاس، وطريقة سوداء من حديد. قال «رأيته».

وفي عهد الخليفة الواثق العباسي، بعث بعض أمرائه، وجهز معه جيشًا سرية. لينظروا إلى السد، ويعاينوه وينعتوه له. فوصلوا من بلاد إلى بلاد، ومن ملك إلى ملك. حتى وصلوا إليه، ورأوا بناءه من الحديد، ومن النحاس.

وفي عصرنا هذا، وصل إليه أبو الكلام أزاد وزير المعارف السابق للهند، ورآه ومر فوقه وحواليه بطائرة. وبعد هذا لم يبق شك في تعيين محله وتحديده.

وإنما يبقى الكلام في مسائل تشكل على بعض الناس، ونحن نزيل الإشكال عنها.

حديث منكر في حفر السد، وبيان نكارته

روى أحمد والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ لَيَحْفِرُونَ السَّدَّ كُلَّ يَوْمٍ، حتَّى إذا كادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ، قَالَ الذِي عليهم: ارجِعُوا فسَتَحْفِرُونَهُ غَدًا، فيَعُودُونَ إليه كأَشَدِّ ما كان، حتَّى إذا بَلَغَتْ مُدَّتُهُمْ، وأرادَ اللهُ أنْ يَبْعَثَهُمْ على النَّاسِ، حَفَرُوا، حتَّى إذا كادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ، قال الَّذِي عليهم: ارجِعُوا فسَتَحْفِرُونَهُ غَدًا إن شاءَ اللهُ، ويَسْتَثْنِي، فيعُودُونَ إليه وهو كهَيْئَتِهِ حِينَ تَرَكُوهُ، فيَحْفِرُونَهُ ويَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ...**». الحديث صحَّحه الحاكم وابن حِبَّان، وإسناده جيد. لكن قال الترمذي: غريب، وقال الحافظ ابن كثير: في رفعه نكارة، يعني: أنه لا يصح رفعه إلى النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وذلك لوجوه:

أحدها: أنه مخالف للآية، فإنها تفيد أنهم لم يستطيعوا ارتقاء السد ولا نقبه ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا﴾ [الكهف: ٩٧] والحديث يفيد أنهم قدروا على نقبه وحفره، وهي مخالفة صريحة لا تحتمل التأويل.

ثانيها: أنه ليس من المعقول أن يمكثوا مدة من الزمان لا يعلم نهايتها إلا الله، وهم يحفرون السد كل يوم، لا يكلون ولا يملون، ولا شغل لهم إلا ذلك، حتى قرب قيام الساعة، هذا مما يشهد العقل ببطلانه، والنبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لا يقول الباطل، ولا ينطق به.

ثالثها: أن الآية تقول: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى﴾ [الكهف: ٩٨]

فهي صريحة في أن الله تعالى يدك السد عند مجيء الساعة، والحديث يفيد أنهم يحفرونه، والحفر غير الدك. وهي مخالفة صريحة لا تقبل التأويل.

رابعها: أن السد بني ليمنع يأجوج ومأجوج عن جيرانهم الذين اشتكوا منهم، إلى ذي القرنين اقرأ قوله: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف: ٩٥] ولذلك بناه بين الصدفين أي الجبلين، وهو محل عبورهم إلى جيرانهم. ومعنى هذا: أن يأجوج ومأجوج، لم يقفل عليهم البلد بسور يمنعهم من الاتصال بالعالم، بل بلدهم مفتوح من جميع جوانبه، يخرجون من أيها شاءوا، ما عدا الممر الذي يوصلهم إلى جيرانهم، فإنه أغلق عليهم بذلك الردم.

يأجوج ومأجوج يخرجون على الناس من طريق غير السد ولا يحفرونه

وبناء على ذلك لا يتوقف خروجهم في آخر الزمان، على حفر الردم أو دكه. بل يخرجون وهو قائم بحاله، لم يمس، وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦] لا يفيد حفر الردم أو اندكاكه، لأنه ليس مقفلًا عليهم بقفل. ولأن طوله نحو مائة متر، وليس من المعقول أن ردمًا هذا حاله في صغر المسافة، يحجز شعبًا تعداده ملايين من الناس، عن الاتصال بالعالم، ولا يجدون مخرجًا منه إلا بحفره أو دكه!!

ولكن معنى فتحت يأجوج ومأجوج: تيسر لهم الخروج، وتهيأت أسبابه، واتجه تفكيرهم إلى غزو الناس، والإفساد في الأرض. وبعبارة أخرى: إن يأجوج ومأجوج الآن غير متجهين إلى غزو الناس، بل هم يتصلون بهم في

تجارة أو سياحة أو غير ذلك من الأغراض، وهم ملحدون لا يؤمنون بالله ولا برسله، ولا بدينه. فإذا اشتد بأسهم، وزاد طغيانهم، فكروا في غزو العالم، ونشر مذهبهم بالقوة. ويلاحظ أنهم لا يخرجون للغزو إلا بعد أن يقضي عيسى عليه السلام على النصرانية، فلا يبقى على وجه الأرض دولة مسيحية قوية تقف في طريقهم كأمريكا مثلًا، فحينئذ يخرجون، ويفتح لهم طريق الغزو. فيقال: فتحت يأجوج ومأجوج: أي فتح لها طريق الغزو.

فإن قيل: كيف تفعل بقوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج هكذا**». فإنه يقتضي فتح الردم عند خروجهم؟

قلت: في الحديث كناية لطيفة، وإشارة عجيبة. أما الكناية، فإن الردم لما كفَّ شر يأجوج ومأجوج عن جيرانهم، وحجز بينهم صار رمزًا لمنع الشر، وحجز الفتنة، فإذا ظهرت بوادر شر وفتنة، قيل: فتح من ردم يأجوج ومأجوج كذا، بحسب قوة تلك البوادر وضعفها. وعلى هذا الأسلوب، جاء الحديث. وأما الإشارة، فإنه يشير إلى واقعة التتار التي هاجموا فيها بلاد المسلمين، فارس والعراق والشام وغيرها، وقضوا على الخلافة العباسية ببغداد، وقتلوا ما ينيف على مليون نفس من المسلمين، وأتلفوا آلاف الكتب العلمية في التفسير والفقه والحديث والتوحيد وسائر العلوم. والتتار من جنس يأجوج ومأجوج. وإذا كانت هذه الواقعة، على شدتها وفظاعتها، يعتبرها الحديث فتحًا صغيرًا في ردم يأجوج ومأجوج. فما ظنك إذا خرجوا آخر الزمان، وهم من كل حدب ينسلون كما وصفهم القرآن؟!

يأجوج ومأجوج من جنس البشر

تكلم الناس في يأجوج ومأجوج كلامًا كثيرًا، وهولوا في وصفهم تهويلًا كبيرًا. ومن أعجب ما قيل فيهم: ما ذكره الإمام النووي رضي الله عنه في فتاويه، حيث قال: «يأجوج ومأجوج من أولاد آدم من غير حواء، عند جماهير العلماء، فيكونون إخوتنا لأب».اهـ

قال الحافظ ابن حجرٍ: «ولم يرد هذا عن أحد من السلف، إلا عن كعب الأحبار. وذلك أنه قال: إن آدم نام فاحتلم، فامتزجت نطفته بالتراب، فخلق الله منها يأجوج ومأجوج».اهـ

وهذا كلام باطل، لا ينبغي الالتفات إليه. فليس على ظهر الأرض من إنسان، إلا وهو ولد من آدم وحواء. وفي حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه: «**ولد لنوح سام وحام ويافث، فولد لسام العرب والروم وفارس، وولد لحام القبط والبربر والسودان، وولد ليافث يأجوج ومأجوج والترك والصقالبة**». وهو حديث ضعيف. على أن المسألة لا تحتاج إلى دليل؛ لأنها من البديهيات.

وقال كعب أيضًا: يأجوج ومأجوج ثلاثة أصناف: صنف أجسادهم كالأَرز -بفتح الهمز وسكون الراء- وصنف منهم أربعة أذرع في أربعة أذرع، وصنف يفترشون إحدى آذانهم، ويلتحفون بالأخرى.

ورواه بعض الرواة عن حذيفة مرفوعًا، وهو غلط، فلم يصح عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حديث في هذا المعنى. وإنما يروى عن الذين يروون عن الإسرائيليات كابن عبَّاسٍ، وابن عمرو بن العاص، وكعب وغيرهم.

وأما حديث ابن مسعودٍ رفعه: «**إنَّ يأجوج ومأجوج أقل ما يترك أحدهم**

مِن صلبه ألفًا من الذرية». فهو وإن صحَّحه ابن حِبَّان حديث منكر، لا يصح رفعه، وإن كان إسناده صحيحًا. ومثله حديث عمرو بن أوس عن أبيه رفعه: «**إنَّ يأجوجَ ومأجوجَ يُجامعون ما شاءوا ولا يموتُ رجلٌ منهم إلَّا تركَ مِن ذريَّته ألفًا فصاعِدًا**». رواه النَّسائيُّ، وهو حديثٌ منكرٌ، وإن كان إسناده صحيحًا.

فليس من المعقول أن يتحدث النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن كثرة جماع يأجوج ومأجوج؛ لأنه ليس فيه مصلحة دينية، ولا حكمة اجتماعية. بل الجماع مما يستر، ولا يذكر. كما أنه لا يعقل أن يترك الرجل منهم ألفًا من صلبه، ولو كان معمرًا، فإننا نعرف من الناس، من تزوج عدة نساء، وخلف من كل واحدة منهن ولدين وأكثر، ومع ذلك لم يزد ما تركه من الذرية على مائة وخمسين، وكان مضرب المثل في كثرة الإنجاب. وهل يأجوج ومأجوج، إلا أمة من البشر، يخضعون للقوانين البشرية التي تنتظم العالم كله. وقد يكونون كثيري النسل، كالصين مثلًا، وقد يكون فيهم عمالقة وأقزام، كوجودهم في غيرهم من الأمم. لكن ليس بتلك الصورة التي تحكيها الإسرائيليات، حتى إن كعبًا يقول: إنهم يلحسون السد بألسنتهم فيخرقونه!!

والحقيقة أن خطر يأجوج ومأجوج، ليس في ضخامة أجسامهم، ولا في افتراش أحدهم لأذنه، والتحافه بالأخرى، ولا في قدرة أسنانهم في خرق الحديد والنحاس باللحس!!! ولكن خطرهم في أمرين:

الأول: أنهم أمة ملحدة فاسدة.

الثاني: خروجهم في آخر الزمان، لنشر إلحادهم وفسادهم بالقوة، وضعف الناس عن مقاومتهم.

قصة عجيبة

قال أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن بشران البغدادي: حدثنا أبو عمرو عثمان بن أحمد المعروف بابن السماك: ثنا محمد بن عبد ربه الحضرمي: ثنا بشر بن عبد الملك: ثنا موسى بن الحجاج: قال مالك بن دينار: ثنا الحسن عن أنس بن مالك قال:

كان رجل على عهد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يتجر من بلاد الشام إلى المدينة، ومن المدينة إلى بلاد الشام. ولا يصحب القوافل، توكلًا منه على الله عزَّ وجلَّ. فبينا هو آت من الشام يريد المدينة، إذ عرض له لص على فرس، فصاح بالتاجر: قف، فوقف له التاجر، وقال له: شأنك بمالي، وخل سبيلي. فقال له اللص: المال مالي، وإنما أريد نفسك. فقال له التاجر: ما ترجو بنفسي؟ شأنك والمال، وخل سبيلي. فقال له اللص، مثل المقالة الأولى. فقال له التاجر: أنظرني حتى أتوضأ وأصلي، وأدعو ربي عزَّ وجلَّ. قال: افعل ما بدا لك. فقام التاجر، وتوضأ وصلى أربع ركعات، ثم رفع يديه إلى السماء. فكان من دعائه، أن قال: يا ودود يا ودود، يا ذا العرش المجيد، يا مبدئ يا معيد، يا فعالًا لما يريد: أسألك بنور وجهك الذي ملأ أركان عرشك، وأسألك بقدرتك التي قدرت بها على خلقك، وبرحمتك التي وسعت كل شيء، لا إله إلا أنت. يا مغيث أغثني -ثلاث مرات- فلما فرغ من دعائه، إذا بفارس على فرس أشهب، عليه ثياب خضر، بيده حربة من نور، فلما نظر اللص إلى الفارس، ترك التاجر، ومر نحو الفارس. فلما دنا منه، شد الفارس على اللص، فطعنه طعنة أذراه عن فرسه، ثم جاء إلى التاجر. فقال له: قم فاقتله، فقال له

التاجر: من أنت؟ فما قتلت أحدًا قط، ولا تطيب نفسي لقتله.

فرجع الفارس إلى اللص فقتله. ثم جاء إلى التاجر، وقال: اعلم أني ملك من السماء الثالثة، حين دعوت الأولى، سمعنا لأبواب السماء قعقعة. فقلنا: أمر حدث، ثم دعوت الثانية، ففتحت أبواب السماء ولها شرر كشرر النار. ثم دعوت الثالثة، فهبط جبريل علينا من قبل السماء. وهو ينادي: من لهذا المكروب؟ فدعوت ربي عزَّ وجلَّ أن يوليني قتله، واعلم يا عبد الله أنه من دعا بدعائك هذا في كل كربة، وكل شدة، وكل نازلة، فرج الله تعالى عنه. وجاء التاجر سالمًا غانمًا، حتى دخل المدينة، وجاء إلى النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فأخبره بالقصة، وأخبره بالدعاء. فقال له النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لقد لقنك الله عزَّ وجلَّ أسماءه الحسنى التي إذا دعي بها أجاب وإذا سئل بها أعطى**».

قلت: لا شك أن الله تعالى يجيب المضطر إذا دعاه، ويغيث المظلوم إذا استغاثه. لكن هذه القصة موضوعة، وضعها أحد الرواة، بين مالك بن دينار، وابن السماك. ومن أراد أن يدعو بالدعاء المذكور، فلا بأس بذلك، بشرط ألا يعتقد وروده عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ؛ لأن الصلاة والدعاء مرغب فيهما على وجه العموم، بحسب نصوص الكتاب والسنة وقواعد الشريعة.

والدعاء المسبوق بصلاة، أقرب إلى الإجابة. وكان النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة، يلتمس فيها الروح والراحة، والفرج والاطمئنان. فالالتجاء إلى الصلاة عند الكرب سنة عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم . والحمد لله ربِّ العالمين.

تتمة

سبق الكلام على قوله تعالى: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْ ﴾ [الرحمن: ٣٣] وبينا أنها تتحدى الثقلين في الدنيا، ثم وجدنا رأيًا آخر بأن التحدي فيها، إنما يكون يوم القيامة.

روى جويبر عن الضحاك في وصف يوم القيامة واجتماع الخلائق في الموقف. قال: فينزل الملك ومجنبته اليسرى جهنم، فيسمعون زفيرها وشهيقها، فلا يأتون قطرًا من أقطارها، إلا وجدوا صفوفًا قيامًا من الملائكة. فذلك قوله ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴾ [الرحمن: ٣٣] والسلطان: العذر. وهذا واضح في أن الآية يحصل التحدي بها يوم القيامة. وقد يؤيده قوله تعالى: ﴿ سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴾ [الرحمن: ٣١] أي سنقصد لكم أيها الثقلان بالتحدي والعذاب. وإنما يكون ذلك في الآخرة لا في الدنيا، والله سبحانه وتعالى أعلم.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

١- خواطر دينية (الجزء الأول)

مقدِّمة ١١
أركان الإيمان المنجي يوم القيامة..... ١٢
١- الإيمان بالله سبحانه ١٢
٢- الإيمان بالملائكة..... ١٤
٣- الإيمان بالرُّسل..... ١٥
٤- الإيمان بالكتب..... ١٧
٥- الإيمان باليوم الآخر..... ١٨
٦- الإيمان بالقَدَر..... ٢٠
تلازم أركان الإيمان..... ٢٢
تأبيد الكفَّار في النَّار..... ٢٦
عيسىٰ عليه السلام لا يشفع للنصارىٰ..... ٢٧
من صيغ الوجوب..... ٢٨
السُّكوت في مقام البيان يفيد الحصر ٢٩
حياة النبيِّ صلىٰ الله عليه وآله وسلم في قبره الشريف..... ٣١
أمر الله نبيه بالاستشفاع لأمته..... ٣١
الأنبياء لا يبلون بعد الموت..... ٣١
الذَّبيح هو إسماعيل عليه السلام..... ٣٢

وجوب الخلود في الجنة والنَّار نقليٌّ ٣٥
فرعون مات كافرًا ٣٧
لو رأيتني وأنا أدسُّ مِن حال البحر في فم فرعون (حديثٌ منكر) ٤١
الرسل المذكورون في (سورة البقرة) ٤٢
بنو إسرائيل لم يعودوا إلى مصر بعد غرق فرعون ٤٣
الاستخدام ٤٦
معنى خيانة امرأتي نوحٍ ولوطٍ ٤٧
فتنة داود عليه السَّلام ٥٠
فتنة سليمان عليه السَّلام ٥٢
فرعون كان يستخدم السَّحرة مجَّانًا ٥٤
موسى لم يدرك شُعيبًا عليهما السَّلام ٥٥
نكت في كلام الخَضِر عليه السَّلام ٥٦
الفرق بين: اسطاعوا، واستطاعوا ٥٧
الفرق بين: الضياء، والنور ٥٨
قصة الغرانيق ٥٨
معنى آية العفو ٦١
معنى آية فداء الأسرى ٦٢
قصة زيد وزوجه زينب ٦٤
النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أفضل الخَلْق ٦٥

حل إشكال في آية القذف..... ٧٩
بعض الحقائق العلمية في القرآن..... ٨٠
الإسراء والمعراج كانا يقظة..... ٨٣
أقسام الوحي..... ٨٦
معنى الحروف المقطَّعة..... ٨٧
آية تتعلَّق باليهود..... ٨٩
هل عَمَّ الطوفان جميعَ الأرض؟..... ٨٩
أدلَّة نبوَّة الخَضِر عليه السَّلام..... ٩٠
المزيَّة تَقْتَضي التفضيل..... ٩٢
مِن توسُّعات اللغة العربية..... ٩٣
لم لم تتكرَّر قِصَّة أهل الكهف وذي القرنين؟..... ٩٤
أرسل الله إلى أهل المغرب رسولًا..... ٩٥
معنى: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾..... ٩٧
ترك المعصية على ثلاثة أوجه..... ٩٨
الصبر على ثلاثة أقسام..... ٩٩
معنى الظلم..... ١٠٠
تلخيص قصة إبراهيم عليه السَّلام..... ١٠٣
قصة يونس عليه السَّلام..... ١٠٧
أسماء يومِ القِيامَةِ في القرآن الكريم..... ١٠٩

معنى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾..... ١١٢
معنى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾..... ١١٣
أنواع الجهاد..... ١١٥
أفضل الذِّكر..... ١١٧
القرآن أفضل الأذكار..... ١٢٢
معنى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾..... ١٢٣
المسلم لا يقتل بالكافر..... ١٢٤
جواز الفطر للصائم المتطوع بغير عذر..... ١٢٥
أسماء النار في القرآن الكريم..... ١٢٦
أسماء الجنة في القرآن الكريم..... ١٢٦
معنى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ الآية..... ١٢٨
أقسام المعاصي في القرآن..... ١٢٩
المعاصي التي يجب فيها الحد الشرعي..... ١٣٤
أنواع الكفر..... ١٣٧
الفرق بين العقيدة والتعصُّب والتسامح..... ١٣٩
أفراد القرآن..... ١٤١
لِمَ لَمْ يكن في الجنِّ نصارى..... ١٤٣
ثناء النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على أدب الجنِّ..... ١٤٤
الجمع بين آيتي: ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾، ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ

أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾..... ١٤٥
لا يُعذِّب اللهُ أحبَّاءَه..... ١٤٥
من ذكروا في القرآن بأسمائهم..... ١٤٧
تنبيهان: الأول: حول نبوة ذي القرنين وعزير ولقمان. والتنبيه الثاني: حول إيمان العزيز بيوسف عليه السَّلام ١٤٨
الحشرات والحيوانات المذكورة في القرآن..... ١٤٨
حرمة مجالسة أهل المعصية..... ١٥١
التجارة في الحرام..... ١٥٣
الغموس هو الصبغ..... ١٥٤
الحصانة الديبلوماسية في القرآن ١٥٤
الاستيلاء على الأقوات وقت الأزمات ١٥٥
آزر والد إبراهيم عليه السلام..... ١٥٦
أهل الفترة ناجون..... ١٥٨
أيما أفضل في الصلاة؛ طول القيام أم الركوع والسجود؟..... ١٦٢
لم قيل لمريم: ﴿وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾؟..... ١٦٤
عزيز مصر كان عديم الغيرة..... ١٦٥
الخلاف في أكل الفسيخ..... ١٦٦
المصريون والسِّحْر ١٦٧
علامات الساعة الكُبرى ١٦٩

حُكْم الدخان والنشوق ١٧١
أنواع الاجتهاد..... ١٧٦
ليس لبشرٍ أن يتناول الدِّين بإصلاحٍ أو تهذيب ١٨٠
فرض الكِفاية في الإسلام..... ١٨٤
الزَّكاة ودور الحكومات في جِبايتها..... ١٩١
معجزة نبوية .....
معنى يُخرِجُ الحيَّ مِن الميت ١٩٥
السبعة عدد كامل..... ١٩٥
استغاثة للمصنف أنشأها سنة ١٣٨٠ هجرية ١٩٨
أنواع النفاق..... ٢٠١
غلط في فهم قوله تعالى: ﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾..... ٢٠٢
آية جمعت الدِّين كلَّه..... ٢٠٣
أرجى آيةٍ في القرآن..... ٢٠٦
كتابان سارا مسير الشمس: "المقدمة الآجرومية"،"دلائل الخيرات" ٢٠٩
أصل الرقم الأفرنجي..... ٢١١
سقطات شنيعة للشيخ الصاوي في "حاشية الجلالين" ٢١٢
﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾..... ٢١٦
موالد أهل البيت والصالحين في مصر..... ٢١٨
ضريح الشيخ علي البكري..... ٢٢٠

لم اختصَّ موسى باللحية في الجنة؟..... ٢٢١
الأصل في رقابة الأخبار الحربية..... ٢٢٢
علم اليقين، عين اليقين، حق اليقين..... ٢٢٣
أخفى الله تعالى أمورًا في أمور، لحكم..... ٢٢٤
مناقشة الجلال المحلِّي في مسائل من تفسيره..... ٢٢٥
معنى: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾..... ٢٣٠
للمرأة حق اختيار الزوج..... ٢٣٣
غلطٌ في فهم حديثٍ..... ٢٣٥
قاعدتان أصوليتان..... ٢٣٦
فوائد طاعة الله تعالى..... ٢٣٨
نكتة في قوله تعالى :..... ٢٤٠
﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴾، ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ﴾..... ٢٤٠
نكتة في قوله تعالى: ﴿ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ ﴾..... ٢٤١
كتاب: "في الشعر الجاهلي"..... ٢٤٢
"الإسلام وأصول الحكم"..... ٢٤٤
زواج المسلم بالكتابية..... ٢٤٥
أشد آية في القرآن..... ٢٤٧
من لطائف اللغة..... ٢٤٩
نكتة في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ ﴾..... ٢٥١

لا غيبة لكافر..... ٢٥٢
معنى البر والإحسان..... ٢٥٣
المبشَّرون بالجنَّة..... ٢٥٦

٢- خواطر دينية (الجزء الثاني)

مقدِّمة..... ٢٧٣
اتحاد البلاد الإسلاميَّة في الصوم..... ٢٧٥
لا يجوز وصف النبيِّ بالثائر..... ٢٨٤
لا يقال: «الله محبَّة»..... ٢٨٦
لا يقال: «اسعَ يا عبدي وأنا أسعى معك»..... ٢٨٩
نكت في فهم آيات..... ٢٩٠
لِمَ اختصَّت مريم وولدها عيسى عليهما السلام، بأنَّ الشيطان لم يمسهما عند ولادتهما؟..... ٢٩٢
تعصُّبٌ مذمومٌ..... ٢٩٣
معنى حديث التداوي بالعسل..... ٣٠٨
حُكْمُ الصَّلاةِ في القمر..... ٣١٣
وجوب التحرُّز في الحديث النبويِّ..... ٣١٨
محاضرة عن التصوُّف في إفريقيا وخدمته للإسلام..... ٣٢٢
أثر التصوُّف في نشر الإسلام بأفريقيا..... ٣٢٢
فتوى لوالد المؤلِّف عن أصل التصوف ونشأته..... ٣٣٠

رد أحمد أمين على مَن زَعَمَ أنَّ التصوُّف دخيلٌ في الإسلام ٣٣٣
منشأ الزَّوايا الصوفيَّة بالمغرب ٣٤٧
اعتراف المبشِّرين بأن خَصْمَهُم في إفريقيا هم الصُّوفِيَّة ٣٥٥
تكريم الإسلام للمرأة ٣٦٦
استعراض بعض الآيات الواردة في المرأة ٣٧٣
استعراض بعض الأحاديث الواردة عن المرأة ٣٧٩
لِمَ كان المهر على الرجل دون المرأة؟ ٣٨٩
أثبت الإسلام للمرأة حقَّ التصرُّف المطلق في مالها ٣٩٤
لِمَ ترث المرأة نصف نصيب الرجل؟ ٣٩٥
حق تعليم المرأة ٣٩٦
بحث في ذي القرنين ٤٠١
من هو الاسكندر، ومن هو قورش؟ ٤١٣
أين قبر الإسكندر؟ ٤٢٢
الكلام عن قوروش الملك الفارسي القديم: ٤٢٣
من هو قورش؟ ٤٢٤
أورشليم بناها ملك عربي ٤٢٧
مولد الحركة الصهيونية العالمية ٤٢٨
موازنة بين سيرة إسكندر المقدوني، وقوروش الفارسي في ضوء القرآن الكريم ٤٣٠

قوروش هو ذو القرنين.....٤٣٦
الإتجاه إلى مغرب الشمس:.....٤٣٧
السدُّ بين الحقيقة والخيال:.....٤٣٩
لماذا لُقِّب بذي القرنين؟.....٤٤٢
تعليق سيدي عبدالله بن الصِّدِّيق على بحث يأجوج ومأجوج.....٤٤٦
حديثٌ مُنكَرٌ في حفر السدِّ، وبيان نكارته.....٤٤٨
يأجوج ومأجوج يخرجون على الناس من طريق غير السد ولا يحفرونه...٤٤٩
يأجوج ومأجوج من جنس البشر.....٤٥١
قصة عجيبة.....٤٥٣
تتمَّة.....٤٥٥
فهرس الموضوعات.....٤٥٩

موسوعة

العلامة المحدث المتفنن

سيدي الشريف عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري الحسني

(١٣٢٨ - ١٤١٣هـ) رحمه الله تعالى

قدم لها

الشريف الدكتور

عبد المنعم بن عبد العزيز بن الصديق

إشراف

الدكتور محمود سعيد بن محمد ممدوح

المجلد الرابع عشر

مباحثات مع المعاصرين المخالفين

موسوعة

العلامة المحدث المتفنن

سيدي الشريف عبد الله بن محمد الصديق الغماري الحسني

(١٣٢٨ - ١٤١٣هـ) رحمه الله تعالى

(١٤)

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية
عام / ١٤٣٨

قام بطباعتها وإخراجها: مركز البحوث والدِّراسات
بكُليَّة الصَّفا الإسلاميَّة بماليزيا

يطلب من:

دار السَّلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

جمهورية مصر العربية: القاهرة – الإسكندرية.
الإدارة: القاهرة ٤٠ شارع أحمد أبو العلا – المتفرِّع من شارع نور الدين بهجت – الموازي لامتداد شارع مكرم عبيد – مدينة نصر.
هاتف: ٢٢٨٧٣٢٤٦ - ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ (٢٠٢+)
فاكس: ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢+)
البريد الإلكتروني: info@dar-alsalam.com
موقعنا على الإنترنت: www.dar-alsalam.com

المجلد الرابع عشر

مُباحثات مع المعاصرين المخالفين

ويحتوي على:

١ - الرَّدُّ المُحْكَمُ المَتينُ على كتاب "القول المبين".

٢ - إرغامُ المُبتدِعِ الغَبيِّ بجواز التوسُّلِ بالنَّبيِّ ﷺ.

٣ - إعلام الرَّاكِعِ السَّاجِد بمعنى اتِّخاذِ القُبورِ مَساجِد.

٤ - إعْلامُ النَّبيلِ بجَوازِ التَّقْبيلِ.

٥ - إتْحَافُ الأذْكِياءِ بجَوازِ التَّوَسُّلِ بالأنبياءِ والأولياءِ.

٦ - مِصْباحُ الزُّجَاجَةِ في صَلاةِ الحَاجَةِ «حديث توسُّل الضَّرير».

٧ - أسبابُ الخَلاصِ مِن الأَخْطَاءِ الوَاقِعَةِ في كتاب "تَحْقِيقِ كَلِمَةِ الإخْلَاصِ".

٨ - بيانُ الكَذبِ والبُهْتَانِ في دعوى الظُّلمِ والعُدْوانِ.

٩ - القَوْلُ المُقْنِع في الرَّدِّ على الألبانيِّ المُبتَدِع.

١٠ - بيني وبين الشَّيخ بكر.

١ - الرَّدُّ المُحكمُ المَتين
على كتاب "القَول المُبين"

□ بسم الله الرحمن الرحيم

ربَّنا لا تُؤاخذْنا إن نَسِينا أو أخطأنا، ربَّنا هب لنا من لدُنك رحمةً وهيِّئ لنا من أمرنا رشَدًا، ربَّنا لا تُزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمةً، إنَّك أنت الوهَّاب، ربَّنا افتح بيننا وبين قومنا بالحقِّ وأنت خير الفاتحين.

الحمدُ لله ربِّ العالمين، حمدًا كثيرًا طيِّبًا مُباركًا فيه على كلِّ حالٍ، حمدًا يُوافي نِعَمه ويُكافِئ مَزيده، لا إله إلَّا هو، خَلَقَ الخَلْق وجعلهم على مراتب فمنهم شقيٌّ وسعيدٌ، ومُقرَّبٌ وبعيدٌ، ووليٌّ وعَصِيٌّ، وفاجرٌ وتقيٌّ، وفضَّل بعضهم على بعضٍ في الرِّزق، فكان منهم الغنيُّ والفقير، والمأمور والأمير، والمرؤوس والرَّئيس، والمحظوظ والبَئِيس، كلٌّ منهم في ذلك على ما قُسِم له ﴿فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾ [النحل: ٧١] له مَقَاليد السَّموات والأرض، وبيده ميزان الرفع والخفض، يرفع ويخفض، ويَبْسُط ويَقْبِض، يهدي ويُضل، ويُشقي ويُسعد، يضرُّ وينفع، ويُعطي ويمنع، لا ملجأ منه إلَّا إليه، ولا اعتماد إلَّا عليه.

فالحمد لله الذي تواضع كلُّ شيءٍ لعظمته، والحمد لله الذي ذلَّ كلُّ شيءٍ لعزَّته، والحمد لله الذي خَضَعَ كل شيءٍ لمُلكه، والحمد لله الذي استسلم كلُّ شيءٍ لقدرته.

والصَّلاة والسَّلام على نبيِّه الطَّاهر المُطهَّر، والشَّفيع المُشفَّع في المحشر، سيِّدنا محمَّدٍ أفضل العرب والعَجَم، ورسول الله إلى جميع الأُمَمِ، واسِطَة عقد الوجود، والوسيلة العُظمى في وصول الخير إلى كلِّ موجود، فما من خيرٍ

وَصَلنا أو يَصِلُنا في ديننا ودُنيانا، في مَعَاشِنا ومَعَادِنا، إلَّا وهو الواسطة فيه والدَّالُّ عليه، والمُرشد إليه، فصلَّىٰ الله وسلَّم وبارك عليه، وجازاه عنَّا أفضل وأكمل ما جازىٰ نبيًّا عن أمَّته، ورضي الله عن آل بيته الطَّيبين الطَّاهرين وخِيار صحابته من الأنصار والمهاجرين.

أمَّا بعد: فإنَّ طائفةً من المُتنطِّعين، ومن حَذَا حَذْوهم من المُتهوِّسين والمُتهوِّكين، قد أكثروا الصُّراخ والضَّجيج وبالغوا في الصِّياح والنَّئيج، ونادوا بالويل والثُّبور، وفاهوا بعظائم الأمور، وزعموا -زورًا وبُهتانًا- أنَّ من زار قبرًا من قبور الأنبياء أو الأولياء، وتوسَّل بصاحبه إلىٰ الله أو استشفع به لديه، خرج من زُمْرة المُوحِّدين، ودخل في عَدِيد المشركين، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥] فرَّقوا بذلك بين جماعة المسلمين، واتَّخذوا من ضُعفاء العقول أنصارًا لنِحلتهم يُروِّجونها بأساليب تُشبه الحقَّ وليست بحقٍّ، فلبَّسوا علىٰ العامَّة أمر دينهم بما ألقوا إليهم من دعاوىٰ كاذبةٍ مُنمَّقةٍ، وأقاويل باطلةٍ مُزوَّقةٍ، فعَظُمت بهم الفِتنة، وجسمت المِحْنة، شَغلوا الناس عن الواجب بالمندوب، وألهوهم عن الأهمِّ بما ليس بمهمٍّ، أينما ذهبتَ وجدتهم يُكفِّرون أصحاب التَّوسل والزيارة، بآيات نزعوا بها في غير منزعها، وحرَّفوها عن موضعها، لا يفقهون ما يقولون إن هي إلَّا أشياء تلقَّفوها، ثُمَّ ألقوها كما تلقَّنوها، ذلك مبلغهم من العلم، فإن باحَثَهم باحثٌ فيما يذكرونه من الآيات أو أراد أن ينتقل بهم عن التَّوسُّل والزيارة إلىٰ مواضع أُخرىٰ من الدين هامَّةٍ مُهمَّةٍ، ومسائل من أبواب العلم مفيدةٍ جيِّدةٍ، رأيتهم ينظرون إليه

شَزْرًا، ويوسعونه فُحْشًا من القول وهُجرًا، ويودُّون لو استطاعوا أن يفتكوا به؛ فَرَقًا على بضاعتهم المُزْجاة أن تُصاب بالإفلاس ويظهر بهرجها لكلِّ أحدٍ من الناس، وفي إفلاسها قضاءٌ عليهم بالمرَّة إذ لا يعرفون من الدِّين غيرها، ولا يُحسنون من العلم سِواها، فهم لذلك لا يستطيعون أن ينتقلوا في أبواب العلم، ولا يقدرون أن يهجموا على عويص المسائل لاحتياجه إلى دِقَّة البحث وجودة الفهم، يدعون إلى الاجتهاد وهم عوام، وكلُّ مُتَّهمٍ في دينه عندهم إمامٌ. هذا مع ما هم عليه من شراسةٍ في الخُلُق، وإقذاعٍ في القول وتعصُّبٍ للجهل، وغَباوةٍ في التَّقليد، كلُّ هذا وهم يَحسبون أنَّهم يُحسنون صُنعًا، ألا ساء ما يظنُّون.

فصل

ولهؤلاء المُتنطِّعين كتبٌ كثيرةٌ على غِرار ما ينتحلونه مِن تبديع عوامِّ المسلمين، وإكفار عموم الموحِّدين مِن المؤمنين، إلَّا مَن سار سيرهم المُعوجَّ على طريقهم المشوك، وفي كتبهم ضروبٌ من الجهل، وصنوفٌ من التَّكاذيب؛ لأنَّ من دأبهم إذا صدمتهم الحُجَّة وأعْوَزهم الدَّليل أن يدفعوا بالصَّدر، ويتترَّسوا بالكذب، ويختلقوا ألوانًا من الاستدلال لا تؤيِّدها الأصول ولا يوافقها المعقول، ولكنَّها توافق هواهم وميولهم، فطورًا يقصرون الاحتجاج بالحديث على ما كان موجودًا في الكتب الستة، وذلك إذا علموا من خصمهم القوَّة وأنَّ في استطاعته أن يُلزمهم بأحاديث من كتب السُّنَّة المشهورة كـ"المستدرك" وغيره لا قِبَل لهم بها إلَّا من طريق ردِّها وعدم قبولها، وحينًا يجعلون الاحتجاج خاصًّا بما في الصحيحين فقط، وذلك إذا وجدوا أنَّ السنن الأربعة التي فرُّوا إليها أولًا قد اتَّسع أمرها عليهم وأتتهم من الأحاديث بما لا يُطيقون، وتارةً يزعمون أنَّ تصحيح الترمذيِّ والحاكم غير مقبولٍ عند المحدِّثين، في حين أنَّهم يستدلُّون به إذا وافق مُرادهم، إلى غير ذلك من تقلُّباتهم التي يريدون بها مراوغة الحقِّ، ومُدافعة الحُجَّة بما هو بعيدٌ عن المَحَجَّة.

على أنَّ تخصيصهم الاحتجاج بالكتب الستة دون غيرها باطلٌ لعدَّة وجوهٍ:

أولها: أنَّهم ليسوا من أهل الحديث حتى يُقبل كلامهم فيما يُحتجُّ به من كتبه وما لا يُحتجُّ به.

ثانيها: أنَّ الكتب الستة لم تجمع كلَّ الأحاديث ولا نصفها، ففي الاقتصار عليها والحالة هذه قضاءٌ على كثيرٍ من السنَّة، وردٌّ لجمهرة من الأحاديث بدون مُسوِّغٍ يُسوِّغ ذلك، اللهم إلَّا الهوى والتَّعصُّب.

ثالثها: أنَّه لا معنى لهذا التَّخصيص؛ لأنَّه إن كان المراد به أنَّ هذه الكتب اشتهرت وصحَّت نسبتها إلى أصحابها حتى وُثِق بما فيها، فسائر كتب السنَّة كذلك كـ"الموطَّأ"، و"المسند"، و"سنن الدَّارميِّ"، و"سنن الدارقطنيِّ"، و"المستدرك"، و"سنن البيهقيِّ"، ومعاجم الطبراني وغيرها.

رابعتها: إجماع علماء الحديث وغيرهم على أنَّ الحديث إذا استوفى شروط القبول وجب العمل به سواء كان في الكتب الستة أو غيرها، ولو كان في سيرة البكريِّ مثلًا، وعلى هذا عمل المحدِّثين قاطبةً في كتبهم واستدلالهم ومناظراتهم.

وبالجملة فالقول بتخصيص بعض كتب الحديث بالاحتجاج دون بعضٍ من البدع التي أحدثها هؤلاء المُتنطِّعون ليتوصَّلوا بذلك إلى ردِّ الأحاديث التي تَردُّ نِحلتهم وتقضي عليها، وهيهات أن يصلوا إلى ذلك ما دام لهذا العلم في كلِّ خلفٍ حَملةٌ عُدولٌ، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المُبطلين، وتأويل الجاهلين.

فصل

قد وقع بيدي أخيرًا كتابٌ من هذا القبيل يُسمَّىٰ: "القول المُبين في حكم دعاء ونداء الموتىٰ من الأنبياء والأولياء والصَّالحين" طالعتُه فإذا هو علىٰ ما وصفتُ من حال كتبهم وأشد؛ فمن ركَّةٍ في العبارة، إلىٰ جهلٍ مُطبقٍ، ومن تحريفٍ في تأويل النُّصوص لتوافق الغرض، إلىٰ ردٍّ للأحاديث الصحيحة التي لا تُلائم المزاج، إلىٰ... إلىٰ... ممَّا يَكِلُّ عنه لساني، ويعجز عن وصفه بياني، وماذا عسىٰ أن أقول في كتابٍ أملاه الهوىٰ، ودفع إليه التعصُّب، وخطَّته يدٌ أثيمةٌ عن فكرٍ سقيمٍ؟!

ولقد عجبتُ حين قرأته كيف وُجد هذا الكتاب علىٰ هذه الكيفيَّة المُزرية، ولم تُقلَّم أظفار صاحبه علىٰ ما جنته يداه علىٰ العلم وأهله؟!

ثُمَّ رأيت أنَّنا في زمانٍ غلب شرُّه علىٰ خيره، وزاد جهله علىٰ علمه، وأصبحت مائدة العلم يجلس عليها كل وارشٍ، وذهب الورع وخشية الله من قلوب الناس، فذهب عجبي ولم يبقَ له عندي محلٌّ وتذكَّرت قول القائل:

أَلَا إنَّهـا الأيـامُ قـد صِرنَ كلُّهـا عجائـبَ حتـىٰ لـيس فيهـا عجائـبُ

وقد علمت أنَّ هذا الكتاب لَقِي علىٰ ما فيه- رواجًا في بعض الأحياء، وأثَّر علىٰ أهلها تأثيرًا كبيرًا، ظهر عليهم حاله؛ فأساءوا ظنَّهم بالمسلمين، واعتقدوا أنَّهم ليسوا علىٰ شيءٍ، وصار عندهم الطَّعن بالسَّفاهة في الأحاديث الصحيحة الثابتة أمرًا هيِّنًا، وما دروا أنَّه عند الله عظيمٌ، وذهب من قلوبهم تعظيم النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حتىٰ لقد سمعت مرَّةً أحد السُّوقة منهم

في دكَّانه وهو يقول -قطع الله لسانه- قال محمَّدٌ كذا، وفعل محمَّدٌ كذا، من غير سيادةٍ ولا صلاةٍ، ولا يدري المسكين أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال كما في الصحيح: «**أنا سيِّد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر**»، وأنَّ الصحابة كانوا لا يذكرونه باسمه المُجرَّد امتثالًا لقوله تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ [النور: ٦٣].

ومنهم من كان يُسوِّده مبالغةً في تعظيمه كما جاء في "المستدرك" من طريق عبدالواحد بن زياد، حدَّثني عثمان بن حكيم: حدَّثتني جدَّتي الرَّباب قالت: سمعت سَهْل بن حُنَيفٍ يقول: مَرَرْنا بسيلٍ، فدخلتُ فاغتسلتُ فيه، فخرجت محمومًا فنما ذلك إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**مُروا أبا ثابتٍ يتعوَّذ**»، قال: فقلتُ: يا سيِّدي والرُّقى صالحةٌ؟ فقال: «**لا رُقَى إلَّا في نفسٍ أو حُمَّةٍ أو لَدْغةٍ**». قال الحاكم: «صحيحٌ»، وأقرَّه الذَّهبيُّ.

ورواه أحمد، وأبو داود، والنَّسائيُّ في "الكبرى".

وصحَّ أنَّ جبريل عليه السَّلام جاء إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال له من حديث: «**ومَن ذُكرتَ عنده فلم يُصَلِّ عليك فماتَ فدَخَلَ النَّارَ فأبعده اللهُ، قل: آمين**»، فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «آمين».

ورأيتُ أنَّهم إن استمروا على حالتهم تلك هلكوا لا محالة؛ لأنَّها حالة ابتداعٍ وضلالٍ، فأردت أن أنقذهم ممَّا وقوعوا فيه غيرةً عليهم أن يَضلُّوا أو يَزلُّوا فيجعلوا للشيطان عليهم سبيلًا فيتَّخذهم بابًا للفتنة، وذريعةً للفرقة، والمسلمون أحوج إلى التَّوافق والتَّآلف، منهم إلى التَّنافر والتَّخالف، فألَّفت

هذه الورقات بيَّنت بها عَوَار ذلك الكتاب وما حواه من أباطيل وأوهام، دفعني إلى تأليفها الغيرة الإسلامية، وحب الدِّفاع عن الأحاديث النبويَّة، وسمَّيتها: **"الردُّ المُحكم المتين على كتاب القول المُبين"**.

واللهَ أسألُ مُتوجِّها إليه بنبيَّه سيِّدنا محمَّدٍ نبيِّ الرحمة؛ أن يرزقني سدادًا في القول، وتوفيقًا في العمل، وأن ينفعني بما علَّمني، ويُعلِّمني ما ينفعني، ويزيدني علمًا، والحمد لله على كلِّ حالٍ ونعوذ بالله من حال أهل النَّار.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال المُتنطِّع صاحب الكتاب بعد أن نزع بآياتٍ ليست من الموضوع في شيءٍ كما سيتبيَّن ذلك فيما بعد بحول الله: «فهذه رسالتي إلى أهل الإسلام ووصيَّتي وعهدي بين الله وبين الناس أنِّي بلغتُ ما بلَّغه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لهذه الأمَّة من الحقِّ فيما اختلفوا فيه»، إلى أن قال: «ولعلَّها تكون معذرةً لي عند الله حينما يسأل سبحانه وتعالى العلماء عن إهمالهم تبليغ دعوة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على الوجه الصحيح».اهـ

وأقول: في كلامه أمورٌ:

الأول: ادِّعاؤه أنَّه بلَّغ ما بلَّغه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من الحقِّ وهو ادِّعاءٌ كَذِبٌ؛ لأنَّ رسالته ليس فيها إلَّا رميُ المسلمين بالضَّلال والعدوان، وتطبيق آيات الشِّرك عليهم ونبذهم بكلِّ عظيمةٍ، وغير ذلك مما لو رآه غِرٌّ جاهلٌ لاعتقد أنَّ المسلمين حقًّا صاروا ضُلَّالًا مشركين.

وهذا خلاف ما بلَّغه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من الحقِّ الذي هو تحسين الظَّنِّ بالمسلمين وحمل أحوالهم على المحامل الحسنة وإرشادهم فيما أخطأوا فيه بالحسنى، وحرمة دعائهم بالكفر والضَّلال إلَّا لمقتضًى شرعيٍّ يقتضي ذلك ليس للتَّأويل فيه مجالٌ ولا يدخله أدنى احتمالٌ، وإلَّا كان وبال الإكفار راجعًا إلى مُدَّعيه، وتضليله حائرًا عليه.

فقد ثبت من حديث ابن عمر وغيره أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم نظر إلى الكعبة فقال: «**ما أَعْظَمَكِ وأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ، ولَلْمُسْلِمُ أعظمُ حُرْمَةً مِنك،**

حَرَّم الله دَمَهُ ومَالَهُ وعِرْضَهُ وأن يُظنَّ به ظنَّ السَّوء».

وفي الصحيحين عن ابن عمر أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: **«أيُّما رَجُلٌ قال لأخيه يا كافرُ فقد بَاءَ بها أحدُهما، إن كان كما قال وإلَّا رَجَعَتْ عليه»**.

وفي "صحيح البخاريِّ" عن أبي ذرٍّ أنَّه سمع النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: **«لا يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلًا بالفُسُوقِ ولا يَرْمِيهِ بالكُفْرِ إلَّا ارتدَّتْ عليه إن لم يكن صَاحِبُهُ كذلك»**.

ورواه مسلمٌ أيضًا ولفظه: **«ومَن دَعَا رَجُلًا بالكُفْرِ أو قال: «عدوُّ الله» وليس كذلك؛ إلَّا حَارَ عليه»**.

فظاهر هذه الأحاديث أنَّ مَن رَمَىٰ مُسْلِمًا بالكُفْر أو الفُسُوقِ ولم يكن المَرْميُّ كذلك كان الواصف هو المُستحقُّ للوصف المذكور وأولىٰ به.

وهذا الظَّاهر وإن كان غير مرادٍ كما قال شُرَّاح الحديث وتأوَّلوا تلك الأحاديث بعدَّة تأويلات؛ فإنَّه مع ذلك يُفيد زجر المسلم عن أن يقول ذلك لأخيه المسلم، وتهديده عليه، وممَّا أوَّلوا به تلك الأحاديث حملها علىٰ رمي مُسلمٍ بالكفر معتقدًا حلَّ ذلك فإنَّه حينئذٍ يكون كافرًا.

وأخشىٰ أن يكون المُتنطِّع داخلًا في عموم الأحاديث المذكورة بمقتضىٰ هذا التأويل، فإنَّ من قرأ كُتيِّبه الذي نردُّ عليه يكاد يجزم بأنَّ إكفار المسلمين عنده أسوغ من شُرب الماء، فتبيَّن ممَّا ذكرنا أن هذا المُتنطِّع خالف رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حيث ارتكب ما نهىٰ عنه وكان بعيدًا عن الحقِّ بُعد الضَّبِّ من النُّون، وليس لأحدٍ أن يعتذر عنه بأنَّه متأوِّلٌ فيما سلكه من تضليل

أصحاب التَّوسل وتطبيق آيات الشِّرك عليهم على ما سيأتي في كلامه فلا يلحقه إثمٌ ولا وَعِيدٌ لأنَّه مُتأوِّلٌ.

لأنَّا نقول: على فرض صِحَّة تأويله -وهو غير صحيحٍ ولا مُسلَّمٍ- كان يجب ألَّا يحكم عليهم بالضَّلال حتى يتحققَّ من أنَّهم ليس لهم دليلٌ ولا شُبهةٌ فيما يقولون ويفعلون؛ لأنَّ القاعدة المُقرَّرة: أنَّ المسلم لا يُحكم بكفره أو ضلاله حتى يفعل أو يقول ما يقتضي ذلك، غير مُتأوِّلٍ فيه تأويلًا مقبولًا على قواعد الشَّريعة، ولا له عليه دليلٌ وإن كان مُخطئًا فيه إن كان مثله يقبل منه مثل ذلك الخطأ.

وهذا المُتنطِّع لم يحافظ على هذه القاعدة المقررة بإجماع العلماء، ولا أظنُّه سمع بها بل صار يَكِيل ألقاب الضَّلال جُزافًا لخصومه أصحاب التوسل وهو يعلم أنَّ لهم أدلَّةٌ بدليل أنَّه أتى ببعضها في كتابه مُجيبًا عنه بما لا يفيد كما سيأتي بيانه، فهلَّا كانت تلك الأدلَّة التي سمَّاها شُبهًا مانعةً عنده من تضليل خصومه لو كان عنده نزاهةٌ وورعٌ، هذا لو فُرض أنَّه من أهل التَّأويل، كيف وهو ليس من أهله؟!؛ لأنَّه ليس بعالمٍ كما سيأتي في الأمر بعده، فهو لا محالة آثمٌ عاصٍ لربِّه، مُخالفٌ لنبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

الأمر الثاني: قوله: «ولعلَّها تكون لي معذرةٌ عند الله حينما يسأل سبحانه وتعالى العلماء عن إهمالهم...» إلخ.

هذا الكلام يفيد أنَّ هذا المُتنطِّع يعتقد في نفسه أنَّه من العلماء المُطالبين بالتبليغ والمسؤولين عن الإهمال فيه، أمَّا أنَّه سيسأل عند الله ويؤاخذ بما جنته يداه فهذا ممَّا لا شكَّ فيه، وأمَّا أنَّه من العلماء فلا.

لأنَّ وصف العالِم عزيزٌ لا يتَّصف به إلَّا من توفَّرت فيه شروطٌ، وهي أن يكون عالمًا بالقرآن ووجوه تأويله، وبالحديث وعِلله ومعانيه حتىٰ يُعطي كلَّ حديثٍ حقَّه، بصيرًا بأقوال الصحابة، عارفًا بمواقع الإجماع ومواطن الخلاف، حتىٰ لا يدعي الإجماع في موضع الخلاف وبالعكس، مع شُروطٍ أُخرىٰ لا تتحقَّق إلَّا في المجتهد، ولهذا اصطلح أهل الأصول -وإليهم المرجع في هذا الباب- علىٰ تخصيص وصف العالِم بالمجتهد وكذا الفقيه، وهم في اصطلاحهم آخذون من السَّلف، فإنَّهم كانوا لا يوقعون وصف العالِم أو الفقيه إلَّا علىٰ المجتهد، أمَّا المُقلِّد فلا يُسمَّىٰ عندهم عالمًا باتفاقٍ، ولا فقيهًا كذلك.

راجع «باب من يستحق أن يُسمَّىٰ فقيها أو عالمًا حقيقة لا مجازًا، وباب فساد التَّقليد ونفيه» من كتاب "جامع بيان العلم وفضله" للحافظ ابن عبد البر، وباب الاجتهاد من كتب الأصول ولولا خوف التطويل المنافي لغرضنا في هذا الكتاب لجلبنا من النُّصوص في هذا الموضوع ما فيه الكفاية.

وكذلك الأحاديث الواردة في فضل العلماء ليس المراد بها إلَّا المجتهدين؛ لأنَّ بهم تقوم الحُجَّة لله علىٰ خلقه، وهم ورثة الأنبياء، وأمَّا غيرهم من المقلدين فليسوا بعلماء في عُرْف الشَّرع، وإنَّما هم نَقَلة علم فقطٍ، فيُشترط فيهم ما يُشترط في الراوي من العدالة والضَّبط.

يُرشد إلىٰ ذلك حديث النُّعمان بن بشيرٍ، عن أبيه، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**رَحِمَ اللهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَالتي فحفِظَها، فرُبَّ حامِلِ فِقْهٍ غير فقيهٍ، ورُبَّ حامِلِ فِقْهٍ إلى مَن هو أَفْقَهُ مِنه**» الحديث.

وعن أبي قِرْصَافَةَ نحوه بلفظ: «**نَضَّرَ اللهُ امْرأً سَمِعَ مَقالَتي فوَعَاهَا وحَفِظَها، فرُبَّ حامِلِ عِلْمٍ إلى مَن هو أعلم منه...**» وذكر الحديث، وفي آخره كرامةٌ لأبي قِرْصافة مع ابنه.

وفي رواية أنسٍ: «**نَضَّرَ اللهُ امْرأً سَمِعَ مَقالَتي فحَفِظَها ثُمَّ ذَهَبَ بها إلى مَن لم يَسْمَعْها؛ فرُبَّ حامِلِ فقهٍ ليس بفَقِيهٍ، وربَّ حامِلِ فِقْهٍ إلى مَن هو أَفْقَهُ مِنه**»

وللحديث طرقٌ بلغت حدَّ التواتر، وهو كما ترىٰ صريحٌ في أنَّه ليس كلُّ من حمل الفقه يُسمَّىٰ فقيهًا وما ذاك إلَّا لأنَّ الفقيه تُشترط فيه شروطٌ زائدةٌ علىٰ مُجرَّد حمله للفقه، والعالِم كذلك لأنَّه مُرادفٌ للفقيه في عرف الشرع، بدليل أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم سمَّىٰ العلم بالقرآن والسنة في بعض الأحاديث علمًا وفي بعضها فقهًا.

وقد صرَّح البدخشيُّ والسَّعدُ وغيرهما من أهل الأصول أنَّ الذين يُفتون بما حفظوه أو وجدوه في كتب المذاهب كما هو الواقع الآن هم بمنزلة النَّقَلة والرواة، فينبني قبول أقوالهم علىٰ حصول شرائط الرَّاوي.

إذا عُلِم هذا فنرجع إلىٰ صاحب الكتاب ونسأله: هل استيقنت من نفسك بلوغ رتبة الاجتهاد حتىٰ ادَّعيت أنَّك من العلماء المسئولين عن تبليغ العلم؟

إن قال: نعم، كذَّبناه ولا كرامة، وكتابه خير شاهدٍ لنا عليه، فإنَّ فيه من أنواع الجهل ما ليس عليه من مزيدٍ.

وإن قال: لا. قلنا له: صدقت، واعترفت ضمنيًّا بأنَّك عاميٌّ، غير أنَّك تمتاز بمعرفة شيءٍ ضَئيلٍ من العلم يُمكِّنك من مطالعة الكتب العلميَّة، وإن كنَّا

في شكٍّ من أنَّك تُحسن فهمها، وحيث أنَّك عاميٌّ كما تبيَّن، فلِمَ كذبت في كتابك وأفهمت الناس أنَّك من العلماء المسئولين عن تبليغ العلم؟!!

وليت شعري أيُّ علمٍ أدركت حتى تُسأل عن تبليغه؟!!

وما حملك على أن ألَّفت ذلك الكتاب الذي فضحت به نفسك وأطلعت الناس على ما لم يكونوا يعلمونه من جهلك؟!! فكنت كالباحث على حتفه بظِلِّفه، والجَادِع مَارن أنفه بكفِّه.

ألم يكن في إقبالك على إصلاح نفسك واشتغالك بما يُعنيك وازعٌ لك عن الدُّخول في مآزق لا تحسنها ولا تدري كيف تتخلَّص منها؟

فإن كنت تعتقد أنَّ ورقة الشَّهادة التي أخذتها تجعلك في مصافِّ العلماء وتُحمِّلك مسؤولية تبليغ العلم فأنت فاسد الاعتقاد بعيدٌ عن الصَّواب.

ألم تعلم أنَّ هذه الورقة هي التي أفسدت العلم؟ بل قضت عليه وجعلت من الجهلة علماء، حيث يتقدَّم لأخذها كلُّ من يحفظ مواضع التعيين لا غير، ويلقيها كما حفظها، فإن لم يحسن الحفظ أو الإلقاء تذرَّع بوسيلة إلى المُمتحنين -وهذه هي الوسيلة المحظورة- فيخرج في كلا الحالين من الامتحان وقد حصل على الورقة ولُقِّب عالمًا، وأصبح يتطلَّع إلى الوظيفة بتلهُّفٍ يفوق تلهُّف الظمآن إلى الماء البارد في اليوم القائظ.

فتراه يسأل عن كلِّ مقرأةٍ ويبحث عن المأذونيَّة، ويستفهم عن امتحانات المسابقة للإمامة والأذان، كأنَّه ما كان يُتعب بدنه ويُجهد نفسه إلا ليحصل على هذا النَّزر من حِطام الدنيا، يتقاضاه كلَّ شهرٍ.

والمصيبة العظمىٰ أنَّ العامَّة يتَّخذونه مرجعًا لهم في أحكام دينهم مع أنَّه عاميٌّ مثلهم لا يفوقهم في شيءٍ إلَّا أنَّه أخذ الورقة، والله أعلم كيف أخذها!!

فالواقع أنَّ هذه الورقة -وصاحب الكتاب من حملتها- ينبغي أن تكون عِنوان الجهل، ورمز ركود الفكر، ونذير التكاسل المُنبئ عن ضعفٍ نفسيٍّ وخُلُقيٍّ معًا.

وإلَّا فالعالِم الذي همُّه العلم لا يُثنيه عن غرضه ورقةٌ ولا ورقاتٌ، ولا يردُّه عن مطالعة الكتب ومواصلة البحث شهاداتٌ، علىٰ أنَّ هذه الورقة من أصلها بدعةٌ في العلم لم تكن في عهد العلماء الذين كانوا بحقٍّ علماء.

ومع كونها بدعةٌ فهي مذمومةٌ مُضرةٌ؛ لأنَّها كانت سبب التقهقر العلميِّ المشاهد الآن وسبب إقبال حامليها علىٰ الوظائف وتكسُّبهم علىٰ حساب العلم بعد أن كان العلماء قبل ظهورها يتعيَّشون من كسب أيديهم وينشرون العلم احتسابًا، فكان العلم إذ ذاك في ازديادٍ مُطَّردٍ وأهله في عزٍّ ورفعةٍ كلمتهم مسموعةٌ وأمرهم مطاعٌ، لا عند العوام والسُّوقة فحسب، بل عند الملوك والخلفاء والعظماء، فلمَّا جاءت هذه الورقة وفتحت عليهم باب الوظائف آل الحال بالعلم وأهله إلىٰ ما ترىٰ والأمر لله، ما شاء الله فعل.

وحيث إن هذه الورقة بدعةٌ كما قلنا، فما بالنا نرىٰ صاحب الكتاب يتبجَّح بها في إمضائه مع ما في ذلك من الغرور المورِّث للكبر والعجب في حين أنَّه يزعم محاربة البدع؟! أفلا يعتقد أنَّها بدعةٌ أم يعتقد أنَّها كانت موجودةً علىٰ عهد الصحابة حينما كانوا ينشرون العلم خدمة للدين وطلبًا لما عند الله من

الثواب؟! لا ندري من أي أمور هذا المُتنطِّع نعجب، أمن تَبجُّحه بأنَّه من العلماء؟!، أم من استناده في هذا التبجُّح إلى ورقةٍ ليست من العلم في شيءٍ، ولا تمتُّ إليه بشيءٍ؟!

الأمر الثالث: لو سلَّمنا جَدَليًّا أنَّ هذا المُتنطِّع من العلماء المسؤولين عن تبليغ العلم كما زعم في كلامه، فماذا فعل فيما هو أهمُّ من التوسل وأشدُّ ضررًا منه لو كان فيه ضررٌ؟، فهذه محلَّات الخمور مُفتَّحة الأبواب، وهذه أنواع الرِّبا لا يكاد يخلو منها بيتٌ ولا دكان لا سيِّما في القُرى والبوادي، وهذه بيوت الزِّنا تشتغل ليل نهار، كلُّ هذه المصائب العِظام واقعةٌ بين سمع النَّاس وبصرهم لا يستطيع أحدٌ أن يُنكرها لأنَّها تحت حماية القانون وبتشريعه، فهل سُمع للمتنطِّع صوتٌ في إنكار تلك الموبقات التي تُخرب البيوت وتُفسد الأخلاق وتقضي على الدِّين؟!

كلَّا، مع أنَّه جاء في الحديث الصَّحيح عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنَّه قال: «**ما ظَهَرَ في قَوْمٍ الزِّنا أو الرِّبا إلَّا أَحلُّوا بأنفُسِهِمْ عَذَابَ الله**».

وجاء في الحديث الصَّحيح عن ابن عبَّاسٍ قال: «لَمَّا حُرِّمت الخمرُ مَشَى أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعضهم إلى بعضٍ وقالوا: حُرِّمَتِ الخَمْرُ وجُعلِتْ عَدْلًا للشِّرك».

بل هناك ما هو أشدُّ ضررًا ممَّا ذكرنا وأقبح، ألا وهو هذه المحاكم الأهلية التي تحكم بقانونٍ وضْعِيٍّ بدلًا عن القانون السَّماويِّ الشَّرعيِّ، فتُنفِّذ أحكامًا لم يُنزِّل الله بها من سلطانٍ، وتُعطِّل إزاء ذلك أحكام الله وتُلزم النَّاس بأشياء ما ألزمهم الله ورسوله إيَّاها، وهذا غاية ما يكون من الضَّلال والخِذلان عياذًا بالله.

وفي مثل هذا يقول الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

ويقول: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]

ويقول: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

أفكان للمُتنطِّع يدٌ في إنكار هذه المحاكم التي وَصَف الله مُنفِّذ أحكامها بالكفر والظُّلم والفِسق؟!

كلَّا ثُمَّ كلَّا، وما له ولهذا الإنكار الذي يكون سبب ذهاب مُرتَّبه وربُّما يؤول به إلىٰ السَّجن والحبس؟!

فالمُتنطِّع يتعامىٰ عن هذا حتىٰ كأنَّه ليس بموجودٍ في البلد ولا يرىٰ أنَّ عليه تبليغ ما بلَّغه رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من الحقِّ؛ لأنَّ في هذا التَّبليغ كما ذكرنا ذهاب المرتَّب وضياع الوظيفة، وربُّما كان سُجِن وحُبِس أيضًا، ولكنَّه يَبْرُق ويُرْعِد ويَشْتُم ويَسُب ويُجهل ويُسفِّه إذا ذُكِر التَّوسُّل والزِّيارة، وحينئذٍ فقط يرىٰ أنَّ عليه تبليغ دعوة رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ الوجه الصحيح؛ لأنَّ هذا التَّبليغ ليس فيه ضياع المرتَّب ولا ذهاب الوظيفة؛ بل فيه مع حِفْظ المرتَّب والوظيفة تقبيل اليد من العوام الجالسين حوله، وحمل النَّعل، وتشييعٌ إلىٰ البيت بكلِّ إجلالٍ واحترامٍ، فبونٌ بين التَّبليغ الأول والثاني، والعاقل من يقدِّم منفعة نفسه!

ومن هنا تُدرك أنَّ المُتنطِّع ومَن علىٰ شاكلته ليس غرضهم خدمة الدِّين ومحاربة البدع كما يتخرَّصون، ولكن غرضهم خدمة مصالحهم الشَّخصيَّة

والتَّعيُّش على حساب العلم كما قدَّمنا، وهم في الواقع جُهلاءٌ.

ثُمَّ ابتدأ المُتنطِّع كتابه بخطبةٍ ركيكةٍ تُنبئ عن عجزٍ وعِيٍّ، مُلمحًا فيها أيضًا بآيةٍ لا تُناسب الموضوع إلَّا عند مزاجه المنحرف، ثُمَّ قال: «فهذه الرِّسالة تشتمل على ما يلزم المسلم معرفته من عقائد دينه».اهـ

وأقول: في كلامه أمورٌ:

الأول: ادِّعاؤه أنَّ رسالته اشتملت على ما يلزم المسلم معرفته ادِّعاءٌ كاذبٌ؛ لأنَّ رسالته اشتملت على مبحث سماع الموتى وحياتهم في قبورهم ووصول قراءة القرآن إليهم، وهذه الأشياء لو جهلها المسلم طول حياته لما لزمه ضررٌ في دينه؛ لأنَّها ليست من المسائل الضَّروريَّة في الدِّين بحيث تجب معرفتها على كلِّ أحدٍ وهذا أوضح من أن يُستدل عليه.

الثاني: زعمه أنَّ رسالته اشتملت على عقائد الدِّين، زعمٌ باطلٌ؛ لأنَّ عقائد الدِّين تشتمل على: إلهيَّات، ونبويَّات، وسمعيَّات.

فالإلهيَّات: تبحث فيما يتعلَّق بالله سبحانه وتعالى وجوبًا، واستحالةً، وجوازًا.

والنَّبويَّات: تبحث فيما يتعلَّق بالأنبياء والملائكة كذلك، وفي المفاضلة بينهم وما يناسب ذلك.

والسَّمعيَّات: تبحث فيما يتعلَّق بما بعد الموت من أحوال البرزخ والآخرة.

ورسالته لم تشتمل على شيءٍ من هذا البتَّة.

الثالث: في ادِّعائه أيضًا اشتمال رسالته على العقائد الدِّينية تخليطٌ غير معقولٍ؛ لأنَّ التَّوسُّل وإن كان له اتِّصالٌ ما بالعقائد فالكلام فيه هنا من حيث

الجواز والحرمة، وهو من هذه الحيثيَّة ليس من العقائد في شيءٍ، وإنَّما هو مبحثٌ فقهيٌّ بحتٌ؛ لأنَّ الكلام في الأحكام الشَّرعيَّة من حيث إثباتها وثُبوتها من موضوع علم الفقه على ما هو مُقرَّرٌ في محلِّه، كما أنَّ سائر ما اشتملت عليه الرِّسالة من أحكام القبور وزيارتها وقراءة القرآن للموتى كذلك من مباحث علم الفقه لا العقائد.

فانظر -هداك الله- إلى مؤلِّفٍ لا يُفرِّق بين ما هو من موضوع الفقه وما هو من موضوع العقائد ثُمَّ اعجب له كيف نَصَّب نفسه لإرشاد الناس.

ثُمَّ قال: «وأودعتها من الأبحاث العلمية على صِغَرِها ما لا يَتيسَّر الحصول عليه من كِبار الكتب».اهـ

وأقول: جديرٌ بمن لا يُفرِّق بين موضوعَي الفقه والعقائد فيخلط أحدهما بالآخر كما تقدَّم، أن يستكثر هذه الرسالة ويرى أنَّ ما فيها من الأبحاث لا يتيسَّر الحصول عليه من كبار الكتب!!.

وإنَّه لكذلك، فهل تجد في كبار الكتب خلط موضوع علمٍ بموضوع علمٍ آخر كما هنا؟! وهل تجد في كبار الكتب ما سيمرُّ بك في هذه الرسالة من قواعد مُحرَّفةٍ وأقوالٍ مُزيَّفةٍ وآراءٍ لا ترتكز على دليلٍ؟!

كلَّا، فقد صَان الله كبار الكتب وصَان مؤلِّفيها عن هذا التَّخليط والتَّحريف، ولهذا نرى أنَّ في عبارته صِفةً محذوفةً دلَّ عليها المقام وتقدير تلك الصِّفة: وأودعتها من الأبحاث العلميَّة المُحرَّفة أو المقلوبة ما لا يتيسَّر الحصول عليه من كبار الكتب.

فبهذا التَّقدير يستقيم الكلام وينسجم مع حال الرِّسالة تمام الانسجام.

ثُمَّ أتىٰ بلفظ «مقدِّمة» مُنكَّرًا وكان الواجب أن يُعرِّفه كما عرَّف الباب الأول وما بعده؛ لأنَّ المقام يقتضي ذلك، ولكنَّه علىٰ ما يظهر لم يعرف علم المعاني ولا أدرك ما فيه من الدَّقائق واللَّطائف حتىٰ يدرك متىٰ يَحسُن التَّعريف ومتىٰ يَحسُن التَّنكير، وهذا يدلُّ علىٰ أنَّ تعريفه للأبواب الثلاثة كان مصادفةً طابقت مُقتضىٰ الحال.

ثُمَّ قال: «لا بد قبل الكلام في هذه المسألة من معرفة أمورٍ: الأول: الوقوف علىٰ مشركي العرب وفرقهم وبيان هذا الأصل ينفع في معرفة الحقِّ في هذه المسائل ويردُّ قول من قال: إنَّ آيات القرآن قد نزلت في عُبَّاد الأصنام فقط فلا يصحُّ تنزيلها علىٰ غيرهم ممَّن آمن وصلَّىٰ وصام، فإنَّ هذا القول قد اغترَّ به كثيرٌ من علماء المسلمين.

وبيان فساده من وجهين: الأول: أنَّ أئمَّة المسلمين مُتَّفقون علىٰ أصلٍ مشهورٍ وهو أنَّ العبرة في التَّشريع بعموم اللَّفظ لا بخصوص السَّبب».اهـ

وأقول: في كلامه أمورٌ:

الأول: قوله: «لابد قبل الكلام علىٰ هذه المسألة معرفة أمورٍ».

يوهم القارئ أنَّه مهَّد لموضوع البحث بعدَّة أمورٍ ومباحث مع أنَّه لم يذكر غير أمرٍ واحدٍ ومبحثٍ واحدٍ وهو الوقوف علىٰ مشركي العرب وفرقهم، فإمَّا أن يكون قصد هذا الإيهام فهو كاذبٌ آثمٌ، وإمَّا أن يكون لم يقصده فهو أبله لا يدري ما يقول.

الثاني: قوله: «وبيان هذا الأصل ينفع في معرفة الحق في هذه المسائل».

هو صحيحٌ، فإنَّنا إذا عرفنا المشركين وأنَّهم بجميع فرقهم كانوا يتَّخذون

من يدعونه إلهًا من دون الله كما صرَّح به القرآن في الآيات التي أوردها المُتنطِّع غير مدركٍ لها أو مُتعاميًا عنها وفي غيرها من الآيات، علمنا أنَّ التَّوسُّل غير الإشراك بالضَّرورة، وأنَّ مَن توسَّل بشخصٍ إلى الله لم يكن مُشركًا، كما أنَّ مَن توسَّل بعملٍ من الأعمال كذلك بإقرار المُتنطِّع نفسه.

الثالث: قوله: «يرد قول من قال: إنَّ آيات القرآن قد نزلت في عُبَّاد الأصنام فقط فلا يصحُّ تنزيلها على غيرهم ممَّن آمن وصلَّى وصام».

هو قولٌ باطلٌ، فإنَّ بيان هذا الأصل يؤيِّد قول من قال ذلك لا يردُّه؛ وذلك لأنَّ مُشركي العرب كما قلنا كانوا يتَّخذون من يدعونه إلهًا من دون الله يعبدونه كما يعبدون الله، ويُحبُّونه كحبِّ الله أو أشد، والآيات نزلت للردِّ عليهم وذمِّ ما هم عليه من الشِّرك الصحيح الصريح.

فبأي لغةٍ، بل بأي عقلٍ تُطبَّق تلك الآيات على المسلمين الذين يعتقدون أن لا إله إلَّا الله، ويُفردونه بالوحدانية كلَّ يومٍ خمس مرَّاتٍ، ويدينون له بالعبودية في جميع أحوالهم؟!! سبحانك هذا بهتانٌ عظيمٌ !!

فإن ادَّعى أنَّ تلك الآيات شملتهم بالقاعدة الآتية، فهو ادِّعاءٌ باطلٌ كما سيأتي، وإن ادعى ذلك بالقياس؛ قلنا: ليس هذا محلُّ قياسٍ؛ لأنَّ الموضوع موضوع شركٍ وتوحيدٍ، وكفرٍ وإيمانٍ، ولا دخل للقياس في ذلك، ولو سلَّمنا أنَّه من محلِّ القياس، فأين العلَّة الجامعة بين الأصل والفرع؟

فإن قال: إنَّ دعاء المسلمين لأهل القبور ونداءهم لهم أشبه دعاء المشركين لأصنامهم.

قلنا له: كذبت، فإنَّ دعاء المشركين دعاء ألوهية وتعبُّد، ودعاء المسلمين

توسُّل واستشفاع، وبونٌ كبيرٌ بين من يقول: ياربِّ أعطني كذا بجاه فلان، وبين من يقول: أُعل هُبَل، خذلني اللَّات.

وبونٌ كبيرٌ بين من يؤمن برسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فيما جاء به من التوحيد الخالص، وبين من يُعارضه ويقول: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص: ٥].

وبونٌ كبيرٌ بين من يقول: عيسى رسول الله وكلمته، وبين من يقول: هو ابن الله وشريكه في الألوهية، تعالى الله عن ذلك عُلوًّا كبيرًا.

وبالجملة: بونٌ كبيرٌ شاسعٌ بين المسلمين والمشركين في عقائدهم وأعمالهم وسائر أحوالهم، فأنَّى يمكن القياس والحالة هذه؟!

على أنَّ المُتنطِّع أنكر القياس في العقائد والعبادات كما سيأتي في الباب الأول من كُتيِّبه، فلا يُمكنه أن يدَّعي القياس في هذا المحل.

الرابع: قوله: «إنَّ أئمَّة المسلمين مُتَّفقون على أصلٍ مشهورٍ وهو: «أنَّ العبرة في التشريع بعموم اللفظ لا بخصوص السبب».

هذا كذبٌ وجهلٌ، وذلك أنَّ هذا الأصل ليس مُتفقًا عليه بهذا الإطلاق الذي ذكره، بل فيه تفصيلاتٌ وخلافاتٌ مبسوطةٌ في محلها من أصول الفقه.

ونحن نلخصها هنا بما يتَّفق مع الاختصار الذي نحرص عليه في هذا الرَّدِّ، حتى يتبيَّن القارئ مقدار أمانة هذا المُتنطِّع وسَعَة علمه الذي يزعم أنَّ عليه تَبِعة تبليغه.

قال علماء الأصول: «خطاب الشارع إمَّا واردٌ ابتداءً، فهو على حاله من

عمومٍ أو خصوصٍ، وإمَّا واردٌ عَقِب سببٍ مخصوصٍ، كسؤالٍ مثلًا.

وهو إمَّا مُستقلٌ أو لا، فإن لم يستقل بالإفادة بحيث لا يحصل الابتداء به فهو تابعٌ للسبب في عمومه وخصوصه، وإن استقلَّ بنفسه بحيث لو ورد ابتداءً لكان كلامًا مُفيدًا فهو على ثلاثة أقسام:

الأول: أن يكون أخصَّ من السبب، وهذا لا يجوز إذ يلزم عليه تأخير البيان عن وقت الحاجة وهو ممنوعٌ، إلَّا إذا أمكنت معرفة المسكوت عنه، كأن كان في المذكور تنبيهٌ عليه فيجوز حينئذٍ، كما لو سئل الشارع عن حكم من أفطر في نهار رمضان فأجاب: من جامع في نهار رمضان فعليه كفَّارةٌ كالظِّهار، فاقتصاره على الجماع يفيد بطريق المفهوم أن الإفطار بغيره لا كفَّارة فيه.

الثاني: أن يكون مساويًا للسبب في عمومه أو خصوصه وهذا واضحٌ.

الثالث: أن يكون أعمَّ من السبب وهو قسمان:

أحدهما: أن يكون أعمَّ منه في حكم المسؤول عنه وغيره، كما جاء في حديث الترمذيِّ وغيره عن أبي هريرة أنَّ ناسًا سألوا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقالوا: يا رسول الله إنَّا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الماء، فإن توضَّأنا به عطشنا أفنتوضَّأ بماء البحر فقال: «**هو الطَّهُورُ مَاؤُهُ الحِلُّ مَيْتَتُهُ**». سألوه عن الوضوء بماء البحر في حالة الضَّرورة، فأجابهم بجوابٍ عام يشملها وغيرها، وزاد على ذلك حكم ميتته، فهذا القسم يبقى على عمومه بلا خلاف، وإن كان كلام أبي الطيب الطبريِّ وابن برهان يقتضي جريان الخلاف الآتي في القسم الثاني فيه.

وثانيهما: أن يكون أعمَّ من السبب في الحكم الذي وقع السؤال عنه، مثلًا

كما جاء في حديث الترمذيِّ وغيره عن أبي سعيدٍ الخدريِّ قيل: يا رسول الله أنتوضَّأ من بئر بُضَاعة وهي بئرٌ يُلقىٰ فيها الحيض ولحوم الكلاب والنَّتن، فقال: «**إنَّ الماءَ طَهُورٌ لا يُنَجِّسُه شيءٌ**»، وهذا القسم محلُّ خلافٍ بين العلماء وفيه مذاهبٌ:

أحدها: يجب قصره علىٰ صورة السبب فلا يتناول غيرها، نقله القاضي أبو الطيب، والماورديُّ، وابن السمعانيِّ، وابن برهان عن الإمام مالكٍ، وقال به من أصحابه أبو الفرج كما حكاه القاضي عبدالوهاب والباجيُّ، وقال به أيضًا أبو ثورٍ، والمُزنيِّ، والقفَّال والدقَّاق، وحكاه الأستاذ أبو منصورٍ عن أبي الحسن الأشعريِّ، وحكي عن الشَّافعيِّ ولم يصح عنه.

ثانيها: يجب حمله علىٰ العموم، وهو مذهب الشافعيِّ والجمهور وهو الراجح.

ثالثها: الوقف، أي لا يُحمل علىٰ عمومٍ ولا خصوصٍ حتىٰ يتبيَّن أحدهما بالقرائن والأدلَّة، حكاه القاضي أبو بكرٍ الباقلانيُّ في "التقريب".

رابعها: التفصيل، وهو أنَّه إذا كان السبب سؤال سائلٍ فيختصُّ به، وإذا كان السبب وقوع حادثةٍ ورد الخطاب عَقِبها فلا يختصُّ بها، حكاه عبد العزيز في "شرح البزدويِّ".

خامسها: تفصيل آخر، وهو أنَّه إن عارض هذا العام الوارد علىٰ سببٍ عامٍّ آخر ورد ابتداءً بلا سبب، فإنَّه يقصر علىٰ سببه، وإن لم يعارضه فالعبرة بعمومه، وصحَّحه الأستاذ أبو منصورٍ.

قال الشوكانيُّ: «وهذا لا يصلح أن يكون مذهبًا مُستقلًّا، فإنَّ هذا العام

الوارد ابتداءً من غير سببٍ إذا صلح للدلالة فهو دليلٌ خارجيٌّ يوجب القصر -أي قصر العام ذي السبب على سببه- ولا خلاف في ذلك بين المذاهب كلِّها».اهـ فكأنَّ هذا تقييدٌ لمحلِّ الخلاف المذكور.

وبهذا التلخيص الموجز تعلم كذب الاتفاق الذي نقله المُتنطِّع وتستيقن مع ذلك جهله المُطبِق.

الخامس: وعلى مذهب الجمهور الراجح: «أنَّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب»، فمعنى ذلك هنا أنَّ تلك الآيات التي نزلت في مشركي العرب لا تختصُّ بهم لكونها وردت بسببهم بل تعمُّ كلَّ من عبد شيئًا من دون الله واتَّخذه إلهًا مع الله، سواء كان هذا المشرك من العرب أم من العجم، وسواءٌ كان في عهد نزول الآية أو بعدها إلى قيام الساعة؛ لأنَّ لفظ المشركين في الآيات يشمله بحسب الوضع اللغوي والشرعي، وكونه واردًا في طائفةٍ منهم كمشركي العرب لا يكون مانعًا من حمله على باقيهم ولا معارضًا له فيجب الأخذ بمدلول اللفظ والتمسُّك بعمومه حتى يقوم الدليل على التخصيص.

وكذلك لفظ الماء في الحديث السابق لا يختصُّ بماء بئر بُضَاعة لكونه ورد فيه، بل يعمُّ ماء الآبار والأنهار والأمطار؛ لأنَّ ذلك كلَّه يُسمَّى ماءً واللفظ يشمله لغةً وشرعًا.

وكذلك لفظ المسلم في قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**سبحان الله، إنَّ المسلم لا يَنْجُس**»، لا يختصُّ بأبي هريرة الذي كان سبب وروده، بل يعمُّ كلَّ مسلمٍ من ذلك الوقت إلى قيام الساعة.

وهكذا كلُّ لفظٍ عامٍّ ورد على سبب خاصٍّ، فمعنى حمله على عمومه أن

يُحمل اللفظ على ما يتناوله لغةً وشرعًا كما قدَّمناه، وليس معناه أن يحمل اللفظ على ما لم يتناوله ولا هو من مدلوله كما لو حُمل لفظ المسلم في الحديث السابق على المسلم والكافر معًا، فإنَّه قلبٌ للأوضاع اللغوية والشرعية، وحَمْلٌ للفظ على ما لا يحتمله، وهو مع ذلك تلاعبٌ بنصوص الشارع.

إذا علمت هذا تدرك بطلان ما فرَّعه المُتنطِّع على تلك القاعدة بقوله: «فإذا كانت الآيات التي ذمَّت من كانوا يدعون الأصنام نزلت بسببهم، فإنَّها بالقاعدة المتقدِّمة تعمُّ كلَّ من عمل عملهم».اهـ

وذلك لأنَّ لفظ المشركين في الآيات التي ذمَّت عُبَّاد الأصنام لا يتناول المسلمين ولا يمكن أن يتناولهم لا بوضع اللغة ولا في عرف الشرع فتطبيقه عليهم كتطبيق لفظ المسلم في الحديث السابق على الكافر سواء بسواء، إذ أنَّ في كلٍّ منهما خروجًا عن مدلول اللفظ وتحريفًا في التأويل إلَّا إذا انسلخ المسلمون عن إسلامهم وعبدوا غير الله واتَّخذوا آلهةً مع الله كما فعل عُبَّاد الأصنام، فحينئذٍ تشملهم تلك الآيات بالقاعدة المتقدِّمة، ولكنَّ شيئًا من هذا لم يحصل، ولن يحصل، إذ يلزم عليه اتِّفاق الأمَّة على الشِّرك وهو محالٌ سمعًا.

ثُمَّ في كلام المُتنطِّع نفسه ما يؤيِّد ما ذكرناه، ألا تراه يقول: «فإنَّها بالقاعدة المتقدِّمة تعمُّ كلَّ من عمل عملهم» يعني عُبَّاد الأصنام، وعملهم هو عبادة الأصنام واتِّخاذها آلهةً من دون الله، والمسلمون لم يعبدوا من توسلوا به إلى الله، ولا اتَّخذوه إلهًا مع الله كما هو واضحٌ لا يحتاج إلى بيان، فوجب بكلام المُتنطِّع نفسه أن تُحمل تلك الآيات على مشركي العرب التي نزلت بسببهم، وتعمُّ معهم كلَّ مُشركٍ عمل عملهم الذي ذُمُّوا لأجله وهو الإشراك بالله سبحانه

وتعالى دون المسلمين، فقد رأيت كيف ناقض آخر كلامه أوله، ورجع استدلاله وبالًا عليه.

يأبى الله على المُبطل إلَّا أن يتناقض ويتخاذل، فإن قال: لم أُرد بعمل المشركين خصوص الإشراك واتِّخاذ الآلهة من دون الله، بل أردتُّ ذلك وما في معناه كدعاء الأولياء والصالحين والاستغاثة بهم والتوسل بهم إلى الله في قضاء الحوائج، فإنَّ ذلك كلَّه يَصْدُق عليه لفظ الإشراك فتكون الآيات على هذا شاملةً لأهل التوسل بعموم اللفظ لا بشيء آخر.

قلنا: هذا باطلٌ من وجوهٍ:

الوجه الأول: إنَّ حقيقة الإشراك في اللغة تُباين حقيقة كلٍّ من التوسل والاستغاثة والدعاء؛ لأنَّ الإشراك معناه اعتقاد شريكٍ مع الله في الألوهية وهو كفرٌ، تعالى الله عن ذلك عُلوًّا كبيرًا، ولهذا فسَّر كثيرٌ من أهل اللغة الإشراك بالكفر؛ لأنَّه كفر بالله وجحد لوحدانيته.

وأمَّا التوسُّل: فهو التقرُّب إلى الغير، يُقال: توسَّل إلى فلانٍ بكذا إذا تقرَّب إليه بشيءٍ، والوسيلة ما يُتقرَّب به، ومنه قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة: ٣٥]، وقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ الآية [الإسراء: ٥٧].

والاستغاثة معناها: طلب الغوث والنَّجدة، قال تعالى: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾ [القصص: ١٥] أي طلب إغاثته ونجدته.

والدعاء معناه: النِّداء وطلب الإقبال، يُقال دعا فلانًا إذا ناداه طالبًا إقباله عليه،

ومنه ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ [النور: ٦٣].

ودعا الله؛ ناداه بابتهالٍ وخضوعٍ ومنه ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

فإذا كانت هذه الحقائق مُتباينة كما ترىٰ فكيف يصحُّ إرادتها في لفظٍ واحدٍ وهل هذا إلَّا تلاعب بالنصوص؟!.

الوجه الثاني: إنَّ الإشراك الذي حصل من المشركين الذين ذمَّهم القرآن هو عبادتهم للأنبياء والملائكة والأولياء بناءً علىٰ اعتقادهم فيهم أنَّهم شاركوا الله في الألوهية وأنَّ لهم تأثيرًا في الأشياء، ولذلك ترىٰ القرآن في معرض الردِّ عليهم يقرِّر دلائل وحدانية الله وانفراده بالألوهية وأنَّه المنفرد بالإيجاد والإبداع، ولو ذهبنا نسرد الآيات في ذلك لطال بنا الحال وخرجنا إلىٰ حدِّ الإملال؛ لأنَّ ما في القرآن مما يتعلق بالتوحيد والردِّ علىٰ المشركين كلَّه في هذا المعنىٰ وهو كثيرٌ، ومع ذلك لا تجد فيه إشارةً إلىٰ التوسل بالمعنىٰ الذي نتكلَّم عليه؛ لأنَّه لم يكن من عمل المشركين ولا كان معروفًا لهم، فبطل أن يكون داخلًا في تلك الآيات لا بالعموم ولا بالخصوص ولا بنوعٍ من أنواع الدلالات.

الوجه الثالث: أنَّ الآيات التي ذمَّت عُبَّاد الأصنام إذا قلنا بعموم تناولها لأهل التوسل كما يقول المُتنطِّع، فلا يخلو حالها من أحد أمرين: إمَّا أن تتناولهم حقيقةً أو مجازًا، والأول لا سبيل إليه؛ لأنَّا بينَّا في الوجه الأول أنَّ حقيقة الإشراك تُباين حقيقة التوسل وما ذكر معه فلم يبقَ إلَّا الثاني وهو باطلٌ لأمرين:

الأول: أنَّ المجاز لا بدَّ له من علاقةٍ وقرينةٍ، وهما مفقودتان هنا.

الثاني: أنَّ تلك الآيات قد استُعملت في معناها الحقيقي الذي هو الإشراك بالله كما بينَّا في الوجه الثاني وهو واضحٌ، فلا يجوز استعمالها أيضًا في المعنى المجازي الذي هو التوسل وما في معناه؛ لأنَّ المقرَّر في علم الأصول أنَّ اللفظ لا يجوز استعماله في الحقيقة والمجاز معًا، هذا مذهب جمهور أهل العربية، وجميع الحنفية، ومحقِّقي الشافعية، وجمع من المعتزلة، قال الشوكانيُّ: «وهو الحقُّ»، ودلائل هذا القول مبسوطةٌ في كتب الأصول والبيان فلا نُطيل بذكرها.

الوجه الرابع: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أمر بالتوسل به كما في حديث الأعمى الآتي، ولو كان إشراكًا لاستحال أن يأمر به أحدًا من أمته.

الوجه الخامس: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم توسَّل بنفسه وبالأنبياء من قبله، كما في قصَّة وفاة فاطمة بنت أسدٍ رضي الله عنها وستأتي.

الوجه السادس: أنَّ الاستغاثة ورد بها الحديث كما سيأتي وذلك دليلٌ قاطعٌ على أنَّها ليست بإشراكٍ ولا هي من الإشراك في شيءٍ، فكلُّ هذه الوجوه وغيرها تردُّ قول المُتنطِّع: «إنَّ التوسل وما في معناه إشراكٌ» وتُبيِّن بطلان حمل الآيات التي ذمَّت المشركين على أهل التوسل وهذا هو الحقُّ الصُّراح.

ثُمَّ قال المُتنطِّع: «والوجه الثاني الذي يُبطل حمل الآيات على أهل الأصنام وحدهم: أنَّ المشركين كانوا أربع فرقٍ:

الأولى تُنادي الأصنام، والثانية تُنادي الجنَّ، والثالثة تُنادي الملائكة،

والرابعة تُنادي الأنبياء والصَّالحين من الموتىٰ وكلُّ فرقةٍ تستغيث وتُنادي من تدعوه».

وأقول: هذا الوجه في كلامه فاسدٌ كالذي قبله؛ لأنَّ فرق المشركين التي ذكرها كانت تَعبد من تدعوه من دون الله والآيات التي استشهد بها صريحةٌ في ذلك كقوله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤٠، ٤١].

﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٠].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ إلىٰ قوله: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾ [الأعراف: ١٩٤، ١٩٥].

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٦، ٥٧].

قال البغويُّ في "تفسيره": «قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ وذلك أنَّ المشركين أصابهم قحطٌ شديدٌ حتىٰ أكلوا الكلاب والجِيَف، فاستغاثوا بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ليدعوا لهم، قال الله تعالىٰ: ﴿قُلِ﴾

للمشركين ﴿ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ أنَّها آلهةٌ ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ﴾ القحط والجوع ﴿عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ إلىٰ غيركم أو تحويل الحال من العُسر إلىٰ اليُسر».اهـ

وقال البخاريُّ في "صحيحه": باب ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ [الإسراء: ٥٦] الآية، ثُمَّ روىٰ عن عبدالله بن مسعودٍ رضي الله عنه قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧]، قال: «كان ناسٌ من الإنس يعبدون ناسًا من الجنِّ، فأسلم الجنُّ وتمسَّك هؤلاء بدينهم».

قال الحافظ ابن حجرٍ في شرحه: «أي استمرَّ الإنس الذين كانوا يعبدون الجنَّ علىٰ عبادة الجنِّ، والجنُّ لا يرضون بذلك لكونهم أسلموا وهم الذين صاروا يبتغون إلىٰ ربِّهم الوسيلة، وروىٰ الطبريُّ من وجهٍ آخر عن ابن مسعودٍ فزاد فيه: والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون بإسلامهم، وهذا هو المعتمد في تفسير هذه الآية. وأمَّا ما أخرجه الطبريُّ من وجهٍ آخر عن ابن مسعودٍ قال: كان قبائل العرب يعبدون صنفًا من الملائكة يُقال لهم الجن، ويقولون هم بنات الله، فنزلت هذه الآية، فإن ثبت فهو محمولٌ علىٰ أنَّها نزلت في الفريقين، وإلَّا فالسِّياق يدلُّ أنَّهم قبل الإسلام كانوا راضين بعبادتهم، وليست هذه من صفات الملائكة، وكذا ما أخرجه من طريقٍ أُخرىٰ ضعيفةٍ عن ابن عبَّاسٍ أنَّ المراد مَن كان يعبد الملائكة والمسيح وعُزيرًا».اهـ

وقال البخاريُّ أيضًا: «باب قوله: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧] الآية»، قال الحافظ في شرحه: «ذكر فيه الحديث

قبله من وجهٍ آخر مختصرًا، ومفعول يدعون محذوفٌ تقديره: «أولئك الذين يدعونهم آلهة يبتغون إلى ربهم الوسيلة»، وقرأ ابن مسعودٍ تدعون بالتاء الفوقانية على أنَّ الخطاب للكفَّار وهو واضحٌ».اهـ

وقال الطحاويُّ في "مشكل الآثار": «باب بيان مشكل ما روي عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في السبب الذي فيه نزلت: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ [الإسراء: ٥٧] الآية ممَّا أُضيف إلى عبدالله بن مسعودٍ ممَّا يحيط علمًا أنَّه لم يقله رأيًا، وإنَّما قاله توقيفًا، ثُمَّ رُويَ من طريقين عن ابن مسعودٍ قال: نزلت لنفرٍ كانوا يعبدون نفرًا من الجنِّ، فأسلم الجنِّيون، والنَّفر من العرب لا يشعرون بذلك، يعني قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ ﴾ [الإسراء: ٥٦] إلى قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورًا ﴾ [الإسراء: ٥٧].

ثُمَّ قال: فأنكر منكرٌ هذين الحديثين، وقال: إنَّما أُريد بهذه الآية غير ذلك، فذكر ما قد حدَّثنا، وأسند عن مجاهدٍ قال: ﴿يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ عيسى وعزير والملائكة عليهم السَّلام، وقال: هذا المُنكِر: هم الذين عَلِمنا أنَّهم عُبدوا من دون الله لا من سواهم من الجنِّ».

قال الطحاويُّ: «فكان جوابنا له أنَّ ما قاله ابن مسعود في ذلك أولى ممَّا قاله مجاهدٌ فيه، لموضعه من رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقد وجدنا الله تعالى أنبأنا في كتابه أنَّ بعض الإنس قد كانوا يعبدونهم بقوله: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن

دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾ [سبأ: ٤٠ - ٤١].

ولا نعلم عن أحدٍ من أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في تأويل الآية غير ما رويناه عن ابن مسعودٍ في الحديثين الأولين، وليس يصلح خلاف مثل ذلك إلى قول مجاهدٍ، لا سيما وقد أخبر ابن مسعودٍ في أحد حديثيه بنزوله في أولئك النَّفر الإنسيين الذين كانوا يعبدون الجنِّيين».اهـ

وقال تعالى يُخاطب أهل مكة من مشركي قريشٍ ومن دَان بدينهم من عَبَدة الأوثان والأصنام: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٨ - ٩٩] إلى قوله: ﴿ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

قال ابن مَرْدُويَه في "تفسيره": حدَّثنا محمَّد بن عليِّ بن سهلٍ، ثنا محمَّد بن حسنٍ الأنماطيُّ، ثنا إبراهيم بن محمَّد بن عرعرة، ثنا يزيد بن أبي حكيمٍ، ثنا الحكم يعني ابن أبان، عن عكرمة، عن ابن عبَّاسٍ، قال: جاء عبدالله بن الزِّبَعْرَى إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: تزعم أنَّ الله أنزل عليك هذه الآية: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾ قد عُبدت الشمس، والقمر والملائكة، وعزيرٌ، وعيسى ابن مريمٍ كلُّ هؤلاء في النَّار مع آلهتنا فنزلت: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف: ٥٧ - ٥٨]، ثُمَّ نزلت: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا

ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠١] هذا حديثٌ صحيحٌ رواه الحافظ الضياء المقدسيُّ في كتابه "الأحاديث المختارة" ممَّا ليس في الصحيحين.

وقال ابن إسحاق في "السيرة": «وجلس رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فيما بلغني يومًا مع الوليد بن المغيرة في المسجد فجاء النضر بن الحرث حتىٰ جلس معهم، وفي المسجد غير واحدٍ من رجال قريشٍ فتكلَّم رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فعرض له النضر بن الحرث فكلمه رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حتىٰ أفحمه وتلا عليه وعليهم: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٨] إلىٰ قوله: ﴿ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٠].

ثُمَّ قام رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وأقبل عبدالله بن الزِّبَعْرَىٰ السهميُّ حتىٰ جلس معهم، فقال الوليد بن المغيرة لعبدالله بن الزِّبَعْرَىٰ: والله ما قام النضر بن الحرث لابن عبد المطلب آنفًا ولا قعد، زعم محمَّدٌ أنَّا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنَّم، فقال عبدالله بن الزِّبَعْرَىٰ: أما والله لو وجدته لخصمته، فسلوا محمَّدًا كلُّ ما يُعبد من دون الله في جنَّهم مع من عَبده فنحن نعبد الملائكة، واليهود تعبد عُزيرًا، والنصارىٰ تعبد المسيح عيسىٰ ابن مريمٍ، فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس ورأوا أنَّه قد احتجَّ فخاصم، فذُكر ذلك لرسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**كلُّ من أحبَّ أن يُعبد من دون الله فهو مع من عبده، إنَّهم إنَّما يعبدون الشيطان ومن أمرهم بعبادته**» وأنزل الله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ [الأنبياء:

١٠١]، أي عيسىٰ وعُزيرًا ومن عُبدوا من الأحبار والرهبان الذين مضوا علىٰ طاعةٍ فاتَّخذهم من يعبدهم من أهل الضلالة أربابًا من دون الله، ونزل فيما يذكرون أنَّهم يعبدون الملائكة وأنَّهم بنات الله: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٦] إلىٰ قوله: ﴿ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٢٩].

ونزل فيما ذُكر من أمر عيسىٰ وأنَّه يُعبد من دون الله، وعجب الوليد ومن حضره من حجَّته وخصومته: ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ [الزخرف: ٥٧] إلىٰ قوله: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [الزخرف: ٦١].

وقال تعالىٰ مُخبرًا عن المشركين في تعجُّبهم من بعثة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ودعائه إلىٰ عبادة الله وحده وأنَّ لا إله إلا هو: ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴾ [ص: ٤ - ٨].

روىٰ ابن جريرٍ في "تفسيره" عن ابن عبَّاسٍ قال: لما مرض أبو طالب دخل عليه رهطٌ من قريشٍ فيهم أبو جهلٍ فقالوا: إنَّ ابن أخيك يشتم آلهتنا ويفعل ويفعل، ويقول ويقول، فلو بعثت إليه؟ فجاء النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فدخل البيت وبينهم وبين أبي طالبٍ قدر مجلس رجلٍ، قال: فخشي أبو

جهل لعنه الله إن جلس إلى جنب أبي طالبٍ أن يكون أرقَّ له عليه، فوثب فجلس في ذلك المجلس ولم يجد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مجلسًا قُرب عمِّه، فجلس عند الباب، فقال له أبو طالبٍ: أي ابن أخي، ما بال قومك يشكونك، يزعمون أنَّك تشتم آلهتهم وتقول وتقول؟ قال: وأكثروا عليه من القول، وتكلَّم رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**يا عم إنِّي أُريدهم على كلمةٍ واحدةٍ يقولونها، تَدين لهم بها العرب، وتُؤدِّي إليهم بها العجمُ الجزيةَ**»، ففزعوا لكلمته وقوله، فقال القوم: كلمةٌ واحدةٌ، نعم وأبيك عشرًا، فقالوا: وما هي؟ وقال أبو طالبٍ: وأي كلمةٍ هي يا ابن أخي؟قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «لا إله إلَّا الله»، فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم ويقولون: أجعل الآلهة إلهًا واحدًا، إنَّ هذا لشيءٌ عُجابٌ قال: ونزلت من هذا الموضع إلى قوله: ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾ [ص: ٨].

ورواه ابن جريرٍ أيضًا، والترمذيُّ، والنَّسائيُّ، وابن أبي حاتمٍ من وجهٍ آخر عن ابن عبَّاسٍ نحوه، وقال الترمذيُّ: «حديثٌ حسنٌ».

وذكره البغويُّ أيضًا وزاد في آخره: «فنفروا من ذلك وقاموا وقالوا أجعل الآلهة إلهًا واحدا، كيف يسع الخلق كلَّهم إلهٌ واحدٌ؟!».

وقال تعالى يذكر تلاوم الكفَّار في عَرَصات القيامة لمَّا رأوا العذاب: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ الصافات: [٢٧ - ٢٩].

إلى قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ

مَجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ٣٣ – ٣٧].

قال ابن أبي حاتم في "تفسيره": حدَّثنا أبي، ثنا أبو سلمة موسىٰ بن إسماعيل التبوذكيُّ، ثنا حمَّاد، عن سعيدٍ الجُريريِّ، عن أبي العلاء قال: «يؤتىٰ باليهود يوم القيامة فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: نعبد الله وعُزيرًا، فيقال لهم: خذوا ذات الشمال، ثُمَّ يؤتىٰ بالنصارىٰ، فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: نعبد الله والمسيح، فيقال لهم: خذوا ذات الشمال، ثُمَّ يؤتىٰ المشركين فيقال لهم: «لا إله إلَّا الله» فيستكبرون، ثُمَّ يقال لهم: «لا إله إلَّا الله» فيستكبرون، ثُمَّ يقال لهم: «لا إله إلَّا الله» فيستكبرون، فيقال لهم: خذوا ذات الشمال، قال أبو نضرة: فينطلقون أسرع من الطير.

قال أبو العلاء: ثُمَّ يؤتىٰ بالمسلمين فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد الله تعالىٰ، فيقال لهم: هل تعرفونه؟ فيقولون: نعم، فيقال لهم: فكيف تعرفونه ولم تروه، فيقولون: نعلم أنَّه لا عَدْل له، قال: فيتعرَّف لهم تبارك وتعالىٰ، ويُنجِّي الله المؤمنين».

فهذه الآيات كلُّها صريحةٌ كما ترىٰ فيمن يتَّخذون إلهًا مع الله ويعبدونه كما يعبدون الله، لا تَقبل في ذلك تأويلًا ولا تحتمل تغييرًا وتبديلًا، فما بال المُتنطِّع يتعامىٰ عنها، ويأبىٰ إلَّا أن يحملها علىٰ المسلمين، ألم يدرِ أنَّ هذا من التحريف في كتاب الله، ألا يخاف أن يكون ممَّن ذمَّهم الله بقوله تعالىٰ: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦]، قاتله الله ما أشدَّ جرأته علىٰ القول في كتاب الله بالجهل والهوىٰ.

ثُمَّ قال المُتنطِّع: «والآية تشمل بعمومها من كانوا يدعون الملائكة» يعني قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ [الإسراء: ٥٦].

ولكنَّا قدَّمنا عن ابن مسعودٍ في "صحيح البخاريِّ" أنَّ الآية نزلت فيمن كانوا يعبدون الجنَّ، وأنَّ الحافظ ابن حجرٍ قال: «إنَّ ذلك هو المعتمد».

وما ورد في سبب نزولها أنَّها نزلت فيمن كانوا يعبدون صنفًا من الملائكة يقال لهم الجن، أو فيمن كانوا يعبدون عيسى والملائكة وعُزيرًا فلم يثبت ذلك.

وقدَّمنا أيضًا عن الطحاويِّ أنَّ ما قاله ابن مسعودٍ في سبب نزول الآية إنَّما قاله عن توقيفٍ، وأنَّه لا يصحُّ خلافه، والآية ليس فيها عمومٌ حتى يقال أنَّها تشمل بعمومها من كانوا يدعون الملائكة، فبطل قول المُتنطِّع جملةً وبالله التوفيق.

ثُمَّ قال المُتنطِّع: «إلا أنَّ كلَّ هذه الفرق كانوا يعتقدون أنَّ الخالق لكلِّ شيءٍ هو الله تعالى، وأنَّ دعاءهم لمن يدعون ليقرِّبوهم إلى الله زلفى كما حكى الله تعالى ذلك عنهم جميعا بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر: ٣]».اهـ

وأقول: لا ندري هل بلغت الغباوة بالمُتنطِّع إلى هذا الحدِّ، أو هو التعصُّب الممقوت والقُحَّة البالغة، أوْدَيا به في هذا الحفرة المهلكة، ولعَمْر الله إنَّه لَمُصابٌ بكلِّ ذلك وبأكثر منه، وإلَّا فالآية كما ترى مُصرِّحة بأنَّ المشركين عبدوا آلهتهم ليقرِّبوهم إلى الله زلفى، ومعنى العبادة معروفٌ في اللغة والشرع لا يحتاج إلى

شرح وبيان، وأين هذا ممن يقول يا ربِّ أسألك بحقِّ فلانٍ، أو بجاه فلانٍ أن تعطيني كذا.

واسمع إلى ما قاله الحافظ ابن كثير في تفسير الآية حتى تزداد يقينًا بجهل المُتنطِّع، فهذه عبارته: «أخبر تعالى عن عباد الأصنام من المشركين أنَّهم يقولون ما نعبدهم إلَّا ليقرِّبونا إلى الله زلفى، أي: إنَّما يحملهم على عبادتهم لهم أنَّهم عمدوا إلى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقرَّبين في زعمهم فعبدوا تلك الصور، تنزيلًا لذلك منزلة عبادتهم الملائكة؛ ليشفعوا لهم عند الله تعالى في نصرهم ورزقهم، وما ينوبهم من أمور الدنيا، فأمَّا المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به.

قال قتادة، والسديُّ، ومالكٌ، عن زيد بن أسلمٍ، وابن زيد ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣] أي: ليشفعوا لنا ويقرِّبونا عنده منزلةً، ولهذا كانوا يقولون في تلبيتهم إذا حجُّوا في جاهليتهم: لبَّيك لا شريك لك إلَّا شريكًا هو لك، تملكه وما مَلَك. وهذه الشبهة هي التي اعتمدها المشركون في قديم الدهر وحديثه وجاءتهم الرسل بردِّها والنهي عنها، والدعوة إلى إفراد العبادة لله وحده لا شريك له، وأنَّ هذا شيءٌ اخترعه المشركون من عند أنفسهم لم يأذن الله فيه ولا رضي به بل أبغضه ونهى عنه ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وأخبر أنَّ الملائكة التي في السماوات من الملائكة المقرَّبين وغيرهم كلَّهم

عبيدٌ خاضعون لله لا يشفعون عنده إلَّا بأذنه لمن ارتضىٰ، وليسوا عنده كالأمراء عند ملوكهم يشفعون عندهم بغير إذنهم فيما أحبَّه الملوك وأَبَوْه، فلا تضربوا لله الأمثال، تعالىٰ الله عن ذلك عُلوًّا كبيرًا».

هذا كلام ابن كثيرٍ وهو ينادي بتجهيل المُتنطِّع في كلِّ ما زوَّره وافتراه وبالله التوفيق.

ثُمَّ قال المُتنطِّع: «ومن هذا يتبيَّن أنَّ قول بعض الناس: إنَّ الآيات نزلت فيمن كانوا يعبدون الأصنام وحدهم قولٌ باطلٌ، فإنَّ القرآن تكلَّم مع كلِّ الفرق كما بينَّا».اهـ

وأقول: قد بينَّا بالقواعد الأصولية، وبما أوردناه من آيات المشركين وتفسيرها أنَّ شيئًا منها -سواءً كانت في عباد الأصنام أو في غيرهم- لا ينطبق علىٰ أهل التوسل وإن رغم أنف المُتنطِّع الجهول، فارجع إلىٰ ذلك وتأمَّله جيدًا ينشرح صدرك، وتنزاح عن قلبك ظلمات الشكِّ ورين الضلال، والله الموفِّق والهادي.

ولنترك الآن مقدِّمة الكتاب بعد أن كشفنا ما فيها من كذبٍ وجهلٍ وتضليلٍ، إلىٰ الباب الأول فماذا نجد فيه؟

الباب الأول

يقول المُتنطِّع: «في أمورٍ عامَّةٍ لا بدَّ من معرفتها».اهـ

وأقول: ليس هناك أمورٌ عامَّةٌ ولا خاصَّةٌ، وإنَّما غرض المُتنطِّع الوحيد أن يذكر عقائد المشركين، وبعض الآيات التي تردُّ عليهم، ويحمل ذلك على المسلمين الذين يسألون الله بجاه فلانٍ أو بحقِّ فلانٍ، هذا كلُّ ما في جُعبته وهو كلُّ بضاعته، شأن هذه الطائفة المتهوِّسة كما قدَّمنا، لا علم عندهم غير هذا النوع من تحريف الآيات إن صحَّ أن يُسمَّى التحريف علمًا.

ثُمَّ قال المُتنطِّع: «السؤال الأول: ما حكم الذاهب إلى القبور لسؤال أصحابها ودعائهم وندائهم وسؤال الله تعالى بهم، والاستغاثة بهم في جلب النفع ودفع الضرر للمستغيث والسائل؟

السؤال الثاني: هل يوجد في كتاب الله، أو سنَّة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، أو عمل أصحابه، أو الذين اتبعوهم بإحسانٍ، أو عمل أو قول الأئمة المجتهدين، أنَّ الأمور المذكورة في السؤال الأول يجوز فعلها لأحدٍ من الناس؟».اهـ

وأقول: في كلامه أمورٌ:

الأول: تعريف السؤال الأول والثاني والمقام يقتضي تنكيرهما، وهذا دليلٌ ثانٍ على أنَّ المُتنطِّع لم يعرف علم المعاني، فهو يُعرِّف في مقام التنكير كما هنا، ويُنكِّر في مقام التعريف كما سبق في مقدِّمة ويأتي في خاتمة.

فإن ادَّعى أنَّ تعريف السؤالين للعهدية.

قلنا: أيُّ عهديةٍ تعني؟ عهدية الذهن، أو عهدية الخارج؟ وظاهرٌ أنَّ عهدية الذهن لا تصلح هنا البتَّة، فلم يبقَ إلَّا عهدية الخارج وهي باطلةٌ؛ لأنَّه لم يتقدَّم ذكر للسؤالين صريحًا ولا كنايةً.

فإن ادَّعى أنَّه سبق لهما ذكرٌ ضمنيٌّ في أمورٍ عامَّةٍ.

قلنا: هذا على ما فيه يلزم منه:

وهو **الأمر الثاني**: أن يكون السؤالان من الأمور العامَّة المذكورة تمهيدًا للبحث، وإذا كان كذلك فليقل لنا أين موضوع البحث الذي أُلِّف من أجله هذا الكتاب الذي فضح به نفسه؟

الأمر الثالث: ذِكْر السؤال الثاني تكرارٌ وتطويلٌ وتسويدٌ للورق بدون فائدة، فإنَّ السؤال الأول يكفي عنه إذ لا معنى لقوله فيه: «ما حكم الذاهب إلى القبور... إلخ»، إلَّا أنَّه هل يوجد في كتاب الله أو سنة رسوله ما يُجوِّز ذلك؟ لأنَّ المسئول عنه في السؤال الأول هو الحكم الشرعيُّ وهو لا يثبت إلَّا بدليلٍ شرعيٍّ، فظهر أن لا فائدة للسؤال الثاني إلَّا التكرار الممل، وقد يكون له فائدةٌ عند المُتنطِّع وهو تكبير الكتاب وإيهام أنَّه مليءٌ علمًا وتحقيقًا، لكن هذا الإيهام لا يستسيغه إلَّا ضعفاء العقول أمثاله.

الأمر الرابع: قوله في السؤال الثاني: «أو عمل أصحابه أو الذين اتبعوهم بإحسانٍ، أو عمل أو قول الأئمة المجتهدين»، هذا تهويلٌ فارغٌ، وتمويهٌ على البسطاء لينحازوا إليه؛ ذلك لأنَّ المدار في ثبوت الحكم كما قلنا -وهو مقررٌ في علم الأصول- على وجود الدليل، فحيث وُجِد ثبت الحكم سواءٌ عمل به كلُّ الصحابة أو بعضهم، وسواءٌ عمل به الأئمة المجتهدون أو لا، ولم نرَ أحدًا من

العلماء اشترط في الدليل أن يعمل به الصحابة والذين اتبعوهم بإحسانٍ والأئمة المجتهدون، بل صرَّحوا بأنَّ الدليل متىٰ استوفىٰ الشروط المقرَّرة لقبوله وجب الأخذ به وهذا -مع كونه قول العلماء- هو الذي يقضي به العقل، إذ ليس أحدٌ مهما عظم قدره حجَّةً علىٰ الشرع.

ولكنَّ المُتنطِّع من تلك الطائفة المتهوِّسة ودأبها -كما قلنا- أن تختلق ألوانًا من الاستدلال تُخالف المعقول والمنقول كما وقع هنا، فإنَّ غرضه من ذكر الصحابة والذين اتبعوهم بإحسانٍ والأئمة المجتهدين فتح باب الهرب لنفسه، حتىٰ إذا صدمه أحدٌ بالأحاديث التي تدلُّ علىٰ جواز التوسل أمكنه أن يهرب منها بأنَّ الصحابة ومن ذكر معهم لم يفعلوا ذلك، ولو أنَّ أحدًا أتاه بعمل الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين لقال بكل وقاحة: عملهم ليس بحجَّةٍ ونحن لا نتبع إلَّا ما جاء في الكتاب والسنة.

هذا حال المُتنطِّع وأشكاله؛ يقولون في دين الله بالتشهِّي والغرض ليس عندهم ورعٌ يَزِعُهم، ولا في قلوبهم خوفٌ من الله يردعهم، وأيُّ خيرٍ يُرجىٰ بل أيُّ دينٍ يبقىٰ لمن ذهب عنه الورع وفارقته خشية الله؟!

وإذ قد أتينا علىٰ ما في كلام المُتنطِّع من خَبْطٍ وجهلٍ، فلنذكر جواب سؤاله بما يكشف عن وجه الصواب القِناع، مُكتفين في ذلك بكلام ابن تيمية فهو خير ما يُردُّ به عليه؛ لأنَّ ابن تيمية هو ركن هذه الطائفة الرَّكين، إليه يستندون، وعلىٰ قوله يعتمدون، فقد جاء في "مجموعة الرسائل الكبرىٰ" ما نصُّه:

«سُئل شيخ الإسلام تقيُّ الدين بن تيمية رضي الله عنه، ما تقول السادة العلماء أئمَّة الدين وفقَّهم الله لطاعته فيمن يقول: لا يُستغاث برسول الله صلَّىٰ الله

عليه وآله وسلَّم، هل يحرم عليه هذا القول؟ وهل هو كفرٌ أولا؟ وإن استدلَّ بآيات من كتاب الله أو أحاديث رسوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم هل ينفعه دليله أو لا؟ وإذا قام الدليل من الكتاب والسنَّة فما يجب علىٰ من يُخالف ذلك؟ أفتونا مأجورين.

الجواب: الحمد لله ثبت بالسنَّة المستفيضة بل المتواترة، واتفاق الأئمة أنَّ نبيَّنا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم الشافع المشفَّع، وأنَّه يشفع في الخلائق يوم القيامة، وأنَّ الناس يستشفعون به يطلبون منه أن يشفع لهم إلىٰ ربِّهم، وأنَّه يشفع لهم، ثُمَّ اتفق أهل السنَّة والجماعة أنَّه يشفع في أهل الكبائر، وأنَّه لا يُخلَّد في النَّار من أهل التوحيد أحدٌ، وأمَّا الخوارج والمعتزلة فأنكروا شفاعته لأهل الكبائر، ولم ينكروا شفاعته للمؤمنين، وهؤلاء مبتدعةٌ ضُلَّالٌ وفي تكفيرهم نزاعٌ وتفصيلٌ، وأمَّا ما أنكر ما ثبت بالتواتر والإجماع فهو كافرٌ بعد قيام الحجَّة، وسواء سمَّىٰ هذا المعنىٰ استغاثةً أو لم يسمِّه، وأمَّا من أقرَّ بشفاعته وأنكر ما كان الصحابة يفعلونه من التوسل به والاستشفاع به، كما رواه البخاريُّ في "صحيحه" عن أنسٍ أنَّ عمر بن الخطاب كان إذا قَحطوا استسقىٰ بالعباس بن عبدالمطلب، وقال: «اللهمَّ إنَّا كنَّا نتوسَّل إليك بنبيِّنا فتسقينا، وإنَّا نتوسَّل إليك بعمِّ نبيِّنا فاسقنا»، فيُسقون.

وفي "سنن أبي داود" وغيره أنَّ أعرابيًّا قال للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم جَهِدَتِ الأنفسُ، وجاع العِيال، وهَلَكَ المال؛ فادعُ الله لنا فإنَّا نستشفع بك علىٰ الله ونستشفع بالله عليك، فسبَّحَ رسولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حتَّىٰ عرف ذلك في وجوه أصحابه وقال: «**وَيْحَكَ إنَّهُ لا يُسْتَشْفَعُ بالله على أَحَدٍ مِن خَلْقِهِ؛**

شَأْنُ الله أَعْظَمُ مِن ذلك...» وذكر تمام الحديث، فأنكر قوله نستشفع بالله عليك ولم ينكر قوله نستشفع بك على الله بل أقرَّه عليه، فعُلم جوازه. فمن أنكر هذا فهو ضالٌّ مُخطئٌ مُبتدعٌ، وفي تكفيره نزاعٌ وتفصيلٌ، وأمَّا من أقرَّ بما ثبت بالكتاب والسنَّة والإجماع من شفاعته والتوسل به ونحو ذلك، ولكن قال لا يُدعى إلَّا الله، وأنَّ الأمور التي لا يقدر عليها إلَّا الله فلا تطلب إلَّا منه، مثل غُفران الذنوب، وهداية القلوب، وإنزال المطر، وإنبات النبات ونحو ذلك، فهذا مصيبٌ في ذلك، بل هذا ممَّا لا نزاع فيه بين المسلمين أيضًا كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، وقال: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص:٥٦]، وكما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٣]، وكما قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٢٦]وقال: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

فالمعاني الثابتة بالكتاب والسنَّة يجب إثباتها، والمعاني المنفية بالكتاب والسنة يجب نفيها.

والعبارة الدالة على المعاني إثباتًا ونفيًا إن وُجِدت في كلام الله ورسوله وجب إقرارها، وإن وُجِدت في كلام أحدٍ وظهر مراده من ذلك رتب عليه حكمه وإلَّا رُجع فيه إليه، وقد يكون في كلام الله ورسوله عبارةٌ لها معنى

صحيح لكن بعض الناس يفهم من تلك غير مراد الله ورسوله، فهذا يُردُّ عليه فهمه، كما روى الطبراني في "معجمه الكبير" أنَّه كان في زمن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم منافقٌ يؤذي المؤمنين فقال أبو بكرٍ الصديق: قوموا بنا نستغيث برسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من هذا المنافق، فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّه لا يُستغاثُ بي وإنَّما يُستغاثُ بالله**».

فهذا إنَّما أراد به النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم المعنى الثاني، وهو أن يُطلب منه ما لا يَقدر عليه إلَّا الله، وإلَّا فالصحابة كانوا يطلبون منه الدعاء ويستسقون به، كما في "صحيح البخاريِّ" عن ابن عمر قال: ربَّما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر إلى وجه النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يَستسقي، فما ينزل حتى يَجِيش له مِيزابٌ:

وأبيضَ يُسْتَسْقَى الغَمامُ بوَجْهِهِ ثِمالُ اليَتامَى عِصْمَةٌ للأَرَامِلِ

وهو قول أبي طالبٍ، ولهذا قال العلماء المصنِّفون في أسماء الله تعالى يجب على كلِّ مكلَّفٍ أن يعلم أن لا غِياث ولا مُغيث على الإطلاق إلَّا الله، وأنَّ كلَّ غوثٍ فمن عنده، وإن كان جعل ذلك على يدي غيره فالحقيقة له سبحانه وتعالى، ولغيره مجاز».

ثُمَّ استمرَّ في تقرير هذا المعنى إلى أن قال:

«والاستغاثة بمعنى أن يُطلب من الرسول ما هو اللائق بمنصبه لا يُنازع فيها مسلمٌ، ومن نازع في هذا المعنى فهو إمَّا كافرٌ -إن أنكر ما يكفر به- وإمَّا مُخطئٌ ضالٌّ، وأمَّا بالمعنى الذي نفاه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فهو أيضًا ممَّا يجب نفيها، ومن أثبت لغير الله ما لا يكون إلَّا لله فهو أيضًا كافرٌ إذا

قامت عليه الحجَّة التي يكفر تاركها.

ومن هذا الباب قول أبي يزيد البِسْطاميِّ: «استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة الغريق بالغريق»، وقول الشَّيخ أبي عبدالله القرشيِّ المشهور بالديار المصرية: «استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجون بالمسجون»، وفي دعاء موسىٰ عليه السَّلام: «اللهم لك الحمد، وإليك المُشتكىٰ، وأنت المُستعان، وبك المُستغاث، وعليك التُّكْلان، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بك».

ولما كان هذا المعنىٰ هو المفهوم منها عند الإطلاق، وكان مُختصًّا بالله صحَّ إطلاق نفيه عمَّن سِواه، ولهذا لا يُعرف عن أحدٍ من أئمَّة المسلمين أنَّه جوَّز مُطلق الاستغاثة بغير الله، ولا أنكر علىٰ من نفىٰ مطلق الاستغاثة عن غير الله، وكذلك الاستعانة أيضًا فيها ما لا يصلح إلَّا لله، وهي المُشار إليها بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

فإنَّه لا يُعين علىٰ العبادة الإعانة المطلقة إلَّا الله، وقد يُستعان بالمخلوق فيما يَقدر عليه، وكذلك الاستنصار، قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾ [الأنفال: ٧٢].

والنصر المطلق هو خلق ما يُغلب به العدو، ولا يقدر عليه إلَّا الله، ومن خالف ما ثبت بالكتاب والسنة فإنَّه يكون إمَّا كافرًا، وإمَّا فاسقًا، وإمَّا عاصيًا، إلَّا أن يكون مؤمنًا مجتهدًا مخطئًا، فيُثاب علىٰ اجتهاده ويُغفر له خطأه».اهـ كلامه.

فأفاد أنَّ الاستغاثة بمعنىٰ طلب الشفاعة ونحوها ممَّا هو اللائق بالنبيِّ

صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لا يُنازِع فيها مسلمٌ، ولعَمْر الله إنَّ هذا هو المعنى الذي يقصده من يستغيث بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، أو بغيره من الأولياء، ولا يوجد في المسلمين من يعتقد أنَّ أحدًا من الأنبياء أو الأولياء يقدر على الإغاثة المطلقة، وهي خلق ما به الغوث والنجاة، بل كلهم يعتقدون أنَّها خاصَّةٌ بالله سبحانه وتعالى لا يشاركه فيها أحدٌ، سواءٌ في هذا الاعتقاد عالمهم وجاهلهم، كبيرهم وصغيرهم، تقيُّهم وفاجرهم، فأيُّ أحدٍ منهم خاطبته في هذا تجده لا يتزحزح عن هذا الاعتقاد ولا يشكُّ فيه، فلا معنى لإكفارهم في إطلاق لفظٍ يريدون به معنًى مجمعًا على صحَّته وجوازه.

وقول ابن تيمية في آخر فتواه: «ولمَّا كان هذا المعنى هو المفهوم منها عند الإطلاق، وكان مختصًّا بالله، صحَّ إطلاق نفيه عمَّن سِواه ولهذا لا يعرف عن أحدٍ من أئمَّة المسلمين جَوَّز الاستغاثة بغير الله». مُغالطةٌ ظاهرةٌ؛ فإنَّه أثبت أولًا أنَّ الاستغاثة بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لها معنى صحيحٌ لا يُنازع فيه مسلمٌ. وإذ ذلك كذلك فكيف يقول: «ولهذا لا يُعرف عن أحدٍ من أئمَّة المسلمين جَوَّز الاستغاثة بغير الله».

وأي معنى يريد بالاستغاثة التي لم يجوِّزها أحدٌ من أئمَّة المسلمين؟ إن أراد المعنى المختص بالله فهذا لا يجوِّزه مطلق المسلمين فضلًا عن أئمَّتهم.

وإن أراد المعنى اللائق بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقد قدَّم أنَّه لا يُنازع فيه مسلمٌ، فكيف يقول ثانيًا لم يجوِّزه أحدٌ من أئمَّة المسلمين؟! ما هذه إلَّا مغالطةٌ.

وإن أراد أنَّهم لم يجوِّزا لفظ الاستغاثة فهذا لا معنىٰ له إذ حيث ثبت أنَّ لها معنًىٰ صحيحًا فالعبرة به لا باللفظ.

وقد ذكر في أول فتواه أنَّ الشفاعة ثابتةٌ بالأحاديث المتواترة والإجماع، وأنَّ من أنكرها يكون كافرًا بعد قيام الحجَّة، قال: وسواء سمَّىٰ هذا المعنىٰ استغاثة أو لم يسمِّه فأفاد أنَّ العبرة بالمعاني لا بالألفاظ وهو كذلك، إلَّا أن يَرِد عن الشارع المنع من إطلاق لفظٍ فيُتَّبع أمر الشارع ويوقف عند نهيه.

لا يقال: فقد جاء النهي عن إطلاق لفظ الاستغاثة في حديث الطبراني المذكور؛ فإنَّ فيه قول النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّه لا يُستغاث بي وإنَّما يُستغاث بالله**».

لأنَّا نقول: قد أجاب عنه ابن تيمية بما تقدَّم في كلامه وهو: أنَّه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أراد المعنىٰ الثاني، وهو أن يُطلب منه ما لا يَقدر عليه إلَّا الله، وهذا الجواب متعيِّنٌ.

علىٰ أنَّ الحديث ليس بصحيحٍ؛ لأنَّ الطبراني رواه من طريق ابن لَهِيعة حيث قال في "معجمه الكبير": حدَّثنا أحمد بن حمَّاد بن زغبة المصريُّ، ثنا سعيد بن عفيرٍ، ثنا ابن لَهِيعة، عن الحارث بن يزيد، عن عليِّ بن رباحٍ، عن عبادة قال: «كان في زمن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم منافقٌ يؤذي المؤمنين...» وذكر الحديث كما تقدَّم، وابن لهيعة مُتكلَّمٌ فيه كما هو معروفٌ في كتب الرجال، وقد وصفه ابن حِبَّان بالتدليس وحديثه هذا معنعن، فمن يدرينا لعلَّه دلَّسه، وعلىٰ فرض صحَّته فقد عرفت الجواب عنه.

وكذلك قول ابن تيمية: «ولمَّا كان هذا المعنىٰ هو المفهوم منها عند الإطلاق وكان مختصًّا بالله صحَّ إطلاق نفيه عمَّن سِواه»، فيه مغالطةٌ أيضًا.

لأنَّه وإن كان المفهوم من الاستغاثة عند الإطلاق هو المعنىٰ المختص بالله فهذا لا يستلزم أن يفهم منها ذلك المعنىٰ عند التقييد، بل لكلٍّ من الإطلاق والتقييد معنىٰ يختصُّ به لا يوجد في غيره، والقائل: يا رسول الله أغثني، أو: أستغيث برسول الله. لا يريد بذلك ولا يفهم منه إلَّا الإغاثة اللائقة به صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وهي الشفاعة والاستغفار ونحوهما ممَّا هو ثابتٌ بالتواتر والإجماع، ولا يُنازع فيه مسلمٌ، فكيف يصحُّ إطلاق نفي هذا المعنىٰ وهو صحيحٌ جائزٌ شرعًا وعقلًا؟!.

وقد روىٰ البزَّار بإسنادٍ رجاله ثقاتٌ كما قال الحافظ الهيثميُّ عن ابن عبَّاسٍ أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ لله مَلائكةً في الأرضِ سِوَى الحَفَظَةِ، يَكْتُبون ما يَسْقُطُ مِن وَرَقِ الشَّجَرِ، فإذا أصابَ أَحَدَكُمْ عَرْجَةٌ بأرضٍ فَلَاةٍ، فليناد: أَعْينُوا عِبادَ الله**».

وروىٰ الطبرانيُّ عن عتبة بن غزوان، عن نبيِّ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إذا أضلَّ أحَدُكُمْ شيئًا أو أراد عَوْنًا وهو بأرضٍ ليس بها أنيسٌ، فليقُل: يا عبادَ الله أَعينوني**». وفي لفظٍ: «**أَغيثوني فإنَّ لله عِبادًا لا نراهم**». وقد جُرِّب ذلك.

قال الحافظ الهيثميُّ: «رجاله وثِّقوا علىٰ ضعفٍ في بعضهم، إلَّا أنَّ يزيد بن عليٍّ لم يُدرك عتبة».

وروىٰ أبو يعلىٰ، والطبرانيُّ عن عبدالله بن مسعودٍ قال: قال رسول الله

صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا انْفَلَتَتْ دابَّةُ أَحَدِكُمْ بأرضٍ فَلَاةٍ فليناد: يا عبادَ الله احْبِسُوا، يا عبادَ الله احْبِسُوا؛ فإنَّ لله حاضِرًا في الأرض سَيَحْبِسُهُ عليكم**»، وإسناده ضعيفٌ.

ففي هذا الأحاديث جواز استغاثة المَخْلُوق والاستعانة به، وذلك لا يكون بالضرورة إلَّا فيما يقدر عليه ويليق به، أمَّا الإغاثة المُطلَقة والإعانة المُطلَقة فهما مُختصَّان بالله تعالى لا يُطلبان إلَّا منه وهذا معلومٌ من الدِّين بالضرورة.

وقال النوويُّ في "الأذكار": روينا في كتاب ابن السُّنِّيِّ عن عبدالله بن مسعودٍ، عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إذا انْفَلَتَتْ دَابَّةُ أَحَدِكُمْ بأرضٍ فَلَاةٍ، فليُنادِ: يا عبادَ الله احْبِسُوا، يا عبادَ الله احْبِسُوا؛ فإنَّ لله عزَّ وجلَّ حاضِرًا سَيَحْبِسُهُ**».

قلت: حكى لي بعض شيوخنا الكِبار في العِلْم أنَّه انفلتت له دابَّةٌ أظنُّها بغلةً، وكان يعرف هذا الحديث، فقاله فحبسها الله عليهم في الحال.

وكنتُ أنا مرَّةً مع جماعةٍ فانفلتت مِنَّا بهيمةٌ وعجزوا عنها فقلته فوقفت في الحال بغير سبب سوى هذا الكلام».اهـ

و المراد ببعض شيوخه الكبار أبو محمد بن أبي اليسر، نقل عنه ذلك في "شرح المهذَّب"، والمقصود التنبيه على أنَّه لا يصحُّ إطلاق نفي الاستغاثة بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مع صحَّة معناها، باعتبار أنَّ لها معنًى آخر مختصًّا بالله تعالى إلَّا إن وَرَد عن الشارع المنع من الإطلاق، وهو مفقودٌ هنا، كيف وقد أَذِن فيه كما في هذه الأحاديث وأولها إسناده جيِّدٌ.

وسُئل ابن تيمية أيضًا عمَّن يزور القبور، ويستنجد بالمقبور في مرض به أو بفرسه أو بغيره، أو يطلب إزالة المرض الذي بهم ونحو ذلك؟

فأجاب: «الحمد لله ربِّ العالمين، الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه هو عبادة الله وحده لا شريك له، واستعانته والتوكل عليه، ودعاؤه لجلب المنافع ودفع المضارِّ...»، ثُمَّ اندفع في تقرير هذا المعنىٰ والاستدلال عليه ثُمَّ قال:

«وأمَّا من يأتي إلىٰ قبر نبيٍّ أو صالحٍ أو من يعتقد فيه أنَّه قبر نبيٍّ أو صالحٍ وليس كذلك ويسأله ويستنجده فهذا علىٰ ثلاث درجاتٍ:

إحداها: أن يسأله حاجته، مثل أن يسأله أن يزيل مرضه أو مرض دوابِّه، أو يقضي دينه، أو ينتقم له من عدوِّه، أو يُعافي نفسه وأهله ودوابَّه ونحو ذلك، ممَّا لا يقدر عليه إلَّا الله عزَّ وجلَّ، فهذا شركٌ صحيحٌ يجب أن يُستتاب صاحبه، فإن تاب وإلَّا قُتل.

وإن قال: أنا أسأله لكونه أقرب إلىٰ الله منِّي، ليشفع لي في هذه الأمور؛ لأنِّي أتوسل إلىٰ الله به كما يُتوسَّل إلىٰ السلطان بخواصِّه وأعوانه، فهذا من أفعال المشركين والنصارىٰ، فإنَّهم يزعمون أنَّهم يتَّخذون أحبارهم ورهبانهم شفعاء يستشفعون بهم في مطالبهم وأطال في ذلك.

ثُمَّ قال: وإن قلت: هذا إذا دعا الله أجاب دعاءه أعظم ممَّا يُجيبه إذا دعوته فهذا هو القسم الثاني، وهو أن لا تطلب منه الفعل ولا تدعوه ولكن تطلب أن يدعو لك كما تقول للحيِّ ادعُ لي، وكما كان الصحابة رضوان الله عليهم يطلبون من النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم الدعاء فهذا مشروعٌ في الحيِّ كما تقدَّم، وأمَّا الميت من الأنبياء والصالحين وغيرهم فلم يشرع لنا أن نقول ادعُ

لنا، ولا اسأل لنا ربَّك ولم يفعل هذا أحدٌ من الصحابة والتابعين، ولا أمر به أحدٌ من الأئمة، ولا ورد فيه حديثٌ، بل الذي ثبت في الصحيح أنَّهم لما أجدبوا زمن عمر رضي الله عنه استسقىٰ بالعباس وقال: «اللهم إنَّا كنا إذا أجدبنا نتوسَّل إليك بنبيِّنا فتسقينا، وإنَّا نتوسَّل إليك بعمِّ نبيِّنا فاسقنا فيُسقون»، ولم يجيئوا إلىٰ قبر النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قائلين: يا رسول الله ادعُ لنا واستسقِ لنا، ونحن نشتكي إليك ممَّا أصابنا ونحو ذلك، لم يفعل ذلك أحدٌ من الصحابة قط، بل هو بدعةٌ ما أنزل الله بها من سلطانٍ...»، وأطال في هذا أيضًا ثُمَّ قال:

«وأما القسم الثالث: وهو أن يقول اللهم بجاه فلانٍ عندك، أو ببركة فلانٍ، أو بحرمة فلانٍ عندك افعل بي كذا وكذا، فهذا يفعله كثيرٌ من الناس لكن لم يُنقل عن أحدٍ من الصحابة والتابعين وسلف الأمَّة، أنَّهم كانوا يدعون بمثل هذا الدعاء، ولم يبلغني عن أحدٍ من العلماء في ذلك ما أحكيه، إلَّا ما رأيت في فتاوىٰ الفقيه أبي محمَّد بن عبدالسلام، فإنَّه أفتىٰ أنَّه لا يجوز لأحدٍ أن يفعل ذلك إلَّا للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إن صح الحديث في النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

ومعنىٰ الاستثناء قد روىٰ النَّسائيُّ والترمذيُّ وغيرهما أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علَّم بعض أصحابه أن يدعو فيقول: «**اللهمَّ إنِّي أسألكُ وأتوسَّلُ إليك بنبيِّك نبيِّ الرحمة، يا محمَّدُ يا رسول الله، إنِّي أتوسَّل بك إلى ربِّي في حاجتي ليَقْضِيَها لي، اللهمَّ فشَفِّعْهُ فيَّ**».

فإنَّ هذا الحديث قد استدلَّ به طائفةٌ علىٰ جواز التوسُّل بالنبيِّ صلَّىٰ الله

عليه وآله وسلَّم في حياته وبعد مماته، قالوا وليس في التوسُّل دعاء المخلوقين ولا استغاثة بالمخلوق لكن فيه سؤالٌ بجاهه، كما في "سنن ابن ماجه" عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنَّه ذكر في دعاء الخارج للصلاة أن يقول: «**اللهمَّ إنِّي أسألك بحقِّ السَّائلين عليك، وبحَقِّ مَمْشاي هذا، فإنِّي لم أخرج أَشَرًا ولا بَطَرًا ولا رِياءً ولا سُمْعةً، خرجتُ اتِّقاء سُخْطِك وابتغاءَ مَرْضَاتِكَ، أسألكُ أن تُنقِذَني مِن النَّارِ، وأن تَغْفِرَ لي ذُنوبي، فإنَّه لا يَغْفِرُ الذُّنوبَ إلَّا أنتَ**».

قالوا: ففي هذا الحديث أنَّه سأل بحقِّ السائلين عليه، وبحقِّ مَمْشاه إلى الصَّلاة، والله تعالى قد جعل على نفسه حَقًّا قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[الروم:٤٧]، ونحو قوله: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا﴾[الفرقان:١٦].

وفي الصحيح عن معاذ بن جبلٍ أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال له: «**يا معاذُ، أتدري ما حَقُّ الله على العِبادِ؟**»، قال: الله ورسوله أعلم، قال: «**حَقُّ الله على العِبادِ أن يَعْبُدُوه ولا يُشْرِكُوا به شيئًا، أتدري ما حقُّ العِبادِ على الله إذا فعلوا ذلك؟ فإنَّ حَقَّهُمْ عليه أن لا يُعَذِّبَهُمْ**».

وقد جاء في غير حديثٍ كان حقًّا على الله كذا وكذا كقوله:

«**ومَن شَرِبَ الخَمْرَ لم تُقْبَلْ له صَلَاةٌ أربعين يومًا، فإن تابَ تابَ اللهُ عليه، فإن عادَ فشَرِبَها في الثالثة أو الرابعة كان حَقًّا على الله أن يَسْقِيَهُ مِن طِينةِ الخَبالِ**»، قيل: وما طِينةُ الخبال؟ قال: «**عُصَارَةُ أهلِ النَّارِ**».

وقالت طائفةٌ: ليس في هذا جواز التوسل به في مغيبه وبعد مماته، بل إنما فيه التوسل في حياته بحضوره كما في "صحيح البخاريِّ" أنَّ عمر بن الخطاب

استسقىٰ بالعباس».اهـ وذكر الحديث وآثارًا في هذا المعنىٰ وأطال.

هذا ملخَّص كلامه في الأقسام الثلاثة بعد حذف كثيرٍ من التكرار والحشو اللذين يأتي بهما في أغلب مؤلفاته.

وعليه في بعضه مؤاخذات:

الأولى: قوله: «وأمَّا الميت من الأنبياء والصالحين فلم يشرع لنا أن نقول ادعُ لنا، ولا اسأل لنا ربك».

هذه دعوىٰ باطلةٌ بل شُرع لنا ذلك بالنسبة إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤].

فهذه الآية عامَّةٌ تشمل حالة الحياة وحالة الوفاة، وتخصيصها بأحدهما يحتاج إلىٰ دليلٍ وهو مفقودٌ هنا.

فإن قيل: من أين أتىٰ العموم للآية حتىٰ يكون تخصيصها بحالة الحياة دعوىٰ تحتاج إلىٰ دليلٍ؟

قلنا: من وقوع الفعل في سياق الشرط، والقاعدة المقرَّرة في الأصول: «أنَّ الفعل إذا وقع في سياق الشرط كان عامًّا»؛ لأنَّ الفعل في معنىٰ النكرة لتضمُّنه مصدرًا مُنكَّرا، والنكرة الواقعة في سياق النَّفي أو الشرط تكون للعموم وضعًا.

وقد ذكر ابن كثيرٍ وغيره في تفسير هذه الآية حكاية الأعرابيِّ المشهورة، وقد أخرجها البيهقيُّ في "الشعب"، وابن الجوزيِّ في "مثير الغرام الساكن"،

وابن عساكر في "التاريخ": عن محمَّد بن حربٍ الهلاليِّ قال: دخلت المدينة فأتيت قبر النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فزرته وجلست بحذائه فجاء أعرابيٌّ فزاره ثُمَّ قال: ياخير الرسل إنَّ الله أنزل عليك كتابًا صادقا قال فيه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾. وإنِّي جئتك مستغفرًا ربَّك من ذنوبي مستشفعًا فيها بك. وفي رواية: وقد جئتك مستغفرًا من ذنبي مستشفعًا بك إلىٰ ربِّي.

ثُمَّ بكىٰ وأنشد يقول:

يا خيرَ مَنْ دُفِنَتْ بالقَاعِ أَعْظُمُهُ فطَابَ مِن طِيبِهِنَّ القَاعُ والأَكَمُ
نَفْسِي الفِداءُ لقبرٍ أنتَ سَاكِنُهُ فيه العَفَافُ وفيه الجُودُ والكَرَمُ

ثُمَّ استغفر وانصرف. فرقدت فرأيت النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في نومي وهو يقول: «**اِلحق الرجل وبشِّره أنَّ الله قد غفر له بشفاعتي**»، فاستيقظتُ فخرجتُ أطلبه فلم أَجِدْه.

قال الحافظ ابن عبدالهادي المقدسيُّ: «هذه الحكاية بعضهم يرويها عن العُتْبي بلا إسنادٍ، وبعضهم يرويها عن محمَّد بن حربٍ الهلاليِّ، وبعضهم يرويها عن محمَّد بن حربٍ، عن أبي الحسن الزعفرانيِّ، عن الأعرابيِّ.

وقد ذكرها البيهقيُّ في كتاب "شعب الإيمان" بإسنادٍ مُظلمٍ عن محمَّد بن رَوْح بن يزيد البصريِّ، حدَّثني أبو حرب الهلاليُّ قال: حجَّ أعرابيٌّ فلمَّا جاء إلىٰ باب مسجد رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أناخ راحلته فعقلها، ثُمَّ دخل المسجد حتىٰ أتىٰ القبر ثُمَّ ذكر نحو ما تقدَّم».اهـ

قلت: فغاية ما ذكره يقتضي أن تكون الحكاية ضعيفةً، إذ لم يذكر في رواتها من هو كذَّاب أو مُتَّهم بالكذب، لا سيِّما وقد ذكرها الحافظ ابن كثيرٍ ولم يتعقَّبها، وكذلك أخرجها البيهقيُّ كما تقدَّم، وذكرها أيضًا الحافظ السخاويُّ في "القول البديع".

على أنَّنا لم نذكرها استدلالًا واحتجاجًا[1] وإنما ذكرناها استئناسًا وإيضاحًا لما قدَّمناه من أنَّ الآية تفيد العموم حيث إنَّ الأعرابيَّ -وهو عربيٌّ- فهم منها ذلك مع إخبار النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في الرؤيا بأنَّ الله غفر له بشفاعته فيه.

ثُمَّ وجدت لهذه القصة شاهدًا، قال ابن السمعانيِّ في "الدلائل": أخبرنا أبو بكر هبة الله ابن الفرج، أنا أبو القاسم يوسف بن محمَّد بن يوسف الخطيب، أنا أبو القاسم عبدالرحمن بن عمر بن تميم المؤدِّب، حدَّثنا عليُّ بن إبراهيم بن عِلَّان، أنا عليُّ بن محمَّد بن عليٍّ، ثنا أحمد ابن الهيثم الطائيُّ، حدَّثني أبي، عن أبيه، عن سلمة بن كهيل، عن أبي صادق، عن عليِّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه قال: «قَدِم أعرابيٌّ بعدما دفنَّا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فرمى بنفسه على قبر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وحثا من ترابه على رأسه وقال: يا رسول الله قلتَ فسمعنا قولك، ووعيتَ عن الله فأوعينا عنك وكان فيما أنزل الله عليك: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾، وقد ظلمتُ نفسي وجئتك تستغفر

(١) لأنَّنا لا نستدلُّ بالحكاية ولا نحتجُّ بها.

لي، فنُودي من القبر أنَّه قد غُفر لك».اهـ

نقله الحافظ السيوطيُّ في "تنوير الحلك"، وقد أشار ابن عبدالهادي في "الصارم المنكي" إلى هذا الأثر وقال: «وضع إسناده بعض الكذَّابين» ولم يبين ذلك بدليلٍ، وابن عبد الهادي -مع حفظه- متعنِّتٌ في التعصَّب لرأيه.

فإن قيل: طلب الدعاء والشفاعة من الحيِّ معقولٌ؛ لأنَّ الحيَّ يدعو ويشفع كما كان الصحابة في عهد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يسألونه الدعاء فيدعو لهم، ويطلبون الاستغفار فيستغفر لهم، أمَّا الميت فكيف يُعقل منه الدعاء والاستغفار حتى يُقال بجواز طلبهما منه، بل هو مشغولٌ بما هنالك عمَّا هنا، لا يدري ماذا يجري في هذه الدار من منافعٍ ومضارٍّ، فعدم جواز طلب الدعاء ونحوه من الميت لعدم أهليته لذلك؛ ولهذا وجب تخصيص الآية السابقة بحالة الحياة للقطع بأنَّ النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى لم يبقَ له تعلُّقٌ بهذه الدار ولا بما فيها؟

فالجواب: أنَّ الأمر ليس على ما توهَّمه هذا القائل، وادِّعاؤه القطع بانقطاع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن أمَّته بعد وفاته ممنوعٌ.

فقد ثبت بالتواتر والإجماع كما سيأتي أنَّ الأنبياء أحياء في قبورهم، وثبت أنَّ نبينا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يستغفر لسيِّئات أعمالنا كما في حديث عرض الأعمال الآتي، وهو حديثٌ صحيحٌ.

ووقعت حادثةٌ تشهد بصحَّة ذلك ذكرها المقريزي في كتاب "إغاثة الأمة بكشف الغمة" فقال ما نصُّه: «وقع في آخر هذا الغلاء أعجوبةٌ في غاية الغرابة لم يُسمع بمثلها، وهي أنَّ رجلًا من أهل الفلح بجبة عسال -إحدى قرى

دمشق- خرج بثورٍ له ليَرِدَ الماء، فإذا عِدَّةٌ من الفلَّاحين قد وردوا الماء فأورد الثور حتى إذا اكتفى نطق بلسانٍ فصيحٍ أسمع من بالمورد وقال: الحمد لله والشكر له، إنَّ الله تعالى وعد هذه الأمَّة سبع سنين مُجدِبة فشفع لهم النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وأنَّ الرسول أمره أنَّ يبلِّغ ذلك، وأنَّه قال: يا رسول الله فما علامة صِدقي عندهم، قال: أن تموت بعد تبليغ الرسالة، وأنَّه بعد فراغ كلامه صعد إلى مكانٍ مرتفعٍ، وسقط منه ومات، فتسامع به أهل القرية، وجاءوا من كلِّ حَدَبٍ يَنسلون، فأخذوا شعره وعظامه للتبرُّك، فكانوا إذا بخَّروا به مَوعوكًا برئ، وعُمِل بذلك محضرٌ مثبوتٌ على قاضي البلد، وحُمل إلى السلطان بمصر فوقف عليه الأمراء واشتهر بين الناس خبره وشاع ذكره».اهـ

وذكرها أيضًا في كتاب "السلوك لمعرفة دول الملوك"، فهذه معجزةٌ عظيمةٌ شاهدةٌ بأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يعلم أحوال أمَّته ويشفع لهم، وإذا كان كذلك جاز لنا أن نطلب منه الاستغفار ونحوه أخذًا بعموم الآية كما قدَّمنا، وادِّعاء تخصيصها لم يقم عليه دليلٌ، بل ثبت لمطلق موتى المؤمنين أنَّهم يشعرون بمن يُسلِّم عليهم ويردُّون عليه السلام ويستأنسون به ما دام جالسًا عندهم إذا كانوا يعرفونه في الدنيا فكيف يمتنع الدعاء منهم في هذه الحالة؟ بل هو ممكنٌ جائزٌ ليس في العقل ما يحيله، ولا في الشرع ما يمنع منه وبالله التوفيق.

المؤاخذة الثانية: على قوله: «ولم يفعل هذا أحدٌ من الصحابة والتابعين، ولا أمر به أحدٌ من الأئمة».اهـ

يعني أنَّهم لم يسألوا الدعاء من النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعد وفاته كما يسألونه منه في حال حياته، وأنت خبيرٌ بأن هذا لا يصحُّ دليلًا لما يدَّعيه،

وذلك لوجوهٍ:

أحدها: أنَّ عدم فعل الصحابة لذلك يحتمل أن يكون أمرًا اتفاقيًّا، أي اتفق أنَّهم لم يطلبوا منه الدعاء بعد وفاته، ويحتمل أن يكون ذلك عندهم غير جائزٍ، أو يكون جائزًا وغيره أفضل منه، فتركوه إلى الأفضل، ويحتمل أن يكون تركوه لئلَّا يُتَّخذ عادةً متَّبعةً ويُترك ما سِواه من أنواع الأدعية والعبادات، ويُحتمل غير ذلك من الاحتمالات، والقاعدة: «أنَّ ما دخله الاحتمال سقط به الاستدلال».

ثانيها: أنَّ هذا ترك فعلٍ، أي أنَّ الصحابة والتابعين تركوا طلب الدعاء من النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، والترك وحده إن لم يصحبه نصٌّ على أنَّ المتروك محظورٌ لا يكون حجَّةً في ذلك، بل غايته أن يفيد أنَّ ترك ذلك الفعل مشروعٌ، وأمَّا أنَّ ذلك الفعل المتروك يكون محظورًا أو غير محظورٍ فهذا لا يُستفاد من الترك وحده، وإنَّما يُستفاد من دليلٍ يدلُّ عليه، ولهذا كان من منع تعدُّد الجمعة في البلد الواحد واستدلَّ لذلك بأنَّها لم تتعدَّد في عهد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ولا في عهد الخلفاء الراشدين، ولا في عهد الصحابة، وإنَّما حدث تعدُّدها بعد ذلك بكثيرٍ، عُدَّ هذا الاستدلال منه ضعيفًا لما ذكرنا من أنَّ ترك الشيء لا يدلُّ على حكم المتروك.

وقد ذهب جماعةٌ من العلماء منهم عطاء بن أبي رباح، وداود الظاهريُّ، وابن حزمٍ، وابن العربيِّ المعافريِّ إلى جواز تعدُّد الجمعة في البلد الواحد لحاجةٍ ولغير حاجةٍ، واستدلُّوا بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن

يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩].

قالوا: فقد أوجب الله السعي على من سمع نداء الجمعة، ولم يخص مسجدًا دون مسجدٍ، فكان ذلك دليلًا شاملًا لحالتي التعدُّد وغيره، ولم يلتفتوا إلى أنها لم تتعدد في عهد الصحابة والتابعين. ولابن العربيِّ في ذلك تأليفٌ خاصٌّ، ذكره لنا مولانا الشَّيخ الإمام الوالد رضي الله عنه.

فإن قيل: إنَّ ابن تيمية لم يعوِّل على مجرِّد ترك الصحابة لذلك، بل على تفريقهم بين الحالين، فإنَّهم في حياته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كانوا يطلبون منه الدعاء ويستشفعون به إلى الله، فلمَّا انتقل تركوا ذلك، فكان التعويل على هذا التفريق لا على مجرَّد الترك، فلا يردُّ شيءٌ ممَّا تقدَّم.

قلنا: هذا مع مخالفته لكلام ابن تيمية لا يفيد أيضًا؛ لأنَّ الحال في الجمعة كذلك فقد كان الصحابة من أهل العوالي وغيرهم يصلُّون الجماعات في مساجدهم، فإذا كانت الجمعة تركوا مساجدهم وصلُّوا الجمعة مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وكذلك كانوا يفعلون في عهد الخلفاء الراشدين، وهذه كانت شبهة من منع تعدُّد الجمعة لكنَّها لم تُفدهم؛ إذ قد بيَّن المجوِّزون أنَّ نهاية ذلك أنَّهم تركوا التعدُّد وأقرهم النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، والخلفاء الراشدون، وهذا لا يدلُّ على منع التعدُّد.

وكذلك نقول هنا: غاية ما ذكره أنَّ الصحابة تركوا طلب الدعاء من النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعد وفاته، والترك لا يفيد فلم يصنع شيئًا.

ثالثها: ولو سلَّمنا أنَّ ترك الصحابة طلب الدعاء من النبيِّ صلَّى الله عليه

وآله وسلَّم بعد وفاته حجةٌ في منعه، فمحلُّ ذلك ما لم يعارضه ما هو أقوىٰ منه، وقد عارضه عموم قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ الآية، فلا يحلُّ ترك هذا العموم الذي هو دليلٌ شرعيٌّ باتفاق الأئمة إلىٰ عمل الصحابة أو بعضهم، الذي ليس بدليلٍ علىٰ الراجح عند العلماء، فتبيَّن بهذا بطلان إطلاقه السابق وبالله التوفيق.

ومن العجب: أن نرىٰ ابن تيمية يُكثر الاستدلال في هذا الموطن بترك الصحابة وهو لا يُفيد كما تبيَّن، علىٰ حين أنَّا نراه يُخالفهم فيما فعلوه أو قالوه إذا كان يُخالف رأيه، ولا يستحيي أن يصرِّح بتخطئة ساداتهم وكبرائهم، كعمر وعليٍّ رضي الله عنهما، أمَّا غيرهم من التابعين والأئمة فلا يقيم لكلامهم وزنًا في سبيل نُصْرة قولٍ ذهب إليه، أو رأيٍ رآه، ومن طَالَع كتبه واختياراته فيها، رأىٰ من هذا العجب العُجاب ما يُحيِّر الألباب!

المؤاخذة الثالثة: علىٰ قوله: «ولا ورد فيه حديثٌ».

هذا من جملة المبالغات التي يطلقها إذا أراد التهويل والتهويش وهذا الأسلوب من المبالغة لا نعلم أحدًا شاركه فيه، فهو فذٌّ مفردٌ في ذلك، ونحن قد بينَّا أن طلب الدعاء من النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بعد وفاته دليله عموم قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾الآية مع ما ثبت بالتواتر والإجماع أنَّ الأنبياء أحياء في قبورهم، ومع ما صحَّ في حديث عرض الأعمال أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يستغفر لنا بعد انتقاله إلىٰ الرفيق الأعلىٰ، وأيُّ دليلٍ يُطلب بعد هذا؟!.

بل لعلَّ كثيرًا من المسائل الفقهية ليس لها دليلٌ قويٌّ يوازي قوَّة هذا الدليل كما هو معلومٌ لمن طالع كتب الفقه وأحاط علمًا ببعض أدلته.

المؤاخذة الرابعة: على قوله: «بل الذي ثبت في الصحيح أنَّهم لمَّا أجدبوا زمن عمر رضي الله عنه استسقى بالعبَّاس».

وذكر بقيَّة الأثر، ولقد أكثر من الاستدلال بهذا الأثر وأعاده عدَّة مرَّاتٍ لمناسبةٍ ولغير مناسبةٍ، حتى كأنَّه حُجَّةٌ قاطعةٌ لا تحتمل بحثًا ولا تأويلًا، وليس هذا بعجيبٍ منه، فقد يكون ممن يرى عمل الصحابيِّ وقوله حجَّةً، وإنَّما العجيب أن يكون عملُ عمر عنده في هذا الموطن حجَّةً ثُمَّ يكون قول عمر وعمله الذي وافقه عليه الصحابة في أنَّ الطلاق الثلاث يقع بكلمةٍ واحدةٍ ليس بحجَّةٍ!! هذا ما يحيِّر عقل الناظر في كتب ابن تيمية ولا يدري بماذا يحكم عليه؟ أمتلاعبٌ هو؟، أم متساهلٌ؟، أم متناقضٌ؟!!.

وإن كانت الأخيرة أجدر به وأولى؛ لأنَّه يتناقض في كتبه كثيرًا.

ولا يمكن لأحدٍ أن يدَّعي أنَّه إنَّما خالف عمر في مسألة الطلاق لوجود الدليل عنده على ذلك؛ لأنَّا نقول: ليس له ولا للشَّاذِّين أمثاله في هذه المسألة غير حديث ابن عبَّاسٍ في "صحيح مسلمٍ"، وهو محتمل ليس بصريحٍ، وقد أجاب عنه الأئمة بما لا يبقى معه أدنى شك ولا احتمال، هذا مع أنَّ جانب عمر ومن معه من الصحابة والأئمة -إلَّا من شذَّ من أتباعهم- يترجَّح بأحاديث وآثارٍ كما هو واضحٌ لمن جمع أطراف المسألة.

وبعد، فليس في استسقاء عمر بالعبَّاس منع التوسل بالميت كما توهَّمه ابن تيمية وأذنابه، بل ليس هو من هذا الباب بالمرَّة، وبيان ذلك سيأتي في الباب

الثاني إن شاء الله تعالى.

المؤاخذة الخامسة: على قوله: «ولم يجيئوا إلى قبر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قائلين: يا رسول الله ادعُ لنا واستسقِ لنا ونحن نشتكي إليك مما أصابنا، لم يفعل ذلك أحدٌ من الصحابة قطُّ».

ونحن نقول: بلى قد فعل ذلك بعضهم، فقد أخرج البيهقيُّ في "دلائل النبوَّة" قال: أنبأنا أبو نصر بن قتادة وأبو بكر الفارسي قالا: أخبرنا أبو عمر بن مطر، حدَّثنا إبراهيم بن عليٍّ الذهليُّ، ثنا يحيى بن يحيى، أنبأنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالحٍ السمَّان، عن مالك الدار -وكان خازن عمر- قال: أصاب النَّاس قحطٌ في زمن عمر رضي الله عنه فجاء رجلٌ إلى قبر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: يا رسول الله استسقِ الله لأمَّتك فإنَّهم قد هلكوا، فأتاه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في المنام فقال: «**ائت عمر فأقرئه السَّلام، وأخبره أنَّهم مُسقون، وقل له عليك الكَيْسَ الكَيْسَ**»، فأتى الرجل عمر فأخبره، فبكى عمر رضي الله عنه ثُمَّ قال: يا رب ما آلو إلَّا ما عَجَزتُ عنه. إسناد هذا الأثر صحيحٌ.

ورأيت الحافظ عزاه في "الفتح" إلى ابن أبي شيبة من طريق أبي صالحٍ، عن مالك الدار باللفظ المذكور وقال: «سنده صحيحٌ، والرجل هو بلال بن الحرث المزنيُّ أحد الصحابة كما رواه سيف في "الفتوح"»[1].

---

(١) وإن لم تصح رواية سيفٍ، فالرجل تابعيٌّ جزمًا، ثُمَّ إنَّ الحجَّة في إقرار عمر له حيث لم ينهه عمَّا فعل.

فهذا صحابيٌّ فعل كما ترى ما نفاه ابن تيمية نفيًا باتًّا، أفلا يحقُّ بعد هذا أن نضرب بإطلاقه السابق عرض الحائط، ولا نحتاج أن نُنبِّهك إلى بطلان قوله بعد ذلك، بل هو بدعةٌ ما أنزل الله بها من سلطانٍ، فإنَّ بُطلانه غنيٌّ عن التنبيه والبيان، والحمد لله ربِّ العالمين.

المؤاخذة السادسة: على قوله في القسم الثالث: «لكن لم ينقل عن أحدٍ من الصحابة والتابعين وسلف الأمَّة أنَّهم كانوا يدعون بمثل هذا الدعاء».اهـ

وهذا أيضًا من جملة تلك الإطلاقات التي بينا بطلانها، وهو إطلاق باطلٌ، فقد صحَّ عن عثمان بن حنيف أنَّه أمر الرجل الذي كانت له إلى عثمان بن عفان حاجة أن يدعو بهذا الدعاء، فدعا به فقُضيت حاجته، وعثمان بن حنيف صحابيٌّ معروفٌ، والرجل الذي دعا إمَّا أن يكون صحابيًّا أو تابعيًّا وعلى كلا الحالين بطل قوله: «لم يُنقل عن أحدٍ من الصحابة والتابعين أنَّه دعا بهذا الدعاء».

وقال ابن أبي الدنيا في كتاب "مجابي الدعاء": حدَّثنا أبو هشام محمَّد بن يزيد بن محمَّد بن كثير بن رفاعة، قال: جاء رجلٌ إلى عبد الملك بن أبجر فجسَّ بطنه فقال: بك داءٌ لا يبرأ، قال: ما هو؟ قال: الدُّبَيْلَة. قال: فتحوَّل الرجل فقال: الله الله ربِّي لا أُشرك به شيئًا، اللهمَّ إنِّي أتوجَّه إليك بنبيِّك محمَّدٍ نبيِّ الرحمة، يا محمَّد إنِّي أتوجَّه بك إلى ربِّك وربِّي يرحمني ممَّا بي، قال: فجسَّ بطنه فقال: قد برئت ما بك علَّةٌ.

قلت: كان ابن أبجر حافظًا ثقةً وكان مع ذلك طبيبًا ماهرًا يداوي الناس مجَّانًا، وهو من رجال مسلمٍ وأبي داود والترمذيِّ والنَّسائيِّ، ومن العجيب أنَّ

ابن تيمية نفسه ذكر هذا الأثر في كتابه "قاعدة جليلة"، وقال عقبه ما نصّه: «فهذا الدعاء ونحوه قد روي أنَّه دعا به السلف، ونقل عن أحمد بن حنبلٍ في "منسك المروذي" التوسل بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في الدعاء».اهـ

وقال أيضًا في فتوىٰ كتبها بمصر سنة ٧١١ خاصَّة بالتوسل ما نصه: «وقد نقل في "منسك المروذي" عن أحمد دعاء فيه سؤال بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وهذا قد يخرج علىٰ إحدىٰ الروايتين عنه في جواز القسم به وأعظم العلماء علىٰ النَّهي في الأمرين».اهـ بلفظه.

وهذا اعترافٌ صريحٌ منه يبطل إطلاقه السابق ويبين تناقضه وتلاعبه، وهكذا شأنه في سائر كتبه، وذلك دليلٌ واضحٌ علىٰ أنَّه مخذولٌ غير موفَّقٍ.

أما دعواه أنَّ أعظم العلماء علىٰ النَّهيِّ عن التوسل بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في الدعاء، فإنِّي أتحدَّاه وأتحدَّىٰ أذنابه أن يأتوا بعالمٍ واحدٍ صرَّح بذلك علىٰ أن لا يلجأوا إلىٰ الكذب والتحريف، فإنَّهم لن يستطيعوا سبيلًا، وبالله التوفيق.

المؤاخذة السابعة: علىٰ قوله: «ولم يبلغني عن أحدٍ من العلماء في ذلك ما أحكيه، إلَّا ما رأيت في فتاوىٰ الفقيه أبي محمد بن عبدالسَّلام، فإنَّه أفتىٰ أنَّه لا يجوز لأحدٍ أن يفعل ذلك إلَّا للنبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم».

قلت: هذا غلطٌ في النقل عن ابن عبد السَّلام؛ لأنَّ فتواه في الإقسام علىٰ الله بخلقه لا في سؤاله بجاه فلانٍ، ونحن ننقل كلامه في ذلك ليتَّضح المراد، فقد جاء في "الفتاوىٰ الموصلية" ما نصُّه: «الحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّىٰ الله علىٰ سيِّدنا محمَّدٍ وآله.

نسخة أسئلةٍ أجاب عنها الشَّيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام عز الدين بن عبدالسلام ابن أبي القاسم ابن مهذب السلميُّ رضي الله عنه، وأعاد علينا وعلى الكافَّة من بركاته.

مسألة: ما يقول وفَّقه الله تعالى في الداعي يقسم على الله تعالى بعظيمٍ من خلقه في دعائه كالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، والوليِّ والمَلَك، هل يُكره له ذلك أم لا؟».

ثُمَّ ذكر عدَّة أسئلة ثُمَّ قال:

«أجاب الشَّيخ رضي الله عنه: أمَّا مسألة الدعاء فقد جاء في بعض الأحاديث أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم علَّم بعض النَّاس الدعاء فقال في أوله: «**قل: اللهمَّ إنِّي أُقْسِمُ عليك بنبيِّك محمَّدٍ نبيِّ الرحمة**»، وهذا الحديث إن صحَّ فينبغي أن يكون مقصورًا على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؛ لأنَّه سيِّد ولد آدم، وأن لا يقسم على الله تعالى بغيره من الأنبياء والملائكة والأولياء؛ لأنَّهم ليسوا في درجته، وأن يكون هذا ممَّا خُصَّ به نبيُّنا على علوِّ درجته ومرتبته».

هذا كلام عزِّ الدين بحروفه نقلناه من "الفتاوى الموصلية"، وهكذا نقله أصحاب الخصائص كالحافظ السيوطيِّ والقسطلانيِّ وغيرهما، مُستدلِّين به على أنَّ الإقسام على الله بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من خصوصيَّاته، وهذا غير ما نحن فيه وهو سؤال الله بجاه فلانٍ من غير إقسامٍ عليه، وبين المسألتين بونٌ كبيرٌ كما لا يخفى، فاشتبه الحال على ابن تيمية ودخلت عليه مسألةٌ في أخرى والكمال لله تعالى.

على أنِّي أميل كثيرًا إلى أنَّه ليس باشتباه حالٍ ولكنَّه تحريفٌ مقصودٌ[١].

ورأيت في "طبقات الشافعية" لابن السبكيِّ في ترجمة الأستاذ ابن فورك ما نصُّه:

«قال عبدالغافر بن إسماعيل: سمعت أبا صالحٍ المؤذِّن -حافظٌ مشهورٌ- يقول: كان الأستاذ أوحد وقته أبو عليٍّ الدقَّاق يعقد المجلس ويدعو للحاضرين والغائبين من أهل البلد وأئمَّتهم، فقيل له يومًا: نسيت ابن فورك ولم تدعُ له فقال: كيف أدعو له وكنت أقسم على الله البارحة بإيمانه أن يشفي علَّتي، وكان به وجع البطن تلك الليلة».اهـ

المؤاخذة الثامنة: على قوله: «وقالت طائفةٌ ليس في هذا الحديث جواز التوسل به في مغيبه وبعد مماته، بل إنَّما فيه التوسل في حياته بحضوره».

قلت: هذه مغالطةٌ من ابن تيمية وقلة إنصافٍ تزريان بقدره وتسقطانه من أعين العلماء، وإلَّا فهو لا يجهل ما تقرَّر عند علماء الأصول وغيرهم، أنَّ الحديث إذا ورد في جواز شيءٍ أو غيره كان شرعًا ثابتًا مستقرًّا لا يخص بحالةٍ دون أخرى، بل يجب استمراره إلى قيام الساعة إلَّا أن يخصِّصه الشارع بحالةٍ من الأحوال، أو ينسخه بالنسبة لبعض الأزمان، فيجب الوقوف عند ما حدَّه الشارع.

وليت شعري إذا كان الحديث ليس فيه جواز التوسل به في مغيبه وبعد مماته كما يزعم ابن تيمية مكابرةً ومعاندةً، فكيف أمر عثمان بن حنيف -وهو

---

(١) وقد بينت ذلك في كتاب "غاية التحرير في الكلام على حديث توسل الضرير".

راوي الحديث ومشاهد لسبب وروده- ذلك الرجل الذي كانت له إلى عثمان بن عفان حاجة أن يدعو به؟

أترى أنَّ عثمان بن حنيف كان أقلَّ ذكاء وفهما من ابن تيمية؟!!

تالله إنَّها لفِرْيةٌ ما فيها مِرْيةٌ، فالحُجَّة بالحديث قائمةٌ لا يردُّها مثل هذه الأقوال التي لا ترتكز على دليلٍ ولا تستند إلى أصولٍ، وسنوضح ذلك بعدَّة وجوهٍ في الباب الثاني إن شاء الله تعالى.

وحيث فرغنا من كلام ابن تيمية وبيان ما فيه من المؤاخذات فنعود إلى هذا المُتنطِّع الجهول ونسأله: ماذا يريد بسؤال أهل القبور ودعائهم وندائهم؟

إن أراد سؤالهم ما لا يقدرون عليه، كغفران الذنوب وتفريج الكروب فهذا لا يفعله مسلمٌ ولا يعتقده، بل بطلانه معلومٌ بالضرورة لكلِّ أحدٍ، فالسؤال عنه جهلٌ وحماقةٌ، كالسؤال عن حرمة الزنا والخمر ونحوهما مما هو معلومٌ من الدين بالضرورة.

وإن أراد سؤالهم الشفاعة ونحوها ممَّا في استطاعتهم فقد قدَّمنا أنَّ موتى المؤمنين يشعرون بمن يُسلِّم عليهم ويردُّون عليه السَّلام، فأيُّ مانعٍ من سؤالهم الشفاعة أو الدعاء والحالة هذه؟ هل يكون في ذلك من الإشراك شيء؟ كلّا، لا سيما وشفاعة خيار المؤمنين في الدنيا وفي الآخرة ثابتةٌ بالأحاديث وإجماع أهل السنة، لا يُنكرها إلَّا مبتدعٌ ضالٌّ، وكذلك دعاؤهم والاستغاثة بهم هما على هذا التفصيل المذكور.

أمَّا نداؤهم فإنْ كان مع طلب شيءٍ فحاله على التفصيل المذكور أيضًا، وإن كان مجرَّدًا عن أيِّ طلبٍ فهو أبعد عن توهُّم الإشراك، بل ليس ممَّا نحن فيه

أصلًا؛ وذلك لأنَّ نداء الغائب أو الميت بتنزيله منزلة الحاضر القريب شائعٌ ذائعٌ في الشعر والنثر، وقد تكفَّل أهل البلاغة ببيان الأسباب الداعية إلى ذلك.

وأمَّا سؤال الله تعالى بهم فهو على ما عرفت من كلام ابن تيمية في القسم الثالث، ليس فيه دعاء المخلوقين ولا استغاثةٌ بالمخلوق، لكن فيه سؤال بجاهه فيكون جائزًا؛ لأنَّه لا يترتَّب عليه شيءٌ من المحظورات المفروض ترتبها على الدعاء والنداء والاستغاثة.

على أنَّ السؤال بحقِّ فلانٍ يرجع في الحقيقة إلى التوسل بصفةٍ من صفات الله، فالقائل: «اللهم إنِّي أسألك بنبيِّك» معناه: أسألك بحقِّ محبَّتك وإكرامك له، ومحبَّة الله وإكرامه صفة فعلٍ له تعالى، والتوسُّل بذلك جائزٌ إجماعًا.

وكذلك الحال فيمن يتوسَّل بأحد الصحابة أو الأولياء معناه: توسُّلٌ بحبِّ الله لهم وإكرامه إيَّاهم إكرامًا يليق بحالهم.

وهذا المعنى هو المراد وإن لم يُصرِّح به المتوسِّلون في دعائهم، أو غفلوا عنه أحيانًا، فإنَّه مركوزٌ في طباعهم بدليل أنَّهم لا يسألون الله بالعصاة والمذنبين، بل ولا بمن يشكّون في ولايته أو صلاحه، وما ذاك إلَّا لأنَّهم يعلمون أنَّ هؤلاء لا يحبُّهم الله ماداموا على حالتهم تلك حتى يتوبوا.

وحيث أنَّ التوسل بالمخلوق توسلٌ بحبِّ الله له كما تبيَّن، فسواءٌ كان المتوَسَّل به حيًّا أو ميتًا، وسواء كان عالمًا بمن يتوسل به أو لا فهو جائزٌ؛ لأنَّ حبَّ الله لأوليائه وأصفيائه لا ينقطع بموتهم، والتوسل بهم بهذا المعنى لا يتوقَّف على علمهم به، وحتى لو لم نقدِّر هذا المعنى لم يكن التوسل متوقِّفًا على حياة المتوَسَّل به أو علمه كما هو ظاهرٌ.

ولابن القيم في "الفوائد" عبارةٌ جيِّدةٌ جاء فيها ما نصُّه:

«أرباب الحوائج على باب الملك يسألون قضاء حوائجهم وأولياؤه المحبِّون له الذين هو همَّهم ومرادهم جُلساؤه وخواصُّه، فإذا أراد قضاء حاجة واحدٍ من أولئك أذن لبعض جُلسائه وخاصَّته أن يشفع فيه رحمةً له وكرامةً للشافع، وسائر الناس مطرودون عن الباب مضروبون بسياط البُعد».اهـ بلفظه، وهو يؤيِّد ما قلنا وبالله التوفيق.

ثُمَّ قال المُتنطِّع: «لا بدَّ لمن أراد أن يعرف جواب هذين السؤالين أن يعلم أولًا أنَّ هذه الأمور المسئول عنها لا دخل للعقل ولا للقياس فيها؛ لأنَّها أمورٌ منها ما يتعلَّق بالعقائد، ومنها ما يتعلَّق بالعبادات، ولا سبيل إلى معرفة الأمرين إلَّا من الشرع».اهـ

وأقول: قد عرفت حكم التوسل والاستغاثة ممَّا أوردناه من كلام ابن تيمية مع ما كتبناه عليه، وهذا جواب المُتنطِّع في ذلك وهو جوابٌ خالٍ عن كلِّ تحقيقٍ علميٍّ ينادي بجهل صاحبه وفراغ جرابه من العلم.

وأول ما افتتح به فيه أن أنكر القياس فصدق عليه المثل العربيُّ: «أول الدَّنِّ دردِيٌّ».

ما هذا يا أيُّها المُتنطِّع الجهول؟!! ألم تعلم أنَّ القياس أحد الأدلة الشرعية التي بُني عليها فقه أئمَّة المسلمين المعمول بمذاهبهم منذ قرونٍ متطاولةٍ إلى يومنا هذا؟!!

ألم تعلم أنَّ القياس عمل به الصحابة، والتابعون من بعدهم، واستفاض عنهم ذلك وهم خيار الأئمة وسادتها؟!!

ألم تعلم أنَّ القياس عمل به عمر، وأمر به أبا موسى الأشعريَّ لمَّا ولَّاه؟!!

ألم تعلم أنَّ القياس عمل به أبو بكرٍ، وعليٌّ، وابن مسعودٍ، وابن عبَّاسٍ رضي الله عنهم؟!! وأخيرًا ألم تعلم أنَّ القياس ثبتت حُجِّيَّته عند الأئمة بالكتاب والسنَّة وإجماع الصحابة رضي الله عنهم؟!!.

إن كنت لا تعرف أنَّ القياس بهذه المنزلة من الأدلة الشرعية -وما إخالك تعرف ذلك- فأنت بالحقِّ جاهلٌ.

وإن كنت تريد أن تسلك طريق من أنكر القياس فاعلم أنَّ إمامك في هذا السبيل إبراهيم بن سيَّار النظَّام المعتزليُّ.

وقد كان مع اعتزاله فاسقًا يدمن الخمر، ونسبت إليه عقائد الكفر والإلحاد، حتى أنَّ جماعةً من المعتزلة ألّفوا كتبًا في إكفاره، منهم أبو الهذيل وغيره، فهو أول من نفى القياس والإجماع، وتابعه طوائف من الخوارج.

فإن كنت لابدَّ مصرًّا على إنكار القياس فقد سبقك إليه النظَّام وأنعم به إمامًا لك، وتابعه الخوارج وأنعم بهم إخوانًا.

وإن كنت تريد أن تنفي القياس في العبادات والعقائد دون غيرهما فهذا مذهبٌ طريفٌ تستحقُّ عليه الإعجاب والتقدير إذ لم يسبقك إليه سابقٌ ولا يوافقك عليه لاحقٌ، ونصيحتنا إليك نصيحة مشفقٍ عليك، أن تقرأ كتب الأصول الكبيرة وكتب النظر، بإرشاد شيخٍ في هذا الفنِّ، خِرِّيتٌ ماهرٌ حتى تُتقن قراءتها وتُجيد فهمها فحينئذٍ يَحسن القول منك في قبول القياس أو إنكاره، أمَّا كلامك الآن فهو هادمٌ لقدرك، من غير أن يضرَّ حُجِّيَّة القياس شيئًا، وبالله التوفيق.

ثُمَّ ذكر المُتنطِّع قوله تعالىٰ: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩]، وفسَّره بما قد يُناقَش فيه، ثُمَّ قال: «ومادام هذا هو الميزان الذي أرشدنا الله إلىٰ اتباعه، ووزن ما نختلف فيه من الأحكام به، فلنجرِ عليه في جواب هذين السؤالين».اهـ

وأقول: لقد ارتقىٰ المُتنطِّع مُرتقًىٰ صعبًا، وحلَّق في جوٍّ بعيدٍ لا يلبث أن يهوي منه في مكانٍ سَحِيقٍ، حيث يتصدَّع مخُّه فتذهب أهواؤه ذات اليمين وذات الشمال، فالخطاب في قوله تعالىٰ: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ ، وإن كان عامًّا للأمَّة فهو بالضرورة العقلية مخصوصٌ بالعلماء منهم؛ للقطع بأنَّ من ليس له قدرة الاستنباط من الكتاب والسنَّة إنَّما سبيله أن يرجع إلىٰ العالِم ويسأله عن حكم الله، وليس له أن يتكلَّم في شيءٍ من التفسير والأحكام إلَّا ناقلًا عن العلماء غير متصرِّفٍ في ذلك؛ لأنَّه ليس أهلًا للتصرُّف في نقول العلماء.

هذا ممَّا لا خلاف بينهم فيه ولا نزاع، والدليل من القرآن علىٰ تخصيص هذه الآية قوله تعالىٰ في السورة نفسها: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ ﴾ [النساء: ٨٢ – ٨٣].

قال البغويُّ في "تفسيره": «قوله: ﴿وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ ﴾ أي: إلىٰ رأيه ولم يحدِّثوا به حتىٰ يكون النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم هو الذي يحدِّث به

﴿وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ﴾ أي: ذوي الرأي من الصحابة مثل أبي بكرٍ، وعمر، وعثمان رضي الله عنهم ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ﴾، أي: يستخرجونه وهم العلماء، أي: يعلمون ما ينبغي أن يكتم وما ينبغي أن يفشى، والاستنباط الاستخراج، يقال: استنبط الماء استخرجه».اهـ

فأفادت هذه الآية أنَّ من لا يقدر على الاستنباط وهو العاميُّ، يردُّ الأمر إلى من يقدر على الاستنباط وهو العالم.

وهذه الآية هي دليل مَن فسَّر أولي الأمر بالعلماء في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النساء: ٥٩]، فقد قال ابن عبَّاسٍ وجابرٌ والحسن والضَّحَّاك ومجاهدٌ: المراد بأولي الأمر الواجب طاعتهم: الفقهاء والعلماء الذين يُعلِّمون الناس معالم دينهم. قاله البغويُّ.

وسواءٌ صحَّ هذا التفسير أو لم يصح فالإجماع قائمٌ على أنَّ العالم هو الذي له قدرة الاستنباط من الكتاب والسنَّة، وهو الذي يستخرج الأحكام منهما، وأنَّ غيره يجب عليه الرجوع إليه في ذلك، ونعني بالعالم: المجتهد، لا الذي يقرأ الكفراويَّ ومُقرَّراتٍ من صغار الكتب ويأخذ بذلك ورقةً تُسمَّى شهادة العالمية، فإنَّ هذا ليس بعالمٍ في الشرع ولا يكون عالمًا حتى يعود اللبن في الضرع، فالمُتنطِّع يجب عليه الرجوع في الأحكام إلى ما قاله الأئمة، وليس له أن يتصرَّف بفكره السقيم لا في الأحكام ولا في التفسير؛ لأنَّه عاميٌّ وإن أخذ ألف شهادةٍ، وبالله التوفيق.

ثُمَّ قال المُتنطِّع: «إنَّ الله عزَّ وجلَّ قد قال في سورة (الإسراء) توبيخًا لمن

سأله بالأنبياء والأولياء والصالحين والملائكة: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ [الإسراء: ٥٦].اهـ

وأقول: ما كنت أظنُّ أنَّ الوقاحة تصل بالمُتنطِّع إلى هذا الحدِّ الممقوت المزري، ولا أراه تلقى هذا المعنى إلَّا من الباطنية الذين يقولون: إنَّ للقرآن والسنَّة معاني لا يعلمها إلَّا من كان مثلهم، وأنَّ ما فيهما من الأوامر والنواهي ونحوهما رموزٌ ومَثَلٌ لأشياء يفهمها هم ومن على شاكلتهم، فيقولون: إنَّ الأمر بالصلاة والزكاة رمزٌ إلى ولاية محمَّدٍ وعليٍّ، بدليل توافق عدد الحروف، وأنَّ الصوم إشارةٌ إلى كتمان الأئمة وقت استتارهم من الظلمة، بدليل ﴿إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا ﴾ [مريم: ٢٦]الآية.

فأراد بالصوم هنا الصموت، وأنَّ النهي عن الخمر والميسر مرادٌ به أبو بكرٍ وعمر لأخذهما الخلافة من عليٍّ، أمَّا المتخذ من العنب ونحوه فليس بحرامٍ؛ لأنَّه نباتٌ من الطيبات وقد قال الله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾ [الأعراف: ٣٢]الآية.

فَحَمْل المُتنطِّع الآية على أهل التوسل يوافق تفسير الباطنية، على أنَّهم أحسن حالًا منه؛ لأنَّهم استدلوا على باطلهم بالقرآن، وإن كان استدلالهم باطلًا، أمَّا المُتنطِّع فلم يستدل على باطله بشيءٍ، وإنَّما أرسله دعوى تتعثَّر في أذيال الخجل.

وبعد: فليس في علماء الإسلام من فسَّر الآية بما فسَّره بها المُتنطِّع لا من الصحابة ولا من التابعين، ولا أهل التفسير بعدهم، ولا خطر ذلك المعنى

ببالهم، بل صانهم الله منه ومن كلِّ باطلٍ، حتىٰ جاء المُتنطِّع بجهله ووقاحته فتحمَّل إثم ذلك التفسير، وصدق عليه الوعيد المذكور في حديث ابن عبَّاسٍ: «**مَن قالَ في القُرْآنِ برأيِهِ فلْيَتَبوَّأ مَقْعَدَهُ مِن النَّارِ**». رواه الترمذيُّ وغيره، فهنيئًا له بهذا الوعيد.

وقد تكلَّمنا علىٰ هذه الآية فيما تقدَّم، وأنَّ المراد بها المشركون الذين كانوا يعبدون الجنَّ علىٰ الصحيح، أو الملائكة أو عزيرًا وعيسىٰ وأمَّه، وقدَّمنا تفسير البغويِّ لها بما يوافق ذلك.

والمقصود: أنَّ إجماع المفسِّرين من الصحابة وغيرهم منعقدٌ علىٰ أنَّ المراد بالآية المشركون الذين يعبدون غير الله، وإن اختلفوا في تعيينهم، ونقل كلامهم هنا يطول من غير حاجةٍ إليه، وإنَّما غرضنا أن نبيِّن بطلان ما افتراه المُتنطِّع وبيان ذلك من وجوهٍ:

الأول: أنَّ الآية كما قدَّمنا نزلت في عُبَّاد الجنِّ كما في "صحيح البخاريِّ"، فيجب أن تقصر عليهم ولا تعمُّ غيرهم؛ لأنَّ الفعل الذي خوطبوا به وهو ﴿ٱدۡعُواْ﴾ مثبتٌ، والفعل المثبت ليس بعامٍّ.

الثاني: ولو قلنا: إنَّه عامٌّ بناءً علىٰ قول أبي عبدالله البصريِّ المعتزليِّ: إنَّ قول القائل: «افعلوا» يحمل علىٰ الاستغراق، فتكون الآية عامَّةً، فمعنىٰ عمومها علىٰ هذا أن تشمل عُبَّاد الجنِّ وغيرهم من المشركين كعُبَّاد الملائكة والأصنام، لكنَّها لا تشمل المسلمين الذين يسألون الله بنبيه أو وليه؛ لأنَّ الفعل لا يصلح أن يكون خطابًا لهم لا في اللغة ولا في الشرع.

الثالث: أنَّ معنى قوله: ﴿ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم﴾ اسألوهم واطلبوا منهم وارغبوا إليهم، وهذا لا يوجد في المتوسِّل ولا ينطبق عليه؛ لأنَّ المتوسِّل لا يسأل المتوسَّل به، ولكن يسأل الله به، ولا يرغب إليه ولكن يرغب إلى الله به.

فإن قيل: فهذا عمل المشركين.

قلنا: كلّا، ولو كان هذا عملهم فقط لما كانوا مشركين، ولما استحقّوا الذمَّ والعقاب.

ولكن عملهم ما رواه العوفيُّ عن ابن عبَّاسٍ في هذه الآية قال: كان أهل الشرك يقولون نعبد الملائكة والمسيح وعزيرًا، وهم الذين يدعون يعني الملائكة والمسيح وعزيزرًا، وقد صرَّح بهذا في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

الرابع: لا خلاف أنَّ مفعولي يدعون من قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧] محذوفان، فلا جائزٌ أن يكون التقدير أولئك الذين يدعونهم وسيلة بالمعنى الذي نتكلَّم عليه؛ لأنَّ قوله: ﴿زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ يمنع من هذا التقدير، فتعيَّن أن يكون التقدير: «يدعونهم آلهةً» كما قدَّره الحافظ ابن حجرٍ في كلامه المتقدِّم، وهذا هو الذي يؤيده صدر الآية.

فهذه الوجوه الأربعة توضِّح بطلان قول المُتنطِّع السابق، وبطلان قوله بعد: « أي: قل يا أيُّها الرسول للذين يسألونني بعبادي من الأنبياء والأولياء والصالحين والملائكة، أو يسألونهم دوني، نادوا الذين ظننتم أنَّهم يستطيعون أن

يجلبوا لكم نفعًا أو يدفعوا عنكم ضرًّا...» الخ.

ووجه خامس: يبطل كلامه أيضًا، وهو أنَّ ما ذكره من حَمْل الآية على المعنيين تقديرٌ ليس فيها ما يدلُّ عليه، بل فيها ما يبطله ويهدمه من أساسه كما تقدَّم.

ووجه سادس: يبطل كلامه أيضًا، وهو أنَّ آخر الآية يدلُّ على جواز التوسل، فكيف يدلُّ صدرها على منعه؟!!

قال البغويُّ في "تفسيره": ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ يعني: الذين يدَّعون المشركون أنَّهم آلهةٌ يعبدونهم، قال ابن عبَّاسٍ ومجاهدٌ: وهم عيسى وأمُّه، وعزيرٌ، والملائكة، والشمس والقمر، والنجوم، ﴿يَبۡتَغُونَ ﴾ أي: يطلبون ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ أي: القُرْبة.

وقيل: «الوسيلة: الدرجة»، أي: يتضرَّعون إلى الله في طلب الدرجة العُليا، وقيل: الوسيلة كلُّ ما يُتقرَّب به إلى الله تعالى.

وقوله: ﴿ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ ﴾ معناه: ينظرون أيُّهم أقرب إلى الله فيتوسَّلون به، وقال الزجَّاج: أيُّهم أقرب يبتغي الوسيلة إلى الله تعالى ويتقرَّب إليه بالعمل الصالح». هذا كلام البغويِّ.

فانظر إلى قوله: «ينظرون أيُّهم أقرب إلى الله فيتوسَّلون به»، وهو لا شك أعلم بالتفسير من المُتنطِّع، أفتراه أشرك بهذا الكلام؟!

وقد أزرينا بمقام البغويِّ حيث قلنا: إنَّه أعلم من المُتنطِّع كما قال الشاعر:

ألم تـرَ أنَّ السَّـيفَ يَـنقُصُ قـدْرُه إذا قِيل هذا السَّيفُ أَمْضَى مِن العَصَا

والحقيقة أنَّ البغويَّ عالمٌ حافظٌ من حُفَّاظ السنَّة، والمُتنطِّع عامِّيٌّ فالفرق بينهما كالفرق بين العلم والجهل، أو بين السماء والأرض.

وقال الحوفيُّ مثل ما قال البغويُّ حسبما نقله عنه أبو حيان في "البحر المحيط"، وبالله التوفيق.

ثُمَّ قال المُتنطِّع: «ولا بدَّ من حمل الآية على ما قلناه، وإخراج غير العقلاء من الأصنام وغيرها من الآية، وتخصيصها بالمقرَّبين من عِباد الله لقوله بعدها: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ الآية».

ثُمَّ قال: «والأصنام وغيرها ممَّا عُبد من دون الله لا شأن لها بعلم الدين والعمل به، ولا هي ترجو رحمةً ولا تخاف عذابًا».اهـ

وأقول: ما ذكره من تعين حمل الآية على المقرَّبين من عِباد الله غير متعيِّنٍ، وادِّعاؤه باطلٌ، واستدلاله لذلك بآخر الآية استدلالٌ فاسدٌ.

والحقُّ الذي لا غبار عليه أنَّ الآية على القول بعمومها تشمل جميع المشركين من عُبَّاد الملائكة والجنِّ والأصنام والحجارة، إذ ليس شمولها لبعض هؤلاء بأولى من شمولها لبعضٍ آخر، وكون الإشارة في قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ﴾ الآية، راجعًا إلى المقرَّبين فقط لا يوجب تخصيص الآية بعُبَّادهم؛ وذلك لأنَّ المقرَّر في علم الأصول أنَّ: «عود الضمير وما في معناه إلى بعض أفراد العام لا يُخصِّص العام»، وبقيت في كلامه مناقشاتٌ لفظية رأينا الإعراض عنها أولى.

ثُمَّ قال المُتنطِّع بعد كلام من هذا القبيل الذي بيَّنا بطلانه: «إذا عرفت هذا، فاعلم أنَّ سؤال أيِّ مخلوقٍ من المخلوقين عدوانٌ على ما أنزله الله، وخروجٌ عن

آيات كتابه، وخالٍ عن الفائدة، وضلالٌ بحكم القرآن؛ لأنَّ المسئول من الخلق بعد الموت لا يسمع سائله ولا يُجيبه ويتبرَّأ منه يوم القيامة؛ لأنَّه إمَّا جمادٌ، وإمَّا عبدٌ مشغولٌ بما هو فيه من أمور الآخرة، كما قال تعالىٰ في سورة (الأحقاف): ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟﴾ [الأحقاف: ٥ – ٦]».

ثُمَّ نقل كلام البيضاويِّ في تفسير الآية، ثُمَّ قال: «فأنت ترىٰ أنَّ كلام المفسِّر صريحٌ في حمل الآية علىٰ العقلاء والأصنام وغيرها، وإذا كان الله قد جعل من سأل الموتىٰ وغيرهم من المخلوقين من أضلِّ النَّاس بسؤاله هذا، فلا شك أنَّ السؤال يكون ضلالًا وحرامًا ممن علم هذه الآية ثُمَّ سأل بعد ذلك».اهـ

وأقول: لا يزال المُتنطِّع متمسَّكًا بخطَّته المعوجَّة في حمل آيات المشركين علىٰ المسلمين، وهو تحريفٌ للنصوص ظاهرٌ، وتلاعبٌ بالآيات لا يليق إلَّا بالمُتنطِّع وأشكاله، فآية الأحقاف التي ذكرها صريحةٌ كما ترىٰ في المشركين الذين يعبدون غير الله، وكلام البيضاويِّ الذي نقله صريحٌ في ذلك أيضًا، ومع هذا أبىٰ إلَّا أن يحملها علىٰ المسلمين الذين يدعون الله ويسألونه بنبيِّه أو وليِّه، فإن ادَّعىٰ فيها العموم فقد أبطلناه في الآيات السابقة، حيث ادَّعىٰ مثل هذه الدعوىٰ، وإن ادَّعىٰ القياس فقد أبطله فيما تقدَّم، فكيف يقول به هنا؟ ما هذا إلَّا تناقضٌ!

ونحن نسأله: ما معنىٰ سؤال المخلوق الذي هو عدوانٌ علىٰ ما أنزله الله،

وخروجٌ عن آيات كتابه، وخالٍ عن الفائدة، وضلالٌ بحكم القرآن؟

إن كان المراد به عبادة المخلوق من دون الله أوسؤاله ما يختص بالله كغفران الذنوب، فليقل فيه ما شاء من أنواع التقبيح، فإنَّه لكذلك وأكثر من ذلك، ولكن ليس أحدٌ من المسلمين يفعله أو يقصده.

وإن كان المراد به سؤال المخلوق ما يقدر عليه كالشفاعة الثابتة للمؤمنين بعضهم لبعضٍ، أو سؤال الله به، فوصف هذا بالعدوان هو العدوان، والحكم عليه بالضلال هو الضلال؛ لأنَّ السؤال بهذا المعنىٰ لا مانع منه كما قدَّمنا، فلا معنىٰ لهذا التهويل الذي يراد به إبطال الحقِّ وإحقاق الباطل، وخيرٌ للمتنطِّع أن يرجع عن هذه الخطة في تحريف كتاب الله والتقوُّل علىٰ الله، فليس يستفيد من هذا إلَّا الخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة، إلَّا أن يتداركه الله بعفوه، وبالله التوفيق.

وبعد أن انتهىٰ المُتنطِّع من تحريف الآيات السابقة وتنزيلها علىٰ المسلمين ظُلمًا وعُدوانًا، وظنَّ أنَّه بذلك التحريف أصاب المَحَزَّ، أراد أن يستدلَّ بالسنَّة علىٰ نمط استدلاله بالقرآن فقال: «وأمَّا السنَّة فمنها عند أصحاب السنن، حديث ابن عبَّاسٍ في منع سؤال غير الله تعالىٰ وهو قوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا سَأَلْتَ فاسْأَلِ اللهَ، وإذا اسْتَعَنْتَ فاسْتَعِنْ بالله، واعْلَمْ أنَّ الأُمَّةَ لو اجْتَمَعُوا على أن يَنْفَعُوكَ لم يَنْفَعُوكَ إلَّا بشيءٍ قد كَتَبَهُ اللهُ لكَ، ولو اجْتَمَعُوا على أن يَضُرُّوكَ لم يَضُرُّوكَ إلَّا بشيءٍ قد كَتَبَهُ اللهُ عليك، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وجَفَّتِ الصُّحُفُ**». صحَّحه الترمذيُّ وحسَّنه».اهـ

وأقول: في كلامه أمورٌ:

الأول: أنَّ الحديث لم يُخرجه من أصحاب السنن إلَّا الترمذيُّ، وأما أبو داود، وابن ماجه، والنَّسائي، فلم يخرجوه، فأول ما بدأ في الاستدلال بالسنَّة الكذب في عزو الحديث كما ترىٰ.

الثاني: أنَّ الحديث غير صحيحٍ، قال الحافظ ابن رجب في "جامع العلوم والحكم": «هذا الحديث خرَّجه الترمذيُّ من رواية حنشٍ الصنعانيِّ عن ابن عبَّاسٍ، وخرَّجه الإمام أحمد من حديث حنشٍ الصنعانيِّ مع إسنادين آخرين منقطعين، ولم يميز بعضهما من بعضٍ، ولفظ حديثه: «**يا غلامُ -أو ياغُلَيِّم- أُعلِّمُكَ كَلماتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بهنَّ**» فقلت: بلىٰ، فقال: «**احْفَظِ اللهَ يَحفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّف إلى الله في الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ في الشِّدَّةِ، وإذا سَأَلتَ فاسألِ اللهَ، وإذا اسْتَعَنْتَ فاسْتَعِنْ بالله، قد جَفَّ القَلَمُ بما هو كائِنٌ...**» الحديث.

وقد روي هذا الحديث عن ابن عبَّاسٍ من طُرقٍ كثيرةٍ من رواية ابنه عليٍّ، ومولاه عكرمة، وعطاء بن أبي رباحٍ، وعمرو بن دينارٍ، وعُبيد الله بن عبدالله، وعمر مولىٰ غَفْرَة، وابن أبي مُليكة، وغيرهم.

وأصحُّ الطرق كلِّها طريق حنشٍ الصنعانيِّ التي خرَّجها الترمذيُّ. كذا قاله ابن منده وغيره.

وقد رُوي عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أنَّه وصَّىٰ ابن عبَّاسٍ بهذه الوصية من حديث علي بن أبي طالبٍ، وأبي سعيدٍ الخدريِّ، وسهل بن سعد، وعبد الله بن جعفر، وفي أسانيدها كلِّها ضعفٌ، وذكر العقيليُّ أنَّ أسانيد الحديث كلَّها لينةٌ، وبعضها أصلح من بعضٍ، وبكلِّ حالٍ فطريق حنشٍ التي

خرَّجها الترمذيُّ حسنةٌ جيِّدةٌ».

هذا كلام الحافظ ابن رجب، ومنه نعلم أنَّ الحديث لم يبلغ درجة الصحَّة لما رأيت في طرقه من الضعف والانقطاع.

الثالث: ولو قلنا: إنَّ الحديث بلغ درجة الصحيح لتقوِّيه بالطريق المذكورة فإنَّه إنَّما يدلُّ على منع سؤال غير الله بدلالة مفهوم المخالفة، ومفهوم المخالفة ليس مُتَّفقًا على الاحتجاج به، فقد أنكره أبو حنيفة، والقفَّال الشاشيُّ، وأبوحامد المروزيُّ.

وذكر شمس الأئمة السرخسيُّ الحنفيُّ في كتاب "السير": «أنَّه ليس بحجَّةٍ في خطابات الشرع، والذين قالوا بحُجِّيَّته اختلفوا: هل هو حجَّةٌ من حيث اللغة، أو الشرع، أو العرف العام، أو العقل والقياس؟ أقوالٌ لهم.

ثُمَّ اختلفوا في مقتضاه: هل يدلُّ على نفي الحكم عمَّا عدا المنطوق به مطلقًا، سواء كان من جنس المثبت، أو لم يكن، أو تختص دلالته بما إذا كان من جنسه.

فإذا قال: في سائمة الغنم الزكاة، فهل نفى الزكاة عن المعلوفة مطلقًا سواء كانت من الغنم أو البقر أو الإبل؟ أو هو مختصٌّ بمعلوفة الغنم؟ وجهان لهم، رجَّحوا منهما الثاني، واختلفوا فيه أيضًا على وجهٍ آخر، فكيف يسوغ الاحتجاج به مع وجود الخلاف في حجِّيَّته وفي كيفيتها وفي مقتضاه كما علمت؟!

الرابع: ولو قلنا: إنَّ مفهوم المخالفة حجَّةٌ كما هو مذهب الجمهور وهو الراجح، فالحديث يدلُّ بمفهومه على منع سؤال غير الله مطلقًا حتى في الأمور الضئيلة التي جرت العادة فيها بسؤال الناس بعضهم بعضًا، مع أنَّ الإجماع

منعقدٌ على جواز السؤال فيها، كما لو سأل شخصٌ آخر أن يناوله شربة ماء، أو يتوسَّط له عند كبيرٍ في تحصيل مصلحةٍ، أو دفع مظلمةٍ، أو يسأله أن يقرضه دراهم أو نحو ذلك ممَّا كان شائعًا في عهد الصحابة والتابعين وهلمَّ جرًّا إلى وقتنا هذا، ولم يقل أحدٌ بمنعه، بل وردت أحاديث تجوِّز سؤال الناس في بعض الأحوال وتحض على إعطاء السائل، كحديث: «**إنَّ المسألةَ لا تَصْلُحُ إلَّا لثلاثٍ: إلَّا لذى فَقْرٍ مُدْقِعٍ، أو لذى غُرْمٍ مُفْظِعٍ، أو لذى دَمٍ مُوجِعٍ**». رواه أبو داود، والبيهقيُّ، عن أنسٍ.

وكحديث: «**للسَّائِلِ حَقٌّ وإن جَاءَ على فَرَسٍ**»، ورد مِن حديث عليٍّ، وفاطمة، وابنيهما، والهِرْمَاس بن زيادٍ رضي الله عنهم.

والأحاديث في هذا كثيرةٌ، وكلُّ ذلك سؤالٌ لغير الله جَزْمًا، فيكون الحديث المتقدِّم مخصوصًا لا محالة، ويكون المراد به منع سؤال غير الله في الأمور العِظام التي لا تليق إلَّا بالله، ولا يقدر عليها إلَّا هو سبحانه وتعالى.

الخامس: ولو قلنا: إنَّ الحديث عامٌّ ليس بخاصٍّ، وإنَّ الأمور المذكورة لاتصلح أن تكون مخصِّصةً له -على ما يَرِد على ذلك من منعٍ ظاهرٍ- فليس منع سؤال غير الله فيه من باب الواجب المحتَّم، بل هو من باب الندب والإرشاد إلى ما هو الأولى واستنهاض النفوس إلى تحصيل الأكمل، وذلك برفع الهمَّة عن الخلق والالتجاء إلى الخالق، وردِّ الأمور كلِّها إليه سبحانه وتعالى، كما جاء في بعض الآثار: «**إنَّ اللهَ أوحى إلى موسى، لا تَسْتَحِي أن تَسْأَلَني فيما يَنُوبُكَ حتَّى في شِسْعِ نَعْلِكَ ومِلْحِ عَجينِكَ**»، أو كلامًا هذا معناه، وقد وردت الأحاديث بما ذكرنا.

فعن عوف بن مالكٍ الأشجعيِّ قال: كنَّا عند رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم تسعةً، أو ثمانيةً، أو سبعةً فقال: «**ألا تُبايعون رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؟**»، وكنَّا حديثي عهدٍ ببيعةٍ، فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله، قال: «**ألا تُبايعون رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؟**»، فبسطنا أيدينا وقلنا: قد بايعناك يا رسول الله فعلام نبايعك؟ قال: «**أن تَعْبُدوا اللهَ ولا تُشركوا به شيئًا، والصلوات الخمس، وتُطيعوا، وأسرَّ كلمةً خفيَّةً، ولا تسألوا الناس**»، فقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحدًا يناوله إيَّاه»، رواه مسلمٌ.

وعن ابن أبي مُليكة قال: «ربما يسقط الخطام من يد أبي بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه، فيضرب بذراع ناقته فينيخها فيأخذه».

قال: فقالوا له: أفلا أمرتنا فنناولكه، قال: إنَّ حِبِّي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أمرني أن لا أسأل النَّاسَ شيئًا». رواه أحمد.

وروىٰ الطبرانيُّ في "الكبير" مِن طريق عليِّ بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أُمامة قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن يُبايع**»، فقال ثوبان مولىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: بايعنا يا رسول الله، قال: «**على أن لا تَسأل أحدًا شيئًا**»، فقال ثوبان: فما له يا رسول الله؟ قال: «**الجنَّة**»، فبايعه ثوبان.

قال أبو أُمامة: فلقد رأيته بمكَّة في أجمع ما يكون من الناس يسقط سوطه وهو راكبٌ، فربَّما وقع علىٰ عاتق رجلٍ فيأخذه الرجل فيناوله فما يأخذه منه حتىٰ يكون هو ينزل فيأخذه».

ورواه بنحوه أحمد، وأبو داود، والنَّسائي، وابن ماجه بإسنادٍ صحيحٍ، عن

ثوبان نفسه.

فهذه الأحاديث ونحوها مما لم نذكره وهو كثيرٌ تبيِّن أنَّ المراد بحديث ابن عبَّاسٍ: منع سؤال الناس، وقطع التطلُّع لما عندهم، ورفع الهمَّة عمَّا في أيديهم، وهذا غير ما نحن فيه.

السادس: أنَّ الحديث يدلُّ كما قلنا على منع سؤال غير الله مطلقًا، والمُتنطِّع يرى جواز سؤال الناس بعضهم بعضًا فيما جرت به الأسباب الدنيوية وقضت به العادة المألوفة، كما قال فيما سيأتي: «ولم يكن في عهدهم -يعني الصحابة- سؤال الله بالمخلوق، ولا سؤال المخلوق للمخلوق قضاء حاجةٍ فوق ما جرت عليه الأسباب والسنن الإلهية بين الأحياء من سؤال بعضهم بعضًا الدعاء، وما في وسعهم أن يقضوه بعضهم لبعضٍ من السعي في الخير ودفع الضرر، وغير ذلك من شؤون الدنيا التي أمرنا بالسعي فيها؛ لأنَّها من باب التعاون على البرِّ والتقوى».

هذا كلامه، وهو صريحٌ في مخالفة الحديث الذي استدلَّ به هنا، ولا يُسوِّغ مخالفته دعواه أنَّ ذلك من باب التعاون على البرِّ والتقوى؛ لأنَّ الحديث عامٌّ كما قلنا.

وقد علمت مما تقدَّم أنَّ بعض الصحابة كانوا لا يسألون أحدًا أن يناولهم السوط إذا سقط من يدهم، ولا خِطام ناقتهم، وليس في الأمور التي جرت العادة بسؤال الناس بعضهم بعضًا فيها أهون من مناولة السوط والخِطام، فدلَّ ذلك على أنَّهم فهموا منع السؤال على العموم.

وليس غرضنا أن نلتزم هذا، ولكن غرضنا أن نبيِّن أنَّ المُتنطِّع خالف

الحديث الذي استدلَّ به من غير أن يُقدِّم على ذلك دليلًا، فهو متلاعبٌ بالنصوص، متناقضٌ في الكلام.

السابع: أنَّ الحديث خارجٌ عن محلِّ النِّزاع؛ لأنَّه يدلُّ على منع سؤال غير الله، وكلامنا في التوسل الذي هو سؤال الله بنبيِّه أو وليِّه وأين هذا من ذاك؟!

بل لو شئنا أن ندَّعي أنَّ الحديث دليلٌ على جواز التوسل، وأنَّ معنى قوله: «**إذا سألتَ فاسأل الله**»، أي: بمُقرَّبٍ من خلقه وبدونه؛ لأنَّ الفعل في سياق الشرط يعمُّ، لما كان في استطاعة المُتنطِّع أن يردَّ هذه الدعوى.

الثامن: احتجَّ المُتنطِّع هنا بتصحيح الترمذيِّ وتحسينه، لاعتقاده أنَّ الحديث يوافق هواه، وسيقول في الباب الثاني عند الكلام على حديث الأعمى الذي يردُّ نحلته ويقضي عليها ما نصُّه: «ولهذا قال كثيرٌ من شُرَّاح الكتاب كالعراقي: أنَّ الترمذيَّ لا يُعوَّل على تصحيحه فضلًا عن تحسينه؛ لأنَّه صحَّح الضعيف جدًّا، كحديث: «**مِفْتاحُ الصَّلاةِ الطَّهُورُ، وتَحْرِيمُها التكْبِيرُ، وتَحْلِيلُها التسليمُ**»، وهذا عند أهل الحديث مسلَّم به».اهـ

فانظر هداك الله إلى هذا التناقض البيِّن الذي لا يصدر إلَّا من أبله مُغفَّلٍ لا يدري ما يقول، تجده يؤيِّد ما قدَّمناه أول الكتاب من أنَّ هذه الطائفة المتهوِّسة تحتجُّ بتصحيح الترمذيِّ والحاكم إذا احتاجوا إليه، ثُمَّ لا يلبثون أن ينكروه ويردُّوه إذا خالفهم؛ فِرارًا من أن يُلزَموا بالحُجَّة، أو يُلجئوا إلى قول خصمهم إلجاءً، مع أنَّهم لا يعرفون التصحيح والتحسين، ولا معنى التضعيف والتوهين، وبالله التوفيق.

ثُمَّ قال المُتنطِّع: «ومنها في الصحيحين أنَّه لما نزل عليه: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] صَعِدَ الصَّفَا ونادىٰ بطون قريشٍ، فلمَّا اجتمعوا ناداهم بطنًا بطنًا فقال: «**يَا بني كعب بن لُؤَيٍّ، أَنْقِذُوا أنفُسَكُمْ مِن النَّارِ، يا بنِي مُرَّةَ بن كعبٍ...**» إلىٰ أن قال: «**ياصَفيَّة عمَّة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنقذي نَفْسَكِ مِن النَّارِ، فإنِّي لا أُغني عنك مِن الله شيئًا، يا فاطمةَ بنت محمَّدٍ، سَلِيني مِن مالي ما شِئْتِ، أنقذي نَفْسَكِ مِن النَّارِ، فإنِّي لا أُغْني عنكِ مِن الله شيئًا**».اهـ

وأقول: منطوق هذا الحديث يفيد أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لا ينفع أقاربه بشفاعةٍ ونحوها، وإذا كان لا ينفع أقاربه، فلأن لا ينفع أمَّته من باب أولىٰ، فدلَّ الحديث بمنطوقه ومفهومه الأولوي علىٰ أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لا ينفع أقاربه ورَحِمَه بشفاعةٍ ولا نحوها، وأنَّه لا يُغني عنهم من الله شيئًا، وهو مُعارَضٌ في كلِّ ذلك.

أمَّا منطوقه: فيعارضه ما رواه الطبرانيُّ، والدارقطنيُّ من طريق الحسن ابن سهلٍ، عن ابن عُيَيْنَة، عن جعفر بن محمَّدٍ، عن أبيه، عن جابرٍ أنَّه سمع عمر رضي الله عنه يقول للناس حين تزوَّج ابنة عليٍّ رضي الله عنهما: ألا تُهنُّوني؟ سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**يَنْقَطِعُ يومَ القِيامَةِ كلُّ سَبَبٍ ونَسَبٍ إلَّا سَبَبي ونَسَبي**»، قال الحافظ الهيثميُّ: «رجاله رجال الصحيح غير الحسن بن سهلٍ، وهو ثقةٌ».

ورواه البيهقيُّ من طريق وهيب بن خالدٍ، عن جعفر بن محمَّدٍ، عن أبيه،

أنَّ عمر رضي الله عنه خطب أمَّ كلثوم إلىٰ عليٍّ فذكر القصة، إلىٰ أن قال: سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**كلُّ سَبَبٍ ونَسَبٍ مُنْقَطِعٌ يومَ القِيامَةِ إلَّا ما كان مِن سَبَبي ونَسَبي**».

وكذا أخرجه الدارقطنيُّ من طُرقٍ عن جعفر بن محمَّدٍ، عن أبيه، عن عمر، وقال البيهقيُّ: «هو مرسلٌ حسنٌ».

وأخرج البيهقيُّ من طريق ابن أبي مُليكة، أخبرني حسن بن حسنٍ، عن أبيه، أنَّ عمر رضي الله عنه خطب إلىٰ عليٍّ رضي الله عنه أمَّ كلثوم فقال له عليٌّ: إنَّها تصغر عن ذلك، فقال عمر: سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**كلُّ سَبَبٍ ونَسَبٍ مُنْقَطِعٌ يومَ القِيامَةِ إلَّا سَبَبي ونَسَبي**»، فأحببتُ أن يكون لي مِن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم سببٌ ونسبٌ.

وكذا رواه الحافظ ابن السكن في صحاحه من طريق حسن بن حسنٍ، عن أبيه، عن عمر.

وروىٰ الفقيه أبو الحسن ابن المغازليِّ في "المناقب" من طريق عبدالله بن محمَّد بن عمر بن عليِّ بن أبي طالبٍ قال: سمعت عاصم بن عبدالله بن عمر قال: صعد عمر رضي الله عنه المنبر فقال: أيُّها الناس والله إنَّه ما حملني علىٰ عليٍّ في ابنته إلَّا أنِّي سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**كلُّ سَبَبٍ ونَسَبٍ وصِهْرٍ مُنْقَطِعٌ إلَّا نَسَبِي وصِهْرِي، وأنَّهما يأتيأن يومَ القِيامَةِ يَشْفَعانِ لصَاحِبِهما**».

وأخرجه الدارقطنيُّ، وأبو نعيمٍ من طريق يونس بن أبي يعفور العبديِّ هو أبو يحيىٰ قال: حدَّثني أبي قال: سمعت عبدالله بن عمر رضي الله عنهما يقول:

سمعت عمر يقول: سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**كلُّ سَبَبٍ ونَسَبٍ مُنْقَطِعٌ يومَ القِيامَةِ إلَّا سَبَبي ونَسَبي**»؛ ولذلك رغبتُ في أمِّ كلثوم.

وأخرج الدارقطنيُّ من طريق اللَّيث بن سعدٍ، عن موسىٰ بن عليِّ بن رباحٍ، عن أبيه، عن عقبة بن عامرٍ قال: خطب عمر إلىٰ عليٍّ ابنته من فاطمة رضي الله عنهما، وأكثر تردُّده إليه، فقال عليٌّ: يا أمير المؤمنين ما عندي إلَّا صغيرةٌ، فقال عمر: وما يحملني علىٰ كثرة تردُّدي إليك إلَّا أنِّي سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**كلُّ حَسَبٍ ونَسَبٍ وسَبَبٍ وصِهْرٍ مُنْقَطِعٌ يومَ القِيامَةِ إلَّا حَسَبي ونَسَبي وصِهْري**».

وروىٰ الدولابيُّ في "الذرية الطاهرة" من طريق واقد بن محمَّد بن عبدالله بن عمر، عن بعض أهله قال: خطب عمر إلىٰ عليٍّ رضي الله عنهما ابنته أمَّ كلثوم، وأمها فاطمة عليهما السَّلام، وذكر القصة وفي آخرها قال عمر: إنِّي سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**كلُّ سَبَبٍ مُنْقَطِعٌ يومَ القِيامَةِ إلَّا سَبَبي**»، فأردت أن يكون بيني وبين رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم سببٌ وصهرٌ.

وقصة خطبة عمر رضي الله عنه ابنة عليٍّ رضي الله عنهما، وتصريحه بأنَّ الحامل له علىٰ خطبتها هو الحديث المذكور مرويَّةٌ عن عمر رضي الله عنه من طرقٍ كثيرةٍ، ذكرها الحافظ ابن كثيرٍ في "جامع المسانيد"، والسيد السمهوديُّ في "جواهر العقدين"، والحافظ السخاويُّ في "استجلاب ارتقاء الغرف"، وغيرهم.

وروىٰ أبو صالحٍ المؤذِّن في أربعينه في فضل الزهراء، والحافظ أبو محمَّد عبد العزيز بن الأخضر، من طريق شريك القاضي، عن شبيب بن غرقدة، عن المستظل بن حصينٍ، عن عمر، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**كلُّ سَبَبٍ ونَسَبٍ مُنْقَطِعٌ يومَ القِيامَةِ إلَّا سَبَبي ونَسَبي، وكلُّ وَلَدِ أمٍّ فإنَّ عَصَبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة، فأنا أبوهم وعَصَبتهم**».

ورواه أبو نعيمٍ في "معرفة الصحابة" من طريق بشر بن مهران، حدثنا شريك به. ولفظه: أن عمر خطب إلىٰ عليٍّ رضي الله عنه ابنته أم كلثوم فاعتل عليٌّ عليه بصِغَرِها، فقال: إنِّي لم أُرِد الباءة، ولكن سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**كلُّ نَسَبٍ وسَبَبٍ مُنْقَطِعٌ يومَ القِيامَةِ ما خلا سَبَبي ونَسَبي، وكلُّ وَلَدِ أبٍ فإنَّ عَصَبَتَهُمْ لأبيهم ما خلا وَلَدَ فاطِمةَ فأنا أبوهم وعَصَبَتَهُمْ**».

وكذا رواه ابن السمَّان، والدارقطنيُّ من طريق بشر بن مهران، عن شريكٍ به نحوه.

وروىٰ الطبرانيُّ بإسنادٍ رجاله ثقاتٌ كما قال الحافظ الهيثميُّ، عن ابن عبَّاسٍ أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**كلُّ سببٍ ونسبٍ منقطعٌ يومَ القِيامَةِ إلَّا سَبَبي ونَسَبي**».

ورواه أحمد والحاكم والبيهقيُّ عن المِسْوَر بن مَخْرَمَةَ، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**فاطمةُ مَضْغَةٌ مِنِّي، يَقْبِضُني ما يَقْبِضُها، ويَبْسُطُني ما بَسَطَها، وإنَّ الأنسابَ يومَ القِيامَةِ تَنْقَطِعُ غير نَسَبي وسَبَبي وصِهْري**».

ورواه الطبرانيُّ في "الأوسط" من طريق إبراهيم بن يزيد الخوزيِّ، عن

محمَّد بن عبَّاد بن جعفرٍ، سمعت عبدالله بن الزبير يقول: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**كلُّ نَسَبٍ وصِهْرٍ مُنْقَطِعٌ يومَ القِيامَةِ إلَّا نَسَبي وصِهْري**»، ورواه ابن عساكر من طريق البغويُّ، ثنا سليمان بن عمر الأقطع، ثنا إبراهيم بن عبدالسَّلام، عن إبراهيم بن يزيد عن محمَّد بن عبَّاد بن جعفرٍ سمعت ابن عمر يقول: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم. فذكره.

وكذا رواه عبدالله بن أحمد في زيادات المسند من حديث ابن عمر.

وبالجملة فطرق الحديث كثيرةٌ فيها الصحيح والحسن والضعيف المُنجَبِر، وصحَّحه التاج السبكيُّ في أول "الطبقات" وغيره[1].

والحديث يدلُّ دلالةً صريحةً علىٰ أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ينفع أهله وأقاربه في الآخرة بالشفاعة، إذ لا معنىٰ لكون نسبه وسببه وصهره موصولةً يوم القيامة حين تنقطع الأنساب والأسباب إلَّا ذلك.

يؤيِّد ما قلناه ما رواه أحمد والحاكم والبيهقيُّ من طريق عبدالله بن محمَّد بن عقيلٍ، عن حمزة بن أبي سعيدٍ الخدريِّ، عن أبيه قال: سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول علىٰ المنبر: «**ما بالُ رِجَالٍ يقولون: إنَّ رَحِمَ رسولِ الله لا تَنْفَعُ قَوْمَهُ يومَ القِيامَةِ؟!، بلى والله إنَّ رَحِمي مَوْصُولَةٌ في الدُّنيا والآخِرةِ، وإنِّي أيُّها النَّاسُ فَرَطٌ لكم على الحَوْضِ**».

وروىٰ الطبرانيُّ عن عبدالرحمن بن أبي رافعٍ، عن أمِّ هانيءٍ ابنة أبي طالب أنَّها خرجت متبرجةً قد بدا قُرْطاها فقال لها عمر رضي الله عنه: اعملي فإنَّ

---

(١) بل هو حديثٌ مشهورٌ.

محمَّدًا لا يُغني عنك شيئًا. فجاءت إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فأخبرته، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ما بال أقوامٍ يزعمون أنَّ شفاعتي لا تنال أهل بيتي، وإنَّ شفاعتي تنالُ (حا) و(حكم)**».

و«حا، وحكم» قبيلتان في اليمن، قال الحافظ الهيثميُّ: «وهو مرسلٌ ورجاله ثقاتٌ».

وروى البزَّار بإسنادٍ ضعيفٍ كما قال السيد السمهوديُّ في "جواهر العقدين" عن ابن عبَّاسٍ قال: تُوفِّي لصفيَّة بنت عبد المطلب -رضي الله عنها- ابنٌ؛ فبكت عليه، فقال لها: «**تبكين ياعمَّة؟ مَن تُوفِّي له ولدٌ في الإسلام كان له بيتٌ في الجنَّة يسكنه**». فلمَّا خرجت لقيها عمر بن الخطاب فقال: ياصفية سمعت صراخك، إنَّ قرابة محمَّدٍ لا تُغني عنك من الله شيئًا. فبكت، فسمعها رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم تبكي، ففزع من ذلك وخرج، وكان صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مُكرِمًا لها، يبرُّها ويحبُّها، فقال لها: «**ياعمَّة تبكين وقد قلت لك ما قلت**»، فقالت: ليس ذلك أبكاني. وأخبرته بما قال الرجل، فغضب صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وقال: «**يا بلالُ هَجِّر بالصَّلاة**» ففعل، ثُمَّ قام صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: فحمد الله وأثنى عليه وقال: «**ما بالُ أقوامٍ يزعمون أنَّ قرابتي لا تنفع، إنَّ كلَّ سَبَبٍ ونَسَبٍ مُنْقَطِعٌ يومَ القِيامَةِ إلَّا سَبَبي ونَسَبي، وإنَّ رَحِمي مَوْصُولَةٌ في الدُّنيا والآخِرة**». قال عمر رضي الله عنه: فتزوَّجت أمَّ كلثوم لمَّا سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يومئذ، وأحببت أن يكون بيني وبينه نسبٌ وسببٌ.

وأخرج الحاكم بسندٍ ضعيفٍ أيضًا عن جابرٍ قال: كان لآل رسول الله

صلَّى الله عليه وآله وسلَّم خادمٌ يقال لها بريرة، فلقيها رجلٌ فقال لها: غطِّي شعيفاتك فإنَّ محمَّدًا لن يُغني عنك من الله شيئًا. فأخبرت النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فخرج يجرُّ ردائه مُحمَرَّةً وجنتاه -وكنَّا معشر الأنصار نعرف غضبه بجرِّ ردائه وحمرة وجنتيه- فأخذنا السلاح ثُمَّ أتينا فقلنا: يا رسول الله مُرنا بما شئت، والذي بعثك بالحقِّ نبيًّا لو أمرتنا بأمَّهاتنا وأولادنا وآبائنا لمضينا لقولك فيهم، ثُمَّ صعد المنبر فحمد الله عزَّ وجلَّ وأثنى عليه ثُمَّ قال: «**من أنا؟**» قلنا: رسول الله، قال: «**نعم، ولكن مَن أنا؟**» قلنا: محمَّد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، قال: «**أنا سيِّد ولدِ آدمَ ولا فَخْرَ، وأنا أوَّل من تَنشَقُّ الأرضُ عنه يومَ القِيامَةِ ولا فَخْرَ، وصاحِبُ لِواءِ الحَمْدِ ولا فَخْرَ، وفي ظِلِّ عَرْشِ الرحمن عزَّ وجلَّ يوم القيامة يَومَ لا ظلَّ إلَّا ظِلُّه ولا فَخْرَ، ما بال أقوامٍ يزعمون أنَّ رَحِمي لا تَنْفَعُ؟ بلى! حتَّى يبلغ (حا) و(حكم)، إنِّي لأُشفَّع فأَشْفَعُ حتَّى إنَّ مَن أَشْفَعُ له ليَشْفَعُ، حتَّى إنَّ إبليس ليتطاول طَمَعًا في الشفاعَةِ**».

فهذه الأحاديث كلُّها تعارض منطوق الحديث المتقدِّم، وأمَّا مفهومه فيعارضه حديث الشفاعة الطويل وفيه: «**فأستأذن على ربِّي، فإذا رأيته وقعت له ساجِدًا فيَدَعُنِي ما شاء اللهُ ثُمَّ يُقال لي: ارْفَعْ رَأْسَكَ، وسَلْ تُعْطَهُ وقُلْ يُسْمَعْ، واشْفَعْ تُشفَّع، فأرفع رأسي فأحمد ربِّي بتحميدٍ يُعلِّمني، ثُمَّ أشفع فيَحُدُّ لي حَدًّا، ثُمَّ أُخرجهم من النَّار وأُدخلهم الجنَّة، ثُمَّ أعود فأقع ساجِدًا مثله في الثالثة أو الرابعة، حتَّى ما يبقى في النَّار إلَّا مَن حَبَسَهُ القُرآنُ**». قال قتادة: أي وجب عليه الخلود.

وفي الصحيح عن عِمران بن حُصينٍ، عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**يَخْرُجُ قومٌ مِن النَّار بشفاعة محمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فيدخلون الجنَّة يُسمَّون الجَهنَّميِّين**».

وجاء عن أنسٍ وغيره أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**شَفاعَتِي لأهل الكَبائِرِ مِن أُمَّتي**». صحَّحه الترمذيُّ وابن خزيمة وابن حِبَّان والحاكم والبيهقيُّ والذهبيُّ والبوصيريُّ والهيثميُّ والسيوطيُّ، وغيرهم من الحُفَّاظ.

وأحاديث الشفاعة متواترةٌ، ورواها عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أكثر من أربعين صحابيًّا، ورواياتهم مُخَرَّجةٌ في الصحيحين، والسنن، والمسانيد، والمعاجم، وغيرها من كتب السنة، وهي تدلُّ على أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ينفع أمَّته بالشفاعة في مواطن:

أحدها: في إراحتهم من كَرْب الموقف.

ثانيها: في قومٍ استحقُّوا النَّار بذنوبهم فلا يدخلونها.

ثالثها: في إخراج قومٍ من النَّار وإدخالهم الجنَّة.

رابعها: في زيادة الدرجات لبعض أهل الجنَّة، بل ثبت في الصحيحين أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يشفع في عمِّه أبي طالبٍ أذ يجده في غمرات من النَّار فيخرجه إلى ضحضاح منها، وجاء في الصحيحين أيضًا أنَّه أهون أهل النَّار عذابًا.

فإن قيل: فكيف الجمع بين هذه الأحاديث، وبين الحديث الذي استدلَّ به المُتنطِّع.

قلت: طريق الجمع بينها من وجوهٍ ثلاثةٍ:

الأول: أنَّ الحديث الذي أتىٰ به المُتنطِّع أخبر بالحقيقة، فإنَّه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لا يملك لأحدٍ من الله شيئًا، لاضرًّا ولا نفعًا، وهذا لا يُنافي أنَّ الله يُملِّكه نفعَ أقاربه وجميع أمَّته بالشفاعة الخاصَّة والعامَّة، وقد فعل، كما دلَّت عليه الأحاديث التي أوردناها وغيرها، فهو لا يملك إلَّا ما يُملِّكه له مولاه عزَّ وجلَّ.

وكذا قوله: «**لا أُغني عنكم من الله**»، أي: بمجرَّد نفسي من غير ما يكرمني الله به من شفاعةٍ أو مغفرةٍ من أجلي، وقد أكرمه الله بذلك، وإنَّما أطلق الكلام في الحديث ولم يُقيِّده لاقتضاء المقام ذلك؛ لأنَّه مقام تخويفٍ وحثٍّ علىٰ العمل، ولأجل أن يحرِّضهم علىٰ أن يكونوا أوفي الناس حظًّا من التقوىٰ والخشية لله عزَّ وجلَّ. ذكر هذا المعنىٰ المحبُّ الطبريُّ في "ذخائر العقبىٰ".

الثاني: أنَّ الحديث كان قبل أن يُعلِمه الله بأنَّه يشفع وينفع يوم القيامة رحمه بالانتساب إليه دون غيره، ذكره السيد السمهوديُّ في "جواهر العقدين"، ويؤيِّده أنَّ الحديث ورد عند نزول قوله تعالىٰ: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ وكان ذلك بمكَّة في أوائل ما بُعث النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

الوجه الثالث: أن يكون المقصود من الحديث تحذيرهم من الشِّرك، وأنَّه لا يملِك لهم من الله شيئًا إن أشركوا، أو استمرَّ من كان منهم مشركًا علىٰ إشراكه؛ لأنَّ المشرك لا حظَّ له في الشفاعة ولو كان أخصَّ الأقربين، بل محكومٌ عليه بالخلود في النَّار أبد الآبدين، أعاذنا الله منها وجميع أحِبَّائنا بمنِّه.

وهذا الوجه استنبطته ولم أرَه منصوصًا، ويؤيِّده ثلاثة أمورٍ:

أوَّلها: أنَّ أغلب أقاربه كانوا إذ ذاك مشركين كما يُعلم من سبب ورود الحديث.

ثانيها: أنَّه لم يوجِّه الخطاب إلى المؤمنين منهم فقط بل عمَّهم جميعًا كما جاء في الصحيح، فشمل مؤمنيهم ومشركيهم، فوجب أن يكون الخطاب على وتيرةٍ واحدةٍ هي التحذير من الشرك كما هو واضحٌ.

ثالثها: ما ثبت في الصحيح في قصة وفاة أبي طالبٍ، أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال له: «**أي عَمِّ! قل لا إله إلَّا الله كلمةٌ أُحاجُّ لك بها عند الله**»، وفي روايةٍ للمحبِّ الطبريِّ: «**أُجادل عنك بها**».

فأفاد مفهوم الحديث أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لا يملك لأبي طالبٍ حُجَّةً يحتجُّ بها عند الله إن لم ينطق بكلمة التوحيد، مع أنَّه أقرب النَّاس إليه؛ لأنَّ الشرك يمنع من ذلك.

كما أفاد منطوقه أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يملك نفع أبي طالبٍ بالشفاعة إذا نطق بكلمة التوحيد، ويُجادل عنه بها عند الله ويُحاجج.

فتلخَّص ممَّا ذكرناه أنَّ الحديث الذي أتى به المُتنطِّع لا حُجَّة له فيه لما زعمه، وهكذا شأنه في كتابه -شأن كلِّ مُبطلٍ- يأتي بما لا دليل فيه لمدَّعاه ولا حُجَّةً، فيأتي بعموماتٍ خُصِّصت في مواضع أُخرى، ويجعل الخاصَّ عامًّا، والعامَّ خاصًّا، ويُحرِّف النصوص على ما يقتضيه مِزاجه السقيم، وهو يعتقد أنَّه قد احتجَّ وخاصم، وحقًّا إنَّه قد احتجَّ وخاصم؛ احتجَّ بالجهالة وخاصم بالسفاهة، ومن يقوى على مصاولة الجهالة ومواجهة السفاهة إلَّا من كان جاهلًا سفيهًا؟!

ومِمَّا يُؤثَر عن الإمام الشافعي أنَّه قال: «ما ناظرت عالمًا إلَّا غلبته، ولا ناظرت جاهلًا إلَّا غلبني».

ولقد صدق الشافعيُّ -رضي الله عنه- فيما قال، فإنَّ العالِم لا يستطيع مُغالبة الجاهل من أجل سفاهته، وبالله التوفيق.

ثُمَّ قال المُتنطِّع: «ولم يَثبت عنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ولا عن أحدٍ من أصحابه، والذين اتبعوهم بإحسانٍ، ولا عن أحدٍ من الأئمة المجتهدين الأربعة وغيرهم، أنَّه ذهب إلى قبر نبيٍّ، أو وليٍّ، أو صالحٍ، فسأل الله به، أو سأله حاجةً».اهـ

وأحاديث الشفاعة متواترةٌ، ورواها عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أكثر من أربعين صحابيًّا، ورواياتهم مُخَرَّجةٌ في الصحيحين، والسنن، والمسانيد، والمعاجم، وغيرها من كتب السنة

وأقول: يكفينا في تكذيب المُتنطِّع فيها زعمه حكاية بلال بن الحرث المزنيِّ الصحابيِّ، حيث ذهب إلى قبر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وقال له: «استسقِ لأمَّتك فإنَّهم قد هلكوا»، وأقرَّه عمر، وقد ذكرناها بإسنادها الصحيح فيها تقدَّم.

وقال الدارميُّ في "سننه": حدَّثنا أبو النعمان، ثنا سعيد بن زيدٍ، ثنا عمرو بن مالكٍ النُّكريُّ، حدَّثنا أبو الجوزاء أوس بن عبدالله، قال: قُحِطَ أهل المدينة قحطًا شديدًا، فشكوا إلى عائشة فقالت: انظروا قبر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فاجعلوا منه كِوًى إلى السماء، حتى لا يكون بينه وبين السماء سقفٌ، ففعلوا فمُطِرنا مطرًا، حتى نبت العُشْب وسَمِنت الإبل، حتى تفتَّقت من

الشحم، فسُمِّيَ عام الفَتْق.

فهذه عائشة أمُّ المؤمنين أمرتهم أن يلجأوا إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في قبره، ويجعلوا من قبره كِوًى إلى السماء مبالغةً في الاستشفاع به صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وبالضرورة كان في المدينة إذ ذاك صحابةٌ وتابعيُّون، فلم يُنقل عن أحدٍ منهم أنَّه أنكر عليها ذلك.

ورجال هذا الأثر لا بأس بهم، وسعيد بن زيدٍ وإن كان مُتكلَّمًا فيه فهو من رجال مسلمٍ، وقد وثَّقه ابن معينٍ وغيره.

وقال الخطيب في "تاريخ بغداد": أخبرنا القاضي أبو محمد الحسن بن الحسين بن رامين الاستراباذيُّ، أنبأنا أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعيُّ قال: سمعت الحسن بن إبراهيم أبا عليٍّ الخلَّال يقول: «ما همَّني أمرٌ فقصدت قبر موسى بن جعفرٍ فتوسَّلت به إلَّا سهَّل الله لي ما أحبُّ».

قلت: موسى هو الكاظم، والخلَّال أحد أئمَّة الحنابلة.

وقال الحافظ الخطيب في "تاريخ بغداد" أيضًا: أخبرنا القاضي أبو عبدالله الحسين بن عليِّ بن محمَّد الصيمريُّ: أنبأنا عمر بن إبراهيم المقري: نبأنا مكرم بن أحمد: نبأنا عمر بن إسحاق بن إبراهيم: نبأنا علي بن ميمون قال: سمعت الشافعيَّ يقول: «إنِّي لأتبرَّك بأبي حنيفة وأجيء إلى قبره في كلِّ يومٍ -يعني زائرًا-، فإذا عرضت لي حاجةٌ صلَّيت ركعتين وجئت إلى قبره وسألت الله تعالى الحاجة عنده، فما تَبعُد عنِّي حتى تُقضى».

فهذا الشافعيُّ أحد الأئمة الأربعة يتبرَّك بأبي حنيفة، ويتوسَّل بالدعاء عنده.

ونظير ذلك ما ذكره التاج ابن السبكيِّ في "طبقات الشافعية" في ترجمة الغزاليِّ الكبير ـ واسمه أحمد بن محمَّدٍ ـ قال: «حكى لي سيِّدنا الشَّيخ الإمام العلَّامة وليُّ الله جمال الدين عُمْدة المحقِّقين محمَّد بن محمَّدٍ الجماليُّ حيَّاه الله وبَيَّاه، وأمتع ببقياه: أنَّ قبر الغزاليِّ القديم مشهورٌ بمقبرة طوسٍ، وأنَّهم يسمُّونه الغزالي الماضي، وأنَّه جُرِّب من أمره أنَّ من كان به همٌّ، ودعا عند قبره استجيب له».اهـ

وذكر ابن السبكيِّ أيضًا في ترجمة ابن فورك: أنَّ الإمام الشهيد أبا الحجَّاج يوسف بن دوناس العبدلاويَّ المالكيَّ المدفون خارج باب الصغير بدمشق، قبره ظاهرٌ معروفٌ باستجابة الدعاء عنده، ونقل أيضًا عن عبدالغافر الفارسيِّ: أنَّ قبر ابن فورك ظاهرٌ بالحيرة يُستسقى به ويُستجاب الدعاء عنده، ونقل أيضًا في ترجمة الإمام نصر المقدسيِّ عن الإمام النوويِّ أنَّه قال: «سمعنا الشيوخ يقولون: الدعاء عند قبره يوم السبت مستجابٌ».اهـ

وقال الحافظ أبو بكر ابن المقري في "مسند أصبهان": كنت أنا والطبراني، وأبو الشَّيخ في مدينة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فضاق بنا الوقت، فواصلنا ذلك اليوم، فلما كان وقت العشاء أتيت إلى القبر الشريف وقلت: يا رسول الله الجوع الجوع، فقال الطبرانيُّ: اجلس، فإمَّا أن يكون الرزق أو الموت، فقمت أنا وأبو الشَّيخ فحضر الباب علويٌّ ففتحنا له، فإذا معه غلامان بزنبيلين فيهما شيءٌ كثيرٌ، فقال: يا قوم شكوتم إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فإنِّي رأيته فأمرني بحمل شيءٍ إليكم.

نقل هذه الحكاية الحافظ السخاويُّ في "القول البديع".

فهؤلاء ثلاثة من كبار حُفَّاظ السنَّة وعلمائها وهم ابن المقري، والطبراني، وأبو الشَّيخ، أتوا إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في قبره وشكوا إليه الجوع، لعلمهم أنَّه حيٌّ في قبره، وأنَّ له شفاعةً عند ربِّه، فأغاثهم الله وأطعمهم على يد العلويِّ، بأمرٍ منه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فماذا يقول المُتنطِّع بعد هذا؟

أتراه يخجل ويلعن نفسه على افترائه أنَّ أحدًا من العلماء السابقين لم يفعل ذلك، أم تراه يسافه ويطعن في هؤلاء الحفَّاظ الذين لو عطس أحدهم لتناثر من رشاش عطاسه آلاف من مثل المُتنطِّع.

وذكر الحافظ السخاويُّ أيضًا مما عزاه لأبي عبدالرحمن السلمي بإسناده إلى أبي الخير الأقطع قال: دخلت المدينة وأنا بفاقةٍ، فأقمت خمسة أيامٍ لم أذق ذواقًا، فتقدَّمت إلى القبر الشريف وسلَّمت على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وعلى أبي بكرٍ، وعمر رضي الله عنهما، وقلت: أنا ضيفك الليلة يارسول الله، وتخليت ونمت خلف المنبر، فرأيت النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وأبا بكرٍ عن يمينه، وعمر عن شماله، وعليًّا بين يديه، فحرَّكني عليٌّ وقال: قم قد جاء النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقمت إليه وقبَّلت بين عينيه فدفع إليَّ رغيفًا فأكلت نصفه، فانتبهت فإذا في يدي نصف رغيفٍ.

وأبو الخير الأقطع صاحب هذه الحكاية ذكره القشيريُّ في "الرسالة" وقال: مغربيُّ الأصل، سكن تينات، وله كرامات، وفراسة حادَّة، كان كبير الشأن، مات سنة نيفٍ وأربعين وثلاثمائة، وذكر من كلامه قوله: «ما بلغ أحدٌ إلى حالةٍ شريفةٍ إلَّا بملازمة الموافقة، ومعانقة الأدب، وأداء الفرائض وصحبة الصالحين».

وذكر ابن القيم في كتاب "الكبائر"، وفي كتاب "السنة والبدعة" له في بيان بدعة الرفض من هذين الكتابين نقلًا عن الحافظ السلفي نزيل الإسكندرية، بإسناده إلى يحيى بن عطاف المعدل، أنَّه حكى عن شيخٍ دمشقيٍّ جاور الحجاز سنين قال: كنت بالمدينة في سنةٍ مُجدبةٍ، فخرجت يومًا إلى السوق لأشتري دقيقًا برباعي، قال: فأخذ الدقَّاق الرباعي وقال: العن الشَّيخين حتى أبيعك الدقيق، فامتنعت من ذلك، فراجعني مرات وهو يضحك، فضجرت منه وقلت: لعن الله من يلعنهما، قال: فلطم عيني فسالت على خدي، فرجعت إلى المسجد، وكان لي صديقٌ من أهل مَيَّافارقين جاور بالمدينة سنين، فسألني عما جرى، فأخبرته فقام معي إلى الحجرة المقدسة فقال: السلام عليك يا رسول الله، قد جئناك مظلومين، فخذ بثأرنا ثُمَّ رجعنا، فلما جنَّ الليل نمت، فلما استيقظت وجدت عيني صحيحةً أحسن ما كانت، وذكر بقية القصة فيما حصل لذلك الدقَّاق من العطب على لعنه أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وأرضاهما.

والحكايات من هذا النوع كثيرةٌ كما قال ابن تيمية، قال: «ومثل هذا يقع كثيرًا لمن هو دون النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وأعرف من هذا وقائع...».

وذكر منها حكاية بلال بن الحرث المزني التي ذكرناها وغيرها، ونحن ننقل كلامه بلفظه، قال في "اقتضاء الصراط المستقيم" عند الكلام على قصد القبر للدعاء عنده وأنَّه لم يكن من عمل الصحابة ولا التابعين، إلى كثيرٍ من هذه الإطلاقات التي يريد بها التهويل كعادته ما نصه: «ولا يدخل في هذا الباب ما يروى من أنَّ قومًا سمعوا رد السَّلام من النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، أو قبور غيره من الصالحين، وأنَّ سعيد بن المسيَّب كان يسمع الأذان من القبر

ليالي الحَرَّة ونحو ذلك، فهذا كله حقٌّ ليس مما نحن فيه، والأمر أجلُّ من ذلك وأعظم، وكذلك ما يُروىٰ أنَّ رجلًا جاء إلىٰ قبر النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فشكا إليه الجدب عام الرمادة، فرآه وهو يأمره أن يأتي عمر فيأمره أن يخرج يستسقي بالناس[1]، فإن هذا ليس من هذا الباب، ومثل هذا يقع كثيرًا لمن هو دون النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وأعرف من هذا وقائع، وكذلك سؤال بعضهم للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أو لغيره من أمَّته حاجته فتقضىٰ له، فإن هذا قد وقع كثيرًا وليس هو مما نحن فيه». اهـ

وذكر ابن تيمية أيضًا: «أنَّ إجابة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، أو غيره لهؤلاء السائلين لا يدلُّ علىٰ استحباب السؤال».

هذا منه احترازٌ عن توهُّمٍ بعيدٍ، فإنَّ أحدًا لا يقصد من ذكر هذه القضايا الاستدلال والاحتجاج وإنما الغرض من ذكرها تكذيب من يزعم كالمُتنطِّع أنَّ شيئًا من هذا لم يحصل في القرون الفاضلة، ويكون تكذيب هذا الزعم أبلغ إذا كان السؤال حاصلًا من علماء أجلَّاء، إيمانهم أثبت، ويقينهم أرسخ، كبلال بن الحرث المزني وعائشة، وأبي الجوزاء، والحافظ ابن المقري، والطبراني، وأبي الشَّيخ، وأبي الخير الأقطع الزاهد المشهور، وغيرهم كثيرٌ ممن لو وُزِن علم واحدٍ منهم وإيمانه بعلم ابن تيمية وإيمانه لرجح عليه.

وإن كان لابدَّ من التقليد فتقليد هؤلاء أولىٰ من تقليد ابن تيمية وأذنابه، ونعني بأذناب ابن تيمية من هم علىٰ شيءٍ من العلم وفُتنوا بأقوال ابن تيمية من بين أقوال سائر العلماء، لا المُتنطِّع وأشكاله فإنَّه ليس هناك حتىٰ يُعد من أذناب

---

(١) يلاحظ أنَّ هذه الزيادة من كيس ابن تيمية، ولم ترد في شيءٍ من طُرق هذا الأثر.

ابن تيمية، بل هو على رتبته العامِّية لم يتزحرح -ولن يتزحزح- عنها قيد شبرٍ.

وقال القسطلانيُّ في "المواهب اللدنية": «وينبغي للزائر أن يكثر من الدعاء، والتضرع، والاستغاثة، والتشفع، والتوسل به صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فجديرٌ بمن استشفع به أن يُشفِّعه الله تعالى فيه».

وتكلَّم على معنى الاستغاثة، وأنَّه لا فرق بين التعبير بلفظها، أو بلفظ التوسل، والتشفع، أو التجوه، أو التوجُّه.

ثُمَّ قال: «ثُمَّ إنَّ كلًّا من الاستغاثة، والتوسُّل، والتشفُّع، والتوجُّه، بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم -كما ذكره في "تحقيق النصرة" و"مصباح الظلام"- واقعٌ في كلِّ حالٍ قبل خلقه، وبعده في مدَّة حياته، وبعد وفاته في مدَّة البرزخ، وبعد البعث في عَرَصات القيامة».

وتكلَّم على الحالة الأولى ثُمَّ قال: «وأمَّا التوسل به صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعد موته في البرزخ فهو أكثر من أن يحصى أو يدرك باستقصاء، وفي كتاب "مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام" للشيخ أبي عبدالله ابن النعمان طرفٌ من ذلك، ولقد كان حصل لي داءٌ أعيى دواؤه الأطبَّاء، وأقمت به سنين، فاستغثت به صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ليلة الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٨٩٣ بمكة زادها الله شرفًا، فبينما أنا نائمٌ إذ جاء رجلٌ معه قرطاس يكتب فيه: هذا دواء داء أحمد بن القسطلانيِّ من الحضرة الشريفة بعد الإذن الشريف، ثُمَّ استيقظت فلم أجد بي والله شيئًا مما كنت أجد، وحصل الشفاء ببركة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

ووقع لي أيضًا في سنة ٨٨٥ في طريق مكة بعد رجوعي من الزيارة الشريفة لقصد مصر، إذ صُرعت خادمتنا غزال الحبشية، واستمر بها أيامًا فاستشفعت به صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في ذلك، فأتاني آتٍ في منامي ومعه الجنيُّ الصارع لها فقال: لقد أرسله لك صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فعاتبته وحلفته ألَّا يعود إليها، ثُمَّ استيقظت وليس بها قلبة، كأنما نشطت من عقالٍ ولا زالت في عافيةٍ من ذاك حتىٰ فارقتها بمكة سنة ٨٩٤، والحمد لله ربِّ العالمين».اهـ

و "مصباح الظلام" محفوظٌ بدار الكتب المصرية رقم (٥٩م).

ثُمَّ نقل المُتنطِّع عن "الكنز" أنَّ أبا حنيفة قال: «أكره أن يقول العبد أسألك بأنبيائك ورسلك، وبمعاقد العزِّ من عرشك، وبالبيت الحرام، وبالمشعر الحرام».اهـ

وأقول: قضىٰ الله ولا رادَّ لقضائه، ألَّا يكون للمتنطِّع نصيبٌ من الصواب، ولا علىٰ كلامه مسحة من الحقِّ، وذلك علامةٌ علىٰ أنَّه غير موفَّقٍ ولا مُعانٍ، فما أجدره بقول القائل:

إذا لم يكن عونٌ من الله للفتىٰ ... فأكثر ما يَجني عليه اجتهادُه

فلقد تتبعَّنا ما استدلَّ به المُتنطِّع في كتابه، فإذا هو لا يخرج عن أحد أمرين: إمَّا أن يكون لا دلالة فيه لزعمه، وهذا حال أغلب أدلته، وإمَّا أن يكون حجَّةً عليه لا له.

واستدلاله بكلام أبي حنيفة من هذا القبيل، وتقرير ذلك: أنَّ أبا حنيفة عبَّر بأكره فيكون التوسل بالأنبياء والرسل وما ذكر معهم مكروهًا، والمكروه علىٰ

ما تقرَّر في صغار كتب الأصول وكبارها هو ما يكون جائزَ الفعل مع رجحان الترك عليه، وبعبارة أخرىٰ هو ما يثاب علىٰ تركه ولا يعاقب علىٰ فعله، وإن شئت قلت: هو ما يُمدح تاركه ولا يُذمُّ فاعله شرعًا، هذه حقيقة المكروه عند الأصوليين، لا يجهلها صغار الطلبة فضلًا عن كبارهم.

وعلىٰ ضوء هذه الحقيقة الأصولية يكون قول أبي حنيفة حجَّةً لنا في جواز التوسل، وأنَّه لا إثم فيه ولا عقاب، وإن كان تركه أرجح، وهذا نقيض غرض المُتنطِّع، فإنَّه إنَّما أتىٰ بكلام أبي حنيفة ليثبت به أنَّ التوسل بدعةٌ من البدع، وضلالٌ بحكم القرآن، وعدوان علىٰ ما أنزل الله... إلخ جُمله السخيفة الركيكة، فكان ما أتىٰ به حجَّةً عليه، قدمها إلىٰ خصومه من حيث لا يشعر، وهكذا شأن المُتنطِّعين المتعنِّتين يهدمون أنفسهم بأيديهم وهم لا يشعرون، وذلك آية خذلانهم، ولو كان المُتنطِّع يفهم معنىٰ قول أبي حنيفة: «أكره»، ويعرف معنىٰ الكراهة عند الأصوليين لأدرك ضرر استدلاله بهذا الكلام عليه، فيعدل عنه إلىٰ غيره، ولكنه لا يفهم ما ينقل ولا يعقل ما يقول، فقضىٰ علىٰ نفسه بيده قضاءً محكمًا.

فإن قيل: ليس معنىٰ قول أبي حنيفة أكره أن يقول العبد: «أسألك بأنبيائك ورسالك... إلخ» الكراهة التنزيهية حتىٰ يلزم منه ما ذكرته، بل معناه الكراهة التحريمية بدليل أنَّ صاحب "الكنز" ذكر هذه العبارة في باب الحظر والإباحة، فيقتضي كلام أبي حنيفة علىٰ هذا تحريم التوسل وهو المطلوب.

قلنا: هذا المعنىٰ لا يفيد شيئًا، بل هو حجَّةٌ عليه أيضًا، وذلك أنَّ من

أصول الحنفية أنَّهم يفرقون بين قولهم في الشيء هو حرامٌ أو محرَّمٌ، وبين قولهم مكروه كراهة تحريم، حيث يطلقون العبارة الأولى على ما كان محرَّمًا بنصٍّ قطعيٍّ كالزنا، والربا، وشرب الخمر، وأكل الميتة والخنزير ونحو ذلك، ويطلقون العبارة الثانية على ما ليس في تحريمه نصٌّ قطعيٌّ.

ففي "الكنز" وشرحه للشيخ مصطفي بن أبي عبدالله الطائي ما نصه: «المكروه تحريمًا إلى الحرام أقرب عندهما، ونصُّ محمَّدٍ: أنَّ كلَّ مكروهٍ حرامٌ، وأمَّا المكروه تنزيهًا فإلى الحلِّ أقرب اتفاقًا».

وفي "الكنز" أيضًا وشرحه لملا مسكين ما نصه: «المكروه إلى الحرام أقرب عندهما، وقال خلف بن يحيى: المكروه إلى الحلال أقرب، ونصَّ محمَّدٍ: كلُّ مكروهٍ حرامٌ، وإنَّما لم يطلق عليه لفظه؛ لأنَّه لم تثبت حرمته بدليلٍ قطعيٍّ كما في الحرام».اهـ

إذا علم هذا، فحمل قول أبي حنيفة: «أكره» على الكراهة التحريمية يكون معناه في اصطلاح أبي حنيفة وأبي يوسف أنَّ التوسل إلى الحرام أقرب، وفي اصطلاح محمَّد بن الحسن أنه ليس في حرمة التوسل دليلٌ قطعيٌّ، وكلا المعنيين يُكذِّبان المُتنطِّع في زعمه أنَّ التوسل ضلالٌ وإشراكٌ، وأنَّ القرآن كلَّه -إلَّا يسيرًا منه- يدل على حرمته، ويحكم بشرك أصحابه، إذ لو كان الأمر كذلك لما خفي على أبي حنيفة وصاحبيه، وقد كانوا -خصوصًا أبا حنيفة- مضرب المثل في الذكاء والفطنة وصفاء الذهن وجودة القريحة، ثُمَّ يدركه المُتنطِّع في آخر الزمان وهو على ضدِّ هذه الصفات الجليلة، فقد رأيت أنَّ قول أبي حنيفة -على

كلا الاحتمالين- يصفع المُتنطِّع ويصرعه ويقضي عليه قضاءً لا يُرجى له بعده رجوعٌ.

ثُمَّ بعد هذا رجعنا إلى كتب الحنيفة فوجدنا المُتنطِّع كذب عليهم في شيئين:

الأول: ادِّعاؤه أنَّ صاحب "الكنز" نقل تلك العبارة عن أبي حنيفة مع أنه لم ينقلها عنه ولا ذكر اسمه فيها.

الثاني: ادِّعاؤه أنَّ كلام أبي حنيفة في التوسل، مع أنه في الإقسام على الله بخلقه، وقد حرَّف العبارة ولم ينقلها على أصلها، بل حذف منها بعض كلماتٍ تبيَّن أنَّ مراد أبي حنيفة الإقسام على الله بخلقه لا التوسل.

وهاك العبارة على أصلها سالمةً من كذب المُتنطِّع وتحريفه، ففي "الكنز" وشرحه للشيخ مصطفي ابن أبي عبدالله الطائي ما نصه: «وكره الدعاء بأن يقول: أسألك بمقعد العز من عرشك، ولو بتقديم العين، وعن أبي يوسف لا بأس به، والأحوط الامتناع، وبأن يقول: بحق فلان، وبحقِّ أنبيائك ورسلك، وبحق البيت والمشعر الحرام، لأنَّه لاحقَّ للخلق على الخالق».اهـ

فانظر إلى عبارة "الكنز" فلا تجد فيها ذكرًا لأبي حنيفة، وتأمَّل تعليل الشارح بأنه لا حقَّ للخَلْقِ على الخالق، تجد المسألة مفروضة في الإقسام على الله بخَلْقِه، لا في مجرَّد سؤاله بهم كما هو زَعْم المُتنطِّع.

يوضح هذا ما جاء في "شرح العقيدة الطحاوية" ونصه: «وإن كان مراده -أي الداعي- الإقسام على الله بحقِّ فلانٍ فذلك محذورٌ أيضًا؛ لأنَّ الإقسام بالمخلوق على المخلوق لا يجوز، فكيف على الخالق، وقد قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**»، ولهذا قال أبو حنيفة وصاحباه

رضي الله عنهم: يكره أن يقول الداعي أسألك بحقِّ فلانٍ، أو بحقِّ أنبيائك ورسلك، وبحقِّ البيت الحرام والمشعر الحرام ونحو ذلك، حتى كره أبو حنيفة ومحمَّدٌ أن يقول الرجل: اللهم إنِّي أسألك بمقعد العزِّ من عرشك، ولم يكرهه أو يوسف لما جاء من الأثر فيه».اهـ.

والأثر الذي أشار إليه هو ما جاء عن ابن مسعودٍ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**اثنتا عشرة ركعة تُصلِّيهنَّ مِن ليلٍ أو نهارٍ، وتتشهَّد بين كلِّ ركعتين، فإذا تشهَّدتَ في آخِر صلاتك فأثْنِ على الله عزَّ وجلَّ، وصلِّ على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، واقرأ وأنت ساجِدٌ فاتحة الكتابِ سبع مرَّاتٍ، وآيةَ الكرسيِّ سبع مرَّاتٍ، وقل: لا اله إلَّا الله وحده لا شريك له، له المُلْكُ وله الحمدُ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ عشر مرَّاتٍ، ثُمَّ قل: اللهمَّ إنِّي أسألُكَ بمَعَاقِدِ العِزِّ مِن عَرْشِكَ، ومُنْتَهَى الرَّحْمَةِ مِن كتابك، واسْمِكَ الأَعْظَمِ، وجَدِّكَ الأَعْلَى، وكَلِماتِكَ التَّامَّةِ، ثُمَّ سَلِّم يَمينًا وشمالًا، ولا تُعَلِّموها السُّفهاءَ فإنَّهم يَدْعُونَ بها فيُستجابُ لهم**».

رواه الحاكم وقال: قال أحمد بن حرب: قد جرَّبته فوجدته حقًّا، وقال إبراهيم بن علي الدبيليُّ: قد جرَّبته فوجدته حقًّا، وقال الحاكم: قال لنا أبو زكريا: قد جربته فوجدته حقًّا.

والحديث وإن كان ضعيفًا فهو من باب الترغيب والفضائل، والاعتماد في مثل هذا -كما قال الحافظ المنذريُّ- على التجربة لا على الإسناد، ولعلك بعد هذا البيان تحقَّقت كذب المُتنطِّع وخيانته، وكفى بهما خزيًا وعارًا، وبالله التوفيق.

ثُمَّ قال المُتنطِّع: «وقال مالكٌ رحمه الله: ما رأينا أحدًا من الأمَّة يذهب إلى قبر رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يسأله حاجةً، إلَّا أنَّ عبدالله بن عمر كان إذا قدم من سفرٍ ذهب إلى قبر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فيسلِّم عليه وعلى أبي بكرٍ وعمر ثُمَّ ينصرف، نقله القاضي إسماعيل في كتابه "المبسوط" عن مالكٍ بالسند الصحيح إليه».اهـ

وأقول: هذا أيضًا مكذوبٌ كسابقه، فلم ينطق مالكٌ بهذا الكلام أصلًا، ولا رواه القاضي إسماعيل لا في "المبسوط" ولا في غيره من كتبه، وادِّعاء المُتنطِّع أنَّ سنده صحيحٌ كذبٌ مركَّبٌ على كذبٍ، وهو لم يرَ "المبسوط"، ولا عرف موضوعه، ولا درى هل يسند القاضي فيه أو لا؟

وإنَّما غرضه أن يثبت مزاعمه، فلا يجد لإثباتها سبيلًا إلَّا أن يكذب في النقل، ويُحرِّف النصوص، ويقول على الأئمة ما لم يقولوا، وإنَّ رأيًا يقوم على هذه الأكاذيب لرأيٌ فاسدٌ كاسدٌ، حريٌّ به أن لا يقوم حتى يقع، ولا يستمسك حتى يهي.

وإليك عبارة الإمام مالكٍ كما نقلها القاضي عياضٌ في "الشفا"، قال في فصل في زيارة قبره عليه السلام وفضل من زاره وسلَّم عليه وكيف يُسلِّم ويدعو ما نصه: «قال مالكٌ في "المبسوط": لا أرى أن يقف على قبر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يدعو، ولكن يسلِّم ويمضي».

وفي "الشفا" في هذا الفصل أيضًا: قال مالكٌ في "المبسوط": «وليس يلزم من دخل المسجد وخرج منه من أهل المدينة الوقوف بالقبر، وإنما ذلك للغرباء»، وقال فيه أيضًا: «لا بأس لمن قدم من سفرٍ أو خرج إلى سفرٍ أن يقف

على قبر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فيصلِّي عليه، ويدعو له، ولأبي بكرٍ وعمر، فقيل له: إنَّ ناسًا من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه؛ يفعلون ذلك في اليوم مرَّةً أو أكثر، وربما وقفوا في الجمعة أو في الأيام المرَّة أو المرتين، أو أكثر عند القبر، فيسلِّمون ويدعون ساعةً، فقال: لم يبلغني هذا عن أحدٍ من أهل الفقه ببلدنا، وتركه واسعٌ، ولا يُصلح آخر هذه الأمَّة إلَّا ما أصلح أولها، ولم يبلغني عن أوَّل هذه الأمَّة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك، ويكره إلَّا لمن جاء من سفرٍ أو أراده».اهـ

فهذه عبارات الإمام مالكٍ في "المبسوط"، نقلها القاضي عياضٌ كما ذكرنا، ونقلها بواسطته ابن تيمية في "اقتضاء الصراط المستقيم"، والتقيُّ السبكيُّ في "شفاء السقام"، وابن عبدالهادي في "الصارم المنكي" وغيرهم، وليس للإمام مالكٍ في المبسوط ولا في غيره غير هذه العبارات، وهي كما ترى في السلام على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم والدعاء عند قبره.

وقد فرَّق مالكٌ بين الغرباء وأهل المدينة في ذلك، حيث أجاز للغرباء ومن جاء من سفرٍ أن يأتوا القبر ويسلِّموا ويدعو عنده، وكرهه لأهل المدينة المقيمين، لما في فعلهم ذلك من اتِّخاذ القبر الشريف عيدًا، وهو منهيٌّ عنه، والمُتنطِّع حرَّف العبارة كما رأيت في كلامه، وأخرجها عن معناها الذي هو كراهة قصد القبر الشريف للسلام والدعاء عنده إلى ما ذكره، ليتوصَّل بذلك إلى زعمه الفاسد، وما درى المسكين أنَّ هذا التحريف لا يُفيده، بل يكون حجَّةً عليه إذ لا يلزم من عدم رؤية مالكٍ أحدًا من الأمَّة جاء إلى قبر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يسأله حاجةً عدم وقوع ذلك، ولو سُلِّم فلا يلزم من عدم

وقوعه عدم جوازه، ولو سُلِّم فلا يلزم من عدم جوازه كونه ضلالًا وإشراكًا كما هو زَعْمُ المُتنطِّع، فغاية ما تفيده العبارة بعد ذلك التحريف أنَّ ما لكًا لم يرَ في عصره وفي العصر الذي قبله أحدًا يتوسَّل بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وذلك لو سُلِّم لا يُفيد حرمة التوسل، فضلًا عن كونه ضلالًا وإشراكًا، فكيف وقد صحَّ ذلك من فعل بلال بن الحرث المزنيِّ وغيره كما تقدَّم؟!!

ومما يدل على أنَّ تلك العبار مكذوبةٌ على مالكٍ أنَّ المالكية صرَّحوا بجواز التوسل، ولو كان عن إمامهم قول بكراهته كما هو مفاد تلك العبارة لما استجازوا مخالفته.

ولو فرضنا أنهم خالفوه لحكوا كلامه ونقلوه على أنه ضعيفٌ أو مؤوَّل، كما يحكون أقوال ابن القاسم، وأشهب، وابن المَوَّاز ونحوهم من رجال المذهب، بل قول الإمام أولى بذلك، فلمَّا لم يفعلوا دلَّ ذلك على أنَّ الإمام مالكًا ليس له قولٌ بكراهة التوسل فضلًا عن منعه، إذ من المستحيل عادة أن يكون له قول بذلك لا يعرفه أصحابه، ولا عرَّجوا عليه، ثُمَّ يدركه المُتنطِّع مع عدم اطِّلاعه وضيق باعه.

وإليك بعض نصوصهم في ذلك:

قال ابن الحاجِّ في "المدخل" في باب زيارة القبور بعد أن ذكر الزيارة المشروعة ما نصُّه: «وهذه صفة زيارة القبور عمومًا فإن كان الميت المُزار ممَّن تُرجى بركته فيُتوسَّل به إلى الله تعالى، وكذلك يتوسل الزائر بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بل يبدأ بالتوسل إلى الله تعالى بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إذ هو العمدة في التوسل والأصل في هذا كلِّه والمشرِّع له فيُتوسَّل به صلَّى الله

عليه وآله وسلَّم وبمن تبعه بإحسانٍ إلى يوم الدين، وقد روى البخاريُّ عن أنسٍ أنَّ عمر رضي الله عنه كان إذا قحطوا اسْتَسْقَى بالعبَّاس فقال:«اللهمَّ إنَّا كنَّا نتوسَّل إليك بنبيِّك صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فتسقينا وإنَّا نتوسل إليك بعمِّ نبيِّك فاسْقِنا فيُسْقَون».

ثُمَّ يتوسَّل بأهل تلك المقابر -أعني بالصالحين منهم- في قضاء حوائجه ومغفرة ذنوبه، ثُمَّ يدعو لنفسه ولوالديه ولمشايخه ولأقاربه ولأهل تلك المقابر ولأموات المسلمين ولأحيائهم وذريتهم إلى يوم الدين، ولمن غاب عنه من إخوانه ويجأر إلى الله تعالى بالدعاء عندهم ويكثر التوسل بهم إلى الله تعالى؛ لأنَّه سبحانه وتعالى اجتباهم وشرَّفهم وكرَّمهم فكما نفع بهم في الدنيا ففي الآخرة أكثر، فمن أراد حاجةً فليذهب إليهم وليتوسل بهم فإنهم الواسطة بين الله تعالى وخلقه، وقد تقرَّر في الشرع وعلم ما لله تعالى بهم من الاعتناء وذلك كثيرٌ مشهورٌ وما زال الناس من العلماء والأكابر كابرًا عن كابرٍ مشرقًا ومغربًا يتبرَّكون بزيارة قبورهم ويجدون بركة ذلك حسًا ومعنى.

وقد ذكر الشَّيخ الإمام أبو عبدالله ابن النعمان رحمه الله في كتابه المسمَّى بـ"سفينة النجاء لأهل الالتجاء في كرامات الشَّيخ أبي النجاء" في أثناء كلامه على ذلك ما هذا لفظه: «تحقَّق لذوي البصائر والاعتبار أنَّ زيارة قبور الصالحين محبوبةٌ؛ لأجل التبرك مع الاعتبار فإنَّ بركة الصالحين جاريةٌ بعد مماتهم كما كانت في حياتهم، والدعاء عند قبور الصالحين والتشفع بهم معمولٌ به عند علمائنا المحقِّقين من أئمَّة الدين».

ولا يُعترض على ما ذُكر أنَّ من كانت له حاجةٌ فليذهب إليهم وليتوسل

بهم بقوله عليه الصلاة والسلام: «**لا تُشدُّ الرِّحَالُ إلَّا لثلاثة مَساجِدَ: المسجدِ الحرَامِ، ومسجدي، والمسجد الأقصى**».

وقد قال الإمام الجليل أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالىٰ في كتاب آداب السفر من كتاب "الإحياء" له ما هذا نصه: «القسم الثاني وهو أن يُسافر لأجل العبادة إمَّا لجهادٍ أو حجٍّ»إلىٰ أن قال: «ويدخل في جملته زيارة قبور الأنبياء وقبور الصحابة والتابعين وسائر العلماء والأولياء، وكلِّ من يُتبرَّك بمشاهدته في حياته يُتبرَّك بزيارته بعد وفاته، ويجوز شدُّ الرحال لهذا الغرض، ولا يمنع من هذا قوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم «**لا تُشدُّ الرحال إلَّا لثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي والمسجد الأقصى**»؛ لأنَّ ذلك في المساجد لأنَّها متماثلةٌ بعد هذه المساجد، وإلَّا فلا فرق بين زيارة الأنبياء والعلماء والأولياء في أصل الفضل، وإن كان يتفاوت في الدرجات تفاوتًا عظيمًا بحسب اختلاف درجاتهم عند الله عزَّ وجلَّ، والله تعالىٰ أعلم». اهـ

ثُمَّ تكلَّم علىٰ حكم من نذر المشي إلىٰ المسجد، أو إلىٰ زيارة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «وأمَّا عظيم جناب الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فيأتي إليهم الزائر ويتعيَّن عليه قصدهم من الأماكن البعيدة، فإذا جاء إليهم فليتَّصف بالذلِّ والانكسار والمسكنة والفقر والفاقة والحاجة والاضطرار والخضوع، ويحضر قلبه وخاطره إليهم وإلىٰ مشاهدتهم بعين قلبه لا بعين بصره؛ لأنهم لا يبلون ولا يتغيرون ثُمَّ يُثني علىٰ الله بما هو أهله، ثُمَّ يُصلِّي عليهم ويترضَّى عن أصحابهم، ثُمَّ يترحَّم عن التابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، ثُمَّ يتوسل إلىٰ الله تعالىٰ بهم في قضاء مآربه ومغفرة ذنوبة،

ويستغيث بهم ويطلب حوائجه منهم ويجزم بإلاجابة ببركتهم، ويُقوِّي حسن ظنه في ذلك؛ فإنهم باب الله المفتوح وجرت سنته سبحانه وتعالىٰ في قضاء الحوائج علىٰ أيديهم وبسببهم، ومن عجز عن الوصول إليهم فليرسل بالسلام عليهم، ويذكر ما يحتاج إليه من حوائجه ومغفرة ذنوبه وستر عيوبه إلىٰ غير ذلك، فإنهم السادة الكرام والكرام لا يردُّون من سألهم ولا من توسل بهم ولا من قصدهم ولا من لجأ إليهم».

هذا كلام ابن الحاجِّ بحروفه وهو مالكيٌّ ومِن أشدِّ الناس محاربةً للبدع، وما ألَّف كتاب "المدخل" إلَّا لهذا الغرض، ونقل العلامة الوَنْشَريسيُّ في "المعيار"، والمحقِّق ابن هلال في نوازله: أنَّ العلَّامة قاسمًا العقبانيَّ سُئل عمن جرت عادته بزيارة قبور الصالحين فيدعو هنالك ويتوسل بالنبيِّ عليه السلام وبغيره من الأنبياء صلوات الله علىٰ جميعهم، ويتوسل بالأولياء الصالحين، ويتوسل بفضل ذلك الولي الذي يكون عند قبره علىٰ التعيين.

فهل يسوغ له هذا ويتوسل إلىٰ الله في حوائجه بالوليِّ علىٰ التعيين؟ وهل يجوز التوسل بعمِّ نبيِّنا أو لا؟

فأجاب: يجوز التوسل إلىٰ مولانا العظيم الكريم بأحبابه من النبيين والصِّديقين والشهداء والصالحين، وقد توسَّل عمر بالعباس رضي الله عنهما وكان ذلك بمشهدٍ عظيمٍ من الصحابة والتابعين، وقَبِل مولانا وسيلتهم وقضىٰ حاجتهم وسقاهم، ومازال هذا يتكرَّر في الذين يُقتدىٰ بهم فلا ينكرونه، ومازالت تظهر العجائب في هذه التوسلات بهؤلاء السادات نفعنا الله بهم وأفاض علينا من بركاتهم، وورد في بعض الاخبار أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله

وسلَّم علَّم بعض الناس الدعاء فقال في أوله: «**قل: اللهم إنِّي أُقسم عليك بنبيِّك محمَّدٍ نبيِّ الرحمة**» فقال عزُّ الدين بن عبدالسَّلام: «هذا الخبر إن صحَّ يكون مقصورًا على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؛ لأنَّه سيِّد ولد آدم ولا يُقسَم على الله تعالى بغيره من الأنبياء والملائكة والأولياء؛ لأنَّهم ليسوا في درجته، وإنَّ هذا إنَّما خُصَّ به نبيُّنا على علوِّ درجته ومرتبته».اهـ

قلت: جاء هذا فيما يتعلَّق بالقَسَم على مولانا العظيم، لا فيما يرجع إلى التوسل إلى الله سبحانه والله الموفِّق بفضله».اهـ كلامه.

ونصَّ على هذا المعنى أيضًا العلامة الوليُّ الكبير سيدي محمَّد بن ناصر الدرعيُّ في أجوبته، والعارف أبو زيد الفاسيُّ، والمحقِّق سيدي محمَّد بن عبدالقادر الفاسيُّ في شرح الحصن وغيرهم، وحكوا عن بعض المالكية ما يُخالف ذلك كقول ابن العربي: «لا يُزار قبرٌ يُنتفع به إلَّا قبر نبيِّنا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم».

وكقول العلامة الشارمساحي المالكيِّ: «إنَّ قصد الانتفاع بالميت بدعةٌ إلَّا في زيارة قبر المصطفى صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وقبور المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين، وأجابوا عنهما بأنَّهما خلاف قول الجمهور، وخلاف عمل الأمَّة... إلخ كلامهم».

ونقلوا أيضًا أنَّ ابن عبدالسَّلام المالكيَّ منع التوسل بغير النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وأنَّ ابن عرفة أجازه لتوسُّل عمر بالعبَّاس، وأجابوا عن كلام ابن عبدالسَّلام بأنَّه لا مُعوَّل عليه، وأنَّ الراجح ما قاله ابن عرفه.

ونصُّوا على أنَّ التوسل بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم متفقٌ على جوازه،

أي: عند المالكية، وألَّف مفتي فاس السيد المهديُّ الوزَّانيُّ المالكيُّ رسالةً في جواز التوسل ردَّ بها على الشَّيخ محمَّد عبده فتواه بالمنع، وكذلك ألَّف لهذا الغرض العلامة الشَّيخ المشرفيُّ المالكيُّ رسالةً سمَّاها: "إظهار العقوق ممَّن منع التوسل بالنبيِّ والوليِّ الصدوق" وكلتاهما مطبوعتان(١).

وكل هذا يُنادي بتكذيب تلك العبارة، وأنَّ مالكًا ما تكلَّم بها ولا خطرت على باله، بل نقلوا عنه ما يُخالفها مخالفةً صريحةً قاطعةً للشكِّ رافعةً للاحتمال، فذكر القاضي عياض في "الشفا" في فصل: «في أنَّ حرمة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعد موته، وتوقيره وتعظيمه لازمٌ كما كان حال حياته»، قال: حدَّثنا القاضي أبو عبدالله محمَّد بن عبدالرحمن الأشعريُّ، وأبو القاسم أحمد بن بقي الحاكم، وغير واحدٍ فيما أجازونيه قالوا: أنا أبو العبَّاس أحمد بن عمر بن دلهاث: نا أبو الحسن عليُّ بن فهر: نا أبو بكر بن محمَّد بن أحمد بن الفرج: نا أبو الحسن عبدالله بن المنتاب: نا يعقوب بن إسحاق بن أبي اسرائيل: نا ابن حميد، قال: ناظر أبو جعفرٍ أمير المؤمنين مالكًا في مسجد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقال له مالك: يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد؛ فإنَّ الله تعالى أدَّب قومًا فقال: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾، ومدح قومًا فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ الآية. وذمَّ قومًا فقال:

---

(١) وألَّف من قبلهما العلامة المحقِّق الشَّيخ الطيب بن كيران رسالةً ردَّ بها على سعود بن عبدالعزيز النجديِّ، ووصمه فيها بالابتداع، وهي مطبوعةٌ أيضًا، وفيها تحقيقاتٌ رائقةٌ.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ ﴾ الآية [الحجرات:٢- ٤] وإنَّ حرمته ميتًا كحرمته حيًّا، فاستكان لها أبو جعفرٍ، وقال يا أبا عبدالله: أستقبل القبلة وأدعو، أم أستقبل رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم؟ فقال: ولِمَ تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السَّلام إلىٰ الله يوم القيامة؟ بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله، قال الله تعالىٰ: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ ﴾ [النساء: ٦٤] الآية.

فهذه الحكاية عن الإمام مالكٍ صريحةٌ في جواز التوسل، بل استحبابة وهي وإن كانت ضعيفة الإسناد[1] فقد تلقَّاها أهل المذهب بالقبول وعملوا بمقتضاها، وناهيك بالقاضي عياض حيث استدل بها ولم يتعقَّبها بما يخالفها، ولهذا لا يحفظ عن أحدٍ من المالكية قول بمنع التوسل بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أو كراهته، بل كلهم متفقون علىٰ جوازه واستحبابه، وإنما اختلفوا في التوسُّل بغيره كما تقدَّم، وبكلِّ هذا بل بأقل منه عُلِم كذب المُتنطِّع فيما نقله فعليه ما علىٰ الكاذب الخائن.

(تنبيه): قال ابن فرحون المالكيُّ في "مناسكه": «اختلف أصحابنا في محلِّ الوقوف للدعاء ففي "الشفاء" قال مالكٌ في رواية ابن وهبٍ: إذا سلَّم علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقف للدعاء ووجهه إلىٰ القبر الشريف لا إلىٰ القبلة، وقد سأل الخليفة المنصور مالكًا فقال يا أبا عبدالله أستقبل القبلة وادعو أم أستقبل رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم؟ فقال مالكٌ: ولِمَ تصرف

---

(١) وادِّعاء ابن تيمية كذبها مَرْدودٌ عليه ولا كرامة.

وجهك عنه؛ وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله يوم القيامة؟!

وقال مالكٌ في "المبسوط": لا أرى أن يقف عند القبر يدعو، ولكن يُسلِّم ويمضي، ولعلَّ ذلك ليس اختلاف قول منه وإنَّما أمر المنصور بذلك؛ لأنه يعلم ما يدعو ويعلم آداب الدعاء بين يديه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فأَمِن عليه من سوء الأدب فأفتاه بذلك، وأفتى العامَّة أن يُسلِّموا وينصرفوا؛ لئلَّا يدعوا تلقاء وجهه الكريم، ويتوسَّلوا به في حضرته إلى الله العظيم فيما لا ينبغي الدعاء به أو فيما يُكره أو يحرم، فمقاصد الناس وسرائرهم مختلفةٌ، وأكثرهم لا يقوم بآداب الدعاء ولا يعرفها، فلذلك أمرهم مالكٌ بالسَّلام والانصراف».اهـ كلامه.

ثُمَّ قال المُتنطِّع: «وقال الشافعيُّ رحمه الله: أدركنا أهل بلدنا يهدمون القبور بمكَّة، فلا أُجيز رفع القبر عن الأرض ولا تجصيصه ولا البناء عليه».اهـ

وأقول: إن صحَّت هذه العبارة عن الشافعيِّ -وليست بصحيحة ولا هي من جنس المألوف من كلامه- فهي خارجةٌ عن محلِّ النِّزاع؛ لأنَّها تتعلَّق بالبناء على القبور ورفعها عن الأرض، ونحن كلامنا في التوسل ولا تلازم بين المسألتين؛ إذا ليس من شرط التوسل أن يكون عند القبر، ولا من شرط القبر المُتوسَّل بصاحبه أن يكون مبنيًّا مُجصَّصًا، فإدخال حديث تجصيص القبر وبنائه في حديث التوسل وجوازه خبلٌ في العقل يَجْدر بصاحبه أن يُقْبَر قبل الممات.

فإن قيل: فما الدليل على أنَّ تلك العبارة مكذوبةٌ على الشافعيِّ؟

قلنا: الدليل على ذلك أنَّ العبارة تُفيد منع رفع القبر مطلقًا مع أنَّه صحَّ عن الشافعيِّ خلافه، ففي "المجموع" للنوويِّ ما نصُّه: «يُستحبُّ أن يُرفع القبر

عن الأرض قدر شبرٍ، هكذا نصَّ عليه الشافعيُّ والأصحاب، واتفقوا عليه إلَّا أنَّ صاحب التتمَّة استثنىٰ فقال: إلَّا أن يكون دفنه في دار الحرب فيُخفىٰ قبره بحيث لا يظهر مخافة أن يتعرَّض له الكفَّار بعد خروج المسلمين. فإن قيل: هذا الذي ذكرتموه مخالفٌ لحديث عليٍّ رضي الله عنه، قال: أمرني رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم «**أن لا تَدَعَ قَبْرًا مُشْرِفًا إلَّا سَوَّيتَهُ**»، فالجواب ما أجاب به أصحابنا، قالوا: لم يُرِد التسوية بالأرض وإنَّما أراد تسطيحه جمعًا بين الأحاديث».اهـ

فهذا النقل عن الشافعيِّ صريحٌ في تكذيب المُتنطِّع، هذا مع أنَّ الشافعية اختلفوا في تسطيح القبر وتسنيمه أيهما أفضل؟ رجَّح كلًّا منهما جماعةٌ، كما ذكره النوويُّ في "المجموع" وقال: «إنَّ الراجح الذي نصَّ عليه الشافعيُّ، وقطع به جمهور الأصحاب: أنَّ التسطيح أفضل، وهو مذهب مالكٍ وداود». قال: «وقال أبو حنيفة والثوريُّ وأحمد التسنيم أفضل، فانظره تستفِدْ».

ودليلٌ آخر علىٰ تكذيب المُتنطِّع وهو أنَّ كلام الشافعيِّ في هدم البناء علىٰ القبور إذا كان في مقبرةٍ مُسْبَلَةٍ لا في غيرها.

ففي "المجموع" للإمام النوويِّ ما نصُّه: «قال الشافعيُّ والأصحاب: يُكره أن يُجصَّص القبر، وأن يُكتب عليه اسم صاحبه أو غير ذلك، وأن يُبنىٰ عليه، هذا لا خلاف فيه عندنا، وبه قال مالكٌ وأحمد وداود وجماهير العلماء، وقال أبو حنيفة: لا يُكره، دليلنا الحديث السابق -يعني حديث جابرٍ: «نهىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أن يُجصَّص القبر وأن يُبنىٰ عليه أو يُقعد أو يُكتب عليه»- قال أصحابنا رحمهم الله: ولا فرق في البناء بين أن يبنىٰ بيتًا أو

قبَّة أو غيرهما، ثُمَّ يُنظر فإن كانت مقبرةً مُسْبَلَةً حُرم عليه ذلك، قال أصحابنا: ويُهدم هذا البناء بلا خلاف. قال الشافعيُّ في "الأمِّ": ورأيت من الولاة من يهدم ما بُني فيها، ولم أرَ الفقهاء يعيبون عليه ذلك؛ ولأنَّ في ذلك تضييقًا على الناس، قال أصحابنا: وإن كان القبر في ملكه جاز بناء ما شاء مع الكراهة، ولا يُهدم عليه، قال أصحابنا: وسواء في كراهة التجصيص للقبر في ملكه أو المقبرة المسبلة، وأما تطيين القبر فقال إمام الحرمين والغزالي: يُكره، ونقل أبو عيسى الترمذيُّ في "جامعه" المشهور: أنَّ الشافعيَّ قال: لا بأس بتطيين القبر، ولم يتعرَّض جمهور الأصحاب له فالصحيح أنَّه لا كراهة فيه كما نصَّ عليه ولم يرِد فيه نهيٌّ».اهـ

فانظر إلى كلام الشافعيِّ على حقيقته كما نقله شيخ مذهبه؟ وانظر كيف حرَّفه المُتنطِّع ليوافق غرضه -لو نفعه ذلك التحريف- ثُمَّ احكم عليه بعد بما تشاء.

وخلاصة مذهب الشافعيِّ في ذلك: أنَّ تجصيص القبر والبناء عليه والكتابة كلُّ ذلك مكروهٌ كراهة تنزيهٍ فقط، ثُمَّ إن كان البناء في غير المقابر المسبلة لم يُحرم ولم يُهدم، وإن كان فيها حرم ووجب هدمه، وفي هذا يقول الشافعيُّ: «رأيت من يهدمها من الولاة ولم أرَ الفقهاء يعيبون عليه ذلك».

وكلُّ هذا بمعزلٍ عن التوسل الذي هو موضوع الكلام، كما هو واضحٌ لا يحتاج إلى بيان، والله الموفِّق لا ربَّ غيره.

ثُمَّ قال المُتنطِّع: «إذا عرفت هذا فاعلم أنَّ سؤال الله بخلقه، أو سؤال خلقه حاجةً من الحاجات حدثٌ وبدعةٌ من البدع التي لم تكن إلَّا بعد انقراض

القرون الثلاثة الذين شهد لهم رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أنهم خير القرون، كما في (صحيح الترمذيِّ) عن عمر».

وذكر حديث عمر: «**أوصيكم بأصحابي ثُمَّ الذين يَلُونَهُم، ثُمَّ الذين يَلُونَهم، ثُمَّ يَفْشُو الكَذِب...**» الحديث.

ثُمَّ قال: «وقد ثبت في الصحيحين أنَّه لا نجاة إلَّا للفرقة التي تكون علىٰ مثل ما كان عليه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وأصحابه...» إلىٰ قوله: «من باب التعاون علىٰ البرِّ والتقوىٰ».اهـ

وأقول: في كلامه أمورٌ:

الأول: ادِّعاؤه أنَّ سؤال الله بخلقه، أو سؤال خلقه حاجةً من الحاجات حدثٌ وبدعةٌ؛ كذبٌ مُركَّبٌ علىٰ جهلٍ كما يُعلم ممَّا تقدَّم وممَّا سيأتي، ولو لم يَرِد في ذلك إلَّا حديث الضرير، وقصة عثمان بن حنيفٍ، وبلال بن الحارث المزنيِّ، وعائشة، وقول مالكٍ الذي أسنده عياضٌ كما تقدَّم، وحكاية الحفَّاظ الثلاثة، لكان كافيًا في تكذيب المُتنطِّع المبتدع، فكيف ومع ذلك دلائل ستأتي إن شاء الله تعالىٰ؟!.

الثاني: إطلاقه لفظ الصحيح علىٰ "جامع الترمذيِّ" جهلٌ بهذا الكتاب خاصَّةً وبالصناعة الحديثية عامَّةً؛ وذلك لأنَّ السنن الأربعة لم يلتزم أصحابها الصِّحَّة، بل اخرجوا فيها الصحيح والحسن والضعيف والمنكر، كما قال الحافظ ابن الصلاح في "المقدمة".

قال الحافظ السيوطيُّ: «ومن أطلق عليها الصحيح كقول السلفيِّ في الكتب الخمسة: "اتفق علىٰ صحَّتها علماء المشرق والمغرب"، وكإطلاق الحاكم

على الترمذيِّ الجامع الصحيح، وإطلاق الخطيب عليه وعلى النَّسائيِّ اسم الصحيح فقد تساهل».اهـ

وفي "الألفية":

ومَـن عليهـا أَطْلَـقَ الصَّـحِيحا فقـد أَتَـى تَسَـاهُلًا صَرِيحـا

يعني مَن أطلق اسم «الصحيح» على السنن الأربعة فقد تساهل، والتساهل إنَّما هو بالنسبة للسلفيِّ والحاكم والخطيب ونحوهم من أهل هذا الشأن، أمَّا بالنسبة للمتنطِّع فإطلاق الصحيح على الترمذيِّ جهلٌ منه صريحٌ، وكذبٌ قبيحٌ.

الثالث: أنَّ ذلك المُتنطِّع لم يُطلق اسم الصحيح على "الترمذيِّ" عِرفانًا منه بقدره ومحبَّةً فيه، كلَّا! فإنَّه ما عرف الترمذيَّ، ولا أدرك مِقدار حفظه، ولا قرأ كتابه، ولا عرف ميزته بين كتب السنن النبوية، وإنَّما أطلق عليه اسم الصحيح لغرضين:

أحدهما: إيهام الضعفاء والأميين أنَّه إنَّما يحتجُّ بالأحاديث الصحيحة؛ لينجرُّوا إليه، ويلتفُّوا حوله، ويخلعوا عليه من ألقاب المدح التي يحبُّها ما تقر به عين صغار النفوس أمثاله.

وثانيهما: كون الحديث الذي نقله عن الترمذيِّ يوافق هواه فأراد أن يُقويِّ استدلاله به بأنَّه مُخَرَّجٌ في كتاب كله صحيح، وهذا النوع من الحيل المكشوفة لا يروج في سوق العلم والاستدلال، وإنَّما ينفعه في التهويش على العوام البسطاء أمثاله.

الرابع: قوله: «وقد ثبت في الصحيحيين أنَّه لا نجاة إلَّا للفرقة التي تكون

على مثل ما كان عليه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وأصحابه».

كذبٌ على الصحيحين؛ إذ أنَّ حديث: «**افْتَرَقِتِ اليهودُ على إحدى وسبعين فِرْقةً، وتفرَّقَتِ النَّصارَى على اثنتين وسبعين فِرْقَةً، وتَفَرَّقَتْ أُمَّتى** - وفي روايةٍ: **وستَفْتَرِقُ أُمَّتى** - **على ثلاثٍ وسبعين فِرْقَةً، كلُّها في النَّارِ إلَّا واحِدَةً، وهى الجماعةُ**»، وفي روايةٍ: «**هى ما أنا عليه اليوم وأصحابي**».

لم يُخرجه البخاريُّ ولا مسلمٌ، ولا أخرجه الأربعة بذلك اللفظ، وإنَّما أخرجه غيرهم، كما يُعلم من مراجعة كتب السُّنَّة النبوية.

الخامس: ثُمَّ هذه اللفظة التي استدلَّ بها وعزاها للصحيحين -كذبًا ووقاحةً- هي حُجَّةٌ عليه لا له؛ إذ قد جاء تفسيرها في بعض طرق الحديث بما يُبيِّن ذلك.

ففي "معجم الطبرانيِّ" عن أبي الدرداء، وأبي أُمامة، وواثلة بن الأسقع، وأنس بن مالكٍ، قالوا: خرج رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يومًا علينا ونحن نتمارى في شيءٍ من أمور الدين فغضب غضبًا شديدًا لم يغضب مثله، ثُمَّ انتهرنا فقال: ««**مَهْلًا يا أُمَّةَ محمَّدٍ، إنَّما هَلَكَ مَن كان قَبلَكُمْ بهذا، ذَرُوا المِرَاءَ لِقِلَّةِ خيره، ذَرُوا المِرَاءَ فإنَّ المُؤمِنَ لا يُمارِي، ذَرُوا المِراءَ فإنَّ المُمارِيَ قد تَمَّتْ خَسارَتُهُ، ذَرُوا المِرَاءَ فكَفَى إثمًا أن لا تزالَ مُمارِيًا، ذَرُوا المِرَاءَ فإنَّ المُمارِيَ لا أَشْفَعُ له يومَ القِيامَةِ، ذَرُوا المِرَاءَ فأنا زَعِيمٌ بثلاثة أبياتٍ في الجَنَّةِ: في رِباضِها، وأوسَطِها، وأعْلاها - لمن تَرَكَ المِرَاءَ وهو صادقٌ، ذَرُوا المِرَاءَ فإنَّ أوَّلَ ما نَهانِي عنه ربِّي بعدَ عِبادةِ الأوثان المِرَاءُ، فإنَّ بني إسرائيلَ افْتَرَقُوا على إحدى وسبعين فِرْقَةً، والنَّصارَى على ثِنْتَيْن وسبعين فِرْقَةً كلُّهم على الضَّلَالَةِ إلَّا السَّوَادَ**

الأعْظَمَ». قالوا: يارسول الله مَن السواد الأعظم؟ قال: «**مَن كان على ما أنا عليه وأصحابي، مَن لم يمارِ في دين الله، ومَن لم يُكَفِّر أَحَدًا مِن أهلِ التوحيد بذنبٍ غُفِرَ له...**» وذكر بقيَّة الحديث.

فدلالة السِّياق فيه تدلُّ على أنَّ المراد بما كان عليه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم هو وأصحابه: ترك المراء في الدين وعدم إكفار المسلمين، والمُتنطِّع على نقيض هذا؛ فإنَّه على ما بلغني من أصحابه شديد المراء في الدين بحقٍّ وبغير حقٍّ، لا يمكن أن يرجع عن قولٍ قاله ولو قام على خطئه ألف دليلٍ، أمَّا إكفار المسلمين فكتابه هذا شاهدٌ عليه بذلك مع تصريحه به في كثيرٍ من مجالسه مع أصحابه كما بلغني.

فأنت ترى المُتنطِّع قد استدلَّ بما هو ذمٌّ له، ونعيٌّ على حاله غير فاهمٍ لمعناه، ولا مُدرك مغزاه، وهكذا يكون الخذلان وعدم التوفيق نسأل الله أن يُلهمنا رشدنا بجاه نبيِّه آمين.

(تنبيه): قوله في الحديث الذي أوردناه: «**ذَرُوا المِراءَ فإنَّ المُماري لا أَشْفَعُ له يومَ القِيامَةِ**» ليس على ظاهرة من أنَّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لا يشفع للماري، بل هو مؤوَّلٌ على معنى لا أشفع له يوم القيامة مع مَن أشفع له أولًا، كما ورد في الحديث أنَّه يشفع أولًا لأهل بيته، ثُمَّ لأصحابه، ثُمَّ للعرب، وهكذا على الترتيب، وأنَّ من يشفع له أولًا أفضل، فيكون الماري على هذا محرومًا من أفضلية الأوَّلية في الشفاعة.

أو يؤوَّل على معنى لا أشفع له يوم القيامة حتى ينفذ فيه الوعيد بوقوع العقاب عليه، أو نحو ذلك من التأويلات ليتفق هذا الحديث مع ما تواتر عنه

صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من أنه يشفع لجميع أمَّته حتى لا يبقى منهم أحدٌ في النَّار مهما بلغت به المعاصي بشرط موته على الإسلام، نسأل الله أن يرزقنا شفاعته في الدنيا والآخرة من غير سابقة عذابٍ، ولا محنة عقابٍ، وأن يوفِّقنا لاتباع سنته وطريقته، فهو الموفق والهادي إلى الصراط المستقيم.

ثُمَّ استدل المُتنطِّع على أنَّ الموتى لايشعرون بقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النحل: ٢٠ - ٢١]، ثُمَّ قال: «وهذا الوصف لا ينطبق إلَّا على العقلاء من الأموات لا على الأصنام؛ لأنه لا يقال في جانبها بعث، ولا علم به».اهـ

وأقول: دعواه أنَّ الآية واردةٌ في الموتى دعوى باطلةٌ، واستدلاله على ذلك بأنَّ الأصنام لا يُقال في جانبها بعث ولا علم به، استدلالٌ فاسدٌ ناشيءٌ عن عدم شعوره وإدراكه، والحقُّ الذي لا يجوز غيره أنَّ الآية واردةٌ في الأصنام والأوثان كما قال قتادة وأهل التفسير وقوله تعالى: ﴿ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ﴾ مجازٌ عن كونها جمادات لا أرواح فيها فلا تسمع ولا تبصر ولا تعقل.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ في تفسيره ثلاثة أقوالٍ:

الأول: أنَّ المراد به الأصنام، وفيه دليلٌ على أنها تبعث وتجعل فيها الحياة، فتبرأ من عابديها، وهذا جائزٌ لا مانع منه عقلًا ولا شرعًا، والله على كلِّ شيءٍ قديرٌ.

الثاني: أن يكون المراد به الأصنام أيضًا لكن لا على سبيل الحقيقة، بل على

سبيل المجاز، وأنَّ الأصنام لا تدري متىٰ تكون الساعة، فكيف يرجىٰ عندها نفعٌ أو ثوابٌ.

الثالث: أنَّ المراد به الكفَّار، أي: لا يشعر هؤلاء الكفَّار الذين يعبدون الأصنام متىٰ يبعثون، قال ابن كثيرٍ في "تفسيره" هذه الآية: «أخبر الله أنَّ الأصنام التي يدعونها من دون الله لا يخلقون شيئًا وهم يخلقون كما قال الخليل: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٥ – ٩٦].

وقوله: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ أي: هي جماداتٌ لا أرواح فيها؛ فلا تسمع ولا تبصر ولا تعقل، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ أي: لا يدرون متىٰ تكون الساعة، فكيف يرتجىٰ عند هذه نفعٌ أو ثوابٌ أو جزاءٌ إنما يرجىٰ ذلك من الذي يعلم كلَّ شيءٍ، وهو خالق كلِّ شيءٍ».اهـ

وقال البغويُّ: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ يعني: الأصنام وقرأ عصامٌ ويعقوب يدعون بالياء، ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ﴾ أي: الأصنام ﴿غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ يعني: الأصنام ﴿أَيَّانَ﴾ متىٰ ﴿يُبْعَثُونَ﴾ [النحل: ٢٠-٢١]، والقرآن يدل علىٰ أنَّ الأصنام تُبعث وتُجعل فيها الحياة فتبرأ من عابديها، وقيل: ما يدري الكفَّار عبدة الأصنام متىٰ يبعثون».اهـ

وبما ذكرناه لك في تفسير الآية تعلم بطلان ما قاله المُتنطِّع فيها، وتدرك مع ذلك جرأته علىٰ القول في كتاب الله بغير علمٍ، وذلك دليلٌ علىٰ رِقَّة دينة، وهوان نفسه عليه حيث أوردها المهالك.

وقد كان كبار الصحابة والتابعين يتحرَّجون عن تفسير ما لا علم لهم به، فجاء عن أبي بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه أنه سُئل عن تفسير قوله: ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾ [عبس: ٣١]، فقال: «أيُّ سماءٍ تُظلُّني، وأيُّ أرضٍ تُقلني، إذا أنا قلت في كتاب الله ما لا أعلم».

وعن أنسٍ أنَّ عمر قرأ على المنبر: ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾، فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأب؟ ثُمَّ رجع إلى نفسه فقال: «إنَّ هذا لهو التكلُّف يا عمر».

وقال ابن أبي ملكية: سأل رجلٌ ابن عبَّاسٍ عن يومٍ كان مقداره ألف سنةٍ، فقال له ابن عبَّاسٍ: فما يوم كان مقداره خمسين الف سنة؟ فقال له الرجل: إنما سألتك لتحدثني، فقال له ابن عبَّاسٍ: هما يومان ذكرهما الله في كتابه الله أعلم بهما، فكره أن يقول في كتاب الله ما لا يعلم.

وجاء طلق بن حبيبٍ إلى جندب بن عبدالله يسأله عن آيةٍ من القرآن فقال: أحرج عليك أن كنت مسلمًا لما قمت عنِّي، أو قال: أن تُجالسني.

وقال عمرو بن مُرَّة: سأل رجلٌ سعيد بن المسيَّب عن آيةٍ من القرآن، فقال: لا تسألني عن القرآن، وسَلْ من يزعم أنه لا يخفى عليه شيءٌ منه يعني: عكرمة.

وقال يزيد بن أبي يزيد: كنَّا نسأل سعيد بن المسيَّب عن الحرام والحلال، وكان أعلم الناس فإذا سألناه عن تفسير آيةٍ من القرآن سكت كأن لم يسمع.

وقال عبيدالله بن عمر: لقد أدركت فقهاء المدينة وإنهم ليعظِّمون القول في التفسير منهم سالم بن عبدالله، والقاسم بن محمَّدٍ، وسعيد بن المسيَّب، ونافع.

وقال هشام بن عروة: ما سمعت أبي يؤوِّل آيةً من كتاب الله قطُّ.

وقال ابن سيرين: سألت عبيدة السلمانيَّ عن آيةٍ من القرآن، فقال: ذهب الذين كانوا يعلمون فيم أنزل القرآن فاتَّقِ الله، وعليك بالسداد.

وقال مسلم بن يسارٍ: إذا حدَّثت عن الله حديثًا فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده.

وقال إبراهيم النخعي: كان أصحابنا يتَّقون التفسير ويهابونه.

وقال الشعبيُّ: والله ما من آيةٍ إلَّا وقد سألت عنها ولكنها الرواية عن الله عزَّ وجلَّ.

قال الحافظ ابن كثيرٍ بعد أن ذكر هذه الآثار وغيرها ما نصُّه: «فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمَّة السلف محمولةٌ على تحرُّجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم فيه، فأمَّا من تكلَّم بما يعلم من ذلك لغةً وشرعًا فلا حرج عليه؛ ولهذا رُوِي عن هؤلاء وغيرهم أقوالٌ في التفسير، ولا منافاة لأنهم تكلَّموا فيما علموه، وسكتوا عمَّا جهلوه، وهذا هو الواجب على كلِّ أحدٍ».اهـ

فانظر إلى ما كان عليه السلف الصالح من تهيُّب القول في التفسير، مع أنهم أهل لذلك، وعنهم أُخِذ، ثُمَّ وازنه بحال المُتنطِّع وجرأته، مع أنه لا يبلغ عشر العشر ممَّا أوتوا من العلم، ثُمَّ احمد الله على أن سلَّمك ممَّا ابتلاه به، نسأل الله السلامة والتوفيق آمين.

ثُمَّ استدلَّ المُتنطِّع أيضًا بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ قال: «ثُمَّ بيَّن الله

سبحانه وتعالىٰ علىٰ وجه التبكيت أنهم أضعف مِنَّا بعد موتهم، فقال: ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾ ثم أمر رسوله أن يعجزهم بطلبهم من الموتىٰ أن يكيدوا رسول الله إن كانت لهم أسرار وقدرة علىٰ كيده، وهو يذمُّ من سألهم فقال: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾ [الأعراف: ١٩٤-١٩٥]».اهـ

وأقول: روىٰ أبو عبيدٍ قال: ثنا هشيم: ثنا عمرو بن أبي زائدة، عن الشعبيِّ، عن مسروقٍ، قال: اتَّقوا التفسير فإنَّما هو الرواية عن الله. وهذا إسنادٌ صحيحٌ.

وصحَّ عن الشعبيِّ أيضًا أنه قال كما تقدَّم: والله ما من آيةٍ إلَّا وقد سألت عنها ولكنها الرواية عن الله عزَّ وجلَّ.

هذان أثران صحيحان عن إمامين كبيرين من التابعين ينطقان بأنَّ التفسير روايةٌ عن الله؛ لأنَّه تعيين لمراده عن كلامه، وحيث أنَّ الأمر كذلك؛ فيحق لنا أن نقول بكلِّ صراحةٍ: إنَّ المُتنطِّع كذب علىٰ الله تعالىٰ في تفسير هذه الآية في موضوعين:

الأول: أنَّ الآية واردةٌ فيمن يعبد غير الله كما قال أهل التفسير، والمُتنطِّع أتىٰ بها في سياقٍ ردَّه علىٰ من سأل الله بخلقه ويتوسَّل بهم إليه.

الثاني: أنَّ المراد بالآية الأصنام والمُتنطِّع حملها علىٰ الموتىٰ من الأنبياء والأولياء والصالحين، قال البغويُّ في "تفسيره": ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ يعني: الأصنام، ﴿عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ يريد أنها مملوكةٌ أمثالكم، وقيل:

أمثالكم في التسخير أي: أنهم مسخَّرون مذلَّلون لما أريد منهم، قال مقاتلٌ: قوله: ﴿عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ أراد به الملائكة، والخطاب مع قومٍ كانوا يعبدون الملائكة والأول أصحُّ، ﴿فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنها آلهةٌ، قال ابن عبَّاسٍ: فاعبدوهم هل يثيبونكم أو يجازونكم ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنَّ لكم عندها منفعة، ثُمَّ بيَّن عجزهم فقال: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ أراد أنَّ قدرة المخلوقين تكون بهذه الجوارح والآلات، وليست للأصنام هذه الآلات، فأنتم مفضَّلون عليها بالأرجل الماشية، والأيدي الباطشة، والأعين الباصرة، والآذان السامعة، فكيف تعبدون من أنتم أفضل وأقدر منهم، ﴿قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ يا معشر المشركين، ﴿ثُمَّ كِيدُونِ﴾ أنتم وهم ﴿فَلَا تُنظِرُونِ﴾ [الأعراف: ١٩٤-١٩٥] أي: لا تمهلوني واعجلوا في كيدي».اهـ

وقال ابن كثيرٍ في "تفسيره" قوله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩١-١٩٢] إلى قوله تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨]:

«هذا إنكارٌ من الله على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره من الأنداد والأصنام والأوثان، وهي مخلوقةٌ لله، مربوبةٌ مصنوعةٌ، لا تملك شيئًا من الأمر، ولا تضرُّ ولا تنفع، ولا تبصر، ولا تنتصر لعابديها، بل هي جمادٌ لا تتحرَّك ولا تسمع ولا تبصر، وعابدوها أكمل منها بسمعهم وبصرهم

وبطشهم، ولهذا قال: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾».

وتكلَّم في تقرير هذا المعنى، واستشهد له بعدة آياتٍ، ثُمَّ قال: «وكما كان معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعاذ بن جبلٍ رضي الله عنهما وكانا شابَّين قد أسلما لَمَّا قدم رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم المدينة، فكانا يعدوان في الليل على أصنام المشركين يكسرانها ويتلفانها ويتخذانها حطبًا للأرامل؛ ليعتبر قومهما بذلك ويرتئوا لأنفسهم، فكان لعمرو بن الجموح -وكان سيِّدًا في قومه- صنمٌ يعبده ويُطيِّبه، فكانا يجيئان في الليل فينكِّسانه على رأسه، ويلطِّخانه بالعَذِرة، فيجئ عمرو بن الجموح فيرى ما صنع به، فيغسله ويطيِّبه، ويضع عنده سيفًا، ويقول له: انتصر، ثُمَّ يعودان لمثل ذلك ويعود إلى صنيعه أيضًا، حتى أخذاه مرَّةً فقرناه مع كلبٍ ميتٍ، ودلَّياه في حبلٍ في بئرٍ هناك، فلمَّا جاء عمرو بن الجموح ورأى ذلك، نظر فعلم أنَّ ما كان عليه من الدين باطلٌ وقال:

تالله لو كنتَ إلهًا مُسْتَدَن ... لم تَكُ والكَلْبُ جميعًا في قَرَن

ثُمَّ أسلم فحسن إسلامه، وقُتل يوم أُحُدٍ شهيدًا رضي الله عنه».

ثُمَّ قال: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ﴾ [الأعراف: ١٩٣] الآية يعني: أنَّ هذه الأصنام لا تسمع دعاء من دعاها، وسواء لديها من دعاها ومن دَعَاها، كما قال ابراهيم: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴾ [مريم: ٤٢]، ثُمَّ ذكر تعالى أنها عبيد مثل عابديها أي: مخلوقات مثلهم، بل الأناس أكمل منها؛ لأنها تسمع وتبصر وتبطش، وتلك لا تفعل شيئًا من ذلك».

إلى أن قال: «وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ إلى آخر الآية مؤكدٌ لما تقدَّم، إلَّا أنه بصيغة الخطاب، وذاك بصيغة الغيبة، ولهذا قال: ﴿لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٧]، وقوله: ﴿وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨]، كقوله تعالى: ﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ﴾ [فاطر: ١٤]، وقوله: ﴿وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨] إنما قال: ﴿يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ﴾، أي: يقابلونك بعيون مصورة كأنها ناظرةٌ وهي جمادٌ، ولهذا عاملهم معاملة من يعقل؛ لأنها على صُوَرٍ مُصوَّرةٌ كالإنسان، ﴿وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ﴾ فعبَّر عنها بضمير من يعقل، وقال السديُّ: «المراد بهذا المشركون»، وروي عن مجاهدٍ نحوه، والأول أولى، وهو اختيار ابن جريرٍ، وقاله قتادة».اهـ كلام ابن كثير.

وليس ببدعٍ من المُتنطِّع أن يكذب على الله في تفسير هذه الآية كما تبيَّن! فقد كذب في تفسير الآيات قبلها كما تقدَّم، بل كلُّ كلامه المتعلِّق بالتفسير كذبٌ على الله، وجهلٌ بما لكتابه العزيز من حرمةٍ وجلالٍ، وما له في نفوس العلماء من هيبة وكمال، نسأل الله أن يُفهِّمنا القرآن الكريم، ويُعلِّمنا من لدنه علمًا آمين.

ثم قال المُتنطِّع: «بيان عقيدة المشركين كما بيَّنها القرآن...» وذكر أنَّ المشركين لم يكونوا يعتقدون فيمن يعبدونهم من دون الله، أنهم يرزقونهم أو يحيون أو يميتون، بل كانوا يعتقدون أنَّ هذه الشئون وغيرها بيد الله؛ واستشهد على ذلك بقوله تعالى: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ

وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾ [يونس: ٣١] إلى قوله: ﴿ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ [يونس: ٣٢]، وبقوله تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٤ - ٨٧] إلى قوله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [المؤمنون: ٩١ - ٩٢]».

ثُمَّ ذكر أنَّ المشركين إنما جاءهم الإشراك من تحكُّمهم على الله في تعيين من يدعونهم شفعاء، مع أنَّ الشفاعة موقوفةٌ على مشيئة الله وإذنه لمن شاء من خلقه، ولا يُعلم لمن يُعطِي الإذن من خلقه بعد النبيين؛ ثُمَّ استدلَّ لذلك بقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس: ١٨]، وبقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر: ٣]، ثُمَّ تكلَّم في هذا المعنى إلى أن قال: «من هذا كله يتبيَّن أنَّ سؤال غير الله من الملائكة والأنبياء والأولياء والصالحين خروجٌ على القرآن والسُّنَّة، وعمل المهتدين من الأئمة، وعبثٌ لا فائدة منه للسائلين ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦]».اهـ

وأقول: غرض المُتنطِّع أن يتخلَّص من هذا كله إلى الحكم على المسلمين الذين يسألون الله بأنبيائه وأوليائه بإلاشراك والضلال، وأنهم اتخذوا الأنبياء والأولياء شفعاء، كما أنَّ المشركين اتخذوا من عبدوهم من دون الله شفعاء،

وفاته أنَّ الفرق بين هؤلاء وأولئك، أنَّ هؤلاء مشركون عبدوا غير الله واتخذوا معه آلهةً، وأولئك مسلمون يشهدون أن لا اله إلَّا الله ويفردونه بالوحدانية والعبادة، وتوسلهم في الدعاء بنبيٍّ أو وليٍّ ليس من عبادة غير الله في شيءٍ، ولا هو من اتخاذ إله مع الله تعالىٰ عن ذلك علوًا كبيرًا، ولو كان المسلمون بمجرَّد التوسل مشركين، ويصحُّ أن تحمل عليهم آيات المشركين وتعمهم -كما هو صنيع المُتنطِّع- لانقلبت الأوضاع اللغوية والشرعية، وصحَّ أن يُطلق لفظ العالِم علىٰ الجاهل والجهال علىٰ العالِم، والمسلم علىٰ الكافر والكافر علىٰ المسلم، والطائع علىٰ العاصي والعاصي عل الطائع، والمُبتدِع علىٰ السُّنِّيِّ والسُّنِّيِّ علىٰ المُبتدِع، إذ ما من لفظٍ من هذه الألفاظ إلَّا ويمكن تعميمه في غيره، باعتبار فعل من الأفعال أو صفةٍ من الصفات ويرتفع حينئذ الوثوق بالمدلولات اللغوية والشرعية؛ إذ لا ندري إذا سمعنا لفظ المسلم، هل أريد به المسلم فقط، أو أريد معه الكفار أيضًا؟ والتعميم ليس له قاعدةٌ معيَّنةٌ علىٰ أصل المُتنطِّع، فنكون عند سماع هذه الألفاظ العامة ونحوها مشكِّكين فيها، هل أُريد بها مدلولها أو غيره معه أيضًا؟!!

ولكن الله سبحانه وتعالىٰ حفظ اللغة العربية عامَّةً، ونصوص الشريعة المُطَّهرة خاصَّةً من هذا الخَلْط الذي يُريد أن يُشينه بها المُتنطِّع في آخر الزمان، واستدلاله بقوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦] مما يدل علىٰ بلادته، فإن هذه الآية دليل علىٰ جواز التوسل وذلك لأن لفظ ﴿ٱلدَّاعِ﴾ فيها عام وكذا لفظ ﴿دَعَانِ﴾ أيضًا عام لوقوعه في سياق الشرط فتكون الآية شاملة للدعاء بتوسل وبدونه بدليل

حديث الأعمىٰ الآتي وغيره، ولو كان التوسل دعاء لغير الله للزم علىٰ ذلك أن يكون النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مخالفًا للقرآن وآمرًا بدعاء غير الله وذلك محال قطعًا فبطل قول المُتنطِّع جملة وبالله التوفيق.

ثم قال المُتنطِّع: «مبحث في أمور ثلاثة لابد من معرفتها».

وذكر في الأمر الأول منها: «أن الذين يسألون الموتىٰ يطلبون منهم شفاء المريض وإكثار الرزق وزيادة الأجل وقضاء الحاجة وأنهم يقفون خاشعين أمام قبورهم أكثر من خشوعهم في الصلاة».اهـ

وأقول: كونهم يقفون أمام قبورهم خاشعين أكثر من خشوعهم في الصلاة كذبٌ ظاهرٌ لا يحتاج إلىٰ بيان، وغاية ما يفعلون أنهم يتأدَّبون الأدب المطلوب في زيارة الأولياء وليس كل أدبٍ خشوعًا، ولا كل خشوعٍ يوازي خشوع الصَّلاة فضلًا عن أن يكون أكثر منه.

وأمَّا أنهم يسألون منهم الرزق وشفاء المريض ونحو ذلك فهذا إن صحَّ محمولٌ علىٰ التجوُّز في التعبير، والمعنىٰ أنهم يطلبون منهم أن يطلبوا من الله ذلك، وقرينه هذا المجاز حاليَّةٌ، وهي كون القائل لذلك مسلمًا مُوحِّدًا، وهذا التجوُّز شائعٌ ذائعٌ، يُقال: رَزَق الأميرُ الجندَ، وأطعم الغنيُّ الفقراء، وعال الرجل أهله، مع أنَّ الذي يرزق ويُطعم ويعول هو الله سبحانه وتعالىٰ.

وقد قرَّر أهل المعاني هذا المعنىٰ في باب الإسناد العقليِّ من كتب البلاغة، وجعلوا من المجاز العقليِّ قول القائل: أنبت الربيعُ البَقْلَ، وحكموا بأنَّ القرينة علىٰ هذا المجاز كونه صادرًا من مُوحِّدٍ، ونصُّوا علىٰ أنَّ المجاز العقليَّ كما يكون في الإخبار -كما تقدَّم- يكون في الإنشاء أيضًا، نحو: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا﴾

[غافر: ٣٦]، وليُنبت الربيع ما شاء، وليَصُم نهارك.

ومِمَّا يُحكىٰ عن الشَّيخ محمَّد عبده أنَّه كان مرةً جالسًا مع الشَّيخ الظواهريِّ الكبير، بجانب ضريح السيد أحمد البدويِّ رضي الله عنه، وجاءت قرويَّةٌ تزور فسمِعاها تقول: يا سيد يا بدويُّ اشفِ لي ابني، فتغيَّظ الشَّيخ محمَّد عبده وقال للشيخ الظواهريِّ -وكان شيخًا للمسجد-: أنت هنا تسمع هذا الكفر الصُّرَاح ولا تُنكره، فصاح الشَّيخ الظواهريُّ بالقروية، وقال لها: سمعناك تطلبين من السيد البدويِّ أن يشفي ابنك، وهل هو يشفي المرضَى؟ فقالت له: لم أُرِد هذا، وأنما أردت أنَّ السيد البدويَّ بما له من منزلةٍ عند الله يطلب من الله شفاء ابني، وأنا عارفةٌ أنَّ الشفاء بيد الله، فقال الشَّيخ محمد عبده: أما إذا كان ذلك كما تقولين فلا كُفْر.

علىٰ أنَّا لا نحتجُّ بهذه الحكاية علىٰ جواز مثل هذه العبارة، بل نحن لا نُجيزها، ونُعلِّم من يقولها أن يعدل عنها إلىٰ التعبير السائغ الجائز؛ لما في ظاهرها من طلب الشفاء من غير الله، وهو مُستنكرٌ مُستكرهٌ؛ لما فيه من الإيهام، ولكننا في الوقت نفسه لا نُجيز إكفار عوامِّ المسلمين بعبارةٍ لهم فيها تأويل يتمشَّىٰ مع قواعد اللسان العربيِّ، لا سيما مع ظهور قصدهم وأنهم إنما أرادوا من العبارة ذلك التأويل، كما في الحكاية المذكورة، فكيف يجوز إكفارهم والحالة هذه؟! وإكفار المسلم ليس بالهيِّن عند الله الذي يعلم السِّرَّ وأخفىٰ.

ثُمَّ ذكر المُتنطِّع في الأمر الثاني: أنَّ التقرُّب إلىٰ الله بغير ما شرعه مردودٌ علىٰ فاعله، لا يزيده من الله إلَّا بعدًا، واستدلَّ علىٰ ذلك بقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ

بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾ [القصص: ٣٧]، وذكر الحديث القدسيَّ: «**ما تقرَّب إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ ممَّا افترضتُ عليه، ولا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتَّى أُحبَّه**».اهـ

وأقول: غرضه من هذا أن يتخلَّص إلى أنَّ التوسُّل غير مشروعٍ، فيكون التقرُّب به يزيد من الله بُعْدًا! هذا كل هواه وغاية مُناه؛ وهيهات أن يصل إلى ذلك، والآثار التي ذكرنا وغيرها مما سيأتي تُكذِّبه وتدفع في صدره، ولو لم يكن إلَّا حديث الأعمى لكان وحده عمًى على المُتنطِّع، كيف ومعه غيره!

فالحقيقة أنَّ التوسل مشروعٌ جائزٌ، ودليل جوازه أقوى من دلائل كثيرٍ من المسائل الفقهية بل لو تتبعت كتب الفقه لوجدت الأئمة أخذوا في كثير من الأحكام بأحاديث ضعيفة، والتوسل من دليله ما هو صحيحٌ، وما هو حسنٌ، وما هو ضعيفٌ، فلا معنى للتوقُّف في مشروعيَّته مع هذا، ولا وجه لإنكاره إلَّا أن يكون ذلك من جاهلٍ أعمى، أو مُتعصِّب يتعامى، فليس كلامنا معه.

والحديث القدسيُّ الذي ذكره هو الذي حمل الناس على التوسُّل بالأولياء؛ وذلك لأنَّ في آخره: «**فإذا أَحْبَبْتُهُ كنتُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ بِهِ، وبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ بِهِ، ويَدَهُ التي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ التي يَمْشِي بها، ولئن سَأَلَني لأُعْطِيَنَّهُ، ولئن اسْتَعاذَني لأُعِيذَنَّهُ**».

فقد قطع الله على نفسه عهدًا بإجابة دعاء الوليِّ فيكون الوليُّ مُجابَ الدعوة إذا دعا لنفسه أو لغيره، وقد استفاض عن كثيرٍ من الأولياء أنهم دعوا لأُناسٍ أو عليهم، فأجاب الله دعاءهم وقَبِل طلبهم، فالحديث كما قلنا -مع ما

استفاض من قبول دعائهم لغيرهم- هو الذي حمل الناس على التوسل بهم؛ ولا تنسَ حكاية القرويَّة السابقة.

ولا يمكن التفريق بين حالتي الحياة والموت؛ لأنَّ موتى المؤمنين كما قلنا يشعرون بمن يُسلِّم عليهم، ويستأنسون به ويردون عليه السلام.

بل تُعرض أعمال الأحياء على أقاربهم الأموات، فيستبشرون بها إن كانت أعمالًا صالحةً، ويدعون لهم بالهداية إذا كانت خلاف ذلك؛ وإذا كان هذا حال مطلق المؤمنين فكيف بالأولياء الذين جاهدوا أنفسهم في الله، وهانت عليهم الدنيا، بل العالم كله في سبيل مرضاة خالقهم وبارئهم، لا شكَّ أنهم أعظم، وحالهم في ذلك أكمل وأتم.

وقد استفاض عن كثيرٍ من الأولياء من السلف الصالح وغيرهم، أنهم كانوا يقرأون القرآن في قبورهم، سمع ذلك منهم عدَّة أُناسٍ في وقائع مختلفةٍ، كما استفاض أيضًا أنَّ أجسادهم شوهدت صحيحةً غير باليةٍ بعد مُضيِّ سنين عليها في القبر، وهذا كثيرٌ مشاهدٌ إلى وقتنا هذا في وقائع كثيرةٍ لا يأتي عليها الحصر، ومن أنكر شيئًا مما ذكرناه فلا يخلو إمَّا أن ينكر جوازه أو وقوعه.

فإن كان يُنكِر جوازه أحلناه على مبحث كرامات الأولياء من كتب التوحيد، فقد استدلُّوا لجوازها بما لا يبقى معه شكٌّ ولا احتمالٌ، وقرَّروا أنَّ كرامات الأولياء هي في الحقيقة معجزاتٌ لنبيِّهم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ودلائل على صدق دينه، وفي الهمزية:

والكَرَامَاتُ مِنهم مُعْجِزاتٌ ... نَالها مِن نَوَالِك الأولياءُ

وقرَّروا أنها لا تنقطع بالموت؛ لأنَّ مصدرها فضل الله على وليِّه، وفضل الله

لا ينقطع[١]، كل هذا مقرَّرٌ مُبيَّنٌ مدلَّلٌ عليه في كتب الكلام بما يكفي ويشفي.

وإن كان يُنكِر وقوعه أحلناه على الكتب التي ذَكَرتْ ذلك، ككتاب "أهوال القبور" للحافظ ابن رجب الحنبليِّ، و"كفاية المعتقد" لليافعيِّ، وكتاب "العمل المقبول في زيارة الرسول" لابن الزملكانيِّ، و"شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور" للحافظ السيوطيِّ وغيرها، وفي كتاب "الروح" لابن القيِّم شيءٌ من هذا؛ على أنَّ من طالع الكتب المسندة، ككتب ابن أبي الدنيا، و"حلية" أبي نعيمٍ ونحوها، وجد فيها أثارًا كثيرةً تُؤيِّد ما قلنا وتعضده، وبالله التوفيق.

ثُمَّ ذكر المُتنطِّع في الأمر الثالث: «أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لم يترك شيئًا يُقرِّبنا إلى الله إلَّا بيَّنه لنا، فمن زاد في هذا الدين شيئًا على بيان الله ورسوله، يزعم أنه بدعةٌ حسنةٌ، فقد ضَلَّ».اهـ

وأقول: قسَّم عزُّ الدين بن عبدالسلام في قواعده الكبرى البدعة باعتبار اشتمالها على المصلحة والمفسدة أو خلوها عنهما إلى أقسام الحكم الخمسة: الوجوب، والندب، والحرمة، والكراهة، والإباحة؛ ومثَّل لكل قسمٍ منها، وذكر ما يشهد له من قواعد الشريعة، وكلامه في ذلك كلام ناقدٍ بصيرٍ أحاط خُبْرًا بالقواعد الفقهية، وعرف المصالح والمفاسد التي اعتبرها الشارع في ترتيب الأحكام على وِفْقِها؛ ومَن مثل سلطان العلماء في معرفة ذلك؟ فجاء تقسيمه للبدعة مؤسَّسًا على أساسٍ من الفقه وقواعده متينٍ؛ ولذا وافقه عليه الإمام النوويُّ، والحافظ ابن حجرٍ، وجمهور العلماء، وتلقَّوا كلامه بالقبول، ورأوا أنَّ

---

(١) ولنا كتاب: "الحُجَجُ البيِّنات في إثبات الكرامات" وهو مفيدٌ جدًّا.

العمل به متعيِّنٌ في النوازل والوقائع التي تحدث مع تطوُّر الزمان وأهله.

حتىٰ جاء صاحب "الاعتصام" فخرج عن جمهرة العلماء وشذَّ بإنكار هذا التقسيم فبرهن بهذا الإنكار علىٰ أنه بعيدٌ عن معرفة الفقه، بعيدٌ عن فهم قواعده المبنيَّة علىٰ المصالح والمفاسد، لا يعرف ما فيه مصلحةٌ فيطلب تحصيلها بفعله، ولا يدري ما فيه مفسدةٌ فيطلب اجتنابها بتركه، ولا ما خلا عنهما فيجوز فعله وتَرْكه علىٰ السَّواء، وأخيرًا برهن علىٰ أنه لم يتذوَّق علم الأصول تذوُّقًا يُمكِّنه من معرفة وجوه الاستنباط، وكيفيَّة استعمالها، والتصرُّف فيها بما يناسب الوقائع، وإن كان له في الأصول كتاب "الموافقات" فهو كتابٌ قليل الجدوىٰ عديم الفائدة، وإنما هو بارعٌ في النحو له فيه شرح علىٰ "ألفيَّة ابن مالك" في أربعة مجلداتٍ دلَّ علىٰ مقدرته في علم العربية؛ علىٰ أنَّا وإن كنَّا نعلم أنَّ للشاطبيِّ درايةً بعلم أصول الفقه علىٰ سبيل المشاركة، فلا نشكُّ في أنَّ سلطان العلماء فيه أمكن، وعلمه بقواعده أتم، وقواعده الكبرىٰ خير شاهدٍ علىٰ ذلك.

وإني لأعجب من الشاطبيِّ كيف أنكر علىٰ سلطان العلماء ذلك التقسيم؟! مع أنه بناه كما قلنا علىٰ اعتبار المصالح والمفاسد التي اعتبرها الشارع في ترتيب الأحكام علىٰ وِفْقِها، ولم يُنكر علىٰ المالكيَّة القول بالاستصلاح الذي لم يعتبره الشارع، ولا قبله جمهور العلماء، بل أنكروه وأبوا أن يُرتِّبوا عليه أحكامًا كما فعل المالكية؛ لعدم اعتبار الشارع له، ما القول بهذا مع إنكار ذاك إلا تعصبٌ مذهبيٌّ ظاهرٌ.

ولا يمكنه أن يتمسَّك لإنكاره بحديث: «**كل بدعةٍ ضلالةٌ**»؛ لأنَّ البدعة التي هي ضلالةٌ من غير استثناءٍ هي البدعة الاعتقادية، كالمعتقدات التي

أحدثها المعتزلة والقدرية والمرجئة ونحوهم على خلاف ما كان يعتقده السلف الصالح، فهذه هي البدعة التي هي ضلالةٌ؛ لأنها مفسدةٌ لا مصلحة فيها، أمَّا البدعة العملية بمعنى حدوث علمٍ له تعلُّق بالعبادة أو غيرها لم يكن في الزمن الأول فهذا لابدَّ فيه من التقسيم الذي ذكره عزُّ الدين بن عبدالسلام، ولا يتأتَّى فيه القول بأنه ضلالةٌ على الإطلاق؛ لأنه من باب الوقائع التي تحدث على ممرِّ الزمان والأجيال، وكلُّ واقعةٍ لا تخلو عن حكم لله تعالى، إمَّا منصوصٌ عليه، أو مستنبطٌ بوجهٍ من وجوه الاستنباط، والشريعة إنما صَلحتْ لكلِّ زمانٍ ومكانٍ، وكانت خاتمة الشرائع الإلهيَّة وأكملها بما حوته من قواعد عامَّةٍ، وضوابط كُليَّةٍ، مع ما أُوتيه علماؤها من قوَّة الفهم في نصوصها، ومعرفةٍ بالقياس والاستصحاب وأنواعهما، إلى غير ذلك مما خُصَّت به شريعتنا الغرَّاء، ولو اتبعنا طريقة الشاطبيِّ، وحكمنا على كل عملٍ حدث بعد العصر الأول بأنه بدعةٌ ضلالةٌ، من غير أن نعتبر ما فيه من مصلحةٍ أو مفسدةٍ، لَزِم على ذلك إهدار جانبٍ كبيرٍ من قواعد الشريعة وقياساتها، وتضييقٌ لدائرتها الواسعة، وفي ذلك ما لا يخفى.

فظهر بهذا البيان الوجيز خطأ إنكار الشاطبيِّ رحمه الله تعالى، وصواب ما ذهب إليه عزُّ الدين بن عبدالسلام، ووافقه عليه جمهور العلماء كما قلنا.

أمَّا المُتنطِّع فليس هناك حتى ينتصب في مصافِّ من يقبل البدعة أو ينكرها، وهو في إنكاره مردِّدٌ صدى كلام الشاطبيِّ ليس غيره، فهو بمنزلة البُوق يردِّد صوت نافخه من غير أن يحصل في ذاته من ذلك الترديد وصفٌ ثابتٌ، إلَّا أنه منفوخٌ فيه، نسأل اللهَ أن يُلهمنا الصَّواب آمين.

ثُمَّ نقل المُتنطِّع عن الشاطبيِّ، عن مالكٍ قوله: «من زعم أنَّ محمَّدًا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ترك شيئًا ممَّا يُقرِّب إلى الله لم يُبيِّنه، فقد اتهمه بأنه خان الرسالة».اهـ

وأقول: في المسألة حديثٌ مرفوعٌ أخرجه الحاكم وغيره عن ابن مسعودٍ، أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ليس مِن عَمِلٍ يُقَرِّبُ مِن الجنَّةِ إلَّا قد أَمَرْتُكُمْ بِهِ، ولا عَمَلٍ يُقرِّبُ إلى النَّار إلَّا وقد نهيتكم عنه، فلا يَسْتَبْطِئَنَّ أحدٌ منكم رِزْقَهُ؛ فإنَّ جبريل ألقى في رُوعِي أنَّ أحدًا منكم لن يخرج مِن الدُّنيا حتَّى يَسْتَكْمِلَ رِزْقَهُ، فاتقوا الله أيها النَّاس، وأجملوا في الطلب، فإن اسْتَبْطَأَ أحدٌ منكم رِزْقَهُ، فلا يَطْلُبُهُ بمَعْصِيةِ الله؛ فإنَّ الله لا يُنال فَضْلُهُ بمَعْصِيتِهِ**». وهو حديثٌ صحيحٌ.

وفي الصحيح من قول عائشة: «مَن زَعَمَ أنَّ محمَّدًا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كَتَمَ شيئًا ممَّا أنزل الله عليه، فقد أعظم الفِرْية على الله تعالى»، فالعدول عن هذا -خصوصًا الحديث المرفوع- إلى قول مالكٍ يدلُّ على أنَّ المسألة ليس فيها أعلى من ذلك، مع أنَّ الواقع خلافه كما علمتَ؛ والعذر للمتنطِّع فيما فعل؛ فإنه ضيِّق العَطَن قصير الباع، فمن المستحيل على مثله عادةً أن يطَّلع على الحديث، أو يقف على قول عائشة أو غيرها من الصحابة، ولعلَّ وقوفه على قول مالكٍ في "الاعتصام" -إن صحَّ ذلك- كان من أعجب المُصادفات.

وبعد: فليس قول مالكٍ في محلِّ النِّزاع، ولا له به ارتباطٌ ما، وأين حديث تبليغ الرسالة وبيان ما يُقرِّب إلى الله من جواز التوسل؟! إنَّ بينهما لَبَوْنًا.

ثُمَّ ليس فيمن ينتمي إلى الإسلام من يعتقد أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله

وسلَّم كتم شيئًا من الرسالة، كيف وهم يعلمون أول ما يعلمون، أنه يجب في حقِّ الرسل وجوبًا عقليًّا: الصدق، والأمانة، والتبليغ؟! فالحقُّ أنَّ الاستدلال في هذا المعنىٰ بقول مالكٍ عبثٌ ظاهرٌ، كالاستدلالِ علىٰ الشمس وهي في كبد السماء، أو علىٰ وجود النَّهار بوجود الضِّياء.

ولـيس يصـحُّ في الأذْهَـانِ شيءٌ إذا احتـاجَ النَّهـارُ إلىٰ دليـل

وإن دلَّ هذا الاستدلال علىٰ شيءٍ فإنما يدلُّ علىٰ إفلاس المُتنطِّع، وأنه ليس بيده نصٌّ في تحريم التوسُّل عن أحدٍ من الأئمة المعمول بكلامهم، فيعمَد إلىٰ نقل الأقوال ذات اللوازم البعيدة؛ ليتوصَّل بلوازمها إلىٰ مطلوبه، فغرضه من نقل كلام الإمام مالكٍ المذكور، التوصُّل إلىٰ حرمه التوسل، ولكن بعد مقدِّمات هي:

أولًا: أنَّ التوسُّل لم يكن في عهد النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وعهد أصحابه.

وثانيًا: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لم يأمر به، ولا شَرَعه لأُمَّته.

وثالثًا: فيلزم من ذلك أنَّ التوسل لا يُقرِّب إلىٰ الله.

ورابعًا: لأنه لو كان يُقرِّب إلىٰ الله لبيَّنه النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

وخامسًا: فمن زعم أنه يُقرِّب إلىٰ الله، مع أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لم يبيِّنه، فقد اتهمه بأنه خان الرسالة؛ لقول مالكٍ «من زعم...» إلخ ما تقدَّم.

ولو سُلِّمت هذه المقدِّمات، وصحَّ أنَّ لازم المذهب في اللوازم البعيدة يُعدُّ مذهبًا، تمَّ له ما أراد من قول الإمام، ولكن هيهات، ما إلىٰ ذلك من سبيلٍ، والله الموفق لا ربَّ غيره.

الباب الثاني
في أدلة التوسل

ثُمَّ قال المُتنطِّع: «الباب الثاني: في شُبَهٍ تمسَّك بها طائفةٌ من الجاهلين، وتبعهم فيها كثيرٌ من علماء المسلمين، وزعموا أنها تُجيز ما منعنا في الباب الأول، ونحن نُبيِّنها هنا ونردُّها بما لا يُدفع».اهـ

وأقول: يتعيَّن أن يُقرأ قوله: «يَدفَع» بفتح المثناة التحتية، والفاء مبنيًّا للمعلوم؛ لأنَّ ما أجاب به عمَّا سمَّاه شُبهًا لم يَدفع واردًا، ولا اشتمل في نفسه على معنًى مُحصَّل، كما سيتبيَّن ذلك عند نقد كلامه بحول الله تعالى.

قال المُتنطِّع: «الشبهة الأولى: قالوا: قال الله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣]، وحملوا القُربى على أقارب النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ولا سيِّما أهل بيته، وأنَّ من مودَّتهم زيارتهم بعد موتهم، والاستشفاع بهم...».

إلى أن قال: «ولا شكَّ أنَّ هذه الدعوى لا تتمُّ لهم إلَّا إذا كان الخطاب المذكور في الآية لعموم الأمَّة، وكان معنى الآية أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أُمِر أن يُبلِّغ الأمَّة أن لا يسألها أجرًا على تبليغ رسالته، إلَّا أن يَودُّوا قرابته أحياءً وأمواتًا، ونحن نقول: أنَّ في الآية أقوالٌ:

أوَّلها وهو أصحُّها: أنَّ الخطاب لخصوص قريشٍ، وللكفار منهم على الأخصِّ، الذين كانوا يؤذون رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حتى حاصروه في شِعْبِ أبي طالبٍ، ومنعوا عنه وأصحابه الزاد والماء، وكلَّ

مساعدةٍ، وأنَّ المراد بالقُرْبىٰ هي صِلة القرابة التي بينه وبينهم، وأنَّ المعنىٰ في الآية: أنَّ الله أمره أن يُبلِّغ كفَّار قومه أنه لا يسألهم علىٰ تبليغ الدين أجرًا، لكنه يسألهم أن يراعوا ما بينهم وبين النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وأصحابه من القرابة، وأن يَودُّوهم بدل أن يُعادوهم ويؤذوهم، وهذا القـول هو الذي ارتضاه البخاريُّ في "صحيحه"، وساق حديث ابن عبَّاسٍ يُفسِّر به الآية علىٰ ما قدَّمناه».اهـ

وأقول: إن تعجب فعجبٌ من تناقض المُتنطِّع وتلاعبه، فقد قدَّم أول كتابه أنَّ أئمَّة المسلمين متفقون علىٰ أصلٍ مشهورٍ، وهو أنَّ العِبْرة في التشريع بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وإن كذب في هذا الاتفاق -كما بيَّنَّا-؛ ليتوصَّل بذلك إلىٰ حمل آيات المشركين عل المسلمين، كما فعل في الباب الأول، أمَّا هنا حيث إنَّ حمل الآية علىٰ العموم يُنافي غرضه ويقضي علىٰ مزاعمه، فسُرعان ما نسىٰ ذلك الاتفاق الذي اختلقه بنفسه، وخطَّته أنامله الأثيمة، وادَّعىٰ بكلِّ وقاحةٍ أنَّ الخطاب في الآية لخصوص قريشٍ، وللكفَّار منهم علىٰ الأخصِّ، مع أنَّ حمل الآية علىٰ مودَّة آل البيت قال به كثيرٌ من أئمَّة التفسير، منهم سعيد بن جُبيرٍ، سُئل عن قوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ قال: «قُرْبىٰ محمَّدٍ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم». أخرجه سعيد بن منصورٍ في "سننه"، وهو في "صحيح البخاريِّ" مع ردِّ ابن عبَّاسٍ عليه.

ومنهم زين العابدين عليُّ بن الحسين، فعن أبي الديلم قال: «لما جِيء بعليِّ بن الحسين رضي الله عنهما أسيرًا، فأُقيم علىٰ درج دمشق، قام رجلٌ من أهل الشام فقال: الحمد لله الذي قتلكم وأستأصلكم، وقطع قرن الفتنة، فقال له عليُّ بن

الحسين -رضي الله عنهما: أقرأت القرآن؟ فقال: نعم، قال: أقرأت آل حم؟ قال: قرأت القرآن ولم أقرأ آل حم! قال: ما قرأت ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾؟ قال: وإنكم لأنتم هم؟ قال: نعم». رواه ابن جريرٍ.

وأما عمرو بن شعيبٍ، فعن أبي إسحاق السبيعيِّ قال: سألت عمرو بن شعيبٍ عن قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾، فقال: قُربى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم. رواه ابن جريرٍ أيضًا.

فهؤلاء ثلاثةٌ من الأئمة فسَّروا القُربى في الآية بآل البيت كما رأيت، ويؤيِّدهم في ذلك حديثٌ مرفوعٌ أخرجه أبو نعيمٍ، والديلميُّ من طريق مجاهدٍ، عن ابن عبَّاسٍ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ أن تحفظوني في أهل بيتي وتودُّوهم بي».

فماذا يقول المُتنطِّع بعد هذه النصوص الصريحة في حمل الآية على آل البيت النبوي؟! أيدّعي أنه أعلم بالتفسير من هؤلاء أم ماذا يفعل؟

على أننا لو سألناه ما الذي أوجب حمل الآية على الخصوص دون العموم؟ ما اهتدى إلى جواب صحيح يُخلِّصه من مُخالفة الأصل الذي حكى الاتفاق عليه في أول كتابه كذبًا، فإن لجأ إلى التمسُّك بتفسير ابن عبَّاسٍ كما هو ظاهر صنيعه، بل صريح آخر كلامه، قلنا: هذا لا يُفيد.

أمَّا أولًا: فلأن كلام ابن عبَّاسٍ أو غيره لا يُجيز العدول عن أصل اتفق عليه أئمَّة المسلمين بإقرار المُتنطِّع نفسه، وهو أنَّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، لا سيِّما مع ظهور هذا الأصل هنا ومساعدة اللفظ عليه.

وأمَّا ثانيًا: فلأن غير ابن عبَّاسٍ خالفه في ذلك التفسير، ورأىٰ أنَّ الآية عامَّةٌ، كما قدَّمنا عن سعيد بن جُبيرٍ، وزين العابدين، وعمرو بن شعيبٍ، وإذا اختلفت العلماء -نعني المجتهدين- فليس قول أحدهم أولىٰ بالقبول من قول الآخر، ما لم يترجَّح عليه بمرجِّحٍ من القواعد الأصولية، ومُخالف ابن عبَّاسٍ هنا يترجَّح كلامه بأمرين: الحديث المرفوع المتقدم، وقاعدة العبرة بعموم اللفظ.

ولئن تنازلنا مع المُتنطِّع وسلَّمنا له أنَّ الآية خاصَّةٌ بقريش، وبالكفَّار منهم علىٰ الأخصِّ، وأنَّ تفسير ابن عبَّاسٍ هو الراجح كما ارتضاه البخاريُّ، أتيناه بما لا قِبَل له علىٰ دَفْعه، ولا مُخلِّص له منه إلَّا بقبوله، وهو الأحاديث التي تؤكِّد حقَّ آل البيت، وتوجب مودَّتهم واحترامهم، وتدلُّ علىٰ أنَّ المقصِّر في ذلك ناقص الإيمان، قليل الدين:

منها: حديث زيد بن أرقم قال: قام رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يومًا خطيبًا فينا بماءٍ يُدعىٰ خُمًّا بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنىٰ عليه، وذكر ووَعَظ، ثُمَّ قال: «**أمَّا بعد: أيها النَّاس إنما أنا بشرٌ يوشِكُ أن يأتيني رسول ربِّي فأجيبُ، وإنِّي تاركٌ فيكم الثقلين: أولهما كتاب الله تعالى، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به**» فحثَّ علىٰ كتاب الله ورغَّب فيه، وقال: «**وأهلُ بيتي، أُذكِّرُكم الله في أهل بيتي، أُذكِّرُكم الله في أهل بيتي**» رواه أحمد، ومسلمٌ، والنَّسائيُّ من طرقٍ.

ورواه الترمذيُّ ولفظه: «**إني تاركٌ فيكم ما إن تمسَّكتُم به لن تَضِلُّوا بعدي، أحدهما أعظمُ مِن الآخر، كتابُ الله حبلٌ ممدودٌ مِن السماء إلى الأرض، والآخر**

عِتْرتي أهل بيتي، ولن يَتفرَّقا حتَّى يَرِدا عليَّ الحوضَ، فانظروا كيف تَخلُفوني فيهما»، قال الترمذيُّ: «هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ».

ورواه الترمذيُّ أيضًا عن جابر بن عبدالله قال: رأيت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في حَجَّته يوم عرفة، وهو علىٰ ناقته القصواء يخطب فسمعته يقول: «**يأيها الناسُ، إني تركتُ فيكم ما إن أخذتم به لن تَضلُّوا كتاب الله، وعِتْرتي أهل بيتي**»، قال الترمذيُّ: «حديثٌ حسنٌ غريبٌ».

وله طرقٌ عن زيد بن ثابتٍ عند أحمد بإسنادٍ جيِّدٍ كما قال الحافظ الهيثميُّ، وعن أبي هريرة عند البزَّار بإسنادٍ ضعيف، وعن عليٍّ عند البزَّار بإسنادٍ ضعيفٍ أيضًا، وعن أبي سعيد الخدريِّ عند الطبراني في "الأوسط" بإسنادٍ مُختلَفٍ فيه، وعن حذيفة بن أسيد عند الطبراني بإسنادٍ ضعيفٍ، وعن غيرهم.

ومنها: حديث العبَّاس بن عبد المطَّلب قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**والذي نَفْسِي بيَدِهِ لا يَدْخُلُ قَلْبَ رَجُلٍ الإيمانُ حتَّى يُحبَّكم لله ولرسوله**»، في روايةٍ: «**والله لا يَدْخُلُ قَلْبَ امرئٍ مسلمٍ إيمانٌ حتَّى يُحبَّكم لله ولقرابتي**»، رواهما أحمد، وإسناد الروايتين جيِّدٌ، ورواه الترمذيُّ باللفظ الثاني وصحَّحه.

ومنها: حديث ابن عبَّاسٍ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أَحِبُّوا الله لما يَغْذُوكُم به مِن نِعَمِه، وأَحِبُّوني بحُبِّ الله، وأَحِبُّوا أهل بيتي بحُبِّي**»، رواه الترمذيُّ وقال: «حسنٌ غريبٌ».

ومنها: حديث ابن عمر قال: آخر ما تكلَّم به رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**اخْلُفُوني في أهل بيتي**»، رواه الطبرانيُّ في "الأوسط" بإسنادٍ ضعيفٍ.

ومنها: حديث أبي سعيدٍ الخدريِّ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**والذي نَفْسِي بيَدِهِ لا يَبْغَضُنا أهلَ البيتِ رَجُلٌ، إلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ النَّارَ**». رواه أحمد، وابن حِبَّان، والحاكم.

وفي "صحيح البخاريِّ" عن أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه قال: «ارقُبوا محمدًا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في أهل بيته».

وفي "صحيح البخاريِّ" أيضًا أنَّ أبا بكرٍ قال لعليٍّ رضي الله عنهما: «والله لقَرَابة رسول الله صلَّى الله عليه وآل وسلَّم أحبُّ إليَّ أن أَصِل من قَرَابتي».

وقال عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه للعبَّاس رضي الله عنه: «والله لإسلامك يوم أسلمتَ كان أحبَّ إليَّ من إسلام الخطَّاب لو أسلم؛ لأنَّ إسلامك كان أحبَّ إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من إسلام الخطَّاب».

وقال الحافظ ابن كثيرٍ: «فحال الشَّيخين رضي الله عنهما هو الواجب على كلِّ أحدٍ أن يكون كذلك، ولهذا كانا أفضل المؤمنين بعد النبيين والمرسلين».اهـ

فهذه الأحاديث وغيرها ممَّا لم نذكره، وهو بالغٌ حدَّ التواتر أصرح في المقصود، وأوضح في الدلالة على المراد، فلو سلَّمنا أنَّ الآية خاصَّةٌ، فلنا في هذه الأحاديث كفايةٌ وبلاغٌ؛ وقد صحَّ أنَّ عمر استسقى بالعبَّاس، وفي ذلك كما قال العلماء: إشارةٌ إلى الاستشفاع بآل البيت، والتبرُّك بهم. فأين يذهب المُتنطِّع بعد هذه الدلائل الواضحة الصريحة الصحيحة؟!!

تالله إنه لمحجوجٌ ومغلوبٌ، سواءٌ ادَّعى خصوص الآية، أو اعترف بعمومها، هداه الله ووفَّقنا وإياه آمين.

ثُمَّ قال المُتنطِّع: «ويدلُّ على هذا الذي بيَّنَّاه، أنَّ أصحاب المَشَاهد التي يزورها الجاهلون اليوم، لم يكونوا موجودين عند نزول الآية ولا بعدها بسنين، وإنما وُلِد لعليٍّ بعد الهجرة أولاده وبناته، ولا نِزاع بين أهل الحديث والتفسير أنَّ سورة (الشورى) نزلت في أوائل ما نزل من السور قبل الهجرة بزمنٍ طويلٍ».اهـ

وأقول: استدلاله بأنَّ الآية نزلت بمكَّة قبل وجود أولاد عليٍّ رضي الله عنه وبناته، فتكون بسبب ذلك خاصَّةً لا تشمل أهل البيت، ممَّا يدلُّ على جهله وغباوته؛ لأنَّ كون الآية شاملةً لأهل البيت لا يتوقَّف على وجودهم ساعة نزولها، بل يكفي وجود أفرادٍ منهم كعليٍّ، وفاطمة رضي الله عنهما، ويسري الحكم على باقيهم، كما هو الشأن في سائر الآيات والأحاديث التي تكون عامَّةً، ولو كان ما استدلَّ به المُتنطِّع صحيحًا، لزم على ذلك أن لا تحرم الزكاة إلَّا على المذكورين في قول القائل:

عـليٌّ وعبَّـاسٌ عَقِيـلٌ وجَعفَـرُ وحمـزة هـم آل النبـيِّ بـلا نُكْـرِ

وعلى أولادهم دنية، كالحسن، والحسين، وعبدالله بن عبَّاسٍ، وعبدالله بن جعفر؛ لأنَّ هؤلاء هم الذين كانوا موجودين حينما حُرِّمت الزكاة على آل البيت دون غيرهم، مع أنَّ الإجماع منعقدٌ على خلاف ذلك كما يُعلم من مراجعة كتب الأحكام.

بل لو كان استدلاله صحيحًا لزم منه قصر أحكام الشريعة على الصحابة؛ لأنهم هم الذين كانوا موجودين ساعة نزول الآيات وورود الأحاديث، فيترتب على ذلك تعطيل أحكام القرآن والأحاديث بالنسبة إلى التابعين ومن

بعدهم إلى وقتنا هذا، وفي ذلك من الفساد ما لا يخفى على من له أدنى عقل، نسأل الله الهداية لنا أجمعين آمين.

ثُمَّ قال المُتنطِّع: «القول الثاني: أنَّ الخطاب لعموم الأمَّة، وأنَّ الآية تدلُّ على أنه يجب على كلِّ إنسانٍ أن يَصِلَ قرابته ورحمه، والمعنى لا أسألكم على تبليغ الرسالة أجرًا، لكن أسألكم أن تصلوا أرحامكم، وأن تودُّوا أقاربكم، وهذا القول أقوى الأقوال في الآية، لولا حديث ابن عبَّاسٍ».اهـ

وأقول: هذا القول الذي ادَّعى أنه أقوى الأقوال مُختلَقٌ مكذوبٌ، لم يقل به أحدٌ من المفسِّرين فيما نعلم، ولا هو مطابقٌ لنظم الآية ومعناها، ولا نُبعِد أن يكون المُتنطِّع اختلقه من عند نفسه، فقد عهدناه في هذا الكتاب هجَّامًا على القول في كتاب الله بغير علمٍ، قوَّالًا للباطل، خوَّانًا في النقل عن العلماء، ولهذا صِرنا نُكذِّب ما ينقله أو يقوله، بعد أن تحقَّقنا بكذبه وخيانته وعدم فهمه، وسقط من أعيننا بتاتًا، ولكنَّا نسأل الله لنا وله التوفيق آمين.

ثُمَّ قال المُتنطِّع: «القول الثالث: أنَّ هذه الآية كانت في أول الإسلام، ثُمَّ نُسخت بقوله تعالى في سورة (ص): ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦] أي لا أسألكم أجرًا أبدًا لا مودة قرابتي، ولا غيرها والخطاب على هذا لعموم الأمَّة أيضًا».اهـ

وأقول: هذا القول ضعيفٌ ساقطٌ، لا يجوز المصير إليه، ولا الاعتماد عليه؛ لأنه مخالفٌ لما تقرَّر في علم الأصول، من أنَّ النسخ لا يُصار إليه إلَّا إذا تعارض الدليلان تعارضًا يتعذَّر معه الجمع بينهما بوجهٍ من الوجوه، أو ثبت بطريقٍ من الطرق التي يثبت بها النسخ، وهي مُبيَّنةٌ في كتب الأصول، ولا شيء

من ذلك بموجودٍ هنا البتَّة، ولهذا ردَّه العلماء، قال الحافظ في "الفتح": «وزعم بعضهم أنَّ هذه الآية منسوخةٌ، وردَّه الثعلبيُّ بأنَّ الآية دالَّةٌ على الأمر بالتودُّد إلى الله بطاعته، أو باتباع نبيِّه، أو صلة رحمه بترك أذيته، أو صلة أقاربه من أجله، وكلُّ ذلك مستمر الحكم غير منسوخٍ».اهـ

وقال البغويُّ بعد أنَّ نقل هذا القول عن الضَّحَّاك، والحسين بن الفضل ما نصُّه: «وهذا قولٌ غير مرضيٍّ؛ لأنَّ مودَّة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وكفَّ الأذى عنه، ومودَّة أقاربه، والتقرَّب إلى الله بالطاعة والعمل الصالح من فرائض الدين، وهذه أقاويل السلف في معنى الآية، فلا يجوز المصير إلى نسخ شيءٍ من هذه الأشياء، وقوله: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ ، ليس باستثناءٍ متصلٍ بالأول، حتى يكون ذلك أجرًا في مقابلة أداء الرسالة، بل هو منقطعٌ، ومعناه: ولكنِّي أذكِّركم المودَّة في القُربى، وأذكِّركم قرابتي منكم، كما روينا في حديث زيد بن أرقم، «**أُذَكِّرُكُمْ اللهَ في أهل بيتي**».اهـ بحروفه.

فقد تحقَّقتَ سقوط القول بالنسخ، وأنه مخالفٌ للمنقول، ولما تقرَّر في علم الأصول، ومع هذا أيَّده المُتنطِّع بقوله: «وهذا هو اللائق بمقام المخلصين في الدعوى إلى الله، فضلًا عن الرسل، فكيف وقد حكى الله عن جميع رسله أنهم لا يسألون العباد على رسالة ربهم أجرًا، وإنما يسألون الله تعالى، كما حكى عن نوح: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًاۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ [هود: ٢٩]، وعن هود: ﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [هود: ٥١]، وكما في سورة (يس)، ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ

ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [يس: ٢٠، ٢١] إذا كان هذا ثابتًا فيمن دونه منزلةً من الرسل، فكيف يجوز لمسلمٍ أن يزعم أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يطلب أجرًا على تبليغ الرسالة، سبحانك هذا بهتانٌ عظيمٌ». اهـ

وأقول: قد يكون هذا الكلام مُسلَّمًا مقبولًا لو أنَّ الاستثناء في الآية كان متصلًا، فتكون المودَّة بالقربى حينئذٍ مطلوبةً على أنها أجرٌ في نظير أداء الرسالة، فيحتاج إلى ادَّعاء النسخ وتأييده بما ذكره المُتنطِّع، أمَّا والاستثناء منقطعٌ كما تقدَّم في كلام البغويِّ، وجزم به الزَّجَّاج وغيره، فلا داعي لكلام المُتنطِّع، لانهياره بانهيار النسخ من أصله، كما تقدَّم تقرير ذلك وتوضيحه، ويجب أن تعلم أنَّ حمل الاستثناء في الآية على الانقطاع دون الاتصال هو المتعيِّن، وذلك لوجوهٍ:

الأول: أنَّ حمل الاستثناء على الانقطاع تكون الآية معه مُحكمةً، لا تحتمل نسخًا ولا غيره، بخلاف حمله على الاتصال، فإنه يعرض الآية لاحتمال أن تكون منسوخةً كما قال به بعضهم، والنسخ خلاف الأصل كما تقرَّر في الأصول، ولا شكَّ أنَّ ما لا يؤدِّي إلى خلاف الأصل أرجح ممَّا يؤدي إليه.

الثاني: أنَّ حمل الاستثناء على الانقطاع تكون الآية معه على حقيقتها، لا احتمال فيها للمجاز، بخلاف حمله على الاتصال، فإنه يوجب حمل الأجر على المجاز في بعض المعاني التي فُسِّرت بها الآية، والمجاز خلاف الأصل أيضًا.

الثالث: أنَّ الآية نزلت بسبب كفَّار قريشٍ، فلو حمل الاستثناء على الاتصال كان المعنى أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يطلب منهم أجرًا على

تبليغ الرسالة وهو باطلٌ؛ إذ كيف يعقل أن يطلب منهم أجرًا على شيءٍ يُكذِّبونه فيه، ويُجاهرون بأنه شاعرٌ مجنونٌ، إلى آخر الأقوال السخيفة التي حكاها الله عنهم في القرآن، هذا ممَّا لا يسوغ في عقلٍ من العقول.

فتعيَّن حمل الاستثناء على الانقطاع، ويكون المعنى حينئذٍ: لا أسألكم على ما أتيتكم به أجرًا قطُّ، ولكن أطلب منكم أن تودُّوني، وبالأولى لا تؤذوني، ولا تؤذوا أهل بيتي لقرابتي فيكم، فكأنه يقول: إن لم تتبعوني للنبوَّة، فاحفظوني للقرابة وهذا المعنى واضحٌ لا غبار عليه، وبالجملة فالقول بالنسخ وتأييده بما ذكره المُتنطِّع باطلٌ، لا عِبرة به، نسأل الله التوفيق آمين.

ثُمَّ قال المُتنطِّع: «القول الرابع: ما سلكه كثيرٌ من أهل التفسير، وهو أنَّ المراد به عليٌّ وفاطمة وأولادهما، وهذا القول مع مخالفته لنزول الآية، وحديث ابن عبَّاسٍ في تفسيره لها، لا يستند إلى شيءٍ صحيحٍ من السُّنَّة».اهـ

وأقول: هذا القول مع كونه لكثيرٍ من أهل التفسير -كما اعترف به المُتنطِّع نقلًا عن الحافظ في "الفتح"- مؤيَّدٌ بقاعدة أنَّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وهذه القاعدة نقل المُتنطِّع الاتفاق عليها في أول كتابه، وإنما خالفها هنا لغرضٍ في نفسه، كما نبَّهنا عليه فيما سبق، وإن كان ابن عبَّاسٍ حملها على الخصوص، فقد خالفه سعيد بن جُبيرٍ، وزين العابدين، وعمرو بن شعيب، والسديُّ، حيث حملوها على آل البيت، وليس قول ابن عبَّاسٍ بأولى من قول هؤلاء، لا سيِّما مع وجود ما يُرجِّح كلامهم، كما بيَّنَّاه عند الكلام على القول الأول، والله الموفِّق.

ثُمَّ قال المُتنطِّع: «هذا خلاصة ما ذكره الحافظ في "الفتح" في تفسير الآية

المذكورة».اهـ

وأقول: من هذا تتحقَّق أنَّ القول الثاني مُختلَقٌ مكذوبٌ كما قلنا؛ لأنَّ المُتنطِّع صرَّح كما ترىٰ بأنه أتىٰ بخلاصة ما في "الفتح"، وذلك القول غير موجودٍ فيه، فاعترف بكذبه من حيث لا يشعر، وفضح نفسه وهو لا يدري، وصدق عليه المثل العربي: «صَدَقني سِنَّ بَكْرِه»، وهذا عين الخذلان، نسأل الله أن يعافينا بمنِّه وكرمه آمين.

ثُمَّ قال المُتنطِّع: «الشبهة الثانية: ما أخرجه الحاكم، وابن حِبَّان وصاحب "الدرِّ المنثور" في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة: ٣٧] الآية، عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لمَّا أذنبَ آدمُ الذنبَ الذي أذنبه بالأكل مِن الشَّجَرةِ، نَظَرَ فرأى مكتوبًا على باب الجنَّة: لا إله إلَّا الله، محمَّدٌ رسول الله. فقال: اللهمَّ إنِّي أتوسَّل إليك بمحمَّدٍ وآل محمَّدٍ إلَّا غَفَرْتَ لي خَطيئتي، فقال الله عزَّ وجلَّ: يا آدمُ، مِن أين عَلِمْتَ بمحمَّدٍ حتَّى تسألني به، فقال: نظرتُ فرأيتُ مَكْتوبًا على باب الجنَّة، فعلمتُ أنَّك لم تَقْرِن اسمك إلَّا بأحبِّ الأسماء إليك فقال: قد غفرتُ لك**». وهذا الحديث مع خُلوِّ الكتب السبعة منه، قد صحَّحه الحاكم علىٰ عادته في عدم المبالاة في تصحيح الموضوعات».اهـ

وأقول: في كلامه أمورٌ:

الأول: أنه عزا الحديث لابن حِبَّان، وهو عزوٌ خطأٌ، فإنَّ ابن حِبَّان لم يُخرِّج الحديث لا في "الصحيح"، ولا في "الثقات"، ولا في "الضعفاء"، وإنما أخرجه

الطبراني في "المعجم الصغير"، والحاكم في "المستدرك"، والبيهقي، وأبو نعيمٍ كلاهما في "دلائل النبوة"، وابن عساكر في "التاريخ".

الثاني: عزوه إخراج الحديث لصاحب "الدرِّ المنثور"، يدلُّ على فرط غباوته، ويُنبئ عن منتهى جهله، وذلك أنَّ صاحب "الدرِّ المنثور" -وإن كان من الحفَّاظ، بل هو خاتمتهم- لم يكن ممَّن يروون الأحاديث بأسانيدهم كالبخاريِّ، وابن حِبَّان، وأبي نعيمٍ، وابن عساكر، وابن النجَّار لتأخُّر زمنه عن هؤلاء، مع انقطاع الرواية بالإسناد قبل وقته بمدَّة، كما يعلم من مراجعة كتب المصطلح، فلا يصحُّ أن يقال: أخرج السيوطيُّ في "الدرِّ المنثور"، أو في "الجامع الصغير" لما علمتَ، نعم يصحُّ أن يقال: خرَّج بتشديد الراء بناءً على اصطلاح المحدِّثين في الفرق بين أخرج وخرَّج، حيث يستعملون اللفظ الأول فيمن يسند، واللفظ الثاني فيمن يعزو الحديث إلى من أسنده، فيقولون أخرج الطبراني، والديلميُّ حديث كذا، وخرَّجه ابن حجرٍ، أو السيوطيُّ، أي: عزاه إلى من أخرجه، وقد يستعمل بعض المحدِّثين خرَّج بمعنى أخرج، وهو اصطلاح الحافظ ابن رجب في كتبه، أمَّا استعمال أخرج مكان خرَّج فلم يستعمله أحدٌ منهم، بل هو جهلٌ صريحٌ لا يصدر إلَّا من المُتنطِّع وأشكاله وبالله التوفيق.

الثالث: قوله: «عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر»، وهذا خطأٌ واضحٌ؛ لأنَّ عبدالرحمن بن زيد بن أسلم روى الحديث، عن أبيه، عن جدِّه، عن عمر، كما في "المستدرك" وغيره.

الرابع: أنه حرَّف لفظ الحديث، فزاد فيه ونقص، ونحن نذكر الحديث على أصله، حتى يُدرَك ما فيه من التحريف، فعن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لمَّا اقترف آدم عليه السَّلام الخطية، قال: يا ربِّ أسألك بحقِّ محمَّدٍ لمَا غفرت لي، فقال الله: يا آدم وكيف عرفت محمَّدًا ولم أخلقه، قال: يا ربِّ لأنك لمَّا خلقتني بيدك، ونفختَ فيَّ من روحك، رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبًا، لا إله إلَّا الله محمَّدٌ رسول الله، فعرفت أنَّك لم تُضِف إلى اسمك إلَّا أحبَّ الخلق إليك، فقال الله: صَدَقتَ يا آدم، إنه لأحبُّ الخلق إليَّ، إذ سألتني بحقِّه، فقد غفرت لك، لولا محمَّدٌ ما خلقتك، وهو آخر الأنبياء من ذريَّتك**».

هذا لفظ الحديث برمَّته، فوازنه بما ذكره المُتنطِّع، تجد بينهما فرقًا بيِّنًا

الخامس: قوله: «وهذا الحديث مع خلوِّ الكتب السبعة مِنه، قد صحَّحه الحاكم على عادته في عدم المبالاة في تصحيح الموضوعات».

ظاهر هذا الكلام، بل صريحه أنَّ العلامة الفارقة بين صحَّة الحديث ووضعه، هي وجوده في الكتب السبعة وعدمه؛ لأنه رتَّب كون هذا الحديث من الموضوعات التي يُصحِّحها الحاكم بلا مبالاة، على خلوِّ الكتب السبعة منه، فينتج من هذا أنَّ كلَّ حديثٍ خلت منه الكتب السبعة موضوعٌ، فإن انعكست العلامة عنده، وليس انعكاسها ببعيدٍ من عقليته الفاسدة، لزم حينئذ أنه كلُّ حديثٍ وُجِد في الكتب السبعة ليس بموضوعٍ، ولا شكَّ أنَّ هذا إنما يتمشَّى على قاعدة هذه الطائفة المتهوِّسة، في اختلاقهم لردِّ الأحاديث طُرقًا لا يوافقها عقلٌ، ولا يؤيِّدها نقلٌ، كما نبَّهنا على ذلك أول الكتاب، أمَّا على طريقة

العلماء من المحدِّثين، والأصوليين، والفقهاء، فالعلامة المذكورة فاسدةٌ الاطِّراد والانعكاس، بل المدار عندهم على وجود شروط القبول وعدمه، فكلُّ حديثٍ استجمع شروط القبول فهو صحيحٌ وإلَّا فلا، سواءٌ أَوُجِد في الكتب السبعة أو خارجها، وهذا هو الذي يؤيِّده العقل كما لا يخفى؛ إذ لا تلازم بين وضع الحديث وخلوِّ الكتب السبعة منه، إلَّا في مخٍّ مثل مخِّ المُتنطِّع، وفَّقنا الله إلى ما فيه السَّداد.

السادس: ادعاؤه أنَّ الحاكم لا يُبالي في تصحيح الموضوعات، جرأةٌ منه بالغةٌ، يستحقُّ عليها أن يُسلَّ لسانه من مُنتهاه، حتى لا يعود إلى التقوُّل في ساداته العلماء بمثل هذا الهُراء، فإنَّ الحاكم عالمٌ جليلٌ، وحافظٌ كبيرٌ مُجمعٌ على صِدقه وعدالته، ومعرفته بعلم السنَّة، وتقدُّمه فيه وإمامته، كما اعترف بذلك الحافظ الذهبيُّ وغيره من أئمَّة هذا الشأن، ويكفي دليلًا على ذلك أنَّ الحافظ البيهقيَّ تلميذه وخِرِّيجه وقد أكثر من الرواية عنه في كتبه إكثارًا بالغًا، ولا يصفه إلَّا بأبي عبدالله الحافظ، فكيف يصحُّ مع هذا أن يوصف بعدم المبالاة في تصحيح الموضوعات، إذ لو صحَّ وصْفه بذلك، وثبت عليه لكان مجمعًا على فسقه وخيانته، لتعمُّده تصحيح نسبة الكذب إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ويأبى الله ذلك والمسلمون، ويظهر لي أنَّ المُتنطِّع تخيَّل أنه وسط جماعة الأوباش الملتفِّين عليه التفاف الذباب على القمامة، يشتم هذا ويلعن ذاك، وهو شتَّامٌ لعَّانٌ، فحصلت منه تلك الكلمة الجريئة في حقِّ الحاكم، وما درى أنه تهجَّم على مقام إمامٍ كبيرٍ، وحافظٍ من حفَّاظ السنَّة النبوية خطيرٌ، بحيث لو

ادعىٰ النبوة في أمَّةٍ مِثل المُتنطِّع لأعجزهم أن يأتوا بمثل كتابه "المستدرك"، ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيرًا، هدانا الله وإيَّاه آمين.

السابع: ادعاؤه أيضًا أنَّ الحاكم لا يبالي في تصحيح الموضوعات جهلٌ منه كبيرٌ، بما حقَّقه الحافظ فيما يُعزىٰ من التساهل إلىٰ الحاكم، وهو مذكورٌ في كتب المصطلح المتداولة المعروفة، فقد جاء في "تدريب الراوي" للحافظ السيوطيِّ، عند الكلام علىٰ "المستدرك" وتساهل صاحبه، ما نصُّه:«قال شيخ الإسلام – يعني الحافظ ابن حجرٍ-: وإنما وقع للحاكم التساهل لأنه سوَّد الكتاب لينقِّحه، فعاجلته المنيَّة، قال: وقد وجدتُ قريب نصف الجزء الثاني من تجزئة ستة من "المستدرك" إلىٰ هنا انتهي إملاء الحاكم، قال: وما عدا ذلك من الكتاب لا يؤخذ عنه إلَّا بطريق الإجازة، قال: والتساهل في القدر المملىٰ قليلٌ بالنسبة إلىٰ ما بعده».اهـ

فأنت ترىٰ أنَّ الحافظ حقَّق أنَّ سبب تساهل الحاكم معاجلة المنيَّة له قبل تنقيح الكتاب، وصرَّح بأنَّ التساهل في القدر المملىٰ والمنقَّح قليلٌ جدًّا، وهنا يَحسُن إنشاد البيت المشهور:

إذا قالــتْ حَــذَامِ فصــدِّقُوها فــإنَّ القــول مــا قالــتْ حَــذَامِ

فمن يجرؤ بعد هذا التحقيق علىٰ نسبة التساهل أو عدم المبالاة إلىٰ الحاكم، إلَّا أنَّ يكون جاهلًا هالكًا في الجهل مثل المُتنطِّع، وبالله التوفيق.

الثامن: علىٰ أنَّ ادعاء المُتنطِّع أنَّ الحاكم لا يُبالي في تصحيح الموضوعات تهويلٌ فارغٌ، وتهويشٌ لا يُجدي؛ وذلك لأنَّ جميع ما في "المستدرك" من الأحاديث الموضوعة نحو مائة حديث، جمعها الحافظ الذهبيُّ في جزء خاصٍّ

كما قال الحافظ السيوطيُّ، ولا شكَّ أنَّ هذا العدد قليلٌ بالنسبة إلى ضخامة كتاب "المستدرك"، وكثرة ما فيه من الأحاديث، بل حقَّق الحافظ الذهبيُّ الذي لخَّص المستدرك أنَّ جميع ما فيه من الأحاديث الضعيفة، بما فيه من الموضوع نحو الربع، وأنَّ ثلاثة أرباعه كلها أحاديث صحيحة، إمَّا على شرط الشَّيخين أو أحدهما، أو صحيحة لا على شرط واحدٍ منهما.

قال الحافظ السيوطيُّ في "التدريب" ما نصُّه: «وقال أبو سعيد الماليني: طالعت "المستدرك" الذي صنَّفه الحاكم من أوله إلى آخره، فلم أرَ فيه حديثًا على شرطهما، قال الذهبيُّ: وهذا إسرافٌ وغُلوٌّ من الماليني، وإلَّا ففيه جملةٌ وافرةٌ على شرطهما، وجملةٌ كثيرةٌ على شرط أحدهما، لعلَّ مجموع ذلك نحو نصف الكتاب، وفيه نحو الربع ممَّا صحَّ سنده، وفيه بعض الشيء، وما بقي وهو نحو الربع فهو مناكير واهياتٌ لا تصحُّ، وفي بعض ذلك موضوعاتٌ».اهـ

هذا هو التحقيق العلمي الذي أنتجه الاطلاع والمعرفة، وهو ناطقٌ بقلَّة الأحاديث الضعيفة في "المستدرك" بجانب أحاديثه الصحيحة الكثيرة، أمَّا الأحاديث الموضوعة فقد علمت أنها أقل من القليل، وكل هذا على جهالة المُتنطِّع وكذبه أدلُّ دليلٍ، وبالله التوفيق.

ثُمَّ قال المُتنطِّع: «قال الحافظ ابن حجرٍ في "تهذيب التهذيب" في الكلام على عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: سأل رجلٌ مالكًا بحضرة الشافعيِّ عن عبدالرحمن بن زيدٍ- وهو مدار طريق هذا الحديث، يعني: لم يُروَ من غير طريقه- فقال مالكٌ: إذا أُشكل عليكم إسناد حديثٍ فائتوا به عبدالرحمن بن

زيدٍ، فإنه يُحدِّثكم به، عن أبيه، عن جدِّه، عن نوحٍ عليه الصَّلاة والسَّلام! وهذا أبلغ ما يقال في تكذيب الإنسان، وقال مالكٌ رحمه الله أيضًا: إنه يروي الأحاديث المناكير، فقد روىٰ أنَّ سفينة نوحٍ طافت بالبيت، وصلَّت ركعتين! وكما كذَّبه مالكٌ بأبلغ تكذيب، كذَّبه الشافعيُّ، وأحمد بن حنبلٍ، وعامَّة أئمَّة الحديث، حتىٰ قال الحافظ عبدالحقِّ في الكلام علىٰ رواة الحديث: لا نعرف أحدًا من أهل العلم يَحتجُّ بحديث عبدالرحمن بن زيد بن أسلم؛ وقال الحافظ الذهبيُّ في تعليقه علىٰ الحاكم صحيفة (٦١٥) جزء ثاني سطر سبعة إلىٰ تسعة: «قوله: صحيحٌ، قلتُ: بل موضوعٌ، فيه عبدالرحمن بن زيد بن أسلم يرويه عن مجهولٍ»، وقد أطال الحافظ في "تهذيب التهذيب" في توهين عبدالرحمن بن زيد توهينًا شديدًا بما نقله عن أئمَّة الحديث من الطعن عليه، وهذا أخفُّ ما نقلناه عنه، فمن أراد الزيادة فليراجعه».اهـ كلامه

وأقول: فيه أمورٌ:

الأول: أنَّ الحكاية التي نقلها عن مالكٍ مقلوبةٌ، وصوابها كما في "الميزان" وغيره، أنَّ رجلًا ذكر بحضرة مالكٍ حديثًا، فقال: مَن حدَّثك به؟ فذكر إسنادًا منقطعًا، فقال مالكٌ: اذهب إلىٰ عبدالرحمن بن زيد بن أسلم يحدِّثك عن أبيه، عن نوحٍ عليه السَّلام.

الثاني: أنَّ هذه الحكاية لا تدل علىٰ تكذيب عبدالرحمن بن زيدٍ كما زعم المُتنطِّع، وهو كاذبٌ في زعمه، وإنما معناها أنَّ مالكًا يرىٰ أنَّ عبدالرحمن بن زيدٍ ليس من المتقنين في الحديث، وأنه بلغ في الغفلة وعدم الإتقان بحيث يروي المتون بالأسانيد المنقطعة الظاهرة الإنقطاع، غير مميِّزٍ بين ما يصحُّ منها وما لا

يصحُّ، هذا مراد مالكٍ من عبارته المذكورة لا يصح غيره، والدليل عليه أنَّ أحدًا لم ينسب عبدالرحمن بن زيدٍ إلى الكذب، لا مالك ولا غيره، بل وصفوه بالعبادة والتقشُّف، كما سيأتي بحول الله.

ودليلٌ آخر: وهو ما ذكره خالد بن خِدَاشٍ قال: قال لي الدراورديُّ، ومعن، وعامَّة أهل المدينة لا ترد عبدالرحمن، إنه كان لا يدري ما يقول، ولكن عليك بعبدالله؛ يعني أخاه.

فهذا الكلام يفيد أنَّ عبدالرحمن كان معروفًا عند أهل بلده بما ذكرناه من الغفلة وعدم الإتقان، ولا شك أنَّ مالكًا مدنيٌّ، ولعله كان فيمن أرشد خالد بن خِدَاش كما يقتضيه ظاهر قوله، وعامَّة أهل المدينة، فتعيَّن أن يكون مراده من العبارة السابقة ما ذكرناه، لا ما زعمه المُتنطِّع.

الثالث: قوله: «وقال مالكٌ رحمه الله أيضًا: إنه يروي الأحاديث المناكير، فقد روى أنَّ سفينة نوحٍ طافت بالبيت وصلَّت ركعتين».اهـ

هذا كذبٌ صُرَاحٌ، فما نطق مالكٌ بهذا الكلام، ولا نقله الحافظ في "تهذيب التهذيب" الذي نقل منه المُتنطِّع، ولا ذكره الذهبيُّ في "الميزان"، بل ولا نعلمه في شيءٍ من كتب الرجال كما سيتبيَّن بعدُ إن شاء الله.

الرابع: قوله: «وكما كذَّبه مالكٌ بأبلغ تكذيب، كذَّبه الشافعيُّ وأحمد بن حنبلٍ، وعامَّة أئمَّة الحديث».

هذا كذبٌ أيضًا، فما كذَّب مالكٌ عبدَالرحمن، ولا كذَّبه الشافعيُّ ولا أحمد بن حنبلٍ، ولا أحدٌ من أئمَّة الحديث فضلًا عن جميعهم، فلعنة الله على الكاذبين!!

الخامس: قوله: «حتى قال الحافظ عبدالحقِّ في الكلام على رواة الحديث:

لا نعلم أحدًا من أهل العلم يَحتجُّ بحديث عبدالرحمن بن زيد بن أسلم».

هذا كذبٌ أيضًا، فإنَّ عبدالحقِّ لم يتكلَّم على هذا الحديث، ولا ذكره في شيءٍ مِن كتبه، وإنما هو شيءٌ اختلقه المُتنطِّع من قِبَل نفسه، ليؤيِّد به مذهبه، فإنْ أراد أن يقول: إنَّ عبد الحقِّ تكلَّم على حديثٍ آخر جاء في سنده عبدالرحمن بن زيدٍ، فعبارته لا تساعد على ذلك ولا تُفيده.

السادس: ولو فُرض أنَّ ما نقله عن عبدالحقِّ صحيحٌ -وهو ليس بصحيحٍ لما تبيَّن من كذبه غير مرَّةٍ- فلا يُفيد أنَّ عبدالرحمن بن زيدٍ كذَّاب، لا بدلالة مطابقةٍ، ولا تضمُّن، ولا التزام، بل غاية ما يُفيده كلام عبدالحقِّ -إن صحَّ- أنَّ عبدالرحمن ضعيفٌ، والضعيف لا يُحتجُّ بحديثه كما تقرَّر في علم الحديث، وأين الضَّعف من الكذب، إنَّ بينهما لَبَوْنًا بائنًا.

السابع: تبيَّن لي من نقل المُتنطِّع لكلام عبدالحقِّ، وإتيانه به على أنه غايةٌ ومبالغةٌ لما قدَّمه من تكذيب عامَّة أئمَّة الحديث لعبدالرحمن بن زيدٍ، أنه -أعني: المُتنطِّع- لا يفهم ألفاظ الجرح، ولا يُفرِّق بين مراتبها، على ما هو معروفٌ عند أهل هذا الشأن، فهو لذلك يفهم من تضعيف المحدِّثين لعبدالرحمن بن زيدٍ أنهم يقصدون تكذيبه، ونسبته إلى الوضع، وما درى أنَّ الجرح مراتب متفاوتةٌ، وأن قولهم في الراوي: ضعيفٌ، أو لا يُحتجُّ به، أخفُّ بمراحل من قولهم: كذَّابٌ، أو وضَّاعٌ، أو نحو ذلك من الألفاظ الشديدة في الجرح، فبرهن بذلك على ما قدَّمناه غير مرَّةٍ، من أنه -أعني المُتنطِّع- جاهلٌ خائنٌ لا يُحسن شيئًا من العلم، ولا يُؤمَن -إذا نقل- على شيءٍ منه، هداه الله.

الثامن: قوله: «وقد أطال الحافظ في "تهذيب التهذيب" في توهين

عبدالرحمن بن زيدٍ توهينًا شديدًا...» إلىٰ أن قال: «وهذا أخفُّ ما نقلناه عنه فمن أراد الزيادة فليراجعه».

هذا الكلام من المُتنطِّع يشتمل علىٰ الكذب، وقِلَّة الحياء، أمَّا الكذب ففي قوله: «وهذا أخفُّ ما نقلناه عنه»، مع أنه نقل أولًا عن "تهذيب التهذيب" أنَّ مالكًا كذَّبه بأبلغ تكذيبٍ، وكذلك الشافعيُّ، وأحمد، وعامَّة أئمَّة الحديث وإذا كان كذلك، فبربِّك قل لي أيُّ شيءٍ يكون أشدُّ من التكذيب المُشتمِل علىٰ تفسيق من نُسب إليه وعِصيانه؟!! اللهمَّ إلَّا أن يكون مراده أنَّ صاحب "تهذيب التهذيب" نقل عن أئمَّة الحديث أنهم أكفروا عبدالرحمن وحكموا بخروجه عن مِلَّة الإسلام، وبالضرورة شيءٌ من هذا لم يحصل، فتبيَّن أنَّ المُتنطِّع كاذبٌ في ادِّعاء الأخفيَّة، إذ لا أخفُّ من الكذب.

وكذبٌ آخر في كلام المُتنطِّع، وهو أنَّ قوله: «وهذا أخفُّ ما نقلناه عنه» يقتضي أنَّ كلام عبدالحق موجودٌ في "تهذيب التهذيب" وليس كذلك، فانظر إلىٰ هذه الجملة علىٰ صغرها كيف اشتملت علىٰ كذبٍ مكرَّرٍ، فيصحُّ لنا أن نقول بحقٍّ: إنَّ المُتنطِّع أوتي جوامع الكذب!!

وأمَّا قِلَّة الحياء: ففي قوله: «فمن أراد الزيادة فليراجعه»، حيث أحال علىٰ "تهذيب التهذيب"، وهو يعلم أنَّ في الاطِّلاع عليه انتهاك سَتْره، وافتضاح كذبه، فليس في الوقاحة، وقِلَّة الحياء أشدُّ من هذا، نسأل الله السَّلامة والعافية.

التاسع: لقد أكثر المُتنطِّع من الكذب في ترجمة عبدالرحمن بن زيدٍ ونسب ذلك إلىٰ "تهذيب التهذيب"، فرأينا أن ننقل نصَّ الكتاب المذكور حتىٰ تنجلي الحقيقة، وتظهر ناصعةً ساطعةً، فما غرضنا إلَّا ذلك، والله الموفِّق.

جاء في "تهذيب التهذيب" للحافظ ابن حجرٍ ما نصُّه: «عبدالرحمن بن زيد بن أسلم العدويُّ مولاهم المدنيُّ، روىٰ عن أبيه، وابن المنكدر، وصفوان بن سليمٍ، وأبي حازمٍ سلمة بن دينارٍ، وعنه ابن وهبٍ، وعبدالرازق، ووكيعٌ، والوليد بن مسلمٍ، وابن عيينة، وعيسىٰ غنجار، وهارون بن صالح الطلحيُّ، ووهب بن سعيد بن عطية السلميُّ، وأبو مصعب الزبيريُّ، وسويد بن سعيد الحدثانيُّ، ومحمَّد بن عبيد المحاربيُّ، وعيسىٰ بن حمَّاد زغبة، وآخرون، وروىٰ عنه مالك بن مِغْوَلٍ، ويونس بن عبيد، وهما أكبر منه وزهير بن محمَّد التيمي، ومرحوم بن عبدالعزيز العطَّار، وهما من أقرانه.

قال أبو طالبٍ عن أحمد: ضعيفٌ، وقال أبو حاتمٍ: سألت أحمد عن أولاد زيد أيهم أحبُّ إليك؟ قال: أسامة، قلت: ثُمَّ مَن؟ قال: عبدالله، ثُمَّ ذكر عبدالرحمن، وضجع في عبدالرحمن، وقال الميمونيُّ عن أحمد: عبدالله أثبت من عبدالرحمن، قلت فعبدالرحمن؟ قال: كذا ليس مثله، وضعَّف أمره قليلًا، وقال عبدالله بن أحمد: سمعت أبي يُضعِّف عبدالرحمن، وقال: روىٰ حديثًا منكرًا: «**أُحلَّتْ لنا ميتتان ودمان**»(١)، وقال عمرو بن عليٍّ -هو الفلَّاس- لم أسمع عبدالرحمن -وهو ابن مهديٍّ- يُحدِّث عنه، وقال الدوريُّ عن ابن معينٍ: ليس حديثه بشيءٍ، وقال البخاريُّ، وأبو حاتمٍ: ضعَّفه عليُّ بن المدينيِّ جدًّا، وقال أبو داود: أولاد زيد بن أسلم كلهم ضعيفٌ، وأمثلهم عبدالله، وقال أيضًا: أنا لا أُحدِّث عن عبدالرحمن، وعبدالله أمثل منه، وقال النَّسائيُّ: ضعيفٌ، قال ابن عبد الحكم: سمعتُ الشافعيَّ يقول: ذكر رجلٌ لمالكٍ حديثًا منقطعًا، فقال:

---

(١) علىٰ أنّ هذا الحديث حسنٌ، كما يُعلم بالوقوف علىٰ طُرقه.

اذهب إلى عبدالرحمن بن زيدٍ يُحدِّثك عن أبيه عن نوحٍ، وقال خالد بن خِدَاشٍ: قال لي الدراورديُّ، ومعنٌ، وعامَّة أهل المدينة: لا ترد عبدالرحمن، إنه كان لا يدري ما يقول، ولكن عليك بعبدالله، وقال أبو زرعة: ضعيفٌ، وقال أبو حاتمٍ: ليس بقويٍّ في الحديث كان في نفسه صالحًا، وفي الحديث واهيًا، وقال في موضعٍ آخر: هو أحبُّ إليَّ من ابن أبي الرجال، وقال ابن عديٍّ: له أحاديث حِسانٌ، وهو ممَّن احتمله الناس، وصدَّقه بعضهم، وهو ممَّن يُكتب حديثه، قال البخاريُّ: قال لي إبراهيم بن حمزة: مات سنة اثنتين وثمانين ومائة، وقلت: وقال ابن حِبَّان: كان يقلب الأخبار وهو لا يعلم، حتى كثر ذلك في روايته مِن رَفْع المراسيل، وإسناد الموقوف، فاستحقَّ الترك، وقال ابن سعدٍ: كان كثير الحديث ضعيفًا جدًّا، وقال ابن خزيمة: ليس هو ممَّن يَحتجُّ أهل العلم بحديثه لسوء حفظه، هو رجلٌ صناعته العبادة والتقشُّف، وليس من أحلاس الحديث، وقال الساجيُّ: ثنا الربيع، ثنا الشافعيُّ قال: قيل لعبدالرحمن بن زيدٍ، حدَّثك أبوك، عن جدِّك، أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: إنَّ سفينة نوحٍ طافت بالبيت، وصلَّت خلف المقام ركعتين؟ قال: نعم، قال الساجيُّ: وهو مُنكَر الحديث، وقال الطحاويُّ: حديثه عند أهل العلم بالحديث في النهاية من الضعف، وقال الحربيُّ: غيره أوثق منه، وقال الجوزجانيُّ: أولاد زيدٍ ضعفاء، وقال الحاكم، وأبو نعيم: روى عن أبيه أحاديث موضوعةً، وقال ابن الجوزي: أجمعوا على ضعفه».اهـ

فهذه الترجمة منقولةٌ من "تهذيب التهذيب" كما هي، لم ننقص منها حرفًا واحدًا، وهي على كثرة ما فيها من نصوص التضعيف، ليس فيها نصٌّ يفيد

تكذيب عبدالرحمن ونسبته إلى الوضع، بل فيها على العكس نصوص تصفه بالصَّلاح، والصِّدق، والعبادة، والتقشُّف، وأنَّ ضعفه أتى من قبل سوء حفظه وغفلته، فأين يذهب المُتنطِّع، وماذا يقول؟!

فإن تعلَّق بحديث السفينة الذي ذكره الشافعيُّ، فلا مُتعلَّق له فيه؛ وذلك لأنَّ هذا الحديث رواه عبدالرحمن بن زيد بإسنادٍ منقطعٍ، عن أبيه، عن جدِّه مرفوعًا، وبين النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وبين جدِّه مفاوز تنقطع دونها أعناق الإبل، فلا شكَّ أنَّ الحديث اختلقه كاذبٌ في فترة هذا الانقطاع الكبير، ووقع إلى عبدالرحمن بن زيدٍ فرواه كما سمعه، غير مدركٍ ما فيه من الانقطاع ونكارة المعنى، وهكذا شأن الصالحين القليلي المعرفة بالحديث، يروون أحاديث موضوعةً بحسن نيَّةٍ منهم، غير قاصدين وضعها كما بُيِّن ذلك بأمثلته في كتب المصطلح، نعم لو أنَّ عبدالرحمن بن زيد روى حديث طواف السفينة بإسنادٍ متَّصلٍ رجاله ثقاتٌ على شرط الصحيح، لتعيَّن الحمل فيه عليه ويكون هو المتهم بوضعه دون غيره، كما هي القاعدة عن المحدِّثين، أما والحديث مرويٌّ بإسنادٍ منقطعٍ، فليس من المعقول أن يُتَّهم به عبدالرحمن، بل ولا يُعاب بروايته إلَّا من حيث غفلته، ورواج الحديث عليه مع نكارة معناه، وكذلك قول الحاكم، وأبي نعيم: روى عن أبيه أحاديث موضوعةً، معناه أيضًا: أنه رواها وراجت عليه، من غير أن يقصد وضعها، وعبارتهما تفيد ذلك، إذ لو أرادا أن يصفاه بالكذب والوضع لقالا: وضع على أبيه أحاديث كما هي عادتهم فيمن يصفونه بالكذب والوضع، وهذا ظاهرٌ لمن سَبَر كتب الرجال،

وخَبَر اصطلاح أهلها، ولَمَّا ذكر الحافظ المنذريُّ في "الترغيب والترهيب" حديث: «**أَعْطُوا الأجيرَ أَجْرَهُ، قبل أن يَجِفَّ عَرَقَهُ**»، قال عقبه ما نصُّه: «رواه ابن ماجه من رواية عبدالرحمن بن زيد بن أسلم، وقد وُثِّق، قال ابن عديٍّ: أحاديثه حِسانٌ، وهو ممَّن احتمله النَّاس، وصدَّقه بعضهم، وهو ممَّن يُكتب حديثه».اهـ

فظهر أن ليس أحدٌ من أهل الحديث كذَّب عبدالرحمن بن زيدٍ، بل المُتنطِّع هو الذي كذب وافترىٰ، فعليه إثم كذبه جزاءً وِفاقًا.

العاشر: أنَّ عبدالرحمن بن زيد بن أسلم -رغم ما أطال به المُتنطِّع في ترجمته من الكذب والتحريف في النقول- هو ضعيفٌ فقط، لا أقل ولا أكثر، والدليل علىٰ ذلك أنَّ الحافظ ابن حجرٍ الذي ترجمه في "تهذيب التهذيب" بما نقلناه آنفًا، ترجمه أيضًا في "تقريب التهذيب" فقال ما نصُّه: «عبدالرحمن بن زيد بن أسلم العدويُّ مولاهم، ضعيفٌ من الثامنة، مات سنة اثنتين وثمانين».اهـ بلفظه.

وقد قال في خطبة "التقريب" إنه يحكم علىٰ كلِّ شخصٍ من الرواة المذكورين فيه بحكم يشمل أصحَّ ما قيل فيه، وأعدل ما وُصف به، بألخص عبارة، وأخلص إشارة. فينتج من هذين النَّصين أنَّ أصحَّ حكمٍ قيل في عبدالرحمن وأعدل وصفٍ وُصِفَ به، أنه ضعيفٌ فقط كما قلنا، وناهيك بهذا الحكم من الحافظ ابن حجرٍ الذي لم يُصدره إلَّا بعد استيعاب النصوص والموازنة بينها، فهو رجل الفنِّ وطبيب علله وأمير جيوشه، إذا قال صَدَق وإذا حَكَم عَدَل، ولهذا اقتصر الخزرجيُّ في الخلاصة علىٰ التضعيف، فقال ما نصُّه:

«عبدالرحمن بن زيد بن أسلم المدنيُّ، عن أبيه، وعنه وكيعٌ، وابن وهبٍ، وقتيبة، وخلقٌ، ضعَّفه أحمد، وابن المدينيِّ، والنَّسائيُّ، وغيرهم، مات سنة اثنتين وثمانين ومائة».اهـ بلفظه

ولعلَّ الدَّهَشَ والعجب يستوليان عليك إذا علمت أنَّ الذهبيَّ أيضًا اقتصر علىٰ تضعيفه، حيث قال في "الميزان" ما نصُّه: «عبدالرحمن بن زيد بن أسلم العمريُّ مولاهم المدنيُّ، أخو أسامة، وعبدالله، قال أبو يعلىٰ الموصليُّ: سمعت يحيىٰ بن معينٍ يقول: بنو زيد بن أسلم ليسوا بشيءٍ، وروىٰ عثمان الدارميُّ، عن يحيىٰ بن معين يقول: بنو زيدٍ ضعفاء، وقال البخاريُّ: عبدالرحمن ضعَّفه عليٌّ جدًّا، وقال النَّسائيُّ: ضعيفٌ، وقال أحمد: عبدالله ثقةٌ، والآخران ضعيفان، ثُمَّ ذكر له أحاديث، منها حديث السفينة ذكره موقوفًا علىٰ أسلم غير مرفوع، وهذا يُبيِّن أنه لم يثبت عن عبدالرحمن رفعه، والظاهر أنَّ أسلم حدَّث به عن الإسرائيليات، فإنَّ فيها من مثل هذه المناكير الشيء الكثير».

هذا حاصل ما في "الميزان"، وهو لا يفيد أكثر من التضعيف الذي حكم به الحافظ كما تقدَّم، وبالله التوفيق.

الحادي عشر: قوله في نقل كلام الذهبيِّ: «فيه عبدالرحمن بن زيد بن أسلم يرويه عن مجهولٍ».

هذا كذبٌ علىٰ الذهبيِّ وتحريف لكلامه، وكيف يقول الذهبيُّ هذا الكلام وهو يعلم أنَّ عبدالرحمن يروي الحديث عن أبيه، ويعلم أنَّ أباه زيدًا ثقةٌ

معروفٌ من رجال الستة، وأيم الله إنَّ هذا الكذب من المُتنطِّع مكشوفٌ لا يَرُوج إلَّا على مثله، وستأتيك عبارة الذهبيِّ على وجهها لتتحقَّق من قراءتها بما قلناه إن شاء الله.

الثاني عشر: أنَّ حديث توسل آدم ليس بموضوعٍ، رَغْم ما أطال به المُتنطِّع من التهويش، والكذب، والتحريف في كلام الحفَّاظ، فإن تشوَّقتْ نفسك إلى معرفة الدليل على صحَّة ما نقول، فأصخِ سمعك واحفظ ما يلقى إليك، فهو الدواء الناجح، يمحو إن شاء الله ما أصاب القلب والعقل من داء جهالة المُتنطِّع وسخافته، وكذبه وسفاهته، والله الموفِّق لا ربَّ غيره.

قال الحاكم في "المستدرك": حدَّثنا أبو سعيدٍ عمرو بن محمَّد بن منصور العدل: حدَّثنا أبو الحسن محمَّد بن إسحاق بن إبراهيم الحنظليُّ: حدَّثنا أبو الحارث عبدالله بن مسلمٍ الفهريُّ: حدَّثنا إسماعيل بن مسلمة: أنبأ عبدالرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن جدِّه، عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لَمَّا اقْتَرَفَ آدمُ الخَطِيئَةَ قال: يا ربِّ أسألُكَ بحَقِّ محمَّدٍ لما غَفَرْتَ لي، فقال الله: يا آدمُ، وكيف عَرَفْتَ محمَّدًا ولم أَخْلُقْهُ؟ قال: يا ربِّ، لأنَّك لَمَّا خَلَقْتَني بيَدِك ونَفَخْتَ فيَّ مِن رُوحِكَ رَفَعْتُ رأسي فرأيتُ على قوائِمِ العرشِ مَكْتُوبًا لا إله إلَّا الله محمَّدٌ رسولُ الله فعَلِمْتُ أنَّك لم تُضِفْ إلى اسْمِكَ إلَّا أَحَبَّ الخَلْقِ إليك، فقال الله: صَدَقْتَ يا آدمُ، إنَّهُ لَأَحَبُّ الخَلْقِ إليَّ ادْعُني بحَقِّهِ فقد غَفَرْتُ لك، ولولا محمَّدٌ ما خَلَقْتُكَ**».

قال الحاكم: «هذا حديثٌ صحيح الإسناد، وهو أول حديث ذكرته

لعبدالرحمن بن زيد بن أسلم في هذا الكتاب».

فكتب الحافظ الذهبيُّ على قوله صحيحٌ ما نصُّه: «قلتُ: بل موضوعٌ؛ عبدالرحمن: واهٍ، قال الحاكم: وهو أول حديث ذكرته له في هذا الكتاب، قلتُ: رواه عبدالله بن مسلمٍ الفهريُّ، ولا أدري مَن ذا، عن إسماعيل بن مسلمة عنه».اهـ بلفظه.

وأقول: لقد تغالى كلٌّ من هذين الحافظين الجليلين، وحكما على الحديث بما لا يُسلَّم، والإنصاف خلاف قولهما معًا، فالحديث ليس بصحيحٍ كما قال الحاكم، ولا بموضوعٍ كما قال الذهبيُّ.

أمَّا أنه ليس بصحيحٍ فظاهرٌ؛ لأنَّ عبدالرحمن بن زيدٍ ليس من شرط الصحيح، وأمَّا أنه ليس بموضوعٍ فلوجوهٍ:

الأول: أنَّ عبدالرحمن بن زيدٍ، ليس بكذَّابٍ ولا مُتَّهمٍ، وإنما هو ضعيفٌ فقط، والقاعدة عندهم: أنَّ الحديث لا يُحكم بوضعه بمجرَّد كونه من رواية ضعيفٍ أو ضعيفين، بل لابدَّ أن توجد فيه قرائنٌ تدلُّ على الوضع كنكارة المعنى، أو مخالفة الحديث لأحاديث مجزومٌ بصحَّتها على وجهٍ يتعذَّر الجمع بينهما، أو نحو ذلك.

وهذا الحديث لا نكارة فيه ولا مخالفة، وأيُّ نكارةٍ في أن يُكرم الله نبيَّه وأحبَّ الخلق إليه بهذه الكرامة، وقد أكرمه بغيرها من الكرامات التي لا تُحصى، فجلعه نبيًّا وآدم بين الماء والطين، وأخذ العهد على جميع الرسل والأنبياء أنه إن ظهر في حياتهم أن يؤمنوا به وينصروه، وخصَّه بالشفاعة

العُظمىٰ التي لا يُشركه فيها نبيٌّ مرسلٌ ولا مَلَكٌ مُقرَّبٌ، زيادة علىٰ ما له من الشفاعات، ورفع ذكره فلا يُذكر الله إلا ذُكر نبيُّه معه، فليس في الحديث والحالة هذه نكارةٌ ولا مخالفةٌ، فأنَّىٰ يكون موضوعًا.

الثاني: أنَّ عبدالرحمن بن زيدٍ روىٰ له الإمام أحمد في "المسند"، وهذا دليلٌ علىٰ أنه -أعني عبدالرحمن- لم يصل في الضعف إلىٰ حدٍّ أن يكون حديثه موضوعًا؛ لأنَّ أحمد لم يروِ في "المسند" علىٰ كِبَره حديثًا موضوعًا، وإن كان ابن الجوزيِّ قد ذكر في كتاب "الموضوعات" أحاديث منه ذوات عددٍ، فقد ردَّ عليه الحافظ وانتدب للدفاع عنه في كتابٍ خاصٍّ سمَّاه: "القول المُسدَّد في الذَّبِّ عن المسند للإمام أحمد" قال في مقدِّمته ما نصُّه: «أمَّا بعد: فقد رأيتُ أن أذكر في هذه الأوراق ما حضرني من الكلام علىٰ الأحاديث التي زعم بعض أهل الحديث أنها موضوعةٌ، وهي في "المسند الشهير" للإمام الكبير أبي عبدالله أحمد بن محمَّد بن حنبلٍ، إمام أهل الحديث في القديم والحديث، والمُطَّلع علىٰ خفاياه، المثير لخباياه، عصبيةً مِنِّي لا تخلُّ بدينٍ ولا مروءةٍ، وحَمِيَّةً للسنَّة لا تُعدُّ بحمد الله من حَمِيَّة الجاهلية، بل هي ذبٌّ عن هذا المصنَّف العظيم، الذي تلقته الأمَّة بالقبول والتكريم، وجعله إمامهم حُجَّةً يُرجع إليه، ويُعوَّل عند الاختلاف عليه».اهـ

وقال في "تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأربعة": «ليس في المسند حديثٌ لا أصل له، إلَّا ثلاثة أحاديث أو أربعة، منها حديث عبدالرحمن بن عوفٍ أنه يدخل الجنة زحفًا، قال: والاعتذار عنه أنه ممَّا أمر أحمد بالضرب عليه فتُرك

سهوًا، أو ضُرِب وكتب من تحت الضرب».اهـ

قلت: قد ذكر في "القول المُسدَّد" شواهد لحديث عبدالرحمن بن عوفٍ بعضها قويُّ الإسناد، وذكر الحافظ المنذريُّ في "الترغيب" أنَّ له طرقًا عن جماعةٍ من الصحابة، لا يخلو أجودها من مقالٍ.

وقال الحافظ ابن كثيرٍ: «لا يوازي "مسندَ أحمد" كتابٌ مُسنَدٌ في كثرته وحُسْن سِياقاته، وقد فاته أحاديث كثيرة جدًّا».اهـ

والمقصود أنَّ "المسند" عظيم القدر عند الحفَّاظ، حتىٰ لقد نصَّ الحافظ في تجريد زوائد "مسند البزَّار"، أنَّ الحديث إذا كان فيه، لا يُعزىٰ إلىٰ غيره من المسانيد اكتفاءً عنها به، وإذا كان كذلك فرواية أحمد لعبدالرحمن بن زيدٍ في "المسند"، الذي هذا حاله ووصفه، دليلٌ علىٰ أنَّ حديثه لا ينحطُّ إلىٰ درجة الموضوع.

الثالث: أنَّ حديث توسل آدم عليه السَّلام، رواه البيهقيُّ في "دلائل النبوة"، وهو ملتزمٌ أن لا يُخرِّج في كتابه حديثًا يعلم أنه موضوعٌ، كما نصَّ عليه الحافظ السيوطيُّ في كتاب التوحيد، من "اللآلىء المصنوعة"، ردًّا علىٰ ابن الجوزيِّ، حيث حكم بوضع حديثٍ أورده من طريق ابن شاهين، وهو عند البيهقيِّ في "الأسماء والصفات".

الرابع: أنَّ البيهقيَّ ذكر في مقدمة كتابه "الدلائل"، ما يفيد قبول الأحاديث التي يرويها في هذا الكتاب وهي ضعيفةٌ، ونحن ننقل عبارته بنصِّها لتتيقَّن صحَّة ما ذكرناه.

قال البيهقيُّ في مقدِّمة "دلائل النبوة" ما نصُّه: «ويعلم أنَّ كلَّ حديثٍ

أوردته فيه، قد أردفته بما يشير إلى صحَّته، أو تركته مهملًا وهو مقبولٌ في مثل ما أخرجته، وما عسى أوردته بإسنادٍ فيه ضعفٌ، أشرت إلى ضعفه، وجعلت الاعتماد على غيره، وقد صنَّف جماعةٌ من المتأخِّرين في المعجزات وغيرها كتبًا، وأوردوا فيها أخبارًا كثيرةً من غير تمييزٍ منهم صحيحها من سقيمها، ولا مشهورها من غريبها، ولا مرويها من موضوعها، حتى أنزلها من حَسُنت نيَّته في قبول الأخبار منزلةً واحدةً في القبول، وأنزلها من ساءت عقيدته في قبولها منزلةً واحدةً في الردِّ، وعادتي في كتبي المصنَّفة في الأصول والفروع، الاقتصار من الأخبار على ما يصحُّ منها دون ما لا يصحُّ، أو التمييز بين ما يصحُّ منها وما لا يصحُّ، ليكون الناظر من أهل السنَّة على بصيرةٍ ممَّا يقع الاعتماد عليه، ولا يجد من زاغ قلبه من أهل البدع عن قبول الأخبار مَغْمَزًا فيما اعتمد عليه أهل السنَّة مِن الآثار...»، إلى أن قال: «ومن وقف على تمييزي في كتبي بين صحيح الأخبار وسقيمها، وساعده التوفيق علم صِدقي فيما ذكرته، ومن لم يُنعم النظر في ذلك، ولم يُساعده التوفيق، فلا يُغنيه شرحي لذلك وإن أكثرت، ولا إيضاحي له وإن أبلغت، كما قال الله عز وجل: ﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].اهـ بلفظه.

وكأنَّ البيهقيَّ رحمه الله يعني بأهل البدع الذين زاغت قلوبهم عن قبول الأخبار: المُتنطِّع وأشكاله، فإنهم ردُّوا جمهرة من الأحاديث بمجرَّد مخالفتها لهواهم، واشترطوا لقبول الأخبار شروطًا ما أنزل الله بها من سلطان كما قدَّمنا بيانه في أول هذا الكتاب أتم بيانٍ.

ولقد بلغني عن شيخهم وداعيتهم الشَّيخ رشيد رضا، أنَّ بعض المجدِّدين من الملحدين عرض عليه رأيًا كان يحبُّ أن يُفرده بمؤلَّفٍ، وذلك الرأي هو الاقتصار على القرآن دون السنَّة في التشريع وغيره، فوافقه الشَّيخ عليه، وهذه الموافقة إن صحَّتْ تدلُّ على الانسلاخ من الدين، والخروج عن جملة المسلمين، نسأل الله السلامة والعافية.

وقال البيهقيُّ أيضًا بعد مقدِّمة "الدلائل" التي نقلنا منها العبارة السابقة، ما نص المراد منه: «أمَّا بعد: فلمَّا فرغت بعون الله وحُسْن توفيقه من تخريج الأخبار الواردة في الأسماء والصفات، والرؤية، والإيمان، والقدر، وعذاب القبر، وأشراط الساعة، والبعث والنشور، والميزان والحساب، والصراط والحوض، والشفاعة، والجنَّة والنَّار، وغير ذلك ممَّا يتعلَّق بالأصول وتمييزها، أردتُ والمشيئة لله أن أجمع بعض ما بلغنا من معجزات نبيِّنا محمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ودلائل نبوته، فاستخرت الله عزَّ وجلَّ في الابتداء بما أردته، واستعنتُ به على إتمام ما قصدته، على نحو ما شرطته في مصنَّفاتي من الاكتفاء بالصحيح من السقيم، والاجتزاء بالمعروف من الغريب، إلَّا فيما لا يتضح المراد من الصحيح أو المعروف دونه، فأورده والاعتماد على جملة ما تقدَّمه من الصحيح أو المعروف عند أهل المغازي والتواريخ».اهـ باختصارٍ يسيرٍ.

وقال أيضًا في أواخر "الدلائل"، في باب ما يُستدلُّ به على أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لم يستخلف أحدًا بعينه في أمر أمَّته، بعد أن ذكر حديثًا في وصيَّة عليٍّ، وأشار إلى أنه حديثٌ طويلٌ في الرغائب والآداب ما نصُّه: «وهو

حديثٌ موضوعٌ، وقد شرطت في أول الكتاب أن لا أُخرِّج في هذا الكتاب حديثًا أعلمه موضوعًا».اهـ بلفظه.

فمن هذه النصوص تعلم قدر كتاب" دلائل النبوة" خصوصًا، وسائر كتب البيهقيِّ عمومًا، وأنه لا يروي فيها الموضوع أصلًا، وإنما يروي الضعيف مع الإشارة إليه، أو إهمالها مع الاعتماد على صحيحٍ غيره، أو لكون الضعيف مقبولًا في مثل ما رواه فيه كما قال، أو لغير ذلك ممَّا بيَّنه، فروايته لحديث توسل آدم عليه السَّلام والحالة هذه، دليلٌ على أنه ليس بموضوعٍ.

الخامس: أنَّ البيهقيَّ اقتصر على تضعيف الحديث فقط، فإنه قال في «باب ما جاء في تحدُّث رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بنعمة ربِّه عزَّ وجلَّ لقول الله تعالى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى: ١١] من كتاب "الدلائل" ما نصُّه: «حدَّثنا أبو عبدالله الحافظ إملاءً وقراءةً، قال: حدَّثنا أبو سعيدٍ عمرو بن محمَّد بن محمَّد بن منصورٍ العدل إملاءً، قال: حدَّثنا أبو الحسن محمد بن إسحاق بن إبراهيم الحنظليُّ، قال: حدَّثنا أبو الحارث عبدالله بن مسلمٍ الفهريُّ بمصر -قال أبو الحسن: هذا من رَهْط أبي عبيدة بن الجرَّاح- قال: أخبرنا إسماعيل بن مسلمة، قال: أخبرنا عبدالرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن جده، عن عمر، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم. وذكر الحديث كما تقدَّم، ثُمَّ قال: تفرَّد به عبدالرحمن بن زيد بن أسلم من هذا الوجه عنه، وهو ضعيفٌ».اهـ بلفظه من نسخةٍ عتيقةٍ صحيحةٍ، عليها خطُّ الجمال يوسف بن عبدالهادي، والعلامة مغلطاي، والحافظ السيوطيِّ.

وهذا نصٌّ صريحٌ من الحافظ البيهقيِّ بضعف الحديث يؤيِّد ما ادَّعيناه، وبالله التوفيق.

السادس: أنَّ الحديث -أعني: حديث توسل آدم عليه السَّلام- له شاهدٌ يؤيِّده، فقد أخرج ابن المنذِر في "تفسيره" عن محمَّد بن عليٍّ بن حسين بن عليٍّ عليهم السَّلام قال: لَمَّا أصاب آدم الخطيئة عَظُم كَرْبه، واشتدَّ ندمه، فجاءه جبريل عليه السَّلام فقال: «يا آدمُ، هل أدلُّك على بابِ تَوْبَتِكَ الذي يتوبُ اللهُ عليك منه؟ قال: بلى يا جبريل، قال: قُمْ في مَقامِكَ الذي تُناجي فيه ربَّكَ، فمَجِّدْهُ وامْدَحْ فليس شيءٌ أحبَّ إلى الله مِن المَدْحِ، قال: فأقول ماذا يا جبريل؟ قال: فقل: لا إله إلَّا الله، وحده لا شريك له، له المُلْكُ وله الحَمْدُ، يُحيي ويُميتُ، وهو حَيٌّ لا يَمُوتُ، بيَدِهِ الخيرُ كُلُّهُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، ثُمَّ تَبُوء بخَطِيئَتِكَ فتقول: سُبْحانَكَ اللهمَّ وبحَمْدِكَ، لا إله إلَّا أنتَ، ربِّ إنِّي ظلمتُ نَفْسِي، وعَمِلْتُ السُّوء، فاغْفِرْ لي إنه لا يَغْفِرُ الذُّنوبَ إلَّا أنتَ، اللهمَّ إني أسألُك بجاه محمَّدٍ عَبْدِكَ، وكرامَتِهِ عليك أن تَغْفِرَ لي خَطيئتي»، قال: ففعل آدم، فقال الله: «يا آدم مَن علَّمك هذا؟ فقال: يا ربِّ إنك لَمَّا نفخت فيَّ الرُّوحَ، فقمتُ بَشَرًا سَوِيًّا أَسمَعُ وأُبصِر وأَعقِل وأَنظُر، رأيت على ساق عرشك مكتوبًا: بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، محمَّدٌ رسول الله، فلمَّا لم أرَ على أثر اسمك اسم ملَكٍ مُقرَّب ولا نبيٍّ مُرسلٍ غير اسْمِهِ، عَلِمْتُ أنه أكرم خَلْقِكَ عليك، قال: صَدَقتَ، وقد تُبْتُ عليك وغَفَرْتُ لك».

محمَّد بن عليِّ بن الحسين: هو أبو جعفرٍ الباقر، مِن ثقات التابعين وساداتهم، خرَّج له الستة، روىٰ عن جابرٍ، وأبي سعيدٍ، وابن عمر وغيرهم.

ثُمَّ وجدتُ له شاهدًا آخر مرفوعًا، فروىٰ ابن الجوزيِّ في كتاب "الوفا بفضائل المصطفىٰ" من طريق أبي الحسين بن بشران: حدَّثنا أبو جعفرٍ محمد بن عمرٍو: حدَّثنا أحمد بن إسحاق بن صالحٍ: ثنا محمَّد بن صالحٍ: ثنا محمَّد بن سِنانٍ العَوَقِيُّ: ثنا إبراهيم بن طَهْمان، عن بُدَيْل بن مَيْسَرة، عن عبدالله بن شَقِيقٍ، عن مَيْسَرة قال: قلت: يا رسول الله متىٰ كنتَ نبيًّا؟ قال: «**لَمَّا خَلَقَ اللهُ الأرضَ، واستوى إلى السَّماءِ فسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَواتٍ، وخَلَقَ العَرْشَ، كتبَ على ساقِ العَرْشِ: محمَّدٌ رسولُ الله خاتم الأنبياءِ؛ وخَلَقَ اللهُ الجنَّة التي أَسْكَنَها آدمَ وحَوَّاءَ، فكتب اسْمِي على الأبوابِ والأوراقِ والقِباب والخِيامِ، وآدم بين الرُّوحِ والجَسَدِ، فلمَّا أحياهُ الله تعالى نَظَرَ إلى العَرْشِ فرأى اسْمِي، فأخبره اللهُ أنه سَيِّدُ وَلَدِكَ، فلمَّا غَرَّهما الشيطانُ تابا واسْتَشْفَعا باسْمِي إليه**». إسناد هذا الحديث قويٌّ(١) وهو أقوىٰ شاهدٌ وقفت عليه لحديث عبدالرحمن بن زيدٍ.

وفي الباب ما رواه أبو بكرٍ الآجُرِّيُّ في كتاب "الشريعة" قال: ثنا هارون بن يوسف التاجر: ثنا أبو مروان العثماني: حدَّثني أبو عثمان بن خالد، عن عبدالرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه أنه قال: من الكلمات التي تاب الله بها علىٰ آدم، قال: «**اللهمَّ إني أسألُك بحَقِّ محمَّدٍ عليك، قال الله تعالى: وما يُدريك ما محمَّدٌ؟ قال: يا ربِّ رفعتُ رأسي فرأيتُ مكتوبًا على عرشك لا إله إلَّا الله محمَّدٌ رسول الله، فعلمتُ أنه أكرمُ خَلْقِكَ**».

فانضمام هذا الأثر إلىٰ حديث عبدالرحمن بن زيدٍ يُفيده قوَّةً كما لا يخفىٰ.

---

(١) كما قال الحافظ في "الفتح" وغيره.

أمَّا قوله في الحديث: «**لولاه يا آدم ما خَلَقْتُكَ**»، فقد أخرج الحاكم نفسه شاهدًا له عن ابن عبَّاسٍ، فقال: حدَّثنا علي بن حمشاذ العدل: حدَّثنا هارون بن العبَّاس الهاشميُّ: حدَّثنا جندل بن والقٍ: حدَّثنا عمرو بن أوسٍ الأنصاريُّ: حدَّثنا سعيد بن أبي عَرُوبة، عن قتادة، عن سعيد بن المسيَّب، عن ابن عبَّاسٍ قال: أوحى الله إلى عيسى عليه السَّلام: «**يا عيسى آمِن بمحمَّدٍ وأمُر مَن أَدْرَكَهُ مِن أُمَّتكَ أن يؤمنوا به، فلولا محمَّدٌ ما خَلَقْتُ آدم، ولولاه ما خَلَقْتُ الجنَّةَ والنَّارَ، لقد خَلَقْتُ العَرْشَ على الماءِ فاضْطَرَبَ فكتبتُ عليه لا إله إلَّا الله، محمَّدٌ رسول الله فسَكَنْ**». قال الحاكم: «حديثٌ صحيح الإسناد»، فكتب عليه الذهبيُّ ما نصُّه: «أظنُّه موضوعًا على سعيدٍ».اهـ

ولا يخفى أنَّ هذا الظنَّ من الذهبيِّ لم يقم عليه دليلٌ، فلا اعتداد به، كيف وقد ورد من طريقٍ آخر عن ابن عبَّاسٍ مرفوعًا؟!

قال الديلميُّ في "مسند الفردوس": أخبرنا أبي: ثنا أبو طالب بن علي بن الحسين: ثنا عبدالله بن إبراهيم: ثنا محمَّد بن إبراهيم البزَّار: ثنا عبدالله بن إسحاق المدائنيُّ: ثنا محمَّد بن بشَّار: حدَّثنا عبيدالله بن موسى القرشيُّ: ثنا الفضل بن جعفر بن سليمان، عن عبدالصمد بن عليٍّ بن عبدالله بن عبَّاسٍ، عن أبيه، عن ابن عبَّاسٍ مرفوعًا: «**أتاني جبريل فقال: يا محمَّد إنَّ الله يقول: لولاك ما خَلَقْتُ الجنَّة، ولولاك ما خَلَقْتُ النَّارَ**». وعبدالصمد ضعَّفه العقيليُّ، وقال: حديثه غير محفوظٍ.

والمقصود أنَّ حديث عبدالرحمن بن زيد بن أسلم في قصة توسل آدم عليه السَّلام ليس بموضوعٍ، ولا تسمح القواعد الحديثية أن يكون موضوعًا

للوجوه التي ذكرناها خلافًا للذهبيِّ -رحمه الله تعالى-، فإنه تشدَّد كثيرًا، كما أنَّ الحاكم تساهل فيه كثيرًا، والصَّواب أنَّ الحديث ضعيفٌ مُنجَبِرٌ بحديث مَيْسرة الفَجْر، وهو حديثٌ قويٌّ كما سبق آنِفًا، وبأثر الباقر وغيره[1] رضي الله عنهم.

ثُمَّ ممَّا يجب التنبه له: أنَّ قول الحافظ الذهبيِّ عن الحديث: رواه عبدالله بن مسلمٍ الفِهريُّ، ولا أدري مَن ذا؟ إن كان غرضه بهذا إعلال الحديث بجهالة عبدالله بن مسلمٍ فلا معنى لهذا الإعلال؛ إذ الحديث معروفٌ بعبدالرحمن بن زيد، على أنَّ عبدالله بن مسلم الفِهريَّ معروفٌ، إذ قد تقدَّم في ذكر سند البيهقيِّ في الوجه الخامس: أنَّ ابن إسحاق بن راهويه يروي عنه الحديث بمصر، وأخبر أنه من رهط أبي عبيدة بن الجرَّاح رضي الله عنه، وهذا تعريفٌ له في الجملة.

وقد وجدتُ له متابعًا عن عبدالرحمن بن زيدٍ؛ قال الطبراني في "المعجم الصغير": ثنا محمَّد بن داود بن أسلم الصدفيُّ المصريُّ: ثنا أحمد بن سعيد المدنيُّ الفِهريُّ: ثنا عبدالله بن إسماعيل المدنيُّ، عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن جدِّه، عن عمر، فذكر الحديث كما تقدَّم وزاد فيه: «**أنه آخر النبيين من ذريَّتك، وأنَّ أمَّته آخر الأمم من ذريَّتك**»، ورواه أبو بكرٍ الآجُرِّيُّ في كتاب "الشريعة" من طريق عبدالله بن إسماعيل ابن أبي مريم، عن عبدالرحمن بن زيدٍ، به نحوه، لكن وقفه على عمر، والموقوف في هذا الباب له حكم المرفوع، والله وليُّ التوفيق.

---

(١) وبذلك يكون حديث توسل آدم حسنًا لغيره، فيُحتجُّ به بلا نزاع.

ثُمَّ قال المُتنطِّع: «الشبهة الثالثة: وهي أقوىٰ الشبه، ما أخرجه الترمذيُّ عن عثمان بن حُنَيفٍ -رضي الله عنه- وحسَّنه، أنه جاء إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وقد كُفَّ بصره، فقال له صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إن شئتَ احتسبتَ عندالله، وإن شئتَ دعوتُ لك فرَدَّ اللهُ بَصَرَكَ**»، فقال عثمان رضي الله عنه: أُحبُّ أن يُردَّ عليَّ بصري يا رسول الله، فقال له رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**قم فتوضَّأ وصَلِّ ركعتين، ثُمَّ قل: اللهمَّ إني أتوسَّل إليك بنبيِّك نبيِّ الرحمة أن تردَّ عليَّ بَصَري**»، ثُمَّ قام رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فتوضَّأ وصلَّىٰ ركعتين، ثُمَّ دعا له فردَّ الله عليه بصره». انتهي ما رواه الترمذيُّ، وأمَّا الزيادة التي بعد ذلك المنسوبة إلىٰ عثمان بن حُنيفٍ أنه علَّم رجلًا آخر في عهد عثمان بن عفَّان رضي الله عنه، فإنَّ عثمان كان لا يسمع له شكواه ولا يقضي حاجته، فلمَّا فعل ما علَّمه عثمان بن حُنيفٍ قضىٰ له عثمان بن عفَّان حاجته، هذه الزيادة كلُّها مكذوبةٌ يُكذِّبها من أساسها أنَّ عثمان بن عفَّان لو فعل ذلك مع أحدٍ من النَّاس لكان ظالمًا، وقد خلتْ منها كتب السنَّة كلُّها».اهـ

وأقول: في كلامه أمورٌ:

الأول: قوله: «إنَّ عثمان بن حُنيفٍ جاء إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وقد كُفَّ بصره صريحٌ في أنه كان أعمىٰ، ورُدَّ إليه بصره بالدعاء المذكور في الحديث، وهو تحريفٌ في رواية الحديث، ناشئٌ عن عدم الاطِّلاع علىٰ الكتب الحديثية الميسورة التي لا يَجمل بالمتعلِّم أن يجهلها، فضلًا عمَّن يدَّعي أنه من العلماء المسئولين عندالله علىٰ تبليغ العلم!! فإن كان هذا هو العلم الذي سيُسأل المُتنطِّع عن تبليغه، فتبًّا له من علمٍ وتبًّا لصاحبه، وخيرٌ للرجل أن

يعيش جاهلًا موفور الكرامة، من أن يكون عالمًا مُنتَهك السَّتْر كالمُتنطِّع، فلو أنه رجع إلى "جامع الترمذيِّ" وهو -مع كونه مطبوعًا متداولًا- أحد الكتب الستة التي بلغت في الشهرة والذيوع، بحيث لا يجهلها العوامُّ والجهلة، لعلم أنَّ عثمان بن حُنيفٍ -رضي الله عنه- إنما روى قصة الأعمى الذي جاء إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يشكو إليه ذهاب بصره، ولم يكن هو أعمى قطُّ، وإنما نسبة العمى إليه من عَماية المُتنطِّع.

الثاني: أنه حرَّف الحديث فزاد فيه ونقص منه، كما سيتبيَّن بعد إن شاء الله، وليس هذا من الرواية بالمعنى، بل هو تحريفٌ مِن جهل المُتنطِّع.

الثالث: قوله: «ثُمَّ قام رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فتوضَّأ وصلَّى ركعتين..» إلخ. صريحٌ في أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فعل الوضوء والصَّلاة والدعاء، وهذا كذبٌ قبيحٌ يوجب لصاحبه مقعدًا في جهنَّم، كما في الحديث المتواتر، فليس في شيءٍ من طرق هذا الحديث وألفاظه أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم توضَّأ وصلَّى ودعا، وإنما الموجود المعروف أنَّ الأعمى فعل ذلك فردَّ الله عليه بصره.

الرابع: أنَّ المُتنطِّع إنما نسب إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنه توضَّأ وصلَّى ودعا؛ ليتأتَّى له أن يقول في الجواب: أنَّ هذا التوسل كان بدعاء النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فيكون خاصًّا بحال حياته، كما أشار إليه في الوجه الأول من أجوبته الساقطة، ولكن هذا كذبٌ قبيحٌ كما قدَّمناه، وهو مع ذلك خيانةٌ في نقل أحاديث رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وتبًّا لرأيٍ ينبني على الكذب والخيانة، وتالله إنَّ ذلك لعلامةٌ على إفلاس صاحبه.

الخامس: قوله عن القصة التي حصلت في عهد عثمان بن عفان: أنها مكذوبةٌ، جهلٌ منه فاضحٌ، بل هي قصة صحيحةٌ لا نزاع في صحَّتها كما سيأتي.

السادس: أنَّ تكذيب المُتنطِّع للقصة المذكور يتنافى مع قوله سابقًا: إنَّ الترمذيَّ حسَّن الحديث؛ وذلك لأنَّه إذا كان الحديث حسنًا فيجب أن تكون القصة كذلك؛ لأنها مرويَّةٌ بإسناد الحديث نفسه، وما أوقع المُتنطِّع في هذا التنافي إلَّا جهله وعدم اطِّلاعه.

السابع: استدلاله على تكذيب القصة بأنَّ عثمان بن عفَّان رضي الله عنه لو فعل ذلك مع أحدٍ من النَّاس كان ظالمًا، جهلٌ منه وعدم اطِّلاعٍ؛ لأنَّ في آخر القصة ما ينفي هذا، فقد جاء فيها كما سيأتي أنَّ عثمان رضي الله عنه اعتذر للرجل بأنه كان ناسيًا لحاجته، وأنه لم يذكرها إلَّا في تلك الساعة، ولا يخفى أنَّ الناسي غير مؤاخذٍ بالنصِّ والإجماع.

الثامن: قوله: «وقد خلت منها كتب السنة كلها»، كذبٌ بحتٌ، فهي موجودةٌ في "معجم الطبراني"، و"دلائل النبوة" للبيهقيِّ، و"الترغيب والترهيب" للحافظ المنذريِّ، وغيرها من كتب السنَّة.

وإذ قد فرغنا من الكلام مع المُتنطِّع فيما أبداه من جهلٍ وكذبٍ وتحريفٍ، فلنتكلَّم على طرق الحديث وألفاظه، ووجه دلالته على المقصود فنقول:

قال الترمذيُّ في أبواب الدعاء من "جامعه": حدَّثنا محمود بن غيلان: ثنا عثمان بن عمر: ثنا شعبة، عن أبي جعفرٍ، عن عمَّار بن خزيمة بن ثابتٍ، عن عثمان بن حُنيفٍ، أنَّ رجلًا ضرير البصر أتى النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقال: ادعُ الله أن يعافيني، قال: «**إن شئتَ دعوتُ، وأن شئتَ صبرتَ فهو خيرٌ**

لك»، قال: فادْعُه، قال: فأمره أن يتوضَّأ فيحسن وضوءه، ويدعو بهذا الدعاء: «**اللهمَّ إني أسألك وأتوجَّه إليك بنبيِّك محمَّدٍ نبيِّ الرحمة، يا محمَّد إني أتوجُّه بك إلى ربِّي في حاجتي هذه لتُقضى لي، اللهمَّ فشفِّعه فيَّ**».

قال الترمذيُّ: «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ، لا نعرفه إلَّا من هذا الوجه، من حديث أبي جعفرٍ، وهو غير الخطميِّ».

قلت: كذا في نسختي المطبوعة بالهند من "جامع الترمذيِّ"، ولعلَّ زيادة لفظ: (غير) سهوٌ من الترمذيِّ رحمه الله، وإلَّا فأبو جعفرٍ هو الخطميُّ كما صرَّح به ابن أبي خَيْثمة والطبراني وغيرهما، وسيأتي كلامهم.

وقال ابن تيمية ما نصُّه: «هكذا وقع في الترمذيِّ، وسائر العلماء قالوا: هو أبو جعفرٍ الخطميُّ، وهو الصَّواب، وأيضًا فالترمذيُّ ومن معه لم يستوعبوا لفظه كما استوعبه سائر العلماء، بل رووه إلى قوله: «**اللهمَّ فشفِّعه فيَّ**».اهـ بلفظه.

ورواه النَّسائيُّ في "عمل اليوم والليلة" عن محمود بن غَيْلان، عن عثمان ابن عمر بالسند المذكور.

ورواه أيضًا عن محمَّد بن عمر، عن حمَّاد -هو ابن سلمة- عن أبي جعفرٍ، عن عمارة بن خزيمة، عن عثمان بن حُنيفٍ.

ورواه أيضًا عن زكريا بن يحيى، عن ابن مثنَّى، عن معاذ بن هشام، عن أبيه، عن أبي جعفر عن أبي أمامة بن سهل بن حُنيفٍ، عن عمِّه عثمان بن حُنيفٍ نحوه.

ورواه ابن السُّنِّيُّ أيضًا من طريق معاذ بن هشامٍ، عن أبيه، عن أبي

جعفرٍ به.

ورواه ابن ماجه في الصَّلاة عن أحمد بن منصور بن سيَّارٍ، عن عثمان بن عمر بسنده السابق[١].

وقال الإمام أحمد: حدَّثنا رَوْح بن عُبادة: ثنا شعبة، عن أبي جعفرٍ المدينيِّ، سمعتُ عمارة بن خزيمة بن ثابتٍ يُحدِّث عن عثمان بن حُنيفٍ، أنَّ رجلًا ضريرًا أتى النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: يا نبيَّ الله ادعُ الله أن يعافيني، قال: «**إن شئتَ أخرَّتُ ذلك فهو خيرٌ لآخرتك، وإن شئتَ دعوتُ لك**»، قال: لا بل ادعُ الله لي، فأمره أن يتوضَّأ، وأن يُصلِّي ركعتين، وأن يدعو بهذا الدعاء، ثُمَّ ذكر الدعاء نحو رواية الترمذيِّ، قال: ففعل الرجل فبَرِئ.

ورواه الحاكم من طريق عثمان بن عمر، عن شعبة به، وقال: «صحيحٌ على شرط الشَّيخين»، وأقرَّه الذهبيُّ.

ورواه أيضًا من طريق عون بن عمارة البصريِّ، ومن طريق شبيب بن سعيدٍ الحبطيِّ كلاهما، عن رَوْح بن القاسم، عن أبي جعفرٍ المدنيِّ -وهو الخطميُّ-، عن أبي أُمامة بن سهل بن حُنيفٍ، عن عمِّه عثمان بن حُنيفٍ، قال: سمعتُ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وجاءه رجلٌ ضريرٌ، فشكا إليه ذهاب بصره، فقال: يا رسول الله ليس لي قائدٌ، وقد شقَّ عليَّ، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ائت المِيضأَة فتوضَّأ، ثُمَّ صلِّ ركعتين وقل...**»، فذكر الدعاء المتقدِّم، قال عثمان بن حُنيفٍ: فوالله ما تفرَّقنا ولا طال بنا

---

(١) وقال عقبه: «قال أبو إسحاقٍ: هذا حديثٌ صحيحٌ».

الحديث، حتىٰ دخل الرجل وكأنه لم يكن به ضرٌّ قطُّ.

ثُمَّ قال الحاكم: «هذا حديثٌ صحيحٌ علىٰ شرط البخاريِّ»، وأقره الذهبيُّ أيضًا.

وقال ابن أبي خيثمة في "تاريخه": حدَّثنا مسلم بن إبراهيم: ثنا حمَّاد بن سلمة: أنا أبو جعفرٍ الخطميُّ، عن عمارة بن خزيمة، عن عثمان بن حُنيفٍ، أنَّ رجلًا أعمىٰ أتىٰ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: إني أُصبت في بصري فادعُ الله لي، قال: «**اذهبْ وصَلِّ ركعتين، ثُمَّ قل: اللهمَّ إني أسألك وأتوجَّه إليك بنبيِّك محمَّدٍ نبيِّ الرحمة، يا محمَّد إني أستشفع بك على ربِّي في ردِّ بَصَري، اللهمَّ فشَفِّعْني في نَفْسي، وشفِّع نبيِّ في ردِّ بَصَري، وإن كانت حاجة فافعل مثل ذلك**»، فردَّ الله عليه بصره.

قال ابن أبي خيثمة: أبو جعفرٍ هذا الذي حدَّث عنه حمَّاد بن سلمة اسمه عُمير بن يزيد، وهو أبو جعفرٍ الذي يروي عنه شعبة، ثُمَّ روىٰ الحديث من طريق عثمان بن عمر، عن شعبة، عن أبي جعفرٍ.

وقال البيهقيُّ في "دلائل النبوة": «باب ما جاء في تعليمه الضرير ما كان فيه شفاؤه حين لم يصبر، وما ظهر في ذلك من آثار النبوة: أخبرنا أبو عبدالله الحافظ -هو الحاكم- قال: ثنا أبو العبَّاس محمَّد بن يعقوب، قال: ثنا العبَّاس بن محمَّد الدوريُّ، وأخبرنا أبو بكرٍ أحمد بن الحسن القاضي: ثنا أبو عليٍّ حامد بن محمَّد الهرويُّ: ثنا محمَّد بن يونس، قالا: ثنا عثمان بن عمر: ثنا شعبة، عن أبي جعفرٍ الخطميِّ، سمعت عمارة بن خزيمة بن ثابت يحدِّث، عن عثمان بن حُنيفٍ، أنَّ رجلًا ضريرًا أتىٰ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: ادعُ الله أن

يعافيني، قال: «**فإن شئتَ أخرتُ ذلك وهو خير لك، وإن شئتَ دعوتُ الله**»، قال: فادعه، فأمره أن يتوضَّأ فيُحْسِن الوضوء، ويصلِّي ركعتين، ويدعو بهذا الدعاء: «**اللهمَّ إني أسألك وأتوجَّه إليك بنبيِّك محمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نبيِّ الرحمة، يا محمَّد إني أتوجَّه بك إلى ربِّي في حاجتي هذه فيقضيها لي، اللهمَّ شفِّعه فيَّ، وشفِّعني في نفسي**»، هذا لفظ حديث العباس، زاد محمَّد بن يونس في روايته قال: فقام وقد أبصر.

ورويناه في كتاب الدعوات بإسنادٍ صحيحٍ، عن رَوْح بن عُبادة، عن شعبة قال: ففعل الرجل فبَرَأ.

وكذلك رواه حمَّاد بن سلمة، عن أبي جعفرٍ الخطميِّ، وأخبرنا أبو عبدالله الحافظ: أخبرنا أبو محمَّدٍ عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن سهلٍ الدياس بمكَّة: ثنا محمَّد بن عليِّ بن يزيد الصائغ: ثنا أحمد بن شَبِيب بن سعيدٍ الحبطيُّ: حدَّثني أبي، عن رَوْح بن القاسم، عن أبي جعفرٍ المدينيِّ -وهو الخطمي-، عن أبي أُمامة بن سهل بن حُنيفٍ، عن عمِّه عثمان بن حُنيفٍ قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وجاءه رجلٌ ضريرٌ فشكا إليه ذهاب بصره فقال: يا رسول الله ليس لي قائدٌ، وقد شقَّ عليَّ، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ائت الميضأة فتوضَّأ، ثُمَّ صلِّ ركعتين، ثُمَّ قل: اللهمَّ إني أتوجَّه إليك بنبيِّك محمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نبيِّ الرحمة، يا محمَّد إني أتوجَّه بك إلى ربِّي فيُجلِّي لي عن بصري، اللهمَّ شفِّعه فيَّ وشفِّعني في نفسي**»، قال عثمان: فوالله ما تفرَّقنا ولا طال الحديث حتى دخل الرجل وكأنه لم يكن فيه ضيرٌ قطُّ.

أخبرنا أبو سعيدٍ عبدالمَلِك بن أبي عثمان الزاهد -رحمه الله-: أخبرنا الإمام أبو بكرٍ محمَّد بن عليٍّ بن إسماعيل الشَّاشيُّ القَفَّال: أخبرنا أبو عَرُوبَة: ثنا العبَّاس بن الفرج: ثنا إسماعيل بن شَبِيبٍ: ثنا أبي، عن رَوْح بن القاسم، عن أبي جعفرٍ المدينيِّ، عن أبي أُمامة بن سهل بن حُنيفٍ، أنَّ رجلًا كان يختلف إلى عثمان بن عفَّان في حاجةٍ، وكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته، فلقي عثمان بن حُنيفٍ فشكا إليه ذلك، فقال له عثمان بن حُنيفٍ: ائت الميضأة فتوضَّأ، ثُمَّ ائت المسجد فصلِّ ركعتين، ثُمَّ قل: اللهمّ إني أسألك وأتوجَّه إليك بنبيِّك محمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نبيِّ الرحمة، يا محمَّد إني أتوجَّه بك إلى ربِّي فيقضي حاجتي، واذكر حاجتك ثُمَّ رُحْ حتى أروح، فانطلق الرجل وصنع ذلك، ثُمَّ أتى باب عثمان بن عفَّان، فجاء البوَّاب فأخذ بيده فأدخله على عثمان فأجلسه معه على الطِّنفِسَة، فقال: انظر ما كانت لك من حاجةٍ، ثُمَّ إنَّ الرجل خرج من عنده فلقي عثمان بن حُنيفٍ فقال له: جزاك الله خيرًا، ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إليَّ حتى كلَّمته، فقال له عثمان بن حُنيفٍ: ما كلَّمته، ولكن سمعتُ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وجاءه ضرير فشكا إليه ذهاب بصره، فقال له النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أَوَ تَصْبِر**» فقال: يا رسول الله ليس لي قائدٌ، وقد شقَّ عليَّ، فقال: «**ائتِ المِيضَأَةَ فتَوَضَّأ وصَلِّ ركعتين، ثُمَّ قل: اللهمَّ إني أسألك وأتوجَّه إليك بنبيِّك نبيِّ الرحمة، يا محمَّد إني أتوجَّه بك إلى ربِّي فيُجَلِّي لي عن بَصَري، اللهمَّ شفِّعه فيَّ وشفِّعني في نَفْسي**»، قال عثمان: فوالله ما تفرَّقنا وطال بنا الحديث حتى دخل الرجل كأن لم يكن به ضررٌ.

وقد رواه أحمد بن شَبيب بن سعيدٍ، عن أبيه بطوله أيضًا: أخبرنا أبو عليٍّ الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن شاذان: أخبرنا عبدالله بن جعفر بن دَرَسْتَوَيْه: ثنا يعقوب بن سفيان: ثنا أحمد بن شَبِيب بن سعيدٍ... فذكره بطوله.

وذلك فيما ذكر شيخنا أبو عبدالله الحافظ، أنَّ عليَّ بن عيسىٰ بن إبراهيم حدَّثهم: ثنا إبراهيم بن محمَّد بن يزيد السَّكُونيُّ: ثنا يعقوب بن سفيان الفارسيُّ: ثنا أحمد بن شبِيب بن سعيدٍ: ثنا أبي، عن روْح بن القاسم، عن أبي جعفرٍ المدينيِّ، عن أبي أُمامة بن سهل بن حُنيفٍ، عن عمِّه عثمان بن حُنيفٍ، أنَّ رجلًا كان يختلف إلىٰ عثمان بن عفَّان -رضي الله عنه- في حاجةٍ...فذكر الحديث.

ورواه أيضًا هشام الدَّسْتوائيُّ، عن أبي جعفرٍ، عن أبي أُمامه بن سهلٍ، عن عمِّه وهو عثمان بن حُنيفٍ». هذا كلام البيهقيِّ بحروفه.

وقال الطبراني في ترجمة عثمان بن حُنيفٍ من "معجمه الكبير": حدَّثنا طاهر بن عيسىٰ ابن قَيْرسٍ المصريُّ المقري: ثنا أصبغ بن الفرج: ثنا ابن وهبٍ -يعني عبدالله-، عن أبي سعيدٍ المكيِّ -يعني شَبِيب بن سعيدٍ-، عن رَوْح بن القاسم، عن أبي جعفرٍ الخطميِّ المدنيِّ، عن أبي أُمامة بن سهل بن حُنيفٍ، عن عمِّه عثمان بن حُنيفٍ، أنَّ رجلًا كان يختلف إلىٰ عثمان بن عفَّان -رضي الله عنه- في حاجةٍ له، فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته، فلقي ابن حُنيفٍ فشكا إليه ذلك، فقال له عثمان بن حُنيفٍ: ائت الميضأة فتوضَّأ، ثُمَّ ائت المسجد فصلِّ فيه ركعتين، ثُمَّ قل: اللهمّ إني أسألك وأتوجَّه إليك بنبيِّنا محمَّدٍ

نبيِّ الرحمة، يا محمَّد إني أتوجَّه بك إلىٰ ربِّي فيقضي حاجتي» وتذكر حاجتك، ورُحْ حتىٰ أروح معك، فانطلق الرجل فصنع ما قال له، ثُمَّ أتىٰ باب عثمان بن عفَّان رضي الله عنه، فجاء البوَّاب حتىٰ أخذ بيده فأدخله علىٰ عثمان بن عفَّان فأجلسه معه علىٰ الطِّنفِسَة فقال: ما حاجتك؟ فذكر حاجته وقضاها له، ثُمَّ قال له: ما ذكرت حاجتك حتىٰ كان الساعة، وقال: ما كانت لك من حاجةٍ فاذكرها؛ ثُمَّ إنَّ الرجل خرج من عنده فلقي عثمان ابن حُنيفٍ، فقال له: جزاك الله خيرًا، ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إليَّ حتىٰ كلَّمته فيَّ، فقال عثمان بن حُنيفٍ: والله ما كلَّمته، ولكني شهدتُ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وأتاه ضريرٌ فشكا إليه ذهاب بصره، فقال له النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أَوَ تَصْبِر**»، فقال: يا رسول الله إنه ليس لي قائدٌ، وقد شقَّ عليَّ، فقال له النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ائتِ المِيضَأَةَ فتَوَضَّأ، ثُمَّ صَلِّ ركعتين، ثُمَّ ادعُ بهذه الدعوات**»، قال ابن حُنيفٍ: فوالله ما تفرَّقنا وطال بنا الحديث حتىٰ دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضررٌ قطُّ.

ورواه في "المعجم الصغير" فيمن اسمه طاهر من شيوخه من هذا الطريق بهذا اللفظ، ثُمَّ قال ما نصُّه: «لم يروه عن رَوْح بن القاسم إلَّا شَبِيب بن سعيدٍ أبو سعيدٍ المكيُّ، وهو ثقةٌ، وهو الذي يروي عنه أحمد شَبِيب، عن أبيه، عن يونس بن يزيد الأيليِّ، وقد روىٰ هذا الحديث شعبة، عن أبي جعفرٍ الخطميِّ واسمه عُمَير بن يزيد وهو ثقةٌ، تفرَّد به عثمان بن عمر بن فارسٍ، عن شعبة والحديث صحيحٌ».اهـ كلام الطبراني بحروفه.

قال ابن تيمية ما نصُّه: «والطبراني ذكر تفرُّده بمبلغ علمه، ولم يبلغه رواية رَوْح بن عبادة، عن شعبة، وذلك إسنادٌ صحيحٌ يبيِّن أنه لم ينفرد به عثمان بن عمر».اهـ بلفظه.

وقال الحافظ المنذريُّ في "الترغيب والترهيب" ما نصُّه: «الترغيب في صلاة الحاجة ودعائها، عن عثمان بن حُنيفٍ رضي الله عنه، أنَّ أعمىٰ أتىٰ إلىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: يا رسول الله ادعُ الله أن يكشف لي عن بصري، قال: «**أو أدعك**»، قال: يا رسول الله إنه قد شقَّ عليَّ ذهاب بصري، قال: «**فانطَلِقْ وتَوَضَّأ، ثُمَّ صَلِّ ركعتين، ثُمَّ قلْ: اللهمَّ إني أسألُكَ وأتوجَّهُ إليك بنبيِّي محمَّدٍ نبيِّ الرحمة، يا محمَّد إني أتوجَّه إلى ربِّي بك أن يَكْشِفَ لي عن بَصَري، اللهمَّ شَفِّعْهُ فيَّ وشَفِّعْني في نَفْسي**»، فرجع وقد كشف الله عن بصره.

رواه الترمذيُّ وقال: «حديثٌ حسنٌ غريبٌ»، والنَّسائيُّ واللفظ له، وابن ماجه، وابن خزيمة في "صحيحه"، والحاكم وقال: صحيحٌ علىٰ شرط البخاريِّ ومسلمٍ، وليس عند الترمذيِّ: «**ثُمَّ صَلِّ ركعتين**».

ورواه الطبراني وذكر في أوله قصةً، وهي أنَّ رجلًا كان يختلف إلىٰ عثمان بن عفَّان رضي الله عنه في حاجةٍ له، وذكر القصة بتمامها، ثُمَّ قال: قال الطبراني بعد ذكر طُرقه: والحديث صحيحٌ». هذا كلام الحافظ المنذريِّ.

وكذا نقل تصحيح الطبراني ووافقه الحافظ الهيثميُّ، في باب صلاة الحاجة من "مجمع الزوائد"، ووافق علىٰ تصحيح الحديث أيضًا النوويُّ في باب أذكار

صلاة الحاجة من كتاب "الأذكار"، والحافظ في "أمالي الأذكار"، والحافظ السيوطيُّ في "الخصائص الكبرىٰ"، وابن تيمية في غير موضعٍ من كتبه، ونقل تصحيحه عن الترمذيِّ، والحاكم، والحافظ أبي عبدالله المقدسي صاحب "المختارة" وغيرهم، وبالجملة فالحديث صحيحٌ بإجماع الحفَّاظ، لا مطعن فيه ولا مَغْمَز، وقد بلغني أنَّ بعض المعاصرين -ممَّا جمع بين بدعتي الوهَّابية والتجسيم- تعرَّض لهذا الحديث في كتاب له سمَّاه: "الصراع" وردَّه بأمرين:

الأول: جهالة أبي جعفرٍ.

الثاني: أنَّ الحديث اشتمل علىٰ معجزةٍ وهي ردُّ بصر الأعمىٰ، وذلك ممَّا تتوفَّر الدواعي علىٰ نقله؛ فيبعد أن يتفرَّد به عثمان بن حُنيفٍ دون سائر الصحابة.

هذا حاصل ما علق بذهني من ردِّه وكِلا الأمرين باطلان.

أمَّا الأول: فقد تقدَّم في كلام الطبراني، وابن أبي خيثمة، أنَّ أبا جعفرٍ هو الخطميُّ المدنيُّ، وأنَّ اسمه عُمَير بن يزيد، وأنه ثقةٌ، وفي "الخلاصة" للخزرجيِّ ما نصُّه: «عُمَير بن يزيد بن عمر بن حبيبٍ الأنصاريُّ الخطميُّ أبو جعفرٍ المدنيُّ ثُمَّ البصريُّ، عن أسعد بن سهلٍ، وابن المسيِّب، وعنه هشام الدَّستوائي، وشعبة، وثَّقه ابن معينٍ والنَّسائيُّ».اهـ بلفظه.

قلتُ: وروىٰ عنه أيضًا حمَّاد بن سلمة، ورَوْح بن القاسم كما تقدَّم في رواية النَّسائيِّ والبيهقيِّ، فإن كان أبو جعفرٍ لا يزال مجهولًا رغم هذا كله فليس في الدنيا ثقةٌ معروفٌ.

وأما الأمر الثاني: فبطلانه ظاهرٌ؛ لأنه ليس من شرط كلِّ معجزةٍ أن تُنقل بطريق التواتر أو الشهرة، بل فيها المتواتر، وفيها الآحاد كما لا يخفى على من تتبَّع كتب السنَّة المطهَّرة، فهذا حديث تسبيح الطعام، وإخبار الذِّراع بأنَّ فيها سُمًّا، مرويين بطريق الآحاد، مع أنَّ تسبيح الطعام وإخبار الذراع من المعجزات العظيمة، بل هما أعظم من ردِّ بصر الأعمى؛ لأنَّ تكلُّم الجماد أمرٌ لم يُعهد في العادة أصلًا، بخلاف ردِّ بصر الأعمى، فإنه مع كونه غريبًا يُقرِّبه أنَّ البصر من شأن الإنسان، ووصفٌ من صفاته، وقد عُهد ردُّ بصر الأعمى بعد ذهابه لعارضٍ من العوارض باستعمال بعض الأدوية كما كان معروفًا عند أطبَّاء العرب، ولا يزال إلى الآن عندنا بالمغرب فرقةٌ متخصِّصةٌ في هذا، تداوي من عمي لعارض، فيرجع إلى حالته الأصلية، والمقصود أنَّ المعجزة التي اشتمل عليها حديث عثمان بن حُنيفٍ ليست بأعظم من معجزة تسبيح الطعام، وإخبار الذِّراع بالسُّمِّ، وغيرها من المعجزات التي رُويت بطريق الآحاد، ويظهر لي أنَّ هذا المبتدِع سمع شيئًا عند الأصوليين ولم يُحسن فهمه، فأخطأ في تطبيقه،

وذلك أنَّ أهل الأصول نصُّوا على: «أنَّ ممَّا يُقطع بكذبه، الخبر المنقول آحادًا فيما تتوفَّر الدواعي على نقله»، ففي "جمع الجوامع" وشرحه، عطفًا على ما يُقطع بكذبه من الأخبار ما نصُّه: «والمنقول آحادًا فيما تتوفر الدواعي على نقله تواترًا، كسقوط الخطيب عن المنبر وقت الخطبة من المقطوع بكذبه، لمخالفته للعادة، خلافًا للرافضة، أي في قولهم: لا يُقطع بكذبه؛ لتجويز العقل

صدقه، وقد قالوا بصدق ما رووه منه في إمامة عليٍّ رضي الله عنه نحو: «أنت الخليفة من بعدي»، مشبِّهين له بما لم يتواتر من المعجزات، كحنين الجذع وتسليم الحجر، وتسبيح الحصى. قلنا: هذه كانت متواترة واستغني عن تواترها إلى الآن بتواتر القرآن، بخلاف ما يذكر في إمامة عليٍّ، فإنه لا يُعرف، ولو كان؛ ما خفي على أهل بيعة السقيفة».اهـ

وادِّعاء أنَّ هذه المعجزات كانت متواترة لا يُسلَّم، فالصواب في الجواب أن يُقال: استغني عن تواتر ما نقل آحادًا من المعجزات، بتواتر القرآن وهذا جواب مطَّرد في جميع الصور.

وأجاب الإسنوي بجوابٍ آخر، وهو أنَّ هذه المعجزات لم تتواتر لقلَّة المُشاهِد لها، لكن قال: وللشيعة أن يجيبوا بهذا الجواب فيقولوا: إنما لم يتواتر النصُّ على إمامة عليٍّ لقلَّة سامعيه.

قلتُ: قد يمنع جوابهم بأنَّ الغرض من النصِّ على إمامةِ معيَّنٍ مَنْع الخلاف وقَطْع النزاع، وذلك يقتضي أن يقصد الشارع إخبار جماعة الصحابة بأنَّ الإمام هو فلان لينتهوا عند قوله، لا إخبار فرد أو اثنين، وهذا بخلاف المعجزات فإنَّ الغرض منها وهو الدلالة على صدق الرسالة حصل بالقرآن، وبما تواتر منها كالإسراء والمعراج ونحوهما، فلم يلزم تواتر جميعها لحصول الغرض ببعضها المتواتر.

فمن النَّصِّين المتقدِّمين تعلم أنَّ الأصوليين معترفون بأنَّ من المعجزات ما لم يتواتر، ولم يقولوا: يُقطع بكذبها، بل أجابوا عنها بما تقدَّم، وتتحقَّق أيضًا ما

قدَّمناه من أنَّ ذلك المبتدِع لم يُحسن فهم ما في الأصول، فأخطأ في تطبيقه حيث أراد أن يجعل حديث عثمان بن حُنيفٍ من قبيل المردود، مع أنه من قبيل المقبول باتفاق الأصوليين، بدليل أنهم اعترفوا بصحَّة أحاديث من جنسه، وأجابوا عن معارضة الرافضية لهم بها بما نقلناه عن الجلال المحليِّ، والجمال الإسنويِّ، ولو كان ما ذكره ذلك المبتدع يقتضي ردَّ حديث عثمان بن حُنيفٍ للزم رد أحاديث من جنسه في صحيحي "البخاريِّ" و"مسلمٍ"، وهذا ما لا يقبله عقلٌ ولا يؤيده نقلٌ.

والحاصل أنَّ الوهَّابيين لما وجدوا هذا الحديث يدفع في صدورهم، ويحزُّ في نحورهم، تمحَّلوا في ردِّه، وتكلَّفوا في ذلك المشاقَّ، وهيهات أن يُردَّ الحديث الصحيح بمثل هذه التمحُّلات الباردة، والتعلُّلات الفاسدة، ونعوذ بالله من تعصُّبٍ يُفضي إلى الجهل، ومن تعسُّفٍ يؤدِّي إلى إبطال الحقِّ، وبالله التوفيق.

وحيث علمتَ أنَّ الحديث صحيحٌ، فاعلم أنه يدلُّ على جواز التوسل بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في حضوره وغيبته، في حياته وبعد موته، وبيان ذلك من وجوهٍ:

الأول: أنَّ هذا الحديث وإن كان ورد بسبب سؤال هذا الضرير فغيره مثله في ذلك، للقطع الجازم باستواء الناس في الأحكام الشرعية.

الثاني: أنه وإن كان الخطاب فيه متوجِّهًا إلى الضرير، فهو محمولٌ على العموم من حيث الشرع؛ للإجماع المتيقن من جميع العلماء على أنَّ خطابات الشارع محمولةٌ على العموم وإن كانت خارجةً مخرج الخصوص، حتى يقوم

الدليل على تخصيص شيءٍ منها فيوقف عنده، وهو هنا مفقودٌ.

الثالث: أنَّ الضرير سأل النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أن يدعو له، فعلَّمه الدعاء المذكور، فعُدُوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن الدعاء المطلوب منه إلى ذكرٍ، دليلٌ على أنه أراد أن يُشرِّع لأمَّته حكمًا عامًّا لا يختصُّ بواحدٍ منهم دون آخر.

الرابع: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أرشد الضرير إلى الصلاة والدعاء، والصلاة مشروعةٌ لجميع الناس بالإجماع، فكذلك هذا الدعاء يكون مشروعًا لجميع الناس أيضًا، والتفريق بينهما تعطيلٌ لبعض الحديث من غير دليلٍ، وهو تلاعبٌ لا يُقبل.

الخامس: ولو فرضنا أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم دعا لهذا الضرير - مع أنَّ الحديث لا يدلُّ على ذلك أصلًا-، فدعاؤه يدلُّ على جواز التوسل في عموم الحالات؛ لما تقرَّر في علم الأصول أنَّ فعل النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لشيءٍ يدلُّ على جوازه، لأنه لا يفعل المحرَّم ولا المكروه، ويندب الاقتداء به فيه؛ لقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

السادس: أنه لو كان الحديث خاصًّا بهذا الضرير، أو بحال الحياة دون الممات، أو في الحضور دون الغيبة، لبيَّن ذلك كما بَيَّن لأبي بردة أنَّ الجذعة من المعز تُجزئه في الأضحية ولا تُجزئ أحدًا غيره، متفقٌ عليه من حديث البَرَاء بن عازبٍ.

السابع: أنه لو كان الحديث خاصًّا بذلك الضرير، أو بحالة الحياة ولم يُبيِّن النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ذلك، لكان فيه تأخير البيان عن وقت الحاجة وهو ممنوعٌ؛ لأنه تكليفٌ بما لا يُعلم.

الثامن: أنَّ عثمان بن حُنيفٍ وهو رواي الحديث وأعرف بالمراد منه، حمله علىٰ العموم، حيث أرشد الرجل الذي كانت له حاجة عند عثمان بن عفَّان رضي الله عنه، وطال انتظاره لقضائها، إلىٰ الدعاء المذكور، وهذا يؤيد ما قدَّمناه.

التاسع: أنَّ الحديث المذكور أخرجه الترمذيُّ في "جامعه"، وقال في العلل ما نصُّه: «جميع ما في هذا الكتاب من الحديث هو معمولٌ به، وبه أخذ بعض أهل العلم، ما خلا حديثين، حديث ابن عبَّاسٍ أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم جمع بين الظهر والعصر بالمدينة، والمغرب والعشاء من غير خوفٍ ولا سفرٍ ولا مطرٍ، وحديث النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أنه قال: «**إذا شَرِبَ الخَمْرَ فاجْلِدُوهُ، وإن عادَ في الرابعة فاقْتُلُوهُ**»، وقد بينَّا عِلَّة الحديثين في الكتاب».اهـ

وهذا يدلُّ علىٰ أنَّ حديث التوسُّل معمولٌ به، وأنَّ مَن عرضت له حاجةٌ فله أن يدعو بالدعاء المذكور؛ لأنه لم يستثنه مع الحديثين اللذين استثناهما من جملة الأحاديث المعمول بها، فبقي داخلًا فيها، علىٰ أنَّ ذينك الحديثين عُمل بهما أيضًا.

فعمل بالأول ابن سيرين، وأشهب من أصحاب مالكٍ، وابن المنذر، والشاشيُّ الكبير من أصحاب الشافعيِّ، فأجازوا الجمع في الحضر للحاجة من

غير الأعذار المعروفة، بشرط أن لا يُتَّخذ ذلك عادةً، وهو دليل شاذلية المغرب في جمعهم أحيانًا بين المغرب والعشاء جمع تأخير، إذا طال بهم مجلس الذكر، كما بيَّن ذلك أخي السيد العلامة محمَّد الزمزميُّ في كتاب "الانتصار لطريق الصوفية الأخيار"[1]، وهو جيِّدٌ مفيدٌ.

وعمل بالحديث الثاني ابن حزمٍ، وأسند من طريق قاسم بن أصبغ، عن عبدالله بن عمرو بن العاص أنه قال: ائتوني برجلٍ أقيم عليه حدٌّ في الخمر فإن لم أقتله فأنا كاذب.

العاشر: أنَّ حفَّاظ الحديث ونقَّاده فهموا من حديث الضرير العموم، حيث ترجموا عليه في كتبهم بتراجم تفيد ذلك، فذكره الترمذيُّ والحاكم، والبيهقيُّ في كتاب الدعوات على أنه من الدعوات المأثورة المشروعة؛ وذكره ابن ماجه، والمنذريُّ، والهيثميُّ في كتاب الصلاة؛ لأنَّ الصلاة المأمور بها فيه داخلة في باب التطوع والنفل؛ وذكره النوويُّ في باب أذكار صلاة الحاجة، على أنه من جملة الأذكار التي تقال عند عروض حاجةٍ، وهذا اتفاقٌ منهم على أنَّ الحديث معمولٌ به، وأنه عامٌّ لجميع الناس في جميع الحالات، ولو كان خاصًّا بذلك الضرير، أو بحالةٍ دون حالةٍ، لم يكن لذكرهم له في كتب الأحكام وغيرها فائدةٌ، ولنبَّهوا على أنه غير معمولٍ به كما نبَّهوا على غيره من الأحاديث التي تكون مخصوصةً أو منسوخةً، وهذا ظاهرٌ جدًّا.

الحادي عشر: أنَّ ابن أبي خيثمة روى الحديث بزيادةٍ في آخره وهي قول

---

(١) ولشقيقنا الحافظ أبي الفيض كتاب: "إزالة الخطر عمن جمع بين الصلاتين في الحضر" نفيس جدًّا وهو مطبوعٌ.

النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم للضرير: «**فإن كانت حاجة فافعل مثل ذلك**»، وتقدَّمت هذه الرواية بإسنادها الصحيح، وهي دالَّةٌ علىٰ العموم كما لا يخفىٰ.

وقد أعلَّ ابن تيمية هذه الزيادة بعللٍ واهيةٍ، لا يليق صدورها من عالمٍ بالصناعة الحديثية فقال: لم يروها شعبة، ورَوْح بن القاسم وهما أحفظ من حمَّاد.

قلنا: فكان ماذا؟ أليس حمَّاد ثقةً من رجال الصحيح، وزيادة الثقة مقبولةٌ؟

قال: اختلاف الألفاظ يدلُّ علىٰ أنَّ مثل هذه الرواية قد تكون بالمعنىٰ.

قلنا: تعبيرك «بقد» دليلٌ علىٰ أنك لست متحقِّقًا من صحَّة دعواك، ولن تستطيع تحقيقها لأنك تعلم أنَّ أحدًا لم يُجز أن يُزاد في الحديث ما ليس منه، سواءٌ في ذلك من أجاز الرواية بالمعنىٰ ومن منعها.

قال: قد تكون مدرجةً من كلام عثمان.

قلنا: هذه دعوىٰ مثل سابقتها، والإدراج لابدَّ من دليلٍ يدلُّ عليه، وأين هو هذا الدليل؟

قال: ولو ثبتت لم تكن فيها حجَّةٌ، بل غايتها أن يكون عثمان بن حُنيفٍ ظنَّ أنَّ الدعاء يُدعىٰ ببعضه دون بعضٍ.

قلنا: بل هي حجةٌ قاطعةٌ لك ولأذنابك، وما تقوَّلته علىٰ عثمان مبنيٌّ علىٰ ظنِّك أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم دعا لذلك الضرير، وظنُّك باطلٌ، ولو كان حصل دعاء من النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لنقله عثمان الذي شاهد القصة ونقلها، ولو أراد عليه الصَّلاة السَّلام أن يدعو للضرير لدعا له كما دعا

لغيره، من غير أن يُحيله على الوضوء والصَّلاة والدعاء، فلما أحاله وعلَّمه دلَّ على أنه لم يدعُ، ولذا ترجم البيهقيُّ على الحديث بقوله: «باب ما جاء في تعليمه الضرير ما كان فيه شفاؤه حين لم يصبر» إلخ كلامه السابق، ولو سُلِّم أنه دعا فذلك لا يقتضي تخصيص الحديث، ولا تقييده كما هو ظاهرٌ، كيف ودعاؤه عليه الصَّلاة والسَّلام لأمته ثابتٌ في حياته وبعد انتقاله كما يأتي إن شاء الله.

قال: هذه الزيادة تُناقض الحديث.

قلنا: نعم في نظرك ونظر أذنابك، أمَّا عند العلماء المنصفين فهي منسجمةٌ مع الحديث تمام الانسجام، وعلى دعواك أنها مدرجةٌ، فهل كان عثمان من البلاهة والغفلة بحيث يُدرج في الحديث ما يُناقضه وهو لا يشعر؟ إنَّ هذا لشيءٌ عجيب!!

قال: أعرض أهل السنن عنها.

قلنا: فكان ماذا؟ وهل كلُّ صحيحٍ في السنن؟ فما هذا التعليل البارد الذي اخترعته لردِّ ما يُخالف هواك، وتبعك عليه أذنابك؟ هذا مع أنك اعترضت فيما سبق بأنَّ الترمذيَّ ومن معه لم يستوعبوا لفظ الحديث كما استوعبه سائر العلماء، والآن تجعل عدم استيعابهم حجَّةً تُعلِّل بها زيادةً صحَّ سندها، فما هذا التناقض الغريب؟!

الثاني عشر: أنَّ الأصل الواجب في كلام الشارع استواء جميع الناس فيه، لا فرق بين رجلٍ وامرأةٍ، ولا بين أحمر وأسود، ولا بين جنيٍّ وإنسيٍّ، إلَّا إذا قام الدليل على تخصيصه بالنسبة إلى بعض الأشخاص أو الأزمان فيُتَّبع، وإذا كان

كذلك، فادعاء تخصيص الحديث المذكور بذلك الضرير، أو بحالةٍ دون حالةٍ، خلاف الأصل؛ فيحتاج إلى دليلٍ من مُدَّعيه، والدليل لا يخلو من أن يكون أحد أمورٍ:

الأول: أنَّ الدعاء المذكور في الحديث يُوهم الناس لو أُخذ فيه بالعموم أنه لابدَّ في الدعاء من التوسل بواسطةٍ، وهذا محظورٌ لأنه يُناقض الآيات الدالَّة على أنَّ الله تعالى لم يجعل بينه وبين عباده في الدعاء واسطةً، ولأنه يشبه عقيدة المشركين الذين اتخذوا وسطاء يتوسطُّون لهم إلى الله بزعمهم، فيكون ذلك الدعاء المؤدِّي إلى هذا المحظور محظورًا، وحيث ورد عن الشارع الأمر به في حادثةٍ معيَّنةٍ، وجب قصره عليها، فلهذا كان الحديث خاصًّا بذلك الضرير.

الثاني: أنَّ النداء والخطاب فيه بقوله:«**يا محمَّد إني أتوجَّه بك إلى ربِّي**» إنما يليقان بالحي الحاضر، لا الميت أو الغائب، فلهذا كان الحديث خاصًّا بحالة حياة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وحضوره، دون حالة موته أو غيبته.

الثالث: أنَّ الصحابة لم يتوسلوا بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعد انتقاله، بل توسَّلوا بالعبَّاس وغيره من الأحياء، فكان تركهم التوسل به صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعد انتقاله، مع أنهم كانوا يتوسلون به في حياته وحضوره بينهم؛ دليلًا على تخصيص الحديث بحالتي الحياة والحضور، وهذا أمثل ما يحتمل من الأدلة القاضية بتخصيص الحديث في نظر المُتنطِّع وأشكاله، وهي باطلةٌ.

أمَّا الأول: فالإيهام المذكور فيه توهُّمٌ وخيالٌ، إذ لو كان في ذلك الدعاء أدنى إيهامٌ لما خفي على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الذي لقَّنه للضرير، وأمره أن يدعو به، وهو صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إنما بعث للقضاء على

الشرك، وعلى كلِّ ما يُقرِّب إليه من قولٍ وعملٍ، فمحالٌ عقلًا أن يُلقِّن أحدًا من أُمَّته شيئًا يُوهم نوعًا من الإشراك، أو يُشبه عقيدة المشركين، ومن جوَّز هذا على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فهو كافرٌ مرتدٌّ يُستتاب، فإن تاب وإلَّا قُتل، فبطل هذا الوجه من أساسه.

وأما الوجه الثاني، فيبطله أمورٌ ثلاثةٌ:

الأول: إجماع العلماء على أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حيٌّ في قبره، كما قال الحافظ السخاويُّ في "القول البديع"[1].

الثاني: الأحاديث التي تدلُّ على عرض أعمال أُمَّته عليه، وأنَّ علمه بعد انتقاله كعلمه في الدنيا، وسيأتي الكلام على هذه الأحاديث في الشبهة السادسة.

الثالث: إجماع الأُمَّة المستفاد من النصوص المتواترة على قولهم في التشهد في الصَّلاة: السَّلام عليك أيُّها النبيُّ ورحمة الله وبركاته، وهذا نداءٌ وخطابٌ للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعد انتقاله، ومحالٌ أن تجتمع الأُمَّة كلُّها على نداء ومخاطبة ميت لا يدري ولا يشعر، فبطل الوجه الثاني أيضًا من أساسه.

وأمَّا الوجه الثالث: فيبطله أمران:

الأول: أنَّ ترك الصحابة للتوسل بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعد انتقاله ليس مُسلَّمًا على إطلاقه، بل هو منقوضٌ بفعل عثمان بن حُنيفٍ، وبلال المزنيِّ، وعائشة رضي الله عنهم، وقد تقدَّم ذكر ذلك.

---

(١) وابن حزم في "المحلى".

الثاني: ولو سُلِّم تركهم على إطلاقه فنهايته أن يكون إجماعًا سكوتيًّا، والإجماع السكوتيُّ مُختلفٌ في حقيقته وفي تسميته إجماعًا وفي الاحتجاج به، فكيف يُخصَّص به -والحالة هذه- دليلٌ من الأدلة الشرعية التي لا خلاف فيها وقد قدَّمنا أنَّ ترك الشيء لا ينهض دليلًا على المنع، فظهر أن ليس شيءٌ من هذه الوجوه يُصبح مخصِّصًا لحديث الضرير، فوجب أن يبقى على العموم في الأشخاص والأحوال، كما هو المتعيِّن في كلام الشارع، وبالله التوفيق.

ثُمَّ قال المُتنطِّع: «وأمَّا الجواب عما رواه الترمذيُّ فمن وجوه: الأول: أنه لا نزاع في جواز التوسل به في حال حياته، فإنه كان يدعو لمن سأله، كما أنَّ هذا جائزٌ بغيره من الأولياء والصالحين حال حياتهم بإجماع المسلمين».اهـ

وأقول: هذا جوابٌ مردودٌ؛ لأنه مبنيٌّ على مقدِّمة بيَّنَّا بُطلانها فيما تقدّم، وهي: أنَّ الحديث خاصٌّ بحالة الحياة، وليت شعري مَن أخبره بذلك حتى بنى عليه هذا الجواب الباطل المردود؟!.

ثُمَّ قال: «وقد أمرنا الله أن ندعو للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في صلواتنا وغيرها بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، كما أوصانا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أن نُكثِر من الصَّلاة عليه، وهو دعاءٌ له بالرحمة والسَّلامة، فقول القائل اللهمَّ صلِّ على محمَّدٍ معناه: اللهمَّ ارحمه وارفع درجاته وسلِّمه».اهـ

وأقول: لستُ أدري ولا المنجِّم يدري ما معنى هذا الكلام، وما علاقته بالذي قبله؟!!

فإنه كان يتكلَّم على أنَّ التوسل من الحيِّ بطلب الدعاء منه جائزٌ، وهو توسلٌ واستشفاع لا شكَّ فيه، وأين هذا من أمر الله لنا بالصَّلاة على نبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؟ إن كان يريد بذلك أنَّ الله أمرنا أن نتشفَّع في نبيه بدعائنا له بالصَّلاة عليه فهذا ضلالٌ في الاعتقاد، زيادةً على كونه قلبًا للحقيقة؛ فإنَّ الثابت بالقرآن والسنة المتواترة والإجماع، وهو المعروف للعوامِّ والصبيان أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم هو الشفيع المشفَّع، وهو الذي يقال له في الموقف العظيم: «**قُلْ تُسْمَعْ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ**». فمتى انعكس الحال، حتى صارت الأُمَّة تشفع في نبيِّها بدعائها له بالصَّلاة عليه؟! تالله ما هذا إلَّا ضلالٌ وزيغٌ من قائله ومعتقده! ثُمَّ تفسيره الصَّلاة بالسلامة تفسيرٌ باطلٌ.

أمَّا أولًا: فليس في كتب اللغة أنَّ الصلاة معناها السَّلامة، بل ولا مناسبة بينهما لا في المعنى ولا في الاشتقاق.

وأمَّا ثانيًا: فلأنَّ السَّلامة إمَّا أن تكون من أذى الناس، أو من الذنوب والآفات، أو من العذاب والعقاب، وكلُّ هذا باطلٌ هنا:

أمَّا الأول: فلأنَّ الله ضمن العصمة لنبيِّه من الناس أن ينالوه بسوءٍ، فقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧].

وأمَّا الثاني: فلأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم معصومٌ لا يُمكن أن يفعل ذنبًا أصلًا، وحاشاه من ذلك، وهو معصومٌ أيضًا من الآفات المنفردة كالجذام ونحوه.

وأمَّا الثالث: فبطلانه أوضح من أن يُستدلَّ عليه، وأيُّ عقلٍ يستسيغ أن

يُدعىٰ بالسَّلامة من العذاب لمن يخرج من النَّار بشفاعته آلاف الآلاف من الخلق يوم القيامة؟!!!

وبالجملة: فتفسير الصَّلاة بالسَّلامة باطلٌ لغةً ومعنًىٰ، ولو فُرض أنه صحيحٌ لوجب شرعًا اجتناب استعماله في حقِّ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لإخلاله بالأدب الواجب؛ لأنَّ الدعاء بالسَّلامة يقتضي أنَّ المدعوَّ له غير سالمٍ من الآفات أو المعاصي أو العذاب، أو من أذىٰ الناس وقهرهم له، فهو ناقصٌ بهذه الأشياء، يحتاج إلىٰ أن يتكمَّل بسلامته منها، والنبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قد كمَّله الله وطهَّره من كلِّ ما يَشين، فهو كما قال القائل:

خُلِقتَ مُبرَّءًا مِنْ كُلِّ عَيْبٍ كأنَّك قد خُلِقتَ كما تَشاءُ

وانظر إلىٰ قول الله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]؛ تجده يُشير إلىٰ ما ذكرناه من وجوب استعمال الألفاظ اللائقة بمقامة صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، حيث أنَّ الله تعالىٰ لم يُعبِّر في حقِّ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بلفظ السَّلامة، لما فيه من اقتضاء النقص المذكور، وإنما عبر بالعصمة التي تليق بمقام الأنبياء وتناسب قدرهم، فإذا كان الله سبحانه وتعالىٰ -وهو خالق الخلق ومالك أمرهم- يسلك مع نبيِّه هذا المسلك الراقي في الأدب والتعظيم، أفلا يجب علينا معشر العبيد أن نسلك مسلك مولانا ونتَّبع ما فعل، فإنه إنما فعله إرشادًا لنا وتعليمًا، رزقنا الله حُسْن الأدب مع نبيِّه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، واتباع سنَّته حتىٰ نفوز بسعادة الدارين، آمين.

هذا وقد أطبق العلماء -أهل اللغة وغيرهم- علىٰ أنَّ الصَّلاة المأمور بها في

حقِّ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم معناها دائرٌ بين التعظيم والإجلال والتكريم ورفع الدرجات، كما يُعلم من مراجعة "المجموع" للنوويِّ، و"النهاية" لابن الأثير، و"المصباح" للفيوميِّ وغيرها.

وقد ردَّ ابن القيِّم علىٰ من فسَّر الصَّلاة في حقِّ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بالرحمة أو المغفرة، وبيَّن بطلان هذا التفسير من خمسة عشر وجهًا، ذكرها في الفصل الثاني، من الباب الثالث من "جلاء الأفهام"، وكلامه في ذلك نفيسٌ جدًّا، ينبغي مراجعته والوقوف عليه، نسأل الله أن يعلِّمنا من لَدُنه علمًا، آمين.

ثُمَّ قال المُتنطِّع: «الجواب الثاني علىٰ حديث الترمذيِّ: إجماع أصحاب النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، والذين اتبعوهم بإحسان علىٰ ترك التوسل بعد انتقاله إلىٰ الدار الآخرة، إجماعًا عمليًّا قاطعًا، فلم يُنقل عن أحدٍ من الصحابة، والذين اتبعوهم بإحسان أنه توسل به بعد موته، أو ذهب إلىٰ قبره لذلك، بل الثابت كما في "صحيح البخاريِّ" خلافه، وقد روىٰ في الاستسقاء عن عمر رضي الله عنه أنه خرج بالناس يستسقي حين حُبس عنهم المطر فقال: اللهمَّ إنّا كنَّا نتوسل إليك بنبيِّنا فتسقينا، وإنّا نتوسل إليك بعمِّ نبيِّنا فاسقنا، ادعُ يا عبَّاس، فدعا فسقوا».اهـ

وأقول: أمَّا ما ادعاه من الإجماع العمليِّ القاطع علىٰ ترك التوسل فيكفينا في تكذيبه فعل عثمان بن حُنيفٍ، وبلال المزنيِّ، وعائشة، ومَن بلغه فعل هؤلاء من الصحابة والتابعين فلم يُنكره عليهم، وكذا يكذِّبه فعل الأئمة مثل

الطبراني، وابن المقري، وأبي الشَّيخ، وأبي الخير الأقطع -الزاهد المشهور- وغيرهم.

وأمَّا ما فعله عمر رضي الله عنه في الاستسقاء من التوسل بالعبَّاس رضي الله عنه، فذلك هو المتعيِّن الذي لا يصحُّ غيره من حيث السنِّية؛ وذلك لأنَّ السُّنَّة في الاستسقاء أن يخرج الإمام والناس إلى المصلَّى بظاهر البلد، ويُصلُّوا هناك صلاة الاستسقاء، ويخطب فيهم الإمام ويدعو بنفسه، كما كان يفعل النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، أو يأمر من يدعو كما فعل عمر مع العبَّاس، ومعاوية مع يزيد بن الأسود.

فإن قيل: لِمَ لمْ يتوسل عمر رضي الله عنه بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في المصلَّى، وعدل عنه إلى التوسل بالعبَّاس؟

فالجواب على ذلك من وجوهٍ:

الأول: أنَّ التوسل بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ليس بواجبٍ فيجوز تركه والعدول عنه إلى غيره.

الثاني: أنَّ الله تعالى يقول: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢] الآية. ولا شكَّ أنَّ العبَّاس كان إذ ذاك من جملة المضطرين، فكان التوسل به أولى وأنسب.

الثالث: أنَّ عمر رضي الله عنه أراد بالتوسل بالعباس رضي الله عنه الاقتداء بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في إكرام العبَّاس وإجلاله، وقد جاء هذا عن عمر صريحًا.

فروى الزبير بن بكَّار في "الأنساب" من طريق داود، عن عطاءٍ، عن زيد بن أسلم، عن ابن عمر قال: استسقى عمر بن الخطاب عام الرَّمادة بالعبَّاس بن عبد المطلب، فخطب الناس عمر فقال: إنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان يرى للعبَّاس ما يرى الولد للوالد، فاقتدوا أيها الناس برسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم واتَّخذوه وسيلةً إلى الله، قال: فما برحوا حتى سقاهم الله.

ورواه البلاذريُّ من طريق هشام بن سعدٍ، عن زيد بن أسلم، عن والده، به.

الرابع: أراد عمر رضي الله عنه بفعله ذلك أن يُبيِّن جواز التوسل بغير النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من أهل الصلاح والخير ممن ترجى بركته، ولهذا قال الحافظ في "الفتح" عقب قصة توسل عمر بالعباس -رضي الله عنه- ما نصُّه: «يستفاد من قصة العباس استحباب الاستشفاع بأهل الصلاح والخير وأهل بيت النبوة».اهـ

الخامس: أنَّ توسل عمر بالعبَّاس رضي الله عنهما هو في الحقيقة توسلٌ بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؛ لأنه إنما توسل بالعبَّاس لكونه عمَّ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ولمكانته منه كما جاء صريحًا في كلام عمر والعبَّاس.

أمَّا كلام عمر ففي "البخاريِّ" عن أنسٍ أنَّ عمر رضي الله عنه كان إذا قَحَطُوا استسقى بالعبَّاس بن عبد المطلب رضي الله عنه، فقال: اللهمَّ إنَّا كنَّا نتوسل إليك بنبيِّنا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فتسقينا، وإنّا نتوسل إليك بعمِّ نبيِّنا فاسقنا، قال: فيُسقون.

هذا لفظ البخاريِّ. فقوله: «وإنّا نتوسل إليك بعمِّ نبيِّنا» صريحٌ فيما قلناه.

وأصرح منه ما ذكره ابن عبدالبر في "الاستيعاب" حيث قال ما نصُّه: «وروى ابن عبَّاسٍ، وأنسٌ أنَّ عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه كان إذا قَحَط أهل المدينة استسقى بالعبَّاس، قال أبو عمر -يعني نَفْسه-: وكان سبب ذلك أنَّ الأرض أَجْدَبتْ إجدابًا شديدًا على عهد عمر زمن الرَّمادة، وذلك سنة سبع عشرة، فقال كعبٌ: يا أمير المؤمنين إنَّ بني إسرائيل كان إذا أصابهم مثل هذا استسقوا بعَصَبَة الأنبياء، فقال عمر: هذا عمُّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وصِنْو أبيه وسيِّد بني هاشمٍ، فمشى إليه عمر وشكا إليه ما فيه الناس من القَحْط، ثُمَّ صعد المنبر ومعه العباس فقال: اللهمَّ إنّا توجَّهنا إليك بعمِّ نبيِّنا وصنو أبيه فاسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، ثُمَّ قال عمر: يا أبا الفضل قم فادعُ».

وقال أيضًا ما نصُّه: «روينا من وجوهٍ عن عمر أنه خرج يستسقي، وخرج معه بالعبَّاس، فقال: اللهمَّ إنَّا نتقرَّب إليك بعمِّ نبيِّك صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ونستشفع به، فاحفظ فيه لنبيِّك صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كما حفظت الغلامين لصلاح أبيهما»، ثُمَّ ذكر بقيَّة الخبر، وفي آخره: «فوالله ما برحوا حتى اعتلقوا الجُدُر، وقَلَصوا المآزر، وطَفِقَ الناس بالعبَّاس يمسحون أركانه ويقولون: هنيئًا لك ساقي الحرمين».اهـ

وأمَّا كلام العبَّاس نفسه، فأخرج الزبير بن بكَّار في "الأنساب" بإسناده أنَّ العبَّاس لمَّا استسقى به عمر قال: «اللهمَّ إنه لم ينزل بلاءٌ إلَّا بذنبٍ، ولم يُكشف إلَّا بتوبةٍ، وقد توجَّه القوم بي إليك لمكاني من نبيِّك، وهذه أيدينا إليك

بالذنوب، ونواصينا إليك بالتوبة فاسقنا الغيث، فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخصبت الأرض وعاش الناس».

ذكره الحافظ في "الفتح"، فهذه النصوص صريحةٌ في أنَّ توسل عمر وغيره من الصحابة بالعباس كان لمكانته من النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فهو توسلٌ به في الحقيقة كما قدَّمنا، ولم يخطر ببالهم منع التوسل بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعد موته.

وكيف يخطر ببالهم ذلك وهم يعلمون أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وإن انتقل عنهم حيٌّ في قبره الشريف، تُعرَض عليه أعمالهم، ويدري بصلاتهم وسلامهم عليه، ويردُّ السَّلام عليهم؟!.

على أنَّ بعض الصحابة -وهو بلال بن الحرث المزنيُّ- توسَّل في هذه الواقعة نفسها بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، حيث ذهب إلى قبره الشريف وطلب منه أن يستسقي لأمَّته، فأخبره في المنام أنهم مُسقون، وأمره أن يُخبر عمر فأخبره، ولم ينكر عمر ذلك، ولا من سمعه من الصحابة، فهذا دليلٌ على أنهم ما كانوا يعتقدون حرمة التوسل بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعد موته، وإنما تركوه للوجوه التي ذكرناها، على أنَّا بيَّنَّا فيما تقدَّم أنَّ مجرد الترك لشيءٍ لا يدلُّ على حرمة الشيء المتروك، إلَّا إذا دلَّ دليلٌ على ذلك وهو هنا مفقودٌ.

ثم قال المُتنطِّع: « الوجه الثالث: أنَّ الحديث المذكور لم يسْلَم من طعن الحفَّاظ عليه، ولذلك قال كثير من شُرَّاح الكتاب كالعراقي: إنَّ الترمذيَّ لا

يُعوَّل على تصحيحه فضلًا عن تحسينه؛ لأنه صحَّح الضعيف جدًّا كحديث: «مِفْتاحُ الصَّلاةِ الطُّهُورُ، وتَحْرِيمُها التَّكْبِير، وتَحْلِيلُها التَّسْلِيم». وهذا عند أهل الحديث مسلَّمٌ به، وهو مع ذلك معارضٌ بالإجماع الذي قدَّمناه، وبحديث البخاريِّ في الاستسقاء، هذا فوق أنَّ الترمذيَّ لم يرتقِ فيه عن درجة الحسن، على أنه في غير محلِّ النزاع، فإنَّ النزاع إنما هو في الوسيلة بالموتى، والحديث في التوسل به صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في حياته كما سلف».اهـ

وأقول: في كلامه أمورٌ:

الأول: ادعاؤه أنَّ الحديث لم يسْلم من طعن الحفَّاظ دعوى لم يؤيدها بدليلٍ فهي كذبٌ محضٌ، وكيف يكون الحديث مطعونًا فيه وقد صحَّحه الترمذيُّ، والطبرانيُّ، وابن خزيمة، والحاكم، والبيهقيُّ، والمنذريُّ والضياء المقدسيُّ، والنوويُّ، والذهبيُّ، وابن حجرٍ، والهيثميُّ، والسيوطيُّ. وهؤلاء جهابذة الحديث ونُقَّاده، فمن ذا الذي يجرؤ على الطعن فيه بعد إجماعهم على تصحيحه؟!

الثاني: قوله: «ولهذا قال كثيرٌ من شُرَّاح الكتاب كالعراقي: إنَّ الترمذيَّ لا يُعوَّل على تصحيحه». كذبٌ أيضًا؛ فإنَّ أحدًا من شُرَّاح الترمذيِّ لم يقبل ذلك، والمُتنطِّع لم يرَ شرح العراقي، فمن أين له النقل عنه؟ وهو يكذب في النقل عن الكتب المطبوعة "كتهذيب التهذيب"، و"فتح الباري" وغيرهما -كما بيّنا ذلك فيما تقدم- فيكف يؤمن على الكتب المخطوطة التي لم يرها ولو في الرؤيا؟

الثالث: قوله أيضًا: «ولهذا قال شُرَّاح الكتاب...» إلخ. يفيد أنَّ الشرَّاح

ردُّوا تصحيحات الترمذيِّ كلها من أجل تصحيحه لهذا الحديث، وهو كذبٌ أيضًا؛ فإنه إن صحَّ أنهم قالوا لا يعوَّل على تصحيح الترمذيِّ، فإنما كان ذلك في حديثٍ آخر صحَّحه الترمذيُّ وهو ضعيفٌ، كما قال الذهبيُّ في ترجمة كثير بن عبدالله بن عمر بن عوفٍ المزنيِّ من "الميزان" بعد أن ذكر تضعيفه وتكذيب بعض الأئمة له ما نصه: «وأمَّا الترمذيُّ فروى من حديثه «**الصُّلْحُ جائزٌ بين المسلمين**» وصحَّحه، ولهذا لا يعتمد العلماء على تصحيح الترمذيِّ».اهـ

فمثل هذا التصحيح يكون مردودًا لضعف راوي الحديث، أمَّا حديث الضرير فكيف يعقل رد تصحيح الترمذيِّ من أجله وهو مجمعٌ على صحَّته؟! هذا ويجب أن تعلم أنَّ كلام الذهبيِّ في عدم الاعتماد على تصحيح الترمذيِّ ليس على إطلاقه كما يُعلم من كتب أهل الحديث، على أنَّ الحافظ العراقيَّ شارح الترمذيِّ ردَّ كلام الذهبيِّ من أصله، فقال ما نصه: «لا يقبل هذا الطعن منه في حقِّ الترمذيِّ، وإنما جَهِل الترمذيَّ من لا يعرفه كابن حزمٍ، وإلَّا فهو إمامٌ مُعتمَدٌ عليه، ولا يمتنع أن يخالف اجتهاده اجتهاد غيره في بعض الرجال، وكأنه رأى ما رآه البخاريُّ، فإنه روي عنه أنه قال في حديث كثيرٍ، عن أبيه، عن جدّه في تكبير العيدين: أنه حديث حسنٌ».اهـ

وانظر بقيته في باب فضل الجمعة من "نيل الأوطار"، ومنه يُعلم أنَّ إطلاق الذهبيِّ عدم الاعتماد على تصحيح الترمذيِّ مردودٌ، وأنَّ ما نقله المُتنطِّع عن العراقي مُختلَقٌ مكذوبٌ، وقد احتجَّ ابن خزيمة في "صحيحه" بكثير بن عبد الله، كما نصَّ عليه المنذريُّ في أوائل "الترغيب والترهيب".

الرابع: قوله: «لا يعوَّل على تصحيحه فضلًا عن تحسينه». كلامٌ لا معنى له؛ لأنه ليس التحسين بأولى من التصحيح، بل الأمر بالعكس، فالصواب أن يقال: لا يعول على تحسينه فضلًا عن تصحيحه، وذلك لأنَّ الحسن يُتساهل فيه ما لا يُتساهل في الصحيح كما يعلم من كتب المصطلح، هذا لو صحَّ أنَّ الترمذيَّ لا يعوَّل عليه، كيف وهو إمامٌ في الصناعة مقدَّم، وحافظٌ مُبرِّز، رغم أنف المُتنطِّع الجهول.

الخامس: قوله أيضًا: «لا يعوَّل على تصحيحه فضلًا عن تحسينه». إنما أتى بهذه العبارة التي تفيد أولوية التحسين على التصحيح في الردِّ وعدم التعويل؛ لأنه ذكر أنَّ الترمذيَّ اقتصر على تحسين الحديث فقط، فأراد أن يوهم بهذه العبارة أنَّ الترمذيَّ إذا كان لا يُعوَّل على تصحيحه، فلأنْ لا يُعوَّل على تحسينه بالأولى، وعادة المُتنطِّع في هذه الرسالة أن يعتمد في الاستدلال على لوازم بعيدة كما تقدم، أو إيهاماتٍ مكشوفةٍ كهذا، لا تروج إلَّا على ضعفة العقول قليلي المعرفة مثله، وما درى المسكين أنَّ الأمر عند المحدِّثين على العكس، فإنهم كثيرًا ما يعترض بعضهم على بعض في تصحيح حديثٍ ويقتصرون على تحسينه، فيقول أحدهم مثلًا: حديث كذا ليس بصحيحٍ كما قال فلان، بل حسنٌ فقط، كما يعلم من مراجعة كتبهم، وتتبُّع استعمالاتهم.

ولما ذكر ابن الصلاح تساهل الحاكم في التصحيح، قرَّر اختيارًا من عنده أنَّ ما صحَّحه الحاكم ولم يوجد فيه كلامٌ لغيره بتصحيحٍ ولا تضعيفٍ، فأقل أحواله أن يُحمل على أنه حسنٌ، ولا يكون صحيحًا نظرًا للتساهل المذكور،

فهذا الكلام كما نرىٰ صريحٌ في نقض ما أفهمته عبارة المُتنطِّع. وبالله التوفيق.

السادس: قوله: «لأنه صحَّح الضعيف جدًّا، كحديث: «**مِفْتاحُ الصَّلاة الطُّهُورُ...**» إلخ. فيه كذبٌ في موضعين:

الأول: ادعاؤه أنَّ الترمذيَّ صحَّح هذا الحديث مع أنه لم يصحِّحه.

الثاني: ادعاؤه أنَّ الحديث ضعيفٌ جدًّا مع أنه حسنٌ.

أمَّا أنَّ الترمذيَّ لم يصحِّح الحديث، فلأنه بعد أن رواه من طريق عليٍّ عليه السلام قال ما نصُّه: «هذا الحديث أصحُّ شيءٍ في هذا الباب وأحسن».اهـ

وهذه العبارة لا تفيد صحَّة الحديث كما نصَّ عليه الحفَّاظ.

قال النوويُّ في "الأذكار" بعد أن نقل عن الدارقطني أنه قال: أصح شيء في فضائل السور فضل «قل هو الله أحد»، وأصحُّ شيءٍ في فضائل الصلوات فضل صلاة التسبيح، ما نصُّه: «ولا يلزم من هذه العبارة أن يكون حديث صلاة التسبيح صحيحًا، فإنهم يقولون هذا أصحُّ ما جاء في الباب وإن كان ضعيفًا، ومرادهم أرجحه، أو أقله ضعفًا».اهـ

وأقرّاه الحافظان ابن حجرٍ، والسيوطي، وإن خالفاه في تضعيف حديث صلاة التسبيح، ورأيا أنه حديثٌ حسنٌ أو صحيحٌ، لا أتذكَّر الآن، وبيَّنا ذلك بما يعلم من مراجعته في "أمالي الأذكار" للأول، و"اللآلئ المصنوعة" للثاني.

وأمَّا أنَّ الحديث حسنٌ فبيان ذلك: أنَّ الحديث رواه الشافعيُّ، وأحمد، وإسحاق بن راهويه، وابن أبي شيبة، والأربعة إلَّا النَّسائي، والحاكم، والبزَّار، وابن السكن من طريق عبدالله بن محمَّد بن عقيلٍ، عن محمَّد بن الحنفية، عن عليٍّ كرَّم الله وجه، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مِفْتاحُ الصَّلاةِ**

الطُّهُورُ، وتَحْرِيمُها التَّكْبِيرُ، وتَحْلِيلُها التَّسْلِيمُ».

قال الترمذيُّ: «هذا أصحُّ شيءٍ في هذا الباب وأحسن، وعبد الله بن محمَّد بن عقيلٍ هو صدوقٌ، وقد تكلَّم فيه بعض أهل العلم من قِبَلِ حفظه، وسمعت محمد بن إسماعيل يقول: كان أحمد بن حنبلٍ، وإسحاق بن إبراهيم -يعني ابن راهويه- والحميديُّ يحتجُّون بحديث عبدالله بن محمَّد بن عقيلٍ. قال محمَّد: وهو مُقارب الحديث».اهـ

وصرَّح الحافظ الهيثميُّ في غير موضعٍ من "مجمع الزوائد" أنَّ عبدالله بن محمَّد بن عقيلٍ حديثه حسنٌ، وبناء على ذلك يكون هذا الطريق وحده على شرط الحسن، فكيف إذا ضُمَّت إليه بقية طرق الحديث، وهي تزيد على ثلاثةٍ ذكرها الهيثميُّ في "مجمع الزوائد"، والحافظ في "التلخيص"، ونقلها الشوكاني عنهما في "نيل الأوطار"، لا شك أنَّ الحديث يكون حينئذٍ قويًّا، ولا يبعد أن يصحَّح[1] ولولا خوف الإطالة والإملال لأفضنا في ذكر الطرق وبيان ما فيها، لكن غرضنا بيان كذب المُتنطِّع، وهو حاصلٌ بما ذكرنا. وبالله التوفيق.

السابع: قوله: «هذا عند أهل الحديث مُسَلَّمٌ به» كذبٌ صريحٌ؛ والواقع أنَّ أهل الحديث يُعَوِّلون على تصحيح الترمذيِّ وتحسينه، وكتبهم تشهد بذلك، فانظر إلى كتاب "الأذكار" للنوويِّ، وكتاب "الترغيب" للمُنذريِّ و"الجامع الصغير" للسيوطيِّ، وغيرها من كتب السُّنَّة، بل انظر إلى كتب ابن تيمية، وابن القيِّم، تجدها ملأى بالنقل عن الترمذيِّ في التصحيح والتحسين مع الاعتماد

---

(١) بل هو صحيحٌ.

عليه، والتعويل على ما يقول، وإن كانوا ينتقدون عليه في بعض المواضع، فذلك أمرٌ ضروريٌّ؛ لأن الخطأ والنِّسيان مِن لوازم الإنسان، وجلَّ مَن لا يسهو ولا يغفل.

الثامن: قوله: «وهو مع ذلك مُعارَضٌ بالإجماع الذي قدَّمناه»، هذا الإجماع كذبٌ كما يُعلَم ممَّا قدَّمناه أيضًا.

التاسع: قوله: «وبحديث البخاريِّ في استسقاء عمر بالعبَّاس»، هذا جهلٌ منه في موضعين:

الأول: ادِّعاؤه أنَّ حديث البخاريِّ في استسقاء عمر بالعباس يدل على منع التوسُّل بالميت وهذا جهلٌ؛ لأن ترك الشيء لا يدل على منعه كما قدَّمنا بيان ذلك مُفصَّلًا.

الثاني: ادِّعاؤه أنَّ فعل عمر مُعارِضٌ لحديث الضرير، وهذا جهلٌ فاضِحٌ؛ لأنَّ مِن شرط المتعارضين أن يستويا في الرتبة، وإلَّا لم يكن تعارضٌ؛ لوجوب تقديم الأعلى منهما على الأدون، والأمر هنا كذلك، فإنَّ حديث الضرير مرفوعٌ، وفعل عمر موقوفٌ، ومَن ذا الذي يُقدِّم الموقوف على المرفوع، إلَّا أن يكون في عقله خَبَلٌ وبه جنونٌ؟!

العاشر: قوله: «هذا فوق أنَّ الترمذيَّ لم يرتقِ فيه عن درجة الحسن»، فيه كذبٌ واحدٌ، وجهلٌ مُكرَّرٌ مرَّتين:

أمَّا الكذب: فادِّعاؤه أنَّ الترمذيَّ لم يرتقِ في الحديث عن درجة الحسن، مع أنه ارتقى فيه إلى درجة الصِّحَّة كما تقدَّم في كلامه.

وأمَّا الجهل المُكرَّر، فالأول منه: أنَّ كلامه المذكور يدل على أنه ما رأى

كتاب الترمذيِّ، ولا كلَّف نفسه تعب مراجعته، وهذا جهلٌ فاضحٌ جدًّا؛ لأن "سنن الترمذيِّ" أحد الكتب الستة، التي هي معصم الإسلام، وعن طريقها وصل لنا قدرٌ غير يسيرٍ من نور الهَدْي المحمَّدي، وهي مع ذلك بلغت في الشهرة والذيوع بحيث ملأت الأسماع والبقاع، فكيف يسوغ لواعظٍ يدعي أنه مسئولٌ عند الله على تبليغ العِلْم أن يجهل واحدًا منها ولا يطلع عليه، وليت شعري، أي عِلْمٍ يكون عنده حتى يُسأَل عن تبليغه، إذا هو لم يقرأ كتاب الترمذيِّ وبقية الكتب الستة على الأقل؟!

والجهل الثاني: ادِّعاؤه أنَّ الترمذيَّ اقتصر على تحسين الحديث مريدًا بذلك عدم جواز العمل به فيما يظهر، وما درى أنَّ الحديث إذا كان حَسَنًا وجب العمل به؛ لأن الحسن كالصحيح في الاحتجاج والعمل به، على ما هو مُقرَّرٌ عند المُحدِّثين والأصوليين.

الحادي عشر: قوله: «على أنه في غَير محلِّ النِّزاع، فإنَّ النِّزاع إنما هو في الوسيلة بالموتى، والحديث في التوسُّل به صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في الحياة كما سلف». بطلان هذا يُعلَم ممَّا قدَّمناه في الوجوه الإثنَي عشر، وايِّم الله لو أننا سألنا المُتنطِّع ما الدليل على تخصيص الحديث بحال الحياة لاعتراه إبلاسٌ، وإن أجاب فمع الإبلاس جوابًا مؤذنًا بالإفلاس، ولا يخفى أنَّ حديث الضرير شرعٌ ثابتٌ لا يدخله نسخٌ ولا تخصيصٌ إلى يوم القيامة، ومَن ادَّعى فيه شيئًا مِن ذلك فعليه البيان، وإلَّا فهو مُتعصِّبٌ لمذهب الجاهلية.

ثُمَّ قال المُتنطِّع: «الشبهة الرابعة: حديث الترمذيِّ أيضًا...»، وذكر حديث ابن عبَّاسٍ في الرجل الذي سمع صاحب القبر يقرأ سورة (الملك).

ثم قال: «وإيراد هذا الحديث في الاستدلال على الوسيلة بالموتى ضربٌ مِن الخَلْط، فإنَّ التوسُّل بالقرآن وغيره مِن صفات الله مجمَعٌ على جوازه كما سيأتي، ومع هذا فهذا الحديث مكذوبٌ، قال الترمذيُّ بعد روايته: غريبٌ لا نعرفه إلَّا من هذا الوجه، وأشار بهذا إلى ما طعن به عليه الحفَّاظ، فإنَّ في طريقه يحيى بن عمرو بن مالك النكري البصري، قال حمَّاد بن زيدٍ: كذَّابٌ يختلِق الموضوعات وينسبها إلى الثقات، ولولا هذا الرجل في إسناد الحديث لكان من أصح الأحاديث، فإن بقيَّة رجال إسناده رجال الصحيح، وكما كذَّبه حمَّاد كذَّبه يحيى بن معينٍ، وأحمد بن حنبلٍ، وغيرهم، قاله الحافظ في "تهذيب التهذيب"».اهـ

وأقول: في كلامه أمورٌ:

الأول: ادِّعاؤه أنَّ الحديث ذكر في دلائل التوسُّل ممنوعٌ، فإننا لا نعرف أحدًا من أهل العلم استدل به.

الثاني: ولو سلَّمنا أنَّ أحدًا منهم استدل به وذكره، فقوله: إن إيراده في الاستدلال ضربٌ مِن الخَلْط ممنوعٌ، بل للاستدلال به وجهٌ وجيهٌ، وهو أنَّ قراءة هذا الرجل لسورة (الملك) في قبره يدل على أنَّ للصالحين في قبورهم حياةً وشعورًا، وإذا كان كذلك فيجوز التوسُّل وسؤال الله بهم، إذ ممَّا يَمْنَعُ التوسل بالميت عند المُتنطِّع وأشكاله الذين لا يؤمنون بالحياة البرزخية عدم شعوره وإدراكه، وهذا الحديث يرد عليهم في ذلك.

الثالث: قوله: «ومع هذا فهذا الحديث مكذوبٌ، كذبٌ منه وجرأةٌ بالغةٌ؛ فإنَّ الحديث ليس بمكذوبٍ أصلًا، ولا تسمح القواعد بذلك حتَّى على أسوأ الفروض والتقادير، كما يتبيَّن مما سيأتي.

الرابع: استدلاله على كذب الحديث بقول الترمذيِّ: إنه غريبٌ جهلٌ منه فاضحٌ، فليس من اصطلاح الترمذيِّ أن يقول عن الحديث المكذوب غريبٌ، إنما يريد إذا أطلق هذا اللفظ ضعف الحديث فقط[1]، كما نصُّوا عليه في كتب المصطلَح، وصنيع الترمذيِّ نفسه في كتابه يشهد بذلك ويدل عليه.

الخامس: استدلاله على كذب الحديث بقول الترمذيِّ: «غريبٌ» جهلٌ أيضًا بمعنى الغريب عند المحدِّثين، وبما يريدون منه إذا أطلقوه في مثل هذا الموطن، وتفصيل ذلك يعلم من كتب المصطلَح التي ما عرف المُتنطِّع شيئًا منها ولا رآه، كما يدل على ذلك هذا الاستدلال.

السادس: قوله: «قال الترمذيُّ: لا نعرفه إلَّا من هذا الوجه» كذبٌ وتحريفٌ؛ وذلك لأنَّ الترمذيَّ لم يقل هكذا، وإنما قال ما نصُّه: «هذا الحديث غريبٌ مِن هذا الوجه».اهـ وبين العبارتين فرقٌ لا يخفى على أهل العلم.

السابع: قوله في يحيى بن عمرو بن مالك النكريِّ: «قال حمَّاد بن زيدٍ: كذَّاب يختلِق الموضوعات وينسبها إلى الثقات»، هذا الكلام زوره المُتنطِّع في نفسه ثُمَّ نسبه إلى حمَّاد بن زيدٍ؛ لأن كتاب "الميزان" و"تهذيب التهذيب" ليس فيهما هذه العبارة، فاعجب لشخصٍ يجرح الرواة ويرميهم بالكذب في حين أنه كاذبٌ في ذلك.

الثامن: قوله: «وكما كذَّبه حمَّاد كذبه يحيى بن معينٍ، وأحمد بن حنبلٍ وغيرهم»، هذا كذبٌ صريحٌ، فإنَّ يحيى بن معينٍ وأحمد بن حنبلٍ وغيرهما لم

---

(١) أما إذا قال: «حسنٌ غريبٌ» مثلاً، فيريد بالغرابة التفرُّد لا الضعف.

يكذِّبوه، ولا فاهوا بما يدل على ذلك، وإنما ضعَّفوه فقط، وفرقٌ كبير بين التكذيب والتضعيف.

التاسع: قوله: «قاله الحافظ في "تهذيب التهذيب"»، في هذا العزو كذبٌ ووقاحة: أمَّا الكذب: فهو عزو ما تقدَّم من الكذب المزدوج إلى "تهذيب التهذيب" وهو خال منه.

وأمَّا الوقاحة: فهو كذبه على "تهذيب التهذيب"، وهو يعلم أنه مطبوعٌ وأنَّ الاطلاع عليه ميسورٌ لكلِّ أحدٍ، وأنَّ بالاطلاع عليه يفتضح كذبه، وينتهك ستره، فكان ذلك العزو والحالة ما ذكرنا دليلًا على وقاحة الرجل، وأنه رفع جلباب الحياء عن وجهه، نسأل الله السلامة والعافية.

وإليك عبارة "تهذيب التهذيب" على أصلها، فقد جاء في حرف الياء منه ما نصُّه: «يحيى بن عمرو بن مالكٍ النكريِّ البصريِّ، روى عن أبيه، وعنه ابنه مالكٌ، ومحمد بن سليمان بن أبي داود الحرانيُّ، وأبو سلمة، ومسلم بن إبراهيم، وبشر بن الوليد، ومحمد بن عبدالملك بن أبي الشوارب وغيرهم، قال ابن معينٍ وأبو داود والنَّسائيُّ والدولابيُّ: ضعيفٌ، وقال الدارقطنيُّ: صُويلِحٌ يعتبَر به، وقال غيره: كان حمَّاد بن زيد يرميه بالكذب، وروى له ابن عديٍّ أحاديث وقال: كلها محفوظةٌ، وحديثٌ آخر مما لم أذكره قلت: وقال العقيليُّ: لا يتابَع على حديثه، وقال أحمد بن حنبلٍ: ليس هذا بشيءٍ، وقال الساجيُّ: منكَر الحديث».اهـ بحروفه.

فوازِن هذا بما نقله المُتنطِّع، لتدرك مبلغ أمانته وثقته، فإلى الله المشتكى من هذا الزمن الذي صار فيه المُتنطِّع وأمثاله من العلماء والوعَّاظ، وهم أحوج

الناس إلى من يُعلِّمهم مهمَّات دينهم، ويُرغِّبهم في الصِّدْق والأمانة والحياء، ويُنفرِّهم مِن أضدادها، حتى يتَّعِظوا في أنفسهم، ويعلموا أنَّ عليهم رقيبًا يحاسبهم فيراقبونه، وعند ذلك فقط يقبل منهم الوعظ، وينفع منهم التذكير.

أمَّا الحديث الذي ذكره المُتنطِّع وزعم أنه موضوعٌ، فأخرجه الترمذيُّ في "سننه"، قال: حدَّثنا محمد بن عبدالملك بن أبي الشوارب، حدَّثنا يحيى بن عمرو بن مالكٍ النكريُّ، عن أبيه، عن أبي الجوزاء، عن ابن عبَّاسٍ قال: ضرب بعض أصحاب النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم خِباءه على قبرٍ وهو لا يحسب أنه قبرٌ، فإذا قبر إنسانٍ يقرأ سورة (الملك) حتى ختمها، فأتى النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: يا رسول الله إني ضربت خِبائي على قبرٍ وأنا لا أحسب أنه قبرٌ، فإذا فيه إنسانٌ يقرأ سورة (الملك) حتى ختمها، فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**هي المانِعَةُ، هي المُنجِية، تُنْجِيه مِن عذابِ القَبْرِ**»، هذا حديثٌ غريبٌ مِن هذا الوجه».اهـ كلام الترمذيِّ.

ونقل ابن القيِّم في كتاب "الروح" عنه أنه قال: «هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ، ورواه ابن عدي في "الكامل" قال: حدَّثنا عليُّ بن سعيد الرازي، حدَّثنا محمد بن عبدالملك بن أبي الشوارب، حدَّثنا يحيى بن عمرو بن مالكٍ، عن أبيه، عن أبي الجوزاء، عن ابن عبَّاسٍ فذكره، ورواه البيهقيُّ في "دلائل النبوة" من طريق ابن عديٍّ فقال: باب ما جاء في الرجل الذي سمع صاحب قبرٍ يقرأ سورة (الملك)، أخبرنا أبو سعيد الماليني قال: أخبرنا أبو أحمد بن عديٍّ الحافظ، فذكر الإسناد السابق، ثُمَّ قال البيهقيُّ بعد ذكر الحديث ما نصُّه: «تفرَّد به يحيى بن عمرو النكريُّ وهو ضعيفٌ، إلَّا أنَّ لمعناه شاهدًا عن عبدالله بن

مسعودٍ»، ثُمَّ أخرج بإسنادٍ صحيحٍ «عن مُرَّة، عن ابن مسعودٍ قال: توفِّي رجلٌ فأُتي مِن جوانب قبره، فجعلت سورةٌ مِن القرآن تجادل عنه حتىٰ منعته، قال: نظرت أنا ومسروق فإذا هي (تبارك)».اهـ

قلت: وهذا وإن كان موقوفًا فله حكم الرفع، وقد روىٰ الترمذيُّ عن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ سورةً مِن القرآن ثلاثين آيةً شَفَعَتْ لرجلٍ حتَّى غُفِر له، وهي ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾** [الملك: ١]»، قال الترمذيُّ: «هذا حديثٌ حسنٌ»، وقال الحافظ ابن عبدالبر: صحَّ عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أنه قال: «**إنَّ سورةً ثلاثين آيةً شَفَعَتْ في صاحبها حتَّى غُفِر له، ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾**».اهـ نقله ابن القيم.

إذا تقرَّر هذا، فاعلم أنَّ حديث ابن عبَّاسٍ ليس بموضوعٍ أصلًا، وإنما هو ضعيف ضعفًا قريبًا، وبيان ذلك مِن وجوهٍ:

الأول: أنَّ يحيىٰ بن عمرو النكريَّ ضعيفٌ فقط، كما علمت من ترجمته التي نقلناها، ولم يَرْمِه بالكذب إلَّا حمَّاد بن زيدٍ، ولم يُبيِّن سببه، فهو تكذيبٌ مردودٌ، لا سيما وقد قال الدارقطنيُّ في يحيىٰ: «صُوَيلحٌ يُعتبَر به»، وهذا يدل علىٰ أنَّ ضعفه قريبٌ، بحيث يعتبر بحديثه ولا يترك، فيكون هذا الحديث ضعيفًا.

الثاني: أنَّ ابن عديٍّ روىٰ ليحيىٰ أحاديث من جملتها هذا وقال: كلها محفوظةٌ، وهو دليلٌ صريحٌ علىٰ أنَّ هذا الحديث محفوظٌ غير شاذٍّ ولا مُنكَرٍ، فأنَّىٰ يأتيه الوضع والحالة هذه؟!

الثالث: أنَّ الحديث أخرجه البيهقيُّ في "الدلائل" كما تقدَّم، وهو مُلتزِمٌ أن لا يخرج في كتبه خصوصًا "الدلائل" حديثًا يعلم أنه موضوعٌ.

الرابع: أنَّ البيهقيَّ نصَّ على تضعيفه كما تقدَّم في كلامه، وهو دليلٌ قاطعٌ على أنه ليس بموضوعٍ.

الخامس: أنَّ الحديث ذكره الحافظ المنذريُّ في "الترغيب والترهيب" وأشار إلى تضعيفه، ولو كان موضوعًا ما خفي عليه ذلك، وهو مِن الحُفَّاظ النُّقَّاد المُبرِّزين.

السادس: مما يدل على أنَّ الحديث ليس بموضوعٍ، وأنَّ ضعفه قريبٌ مُحتمِلٌ: وُرود أخبار وآثار تشهد له فيما تضمَّنه مِن فضل سورة (الملك)، وفيما أفاده من حصول القراءة من الميت في القبر، وحياته فيه حياة لا ندركها.

أمَّا الأول: فقد تقدَّم فيه حديث أبي هريرة، وابن مسعودٍ رضي الله عنهما، ونذكر هنا حديثًا ثالثًا أخرجه الطبرانيُّ في "الأوسط" و"الصغير"، عن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**سُورةٌ مِن القُرآنِ ما هي إلَّا ثلاثون آيةً خاصَمَتْ على صاحِبِها حتَّى أَدْخَلَتْهُ الجنَّة، وهي سورة (تبارك)**»، قال الحافظ الهيثميُّ: «رجاله رجال الصحيح».

وهذا حديثٌ رابعٌ رواه عبدُ بن حُميد في "مسنده"، عن إبراهيم بن الحكم عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عبَّاسٍ أنه قال لرجلٍ: ألا أُتحِفُكَ بحديثٍ تفرح به؟ قال الرجل: بلى، قال: اقرأ ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]، احفظها وعلِّمها أهلك وولدك وصبيان بيتك وجيرانك، فإنها المُنجية، والمُجادِلة تُجادِل أو تُخاصِمُ يومَ القِيامَةِ عند ربِّها لقارئها، وتطلب له أن يُنجِيَهُ مِن النَّارِ إذا كانت في جوفه، ويُنجِّي اللهُ بها صاحبها مِن عذاب القبر، قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم: «**لوَدَدْتُ أنَّها في قَلْبِ كلِّ إنسانٍ مِن أُمَّتي**».

وأمَّا الثاني: وهو ما أفاده من حصول القراءة من الميت في القبر، فيؤيِّده فيه ما رواه ابن مَنْدَه، وأبو أحمد الحاكم في "الكنىٰ" بسندٍ ضعيفٍ، كما قال الحافظ السيوطيُّ، عن طلحة بن عبيدالله قال: أردت مالي بالغابة فأدركني الليل، فأويت إلىٰ قبر عبدالله بن عمرو بن حرامٍ، فسمعت قراءة من القبر ما سمعت أحسن منها، فجئتُ إلىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فذكرتُ ذلك له فقال: «**ذلك عبدالله، ألم تَعْلَم أنَّ اللهَ قَبَضَ أرواحُهم فجعلها في قناديلَ مِن زبرجدٍ وياقوتٍ، ثُمَّ عَلَّقها وسط الجنة، فإذا كان الليل رُدَّت إليهم أرواحهم، فلا تزال كذلك حتَّى إذا طَلَعَ الفجرُ رُدَّت أرواحهم إلى مكانها الذي كانت فيه**».

وروىٰ ابن جريرٍ في "تهذيب الآثار" وأبو نعيمٍ، عن إبراهيم بن الصَّمَّة المُهَلَّبيِّ قال: حدَّثني الذين كانوا يمرون بالحصن بالأسحار قالوا: كنَّا إذا مررنا بجنبات قبر ثابت البُناني سمعنا قراءة القرآن.

وأخرج أبو نعيمٍ، عن جُبير قال: أنا -والله الذي لا إله إلَّا هو- أدخلتُ ثابتًا البُنانيَّ لَحْدَهُ، ومعي حُميدٌ الطويل، فلمَّا سوَّينا عليه اللَّبِنَ سقطت لَبِنةٌ، فإذا أنا به يُصَلِّي في قبره، وكان يقول في دعائه: اللهمَّ إن كنتَ أعطيتَ أحدًا مِن خَلْقِكَ الصَّلاةَ في قبره فأعطنيها، فما كان الله ليَرُدَّ دعاءه.

وأخرج ابن مَنْدَه قال: أخبرنا أحمد بن محمد السُّلَميُّ، وأنبأنا أبو أحمد يوسف الخفاف: أنا القاضي أبو أحمد، حدَّثنا محمد بن جعفر بن محمد الأشعريُّ، سمعت

سلمة بن شبيبٍ قال: سمعت أبا أحمد الحفَّار -وكان ثقةً ورعًا- قال: دخلت يوم الجمعة المقبرة نصف النهار، فما مررت بقبرٍ إلَّا سمعتُ منه قراءة القرآن.

قال الحافظ زين الدين بن رجب في كتاب "القبور": «قد يكرم الله بعض أهل البرزخ بأعمال صالحةٍ في البرزخ، وإن لم يحصل له بذلك ثواب، لانقطاع عمله بالموت، لكنه إنما يبقى عمله عليه ليتنعَّم بذكر الله وطاعته، كما تتنعَّم بذلك الملائكة وأهل الجنَّة في الجنَّة، وإن لم يكن على ذلك ثوابٌ؛ لأن نفس الذِّكر والطاعة أعظم نعيمًا عند أهلها من جميع نعيم أهل الدنيا ولذَّتها، فما تنعَّم المُتنعِّمون بمثل ذكر الله وطاعته».

وروى أبو الحسن بن البراء في كتاب "الروضة"، عن عبدالله بن محمد بن منصور: حدَّثني إبراهيم الحفَّار قال: حفرتُ قبرًا فبدت لَبِنة، فشممت رائحة المِسك حين انفتحت اللَّبِنة، فإذا بشيخٍ جالسٍ في قبره يقرأ القرآن».

قال ابن رجب: «وحدَّثني المحدث أبو الحجاج يوسف بن محمد السريري: ثنا شيخنا أبو الحسن علي بن الحسين السامري خطيب سامرا وكان رجلا صالحًا، وأراني موضعًا من قبور سامرا، فقال: هذا الموضع لا نزال نسمع منه سورة (تبارك الملك).

وروى الحافظ أبو بكر الخطيب بسنده عن عيسى بن محمد الطوماريِّ قال: رأيتُ أبا بكر بن مجاهدٍ المقري في النوم كأنه يقرأ، وكأني أقول له: أنت ميت وتقرأ؟! فكأنه يقول لي: كنت أدعو الله في دُبُر كلِّ صلاةٍ، وعند ختم القرآن أن يجعلني ممن يقرأ في قبره، فأنا أقرأ في قبري.

وأخرج الخلال في كتاب "السُّنَّة" من طريق إبراهيم بن الحكم بن أبان -وفيه

ضعفٌ-، عن أبيه، عن عكرمة قال: قال ابن عبَّاسٍ: المؤمن يعطىٰ مصحفًا في قبره يقرأ فيه.

وأخرجه ابن البراء في "الروضة" من طريق حفص بن عمر العدني -وفيه ضعفٌ أيضًا- عن الحكم بن أبان.

ورؤي الحافظ أبو العلاء الهمدانيُّ في النوم بعد موته وهو في مدينة جدرانها وحيطانها كلها كتبٌ، فسُئل عن ذلك؟ فقال: سألت الله تعالىٰ أن يشغلني بالعلم كما كنت أشتغل به، فأنا أشتغل بالعلم في قبري».اهـ كلام الحافظ بن رجب.

نقله الحافظ السيوطيُّ في "شرح الصدور"، ونقل كثيرًا من الآثار في هذا المعنىٰ، فظهر من هذه الوجوه أنَّ الحديث ضعفه قريبٌ محتملٌ، وأنَّ المُتنطِّع كاذبٌ في ادِّعائه وضعه، ثُمَّ وقفت علىٰ كلام ابن رجب في كتابه المذكور، وبالله التوفيق.

ثُمَّ قال المُتنطِّع: «الشبهة الخامسة: ما رواه ابن ماجه أنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**اللهمَّ إنِّي أسألُكَ بحَقِّ السَّائلينَ عليك، وبحَقِّ مَمْشايَ هذا...**» الحديث. وهذا الحديث مع كونه في غاية الضعف، فإنه لو صحَّ لم يُفِد المستدلِّين علىٰ جواز التوسُّل بالموتىٰ شيئًا، فإنَّ حقَّ السائلين المذكور هو ما تفضَّل الله تعالىٰ به علىٰ من دعاه بالإجابة لدعائه المشار إليه بقوله: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقوله: ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠]، علىٰ أحد التفسيرين، وهو تفسير

الدعاء بالطلب، وهو توسُّلٌ بفضل الله، وهو صفةٌ من صفاته، ولا نزاع فيه، فأين هذا من الوسيلة بالمخلوق والميت المتنازع فيه؟».اهـ

وأقول: الحديث المذكور خرَّجه ابن ماجه في "سننه" قال: حدَّثنا محمد بن سعيد بن يزيد بن إبراهيم التستريُّ: ثنا الفضل بن الموفق أبو الجهم: ثنا فضيل بن مرزوق، عن عطية -يعني العوفيَّ- عن أبي سعيدٍ الخدريِّ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن خَرَجَ مِن بَيْتِهِ إلى الصَّلاةِ، فقال: اللهمَّ إنِّي أسألُكَ بحَقِّ السَّائِلِينَ عليك، وأسألُكَ بحَقِّ مَمْشَايَ هذا، فإنِّي لم أَخْرُجْ أَشَرًا، ولا بَطَرًا، ولا رِيَاءً، ولا سُمْعَةً، وخَرَجْتُ اتِّقَاءَ سُخْطِكَ، وابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ، فأسألُكَ أن تُعِيذَنِي مِن النَّارِ، وأن تَغْفِرَ لي ذُنُوبِي، إنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلَّا أنت، أَقْبَلَ اللهُ عليه بوَجْهِهِ، واسْتَغْفَرَ له سبعون ألفِ مَلَكٍ**».

ورواه أحمد عن يزيد بن هارون، والطبرانيُّ في "الدعاء" عن بشر بن موسى، عن عبدالله بن صالحٍ العجليِّ، وابن خزيمة في كتاب "التوحيد" من طريق محمد بن فضيل بن غزوان، ومن طريق أبي خالد الأحمر، وأبو نعيمٍ الأصبهانيُّ من طريق أبي نعيمٍ الكوفيِّ، خمستهم عن فضيل بن مرزوق به، فزال ما يُخشَى مِن ضعف الفضل بن الموفق بمتابعة هؤلاء له، ولم يبقَ إلَّا النظر في حال فضيلٍ وشيخه.

فأمَّا فضيلٌ فثقةٌ كما قال ابن عُيَيْنَة، وابن معينٍ وغيرهما، روى له مسلمٌ والأربعة، وأكبر ما عيب به تشيعه، وليس ذلك بعائبه على ما تقرَّر في هذا الشأن.

وأمَّا عطية فقد ضعَّفه أحمد، وتكلَّم فيه هشيم، لكن قال أبو حاتمٍ: «ومع ضعفه يُكتَب حديثه»، وقال ابن معينٍ: «صالحٌ»، وقال ابن سعدٍ: «كان ثقةً إن شاء الله»، وقال الحافظ في "التقريب": «عطية بن سعد بن جُنادة -بضم الجيم وبعدها نون خفيفة- العوفي الجَندلي -بفتح الجيم والدال المهملة- الكوفيُّ أبو الحسن صدوقٌ يُخطئ كثيرًا، وكان شيعيًا مُدَلِّسًا من الثالثة، روىٰ عنه البخاريُّ في "التاريخ"، وأبو داود، والنَّسائيُّ».اهـ

وقال في "أمالي الأذكار": «ضعف عطية إنما جاء من قبل تشيُّعه، وقيل: تدليسه، وإلَّا فهو صدوقٌ، وقد أخرج له البخاريُّ في "الأدب المفرد"، وأخرج له أبو داود عِدَّة أحاديث ساكتًا عليها، وحسَّن له الترمذيُّ عِدَّة أحاديث بعضها مِن أفراده».اهـ

وهذا الكلام ذكره الحافظ ردًّا علىٰ إطلاق النوويِّ في عطية أنه ضعيفٌ، والذي يتحصَّل مما ذكرناه في عطية: أنَّ حديثه يكون حَسَنًا إذا سلم من تدليسه، وهذا الحديث كذلك، فيكون حسنًا، وقد حسَّنه ثلاثةٌ مِن كبار الحفَّاظ:

أولهم: الحافظ أبو الحسن المقدسيُّ، نقل ذلك عنه تلميذه الحافظ المنذريُّ في "الترغيب والترهيب".

وثانيهم: الحافظ العراقيُّ، فقد نصَّ علىٰ تحسينه في "تخريج أحاديث الإحياء".

وثالثهم: شيخ الإسلام الحافظ ابن حجرٍ فإنه بعد أن خرَّجه في "أمالي

الأذكار" قال ما نصُّه: «حديثٌ حسنٌ، أخرجه أحمد، وابن ماجه، وابن خزيمة في كتاب "التوحيد"، وأبو نعيمٍ الأصبهانيُّ، وفي كتاب الصلاة لأبي نعيمٍ، عن فضيل، عن عطية قال: حدَّثني أبو سعيد.. فذكره، لكن لم يرفعه، فقد أمن بذلك تدليس عطية العوفي».اهـ نقله ابن علان في "شرح الأذكار".

ولا يخفى أنَّ الموقوف في هذا الباب له حكم المرفوع؛ لأنه مما لا مجال للاجتهاد فيه، فرواية أبي نعيم الموقوفة لا تخدش في رفع الحديث كما قد يتوهَّم، فالحديث من هذا الطريق وحده حسنٌ كما حكم به هؤلاء الحُفَّاظ.

وله طريقٌ آخر ضعيفٌ نذكره استئناسًا وتتميمًا للفائدة:

قال ابن السُّنِّي في "عمل اليوم والليلة": حدَّثنا ابن منيعٍ، ثنا الحسن بن عرفة، ثنا علي بن ثابتٍ الجزريِّ، عن الوَازِع بن نافع، عن أبي سلمة بن عبدالرحمن، عن جابر بن عبدالله، عن بلال مؤذِّن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: كان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إذا خَرَجَ إلى الصلاة قال: «**بِسْمِ الله، آمَنْتُ بالله توكَّلْتُ على الله، لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا بالله، اللهمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ بحَقِّ السَّائِلِينَ عليكَ، وبحَقِّ مَخْرَجي هذا، فإنِّي لم أَخْرُجْهُ أَشَرًا ولا بَطَرًا ولا رِياءً ولا سُمْعَةً، خَرَجْتُ ابْتِغاءَ مَرْضَاتِكَ واتِّقاءَ سَخَطِكَ، أَسْأَلُكَ أن تُعيذَني مِن النَّارِ وتُدْخِلَني الجنَّةَ**». الوَازِع بن نافع ضعيفٌ.

بعد هذا نرجع لمناقشة المُتنطِّع فنقول: «قوله: هذا الحديث مع كونه في غاية الضعف» كذبٌ وجهلٌ؛ لأنَّ الحديث حسنٌ كما علمت، وعلى فرض أنه ضعيفٌ فليس هو في غاية الضعف بل ضعفه قريبٌ لما علمت من حال عطية

العوفيِّ، وأنه صدوقٌ كما قال الحافظ، وحديث الصدوق لا يكون في غاية الضعف.

وقوله: «لو صحَّ لم يُفِد المستدلين على جواز التوسُّل بالموتى؛ فإنَّ حَقَّ السائلين هو ما تفضَّل الله تعالى به على من دعاه بالإجابة لدعائه...» إلى أن قال: «وهو توسُّلٌ بفضل الله، وهو صفة من صفاته، فأين هذا من التوسُّل بالمخلوق والميت المتنازع فيه»، غير صحيحٍ؛ فإنَّ الحديث كما قال ابن عِلَّان في "شرح الأذكار": «يفيد التوسُّل بحَقِّ أرباب الخير على سبيل العموم»، ومثلهم بالأولى الأنبياء والمرسلون، ولا شك أنَّ حَقَّ أرباب الخير لا يبطل بموتهم، بل يثبت ويتأكَّد؛ لأنَّ الدار الآخرة هي محلُّ وفاء الله لعباده الصالحين بالحقوق التي التزمها لهم تفضُّلًا منه وتَكَرُّمًا.

وكون هذا الحق صفةٌ من صفات الله لا يبطل ما نقول -كما توهَّم المُتنطِّع- بل يؤيِّده؛ لأن معنى التوسُّل بالأولياء الذي نقول به: هو سؤال الله بحقِّهم عليه، وجاههم عنده، وكرامتهم لديه، وذلك في التحقيق يرجع إلى التوسُّل بحبِّ الله وإكرامه لهم، وهذا يستوي فيه الوليُّ الحيُّ والميت؛ لأنَّ الله يحبُّ أولياءَه ويكرمهم جميعًا، بل الوليُّ الميت أولى بذلك؛ لأنه في دار الكرامة والجزاء، فظهر أنَّ الحديث يؤيِّدنا فيما نقول وبالله التوفيق.

هذا وقد رأيت بعض المعاصرين طعن في الاستدلال بالحديث من ناحيةٍ أخرى، دلَّت على ضعفه في اللغة العربية، وذلك أنه قال: «إنَّ الباء في قوله: «**بحَقِّ السَّائِلين عليك، وبحَقِّ مَمْشَايَ**» للتعدية؛ لأن سأل مُتعَدٍّ بنفسه وبالباء،

قال: وفي "القاموس" سأله كذا، وعن كذا، وبكذا بمعنىٰ، وفاته أنَّ هذا في السؤال بمعنىٰ الاستعلام، كما ترشد إلىٰ ذلك عبارة "القاموس" التي نقلها غير فاهمٍ لها، ويوضحه قول "صاحب المختار": وسأله الشيء، وسأله عن الشيء سؤالًا ومسألة، وقوله تعالىٰ: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج: ١] أي عن عذابٍ واقعٍ، قال الأخفش: يقال خرجنا نسأل عن فلان وبفلان».اهـ

أمَّا السؤال بمعنىٰ الطلب كما في الحديث، فلا تدخل باء التعدية فيه علىٰ المفعول، وإنما تدخل علىٰ المتوسَّل به كما هو ظاهرٌ، ولصديقنا العلامة المطلع الشَّيخ محمد زاهد الكوثريِّ رحمه الله كلامٌ جيِّدٌ في هذا الحديث، أحببت أن أنقله تتميمًا للفائدة.

قال في مقاله محق التقول المنشور بالعدد السادس والعشرين من السنة الثامنة لـ"مجلة الإسلام"، بعد تخريج الحديث المذكور ما نصُّه: «وفي الحديث التوسُّل بعامَّة المسلمين وخاصَّتهم، وإدخال الباء في أحد مفعولي السؤال، إنما هو في السؤال الاستعلامي، كقوله تعالىٰ: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩] ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾، وأمَّا السؤال الاستعطافي فلا تدخل الباء فيه أصلًا إلَّا علىٰ المتوسَّل به، فدونك الأدعية المأثورة، فتصوَّر إدخالها هنا في المفعول الثاني إخراجٌ للكلام عن سننه بهوًىٰ، وصيحة باطلٍ تمجُّها الأسماع، وليس معنىٰ الحق الإجابة، بل ما يستحقه السائلون المتضرِّعون فَضْلًا من الله سبحانه وتعالىٰ، فيكون عد «**بحَقِّ السائلين**» سؤالًا لهذا الدعي هَذَيانًا محضًا، ولا سيما عند ملاحظة ما عطف عليه في الحديث. وأمَّا زعم أنه ليس في سياق الحديث

ما يصلح أنه يكون سؤالًا غير ذلك، فمما يثير الضحك الشديد والهزء المديد، فأين ذهب مِن هذا الزاعم «**أن تُعيذَني من النار**»؟ وكم يكرر الفعل للتوكيد، فالسؤال في الفعل الأخير هو السؤال في الفعلين المتقدمين، بل لو لم تكن تلك الأفعال من باب التوكيد لدخلت في باب التنازع، فيكون هذا القيد معتبرًا في الجميع على كلِّ تقديرٍ، وأمَّا مَن يحاول ردَّ التوسُّل بتصور دخوله في الحلف بغير الله فإنما حاول الردَّ على المصطفى صلوات الله عليه؛ لأنه هو الذي عَلَّم صيغ التوسُّل، وفيها التوسُّل بالأشخاص وأين التوسُّل مِن الحَلِفِ».اهـ

وهو على اختصاره كافٍ في ردِّ كلِّ ما أورد على الاستدلال بالحديث من اعتراضات، وبالله التوفيق.

ثم قال المُتنطِّع: «الشبهة السادسة: حديث: «**حياتي خيرٌ لكم، ومَماتي خيرٌ لكم، تُحدِثون ويُحدَثُ لكم، تُعْرَضُ عليَّ أَعْمالُكُمْ، فما رأيتُ مِن خيرٍ حَمِدتُ اللهَ، وإن يكُ سِوى ذلك اسْتَغْفَرتُ لكم**»، وهذا الحديث وإن اشتهر على ألسنة كبار الناس وصغارهم، فقد خلت منه جميع كتب السُّنَّة، حتَّى الحاكم الذي يروي ما هَبَّ ودَبَّ، ومع هذا فالذي رواه وقفه على بكر بن عبدالله المزنيِّ، وهو تابعيٌّ مشهورٌ، ومع ذلك لم يذكر فيه الصحابي أحدٌ مِن رواة السُّنَّة لا في صحيح الكتب، ولا في ضعيفها، وهو منقطعٌ لا يصلح للاحتجاج به، وإنما يأخذه حضرات أهل الدين من دواوين الخطب، ذلك مبلغهم من العلم».اهـ

وأقول: الحديث المذكور حديثٌ صحيحٌ لا مَطْعَن فيه ولا مَغْمَز، ورد مِن حديث ابن مسعودٍ، وأنس بن مالكٍ، ومِن مرسل بكر بن عبدالله المزنيِّ.

أمَّا حديث ابن مسعودٍ رضي الله عنه، فخرَّجه البزَّار في "مسنده" قال: ثنا يوسف بن موسىٰ: ثنا عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد، عن سفيان، عن عبدالله بن السائب، عن زاذان، عن عبدالله، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ لله ملائكةً سَيَّاحين يُبَلِّغوني عن أُمَّتي السَّلام**».

قال: وقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**حَياتي خيرٌ لكم، تُحدِثُونَ ويُحْدَثُ لكم، ووفاتي خيرٌ لكم، تَعْرَضُ عليَّ أعمالكم، فما رأيتُ مِن خيرٍ حَمِدتُ اللهَ، وما رأيتُ مِن شَرٍّ اسْتَغْفَرْتُ اللهَ لكم**».

قال البزَّار: «لا نعلمه يروىٰ عن عبدالله إلَّا بهذا الإسناد».

قال الحافظ العراقيُّ في كتاب الجنائز من "طرح التثريب في شرح التقريب": «إسناده جيدٌ».

وقال الحافظ الهيثميُّ في "مجمع الزوائد"، والمُحدِّث القسطلانيُّ في "شرح البخاري": «رجال إسناده رجال الصحيح».

وقال الحافظ السيوطيُّ في كتاب "المعجزات والخصائص": «إسناده صحيحٌ».

وكذا قال علي القاري، والشهاب الخفاجي في أول شرحيهما علىٰ "الشفاء"[1].

وأمَّا حديث أنسٍ، فرواه الحارث بن أبي أسامة في "مسنده"، وابن عديٍّ في

---

(١) وقد توسَّعتُ في الكلام علىٰ طرق هذا الحديث، وشرح معناه في كتابي "نهاية الأمال في صحَّة وشرح حديث عرض الأعمال".

"الكامل"، من طريق خِراشٍ عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**حَياتي خيرٌ لكم، تُحْدِثون ويُحْدَثُ لكم، فإذا أنا مُتُّ كانت وفاتي خيرًا لكم، تُعْرَضُ عليَّ أعمالكم، فإن رأيتُ خيرًا حَمِدتُ اللهَ، وإن رأيتُ غير ذلك اسْتَغْفَرْتُ اللهَ لكم**».

قال الحافظ العراقيُّ في "المغني": «إسناده ضعيفٌ لضعف خِراشٍ».اهـ

قلت: لكن له طريقٌ آخر، قال الحافظ أبو نصر الحسن بن محمد بن إبراهيم اليُونارِتِيِّ الأصبهانيُّ في "معجمه": سمعت الشريف واضح بن أبي تمام الزينبيَّ يقول: سمعت أبا عليٍّ ابن تومة يقول: اجتمع قومٌ من الغرباء عند أبي حفص ابن شاهين، فسألوه أن يُحدِّثهم أعلى حديثٍ عنده، فقال: لأحدِّثنَّكم حديثًا من عوالي ما عندي: ثنا عبدالله بن محمد البغوي: ثنا شيبان بن فَرُّوخ الأيليُّ: ثنا نافعٌ أبو هُرْمُز السِّجِسْتانيُّ: سمعت أنس بن مالكٍ يقول: سمعت النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**حياتي خيرٌ لكم...**» الحديث، وخرَّجه ابن النجار في "تاريخ بغداد"، عن معمر بن محمد الأصبهانيِّ، عن الحافظ أبي نصر اليونارتيِّ به. وهذا إسناده ضعيفٌ أيضًا، لاتفاقهم على ضعف أبي هُرْمُز

وعن أنسٍ حديث آخر أخرجه أبو نعيمٍ في "الحلية" قال: ثنا عبدالله بن محمد بن جعفر، ثنا أحمد بن عيسى بن ماهان الرازي، ثنا محمد بن مصفى، ثنا بقيَّة، ثنا عبَّاد بن كثير، عن عمران -هو القصير- عن أنسٍ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إنَّ أعمالَ أُمَّتي تُعْرَضُ عليَّ في كلِّ يومِ جُمُعَةٍ، واشْتَدَّ غَضَبُ الله على الزُّناةِ**».

وأمَّا مرسل بكر بن عبدالله المزنيِّ، فأخرجه الحارث بن أبي أسامة في

"مسنده" قال: ثنا الحسن بن قتيبة، ثنا جسر بن فرقد، عن بكر بن عبدالله المزنيِّ قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «**حياتي خيرٌ لكم تُحْدِثُون ويُحْدَثُ لكم، ووفاتي خيرٌ لكم، تُعْرَضُ عليَّ أَعْمَالُكُمْ، فما كان مِن حَسَنٍ حَمِدتُ اللهَ، وما كان مِن سَيِّءٍ اسْتَغْفَرْتُ اللهَ لكم**».

إسناده ضعيفٌ؛ لضعف الحسن بن قتيبة. لكن خرَّجه إسماعيل القاضي المالكي من طريق آخر فقال: ثنا سليمان بن حرب، ثنا حمَّاد بن زيدٍ، عن غالب القطان، عن بكر بن عبدالله المزنيِّ به مرفوعًا. وهذا إسنادٌ صحيحٌ، صحَّحه الحافظ ابن عبدالهادي مع تعنُّته.

وقال أيضًا: ثنا حجَّاج بن المنهال، ثنا حمَّاد بن سلمة، عن كثير أبي الفضل، عن بكر بن عبدالله به مرفوعًا. وهذا إسنادٌ صحيحٌ أيضًا.

وفي الباب عن سعيد الشاميِّ والد عبدالعزيز قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «**تُعْرَضُ الأعمالُ يومَ الإثنين والخميس على الله، وتُعْرَضُ على الأنبياءِ وعلى الآباءِ والأُمَّهاتِ يومَ الجمعةِ، فيفرحون بحَسَناتِهم وتَزْدادُ وُجُوهُهم بياضًا وإشْراقًا، فاتقوا اللهَ ولا تُؤذوا موتاكم**».

رواه الحكيم الترمذيُّ في "نوادر الأصول" من طريق عبدالغفور بن عبدالعزيز بن سعيد الشاميِّ، عن أبيه، عن جدِّه، وكانت له صحبة. وهذا إسنادٌ ضعيفٌ؛ لضعف عبد الغفور.

وعن مجاهدٍ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنكم تُعْرَضُون عليَّ بأسْمائِكُمْ ومُسَمَّاكم، فأحْسِنوا الصَّلاةَ عليَّ**» أخرجه عبدالرزَّاق.

وبالجملة فالحديث صحيحٌ لا مطعن فيه، وهو يدل علىٰ أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله

عليه وآله وسلَّم يعلم أعمالنا بعرضها عليه، ويستغفر الله لنا على ما فعلنا من سيِّءٍ وقبيحٍ، وإذا كان كذلك فيجوز لنا أن نتوسَّل به إلى الله ونستشفع به لديه؛ لأنه يعلم بذلك فيشفع فينا ويدعو لنا، وهو الشفيع المشفَّع صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وزاده تشريفًا وتكريمًا.

وقد أخبر الله في القرآن أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم شهيدٌ على أُمَّته، وذلك يقتضي أن تُعْرَضَ أعمالهم عليه ليشهد على ما رأى وعَلِم.

قال ابن المبارك: أخبرنا رجلٌ من الأنصار، عن المِنهال بن عمرٍو، أنه سمع سعيد بن المُسيِّب يقول: ليس من يومٍ إلَّا يُعْرَضُ فيه على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أُمَّته غدوةً وعشيًّا، فيعرفهم بأسمائهم وأعمالهم، فلذلك يشهد عليهم، يقول الله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١]».اهـ

وقال القرطبيُّ في "التذكرة": «باب ما جاء في شهادة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على أُمَّته»، ثُمَّ أورد أثر سعيد بن المسيِّب السابق، ثُمَّ قال: «قد تقدَّم أنَّ الأعمال تعرض على الله كلَّ يوم إثنين وخميس، وأنها تعرض على الأنبياء والآباء والأمَّهات يوم الجمعة»، قال: «ولا تعارض فإنه يحتمل أن يخصَّ نبيُّنا بما يعرض عليه كلَّ يومٍ، ويوم الجمعة مع الأنبياء عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام».اهـ

وروى الطبرانيُّ بإسنادٍ ضعيفٍ عن ابن عبَّاسٍ قال: لما نزلت ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا ﴾ [الأحزاب: ٤٥] وقد كان أمر عليًّا ومعاذًا أن يسيرا إلى

اليمن، فقال: «**انْطَلِقا فبَشِّرا ولا تُنَفِّرا، ويَسِّرا ولا تُعَسِّرا، فإنَّه قد أُنْزِلَ عليَّ يا أيها النبيُّ إنا أرسلناك شاهدًا على أُمَّتك، ومُبَشِّرًا بالجنَّة، ونَذيرًا مِن النَّار، وداعيًا إلى شهادة أن لا اله إلا الله بإذنِهِ، وسِراجًا منيرًا بالقرآن**».

وقال ابن كثيرٍ في تفسير هذه الآية: «قوله تعالىٰ: ﴿شَٰهِدًا﴾ أي لله بالوحدانية، وأنه لا إله غيره، وعلىٰ الناس بأعمالهم يوم القيامة، ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ كقوله: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].اهـ

فالقرآن كما ترىٰ يؤيِّد حديث عرض الأعمال ويُعَضِّدُه.

فإن قيل: قد أخبر الله تعالىٰ عن هذه الأُمَّة أنها تشهد علىٰ غيرها، ولم يرد في حديثٍ ولا أثرٍ أنَّ أعمال الأُمَمِ تُعرَضُ عليها.

فالجواب من وجهين:

الأول: أنَّ عرض الأعمال ممَّا خُصَّ به نبيُّنا عليه الصلاة والسلام كما خُصَّ في قبره بحياةٍ أكمل من حياة الشهداء، وبأنَّ جسده لا يَبْلَىٰ.

الثاني: أنه ورد في "الصحيحين" أنَّ هذه الأُمَّة تشهد علىٰ إخبار نبيِّها وكلامه، وذلك أنها إذا شهدت بأنَّ الأنبياء بلَّغوا أممهم فيقال: وما علمكم فتقول: أخبرنا نبيُّنا أنَّ الرسل قد بلَّغوا فصدَّقناه، هكذا صحَّ في الحديث، وهو واضحٌ لا خفاء به.

فإن قيل: فما تقول فيما رواه الطبرانيُّ وغيره عن محمد بن فضالة: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أمر قارئًا يقرأ، فلما بلغ قوله تعالىٰ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا

جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ [النساء: ٤١] الآية، بكىٰ حتىٰ اضطرب لحياه وقال: «**أي رَبِّ، شَهِدْتُ على مَن أنا بين ظَهْرانِيهِ، فكيف بمَن لم أرَ؟**»، فربما يفهم بعض الجهلة من هذا أنه ينفي عرض الأعمال.

قلت: هذا الحديث مؤيِّدٌ لعرض الأعمال لا نافٍ له، بل هو أحد الأسباب التي لأجلها أكرم الله نبيَّه بهذه الخصوصية، حتىٰ تكون شهادته علىٰ أُمَّته عن مشاهدةٍ وعيانٍ، كما أكرمه بعرض أُمَّته مع الأمم الأخرىٰ عليه، وهو في المدينة، كما ثبت في "الصحيحين"، وروىٰ البزَّار عن حذيفة بن أسيدٍ قال: عرضت علىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أُمَّته، فقمت خلفه فلما فرغ التفت إليَّ فقال: «**كنتَ ههنا؟ هل سمعتَ؟**»، قلت: نعم.

وبعد فنرجع إلىٰ مناقشة المُتنطِّع فنقول: في كلامه أمورٌ:

الأول: ادِّعاؤه أنَّ الحديث خلت منه جميع كتب السُّنَّة كذبٌ وجهلٌ؛ فإنَّ الحديث موجودٌ في كثيرٍ من كتب السُّنَّة، كـ"طبقات ابن سعد"، و"مسند البزَّار"، و"مسند الحارث"، و"تاريخ ابن النجار"، و"طرح التثريب" للحافظ العراقيِّ، و"بغية الباحث بزوائد مسند الحارث"، و"مجمع الزوائد" كلاهما للحافظ الهيثميِّ، و"الجامع الصغير"، و"الجامع الكبير"، و"الخصائص الكبرىٰ" الثلاثة للحافظ السيوطيِّ، و"شرح البخاري" للقسطلانيِّ، و"كنز العمال" للمتقي الهنديِّ، وغيرها.

الثاني: ادِّعاؤه أنَّ الحاكم يروي ما هَبَّ ودَبَّ، جرأةٌ مَبنيَّةٌ علىٰ جهلٍ.

أمَّا الجرأة: فنطقه بهذه العبارة في حقِّ الحاكم وهو حافظٌ كبيرٌ وإمامٌ شهيرٌ، بينه وبين المُتنطِّع كما بين السماء والأرض.

وأمَّا الجهل: الذي انبنت عليه هذه الجرأة فهو أنه ما قرأ "المستدرك" ولا رآه بعينه، ولا عرف ما فيه من الأحاديث، ولا قيمتها في نظر الحُفَّاظ، وإنما سمع كما يسمع العامَّة أنَّ الحاكم روىٰ أحاديث موضوعةً، فأخذه عل علاته وزاد عليه أنه يروي ما هبَّ ودبَّ، ليوهم بذلك أنَّ الحديث في نهاية الغرابة، وهيهات أن يردَّ الحديث بمثل هذه التمويهات.

الثالث: قوله: «ومع هذا فالذي رواه وقفه علىٰ بكر بن عبدالله المزنيِّ»، خطأ ناشيءٌ عن جهلٍ، فإنَّ مثل هذا لا يُسمَّىٰ موقوفًا، ولا يمكن أن تنطبق عليه حقيقة الموقوف بحال من الأحوال، وإنما تنطبق عليه حقيقة المرسل لا غير، ولكنه فيما يظهر سمع أن عند المُحدِّثين شيئًا يسمُّونه الموقوف، فأراد أن يطبقه علىٰ كل ما هبَّ ودبَّ.

الرابع: قوله: «ومع هذا فالذي رواه» يناقض قوله السابق: «خلت منه جميع كتب السُّنَّة»، والتناقض شأن المُبطِل وعلامة الخُذْلان.

الخامس: قوله: «ومع ذلك لم يذكر فيه الصحابي أحدٌ من رواة السُّنَّة، لا في صحيح الكتب، ولا في ضعيفها» كذبٌ مبنيٌّ علىٰ جهلٍ، فإنَّ الحديث واردٌ من طريق ابن مسعودٍ، وأنسٍ، وورد معناه من طريق سعيد الشاميِّ، ومجاهدٍ، كما تقدَّم كلُّ ذلك، بل وصلت طرقه إلىٰ عشرين طريقًا كما أشار إليه أخي الحافظ السيِّد أحمد في بعض فتاويه.

وسيأتي إن شاء الله في مبحث حياة الأنبياء من هذا الكتاب أحاديث كثيرة في عرض الصلاة علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وهي من جملة الأعمال كما لا يخفىٰ.

ثُمَّ قال المُتنطِّع: «هذا مع أنَّ البخاريَّ ومسلم (كذا) قد خرَّجا حديثًا يردُّه، ويُبيِّن أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لا يَعْلَمُ عن أُمَّته شيئًا بعد انتقاله إلى الدار الأخرى، وقد أورده البخاريُّ في مواضع من "صحيحه"، ووصلت طرقة عند أهل الحديث إلى خمسة عشر صحابيًّا، وهو حديثٌ متواترٌ في قوة القرآن ولفظه في كتاب "البخاري" في الرقاق: «**بَيْنَما أنا أَسْقِي النَّاسَ على حَوْضي يُؤتَى بأُناسٍ مِن أُمَّتي يُريدُونَ أنْ يَشْرَبُوا، فيُحَالُ بَيْني وبَيْنَهُمْ، ويُؤخَذُ بِهِمْ إلى جِهَةِ النَّارِ، فأقول: أَصْحَابي أَصْحَابي، فيُقالُ: إنَّكَ لا تَدْري ما أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، ارْتَدُّوا على أَدْبارِهِمْ بعدما فارَقْتَهُمْ، فأقولُ كما قال العبد الصَّالِحُ** -يعنى عيسى عليه الصلاة والسلام-: ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٧ - ١١٨]» وفي بعض الألفاظ تغيير من الرواة وزيادة ونقص. قوله: «**إنَّكَ لا تَدْري ما أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**» يدل على أنه لا يدري عن أُمَّته شيئًا بعد موته لأنه إذا جَهِلَ[1] حال أصحابه الذين عرفوه وعرفهم، فغيرهم من باب أولى».اهـ

وأقول: أمَّا الحديث المذكور فطرقه التي أعرفها وقرأتها اثنا عشر طريقًا ليس غير.

وهي طريق سهل بن سعدٍ، وأبي سعيدٍ الخدريِّ، وأسماء بنت أبي بكرٍ،

---

(١) انظر إلى وقاحة الوهَّابية، كيف ينسبون إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الجهل باللفظ الصريح، وهذا دأبهم قاتلهم الله.

وابن مسعودٍ، وأنسٍ، وحذيفة عند الشَّيخين.

وطريق ابن عبَّاسٍ، وأبي هريرة عند البخاريِّ.

وطريق عائشة، وأمِّ سلمة عند مسلمٍ.

وطريق أبي بكرة عند أحمد والطبرانيِّ.

وطريق أبي الدرداء عند الطبرانيِّ.

وهذه الطرق كافيةٌ في التواتر عند مَن يرىٰ ذلك، وهو قولٌ محكيٌّ في كتب أصول الفقه ومصطلح الحديث، ولكن الصحيح عند جمهور العلماء خلافه كما يعلم من مراجعة ذلك في محله.

وأمَّا ادِّعاء المُتنطِّع أنَّ الحديث وصلت طرقه إلىٰ خمسة عشر صحابيًّا فادِّعاءٌ كاذبٌ، وهو من جملة مفترياته التي شحن بها كتابه، وغرضه من هذا الادِّعاء التهويل بما ذكره عقبه مِن أنَّ الحديث متواترٌ، وأنه في قوة القرآن، وهذا التهويل لا يفيده هنا شيئًا؛ لأمرين:

الأول: أنَّ حديث عرض الأعمال علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ورد مِن عشرين طريقًا، فطرقه أكثر من طرق حديث الحوض.

الثاني: أنَّ المقرَّر في علم الأصول والمصطلَح، أنَّ الدليلين المتعارضين لا يرجح أحدهما علىٰ الآخر إلَّا إذا لم يمكن الجمع بينهما بوجهٍ من الوجوه، أمَّا إذا أمكن الجمع بينهما فهو الواجب، ولا يجوز العدول عنه إلىٰ ترجيحٍ أو غيره؛ لأن في ذلك إلغاءٌ لدليلٍ شرعيٍّ بغير حقٍّ، وهو حرامٌ بخلاف الجمع فإنَّ فيه إعمال الدليلين، وطاعتهما جميعًا.

والحديثان هنا غير متعارضين في الحقيقة؛ لإمكان الجمع بينهما وتيسره، فمحاولة المُتنطِّع تقديم حديث من يذاد عن الحوض على حديث عرض الأعمال مُدَّعِيًا في الحديث الأول أنه متواترٌ وأنه في قوة القرآن محاولةٌ باطلةٌ، وهي تدل على شيئين:

الأول: ضيق عَطَن المُتنطِّع وعدم صلاحيته لفهم الأحاديث والكلام عليها؛ لأن من يفهم التعارض لأدنى سببٍ، ويفزع إلى الترجيح بمجرَّد ذلك لَعَديم الفهم، فاقد التذوُّق لمعاني الكلام ومراميه، ومَن كان بهذه المثابة فجديرٌ به أن يجعل نصف الأحاديث النبوية أو ثلثيها مرجوحةً غير صالحةٍ للعمل والاحتجاج، وفي هذا مِن الخطر ما لا يخفى.

الثاني: جهل المُتنطِّع بعلم الأصول، فإنَّ ممَّا تقرَّر فيه وجوب تقديم الجمع إذا أمكن على غيره، كما سبق آنفًا، مع أنه -أعني المُتنطِّع- عنده ورقة تشهد له بأنه من علماء الأزهر، فلا أدري كيف أخذها وهو بهذا الجهل الفظيع!.

وبعد، فإليك طريق الجمع بين الحديثين، ودفع تعارضهما، وقد آثرنا أن ننقله عن بعض أهل هذه الفرقة، وهو صديقٌ للمُتنطِّع، ليكون أبلغ في الردِّ عليه، فقد ذكر هذا البعض حديث عرض الأعمال من طريق بكر بن عبدالله المزني فقط، وقال: إنه مرسلٌ ليس صحيحًا ولا ثابتًا، قال: «وقد ضعف بعض المتأخِّرين هذا الخبر بطريق آخر فقال: إنه معارضٌ لما هو أصح منه، وأثبت باتفاق أهل العلم والحديث، وهو ما رواه البخاريُّ ومسلمٌ وغيرهما وذكر حديث الحوض نحو ما تقدَّم، ثُمَّ قال: وعندي أنَّ هذا التضعيف ضعيفٌ

بأربعة أمور[١]:

الأول: أنه لا تعارض البتة؛ إذ حديث عرض الأعمال فيه أنه يعلم نفس الأعمال وأنها خيرٌ أو شرٌ، وأنها منسوبةٌ إلى أُمَّته، ولا يلزم أن يعرف أصحاب العمل الصالح بالتعيين والفاسد كذلك، وحديث لا تدري ما أحدثوا بعدك، فيه أنه يجهلهم أَمِن الصالحين أو الطالحين، ولا ينافي أنه يعلم أنَّ أُمَّته جاءت بعملٍ صالحٍ أو طالحٍ.

الثاني: وقت الحادثتين مختلفٌ، أو يمكن أن يكون مختلفًا، وحينئذٍ لا يتحقَّق التعارض، إذ يجوز أن تعرض عليه الأعمال في البرزخ قبل النشور، ويوم القيامة يوم الفَزَعِ الأكبر يَذْهَلُ عنها، ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [الحج: ٢].

وقال بعض المُفسِّرين في آية (المائدة): ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [المائدة: ١٠٩] أنهم ينسون ما كانوا يعلمون من تفاقم الهول.

الثالث: أن يقال: حديث: «**لا تَدْري ما أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**» خاصٌّ، وحديث

---

(١) بقي أمرٌ خامسٌ، وهو أن يكون قوله: «إنَّك لا تَدْري ما أَحْدَثُوا بَعْدَكَ» فيه استفهامٌ مَحذوفٌ تقديره: «أئنك لا تدري...» إلخ، ويكون المعنى أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم علم ما أحدثوه لعرض أعمالهم ولكنه نسي فذكَّره اللهُ فتذَكَّر، فقال: سُحْقًا سُحْقًا.

«عرض الأعمال» عامٌّ، والخاصُّ مع العامِّ ليس تعارضًا، وطريق الجمع بينهما معلومٌ.

الرابع: يمكن أن يقال: خبر «العرض» على الإجمال، وخبر «لا تدري» على سبيل التفصيل، فهو يعلم إجمالًا، ولا يعلم تفصيلًا، ونحن نعلم حال أهل الإسلام بالجملة، ولا نعلمها بالتفصيل».اهـ

وأضعف هذه الوجوه الوجه الثاني، وأقواها الأخير[1]، حتى أن بعض العلماء جعله مُتعيِّنًا للجمع بين الحديثين المذكورين.

وأمَّا الوجه الثالث فهو متجه أيضًا؛ لأن حديث: «**لا تَدْري ما أَحْدَثُوا بَعْدَك..**» جاء فيه: «**ليذادنَّ رجالٌ**» وفي رواية: «**ناسٌ**»، وفي رواية: «**أقوامٌ**»، وكل هذه جموعٌ مُنكَّرةٌ واقعةٌ في سياق الإثبات، والقاعدة الأصولية تُقرِّر أنَّ الجمع المُنكَّر الواقع في سِياق الإثبات ليس بعامٍّ، بخلاف حديث عرض الأعمال فقد جاء فيه: «**تُعْرَضُ عليَّ أَعْمَالُكُمْ**» وهذا جمعٌ مضافٌ، والجمع المضاف مِن صيغ العموم الموضوعة له حقيقة، كما تقرَّر في علم الأصول.

وطريق الجمع بين العامِّ والخاصِّ إذا تنافيا، أن يحمل العام على الخاصِّ بأن يخصَّص به، وكيفية ذلك هنا أن يقال: إنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وآله

---

(١) وعليه وعلى الأول اقتصر الأُبِّي في "شرح مسلم" فقال: «قيل هو -يعني حديث الحوض- معارض لحديث تعرض عليه أعمال أُمَّته في الدنيا يوم الخميس ويوم الإثنين؛ لأنه لو علم أعمالهم لا يناديهم به، وأجيب بأنها إنما تعرض عليه عرضًا إجماليًّا، فيقال: عملت أُمَّتك شرًّا، عملت أُمَّتك خيرًا، أو أنها تعرض دون تعيين عامليها».اهـ

وسلم تُعرَضُ عليه أعمال أُمَّته، إلَّا أولئك القوم الذين سبق القضاء بنفوذ الوعيد فيهم بذودهم عن الحوض، فلا تعرض عليه أعمالهم حتىٰ لا يستغفر لهم، فلهذا لم يعلم بحالهم فدعاهم إلىٰ الحوض فقيل له: «**لا تَدْري ما أَحْدَثُوا بعدك**».

وبما قرَّرناه ظهر أنَّ لا تعارض بين الحديثين، وأنَّ لكلٍّ منهما مَحْمَلًا غير مَحْمَل الآخر، وتبيَّن أيضًا قصر نظر المُتنطِّع، وخطأ فهمه، وجهله المُطبِق، وجرأته علىٰ الأحاديث النبوية، يضرب بعضها ببعضٍ، ويقدِّم بعضها علىٰ بعضٍ بمحض الهوىٰ والتشهِّي، وتلك خطَّة سوءٍ، نسأل الله أن يعافينا منها بمَنِّه، وبالله التوفيق.

(تنبيه): اختلف العلماء في الرجال الذين يذادون عن الحوض اختلافًا كبيرًا، وأنا أنقل كلام الحافظ مُلخَّصًا، وفيه إشارةٌ إلىٰ صِحَّة حديث عرض الأعمال، وكونه أمرًا ثابتا متقرَّرًا.

قال في "الفتح" في شرح حديث ابن عبَّاسٍ الذي فيه: «**وإنه سيُجاءُ برجالٍ مِن أُمَّتي فيُؤخَذُ بِهِمْ ذاتَ الشِّمالِ فأقولُ: يا رَبِّ أَصْحَابي، فيقولُ اللهُ: إنَّكَ لا تَدْري ما أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فأقولُ: كما قال العَبْدُ الصَّالِحُ: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾** [المائدة: ١١٧ - ١١٨]» قال: «**فيقال: إنَّهم لم يزالوا مُرْتَدِّينَ على أَعْقَابِهِمْ**». ما ملخَّصُه: «وقع في ترجمة مريم من أحاديثِ الْأنبياء، قال الفَرَبْريُّ: ذكر عن أبي عبدالله البخاريِّ، عن قبيصة قال: هم الذين ارتدُّوا علىٰ عهد أبي بكرٍ، فقاتلهم يعني وماتوا علىٰ الكفر.

وقال الخطَّابيُّ: لم يرتد من الصحابة أحدٌ، وإنما ارتدَّ قومٌ مِن جُفاة الأعراب.

وقال غيره: قيل: هو على ظاهره من الكفر، والمراد بأُمَّتي أُمَّة الدعوة، ورجَّح بقوله في حديث أبي هريرة: «**فأقول: بُعْدًا لهم وسُحْقًا**»، ويؤيِّده كونهم خفي عليه حالهم، ولو كانوا مِن أُمَّة الإجابة لعرف حالهم بكون أعمالهم تعرض عليه. ويردُّ هذا قوله في حديث أنسٍ، وأبي هريرة: «**حتَّى إذا عرفتهم**».

وقال ابن التين: يحتمل أن يكونوا منافقين، أو مِن مرتكبي الكبائر.

وقيل: هم من جفاة الأعراب دخلوا في الإسلام رغبةً ورهبةً.

وقال النوويُّ: قيل: هم المنافقون والمرتدون».

ولتراجع بقية كلامه في شرح الحديث في باب الحشر من كتاب الرقاق.

والذي أرجِّحه وأعتمد عليه أنَّ المراد بالحديث الرجال الذين قاتلوا عليًّا وأهل البيت وناصبوهم العداوة، ومن جمع طرق الحديث وألفاظه وتأمَّلها بإمعانٍ ظهر له ذلك ظهور الشمس في كبد السماء، والله أعلم.

(**تنبيه آخر**): بعد أن ذكرت الجمع بين الحديثين، وما أرجِّحه في الذين يذادون عن الحوض، رأيت أن أورد إشكالًا في معنى حديث الحوض، لا يمكن للوهابية جميعًا أن ينفكوا عنه، وذلك أنَّ الحديث يفيد أنَّ جماعةً مِن الصحابة يطردون عن الحوض، مع أنَّ الله تعالى عدل الصحابة وأثنى عليهم في كتابه، والجمهور متفقون على عدالتهم جميعًا، حتى المجهولين منهم، فكيف يتأتى هذا مع طرد طائفةٍ منهم عن الحوض؟!

فإن حمل الحديث على المرتدِّين كما رجَّحه جماعةٌ، فالخطابي يجزم بأنَّ أحدًا مِن الصحابة لم يرتد بعده صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وإنما ارتد قومٌ مِن جفاة

الأعراب ممن لا نصرة له في الإسلام.

وإنْ حمل على المنافقين، فالنفاق كان على عهده صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، والحديث يقول: «**لا تَدْري ما أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**».

وإنْ حمل على المُبتدِعة، فالمبتدعة ليسوا أصحابه؛ لأنهم حدثوا بعده.

وإنْ حمل على من حاربوا عليًّا عليه السلام، فالأشاعرة والماتريدية لا يرضون هذا، ويرون أنَّ أولئك المحاربين كانوا مجتهدين مخطئين.

وإنْ حمل على أُمَّة الدعوة والعصاة مِن أُمَّة الإجابة، فالحديث ينافي ذلك، لأنه يصرِّح بأنهم أصحابه يعرفهم ويعرفونه وأنه يناديهم بأسمائهم.

ثُمَّ كيف يتبرَّأ مِن أصحابه ويقول في حَقِّهم: «**سُحْقًا سُحْقًا**»، وهو صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لا يتبرَّأ من عصاة أُمَّته؟! بل يشفع لهم ويسعى في خَلاصهم بعد دخولهم النار.

فالحديث مشكلٌ جدًّا حتى أنَّ الإمام مالكًا ندم على روايته في "الموطأ" وقال: «ليتني لم أروه، ولم يكتب عنِّي»، نقله الأُبِّي في "شرح مسلم".

وما ندم مالكٌ على روايته إلَّا لما فيه من الإخبار بتبديل الصحابة، وتبرِّي النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم منهم، وذلك يخالف القرآن والسُّنَّة المتواترة وما اتفق عليه جمهور العلماء، فأحسن محامل حديث الحوض على مذهب الجمهور أن يكون من المتشابه الذي يترك معناه إلى الله، بخلاف حديث عرض الأعمال فإنه -مع صحته- مؤيَّدٌ بالقرآن والسُّنَّة المستفيضة ومذاهب جمهور العلماء، فأين يذهب الوهَّابية المُتنطِّعون؟.

تنبيه آخر: من الإشكال في حديث الحوض أيضًا، أنه يقضي ألَّا نترضَّى عن جميع الصحابة، وإنما نترضَّى عمن نجزم بأنه لا يذاد عن الحوض، وتعيين المطرودين منهم يختلف باختلاف الأغراض، فغلاة الشيعة لا يترضُّون عن أصحاب وقعة الجمل، والنواصب والخوارج لا يترضُّون عن عليٍّ وعثمان ومن معهما، وآخرون لا يترضون عن معاوية ومَن كانوا معه، وكل فرقةٍ ترىٰ أنها علىٰ الحقِّ، وأنَّ حديث الحوض يؤيِّدها، فإن طبَّقنا الحديث علىٰ الجميع أدَّىٰ ذلك إلىٰ أنَّ معظم الصحابة لا نترضَّى عنهم، لأنهم ليسوا أهلًا للترضِّي وإنْ خصصناه بفئةٍ دون أخرىٰ، كان تحكُّمًا لا معنىٰ له، فليعيِّنوا لنا مَن هم الصحابة الذين لا نترضَّى عنهم.

فإن لم يفعلوا -ولن يستطيعوا أن يفعلوا- فليجزموا معنا بأنَّ حديث الحوض مشكل المعنىٰ، متروك الظاهر، لما يلزم عليه من المفاسد التي أوضحناها، أمَّا حديث عرض الأعمال فهو محكمٌ واضحٌ، لا إشكال فيه ولا خفاء.

ثُمَّ قال المُتنطِّع: «أمَّا بقية ما أوردوه من الآثار والمنامات، وتمسَّكوا به فنحن في غنًىٰ عن الردِّ عليه؛ فإنَّ هذا لا يبنىٰ عليه شرعٌ، مع أنَّ أسانيدها كلها أوهىٰ من بيت العنكبوت، كما يعرف ذلك من له إلمامٌ بأسانيد السُّنَّة».اهـ

وأقول: ترك المُتنطِّع كثيرًا من الأدلة لجهلة بها وعدم توفيقه إلىٰ الوقوف عليها، وأراد أن يغطي جهله بادِّعاء أنه في غنًىٰ عن الردِّ عليها، وأنَّ أسانيدها أوهىٰ من بيت العنكبوت، فكان هذا الادِّعاء فاضحًا لجهله؛ إذ أن تلك الآثار

التي لم يذكرها فيها ما هو صحيحٌ، والضعيف منها لم يصل إلى حدِّ الوهاء كما سيتبيَّن، وقد أردنا أن نشير إليها تتميمًا للفائدة.

فمنها: ما رواه الطبرانيُّ في معجمَيه "الكبير" و"الأوسط" قال: ثنا أحمد بن حمَّاد بن زغبة، ثنا روح بن صلاح، أخبرنا سفيان، عن عاصمٍ، عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: لما ماتت فاطمة بنت أسدٍ أمُّ عليٍّ رضي الله عنهما دخل عليها رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فجلس عند رأسها فقال: «**رَحِمَكِ اللهُ يا أُمِّي، كنتِ أُمِّي بعد أُمِّي، تَجوعين وتُشْبعينَني، وتَعْرينَ وتَكْسِينني، وتَمْنعينَ نَفْسَكِ طَيِّبَ الطعامِ وتُطْعِمينَني، تُريدينَ بذلك وَجْهَ الله والدَّارَ الآخِرة**».

ثُمَّ أمر أن تُغَسَّل ثلاثًا ثلاثًا، فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور وضعه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بيده، ثُمَّ خلع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قميصه فألبسها إياه، وكفَّنها ببردٍ فوقه.

ثُمَّ دعا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أسامة بن زيدٍ، وأبا أيوب الأنصاريَّ، وعمر بن الخطاب، وغلامًا أسود يحفرون فحفروا قبرها، فلما بلغوا اللَّحْدَ حَفَرَهُ رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بيده، وأخرج تُرابَهُ بيده، فلمَّا فَرَغَ دَخَلَ فيه رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فاضْطجَعَ فيه وقال: «**الحمدُ لله الذي يُحيي ويُمِيتُ وهو حَيٌّ لا يَمُوتُ، اغْفِرْ لأُمِّي فاطمةَ بنتِ أَسَدٍ، ولَقِّنْها حُجَّتَها، وأَوْسِعْ عليها مُدْخَلَها بحَقِّ نبيِّكَ والأنبياءِ الذين مِن قَبلي، فإنَّكَ أرحَمُ الرَّاحِمينَ**». وكبَّر عليها أربعًا، وأدخلها اللَّحْدَ هو والعبَّاس وأبو بكرٍ رضي الله عنهما.

قال الحافظ نور الدين الهيثميُّ في "مجمع الزوائد": «رجاله رجال الصحيح، غير روح بن صلاحٍ وقد وثَّقه ابن حِبَّان والحاكم، وفيه ضعفٌ».اهـ

قلت: روح بن صلاح هو ابن سيابة بن عمرو الحارثي، يكنىٰ أبا الحرث، ذكره ابن يونس في "تاريخ الغرباء" وقال: «هو من الموصل، قدم مصر وحدَّث بها، رويت عنه مناكير، وذكره ابن عديٍّ في "الكامل"، وروىٰ من طريقه حديثين وقال: له أحاديث كثيرة في بعضها نكرة، وقال الدارقطنيُّ: ضعيفٌ في الحديث، وذكره ابن حِبَّان في "الثقات"، وقال الحاكم: ثقةٌ مأمونٌ، توفِّي سنة ثلاث وثلاثين ومائتين، فالحديث صحيحٌ علىٰ رأي ابن حِبَّان والحاكم؛ لأنه علىٰ شرطهما، وأمَّا علىٰ رأي الدارقطنيِّ، وابن عديٍّ فهو ضعيفٌ، لكن ضعفه قريبٌ محتملٌ، وليس بضعفٍ شديدٍ؛ لأنهما لم يُضعِّفا روحًا بما يقتضي ترك روايته، بل عبارتهما في تضعيفه تعتبر من العبارات الخفيفة في الجرح، يؤيِّد ذلك قول الحافظ الهيثميِّ الذي نقلناه آنفًا وفيه ضعفٌ، فإنَّ هذه العبارة تفيد قلة الضعف وخفته، كما يعلم من كتب الحديث والرجال.

والحاصل: أنَّ الحديث علىٰ القول بضعفه أحسن وأقوىٰ من كثير من الأحاديث الضعيفة التي احتجَّ بها الأئمَّة في الأحكام، كما يُعلم بالموازنة بينه وبين تلك الأحاديث، وهي مذكورة في "المنتقىٰ" للمجد ابن تيمية، وتخريج أحاديث "الهداية" للحافظ الزيلعي، و"التلخيص الحبير" للحافظ، و"بلوغ المرام" له.

وقولهم: «الحديث الضعيف لا يعمل به في الأحكام» ليس علىٰ إطلاقه كما

يفهمه غالب الناس أو كلهم؛ لأنك إذا نظرتَ في أحاديث الأحكام التي أخذ بها الأئمَّة مجتمعين ومنفردين، وجدت فيها من الضعيف ما لعله يبلغ نصفها أو يزيد، وربما وجدت فيه المنكر والساقط القريب من الموضوع، كما أشار إلى ذلك شقيقنا العلامة الحافظ السيِّد أحمد في كتاب "المثنوني والبتار" فليراجع.

بل مما أصَّله مالكٌ وأبو حنيفة الاحتجاج بالمرسل، ومن أصول الإمام أحمد وتلميذه أبي داود الاحتجاج بالحديث الضعيف، وتقديمه على الرأي والقياس، وقدَّمه أبو حنيفة أيضًا كما نقله ابن حزمٍ عنه، وفي مكتبتنا نسخة خطية من كتاب يُسمَّى "المعيار" رتَّبه مؤلِّفه -وهو مِن حُفَّاظ المائة الثامنة- على الأبواب الفقهية، وذكر في كلِّ بابٍ منه الأحاديث الضعيفة التي أخذ بها الأئمَّة الأربعة على الاجتماع والانفراد، مع بيان ضعفها وذكر عللها، وهو كتابٌ نفيسٌ يدل على سعة حفظ مؤلِّفه وتبحُّره في الفقه والحديث والخلاف ولا أبعد أن يكون ابن الملقن.

إذا تقرَّر هذا فلا يهولنَّك تهويش هذه الطائفة المتهوِّسة بأنَّ الحديث ضعيفٌ لا تقوم به الحُجَّة لما علمت من عمل الأئمَّة به، والعجب أنَّ هذه الطائفة نفسها تعمل به إذا وافق مرادها، وتقدِّمه على الحديث الصحيح كما يعلم من الوقوف على ما يستدلون به لبدعهم ونزغاتهم، وهذا تلاعبٌ يوجب المقت.

ومنها: ما رواه الطبرانيُّ عن أبي أُمامة الباهليِّ قال: كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إذا أصبح وإذا أمسى دعا بهذا الدعاء: «**اللهمَّ أنت أَحَقُّ مَن**

ذُكِرَ، وأَحَقُّ مَن عُبِدَ، وأَنْصَرُ مَن ابْتُغِيَ، وأَرْأَفُ مَن مَلَكَ، وأَجْوَدُ مَن سُئِلَ، وأَوْسَعُ مَن أَعْطَى، أنت المَلِكُ لا شَرِيكَ لكَ، والفَرْدُ لا يَهْلَكُ، كلُّ شيءٍ هالِكٌ إلَّا وَجْهَكَ، لن تُطَاعَ إلَّا بإذْنِكَ، ولن تُعْصَى إلَّا بعِلْمِكَ، تُطَاعُ فتَشْكُرُ، وتُعْصَى فتَغْفِرُ، أقْرَبُ شَهِيدٍ، وأَدْنَى حَفِيظٍ، حُلْتَ دُونَ الثُّغُورِ، وأَخَذْتَ بالنَّوَاصِي، وكَتَبْتَ الآثَارَ، ونَسَخْتَ الآجَالَ، القُلُوبُ لكَ مُفْضِيَةٌ، والسِّرُّ عندكَ عَلانِيَةٌ، الحَلالُ ما أَحْلَلْتَ، والحَرَامُ ما حَرَّمْتَ، والدِّينُ ما شَرَعْتَ، والأَمْرُ ما قَضَيْتَ، والخَلْقُ خَلْقُكَ، والعَبْدُ عَبْدُكَ، وأنت اللهُ الرَّءُوفُ الرَّحِيمُ. أسأَلُكَ بنُورِ وَجْهِكَ الذي أَشْرَقَتْ لهُ السَّماواتُ والأرضُ، بكلِّ حَقٍّ هو لكَ، وبحَقِّ السَّائِلِينَ عليكَ، أنْ تَقْبَلَني في هذه الغَدَاةِ - أو في هذه العَشِيَّةِ- وأنْ تُجِيرَني مِن النَّارِ بقُدْرَتِكَ».

قال الحافظ الهيثميُّ: «في سنده فَضَال بن جُبيرٍ،وهو ضعيفٌ مجمعٌ على ضعفه».اهـ

قلت: للحديث شاهدٌ قويٌّ، وهو حديث: «اللهمَّ إنِّي أسأَلُكَ بحَقِّ السائِلينَ عليك»، فإنه حسنٌ كما بينَّا ذلك في الكلام على الشبهة الخامسة بتوسُّعٍ.

ومنها: ما رواه الحاكم في "المستدرك"، والبيهقيُّ في "الدلائل"، من طريق عبدالملك بن هارون بن عنترة، عن أبيه، عن جدِّه، عن سعيد بن جُبيرٍ، عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: كانت يهود خيبر تقاتل غطفان، فكلما التقوا هُزمت يهود خيبر، فعاذت اليهود بهذا الدعاء: اللهمَّ إني أسألك بحَقِّ محمَّدٍ النبيِّ الأُمِّي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان إلَّا نصرتنا عليهم، فكانوا إذا

التقوا دعوا بهذا الدعاء فهزموا غطفان، فلما بُعِثَ النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كفروا به، فأنزل الله: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعني وقد كانوا يستفتحون بك يا محمد، إلى قوله تعالى: ﴿فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩]». هذا إسنادٌ ضعيفٌ لضعف عبدالملك بن هارون.

لكن للأثر طُرُقٌ، فأخرج أبو نعيمٍ في "الدلائل" من طريق عطاءٍ والضَّحَّاك، عن ابن عبَّاسٍ قال: كانت يهود بني قريظة والنضير مِن قبل أن يُبعثَ محمَّدٌ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يستفتحون الله يدعون على الذين كفروا يقولون: اللهمَّ إنَّا نَسْتَنْصِركَ بحَقِّ النبيِّ الأُمِّي إلَّا نصرتنا فيُنصَرون.

فلمَّا جاءَهم ما عَرَفُوا -يريد محمَّدًا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم- ولم يشكُّوا فيه كفروا به.

وأخرج أيضًا من طريق الكلبيِّ، عن أبي صالحٍ، عن ابن عبَّاسٍ قال: كان يهود المدينة قبل قدوم النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، إذا قاتلوا مَن يليهم من مشركي العرب من أسد وغطفان وجهينة وعذرة، يستفتحون عليهم ويستنصرون، يدعون عليهم باسم نبيِّ الله فيقولون: اللهمَّ ربَّنا انصرنا عليهم باسم نبيِّك، وبكتابك الذي تنزل عليه، الذي وعدتنا أنَّك باعثه في آخر الزمان.

ووجه الدلالة من هذا الأثر ظاهرٌ؛ فإنَّ الله تعالى أقرَّهم على توسُّلهم بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ولم يذمهم عليه، وإنما ذَمَّهم على جُحُودِهم وكفرهم به، بعد ما شاهدوا من بركة التوسُّل به ما لا يُنكِره إلَّا مَن كان مثلهم

أعمىٰ القلب والبصيرة، عافانا الله مِن ذلك بحَقِّ نبيِّه.

ومنها: ما رواه الطبرانيُّ، عن أُميَّة بن عبدالله بن خالد بن أسيدٍ قال: كان النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يستفتح بصعاليك المسلمين، قال الحافظ المنذريُّ: «رواته رواة الصحيح، وهو مرسلٌ».اهـ

ومنها: قصة الرجل الذي كانت له إلىٰ عثمان بن عفان رضي الله عنه حاجة، فأرشده عثمان بن حنيفٍ رضي الله عنه إلىٰ التوسُّل بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فقُضيَت حاجته.

وهي قصةٌ صحيحةٌ صحَّحها الطبرانيُّ والبيهقيُّ والمنذريُّ والهيثميُّ وغيرهم، وقد ذكرناها بإسنادها الصحيح في الكلام علىٰ الشبهة الثالثة.

ومنها: قصة بلال بن الحرث المزنيِّ وذهابه إلىٰ قبر النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عام الرَّمادَة وقوله: يا رسول الله اسْتَسْقِ لأُمَّتك فإنهم قد هَلَكوا.

وهو أثرٌ صحيحٌ بنصِّ الحافظ ابن حجرٍ، كما قدَّمنا ذلك في مناقشتنا لكلام ابن تيمية من هذا الكتاب.

ومنها: ما قدَّمناه مرويًّا بالسند إلىٰ أبي الجوزاء، أنَّ أهل المدينة قُحِطُوا قَحْطًا شديدًا فشكوا إلىٰ عائشة رضي الله عنها فقالت: انظروا إلىٰ قبر النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فاجعلوا منه كُوًىٰ إلىٰ السماء حتىٰ لا يكون بينه وبين السماء سقفٌ، ففعلوا فمُطِروا مَطَرًا حتىٰ نبت العشبُ، وسَمِنَتِ الإبلُ حتَّىٰ تفَتَّقَتْ مِن الشَّحْمِ، فسُمِّي عام الفَتْقِ.

وهذا الأثر رواه الإمام الدارميُّ في "سننه" تحت ترجمة: «باب ما أكرم الله تعالىٰ به نبيَّه بعد موته»، وذكره صاحب "مشكاة المصابيح"، فكتب في شرحه

صاحب "مرقاة المفاتيح" ما نصُّه: «قيل في سبب كشف قبره أنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان يُستَشْفَع به عند الجدب فتُمْطِر السماء، فأمرت عائشة رضي الله عنها بكشف قبره مبالغةً في الاستشفاع به، فلا يَبْقَىٰ بينه وبين السماء حجابٌ».اهـ

ومنها: قول الإمام مالكٍ لأبي جعفرٍ المنصور -لما سأله: «أستقبل القبلة وأدعو، أم أستقبل رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم؟»-: «ولِمَ تصرفُ وَجْهَكَ عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام، بل استقبله واسْتَشْفِعْ به فيُشَفِّعهُ اللهُ». وقد قدَّمنا هذا الكلام بسنده إلىٰ الإمام مالكٍ رضي الله عنه.

وفاتنا أن ننبِّه هناك علىٰ أنَّ ابن تيمية زعم أنَّ هذه الحكاية مكذوبةٌ، فإنه تكلَّم في بعض أجوبته علىٰ حكم استقبال القبر الشريف عند الدعاء، وادَّعىٰ أنَّ أحدًا مِن الأئمَّة لم يقل باستقبال القبر الشريف عند الدعاء، إلَّا في حكايةٍ مكذوبةٍ تُروَىٰ عن مالكٍ، قال: «ومذهبه بخلافها».

وزعمه كذب الحكاية المذكورة غير صحيحٍ، بل هو من جملة اطلاقاته التي اعتاد بها التهويل، وكيف تكون مكذوبةً ويخفىٰ حالها علىٰ كبار علماء المالكية، الذين جمعوا بين الإمامة في الفقه والحديث، كالقاضي عياض، فإنه رواها في "الشفا"، ولم يتعقَّبها بشيءٍ، ولا تعقَّبها أحدٌ من المالكية أيضًا، وادِّعاؤه أنَّ مذهب مالكٍ بخلافها غير صحيحٍ، فقد جاء في الباب الرابع من "الشفا" في فصل في حكم زيارة قبره عليه السلام: «قال مالكٌ في رواية ابن وهب: وهو إذا سلَّم علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ودعا، يقف ووجهه إلىٰ القبر لا إلىٰ القبلة ويدنو ويُسَلِّم، ولا يمس القبر بيده، ونقل النوويُّ في كتاب رؤوس المسائل، عن الحافظ أبي موسىٰ الأصبهاني أنه روىٰ عن مالك بن أنسٍ الإمام

رحمه الله أنه قال: إذا أراد الرجل أن يأتي قبر النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فيستدبر القبلة، ويستقبل النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، ويُصَلِّي عليه ويدعو».اهـ فهذان النصَّان عن الإمام مالكٍ يؤيِّدان الحكاية التي حاول ابن تيمية تكذيبها، ويهدمان ادِّعاءَه في غيرها.

ومنها: ما تقدَّم عن الشافعيِّ مِن زيارته لأبي حنيفة ودعائه عند قبره إذا عرضت له حاجةٌ فتُقضَىٰ.

ومنها: ما سبق مِن توسُّل الخلال شيخ الحنابلة بموسىٰ الكاظم[1].

وقد بقيت أدلةٌ أخرىٰ يراها القارئ مبسوطة في مواضعها من هذا الكتاب، وإنما سردنا هذه النبذة هنا سَرْدًا إجماليًا لنبرهن علىٰ جهل المُتنطِّع وكذبه، والحمد لله رب العالمين.

ثُمَّ قال المُتنطِّع: «مبحث في الوسيلة، وبيان المراد منها في القرآن والسُّنَّة، وذكر أنَّ الوسيلة هي كلُّ شيءٍ يوصل إلىٰ المقصود، كالسفينة التي يعبر عليها من شاطئٍ إلىٰ شاطئٍ، والسلَّم الذي يُصعَد عليه إلىٰ السطح... ونحو ذلك».

هذا كلُّ ما ذكره في هذا المعنىٰ، وفاته أنَّ الوسيلة تطلق في اللغة علىٰ عِدَّة معانٍ، **هذا أحدها**.

والثاني: الحاجة، ومنه قول عنترة:

إنَّ الرِّجَالَ لهمْ إليكِ وَسِيلَةٌ ... أنْ يَأْخُذُوكِ تَكَحَّلِي وتَخَضَّبِي

---

(١) وذكر الذهبيُّ في "تذكرة الحفَّاظ" في ترجمة صالح بن أحمد التميمي الهمداني السمسار الحافظ: أنَّ الدعاء عند قبره مستجابٌ.

وبهذا فسَّر ابن عبَّاسٍ قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة: ٣٥]، وأنشد البيت المذكور، رواه ابن الأنباريُّ.

والثالث: المحبَّة، وبه فسَّر ابن زيدٍ قوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة: ٣٥]، رواه ابن جريرٍ من طريق ابن وهبٍ عنه.

والرابع: المنزلة والدرجة، ومنه قوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا سَمِعْتُمْ المُؤذِّن فقولوا مثلَ ما يقولُ، ثُمَّ صَلُّوا عليَّ ثُمَّ سَلُوا اللهَ لي الوَسِيلَةَ، فإنَّها مَنْزِلَةٌ في الجنَّة...**» الحديث.

والخامس: المسألة -أي السؤال- وبه وبالقربة أيضًا فسَّر السُّدِّيُّ قوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾، قال: «هي المسألة والقربة». رواه ابن جريرٍ من طريق أسباط عنه.

والوسيلة بالمعنىٰ المتنازع فيه بيننا وهو سؤال الله بأحدٍ مِن كِرام خَلْقِهِ مأخوذةٌ من هذا المعنىٰ الأخير -أعني المسألة- كما هو واضحٌ، وهذا معنًىٰ لغويٌّ صحيحٌ، وعليه يخرج قول الناس: توسَّلتُ إلىٰ الله بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، أي سألت الله به. ويجوز أن يضمن لفظ التوسُّل معنىٰ الاستشفاع، وتضمين فعل معنىٰ فعل آخر كثيرٌ في اللغة، فيكون معنىٰ توسَّلتُ بفلانٍ مثلًا، استشفعتُ به، وهذا أيضًا معنًىٰ صحيحٌ، وهو قريبٌ من المعنىٰ الأول، أو هو هو.

والمقصود: بيان بطلان ما يدَّعيه المُتنطِّع وأشكاله، مِن أنَّ الوسيلة المُتنازَع

فيها ليس لها أصلٌ في اللغة وإنما هي مِن مُحدَثات العامَّة وبِدَعِهِمْ، على أنا نقلنا فيما تقدَّم عن ابن تيمية أنه لا عبرة بالألفاظ، وإنما العبرة بالمعنى، ونحن قد بينَّا أنَّ سؤال الله بخَلْقِهِ جائزٌ كما دلَّ عليه الحديث الصحيح، فليسموه توسُّلًا، أو استشفاعًا، أو توجُّهًا، أو تجوهًا، أو استغاثةً، أو ما شاءوا، فإنَّا لا ننازعهم في التسمية، ولكنَّا ننازعهم في ادِّعائهم أنَّ ذلك شِرْكٌ وضلالٌ.

ثُمَّ ذكر المُتنطِّع: «أنَّ التوحيد نوعان: توحيد ألوهية، وهو حصر التعظيم بجميع أنواعه في ذات الله تعالى، وينبني على هذا أنَّ مَن حَلِفَ بغير الله، أو ذَبَحَ، أو نَذَرَ، أو عَظَّم غير الله بقَلْبِهِ، أو ناداه على جهة التعظيم، أو استغاث به، أو استعان به، فقد ضيَّع هذا النوع من التوحيد؛ لأنه صرف أنواعًا من العبادات الخاصَّة بالله تعالى لغيره».

قال: «والنوع الثاني، توحيد الربوبية، وهو حصر جميع الآثار والأفعال في ذات الله تعالى، وأنه صاحبها خَلْقًا وإيجادًا، كالخَلْقِ والرِّزْقِ والإحياء والإماتة...» إلخ.

قال: «والعرب كان عندهم هذا النوع من التوحيد ولكن الذي جعلهم مشركين، فَقْدُهم للنوع الأول؛ لأنهم كانوا يذبحون وينذرون لغير الله، ويلتمسون جَلْبَ النفع ودَفْعَ الضرِّ من غير الله، ويصرفون أنواع العبادات الخاصَّة بالله تعالى لغيره»، قال: «ومِن هنا يتبيَّن أنَّ الإيمان قد يوجد مع الشرك، فقد يكون العبد مُعتقِدًا أنه لا خالق لكلِّ شيء إلَّا الله فيكون من تلك الجهة مؤمنًا، ثُمَّ يتقرَّب إلى غيره بشيءٍ مِن العبادات التي اختصَّ بها تعالى، كالدعاء، والنذر، والتماس النفع، فيكون بهذا مشركًا من حيث لا يشعر، وقد كان هذا

حال المشركين في عصر التنزيل، فكانوا يؤمنون بالله مع الإشراك به، كما قال: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٦]».اهـ

وأقول: غرضه من هذه الجملة التي سمَّاها «أصلًا عظيمًا» إيجاد شبهٍ قويٍّ وتناسبٍ كبيرٍ بين حال المشركين والمسلمين، حيث إنَّ المشركين كانوا يعتقدون أنَّ الخالق والرَّازق والمُحيي والمُميت هو الله، ولم يمنعهم إيمانهم هذا مِن أن يكونوا مشركين، وذلك بصرفهم أنواعًا من العبادات لغير الله، كالدعاء، والاستغاثة، والذبح، والنذر ونحو ذلك، فكذلك الذين يتوسَّلون بالأولياء، يكونون أيضًا مشركين -في حين أنهم مسلمون- لأنهم دعوا ذلك الوليَّ، أو استغاثوا به، أو ذبحوا له، أو نذروا له، فحالتهم مثل حالة المشركين التي نزل فيها القرآن سواء بسواء، هذا غرضه بإيضاحٍ وتبيينٍ لا محاورة فيه ولا مداورة، وهو غرضٌ خبيثٌ ينطوي على تشريك جمهرةٍ كبيرةٍ مِن المسلمين وإخراجهم مِن حظيرة الإسلام، بقياسٍ لم تتم أركانه وشبه لم تتناسب أطرافه، مع تحريفٍ في تأويل كلام الله ورسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وما هذا شأن مَن يخشى الله ويعتقد أنه مُطَّلِعٌ عليه يراه، فيا ويله من سوء الحساب وتبًّا له مما ينتظره من العقاب.

أمَّا قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٦]

فروى ابن جريرٍ عن هَنَّاد بن السَّريِّ، عن أبي الأحوص، عن سِماك بن حربٍ، عن عكرمة في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾، قال: يسألهم مَن خَلَقَ السموات والأرض؟ فيقولون: الله. فذاك

إيمانهم، وهم يعبدون غيره. ذكره البخاريُّ مُعلَّقًا بصيغة الجزم.

وروى ابن جريرٍ من طريق يزيد بن الفضل الثماني، عن عكرمة في هذه الآية: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾، قال: هو قول الله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [لقمان: ٢٥] فإذا سُئلوا عن الله وعن صفته، وصفوه بغير صفته، وجعلوا له وَلَدًا، وأشركوا به، وروى أيضًا بأسانيد صحيحة -كما قال الحافظ في "الفتح"- عن عطاءٍ وعن مجاهدٍ نحو هذا.

فالآية الكريمة لا دلالة فيها لما يقوله المُتنطِّع، سواء كانت واردةً في مشركي مكة كما قال الجمهور وهو الصحيح، لأن السورة مكية، أم في أهل الكتاب الذين قالوا عزيرٌ ابن الله، وعيسى ابن الله، تعالى الله عن ذلك عُلُوًّا كبيرًا، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا مِن دون الله.

وقد بينَّا في مقدِّمة الكتاب بطلان تطبيق الآيات الواردة في الكفَّار وحملها على المسلمين وبينَّا فساد استدلال المُتنطِّع بقول العلماء: «العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب» بما لا يترك شبهة، فارجع إليه.

ثُمَّ قال المُتنطِّع: «وقد روى النَّسائيُّ عن حذيفة رضي الله عنه أنه رأى رجلًا يُعلِّق على صدره شيئًا من خوص النخل، فقال: ما حملك على هذا؟ قال: أستشفي به، فقطعه حذيفة ثُمَّ قال: لا شفاك الله، ثُمَّ تلا قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾».اهـ

وأقول: لا وجود لهذا الأثر في "سنن النَّسائيِّ"، ولا يعرف عن حذيفة بهذا

اللفظ، والمعروف ما وراه حمَّاد بن سلمة، عن عاصم بن أبي النجود، عن عروة قال: دخل حذيفة على مريضٍ فرأى في عضده سيرًا -قطعة من الجلد- فقطعه أو انتزعه، ثُمَّ قال: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾، وعروة لا يعرف له سماعٌ من حذيفة، فهذا الأثر مُنقطِعٌ.

لكن صحَّ النهي عن الرُّقَى والتمائم، فعن عقبة بن عامر قال: سمعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**مَن عَلَّقَ تَميمَةً فلا أَتَمَّ اللهُ له، ومَن عَلَّق وَدَعَةً فلا وَدَعَ اللهُ له**». رواه أحمد وأبو يعلى والطبرانيُّ، وصحَّحه الحاكم.

وعنه أيضًا أنه جاء في ركبٍ عشرةٍ إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فبايع تسعةٌ، وأمسك عن بَيْعَةِ رجلٍ منهم، فقالوا: ما شأنه؟ فقال: «**إنَّ في عَضُدِهِ تميمةً**»، فقطع الرجل التميمة، فبايعه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ثُمَّ قال: «**مَن عَلَّقَ فقد أَشْرَكَ**»، رواه أحمد والطبرانيُّ والحاكم، ورجال أحمد ثقاتٌ.

ودخل ابن مسعودٍ على امرأته وفي عنقها شيءٌ معقودٌ، فجَذَبَهُ فقطعه، ثُمَّ قال: لقد أصبح آل عبدالله أغنياء أن يشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا، ثُمَّ قال: سمعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**إنَّ الرُّقَى والتَّمائِمَ والتِّوَلَةَ شِرْكٌ**»، قالوا: يا أبا عبدالرحمن هذه الرُّقَى والتَّمائم قد عرفناهما، فما التِّوَلَةُ؟ قال: شيءٌ تصنعه النِّساء يتحبَّبن إلى أزواجهنَّ، صحَّحه ابن حِبَّان والحاكم.

وفي الباب أحاديث غير هذه، لا تخلو أسانيدها مِن ضعفٍ، والرُّقَى جمع رُقْية -بضم الراء وسكون القاف- وهي معروفةٌ، والتمائم جمع تميمةٍ، وهي خرز

أو قلادة تعلَّق في الرأس، والتِّوَلَة -بكسر التاء وفتح الواو واللام- مرَّ بيانها في كلام ابن مسعودٍ، وهي مِن السِّحْر، وإنما كانت هذه الأشياء من الشِّرك؛ لأنَّ أهل الجاهلية أرادوا بها جلب المنافع، ودفع المضار من عند غير الله.

قال الحافظ: «ولا يدخل في ذلك ما كان بأسماء الله وكلامه، فقد ثبت في الأحاديث استعمال ذلك، وقال الربيع: سألت الشافعيَّ عن الرقية فقال: لا بأس أن يرقىٰ بكتاب الله وما يعرف من ذكر الله، قلت: أيرقي أهل الكتاب المسلمين؟ قال: نعم إذا رقوا بما يعرف من كتاب الله وبذكر الله».اهـ

وقال الإمام أبو سليمان الخطابي: «المنهيُّ عنه من الرُّقَىٰ، ما كان بغير لسان العرب، فلا يُدرَىٰ ما هو، ولعلَّه قد يدخله سِحْرٌ أو كفرٌ، فأمَّا إذا كان مفهوم المعنىٰ، وكان فيه ذكر الله تعالىٰ، فإنه مُستحَبٌّ مُتبرَّكٌ به».اهـ

وقال ابن التين في "شرح البخاري": «الرُّقَىٰ بالمُعوِّذات وغيرها من أسماء الله تعالىٰ هو الطبُّ الروحانيُّ، إذا كان علىٰ لسان الأبرار مِن الخَلْقِ حصل الشفاء بإذن الله تعالىٰ، فلما عزَّ هذا النوع، فزع الناس إلىٰ الطب الجسماني، وتلك الرُّقَىٰ المنهيِّ عنها التي يستعملها المعزِّم وغيره، ممن يدَّعي تسخير الجنِّ له، فيأتي بأمورٍ مشتبهةٍ مركَّبةٍ مِن حَقٍّ وباطلٍ، يجمع إلىٰ ذكر الله وأسمائه ما يشوبه من ذكر الشياطين، والاستعانة بهم، والتعوُّذ بمَرَدَتِهم، ويقال: إنَّ الحيَّة لعداوتها للإنسان بالطبع، تصادق الشياطين لكونهم أعداء بني آدم، فإذا عزم علىٰ الحية بأسماء الشياطين أجابت وخرجت من مكانها، وكذا اللديغ إذا رُقِي بتلك الأسماء سالت سمومها من بدن الإنسان فلذلك كُرِه مِن الرُّقَىٰ ما لم يكن بذكر الله وأسمائه خاصَّةً، وباللسان العربي الذي يعرف معناه، ليكون بريئًا من

الشرك، وعلى كراهة الرُّقى بغير كتاب الله علماء الأُمَّة».اهـ

وقال القرطبيُّ: «الرُّقَى ثلاثة أقسام:

أحدها: ما كان يُرقَى به في الجاهليَّة ممَّا لا يُعقَل معناه، فيجب اجتنابه لئلَّا يكون فيه شِركٌ، أو يؤدِّي إلى الشِّرك.

الثاني: ما كان بكلام الله أو بأسمائه فيجوز، فإن كان مأثورًا فيستحبُّ.

الثالث: ما كان بأسماء غير الله، مِن مَلَكٍ، أو صالحٍ، أو مُعَظَّمٍ من المخلوقات، كالعرش، فهذا ليس من الواجب اجتنابه، ولا من المشروع الذي يتضمَّن الالتجاء إلى الله، والتبرُّك بأسمائه، فيكون تركه أولى، إلَّا أن يتضمَّن تعظيم المُرقَى به، فينبغي أن يجتنب، كالحَلِف بغير الله تعالى».اهـ

ونقل الحافظ إجماع العلماء على «جواز الرُّقَى بشروطٍ ثلاثة:

الأول: أن تكون بكلام الله تعالى، أو بأسمائه وصفاته.

الثاني: أن تكون باللسان العربي، أو بما يعرف معناه من غيره.

الثالث: أن يُعتقَد أنَّ الرُّقَى لا تُؤثِّر بذاتها، بل بقُدْرة الله تعالى».اهـ

وفي "الصحيحين" عن أبي سعيدٍ الخدريِّ، أنَّ ناسًا مِن أصحاب النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أتوا على حيٍّ مِن أحياء العرب فلم يُقْرُوهُم، فبينما هم كذلك إذ لُدِغَ سيِّدُ أولئك، فقالوا: هل معكم من دواءٍ أو راقٍ؟ فقالوا: إنكم لم تُقْرُونا، ولا نفعل حتى تجعلوا لنا جُعْلًا، فجعلوا لهم قطيعًا مِن الشَّاء، فجعل يقرأ بأمِّ القرآن، ويجمع بزاقه ويَتْفُلُ، فبرأ فأتوا بالشَّاءِ فقالوا: لا نأخذه حتَّى نسألَ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فسألوه فضَحِكَ وقال: «**وما أَدْراكَ**

أنَّها رُقْيَةٌ، خُذُوها واضْرِبُوا لي بسَهْمٍ»، والرَّاقي هو أبو سعيدٍ الخدريُّ، كما جاء في بعض روايات مسلمٍ.

وفي "صحيح البخاريِّ" عن ابن عبَّاسٍ، أن نفرًا من أصحاب النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مَرُّوا بماءٍ فيه لديغٌ أو سليمٌ، فعرض لهم رجلٌ مِن أهل الماء فقال: هل فيكم مِن راقٍ؟ إنَّ في الماء رَجُلًا لَديغًا أو سَليمًا، فانطلق رجلٌ منهم فقرأ بفاتحة الكتاب علىٰ شاءٍ فبَرَأَ، فجاء بالشَّاءِ إلىٰ أصحابه فكَرِهُوا ذلك وقالوا: أخذتَ علىٰ كتاب الله أَجْرًا، فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ أَحَقَّ ما أَخَذْتُمْ عليه أَجْرًا كتابُ الله**».

وروىٰ أحمد، وأبو داود، والترمذيُّ، والنَّسائيُّ، والحاكم وصحَّحه، عن خارجة بن الصلت التميميِّ، عن عمِّه، أنه أتىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فأسلم ثُمَّ أقبل راجعًا مِن عنده، فمَرَّ علىٰ قومٍ عندهم رجلٌ مجنونٌ موثقٌ بالحديد، فقال أهله: إنَّا حُدِّثنا أنَّ صاحبكم هذا قد جاء بخيرٍ، فهل عندك شيءٌ تداويه، فرقيته بفاتحة الكتاب فبَرَأَ، وأعطوني مائة شاةٍ، فأتيت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فأخبرته فقال: «**هل قُلْتَ غير هذا؟**» قلت: لا، قال: «**خُذْها فلَعَمْري لمن أَكَلَ برُقْية باطِلٍ، لقد أَكَلْتَ برُقْية حَقٍّ**».

وروىٰ الثعلبيُّ من طريق معاوية بن صالحٍ، عن أبي سليمان قال: مَرَّ أصحاب رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في بعض غزوهم علىٰ رجلٍ قد صُرِعَ، فقرأ بعضهم في أُذُنِهِ بأُمِّ القرآن فبَرَأَ، فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**هي أُمُّ القُرآنِ، وهي شِفاءٌ مِن كلِّ داءٍ**».

وروىٰ الطبرانيُّ في "الأوسط"، والدارقطنيُّ في "الأفراد"، وابن عساكر بإسنادٍ ضعيفٍ، عن السائب بن يزيد قال: عوَّذني رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بفاتحة الكتاب تَفْلًا.

وروىٰ سعيد بن منصور، والبيهقيُّ، عن أبي سعيدٍ أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**فاتِحَةُ الكِتابِ شِفاءٌ مِن السُّمِّ**».

وروىٰ أبو الشَّيخ في "الثواب" من طريق آخر عن أبي سعيدٍ، وأبي هريرة مرفوعًا مثله.

وروىٰ الدارميُّ، والبيهقيُّ بسندٍ رجاله ثقاتٌ، عن عبدالملِك بن عمير قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**فاتِحَةُ الكِتابِ شِفاءٌ مِن كلِّ داءٍ**».

وروىٰ الثعلبيُّ، عن الشَّعْبيِّ أنَّ رجلًا شَكَا إليه وَجَعَ الخاصِرَةِ فقال: عليك بأساس القرآن، وقال: وما أساسُ القرآن؟ قال: فاتحة الكتاب.

والأحاديث والآثار في الاسترقاء والاستشفاء بالفاتحة كثيرةٌ، وكذا بغيرها مِن السور والآيات، بل والقرآن كلُّه شفاءٌ[1] كما قال تعالىٰ: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢]، قال الفخر الرازي وغيره: لفظة ﴿مِنَ﴾ ليست للتبعيض بل للجنس، والمعنىٰ وننزل مِن هذا الجنس الذي هو القرآن ما هو شفاءٌ للأمراض الروحانية، والأمراض الجسمانية.

وفي "سنن ابن ماجه"، و"مستدرك الحاكم" عن عليٍّ عليه السلام، عن

---

(١) انظر كتابي "كمال الإيمان في التداوي بالقرآن"، وهو الكتاب الذي أبطلت به دعوىٰ المُبتدِع الشَّيخ شلتوت حيث زَعَمَ أنَّ التداوي بالقرآن مِن قَبيل الدَّجَل والخُرافة.

النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**خيرُ دواءِ القرآنُ**»، وللسجزيِّ في "الإبانة"، والقضاعيِّ في "مسند الشهاب" عنه أيضًا مرفوعًا: «**القرآنُ هو الدَّواءُ**».

وروى ابن ماجه، والحاكم وقال: «صحيحٌ على شرط الشَّيخين» عن ابن مسعودٍ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**عليكم بالشِّفائَين: العَسَلِ، والقُرآنِ**». وورد عن ابن مسعودٍ موقوفًا عليه أيضًا، ورواه ابن أبي حاتمٍ وغيره.

قال ابن القيِّم: «إذا ثبت أنَّ لبعض الكلام خواصٌّ ومنافعٌ، فما الظنُّ بكلام ربِّ العالمين، ثُمَّ بالفاتحة التي لم ينزل في القرآن ولا غيره من الكتب مثلها، لتضمُّنها جميع معاني الكتاب، فقد اشتملت على ذكر أصول أسماء الله ومجامعها، وإثبات المعاد، وذكر التوحيد، والافتقار إلى الربِّ في طلب الإعانة به والهداية منه، وذكر أفضل الدعاء وهو طلب الهداية إلى الصراط المستقيم المتضمِّن كمال معرفته وتوحيده وعبادته، بفعل ما أمر به واجتناب ما نهى عنه والاستقامة عليه، ولتضمُّنها ذكر أصناف الخلائق، وقسمتهم إلى مُنعَمٍ عليه لمعرفته بالحقِّ والعمل به، ومغضوبٍ عليه لعُدُوله عن الحقِّ بعد معرفته، وضالٍّ لعدم معرفته له، مع ما تضمَّنته مِن إثبات القدر والشرع، والأسماء والمعاد والتوبة، وتزكية النفس، وإصلاح القلب، والردِّ على جميع أهل البِدَع، وحقيقٌ بسورةٍ هذا بعض شأنها أن يُسْتَشْفَى بها مِن كلِّ داءٍ».اهـ

ونقل عن أبي القاسم القشيريِّ أنَّ وَلَدَهُ مرضَ مرضًا شديدًا، حتى أشرف على الموت، فاشتد عليه الأمر قال: فرأيت النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في

المنام، فشكوت إليه ما بولدي، فقال: أين أنت من آيات الشِّفاء؟! فانتبهتُ فأفكرتُ فيها، فإذا هي في ستة مواضع من كتاب الله، وهي قوله تعالىٰ:

﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤].

﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧].

﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩].

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠].

﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤].

قال: فكتبتها ثُمَّ حَلَلْتُها بالماء وسقيته إياها فكأنما نُشِطَ مِن عِقال». اهـ

وكذلك ثبت التعوُّذ والاسترقاء بأذكار نبوية، رواها البخاريُّ ومسلمٌ وبقيَّة أصحاب الكتب الستة وغيرهم، وهي كثيرةٌ بلغت مبلغ التواتر الذي يفيد العلم، وفي كتب الأذكار والدعوات جملة صالحة منها.

بل ورد الإذن في كلِّ رقيةٍ نافعةٍ ليس فيها شرك، ولا ما يؤدِّي إليه.

ففي "صحيح مسلم" عن عوف بن مالكٍ الأشجعيِّ قال: كنَّا نرقي في الجاهليَّة فقلنا: يا رسول الله كيف ترىٰ في ذلك ؟ فقال: «**اعْرِضُوا عليَّ رُقاكُم، لا بأسَ بالرُّقَى ما لم يكن فيه شِركٌ**».

وفي الصحيح أيضًا عن جابرٍ قال: نهىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن الرُّقَىٰ، فجاء آل عمرو بن حزمٍ إلىٰ رسول الله فقالوا: يا رسول الله إنه كانت عندنا رُقيةٌ نرقِي بها مِن العقرب، وإنك نهيتَ عن الرُّقَىٰ، قال:

فعرضوها عليه فقال: «**ماأرى بأسًا، مَن اسْتَطاعَ مِنكم أن يَنْفَعَ أخاه فليَنْفَعْهُ**».

وفي الصحيح أيضًا عن جابرٍ أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال لأسماء بنت عُمَيْسٍ: « **ما لي أرى أجسام بني أخي** -يعني جعفر رضى الله عنه- **ضارِعَةً** -نحيفة-، **تصيبهم الحاجة؟**». قالت: لا ولكن العين تسرع إليهم، قال: «**ارْقِيهِمْ**». قالت: فعرضت عليه فقال: «**ارْقِيهِمْ**». ورواه أحمد بإسنادٍ صحيحٍ.

ولأبي داود من حديث الشِّفاء بنت عبدالله أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال لها: «ألا تُعلِّمين هذه -يعني حفصة- رقية النملة؟». ورواه أحمد من حديث حفصة بإسنادٍ علىٰ شرط الصحيح، والنملة: قروح تخرج في البدن.

وروىٰ الطبرانيُّ بإسنادٍ حسنٍ عن عبادة بن الصامت قال: كنتُ أرقي من حمَّة العين في الجاهلية، فلمَّا أسلمتُ ذكرتها لرسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**اعْرِضْها عليَّ**» فعرضتها عليه فقال: «**ارْقِ بها فلا بأس بها**». ولولا ذلك ما رقيتُ بها إنسانا أبدًا.

وروىٰ الطبرانيُّ في "الأوسط" عن سهل بن أبي حَثْمَةَ، أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم خرج وخرج معه عبدالرحمن بن سهلٍ، فلما كانا بالحَرَّة نَهَشَتْ عبدَالرحمن بن سهلٍ حَيَّةٌ، فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ادْعُوا لي عمرو بن حَزْمٍ**». فدُعِيَ، فعرض رقيته علىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**لا بأس بها، ارْقِهِ**». فوضع ابن حزم يده عليه فقال: يا رسول الله هو يموت -أو قد مات-. فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ارْقِهِ وإن كان قد يَمُوتُ**» أو «**قد مَاتَ**» فرقاه فصح عبدالرحمن وانطلق.

وفي "الموطأ": أنَّ أبا بكرٍ رضي الله عنه دخل على عائشة رضى الله عنها وهي تشتكي ويهوديةٌ ترقيها، فقال أبو بكرٍ: ارْقِها بكتاب الله.

والأحاديث في هذا كثيرةٌ، وهي تفيد القطع بجواز الرُّقَى والتعوُّذ بما ليس فيه شركٌ ولا يؤدِّي إليه، وعليه انعقد إجماع العلماء كما تقدَّم في كلام الحافظ.

أمَّا ما رواه ابن وهبٍ، عن مالكٍ مِن كراهة الرُّقية بالحديدة والملح وعقد الخيط والذي يكتب خاتم سليمان، قال مالكٌ: «ولم يكن ذلك مِن أمر الناس القديم» فهو محمولٌ على ما لم يعرف معناه، أو اشتماله على ما يكره في الشرع كما تقدَّم تفصيل ذلك في كلام الخطابيِّ والقرطبيِّ وابن التين والحافظ، وقد سُئل ابن عبدالسلام عن الحروف المُقطَّعة -أي التي تكتب في الرُّقَى ونحوها- فمنع منها لما لا يُعرَف، لئلا يكون فيه كفرٌ.

وقد أطلت هذا البحث بعض الإطالة ردًّا على هذه الطائفة المُبتدِعة، التي تنكر التعوُّذ والرُّقَى بالقرآن وغيره، وتزعم أنَّ مَن يفعل ذلك يدخل في وعيد الأحاديث الناهية عن الرُّقَى والتمائم التي كان يفعلها المشركون في الجاهليَّة، وهذا الزعم ليس بمُستَغْرَبٍ مِن هذه الطائفة التي دأبت على تحريف النصوص وتشويه الحقائق، واختلاق الأكاذيب لتؤيِّد رأيها الباطل، وتنسب إلى المسلمين ما هم منه براءٌ، عافانا الله من ذلك بمَنِّه، وهو الموفِّق لا ربَّ غيره.

ثُمَّ قال المُتنطِّع: «وأخرج ابن جريرٍ وأصحاب السنن الأربعة: أنَّ رجلًا من اليهود جاء إلى أصحاب النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: إنَّ ما تقولونه حَقٌّ لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمَّدٌ، فأنزل الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا

لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٢]، قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لا تقولوا ما شاءَ اللهُ وشاءَ محمَّدٌ، ولكن قولوا ماشاءَ اللهُ ثُمَّ شاءَ محمَّدٌ**».اهـ

وأقول: لا ينقضي عجبي مِن جرأة هذا المُتنطِّع في الكذب علىٰ الله ورسوله، وعلىٰ العِلْم والعُلماء، ولو كان في عصر ابن معينٍ وأحمد بن حنبلٍ وعلي بن المدينيِّ لأدرجوه في طائفة الكذَّابين الوقحين في الكذب، مثل محمد بن سعيد المصلوب، وجعفر بن نسطور وأضرابهما، فالحديث الذي عزاه إلىٰ ابن جريرٍ وأصحاب السنن الأربعة، لم يروه أحدٌ منهم، ولا وجود له في كتبهم، بل لم يأتِ في شيءٍ من كتب التفسير والحديث أنَّ الآية نزلت بسبب الحادثة المذكورة فيه.

وإليك طرق الحديث وألفاظه؛ لتتيقَّن صحَّة ما ذكرناه:

قال البيهقيُّ في "الأسماء والصفات": أخبرنا أبو عبدالله الحافظ: ثنا عليُّ ابن حَمْشَاذ العدل إملاءً: ثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة: ثنا جندل بن والقٍ: ثنا عبيدالله بن عمر، عن عبدالملك بن عمير، عن رِبْعِيِّ بن حِراشٍ، عن الطُّفَيل بن عبدالله وكان أخا عائشة لأُمِّها، أنه رأىٰ فيما يرىٰ النائم أنه لقي رَهْطًا مِن النصارىٰ فقال: نعم القوم أنتم لولا أنَّكم تزعمون أنَّ المسيح ابن الله، قالوا: أنتم القوم لولا أنكم تقولون ماشاء الله وشاء محمَّدٌ، ثُمَّ لقي رَهْطًا مِن اليهود فقال: أنتم القوم لولا أنكم تزعمون أنَّ عُزَيرًا ابن الله، قالوا: وأنتم قومٌ تقولون ماشاء اللهُ وشاء محمَّدٌ، قال: فأتىٰ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقصَّها عليه فقال: «**حَدَّثْتَ بها أحدًا بعد؟**» فقال: نعم. فحمد الله وأثنىٰ عليه

ثُمَّ قال: «**إنَّ أخاكم قد رأى ما بَلَغَكَمُ، فلا تَقُولوها ولكن قولوا: ما شاءَ اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ**».

تابعه شعبة وحمَّاد بن سلمة، عن عبدالملك بن عمير هكذا، وفي رواية شعبة: «**ولكن قولوا ما شاء اللهُ، ثُمَّ شاء محمَّدٌ**».

وقيل: عن عبدالملك بن عمير، عن جابر بن سَمُرَة. قال البخاريُّ: حديث شعبة أصح مِن حديث ابن عُيَيْنَة».اهـ

ورواه ابن ماجه في "سننه" في أبواب الكفارات، من طريق أبي عوانة، عن عبد الملك ابن عُميرٍ به.

ورواه بن مَرْدُويَه من طريق حمَّاد بن سلمة: ثنا عبدالملك بن عُميرٍ به.

ورواه من طريق آخر عن عبدالملك به نحوه.

ورواه أحمد في "المسند" قال: حدَّثنا بهز وعفَّان قالا: ثنا حمَّاد بن سلمة، عن عبد الملك بن عُميرٍ، عن رِبْعِيِّ بن حِراشٍ، عن طُفَيل بن سخبرة أخي عائشة لأُمِّها، أنه رأىٰ فيما يرىٰ النائم كأنه مَرَّ برهطٍ مِن اليهود فقال: مَن أنتم ؟ قالوا: نحن اليهود، قال: إنكم أنتم القوم لولا أنكم تزعمون أنَّ عُزَيرًا ابن الله، فقالت اليهود: وأنتم القوم لولا أنكم تقولون ماشاء الله وشاء محمَّدٌ.

ثُمَّ مرَّ برهطٍ مِن النصارىٰ فقال: إنكم أنتم القوم لولا أنكم تقولون المسيح ابن الله، قالوا: وأنكم تقولون ماشاء الله وشاء محمَّدٌ.

فلمَّا أصبح أخبر بها مَن أخبر، ثُمَّ أتىٰ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فأخبره، فقال: «**هل أخبرتَ بها أحدًا؟**» قال: نعم، فلمَّا صلُّوا خطبهم فحَمِدَ اللهَ

وأثنىٰ عليه ثُمَّ قال: «إنَّ طُفَيْلًا رأى رُؤيا، فأخبر بها مَن أَخْبَرَ مِنكُم، وإنكم كنتم تقولون كلمةً كان يَمْنَعُني الحياءُ مِنكم أن أنهاكم عنها، لا تقولوا: ماشاءَ اللهُ وشاءَ محمَّدٌ».

قلت: في هذا الحديث دليلٌ علىٰ أنَّ تلك الكلمة ليست بشركٍ، إذ لو كانت كذلك لما استحيىٰ النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أن ينهاهم عنها مِن أوَّل لحظةٍ، فسكوته حياءٌ مع تكرُّرها منهم دليلٌ واضحٌ علىٰ أنها ليست بشِركٍ، وإنما نهاهم عنها آخر الأمر لمخالفتها كمال الأدب مع الله.

ورواه الحاكم من طريق عبيدالله بن عمرٍو، عن عبدالملك بن عُميرٍ، عن رِبْعِيٍّ بن حِراشٍ قال: قال الطُّفَيل بن عبدالله بن أخي عائشة لأُمِّها: أنه رأىٰ فيما يرىٰ النائم... وذكر الحديث نحوه.

ثُمَّ قال: خالفه حمَّاد بن سلمة، عن عبدالملك بن عُميرٍ، ثُمَّ روىٰ من طريق حجَّاج بن مِنهالٍ، عن حمَّاد بن سلمة، عن عبدالمِلك بن عُميرٍ، عن رِبعيٍّ بن حِراشٍ، عن الطُّفَيل بن عبدالله بن سخبرة أخي عائشة لأُمِّها، فذكر الحديث بمثله. قال: وهذا أولىٰ بالمحفوظ من الأوَّل.

قلت: لأن الطفيل أخو عائشة لأُمِّها، لا ابن أخيها كما جاء في سند الحاكم الأوَّل.

ورواه الطحاويُّ في "مشكل الآثار" من طريق مَعْمَرٍ، عن عبدالملك بن عُميرٍ، عن جابر بن سَمُرَة قال: رأىٰ رجلٌ مِن أصحاب النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في النوم قومًا مِن اليهود فأَعْجَبَتْهُ هَيْئَتَهُمْ فقال: إنكم قومٌ لولا أنكم

تقولون عُزَيْرٌ ابن الله، قالوا: وأنتم قومٌ لولا أنكم تقولون: ما شاءَ اللهُ وشاءَ محمَّدٌ، ثُمَّ أنه لقىٰ قومًا من النصارىٰ فأَعْجَبَتْهُ هَيْئَتَهُمْ فقال: إنكم قومٌ لولا أنكم تقولون المسيح ابن الله، قالوا: وإنكم قومٌ لولا أنكم تقولون: ما شاءَ اللهُ وشاءَ محمَّدٌ. فلمَّا أصبح قَصَّ ذلك علىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فقال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أَسْمَعُها منكم فتؤْذيني فلا تقولوا: ماشاءَ اللهُ وشاءَ محمَّدٌ، ولكن قولوا: ماشاءَ اللهُ ثُمَّ شاءَ محمَّدٌ**».

وقال ابن ماجه في "سننه": ثنا هشام بن عمار: ثنا سفيان بن عُيَيْنَة، عن عبدالملك بن عُميرٍ، عن رِبْعِي بن حِراشٍ، عن حذيفة بن اليمان، أنَّ رجلًا من المسلمين رأىٰ في النوم أنه لقي رجلًا مِن أهل الكتاب فقال: نَعْمَ القومُ أنتم لولا أنكم تشركون، تقولون: ماشاء الله وشاء محمَّدٌ، وذكر ذلك للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**أما والله إن كنتُ لأعرفها لكم، قولوا: ماشاء اللهُ ثُمَّ شاءَ محمَّدٌ**».

لم يروِه أحدٌ من الستة غير ابن ماجه، ورواه البيهقيُّ في "الأسماء والصفات" من طريق سفيان بن عُيَيْنَة به، غير أنه قال: «**إني كنتُ لأكرهها لكم، قولوا: ماشاءَ اللهُ ثُمَّ شاءَ فلانٌ**».

ولحذيفة حديثٌ آخر مُختصَرٌ رواه أبو داود في "السنن" قال: ثنا أبو الوليد الطيالسيُّ، ثنا شعبة، عن منصور، عن عبدالله بن يسارٍ، عن حذيفة رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لا تقولوا ماشاءُ اللهُ وشاءَ فلانٌ، ولكن قولوا: ماشاءَ اللهُ ثُمَّ شاءَ فلانٌ**».

ورواه أحمد وابن أبي شيبة والنَّسائيُّ والبيهقيُّ.

وأخرج البيهقيُّ في "الأسماء والصفات" من طريق جعفر بن عون: أنا الأجلح، عن يزيد بن الأصمِّ، عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: جاءَ رَجُلٌ إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يُكَلِّمه في بعض الأمر فقال الرجل لرسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: ماشاءَ اللهُ وشِئْتَ، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أَجَعَلْتَني لله عَدْلًا، بل شاءَ اللهُ وَحْدَهُ**».

ورواه البخاريُّ في "الأدب المفرد"، وابن مَرْدُويَه من طريق سفيان الثوريِّ، عن الأجلح الكِنديِّ به.

ورواه الطحاويُّ مِن طريق شيبان النحويِّ عن الأجلح.

ورواه ابن ماجه من طريق عيسى بن يون: ثنا الأجلح، عن يزيد بن الأصمِّ، عن ابن عبَّاسٍ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا حَلَفَ أَحَدُكُمْ فلا يَقُلْ ماشاءَ اللهُ وشِئْتَ، ولكن ليَقُلْ ما شاءَ اللهُ ثُمَّ شِئْتَ**».

هذا اللفظ هو المحفوظ، وروى أبو يعلى، عن عائشة -فيما يعلم عثمان بن عمر راوي الحديث- أنَّ يهوديًّا رأى في المنام نعم القوم أُمَّة محمَّدٍ، لولا أنهم يقولون ماشاءَ اللهُ وشاءَ محمَّدٌ، فذكر ذلك لرسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**لا تقولوا ماشاءَ اللهُ وشاءَ محمَّدٌ، قولوا ماشاءَ اللهُ وَحْدَهُ**».

وروى ابن سعدٍ والنَّسائيُّ والطبرانيُّ مِن طريق مسعر، عن سعيد بن خالد الجدليِّ، عن عبدالله بن يسار، عن قُتَيْلَة بنت صَيْفي امرأة من جهينة قالت: جاء حَبْرٌ من الأحبار إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: يا محمَّد نِعْمَ القوم

أنتم لولا أنكم تُشركون، قال: «**وكيف؟**». قال: يقول أحدكم لا والكعبة، فقال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنه قد قال -يعني نفسه- فمَن حَلَفَ فليَحْلِفْ برَبِّ الكعبة**». فقال: نِعْمُ القوم أنتم لولا أنكم تجعلون لله أندادًا، قال: «**وكيف ذاك؟**». قال: يقول أحدكم: ماشاءَ اللهُ وشِئْتَ، فقال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنه قد قال: فمَن قال منكم فليَقُلْ ماشاءَ اللهُ ثُمَّ شِئْتَ**». هذا لفظ ابن سعدٍ، وأشار إلىٰ أنَّ قُتيلة ليس لها غير هذا الحديث.

ورواه الطحاويُّ في "مشكل الآثار"، وابن مَنْدَه من طريق المسعوديِّ، عن معبد بن يسارٍ، عن قُتيلَة بنت صَيْفي الجهنيَّة به.

وقُتيلة -بصيغة التصغير- صحابيةٌ، قال ابن عبدالبر الحافظ: «مِن المهاجرات الأُوَل».

فهذا الحديث بجميع طرقه ليس فيه إشارةٌ إلىٰ الآية الكريمة، ولا جاء في شيءٍ من طرقة أنها نزلت بسببه، وأقصىٰ ما ورد في الباب ممَّا له تعلق بالآية، ما رواه ابن أبي حاتم في "تفسيره" قال: حدَّثنا أحمد بن عمر بن أبي عاصم: ثنا أبو عمرٍو: ثنا أبو الضَّحَّاك بن مخلدٍ أبو عاصم: ثنا شبيب بن بشرٍ: ثنا عكرمة، عن ابن عبَّاسٍ في قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ٢٢]، قال: هو الشِّرك أخفىٰ من دبيب النمل علىٰ صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن يقول: والله، وحياتك يافلان، وحياتي، ويقول: لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص البارحة، ولولا البط في الدار لأتىٰ اللصوص، وقول الرجل لصاحبه ماشاء الله وشِئْتَ، وقول الرجل: لولا الله وفلان، هذا كله به شركٌ.

هذا رأي ابن عبَّاسٍ في تفسير الآية، لكنه لم يقل إنها نزلت بسبب قول الرجل ماشاء الله وشئتَ، ولا قال ذلك أحدٌ مِن الصحابة والتابعين، لا بإسنادٍ صحيحٍ، ولا بإسنادٍ ضعيفٍ، وبذلك تعلم مقدار أمانة المُتنطِّع وحرصه على الصدق، تاب الله عليه وهداه.

تنبيه: قال الطحاويُّ في "مشكل الآثار" بعد أن روى أحاديث حذيفة، وابن عبَّاسٍ، وجابر بن سَمُرة، وقُتيلة بنت صَيْفي على نحو ما سبق ما لفظه: «فكان ما روينا في هذا الباب عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نهيه أُمَّته أن يقولوا ماشاءَ اللهُ وشِئْتَ، وأمره إياهم أن يقولوا: ماشاء الله ثُمَّ شِئْتَ، قال قائلٌ: فإن في كتاب الله ما قد دلَّ على إباحة هذا المحظور في هذه الأحاديث، ثُمَّ ذكر قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤] ولم يقل ثُمَّ لوالديك، فكان جوابنا: أنَّ هذا مما كان مباحًا قبل نهي رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن مثله في هذه الأحاديث، ثُمَّ نهى عما نهى عنه في هذه الأحاديث فكان ذلك نَسْخًا لما كان مُباحًا مما تلوته قبل ذلك، ومذهبنا أنَّ السُّنَّة قد تنسخ القرآن؛ لأن كلَّ واحدٍ منهما مِن عندالله، ينسخ ما شاءَ منهما بما شاء منهم، ولأنَّا قد وجدنا كتاب الله دلَّنا على ذلك، ثُمَّ ذكر قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ﴾ [النساء: ١٥] الآية، مع قول رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعد ذلك: «**قد جعل اللهُ لهنَّ سَبيلًا، البِكْرُ بالبِكْرِ جلد مائة وتغريب عامٍ، والثيِّبُ بالثيِّب جلد مائة والرَّجْمُ**».

ثُمَّ قال: أفلا ترى أنَّ الله قال في اللاتي يأتين الفاحشة ما قال، ثُمَّ قال: أو

يجعل الله لهنَّ سبيلًا، ثُمَّ جعل لهنَّ سبيلًا فيها حدًّا يخالف الحدَّ المذكور في الآية فدل ذلك أنَّ السُّنَّة قد تنسخ القرآن، كما ينسخ القرآن القرآن».اهـ كلامه

ويؤخذ منه أمران:

الأول: نسخ مادلَّ عليه قوله تعالىٰ: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ من جواز العطف بالواو في مثل هذا مما تختص حقيقته بالله بالأحاديث الناهية عن قول الرجل: ماشاء الله وشئتَ. ويظهر لي أنه لا حاجة إلىٰ ادِّعاء النسخ لأن تلك الأحاديث فيها كما قال الخطابي وغيره إرشاد إلىٰ استعمال الأدب؛ لأن العطف بالواو يقتضي الجمع والتشريك، بخلاف ثُمَّ فإنها للترتيب والتراخي، فأرشدت الأحاديث إلىٰ اجتناب ما يوهم التسويه تنزيهًا لمقام الألوهية، وهذا الإيهام منتفٍ في الآية لأنها جاءت في سياق الحضِّ علىٰ طاعة الوالدين وتقدير حقِّهما، وشكرهما علىٰ ما بذلا من عنايةٍ بالغةٍ، وذلك يبعد إيهام تسويتهما مع الله في الشكر كما هو ظاهرٌ. ويجوز أن يقال: إنَّ الأحاديث بنهيها عن قول الرجل ما شاء الله وشئت صحَّحت موقف العبد مِن ربِّه، وبيَّنت ما ينبغي أن يسلكه من الأدب مع خالقه، ولكن الله تعالىٰ له أن يقول ما شاء ويفعل ما يشاء، وهذا كما صحَّ النهي عن الإقسام بغير الله مع ورود الإقسام بكثيرٍ من المخلوقات في كثيرٍ من الآيات، وعلىٰ هذا فلا تعارض والله أعلم.

الثاني: جواز نسخ القرآن بالسُّنَّة، وهي مسألةٌ عظيمةٌ مِن مسائل علم أصول الفقه، اختلفت فيها أنظار العلماء، وتجاذبت آراؤهم، فمنهم من أجاز ومنهم من منع، ثُمَّ المانعون اختلفوا هل المنع عقليٌّ أو شرعيٌّ فقط، وجلب

نصوصهم واستدلالاتهم يطول ويمل، ويكفي أن تعلم أنَّ الحقَّ جواز نسخ القرآن بالسُّنَّة الصحيحة؛ لأن العقل يجيز ذلك ولا يمنعه، ولأن السُّنَّة شرعٌ مِن الله كالقرآن، وطاعة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في كلِّ ما أتى به فرضٌ بلا نزاع، وما قيل مِن أنَّ القرآن قطعيٌّ والسُّنَّة فيها الظنيُّ وهو خبر الآحاد الخالي عن القرائن، ولا يكون الظنيُّ ناسخًا، فجوابه أنَّ الناسخ من الحديث إنما ينسخ من الآية دوام حكمها واستمراره، وهو ظنيٌّ، وإن كان متن الآية قطعيًّا، فاختلفت الجهة وانحل الإشكال، والحمد لله على كلِّ حال.

ثُمَّ قال المُتنطِّع: «وروى أصحاب السُّنن أنَّ أصحاب النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مروا بشجرةٍ قد علَّق بها المشركون شَيْئًا مِن الخِرَقِ والمسامير فقالوا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواطٍ كما لهم ذات أنواطٍ، أي: اجعل لنا شجرةً نتقرَّب بها إلى الله كالمشركين، والأنواط هي التعاليق فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: أتقولون كما قال قوم موسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]».اهـ

وأقول: عزوه الحديث إلى أصحاب السنن كذبٌ، إذ لم يروه منهم إلَّا النَّسائيُّ.

وقوله: «قد علَّق بها المشركون شيئًا مِن الخِرَق والمسامير» كذبٌ ثانٍ.

وقوله: «أي: اجعل لنا شجرة نتقرَّب بها إلى الله كالمشركين» كذبٌ ثالثٌ.

وبيان ذلك: أنَّ الحديث رواه ابن جريرٍ من طريق محمد بن إسحاق ومَعْمَرٍ وعقيل، كلهم عن الزهريِّ، عن سنان ابن أبي سنان، عن أبي واقد الليثيِّ: أنهم

خرجوا مِن مكَّة مع رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إلىٰ حُنَينٍ قال: وكان للكفَّار سِدرة يعكفون عندها، ويُعَلِّقون بها أسلحتهم يقال لها: ذات أنواطٍ، قال: فمررنا بسِدْرة خضراء عظيمة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواطٍ كما لهم ذات أنواطٍ، فقال: «**قلتم والذي نَفْسي بيده كما قال قومُ موسى لموسى:** ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨ - ١٣٩]».

وقال أحمد: حدَّثنا عبدالرزَّاق: ثنا مَعْمَرٌ، عن الزهريِّ، عن سنان بن أبي سنان الديليِّ، عن أبي واقد الليثيِّ قال: خرجنا مع رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قِبَلَ حُنَينٍ فمررنا بسِدْرةٍ فقلت: يا نبيَّ الله اجعل لنا ذاتَ أنواطٍ كما للكفار ذاتُ أنواطٍ، وكان الكفار ينوطون سلاحهم بسِدْرةٍ ويعكفون حولها، فقال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**اللهُ أكبرُ، هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾، إنكم تتبِّعونَ سَنَنَ مَن قَبْلَكُمْ**».

ورواه ابن جريرٍ، وابن أبي شيبة، والنَّسائيُّ، وابن أبي حاتمٍ.

وروىٰ ابن أبي حاتمٍ والطبرانيُّ وابن مَرْدُويَه من طريق كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف المزنيِّ، عن أبيه، عن جدِّه عمرو قال: غزونا مع رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عام الفتح ونحن ألفٌ ونيِّفٌ، فتح الله مكة وحُنينًا حتىٰ إذا كنا بين حُنينٍ والطائف أبصرَ شجرةً كان يُناط بها السلاح فسمِّيت ذاتَ أنواطٍ، فلما رآها رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم انصرف عنها في يومٍ صائفٍ إلىٰ ظلٍّ هو أدنىٰ منها، فقال رجلٌ: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواطٍ كما لهؤلاء

ذات أنواطٍ، فقال له رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: « إنَّها السُّنَنُ، قُلتم والذي نَفْسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾، ﴿قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٠]

فوضح مِن ألفاظ الحديث وطرقه التي أوردناها كذب المُتنطِّع فيما قال، فعليه ما علىٰ الكاذب جزاءً وِفاقًا.

ثُمَّ قال المُتنطِّع: «بعد بيان هذا الأصل العظيم ننقل هنا كلام المُفسِّرين من السَّلَف عن لفظ الوسيلة فقد روىٰ ابن جريرٍ بخمسة أسانيد إلىٰ قتادة وأبي وائل شقيق بن سلمة أنَّ المراد بـ«الوسيلة» في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥] إنما هو الإيمان والعمل الصالح وهو تفسير ابن عبَّاسٍ في هذه الآية».اهـ

وأقول: كذب في قوله: «روىٰ ابن جريرٍ بخمسة أسانيد إلىٰ قتادة وأبي وائل»، فإن ابن جريرٍ روىٰ عنهما قولهما بإسنادين ليس غير، ثُمَّ إنهما فسَّرا الوسيلة بالقربىٰ ولم يزيدا عليها شيئًا مما نقله المُتنطِّع عنهما زاعمًا أنَّ ابن جريرٍ رواه عنهما بخمسة أسانيد، وكذلك كذب في قوله: «وهو تفسير ابن عبَّاسٍ في هذه الآية»، بل فسَّرها ابن عبَّاسٍ بالحاجة كما سبق، فما أكثر كذبه في العزو وتحريفه للنقول؟!.

ثُمَّ نقل المُتنطِّع تفسير الآية عن ابن جريرٍ لكنه لم يذكر لفظه بل ذكر ألفاظ من عنده نسبها إلىٰ ابن جريرٍ كذبًا، ولم يُبيِّن أنها منقولةٌ بالمعنىٰ فلا أدري كيف يفهم المُتنطِّع الأمانة الواجبة في نقل كلام العلماء، ولعله أخذ إذنًا من ابن جريرٍ

وغيره في رؤيا مناميَّةٍ أن يتصرَّف في كلامهم كيف شاء، من غير أن يكون عليه في ذلك إثمٌ ولا حرجٌ، قاتله الله ما أشد جراءته ووقاحته.

ثُمَّ ذكر المُتنطِّع طائفةً مِن توسُّل الأنبياء فذكر قول الله تعالىٰ ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ ﴾ [الأنبياء: ٨٧] الآية ثُمَّ قال في تفسيرها «أي واذكر صاحب الحوت إذ ذهب مغاضبًا قومَه لعدم إيمانهم به فظنَّ أن لن نضيِّق عليه وركب سفينةً فخرجت القرعة عليه ليذبحوه ويأكلوه فرمَىٰ بنفسه إلىٰ البحر فالتقمه الحوت».اهـ

وأقول: كذب في قوله: «فخرجت القرعة عليه ليذبحوه ويأكلوه»، وما أبرعه في اختلاق الكذب!! لا يجد فيه كلفة ولا يشعر بعارٍ يلحقه من أجله، فكتابه علىٰ صغره سلسلة من الأكاذيب آخذ بعضها بحجزة بعضٍ، كأنه يحدِّث عن سيرة عنترة أو ينقل من سيرة رأس الغول!!!

لقد كان من الميسور عليه -لو كان يعرف صدق القول ويحب تحقيق البحث العلمي- أن يرجع إلىٰ كتب التفسير وكتب التاريخ وقصص الأنبياء فيعرف منها قصة مساهمة يونس عليه السلام علىٰ حقيقتها.

وحاصلها علىٰ ما رواه السُّدِّيُّ في "تفسيره" بأسانيده عن ابن مسعودٍ وغيره أنَّ الله بعث يونس إلىٰ أهل نينوىٰ وهي من أرض الموصل فكذَّبوه فوعدهم بنزول العذاب في وقت مُعيَّنٍ، وخرج عنها مغاضبًا لهم، فلمَّا رأوا أثار ذلك خضعوا وتضرَّعوا وآمنوا، فرحمهم الله فكشف عنهم العذاب، فذهب يونس فركب سفينةً فلججت به فاقترعوا فيمن يطرحونه منهم فوقعت القرعة

عليه ثلاثًا فالتقمه الحوت.

وروىٰ ابن أبي حاتمٍ بإسنادٍ صحيحٍ كما قال الحافظ من طريق عمر بن ميمون عن ابن مسعودٍ نحو ذلك، وفيه: وأصبح يونس فأشرف علىٰ القرية فلم يرَ العذاب وقع عليهم وكان في شريعتهم من كذب قُتل، فانطلق مغاضِبًا حتىٰ ركب سفينةً. وقال فيه: فقال لهم يونس إنَّ معهم عبدًا آبقًا من ربِّه وإنها لا تسير حتىٰ تلقوه فقالوا: لا نلقيك يا نبيَّ الله أبدًا قال فاقترعوا فخرج عليه ثلاث مرات فألقوه فالتقمه الحوت، فبلغ به قرار الأرض فسمع تسبيح الحصىٰ ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] الآية.

وهكذا جاء في كتب التفسير وغيرها فلا حاجة إلىٰ الإطالة بذكر النقول لأن تكذيب المُتنطِّع وبيان جهله حاصلٌ بما ذكرناه والله الموفِّق لا ربَّ غيره.

ثُمَّ قال المُتنطِّع: «التوسُّل مِن السُّنَّة»، وذكر أربعة أحاديث من الأدعية المأثورة.

وأقول: مِن التوسُّل الوارد في السُّنَّة حديث سؤال الضرير وغيره من الأحاديث التي تقدَّم ذكرها في الباب الثاني، فإنَّ بعضها صحيحٌ وبعضها حسنٌ وبعضها ضعيفٌ، والتوسُّل بها مَسْتَحَبٌّ كالتوسُّل بسائر الأدعية المأثورة، والتفريق بينها تحكم لا داعي إليه إلَّا التعصُّب والهوىٰ نسأل الله العفو والعافية.

ثُمَّ قال المُتنطِّع: «وقد أنصف الآلوسيُّ في تفسير (سورة المائدة) في الكلام علىٰ الوسيلة وحكىٰ فيها الحقَّ، وأنه لا يجوز التوسُّل بمخلوقٍ من المخلوقين

إلَّا أنه توقَّف في جواز التوسُّل به صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم تابعًا للعزِّ بن عبدالسلام مِن أئمَّة الشافعية نظرًا لحديث الترمذيِّ عن عثمان بن حنيفٍ، وقد تقدَّم الكلام عليه مستوفيًا فلا معنىٰ لهذا التوقُّف، ولا سيما بعد تصريح إمامه أبي حنيفة رحمه الله بعدم جواز ذلك كما مرَّ».اهـ

وأقول: في كلامه أمورٌ:

الأول: أنَّ الآلوسي لم يتوقَّف في التوسُّل بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بل صرَّح بجوازه كما سيأتي في كلامه.

الثاني: أنَّ العزَّ بن عبدالسلام لم يتوقَّف في التوسُّل بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ولا تكلَّم عليه، وإنما سُئل عن الإقسام علىٰ الله بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فأجازه علىٰ أنه مِن خصوصِيَّاته، وقد نقلت عبارته بلفظها فيما تقدَّم أثناء مناقشة ابن تيمية وبيَّنتُ أنه أخطأ في نقل كلام ابن عبدالسلام، ولعله خطأ مقصودٌ، فقد تبيَّن لي أنَّ ابن تيمية غير مأمونٍ في النقل عن العلماء.

الثالث: أنَّ أبا حنيفة لم يُصرِّح بعدم جواز التوسُّل بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ولا بغيره كما تقدَّم بيان ذلك مُفصَّلًا.

وإذا قد بينَّا ما في عبارة المُتنطِّع مِن أكاذيب متوالية فلنذكر عبارة الآلوسيِّ علىٰ حقيقتها، فإنه بعد أن تكلَّم عن الوسيلة ونقل كلام العز بن عبدالسلام في الإقسام وكلام ابن تيمية في منع التوسُّل وأطال في تقريره بما لا يخلو بعضه عن عن مناقشةٍ، وأشار إلىٰ ردِّ التقي السبكيِّ علىٰ ابن تيمية قال ما نصُّه: «وبعد هذا كله أنا لا أرىٰ بأسا في التوسُّل إلىٰ الله تعالىٰ بجاه النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله

وسلَّم عند الله حَيًّا وميتًا، ويراد من الجاه معنىٰ يرجع إلىٰ صفة من صفاته تعالىٰ، مثل أن يراد به المحبة التامة المستدعية عدم ردِّه، وقبول شفاعته، فيكون معنىٰ قول القائل إلهي أتوسَّل بجاه نبيِّك صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أن تقضي لي حاجتي: إلهي أجعل محبتك له وسيلة في قضاء حاجتي، ولا فرق بين هذا وبين قولك إلهي أتوسَّل برحمتك أن تفعل كذا إذ معناه أيضًا إلهي أجعل رحمتك وسيلةً في فعل كذا، بل لا أرىٰ بأسًا أيضًا بالإقسام علىٰ الله تعالىٰ بجاهه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بهذا المعنىٰ، والكلام في الحرمة -مثل أسألك بحرمة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم- كالكلام في الجاه، ولا يجري ذلك في التوسُّل والإقسام بالذات البحت، نعم لم يعهد التوسُّل بالجاه والحرمة عن أحدٍ من الصحابة رضي الله عنهم، لعل ذلك كان تحاشيًا منهم عما يخشىٰ أن يعلق منه في أذهان الناس إذا ذاك وهم قريبو عهد بالتوسُّل بالأصنام شيءٌ، ثُمَّ اقتدىٰ بهم من خلفهم من الأئمَّة الطاهرين، وقد ترك رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم هدم الكعبة وتأسيسها علىٰ قواعد إبراهيم لكون القوم قريبي عهد بكفرٍ كما ثبت ذلك في الصحيح، وهذا الذي ذكرته إنما هو لدفع الحرج عن الناس والفِرار من تضليلهم كما يزعمه البعض في التوسُّل بجاه عريض الجاه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، ولا للميل إلىٰ أنَّ الدعاء كذلك أفضل من استعمال الأدعية المأثورة التي جاء بها الكتاب وصدحت بها ألسنة السُّنَّة، فإنه لا يستريب منصفٌ في أنَّ ما علَّمه الله ورسوله ودرج عليه الصحابه الكرام وتلقَّاه مَن بعدهم بالقبول أفضل وأجمع وأنفع وأسلم، فقد قيل ما قيل إن حقًّا وإن كذبًا

بقي ههنا أمران:

الأول: أنَّ التوسل بجاه غير النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لا بأس به أيضًا إن كان المتوسل بجاهه مما علم أنه له جاهًا عند الله تعالى كالمقطوع بصلاحه وولايته، وأمَّا مَن لا قطع في حقِّه بذلك فلا يتوسَّل بجاهه لما فيه من الحكم الضمنيِّ على الله تعالى بما لم يُعلَم تحقُّقه منه عزَّ شأنه، وفي ذلك جرأةٌ عظيمةٌ على الله تعالى.

الثاني: أنَّ الناس قد أكثروا مِن دعاء غير الله تعالى من الأولياء الأحياء منهم والأموات، مثل يا سيِّدي فلان أغثني، وليس ذلك من التوسُّل المباح في شيءٍ واللائق بحال المؤمن عدم التفوُّه بذلك ولا يحوم حول حماه، وقد عدَّه أناسٌ من العلماء شركًا، وإن لا يكنه فهو قريبٌ منه، ولا أرى أحدًا ممن يقول ذلك إلَّا وهو يعتقد أنَّ المدعو الحي الغائب أو الميت المغيب يعلم أو يسمع النداء ويقدر بالذات أو بالغير على جلب الخير ودفع الأذى وإلَّا لما دعاه ولا فتح فاه، وفي ذلكم بلاءٌ مِن ربِّكم عظيمٌ، فالحزم التجنُّب عن ذلك وعدم الطلب إلَّا مِن الله تعالى القويِّ الغنيِّ الفعَّال لما يُريد».اهـ

وهو ينادي بتكذيب المُتنطِّع وفضيحته كما لا يخفى، هذا وقد ورد في التوسُّل بالحرمة حديثٌ ضعيفٌ لا بأس أن نذكره لتمام الفائدة.

قال السمرقنديُّ: حدَّثنا أبي: ثنا محمد بن موسى: ثنا سلمة بن شبيب: ثنا إبراهيم بن يسارٍ، عن زرعة بن أيوب، عن جُويبرٍ، عن الضَّحَّاك، عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مَرَّ برجلٍ متعلِّقٍ بأستار

الكعبة وهو يقول: أسألُكَ بحرمة هذا البيت أن تغفرَ لي. فقال له رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يا عبدالله سَلْ بحُرْمَتِكَ؛ فإنَّ حُرْمَةَ المؤمِنِ أعظمُ عند الله مِن حُرْمَةِ هذا البيتِ..**» الحديث. وهو ضعيفٌ، لكن ورد ما يؤيِّده في حُرمَة المؤمِن.

فروى ابن ماجه عن عبدالله بن عمر قال رأيتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يطوف بالكعبة ويقول: «**ما أَطْيَبَكِ وأَطْيَبَ رِيحَكِ، ما أَعْظَمَكِ وأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ، والذي نَفْسُ محمَّدٍ بيَدِهِ، لَـحُرْمَةُ المؤمنِ أَعْظَمُ عند الله حُرْمَةً مِنكِ، مَالِهِ، ودَمِهِ، وأن نَظُنَّ بِهِ إلَّا خيرًا**».

وروى الطبرانيُّ في "الكبير" عن ابن عبَّاسٍ قال نظر رسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى الكعبة فقال: «**لا إلَهَ إلَّا اللهُ ما أَطْيَبَكِ، وأَطْيَبَ رِيحَكِ، وأَعْظَمَ حُرْمَتَكَ، والمؤمنُ أَعْظَمُ حُرْمَةً مِنكِ، إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ جَعَلَكِ حَرَامًا، وحَرَّمَ مِن المؤمنِ مالَهُ ودَمَهُ وعِرْضَهُ، وأنْ نَظُنَّ به ظَنًّا سَيِّـئًا**».

وللحديث طرقٌ ذكرتها في تعليقاتي على كتاب "تأييد الحقيقة العلية" للحافظ السيوطيِّ وهو مطبوعٌ.

وسُئل الشوكانيُّ عن التوسُّل بالأموات المشهورين بالفضل وكذلك الأحياء والاستغاثة بهم ومناجاتهم عند الحاجة من نحو: على الله وعليك يا فلان، وأنا بالله وبك، وما يشابه ذلك؟ وتعظيم قبورهم واعتقاد أنَّ لهم قدرةً على قضاء حوائج المحتاجين وإنجاح طلبات السائلين؟ وما حكم من فعل شيئًا من ذلك؟ وهل يجوز قصد قبور الصالحين لتأدية الزيارة ودعاء الله عندها

من غير استغاثةٍ بهم بل بالتوسُّل بهم فقط؟

فأجاب برسالة سماها "الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد" بيَّن فيها معنى الاستغاثة والتشفع والتوسُّل، وذكر أنَّ الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه جائزةٌ، وفيما لا يقدر عليه ممنوعةٌ بلا خلاف، ومثلها الاستعانة جوازًا ومنعًا، وأنَّ التشفع ثابتٌ لنبيِّنا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالتواتر، ثُمَّ قال ما نصُّه: «وأمَّا التوسُّل إلى الله سبحانه بأحدٍ مِن خَلْقِهِ في مطلبٍ يطلبه العبد مِن ربِّه فقد قال الشَّيخ عزُّ الدين بن عبدالسلام إنه لا يجوز التوسُّل إلى الله تعالى إلا بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إن صحَّ الحديث فيه، ولعله يشير إلى الحديث الذي رواه النَّسائيُّ في "سننه"، والترمذيُّ وصحَّحه، وابن ماجه وغيرهم: أنَّ أعمى أتى إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال يا رسول الله إني أُصِبْتُ في بصري فادعُ الله لي. فقال له النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**توضَّأ وصَلِّ ركعتين ثُمَّ قل: اللهمَّ إنِّي أسألُكَ وأتوجَّهُ إليك بنبيِّك محمَّدٍ، يا محمَّدُ إنِّي أستشفع بك في رَدِّ بصري، اللهمَّ شَفِّعْهُ فيَّ**» وقال: «**فإن كان لك حاجةٌ فمثل ذلك**» فردَّ اللهُ بصره، وللناس في معنى هذا قولان:

أحدهما: أنَّ التوسُّل هو الذي ذكره عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما قال: «كنَّا إذا اجدبنا نتوسَّل إليك بنبيِّنا فتسقينا وإنا نتوسَّل إليك بعمِّ نبيِّنا» وهو في "صحيح البخاري" وغيره، فقد ذكر رضي الله عنه أنهم كانوا يتوسَّلون بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في حياته في الاستقاء، ثُمَّ توسَّلوا بعمِّه العباس بعد موته، وتوسُّلهم هو استسقاؤهم بحيث يدعون معه فيكون هو وسيلتهم إلى الله تعالى، والنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان في مثل هذا شافعًا وداعيًا لهم.

والقول الثاني: أنَّ التوسُّل به صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يكون في حياته وبعد موته وفي حضرته ومغيبه، ولا يخفاك أنه قد ثبت التوسُّل به صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في حياته وثبت التوسُّل بغيره بعد موته بإجماع الصحابة إجماعًا سكوتيًّا؛ لعدم إنكار أحدٍ منهم علىٰ عمر رضي الله عنهم في التوسُّل بالعباس رضي الله عنه، وعندي أنه لاوجه لتخصيص جواز التوسُّل بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كما زعمه الشَّيخ عز الدين بن عبد السلام لأمرين:

الأول: ما عرَّفناك به من إجماع الصحابة رضي الله عنهم.

والثاني: أنَّ التوسُّل إلىٰ الله بأهل الفضل والعلم هو في التحقيق توسُّلٌ بأعمالهم الصالحة ومزاياهم الفاضلة، إذ لا يكون الفاضل فاضلًا إلَّا بأعماله، فإذا قال القائل: إنِّي أتوسَّل إليك بالعالم الفلاني. فهو باعتبار ما قام به من العِلْم، وقد ثبت في "الصحيحين" وغيرهما أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حكىٰ عن الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة، أنَّ كلَّ واحدٍ منهم توسَّل إلىٰ الله بأعظم عملٍ عمله فارتفعت الصخرة، فلو كان التوسُّل بالأعمال الفاضلة غير جائزٍ أو كان شِرْكًا كما يزعم المتشدِّدون في هذا الباب كابن عبدالسلام[1] ومن قال بقوله لم تحصل الإجابة من الله لهم، ولا سكت النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن إنكار ما فعلوه بعد حكايته عنهم، وبهذا تعلم أن ما يورده المانعون من التوسُّل إلىٰ الله بالأنبياء والصلحاء مِن نحو قوله تعالىٰ:

---

(١) ابن عبدالسلام لم يتشدَّد، والعذر للشوكانيِّ أنه لم يقف علىٰ كلامه إلَّا بواسطة ابن تيمية الذي حوَّره لغرضٍ في نفسه.

﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] ونحو قوله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨] وقوله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾ [الرعد: ١٤] ليس بواردٍ بل هو من الاستدلال على محل النزاع بما هو أجنبيٌّ عنه، فإنَّ قولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ مُصَرِّحٌ بأنهم عبدوهم لذلك، والمتوسِّل بالعالِم مثلًا لم يعبده، بل علم أنَّ له مزيَّةً عند الله بحمله العلم فتوسَّل به لذلك، وكذلك قوله تعالى ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ فإنه نهي عن أن يدعى مع الله غيره، كأن يقول: «يالله ويالفلان»، والمتوسِّل بالعالِم مثلًا لم يدع إلَّا الله وإنما وقع منه التوسُّل إليه بعملٍ صالحٍ عمله بعض عباده، كما توسَّل الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة بصالح أعمالهم، وكذلك قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ [الرعد: ١٤] الآية فإنَّ هؤلاء دعوا مَن لا يستجيب لهم ولم يدعوا ربهم الذي يستجيب لهم، والمتوسِّل بالعالِم مثلًا لم يدعُ إلَّا الله، ولم يدع غيره دونه ولا دعا غيره معه، فإذا عرفت هذا، لم يخف عليك ما يورده المانعون للتوسُّل من الأدلة الخارجة عن محلِّ النزاع خروجًا زائدًا على ما ذكرنا كاستدلالهم بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٨ - ١٩]

فإنَّ هذه الآية الشريفة ليس فيها إلا أنه المنفرد بالأمر في يوم الدِّين، وأنه ليس لغيره من الأمر شيءٌ، والمتوسِّل بنبيٍّ أو عالِمٍ هو لا يعتقد أنَّ لمن توسَّل به مشاركة لله جلَّ جلاله في أمر يوم الدِّين، ومن اعتقد هذا لعبدٍ مِن العباد سواء

أكان نبيًّا أو غير نبيٍّ فهو في ضلال مبينٍ، وهكذا الاستدلال على منع التوسُّل بقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٨] ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ﴾ [الأعراف: ١٨٨]

فإن هاتين الآيتين مُصرِّحتان بأنه ليس لرسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من أمر الله شيءٌ، وأنه لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا فكيف يملك لغيره وليس فيهما منع التوسُّل به أو بغيره من الأنبياء والأولياء أو العلماء، وقد جعل الله لرسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم المقام المحمود مقام الشفاعة العُظمَى، وأرشد الخلق إلى أن يسألوه ذلك ويطلبون منه وقال له: «**سَلْ تُعْطَ واشْفَعْ تُشَفَّعْ**» وقيَّد ذلك في كتابه العزيز بأنَّ الشفاعة لا تكون إلَّا بإذنه ولا تكون إلَّا لمن ارتضى، وهكذا الاستدلال على منع التوسُّل بقوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لما نزل قوله تعالى ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] «يا فلان ابن فلان لا أَمْلِكُ لكَ مِن الله شيئًا، يا فلانة بنت فلان لا أَمْلِكُ لَكِ مِن الله شيئًا» فإنَّ هذا ليس فيه إلَّا التصريح بأنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لا يستطيع نفع مَن أراد الله تعالى ضرَّه ولا ضرَّ مَن أراد الله نفعه، وأنه لا يملك لأحدٍ من قرابته فضلًا عن غيرهم شيئًا مِن الله، وهذا معلومٌ لكلِّ مسلمٍ، وليس فيه أنه لا يتوسَّل به إلى الله، فإن ذلك هو طلب الأمر ممن له الأمر والنهي، وإنما أراد الطالب أن يقدِّم بين يدي طلبه ما يكون سببًا للاجابة ممن هو المنفرد بالعطاء والمنع وهو مالك يوم الدِّين[1]، وإذا علمت هذا فاعلم أنَّ الرَّزِيَّة كل الرَّزِيَّة

---

(١) تأمَّل كلام الشوكانيِّ تجده يهدم جميع استدلالات المُتنطِّع من أساسها.

والبَلِيَّة كل البَلِيَّة أمرٌ غير ما ذكرنا من التوسُّل المجرَّد، والتشفُّع بمَن له الشفاعة، وذلك ما صار يعتقده كثيرٌ مِن العوامِّ وبعض الخواصِّ في أهل القبور وفي المعروفين بالصلاح من الأحياء، من أنهم يقدرون على ما لا يقدر عليه إلَّا الله جلَّ جلاله، ويفعلون ما لا يفعله إلَّا الله عزَّ وجلَّ، حتى نطقت ألسنتهم بما انطوت عليه قلوبهم فصاروا يدعونهم تارة مع الله، وتارة استقلالًا، ويصرِّحون بأسمائهم ويعظِّمونهم تعظيم من يملك الضر والنفع، ويخضعون لهم خُضُوعًا زائدًا على خضوعهم عند وقوفهم بين يدي ربِّهم في الصلاة والدعاء، وهذا إذا لم يكن شِرْكًا فلا ندري ما هو الشِّرك، وإذا لم يكن كفرًا فليس في الدنيا كفرٌ، وها نحن أولاء نقصُّ عليك أدلة في كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فيها المنع ممَّا هو دون هذا بمراحل ،وفي بعضها التصريح بأنه شركٌ وهو بالنسبة إلى هذا الذي ذكرناه يسيرٌ حقيرٌ، ثُمَّ بعد ذلك نعود إلى الكلام على مسألة السؤال».

ثُمَّ أورد أحاديث في النهي عن الرُّقَى والتمائم وعن قول الرجل: ما شاء الله وشئتَ، وعن الحلف بغير الله، وعن بناء المساجد على القبور، وعن الذبح لغير الله، وعن السِّحْر، وعن إتيان الكاهن والعرَّاف، وعن أشياء من هذا القبيل أطلق الشارع عليها أنها شركٌ.

ثُمَّ قال: «اعلم أنَّ الله لم يبعث رسله ولم ينزل كتبه لتعريف خَلْقِهِ بأنه الخالق لهم والرَّازق لهم ونحو ذلك، فإنَّ هذا يُقِرُّ به كلُّ مشركٍ قبل بعثة الرسل ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]».

وذكر جملة آيات تسجل على المشركين اعترافهم بأنَّ الخالق والرَّزاق

والمحيي والمميت هو الله، ثُمَّ قال: «وإذا تقرَّر هذا فلا شك أنَّ مَن اعتقد في ميتٍ مِن الأموات أو حيٍّ من الأحياء أنه يضره أو ينفعه إمَّا استقلالًا أو مع الله تعالىٰ أو ناداه أو توجَّه إليه أو استغاث به في أمرٍ من الأمور التي لا يقدر عليها المخلوق فلم يخلص التوحيد لله، ولا أفرده بالعبادة، إذ الدعاء بطلب وصول الخير إليه ودفع الضر عنه هو نوعٌ من أنواع العبادة، ولا فرق بين أن يكون هذا المدعو من دون الله أو معه حَجَرًا أو شَجَرًا أو مَلَكًا أو شَيْطانًا، كما كان يفعل ذلك أهل الجاهليَّة، وبين أن يكون إنسانًا من الأحياء أو الأموات كما يفعله الآن كثيرٌ من المسلمين، وكلُّ عالمٍ يعلم هذا ويقرُّ به فإنَّ العِلَّة واحدة وعبادة غير الله تعالىٰ وتشريك غيره معه يكون للحيوان كما يكون للجماد، وللحي كما يكون للميت»، وأطال في بيان هذا المعنىٰ وتقريره وأن تسميتة هذا العمل توسُّلًا أو تشفعًا لا يخرجه عن حقيقته؛ لأن العبرة بالمسمَّىٰ لا بالاسم.

ونقل كلام العلامة محمد بن إسماعيل الأمير اليمني في أنَّ هذا من الكفر العمليِّ لا الاعتقادي، وأنه كحديث كفر تارك الصلاة، وكفر إتيان المرأة في دبرها، والحائض في فرجها... إلىٰ أشباه ذلك، وناقشه فيما أبداه مبديًا الفرق بين الموضوعين، ثُمَّ قال: «واعلم أنَّ السائل -كثر الله فوائده- ذكر في جملة ما سأل عنه أنه لو قصد الإنسان قبر رجلٍ من المسلمين مشهورٌ بالصلاح ووقف لديه وأدىٰ الزيارة وسأل الله بأسمائه الحسنىٰ وبما لهذا الميت من المنزلة هل تكون هذه البدعة عبادةً لهذا الميت؟ ويصدق عليه أنه قد دعا غير الله وأنه قد عبد غير الرحمن وسلب عنه اسم الإيمان؟ أو يكون فاعلًا معصية كبيرة أو مكروهًا؟

وأقول: قد قدَّمنا في أوائل هذا الجواب أنه لا بأس بالتوسُّل بنبيٍّ أو وليٍّ أو

عالمٍ، وأوضحنا ذلك بما لا مزيد عليه فهذا الذي جاء إلى القبر زائرًا ودعا الله وحده وتوسَّل بذلك الميت، كأن يقول: اللهمَّ إنِّي أسألك أن تشفيني مِن كذا وأتوسَّل إليك بما لهذا العبد الصالح من العبادة لك والمجاهدة فيك والتعلُّم والتعليم خالصًا لك فهذا لا تردُّد في جوازه، لكن لأي معنى قام يمشي إلى القبر؟ فإن كان لمحض الزيارة ولم يعزم على الدعاء والتوسُّل إلَّا بعد تجريد القصد إلى الزيارة فهذا ليس بممنوعٍ، فإنه إنما جاء ليزور وقد أذن لنا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في زيارة القبور،..».

وذكر الأحاديث الواردة في ذلك ثُمَّ قال: «فلم يفعل هذا الزائر إلَّا ما هو مشروعٌ، لكن بشرط ألَّا يشد راحلته ولا يعزم على سفرٍ ولا يرحل كما ورد تقييد الإذن بالزيارة للقبور بحديث «**لا تشدُّ الرِّحَال إلَّا لثلاثة**» وهو مقيد لمطلق الزيارة وقد خصَّ بمُخصِّصات منها زيارة القبر الشريف النبويِ المحمَّدي على صاحبه أفضل الصلاة والتسليم وفي ذلك خلافٌ بين العلماء[1]

---

(١) لا نعلم في ذلك خلافًا قبل وجود ابن تيمية، وقد كان الناس يشدون الرحلة إلى القبر الشريف بدون نكيرٍ من العلماء، مِن ذلك ما رواه الحافظ حمزة السهمي في "تاريخ جرجان" عن محمد بن صول قال: قال صول ليزيد بن الملهب لما افتتح جرجان: هل في الإسلام من هو أجل منك أسلم على يده؟ قال: نعم، سليمان بن عبد الملك- الخليفة- قال فسرحني إليه لأسلم على يده ففعل فلما قدم عليه قال له مثل ما قال ليزيد، فقال سليمان: ليس اليوم في المسلمين أحدٌ أجل مِنِّي، ولكن لقبر رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الفضل. قال: أسلم هناك؟ فسرحه سليمان إلى المدينة فأسلم عند القبر ثُمَّ رجع إلى بلده.

وأمَّا إذا لم يقصد مجرَّد الزيارة بل قصد المشي إلى القبر ليدعو عنده فقط وجعل الزيارة تابعةً لذلك، أو مشى لمجموع الزيارة والدعاء فقد كان يغنيه أن يتوسَّل إلى الله بما لذلك الميت من الأعمال الصالحة مِن دون أن يمشي إلى قبره، فإن قال: إنما مشيت إلى قبره لأشير إليه عند التوسُّل به فيقال له إنَّ الذي يعلم السِّرَّ وأخفى ويطلع على خفايا الضمائر لا يحتاج منك إلى هذه الاشارة التي زعمت أنها الحاملة لك على قصد القبر والمشي إليه، فما أراك مشيتَ لهذه الإشارة بل مشيتَ لتسمع الميت توسُّلك به، وأنت إن رجعت إلى نفسك وسألتها عن هذا المعنى فربما تقر لك به، فإن وجدت عندها هذا المعنى فاعلم أنه قد علق بقلبك ما علق بقلوب عبَّاد القبور».

ثُمَّ تكلَّم على بقية أنواع قصد القبور فيراجع كلامه.

وقد نبَّهناك فيما سبق أنَّ كلام عز الدين بن عبد السلام في الإقسام بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لا في التوسُّل به والشوكانيُّ تبع ابن تيمية فغلط.

والمقصود: أنَّ الشوكانيَّ أجاز التوسُّل كما أجازه الآلوسيُّ، وأجازه قبلهما تقي الدين السبكيُّ في "شفاء السقام" وغيره من العلماء، وليس من غرضي استقصاء كلامهم في هذا الموطن فإن ذلك يطول، ولكن غرضي تبيين كذب المُتنطِّع وإظهار جهله، وهو حاصلٌ بما ذكرت، وبالله التوفيق.

الباب الثالث

في أحكام القبور

تكلَّم في هذا الباب علي زيارة القبور وبناء المساجد[١] عليها، والنَّذر لأصحابها، وقد نقل اتفاق الأُمَّة علىٰ أنَّ النهي للتحريم، وقد كذب في نقل هذا الاتفاق كما كذب في غيره علىٰ عادته، وقد قال البخاريُّ في "صحيحه": «باب ما يكره مِن اتِّخاذ المساجد علىٰ القبور». ثُمَّ روىٰ حديث عائشة: «**لَعَنَ اللهُ اليهودَ والنَّصارَى اتَّخذُوا قُبورَ أنبيائهم مساجِدَ**».

وترجم بالكراهة أيضًا الترمذيُّ، ونقل الحافظ عن البيضاويِّ: «أنَّ اتِّخاذ المساجد بجوار صالح للتبرُّك لا يشمله الحديث المذكور؛ لأنه واردٌ فيمن كانوا يعبدون الأنبياء والصالحين».

وقد حكىٰ المُتنطِّع في هذا الباب عِدَّة اتفاقاتٍ مكذوبةٍ، ثُمَّ تكلَّم علىٰ سماع الميت، فذكر: «أنَّ عائشة وقتادة وأكثر التابعين ذهبوا إلىٰ عدم سماع الميت احتجاجًا بقوله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الروم: ٥٢] وبقوله: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢]. وقالوا هذا قاطعٌ متواترٌ ظاهرٌ في عدم سماع الموتىٰ فلا يرد إلَّا بقاطعٍ مثله».اهـ

وأقول: إنكار عائشة لسماعِ الموتىٰ ثابتٌ في "الصحيحين" مع استدلالها بالآية، وأمَّا قتادة فلم يُنكِر سماع الموتىٰ بل أشار إلىٰ الردِّ علىٰ مَن أنكره كما

---

(١) انظر كتاب: "إحياء المقبور من أدلة استحباب بناء المساجد والقباب علىٰ القبور" لأخينا أبي الفيض الحافظ.

سيأتي، فالمُتنطِّع كاذبٌ فيما نقله عنه، كما كذب على غيره في غير موضعٍ مِن كتابه الذي نردُّ عليه.

وأمَّا الآية فهي وإن كانت قطعيَّة المتن فدلالتها ظاهرةٌ، أي أنها تحتمل وجوهًا مِن التأويل لا يُنكِرها العقل ولا يردُّها النقل؛ فيجب الجمع بينهما وبين ما يعارضها مِن الأحاديث كما هو مُقرَّرٌ في علم أصول الفقه.

ثُمَّ ذكر المُتنطِّع: «أنَّ المجيزين لسماع الموتى استدلوا بحديث أهل القَليب وحديث أُمِّ مِحْجَنٍ التي كانت تَقُمُّ المسجدَ وحديث: «**ما مِن أَحَدٍ يَمُرُّ بقَبْرِ أخيهِ كان يَعْرِفُهُ فيُسَلِّمَ عليه إلَّا رَدَّ اللهُ عليه رُوحَهُ حتَّى يردَّ عليه**».

ثُمَّ قال: «وقالوا هذه الأحاديث تدل على أنَّ الموتى يسمعون، وأجابوا عن الآيات بأنَّ المنفي فيها سماع الانتفاع لا مطلق السَّماع جمعًا بين الأدلة.

وقد أجاب المانعون عن هذه الأدلة بأنَّ حديث "الصحيحين" قد أنكرته عائشة وقالت: ما قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ما يقول ابن عمر، ولكنه قال إنهم ليعلمون أنَّ ما كنت أقول لهم حَقٌّ.

وأجابوا عن حديث ابن مَنْدَه -يعني حديث أُمِّ مِحْجَنٍ- بأنه مرسلٌ لا يصح الاحتجاج به.

وعن حديث الحاكم وغيره - يعني حديث: «**ما مِن أَحَدٍ يَمُرُّ بقَبْرِ أخيه**»- بأنه غير صحيحٍ؛ قال الحافظ ابن رجب: «تصحيح الحاكم محكومٌ عليه عند أهل الحديث بعدم الاعتبار». وهو كما قال؛ فقد صحَّح كثيرًا من الأحاديث الموضوعة كما تقدَّمت الإشارة إليه، والحقُّ أنهم لا يسمعون إلَّا السَّلام عليهم كما ورَدَ به النصُّ، وأنَّ سماع قَتْلَى بدرٍ كان خصوصيَّةً له صلَّى الله عليه وآله

وسلَّم إذا صَحَّ ما قاله ابن عمر».اهـ

وأقول: في كلامه أمورٌ:

الأول: أنَّ هذه الأجوبة التي نسبها إلى المانعين لسماع الموتى زَوَّرها في نفسه، ولم يَفُه بها أحدٌ مِن المانعين قبله، فهي من جملة الأكاذيب التي حشا بها كتابه.

الثاني: أنَّ العلماء أخذوا برواية ابن عمر وقدَّموها على إنكار عائشة عكس ما فعله المُتنطِّع الذي لا يعرف قواعد العِلْمِ.

الثالث: أنَّ ما نقله عن ابن رجب في تصحيح الحاكم كذبٌ على ابن رجب، وجهل بمقام الحاكم، وقد نبَّهنا على ذلك فيما سبق.

الرابع: دعواه أنَّ الحاكم يُصَحِّح الموضوعات كذبٌ كما نبَّهنا عليه في الباب الثاني.

الخامس: دعواه أنَّ الموتى يسمعون السلام عليهم مناقضٌ لما ادَّعاه أوَّلًا مِن عدم سماعهم.

السادس: دعواه أنَّ النصَّ ورَدَ بسماع الموتى للسَّلام، إن كان مراده بالنصِّ القرآن فهو كاذبٌ، وإن كان المراد به الحديث فقد ادَّعى أوَّلًا أنَّ القرآن القاطع المتواتر دلَّ على عدم سماع الموتى ولا يجوز ردُّه إلَّا بقاطعٍ مثله، فكيف رَدَّه الآن بالحديث الدال على سماع الموتى للسلام؟! ما هذا إلَّا تناقضٌ فاحشٌ يدل على جهله وعدم إدراكه لما يقول.

وإذ قد فرغنا مِن بيان ما في كلام المُتنطِّع مِن تناقضٍ وكذبٍ فلنذكر خلاصةً وجيزةً لمسألة سماع الموتى مع بيان ما هو الحقُّ في ذلك، والله المُوفِّق.

اعلم أنَّ العلماء اختلفوا في سماع الموتى، فذهب جماعةٌ مِن أهل العلم وهم الأكثرون -كما قال الحافظ ابن عبدالبر- إلى إثبات سماعهم في الجملة، وهو اختيار ابن جريرٍ الطبريُّ وابن قتيبة، ورجَّحه ابن القيِّم وابن رجب وغيرهما.

ثُمَّ اختلف هؤلاء فذهب قتادة إلى أنَّ الميت يسمع القول بعد إعادة الروح إلى جسده، قال في حديث أهل القَلِيب: أحياهم الله حتَّى أسمعهم توبيخًا وتصغيرًا ونِقْمَةً وحَسْرَةً ونَدَمًا. رواه البخاريُّ بعد حديث القَليب.

وصرَّح بذلك طوائف مِن السَّلَف وغيرهم في سؤال القبر فقالوا: لا يسأل الميت إلَّا بعد إعادة الروح إليه.

وذهب ابن حزمٍ وطائفةٌ إلى أنَّ السؤال للرُّوح خاصَّةً، وكذلك سماع الخطاب للروح خاصَّةً، وأنكروا أن تعاد الروح للجسد في القبر لعذابٍ أو غيره، ورجَّح هذا القول ابن عقيلٍ وابن الجوزيِّ مِن الحنابلة في بعض تصانيفهما.

وذهبت عائشة إلى نفي سماع الموتى إطلاقًا، ووافقها جماعةٌ مِن العلماء ورجَّحه القاضي أبو يعلى من الحنابلة في كتاب "الجامع الكبير" له.

فالأقوال ثلاثةٌ، استدلَّ أهل القول الأول بأحاديث وآثار منها حديث القَليب وهو ثابتٌ في "الصحيحين" مِن وجوهٍ مُتعَدِّدةٍ عن أبي طلحة وعمر وابنه عبدالله أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أمر بأربعة وعشرين رَجُلًا مِن صناديد قريشٍ، فألقوا في طَوِيٍّ مِن أطواء بدرٍ، فناداهم رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وسماهم بأسمائهم: «**يا أبا جهل بن هشامٍ، يا أُمَيَّة بن خَلَفٍ، يا عُتبة بن ربيعة، يا شَيْبَة بن ربيعة، يا فلان ابن فلانٍ، أليس قد وَجَدْتُمْ ما وَعَدَكُمْ**

رَبُّكُمْ حَقًّا، فإنِّي قد وَجَدْتُ ما وَعَدَني رَبِّي حَقًّا». فقال عمر: يا رسول الله ما تُكَلِّم مِن أجسادٍ لا أرواح فيها؟! فقال عليه الصلاة والسلام: «**والذي نَفْسِي بيَدِهِ ما أنتم بأَسْمَعَ لما أقولُ مِنهم، ولكنَّهم لا يُجِيبُونَ**».

هكذا رواه الشَّيخان من حديث ابن عمر، والبخاريُّ مِن حديث أنسٍ عن أبي طلحة، ومسلمٌ مِن حديث أنسٍ عن عمر.

ورواه الطبرانيُّ مِن حديث ابن مسعودٍ بإسنادٍ صحيحٍ، ومِن حديث عبدالله بن سِيدَانَ نحوه، وفيه: قالوا: يا رسول الله وهل يسمعون؟! قال: «**يَسْمَعُونَ كما تَسْمَعُونَ ولكن لا يُجِيبُونَ**».

ومنها: ما رواه البزَّار، وصحَّحه ابن حِبَّان مِن طريق إسماعيل بن عبدالرحمن السُّدِّيِّ، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ الميِّتَ لَيَسْمَعُ خَفْقَ نِعالِهِمْ إذا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ**».

وأخرج ابن حِبَّان أيضًا من طريق محمد بن عمرٍو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم نحوه، في حديث طويل.

وقال البخاريُّ في "صحيحه": «باب الميِّت يسمع خَفْقَ النِّعال» ثُمَّ روىٰ عن أنسٍ، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**العَبْدُ إذا وُضِعَ في قَبْرِهِ وتَولَّى وذَهَبَ أَصْحَابُهُ حتَّى إنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعالِهِمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ فَأَقْعَداهُ**». وذكر الحديث في سؤال القبر، ورواه مسلمٌ أيضًا، وسماع الميِّت خَفْقَ النِّعال واردٌ في عِدَّة أحاديث.

ومنها: الأحاديث الواردة في سؤال القبور وهي كثيرةٌ مُنتشِرَةٌ، وفيها التصريح بسؤال المَلَكين له، وجوابه بما يطابق حاله مِن سعادةٍ أو شقاءٍ.

ومنها: ما شرعه النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لأُمَّتِهِ مِن السَّلام علىٰ أهل القبور ومخاطبتهم بلفظ: «السَّلام عليكم دار قومٍ مؤمنين».

قال ابن القيِّم: «وهذا خِطابٌ لمن يَسْمَعُ ويَعْقِل؛ ولولا ذلك لكان هذا الخطاب بمنزلة خطاب المعدوم والجماد، والسلف مجمعون علىٰ هذا.

وقد تواترت الآثار عنهم بأنَّ الميِّت يعرف زيارة الحيِّ له ويَسْتَبْشِرُ به». ثُمَّ ذكر جملةً منها في كتاب "الروح" فليراجع.

ومنها: ما رواه ابن أبي الدُّنيا في كتاب "القبور" قال: حدَّثنا محمد بن عونٍ: ثنا يحيىٰ بن يمان، عن عبدالله بن سمعان، عن زيد بن أسلم، عن عائشة قالت: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ما مِن رَجُلٍ يَزُورُ قَبْرَ أخيه ويَجْلِسُ عنده إلَّا اسْتأنَسَ بِهِ ورَدَّ عليه حتَّى يَقُومَ**» إسناده ضعيفٌ جدًّا.

وقال أيضًا: حدَّثنا محمد بن قدامة الجوهريُّ: ثنا مَعْنُ بن عيسىٰ القزَّاز: أخبرنا هشام بن سعدٍ: ثنا زيد بن أسلم، عن أبي هريرة قال: إذا مَرَّ الرجل بقبر أخيه يعرفه فسَلَّم عليه رَدَّ عليه السَّلام وعَرَفَهُ، وإذا مَرَّ بقبرٍ لا يعرفه فسَلَّم عليه رَدَّ السَّلام. هكذا رواه موقوفًا وهو أشبه.

ورواه ابن أبي الدُّنيا، والخطيب في "التاريخ"، من طريق عبدالرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عطاء بن يسارٍ، عن أبي هريرة، عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ما مِن عَبْدٍ يَمُرُّ بقَبْر رجلٍ كان يَعْرِفُهُ في الدُّنيا فيُسَلِّم عليه إلَّا عَرَفَهُ ورَدَّ عليه السَّلام**».

وروىٰ العقيليُّ في "الضعفاء" عن جعفر بن عمر النهروانيِّ، عن النجم بن بشير بن عبدالمِلك بن عثمان القرشيِّ: حدَّثنا محمد بن الأشعث، عن أبي سلمة،

عن أبي هريرة: قال أبو رَزينٍ -وهو غير العقيليِّ-: يا رسول الله إنَّ طريقي على الموتى فهل مِن كلامٍ أتكلَّم به إذا مررتُ عليهم؟ قال: «**قُل: السَّلام عليكم يا أهل القُبورِ مِن المسلمين، أنتم لنا سَلَفٌ ونحن لكم تَبَعٌ، وإنا إن شاء اللهُ بكم لاحِقُونَ**». فقال أبو رَزينٍ: يا رسول الله، يسمعون؟ قال: «**يَسْمَعُونَ ولكن لا يَسْتَطيعُونَ أن يُجيبوا**» قال: «**يا أبا رَزينٍ ألا تَرْضَى أن يَرُدَّ عليك بعَدَدِهِمْ مِن الملائكةِ؟**».

قال العقيليُّ: «لا يُعرف إلَّا بهذا الإسناد وهو غير محفوظٍ، ومحمد بن الأشعث مجهولٌ في النسب والرواية، وأصل السَّلام المذكور على القبور يُروَى بإسنادٍ صالحٍ غير هذا».اهـ

وروى الحافظ ابن عبدالبر من طريق الربيع بن سليمان المؤذِّن صاحب الشافعيِّ، عن بشر بن بكرٍ، عن الأوزاعيِّ، عن عطاءٍ، عن عبيد بن عُميرٍ، عن ابن عبَّاسٍ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ما مِن أَحَدٍ يَمُرُّ بقبر أخيه المؤمنِ كان يَعْرِفُهُ في الدُّنيا فيُسَلِّم عليه إلَّا عَرَفَهُ ورَدَّ عليه السَّلام**».

قال الحافظ عبدالحق الأشبيليِّ: «إسناده صحيحٌ»، ووافقه الحافظ ابن رجب، لكنه أعلَّ الحديث بالنَّكارة.

والآثار في هذا الباب كثيرةٌ متواترةٌ عن الصحابة والتابعين وأتباعهم.

وهي في كتاب "القبور" لابن أبي الدنيا، وكتاب "مَن عاش بعد الموت" له أيضًا، وكتاب "العاقبة" للحافظ عبدالحق الأشبيليِّ، وكتاب "أهوال القبور" للحافظ بن رجب، وكتاب "الروح" لابن القيِّم، وكتاب "شرح الصدور" للحافظ السيوطيِّ وغيرها.

ومنها: ما رواه أبو الشَّيخ ابن حَيَّان عن عبيد بن أبي مرزوقٍ قال: كانت امرأةٌ بالمدينة تَقُمُّ المسجدَ فماتت، فلم يعلم بها النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فمَرَّ علىٰ قبرها فقال: «**ما هذا القبر؟**» فقالوا: قبر أُمِّ مِحْجَنٍ. قال: «**التي كانت تَقُمُّ المسجدَ؟**» قالوا: نعم. فصَفَّ الناسَ فصَلَّىٰ عليها، ثُمَّ قال: «**أي العَمَلِ وجدتِ أفضل؟**» قالوا: يا رسول الله أتسمع؟ قال: «**ما أنتم بأَسْمَعَ منها**». فذكر أنها أجابته: «قَمُّ المسجد». وهذا مرسلٌ وأصل الحديث في "الصحيحين".

ومنها: حديث تلقين الميِّت بعد دفنه: رواه الطبرانيُّ وغيره عن أبي أُمامة عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إذا مَاتَ أحَدٌ مِن إخْوانِكُمْ، فسَوَّيتُم التُّرَابَ على قَبْرِهِ، فليَقُمْ أحَدُكُمْ على رأسِ قَبْرِهِ، ثُمَّ لِيَقُلْ: يا فلان بن فلانة، فإنَّهُ يَسْمَعُهُ ولا يُجِيبُ، ثُمَّ يقولُ: يا فلان بن فلانة، فإنَّهُ يَسْتَوِي قاعِدًا، ثُمَّ يقول: يا فلان بن فلانة، فإنَّهُ يقولُ: أَرْشِدْنا رَحِمَكَ اللهُ، ولكن لا تَشْعُرُونَ. فليَقُلْ: اذْكُرْ ما خَرَجْتَ عليه مِن الدُّنيا: شَهادَةَ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ وأنَّ محمَّدًا عبدُهُ ورسولُهُ، وأنَّكَ رَضِيتَ بالله رَبًّا، وبالإسلامِ دينًا، وبمحمَّدٍ نبيًّا، وبالقُرآنِ إمامًا، فإنَّ مُنْكَرًا ونكِيرًا يَأخُذُ واحِدٌ مِنهما بيَدِ صاحِبِهِ ويقولُ: انطَلِقْ بنا ما نَقْعُدُ عند مَن قد لُقِّنَ حُجَّتَهُ، فيكون اللهُ حَجِيجَهُ دُونَهُما**». فقال رَجُلٌ: يا رسولَ الله، فإنْ لم يَعْرِفْ أُمَّهُ؟ قال: «**فيَنْسُبُهُ إلى حَوَّاءَ، يا فلان بن حَوَّاءَ**».

هذا حديثٌ ضعيفٌ لكن جرىٰ عمل الناس عليه، وتلقَّته الأُمَّة بالقَبول، قال ابن القيِّم في كتاب "الروح": «ويدل علىٰ هذا أيضًا -أي سماع الميت وإدراكه- ما جرىٰ عليه عمل الناس قديمًا وإلىٰ الآن مِن تلقين الميِّت في قبره، ولولا أنه يسمع ذلك وينتفع به لم يكن فيه فائدةٌ، وكان عبثا.

وقد سئل عنه الإمام أحمد رحمه الله فاستحسنه واحتجَّ عليه بالعمل، ويروىٰ فيه حديثٌ ضعيفٌ ذكره الطبرانيُّ في "معجمه" من حديث أبي أُمامة».

وذكر الحديث نحو ما ذكرناه آنِفًا ثُمَّ قال: «فهذا الحديث وإن لم يثبت فاتصال العمل به في سائر الأمصار والأعصار من غير إنكارٍ كافٍ في العمل به، وما أجرىٰ الله سبحانه العادة قطُّ بأن أُمَّة طبَّقت مشارق الأرض ومغاربها وهي أكمل الأمم عقولًا وأوفرها معارف تُطْبِق علىٰ مخاطبة من لا يسمع ولا يعقل، وتستحل ذلك لا ينكره منها مُنكِرٌ، بل سُنَّة الأول للآخر، ويقتدي فيه الآخر بالأول، فلولا أنَّ المخاطب يسمع وإلَّا كان ذلك بمنزلة الخطاب للتراب والحجر والخشب والمعدوم، وهذا وإن استحسنه واحدٌ فالعلماء قاطبةً علىٰ استقباحه واستهجانه، وقد روىٰ أبو داود في "سننه" بإسنادٍ لا بأس به: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حَضَرَ جنازة رجلٍ فلما دُفِن قال: «**سَلُوا لأخيكم التَّثْبِيتَ فإنَّه الآنَ يُسْأَلُ**» فأخبر أنه يسأل حينئذٍ، وإذا كان يسأل فإنه يسمع التلقين».اهـ المراد منه، وراجع بقيته.

ثُمَّ وجدت الحافظ ابن حجرٍ تكلَّم في "التلخيص الحبير" علىٰ حديث أبي أُمامة في التلقين وقال: «إسناده صالحٌ» قال: «وقد قوَّاه الضياء في "أحكامه"، قال: وروىٰ سعيد بن منصور من طريق راشد بن سعد وضمرة بن حبيب وغيرهما إذا سُوِّي علىٰ الميِّت قبره وانصرف عنه الناس كانوا يستحبون أن يُقال للميت عند قبره: يا فلان قل: «لا اله إلَّا الله»، قل: «أشهد ألَّا إله إلَّا الله» ثلاث مرات، قل: «ربِّي الله وديني الإسلام ونبي محمَّدٍ»، ثُمَّ ينصرف.

وأمَّا الذين قالوا إنَّ الميِّت يسمع بعد عود الروح إلىٰ جسده فاستدلوا

بحديث البراء بن عازبٍ في سؤال القبر وهو حديثٌ طويلٌ وفيه: «وتُعادُ رُوحه إلىٰ جَسَدِهِ».

وكذلك جاء في حديث جابرٍ وابن مسعودٍ وأبي هريرة وحذيفة وقال الحافظ ابن عبدالبر: «ثَبَتَ عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أنه قال: «**ما مِن مُسْلِمٍ يَمُرُّ على قَبْرِ أخِيهِ كان يَعْرِفُهُ في الدُّنيا فيُسَلِّمُ عليه إلَّا رَدَّ اللهُ عليه رُوحَهُ حتَّى يرُدَّ عليه السَّلام**».

وأمَّا الذين قالوا: إنَّ السؤال والسماع للرُّوح خاصَّةً فاستدلوا بأنَّ الروح لو عادت إلىٰ البدن لزم أن يحيىٰ الإنسان ثلاث مرات ويموت ثلاث مرات، والقرآن دل علىٰ أنهما حياتان وموتتان». قال ابن رجب: «وهذا ضعيفٌ جدًّا فإنَّ حياة الروح ليست تامَّةً مُستقِلَّةً كحياة الدُّنيا وكالحياة الآخرة بعد البعث، وإنما فيها نوع اتصال البدن بالروح بحيث يحصل بذلك شعور البدن وإحساس بالنعيم والعذاب وغيرهما، وليس هو حياةً تامَّةً حتَّىٰ يكون انفصال الرُّوح به موتًا تامًّا، وإنما هو شبيهٌ بانفصال روح النائم عنه ورجوعها إليه، فإن ذلك يُسمَّي موتًا وحياةً كما كان يقول رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إذا استيقظ: «**الحمدُ لله أَحْيانا بعد ما أماتنا وإليه النُّشُور**» وسمَّاه اللهُ وفاةً بقوله: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ﴾ [الزمر: ٤٢] ومع هذا فلا ينافي ذلك أن يكون النائم حيًّا وكذلك اتصال روح الميت ببدنه وانفصالها لا يوجب أن يصير حيًّا حياةً مُطْلَقةً».اهـ

وأطال شيخه ابن القيِّم تقرير هذا المعنىٰ في كتاب "الروح" وناقش ابن حزمٍ مناقشةً قيِّمةً، وذكر حديث البراء وقال: «ذهب إلىٰ القول بموجبه جميع

أهل السُّنَّة والحديث من سائر الطوائف.

وأمَّا الذين قالوا إنَّ الميِّت لا يسمع أصلًا فاستدلوا بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [النمل: ٨٠] وبقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢].

وأجابوا عن حديث القَليب بوجهين:

أحدهما: أنَّ سماع الموتىٰ وقع فيه معجزة علىٰ سبيل الخصوصية للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

ثانيهما: توهيم ابن عمر في لفظ السماع.

قالت عائشة: ما قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنهم ليَسْمَعُون الآن ما أقول**» وقد وَهَل – تعني ابن عمر- إنما قال: «إنهم ليعلمون الآن ما كنت أقول لهم إنه حَقٌّ» ثُمَّ قرأت قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾، ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾». أخرجه الشَّيخان.

والجواب عن ذلك من قبل الجمهور قال ابن القيِّم: وأمَّا قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ فسياق الآية يدل علىٰ أنَّ المراد منها: أنَّ الكافر الميت القَلْب لا تَقْدِر علىٰ إسماعه إسماعًا ينتفع به، كما أنَّ مَن في القبور لا تقدر علىٰ إسماعهم إسماعًا ينتفعون به، ولم يُرِد سبحانه أنَّ أصحاب القبور لا يسمعون شيئًا البتَّة، كيف وقد أخبر النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أنهم يسمعون خَفْقَ نِعال المُشَيِّعين، وأخبر أنَّ قَتْلَىٰ بدرٍ سمعوا كلامه وخطابه، وشرع السلام عليهم بصيغة الخطاب للحاضر الذي يسمع، وأخبر أنَّ مَن سلَّم علىٰ أخيه المؤمِن رَدَّ عليه السلام، وهذه الآية نظير قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا

تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴾ [النمل: ٨٠]، وقد يقال نفي إسماع الصُّمِّ مع نفي إسماع الموتىٰ يدل علىٰ أنَّ المراد عدم أهليَّة كلٍّ منهما للسماع، وأنَّ قلوب هؤلاء لما كانت مَيِّتةً صمَّاء كان إسماعها ممتنعًا بمنزلة خطاب الميِّت والأصمِّ.

وهذا حقٌّ ولكن لا ينفي إسماع الأرواح بعد الموت إسماع توبيخٍ وتقريعٍ بواسطة تعلقها بالأبدان في وقت ما، فهذا غير الإسماع المنفي والله أعلم.

وحقيقة المعنىٰ أنك لا تستطيع أن تسمع مَن لم يشأ الله أن يسمعه إن أنت إلَّا نذيرٌ، أي: إنما جعل الله لك الاستطاعة علىٰ الإنذار الذي كلَّفك إيَّاه لا علىٰ إسماع مَن لم يشأ الله إسماعه».اهـ

وقال تلميذه ابن رجب: «وأمَّا قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾، وقوله: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾ فإنَّ السماع يطلق ويراد به إدراك الكلام وفهمه، ويراد به أيضًا الانتفاع به والاستجابة له، والمراد بهذه الآيات نفي الثاني دون الأول فإنها في سياق خطاب الكفَّار الذين لا يستجيبون الهدىٰ والإيمان إذا دعوا إليه كما قال تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٧٩] الآية.

فنفىٰ السماع والإبصار عنهم؛ لأن الشيء قد يُنفىٰ لانتفاء فائدته وثمرته، فإذا لم ينتفع المرء بما سمعه وأبصره فكأنه لم يَسْمَعْ ولم يُبْصِرْ، وسماع الموتىٰ هو بهذه المثابة، وكذلك سماع الكفَّار لمن دعاهم إلىٰ الإيمان والهدىٰ».اهـ

وقال الحافظ: «اختلف أهل التأويل في المراد بالموتىٰ في قوله: ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ وكذلك المراد بمَن في القبور فحملته عائشة علىٰ الحقيقة وجعلته

أصلًا احتاجت معه إلى تأويل قوله: «**ما أنتم بأَسْمَعَ لما أقول منهم**»، وهذا قول الأكثر.

وقيل: هو مجازٌ، والمراد بالموتى وبمَن في القبور الكفار، شُبِّهوا بالموتى وهم أحياء، والمعنى: مَن هم في حال الموتى أو في حال مَن سكن القبر، وعلى هذا لا يبقى في الآية دليلٌ على ما نفته عائشة رضي الله عنها، والله أعلم».اهـ

وارتكاب المجاز في الآية مُتعيِّنٌ للجمع بين الأدلة، مع أنَّ السياق يرشد إليه، وأمَّا دعوى أنَّ سماع أهل القليب كان خصوصيَّةً فهي مفتقرةٌ إلى دليلٍ، وهو مفقودٌ، ولو سُلِّمَتْ في هذا الحديث لم تُسَلَّم في حديث سماع خَفْقِ النِّعال وغيره مما سَبَقَ ذكره.

وأمَّا إنكار عائشة رواية ابن عمر فلا ينهض دليلًا في المسألة وذلك لوجوه:

الأول: أنَّ ابن عمر شهد القصة وعائشة لم تشهدها، وبالضرورة يرجع من شهد على من لم يشهد.

الثاني: أنَّ ابن عمر مُثْبِتٌ وعائشة نافيةٌ، والمُثبِتُ مُقدَّمٌ على النافي؛ لأنَّ معه زيادة عَلْمٍ ليست عند النافي.

الثالث: أنَّ عائشة لم تستند في نفيها إلى روايةٍ تُعارضُ رواية ابن عمر وتُبيِّن وهمه، وإنما استندت إلى فهمها واستنباطها ورواية الثقة لا ترد بمثل ذلك.

قال الإسماعيلي: «كان عند عائشة مِن الفَهم والذكاء وكثرة الرواية والغوص على غوامض العِلْم ما لا مزيد عليه، لكن لا سبيل إلى رَدِّ رواية الثقة إلَّا بنَصٍّ مثله يدل على نسخه أو تخصيصه أو استحالته، فكيف والجمع بين الذي أنكرته وأثبته غيرها ممكنٌ؛ لأن قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ لا

ينافي قوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّهم الآن يَسْمَعُونَ**»؛ لأنَّ الإسماع هو إبلاغ الصوت مِن المُسمِع في أُذِن السَّامِع، فالله تعالىٰ هو الذي أسمعهم بأن أبلغهم صوت نبيِّه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بذلك».اهـ

الرابع: أنَّ ما أثبتته عائشة مِن العِلْم لا ينافي رواية ابن عمر التي أثبتت السماع، بل يؤيِّدها.

قال الإسماعيليُّ: «وأمَّا جوابها بأنه إنما قال: «إنهم ليعلمون» فإن كانت سمعت ذلك فلا ينافي رواية يسمعون بل يؤيِّدها».اهـ

وذلك لأنَّ الموت ينافي العِلْم كما ينافي السمع، فإذا جاز إثبات العلم للميِّت جاز إثبات السمع له، ولا فرق بينهما كما هو ظاهرٌ لا يحتاج إلىٰ بيان.

الخامس: أنَّ ابن عمر لم ينفرد بتلك الرواية التي أنكرتها عائشة بل رواها أيضًا أبوه عمر بن الخطاب، وأبو طلحة الأنصاريُّ، وعبدالله بن مسعودٍ، وعبدالله بن سِيدانَ، وتقدَّم عزو أحاديثهم إلىٰ مَن رواها، ومِن المُستبَعد جدًّا أن يكون هؤلاء كلُّهم واهمين.

السادس: أنَّ عائشة نَفْسَها روت مثل ما روىٰ ابن عمر.

قال الحافظ: «ومِن الغريب أنَّ في "المغازي" لابن إسحاق رواية يونس بن بكيرٍ بإسنادٍ جيِّدٍ عن عائشة مثل حديث أبي طلحة وفيه: «**ما أنتم بأَسْمَعَ لما أقولُ مِنهم**». وأخرجه أحمد بإسنادٍ حسنٍ، فإن كان محفوظًا فكأنها رجعت عن الإنكار لما ثبت عندها من رواية هؤلاء الصحابة لكونها لم تشهد القصة».اهـ

ومِن هذه الخلاصة الوجيزة الصحيحة تعلم أنَّ سماع الموتىٰ بعد عود الروح إليهم صحيحٌ لا غبار عليه، وأنه لا تعارض بين الآية والأحاديث

الواردة في ذلك، بل بينهما توافق وتعاضد، وأنَّ المانعين لسماع الموتىٰ ليس لديهم مُتمَسَّكٌ قويٌّ، وأنَّ إنكار عائشة ليس بدليل، فشد يدك علىٰ هذه الخلاصة واحرص عليها والله يتولَّىٰ هُداك.

ثُمَّ قال المُتنطِّع: «خاتمة: في حياة أهل القبور وتحقيق الحقِّ في حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام».اهـ

وأقول: قد أنصف المُتنطِّع هنا حيث أثبت حياة الأنبياء عليهم السلام، وإن أخطأ في الكلام علىٰ الأحاديث وعزوها، وأنا أذكر هنا خلاصةً وجيزةً جامعةً كتبها شَقِيقُنا الحافظ المُجتهِد السيِّد أحمد بن محمَّد الصِّدِّيق الغُماريُّ.

قال حفظه الله: «الأنبياء أحياءٌ في قبورهم وأجسادهم لا تَبْلَىٰ، والإجماع مُنعَقِدٌ علىٰ هذا كما حكاه غير واحدٍ، منهم ابن حزمٍ، والسخاويُّ في "المقاصد الحسنة" وغيرهما، للنصوص الصحيحة والصريحة والدلائل الكثير القاطعة، فمَن أفتىٰ بفناء أجسادهم فقد خَرَقَ الإجماع وكذَّب بما صحَّ عن الله والرسول، فقد ذكر الله تعالىٰ في غير آيةٍ مِن القرآن أنَّ الشُّهداءَ أحياءٌ في قبورهم، وأجمع المسلمون علىٰ أنَّ الأنبياء أرفع درجةً مِن الشهداء.

قال ابن حزمٍ بعد ذكره الآيات الواردة في أنَّ الشهداء أحياء ما نصُّه: «ولا خلاف بين المسلمين في أنَّ الأنبياء عليهم السلام أرفع قَدْرًا ودرجةً، وأتمُّ فضيلةً عند الله عزَّ وجلَّ، وأعلىٰ كرامةً مِن كلِّ مَن دُونهم، ومَن خالَفَ في هذا فليس مُسْلِمًا».اهـ

وصحَّ عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بطريق التواتر أنَّ الأنبياء أحياءٌ في قبورهم، وأنَّ أجسادهم لا تَبْلَىٰ.

قال السيِّد محمد بن جعفر الكتانيُّ في كتابه "نظم المتناثر من الحديث المتواتر" ما نصُّه: «أحاديث حياة الأنبياء في قبورهم: قال السيوطيُّ في "مرقاة الصعود": تواترت بها الأخبار. وقال في "إنباء الاذكياء بحياة الأنبياء" ما نصُّه: «حياة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في قبره هو وسائر الأنبياء معلومةٌ عندنا عِلْمًا قطعيًّا؛ لما قام عندنا من الأدلة في ذلك، وتواترت به الأخبار الدالة على ذلك».اهـ

وقال ابن القيِّم في كتاب "الروح" نقلًا عن أبي عبدالله القرطبيِّ: «صَحَّ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنَّ الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء، وأنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس وفي السماء، خصوصًا موسى، وقد أخبر بأنه ما مِن مُسْلِمٍ يُسَلِّم عليه إلَّا رَدَّ اللهُ عليه رُوحَهُ حتَّى يردَّ عليه السلام، إلى غير ذلك مما يحصل من جملته القطع بأنَّ موت الأنبياء إنما هو راجعٌ إلى أن غُيبوا عنَّا بحيث لا ندركهم وإن كانوا موجودين أحياء، وذلك كالحال في الملائكة فإنهم أحياء موجودون ولا نراهم».اهـ

وقد نقل كلام القرطبيِّ وأقرَّه أيضًا الشَّيخ محمد السفارينيُّ الحنبليُّ في "شرح عقيدة أهل السُّنَّة" ونصُّه: «قال أبو عبدالله القرطبيُّ: قال شيخنا أحمد بن عمر - القرطبي صاحب "المفهم في شرح صحيح مسلم"-: «والذي يزيح هذا الإشكال إن شاء الله تعالى: أنَّ الموت ليس بعدمٍ محضٍ وإنما هو انتقالٌ مِن حال إلى حال، ويدل على ذلك أنَّ الشهداء بعد موتهم وقتلهم أحياء عند ربِّهم يرزقون فَرِحِين، وهذه صفة الأحياء في الدُّنيا وإذا كان هذا في الشهداء، كان

الأنبياء بذلك أحق وأولىٰ، مع أنه قد صحَّ عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أنَّ الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء». وذكر الكلام السابق بلفظه.

ثُمَّ قال أخي: «ويُحقِّق ما ذكره هؤلاء الأئمَّة مِن تواتر الأحاديث الدالَّة علىٰ حياة الأنبياء أنَّ حديث عَرْضِ الأعمال عليه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم واستغفاره لأُمَّته ورَدَ مِن عشرين طريقًا.

وحديث: «**إنَّ اللهَ حَرَّمَ على الأرضِ أن تأكُلَ أجسادَ الأنبياءِ**». ورد من طرقٍ كثيرةٍ جمعها الحافظ المنذريُّ في جزءٍ مخصوصٍ ذكره في اختصاره "لسنن أبي داود".

وحديث الإسراء، وإخباره صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فيه أنه رأىٰ الأنبياء يصلُّون، وغير ذلك مما هو صريحٌ في حياتهم ورَدَ مِن طرق خمسة وأربعين صحابيًّا، سَرَدَ منهم سبعة وعشرين الحافظ السيوطيُّ في "الأزهار المتناثرة" وزاد عليه تلميذه الحافظ الشامي الزرقانيُّ في "شرح المواهب" ما كمل به العدد المذكور كما ذكره شيخنا السيِّد محمد بن جعفر الكتاني في "نظم المتناثر"، علىٰ أنَّ المسألة كافٍ في إثباتها حديث: «**إنَّ اللهَ حَرَّمَ على الأرضِ أن تأكُلَ أجسادَ الأنبياءِ**» فإنَّه علىٰ انفراده صحيحٌ لا غبار عليه، وقد صحَّحه مِن الأئمَّة مَن لا يُحصَىٰ عددهم، منهم: ابن خزيمة وابن حِبَّان والحاكم وزاد أنه علىٰ شرط البخاريِّ وأقرَّه الذهبيُّ، وصحَّحه أيضًا النوويُّ في "الأذكار"، والحافظ عبدالغني بن سيعد، بل قال: «إنه حسنٌ صحيحٌ»، والقرطبيُّ في "التذكرة" ودحية فقال: «إنه صحيحٌ محفوظٌ بنقل العدل عن العدل». وحسَّنه ابن العربي المعافري فيما نقله الثعالبيُّ عنه في كتاب "العلوم الفاخرة" وسكت عنه أبو

داود، وقد قال ما سكت عنه فهو صالحٌ عنده، وصدره الحافظ المنذريُّ في "الترغيب والترهيب"

ومع تصحيح هؤلاء الحُفَّاظ الذين لا يكاد يَسْلَمُ في نَقْدِهِمْ حديثٌ كابن العربي المعافريِّ، فإنا نورد الحديث بسنده ونتكلَّم على رجاله.

فقد أخرجه سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وأحمد في "مسنده" وابن أبي عاصم في "الصلاة" له وأبو داود والنَّسائيُّ وابن ماجه في "سننهم"، والطبرانيُّ في "معجمه" وابن خزيمة وابن حِبَّان والحاكم في "صحاحهم" والبيهقيُّ في "حياة الأنبياء" و"شعب الإيمان" وغيرهما من تصانيفه من طريق حسين بن علي الجعفيِّ: ثنا عبدالرحمن بن يزيد بن جابر، عن أبي الأشعث الصنعانيِّ، عن أوس بن أوسٍ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أفضلُ أيَّامُكُمْ الجُمُعَةُ؛ فيه خُلِقَ آدمُ وفيه قُبِضَ، وفيه النَّفْخَةُ وفيه الصَّعْقَةُ فأكثروا عليَّ مِن الصَّلاة فيه فإنَّ صلاتكم مَعْروضَةٌ عليَّ**». قالوا: وكيف تُعرَضُ صلاتُنا عليك وقد أَرِمْتَ؟ يقولون: بليتَ، فقال: «**إنَّ اللهَ حَرَّمَ على الأرض أن تأكلَ أجسادَ الأنبياءِ**».

رجاله كلُّهم ثقاتٌ: أبو الأشعث الصنعانيُّ اسمه: شَراحِيلُ بن آدَةَ، مِن رجال مُسلمٍ وثَّقة العجليُّ وذكره ابن حِبَّان في "الثقات".

وعبدالرحمن بن يزيد بن جابر من رجال البخاريِّ ومسلمٍ، وثَّقة ابن معينٍ والعجليُّ وابن سعدٍ والنَّسائيُّ ويعقوب بن سفيان وأبو داود وجماعةٌ.

والحسين بن عليٍّ الجعفيُّ من رجال البخاريِّ ومسلمٍ، ثقةٌ باتفاقٍ، وكان عثمان بن أبي شيبة يقول: «بخٍ بخٍ ثقةٌ صدوقٌ».

وبه تَّم الإسناد فإنه شيخ جماعة ممن أخرجوا هذا الحديث، فهذا برهان ما حكم به أولئك الأئمة من الصحة لهذا الحديث.

ثُمَّ إنَّ له طريقًا آخر أخرجه ابن ماجه عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أكثروا الصَّلاةَ عليَّ يومَ الجمعةِ فإنَّه مشهودٌ تَشْهَدُهُ الملائكةُ، وإنَّ أحدًا لن يُصَلِّيَ عليَّ إلَّا عُرِضَتْ عليَّ صَلاتُهُ حتَّى يَفْرَغَ منها**».

قال: قلت: وبعد الموت؟ قال: «**وبعد الموتِ، إنَّ اللهَ حَرَّمَ على الأرضِ أن تأكلَ أجسادَ الأنبياءِ، فنبيُّ الله حَيٌّ يُرْزَقُ**».

قال الحافظ المنذريُّ في "الترغيب والترهيب": «إسناده جيِّدٌ».

وكذا قال العلَّامة السمهوديُّ في "وفاء الوفاء"، وقال السخاويُّ في "القول البديع": «رجاله ثقاتٌ لكنه مُنقطِعٌ».

قلت: لا يضر انقطاعه؛ فإنَّ الحديث الأول الصحيح شاهدٌ له وعاضدٌ له، وكذا صحَّحه -مع التنصيص على انقطاعه- الحافظ البوصيريُّ في "زوائد ابن ماجه".

وللحديث طريقٌ ثالثٌ مرسلٌ عن ابن شهابٍ ولفظه: «**أكْثِروا عليَّ مِن الصَّلاةِ في الليلةِ الغَرَّاءِ واليومِ الأَزْهَرِ فإنَّهما يُؤدِّيان عنكم، وإنَّ الأرضَ لا تأكلُ أجسادَ الأنبياءِ، وكلُّ ابن آدمَ يأكلُهُ التُّرابُ إلَّا عَجْبَ الذَّنَبِ**». أخرجه النميريُّ كما ذكره السخاويُّ في "القول البديع".

وله طريقٌ رابعٌ أخرجه ابن ماجه من حديث شدَّاد بن أوس بلفظ حديث أوس بن أوسٍ المُتقدِّم.

فالحديث مع صحَّة إسناده وثقة رجاله وكونهم على شرط البخاريِّ

ومسلمٍ ووجود هذه الطرق العاضدة له لا يرتاب في صحَّته إلَّا جاهلٌ أو مُتعصِّبٌ معاندٌ.

ثُمَّ للمسألة أدلَّةٌ أخرىٰ أيضًا، منها حديث «**الأنبياءُ أحياءٌ في قُبورِهِمْ يُصَلُّون**».

رواه أبو يعلىٰ قال حدَّثنا أبو الجهم الأزرق بن علي: ثنا يحي بن أبي بكير: ثنا المستلم بن سعيد، عن الحجَّاج بن الأسود، عن ثابتٍ، عن أنس بن مالكٍ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**الأنبياءُ أحياءٌ في قُبورِهِمْ يُصَلُّون**».

ثابتٌ: هو البُنانيُّ لا يُسأل عن جلالته وإمامته، ثقةٌ باتفاق، مِن رجال البخاريِّ ومسلمٍ.

والحجَّاج بن الأسود: قال الحافظ في "اللسان": «قال أحمد: «ثقةٌ، رجلٌ صالحٌ»، وقال ابن معينٍ: «ثقة»، وقال أبو حاتمٍ: «صالح الحديث»، وذكره ابن حِبَّان في الثقات».اهـ

وقد اشتبه فيه الحال علىٰ الذهبيِّ فقال إنه نكرة يعني مجهولًا، وردَّه الحافظ بأنه معروفٌ روىٰ عن ثابتٍ وجابر بن زيدٍ وأبي نضرة وجماعةٍ. وعنه جرير بن حازمٍ وحمَّاد بن سلمة وروح بن عبادة وآخرون. ثُمَّ ذكره توثيقه الذي قدَّمانه.

والمستلم بن سعيد: من رجال الأربعة، قال أحمد: «شيخٌ ثقةٌ مِن أهل واسط قليل الحديث»، وقال ابن معينٍ: «صويلحٌ»، وقال النَّسائيُّ: «ليس به بأسٌ». وذكره ابن حِبَّان في "الثقات".

ويحيي بن أبي بكير: ثقةٌ من رجال البخاريِّ ومسلمٍ، وثَّقة ابن معينٍ

والعجليُّ، وقال أبو حاتمٍ: «صدوقٌ»، وذكره ابن حِبَّان في "الثقات"، وقال علي بن المدينيِّ: «ثقةٌ».

وأبو الجهم: روىٰ له البخاريُّ في "الأدب المفرد" والحاكم في "صحيحه" وذكره ابن حِبَّان في "الثقات".

فهذا حال رجال الإسناد كلهم ثقاتٌ ليس في واحدٍ منهم طعنٌ ولا مغمزٌ، فهو صحيحٌ علىٰ رأي ابن حِبَّان والحاكم وأمثالهما، حسنٌ علىٰ رأىٰ البخاريِّ وأمثاله.

ثُمَّ له طرقٌ أخرىٰ غير هذا الطريق أخرجها البيهقيُّ في "حياة الأنبياء" وبها يرتفع إلىٰ درجة الصحيح المتفق عليه، وهو قاطعٌ صريحٌ.

ومنها حديث «**مَرَرْتُ على موسى وهو قائمٌ يُصَلِّي في قبره**» الذي أخرجه مسلمٌ وغيره.

وحديث صلاته صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بالأنبياء واجتماعه بهم كما تقدَّم في كلام القرطبيِّ وأنها متواترةٌ، وبها احتجَّ البيهقيُّ أيضًا في "حياة الأنبياء".

وقد ورد من ثلاثة طرقٍ عند عبدالرزَّاق والطبرانيِّ في "معجمه" عن عبدالله بن عمر بن الخطاب وعبدالله بن عمرو بن العاص ومجاهد: «**إنَّ المؤذِّنَ المُحْتَسِبَ كالشهيد المُتشَحِّطِ في دَمِهِ وإذا ماتَ لم يُدَوَّدْ في قَبْرِهِ**».

وورد من ثلاثة طرق أيضًا من حديث جابر بن عبدالله وأبي هريرة وعبدالله بن مسعودٍ: «**إنَّ حامِلَ القُرآنِ العامِلَ به لا تأكلُ الأرضُ لَحْمَهُ**».

أخرج جميعها ابن مَنْدَه، وإذا ثبت هذا للمؤذِّن وحامل القرآن فكيف بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام».اهـ

قلت: قد بقيت أحاديث وآثار لا بأس أن نذكرها على سبيل الاختصار.

فمنها: ما رواه أبو داود والنَّسائيُّ والبيهقيُّ في "حياة الأنبياء" وابن نفيل في جزئه المعروف من طريق عبدالله بن نافعٍ، عن ابن أبي ذئبٍ، عن سعيد بن أبي سعيدٍ، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لا تَجْعَلُوا بُيوتَكُمْ قُبورًا، ولا تَجْعَلُوا قَبْري عِيدًا، وصَلُّوا عليَّ فإنَّ صلاتكم تَبْلُغُني حيثما كنتم**».

رجاله ثقاتٌ، سعيد بن أبي سعيدٍ: هو المَقْبُريُّ ثقةٌ مِن رجال الستة، وكذلك ابن أبي ذئبٍ واسمه محمَّد بن عبدالرحمن، وعبدالله بن نافعٍ هو الصائغ المخزوميُّ تلميذ مالكٍ مِن رجال مسلمٍ والأربعة، قال أبو زرعة والنَّسائيُّ: «لا بأس به»، وقال النَّسائيُّ مرة أخرى: «ثقةٌ»، وقال الخليليُّ: «لم يرضوا حفظه، وهو ثقةٌ أثنى عليه الشافعيُّ وروى عنه حديثين أو ثلاثة»، وقال ابن قانعٍ: «مدنيٌّ صالحٌ»، وذكره ابن حِبَّان في "الثقات" وقال: «كان صحيح الكتاب وإذا حدَّث مِن حِفْظِهِ ربما أخطأ»، وقال البخاريُّ: «يعرف حفظه وينكر، وكتابه أصح»، وقال أبو حاتمٍ: «ليس بالحافظ، هو ليِّنٌ في حفظه وكتابه أصح»، وقال ابن معينٍ: «ثقةٌ»، وقال أحمد: «لم يكن صاحب حديثٍ، كان ضعيفًا فيه».

وللحديث مع هذا شواهد ستأتي بحول الله.

وروى ابن أبي شيبة وابن مَرْدُويَه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أَكْثِرُوا الصَّلاةَ عليَّ يومَ الجُمُعَةِ فإنَّها مَعْرُوضَةٌ عليَّ**».

ومنها: ما رواه عبدالرزَّاق عن مجاهدٍ عن أبي طلحة قال دخلت على النبيِّ

صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فوجدته مسرورًا فقلت: يا رسول الله ما أدري متَى رأيتك أحسن بِشْرًا وأطيب نَفْسًا مِن اليوم؟ قال: «**وما يَمْنَعُني وجبريلُ خَرَجَ مِن عندي الساعةَ فبَشَّرني أنَّ لكلِّ عبدٍ صلَّى عليَّ صلاةً يُكتَبُ له بها عشر حسناتٍ، ويُمحَى عنه عشر سيِّئاتٍ، ويُرفَعُ له بها عشر درجاتٍ، وتُعرَضُ عليَّ كما قالها، ويُرَدُّ عليه بمِثْلِ ما دَعَا**».

ومنها: ما رواه البيهقيُّ في "حياة الأنبياء" مِن طريق أبي رافعٍ، عن سعيد المَقْبُريِّ، عن أبي مسعودٍ الأنصاريِّ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أَكْثِرُوا الصَّلاةَ عليَّ في يومِ الجمعةِ فإنَّه ليس يُصَلِّي عليَّ أحدٌ يومَ الجمعةِ إلَّا عُرِضَتْ عليَّ صَلاتُهُ**». حديثٌ ضعيفٌ.

ومنها: ما رواه البيهقيُّ أيضًا من طريق حمَّاد بن سلمة، عن بُرْد بن سِنانٍ، عن مكحول الشاميِّ، عن أبي أُمامة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أَكْثِرُوا عليَّ مِن الصَّلاةِ في كلِّ يومِ جمعةٍ؛ فإنَّ صلاة أُمَّتي تُعْرَضُ عليَّ في كلِّ يومِ جمعةٍ، فمَن كان أكثرَهم عليَّ صلاةً كان أقرَبهم مِنِّي مَنْزِلَةً**».

قال الحافظ المنذريُّ: «إسناده حسنٌ إلَّا أنَّ مكحولًا قيل: لم يسمع مِن أبي أُمامة».اهـ

وللطبرانيِّ بإسنادٍ ضعيفٍ عن أبي أُمامة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن صَلَّى عليَّ صَلَّى اللهُ عليه عَشْرًا، مَلَكٌ مُوكَّلٌ بها حتَّى يُبَلِّغَنيها**».

ومنها: ما رواه محمد بن إسماعيل الورَّاق قال: حدَّثنا جُبارَةُ بن المُغَلِّس: ثنا أبو إسحاق حازم، عن يزيد الرَّقاشيِّ، عن أنسٍ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أَكْثِروا الصَّلاةَ عليَّ يومَ الجمعةِ فإنَّ صلاتكم تُعْرَضُ عليَّ**»

قال ابن القيِّم: «وهذا وإن كان ضعيفًا يصلح للاستشهاد».اهـ

وللطبرانيِّ في "الأوسط" من حديث أنسٍ أيضًا قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن صَلَّى عليَّ صلاةً واحدةً بَلَغَتْني صَلاتُهُ وصَلَّيتُ عليه، وكُتِبَ له سِوى ذلك عشر حسناتٍ**».

قال الحافظ الهيثميُّ: «فيه راوٍ لم أعرفه، وبقيَّة رجاله ثقاتٌ».اهـ

وقال الحافظ المنذريُّ: «إسناده لا بأس به» وهذا يدل علىٰ أنه عرف الرجل الذي لم يعرفه الهيثميُّ.

ومنها: ما رواه أبو يعلىٰ في "مسنده" من طريق عبدالله بن نافعٍ: أخبرنا العلاء بن عبدالرحمن قال: سمعتُ الحسن بن عليِّ بن أبي طالبٍ عليهما السلام يقول: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**صَلُّوا في بيوتكم ولا تتخذوها قبورًا، ولا تتخذوا بيتي عِيدًا، صَلُّوا عليَّ وسَلِّموا فإنَّ صلاتَكُم وسلامَكُم يَبْلُغني أين ما كنتم**».

وروىٰ الطبرانيُّ في "الكبير" و"الأوسط" مِن طريق حميد بن أبي زينب، عن حسن بن حسن بن عليِّ بن أبي طالبٍ عليهم السلام، عن أبيه: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**حيثما كنتم فصَلُّوا عليَّ فإنَّ صلاتَكم تَبْلُغني**».

قال الحافظ الهيثميُّ: «حميد بن أبي زينب لم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح».اهـ

وعزاه الحافظ المنذريُّ إلىٰ الطبرانيِّ أيضًا وقال: «إسناده حسنٌ». فلابد أنه عرف حميد بن أبي زينب.

وقال ابن أبي شيبة في "المصنَّف": حدَّثنا أبو خالد الأحمر، عن ابن

عجلان، عن سهيلٍ، عن حسن بن حسنٍ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لا تتَّخِذوا قبري عِيدًا، ولا بيوتكم قبورًا، وصَلُّوا عليَّ حيثما كنتم فإنَّ صلاتكم تَبْلُغني**». إسناده صحيحٌ وهو مرسلٌ في حكم الموصول كما لا يخفىٰ(١).

ومنها: ما رواه أبو الشَّيخ والبزَّار والحارث بن أبي أسامة والطبرانيُّ وغيرهم من طريق نعيم بن ضَمْضَم، عن ابن الحميريِّ، عن عمَّار بن ياسرٍ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ لله تَبارَكَ وتَعالَى مَلَكًا أَعْطَاهُ أَسْماءَ الخَلائِقِ فهو قائمٌ على قَبْري إذا مُتُّ فليس أَحَدٌ يُصَلِّي عليَّ إلَّا قال: يا محمَّدُ، صَلَّى عليك فلانٌ ابن فلانٍ**» قال: «**فيُصَلِّي الربُّ تبارك وتعالى على ذلك الرَّجُلِ بكُلِّ واحدةٍ عَشْرًا**».

نعيم بن ضَمْضَم: قال المنذريُّ: «فيه خلافٌ» وقال الذهبيُّ: «ضعَّفه بعضهم»، قال الحافظ في "اللسان": «ما عرفت إلىٰ الآن مَن ضعَّفه».

وابن الحميريِّ: اسمه عمران، ليَّنه البخاريُّ وقال: «لا يُتابع علىٰ حديثه» وذكره ابن حِبَّان في "الثقات".

وبقية رجال الحديث رجال الصحيح كما قال الحافظ الهيثميُّ.

ومنها: ما رواه النَّسائيُّ وأحمد والدراميُّ والبيهقيُّ وصحَّحه الحاكم عن عبدالله بن مسعودٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ لله عزَّ وجلَّ ملائكةً سَيَّاحِينَ في الأرضِ يُبَلِّغوني عن أُمَّتي السَّلامَ**».

---

(١) لأنه محمولٌ علىٰ أنَّه سمعه من أبيه الحسن بن عليٍّ عليهم السلام بدليل الرواية السابقة.

وروى ابن عديٍّ من حديث ابن عبَّاسٍ مثله.

وتقدَّم حديث «**حياتي خيرٌ لكم...**» مع بيان صحَّته.

ومنها: ما رواه البيهقيُّ في "حياة الأنبياء" وابن مَنْدَة في "فوائده" من طريق حُكامَة بنت عثمان بن دينارٍ أخي مالك بن دينارٍ قالت: حدَّثني أبي عثمان بن دينارٍ، عن أخيه مالك بن دينارٍ، عن أنس بن مالكٍ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن صَلَّى عليَّ مائةً في يومِ الجمعةِ وليلةِ الجمعةِ قَضَى اللهُ له مائةَ حاجَةٍ، سبعين مِن حوائج الآخِرة، وثلاثين مِن حوائج الدُّنيا، ثُمَّ وَكَّلَ اللهُ بذلك مَلَكًا يُدْخِلُهُ عليَّ في قَبْرِي كما يُدْخِلُ عليكم الهدايا، إنَّ عِلْمِي بعد مَوْتي كعِلْمِي في الحياةِ**».

هذا لفظ ابن مَنْدَه، وبهذا اللفظ رواه الأصبهانيُّ في "الترغيب" أيضًا.

ومنها: ما رواه أبو الشَّيخ ابن حَيَّان من طريق أبي معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن صَلَّى عليَّ عند قبري سَمِعْتُهُ، ومَن صَلَّى عليَّ مِن بعيدٍ أُعْلِمْتُهُ**». إسنادٌ جيِّدٌ كما قال الحافظ السخاويُّ.

ومنها: ما رواه الديلميُّ في "مسند الفردوس" قال: أنبأنا والدي: أنبأنا أبو الفضل الكَرابِيسيُّ: أنبأنا أبو العباس بن تركان: حدَّثنا موسى بن سعيد: حدَّثنا أحمد بن حمَّاد بن سفيان: حدَّثني محمد بن عبدالله بن صالحٍ المَرْوَزِيُّ: ثنا بكر بن خِداشٍ، عن فِطْر بن خليفة، عن أبي الطُّفَيل، عن أبي بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أَكْثِرُوا الصَّلاةَ عليَّ فإنَّ اللهَ وَكَّلَ بي مَلَكًا عند قَبْري فإذا صَلَّى عليَّ رَجُلٌ مِن أُمَّتي قال لي ذلك المَلَكُ:**

يا محمَّد إنَّ فلان ابن فلانٍ صَلَّى عليك».

ومنها: ما رواه ابن بَشْكُوال بإسنادٍ ضعيفٍ كما قال الحافظ السخاويُّ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم **«أَكْثِرُوا الصَّلاةَ عليَّ في الليلةِ الزَّهْراءِ واليومِ الأَغَرِّ؛ فإنَّ صَلاتَكُمْ تُعْرَضُ عليَّ فأدعوا لكم وأَسْتَغْفِرُ»**.

ومنها: ما رواه القاضي أبو عبدالله الحصين بن إسماعيل المحامليُّ قال: ثنا أبو حاتمٍ الرَّازيُّ: ثنا ابن أبي مريم: ثنا محمد بن جعفرٍ: حدَّثني حميد بن أبي جعفرٍ، عن الحسن بن عليٍّ عليهما السلام، عن أبيه: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: **«حيثما كنتم فصَلُّوا عليَّ فإنَّ صلاتكم تَبْلُغُني»**.

وروىٰ القاضي إسماعيل في "فضل الصلاة"، عن عليٍّ عليه السَّلام قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: **«صَلُّوا عليَّ وسَلِّموا حيثما كنتم فسَيَبْلُغُني سلامُكُم وصَلاتُكم»**.

ومنها: ما رواه ابن راهويه والحرفيُّ وابن بشران والبيهقيُّ عن ابن عبَّاسٍ قال: ليس أحدٌ مِن أُمَّة محمَّدٍ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يُصَلِّي عليه صلاةً إلَّا وهي تبلغه يقول له المَلَكُ: فلانٌ يُصَلِّي عليك كذا وكذا صلاة.

إسناده صحيحٌ وهو موقوفٌ له حكم الرفع.

ومنها: ما رواه ابن عبدالبر بسندٍ فيه ابن لَهيعة، عن عبدالرحمن بن وردان التابعيِّ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: **«والذي نَفْسي بيَدِهِ ما مِنكُم مِن أَحَدٍ يُسَلِّمُ عليَّ إذا أنا مُتُّ إلَّا جاءَ جبريلُ فيقول: يا محمَّدُ هذا فلان ابن فلانٍ، فيُرفَعُ له في النَّسَبِ حتَّى أعرفه فأقولُ: نَعَمْ. فيقول: هو يَقْرَأُ عليك**

السَّلامُ ورحمةُ الله وبركاتُهُ. فأقول: وعليك السَّلامُ ورحمةُ الله وبركاتُهُ».

ومنها: ما رواه إسماعيل القاضي قال: حدَّثنا سليمان بن حربٍ: ثنا جرير بن حازمٍ قال: سمعتُ الحسن- هو البصريُّ- يقول: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لا تَأْكُلُ الأرضُ جَسَدَ مَن كَلَّمَهُ رُوحُ القُدُسِ**». هذا مرسلٌ صحيح الأسناد.

وروىٰ الزبير بن بكَّار والبيهقيُّ عن أبي العالية قال: إنَّ لحوم الأنبياء لا تُبليها الأرضُ ولا تأكلها السِّباعُ.

وروىٰ القاضي إسماعيل عن إبراهيم بن الحجَّاج: ثنا وهيب، عن أيوب قال: بلغني -والله أعلم- أنَّ مَلَكًا مُوكَّلٌ بكلِّ مَن صَلَّىٰ علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حتَّىٰ يُبلِّغَهُ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

وقال أيضًا: حدَّثنا عبدالرحمن بن واقدٍ العطَّار: ثنا هُشَيْمٌ: ثنا حصين بن عبدالرحمن، عن يزيد الرَّقاشيِّ قال: إنَّ مَلَكًا مُوكَّلٌ يومَ الجمعةِ بمَن صَلَّىٰ علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يُبَلِّغُ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، يقول: إنَّ فلانًا مِن أُمَّتك يُصَلِّي عليك.

ورواه سعيد بن منصور في "سننه" وبقيُّ بن مخلدٍ، ومن طريقه ابن بَشْكُوال، لكن بدون ذِكْر يوم الجمعة.

وقال الدارميُّ في "سننه": أنبأنا مروان بن محمَّدٍ، عن سعيد بن عبدالعزيز قال: لما كان أيام الحَرَّة لم يُؤَذَّن في مسجد النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ثلاثًا ولم يُقَم ولم يَبْرَحْ سعيد بن المُسيِّب المسجد، وكان لا يعرف وقت الصَّلاة إلَّا بهَمْهَمَةٍ يَسْمَعُها مِن قبر النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

وروى أبو نعيمٍ في "الدلائل" من طريق لُوَيْنٍ قال: حدَّثنا عبدالحميد بن سليمان، عن أبي حازم، عن سعيد بن المُسيِّب قال: لقد رأيتني ليالي الحرَّة وما في مسجد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم غيري، وما يأتي وقتُ الصَّلاةِ إلَّا سمعتُ الأذان مِن القبر، ثُمَّ أتقدَّمُ فأُقِيمُ وأُصَلِّي، وإنَّ أهلَ الشامِ ليدخلون المسجدَ زُمَرًا فيقولون انظروا إلى الشَّيخ المجنون.

وأخرجه ابن سعد في "الطبقات" عن سعيدٍ أيضًا: أنه كان يلازم المسجد أيام الحَرَّة والناس يَقْتَتلون، قال: فكنتُ إذا حانت الصَّلاةُ أسمعُ أذانًا يخرج مِن قِبل القبر الشريف.

وروى الزبير بن بكَّار في "أخبار المدينة" عنه أيضًا قال: لم أزل أسمع الأذان والإقامة في قبر رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أيام الحَرَّة حتَّى عادَ النَّاسُ.

وقال إبراهيم بن بشَّار: حَجَجْتُ سنةً من السنين فجئتُ المدينة فتقدَّمتُ إلى قبر رسول الله عليه وآله وسلم فسَلَّمتُ عليه فسمعتُ مِن داخل الحُجرة وعليك السلام. نقله التقيُّ السُّبكيُّ في "شفاء السِّقام".

وروينا من طرقٍ عن العلَّامة الإمام الشَّيخ محمد بن عبدالرحمن الخطاب شارح "مختصر خليل" قال: مشينا مع شيخنا العارف بالله الشَّيخ عبدالمعطي التونسيِّ لزيارة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فلمَّا قربنا مِن الروضة الشريفة تَرَجَّلْنا ومعنا الشَّيخ، فجعل رحمه الله تعالى يمشي ويقف حتى وَصَلْنا إلى الروضة الشريفة، فجعل الشَّيخ -نفعنا الله به- يتكَلَّم وهو مواجه لقبر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فلمَّا انصرفنا مِن الزيارة سألناه فقال: كنتُ أطلبُ

مِن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم القُدوم عليه فإذا قال لي: «أقدم يا عبدالمعطي» قَدِمْتُ وإلَّا انتظرتُ، قال: فلمَّا وصلتُ إلىٰ الروضة قلت: يا رسول الله أكل ما في البخاري عنك صحيحٌ؟ فقال: «صحيحٌ». قلت: أرويه عنك يا رسول الله؟ قال: «ارْوِهِ عنِّي».

قلت: أروي هذه الحكاية في ثبت العلامة الشَّيخ يوسف الحسيني الحلبي المسمَّىٰ "كفاية الراوي والسامع" وفي غيره من الأثبات، وهي صحيحةٌ مرويةٌ من طريق الحطَّاب أحد أئمَّة المالكية عن شيخه أحد كبار الأولياء.

وقد ثبت عن جماعةٍ من الكبار كأبي العبَّاس المرسي وغيره أنهم كانوا إذا سلَّموا علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم سمعوا رَدَّ سلامه، وقد ذكرتُ طَرَفًا مِن ذلك في كتاب "الحُجَجِ البيِّنات في إثبات الكرامات"، وهو مختصرٌ مفيدٌ.

وقال ابن أبي الدُّنيا: حدَّثني سويد بن سعيدٍ: حدَّثني ابن أبي الرِّجال، عن سليمان بن سُحَيْمٍ قال: رأيتُ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في النوم فقلت: يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك فيُسَلِّمون عليك أتفقه سلامهم؟ قال: «نعم وأردُّ عليهم».

قلت: هذه رؤيا حقٌّ مؤيَّدةٌ بحديث أبي هريرة في ردِّ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم سلام مَن يُسَلِّم عليه.

وبما رواه أبو يعلىٰ عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**والذي نَفْسُ أبي القاسِمِ بيَدِهِ ليَنْزِلَنَّ عيسى ابن مريمَ إمامًا مُقْسِطًا، وحَكَمًا عَدْلًا، فليَكْسِرَنَّ الصَّليبَ، وليَقْتُلَنَّ الخِنْزيرَ، وليُصْلِحَنَّ ذاتَ**

البَيْنِ، وليُذْهِبَنَّ الشَّحْناءَ، وليَعْرِضَنَّ المَالَ فلا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ، ثُمَّ لئن قامَ على قَبْري فقال: يا محمَّدُ لأُجِيبَنَّهُ».

قال الحافظ الهيثميُّ: «رجاله رجال الصحيح».

وبما رواه الحاكم عن أبي هريرة أيضًا قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ليَهْبِطَنَّ ابن مريمَ حَكَمًا عَادِلًا وإمامًا مُقْسِطًا، وليَسْلُكَنَّ فَجًّا حاجًّا أو مُعْتَمِرًا، وليأتينَّ قَبْري حتَّى يُسَلِّمَ عليَّ ولأَرُدَنَّ عليه**».

صحَّحه الحاكم وسلَّمه الذهبيُّ.

ويؤخذ من هذا الحديث أيضًا طلب زيارة القبر الشريف والرحلة إليه للسلام علىٰ ساكنه عليه صلوات الله وتسليماته، وقد قال الإمام أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم النبيل ما نصُّه: «وكان عمر بن عبدالعزيز يبعثُ بالرسول قاصدًا مِن الشام إلىٰ المدينة ليقرئ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم السلام ثُمَّ يرجع».اهـ

وذكره ابن الجوزيِّ في "مثير الغرام الساكن" كما ذكره غيره، وهو مرويٌّ عن عمر بن عبدالعزيز مِن طرقٍ كثيرةٍ، فهو مُسْتَفِيضٌ عنه كما قال التقيُّ السُّبكيُّ.

والمقصود: أنَّ حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في قبورهم ثابتةٌ مقطوعٌ بها لا يُنازِع فيها مَن في قَلْبِهِ ذَرَّةُ إيمانٍ.

أمَّا الحديث الذي أخرجه أحمد وأبو داود وغيرهما عن أبي هريرة أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ما مِن أَحَدٍ يُسَلِّمُ عليَّ إلَّا رَدَّ اللهُ إليَّ**

رُوحِي حتَّى أردَّ عليه السلام». وظاهره يفيد مفارقة الروح لبدنه الشريف في بعض الأوقات، فأجاب عنه العلماء بعَدَّة أجوبةٍ أوصلها الحافظ السيوطيُّ في كتاب "إنباء الأذكياء بحياة الأنبياء" إلى خمسة عشر جوابًا.

منها: وهو جواب البيهقيِّ في "حياة الأنبياء" أنَّ جملة: «رَدَّ اللهُ» حالية ماضوية مُقَدَّرٌ فيها «قد»كقوله تعالى: ﴿أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ [النساء: ٩٠] أي قد حصرت، و«حتَّى» حرف عطف لا للتعليل والمعنى: «ما مِن أحد يُسَلِّمُ عليَّ إلَّا قد رَدَّ اللهُ روحي قبل ذلك فأردَّ عليه».

ومنها: وهو للتقيِّ السُّبكيِّ في "شفاء السقام"، وهو أن يكون رَدَّ الرُّوح ردًّا معنويًّا، وذلك أنَّ روحه الشريفة مُشتغِلَةٌ بشهود الحَضْرَة الإلهيَّة والملأ الأعلى مِن هذا العالم، فإذا سُلِّمَ عليه أقبلت رُوحُهُ الشريفة وردَّت السلام، فعَبَّر عن هذا الإقبال بالردِّ.

ومنها: أنَّ هذا إعلامٌ بثبوت وصف الحياة دائمًا لثبوت رَدِّ السلام دائمًا، فوصف الحياة لازمٌ لرَدِّ السلام واللازم يجب وجوده عند ملزومه أو ملزوم ملزومه، فوصف الحياة ثابتٌ دائمًا؛ لأن ملزوم ملزومه ثابتٌ دائمًا.

قال القسطلانيُّ: «وهذا مِن نَفَثاتِ سِحْرِ البيان في إثبات المقصود بأكمل أنواع البلاغة وأجمل فنون البراعة التي هي قطرةٌ مِن بحار بلاغته العُظْمَى».اهـ

وبيان اللوازم المذكورة في هذا الجواب أنَّ سلام أفراد الأُمَّة على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ملزومٌ لرَدِّ سلامه عليهم، ورَدُّ السلام ملزومٌ لوصف الحياة.

وأشار إلى هذا المعنى الحافظ السخاويُّ في "القول البديع"، فإنه ذَكَرَ جملةً مِن الأحاديث في رَدِّ السلام وقال: «يؤخذ منها حياته على الدوام؛ إذ مِن المحال أن يخلو الوجود مِن مُسْلِمٍ يُسَلِّمُ عليه في ساعةٍ مِن ليلٍ أو نهارٍ، ونحن نؤمن ونُصَدِّق بأنَّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حيٌّ يُرزَق في قبره، وأنَّ جسده الشريف لا تأكله الأرضُ، والإجماع على هذا».اهـ

وقد أطلت هذا البحث بعض الإطالة؛ لأن كثيرًا مِن الوهَّابيين الجهلة يُنكِرون حياة الأنبياء في قبورهم، ويقولون إنهم كغيرهم من الناس يَبْلُون وهذا جهلٌ وضلالق عافانا الله مِنه بجاه نبيِّه.

(تنبيه): زَعَمَ المُتنطِّع أنَّ البخاريَّ ضعَّف إسناد حديث: «**إنَّ اللهَ حرَّم على الأرضِ أن تأكُلَ أجسادَ الأنبياءِ**». وهذا كذبٌ على البخاريِّ، فليُتنبَّه له، والله أعلم.

ثُمَّ قال المُتنطِّع: «وقد اشتهر بين الناس أنَّ الأولياء والعلماء والمؤذِّنين لا تَبْلَى أجسادُهم، وليس لهذا مُستنَدٌ صحيحٌ».اهـ

وأقول: تقدَّم فيما نقلته عن أخي السيِّد أحمد أنه ورد مِن ثلاثة طرقٍ أنَّ: «**المُؤذِّنَ المُحْتَسِبَ كالشَّهيدِ المُتشَحِّطِ في دَمِهِ، وإذا ماتَ لم يُدَوَّدْ في قَبْرِهِ**».

وورد من ثلاثة طرق أيضًا أنَّ: «**حامِلَ القرآنِ العامِلَ به لا تأكُلُ الأرضُ لَحْمَهُ**». وأخرج المَرْوَزيُّ عن قتادة قال: بلغني أنَّ الأرضَ لا تُسَلَّطُ على جسد الذي لم يعمل خطيئةً.

وقال الحافظ السهيليُّ في الكلام على قصة عبدالله بن الثامر التي فيها أنه وجد على عهد عمر بن الخطاب في خربة من خرب نجران قاعدًا واضعًا يده

على ضربةٍ في رأسه فإذا أخرت يده عنها تنبعث دمًا وإذا أرسلت يده ردَّها عليها فأمسكت دمها، وفي يده خاتم مكتوب فيه ربِّي الله، وأنَّ عمر أبلغ ذلك فكتب أن يقرَّ على حاله ويرد عليه الدفن كما كان، ما نصُّه: «وذكر -يعني ابن إسحاق في السيرة- مَن وَجَدَ أنَّ عبدالله التامر في خربة من خرب نجران يُصَدِّقه قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ ﴾ [آل عمران: ١٦٩] الآية.

وما وجد في صدر هذه الأُمَّة مِن شهداء أحدٍ وغيرهم على هذه الصورة لم يتغيَّروا بعد الدهور الطويلة كحمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، فإنه وُجِد حين حفر معاوية العين صحيحًا لم يتغيَّر وأصابت الفأس أصبعه فدميت.

وكذلك أبو جابر عبدالله بن حرامٍ، وعمرو بن الجموح، وطلحة بن عبيدالله رضي الله عنهم استخرجته بنته عائشة من قبره حين رأته في المنام يأمرها أن تنقله من موضعه، فاستخرجته بعد ثلاثين سنة لم يتغيَّر، ذكره ابن قتيبة في "المعارف" والأخبار بذلك صحيحةٌ.

وقد قال عليه السلام: «**إنَّ اللهَ حَرَّمَ على الأرضِ أن تأكُلَ أجسادَ الأنبياءِ**» أخرجه سليمان بن الأشعث.

وذكر أبو جعفر الدواديُّ هذا الحديث بزيادة: «**الشُّهداء والعُلماء والمؤذِّنين**» وهي زيادةٌ غريبةٌ لم تقع لي في مُسنَدٍ، غير أنَّ الدواديَّ مِن أهل الثقة والعِلْم.

وفي "المسند" مِن طريق أنسٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**الأنبياءُ أحياءٌ يُصَلُّون في قبورهم**». انفرد به ثابت البُناني عن أنسٍ.

وقد رُوي أنَّ ثابتًا التمس في قبره بعدما دُفِن فلم يوجد، فذُكِر ذلك لبنته فقالت: كان يُصَلِّي فلم تروه؛ لأني كنت أسمعه إذا تهجَّد بالليل يقول: اللهمَّ اجلعني ممن يُصَلِّي في قبره بعد الموت.

وفي الصحيح أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَرَرْتُ بموسى عليه السلام وهو يُصَلِّي في قَبْرِهِ**».اهـ

وقال الحافظ ابن رجب في كتاب "أهوال القبور" ما نصُّه: «وأمَّا مَن شُوهِد بدنه طريًّا صحيحًا، وأكفانه عليه صحيحةٌ بعد تطاول المُدَّة مِن غير الأنبياء عليهم السلام فكثيرٌ جدًّا، ونحن نذكر مِن أعيانهم جماعة:

قال عمر بن شيبة: حدَّثني محمد بن يحيى: حدَّثنا هشام، عن عبدالله بن عكرمة، عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: لما سقط جدار بيت النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وعمر بن عبدالعزيز على المدينة انكشفت قدم من القبور التي في البيت فأصابها شيءٌ فدميت، ففَزِعَ مِن ذلك ابن عبدالعزيز فَزَعًا شديدًا فدخل عروة البيت فإذا القدم قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال لعمر: لا ترع هي قدم عمر بن الخطاب، فأمر بالجدار فبني ورد على حاله.

وقال أبو القاسم البغويُّ: حدَّثنا عبدالأعلى بن حمَّاد: ثنا عبدالجبار بن الورد: سمعت أبا الزبير يقول: سمعتُ جابر بن عبدالله يقول: كتب معاوية إلى عامله أن يجري عَيْنًا إلى أُحُدٍ، فكتب إليه عامله: أنها لا تجري إلَّا على قبور الشهداء. فكتب إليه: أن أنفذها. قال: سمعت جابرًا يقول: فرأيتهم يخرجون على رقاب الرجال كأنهم رجال نوم حتى أصابت المسحاة قدم حمزة فانبعثت دَمًا.

وروى مالكٌ عن عبدالرحمن بن أبي صَعْصَعَةَ: أنه بلغه أنَّ عمرو بن الجَمُوحِ وعبدالله بن عمرو الأنصاريَّ كانا في قبرٍ واحدٍ، وهما ممَّن استُشْهِدَ يومَ أُحُدٍ فحُفِرَ عليهما ليُغَيَّرا مِن مكانهما، فوُجِدا لم يتغيَّرا كأنهما ماتا بالأمس، وكان أحدهما قد خرج فوضع يده على جرحه فدفن وهو هكذا فأشيلت يده عن جرحه ثُمَّ أرسلت فرجعت كما كانت، وكان بين أُحُدٍ وبين ما حفر عليهما ست وأربعون سنة.

وقال ابن أبي الدُّنيا: ثنا أحمد بن عاصم: ثنا سعيد بن عامرٍ، عن المثنَّى بن سعيدٍ قال: لما قدمت عائشة بنت طلحة البصرة أتاها رجلٌ فقال إنِّي رأيتُ طلحة بن عبيدالله في المنام فقال: قُلْ لعائشة تُحوِّلني مِن هذا المكان فإنَّ النزَّ - أي رشح الماء- آذاني. فركبت في مواليها وحشمها فضربوا عليها واستثاروه فلم يتغيَّر منه إلَّا شعرات في إحدى شِقَّي لحيته، أو قال رأسه، حتَّى حُوِّل إلى موضعه وكان بينهما بضع وثمانون سنة.

وبإسناده عن عليِّ بن زيد بن جُدْعَان، عن أبيه أنه قال: رأيت طلحة لما حُوِّلَ مِن مكانه، فرأيت الكافور في عينية ولم يتغيَّر منه شيءٌ إلَّا عَقِيصَتُهُ مالت عن مكانها.

وقال في كتاب "الأولياء" كتب إلي أبو عبدالله محمد بن خلف بن صالح التيميُّ: أنَّ إسحاق ابن أبي نباته مكث ستين سنة يُؤذِّن لقومه في مسجد بني عمرو بن سعد -يعني بالكوفة- وكان يُعَلِّم الغِلْمان في الكُتَّاب ولا يأخذ الأجر، ومات قبل أن يحفر الخندق بثلاثين سنة، فلما حفر الخندق وكان بين

المقابر ذهب بعض أصحابه يستخرجه ووقع قبره في الخندق، فاستخرجوه كما دفن لم يتغيَّر منه شيءٌ إلَّا أنَّ الكفن قد جفَّ عليه ويبس، والحنوط محطوطٌ عليه، وكان خضيبًا فرأوا وجهه مكشوفًا وقد ظهر الحنَّاء في أطراف الشعر.

فمضىٰ المُسيِّب بن زهير إلىٰ أبي جعفر المنصور وهو علىٰ شاطئ الفرات فأخبره، فركب أبو جعفر في الليل حتىٰ رآه فأمر به فدفن بالليل لئلا يفتتن الناس.

وفي "الترمذي" في سياق حديث صهيب المرفوع في قصة أصحاب الأخدود أنَّ ذلك الغلام الذي قتله الملِك وآمن الناس كلهم وقالوا: آمنا بربِّ الغلام. وجد في زمان عمر بن الخطاب ويده علىٰ جرحه كهيئته حين مات.

وقد ذكر محمد بن القرظي وزيد بن أسلم وغيرهما قصة عبدالله بن التامر وهو رأس أصحاب الأخدود وقصته شبيهة بقصة الغلام المخرَّجة في "الترمذيِّ"، وأنه وُجِدَ في زمان عمر رضي الله عنه بنجران ويده علىٰ جرحه، وأنَّ جرحه يَدْمي. وكذا ذكره ابن إسحاق عن عبدالله بن أبي بكر بن عمرو بن حزمٍ.

وذكر ابن أبي الدُّنيا في كتاب "القبور" قصة دانيال لما وجده أبو موسىٰ بالسوس، وأخبارًا كثيرة من أخبار المتقدِّمين في هذا المعنىٰ.

وذكر أبو الفرج ابن الجوزيِّ أنَّ الشريف أبا جعفر بن أبي موسىٰ لما دُفن بجانب قبر الإمام أحمد بعد موت أحمد بمائتي سنة، رئي كفن الإمام أحمد وهو يَتَقَعْقَعُ.

قال: ولما كشف قبر البَرَبْهاريِّ فاحت ببغداد رائحةٌ طيبةٌ ملأت المدينة.

قال: وحدَّثنا محمد بن منصور بن يوسف حدَّثني أبي قال: كنت في جملة من كشف ابن سمعون لما نقل من بيته إلى مقبرة الإمام أحمد بعد أربعين سنة وكَفَنُهُ يَتَقَعْقَعُ».اهـ

وقصة نقل طلحة بن عبيدالله أسندها ابن عبدالبر في "الاستيعاب" مِن طرقٍ، وقال الحافظ العراقيُّ في "طرح التثريب" في الكلام على حديث أبي هريرة: «**كلُّ ابن آدمَ يأكُلُهُ التُّرابُ إلَّا عَجْبَ الذَّنَبِ**» ما نصه: «الرابعة: كون ابن آدم يأكله التراب عامٌّ مخصوصٌ؛ فإنَّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا تَبْلَى أجسامهم الكريمة، وقد قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ اللهَ حَرَّمَ على الأرضِ أن تأكُلَ أجسادَ الأنبياءِ**».

واستثنى ابن عبدالبر معهم الشهداء، وحسبك ما جاء في شهداء أُحُدٍ وغيرهم.

ثُمَّ ذكر حديث جابرٍ لما نقل أباه في خلافة معاوية حين أراد إجراء العين التي في أسفل أُحُدٍ وقوله: «وأخرجناهم رطابًا يتثنون فأصابت المسحاة أصبع رجلٍ منهم فتقطَّر الدَّمُ»، واقتصر القاضي عياض على قوله: «وكثيرٌ من الشهداء» فدل على أنه يرى أنَّ بعض الشهداء قد تأكل الأرض جسده، ولعله أشار ذلك إلى المبطون ونحوه من الملحقين بالشهداء، وضمَّ أبو العباس القرطبيُّ إلى الصنفين المُؤذِّن المُحتسِبُ؛ لقوله عليه الصَّلاة والسَّلام: «**المُؤذِّنُ المُحْتَسِبُ كالمُتَشَحِّطِ في دَمِهِ، وإذا ماتَ لم يُدَوَّدْ في قَبْرِهِ**». قال: «وظاهر هذا أنَّ

الأرضَ لا تأكلُ أجسادَ المُؤذِّنين المُحتسِبين».اهـ

وقال الحافظ في "الفتح" في الكلام على حديث: «**كلُّ ابن آدم يأكُلُهُ التُّرابُ**» ما نصُّه: «قال العلماء: هذا عامٌّ يُخصُّ منه الأنبياء؛ لأنَّ الأرض لا تأكل أجسادهم، وألحق ابن عبد البرِّ بهم الشهداء، والقرطبيُّ المُؤذِّن المُحتسِب، قال عياض: فتأويل الخبر وهو: «**كلُّ ابن آدمَ يأكلُهُ التُّرابُ**» أي: كلُّ ابن آدمَ مما يأكله التراب، وإن كان التراب لا يأكل أجسادًا كثيرةً كالأنبياء».اهـ

وقال الحافظ السخاويُّ في "القول البديع" ما نصُّه: «السادسة: يؤخذ مِن هذه الأحاديث أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حَيٌّ على الدوام، وذلك أنه محالٌ عادةً أن يخلو الوجود كلُّه مِن واحدٍ يُسَلِّم عليه في ليلٍ ونهارٍ، ونحن نؤمن ونُصَدِّق بأنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حيٌّ يُرزَق في قبره، وأنَّ جسده الشريف لا تأكله الأرض، والإجماع على هذا، وزاد بعض العلماء: الشُّهداء والمؤذِّنين، وقد صحَّ أنه كشف عن غير واحدٍ من العلماء والشهداء فوُجِدُوا لم تتغيَّر أجسامهم، والأنبياء أفضل مِن الشُّهداء جَزْمًا».اهـ

وذكر الحافظ السيوطيُّ في "شرح الصدور" جملة آثارٍ في هذا المعنى مَعْزُوَّةً لابن أبي الدُّنيا وغيره.

وذكر العلامة الشَّيخ أحمد بابا في ترجمة الوليِّ الكبير سيِّدي محمد بن سليمان الجزوليِّ صاحب "دلائل الخيرات" أنه نُقِلَ مِن قبره بعد موته بسبع وسبعين سنة فوُجِد كهيئته يوم دُفن لم يتغيَّر منه شيءٌ.

وذكر النسابة الفضيليُّ في "الدرر البهية" أنَّ الشريف الصالح الزاهد سيدي عبدالملِك بن محمد بن طاهر بن الحسن بن الحفيد الإدريسيَّ مَرَّ على قبره

فرسٌ فزلَّت رجله فانكشف القبرُ عنه فوُجِد كأنه دُفن الآن لم يتغيَّر مِن جسده شيءٌ، وذلك بعد دفنه بأكثر من أربعين سنة، وحضر لذلك جماعةٌ مِن الشرفاء والعلماء، منهم الفقيه العلامة القاضي السيِّد الصادق بن هاشم وشاهدوه».اهـ

ونُقِلَ العلامة الوليُّ الكبير السيِّد محمد بن جعفرٍ الكتانيُّ الحسنيُّ بعد دفنه بأربعة أشهر فوجد على حاله لم يتغيَّر منه شيءٌ.

والأخبار في هذا الباب كثيرةٌ جدًّا يعسر استقصاؤها بل يتعذَّر.

وممَّا شاهدته بنفسي أنَّ والدتي رحمها الله رضي عنها توفيت بجمعٍ[1] ليلة السابع والعشرين من رمضان سنة (١٣٤١) ودُفنت بزاويتنا الصِّدِّيقيَّة التي أنشأها مولانا الإمام الوالد رضي الله عنه بطنجة، ثُمَّ في اليوم السادس من شوال سنة ١٣٥٤ اختار الله والدي لجواره فدُفِن في الزواية في مكانٍ أوصى أن يُدفَن فيه، ورأينا أن ننقل الوالدة إلى جانبه حيث يكون عليهما ضريحٌ واحدٌ فوجدناها كهيئتها لم يتغيَّر منها شيءٌ، شاهدت ذلك بنفسي حين نزلت إلى قبرها، وشاهدت الأخوان الذين قاموا بنقلها في تابوتٍ عُمِل لذلك، وكانوا أكثر من عشرين، فتعجَّبنا وازددنا يقينًا.

وقد كانت والدتي من الصالحات العابدات، وكانت منقطعة النظير في الكرم وحسن الخُلُق، ولها فراسةٌ حادَّةٌ وأخلاقٌ حميدةٌ جَمَّةٌ.

وهي حفيدة الوليِّ الشهير والعارف الكبير سيِّدي أحمد بن عجيبة الحسنيِّ

---

(١) المرأة تموت بجمعٍ هي التي تموتُ بالنِّفاس وولدها في بطنها، وهي مِن الشهداء كما في الحديث.

صاحب "شرح الحكم" وغيره مِن المؤلَّفات، وقد نقل هو أيضًا بعد موته بنحو عشرين سنة لنزٍّ -أي رشح ماء- كان في قبره فوجد كهيئته، إلَّا أن شِقَّ وجهه الذي يلي الأرض أصابه اخضرارٌ مِن أثر النزِّ.

وبما ذكرناه علم بطلان ما زعمه المُتنطِّع وبالله التوفيق.

قراءة القرآن للموتى

ثُمَّ قال المُتنطِّع: «ومما ينبغي علمه هنا أنَّ قراءة القرآن لا تصل الميت ولا تنفعه؛ لإجماع أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم والتابعين لهم على ترك ذلك، ولأنَّ اللهَ ذَكَرَ في القرآن أنَّ حِكْمَة إنزاله إنذارٌ وتبشيرٌ للأحياء كما قال تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ [يس: ٧٠] بعد قوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٩] وقوله: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩] الآية، وغير ذلك. وجميع ما ورد من الآحاديث في قراءة القرآن على الموتى في سورة (يس) وسورة (قل هو الله أحد) باطلٌ فاجْتَنِبْهُ».اهـ

وأقول: اشتمل كلامه على خطأ في الدعوى، وغلطٍ في الاستدلال، وكذبٍ في النقل.

فدعواه أنَّ قراءة القرآن لا تصل الميت ولا تنفعه خطأ، واستدلاله بالآيات المذكورة غلطٌ، ونقله إجماع الصحابة والتابعين على ترك القراءة على الميت كذبٌ، وكذلك دعواه بطلان الأحاديث الواردة في قراءة (يس) و(قل هو الله أحد).

وبيان ذلك بتفصيلٍ وإيضاحٍ: أنَّ قراءة القرآن على الموتى وإهداء ثوابها إليهم مسألةٌ اختلف فيها العلماء، وقد تكلَّم عليها ابن القيِّم في كتاب "الروح"

فأجاد، كما تكلَّم عليها ابن الصلاح والحافظ وغيرهم، ونحن نلخِّص ما قالوه حتىٰ يظهر الحقُّ واضحًا لا غبار عليه.

فنقول: مشهور مذهب مالكٍ والشافعيِّ أنَّ قراءة القرآن لا تصل الميت، ومذهب أحمد وأكثر المتقدِّمين أنها تصل، وهو الذي رَجَّحُهُ مُتأخِّروا المالكيَّة وغيرهم.

قال النوويُّ في "الأذكار" بعد حكاية الإجماع علىٰ أنَّ الدعاء يصل الميت وينفعه ثوابه ما نصُّه: «واختلف العلماء في وصول ثواب قراءة القرآن، فالمشهور مِن مذهب الشافعيِّ وجماعةٍ أنه لا يصل، وذهب أحمد بن حنبلٍ وجماعةٌ من العلماء وجماعةٌ من أصحاب الشافعيِّ إلىٰ أنه يصل، فالاختيار أن يقول القارئ بعد فراغه: اللهمَّ أوصل ثوابَ ما قرأتُه إلىٰ فلانٍ».اهـ

وقال ابن القيِّم: «واختلفوا في العبادة البدنية كالصوم والصلاة وقراءة القرآن والذكر، فمذهب الإمام أحمد وجمهور السلف وصولها، وهو قول بعض أصحاب أبي حنيفة، نصَّ علىٰ هذا الإمام أحمد في رواية محمد بن يحيىٰ الكحَّال قال: قيل لأبي عبدالله: الرجل يعمل الشيء مِن الخير من صلاةٍ وصدقةٍ أو غير ذلك فيجعل نصفه لأبيه أو لأُمِّه؟ قال: أرجو. وقال: الميت يصل إليه كل شيءٍ مِن صدقةٍ أو غيرها. وقال أيضًا: اقرأ آية الكرسي ثلاث مرات، و(قل هو الله أحد) وقل: اللهمَّ إنَّ فضله لأهل المقابر.

والمشهور مِن مذهب الشافعيِّ ومالكٍ أن ذلك لا يصل، وذهب بعض أهل البِدَع من أهل الكلام أنه لا يصل إلىٰ الميت شيءٌ البتَّة لا دعاء ولا غيره».اهـ

وقال الحافظ في "الجواب الكافي عن السؤال الخافي" ما نصُّه: «وأمَّا الحادي عشر وهو هل يصل ثواب القراءة للميت؟ فهي مسألةٌ مشهورةٌ، وقد كتبت فيها كراسة، والحاصل أنَّ أكثر المتقدِّمين من العلماء على الوصول، وأنَّ المختار الوقف عن الجزم على المسألة مع استحباب عمله والإكثار منه».اهـ

وأفتى ابن رشدٍ -من أئمة المالكية- أنَّ الميت ينتفع بقراءة القرآن ويصل إليه نفعه ويحصل له أجره إذا نوى القارئ عند القراءة هبة ثواب قراءته له».اهـ

واعتمده غير واحدٍ مِن المتأخِّرين، قال ابن هلال المالكيُّ في "نوازله": «وبه جرى عمل الناس شرقًا وغربًا، ووقفوا على ذلك أوقافًا، واستمرَّ عليه الأمر أزمنة سالفة».اهـ

قال القرطبيُّ: «وقد كان الشَّيخ عزُّ الدين بن عبدالسلام يفتي بأنه لا يصل الميت ثواب ما يُقرأ له، فلما تُوفِّي رآه بعض أصحابه فقال له: إنك كنت تقول: لا يصل إلى الميت ثواب ما يُقرأ ويُهدَى إليه، فكيف الأمر؟ قال له: كنت أقول ذلك في دار الدنيا والآن فقد رجعت عنه لما رأيتُ مِن كرم الله وأنه يصل إليه ثواب ذلك».اهـ

وهكذا قال غير واحدٍ من العلماء إنَّ قراءة القرآن تصل إلى الميت، وهو القول الصحيح الذي لا يجوز العدول عنه؛ لأنه ثبت في "الصحيحين" عن عائشة أنَّ رجلًا أتى النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: يا رسول الله إنَّ أُمِّي افتلتت نفسها ولم توصِ، وأظنها لو تكلَّمت تصدقت أفلها أجرٌ إن تصدقتُ عنها؟ قال: «نعم».

وفي "صحيح مسلم" عن أبي هريرة أنَّ رجلًا قال: يا رسول الله، إنَّ أبي

مات وترك مالًا ولم يوصِ، فهل يكفي عنه أن أتصدَّق عنه؟ قال: «**نعم**».

وفي السنن و"مسند أحمد" عن سعد بن عبادة أنه قال: يا رسول الله إنَّ أُمَّ سعدٍ ماتت، فأيُّ الصدقة أفضل؟ قال: «**الماء**». فحفر بئرًا وقال: هذه لأُمِّ سعدٍ.

وفي "الصحيحين" عن عائشة أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن ماتَ وعليه صِيامٌ صامَ عنه وَلِيُّهُ**».

وفي "الصحيحين" عن ابن عبَّاسٍ قال: جاء رجلٌ إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: يا رسول الله، إنَّ أُمِّي ماتت وعليها صوم شهرٍ، أفأقضيه عنها؟ قال: «**نَعَمْ، فدَيْنُ الله أحَقُّ أن يُقْضَى**».

وفي "صحيح مسلم" عن بُرَيدة قال: بينا أنا جالسٌ عند رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إذ أتته امرأةٌ فقالت: إني تصدَّقت على أُمِّي بجاريةٍ، وإنها ماتت؟. فقال: «**وَجَبَ أَجْرُكِ ورَدَّها عليك الميراثُ**» قالت: يا رسول الله، إنه كان عليها صوم شهرٍ أفأصوم عنها؟ قال: «**صُومي عنها**». قالت: إنها لم تَحُجَّ قطُّ أفأحُجُّ عنها؟ قال: «**حُجِّي عنها**».

وفي "صحيح البخاري" عن ابن عبَّاسٍ أنَّ امرأةً من جهينة جاءت إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقالت: إنَّ أُمِّي نذرت أن تحجَّ فلم تحجَّ حتَّى ماتت أفأحُجُّ عنها؟ قال: «**نَعَمْ، حُجِّي عنها، أرأيتِ لو كان على أُمِّكِ دينٌ كنت قاضيةً؟ اقْضُوا اللهَ، فالله أحَقُّ بالوفاء**».

وفي هذا الحديث مشروعية القياس كما قال الحافظ وغيره.

وفي السُّنن و"صحيح ابن خزيمة" عن أبي رَزينٍ -بفتح الراء- العُقيليِّ -

بالتصغير- أنه قال: يا رسول الله، إنَّ أبي شيخٌ كبيرٌ لا يستطيع الحجَّ ولا العمرة. قال: «**حُجَّ عن أبيك واعْتَمِرْ**».

وبقيت أحاديث أخرىٰ تركتها اختصارًا.

فإذا ثبت بهذه الأحاديث الصحيحة وغيرها وصول الصدقة والصيام والحجِّ والعمرة إلىٰ الميت ثبت جزمًا وصول قراءة القرآن إليه؛ لأنَّ كلًّا مِن قراءة القرآن والصدقة والصوم والحجِّ والعمرة عبادةٌ، فإذا ثبت وصول بعضها إلىٰ الميت لزم وصول بعضها الآخر إليه، والتفريق تحكُّمٌ لا دليل عليه، وهذا من القياس الواضح الجليِّ.

بل في ورود النصِّ بوصول الحجِّ إلىٰ الميت نصٌّ ضمنيٌّ بوصول القراءة إليه؛ لأن الحجَّ يشتمل علىٰ عباداتٍ كثيرٌ منها قراءة القرآن وهذا واضحٌ جدًّا.

وقال ابن القيِّم بعد أن أطال في بيان وصول الأعمال المهداة إلىٰ الميت وأفاض في الاستدلال لذلك، ما نصُّه: «وأمَّا قراءة القرآن وإهداؤها له تَطَوُّعًا بغير أجرةٍ فهذا يصل إليه كما يصل ثواب الصوم والحجِّ.

فإن قيل: فهذا لم يكن معروفًا في السلف ولا يمكن نقله عن واحدٍ منهم مع شدَّة حرصهم علىٰ الخير، ولا أرشدهم النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إليه، وقد أرشدهم إلىٰ الدعاء والاستغفار والصدقة والحجِّ والصيام، فلو كان ثواب القراءة يصل لأرشدهم إليه ولكانوا يفعلونه.

فالجواب: أنَّ مُورِد هذا السؤال إن كان معترفًا بوصول ثواب الحجِّ والصيام والدعاء والاستغفار قيل له: ما هذه الخاصية التي منعت وصول ثواب القرآن واقتضت وصول ثواب هذه الأعمال؟ وهل هذا إلَّا تفريقٌ بين

المتماثلات؟، وإن لم يعترف بوصول تلك الأشياء إلى الميت فهو محجوجٌ بالكتاب والسُّنَّة والإجماع وقواعد الشرع.

وأمَّا السبب الذي لأجله لم يظهر ذلك في السلف فهو أنه لم يكن لهم أوقافٌ على من يقرأ ويهدي إلى الموتى، ولا كانوا يعرفون ذلك البتَّة، ولا كانوا يقصدون القبر للقراءة عنده كما يفعله الناس اليوم، ولا كان أحدهم يشهد من حضره من الناس على أنَّ ثواب هذه القراءة لفلان الميت بل ولا ثواب هذه الصدقة والصوم، ثُمَّ يقال لهذا القائل: ولو كُلِّفتَ أن تنقل عن واحدٍ من السلف أنه قال: اللهمَّ ثواب هذا الصوم لفلان. لعجزت فإنَّ القوم كانوا أحرص شيءٍ على كتمان أعمال البرِّ، فلم يكونوا ليشهدوا على الله بإيصال ثوابها إلى أمواتهم.

فإن قيل: فرسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أرشدهم إلى الصوم والصدقة والحجِّ دون القراءة.

قيل: هو صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لم يبتدئهم بذلك بل خرج ذلك منه مخرج الجواب لهم، فهذا سأله عن الحجِّ عن ميِّته فأذن له، وهذا سأله عن الصيام عنه فأذن له، وهذا سأله عن الصدقة فأذن له، ولم يمنعهم مما سوى ذلك. وأيُّ فرقٍ بين وصول ثواب الصوم الذي هو مجرَّد نيَّةٍ وإمساكٍ وبين وصول ثواب القراءة والذِّكر، والقائل: إنَّ أحدًا من السلف لم يفعل ذلك قائلٌ ما لا عِلْمَ له به، فإنَّ هذ الشهادة على نفي ما لم يعلمه، فما يدريه أنَّ السلف كانوا يفعلون ذلك ولا يشهدون من حضرهم عليه، بل يكفي اطلاع علَّام الغيوب على نياتهم ومقاصدهم، لاسيما والتلفُّظ بنية الإهداء لا يشترط كما تقدَّم.

وسرُّ المسألة أنَّ الثواب مِلْكٌ للعامل فإذا تبرَّع به وأهداه إلى أخيه المسلم أوصله الله إليه، فما الذي خَصَّ مِن هذا ثواب قراءة القرآن وحجر على العبد أن يوصله إلى أخيه، وهذا عمل الناس حتى المنكرين في سائر الأعصار والأمصار من غير نكيرٍ من العلماء».اهـ كلامه وهو جيِّدٌ مفيدٌ.

إلَّا أنَّ قوله: «ولا كانوا يقصدون القبر للقراءة عنده كما يفعل الناس اليوم». ليس بصحيحٍ، بل ثبت عنهم ذلك ونقله ابن القيِّم نفسه في أول كتاب "الروح" ثُمَّ ذَهَلَ عنه هنا.

وأنا أذكر ما ورد في ذلك:

قال الطبرانيُّ في "معجمه": حدَّثنا الحسين بن إسحاق التُّسْتَرِيُّ: ثنا عليُّ بن حجر[1]: ثنا مُبشِّر بن إسماعيل: حدَّثني عبدالرحمن بن العلاء بن اللَّجْلاجِ عن أبيه قال: قال أبي اللَّجْلاجُ أبو خالدٍ: يا بُنيَّ إذا أنا مُتُّ فألحدني فإذا وضعتني في لحدي فقل: بسم الله وعلى مِلَّة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ثُمَّ شنَّ على التراب شَنًّا، ثُمَّ اقرأ عند رأسي بفاتحة (البقرة) وخاتمتها فإنِّي سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول ذلك.

ورجال السند مُوثَّقون كما قال الحافظ الهيثميُّ.

---

(١) وقع هذا السند في "نصب الراية" المطبوع على نفقة المجلس العلمي بالهند هكذا: ثنا علي بن بحر: ثنا علي بن بشر بن إسماعيل. وكتب مصححه البجنوري يقول في نسخة الدار «ثنا بشر بن إسماعيل».

قلت: كل ذلك خطأ والصواب ما ذكرته هنا، وقد وقع في "نصب الراية" أغلاط رغم اعتناء المجلس العلمي بطبعه وتصحيحه.

وروىٰ الطبرانيُّ والبيهقيُّ في "الشعب" عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**إذا ماتَ أَحَدُكم فلا تَحْبِسُوهُ وأَسْرِعُوا بِهِ إلى قَبْرِهِ، وليُقْرَأْ عند رَأْسِهِ فاتِحَةِ الكِتابِ**».

ولفظ البيهقيِّ: «**فاتحة (البقرة)، وعند رِجْلَيْهِ بخاتمةِ (سورة البقرة) في قبره**».

وقال البيهقيُّ أيضًا: حدَّثنا أبو عبدالله الحافظ: ثنا أبو العباس بن يعقوب: ثنا العباس بن محمد قال: سألت يحيىٰ بن معينٍ عن القراءة عند القبر فقال: حدَّثني مُبشِّر بن إسماعيل الحلبيُّ، عن عبدالرحمن بن العلاء بن اللَّجْلاجِ، عن أبيه: قال لبنيه: إذا أنا متُّ فضعوني في قبري وقولوا: بسم الله وعلىٰ سُنَّة رسول الله. وسنُّوا علىٰ التراب سَنًّا ثُمَّ اقرأوا عند رأسي أول (سورة البقرة) وخاتمتها فإني رأيت ابن عمر يستحبُّ ذلك.

قال الحافظ في "أمالي الأذكار"، هذا موقوفٌ حسنٌ.

قلت: العلاء بن اللجلاج تابعيٌّ وأبوه اللجلاج صحابيٌّ.

وليس بين هذه الرواية ورواية اللجلاج تناقضٌ كما قد يتوهَّم؛ لأن اللجلاج روىٰ ما سمعه من النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كما رواه ابن عمر، والعلاء روىٰ ما سمع ابن عمر يوصي به، وإنما نبَّهت علىٰ هذا مع وضوحه لئلا يدعي جاهلٌ مُتنطِّعٌ ضعف الحديث واضطرابه.

وفي كتاب "الروح" لابن القيِّم ما نصُّه: «وقد ذكر عن جماعةٍ مِن السَّلَف أنهم أوصوا أن يقرأ عند قبورهم وقت الدَّفْنِ، قال عبدالحق يروىٰ أنَّ عبدالله بن عمر أمر أن يُقرأ عند قبره سورة (البقرة)، وممن رأىٰ ذلك عبدالرحمن بن العلاء، وكان الإمام أحمد ينكر ذلك أوَّلًا حيث لم يبلغه فيه أثرٌ، ثُمَّ رجع عن ذلك.

وقال الخلال في "الجامع": «كتاب القراءة عند القبور: أخبرنا العباس بن محمد الدوري: ثنا يحيىٰ بن معين: ثنا مبشر الحلبي: حدَّثني عبدالرحمن بن العلاء بن اللَّجْلاجِ، عن أبيه قال: قال أبي إذا مُتُّ فضعني في اللَّحْدِ وقل: بسم الله وعلىٰ سُنَّة رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وسنَّ عليَّ الترابَ سَنًّا، واقرأ عند رأسي بفاتحة (البقرة) وخاتمتها؛ فإنِّي سمعت عبدالله بن عمر يقول ذلك.

قال عباس الدوريُّ سألت أحمد بن حنبلٍ قلت: تحفظ في القراءة علىٰ القبر شيئًا؟ قال: لا. وسألت يحيىٰ بن معينٍ فحدَّثني بهذا الحديث.

قال الخلال: وأخبرني الحسن بن أحمد الورَّاق: حدَّثني عليُّ بن موسىٰ الحدَّاد -وكان صدوقًا- قال: كنتُ مع أحمد بن حنبلٍ ومحمد بن قدامة الجوهريِّ في جنازةٍ، فلمَّا دُفن الميت جلس رجلٌ ضريرٌ يقرأ عند القبر، فقال له أحمد: يا هذا إنَّ القراءة عند القبر بدعةٌ. فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة لأحمد بن حنبلٍ: يا أبا عبدالله ما تقول في مُبشِّرٍ الحلبيِّ؟ قال: ثقةٌ. قال: كتبت عنه شيئًا قال: نَعَمْ. قال: فأخبرني مُبشِّرٌ، عن عبدالرحمن بن العلاء بن اللَّجْلاجِ، عن أبيه: أنه وصىٰ إذا دُفن أن يقرأ عند رأسه بفاتحة (البقرة) وخاتمتها. وقال: سمعتُ ابن عمر يوصي بذلك.

فقال له أحمد: فارجع وقل للرجل[1] يقرأ.

وقال الحسن بن الصباح الزعفرانيُّ: سألتُ الشافعيَّ عن القراءة عند القبر فقال: لا بأس بها.

---

(١) انظر إلىٰ إنصاف الإمام أحمد وسرعة رجوعه إلىٰ الصواب ووازنه بحال الوهابية وشدَّة تعصُّبهم لرأيهم الفاسد.

وذكر الخلال عن الشَّعْبيِّ قال: «كانت الأنصار إذا مات لهم الميت اختلفوا إلى قبره يقرأون عنده القرآن. قال وأخبرني أبو يحيى الناقد قال: سمعت الحسن بن الجروي يقول: مررت على قبر أخت لي فقرأت عندها (تبارك) لما يُذكَر فيها، فجاءني رجلٌ فقال: إني رأيت أختك في المنام تقول: جزى الله أبا عليٍّ خيرًا فقد انتفعتُ بما قرأ.

أخبرني الحسن بن الهيثم قال: سمعت أبا بكر بن الأطروش ابن أخت نصر النمار يقول: كان رجلٌ يجئ إلى قبر أُمِّه يوم الجمعةِ فيقرأ سورة (يس) فجاءه في بعض أيامه فقرأ سورة (يس) ثُمَّ قال: اللهمَّ إن كنتَ قسمت لهذه السورة ثوابًا فاجعله في أهل هذه المقابر. فلما كان في يوم الجمعةِ التي تليها جاءت امرأةٌ فقالت أنت فلان بن فلانةٍ؟ قال: نعم. قالت: إنَّ بنتًا لي ماتت فرأيتها في النوم جالسةً على شفير قبرها، فقلت ما أجلسك ههنا؟ قالت: إنَّ فلان ابن فلانةٍ جاء إلى قبر أُمِّه فقرأ سورة (يس) وجعل ثوابها لأهل المقابر فأصبنا مِن روح ذلك، أو غفر لنا أن نحو ذلك».اهـ

ويؤيِّد هذا ما رواه أحمد وأبو داود والنَّسائيُّ واللفظ له وابن ماجه عن معقل بن يسارٍ: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**قَلْبُ القرآنِ سورةُ (يس) لا يقرأها رجلٌ يريد اللهَ والدَّارَ الآخِرَةَ إلَّا غُفِرَ له، اقرأوها على موتاكم**». صحَّحه ابن حِبَّان والحاكم، وذكر ابن حِبَّان أنَّ المراد بالموتى مَن حَضَرَهُ الموتُ، ورَجَّحَهُ ابن القيِّم بوجوهٍ ذكرها في كتاب "الروح"، لكن أخذ ابن الرفعة بظاهر الحديث فصحَّح أنها تقرأ بعد الموت، وذكر الشوكانيُّ أنَّ لفظ الموتى حقيقة فمن مات، ولا يعدل عن الحقيقة إلَّا بقرينةٍ، ولا مانع عندي من

قراءتها على المُحْتَضِر ليتدبَّر ما فيها، وعلى الميت لينفعه ثوابها.

قال القرطبيُّ في "التذكار": «وذكر الثعلبيُّ عن أبي هريرة أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن دَخَلَ المقابرَ فقرأ سورة (يس) خَفَّفَ اللهُ عنهم يومئذٍ، وكان له بعدد مَن فيها مِن حسناتٍ**».اهـ

ورواه عبدالعزيز صاحب الخلال مِن حديث أنسٍ أيضًا، وروى القاضي أبو بكر بن عبدالباقي الأنصاري في "مشيخته" عن سلمة بن عبيدالله: قال حمَّاد المكيُّ: خرجتُ ليلةً إلى مقابر مكة، فوضعت رأسي على قبرٍ فنمتُ فرأيتُ أهل المقابر حلقة حلقة فقلت: قامت القيامة؟ قالوا: لا ولكن رجل مِن إخواننا قرأ: (قل هو الله أحد) وجعل ثوابها لنا فنحن نقسمه منذ سنةٍ.

وقال محمد بن أحمد المروزيُّ: سمعت أحمد بن حنبلٍ يقول: إذا دخلتم المقابرَ فاقرأوا بفاتحة الكتاب والمُعوِّذتين و(قل هو الله أحد) واجعلوا ثواب ذلك لأهل المقابر، فإنه يصل إليهم.

وقال النوويُّ في الكلام على زيارة القبور مِن "شرح المهذب": «ويستحب أن يقرأ من القرآن ما تيسَّر ويدعوا لهم عقبها، نصَّ عليه الشافعيُّ، واتفق عليه الأصحاب».اهـ

وقال في "الأذكار" في باب ما يقوله بعد الدفن: «قال الشافعيُّ والأصحاب: يستحب أن يقرأوا عنده شيئًا مِن القرآن، قالوا: فإن ختموا القرآن كلَّه كان حسنًا، وروينا في "سنن البيهقي" بإسنادٍ حسنٍ: أنَّ ابن عمر استحب أن يقرأ على القبر بعد الدفن أول سورة (البقرة) وخاتمتها».اهـ

وذكر الذهبيُّ في "تذكرة الحفاظ" في ترجمة الخطيب البغداديِّ أنه لما تُوفِّي

قُرئ على قبره عِدَّة ختماتٍ.

فتبيَّن من هذه الآثار والنصوص أنَّ القراءة عند القبر كانت معروفةً عن السَّلَفِ.

كما تبيَّن مِن مجموع ما قدَّمناه: أنَّ قراءة القرآن تصل الميت كما يصله الدعاء والصدقة والحجُّ والصيام، وليس للمانعين من الوصول ما يصلح لأن يُتمسَّك به إلَّا قوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم: ٣٩] ولا دليل فيها على منع الوصول أصلًا كما تبيَّن مما سيأتي، وقد توهَّم جماعةٌ أنها تقتضي منع وصول عمل الغير إلى الميت فأجابوا عنها بعِدَّة أجوبةٍ:

أحدها: أنها منسوخةٌ بقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم ﴾ [الطور: ٢١] الآية. أدخل الأبناء الجنة بصلاح الآباء. نقل عن ابن عبَّاسٍ.

الثاني: أنها خاصَّةٌ بقوم إبراهيم وموسى صلوات الله على نبيِّنا وعليهما. فأمَّا هذه الأُمَّة المرحومة فلها ما سَعَتْ وما سُعِي لها. قاله عكرمة.

الثالث: أنَّ المراد بالإنسان هنا الكافر، فأمَّا المؤمن فله ما سَعَى وما سُعِي له. قاله الربيع ابن أنس.

الرابع: أنَّ «اللام» في ﴿لِلْإِنسَٰنِ﴾ بمعنى «على» أي: ليس على الإنسان إلَّا ما سَعَى.

الخامس: أنَّ في الآية حذفًا تقديره: «وأن ليس للإنسان إلَّا ما سَعَى أو سُعِي له».

السادس: أنَّ المراد بالإنسان في الآية: الحي دون الميت.

وهذه الأوجه لا تخلوا مِن ضعفٍ، بل فيها ما هو باطلٌ.

السابع: أن ليس للإنسان إلَّا ما سعىٰ من طريق العدل، فأمَّا مِن باب الفضل فجائزٌ أن يزيده الله تعالىٰ ما شاء. قاله الحسين بن الفضل.

الثامن: أنَّ الإنسان بسعيه وحسن عشرته اكتسب الأصدقاء وأولد الأولاد ونكح الأزواج، وأسند الخير وتودَّد إلىٰ الناس فترحَّموا عليه وأهدوا له العبادات، وكان ذلك أثر سعيه كما قال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ أطيبَ ما أكَلَ الرَّجُلُ مِن كَسْبِهِ، وإنَّ وَلَدَهُ مِن كَسْبِهِ**». قاله أبو الوفا ابن عقيل.

قال ابن القيِّم: «وهذا جوابٌ مُتوسِّطٌ يحتاج إلىٰ تمامٍ، فإنَّ العبد بإيمانه وطاعته لله ورسوله قد سَعَىٰ في انتفاعه بعمل إخوانه المؤمنين مع عمله، كما ينتفع بعملهم في الحياة مع عمله، فإنَّ المؤمنين ينتفع بعضهم بعمل بعضٍ في الأعمال التي يشتركون فيها، كالصلاة في جماعةٍ، فإنَّ كلَّ واحدٍ منهم تُضاعَف صلاته إلىٰ سبعة وعشرين ضعفًا لمشاركة غيره له في الصلاة، فعمل غيره كان سببًا لزيادة أجره، كما أنَّ عمله سبب لزيادة أجر الآخر، بل قد قيل: إنَّ الصلاة يُضاعف ثوابها بعدد المُصلِّين، وكذلك اشتراكهم في الجهاد والحجِّ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتعاون علىٰ البرِّ والتقوىٰ.

وقد قال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**المؤمنُ للمؤمن كالبُنيان يَشُدُّ بعضُهُ بَعْضًا**» وشَبَّك بين أصابعه، ومعلومٌ أنَّ هذا بأمور الدِّين أولىٰ منه بأمور الدُّنيا، فدخول المسلم مع جملة المسلمين في عقد الإسلام من أعظم الأسباب في وصول نفع كلٍّ مِن المسلمين إلىٰ صاحبه في حياته وبعد مماته، ودعوة المسلمين تحيط من ورائهم.

وقد أخبر الله عن حَمَلَةِ العرش ومَن حوله أنهم يستغفرون للمؤمنين ويدعون لهم، وأخبر عن دعاء رسله واستغفارهم للمؤمنين، كنوحٍ وإبراهيمَ ومحمَّدٍ صلى الله عليهم وسلم، فالعبد بإيمانه قد تسبَّب إلى وصول هذا الدعاء إليه، فكأنه مِن سعيه، يُوضِّحه أنَّ الله سبحانه وتعالى جعل الإيمان سببًا لانتفاع صاحبه بدعاء إخوانه من المؤمنين وسعيهم، فإذا أتى به فقد سَعَى في السبب الذي يوصل إليه ذلك.

وقد دلَّ على ذلك قول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لعمرو بن العاص: «**إنَّ أباك لو كان أقرَّ بالتوحيد نَفَعَهُ ذلك**» يعني العتق الذي فعل عنه بعد موته، فلو أتى بالسبب لكان قد سعى في عمل يوصل إليه ثواب العتق وهذه طريقةٌ لطيفةٌ حسنةٌ جدًّا».اهـ

والحديث الذي أشار إليه رواه أحمد وغيره عن عبدالله بن عمرٍو: أنَّ العاص بن وائل نذر في الجاهلية أن ينحر مائة بدنةٍ، وأنَّ هشام بن العاص نحر خمسة وخمسين، وأنَّ عَمْرًا سأل النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن ذلك فقال: «**أمَّا أبوك فلو أقرَّ بالتوحيد؛ فصُمْتَ وتَصَدَّقْتَ عنه نَفَعَهُ ذلك**» فالحديث يفيد أنَّ سبب انتفاع الميت بها يهدي إليه من الأعمال إيمانه وتوحيده.

التاسع: مِن الوجوه في الجواب عن الآية أنها لم تنفِ انتفاع الرجل بسعي غيره، وإنما نفت ملكه لغير سعيه، وبين الأمرين فرقٌ لا يخفى، فأخبر الله تعالى أنَّ الإنسان لا يملك إلَّا سعيه، أمَّا سعي غيره فهو مِلْكٌ لساعيه، فإن شاء أن يبذله لغيره وإن شاء أن يبقيه لنفسه، وهو سبحانه لم يقل لا ينتفع إلَّا بما سعى، قال ابن القيِّم: «وكان شيخنا -يعني ابن تيمية- يختار هذه الطريقة ويرجِّحها».اهـ

وفي تفسير "الكشاف" للزمخشريِّ ما نصُّه: «فإن قلت: أما صحَّ في الأخبار الصدقة عن الميت والحجُّ عنه وله الأضعاف؟ قلت فيه جوابان:

أحدهما: أنَّ سعي غيره لما لم ينفعه إلَّا مبنيًّا على سعي نفسه، وهو أن يكون مؤمنًا صالحًا، وكذلك الأضعاف كان سعي غيره كأنه سعي نفسه لكونه تابعًا له وقائمًا بقيامه.

والثاني: أنَّ سعي غيره لا ينفعه إذا عمله لنفسه، ولكن إذا نواه به فهو بحكم الشرع كالنائب عنه والوكيل القائم مقامه».اهـ

وتقييده المؤمن بكونه صالحًا مبنيٌّ على رأي المعتزلة في أنَّ مرتكب الكبيرة يخلد في النَّار، وهو خلاف الحقِّ، والصواب ما تقدَّم أنَّ الإيمان سببٌ في انتفاع الميت بما يُهدَى إليه، دلَّ عليه قوله تعالى في حملة العرش: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [غافر: ٧] وقوله عليه الصلاة والسلام لعمرو: «**أمَّا أبوك فلو أقرَّ بالتوحيد فصُمْتَ وتَصَدَّقْتَ عنه نَفَعَهُ ذلك**». ودلائل أخرى كثيرةٌ.

وفي فتاوي الحافظ ابن الصلاح ما نصُّه: «مسألة في قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ وقد ثبت أنَّ أعمال الأبدان لا تنتقل، وقد ورد عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا ماتَ الإنسانُ انقطعَ عَمَلُهُ إلَّا مِن ثلاثٍ: صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ يُنتَفَعُ به، أو وَلَدٍ صالحٍ يَدْعُو له**». وقد اختلف في القرآن هل يصل إلى الميت أو لا، وكيف يكون الدعاء يصل إليه والقرآن أفضل؟».

أجاب رضي الله عنه: «هذا قد اختلف فيه، وأهل الخير وجدوا البركة في مواصلة الأموات بالقرآن، وليس الاختلاف في هذه المسألة كالاختلاف في

الأصول، بل هي من مسائل الفروع وليس نصُّ الآية المذكورة دالًّا على بطلان قول مِن قال أنه يصل؛ فإنَّ المراد به -أي نصِّ الآية- أنه لا حقَّ له ولا جزاء إلَّا فيما يَسْعَى، ولا يدخل ما يتبرَّع به الغير مِن قراءةٍ ودعاءٍ، وأنه لا حقَّ في ذلك ولا مجازاة، وإنما أعطاه الغير تبرُّعًا، وكذلك الحديث لا يدل على بطلان قوله فإنه في عمله وهذا من عمل غيره».اهـ

والخلاصة: أنَّ الآية لا دلالة فيها على عدم وصول ما يُهدَى إلى الميِّت مِن الأعمال.

وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [يس: ٦٩ - ٧٠] ليس فيه دلالةٌ على منع إهداء ثواب القراءة للميِّت.

ولا أعلم أحدًا استدلَّ به لذلك قبل المُتنطِّع، ولعلَّه لغباوته فهم أنَّ قوله تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ يدل بمفهومه على أنَّ القرآن لا يُهدَى إلى الميِّت وهذا فهمٌ طريفٌ، وقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩] أبعد من سابقه في الدلالة على المنع، والاستدلال به على ذلك دليلٌ آخر على غباوة المُتنطِّع. وأين حديث تدبُّر آيات القرآن مِن حديث إهداء الثواب الحاصل بتلاوته لفلان؟!. تالله إنَّ بينهما لبَوْنًا شاسِعًا، ولكن ما الحيلة في غباوة المُتنطِّع وسوء فهمه؟!!.

وبعد، فإنَّ ثواب القرآن يصل إلى الميِّت وينفعه كما تقدَّم بيان ذلك مُوَضَّحًا بدليله، وقد أُفرد هذ الموضوع بالتأليف.

فلإبراهيم بن المظفر كتاب "وصول القرآن للميت"، وللحافظ ضياء الدين بن عبدالواحد المقدسيِّ جزءٌ في ذلك أيضًا، وللحافظ ابن حجرٍ فيه كراسة كما تقدَّم في كلامه، وطبع منذ بضع سنوات كتاب يُسمَّى "كشف الشبهات عن إهداء القرآن وسائر القُرَب إلى الأموات" وهو كتابٌ جامعٌ في هذا الموضوع، ألَّفه الشَّيخ محمود ربيع بمعونة أخي السيِّد أحمد بن الصِّدِّيق والشَّيخ علي البولاقي.

بل لم يصنع فيه شيئًا إلَّا أنه سطا على معلوماتهما وجهودهما واغتصبها بسيف الحياء والصداقة، ونسبها إلى نفسه، وتلك عادته في أغلب مؤلَّفاته ومطبوعاته.

وقد فعل معي ذلك أيضًا في كتاب "التعريف والإعلام" للسهيليِّ أعطيته نسخة منه ليطبعها وشفعتها بترجمة المؤلف، ولم يكن يعرف عنه شيئًا بل صرَّح لي بأنه ما سمع باسمه قبل ذلك الوقت، وأمددته بمعلوماتٍ كانت مادَّة تعليقاته، وقمت بتصحيح الكتاب، فأنكر كلَّ هذا وادَّعى أنَّ الكتاب عثر عليه في بطون المكاتب، وأنه رآه جديرٌ بالنشر، وأنه لقي تعبًا كبيرًا في تصحيحه، و... و... إلخ.

فلما عبتُ عليه هذا المسلك في نُكران الجميل، اعتذر بنسبة هذا التصرُّف إلى ابنه، مع أنه هو الذي يكتب له كلَّ ما يصدر باسمه، ثُمَّ تدارك الأمر بعض التدارك فكتب في آخر لحظة: راجعه للمرة الأخيرة فلانٌ واستخرج هذه الأغلاط... إلخ.

فما جزاء هؤلاء المدَّعين الدُّخَلاء؟ وماذا أعدَّ اللهُ لهم مِن العقاب على ما

جَنَوْهُ؟ إنه سبحانه المُنفرِدُ بعلم ذلك، والمُجازي كلَّ نَفْسٍ بما كسبت هنالك.

(تنبيه): جرت عادة بعض الناس أن يقرأوا (الفاتحة) ويهدوها إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وقد اختلف فيها المتأخِّرون كما بيَّن ذلك ابن القيِّم حيث قال ما نصُّه: «فإن قيل فما تقولون في الإهداء إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؟ قيل: مِن الفقهاء المتأخِّرين مَن استحبَّه ومنهم من لم يستحبَّه ورآه بدعةً؛ فإنَّ الصحابة لم يكونوا يفعلونه، وإنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم له أجر كلِّ مَن عمل خيرًا مِن أُمَّته من غير أن ينقص مِن أجر العامل شيءٌ؛ لأنه هو الذي دلَّ أُمَّته على كلِّ خيرٍ وأرشدهم ودعاهم إليه، ومَن دعا إلى هدًى فله مِن الأجر مثل أجور مَن تَبِعَهُ مِن غير أن ينقص مِن أجورهم شيءٌ، وكلُّ هدًى وعلمٍ فإنما نالته أُمَّته على يده، فله مثل أجر مَن اتبعه أهداه إليه أو لم يُهده، والله أعلم».اهـ

وعندي أنه لا مانع مِن إهداء قرآنٍ أو غيره إليه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وإن كان له ثواب ما تعمله أُمَّته مِن الخير؛ إذ لم يأتِ دليلٌ يمنع الإهداء المذكور، وكون الصحابة لم يفعلوه لا يدل على منعه.

وهذا آخر كتاب "الرد المحكم المتين" جعله الله عملًا مُتقبَّلًا مشكورًا، وجعل سعينا صالحًا مبرورًا، إنه البرُّ الرحيم والجواد الكريم.

وكان الفراغ مِن تبييضه صبيحة يوم الجمعة ثاني يوم عيد الأضحى المبارك سنة ١٣٦٤ وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا والحمد لله ربِّ العالمين.

اللهمَّ إنِّي أسألك عِلْمَ الخائفين لك، وخوف العالمين بك، ويقين المتوكِّلين عليك، وتوكُّل المؤمنين بك، وإنابة المُخْبتين إليك، وإخبات المُنيبين إليك، وشكر الصابرين لك، وصبر الشاكرين لك، ونجاة الأحبَّاء المرزوقين عندك.

اللهمَّ يا واسع المغفرة ويا باسط اليدين بالرحمة افعل بي ما أنت أهله.

إلهي أذنبتُ في بعض الأوقات، وآمنت بك في كلِّ الأوقات، فكيف يغلب بعض عمري مُذنبًا جميع عمري مؤمنًا.

إلهي لو سألتني حسناتي لجعلتها لك مع شدَّة حاجتي إليها وأنا عبدٌ، فكيف لا أرجو أن تهب لي سيِّئاتي كلها مع غناك عنها وأنت ربٌّ، فيا مَن أعطانا خير ما في خزائنه وهو الإيمان به قبل السؤال، لا تمنعنا أوسع ما في خزائنك وهو العفو مع السؤال.

إلهي حُجَّتي حاجتي وعُدَّتي فاقتي فارحمني.

إلهي كيف أمتنع بالذنب من الدعاء، ولا أراك تمنع مع الذنب من العطاء، فإن غفرت فخير راحمٍ أنت، وإن عذبت فغير ظالمٍ أنت.

إلهي أسألك تذلُّلًا فأعطني تفضُّلًا، إلهي أذقني برد عفوك وأنلني مزيد فضلك وتب علي إنَّك أنت التوَّاب الرحيم.

تذييل

رأيت أن أقوم بواجب النصيحة فأنبِّه على ما شاع بين كثيرٍ من الناس في توسُّلاتهم وزياراتهم للأولياء، فقد توسَّعوا في ذلك توسُّعًا غير مُرْضٍ، وخرجوا عن الحدِّ المشروع وفاهوا بألفاظ منكرة مثل:

إلى ألفاظٍ مِن هذا القَبيل ظاهرها يقتضي الكفر، مع ما ينضمُّ إلى ذلك من تقبيل العَتَبات والأبواب، والتمسُّح بالحديد والخشب، والدخول إلى الضريح على هيئة الرَّاكع أو الساجد، مع تكتيف الأيدي خلف الظهر، وكلُّ هذا ممنوعٌ غير مشروعٍ، والأولياء أنفسهم لا يرضون به، بل يتألَّمون من فعله ويتبرَّأون مِن فاعله.

وليت الأمر اقتصر بالمتوسِّلين عند هذا الحدِّ مِن المُنكَرات القبيحة ولكنهم زادوا في الطين بلَّةً فتوسَّلوا بالكفَّار أعداء الله ورسوله، فتراهم يذبحون إلى الأمير تادروس بكنيسة حارة الروم، لطلب الحبل وقضاء الحوائج!!. ويذهبون إلى العريان في دير بطرة، وله مولدٌ كلَّ عامٍ، وتُرتَكَب فيه فواحش ومنكرات!!.

ويذهبون إلى القِدِّيسة سانت تريزا في كنيسة بشبرا لطلب الحوائج أيضًا!!.

ويحكون عن هؤلاء كراماتٍ في إجابة الطلب وقضاء الحاجات، فأي مسلمٍ يرضى لنفسه أو لأهله وأولاده هذا الكفر الصريح القبيح المصادم لدين الإسلام؟! لأنَ هؤلاء الكفَّار -ومعهم كلُّ نصرانيٍّ ويهوديٍّ- أعداء الله ورسوله، وأعداء دينه، وهم مُخلَّدون في النَّار لا يخرجون منها أبدًا حتى يلج الجَمَلُ في سَمِّ الخِياطِ.

فكيف يسوغ في عقل أحدٍ -كيفما كان تفكيره- أن يتوسَّل إلى الله بأعدائه وأعداء رسوله وأعداء دينه؟! إنَّ هذا منتهى الجهل وغاية الكفر عافانا الله بمَنِّه وكرمه.

وكثيرٌ مِن النِّساء يذهبن يوم الجمعة إلى المغاوري في مغارة بجبل المُقطَّم يطلبن الحبل والأولاد، فتهتك أعراضهنَّ مِن ساكني تلك المغارة وهم قوم إباحيون يعرفون بالبكتاشية، لا يُحرِّمون حرامًا ولا يدينون بدينٍ، يشربون الخمور ويزنون ويُلَوِّطون، بل بلغ من فجورهم أن ينزو بعضهم على بعضٍ كما تنزو الحمير، لا والله بل الحمير أحسن حالًا منهم؛ لأننا لم نعهد حمارًا ينزو على حمارٍ مثله، كما يفعل هؤلاء الفجرة المُلْحِدون، هذا وهم يتمتَّعون بعطف الحكومة ورعايتها ولهم أوقافٌ تدر عليهم خيراتٍ ومَبرَّاتٍ، فإلى الله المُشتكَى وبه المستعان وعليه التُّكلان.

فيا أيها المسلم الشحيح بدينه الحريص على حفظ عرضه وكرامته، عليك أن تجتنب تلك المُوبِقات المُنكَرات وتُجنِّبها أهلك وعشيرتك وإخوانك، واقتصر في زيارتك وتوسُّلك على الجائز المشروع.

ودَعْ كلَّ لفظٍ مُوهِمٍ، وكلَّ تعظيمٍ يُؤدِّي بك إلى المحظور الممنوع، كتقبيلٍ[1] وتمسُّحٍ وسجودٍ وركوعٍ، ولا تذهب إلى قبر كافرٍ في ديرٍ كان أو في

---

(١) وإن كان أحمد أجاز تقبيل القبر، قال الحافظ العراقي: أخبرني الحافظ أبو سعيد العلائي قال: رأيت في كلام ولد أحمد بن حنبل في جزء قديم عليه خط ابن ناصر وغيره من الحفاظ أن الإمام أحمد سئل عن تقبيل قبر النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وتقبيل غيره فقال: لا بأس بذلك فأريناه ابن تيمية فصار يتعجب من ذلك ويقول:

كنيسةٍ، ولا تُصَدِّق ما يُحكَىٰ عنه من الكرامات، واعتقد أنَّ ذلك كله كذبٌ وجهلٌ وخرافاتٌ، فإن صحَّ لك منه شيءٌ بالمشاهدة والعيان فاعلم أنه مِن فعل الشيطان، واعلم أنَّ الخوارق تحصل علىٰ يد الفجرة الكفرة للاستدراج ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢].

وللشيطان وجنوده في هذا الباب مجالٌ واسعٌ لإضلال الناس وإغوائهم وحملهم علىٰ تعظيم الكفَّار والتبرُّك بهم والاستشفاع بهم إلىٰ الله، فكن يَقِظًا حَذِرًا، واعلم أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال لبعض الصحابة: «**حَيْثُما مَرَرْتَ بقَبْرِ كافِرٍ فبَشِّرْهُ بالنَّارِ**»، وقال أيضًا: «**والذي نَفْسُ محمَّدٍ بيَدِهِ لا يَسْمَعُ بي أحدٌ مِن هذه الأُمَّة يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ ثُمَّ يموتُ ولم يؤمِن بالذي أُرْسِلْتُ به إلَّا كان مِن أصحاب النَّارِ**».

هذه نصيحتي إليك فاعمل بها واحرص عليها والله يتولَّىٰ هُداك.

عندي أحمد جليل يقول هذا؟! قال: وأي عجب في ذلك.

وفي كتاب "العلل والسؤالات" لعبدالله بن أحمد بن حنبل: «سألت أبي عن الرجل يمس منبر النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يتبرك بمسه، ويقبله. ويفعل بالقبر مثل ذلك رجاء ثواب الله تعالىٰ، قال: لا بأس به.

وعن يحيىٰ بن سعيد شيخ الإمام مالك أنه حين أراد الخروج إلىٰ العراق جاء إلىٰ المنبر النبوي فمسحه.

ونقل عن ابن أبي الصيف والمحب الطبري جواز تقبيل قبور الصالحين، نقله العلامة ابن زكري في شرح همزيته بعد أن حكىٰ عن كثير من العلماء خصوصا المالكية كراهة تقبيل القبر، والله أعلم.

٢- إرغامُ المُبتدِعِ الغَبيِّ
بجـواز التوسُّـلِ بالنَّبـيِّ ﷺ

إنَّ التوسُّـــلَ جَـــائِزٌ في شَرْعِنـــا لا يَمْـتَرِي في حُكْمِـهِ شَخْصَـانِ

إلَّا الـــذين توهَّبـــوا بجَهَالَـــةٍ وتوسَّـــمُوا بسَـــفَاهَةٍ بلِســـانِ

قـــد حَرَّمُـــوه وبـــالَغُوا في ذَمِّـــه مِـــن غـــير أن يَـأتوا بـأيِّ بَيـانِ

ولنـا حـديث ابـن حُنيـفٍ حُجَّـةٌ سـيبوء مَـن يأبـاه بالخُسـرانِ

والله يَهْـدِيهم ويَشْـرَحُ صَـدْرَهُمْ لقَبُـولِ مَـا يبـدو مِـن البُرْهـانِ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عُدوان إلَّا على الظالمين والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّدٍ وآله الأكرمين، ورضي الله عن صحابته والتابعين.

وبعد: فإنَّ الشَّيخ الألبانيَّ -سامحه الله تعالى- صاحب غَرَضٍ وهوًى، إذا رأى حديثًا أو أثرًا لا يوافق هواه فإنَّه يسعى في تضعيفه بأسلوبٍ فيه تدليسٌ وغشٌّ، ليوهم قُرَّاءه أنَّه مُصيبٌ مع أنه مخطئٌ بل خاطئ غاشٌّ، وبأسلوبه هذا ضلَّلَ كثيرًا من أصحابه الذين يثقون به ويظنون أنَّه على صوابٍ، والواقع خلاف ذلك.

ومن المخدوعين به، من يُدعى حمدي السلفي الذي يُحقق "المعجم الكبير"، فقد أقدم بجرأةٍ على تضعيف أثرٍ صحيحٍ لم يوافق هواه كما لم يوافق هوى شيخه، وكان كلامه في تضعيفه هو كلام شيخه نفسه، فأردت أن أردَّ الحقَّ إلى نصابه ببيان بطلان كلام الخادع والمخدوع به، وعلى الله اعتمادي وإليه تفويضي واستنادي.

٣٧٢ ـــــــ

عليَّ، فقال له النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ائتِ المِيضأةَ فتوضَّأ ثُمَّ صَلِّ ركعتين، ثُمَّ ادعُ بهذه الدَّعوات**».

قال عثمان بن حنيفٍ: فوالله ما تفرَّقنا وطال بنا الحديث، حتىٰ دخل علينا الرجل كأنَّه لم يكن به ضُرٌّ قطُّ.

صحَّحه الطبرانيُّ، وتعقَّبه حمدي السلفيُّ بقوله:

«لا شك في صحَّة الحديث المرفوع، وإنما الشك في هذه القصة التي يُستدل بها علىٰ التوسُّل المُبتدَع، وهي انفرد بها شَبيبٌ كما قال الطبرانيُّ، وشبيبٌ لا بأس بحديثه، بشرطين: أنْ يكون من رواية ابنه أحمد عنه، وأنْ يكون من رواية شبيبٍ عن يونس بن يزيد، والحديث رواه عن شبيبٍ ابنُ وهب وولداه إسماعيل وأحمد، وقد تكلَّم الثقات في رواية ابن وهبٍ عن شبيبٍ في شبيبٍ، وابنه إسماعيل لا يُعرف، وأحمد وإنْ روىٰ القصة عن أبيه إلَّا أنَّها ليست من طريق يونس بن يزيد، ثُمَّ اختلف فيها علىٰ أحمد. فرواه ابن السني في "عمل اليوم والليلة"، والحاكم من ثلاثة طرق بدون ذكر القصة. ورواه الحاكم، من طريق عون بن عمارة البصري، عن روح بن القاسم به.

قال شيخنا محمَّد ناصر الدين الألبانيُّ: «وعون هذا وإن كان ضعيفًا فروايته أولىٰ من رواية شبيبٍ لموافقتها لرواية شعبة وحمَّاد بن سلمة عن أبي جعفر الخَطْميِّ».اهـ

وفي هذا الكلام تدليسٌ وتحريفٌ نُبيِّنه فيما يلي:

أولًا: هذه القصة رواها البيهقيُّ في "دلائل النبوة"، من طريق يعقوب بن سفيان: حدَّثنا أحمد بن شبيب بن سعيدٍ: ثنا أبي، عن روح بن القاسم، عن أبي

جعفر الخَطْميِّ، عن أبي أُمامة بن سهل بن حنيفٍ، عن عمِّه عثمان بن حنيفٍ: أنَّ رجلًا كان يختلف إلى عثمان بن عفَّان رضي الله عنه... فذكر القصة بتمامها.

ويعقوب بن سفيان: هو الفسويُّ الحافظ الإمام الثقة، بل هو فوق الثقة، وهذا إسنادٌ صحيحٌ، فالقصة صحيحةٌ جدًّا، وقد وافق على تصحيحها أيضًا الحافظ المنذري في "الترغيب" (ج ٢ / ٦٠٦) والحافظ الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٢ / ٢٧٩).

ثانيًا: أحمد بن شبيبٍ من رجال البخاريِّ، روى عنه في "الصحيح"، وفي "الأدب المفرد"، وثَّقه أبو حاتمٍ الرازي وكتب عنه هو وأبو زرعة، وقال ابن عديٍّ: «وثَّقه أهل البصرة، وكتب عنه عليُّ بن المدينيِّ».

وأبوه شبيب بن سعيدٍ التميمي الحبطي البصري أبو سعيد من رجال البخاري أيضًا روى عنه في "الصحيح"، وفي "الأدب المفرد"، وثَّقَه أبو زرعة وأبو حاتمٍ والنَّسائيُّ والذهلي والدارقطني والطبراني في "الأوسط".

قال أبو حاتمٍ: «كان عنده كتب يونس بن زيد، وهو صالح الحديث لا بأس به». وقال ابن عديٍّ: «ولشبيب نسخة الزهري عنده عن يونس عن الزهري أحاديث مستقيمة». وقال ابن المديني: «ثقة كان يختلف في تجارة إلى مصر وكتابه كتابٌ صحيحٌ».

هذا ما يتعلَّق بتوثيق شبيبٍ، وليس فيه اشتراط صحَّة روايته بأن تكون عن يونس بن يزيد، بل صرَّح ابن المديني بأنَّ كتابه صحيحٌ، وابن عديٍّ إنما تكلَّم على نسخة الزهري عن شبيبٍ فقط، ولم يقصد جميع رواياته، فما ادَّعاه الألباني تدليسٌ وخيانةٌ.

يؤكِّد ذلك أنَّ حديث الضرير صحَّحَه الحفَّاظ ولم يرْوِه شبيبٌ، عن يونس، عن الزهريِّ، وإنما رواه عن روح بن القاسم.

ودعواه ضعف القصة بالاختلاف فيها حيث لم يذكرها بعض الرواة عند ابن السُّنِّي والحاكم لونٌ آخر من التدليس؛ لأنَّ من المعلوم عند أهل العلم أنَّ بعض الرواة يروي الحديث وما يتصل به كاملًا، وبعضهم يختصر منه بحسب الحاجة، والبخاريُّ يفعل هذا أيضًا، فكثيرًا ما يذكر الحديث مختصرًا و يوجد عند غيره تامًّا.

والذي ذكر القصة في رواية البيهقيِّ إمامٌ فذٌّ، يقول عنه أبو زرعة الدمشقيُّ: «قدم علينا رجلان من نبلاء الناس، أحدهما وأرحلهما يعقوب بن سفيان يعجز أهل العراق أنْ يَرَوْا مثله رجلًا».

وتقديمه رواية عون الضعيف على من زاد القصة لونٌ ثالثٌ من التدليس والغشِّ، فإنَّ الحاكم روى حديث الضرير من طريق عَوْنٍ مختصرًا ثُمَّ قال: «تابعه شبيب بن سعيد الحبطيُّ، عن روح بن القاسم. زيادات في المتن والإسناد، والقول فيه قول شبيبٍ فإنَّه ثقةٌ مأمونٌ».

هذا كلام الحاكم، وهو يؤكِّد ما تقرَّر عند علماء الحديث والأصول «أنَّ زيادة الثقة مقبولةٌ»، و«أنَّ مَن حفظ حُجَّةً على من لم يحفظ».

والألبانيُّ رأى كلام الحاكم لكن لم يعجبه، لذلك ضرب عنه صفحًا وتمسَّك بأوَّلوية رواية عونٍ الضعيف عنادًا وخيانةً.

ثالثًا: تبيَّن مما أوردناه وحقَّقناه في كشف تدليس الألبانيِّ وغِشِّه أنَّ القصة صحيحةٌ جدًّا رغم محاولاته وتدليساته، وهي تُفيد جواز التوسُّل بالنبيِّ صلَّى الله

عليه وآله وسلَّم بعد انتقاله؛ لأنَّ الصحابيَّ راوي الحديث فَهِمَ ذلك، وفَهْمُ الراوي له قيمته العِلْمية، وله وزنه في مجال الاستنباط.

وإنما قلنا أنَّ القصة مِن فهم الصحابيِّ على سبيل التنزُّل، والحقيقة أنَّ ما فعله عثمان بن حنيفٍ من إرشاده الرجل إلى التوسُّل، كان تنفيذًا لما سمعه من النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، كما ثبت في حديث الضرير.

قال ابن أبي خيثمة في "تاريخه": حدَّثنا مسلم بن إبراهيم: ثنا حمَّاد بن سلمة: أنا أبو جعفر الخَطْميُّ، عن عمارة بن خزيمة، عن عثمان بن حنيفٍ رضي الله عنه: أنَّ رجلًا أعمى أتى النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: إني أُصبْت في بصري فادعُ الله لي، قال: «**اذْهَبْ فتوضَّأ وصَلِّ ركعتين، ثُمَّ قل: اللهمَّ إنِّي أسألُكَ وأتوجَّهُ إليك بنبيِّي محمَّد نبيِّ الرحمة، يا محمَّدُ إنِّي اسْتَشْفَعُ بك على ربِّي في رَدِّ بَصَري، اللهمَّ فشَفِّعْني في نَفْسي وشَفِّعْ نبيِّي فيَّ رَدِّ بَصَري. وإن كانت حاجةً فافعل مثل ذلك**». إسناده صحيحٌ.

والجملة الأخيرة من الحديث تُصرِّح بإذن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في التوسُّل به عند عروض حاجةٍ تقتضيه، وقد أعلَّ ابن تيمية هذه الجملة بعللٍ واهيةٍ بَيَّنْتُ بطلانها في غير هذا المحل، وابن تيمية جريءٌ في ردِّ الحديث الذي لا يوافق غَرَضَه ولو كان في "الصحيح".

مثال ذلك: روى البخاريُّ في "صحيحه" حديث: «**كان الله ولم يكن شيءٌ غيره**». وهو موافقٌ لدلائل النقل والعقل والإجماع المتيقن، لكنَّه خالف رأيه في اعتقاده قِدم العالم، فعمد إلى روايةٍ للبخاريِّ أيضًا في هذا الحديث بلفظ: «**كان اللهُ ولم يكن شيءٌ قَبْلَهُ**» فرجَّحَها على الرواية المذكورة بدعوى أنَّها توافق الحديث

الآخر: «**أنت الأَوَّلُ فليس قَبْلَكَ شيءٌ**».

قال الحافظ ابن حجرٍ: «مع أنَّ قضية الجمع بين الروايتين تقتضي حمل هذه الرواية على الأولى لا العكس، والجمع مقدَّمٌ على الترجيح بالاتفاق».اهـ

قلتُ: تعصُّبه لرأيه أعماه عن فهم الروايتين اللتين لم يكن بينهما تعارض؛ لأنَّ رواية «**كان اللهُ ولم يكن شيءٌ قَبْلَهُ**». تفيد معنى اسمه الأول بدليل: «**أنت الأول فليس قَبْلَكَ شيءٌ**». ورواية: «**كان اللهُ ولم يكن شيءٌ غيره**» تفيد معنى اسمه الواحد بدليل رواية: «**كان اللهُ قبلَ كلِّ شيءٍ**».

مثالٌ ثان: حديث أَمْرُ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بسدِّ الأبواب الشارعة في المسجد وترك باب عليٍّ عليه السَّلام، حديثٌ صحيحٌ، أخطأ ابن الجوزيِّ بذكره في "الموضوعات"، وردَّ عليه الحافظ في "القول المسدد"، وابن تيمية لانحرافه عن عليٍّ عليه السَّلام -كما هو معلومٌ- لم يكفه حكم ابن الجوزيِّ بوضعه، فزاد من كِيسه حكاية اتفاق المحدِّثين على وضعه، وأمثلة ردِّه للأحاديث التي يردُّها لمخالفة رأيه كثيرةٌ يَعْسُر تتبُّعها.

رابعًا: ونقول على سبيل التنزُّل: لو فرضْنا أنَّ القصة ضعيفةٌ تطْييبًا لخاطر الألباني، وأنَّ رواية ابن أبي خيثمة معلولةٌ -كما في محاولة ابن تيمية- قلنا: في حديث توسل الضرير كفايةٌ وغِناءٌ؛ لأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حين علَّم الضرير ذلك التوسل دلَّ على مشروعيته في جميع الحالات، ولا يجوز أنْ يقال عنه: توسلٌ مُبتدعٌ، ولا يجوز تخصيصه بحال حياته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ومن خصَّصَه فهو المُبتدِع حقيقةً؛ لأنَّه عطَّل حديثًا صحيحًا وأبطل العمل به، وهو حرامٌ.

والألباني -عفا الله عنه- جريءٌ على دعوى التخصيص والنسخ لمجرَّد خلاف رأيه وهواه، فحديث الضرير لو كان خاصًّا به لبيَّنه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كما بيَّن لأبي بُردة أنَّ الجَذَعَةَ من المعز تُجزئه في الأضحية ولا تُجزئ غيره كما في "الصحيحين"، و«تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز».

استشكال وجوابه:

قد يقال: الداعي إلى تخصيص الحديث بحال حياة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ما فيه من ندائه، وهو عذرٌ مقبولٌ.

والجواب: أنَّ هذا اعتذارٌ مردودٌ؛ لأنَّه تواتر عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم تعليم التشهُّد في الصَّلاة، وفيه السَّلام عليه بالخطاب ونداؤه: «**السَّلام عليك أيها النبيُّ**» وبهذه الصِّيغة علَّمه على المنبر النبويِّ أبو بكرٍ، وعمر، وابن الزبير، ومعاوية، واستقر عليه الإجماع كما يقول ابن حزمٍ وابن تيمية.

والألبانيُّ لابتداعه خالف هذا كلَّه وتمسَّك بقول ابن مسعودٍ: «فلما مات قلنا: السَّلام على النبيِّ»، ومخالفة التواتر والإجماع هي عين الابتداع.

مع أنَّه صحَّ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنَّ أعمالنا تُعرض عليه، وكذلك صلاتنا عليه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم تعرض عليه، وثبت أنَّ لله ملائكةً سَيَّاحين في الأرض يُبلِّغونه سلام أُمَّته، وثبت بالتواتر والإجماع أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حيٌّ في قبره، وأنَّ جسده الشريف لا يَبْلَى، فكيف يمتنع مع هذا نداؤه في التوسُّل به، وهل هو إلَّا مِثْل ندائه في التشهُّد؟!

ولكن الألبانيَّ عنيدٌ شديد العِناد، والألبانيون عندهم عنادٌ وصلابةٌ في

الرأي، أخبرني بذلك عالمٌ ألبانيٌّ حَضَرَ عليَّ في "تفسير البيضاوي" و"شرح التحرير" لابن أمير الحاج، وكان وديعًا هادئ الطبع، وهو تلميذٌ لي.

هذا موجز ردِّنا لدعوى الألبانيِّ.

أمَّا من يُدْعَى حمدي السلفي فليس هناك، وإنما هو مجرَّد مخدوعٍ يردد الصَّدَى.

خامسًا: والذي أُقرِّره هنا: أنَّ الألباني غير مؤتمنٍ في تصحيحه وتضعيفه، بل يستعمل في ذلك أنواعًا من التدليس والخيانة في النقل والتحريف في كلام العلماء، مع جرأته على مخالفة الإجماع وعلى دعوى النسخ بدون دليلٍ، وهذا يرجع إلى جهله بعلم الأصول وقواعد الاستنباط، ويدَّعي أنَّه يحارب البِدَعَ، مثل التوسُّل بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وتسويده في الصَّلاة عليه، وقراءة القرآن على الميت، لكنه يرتكب أقبح البِدَعِ بتحريم ما أحلَّ الله، وشَتْم مُخالِفيه بأقذر الشتائم خصوصًا الأشعريَّة والصُّوفيَّة، وحاله في هذا كحال ابن تيمية، تطاول على النَّاس فأكفر طائفةً مِن العلماء وبدَّع طائفةَ أخرى، ثُمَّ اعتنق هو بدعتين لا يوجد أقبح منهما:

إحداهما: قوله بقِدَمِ العَالَمِ، وهي بدعةٌ كفريةٌ والعياذ بالله تعالى.

والأخرى: انحرافه عن عليٍّ عليه السَّلام، ولذلك وَسَمَهُ علماء عصره بالنفاق، لقول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لعليٍّ: «**لا يُحِبُّكَ إلَّا مؤمنٌ ولا يُبْغِضُكَ إلَّا مُنافِقٌ**».

وهذه عقوبةٌ مِن الله لابن تيمية الذي يُسمِّيه الألباني شيخ الإسلام، ولا أدري كيف يُعطى هذا اللقب وهو يعتقد عقيدةً تناقض الإسلام؟!

وأظن، بل أجزم أنَّ الحافظ ابن ناصر لو اطلع على عقيدته وما فيها من طامَّات، لما كتب في الدفاع عنه كتاب "الرد الوافر"، لأنه كتبه وهو مغرورٌ بمن أثنى عليه، وكذلك الألوسي ابن صاحب "التفسير"، لو عرف عقيدته على حقيقتها ما كتب "جلاء العينين".

وشواذُّ الألبانيِّ في اجتهاداته الآثمة، وغِشُّه وخيانته في التصحيح والتضعيف حسب الهوى، واستطالته على العلماء وأفاضل المسلمين؛ كل ذلك عقوبةٌ من الله له وهو لا يشعر، فهو من الذين يحسبون أنهم يحسنون صُنْعًا، ألا ساء ما يَظُنُّون، نسأل الله العافية ممَّا ابتلاه به، ونعوذ بالله مِن كلِّ سوءٍ.

والحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّدٍ وآله الأكرمين.

إلحاق

قال الدارميُّ في "سننه": حدَّثنا أبو النعمان: ثنا سعيد بن زيد: ثنا عمرو بن مالكٍ النكريِّ: حدَّثنا أبو الجوزاء أوس بن عبدالله قال: قَحِطَ أهل المدينة قَحْطًا شديدًا، فشَكَوْا إلى عائشة، فقالت انظروا قبرَ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فافتحوا منه كُوًى إلى السماء حتَّى لا يكون بينه وبين السماء سَقْفٌ ففعلوا، فمُطِرنا مَطَرًا حتى نبت العُشْبُ، وسَمِنت الإبلُ حتَّى تفتَّقت مِن الشَّحْمِ فسُمِّي عام الفَتْقِ.

ضعَّف الألبانيُّ هذا الأثر بسعيد بن زيدٍ، وهو مردودٌ؛ لأنَّ سعيدًا مِن رجال مسلمٍ ووثَّقه يحيى بن معينٍ.

وضعَّفَه أيضًا باختلاط أبي النعمان، وهو تضعيفٌ غير صحيحٍ؛ لأنَّ اختلاط أبي النعمان لم يؤثِّر في روايته، قال الدارقطنيُّ: «تغيَّر بآخره، وما ظهر له بعد اختلاطه حديث منكرٌ وهو ثقةٌ».

وقول ابن حِبَّان: «وقَعَ في حديثه المناكير الكثيرة بعد اختلاطه»، رَدَّهُ الذهبيُّ فقال: «لم يقدر ابن حِبَّان أن يسوق له حديثًا مُنكَرًا، والقول فيه ما قال الدارقطنيُّ».

وابن تيمية كذَّب أثر عائشة، ولا عبرة به، لجرأته على تكذيب ما يخالف هواه.

والحمد لله ربِّ العالمين.

٣- إعْلَامُ الرَّاكِعِ السَّاجِد
بمَعْنَى اتِّخاذِ القُبُورِ مَساجِد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمدُ لله الواحدِ الأحدِ، المُنزَّهِ عن الصحابة والولدِ، لم يلدْ ولم يولدْ ولم يكن له كُفُوًا أحدٌ، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّد النَّبيِّ الأمين، وعلى آله الطَّاهرين، ورضي الله عن صحابته والتَّابعين.

وبعد: فهذا جزءٌ سمَّيته: "إعلامُ الرَّاكع السَّاجد بمعنى اتِّخاذ القُبور مساجد".

تكلَّمت فيه على حديث: «**لعنَ اللهُ اليهودَ؛ اتَّخذوا قبور أنبيائهم مساجدَ**»، وشرحتُ معناه، وبيَّنتُ ما فيه من إشكالٍ لم يتنبَّه له جميع شُرَّاح الحديث فيما أعلم.

وأسأل اللهَ التَّوفيق والسَّداد، فهو الهادي إلى سبيل الرَّشاد.

٣٨٦ ـــــــ

مسجدًا. أي: يُسجد له.

قال القاضي عياضٌ: «شدَّد في النَّهي عن ذلك خوفَ أنْ يتناهى في تعظيمه، ويخرج عن حدِّ المبرَّة إلى حدِّ النكير فيُعبد من دون الله عزَّ وجلَّ، ولذا قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**اللهمَّ لا تجعل قبري وَثَنًا يُعْبَدُ**»؛ لأنَّ هذا الفعل كان أصل عبادة الأوثان، ولذا لَمَّا كثر المسلمون في عهد عثمان واحتيج إلى الزِّيادة في المسجد وامتدت الزِّيادة حتَّى أدخلت فيه بيوت أزواجه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، أُدير على القبر المُشرَّف حائطٌ مرتفعٌ، كي لا يظهر القبر في المسجد، فيُصلِّي إليه العوام، فيقعوا في اتِّخاذ قبره مسجدًا، ثُمَّ بنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرَّفوهما حتَّى التقيا على زاوية مُثلَّثة من جهة الشمال، حتَّى لا يمكن استقبال القبر في الصَّلاة، ولذا قالت: لولا ذلك لبرز قبره».اهـ

وهذا يُبيِّن أنَّ اتِّخاذ القبر مسجدًا هو السّجود له.

ومنها: ما رواه ابن سعدٍ في "الطَّبقات" بإسنادٍ صحيحٍ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**اللهمَّ لا تجعل قبري وَثَنًا، لَعَنَ اللهُ قومًا اتَّخَذُوا مِن قُبورِ أنبيائِهِمْ مساجدَ**».

جملة: «**لَعَنَ اللهُ قومًا**»، بيان لمعنى جعل القبر وثنًا.

ومعنى الحديث: اللهمَّ لا تجعل قبري وثنًا يُسجَدُ له ويُعبَدُ كما سَجَدَ قومٌ لقبور أنبيائهم.

ومنها: ما رواه البزَّار عن أبي سعيدٍ الخدريِّ: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**اللهمَّ إنِّي أَعُوذُ بك مِن أن يُتَّخَذَ قبري وَثَنًا؛ فإنَّ اللهَ تبارك وتعالى اشْتَدَّ غَضَبُهُ على قومٍ اتَّخَذُوا قُبورَ أنبيائِهِمْ مساجدَ**».

إسناده ضعيفٌ، لكن حديث أبي هريرة شاهدٌ له.

ومنها: ما رواه ابن سعد في "الطّبقات" قال: أخبرنا مَعْنُ بن عيسىٰ: أخبرنا مالك بن أنسٍ، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يَسَار، أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**اللهمَّ لا تجعل قبري وَثَنًا يُعْبَدُ؛ اشْتَدَّ غَضَبُ الله على قومٍ اتَّخَذُوا قُبورَ أنبيائِهِمْ مساجدَ**». مرسلٌ صحيحُ الإسناد.

ومنها: ما رواه ابن أبي شيبة، حدَّثنا أبو خالد الأحمر، عن ابن عَجْلَان، عن زيد بن أَسْلَم قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**اللهمَّ لا تجعل قبري وَثَنًا يُصلَّى له، اشْتَدَّ غَضَبُ الله على قومٍ؛ اتَّخذوا قُبورَ أنبيائهم مساجدَ**».

ورواه عبد الرزَّاق، عن مَعْمَرٍ، عن زيدٍ به. وإسناده صحيحٌ.

تقرَّر في علم المعاني: أنَّ الجملتين إذا كانتا بمعنىٰ واحدٍ فإنَّهما يُجرَّدان عن العاطف، كما في هذه الأحاديث، لإفادة اتِّحادهما في المعنىٰ.

هل للحديث معنى آخر؟

ذكر كثير من شُرَّاح الحديث: أنَّ اتِّخاذ القبور مساجد يحتمل معنيين:

١- السّجود لها وعبادتها، كما سبق.

٢- وبناء المساجد عليها، وهذا المعنىٰ خطأٌ لا يصحُّ.

وبيان ذلك من وجوه:

الأول: أنَّه مجازٌ، والمجاز لا يجتمع مع الحقيقة في كلمةٍ كما تقرَّر في علم البيان، وهو الرَّاجح عند جمهور الأصوليين.

الثَّاني: وعلىٰ القول الضَّعيف بجواز اجتماعهما، فإنَّما يمكن ذلك إذا كان في

سِياق نفي؛ فيصح نفي الحقيقة والمجاز معًا في كلمةٍ، كأن يقال: ما رأيت أسدًا، ويراد الحيوان المفترس والرجل الشُّجاع، والنَّفي أوسع دائرة من الإثبات.

والفعل في الحديث مُثبَتٌ، وهو: «اتَّخذوا»، والفعل المُثبَت لا يَعمُّ، فلا يُراد به إلَّا الحقيقة.

الثالث: أنَّ بناء المساجد على القبور ثبت فيه حديثٌ بخصوصه وهذا يُبيِّن أنَّهما معنيان مختلفان بالحقيقة والمجاز.

بناء المساجد على القبور

روى الشَّيخان عن عائشة رضي الله عنها أنَّ أمَّ حبيبة، وأمَّ سلمة رضي الله عنهما ذكرتا كنيسةً رأياها بالحبشة فيها تَصَاويرُ لرسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ أولئك إذا كان فيهم الرَّجُلُ الصَّالِحُ فماتَ بَنَوْا على قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وصَوَّرُوا فيه تلك الصُّوَرَ؛ أولئك شِرَارُ الخَلْقِ عند الله يومَ القِيامَةِ**».

فهذا الحديث واردٌ في بناء المسجد على القبر، ومَن ضَمَّه إلى حديث اتِّخاذ القبور مساجد وجعل معناهما واحدًا؛ فقد أخطأ ووهم وهمًا كبيرًا؛ يظهر ذلك بالكلام على معنى الحديث وشرحه.

فقوله: «**أولئك شِرَارُ الخَلْقِ**»، قال الأُبِّيُّ: الأظهر في الإشارة أنَّها لمن نحت وعبد، وإن كانت لمن نحت فقط فيُحتمل كونهم شِرارًا بتصويرهم؛ لحديث وعيد المصوِّرين، فذمُّ أولئك ليس لبنائهم المسجد ولكن لنحتهم التَّصاوير

يؤيِّد هذا أنَّ البخاريَّ قال في "الصَّحيح": «باب الصَّلاة في البيعة»، وقال

عمر رضي الله عنه: «إنَّا لا ندخل كنائسكم من أجل التَّماثيل التي فيها الصُّور»، وكان ابن عبَّاسٍ يُصلِّي في البيعة إلا بيعة فيها تماثيل.

قال الحافظ: «أثر عمر وصَلَه عبد الرزاق من طريق أسلم مولى عمر قال: لما قدم الشَّام صنع له رجل من النَّصارى طعامًا -وكان من عظمائهم- وقال: أحب أن تُجيبني وتُكرمني، فقال له عمر: إنَّا لا ندخل كنائسكم... إلخ».

وأثر ابن عبَّاسٍ وصله البغويُّ في "الجعديَّات"، وزاد: «فإن كان فيها تماثيل، خرج فصَلَّى في المطر، أي في محلٍّ بارز للمطر».

فصحَّ أنَّ الذمَّ في الحديث لنحت التَّصاوير والتَّماثيل لا لبناء المسجد؛ لأنَّه مكان للعبادة لا ذمَّ يلحق فاعله.

أمَّا قول ابن عبَّاسٍ: «لَعَنَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم زائراتِ القبورِ، والمتَّخذين عليها المساجدَ والسُّرُجَ»، فهو وإن حسَّنه الترمذيُّ حديثٌ ضعيفٌ؛ في سنده أبو صالحٍ، اسمه باذان ويقال باذام ضعيفٌ مدلِّسٌ.

وكيف يلعن رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم زائراتِ القبورِ مع أنَّه أباح لهنَّ زيارتها؟!

وأخرج ابن سعدٍ في "الطَّبقات": أخبرنا عبدالوهَّاب بن عطاءٍ: أخبرنا عوف عن الحسن، قال: ائتمروا أن يدفنوه صلى الله عليه وعلى آله وسلم في المسجد فقالت عائشة: كان واضعًا رأسه في حجري إذ قال: «**قاتلَ اللهُ اليهودَ اتَّخذُوا قُبورَ أنبيائهم مساجدَ**» فاجتمع رأيهم أن يدفنوه حيث قُبِضَ في بيت عائشة.

قلت: عَزَمَ الصَّحابة على دَفْنِهِ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في المسجد، إذ لم يروا في ذلك حَرَجًا لكن منعهم حديث عائشة وخوف أن يُتَّخذ قبره مسجدًا يُسْجَدُ له.

وقال البيضاويُّ: «لَمَّا كانت اليهود والنَّصارىٰ يسجدون لقبور أنبيائهم تعظيمًا لشأنهم ويجعلونها قِبلةً يتوجَّهون في الصَّلاة نحوها، واتَّخذوها أوثانًا، لعنهم ومنع المسلمين علىٰ مثل ذلك، فأمَّا من اتَّخذ مسجدًا في جوار صالح، وقصد التَّبرُّك بالقرب منه، لا للتَّعظيم له و لا التَّوجُّه نحوه، فلا يدخل في ذلك الوعيد».اهـ

وقال التُّورِبِشْتِيُّ في "شرح المصابيح" في حديث: «**لَعَنَ اللهُ اليهودَ اتَّخذوا قبورَ أنبيائهم مساجدَ**». هو مُخَرَّجٌ علىٰ وجهين:

أحدهما: كانوا يسجدون لقبور الأنبياء، تعظيمًا لهم وقصد العبادة في ذلك.

وثانيهما: أنَّهم كانوا يرون الصَّلاة في مدافن الأنبياء والتوجُّه إلىٰ قبورهم في حالة الصَّلاة والعبادة لله نظرًا منهم أن ذلك الصَّنيع أعظم موقعًا عند الله لاشتماله علىٰ الأمرين: عبادته ومبالغة في تعظيم الأنبياء.

وكلا الطَّريقين غير مرضيَّةٍ؛ أمَّا الأولىٰ فشركٌ جليٌّ، وأمَّا الثانية فلما فيها من معنىٰ الإشراك بالله عزَّ وجلَّ، وإن كان خفيًّا.

والدليل علىٰ ذمِّ الوجهين قوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**اللهمَّ لا تجعل قبري وَثَنًا؛ اشْتَدَّ غضبُ الله على قومٍ اتَّخذوا قبورَ أنبيائهم مساجدَ**». والوجه الأول أظهر وأشبه».اهـ

٣٩٢ ـــــــ

السُّرُج عليها، واتِّخاذها أوثانًا، والطَّواف بها، واستلامها، والصَّلاة إليها.

ثُمَّ قال: عَدُّ هذه الستَّة من الكبائر وقع في كلام بعض الشَّافعيَّة وذكر مأخذه في ذلك، وقال: واتِّخاذ القبر مسجدًا معناه الصَّلاة إليه أو عليه وحينئذٍ فقوله: والصَّلاة إليها، مُكرَّر، إلَّا أن يراد باتخاذها مسجدًا الصَّلاة عليها فقط.

الخلاصة

أنَّ اتِّخاذ القبر مسجدًا معناه الصَّلاة إليه أو عليه، كما سبق بيانه، وأكَّده كلام ابن حجرٍ الفقيه.

وأنَّ بناء المسجد على القبر، ليس في تحريمه حديثٌ صحيحٌ صريحٌ، وحديث أولئك شِرَار الخلق الإشارة فيه إلى من نحت التَّماثيل وعبدها أو نحتها، لا إلى بناء المسجد، بل هو جائزٌ على الأصل، والله أعلم.

«تنبيه»: كتاب "الزَّواجر" لابن حجرٍ الهيتميِّ الفقيه لم يُؤلَّف مثله في هذا الباب، وهو أوسع وأجمع من كتاب "الكبائر" للذهبيِّ، ومن كتاب "الكبائر" لابن القيم، إلَّا أنَّه ذكر كثيرًا من الكبائر لا دليل عليها إلَّا أحاديث أو آثارًا ضعيفةً، فهو في حاجةٍ إلى تلخيصٍ وتهذيبٍ، وفَّق الله بعض أهل العلم أنْ يقوم بذلك أحسن قيام.

إشكال

قال الحافظ في "فتح الباري" عند الكلام على حديثه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لَعَنَ اللهُ اليهودَ والنَّصارى**»، ما نصُّه: «وقد استشكل ذكر النَّصارى فيه؛ لأنَّ اليهود لهم أنبياء، بخلاف النَّصارى، فليس بين عيسى وبين نبيِّنا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نبي غيره، وليس له قبرٌ.

والجواب: أنَّه كان فيهم أنبياء أيضًا لكنَّهم غير مرسلين كالحواريين، ومريم في قول، أو الجمع في قوله أنبيائهم بإزاء المجموع من اليهود والنَّصارىٰ، أو المراد الأنبياء وكبار أتباعهم، فاكتفىٰ بذكر الأنبياء، ويؤيِّده قوله في رواية مسلمٍ: «**كانوا يتَّخِذونَ قبورَأنبيائهم وصالحيهم مساجدَ**».

ولهذا لَمَّا أفرد النَّصارىٰ في الحديث الذي سبق -يعني حديث الكنيسة- قال: «**إذا ماتَ فيهم الرَّجُلُ الصَّالِحُ**»، ولَمَّا أفرد اليهود في الحديث الذي بعده قال: «**قبور أنبيائهم**»، أو المراد بالاتِّخاذ أعمُّ من أن يكون ابتداعًا أو اتباعًا فاليهود ابتدعت والنَّصارىٰ اتبعت، ولا ريب أنَّ النَّصارىٰ تُعظِّم قبور كثيرٍ من الأنبياء، الذين تُعظِّمهم اليهود».اهـ

إشكال آخر

حديث: «**لَعَنَ اللهُ اليهودَ اتَّخذوا قبورَ أنبيائهم مساجدَ**» حديثٌ صحيحٌ، لكن فيه إشكالٌ لم أجد من تنبَّه له أو أشار إليه، ولم أهتد لحلِّه والجواب عنه، فمن وجد جوابًا صحيحًا مقنعًا فليُبيِّنه مشكورًا مثابًا عليه عند الله تعالىٰ، نسأله سبحانه أن يوفِّقنا لفهم كلام رسوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فهمًا صحيحًا، مُوافقًا لقواعد الشَّريعة، وبالله التوفيق.

والإشكال المُشار إليه، يتبيَّن بوجوه:

الوجه الأول: أنَّ اليهود لعنهم الله نسبوا إلىٰ الله مالا يليق بجلاله، قالوا: إنَّ الله فقيرٌ ونحن أغنياء، وقالوا: يد الله مغلولةٌ، وقالوا: لَمَّا خلق الله السَّماوات والأرض استراح يوم السبت ونسبوا إلىٰ الله النَّدم، وقالوا: لَمَّا سلَّط عليهم

بُخْتُنَصَّر فقتل فيهم وشرَّدهم إلى بابل نَدِمَ على ذلك وشدَّ شَعْرَ رأسه حَسْرةً وندامةً.

ويعتقدون في الله أنَّه جسمٌ، تعالى عن قولهم عُلوًّا كبيرًا، فمن ينسب إلى الله هذه النقائص لا يُتصوَّر منه أن يتَّخذ قبور أنبيائه مساجد.

الوجه الثاني: أنَّ اليهود لعنهم الله، آذوا أنبيائهم قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾ [الأحزاب: ٦٩]

ثبت في "الصَّحيحن: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**كانت بَنو إسرائيل يَغْتَسِلونَ عُرَاةً يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إلى سَوْءَة بَعْضٍ، وكان موسى عليه السَّلام يَغْتَسِلُ وَحْدَهُ، فقالوا: والله ما يمنع موسى أن يَغْتَسِلَ معنا إلَّا أنه آدَرُ، فذَهَبَ يَغْتَسِلُ يومًا فوَضَعَ ثَوْبَهُ على حَجَرٍ، ففَرَّ الحَجَرُ بثَوْبِهِ قال: فجَمَعَ موسى عليه السَّلام بأَثَرِهِ، يقول ثوبي حَجَر ثوبي حَجَر، حتَّى نَظَرَتْ بنو إسرائيل إلى سَوْءَة موسى وقالوا: والله ما بموسى مِن بأسٍ، فقام الحَجَرُ حين نُظِرَ إليه، فأَخَذَ ثَوْبَهُ فطَفِقَ بالحَجَرِ ضَرْبًا**». وللحديث طرقٌ في صحيح البخاريِّ وغيره.

ومع هذا طعن فيه الشَّيخ عبدالوهَّاب النَّجَّار في "قصص الأنبياء"، وتكلَّم فيه بكلام دلَّ على جهله بقواعد علم الحديث والأصول، مع جرأته على القول بغير علم ولا تثبُّت.

وقال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ

أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ﴾ [الصف: ٥].

وجاء في إذاية قومه له روايات:

منها: ما رواه الحاكم وصحَّحه عن ابن عبَّاسٍ في قصَّة قارون أنَّه اتَّفق مع بني إسرائيل أن يتَّهموا موسىٰ عليه السَّلام أنَّه زنىٰ ببغيٍّ من بغاياهم.

ومنها: ما رواه الحاكم وغيره عن ابن عبَّاسٍ، عن عليٍّ رضي الله عنهما قال: صعد موسىٰ وهارون الجبل، فمات هارون عليه السَّلام فقالت بنوا إسرائيل لموسىٰ عليه السَّلام: أنت قتلته، كان أشدَّ حبًا لنا منك وألين، فأذوه في ذلك؛ فأمر الله الملائكة عليهم السَّلام، فحملوه فمرُّوا به علىٰ مجالس بني إسرائيل، وتكلَّمت الملائكة بموته، فبرَّأه الله من ادِّعائهم بقتله.

ومنها: قولهم له: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

ومنها: قولهم له: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤].

ومنها: أنهم رموه بالسِّحر والجنون.

وقد فعلوا هذا كلَّه وغيره مع موسىٰ عليه السَّلام وهو أكبر أنبيائهم وصاحب (التَّوراة) التي فيها شريعتهم.

وآذوا داود عليه السَّلام، اتَّهموه بأنه عَشِقَ امرأة أوريا وزنىٰ بها، وأخبرته أنَّها حملت منه وخاف الفضيحة فأرسل إلىٰ زوجها وكان في غزوة، بحُجَّة أن يسأله عن سير القتال، وقصد أن يُلِمَّ بزوجته؛ فتنتفي التهمة عنه، ولكن أوريا كان تقيًّا، لم يحب أن يتمتَّع بزوجه، وإخوانه في القتال، فنام علىٰ باب داود،

فأرسل إلى قائد الجيش يأمره أن يجعل أوريا في الذين يحملون التابوت فلا يرجع حتَّى يموت أو ينتصر، فمات.

وهي القصَّة المُشار إليها في القرآن بنبأ الخصم، غير أنَّ المفسِّرين لطَّفوها فقالوا: إنَّه لمَّا رأى امرأة أوريا وأعجبته طلب من زوجها أن يتنازل عنها له.

والقصَّة مكذوبةٌ مِن أصلها، بجميع ما قيل فيها، كما بيَّنته في "قصَّة داود عليه السَّلام".

وأنكروا نُبوَّة سليمان عليه السَّلام، وقالوا: كان ملِكًا حكيمًا بنى مُلكه على السِّحر، قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وقالوا عن عيسى عليه السلام: إنَه ابن يوسف النَّجَّار، ورموا مريم عليها السَّلام بالزِّنا، قال الله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٥٦].

فكيف تتَّفق أذيَّتهم للأنبياء مع اتِّخاذ قبورهم مساجد؟!!

الوجه الثالث:

أنَّ اليهود لعنهم الله قتلة الأنبياء والصَّالحين، سجَّل الله عليهم ذلك في عدَّة آيات من القرآن الكريم:

في سورة (البقرة): ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّۚ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٦١].

﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧].

﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩١].

وفي سورة آل (عمران): ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١].

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [آل عمران: ١١٢].

﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [آل عمران: ١٨١].

﴿قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٨٣].

وفي سورة (النِّساء): ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [النساء: ١٥٥].

وفي سورة (المائدة): ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة: ٧٠].

وفي هذه الآيات نكتتان:

إحداهما: أنَّ التَّعبير بالفعل المضارع ﴿يَقْتُلُونَ﴾ يُفيد أنَّ قتل اليهود للأنبياء عليهم السَّلام، يتجدَّد مرةً بعد أخرىٰ، ولم ينقطع في وقت من الأوقات.

والأخرى: أنَّ قوله تعالىٰ: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٧].

﴿ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾ [المائدة: ٧٠].

لفظ: «كلَّما» فيهما يفيد التكرار والعموم، والمعنىٰ أنَّ اليهود في جميع عصورهم، لا يخلو حالهم مع أنبياءهم من أمرين: التَّكذيب أوالقتل، ولا يمكن أن يقال: مرَّ عليهم عصرًا لم يقتلوا فيه نبيًّا أو صالحًا؛ وينبني علىٰ هذا:

الوجه الرابع:

أنَّ قتل الأنبياء أمرٌ عاديٌّ عند اليهود لعنهم الله، لا يرون فيه ما ينكر أو يُستقبح، بل قد يفتخرون به.

كما في شأن عيسىٰ عليه السَّلام، زعموا أنَّهم قتلوه وقالوا مُتبجِّحين مُستهزئين: ﴿ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾ [النِّساء:١٥٧].

الوجه الخامس:

أنَّهم لإصرارهم علىٰ عادتهم الخبيثة في قتل الأنبياء، حاولوا قتل النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مرَّتين، مع أنَّهم كانوا ينتظرون ظهوره ويستنصِرون به إذا حاربوا أعدائه.

قال الله تعالىٰ: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٨٩].

ثبت في "الصحيحين" وغيرهما أنَّهم سمُّوا ذراع شاة وقدَّموها للنَّبيِّ

صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فذاق منها وأخبرته الذِّراع أنَّها مسمومةٌ، وبقي أثرها يعاوده كلَّ سنة حتَّى قال عند انتقاله إلى الرَّفيق الأعلى: «**ما زالت أَكْلَةُ خَيْبرَ تُعاوِدُني حتَّى كان هذا أوانُ انقِطاعِ أَبْهَرِي**»؛ فمات صلَّى الله عليه وآله وسلَّم شهيدًا.

ومرَّة أخرى خرج النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى يهود بني النَّضير يستعينهم في دِيَة قتيلين من حلفائهم، فقالوا: نَعَمْ يا أبا القاسم نُعينك على ما أحببت ممَّا استعنت بنا عليه، اجلس حتَّى تَطْعَم وترجع بحاجتك وجلس النَّبيُّ إلى جنب جدارٍ من بيوتهم، فخلا بعضهم ببعضٍ وقالوا: إنَّكم لم تجدوا الرجل على مثل حاله هذه فمن رجل يعلو هذا البيت فيلقي عليه صخرةً فيريحنا منه؟ فانتدب لذلك عمر بن جَحَّاشٍ، فقال: أنا لذلك، وصعد ليُلْقِي عليه صخرةً كما قال.

فأتى الخبر إلى النبيِّ -صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من السَّماء بما أرادوا به من الغدر فقام راجعًا إلى المدينة، ومعه أبو بكر وعمر وعليٌّ وغيرهم من الصَّحابة.

فتاريخ اليهود -لعنهم الله- سلسلة اعتداءاتٍ متواليةٍ، كفروا بآيات الله، وكذَّبوا أنبيائهم وآذوهم وقتلوهم وقتلوا صلحائهم، ونفوا نُبوَّة سليمان وقتلوا يحيى وزكريَّا، وقدَّموا رأس يحيى هديَّة لراقصةٍ عاهرةٍ؛ فكيف يمكن مع هذا أن يتَّخذوا قبور أنبيائهم مساجد؟!!

الوجه السادس:

أنَّه لا يُعرف قبر نبيٍّ إسرائيليٍّ أو صالحٍ منهم في مكانٍ مُعيَّنٍ بالتحديد، فكيف يتَّخذون قبورهم مساجد وهم يَجهلونها؟!

وقال زُكْرَة بن عبدالله سمعتُ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلَّم يقول: «**لو أعرفُ قَبْرَ يحيى بن زكريَّا لزُرْتُهُ**».

قال ابن عبدالبر: «إسناده ليس بالقويِّ فضعفه قريبٌ».

الوجه السابع:

أنَّ اليهود يؤمنون بإله واحدٍ، وإن كانوا يعتقدون فيه بالتَّجسيم والتَّشبيه، وكنائسهم خاليةٌ لا قبر فيها ولا صورة، والطَّائفة العُزيريَّة منهم انقرضت قبل عهد النُّبوَّة، وهم لا يعرفون قبر عُزيرٍ أيضًا.

الوجه الثامن:

أنَّ القرآن العظيم ذكر أنواع المعبودات التي عبدها المشركون مِن عهد نوحٍ عليه السَّلام، فذكر الملائكة وعيسىٰ وعُزيرًا والشَّيطان وفرعون والجنَّ والشَّمس والقمر والشِّعْرىٰ والكواكب ووَدًّا وسُواعًا ويَغُوث ويَعُوق ونَسْرًا وعِجل السَّامريِّ وبَعْلًا واللَّات والعُزَّىٰ ومَنَاة والتَّماثيل والأصنام.

وجاء في كتب السيرة ذكر إساف ونائلة وهُبل، والنَّار معبودة فارس.

ولم يأتِ في القرآن ولا كتب السيرة أنَّ قبرًا عُبد من دون الله، أو حصل به إشراكًا كما حصل في المعبودات المذكورة.

الخلاصة

يتلخَّص ممَّا مرَّ أمورٌ:

أحدها: أنَّ حديث لَعَنَ اللهُ اليهودَ موقوفٌ عن العمل به حتَّىٰ يوجد وجهٌ للجمع بينه وبين ما سبق من الوجوه المذكورة؛ لأنَّه لا يجوز العمل بدليلٍ مع وجود ما يُعارضه.

ثانيها: أنَّ السُّجود للقبور وعبادتها شركٌ صريحٌ معلومٌ من الدِّين بالضَّرورة، كعبادة الأوثان والأصنام.

ثالثها: أنَّ بناء المسجد علىٰ القبر غير اتِّخاذه مسجدًا، وغير دفن الميت في مسجدٍ مبنيٍّ.

أمَّا الأول: فقد بيَّنَّاه فيما سبق بدليله.

وأمَّا الآخر: فقال ابن سعد في "الطَّبقات": أخبرنا محمَّد بن عبدالله الأنصاريُّ: أخبرنا محمَّد بن عمرو، عن أبي سلمة بن عبدالرحمن، ويحيىٰ بن عبدالرحمن بن حاطبٍ، قالا: قال أبو بكرٍ: أين يُدفَن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم؟ قال قائلٌ منهم: عند المنبر وقال قائلٌ منهم: حيث كان يُصلِّي يؤمُّ النَّاس.

وقال أيضًا: أخبرنا مَعْن بن عيسىٰ، أخبرنا مالك بن أنسٍ أنَّه بلغه أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لما تُوفِّي قال ناسٌ: يُدفَن عند المِنبَر.

فهؤلاء النَّاس لم يُشيروا بدفنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عند المنبر، أو حيث كان يؤمُّ النَّاس، إلَّا لعلمهم بأنَّ هذا لايدخل في بناء مسجدٍ علىٰ القبر

وهؤلاء كانوا صحابة.

وهنا ينتهي ما أردته من الكلام على معنى اتخاذ القبور مساجد، وفي كتاب "إتقان الصنعة" تكلَّمت على الصَّلاة في مسجد فيه قبور وبيَّنت صحَّتها، فلينظره من أراد ذلك.

وبالله التوفيق.

مسائل يجب التنبيه عليها

المسألة الأولى

تقرَّر في علم الأصول أنَّ الأمَّة الإسلاميَّة لا تجتمع على ضلالةٍ، لقول النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لا يَجْمَعُ اللهُ أُمَّتي على الضَّلالَةِ**» وله طرقٌ كثيرةٌ ذكرتُها في تخريج أحاديث "منهاج البيضاويِّ"، وهو متواترٌ، فالأُمَّة معصومةٌ في إجماعها عن الخطأ والضَّلال، وهذا مُقرَّرٌ في علم الأصول بأدلَّته.

المسألة الثانية

ضاق المسجد النَّبوي عن المُصلِّين، فلم يعد يستوعبهم بعد الزِّيادة التي زادها عُمر وعثمان رضي الله عنهما فأمر الوليد بن عبدالملِك عامله على المدينة المنوَّرة عُمر بن عبدالعزيز بهدم بيوت أمَّهات المؤمنين وإدخالها في المسجد توسعةً له، فدخل فيه بيت عائشة رضي الله عنها وفيه القبور الثلاثة، فبكى يومئذٍ كثير من النَّاس على هدم البيوت، لا على دخول القبور في المسجد.

وكان لا بُدَّ من الهدم؛ لأنَّ المصلحة اقتضته، والذي قام بذلك ونفَّذه عُمر بن عبدالعزيز العالِم الصَّالح، ولم يرَ هو ولا غيره من العلماء أنَّ إدخال القبور في المسجد مُخالفٌ للدِّين وللحديث ومُباينٌ لمقاصد الشَّريعة، ثُمَّ تولَّى الخلافة بعد ذلك وكان خليفةً راشدًا فلم يَبْنِ جدَار يحجز بين القبر الشَّريف والمسجد، ولم يقترح عليه ذلك أحدٌ من العلماء في عصره، ثُمَّ جاء أئمَّة المسلمين لزيارة المسجد النَّبويِّ وفيه القبور، فلم يُنكروا ذلك.

وكان الإمام مالكٌ مَسموع الكلمة عند أبي جعفر المنصور الخليفة العباسيِّ،

ولو أشار عليه بعمل حاجزٍ بين الرَّوضة والمسجد لنفَّذه في الحال، لكنَّه لم يُشِر عليه بذلك.

وتوالت القرون، والمسجد النَّبويُّ يُزار من طبقات الأمَّة على اختلاف أنواعها، والرَّوضة الشَّريفة داخله يزورنها ويتبرَّكون بها، وأهدوا لها الهدايا المختلفة، وهذا إجماعٌ قطعيٌّ يُفيد أنَّ وجود القبر في المسجد لا شيء فيه.

يضاف إلى هذا الإجماع القطعيِّ حديث: «**ما بين قبري ومِنبَرِي روضَةٌ من رياض الجنَّة**». وهذا الحديث ترجم له البخاريُّ بقوله: «باب فضل ما بين القبر والمِنبر»، وإن كان قد رواه بلفظ: «**بيتي**» فللإشارة إلى أنَّ قبره في بيته وجاء في "صحيح البخاريِّ" بلفظ: «**قبري**» في رواية ابن عساكر، ورواه جماعةٌ بلفظ قبري أيضًا.

قال البزَّار: حدَّثنا محمَّد بن عبدالرحيم: ثنا محمَّد بن إسحاق: حدَّثتني عبيدة بنت نابل، عن عائشة بنت سعدٍ، عن أبيها: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ما بين بَيْتي ومِنبَري، أو قبري ومِنبَري روضةٌ مِن رياض الجنَّة**».

قال الحافظ الهيثميُّ: «رجاله ثقاتٌ». **قلت**: سعد هو ابن أبي وقَّاص، ومحمَّد بن إسحاق روى له البخاريُّ، وهو ضعيفٌ في روايته عن مالك.

وقال البزَّار أيضًا: حدَّثنا عبدالصمد ابن سليمان المروزيُّ: ثنا أبو نباته: ثنا سلمة بن وَرْدَان، عن أبي سعيد بن المعلى، عن عليِّ بن أبي طالب وأبي هريرة، عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ما بين قبري ومِنبَري روضةٌ من رياض الجنَّة**».

وقال الخطيب في "موضح أوهام الجمع والتفريق": أخبرنا الحسن بن أبي

بكر: أخبرنا أحمد بن إسحاق بن نِيخابَ الطيِّبيُّ: ثنا الحسن بن المثنَّى: ثنا عفان: ثنا عبدالواحد بن زياد: ثنا إسحاق بن شرفي مولى ابن عمر قال: حدَّثني أبو بكر بن عبدالرحمن بن عبدالله بن عمر، عن ابن عمر قال: حدَّثني أبو سعيد الخدريِّ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ما بين قبري ومِنبَري روضةٌ من رياض الجنَّة**».

وقال الخطيب في "الموضح" أيضًا (١/ ٤٣١): أخبرني الأزهريُّ: حدَّثنا عليُّ بن عمر الحافظ: حدَّثني محمَّد بن محمَّد بن داود السجستانيُّ: ثنا مكيُّ بن عبدان: ثنا يحيى بن محمَّد بن يحي الذهليُّ: حدَّثنا أحمد بن المنذر القرشيُّ: ثنا مالكٌ، عن نافعٍ، عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ما بين قبري ومِنبَري روضةٌ من رياض الجنَّة**».

ورواه أبو نعيمٍ في "الحلية" من طريق عبدالله بن نافعٍ، عن مالكٍ، عن نافعٍ، عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ما بين قبري ومِنبَري روضةٌ من رياض الجنَّة، وإنَّ مِنبَري لعلى حَوْضي**».

وللحديث طرقٌ عن أبي سعيدٍ الخدريِّ، وأمِّ سلمة، وعبدالله بن زيدٍ، وجابر بن عبدالله، وعمر بن الخطَّاب، وأبي هريرة، وأسانيد أحاديثهم مذكورةٌ في كتاب "إحياء المقبور" وهو حديثٌ صحيحٌ جدًّا، ويؤخذ منه أمران:

أحداهما: استحباب زيارة القبر الشَّريف والصَّلاة في الرَّوضة الشَّريفة.

والآخر: الإشارة إلى إدخال القبر في المسجد؛ لأنَّه لا يتيسَّر أن يكون ما بين القبر والمِنبر روضة إلَّا بكونهما داخل المسجد لا خارجه، وهذا مُدرَكٌ بالضَّرورة الحسيَّة.

فاقتراح بعض المتزمِّتين في هذا العصر أن يبني جدارٌ يحجز الروضة الشَّريفة عن المسجد، خروج عن إجماع الأمَّة، وغفلةٌ عمَّا يُفيده الحديث، وتنطُّعٌ يأباه الدِّين.

المسألة الثالثة

أول ما بُنِيَ المسجد على القبر، في العهد النَّبويِّ.

وبيان ذلك: أنَّ أبا بصير الثقفيَّ رضي الله عنه انفلت من المشركين بعد صُلح الحُديبيَة، وذهب إلى سِيف البحر، ولحق به أبو جندل بن سُهيل بن عمرو، انفلت من المشركين أيضًا، ولحق بهم أناسٌ من المسلمين حتَّى بلغوا ثلاثمائة، وكان يُصلِّي بهم أبو بصير، وكان يقول: «الله العليُّ الأكبر، من ينصر الله فسوف يُنصَر». وهذا رَجَزٌ.

فلما لحق به أبو جندل، كان هو يؤمُّهم وكان لا يمر بهم عِيرٌ لقريشٍ إلَّا أخذوها وقتلوا أصحابها.

فأرسلت قريشٌ إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم تُناشده الله والرَّحم إلَّا أرسل إليهم، فمن أتاك منهم فهو آمن، وكتب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى أبي جندل وأبي بصير ليقدما عليه، ومن معهم من المسلمين أن يلحقوا ببلادهم وأهليهم.

فقدم كتاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على أبي جندل وأبو بصير يموت، فمات وكتاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بيده يقرأه، فدفنه أبوجندل مكانه، وبنى على قبره مسجدًا.

رواه موسى بن عقبة في "المغازي"، وابن إسحاق في "السيرة" عن

الزهريِّ، عن عروة، عن المِسْوَر ومروان.

وكان الإمام مالك يقول: «عليكم بمغازي الرجل الصَّالح موسىٰ بن عقبة؛ فإنَّها أصحُّ المغازىٰ». وكان يحيىٰ بن معينٍ يقول: «كتاب موسىٰ بن عقبة عن الزهريِّ من أصحِّ هذه الكتب».

قال أخي في كتاب "إحياء المقبور": «وبلا شك يدري كل ذي حسٍّ سليمٍ يعرف سيرة الصَّحابة مع رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أنَّه لا يمكن إحداث أمرٍ عظيمٍ مثل هذا ولا يذكرونه له صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

وكذلك يستحيل أنْ يحدث مثل هذا من أصحابه ويكون حرامًا يجر إلىٰ كُفرٍ وضلالٍ ثُمَّ لا يُعْلِمه الله تعالىٰ به كما أعلَمه بمسجد الضِّرار وبقصد أصحابه من بنائه، وأمر بهدمه، فإذن لا شك أنّ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علم ببناء المسجد علىٰ قبر أبي بصير ولم يأمر بهدمه؛ إذ لو أمر بذلك لنُقل في الخبر نفسه، أو في غيره لأنَّه شرعٌ لا يجوز أن يضيع».اهـ

ويؤيد هذا أنَّ أبا جندل رجع إلىٰ المدينة بأمر النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فلا بدَّ أنَّه حكىٰ له جميع أعمالهم في سِيف البحر. و«سِيف»: بكسر السين، ساحل البحر.

المسألة الرابعة

لا يوجد دليلٌ علىٰ حرمة الصَّلاة في مسجدٍ فيه قبور، ولم يقل أحدٌ من الأئمَّة بذلك، بل هم مُجمعون علىٰ وجود القبور في المسجد النَّبويِّ.

وحديث: «**لَعَنَ اللهُ اليهودَ اتَّخذوا مِن قُبورِ أنبيائهم مساجدَ**» لا يجوز الاستدلال به من جهة معارضة القرآن له، ولا يوجد وجه للجمع بينهما.

وحديث: «**أولئك إذا كان فيهم الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوا على قبره مسجدًا وصَوَّروا فيه تلك الصُّوَرَ أولئك شِرار الخَلْقِ عند الله يومَ القِيامَةِ**». سبب وروده أنَّ أمَّ حبيبة وأمَّ سلمة ذكرتا للنَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنَّهما رأتا بالحبشة كنيسةً يقال لها: مارية، فيها تماثيل وتصاوير، فأخبر النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنَّ وضْعَ التَّصاوير في أماكن عبادتهم من قبيح فعلهم، مع أنَّ التَّصاوير منهيٌّ عنها في البيوت فكيف بأماكن العبادة؟!.

فالذَّمُّ في الحديث مُنصبٌّ على التَّصاوير لا على بناء المسجد، لأنَّه يوافق القرآن في قول الله تعالى: ﴿غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا﴾ [الكهف: ٢١].

ويؤيِّد هذا أنَّ عمر رضي الله عنه لَمَّا ذهب إلى بيت المقدس وعَزَمه راهبٌ أن يتغدَّى عنده في الكنيسة قال له عمر: إنَّا لا ندخل كنيستكم لما فيها من التَّصاوير، وتغدَّى معه خارجها، فالتَّصاوير هي مصدر الذَّمِّ ومبعثه.

ومن استدلَّ بالحديث على حُرمة بناء المسجد على القبر، لم يفهم معناه لغفلته عن سبب وروده.

المسألة الخامسة

اعترض المبتدع الألبانيُّ، على أخي في استدلاله لبناء المسجد على قبر بآية (الكهف)؛ لأنَّ الله تعالى أقرَّهم على ما قالوا، وبنى اعتراضه على أمرين:

الأول: «لا يصحُّ اعتبار عدم الردِّ عليهم إقرارٌ لهم، إلَّا إذا ثبت أنَّهم كانوا مسلمين صالحين، وليس في الآية إشارة إلى ذلك، بل يُحتمل أنَّهم كانوا كفَّار وفُجَّار وهو الأقرب».

الثاني: «أنَّ الله رَدَّ صنيعهم على لسان رسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وذكر حديث: «**لَعَنَ اللهُ اليهودَ اتَّخذوا مِن قُبورِ أنبيائهم مساجدَ**».

ثُمَّ قال: «فأيُّ رَدٍّ أوضح من هذا؟».

وذكر أنَّ من يستدل بهذه الآية على خلاف الأحاديث الصَّحيحة كمثل من يستدل على جواز صُنع التماثيل والأصنام، بقوله تعالى في الجنِّ المُذلَّلين لسليمان عليه السَّلام: ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ﴾ [سبأ: ١٣]».اهـ

وما أبداه خطأٌ محضٌ لا نصيب له من الصَّواب وبيان ذلك:

أنَّ احتمال أن يكون مُقترحو بناء المسجد كفَّارًا بعيدٌ جدًّا يأباه السِّياق، وإن قال به بعض المفسِّرين.

والصَّواب ما ذكره ابن عبَّاسٍ والسُّديُّ وغيرهما أنَّ أهل البلد كان فيهم مشركون ينكرون البعث، ومَلِكها ومن معه مسلمون، فلمَّا عثروا على أهل الكهف، وعلم أهل البلد أنَّهم قاموا بعد قرون، انتصر المَلِك على مُنكري البعث بدليلٍ ماديٍّ محسوس، ولمَّا رجع الفِتية إلى كهفهم تنازع أهل البلد في شأنهم، فقال المشركون: ابنوا عليهم بنيانا، وقال الذين غلبوا على أمرهم، هم المَلِك وأصحابه: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾ [الكهف: ٢١].

ومن المعقول جدًّا أن يبني المسلمون على فتية مؤمنين، وليس من المعقول أبدًا أن يقترح المشركون بناء مسجدٍ ولا يوافقون عليه.

ولم يقع ولا يجوز أن يقع أن يحكي الله تعالى عملًا أو قولًا لكافرٍ ثُمَّ يُقِرُّه عليه.

وإليك أمثلة من ذلك:

نبَّه الله على مسجد الضِّرار وفساد نيَّة بانييه، وقال لنبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴾ [التوبة: ١٠٨].

وقال اليهود والنَّصارى: نحن أبناء الله وأحباؤه، فردَّ عليهم بقوله: ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ﴾ [المائدة: ١٨].

وقال اليهود: «يد الله مغلولةٌ» فردَّ عليهم: ﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ﴾ [المائدة ٦٤].

وقال اليهود: «إنَّ الله فقيرٌ ونحن أغنياء»، فردَّ عليهم: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ [آل عمران: ١٨١].

وقال المشركون: «اتَّخذ الرحمن ولدًا»، فردَّ عليهم: ﴿ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٦].

وهكذا لا نجد قولًا لكافرٍ أو مشركٍ يحكيه الله تعالى إلَّا أعقبه بردِّه، وهذا ما يرجح أن مقترح بناء المسجد على أهل الكهف مسلمون.

وحديث: «**لَعَنَ اللهُ اليهودَ اتَّخذوا قُبورَ أنبيائهم مساجدَ**». لا يصحُّ الاستدلال به ولا يجوز العمل به، لما سبق من بيانه، فالاستدلال بآية (الكهف) صحيحٌ لا يوجد ما يعارضه، وتنظير الاستدلال بها بالاستدلال بآية (سبأ)، غفلةٌ كبيرةٌ عن سِياق الآيتين.

والسِّياق يجب اعتباره في الكلام على أي آية من القرآن الكريم، وترك اعتباره يوقع في خطأٍ كبيرٍ، كما هنا، فسياق آية (سبأ) في الكلام على المُلك الذي

خصَّ الله به سليمان عليه السَّلام حيث قال: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ [ص: ٣٥]، فأجاب الله له وذكر تسخير الجنِّ من جملة ما خصَّه به، فالاستدلال بها على إباحة التَّماثيل لا يصح ولا يجوز.

يُؤيِّد ذلك أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أمسك شيطانًا كان يشغله في صلاته، وخنقه حتَّى سال لُعابه على يديه الشَّريفة، وهَمَّ أنْ يربطه بساريةٍ في المسجد حتَّى يُصبح ويراه صبيان المدينة. قال: «**ثُمَّ تذكَّرت قول أخي سليمان: هَبْ لي مُلْكًا لا يَنْبَغي لأَحَدٍ مِن بعدي؛ فأَطْلَقْتُهُ**».

فهذا الحديث يُبيِّن أنَّ ما أُعطيه سليمان خاصٌّ به، لا يكون لغيره ولا يجوز له، أمَّا سياق آية (الكهف)، فهو يختلف عن هذا غاية الاختلاف حسبما مَرَّ بيانه بالتفصيل.

المسألة السادسة

حديث الصَّحيحين: «**لا تُشدُّ الرِّحالُ إلَّا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، ومسجدي، والمسجد الأقصى**».

أخذ بظاهره بعض العلماء فمنع السَّفر إلى غير هذه المساجد المذكورة في الحديث. وهذا ضعيفٌ؛ لأنَّه يقتضي منع السَّفر للتِّجارة، وطلب العلم، وصلة الرَّحم وغير ذلك.

قال الحافظ ابن حجرٍ في "فتح الباري": «قال بعض المحقِّقين قوله: «**إلَّا إلى ثلاثة مساجد**» المستثنى منه محذوفٌ، فإمَّا أن يُقدَّر عامًّا فيصير: لا تُشدُّ الرِّحال إلى مكانٍ في أي أمرٍ كان إلَّا إلى ثلاثة مساجد، أو أخصَّ من ذلك.

لا سبيل إلى الأوَّل لإفضائه إلى سدِّ باب السَّفر للتِّجارة، وصلة الرَّحم، وطلب العلم، وغيرها؛ فتعيَّن الثاني، والأولى أن يُقدَّر ما هو أكثر مناسبة وهو لا تُشدُّ الرِّحال إلى مسجدٍ للصَّلاة فيه إلَّا إلى المساجد الثلاثة، فيبطل بذلك قول من منع شدَّ الرِّحال إلى زيارة القبر الشَّريف وغيره من قبور الصَّالحين والله أعلم.

وقال السُّبكيُّ الكبير: ليس في الأرضِ بُقْعَةٌ لها فضلٌ لذاتها حتَّى تُشَدَّ الرِّحالُ إليها غير البلاد الثلاثة، ومرادي بالفضل ما شهد الشَّرع باعتباره، ورتَّب عليه حكمًا شرعيًّا، وأمَّا غيرها من البلاد فلا تُشد الرِّحال إليها لذاتها، بل لزيارة أو جهاد أو علم أو نحو ذلك من المندوبات أو المباحات.

قال: وقد التبس ذلك على بعضهم، فزعم أنَّ شدَّ الرِّحال لمن في غير الثلاثة داخل في المنع، وهو خطأٌ، لأنَّ الاستثناء إنَّما يكون من جنس المستثنى منه، فمعنى الحديث: لا تُشدُّ الرِّحال إلى مسجدٍ من المساجد، أو إلى مكان من الأمكنة، لأجل ذلك المكان إلَّا إلى الثلاثة المذكورة، وشدُّ الرِّحال إلى زيارةٍ، أو طلب علمٍ ليس إلى المكان، بل من في ذلك المكان».اهـ

ويؤيِّده ما رواه أحمد من طريق شَهْر بن حَوْشَب قال: سمعت أبا سعيد - وذكر عنده الصَّلاة في الطُّور- فقال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: **«لا ينبغي للمُصلِّي أن يشدَّ رحاله إلى مسجد تُبتغى فيه الصَّلاة غير المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي»**

قال الحافظ: «وشهر حسن الحديث، وإن كان فيه بعض الضَّعف».اهـ

وروى البزَّار عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: **«أنا خاتم الأنبياء، ومسجدي خاتم مساجد الأنبياء، أحقُّ**

المساجد أن يُزار ويشدُّ إليه الرَّواحل: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي». في سنده عن موسىٰ بن عُبيدة الرَّبذيِّ وثَّقه ابن سعد ووكيع، والجمهور ضعَّفوه لكنهم وصفوه بالصَّلاح.

وقال زيد بن الحباب: كنا عند موسىٰ بن عُبيدة بالرَّبذة، فأقمنا عنده ومرض ومات، فأتيت قبره ومعي رفيقٌ لي، فجعل ريح المسك يفوح من قبره، فجعلت أقول لرفيقي: أما تَشمُّ؟ أما تَشمُّ؟ وليس بالرَّبذة يومئذٍ مِسكٌ ولا عنبرٌ.

قال البزَّار: «موسىٰ بن عُبيدة رجل مُفيد وليس بالحافظ وأحسب إنَّما قصر به عن حفظ الحديث شُغله بالعبادة».

وهذا الحديث مُؤيَّد بحديث شَهْر، وهما يُفيدان ترك شد الرِّحلة إلىٰ مسجد غير المساجد الثلاثة، فلو نذر شخصٌ صلاة ركعتين أو أكثر، بجامع القرويين أو الأزهر، لم يلزمه أن يشدَّ الرِّحلة إليه، ويفي بنذره بالصَّلاة في أي مسجد ببلده.

ولو نذر الصَّلاة في أحد المساجد الثلاثة، لزمه الرِّحلة إليها عند الجمهور، لأنَّها مساجد الأنبياء.

وروىٰ أبو الفتح الأزديُّ، وأبو الحسن العسكريُّ، وأبو موسىٰ المدينيُّ من طريق بقيَّة، عن عَمرو بن عتبة، عن أبيه، عن زيادة بن سميَّة: سمعت زُكرة ابن عبدالله يقول: سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «لو أعرفُ مَوْضِعَ قَبْرِ يحيى لزُرْتُهُ».

قال أبو حاتمٍ: زيادة بن سمية ليس هو الأمير المشهور الذي استخلفه معاوية، وقال ابن عبد البر: ليس إسناده بقويٍّ، ومن المعلوم أنَّ قبر يحيىٰ عليه السَّلام بالشَّام، فالحديث يُفيد جواز الرِّحلة لزيارة القبور.

والقرآن يؤيده في ذلك لأنَّ الله تعالىٰ رخَّص في كتابه الكريم للمسافر أن يَتيمَّم، ويقصر الصَّلاة، ويُفطر في رمضان، ولم يقيِّد السَّفر بأن يكون للمساجد الثلاثة، بل جعله سفرًا عامًّا يشمل السَّفر للتِّجارة، وطلب العلم، وصلة الرَّحم، وزيارة الإخوان والصَّالحين أحياء وأمواتًا، وزيارة الفُسحة والنُّزهة، وكل سفرٍ واجبٍ أو مندوبٍ أو مباحٍ، وهذا هو اليُسر الذي أراده الله لنا في قوله تعالىٰ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]

المسألة السابعة

تواتر عن النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**جُعِلَتْ لي الأرضُ مسجدًا وطَهُورًا، فأيُّما رَجُلٌ مِن أُمَّتي أدركته الصَّلاةُ، فعنده مسجده وطَهُوره**». وهذا مِن خصائص النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بإجماع العلماء.

والخصائص لا تُنسَخ ولا يُستثنىٰ منها، ولهذا حمل العلماء الحديث الوارد في النَّهي عن الصَّلاة في المقبرة علىٰ الكراهة ولم يحملوه علىٰ البطلان، بل حتَّىٰ مَن حَمَل النَّهي علىٰ التَّحريم قال: إنَّ الصَّلاة صحيحةٌ، ونصَّ الحافظ البيهقيُّ، والحافظ ابن عبد البر، والحافظ بن حجر علىٰ أن حديث: «**لا تَجلسوا على القبور ولا تُصلُّوا إليها**» محمولٌ علىٰ الكراهة فقط، بل رجَّح حافظ المغرب ابن عبد البر عدم الكراهة واعتمادهم في ذلك كله علىٰ الحديث السَّابق ذكره.

وهذا نصُّ الفتوى لمفتي الدِّيار المصريَّة على المذاهب الأربعة:

١- قال فقهاء مذهب أبي حنيفة: تُكره الصَّلاة في المقبرة إذا كان القبر بين يدي المُصلِّي بحيث لو صلَّى صلاة الخاشعين وقع بصره عليه، فإذا كان القبر خلف المُصلِّي وهو مستقبلٌ القبلة فلا كراهة.

٢- وقال فقهاء مذهب مالك: الصَّلاة في المقبرة جائزةٌ بلا كراهة إذا خلت عن النَّجاسة.

٣- وقال فقهاء مذهب الشَّافعيِّ: تُكره الصَّلاة في المقبرة غير المنبوشة، سواء كانت القبور أمامه أو خلفه، أوعلى يمينه أو على شماله، أمَّا الصَّلاة في المقبرة المنبوشة بلا حائل فباطلة لوجود النَّجاسة بها.

٤- وقال فقهاء مذهب أحمد بن حنبل: إنَّ الصَّلاة في المقبرة التي تحتوي على أقل من ثلاثة قبورٍ صحيحةٌ بلا كراهة إذا لم يستقبل المُصلِّي القبر، وإن استقبله كانت الصَّلاة مكروهةً.

لذا كانت الصَّلاة في المُصلَّى المسؤول عنها صحيحةً بلا كراهة في فقه الأئمة أبي حنيفة، ومالك، وأحمد، ومكروهةً في فقه الإمام الشَّافعيِّ رحمهم الله».اهـ

ومن هنا يُعلم أنَّ من قال أنَّ الصَّلاة في المسجد الذي فيه قبورٌ باطلةٌ، فهو كاذبٌ، ويدخل في قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أجْرؤُكم على الفُتْيا أجرؤكم على النَّار**»، وحديث: «**من حدَّث بحديث يظنُّ أنَّه كذبٌ فهو أحد الكذَّابين**».

والله سبحانه وتعالى أعلم.

٤ - إعْلَامُ النَّبيلِ بجَوازِ التَّقْبيلِ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على أشرفِ الخلقِ والمرسلين، سيِّدنا محمَّدٍ وآله الأكرمين، ورضي الله عن الصَّحابة والتَّابعين.

وبعد: فقد كنتُ طبعتُ جزء "إعلام النَّبيل، بجواز التَّقبيل" سنة ١٣٥١ هجريَّة، وبالرّغم من نفَاذِه منذ مُدَّةٍ، لم أهتم بإعادة طَبعه، حتى كان من نحو سنةٍ كَثُر الطَّلب عليه من جهاتٍ مُتعدِّدةٍ، بمصر والشَّام ونيجيريا وغيرها، فاعتزمتُ طبعه ثانيةً بزياداتٍ لم تكن في الطَّبعة الأُولى، واللهَ المسئول أن ينفع به في هذه المرَّة كما نفع به في المرَّة السَّابقة، إنَّه جوادٌ كريمٌ.

عبد الله بن محمَّد الصِّدِّيق الغُمَاريُّ

خادم الحديث الشَّريف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

الحمدُ لله وكفى، والصَّلاة والسَّلام على نبيِّنا المصطفى، وعلى آله ومن به اقتفى.

هذا جزءٌ سمَّيته: "إعلام النَّبيل بجواز التَّقبيل" جعلته جوابًا لمن سألني عن تقبيل اليد وغيرها كالرأس، أَلَه أصلٌ في السنَّة المطهَّرة؟ أم هو من البدع المُبتكرة المُنكرة؟

واللهُ أسألُ أن يوفِّقني فيه للصَّواب، إنَّه الكريم الوهَّاب.

باب
في ذكر ما ورد من تقبيل النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لغيره

روينا في "سنن أبي داود"، و"الترمذيِّ"، و"النَّسائيِّ"، و"مستدرك الحاكم" من طريق إسرائيل، عن ميسرة بن حبيبٍ، عن المِنْهال بن عمرٍو، عن عائشة بنت طلحة، عن عائشة أُمِّ المؤمنين رضي الله عنها قالت: «ما رأيت أحدًا كان أشبه كلامًا وحديثًا من فاطمة عليها السَّلام برسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وكان إذا دخلت عليه رحَّب بها وقام إليها، فأخذ بيدها وقبَّلها، وأجلسها في مجلسه؛ وكانت هي إذا دخل عليها قامت إليه مستقبلةً وقبَّلت يده».

قال الترمذيُّ: «حسنٌ غريبٌ من هذا الوجه»، وقال الذهبيُّ: «حديثٌ صحيحٌ».

وأخرج ابن الأعرابيِّ من طريق حسين بن واقدٍ، عن يزيد النَّحويِّ، عن عكرمة: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان إذا قَدِم من مغازيه قبَّل فاطمة عليها السَّلام.

وروينا في صحيحي "البخاريِّ"، و"مسلمٍ" من حديث أبي هريرة قال: قبَّل رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم الحسن بن علىٰ عليهما السَّلام، وعنده الأقرع بن حابسٍ، فقال: إنَّ لي عشرة من الأولاد ما قبلت أحدًا منهم، فنظر إليه رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، ثُمَّ قال: «**مَن لا يَرْحَمْ لا يُرْحَمْ**».

وروىٰ أبو يعلىٰ عن عائشة رضي الله عنها قال: رأيتُ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه

وآله وسلَّم التزم عليًّا عليه السَّلام وقبله، ويقول: «**بأبي الوحيد الشَّهيد، بأبي الوحيد الشَّهيد**».

وروينا في "مصنَّف ابن أبي شيبة"، و"سنن أبي داود"، و"جزء القُبَل" لابن الأعرابي من طريق علي بن مُسْهِرٍ، عن الأَجْلَح، عن الشَّعْبيِّ: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم تلقَّى جعفر بن أبي طالبٍ فالتزمه وقبَّل ما بين عينيه.

وأخرجه الطبرانيُّ بسندٍ رجاله رجال الصَّحيح كما قال الحافظ الهيثميُّ: «إلَّا أنَّه مرسلٌ».

وقد وَصَله البغويُّ في "معجم الصَّحابة" وابن عديٍّ في "الكامل" والبيهقيُّ في "الشُّعب" من حديث عائشة.

لكن في سنده محمَّد بن عبدالله بن عبيد بن عمير وهو ضعيفٌ، كما قال الحافظ.

ورواه الدارقطنيُّ في "السُّنن" عن عائشة. وبيَّن في "العلل" أنَّه ورد عنها من طريقين ضعيفين.

ووصله البيهقيُّ في "الشُّعب" من طريق مجالد بن سعيدٍ، عن الشَّعْبيِّ، عن عبدالله بن جعفرٍ به نحوه.

ورواه البزَّار في "مسنده" مِن طريق عبدالرحمن بن أبي مُلَيكة، عن إسماعيل بن عبدالله بن جعفرٍ، عن أبيه به.

ورواه الحاكم من طريق الأَجْلَح عن الشَّعْبيِّ عن جابرٍ به.

ووصله الطبرانيُّ أيضًا في "معجمه الصَّغير" من حديث أبي جُحَيفَة فقال: حدَّثنا أحمد بن خالد بن مُسَرِّح -بضمِّ أوَّله وفتح ثانيه وكسر ثالثه مُشدَّدًا-

الحرانيُّ بحرَّان: ثنا عمِّي الوليد بن عبدالملِك بن مُسَرِّحٍ: ثنا مَخلَد بن يزيد، عن مِسْعَر بن كِدَامٍ، عن عَون بن أبي جُحَيفة، عن أبيه قال: قَدِم جعفر بن أبي طالب على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مِن الحبشة، فقبَّل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ما بين عينيه، وقال: «**ما أدري أنا بقُدُوم جعفرٍ أُسَرُّ؟ أم بفَتْحِ خَيْبرَ؟**». ضعيفٌ؛ لضعف شيخ الطبرانيِّ.

وأخرجه في "المعجم الكبير" من طريقٍ آخر عن أبي جُحَيفة، قال الحافظ الهيثميُّ: «فيه أنس بن سَلْمٍ لم أعرفه، وبقية رجاله ثقاتٌ».

قلت: فيكون مرسل الشَّعْبيِّ بانضمام هذه الأحاديث الضَّعيفة إليه صحيحًا مُحتجًّا به، حسبما تقرَّر في عِلْمَي أصول الفقه، ومصطلح الحديث.

ورواه الحاكم عن ابن عمر قال: وجَّه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم جعفر بن أبي طالبٍ إلى بلاد الحبشة، فلما قَدِم منها اعتنقه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وقبَّل بين عينيه... وذكر بقيَّة الحديث في تعليمه صلاة التَّسابيح.

ثم قال الحاكم: «إسناده صحيحٌ لا غُبار عليه»، ووافقه الذهبيُّ.

وهذا ممَّا يردُّ على من زعم وضع حديث صلاة التَّسابيح أو ضعفه.

وأخرج الطبرانيُّ عن ابن عبَّاسٍ قال: حدَّثتني أمِّي أمُّ الفضل: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رأى العبَّاس مقبلًا فقام إليه، وقبَّل ما بين عينيه، وأقعده عن يمينه، ثم قال: «**هذا عمِّي فمن شاء فليُباه بعمِّه...**» الحديث.

قال الحافظ الهيثميُّ: «إسناده حسنٌ».

وأخرج الترمذيُّ من طريق محمَّد بن إسحاق، عن محمَّد بن مُسلمٍ الزهريِّ، عن عُروة بن الزُّبير، عن عائشة قالت: قَدِم زيد بن حارثة المدينة

ورسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في بيتي، فأتاه فقرع الباب، فقام إليه رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عُريانًا يَجرُّ ثوبه، والله ما رأيته عُريانًا قبله ولا بعده فاعتنقه وقبَّله. قال الترمذيُّ: «حديثٌ حسنٌ».

ورواه أبو نعيم في "دلائل النَّبوَّة" عن عائشة قالت: بلغ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أنَّ امرأة من بني فَزَارة يقال لها أمُّ قرفة جهَّزت ثلاثين راكبًا مِن وَلَدِها ووَلَدِ ولدها وقالت: اذهبوا إلىٰ المدينة فاقتلوا محمَّدًا، فقال: «**اللَّهمَّ اثْكُلْها بوَلَدِها**» وبعث إليهم زيد بن حارثة في بعثٍ، فالتقوا، فقَتَلَ زيدٌ بني فزارة، وقتل أُمَّ قرفة وولدها فأقبل زيدٌ حتىٰ قَدِم المدينة... الحديث.

وروىٰ الطبرانيُّ بإسنادٍ جيِّدٍ كما قال الدميريُّ في "حياة الحيوان"، عن أبي هريرة رضي الله، عنه قال: سمعت أذناي هاتان، وأبصرت عيناي هاتان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وهو آخذ بكفَّيه جميعًا حسنًا أو حسينًا، وقدماه علىٰ قدمي رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وهو يقول: «**حُزُقَّةُ حُزُقَّةُ، ارْقَ عين بَقَّةٍ**» فيرقىٰ الغلام فيضع قدميه علىٰ صدر رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

ثُمَّ قال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم «**افْتَحْ فاك**»، ثُمَّ قبَّله، ثُمَّ قال: «**اللَّهمَّ مَن أَحبَّه فإنِّي أُحبُّه**» أي فإنِّي أُحبُّ مَن أَحبَّه.

وهذه بشارةٌ عظيمةٌ لمحبِّ الحسن والحسين عليهما السَّلام، بأنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يحبُّه.

وروينا في "مسند أحمد" من طريق عبدالله بن الحارث قال: كان النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يَصُفُّ عبدالله بن عبَّاسٍ وأخويه عبيدالله، وكثيرًا بني

العباس ويقول: «مَن سَبَقَ إليَّ فله كذا»؛ فيستبقون إليه، فيقعون على ظهره وصدره، فيلتزمهم ويُقَبِّلهم. قال الحافظ الهيثميُّ: «إسناده حسنٌ».

وأخرج قاسم بن أصبغ عن أبي الهيثم: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لقيه فاعتنقه وقبَّله. قال الحافظ: «سنده ضعيفٌ».

وأخرج الخطيب في "المتفق" بإسنادٍ واهٍ، وأبو موسى في "الذيل" بإسنادٍ مجهولٍ، كما قال الحافظ من طريق الحسن، عن أنس: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لَمَّا رجع من تبوك استقبله سعد بن معاذٍ الأنصاريُّ فقال: «ما هذا الذي أرى بيدك؟» قال: مِن أثر المَرِّ والمسحاة أضرب وأُنفق على عيالي؛ فقبَّل النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يده وقال: «**هذه يدٌ لا تمسُّها النَّارُ**».

قلت: سعد بن معاذٍ هذا صحابيٌّ آخر غير ذاك المشهور، نبَّه عليه الحافظ في "الإصابة".

والمَرُّ بفتح الميم وشد الراء: مقبض المسحاة.

ورواه الحافظ حمزة بن يوسف السهميُّ في "تاريخ جُرجان" قال: حدَّثنا أبو الفتح يوسف بن عمر بن مسرور ببغداد، وأبو العبَّاس بن بطانة بالبصرة، قالا: ثنا محمَّد بن مخلد، قال أبو الفتح: قُرئ على محمَّد بن مخلد العطار وأنا أسمع في كتاب "المعجم": حدَّثكم أبو سعيد محمد بن إسحق بن إسماعيل بن الصَّلت السمسار البلخيُّ: ثنا محمَّد بن تميم -يعني الفريابيَّ-: ثنا عبدالله بن عيسى الجُرجانيُّ: حدَّثنا عبدالله بن المبارك، عن مِسْعَر بن كِدَامٍ، عن ابن عون، عن أنس بن مالكٍ، قال: أقبل النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من غزوة تبوك فاستقبله سعد بن معاذٍ فصافحه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ثُمَّ قال: «يا

سعدُ، ما هذا الذي أرى بيدك؟»، فقال: يا رسول الله، أضرب بالمَرِّ والمِسحاةِ فأنفِقُهُ على عِيالي، قال: فقبَّل يده وقال: «**لا تمسُّها النَّارُ أبدًا**».

ثُمَّ رواه من طريق أبي بكر محمد بن سعيد بن حم البخاريِّ: ثنا أحمد بن أحيد بن حمدان: ثنا أبو عمرو قيس بن أنيف: ثنا محمَّد بن تميم الفريابيُّ: ثنا عبدالله بن عيسى الحرَّاني: حدَّثنا عبدالله بن المبارك، عن مِسْعَر، عن عون، عن الحسن، عن أنسٍ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بذلك.

وروى الخطيب وأبو نعيمٍ والديلميُّ وابن عساكر من طريقين عن البخاريِّ قال: ثنا عمرو بن محمَّد بن جعفر: ثنا أبو عبيدة معمر بن المثنَّي: ثنا هشام بن عُروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: كنت قاعدة أغزل والنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يخصِف نعله فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد نورًا فبُهِتُّ، فقال: «**مالك بُهِتِّ؟**» قلت: جعل جبينك يعرق وجعل عرقك يتولَّد نورًا، ولو رآك أبو كبير الهذليُّ لعلم أنَّك أحقُّ بشعره حيث يقول:

ومُبرَّإٍ من كلِّ غُبَّرِ حَيْضَةٍ ... وفَسَادِ مُرْضِعَةٍ وداءِ مُغْيَلِ

وإذا نَظَرْتَ إلى أَسِرَّة وَجْهِهِ ... بَرَقَتْ بُرُوقَ العَارِضِ المُتَهلِّلِ

فوضع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ما كان في يده وقام إليَّ فقبل ما بين عينيَّ وقال: «**جزاك اللهُ يا عائشة خيرًا، فما أذكر أني سُرِرْتُ كسُروري بكلامك**».

قال أبو علي صالح بن محمَّد البغداديُّ: «لا أعلم أنَّ أبا عبيدة حدَّث عن هشام بن عُروة شيئًا، قال: لكن الحديث حسنٌ عندي حين صار مخرِّجه محمَّد بن إسماعيل البخاريّ».اهـ

وأخرج أحمد .وأبو داود والترمذيُّ وابن ماجه وابن الأعرابي في "جزء القُبَل" عن عائشة قالت: رأيتُ رسولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قَبَّل عثمان ابن مظعونٍ حتَّىٰ رأيتُ الدُّموعَ تَسيلُ علىٰ خَدِّه. قال الترمذيُّ: «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ».

وأخرجه الطبرانيُّ من طريق عائشة بنت مظعونٍ: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قبَّل عثمان بن مظعونٍ علىٰ خَدِّه بعد ما مات.

قال الحافظ الهيثميُّ: «في إسناده عبدالرحمن بن عفَّان الحاطبيُّ، وهو ضعيفٌ».

(تنبيه): قال ابن عِلَّان في "شرح الأذكار": «في "صحيح البخاريِّ" أنَّه لما تُوفِّي عثمان بن مظعون جاء صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وكشف عن وجهه وقبَّله وبكىٰ أهله».

قلت: راجعت المواضع التي فيها هذا الحديث من الصَّحيح، وهي:«باب الدخول علىٰ الميت» من «كتاب الجنائز»، و«باب القرعة» من «كتاب الشهادات»، و«باب هجرة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وأصحابه إلىٰ المدينة» من «كتاب الهجرة »، و«بابا رؤية النِّساء، والعين الجارية» من «كتاب التعبير»، فلم أجد في شيءٍ منها ذكرًا للتَّقبيل ولا للبكاء، فهو غير موجودٍ في البخاريِّ جزمًا، وقد صرَّح الحاكم في "المستدرك" بأنَّ الشَّيخين لم يخرجاه والله أعلم.

باب: في ذكر ما ورد من تقبيل الصَّحابة وغيرهم للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم

تقدَّم حديث عائشة أنَّ فاطمة عليها السَّلام كانت إذا دخل عليها النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قامت إليه وقبَّلت يده.

وأخرج الحافظ أبو بكر ابن المقريِّ في "جزء تقبيل اليد" عن جابرٍ أنَّ عمر رضي الله عنه قبَّل يد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

وأخرج ابن جريرٍ، وابن أبي حاتمٍ عن السَّديِّ في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ [المائدة: ١٠١] الآية. قال: غضب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يومًا من الأيَّام فقام خطيبًا فقال: «**سَلُوني فإنَّكُمْ لا تَسْأَلُوني عن شيءٍ إلَّا أَنْبَأْتُكُمْ بِهِ**». فقام إليه رجلٌ مِن قريشٍ من بني سهمٍ يُقال له عبدالله بن حذافة – وكان يُطعن فيه – فقال: يا رسول الله من أبي؟ قال: «أبوك فلان» فدعاه لأبيه، فقام إليه عمر فقبَّل رجله، وقال: يا رسول الله رضينا بالله ربًّا وبك نبيًّا وبالقرآن إمامًا، فاعفُ عنَّا عفا الله عنك، فلم يزل به حتى رضي، فيومئذٍ قال: «**الولدُ للفِراشِ وللعَاهِرِ الحَجَرُ**»، وأُنزِل عليه: ﴿ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة: ١٠٢].

وأخرج أحمد، والبخاريُّ في "الأدب المفرد"، وأبو داود، والترمذيُّ، وابن ماجه، وابن أبي حاتم، وابن الأعرابيِّ في "جزء القُبَل"، كلُّهم من طريق يزيد ابن أبي زياد: أنَّ عبدالرحمن بن أبي ليلى حدَّثه: أنَّ ابن عمر حدَّثه قال: كنت في سريَّة من سرايا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فحَاصَ النَّاس حَيْصةً

فكنت فيمن حاصَ فقلنا: كيف نصنع وقد فررنا من الزَّحف وبؤنا بالغضب؟ ثُمَّ قلنا: لو دخلنا المدينة ثُمَّ بتنا. ثُمَّ قلنا: لو عرضنا أنفسنا على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فإن كانت لنا توبةٌ وإلَّا ذهبنا. فأتيناه قبل صلاة الغداة، فخرج فقال « **مَن القوم؟**» فقلنا: نحن الفرَّارون فقال: «**بل أنتم العَكَّارون أنا فئتكم وأنا فئة المسلمين**» قال: فأتيناه حتى قبَّلنا يده.

قال الترمذيُّ: «حديثٌ حسنٌ».

ورواه سعيد بن منصور، وابن سعد، وابن أبي شيبة، وعبد بن حُميد، وابن المنذر، وأبو الشَّيخ، وابن مردويه، والبيهقيُّ في "الشعب" عن ابن عمر به أيضًا.

وأخرج أحمد، والبخاريُّ في "الأدب المفرد"، وأبو داود، وابن الأعرابيِّ في "جزء القُبَل"، والبغويُّ في "معجم الصَّحابة" من طريق مطر بن عبدالرحمن الأعنق، قال: حدَّثتني جدَّتي أمُّ أبان بنت الوازع بن زارع، عن جدِّها زارع - وكان في وفد عبد القيس- قال: لما قَدِمنا المدينة جعلنا نتبادر من رواحلنا فنقبِّل يد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ورجليه.

حسَّنه الحافظ ابن عبد البر، وجوّده الحافظ.

وأخرجه أبو يعلى، والطبراني، والبيهقيُّ، من حديث مزيدة بن مالك العصريِّ باسنادٍ جيِّدٍ كما قال الزرقانيُّ في "شرح المواهب".

وأخرج أبو بكر ابن المقري في "جزء تقبيل اليد" من حديث أسامة بن شريك قال: قمنا إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقبَّلنا يده. كذا عزاه الحافظ مختصرًا وقال: «سنده قويٌّ».

قلت: وأخرجه ابن الأعرابي بلفظ آخر فقال في "جزء القُبَل": حدَّثنا أبو

سعيد الحارثي إملاءً: ثنا سعيد بن عامرٍ: ثنا شعبة: ثنا زياد بن علاقة، عن أسامة بن شريك، قال: أتيتُ رسولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وعنده أصحابه علىٰ رؤسهم الطَّير، فجاء الأعراب فسألوا النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، ثُمَّ قام وقام النَّاس، فجعلوا يقبلون يده، فأخذتها فوضعتها علىٰ وجهي، فإذا هي أطيب من ريح المسك وأبرد من الثَّلج.

وروىٰ أحمد من طريق أبي جعفر الخطميِّ، عن عمارة بن عثمان، عن خزيمة بن ثابت، أنَّه رأىٰ في منامه يُقبِّل النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فأخبره بذلك، ونام له صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فقبَّل جبهته عمارة.

قال الحافظ الهيثميُّ: «لم يروِ عنه غير أبي جعفرٍ الخطميِّ»، وقال تلميذه الحافظ: «معروف النَّسب، لكن لم أرَ فيه توثيقًا».

وأبو جعفر أخرج له الأربعة، ووثَّقه ابن معينٍ، والنَّسائيُّ، والطبرانيُّ، وصحَّح له الحاكم حديث توسُّل الضَّرير علىٰ شرط الشَّيخين، ووافقه الذهبيُّ.

وبقيَّة رجال الإسناد رجال الصَّحيح كما قال الحافظ الهيثميُّ.

وأخرج الحافظ أبوبكر بن المقري في "جزء تقبيل اليد"، والبيهقيُّ في "الدَّلائل" عن أبي لبابة: أنَّه قبَّل يد النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لما نزلت توبته.

وأخرج أبو الشَّيخ، وابن مَرْدُويَه، عن كعب بن مالك قال: «لَمَّا نزلت توبتي أتيت النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقبَّلت يده وركبتيه».

ورواه الحافظ أبو بكر ابن المقري في "جزء تقبيل اليد" وزاد أن صاحبيه مرارة بن الربيع وهلال بن أمية فعلا ذلك. وإسناده ضعيفٌ، كما قال الحافظ العراقيُّ في "المغني".

وأخرج ابن الأعرابي في "جزء القبل" قال: حدَّثنا عليُّ بن عبد العزيز: ثنا شاذُّ بن فيَّاضٍ: ثنا رافع بن سلمة قال: سمعت أبي يحدِّث عن سالم -يعني ابن أبي الجعد الأشجعيّ- قال: عن رجل من أشجع يقال له زاهر بن حرام -بالراء، وقيل: بالزاي- الأشجعي قال: كان رجلًا بدويًّا، وكان لا يأتي النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلا أتاه بطرفةٍ أو هديّة فرآه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في السّوق يبيع سلعةً ولم يكن أتاه، فاحتضنه من ورائه بكفّيه، فالتفت فأحسَّ برسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقبَّل كفَّيه، فقال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم «**مَن يَشْتَري العَبْدَ؟**» قال: إذن تجدني كاسِدًا، قال: «**ولكنَّك عند الله رَبيحٌ**».

وقال ابن الأعرابيِّ أيضًا: حدَّثنا إسحاق بن إبراهيم الدبريُّ، قال: قرأنا على عبدالرزَّاق، عن مَعْمَرٍ، عن رجلٍ، عن الحسن، عن سوادة بن عمرو وكان يصيب من الخلوق فنهاه النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ثُمَّ لقيه ذات يوم مختضبًا به وفي يد النبيِ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم جريدة فطعنه في بطنه وقال: «**ألم أنهك عَن هذا؟**»، فقال: أقدني يا رسول الله، فكشف عن بطنه، فطَفِق يقبِّل بطنَ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

ورواه البغويُّ في "معجم الصّحابة" من طريق عمرو بن سليط، عن الحسن، عن سوادة به.

وأخرج أبو داود من طريق عبدالرحمن بن أبي ليلى، عن أسيد بن حضير -رجل من الأنصار- قال: بينما هو يحدث القوم -وكان فيه مزاح- بينما يضحكهم. فطعنه النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في خاصرته بعودٍ، فقال:

أصبرني قال: «اصْطَبِرْ» قال: إنَّ عليك قميصًا وليس عليَّ قميصٌ، فرفع النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن قميصه، فاحتضنه وجعل يقبل كشحه، قال: إنَّما أردتُ هذا يا رسول الله. إسناده علىٰ شرط الشَّيخين.

وأخرج ابن إسحاق، عن حِبَّان بن واسعٍ، عن أشياخٍ من قومه: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عدل الصُّفوف في يوم بدرٍ، وفي يده قدحٌ، فمرّ بسوادٍ بن غزية فطعنه في بطنه، فقال: أوجعتني فأقدني. فكشف عن بطنه فاعتنقه وقبَّل بطنه، فدعا له بخير.

ورواه عبدالرزَّاق، عن ابن جريجٍ، عن جعفر بن محمَّد، عن أبيه: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان يتخطَّىٰ بعرجون فأصاب به سواد بن غزية... الحديث.

وأخرج البيهقيُّ في "دلائل النبوّة" عن ابن عمر: أنَّ امرأةً شكت زوجها إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فقال لها «أَتَبْغَضِينَهُ؟»، قالت: نعم، قال: «أَدْنيا رُؤسَكُما» فوضع جبهتها علىٰ جبهة زوجها، ثُمَّ قال: «اللهمَّ ألِّفْ بينهما وحَبِّبْ أحدهما إلى صاحِبِهِ»، ثُمَّ لقيته المرأة بعد ذلك فقبَّلت رجليه، فقال: «كيف أنت وزوجك؟» قالت: ما طارفٌ ولا تالدٌ ولا ولدٌ بأحبَّ إلي منه، فقال: «أشهد أنِّي رسول الله»، قال عمر: وأنا أشهد أنَّك رسول الله.

وروىٰ أبو يعلىٰ وأبو نعيمٍ عن جابر بن عبدالله نحوه.

وفي "مغازي الواقدي" وغيرها، في قصَّة فتح مكة وإهدار النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم دم نفرٍ، وأمْره بقتلهم ولو كانوا متعلِّقين بأستار الكعبة، منهم عبدالله بن سعد بن أبي سرح، فلم يرع رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إلَّا

عثمان آخذًا بيد ابن أبي سرح واقفين بين يديه، فأقبل عثمان على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقال: يا رسول الله إنَّ أُمَّه كانت تحملني وتمشيه، وترضعني وتفطمه، وكانت تلطفني وتتركه؛ فهبه لي، فأعرض رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وجعل عثمان كلَّما أعرض عنه رسول الله بوجهه استقبله فيعيد إليه هذا الكلام، وإنَّما أعرض النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إرادة أن يقوم رجلٌ فيضرب عُنُقَهُ؛ لأنَّه لم يؤمنه، فلمَّا رأى أن لا يقوم أحدٌ، وعثمان قد أكبَّ على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يُقَبِّل رأسه وهو يقول: يا رسول الله بايعه فداك أبي وأمِّي فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**نعم...**» ولتنظر بقيَّة الحديث في كتب المغازي والسِّير، وفي كتاب "الصَّارم المسلول على شاتم الرسول" لأبي العبَّاس بن تيمية، وهو من أجود مؤلَّفاته وأنفعها.

وأخرج ابن الأعرابيِّ والبزَّار واللَّفظ له، من طريق صالح بن حيَّان، عن عبدالله بن بُرَيْدَةَ، عن أبيه قال: جاء رجلٌ إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال أرني آيةً، قال: «**اذهبْ إلى تلك الشَّجَرَةِ فادْعُها**»؛ فذهب إليها فقال: إنَّ رسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يدعوك؛ فمالت عن كلِّ جانبٍ منها حتى قلعت عروقها، ثُمَّ أقبلت حتَّى جاءت إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فأمرها أن ترجع، فقام الرجل فقبَّل رأسه ويديه ورجليه، وأسلم.

ولفظ ابن الأعرابيِّ: فقال الرجل: ائذن لي أن أُقبِّل رأسك ورجليك فأذن له، فقبَّل رأسه ورجليه، ثُمَّ قال: ائذن لي أن أسجد لك، قال: «**لا يسجد أحدٌ لأحدٍ**».

صالح بن حيَّان قال الحافظ الهيثميُّ: «ضعيفٌ».

قلت: وبه تعقَّب الذهبيُّ تصحيح الحاكم للحديث، وإن كان الحافظ العراقيُّ حكىٰ في "المغني" تصحيحه ولم يتعقَّبه.

وأخرج الترمذيُّ وابن ماجه عن صَفْوان بن عَسَّالٍ قال: قال يهوديٌّ لصاحبه: اذهب بنا إلىٰ هذا النبيِّ، قال له صاحبه لا تقل نبيٌّ، إنَّه لو سمعك كان له أربعة أعينٍ، فأتيا النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فسألاه عن تسع آياتٍ بيِّناتٍ... فذكر الحديث، وقال في آخره: «فقبَّلا يديه ورجليه».

قال الترمذيُّ: «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ»، وصحَّحه الحاكم أيضًا.

وأخرج ابن عساكر في "تاريخ دمشق" عن كعبٍ قال: «كان إسلام أبي بكرٍ الصِّدِّيق بوحيٍ من السَّماء، وذلك أنَّه كان تاجرًا بالشَّام، فرأىٰ رؤيا فقصَّها علىٰ بحيراء الرّاهب فقال له: من أين أنت؟ قال: من مكة، قال: من أيها، قال: من قريش، قال: فإيش أنت؟ قال: تاجر، قال: صدق الله رؤياك، فإنَّه يبعث نبيٌّ من قومك تكون وزيره في حياته وخليفته بعد موته، فأسرّها أبو بكر حتىٰ بعث النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فجاءه فقال: يا محمَّد، ما الدّليل علىٰ ما تدّعي؟ قال: «**الرؤيا التي رأيتَ بالشَّامِ**»؛ فعانقه وقبَّل بين عينيه وقال: أشهد أنَّك رسول.

وأخرج أبو داود بإسنادٍ صحيحٍ، والطبراني باسنادٍ رجاله رجال الصّحيح، كما قال الحافظ الهيثميُّ، عن عائشة في قصّة الإفك قالت: ثُمَّ قال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أَبْشِري يا عائشةُ، فإنَّ الله قد أنزل عُذْرَك**» وقرأ عليها القرآن، فقال أبوها: قومي فقبِّلي رأس رسول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم،

فقلت: أحمد الله لا إيَّاكما.

وأخرج أحمد والبخاريُّ والنَّسائيُّ عن عائشة: أنَّ أبا بكرٍ رضي الله عنه دخل فبصر برسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وهو مُسَجّىٰ ببرده فكشف عن وجهه وأكبَّ عليه فقبَّله.

وأخرج البخاريُّ والنَّسائيُّ وابن ماجه عن ابن عبَّاسٍ، وعائشة: أنَّ أبا بكرٍ رضي الله عنه قبَّل النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعد موته.

(تنبيه): ذكر الشَّيخ زرُّوق في "شرح الرِّسالة" حديث أبي سعيدٍ الخدريِّ: أنَّ أباه استشهد في أحدٍ، فخرج مع النَّاس يلقىٰ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حين الدفع إلىٰ المدينة قال: قبَّلت يدَ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقال: «سعد؟» قلت: نعم، قال: «**آجرك الله في أبيك**». ثُمَّ قال: «صحيحٌ».

قلت: لم أقف علىٰ إسناد هذا الحديث بهذا السِّياق، والله أعلم.

فصل

أخرج أبو يعلىٰ وأبونعيمٍ وابن عساكر عن شدَّاد بن أوسٍ: «أنَّ رجلًا من بني عامر سأل رسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: ما حقيقة أمرك؟ فقال: «**بُدُوُّ شأني أنِّي دَعْوَةُ إبراهيم، وبُشْرَى أخي عيسى، وأنِّي كنتُ بِكْرَ أمِّي...**» وذكر الحديث في ولادته ونشأته واسترضاعه في بني ليث بن بكر، وشقِّ صدره، وقال فيه: «**ثُمَّ قال الثالث لصاحبه: تَنَحَّ، فأمر يده بين مفرق صدري إلى منتهى عانتي فالتأم ذلك الشِّق بإذن الله تعالى، ثُمَّ أخذ بيدي فأنهضني من مكاني إنهاضًا لطيفًا، ثُمَّ قال للأول: زِنه بعَشْرةٍ مِن أمَّته فوَزَنُوني بهم فرَجَحْتُهُمْ، ثُمَّ**

قال: زِنْهُ بمائةٍ مِن أُمَّتِهِ فوَزَنُوني بهم فرَجَحْتُهُمْ، ثُمَّ قال: زِنْهُ بألفٍ مِن أُمَّتِهِ فوَزَنُوني بهم فرَجَحْتُهُمْ، فقال: دَعُوهُ فلو وزَنْتُوهُ بأمَّته كلِّها لرَجَحَهُمْ، ثُمَّ ضَمُّوني إلى صُدورهم وقبَّلوا رأسي وما بين عَيْنَي، ثُمَّ قالوا: يا حبيبُ لم تُرع، إنَّك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرَّت عيناك».

وأخرج البيهقيُّ وابن عساكر من طريق محمَّد بن زكريَّا الغلابيِّ، عن يعقوب بن جعفر بن سليمان، عن علي بن عبدالله بن عبَّاسٍ، عن أبيه، عن جدِّه العبَّاس بن عبد المطلب، قال: «كانت حليمة تُخبر أنَّها لما فطمت رسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم تكلم فقال: «الله أكبر كبيرًا والحمد لله كثيرًا وسبحان الله بكرةً وأصيلًا» وذكرت قصة شقِّ صدره وأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال لمرضعته ومن معها بعد أن حكى لهم قصة شقِّ صدره الشّريف **«وقام الثالث فقال: تنحَّيا، فقد أنجزتما ما أمركما الله به فيه، ثُمَّ دنا منِّي فأمرَّ يده من مفرق صدري إلى منتهى عانتي، وقال زِنوه من أمَّته بعشرةٍ فوزَنُوني فرجحتهم، ثُمَّ قال: دعوه، فلو وزنتموه بأمَّته كلِّها لرجح بهم، ثُمّ أخذ بيدي فأنهضني إنهاضًا لطيفًا، فأكبَّو على وقبَّلوا رأسي وما بين عينيَّ وقالوا يا حبيب لن تُراع، ولو تدري ما يُراد بك من الخير لقرَّت عيناك».**

في هذين الحديثين من الفقه -مضمومًا إلى ما فيهما من دلالة على مشروعيّة التّقبيل- أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أرجح أمَّته عقلًا، وأشدُّها ذكاءً، وأقواها فطنةً، وأنَّه لا يوجد في الصّحابة فضلًا عن غيرهم من يوازيه في فهم شيء من أمور الدّين ومسائل التّشريع، وكشف أسرار القرآن؛ ذلك أنَّ الملائكة الذين شقّوا صدره الشّريف، وزنوه بألفٍ من أمَّته فرجع بهم،

وأخبروا أنَّهم لو وزنوه بأمَّته لرجح بهم، ومعلومٌ بالضّرورة العقلية أنَّ الملائكة لم يقصدوا بالوزن معرفة ثقل الأجسام وخفّتها، وإنَّما قصدوا الموازنة بينه وبين أمَّته عليه السّلام في المعاني الإنسانيّة السّامية من رجاحة العقل، وشفوف النّظر ورحابة الصّدر، ونحو ذلك ممَّا أهّله لتحمل أعباء أعظم رسالةٍ ظهرت على وجه الأرض.

يؤيِّد هذا ما أخرجه أبو نعيمٍ في "الحلية"، وابن عساكر، عن وهب بن مُنبِّهٍ قال: «قرأت إحدى وسبعين كتابًا، فوجدت في جميعها أنَّ الله لم يعطِ جميع النّاس من بدء الدّنيا إلى انقضائها من العقل في جنب عقل محمَّد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلَّا كحبَّة رملٍ من بين جميع رمال الدّنيا، وأنَّ محمَّدًا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أرجح النَّاس عقلًا وأرجحهم رأيًا».

فمن الضّلال البيِّن ما زعمه بعض المبتدعة في كُتيِّب له أنَّ عمر رضي الله عنه وغيره اجتهدوا في فهم الآيات، وأنَّهم كانوا أصوب من فهم النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، هكذا زعم ذاك المبتدع قاتله الله.

باب
في ذكر ما ورد من التّقبيل عن الصّحابة رضي عنهم وغيرهم

روينا في "جزء القبل" لابن الأعرابي قال: أخبرنا يحيى بن أبي طالب: أنا عبدالوهاب: أنا إسماعيل بن مسلم، عن أبي الزّبير، عن جابرٍ قال: لما قُتل أبي يوم أحدٍ أتيته وهو مُسجًّى فجعلت أكشف عن وجهه أقبّله، والنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يراني ولم ينهني.

وأخرج ابن الأعرابيِّ أيضًا قال: حدَّثنا محمَّد بن إسماعيل الصائغ: ثنا سليك: ثنا وكيعٌ، عن مالك بن مغول، عن أبي حصين، عن مجاهد قال: لَمَّا نزل عذرها -يعني عائشة- قام إليها أبو بكرٍ رضي الله عنهما فقبَّل رأسها. وهذا مرسلٌ.

وأخرج البخاريُّ، وأبو داود من طريق إبراهيم بن يوسف، عن أبيه، عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب قال: دخلت مع أبي بكرٍ رضي الله عنه أوَّل ما قَدِم المدينة فإذا عائشة ابنته مضطجعة، قد أصابتها حمّى، فأتاها أبو بكر فقال لها: كيف أنت يا بنية؟ وقبَّل خدّها.

وأخرج سفيان في "الجامع" عن مِسعَرٍ، عن زياد بن الفياض، عن تميم بن سلمة قال: لما قَدِم عمر رضي الله عنه الشّام استقبله أبو عبيدة بن الجرّاح رضي الله عنه فصافحه وقبَّل يده، فكان تميم يرى أن تقبيل اليد سنّةٌ.

وكذا أخرجه ابن الأعرابي، وابن المقري كلاهما في "جزء القبل"، وعبد الرازق في "المصنّف"، والخرائطيُّ في "مكارم الأخلاق"، والبيهقيُّ وابن

عساكر، وإسناده على شرط مسلمٍ إلّا أنّه مُنقطعٌ؛ فإنَّ تميمًا لم يُدرك القصّة.

لكن له طريقٌ آخر، قال عبد الرازق في "المصنّف": أخبرنا مَعمَرٌ: حدَّثنا هشام بن عروة، عن أبيه، قال... فذكره. وهذا إسنادٌ على شرط الشَّيخين.

وأخرج البخاريُّ في "الأدب المفرد"، قال: حدَّثنا عبدالرحمن بن المبارك: ثنا سفيان بن حبيب: ثنا شعبة: ثنا عمرو، عن ذكوان، عن صهيبٍ رضي الله عنه قال: رأيت عليًّا عليه السَّلام يُقبِّل يد العبَّاس ورجليه. إسناده صحيحٌ.

وروى عبد الرزاق، وأحمد، وأبو يعلى، والطبراني، وابن منده بإسنادٍ صحيحٍ عن أنسٍ -في حديث طويل-: أنَّ العبَّاس رضي الله عنه قبَّل عبدًا له بين عينيه... وانظر تتمّة الحديث في (ص ١٢٨ ج ٣) من "المسند" طبعة أولى.

وأخرج الحاكم من طريق ابن سيرين عن أبي هريرة أنّه لقي الحسن بن علي عليهما السَّلام فقال: رأيت رسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قبَّل بطنك؛ فاكشف الموضع الذي قبَّله حتى أُقبِّله، فكشف له الحسن فقبَّله.

صحّحه الحاكم على شرط الشَّيخين، ووافقه الذّهبيُّ.

وأخرجه ابن عساكر، عن عمّار بن أبي عمّار: أنَّ زيد بن ثابتٍ قُرِّبت له دابَّة ليركبها، فأخذ ابن عبَّاسٍ بركابه فقال زيد: تنحَّ يا ابن عمِّ رسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقال: هكذا أمرنا أنَّ نفعل بكبرائنا وعلمائنا، فقال زيد: أرني يدك، فأخرج يده فقبَّلها فقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبيِّنا.

وراه الدينوريُّ في "المجالسة" من طريق ابن المبارك، عن داود بن أبي هند، عن الشَّعبي قال: ركب زيد بن ثابت دابَّة... إلخ.

وهذا إسنادٌ على شرط مسلمٍ.

وأخرج ابن الأعرابيِّ قال: حدَّثنا عبَّاس الدوري: ثنا شبابة: ثنا هشام بن الغز: ثنا حيَّان أبو النَّضر قال: قال لي واثلة بن الأسقع -وهو صحابيٌّ-: «قدني إلىٰ يزيد بن الأسود فإنَّه بلغني أنَّه ألم به، فقدته فلمَّا دخل عليه قلت: إنَّه ثقيلٌ، قد وجه وذهب عقله، فقال: نادوه، فقلت: هذا أخوك واثلة، فلمَّا سمع أنَّ واثلة جاءه جعل يلتمس بيده، فعرفت ما يريد، فأخذت كفَّ واثلة فجعلتها في يده، فجعل يُقبِّل كفَّه، ويضعها مرةً علىٰ فؤاده، ومرةً علىٰ وجهه وعلىٰ فيه».

وأخرج ابن أبي خيثمة في "التّاريخ" عن ابن عمر أنَّه كان يقبِّل ابنه سالمًا ويقول: «اعجبوا من شيخٍ يُقبِّل شيخًا».

وأخرج البخاريُّ في "الأدب المفرد"، وأحمد من طريق ابن عيينه، عن ابن جدعان قال: قال ثابت لأنسٍ: «أَمَسَسْتَ بيدك النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم؟: قال: نَعَمْ؛ فقبِّلها».

وأخرج أبو يعلىٰ عن ثابتٍ قال: كنت إذا أتيتُ أنسًا يُخبَر بمكاني، فأدخل عليه فآخذ بيديه فأُقبِّلهما، فأقول: بأبي هاتين اليدين اللَّتين مَسَّتا رسول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وأُقبِّل عينيه وأقول بأبي هاتين العينين اللَّتين رأتا رسول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

قال الحافظ الهيثميُّ: «رجاله رجال الصحيح، غير عبدالله بن أبي بكرٍ المقدميِّ وهو ثقةٌ»، قلت: فهو إسنادٌ صحيحٌ.

وأخرج أبو يعلىٰ عن جميلة أمِّ ولد أنس بن مالكٍ قالت: كان أنسٌ إذا أتاه ثابتٌ يقول: يا جارية هاتي لي طيبًا أمسح يدي؛ فإنَّ ابن أمِّ ثابت لا يرضى حتىٰ يُقبِّل يديَّ.

وأخرج سعيد بن منصور، والبخاريُّ في "الأدب المفرد"، وابن الأعرابي من طريق عطاف بن خالدٍ، عن عبدالرحمن بن رزين قال: مررنا بالرّبذة، فقيل لنا: ههنا سلمة بن الأكوع، فأتيناه فسلّمنا عليه، فأخرج يديه فقال: بايعت بهاتين نبيَّ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فأخرج كفًّا له ضخمة كأنَّها كفُّ بعير، فقمنا إليها فقبَّلناها.

وأخرج أبو بكرٍ ابن المقري في "جزء تقبيل اليد" من طريق أبي مالكٍ الأشجعيِّ قال: قلت لابن أبي أوفي: ناولني يدك التي بايعت بها رسول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فناولنيها فقبَّلتها.

وقال أبو داود: حدَّثنا أبو بكر بن أبي شيبة: ثنا المعتمر، عن إياس بن دغفل قال: رأيت أبا نضرة قبَّل خدَّ الحسن بن علي عليهما السّلام.

قال النّوويُّ: «إسنادٌ صحيحٌ مليحٌ»، قلت: أراد بملاحته عُلوَّه.

وقال ابن الأعرابيِّ: ثنا محمَّد بن إسماعيل -يعني الصّائغ-: ثنا الحسن بن عليٍّ: ثنا عفّان: ثنا حمّاد بن سلمة: أنا عاصم بن بهدلة، قال: ما قَدِمت علىٰ أبي وائل قطُّ من سفرٍ إلَّا قبَّل كفّي.

قلت: عاصم أحد أئمَّة القُرَّاء.

وأخرج ابن الأعرابيِّ أيضًا من طريق سفيان، عن مالكٍ بن مغول، عن طلحة -يعني ابن مصرف- قال: قبَّل خيثمة يديَّ، وقال مالكٌ: قبَّل طلحة يديَّ.

وأخرج أيضًا من طريق ابن أبي الحواري: ثنا وكيعٌ، عن مالك بن مغول، عن طلحة قال: «دخلت علىٰ خيثمة فقبَّل يديَّ وقبَّلت يده».

وأخرج أيضًا قال: ثنا محمَّد بن علىٰ الصّائغ: ثنا الحسن، قال: قال لي حسين الجعفي: «ربَّما فعله لي سفيان». يعني ابن عيينة،يعني يُقبِّل يده.

وقال أيضًا: ثنا أبو سلمة موسىٰ بن إسماعيل التبوذكي: ثنا حمَّاد بن سلمة: ثنا ثابتٌ أنَّ أنسًا دفع إلىٰ أبي العالية تفَّاحة، فجعلها في كفِّه وجعل يمسُّها ويقبِّلها ويمسُّها بوجهه، ويقول: «تفَّاحةٌ مَسَّت كفًّا مَسَّت كفَّ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم».

قلت: هذا إسنادٌ علىٰ شرط مسلمٍ.

قال النّوويُّ في "الأذكار": «وعن سهل بن عبدالله التُستريِّ -السّيد الجليل أحد أفراد زهَّاد الأمَّة وعبَّادها رضي الله عنه- أنَّه كان يأتي أبا داود السِّجِستانيَّ -يعني صاحب "السُّنن"- ويقول: «أخرج لسانك الذي تحدَّث بحديث رسول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لأقبِّله، فيقبِّله».

خاتمة

تشتمل على ثلاث مسائل

المسألة الأولى: تقبيل اليد وغيرها كالرّأس والخدِّ والرجل يستحبُّ في حالتين:

إحداهما: إذا كان تعظيمًا واحترامًا للشّخص؛ لأجل مصلحة دينية كعلمٍ أو زهدٍ أو صلاحٍ أو نحو ذلك.

ثانيتهما: إذا كان على وجه العطف والشَّفقة والملاطفة، كتقبيل الإنسان لأولاده وأقاربه ونحو ذلك.

ويجوز في حالة ما إذا كان عند الوداع في سفرٍ أو عند القدوم منه.

ويكره التقبيل في حالة ما إذا كان لأجل مصلحةٍ دنيويَّةٍ، كتقبيل يد غنيٍّ أو ذي جاهٍ كحاكمٍ ونحوه.

وقال بعض العلماء يُحرم التقبيل في هذه الحالة، بل نصَّ المتولي في "التتمَّة" على أنَّه لا يستحبُّ الدّخول على الأغنياء والسَّلاطين لمرض قلوبهم بالغفلة عن الله.

ويُحرم التقبيل للأجنبيَّة أو الأمرد لأنَّه يؤدِّي إلى الشَّهوة المحرَّمة بالإجماع فما يفعله الغربيُّون والمقلِّدون لهم مِن الشرقيين المستغربين في الحفلات من تقبيل يد النِّساء هو -مع حرمته- نوعٌ من الإباحيَّة البشعة.

أمَّا تقبيل غير الأعضاء فقد تقدم أنَّ أبا العالية قبَّل تفَّاحةً تبرُّكًا بمسِّها لكفِّ أنسٍ رضي الله عنه، وأجاز أحمد تقبيل قبر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وأجاز ابن أبي الصيف، والمحبُّ الطبريُّ تقبيل قبور الصَّالحين، وكثيرٌ من العلماء قالوا بكراهة ذلك.

المسألة الثانية: قال ابن أبي زيد في "الرِّسالة": «وكَرِه مالكٌ تقبيل اليد وأنكر ما رُوي فيه».اهـ قال شرَّاح "الرسالة": «إنَّما كرهه لما يدعو إليه من الكِبْر والنخوة ورؤية النّفس ومساعدتها في حظِّها».اهـ

زاد زرُّوق: «وإنكار مالكٌ لما رُوي في تقبيل اليد، إن كان من جهة الرواية فمالكٌ حُجَّةٌ فيها؛ لأنَّه إمام حديثٍ».اهـ

قلت: نعم كان الإمام مالكٌ حُجَّةً في الحديث وشيخًا من شيوخ السُّنَّة، ولكن إنكاره لما ورد في تقبيل اليد لايكون حُجَّةً في نفيه؛ لثبوت تقبيل اليد وغيرها عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وعن الصحابة من طرقٍ كثيرةٍ تبلغ حدَّ التَّواتر، ومالكٌ معذورٌ في إنكاره؛ لأنَّه لم يصله ذلك بطريقٍ صحيحٍ، كما فاتته أحاديث كثيرة لم تصله ووصلت غيره من أئمَّة الحديث.

بل أنكر الإمام مالكٍ وجود أويس القرني، مع أنَّه تابعيٌّ معروفٌ، والحديث في فضله ثابتٌ في "صحيح مسلمٍ"، فهل يجوز أنْ نقلِّد مالكًا في إنكار أويسٍ القرني، ونتغاضى عن الحقيقة والواقع؟

كلّا، فكذلك لا يجوز أنْ ننكر ما ثبت عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وعن الصَّحابة والتابعين من تقبيل اليد وغيرها بالطرق الكثيرة البالغة حدَّ التّواتر؛ لأنَّنا مُكلَّفون باتِّباع ما ثبت عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

المسألة الثالثة: قد يعارض مَن يُنكِر التقبيل ما تقدَّم مِن الأحاديث بما رواه الترمذيُّ، وابن ماجه من طريق حنظلة بن عبيدٍ، عن أنسٍ قال: قال رجلٌ يا رسول الله الرجل منَّا يلقىٰ أخاه أو صديقه أينحني له؟ قال: «**لا**»، قال أفيلتزمه ويُقبِّله؟ قال: «**لا**» قال فيأخذ بيده ويصافحه؟ قال: «**نعم**».

وبما رواه الطبرانيُّ وأبو يعلىٰ وابن عديٍّ من طريق يوسف بن زياد، عن عبدالرحمن بن زياد الإفريقيِّ، عن الأغر أبي مسلمٍ، عن أبي هريرة قال: دخلت يومًا في السُّوق مع رسول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فجلس إلىٰ البَزَّارين فاشترىٰ سراويل بأربعة دراهم، وكان لأهل السُّوق وزَّانٌ، فقال له رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**اتَّزِنْ وأَرْجِحْ**»، فقال الوزَّان: إنَّ هذه الكلمة ما سمعتها مِن أحدٍ، قال أبو هريرة: فقلت له كفىٰ بك من الرَّهَقِ والجفاء ألَّا تعرف نبيَّك؛ فطرح الميزان، ووثب إلىٰ يدِ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يُريد أنْ يقبِّلها، فجذب يده منه، وقال: «**هذا إنَّما تفعله الأعاجمُ بملوكها، ولستُ بملِكٍ إنَّما أنا رجلٌ منكم**».

وبما رواه ابن عديٍّ في "الكامل"، والمحامليُّ في "الأمالي"، وابن شاهين في "الأفراد" من طريق عمرو بن عبدالجبَّار السنجاريِّ، عن عمِّه عبيدة بن حسَّان، عن قتادة، عن أنسٍ مرفوعًا: «**قُبْلَةُ المؤمِنِ أَخاهُ المُصافحة**».

فيجاب بوجوهٍ:

الأوَّل: أنَّ هذه الأحاديث لا تصلح للمعارضة لضعفها، بل منها ما عُدَّ في الموضوعات:

أمَّا الحديث الأول: فضعَّفه أحمد، والبيهقيُّ كما نقله الحافظ العراقيُّ في "المغني"؛ لأنَّ في سنده حنظلة، قال فيه أحمد وابن معينٍ والنَّسائيُّ: «ضعيف الحديث»، زاد أحمد: «يروي عن أنسٍ أحاديث مناكير»، وقال ابن حِبَّان في "الضُّعفاء": «اختلط بآخرةٍ؛ حتىٰ كان لا يدري ما يحدِّث به؛ فاختلط حديثه القديم بحديثه الأخير، تركه يحيىٰ القطّان»

وأمَّا الحديث الثاني: فأورده ابن الجوزيِّ في "الموضوعات"، ونقل عن الدارقطنيِّ أنَّه قال في "الأفراد": «الحمل فيه على يوسف بن زياد؛ لأنَّه مشهورٌ بالأباطيل، ولم يروه عن الإفريقيِّ غيره»، وعن ابن حِبَّان أنَّه قال في الإفريقيِّ: «يروي الموضوعات عن الأثبات».

وأمَّا الحديث الثالث: فقال عنه ابن عديٍّ: «غير محفوظٍ»، وأعلَّه بأنَّ عمرًا روى عن عمِّه مناكير.

الثاني: أنَّ هذه الأحاديث على فرض صحَّتها -وهو بعيدٌ- لا تصلح للمعارضة أيضًا؛ لأنَّ أحاديث التقبيل أكثر عددًا، وأصحُّ سندًا.

الثالث: تُحمَل هذه الأحاديث على ما إذا كان الباعث على التقبيل مصلحةً دنيويَّةً كغنًى أو جاهٍ أو رياسةٍ مثلًا.

أو على ما قاله الإمام مالكٌ فيما سبق، بأن كان يدعو إلى الكبر والنخوة ورؤية النَّفْس ومساعدتها في حظِّها.

ولا شكَّ أنَّ التّقبيل إذا أدَّى إلى هذه الأشياء أو كان الباعث عليه التقرُّب إلى غَنيٍّ أو ذي جاهٍ فإنَّه يُكرَهُ بلا خلاف، ولا يُبعد تحريمه حينئذٍ كما صرَّح به بعض علماء الشَّافعيَّة.

أمَّا إذا خلا من ذلك كله فهو مستحبٌّ أو جائزٌ على ما قدَّمنا تفصيله أول الخاتمة، وبالله التوفيق.

هذا آخر الجزء والحمد لله على إكماله

والصَّلاة والسَّلام على سيّدنا محمَّد وآله

يوم الإثنين ١٥ ربيع النّبوي سنة ١٣٧٥.

٥- إتْحَافُ الأَذْكِياءِ
بجَوازِ التوسُّلِ بالأنبياءِ والأولياءِ

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدُك اللهمَّ حمدًا يليقُ بجلالِ وجهِك وعظيم سُلطانِك، ونشكرُك على ما أَوْلَيْتَنا من عَمِيمِ فضلِكَ وجزيلِ إحسانِكَ، ونسألُكَ أنْ تجعلَ أفضلَ صلواتِك وتسليماتِك، وأزكى بركاتِك وتحيَّاتِك، على سيِّدنا محمَّدٍ واسطةِ عِقْد الوُجود، والوسيلةِ العُظمى في وصولِ الخيرِ إلى كلِّ موجودٍ، وارضَ اللهمَّ عن آله الطَّيِّبين الطاهرين، وعن خيارِ صحابتِه من الأنصار والمهاجرين.

أمَّا بعدُ: فإنِّي طبعتُ فيما مضى رسالةً صغيرةً سمَّيتُها "إتحافُ الأذكياء بما ورَدَ في التوسُّل بسيِّد الأنبياء وغيره من الصالحين والأولياء" جمَعْتُ فيها ما تيسَّر الوقوفُ عليه إذ ذاك من الآثار الدَّالة على جواز التوسُّل وأنَّه لا إشراكَ فيه ولا كفرَ خلافًا لما يزْعُمُه الوهابيَّة المتنطِّعُون.

وقد لقِيَت الرِّسالةُ على صغرِها رَواجًا وإقبالًا حتَّى نفدت نُسَخُها فأردتُ أن أعيدَ طبعها مع زيادةِ فوائدَ انتقيتها من كتابي "الردّ المحكم المتين على كتاب القول المبين، في حكم دعاء ونداء الموتى من الأنبياء والأولياء والصالحين" ورتَّبتُها على بابَيْن.

واللهُ المسئولُ أنْ ينفعَ بهذه الرِّسالة من قرأها ويزيلَ من صدرِه داءَ التَّنطّع والتعصُّب إن كان من أولئك المتنطِّعين المتعصِّبين، وأن يوفِّقَه ويهديَه، إنَّه قريبٌ مجيبٌ.

الباب الأول في ذكر الأدلة

الدليلُ الأوَّلُ: قال الله تعالىٰ في (سورة البقرة): ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧].

روىٰ ابنُ المنذِر في "تفسيره" عن محمَّد الباقر بن عليٍّ زين العابدين بن الحسين بن عليٍّ عليهم السَّلام قال: لما أصابَ آدمُ الخطيئة عظُم كربُه واشتدَّ ندمُه فجاءه جبريلُ عليه السَّلام فقال: يا آدمُ هل أدلّك علىٰ باب توبتِك الذي يتوبُ الله عليك منه؟ قال: بلىٰ يا جبريل. قال: قمْ في مقامِك الذي تُناجي فيه ربَّكَ فمَجِّدْهُ وامدحْ فليس شيءٌ أحبَّ إلىٰ الله من المدحِ. قال: فأقولُ ماذا يا جبريل؟ قال: فقل: لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له لهُ الملكُ وله الحمدُ يُحيي ويميتُ وهو حيٌّ لا يموتُ بيده الخيرُ كلُّه وهو علىٰ كلِّ شيء قدير. ثم تبوءُ بخطيئتِك فتقولُ: سبحانَكَ اللهمَّ وبحمدِك لا إله إلا أنتَ، ربِّ إنِّي ظلمتُ نفسي وعملتُ السُّوءَ فاغفِر لي إنَّه لا يغفرُ الذّنوبَ إلا أنت. اللهمَّ إنِّي أسألك بجاه محمَّد عبدِك وكرامتِه عليكَ أنْ تغفرَ لي خَطيئَتِي.

قال: ففعل آدمُ عليه السَّلام. فقال الله: يا آدمُ منْ علَّمَكَ هذا؟ فقال: ياربِّ إنَّكَ لما نفَخْتَ فيَّ الرُّوحَ فقُمتُ بشرًا سويًّا أسمعُ وأُبصِرُ وأَعقِلُ وأنظرُ رأيتُ علىٰ ساق عرشِكَ مكتوبًا: بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله وحده لا شريك له محمَّدٌ رسولُ الله، فلمَّا لم أر علىٰ أثر اسمِكَ اسمَ ملَكٍ مقرَّبٍ ولا نبيٍّ مرسلٍ غير اسمِه علمتُ أنَّه أكرمُ خلقِكَ عليك. قال: صدقتَ، وقد تبتُ عليكَ وغفرتُ لك.

وفي الباب حديثٌ مرفوعٌ سنتكلَّم عليه بعدُ بحول الله.

وقال الآلوسي في "روح المعاني": ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة: ٣٧] المراد بتلقِّي الكلمات استقبالُها بالأخذ والقَبول والعمل بها فهو مستعار من استقبال النَّاس بعض الأحبَّة إذا قدم بعد طول الغَيْبة لأنَّهم لا يدعون شيئًا من الإكرام إلَّا فعلوه، وإكرام الكلمات الواردة من الحضرة الأخذ والقبول والعمل بها، والمرويُّ في المشهور عن ابن عباس أنَّ هذه الكلمات هي: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣] الآية.

وعن ابن مسعود أنَّها: «سبحانكَ اللهمَّ وبحمدكَ وتباركَ اسمُكَ وتعالىٰ جدُّك لا إله إلا أنت ظلمتُ نفسي فاغفرْ لي فإنَّه لا يغفرُ الذُّنوبَ إلا أنتَ».

وقيل: رأىٰ مكتوبًا علىٰ ساقِ العرشِ: «محمَّدٌ رسولُ الله» فتشفَّعَ به.

وإذا أطلقت الكلمة علىٰ عيسىٰ عليه السَّلام فلْتطلقِ الكلماتُ علىٰ الرُّوح الأعظم والحبيب الأكرم صلَّىٰ الله عليه وسلَّم، فما عيسىٰ؟! بل وما موسىٰ؟! بل وما وما؟! إلَّا بعض من ظهور أنواره وزهرة من رياض أنواره، وروي غير ذلك».اهـ

وفي "البحر المحيط" لأبي حيَّان نحو ذلك مع حكاية أقوال أخرىٰ في تعيين الكلمات، وليس بين هذه الأقوال تعارضٌ كما قد يُظنُّ لإمكان الجمع بينها بأنَّ آدم عليه السلام تلقَّىٰ تلك الكلمات جميعًا إذ أنَّها لا تخرجُ عن كونها أذكارًا تشتمل علىٰ مدح الله وتمجيدِه وتوسُّلٍ إليه بأكرم الخلق عليه واعتراف بالخطيئة.

فلا داعي إلىٰ التَّرجيح -أي :ترجيح بعض الأقوال علىٰ بعض- مع إمكان

الجمع بما ذكرناه.

وقد اختار ابنُ جرير الطَّبري قول ابن عباس لكن لم يردَّ غيره، وإليك عبارته، قال بعد حكاية أقوال مختلفة عن مجاهد في تعيين الكلمات ما نصُّ المراد منه: «وهذه الألفاظ التي حكيناها عنه وإن كانت مختلفة الألفاظ فإنَّ معانيها متَّفقةٌ في أنَّ الله جلَّ ثناؤه لقَّىٰ آدمَ كلماتٍ فتلقاهُنَّ آدمُ من ربِّه فقبلهنَّ وعمل بهنَّ وتاب بقبلِه إياهنَّ وعملِه بهنَّ إلىٰ الله من خطيئته فتاب الله عليه بقبوله الكلمات التي تلقاهنَّ آدمُ من ربِّه، وهو قوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

وليس ما قاله من خالفَ قولَنا هذا من الأقوال التي حكيناها بمدفوعٍ قولُه، ولكنَّه قوْل لا شاهدَ عليه من الحُجَّة يجبُ التسليم لها فيجوز لنا إضافته إلىٰ آدم وأنَّه مما تلقَّاه من ربه عند أنابته إليه من ذنبه».اهـ

وقوله: «فيجوز لنا إضافته... إلخ» يشير إلىٰ الجمع الذي قدمناه كما لا يخفىٰ علىٰ متأمِّل، والله أعلم.

الدليل الثاني: قال الله تعالىٰ في (سورة البقرة): ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [البقرة: ٨٩] الآية.

روىٰ أبو نُعَيم في "دلائل النبوة" من طريق عطاء والضحَّاك عن ابن عباس قال: كانت يهودُ بني قُرَيْظة والنَّضِير من قبل أن يُبعَثَ محمَّدٌ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يستَفتِحون الله، يدعون علىٰ الذين كفروا يقولون: اللهمَّ إنَّا نستنصِرُك بحقِّ النبيِّ الأميِّ إلَّا نصرتَنا فينتصِرُون. ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟﴾

يريد محمَّدًا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، ولم يشكُّوا فيه ﴿كَفَرُوا بِهِۦ﴾». ولهذا الأثر طرقٌ ذكرتُها في "الرد المحكم المتين".

وفي "تفسير النيسابوريِّ" ما نصُّه: «قوله: ﴿يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ٨٩] وذلك أنَّ اليهود قبل مبعَث محمَّد صلَّىٰ الله عليه وسلَّم ونزول القرآن كانوا يسألون به الفتحَ والنُّصرة علىٰ المشركين، إذا قاتلوهم يقولون: اللهمَّ انصرنا بالنبيِّ المبعوث في آخر الزمان الذي نجِدُ نعتَه وصفتَه في التوراة. وكانوا يقولون لأعدائهم من المشركين: قد أظلَّ زمانُ نبيٍّ يخرج بتصديق ما قلنا فنقتُلكم معه قتْلَ عادٍ وإرمَ».اهـ ومثله في "تفسير الكشَّاف".

وفي "تفسير الخازن" ما نصُّه: «﴿وَكَانُوا﴾ يعني: اليهود ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل مبعث النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وسلَّم ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ أي: يستنصِرُون به ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: مُشركي العرب؛ وذلك أنَّهم كانوا إذا حزَبَهم أمر ودهَمَهم عدوٌّ يقولون: اللهمَّ انصرنا بالنبيِّ المبعوث في آخر الزمان الذي نجِد صفته في التوراة، فكانوا يُنصرون، وكانوا يقولون لأعدائهم من المشركين: قد أظل زمان نبيٍّ يخرجُ بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتْلَ عادٍ وإرمَ ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا﴾ أي: الذي عرفوه، يعني: محمَّدًا صلىٰ الله عليه وسلم، عرفوا نعتَه وصفتَه وأنَّه من غير بني إسرائيل ﴿كَفَرُوا بِهِۦ﴾ أي: جحدُوه وأنكروه بغيًا وحسَدا».اهـ ونحوه في تفسير "البغوي"، و"النسفي".

وفي "روح المعاني" للآلوسي: «﴿وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ٨٩] نزلت في بني قُرَيظة والنَّضِير كانوا يستفتِحُون علىٰ الأوْسِ

والخزرج برسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قبل مبعثه. قاله ابن عباس وقتادة.

والمعنىٰ: يطلبون من الله تعالىٰ أن ينصُرهم به علىٰ المشركين، كما روىٰ السُّدِّيُّ: أنهَّم كانوا إذا اشتدَّ الحربُ بينهم وبين المشركين أخرجُوا التوراة ووضعوا أيديهم علىٰ موضعِ ذكْرِ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وسلَّم وقالوا: اللهمَّ إنَّا نسألكَ بحقِّ نبيِّك الذي وعدتنا أنْ تبعثَه في آخر الزَّمان أنْ تنصرَنا اليوم علىٰ عدونا فيُنصَرون، ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ كنَّىٰ عن الكتاب المتقدِّم بما عرفوا، لأنَّ معرفة من أُنزل عليه معرفة له والاستفتاحَ به وإيراد الموصول دون الاكتفاء بالإضمار لبيان كمال مكابرتهم، ويحتمل أنْ يراد به النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وسلَّم و«مَا» قد يعبَّر بها عن صفة من يعقِل».اهـ المراد منه.

ووجهُ الدلالة من هذه الآية ظاهرٌ فإنَّ الله سبحانه أقرَّ استفتاحَ اليهودِ بالرَّسول ولم ينكرْه عليهم وإنما ذمَّهم علىٰ الكفرِ والجُحُود بعد إذ شاهدوا من بركة الاستفتاح بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ما لا ينكرُه إلا من كان أعمىٰ القلبِ والبصيرة مثلهم، نسألُ الله العافيةَ.

الدليلُ الثالثُ: قال الله تعالىٰ في (سورة النِّساء): ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤].

قال الزَّمخْشَرِيُّ في "الكشاف": «﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ بالتحاكم إلىٰ الطاغوت ﴿جَآءُوكَ﴾ تائبين من النفاق متنصِّلين عما ارتكبوا ﴿فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ﴾ من ذلك بالإخلاص وبالغوا في الاعتذار إليك من

إيذائك بردِّ قضائكَ حتىٰ انتصبتَ شفيعًا لهم إلىٰ الله ومستغفرًا ﴿لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا﴾ لعلِمُوه توَّابًا أي: لتاب عليهم. ولم يقل: واستغفرتَ لهم، وعدل عنه إلىٰ طريقة الالتفات تفخيمًا لشأن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وتعظيمًا لاستغفاره وتنبيهًا علىٰ أنَّ شفاعة مَن اسمه الرسول من الله بمكان».اهـ

فهذه الآيةُ وإنْ كانت نزلت بسبب المنافقين المتحاكِمين إلىٰ الطاغوت فهي عامَّةٌ تشمل كلَّ عاصٍ ومقصِّرٍ، لأنَّ ظلم النَّفس المذكور فيها يشمل كلَّ معصية، ثم إنَّها -أعني: الآية- تدلُّ علىٰ الاستشفاع بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في حالتي حياته ووفاته لأنَّ كلًّا من فِعْلَيْ المجيء والاستغفار وقع في سياق الشَّرط، والفعل في سياق الشَّرط يدلّ علىٰ العُموم.

والاستشفاعُ في حال الحياة ليس فيه خلافٌ، وأمَّا في حال الوفاة فالوهَّابيُّون يمنعونه متوهِّمين أنَّ الموت يحول دون تحقّقِه، وهو غلط ظاهر؛ لأنَّ الأنبياءَ أحياءٌ في قبورهم يرزقون بدليل الكتاب والسُّنة والاجماع.

أما الكتاب فإنَّ الله تعالىٰ قال في حقِّ الشهداء: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتُۢ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤].

وقال أيضًا: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] الآية.

ولا شكَّ أنَّ الأنبياءَ أعلىٰ رتبةً وأفضلُ جهادًا وأكثرُ مجاهدةً من الشُّهداء، فهم أولىٰ بهذه المزيَّة، علىٰ أنَّ نبيَّنا عليه وآله الصلاة والسلام جمع الله له بين النُّبوَّة والشَّهادة.

وأمَّا السُّنة فأحاديثُ بلغتْ مبلَغ التَّواتر:

منها حديثُ الإسراء الذي أخبر فيه النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أنَّه رأىٰ موسىٰ قائمًا يصلِّي في قبره، ورأىٰ غيره من الأنبياء يصلّون أيضًا، وهذا الحديث متواترٌ لأنَّه ورد من طريق بِضْعٍ وأربعين صحابيًّا.

ومنها حديثُ أوس بن أوس: «**أفضلُ أيَّامِهم الجُمُعةِ فيه خُلقَ آدمُ وفيه قُبِضَ وفيه النَّفْخةُ وفيه الصَّعْقةُ فأكثِرُوا عليَّ من الصَّلاة فيه فإنَّ صلاتَكم معروضةٌ عليَّ**». قالوا: وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرِمْتَ؟! -يقولون: بَلِيتَ- فقال: «**إنَّ الله حرَّم على الأرضِ أنْ تأكُلَ أجسادَ الأنبياء**».

صحَّحه ابن خُزَيْمةَ، وابنُ حِبَّان، والحاكمُ، والنوويُّ، والحافظُ عبدُ الغنيِّ بن سعيد المقدسيُّ، والحافظُ أبو الخطَّاب ابن دحيةَ، والقرطبيُّ، والذَّهبيُّ. وحسَّنه ابنُ العربيِّ المعافريُّ، والمنذريُّ.

ومن طرُقه ما رواه ابنُ ماجه عن أبي الدَّرداء مرفوعًا: «**أكثِرُوا الصَّلاة عليَّ يومَ الجُمُعة فإنَّه يومٌ مشهودٌ تشهدُه الملائكةُ وإنَّ أحدًا لا يصلِّي عليَّ إلا عُرِضتْ عليَّ صلاتُه حتَّى يفرغَ منْها**». قال: قلتُ: وبعد الموت؟ قال: «**وبعدَ الموتِ، إنَّ الله حرَّم على الأرضِ أنْ تأكلَ أجسادَ الأنبياءِ، فنبيُّ الله حيٌّ يُرزَقُ**».

قال المنذري في "الترغيب والترهيب": «إسنادُه جيِّدٌ».

وقال البوصيري في "الزوائد": «إسناده صحيحٌ لكنَّه منقطعٌ»، ونحوه في "القول البديع" للسَّخاويِّ.

ولا يضرُّ انقطاعه لأنَّ له طرقًا تعضِّدُه، منها الطريقُ السَّابقُ.

بل هو مؤيَّد بالقرآن كما تقدم في آيتي الشُّهداء، فتعلّلُ الوهَّابيين بالانقطاع

ونحوه لا يُجدِيهم شيئًا في هذا الموطن.

ومنها حديثُ أنس: «**الأنبياءُ أحياءٌ في قبورهِم يصَلُّون**». رواه أبو يعلىٰ والبيهقيُّ وصحَّحه، ومنها أحاديثُ أخرىٰ ذكرتها في "الردّ المحكم المتين".

وأمَّا الإجماعُ فحكاه الحافظ السَّخاويُّ في "القول البديع"، قال بعد أن سرَدَ عدَّة أحاديثَ تفيد أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم تُعرَضُ عليه أعمال أمَّته وصلاة من صلَّىٰ منهم عليه وسلامهم، ما نصُّه: «السادسة: يؤخذ من هذه الأحاديثُ أنَّه صلَّىٰ الله عليه وسلَّم حيٌّ علىٰ الدَّوام، وذلك أنَّه محالٌ عادة أنْ يخلُوَ الوجودُ كلّه من واحد يسلِّم عليه في ليلٍ ونهارٍ، ونحن نؤمن ونصدِّق بأنَّه صلىٰ الله عليه وسلم حيٌّ يرزق في قبره وأنَّ جسده الشريفَ لا تأكلُه الأرض والإجماع علىٰ هذا، وزاد بعض العلماء: الشهداء والمؤذِّنين، وقد صحَّ أنَّه كُشف عن غير واحدٍ من العلماء والشهداء فوجدوا لم تتغيَّرْ أجسامُهم والأنبياء أفضل من الشُّهداء جزمًا».اهـ

وحكىٰ الإجماع أيضًا ابن حزم في "المحلىٰ"، ولهذا فهم العلماء الآية علىٰ عمومها كما قلنا.

جاء في "تفسير القرطبيِّ" ما نصُّه: «﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ ﴾ [النساء: ٦٤] روىٰ أبو صالح عن عليٍّ قال: قدِم علينا أعرابيٌّ بعد ما دفنَّا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بثلاثة أيام فرمىٰ بنفسه علىٰ قبر رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وحثَا علىٰ رأسه من ترابَه فقال: قلتَ يا رسول الله فسمعْنا قولَكَ ووعَيْتَ عن الله فوعيْنا، وكان فيما أنزل الله عليك: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ﴾ [النساء: ٦٤] الآية، وقد ظلمتُ نفسي وجئتُك تستغفر لي.

فنُودي من القبر أنَّه قد غُفر لك».أهـ

وقد ذكرت هذا الأثر بإسناده في كتابي "الرد المحكم المتين" مع أثر آخر ذكره ابن كثير في "تفسيره"، والسَّخاويُّ في "القول البديع" وغيرهما، وهو شبيهٌ بهذا الأثر في المعنى مع تعدُّد الفاعل واختلاف زمن الفعل.

والمقصود أنَّ الآية دليلٌ على جواز التوسُّل والاستشفاع بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في سائر الأحوال، لأنَّه في قبره الشريف حيٌّ يرزق تُعرَض عليه أعمال أمته فيدعو لهم ويستغفرُ، ويلحق به في جواز التوسُّل كلّ من ثبتت له هذه المزيَّة كالشُّهداء والعلماء العاملين والأولياء المتقين ونحوهم، والله أعلم.

الدليلُ الرَّابعُ: قال الله تعالى في (سورة الإسراء): ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ ﴾ [الإسراء: ٥٧].

قال البغَويُّ في "تفسيره": «قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ يعني: الذين يدعُونهم المشركون أنَّهم آلهةٌ يعبدونهم، قال ابن عبَّاس ومجاهد: وهم عيسى وأمه وعزير والملائكة والشمس والقمر والنُّجوم، ﴿يَبۡتَغُونَ ﴾ أي: يطلبون ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ أي: القُربة، وقيل: الدَّرجة، أي: يتضرَّعون إلى الله في طلب الدرجة العليا، وقيل الوسيلةُ :كلّ ما يُتَقَرَّب به إلى الله تعالى.

وقوله: ﴿ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ ﴾ معناه: ينظرون أيُّهم أقربُ إلى الله فيتوسلون به.

وقال الزجاج: «﴿ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ ﴾ يبتغي الوسيلةَ إلى الله تعالى ويَتقرَّبُ إليه

بالعمل الصالح».اهـ ونحوه في تفسيري "الخازن" و"ابن جُزَي".

(تنبيه): علم من هذه النُّصوص والآثار التي ذكرناها أنَّ العلماء على اختلاف مذاهبهم متَّفِقون على جواز التوسُّل وأنَّهم لا يرَوْنَ به بأسًا لأنَّهم حمَلوا عليه آياتٍ من القرآن الكريم وفسَّروها به كما ترى ولو كان حرامًا أو إشراكًا كما تزعُم الوهابيَّة لما استجازُوا أن يتجَرَّأوا على القول في تفسير القرآن بما هو شركٌ وضلالٌ، ويؤيد هذا قول التقيِّ السُّبكي في "شفاء السِّقام" أنَّ إنكارَ ابن تيميَّة للاستغاثة والتوسُّل قول لم يقلْه عالمٌ قبله.

الدليلُ الخامسُ: روى الحاكم في "المستدرك" عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لمَّا اقترفَ آدمُ عليه السَّلام الخطيئةَ قال: ياربِّ أسألكَ بحقِّ محمَّدٍ لما غفرْتَ لي. فقال الله: يا آدمُ وكيفَ عرفتَ محمَّدًا ولم أخلُقْه؟ قال: ياربِّ لأنَّك لما خلقْتَني بيدكَ ونفختَ فِيَّ من رُوحِكَ رفعتُ رأسي فرأيتُ على قوائمِ العَرشِ مكتوبًا: لا إله إلا الله محمَّدٌ رسولُ الله، فعلِمْتُ أنَّك لم تُضِف إلى اسمِك إلا أحبَّ الخلقِ إليكَ. فقال: صدقتَ يا آدمُ إنَّه لأحبُّ الخلقِ إليَّ وإذا سألتَني بحقِّه فقد غفرتُ لك، ولولا محمَّد ما خلقتُكَ**»(١).

---

(١) من اللطائف قول العلامة النَّحْوي الفقيه محمد بن علي بن يحيى الغرناطيِّ الشهير بالشاميِّ متوسِّلًا:

جُرمِي عظيمٌ يا عفُوُّ وإنَّني ... بمحمَّد أرجُو التَّسامحَ فِيهِ

فبِهِ توسَّل آدمٌ من ذنبِه ... وقد اهتَدى مَنْ يقتَدِي بأبِيهِ

ورواه الطبراني وزاد فيه: «**وهو آخرُ الأنبياء من ذريَّتِكَ**».

قال الحاكم: «صحيح»، ورد عليه الذهبي فقال: «بل موضوعٌ».

والحقُّ أنَّ الحديث ليس بصحيحٍ ولا موضوعٍ، بل هو ضعيفٌ فقط كما صرَّح به البيهقيُّ في "دلائل النبوَّة".

وقد نقلت عبارته، ورددت كلام الذهبي من ستَّة وجوه، وذكرت ما يشهد للحديث في كتابي "الرد المحكم المتين".

ووجدت له شاهدًا يرتقي به إلىٰ درجة الحسن، فروىٰ ابن بِشْران بإسناد قويٍّ كما قال الحافظُ عن ميسرةَ الفجْر قال: قلتُ: يا رسول الله متىٰ كنتَ نبيًّا؟

قال: «**لما خلَقَ الله الأرضَ واستَوى إلى السَّماء فسَوَّاهُنَّ سبعَ سمواتٍ وخلقَ العرشَ كتَبَ على ساقِ العرشِ محمَّدٌ رسولُ الله خاتمُ الأنبياءِ، وخلقَ الله الجنَّة التي أسكَنَها آدمَ وحوَّاء فكتبَ اسمي على الأبوابِ والأوراقِ والقِبابِ والخِيامِ وآدمُ بينَ الرُّوحِ والجسَدِ، فلمَّا أحياهُ الله تعالى نظَرَ إلى العرشِ فرأَى اسمِي فأخبرَه الله أنهَّ سيِّد ولدِك، فلمَّا غرَّهما الشَّيطانُ تابا واستشْفَعا باسمِي إليهِ**».

الدليلُ السَّادسُ: روىٰ الطَّبرانيُّ في معجمَيه "الكبير" و"الأوسط" عن أنس رضي الله عنه قال: لما ماتتْ فاطمةُ بنتُ أسد أمُّ عليٍّ رضي الله عنهما دخل عليها رسولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فجلس عند رأسِها فقال: «**رحمَكِ الله يا أمِّي كنتِ أمِّي بعد أمِّي تجُوعِين وتُشبعِينَني وتعْرَيْنَ وتكسِينَني وتمنَعِينَ نفسَك طيِّبًا وتُطعِمِينَني تُريدِينَ بذلك وجْهَ الله والدَّار الآخرَةَ**».

ثمَّ أمر أن تغسَّل ثلاثًا ثلاثًا فلما بلغَ الماء الذي فيه الكافور وضعه رسولُ الله

صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بيده ثم خلعَ قميصَه فألبَسَها إياه وكفَّنها ببُرد فوقَه، ثم دعا أسامة بن زيد وأبا أيُّوب الأنصاريَّ وعمر بن الخطاب وغلامًا أسود يحفرون فحفروا قبرها، فلما بلغوا اللحد حفرَه رسولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بيده وأخرج ترابه بيده، فلما فرغ دخل رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فاضطجَعَ فيه وقال: «**الله الذي يُحيي ويُميتُ وهو حيٌّ لا يموتُ اغفرْ لأمِّي فاطمةَ بنتِ أسَدٍ ولقِّنْها حجَّتها ووسِّعْ عليها مُدخَلَها بحقِّ نبيِّك والأنبياء الذين من قبلي فإنَّك أرحمُ الرَّاحمين**». وكبَّر عليها أربعًا وأدخلَها اللحد هو والعبَّاسُ وأبو بكر رضي الله عنهما.

قال الحافظ نور الدين الهيثمي في "مجمع الزوائد": «رجاله رجال الصحيح غير روح بن صلاح وقد وثَّقه ابنُ حِبَّان والحاكم، وفيه ضعف».أهـ

قلت: روح بن صلاح المصري ذكره ابن عدِيٍّ في "الضعفاء"، وقال الدارَقُطني: «ضعيف»، وذكره ابن حبان في "الثقات"، وقال الحاكم: «ثقةٌ مأمونٌ». علىٰ أنَّ ضعْفَه خفيفٌ عند من ضعَّفَه كما يستفاد من عباراتهم ولذا عبَّر الحافظ الهيثمي بما يفيد خفَّة الضعف كما لا يخفىٰ علىٰ من مارس كتب الفنِّ، فالحديث لا يقلُّ عن رتبة الحسن، بل هو علىٰ شرط ابن حبان: صحيح.

الدليلُ السَّابعُ: أخرج التِّرمذيُّ وابن ماجه في سننهما، والنَّسائيُّ في "عمل اليوم والليلة"، والطبرانيُّ، والحاكمُ، والبيهقيُّ، وغيرهم، عن عثمان بن حُنَيف أنَّ رجلًا ضرير البَصَر أتىٰ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: ادعُ الله أنْ يعافيَني. قال: «**إنْ شئتَ دعوتُ وإنْ شئتَ صبرتَ فهو خيرٌ لكَ**». قال: فادعه. قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءَه ويدعو بهذا الدعاء: «**اللهمَّ إنِّي**

أسألكَ وأتوجَّه إليك بنبيِّكَ محمَّدٍ نبيِّ الرحمةِ يا محمَّد إنِّي أتوجَّه بكَ إلى ربِّي في حاجَتي هذهِ لتُقْضَى، اللهمَّ فشفِّعْه في».

قال عثمان بن حنيف: فوالله ما تفرقنا ولا طال بنا الحديث حتى دخل الرجُل وكأنَّه لم يكنْ به ضُرٌّ قطّ.

وفي رواية أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أمَر الضرير أن يتوضَّأ ويصلِّي ويدعو بالدعاء المذكور.

وفي رواية للحاكم عن عثمان بن حُنَيف أنَّ رجلًا ضرير البصر أتي النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: يا رسول الله علِّمْني دعاءً أدعو به يرد الله عليَّ بصري. فقال: «**اللهمَّ إنِّي أسألكَ وأتوجَّه إليك بنبيِّك نبيِّ الرَّحمة يا محمَّدُ إنِّي قد توجَّهتُ بك إلى ربِّي، اللهمَّ فشفِّعْه فيَّ وشفِّعْنِي في نفْسِي**». فدعا بهذا الدعاء فقام وقد أبصر.

وللحديث روايات وألفاظ، منها عند ابن أبي خيثمة بإسناد صحيح أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم لما علَّم الضرير الدعاء المذكور قال له: «**وإنْ كانتْ حاجةٌ فافعلْ مثلَ ذلكَ**». وهذا إذن بالتوسل في سائر الأحوال.

ثمَّ إنَّ، الروايات كلَّها متَّفقةٌ على أنَّ الذي دعا هو الرجل الضرير لا النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ولهذا ترجَم له البيهقيُّ في "دلائل النبوة" بقوله: «باب ما جاء في تعليمه الضرير ما كان فيه شفاؤه حين لم يصبر وما ظهر في ذلك من آثار النبوة».اهـ

ثم إنَّ الحديث صحيحٌ؛ صحَّحه الترمذيُّ، وابنُ خزيمةَ، والطبرانيُّ، والحاكمُ، والبيهقيُّ، والمنذريُّ، والنوويُّ، والذهبيُّ، وابنُ حجرٍ الهيثميُّ،

والسيوطيُّ، بل لا خلاف بين المحدِّثين في صحته.

وما قيل من أنَّ أبا جعفر في سنده ليس هو الخَطْميّ بل هو آخر مجهول، ليس بشيء، والصَّواب أنَّ أبا جعفر هو الخطميُّ المدني كما جاء مصرَّحًا به في روايات الطبراني والحاكم والبيهقي، زاد الطبراني في "المعجم الصغير" أنَّ اسمه عمير بن يزيد وأنَّه ثِقةٌ.

وليس من المعقول أنْ يجمِع الحفَّاظ على تصحيح حديث في سنده مجهول خصوصًا الذهبي والمنذري والحافظ، فمحاولة بعض العصريين لتضعيف الحديث مقضي عليها بالفشل الكبير.

فالحديث صحيحٌ بلا شكّ وهو يدل على جواز التوسُّل بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في جميع الحالات وفي سائر الأوقات كما بيَّنته وأوضحته ببضعة عشر وجها في كتابي "الرد المحكم المتين".

ويكفي لبيان ذلك هنا أنْ نقول: أنَّ العلماء فهموا الحديث على العموم كما هو الواجب في نصوص الشارع، فأورده الترمذيُّ في «كتاب الدعوات» من "سننه"، والحاكم في «الدعاء» من "مستدركه"، والبيهقيُّ في كتاب "الدعوات" -وهو مؤلَّف خاصٌّ- معتبرين له من جملة الأدعية المشروعة المأثورة.

وأورده ابن ماجه في «كتاب الصلاة» من "سننه"، وكذا فعل المنذريُّ في "الترغيب والترهيب"، والهيثميُّ في "مجمع الزوائد" معتبرين الصَّلاة فيه والدعاء من جملة النوافل المطلوبة.

وأورده النوويُّ في «أذكار الحاجة» من كتاب "الأذكار" معتبرًا له من جملة الأذكار التي تقال عند عروض حاجة وإرادة قضائها.

وأورده غير هؤلاء كابن خزيمة في "صحيحه" المرتب على الكتب والأبواب.

وهذا اتفاق منهم على أنَّ الحديث معمول به في سائر الأوقات والأزمان، ولو كان خاصًّا بذلك الضرير أو بحالة دون حالة أو بوقتٍ دون وقتٍ لم يكن لذكرهم له في كتب الأحكام وغيرها فائدة، أو لنبَّهوا على أنَّه خاصٌّ ليس بعامٍّ كما فعلوا في غيره من الأحاديث التي تكون خاصَّةً ببعض الحالاتِ.

هذا وقد نقل ابنُ تيميَّةَ في مجموعة "الرسائل الكبرى" أنَّ عزَّ الدين بن عبد السَّلام في فتاويه أجاز التوسُّل بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وجعله من خصوصياته وقلَّده في هذا النَّقل الشوكانيُّ في "الدر النضيد"، وإن لم يصرِّحْ بذلك، وناقشه في دعوى الخصوصيَّة ورأى -أعني: الشوكاني- جواز التوسُّل بالعلماء ونحوهم.

والواقع أنَّ النقل المذكور غلطٌ أو تحريفٌ من ابن تيمية، لأنِّي قرأت "الفتاوى الموصلية" للعزِّ ابن عبد السلام فوجدت كلامَه في الإقسام على الله بخلقه، فهو الذي قال فيه أنَّه من خصوصيات النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، لا مطلق التوسُّل الذي هو سؤال الله ببركة فلان أو جاهه، فإنَّ هذا لم يتعرَّضْ له، وقد نقلت عبارته برمَّتها في "الرد المحكم المتين".

الدليلُ الثامنُ: أخرج البزَّار عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**حياتي خيرٌ لكم تحدِثُون ويُحدَث لكمْ ووفاتي خيرٌ لكم تُعرَضُ عليَّ أعمالُكم فما رأيتُ من خيرٍ حمدتُ الله وما رأيتُ من شرٍّ استغفرتُ الله لكُم**».

قال الحافظ العراقيُّ في «كتاب الجنائز» من "طرح التثريب": «إسناده جيِّدٌ»، وقال الحافظ الهيثميُّ في "مجمع الزوائد"، والمحدِّث القسطلانيُّ في "شرح البخاري": «رجال إسناده رجال الصحيح»، وقال الحافظُ السيوطيُّ في كتاب "الخصائص": «إسناده صحيح».

وكذا قال عليٌّ القاري والشّهاب الخفاجيُّ في أول شرحيها على "الشِّفا".

وله مع هذا نحو عشرين طريقًا ذكرتُ منها ما يزيد على ستَّة طرق في "الرد المحكم المتين" وباقيها مستوفى في كتاب "الإلمام بما تواتر من حديثه عليه السلام" لشقيقنا الحافظ السَّيد أحمد.

وهذا الحديث يدلُّ دلالةً صريحةً على أنَّ النبيَّ عليه السَّلام يشفع لأمته بعد انتقاله باستغفاره لهم، وعلى هذا يجوز التوسُّل به لأنَّه استشفاع، وهو الشفيع المشفَّع المجاب عليه الصَّلاة والسَّلام.

ثم لا يخفى أنَّ عرض الأعمال الذي أثبته هذا الحديث ونحوه عرضٌ إجماليٌّ لا يلزم منه أن يكون النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عارفًا بأعمال الأمة وبأفرادهم على سبيل الإحصاء والتفصيل والإحاطة الشاملة، فإنَّ العلم على هذا الوجه من خصوصيَّات الباري سبحانه وتعالى.

ولهذا جاء في حديث الحوض الذي رواه البخاريُّ أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ليُذادَنَّ ناسٌ من أمَّتي عن الحوضِ فأقول: ياربِّ أُصَيحابي أصَيحابي فيقالُ: لا تدري ما أحدثُوا بعدكَ**». الحديث أي: لا تدري على سبيل التفصيل والإحاطة، وهذا كما يعلم الواحد منَّا أحوال الأقطار الإسلامية وعادات أهلها وأخلاقهم وصناعاتهم وما في بلادهم من جبال ومعادنَ وثمار

وغيرها لكنه علم إجمالي لا يشمل كل فرد فرد شمولًا تفصيليًّا فلا تعارض بين الحديثين خلافًا لبعض المخرِّفين المعاصرين.

الدليلُ التاسعُ: أخرج ابن ماجه عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه قال قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**من خرج من بيته إلى الصلاة فقال: اللهمَّ إنِّي أسألكَ بحقِّ السَّائلين عليك وأسألُكَ بحقِّ ممشاي هذا فإنِّي لم أخرجْ أشرًا ولا بَطَرًا ولا رِياءً ولا سُمْعَةً وخرجتُ اتِّقاء سُخطك وابتغاءَ مرضاتِك فأسألك أنْ تعيذَني مِن النَّار وأنْ تغفرَ لي ذُنُوبي إنَّه لا يَغْفِرُ الذّنُوب إلَّا أنتَ. أقبَلَ الله عليه بوجهِهِ واستغفَرَ له سبعُون ألفِ ملَكٍ**».

صحَّحه ابن خزيمة، وحسَّنه الحافظُ أبو الحسن المقدسيُّ، والحافظُ العراقيُّ، والحافظُ ابن حجر. وله مع هذا طريقان ذكرتهما في "الرد المحكم المتين".

ولصديقنا العلَّامة المطَّلع الشَّيخ محمد زاهد الكوثري كلامٌ علىٰ هذا الحديث أحببتُ أن أورده لفائدته.

قال رحمه الله: «في الحديث التوسل بعامة المسلمين وخاصتهم وإدخال الباء في أحد مفعولي السُّؤال إنَّما هو في السؤال الاستعلامي كقوله تعالىٰ: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩]، ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج: ١].

وأما السُّؤال الاستعطائي فلا تدخل الباء فيه أصلًا إلَّا علىٰ المتوسَّل به فدونك الأدعية المأثورة فتصوُّرُ إدخالها هنا في المفعول الثاني إخراجٌ للكلام عن سننه بهوىٰ، وصيحة باطل تمجُّها الأسماع، وليس معنىٰ «الحقّ» الإجابة بل ما يستحقّه السائلون المتضرِّعون فضلًا من الله سبحانه وتعالىٰ، فيكون عدُّ السائلين سؤلًا لهذا الداعي هذيانًا محضًا، ولا سِيَّما عند ملاحظة ما عطف عليه

في الحديث، وأمَّا زعْم أنَّه ليس في سياق الحديث ما يصلحُ أن يكون سؤالًا غير ذلك فمما يثير الضَّحك الشديد والهُزء المديد، فأين ذهب من هذا الزَّعم أنْ تعيذَني من النَّار...؟!

وكمْ يكرِّر الفعل للتوكيد فالسُّؤل في الفعل الأخير هو السُّؤل في الفعلين المتقدِّمَين، بل لو لم تكنْ تلك الأفعال من بابِ التوكيد لدخلتْ في باب التَّنازع، فيكونُ هذا القيد معتبرًا في الجميع على كلِّ تقدير.

وأمَّا من يحاول ردَّ التوسُّل بتصوُّر دخوله في الحلف بغير الله فإنَّما حاول الردَّ على المصطفى صلوات الله عليه لأنَّه هو الذي علَّم صيغَ التوسُّل وفيها التوسُّل بالأشخاص، وأينَ التوسُّل من الحلف ؟».أهـ

وهو على اختصاره كافٍ في ردِّ ما أبداه الوهَّابيَّة من الاحتمالات والتمحُّلات في هذا الحديث، والله أعلم.

والدليلُ العاشرُ:أخرج الطبرانيُّ عن أمية بن عبدالله بن خالد بن أسيد قال: «كان رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يستفتِحُ بصَعاليكِ المسلمِين».

وفي رواية: «يستنصِر بصعاليك المسلمين».

قال الحافظ المنذريُّ: «رواتُه رواة الصَّحيح، وهو مرسلٌ».

قلت: لا يضرُّ إرساله لأنَّه مؤيد بما تقدم من الأدلَّة وبما يأتي، على أنَّ المرسل حجَّةٌ عند المالكيَّة والحنفية وكثير من العلماء كما هو مقرَّر معلومٌ.

الدليلُ الحادي عشرَ: أخرج أحمد في "مسنده" عن شريح بن عبيد قال: ذكر أهلُ الشَّام عند عليِّ بن أبي طالب وهو بالعراق فقالوا: العنْهم يا أمير المؤمنين. قال: لا، سمعتُ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**الأبدالُ**

بالشَّام وهم أربعونَ رجلًا كلما ماتَ رجلٌ أبدلَ اللهُ مكانَهُ رجلًا يُسْقَى بِهِم الغيثُ وينتَصَرُ بهم على الأعداءِ ويصرَفُ عنْ أهلِ الشَّام بهم العذابُ».

إسناده صحيح غير أنَّ فيه انقطاعًا؛ لأنَّ شُريح بن عبيد لم يلق عليًّا لكن له شواهد، فروىٰ الحاكم عن عبدالله بن زُرَير الغافقيِّ أنَّه سمع عليَّ بن أبي طالب يقول: «لا تسبُّوا أهلَ الشَّام فإنَّ فيهِم الأبدالُ، وسبُّوا ظلَمَتَهُم».

قال الحاكم: «صحيحٌ» وأقرَّه الذهبيُّ.

وروىٰ الطبرانيُّ في "الأوسط" عن أنس قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «لنْ تخْلُوَ الأرضُ من أربعين رجُلًا مثلَ إبراهيمَ خليلِ الرَّحمنِ فبِهِمْ يُسْقَونَ وبهم يُنصَرُون ما ماتَ منْهم أحدٌ إلا أبدلَ اللهُ مكانَهُ آخَرَ».

قال قتادة: لسنا نشكُّ أنَّ الحسن -يعني: البصري- منهم.

قال الحافظ الهيثمي في "مجمع الزوائد": «إسناده حسن». وللحديث طرق كثيرة أفردت بالتأليف.

ومعنىٰ المثلية في قوله: «مثل إبراهيم خليل الرحمن» أنهم علىٰ طريقة إبراهيم عليه الصَّلاة والسَّلام في السَّخاء وسلامة الصدر والرحمة لجميع المسلمين كما جاء في أحاديث أخري.

الدليلُ الثاني عشرَ: روىٰ الطبرانيُّ عن ابن عباس أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «إنَّ لله ملائكةً في الأرضِ سِوى الحفظة يكتبُون ما يسقُطُ من ورقِ الشَّجر فإذا أصابَ أحدَكم عَرْجَةٌ بأرضٍ فلاةٍ فلينادِ أعينُوا عبادَ الله».

قال الحافظ الهيثميُّ: «رجالُه ثقاتٌ». ورواه البزَّار، وحسَّنه الحافظُ.

وروىٰ الطبرانيُّ أيضًا، عن عُتْبَةَ بن غَزْوان، عن نبيِّ الله صلَّىٰ الله عليه وآله

وسلَّم قال: «**إذا أضَلَّ أحدُكم شيئًا أو أراد عونًا وهو بأرضٍ ليس بها أنِيسٌ فليقلْ: يا عباد الله أعينُوني** -وفي لفظٍ: **أغيثُوني- فإنَّ لله عبادًا لا نرَاهُم**».

وقد جُرِّب ذلك، قال الحافظُ الهيثميُّ: «رجالُه وثِّقوا على ضعفٍ في بعضِهم إلا أنَّ يزيد بنَ عليٍّ لم يدرِكْ عتْبةَ»(١).

في هذين الحديثين دلالة على أمرين:

الأول: جواز الاستعانة والاستغاثة بالمخلُوق فيما يقدِر عليه خلافًا للوهابيَّة الذين يجعلون كلَّ استعانة أو استغاثة شركًا، أمَّا ما لا يدخل في قدرة المخلوق فلا يستعان فيه إلا بالله، ولا يُستغاثُ إلا به، وهذا بإجماع المسلمين.

وعليه يُحمَل ما رواه الطبرانيُّ عن عُبادة بن الصَّامت قال: كان في زمن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم منافقٌ يؤذِي المؤمنين فقال أبو بكر بن الصِّديق رضي الله عنه: قومُوا بنا لنستغيثَ برسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مِن هذا المنافق. فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّه لا يُستَغاثُ بي وإنَّما يُستَغاثُ بالله**».

فهذا الحديث إنَّما أراد الاستغاثةَ فيما لا يقدِر عليه المخلوق كما قال ابن تيمية، على أنَّ الحديث ضعيفٌ كما بينته في "الرد المحكم المتين".

ولا شكَّ أنَّ أولياءَ الله وأصفياءَه يقدرون على الشَّفاعة إلى الله بإذنه

---

(١) وروى ابن السُّني عن ابن مسعود عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إذا انفلتَتْ دابَّة أحدِكم بأرضٍ فلاةٍ فلينادِ يا عبادَ الله احبِسُوا يا عبادَ الله احبِسُوا فإنَّ لله عزَّوجلَّ في الأرضِ حاصرًا سيحبِسُهُ**». ذكر النووي في "الأذكار" أنَّه جرَّب هذا الحديث وكذا شيخُه من قبله فصحَّ معهما.

فالاستعانةُ بهم أو الاستغاثة على أساس هذا المعنى لا شيء فيها.

الأمرُ الثاني: في الحديثين المذكورين دليلُ الصوفيَّة في قولهم برجال الغيب وأنَّهم موجودون خلافًا لمن نفاهم من العلماء، وتفصيلُ ذلك يطلب من مظانِّه.

الدليلُ الثالثُ عشرَ: روى أبو يعلى من طريقين عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ليأتيَنَّ على النَّاس زمانٌ يخرجُ الجيشُ من جُيوشِهم فيقالُ: هل فيكم من صحِب محمَّدًا صلَّى الله عليه وسلَّم؟ فيستنصِرُون به فيُنصَرُون، ثمَّ يقالُ هل فيكم صحبَ محمدًا صلَّى الله عليه وسلَّم، فيقالُ: لا. فيقالُ: فمَن صحِبَ أصحابَه؟ فلو سمِعُوا به من وراءِ البحْر لأتَوْهُ**».

قال الحافظُ الهيثميُّ: «رجالُ الطريقين رجالُ الصَّحيح».

ففي هذا الحديث دليلٌ على التوسُّل بالصَّحابة والاستنصار بِهم، والله سبحانه وتعالى أعلم.

الباب الثاني في ذكر الآثار ونحوها

ذكر قصة سيدنا عثمان بن عفان مع الرجل الذي كانت له حاجة...

روى الطبرانيُّ، والبيهقيُّ، عن أبي أمامة بن سهلِ بن حُنَيف أنَّ رجلًا كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجة له فكان عثمان لا يلتفِتُ إليه ولا ينظرُ في حاجته -أي: لنسيانه لها كما يأتي- فلقِي الرجلُ عثمانَ بن حنيف فشكا إليه ذلك فقال له عثمان بن حنيف: ائتِ المِيْضَأة فتوضَّأْ ثمَّ ائتِ المسجدَ فصَلِّ فيه ركعتين ثم قل: اللهمَّ إنِّي أسألكَ وأتوجَّه إليك بنبيِّنا محمَّدٍ نبيِّ الرحمة، يا محمَّد أني أتوجَّه بك إلى ربِّي فيقضي حاجتي. وتذكرُ حاجتَك، ورُحْ حتى أروحَ معكَ.

فانطلق الرجل فصنع ما قال، ثم أتى باب عثمان بن عفان رضي الله عنه فجاء البوَّاب حتى أخذ بيده فادخله على عثمان بن عفان فأجلسه معه على الطِّنْفِسة فقال: ما حاجتُك؟ فذكر حاجتَه فقضاها له ثم قال له: ما ذكرت حاجتَك حتى كان الساعة. وقال: ما كانت لك من حاجةٍ فاذكرها.

ثمَّ إنَّ الرجل خرج من عنده فلقي عثمان بن حنيف فقال له: جزاك الله خيرًا ما كان ينظر في حاجتي حتى كلمته فيَّ. فقال عثمان بن حنيف: والله ما كلمته، ولكنِّي شهدت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وجاءه رجلٌ ضريرٌ فشكا إليه ذهاب بصره... وذكر حديث الضَّرير السابق في الباب الأول.

وهذه القصة صحيحة صحَّحها الطبرانيُّ، ونقل تصحيحه الحافظُ المنذريُّ في "الترغيب" والحافظُ الهيثميُّ في "مجمع الزوائد" وأقرَّاه عليه.

وروي ابن أبي شيبة بإسناد صحيح كما قال الحافظ في "الفتح" عن أبي

صالح السَّمان عن مالك الدار -وكان خازنَ عمر- قال: أصاب الناسَ قحطٌ في زمان عمر رضي الله عنه فجاء رجل إلى قبر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: يا رسول الله استسْقِ الله لأمتك فإنَّهم قد هلكوا. فأتاه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في المنام وقال له: «**ائتِ عُمرَ فأقْرِئْهُ السَّلام وأخبرْهُ أنَّهم مُسقَونَ وقلْ له عليكَ الكَيْسَ الكَيْسَ**».

فأتى الرجل عمر فأخبره، فبكى عمرُ رضي الله عنه وقال: ياربِّ ما آلو إلَّا ما عجِزتُ عنه.

والرجل هو بلالُ بن الحارث المزنيُّ أحد الصحابة كما رواه سيف[1] في "الفتوح".

وروى الدارميُّ في "سننه" بإسناد لا بأس به عن أبي الجوزاء قال: قَحِط أهل المدينة قحطًا شديدًا فشكوا إلى عائشة فقالت: انظروا قبرَ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فاجعلوا منه كُوًى إلى السَّماء حتَّى لا يكونَ بينَه وبينَ السَّماء سقفٌ. ففعلوا فمُطِرنا مطرًا حتى نبتَ العُشْبُ وسمِنَت الإبلُ حتى تفتَّقتْ من الشَّحْمِ، فسُمِّي عامَ الفتْقِ.

فهذه عائشةُ أمُّ المؤمنين أمرتْهم أن يكشِفُوا قبر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مبالغةً في الاستشفاع به كما قال عليّ القاري في "شرح مشكاة المصابيح"

---

(١) طعن بعض المعاصرين في رواية سيف بأنَّه متكلَّم فيه، وهذا لا يضيرنا فإنَّ الرجل إنْ لم يكن بلالًا بن الحارث، فهو يقينًا إمَّا صحابيٌّ أو تابعيٌّ، لا شكَّ في ذلك وكفى بأحدهما حجَّة، أضفْ إلى ذلك أنَّ عمر لم ينكِرْ عليه توسُّلَه، وهو أحدُ الخلفاء الراشدين الذين أُمرنا باتِّباعهم.

لما تكلَّم على هذا الأثر، وهذه القصَّة وقعت بعد قصة عمر السابقة.

وفي "صحيح البخاري" عن أنس أنهم أجدبوا زمن عمرَ فخرج النَّاس إلى المصلَّى فقال عمر رضي الله عنه: اللهمَّ إنا كنَّا نتوسل إليك بنبيِّنا فتسقينا وإنَّا نتوسل إليك بعم نبيِّنا فاسقِنا. قال: فيسقَون.

وقد فهم ابن تيمية وتبعه الوهَّابية أنَّ فعل عمر هذا يدلُّ على منع التوسل بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعد انتقاله، وهو خطأ لوجوه:

الأول: أنَّ ترْك الشيء لا يدلُّ على منعه كما تقرر في الأصول فترْك عمر للتوسل بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لا دلالةَ فيه أصلًا على منع التوسل، وقد تركَ النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كثيرًا من المباحات فهل دلَّ تركه لها على حرمتها ؟! لم يقل بذلك أحدٌ من العلماء.

الثاني: أنَّ الله تعالى يقول: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ [النمل: ٦٢] الآية، ولا شكَّ أنَّ العباس كان في تلك الحادثة من جملة المضطرين المحتاجين فكان التوسُّل به أنسَبَ.

الثالث: أنَّ عمر أراد بالتوسل بالعباس رضي الله عنهما الاقتداء بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في إكرام العبَّاس وإجلاله، صرَّح عمر نفسه بذلك كما رواه الزبير بن بكار في "الأنساب" والبلاذريُّ في "فتوح البلدان"، وقد ذكرت نصَّ كلامه في "الرد المحكم المتين" كما أنَّه مذكورٌ في "فتح الباري" وغيره من كتب الحديث.

الرابع: أراد عمر بفعله ذلك أنْ يُبيِّن جواز التوسل بغير النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من أهل الصَّلاح ممن ترجى بركته، ولذا قال الحافظ في "الفتح"

عقب هذه القصة ما نصُّه: «يستفاد من قصَّة العباس استحباب الاستشفاع بأهل الصلاح والخير وأهل بيت النبوَّة».اهـ

الخامس: أراد عمر أنْ يُبيِّن جواز التوسُّل بالمفضول مع وجود الفاضل؛ لأنَّه كان في ذلك الجمع من هو أفضل من العباس كعليٍّ وعثمانَ رضي الله عنهما.

السادس: أنَّ توسُّل عمر بالعباس رضي الله عنهما هو في الحقيقة توسُّل بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، لأنَّ العباس إنَّما توسَّل به الصَّحابة لكونه عمَّ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ولمكانته منه.

قال ابن عبد البر: «رُوِّينا من وجوه عن عمر رضي الله عنه أنَّه خرج يستسقي وخرج معه بالعباس رضي الله عنه فقال: اللهمَّ إنَّا نتقرب إليك بعمِّ نبيِّك صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ونستشفع به فاحفظ فيه لنبيِّك صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كما حفظتَ الغلامين لصلاحِ أبيهما...» وذكر بقية الخبر.

وروىٰ الزُّبير بن بكَّار في "الأنساب": أنَّ العباس لما استسقىٰ به عمر قال: اللهمَّ إنَّه لم ينزلْ بلاء إلا بذنبٍ ولم يكشفْ إلا بتوبة وقد توجَّه القوم بي إليك لمكاني من نبيِّك وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا إليك بالتوبة فاسقنا الغيثَ. فأرخَت السماء مثلَ الجبال حتىٰ أخصَبَت الأرضُ وعاش النَّاسُ.

فهذا يدل علىٰ أنَّ التوسُّلَ بالعباس توسُّلٌ بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في الحقيقة مع ما في ذلك من إكرام العباس وإجلاله وذلك يرضي النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ويُدخلُ السُّرور عليه في قبره الشريف.

فظهر من هذه الوجوه أنَّ فعل عمر رضي الله عنه لا دلالة فيه علىٰ منع التوسُّل بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بعد الانتقال كما زعم ابن تيمية.

ولو سلَّمنا تلك الدلالة جدلًا على ما يرد عليها من منع ظاهر؛ فغاية ذلك أنْ يقال: هذا رأي عمر رضي الله عنه، وقد خالفه عثمانُ بن حنيف وعائشة وبلال بن الحارث المزنيُّ رضي الله عنهم، وإذا اختلف الصَّحابة فليس بعضُهم أولى بالاتباع من بعضٍ، بل يجب حينئذ الرجوع إلى الكتاب أو السُّنَّة، وإذا فعلنا ذلك في هذه المسألة وجدنا حديث الضَّرير يدلُّ على التوسُّلِ بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في جميع الحالات في الحياة وبعد الممات، ومن ادَّعى فيه الخصوصية أو التَّخصيص فعليه البيان.

على أنَّ إقرار عمر لمن توسَّل بالنبيِّ عند قبره كما تقدم قريبًا دليلٌ قاطع على أنَّه لا يرى منع التوسُّل بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وأنَّ توسله بالعباس إنَّما كان للوجوه التي أبديناها.

وروى القاضي عياض في "الشِّفا" بإسناده إلى ابن حميد قال: ناظَر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكًا في مسجد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال له مالك: يا أمير المؤمنين لا ترفعْ صوتك في هذا المسجد فإنَّ الله تعالى أدَّب قومًا فقال: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢] الآية، ومدحَ قومًا فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ٣] الآية، وذمَّ قومًا فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ [الحجرات: ٤] الآية، وإنَّ حرمته ميتًا كحرمته حيًّا.

فاستكان لها أبو جعفر، وقال: يا أبا عبدالله أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؟

فقال: ولِمَ تصرفُ وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه

السلام إلى الله يوم القيامة؟ بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ﴾ [النساء: ٦٤] الآية.

وزعم ابن تيمية أنَّ هذه الحكاية مكذوبةٌ وأيده ابن عبد الهادي المقدسي بما أطال به من نقل نصوص التجريح في ابن حميد، وذلك غلوٌّ وإفراط، والحقُّ أنَّها ضعيفة فقط، وقد عمل المالكية بمقتضاها فصرَّحوا باستحباب التوسُّل بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ولم يحفظْ عن أحدٌ منهم قول بكراهته فضلًا عن حرمته.

وقد نقلتُ في "الرد المحكم المتين" كلام ابن الحاجِّ صاحب "المدخل" والإمام قاسم العقباني والإمام ابن عرفة والعلامة الشارمساحي وغيرهم من علماء المالكية وأئمتهم.

وهب الحكايةَ مكذوبةً كما زعم ابن تيمية ففي إجماع المالكية على جواز التوسُّل بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم غنى عنها، وإنَّما اختلف المالكية في التوسل بغيره صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فمنعه ابنُ عبد السَّلام وطائفة وأجازه ابنُ عرفة، والرَّاجح عندهم كلام ابن عرفة كما بُيِّن في غير هذا الموضع.

وروى الخطيب في "تاريخ بغداد" قال: أخبرنا القاضي أبو محمد الحسن بن الحسين بن محمد بن رامين الاستراباذي قال: أنبانا أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعي قال: سمعت الحسن بن إبراهيم أبا علي الخلَّالَ يقول: ما همَّني أمر فقصدت قبر موسي بن جعفر -يعني: الكاظم- فتوسلت به إلا سهَّل الله لي ما أحب. والخلال هذا شيخ الحنابلة في وقته.

وروى الخطيب أيضًا عن إبراهيم الحربي أحد أئمة الحديث أنه قال: قبر

معروف -يعني: الكرخي- التِّرياقُ المجرَّب.

وروىٰ أيضًا عن عبيد الله بن عبدالرحمن بن محمد الزُّهري قال: سمعت أبي يقول: قبر معروف الكرخي مجرَّب لقضاء الحوائج، ويقال: إنَّ من قرأ عنده مائة مرة (قل هو الله أحد) وسأل الله تعالىٰ ما يريد قضىٰ الله له حاجته.

ورُوي أيضًا عن أبي عبدالله المحامليِّ أحد أئمة الحديث أنه قال: أعرف قبر معروف الكرخي منذ سبعين سنة ما قصده مهموم إلا فرَّج الله همَّه.

وروي أيضًا عن علي بن ميمون قال: سمعت الشافعيَّ رضي الله عنه يقول: إنِّي لأتبرك بأبي حنيفة وأجيء إلىٰ قبره في كل يوم -يعني: زائرًا- فإذا عرضت لي حاجة صليت ركعتين وجئت إلىٰ قبره وسألت الله تعالىٰ الحاجة عنده فما تبعد عني حتىٰ تقضىٰ.

وقال الحافظ أبو بكر ابن المقري في "مسند أصبهان": كنت أنا والطبراني وأبو الشَّيخ في مدينة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فضاق بنا الوقتُ فواصلْنا ذلك اليوم فلما كان وقت العشاء أتيت إلىٰ القبر الشريف وقلت: يا رسول الله الجوع. فقال لي الطبرانيُّ: اجلسْ فإمَّا أن يكون الرزق أو الموت. فقمت أنا وأبو الشَّيخ فحضر الباب علويٌّ ففتحْنا له فإذا معه غلامان بزَنْبيليْن فيهما شيء كثير فقال: يا قوم شكَوْتم إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فإنِّي رأيته فأمرني بحمل شيء إليكم.

نقل هذه الحادثة الحافظ السَّخاوي في "القول البديع"، وابن المقري والطبراني وأبو الشَّيخ كلهم من كبار الحفاظ المشهورين.

وذكر الحافظ السخاوي أيضًا مما عزاه إلىٰ أبي عبدالرحمن السُّلمي بإسناده

إلى أبي الخير الأقطع الزاهد قال: دخلت المدينة وأنا بفاقة فأقمت خمسة أيام لم أذق ذواقًا فتقدمت إلى القبر الشريف وسلمت على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وعلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وقلت: أنا ضيفك الليلة يا رسول الله. وتخلَّيت ونمت خلف المنبر، فرأيت النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وأبا بكر عن يمينه وعمر عن شماله وعليًّا بين يديه فحرَّكني عليٌّ وقال: قم جاء النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم. فقمتُ إليه وقبَّلتُ بين عينيه فدفع إليَّ رغيفًا فأكلتُ نصفه فانتبهتُ فإذا في يدي نصفُ رغيف.

وأبو الخير هذا ذكره القشيري في "الرسالة" وقال: «مغربي الأصل سكن تيبات وله كرامات وفِراسة حادة، كان كبير الشَّأن مات سنة بضع وأربعين وثلاثمائة».

وذكر من كلامه قوله: «ما بلغ أحدٌ إلى حالة شريفة إلا بملازمة الموافقة ومعانقة الأدب وأداء الفرائض وصُحبة الصالحين».

ونقل ابنُ القيِّم في الكلام على بدعة الرَّفض من كتاب "الكبائر" وكتاب "السنة والبدعة" له عن الحافظ السِّلَفي مما رواه بإسناده إلى يحيى بن عطاف المعدل أنَّه حكى عن شيخٍ دمشقيٍّ جاور بالحجاز سنين قال: كنت بالمدينة في سنةٍ مجدبة فخرجتُ يومًا إلى السوق لأشتري دقيقًا برباعي قال: فأخذ الدَّقَّاقُ الرباعي وقال: العَنِ الشَّيخين حتى أبيعَك الدَّقيق. فامتنعتُ من ذلك، فراجعني مرات وهو يضحكُ، فضجرت منه وقلت: لعن الله من يلعنُهما. قال: فلطم عيني فسالتْ على خدِّي. فرجعتُ إلى المسجد وكان لي صديق من أهل مَيَّافَارِقِين جاور بالمدينة سنين فسألني عما جرى فأخبرته، فقام معي إلى الحجرة

المقدَّسة فقال: السَّلام عليك يا رسول الله قد جئناك مظلومين فخُذْ بثأرنا. ثم رجعنا فلما جنَّ الليل نمت فلما استيقظت وجدت عيني صحيحةً أحسن ما كانت.

وذكر بقية القصة فيما حصل لذلك الدقاق على لعنه أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وأماتنا على محبَّتهما.

وذكر ابن حجر الهيتميُّ في "الزواجر" قصة أخرى تقرب من هذه وقعت في المدينة أيضًا واستشفع فيها برسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم انظُرْها في آخر «كتاب الشهادات» من الكتاب المذكور.

وفي أول "تاريخ بغداد" للحافظ الخطيب في الكلام على مقابر بغداد ومن دفن فيها من العلماء والزُّهَّاد وغيرها ما نصُّه: «وعند المصلَّى المرسوم بصلاة العيد كان قبر يعرف بقبر النُّذور ويقال: إنَّ المدفون فيه رجل من ولد عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه يتبرَّك الناس بزيارته ويقصده ذو الحاجة منهم لقضاء حاجته.

حدَّثني القاضي أبو القاسم عليُّ بن المحسن التَّنوخيُّ: حدَّثني أبي قال: كنت جالسًا بحضرة عضُد الدولة ونحن مخيِّمون بالقرب من مصلَّى الأعياد في الجانب الشرقي من مدينة السلام نريد الخروج معه إلى هَمذَان في أول يوم نزل المعسكر فوقع طرفه على البناء الذي على قبر النُّذور فقال لي: ما هذا البناء؟ فقلت: هذا مشهد النُّذور ولم أقل قبر لعلمي بطِيَرته من دون هذا، واستحسن اللفظة وقال: قد علمت أنه قبر النذور وإنما أردت شرح أمره.

فقلت: هذا يقال إنَّه قبر عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن الحسين بن

عليٍّ بن أبي طالبٍ، ويقال إنه قبر عبيد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، وإنَّ بعض الخلفاء أراد قتله خفيًّا فجعلت له هناك زُبْيَة وسُيِّر عليها وهو لا يعلم فوقع فيها وهِيل عليه الترابُ حيًّا. وإنَّما شهر بقبر النذور لأنَّه ما يكاد ينذر له نذر إلا صحَّ وبلغ الناذرُ ما يريد ولزمه الوفاء بالنذر، وأنا أحد من نذر له مرارًا لا أحصيها كثرة نذورًا على أمور متعذرة فبلغتها ولزمني النذر فوفيت به.

فلم يتقبَّل هذا القول وتكلَّم بما دلَّ أنَّ هذا إنَّما يقع منه اليسير اتفاقًا فيتسوَّق العوامُّ بأضعافه ويُسيِّرون الأحاديث الباطلة فيه، فأمسكتُ.

فلما كان بعد أيام يسيرة ونحن معسكرون في موضعنا استدعاني في غدوة يوم، وقال: اركب معي إلى مشهد النذور فركبت وركب في نفر من حاشيته إلى أن جئت به إلى الموضع فدخله وزار القبر وصلى عنده ركعتين سجد بعدهما سجدة أطال فيها المناجاة بما لم يسمعه أحدًا ثم ركبنا معه إلى خيمته وأقمنا أيامًا. ثم رحل ورحلنا معه يريد همذان فبلغناها وأقمنا فيها معه شهورًا، فلما كان بعد ذلك استدعاني وقال لي: ألستَ تذكر ما حدَّثتني به في أمر مشهد النُّذور ببغداد؟ فقلت: بلى. فقال: إنِّي خاطبتك في معناه بدون ما كان في نفسي اعتمادًا لإحسان عشرتك، والذي كان في نفسي في الحقيقة أنَّ جميع ما يقال فيه كذبٌ، فلما كان بعد ذلك بمُدَيِّدَة طرقني أمرٌ خشيت أن يقع ويتم، وعملت فكري في الاحتيال لزواله ولو بجميع ما في بيوت أموالي وسائر عساكري، فلم أجد لذلك فيه مذهبًا فذكرت ما أخبرتني به في النذر لمقبرة النذور، فقلت: لم لا أجرِّب ذلك؟ فنذرت إنْ كفاني الله تعالى ذلك الأمر أنْ أحمل إلى صندوق

هذا المشهد عشرة آلاف درهم صحاحًا، فلما كان اليوم جاءتني الأخبار بكفايتي ذلك الأمر.

فتقدمت إلى أبي القاسم عبدالعزيز بن يوسف -يعني: كاتبه- أنْ يكتب إلى أبي الرَّيان -وكان خليفته ببغداد- يحملها إلى المشهد، ثم التفت إلى عبدالعزيز وكان حاضرًا، فقال له عبدالعزيز: قد كتبت بذلك ونفذ الكتاب».اهـ ما ذكره الحافظ الخطيب.

وذكر الإمام الرافعيُّ في كتاب "التدوين في ذكر أخبار قَزْوين" ترجمة سلمان بن ربيعة التميميِّ الباهليِّ وذكر الخلاف في كونه صحابيًّا أو تابعيًّا وذكر أنه دخل قَزْوين وأنه تُوفي سنة أحدى وثلاثين ببَلَنْجَرَ من ناحية أَرْمِينيَّة.

قال: «ويقال أنه قتل». ثم نقل الرافعيُّ عن "دلائل النبوَّة" لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة أنَّ أهل تلك الناحية جعلوا عظامه في تابوت فإذا احتُبس عنهم المطر أخرجوه واستسقوا به فيسقَون، قال ابن جماعة الباهليُّ يفتخر:

وإنَّ لنا قبرَيْن قبرَ بَلَنْجَرَ ... وقبرًا بالصين يا لكَ من قَبرِ
فهذا الذي بالصِّين عمَّت فتوحُه ... وهذا الذي بالتُّرك يُسقى به القطرُ

قال: ولو قال: «يسقى من القطر» لكان أولى.

أي: ليتخلَّص من الإقْواء المعيب عند متأخري الشعراء، على أنَّ الشطر الثاني من البيت الأول مختلّ الوزن ولعله من تحريف الناسخ فإن نسخة التاريخ التي نقلت منها محرَّفة جدًّا.

ثم قال: «والقبر الذي بالصين قبر قتيبة بن مسلم الباهليِّ والذي بالتُّرك قبر

سلمان بن ربيعة».اهـ

قلت: أما سلمان بن ربيعة فكان من ولاة عمر رضي الله عنه والرَّاوين عنه وهو من رجال مسلم له ترجمة في "التقريب" و"تهذيب التهذيب" وغيرهما، وأما قتيبة بن مسلم فلم أقف الآن على ترجمة له، والله أعلم.

وقال الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي في "مناقب الأمام أحمد" ما نصُّه: «الباب السابع عشر: في ثناء غُرَباء العباد والأولياء عليه». ثم روى بإسناده عن أحمد بن العبَّاس الشاميِّ قال: «خرجت من بغداد أريد الحجَّ فاستقبلني رجل عليه أثر العبادة فقال لي: من أين خرجت قلت: من بغداد خرجت منها لما رأيت فيها من الفساد فخفت أن يخسف بأهلها. قال: ارجعْ ولا تخف فإنَّ فيها قبورَ أربعة من أولياء الله هم حصْنٌ لهم من جميع البلايا. قلت: من هم؟ قال: أحمد بن حنبل، ومعروف الكرخيُّ، وبشر بن الحارث، ومنصور ابن عمار. فرجعت وزرت القبور».

ورواه الخطيب في "تاريخ بغداد" وزاد: «ولم أخرجْ تلك السَّنة». غير أنَّه قال في أول القصة: «خرجت من بغداد» ولم يقلْ: «أريد الحجَّ».

ونقل العلامة أبو حامد محمد العربيُّ الفاسيُّ في كتابه "مرآة المحاسن من أخبار الشَّيخ أبي المحاسن"، عن والده المترجَم له بهذا الكتاب وهو العلامة الكبير والولي الشهير أبو المحاسن يوسف بن محمد القصري نزيل فاس ودفينُها، أنَّه سُئل عن قول أبي محمد الشَّارمساحيِّ رحمه الله: «زيارة الموتى بترحُّم الأحياء وقصد الانتفاع بالميت بدعة إلَّا في زيارة قبر المصطفى صلَّى الله عليه وسلَّم وقبور المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين».

فأجاب بأنَّ ما ذكره الشارمساحي سبقه به غيره وقال: ليس من طريق القوم. وذكره ابن العربيُّ وقال: «لا يُزار قبر ينتَفع به غير قبر نبيِّنا صلَّى الله عليه وسلَّم». لكنَّ الذي عليه الجمهور وجرى به العمل في الآفاق زيارة قبور الصالحين والانتفاع بهم واقتباس بركاتهم، إذ هم أبواب الله.

قال حجَّة الإسلام في كتاب «آداب السفر» من "الإحياء": «وكلّ من يُتبرَّك بمشاهدته في حياته يُتبرَّك بزيارته بعد وفاته ويجوز شدُّ الرحال لهذا الغرض ولا يمنع من هذا قوله صلى الله عليه وسلم: **لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إلَّا إلى ثلاثةِ مساجدَ**... الحديث».

ونقل كلامَ الغزاليِّ في الجواب عنه كما نقل كلامَ الحافظ في "فتح الباري" الذي جوَّز فيه شدَّ الرحلة إلى القبر الشريف وغيره من قبور الصالحين.

ونقل مثله عن العلامة أبي القاسم العبدوسيِّ المالكيِّ شيخهم، ثم قال: «وأمَّا ما يُقصد فيها أو يحصل منها فقال الشَّيخ أبو العباس زرُّوق في "قواعده": ما صحَّ واتضح وصحب العمل لازم الإباحة كزيارة المقابر فقيل ليس إلَّا لمجرد الاعتبار بها لقوله عليه الصَّلاة والسَّلام: «**فإنَّها تُذكِّر الآخرةَ**» قيل: ولنفعها بالتلاوة والذكر والدعاء الذي اتُّفق على وصوله كالصدقة، قيل وللانتفاع بها وهو الذي في "الإحياء"، وقد قال الشافعيُّ رضي الله عنه: قبر موسى الكاظم التِّرياق المجرَّب».اهـ

ثمَّ نقل كلامًا في هذا الموضوع إلى أنْ قال: «وقد قال الشَّيخ أبو العباس ابن عقبة لتلميذه الشَّيخ أبي العباس زروق: أيُّ المدَدَيْن أقوى مدد الحيِّ أو مدد الميت؟ فقال له الشَّيخ زروق: إنَّهم يقولون مدد الحيِّ وأنا أقول مدد الميت.

فقال له الشَّيخ ابن عقبة: صدقتَ، لأنَّه على بساط الحق».

فالظاهر من كلامهما أنَّ زيارة الميت أنفع، وظاهر ما في "رسالة القشيري" من أنَّ قبر معروفٍ يُستشفى به ترياقٌ مجرَّب جوازها عنده.

وفي "مدخل ابن الحاج": «إن كان الميت المزور ممن ترجى بركاته فيُتوسَّل إلى الله تعالى به وكذلك يُتوسَّل بالميت ممن ترجى بركاته إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم بل يبدأ بالتوسُّل إلى الله تعالى بالنبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم إذ هو العمدة في التوسُّل والأصل في ذلك كله والمشرِّع له فيتوسَّل به صلى الله عليه وسلم ومن تبعه بإحسان ثم يتوسَّل بأهل تلك المقابر، أي: بالصالحين منهم، ويكثر التوسُّل بهم إلى الله تعالى لأنه سبحانه قد اجتباهم وشرَّفهم وكرَّمهم وكما نفع بهم في الدنيا ففي الآخرة أكثر فمن أراد حاجته فليذهب إليهم وليتوسَّل بهم فإنَّهم الواسطة بين الله تعالى وبين خلقه، وقد تقرَّر في الشرع، وعلم ما لله تعالى بهم من الاعتناء وذلك كثير مشهور. وما زال الناس من العلماء والأكابر كابرًا عن كابر مشرقًا ومغربًا يتبرَّكون بزيارة قبورهم ويجدون بركة ذلك حسًّا ومعنى.

وقد ذكر الشَّيخ الإمام أبو عبدالله بن النعمان في كتابة "سفينة النَّجا لأهل الالتِجا في كرامات الشَّيخ أبي النَّجا" في أثناء كلامه على ذلك ما هذا لفظه: تحقَّق ذوو البصائر والاعتبار أنَّ زيارة قبور الصَّالحين محبوبة لأجل التبرُّك مع الاعتبار، فإنَّ بركة الصَّالحين جارية بعد مماتهم كما كانت في حياتهم، والدعاء عند قبور الصالحين والتشفّع بهم معمول به عند علمائنا المحققين من أئمة الدين».اهـ ما ذكره ابن الحاج.

وقال الحافظ السَّخاوي في أواخر "المقاصد الحسنة": «والمكان المعروف بالسيدة نفيسة ابنة الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب التي وصفها الحافظ العلم البرزالي بأنَّها خفيرةُ ديار مصر».اهـ وبه انتهى ما أردنا نقله على وجه الاختصار.

ولْيعلم النَّاظر في كتابنا هذا أننا قصدنا بما ذكرناه من الآثار وأقوال العلماء في هذا الباب إبطال دعوى ابن تيمية أنَّه لم يأت عن أحدٍ من الصَّحابة ولا التابعين ولا علماء السَّلف أنَّه أتى إلى قبر النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم أو قبر غيره وتوسل به إلى الله، وأنَّهم إنما كانوا يتوسَّلون به حال الحياة كما فعل عمر في الاستسقاء بالعباس فإنَّه قال: «اللهمَّ إنَّا كنَّا نتوسَّل إليك بنبيِّنا فتسقينا وإنَّا نتوسَّل إليك بعمِّ نبيِّنا فاسقِنا».

ولا شكَّ أنَّ هذه الدعوى من ابن تيميَّة باطلةٌ كما تبين مما نقلناه عن عثمان بن حنيف وبلال بن الحارث المزَنيِّ وعائشة والحافظ ابن المقري وأبي الخير المغربي والخلَّال وغيرهم ممن نقلنا كلامه معزوًّا إلى من رواه، وقد حذفنا الأسانيد اختصار واكتفاءًا بذكرها في كتابنا "الرد المحكم المتين".

وفي "الأذكار" للإمام النووي أثناء الكلام على زيادة القبر الشريف ما نصه: «ثم يرجع إلى موقفه الأول قبالة وجه رسول الله صلَّي عليه وسلَّم فيتوسَّل به في حق نفسه، ويتشفَّع به إلى ربه سبحانه وتعالى».أهـ

قال ابن علان الصديقي في شرحه: «لأنَّ التوسُّل به سيرة السَّلف الصالح؛ الأنبياء والأولياء وغيرهم».اهـ

تتمة

تقدم في أثر الباقر أنَّ جبريل لقَّن آدم التوسُّل بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه آله وسلَّم وكان أدم قد رأىٰ وهو في الجنة اسم النبيِّ مكتوبًا فيها ثم نسيه فلما لقَّنه جبريل ذكره، وحين سأله الله تعالىٰ كيف عرف محمَّدًا، أجابه بأنه رأىٰ اسمه مكتوبًا، وهذا هو الواقع، ولم يقل جبريل عرَّفه به لأنَّه خلاف الواقع، لأنَّ جبريلَ إنما ذكَّره بعد نسيان.

٦- مِصْباحُ الزُّجاجَة في صَلاةِ الحَاجَة

«حديث توسل الضرير»

بسم الله الرحمن الرحيم

اللَّهمَّ لك الحمد حمدًا كثيرًا خالدًا مع خلودك، ولك الحمد حمدًا لا منتهى له دون علمك، ولك الحمد حمدًا لا منتهى له دون مشيئتِك، ولك الحمد حمدًا لا أجر لقائله إلَّا رضاك، ونسألك اللَّهمَّ أنْ تصلِّي أفضل الصَّلوات، على أفضل المخلوقات، وأكمل الكائنات، سيِّدنا محمَّد عبدك ورسولك، وصفيِّك وخليلك، الذي أعليْت منزلته، وأعظمت كرامته، وقبِلت شفاعته، وأنَلْتَه من المنَحَ والعطايا ما لم ينلْه أحدٌ من العالمين، وارض اللَّهمَّ عن آله الطيبين الطَّاهرين، وخيار صحابته من الأنصار والمهاجرين.

أمَّا بعد: فهذا جزءٌ تكلَّمت فيه على حديث توسُّل الضَّرير، وبينت صحَّته بالقواعد الحديثيَّة والأصوليَّة، ودفعت ما أورد على الاستدلال به من إيرادات واعتراضات، وأوضحت دلالته على جواز التوسُّل من عدَّة وجوه، إلى غير ذلك من المباحث والفوائد التي لها به تعلق وارتباط.

وسمَّيته: **"غاية التحرير في بيان صحَّة حديث توسُّل الضَّرير"**.

وقد استوفيتُ طرق الحديث في هذا الجزء -والحمد لله- إستيفاءًا بالغًا لم نجده قبلُ مجموعًا في كتاب.

وكان مما دعاني إلى تحرير هذا البحث، ما رأيته من تخَبُّط الوهَّابيين في الحديث المذكور، وتضعيفهم له بغير علمٍ ولا تثبتٍ، وفي ذلك جرأة على حديث رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يُخشى على صاحبِها سوء المصير.

فقد ورد عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، قال: «**منْ بلغَهُ عنِّي حديثٌ، فكذَّب به فقد كذَّب ثلاثةَ: اللهَ ورسولَه والذي حدَّثَ بِهِ**».

رواه الطبرانيُّ في "الأوسط" من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما.

وفي سنده محفوظ بن ميسور ذكره ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا.

ونصَّ العلماء على فسق من ردَّ حديثًا صحيحًا من غير عذرٍ مقبول.

ولكنَّ الوهَّابيين لهم مسلكٌ عجيبٌ!! تراهم يستدلون لما يوافقُ مرادَهم بالأحاديث ويغمِضُون عمَّا في بعضها من ضعف، ويدعمون ما استطاعوا أنْ يدعموه منها، فإذا صُدموا بحديثٍ يردُّ رأيهم، انحرفوا عنه وحاولوا تضعيفه جهْد طاقتهم، ولم يقبلوا دعمه ولا تقويته، وأصرُّوا في عنادٍ على التخلّص منه.

كفعلهم في حديث الضرير لم يجدوا في سنده مغْمَزًا إلَّا قول الترمذيِّ في أبي جعفر: «وهو غير الخطمي»، فتشبثُوا به وجمُدُوا عليه ليصلوا إلى تضعيفه وردِّه، ولم يبالوا بقول ابن أبي خيثمة والطبراني والحاكم والبيهقي: أنَّ أبا جعفر هو الخطميِّ، ولا بتصويب ابن تيمية قول هؤلاء الحفَّاظ وردِّه لكلام الترمذيِّ.

وأعجب من هذا أنَّهم لم يأبهوا لتصحيح الترمذيِّ نفسِه للحديث!! ولا لتصحيح الحفَّاظ له، خصوصًا المنذري وابن تيمية والذَّهبي والهيثمي والسَّخاوي.

وما هذا إلَّا عِنادٌ وتكبُّر عن قبول الحقِّ، يصدق عليه قول النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حين سُئل عن الكبر الذي يمنع صاحبه من دخول الجنة: «**الكِبرُ بَطَرُ الحقِّ وغَمْطُ النَّاسِ**». نسأل الله لنا ولهم الهداية والتوفيق.

أبو الفضل عبدالله محمد الصِّدِّيق الغُماريُّ

عفا الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

باب في تخريج الحديث وذكر طرقه

قال الترمذي في أبواب الدُّعاء من "جامعه": حدَّثنا محمود بن غيلان: ثنا عثمان بن عمر: ثنا شعبة، عن أبي جعفر، عن عمارة بن خزيمة بن ثابت، عن عثمان بن حُنَيف: أنَّ رجلًا ضرير البصر أتى النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: ادع الله أنْ يعافيني قال: «**إنْ شِئتَ دَعوْت، وإنْ شِئتَ صَبرتَ فهو خيرٌ لك**» قال: فادعه، قال: فأمره أنْ يتوضأ فيُحسن وضوءه، ويدعو بهذا الدُّعاء «**اللَّهمَّ إنِّي أسألك وأتوجَّهُ إليك بنبيِّك محمَّدٍ نبيِّ الرَّحمة، يا محمَّدُ، إنِّي أتوجَّه بك إلى ربِّي في حاجتي هذه لتُقضَى لي، اللَّهمَّ فشفِّعْهُ في**».

قال الترمذي: «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ من هذا الوجه، من حديث أبي جعفر وهو غير الخطمي».

قلت: لعلَّ زيادة لفظ: «غير»، تحريف من بعض النُسَّاخ، وإلَّا فأبو جعفر هو الخطميُّ كما صرَّح به ابن أبي خيثمة والطبرانيُّ وغيرهما، وسيأتي كلامهم بحول الله.

وقال ابن تيمية ما نصُّه: «هكذا وقع في الترمذيِّ، وسائر العلماء قالوا: هو أبو جعفر الخطميُّ، وهو الصَّواب، وأيضًا فالترمذي ومن معه لم يستوعبوا لفظه، كما استوعبه سائر العلماء، بل رووه إلى قوله: **اللهمَّ فشفِّعْه فيَّ**». انتهى بلفظه.

ورواه النَّسائيُّ في "عمل اليوم والليلة" عن محمود بن غيلان، عن عثمان بن

عمر بالسند المذكور.

ورواه أيضًا عن محمد بن معمر، عن حبان، عن حمَّاد -هو ابن سلمة- عن أبي جعفر، عن عمارة بن خزيمة بن ثابت، عن عثمان بن حُنَيف.

ورواه أيضًا عن زكريا بن يحيىٰ، عن ابن مثنىٰ، عن معاذ بن هشام، عن أبيه، عن أبي جعفر، عن أبي أُمامة بن سهل بن حُنَيف، عن عمِّه عثمان بن حُنَيف نحوه.

وقال ابن ماجه في «باب ما جاء في صلاة الحاجة» من "سننه": حدَّثنا أحمد بن منصور بن سَيّار: ثنا عثمان بن عمر: ثنا شعبة بن أبي جعفر المدني، عن عمارة بن خزيمة بن ثابت، عن عثمان بن حُنَيف أنَّ رجلًا ضرير البصر أتىٰ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: ادع الله أنْ يعافيني فقال: «**إنْ شئتَ أخّرت لك وهو خيرٌ، وإنْ شئتَ دعوتُ**» قال: فادعه. فأمره أنْ يتوضأ فيحسن وضوءه ويصلي ركعتين ويدعو بهذا الدُّعاء: «**اللَّهمَّ إنِّي أسألك وأتوجَّه إليك بمحمَّدٍ نبيِّ الرَّحمة، يا محمَّدُ، إنِّي قد توجَّهتُ بك إلى ربِّي في حاجتي هذه لتُقضَى لي! اللَّهمَّ فشفِّعْه فيّ**» قال أبو اسحاق: «هذا حديثٌ صحيحٌ».

وقال ابن السُّني في كتاب "عمل اليوم والليلة" تحت ترجمة «باب ما يقول لمن ذهب بصره»: أخبرني أبو عروبة: حدَّثنا العباس بن فرج الرياشي والحسين بن يحيىٰ الثَّوري قالا: ثنا أحمد بن شبيب بن سعيد قال: ثنا أبي روح بن القاسم، عن أبي جعفر المدني -وهو الخطميُّ-، عن أبي أُمامة بن سهل بن حُنَيف، عن عمه عثمان بن حُنَيف رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وجاء إليه رجلٌ ضريرٌ فشكا إليه ذهاب بصره، فقال رسول الله صلَّىٰ الله

عليه وآله وسلَّم: «**ألا تصبر؟**» قال: يا رسول الله ليس لي قائدٌ، وقد شقَّ عليَّ. فقال النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم:«**إئتِ الميْضَأة، فتوضَّأ وصلِّ ركعتين، ثمَّ قلْ: اللَّهمَّ إنِّي أسألك وأتوجَّه إليك بنبيِّك محمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، يا نبيَّ الرَّحمة يا محمَّد، إنِّي أتوجَّه بك إلى ربِّي عزَّ وجلَّ، فتُجْلي عن بصري، اللَّهمَّ شفِّعْه فيّ، وشفِّعْني في نفسِي**».

قال عثمان: وما تفرقنا ولا طال بنا الحديث، حتىٰ دخل الرجل كأنَّه لم يكن به ضُرٌّ قط.

وقال الإمام أحمد في "المسند": حدَّثنا روح بن عبادة: ثنا شُعبة، عن أبي جعفر المديني: سمعت عمارة بن خزيمة بن ثابت يحدِّث عن عثمان بن حُنَيف، أنَّ رجلًا ضريرًا أتىٰ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: يا نبي الله ادع الله أنْ يعافيني. قال: «**إنْ شئت أخَّرت ذلك فهو خيرٌ لآخرتِك، وإنْ شئتَ دعوتُ لك**» قال: لا بل ادع الله لي. فأمره أنْ يتوضأ ويصلِّي ركعتين، وأنْ يدعو بهذا الدُّعاء، ثم ذكر الدُّعاء نحو رِواية الترمذي، قال: ففعل الرجل فبرئ.

وقال الحاكم في "المستدرك علىٰ الصحيحين": حدَّثنا أبو العباس محمد بن يعقوب: ثنا العباس بن محمد الدُّوري: ثنا عثمان بن عمر: ثنا شعبة عن أبي جعفر المديني قال:سمعت عمارة بن خزيمة يُحدِّث عن عثمان بن حُنَيف أنَّ رجلًا ضريرًا أتىٰ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: ادعُ الله أنْ يعافيني، فقال: «**إنْ شئتَ أخَّرْت ذلك وهو خيرٌ، وإنْ شِئتَ دعوتُ**» قال: فادعه، قال: فأمره أنْ يتوضأ، فيُحسن وضوءه ويصلِّي ركعتين، ويدعوا بهذا الدُّعاء فيقول: «**اللَّهمَّ إنِّي أسألُك وأتوجَّهُ إليك بنبيِّك محمَّدٍ نبيِّ الرَّحمة، يا محمَّد، إنِّي توجَّهتُ**

بك إلى ربِّي في حالتي هذه فتُقضَى لي، اللَّهمَّ شَفِّعْهُ في وشَفِّعْنِي في نفسي».

ثمَّ قال: «هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشَّيخين ولم يخرجاه»، وسلَّمَه الحافظ الذَّهبي.

ورواه أيضًا من طريق عون بن عمارة البصري، ومن طريق شبيب بن سعيد الحبطي، كلاهما عن روح بن القاسم، عن أبي جعفر المدني -وهو الخطميُّ-، عن أبي أمامة بن سهل بن حُنَيف، عن عمه عثمان بن حُنَيف رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وجاءه رجلٌ ضريرٌ فشكا إليه ذهاب بصره، فقال: يارسول الله ليس لي قائدٌ وقد شقَّ عليَّ. فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إئْتِ الميْضَأة فتوضَّأْ ثمَّ صلِّ ركعتين وقُلْ**» فذكر الدُّعاء المتقدم، قال عثمان بن حُنَيف: فوالله ما تفرَّقنا ولا طال بنا الحديثُ، حتى دخل الرجل وكأنَّه لم يكن به ضرٌّ قط.

ثم قال الحاكم: «هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط البخاري»، وسلَّمَه الذَّهبي.

وقال ابن أبي خيثمة[1] في "تاريخه": حدَّثنا مسلم بن إبراهيم: ثنا حمَّاد بن

---

(١) هو الحافظ الحُجَّة الثِّقة أحمد بن أبي خيثمة زهير بن حرب النَّسائي، أبو بكر الحافظ ابن الحافظ، وأبو الحافظ، قال الدَّارقطني: «ثقةٌ مأمون»، وقال الخطيب: «ثقةٌ عالمٌ متقنٌ حافظٌ بصيرٌ بأيام النَّاس رواية للأدب، أخذ علم الحديث عن أحمد بن حنبل وابن معين، وعلم النسب عن مصعب، وأيام النَّاس عن علي بن محمد المدائني، والأدب عن محمد بن سلَّام الجُمَحِي، وله كتاب "التاريخ" الذي أحسن تصنيفه وأكثر فائدته». وقال الخطيب أيضًا: «لا أعرف أغزر فوائد من كتاب"التاريخ" الذي

سلمة: أنا أبو جعفر الخطمي، عن عمارة بن خزيمة، عن عثمان بن حُنَيف أنَّ رجلًا أعمىٰ أتىٰ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: إنِّي أُصبت في بصري فادع الله لي، قال «**اذهب فتوضأ وصلِّ ركعتين، ثمَّ قُلْ اللَّهمَّ إنِّي أسألك وأتوجَّه إليك بنبيِّك محمَّدٍ نبيِّ الرَّحمة، يا محمَّدُ، إنِّي أستشفِعُ بكَ على ربي في ردِّ بصري، اللَّهمَّ فشفِّعني في نفسي، وشفِّع نبيِّي في ردِّ بصري. وإن كانتْ حاجةٌ فافعلْ مثلَ ذلك**». فردَّ الله عليه بصره.

قال ابن أبي خيثمة: «أبو جعفر هذا الذي حدَّث عنَّه حمَّاد بن سلمة اسمه عمير بن يزيد، وهو أبو جعفر الذي يروي عنه شُعبة».

ثمَّ روىٰ الحديث من طريق عثمان بن عمر، عن شعبة، عن أبي جعفر.

وقال البيهقيُّ في كتاب "دلائل النبوة": «باب ما جاء في تعليمه الضرير ما كان فيه شفاؤه، حين لم يصبر، وما ظهر في ذلك من آثار النبوة: أخبرنا أبو عبدالله الحافظ -هو الحاكم- قال: ثنا أبو العبَّاس محمد بن يعقوب: ثنا العباس بن محمد الدُّوري.

وأخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن القاضي: ثنا أبو علىٰ حامد بن محمد الهروي: ثنا محمد بن يونس، قالا: ثنا عثمان بن عمر: ثنا شعبة، عن أبي جعفر الخطميِّ سمعت عمارة ابن خزيمة بن ثابت يحدِّث عن عثمان بن حُنَيف أنَّ رجلًا ضريرًا أتىٰ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال ادع الله أنْ يعافيني،

صنَّفه ابن أبي خيثمة، وكان لا يرويه إلا علىٰ الوجه، فسمعه الشيوخ الأكابر كأبي القاسم البغوي ونحوه».اهـ توفي سنة ٢٧٩ وعمره ٩٤ سنة رحمه الله ورضي عنه.

قال: «**فإنْ شئتَ أخَّرت ذلك وهو خيرٌ لك، وإنْ شئتَ دعوتُ الله**». قال فادعه، فأمره أنْ يتوضأ، فيحسن الوضوء ويُصلي ركعتين، ويدعو بهذا الدُّعاء «**اللَّهمَّ إنِّي أسألك وأتوجَّه إليك بنبيِّك محمَّد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نبيِّ الرَّحمة، يا محمَّدُ، إنِّي أتوجَّه بك إلى ربِّي في حاجَتي هذه فيَقْضِيها لي، اللَّهمَّ شَفِّعْه فيَّ وشفِّعْنِي في نَفْسي**». هذا لفظ حديث العباس، زاد محمد بن يونس في روايته قال: «فقام وقد أبصر».

ورويناه في كتاب "الدعوات" بإسنادٍ صحيحٍ عن روح بن عبادة، عن شعبة قال: «ففعل الرجل فبرأ».

وكذلك رواه حمَّاد بن سلمة عن أبي جعفر الخطميِّ.

وأخبرنا أبو عبدالله الحافظ: أخبرنا أبو محمد عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن سهل الدياس بمكة: ثنا محمد بن يزيد الصائغ: ثنا أحمد بن شبيب بن سعيد الحبطي: حدَّثني أبي روح بن القاسم عن أبي جعفر المديني وهو الخطمي، عن أبي أُمامة بن سهل بن حُنَيف، عن عمه عثمان بن حُنَيف قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وجاءه رجلٌ ضريرٌ فشكا إليه ذهاب بصره، فقال: يا رسول الله ليس لي قائدٌ، وقد شق عليَّ، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إئْت المِيْضَأة فتوضَّأ ثمَّ صلِّ ركعتين، ثمَّ قلْ: اللَّهمَّ إنِّي أتوجَّه إليك بنبيِّك محمَّدٍ نبيِّ الرَّحمة، يا محمَّدُ إنِّي أتوجَّه بك إلى ربِّي فيجْلي لي عن بصري، اللَّهمَّ شَفِّعْه فيّ، وشفِّعني في نفسي**».

قال عثمان، فوالله ما تفرَّقنا ولا طال بنا الحديث حتى دخل الرجل وكأنَّه لم يكن فيه ضير قط.

أخبرنا أبو سعيد عبد الملك بن أبي عثمان الزَّاهد رحمه الله: أخبرنا الإمام أبو بكر محمد بن علىٰ بن إسماعيل الشَّاشي القفال: أخبرنا أبو عروبة: ثنا العبَّاس بن الفرج: ثنا إسماعيل ابن شبيب: ثنا أبي، عن روح بن القاسم، عن أبي جعفر المديني، عن أبي أُمامة بن سهل بن حُنَيف: أنَّ رجلًا كان يختلف إلىٰ عثمان بن عفان في حاجةٍ، فكان عثمان لا يلتفتُ إليه ولا ينظر في حاجته، فلقي عثمان بن حُنَيف فشكا إليه ذلك، فقال له عثمان بن حُنَيف: إئت الميضأة فتوضأ، ثمَّ إئت المسجد فصلِّ ركعتين ثمَّ قُل: اللَّهمَّ إنِّي أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمدٍ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم نبي الرَّحمة، يا محمد إنِّي أتوجَّه بك إلىٰ ربي فيقضي حاجتي، وأذكر حاجتك، ثم رحْ حتىٰ أروح.

فانطلق الرجل وصنع ذلك ثم أتىٰ باب عثمان بن عفان فجاء البوَّاب فأخذه بيده فأدخله علىٰ عثمان، فأجلسه معه علىٰ الطِّنْفسة، فقال: انظر ما كانت لك من حاجة، ثمَّ إنَّ الرَّجل خرج من عنده فلقي عثمان بن حُنَيف، فقال له: جزاك الله خيرًا، ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إليَّ حتىٰ كلمته. فقال له عثمان بن حُنَيف: ما كلمته، ولكنِّي سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم -وجاءه رجلٌ ضريرٌ فشكا إليه ذهاب بصره- فقال له النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أوتصبر؟**» فقال: يا رسول الله ليس لي قائدٌ، وقد شقَّ عليَّ، فقال: «**إئت الميْضأة فتوضَّأْ وصلِّ ركعتين، ثمَّ قلْ اللَّهمَّ إنِّي أسألك وأتوجه إليك بنبيِّك نبيِّ الرَّحمة، يا محمَّد إنِّي أتوجَّه بك إلى ربِّي فيجلي لي عن بصري، اللَّهمَّ شفِّعه فيّ، وشفِّعْني في نفسي**».

قال عثمان: فوالله ما تفرَّقنا وطال بنا الحديث، حتىٰ دخل الرجل كأنَّ لم

يكن به ضررٌ.

وقد رواه أحمد بن شبيب بن سعيد عن أبيه بطوله أيضًا: أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن شاذان: أخبرنا عبدالله بن جعفر بن دَرَسْتَويه: ثنا يعقوب بن سفيان: ثنا أحمد بن شبيب بن سعيد. فذكره بطوله.

وذلك فيما ذكر شيخنا أبو عبدالله الحافظ: أنَّ علي بن عيسى بن ابراهيم حدَّثهم: ثنا إبراهيم بن محمد بن يزيد السُّكوني: ثنا يعقوب بن سفيان الفارسي: ثنا أحمد بن شبيب بن سعيد: ثنا أبي، عن روح بن القاسم، عن أبي جعفر المديني، عن أبي أُمامة بن سهل بن حُنَيف، عن عمه عثمان بن حُنَيف أنَّ رجلًا كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجةٍ، فذكر الحديث.

ورواه أيضًا هشام الدِّسْتوائي عن أبي جعفر، عن أبي أُمامة بن سهل، عن عمه، وهو عثمان بن حُنَيف». هذا كلام البيهقيِّ بنصِّه.

وقال الطبراني في ترجمة عثمان بن حُنَيف من "معجمه الكبير": حدَّثنا طاهر بن عيسى بن قريش المصري المقري: ثنا أصبغ بن الفرج: ثنا ابن وهب -يعني :عبدالله- عن أبي سعيد المكي-يعني: شبيب بن سعيد- عن روح ابن القاسم، عن أبي جعفر الخطمي المدني، عن أبي أُمامة بن سهل بن حُنَيف، عن عمه عثمان بن حُنَيف أنَّ رجلًا كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجةٍ له، فكان عثمان لا يلتفت إليه، ولا ينظر في حاجته، فلقي ابن حُنَيف فشكا إليه ذلك، فقال له عثمان بن حُنَيف: ائت الميضأة فتوضَّأ، ثمَّ ائت المسجد فصلِّ فيه ركعتين، ثمَّ قُل: اللَّهمَّ إنِّي أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمدٍ نبي الرَّحمة، يا محمد إنِّي أتوجَّه بك إلى ربي فيقضي حاجتي

وتَذْكُر حاجتك. ورِح حتىٰ أروح معك.

فانطلق الرجل فصنع ما قال له، ثمَّ أتىٰ باب عثمان بن عفان رضي الله عنه، فجاء البوَّاب حتىٰ أخذ بيده، فأدخله علىٰ عثمان بن عفان فأجلسه معه علىٰ الطِّنْفِسة، فقال: ما حاجتك؟ فذكر حاجته وقضاها له، ثمَّ قال له: ما ذكرت حاجتك حتىٰ كان السَّاعة، وقال: ما كانت لك من حاجةٍ فاذكرها. ثمَّ إنَّ الرجل خرج من عنده فلقيَ عثمان بن حُنَيف فقال له: جزاك الله خيرًا، ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إلىٰ حتىٰ كلَّمته فيَّ، فقال عثمان بن حُنَيف: والله ما كلمته، ولكنِّي شهدت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وأتاه ضريرٌ فشكا إليه ذهاب بصره، فقال له النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أو تصبر؟**» فقال: يا رسول الله إنَّه ليس لي قائد، وقد شقَّ عليَّ، فقال له النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ائت الميْضأة فتوضَّأ، ثمَّصلِّ ركعتين،ثمَّ ادع بهذه الدَّعوات**». قال ابن حُنَيف: فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث، حتىٰ دخل علينا الرجل كأنَّه لم يكن به ضررٌ قط.

ورواه في "المعجم الصغير" فيمن اسمه: «طاهر» من شيوخه، من هذا الطريق بهذا اللفظ، وقال ما نصُّه: «ما يروه عن روح بن القاسم إلَّا شبيب بن سعيد أبو سعيد المكي وهو ثقةٌ، وهو الذي يروي عنه أحمد بن شبيب، عن أبيه، عن يونس بن يزيد الأَيْلي، وقد روىٰ هذا الحديث شعبة عن أبي جعفر الخطمي-واسمه عُمير بن يزيد- وهو ثقةٌ، تفرَّد به عثمان بن عمر بن فارس عن شعبة، والحديث صحيح». هذا: كلام الطبراني بحروفه.

قال ابن تيمية ما نصُّه: «والطبرانيُّ ذكر تفرده بمبلغ علمه، ولم يبلغْه رواية

روح بن عبادة عن شعبة، وذلك إسنادٌ صحيح يبين أنَّه لم ينفرد به عثمان بن عمر».اهـ بلفظه.

وقال الحافظ المنذري في "الترغيب والترهيب" ما نصُّه: «الترغيب في صلاة الحاجة ودعائها، عن عثمان بن حُنَيف رضي الله عنه أنَّ أعمىٰ أتىٰ إلىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: يا رسول الله ادع الله أنْ يكشف لي عن بصري قال: «**أو أدعك ؟**». قال يا رسول الله: إنَّه قد شقَّ عليَّ ذهاب بصري قال: «**فانطلق وتوضأ ثمَّ صلِّ ركعتين، ثمَّ قلْ: اللَّهمَّ إنِّي أسألكُ وأتوجَّه إليك بنبيِّي محمَّدٍ نبيِّ الرَّحمة، يا محمَّد إنِّي أتوجَّه إلى ربي بك أنْ يكشف لي عن بصري، اللَّهمَّ شَفِّعْه فيَّ، وشَفِّعْنِي في نفسي**». فرجع وقد كشف الله عن بصره.

رواه الترمذي وقال: «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ»، والنَّسائي واللفظ له، وابن ماجه، وابن خزيمة في "صحيحه"، والحاكم وقال: «صحيحٌ علىٰ شرط البخاري ومسلم»، وليس عند الترمذي: «ثم صل ركعتين».

ورواه الطبراني وذكر في أوله قصة، وهي أنَّ رجلًا كان يختلف إلىٰ عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجةٍ له، وذكر القصَّة بتمامها». ثمَّ قال: «قال الطبراني- بعد ذكر طُرقه-: والحديث صحيح». هذا كلام الحافظ المنذري بنصِّه.

وكذا نَقَل تصحيح الطبرانِّي ووافقه، الحافظ الهيثمي في باب صلاة الحاجة من"مجمع الزوائد".

كما وافق علىٰ تصحيح الحديث أيضًا الحافظ أبو عبدالله المقدسيُّ صاحب "المختارة"، والحافظ عبدالغني المقدسيُّ في كتاب "النصيحة" والإمام النوويُّ

في باب أذكار صلاة الحاجة من كتاب "الأذكار"، وابن تيمية في غير موضع من كتبه، والحافظ السَّخاوي في "القول البديع"، والحافظ السيوطيُّ في"الخصائص الكبرىٰ" وغيرهم.

فيتلخَّص من جميع ما تقدَّم أمران:

أحدهما: أنَّ حديث توسُّل الضرير مُخَرَّجٌ في كتب السُّنَّة المشهورة المعتبرة، ناهيك بـ"مسند" الإمام أحمد، و"سنن" الترمذي، والنَّسائي، وابن ماجه، وصحيحي "ابن خزيمة"، و"الحاكم".

ثانيهما: أنَّه حديثٌ صحيحٌ متفقٌ علىٰ صحته بين حُفَّاظ الحديث ونقَّادِه، لم يخالف في ذلك منهم أحدٌ إلَّا أنَّ ابن تيمية -مع اعترافه بصحته- حاول أنْ يُعلَّ بعض ألفاظه بعللٍ واهيةٍ، سنعرض لإبطالها فيما بعد إنْ شاء الله تعالىٰ.

باب في ذكر ما أورد على الحديث من الاعتراضات، والجواب عنها

لما كان هذا الحديث شجىٰ في حُلوق الوهَّابين، وقذىٰ في عيونهم، حاولوا الانفصال عنه والتخلّص منه، إلَّا أنَّهم لم يُوَّفقوا في محاولتهم، فأتوا بكلامٍ سَمجٍ باردٍ، يدلُّ علىٰ جهلهم بالقواعد وتعصُّبهم لرأيهم الفاسد، وخبَطوا خبط عَشْواءَ، وتاهوا في ضلالةٍ عمياء، والحديث كما هو، ثابت البنيان شامخ الأركان، لم يمسوا من جوانبه إلَّا ما زاده وضوحًا وثبوتًا، فما أجدرهم بقول القائل:

كناطِحٍ صَخْرةً يومًا ليُوهِنَها فلم يَضِرْها وأوْهَىٰ قَرْنَهُ الوَعِلُ

ونحن نُورد من اعتراضاتهم ما يكون أشبه بالقواعد، وأقرب إلىٰ العقل والمنطق، وهي تنحصر في وجوهٍ:

الأول: تمسَّكوا بقول الترمذيِّ في أبي جعفر: «وهو غير الخطميِّ»، قالوا: فيكون أبو جعفر مجهولًا، وحديث المجهول ضعيفٌ.

وهذا وجهٌ باطلٌ مردودٌ؛ لأنَّ الطبرانيَّ وابن أبي خيثمة والحاكم والبيهقيَّ صرَّحوا جميعًا -كما تقدَّم- بأنَّ أبا جعفر هو الخطميُّ المدنيُّ، وتقدَّم أيضًا أنَّ ابن تيمية قال: «سائر العلماء قالوا هو أبو جعفر الخطميُّ وهو الصَّواب».اهـ

وأبو جعفر الخطميُّ ثقةٌ معروف، تقدَّم اسمه ونسبه وتوثيقه في بعض ما سردناه من طرق الحديث.

الثاني: قالوا: اشتمل الحديث علىٰ معجزةٍ هي ردُّ بصر الأعمىٰ، وذلك مما تتوفَّر الدَّواعي علىٰ نقله، فيبعد أنْ ينفرد بروايته عثمان بن حُنَيف دون سائر

الصَّحابة، ثمَّ يروىٰ بطريق الآحاد مع اشتماله علىٰ ذلك الحادث العظيم، فهذا في دعواهم يدلُّ علىٰ عدم صحَّة الحديث، إذ لو كان صحيحًا لتبادر نقلة الأخبار ورواة الآثار إلىٰ نقله وروايته.

وهذا أيضًا وجهٌ باطلٌ مردودٌ، بل هو أشدُّ بطلانًا من سابقه، ذلك أنَّه ليس من شرط كلِّ معجزةٍ أنْ تنتقل بطريق التواتر أو الاستفاضة والشُّهرة، ولم يشترط ذلك أحدٌ من علماء الحديث والأصول، بل فيها المتواتر وفيها المشهور، وفيها الآحاد، كما لا يخفىٰ علىٰ من تتبَّع كتب السُّنَّة المطهرة.

فهذا حديثُ تسبيح الطعام، وإخبار الذِّراع بأنَّ فيها سمًّا مرويَّين بطريق الآحاد، مع أنَّهما أعظم من ردِّ بصر الأعمىٰ؛ لأنَّ نطق الجماد أمر لم يُعهد في العادة أصلًا، بخلاف ردِّ بصر الأعمىٰ فإنَّه مع كونه غريبًا يقربه أنَّ البصر من شأن الإنسان ووصفٌ من صفاته.

وقد عُهد ردُّ بصر الأعمىٰ بعد ذَهابه لعارضٍ من العوارض باستعمال بعض الأدوية كطريقة القدح المعروفة عند أطباء العرب من قديم، ولا يزال إلىٰ الآن عندنا بالمغرب فرقة متخصصة في هذا، تُداوي من عمىٰ لعارض فيرجع إلىٰ حالته الأصليَّة.

وقد شاهدنا كما شاهد غيرنا أناسًا أُصيبوا بفقد بصرهم فقدًا نهائيًّا، ثمَّ عُولجوا بطريقة القدح أو غيرها فعاد إبصارهم كما كان، وهذا الضرير الذي لجأ إلىٰ النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لم يُولد أكمه، ولكن طرأ عليه ذهاب البصر لعارضٍ بدليل قوله: «شقَّ عليَّ ذهاب بصري».

فليس في ردِّ بصره -والحالة هذه- من الغرابة ما يوازي تسبيح الطَّعام

المطبوخ، وإخبار الذِّراع المشويَّة وتسليم الحجر وغير ذلك مما يتواتر من أنواع المعجزات التي صحَّحها العلماء، وقبلوها واحتجوا بها، كما صحَّحوا حديث الضرير، وقبلوه، واحتجوا به.

نعم عند الأصوليين قاعدة لم يحسن فهمها الوهابيون، فأخطأوا في تطبيقها على هذا الحديث، وتلك القاعدة: أنَّ الخبر المنقول آحادًا فيما تتوفر الدَّواعي على نقله تواترًا يقطع بكذبه.

ففي "جمع الجوامع" للتاج السُّبكيِّ، وشرحه للجلال المحلِّي في الكلام على ما يقطع بكذبه من الأخبار ما نصُّه: «والمنقول آحادًا فيما تتوفر الدَّواعي على نقله تواترًا، كسقوط الخطيب عن المنبر وقت الخطبة، من المقطوع بكذبه لمخالفته للعادة خلافًا للرافضة». أي في قولهم: لا يقطع بكذبه، لتجويز العقل صدقه، وقد قالوا بصدق ما رووه منه في إمامة عليٍّ رضي الله عنه، نحو: «أنت الخليفة من بعدي» مشبهين له بما لم يتواتر من المعجزات كحنين الجذع، وتسليم الحجر، وتسبيح الحصى.

قلنا: هذه كانت متواترة، واستغني عن تواترها إلى الآن بتواتر القرآن، بخلاف ما يُذكر في إمامة علي فإنَّه لا يُعرف، ولو كان ما خَفي على أهل السقيفة».اهـ

قلت: إدّعاء أنَّ هذه المعجزات كانت متواترة لا يُسَلَّم، فالصَّواب في الجواب أنْ يُقال: استغني عن تواتر ما نقل آحادًا من المعجزات بتواتر القرآن، وهذا جوابٌ مطرد في جميع الصُّور، وأجاب الإسنويُّ بجوابٍ آخر وهو: «إنَّ هذه المعجزات لم تتواتر، لقلَّة المشاهدين لها». لكن قال: «وللشيعة أنْ يُجيبوا

بهذا الجواب، فيقولوا: إنَّما لم يتواتر النَّصُّ الدَّالّ على إمامة عليٍّ رضي الله عنه لقلَّة سامعيه». اهـ

قلت: قد يمنع جوابهم بأنَّ الغرض من النصِّ على إمامة معين، منع الخلاف وقطع النِّزاع، وذلك يقتضي أنْ يقصد الشَّارع إخبار جماعة الصَّحابة بأنَّ الإمام هو فلان، لينتهوا عند قوله، لا إخبار فرد أو اثنين، وهذا بخلاف المعجزات فإنَّ الغرض منها -وهو الدَّلالة على صدق الرسول- حصل بالقرآن، وبما تواتر منها كالإسراء والمعراج ونحوهما.

وقال الشهاب القرافي في "شرح تنقيح الفصول": «والمعجزات جمعت بين الغرابة لكونها من خوارق العادات والشرف؛ لأنها أصل النُّبوات، فإذا لم يتواتر شيءٌ من ذلك، ولم ينقله إلَّا واحدٌ، دلَّ على كذب الخبر إنْ كان قد حضره جمعٌ عظيمٌ، ولم يقم غيره مقامه في حصول المقصود منه، فالقيد الأول احترازٌ من انشقاق القمر، فإنَّه كان ليلًا، ولم يحضره عدد التواتر، والقيد الثَّاني احترازٌ عن بقية معجزات الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كنبع الماء من بين أصابعه، وإشباع العدد العظيم من الطَّعام القليل، فإنَّه حضره الجمع العظيم، غير أنَّ الأُمَّة اكتفت بنقل القرآن، وإعجازه عن غيره من المعجزات، فنقلت آحادًا مع أنَّ شأنها أنْ تكون متواترة». اهـ

وحديث الضرير لم يحضره عددٌ عظيمٌ، مع قيام غيره مقامه وهو القرآن العظيم، فإنَّ إعجازه مع -تواتره- كافٍ عن سائر المعجزات، فلا يجوز دخوله في القاعدة المذكورة، ولا يمكن أنْ تنطبق عليه أبدًا بحال، وإنَّما تنطبق على مثل ما يُحكى عن الوليِّ الكبير الشَّيخ أحمد الرِّفاعي إنَّه لما حجَّ وزار، وقف تجاه

الروضة الشريفة وقال:

في حالة البُعد روحِي كنتُ أُرسِلُها تُقبِّـلُ الأرضَ عنِّـي وهـي نـائِبتي
وهذه نوبةُ الأشباحِ قد حضَـرتْ فامدُد يمينَك كي تحظى بها شَـفَتِي

فخرجت اليد الشريفة من القبر الشريف، فقبَّلها والنَّاس ينظرون.

وقيل: إنَّ هذه الحادثة وقعت للشيخ علي أبي شباك الرِّفاعي دفين القلعة بالقاهرة، وسواء أوقعت لهذا أو لذاك، فهي مقطوعٌ بكذبها لأنَّ هذا الحادث العظيم تتوفر الدواعي على نقله تواترًا، وقد ذكر ناقل القصة أنَّه شاهدها جمعٌ كبيرٌ حزروا بخمسين ألفًا، وأنَّ ممن شهدها العارف الكبير الشَّيخ عبد القادر الجيلي، وهنَّأ الشَّيخ الرفاعي بهذه المنقبة العظيمة!!

وهذا مما يؤيِّد القطع بكذب هذه القصَّة، إذ كيف يحضرها خمسون ألفًا أو أكثر أو أقل، ثمَّ لا يرويها منهم إلَّا واحدٌ أو اثنان من أغمار الناس ومجاهيلهم؟!

وكيف لا يشير إليها الشَّيخ عبد القادر الجيلي في شيءٍ من دروسه، ولا مؤلفاته بطريق يعتمد عليه؟!! ولم يذكرها الشَّعراني في "الطبقات"، مع أنَّه يذكر ما هو أقل شأنًا منها بكثير.

وقد رأيت رسالة مطبوعة -في إثبات هذه الحكاية- منسوبةٌ للحافظ السُّيوطي، ولا تصحُّ نسبتها إليه[1].

وما أكثر ما نُسب للحافظ السُّيوطي من الكتب التي لم يؤلفها، ككتاب "الكنز المدفون والفلك المشحون" المنسوب إليه، وهو للشيخ يونس السُّيوطيِّ المالكيِّ تلميذ الحافظ الذَّهبيِّ، وككتاب "الرحمة في الطب والحكمة"، نُسب

---

(١) نعم نقل السيوطيُّ هذه الحكاية في كتابه "تنوير الحلك "عن بعض المجاميع !!

إليه في سائر النُّسخ المطبوعة، وهو للحكيم المقري مهدي الصبري، وغير ذلك كثير.

الثالث: قالوا: إنَّ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم دعا لذلك الضرير، فهو توسُّل بدعائه، وهو جائزٌ لا نِزاع فيه، وهذا أيضًا باطلٌ؛ لأنَّ عثمان بن حُنَيف لم يذكر دعاء النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في هذا الموطن، بل صرَّح بقوله: «فوالله ما تفرَّقنا ولا طال بنا الحديث حتىٰ دخل الرجل كأنَّه لم يكن به ضُرٌّ قط». فهذا صريحٌ في نفي حصول دُعاء من النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

ولهذا ترجم البيهقي علىٰ الحديث بقوله-كما تقدَّم-: «باب ما جاء في تعليمه الضرير ما كان فيه شفاؤه حين لم يصبر».اهـ

وأيضًا فقد دعا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لأُناسٍ كثيرين، طلبوا منه الدُّعاء في عدَّة مناسبات، ولم يرشدهم إلىٰ ما أرشد إليه هذا الضرير من الصَّلاة والدُّعاء، فدلَّ علىٰ أنَّه أراد في حديث الضرير تشريعًا جديدًا يكون عامًّا لسائر النَّاس، ولا يختص بالمدعوِّ له فقط.

فإنْ قيل: فكيف تفعل بقوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم للضرير: «**إنْ شِئت صبرت فهو خيرٌ لك، وإنْ شِئت دَعوت**»؟

قلت: هذا شُبهة من قال: أنَّ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم دعا له، لكن لَمَّا أرشده صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إلىٰ الصَّلاة، ولقنَّه الدُّعاء، علمنا أنَّ في الكلام مجازًا، وأنَّ المعنىٰ: «وإن شئت دعوت» أي: وإنْ شئت علَّمْتك دعاء تدعو به، ولقَّنْتُك إيَّاه، وهذا التأويل واجبٌ ليتفق أول الحديث مع آخره.

ثمَّ بعد هذا كُله لو سلَّمنا أنَّ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم دعا للضرير،

فذلك لا يمنعُ من تعميم الحديث في غيره، كما يأتي بيانه بحول الله تعالىٰ.

الرابع: قالوا: إنَّ عمر رضي الله عنه استسقىٰ عام الرَّمادة فقال: اللَّهمَّ إنَّا كُنَّا نتوسَّل إليك بنبيِّنا فتسقِينا، وإنَّا نتوسَّل إليك بعمِّ نبيِّنا فاسْقِنا، ادعُ ياعبَّاس، فدعا العبَّاس فسقاهُم الله.

فهذا دليلٌ علىٰ أنَّ الحديث خاصٌ بحال الحياة، وأنَّ التوسُّل بالنَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بعد وفاته لا يجوز.

وقد أكثر ابن تيمية من الاستدلال بأثر عمر هذا في مؤلفاته وكرَّره وأعاده، المرَّة بعد المرَّة، وهو لا يُفيد بشيءٍ.

لأنَّ ما فعله عمر رضي الله عنه هو المطلوب في الاستسقاء، ويخطب فيهم الإمام ويدعو بنفسه، كما كان يفعل النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، أو يأمر من يدعو كما فعل عمر مع العباس، ومعاوية مع يزيد بن الأسود.

فإنْ قيل: لِمَ لَمْ يتوسَّل عمرُ رضي الله عنه بالنَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في المصلَّىٰ وعدل عنه إلىٰ التوسُّل بالعبَّاس رضي الله عنه؟!

فالجواب علىٰ ذلك من وجوهٍ:

أحدها: أنَّ عمر لم يبلغْه حديثُ توسُّل الضرير، ولو بلغه لتوسَّل به، وقد خَفيَ كثيرٌ من السُّنَّة علىٰ عمر وغيره من كبار الصَّحابة، وعلِمها صغارهم كابن عباسٍ وأبي سعيدٍ الخُدري وأبي هريرة.

وقد اعتذر عمر رضي الله عنه، في بعض السُّنن التي خفيت عليه بقوله: «ألهَانَا الصَّفق بالأسواق» يعني :أنَّه كان يشتغل بالتجارة، وكذلك أبو بكر رضي الله عنه خفيت عليه سننٌ وُجد علمُها عند المغيرة بن شعبة وأمثاله.

ثانيها: أنَّ التوسُّل بالنَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ليس بواجبٍ، فيجوز تركه، والعدول إلىٰ غيره.

ثالثها: أنَّ الله تعالىٰ يقول: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢] الآية، ولا شكَّ أنَّ العبَّاس كان إذْ ذاك من جملة المضطرين، فكان التوسل به أولىٰ وأنسب.

رابعها: أنَّ عمر رضي الله عنه أراد بالتوسُّل بالعبَّاس رضي الله عنه الاقتداء بالنَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في إكرام العباس وإجلاله، وقد جاء هذا صريحًا عن عمر، فروىٰ الزُّبير بن بكَّار في "الأنساب" من طريق داود، عن عطاء، عن زيد بن أسلم، عن ابن عمر قال: استسقىٰ عمر بن الخطاب عام الرَّمادة بالعبَّاس بن عبد المطلب فخطب النَّاس عمر فقال: إنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان يرىٰ للعبَّاس ما يرىٰ الولد للوالد، فاقتدوا أيها النَّاس برسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم واتخذوه وسيلةً إلىٰ الله.

قال: فما برحوا حتىٰ سقاهم الله.

ورواه البلاذريُّ من طريق هشام بن سعد عن زيد بن أسلم، عن أبيه به.

خامسها: أراد عمر رضي الله عنه، بفعله ذلك أنْ يُبيِّن جواز التوسُّل بغير النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من أهل الصَّلاح والخير ممن تُرجىٰ بركته، ولهذا قال الحافظ في "فتح الباري" عقب قصة توسُّل عمر بالعبَّاس رضي الله عنهما ما نصُّه: «يُستفاد من قصَّة العبَّاس استحباب الاستشفاع بأهل الصَّلاح والخير وأهل بيت النُّبوة».اهـ

سادسها: أنَّ توسُّل عمر بالعبَّاس رضي الله عنهما هو في الحقيقة توسُّلٌ

بالنَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم؛ لأنَّه إنما توسُّل بالعبَّاس لكونه عمُّ النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ولمكانته منه، كما جاء صريحًا في كلام عمر والعبَّاس.

أمَّا كلام عمر ففي "البخاري" عن أنسٍ أنَّ عمر رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقىٰ بالعبَّاس بن عبد المطلب رضي الله عنه، فقال: اللَّهمَّ أستسقي بالعبَّاس بن عبد المطلب رضي الله عنه فقال: اللَّهمَّ إنَّا كنَّا نتوسَّلُ إليك بنبيِّنا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فتسقينا، وإنَّا نتوسَّلُ إليك بعمِّ نبيِّنا فاسقنا، قال: فيسقَون. هذا لفظ البخاري.

فقوله: «وإنَّا نتوسَّل إليك بعمِّ نبينا»، صريحٌ فيما قلناه.

وأصرحُ منه ما ذكره ابن عبد البر في "الاستيعاب" حيث قال ما نصُّه: «وروىٰ ابن عبَّاس وأنس أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحط أهل المدينة استسقىٰ بالعبَّاس؛ وكان سبب ذلك أنَّ الأرض أجدبت إجدابًا شديدًا علىٰ عهد عمر زمن الرمادة، وذلك سنة سبع عشرة، فقال كعب: يا أمير المؤمنين إنَّ بني إسرائيل كان إذا أصابهم مثل هذا استسقوا بعصبة الأنبياء، فقال عمر: هذا عمُّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وصِنْو أبيه، وسيِّدُ بني هاشم، فمشىٰ إليه عمر وشكىٰ إليه ما فيه الناس من القحْط، ثمَّ صعد المنبر ومعه العبَّاس فقال: اللَّهمَّ إنَّا توجهنا إليك بعمِّ نبيِّنا وصِنو أبيه، فاسقنا الغيث، ولا تجعلْنا من القانطين، ثمَّ قال عمر: قمْ يا أبا الفضل فادع».اهـ

وقال أيضًا ما نصُّه: «رُوِّينا من وجوهٍ عن عمر أنَّه خرج يستسقي، وخرج معه العبَّاس فقال: اللَّهمَّ إنَّا نتقرَّب إليك بعمِّ نبيِّك صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، ونستشفع به، فاحفظ فيه لنبيِّك صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، كما حفظت

الغلامين لصلاح أبيهما... وذكر بقية الخبر وفي آخره: فوالله ما برحوا حتى اعتلقوا الجدر، وقلصوا المآزر، وطفق النَّاس بالعبَّاس يمسحون أركانه ويقولون: هنيئًا لك ساقي الحرمين».اهـ

وأمَّا كلام العبَّاس نفسه فأخرج الزُّبير بن بكَّار في "الأنساب" بإسناده أنَّ العبَّاس لما استسقى به عمر قال: اللَّهمَّ إنَّه لم ينزل بلاء إلَّا بذنبٍ، ولم يُكشف إلَّا بتوبةٍ، وقد توجَّه القومُ بي إليك لمكاني منْ نبيِّك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب، ونواصينا إليك بالتَّوبة، فاسقِنا الغيثَ، فأرختْ السَّماء مثل الجبال حتى أخصَبت الأرضُ وعاش النَّاسُ. ذكره الحافظُ في "فتح الباري".

فهذه النُّصوص صريحةٌ فيما قدَّمْنَاه من أنَّ عمر توسَّل بالعبَّاس لمكانته من النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وقرابته منه، فهو توسُّلٌ به في الحقيقة، ولم يقصد عمر منع التوسُّل بالنَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

يؤيِّد ذلك ويؤكده ما رواه البيهقي في "دلائل النُّبوة" قال: أنبأنا أبو نصر بن قتادة وأبو بكر الفارسي قالا: أخبرنا أبو عمر بن مطر: حدَّثنا إبراهيم بن علي الذهلي: ثنا يحيى: أنبأنا أبو معاوية عن الأعمش، عن أبي صالح السّمان، عن مالك الدَّار -وكان خازن عمر- قال: أصاب النَّاسَ قحطٌ في زمان عمر رضي الله عنه، فجاء رجلٌ إلى قبر النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: يارسول الله، استسق الله لأمَّتك فإنَّهم قد هلكوا، فأتاه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في المنام، فقال: ائت عمر فأقرئه السَّلام، وأخبره أنَّهم مسقَون، وقل له: عليك الكَيسَ الكَيسَ، فأتى الرَّجل عمر فأخبره، فبكى عمر رضي الله عنه ثم قال: يا ربِّ ما آلو إلَّا ما عجِزتُ عنه. إسناده صحيح.

ورأيت الحافظ في "فتح الباري" (ج٢ ص٣٣٨ طبعة الخشَّاب) عزاه إلى ابن أبي شيبة من طريق أبي صالح السّمان عن مالك الدَّار، باللفظ المذكور[١] وصحَّح سنده.

والرَّجل المذكور هو بلال بن الحارث المزنيُّ الصَّحابيُّ، كما رواه سيف في "الفتوح"، ونقله الحافظ في "الفتح"، فعمر رضي الله عنه لم ينهَ بلال بن الحارث عما فعل، ولا أنَّبه ولو كان التوسُّل بالنَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ممنوعًا في اجتهاده لما سكت عن بلال، بل لصارحه بالنَّهي، وصكَّه به صكَّ الجندل، وشدة عمر رضي الله عنه فيما يراه حقًّا معروفة لا تحتاج إلى استدلال.

الخامس: أعلَّ ابن تيمية رواية ابن أبي خيثمة من طريق حمَّاد بن سلمة بزيادة: «فإنْ كانت حاجة، فافعل مثل ذلك»، وهي زيادةٌ صحيحة إسنادها على شرط الصحيح، فأعلَّ هذه الزيادة بعللٍ واهيةٍ لا يليق صدورها من عالمٍ بالصناعة الحديثيَّة، ونحن نناقشها مناقشةً علميَّةً بمقتضي القواعد الصناعيَّة.

قال ابن تيمية: «لم يروِ هذه الزيادة شعبةُ وروح بن القاسم، وهما أحفظُ

---

(١) وذكر ابن تيمية هذا الأثر فزاد فيه زيادة لم ترد في طرقه، قال في "اقتضاء الصراط المستقيم"، أثناء كلام، ما نصه: «وكذلك ما يروى أن رجلًا جاء إلى قبر النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فشكى إليه الجدْب عام الرَّمادة فرآه وهو يأمره أن يأتي عمر فيأمره أن يخرج يستسقى بالناس».اهـ

وهذا من تحريفات ابن تيمية التي يتعمدها لغرض في نفسه، وغرضه هنا أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لا يشفعُ لأحد بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، بدليل أنه في هذه الحادثة ردَّ الأمر إلى عمر وأمره أن يستسقي بالناس، وإنَّ رأيًا ينبني عن تحريف النصوص والزيادة فيها لرأي باطلٌ عاطلٌ.

من حمَّاد».

قلنا: فكان ماذا؟ أليس حمَّاد ثقةً من رجال الصحيح؟ وزيادة الثِّقة مقبولة.

قال: اختلاف الألفاظ يدلُّ على أنَّ مثل هذه الرِّواية قد تكون بالمعنى.

قلنا: تعبيرك بـ«قد» دليلٌ على أنَّك لست متحققًا من صحَّة دعواك ولن تستطيع تحقيقها؛ لأنَّك تعلم أنَّ أحدًا من العلماء لم يجِزْ أن يزاد في الحديث ما ليس منه، سواء في ذلك من أجاز الرِّواية بالمعنى ومن منعها.

قال: قد تكون مُدْرَجةً من كلام عثمان.

قلنا: هذه دعوة كسابقتها، والإدراج لابدَّ من دليلٍ يدلُّ عليه، وأين هو هذا الدليل؟!

قال: ولو ثبت لم تكن فيها حجَّة، بل غايتها أنْ يكون عثمان بن حُنَيف ظنَّ أنَّ الدُّعاء يدعى ببعضه دون بعض.

قلنا: بل هي حجةٌ قاطعةٌ لك ولأذنابك، وما تقوَّلته على عثمان مبنيٌّ على ظنِّك أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم دعا لذلك الضرير، وظنُّك باطلٌ، ولو كان حصل دعاءٌ من النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لنقله عثمان الذي شاهد القصة ونقلها، ولو أراد عليه الصَّلاة والسَّلام أنْ يدعو للضرير، لدعا له كما دعا لغيره[1] من غير أنْ يحيلَه على الوضوء والصَّلاة والدُّعاء، ولو سلم أنَّه

---

(١) من ذلك ما رواه البيهقيُّ عن يزيد بن نوح بن ذكوان أنَّ عبدالله بن رواحة قال: يارسول الله إني أشتكي ضِرسي، آذاني واشتد عليَّ فوضع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يده على الخدِّ الذي فيه الوجع وقال: «**اللَّهمَّ أذهبْ عنه سُوءَ ما يجدُ وفُحشَه، بدعوة نبيّك المباركِ المكِينِ عندكَ**». سبع مرات، فشفاه الله تعالى قبل أنْ يبرح.

دعاء، فذلك لا يقتضي تخصيص الحديث ولا تقييده كما هو ظاهرٌ.

قال: هذه الزيادة تناقض الحديث.

قلنا: نعم، في نظرك ونظر أذنابك، أمَّا عند العلماء المنصِفين فهي منسجمةٌ مع الحديث تمام الإنسجام، وعلى دعواك أنَّها مدرجة، فهل كان عثمان من الغفلة والبلاهة بحيث يُدرِج في الحديث ما يناقضه وهو لا يشعر؟! إنَّ هذا لشيءٌ عجيب!!

قال: أعرض أهل السُّنن عنها.

قلنا: فكان ماذا؟ وهل كلّ صحيح في السُّنن؟!

فما هذا التعليل البارد الذي اخترعته لردِّ ما يخالف هواك وتبعك عليه أذنابك؟

هذا مع أنَّك اعترفت فيما سبق بأنَّ الترمذيَّ ومن معه لم يستوعبوا لفظ الحديث كما استوعبه سائر العلماء، والآن تجعل عدم استيعابهم حجَّة تعلِّل بها زيادة صحَّ سندها، فما هذا التناقض الغريب؟!!

باب في دلالة الحديث
على التوسل بالنبي عليه السَّلام

وإذا قد انتهينا من إبطال ما أورده الوهابيون على الحديث من الاعتراضات، فلنبيِّن دلالته على جواز التوسُّل بالنَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في جميع الأحوال، في حالة حضوره وغيبته، وفي حال حياته وبعد وفاته، وذلك من وجوهٍ:

الأول: أنَّ هذا الحديث وإنْ كان قد ورد بسبب سؤال الضرير، فغيره مثله في ذلك للقطع الجازم باستواء النَّاس في الأحكام الشَّرعيَّة.

الثاني: أنَّ الخطاب في الحديث وإنْ كان متوجَّهًا إلى الضرير، محمولٌ على العموم من حيث الشَّرع، للإجماع المتيقَّن من جميع العلماء على أنَّ خطابات الشَّارع محمولةٌ على العموم، وإنْ كانت خارجة مخرج الخصوص، حتى يقوم الدليل على تخصيص شيءٍ منها فيوقف عنده، وهو هنا مفقود.

الثالث: أنَّ الضرير سأل النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنْ يدعو له، فعلَّمه الدُّعاء المذكور، فعدوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن الدُّعاء المطلوب منه إلى ما ذكر، دليلٌ على أنَّه أراد أنْ يشَرِّع لأمَّته حكمًا عامًّا، لا يختص بواحدٍ دون آخر.

الرابع: أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أرشد الضرير إلى الصَّلاة والدُّعاء، والصَّلاة مشروعةٌ لجميع النَّاس بالإجماع، فكذلك هذا الدُّعاء يكون مشروعًا لجميع النَّاس أيضًا، والتفريق بينهما تعطيلٌ لبعض الحديث من غير دليلٍ، وهو تلاعبٌ لا يُقبل.

الخامس: ولو فرضنا أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم دعا للضرير-مع أنَّ الحديث لا يدلُّ على ذلك أصلًا- فدعاؤه يدلُّ على جواز التوسُّل في عموم الحالات، لما تقرر في علم الأصول: «أنَّ فعل النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لشيءٍ يدلُّ على جوازه»؛ لأنَّه لا يفعل المحرَّم ولا المكروه، ويندب الاقتداء به فيه، لقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١].

السادس: أنَّ الحديث لو كان خاصًّا بالضرير، أو بحال الحضور دون الغيبة، أو في الحياة دون الممات، لبيَّنه كما بيَّن لأبي بُردة أنَّ الجَذَعة من المعِز تُجزِئُه، ولا تُجزِئ أحدًا غيره في الأُضحية. متفقٌ عليه من حديث البَراء بن عازب.

السابع: أنَّ الحديث لو كان خاصًّا بالضرير، أو بحالتي الحياة أو الحضور، ولم يُبيِّن النَّبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ذلك، لكان فيه تأخير البيان عن وقت الحاجة، وهو ممنوعٌ، إذًا هو تكليف بما لا يعلم.

الثامن: أنَّ رواية ابن أبي خيثمة: «فإنْ كانت حاجة، فافعل مثل ذلك» دالَّة على العموم كما لا يخفي.

التاسع: أنَّ عثمان بن حُنَيف-وهو راوي الحديث وأعرف بالمراد منه- حمله على العموم، حيث أرشد الرجل الذي كانت له حاجة عند عثمان رضي الله عنه وطال انتظاره لقضائها إلى الدُّعاء المذكور.

العاشر: أنَّ الحديث أخرَّجه الترمذي في "جامعه" كما تقدَّم، وقد قال في كتاب "العلل"ما نصُّه: «جميع ما في هذا الكتاب من الحديث وهو معمولٌ به، وبه أخذ بعض أهل العلم، ما خلا حديثين، حديث ابن عبَّاس: أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله

عليه وآله وسلَّم جمعَ بين الظُّهر والعصر بالمدينة، والمغرب والعشاء من غير خوفٍ ولا سفرٍ ولا مطرٍ، وحديث النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أنَّه قال: «**إذا شَرِب الخمر فاجلِدُوه، وإنْ عاد في الرَّابعة فاقْتلوه**» وقد بينَّا علَّة الحديثين في الكتاب».اهـ

وهذا يدلُّ علىٰ أنَّ حديث توسُّل الضرير معمولٌ به؛ لأنَّه لم يستثْنِه مع الحديثين اللذين استثناهما من جملة الأحاديث المعمول بها.

علىٰ أنَّ ذينِك الحديثين عُمل بهما أيضًا، فأخذ بالأول ابن سيرين وأشهب من أصحاب مالك وابن المنذر والشَّاشي الكبير من أصحاب الشَّافعي، فأجازوا الجمع في الحضر للحاجة من غير الأعذار المعروفة، بشرط ألَّا يتخذ عادة.

وهو دليلُ شاذليَّة المغرب في جمعهم أحيانًا بين المغرب والعشاء جمع تأخير إذا طال بهم مجلس الذكر، كما بينَّه أخي العلَّامة السيد محمد الزَّمْزمي في كتاب "الانتصار لطريق الصُّوفيَّة الأخيار".

ولشقيقنا الحافظ أبي الفَيْض كتاب "إزالة الخطر عمن جمع بين الصلاتين في الحضر من غير خوف ولا مطر" أتىٰ فيه من البحوث والمناقشات العِلميَّة بالمعجِب المطرِب، بحيث يُعتبر أنفَسَ ما كُتب في هذا الباب، وهومطبوعٌ بمصر.

وأخذ بالحديث الثَّاني من الحديثين الحافظ أبو محمد ابن حزم، وأسند في "المحلىٰ" من طريق قاسم بن أصبغ عن عبدالله بن عمرو بن العاص أنَّه قال: «ائتوني برجلٍ أُقيم عليه حدٌّ في الخمر، فإنْ لم أقتلْه فأنا كاذبٌ».

الحادي عشر: أنَّ حُفَّاظ الحديث ونُقَّادِه فهموا من الحديث العموم، حيث ترجموا عليه في كتبهم بتراجم تفيد ذلك.

فذكره الترمذيُّ والحاكم والبيهقيُّ في كتاب «الدعوات» على أنَّه من الدَّعوات المأثورة المشروعة.

وذكره ابن ماجه والمنذريُّ والهيثميُّ في كتاب «الصلاة المأمور بها» فيه داخله في باب التطوع والنقل.

وذكره النوويُّ في باب «أذكار صلاة الحاجة»، على أنَّه من جملة الأذكارالتي تُقال عند عروض حاجة.

وهذا اتفاقٌ منهم على أنَّ الحديث معمولٌ به، وأنَّه عامٌّ لجميع النَّاس في جميع الحالات، ولو كان خاصًّا بالضرير أو بحالةٍ دون حالة، لم يكن لذكرهم له في كتب الأحكام وغيرها فائدة، ولنبَّهوا على أنَّه غير معمولٍ به، كما نبَّهوا على غيره من الأحاديث التي تكون مخصوصة أو منسوخة، وهذا ظاهرٌ جدًّا.

الثاني عشر: أنَّ الأصل الواجب في كلام الشَّارع استواء جميع النَّاس فيه، لا فرق بين شخصٍ وآخر، ولا بين حالةٍ وأُخرى، إلَّا إذا قام الدَّليل على تخصيصه ببعض الأشخاص أو الأزمان فيتبع، وإذا كان الأمر كذلك فادعاء تخصيص الحديث بالضرير أو بحالتي الحضور أو الحياة خلاف الأصل، فيحتاج إلى دليلٍ من مُدَّعِيه، والدَّليل لا يعدو أنْ يكون أحدُ أمورٍ:

الأول: أنَّ الدُّعاء المذكور في الحديث يُوهم النَّاس -لو أخذ فيه بالعموم- أنَّه لابد في الدُّعاء من التوسُّل بواسطة، وهذا محظورٌ؛ لأنَّه يُناقض الآيات الدَّالة على أنَّ الله تعالى لم يجعل بينه وبين عباده في الدعاء واسطة، ﴿ وَإِذَا

سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، ولأنَّه يشبه عقيدة المشركين الذين اتخذوا وسطاء يتوسطون لهم إلى الله بزعمهم، فيكون الدُّعاء المؤدِّي إلى هذا المحظور محظورًا، وحيث ورد الأمر به عن الشَّارع في حادثةٍ معينةٍ وجب قصره عليها، فلهذا كان الحديث خاصًّا بذلك الضرير.

الثاني: أنَّ النِّداء والخطاب فيه بقوله: «يا محمد إنِّي أتوجَّه بك إلى ربي»، إنَّما يَلِيقَان بالحيِّ الحاضر دون الغائب أو الميت، فلهذا كان الحديث خاصًّا بحالتي حضور النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وحياته.

الثالث: أنَّ الصَّحابة لم يتوسَّلوا بالنَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعد انتقاله، بل توسَّلوا بالعبَّاس وغيره من الأحياء، فكان تركهم للتوسُّل به صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعد انتقاله مع أنَّهم كانوا يتوسَّلون به صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في حياته وحضوره بينهم؛ دليلًا على تخصيص الحديث بحالتَي الحياة والحضور.

هذا أمثل ما يحتمل من الأدلَّة القاضية بتخصيص الحديث في زعم الوهابيين، وذلك كله باطل.

أمَّا الوجه الأوَّل: فالإيهام المذكور فيه توهّمٌ وخيالٌ، إذ لو كان في ذلك الدُّعاء أدنى إيهام لما خَفِيَ عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الذي لقَّنه الضرير وأمره أنْ يدعو به، وهو صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إنَّما بُعث للقضاء على الشِّرك وعلى كل ما يُقرِّب إليه من قولٍ أو عملٍ، فمحالٌ عقلًا أنْ يلقِّن أحدًا من أُمَّته شيئًا يُوهم نوعًا من الإشراك أو يشبه عقيدة المشركين، فبطل هذا الوجه من أساسه.

وأمَّا الوجه الثَّاني فيبطلُه أمورٌ ثلاثةٌ:

الأول: إجماعُ العلماء على أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حيٌّ في قبره، حكى الإجماع الإمام الحافظُ أبو محمد ابن حزم في "المحلى"، والحافظُ شمس الدين السَّخاوي في، "القول البديع"، ولذا قرَّر المالكيَّة أنَّ من تكلَّم في الصَّلاة إجابةً له صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فإنَّ صلاته لا تبطل على المعتمَد، سواء كان في حياته أم بعد انتقاله، وألْغَز بعضُهم في ذلك بقوله:

يا فقيهًا شخصٌ تكلَّم عمدًا ... في صلاةٍ ولم يكنْ إصلاحًا

لصلاةٍ وبعد هذا فقُلتُم ... تلك صحَّت وحازَ هذا نَجاحًا

الثاني: الأحاديث التي تدلُّ على عرض أعمال أُمَّته عليه، وأنَّ علمه بعد انتقاله كعلمه في الدُّنيا، وهي مبسوطةٌ في محلِّها من كتب الحديث والفضائل النَّبويَّة، وانظر كتابنا "نهاية الآمال في صحة حديث عرض الأعمال".

الثالث: إجماع الأُمَّة المستفاد من النصوص المتواترة على قولهم في تشهُّد الصَّلاة: «السَّلام عليك أيها النَّبيُّ ورحمة الله وبركاته»، وهذا نداءٌ وخطابٌ للنَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعد انتقاله، ومحالٌ أنْ تجتمع الأُمَّة على نداء ومخاطبة ميت لايدري ولا يشعر، فبطل هذا الوجه أيضًا من أساسه.

وأمَّا الوجهُ الثَّالثُ فيبطله أمورٌ:

الأول: أنَّ ترك الصَّحابة للتوسُّل بالنَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعد انتقاله ليس مسلَّمًا على إطلاقه، بل هو منقوضٌ بفعل عثمان بن حُنَيف، وبلال المزنيِّ كما تقدم ذلك.

الثاني: أنَّ ترك الصَّحابة للتوسُّل -لو سُلِّم على إطلاقه- يحتَمَل أنْ يكون

اتفاقيًّا، أي اتفق أنَّهم تركوا التوسَّل من غير أنْ يكون ممنوعًا، ويحتَمَل أنْ يكون غيرَ جائز في نظرهم، ويحتَمل أنْ يكون جائزًا ولكنَّ غيرَه أفضلُ منه، فتركوه إلى الأفضل، ويحتَمَل أنْ يكون تركهم له لئلَّا يُتَّخذ عادة متَّبعة ويُترك ما سواه من الأدعية والعبادات، ويحتمل غير ذلك من الوجوه التي بيَّناها في توسُّل عمر بالعباس رضي الله عنهما، والقاعدة: «أنَّ ما دخله الاحتمال، سقط به الاستدلال».

الثالث: أنَّ هذا ترك فعل، أي أنَّ الصَّحابة تركوا التوسَّل بالنَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعد انتقاله، والترك وحده إن لم يصحبه نصٌّ على أنَّ المتروك محظور لا يدلُّ على ذلك، بل غايته أنْ يفيد أنَّ ترك ذلك الفعل مشروعٌ، أمَّا أنَّ ذلك الفعل المتروك يكون محظورًا، فهذا لا يُستفاد من الترك وحده، وإنَّما يُستفاد من دليلٍ يدلُّ عليه.

ومن هنا كان الاستدلال على منع تعدُّد الجُمعة في البلد الواحدة، بأنَّها لم تتعدَّد في عهد النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ولا في عهد الخلفاء الراشدين ضعيفًا لما ذكرنا من أنَّ ترك الشيء، لا يدلُّ على منع المتروك وحظره.

وقد ذهب جماعةٌ من العلماء منهم عطاءُ بن أبي رباح، وداود الظَّاهريُّ، وابنُ حزم، وابنُ العربي المعافري المالكي، إلى جواز تعدد الجُمعة في البلد الواحد، لحاجةٍ ولغير حاجةٍ، واستدلوا بعموم قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩]، ولم يلتفتوا إلى أنَّها لم تتعدَّد في عهد الصَّحابة والتابعين، ولابن العربي في ذلك تأليفٌ خاصٌّ ذكره لنا مولانا الإمام الشَّيخ الوالد رضي الله عنه.

فإن قيل: ليس التعويل على مجرَّد ترك الصَّحابة للتوسُّل، بل على التفريق بين الحالين، فإنَّهم كانوا في حياته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يتوسَّلون به، فلمَّا انتقل تركوا التوسُّل به، هذا محطُّ الفائدة ومناط الاحتجاج.

فالجواب: أنَّ هذا لا يفيد أيضًا؛ لأنَّ الحال في الجُمُعة كذلك أيضًا، فقد كان الصَّحابة من أهل العوالي وغيرهم يُصَلُّون الجماعات في مسجدهم، فإذا كانت الجُمعة تركوا مسجدهم وصَلُّوا الجُمعة مع النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وكذلك كانوا يفعلون في عهد الخلفاء الراشدين، وهذه كانت شبهة من منع تعدُّد الجُمعة، لكنَّها لم تُفدهم إذْ قد بيَّن المجوِّزُون أنَّ غاية ذلك أنَّهم تركوا التعدد وأقرَّهم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم والخلفاء الراشدين من بعده، وهذا لا يدلُّ على منع التعدُّد.

وكذلك نقول هنا: غاية ما في الأمر أنَّ الصَّحابة تركوا التوسُّل بالنَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعد انتقاله، وذلك لا يكفي دليلًا على منع التوسُّل.

الرابع: لو سُلِّم أنَّ الصَّحابة تركوا التوسُّل بالنَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعد وفاته، فنهايتُه أنْ يكون إجماعًا سكوتيًّا؛ لأنَّه لم يصرِّح أحدٌ منهم بمنع التوسل جزمًا، والإجماع السُّكوتي مختلفٌ في حقيقته، وفي تسميته، وفي حُجيَّته، فكيف يكون -والحالة هذه- مخصصًا لدليلٍ شرعيٍّ لا خلاف في حُجِّيته بين أحد من العلماء؟!

وقال الإمام العلَّامة علاء الدين القُونوي في "شرح التعرف" أثناء كلام له في هذا المعنى: «وقد روى أبو القاسم الأصْبهاني في "الترغيب والترهيب" بإسناده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه

وآله وسلَّم: «منْ صلَّى عليَّ في يوم الجُمُعَة وليلةِ الجمعة، مِائة من الصَّلاة قُضيَ له مِائة حاجة، سبعين من حَوائِجِ الآخرة، وثلاثين من حَوَائِج الدُّنيا، ووكَّل الله بذلك ملَكًا يُدْخله على قبري، كما تدخل عليكم الهدايا،إنَّ علمِي بعد موتي كعلمِي في الحياة»، وهذا وأمثاله من الأخبار تردُّ على هؤلاء المبتدعة، الذين نبغوا في زماننا، ومنعوا من التوسُّل بالنَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعد وفاته.

وقد جمع بعضهم كلامًا يتضمَّن نفي علمه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعد الوفاة، ونقل بعضهم التفرِقة بين حال حياته ووفاته فقال: والتَّفريق بين الحياة والوفاة كان ثابتًا عند الصَّحابة، فلهذا استسقى أمير المؤمنين عمر بالعبَّاس قال: ولولا أنَّ هذا التفريقَ واضحٌ عندهم؛ لما عدَل عمر رضي الله عنه -مع جلالته وكونه خليفة راشدًا وكان يشاور أيضًا- عن قبر رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى غيره هذا لفظ المبتدع[1] الجاهل الذي قامت عليه البيّنة بأشياء من هذا القبيل، وعُزِّر على ذلك التعزير البالغ بالحبسِ والضربِ والنَّفي وغير ذلك، في شهور سنة خمس وعشرين وسبعمائة بالقاهرة المحروسة، وهذا الكلام من التفرقة بين الحالتين والاستناد فيه إلى استسقاء عمر بالعبَّاس رضي الله عنهما ليس له، وإنَّما هو لشيخه، فإنَّه لَمَّا أظهر القول بنفي التوسُّل برسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من سنين أورد عليه حديث الاستسقاء ففزع إلى التفرقة المذكورة ولا مُتشبَّث له في الحديث المذكور، فإنَّ عمر رضي الله عنه إنَّما قصد أنْ يتقدَّم العبَّاس رضي الله عنه ويباشر الدُّعاء بنفسه، وهذا لا يتصوَّر حصوله من غير الحيِّ، وأمَّا التوسُّل برسول الله صلَّى الله عليه

---

(١) يعني به أحد تلاميذ ابن تيمية.

وآله وسلَّم فلا نسلم أنَّ عمر تركه بعد موته صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وتقديمه العبَّاس، ليدعوَ للنَّاس لا ينفي جواز توسُّله به مع ذلك».اهـ

وحديث أنسٍ الذي عزاه إلىٰ أبي القاسم الأصبهاني، رواه أيضًا الدَّيْلميُّ وأبو عمرو بن منْده في الأوَّل من "فوائده" وغيرهم، وإسناده ضعيف. لكن أحاديث عرض صلاتنا عليه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بالغةٌ مبلغَ التواتر.

وقول ذلك المبتدع: «ولولا أنَّ هذا التفريق واضح عندهم، لما عدَل عمر عن قبر رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إلىٰ غيره».

يقال عليه: لئن عدَل عنه عمر في هذه المناسبة للوجوه التي مرَّ بسطُها؛ لقد لجأ إليه غيره من الصَّحابة في مناسبات أخرىٰ.

قال الإمامُ الدَّارميُّ في "سننه": حدَّثنا أبو النُّعمان: ثنا سعيد بن زيد: ثنا عمرو بن مالك النكريُّ: ثنا أبو الجَوزاء أوس بن عبدالله قال: قحط أهل المدينة قحطًا شديدًا، فشكوا إلىٰ عائشة فقالت: انظروا قبر النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فاجعلوا منه كُوىٰ إلىٰ السَّماء حتَّىٰ لا يكون بينَه وبين السَّماء سقفٌ، ففعلوا فمُطرنا مطرًا حتىٰ نبتَ العشْبُ وسمِنتِ الإبلُ حتىٰ تفتَّقتْ من الشَّحم، فسمِّيَ: عام الفتْق.

أخرجه الدراميُّ تحت ترجمة: «باب ما أكرم الله نبيَّه بعد موتِه»، وإسناده لا بأس به، وسعيد بن زيد-وإن تُكلِّم فيه- من رجال مسلم، ووثَّقه ابن معين وغيره.

قال صاحب "مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح" ما نصُّه: «قيل في سبب كشف قبره أنَّه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان يُستشفَع به عند الجدْب

فتُمطر السَّماءُ، فأمرتْ عائشة رضي الله عنها بكشف قبره مبالغةً في الاستشفاع به، فلا يبقى بينه وبين السَّماء حجابٌ».اهـ

وبالضرورة كان في المدينة إذ ذاك صحابة وتابعيُّون، فلم يُنقَل عن أحدٍ منهم أنَّه أنكر عليها ذلك، قال العلَّامة أبو عبدالله بن محمد بن عبد القادر الفاسي في شرح "عدة الحصن الحصين" بعد كلامٍ في هذا المعنى، ما نصُّه: «وبالجملة فالتوسُّل بالنَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم صاحب الشَّفاعة العُظمى في حضوره وغيبته، مما لا توقّفَ فيه».اهـ

وقال ابن أبي الدُّنيا في كتاب "مجابي الدُّعاء": حدَّثنا أبو هشام محمد بن يزيد ابن محمد بن كثير بن رفاعة، قال: جاء رجلٌ إلى عبد الملك بن أبجر-وكان طبيبًا- فجسَّ بطنه، فقال: بك داءٌ لا يُبرأ، قال: ما هو؟ قال: الدُّبَيْلة، قال: فتحوَّل الرجل فقال: الله الله ربي لا أشرك به شيئًا، اللَّهمَّ إنِّي أتوجَّه إليك بنبيِّك محمَّد نبيِّ الرَّحمة، يا محمَّد إنِّي أتوجَّه بك إلى ربِّك وربِّي يرحمُني مما بي، قال: فجسَّ بطنَه، فقال: قد برئَتَ مابك علَّة.

قلت: كان ابن أبجر حافظًا، وهو من رجال مسلم وأبي داود والتِّرمذي والنَّسائي، وكان لا يأخذ أجرًا على العلاج، وثَّقه أحمد وابن معين وغيرهما وأثنَوا عليه خيرًا. وبالله التوفيق

خاتمة

تشتمل على مسائل

المسألة الأولى:

تكلَّم ابن تيمية في رسالة "زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور" على التوسُّل، وقسَّمه إلى أنواعٍ ثلاثة، وأطال في النَّوع الأول والثاني، ثمَّ قال: «وأمَّا القسم الثالثُ وهو أنْ يقول: اللَّهمَّ بجاه فلانٍ عندك، أو ببركة فلانٍ، أو بحرمة فلانٍ عندك، افعلْ بي كذا وكذا. فهذا يفعله كثير من النَّاس، لكن لم ينقلْ عن أحدٍ من الصَّحابة والتَّابعين وسَلَف الأُمَّة أنَّهم كانوا يدعون بمثل هذا الدُّعاء، ولم يبلغْني عن أحدٍ من العلماء في ذلك ما أحكيه، إلَّا ما رأيت في فتاوي الفقيه أبي محمد بن عبد السَّلام، فإنَّه أفتى أنَّه لا يجوز لأحدٍ أنْ يفعل ذلك إلَّا للنَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إنْ صحَّ الحديث في النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ومعنى الاستثناء: قد روى النَّسائي والتِّرمذيُّ وغيرهما أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم علَّم بعض أصحابه أنْ يدعوَ فيقول: «اللَّهمَّ إنِّي أسألك وأتوسَّل إليك بنبيِّك نبيِّ الرَّحمة، يا محمَّدُ يارسولَ الله،إنِّي أتوسَّل بك إلى ربِّي في حاجتي ليقضيَها لي، اللَّهمَّ فشفِّعْه فيَّ».اهـ المراد منه.

وقلَّده الشَّوكانيُّ فحكى هذا القول عن عزِّ الدين بن عبد السَّلام في رسالة "الدُّرِّ النَّضيد في إخلاص كلمة التوحيد"، وإنْ لم يوافقْ على هذا الاستثناء بل ناقشه وردَّه، والواقع أنَّ ابن تيمية أخطأ في هذا النَّقل؛ لأنَّ فتوى عزِّ الدين بن عبد السَّلام في الإقسام على الله بخلقه لا في التوسُّل، ونحن ننقل فتواه بنصها ليتبيَّن المراد.

جاء في "الفتاوىٰ الموصلية" ما نصُّه: «الحمد لله رب العالمين وصلَّىٰ الله علىٰ سيدنا محمَّدٍ وآله، نسخة أسئلة أجاب عنها الشَّيخ الإمام العلَّامة شيخ الإسلام عزُّ الدين بن عبد السَّلام بن أبي القاسم بن مهذَّب السّلميُّ رضي الله عنه وأعاد علينا وعلىٰ الكافة من بركاته.

مسألةٌ: ما يقول وفَّقه الله تعالىٰ في الدَّاعي يُقسم علىٰ الله تعالىٰ بعظيمٍ من خلقه في دعائه كالنَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، والولي والملك؟ هل يُكره له ذلك أم لا؟

ثمَّ ذكر عدَّة أسئلة، ثمَّ قال: أجاب الشَّيخ رضي الله عنه: «أمَّا الدُّعاء فقد جاء في بعض الأحاديث أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علَّم بعض النَّاس الدُّعاء فقال في أوله: «قُل: اللَّهمَّ إنِّي أُقسم عليك بنبيّك محمد نبيّ الرَّحمة» وهذا الحديث-إنْ صحَّ- فينبغي أنْ يكون مقصورًا علىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم؛ لأنَّه سيِّدُ ولد آدمَ، وأنْ لا يُقسَم علىٰ الله تعالىٰ بغيره من الأنبياء والملائكة والأولياء؛ لأنَّهم ليسوا في درجته، وأنْ يكون هذا مما خُصَّ به نبيُّنا علىٰ علوِّ درجته ومرتبته». هذا كلامه بحروفه، نقلناه من الفتاوىٰ الموصلية، وهي تحت يدنا. وهكذا نقله أصحاب الخصائص كالحافظ السُّيوطيِّ، والقسْطلانيِّ وغيرهما، مستدلِّين به علىٰ أنَّ الإقسام علىٰ الله تعالىٰ بالنَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من خصوصيَّاته، وهذا غير ما نحن فيه وهو التوسُّل إلىٰ الله بجاهه مثلًا بدون إقسام عليه.

فإنْ قيل: نقل البرزليُّ في "نوازله" كلام ابن عبد السَّلام، وحمل القَسَم فيه علىٰ التوسُّل، حيث قال أثناء كلامه ما نصُّه: «وتقدَّم جواب عزِّ الدين في

الإقسام على الله بأحدٍ من خلقه، وأنَّه اختار أنْ لا يُتوَسَّل بأحدٍ من خلقه، إلَّا بالنَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم خاصَّة، وتقدَّم ما فيه من مذهب غيره، وما ذكر في حكاياتٍ كثيرةٍ من الوسيلة بالصَّالحين، فأحرى الملائكة والأنبياء».اهـ

فظاهره: أنَّ القَسَم والتوسُّل واحدٌ.

وأَصْرَحُ منه قول أبي عبدالله الفاسي: «إذا كان لا يراد بالقَسَم اليمين، لما عُلم من النَّهي عن القسَم بغير الله تعالى، لم يبقَ إلَّا استعماله في معنى التوسَّل والاستشفاع والتأكيد به، وأطلق القسم على ذلك مجازًا».اهـ

فعلى هذا لا يكون في نقل ابن تيمية خطأ لِمَا تبيَّن أنَّ القسم بمعنى التوسَّل.

فالجواب من وجوه:

الأول: الرَّاجح بل الواقع أنَّ القسم غير التوسَّل كما صرَّح به الحطَّاب وأبو عبدالله القصَّار وغيرهما، لمغايرة حقيقة القَسَم للتوسَّل وتباينهما، وهذا واضحٌ لا يحتاج إلى بيان.

الثاني: أنَّ الذين جعلوا القَسَم بمعنى التوسَّل، اعترفوا بأنَّ ذلك على سبيل المجاز لا الحقيقة[1]، والمجاز خلاف الأصل، وإنَّما ارتكبوه لقرينةٍ قامت

---

(١) ولذلك رجَّح أبو عبدالله الفاسيُّ في آخر كلامه إبقاء القسَم في كلام عزِّ الدين على حقيقته، ونصُّ عبارته: «إنْ حملنا القَسَم على التوسُّل أَشكل ما منعه ابنُ عبدالسَّلام، وإنْ حملناه على حقيقته أَشكل ما رويَ عن معروف، والذي يزول به الإشكال أنْ يكون ابن عبدالسَّلام أبقى القسم على حقيقته، ويكون حديث: «أقسم عليك بمحمدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم» إنْ صحَّ مُخَصِّصًا لحديث النَّهي عن الحلف بغير الله، وأمَّا كلام معروف وما يشبهه فيُحمل فيه القسم على التوسُّل ولا إشكال حينئذ والله تعالى أعلم».اهـ بحروفه.

عندهم، وهي النَّهي عن الحلف بغير الله تعالىٰ، لكنَّ النَّهي عند معظم العلماء للكراهة لا للتحريم، بدليل قوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أفلحَ وأبيه إنْ صدَقْ**» ونحوه من الأحاديث.

علىٰ أنَّ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مُستثنىٰ من هذا النَّهي، فقد أجاز الإمامُ أحمدُ في إحدىٰ الروايتين عنه، الحلف به، وأوجب الكفارة في حنثه لأنَّ الله تعالىٰ أقسم به في قوله تعالىٰ: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢][1]. فإنَّ هذا قَسَمٌ من الله بحياة رسوله، كما عليه أكثر المفسرين من السَّلف والخلف.

قال ابن القيِّم: «بل لا يعرف السَّلف فيه نزاعًا». قال: «فهو أهل أنْ يقسم به، والقسم به أولىٰ من القسم بغيره من المخلوقات».اهـ

ولأنَّه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أحدُ جُزْأي الشَّهادة التي لا يتمُّ إسلام الشخص إلَّا بها، وهذا مَدْرَك عزِّ الدين في جعله الإقسام به من خصائصه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، ولم يتفطَّن لذلك ابنُ تيمية وغيره ممن حمَل كلامَه علىٰ التوسُّل.

الثالث: أنَّ واجب الأمانة العلميَّة يقضي علىٰ ابن تيمية أنْ ينقُلَ كلامَ

قلت: وما رويَ عن معروف الكرخي هو قوله لتلامذته: إذا كانت لكم عند الله حاجة فأقسِمُوا عليه بي، أي فتوسَّلوا إليه بي.

(١) قال الحافظ السُّيوطي في كتابه "الإكليل في استنباط التنزيل " في كلامه علىٰ هذه الآية ما نصُّه: «واستدلَّ بها أحمد بن حنبل علىٰ أنَّ من حلف بالنَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لزمته الكفارة».اهـ بلفظه.

عزِّ الدين بلفظه، ثمَّ يحمل القسم فيه على التوسُّل كما فعل البرزليُّ، ويترك للقارئ أنْ يوازن بين رأيه ورأي من يخالفه في ذلك الحمل، أمَّا أن يطلق القول بأنَّ عزالدين يجعل التوسُّل بالنَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من خصوصياته، قاطعًا بذلك، غير ناظرٍ إلى ما في حمل القسم على التوسُّل من الخلاف، فذلك تدليسٌ لا يرضاه عالمٌ يحترم نفسه ويعتزُّ بكرامته العلميَّة، وأقلُّ ما يقال فيه مع كثير من التغاضي والتساهل أنَّه خطأ.

المسألة الثانية:

ذكر ابن تيمية في فتوى خاصَّة بالتوسُّل، كتبها بمصر سنة ٧١١ هجرية، ما نصُّه: «وقد نُقل في "منسك" المروذيِّ عن أحمد دعاء فيه سؤال بالنَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وهذا قد يخرج على إحدى الرِّوايتين عنه في جواز القسم به، وأعظمُ العلماء على النَّهي في الأمرين».اهـ

وذكر في كتابه "قاعدة جليلة" أثر الرَّجل العليل الذي أتى إلى عبدالملك بن أبجر ليعالجه، وقد مرَّ أواخر الباب السَّابق، وقال ما نصَّه: «فهذا الدُّعاء ونحوه قد رُويَ أنَّه دعا به السَّلف، ونُقل عن أحمد بن حنبل في "منسك" المرْوَذيِّ التوسُّل بالنَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم».اهـ

فانظر -وفَّقك الله- كيف اعترف هنا بأنَّ السَّلف ومنهم الإمام أحمد توسَّلوا بالنَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في دعائهم، ثمَّ وازِنْه بقوله في المسألة السَّابقة: «لم يُنقل عن أحدٍ من الصَّحابة والتَّابعين وسلف الأمَّة، أنَّهم كانوا يدعون بمثل هذا الدُّعاء، ولم يبلغْني عن أحدٍ من العلماء في ذلك ما أحكيه...» إلى آخر ما سبق، تجد بينهما تناقضًا واضحًا.

ولا تنسَ إلى جانب هذا ما قدَّمناه من توسُّل الرَّجل الذي كانت له إلى عثمان بن عفان حاجة، بإرشاد عثمان بن حُنَيف، وذَهاب بلال المزنيِّ إلى قبر النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يستسقي به عام الرَّماده، وإشارة عائشة أم المؤمنين على أهل المدينة حين قحطوا أنْ يكشفوا على قبر النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مبالغةً في الاستشفاع به.

وكل هذا يدلُّك على أنَّ ابن تيمية لا يسلُكُ في بحوثه مسلَكَ العالِم المُنْصِف الذي يحكي آراء مخالفيه بمنتهى الأمانة والدِّقة كما يفعل ابنُ حزم وغيره، بل يحاول بمختلف الأساليب أنْ يؤَثِّر في قارئه ويوهمَه بأنَّ رأيه فقط هو الصَّواب، وأنَّه لا يعرف بين الصَّحابة والتَّابعين وسلف الأمَّة قولٌ يخالف ما اختاره وذهب إليه، إلى آخر التهويلات التي اعتادها في كلامه للتأثير بها على قرائه، بحيث يُشعرك أنَّ رأيه إجماعٌ، ثمَّ لا يلبثُ أن يعترف في غُضون كلامه بإثبات ما نفاه، وهدم ما بناه.

ومن هنا كثر التناقض في كتب ابن تيمية بشكلٍ لم يُعهد في كتب غيره من العلماء، بل يتناقض في الكتاب الواحد عدَّة مرات فيُصحِّح الحديث في موضعٍ، ويُعلّه في موضعٍ آخر، وينفي وجود الخلاف في مسألةٍ، ثمَّ يحكيه فيها بعد ذلك، وهكذا، وما هذا شأن العلماء المنصِفين، وبالله التوفيق.

المسألةُ الثالثةُ، في ترجمة الصَّحابيِّ راوي الحديث:

هو عثمان بن حُنَيف -بالتصغير- ابن واهب بن العكيم بن ثعلبة بن الحارث بن مجدعة بن عمرو بن حبيش بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن أوس الأنصاري الأوسي، يُكنَّى أبا عمرو، وقيل: أبا عبدالله، قال الترمذيُّ:

«شهد بدرًا»، وتفرَّد بذلك، والجمهور على أنَّ أول مشاهده أُحُد، نعم أخوه سهل بن حُنَيف شَهد بدرًا بلا خلاف، قال العسكري: شهد عثمان أُحدًا وما بعدها.

روى عنه أخيه أبو أُمامة بن سهل بن حُنَيف، وعبيد الله بن عبدالله بن عتبة، وعمارة بن خزيمة بن ثابت، ونوفل بن مساحق، وهاني بن معاوية الصدفي.

ولَّاهُ عمر رضي الله عنه مساحة الأرضين وجبايتها وضرب الخراج والجزيَة على أهلها، وولَّاهُ على عليه السَّلام البصرة، فأخرجه طلحة والزُّبير رضي الله عنهما حين قدما البصرة، ثمَّ قدم على عليه السَّلام وكانت وقعة الجمل.

قال ابن عبد البر: «ذكر العلماء بالأثر والخبر أنَّ عمر بن الخطاب استشار الصَّحابة في رجل يوجِّهه إلى العراق، فأجمعوا جميعًا على عثمان بن حُنَيف وقالوا: إنْ تبعثه على أهم من ذلك فإنَّ له بصرًا وعقلًا ومعرفةً وتجربةً، فأسرع عمر إليه فولَّاهُ مساحة أرض العراق، فضرب عثمان رضي الله عنه على كلِّ جَرِيبٍ من الأرض يناله الماءُ غامرًا وعامرًا درهمًا وقفيزًا، فبلغت جباية سواد الكوفة قبل أنْ يموت عمر بعام، مائة ألف ألف، ونيفًا، ونال عثمان بن حُنَيف في نزول عسكر طلحة والزبير البصرة، ما زاد في فضله».اهـ

تُوفِّي رضي الله عنه بالكوفة في خلافة معاوية.

المسألةُ الرابعةُ:

قال أبو عبدالله الفاسي المالكي في "شرح عدة الحصن الحصين": «وعلى اعتبار القياس عليه -يعني حديث توسُّل الضرير- يُقال: كلّ من تصحُّ

شفاعته، يصحُّ التوسُّل به، فيدخل غيره من الأنبياء وكذلك الأولياء».اهـ[١]

قلت: ورد في كل من النوعين حديث، فأمَّا التوسُّل بالأنبياء فورد فيه ما

---

(١) وفي باب «آداب الدُّعاء» من كتاب "نزل الأبرار" (ص٣٧) ما نصُّه: «ومنها التوسُّل إلى الله سبحانه بالأنبياء، ويدلُّ عليه ما أخرجه الترمذيُّ من حديث عثمان بن حُنَيف». وذكر حديث توسُّل الضرير.

ثمَّ قال: «ومنها التوسُّل بالصَّالحين، ويدلُّ له ما ثبت في الصَّحيح أنَّ الصَّحابة استسقَوا بالعبَّاس عمِّ الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم».

ثمَّ قال: «ومسألة التوسُّل بالأنبياء والصَّالحين مما اختلف فيه أهل العلم اختلافًا شديدًا، بلغت النَّوبة إلى أنْ كفَّر بعضهم بعضًا أو بدَّع وضلَّل، والأمر أيسر من ذلك، وأهون مما هنالك وقد قضى الوَطَر منها صاحبُ كتاب "الدين الخالص"، والعلَّامة الشَّوكاني في "الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد" وحاصلها: جواز التوسُّل بهم على ما ورد في الهيئات، وعلى القصر على ما في الرِّوايات، ولا يقاس عليه ولا يزاد عليه شيء، ولا نشكُّ أنَّ من لا يرى التوسُّل إخلاصًا لله ليس عليه إثمٌ ولا وِزْرٌ، ومن توسَّل فما أساء، بل جاء بما هو جائزٌ في الجملة، وكذلك ثبت التوسُّل بالأعمال الصَّالحة كما سبقت الإشارة إليه فيما تقدم، وبالجملة ليست المسألة مستحقة لمثل تلك الزلازل والقلاقل، ولكن مفاسد الجهل والتعصب، ومساوي التقليد والتعسف لا تحصى».اهـ

قلت: صدق فيما قال، فإنَّ التوسل كغيره من المسائل التي اختلف فيها العلماء، ولسنا نعيب من يري تحريمه أو كراهته، بل نحن لا نوافق على كثير من توسُّلات العامَّة وأشباههم، ولكنَّنا نعيب على تجَّار العقيدة وسماسرة العلم، نغمتهم الكريهة التي دأبوا عليها وهي إكفار المتوسِّلين، ورميهم بأنواع الشرك، والحكم بخروجهم عن ربقة الإسلام.

رواه الطبراني في معجميه "الكبير" و"الأوسط" قال: حدَّثنا أحمد بن حماد بن زغبة: ثنا روح بن صلاح: أخبرنا سفيان، عن عاصم، عن أنسٍ رضي الله عنه قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد أم علي رضي الله عنهما دخل عليها رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فجلس عند رأسها فقال: «**رحمكِ الله ياأمِّي، كنتِ أمِّي بعد أمِّي، تجُوعينَ وتُشْبِعينَني، وتَعْرَيْنَ وتكسِينِني وتمنَعِين نفسَك طيبًا وتُطْعِمينني، تريدِين بذلك وجْهَ الله والدَّارَ الآخرةَ**».

ثمَّ أمر أنْ تغسَّل ثلاثًا ثلاثًا، فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور، وضعه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بيده، ثم خلع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قميصَه فألبسها إياه وكفَّنها ببُرد فوقَه.

ثم دعا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمربن الخطاب وغلامًا أسود، يحفرون، فحفروا قبرها، فلما بلغوا اللَّحد، حفره رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بيده، وأخرج ترابه بيده، فلما فرغ دخل فيه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فاضطجع فيه وقال: «**الله الذي يُحيي ويُميت، وهو حيٌّ لا يموتُ، اغفر لأُمِّي فاطمةَ بنتِ أسد، ولقِّنْها حجَّتها، ووسِّعْ عليها مُدخَلَها، بحقِّ نبيِّك والأنبياء الذين من قبلي، فإنَّك أرحمُ الرَّاحمين**». وكبَّر عليها أربعًا، وأدخَلها اللَّحد هو وأبو بكر رضي الله عنهما، إسناده حسن.

وفاطمةُ بنت أسد صحابيَّة فاضلة، قال الشَّعبي: أسلمتْ وهاجرتْ إلى المدينة وماتتْ بها. وقال الزُّبيرُ بن بكَّار: هي أول هاشميَّة ولَدتْ خليفةً، ثم بعدها فاطمة الزهراء عليها السَّلام.

تنبيهان: الأول: فاطمة بنت أسد هي إحدىٰ الفواطم الواردة في الحديث الذي رواه ابن أبي عاصم من طريق أبي فاختة، عن جعدة بن هبيرة، عن عليٍّ عليه السَّلام قال: أهدي إلىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حلَّة إستبرق، فقال: «**اجعلْها خُمُرًا بين الفواطِم**». فشققتُها أربعة أخْمِرة خمارًا لفاطمةَ بنتِ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وخمارًا لفاطمةَ بنتِ أسد، وخمارًا لفاطمةَ بنتِ حمزة. قال الحافظ ابن حجرٍ: «ولم يذكر الرَّابعة، ولعلَّها امرأةُ عَقيل أخي علي رضي الله عنهما».

قلت: واسمُها فاطمةُ بنتُ شيبةَ بن ربيعة بن عبد شمس العبشَمِية، وقيل: فاطمةُ بنتُ عتبة بن ربيعة بن عبد شمس العبشمية، أختُ هند أمِّ معاوية.

الثاني: فاطمةُ بنت أسد هذه، غير فاطمة بنت أبي الأسد المخزوميَّة التي قطعها النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بسبب سرِقة حُلِيٍّ، واستشفع أهلها وقومها إلىٰ النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بغير واحدٍ، حتىٰ استشفعوا بأسامة بن زيد، حبه وابن حبه، فقال له النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أتشفَعُ في حدٍّ من حدُود الله؟**». ولم يَعْفِهَا مِن إقامة الحدِّ عليها. وقيل: اسمها فاطمة بنت الأسود بن عبدالأسد. أسلمتْ وبايعتْ.

وأمَّا التوسُّل بغير الأنبياء فورد فيه الحديثُ الذي رواه أحمد وابن ماجه وابن خزيمة في كتاب "التوحيد"، والطبرانيُّ في "الدعاء"، وأبو نُعيم، وغيرهم، عن أبي سعيدٍ الخدري قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**منْ خرجَ من بيتِه إلى الصَّلاة فقال: اللَّهمَّ إنِّي أسألك بحقِّ السَّائلين عليك، وأسألكَ بحقِّ ممْشَاي هذا، فإنِّي لم أخرجْ أشرًا ولا بَطرًا ولا رياءً ولا**

سُمعةً، وخرجتُ اتِّقاء سخطكَ وابتغاءَ مرضاتِكَ، فأسألك أنْ تعيذَني من النَّار وتغفرَ لي ذنوبي، إنَّه لا يغفرُ الذُّنوب إلَّا أنت، أقبلَ الله عليه بوجهِه واستغفَر له سبعُون ألفِ ملَكٍ».

ضعَّفه النووي في "الأذكار" وليس كذلك، بل هو حديثٌ حسنٌ كما صرَّح به الحافظ أبو الحسن بن المفضل المقدسيُّ المالكيُّ، والحافظ العراقيُّ، والحافظ ابن حجر العسقلانيُّ.

وله مع هذا شاهد من حديث بلال عند ابن السُّني في "عمل اليوم والليلة"، ومن حديث أبي أُمامة عند الطبرانيِّ في "الدعاء".

وهذا الحديث يفيد التوسُّل بحق أرباب الخير على سبيل العموم كما قال ابن علَّان الصِّديقيُّ في "شرح الأذكار".

وروى الطبرانيُّ بإسنادٍ صحيحٍ عن أُميَّة بن عبدالله بن خالد بن أسيد، ومرسلًا: كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يستفتحُ بصعاليك المسلمين. وفي رواية: يستنصِر بصعاليك المسلمين.

وتقدَّم خبر استسقاء عمر بالعبَّاس رضي الله عنهما.

وروى أبو يعلى من طريقين عن جابرٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: **«ليأتينَّ على النَّاس زمانٌ يخرجُ الجيشُ من جُيوشِهم فيقالُ: هل فيكم منْ صَحِبَ محمدًا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؟ فيستنصِرون به فيُنصَرون، ثمَّ يُقالُ: هل فيكم من صَحِبَ محمدًا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؟ فيقالُ: لا، فمن صَحِبَ أصحابَه، فلو سمِعُوا به من وراء البَحرِ لأتَوْه»**. قال الحافظ الهيثميُّ: «رجال الطريقين رجال الصَّحيح».اهـ

وفي "أوسط معاجم الطبرانيِّ" عن أنسٍ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم «لنْ تخلوَ الأرضُ من أربعين رجلًا مثلَ خليلِ الرَّحمن، فبهم تُسقَون وبهم تُنصَرون، ما مات منهم أحدٌ إلَّا أبدَلَ الله مكانَه آخَر».

قال سعيد: وسمعت قتادة يقول: لسنا نشكُّ أنَّ الحسن -يعني: البصري- منهم. قال الحافظ الهيثميُّ: «إسناده حسنٌ»اهـ.

ففي الحديث إرشادٌ إلىٰ الاستشفاع بالأبدال، وهم لا شك من الأولياء، وفي الحديث الذي قبله الإقرار علىٰ الاستنصار بالصَّحابة والتَّابعين.

المسألةُ الخامسةُ: في أذكار تقال لقضاء الحاجة، أحببت أنْ أوردها مع الكلام عليها إتمامًا للفائدة.

١- فمنها: ما رواه الترمذيُّ وابن ماجه والطبرانيُّ وعبد الرَّزاق الطبسيُّ في كتاب "الصَّلاة" له، عن عبدالله بن أبي أوفىٰ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**منْ كانت له إلى الله حاجةً، أو إلى أحدٍ من بني آدم فليتوضَّأْ، ولْيُحسنِ الوضوءَ ولْيُصلِّ ركعتين، ثمَّ لِيُثْنِ على الله، وليُصلِّ على النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ثمَّ ليقلْ: لا إله إلا الله الحليمُ الكريمُ، سبحان الله ربِّ العرشِ العظيمِ، الحمد لله ربِّ العالمين، وأسألكَ مُوجِبات رحمتِكَ، وعزائمَ مغفرتكَ، والغنيمةَ من كلِّ برٍّ، والسَّلامةَ من كلِّ إثمٍ، لا تدعْ لي ذنبًا إلَّا غفرتَه، يا أرحمَ الراحمين، ولاهمًّا إلَّا فرَّجته، ولا حاجةً هي لك رضا إلَّا قضيتَها ياأرحمَ الرَّاحمين**».

زاد ابن ماجه بعد قوله: «**يا أرحمَ الرَّاحمين**»، «**ثمَّ يسأل من أمر الدُّنيا والآخرةِ ما شاءَ فإنَّه يُقَدَّرُ**».

قال التِّرمذي: «غريبٌ، وفي إسناده مقالٌ، وفائِدُ بنُ عبدالرحمن يضعَّف في الحديثِ».اهـ

ورواه الحاكم مختصرًا، وزاد بعد قوله: «**وعزائمَ مغفرتِكَ**»، «**والعِصْمةَ من كلِّ ذنبٍ**»، وقال: «أخرجتُه شاهدًا، وفائدُ مستقيمُ الحديثِ».اهـ ملخَّصًا.

وذكره ابن الجوزيِّ في "الموضوعات" وأعلَّه بفائدٍ، وقال الحافظ السَّخاوي بعد كلام: «وفي الجملة هو حديثٌ ضعيفٌ جدًّا، يكتب في فضائل الأعمال، وأمَّا كونه موضوعًا فلا».اهـ وله شواهد ضعيفة، ستذكر فيما بعد.

٢- ومنها: ما رواه الطبرانيُّ في "الدَّعاء" عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا طلبتَ حاجةً وأوردتَ أنْ تَنْجَحَ فقلْ: لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له العليُّ العظيمُ، لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له ربُّ السَّماواتِ والأرضِ وربُّ العرشِ العظيمِ**، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٦]، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ بَلَٰغٌۢ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥]. **اللَّهمَّ إنِّي أسألكَ مُوجِباتِ رحمتِكَ، وعزائمَ مغفرتِكَ، والسَّلامةَ من كلِّ إثمٍ، والغنيمةَ من كلِّ برٍّ، والفوزَ بالجنَّة، والنَّجاةَ من النَّار، اللَّهمَّ لا تدعْ لنا ذنبًا إلَّا غفرتَه، ولا همًّا إلا فرَّجْتَه، ولاحاجةً هي لك رضاءٌ إلَّا قضَيتَها ياأرحمَ الرَّاحمِين**».

في سنده أبو معمر عباد بن عبد الصمد، وهو ضعيفٌ جدًّا.

٣- ومنها: ما رواه الأصبهانيُّ في "الترغيب" عن أنسٍ أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**يا عليُّ ألا أُعلِّمُكَ دعاءً إذا أصابكَ غمٌّ أو همٌّ تدعو به ربَّكَ فيُسْتجابُ لك بإذنِ الله، ويفرَّج عنك؟ توضَّأ وصلِّ ركعتين واحمدِ الله وأثْنِ**

عليه وصلِّ على نبيِّك، واستغفرْ لنفسك وللمؤمنين والمؤمنات، ثمَّ قلْ: اللَّهمَّ أنت تحكمُ بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون لاإله إلَّا الله العليُّ العظيمُ، لاإله إلَّا الله الحليمُ الكريمُ سبحان الله ربِّ السَّماواتِ السَّبعِ وربِّ العرشِ العظيمِ، الحمد لله ربِّ العالمين، اللَّهمَّ كاشفَ الغَمِّ، مفرِّج الهمِّ، مجيبَ دعوةِ المضطرين إذا دعوكَ، رحمن الدُّنيا والآخرةِ ورحيمَهما، فارحمْني في حاجَتي هذه بقضائِها ونجاحِها رحمةً تُغنيني بها عن رحمةِ مَنْ سِواكَ» إسناده ضعيف.

٤- ومنها: ما رواه الديلميُّ في "مسند الفردوس" من طريق شَقِيق بن إبراهيم البلخيِّ -العابد المشهور- عن أبي هاشم، عن أنسٍ، عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «من كانت له حاجةٌ إلى الله، فليُسبغْ الوضوءَ وليصلِّ ركعتين، يقرأ في الأولى: بفاتحةِ الكتابِ وآيةِ الكرسيِّ، وفي الثانية: بفاتحة الكتاب وآمنَ الرَّسولُ، ثمَّ يتشهَّد ويُسلِّم ويدعو بهذا الدُّعاء: اللَّهمَّ يا مُؤنِس كلِّ وحيدٍ، ويا صاحب كلِّ فريدٍ، ويا قريبًا غير بعيدٍ، ويا شاهدًا غير غائبٍ، ويا غالبًا غير مغلوبٍ، يا حيُّ يا قيوم، ياذا الجلالِ والإكرامِ، يا بديعَ السَّموات والأرض، أسألك باسمِك الرَّحمن الرحيم، الحيِّ القيُّوم الذي عنَتْ له الوجوه، وخشعتْ له الأصواتُ، ووجِلتْ له القلوبُ من خشيته. أنْ تصلِّي على محمَّدٍ وعلى آل محمَّدٍ، وأنْ تفعل بي كذا وكذا. فإنَّه تُقضى حاجتُه».

أبو هاشم واسمه كثير بن عبدالله الأيلي: متروك الحديث، ضعيفٌ جدًّا.

٥- ومنها: ما رواه عبد الرزَّاق الطبسي في "كتاب الصَّلاة" له عن أنسٍ أيضًا قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، لأمِّ أيمن: «إذا كانت لك حاجةٌ وأردتَ نجاحَها، فصلِّي ركعتين تقرئين في كل ركعةٍ الفاتحة، وتقولين:

سبحان الله والحمد لله ولا إله إلَّا الله والله أكبر، كلّ واحدةٍ عشرًا، فكلَّما قلتِ شيئًا من ذلك قال الله عزَّ وجلَّ: هذا لي قد قبلتُه، فإذا فرغتِ منها وتشهَّدتِ فاسجدي قبل السَّلام، وقولي وأنتِ ساجدةٌ: يا الله أنت الله لا غيرك، يا حيُّ يا قيُّوم، يا ذا الجلال والإكرام، صلِّ على محمَّدٍ، وعلى آله الطيِّبين الأخيار، واقضِ حاجتي هذه يا رحمنُ، واجعل الخيرة في ذلك، إنَّك على كل شيءٍ قديرٌ، يا أمَّ أيمن إنَّ العبدَ إذا ذكر الله في السَّراء ونزلَ به ضرٌّ، قالت الملائكة: صوتًا معروفًا، اشفعوا له إلى ربه عزَّ وجل وأمِّنُوا على دعائه، فيكشفُ الله عنه، ويقضي حاجتَه». قال الحافظ السَّخاويُّ: «سنده واهٍ بمُرَّة».اهـ

٦- ومنها: ما رواه ابن الجوزيِّ في "الموضوعات" من طريق أبان بن أبي عياش، عن أنسٍ، عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «منْ كان له إلى الله حاجةً عاجلةً أو آجلةً، فليقدِّمْ بين يديه صدقةً، فلْيصُمِ الأربعاءَ والخميسَ والجُمُعة، ثمَّ يدخلْ يوم الجُمُعة إلى جامعٍ فليصلِّ اثنتي عشرةَ ركعةً يقرأ في عشرِ ركعاتٍ في كلِّ ركعةٍ: الحمدُ مرة، وآية الكرسيِّ عشرَ مراتٍ، ويقرأ في الركعتين الحمد مرة، و«قل هو الله أحد» خمسين مرةً، ثم يجلس ويسأل الله حاجته فليس يردُّه من حاجةٍ عاجلةٍ أو آجلةٍ إلا قضاها له».

قال ابن الجوزي: «أبان متروك».

قلت: أبان واهٍ بمرة، على صلاحه.

٧- ومنها: ما رواه الحاكم والبيهقي عن ابن مسعود رضي الله عنه، عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «اثنتا عشرة ركعة تصليهنَّ من ليلٍ أو نهارٍ وتتشهد بين كلِّ ركعتين، فإذا تشهدتَ في آخر صلاتك فأثْنِ على الله عزَّ وجلَّ،

وصلِّ على النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وأقرأ وأنت ساجد فاتحةَ الكتاب سبعَ مرات، وآيةَ الكرسيِّ سبعَ مرات، وقل: لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، له الملكُ وله الحمدُ وهو على كلِّ شيء قدير. عشر مرات، ثمَّ قلْ: اللَّهمَّ إنِّي أسألك بمعَاقِد العزِّ من عرشك، ومنتهى الرَّحمة من كتابك واسمِك الأعظمِ وجدِّك الأعلى وكلماتِك التَّامةِ، ثمَّ سلْ حاجتك، ثمَّ ارفعْ رأسَك، ثمَّ سلِّمْ يمينًا وشمالًا، ولا تعلِّمُوها السُّفهاءَ. فإنَّهم يدعُون بها فيُستَجابون».

قال الحاكم: «قال أحمد بن حرب: قد جرَّبته فوجدته حقًّا، وقال إبراهيم بن علي الدبيلي: قد جرَّبته فوجدته حقًّا، وقال لنا أبو زكريا: قد جرَّبته فوجدته حقًّا»، قال الحاكم: «قد جرَّبته فوجدته حقًّا».

قلت: لكن سنده واهٍ بمُرَّة كما قال الحافظ السَّخاوي، وذكره ابن الجوزي في الواهيات، ونقل الحافظ المُنذريُّ عن شيخه الحافظ أبي الحسن المقدسيِّ: «أنَّ الاعتماد في مثل هذا على التَّجربة لا على الإسناد».اهـ

لكنْ لا يُعتقد مع ذلك وروده عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، لئلَّا يقع في وعيد الكذب عليه، وأصحُّ طرق هذا الحديث -كما قال الحافظ السَّخاوي- ما رواه هُشَيم بن أبي ساسان عن ابن جريج عن عطاء، وليس عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

٨- ومنها: ما رواه أبو موسى المديني وأبو عبدالله النميري، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: من كانت له إلى الله حاجة، فليصُمْ يوم الأربعاء والخميس والجُمعة، فإذا كان يوم الجُمعة تطهَّر وراح إلى المسجد، فتصدَّق بصدقة قلَّت أو كثرت فإذا صلَّى الجُمعة قال: اللَّهم إنِّي أسألك باسمِك بسم الله

الرَّحمن الرحيم الذي لاإله إلَّا هوعالِمُ الغيب والشَّهادة الرَّحمن الرحيم، أسألك باسمِك بسم الله الرَّحمن الرحيم الذي لاإله إلَّا هو الحيُّ القيُّوم لا تأخذه سنةٌ ولا نومٌ، الذي ملأت عظمته السَّموات والأرض، وأسألك باسمك بسم الله الرَّحمن الرحيم الذي لا إله إلَّا هو الذي عنت له الوجوه، وخشعت له الأبصار، ووجلت له القلوب من خشيته، أنْ تصلِّي على محمدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وأن تقضي حاجتي وهي كذا وكذا، فإنَّه يُستجاب له إن شاء الله تعالى.

قال: وكان يقال: لا تعلِّموه سفهاءَكم، لئلَّا يدعوا به في مأثمٍ أوقطيعةٍ رحم، وهذا موقوفٌ على ابن عمر.

٩- ومنها: ما رواه الدينوري في "المجالسة" عن الحسن البصري أنَّه قال: هذا الدُّعاء هو دعاء الفرج ودعاء الكرب: يا حابسَ يدِ إبراهيمَ عن ذبحِ ابنه وهما يتناجَيان اللّطفَ يا أبتِ ،يا بنيَّ، يا مُقيِّضَ الرَّكبِ ليوسفَ في البلد القَفْر وغيابة الجبّ، وجاعلَه بعد العبودية نبيًّا ملِكًا، يا من سمعَ الهمْسَ من ذي النُّون في ظلماتٍ ثلاثٍ: ظلمةِ قعْرِ البحرِ، وظلمةِ الليلِ، وظلمةِ بطنِ الحوتِ، يا رادَّ حُزْنِ يعقوبَ، ويا راحمَ عبرةِ داودَ، يا كاشفَ ضرَّ أيوبَ، يا مجيبَ دعوةِ المضطرين، يا كاشفَ غمِّ المهمومين، صلِّ على محمَّدٍ وعلى آل محمَّدٍ، وأسألكَ أنْ تفعلَ بي كذا وكذا.

ومنها: ما رواه عبدالرَّزاق الطبسي عن ابن عباس مرفوعًا: «**منْ كانتْ له حاجةٌ إلى الله، فليقُمْ في موضعٍ لا يراه أحدٌ، وليتوضأْ وضوءًا سابغًا، وليصلِّ أربعَ ركعاتٍ يقرأ في كلِّ ركعةٍ منها الفاتحةَ مرَّةً، و﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾**

[الإخلاص: ١] في الأولى عشرًا، وفي الثانيةِ عشرين وفي الثالثةِ ثلاثين، وفي الرابعةِ أربعين، فإذا فرغ من صلاته قرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، أيضًا خمسين مرَّةً، وصلَّى على النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم سبعين، وقال: لا حول ولا قوة إلَّا بالله سبعين، فإنْ كان عليه دينٌ قضى الله دينَه، وإن كان غريبًا ردَّه الله، وإن كان عليه ذنوبٌ مثلُ عَنانِ السَّماءِ -يعني: السَّحابَ- ثمَّ استغفر ربَّه، يغفر له وإنْ لم يكنْ له ولدٌ يرزقْهُ الله ولدًا، فإنْ دعاه أجابَه، وإن لم يدعُه يغضبْ عليه وكان يقول: لا تعلِّموها سفهاءَكم فيستعينُوا بها على فسْقِهِم». قال الحافظ السَّخاوي سنده تالف.

١١- ومنها: ما رواه الديلمي في موضعين من "مسند الفردوس" عن الربيع حاجب المنصور، قال: لما استقرت الخلافة لأبي جعفر المنصور قال لي: يا ربيع ابعثْ إلى جعفر بن محمد الصَّادق من يأتيني به، ثمَّ قال لي بعد ساعة: ألمْ أقل أنْ تبعث إلى جعفر بن محمد، فوالله لتأتيَنِّي به وإلا قتلتُك، فلم أجِدْ بدًا فذهبتُ إليه، فقلتُ: يا أبا عبدالله أجبْ أميرَ المؤمنين فقام معي، فلما دنَونا من البابِ، قام يحرِّك شفتيْه ثمَّ دخل فسلَّم عليه فلم يردَّ عليه، فوقفَ فلم يُجْلسْه، ثمَّ رفع رأسَه إليه فقال: يا جعفر أنت الذي ألَّبْت علينا وأكثرتَ، وحدَّثني أبي عن أبيه عن جده أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «لكلِّ غادرٍ لواءٌ يومَ القيامةِ يُعرَفُ به».

فقال جعفر: حدَّثني أبي عن أبيه عن جده أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، قال: «ينادي منادٍ يومَ القيامةِ من بطْنَان العرشِ، ألا فلْيقمْ من كان أجرُه على الله تعالى، فلا يقومُ إلَّا من عفَا عن أخِيه». فما زال يقول حتى سكن ما به

ولان له، فقال: اجلسْ أبا عبد الله، ارتفع أبا عبد الله، ثمَّ دعا بمُدْهُنٍ غاليةٍ فجعل يُخلِّقُه بيده والغاليةُ تقْطُر من بين أنامل أمير المؤمنين، ثمَّ قال: انصرفْ أبا عبدالله في حفظ الله. قال لي: يا ربيع أتبعْ أبا عبدالله جائزته وأضعِفْ له، قال: فخرجتُ، فقلتُ: أبا عبدالله تعلَمُ محبتي لك؟ قال: نعم، أنت يا ربيع منَّا، حدَّثني أبي عن أبيه عن جده أنَّ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مولى القومِ من أنفسِهم**»، فقلتُ: يا أبا عبدالله شهدت ما لم تشهد وسمعت ما لم تسمع، وقد دخلتَ عليه ورأيتُك تحرِّك شفَتَيْك عند الدُّخول عليه، فهل هذا شيء تقوله من عندك؟ أوشيء تأثره عن آبائك الطيبين؟

قال: بلىٰ حدَّثني أبي عن أبيه عن جده رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان إذا حزبه أمر دعا بهذا الدُّعاء: «**اللَّهمَّ احرسْني بعينِك التي لاتنام، واكنُفني بركنِك الذي لا يُرام، وارحمني بقدرتك عليَّ، فلا أهلَكُ وأنت رجائي، فكم من نعمةٍأنعمتَ بها قلَّ لكَ بها صبري. فيا منْ قَلَّ عند نعمتِه شُكري فلم يحرمْني، ويا من قلَّ عند بليَّتِه صَبري، فلم يخذُلْني، ويا من رآني على الخطايا فلم يفضَحْني، يا ذا المعروفِ الذي لا ينقضي أبدًا، وياذا النَّعماء التي لا تُحصى عددًا، أسألك أنْ تُصلِّي على محمَّدٍ وعلى آل محمَّدٍ، وبك أدْرأ في نُحُور الأعداء والجبَّارين، اللَّهمَّ أعنِّي على ديني بالدُّنيا، وعلى آخرتي بالتَّقوى، واحفظْني فيما غبتُ عنه ولا تكِلْني إلى نفسي فيما حظَرتَه عليَّ، يا من لا تضرُّه الذّنوبُ، ولا ينقصُه العفْوُ، هبْ لي مالا ينقصُكَ، واغفرْ لي مالا يضرُّك، إنَّكَ أنت الوهَّاب. أسألك فرجًا قريبًا، وصبرًا جميلًا، ورزقًا واسعًا، والعافيةَ من البلايا، وشكرَ العافية**».

وفي رواية زيادة «**وأسألكَ تمامَ العافيةِ، وأسألك دوامَ العافيةِ، وأسألك الشّكر على العافية، وأسألك الغِنى عن النَّاس، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم**». قال الحافظ السَّخاويُّ: «سنده ضعيفٌ جدًّا».اهـ

١٢- ومنها: ما رواه العقيليُّ في "الضعفاء" وأبو يعلىٰ والطبرانيُّ والبيهقيُّ في "الدعوات" و"فضائل الأوقات" عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ما منْ عبدٍ ولا أَمَة دعا الله ليلةَ عرفةَ بهذه الدَّعواتِ -وهيَ عشرُ كلماتٍ- ألفَ مرةٍ إلَّا لم يسأل الله شيئًا إلَّا أعطاه، إلَّا قطيعةَ رحِمٍ أو مأثمًا: سبحانَ الذي في السَّماءِ عرشُه، سبحان الذي في الأرضِ موطئُه، سبحان الذي في البحرِ سبيلُه، سبحان الذي في النَّار سلطانُه، سبحان الذي في الجنَّة رحمتُه، سبحان الذي في القبور قضاؤُه، سبحان الذي في الهواء روحُه، سبحان الذي رفعَ السَّماءَ، سبحان الذي وضعَ الأرضَ، سبحان الذي لا ملجأَ ولا منجا منه إلَّا إليه**».

قال البيهقي: «زاد بعض رواته: **أنْ تكونَ على وضوءٍ فإذا فرغتَ من آخره صلَّيت على النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وأستأنفْ حاجتَك**». أي: استأنف طلب حاجتك من الله، وادع بما شئت غير الإثمِّ وقطيعة الرَّحم. وهذا الحديث ذكره ابن الجوزي في "الموضوعات"، وتُعقِّب، والصَّواب أنَّه ضعيف.

١٣- ومنها: ما رواه الحاكم عن عائشة رضي الله عنها مرفوعًا: «**من قال: الحمد لله ربِّ العالمين أربعَ مرَّات، فإنَّ قالها الخامسةَ، نادى ملَك من حيثُ لا يُسمعُ صوتُه: إنَّ الله قد أقبلَ عليكَ فسَلْهُ**». أورده ابن الجوزيُّ في "الموضوعات"، وتعقَّبه الحافظ في "أماليه" فقال: «هو حديثٌ حسنٌ، وأيَّده

بالحديث القدسي: «**من شغَلَه ذكري عن مسألتي أعطيتُه قبلَ أنْ يسألني**». وفي رواية: «**أعطيتُه أفضلَ ماأعطِي السَّائلين**».

١٤ - ومنها: ما رواه ابن منده في "مسند إبراهيم بن أدهم" عن عمر وعليٍّ رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**من دعا بهذه الأسماءِ استجابَ الله له: اللَّهمَّ أنت حيٌّ لا يموت، وأنت خالقٌ لا تُغلب، وأنت بصيرٌ لا ترتاب، وسميعٌ لا تشك، وصادقٌ لا تكذب، وغالبٌ لا تغلب، وأبديٌّ لا تنفَذ، وقريبٌ لا تبعُد، وغافرٌ لا تظلَم، وصمدٌ لا تُطْعَم، وقيُّومٌ لا تنام، ومجيبٌ لا تَسْأَم، وجبارٌ لا تُقْهَر، وعظيمٌ لا تُرام، وقويٌّ لا تَضْعُف، ووفيٌّ لا تُخلِفُ، وعدلٌ لا تَحِيفُ، وغنيٌّ لا تفتَقِر، وحليمٌ لا تجُور، ومنيعٌ لا تُقْهَر، ومعروفٌ لا تُنْكَر، ووكيلٌ لا تُحقَر، وقديرٌ لا تَستَأمر، وفردٌ لا تستشير، ووهابٌ لا تملُّ، وسريعٌ لا تذْهَل، وجوادٌ لا تبخَل، وعزيزٌ لا تذلّ، وقائمٌ لا تنام، ومحتجبٌ لا تُرى، وحافظٌ لا تَغفل، ودائمٌ لا تَفنى، وباقٍ لا تَبلى، وواحدٌ لا تشبهُ، ومقتدرٌ لا تُنازع**».

وذكر في آخر الحديث أنَّ من دعا بهذه الأسماء لأي شيءٍ أجيب، وذكره ابن الجوزي في "الموضوعات"، قال: «وقد روي من طريق مظلم فيه مجاهيل، وفيه زيادات ونقصان». قلت: الطريق الذي أشار إليه رواه أبو نُعيم في الحلية، بإسناده.اهـ

١٥- ورواه ابن النَّجار في "تاريخه"، وجاء في روايته: «**اللَّهمَّ إنِّي أسألك ولا أسأل غيرَك، أرغبُ إليك ولا أرغبُ إلى غيرِك، وأسألكَ يا أمانَ الخائفين، وجارَ المستجيرين، مفيضَ الخيرات، مُقيلَ العَثَراتِ، ممحِي السيئاتِ، كاتبَ**

الحسناتِ، رافعَ الدَّرجاتِ وأسألك بأفضلِ المسائلِ كلِّها، أعظمِها وأنجحِها الذي لا ينبغي أنْ يسألوك إلَّا بها، يا الله يا رحمنُ، وباسمِك وبأسمائِك الحسنى، وبأمثالك العُليا، ونعمتِك التي لا تُحصى، وبأكرمِ أسمائِك عليك، وأحبِّها إليك، وأشرفِها عندك منزلةً، وأقربِها منك وسيلةً، وأجزلها منك ثوابًا، وأسرعها منك إجابةً، وباسمك المكنون المخزون الجليل الأجلّ الأعظم الذي تحبُّه وتهواه، وترضى عمَّن دعاك به، وتستجيبُ له دعاءه، وحقًّا عليك ألَّا تحرِم سائلَكَ وبكلِّ اسم هو لك علَّمته أحدًا من خلقك، أو لم تعلمه أحدًا، وبكل اسم دعاك به حملة عرشك وملائكتك، والرَّاغبون إليك، والمتعوِّذون بك، والمتضرِّعون إليك، وبحقِّ كل متعبِّدٍ لك في بَرٍّ أو بحرٍ أوسهلٍ أو جبلٍ، وأدعوك دعاءَ من اشتدَّتْ إليك فاقتُه، وعظُمَ حزنُه، وأشرفَ على الهلَكةِ، وضعُفَت قوَّتُه، ومن لا يثقُ بشيء من عملٍ، ولا يجد لفاقتِهِ ولا لذنبه غافرًا غيرَك، ولا مغيثًا سواك، هربتُ إليك معترفًا غير مستنكف، ولا مستكبر عن عبادتك بائسًا حقيرًا متحيرًا.

وأسألك بأنَّك الله الذي لا إله إلَّا أنت الحنَّان المنَّان، بديعُ السَّماوات والأرض، ذو الجلال والإكرام، عالم الغيب والشَّهادة، الرَّحمن الرحيم، أنت الربُّ وأنا العبدُ، وأنت الملك وأنا المملوكُ، وأنت العزيز وأنا الذليلُ، وأنت الغنيُّ وأنا الفقيرُ، وأنت الحيُّ وأنا الميتُ، وأنت الباقي وأنا الفاني، وأنت المحسنُ وأنا المسيءُ، وأنت الغفور وأنا المذنبُ، وأنت الخالقُ وأنا المخلوقُ، وأنت القويُّ وأنا الضعيفُ، وأنت المعطي وأنا السَّائلُ، وأنت الآمن وأنا الخائفُ، وأنت الرَّزاقُ وأنا المرزوقُ، وأنت أحقُّ مَن شكوتُ إليه، واستعنتُ به

وسألتُه ورجوتُه، كم من ذنبٍ قد غفرتَ، ومن مسيءٍ قد تجاوزتَ عنه، فاغفرْ لي وتجاوزْ عني ثمَّ تطلبُ حاجتَك».

وهذا الحديث -وإن كان عظيمًا يشتمل على جملٍ في توحيد الله وتنزيهه، والتضرع إليه- ليس بصحيحٍ كما تقدَّم.

قلت: هذه جملة من الأذكار والدعوات، التي تقال عند عُروض حاجة لتقضي، وهي كما ترى ضعيفة جدًّا، بل منها ما أُدرج في الموضوعات، وما تركناه منها أشد ضعفًا مما ذكرنا.

بخلاف حديث الضرير فإنَّه صحيحٌ على شرط الشَّيخين كما تقدم، فيتعين العمل به دون غيره مما ورد في هذا الباب[1]، لثبوتها عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ولعمل النَّاس به على مر الأزمان.

قال الحافظ السَّخاويُّ في "القول البديع" (ص ١٨١) ما نصُّه: «وأمَّا الصَّلاة عليه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في الأحوال كلِّها، ومن تشفَّع بجاهه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وتوسَّل بالصَّلاة عليه، فبلغ مراده وأنجح قصده، وقد أفردوا ذلك بالتصنيف، ومن ذلك حديث عثمان بن حُنَيف الماضي وغيره، وهذا من المعجزات الباقية على مرِّ الدهور والأعوام، وتعاقب العصور

---

(١) نعم، يجوز استعمال تلك الأذكار التي أوردناها لمن أراد ذلك لكن لا يعتقد ثبوتها عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لأنَّها لم تصحَّ عنه، وليس من شرط الدعاء أن يكون واردًا فللإنسان أن يدعو بما شاء من غير تقييد ولا تضييق، وإن كان الدعاء بالوارد أفضل، وعلى هذا يتعين العمل بحديث الضرير لمن أراد أن يتقيد بالوارد في هذا الباب.

والأيام، ولو قيل: إنَّ إجابات المتوسِّلين بجاهه عقب توسلهم، يتضمَّن معجزات كثيرة بعدد توسلاتهم لكان أحسن، فلايطمع حينئذ في عدِّ معجزاته حاصر، فإنَّه لو بلغ ما بلغ منها حاسرٌ قاصرٌ».اهـ

وذكر القسطلَّاني في "المواهب اللدنية" أواخر الجزء الثاني في الكلام عن الزيارة النَّبويَّة الشريفة أنَّه توسَّل بالنَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في حادثةٍ مرت به، وفي حادثةٍ صرع بجاريته، فأجاب الله طلبه في كلتيهما عاجلًا بدون تأخير.

والمقصود أنَّ التوسُّل بالنَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم جائزٌ في جميع الحالات، واستمرَّ عليه عمل النَّاس منذ عهد الصَّحابة وهلمَّ، لم يخالف في ذلك إلَّا ابن تيمية وقلَّده شذاذ من النَّجديين القَرنيين في هذه العصور المتأخرة، فأوجدوا فرقةً واختلافًا، وكان ظهورهم من جملة عوامل انحلال المسلمين، وضعف شوكتهم، وتشتيت كلمتهم، فلا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم، ولله الأمر من قبل ومن بعد، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

هذا آخر الجزء نسأل الله أنْ يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأنْ يجعلنا وسائر أهلنا وعشيرتنا وأحبابنا من المقبولين لديه، وأنْ يستر عوراتنا، ويؤمن روعاتنا، وينجينا من آفات الوقت وأهواله، إنَّه سميعٌ قريبٌ مجيب.

وصلَّىٰ الله علىٰ سيِّدنا محمَّدٍ وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا، والحمد لله ربِّ العالمين

٧- أسبابُ الخَلاصِ
مِن الأَخْطَاءِ الوَاقِعَةِ في كتاب
"تَحْقِيقِ كَلِمَةِ الإخْلَاصِ"

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله مُحِقِّ الحقَّ ومُبطِلِ الباطلَ، وواهب العقل للتمييز بين الحالي والعاطل، والصَّلاة والسَّلام على سيدنا محمَّدٍ المؤيَّد بباهر المعجزاتِ وواضح الدلائل، ورضي الله عن آله نجومِ الهدى ورجوم العدى وزينةِ المحافل.

وبعد: فقد اطلعت أخيرًا على رسالة "تحقيق كلمة الإخلاص" المطبوعة بتحقيق الأستاذين الشَّيخ محمود خليفة المدرس بكلية الشَّريعة، والشَّيخ أحمد الشرباصي المدرس بمعهد القاهرة.

وكنتُ أعرف الأستاذ الشرباصي قبل هذا خبيرًا بصناعة الإنشاء يحسن إنشاء المقالات الممتعة في مدح هذا والتزلّف إلى ذاك، أو في وصف رأس البر وما فيه من مفاتن الطبيعة وغيرها وما إلى هذا مما لا يتصل بالعلم في قليل ولا كثير، أمَّا أنَّه يرتقي إلى تحقيق الكتُب العلميَّة والتعليق عليها خصوصًا ما كان منها متعلق بعلم الحديث فذلك كان موضع الدهشة عندي حينما رأيتُ اسمَه على الرسالة المذكورة؛ لأنَّ الشَّيخ الشرباصي -حفظه الله- بعيدٌ عن التحقيق العلميِّ كلَّ البعد بل لو سئل سؤالًا بسيطًا يتصل بصميم العلم لم يُحِرْ جوابًا ولستُ متجنيًا عليه في هذا ولكنِّي أقول ما أقوله عن معرفة وتجربة.

أبو الفضل

عبدالله الصِّدِّيق الغماري

تحقيق كلمة الاخلاص

للحافظ أبي الفرج زينِ الدين ابن رجب الحنبليِّ الواعظ المشهور رسالة صغيرة اسمها "تحقيق كلمة الإخلاص" وهي تتعلق بشرحِ هذه الكلمة وثوابِها وما ورد فيها من الفضائل، طبعت كما قدمنا بتحقيق الأستاذين الفاضلين، ويظهر أنَّ فضيلة الأستاذ الجليل الشَّيخ محمود خليفة اعتمد في ضبط الرسالة وتحقيقها على مجهود الشَّيخ الشرباصي فجائت الرسالة آية في الأغلاط العلمية والتاريخية واللغوية مما أفردنا لبيانه هذه الرسالة: "أسباب الخلاص من التحريف الواقع في تحقيق كلمة الإخلاص".

وإني وإن كنت على صلة وثيقة بالأستاذين الفاضلين خصوصًا فضيلة الأستاذ محمود خليفة الذي يرجعُ تاريخ صداقتي به إلى نحو خمسةَ عشرَ عامًا وأكنُّ له كلَّ احترام وإجلال، لكنِّي مع ذلك لم أر بُدًّا من التنبيه على هذه الأغلاط؛ لأنَّها من باب النصيحة في العلم، والنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**تناصَحُوا في العلمِ ولا يكتُم بعضُكم بعضًا فإنَّ خيانةً في العلمِ أشدُّ من خيانةٍ في المال والله سائلُكم عنه**» والحديث.

وإنْ كان في إسناده مقالٌ فهو بمجموع طرقه المتعددة محتمل للتحسين كما قال شقيقنا الحافظ أبو الفيض أحمد بن الصِّديق في خطبة كتابه "العتب الإعلاني لمن وثَّق صالحًا الفلاني" يؤيده الحديث الصَّحيح المعروف «**الدينُ النَّصيحة**».

وقد أتى بعضُ الناس إلى الإمام أحمد بن حنبل فسأله عن بعض رواة الحديث فجرحه الإمام أحمد وطعنَ فيه فأخبره السَّائل بأنَّه قريبٌ له وكان

السَّائل من أصدقاء الإمام أحمد فأجابه الإمام بقوله: «لا محاباةَ في العلمِ».

وإني أرجو أنْ يكون فضيلة الأستاذ الشَّيخ محمود خليفة على هدي شقيقه فضيلة الأستاذ الجليل الشَّيخ عبدالرحمن خليفة فقد كان رحمه الله واسع الصَّدر شديدَ الإنصاف يعترف بالخطأ إذا نبَّهه عليه أحدٌ، ويشكر من نبهه إليه، فارتفع بذلك قدره بين أصدقائه وسائر قرائه رحمه الله وأكرم مثواه.

وهذا حين الشروع في المقصود وبالله التوفيق.

الأخطاء الواقعة تحقيق كلمة الاخلاص

١ - كيف يمكن أن يجيز النوويُّ لابن رجب.

في ترجمة ابن رجب (صفحة ٥): «قدم ابنُ رجب من بغداد مع والده إلى دمشق وهو صغير سنة أربعٍ وأربعين وسبعمائة وأجازه ابن النَّقيب والنوويُّ».اهـ

وهذا خطأٌ واضحٌ لا يقع فيه من ألمَّ بشيءٍ من علمِ الرجال؛ ذلك لأنَّ النوويَّ تُوفي في الرابع والعشرين من شهر رجب سنة ست وسبعين وستمائة رحمه الله ورضي عنه، وابن رجب ولد ببغداد سنة ست وثلاثين وسبعمائة -كما في "انباء الغمر في أبناء العمر" للحافظ ابن حجر، فبين وفاة النوويِّ وولادة ابن رجب نحو ستين سنة، فكيف يمكن أنْ يجيز أولهما لثانيهما إلَّا أنْ يكون في المنام ؟!

٢ - «النَّجاريّ» لا «البخاريّ»:

في ترجمة أنس بن مالك (صفحة ٨): «هو الصحابيُّ الجليل أبو حمزة أنس بن مالك الأنصاريُّ البخاريُّ».

ولفظ البخاريِّ خطأ لا يحتاج إلى بيان والصواب: النجاري -بالنون والجيم- كما في "الاستيعاب" وغيره، نسبة إلى أحد أجداده إذ هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار الأنصاري النجاري الخزرجي.

٣- تحقيق الخلاف في اسم أبي هريرة:

في ترجمة أبي هريرة (صفحة ٩): «هو الصحابي المعروف أبو هريرة عبدالرحمن بن صخر».

والاقتصار على هذا يقتضي أنه ليس في اسم أبي هريرة خلاف، مع أن في اسمه واسم أبيه خلافًا كبيرًا، قال الحافظ ابنُ عبد البرِّ: «اختلفوا في اسم أبي هريرة واسم أبيه اختلافًا كثيرًا لا يُحاط به ولا يُضبط في الجاهلية والإسلام».اهـ

والخلاف في ذلك مبسوطٌ في كتاب "الكنى والأسماء" لأبي أحمد الحاكم، و"الاستيعاب" لابن عبد البر، و"الإصابة" و"تهذيب التهذيب" للحافظ ابن حجر، وغيرها فلا نطيلُ به هنا، ثم رجَّح أبو عبيد وغيره أنَّ اسمه عبدالله بن عامر أو ابن عائذ، فالواجب في مثل هذا أن يُقال: اسمه كذا على الراجح مثلًا، كما قال النوويُّ في مواضع من كتبه: «اسم أبي هريرة: عبدالرحمن بن صخر على الأصحِّ من ثلاثين قولًا».اهـ

٤- أبو هريرة لم يتولَّ وظيفة في عهد النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم:

وفي (ص:٩) أيضًا: «وولاه الرسول ذات مرة ولاية المدينة».اهـ

وهذا شيءٌ لا يُعرف ولا يصحُّ، والمعروف في كتب السِّير والتاريخ وتراجم الصحابة أنَّ عمر استعمله على البحرين، ثمَّ عزله ثمَّ أراده على العمل فأبى، ثمَّ تولى إمرة المدينة غير مرة تناوبها هو ومروان بن الحكم في عهد معاوية، أمَّا في عهد النبوَّة فلم يلِ أبو هريرة شيئًا من الوظائف سِوى حراسة أموال الصَّدقة، وقصته مع الشيطان الذي كان يسرقُ منها معروفةٌ، أوردناها في الجزء الأول من فضائل القرآن.

٥- «سعد» لا «سعيد»، و«سنان» لا «شيبان»:

في ترجمة أبي سعيد الخدري (ص١٠): «هو الصحابي الجليل أبو سعيد

سعيد بن مالك بن شيبان الخدري». وفي هذه الجملة غلطان أحدُهما في اسم أبي سعيد إذ أن اسمه سَعْد -بفتح السين وسكون العين- لا سعيد، والثاني في اسم جده إذ هو سِنان -بكسر السين المهملة وفتح النون- لا شيبان.

٦- في اللغة:

وفي (ص١١): «النِّطع -بكسر النون وبالتحريك وكعنب-: بساطٌ من الأديم...» إلخ.

وهذه عبارة مختلة، ولعلها اختصرت من بعض كتب اللغة اختصارًا أخلَّ بمعناها وأفسده، وأصل العبارة كما في "القاموس": «النِّطع -بالكسر وبالفتح وبالتحريك وكعنب- بساطٌ من الأديم...» إلخ.

فهذا هو التعبير الصحيح وهو يشير إلى اللغات الأربع في كلمة النطع، إحداها: كسر النون مع سكون الطاء، ثانيتها: فتح النون مع سكون الطاء أيضًا، ثالثتها: فتح النون والطاء معًا، رابعتها: كسر النون وفتح الطاء بوزن عنب، وبتأمل ما أوردناه يظهر ما في تلك العبارة من الخلل البيّن.

٧- «زحم» لا «نذير»:

وفي ترجمة بشير بن الخصاصية (ص١٧): «هو بشير بن معبد بن شراحبيل، وكان اسمه في الجاهلية نذيرًا فهاجر إلى النبي[1] فسماه بشيرًا».

وهذا خطأ، والصواب أن اسمه زحْم -بفتح الزاي وسكون الحاء المهملة- فغيره النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

واختلف في اسم أبيه فقيل معبد وقيل نذير، والخَصَاصية -بفتح الخاء

---

(١) هكذا ورد في التعليق ذكر النبيِّ أو الرسول دون الصلاة عليه،ولا يخفى ما في هذا.

المعجمة وتخفيف الصاد المهملة وتشديد الياء المثناة التحتية- لقب والدة جده الأعلىٰ من جهة أبيه، واسمها كبشة أو ماوية.

٨- «قيل: ويروىٰ»، مع أنَّ الحديث في "الصحيحين":

وفي ترجمة ابن عمر (ص١٩): «قيل: ويروىٰ أنَّ الرسول قال فيه: «**نعمَ الرجلُ عبدُالله لو كان يصلِّي من الليلِ**».

وهذه العبارة تؤذن بضعف الحديث والشك في وروده، مع أنَّ الحديث المذكور صحيح بلا ريب، ففي "الصحيحين" عن سالم عن أبيه عبدالله بن عمر قال: كان الرجل في حياة رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إذا رأىٰ رؤيا قصَّها علىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فتمنيت أنْ أرىٰ رؤيا أقصها علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: وكنت غلامًا شابًا عزَبًا وكنت أنام في المسجد علىٰ عهد رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فرأيت في النوم كأنَّ ملَكين أخذاني فذهبا بي إلىٰ النار، فإذا هي مطويَّة كطيِّ البئر، وإذا لها قرنان كقرنيْ البئر، وإذا فيها أناسٌ قد عرفتُهم فجعلتُ أقول: أعوذُ بالله من النَّار، أعوذ بالله من النار، قال: فلقيهما ملَك آخر فقال لي: لن تُرَاعَ -أو لم تُرَع- فقصصتُها علىٰ حفصةَ، فقصَّتها حفصةُ علىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**نعمَ الرجلُ عبدُالله لو كانَ يصلِّي من الليل**» قال سالم: فكان عبدالله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلًا.

رواه الشَّيخان في فضائل ابن عمر، ورواه البخاريُّ أيضًا في قيام الليل، وفي التعبير[1].

---

(١) فائدة: هذا الحديث مرويٌّ من طريق الزُّهريِّ عن سالم عن أبيه، وهذا الإسناد في رأي

٩- «سبعةَ عشرَ» لا «عشرة»:

وفي ترجمة الزُّهري «ص: ٢٠): «ورأى عشرة من الصحابة».

هذا غلطٌ، والصواب أنه لقي اثني عشر من الصَّحابة فأكثر، وهم: عبدالله ابن عمر، وأنس بن مالك، وسهل بن سعد، وربيعة بن عِبَاد -بكسر العين وتخفيف الباء الموحدة - وعبدالله بن جعفر، والسائب بن يزيد، وعبدالله بن عامر بن ربيعة، وسُنَين -بالتصغير- أبو جميلة، والمِسْور -بكسر الميم وسكون السين- بن مخرمة، وعبدالرحمن بن أزهر، وأبو الطفيل، ومحمود بن الربيع، ومحمود بن لبيد، وعبدالله بن الحارث بن نوفل، وثعلبة بن مالك القرظي، وأبو أمامة بن سهل بن حنيف.

فهؤلاء ستةَ عشرَ ما بين صحابيٍّ ومختلفٍ في صحبته، رآهم رؤية، وفي سماعه من بعضهم خلافٌ، وقيل إنه سمعَ من جابر بن عبدالله أيضًا.

١٠- خطأ في تعريف المرسل:

وفي (ص٢٣): «المرسل ما سقط منه الصحابي».

وهذا تعريف أطبقَ عليه المتأخرون تقليدًا لصاحب "المنظومة البيقُونيَّة" في قوله: «ومرسل منه الصحابيُّ سقَط»، وهو تعريف قاصر لا يفي بالمقصود

الإمام أحمد أصحُّ الأسانيد، قال الحافظ العراقيُّ في الكلام على أصحِّ الأسانيد من "الألفية":

وجـــزَمَ ابـــنُ حنبـــلٍ بـــالزُّهريِّ عـــنْ ســـالمٍ أي عـــن أبيـــهِ الـــبرِّ

(١) يؤيد ذلك ويؤكده أنه لم يكتف بوضع اسمه على أول الكتاب كما جرت به العادة ولكنه كرر وضع اسمه في عدة مواضع داخل الكتاب.

بل يخلّ بالمعنى، إذ لو كان المرسل هو ما سقط منه الصحابيُّ لما حصل خلاف في حجِّيته لأنَّ الصحابة كلَّهم عدولٌ، فلا يضير إسقاط الصحابي من السند في صحة الحديث وحجيته، ولكن الخلاف في الاحتجاج بالمرسل معروف مقرر في كتب الحديث والأصول، فالصواب أن المرسل: مارواه التابعي عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم سواء أكان تابعيًا كبيرًا أم صغيرًا على المشهور، قال الحافظ العراقيُّ في "الألفية" في تعريف المرسل:

مرفوعُ تابعٍ على المشْهورِ ... مرسلٌ اوْ قَيِّدْه بالكبِيرِ

وقال في حكاية الخلاف في حُجِّيَّته:

واحتجَّ مالكٌ كذا النُّعمانُ ... وتابعوهُمَا بِهِ ودانُوا

وردَّه جماهِرُ النُّقَّادِ ... للجهلِ بالسَّاقِطِ في الإسنادِ

وقال في شرحها: «وقوله: «للجهل بالسَّاقط في الإسناد» هو تعليل لردِّ المرسل، وذلك أنَّه تقدم أنَّ من شرط صحة الحديث ثقة رجاله، والمرسل سقط منه رجلٌ لا يعلم حاله فعدم معرفة عدالة بعض رواته».اهـ

وقال الحافظ ابن حجر في بيان جهالة الساقط: «لأنه يحتمل أن يكون صحابيًّا ويحتمل أن يكون تابعيًّا، وعلى الثاني يحتمل أن يكون ضعيفًا وأن يكون ثقةً، وعلى الثاني يحتمل أن يكون حمله عن صحابيٍّ ويحتمل أن يكون حمله عن تابعيٍّ آخر، وعلى الثاني فيعود الاحتمال السابق ويتعدد إما بالتجويز العقلي فإلى ما لا نهاية، وإما بالاستقراء فإلى ستة أو سبعة وهو أكثر ما وجد من رواية بعض التابعين عن بعض».اهـ

وقال الحافظ السيوطيُّ في "التدريب": «والنظر للجهل بحال المحذوف

لأنه يحتمل أن يكون غير صحابيٍّ وإذا كان كذلك فيحتمل أن يكون ضعيفًا، وإن اتفق أن يكون المرسِل -بكسر السين- لا يروي إلا عن ثقة مع الإيهام غير كاف كما سيأتي».اهـ

(تنبيه): قال الحافظ ابن الصلاح في "مقدمته" بعد أن عرَّف المرسل وذكر ما يتعلق به، ما نصُّه: «ثم إنا لم نعد في أنواع المرسل ونحوه ما يسمى في أصول الفقه مرسلَ الصحابيِّ، مثل ما يرويه ابن عباس وغيره من أحداث الصحابة عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ولم يسمعوه منه؛ لأنَّ ذلك في حكم الموصول المسند، لأنَّ روايتهم عن الصَّحابة، والجهالة بالصحابي غير قادحة، لأنَّ الصحابةَ كلَّهم عدولٌ».اهـ

ولعل في هذا البيان الوجيز كفاية، وبالله التوفيق.

١١- «النيسابوري» لا «الخراساني»:

وفي ترجمة الحاكم (ص٢٨): «هو الإمام الحاكم أبو عبدالله النيسابوري البيهقي...» إلخ.

وإيراد البيهقي بعد النيسابوري خطأ محْضٌ، لأنَّ الحاكم نيسابوري لا خراساني، وبيهق قرية من قرى خراسان ومنها الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي تلميذ الحاكم وصاحب المصنفات الشهيرة كـ"السنن" و"الأسماء والصفات" وغيرهما.

ثم في هذا التعريف بالحاكم قصورٌ كبيرٌ، ولا بأس أنْ نشير إلى شيء من ترجمته بإيجاز:

فهو الحافظ الكبير إمام المحدثين أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن

حمدويه بن نعيم الضَّبي الطهماني النيسابوري ولد سنة (٣٢١)، طلب الحديث من الصغر باعتناء أبيه وخاله فسمع سنة ثلاثين، ثم حجَّ وجال في خراسان وما وراء النهر وغيرهما، وسمع من نحو ألفي شيخ، وهو ثقة واسع العلم كثير التصنيف، بلغت مؤلفاته نحو ألف جزء، وكان الصعلوكي وابن فورك وأمثالهم من الأئمة يقدمونه على أنفسهم ويراعون حقَّ فضله ويعرفون له الحرمة الأكيدة، قال الحافظ أبو موسى: كان الحاكم دخل الحمام واغتسل وخرج فقال: آه، فقبضت روحه، وهو متَّزر لم يلبس قميصه بعد، وصلى عليه القاضي أبو بكر الحيريُّ، وكانت وفاته في صفر سنة (٤٠٥) رحمه الله ورضي عنه.

١٢- حديث موضوع باتفاق المحدثين:

وفي ترجمة عائشة (ص٢٩): «وقيل إنه مما روي عن الرسول في شأنها قوله: «**خذوا نصفَ دينِكم عن هذه الحُمَيراءِ**» وفي الحديث كلام».اهـ

أريد بهذه العبارة التخلص من تَبِعة الاستشهاد بحديث لم يعرف له أصل، ولكنَّه تخلّص لا يفيد؛ لأنَّ عبارة: «وفي الحديث كلام» إنما تقال في الحديث المختلف فيه بين المحدثين بالتضعيف وغيره مثلًا، أما حديث: «**خذُوا نصفَ دينِكم عن هذهِ الحُمَيراءِ**» فاتفقت كلمة أهل الشأن على أنه لا أصل له.

نصَّ على ذلك منهم الحافظ المزِّي، والحافظ الذهبيُّ، وتلميذهما الحافظ ابن كثير، ثم الحافظ ابن حجر العسقلاني شيخ الفن وإمام أهل الحديث، بل زاد ابن القيم أنَّ كل حديث ورد فيه لفظ «الحميراء» حديث باطل، وإن كان هذا الإطلاق منه منتقدًا كما بينته في غير هذا الموضع، وبالله التوفيق.

١٣ - «التواسي» لا «التواصي»:

وفي ترجمة زيد بن أسلم (ص ٤٢): «قال أبو حازم الأعرج: لقد رأيتنا في حلقة زيد بن أسلم أربعين فقيها أدنى خصلة فينا التواصي بها في أيدينا».

هذا غلط، والصواب: «التواسي» بالسين، أي: أنهم كانوا يتواسون بها في أيديهم، يساعد بعضهم بعضًا.

١٤ - «زين العابدين علي» لا «ابن علي»:

وفي الترجمة نفسها (ص:٤٢): «ونقل البخاري أن زين العابدين بن علي بن الحسين كان يجلس إلى زيد بن أسلم».

وزيادة «ابن» بعد «زين العابدين» غلطٌ، لأنَّ «زين العابدين» لقبُ علي ابن الحسين عليهما السلام، ثم إنَّ بقية ما نقله البخاريُّ هكذا: «ويتخطى مجالس قومه فقال له نافع بن جبير بن مطعم تتخطى مجالس قومك إلى عبد عمر بن الخطاب؟! فقال عليٌّ: إنما يجلس الرجل إلى من ينفعه في دينه».اهـ

هذا بقية ما رواه البخاري في "التاريخ الكبير" بإسناده، وهو محل الفائدة، فحذفه إخلالٌ بالمعنى.

١٥ - ابن حِبَّان لا ابن حَبَّان:

وفي ترجمة ابن حبان صاحب "الصحيح" (ص:٤٤): «هو الفقيه أبو عبدالله محمد بن يحيى بن حَبان منقذ بن عمرو المازني المدني الأنصاري، كانت له حلقة في مسجد النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وتوفي سنة إحدى وعشرين ومائة».اهـ

وهذا خطأ مضحك، إذ أنَّ هذه ترجمة ابن حَبان - بفتح الحاء - الأنصاري

التابعي أحد شيوخ الزهري ومالك والليث، وابن حِبان -بكسر الحاء- صاحب "الصحيح" لم يكن من التابعين ولا من أتباع التابعين، وهذه ترجمته بإيجاز:

هو الحافظ الإمام العلامة أبو حاتم محمد بن حِبَّان -بكسر الحاء- بن أحمد بن حبَّان التميمي البُستي صاحب "الصحيح"، و"الثقات"، و"الضعفاء"، و"فقه الناس"، وغيرها من المصنفات، أخذ عن أكثر من ألفي شيخ، وكان ثقة نبيلًا فهمًا من فقهاء الدين وحفاظ الآثار، وعالمًا بالطب والنُّجوم وفنون العلم، تولى قضاء سمرقند ثم قضاء نَسا -بفتح النون- ثم أقام بنيسابور وبنى خانِقَاه، ثم رجع إلى بلده سَجَستان -بكسر السين والجيم- وكانت الرحلة إليه لسماع كتبه، حدَّث عنه الدارقطني والحاكم، توفي في شوال سنة أربع وخمسين وثلاثمائة، وهو في عشر الثمانين، رحمه الله ورضي عنه.

١٦- «أسد» لا «أسيد»:

وفي ترجمة الحارث المحاسبي (ص٤٦): «هو الزاهد الناطق بالحكمة أبو عبدالله الحارث بن أسيد المحاسبي».

وكلمة أسيد غلط، والصواب أسد بدون ياء.

١٧- تصحيح حكاية عن أحمد:

وفي هذه الترجمة أيضًا (ص:٤٦): حكاية عن الإمام ورؤيته للحارث على وجه فيه تخليط، وانظر تلك الحكاية على أصلها في كتابنا "الحجج البينات في إثبات الكرامات" (ص:١٨).

١٨- البزَّار ثقة بلا خلاف:

وفي ترجمة البزَّار (ص: ٤٩): «وفي توثيقه خلافٌ».

هذه العبارة تفيد أنَّ علماء الحديث اختلفوا فيه بين توثيق وتضعيف، والأمر هنا ليس كذلك فإنَّ البزَّار حافظٌ ثقةٌ صدوقٌ مشهورٌ، لم يجرحْه إلا النَّسائي، نعم كان يتكل على حفظه فيخطئ، والخطأ كما هو معلوم ينافي الضبط ولا ينافي الثقة والعدالة.

قال الدارَقُطني: «كان ثقةً يخطئ كثيرًا ويتَّكل على حفظه»، وقال الخطيب: «كان ثقة حافظًا صنَّف "المسند" وتكلَّم على الأحاديث وبيَّن عللَها».

وقال أبو الشَّيخ: «كان أحد حُفَّاظ الدنيا، رأسًا، وحكي أنَّه لم يكن بعد علي بن المديني أعلم بالحديث منه، اجتمع عليه حُفَّاظ أهل بغداد فبركوا بين يديه وكتبوا عنه».

وقال الذهبي: «جرحه النَّسائي وهو ثقةٌ يخطئ كثيرًا».اهـ

ووافقه الحافظُ ابن حجر، وبهذا يعلم أنَّ البزَّار ثقةٌ وأن تجريح النَّسائي له مردودٌ، وأنَّ خطأه لا يضرُّ في توثيقه كما قدمنا.

١٩- صحابي يقال عنه غير معروف:

وفي (ص:٤٩) تعليقًا على قول ابن رجب: «وفي "مسند البزار" عن عياض الأنصاري: «لم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر».

وهذا قصور، فإنَّ عياضًا الأنصاري صحابي لا يُبحث عن مثله، ثم هو مذكور في "الإصابة للحافظ" ابن حجر (ج ٤/ ص: ٥١) (طبع مطبعة السعادة سنة ١٣٢٨هـ).

٢٠- تصحيف في متن حديث شريف:

وفي (ص:٥٠): حديث هذا لفظه: «**إنَّ لا إله إلا الله كلمةُ حقٍّ على كريم،**

ولها من الله مكانٌ، وهي كلمةٌ جمعت وشركت». الحديث.

وهو بهذا اللفظ فيه تصحيفٌ، وتصحيحُه هكذا: «إنَّ لا إله إلا الله كلمة علىٰ الله كريمة ولها عند الله مكانٌ، وهي كلمةٌ من قالها صادقًا أدخَلَه الله بها الجنةَ، ومن قالها كاذبًا حقنَتْ دمَه وأحرزتْ مالَه، ولقيَ الله غدًا فحاسبَه». رواه البزَّار -كما قال ابن رجب-، والطبرانيُّ، وأبو نُعيم في "معرفة الصحابة".

٢١- «العلم والحلم» لا «العلم والعمل»:

وفي ترجمة شداد بن أوس (ص:٥٠): «قال فيه عبادة بن الصامت: شداد من الذين أوتوا العلم والعمل».

ذكر العمل تصحيف، وصحة كلام عبادة هكذا: «شداد من الذين أوتوا العلم والحلم، ومن الناس من أوتي أحدهما». رواه ابن أبي خيثمة في "تاريخه".

وقال أبو الدرداء: «إنَّ الله عز وجل يؤتي الرجلَ العلمَ، ولا يؤتيه الحلمَ، ويؤتيه الحلمَ ولا يؤتيه العلمَ، وإنَّ أبا يعلىٰ شدادَ بن أوس ممن آتاه الله العلمَ والحلمَ».

وفي "تاريخ أبي زُرعة" عن أبي هريرة: «فضِّل شداد بن أوس الأنصاري بخصلتين، ببيانٍ إذا نطقَ، وبكظْمٍ إذا غضِبَ».

٢٢- «ابنةُ عمِّ الرسول» لا «عمَّتُه»:

وفي ترجمة أمِّ هانئ (ص:٥١): «هي أمُّ هانئ بنت عبد المطلب الهاشمية إحدىٰ عمات الرسول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم».

وهذا خطأ، والصَّواب أنَّها أمُّ هانئ بنت أبي طالب بن عبد المطلب، ابنة عمِّ النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وأختُ علي رضى الله عنهما وليس في عمات النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من تكنىٰ أم هانئ.

٢٣- تصحيف ثان في متن حديث:

وفي (ص:٥٢): حديث: «أنَّ موسىٰ عليه السَّلام قال: يا ربِّ علِّمْني شيئًا أذكركَ به، وأدعوكَ بِه». وذكر الحديث إلىٰ أن قال: «يا موسىٰ لو أنَّ السموات السَّبعَ والأرَضِينَ السَّبعَ وعامرَهُنَّ غيري في كِفَّة» الحديث.

وهذه الجملة من الحديث صحفت بتقديم وتأخير وصوابها هكذا: «لو أنَّ السَّمواتِ السبعَ وعامرَهُنَّ غيري، والأرضين السبعَ في كِفَّةٍ» الحديث.

٢٤- تأويل قبيح:

وفي (ص:٥٣) تعليقًا علىٰ الجملة المذكورة: «وعامرهن غيري»: «أي: المدبِّر لهنَّ، والمسيطرُ عليهنَّ غيري».اهـ

وهذا تأويل في غاية الفساد ونهاية البطلان، وهل للسموات السَّبعِ والأرضين السَّبعِ مدبرٌ غير الله؟! وهل يوجد مسيطر عليهن غير الله؟!!

فهذا التأويل -كما ترىٰ- هو أقبحُ ما وقع في هذه التعليقات علىٰ قلتها، والجملة المذكورة يستدل بها معتقدو الجهة علىٰ أن الله في السَّماء، كما يستدلون بظواهر نصوص أخرىٰ، ولكنَّ الحديثَ المشتمل علىٰ تلك الجملة غير صحيح، وإن أخرجه الحاكم من حديث أبي سعيد الخدريِّ وصحَّحه ووافقه الذهبي؛ لأنَّ مدارَه علىٰ درَّاج أبي السَّمح مولىٰ عبدالله بن عمرو بن العاص، وهو مختلف في توثيقه وله أحاديث مناكير، ضعَّفه أحمد والنَّسائي وأبو حاتم والدارقطني، وقال "فضلك الرازيُّ" -لما ذكر ابن معين قال: درَّاج ثقةٌ -: «ليس بثقةٍ ولا كرامةَله». وقد أشار إلىٰ تضعيف الحديث أيضًا الحافظ المنذريُّ في "الترغيب والترهيب"، والحافظ الهيثميُّ في "مجمع الزوائد".

٢٥- خمس عشرة لا خمس وعشرون:

وفي ترجمة النسائي (ص:٥٤): «ولد سنة خمس وعشرين ومائتين».

وهذا خطأٌ، والصَّواب أنَّه ولد سنة خمس عشرة ومائتين، كما في "التذكرة" و"تهذيب التهذيب"، وتوفي سنة ثلاث وثلاثمائة، رحمه الله ورضي عنه.

٢٦- «موسىٰ بن الضَّحاك» لا «موسىٰ الضَّحاك»:

وفي ترجمة الترمذيِّ (ص:٥٥): «ابن موسىٰ الضَّحاك».

وهذا يفهم منه أنَّ الضحاك صفة لموسىٰ ولقب له، وهو خطأ، والصواب: موسىٰ بن الضحاك، علىٰ المشهور، وقيل موسىٰ بن السكن.

وفي (ص:٥٨): «المرسل هو ما سقط منه الصحابي». وقد نبهنا علىٰ هذا الخطأ فيما سبق.

٢٧- خطأ إملائي:

وفي ترجمة عبدالرحمن بن سمرة (ص: ٦٠): «قال لي النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «يا عبدالله»، والصواب: «يا عبدالرحمن».

وفي آخر الحديث «**وإذا حلفتَ على يمينٍ فرأيتَ غيرَها خيرًا منها فكفِّر عن يمينِك وأْتِ الذي هو خيرٌ**». ورسم «أت» بهذا الشكل خطأ في الإملاء يدركه نبهاء الأطفال، والصواب رسمه هكذا «وائت».

٢٨- تحريف في عبارة:

وفي (ص:٦١): «ومن أمن في سخطه ممسيًا فكيف يكون إذا ما رضي».

وهي عبارة مختلة ينبغي تصحيحها بمراجعة نسخة من رسالة "تحقيق كلمة الإخلاص".

٢٩- أحاديث مطعون فيها:

وفي ملحق التعليقات من (ص:٦٤) إلى الآخر بضعة أحاديث مطعون فيها بالضعف ونحوه، لم نر داعيًا للتنبيه عليها؛ لأنَّ الحديث الضعيف مغتفرٌ في باب الفضائل والآداب.

ولكنَّا مع ذلك لا نخلي من أوردها من تبِعَة اللوم والعتاب؛ لأنَّ في الأحاديث الصَّحيحة -خصوصًا الوارد منها في فضل (سورة الإخلاص)- ما يُغني عن إيراد الضعيف والمنقطع والواهي، بصيغة الجزم المفيد صحة الحديث بدون ارتياب، على أنَّه بمراجعة كتابنا "فضائل القرآن" يُعرف حال بعض هذه الأحاديث وينكشف أمرها للقارئ الكريم.

خاتمة

جاء في (ص:٥٣) قول ابن رجب: «وكذلك ترجَّح في صحائف الذنوب، كما في حديث السجلات والبطاقة، وقد أخرجه أحمد».

فكتب المعلقان الفاضلان تحت هذه العبارة ترجمة للإمام أحمد، ولم يذكرا حديث البطاقة، وقد كان ذكره أهمَّ لمناسبات لا تخفى وقد رأينا أنْ نستدرك هذا التقصير الذي وقع منهما، فنورد لفظ الحديث، وهو هذا:

عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ الله يستخلِصُ رجلًا من أمَّتي على رؤوسِ الخلائقِ يوم القيامة، فينشُر عليه تسعةً وتسعين سِجِلًّا، كلُّ سجِلٍّ مثلُ مدِّ البصَر، ثمَّ يقول: أتنكِر مِنْ هذا شيئًا؟ أظلمَكَ كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا ربِّ. فيقول: أفلَك عذرٌ؟ فيقول: لا يا ربِّ. فيقولُ الله تعالى: بلى إنَّ لك عندنا حسنةٌ فإنَّه لا ظلم عليك اليوم. فتخرجُ بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله، فيقولُ احضر وزنَك. فيقول: يا ربِّ ما هذه البطاقةُ مع هذه السِجِلَّات؟! فيقال: فإنَّك لا تظْلَمُ. فتُوضعُ السِّجِلَّاتُ في كِفَّة، والبطاقةُ في كفَّة، فطاشتْ السِّجلَّات وثقلتْ البطاقةُ، ولا يثقلُ مع اسمِ الله شيءٌ**». رواه الترمذي وحسَّنه، والحاكم وصحَّحه، ورواه أحمد بنحوه، والله سبحانه وتعالى أعلم.

كتاب "مختصر صفوة التصوف"

منذ بضعة سنوات استنسخت نسخة من "مختصر صفوة التصوف" على يد ناسخين بالمكتبة الظَّاهريَّة بدمشق واستحسنت طبع هذا الكتاب فقدمته لصديقنا سليمان محمد الوكيل صاحب «مطبعة دار التأليف» ليقوم بطبعه بعد أنْ أصحَّحه وأُخرِّج أحاديثه وأُتمِّم بعض مباحثه.

وكان الذي أخَّرني عن الإسراع في القيام بهذا العمل أمران:

أحدهما: وجودُ نقصٍ بالنُّسخة المنسوخة.

ثانيهما: عدمُ وجود أصل آخر للرجوع إليه.

وكانت نسخة من هذا الكتاب في مكتبتنا الصِّديقيَّة بطنجة، وهي نسخة صحيحة جيِّدة عزمت أنْ أبعث في طلبها لأقابل عليها النُّسخة الشَّاميَّة وأتمِّم ما بها من نقصٍ، ولكن صاحب المطبعة كان قد أعلن عن طبع الكتاب عدة مرَّات فانهالت الطلبات عليه من كلِّ حدبٍ وصَوْبٍ فاضطر إلى التعجيل بطبعه، وقدَّمه للشَّيخ الشّرباصي منخدعًا به ومغترًّا بمظهره العلميِّ ليصحِّحه ويعلِّق عليه، فما كان من الشَّيخ إلَّا أنْ قبل المهمَّة، وهو ولوعٌ بارتكاب ما يدفعه إلى الشُّهرة ولو كان في ذلك هلاكُ نفسِه[1]، فأخذ يعلِّق على النُّسخة الشَّاميَّة ويصححها ويكتب ما عنَّ له من تعليقات هي إلى الإنشاء أقرب منها إلى التحقيق العلمي المنشود في مثل هذه المواطن فوقع بذلك في أخطاء جسيمة نجملها فيما يلي:

---

(١) يؤيد ذلك ويؤكده أنه لم يكتف بوضع اسمه على أول الكتاب كما جرت به العادة ولكنه كرر وضع اسمه في عدة مواضع داخل الكتاب.

أولًا: جرىٰ التصحيح والتعليق علىٰ نسخةٍ واحدةٍ ليس غير، وهذا أهم خطأ يقع فيه من أراد تحقيق كتاب من الكتب؛ لأنَّ من البدائِه في عالم التَّصحيح والتعليق أنَّ الإنسان مهما كثُر علمه لا يمكن أنْ يصحِّح كتابًا علىٰ أصلٍ واحدٍ بل لابُدَّ من تعدُّد الأصول حتىٰ يحصل الاطمئنان إلىٰ إخراج الكتاب سليمًا وافيًا خاليًا من التَّصحيف والنقص، مما لا تكاد تخلو منه نسخةٌ خطِّيةٌ.

وهذا العلَّامة محمَّد بن الطيب الشرقي الإمام اللغوي شيخ الزبيدي شارح "القاموس" حين أراد أنْ يكتب حاشيته علىٰ "القاموس" -وهي مخطوطة- لم يكتف بمراجعة نسخة أو نسختين أو ثلاث، بل راجع مائة نسخة، مع أنَّ القاموس بلغ في الشُّهرة، والذيوع بحيث صار بمأمنٍ من التحريف الواقع في الكتب التي لم تبلغ مبلغه في الشُّهرة والعناية.

ثانيًا: ولأجل أنَّه صحَّح علىٰ نسخةٍ واحدةٍ وهي النُّسخة المذكورة لم ينتبه إلىٰ النَّقص الواقع فيها حتىٰ نبَّهه صديقنا الأستاذ العلَّامة الشَّيخ عبدالوهاب عبداللطيف المدرِّس في كلية الشَّريعة، علىٰ أنِّي أنا الذي أخبرته بأنَّ النُّسخة ناقصة، ومع هذا فالشَّيخ الشّرباصي لا يعرف إلىٰ الآن مكان النقص من النسخة، مع أنَّه واضحٌ يُدرك بأدنىٰ تأمُّل.

ثالثًا: كتب الشَّيخ الشّرباصي ترجمة للحافظ أبي الفضل محمد بن طاهر المقدسيِّ علىٰ أنَّه مؤلف كتاب "صفوة التصوف" وهذا صحيحٌ ولكن الحافظ المقدسيَّ ألَّف كتاب "صفوة التصوف" الأصلي وهو في مجلدين، أمَّا المختصر وهو الذي طُبع فهو لمؤلف آخر، ندع الكشف عنه لعلم الشَّيخ الشِّرباصي وسعة اطلاعه.

رابعًا: أخطأ في تعليقاته على الكتاب أخطاء كثيرة يمكن جمعها والتنبيه عليها في رسالة مستقلَّة، بل بلغ من جرأته في الخطأ أنَّه يخطِّئ الأصل وهو صحيحٌ، كما جاء في (صفحة ٦٢) من الكتاب المذكور تحت ترجمة: «باب السُّنة في إمساكهم عن الطعام حتى يبدأ الشَّيخ»، ففي الأصل ما نصُّه: «الأعمش عن خيثمة عن أبي حذيفة... إلخ»، فكتب عليه الشّرباصي تحت رقم (١) ما نصُّه: «كذا بالأصل، ولعلَّ الصَّواب حذيفة». والأصل صحيحٌ، والتعليق خطأٌ، وأبو حذيفة صحابيٌّ معروفٌ، ولعلَّ عذر الشرباصي في هذه التعليقة أنَّه لا يعرف من الصَّحابة غير حذيفة بن اليمان، فإذا رأى أبا حذيفة ظنَّه خطأ، وصوَّبه إلى ما يعرف، وهذا أنموذج من علمه الجَمِّ.

هذه أهم الأخطاء التي وقع فيها وحينما أحسَّ بقبح خطأه بسبب ما توالى عليه من لوم أصدقائه وعتابهم، تبرَّأ من تبِعة التصحيح، وصار ينشر في بعض المجلَّات الميتة بيانًا يتبرَّأ فيه من عُهدة الأخطاء الموجودة في الكتاب، ويُرجعها إلى الطَّابع والمطبعة، وفاته أنَّ أغلب أخطائه في الكتاب من طِراز خطأه في أبي حذيفة وهو ما لا دخل للطَّابع ولا للمطبعة فيه، فكأنَّه في بيانه فضح نفسه وهو لا يشعر.

ومما زاد الطين بلة أنَّه ذكر في ذلك البيان أنَّ أحد العلماء أبلغه أنَّ للكتاب بقيَّة، إذن فقد سجَّل الشَّيخ على نفسه أنَّه لم يَعرف النقصَ الموجود في الكتاب وهذا يؤكِّد ما قدمناه عنه.

إلى فضيلة شيخ الأزهر وفضيلة مفتي الديار

نشرت "مجلة روز اليوسف" بعددها الصادر ١٥ أبريل سنة (١٩٥٢) تحت عنوان: «لم لا نقبل أيدي الممثلين؟» وكتبت تحت هذا العنوان منسوبًا إلى الشَّيخ أحمد الشّرباصي المدرس بمعهد القاهرة أنَّه قال في كلمته التي ألقاها في احتفال جمعية التمثيل والموسيقى بالدكتور صلاح الدين باشا في جمعية الشبان المسلمين:

«إني أعجب من هؤلاء الذين يقبِّلون يدي بعد أنْ أخطب فيهم خطبة الجمعة ثمَّ هم لا يقبلون أيدي الممثلين مع أنَّهم أولى بذلك مني ومهمَّتهم لا تقل عن مهمَّتي».

نشر هذا الخبر في المجلة المذكورة بالبنط العريض ومضى عليه مدة ولم يهتم الشَّيخ بتكذيبه وذلك ما دفع إحدى المجلات الدينية أن تعلِّق على هذا الحديث الخطير الماس بكرامة الدين والعلماء بتوجيه خطاب إلى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر وفضيلة مفتي الديار المصرية.

ونحن ننشره بجملته شاكرين للمجلة غيرتها الدينيَّة على العلم والعلماء:

«قال شيخٌ مفتونٌ يتلمَّس مواضع الشُّهرة على حساب دينه وخلقه، في حفل أقامته جماعة التمثيل والموسيقى في إحدى الجمعيَّات الدينيَّة الكبرى تكريمًا للدكتور محمد صلاح الدين باشا: «إني لأعجب من هؤلاء الذين يقبِّلون يدي بعد أنْ أخطب فيهم خطبة الجمعة ثمَّ هم لا يقبِّلون أيدي الممثِّلين مع أنَّهم أولى بذلك مني ومهمَّتهم لا تقلّ عن مهمَّتي!».

وإنَّا لنعجب كيف استبدَّ الغرور بهذا المفتون إلى هذا الحدِّ الذي ينافي

الخلق والدين والعلم، وإنْ كنا نعرف أنَّ الدَّافع له إلى هذا الموقف المزري هو إرضاء شهواته الوصوليَّة وتحقيق قولته المأثورة عنه: «أنا جوعان شُهرةً».

وفي سبيل إشباع هذه الجوعة استباح لنفسه أنْ يستهين بأحكام الشَّريعة ويهين كرامة العلم والعلماء والأزهر والأزهريين، ويعجب لأمر النَّاس الذين يقبِّلون يده وأيدي أصحاب الفضيلة العلماء، وكان أولى بهم وأجدى أنْ يقبِّلوا أيدي الممثِّلين الذين يؤدُّون رسالة علميَّة لا تقلّ خطورة عن رسالة العلماء!.

ونحن ننشر هذا الخبر من -غير تعليقٍ- حتى نقف على رأي فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر وفضيلة الأستاذ الكبير الشَّيخ حسنين مخلوف مفتي الديار المصريَّة في هذا الموضوع الخطير، ونعرف ما ستتخذه إدارة الأزهر نحو تأديب هذا الغِرِّ المفتون.

ولنا عودة إلى هذا الموضوع على ضوء ما سيجري من تحقيقٍ وإجراءٍ».

٨- بيانُ الكَذِبِ والبُهتانِ
في دَعْوَى الظُّلْمِ والعُدْوانِ

هــذا بيــانٌ صــادقٌ ومُوضِّــحٌ يُبدِي فضيحةَ مـن تجـرَّأ واعتَـدَىٰ
أَبْـدىٰ حقَـائقَ لا يصـحُّ خلافُهـا لثُبوتهـا بأدلَّـةٍ تنْفِـي العَمَـىٰ
وأبانَ قـولَ الحـقِّ واضـحًا ومؤيَّـدًا بشـواهدٍ لا ينبغِـي فيهـا امْـتِرَا

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عُدْوان إلَّا على الظالمين، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّدٍ وآله الأكرمين.

أمَّا بعد: فهذا جزءٌ سمَّيته "**بيان الكَذِبِ والبُهْتانِ في دَعْوَى الظُّلْمِ والعُدْوانِ**" رددتُ به فِريةً افتراها مُبتدِعٌ ضالٌّ حيث زعم أنِّي رفعت ضدَّه قضيةً أمام محكمةٍ قانونيَّةٍ، وأنَّ حُكمَها عليه كان ظُلْمًا وعُدْوانًا، وأنني أدَّعي أنِّي إمامُ أهل السُّنَّة وإمامُ الصوفيَّة مع أنَّ القرآن يكذِّبُني في إيماني، فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

هذا مضمونُ كلامه ومعناه، وهو كذبٌ وغشٌّ وتدليسٌ.

بيان الكذب والغِشِّ في دعاوَى هذا المدَّعي من وجوهٍ

وبيان ذلك من وجوه:

١- أنَّ الحكم الذي حَكَمَت به المحكمة عليه يعتَبر رحمةً له ورأفةً به وإن كان مخالفًا للشَّرع؛ لأنَّه لضعفِه ومرضِه لا يتحمَّل أن يُجلَدَ ثمانين جلدةً مع ما يلزمُ شرعًا من اعتبار المجلود فاسقًا حتَّى يتوبَ.

٢- أنَّ آيةَ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ اختلف فيها علماء الصحابة والتابعين، فمنهم من قال :إنَّها خاصَّةٌ باليهود والنَّصارى لأنَّ سياقَ الكلام معهُم، ومنهم من قال تعمُّنا وإياهم.

واختلفوا أيضًا هل الكفرُ في الآية كفرٌ مُخرِجٌ عن المِلَّة أو المرادُ به كفرُ

النِّعمة؟ وهو الذي يقال فيه كفرٌ دون كفرٍ، وظلمٌ دون ظلمٍ، وهذا المعنىٰ هو الرَّاجِحُ عند ابن عبَّاسٍ وتلامذتِه.

وبعض التابعين سلَك في الآية مَسْلَكًا نفىٰ فيه الخلاف بين الفريقين فقال: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ جُحودًا به ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ وأمَّا غير الجاحد فلا يكون كافرًا.

فالآية كما ترىٰ ليست نصًّا في الكفر، وليس فيها إجماعٌ علىٰ معنىٰ مُعيَّن.

فمن الجهل العريض والكذب الواضح أن يحكُم ذلك المبتدعُ بأنَّ الله نفىٰ الإيمان عنِّي بهذه الآية، وهذا كذبٌ علىٰ الله يجب أن يعاقَب صاحبُه ويُعَزَّر.

٣- دعواه أنَّ الحكم عليه كان ظلمًا وعدوانًا يفيد أنَّه لم يفعل شيئًا يستحقُّ الحكم عليه، وهذه معارضةٌ للقرآن الكريم فإنَّه نصَّ علىٰ وجوب جلد القاذف ثمانين جلدةً وعلىٰ فسقه وردِّ شهادته، فهل نقولُ أنه كفَر بمعارضتِه القرآن؟

٤- زعمُه أنِّي أدَّعي أنني إمامُ أهل السُّنة وإمام الصوفية كذبٌ بحتٌ، فلم أدَّعي ذلك ولم أنطقْ به، نعم أنا أقول أنِّي صوفيٌّ مِن أهل السُّنَّة.

في أن الحدودُ الشرعية انتفىٰ العمل بها منذ زمن بعيد ولا نرضى بذلك ولا ذنب لنا فيه، مع الحاجة للجوء للمحاكم لرد المظالم وردع الجناة

٥- الحدودُ الشرعية انتفىٰ العمل بها زمنًا يتجاوزُ المائة سنة، ولا ذنب لنا في ذلك، فلا يجوز أن نُعيَّر به لأنَّه أمرٌ لم نفعله ولم نوافقْ عليه.

٦- في معظم البلاد الإسلامية بل في جميعها قَذَفَةٌ ولصوصٌ وغاصبون وزُناةٌ وقَتَلَةٌ وغيرهم من المفسدين، فما يكون موقفنا حيالهم؟! هل ندعهم

يفسدون في الأرض ويعتدون على النَّاس؟! أو نرفعُهم إلى المحاكم القانونية لتردَعَهم وتريحَ النَّاسَ من إفسادِهم؟!

وهذا المبتدِع نفسه هدَّد كثيرًا قبل الحُكْم عليه بأنه سيستمر على القذف ونهش أعراض من يخالفه ويرد عليه، فلما صدر حكم الاستئناف بإدانته سكت كأنه كان قطعة ملح ذابت في الماء.

فرفعُ المعتدين إلى المحاكم القانونيَّة واجبٌ ليأمنَ الناس شرَّهم ويطمئنُّوا على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم.

ثمَّ إنِّي أنبِّه ذلك المبتدِع إلى أمرين مهمَّين يجعلهما أمام عينيه:

الأمر الأول: قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ ﴾ [النور: ٤ - ٥] الآية.

في هذه الآية ثلاثةُ أحكامٍ:

أحدُها: وجوبُ جلد القاذف ثمانين جلدةً.

ثانيها: أنَّ القاذفَ مردودُ الشَّهادة.

ثالثها: أنَّ القاذف فاسقٌ حتى يتوب.

وهذه الأحكام الثلاثة لا خلاف فيها بين العلماء، بل هي مجمَعٌ عليها، فليتذكر المبتدِع القاذف هذه الأحكام وليجعلها على باله حتى لا ينساها.

الأمر الثاني: قال الله تعالى: ﴿ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد: ٢٥].

وقال تعالى أيضًا: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴾ [محمد: ٢٢ - ٢٣].

أفادت هاتان الآيتان الكريمتان أنَّ قاطعَ الرَّحم ملعونٌ، مفسدٌ في الأرض، وأنه أصَمُّ وأعمى.

وهذا ذمٌّ بليغٌ لقاطع الرَّحم، نسأل الله السَّلامة والعافية، وثبت في الحديث الصحيح أنَّ قاطع الرحم لا يدخل الجنة.

فهذه الأمور المستفادة من الآيتين والحديثِ نضعُها أمام عين المبتدع ليجعلها على باله ولا يحاولُ أن ينساها أو يتناساها.

وأضيفُ إليها كلمةً ختاميَّةً كالحاشية لما سَبَق، وهي أنَّ الفاسقَ لا تقبل إمامتُه ولا تصحُّ صلاته بالنَّاس عند المالكيَّة.

هذا وأسأل الله تعالى أنْ يشغَلَنا بالبحثِ عن عُيوبِنا لنتوبَ منها ونترك عُيوبَ النَّاس والتعرُّضَ لهم، فما جعلَنا الله وكلاءَ على النَّاس ولا رقباءَ عليهم، والحمدُ لله ربِّ العالمينَ.

٩- القولُ المُقْنِع
في الرَّدِّ على الألبانيِّ المُبْتَدِع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عُدْوان إلَّا على الظالمين، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّدٍ وآله الأكرمين.

وبعد: فمنذ ثلاثين سنةً طُبِعَت رسالة "بداية السُّول في تفضيل الرَّسُول" بتعليقاتي، ثُمَّ طُبعت مرَّةً ثانيةً بتلك التعليقاتِ، وطُبعت مرَّةً ثالثةً بتعليقات الشَّيخ محمد ناصر الألبانيِّ، وقد تعرَّض لي في مقدَّمة تعليقاته وتهجَّم عليَّ -وهو هجَّامٌ- مع اعترافه بأنَّه استفاد من النُّسخة التي صحَّحتُها تصحيح بعض الأخطاء في المخطوطة التي علَّق عليها، وأبى أنْ يترك اعترافَه دون أنْ يشفَعَه بما يُكدِّر صفْوَه، فلَمَزني بأشياء حصلت في تلك الرسالة، أذكرها وأجيب عنها بحول الله.

قال: «أولًا: لقد جرى الشَّيخ في تخريج الأحاديث على سَنَن جمهور المُخرِّجين، فهو لا يُعنى -إلَّا نادرًا- ببيانِ مرتبةِ الأسانيد من الصحَّة والضَّعف، بل ولا الأحاديث».

وأقول: لم أُبيِّن الأسانيد لأنَّ الرسالة في الفضائل النبوية، ولتلك الأحاديث ما يؤيِّدها من القرآن والسُّنَّة الصَّحيحة، على أنَّ مما قرَّره العلماءُ من المحدِّثين والفقهاء وغيرهم: جواز العمل بالحديث الضعيف في الفضائل والترغيب والترهيب ما لم يكن موضوعًا.

ونصَّ على هذا الإمام أحمد، وابن المبارك، والسفيانان، وغيرهم من الأئمَّة، واستمرَّ العمل على هذا في جميع الأعصار.

إلَّا أنَّ ابن العربي المعافريَّ شذَّ عن الجمهور، فقال: «لا يجوزُ العملُ بالضعيف في الفضائل، والترغيب والترهيب». وتبعه القنوجيُّ في "نزل الأبرار"، وقلَّدهما الألبانيُّ لولُوعه باتِّباع الشَّواذِّ.

على أنَّ ابن العربيِّ خالف الجمهور قولًا ونظرًا فقط، أمَّا في العمل فقد عمل بالضعيف في الفضائل في كتابه "سراج المريدين" وهو من نفائس كتبه، وفي "شرح الترمذي"، و"شرح الموطأ"، وفي "الأحكام" أيضًا.

والجمهور الذين أجازوا العمل بالضعيف في الفضائل ونحوها اقتدوا بصنيع الشارع، حيث تجاوز في الفضائل ما لم يتجاوزْ في الفرائض والأحكام، وإليك أمثلة من ذلك:

صلاةُ النَّافلة: أجاز أن تُصلَّى من قُعودٍ مع القُدْرة على القيام، ويجوز أن تُصلَّى ركعةً قيامًا وركعةً قعودًا، ففي "صحيح مسلم" و"السنن"، عن عائشة: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان يُصلِّي ليلًا طويلًا قائمًا، وليلًا طويلًا قاعدًا.

وفي "الصحيحين" عنها: أنها لم ترَ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يُصَلِّي صلاة الليل قاعدًا حتى أسَنَّ، وكان يقرأ قاعدًا حتى إذا أراد أنْ يركعَ قام فقرأ نحوًا من ثلاثين أو أربعين آيةً ثُمَّ ركع، ثُمَّ يفعل في الركعةِ الثانيةِ كذلك.

مثالٌ ثانٍ: روى الشَّيخان عن ابن عمر: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أوتر على بعيره. يفيد جواز صلاة النافلة على الدا بة.

مثالٌ ثالثٌ: روى الشَّيخان عن ابن عمر قال: كان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يصلِّي في السَّفَر على راحلته حيث توجَّهت به.

وفي "الصحيحين" أيضًا عن عامر بن ربيعة: رأىٰ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يصلِّي السُّبْحَةَ بالليل في السَّفَر علىٰ ظهر راحلته، وهذا لا يجوز في صلاة الفريضة.

مثالٌ رابعٌ: صحَّ عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في صلاة الليل صفاتٌ:

منها: عن عائشة قالت: «كان النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يصلِّي تسعَ ركعاتٍ لا يجلسُ فيها إلَّا في الثامنة، ثُمَّ ينهضُ ولا يسلِّم، ثُمَّ يقومُ فيصلِّي التاسعة، ثُمَّ يقعدُ فيذكرُ الله ويحمدُه ويدعوه، ثُمَّ يسلِّم تسليمًا يُسْمِعنا». رواه مسلمٌ في "صحيحه".

ومنها: عن عائشة أيضًا قالت: «إنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لَمَّا كَبُر وضَعُف أوتر بسبع ركعاتٍ، لا يقعدُ إلَّا في السادسة، ثُمَّ ينهضُ ولا يسلِّمُ فيصلِّي السابعة، ثُمَّ يسلِّم تسليمةً». رواه النَّسائيُّ.

ومنها: عن عائشة أيضًا قالت: «لما أَسَنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وأخذ اللَّحْمُ، صلَّىٰ سبع ركعاتٍ لا يقعد إلَّا في آخِرهنَّ، ثُمَّ يصلِّي ركعتين بعد أن يسلِّم». رواه النَّسائيُّ.

ومنها: عن عائشة: «أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله وآله وسلَّم كان يوتر بخمسٍ لا يجلس إلَّا في آخِرهنَّ». رواه النَّسائيُّ.

هذه صفاتٌ كلُّها صحيحةٌ، ولا يجوز شيءٌ منها في صلاة الفريضة.

مثالٌ خامسٌ: تبييتُ النيَّة قبل الفجر في صيام الفريضة واجبٌ لا يصحُّ الصوم إلَّا به، وفي صوم التطوع ليس بواجبٍ.

روىٰ مسلمٌ والأربعة عن عائشة قالت: دخل عليَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ذات يوم، فقال: «**هل عندكم من شيءٍ؟**» فقلنا: لا، فقال: «**فإني إذن صائمٌ**»، ثُمَّ أتانا يومًا آخر، فقلنا يا رسول الله أُهْدِي لنا حَيْسٌ، فقال: «**أَرِينِيه، فلقد أصبحتُ صائمًا، فأكَلَ**».

زاد النَّسائيُّ: قال: «**يا عائشةُ، إنَّ مَنْزِلَةَ مَن صَامَ في غير رمضانَ، أو في التطوُّع، بمنزلةِ رجلٍ أخرجَ صَدَقَةَ مالِهِ فجادَ منها بما شاءَ فأعطاهُ، وبخِلَ منها بما شاءَ فأمسَكَه**». يستفاد من الحديث:

مثال سادسٌ: وهو: مَن صَامَ تطوُّعًا يجوز له أن يفطر ولا يتمَّ صومه، ولا إثم عليه ولا قضاء.

مثالٌ سابع: الترتيب بين المناسك في الحجِّ مندوبٌ، وقد سُئل النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن عكسه، فقال: «**لا حَرَجَ**».

روىٰ الشَّيخان عن عبدالله بن عمرٍو، قال: سمعتُ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وأتاه رجلٌ يوم النَّحْر وهو واقفٌ عند الجَمْرة، فقال يا رسولَ الله حلَقْتُ قبل أنْ أرميَ؟ قال: «**ارمِ ولا حَرَجَ**». وأتاه آخَر، فقال: إني ذبحتُ قبل أن أرميَ؟ قال: «**ارمِ ولا حَرَجَ**». وأتاه آخَر، فقال: إني أفضتُ إلىٰ البيتِ قبل أنْ أرميَ؟ قال: «**ارمِ ولا حَرَجَ**». فما سُئل يومئذٍ عن شيءٍ إلَّا قال: «**افعَلْ ولا حَرَجَ**».

هذا مَدْرَك الذين أجازوا العمل بالضعيف في الفضائل ونحوها، غير أنهم احتاطوا مع ذلك، فاشترطوا للعمل به ثلاثه شروطٍ:

أحدها: أن يكون معناه مُندرِجًا تحت أصلٍ عامٍّ مثل: آيةٍ، أو حديثٍ صحيحٍ، أو قاعدةٍ من قواعد الشريعة.

ثانيها: ألَّا يكون ضعفه شديدًا كالواهي ونحوه.

ثالثها: ألَّا يعتقد ثبوته عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

على أنَّ قولهم: «لا يجوزُ العملُ بالضعيف في الأحكام»، ليس على عمومه؛ لأنَّ الأئمة عملوا بالحديث الضعيف في كثيرٍ من الأحكام، وللحافظ ابن الملقِّن كتاب جمع فيه الأحاديث الضعيفة التي عمل بها الأئمَّة مجتمعين أو مُنفردين، ورتَّبه على الأبواب الفقهية وهو جديرٌ بأنْ يُطبَع، وفي تدريسي لـ"نيل الأوطار" بزاويتنا الصِّدِّيقية أَلْفِتُ أنظار الطلبة إلى الأحاديث التي عمل بها الأئمَّة أو الجمهور وهي ضعيفةٌ مع علمهم بضعفها.

قال الألبانيُّ: «وثانيًا: رأيته يعتمد على تحسين الترمذيِّ، وظنِّي به أنَّه يعلم أنَّه متساهلٌ كما صرَّح بذلك الذَّهبيُّ وغيره من الحفَّاظ النُّقَّاد».

وأقول: لم أعتمد على تحسين الترمذيِّ في تلك الرسالة إلَّا مرَّةً أو مرتين على الأكثر، ولم يكن تَقْليدًا بل إقرار له؛ لأنَّه صوابٌ.

ذكر الذهبيُّ في "الميزان" في ترجمة كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوفٍ تضعيف الأئمَّة له، وأنَّ بعضهم نسبه إلى الكذب، ثُمَّ قال: «وأمَّا الترمذيُّ فروى من حديثه: «**الصُّلْحُ جائزٌ بين المسلمين**» وصحَّحه، ولهذا لا يعتمد العلماء على تصحيح الترمذيِّ».اهـ

وتعقَّبه الحافظُ العراقيُّ في "شرح الترمذيِّ"، فقال: «لا يُقبل هذا الطعنُ منه في حقِّ الترمذيِّ، وإنما جَهِل الترمذيَّ من لا يعرفه، كابن حزمٍ، وإلَّا فهو

إمامٌ يُعتمَد عليه، ولا يمتنع أنْ يخالف اجتهاده اجتهاد غيره في بعض الرجال، وكأنَّه رأىٰ ما رآه البخاريُّ، فإنَّه روىٰ عنه أنَّه قال -في حديث كثيرٍ، عن أبيه، عن جدِّه في العيدين-: إنه حديثٌ حسنٌ».اهـ

فهذا الحافظ العراقيُّ وهو من الحُفَّاظ النُّـقَّاد، يُصرِّحُ أنَّ الترمذيَّ إمامٌ مُعتمَدٌ عليه، وأنَّ ما اعتبره الذهبيُّ تساهلًا منه، هو في الحقيقة اختلافٌ في الاجتهاد، فإطلاق التساهل علىٰ الترمذيِّ ممَّا لا ينبغي، نعم قد تعقَّبته في تحسينه أو تصحيحه في كثيرٍ من مؤلفاتي وتعليقاتي، والألبانيُّ يعتمد علىٰ المناويِّ وعلي القاري، وأين درجتهما من الترمذيِّ؟!

قال الألبانيُّ: «رابعًا: يعزُو الحديثَ لغير المشاهير من أصحاب السُّنن وغيرهم ممن ألَّف في الصحيح، فهو لمَّا خرَّج الحديث الأول: «**أنا سَيِّد وَلَدِ آدمَ ولا فَخْرَ**». عزاه لابن أبي عاصمٍ في "الأدب"...» إلخ كلامه.

وأقول: هذا التعقُّب غفلةٌ منه كبيرة، ذلك أنَّ مؤلِّف "الرسالة" قال في الخصلة الأولىٰ: «أنَّه سادَ الكلَّ»، فقال: «**أنا سَيِّد وَلَدِ آدمَ ولا فَخْرَ** »، فعزَوتُ الحديث لمن رواه بهذا اللفظ، وقال في الخصلة (١٨): «أنه كما ذكر السؤدد مطلقًا فقد قيَّده بيوم القيامة»، فعزوتُ الحديثَ مقيدًا إلىٰ كتب الصِّحاح والسُّنن والمسانيد المشهورة، ولم أخالف القاعدة في العزْو.

لكن الألبانيَّ غَفَل وذَهَل، وقولي في حديث ابن مسعودٍ: «**الخَلْقُ عِيالُ الله**». سنده جيِّدٌ سهوٌ لا أدري كيف حصل لي!! بل أوقعني فيه صنيع الحافظ السخاويِّ.

قال: «ونحو هذا أنَّه ذكر حديث عائشة في "المستدرك" بلفظ: «**أنا سيِّد**

ولدِ آدمَ وعليٌّ سيِّدُ العربِ». فقال: وهو حديثٌ ضعيفٌ، خلافًا لقول الذَّهبيِّ أنَّه موضوعٌ، وهذا تبجُّحٌ باردٌ، وتطاولٌ على الحافظ الذهبيِّ بدون مبرر(١)، لأن مدار الحديث على حسين بن علوان، وعمر الوجيهي وغيرهما من الوضَّاعين، وقد أقرَّ الحافظ العسقلانيُ الذهبيَّ على وضعه فانظر "لسان الميزان"، (٤ / ٢٨٩ - ٢٩٠) وفي ظني أنَّ ابن تيمية أيضًا قال بوضعه في كتابه الحُجَّة "منهاج السُّنَّة").اهـ

وأقول: أولًا: حديث «أنا سيِّد ولد آدم، وعليٌّ سيِّدُ العربِ». ضعيفٌ كما قلتُ في تعليقاتي على "بداية السُّول"، وقول الذهبيِّ: «موضوعٌ»، غُلُوٌّ غير مقبولٍ، ذلك أنَّ الحديث ورد من غير طريق ابن علوان وعمر الوجيهي.

فرواه الطبراني في "الأوسط" عن أنس بن مالكٍ: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «من سيِّد العربِ؟» قالوا: أنت يا رسول الله، فقال: «أنا سيِّدُ ولدِ آدمَ، وعليٌّ سيِّد العربِ». قال الحافظ الهيثميُّ: «فيه خاقان بن عبدالله بن الأهتم ضعَّفه أبو داود».

قلت: خاقان ذكره ابنُ أبي حاتم في "الجرح" ولم يجرِّحه، وعبارته: «خاقان ابن عبدالله بن الأهتم أخو يحيى بن أبي الحجَّاج المنقري، روى عن الحكم بن عتيبة وعليِّ بن زيد بن جدعان، روى عنه عبدالصَّمد بن عبدالوارث ومسدَّد وهشام بن الكلبي، سمعت أبي يقول بعض ذلك، وبعضه من قِبلي».اهـ

---

(١) هذا التعبير خطأ لا وجه له وإن استعمله بعض من يدعي الأدب، والصواب أن يقال: بدون مسوغ.

وهو بصريٌّ، والبصريون أبعد الناس عن التشيُّع.

طريقٌ آخر: روىٰ الحاكم في "المستدرك" من طريق عمر بن الحسن الراسبيِّ: ثنا أبو عوانة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبيرٍ، عن عائشة قالت: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أنا سيِّدُ ولدِ آدمَ، وعليٌّ سيِّدُ العربِ**». قال الحاكم: «هذا حديثٌ صحيحُ الإسناد، وفيه عمر بن الحسن وأرجو أنه صدوقٌ، ولولا ذلك لحكمت بصحَّته علىٰ شرط الشَّيخين».اهـ

قلت: إسناد الحديث نظيفٌ ليس فيه كذَّاب ولا متَّهم، وعمر بن الحسن هو الراسبيُّ، ذكره ابن أبي حاتمٍ في "الجرح والتعديل"، فقال ما نصُّه: «عمر بن الحسن الراسبيُّ البصري، روىٰ عن القاسم بن الفضل الحداني وديلم بن غزوان وسكين بن عبدالعزيز، روىٰ عنه محمد بن موسىٰ الحرشي».اهـ

ولم يجرِّحه بشيءٍ، وبمقتضىٰ القاعدة المقرَّرة يكون تعديل الحاكم له مقبولًا، لكن الذهبيَّ تعقَّب قول الحاكم: «أرجو أنَّه صدوقٌ»، فقال: «أظنُّ أنَّه هو الذي وضع هذا».

وهو تعنُّتٌ شديدٌ وقولٌ بالظنِّ، والظنُّ أكذب الحديث، والعجب من الحافظ كيف وافق الذهبيَّ علىٰ هذا الحكم المتعنِّت، وغفل عما تقتضيه القاعدة في هذا المقام؟! والكمال لله تعالىٰ.

فالحديث بهذين الطريقين طريق أنس، وطريق عائشة لا يبعد أن يكون من قبيل الحسن لغيره.

ثانيًا: الحامل للذهبي علىٰ الحكم بوضع الحديث، فهمه أنَّ الحديث يقتضي تفضيل عليٍّ علىٰ الشَّيخين رضي الله تعالىٰ عنهم، وعلىٰ أساس هذا الفهم ردَّ هو

وغيره كثيرًا من الأحاديث في فضل عليٍّ عليه السَّلام، وحكموا بوضعها أو نكارتها، ولم يَسْلَم من نقدهم بهذا الفهم إلَّا قليل، وأيَّد ذلك عندهم أنَّ المبتدع إذا روىٰ حديثًا يؤيد بدعته تُردُّ روايته، ونفَّذوا هذه القاعدة بدقة فيما يرويه الشِّيعة من فضائل عليٍّ عليه السَّلام، بل يستنكرون الحديث الوارد في فضله، ولو لم يكن في سنده شيعيٌّ.

روىٰ الحاكم من طريق عامر بن السمط، عن أبي الجَحَّاف داود بن أبي عوف، عن معاوية بن ثعلبه، عن أبي ذر قال: قال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**يا عليُّ، من فارقني فقد فارقَ الله، ومن فارقَك يا عليُّ فقد فارقَني**». قال الحاكم: «صحيح الإسناد». ووافقه الذَّهبيُّ وزاد: «بل منكرٌ». والحديث رواه البزَّار، وقال الهيثمي: «رجاله ثقاتٌ».

وإنما استنكره الذهبيُّ لأمرين: أنَّ هذا اللفظ لم يرد في حقِّ أحد الشَّيخين، وأنه يفيد الطَّعن في معاوية وفرقته.

وقد يَدَّعون بُطلان حديثٍ صحيحٍ في فضل عليٍّ عليه السَّلام، ويستدلون بما هو أشدُّ بطلانًا من الدعوىٰ.

مثال ذلك ما رواه أحمد في "فضائل الصحابة"، والحاكم في "المستدرك"، والخطيب في "تاريخ بغداد"، من طريق أحمد بن الأزهر: ثنا عبدالرزاق: نا مَعْمَرٌ: عن الزهريِّ، عن عبيدالله بن عبدالله، عن ابن عبَّاسٍ قال: بعثني النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إلىٰ عليِّ بن أبىٰ طالبٍ، فقال: «**أنت سيِّدٌ في الدنيا وسيِّدٌ في الآخرة، من أحبَّك فقد أحبَّني وحبيبُك حبيبُ الله، وعدوَّك عدوِّي، وعدوِّي عدوُّ الله، والويلُ لمن أبغضَك بعدي**».

قال الحاكم: «صحيحٌ على شرط الشَّيخين، وأبو الأزهر بإجماعهم ثقةٌ، وإذا انفرد الثقة بحديثٍ فهو على أصلهم صحيحٌ، سمعت أبا عبدالله القرشي يقول: سمعتُ أحمد بن يحيى الحلواني يقول: لما ورد أبو الأزهر من صنعاء، وذاكر أهل بغداد بهذا الحديث، أنكره يحيى بن معين، فلما كان يوم مجلسه، قال في آخر المجلس: أين هذا الكذَّاب النيسابوري الذي يذكر عن عبدالرزاق هذا الحديث؟ فقام أبو الأزهر، فقال: هو ذا أنا. فضحك يحيى بن معين من قوله وقيامه في المجلس، فقرَّبَه وأدناه، ثُمَّ قال له: كيف حدَّثك عبدالرزَّاق بهذا ولم يحدِّثْ به غيرَك؟ فقال: اعلم يا أبا زكريا أنِّي قدمت صنعاء وعبدالرزَّاق غائبٌ في قرية له بعيدة، فخرجت إليه وأنا عليل، فلما وصلت إليه سألني عن خراسان فحدثته بها وكتبت عنه وانصرفت معه إلى صنعاء، فلما ودَّعته قال لي: قد وجب حقّك عليَّ، فأنا أحدِّثك بحديثٍ لم يسمعه منِّي غيرُك، فحدَّثني والله بهذا الحديث لفظًا، فصدَّقَه يحيى بن معين واعتذر إليه».اهـ كلام الحاكم.

وكتب الذهبيُّ على قوله: «صحيحٌ على شرط الشَّيخين»، ما نصُّه: «هذا وإن كان رواته ثقاتٌ، فهو منكرٌ وليس ببعيدٍ من الوضع، وإلَّا لأيِّ شئ حدَّث به عبدالرزَّاق سرًّا ولم يجسر أن يتفوَّه به لأحمد وابن معين والخلق الذين رحلوا إليه».اهـ

ثُمَّ وافق على الحكاية التي رواها الحاكم وفيها بيان سبب تخصيص أبي الأزهر بهذا الحديث وتصديق يحيى بن معين له، فلم يبقَ لاستنكاره حجَّة إلَّا التعنُّت.

وقد ذكره ابن كثير في "البداية والنهاية" (٧ – ٣٥٦) وقال: «رواه غير

واحدٍ عن أبي الأزهر». وما ضعَّفه ولا استنكره.

وقال الخطيب في "التاريخ": «وقد رواه محمد بن حمدون النيسابوري، عن محمد بن علي بن سفيان النجار، عن عبدالرزاق، فبرأ أبو الأزهر من عهدته إذ قد تربَّع على روايته».اهـ

وبعد هذا فاسمع ما قيل في الحكم ببطلانه ووضعه: روى الخطيب، عن أبي حامد بن الشرقي: «أنه سُئل عن حديث أبي الأزهر، عن عبدالرزاق، عن معمر. في فضائل عليٍّ؟ فقال: «هذا حديثٌ باطلٌ»، والسبب فيه: أنَّ مَعْمَرًا كان له ابن أخ رافضيّ، وكان مَعْمَر يُمَكِّنُه من كتبه، فأدخل عليه هذا الحديث، وكان مَعْمَر رجلًا مهيبًا لا يقدر عليه أحدٌ في السؤال والمراجعة، فسمعه عبدالرزَّاق من كتاب ابن أخي مَعْمَر».اهـ

قلت: هذا كلامٌ باطلٌ جدًّا، وبيان ذلك: أنَّ ابن أخي مَعْمَر، شخصٌ وهْميٌّ لا وجود له، ولا يُعرَف أخٌ لمَعْمَر، وكيف يوجد ابنٌ بدون أب غير عيسى عليه السَّلام؟!

وعلى فرض وجود هذا الابن المزعوم، فلم يكن معمر ليُمكِّنه من كتبه يعبث فيها، كيف وهو ثقةٌ إمامٌ؟!

ولو فُرِض إدخال شيء في كتبه من الابن المزعوم، فيكون في غير رواية عبدالرزَّاق ولابد؛ لأنَّ روايته عن مَعْمَر متقنة.

قال أحمد: «حديث عبد الرزَّاق عن مَعْمر أحبُّ إليَّ من حديث هؤلاء البصريين، كان مَعْمَر يتعهَّد كتبه وينظر فيها باليمن، وكان يحدِّثهم حفظًا بالبصرة».

فكيف يتعهَّد كتبه ويحدِّث بها عبدالرزَّاق وفيها دخيل لابن أخيه المزعوم ولم يشعر به؟! هل حدَّث بها وهو نائم أو مغلوبٌ على عقله؟!.

ثمَّ إنَّ معمرًا كان ثَبْتًا في الزُهري بصفةٍ خاصَّة، قال ابن معين: «أثبَتُ النَّاس في الزُّهري مالكٌ ومَعْمَر».

وقال ابن معين أيضًا: «مَعْمَر أثْبَت في الزُّهري من ابن عيينة».

وقال عثمان الدَّارمي: قلت لابن معين: معْمَر أحبُّ إليك في الزُّهري أو ابن عُيينة أو صالح بن كَيسان أو يونس؟ فقال في كل ذلك: مَعْمَر.

وقال الغلَّابي: ابن معين يقدم مالك بن أنس على أصحاب الزُّهري ثم مَعْمَرًا.

فهلّا كان ابن أخيه المزعوم أدخل عليه الحديث في غير روايته عن الزُّهري؟!.

ومن هنا يُعلم أنَّ الذي اختلق حكاية ابن أخي معْمَر، ليُبْطِل بها الحديث لم يُوَفَّق في حَبْكِها وصياغتها، فكانت تحمل بطلانها في تضاعيفها، ويأبى الله إلا أن يُظهر الحقَّ ويَخذُل الباطلَ.

ثالثا: اتَّخذ النواصب وتَبِعهم كثير من أهل السُّنة ـ انخداعًا بهم ـ مسألةَ احتمال الحديث تفضيل عليٍّ على الشَّيخين تَكِأة يستندون إليها في ردِّ أحاديث كثيرة في فضل عليٍّ عليه السَّلام، كما سبق.

وابن تيمية أكثر الطعن في أحاديث فضل علي عليه السَّلام، تجد ذلك في "منهاجه" واضحًا، فلا يُعْتَمد عليه فيما يطعن فيه من تلك الأحاديث؛ لأنَّ فيه انحرافًا عن عليٍّ عليه السَّلام، كما نبَّه عليه الحافظ في ترجمته من "الدرر الكامنة".

وقال في "لسان الميزان": «لكن وجدته -يعني: ابن تيمية- كثير التحامل إلى الغاية في درء الأحاديث التي يوردها بن المطهر وإن كان معظم ذلك من الموضوعات والواهيات، لكنه ردَّ في ردِّه -يعني: "المنهاج"- كثيرًا من الأحاديث الجياد التي لم يستحضر حالة التصنيف مظانها، لأنه كان لاتساعه في الحفظ يتَّكِل على ما في صدره، والإنسان عُرضَةٌ للنِّسيان، وكم من مبالغة لتوهين كلام الرافضيِّ أدته أحيانًا إلى تنقيص عليٍّ رضي الله عنه».اهـ (ج ٦ ص ٣١٩ / ٣٢٠).

والألبانيُّ حريصٌ كلَّ الحرص على تلقيبِ ابن تيمية بشيخِ الإسلام، مع أنه لقبٌ مُبْتَدع، لا أصل له عن السَّلف إلا ما جاء بإسناد واه عن عبدالله بن أُبَيّ، رأس المنافقين: أنه رأى أبا بكر رضي الله عنه وجماعة من الصحابة، فقال لأصحابه: انظرو كيف أصرف هؤلاء السُّفهاء، فتقدم إلى أبي بكر، فصافحه وسماه شيخ الإسلام نفاقًا ومداهنة».

ثم إنَّ الإسلام دين الله أنزله على رسوله فكيف يكون أحدٌ شيخًا له؟!.

والعجيبُ في أمر هذا الألبانيِّ أنَّه يحرص على تلقيب ابن تيمية بهذا اللقب المُبتدع، ويعيب على الذين يُسوِّدون النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في الصَّلاة عليه ويَعتبر لفظ السِّيادة بدعة، ويعتبر الذين يذكرونها متبدعة! مع أنَّ سيادته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ثابتة بالتواتر ومعلومة بالضرورة لكلِّ مسلم.

رابعًا: قال الفيومي في "المصباح": «وساد يسود سيادة، والإسلام الُّسؤدد وهو المجد والشرف، فهو سيد والأنثى سيدة».

قلتُ: فمعنى قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «عليٌّ سيِّدُ العَربِ». أنه ذو الشرف والمجد فيهم، لأنه من أهل البيت، فقد صحّ عن النبيِّ صلَّى الله عليه

وآله وسلَّم أنه جمع عليًّا وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم، ثم أدخلهم تحت ثوبه وجلَّلَهم بكِساء كان عليه، ثم قال: «**هؤلاء أهلُ بيتي فأذْهِبْ عنهم الرِّجْسَ وطهِّرْهُم تطْهِيرًا**»، فسَّر قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

ولهذا الحديث طُرُق عن أم سلمة وعائشة وواثلة بن الأسقع وأبي سعيد الخدْري وسعد بن أبي وقاص وغيرهم، فهو حديث مستفيض.

فعليّ عليه السلام سيد العرب لكونه من أهل البيت النبويِّ، وهذه خصوصية له خصّه الله بها، وأهل المشرق يطلقون لفظ السيد علىٰ الرجل من أهل البيت.

وخصوصية أخرىٰ لعليٍّ رضي الله عنه، وهي أنَّه يقال له: عليه السلام، لأنَّ هذه الكلمة تقال لأهل البيت ولا تقال لغيرهم، وإنْ كان أفضل منهم كأبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

ولعليٍّ عليه السلام خصوصية ثالثةٌ، وهي أنَّه إذا صلَّىٰ شخص علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وصلىٰ علىٰ آله معه، دخل عليٌّ دخولا أوَّليًّا.

وننبه هنا علىٰ خطأ وقع من جماهير المسلمين، قلّد فيه بعضهم بعضًا ولم يتفطَّن له إلا الشِّيعة، ذلك أنَّ الناس حين يُصلّون علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يذكرون معه أصحابه، مع أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حين سأله الصحابة فقالوا: كيف نصلِّي عليك؟ أجابهم بقوله: «**قولُوا: اللهمَّ صلِّ على محمَّدٍ وآلِ محمَّدٍ**». وفي رواية: «**اللهمَّ صلِّ على محمَّدٍ وأزواجِه وذرِّيَّتِه**».

ولم يأت في شيء من طرق الحديث ذكر أصحابه، مع كثرة الطرق وبلوغها حد التواتر، فذِكْرُ الصحابة في الصلاة على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم زيادة على ما علَّمه الشارع واستدراك عليه، وهو لا يجوز.

وأيضًا فإنَّ الصلاة حق للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ولآله، لا دخل للصحابة فيها، لكن يُتَرَضَّى عنهم.

وروى مالك حديث أبي حميد الساعدي أنهم قالوا: يارسول الله كيف نصلي عليك؟ فقال: «**قولوا: اللهمَّ صلِّ على محمَّدٍ وأزواجِه وذريَّتِهِ كما صلَّيتَ على آلِ ابراهيمَ**». قال ابن عبد البر في "التمهيد": «استدل قوم بهذا الحديث على أنَّ آلَ محمَّد هم أزواجه وذريته خاصة، لقوله في حديث مالك عن نعيم المجمر، وفي غير حديث مالك: «**اللهمَّ صلِّ على محمَّد وعلى آلِ محمَّد**»، وفي هذا الحديث: «**اللهم صلِّ على محمَّد وأزواجِه وذريته**».

قالوا: فجائز أنْ يقول الرجل لكلِّ من كان من أزواج محمد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ومن ذريته: صلى الله عليك، إذا واجهه، وصلَّى الله عليه، إذا غاب عنه، ولايجوز ذلك في غيرهم».اهـ وأهل الكساء هم أساس الذّرِّية وأصلها.

فائدة: حصل خلاف كبير في توجيه التشبيه في الصَّلاة الإبراهيميَّة، وذكروا وجوهًا كثيرة، وألَّف العلَّامة محمد موسى الروحاني البازي كتابًا سمَّاه: "فتح العليم لحل إشكال التشبيه العظيم في حديث: «**كما صلَّيتَ على ابراهيمَ**»"، ذكر فيه سبعة وثمانين ومائة جواب، وألهمني الله جوابًا رافعًا للإشكال، ذكرْتُه في كتاب "فضائل النبي في القرآن"، وحاصله: أنَّ التشبيه نوعان:

الأول: إلحاق مفضول بفاضل، نحو زيد كالبدر، وأبو يوسف كأبي

حنيفة، والشجاع كالأسد.

والآخر: إلحاق متأخر، بمتقدم من غير نظر إلى المفاضلة بينهما، بل قد يكون المتأخر أفضل من المتقدم، نحو قول الله تعالى ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [النور: ٥٥] شبَّه استخلاف المسلمين باستخلاف اليهود، لكونه سابقًا في الوجود، مع أنَّ استخلاف المسلمين أعمّ وأقوى.

والتشبيه في الصَّلاة الإبراهيميَّة من هذا النوع، والمعنى: اللهمَّ صلِّ على محمد كما سَبَقت الصَّلاة منك على إبراهيم، من غير اعتبار مفاضلة بينهما، وإنْ كانت الصَّلاة على محمد في الواقع أفضل منها على إبراهيم، وبهذا زال الإشكال ولم يبق محل لكثرة القيل والقال.

وهذه الفائدة ذكرناها استطرادًا، متممة لبحث الصلاة على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

خامسا: عاب الألبانيُّ مخالفتي للذهبيِّ، واعتبرها تبجُّحًا باردًا وتطاولًا على مقامه بدون مسوغ.

وأقول: هنا يصحُّ ذكر الحديث: «**يُبصِر أحدُكم القَذَى في عينِ أخيه وينسَى الجذْعَ في عينِه**».

فالألباني أكثر الناس تطاولًا على مقام أئمة كبار، مع تَبَجُّح أبرد من الثلج، وسَفَهٍ سَمِج، ويكفيه ذمًّا وعابًا أنَّه تطاول على مقام الإمام مسلم بن الحجاج الحافظ العَلَم وضعَّف أحاديثه في "صحيحه" الذي هو أحد "الصحيحين"

اللذين تلقتهما الأمة بالقبول، ولهما عند الحُفَّاظ جلالة ومهابة، وليْتَه ضعَّف تلك الأحاديث بعِلْمٍ ومعرفة، ولكن بجهلٍ ووقاحةٍ.

وقد تتبَّع تلميذنا الأستاذ المحقِّق الفاضل محمود سعيد الأحاديث التي ضعَّفها، بالنَّقد والتزييف حديثًا حديثًا في كتاب سماه "تنبيه المسلم إلى تعدِّي الألباني على صحيح مسلم"، وبيَّن سقوط تضعيفه بالقواعد الحديثيَّة.

من قرأ هذا الكتاب تبيَّن له أنَّ الألبانيَّ ضعيفٌ في علم الحديث متنًا ورجالًا، بخلاف ما يدعيه لنفسه.

وميزة أخرى لهذا الكتاب: أنَّ صاحبه عَفُّ اللسان، ينتقد بلطفٍ ويناقش بأدب لاتجد فيه لفظًا نابيًا ولا دعوى عريضة.

بخلاف الألبانيِّ، فإنَّه كثير الدعوى سفيه اللسان، شتَّام هجَّام فيه زعارة وعرامة قبيحة، كأنَّه لم يقرأ الأحاديث الذَّامة لسوء الخلق والناهية عن السَّبِّ والشَّتم.

ومن معايبه -وما أكثرها- لمزُه لمن يخالفه بالابتداع، فهو عند نفسه: قسيم النار، من كان معه فهو سُنِّي يستحقُّ الجنة، ومن خالفه فهو مبتدع يستحقُّ النار، ومِن تبجُّحِه السَّخيف، قوله في تعليقاته على كتاب "السُّنة" لابن أبي عاصم (ج١/ ٧٦):

«وقد خرَّجْت أسماء هؤلاء الأئمة -يعني: الذين ضعَّفوا أبا حنيفة رضي الله عنه- في الأحاديث الضعيفة، بما لا تراه في كتابٍ آخر، ولدينا مزيد».اهـ

وفي هذه الجملة سخافات:

منها: تطاوله على مقام الإمام أبي حنيفة أحد أئمة المسلمين وهو ثقةٌ عدلٌ.

ومنها: تبجُّحه بأنَّ ما جاء به لا يوجد عند غيره ونقول له: مادحُ نفسِه يقرئك السَّلام.

ومنها: وهو أشدها سخافة وقبحًا: تمثله بالآية الكريمة، وإذا قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥] فهو حقٌّ لأنَّ عطاءه ليس له حدٌّ، ونعمه ليس لها عدٌّ، لكن ماذا عند الألبانيِّ من المزيد غير الجهل والوقاحة؟!.

وذكر في مقدمة "شرح العقيدة الطحاوية" (ص: ٦٧ طبعة رابعة) عبارة: «العصمة لله وحده»، وهذه العبارة لا تجوز في جانب الله ولا يصحُّ إضافة العصمة وصفًا له تعالىٰ، ذلك أنَّ العصمة مَلَكة تقوم بشخص النبيِّ تحول دون وقوع المعصية منه، وهي خاصة بالأنبياء والملائكة، فيقال: النبيُّ معصومٌ، والمَلَك معصومٌ، وعند الأشعرية: أنَّ الملك ليس بمعصومٍ، وهذا خطأ، ولعلهم استندوا إلىٰ حديث هاروت وماروت وقصتهما مع الزهرة، وهو حديث باطلٌ وإن صحَّحه ابن حِبَّان، والكمالُ لله.

ومما يدلُّ علىٰ تقليد الألبانيِّ في الرِّجال، وقلَّة اطلاعه، أنَّه في تعليقه علىٰ كتاب "صفة الفتوىٰ والمفتي والمستفتي" لما ذكر مؤلف الكتاب حديث: «**من أفتَى النَّاس بغيرِ علمٍ، لعنتْهُ ملائكةُ السَّماء وملائكةُ الأرضِ**». كتب عليه الألبانيُّ: «إسناده ضعيفٌ، فيه عبدالله ابن بشر عن علي بن موسىٰ الرضا، الأول لم أجد من ترجم له، والآخر قال ابن حِبَّان يروي عن أبيه العجائبَ كأنَّه كان يهِم ويُخطِئ».اهـ

فاقتصار الألبانيِّ علىٰ كلام ابن حِبَّان في تضعيف عليٍّ الرِّضا، قصورٌ ينبئُ

عن قلة اطلاع وكثرة جهلٍ، فقد نقل أبو سعد بن السمعاني كلام ابن حِبَّان كما نقله الألبانيُّ، مع أحاديث منكرة رُويت من طريقة، وقال: «والخلل في رواياته من رواته فإنَّه ما روىٰ عنه إلَّا متروك».اهـ، ونقل الذَّهبيُّ في ترجمته من "الميزان" قول ابن طاهر: يأتي عن آبائه بعجائب، وقال عقبه: «إنَّما الشَّأن في ثبوت السَّند إليه، وإلَّا فالرَّجل قد كُذِب عليه ووِضع عليه نسخة سائرها كذب علىٰ جدِّه جعفر الصَّادق».اهـ

وقال في "المغني": «عليُّ بن موسىٰ بن جعفر الرضا، عن آبائه. قال ابن طاهر: يأتي عن آبائه بعجائب. قلت: الشَّأن في صحة الإسناد إليه، فإنَّه كُذب عليه وعلىٰ جدِّه».اهـ

وأظن الألبانيَّ اطَّلع علىٰ بعض هذه النُّقول أو جميعها، لكنَّه آثر كلام ابن حِبَّان، لنصبٍ عنده، والتشيُّع الذي شمَّ رائحتَه منَّا، خيرٌ من النَّصب الذي شممْنا رائحتَه منه.

وما أحسن قول الإمام الشافعي رضي الله عنه:

يا راكبًا قفْ بالمحصِّب من مِنىٰ ... واهتِف بقاعِد خيفِهَا والنَّاهضِ

إنْ كانَ رفضًا حبُّ آلِ محمَّد ... فلْيشهَدِ الثَّقَلان أنِّي رافضِي

ومن أخطائه الدَّالة علىٰ قلَّة فهمه، وضعفه في قواعد الاستنباط: أنَّه اختار للمصلِّي أنْ يقول في تشهده: السَّلام علىٰ النبيِّ، ولا يقول: السَّلام عليك أيها النبيُّ، مع أنَّ الأحاديث الصَّحيحة عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ثبتَ فيها التشهد بلفظ الخطاب.

ففي "الصحيحين" عن ابن مسعود قال: أخذ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بيدي، وعلمني التشهد كما يعلمني سورة من القران، قال: «**قل: التَّحِياتُ لله والصَّلواتُ والطيِّباتُ السَّلامُ عليك أيُّها النبيُّ ورحمةُ الله وبركاتُه، السَّلامُ علينا وعلى عبادِ الله الصَّالحين، أشهدُ ألا إله ألا الله وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه**». ورواه بقية السِّتَّة كذلك.

وفي "صحيح مسلم" والأربعة عن ابن عبَّاسٍ قال: كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن، فذكر مثل تشهد ابن مسعود.

ورواه مسلم والأربعة إلَّا الترمذي عن أبي موسىٰ قال: خطبنا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وبيَّن لنا سنَّتنا، وعلَّمنا صلاتنا فقال: «**إذا صلَّيتم وكان عند القَعْدَة فلْيكنْ من أول قول أحدكم: التحياتُ الطيباتُ الصلواتُ لله السلامُ عليك أيُّها النبيُّ ورحمةُ الله وبركاتُه...**».الحديث.

وهكذا ثبت التشهد بخطاب النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في السَّلام عليه من حديث ابن عمر وجابر وسلمان الفارسي وابن الزبير وعائشة وأبي سعيد الخدري وغيرهم، وهو تواترٌ، وواظب عليه النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فهو سُنَّة من قول النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وفعله، وأخذ به الشَّافعيَّة فقالوا بوجوب الخطاب في السَّلام علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

لكن ثبت في "صحيح البخاري" بعد روايته للحديث عن ابن مسعودٍ قوله: بين ظهرانينا فلما قُبِض قلنا: السَّلام يعني: علىٰ النبيِّ.

قال الحافظ في "فتح الباري": «كذا وقع في البخاريِّ، وأخرجه أبو عوانة في "صحيحه" والسراجُ والجوزقيُّ وأبو نُعيم الأصبهاني والبيهقيُّ من طرق متعددة إلىٰ أبي نعيم شيخ البخاري فيه، بلفظ: فلما قُبض قلنا السَّلام علىٰ النبيِّ، بحذف لفظ «يعني». وكذلك رواه أبو بكر بن أبي شيبة عن أبي نعيم.

قال السُّبكيُّ في "شرح المنهاج" بعد أنْ ذكر هذه الرِّواية عن أبي عوانة وحده: «إنْ صحَّ هذا عن الصحابة، دلَّ علىٰ أنَّ الخطاب في السَّلام علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم غير واجبٌ، فيقال: السَّلام علىٰ النبيِّ.

قلت: قد صحَّ بلا ريبٍ، وقد وجدت له متابعًا قويًّا، قال عبد الرزَّاق: أخبرنا ابن جريج أخبرني عطاء: أنَّ الصَّحابة كانوا يقولون النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حيٌّ: السَّلام عليك أيُّها النبيُّ، فلما مات قالوا: السَّلام علىٰ النبيِّ، وهذا إسنادٌ صحيح».اهـ كلام الحافظ.

قلت: كلام عطاء هذا، عنعنه ابن جريج كما في "مصنف عبد الرزَّاق" (ج ٢ ص ٢٠٤) وابن جريج مدلِّس، فلا يقبلُ ما عنعنهُ.

قال الألبانيُّ: «وقول ابن مسعود: فقلنا: «السَّلام علىٰ النبيِّ». يعني: أنَّ الصَّحابة رضي الله عنهم كانوا يقولون: السَّلام عليك أيُّها النبيُّ في التشهد والنبيُّ حيٌّ بينهم، فلما مات عدلوا عن ذلك وقالوا: السَّلام علىٰ النبيِّ، ولابد أنْ يكون بتوقيفٍ منه، ويؤيده أنَّ عائشة رضي الله عنها كذلك كانت تعلِّمُهم التشهد في الصَّلاة، السَّلام علىٰ النبيِّ. رواه السراج في "مسنده"، والمخلص في "فوائده" بسندين صحيحين عنها».اهـ

وهذا الكلام يدلُّ علىٰ جهلٍ عريضٍ، وقد أغرب بعزْو أثر عائشة إلىٰ

السِّراج والمخلِّص -خلص الله الألبانيَّ من جهله- مع أنَّه في "مصنف ابن أبي شيبة" و"مصنف عبد الرزاق".

وجهل الألبانيِّ فيما قاله يتبين بوجوه:

الأول: أنَّ قول ابن مسعود: فلما قُبِض قلنا: السَّلام على النبيِّ. ليس عن توقيف بل هو اجتهادٌ منه وممن وافقه، استنادًا منهم إلى أنَّ الوفاة تناسبها الغيبة، وهو خطأٌ، لما سيأتي.

الثاني: لو كان عند ابن مسعود توقيفٌ بذلك لصرَّح به بأنْ يقول: فلما قُبض قلنا بأمره أو بإرشاده، فلما لم يقل، دلَّ على أنَّه رأي له محضٌ.

الثالث: أنَّ التشهد يتعلَّق بالصَّلاة التي هي أهم أركان الإسلام بعد الشهادتين، وكان الصحابة يتعلمونه كما يتعلمون السورة من القرآن، فلو كان عندهم توقيف لنقلوه إلينا كما نقلوا ألفاظ التشهد؛ لأنَّه قيْدٌ متمِّم لها، وهم يعرفون أنَّ نقل المقيَّد بدون قيده لا يجوز.

الرابع: أنَّه ثبت بالأسانيد الصَّحيحة في "الموطأ" و"مصنف ابن أبي شيبة" و"مصنف عبد الرزاق" وغيرها عن عبدالرحمن بن عبدٍ القاري أنَّه سمع عمر رضي الله عنه يعلِّم النَّاس التشهد على المنبر، وهو يقول: قولوا: التحيات لله الزاكيات لله الصلوات لله السَّلام عليك أيها النبيُّ ورحمة الله وبركاته... إلخ.

هكذا علَّم عمر التشهد على منبر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بحضرة المهاجرين والأنصار، ولو كان توقيف بتغيير صيغة السَّلام لما خَفِي على عمر، ولو خفي عليه لنبهه بعض الصَّحابة الذين سمعوا تعليمه.

ومثل هذا ما رواه الطحاوي في "معاني الآثار" عن ابن عمر رضي الله

عنهما قال: كان أبو بكر رضى الله عنه يعلِّمنا التشهد على المنبر كما تعلمون الصِّبيان الكتاب، ثمَّ ذكر مثل تشهد ابن مسعود رضي الله عنه، لكن في سنده زيد العمِّي.

ومثله ما رواه الطبرانيُّ من طريق إسماعيل بن عياش، عن حريز بن عثمان، عن راشد بن سعد، عن معاوية بن أبي سفيان أنه كان يعلم النَّاسَ التشهُّدَ وهو على المنبر: «التحياتُ لله والصلواتُ والطيباتُ» فذكر مثل تشهد ابن مسعود.

الخامس: روى الطبرانيُّ بإسناد صحيح عن الشَّعبي قال: كان ابن مسعود يقول بعد «السلام عليك أيها النبيُّ ورحمةُ الله وبركاتُه»: السَّلام علينا من ربنا. فهذه الجملة زادها ابن مسعود اجتهادًا منه، فكذلك تغيير صيغة السلام من الخطاب إلى الغيبة اجتهادا منه أيضًا.

السادس: أنَّ البيهقيَّ روى في "سننه" عن القاسم عن عائشة رضي الله عنها قالت: هذا تشهد النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: التحيات لله... إلى آخره، مثل تشهد ابن مسعود.

قال النووي في "الخلاصة": «إسناده جيِّد، وهو يفيد أنَّ تشهد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مثلَ تشهدنا، وهي فائدة حسنةٌ».اهـ

السابع: روى أبو عاصم قال: أخبرنا ابن جريج قال: سُئل عطاء -وأنا أسمع- عن التشهد؟ فقال: التحيات لله...، وذكر تشهد ابن عبَّاسٍ، ثم قال: لقد سمعت عبدالله بن الزبير يقولهن على المنبر، يعلمهن الناس، ولقد سمعت عبدالله ابن عبَّاسٍ يقول مثل ما سمعت ابن الزبير يقول، قلت: فلم يختلف ابن الزبير وابن عبَّاسٍ؟ فقال: لا. أخرجه الطحاوي.

ووقع هذا الأثر في "مصنف عبد الرزَّاق" بصيغة الغيبة وما هنا أرجَحُ، لأنَّه أحال على تشهد ابن عبَّاسٍ، والسَّلام فيه بصيغة الخطاب.

الثامن: أنَّ المسلمين المقيمين في عهد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بمكة واليمن وأطراف الجزيرة العربية، كانوا يسلمون على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في تشهد الصلاة بصيغة الخطاب ولم يأمرهم بتغيير صيغة السلام لكونهم غائبين عنه.

التاسع: أنَّ وفاتَه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لا تستوجبُ تغيير السَّلام من الخطاب إلى الغيبة، لأنَّ سلامنا عليه يبلغه حيث كنَّا.

روى أحمدُ والنَّسائيُّ عن ابن مسعود عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ لله في الأرضِ ملائكةً سيَّاحين يبلِّغُوني عن أمَّتي السَّلامَ**». صحَّحه ابن حِبَّان. وللحديث طرق كثيرة.

العاشر: قال ابن حزم أثناء الردِّ على من زعم أنَّ رسالة النبيِّ تنتهي بانتقاله، ما نصُّه: «وكذلك ما أجمع الناس عليه وجاء به النصُّ من قول كلِّ مصلٍّ فرْضًا أو نافلِة: السَّلام عليك أيُّها النبيُّ ورحمة الله وبركاته».اهـ من كتاب "الفصل" (ج ١ ص ٨٩)، ولابن القيم قريب من هذا المعنى في كتاب "الروح".

وقال ابن تيمية في "الجواب الباهر": «والسَّلام عليه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قد شرع للمسلمين في كلِّ صلاة، وشرع للمسلمين إذا دخل أحدُهم المسجد، أيَّ مسجد كان، فالنوع الأول كلّ مصلٍّ صلاةً يقول المصلي: السَّلام عليك أيُّها النبيُّ ورحمة الله وبركاته».اهـ

وقال في موضعٍ آخر من هذا الكتاب: «وهم يقولون في الصَّلاة: السَّلام عليك أيها النبيُّ ورحمة الله وبركاته. كما كانوا يقولون ذلك في حياته».اهـ

الحادي عشر: أنَّ قولَ ابن مسعود: فلما قُبض قلنا: السَّلام على النبيِّ، لا يجوز أنْ يكون نسخًا لما علَّمه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من التشهد للصحابة كما كان يعلمهم السورة من القرآن؛ لأنَّ النسخ لا يثبتُ إلَّا بوحيٍ، ولا وحيَ بعده صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ولا يثبت بقول الصحابيِّ كما تقرَّر في الأصول، بل غاية ما يفيد قول ابن مسعود أنْ يكون قرينةً على أنَّ الخطاب غير واجب، فلو قال مصلٍّ في بعض الأحيان: السَّلام على النبيِّ، صحَّت صلاتُه.

وقال الشَّافعيَّة: تبطلُ. لأنَّ الخطاب عندهم واجبٌ، وهم أسعدُ بالدليل، وأحقُّ بموافقة قول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**صلُّوا كما رأيتُمُوني أصلِّي**».

وعهدنا بالألبانيِّ، يظهر الحرص على التمسك بالوارد عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فما بالنا نراه في هذه المسألة يحيدُ عن اللفظ النبويِّ المتواتر والمتوارث بين الأمة جيلًا عن جيل، ثم يختار لفظًا يزعم أنَّه عن توقيف؟!.

ولا غرابة في ذلك، فإنَّه يتكلم على فقه الحديث وهو لا يعرفُ الأصول ولا يحسن قواعد الاستنباط، فيخبِطُ خبْطَ عَشْواءَ ويتيهُ في ضلالةٍ عمياءَ، يجعل المُحْكَم منسوخًا والمخصوص عامًّا، والموقوف مرفوعًا كما هنا.

ولو أنَّه اقتصر على الكلام في سند الحديث -على تخليط له فيه- لكان خيرًا له وأفضل وأستر لحاله وأجمل، على أنَّه كثيرًا ما يُضَعِف الحديث بالهوى والعصبية، متعاميًا عن المتابعات والشواهد، ويريد إحياء أقوال ميتة كقول ابن

العربي: لا يجوز العمل بالضعيف في فضائل الأعمال، ويزعم أنَّ إقرار النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ أمر يفيد استحبابه، وعلىٰ هذا فالسلام علىٰ المصلي يستحبُّ، وأكل الضَّبِ مستحبٌّ.

وتارة يرمي بقاعدة أصولية في غير موضعها، فيؤكد بذلك جهله بعلم الأصول، فقد استعمل في "كتاب الجنائز" قول الأصوليِّين: «تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز»، فضحكنا من حسن استعماله لهذه القاعدة، وتارة يتحمس للتغليظ في حكم فيؤدي به الحماس إلىٰ الزيادة علىٰ الشارع.

ثبت في "الصحيح" عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**اعفُوا اللِّحى خالفُوا المجُوسَ**». اشتمل الحديث علىٰ الأمر بإعفاء اللِّحىٰ وتعليلُه بمخالفة المجوس؛ لأنَّهم يحلقون لحاهم، فلم يقف الألبانيُّ عند هذا التعليل واعتبره غير كافٍ في الزَّجر عن حلقِ اللِّحي، فعلَّله بعلتين أخرَيَين ذكرهما في رسالة "أدب الزفاف"، وهما: تغيير خلق الله، والتشبُّه بالنِّساء، وزيادة هاتين العلَّتين تعتبر استدراكًا علىٰ الشارع، والاستدراك علىٰ الشارع لا يجوز، لأنَّه لا ينسىٰ فيُذكَّر ولا يغْفَل فيُنبَّه.

وبالجملة فالألبانيُّ في استنباطاته وغيرها سقَطَات عظيمة يتحمَّل وزْرَها ووزْر من يقلِّده فيها، لإقدامه علىٰ الخوض في ما لا يحسِنُه، وقد أخطأ من زعمَه وهَّابيًّا بل هو أعمق من الوهابيِّين تعصبًا وأشدّ منهم تعنتًا، وأجمد علىٰ بعض النصوص بغير فهم وأكثر ظاهرية من ابن حزم، مع سلاطة في اللسان وصلابة في العناد لاتخطر بخُلْد إنسان، وهذا شعار أدعياء السُّنَّة والسَّلفيَّة في هذا الزمان.

وبلَغَنا عنه أنَّه أفتىٰ بمنع إعطاء الزكاة للمجاهدين الأفغانيين، نصرهم الله، فخالف نصَّ القرآن في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦٠].

وأجمع العلماء علىٰ أنَّ سبيل الله، هو الجهادُ، ولا دليل للألبانيِّ علىٰ مخالفة النصِّ والإجماع إلَّا عقيدته الفاسدة: أنَّ الأشعرية والماتردية ضالّون، والأفغانيُّون ماتردية في العقيدة.

وهو في الحقيقة الضالُّ المضِلّ، يسعىٰ في التفريق بين المسلمين، ويعمل علىٰ خِذْلان المجاهدين الذين أوجبَ الله نصرهم وإمدادهم بالمال والسلاح والعتاد، والله تعالىٰ يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] والنبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**المسلمُ أخو المسلمِ**».

وتواتر عنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم تواترًا قطعيًّا معلومًا بالضرورة أنَّه كان يكتفي في إسلام المرء بالشَّهادتين، ولم يشترط شيئًا آخر غيرهما، وجرىٰ علىٰ هذا صحابته الكرام، وتابِعوهم بإحسان.

فما بال هذا الألبانِّي المبتدع، يفرِّق بين المسلمين ويضلِّل جمهورهم كالأشعريَّة الذين منهم المالكيَّة والشَّافعيَّة، وبعض الحنابلة، وكالماتريديَّة الذين هم الحنفيَّة، ولم يبق من المسلمين سُنيّ إلَّا هو ومن علىٰ شاكلته من الحشَوية والمجَسِّمة الذين ينسبُون إلىٰ الله تعالىٰ ما لا يليقُ بجلاله.

وآية فساد عقيدته أنَّ العلماء عابوا علىٰ ابن تيمية قوله بإثبات حوادث لا

أول لها، ورجَّح حديث «كانَ الله ولم يكنْ شيءٌ قبلَه» على حديث «كان الله ولم يكنْ شيءٌ غيرُهُ» وكلاهما في "صحيح البخاري"، ليوافق الحديث قوله المخالف لقول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزمر: ٦٢]، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾ [الفرقان: ٢]، ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾ [القمر: ٤٩]، ولإجماع المسلمين على أنَّ الله كان وحده لا شيء معه، ثمَّ أوجد العالم.

وابن تيمية لم يفهم الحديثين، فلجأ إلى التَّرجيح بينهما فأخطأ.

والصَّواب الذي لم يوفَّق إليه أنَّ حديث «كان الله ولم يكنْ شيء قبلَه»، أو «كان الله قبلَ كلِّ شيء»، يبين معنى اسمه تعالى الأول، وحديث «كان الله ولم يكن شيءٌ غيرُه»، يبين معنى اسمه الواحد الأحد.

ثمَّ أخطأ خطأ آخر حيث زعم أنَّ مع الله تعالى في الأزل حوادث لا أول لها بالنوع لا بالعين والنوع لا وجود له إلا في جزئيٍّ من جزئياته كما تقرر في علم المنطق، وزعم أنَّ النَّاس اشتبه عليهم الفرقُ بين النوع والعين، لا بل هو الذي اشتبه عليه الحال. والعين هو الجزئيُّ الذي لا يتحقَّق وجود النوع إلا به والمقصود أنَّ ابن تيمية انفرد بهذه المقالة الشنعاء، وعابها العلماء عليه.

واطلع عليها الألبانيُّ، فكان تعقيبه عليها أن قال: «وليته لم يقلْها». ولم يزد على ذلك، كأنَّه خالف في فرع من فروع الطهارة، وكان الواجب عليه أن يشتد في إنكار هذه المقالة وبيان فسادها ومخالفتها للقرآن والاجماع، لأنَّها تتعلق بالعقيدة، لكنه يشتدُّ فقط ويبالغُ في إنكار السُّبحة وقراءة القرآن على الميت ونحو هذا من المسائل التي لا تعد من الضروريات في الدين.

فأيُّهما أخطرُ وأضرُّ على العقيدة من يذكر في السُّبحة ويقرأ على الميت أم من يقول: ما كان الله وحده في الأزل؟! معارضًا قوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ [الزمر: ٦٢]، وقول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم «**كان الله ولم يكن شئ غيره**»؟!!.

وهكذا شأنُ هذا الألبانيِّ وإخوانه الزائغين يتشدَّدون في مسائل هيِّنة، ويحابُون بعضهم البعض على حساب الدين والعقيدة!.

ولو أنَّ تلك المقالة صدرت عن أشعريٍّ أو صوفيٍّ، لرفع الألبانيُّ عَقِيرتَه بإنكارها وإكفار قائلها، لكن حيث صدرت عن شيخ الاسلام ابن تيمية، اكتفى بقوله: ليته لم يقلها!!.

تنبيه: سلف ابن تيمية في مقالته تلك، عبدالله بن ميمون الإسرائيلي صاحب كتاب "دلالة الحائرين"، وأنعمْ به سلفًا!!.

ومن أخطائه في الرجال: أنه يعزُو في الضعيفة إلى "فوائد" أبي عثمان البجيرمي بالباء الموحدة، وهذا الخطأ تكرر منه بتكرر العزْوِ إلى "الفوائد"، والصَّواب: النَّجِيرمي بالنون، وهي نسبة الى نجيرم، بفتح النون وكسر الجيم، بليدة قرب البصرة نسب إليها قوم من أهل الأدب واللغة والحديث.

ومن قبيح تعنُّته -وكلّ تعنُّت قبيح- ما كتبه على صلاة ابن مسعود التي رواها إسماعيل القاضي وابن ماجه، بلفظ: «اللهمَّ اجعلْ صلواتك ورحمتَك وبركاتَك على سيد المرسلين وإمامِ المتَّقين وخاتم النبيِّين محمَّدٍ عبدِك ورسولِك إمام الخير ورسول الرحمة، اللهم ابعثْه مقامًا محمودًا يغبطه به الأولون والآخرون.

وذكر الصلاة الابراهيمية.

فعلَّق عليه الألبانيُّ بقوله: قال الحافظُ ابن حجرٍ: «إسنادُه ضعيفٌ»، ذكر ذلك في فتوىٰ له في عدم مشروعية وصفه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بالسيادة في الصلاة عليه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وهي فتوىٰ مهمَّة، جرىٰ الحافظ فيها علىٰ طريقة السَّلف في الاتِّباع وترك الابتداع».اهـ

وهذا جمودٌ شديدٌ، وتزمُّت ممقوتٌ، يشبه نكتة تحكىٰ عن فلاحٍ، ذهب الىٰ فقيه القرية، يسأله عن يمين أوقعها صهره علىٰ بنته التي تسمىٰ فاطمة، فأخبره الفقيه بحكم اليمين، وقرأ عليه نصَّ الحكم في كتاب الفقه الموجود فيه، فقال له الفلاحُ: لكن لم يذكر اسم بنتي فاطمة!!

وهذا المبتدع، يريد أنْ يثبت له أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: اللهم صلِّ علىٰ سيدنا محمَّد وحيث لم يثبت فزيادة السِّيادة بدعة، والنَّاطق بها مبتدعٌ، فلقد حظَر واسعًا، ونطق هُجرًا.

وما أُتي إلَّا من قِبَل جهله بقواعد علم الأصول التي يعرف بها كيف يكون جمع الأدلة، والتوفيق بينها، حتىٰ تصير في خطٍّ مستقيمٍ، لا تناقض بينها ولا تعارض.

فنحن حين نذكر السِّيادة في الصَّلاة علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، لم نزدها من قبل أنفسنا، ولكنْ من قوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في الحديث المتواتر: «**أنا سيِّدُ ولدِ آدمَ**». فضممنا هذا الحديث إلىٰ حديث الصَّلاة عليه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وعملنا بالدليلين، وهذا مستند ابن مسعود في وصف النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بسيد المرسلين.

وكثير من الأحكام بل غالبها لم تُستَفدْ من دليلٍ واحدٍ بل من دليلين أو أكثر، فالصَّلاة عُرفت أركانُها وشروطُها وسننُها ومبطلاتُها، من عدة أدلَّة.

وكذلك الصِّيام والزَّكاة والحج، وهي أركان الإسلام. وهذا من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى بيان ولكن المتزمِّتين لا يفهمون.

والمبتدع الألبانيُّ، وقع في البدعة التي ينعاها علينا، وهو لايشعر، لضعف فهمه، وقلة إدراكه. فهو حين يصلِّي على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في خطبة كتبه، يصلِّي على أصحابه معه، وزيادة الصحابة بدعة، لما تقدم بيانُه.

أرأيت كيف وقع في البدعة وهو ينعاها على غيره؟!!. نسأل السَّلامة والتوفيق.

ومن جهله بعلم الأصول -وهو جهلٌ فاضحٌ- أنَّه جعل القراءة خلف الإمام في الصَّلاة الجهريَّة منسوخةً، بزيادة مُدْرجة في الحديث.

قال في صفة صلاة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم (ص:٨٠): «ثمَّ نهاهم عن القراءة كلِّها في الجهريَّة، وذلك حينما انصرف من صلاة جهر فيها بالقراءة، وفي رواية أنَّها صلاةُ الصُّبحِ، فقال: «**هل قرأ معي منكم أحدٌ آنفًا؟**». فقال رجل: نعم أنا يا رسول الله. فقال: «**إنِّي أقولُ: ما لي أنازعُ؟**». قال أبو هريرة: فانتهى الناس عن القراءة مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فيما جهر فيه بالقراءة حين سمعوا ذلك من رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وقرؤا في أنفسهم سرًّا فيما لا يجهر فيه الإمام.اهـ

كتب هذا تحت ترجمة: نسخ القراءة وراء الإمام في الجهريَّة.

وهذا جهلٌ كبيرٌ، يتبيَّن بالوجوه الآتية:

الأول: ليس في الحديث نهيُ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن القراءة خلف الإمام، روىٰ مسلم والنسائي عن عمران بن حصين: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم صلَّىٰ الظُّهر فجعل رجل يقرأ خلفه ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلىٰ: ١] فلما انصرف قال: «**أيكُم قرأ؟**» فقال الرجل: أنا، فقال: «**لقد ظننتُ أنَّ بعضَكم خالجَنِيها**». قال شعبة: قلت لقتادة: كأنَّه كرهه، قال: لو كرهه لنهىٰ عنه. وحيثُ لم يوجدْ نهيٌ، فلا نسخَ يصحُّ.

الثاني: قال البيهقيُّ في "المعرفة" قوله: «فانتهىٰ النَّاس عن القراءة»، من كلام الزُّهريِّ، قاله محمد بن يحيىٰ الذّهلي صاحب "الزهريات"، ومحمد بن إسماعيل البخاريُّ وأبو داود، واستدلوا علىٰ ذلك برواية الأوزاعيِّ حيث ميزه من الحديث وجعله من قول الزُّهريِّ وكيف يصحُّ ذلك عن أبي هريرة وأبو هريرة يأمر بالقراءة خلفَ الإمام فيما جهرَ به وفيما خافتَ؟!».اهـ

وكذا قال الترمذي في "السنن"، ولو صحَّ عن أبي هريرة لم يكنْ فيه دليل نسخ، لأنَّ النَّسخ لا يثبتُ إلا بقول الشارعِ كما هو مقرَّر في الأصول، ولا يثبت بقول صحابي فضلا عن تابعي.

الثالث: أنَّه لم يثبتْ نهيٌ عن القراءة مع الإمام إلَّا مقيدًا باستثناء الفاتحة. ففي "صحيح ابن حِبَّان" عن أنس أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم صلَّىٰ بأصحابه، فلما قضىٰ صلاته أقبل عليهم بوجهه فقال: «**أتقرؤن في صلاتكم خلفَ الإمامِ والإمامُ يقرأ؟!**». فسكتوا، قالها ثلاثًا، فقال قائل: إنَّا لنفعلُ. قال: «**فلا تفعلُوا وليقرأْ أحدُكم بفاتحةِ الكتابِ في نفسِه**». ورواه أبو يعلىٰ والطبرانيُّ في "الأوسط"، وقال الحافظُ الهيثميُّ: «رجالهُ ثقاتٌ».

وروىٰ أحمد عن أبي قتادة أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «تقرأون خلفي؟!» قالوا: نعم. قال: «**فلا تفعلُوا إلَّا بأمِّ القرآنِ**».

وروىٰ أحمد أيضًا بإسنادٍ صحيحٍ عن رجلٍ من الصَّحابة قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لعلكم تقرأون والإمام يقرأ؟**» قالها ثلاثًا، قالوا: إنا لنفعل ذلك. قال: «**فلا تفعلُوا إلا أنْ يقرأَ أحدُكم بفاتحةِ الكتابِ في نفسِه**».

وروىٰ أبو داود والترمذيُّ عن عُبادة بن الصَّامت قال: كنا خلف رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في صلاة الفجر، فثقُلتْ عليه القراءة فلما فرغ قال «**لعلَّكم تقرأُون خلفَ إمامِكُم؟!**». قلنا: نعم، هذًّا [1] يا رسول الله. قال: «**لا تفعَلُوا إلَّا بفاتحةِ الكتابِ فإنَّه لا صلاةَ لَمَنْ لم يقرأْ بهَا**». حسَّنه التِّرمذيُّ وصحَّحه البخاريُّ في "جزء القراءة" وابن حِبَّان والحاكم وغيرهم.

وما أُعِلَّ به من عنعنة ابن إسحاق مردودٌ بقول البيهقيِّ: «وقد رواه إبراهيم بن سعد عن محمَّد بن إسحاق فذكر سماعه فيه من مكحول، فصار الحديث بذلك موصولًا صحيحًا».اهـ

وقال الخطابي: «إسناده جيِّدٌ لا طعن فيه»، وقال الحافظُ في "التلخيص الحبير" وتخريج أحاديث "الأذكار": «إسنادُه حسنٌ».

وروىٰ الدارَقُطْني عن عُبادة بن الصامت إيضًا: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لا يقرأَنَّ أحدُكم شيئًا مِنَ القرآنِ إذا جهَرْتُ بالقراءة إلا بأمِّ القرآنِ**». قال الدارقطني: «رواتُه كلُّهم ثقاتٌ».

---

(١) بتشديد الذال المعجمة: أي سريعًا

أما النَّهي عن القراءة مطلقًا فلم يثبُتْ أبدًا، فكيف يدَّعي الألبانيُّ نسخ قراءة الفاتحة؟! أليس هذا جهلًا واضحًا؟.

الرابع: تقرَّر في علم الأصول: أنَّ الجمع بين الأدلَّة واجبٌ، لا يجوز العدول عنه إذا كان ممكنًا بوجه من الوجوه، والجمع هنا ممكن بوضوح، والأحاديث نفسها تشير إليه.

فالذين قرأوا مع النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم جهَرُوا بالقراءة، فلذلك قال: «**ظننتُ أنَّ أحدَكم خالجَنِيها**»، «**ما لي أنازَعُ؟**». وكانوا يقرأون السورة مثل سبّح حرصًا علىٰ حفظها منه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فأرشدهم إلىٰ الإنصات وترك الجهر لئلا يحصُل تشويشٌ وأمرهم مع ذلك بقراءة الفاتحة في أنفسهم. وقوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**وإذا قرأ فأنصتوا**». معناه لا تجهروا بالقراءة، وهم مأمورون بالقراءة الفاتحة سرًّا كما في أحاديث أخرىٰ صحيحة وحديث: «**منْ كانَ لهُ إمامٌ فقراءةُ الامامِ له قراءةٌ**». حديثٌ ضعيفٌ بجميعِ طرقه، ولو فرضنا أنَّه يتقوىٰ بتلك الطرق الضعيفة، لا يتجاوز أن يكون له أصل فلا يرقىٰ إلىٰ معارضة حديثِ الفاتحة المتواتر كما قال البخاريُّ.

ثم حملُ القراءة فيه علىٰ قراءة الفاتحة غلَطٌ لا مسوِّغ له، بل المرادُ قراءة السورة وأدعية الرُّكوع والسُّجود، والمعنىٰ: أنَّ الامامَ يكفي المأموم عن قراءة السُّورة وعن قراءة الأدعية الواردة في الركوع والسجود وفي القيام من الركوع وفي الجلوس بين السجدتين، أمَّا الفاتحة فهي مخصوصةٌ من عموم القراءة لأنَّها ركنٌ في الصلاة والإمام يتحمَّل المندوباتِ فقط، ولا يتحمَّل الأركانَ كما هو معلومٌ بالضرورة من كتب الشريعة الاسلامية.

الخامس: عُلِم مما ذكرناه أنَّ دعوىٰ النَّسخ باطلةٌ، نشأتْ عن ضيقِ أُفُقٍ وضعفٍ في الفهم، والألبانيُّ يتحمَّل إثمَها وإثمَ من قلَّده فيها وعليه ينطبق حديثُ: «**ومن سَنَّ سُنَّةً سيِّئةً فعلَيهِ وِزْرُها وَوِزْرُ منْ عمِلَ بها من غيرِ أنْ ينقصَ من أوزارِهِمْ شَيءٌ**».

وهل أسوأ من إبطالِ حديثٍ صحيحٍ وإلغائِهِ من درجةِ الحُجِّية والعملِ بدعوىٰ خاطئة جريئة، لا مخطئة ولا لصاحبها عذرٌ مقبولٌ. وغلطاتُه كثيرةٌ متنوعةٌ في الرجالِ، وفي التصحيحِ والتضعيفِ، وفي فهمِ الحديث، وفي الاستنباطِ منه، وفي الجُرأة علىٰ الأئمة الأعلام، وفي لمزِ كلِّ من خالفَه بالابتداع، أما الإنصافُ وعفَّة اللسان فيسمعُ عنهما ولا يحسُّهما من نفسِه، نسألُ الله الهدايةَ والتوفيقَ.

والحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلَّىٰ الله علىٰ سيِّدنا محمَّدٍ وعلىٰ آله الأكرمين، ورضي الله عن صحابتِهِ والتَّابعينَ.

أبو الفضل عبدالله بنُ محمَّد بنِ الصِّدِّيق

عُفِي عنهُ.

١٠ - بيني وبين الشَّيخ بكر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رَبِّ العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلَّا على الظَّالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على سيِّدنا محمَّدٍ وآله الأكرمين، ورضي الله عن الصَّحابة والتَّابعين.

وبعد: فقد تعرَّف بي الشَّيخ بكر أبو زيد منذ بضع سنوات بالمدينة المنوَّرة حين كان قاضيًا بها، واستجازني فأجزته، واستمرَّت المودَّة بيننا هذه المُدَّة، وكان أحيانًا يتصل بي هاتفيًّا ببيتي بطنجة يسألني عن أشياء فأجيبه عليها، وزارني في بيتي بطنجة مرَّة حين قدم إليها، ثُمَّ فجأة لبس جلد النمر وقلب لي ظهر المِجَنِّ، لعلمه "بأني مؤول" كما يقول.

وقد حرَّف النقل عنِّي مرَّتين: مرَّة حين نسب إليَّ كتاب "إحياء المقبور" وهو مِن مؤلَّفات شقيقي أبي الفيض رحمه الله تعالى.

ومرَّة أخرى حين قال عنِّي أنِّي قلت عن فضيلة الأستاذ الشَّيخ عبدالفتاح أبو غدة أنه «مُحضِّر نصوصٍ».

فكتبت إليه أُبرِّئُ نفسي من هذه الكلمة، وقلت: لعلَّه أخطأ في هذه النسبة، كما أخطأ في نسبة الكتاب السَّابق إليَّ، لكنَّه أعاد هذا الكلام في رسالته: "براءة أهل السُّنَّة"، فتبيَّن لي أنَّه خطأٌ مقصودٌ، وأنَّه أراد الوقيعة بيني وبين الأستاذ عبدالفتاح أبو غدة، وليس مِن خُلُق أهل العلم الوقيعة بين النَّاس والسَّعْي في إفساد الودِّ بينهم.

ولهذا أُعْلِنُ مرَّةً أخرى أنَّ كلمة «مُحضِّر نصوصٍ» لم أقلها قَطُّ، ولم يسمعها

مِنِّي الشَّيخ بكر، وأنَّه نسبها إليَّ عمدًا، فالله حسيبه على ذلك.

وكيف أقولها وأنَّا أعرف فضيلة الشَّيخ عبدالفتاح أبو غدة عالمًا فاضلًا مُحدِّثًا مُحقِّقًا فيما يكتب وفيما يبحث؟!.

وإنْ أخطأ في بعض الأشياء فتلك طبيعة البشر، وكلُّ ابن آدم خطَّاء، والشَّيخ عبدالفتاح لا يستحق تلك الحملة الظَّالمة من بكر، حملةٌ سفيهةٌ سافلةٌ، ما كنت أصدِّق أنْ تقع لولا أنِّي أبصرتها وقرأتها.

حملةٌ حملت في طيِّها الاستعداء على الشَّيخ وطلب إبعاده عن عمله، ومحاربته في رِزْقِهِ، وليس التمشعر الذي يذمه الشَّيخ بكر بأقبح من التمسلف الذي يتمسَّك به.

فالتمسلف عبارة عن تشبيه الله بخلقه، وإثبات الحدِّ له، ووصفه بالجوارح، بل قال بعض قدماء المتمسلفين: «اعفوني من اللحية والعورة، وما سوى ذلك فأقول به».

وأحد شيوخ المتمسلفين المعاصرين أثبت لله صورة، وأنَّ لآدم صورة تشبه صورة الله، وهو الشَّيخ حمّود عبدالله التويجري في كتابه "عقيدة أهل الإيمان بخلق آدم على صورة الرحمن"، والشَّيخ حماد الأنصاري في "مجلة الجامعة الإسلامية" بالمدينة المنورة.

ثُمَّ مما أسفَّ فيه الشَّيخ بكر حملته العدوانية على فضيلة الأستاذ المُحَقِّق العلَّامة الشَّيخ محمد زاهد الكوثريِّ رحمه الله تعالى، ونحن وإنْ عِبْنا عليه تعصُّبه للمذهب الحنفيِّ لكراهتنا للتعصُّب المذهبيِّ إطلاقًا، فإننا نقدر له علمه وفضله، ونعتبره وحيد عصره وفريد دهره في كثرة الاطلاع وسعة المعلومات

وانتصابه للدفاع عن العقيدة وتنقيتها من أوضار التمسلف.

ويكفي في فضله أنه رجلٌ مجاهدٌ فرَّ بدينه من بلده، وتخلىٰ عن وظيفته في وكالة المشيخة العثمانية، وعاش لعلمه ودينه فقيرًا زاهدًا عفيفًا، عرضت عليه الوظائف والمراتب فلم يقبلها، وكم ساعد أناسًا في طبع الكتب وفي تحقيقها من غير أن يأخذ علىٰ ذلك أجرًا، فهو لم يأكل بعلمه قَطُّ، وهذه فضيلة لا توجد عند أحدٍ من علماء العصر.

ثُمَّ مِن الظلم البيِّن والإسفاف القبيح إتيان بكر بكلمة مُخنَّثةٍ قالها مُخنَّثٌ في وصف النِّساء: «يقبل بأربع ويدبر بثمانية» تذكر في وصف الشَّيخين: الكوثريِّ وأبو غُدَّة.

اللهمَّ إنَّ هذا سفهٌ قبيحٌ وإسفافٌ فاحشٌ كنت أُنزِّه الشَّيخ بكرًا أن يصدر منه.

أمَّا ما يتعلق بي ورمْيه لي بأني قُبوريٌّ ومُبتدِعٌ وخالفت الأصول، فتلك دعوىٰ من دعاواك التمسلفية التي ترمي الناس بالجهل والكفر يمينًا وشمالًا، وتوزِّع عليهم أنواعًا من الفُحش والبذاءة بقدر ما ينطوي عليه قلبك من اللؤم والخبث.

وقد تدخَّلْتَ بيني وبين أخي من غير أن تعرف ما كان بيننا، ونصَّبْت نفسك حاكما تخطِّئني وتصوبه من غير أن يُطلب منك التحكيم.

والذي قُلْتُه وأقوله: أنَّ هجر المسلم المُبتدِع أو الفاسق لا يوجد دليلٌ علىٰ وجوبه، وإن كنتَ مُصِرًّا علىٰ أنّ هجر المبتدع واجبٌ، فإني أنفذه فيك وأهجرك في الله؛ لأنك مُتَمَسْلِفٌ قبيح اللسان، والله يتولَّىٰ هُدانا وهُداك.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

١ - الرَّدُّ المُحْكَمُ المَتينُ على كتاب "القول المبين"

مقدِّمة ٩
النَّعي على طائفة المُكفِّرين والمُبدِّعين للمسلمين وسبب تصنيف الكتاب .. ١٠
فصل: خطأ تخصيص المتنطِّعين الاحتجاج بالكتب الستة فقط وبيان بطلانه من وجوهٍ..... ١٢
فصل: في بيان حال كتاب "القول المُبين في حكم دعاء ونداء الموتى من الأنبياء والأولياء والصَّالحين" والتنبيه على بعض أخطائه وسبب تصنيف كتاب "الردِّ المُحكَم المتين على كتاب القول المُبين"..... ١٤
خروج المُتنطِّع عن الموضوعِ واستعماله آيات ليست من الموضوع في شيءٍ . ١٧
بعض الأحاديث النبوية في حُرمة دماء ومال وعرض المسلمين ووجوب إحسان الظنِّ بهم..... ١٧
وصف العالِـم عزيزٌ لا يتَّصف به إلَّا من توفَّرت فيه شروطٌ، وذكر هذه الشروط..... ٢٠
التنبيه على تواتر حديث:«نَضَّرَ اللهُ امْرأً سَمِعَ مَقالَتي..» الحديث ٢٠
الشهادة (الورقة) التي يحملها بعض الناس لا تدلُّ على العِلْم..... ٢٢
الإنكار على المحاكم التي لا تحكم بما أنزل الله وتعامي المتنطِّع عنها ٢٤
تنبيهات على أخطاء في خطبة كتاب المتنطِّع..... ٢٦
أخطاء المتنطِّع في تنزيله آيات الشِّرك على المسلمين الذين يعتقدون أن لا إله

إلَّا الله ٢٨
الفرق بين دعاء المسلمين ودعاء المشركين (وهو من نفائس هذا الكتاب). ٢٩
بحثٌ أصوليٌّ في أنواع خطاب الشارع..... ٣٠
بيان أنَّ تلك الآيات التي نزلت في مشركي العرب لا تختصُّ بهم لكونها وردت بسببهم بل تعمُّ كلَّ من عَبَدَ شيئًا مِن دون الله واتَّخذه إلهًا مع الله، بما لا تجده مشروحًا في مكانٍ آخر ٣٣
حقيقة الإشراك في اللغة تُباين حقيقة كلٍّ من التوسُّل والاستغاثة والدعاء ٣٥
حقيقة كفر المشركين الذين ذمَّهم القرآن هو اعتقادهم أنَّ آلهتهم شاركوا الله في الألوهيَّة وأنَّ لهم تأثير في الأسباب وهذا كفرٌ بلا مثنوية ٣٦
لا يُمكِن حمل الآيات التي ذمَّت المشركين على المسلمين في الحقيقة أو المجاز٣٦
النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أمر بالتوسُّل به وتوسَّل بغيره من الأنبياء.. ٣٧
الاستغاثة ليست بإشراك..... ٣٧
أنواع فِرق المشركين..... ٣٨
عودة إلى ذمِّ تحميل المسلمين آيات المشركين..... ٤٥
المشركون يصرِّحون أنهم عبدوا آلهتهم والمسلمون لا يعبدون إلَّا الله فلا صلة بين الاثنين..... ٤٦
كلامٌ لابن كثيرٍ ينادي بتجهيل المتنطِّع..... ٤٧
الباب الأول: مناقشة المتنطِّع في أمور ادَّعاها عامَّة، مع أنَّها ليست عامَّة ولا خاصَّة وإنما غرضه حمل الآيات النازلة في المشركين على المسلمين الذين يسألون اللهَ بجاه فلانٍ أو بحقِّ فلانٍ ٤٩

المتنطِّع لا يعرف علم المعاني وبيان أنَّ عهدية الذِّهن لا تصلح في ادِّعاء المتنطِّع ومباحثة في عِلْم البيان..... ٤٩
المُتنطِّع مِن تلك الطائفة المُتهوِّسة ودأبها أن تختلق ألوانًا من الاستدلال تُخالف المعقول والمنقول..... ٥١
مناقشة ابن تيمية في مسألة الاستغاثة وإيراد عددٍ من الأحاديث عليه ٥١
أنواع الاستغاثة..... ٥٤
الشفاعة ثابتةٌ بالأحاديث المتواترة والإجماع..... ٥٧
حديثٌ صريح في الاستغاثة..... ٥٨
حديثان صريحان في الاستغاثة..... ٥٨
نقل النوويُّ الاستغاثة عن عددٍ من الشيوخ الكِبار في العِلْم..... ٥٩
الإجابة عن خطأ ابن تيمية في حُكْمِه على زُوَّار القُبور في فتوى خاصَّة به، وبيان ما عليه مِن مؤخذات تمَّ فيها التعقيب على كلام ابن تيمية فقرة فقرة، وإثبات ما فيها من أخطاء ومخالفتها للمعقول والمنقول في ثمان مؤاخذات..... ٦٠
عودٌ إلى المتنطِّع وإثبات أنَّ السؤال بحقِّ فلانٍ يرجع في الحقيقة إلى التوسُّل بصفةٍ من صفات الله، فالقائل: «اللهم إنِّي أسألك بنبيِّك» معناه: أسألك بحقِّ محبَّتك وإكرامك له، ومحبَّة الله وإكرامه صفة فعلٍ له تعالى، والتوسُّل بذلك جائزٌ إجماعًا..... ٧٨
محاولة المتنطِّع إنكار القياس والتعقيب عليه..... ٧٩
قوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ

ٱلْأَخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ بالضرورة العقلية مخصوص بالعلماء وهو مما لا خلاف فيه ولا نزاع..... ٨١

التنبيه على خطأ المخالف في قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ وحمل المخالف هذه الآية على أهل التوسُّل يوافق تفسير الباطنية، فليس في علماء الإسلام مَن فسَّر الآية بما فسَّره بها، وبيان وجوه بطلان كلام المخالف بما لا تجده في مكانٍ آخر ٨٢

لا يزال المخالف مُتمسِّكًا بخطَّته المعوجَّة في حمل آيات المشركين على المسلمين، وهو تحريفٌ للنصوص ظاهرٌ، ومناقشته في معنى سؤال المخلوق..... ٨٨

استدلالات بالسُّنَّة من المخالف والتنبيه على أخطاءه..... ٨٩

حديث: «يَنْقَطِعُ يومَ القِيامَةِ كلُّ سَبَبٍ ونَسَبٍ إلَّا سَبَبي ونَسَبي» وذكر بعض طُرُقِه التي فيها الصحيح والحسن والضعيف المنجبِر، وصحَّحه التاج السبكي في أول الطبقات، والحديث يدلُّ دلالةً صريحةً على أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ينفع أهله وأقاربه في الآخرة بالشفاعة..... ٩٦

أحاديث الشفاعة متواترةٌ، ورواها عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أكثر من أربعين صحابيًّا، ورواياتهم مُخرَّجةٌ في الصحيحين، والسنن، والمسانيد، والمعاجم، وغيرها من كتب السُّنَّة ١٠٣

تعيين مواطن الشفاعة.....١٠٣

الجمع بين أحاديث الشفاعة وما قد يعارضها ١٠٤

أثر بلال بن الحارث المزني للقبر الشريف وإقرار عمر له وهو من أبلغ الرُّدود

على المخالف.....١٠٦
أثر عائشة في فتح كوى على القبر الشريف ١٠٦
تعيين مواطن الاستغاثة، والتوسُّل، والتشفُّع، والتوجُّه، بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.....١١٢
معنى قول المخالِف أنَّ الإمام أبا حنيفة قال: «أكره أن يقول العبد أسألك بأنبيائك ورسلك، وبمعاقد العزِّ من عرشك، وبالبيت الحرام، وبالمشعر الحرام»، وهو حُجَّةٌ على المخالِف.....١١٣
خطأ المخالِف في نقله من كتب الحنفيَّة.....١١٦
كذب المخالِف على الإمام مالك وتحريفه للنصوص وتقويله للأئمَّة ما لم يقولوه.....١١٨
تحرير عبارةٍ منقولةٍ عن الإمام مالك وهي كذبٌ عليه ١١٨
عبارة ابن الحاج في "المدخل" في باب زيارة القبور واستحبابه التوسُّل بأهل المقابر من الصالحين.....١٢٠
عبارات بعض مُحقِّقي المالكية في زيارة القبور واستحباب التوسُّل.....١٢٣
نصوص عن العلَّامة الوليِّ الكبير سيدي محمَّد بن ناصر الدرعيِّ في أجوبته، والعارف أبي زيد الفاسيِّ، والمحقِّق سيدي محمَّد بن عبدالقادر الفاسيِّ في شرح الحصن وغيرهم في هذا المعنى.....١٢٤
رسائل المهدي الوزَّاني مفتي فاس والعلَّامة المشرفي والمحقِّق الطيب بن كيران في جواز التوسُّل وارد على المبتدِعة.....١٢٤

حكاية عن الإمام مالكٍ صريحةٌ في جواز التوسُّل، بل استحبابة ١٢٥
تنبيه في اختلاف المالكية في محلِّ الوقوف للدعاء عند القبر الشريف ١٢٦
كذب المخالِف على الإمام الشافعيِّ..... ١٢٧
خلاصة مذهب الشافعيِّ في ذلك: أنَّ تجصيص القبر والبناء عليه والكتابة كلُّ ذلك مكروهٌ كراهة تنزيهٍ فقط، ثُمَّ إن كان البناء في غير المقابر المسبلة لم يُحرم ولم يُهدم..... ١٢٩
كذب المخالِف على أهل القرون الثلاثة بشهادة نفي تقدَّم خلافها..... ١٢٩
استدلال خاطئ للمخالف والإجابة عليه ١٣٤
تحريم القول في التفسير بلا عِلْم..... ١٣٥
التفسير روايةٌ عن الله؛ لأنَّه تعيين لمراده عن كلامه..... ١٣٨
حكم المخالِف على المسلمين الذين يسألون الله بأنبيائه وأوليائه بإلاشراك والضلال، وتعيين الفرق بين المتوسِّلين من المسلمين الموحِّدين وبين المشركين..... ١٤٢
مباحثة المخالِف في ثلاثة أمور وهي: الوقوف بخشوع عند القبور، والتقرُّب إلى الله بغير ما شرعه، وأخيرًا أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لم يترك شيئًا يُقرِّبنا إلى الله إلَّا بيَّنه لنا..... ١٤٤
الباب الثاني: في أدلَّة التوسُّل..... ١٥٣
تعيين المخاطب في قوله: : ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ ... ١٥٣
تناقض المخالف وتلاعبه..... ١٥٤

بعض الأحاديث التي تؤكِّد حقَّ آل البيت، وتوجب مودَّتهم واحترامهم. ١٥٦
كون الآية شاملةً لأهل البيت لا يتوقَّف على وجودهم ساعة نزولها..... ١٥٩
ادِّعاء المخالِف ادِّعاءٌ مختلَقٌ مكذوبٌ..... ١٦٠
ادِّعاء المخالِف نسخ قوله تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾..... ١٦٠
خطأ المخالِف وتناقضه..... ١٦٣
حديث: « لمَّا اقترف آدم عليه السَّلام الخطيئة » وخطأ المخالف في الكلام عليه وفي عزوه وإسناده وتحريفه..... ١٦٤
عدم وجود الحديث في الكتب السبعة لا يدل على ضعفه ١٦٦
الحاكم صحَّح حديث توسُّل آدم ١٦٧
جهل المخالِف على الحاكم..... ١٦٨
تهويلٌ فارغٌ وتهويشٌ من المخالِف على الحاكم..... ١٦٨
خطأ المخالِف على عبدالرحمن بن زيد بن أسلم..... ١٦٩
خطأ المخالف في تكذيبه عبدالرحمن بن زيد بن أسلم..... ١٧٠
نقل ترجمة عبدالرحمن بن زيد بن أسلم من تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجرٍ كاملة، وهي على كثرة ما فيها من نصوص التضعيف، ليس فيها نصٌّ يفيد تكذيب عبدالرحمن ونسبته إلى الوضع، بل فيها على العكس نصوصٌ تصفه بالصَّلاح والصِّدق والعبادة والتقشُّف، وأنَّ ضعفه أتى من قِبل سوء حِفْظه وغفلته..... ١٧٣

الإنفصال على أنَّ عبدالرحمن بن زيد بن أسلم هو ضعيفٌ فقط، لا أقل ولا أكثر ١٧٧
اقتصار الذهبيِّ أيضًا على تضعيف عبدالرحمن بن زيد بن أسلم في الميزان ١٧٨
كذب المخالِف على الذهبيِّ وتحريفه لكلامه..... ١٧٨
الإنفصال على أنَّ حديث توسُّل آدم ليس بموضوعٍ ١٧٩
رواية أحمد في المسنَد لعبدالرحمن بن زيد بن أسلم مُقوِّيةٌ لحاله..... ١٨١
حديث توسُّل آدم رواه البيهقيُّ في دلائل النبوَّة وشرطه معروفٌ..... ١٨٢
رشيد رضا كان داعيةً للعمل بالقرآن دون السُّنَّة ١٨٤
اقتصر البيهقيُّ على تضعيف حديث عبدالرحمن بن زيد بن أسلم في توسُّل آدم..... ١٨٥
إيراد شاهدٍ لحديث توسُّل آدم..... ١٨٦
حديث عثمان بن حنيف في توسُّل الأعمى وخطأ المخالِف فيه مع اعترافه بقوته والتعقيب على كلامه من أمور ثمانية ١٩٠
ذكر بعض طرق وألفاظ حديث توسُّل الأعمى بما يصعب وجوده في مكانٍ آخر..... ١٩٢
بعض المعاصرين -ممَّا جمع بين بدعتَي الوهَّابية والتجسيم- تعرَّض لهذا الحديث في كتاب له سمَّاه: "الصراع" وردَّه بأمرين ٢٠١
أهل الأصول نصُّوا على: «أنَّ ممَّا يُقطع بكذبه، الخبر المنقول آحادًا فيما تتوفَّر الدواعي على نقله وبيان خطأ المُعترِض ٢٠٢

حديث الأعمىٰ يدلُّ علىٰ جواز التوسُل بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في حضوره وغيبته، في حياته وبعد موته وبيان ذلك من وجوهٍ.....٢٠٤
مناقشة المخالفين في أنَّ ادعاء تخصيص الحديث المذكور بذلك الضرير، أو بحالةٍ دون حالةٍ، خلاف الأصل، من عِدَّة وجوه ٢٠٩
عودٌ إلىٰ مناقشة المخالف في حديث توسُل الضرير.....٢١٢
كذب المخالف في ادِّعائه إجماع أصحاب النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، والذين اتبعوهم بإحسانٍ علىٰ ترك التوسُّل بعد انتقاله إلىٰ الدار الآخرة ..٢١٥
فإن قيل: لِمَ لمْ يتوسَّل عمر رضي الله عنه بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في المصلَّىٰ، وعدل عنه إلىٰ التوسُّل بالعبَّاس؟ فالجواب علىٰ ذلك من وجوهٍ..٢١٦
مناقشة المعترض علىٰ حديث الضرير من حيث الصناعة الحديثية ٢١٩
حديث الترمذيِّ في الرجل الذي سمع صاحب القبر يقرأ سورة (الملك) ومناقشة المعترض.....٢٢٦
ذكر شاهد للحديث.....٢٣٠
حديث قراءة (سورة الملك) من القبر حديثٌ ضعيفٌ وضعفة محتمل، وورود أخبار وآثار تشهد له ٢٣٢
بداية الكلام علىٰ حديث: «اللهمَّ إنِّي أسأَلُكَ بحَقِّ السَّائلينَ عليك، وبحَقِّ مَمْشايَ هذا...» الحديث. ومناقشة المخالِف فيه.....٢٣٥
الحديث المذكور خرَّجه ابن ماجه في "سننه" والكلام عليه وعلىٰ رجاله ..٢٣٦
قول المخالف: «هذا الحديث مع كونه في غاية الضعف» كذبٌ وجهلٌ؛ لأنَّ

الحديث حسنٌ، وعلىٰ فرض أنه ضعيفٌ فليس هو في غاية الضعف ٢٣٨
الإجابة علىٰ بعض المعاصرين في الاستدلال بالحديث من ناحيةٍ أخرىٰ ..٢٣٩
نقل كلامٍ للعلَّامة محمد زاهد الكوثريِّ رحمه الله تعالىٰ في هذا الحديث....٢٤٠
خطأ المخالف علىٰ حديث عرض الأعمال وهو حديث: «حياتي خيرٌ لكم، ومَماتي خيرٌ لكم، تُحدِثون ويُحدَثُ لكم، تُعْرَضُ عليَّ أَعْمالُكُمْ، فما رأيتُ مِن خيرٍ حَمِدتُ اللهَ، وإن يكُ سِوىٰ ذلك اسْتَغْفَرتُ لكم».....٢٤١
بيان صحَّة حديث عرض الأعمال.....٢٤١
ذكر شواهد للحديث.....٢٤١
فإن قيل: قد أخبر الله تعالىٰ عن هذه الأُمَّة أنها تشهد علىٰ غيرها، ولم يرد في حديثٍ ولا أثرٍ أنَّ أعمال الأُمَمِ تُعرَضُ عليها، والجواب من وجهين ٢٤٦
إيراد حديث مؤيِّدٌ لعرض الأعمال لا نافٍ له أخطأ المخالف في فهمه.....٢٤٧
مناقشة كلام المخالف من عدة أمور.....٢٤٧
من طرق حديث الحوض المتواتر وقد وصلت إلىٰ عشرين طريقا كما أشار إلىٰ ذلك الحافظ السيِّد أحمد في بعض فتاوية.....٢٤٩
المقرَّر في علم الأصول والمصطلَح، أنَّ الدليلين المتعارضين لا يرجح أحدهما علىٰ الآخر إلَّا إذا لم يمكن الجمع بينهما بوجهٍ من الوجوه، أمَّا إذا أمكن الجمع بينهما فهو الواجب.....٢٥٠
الجمع بين حديث عرض الاعمالوحديث الحوض.....٢٥١
تنبيه: اختلف العلماء في الرِّجال الذين يُذادون عن الحوضِ اختلافًا كبيرًا، وأنا

أنقل كلام الحافظ مُلخَّصًا، وفيه إشارةٌ إلى صِحَّة حديث عرض الأعمال. ٢٥٤
حديث الحوض مشكلٌ جدًا ويتعارض مع مذاهب بعض العلماء والواجب تقديم الحديث ٢٥٦
إشكال آخر على حديث الحوض ٢٥٧
ترك المخالف كثيرًا من الأدلة لجهلة بها وعدم توفيقه إلى الوقوف عليها، وأراد أن يغطِّي جهله بادِّعاء أنه في غِنًى عن الردِّ عليها ٢٥٧
حديث فاطمة بنت أسد أمِّ عليٍّ عليه السَّلام وقول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «رَحِمَكِ اللهُ يا أُمِّي، كنتِ أُمِّي بعد أُمِّي، تَجوعين وتُشْبعينَني، وتَعْرينَ وتَكْسِينني، وتَمْنعينَ نَفْسَكِ طَيِّبَ الطعامِ وتُطْعِمينَني، تُريدينَ بذلك وَجْهَ الله والدَّارَ الآخِرة» ٢٥٨
قولهم: «الحديث الضعيف لا يعمل به في الأحكام» ليس على إطلاقه كما يفهمه غالب الناس أو كلهم؛ لأنك إذا نظرتَ في أحاديث الأحكام التي أخذ بها الأئمَّة مجتمعين ومنفردين وجدت فيها من الضعيف ما لعله يبلغ نصفها أو يزيد، وربما وجدت فيه المنكَر والساقط القريب من الموضوع ٢٥٩
حديث أبي أُمامة الباهليِّ في التوسُّل حديث ضعيفٌ وله شاهدٌ قويٌّ ٢٦٠
حديث ابن عباس وفيه عبدالملك بن هارون بن عنترة وهو ضعيف ٢٦١
أحاديث وآثار في التوسُّل ٢٦٢
التنبيه على خطأ ابن تيمية في ادِّعائه كذب أثر مروي عن مالكٍ ٢٦٤
الوسيلة في اللغة تطلق على عدة معانٍ والكلام عليها ٢٦٥
التنبيه على خطأ المخالِف في تقسيم التوحيد وغرضه من هذا التقسيم إيجاد

تناسب كبير بين حال المسلمين وحال المشركين وبيان خطأه ٢٦٧
ادِّعاء المخالف وجود حديث في النَّسائيِّ وليس فيه، ومناقشته في عزوه ومعناه..... ٢٦٩
تعريف الرُّقَىٰ والتِوَلَّة وبين المحرَّم منها ٢٧٠
وقال القرطبيُّ: «الرُّقَىٰ ثلاثة أقسام»، ونقل الحافظ إجماع العلماء علىٰ جواز الرَّقَىٰ بشروط ثلاثة..... ٢٧٢
بعض الأحاديث في الاستشفاء بالقرآن الكريم..... ٢٧٢
توجيه ما ورد عن مالكٍ من كراهة الرُّقية بالحديدة والملح وعقد الخيط... ٢٧٨
جرأة المعترض في الكذب علىٰ الله ورسوله وعلىٰ العلماء ٢٧٩
طرق حديث: «ما شاءَ اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ» ٢٧٩
تحرير خطأ المعترض..... ٢٨٤
مبحثان في النسخ..... ٢٨٦
الكلام علىٰ حديث ذات أنواط وخطأ المعارض في عزوه لكتب السُّنن فهو في النَّسائيِّ فقط..... ٢٨٧
خطأ المعترض علىٰ ابن جريرٍ الطبريِّ ٢٨٩
الآلوسي لم يتوقَّف في التوسُّل بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وكذلك العزَّ بن عبدالسلام ومثلهما الإمام ابو حنيفة والمعترض أخطأ عليهم..... ٢٩٢
التوسُّل بجاه غير النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لا بأس به أيضًا إن كان المتوسَّل بجاهه مما علم أنه له جاهًا عند الله تعالىٰ ٢٩٤
الناس قد أكثروا مِن دعاء غير الله تعالىٰ من الأولياء الأحياء منهم والأموات،

مثل يا سيِّدي فلان أغثني، وليس ذلك من التوسُّل المباح في شيءٍ واللائق بحال المؤمن عدم التفوُّه بذلك ٢٩٤
ورد في التوسُّل بالحرمة حديثٌ ضعيفٌ ٢٩٤
فتوىٰ العلامة الشوكانيِّ في التوسُّل بالأموات المشهورين بالفضل وكذلك الاحياء والاستغاثة بهم ونقل وكلام الشوكانيِّ من كتابه "الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد" ٢٩٥
لا نعلم في ذلك خلافًا قبل وجود ابن تيمية، وقد كان الناس يشدون الرحلة إلىٰ القبر الشريف بدون نكيرٍ من العلماء (ت) ٣٠٢
الباب الثالث: في أحكام القبور ٣٠٤
تكلَّم المعترض هذا الباب علي زيارة القبور وبناء المساجد عليها، والنَّذر لأصحابها، وقد نقل اتفاق الأُمَّة علىٰ أنَّ النهي للتحريم، وقد كذب في نقل هذا الاتفاق كما كذب في غيره علىٰ عادته ٣٠٤
مسألة سماع الموتىٰ وذكر مذاهب العلماء وأدلتهم وهو من انفرادات هذا الكتاب بهذه الطريقة والخلاصة أنَّ سماع الموتىٰ بعد عود الروح إليهم صحيحٌ لا غبار عليه ٣٠٥
قد أنصف المُتنطِّع هنا حيث أثبت حياة الأنبياء عليهم السلام، وإن أخطأ في الكلام علىٰ الأحاديث وعزوها، وخلاصةً وجيزةً جامعةً كتبها شَقِيقُنا الحافظ المُجتهِد السيِّد أحمد بن محمَّد الصِّدِّيق الغُماريُّ في حياة الانبياء ٣١٨
أحاديث وآثار أخرىٰ في حياة الأنبياء ٣٢٣
ذكر آثار في حياة الأنبياء ٣٣١

الجمع بين حديث حياة الأنبياء وحديث: «ما مِن أَحَدٍ يُسَلِّمُ عليَّ إلَّا رَدَّ اللهُ إليَّ رُوحِي حتَّىٰ أردَّ عليه السلام» وأجوبة الحافظ السيوطيِّ في كتاب "إنباء الأذكياء بحياة الأنبياء"..... ٣٣٤
أحاديث في أنَّ الأولياء والعلماء والمؤذِّنين لا تَبْلَىٰ أجسادُهم ٣٣٦
الشهداء لا تبلَىٰ أجسادهم..... ٣٤١
قراءة القرآن للموتىٰ ٣٤٤
ادِّعاء المخالف أنَّ قراءة القرآن الكريم لا تصل إلىٰ الميت ولا تنفعه ٣٤٤
اشتمل كلامه علىٰ خطأ في الدعوىٰ، وغلطٍ في الاستدلال، وكذبٍ في النقل وتفصيل الكلام علىٰ هذه الثلاثة..... ٣٤٤
قراءة القرآن علىٰ الموتىٰ وإهداء ثوابها إليهم مسألةٌ اختلف فيها العلماء وذكر المذاهب وترجيح الوصول..... ٣٤٤
قال غير واحدٍ من العلماء إنَّ قراءة القرآن تصل إلىٰ الميت، وهو القول الصحيح الذي لا يجوز العدول عنه..... ٣٤٦
الثواب مِلْكٌ للعامل فإذا تبرَّع به وأهداه إلىٰ أخيه المسلم أوصله الله إليه.. ٣٥٠
وقد وقع في "نصب الراية" أغلاط رغم اعتناء المجلس العلمي بطبعه وتصحيحه(ت)..... ٣٥٠
آثارٌ عن السَّلَف وغيرهم في القراءة علىٰ القبر ٣٥١
إنصاف الإمام أحمد وسرعة رجوعه إلىٰ الصواب ووازنه بحال الوهَّابية وشدَّة تعصُّبهم لرأيهم الفاسد (ت)..... ٣٥٢
القراءة عند القبر كانت معروفةً عن السَّلَفِ..... ٣٥٥

قراءة القرآن تصل الميت كما يصله الدُّعاء والصَّدَقة والحجُّ والصِّيام، واستدلال المانعين بآية ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ والرد عليهم من وجوه ٣٥٥

آية ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ ليس فيه دلالةٌ على منع إهداء ثواب القراءة للميِّت، ولم يستدل أحدًا بها قبل المخالف ٣٥٩

بعض المصنَّفات في وصول القُرُبات إلى الاموات..... ٣٦٠

لا مانع عند المصنِّف مِن إهداء قرآنٍ أو غيره إليه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وإن كان له ثواب ما تعمله أُمَّته مِن الخير؛ إذ لم يأتِ دليلٌ يمنع الإهداء المذكور، وكون الصحابة لم يفعلوه لا يدل على منعه ٣٦١

خاتمة الكتاب..... ٣٦١

تذييل: التنبيه على ما شاع بين كثيرٍ من الناس من ألفاظ مستشنعة في توسُّلاتهم وزياراتهم للأولياء، وذكر طائفة من هذه الألفاظ ٣٦٣

لا يجوز التوسُّل باليهود والنصارى لأنهم أعداء الله ورسوله وأعداء دينه وهم مخلَّدون في النَّار والتوسُّل بهم منتهى الجهل وغاية الكفر..... ٣٦٤

التحذير من البكتاشية الذين يذهبون إلى مغارة بجبل المقطَّم يطلبون الحبَل والأولاد وهم إباحيون فجرة..... ٣٦٤

أجاز أحمد تقبيل القبر الشريف ونقل عن ابن أبي الصيف والمحب الطبري جواز تقبيل قبور الصالحين (ت) ٣٦٤

٢- إرغامُ المُبتدِعِ الغَبيِّ بجواز التوسُّلِ بالنَّبيِّ ﷺ

مقدِّمة ٣٧١
الغرض من تأليف الكتاب ٣٧١
حديث توسُّل الضرير ٣٧٢
تعقيب الشَّيخ حمدي السَّلَفي واستشهاده بكلام الشَّيخ الألباني ٣٧٣
الردُّ على تحريف وتدليس الشَّيخ الألبانيِّ ٣٧٣
جرأة ابن تيمية في ردِّ الأحاديث ولو كانت في "الصحيح". ٣٧٦
استشكال وجوابه حول تخصيص الحديث بحياة النبيذِ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٣٧٨
إلحاق حول تضعيف الأباني لحديث عائشة: انظروا قبرَ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فافتحوا منه كُوًى إلى السماء ٣٨١

٣- إعلام الرَّاكِعِ السَّاجِد بمعنى اتِّخاذِ القُبورِ مَساجِد

مقدمة ٣٨٥
تخريج الحديث ٣٨٦
معنى الحديث ٣٨٦
سبب تشديد نهي النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن اتخاذ قبره وثن يعبد ٣٨٧
هل للحديث معنى آخر؟ ٣٨٨
بناء المساجد على القبور ٣٨٩
معنى قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «أولئك شِرَارُ الخَلْقِ»، وكلام العلماء

عليه ٣٨٩
هل لعن النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم زائراتِ القبورِ ٣٩٠
عزم الصحابة علىٰ دَفْنِهِ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في المسجد ٣٩٠
الصَّلاة إلىٰ القبر ٣٩٢
متىٰ يكون بناء المسجد علىٰ القبر من الكبائر ٣٩٢
الخلاصة ٣٩٣
تنبيه حول كتاب "الزواجر" لابن حجرٍ وذكره لكثير من الكبائر التي لا دليل عليها ٣٩٣
إشكال حول حديثه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «لَعَنَ اللهُ اليهودَ والنَّصارىٰ» وكلام الحافظ عليه ٣٩٣
إشكال حول حديث: «لَعَنَ اللهُ اليهودَ اتَّخذوا قبورَ أنبيائهم مساجدَ» وبيان ذلك من وجوه ٣٩٤
طعن الشَّيخ عبدالوهَّاب النَّجَّار في كتاب "قصص الأنبياء" ٣٩٥
ما جاء في إذاية قوم موسىٰ له ٣٩٦
إذاء قوم داود عليه السَّلام له واتهامهم له عَشِقَ امرأة أوريا وزنىٰ بها ٣٩٦
الخلاصة ٤٠٢
مسائل يجب التنبيه عليها: المسألة الأولىٰ: حول أنَّ الأمَّة الإسلاميَّة لا تجتمع علىٰ ضلالةٍ ٤٠٤
المسألة الثانية حول هدم بيوت أمَّهات المؤمنين وإدخالها في المسجد توسعةً له ٤٠٤

ما يفيد بأن وجود القبر في المسجد لا شيء فيه..... ٤٠٥
روايات وطرق حديث: «ما بين قبي ومنبري» وما يؤخذ منه..... ٤٠٥
المسألة الثالثة: حول أول مسجد بني عليه قبر..... ٤٠٧
المسألة الرابعة: حول أنَّه لا يوجد دليل على حرمة الصَّلاة في مسجدٍ فيه قبور..... ٤٠٨
المسألة الخامسة: حول اعتراض الألبانيِّ على السيِّد أحمد في استدلاله لبناء المسجد على قبر بآية (الكهف)..... ٤٠٩
لم يقع ولا يجوز أن يحكي الله تعالى عملًا أو قولًا لكافرٍ ثُمَّ يُقِرُّه عليه والأمثلة على ذلك..... ٤١٠
المسألة السادسة: حول حديث: «لا تُشدُّ الرِّحالُ إلَّا إلى ثلاثة مساجد ...» وكلام العلماء عليه..... ٤١٢
حكم من نذر الصَّلاة في أحد المساجد الثلاثة..... ٤١٤
المسألة السابعة: حول النَّهي عن الصَّلاة في المقبرة وأنه محمول على الكراهة..... ٤١٥

٤- إعْلَامُ النَّبيلِ بجَوازِ التَّقْبيلِ

مقدمة الطبعة الثانية..... ٤١٩
مقدمة الطبعة الأولى..... ٤١٩
باب: في ذكر ما ورد من تقبيل النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لغيره ٤٢١
تنبيه حول قول ابن علان: أنَّه لما تُوفِّي عثمان بن مظعون جاء صلَّى الله عليه وآله

وسلَّم وكشف عن وجهه وقبَّله وبكىٰ أهله».....٤٢٧
باب: في ذكر ما ورد من تقبيل الصَّحابة وغيرهم للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.....٤٢٨
تنبيه حول ذكر الشَّيخ زرُّوق في "شرح الرِّسالة" لحديث أبي سعيدٍ الخدريِّ.....٤٣٥
فصل: ذكر حديثين يدلَّان علىٰ مشروعية التقبيل وعلىٰ أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلم أرجح أُمَّته عقلًا.....٤٣٥
باب: في ذكر ما ورد من التّقبيل عن الصّحابة رضي عنهم وغيرهم ٤٣٨
خاتمة: تشتمل علىٰ ثلاث مسائل.....٤٤٣
مسألة حول استحباب تقبيل اليد وغيرها كالرَّأس والخدِّ والرجل ٤٤٣
الأحوال التي يكره فيها التقبيل.....٤٤٣
الأحوال التي يحرم فيها التقبيل.....٤٤٣
مسألة حول تكريه الإمام مالك تقبيل اليد وإنكاره ما روي فيه ٤٤٤
مسألة حول معارضة بعض من ينكر التقبيل.....٤٤٤
الجواب علىٰ من احتج بأحاديث يعارض بها استحباب تقبيل اليد ٤٤٥

٥- إتْحَافُ الأذْكِياءِ بجَوازِ التَّوَسُّلِ بالأنبياءِ والأولياء

مقدِّمة ٤٤٩
الباب الأول في ذكر الأدلة.....٤٥١
الاستدلال بقوله تعالىٰ: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ

الرَّحِيمُ﴾.....٤٥١
الاستدلال بقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَىٰ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.....٤٥٣
الاستدلال بقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾.....٤٥٥
الاستدلال بقوله تعالىٰ: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾.....٤٥٩
تنبيه حول اتفاق العلماء علىٰ جواز التوسُّل.....٤٦٠
الاستدلال بحديث: «لمَّا اقترفَ آدمُ عليه السَّلام الخطيئةَ ...».....٤٦٠
الاستدلال بحديث: «رحمَكِ الله يا أمِّي كنتِ أمِّي بعد أمِّي ...».....٤٦١
الاستدلال بحديث: «إنْ شئتَ دعوتُ ...».....٤٦٢
الإقرار بصحة حديث عثمان بن حنيف وبيان ذلك.....٤٦٤
الاستدلال بحديث: «حياتي خيرٌ لكم تحدِثُون ويُحدَث لكمْ ...».....٤٦٥
ذكر حديث: «ليُذادَنَّ ناسٌ من أمَّتي عن الحوضِ فأقول: ياربِّ أُصَيحابي...» وتوضيح معنىٰ الحديث.....٤٦٦
الاستدلال بحديث: «مَن خرجَ مِن بيته إلىٰ الصَّلاةِ فقال ...».....٤٦٧
كلام الشيخ محمد زاهد الكوثري علىٰ الحديث.....٤٦٧
الاستدلال بحديث: خالد بن أسيد: «كان رسولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم

يستفتِحُ...» ٤٦٨
الاستدلال بحديث: «الأبدالُ بالشَّام وهم أربعونَ رَجُلًا...» ٤٦٨
الاستدلال بحديث: «إنَّ لله ملائكةً في الأرضِ سِوىٰ الحَفَظة ...»، وحديث: «إذا أضَلَّ أحدُكم شيئًا ...» وذكر ما يدل عليه الحديثين ٤٦٩
الاستدلال بحديث: «ليأتيَنَّ علىٰ النَّاس زمانٌ يخرجُ الجيشُ من جُيوشِهم...» ٤٧١
الباب الثاني: في ذكر الآثار ونحوها ٤٧٢
ذكر قصة سيدنا عثمان بن عفان مع الرجل الذي كانت له حاجة ٤٧٢
ذكر قصة بلال بن الحارث المزني عندما جاء إلىٰ قبر النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: يا رسول الله استسْقِ الله لأمتك ٤٧٢
ذكر قول السيِّدة عائشة للصحابة: انظروا قبرَ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فاجعلوا منه كُوًىٰ إلىٰ السَّماء ٤٧٣
ذكر قول سيِّدنا عمر: اللهمَّ إنا كنَّا نتوسل إليك بنبيِّنا فتسقينا ٤٧٤
بيان خطأ ما فهمه ابن تيمية والوهَّابية لفعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ٤٧٤
ذكر مناظرة أبو جعفر أمير المؤمنين للإمام مالك في رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ٤٧٦
ذهاب الحسن بن إبراهيم أبي عليٍّ الخلال إلىٰ قبر موسىٰ بن جعفر إذا أصابه أمر ٤٧٧

ذكر ما قيل عن قبر معروف الكرخي ٤٧٧
تبرُّك الإمام الشافعي بالإمام أبي حنيفة..... ٤٧٨
ذكر ما حدث مع الحافظ أبو بكر ابن المقري والطبراني وأبو الشيخ في المدينة المنوَّرة ٤٧٨
ذكر ما حدث مع الزاهد أبي الخير الأقطع..... ٤٧٨
ذكره ما نقله ابن القيم من قصة الشيخ الدمشقي الذي رفض لعن الشيخين ٤٧٩
قبر النذور وتبرُّك الناس به وزيارتهم له..... ٤٨٠
استسقاء أهل بلنجر من ناحية أرمينية بعظام سلمان بن ربيعة التميمي الباهلي..... ٤٨٢
قبور بغداد الأربعة التي هي حصن من جميع البلايا..... ٤٨٣
قول أبي محمد الشارمساحني، وذكر ماعليه الجمهور وجرىٰ به العمل ... ٤٨٣
أيُّ المدَدَيْن أقوىٰ مدد الحيِّ أو مدد الميت؟..... ٤٨٤
القصد من ذكر أقوال وآثار العلماء في قضية التوسُّل، وبيان بطلان كلام ابن تيمية..... ٤٨٦
تتمَّة حول أثر الإمام الباقر ٤٨٧

٦- مِصباحُ الزُّجَاجَةِ في صَلاةِ الحَاجَ «حديث توسُّل الضَّرير»

السبب في تحرير هذا البحث..... ٤٩١
مسلك الوهَّابية في استدلالهم بالأحاديث..... ٤٩٢
الكِبر الذي يمنع من دخول الجنة..... ٤٩٢

باب في تخريج الحديث وذكر طرقه.....٤٩٣
خلاصة ما تقدَّم من ذكر تخريج الحديث.....٥٠٣
باب في ذكر ما أورد على الحديث من الاعتراضات، والجواب عنها.....٥٠٤
اعتراضات الوهَّابية على حديث توسُّل الضرير والردُّ عليهم.....٥٠٤
القاعدة الأصولية التي لم يحسن فهمها الوَّهابيون وأخطأوا في تطبيقها والرد عليهم.....٥٠٦
ذكر قصة خروج اليد الشريفة وتقبيل الرفاعي لها وبيان كذب هذه القصة٥٠٧
ذكر بعض الكتب التي نسبت للسيوطيِّ.....٥٠٨
بيان معنى قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «وإن شئت دعوت».....٥٠٩
السبب في عدل عمر رضي الله عنه عن التوسُّل بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى التوسل بالعباس رضي الله عنه.....٥١٠
باب في دلالة الحديث على التوسُّل بالنبيِّ عليه الصَّلاة السَّلام.....٥١٧
بعض الأدلة التي استدلَّ بها الوهَّابية على بطلان العمل بالحديث والرد عليهم من عدة وجوه.....٥٢٠
الاستدلال على منع تعدُّد الجُمعة في البلد الواحدة، وبيان ضعفه.....٥٢٣
خاتمة تشتمل على مسائل.....٥٢٨
مسألة حول تكلَّم ابن تيمية في رسالة "زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور" على التوسُّل.....٥٢٨
هل يكره للداعي أن يقسم على الله تعالى بعظيمٍ من خلقه أم لا؟.....٥٢٩

مسألة حول الفتوىٰ الخاصة بالتوسُّل والتي كتبها ابن تيمية بمصر سنة (٧١١هـ) وبيان تناقضه في فتواه ورأيه في قضية التوسل..... ٥٣٢
مسألة حول ترجمة الصحابي راوي الحديث ٥٣٣
مسألة حول اعتبار القياس علىٰ حديث التوسُّل بالضرير..... ٥٣٤
تنبيه حول أن فاطمةُ بنت أسد، غير فاطمة بنت أبي الأسد المخزوميَّة ٥٣٧
مسألة حول الأذكار التي تقال لقضاء الحاجة والكلام عليها..... ٥٣٩
ما قاله الحافظ السخاوي في حديث عثمان بن حنيف ٥٥٠

٧- أسبابُ الخَلاصِ مِن الأَخْطَاءِ الوَاقِعَةِ في كتاب "تَحْقِيقِ كَلِمَةِ الإِخْلَاصِ"

مقدمة ٥٥٥٦
الأخطاء الواقعة تحقيق كلمة الاخلاص ٥٥٨
الخطأ الواضح في إجازة النووي لابن رجب ٥٥٨
«النَّجاريّ» لا «البخاريّ»: ٥٥٨
تحقيق الخلاف في اسم أبي هريرة..... ٥٥٨
حقيقة تولِّي أبو هريرة لوظيفة في عهد النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ٥٥٩
«سعد» لا «سعيد»، و«سنان» لا «شيبان»..... ٥٥٩
ضبط كلمة «النِّطع»..... ٥٦٠
«زحم» لا «نذير» ٥٦٠
قوله: «قيل: ويروىٰ»..... ٥٦١
«سبعةَ عشرَ» لا «عشرة»: ٥٦٢

خطأ في تعريف المرسل..... ٥٦٢
تنبيه حول الحافظ ابن الصلاح في "مقدمته" عن مرسل الصحابي ٥٦٤
«النيسابوري» لا «الخراساني»..... ٥٦٤
حديث: «خذوا نصفَ دينِكم عن هذه الحُمَيراءِ»..... ٥٦٥
«التواسي» لا «التواصي»..... ٥٦٦
«زين العابدين علي» لا «ابن علي»:..... ٥٦٦
ابن حِبَّان لا ابن حَبَّان..... ٥٦٦
«أسد» لا «أسيد»..... ٥٦٧
تصحيح حكاية عن أحمد..... ٥٦٧
البزَّار ثقة بلا خلاف ٥٦٧
صحابي يقال عنه: غير معروف..... ٥٦٨
تصحيف حديث: «إنَّ لا إله إلا الله كلمةُ حقٍّ على كريم، ولها من الله مكانٌ»..... ٥٦٨
«العلم والحلم» لا «العلم والعمل»..... ٥٦٩
«ابنةُ عمِّ الرسول» لا «عمَّتُه»..... ٥٦٩
تصحيف جملة: «يا موسى لو أنَّ السموات السَّبعَ والأرَضِينَ السَّبعَ وعامرَهُنَّ غيري في كِفَّة» الحديث..... ٥٧٠
تأويل قبيح..... ٥٧٠
خمس عشرة لا خمس وعشرون..... ٥٧١
«موسى بن الضَّحاك» لا «موسى الضَّحاك»..... ٥٧١

خطأ إملائي..... ٥٧١
تحريف في عبارة..... ٥٧١
أحاديث مطعون فيها..... ٥٧٢
خاتمة..... ٥٧٣
حديث البطاقة..... ٥٧٣
كتاب "صفوة التصوف"..... ٥٧٤
حول طباعة كتاب "مختصر صفوة التصوف"..... ٥٧٤
الأخطاء التي وقع فيها الشيخ الشرباصي عند تحقيقه لكتاب "صفوة التصوف"..... ٥٧٥
إلى فضيلة شيخ الأزهر ومفتي الديار «لم لا نقبل أيدي الممثلين؟»..... ٥٧٧

٨- بيانُ الكَذبِ والبُهْتَانِ في دعوى الظُلمِ والعُدْوانِ

المقدِّمة..... ٥٨٣
خطبة المؤلِّف، وبيان أنَّ سبب تأليف هذا الجزء..... ٥٨٣
الكلام على آيةَ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ .. ٥٨٣
قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ الآية، والأحكام المستفادة منه..... ٥٨٥
في أنَّ قاطعَ الرَّحم ملعونٌ وأنه أصَمُّ وأعمى..... ٥٨٦
خاتمة..... ٥٨٦

٩- القَوْلُ المُقْنِع في الرَّدِّ على الألبانيِّ المُبتَدِع

لمز الألبانيِّ للسيِّد عبدالله وإجابته عليه ٥٨٩
جواز صلاة النافلة من قعود مع القُدْرة على القِيام..... ٥٩٠
أوتر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على بعيره..... ٥٩٠
صلاة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على راحلته في السَّفَر ٥٩٠
صفات في صلاة الليل صحَّت عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم..... ٥٩١
تبييت النيَّة قبل الفجر في صيام الفريضة ٥٩١
هل يجوز لمن صام تطوُّعًا أن يُفطِرَ ولا يتم صومه؟ ٥٩٢
حكم الترتيب بين مناسك الحجِّ ٥٩٢
شروط العمل بالحديث الضعيف..... ٥٩٢
اعتراض الألبانيِّ على السيِّد عبدالله لاعتماده على تحسين الترمذيِّ ٥٩٣
اعتراض الألبانيِّ على السيِّد عبدالله لأنه يعزو الحديث لغير المشاهير من أصحاب السُّنن وغيرهم..... ٥٩٤
تعليق السيِّد عبدالله على حديث: «أنا سيِّد ولد آدم، وعليٌّ سيِّدُ العربِ» .. ٥٩٥
ما حمل الذهبي على الحكم بوضع الحديث ٥٩٦
استنكار الذهبيِّ لحديث: «يا عليُّ، من فارقني فقد فارقَ الله،...»، وحديث: «أنت سيِّدٌ في الدنيا وسيِّدٌ في الآخرة، ...» وتعقيب السيد عبدالله على هذا الاستنكار..... ٥٩٧
اتخاذ النواصب ومن تبعهم من أهل السُّنَّة مسألةَ احتمال الحديث تفضيل عليٍّ

على الشَّيخين تَكِأة يستندون إليها في ردِّ أحاديث كثيرة في فضل علي عليه السَّلام..... ٦٠٠
معنى قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «عليٌّ سيِّدُ العَربِ»..... ٦٠١
تنبيه على خطأ وقع من جماهير المسلمين، وهو أنه حين يُصلّون على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يذكرون معه أصحابه..... ٦٠٢
فائدة حول الخلاف في توجيه التشبيه في الصلاة الإبراهيمية، وإجابة السيد عبدالله الرافعة للإشكال..... ٦٠٣
عاب الألبانيُّ على السيِّد عبدالله مخالفته للذهبيِّ..... ٦٠٤
من معايب الألباني تطاوله على مقام الإمام أبي حنيفة، وقوله بأنه جاء بما لا يوجد عند غيره، وقوله: ولدينا مزيد..... ٦٠٥
تقليد الألبانيِّ في الرجال، وقِلَّة اطلاعه..... ٦٠٦
من أخطاء الألبانيِّ في قواعد الاستنباط أنَّه اختار للمصلِّي أنْ يقول في تشهُّده: السَّلام على النبيِّ، ولا يقول: السَّلام عليك أيها النبيُّ، وبيان جهله في ذلك..... ٦٠٧
استدراك الألبانيِّ على الشارع فيما يتعلَّق بحَلْق اللِّحَى، وبيان خطأه في ذلك..... ٦١٤
فتوى الألبانيِّ بمنع إعطاء الزكاة للمجاهدين الأفغان..... ٦١٥
الدليل على فساد عقيدة الألبانيِّ..... ٦١٥
تنبيه حول أخطائه في الرجال..... ٦١٧
تعنت الألباني فيما كتبه على صلاة ابن مسعودٍ، والرد عليه..... ٦١٧

من جملة جهل الألبانيِّ بعلم الأصول أنَّه جعل القراءة خلف الإمام في الصلاة الجهريَّة منسوخةً، والرد عليه.....٦١٩

١٠- بيني وبين الشَّيخ بكر

مقدِّمة.....٦٢٧
تبرئة مما نسبه الشيخ بكر أبو زيد للسيِّد عبدالله بن الصِّدِّيق.....٦٢٧
الحملة العدوانيَّة على فضيلة الأستاذ المُحَقِّق العلَّامة الشَّيخ محمد زاهد الكوثريِّ ودفاع السيِّد عبدالله عنه.....٦٢٨
اتهام الشيخ أبوبكر للسيد عبدالله بأنه قبوري مبتدع.....٦٢٩
فهرس الموضوعات.....٦٣٣

موسوعة

العلامة المحدث المتفنن

سيدي الشريف عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري الحسني

(١٣٢٨ - ١٤١٣هـ) رحمه الله تعالى

قدم لها

الشريف الدكتور

عبد المنعم بن عبد العزيز بن الصديق

إشراف

الدكتور محمود سعيد بن محمد ممدوح

المجلد الخامس عشر

النحو - المنطق

موسوعة

العلامة المحدث المتفنن

سيدي الشريف عبد الله بن محمد الصديق الغماري الحسني

(١٣٢٨ - ١٤١٣هـ) رحمه الله تعالى

(١٥)

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية
عام / ١٤٣٨

قام بطباعتها وإخراجها: مركز البحوث والدِّراسات
بكُليَّة الصَّفا الإسلاميَّة بماليزيا

يطلب من:

دار السَّلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

جمهورية مصر العربية: القاهرة – الإسكندرية.
الإدارة: القاهرة ٤٠ شارع أحمد أبو العلا – المتفرِّع من شارع نور الدين بهجت- الموازي لامتداد شارع مكرم عبيد – مدينة نصر.
هاتف: ٢٢٨٧٣٢٤٦ - ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ (٢٠٢+)
فاكس: ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢+)
البريد الإلكتروني: info@dar-alsalam.com
موقعنا على الإنترنت: www.dar-alsalam.com

المجلد الخامس عشر

النحو - المنطق

أولًا: النحـو ويحتوي على:

١- تَشْييدُ المَباني لتَوْضِيحِ ما حَوَتْهُ المُقدِّمةُ الآجُرُّومِيَّةُ مِن الحَـقائِقِ والمَعَاني.

ثانيًا: المنـطـق ويحتوي على:

١- التَّوَقِّي والاسْتِنْـزَاه عن خطأ البُناني في مَعْنَىٰ الإله.

٢- رَفْعُ الإشْكَال عن مَسْأَلَةِ المُحاَل.

٣- التَّـنَصُّل والانْفِصال مِن فَضِيحَةِ الإشْكِال.

١ - تَشْييدُ المَبَانِي

لِتَوْضِيحِ مَا حَوَتْهُ المُقَدِّمَةُ الآجُرُّومِيَّةُ

مِنَ الحَقَائِقِ وَالمَعَانِي

بسم الله الرحمن الرحيم

أقسام الكلام

قال المؤلِّفُ: (الكَلَامُ هو اللَّفْظُ المُرَكَّبُ المُفِيدُ بِالوَضْعِ).

«الكَلَامُ»: اسم جنسٍ يقع على القليل والكثير، والكَلِمُ لا يكون أقل من ثلاث كلمات؛ لأنَّه جمع كَلِمَةٍ، ولهذا قال سيبويه في الكتاب: «هذا باب عِلْمُ ما الكَلِمِ من العربيَّةِ» ولم يَقُلْ: ما الكَلَام؛ لأنَّه أراد نفس ثلاثة أشياء الاسم إلخ... فجاء بما لا يكون إلا جَمْعًا وترك ما يمكن أنْ يَقَعَ على الواحد والجماعة.

وهو في اللُّغة: موضوعٌ لكلِّ ما أفهم معنىً، واصطلاحًا: هو ما عرَّفَهُ المصنِّف.

و«اللَّفْظُ» لغةً: الرَّمْي، يُقالُ: لَفَظَ الشَّيءَ من فِيهِ إذا رماه، وهذا من استعماله في حقيقته، ومن المجاز: «لَفَظَتِ الرَّحَى بالدَّقِيقِ». واصطلاحًا: هو الصَّوت.

و«المُرَكَّبُ» لغةً: يُطلق على ركوب الدَّابَّة، وعلى الدَّيْنِ إذا ارْتَكَبَ أو رَكِبَ، وعلى مَعَانٍ كثيرةٍ، واصطلاحًا: هو ما تركَّبَ من كلمتين فأكثر. وهو ثلاثةُ أقسامٍ: إسنادي، وإضافي، ومَزْجِي.

قال السُّودانيُّ: والمراد الأوَّل وإن قال ابن الصَّائغ: حيث أطلق النُّحاةُ المركَّبُ، فالمرادُ المَزْجِيُّ كبعلبك.

قال ابن هشامٍ: وصُوَرُ التركيبِ الإسناديِّ ستٌّ، وذلك إمَّا أن يتركَّبَ من اسمين، أو من فعلٍ واسمٍ، أو من جملتين، أو من فعلٍ واسمين، أو من فعلٍ

وثلاثةِ أسماء، أو من فعلٍ و أربعةِ أسماء.

أمَّا تركيبه من اسمين فله أربعُ صُورٍ:

إحداها: أن يكونا مُبتدأ وخبرًا نحو: زيدٌ قائمٌ.

والثانية: أن يكونا مبتدأ وفاعلًا سدَّ مَسَدَّ الخبر نحو: أقائمٌ الزيدان.

الثالثة: أن يكونا مبتدأ ونائبًا عن فاعلٍ سدَّ مَسَدَّ الخبر نحو: أمضروبٌ الزيدان.

الرابعة: أن يكونا اسمَ فعلٍ وفاعلَهُ نحو: هَيْهَات العَقِيقُ.

وأمَّا تركيبه من فعلٍ واسمٍ فله صورتان:

إحداهما: أن يكون الاسمُ فاعلًا، نحو: قامَ زيدٌ.

الثانية: أن يكون نائبًا عن الفاعل نحو: ضُرِبَ زيدٌ.

وأما تركيبه من جملتين فله صورتان أيضًا:

إحداهما: جُمْلتا الشَّرطِ والجزاءِ نحو: إن قامَ زيدٌ قُمْتُ.

الثانية: جُمْلتا القسمِ وجوابِه، نحو: أَحْلِفُ بالله لزيدٌ قائمٌ.

وأمَّا تركيبه من فعلٍ واسمين فنحو: كان زيدٌ قائمًا.

وأمَّا تركيبه من فعلٍ وثلاثةِ أسماء فنحو: عَلِمتُ زيدًا فاضلًا.

وأمَّا تركيبه من فعلٍ وأربعةِ أسماء فنحو: أَعْلَمْتُ زيدًا عمرًا فاضلًا. انتهى مع زيادة ونقصان.

و«**المُفِيدُ**» ما استُفيدَ من أخذ مالٍ أو إعطائِه.

واصطلاحًا: هو ما أفادَ فائدةً لم تكن عند السَّامعِ.

هذا عن القول باشتراط الفائدة الجديدة، وإليه ذهب ابنُ مالكٍ، قال في

شرح "كافِيَتِه" في مُحَتَرزاتِ قيود الكلام: «ويَخرجُ بذلك -يعني بالمُفيدِ- المركَّبُ الذي لا يَجْهَلُ أحدٌ معناه، نحو: السَّماء فوقَ الأرضِ، فإنَّه لا يُفيدُ فلا يعدُّه النَّحويون كلامًا».اهـ

وجزم به المُراديُّ والسيوطيُّ والأزهريُّ والأشمونيُّ وغيرُهم.

ومقابِلُه عدمُ اشتراطِها، وعلىٰ هذا يُحذفُ من التعريف: «لم تكن عند السَّامعِ». وإلىٰ هذا ذهب أبو حَيَّان، قال: «لا وَجْهَ لمن علَّل اشتراطه بكونه معلومًا؛ لأنَّ ذلك غير مُوجبٍ لعدم كلاميَّته، واللَّازمُ في كلِّ ما عُلِمَ مَدلولُه، أن لا يكون كلامًا واللَّازمُ باطلٌ».اهـ

«بِالوَضْعِ» الوضع لغةً يطلق علىٰ معانٍ كثيرةٍ يُقَالُ: وَضَعْتُ الشَّيءَ بين يديه تركتُه هناك، ووَضَعَت الحامِلُ وَلَدَتْ، وتواضع لله خشع، ووضع الحديثَ كَذَبَه وافتراه.

واصطلاحًا فيه مذهبان:

الأوَّل: أنَّ المرادَ به الوضعُ العربيُّ. وعرَّفوه بأنَّه جَعْلُ اللفظ دليلًا علىٰ المعنىٰ، وهذا التعريف لمطلق الوضع لا بِقَيدِ كَوْنِهِ عربيًّا.

والثاني: أنَّ المرادَ به القصدُ. وهو أن يقصد المتكلِّمُ إفادةَ السَّامعِ. ومَنْشأ الخلاف هنا هو الخلاف في دلالة الكلام هل هي وَضْعِيَّة أم عَقْلِيَّة؟ والأصحُّ الذي عليه جمهور النُّحاة: الأوَّل، إلَّا أنَّ الوضعَ قسمان: شخصيٌّ ونوعيٌّ، أمَّا المفردات فوَضْعُها شخصيٌّ، وهو أن يضعَ الواضعُ لكلِّ ذاتٍ مخصوصةٍ اسمًا يخصُّها بحيث إذا أطلق ذلك الاسم انصرفَ لتلك الذَّاتِ وميَّزها من أفرادِ جنسها، وقد اتفقوا علىٰ وضعيَّته.

وأمَّا المُرَكبات فوضعها نوعيٌّ، وهذا النوعيُّ عبارة عن الوضع للأمر الكليِّ، وهو أن يضعَ الواضعُ الفعلَ مع فاعله للدلالة على ثبوت الفعل لمن صدر منه أو قام به، فنحو: «قامَ زيدٌ» مثلًا وضعه الواضع لكلِّ من صدر منه القيام فتدخل تحته أفرادٌ كثيرةٌ كما هو شأن النوعيِّ في الشمول، وهذا القسم هو المختلف فيه، لكن الرَّاجح ما تقدَّم آنفًا.

وأمَّا قولُ الأزهريِّ بعد حكايته الخلاف في دلالة الكلام هل هي وَضْعِيَّة أم عَقْلِيَّة: «والأصحُّ الثَّاني» فباطلٌ وإلَّا لكان كلُّ كلامٍ سُمِعَ فُهِمَ، واللَّازمُ باطلٌ، وقد تبعه السُّودانيُّ على ذلك حيث قال بعد كلامٍ له ما نصُّه: «لأنَّ الصَّحيحَ اختصاصُ الوضعِ بالمفردات والكلامُ مركَّبٌ».اهـ وقد علمت بُطْلانَه.

ولعلَّ القائلُ بالدلالةِ العقليَّةِ جَعَلَ الوضعَ شخصيًّا فقط، وبالضرورة إذا كان شخصيًّا كانت الدلالةُ عقليَّةً والصَّوابُ كما عَلِمْتَ أنَّه نوعيٌّ في المركَّبات، شخصيٌّ في المفردات، فتلخَّصَ من هذا أنَّ (الكَلَامَ) عند النُّحاةِ يُطلقُ على هذه الأمورِ الأربعةِ وهي اللفظ إلخ فـ(اللَّفْظُ) جنسٌ، و(المُرَكَّبُ) مُخرِجٌ لغيره كزيد، ولمثله كعبد الله وبعلبك، و(المُفِيدُ) مُخرِجٌ لما ليس بمُفِيدٍ، كـ«إن قام زيد» و«الذي ضربته» ونحو ذلك، و(بِالوَضْعِ) قَيْدٌ له مُخرِجٌ لكلام العَجَمِ والبَرْبَرِ، أو لكلام النَّائمِ والسَّكرانِ ونحوهما مما لا يعقل.

فإن قُلْتَ: اللَّفظُ جنسٌ بعيدٌ للكلام، وقد عاب المناطقة استعماله في الحدود.

قلت: إنَّما عابوا الاقتصار عليه بدون فَصْلٍ، وأمَّا ذكره مع الفَصْلِ كما هنا فهو حدٌّ تامٌّ.

ثمَّ اعلم أنَّ المصنِّفَ -رحمه الله- لم يعرِّف الكلمة ولا القول، وكان حقُّه أن يعرِّفَهما، لكنَّه قصد بهذه المقدِّمةِ المبتدئَ فحذفهما تقريبًا عليه، ولنذكرهما تتميمًا للفائدة فنقول:

الكلمة لغةً؛ قال في "القاموس": «الكَلِمَةُ اللَّفْظَةُ والقَصِيدَةُ».

واصطلاحًا قال ابن هشامٍ: «الكلمة قولٌ مفردٌ، والمراد بالقول: اللَّفظُ الدَّالُّ على معنى كرجلٍ وفرسٍ، والمراد بالمفرد: ما لا يدلُّ جُزْؤُهُ على جُزْءِ معناه، وذلك نحو: زيدٌ. فإنَّ أجزاءَه وهي الزَّاي والياء والدَّال إذا أُفْرِدَتْ لا تدلُّ على شيءٍ ممَّا يدلُّ هو عليه بخلاف قولك: غُلامُ زيدٍ. فإنَّ كلًّا من جُزْءيه وهما الغلام وزيد، دالٌّ على جُزْءِ معناه، فهذا يُسمَّى مُرَكَّبًا، وهي: اسمٌ وفعلٌ وحرفٌ». انتهى مُلَخَّصًا.

والقول لغةً؛ قال في "القاموس": «القولُ: الكلامُ، أو كلُّ لَفْظٍ مَذَلَ به اللِّسانُ، تامًّا أو ناقصًا».

واصطلاحًا، قال ابنُ مالكٍ: «يُطلقُ على الكلمة المفردة، وعلى المركَّبِ بلا فائدة، وعلى المركَّبِ المفيدِ، فكلُّ كلامٍ قَوْلٌ، وليس كلُّ قَوْلٍ كلامًا». انتهى بلفظه. وهذا معنى قوله في "الألفيَّة": «والقَوْلُ عَمَّ» يعني أَعَمُّ من الجميع إلَّا اللَّفْظِ.

(فائدة): قال السُّيوطيُّ في "الأشباه والنظائر": «ما خرج من الفم إن لم يشتمل على حرفٍ فصوتٌ، وإن اشتمل على حرفٍ ولم يُفِدْ معنى فلَفْظٌ، وإن أفادَ معنى فقَوْلٌ، فإن كان مفردًا فكلمةٌ، أو مركَّبًا من اثنين ولم يُفِدْ نسبةً مقصودةً لذاتها فجملةٌ، أو أفادَ ذلك فكلامٌ، أو من ثلاثٍ فكَلِمٌ». انتهى منه بلفظه.

قال المؤلِّف: (وَأَقْسَامُهُ ثَلَاثَةٌ: اسْمٌ وَفِعْلٌ وَحَرْفٌ جَاءَ لِمَعْنًى).

«وَأَقْسَامُهُ»: الأقسام جمع قِسمٍ بكسر القاف، وهو لغةً: يُطلقُ على الجزء وعلى النوع، كما يفهم ذلك من "القاموس" وغيره من كتب اللُّغَةِ.

قال السُّودانيُّ: «ويحتمل كلام المصنِّف كلا الإطلاقين، فعلى الأول: وهو بمعنى الجزء. فالضمير عائدٌ على الكلامِ، أي: وأجزاءُ الكلامِ التي يتركَّبُ منها اسمٌ وفعلٌ وحرفٌ وذلك نحو: قد قام زيدٌ. وعلى الثَّاني: يعود الضمير على اللَّفْظِ. أي: أنواعُ اللَّفْظِ إلخ». انتهى منه.

قلت: فهو من تقسيم الكلِّ إلى أجزائه، وعلى الثاني إذا أُعِيدَ الضميرُ وأُرِيدَ منه الكلمةُ وقطع النظر عن الأوصاف، كان من تقسيم الكليِّ إلى جزئياته، فيكون فيه استخدام.

«ثَلَاثَةٌ»: بالإجماع إلَّا من خالف شذوذًا، والأدلَّةُ على ذلك ثلاثةٌ:

أحدها: الأثر، رُوِيَ عن عليٍّ بن أبي طالبٍ عليه السلام وأخرجه أبو القاسم الزجَّاجيِّ في "أماليه" بسنده إليه.

الثاني: الاستقراءُ التَّامُّ من أئمَّةِ العربيَّة، كأبي عمروٍ والخليلِ وسيبويه ومن بعدهم.

الثالث: الدَّليلُ العقليُّ. ولهم في ذلك عباراتٍ منها قَوْلُ ابنِ مُعْطٍ: إنَّ المنطوق به إمَّا أن يدلَّ على معنى يصحُّ الإخبارُ عنه وبه وهو الاسْمُ، وإمَّا أن يصحَّ الإخبارُ به لا عنه وهو الفعلُ، وإمَّا أن لا يصحَّ الإخبارُ عنه ولا به وهو الحرفُ.

قال ابنُ إيازٍ: «قِسْمَتُه غيرُ حاصرةٍ إذ تحتملُ وجهًا رابعًا: وهو أن يُخبرَ عنه

لا به، وسواء كان واقعًا أو غيرَ واقعٍ، إذ عَدَمُ وقوعِ أحدِ الأقسامِ لا تُصَيِّرُ القسمةَ حاصرةً»، ومنها قول بعضهم: «إنَّ العباراتِ بحسب المُعَبِّر، والمُعَبَّرُ عنه من المعاني ثلاثٌ: ذاتٌ وحَدَثٌ عن ذاتٍ وواسطةٌ بين الذَّاتِ والحَدَثِ، فالذَّاتُ الاسْمُ، والحَدَثُ الفَعْلُ، والوَاسِطَةُ الحَرْفُ».

ومنها قول بعضهم: «إنَّ الكلمةَ إمَّا أن تستقلَّ بالدلالةِ على ما وُضِعَتْ له، أو لا تستقلَّ وغيرُ المُسْتَقِلِّ الحَرْفُ، والمُستقلُّ إمَّا أنْ تُشْعِرَ مع دلالتِها على معناها بزمنِه المُحَصَّلِ أو لا تُشْعِرَ فهي الاسْمُ، وإن أَشْعَرَتْ فهي الفعلُ».

ومنها قول بعضهم: «إنَّ الكلمة إمَّا أن يصحَّ إسنادُها إلى غيرِها أو لا، إن لم يصحَّ فهو الحرفُ، وإن صحَّ فإمَّا أن يقترنَ بأحدِ الأزمنةِ الثَّلاثةِ أو لا، إن اقترن فهي الفعلُ، وإلَّا فهي الاسْمُ»، قال ابن هشام: «وهذه أَحْسَنُ الطُّرُقِ».

وهي أحسن من الطريقة التي في كلام ابن الحاجب وهي: «أنَّ الكلمةَ إمَّا أن تَدُلَّ على معنى في نفسها أو لا، الثاني الحرفُ والأوَّلُ إمَّا أن تقترنَ بأحدِ الأزمنةِ أو لا، الثاني الاسْمُ والأوَّلُ الفعلُ». انتهى المقصود منه بلفظه.

قلت: والجاري على أَلْسِنَةِ الشُّرَّاحِ من هذه الأدلَّةِ دليل ابن الحاجب، وقد أورد عليه ابن هشامٍ إشكالين، راجعهما في "الأشباه".

«اسْمٌ» قال في "المصباح": وأصله سِمْوٌ مثال حِمل أو قِفْل، وهو من السُّمُوِّ وهو العُلُوُّ، والدَّليل عليه: أنَّه يُرَدُّ إلى أصله في التصغير وجمع التكسير، فيقالُ: سُمَيٌّ وأَسْمَاءُ. وذهب بعض الكوفيين إلى أنَّ أصلَه وَسَمَ؛ لأنَّه من الوَسْمِ وهو العلامةُ، قالوا: وهذا ضعيفٌ؛ لأنَّه لو كان كذلك لقيل في التصغير وُسَيْمٌ وفي الجمع أَوْسَامٌ ولأنَّك تقول: أَسْمَيتُه ولو كان من السِّمَةِ لقلت: وَسَمْتُه، وهو

ثلاثة أقسام: ضميرٌ كهو، أو ظاهرٌ كعمرو، أو مُبهَمٌ كذا».اهـ المراد منه بلفظه.

«وَفِعْلٌ»: وهو ثلاثة أقسام: مَاضٍ كفَرِحَ، ومُضارعٌ كيَفْرَحُ، وأمرٌ كافْرَحْ.

«وَحَرْفٌ جَاءَ لِمَعْنًى»: احترازًا من الذي لم يجيءْ لمعنىٰ، كأَلِفِ أحمد ومِيمِه فإنَّه لا دخلَ له في تركيب الكلام.

وهو ثلاثةُ أقسامٍ: مُشْتَرِك بين الاسْمِ والفِعْلِ كـ«همزة الاستفهام»، ومُخْتَصٌّ بالاسْمِ كـ«علىٰ»، ومُخْتَصٌّ بالفِعْلِ كـ«لن».

قال المؤلِّف: (**فالِاسْمُ يُعْرَفُ بِالخَفْضِ وَالتَّنْوِينِ، وَدُخُولِ الأَلِفِ وَاللامِ وَحُرُوفِ الخَفْضِ**)

«**فالِاسْمُ يُعْرَفُ بِالخَفْضِ**»: عبارة عن الحركةِ التي يَجلِبُها عاملُ الخَفْضِ، ثمَّ إنَّ الخَفْضَ شاملٌ بالحرفِ، كقوله تعالىٰ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ أو بالمضافِ كقوله تعالىٰ: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلىٰ: ١] وأمَّا الخَفْضُ بالتبعيَّةِ كقوله: ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٣]علىٰ مذهب. وبالمُجَاوَرَةِ كقوله:

كَأَنَّ أَبَانًا فِي أَفَانِينِ وَدْقِهِ ... كَبِيرُ أُنَاسٍ فِي بِجَادٍ مُزَمَّلِ

وبالتوهم كقوله:

بَدَا لِيَ أَنِّي لَسْتُ مُدْرِكَ مَا مَضَىٰ ... وَلَا سَابِقٍ شَيْئًا إِذَا كَانَ آتِيَا

وإن كان شَامِلًا لهم فَضَعِيفٌ لا يُعتمد.

«وَالتَّنْوِينِ»: لغة؛ قال في "المختار": «نَوَّنْتُ الاسْمَ تَنْوِينًا».اهـ أي: أَدْخَلْتُه التَّنوينَ.

واصطلاحًا: نُونٌ ساكنةٌ تَلحقُ آخرَ الاسْمِ لَفْظًا وتُفَارِقُه خَطًّا.

وهو أربعةُ أقسامٍ: تنوين التمكين، وتنوين التنكير، وتنوين المقابلة، وتنوين العِوَض.

فأمَّا الأوَّل: فهو الدَّاخل علي الأسماءِ المصروفةِ كزيدٍ وعمرو.

وأمَّا الثاني: فهو الدَّاخل علىٰ أسماء الأفعال كإيهٍ وبعض الأعلام كنِفْطَوَيْهِ.

وأمَّا الثالث فهو الدَّاخل علىٰ جمع المؤنَّث السَّالم كمؤمناتٍ.

وأمَّا الرابع: فهو الدَّاخل علىٰ بعض الأسماء كجوارٍ، وغواشٍ، وكلٌّ، ويومئذٍ، وساعتئذٍ ونحوهما.

والأوَّلُ هو المشهورُ عند الإطلاقِ، وأمَّا غيرُه فبالتقييدِ.

(تنبيه): يجب حذف التنوين في مواضع أشار لها من قال:

قَـدْ يُحْـذَفُ التَّنْـوِينُ في مَوَاضِـعِ ... أَوَّلُهَـا الصَّـرْفُ لِـذِي المَوَانِـعِ

لَا وَالإِضَـافَةُ وَأَلْ وَالْوَقْـفُ ... في غَـيْرِ نَصْـبٍ وَالنِّـدَاءُ فَـاقْفُ

وَكَـوْنُ الاِسْـمِ عَلَـمًا مَوْصُـوفًا ... بِـابْنٍ أَوِ ابْنَـةٍ إِذَا أُضِيـفَا

وقوله: «لَا» في البيت الثاني معطوف بحذف العاطف يعني لدخول لا؛ لأنَّ الاِسْمَ يُبْنَىٰ معها كما سيأتي.

«**وَدُخُولِ الأَلِفِ وَاللامِ**»: قال السُّودانيُّ: «وَفُهِمَ من تعبيرِه بالألفِ واللامِ، أنَّ اللامَ وحدَها حرفُ التَّعريف».اهـ

قلت: وهذا أحد القولين في المسألة، قال ابن عقيل: «اختلف النحويون في حرف التعريف، فقال الخليل: المعرِّف هو «أل»، وقال سيبويه: هو اللام وحدها»، فالهمزة عند الخليل همزة قطع، وعند سيبويه همزة وصل اجتلبت

للنطق بالسَّاكن وإلىٰ هذا أشار في "الفريدة" بقوله:

أَلْ حَـرْفُ تَعْرِيـفٍ وَسِـيبَوَيْهِ ... الـلَامُ قَـطْ وَجُلُّهُـمْ عَلَيْـهِ

قال في "المُغْنِي": وهي ثلاثةُ أقسامٍ:

أحدها: أن تكون اسمًا موصولًا بمعنىٰ «الذي» وفروعُه، وهي الدَّاخلةُ علىٰ أسماء الفاعلين والمفعولين، قيل: والصِّفاتُ المشبهةُ. وليس بشيءٍ؛ لأنَّ الصِّفةَ المشبَّهةَ للثبوتِ فلا تُؤوَّلُ بالفعلِ، ولهذا كانت الدَّاخلةُ علىٰ اسم التفضيل ليست موصولةً باتفاقٍ. وقيل: هي في الجميع حرفُ تعريفٍ. وقيل: موصولٌ حرفيٌّ. وليس بشيءٍ؛ لأنَّها لا تُؤوَّلُ بالمصدر، وربما وُصِلَتْ بظرفٍ أو جملةٍ اسميَّةٍ أو فعليَّةٍ فعلها مضارع، وذلك دليلٌ علىٰ أنَّها ليست حرفَ تعريفٍ.

فالأول: كقوله:

مَـنْ لَا يَـزَالُ شَـاكِرًا عَـلَىٰ المَعَـهْ ... فَهْـوُ حَـرٍ بِعِيشَـةٍ ذَاتِ سَـعَه

والثاني: كقوله:

مِـنَ القَـوْمِ الرَّسُـولُ اللهِ مِنْـهُمْ ... لَهُـمْ دَانَـتْ رِقَـابُ بَنِـي مَعَـدِّ

والثالث: كقوله: «صَوْتُ الحِمَارِ اليُجَدَّعُ».

والجميعُ خاصٌّ بالشِّعرِ، خلافًا للأخفشِ وابنِ مالكٍ في الأَخِيرِ.

والثاني: أن تكون حرفَ تعريفٍ، وهي نوعان: عهديَّةٌ وجنسيَّةٌ وكلٌّ منها ثلاثةُ أقسامٍ.

فالعهديَّةُ: إمَّا أن يكون مَصحوبُها معهودًا ذِكْرِيًّا نحو: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾ [المزمل: ١٥ - ١٦]، ونحو: ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ

ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ ﴾ [النور: ٣٥] وعبرة هذه أن يَسُدَّ الضمير مَسَدَّها مع مصحوبها.

أو معهودًا ذِهْنِيًّا نحو: ﴿إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ ﴾ [التوبة: ٤٠] ونحو: ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ [الفتح: ١٨].

أو معهودًا حضوريًّا، قال ابن عُصْفُور: «ولا تَقَعُ هذه إلَّا بعد أسماءِ الإشارةِ نحو: جاءني هذا الرجل، أو «أي» في النداء نحو: يا أيُّها الرَّجل، أو «إذا» الفجائيَّة نحو: خرجت فإذا الأسد، أو في «الزَّمانِ الحاضرِ» نحو: الآن».اهـ

وفيه نظرٌ؛ لأنَّك تقول لشاتمِ رجلٍ بحضرتك: لا تشتمِ الرَّجُلَ، فهذه للحضور في غير ما ذُكِرَ؛ ولأنَّ التي بعد «إذا» ليست لتعريف شيءٍ حاضرٍ حالةَ التكلُّمِ فلا تُشْبِهُ ما الكلام فيه؛ ولأنَّ الصَّحيحَ في الدَّاخلة على الآن أنَّها زائدةٌ؛ لأنَّها لازمةٌ، ولا يُعْرفُ أنَّ التي للتعريف وَرَدَتْ لازمةً بخلافِ الزَّائدةِ والمثالُ الجيِّدُ في المسألة قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة: ٣].

والجنسيَّةُ إمَّا لاستغراقِ الأفرادِ، وهي التي تَخلفُها كُلُّ حقيقةً نحو: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٢٨] ونحو: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [العصر: ٢ – ٣].

أو لاستغراقِ خصائصِ الأفرادِ، وهي التي تَخلفُها كُلُّ مجازًا نحو: زَيْدُ الرَّجُلُ عِلْمًا، أي الكاملُ في هذه الصِّفةِ، ومنه: ﴿ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [الإسراء: ٥٨].

أو لتعريفِ الماهيةِ، وهي التي لا تَخلفُها كُلُّ لا حقيقةً ولا مجازًا نحو: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾ [الأنبياء: ٣٠]. انتهى مُلخصًا.

قلت: واستشهادُه للعهدِ الذِّهنيِّ بالآيتين لا يَستقيمُ؛ لأنَّهما من الخارجيِّ العلميِّ، والأجودُ في الاستشهادِ قوله تعالىٰ: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ [يوسف: ١٣]، وكلامُ المصنِّفِ شاملٌ لهذه الأقسامِ كلِّها إلَّا الموصولة.

(تتميم): قال في "المغني": «أجاز الكوفيون وبعضُ البصريين وكثيرٌ من المتأخرين، نيابة «أل» عن ضميرِ المضافِ إليه، وخرَّجوا علىٰ ذلك: ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤١] والمانعون يُقدِّرون ﴿هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ له، وقيَّد ابن مالكٍ الجواز بغير الصلة، وقال أبو شامة في قوله: «بَدَأتُ بِبِسْمِ الله في النَّظْمِ أَوَّلا» أنَّ الأصلَ: في نظمي، فجوَّز نيابتها عن الظَّاهرِ، وعن ضميرِ الحاضرِ، والمعروفُ من كلامِهم إنَّما هو التمثيلُ بضميرِ الغائبِ».اهـ

(مُهِمَّة): قال في "المغني": «من الغريب أنَّ «أل» تأتي للاستفهام، وذلك في حكاية قُطْرُبٍ: «أل فَعَلْتَ» بمعنىٰ: هل فَعَلْتَ؟ وهو من إبدال الخفيف ثقيلًا، كما في «الآل» عند سيبويه لكن ذلك سهلٌ؛ لأنَّه جعل وسيلةً إلىٰ الألف التي هي أخفُّ الحروفِ».اهـ

«وَحُرُوفِ الخَفْضِ» ويسمِّيها البصريون حروفَ الجرِّ، قال ياسين: سُمِّيت بذلك؛ لأنَّها تجرُّ معنىٰ الأفعالِ إلىٰ الأسماءِ، ولذا تُسمَّىٰ حروفَ الإضافةِ؛ لإضافتها معنىٰ الأفعالِ إلىٰ الأسماءِ، والأظهرُ أنَّها سُمِّيت حروفَ الجرِّ؛ لأنَّها تعملُ إعرابَ الجرِّ، كما سُمِّيت بعضُ الحروفِ حروفَ الجزمِ وبعضُها حروفَ النصبِ، وبعضهم يُسمِّيها حروفَ الصِّفاتِ؛ لأنَّها تُحدِث في الاسْمِ صِفةً من تبعيضٍ وظرفيَّةٍ وغيرهما.اهـ

(تنبيه): الخفضُ عبارةُ الكوفيين، قال بعض الحواشي: وإنَّما عبَّروا بالخفض لانخفاض الشَّفَةِ السُّفلىٰ عند النطق به، وهذا احتمالٌ بعيدٌ جدًّا.

قال المؤلِّفُ: (وَهِيَ: مِنْ، وَإِلى، وَعَنْ، وَعَلَى، وَفي، وَرُبَّ، وَالبَاءُ، وَالكَافُ، وَاللَّامُ).

«وَهِيَ: مِنْ»: ولها خمسةَ عَشَرَ معنىٰ:

أحدها: ابتداءُ الغايةِ، وهو الغالبُ عليها، حتىٰ ادَّعىٰ جماعةٌ أنَّ سائرَ معانيها راجعةٌ إليه، وتَقَعُ لهذا المعنىٰ في غيرِ الزَّمانِ نحو: ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الإسراء: ١]، ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ﴾ [النمل: ٣٠]، قال الكوفيون والأخفشُ والمبرِّدُ وابنُ دَرَسْتَوَيْه: وفي الزَّمانِ أيضًا بدليل: ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ [التوبة: ١٠٨] وفي الحديث: «فَمُطِرْنَا من الجمُعَةِ إلى الجمُعَةِ».

وقالَ النَّابِغَةُ:

تُخُيِّرْنَ مِنْ أَزْمَانِ يَوْمِ حَلِيمَةٍ إلىٰ اليَوْمِ قَدْ جُرِّبْنَ كُلَّ التَّجَارِبِ

وقيل: التقديرُ من مُضِيِّ أزمانِ يومِ حليمةَ، ومن تأسيسِ أوَّلِ يومٍ، وردَّه السُّهَيْلِيُّ بأنَّه لو قيل هكذا لاحتيج إلىٰ تقدير الزَّمان.

الثاني: التبعيضُ نحو: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣] وعلامتها إمكان سَدِّ «بَعْض» مَسَدَّها كقراءةِ ابنِ مسعودٍ: ﴿حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢].

الثالث: بيانُ الجنسِ وكثيرًا ما يَقَعُ بعد «ما» و«مهما»، وهما بها أولىٰ لإفراط إبهامهما نحو: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر: ٢]، ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ [البقرة: ١٠٦]، ﴿مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ﴾ [الأعراف: ١٣٢].

الرابع: التَّعليلُ نحو: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟﴾ [نوح: ٢٥] وقولُه: «وَذَلِكَ مِنْ نَبَأٍ جَاءَنِي»، وقول الفَرَزْدَقِ في عَلِيِّ بنِ الحُسَينِ: «يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضَىٰ مِنْ مَهَابَتِهِ».

الخامس: البدلُ نحو: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [التوبة: ٣٨]. ﴿لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَـٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ [الزخرف: ٦٠]؛ لأنَّ الملائكةَ لا تكونُ من الإنسِ، ﴿لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٠] أي: بدل طاعة الله أو بدل رحمة الله.

السادس: مرادفةُ «عن» نحو: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٢] ﴿يَـٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَـٰذَا﴾ [الأنبياء: ٩٧].

السابع: مرادفةُ «الباء» نحو: ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ﴾ [الشورىٰ: ٤٥] قاله يونس، والظَّاهر أنَّها للابتداء.

الثامن: مرادفةُ «في» نحو: ﴿أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٤٠]، ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾ [الجمعة: ٩]. والظَّاهرُ أنَّها في الأولىٰ لبيانِ الجنسِ، مثلها في ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ إلخ.

التاسع: موافقةُ «عند» نحو: ﴿لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١١٦] قالَهُ أبو عُبَيْدَةَ، وقد مضىٰ القولُ بأنَّها في ذلك للبدل.

العاشر: مرادفةُ «رُبَّما» وذلك إذا اتصلت بـ«ما» كقوله:

وَإِنَّا لَمَّا نَضْرِبُ الكَبْشَ ضَرْبَةً عَلَىٰ رَأْسِهِ تُلْقِي اللِّسَانَ مِنَ الفَمِ

قاله السِّيرافيُّ وابنُ خروفٍ وابنُ طاهرٍ والأَعْلَمُ.

الحادي عشر: مرادفةُ «على» نحو: ﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾ [الأنبياء: ٧٧] وقيل: على التَّضمينِ. أي: منعناه منهم بالنصر.

الثاني عشر: الفصلُ، وهي الدَّاخلة على ثاني المتضادين نحو: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠]﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩] قاله ابنُ مالكٍ وفيه نظرٌ؛ لأنَّ الفصلَ مستفادٌ من العامل، فإنَّ مَازَ ومَيَّز بمعنى فَصَلَ، والعِلْمُ صفةٌ توجب التمييز، والظَّاهر أنَّ «من» في الآيتين للابتداء أو بمعنى «عن».

الثالث عشر: الغاية، قاله سيبويه، وتقول: رأيته من ذلك الموضع، فجعلته غايةً لرؤيتك، أي: محلًّا للابتداء والانتهاء، قال: «وكذا أخذته من زيدٍ»، وزعم ابنُ مالكٍ أنَّها في هذه للمجاوزة، والظَّاهرُ عندي أنَّها للابتداء؛ لأنَّ الأخذَ ابتدأ من عنده وانتهى إليك.

الرابع عشر: التَّنصيصُ على العمومِ، وهي زائدةٌ في نحو: ما جاءني من رجلٍ.

الخامس عشر: توكيد العموم وهي الزَّائدةُ في نحو: ما جاءني من أحدٍ أو من ديار، فإنَّ أحدًا وديارًا صيغتا عمومٍ.

«وَإِلَى»: ولها ثمانيةُ مَعَانٍ:

أحدها: انتهاءُ الغايةِ الزَّمانيَّةِ نحو: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

والمكانيَّةِ نحو: ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١].

والثاني: المعيَّةُ، وذلك إذا ضممتَ شيئًا إلى آخر، وبه قال الكوفيون وجماعةٌ من البصريين في ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢]ولا يجوز: «إلى زيدٍ

مالٌ» تريد: مع زيدٍ مالٌ.

والثالث: التَّبيينُ، وهي المبيِّنةُ لفاعليَّةِ مجرورِها بعد ما يفيد حبًّا أو بُغْضًا من فعلِ تَعَجُّبٍ أو اسمِ تفضيلٍ نحو: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ [يوسف: ٣٣].

والرابع: مرادفةُ اللامِ نحو: ﴿وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾ [النمل: ٣٣]وقيل: لانتهاءِ الغايةِ أي: مُنتَهٍ إليكِ.

والخامس: موافقةُ «في». ذكره جماعةٌ في قوله:

فَلَا تَتْرُكَنِّي بِالوَعِيدِ كَأَنَّنِي ... إِلَى النَّاسِ مَطْلِيٌّ بِهِ القَارُ أَجْرَبُ

قال ابنُ مالكٍ: ويمكنُ أنْ يكونَ منه ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [النساء: ٨٧].

والسادس: الابتداءُ كقوله:

تَقُولُ وَقَدْ عَالَيْتُ بِالكُورِ فوقها ... أَيُسْقَى فَلَا يَرْوَى إِلَيَّ ابنُ أَحْمَرَا

أي: مِنِّي.

السابع: موافقةُ «عند»، كقوله:

أَمْ لَا سَبِيلَ إِلَى الشَّبَابِ وَذِكْرُهُ ... أَشْهَى إِلَيَّ مِنَ الرَّحِيقِ السَّلْسَلِ

والثامن: التَّوكيدُ، وهي الزَّائدةُ، أثبت ذلك الفرَّاءُ مُستدلًّا بقراءةِ بعضِهم: ﴿أَفْئِدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم: ٣٧] بفتح الواو.

«**وَعَنْ**» ولها عشرُ مَعَانٍ:

أحدها: المجاوزةُ، ولم يذكر البصريون سواه، نحو: «سافرتُ عن البلدِ» «ورغبتُ عن كذا»، «ورميتُ السَّهمَ عن القوسِ».

قلت: هذا ما مثَّل به ابن هشامٍ مع أنَّ الآيةَ موجودةٌ، ولعلَّها غابت عن ذِهنِه، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٠].

الثاني: البدلُ، نحو: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [البقرة: ٤٨].

وفي الحديثِ: «صُومِي عَنْ أُمِّكِ».

الثالث: الاستعلاءُ، نحو: ﴿فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [محمد: ٣٨].

وقولُ ذِي الإِصْبَعِ:

لَاهِ ابْنُ عَمِّكَ لَا أَفْضَلْتَ في حَسَبٍ عَنِّي وَلَا أَنْتَ دَيَّانِي فَتَخْزُونِي

الرابع: التَّعليلُ، نحو: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ﴾ [التوبة: ١١٤] ونحو: ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ﴾ [هود: ٥٣].

الخامس: مرادفةُ «بعد»، نحو: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٤٠] ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة: ١٣] بدليل أنَّ في مكانٍ آخر ﴿مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة: ٤١] ونحو: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٩].

السادس: الظَّرفيَّةُ، كقوله:

وَآسِ سَرَاةَ الحَيِّ حَيْثُ لَقِيتَهُمْ وَلَا تَكُ عَنْ حَمْلِ الرِّبَاعَةِ وَانِيَا

السابع: مرادفةُ «من»، نحو: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الشورى: ٢٥] الشَّاهدُ في الأُولَى، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ﴾ [الأحقاف: ١٦] بدليل: ﴿فَنُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمَا﴾ [المائدة: ٢٧].

الثامن: مرادفةُ «الباء»، نحو: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ [النجم: ٣].

التاسع: الاستعانةُ، قاله ابن مالك، ومثَّله بـ«رميتُ عن القوسِ»؛ لأنَّهم يقولون أيضًا: رميتُ بالقوسِ، حكاهما الفرَّاءُ.

العاشر: أن تكون زائدةً للتعويضِ من أُخرىٰ محذوفةٍ كقوله:

أَتَجْزَعُ إِنْ نَفْسٌ أَتَاهَا حِمَامُهَا ... فَهَلَّا التِي عَنْ بَيْنِ جَنْبَيْكَ تَدْفَعُ

«وَعَلَى» ولها تسعةُ مَعَانٍ:

الأوَّلُ: الاستعلاءُ، إمَّا علىٰ المجرورِ وهو الغالبُ، نحو: ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٢] أو علىٰ ما يَقرُبُ منه، نحو: ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ [طه: ١٠]. وقد يكون الاستعلاءُ معنويًّا نحو: ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

الثاني: المصاحبةُ كـ«مع»، نحو: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [البقرة: ١٧٧] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ [الرعد: ٦].

الثالث: المجاورةُ كـ«عن» كقوله:

إِذَا رَضِيَتْ عَلَيَّ بَنُو قُشَيْرٍ ... لَعَمْرُ اللهِ أَعْجَبَنِي رِضَاهَا

أي: عَنِّي.

الرابع: التَّعليلُ، كاللامِ نحو: ﴿لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ [الحج: ٣٧].

الخامس: الظَّرفيَّةُ كـ«في»، نحو: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ﴾ [القصص: ١٥].

السادس: موافقةُ «من»، نحو: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ [المطففين: ٢].

السابع: موافقةُ «الباء»، نحو: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ﴾ [الأعراف: ١٠٥].

الثامن: أن تكونَ زائدةً للتعويضِ أو غيرِه، فالأوَّلُ كقوله:

إِنَّ الكَـــرِيمَ وَأَبِيـــكَ يَعْتَمِـــلُ ... إِن لَّمْ يَجِـدْ يَوْمًـا عَـلَىٰ مَـنْ يَتَّكِـلُ

التاسع: أن تكونَ للاستدراكِ والإضرابِ، كقولك: فلانٌ لا يدخل الجنَّة لسوءِ صَنِيعِهِ، على أنَّه لا ييأسُ من رحمةِ الله.

«وفي» ولها عشرةُ مَعَانٍ:

أحدها: الظَّرفيَّةُ، وهي إمَّا مكانيَّةٌ أو زمانيَّةٌ، وقد اجتمعتا في قوله تعالىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [الروم: ١ – ٤].

الثاني: المصاحبةُ، نحو: ﴿ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ﴾ [الأعراف: ٣٨] أي: معهم.

الثالث: التَّعليلُ، نحو: ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ﴾ [يوسف: ٣٢].

الرابع: الاستعلاءُ، نحو: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١].

والخامس: مرادفةُ «الباء»، كقوله:

وَيَرْكَبُ يَـوْمَ الـرَّوْعِ مِنَّـا فَـوَارِسٌ ... بَصِيرُونَ في طَعْنِ الأَبَاهِرِ وَالكُـلَىٰ

والسادس: مرادفةُ «إلىٰ»، نحو: ﴿فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ [إبراهيم: ٩].

والسابع: مرادفةُ «مِنْ»، كقوله: «ثَلاثِينَ شَهْرًا في ثَلاثَةِ أَحْوَالٍ» أي: مِنْ.

والثامن: المقايسةُ، وهي الدَّاخلةُ بين مفضولٍ سابقٍ وفاضلٍ لاحقٍ، نحو: ﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨].

والتاسع: التَّعويضُ، وهي الزَّائدةُ عوضًا من أُخرىٰ محذوفةٍ، كقولك: ضربتُ فيمن رغبتُ.

والعاشر: التَّوكيدُ، وهي الزَّائدةُ لغيرِ التعويضِ، أجازه الفَارِسيُّ في الضرورةِ، وأنشد:

أَنَا أَبُو سَعْدٍ إِذَا اللَّيْلُ دَجَا ... يُخَالُ فِي سَوَادِهِ يَرَنْدَجَا

وأجازه بعضهم في قوله تعالي: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا﴾ [هود: ٤١].

«**ورُبَّ**»، ويُقالُ: رَبَّ بفتح الرَّاءِ، ورُبَّ بضمِّها، ورُبَّتَ بضمِّ الرَّاءِ وفتح الباءِ والتَّاءِ، ورُبَّتْ بسكون التَّاءِ، ورَبَّتَ بفتح الثلاثة، ورَبَّتْ بفتح الأولين وسكون التاء، وتخفيف الباء عن هذه السبعة، ورُبَّتَا بالضمِّ وفتحِ الباءِ المشدَّدَةِ، ورُبْ بالضمِّ والسكونِ، ورَبْ بالفتحِ والسكونِ، فهذه سَبْعَ عَشْرَةَ لغةً.

وليس معناها التقليلُ دائمًا خلافًا للأكثرين، ولا التكثيرُ دائمًا خلافًا لابن دَرَسْتَوَيْه وجماعةٍ، بل تَرِدُ للتكثيرِ كثيرًا وللتقليلِ قليلًا، فمن الأوَّلِ قوله: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢] وفي الحديث: «**يَا رُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا، عَارِيَةٍ يَوْمَ القِيَامَةِ**».

ومن الثاني قول الآخر:

أَلَا رُبَّ مَوْلُودٍ وَلَيْسَ لَهُ أَبٌ ... وَذِي وَلَدٍ لَمْ يَلْدَهُ أَبَوَانِ

يريدُ عيسىٰ وآدمَ عليهما السَّلام.

«والبَاءُ»، ولها أربعةَ عَشَرَ معنىً:

أحدها: الإلصاقُ، وهو معنىً لا يفارقُها، فلهذا اقتصر عليه سيبويه، وهو حقيقيٌّ إن أَفضَىٰ إلىٰ نفسِ المجرورِ كـ«أمسكتُ بزيدٍ»، ومجازيٌّ إن أَفضَىٰ إلىٰ ما يَقرُب منه كـ«مررتُ بزيدٍ».

قلت: ومن الأوَّلِ قوله تعالىٰ: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾ [المائدة: ٦] ولذلك يجب مسحُ الرَّأسِ كُلِّه عند المالكيَّةِ.

الثاني: التعدية، وهي المعاقبةُ للهمزةِ في تصييرِ الفاعلِ مفعولًا، وأكثر ما تعدَّىٰ الفعل القاصر نحو: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ﴾ [البقرة: ١٧]وقُرِئ شاذًّا: «أَذْهَبَ اللهُ نُورَهُمْ».

الثالث: الاستعانةُ، وهي الدَّاخلةُ علىٰ آلة الفعل نحو: كتبتُ بالقلم، ونَجَرتُ بالقَدُوم، قيل: ومنه البسملة؛ لأنَّ الفعلَ لا يتأتىٰ علىٰ الوجه الأكمل إلَّا بها.

الرابع: السببيةُ: نحو: ﴿إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾ [البقرة: ٥٤].

الخامس: المصاحبةُ، نحو: ﴿ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ﴾ [هود: ٤٨].

السادس: الظَّرفيَّةُ، نحو: ﴿وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ﴾ [آل عمران: ١٢٣].

والسابع: البدلُ كقوله:

فَلَيْتَ لي بِهِمُ قَوْمًا إِذَا رَكِبُوا ... شَنُّوا الإِغَارَةَ فُرْسَانًا وَرُكْبَانَا

الثامن: المقابلةُ وهي الدَّاخلةُ علىٰ الأعواضِ، نحو: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢].

التاسع: المجاوزةُ كـ«عن» فقيل: تختَّصُ بالسؤالِ نحو: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩]بدليل: ﴿يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٢٠] وقيل: لا تختصُّ به، بدليل قوله تعالىٰ: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ [الحديد: ١٢].

العاشر: الاستعلاءُ نحو: ﴿مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ﴾ [آل عمران: ٧٥] الآية، بدليل: ﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ﴾ [يوسف: ٦٤].

والحادي عشر: التبعيضُ، نحو: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٦]قيل: ومنه ﴿وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ﴾ [المائدة: ٦] وبه أخذ الشَّافعيَّةُ، فإنَّه يكفي عندهم مسحُ شعرةٍ واحدةٍ من الرَّأسِ.

والثاني عشر: القَسَمُ، وهو أصلُ أَحْرُفِه، ولذلك خُصَّت بجوازِ ذكرِ الفعلِ معها نحو: أقسم بالله لنفعلنَّ، ودخولها علىٰ الضمير نحو: بك لأفعلنَّ.

والثالث عشر: الغايةُ، نحو: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ﴾ [يوسف: ١٠٠] أي: إليَّ.

والرابع عشر: التَّوكيدُ وهي الزَّائدةُ، نحو: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٩].

«**والكَافُ**» ولها خمسةُ مَعَانٍ:

أحدها: التشبيهُ، نحو: زيدٌ كالأسدِ.

الثاني: التَّعليلُ، نحو: ﴿وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [القصص: ٨٢].

والثالث: الاستعلاءُ، قيل لبعضهم: كيف أصبحتَ؟ قال: كخيرٍ، أي: علىٰ خيرٍ.

والرابع: المبادرةُ، نحو صلِّ كما يدخل الوقت، ذكره ابنُ الخبَّاز في

"النهاية" والسِّيرافيُّ وغيرُهما، وهو غريبٌ جدًّا.

الخامس: التَّوكيدُ وهي الزَّائدةُ نحو: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

«واللامُ» ولها اثنان وعشرون معنىٰ:

أحدها: الاستحقاقُ، وهي الواقعةُ بين ذاتٍ ومعنىٰ نحو: الحمدُ لله.

والثاني: الاختصاصُ، نحو: الجنَّة للمؤمنين.

والثالث: الملكُ، نحو: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٦].

والرابع: التَّمليكُ، نحو: وهبتُ لزيدٍ دينارًا.

والخامس: شِبْهُ التَّمليكِ، نحو: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [النحل: ٧٢].

والسادس: التَّعليلُ، نحو: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ [قريش: ١].

والسابع: توكيدُ النَّفيِ، وهي في اللَّفظِ علىٰ الفعلِ، نحو: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

والثامن: موافقةُ «إلىٰ» نحو: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ٥].

والتاسع: موافقةُ «علىٰ» في الاستعلاءِ الحقيقيِّ، نحو: ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ [الإسراء: ١٠٧].

والعاشر: موافقةُ «في» نحو: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

والحادي عشر: موافقةُ «عند» ومنه: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لِمَا جَاءَهُمْ﴾ بكسر

اللام وتخفيف الميم في قراءة الجَحْدَرِيِّ.

والثاني عشر: موافقةُ «بعد» نحو: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ ﴾ [الإسراء: ٧٨].

والثالث عشر: موافقةُ «مع»، كقوله:

فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكًا لِطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ نَبِتْ لَيْلَةً مَعَا

والرابع عشر: موافقةُ «مِنْ»، كقوله:

لَنَا الفَضْلُ في الدُّنيَا وَأَنْفُكَ رَاغِمٌ وَنَحْنُ لَكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ أَفْضَلُ

الخامس عشر: التَّبليغُ، وهي الجارَّةُ لاسمِ السَّامعِ لقولٍ أو ما في معناه، نحو: قلت له، أذنت له، وفسَّرت له.

والسادس عشر: موافقةُ «عن»، نحو: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ﴾ [الأحقاف: ١١].

والسابع عشر: الصَّيْرُورَةُ، نحو قوله:

فَلِلمَوْتِ تَغْذُو الوَالِدَاتُ سِخَالَهَا كَمَا لِخَرابِ الدُّورِ تُبْنَى المَسَاكِنُ

والثامن عشر: القَسَمُ والتَّعجُّبُ معًا، وتختصُّ باسم الله تعالى كقوله: لله يَبْقَى عَلَى الأَيَّامِ ذُو حِيَدٍ.

والتاسع عشر: التَّعجُّبُ المجرَّدُ عن القَسَمِ، ويُستعملُ في النِّداءِ كقولهم: يا للماءِ ويا للعشبِ، وقوله:

فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ بِكُلِّ مُغَارِ الفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ

والعشرون: التَّعديةُ، نحو: ﴿ فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾ [مريم: ٥].

الحادي والعشرون: التَّوكيدُ، وهي اللَّامُ الزَّائدةُ كقوله:

وَمَلَكْتَ مَا بَيْنَ العِرَاقِ وَيَثْرِبٍ مُلْكًا أَجَارَ لِمُسْلِمٍ وَمُعَاهَدِ

الثاني والعشرون: التَّبيينُ نحو: ما أحبَّني لزيدٍ وما أبغضَني له.

قال المؤلِّف: (وَحُرُوفُ القَسَمِ وَهِيَ: الوَاوُ، وَالبَاءُ، وَالتَّاءُ)

«وَحُرُوفُ القَسَمِ»: بالخفضِ عطفًا على قوله: «بِالخَفْضِ»، وبالرَّفعِ عطفًا على قوله: «مِنْ».

وهو لغةً: اليمينُ. واصطلاحًا: قال السُّوداني نقلًا عن ابن أبي الفتح البعلي: «هُوَ جُملةٌ يُجاءُ بها لتوكيدِ جُملةٍ، وتَرتبطُ إحداهما بالأخرى ارتباطَ جُملتَيِ الشَّرطِ والجزاءِ».اهـ بلفظه.

«وَهِيَ الوَاوُ»: ولا تدخل إلَّا على مُظهَرٍ، ولا تتعلَّقُ إلَّا بمحذوفٍ نحو: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يس: ٢] فإن تَلَتْها وَاوٌ أخرى نحو: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ [التين: ١] فالتاليةُ واو عطفٍ، وإلا لاحتاج كلٌّ من الاسمين إلى جوابٍ.

«وَالبَاءُ»: وقد تقدَّم الكلام فيها بما لا مزيد عليه.

«وَالتَاءُ»: تختصُّ بالتَّعجُّبِ وباسم الله تعالى، وربما قالوا: تَرَبِّي وتَرَبِّ الكعبةِ وتَالرَّحْمَنِ، وقيل: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾ [الأنبياء: ٥٧] الباءُ أصلُ أحرفِ القَسَمِ والواوُ بدلٌ منها، والتَّاء بدلٌ من الواوِ وفيها زيادةُ معنى التَّعجُّبِ كأنَّه تعجَّبَ من تسهيلِ الكيدِ على يَدِهِ.اهـ

(تنبيهان): (الأوَّلُ): مجموعُ ما ذُكِرَ من أقسامِ الواوِ عشرةٌ.

الأوَّلُ: العَطْفُ، ومعناها مُطلقُ الجمعِ، فتعطف الشَّيءَ على مُصاحبِه نحو:

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾ [العنكبوت: ١٥].

وعلى سابقِه نحو: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحديد: ٢٦].

وعلى لاحقِه نحو: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ [الشورى: ٣]، وقد اجتمع هذان في ﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧].

قال ابنُ مالكٍ: «وكونُها للمعيَّةِ راجحٌ، وللترتيبِ كثيرٌ، ولعكسِه قليلٌ».اهـ وقول السِّيرافيِّ: «إنَّ النحويين واللغويين أجمعوا على أنَّها لا تُفيدُ الترتيبَ» مردودٌ، بل قال بإفادتِها إيَّاهُ قُطْرُبٌ والرِّبْعِيُّ والفرَّاءُ وثَعْلَبٌ وأبو عمرو الزَّاهد وهشامٌ والشَّافعيُّ، ونقل الإمامُ في "البرهان" عن بعض الحنفيَّةِ إنها للمعيَّةِ.

الثاني، والثالث: واوان يرتفعُ ما بعدهما.

إحداهما: واوُ الاستئنافِ نحو: ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ﴾ [الحج: ٥].

والثانية: واوُ الحالِ الدَّاخلةُ على جملةٍ اسميَّةٍ، نحو: جاءَ زيدٌ والشَّمسُ طالعةٌ.

الرابع، والخامس: واوان يَنْجَرُّ ما بعدهما.

إحداهما: واوُ القَسَمِ، وقد تقدَّمت.

والثانية: واوُ «رُبَّ»، كقوله: «وَلَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ» والصَّحيحُ أنَّ الجرَّ بـ«رُبَّ» محذوفة، خلافًا للكوفيين والمبرِّد.

السادس: الواوُ الزَّائدةُ أثبتها الكوفيون والأخفشُ وجماعةٌ، وحُمِلَ على

ذلك: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧٣] بدليلِ الآيةِ الأخرىٰ، وقيل: هي عاطفةٌ والزَّائدةُ هي الوَاوُ في: ﴿وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا﴾ [الزمر: ٧٣].

السابع: واوُ الثَّمانيةِ، وذكرها جماعةٌ من الأدباء كالحَرِيرِيِّ، ومن النحويين الضُّعفاء كابنِ خَالَوَيْهِ، ومن المفسِّرين كالثَّعْلَبِيِّ، وزعموا أنَّ العربَ إذا عدُّوا قالوا: ستةٌ سبعةٌ وثمانيةٌ ؛ إيذانًا بأنَّ السَّبعةَ عددٌ تامٌّ وأنَّ ما بعدَها عددٌ مُستأنفٌ، واستدلُّوا علىٰ ذلك بآياتٍ إحداها: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٞ رَّابِعُهُمۡ﴾ [الكهف: ٢٢] إلىٰ: ﴿وَيَقُولُونَ سَبۡعَةٞ وَثَامِنُهُمۡ كَلۡبُهُمۡۚ﴾.

الثامن: الواوُ الدَّاخلةُ علىٰ الجملةِ الموصوفِ بها؛ لتأكيدِ لُصُوقِها بموصوفِها وإفادتِها أنَّ اتصافه بها أمرٌ ثابتٌ، وهذه أثبتها الزَّمَخْشَرِيُّ ومن قلَّده، وحملوا علىٰ ذلك نحو قوله تعالىٰ: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾ [البقرة: ٢١٦].

التاسع: واوُ ضميرِ الذُّكورِ نحو: الرِّجالُ قاموا، وهي اسمٌ، وقال الأخفشُ والمازنيُّ: حرفٌ، والفاعلُ مُستترٌ، وقد تُستعملُ لغير العقلاء إذا نزلوا منزلتهم، كقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ﴾ [النمل: ١٨]وذلك لتوجيه الخطابِ إليهم.

العاشر: واوُ علامةِ المذكرين في لغةِ طَيِّء، ومنه الحديث: «**يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيلِ، وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ**»، وهي عند سيبويه حرفٌ دالٌّ علىٰ الجماعةِ، وقيل: هي اسمٌ مرفوعٌ علىٰ الفاعليَّةِ، ثمَّ قيل: إنَّ ما بعدها بدلٌ منها، وقيل: مبتدأٌ والجملةُ خبرٌ مقدَّمٌ. وقد تُستعملُ لغيرِ العقلاءِ إذا نزلوا منزلتهم، قال أبو

سعيدٍ: نحو: «أكلوني البراغيث»، إذا وُصِفَتْ بالأكلِ لا بالقَرْضِ وهذا سهوٌ منه؛ فإنَّ الأكلَ من صفاتِ الحيواناتِ عاقلةً وغيرَ عاقلةٍ.

(الثاني): تُحرَّك التَّاءُ في أوائلِ الأسماءِ وأواخرِها، وتُحرَّك في أواخرِ الأفعالِ وتُسكَّنُ في أواخرِها، فالمحرَّكةُ في أوائلِ الأسماءِ حرفُ جرٍّ معناه القَسَمُ، وقد تقدَّمت، والمحرَّكةُ في أواخرِها حرفُ خطابٍ نحو أنتَ وأنتِ، والمحرَّكةُ في أواخرِ الأفعالِ ضميرٌ نحو: قُمتُ وقُمتَ، ووَهِمَ ابنُ خروفٍ فقال في قولهم في النَّسَبِ: كُنْتِيٌّ. أنَّ التَّاءَ هنا علامةٌ كالواو في: أكلوني البراغيث، ولم يَثبُت في كلامهم أنَّ هذه التَّاءَ تكونُ علامةً، والمسكَّنةُ في أواخرِها حرفٌ وُضِعَ علامةً للتأنيثِ كـ«قامت»، وزعم الجلولي أنَّها اسمٌ، وهو خرقٌ لإجماعِهم وربما وُصِلَتْ هذه التُّاءُ بثُمَّ ورُبَّ، والأكثرُ تحريكُها معهما بالفتحِ.

(فائدة): بقي من علاماتِ الاسمِ ثلاثون علامةً وهي: النِّداءُ، والإسنادُ إليه، وإضافتُه، والإضافةُ إليه، والإشارةُ إلى مُسمَّاه، وعَوْدُ ضميرٍ إليه، وإبدالُ اسمٍ صريحٍ منه، والإخبارُ به مع مُباشرةِ الفعلِ، ومُوافقةُ ثابتِ الاسميَّةِ في لفظِه ومعناه، ونعتُه، وجمعُه تصحيحًا، وتكسيرُه، وتصغيرُه، وتثنيتُه، وتذكيرُه، وتأنيثُه، ولحوقُ ياءِ النِّسبةِ له، وكونُه فاعلًا، أو مفعولًا، وكونُه عبارةً عن شخصٍ، ودخولُ لامِ الابتداءِ، وواوِ الحالِ، ولحوقُ ألفِ النُّدْبَةِ، وترخيمُه، وكونُه مُضمرًا، أو علمًا، أو مفردًا مُنكَّرًا، أو تمييزًا، أو منصوبًا حالًا. انتهى من "الأشباه".

قال المؤلِّف: (**وَالفِعْلُ يُعْرَفُ: بِقَدْ، وَالسِّينِ، وَسَوْفَ، وَتَاءِ التَّأنِيثِ السَّاكِنَةِ**).

«**وَالفِعْلُ**»: بكسرِ الفَاءِ.

«يُعْرَفُ بِقَدْ»: وهي مختصَّةٌ بالفعلِ المتصرِّفِ الخبريِّ المُثبتِ المُجرَّدِ من ناصبٍ وجازمٍ وحرفِ تنفيسٍ وهي معه كالجزءِ، فلا تُفصلُ منه بشيءٍ اللَّهمَّ إلَّا بالقَسَمِ كقوله:

أَخَالِدُ قَدْ وَاللهِ أَوْطَأْتَ عَشْوَةً وَمَا قَائِلُ المَعْرُوفِ فِينَا يُعَنَّفُ

ولها خَمْسَةُ مَعَانٍ:

أحدها: التَّوقعُ، وذلك مع المضارعِ واضحٌ كقولك: قد يقدمُ الغائبُ اليومَ، إذا كنت تتوقَّع قُدومَه، وأمَّا مع الماضي فأثبته الأكثرون، قال الخليلُ: ومنه قولُ المؤذِّنِ: قد قامتِ الصلاةُ؛ لأنَّ الجماعةَ منتظرون لذلك.

الثاني: تقريبُ الماضي من الحالِ، تقول: قامَ زيدٌ، فيحتملُ الماضي القريب والماضي البعيد، فإن قلت: قد قام. اختصَّ بالقريب.

الثالث: التَّقليلُ، وهو نوعان: تقليلُ وقوعِ الفعلِ نحو: قد يصدقُ الكذوبُ، وتقليلُ مُتعلقِه نحو قوله سبحانه: ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ [النور: ٦٤] أي: ما هم عليه هو أقلُّ معلوماتِه.

الرابع: التَّكثيرُ قاله سيبويه في قوله: «قَدْ أَتْرُكُ القِرْنَ مُصْفَرًّا أَنَامِلُهُ».

الخامس: التَّحقيقُ، نحو: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩].

«وَالسِّينِ»: وتختصُّ بالمضارعِ وتُخلِّصُهُ للاستقبال، ويتنزَّلُ منه منزلةَ الجزءِ، وبهذا لم يعمل فيه مع اختصاصه به، وليس مُقتطعًا من «سَوْفَ» خلافًا للكوفيين، ولا مُدَّةُ الاستقبالِ معه أضيقُ منها مع «سَوْفَ» خلافًا للبصريين.

«وَسَوْفَ»: مُرادِفَةٌ للسِّينِ أو أوسعُ منها على الخلافِ وفيها ثلاث لغات

«سَفَ» بحذف الوسط، و«سَوٌ» بحذف الأخير، و«سَيٌ» بحذفه وقَلْبِ الوسطِ ياءً مُبالغةً في التَّخفيفِ.

«وَتَاءِ التَّأْنِيثِ السَّاكِنَةِ»: احترازًا من المتحرِّكةِ؛ لأنَّها تدخلُ على الأسماءِ كما مرَّ، بخلاف هذه، فإنَّها مُختصَّةٌ بالأفعالِ الماضيةِ كقامت وقالت.

(تتميم): بقي من علاماتِ الفعلِ عشرُ علاماتٍ وهي: تاءُ الفاعلِ، وياؤُه، ولَوْ، والنَّواصبُ، والجوازمُ، وأحرفُ المضارعةِ، ونونا التَّوكيدِ، واتصالُه بضميرِ الرَّفعِ البارزِ، والتزامُ نونِ الوقايةِ له مع ياءِ المتكلِّمِ، وتغييرُ صِيَغَهُ لاختلافِ الزَّمانِ.

قال المؤلِّف: (**وَالحَرْفُ مَا لَا يَصْلُحُ مَعَهُ دَلِيلُ الاسْمِ وَلَا دَلِيلُ الفِعْلِ**).

كمن وإلى، وهو على ثلاثةِ أقسامٍ: حروفِ المعجمِ، التي هي من دار الألْسُنِ عربيِّها وعجميِّها، وحروفِ الأسماءِ والأفعالِ.

والحروفِ التي هي أبعاضُها، نحو: العين من جعفرٍ، والضاد من ضرب، والنون من لن، وما أشبه ذلك.

وحروفِ المعاني التي تجيءُ مع الأسماءِ والأفعالِ لمعنى وهو المقصود هنا، أحاديةً وثُنائيَّةً، أو ثُلاثيَّةً، أو رُباعيَّةً، أو خُماسيَّةً.

فالأحاديَّةُ ثلاثةَ عشرَ وهي: الهمزةُ، والألفُ، والباءُ، والتَّاءُ، والسِّينُ، والفاءُ، والكافُ، واللامُ، والميمُ، والنُّونُ، والهَاءُ، والوَاوُ، والياءُ.

والثُّنائيَّةُ أربعةٌ وعشرونَ وهي: ءا، وأم، وإن، وأن، وأو، وإي، وأي، وبل، وعن، وفي، وقد، وكي، ولا، ولم، ولن، وما، وقد، ومع، ومن، وهل، ووا، ووي، ويا، ولو، وال على رأي الخليل.

والثُّلاثيَّةُ تسعةَ عشرَ وهي: أجل، وإذن، وإلىٰ، وإلا، وأمَّا، وأن، وأيَا، وبلىٰ، وثمَّ، وجَيْرِ، وخلا، ورُبَّ، وسوف، وعدا، وعلىٰ، وليت، ونعم، وهَيَا.

والرُّباعيَّةُ ثلاثةَ عشرَ وهي: إلَّا، وألا، وأمَّا، وحاشا، وحتىٰ، وكأنَّ، وكلَّا، ولعلَّ، ولما، ولولا، ولوما، وهلَّا.

والخُماسيُّ: واحدٌ وهو: لكنَّ.

(تذييل): تأتي الحروفُ علىٰ عشرةِ أقسامٍ:

أحدها: أنْ تدلَّ علىٰ معنىٰ في الفعلِ، وهي السِّينُ وسَوْفَ.

الثاني: أنْ تدلَّ علىٰ معنىٰ في الاسمِ، وهي الألفُ واللامُ.

والثالث: أنْ يكونَ رابطًا بين اسمين أو فعلين، وهي حروفُ العطفِ.

الرابع: أنْ يكونَ رابطًا بين فعلٍ واسمٍ، وهي حروفُ الجرِّ.

الخامس: أنْ يربطَ بين جملتين، وهي الكَلِمُ الدَّالَّةُ علىٰ الشَّرطِ.

السادس: أنْ يدخلَ علىٰ الجملة مُغيِّرًا لفظَها دون معناها وذلك: «إن».

السابع: أنْ يدخلَ علىٰ الجملةِ مُغيِّرًا معناها دون لفظِها، وذلك: «هل» وما أشبهها.

الثامن: أنْ يدخلَ علىٰ الجملةِ غيرَ مُغيِّرٍ معناها ولفظها، نحو: لامِ الابتداءِ.

التاسع: أنْ يدخلَ علىٰ الجملة مُغيِّرًا لفظَها ومعناها، نحو: «ما» الحجازيَّة.

العاشر: أنْ يكونَ زائدًا، نحو: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

(خاتمة): أقسامُ الكلامِ كلِّه دائرٌ بين خبرٍ وإنشاءٍ، ولا ثالثَ لهما حسبما أشار لذلك السيوطيُّ بقوله:

مُحْتَمِلٌ لِلصِّدْقِ وَالكِذْبِ الخَبَرْ ... وَغَيْرُهُ الإِنْشَا وَلَا ثَالِثَ قَرْ

قال: «لأنَّ الكلامَ إمَّا أن يحتملَ الصِّدقَ والكذبَ أو لا، الأوَّلُ الخبرُ، والثاني: الإنشاءُ».اهـ

وقد زاد بعضُهم قسمًا ثالثًا ولم يُصِبْ، كما أنَّه زيدت أقسام أنهاها في "الهَمْعِ" إلى عشرةٍ أو أكثر، ثمَّ قال: والصَّوابُ أنَّ هذا كلَّه راجعٌ للقسمين.

باب الإعراب

ولما أنهى القولَ على الكلامِ شرَعَ يتكلَّمُ على الإعرابِ فقال: (**الإِعْرَابُ هُوَ: تَغْيِيرُ أَوَاخِرِ الكَلِمِ لاخْتِلَافِ العَوَامِلِ الدَّاخِلَةِ عَلَيْهَا لَفْظًا أَوْ تَقْدِيرًا**).

قد شاعَ على الألسنةِ أنَّ «الباب» فُرْجَةٌ يُتَوصَّلُ بها من داخلٍ إلى خارجٍ وعكسه.

وأمَّا «**الإِعْرَابُ**»: فالكلامُ عليه في مقاصد:

(**المقصدُ الأَوَّلُ**): معناه لغةً: قال في "القاموس": الإبانةُ والإفصاحُ عن الشَّيءِ، وإجراءُ الفَرَسِ، ومعرفتُك به، وهذه خيلٌ عِرَابٌ وإبلٌ عِرَابٌ، وأن لا تلحنَ في الكلامِ، والمرأةُ العَرُوبُ المتحبِّبةُ إلى زوجِها أو العاصيةُ له أو العاشقةُ له.

(**المقصدُ الثاني**): معناه اصطلاحًا، فيه مذهبان:

الأَوَّلُ: أنَّه لفظيٌّ وذهب إليه ابنُ مالكٍ ونسبه إلى المحققِّين، وحدَّه في "التسهيل" بقوله: «مَا جِيءَ به لبيانِ مُقتضَى العاملِ؛ من حركةٍ، أو حرفٍ، أو سكونٍ، أو حذفٍ».

الثاني: أنَّه معنويٌّ، والحركاتُ إنَّما هي دلائلُ عليه، وهو ظاهرُ قول سيبويه، واختيار الأعلم وكثيرٍ من المتأخرين، وحدُّوه بقولهم: «تَغْيِيرُ أَوَاخِرِ الكَلِمِ لاخْتِلَافِ العَوَامِلِ الدَّاخِلَةِ عَلَيْهَا لَفْظًا أَوْ تَقْدِيرًا».وجعله ابن إيازٍ قولَ أكثرِ أهلِ العربيَّةِ، واستدلَّ أهلُ القولِ الثاني بوجوهٍ:

أحدُها: أنَّه يُقالُ: حركاتُ الإعرابِ، فلو كانت الحركةُ الإعرابَ لامتنعت الإضافةُ، إذ الشَّيءُ لا يُضافُ إلى نفسِهِ.

الثاني: أنَّ الحركةَ والحرفَ يكونان فيه فلو كانت الحركةُ بعضَ الإعرابِ لم يكونا فيه.

الثالث: أنَّه قد تزولُ الحركةُ في الوقفِ مع الحكمِ بالإعرابِ.

الرابع: أنَّ السُّكونَ قد يكونُ إعرابًا.

الخامس: تفسيرُه بالتَّغييرِ والاختلافِ وكلٌّ واحدٌ منهما.

وأجابَ أهلُ القولِ الأوَّلِ عن الوجهِ الأوَّلِ: أنَّ الحركةَ لما كانت تنقسمُ إلى حركةِ إعرابٍ وحركةِ بناءٍ قيل: حركاتُ الإعرابِ، وصحَّت الإضافةُ للتخصيصِ، فالحركةُ عامَّةٌ والإعرابُ خاصٌّ، ولا شبهةَ في مغايرةِ العامِّ للخاصِّ، فمُسوِّغُ الإضافةِ المغايرةُ وهي هنا موجودةٌ.

وعن الوجه الثاني: إنَّا لم نَقُلْ: إنَّ مطلقَ الحركةِ يكون إعرابًا، بل الحادثُ بالعاملِ هو الإعرابُ، ولا يُوجَدُ في المبنيِّ شيءٌ من ذلك.

وعن الوجه الثالث: أنَّ الوقفَ عارضٌ لا اعتبارَ به، وإنَّما الاعتبارُ بحال الوصلِ، وأصولُهم تقتضي ذلك.

وعن الوجه الرابع: أنَّ الإعرابَ هو الحركةُ أو حذفُها، ولذا قال ابنُ الحاجبِ: إنَّه ما اختلفَ أواخرُ المعربِ به، والاختلاف تارةً يحصلُ بالحركةِ وتارةً بحذفِها، وإذا لم يكن مرادُهم أنَّ الحركةَ وحدَها الإعرابُ فكيف يَرِدُ عليهم النقضُ بالسُّكونِ؟

وعن الوجه الخامس: أنَّ الإعرابَ إنَّما يُفسِّرُه بالتغييرِ أو الاختلافِ من كان مذهبُه أنَّه معنويٌّ، ومن خالفَ ذلك فسَّره بغير ذلك، وتفسيرُ الخَصْمِ للشَّيءِ على مُقتضَى مذهبِه لا يكونُ حُجَّةً على مخالِفِهِ.

(المقصدُ الثَّالثُ): وجهُ نقلِه من اللُّغةِ إلى اصطلاحِ النحويين وفيه خمسةُ أوجهٍ:

الأوَّلُ: أنَّه منقولٌ من الإعرابِ الذي هو البيانُ، ومنه قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «وَالثَّيِّبُ يُعْرِبُ عَنْهَا لِسَانُهَا» والمعنى على هذا أنَّ الإعرابَ يُبينُ معنى الكلمةِ كما يُبينُ الإنسانُ عمَّا في نفسِه.

الثَّاني: أنَّه مُشتقٌّ من قولهم: عَرِبَتْ مَعِدَةُ الفَصِيلِ، إذا فسدت، وأَعْرَبْتُها أي: أصلحتُها، والهمزةُ للسلبِ، والمعنى على هذا: أنَّ الإعرابَ أزالَ عن الكلامِ التباسَ معانيه.

الثَّالثُ: أنَّه مشتَقٌّ من ذلك، والهمزةُ للتعديةِ، والمعنى على هذا: أنَّ الكلامَ كان فاسدًا لالتباسَ المعاني، فلمَّا أُعرِبَ فسد بالتغييرِ الذي لحقه، وظاهرُ التَّغييرِ فسادٌ وإن كان صلاحًا في المعنى.

الرَّابعُ: أنَّه منقولٌ من التحبُّبِ، ومنه: امرأةٌ عَرُوبٌ، إذا كانت متحبِّبةً إلى زوجِها، والمعنى على هذا أنَّ المتكلِّمَ بالإعراب يتحبَّبُ إلى السَّامعِ.

الخامسُ: أنَّه منقولٌ من أَعْرَبَ الرجلُ إذا تكلَّمَ بالعربيَّة؛ لأنَّ المتكلِّمَ بغير الإعرابِ غيرُ متكلِّمٍ بالعربيَّة؛ لأنَّ اللغةَ الفاسدةَ ليست من العربيَّةِ.

(المقصدُ الرَّابعُ): لأيِّ شيءٍ دخل الإعرابُ في الكلامِ؟

قال الزَّجَّاجِيُّ في "إيضَاحِ عِلَلِ النَّحْوِ": «فإن قال قائلٌ: قد ذكرتَ أنَّ الإعرابَ داخلٌ عَقِبَ الكلام، فما الذي دعا إليه واحْتِيجَ إليه من أجلِه؟ فالجوابُ أن يُقالَ: إنَّ الأسماءَ لَمَّا كانت تَعْتَوِرُها المعاني وتكونُ فاعلةً ومفعولةً ومضافةً ومضافًا إليها ولم يكن في صورِها وأبنيتِها أدلَّةٌ على هذه المعاني، بل

كانت مشتركةً، جُعلت حركاتُ الإعرابِ فيها تُنبئُ عن هذه المعاني، فقالوا: ضَرَبَ زيدٌ عمرًا؛ فدلُّوا برفعِ «زيد» على أنَّ الفعلَ له، وبنصبِ «عمرو» على أنَّ الفعلَ واقعٌ به.

وقالوا: ضُرِبَ زيدٌ، بتغييرِ أوَّلِ الفعلِ ورفع «زيد»، على أنَّ الفعلَ ما لم يُسَمَّ فاعلُه، وأنَّ المفعولَ قد نابَ منابَه.

وقالوا: هذا غلامُ زيدٍ، فدلُّوا بخفضِ «زيد» على إضافةِ «الغلام» إليه.

وكذلك سائرِ المعاني جعلوا هذه الحركاتِ دلائلَ عليها؛ ليتسعوا في كلامهم ويقدِّموا الفاعلَ إذا أرادوا ذلك، أو المفعولَ عند الحاجةِ إلى تقديمِه، وتكون الحركاتُ دالَّةً على المعاني».

(المقصدُ الخامسُ): في أنَّ الإعرابَ والكلامَ أيُّهما أسبقُ؟

قال الزَّجَّاجِيُّ في كتابِه المذكورِ: «فإن قال قائلٌ: أخبروني عن الإعرابِ والكلامِ أيُّهما أسبقُ؟ فنقولُ: إنَّ الكلامَ سبيلُه أن يكونَ سابقًا للإعرابِ؛ لأنَّا إذ قد نرى الكلامَ في حال غيرَ مُعربٍ ولا يختلُّ معناه، ونرى الإعرابَ يدخلُ عليه ويَخرُجُ ومعناه في ذاتِه غيرُ معدومٍ، مثال ذلك أنَّ الاسمَ نحو: «محمَّد» وما أشبهه مُعربًا كان أو غيرَ مُعربٍ لا يزولُ عنه معنى الاسميَّة، وكذلك الفعل نحو: «يقوم» مُعربًا كان أو غيرَ مُعربٍ لا يسقط عنه معنى الفعليَّة، وإنَّما يدخلُ الإعرابُ لمعانٍ تُعَنِّونُ هذه الأشياء.

فإن قال: فأخبروني عن الكلامِ المنطوقِ به، الذي نعرفه الآن بيننا، أتقولون أنَّ العربَ نطقت به زمانًا غيرَ مُعربٍ ثمَّ أَدخلتْ عليه الإعرابَ؟ أمْ هكذا نَطقتْ به في أوَّلِ تَبَلْبُلِ ألسنتِها؟ قيل له: بل هكذا نَطقتْ به في أوَّلِ وَهْلَةٍ ولم

تنطق به زمانًا غير مُعربٍ ثمَّ أعربَتْه.

فإن قال: من أين حكمتم على سَبْقِ بعضِه بعضًا وجعلتم الإعرابَ الذي لا يُعقلُ أكثرُ المعاني إلا به ثانيًا وقد علمتم أنَّها تكلَّمت به هكذا جملة؟ قيل له: قد عرَّفناك أنَّ الأشياءَ تستحقُّ المرتبةَ والتَّقديمَ والتَّأخيرَ على ضُرُوبٍ، فنحكمُ لكلِّ واحدٍ منها بما يستحقُّه، وإن كانت لم توجد إلَّا مجتمعة».اهـ ذكره في "الأشباه".

قال المؤلِّف: (**الإِعْرَابُ هُوَ تَغْيِيرُ أَوَاخِرِ الكَلِمِ لاخْتِلَافِ العَوَامِلِ الدَّاخِلَةِ عَلَيْهَا لَفْظًا أَوْ تَقْدِيرًا**).

قلت: هذا مصير من المصنِّف -رحمه الله- إلى أنَّ الإعرابَ معنويٌّ، فلذلك عبَّر بالمصدرِ الذي هو التَّغييرُ وهو فعلُ الشَّخصِ، وقد قدَّمنا أنَّ هذا المذهب ضعيفٌ مرجوحٌ، وذكرنا أدلَّةَ القولِ الرَّاجحِ، وأنَّ الإعرابَ لفظيٌّ فارجع إليه، وإنَّما نذكر هنا ما يتفقُ بألفاظِ المصنِّف.

فقوله: «**تَغْيِيرُ**»: هو معنى من المعاني وهو فعلُ الشَّخصِ، والمرادُ هنا التَّغيرُ القائمُ بالمعربِ وهو النَّاشئُ عن التَّغييرِ الذي هو فعل الفاعل.

و«**أَوَاخِرِ**»: جمعُ آخِر. و«**الكَلِمِ**»: تقدَّمَ الكلامُ عليه.

و«**العَوَامِلِ**»: جمعُ عاملٍ، وهو إمَّا لفظيٌّ أو معنويٌّ وسيأتي الكلامُ عليه بقسميه.

و«**لفظًا أو تقديرًا**»: منصوبان على المفعوليَّة بـ«أعني» محذوفةً، وقيل: على حذف مضاف، والتقدير: تغييرُ لفظٍ إلخ. وقيل: منصوبان على التَّمييزِ، وقيل: على المفعوليَّةِ المطلقةِ، وقول الشَّيخِ خالد: «منصوبان على الحال» مردودٌ

بوقوفِه على السَّماعِ، وكذلك النَّصب على إسقاطِ الخافضِ، راجع "الألفيَّة".
هذا ملخَّص ما قيل في كلام المصنِّف.

وأقول: يحتمل أن يكونا منصوبين بكان مع اسمِها محذوفةً، والتقدير: سواء كان التَّغييرُ لفظًا أو تقديرًا.

قال المؤلِّف: (وَأَقْسَامُهُ أَرْبَعَةٌ: رَفْعٌ وَنَصْبٌ وَخَفْضٌ وَجَزْمٌ).

«وَأَقْسَامُهُ»: أي: الإعراب، وهو من أقسامِ الكليِّ إلى جُزئياتِه.

«أَرْبَعَةٌ: رَفْعٌ»: وهو ما أحدثه عاملُ الرَّفعِ من ضمَّةٍ أو ما نَابَ مَنابَها.

«وَنَصْبٌ»: وهو ما أحدثه عاملُ النَّصبِ، من فتحةٍ أو ما نَابَ مَنابَها.

«وَخَفْضٌ»: وهو ما أحدثه عاملُ الخفضِ من كسرةٍ أو ما نَابَ مَنابَها.

«وَجَزْمٌ»: وهو ما أحدثه عاملُ الجزمِ، من سكونٍ أو ما نَابَ مَنابَه.

(تنبيهٌ): كما أنَّ أقسامَ الإعرابِ أربعةٌ، فكذلك أقسامُ البناءِ وهي: الضمُّ والفتحُ والكسرُ والسُّكونُ.

(فائدة): ما ذُكِرَ من أقسامِ الإعرابِ أصولٌ، وما عداها فروعٌ نائبةٌ.

قال المؤلِّف: (فَلِلأَسْمَاءِ مِنْ ذَلِكَ الرَّفْعُ وَالنَّصْبُ وَالخَفْضُ، وَلَا جَزْمَ فِيهَا).

مثال: «الرَّفْعِ» في الأسماءِ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].

ومثال «النَّصْبِ» فيها: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤].

ومثال «الخَفْضِ» فيها: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].

أمَّا «الجَزْمُ» فممتنعٌ كما قال وستأتي علَّةُ امتناعِه.

قال المؤلِّف: (وَلِلأَفْعَالِ مِنْ ذَلِكَ الرَّفْعُ وَالنَّصْبُ وَالجَزْمُ، وَلَا خَفْضَ فِيهَا).

مثال «الرَّفْعِ» في الأفعالِ: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [هود: ٩٨].

ومثال «النَّصْبِ» فيها: ﴿لَنَسْحَرَنَا بِهَا﴾ [الأعراف: ١٣٢].

ومثال «الجَزْمِ» فيها: ﴿وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ﴾ [الأنفال: ١٩].

وأمَّا «الخَفْضِ» فممتنعٌ، وعلَّة امتناعِه هو أنَّ الفعلَ ثقيلٌ فأعطوه الجَزْمَ، كما أنَّ الاسمَ خفيفٌ فأعطوه الكسرَ ليقع التَّعادلُ بينهما.

قال ابن النَّحاسِ: «الاسمُ أخفُّ من الفعلِ لوجوهٍ: منها أنَّ الأسماءَ أكثرُ استعمالًا من الأفعالِ، والشَّيء إذا كثر استعمالُه على ألسنتِهم خفَّ.

وإنَّما قلنا إنَّه أكثرُ استعمالًا لأمورٍ:

أحدها: الأوزانُ وعددُ الحروفِ، أمَّا في الأصولِ فلأنَّ أصولَ الأسماءِ ثلاثيَّةٌ ورباعيَّةٌ وخماسيَّةٌ وليس في الأفعالِ خماسيَّةٌ.

وأمَّا بالزيادةِ فالاسمُ يبلغ بالزيادة سبعةً وأكثرَ من ذلك على ما ذكر، والفعلُ لا يُزادُ على السِّتَّةِ، فقد زاد عليه في الأصولِ والزيادةِ.

وأمَّا الأبنيةُ، فأبنيةُ الأصولِ في الأسماءِ المجمع عليها تسعةَ عَشَرَ، وأصولُ الأفعالِ أربعةٌ.

وأمَّا الأبنيةُ بالزيادةِ، فالأسماءُ تَزيدُ على ثلاثمائة، والفعلُ لا يبلغ الثلاثين.

الثاني: أنَّ الاسمَ يُفيدُ مع جنسِه، والفعلُ لا يُفيدُ إلَّا بانضمامِ الاسمِ.

ومنها: أنَّ الفعلَ يفتقرُ إلى الفاعلِ فيثقلُ، ولا كذلك الاسم.

فإنْ قلت: إنَّ المبتدأَ يحتاجُ إلى خبرٍ فليكن كاحتياجِ الفعلِ إلى فاعلِه.

قلنا: تعلُّق الفعلِ بفاعلِه أشدُّ من تعلُّق المبتدأِ بخبرِه؛ لأنَّ الفاعلَ يتنزَّلُ

منزلةَ الجزءِ من الفِعْلِ، ولا كذلك الخبرُ من المبتدأ.

ومنها: أنَّ الفعلَ تلحقُه زوائدُ، نحو: حروفُ المضارعةِ وتاءُ التَّأنيثِ ونُونَيِ التَّوكيدِ والضمائرُ فيثقلُ بذلك.

ومنها: أنَّ الأفعالَ مُشتقَّةٌ من المصادرِ، والمشتقُّ فرعٌ على المشتقِّ منه؛ فهي إذًا فرعٌ على الأسماءِ، والفرعُ أثقلُ من الأصل».اهـ

وقال غيرُه: الفعلُ أثقلُ من الاسمِ لوجهين:

أحدهما: أنَّه لكثرةِ مقتضياتِه يصيرُ بمنزلةِ المركَّبِ، والاسمُ بمنزلةِ المفردِ.

ثانيهما: أنَّ الاسمَ أكثرُ من الفعلِ؛ بدليلِ أنَّ تركيبَ الاسمِ يكون مع الفعلِ ومن غيرِ فعلٍ، والكثرةُ مَظَنَّة الخفَّةِ كما في المعرفة والنَّكرةِ وإذا تقرَّر ثِقَلُه فهو مع ذلك فرعٌ على الاسم من وجهين:

أحدهما: أنَّ الفعلَ مشتقٌّ من المصدرِ على مذهبِ أهلِ البصرةِ، والمشتَّقُّ فرعٌ على المشتقِّ منه؛ لأنَّه يقفُ وجودُ الفرعِ على وجودِ الأصلِ.

والثاني: أنَّ الفعلَ يفتقرُ إلى الاسمِ في إفادةِ التَّركيبِ، والاسمُ يستقلُّ بالتَّركيبِ من غيرِ توقُّفٍ.

باب معرفة علامات الإعراب

(باب معرفةُ علاماتِ الإعرابِ) المتقدِّمةِ فـ«ال»: للعهدِ الذِّكريِّ كما هو ظاهرٌ، والعلاماتُ جمعُ علامةٍ وهي لغةً: الأمارةُ، أفاده في "المصباح".

قلت: وهي بهذا المعنى هنا لا بغيرها.

قال المؤلِّف: (**للرَّفْعِ أَرْبَعُ عَلَامَاتٍ**):

ذكر أربعًا؛ لأنَّ المضافَ إليه مؤنَّثٌ، وقد قال ابن عَقِيلٍ عند قول ابنِ مالكٍ في العدد:

ثَلَاثَــةً بِالتَّــاءِ قُــلْ لِلْعَشَــرَه ... في عَــدِّ مَــا آحَــادُهُ مُــذَكَّرَه

في الضِّــــدِّ جَــــرِّدْ.....

ما نصُّه: «تثبتُ التَّاءُ في ثلاثةٍ وأربعةٍ وما بعدهما إلى عشرةٍ، إن كان المعدودُ بهما مذكَّرًا، وتسقطُ إن كان مؤنَّثًا، ويضافُ إلى جمعٍ نحو: عندي ثلاثةُ رجالٍ، وأربعُ نساءٍ وهكذا إلى عشرةٍ».اهـ

وإلى هذا المعنى أشارَ الحريريُّ في "ألغازه" بقوله: «وفي أيِّ موطنٍ تلبَسُ الذُّكْرَانُ بَرَاقِعَ النِّسْوَانِ، وَتَبرُزُ رَبَّاتُ الحِجَالِ بِعَمَائِمِ الرِّجَالِ». انتهى مؤلِّفه.

(تنبيه): ما ذكره المصنِّف من العلاماتِ على قسمين:

علاماتُ أصولٍ، وهي أربعةٌ: الضمَّةُ، والفتحةُ، والكسرةُ، والجزمُ.

وعلاماتُ فروعٍ وهي عشرةٌ:

ثلاثةٌ تنوبُ عن الضمَّةِ وهي: الواوُ، والألفُ، والنونُ.

وأربعةٌ تنوبُ عن الفتحةِ وهي: الألفُ، والكسرةُ، والياءُ، وحذفُ النُّونِ.

واثنان ينوبان عن الكسرةِ: وهما الياءُ، والفتحةُ.

وواحدةٌ تنوبُ عن حذفِ الحركةِ، وهي حذفُ حرفِ العلّةِ أو حذفُ النُّونِ.

(مُهِمَّة): قد يستشكل إطلاقُ الضَّمِّ وما عُطِفَ عليه على الإعرابِ؛ لأنَّها ألقابُ بِناءٍ كما مرَّ.

والجوابُ: مُطلقُ الضَّمِّ وما عُطِفَ عليه أعمُّ من أنواعِ البِنَاءِ؛ فإنَّه إن كان لعاملٍ فعلامةُ إعرابٍ، وإلَّا فإن كان لازمًا فبناءٌ، وإلَّا فغيرهما كحركاتِ النَّقلِ والإتباعِ والتَّخلُّصِ من التقاءِ السَّاكنين.

قال المؤلِّف: (**الضَّمَّةُ، وَالوَاوُ، وَالأَلِفُ، وَالنُّونُ**).

ذكرها إجمالًا ثمَّ فصلَّها بقوله: (**فَأَمَّا الضَّمَّةُ فَتكُونُ عَلَامةً لِلرَّفْعِ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ**) من إضافةِ العددِ إلى المعدودِ كما مَّر، في (**الاسْمِ المُفْرَدِ**) وهو ما ليس مثنًّى ولا مجموعًا ولا واحدًا من الأسماءِ الخمسةِ نحو: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ﴾ [النحل: ٥١] فاسمُ الجلالةِ مفردٌ لخلُّوه من الأشياءِ الثلاثةِ.

قال المؤلِّف: (**وَجَمْعِ التَّكْسِيرِ، وَجَمْعِ المُؤَنَّثِ السَّالِمِ، وَالفِعْلِ المُضَارِعِ الذِي لم يَتَّصِلْ بِآخِرِهِ شَيْءٌ**).

و«**التَّكْسِيرِ**» لُغةً: إزالةُ التئامِ الشَّيءِ، يقال: كَسَرْتُ الشَّيءَ فانكسرَ، وكَسَرْتُ الرَّجلَ عن مرادِه صرفتُه عنه. انتهى "مصباح".

واصطلاحًا: ما تغيَّر فيه صيغةُ الواحدِ إمَّا بزيادةٍ ليست عوضًا عن شيءٍ من غيرِ تبديلِ شكلٍ كصِنْوٍ للمفرد، وصِنْوَانٍ لجمعه، أو بنقصٍ من غيرِ تبديلِ شكلٍ كتُخَمَةٍ وتُخَمٍ، أو بتبديلِ شكلٍ من غير زيادةٍ ولا نقصٍ كأَسَدٍ وأُسْدٍ، أو

بزيادةٍ وتبديلِ شكلٍ كرجالٍ ورجلٍ، أو بنقصٍ وتبديلِ شكلٍ كرسلٍ ورسول، أو بهما كغِلْمَانٍ وغُلَامٍ، هذا تقسيمُ ابنُ مالكٍ.

واعتُرِضَ بأنَّه لا تحريرَ فيه؛ لأنَّ صِنوان من باب زيادةِ وتبديلِ شكلٍ، وتُخَمَ من باب نقصٍ وتبديلِ شكلٍ؛ لأنَّ الحركاتِ التي في الجمعِ غيرُ الحركاتِ التي في المفردِ. قاله المراديُّ.

ويُجابُ عنه بأنَّه نظرَ إلىٰ ظاهرِ اللَّفظِ، وأنَّه لا يرىٰ تقديرَ التَّغييرِ كما يؤخذ من كلامه. والمشهورُ تقسيمُ التَّغييرِ إلىٰ قسمين: لفظيٍّ، وتقديريٍّ.

فاللَّفظيُّ: ما تقدَّم، والتَّقديريُّ نحو: فُلْكٌ ودِلَاصٌ وهِجَانٌ. انتهىٰ من "التوضيح" وشرحه.

وقال في "الأشباه": جمعُ التَّكسيرِ علىٰ أربعةِ أَضْرُبٍ:

أحدُها: ما لفظُ واحدِه أكثرُ من لفظِ جمعِه، نحو: كتاب وكتب.

الثَّاني: ما لفظُ جمعِه أكثرُ من لفظِ واحدِه، كفِلْسٍ وأَفْلُسٍ، ومسجدٍ ومساجد.

الثَّالثُ: ما واحدُه وجمعُه سواء في العدةِ اللَّفظيَّةِ لا في الحركاتِ، نحو: سقْفٍ وسُقُفٍ، وأَسَدٍ وأُسْدٍ.

الرَّابعُ: ما واحدُه وجمعُه سواء في العدةِ اللفظيَّةِ والحركات، نحو: الفُلْكِ للواحد والفُلْكِ للجمعِ، وناقةٍ هِجَانٌ ونوقٍ هِجَانٌ، ودرعٍ دِلاصٍ وأدرعٍ دلاصٍ.

وقال ابنُ عقيلٍ ما نصُّه: «جمعُ التَّكسيرِ هو ما دلَّ علىٰ أكثرِ من اثنين بتغييرِ ظاهرٍ كرجلٍ ورجالٍ، أو مقدَّر كفُلْكٍ للمفردِ والجمعِ».اهـ

(تتميم): الهِجَانُ بوزن كِتَابٍ: النُّوقُ البِيضُ العِتاقُ، ويُطلقُ على الرَّجلِ الأبيضِ الكريمِ وعلى المرأةِ الكريمةِ كذلك، وعلى العيبِ والقبحِ في الكلامِ. انتهى "مصباح".

(فائدة): جمعُ التَّكسيرِ يُفارقُ جمعَ السَّلامةِ في أربعةِ أشياء:

أحدُها: أنَّ التَّكسيرَ عامٌّ في العقلاءِ وغيرِهم، وجمعَ السَّلامةِ خاصٌّ بالعقلاءِ.

الثَّاني: أنَّ التَّكسيرَ لا يسلمُ فيه بناءُ المفردِ، ويسلمُ في جمع السَّلامةِ.

الثَّالثُ: أنَّ التَّكسيرَ يُعرَبُ بالحركاتِ، وجمعُ السَّلامةِ يُعْرَبُ بالحروفِ.

الرَّابعُ: أنَّ الفعلَ المسندَ إلى التَّكسيرِ يُؤنَّثُ، ولا يُؤنَّثُ مع جمعِ السَّلامةِ.

(تكميل): ينقسمُ الجمعُ على ثلاثةِ أقسامٍ: جمعٌ في اللفظِ والمعنى: كرجال والزيدين.

وفي اللَّفظِ دون المعنى: كـ ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤]. وفي المعنى دون اللَّفظِ: كرَهْطٍ، وكلٌّ في التَّوكيدِ، ونحوهما مما ليس له واحدٌ من لفظِه.

ثمَّ ينقسمُ أيضًا على ثلاثةِ أقسامٍ:

عامٌّ: وهو التَّكسيرُ؛ لعمومِه المذكَّرَ والمؤنَّثَ مطلقًا.

وخاصٌّ: وهو المذكَّرُ السَّالمُ.

ومتوسطٌ: وهو جمعُ المؤنَّثِ السَّالمُ، وإنَّما كان متوسطًا؛ لأنَّه إن سلم فيه نظم الواحد وبناؤه فهو إمَّا مذكَّرٌ أو مؤنَّثٌ، وإن لم يسلم فهو مُكسَّرٌ.

«وَجَمْعِ المُؤَنَّثِ السَّالِمِ»: وهو الجمعُ بألفٍ وتاءٍ مزيدتَينِ، ولا فرقَ بين أن

يكونَ مُسمَّىٰ هذا الجمعِ مؤنثًا بالمعنىٰ فقط كهندات ودعدات، أو بالتَّاءِ والمعنىٰ جميعًا كفاطمات ومسلمات، أو بالتَّاءِ دون المعنىٰ كطلحات وحمزات، أو بالألف المقصورةِ كحُبْلَيات، أو الممدودةِ كصحروات، أو يكون مُسمَّاه مذكَّرًا كإصْطَبْلات، ولا فرق بين أن تكون سَلِمَتْ فيه بِنْيةُ واحدِه كضَخْمَة وضَخْمَات، أو تغيَّرت كسَجْدَة وسَجَدَات، وحُبْلَىٰ وحُبْلَيات، وصحراء وصحراوات، فالأوَّلُ: حُرِّكَ وسطه، والثَّاني: قُلِبَتْ أَلِفُه ياءً، والثَّالثُ: قُلِبَتْ همزتُه واوًا، ولهذا عَدَلَ الموضح عن قولِ أكثرهم: جَمْعِ المُؤنَّثِ السَّالِمِ إلىٰ أن قال: الجمعُ بألفٍ وتاءٍ مزيدتين، ليَعُمَّ جمعَ المؤنَّثِ وجمعَ المذكَّرِ وما سلم فيه المفردُ وما تغيَّرَ. انتهىٰ من "التوضيح" وشرحِه.

(تنبيه): حُمِلَ علىٰ هذا الجمعِ شيئان:

أحدهما: أولات، نحو: ﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ﴾ [الطلاق: ٦].

الثاني: ما سُمِّي به من هذا الجمعِ، نحو: رأيت عرفاتٍ وسكنت أَذْرِعَاتٍ، فبعضهم يُعرِبُه إعرابَ ما كان عليه قبل التَّسميَّة، وبعضهم بتنوينِ ذلك، وبعضهم يُعرِبُه إعرابَ ما لا ينصرف. انتهىٰ من "الموضح".

(تتميم): أصل ﴿أُوْلَٰتِ﴾ أُلِي بضمِّ الهمزةِ وفتحِ اللامِ، قُلِبَتْ الياءُ أَلِفًا، ثمَّ حُذِفَتْ لاجتماعها مع الألفِ والتَّاءِ المزيدتَينِ.

«وَالفَعْلُ المُضَارِعُ الذِي لَمْ يَتَّصِلْ بِآخِرِهِ شَيْءٌ»، لأنَّه مُعْرَبٌ بالإجماعِ لكن اختلفوا في تحقيقِ الرَّافعِ ما هو علىٰ أقوالٍ:

الأوَّلُ: تجرُّدُه من النَّاصبِ والجازمِ، وبه قال الفرَّاءُ والأخفشُ وحُذَّاقُ

الكوفيين وابنُ مالكٍ.

الثَّاني: حلولُه محلَّ الاسمِ، وبه قال البصريون، قالوا: ولهذا إذا دخل عليه «لم» و«لن» امتنع رفعُه؛ لأنَّ الاسمَ لا يقعُ بعدهما، فليس حينئذٍ حالًّا محلَّ الاسمِ.

الثَّالثُ: أنَّ الرَّافعَ له حروفُ المضارعةِ، وبه قال الكِسائيُّ.

الرابع: مُضارعتُه للاسمِ، وبه قال الزَّجَّاجُ من البصريين وثعلبٌ من الكوفيين.

واعتُرِضَ قولُ الفرَّاءِ بأنَّ التَّجرُّدَ أمرٌ عَدَمِيٌّ، والعدمُ لا يكون سببًا لوجودِ غيرِه. وأُجيبَ: بأنَّ التجرُّدَ أمرٌ وجوديٌّ، وهو كونُه خاليًا من ناصبٍ وجازمٍ، لا عدمُ النَّاصبِ والجازمِ.

واعتُرِضَ قولُ البصريين بأنَّه غيرُ مُطَّردٍ لانتقاضه بنحو: «هلَّا تفعلُ»، فإنَّ المضارعَ فيه مرفوعٌ وليس حالًّا محلَّ الاسمِ؛ لأنَّ الاسمَ لا يقع بعد حروف التَّحضيضِ، وأُجيبَ بأنَّ الرَّفعَ استقرَّ قبل دخولِ حرفِ التَّحضيضِ، فلم يُغيِّره، إذ أثرُ العاملِ لا يُغيِّره إلَّا عاملٌ آخر.

واعتُرِضَ قولُ الكسائيِّ بأنَّ جزءَ الشَّيءِ لا يعملُ فيه، واعتُرِضَ قولُ ثعلبٍ بأنَّ المضارعةَ إنَّما اقتضت إعرابُه من حيث الجملةِ، ثمَّ يَحتاجُ كلُّ نوعٍ من أنواعِ الإعراب إلى عاملٍ يقتضيه، وأُجِيبَ: بأنَّ الكوفيين يزعمون أنَّ إعرابَ المضارعِ بالأصالةِ، لا بالحملِ على الاسمِ ومضارعتِه إيَّاه.

قال المؤلِّف: (**وَأَمَّا الوَاوُ فتكونُ عَلَامَةً لِلرَّفْعِ فِي مَوْضِعَيْنِ: فِي جَمْعِ المُذَكَّرِ السَّالِمِ، وفِي الأَسْمَاءِ الخَمْسَةِ وَهِيَ: أَبُوكَ وَأَخُوكَ وَحَمُوكَ وَفُوكَ وَذُو مَالٍ**).

«وَأَمَّا الوَاوُ فتكونُ عَلَامَةً لِلرَّفْعِ» بحسبِ النِّيابةِ «في مَوْضِعَيْنِ»، الأوَّلُ: «في جَمْعِ المُذَكَّرِ السَّالِمِ».

قال ابنُ مالكٍ في "شرحِ الكَافِيَةِ": «هو الذي يُرفعُ بواوٍ ويُنصبُ ويُجرُّ بياءٍ، وهو على ضَرْبَيْنِ: جمعٌ كزَيْدِينَ، وغيرُ جمعٍ: كأُولِي وعلِّيِّينَ، والمرادُ بالجمعِ ما له واحدٌ من لفظِه صالحًا لعطفِ مثليه أو أمثاله عليه دون اختلافِ معنى، والمطَّرِدُ منه ما كان واحدُه لمذكَّرٍ عاقلٍ أو شبيهٍ به كـ ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤] خاليًا من تاءِ التَّأنيثِ، علمًا أو صفةً لا من أفعل فعلاء، ولا من فعلان فعلى، كأحمر وسكران، ولا مما يستوي فيه الذَّكرُ والأنثى كصبورٍ وقتيلٍ». اهـ

قال ابن هشامٍ: يشترط في كل ما يجمع هذا الجمع ثلاثةُ شُروطٍ:

أحدها: الخُلُوُّ من تاءِ التَّأنيثِ، فلا يُجمعُ نحو: طلحة وعلامة.

الثَّاني: أن يكونَ لمذكَّرٍ، فلا يُجمعُ نحو: زينب وحائض.

الثَّالثُ: أن يكونَ لعاقلٍ، فلا يُجمعُ نحو: «واشقٍ» عَلَمًا لكلب، و«سابقٍ» صِفَةً لفرسٍ، ثمَّ يُشترط لانفرادِ كلٍّ منهما عن الآخرِ أن يكونَ إمَّا عَلَمًا غير مُركَّبٍ تركيبًا إسناديًّا ولا مَزْجيًّا، فلا يُجمعُ نحو: «بَرَقَ نَحْرُهُ» عَلَمًا اتفاقًا؛ لأنَّ المحْكِيَّ لا يُغَيَّرُ، ولا المزجيَّ نحو: مَعْدِي كَرِب، ونحو: سيبويه؛ على الأصحِّ فيهما تشبيهًا بالمحكيِّ في التركيبِ. وقيل: يجوز مطلقًا، وقيل: إن خُتم بـ«وَيْهِ» جاز وإلَّا فلا، وعلى الجواز في المختوم بـ«وَيْهِ» فمنهم من يُلحقُ العلامةَ بآخرِهِ فيقول: سِيبَوَيْهُونَ ومنهم من يَحذفُ «وَيْهِ» ويقول: سِيبون. وإمَّا صفةٌ تَقبلُ التَّاءَ أو تدلُّ على التَّفضيلِ نحو: قائمٌ ومذنبٌ وأفضل، فلا يجمع نحو: جريح

وصبور وسكران وأحمر. انتهى منه ومن "التصريح".

(تنبيهٌ): المركَّبُ الإضافيُّ يُجمعُ أوَّلُ المتضايفَينِ فيه ويُضافُ للثاني، فيقال في غلام زيد: غلامو زيد وغلامي زيد، وعن الكوفيين إجازة جمعهما معًا فيقال: غلامو الزَّيدِينَ وغلامي الزَّيدِينَ.

(تكميلٌ): قال ابن هشامٍ: «حملوا على هذا الجمعِ أربعةَ أنواعٍ:

أحدها: أسماءُ جموعٍ، وهي أُولُو وعالَمونَ وعِشْرونَ وبابه إلى التِّسعينَ.

و الثَّاني: جموعُ التَّكسيرِ، وهي بَنُونَ وآخرُونَ وأَرَضُونَ وسِنُونَ وبابه.

والثَّالثُ: جموعُ تصحيح، لم تستوفِ الشُّروط كأهلون ووابلون؛ لأنَّ أهلًا ووابلًا ليسا عَلَمَينِ ولا صِفَتَينِ؛ ولأنَّ وابلًا لغيرِ عاقلٍ.

والرَّابعُ: ما سُمِّيَ به من هذا الجمعِ وما أُلحقَ به كعلِّيُّون عَلَمًا لأعلى الجنَّة وزَيْدُونَ مُسمًّى به».اهـ

(تتميمٌ): يجوزُ فيما سُمِّيَ به من هذا الجمعِ أربعةُ أوجهٍ:

أحدُها: وهو الأجودُ إجراؤُه على ما كان عليه قبل التَّسميةِ، كقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ١٨ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ [المطففين: ١٨ – ١٩].

والثَّاني: إجراؤُه مجرى غِسْلِين في لزومِ الياءِ، وكون النُّونِ حرفَ إعرابٍ.

والثَّالثُ: إجراؤُه مجرى عَربُون، في لزومِ الواوِ والإعرابِ بالحركاتِ على النُّونِ منوَّنةً.

والرَّابعُ: استصحابُ الواوِ على كلِّ حَالٍ، مع كَوْنِ النُّونِ مفتوحة غير ساقطةٍ في الإضافةِ.

«وفي الأَسْمَاءِ الخَمْسَةِ وَهِيَ: أَبُوكَ وَأَخُوكَ وَحَمُوكَ وَفُوكَ وَذُو مَالٍ»: على ما ذهب إليه المصنِّفُ تبعًا للزجَّاجيِّ والفرَّاءِ، وذهب الجمهورُ إلى أنَّها ستَّةٌ بزيادةِ: «هَنُ»، وأغربَ الجوهريُّ حيث زاد في حكايةِ النَّكرةِ في الوقفِ قال: لأنَّك تقول لمن قال: «جاءَ رجلٌ»: منو؟ ولمن قال: «رأيتُ رجلًا»: منا؟ ولمن قال: «مررتُ برجلٍ»: مني؟ والأبُ لامُه محذوفةٌ وهي واوٌ؛ لأنَّه يُثَنَّى أبوين، وإذا صُغِّر رُدَّت اللامُ المحذوفةُ فيبقى «أبيو»، فتجتمع الواو والياء فتُقلب الواو ياءً وتُدغمُ في الياءِ فيبقى «أُبَيٌّ».

«والأَخُ»: لامُه محذوفةٌ وهي واوٌ، وتُردُّ في التَّثنيةِ على الأشهر فيقال: أَخَوانِ.

«والحَمُ»: أصلُه حَمُوَ، فوقع به ما مرَّ في أَخَوَيْهِ.

«والفُوه»: أصلُ قولنا: فَمٌ؛ لأنَّ جمعَه أفواه، والميمُ في فَمٍ عِوَضٌ عن الهاءِ في فُوه لا عن الواو.

وأمَّا شروطُها فقال ابن هشامٍ: يُشترطُ في غيرِ «ذُو» أن تكون مضافةً لا مفردةً، فإنْ أُفردت أُعربت بالحركات نحو: ﴿وَلَهُۥٓ أَخٌ﴾ [النساء: ١٢]، و﴿إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا﴾ [يوسف: ٧٨]، و﴿وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ﴾ [النساء: ٢٣].

فأمَّا قولُه:

خَالَطَ مِنْ سَلْمَى خَيَاشِيمَ وَفَا

فشاذٌّ؛ لأنَّه منصوبٌ بالألفِ بالعطفِ على خياشيمَ المنصوبِ بخَالَطَ على المفعوليَّة مع أنَّه غيرُ مضافٍ. وخرَّجه أبو الحسن وتابعه ابنُ مالك على أنَّه

حَذَفَ المضافَ إليه ونوىٰ ثبوت لفظِه، والإضافةُ مَنْوِيَّةٌ في المعطوف عليه أي: خياشيمها وفَاهَا.

ويشترطُ في الإضافةِ أنْ تكونَ لغيرِ الياءِ الدَّالَّةِ علىٰ التكلُّمِ، فإن كانت للياءِ المذكورةِ أُعربت بالحركاتِ المقدَّرةِ نحو: ﴿ وَأَخِى هَـٰرُونُ ﴾ [القصص: ٣٤]، ﴿إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِىٓ ﴾ [المائدة: ٢٥].

«وَذُو» ملازمةٌ للإضافةِ لغير الياءِ فلا حاجةَ إلىٰ اشتراطِ الإضافةِ فيها، وإذا كانت «ذو» موصولةً بمعنىٰ الذي وأخواته، لزمتها في الأحوالِ الثلاثةِ غالبًا والبناء علىٰ السُّكون، وقد تُعرَبُ بالحروفِ كقوله: فَحَسْبِيَ مِنْ ذِي عِنْدَهُمْ مَا كَفَانِيَا، وقيَّد ابنُ الصَّائغِ هذا بحالةِ الجرِّ؛ لأنَّه محلُّ السَّماعِ.اهـ

وأقول: يُشترطُ فيها أن تكونَ مفردةً، فلو ثُنِّيت أو جُمعت أُعربت بإعرابِ أحدهما، وأن تكون مكبَّرةً فلو صُغِّرت أُعربت بالحركاتِ، وأن يكون الفم خاليًا من الميم فإذا كان بالميم أُعرِبَ بالحركاتِ.

وأمَّا معانيها معروفةٌ إلَّا «الهَنُ»، قال في "المختار": «والهَنُ بوزن «أخ» كلمةُ كنايةٍ ومعناها شيْءٌ، وأصلها «هَنَوٌ» بفتحتين، تقول: هذا هَنُوكَ أي: شَيئُكَ».اهـ

وقال ابن هشامٍ: «الهَنُ كنايةٌ عن أسماءِ الأجناسِ، كرجلٍ وفرسٍ وغيرهما، وقيل: عما يُستقبَحُ التصريحُ بذكرِه، وقيل: عن الفَرْجِ خاصَّة».اهـ

(تنبيهٌ): النقصُ في الهَنُ أفصحُ من إعرابِه بالحروفِ، ومنه قوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «مَنْ تَعَزَّى بِعَزَاءِ الجَاهِلِيَّةِ، فَأَعِضُّوهُ بِهَنِ أَبِيهِ وَلَا تَكْنُوا» هذا

إذا كان مضافًا كما في الحديثِ، وأما إذا كان غيرَ مضافٍ كان منقوصًا بالإجماعِ تقول: هذا هَنٌ، ورأيتُ هنًا، ومررتُ بِهَنٍ.

(تتميم): يجوز النقصُ بضعفٍ في الأب والأخ والحم، ومنه قوله:

بِأَبِـهِ اقْتَـدَىٰ عَـدِيٌّ في الكَـرَمْ وَمَـنْ يُشَـابِهُ أَبَـهُ فَـمَا ظَلَـمْ

وقولُ بعضِهم في التَّثنيةِ: أَبَانِ وأَخَانِ، وقصرُهما أولىٰ من نقصِهما كقوله: «إِنَّ أَبَاهَا وَأَبَا أَبَاهَا»، الشَّاهدُ في الثَّالثِ؛ لأنَّه نصٌّ في القصرِ غيرُ محتملٍ لغيرِه، وقولُه: «مُكْرَهٌ أَخَاكَ لا بَطَل»

(تكميل): الأسماءُ السِّتَّة علىٰ ثلاثةِ أقسامٍ:

ما فيه لغةٌ واحدةٌ: وهو «ذو» بمعنىٰ صاحب، و«فم» بغير ميم.

وما فيه لغتان: وهي «الهَنُ»؛ لأنَّ فيه الإتمام والنقص.

وما فيه ثلاثُ لغاتٍ: وهو «الأب والأخ والحم»؛ لأنَّ فيهن الإتمام والقصر والنقص.

(فائدة): في الحم ثلاث لغات: حم، ومثله حَمًا كقَفًا، وحَمُو كأَبُو، وحَمٌ كأَبٍ.

(خاتمة): اختلفوا في إعرابِ الأسماءِ السِّتَّة علىٰ مذاهبَ:

أحدُها: أنَّ هذه الأحرفَ نفسَها هي الإعرابُ، وأنَّها نابت عن الحركاتِ، وهو مذهبُ قُطْرُبٍ والزِّياديِّ وهشامٍ من الكوفيين، والزَّجَّاجيِّ من البصريين، وهذا المذهبُ هو المشهورُ.

الثَّاني: أنَّها معرَبةٌ بحركاتٍ مُقدَّرة علىٰ الحروفِ، وأنَّها أُتبعَ فيها ما قبل

الآخِرِ للآخِرِ، فإن قلت: قام أبوك. فأصله «أَبُوُك» فأتبعت حركة الباء لحركة الواو فقيل: أَبُوُك، ثمَّ استثقلت الضَّمة على الواو فحُذفت، وإذا قلت: رأيتُ أباك، فأصله «أبَوَك» تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفًا، وإذا قلت: مررتُ بأبيك فأصله «بأَبِوِك» ثمَّ أتبعت حركة الباء لحركة الواو فصار «بأبِوِك» فاستثقلت الكسرة على الواو فحُذفت فسَكنت وقبلها كسرةٌ فانقلبت ياء، وهذا مذهبُ سيبويه والفارسيِّ وجمهورِ البصريين، وصحَّحه ابنُ مالك وأبو حَيَّان وابن هشامٍ وغيرُهم من المتأخرين.

الثَّالثُ: أنَّها معرَبةٌ بالحركاتِ التي قبل الحروفِ والحروفُ إشباعٌ، وهذا مذهب الزَّجَّاج والمازنيِّ.

الرَّابعُ: أنَّها معرَبةٌ بالحركاتِ التي قبل الحروفِ، وهي منقولةٌ من الحروفِ، وهذا مذهبُ الرِّبعيِّ.

الخامسُ: أنَّها معرَبةٌ بالحركاتِ التي قبل الحروفِ وليست منقولةٌ، بل هي الحركاتُ التي كانت فيها قبل أن تُضاف، فثبتت الواو في الرَّفعِ لأجل الضَّمَّة وانقلبت ألفًا لأجل الفتحةِ، وياءً لأجل الكسرةِ، وهذا مذهبُ الأعلمِ وابنِ أبي العافيةِ.

السَّادسُ: أنَّها معرَبةٌ من مكانين، بالحركاتِ والحروفِ معًا، وهذا مذهبُ الكِسائيِّ والفرَّاء.

السَّابعُ: أنَّها معرَبةٌ بالتَّغيرِ والانقلابِ حالةَ النَّصبِ والجرِّ، وبعدم ذلك حالةَ الرَّفعِ، وهذا مذهبُ الجَرْمِيِّ.

الثَّامنُ: أنَّ فاك وذا مالٍ مُعربان بحركاتٍ مُقدَّرةٍ في الحروفِ، وأباك

وأخاك وحماك وهناك مُعربةٌ بالحروفِ، وهذا مذهبُ الرُّنديِّ والسُّهَيْليِّ.

التَّاسعُ: أنَّ فاك وذا مالٍ مُعربان بالحروفِ، وبقيَّة الأسماءِ الأربعةِ مُعربةٌ بحركاتٍ مُقدَّرةٍ في الحروفِ.

العَاشرُ: أنَّ الحروفَ دلائلُ إعرابٍ، وهذا مذهبُ الأخفشِ.

قلت: والأوَّلُ من هذه الأقوالِ هو الحقُّ بالقبولِ، لما فيه من عدم التَّقديرِ والتَّأويلِ، وبقيت مذاهبُ أخرىٰ لم أذكرها.

قال المؤلِّف: (وَأَمَّا الأَلِفُ فَتكُونُ عَلَامَةً للرَّفْعِ في تَثْنِيَةِ الأَسْمَاءِ خَاصَّةً).

نحو: جاء الزيدان، ونحو: قال رجلان، واعتُرِضَ بأنَّ التَّثنيةَ مصدرٌ والألفُ تكونُ علامةً في المثنَّىٰ، وأُجيب: بأنَّه من إطلاقِ المصدرِ وإرادة المفعول علىٰ حدِّ ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ ﴾ [لقمان: ١١] أي: مخلوقةٌ، ثمَّ إنَّ التثنيةَ لغةً: عطفُ الشَّيْءِ. قال في "المصباح": «ثنَّيت الشَّيء أُثنِّيه إذا عطفتُه وردَّدتُه، وثَنَيْتُه عن مرادِه إذا صرفتُه عنه».اهـ

واصطلاحًا عرَّفها ابنُ مالكٍ بقوله: «المثنَّىٰ: ما دلَّ علىٰ اثنين بزيادةٍ، صالحٌ للتجريدِ وعطفِ مثلِه عليه دون اختلافِ معنىٰ كرجلين».اهـ

وقال ابن عَقِيلٍ: «المثنَّىٰ: لفظٌ دالٌّ علىٰ اثنين بزيادةٍ في آخِرِه، صالحٌ للتجريدِ وعطفِ مثلِه عليه، فيدخلُ في قولِنا: «لفظٌ دالٌّ علىٰ اثنين» المثنَّىٰ نحو: الزَّيدان، والألفاظُ الموضوعةُ لاثنين نحو: شَفْع، وخرج بقولنا: «بزيادةٍ» نحو: شَفْع، وخرج بقولنا: «صالحٌ للتجريدِ» نحو: اثنان، فإنَّه لا يَصلُح لإسقاطِ الزِّيادةِ منه، وخرج بقولنا: «وعطفِ مثلِه عليه» ما صَلُح للتجريدِ وعطفِ غيرِه عليه كالقَمَرَيْنِ، فإنَّه صالحٌ للتجريدِ، فتقول: قمرٌ. لكن يُعطفُ عليه

مُغايرُه لا مثله نحو: قمرٌ وشمسٌ، وهو المقصودُ بقولهم: «القَمَرَيْنِ». انتهى منه.

وقال ابن هشامٍ ما نصُّه: «المثنَّى ما وُضِعَ لاثنَينِ، وأغنى عن المتعاطفَينِ كالزَّيدان والهندان، قال الأزهريُّ: فما وُضِعَ جنسٌ، ولاثنَينِ فَصْلٌ أوَّلٌ مُخرِجٌ لما وُضِعَ لأقلَّ كرجلان للماشي أو أكثرَ كصِنْوَانٍ، وأغنى عن المتعاطفَينِ فَصْلٌ ثانٍ مُخرِجٌ لنحو: كِلا وكِلْتا، واثنان واثنتان وشَفْع وزَوْج وزكي بالتَّنوينِ اسمٌ للشَّيئَينِ، ودخل فيه نحو: القَمَرَانِ للشَّمسِ والقَمَرِ، قال الموضح في "شرح اللمحة": والذي أراه أنَّ النَّحويين يُسمُّون هذا النوعَ مثنًّى؛ لعدم ذكرهم له فيما حُمِلَ على المثنَّى، وغايتُه أنَّ هذا مثنًّى في أصله تَجوُّزٌ، وصرَّح المراديُّ بأنَّه مُلحقٌ بالمثنَّى».اهـ

(فائدة): قد يغلِّبون على الشَّيءِ ما لغيرِه لتناسبٍ بينهما أو اختلاطٍ؛ فلهذا قالوا: «الأَبَوَيْنِ» في الأَبِ والأُمِّ وفي الأَبِ والخَالَةِ، و«المشرِقَينِ» و«المغرِبَينِ»، ومثله: «الخافِقَانِ» في المشرقِ والمغربِ، وإنَّما الخافقُ المغربُ، و«القَمَرَينِ» في الشمسِ والقمرِ، و«العُمَرَينِ» في أبي بكرٍ وعمرَ، و«العجَّاجَينِ» في رُؤبَةَ والعجَّاجِ، و«المروتَينِ» في الصَّفا والمروةِ، ويُغلِّبون الأقرَبَ على الأبعدِ، بدليلِ تغليبِ المتكلِّمِ على المخاطبِ، وهما على الغائبِ في الأسماءِ، ونحو: أنا وأنت قمنا، وأنت وزيد قمتما. انتهى مُلخَّصًا من "المغني"، و"الأشباه".

(تنبيه): يُشترطُ في كلِّ ما يُثنَّى عند الأكثرين ثمانيةُ شروطٍ:

أحدُها: الإفرادُ، فلا يُثنَّى المثنَّى ولا المجموعُ على حده، ولا الجمعُ الذي لا نظيرَ له في الآحاد.

الثَّاني: الإعرابُ، فلا يُثنَّىٰ المبنيُّ، وأمَّا نحو: ذان وتان واللذان واللتان، فصيغٌ موضوعةٌ للمثنَّىٰ، وليست مثنَّاةً حقيقةً علىٰ الأصحِّ عند جمهورِ البصريين.

الثَّالثُ: عدمُ التَّركيبِ، فلا يُثنَّىٰ المركَّبُ تركيبَ إسنادٍ اتفاقًا، ولا مَزْجٍ علىٰ الأصحِّ، وأمَّا المركَّبُ تركيبَ إضافةٍ من الأعلامِ فيُستغنىٰ بتثنيةِ المضافِ عن المضافِ إليه.

الرَّابعُ: التَّنكيرُ، فلا يُثنَّىٰ العَلَمُ باقيًا علىٰ عَلَمِيَّتِه، بل يُنكَّر ثمَّ يُثنَّىٰ.

الخامسُ: اتفاقُ اللَّفظِ، وأمَّا نحو: الأبوان للأب والأمِّ، فمن باب التَّغليبِ.

السَّادسُ: اتفاق المعنىٰ، فلا يُثنَّىٰ المشتركُ ولا الحقيقةُ والمجازُ، وأمَّا قولهم: القلمُ أحدُ اللِّسَانَينِ، فشاذٌّ.

السَّابعُ: أن لا يُستغنىٰ بتثنيةِ غيرِه عن تثنيته، فلا يُثنَّىٰ سواء؛ لأنَّهم استغنَوا بتثنيةِ «سِي» عن تثنيتِه، فقالوا: «سِيَّان»، ولم يقولوا: «سواءان»، وأن لا يُستغنىٰ بمُلحَقٍ بالمثنَّىٰ عن تثنيتِه، فلا يُثنَّىٰ أجمع وجمعاء استغناءً بكِلا وكِلتا.

الثَّامنُ: أن يكون له ثانٍ في الوجودِ، فلا يُثنَّىٰ الشَّمسُ ولا القمرُ، وأمَّا قولهم: القَمَرَانِ للشَّمسِ والقَمَرِ، فمن باب المجاز.اهـ "تصريح".

(مُهِمَّة): من العربِ من يُعرِبُ المثنَّىٰ بالألفِ رفعًا، وبالياء جرًّا ونصبًا وهي اللغةُ المشهورةُ، ومنهم من يلزمه في الأحوالِ الثلاثةِ الألفَ، ويُعرِبُه بحركاتٍ مُقدَّرةٍ عليها، ومنهم من يلزمه بالألف أيضًا ويُعرِبُه بحركاتٍ ظاهرةٍ علىٰ النون، إجراءً للمثنَّىٰ مَجرَىٰ المفردِ.

فمن الأوَّلِ: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ﴾ [النحل: ٥١].

ومن الثَّاني قوله تعالى: ﴿إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ [طه: ٦٣].

ومن الثَّالثِ قوله: أَعْرِفُ مِنْهَا الجِيدَ وَالعَيْنَانَا

(تتميم): حملوا على المثنَّى في الإعرابِ بالحروفِ أربعةَ ألفاظٍ: اثنين واثنتين في لغةِ الحجازِ، وثنتين في لغةِ تميمٍ، سواء أُفرِدَا أو رُكِّبا مع عشرةٍ، أو أُضيفا إلى ظاهرٍ أو مُضمرٍ، ويمتنعُ إضافتهما إلى ضميرِ تثنيةٍ، فلا يقال: جاء الرَّجلان اثناهما، وكِلَا وكِلْتَا مضافين لضمير، وأمَّا إن أُضيفا إلى الظَّاهر لَزِمَتْهُما الألفُ في الأحوالِ كلِّها وكانا مُعرَبَينِ إعرابَ المقصورِ.

(تنبيه): هذه التَّفرقةُ في كِلَا وكِلْتَا هي اللغةُ المشهورةُ، ووراءها إطلاقان:

أحدهما: الإعرابُ بالحركاتِ مطلقًا وهي لغةُ بلحارث.

ثانيهما: الإعرابُ بالحروفِ مطلقًا وهي لغةُ كِنانةَ.

(تنبيه): فيما سُمِّيَ به من المثنَّى إعرابان:

أحدهما: إعرابُ ما كان عليه قبل التَّسميةِ.

ثانيهما: إعرابُ ما لا ينصرف للعلميَّةِ وزيادةِ الألفِ والنونِ.

(فائدة): قال الأزهريُّ نقلًا عن أبي البقاءِ: إنَّما فُتِحَ ما قبلَ ياءِ المثنَّى وكُسِرَ ما قبلَ ياءِ الجمعِ لوجهين:

أحدهما: أنَّ المثنَّى أكثرُ من الجمعِ، فخصَّ بالفتحةِ؛ لأنَّها أخفُّ من الكسرةِ، بخلافِ الجمعِ.

والثَّاني: أنَّ نونَ المثنَّى كُسِرَتْ على أصلِ التقاءِ السَّاكنَينِ، فلم يُجمعْ بين

كسرتِها وكسرةِ ما قبلَ الياءِ فِرارًا من ثِقَلِ الكسرتَينِ وبينهما ياء، ثمَّ عكسوا ذلك في الجمعِ ليحصلَ الفرقُ بين المثنَّى والجمعِ ليعتدلَ اللَّفظُ فيصيرُ في كلِّ واحدٍ منهما ياء بين فتحةٍ وكسرةٍ .

(خاتمة): مما يَرُدُّ الأشياءَ على أصولها التَّثنيةُ.

قال المؤلِّف: (**وَأَمَّا النُّونُ فَتكُونُ عَلَامَةً لِلرَّفْعِ في الفِعْلِ المُضَارِعِ إِذَا اتَّصَلَ بِهِ ضَمِيرُ تَثْنِيَةٍ، أَوْ ضَمِيرُ جَمْعٍ، أَوْ ضَمِيرُ المُؤَنَّثَةِ المُخَاطَبَةِ**).

قال ابنُ مالكٍ: «إذا اتَّصَلَ بالفعلِ المضارعِ ألفُ اثنين، أو واوُ جمعٍ، أو ياءُ مخاطبةٍ، فعلامةُ رفعِه نونٌ مكسورةٌ بعد الألفِ نحو: تذهبانِ، ومفتوحةٌ بعد الواوِ والياءِ نحو: تذهبونَ وتذهبينَ».اهـ

وقال ابنُ عَقِيلٍ: «أشار بقوله: «يَفْعَلَانِ» إلى كلِّ فِعْلٍ اشتملَ على ألفِ اثنينِ، سواء كان في أوَّلِه الياء نحو: يضربانِ، أو التاء نحو: تضربانِ، وأشار بقوله: «تَدْعِينَ» إلى كلِّ فِعْلٍ اتَّصلَ به ياءُ المخاطبةِ نحو: أنت تضربينَ، وأشار بقوله: «تَسْألونَ» إلى كلِّ فِعْلٍ اتَّصلَ به واوُ الجمعِ نحو: أنتم تضربونَ كما مثَّل، أو الياءُ نحو: الزَّيدونَ يضربون، فهذه الأمثلةُ الخمسةُ تُرفعُ بثبوتِ النُّونِ».اهـ

(تنبيه): قال السُّودانيُّ: «لو قالَ المصنِّفُ: إذا اتَّصلَ به ألفُ تثنيةٍ أو واوُ جمعٍ لكان أحسن ليشمل ما إذا كانا ضميرَينِ كما تقدَّم، أو حرفَينِ نحو: يقومان الزَّيدان، ويقومون الزَّيدون».اهـ

وأقول: نحو: يقومون الزَّيدون في لغة طَيِّء حرفٌ عند سيبويه دالٌّ على الجماعةِ، كما أنَّ التَّاءَ حرفٌ دالٌّ على التَّأنيثِ، وقيل: اسمٌ مرفوعٌ على الفاعليَّةِ، ثمَّ قيل: إنَّ ما بعدها بدلٌ منها، وقيل: مبتدأٌ والجملةُ خبرٌ مقدَّمٌ، ومنه الحديثُ:

«يَتَعَاقَبُونَ فِيكُم مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ»، وقد تقدَّم هذا في الكلامِ على الواوِ، وكذلك نونُ النِّسوةِ فإنَّها اسمٌ في نحو: النِّسْوةُ قُمْنَ، خلافًا للمازنيِّ، وحرفٌ أو اسمٌ في نحو: يَذْهَبْنَ النِّسْوةُ، على الخلافِ.

(مُهِمَّة): ما قاله المصنِّف من أنَّ ياءَ المؤنَّثةِ ضميرٌ، هو المشهورُ عند الجمهورِ، قال ابن هشامٍ: «الياءُ تكون ضميرًا للمؤنَّثةِ نحو: تَقومينَ وقُومِي».اهـ وخالفَ الأخفشُ والمازنيُّ فقالا: هي حرفُ تأنيثٍ والفاعلُ مستترٌ.

(تتمَّة): إذا اتَّصلَ بهذه النُّونِ نونُ الوِقايةِ قال ابنُ مالكٍ: يجوزُ حذفُها تخفيفًا، وإدغامُها في نونِ الوِقايةِ والفَكُّ، وبالوجهِ الأوَّلِ قرأ نافعٌ: ﴿تَأْمُرُونِيَ أَعْبُدُ﴾ [الزمر: ٦٤]، وقرأ ابنُ عامرٍ: ﴿تَأْمُرُونَنِي﴾ بالفكِّ وقرأ الباقون بالإدغامِ، وزعمَ قومٌ أنَّ المحذوفَ في نحو: ﴿تَأْمُرُوٓنِّيٓ﴾ هو الثَّاني، وليس كذلك بل المحذوف هو الأوَّلُ، نصَّ عليه سيبويه».اهـ

وقال ابن هشام: «إذا اتَّصلَت نونُ الوِقايةِ بنحو: ﴿تَأْمُرُوٓنِّيٓ﴾ فيجوزُ فيه الإدغامُ والفَكُّ والنُّطقُ بنونٍ واحدةٍ، وقد قُرِئَ بهنَّ في السَّبعةِ، وعلى الأخيرةِ فقيل: النُّونُ الباقيةُ نونُ الرَّفعِ، وقيل: نونُ الوِقايةِ وهو الصَّحيحُ». انتهى بالمعنى.

(تنبيه): قال أبو حَيَّان: «إنَّما حُرِّكِتْ هذه النونُ لالتقاءِ السَّاكنَينِ، وكانت بعد الواوِ والياءِ مفتوحةً تشبيهًا بنونِ الجمعِ، وكُسِرَتْ مع الألفِ تشبيهًا بنونِ التَّثنيةِ».اهـ

وقال الرَّضِيُّ: «تُكسرُ بعد الألفِ غالبًا؛ لأنَّ السَّاكنَ إذا حُرِّكَ فالكسرُ أولى، وقُرِئَ في الشَّواذِّ: ﴿أَتَعِدَانِّنِي﴾[الأحقاف: ١٧] بفتحها، وتُفتحُ بعد الواوِ والياءِ حملًا على نونِ الجمعِ في الاسمِ».اهـ

(فائدة): وردَ حذفُ النُّونِ في الرَّفعِ في النَّثرِ والنَّظمِ، فمن الأوَّلِ الحديث: «**لَا تَدْخُلُوا الجنَّةَ حتَّى تُؤمِنُوا، وَلَا تُؤمِنُوا حتَّى تَحَابُّوا**».

ومن الثَّاني قوله:

أَبِيتُ أَسْرِي وَتَبِيتِي تَدْلُكِي ... وَجْهَكِ بِالعَنْبَرِ وَالمِسْكِ الذَّكِي

وقولُ أبي طالبٍ:

وَإِنْ يَكُ قَوْمٌ سَرَّهُم مَا صَنَعْتُمُ ... سَيَحْتَلِبُوهَا لَاقِحًا غَيْرَ بَاهِلِ

(خاتمة): النُّونُ تُشابهُ حروفَ المدِّ واللِّين من وجوهٍ:

الأوَّل: أن تكونَ علامةً للرَّفعِ في الأفعالِ الخمسةِ، كما تكون الألفُ والواوُ علامةً للرَّفعِ في الأسماءِ المثنَّاةِ والمجموعةِ.

الثَّاني: أنَّها تكون ضميرًا للجمعِ المؤنَّثِ، كما تكون الواوُ ضميرًا للجمعِ المذكَّرِ.

الثَّالث: قد يحذفُها الجازمُ في «لِمْ يَكُ»، كما يحذفُ الواوَ والياءَ والألفَ.

الرَّابع: أنَّ الاسمين إذا رُكِّبَا وهي في آخر الاسمِ الأوَّلِ، فإنَّها قد تُسكَّن نحو: دستنبويه وباذنجانه، كما تُسكَّن الياء في مَعْدِي كَرِب.

الخامس: قد تُحذفُ لالتقاءِ السَّاكنين في قوله:

وَلَاكِ اسْقِنِي إِنْ كَانَ مَاؤُكَ ذا فَضْلٍ

كما تُحذفُ الواوُ والياءُ والألفُ لالتقاءِ السَّاكنين.

السَّادس: أنَّ النُّون قد تُحذفُ اعتباطًا عينًا ولامًا في: «منذ»، و«لدن»، في قوله: «مِنْ لَدُ شَوْلًا»، كما تُحذفُ الواوُ عينًا ولامًا في «ثُبَة» في أحد القولين وفي «أخ».

السَّابع: أنَّ الألفَ تُبدلُ منها في الوقفِ نحو: رأيت زيدًا وأضربا.

الثَّامن: أنَّ فيها غُنَّةً كما أنَّ في الألفِ وأُختَيْهَا مَدًّا.

التَّاسع: أن تكونَ علامةً للجمعِ لا ضميرًا، كما تكونُ الألفُ والنُّونُ علامةً في قوله: «يَعْصِرْنَ السَّلِيطَ أَقَارِبُهُ»، وقوله: «يَلُومُونَنِي في اشْتَرَاءِ النَّخِيلِ قَوْمِي».

العاشر: أنَّها من حروفِ الزِّيادةِ، كما أنَّ حروفَ المدِّ واللِّينِ من حروفِ الزِّيادةِ.

الحادي عشر: أنَّها تُدغمُ في الواوِ والياءِ في قولِك: زيدٌ وعمروٌ، وزيدٌ يضرب.

الثَّاني عشر: مصاحبتها حروف المدِّ وحركاتِ الإعرابِ في الوقفِ في قولك: زيدان وزيدون وزيدين وزيد، وحذفُها بحذفِ حركاتِ الإعرابِ في الوقفِ في قولك: زيد، ولما كان بين هذه الحروف وبين النَّون هذه المناسبة زيدت في المضارعِ. انتهى مُلخصًا من "الأشباه" بحذفِ بعضِ الأوجهِ.

قال المؤلِّف: (**وَللنَّصْبِ خَمْسُ عَلَامَاتٍ: الفَتْحَةُ، وَالأَلِفُ، وَالكَسْرَةُ، وَاليَاءُ وَحَذْفُ النُّونِ**).

«**وَللنَّصْبِ خَمْسُ عَلَامَاتٍ**» يُقالُ هنا ما مرَّ في قوله: أَرْبَعُ عَلَامَاتٍ «**الفَتْحَةُ**» وهي الأصلُ، «**وَالأَلِفُ**» وهي تنشأ عنها، «**وَالكَسْرَةُ**» وهي أختُ الألفِ

في التحريكِ، «وَاليَاءُ» وهي تنشأ عن الكسرةِ، «وَحَذْفُ النُّونِ» وهو بعيدُ المشابهةِ فيها.

قال المؤلِّف: (فَأَمَّا الفَتْحَةُ فَتكُونُ عَلَامَةً لِلنَّصْبِ في ثَلاثَةِ مَوَاضِعَ: في الاسْمِ المُفْرَدِ، وَجَمْعِ التَّكْسِيرِ، وَالفِعْلِ المُضَارِعِ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ نَاصِبٌ وَلَمْ يَتَّصِلْ بِآخِرِهِ شَيْءٌ).

«فَأَمَّا الفَتْحَةُ فَتكُونُ عَلَامَةً لِلنَّصْبِ في ثَلاثَةِ مَوَاضِعَ: في الاسْمِ المُفْرَدِ» نحو: رأيتُ زيدًا وعبدالله والفتىٰ، «وَجَمْعِ التَّكْسِيرِ» نحو: رأيتُ الهنودَ والأُسَارَىٰ، «وَالفِعْلِ المُضَارِعِ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ نَاصِبٌ وَلَمْ يَتَّصِلْ بِآخِرِهِ شَيْءٌ» من نُونَيِ التَّوكيدِ والنِّسوةِ، وألفِ الاثنَينِ، وواوِ الجمعِ وياءِ المخاطبةِ، نحو: لن يضربَ ولن يخشىٰ.

قال المؤلِّف: (وَأَمَّا الأَلِفُ فَتكُونُ عَلَامَةً للنَّصْبِ في الأَسْمَاءِ الخَمْسَةِ، نَحْوُ: رَأَيْتُ أَبَاكَ وَأَخَاكَ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ). نحو: رأيتُ حماك، ولَثَمْتُ فاك، ولقيتُ ذا مالٍ.

قال المؤلِّف: (وَأَمَّا الكَسْرَةُ فَتكُونُ عَلَامَةً للنَّصْبِ في جَمْعِ المُؤَنَّثِ السَّالِمِ).

نحو: خلق الله السَّماواتِ، فالسَّماواتُ منصوبٌ بالكسرةِ علىٰ أنَّه مفعولٌ به عند الجمهورِ، وذهب الشَّيخُ عبدالقادر الجرجاني وابنُ الحاجب إلىٰ أنَّه مفعولٌ مطلقٌ لبيانِ النَّوعِ.

وصوَّبه ابن هشامٍ في "المغني"، قال: «لأنَّ المفعولَ به ما كان موجودًا قبل الفعل الذي عمل فيه ثمَّ أوقع الفاعلُ به فعلًا، والمفعولُ المطلقُ ما كان الفعل العامل فيه هو فعل إيجاده، والذي غرَّ أكثرَ النَّحويين في هذه المسألةِ أنَّهم يُمثِّلون

المفعولَ المطلقَ بأفعالِ العبادِ، وهم إنَّما يَجري على أيديهم إنشاءُ الأفعالِ لا الذَّوات، فتوهَّمُوا أنَّ المفعولَ المطلقَ لا يكون إلَّا حَدَثًا، ولو مثَّلوا بأفعال الله تعالى لظهر لهم أنَّه لا يختصُّ بذلك؛ لأنَّ الله تعالى مُوجِدٌ للأفعالِ والذَّواتِ جميعًا».اهـ

(تذنيب): ما قاله المصنِّف من أنَّ جمعَ المؤنَّثِ يُنصبُ بالكسرةِ هو الغالب، وربما نُصبَ بالفتحة إن كان محذوفَ اللَّامِ ولم تُرَدَّ إليه في الجمعِ كـ «سمعتُ لغاتَهم» بفتح التَّاءِ حكاه الكسائيُّ، «ورأيتُ بناتَك» بفتح التَّاءِ حكاه ابن سيدَهْ وكقوله:

فَلَـمَّا جَلَاهَـا بِالأُيَـامِ تَحَيَّـزَتْ ثُبَاتًـا عَلَيْهَـا ذَلُّهَـا وَاكْتِئَابُهَـا

فـ«ثُبَاتًا» منصوبة على الحاليَّة بالفتحةِ، والكثير أن يُنصبَ بالكسرةِ كقوله تعالى: ﴿فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ﴾ [النساء: ٧١] وإنَّما نصب هذا النَّوعَ بالفتحةِ جبرًا لما فاته من حذفِ لامِه، كما أعرب نحو: «سنين» بالحروفِ جبرًا لما فاته من حذفِ لامِه، فإن رُدَّت اللَّامُ في الجمع كسَنوَات أو سَنهَات على اللُّغتَينِ نُصبَ بالكسرةِ اتفاقًا نحو: اعتكفتُ سنواتٍ. انتهى، مُلخصًا من ابن هشامٍ والأزهريِّ.

(مسألة): المطَّرد من جمعِ المؤنَّثِ السَّالمِ ما كان عَلَمًا لمؤنَّثٍ مُطلقًا، أو صفةً له مقرونةً بالتَّاءِ، أو دالَّةً على التفضيلِ نحو: فُضْلَيات، أو عَلَمًا لمذكَّرٍ مقرونًا بالتَّاءِ، أو صفةً لمذكَّرٍ غيرِ عاقلٍ كجبالٍ راسياتٍ، أو مُصغَّرةٍ كدُرَيْهِمات.

(خاتمة): كلُّ ما فيه التَّاءُ يُجمعُ هذا الجمع إلَّا ثلاثةَ ألفاظٍ: شَفَة، وأَمَة، وشَاة؛ لأنَّهم استغنَوا عن ذلك بجمعها جمعَ تكسيرٍ.

قال المؤلِّف: (**وَأَمَّا اليَاءُ فَتَكُونُ عَلَامَةً لِلنَّصْبِ فِي التَّثْنِيَةِ وَالجَمْعِ**).

«فِي التَّثْنِيَةِ» أي: المثنَّى، نحو: رأيتُ العُمَرَيْنِ.

«وَالجَمْعِ» نحو: رأيتُ الزَّيدِينَ.

(فائدة): نونُ المثنَّى مكسورةٌ، ونونُ الجمعِ مفتوحةٌ.

قال المؤلِّف: (وَأَمَّا حَذْفُ النُّونِ فَيَكُونُ عَلَامَةً لِلنَّصْبِ فِي الأَفْعَالِ الخَمْسَةِ التي رَفْعُهَا بِثَبَاتِ النُّونِ).

«وَأَمَّا حَذْفُ النُّونِ فَيَكُونُ عَلَامَةً لِلنَّصْبِ فِي» الأَفْعَالِ الخَمْسَةِ «التي رَفْعُهَا بِثَبَاتِ النُّونِ» نحو: لن تفعلا، ولن يفعلوا، ولن تفعلي.

(تنبيهٌ): لو عبَّر المصنِّف بالأمثلة لكان أَوْلَى؛ لأنَّها ليست أفعالًا بأعيانها، وإنَّما هي أمثلةٌ يُكنَى بها عن كلِّ فعلٍ كانَ بمنزلتِها.

(تنبيهٌ): «ثَبَات» مصدرٌ سماعيٌّ لثبتَ، والمصدرُ القياسيُّ لها ثُبوت كقُعود، قال ابنُ مالكٍ:

وَفَعَلَ اللَّازِمُ مِثْلَ قَعَدَا ... لَهُ فُعُولٌ بِاطِّرَادٍ كَغَدَا

قال ابنُ عَقِيلٍ في "شرحه": «يأتي مصدرُ فَعَلَ اللَّازِمُ على قُعود قياسًا فتقول قَعَدَ قُعُودًا».اهـ

(فائدة): تَثبتُ النُّونُ في حالةِ النَّصْبِ، كقوله:

أَنْ تَقْرَآنِ عَلَى أَسْمَاءَ وَيْحَكُمَا ... مِنِّي السَّلَامَ وَأَلَّا تُشْعِرَا أَحَدًا

لكن ذلك قليلٌ، وقيل: ضرورةٌ.

قال المؤلِّف: (وَللخَفْضِ ثَلاثُ عَلَامَاتٍ: الكَسْرَةُ وَاليَاءُ وَالفَتْحَةُ).

«الكَسْرَةُ» وهي الأصلُ «وَاليَاءُ» وهي تنشأُ عنها «وَالفَتْحَةُ» وهي أختُ الكسرةِ في التَّحريكِ.

قال المؤلِّف: (فَأَمَّا الكَسْرَةُ فَتكُونُ عَلَامَةً لِلخَفْضِ في ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ: في الاسْمِ المُفْرَدِ المُنْصَرِفِ، وَجَمْعِ التَّكْسِيرِ المُنْصَرِفِ، وَجَمْعِ المُؤَنَّثِ السَّالِمِ).

«في الاسْمِ المُفْرَدِ المُنْصَرِفِ» وهو الاسْمُ المُتَمكِّنُ الأَمْكَنُ الذي لم يُشابه الحرفَ فيُبنَىٰ، ولا الفعلَ فيُمنعَ من الصَّرفِ، نحو: مررتُ بزيدٍ «وَجَمْعِ التَّكْسِيرِ المُنْصَرِفِ» نحو: مررتُ بهنودٍ.

«وَجَمْعِ المُؤَنَّثِ السَّالِمِ» نحو: مررتُ بهنداتٍ.

(تنبيهٌ): لم يُقيد المصنِّف جمعَ المؤنَّثِ بالمنصرفِ؛ لأنَّه لا يكون إلَّا منصرفًا، نَعَم إن سُمِّيَ به كان ممنوعًا من الصرفِ علىٰ لغةٍ، لكنَّه تَكلَّم فيه علىٰ حِدَة.

قال المؤلِّف: (وَأَمَّا اليَاءُ فَتكُونُ عَلَامَةً للخَفْضِ في ثَلاثَةِ مَوَاضِعَ: في الأَسْمَاءِ الخَمْسَةِ وَالتَّثْنِيَةِ وَالجَمْعِ).

«في الأَسْمَاءِ الخَمْسَةِ»، نحو: مررتُ بأبيك وأخيك وما أشبهه، «وَ» في «التَّثْنِيَةِ» نحو: مررتُ بالزَّيدَينِ، «وَالجَمْعِ» السَّالِمِ المذكَّرِ، نحو مررتُ بالزَّيدِينَ.

قال المؤلِّف: (وَأَمَّا الفَتْحَةُ فَتكُونُ عَلَامَةً للخَفْضِ في الاسْمِ الذي لا يَنْصَرِفُ).

«الاسم» ضربان: مُعرَبٌ وهو الأصل، ويُسمَّىٰ مُتَمَكِّنًا لتمكُّنِه في باب الاسميَّة، ومَبْنِيٌّ وهو الفرعُ، ويُسمَّىٰ غير مُتمكِّنٍ في الاسميَّةِ.

(فائدة): يُبنَىٰ الاسمُ إذا شابهَ الحرفَ شَبَهًا قويًّا يُدنِيهِ منه.

(مُهِمَّة): البناءُ يكون في ستِّ أبوابٍ من الأسماءِ:

أحدُها: الضَّمائرُ: كهو وهي وأنتَ وأنتِ وفروعهنَّ.

الثَّاني: أسماءُ الشَّرطِ: كمتىٰ ومهما وغيرهما.

الثَّالثُ: أسماءُ الاستفهامِ: كأين ونحوها.

الرَّابعُ: أسماءُ الإشارةِ: كهذا ونحوها.

الخامسُ: أسماءُ الأفعالِ: كدَرَاكِ ونَزَالِ ونحوهما.

السَّادسُ: الأسماءُ الموصولةُ: كالذي و التي ونحوهما.

(**مسألة**): يكفي في بناءِ الاسمِ شَبَهُهُ بالحرفِ من وجهٍ واحدٍ اتفاقًا، ولا يكفي في منعِ الصَّرفِ مشابهتُه للفعلِ من وجهٍ واحدٍ اتفاقًا، بل لا بدَّ من مشابهتِه له من وجهَينِ، والفرقُ أنَّ مُشابهةَ الحرفِ تُخرجه إلىٰ ما يقتضيه الحرفُ من البناءِ، وعلَّةُ البناءِ قويَّةٌ فلذلك جذبته العلَّةُ الواحدةُ، وأمَّا مُشابهةُ الفعلِ فإنَّها لا تُخرجه عن الإعرابِ وإنَّما تُحدِثُ فيه ثِقَلًا، ولا يتحقَّق الثِّقلُ بالسَّببِ الواحدِ؛ لأنَّ خِفَّةَ الاسمِ تُقاومُه فلا يَقدرُ علىٰ جذبِها عن الأصالةِ إلىٰ الفرعيَّةِ، فلذلك احتيجَ إلىٰ سببين لتحقيقِ الثِّقَلِ بتعاضدهما وغلبتهما بقوَّةِ ثِقَلِهما خفَّةَ الاسْمِ وجذبِه إلىٰ شَبَهِ الفعلِ.

(**مسألة**): قال ابن الدهَّانِ في "الغرَّة": «قال بعضُ المتقدِّمين: إن قيل لِمَ لَمَّا شَابَهَ الفعلُ الاسمَ أعطيتموه بعضَ الإعرابِ؟ ولَمَّا أشبَهَ الاسمُ الحرفَ أعطيتموه كلَّ البناءِ؟ فالجوابُ: أنَّ الإعرابَ لَمَّا كان يَتبعَّضُ أُعطيَ الفرعُ فيه دونَ ما للأصلِ، ولما كان البناءُ لا يَتبعَّضُ تساوىٰ الأصلُ والفرعُ فيه». انتهىٰ من "الأشباه" بلفظِه.

فإذا علمتَ تقسيمَ الاسمِ علىٰ متمكِّنٍ وغيرِ متمكِّنٍ، تعلم أنَّ المتمكِّنَ إن كان مُنصرفًا كان أمكن، وإلَّا فممنوعٌ من الصَّرفِ، والمانعُ له علَّتانِ فرعيَّتانِ

من عللٍ تِسعٍ، أو واحدةٌ منها تقومُ مقامَهما، ويَجمعُ العِلَلَ قولُه:

إِذَا اثْنَانِ مِنْ تِسْعٍ أَلَمَّا بِلَفْظَةٍ ... فَدَعْ صَرْفَهَا وَهْيَ الزِّيَادَةُ
وَجَمْعٌ وَتَأْنِيثٌ وَعَدْلٌ وَعُجْمَةٌ ... وَإِشْبَاهُ فِعْلٍ وَاخْتِصَارٌ وَمَعْرِفَه

وقال تاجُ الدِّينِ ابنُ مكتومٍ:

إِذَا رُمْتَ إِحْصَاءَ المَوَانِعَ لِلصَّرْفِ ... فَعَدْلٌ وَتَعْرِيفٌ مَعَ الوَزْنِ
وَجَمْعٌ وَتَرْكِيبٌ وَتَأْنِيثُ صَنْعَة ... وَزَائِدَتَا فَعْلَانَ وَالعُجْمَةُ

والمانعُ من الصَّرفِ وحدَه علَّتانِ:

إحداهما: ألفُ التَّأنيثِ مُطلقًا مقصورةً كانت أو ممدودةً.

قال ابنُ مالكٍ:

فَأَلِفُ التَّأْنِيثِ مُطْلَقًا مَنَعْ ... صَرْفَ الذِي حَوَاهُ كَيْفَمَا وَقَعْ

ويَمتنعُ صرفُ مصحوبِها سواء كان نكرةً كذكرىٰ وصحراء، أو معرفةً كرضوىٰ وزكريا، أو مفردًا كما تقدَّم، أو جمعًا كجرحىٰ وأصدقاء، أو أسماء كما تقدَّم، أو صفةً كحُبلىٰ وحمراء.

ثانيهما: الجمعُ الموازنُ لمفاعلَ أو مفاعيلَ، كدراهمَ ودنانيرَ.

(تنبيهٌ): والعلَّتان اللتان قامت مقامَهما ألفُ التأنيثِ هما: التأنيثُ ولزومُه؛ قال الأزهري: «لأنَّ وجودَ ألفِ التأنيثِ في الكلمةِ علَّةٌ، ولزومَها بمنزلةِ تأنيثٍ ثانٍ فهو بمنزلةِ علَّةٍ ثانيةٍ».اهـ

والعلَّتان اللَّتان قام مقامَهما الجمعُ: هما عدمُ النَّظيرِ والجمعِ. قال الأزهري: «الجمعُ علىٰ هذه الصِّفةِ فيه فرعيَّةُ اللَّفظِ بخروجه عن صِيَغِ الآحادِ

العربيَّةِ، وفرعيَّةِ المعنىٰ بالدلالةِ علىٰ الجمعيَّةِ، فاستحقَّ المنعَ من الصَّرفِ، والدليلُ علىٰ أنَّ هذا الجمعَ خارجٌ عن صيغِ الآحادِ العربيَّةِ إنَّك لا تجدُ مفردًا ثالثُه ألفٌ بعدها حرفان أو ثلاثة».اهـ

(فائدة): اختلفوا في: سراويل ما المانعُ له من الصَّرفِ؟ فقيل: إنَّه أعجميٌّ حُمِلَ علىٰ موازنه من العربي كدنانير، وقيل: إنَّه منقولٌ عن جمعِ «سِرْوالة»، واختُلفَ في سماعِ «سِرْوالة»، فقال أبو العبَّاسُ: إنَّها مسموعةٌ وأنشدَ عليها:

عَلَيْـــهِ مِـــنَ اللَّـــؤْمِ سِرْوَالَـــةٌ فَلَـــيْسَ يَـــرِقُّ لِمُسْـــتَعْطِفِ

وقيل: لم يسمع، والبيتُ مصنوعٌ فلا حجَّةَ فيه، والصَّحيحُ ما قاله أبو العبَّاس، فقد ذكر الأخفشُ أنَّه سمعَ من العربِ «سِرْوالة»، ونقل ابنُ الحاجبِ أنَّ من العربَ من يصرفُه، وأنكر ابنُ مالكٍ ذلك عليه، وردَّ بأنه ناقلٌ ومن نقل حجَّةٌ علىٰ من لم ينقل. انتهىٰ مُلخصًا من "التوضيح" و"شرحه".

قلت: ورد بأنَّ ما نقله ابنُ الحاجب انفرد به، ولم يُحفَظ عن غيره فلم يُعوَّل عليه.

(تتمة): قال ابن هشامٍ: «إن سُمِّيَ بهذا الجمعِ أو بما وازنه من لفظٍ أعجميٍّ، مثل: «سَرَاوِيلَ» و«شَرَاحِيلَ»، أو لفظٍ مُرتَجلٍ للعلميَّةِ مثل: «كُشَاجِمَ» مُنعَ الصرفَ».اهـ

قال الأزهريُّ: «والعلَّةُ في منعِ صرفِه ما فيه من الصيغةِ، وقيل: قيامُ العلميَّةِ مقام الجمعيَّةِ، فلو طرأ تنكيرُه انصرف علىٰ مُقتضىٰ التَّعليلِ الثَّاني لفواتِ ما يقومُ مقامُ الجمعيَّةِ وهو مذهب المبرِّد، ولا ينصرفُ علىٰ مُقتضىٰ التَّعليلِ الأوَّلِ لوجود الصِّيغةِ وهو مذهب سيبويه، وعن الأخفشِ القولان،

والصَّحيحُ قول سيبويه؛ لأنَّهم منعوا سَرَاوِيلَ من الصَّرفِ وهو نَكِرةٌ وليس جمعًا على الصَّحيحِ».اهـ

وما بقي من الموانعِ لا يمنعُ إلَّا بإضافةِ علَّةٍ أخرىٰ إليه، والاسمُ في ذلك قسمان:

أحدهما: ما يمتنعُ صرفُه نكرةً أو معرفةً، وهو ما وضع صفة، وهو إمَّا مزيدٌ في آخره ألفٌ ونونٌ، أو مُوَازِنٌ للفعلِ، أو مَعْدُولٌ، أمَّا ذو الزِّيادتين فهو فَعْلان بشرطِ أن لا يقبل التَّاءَ؛ إمَّا لأنَّ مؤنَّثه فَعْلَىٰ كسَكْرانَ وغَضْبانَ وعَطْشانَ، أو لكونه لا مؤنَّث له كلِحْيانَ، فالأوَّل: متَّفقٌ علىٰ منعِ صرفِه، والثَّاني: مختلفٌ فيه، والصَّحيحُ منعُه من الصَّرفِ.

(تنبيهٌ): نحو مَصَّان وسَيْفَان وأَلْيَان ونَدْمَان، مما مؤنَّثه «فَعْلَانة» منصرفٌ لعدم وجود الشَّرطِ فيه. وأمَّا ذو الوزن، فهو أَفْعَلُ غالبًا بشرط ألَّا يقبل التاء؛ إمَّا لأنَّ مؤنَّثه فَعْلاءَ كأحمرَ، أو فُعْلَىٰ كأفضلَ، أو كأنَّه لا مؤنَّث له كأكمَرَ وآدَرَ.

(تنبيهٌ): إنَّما صُرِفَ «أَرْبَعُ» في نحو: مررتُ بِنِسْوَةٍ أَرْبَعٍ؛ لأنَّه وُضِعَ اسمًا، فلم يُلْتَفَت لما طرأ له من الوصفيَّة، وأيضًا فإنَّه قابلٌ للتاء، وإنَّما منع صرف باب «أَبطَح» و«أَدهَم» للقيد، و«أسود» و«أرقم» مع أنَّها أسماء؛ لأنَّها وضعت صِفاتٍ، فلم يُلْتَفَت إلىٰ ما طرأ لها من الاسميَّة، وربما اعتدَّ بعضهم باسميتها فصَرَفَها، وقد صرَّح ابن جنِّي بذلك، وأما ذو العدل فنوعان:

أحدُها: مُوازن فُعَال بضمِّ الفاءِ، ومَفْعَل بفتح الميم والعين من الواحد إلىٰ الأربعة باتفاقٍ، وفي الباقي علىٰ الأصَحِّ، وهي معدولةٌ عن ألفاظِ العددِ الأصولِ مكرَّرةً، فأصلُ (جاءَ القومُ أُحَادَ) جاءوا واحدًا واحدًا، وكذا الباقي.

(تنبيهٌ): لا تُستعملُ هذه الألفاظُ إلَّا نُعُوتًا نحو: ﴿أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٖ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ﴾ [فاطر: ١] أو أحوالًا نحو: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ﴾ [النساء: ٣] أو أخبارًا نحو: «صَلَاةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى».

الثَّاني: «أُخَرُ»، في نحو مررتُ بِنِسْوَةٍ أُخَرَ؛ لأنَّها جمعٌ لأُخْرَىٰ، وأُخْرَىٰ أنثىٰ آخَر بفتح الخاء، وإنَّما خصَّ أُخَرَ بالذِّكرِ؛ لأنَّ في أُخْرَىٰ ألفَ التأنيثِ، وهي أَوْضَحُ من العَدْلِ.

(تنبيهٌ): إن كان أُخَرُ جمعًا لأُخْرَىٰ بمعنىٰ آخِرَة بكسر الخاء وهي المقابلةُ للأولىٰ كان مصروفًا؛ لأنَّه غيرُ مَعْدُولٍ، ذكر ذلك الفرَّاء.

قال الأزهريُّ: «والفرقُ أنَّ أنثىٰ المفتوحِ لا تدلُّ علىٰ انتهاء كما لا يدلُّ عليه مُذكَّرُها، فلذلك يُعطفُ عليها مثلها من جنسٍ واحدٍ كقولك: «عندي رجلٌ وآخَرُ وآخَرُ» و«عندي امرأةٌ وأُخرَىٰ وأُخرَىٰ» وأنثىٰ المكسورِ تدلُّ علىٰ الانتهاء، ولا يعطف مثلها عليها من جنسٍ واحدٍ كما أنَّ مُذكَّرُها كذلك».اهـ

(فائدة): ما سُمِّيَ به من الأنواعِ الثَّلاثةِ: وهي الوصفُ ذو الزِّيادتين، والموازنُ للفعل، والمعدولُ، فالجمهورُ علىٰ ما كان قبل التَّسميةِ، قالوا: لأنَّ الصِّفةَ لما ذهبت خَلفتُها العلميَّةُ، وبَقِيَ كلٌّ من الزِّيادةِ والعَدْلِ والوزنِ علىٰ حاله، وقال الأخفشُ وأبو العبَّاس: إنَّه لو سُمِّيَ بمثنىٰ أو أحدِ أخواتِه انصرفَ؛ لأنَّه إذا كان اسمًا فليس في معنىٰ اثنين اثنين وثلاثةً ثلاثةً وأربعةً أربعةً فليس فيه إلَّا التعريف خاصَّة، وتبعهما علىٰ ذلك الفارسيُّ وارتضاه ابنُ عصفورٍ. وردَّ بأنَّ هذا مذهبٌ لا نظيرَ له؛ إذْ لا يوجد بناء ينصرف في المعرفة

ولا ينصرف في النَّكرةِ، وإنَّما المعروفُ العكسُ.

القسمُ الثَّاني: ما لا ينصرفُ معرفةً، وينصرفُ نكرةً وهو سبعةٌ.

أحدها: العَلَمُ المركَّبُ تركيبَ مَزْجٍ كبَعْلَبَكَّ وحَضْرَمَوْتَ، وقد يضافُ أول جُزْءَيْهِ إلىٰ ثانيهما فيعربُ الجزءُ الأوَّلُ بحسب العواملِ، ويُجرُّ الثَّاني بالإضافةِ، ثمَّ إن كان في الجزءِ الثَّاني ما يمنعُ صرفَه كالعُجْمَةِ كـ«رَامَهُرْمُز»، مُنعَ من الصَّرفِ وإلَّا صُرِفَ كـ«حَضْرَمَوْتَ»، وقد يُبْنَيان علىٰ الفتحِ تشبيهًا بـ«خَمْسَةَ عَشَرَ» حكاه سيبويه وغيرُه، فيُفتحُ آخِرُ الجزأين إلَّا في نحو: «مَعْدِي كَرِبَ» فيُفتحُ آخِرُ الثَّاني فقط.

الثَّاني: العَلَمُ ذو الزِّيادتين، الألف والنون كـ«مَرْوانَ وعِمْرانَ وعُثْمانَ وغَطَفانَ وإِصْبَهان»، فهذه الألفاظُ ممنوعةٌ من الصَّرفِ اتفاقًا؛ لأنَّ الألفَ والنونُ فيها زيدتا معًا.

(تنبيه): ما كان من الأسماءِ في آخِرِهِ ألفٌ ونونٌ واحتملت النُّون فيه الأصالةَ والزِّيادةَ ففيه وجهان: الصَّرفُ وعدمُه اعتبارًا بأصالتها وزيادتها، من ذلك: «رُمَّان وحَسَّان ودِهْقَان وشَيْطَان» أعلامًا، فإن اعتقدت أنَّها من الرَّمِّ والحِسِّ والدَّهْقِ والشَّيْطِ لم تصرفها، وإن اعتقدت أنَّها من الرَّمن والحُسْنِ والدَّهْقَنَةِ والشَّيْطَنَةِ صرفتها، وإذا تمحضَّ لجهة الأصالةِ كما إذا سميت «بطَحَّان» من الطَّحْنِ، أو «بتَبَّان» من التِّبْن، أو «بسَمَّان» من السَّمْنِ، ونحو ذلك صرفت.

(مسألة): اختلف في صرف «أبَان» بتخفيف الباء عَلَمًا، فمن صرفه رأىٰ أنَّ وزنه فَعَال فالهمزة والباء والنُّون أصول، ومن منعه الصرف رأىٰ أنَّ وزنه أَفْعَل

وأنَّه منقولٌ من أَبَانَ الشَّيءَ يُبِينُ، والجمهورُ على المنعِ.

(تتمة): «غَطَفان» بفتح الغين المعجمة والطَّاء المهملة وبالفاء: اسم قبيلةٍ من قبائل العرب، و«إصبهان» بكسر الهمزة وفتح الموحدة والعكس بلدةٌ معروفةٌ، و«الرَّمُّ» الإصلاحُ، و«الحِسُّ» الصوتُ الخفيُّ، و«الدَّهْقُ» الامتلاء، و«الشَّيْطُ» الاحتراقُ قيل: منه الشَّيطان في أحد التأويلين، و«الرَّمنُ» الرُّمان وهو معروفٌ، و«الحُسْنُ» معروفٌ، و«الدِهْقَان» بكسر الدال وضمها لغة رئيسُ القريةِ، و«الشَّيْطَنة» معروفة النوع.

الثَّالثُ: العَلَمُ المؤنَّث، ويتحتَّم منعُه من الصَّرفِ إن كان بالتَّاء كـ«فاطمة وطلحة»، أو زائدًا على أحرفٍ ثلاثة كـ«زينب، وسعاد»، أو ثلاثيًّا مُحَرَّكَ الوَسَطِ كـ«سَقَر، ولَظَى»، أو ثلاثيًّا أعجميًّا كـ «ماه، وجُور»، أو منقولًا من المذكَّرِ إلى المؤنَّثِ كـ«زيد» اسمِ امرأة.

(تنبيهٌ): يجوز في نحو: «هند، ودَعْد» الصَّرفُ وعدمُه -وهو أولى- والزَّجَّاجُ يُوجب المنعَ؛ وعلَّله بأنَّ السُّكونَ لا يُغيِّر حكمًا أوجبه اجتماعُ علَّتين تمنعان الصَّرفَ.

(تتمة): قال المبرِّدُ وأبو زيدٍ والجَرْمَيُّ وعيسى الثَّقَفيُّ في نحو: «زيد» اسم امرأة: إنَّه كـ«هند» في جواز الوجهين، وذكر سيبويه أنَّ عَلَمَ المؤنَّثِ إذا كان ثُنائيَّ اللَّفظِ، كـ«يَدٍ» يجوز فيه الوجهان.

(تكميل): قال الأزهريُّ: «إذا سُمِّيَ مذكَّرٌ بمؤنَّثٍ وجب منعُ صرفِه بأربعةِ شروطٍ.

أحدُها: كونه أكثر من ثلاثةِ أحرفٍ لفظًا كـ«زينب»، أو تقديرًا كـ«جَيَل»

مخفَّف جَيْئَل.

الثَّاني: أن لا يكون مسبوقًا بتذكيرٍ انفرد به تخفيفًا كـ«رباب» عَلَمِ امرأة فإنَّها منقولةٌ من مذكَّرٍ، فلو سُمِّيَ بها مذكَّرٌ صُرِفَت، أو تقديرًا كجنوب وشمال فإنَّهما صفتان لمذكَّرٍ مُقدَّرٍ

الشَّرطُ الثَّالثُ: أن لا يكون مسبوقًا بتذكيرٍ غالبٍ كـ«ذراع» فإنَّه مؤنَّثٌ بدليل: «ذراع رأيتها»، فإذا سُمِّيَ به مذكَّرٌ انصرفَ لغلبةِ استعمالِه قبل العلميَّة في المذكَّرِ كقولهم: أنت ذِرَاعي وعَضُدِي.

الرَّابعُ: أن لا يكون التأنيثُ موقوفًا على تأويلٍ غيرِ لازمٍ وذلك كتأنيثِ الجموعِ كـ«رجال»؛ فإنَّ تأنيثَها ينبني على تأويلِها بالجماعةِ، وذلك غيرُ لازمٍ؛ لأنَّها قد تؤول بالجمعِ، وهو مذكَّرٌ فإذا سُمِّيَ به مذكَّرٌ انصرفَ».اهـ

النَّوعُ الرَّابعُ: العَلَمُ الأعجميُّ، إن كانت علميَّته في اللغةِ العجميَّةِ وزاد على أحرفٍ ثلاثة كـ«إبراهيم، وإسماعيل»، فإن كان ثلاثيًّا ضعف فيه فرعيَّة اللَّفظ بمجيئه على أصلِ ما تُبنى عليه الآحادُ العربيَّة، فلا تؤثِّر العُجمةُ في الثُّلاثيِّ بخلافِ التَّأنيثِ، قولًا واحدًا في لغةِ جميعِ العربِ.

(فائدة): المراد بالعَجَميِّ ما نُقِلَ عن لسانِ غيرِ العربِ بأيِّ لغةٍ كانت.

(تتمة): تُعرف عجمةُ الاسْمِ بوجوهٍ:

أحدُها: نقلُ الأئمَّةِ.

الثَّاني: خروجه عن أوزانِ الأسماءِ العربيَّةِ كـ«إبرهيم».

والثَّالثُ: أن يَعْرَى عن أحرف الذَّلاقةِ وهو خماسيٌّ أو رباعيٌّ، وأحرف الذَّلاقةِ ستَّةٌ وهي: الميمُ، والراءُ، والباءُ الموحدةُ، والنونُ، والفاءُ، واللامُ يجمعُها

«مر بنفل».

والرَّابعُ: أن يجتمعَ فيه من الحروفُ ما لا يجتمعُ في كلامِ العربِ، كـ«الجيم والقاف» بغير فاصلٍ نحو: قِجّ وجِقّ، و«الصاد والجيم» نحو: الصَّوْلَجان، و«الكاف والجيم» نحو: سُكُرُّجَة، و«الراء بعد النون» أول كلمة نحو: نَرْجِس، و«الزَّاي بعد الدَّال» نحو: مُهَنْدِز.

(فائدة): في إبراهيم لغاتٌ سِتٌّ: إبراهيم، وإبراهام، وإبراهوم، وإبراهم مُثلَّثُ الهاءِ.

(تنبيهٌ): إذا سُمِّيَ بنحو: «لِجَامٍ، وفِرِنْدٍ» صُرِفَ لحُدُوثِ عَلَمِيَّته، ونحو: نُوحٍ ولُوطٍ وشَتِرٍ مصروفةٌ، وقيل: السَّاكنُ الوسط ذو وجهين كـ«هند»، والمحرَّك الوسط مُتحتِّمُ المنع، ذهب إلى الأوَّلِ السِّيرافيُّ وابنُ خروفٍ وابن برهان، وإلى الثَّاني عيسى بن عمر الثَّقفيُّ، وابنُ قُتَيْبَةَ والجُرْجانيُّ.

(فائدة): «لِجام» بكسرِ اللامِ آلةٌ للفَرَسِ تُجعلُ في فِمِه، و«فِرِنْد» بكسر الفاءِ والرَّاءِ جوهرُ السَّيفِ.

النَّوعُ الخامسُ: العَلَمُ الموازنُ للفعلِ، والمعتبر من وزن الفعل أنواعٌ ثلاثةٌ:

أحدُها: الوزنُ الذي يخصُّ الفعل كـ«خَضَّمَ» لمكانٍ، و«شَمَّرَ» لفرسٍ، و«دُئِل» لقبيلةٍ، وكـ«انطَلَقَ، واسْتَخْرَجَ، وتَقَاتَلَ» أعلامًا.

الثَّاني: الوزنُ الذي الفعلُ به أولى لكونه غالبًا فيه، كـ«إِثْمِد، وإِصْبَع، وأُبْلُم» أعلامًا، فإنَّ وجود مُوَازنها في الفعل أكثرُ من الاسمِ، كالأمر من «ضَرَب، وذَهَب، وكَتَب».

(فائدة): «الإِثْمِد» بكسر الهمزة وسكون المثلثة وكسر الميم وبالدَّال المهملة

حجر الكُحْلِ، و«إِصْبَع» بكسر الهمزة وفتح الباء، و«أُبْلُم» بضمِّ الهمزة واللام وسكون الموحدة بينهما سَعَفَ المَقْلِ.

(تنبيهٌ): في «إِصْبَع» عشرُ لغاتٍ، حاصلُه من ضَرْبِ ثلاثة أحوالِ الهمزةِ في ثلاثة أحوالِ الباءِ، والعاشرُ «أُصْبُوع».

(مسألة): حكمُ همزةِ الوصلِ في الفعلِ المسمَّىٰ به: القطعُ؛ لأنَّ المنقولَ من فعلٍ بَعُد عن أصلِه؛ فالتحقَ بنظائرِه من الأسماء فحُكم فيه بقَطعِ الهمزةِ، بخلاف المنقول من اسمٍ كاقتدارٍ، فإنَّ الهمزةَ تبقىٰ علىٰ وصلِها بعد التَّسميةِ؛ لأنَّ المنقولَ من اسمٍ لم يَبعُد عن أصلِه فلم يستحقَّ الخروجَ عمَّا هو له.

الثَّالثُ: الوزنُ الذي الفعلُ به أولىٰ، لكونه مبدوءًا بزيادةٍ تدلُّ علىٰ معنىٰ في الفعلِ، ولا تدلُّ علىٰ معنىٰ في الاسمِ نحو: «أَفْكَل، وأَكْلُب»؛ فإنَّ الهمزةَ فيهما لا تدلُّ، وهي في مُوازنِها من الفعلِ نحو: «اذهَب، واكتُب» دالَّةٌ علىٰ التكلُّم.

(فائدة): «أَفْكَل» بفتح الهمزة والكاف بينهما فاءٌ ساكنةٌ؛ رِعْدَة، و«أَكلُب» بفتح الهمزة وضم اللام بينهما كافٌ ساكنةٌ؛ جمع كَلْب.

النوع السادس: العَلَمُ المختومُ بألفِ الإلحاقِ المقصورةِ، كـ«عَلْقَىٰ» باتفاقٍ، و«أَرْطَىٰ» علىٰ الأصحِّ؛ عَلَمين، فإنَّهما ملحقان بـ«جَعْفر».

(تنبيهٌ): المانعُ لهما من الصَّرفِ: العلميَّة، وشبهُ ألفِ الإلحاقِ بألفِ التَّأنيثِ في الزِّيادةِ والموافقةِ لمثال ما هي فيه فإنَّهما علىٰ وزن «سَكْرَىٰ»، وشبهُ الشَّيءِ بالشَّيءِ كثيرًا ما يُلحَق به.

(فائدة): قيل: إنَّ «أَرْطَىٰ» وزنه أَفْعَل، فمانعه من الصَّرفِ العلميَّةِ ووزنِ الفعلِ.

(تتمة): إنَّما لم تمنع الصَّرفَ ألفُ الإلحاقِ الممدودةِ كـ«علباء»، لتخلُّفِ شبهِها بألفِ التَّأنيثِ الممدودةِ؛ لأنَّ همزةَ الإلحاقِ من جهةِ أنَّ همزتَه مُنْقَلِبةٌ عن ألفٍ لا عن ياءٍ فافترقا في الحكمِ لأجل افتراقِهما في التقديرِ.

(فائدة): «العَلْقَىٰ» نَبْتٌ، و«الأَرْطَىٰ» شَجَرٌ، و«العِلْبَاءُ» العَصَبةُ الممتدةُ في العنقِ.

النَّوعُ السَّابعُ: المعرفةُ المعدولةُ، وهي خمسةُ أنواعٍ:

أحدها: «فُعَل» بضمِّ الفاءِ وفتحِ العينِ في التَّوكيدِ، وهي «جُمَعُ، وكُتَعُ، وبُصَعُ، وبُتَعُ»، فإنَّها معارفُ بنيَّةِ الإضافةِ إلىٰ ضميرِ المؤكَّدِ، فأشبهت بذلك العَلَمَ لكونِه معرفةً بغيرِ قرينةٍ، هذا ظاهرُ كلام سيبويه، وهو اختيارُ ابن عصفورٍ وابن مالكٍ.

وقال أبو سليمان السَّعديِّ من أصحابِ ابن الباذش: إنَّها معارفُ بالعلميَّةِ، وهي أعلامٌ علىٰ الإحاطةِ لما تبعته، وأيَّده بعضهم بجمعها بالواو والنُّون مع أنَّها ليست بصفاتٍ ومعدولةٌ عن فَعْلاوات؛ فإنَّ مُفرداتِها «جَمْعاءَ، وكَتْعاءَ، وبَصْعاءَ، وبَتْعاءَ»، وإنَّما قياسُ «فَعْلَاءَ» إذا كان اسمًا أنْ يُجمَعَ علىٰ «فَعْلاوات» كـ«صَحْراء وصَحْراوات».

واختارَ ابنُ مالكٍ وابنُه غيرَ هذا التَّعليلِ فقالا: «لأنَّ جَمْعاءَ مؤنَّثُ أَجْمع، فكما جُمع المذكَّر بالواو والنون، كذلك كان حقُّ مؤنَّثه أنْ يُجمع بالألفِ والتَّاءِ، فلما جاءوا به علىٰ فُعَل عُلِمَ أنَّه معدولٌ عما هو القياس فيه وهو جَمْعاوات».اهـ

الثَّاني: من المعدول «سَحَر» إذا أُريدَ سَحَرُ يومٍ بعينِه، واستُعملَ ظرفًا كـ«جئتُ يومَ الجمعةِ سَحَرَ»، فإنَّه ممنوعٌ من الصَّرفِ للتعريفِ والعدلِ، وأمَّا

التَّعريفُ ففيه خلافٌ، قيل: هو معرفةٌ بالعلميَّة؛ لأنَّه جُعل عَلَمًا لهذا الوقتِ، كذا في "التَّسهيل"، وقيل: يُشبهُ العلميَّة؛ لأنَّه تعرَّف بغير أداةٍ ظاهرةٍ كالعَلَمِ وهو اختيارُ ابن عصفورٍ وظاهرُ كلامِ ابن هشامٍ.

وأمَّا العدلُ فهو معدولٌ عن السَّحَرِ المقترنِ بـ«أل»؛ لأنَّه لما أُريدَ به مُعيَّن كان الأصلُ فيه أن يُذكَّر معرَّفًا بـ«أل» فعُدلَ عن اللَّفظِ بـ«أل» وقُصدَ به التعريفُ فمنعُ الصَّرفَ.

(فائدة): قال السُّهَيْليُّ والشَّلَوْبين في «سَحَر»: إنَّه مُعرَبٌ مصروفٌ، واختلفا في منعِ تنوينِه، فقال السُّهَيْليُّ: هو على نيَّةِ الإضافةِ، وقال الشَّلَوْبين: على نيَّةِ «أل».

(تنبيهٌ): ذهب ناصرُ بن أبي المكارمِ المُطَرِّزيِّ إلى خلافِ هذا كلِّه، فقال: إنَّه مبنيٌّ على الفتحِ لتضمُّنِه معنى اللَّامِ كأمسِ.

ورُدَّ بأمورٍ، منها: أنَّه لو كان مبنيًّا غير الفتح أولى به؛ لأنَّه في موضعِ نصبٍ فيجب اجتنابُ الفتحةِ فيه لئلَّا تُوهمُ الإعرابَ، كما اجتنبت في «قبلُ، وبعدُ».

ومنها: أنَّه لو كان مبنيًّا لكان جائزَ الإعرابِ جوازَ حين في قوله: عَلَى حِينَ عَاتَبْتُ؛ لتساويهما في ضعفِ السَّببِ المقتضي للبناءِ لكونه عارضًا.

ومنها: أنَّ دعوى منع الصَّرفِ أسهلُ من دعوى البناءِ؛ لأنَّ البناءَ أبعدُ من الإعرابِ الذي هو الأصلُ في الأسماءِ، ودعوى الأسهلِ أرجحُ من دعوى غيرِ الأسهلِ؛ وإذا ثبت أنَّ «سَحَرَ» غيرُ مبنيٍّ، ثبت أنَّه غير مُضمَّن معنى حرفِ التَّعريفِ، وإنَّما هو معدولٌ عمَّا فيه حرفُ التَّعريفِ.

(تتميم): الفرقُ بين التَّضمينُ والعدلُ: أنَّ التَّضمينَ استعمالُ الكلمةِ في

معناها الأصليِّ مزيدًا عليه معنىٰ آخَرَ، والعدلُ تغييرُ صفةِ اللَّفظِ مع بقاءِ معناه.

(مُهِمَّة): إن أُرِيدَ بـ«سَحَرَ» سَحَرٌ ما، فإنَّه ينصرفُ اتفاقًا، نحو: ﴿نَجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ﴾[القمر: ٣٤] وإن أُريدَ به «سَحَرٌ» معيَّنٌ واستُعملَ غيرَ ظرفٍ فيجبُ تعريفه بـ«أل» والإضافة، نحو: طَابَ السَّحَرُ سَحَرُ لَيْلَتِنَا، وإن كان بـ«أل» أو الإضافة فيصرفُ اتفاقًا نحو: جِئتُكَ يَوْمَ الجُمُعَةِ السَّحَرَ أو سَحَرَهُ.

الثالث: من المعدول «فُعَل» بضمِّ الفاءِ وفتحِ العينِ عَلَمًا للمذكَّر، إذ سُمِعَ ممنوعَ الصَّرفِ وليس فيه علَّة ظاهرة غير العلميَّة نحو: عُمَر.

(تنبيهٌ): المحفوظُ من هذا النوعِ: عُمَر، ومُضَر، وزُفَر، وقُثَم، وزُحَل، وجُشَم، وجُمَع، وقُزَح، وعُصَم، وحُجَىٰ، ودُلَف، وهُذَل، وبُلَغ، وبُعَل.

(مسألة): العدلُ في هذه الأعلام مقدَّر، وذلك أنَّهم لما وجدوها ممنوعةً من الصَّرفِ ولم يجدوا فيها غير العلميَّة قدَّروه؛ لأنَّ الغالبَ في الأعلام النَّقلُ، فعُمَر مثلًا معدولٌ عن عامرٍ؛ ولأنَّ هذه الصِّيغةَ كثُر فيها العدلُ التحقيقي كـ«غُدَر، وفُسَق» فإنَّهما معدولان عن «غادرٍ، وفاسقٍ»، وكـ«جُمَع، وكُتَع» فإنَّهما معدولان عن «جَمْعاوات، وكَتْعاوات»، وكـ«أُخَر» فإنَّها معدولةٌ عن «آخَر» بفتح الخاءِ والمدِّ.

(تتمة): فائدةُ العدلِ في الأعلام تخفيفُ اللَّفظِ وتحقيقُ العلميَّةِ ونفيُ الوصفيَّةِ.

(مُهِمَّة): ما ورد من باب فُعَل جمعًا كـ«غُرَق، وقُرَب»، أو اسمَ جنسٍ كـ«صُرَد، ونُغَر»، أو صفةً كـ«حُطَم، ولُبَد»، أو مصدرًا كـ«هُدَىٰ، وتُقَىٰ»

فمصروفٌ اتفاقًا، وما ورد مصروفًا كـ«أُدَدٍ» فلا كلام فيه.

(تكملة): اختلفوا في ما لم يُسمع فيه صرفٌ ولا عدمُه من هذا البابِ، فقال سيبويه: يصرفُ، حملًا على الأصلِ في الأسماءِ، وقال غيره: يُمنعُ صرفُه؛ حملًا على الغالبِ في هذا البابِ عَلَمًا، وليس بجيِّد.

النَّوعُ الرَّابعُ: من المعدول «فَعَالِ» عَلَمًا للمؤنَّثِ، كـ«حَذَامِ، وقَطَامِ» في لغةِ تميمٍ فإنَّهم يمنعون صرف.

(تنبيهٌ): اختلفوا في علَّة منعِه، فقال سيبويه: للعلميَّة والعدل عن فَاعِلَة، ويُرجِّحه أنَّ الغالبَ على الأعلام أن تكون منقولةً.

وقال المبرِّدُ: للعلميَّة والتَّأنيثِ المعنويِّ كـ«زينب»، ويُرجِّحه أنَّهم لا يدَّعون العدلَ في نحو: «طُوَى».

(تتميم): إن ختم فَعَالِ عَلَمًا لمؤنثٍ بالرَّاءِ كـ«سَفَارِ» اسمًا لماء، وكـ«وَبَارِ» اسمًا لقبيلةٍ، بَنَوهُ على الكسرِ إلَّا قليلًا منهم، وأهلُ الحجازِ يَبْنُونَ البابَ كلَّه على الكسرِ تشبيهًا له «بنَزَالِ» كقوله:

إِذَا قَالَتْ حَذَامِ فَصَدِّقُوهَا ... فَإِنَّ القَوْلَ مَا قَالَتْ حَذَامِ

(تكميل): إذا سُمِّيَ بباب «حَذَامِ» مذكَّر، زال مُوجبُ البناءِ وهو التشبيه بنَزَالِ؛ لأنَّه ليس الآن مؤنثًا، فيعرب غير منصرفٍ، ومن العرب من يصرفه. قاله سيبويه.

النَّوعُ الخامسُ: من المعدول «أَمسِ»، إذا كان مُرادًا به اليومُ الذي يليه يومُك، ولم يُضَف، ولم يُقرَن بـ«أل»، ولم يُصَغَّر، ولم يُكَسَّر، ولم يَقَع ظرفًا، فإنَّ بعض بني تميمٍ يمنعُ صرفَه؛ لأنَّه علمٌ معدولٌ عن الأمسِ المعرَّفِ بـ«أل»

كقوله: «لَقَدْ رَأَيتُ عَجَبًا مُذْ أَمْسَا»، فـ«أَمسا» مجرورٌ بالفتحةِ والألفُ فيه للإطلاقِ، وليس فتحته هنا فتحةُ بناءٍ خلافًا للزَّجَّاجيِّ، وزعم بعضهم أنَّ «أمسا» هنا فعلٌ ماضٍ وفاعله مستتر فيه، والتقدير قد أمسىٰ المساء.

(تنبيهٌ): هذا الإطلاق في المنعِ للقليلِ منهم، وأمَّا جمهورُهم فيخصُّ صرفَه بحالة الرَّفعِ خاصَّةً، ويَبْنِيه في حالتَيْ النَّصبِ والجرِّ علىٰ الكسرِ كقوله:

اعْتَصِمْ بِالرَّجَاءِ إِنْ عَنَّ بَأْسُ ... وَتَنَاسَ الذِي تَضَمَّنَ أَمْسُ

فرَفَعَ «أَمْسُ» علىٰ الفاعليَّة ولم يُنوِّنه، والحجازيُّون يَبْنُونه علىٰ الكسرِ مُطلقًا، علىٰ تقديره مُتَضَمِّنًا معنىٰ اللام المعرِّفة كقوله: «وَمَضَىٰ بِفَصْلِ قَضَائِهِ أَمْسِ»، فَأَمْسِ فاعلُ «مَضَىٰ» وهو مكسورٌ.

(تتمة): إن أردت بـ«أَمْسِ» يومًا من الأيامِ الماضيةِ مُبهمًا، أو عرَّفته بالإضافةِ، أو بالأداةِ، فهو منصرفٌ إجماعًا، وإن استَعْمَلتَ المجرَّد من «أل» والإضافة المراد به مُعيَّن ظرفًا فهو مبنيٌّ إجماعًا لتضمنه معنىٰ الحرفِ.

(مُهِمَّة): يَعْرِضُ الصَّرفُ لغيرِ المنصرفِ لأحدِ أربعةِ أسبابٍ:

الأوَّلُ: أن يكون أحدَ سَبَبَيْهِ العَلَميَّةُ ثمَّ يُنكَّر فتزولُ العلميَّةُ ويبقىٰ السَّببُ الثَّاني وهو إمَّا التَّأنيثُ أو الزِّيادةُ، أو العدلُ، أو الوزنُ، أو العُجمةُ، أو التَّركيبُ، أو ألفُ الإلحاقِ المقصورةُ، تقول: رُبَّ: فاطمةٍ، وعمرانٍ، وعمرٍ، ويزيدٍ، وإبراهيمٍ، ومَعْدِي كَرِبٍ، وأَرْطىٰ، لَقِيتُهم. ويُستثنىٰ من ذلك ما كان صفةً قبل العلميَّة كـ«أحمر، وسكران» إذا نُكِّرا فسيبويه يُبقِيه غيرَ منصرفٍ.

السَّببُ الثَّاني: التَّصغيرُ المُزيلُ لأحدِ السَّببين كـ«حُمَيْد، وعُمَيْر» في تَصْغِيْرَيْ «أَحْمَد، وعُمَر»، فإنَّ الوزنَ والعدلَ زالا بالتَّصغيرِ.

(فائدة): ممَّا ينصرفُ مُكبَّرًا ولا ينصرفُ مُصغَّرًا، نحو: «تِحْلِئ»، عَلَمًا لاستكمال العلَّتين بالتَّصغيرِ وهما العلميَّةُ والوزنُ، فإنَّه يُقال في تصغيرِه «تُحَيْلِئ» على وزنِ «تُدَحْرِج» مضارع «دَحْرَجَ».

(فائدة أخري): «تِحْلِئ» بكسر المثناة الفوقيَّة وسكون المهملة وكسر اللام بهمزة في آخره: هو القِشْرُ الذي على وَجْهِ الأَدِيمِ مما يَلي مَنْبِتَ الشَّعرِ.

الثَّالثُ: إرادةُ التَّناسُبِ للمنصرفِ، كقراءةِ نافعٍ والكسائيِّ: ﴿سَلَاسِلَا﴾ [الإنسان: ٤]، بالصَّرفِ لمناسبةِ ﴿وَأَغْلَٰلًا﴾، و﴿قَوَارِيرَا ۝١٥ قَوَارِيرَا﴾ [الإنسان: ١٥، ١٩]، بصرفِهما وصلًا ليناسبَ الأوَّل آخر سائرِ الآياتِ.

الرَّابعُ: الضَّرورةُ، كقوله: وَيَوْمَ دَخَلْتُ الخِدْرَ خِدْرَ عُنَيْزَةٍ، وعن بعضهم اطِّرادُ ذلك في لغةٍ حكاها الأخفشُ وقال: كأنَّها لغةُ الشُّعراءِ؛ لأنَّهم اضطروا إليه في الشِّعرِ فجَرَتْ ألسنتُهم على ذلك في الكلامِ.

(فائدة): اصطلاح الكوفيين في المنصرفِ وغيره المجرى وغير المجرى، قاله في "البسيط"، انتهى من "الأشباه" بلفظه.

(تنبيهٌ): مجموعُ العِلَلِ المانعةِ من الصَّرفِ تسعةٌ، وزاد بعضُهم علَّةً عاشرةً وهي ألفُ الإلحاقِ المقصورةُ، وقد ذكرتُها تبعًا لابن هشامٍ؛ لأنِّي لخَّصتُ هذا الباب -وهو ما لا ينصرفُ- منه ومن شرحِه.

(مسألة): إذا أُضيفَ ما لا ينصرفُ أو قُرِنَ بـ«أل» كان غير منصرفٍ اتفاقًا كقوله: رَأَيتُ الوَلِيدَ بنَ اليَزِيدِ مُبَارَكًا.

(خاتمة): قيل: إنَّ بين المنصرفِ وغيرِ المنصرفِ واسطةٌ لا توصفُ بصرفٍ

ولا بعدمِه، قال ابنُ جنِّي: من ذلك ما كانت فيه اللامُ أو الإضافةُ نحو: الرَّجلُ، وغلامُك، وصاحبُ الرَّجلِ. فهذه الأسماء كلُّها وما كان نحوها لا منصرفةٌ ولا غيرُ منصرفةٍ؛ وذلك أنَّها ليست بمنوَّنةٍ فتكون منصرفةً، ولا مما يجوزُ للتنوينِ حلولُه للصَّرفِ، فإذا لم يُوجَدُ فيه كان عدمُه منه أمارةً لكونِه غيرَ منصرفٍ كـ«أحمد، وعمر».اهـ راجع "الأشباه" تستفد، قاله المصنِّف.

قال المؤلِّف: (**وَلِلجَزْمِ عَلَامَتَانِ: السُّكُونُ وَالحَذْفُ، فَأَمَّا السُّكُونُ فَيَكُونُ عَلَامَةً لِلجَزْمِ فِي الفَعْلِ المُضَارِعِ الصَّحِيحِ الآخِرِ، وَأَمَّا الحَذْفُ فَيَكُونُ عَلَامَةً لِلجَزْمِ فِي الفَعْلِ المُضَارِعِ المُعْتَلِّ الآخِرِ، وفِي الأَفْعَالِ التي رَفْعُهَا بِثَبَاتِ النُّونِ**).

«**السُّكُونُ**» وهو حذفُ الحركةِ، و«**الحَذْفُ**» وهو حذفُ حرفِ العلَّةِ أو نونِ الرَّفعِ للجازمِ، احترازًا من الحذفِ لغيرِ جازمٍ نحو: ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق: ١٨].

«**فَأَمَّا السُّكُونُ فَيَكُونُ عَلَامَةً لِلجَزْمِ فِي الفَعْلِ المُضَارِعِ الصَّحِيحِ الآخِرِ**» إذا دخل عليه جازمٌ ولم يتصل بآخِرِه شيءٌ من الأشياءِ المتقدِّمةِ، نحو: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤].

«**وَأَمَّا الحَذْفُ فَيَكُونُ عَلَامَةً لِلجَزْمِ**» في موضوعين «**فِي الفَعْلِ المُضَارِعِ المُعْتَلِّ الآخِرِ**» الذي آخرُه حرفُ علَّةٍ، وأحرفُها ثلاثةٌ: «الألفُ، والياءُ، والواوُ»، نحو: «يخشى ويرمي ويدعو»، فتحذُف للجازمِ تقول: «لم يَخْشَ، لم يَرْمِ، لم يَدْعُ»، فالمحذوفُ من الأوَّلِ «الألفُ» و«الفتحةُ» دليلٌ عليها، ومن الثَّاني «الياءُ» والكسرةُ» دليلٌ عليها، ومن الثَّالثِ «الواوُ» و«الضمةُ» دليلٌ عليها، وكلُّ هذا

مجزومٌ بـ«لم» وعلامةُ جزمِه حذفُ حرفِ العلَّةِ نيابةً عن السُّكونِ.

(تنبيهٌ): من الضرورة قوله:

إِذَا العَجُوزُ غَضِبَتْ فَطَلِّقِ وَلَا تَرَضَّاهَا وَلَا تَمَلَّقِ

وقوله: «مِنْ هَجْوِ زَبَّانَ لم تَهْجُو ولم تَدَعِ»،

وقوله: «أَلَمْ يَأْتِيكَ وَالأَنْبَاءُ تَنْمِي»، حيث أثبت حروفَ العلَّةِ مع الجازمِ، وقيل: هذه الأحرفُ إشباعٌ، والحروفُ الأصليَّةُ محذوفةٌ للجازمِ، وقيل: هذه الأحرفُ أصليَّة؛ بناءً على قولِ من يجزم المعتل بحذف الحركة ويقر حرف العلَّة على حاله.

(مُهِمَّة): قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِي وَيَصْبِرْ﴾[يوسف: ٩٠] بإثباتِ الياءِ من ﴿يَتَّقِي﴾ وتسكين ﴿يَصْبِرْ﴾ في قراءةِ قُنْبُلٍ عن ابن كَثِيرٍ، واختُلفَ في تخريجه فقيل: ﴿مَنْ﴾ موصولةٌ لا شرطيَّةٌ و﴿يَتَّقِي﴾ مرفوعٌ لا مجزومٌ، وتسكينُ ﴿يَصْبِرْ﴾ مع أنَّه معطوفٌ على مرفوعٍ إمَّا لتوالي حركةِ الباءِ والرَّاءِ والفاءِ والهمزةِ من ﴿فَإِنَّ﴾ تنزيلًا للكلمتين بل الثلاث منزلة الكلمة الواحدة، وهم يكرهون توالي أربع متحرِّكاتٍ فيما هو كالكلمة الواحدة، وإمَّا على أنَّ قُنْبُلًا وصل بنيَّةِ الوقفِ، كقراءة الحَسَنِ البصريِّ ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرْ﴾ [المدثر: ٦] بسكون ﴿تَسْتَكْثِرْ﴾ مع أنَّه مرفوعٌ بإجماع السَّبعةِ.

وكقراءة نافعٍ ﴿وَمَحْيَايْ وَمَمَاتِي﴾ [الأنعام: ١٦٢] بسكون ياء ﴿مَحْيَايْ﴾ و﴿صَلَاتِيْ﴾، وإمَّا على العطف على المعنى؛ لأنَّ «من» الموصولة بمعنى

الشَّرطيَّة لعمومِها وإبهامِها، ولكونِ مدخولها مُستقبلًا سببًا لما بعده ولهذا دخلت الفاءُ في الخبرِ كما تدخل في الجوابِ قاله الفارسيُّ.

وقيل: ﴿مَنْ﴾ شرطيَّة، والياءُ في ﴿يَتَّقِي﴾ إمَّا إشباعٌ، فلامُ الفعلِ حُذفت للجازمِ، وإمَّا على إجراءِ المعتلِ مجرى الصَّحيحِ، فجُزمَ بحذفِ الحركةِ المقدَّرةِ، وأبقى حرفَ العلَّةِ على حاله. انتهى من الأزهريِّ مُلخصًا.

(خاتمة): قال الأزهريُّ: «القولُ بأنَّ علامةَ الجزمِ في هذه الأفعالِ حذفُ حرف العلَّة، إنَّما يتمشَّى على قول ابن السَّرَّاجِ ومن تابعه بأنَّ هذه الأفعالَ لا يُقدَّر فيها الإعرابُ بالضمَّة في حالة الرَّفع، والفتحة في الألف في حالة النَّصب، وعلَّل ذلك بأنَّ الإعراب في الفعل، فلا حاجةَ لتقديرِه، بخلافِ الاسمِ. وجعل الجازمَ كالدواءِ المسَهِّلِ إن وَجَدَ فَضْلَةً أزالها، وإلَّا أخذ من قُوى البدنِ.

وذهب سيبويه إلى تقدير الإعراب فيها، فعلى قول سيبويه: لَمَّا دخلَ الجازمُ حذفَ الحركةَ المقدَّرةَ واكتفى بها، ثمَّ لما صارت صورةُ المجزومِ والمرفوعِ واحدةٌ فرَّقوا بينهما بحذفِ حرفِ العلَّةِ، فحرفُ العلَّةِ محذوفٌ عند الجازمِ لا به، وعلى قول ابن السَّرَّاجِ: الجازمُ حذفُ نفسِ حرفِ العلَّةِ». انتهى بلفظه.

«**وفي الأَفْعَالِ**» الخمسةِ «**التي رَفْعُهَا بِثَبَاتِ النُّونِ**» نحو: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا﴾ [البقرة: ٢٤].

(تنبيهٌ): «النَّصبُ في الأفعالِ محمولٌ على الجزمِ، كما أنَّ النَّصبَ محمولٌ على الجرِّ في المثنَّى والجمع على حِدَه؛ لأنَّ الجزمَ نظيرُ الجرِّ في الاختصاصِ، فيفعلان كـ«الزَّيدانِ»، ويفعلون كـ«الزَّيدونَ»، وتفعلين كـ«الزَّيدينَ»، في مُطلقِ

الحركاتِ والسَّكناتِ». انتهى من الأزهريِّ.

فإذا علمتَ هذا تعلم أنَّ الأَوْلَى للمصنِّف أن يُقدِّم الجزمَ على النَّصبِ في الأفعالِ، والجرِّ على النَّصبِ في الأسماء.

(خاتمة): قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٧]الواوُ فيها لامُ الكلمةِ، والنُّونُ ضميرُ النِّسوةِ عائدٌ على المطلَّقاتِ، والفعلُ مبنيٌّ على السُّكونِ لاتصاله بنونِ النِّسوةِ، مثل ﴿يَتَرَبَّصۡنَ﴾ [البقرة: ٢٢٨]بخلاف ﴿وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ﴾ [البقرة: ٢٣٧]بحذفِ النُّونِ للنَّاصبِ، فإنَّ الواو ضميرُ جماعةِ الذُّكورِ لا لام الكلمة». انتهى من "التوضيح" وشرحه.

(فائدة):

لَوْلَا فَوَارِسُ مِنْ نُعْمٍ وَأُسْرَتِهِمْ ... يَوْمَ الصُّلَيْفَاءِ لَمْ يُوفُونَ بِالجَارِ

فقيل: ضرورةٌ وقال ابنُ مالكٍ: لغةٌ، قاله في "المغني".

فصل: المُعرَبات

(فصل) وهو في اللغة: الانتحاءُ والتَّقطيعُ والحاجزُ والمميِّز.

وفي الاصطلاح: هو ما يُفعلُ بين أجناسِ المسائلِ وأنواعِها، وبين أنواعِ المسائلِ وأجناسِها، قاله الشَّيخُ جبريلُ في "شرحه".

قلت: قال أبو النَّجا: هو عبارةٌ عن الألفاظِ المعيَّنةِ الدَّالةِ على تلك المعاني المخصوصةِ على الظَّاهرِ عند السيِّد، ثمَّ قال: وهو مصدرٌ يحتملُ أن يكون بمعنى الفاعلِ، وأن يكون بمعنى المفعولِ، والمعنى على الأوَّلِ هذه الألفاظُ المعيَّنةُ الدَّالَّةُ على المعاني المخصوصةِ فاصلةً ما بعدها عما قبلها لتميزها عنهما،

وعلى الثَّاني مفصولةً عنها، وهذا بالنَّظرِ للأصلِ، كما قاله الشَّبْرَامَلِّسِي، وإلَّا فهو من قبيل عَلَمِ الجِنْسِ، فهو مُلحقٌ بالأعلامِ الجامدةِ غير مُراعٍ فيها معناها الأصليِّ، فلا حاجةَ لجعله بمعنى فاعلٍ أو مفعولٍ.

قال المؤلِّف: (**المُعْرَبَاتُ قِسْمَانِ: قِسْمٌ يُعْرَبُ بِالحَرَكَاتِ، وَقِسْمٌ يُعْرَبُ بِالحُرُوفِ**).

«**المُعْرَبَاتُ قِسْمَانِ**» إن قلت: فيه الإخبارُ بالمثنَّى عن الجمعِ مع أنَّه يجب تطابقها.

قلت: قال أبو النَّجا: المرادُ بالمعرباتِ الجنسُ الصَّادقُ باثنين؛ فـ«أل» فيه للجنس، والقاعدة أنَّ «أل» الجنسيَّة إذا دخلت على جمعٍ أبطلت معنى الجمعيَّة.

«**قِسْمٌ يُعْرَبُ**» «**بِـ**»وجودِ «**الحَرَكَاتِ**» الثلاث وهي الضمَّة والفتحة والكسرة، أو بعدمِها وهو السُّكونُ، «**وَقِسْمٌ يُعْرَبُ**» «**بِـ**»وجودِ «**الحُرُوفِ**» الأربعةِ، أو بعدمِها وهو حذفُ حرفِ العلَّةِ أو النُّونِ.

(**تنبيهٌ**): يُحتملُ أن يكون قوله: «**قِسْمٌ يُعْرَبُ**» بدلًا مُفصَّلًا من مُجمَلٍ، وأن يكون بدلَ بعضٍ من كلٍّ، فإن كان بدلَ بعضٍ من كلٍّ فلا بدَّ من اشتماله على ضميرٍ يعود على المبدلِ منه. فالجواب: أنَّ محلَّ ذلك إذا لم تُستوفَ الأجزاءُ، فإن استُوفت كما هنا فلا يُحتاجُ إليه.

(**نكتة**): قول المصنِّف هنا: «**قِسْمٌ يُعْرَبُ بِالحَرَكَاتِ**»، وكلُّها ترفعُ بالضمَّة إلخ... مُنافٍ لقوله سابقًا: «**تَغْيِيرُ أَوَاخِرِ الكَلِمِ**» إلخ، فتأمَّل.

قال المؤلِّف: (**فَالذِي يُعْرَبُ بِالحَرَكَاتِ أَرْبَعَةُ أَنْوَاعٍ**) ثلاثةُ أنواعٍ من الأسماءِ، ونوعٌ من الأفعالِ، فأنواعُ الأسماءِ (**الِاسْمُ المُفْرَدُ**) نحو: جاءَ زيدٌ

ورأيتُ زيدًا ومررتُ بزيدٍ (وَجَمْعُ التَّكْسِيرِ) نحو: جاءَ الرِّجالُ ورأيتُ الرِّجالَ ومررتُ بالرِّجالِ (وَجَمْعُ الْمُؤَنَّثِ السَّالِمُ) نحو: جاءت الهنداتُ ورأيتُ الهنداتِ ومررتُ بالهنداتِ (وَ) نوعُ الأفعالِ (الفِعْلُ الْمُضَارِعُ الذِي لم يَتَّصِلْ بِآخِرِهِ شَيْءٌ) لأنَّه هو الذي يُمْكِنُ فيه الإعرابُ بالحركاتِ، نحو: يضربُ ولن يضربَ.

قال المؤلِّف: (وَكُلُّهَا تُرْفَعُ بِالضَّمَّةِ، وَتُنْصَبُ بِالفَتْحَةِ، وَتُخْفَضُ بِالكَسْرَةِ، وَتُجْزَمُ بِالسُّكُونِ).

«وَكُلُّهَا» أي: مجموع هذه الأنواع الأربعة لا جميعها، «تُرْفَعُ بِالضَّمَّةِ» كما مثَّلنا «وَتُنْصَبُ بِالفَتْحَةِ» كذلك «وَتُخْفَضُ بِالكَسْرَةِ» كذلك «وَتُجْزَمُ بِالسُّكُونِ» كذلك؛ لأنَّ هذا هو الأصلُ فيها.

قال المؤلِّف: (وَخَرَجَ عَنْ ذَلِكَ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءٍ: جَمْعُ الْمُؤَنَّثِ السَّالِمُ، يُنْصَبُ بِالكَسْرَةِ) نحو: رأيتُ الهنداتِ.

قال المؤلِّف: (وَالِاسْمُ الذِي لَا يَنْصَرِفُ يُخْفَضُ بِالفَتْحَةِ) نحو: مررتُ بمساجدَ.

قال المؤلِّف: (وَالفَعْلُ الْمُضَارِعُ الْمُعْتَلُّ الآخِرِ يُجْزَمُ بِحَذْفِ آخِرِهِ) نحو: لم يغزُ، ولم يخشَ، ولم يرمِ.

قال المؤلِّف: (وَالذِي يُعْرَبُ بِالحُرُوفِ أَرْبَعَةُ أَنْوَاعٍ) ثلاثةٌ من الأسماءِ ونوعٌ من الأفعالِ، فأنواعُ الأسماءِ (التَّثْنِيَةُ) نحو: جاءَ الزَّيدانِ، ورأيتُ الزَّيدَينِ، ومررتُ بالزَّيدَينِ.

قال المؤلِّف: (وَجَمْعُ الْمُذَكَّرِ السَّالِمُ) نحو: جاءَ الزَّيدُونَ، ورأيتُ الزَّيدِينَ، ومررتُ بالزَّيدِينَ.

قال المؤلِّف: (**وَالأَسْمَاءُ الخَمْسَةُ**) نحو: جاءَ أبوك، ورأيتُ أخاك، ومررتُ بحميك، وفيك، وذو مال.

قال المؤلِّف: (**وَ**) نوعُ الأفعالِ (**الأَفْعَالُ الخَمْسَةُ وَهِيَ: يَفْعَلانِ، وَتَفْعَلانِ، وَيَفْعَلُونَ، وَتَفْعَلُونَ، وَتَفْعَلِينَ**) نحو: يفعلان الزَّيدان، ولم يفعلوا، ولن تفعلي.

قال المؤلِّف: (**فَأَمَّا التَّثْنِيَةُ، فَتُرْفَعُ بِالأَلِفِ**) كما مثَّلنا (**وَتُنْصَبُ وَتُخْفَضُ بِاليَاءِ**) كما مثَّلنا (**وَأَمَّا جَمْعُ المُذَكَّرِ السَّالِمُ فَيُرْفَعُ بِالوَاوِ، ويُنْصَبُ وَيُخْفَضُ بِاليَاءِ**) أيضًا، لكنَّ ياءَ المثنَّى مفتوحٌ ما قبلها مكسورٌ ما بعدها، وياءَ الجمعِ مكسورٌ ما قبلها مفتوحٌ ما بعدها كما تقدَّم.

قال المؤلِّف: (**وَأَمَّا الأَسْمَاءُ الخَمْسَةُ فَتُرْفَعُ بِالوَاوِ وَتُنْصَبُ بِالأَلِفِ وَتُخْفَضُ بِاليَاءِ. وَأَمَّا الأَفْعَالُ الخَمْسَةُ فَتُرْفَعُ بِثُبُوتِ النُّونِ وَتُنْصَبُ وَتُجْزَمُ بِحَذْفِهَا**).

(**فائدة**): قال الأزهريُّ: «حاصلُ علاماتِ الإعرابِ عشرةُ أشياءٍ: الحركاتُ الثَّلاثُ، والسُّكونُ، والأحرفُ الثَّلاثةُ، وحذفُها للجازمِ، والنُّونُ، وحذفُها للنَّاصبِ والجازمِ».اهـ

ولما فرغ من ذكرِ الكلامِ وأقسامِه وذكرَ علامةَ كلِّ قسمٍ وعرَّف الإعرابَ وأقسامَه وذكر معرفةَ علاماتِ الإعرابِ وتكلَّم على مواضعِ العلاماتِ تفصيلًا وإجمالًا، شرع يتكلَّمُ في المقصودِ من العربيَّة فقال:

باب الأفعال

وهي جمع فِعْلٍ بكسر الفاء لا بفتحها؛ لأنَّ اصطلاحَهم ومرادَهم بالفعلِ مُسمَّىٰ هذا الاسمِ، وهي المادةُ لا مُطلقُ الحَدَثِ الذي يُسمَّىٰ فعلًا في اللُّغة.

فإن قلت: لِمَ قدَّم الأفعالَ علىٰ الأسماءِ وكان الأَوْلَىٰ له العكس؟

قلت: الجوابُ عنه من وجهين:

أحدُهما: أنَّه قدَّمها؛ لأنَّها عواملُ في الأسماءِ، ورتبةُ العاملِ مُقدَّمةٌ علىٰ رتبةِ المعمولِ.

الثَّاني: أنَّه لما رأىٰ الاختصارَ في الكلام علىٰ الفعل وأنَّه يُجمعُ في بابٍ واحدٍ، ورأىٰ طولَ الكلام في الاسم وأنَّه يتوقَّفُ علىٰ أبوابٍ وفصولٍ؛ قدَّمه كما هي عادةُ المؤلِّفين من تقديم ما الكلام فيه قليلٌ علىٰ ما الكلام فيه كثيرٌ.

قال المؤلِّف: (**الأَفْعَالُ ثَلَاثَةٌ: مَاضٍ، وَمُضَارِعٌ، وَأَمْرٌ نَحْوُ: ضَرَبَ وَيَضْرِبُ وَاضْرِبْ**).

«**الأَفْعَالُ ثَلَاثَةٌ**»: أي أنواعُها ثلاثةٌ، قال السودانيُّ: وذلك لأنَّ أنواعَ الزَّمانِ الذي هو أحد مدلولَيِّ الفعلِ كلٌّ منها ثلاثةٌ:

أحدُها: زمانُ انقضاءٍ، وهو الماضي.

والثَّاني: زمانٌ لم يأتِ، وهو المسمَّىٰ بالمستقبَلِ، بفتحِ الباءِ علىٰ المشهور، والقياسُ يَقتضي كسرَها فيكون اسمَ فاعلٍ، والمرادُ به ما تترقَّبُ وجودَه بعد زمانِك الذي أنت فيه، قاله السَّعدُ التفتازانيُّ. وهو أحد مدلولَيِّ الطَّلبِ، وكذلك الفعلُ المضارعُ المقترِنُ بعلامةِ الاستقبالِ.

والثَّالثُ: الزَّمانُ الحاضرُ وهو المسمَّىٰ بالحالِ، والمراد بها أجزاء من طرفَيِّ

الماضي والمستقبل يعقب بعضها بعضًا من غير فَرْطِ مُهْلَةٍ وتَرَاخٍ، والحاكمُ في ذلك هو العُرْفُ لا غير، قاله السَّعدُ.اهـ

واستأنسوا لكون الأزمنة ثلاثة بقول زُهَيْرٍ:

وَأَعْلَمُ عِلْمَ اليَوْمِ وَالأَمْسِ قَبْلَهُ وَلَكِنَّنِي عَنْ عِلْمِ مَا في غَدٍ عَمِ

ويقول الآخَرُ:

هَلِ الدَّهْرُ إِلَّا اليَوْمُ أَوْ أَمْسِ أَوْ غَدُ كَذَا الدَّهْرُ فِيمَا بَيْنَنَا يَتَرَدَّدُ

وبقبل، و بعد، و الآن. انتهى مُلخصًا.

«مَاضٍ»: قدَّمَ الماضي؛ لأنَّ الزَّمان الماضي قبل الزَّمان المستقبل والحال، ولأنَّه أصلٌ بالنِّسبةِ إلى المضارعِ، قاله، السودانيُّ.

قلت: قال الزَّجَّاجِي في "إيضاحِ عِلَلِ النَّحْوِ": اعلم أنَّ أسبقَ الأفعال في التقدُّمِ الفعلُ المستقبلُ؛ لأنَّ الشَّيْءَ لم يكن ثمَّ كان والعدم سابقٌ، ثمَّ يصير في الحال، ثمَّ يصير ماضيًا فيُخْبَرُ عنه بالمُضِيِّ؛ فأسبقُ الأفعال في الرُّتبةِ المستقبلُ، ثمَّ فعل الحال، ثمَّ فعلُ الماضي.

فإنْ قيل: هلَّا كان لفعل الحال لفظٌ ينفرد به عن المستقبل لا يشركه فيه غيره ليُعرف بلفظه أنَّه للحال، كما كان للماضي لفظٌ يُعرف به أنَّه ماضٍ؟

فالجواب: قالوا: لما ضَارَعَ الفعلُ المستقبلُ الأسماءَ بوقوعه موقعِها، وبسائرِ وجوه المضارعة المشهورة قوي فأُعرِبَ وجُعِلَ بلفظٍ واحدٍ بمعنيين حملًا له على شَبَهِ الأسماءِ، كما أنَّ من الأسماء ما يقع بلفظٍ لمعانٍ كثيرةٍ، كـ«العين» ونحوها كذلك جُعِلَ الفعلُ المستقبلُ بلفظٍ واحدٍ يقع لمعنيين؛ ليكون مُلحقًا بالأسماءِ حين ضارعها، والماضي لم يُضارِع الأسماءَ فيكون له قوَّتها فيبقى على حاله.

انتهىٰ من "الأشباه" بلفظه.

قلت: وبهذا تعلم بطلان كلام السودانيِّ.

(فائدة): أصلُ «ماضٍ»: ماضي بالياء، استُثقلت الضمَّة علىٰ الياء فحُذفت، ثمَّ التقىٰ ساكنان الياءُ والتَّنوينُ فحُذفت الياء فصارت ماضٍ، قال ابنُ مالكٍ:

إِنْ سَاكِنَانِ الْتَقَيَا اكْسِرْ مَا سَبَقْ وَإِنْ يَكُنْ لَيِّنًا فَحَذْفُهُ اسْتَحَقّ

وحدُّه: كلمةٌ دلَّت وضعًا علىٰ حَدَثٍ وزمانٍ انقضىٰ.

«وَمُضَارِعٌ»: وهو كلمةٌ دلَّت وضعًا علىٰ حَدَثٍ وزمانٍ غير مُنْقَضٍ حاضرًا كان أو مستقبلًا.

«وَأَمْرٌ»: وهو كلمةٌ دلَّت وضعًا علىٰ الطَّلب بذاتِها، مع قبولها ياء المخاطبة، أو نون التَّوكيد. قاله السودانيُّ.

(تنبيهٌ): ما قاله المصنِّف من أنَّ الأفعال ثلاثةٌ، هو مذهب جمهور البصريين، وذهب الكوفيون والأخفشُ من البصريين إلىٰ أنَّها نوعان، وأنَّ الأمر نحو: «قم، واقعد» مجزومٌ بلام الطَّلب، فحُذفت حذفًا مستمرًا للتخفيف، وتبعها حرف المضارعة.

قال ابن هشامٍ في "المغني": «وبقولِهم أقولُ؛ لأنَّ «الأمر» معنًىٰ حقُّه أن يُؤدِّىٰ بالحرف، ولأنَّه أخو النَّهيِ ولم يُدل عليه إلَّا بالحرفِ، ولأنَّ الفعل إنَّما وضع لتقييد بالزَّمان المحصَّل، وكونه أمرًا أو خبرًا خارجٌ عن مقصودِه، ولأنَّهم قد نطقوا بذلك الأصل، كقوله: لِتَقُمْ أَنْتَ يَا ابْنَ خَيْرِ قُرَيْشٍ، وكقراءة جماعة: ﴿فَبِذَلِكَ فَلْتَفْرَحُوا﴾[يونس: ٥٨] في الحديث: «لِتَأْخُذُوا مَصَافَّكُمْ»، ولأنَّك تقول: «اغزُ، واخشَ، وارمِ، واضربا، واضربوا، واضربي» كما تقول في

الجزم، ولأنَّ البناء لم يُعهَد كونه بالحذفِ، ولأنَّ المحقِّقين على أنَّ أفعالَ الإنشاءِ مجرَّدةٌ عن الزَّمان كـ«بعت، وأقسمت، وقبلت»، وأجابوا عن كونها مع ذلك أفعالًا بأن تجردَّها عارضٌ لها عند نقلها عن الخبر، ولا يُمكنهم ادِّعاء ذلك في نحو: «قم»؛ لأنَّه ليس له حالةٌ غير هذه، وحينئذٍ فتشكل فعليَّته، فإذا ادعي أنَّ أصلَه لِتَقُمْ كان الدَّالُّ على الإنشاء اللام لا الفعل».اهـ

نحو: «ضرب» للماضي، «ويضرب» للمضارع، «واضرب» للأمر؛ ففيه لفٌّ ونشرٌ مرتَّبٌ.

قال المؤلِّف: (**فَالماضِي مَفْتُوحُ الآخِرِ أَبَدًا، وَالأَمْرُ مَجْزُومٌ أَبَدًا، وَالمُضَارِعُ مَا كَانَ فِي أَوَّلِه إِحْدَى الزَّوَائِدِ الأَرْبَعِ يَجْمَعُهَا قَولُكَ: «أَنَيْتُ»، وَهُوَ مَرْفُوعٌ أَبَدًا حَتَّى يَدْخُلَ عَلَيْهِ نَاصِبٌ أَوْ جَازِمٌ**).

«**فَالماضِي مَفْتُوحُ الآخِرِ أَبَدًا**»: لأنَّه مبنيٌّ باتفاقٍ، وإنَّما بُنِيَ على الحركة لمشابهته المضارع في الجملة؛ لوقوعه صفةً وصلةً وخبرًا وشرطًا وحالًا، ولثِقَلِ الضمِّ والكسرِ وثِقَلِ الفعلِ عدلوا إلى الفتح لخفَّتِه، ويُبنى على الفتح بجميع صِيَغه كـ«ضرب، ودحرج، وانطلق، واستخرج»، وأمَّا «ضَرَبْتُ» ونحوه فالسُّكون عارضٌ أوجبه كراهتهم توالي أربع متحرِّكاتٍ فيما هو كالكلمة الواحدة، وكذلك ضمَّة «ضَرَبُوا» عارضةٌ لمناسبة الواو.

«**وَالأَمْرُ مَجْزُومٌ أَبَدًا**»: عند الكوفيين والأخفشِ كما تقدَّم، وأمَّا عند جمهور البصريين فمبنيٌّ على ما يُجزَم به مضارعُه نحو: «اضرب»؛ فإنَّ مضارعَه يُجزمُ بالسُّكون نحو: «لم تضرب»، ونحو: «اضربا» فإنَّ مضارعَه مجزومٌ بحذف النُّونِ نحو: «لم تضربا»، ونحو: «اغزُ، واخشَ، وارمِ»؛ فإنَّ مضارعَهما يُجزمُ

بحذف آخِرِه نحو: «لم تغزُ، ولم تخشَ، ولم ترمِ».

(نكتة): قوله: «وَالأَمْرُ مَجْزُومٌ» مُنافٍ لما قاله آنفًا من أنَّ الأفعالَ ثلاثةٌ.

«وَالْمُضَارِعُ مَا كَانَ فِي أَوَّلِه إِحْدَى الزَّوَائِدِ الأَرْبَعِ»: المسمَّاة بأحرف المضارعة «يَجْمَعُهَا قَولُكَ: أَنَيْتُ»: أي: أدركت، ومعناه: أَنَّ المضارعَ يُفتَتَحُ بأحدِ هذه الحروفِ، نحو: «أقوم، ونقوم، ويقوم، وتقوم»، ويُضَمُّ أوَّلُه إن كان رباعيًّا نحو: «يُدحرج، ويُكرم»، ويُفتَح في غيرِه كـ«يضرب، ويستخرج».

«وَهُوَ مَرْفُوعٌ أَبَدًا»: لأنَّه مُعرَبٌ بالإجماع.

قال ابن هشامٍ: «أَجْمَعَ النحويُّون على أنَّ الفعلَ المضارعَ إذا تجرَّد من النَّاصب والجازم كان مرفوعًا، وإنَّما اختلفوا في تحقيقِ الرَّافعِ له ما هو، فقال الفرَّاءُ وأصحابُه: رافعُه نفسُ تجرُّدِه من النَّاصبِ والجازمِ، وقال الكسائيُّ: حروفُ المضارعةِ، وقال ثعلبٌ: مضارعتُه للاسْمِ، وقال البصريون: حلولُه محلَّ الاسْمِ؛ قالوا: لهذا إذا دخل عليه نحو: «أن، ولن، ولم، ولما» امتنع رفعه؛ لأنَّ الاسْمَ لا يقعُ بعدَها، فليس حينئذٍ حالًّا محلَّ الاسْمِ.

وأصحُّ الأقوالِ الأوَّلُ وهو الذي يَجرِي على ألسنة المعربين، ويُفسِد قولَ الكسائيِّ: إنَّ جُزْءَ الشَّيءِ لا يعملُ فيه، وقولَ ثعلبٍ إنَّ المضارعة إنَّما اقتضت إعرابَه من حيث الجملةِ، ثمَّ يَحتاجُ كلُّ نوعٍ من أنواعِ الإعرابِ إلى عاملٍ يقتضيه، ثمَّ يلزم على المذهبين أن يكون المضارعُ مرفوعًا دائمًا ولا قائلَ به. ويَرُدُّ قولَ البصريين ارتفاعُه في نحو: ألا يقوم؛ لأنَّ الاسْمَ لا يقعُ بعد حروفِ التَّحْضِيضِ».اهـ

وقال في "المغني": «قولهم في المضارع في مثل: «يقومُ زيدٌ» مرفوعٌ لخلوِّه من ناصبٍ وجازمٍ، والصَّوابُ أن يُقالَ: مرفوعٌ لحلولِه محلَّ الاسْمِ وهو قول البصريين،

وكان حاملُهم على ما فعلوا إرادةَ التَّقريبِ، وإلَّا فما بالهم يبحثون على تصحيح قول البصريين في ذلك، ثمَّ إذا أعربوا أو عربوا قالوا خلاف ذلك؟!».اهـ

وقال ابنُ مالكٍ: «ويَنبغي أن تعلم أنَّ رافعَ الفعلِ معنًى، وهو إمَّا وقوعُه موقعَ الاسْمِ وهو مذهبُ البصريين، وإمَّا تجرُّدُه من النَّاصبِ والجازمِ وهو مذهبُ حُذَّاقِ الكوفيين، وبه أقول؛ لسلامتِه من النقضِ، بخلاف الأوَّلِ فإنَّه يَنتقِضُ بـ«هلَّا تَفْعَلُ؟»، و«ما لك لا تَفْعَلُ؟»، و«رأيتُ الذي يَفْعَلُ»، فإنَّ الفعلَ في هذه المواضعِ مرفوعٌ مع أنَّ الاسْمَ لا يقع فيها، فلو لم يكن للفعل رافعٌ غير وقوعه موقع الاسم لما ارتفع في هذه المواضعِ بلا رافعٍ».اهـ

قلت: وكما اختلفوا في رافعِه كذلك اختلفوا في الإعرابِ فيه هل هو أصلٌ أم فرعٌ؟ بعد إجماعِهم على أنَّه مُعرَبٌ.

قال ابنُ عَقِيلٍ: «ذهب البصريون إلى أنَّ الإعرابَ أصلٌ في الأسماء فرعٌ في الأفعال، والأصلُ في الفعل البناءُ عندهم، وذهب الكوفيون إلى أنَّ الإعرابَ أصلٌ في الأسماءِ والأفعالِ، والأوَّلُ هو الصَّحيحُ. ونقل ضياء الدين بن العلج في "البسيط": أنَّ بعضَ النحويين ذهب إلى أنَّ الإعرابَ أصلٌ في الأفعال، فرعٌ في الأسماءِ».اهـ

فصل

وقد عنَّ لي أن أحصر ما لديَّ من نُونَيِ التَّوكيدِ ونونِ النِّسوةِ إذا دخلن على المضارعِ، فأقول: نونُ التَّوكيدِ قسمان: ثقيلةٌ، وخفيفةٌ، وهما أصلان عند البصريين؛ لتخالف بعض أحكامهما، كإبدالِ الخفيفةِ ألفًا نحو: ﴿وَلَيَكُونًا﴾ [يوسف: ٣٢] وحذفها في نحو: «لا تُهِينَ الفقيرَ»، وكلاهما ممتنعٌ في الثَّقيلةِ، قاله

سيبويه. وعُورِضَ بأنَّ الفرعَ قد يختصُّ بما ليس للأصلِ أحيانًا، وقد قاله سيبويه في «أنَّ» المفتوحةِ: إنَّها فرعُ المكسورةِ ولها إذا خُفِّفت أحكامٌ تخصُّها، وذهب الكوفيون إلى «أن» الخفيفةِ فرعُ الثَّقيلةِ، وذكر الخليلُ أنَّ التَّوكيدَ بالثَّقيلةِ أشدُّ من التَّوكيدِ بالخفيفةِ، وكلاهما يُؤكِّدان الأمرَ مُطلقًا نحو: «قُومَنَّ» ونحو قوله «رَجَز»:

«فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا».

ولا يلحقان الماضي مُطلقًا، وأمَّا المضارعُ فيؤكِّدانه تارةً وجوبًا وذلك إذا كان مُثبتًا مُستقبلًا جوابًا لقَسَمٍ غيرَ مفصولٍ من لامِه بفاصلٍ نحو: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم﴾ [الأنبياء: ٥٧]ويمتنعُ تأكيدُه بهما إذا كان مَنفيًّا نحو: ﴿تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٥] إذ التقديرُ: «لا تَفْتَؤُ»، أو كان حالًا كقراءة ابن كَثِيرٍ: ﴿لأُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [القيامة: ١].

وقول الشاعر:

يَمِينًا لَأَبْغِضُ كُلَّ امْرِئٍ يُزَخْرِفُ قَوْلًا وَلَا يَفْعَلُ

أو كان المضارعُ مفصولًا من اللامِ مثل: ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٨]ونحو: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ [الضحى: ٥].

ويؤكِّدانه تارةً قريبًا من الوجوب وذلك إذا كان شرطًا؛ لـ «إن» الشَّرطيَّةِ المؤكَّدَةِ بـ«ما» الزَّائدة نحو: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ﴾ [الأنفال: ٥٨]﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ﴾ [الزخرف: ٤١]، ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ﴾ [مريم: ٢٦]ومن تَرْكِ توكيدِه قوله: «يَا صَاحِ إِمَّا تَجِدْنِي غَيْرَ ذِي جِدَةٍ»، وهو قليلٌ في النَّثرِ، وقيل يُختصُّ بالضَّرورةِ.

وتارةً يكون تأكيدُه بهما كثيرًا وذلك إذا وقع بعد أداةِ طلبٍ، أو دعاءٍ، أو عَرْضٍ، أو تَمَنٍّ أو استفهامٍ، فالأوَّلُ كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

والثَّاني كقوله:

لَا يَبْعَدَنْ قَوْمِي الَّذِينَ هُمُ سُمُّ العُدَاةِ وَآفَةُ الجُزُرِ

والثَّالثُ: كقوله: «هلا تُمَنِّنْ بوَعْدٍ غَيْرَ مُخْلِفَةٍ».

والرَّابعُ: كقوله: «فَلَيْتَكِ يَوْمَ المُلْتَقَى تَرَيِنَّنِي».

والخامسُ: كقوله: «أَفَبَعْدَ كِنْدَةَ تَمْدَحَنَّ قَبِيلَا».

وتارةً يكون تأكيدُه بهما قليلًا وذلك بعد «لا» النَّافية، أو «ما» الزَّائدة التي لم تُسبَق بـ«إن» الشَّرطيَّة.

فالأوَّلُ كقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾ [الأنفال: ٢٥].

و الثَّاني كقولهم: «وَمِنْ عِضَةٍ مَا يَنْبُتَنَّ شَكِيرُهَا».

وقوله: «قَلِيلًا بِهِ مَا يَحْمَدَنَّكَ وَارِثٌ»

وتارةً يكون تأكيدُه بهما أقلَّ وذلك بعد لم، وبعد أداةِ جزاءٍ غير «إمَّا» الشَّرطيَّة، كقوله: «يَحْسَبُهُ الجَاهِلُ مَا لَمْ يَعْلَمَا».

وكقوله: «مَنْ نَثْقَفَنْ مِنْهُمْ فَلَيْسَ بَآيِبٍ».

(تنبيهٌ): الأصلُ في آخِرِ الفعلِ المؤكَّدِ فتحَه، تقول: «لَيَضْرِبَنَّ زيدٌ»، و«اضْرِبَنَّ يا زيد»، واختُلفَ في هذه الفتحةِ فقال ابنُ السَّرَّاجِ والمبرِّدُ

والفارسيُّ: بناء للتركيب، وقال سيبويه والزَّجَّاجُ والسِّيرافيُّ: عارضة للسَّاكنين، وهما آخِرُ الفعلِ والنُّونُ الأولى، ويُستثنى من ذلك الأصل أن يكون المضارعُ مسندًا إلى ضمير ذي لين «ألف، أو واو، أو ياء»، فإنَّه يُحرَّك آخرُه حينئذٍ بحركةٍ تُجانسَ ذلك اللِّين نحو: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٩] ﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ﴾ [يونس: ٨٩] ونحو: «اضْرِبِنَّ يَا هِنْدُ».

(التنبيه الثَّاني): أنَّ الأصلَّ في الضمير ذي اللِّين وجوبُ حذفِه إن كان واوًا أو ياءًا، تقول: «اضْرِبُنَّ يَا قَوْمِ» بضمِّ الباءِ، و«اضْرِبِنَّ يَا هِنْدُ» بكسرِها، والأصلُ: «اضْرِبُونَّ، واضْرِبِينَّ» ثمَّ حُذِفت الواو والياء لالتقاء السَّاكنين، واستُثنيَ من هذا الأصلِ أن يكونَ آخِرَ الفعلِ أَلفًا كـ ﴿يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٣] فإنَّك تَحْذِفُ آخِرَ الفعلِ وتُثبتُ الواو مضمومةً والياء مكسورةً فتقول: «يَا قَوْمِ اخْشُوُنَّ» و«يَا هِنْدُ اخْشَيِنَّ»، فإن أُسندَ هذا الفعل إلى غير الواو والياء لم يُحذَف آخِرُه بل تقلبُه ياءًا، فتقول: «لَيَخْشَيَنَّ زَيْدٌ»، و«لَتَخْشَيَنَّ يَا زَيْدُ»، و«لَتَخْشَيَانِّ يَا زَيْدَانِ».

(الثَّالثُ): تنفردُ الخفيفةُ بأربعةِ أحكامٍ:

أحدُها: أنَّها لا تقع بعد الألف نحو: «قوما واقعدا»، لئلَّا يلتقي ساكنان، وأجازه يونسُ والكوفيون، وأمَّا الشَّديدةُ فتقع بعدها اتفاقًا، ويجبُ كسرُها نحو: ﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ﴾ [يونس: ٨٩].

ثانيها: أنَّها لا تُؤكِّد الفعل المسند إلى نون الإناث؛ وذلك لأنَّ الفعل المذكور يجب أن يُؤتَى بعده بألفٍ فاصلةٍ بين النونين؛ قصد التخفيف، فيقال: «اضْرِبْنَانِّ يَا نِسْوَةُ»، وقد مضى أنَّ الخفيفة لا تقع بعد الألف، ومن أجاز ذلك

فيما تقدَّم أجازه هنا بشرطِ كسرِ النُّونِ.

ثالثها: أنَّها تُحْذَف قبل السَّاكن، كقوله:

لَا تُهِـــينَ الفَقِـــيرَ عَلَّـــكِ أَنْ تَرْكَـعَ يَوْمًـا وَالـدَّهْرُ قَـدْ رَفَعَـهْ

وأصله: لا تُهِينَنْ.

رابعها: أنَّها تُعطَىٰ في الوقف حكمَ التَّنوينِ، فإن وَقَعَتْ بعد فتحةٍ قُلِبت ألفًا كقوله تعالىٰ: ﴿لَنَسْفَعًا﴾ [العلق: ١٥]﴿وَلَيَكُونًا﴾ [يوسف: ٣٢]وإن وَقَعَتْ بعد ضمَّةٍ أو كسرةٍ حُذِفت، ويجب حينئذٍ ردُّ ما حذف في الوصلِ لأجلها، نقول في الوصل: «اضْرِبُنَّ يَا قَوْمِ» و«اضْرِبِنَّ يَا هِنْدُ»، والأصلُ «اضْرِبُونَّ، واضْرِبِينَّ» كما مرَّ في الثَّقيلةِ فإذا وَقَفْتَ حُذِفت النُّونُ لشبهها بالتَّنوينِ في نحو: «جاءَ زيدٌ» و«مررتُ بزيدٍ»، ثمَّ ترجع بالواو والياء لزوال التقاء السَّاكنين، فتقول: «اضربوا، واضربي».

(تذنيب): حكم المضارع مع النُّونَينِ البناءُ إذا اتصلا به، ويُبنَىٰ علىٰ الفتحِ نحو: ﴿لَيُنْبَذَنَّ﴾ [الهمزة: ٤] لتركيبِه مع النُّونِ تركيب «خَمْسَةَ عَشَرَ»، وأمَّا إن لم يتصلا به فمُعرَبٌ؛ ولهذا لو فَصَلَ بين الفعلِ والنُّونِ ألفُ الاثنين أو واوُ الجماعة أو ياءُ المخاطبة لم يُحكَم علىٰ الأصحِّ ببنائه، وقيل: يُبنَىٰ مع النُّونَينِ مُطلَقًا اتصلا به أم لا، فنحو: ﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾ [آل عمران: ١٨٦]مَبنيٌّ، وقيل: الجَمْعُ مُعْرَبٌ تقديرًا.

قال ابنُ عَقِيلٍ: «مذهبُ الجمهورِ أنَّ الفعل المضارع لا يُبنَىٰ إلَّا إذا باشرته نونُ التَّوكيدِ، فإن لم تباشره أُعرِبَ، وذهبُ الأخفشُ إلىٰ أنَّه مَبنيٌّ مع نونِ

التَّوكيدِ سواء اتصلت به أو لم تتصل، ونُقِلَ عن بعضهم أنَّه مُعرَبٌ وإن اتصلت به نونُ التَّوكيدِ».اهـ

(فائدة): قال الزَّجَّاجيُّ في "الجُمَل": « كلُّ موضعٍ دخلت النُّونُ الثَّقيلةُ فيه دخلت النُّونُ الخفيفةُ إلَّا في الاثنين المذكَّرين والمؤنَّثين، وجماعةِ النِّساءِ فإنَّ الخفيفة لا تدخلها».اهـ

(خاتمة): قد تدخل نون التَّوكيدِ في الضرورة في اسم الفاعل نحو قوله:

أَقَائِلُنَّ أَحْضِرُوا الشُّهُودَا

وشذوذًا في أفعلَ في التَّعجُّبِ وفي الماضي، فالأوَّلُ نحو قوله: «فَأَحْرِ بِهِ مِنْ طُولِ فَقْرٍ وَأَحْرِيَا».

الثَّاني كقوله:

دَامَنَّ سَعْدُكِ لَوْ رَحِمْتِ مُتَيَّمًا لَوْلَاكِ لَمْ يَكُ لِلصَّبَابَةِ جَانِحَا

هذا ملخَّصُ ما قيل في نونَيِ التَّوكيدِ، وإن أردت مزيد فوائد فراجع المطوَّلات.

وأمَّا نونُ النِّسوةِ فقال في "المغني": هي اسمٌ في نحو: «النِّسْوَةُ يَذْهَبْنَ»، خلافًا للمازنيِّ.

وحرفٌ في نحو: «يَذْهَبْنَ النِّسْوَةُ» على لغة: أكلوني البراغيث، خلافًا لمن زعم أنَّها اسمٌ وما بعدها بدلٌ منها، أو مبتدأٌ مُؤخَّرٌ والجملةُ قبله خبره، وحكمُ المضارع معها البناءُ على الأصحِّ على السُّكونِ نحو: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

قال ابنُ عَقِيلٍ: «والفعلُ مع نون الإناث مبنيٌّ على السُّكون، ونقل ابنُ مالكٍ في بعض كتبه: أنَّه لا خلاف في بناء الفعل المضارع مع نون الإناث، وليس كذلك، بل الخلافُ موجودٌ، وممن نقله الأستاذ أبو الحسن بن عصفور في شرحه "للإيضاح"».اهـ

قلت: وممَّن خالف في بنائه: السُّهَيْليُّ، فقال: إنَّه مُعرَبٌ معها تقديرًا. وقال ابنُ مالكٍ: «إنَّما بُنِيَ المتَّصلُ بنون الإناث كـ«يَسِرْنَ» حملًا على الماضي المتَّصلِ بها؛ لأنَّهما متساويان في أصالةِ السُّكُونِ، وعروضِ حركةِ البناءِ في الماضي وحركةِ الإعرابِ في المضارعِ، وقد رُوجِعَ الأصلُ بالنُّونِ في الماضي فرُوجِعَ بها في الماضي».اهـ

ورفعُه باقٍ حتى يدخلَ عليه ناصبٌ فينصبَه، أو جازمٌ فيجزمَه.

قال المؤلِّف: (**فَالنَّوَاصِبُ عَشَرَةٌ وَهِيَ: أَنْ، وَلَنْ، وَإِذَنْ، وَكَيْ، وَلَامُ كَيْ، وَلَامُ الْجُحُودِ، وَحَتَّى، وَالْجَوَابُ بِالفَاءِ، وَالوَاوُ، وَأَوْ**).

«**فَالنَّوَاصِبُ عَشَرَةٌ**»: عند الكوفيين، وأربعةٌ عند البصريين، وهي: «أن، لن، وكي، وإذن»، وهي على قسمين: ما يَنصبُ بنفسه وهي «أن» المصدريَّة وتقع في موضعين:

أحدُهما: في الابتداء فتكون في موضع رفعٍ على الابتداء نحو: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٤].

والثَّاني: بعد لفظٍ دالٍّ على معنى غير اليقين، فتكون في موضع رفعٍ على الفاعليَّة نحو: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: ١٦]وفي موضع

نصبٍ على المفعوليَّة نحو: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩] وفي موضع جرٍّ نحو: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤] ومحتملةً لهما في نحو: ﴿وَالَّذِيٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي﴾ [الشعراء: ٨٢] أصله «في أن يغفر لي» فحذفت «في» فنُصِبَ ما بعدها أو أُبقِيَ على جرِّه، واختُلفَ في المحلِّ من نحو: «عسى زيدٌ أن يقوم» فالمشهور أنه نصب على الخبريَّة، وقيل: على المفعوليَّة، وأنَّ معنى «عسيت أن تفعل»: قاربت أن تفعل، ونُقِلَ عن المبرِّد، وقيل: نُصِبَ بإسقاط الجارِّ، أو بتضمين الفعل معنى «قارب»، نقله ابنُ مالكٍ عن سيبويه، ذكره في "المغني"، وتُوصَلُ بالفعل المتصرِّف مضارعًا كان كما مرَّ، أو ماضيًا نحو: ﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ [القصص: ٨٢] ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ﴾ [الإسراء: ٧٤] أو أمرًا كحكاية سيبويه: «كتبتُ إليه بأن قُمْ»، هذا هو الصَّحيح.

(تنبيهٌ): ذكر بعض الكوفيين وأبو عبيدة: أنَّ بعضهم يَجزِمُ بـ«أن»، ونقلَه اللِّحْيَانيُّ عن بعض بني صُبَاح من ضَبَّةَ، وأنشدوا عليه قوله:

إِذَا مَا غَدَوْنَا قَالَ وِلْدَانُ أَهْلِنَا ... تَعَالَوْا إِلَى أَن يَأْتِنَا الصَّيدُ نَحْطِبِ

وقوله:

أُحَاذِرُ أَن تَعْلَمْ بِهَا فَتَرُدَّهَا ... فَتَتْرُكَهَا ثِقْلًا عَلِيَّ كَمَا هِيَا

وفي هذا نظرٌ؛ لأنَّ عطف المنصوب عليه يدلُّ على أنَّه مُسَكَّنٌ للضرورة لا مجزوم، وقد يرفعُ الفعلُ بعدها كقراءة ابن مُحَيْصِن: ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمُّ الرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: ٢٣٣] وقول الشَّاعر:

أَن تَقْرَآنِ عَلَى أَسْمَاءَ وَيْحَكُمَا ... مِنِّي السَّلَامَ وَأَلَّا تُشْعِرَا أَحَدَا

وزعم الكوفيون: أنَّ «أَنْ» هذه هي المخفَّفة من الثقيلة شذَّ اتصالها بالفعل، ذكره في "المغني".

(فائدة): أكثر العرب على وجوب إعمال «أن» النَّصب، وبعضهم يهملها حملًا على «ما» أختها المصدريَّة؛ بجامع أنَّ كلًّا منهما حرفٌ مصدريٌّ، ولهذا قال في "المغني" بعد ذكره قول الكوفيين في تأويل البيت: والصَّوابُ قولُ البصريين إنَّها «أن» النَّاصبةُ، أُهملت حملًا على «ما» أختها المصدريَّة.

(فائدة): قال عبداللطيف في "اللُّمَعِ الكَامِلِيَّةِ": «ليس في الحروفِ النَّاصبةِ للفعلِ ما يَنصِبُ مُضمَرًا إلَّا «أن» خاصَّة». نقله السُّيوطيُّ في "الأشباه".

(تنبيهٌ): تكون «أن» مُفسِّرةً وزائدةً ومُخفَّفةً من الثَّقيلةِ، فلا تَنصِبُ في هذه الأحوالِ كلِّها، فالمفسِّرة هي المسبوقة بجملةٍ فيها معنى القول دون حروفِه المتأخِّر عنها جملة، ولم تقترن بجارٍّ نحو: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ ﴾ [المؤمنون: ٢٧] ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟﴾ [ص: ٦]، إذ ليس المراد بالانطلاق هنا المشي، بل انطلاق ألسنتهم بهذا الكلام، كما أنَّه ليس المراد بالمشي المتعارف بل الاستمرار على الشَّيء، فخرج ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [يونس: ١٠]، لعدم تقدُّم الجملة، وقلتُ له: أن افعل كذا؛ لأنَّ الجملةَ السَّابقةَ فيها حروفُ القول.

وفي شرح ابنِ عصفورٍ الصغير على "الجُمَل": أنَّها قد تكون مُفسِّرةً بعد صريحِ القولِ، ولا يجوز: «ذَكَرْتُ عَسْجَدًا أَنْ ذَهَبًا»؛ لعدم تأخُّر الجملة، بل يجب الإتيان بـ«أي» أو تركُ حرفِ التَّفسير، وليس من التَّفسيريَّة: «كتبت إليه

بأن أفعل» لدخول الجارِّ، نصَّ عليه الموضح في "القواعد الصغرى". انتهى من "التَّوضيحِ" وشرحه.

وعن الكوفيين إنكار التَّفسيريَّة أَلْبَتَّة، قال في "المغني": «وهو عندي متجهٌ؛ لأنَّه إذا قيل: كتبتُ إليه أن قُم، لم يكن قُم نفس كتبتُ، كما كان الذَّهب نفس العَسْجَد في قولك: «هذا عَسْجَد» أي: ذَهَبٌ، ولهذا لو جئت بـ«أي» مكان «أن» في المثال لم تجده مقبولًا في الطَّبعِ».اهـ

(فائدة): إذا وَلِيَ «أن» الصَّالحة للتفسير مضارعٌ معه «لا» نحو: أشرْتُ إليه أن لا تفعل، جاز رفعُه على تقدير «لا» نافية، وجزمُه على تقديرها ناهية، وعليهما فـ«أن» مُفسِّرة، ونصبُه على تقدير «لا» نافية و«أن» مصدريَّة، فإن فقدت «لا» امتنع الجزمُ وجاز الرَّفعُ والنَّصبُ قاله في "المغني".

والزَّائدةُ هي التَّاليةُ لـ«لمَّا» التَّوقيتيَّة نحو: ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٣٣].

أو بين فِعْلِ القَسَمِ المذكور و«لو» كقوله: «فَأُقْسِمُ أَنْ لَوِ التَقَيْنَا وَأَنْتُمُ».

أو بعد القَسَمِ متروكًا كقوله:

أَمَا والله أَنْ لَوْ كُنْتَ حُرًّا

هذا قول سيبويه وغيره.

وتقع بين الكافِ ومخفوضِها كقوله: «كَأَنْ ظَبْيَةٍ تَعْطُو إلى وَارِقِ السَّلَمْ» بجرِّ ظبيةٍ، أو بعد إذا كقوله:

فَأَمْهَلَهُ حَتَّى إِذَا أَنْ كَأَنَّهُ

وزعم الأخفشُ: أنَّها تُزادُ في غير ذلك، وأنَّها تَنصِبُ المضارعَ كما تَجُرُّ «من» و«الباء» الزَّائدتان الاسمَ، وجعل منه: ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [إبراهيم: ١٢]، وقال غيرُه: هي في ذلك مصدريَّةٌ والأصلُ «وَمَا لَنَا في أن لا نَفْعَلَ»، وإنَّما لم يَجُزْ للزَّائدةِ أن تعمل لعدم اختصاصِها بالأفعال بدليل دخولها على الحرفِ وهو «لو» و«كان» في البيتين، وعلى الاسم وهو «ظبية» في البيت السَّابق، قاله في "المغني".

والمخفَّفة من «أنَّ» المشدَّدة هي الواقعة بعد عِلْمٍ نحو: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ ﴾ [المزمل: ٢٠] ونحو: ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ ﴾ [طه: ٨٩]أو بعد ظَنٍّ مؤولٍ بالعِلْمِ نحو: ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ [المائدة: ٧١] ويجوز في تاليةِ الظَّنِّ أن تكون ناصبةً إجراءً للظَّنِّ علَّة أصله وهو الأرجح؛ لأنَّ التَّأويل على خلاف الأصل ولهذا أجمعوا عليه في ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ ﴾ [العنكبوت: ٢]. انتهى من "التَّوضيح" وشرحه.

(فائدة): لا يتقدَّم معمولُ «أن» عليها عند جميع النُّحاةِ إلَّا الفرَّاء، فلا يُقال: «طعامك أريد أن آكل». قاله السيوطيُّ في "الأشباه".

(تنبيهٌ): ذكروا لـ«أن» أربعةَ معانٍ أخرى:

أحدها: الشَّرطيَّة، كـ«إن» المكسورة، وإليه ذهب الكوفيون، قال في "المغني": «ويُرجِّحُه عندي أمورٌ: أحدها: توارد المفتوحة والمكسورة على المحلِّ الواحد، والأصل التَّوافق، فقرئ بالوجهين قوله تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ ﴾ [المائدة: ٢]

﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴾ [الزخرف: ٥].

الثَّاني: مجيء الفاء بعدها كثيرًا كقوله:

أَبَا خُرَاشَةَ أَمَّا أَنْتَ ذَا نَفَرٍ فَإِنَّ قَوْمِيَ لَمْ تَأْكُلْهُمُ الضَّبُعُ

الثَّالثُ: عطفها على «إن» المكسورة في قوله:

إِمَّا أَقَمْتَ وَأَمَّا أَنْتَ مُرْتَحِلًا فَاللهُ يَكْلَأُ مَا تَأْتِي وَمَا تَذَرُ

والرِّوايةُ بكسر «أن» الأولى وفتح الثانية، فلو كانت المفتوحةُ مصدريةً لزم عطفُ المفردِ على الجملةِ.اهـ

ثانيها: النَّفيُ كـ«إن» المكسورة أيضًا قاله بعضهم في: ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ ﴾ [آل عمران: ٧٣].

ثالثُها: معنى «إذ»، قاله بعضهم في ﴿بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ﴾ [ق: ٢] ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ ﴾ [الممتحنة: ١].

قال في "المغني": «الصَّوابُ أنَّها في ذلك كلِّه مصدريَّةٌ، وقبلها لامُ العلَّة مُقدَّرةٌ».اهـ

رابعها: معنى «لِئَلَّا»، قاله بعضهم في: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ ﴾ [النساء: ١٧٦].

وقوله:

نَزَلْتُمْ مَنْزِلَ الأَضْيَافِ مِنَّا فَعَجَّلْنَا القِرَى أَنْ تَشْتِمُونَا

قال في "المغني": «والصَّوابُ أنَّها مصدريَّةٌ، والأصلُ: «كراهيةَ أن تَضِلُّوا» و«مخافةَ أن تشتمونا»، وهو قولُ البصريين».اهـ

(مُهِمَّة): قال الأندلسيُّ في "شرح المفصَّل": «قال عليُّ بن عيسىٰ: إنَّما عَمِلَت «أَنْ» في المضارع ولم تعمل «ما»؛ لأنَّ «أَنْ» نَقَلَتْه نقلين إلىٰ معنىٰ المصدرِ والاستقبالِ، و«ما» لم تنقلْه إلَّا نقلًا واحدًا إلىٰ معنىٰ المصدرِ فقط، وكلُّ ما كان أقوىٰ علىٰ تغيير معنىٰ الشَّيءِ كان أقوىٰ علىٰ تغييرِ لفظِه».اهـ

وقال ابنُ يَعيشَ: «الفرقُ بين «أَنْ» وبين «ما» أنَّ «ما» تدخل علىٰ الفعل والفاعل والمبتدأ والخبر، و«أنْ» مُختصَّة بالفعل، فلذلك كانت عاملةً فيه، ولعدم اختصاص «ما» لم تعمل شيئًا».اهـ نقله السيوطيُّ في "الأشباه".

(خاتمة): قال في "الأشباه" أيضًا: «أنْ» أصلُ النَّواصبِ للفعل وأُمُّ الباب بالاتفاق، كما نقله أبو حَيَّان في "شرح التسهيل"، ومن ثمَّ اختُصَّت بأحكامٍ، منها: إعمالها ظاهرةً ومضمرةً، وغيرها لا ينصبُ إلَّا مُظهرًا.

ومنها: أجاز بعضُهم الفصلَ بينها وبين منصوبها بالظَّرف والمجرور اختيارًا، قياسًا علىٰ «أنَّ» المشدَّدة بجامع اشتراكهما في المصدريَّةِ والعَمَلِ، نحو: «زيدٌ أَنْ عندي تقعدَ، وأَنْ في الدارِ تقعدَ»، ولم يُجوِّز أحدٌ ذلك في سائر الأدواتِ إلَّا اضطرارًا».اهـ

«وَلَنْ» وهي حرفُ نصبٍ ونفيٍ واستقبالٍ، فتنفي الفعلَ المستقبلَ إمَّا علىٰ غايةٍ ينتهي إليها نحو: ﴿لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾ [طه: ٩١] فإنَّ نَفْيَ البراحِ مُستمرٌ إلىٰ رجوعِ موسىٰ، وإمَّا إلىٰ غير غايةٍ نحو: ﴿لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا﴾ [الحج: ٧٣] فإنَّ نَفْيَ خَلْقِ الذُّبابِ مُستمرٌ أبدًا، ولهذا لا تقتضي تأبيد النَّفي، خلافًا للزَّمخشريِّ، لأنَّها لو كانت كذلك لزم التَّناقضُ بذكر اليوم في

قوله تعالى: ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٦] ولزم التكرارُ بذكر أبدًا في قوله تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [البقرة: ٩٥] ولا تقتضي توكيده خلافًا له في "كَشَّافِه" في تفسير: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]ولا تقع لن دعائيَّة خلافًا لابن السَّرَّاجِ وابن عصفورٍ وآخرين مُستدلِّين بقوله تعالى: ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: ١٧] مُدَّعِينَ أنَّ معناه فاجعلني لا أكون، ولا حجَّةَ لهم فيها لإمكان حملها على النَّفيِ المحْضِ، ويكون ذلك مُعاهدةً منه لله سبحانه أن لا يُظاهِرَ مُجرمًا جزاءً لتلك النِّعمة، قاله في "التَّوضيحِ" و"شرحِ القَطْرِ".

وقال في "المغني" خلافَ هذا ونصُّه: «وتأتي «لن» للدُّعاءِ كما أتت لذلك «لا» وفاقًا لجماعةٍ منهم ابن عصفورٍ، والحجَّةُ في قوله:

لَنْ تَزَالُوا كَذَلِكُمْ ثُمَّ لَازِلْـ ـتُ لَكُمْ خَالِدًا خُلُودَ الجِبَالِ».اهـ

(فائدة): يجوز تقديمُ معمولِ «لن» عليها عند جميع النُّحاةِ إلَّا الأخفش الصَّغير، فتقول: زيدًا لن أضرب، والفرقُ بينها وبين «أَنْ»، أنَّ «أنْ» حرف مصدري موصولةٌ ومعمولها صلةٌ لها، ومعمولُ معمولِها من تمامِ صِلَتِها، فكما لا تتقدَّم صلتُها عليها كذلك لا يَتقدَّمُ معمولُ صِلَتِها، و«لن» بخلاف ذلك قاله في "الأشباه".

(مسألة): ذهب بعضهم إلى أنَّ «لن» قد تَجزِمُ كقوله:

فَلَنْ يَحُلُ لِلعَينَينِ بَعْدَكِ مَنْظَرُ

وقوله:

لَنْ يَخِبِ الآنَ مِنْ رَجَائِكَ مَنْ حَرَّكَ مِنْ دُونِ بَابِكَ الحَلَقَهْ

وقيل في الأوَّلِ: إنَّه مُحتِملٌ للاجتزاءِ بالفتحةِ عن الألفِ للضرورةِ.

(مُهِمَّة): قال الفرَّاءُ: أصل «لن»: «لا» أُبدل الألف نونًا فصارت «لن».

قال ابن هشامٍ: والمعروف إبدال النُّون ألفًا نحو: ﴿لَنَسْفَعًا﴾ [العلق: ١٥]، و﴿وَلَيَكُونًا﴾ [يوسف: ٣٢] لا العكس، ثمَّ إنَّها بسيطةٌ على الأصحِّ، وقال الكسائيُّ والخليلُ: هي مركَّبةٌ من «لا» و«أن»، حُذفت الهمزةُ تخفيفًا والألفُ للسَّاكنين؛ وحجَّتهم قرب لفظها منهما وأنَّ معناهما من النَّفي والتَّخلُّص للاستقبال حاصلٌ فيها، وقد جاءت على الأصل في الضرورة.

قال الأزهريُّ: ورُدَّ عليهم بأربعة أمورٍ: أقواها أنَّه إنَّما يصحُّ التَّركيبُ إذا كان الحرفان ظاهرين كـ«لولا»، وقد لا يظهر أحدهما كـ«أمَّا» قاله الشَّلَوْبِين، وتركنا الثلاثة الباقية خوف الإطالة.اهـ

قلت: مرَّ أحد الثلاثة الباقية، وهو أنَّ المعروف إبدال النُّون ألفًا لا العكس.

الثَّاني: أنَّها لو كانت مركَّبةً مما ذكر لكانت «لا» داخلة على مصدرٍ مُقدَّرٍ من «أن»والفعل، ومعنى: لن يقوم زيد لا قيام زيد؛ فتدخل «لا» على المعروفة من غير تكرير، مع أنَّه يكون مبتدأ لا خبر له، ولا في الكلام ما ينوب منابه.

الثَّالثُ: أنَّ التَّركيبَ فرعٌ عن البساطة؛ فلا يُدَّعى إلَّا بدليلٍ قاطعٍ.

«وَإِذَنْ» والكلامُ عليها في مسائلَ:

المسألة الأولى: في نوعها: قال الجمهورُ: هي حرفٌ، وقيل: اسمٌ، والأصل في إذن أكرمك؛ إذا جئتني أكرمك، فحُذفت الجملة وعوض عنها التَّنوين وأُضمرت

«أن»، وعلى القول الأوَّلِ فالصَّحيحُ أنَّها بسيطةٌ لا مركَّبةٌ من «إذ وأن» أو«إذا وأن»، وعلى البساطة فالصَّحيح أنَّها النَّاصبةُ، لا «أن» مضمرة بعدها.

المسألة الثَّانية: في معناها، قال سيبويه: معناها الجواب والجزاء، فقال الشَّلَوْبِين في كل موضعٍ، وقال أبو علي الفارسيِّ: في الأكثر. وقد تتمحَّض للجواب بدليل أنَّه يقال لك: أحبُّك، فتقول: إذن أظنُّك صادقًا. إذ لا مجازاة هنا ضرورة، والأكثر أن تكون جوابًا «لأن» أو «لو» مُقدَّرتين أو ظاهرتين فالأول كقوله:

لَـئِنْ عَـادَ لِي عَبْـدُالعَزِيزِ بِمِثْلِهَـا وَأَمْكَنَنِـي مِنْهَـا إِذَنْ لَا أُقِيلُهَـا

وكقوله: «إِذَنْ لَقَامَ بِنَصْرِي مَعْشَرٌ خُشُنٌ».

فوقعت بدلًا من جواب «لو» في البيت قبله، وبدلُ الجوابِ جوابٌ، والبيت هو قوله: «لَوْ كُنْتُ مِن مَازِنٍ لم تَسْتَبِحْ إِبِلِي»، والجوابُ هنا: «تستبح».

والثَّاني: نحو أن يقال: «آتيك»، فتقول: «إذن أكرمك»، أي: إن أتيتني إذن أكرمك، وقال الله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ﴾ [المؤمنون: ٩١] قال الفرَّاءُ: حيث جاء بعدها اللام، فقبلها «لو» مقدَّرةٌ إن لم تكن ظاهرةً.

المسألة الثالثة: في لفظها عند الوقف عليها، والصَّحيحُ أنَّ نونها تُبدلُ ألفًا، وقيل: يُوقفُ بالنُّون؛ لأنَّها كنون «أن، ولن»، روي عن المازنيِّ والمبرِّدِ، وينبني على الخلاف في الوقف خلافٌ في كتابتها، فالجمهور يكتبونها بالألف، وكذا رُسمت في المصاحف، والمازنيُّ والمبرِّدُ بالنُّون، وعن الفرَّاء إن عَمِلَت كُتِبَت

بالألف، وإلَّا كُتِبَت بالنُّون؛ للفرق بينها وبين «إذًا»، وتبعه ابنُ خروفٍ.

المسألة الرابعة: في عملها، وهو نصبُ المضارعِ، وتنصبه بثلاثةِ شروطٍ:

الأوَّلُ: أن تكون مُصدَّرةً في أوَّل الجوابِ، فإن وقعت حشوًا أُهملت؛وذلك في ثلاثِ مسائلَ:

إحداها: أن يكون ما بعدها خبرًا عمَّا قبلها، نحو: أنا إذن أكرمُك.

الثَّانية: أن يكون جوابًا لشرطٍ قبلها، نحو: إن تأتيني إذن أكرمُك.

الثَّالثة: أن يكون جوابَ قَسَمٍ قبلها مذكور، نحو: والله إذن لا أخرجُ.

وأما قوله:

لَا تَتْرُكَنِّي فِيهِمُ شَطِيرَا ... إِنِّي إِذَنْ أَهْلِكَ أَوْ أَطِيرَا

فمؤولٌ على حذف خبر «إن»، أي: إنِّي لا أقدرُ على ذلك، ثمَّ استأنف ما بعده وذهب الفرَّاءُ إلى عدم اشتراط التَّصدُّر.

(**مسألة**): قال جماعةٌ من النحويين: إذا وقعت «إذن» بعد الواو أو الفاء جاز فيها الوجهان، نحو: ﴿وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٦] ﴿فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ٥٣]وقُرئ شاذًّا بالنَّصبِ فيهما.

قال في "المغني": «إنَّه إذا قيل: إن تزرْني أَزُرْك، وإذن أحسن إليك، فإن قدَّرتَ العطفَ على الجوابِ جَزَمتَ وبطل عملُ «إذن» لوقوعها حشوًا، أو على الجملتين جميعًا جاز الرَّفعُ والنَّصبُ لتقدُّم العاطف، وقيل: يتعيَّنُ النَّصبُ؛ لأنَّ ما بعدها مُستأنفٌ، أو لأنَّ المعطوفَ على الأوَّل أولى».اهـ

الثَّاني: أن يكون المضارع مستقبلًا قياسًا على بقيَّة النَّواصبِ، فيجب الرَّفعُ

في نحو: «إذن تَصْدُقُ»، جوابًا لمن قال: أنا أحبُّ زيدًا؛ لأنَّه حالٌ، ولا مدخلَ للجزاءِ في الحال.

الثَّالثُ: أن يتَّصلا، أو يَفْصِلَ القَسَمُ بينهما، كقوله:

إِذَنْ والله نَرْمِيَهُمْ بِحَرْبٍ

وأجاز في "المغني" الفصل بـ«لا»، وابنُ عصفورٍ الفصلَ بالظَّرفِ، وابن بابشاذ الفصلَ بالنِّداء وبالدُّعاء، والكسائيُّ وهشامٌ الفصلَ بمعمول الفعل.

(تنبيهٌ): قال الأزهريُّ: «حكىٰ سيبويه عن بعض العرب إلغاء «إذن» مع استيفاء الشُّروط، وهو القياس؛ لأنَّها غير مختصَّةٍ، وإنَّما أعملها الأكثرون حملًا علىٰ «ظنَّ»؛ لأنَّها مثلها في جواز تقديمها علىٰ الجملة وتأخيرها عنها وتوسُّطِها بين جُزْأيها، كما حُملت ما علىٰ «ليس»؛ لأنَّها مثلها في نفي الحال والمرجع في ذلك كله إلىٰ السَّماع».اهـ

(تذنيب): قال الأندلسيُّ في "شرح المفصَّل": «إذن» لها ثلاثةُ أحوالٍ:

حالٌ تَنصِبُ فيها ألبتَّةَ، وهي عند توافرِ الشَّرائطِ الخمسِ:

أن تكون جوابًا، وأن لا يكون معها حرفُ عطفٍ، وأن يعتمد الفعلُ عليها، وأن لا يُفصَلُ بينها وبين الفعل بغير الهمز، وأن يكون الفعل مُستقبلًا.

وحالٌ لا تَعمَلُ فيه ألبتَّةَ، وهي عند اختلال أحدِ الشَّرائطِ.

وحالٌ يجوز فيها الأمران وهو عند دخولِ حرفِ العطفِ عليها.

ثمَّ لها ثلاثةُ أحوالٍ أخرىٰ: أن تتقدَّم، وأن تتوسَّط، وأن تتأخَّر، فإن تقدَّمت وتوفَّرت بقيَّةُ الشُّروطِ أُعملت، وإن توسَّطت أو تأخَّرت لن تعمل».اهـ

وقال الشَّلَوْبِين في "شرح الجزولية": «اتسعت العرب في «إذن» اتساعًا لم

تتسعه في غيرها من النَّواصبِ، فأجازت دخولها على الأسماء نحو: إذن عبدالله يقول ذلك، وعلى الأفعال، وأجازوا دخولها على الحال وعلى المستقبل، وأجازوا أن تتأخَّر عن الفعل نحو: «أكرمك إذن»، فهذه اتساعات في «إذن» انفردت بها دون غيرها من نواصبِ الأفعال، وأجازوا أيضًا فيها فصلَها من الفعل بالقَسَمِ ولا يجوز ذلك في سائر نواصبِ الفعلِ؛ فلمَّا اتسعوا في «إذن» هذه الاتساعات قَوِيَتْ بذلك عندهم، فشبَّهوها بعوامل الأسماءِ النَّاصبةِ لقوَّتها بهذا التَّصرُّف الذي تصرَّفته، ولكن لا بكلِّ عوامل الأسماء بل بـ«ظننت» وأخواتها فقط فأجازوا فيها الإعمال والإلغاء، إلَّا أن «ظننت» إذا توسَّطت يجوز فيه الإعمال والإلغاء، و«إذن» إذا توسَّطت يجب فيها الإلغاء؛ لأنَّ المشبَّه بالشيء لا يقوى قوَّة المشبَّه به، فحُطَّت عنها بأن أُلغيت ليس إلَّا».اهـ

وقال عبدُ اللطيفِ البغداديُّ في "اللمع الكامليَّة": «ليس في نواصبِ الفعل ما يُلغى سوى إذن».اهـ نقله السيوطيُّ في "الأشباه".

«وَكَيْ» المصدريَّة، وهي الدَّاخل عليها «اللام» لفظًا نحو: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا﴾ [الحديد: ٢٣] أو تقديرًا نحو: «جئتُك كي تُكرمَني»، إذا قدَّرتَ أنَّ الأصلَ لـ«كي»، وأنَّك حذفت «اللام» استغناءً عنها بنيَّتها، وهي ناصبةٌ بنفسها كما أنَّ «أن» المصدريَّة كذلك، وأمَّا التَّعليليَّة فجارَّةٌ، والنَّاصبُ بعدها «أن» المضمرةُ، وقد تظهرُ في الشِّعرِ كقوله: «كَيْمَا أَنْ تَغْرَّ وَتَخْدَعَا»

وتتعيَّن المصدريَّة إن سبقتها «اللامُ» نحو: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا﴾، وتتعيَّن التَّعليليَّة إن تأخَّرت عنها «اللامُ» أو «أن»، فالأوَّلُ نحو قوله:

كَـــيْ لِتَقْضِـــيَنِي رُقَيَّـــةُ مَـــا وَعَـــدَتْنِي غَـــيْرَ مُخْـــتَلَسِ

و الثَّاني كقوله: «كَيْمَا أَنْ تَغُرَّ وَتَخْدَعَا».

(تنبيهٌ): يجوز الأمران في نحو: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً﴾ [الحشر: ٧]، فإن قدَّرتَ «اللامَ» قبلها فهي مصدريَّة، وإن لم تُقدِّر «اللام» قبلها فهي تعليليَّة، فيكون على الأوَّل منصوبٌ بنفس «كي» وعلى الثَّاني بـ«أن» المضمرةُ بعد «كي»، وقوله: «أَرَدْتَ لِكَيْمَا أَنْ تَطِيرَ بِقُرْبَتِي».

فـ«كي» تحتملُ أن تكون مصدريَّة لدخول «اللامِ» قبلها، وتحتملُ أن تكون تعليليَّة لتأخُّرِ «أن» بعدها، فإن كانت مصدريَّةً فـ«إن» مُؤكِّدة لها لمعنى السَّبك، وإن كانت تعليليَّة فـ«اللام» مؤكِّدة لها لمعنى التَّعليل.

(فائدة): الأَوْلَى أن تكون في الآية مصدريَّة، وفي البيت تعليليَّة؛ لأنَّ تأكيدَ الجارِّ بجارٍّ أسهلُ من تأكيدِ حرفٍ مصدريٍّ بحرفٍ مصدريٍّ.اهـ من "التَّوضيح" وشرحه.

(مُهِمَّة): تقسيم «كي» إلى مصدريَّة وتعليليَّة هو مذهب سيبويه والجمهور، وقال الأخفشُ: «كي» جارَّة دائمًا، والنَّصبُ بعدها بـ«أن» ظاهرة أو مضمرة، قال ابن هشامٍ: ويردُّه نحو: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا﴾ فإن زعم أنَّ «كي» تأكيد لـ«للام» كقوله:

وَلَا لِلِمَا بِهِمْ أَبَدًا دَوَاءُ

رُدَّ بأنَّ الفصيحَ المقيسَ لا يُخرَّج على الشَّاذِّ.اهـ

وقال الكوفيون: إنَّها ناصبةٌ دائمًا، قال ابن هشامٍ أيضًا: ويردُّه قولهم: كَيْمَهْ،

كما يقولون: لمهْ، وقولُ حاتمٍ:

وَأَوْقَدْتُ نَارِي كَيْ لِيُبْصِرَ وَأَخْرَجْتُ كَلْبِي وَهْوَ فِي البَيْتِ

لأنَّ «لام» الجرِّ لا تَفصِلُ بين الفعل وناصْبه، وأجابوا عن الأوَّل: بأنَّ الأصل «كي لا» يفعل ماذا، ويلزمهم كثرة الحذف وإخراج «ما» الاستفهاميَّة عن الصَّدرِ، وحذف ألفها في غير الجرِّ، وحذف الفعل المنصوب مع بقاء عامل النَّصبِ، وكل ذلك لم يثبت.اهـ

(تذنيب): قال أبو حَيَّان: أجاز ابنُ مالكٍ الفصل بين «كي» ومعمولها بمعموله، أو بجملةٍ شرطيَّةٍ، ولا يبطل عملها نحو: «جئت كي فيك أرغب»، و«جئت كي أن نحن أزورك»، قال: وهذا مذهبٌ لم يتقدم إليه، فإنَّ المسألة مذهبين:

أحدهما: منعُ الفصلِ مُطلقًا باقيةً على العمل أم لا، وهو مذهب البصريين وهشامٍ ومن وافقه من الكوفيين.

والثَّاني: جوازه، ويبطل عملُها بل يتعيَّن الرَّفعُ، وهو مذهبُ الكسائيِّ قال: فما قاله ابنُ مالكٍ من الجوازِ مع الإعمالِ مذهبٌ ثالثٌ لا قائلَ به. نقله في "الأشباه".

(فائدة): قال في "الأشباه" أيضًا: «حكم «كي» عند الجمهور حكم «أن»، لا يجوز تقدُّم معمولُ معمولِها، فلا يُقال: «جئت النَّحو كي أتعلم»، ولا: «النحو جئت كي أتعلم»؛ لأنَّها أيضًا حرفٌ مصدريٌّ موصولة كـ«أن»، فكما لا يتقدَّم معمولُ صلة الاسم الموصول، كذلك لا يتقدَّم معمولُ صلة الحرف الموصول».اهـ

(مسألة): تكون «كي» اسمًا مختصرًا من «كيف» كقوله:

كَيْ تَجْنَحُونَ إلىٰ سِلْمٍ وَمَا ثُئِرَتْ قَتْلَاكُمُ وَلَظَىٰ الهَيْجَاءِ تَضْطَرِمُ

قال ابن هشامٍ: أراد الشَّاعرُ «كيف» فحذف الفاء، كما قال بعضهم: «سَوْ أفعلُ»، يريد «سوف».

(فائدة): إذا قيل: «جئتُ لتُكرمَني» بالنَّصبِ، فالنَّصبُ بـ«أن» مضمرة، وجوَّز أبو سعيدٍ كَوْنُ المضمرة «كي»، والأوَّل أولىٰ لأنَّ «أن» أمكن في عمل النَّصبِ من غيرها، فهي أقوىٰ علىٰ التجوُّز فيها بـ«أن» تعمل مضمرةً. قاله ابن هشامٍ.

وما يَنصِبُ بـ«أن» مضمرة وهي «لَامُ كَيْ» نحو: ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٧١] وسُمِّيت «لام كي» لمساواتها لها في التَّعليل، والصَّحيحُ الذي ذهب إليه جمهور البصريين أنَّ النَّاصب بعدها «أن» مضمرة جوازًا، وذهب جمهور الكوفيين إلىٰ أنَّ النَّاصب هو «اللام»، وأجازوا إظهار «أن» بعدها توكيدًا.

وقال ثعلبٌ: النَّاصبُ «اللام» كما قالوا، ولكن لنيابتها عن «أن» المحذوفة.

وقال ابنُ كَيْسَان والسِّيرافيُّ: يجوز أن يكون النَّاصب «أن» المقدَّرة، وأن يكون «كي»، ولا تتعيَّن «أن» لذلك، ودليلهم صحَّة إظهار «كي» بعدها. قاله الأزهريُّ.

(مُهِمَّة): يدخل تحت قولنا: «اللام» لامُ العاقبة، و«لامُ» التَّوكيد وهي الزَّائدة، فـ«لام» العاقبة كقوله تعالىٰ: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ

عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ [القصص: ٨] فإنَّ «اللام» هنا ليست للتعليل؛ لأنَّهم لم يلتقطوه لذلك وإنَّما التقطوه ليكون لهم قرَّة عينٍ، فكانت عاقبته أن صار لهم عدوًّا وحزنًا، و«لام» التَّوكيد كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

(مسألة): «لام» كي يسمُّونها: «اللام» الجارَّة.

(تذنيب): إن قُرِنَ الفعلُ بـ«لا» النَّافية أو الزَّائدة المؤكِّدة وجب إظهار «أن» لئلَّا يتوالى مثلان وهما «لام» ولام «لا» من غير إدغامٍ، وهو ركيكٌ في الكلام، نحو: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ﴾ [البقرة: ١٥٠]، ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [الحديد: ٢٩].

«وَلَامُ الْجُحُودِ» وهي المسبوقة بكونٍ ناقصٍ ماضٍ -مَعنىً ولفظًا أو معنىً لا لفظًا- منفيٍّ، نحو: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ ﴾ [الأنفال: ٣٣] ﴿لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ ﴾ [النساء: ١٣٧].

فالفعلان منصوبان بـ«أن» المضمرة وجوبًا عند البصريين لا بـ«اللام»، و«اللام» متعلِّقةٌ بمحذوف «لا» زائدة، وذلك المحذوف هو الخبر، لا الفعل الذي دخلت عليه «اللام». وخالفهم الكوفيون فيهنَّ، وعلَّة امتناعُ ذكرِ «أن» بعد «لام الجحود» أنَّ ما كان ليفعل رَدٌّ على من قال: كان سيفعل، فـ«اللام» في مقابلة السِّين، فكما لا تُذكَر «أن» مع السين كذلك لا تُذكَر مع «اللام».

(مسألة): زعم بعضهم أنَّه يجوز إظهار «أن» بشرط حذف «اللام» محتجًّا بقوله: ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ ﴾ [يونس: ٣٧].

ورُدَّ بأنَّ ﴿أَن يُفۡتَرَىٰ﴾ في تأويل مصدرٍ مُخبرٍ به عن القرآن، وهو مصدرٌ مثله، وفي هذا الردِّ نظرٌ؛ لأنَّ المراد بالقرآن المقروء لا القراءة، والحقُّ أنَّ هذا ليس مما نحن فيه، وزعم بعضهم أنَّ هذا الحكم لا يختصُّ بـ«كان»، بل يجوز في سائر أخواتها نحو: «ما أَصْبَحَ زيدٌ لِيَفْعَلَ».

وزعم بعضهم أنَّه يجوز في «ظنَّ» قياسًا على «كان»، نحو: «ما ظَنَنْتُ زيدًا لِيَفْعَلَ». ووسَّع بعضهم الدائرة فأجاز ذلك في كلِّ فعلٍ تقدَّمه نفيٌ، نحو: «ما جَاءَ زيدٌ لِيَفْعَلَ»، قاله الأزهريُّ.

(فائدة): تسميتهم هذه اللام بـ«لام الجحود» من تسمية العامِّ بالخاصِّ؛ لأنَّ أصلَ الجحودِ الإنكارُ مع علمٍ وهو إنكارُ الحقِّ، والنحويون أطلقوه وأرادوا مُطلقَ النَّفي.

(مسألة): لـ«أن» بعد اللام ثلاث حالاتٍ:

وجوب الإضمار، وذلك بعد «لام الجحود».

ووجوب الإظهار، وذلك إذا اقترن الفعل بـ«لا».

وجواز الوجهين، وذلك فيما بقي من «لام كي» وغيرها.

«وَحَتَّى» الجارَّة، إن كان الفعل مُستقبلًا باعتبار التَّكلُّم، نحو: ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ﴾ [الحجرات: ٩] أو باعتبار ما قبلها، نحو: ﴿وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ﴾ [البقرة: ٢١٤].

ولـ«حتى» التي ينتصب الفعل بعدها معنيان: فتارةً تكون بمعنى «كي» التَّعليليَّة، وذلك إذا كان ما قبلها علَّة لما بعدها نحو: «أَسْلِمْ حتى تدخلَ

الجنَّة». وتارةً تكون بمعنىٰ «إلىٰ» الغائيَّة، وذلك إذا كان ما قبلها غاية لما بعدها، نحو: «لأسِيرَنَّ حتىٰ تطلعَ الشَّمسُ».

إذا عرفت ذلك فالمثال الأوَّل مما يَصلحُ للمعنيين معًا، فيُحتمل أن يكون المعنىٰ: «كي تفيءَ» أو «إلىٰ أن تفيءَ»، والمثال الثاني «حتىٰ» فيه بمعنىٰ «إلىٰ» خاصَّة، أي: «إلىٰ أن يقولَ الرَّسولُ»، والنَّصبُ في هذه المواضع وشبهها بـ«أن» المضمرة بعد «حتىٰ» حتمًا لا بـ«حتىٰ» نفسها خلافًا للكوفيين؛ لأنَّها قد عملت في الأسماء الجرَّ كقوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ [القدر: ٥]، ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [يوسف: ٣٥] فلو عملت في الأفعال النَّصبَ لزم أن يكون لنا عاملٌ واحدٌ يعمل تارةً في الأسماء وتارةً في الأفعال، وهذا لا نظير له في العربيَّة. قاله ابن هشامٍ.

ولرفع الفعل بعدها ثلاثةُ شروطٍ:

أحدُها: كونه مُسبَّبًا عمَّا قبلها؛ ولهذا امتنع الرَّفعُ في نحو: «ما سِرْتُ حتىٰ أدخلَ البلدَ»؛ لأنَّ انتفاء السَّير لا يكون سببًا للدخول، وفي قولك: «سِرْتُ حتىٰ تَطلُعَ الشَّمسُ»؛ لأنَّ السَّير لا يكون سببًا لطلوعها.

الثَّاني: أن يكون زمنُ الفعلِ الحالَ لا الاستقبالَ، علىٰ العكس من شرط النَّصب، إلَّا أنَّ الحال تارةً يكون تحقيقًا، وتارةً يكون تقديرًا.

فالأوَّل كقولك: «سِرْتُ حتىٰ أَدخُلُها» إذا قلت ذلك وأنت في حالة الدُّخول.

والثَّاني كالمثال المذكور إذا كان السَّير والدُّخول قد مَضَيَا ولكنَّك أردت

حكايةَ الحال، وعلى هذا فالرَّفع في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَقُولُ ٱلرَّسُولُ﴾ [البقرة: ٢١٤]؛ لأنَّ الزِّلزالَ والقولَ قد مَضَيَا.

الثَّالثُ: أن يكون ما قبلها تامًّا؛ ولهذا امتنع الرَّفعُ في نحو: «سَيْرِي حتى أَدخُلَها» وفي نحو: «كَانَ سَيْرِي حتى أَدخُلَها»، إذا حُملت «كان» على النُّقصان دون التَّمام، قاله ابن هشامٍ، وإنَّما وجب رفع الفعل بعد «حتى» عند إرادة الحال حقيقةً أو مجازًا؛ لأنَّ نصبَه يُؤدِّي إلى تقدير «أن» وهي للاستقبال، والحالُ يُنافي الاستقبال، وإنَّما اشتُرطت السَّببيَّة ليحصلَ الرَّبطُ معنى؛ وذلك لأنَّه لما لم يتعلَّق ما بعدها بما قبلها لفظًا زال الاتصالُ اللَّفظيُّ، فشُرطت السَّببيَّة الموجبة للاتصال المعنويِّ جَبْرًا لما فات من الاتصالِ اللَّفظيِّ، وإنَّما اشتُرطت الفضْليَّة لئلَّا يبقى المبتدأ بلا خبرٍ؛ وذلك إنَّه إذا رُفِعَ الفعلُ كانت حتى حرفَ ابتداءٍ، فالجملةُ الواقعةُ بعدها مُستأنفةٌ، فإن فُقِدَ شرطٌ من الثَّلاثةِ وَجَبَ النَّصبُ، قاله الأزهريُّ.

(**خاتمة**): قال أبو محمد بن السَّيد: الأسبابُ المانعةُ من الرَّفعِ بعد «حتى» ستةٌ؛ أربعةٌ متفقٌ عليها، واثنان مختلفٌ فيهما:

فالأربعة المتفق عليها:

١- نفيُ الفعلِ الموجبُ للدخول نحو: «ما سِرْتُ حتى أَدْخُلَها».

٢- ودخولُ الاستفهامِ عليه نحو: «أَسِرْتَ حتى تَدْخُلَها؟».

٣- والتَّعليلُ الذي يُرادُ به النَّفيُ نحو: «فلمَّا سِرْتُ حتى أَدْخُلَها».

٤- وأن تقع «حتى» موقعًا تكون فيه خبرًا نحو: «كَانَ سَيْرِي حتى أَدخُلَها».

والاثنان المختلف فيهما:

١- الامتناعُ من جواز التَّقديمِ والتَّأخيرِ.

٢- وأن يلحقَ الكلامَ عوارضُ الشَّكِّ. نقله في "الأشباه".

(**مسألة**): قال أبو حَيَّان: إن قلتَ ما الفرقُ بين «حتىٰ» وبين «كي» حيث صحَّ فيها أنَّها جارَّةٌ ناصبةٌ بنفسها؟

قلت: النَّصبُ بـ«كي» أكثرُ من الجرِّ، ولم يمكن تأويل الجرِّ؛ لأنَّ حرفه لا يُضمَرُ، فحكم به، و«حتىٰ» ثبت جرُّ الأسماء بها كثيرًا، وأمكن حملُ ما انتصب بعدها علىٰ ذلك بما قدَّرنا من الإضمار، والاشتراكُ خلافُ الأصلِ، ولأنَّها بمعنىٰ واحدٍ في الفعل والاسم بخلاف «كي» فإنَّها سبكت في الفعل وخلصت للاستقبال. ونقله في "الأشباه".

«**وَالجَوَابُ بِالفَاءِ وَالوَاوِ**» المفيدين للسببيَّة والمعيَّة، بشرطِ أن يكونا مسبوقَينِ بنفيٍ أو طلبٍ محضَينِ.

فالنَّفي يشمل ما كان بحرفٍ أو فعلٍ أو اسمٍ، وما كان تقليلًا مُرادًا به النَّفي.

فالأوَّلُ: نحو: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾ [فاطر: ٣٦].

والثَّاني: ليسَ زيدٌ حاضرًا فيُكَلِّمَكَ.

والثَّالثُ: أنتَ غيرُ آتٍ فَتُحَدِّثَنَا.

والرَّابعُ: نحو: قَلَّما تَأتِينَا فَتُحَدِّثَنَا.

والنَّفيُ مع «الوَاوِ» كذلك، نحو: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ

ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٢]وقس الباقي.

واشترطوا في النَّفيِ كونه محضًا احترازًا من نحو: «ما تَزَالُ تَأتِينَا فَتُحَدِّثُنَا» و «ما تَأتِينَا إلَّا فَتُحَدِّثُنَا» فإنَّ معناهما الإثباتُ؛ فلذلك وجب الرَّفعُ فيهما، أمَّا الأوَّلُ فلأنَّ «زال» للنَّفيِ وقد دخل عليها النَّفيُ، ونفيُ إثباتٌ.

وأمَّا الثَّاني فلانتقاض بـ«إلَّا».

(مسألة): نحو: «مَا تَأتِينَا فَتُحَدِّثنَا» برفعٍ على العطفِ، فيكون شريكًا في النَّفيِ أو الاستئنافِ فيكون مُثبتًا، أي: فأنت تحدِّثُنا الآن بدلًا عن ذلك، ويُنصَبُ بإضمار «أن»، وله معنيان: نفيُ السَّببِ فينتفي المسبَّبُ، ونفيُ الثَّاني فقط.

والطَّلبُ يشملُ الأمرَ، والنَّهيَ، والدُّعاءَ، والعَرْضَ، والتَّحضيضَ، والتَّمنِّي، والاستفهامَ، وزاد الفرَّاءُ التَّرجي. ومثال: الفاء بعد التَّمنِّي: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ﴾ [النساء: ٧٣]، والواو بعده: ﴿يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ﴾ [الأنعام: ٢٧].

(مسألة): «ليتني أَجِدُ مالًا فَأُنفِق منه»، والرَّفعُ على وجهين، والنَّصبُ على إضمار «أن»، و«ليت لي مالًا فَأُنفِق منه»، يمتنع الرَّفعُ على العطفِ، ومثال الفاء بعد النَّهي: ﴿وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ﴾ [طه: ٨١]، والواو بعده كقوله:

لَا تَنْـهَ عَـنْ خُلُـقٍ وَتَـأْتِيَ مِثْلَـهُ عَـارٌ عَلَيْـكَ إِذَا فَعَلْـتَ عَظِـيمُ

(تنبيهٌ): شرطُ النَّهي عدمُ النَّقض بـ«إلَّا»، فلو نُقِضَ النَّهيُ بـ«إلَّا» لم يَجُزِ النَّصبُ نحو: «لا تَضْرِبْ إلَّا عمرًا فَيَغْضَبُ». قاله ابن هشامٍ.

ومثالُ الفاءِ بعد الأمرِ قوله:

يَـا نَـاقُ سِـيرِي عَنَقًـا فَسِـيحًا إِلَى سُـلَيْمَانَ فَنَسْـتَرِيحَا

والواوِ بعده، قوله:

فَقُلْـتُ ادْعِـي وَأَدْعُـوَ إِنَّ أَنْـدَى لِصَـوْتٍ أَنْ يُنَـادِيَ دَاعِيَـانِ

وقد اجتمع النَّصبُ في جوابَيِ الطَّلبِ والنَّفيِ في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ [الأنعام: ٥٢] الآية؛ لأنَّ «تَطْرُدَهُمْ» جوابُ النَّفي وهو: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم﴾، ﴿فَتَكُونَ﴾ جوابُ النَّهي وهو: «لَا تَطْرُدِ».

ومثال الفاءِ بعد الدُّعاءِ قوله:

رَبِّ وَفِّقْنِـي فَـلَا أَعْـدِلَ عَـنْ سَـنَنِ السَّـاعِينَ في خَـيْرِ سَـنَنْ

وبعد العَرْضِ، قوله: «يَا ابْنَ الكِرَامِ أَلَا تَدْنُو فَتُبْصِرَ مَا».

وبعد التَّحضيضِ، قولك: «هَلَّا اتَّقَيْتَ الله فَيَغْفِرَ لَكَ» وهو والعَرْضُ متقاربان يجمعهما التنبيه على الفعل، إلَّا أنَّ في التَّحضيضِ زيادةُ توكيدٍ وحثٍّ، وفي العَرْضِ رِفْقًا ولِينًا.

وبعد الاستفهامِ قوله:

هَـلْ تَعْرِفُـونَ لُبَانَـاتِي فَـأَرْجُوَ أَنْ تُقْضَى فَيَرْتَدَّ بَعْضُ الرُّوحِ لِلجَسَـدِ

وشرطُ الاستفهامِ: أن لا يتضمَّن وقوع الفعل، نحو: «لِمَ ضَرَبْتَه فَيُجَازِيكَ»، فإنَّ الضَّربَ إذا وقع يتعذَّرُ سَبْكُ مَصدرٍ مُستقبلٍ منه.

ومثال التَّرجِّي: ﴿لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ﴾ [غافر: ٣٦ – ٣٧].

(مسألة): لم يُسمع نصبُ الفعل بعد الواو بعد واحدٍ من أربعة: وهي النَّفي، والنَّهي، والأمر، والتَّمنِّي. قاله ابن هشامٍ.

وقال أبو حَيَّان: ولا أحفظه بعد الدُّعاء والعَرْضِ والتَّحضيضِ والتَّرجِّي، فينبغي أن لا يُقدَمَ على ذلك إلَّا بسماعٍ. نقله الأزهريُّ.

(فائدة): اشترطوا في الطَّلب أن يكون بالفعل احترازًا من نحو قولك: «نَزَالِ فَنُكَلِّمُكَ» و «صَهْ فَنُحَدِّثُكَ» خلافًا للكسائيِّ في إجازة ذلك مطلقًا، ولابن جِنِّي وابن عصفورٍ في إجازته بعد «نَزَالِ، ودَرَاكِ» ونحوهما مما فيه لفظ الفعل دون «صَهْ، ومَهْ» ونحوهما ممَّا فيه معنى الفعل دون حروفه. قاله ابن هشامٍ.

واشترطوا في الفاءِ: السببيَّةَ، والواوِ: المعيَّةَ، احترازًا من العاطفتَيْنِ على صريح الفعل، ومن الاستئنافيتَيْنِ نحو: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: ٣٦] فإنَّها للعطف. وتقول: «لا تَأْكُلِ السَّمَكَ وتَشْرَب اللَّبَنَ» بالرَّفع، إذا نهيته عن الأوَّلِ فقط وأَبحْتَ له الثَّاني، فإن قدَّرت النَّهي عن الجمع نصبْتَ على إرادة المعيَّة، أو قدَّرت النَّهي على كلٍّ منهما على حِدَتِه: جزمْتَ على العطف. والفرقُ بين النَّصبِ والجزمِ في حالتَيِ العطفِ: أنَّه في النَّصب من عطف مصدرٍ مؤولٍ من «أن» والفعل على مصدرٍ مُتصيَّدٍ من الفعل السَّابق، لئلَّا يلزم عطف المصدرِ على الفعل، وفي الجزم من عطف الفعل على الفعل. قاله ابن هشامٍ.

(مسألة): إذا سقطت الفاءُ من المضارع الواقع بعد الطَّلبِ وقُصِدَ به معنى الجزاءِ جُزِمَ الفعلُ، واختُلف في تحقيقِ جازمِه فالجمهورُ يجعلونه جوابًا لشرطٍ مقدَّرٍ، فيكون مجزومًا عندهم بأداة شرطٍ مقدَّرةٍ هي وفعل الشَّرطِ لا جوابًا

للطَّلب المتقدِّم، فيكون مجزومًا بنفس الطَّلب. وهو قول الخليل وسيبويه والسِّيرافيِّ والفارسيِّ.

ثمَّ اختلفوا في علَّتِه، فقال الخليلُ وسيبويه: إنَّما جَزَمَ الطَّلبُ لتضمُّنه معنىٰ حرف الشَّرط، وقال الفارسيُّ والسِّيرافيُّ: لنيابته مناب الجازم الذي هو حرف الشَّرط المقدَّر، كما أنَّ النَّصبَ بـ «ضَرْبًا» في قولك: «ضَرْبًا زيدًا» لنيابته عن اضرب، لا لتضمُّنه معناه، خلافًا لزاعمي ذلك.

ومذهبُ الجمهورِ راجحٌ؛ لأنَّ الحذفَ والتَّضمينَ وإن اشتركا في أنَّهما خلاف الأصل لكن في التَّضمين تغيَّر معنىٰ الأصل، ولا كذلك الحذف، وأنَّ نائب الشَّيء يؤدِّي معناه، والطلب لا يؤدِّي معنىٰ الشَّرط، ولأنَّ الأرجحَ في «ضَرْبًا زيدًا» أنَّ «زيدًا» منصوبٌ بالفعل المحذوف لا بالمصدر؛ لعدم حلوله محلَّ فعلٍ مقرونٍ بحرفٍ مصدريٍّ، وذلك نحو: ﴿تَعَالَوْاْ أَتْلُ﴾ [الأنعام: ١٥١] فـ﴿أَتْلُ﴾ مجزومٌ بشرطٍ مقدَّرٍ، والتَّقديرُ: «تَعَالَوْا إِنْ تَأْتُونِي أَتْلُ عَلَيْكُم»، فالتِّلاوةُ عليهم مُسبَّبةٌ عن مجيئهم بخلاف ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣] فـ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ مرفوعٌ باتفاق السَّبعة، وإن كان مسبوقًا بالطَّلب وهو ﴿خُذْ﴾، لكونه ليس مقصودًا به معنىٰ: إنْ تأخذْ منهم صَدَقَةً تُطَهِّرْهُم؛ وإنما أُريدَ: «خُذْ منهم صَدَقَةً مُطَهِّرَةً»، فـ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ صفةٌ لـ﴿صَدَقَةً﴾، ولو قُرئ بالجزم علىٰ معنىٰ الجزاء لم يمتنع في القياس انتهىٰ مُلخصًا من "التَّوضيح وشرحه".

(فائدة): النَّفيُ لا يجزم الفعل في جوابه، فلا يُقال: «ما تأتينا تُحَدِّثْنا»، بجزم

«تُحَدِّثَنا»، خلافًا للزجَّاج والكوفيين، ولا سماع معهم ولا قياس؛ لأنَّ الجزم يتوقَّف على السببيَّة، ولا يكون انتفاء الإتيان مُسَبِّبًا للتحديث. قاله الأزهريُّ.

«وَأَوْ» العاطفة إذا صلح في موضعها حتى المرادفة «إلى» نحو: لأَلْزَمَنَّكَ أو تَقْضِيَني حَقِّي. وقوله:

لَأَسْتَسْهِلَنَّ الصَّعْبَ أَوْ أُدْرِكَ المنَى ... فَمَا انْقَادَتِ الآمَالُ إِلَّا لِصَابِرِ

أو صلح في موضعها «إلَّا» الاستثنائيَّة، نحو: «لأَقْتُلَنَّهُ أو يُسْلِمَ»، وقوله:

وَكُنْتُ إِذَا غَمَزْتُ قَنَاةَ قَوْمٍ ... كَسَرْتُ كُعُوبَهَا أَوْ تَسْتَقِيمَا

وقال ابنُ عَقِيلٍ: يجب إضمار «أن» بعد «أو» المقدَّرة بـ«حتى» أو «إلَّا»، فتُقَدَّر بـ«حتى» إذا كان الفعل الذي قبلها ينقضي شيئًا فشيئًا، وتُقَدَّر بـ«إلَّا» إن لم يكن كذلك.

فالفعل في الأمثلة المتقدِّمة ونحوها مؤوَّلٌ بمصدرٍ معطوفٍ على مصدرٍ مُتَصَيَّدٍ من الفعل المتقدِّم، أي: ليكونَنَّ لزومٌ منِّي أو قضاءٌ منه لحقِّي، وليكونَنَّ استسهالٌ منِّي للصَّعبِ أو إدراكٌ للمُنَى، وليكونَنَّ قتلٌ منِّي للكافرِ أو إسلامٌ منه، وليكونَنَّ كسرٌ منِّي لكعوبِها أو استقامةٌ منها. قاله الأزهريُّ.

(مُهِمَّة): تُضمرُ «أن» وجوبًا بعد «لام الجحود» وبعد «حتى» وبعد «الفاء» و«الواو»، وتُضمرُ جوازًا بعد «لام كي»، وبعد «الفاء، والواو، وأو، وثمَّ» إذا كان العطفُ بهنَّ على اسمٍ صريحٍ ليس في تأويل الفعل، وهو نوعان: مصدرٌ وغيرُه، فغيرُ المصدرِ قوله:

وَلَوْلَا رِجَالٌ مِنْ رِزَامٍ أَعِزَّةٌ ... وَآلُ سُبَيْعٍ أَوْ أَسُوءَكَ عَلْقَمَا

«أَسُوءَكَ» معطوفٌ على «رجال»، وهو ليس في تأويل الفعل.

والمصدرُ نحو قوله تعالىٰ: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ [الشورىٰ: ٥١] في قراءةِ غير نافعٍ، فالنَّصبُ عطفًا علىٰ ﴿وَحْيًا﴾، والتقدير: «إلَّا وحيًا أو إرسالًا»، و﴿وَحْيًا﴾ مصدر ليس في تأويل الفعل. ونحو قوله:

وَلُبْسُ عَبَاءَةٍ وَتَقَرَّ عَيْنِي ... أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لُبْسِ الشُّفُوفِ

فـ«تَقَرَّ» منصوبٌ بـ«أن» مُضمرة جوازًا، وهي والفعل في تأويل مصدرٍ مرفوعٍ بالعطفِ علىٰ «لُبْس»، وقوله:

لَوْلَا تَوَقُّعُ مُعْتَرٍّ فَأُرْضِيَهُ ... مَا كُنْتُ أُوثِرُ إِتْرَابًا عَلَىٰ تَرَبِ

فـ«أُرْضِيَه» منصوبٌ بـ«أن» مُضمرة جوازًا بعد «الفاء»، وهي الفعل في تأويل مصدرٍ معطوفٍ علىٰ «تَوَقُّع»، و«تَوَقُّع» ليس في تأويل الفعل، وقوله:

إِنِّي وَقَتْلِي سُلَيْكًا ثُمَّ أَعْقِلَهُ ... كَالثَّوْرِ يُضْرَبُ لَمَّا عَافَتِ البَقَرُ

فـ«أَعْقِلَهُ» منصوبٌ بـ«أن» مُضمرة جوازًا بعد «ثمَّ»، وأن والفعل في تأويل مصدرٍ معطوفٍ علىٰ «قَتْلِي» وليس في تأويل الفعل.

(فائدة): تَحَصَّلَ من هذا أنَّ لـ«الفاء، والواو، وأو» حالتين: حالةٌ يجب فيها إضمارُ «أن» بعدهنَّ، وحالةٌ يجوز.

فيجب إذا كانت «الفاء» للسببيَّة و«الواو» للمعيَّة بعد نفيٍ أو طلبٍ محضين، و«أو» بمعنىٰ «إلىٰ» أو «إلَّا».

ويجوز إذا عطفت علىٰ اسمٍ خالصٍ من التأويل بالفعل، وثمَّ تُشارِكُهنَّ في الجواز دون الوجوب. انتهىٰ من "التَّوضيحِ" وشرحه.

(مسألة): لا ينتصب الفعل بـ«أن» مُضمرة في غير هذه المواضع العشرة إلَّا

شذوذًا، وهي في ذلك على قسمين: تارةً يكون في الكلام مثلُها فيَحْسُنُ حذفُها، وتارةً لا يكون.

فالأول: كقول بعضهم: «تَسْمَعَ بِالْمُعَيْدِيِّ خَيْرٌ مِنَ أَنْ تَرَاهُ»، بنصب «تسمع» بإضمار «أن»، والذي حسَّنَ حذفَها من «تسمع» ذِكْرُها في «أن تراه». وقوله:

أَلَا أَيُّهَذَا الزَّاجِرِي أَحْضُرَ الوَغَى وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي

بنصب «أَحْضُرَ» بـ«أن» مُضمرة ويُؤَيِّدُه «وأن أَشْهَدَ». قاله ابن هشامٍ.

والثاني: قول آخر: «خُذِ اللِّصَّ قَبْلَ يَأْخُذَكَ»، بالنَّصبِ، وقراءة بعضهم: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالحقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغَهُ﴾ [الأنبياء: ١٨] بنصب ﴿يَدْمَغَهُ﴾، وقراءة ﴿تَأْمُرُونِّي أَعْبُدَ﴾ بالنَّصبِ فحُذِفَتْ «أن» فيهنَّ، وليس معها ما يُحسِّنُ حذفَها، والجميعُ شاذٌّ، قاله الأزهريُّ.

(تنبيهٌ): القولُ بالشذوذِ هو مذهبُ الجمهورِ، وذهب الكوفيون ومن وافقهم من البصريين إلى أنَّه يُقاس عليه، وأجاز الأخفشُ حذْفَ «أن» قياسًا، ولكن بشرط رفْعِ الفعل مثل: ﴿تَأْمُرُونِّي أَعْبُدَ﴾، وتَسْمَعُ بالْمُعَيْدِيِّ في رواية الرَّفْعِ، وذهب بعض المتأخرين إلى أنَّه لا يجوز حَذْفُها إلَّا في الأماكن العشرة، رفعت أو نصبت.

قال المؤلِّف: (**وَالجَوَازِمُ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ وَهِيَ: لَمْ، وَلَمَّا، وَأَلَمْ، وأَلَمَّا، وَلَامُ الأَمْرِ وَالدُّعَاءِ، وَلَا فِي النَّهْيِ وَالدُّعَاءِ، وَإِنْ، وَمَا، وَمَنْ، وَمَهْمَا، وَإِذْمَا، وَأَيٌّ، وَمَتَى، وَأَيَّانَ، وَأَيْنَ، وَأَنَّى، وَحَيْثُمَا، وَكَيْفَمَا، وَإِذَا فِي الشِّعْرِ خَاصَّةً**).

«وَالجَوَازِمُ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ» وهي على قسمين: ما يجزمُ فعلًا واحدًا، وما يجزمُ فعلين: فالذي يجزمُ فعلًا واحدًا «لَمْ» وهي حرفٌ لنفي المضارع وقَلْبِه ماضيًا نحو: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ٣]، و«لَمَّا» وهي حرفٌ لنفي المضارع وقَلْبِه ماضيًا نحو: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤].

(تنبيهٌ): «لَمَّا» تُشاركُ «لَمْ» في أمورٍ: في الحرفيَّة، والاختصاصِ بالمضارعِ، والنَّفْيِ، والجزمِ، والقَلْبِ للماضي، وتفارقُها في أربعةِ أمورٍ:

أحدها: أنَّ المنفيَّ بها مستمرُّ الانتفاء إلى زمن الحال، بخلاف المنفيِّ بـ«لم» فإنَّه قد يكون مستمرًّا مثل: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ٣] وقد يكون منقطعًا مثل: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١]؛ لأنَّ المعنى أنَّه كان بعد ذلك شيئًا مذكورًا ومن ثَمَّ امتنع أن تقول: «لَمَّا يقم ثم قام»، لما فيه من التناقض، وجاز «لم يقم ثم قام».

والثَّاني: أنَّ «لَمَّا» تؤذن كثيرًا بتوقُّعِ ثبوت ما بعدها نحو: ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾ [ص: ٨] أي: إلى الآن ما ذاقوه، وسوف يذوقونه، و«لم» لا تقتضي ذلك.

والثَّالث: أنَّ الفعلَ يُحذفُ بعدها، يُقال: «هل دَخَلْتَ البلدَ؟»، فتقول: «قَاربتُها ولَمَّا»، تريد: ولَمَّا أدخلها وكقوله:

فَجِئْتُ قُبُورَهُمْ بَدْءًا وَلَمَّا ... فَنَادَيْتُ القُبُورَ فَلَمْ يُجِبْنَه

أي: ولَمَّا أَكُنْ بَدْءًا قبل ذلك أي: سيِّدًا. ولا يجوز وصلتُ إلى بغداد ولَمْ، تريدُ ولَمْ أَدْخُلْها، فأمَّا قوله:

احْفِظْ وَدِيعَتَكَ التي اسْتُوْدِعْتَهَا يَوْمَ الأَعَازِبِ إِنْ وَصَلْتَ وَإِن لِمِ

فضرورةٌ.

والرَّابع: أنَّها لا تقترن بحرفِ الشَّرطِ بخلاف «لَمْ»، تقول: «إن لَمْ تقم قمت»، ولا يجوز «إنْ لَمَّا تقم قمت»، وزاد في "المغني" قسمًا خامسًا مما تفارقُ «لَمَّا» فيه «لِمْ»: وهو أنَّ منفيَّ «لَمَّا» لا يكون إلَّا قريبًا من الحال، ولا يشترط ذلك في منفيِّ «لَمْ»، تقول: «لَمْ يَكُنْ زيدٌ في العام الماضي مُقيمًا»، ولا يجوز «لَمَّا يكن».

وقال ابنُ مالكٍ: لا يُشترطُ كون منفيِّ «لَمَّا» قريبًا من الحال مثل: «عصىٰ إبليسُ ربَّه ولَمَّا يندم»، بل ذلك غالبٌ لا لازم.اهـ

وعلَّة هذه الأحكام كلِّها: أنَّ «لَمْ» لنفي (فَعَلَ) و«لَمَّا» لنفي (قَدْ فَعَلَ).

(تنبيهٌ): ما ذكرناه في أنَّهما يقلبان المضارع إلىٰ الماضي هو مذهب المبرِّد، وهو الجاري علىٰ أَلْسِنَةِ المعربين، وذهب أبو موسىٰ إلىٰ أنَّهما يقلبان لفظ الماضي إلىٰ المضارع، ونُسِبَ إلىٰ سيبويه والصَّحيحُ الأوَّلُ.

(مسألة): سُمِعَ رفعُ المضارعِ بعد «لَمْ» كقوله:

لَوْلَا فَوَارِسُ مِنْ نُعْمٍ وَأُسْرَتِهِمْ يَوْمَ الصُّلَيْفَاءِ لَمْ يُوفُونَ بِالجَارِ

فقال ابنُ مالكٍ: لغةٌ، وقيل: ضرورةٌ، وسُمِعَ نصبُ المضارعِ بها كقراءةِ بعضِهم: ﴿أَلَمْ نَشْرَحَ﴾ فقال اللِّحْيَانيُّ: إنَّها لغةٌ لبعضِ العربِ، وقال غيرُه: الأصل «نَشْرَحَنْ»، فحُذفت نونُ التُّوكيد الخفيفة وبقيت الفتحةُ دليلًا عليها، قال ابن هشامٍ: وفي هذا شذوذان: توكيدُ المنفيِّ بـ«لِمْ»، وحذف «النُّونِ» لغير وقفٍ ولا ساكنَيْنِ.اهـ

(مسألة): قد يُفصَلُ بين «لَمَّ» ومجزومِها بالظَّرْفِ في الضرورةِ، كقوله:

فَـــذَاكَ وَلَمَّ إِذَا نَحْـــنُ امْتَرَيْنَـــا تَكُـــنْ فِي النَّـــاسِ يُـــدْرِكُكَ المِـــرَاءُ

وقد يليها الاسمُ معمولًا لفعلٍ محذوفٍ يُفَسِّرُهُ ما بعده كقوله:

ظَنَنْـــتُ فَقِـــيرًا ذَا غِنًـــى ثُـــمَّ نِلْتُـــهُ فَلَـــمَّ ذَا رَجَـــاءٍ أَلْقَـــهُ غَـــيْرَ وَاهِـــبِ

قاله ابن هشامٍ.

(تنبيهٌ): تأتي «لَمَّا» لمعنيين آخرين:

أحدهما: أن تختصَّ بالماضي، فتقتضي جملتين وجدت ثانيتهما عند وجود أولاهما، نحو: «لَمَّا جاءني أكرمتُه»، ويقال فيها: حرف وجود لوجود، وبعضهم يقول: حرف وجوب لوجوب.

قال ابن هشامٍ: زعم ابنُ السَّرَّاج وتبعه الفارسيُّ وتبعهما ابن جِنِّي وتبعهم جماعةٌ: إنَّها ظرفٌ بمعنى «حين»، وقال ابنُ مالكٍ: بمعنى «إذ»، وهو حسنٌ؛ لأنَّها مختصَّة بالماضي وبالإضافة إلى الجملة.

وردَّ ابنُ خروفٍ على مدَّعي الاسميَّة بجواز أن يقال: «لَمَّا أكرمتني أمسِ أكرمتُك اليومَ»؛ لأنَّها إذا قُدِّرت ظرفًا كان عاملها الجواب، والواقع في اليوم لا يكون في الأمس والجواب أنَّ هذا مثل: ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾ [المائدة: ١١٦]

والشَّرطُ لا يكون إلَّا مُستقبلًا ولكن المعنى إن ثبت أنِّي كنت قُلْتُهُ، وكذا هذا المعنى «لَمَّا ثبت اليومَ إكرامُك لي أمسِ أكرمتُك»، ويكون جوابها فعلًا ماضيًا اتفاقًا، وجملةً اسميَّة مقرونةً بـ«إذا» الفجائيَّة، أو بـ«الفاء» عند ابن مالكٍ، وفعلًا مضارعًا عند ابن عصفورٍ:

دليل الأوَّلِ: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ [الإسراء: ٦٧].

والثَّاني: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

والثَّالثِ: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ [لقمان: ٣٢].

والرَّابعِ: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا﴾ [هود: ٧٤] وهو مؤول «يجادلنا»، وقيل في آية الفاء: إنَّ الجوابَ محذوفٌ أي: انقسموا قسمين فمنهم مقتصدٌ، وفي آية المضارع: إنَّ الجوابَ: «جاءته البشرىٰ» علىٰ زيادة الواو، أو محذوفٌ أي: أقبل يجادلنا.

(فائدة): من مشكل «لَمَّا» هذه قول الشاعر:

أَقُولُ لِعَبْدِ الله لَمَّا سِقَاؤُنَا ... وَنَحْنُ بِوَادِي عَبْدِ شَمْسٍ وَهَاشِمِ

فيُقَالُ: أين فعلاها، قال ابن هشامٍ: والجوابُ أنَّ «سِقَاؤُنا» فاعلٌ بفعلٍ محذوفٍ يُفسِّره وهي بمعنىٰ: سَقَط. والجوابُ محذوفٌ تقديره: قلت، بدليل قوله: أقول، وقوله: «شِمِ» أمرٌ، من قولك: شِمْتُ البرقَ، إذا نظرتَ إليه، والمعنىٰ: لما سَقَط سِقاؤُنا قلت لعبد الله شِمْهُ.

وقال الدماميني: هذا إن كانت شرطيَّة، وأمَّا إن قلنا: إنَّها بمعنىٰ «حين» فهي ظرفٌ لا قول ولا حذف.اهـ

المعنىٰ الثَّاني: أن تكون حرف استثناء، فتدخل علىٰ الجملة الاسميَّة نحو: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤] فيمن قرأ بتشديد الميم، وعلىٰ الماضي لفظًا لا معنىٰ نحو: «أنشدك الله لَمَّا فعلت» أي: ما أسألك إلَّا فعلك، قال الشَّاعر:

قَالَتْ لَهُ بِالله يَا ذَا البُرْدَيْن ... لَمَّا غَنِثْتَ نَفَسًا أَوِ اثْنَيْن

قال ابن هشامٍ: وفيه ردٌّ لقول الجوهريِّ: أنَّ «لمَّا» بمعنىٰ: إلَّا غير معروفٍ في اللُّغة، ثمَّ قال: وتأتي «لمَّا» مركَّبة من كلمات ومن كلمتين، فأمَّا المركَّبات من كلمات فنحو: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ﴾ [هود: ١١١] بتشديد نون «إنَّ» وميم «لمَّا»، فيمن قال: الأصل لمن ما فأبدلت النُّون ميمًا وأُدغمت، فلمَّا كثرت الميمات حُذفت الأولىٰ، وهذا القول ضعيفٌ؛ لأنَّ حذف مثل هذه الميم استثقالًا لم يَثبُت، وأضعفُ منه قولُ آخرٍ: إنَّ الأصل «لمَّا» بالتَّنوين، بمعنىٰ جمعًا، ثمَّ حُذف التَّنوين إجراءً للوصل مجرىٰ الوقف؛ لأنَّ استعمال «لمَّا» في هذا المعنىٰ بعيدٌ، وحذف التَّنوين من المنصرف في الوصل أبعدُ.

وأضعفُ من هذا قولُ آخرٍ: إنَّه فَعْلَىٰ من «اللمم» وهو بمعناه ولكنَّه مُنع الصرف لألف التَّأنيث، ولم يَثبُت استعمال هذه اللَّفظة، وإذا كان فَعْلَىٰ فهلَّا كُتب بالياء، وهلَّا أماله من قاعدته الإمالة، وأمَّا قراءةُ أبي بكرٍ بتخفيف «إن» وتشديد «لمَّا» فتحتمل وجهين:

أحدهما: أن تكون مخفَّفةً من الثَّقيلة.

والثَّاني: أن تكون «إن» نافيةً، و«كُلًّا» مفعول بإضمار أرىٰ، و«لمَّا» بمعنىٰ إلَّا.

وأمَّا قراءةُ النَّحويين بتشديد النُّون وتخفيف الميم، وقراءةُ الحرميَّينِ بتخفيفهما، فـ«إن» في الأولىٰ علىٰ أصلها من التشديد ووجوب الإعمال، وفي الثَّانية مخفَّفة من الثَّقيلة وأُعملت علىٰ أحد الوجهين، واللَّام من «لمَّا» فيهما «لام» الابتداء.

وأمَّا المركَّبةُ من كلمتين فكقوله:

لَمَّا رَأَيْتُ أَبَا يَزِيدَ مُقَاتِلًا ... أَدَعَ القِتَالَ وَأَشْهَدَ الهَيْجَاءَ

وهو لغزٌ، يقال فيه: أين جواب «لَمَّا»؟ وبم انتصب «أَدَعَ»؟ وجواب الأوَّل: أنَّ الأصل «لَنْ مَا»، ثم أُدغمت النُّون في الميم للتَّقارب، ووُصِلا خَطًّا للإلغاز، وإنَّما حقُّهما أن يُكتبا منفصلين.

وجواب الثَّاني: أنَّ انتصابه بـ«لن»، و«ما» الظرفيَّة وصلتها ظرف له فاصل بينه وبين «لن» للضرورة، فيُسأل حينئذٍ: كيف يجتمع قوله: لن أَدَعَ القتال، مع قوله: لن أَشْهَدَ الهيجاء؟ فيُجاب: بأنَّ أشهد ليس معطوفًا على أدع، بل نصبه بـ«أن» مضمرة، و«أن» والفعل عطف على القتال أي: لن أَدَعَ القتالَ وشهودَ الهيجاءِ.اهـ ملخَّصًا.

(فائدة): نظيرُ هذا البيت المتقدِّم في الإلغاز قولُ الشَّاعر:

عَافَتِ المَاءَ في الشِّتَاءِ فَقُلْنَا بَرِّدِيهِ تُصَادِفِيهِ سَخِينَا

فيُقالُ: كيف يكون التَّبريدُ سببًا لمصادفته سخينًا؟

والجوابُ: أنَّ الأصل «بل رِدِيهِ»، وهو أمرٌ من الورود، ثمَّ كُتبَ على لفظه للإلغاز.

وقوله: (وَأَلَمْ وَأَلَّمَا) هما نفس «لَمْ ولَمَّا» دخلت عليهما همزةُ الاستفهامِ. (وَلَامُ الأَمْرِ) نحو: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [الطلاق: ٧].

(وَالدُّعاءِ) نحو: ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧]، والالتماسِ نحو: «لِيَقُمْ»، فالأمر من الأعلى، والدُّعاء من الأدنى، والالتماس من المساوي، وهذا التقسيم من باب الأدب، وإلَّا فالكلُّ أمرٌ في الحقيقة. وجزمها فِعْلِيِّ المتكلم المبدوء بالهمزة والمبدوء بالنُّون مبنيين للفاعل قليل، نحو قوله صلَّى الله عليه

وآله وسلَّم: «قُومُوا فَلأُصِلِّ لَكُم» وقوله تعالىٰ: ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ [العنكبوت: ١٢]، وأقلُّ منها جزمها فعل الفاعل المخاطب نحو قوله تعالىٰ: ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْتَفْرَحُوا﴾ [يونس: ٥٨] بقراءةِ التَّاءِ، وزعم الزجَّاجيُّ أنَّها لغةٌ جيدةٌ، والجمهورُ جعلوا جزمها لفعل المخاطب أقلَّ من جزمها لفعل المتكلِّم، وقالوا: الأكثرُ الاستغناءُ عن هذا بفعل الأمر، نحو: «افرحوا، وخذوا، وقم». وأصل «لام الأمر» السُّكون؛ لأنَّ الأصلَ عدمُ الحركةِ، ولكن مَنَعَ منه أنَّها قد تكون في الابتداء، والابتداء بالسَّاكن متعذِّرٌ فكُسِرت، وقد تُفتح عند سُليم، فإذا دخل عليها الواو والفاء أو ثم رجعت إلىٰ سكونها الأصليِّ غالبًا، انتهىٰ من "التَّوضيح وشرحه".

(فائدة): قال السُّيوطيُّ في "الأشباه": «يجوزُ تسكينُ «لام الأمر» بعد «واوٍ وفاءٍ» نحو: ﴿وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ﴾ [الحج: ٢٩] ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى﴾ [البقرة: ١٨٦]، ولا يجوز ذلك في «لام كي»؛ وفرَّق أبو جعفر النَّحاس بأنَّ «لام كي» حذف بعدها «أن»، فلو حُذفت كسرتها أيضًا لاجتمع حذفان بخلاف «لام» الأمر، وفرَّق ابنُ مالكٍ بأنَّ «لام الأمر» أصلها السُّكون فرُدَّت إلىٰ الأصل ليؤمن دوامُ تقوية الأصل، بخلاف «لام كي» فإنَّ أصلها الكسر؛ لأنَّها «لام الجر»، انتهىٰ منه.

وقوله «وَلَا في النَّهْيِ» نحو: ﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ [لقمان: ١٣].

«وَالدُّعَاءِ» نحو: ﴿لَا تُؤَاخِذْنَآ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

«وَالالتِمَاسِ» نحو: لا تفعل، وجزمها فِعْلِيِّ المتكلِّم نادرٌ، كقوله:

لَا أَعْـرِفَنْ رَبْرَبًـا حُـورًا مَـدَامِعُهَا مُرَدَّفَـاتٍ عَـلَىٰ أَعْقَـابِ أَكْـوَارِ

وقوله:

إِذَا مَا خَرَجْنَا مِنْ دِمَشْـقَ فَـلَا نَعُـدْ لَهَـا أَبَـدًا مَـا دَامَ فِيهَـا الجُرَاضِـمُ

(فائدة): الرَّبْرَبُ، براءين مُهملتين وباءين مُوحدتين: القطيعُ من البقر الوحشيَّة، والحُورُ، بضمِّ الحاء المهملة: جمع حَوْرَاء من الحَوَرِ، بفتحتين، وهو شِدَّةُ بياض العين في شدَّة سوادها، والأعقابُ جمع عقب؛ كل شيء آخره، والأكوار جمع كُور، بضمِّ الكاف: الرَّحْلُ بأداته، ودِمَشْقُ كحِضَجْر: مدينةٌ معروفةٌ، والجُرَاضِمُ، بضم الجيم وبالضاد المعجمة: الأكولُ الواسعُ البطنِ، وعنىٰ الفرزدقُ بهذا معاويةَ.

(مسألة): تجزم «لا» فعلي المتكلم مبنيين للمفعول بكثرة، نحو: لا أُخرَجْ ولا نُخرَجْ؛ وذلك لأنَّ المنهيَّ غيرُ المتكلم وهو الفاعل المحذوف النائب عنه ضمير المتكلم، والأصل: «لا يُخرِجُني أحدٌ ولا يُخرِجُنا أحدٌ».

(تنبيهٌ): قال بعضهم: أصلُ «لا النَّاهية» «لامُ الأمر» زيدت عليها الألف فانفتحت، وقال الكسائيُّ: هي «لا النَّافية»، والجزمُ بعدها بـ«لام الأمر» مضمرةٌ قبلها، وحُذفت كراهة اجتماع لامين، والصَّوابُ خلافُ هذا كلِّه.

(مُهِمَّة): قال أبو حَيَّان في "شرح التَّسهيل": لا تدخل علىٰ التي للنَّهي أداةُ الشَّرطِ. فـ «لا» في قولهم: «إن لا تفعل أفعل» للنَّفي المحْضِ، ولا يجوز أن تكون للنَّهي؛ لأنَّه ليس خبرًا والشَّرطُ خبرٌ فلا يجتمعان، وقال بعضهم: هي «لا» التي للنهي، وإذا دخل عليها أداةُ الشَّرطِ لم تَجزِم وبطل عملها، وكان التَّأثيرُ لأداةِ الشَّرطِ، وذلك بخلاف «لم» فإنَّ التأثير لها لا لأداةِ الشَّرطِ في نحو:

﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا ﴾ [البقرة: ٢٤].

والفرق: أنَّ أداةَ الشَّرطِ لم تلزم العمل في كلِّ ما تدخل عليه، إذ تدخلُ على الماضي، فلم يكن لها إذ ذاك اختصاصٌ بالمضارع فضَعُفَت؛ فحيث دخل عاملٌ مُختصٌّ كان الجزم له اهـ. نقله السُّيوطيُّ في "الأشباه".

(مسألة): اختلف في «لا» من قوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾ [الأنفال: ٢٥] على قولين:

أحدهما: أنَّها ناهيةٌ، والأصل لا تتعرَّضوا للفتنة فتُصيبَكم، ثمَّ عُدِلَ عن النَّهيِ عن التَّعرُّضِ إلى النَّهيِ عن الإصابة؛ لأنَّ الإصابةَ مُسبَّبةٌ عن التَّعرُّضِ، وتوكيدُ الفعل بالنُّونِ واضحٌ لاقترانه بحرف الطَّلبِ مثل: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا ﴾ [إبراهيم: ٤٢] ولكن وقوع الطَّلبِ صفةٌ للنكرة ممتنعٌ؛ فوجب إضمارُ القول، أي: واتقوا فتنةً مقولًا فيها ذلك.

والثَّاني: أنَّها نافيةٌ، واختلف القائلون بذلك على قولين:

أحدهما: أنَّ الجملةَ صفةٌ لـ«فتنة»، ولا حاجة إلى إضمار القول؛ لأنَّ الجملةَ خبريَّةٌ، وعلى هذا فيكون دخول النُّونِ شاذًّا، والذي جوَّزه تشبيه «لا» النَّافية بـ«لا» النَّاهية وعلى هذا الوجه تكون الإصابةُ عامَّةً للظالم وغيره لا خاصَّة بالظَّالمين.

والثَّاني: أنَّ الفعلَ جوابُ الأمرِ، وعلى هذا فيكون التَّوكيد أيضًا خارجًا عن القياس شاذًّا، وممن ذكر هذا الوجه الزَّمخشريُّ وهو فاسدٌ؛ لأنَّ المعنى حينئذٍ فإنَّكم إن تتقوها لا تصيب الذين ظلموا منكم خاصَّة.

وقوله: «إنَّ التَّقديرَ إن أصابتكم لا تصيب الظَّالمِ خاصَّة» مردودٌ؛ لأنَّ الشَّرطَ إنَّما يُقدَّر من جنس الأمر لا من جنس الجواب اهـ. قاله ابن هشامٍ.

(فائدة): «لا» النَّاهية تختصُّ بالدخول على المضارع وتقتضي استقباله، سواء كان المطلوب منه مخاطبًا نحو: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الممتحنة: ١] أو غائبًا نحو: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ [آل عمران: ٢٨] أو متكلمًا نحو: «لا أرينَّك ها هنا».

والذي يجزم فعلين أربعة أنواعٍ:

حرفٌ باتفاقٍ وهو «إنْ» بكسر الهمزة وسكون النون، وهي أمُّ الباب وأصل أدوات الشَّرط، قال ابن يعيش: «لأنَّها تدخل في مواضع الجزاء كلها، وسائر حروف الجزاء لها مواضع مخصوصة، فـ«من» شرطٌ فيمن يعقل، و«متى» شرطٌ في الزَّمان، وليست «إنْ» كذلك، بل تأتي شرطًا في الأشياء كلها».اهـ

وقال ابن القواس في "شرح الدرة": «إنَّما كانت إنْ أصل أدوات الشَّرط؛ لأنَّها حرفٌ وأصل المعاني للحروف، ولأنَّ الشَّرط بها يعم ما كان عينًا أو زمانًا أو مكانًا، ومن ثمَّ اختصت بأمورٍ منها: جواز حذف الفعلين بعدها، قال أبو بكر ابن الأنباري: إنَّما صارت «إنْ» أمُّ الجزاء؛ لأنَّها بغلبتها عليه تنفرد وتؤدِّي عن الفعلين، يقول الرجل: «لا أقصد فلانًا؛ لأنَّه لا يعرف حق من يقصده» فيقال له: زره وإنْ يُزار وإنْ كان كذلك فزره فيكفي «إنْ» من الشَّيئين ولا يعرف ذلك في غيرها من حروف الشَّرط».اهـ

قال أبو حَيَّان: وظاهر كلامه وكلام غيره أنَّه ليس مخصوصًا بالضَّرورة،

لكن صرَّح الرضي: بأنَّه خاصٌّ بالشِّعر، ومنها قال أبو حَيَّان: لا أحفظ أنَّه جاء فعل الشَّرط محذوفٌ ولا الجواب محذوفًا أيضًا بعد غير «إنْ». ومنها جوَّز بعضهم حذف «إنْ»، لكن الجمهور علىٰ منعه، ولا يجوز حذف غيرها من أدوات الشَّرط إجماعًا، كما لا يجوز حذف سائر الجوازم ولا حذف حرف الجر. ومنها يجوز إيلاؤها الاسم علىٰ إضمار فعل يفسره ما بعده نحو: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ﴾ [التوبة: ٦]ولا يجوز ذلك في غيرها من الأدوات إلَّا في الضَّرورة، كما جزم به في "التسهيل".

قال ابن يعيش وأبو حَيَّان: «وخُصَّت «إنْ» بالجواز لكونها في الشَّرط أصلًا».اهـ نقله السيوطي في "الأشباه".

(تنبيه): كل من الأدوات يقتضي فعلين، يسمَّىٰ أولهما: شرطًا لتعليق الحكم عليه، وثانيهما: جوابًا؛ لأنَّه مرتَّبٌ علىٰ الشَّرط، كما ترتب الجواب علىٰ السؤال، وجزاء لـ«أنْ» مضمونه جزاء لمضمون الشَّرط.

(مسألة): لا يشترط في الشَّرط والجزاء أنْ يكونا من نوعٍ واحدٍ، بل تارةً يكونان مضارعين نحو: ﴿وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ﴾ [الأنفال: ١٩]وتارة ماضيين نحو: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء: ٨]وتارة مختلفين ماضيًا فمضارعًا نحو: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ﴾ [الشورىٰ: ٢٠]وتارة عكسه مضارعًا فماضيًا وهو قليلٌ حتىٰ خصَّه الجمهور بالشِّعر، ومذهب الفراء ومن تبعه جوازه في الاختيار نحو قوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَنْ يَقُمْ لَيْلَةَ القَدْرِ إيمانًا واحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ**». رواه البخاريُّ.

ومنه: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ﴾ [الشعراء: ٤] لأنَّ تابع الجواب جواب، وردَّ ابن مالك بهذين ونحوهما على الأكثرين إذ خصُّوا هذا النوع بالضَّرورة. وأجاب الجمهور: بأنَّ الحديث تجوز روايته بالمعنى فليس نصًّا في الدَّليل، وعن الآية بأنَّه يغتفر في التابع ما لا يغتفر في المتبوع.

(فائدة): رفع الجواب المسبوق بماضٍ أو مضارعٍ منفي بـ«لم» قوي، كقوله:

وإنْ أتـاه خليـلٌ يـومَ مسـألةٍ ... يقـولُ لا غائـبٌ مـالي ولا حَـرِمُ

ونحو: إنْ لم تقم أقوم، ورفع الجواب في غير ذلك ضعيفٌ كقوله:

فقلـتُ تحمَّـلْ فـوقَ طوْقِـك إنَّهـا ... مطبَّعـةٌ مـن يأتِهـا لا يجيزُهـا

وعليه قراءة طلحة في الشَّواذ: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ﴾ [النساء: ٧٨].

(مُهِمَّة): يُشترط في الشَّرط ستة أمور:

أحدها: أنْ يكون فعلًا غير ماضي المعنى، فلا يجوز إنْ قام زيدًا أمس قمت وأما: ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ [المائدة: ١١٦] فالمعنى: إنْ ثبت أنْ كنت قلته.

الثاني: ألَّا يكون طلبًا، فلا يجوز: إنْ قم، ولا: إنْ لا تقم.

والثالث: ألَّا يكون جامدًا، فلا يجوز: إنْ عسى ولا: إنْ ليس.

والرابع: أنْ لا يكون مقرونًا بحرف تنفيس، فلا يجوز: إنْ سوف يقم.

والخامس: ألَّا يكون مقرونًا بقد، فلا يجوز: إنْ قد قام.

والسادس: أنْ لا يكون مقرونًا بحرف نفي غير «لم» و«لا»، فلا يجوز: إنْ لما يقم، وإنْ لنْ يقوم.

(مسألة): قال ابن هشامٍ: قد تقترن «إنْ» بـ«لا» النَّافية، فيظن من لا معرفة

له إنَّها «إلَّا» الاستثنائيَّة نحو: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٤٠] ﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ﴾ [التوبة: ٣٩]، ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧]، و﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ [يوسف: ٣٣].اهـ

(تذنيب): كلُّ جوابٍ يصح جعله شرطًا بأنْ كان ماضي اللفظ دون المعنى مجرَّدًا من «قد» وغيرها، أو مضارعًا مجرَّدًا أو منفيًّا بـ«لم» أو «لا»، فالأكثر خلوه من الفاء، ويجوز اقترانه بها، ويبقى الماضي على حاله ويرفع المضارع. نحو: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ﴾ [النمل: ٩٠] ونحو: ﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ﴾ [الجن: ١٣] قاله بدر الدين ابن مالك، وقاله غيره: إذا رفع المضارع فالجواب جملة اسميَّة، والتقدير فهو لا يخاف، قال المرادي: وهذا هو التحقيق، وكلُّ جوابٍ يمتنع جعله شرطًا، فإنَّ الفاء تجب فيه لتربطه بشرطه وذلك: الجملة الاسميَّة نحو: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧] والجملة الطلبية نحو: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى﴾ [آل عمران: ٣١] وقس عليه بقيَّة أنواع الطَّلب: من النَّهي، والدُّعاء ولو بصيغة الخبر، والاستفهام، والعرض، والتحضيض، والتمنِّي، والترجِّي. ويجوز أنْ تُغني «إذا» الفجائيَّة عن الفاء في الرَّبط إنْ كانت الأداة «إنْ»، أو كانت الأداة غير الجازمة «إذا» الشَّرطيَّة، لأنَّها تشبه «إنْ» في كونها أمُّ باب الشَّروط غير الجوازم، والجواب فيهما جملة اسميَّة موجبة غير طلبيَّة وغير مقرونة بـ«إنْ» التوكيديَّة نحو: ﴿وَإِن

تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ [الروم: ٣٦]ونحو: ﴿إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ [الروم: ٢٥] وقد يجمع بين «إذا» الفجائيَّة والفاء تأكيدًا خلافًا لمن منع ذلك، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنبياء: ٩٧]. انتهى ملخَّصًا من "التوضيح" وشرحه، وقس هذا في جميع أدوات الشَّرط فلا نحتاج إلى تكراره فيما يأتي.

واسمٌ باتفاقٍ وهو«ما» الشَّرطيَّة وهي نوعان غير زمانيَّة نحو: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٧] ،﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾[البقرة: ١٠٦] وقد جوزت في: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]على أنَّ الأصل وما يكن ثمَّ حذف فعل الشَّرط، والأرجح: أنَّها موصولة وأنَّ الفاء داخلة على الخبر لا شرطيَّة والفاء داخلة على الجواب. وزمانيَّة، أثبت ذلك الفارسي وأبو البقاء وأبو شامة وابن بري وابن مالك، وهو ظاهرٌ في قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾ [التوبة: ٧] أي: استقيموا لهم مدَّة استقامتهم لكم.اهـ قاله ابن هشامٍ.

(تنبيهٌ): تأتي «ما» الاسميَّة لمعنيين آخرين:

أحدهما: أنْ تكون معرفة وهو نوعان: ناقصة وهي الموصولة نحو: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل: ٩٦]وتامَّة وهي نوعان: عامَّةٌ، أي: مقدَّرة بقولك الشَّيء، وهي التي لم يتقدَّمها اسمٌ، تكون هي وعاملها صفة له في المعنى نحو: ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ [البقرة: ٢٧١]أي: فنعم الشَّيء هي.

والأصل: فنعم الشَّيء إبداؤها؛ لأنَّ الكلام في الا بداء لا في الصَّدقات، ثمَّ حذف المضاف وأنيب عنه المضاف إليه فانفصل وارتفع، وخاصَّةٌ: وهي التي تقدَّمها ذلك وتقدر من لفظ ذلك الاسم، نحو: غسلته غسلًا نعمًا ودققته دقًّا، أي: نَعُمَ الغسل ونَعُمَ الدَّق.

وأكثرهم لا يثبت مجيء ما معرفة تامة، وأثبته جماعة منهم ابن خروف ونقله عن سيبويه.

ثانيهما: أنْ تكون نكرة مجرَّدة عن معنى الحرف، وهي أيضًا نوعان: ناقصةٌ، وتامةٌ.

فالنَّاقصة: هي الموصوفة، وتقدَّر بقولك شيء كقولهم: «مررت بما معجب لك» أي: بشيء معجب لك وقوله:

رُبَّـما تَكْـرَهُ النُّفُـوسُ مِـن الأمـرِ لَـهُ فُرْجَـةٌ كحَـلِّ العِقَـالِ

أي: ربَّ شيءٍ تكرهه النفوس، فحذف العائد من الصِّفة إلى الموصوف.

والتَّامة تقع في ثلاثة أبواب:

أحدها: التعجُّب نحو: ما أحسن زيدًا، المعنى شيءٌ حسن زيدًا، جزم بذلك جميع البصريين إلَّا الأخفش فجوَّزه، وجوَّز أنْ تكون معرفة موصولة والجملة بعدها صلة لا محل لها من الإعراب، وأنْ تكون نكرة موصوفة، والجملة بعدها في موضع رفع نعتًا لها، وعليهما فخبر المبتدأ محذوف وجوبًا تقديره: شيءٌ عظيمٌ ونحوه.

والثاني: باب «نعم وبئس» نحو: غسلته غسلًا نعمًا، ودققته دقًّا نعمًا. أي: نعم شيئًا، فما نصب على التمييز عند جماعة من المتأخِّرين، وظاهر كلام سيبويه

أنَّها معرفة تامَّة كما مرَّ.

والثالث: قولهم: إذا أرادوا المبالغة في الإخبار عن أحدٍ بالإكثار من فعلٍ كالكتابة «إنَّ زيدًا مما أنْ يكتب» أي: أنَّه من أمر كتابة، أي: أنَّه مخلوقٌ من أمرٍ، وذلك الأمر هو الكتابة، فـ«ما» بمعنىٰ شيء، وإنْ وصلتها في موضع خفض بدل منها، وزعم السيرافي وابن خروف وتبعهما ابن مالك ونقله سيبويه: أنَّها معرفة تامة بمعنىٰ الشَّيء أو الأمر، وإنْ وصلتها مبتدأ والظرف خبره، والجملة خبر لـ«أنْ»، ولا يتحصَّل للكلام معنىٰ طائل علىٰ هذا التقدير، قاله ابن هشامٍ. وأمَّا «ما» الحرفيَّة فستأتي.

«ومن» ولها أربعة معانٍ:

أحدها: الشَّرطيَّة نحو: ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣].

الثاني: الاستفهاميَّة نحو: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ [يس: ٥٢]، ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٤٩].

(تنبيهٌ): إذا قيل: من يفعل هذا إلَّا زيد؟ فهي «من» الاستفهاميَّة أشربت معنىٰ النَّفي، ومنه: ﴿وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥] ولا يتقيَّد جواز ذلك بأنْ يتقدَّمها الواو، خلافًا لابن مالك بدليل: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وإذا قيل: من ذا لقيت؟ فـ«من» مبتدأ و«ذا» خبر الموصول والعائد محذوف، ويجوز علىٰ قول الكوفيين في زيادة الأسماء أنْ تكون «ذا» زائدة، و«من» مفعولًا، وظاهر كلام جماعة أنَّه يجوز في «من ذا لقيت»: أنْ تكون «من» و«ذا» مركَّبتين كما في قولك: ماذا صنعت؟ ومنع ذلك

أبو البقاء في مواضع من "إعرابه" وثعلب في "أماليه" وغيرهما، وخصُّوا جواز ذلك بماذا؛ لأنَّ «ما» أكثر إبهامًا، فحسن أنْ تجعل مع غيرها كشيءٍ واحدٍ ليكون ذلك أظهر لمعناها، ولأنَّ التركيب خلاف الأصل، وإنَّما دلَّ عليه الدَّليل مع «ما»، وهو قولهم لماذا جئت بإثبات الألف قاله ابن هشامٍ.

الثالث: أنْ تكون موصولة نحو: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الحج: ١٨].

الرابع: أنْ تكون نكرة موصوفة، ولهذا دخلت عليها «رب» في قوله:

رُبَّ مَنْ أنضَجْتُ غَيْظًا قَلْبَهُ ... قد تَمَنَّى لِيَ موتًا لم يُطَعْ

(فائدتان):

الأولى: نحو: «مَن يُكرمني أكرمه» يحتمل الأوجه الأربعة: فإنْ قدرتها شرطيَّة جزمت الفعلين، أو موصولة وموصوفة رفعتهما، أو استفهاميَّة رفعت الأول وجزمت الثاني؛ لأنَّه جوابٌ بغير الفاء، ومن فيهن مبتدأ وخبر الاستفهاميَّة الجملة الأولى، والموصولة أو الموصوفة الجملة الثانية، والشَّرطيَّة الأولى أو الثانية على خلافٍ في ذلك، ونحو: «من زارني زرته»، لا تحسُن فيه الاستفهاميَّة ويحسن ما عداها.

الثانية: زِيد في أقسام «مَنْ» قسمان آخران:

أحدهما: أنْ تأتي نكرة تامَّة، وذلك عند أبي عليٍّ قاله في قوله:

ونعم مَزْكأً مَنْ ضاقتْ مَذاهِبُه ... ونِعْمَ مَنْ هو في سِرٍّ وإعْلانِ

فزعم أنَّ الفاعل مستترٌ و«من» تمييز، وقوله: هو مخصوصٌ بالمدح فهو

مبتدأٌ خبره ما قبله، أو خبرٌ لمبتدإٍ محذوفٍ، وقال غيره: «من» موصول فاعل، وقوله: هو مبتدأ خبره هو آخرٌ محذوفٌ على حدِّ قوله: «وشعري شعر» والظَّرف متعلِّق بالمحذوف؛ لأنَّ فيه معنى الفعل، أي: ونعم من هو الثابت في حالتي السِّر والعلانية.

الثاني: التوكيد، وذلك فيما زعم الكسائيُّ أنَّها تَرد زائدة كـ«ما»، وذلك سهل على قاعدة الكوفيين في أنَّ الأسماء تزاد وأنشد عليه:

فكَفَى بِنا فَضْلًا على مَن غَيْرِنا ... حُبُّ النَّبيِّ مُحَمَّدٍ إيَّانا

فيمن خفض «غيرنا»، ولا دليل في البيت لاحتمال أنْ تكون نكرة موصوفة أي: على قوم غيرنا، قاله ابن هشامٍ.

«ومهما» وهي اسمٌ على الأصحِّ، بدليل عود الضَّمير عليها في: ﴿مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا﴾[الأعراف: ١٣٢] وقال بعضهم: عاد عليها ضمير «به» وضمير «بها»، حملًا على اللَّفظ وعلى المعنى اهـ. قال ابن هشامٍ: والأولى أنْ يعود الضَّمير «بها» على الآية، وزعم السهيلي وتبعه ابن يسعون أنَّها تأتي حرفًا بدليل قوله:

ومهما تكنْ عند امْرِئٍ مِن خَلِيقَةٍ ... وإنْ خَالها تَخْفَى على النَّاسِ تُعلَمِ

فهي هنا حرف بمنزلة «أنْ» بدليل: أنَّها لا محل لها، والجواب: أنَّها إمَّا خبر تكن، و«خليفة» اسمها، و«من» زائدة؛ لأنَّ الشَّرط غير موجب عند أبي علي، وإمَّا مبتدأ، واسم «تكن» ضميرٌ راجعٌ عليها، والظَّرف خبر، و«أنت» ضميرها؛ لأنَّها الخليقة في المعنى، ومثله: ما جاءت حاجتك فيمن نصب حاجتك، ومن خليقة تفسير للضمير.اهـ

(مسألة): «مهما» بسيطة على الأصح، وزعم الأخفش والزجَّاج أنَّها مركَّبة من «ما» الشَّرطيَّة، وقال خليل واختاره الرضي: إنَّها مركَّبة من «ما» الشَّرطية و«ما» الزَّائدة، ثمَّ أُبدلت الهاء من الألف دفعًا للتكرار.

ثمَّ على البساطة فوزنها فعلى، وألفها تأنيث ولذا لم تُنون باقية على التنكير، أو إلحاق وزال تنوينها للبناء، ولها ثلاثة معان:

أحدها: ما لا يعقل غير الزمان مع تضمُّن معنى الشَّرط، ومنه الآية؛ ولهذا فُسرت بقوله تعالى: ﴿مِنْ ءَايَةٍ﴾ وهي فيها إمَّا مبتدأ أو منصوبة على الاشتغال، فيقدَّر لها عامل متعدٍّ كما في «زيدٌ مررت به» متأخِّرًا عنها؛ لأنَّ لها الصَّدر أي: تحضرنا وتأتنا.

الثاني: الزَّمان والشَّرط، فتكونا ظرفًا لفعل الشَّرط، ذكره ابن مالك وأنشد عليه:

وإنَّك مهما تُعْطِ بطنَك سُؤلَه ... وفرجَكَ نالا مُنتهى الذَّمِّ أجمعا

وجزم به الرضي، وردَّ بجواز كونها للمصدر أي: إعطاء كثيرًا أو قليلًا.

الثالث: الاستفهام، ذكره جماعةٌ منهم ابن مالكٍ واستدلوا عليه بقوله:

مَهْما لي الليلةَ مهما لِيَهْ ... أودى بنعلي وَسِرْبالِيَهْ

فزعموا أنَّ «مهما» مبتدأ، و«لي» الخبر، و«أودى» بمعنى هلك، و«نعلي» فاعل و«الباء» زائدة، مثلها: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٩] ولا دليل في البيت لاحتمال أنَّ التقدير «مه» اسم فعل بمعنى اكفف، ثمَّ استأنف استفهامًا بـ«ما» وحدها.

(فائدة): لا تجر «مهما» بحرف ولا إضافة، فلا يُقال: على مهما تكن أكن، ولا جهة مهما تقصد أقصد، وقال ابن عصفور: يجوز ذلك كسائر الأدوات، قاله في "الهمع".

«وإذ ما» واختلف في نوعها، مذهب سيبويه إلى أنَّها حرف كان، وذهب المبرد وابن السراج والفارسي إلى أنَّها اسم ظرف زمان، وأصلها إذ التي هي ظرف لما مضى، فزيد عليها «ما» وجوبًا في الشَّرط فجزم بها، واستدلَّ سيبويه: بأنَّها لما رُكِّبت مع «ما» صارت معها كالشَّيء الواحد؛ فبطل دلالتها على معناها الأول بالتركيب وصارت حرفًا، ونظير ذلك أنَّهم حين ركَّبوا «حب» مع «ذا» فقالوا: «حبَّذا زيد»، بطل معنى «حب» من الفاعليَّة وصارت مع «ذا» جزء كلمة، وصارت «حبَّذا» كلها اسمًا بالتركيب، وخرجت عن أصل وضعها بالكليَّة. قاله في "الهمع".

وقال ابن هشامٍ: «إذ ما» أداة تجزم فعلين كقوله:

وإنَّك إذْ ما تَأْتِ مَا أنتَ آمرٌ ... بهِ تُلْفِ من إيَّاه تَأْمُر آتيا

وعملها الجزم قليلٌ لا ضرورة لبعضهم.اهـ

«وأي» وهي بحسب ما تضاف إليه، فإنْ أضيفت إلى ظرف مكان فظرف مكانٍ نحو: «أيَّ جهةٍ تجلس أجلس»، أو زمان أو مفعول أو مصدر فكذلك، وهي لعموم الأوصاف. قاله في "الهمع".

وقال ابن هشامٍ: «أيّ» بفتح الهمزة وتشديد الياء اسمٌ يأتي على خمسة أوجهٍ:

شرطًا، نحو: ﴿أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ﴾ [القصص: ٢٨]،

﴿أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠].

واستفهامًا، نحو: ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا﴾ [التوبة: ١٢٤]، ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

وقد تخفف كقوله:

تنظَّرتُ نَسْرا والسِّماكين أيُّها ... عليَّ من الغيثِ استهلَّتْ مواطِرُه

وموصولًا: نحو: ﴿لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ﴾ [مريم: ٦٩] قاله سيبويه، وخالفه الكوفيون وجماعةٌ من البصريين؛ لأنَّهم يرون أنَّ «أيًّا» الموصولة معربة دائمًا كالشَّرطيَّة والاستفهاميَّة، قال الزجَّاج: ما تبيَّن لي أنَّ سيبويه غلط إلَّا في موضوعين: هذا أحدهما؛ فإنَّه يسلم أنَّها تعرب إذا أفردت، فكيف يقول ببنائها إذا أضيفت؟ ! وقال الجرمي: خرجت من البصرة فلم أسمع منذ فارقت الخندق إلى مكَّة أحدًا يقول: لأضربنَّ أيُّهم قائمٌ، بالضمِّ اهـ.

والرابع: أنْ تكون دالَّة على معنى الكمال، فتقع صفة للنكرة نحو: «زيد رجل أيُّ رجل»، أي كامل في صفات الرجال، وحالًا للمعرفة «كمررت بعبدالله أيِّ رجل».

والخامس: أن تكون وصلة إلى نداء ما فيه أل نحو: «يا أيها الرجل»، وزعم الأخفش أنَّ «أيًّا» لا تكون وصلة، وأنَّ «أيًّا» هذه هي الموصولة، حذف صدر صلتها وهو العائد، والمعنى: يا من هو الرجل، ورد بأنه ليس لنا عائد يجب حذفه، ولا موصول التزم كون صلته جملة اسمية وله أن يجيب عنهما بأن ما في قولهم: لا سيما زيد بالرفع كذلك، وزاد قسمًا وهو أن تكون نكرة موصوفة

نحو: «مررت بأي معجب لك» كما يقال: بمن معجب لك، وهذا غير مسموع.

ولا تكون «أي» غير مذكور معها مضاف إليه البتة إلا في النداء والحكاية، يقال: جاءني رجل فتقول: أي يا هذا؟ وجاءني رجلان فتقول «أيَّان»، وجاءني رجال فتقول «أيون». اهـ كلام ابن هشامٍ ملخَّصًا.

«ومتى» اسم شرط نحو قوله:

أنا ابنُ جَلَا وطَلَّاعُ الثَّنايا ... متى أَضَعِ العِمامَةَ تَعْرِفُوني

واسم استفهام نحو: ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٤].

وحرف بمعنى «من» أو «في» وذلك في لغة هذيل يقولون: أخرجها متى كمه أي منه.

وقال ساعدة: أخيل برقًا متى حاب له زجل، أي: من سحاب حاب أي: ثقيل المشي تصويت. واختلف في قول أبي ذؤيب:

شَرِبْنَ بماءِ البحرِ ثمَّ ترفَّعتْ ... مَتى لُجَجٍ خُضْرٍ لَهُنَّ نَئِيجُ

فمتى بمعنى من، وقال ابن سيده: بمعنى وسط، قاله ابن هشامٍ.

(تنبيهٌ): اختلف في إهمال متى، فقيل: لا تهمل، وقيل: نعم، حملًا على «إذا»، كحديث البخاري: «وإنه مَتى يقومُ مقامَك لا يُسْمِعُ الناس»، قاله ابن مالك، قال أبو حَيَّان: وهذا شيء غريب، ثم تكلم في استدلاله بما أثر في الحديث على إثبات الأحكام النحوية، قاله في "الهمع".

(مُهِمَّة): قال السيوطيُّ في "الأشباه": «إن قيل: لم جزمت «متى» وشبهها

ولم تجزم «الذي» إذا تضمنت معنى الشرط نحو: «الذي يأتيني فله درهم»، فالجواب: أن الفرق من وجوه:

أحدها: أن الذي وضع وصلة إلى وصف المعارف بالجمل؛ فأشبه لام التعريف الجنسية، فكما أن لام التعريف لا تعمل فكذا الذي.

و الثاني: أن الجملة التي يوصل بها لا بد أن تكون معلومة للمخاطب، والشرط لا يكون إلا مبهمًا.

والثالث: أن «الذي» مع ما يوصل به اسم مفرد، و«الشرط» مع ما يقتضيه جملتان مستقلتان، نقلت ذلك من خط ابن هشامٍ في بعض تعاليقه، وذكره ابن الحاجب في "أماليه"».اهـ

«**وأيان**» ظرف زمان للعموم نحو: «أيان تقم أقم»، وكسر همزتها لغة لسليم، وتختص إذا وردت في الاستفهام بمستقبل كما تقدم، فلا يستفهم بها عن الماضي، كذا قال ابن مالك، وأبو حَيَّان ولم يحكيا فيها خلافًا، وأطلق السكاكي والقزويني في "الإيضاح" كونها للزمان ومثلا «بأيان جئت» وهو يشعر بأنها تستعمل في الماضي، والصواب خلافه، ونقل عن علي بن عيسى الربعي أنها تختص بمواقع التفخيم، نحو: ﴿أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ [الذاريات: ١٢]، ﴿أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [القيامة: ٦]، والمشهور أنها لا تختص به. قاله في "الهمع".

قلت: وهذا بخلاف «متى» فإن «متى» إذا استفهم بها يليها الماضي والمستقبل.

(**تنبيه**): أنكر قوم الجزم «بأيَّان» لقلته وكثرة ورودها استفهامًا نحو: ﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٢] ﴿أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥]، قال أبو حَيَّان: وممن لم

يحفظ الجزم بها سيبويه لكن حفظه أصحابه. قاله في "الهمع".

«وأين» ظرف مكان نحو: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ ﴾ [النساء: ٧٨] ونحو قوله:

صَعْدَةٌ نابتَةٌ في حَائِرٍ أينما الرِّيحُ تُمَيِّلْها تَمِلْ

وقد تخرج عن الشرطية، فتقع استفهامًا نحو: «أين زيد».

«وأنى، وحيثما» وهما ظرفا مكان عمومًا، وتقع «أنَّى» استفهامية بمعنى «متى» نحو: ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ [البقرة: ٢٢٣]، وبمعنى «من أين» نحو: ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ﴾ [آل عمران: ٣٧] وبمعنى «كيف» نحو: ﴿أَنَّىٰ يُحْيِـۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ [البقرة: ٢٥٩]واختار أبو حَيَّان في الآية الأولى أنها شرطية أقيمت فيها الأحوال مقام الظروف المكانية، والجواب محذوف. قاله في "الهمع".

قلت: والحق ما قاله أبو حَيَّان إذ لا معنى للاستفهام في الآية.

«وحيثما» لا تقع استفهامًا بل لا تكون إلا شرطًا نحو قوله:

حيثُما تستَقِمْ يقدِّرْ لكَ اللهُ نجاحًا في غابِرِ الأزمانِ

قال ابن هشامٍ: «وهذا البيت دليل عندي على مجيئها للزمان».اهـ

وعملها الجزم إذا اتصلت بها «ما» الكافة لأنها لما تتصل بها تضمن معنى الشرط، أما إن لم تتصل بها «ما» الكافة فمبنية على الضم تشبيهًا لها بالغايات «كقبل وبعد»، أو الفتح للتخفيف، أو الكسر على أصل التقاء الساكنين، وطيىء تُبدِلُ ياءها واوًا فيقولون: حوث، وفقعس يعربونها فيقولون: «جلست حيث كنت»، « وجئت من حيث جئت»، فيجرونها «بمن» وهي

عندهم «كعند» وقرئ: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢] بالكسر فيحتمل الإعراب، ولغة البناء على الكسر، وسواء في الجملة الفعلية، أو الاسمية قال في "المغني": «وإضافتها إلى الفعلية أكثر»، ولهذا رجح النصب في جلست حيث زيدًا أراه، وندرت إضافتها إلى المفرد كقول الفرزدق:

ونَطعَنُهُم تحتَ الكُلَى بعدَ ضرْبِهم ... بِبِيضِ المَوَاضي حيثُ لَيِّ العمائِمِ

والكسائي يقيسه، وعليه فيصح فتح همزة «أن» بعدها، بل يصح عند غيره على «أن» المفتوحة مبتدأ حذف خبره، قاله شارح "المغني".

قلت: وقلَّ من يتنبه لهذا المعنى من الطلبة، حتى إن بعض من يدعي الطلب قال لي يومًا: ما تقول في «أن» بعد «حيث»، هل يصح فتحها؟ قلت: نعم، فقال: لا، وأنكر ذلك علي.

وندر جرها بالباء في قوله: «كان هنا بحيثِ مفكّ الإزارِ».

وبـ«إلى» في قوله: «إلى حيث ألقت رحلَها أمُّ قشعم».

وبـ«في» في قوله: «فأصبح في حيث التقينا شريكهم».

وقال ابن مالك: «تصرفها نادر».

ومن وقوعها مجردة عن الظرفية قوله:

إنَّ حيثُ استقرَّ مَنْ أنتَ راعِيـ ... ـه حِمى فيه عِزَّةٌ وأمَانُ

«فحيث» اسم «إن»، وقال أبو حَيَّان: «هذا خطأ لأن كونها اسمًا «لأن» فرع عن كونها تكون مبتدأ، ولم يسمع ذلك فيها البتة، بل اسم «إن» في البيت: «حِمى»، و«حَيْثُ» الخبر لأنه ظرف، والصحيح: أنها لا تنصرف فلا تكون فاعلًا ولا مفعولًا به ولا مبتدأ».اهـ

وقال ابن هشامٍ: «الغالب كونها في محل نصب على الظرفية، أو خفض بمن، وقد تخفض بغيرها، وقد تقع مفعولًا به وفاقًا للفارسي، وحمل عليه ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤] إذ المعنى أنه تعالى يعلم نفس المكان المستحق لوضع الرسالة فيه، لا شيئًا في المكان، وناصبها يعلم محذوف مدلولا عليه بأعلم، لا بأعلم نفسه؛ لأن أفعل التفضيل لا ينصب المفعول به، فإن أولته بعالم جاز أن ينصبه في رأي بعضهم».اهـ

وقد رد في البحر مجيئها مفعولًا بما يطول ذكره.

«وكيفَمَا» وهي اسم لدخول الجار عليها بلا تأويل في قولهم: «على كيف تبيع الأحمرين؟»

ولإبدال الاسم الصريح منه نحو «كيف أنت، أصحيح أم سقيم؟»، وللإخبار به مع مباشرته للفعل نحو «كيف كنت؟» فبالإخبار به انتفت الحرفية، وبمباشرة الفعل انتفت الفعلية، وتستعمل على وجهين:

أحدهما: أن تكون شرطًا؛ فتقتضي فعلين متفقي اللفظ والمعنى غير مجزومين نحو: «كيف تصنع أصنع» ولا يجوز «كيف تجلس أذهب » باتفاق، ولا «كيف تجلس أجلس» بالجزم عند البصريين إلا قطربًا؛ لمخالفتها لأدوات الشرط، وقيل: يجزم بها مطلقًا، وإليه ذهب قطرب والكوفيون، وقيل: لا يجزم بها، وقيل: يجزم بها إن اقترنت بما نحو: «كيفما تكن أكن »، قالوا: ومن ورودها شرطًا ﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤] ﴿يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ [آل عمران: ٦]، ﴿فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [الروم: ٤٨] وجوابها في ذلك كله محذوف

لدلالة ما قبلها، وهذا يشكل على إطلاقهم أن جوابها يجب مماثلته لشرطها.

والثاني: أن تكون استفهامًا وهو الغالب فيها، ثم إما أن يكون حقيقيًّا نحو: «كيف زيد» أو غيره نحو: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨] الآية؛ فإنه أخرج مخرج التعجب، وتقع خبرًا قبل ما لا يستغنى به نحو: «كيف أنت»، «كيف كنت» و «كيف ظننت زيدًا» وحالا قبل ما يستغنى نحو: «كيف جاء زيد» أي: على أي حالة جاء زيد.

قال ابن هشامٍ: «عندي أنها تأتي في هذا النوع مفعولًا مطلقًا أيضًا، وأن منه ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٦] إذ المعنى: أيَّ فِعْلٍ فَعَل ربُّك ولا يتجه فيه أن يكون حالًا من الفاعل».اهـ

وإنما بُنيت لتضمُّنها معنى همزة الاستفهام، وبُنيت على فتحةٍ طلبًا للخِفَّة.

(تنبيه): ذهب سيبويه إلى أن كيف ظرف، وأنكره الأخفش والسيرافي وقالا: إنها اسم غير ظرف، ورتبوا على هذا الخلاف أمورًا:

أحدها: أن موضعها عند سيبويه نصب دائمًا، وعند غيره رفع مع المبتدأ، نصب مع غيره.

الثاني: أنَّ تقديرها عند سيبويه في أي حال أو على حال؟ وعند غيره تقديرها في نحو: «كيف زيد» أصحيح زيد؟ وفي نحو: «كيف جاء زيد؟» أراكبًا جاء زيد؟ ونحوه.

الثالث: أنَّ الجواب المطابق عند سيبويه أن يقال: «على خير ونحوه؛ ولهذا قال رؤبة وقد قيل له: كيف أصبحت: خَيرٍ، عافاك الله، أي على خير، فحذف

الجار وأبقى عمله، وعند غيره أن يقال: صحيح، أو نحوه. وقال ابن مالك: لم يقل أحد: إن كيف ظرف؛ إذ ليست زمانًا ولا مكانًا، ولكنها لما كنت تفسر بقولك على أي حال لكونها سؤالا عن الأحوال العامة سميت ظرفًا؛ لأنها في تأويل الجار والمجرور، واسم الظرف يطلق عليهما مجازًا، قال ابن هشامٍ: وهو حسن».اهـ

(فائدة): قال ابن هشامٍ: «قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧] ولا تكون كيف بدلا من إبل لأن دخول الجار على كيف شاذ، على أنه لم يسمع في إلى بل في على، ولأن إلى متعلقة بما قبلها فيلزم أن يعمل في الاستفهام فعل متقدم عليه ».اهـ

قلت: «في "الدماميني" حكى قطرب عن بعض العرب: «انظر إلى كيف يصنع» أي إلى حال صنعه، قال الرضي: و«كيف» فيه منسلخة عن الاستفهام لعدم صدارتها».اهـ

(مُهِمَّة): زعم عيسى بن موهب وجماعة أن «كيف» تأتي عاطفة وأنشدوا عليه:

إذا قَلَّ مَالُ المَرءِ لانَتْ قناتُهُ وهانَ على الأَدنى فكيف الأباعِدِ

قال ابن هشامٍ: «وهذا خطأ لاقترانها بالفاء، وإنما هي هنا اسم مرفوع المحل على الخبرية، ثم يحتمل أن الأباعد مجرور بإضافة مبتدأ محذوف، أي: فكيف حال الأباعد؟ فحذف المبتدأ على حد قراءة ابن جماز: «والله يريد الآخرة» أو بتقدير فكيف الهوان على الاباعد، فحذف المبتدأ والجار، أو بالعطف بالفاء ثم أقحمت

كيف بين العاطف والمعطوف لإفادة الأولوية بالحكم».اهـ

قلت: قراءة ابن جماز: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَ﴾ [الأنفال: ٦٧] بجر الآخرة على حذف مضاف شاذة في حذف المضاف، وبقاء المضاف إليه على جره من غير شرطه المشار إليه في "الألفية":

لكِنْ بشرْطِ أن يكونَ ما حُذِفْ ... مماثلًا لما عليه قَدْ عُطِفْ

لأن أصل الآية، والله أعلم: تريدون عرض الدنيا والله يريد عمل الآخرة.

وقول ابن هشامٍ: «أو بالعطف بالفاء، ثم أقحمت... إلخ»، قال الدماميني: «هذا لا يصح مع جعله الموضوع أن كيف خبر إذا لإقحام يقتضي عدم المحل ويمكن أنه متعلَّق بمحذوف قسم لما تقدم أي أو يوجه ذلك بالعطف بالفاء...» إلخ.اهـ

«**وإذا في الشِّعْر خاصَّةً**» هذا زائد على الجوازم، ولـ«إذا» معنيان:

أحدهما: أن تكون للمفاجأة، فتختص بالجمل الاسمية ولا تحتاج إلى جواب ولا تقع في الابتداء. ومعناها الحال لا الاستقبال نحو: «خرجت فإذا الأسد بالباب»، ومنه ﴿فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٢٠] ﴿إِذَا لَهُم مَّكْرٌ﴾ [يونس: ٢١].

وهي حرف عند الأخفش والكوفيين، واختاره ابن مالك. ويرجِّحه قولهم «خرجت فإذا إنَّ زيدًا بالباب». بكسر «إن»، لأن «إن» لا يعمل ما بعدها فيما قبلها. وظرف مكانٍ عند المبرد والفارسي وابن جنِّي وأبو بكر الخيَّاط واختاره ابن عصفورٍ.

وظرف زمان عند الزجَّاج والرياشيِّ، واختاره ابن طاهر وابن خروف والشَّلَوْبين إبقاء لها على ما ثبت لها.

قال ابن هشامٍ: «زعم الزمخشريُّ أنَّ عاملها فعلٌ مشتقٌّ مقدَّرٌ من لفظ المفاجأة، قال في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً﴾ [الروم: ٢٥] الآية: «إنَّ التقدير: إذا دعاكم فاجأتم الخروج في ذلك الوقت»، ولا يعرف هذا لغيره، وإنما ناصبها عندهم الخبر المذكور في نحو: «خرجت فإذا زيد جالس» أو مقدَّر في نحو: «فإذا الأسد» أي حاضر، وإذا قدرت أنها الخبر فعاملها مستقر أو استقر، ولم يقع الخبر معها في التنزيل إلا مصرحًا به نحو ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٢٠]، ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ﴾ [الأنبياء: ٩٧]، ﴿فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ [يس: ٢٩] ﴿فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ﴾ [الأعراف: ١٠٨]، ﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: ١٤]».اهـ

(مسألة): إذا قلت: «خرجت فإذا الأسد» صحَّ كونها خبرًا على المكان عند المبرد، أي فبالحضرة الأسد، لا على الزمان عند الزجَّاج؛ لأن الزمان لا يخبر به عن الجثة، ولا على الحرف لأنه لا يخبر به ولا عنه، وتلزمها الفاء داخلة عليها.

واختلف فيها، فقال المازني: هي زائدة للتأكيد لأن «إذا الفجائية» فيها معنى الإتباع؛ ولذا وقعت في جواب الشرط موقع الفاء. وهذا إما اختاره ابن جني، وقال مبرمان: هي عاطفة لجملة «إذا» ومدخولها على الجملة قبلها. واختاره الشَّلَوْبين الصغير، وأيده أبو حَيَّان بوقوع، ثم موقعها في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ [الروم: ٢٠]، وقال الزجَّاج: دخلت على حد دخولها في الشرط. قاله في "الهمع".

الثاني: من وجهي «إذا» أن تكون لغير مفاجأة، والغالب أن تكون ظرفًا للمستقبل مضمنة معنى الشرط، وتختص بالدخول على الجملة الفعلية ويكون الفعل بعدها ماضيًا كثيرًا، أو مضارعًا دون ذلك، وقد اجتمعتا في قول أبي ذؤيب:

والنَّفْسُ راغِبَةٌ إذا رغَّبْتَهَا ... وإذا تُرَدُّ إلى قَليلٍ تَقْنَعُ

(**تنبيه**): إنما دخلت «إذا الشرطية» على الاسم في نحو: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١] لأنه فاعل بفعل محذوف على شريطة التفسير، لا مبتدأ، خلافًا للأخفش، وأما قول الفرزدق:

إذا باهِلِيٌّ تَحْتَهُ حَنْظَلِيَّةٌ ... لَهُ وَلَدٌ منها فَذَاك المُذَرَّعُ

فقال ابن هشامٍ: «التقدير إذا كان باهلي، وقيل: حنظلية فاعل باستقر محذوف، وباهلي فاعل بمحذوف يفسره العامل في حنظلية، ويرده أن فيه حذف المفسر ومفسره جميعًا، ويسهله أن الظرف يدل على المفسر، فكأنه لم يحذف».اهـ

(**مُهِمَّة**): قد تخرج «إذا» عن معنى الشرط فتتجرد للظرفية المحضة، نحو: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ [الليل: ١]، ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحى: ٢]، ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم: ١]، ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ [الليل: ٢].

(**فائدة**): لا تعمل «إذا» الجزم إلا في ضرورة، كقول عبد القيس:

استغنِ ما أغناكَ ربُّك بِالغِنَى ... وإذا تُصِبْكَ خَصَاصَةٌ فَتَجَمَّلِ

خلافًا لمن جوَّزه في السعة بقلَّة، وإنما لم تعمل الجزم في السعة لمخالفتها لأدوات الشرط بكونها خاصًّا بالمتيقَّن والمظنون.

(تنبيهات):

الأول: في خروج «إذا» عن الظرفية، قال ابن مالكٍ: أنها وقعت مفعولا به في قوله عليه الصَّلاة والسَّلام لعائشة: «**إنِّي لأَعْلَمُ إذا كُنتِ عَنِّي راضيةً وإذا كُنتِ عليَّ غَضْبَى...**» الحديث، رواه البخاريُّ، ومبتدأ في قوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ [الواقعة: ١] والخبر «إذا» الثانية ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ [الواقعة: ٣] بالنصب حالان، والمعنى وقت وقوع الوقوع خافضة لقوم رافعة لآخرين، هو وقت رَجِّ الأرض، ومجرورة بحتى في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا﴾ [الزمر: ٧١].

قال السيوطي: سبقه إلى ذلك ابن جني في الثاني، والأخفش في الثالث، والجمهور أنكروا ذلك كله، وجعلوا «حتى» في الآية حرف ابتداء داخل على الجملة بأسرها ولا عمل له، وإذا وقعت ظرفًا حذف جوابه، أي انقسمتم أقسامًا وكنتم أزواجًا، «وإذا» الثانية بدل من الأولى، و«إذا» في الحديث ظرف لمحذوف هو مفعول أعلم أي شأنك ونحوه.

الثاني: في خروجها عن الاستقبال، وذلك على وجهين:

أحدهما: أن تجيء للماضي، زعمه ابن مالك وجماعة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ [الجمعة: ١١] فإن الآية نزلت بعد انفضاضهم وكذا: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ﴾ [التوبة: ٩٢] الآية، وأنكره أبو حَيَّان.

ثانيهما: أن تجيء للحال، وذلك بعد القسم نحو: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ [الليل: ١] قال ابن هشامٍ: «قيل: لأنها لو كانت للاستقبال لم تكن ظرفًا لفعل القسم؛ لأنه

إنشاء لا إخبار عن قسم يأتي؛ لأنَّ قَسَمَ الله سبحانه قديمٌ؛ ولا لكون محذوف هو حال من الليل؛ لأنَّ الحال والاستقبال متنافيان، وإذا بطل هذا الوجهان تعيَّن أنه ظرفٌ لأحدهما على أنَّ المراد به الحال».اهـ

الثالث: في ناصب «إذا» مذهبان:

أحدهما: أنه شرطها، وهو مذهب المحققين، واختاره أبو حَيَّان حملًا لها على سائر أدوات الشرط.

ثانيهما: أنه ما في جوابه من فعل أو شبهة، وهو مذهب الأكثرين لما تقدم من أنها ملازمة الإضافة إلى شرطها، والمضاف إليه لا يعمل في المضاف، وممن ذهب إلى هذا أبو البقاء. قال ابن هشامٍ: ويرد عليهم أمور:

أحدهما: أن الشرط والجزاء عبارة عن جملتين تربط بينهما الأداة، وعلى قولهم تصير الجملتان واحدة لأن الظرف عندهم من جملة الجواب، والمعمول داخل في جملة عاملة.

والثاني: أنه ممتنع في قول زهير:

بَدَا لي أنِّي لستُ مُـدرِكَ مـا مَضَـى ... ولا سـابقٍ شـيئًا إذا كـان جائيًـا

لأن الجواب محذوف وتقديره إذا كان جائيًا فلا أسبقه، ولا يصح أن يقال: لا أسبق شيئًا وقت مجيئه لأن الشيء إنما يسبق قبل مجيئه.

والثالث: أنه يلزمهم في نحو: «إذا جئتني اليوم أكرمتك غدًا» أن يعمل أكرمتك في ظرفين متضادين، وذلك باطل عقلًا.

والرابع: أنَّ الجواب ورد مقرونًا بإذا الفجائية نحو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا

دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ [الروم: ٢٥]، وبالحرف الناسخ نحو: «إذا جئتني اليوم فإن أكرمتك» وكل منهما لا يعمل ما بعده فيما قبله. انتهى كلامه ملخصًا.

(فائدة): زعم أبو عبيدة أن إذا قد تزاد واستدل بقوله:

حَتَّى إذا أَسْلَكُوهم في قَتَائِدَةٍ شَلًّا كما تَطْرُدُ الجَمَّالَةُ الشُّرُدَا

قال: فزادها لعدم الجواب؛ فكأنه قال: متى سلكوهم، وتأوله ابن جني على حذف جواب إذا.

(تنبيه): أدوات الشرط على أربعة أنواع: حرف باتفاق وهو: «إن».

وحرف على الأصح وهو «إذما»، عند سيبويه. واسم باتفاق وهو: «من»، «وما»، «ومهما»، «وأي»، «ومتى»، «وأيان»، «وأين»، «وأنى»، «وحيثما». واسم على الأصح وهو: «مهما».

وهذه الأنواع الأربعة تنقسم ستة أقسام:

أحدها: ما وضع لمجرد تعليق الجواب على الشرط، وهو إن وإذما نحو: ﴿وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ﴾ [الأنفال: ١٩]، : « وإذ ما تقم أقم».

و الثاني: ما وضع للدلالة على من يعقل، ثم ضمن معنى الشرط وهو «من» نحو: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣].

والثالث: ما وضع للدلالة على ما لا يعقل ثم ضمن معنى الشرط، وهو «ما»و «مهما» نحو: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٧]، ﴿مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ﴾ [الأعراف: ١٣٢] الآية.

الرابع: ما وضع للدلالة على الزمان، ثم ضمن معنى الشرط وهو: «متى»، و«أيان»، نحو:

مَتَى أَضَعِ العِمامَةَ تَعْرِفُوني

ونحو:

أَيَّان نُؤْمِنْكَ تَأْمَنْ غَيْرَنا ...

والخامس: ما وضع للدلالة على المكان ثم ضمن معنى الشرط وهو: «أين» و«أنى» و«حيثما» نحو: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ ﴾ [النساء: ٧٨]، ونحو: «أنى تأتها تستجر بها»، ونحو: «حيثما تستقم يقدر لك الله نجاحًا».

والسادس: ما هو متردد بين أنواع الاسم الأربعة وهو «أي»، فإنها بحسب ما تضاف إليه فهي في «أيهم يقم أقم معه» من باب «من»، وفي «أي الداوب تركب أركب» من باب ما، وفي «أي يوم تصوم أصم» من باب «متى»، وفي «أي مكان تجلس أجلس» من باب «أين».اهـ قاله الأزهري.

قلت: وأما «كيفما» فمن القسم الرابع على ما للأخفش والسيرافي، وأما «إذا» فمن القسم الثاني في رأي الكوفيين والأخفش، ومن الرابع في رأى بعضهم.

ثم هي على ثلاثة أقسام: قسم لا تلحقه «ما» وهو «من» و«ما» و«مهما» و«أنى»، وذهب الكوفيون إلى جواز زيادتها بعدها إلا «مهما» فيجوز «من ما يكرمني أكرمه»، وقسم تكون «ما» شرطًا في عمله الجزم وذلك «إذ» و«حيث». وقسم يكون لحاق ما له على جهة الجواز، وهو «إن» و«متى» و«أي» و«أيان»، إلا أن أداة الشرط جازمة للفعلين معًا الشرط والجواب، وأما«كيفما» فمن القسم الثاني عند بعض النحاة ومن الثالث عند الكوفيين.

وأما «إذا» فمن القسم الثالث كما هو الظاهر على أنه لم يسمع فيها ذلك.

(مُهِمَّة): ذهب جمهور البصريين إلى أن أداة الشرط جازمة للفعلين معًا الشرط والجواب، واختاره ابن عصفور والأُبَّذِيُّ، وقال الأخفش: الشرط مجزوم بالأداة والجواب مجزوم بالشرط، واختاره ابن مالك في التسهيل، ونقل ابن جني عن الأخفش أن الشرط والجواب تجازما، وقال سيبويه والخليل: الأداة والشرط كلاهما جزم الجواب

وذهب الكوفيون إلى أن الجواب مجزوم بالجوار قياسًا للجزم على الجر، ورد كل من الأقوال بما يطول ذكره.

(تتمَّة): قال ابن الخباز: «الجازم أضعف من الجار وفرع عليه، فالجازم أَوْلى أن لا يضمر البتة»، ولهذا أفسد قول الكوفيون: إن فعل الأمر مجزوم بلام الأمر مضمرة، وذكره أبو حَيَّان في شرح "التسهيل" وفرع عليه أنه لا يجوز الفصل بين لام الأمر، والفعل لا بمعمول الفعل ولا بغيره، وإن روى عنهم الفصل بين الجار والمجرور بالقسم نحو قولهم: «اشتريته -بوالله- ألف درهم»، فإن ذلك لا يجوز في اللام؛ لأن عامل الجزم أضعف من عامل الجر.

وفرع عليه الأخفش واختاره الشَّلَوْبِين وابن مالك أن جواب الشرط مجزوم بفعل الشرط لا بالأداة، قال: لأن الجار إذا كان لا يعمل عملين، وهو أقوى من الجازم فالجازم أولى أن لا يعملها، وقال ابن النحاس: الجازم أضعف من الجار، وإذا كان حذف حرف الجر وإبقاء عمله ضعيفًا فإن يضعف حذف الجازم وإبقاء عمله أولى وأحرى.اهـ، نقله السيوطي.

(فرع): قال ابن جني: «اتصال المجزوم بجازمه اشد من اتصال المجرور

بجاره، وجواب الشرط أشد اتصالًا بالشرط من جواب القسم، وذلك أن جواب القسم ليس بمعمول للقسم كما كان جواب الشرط معمولا للشرط، وإذا كان كذلك ولم يجز تقديم جواب القسم عليه مع كون القسم ليس عاملًا في جوابه كان امتناع تقديم جواب الشرط عليه لكونه جوابًا وكونه مجزومًا بالشرط أجدر».

(فائدة): قال ابن إياز: «إن قيل حرف الجزم أضعف من حرف الجر، وحرف الجر لا يعمل في شيئين، فكيف عملت «إنْ» في شيئين؟ قيل: الفرق بينهما الاقتضاء، فحرف الجر لما اقتضىٰ واحدًا عمل فيه وحرف الجزم لما اقتضىٰ اثنين عمل فيهما».

(مسألة): قال ابن هشامٍ: « بعض الجمل لا تصح أن تقع شرطًا، وذلك يقتضي عدم ارتباط طبيعي بينها وبين أداة الشرط، فاستعين علىٰ إيقاعها جوابًا له برابط وهو الفاء أو ما يخلفها، وهذا كمعنىٰ التعدية».اهـ

(مسألة): قال ابن هشامٍ: «كما تربط الفاء الجواب بشرطه، كذلك تربط شبه الجواب بشبه الشرط، وذلك في نحو: «الذي يأتيني فله درهم» وبدخولها فهم ما أراده المتكلِّم من ترتيب لزوم الدرهم علىٰ الإتيان ولو لم تدخل احتمل ذلك وغيره، وهذه الفاء بمنزلة لام التوطئة في نحو: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ﴾ [الحشر: ١٢] في إيذانها بما ارتاده المتكلم من معنىٰ القسم».اهـ لخَّصت جميع ذلك من "الأشباه والنظائر".

(فائدة): شرط الجواب الإفادة، فلا يكون بما لا يفيد كخبر المبتدأ، فلا

يجوز «إن يقم زيد يقم» كما لا يجوز في الابتداء «زيد زيد»، فإن دخله معنىٰ يخرجه للإفادة جاز نحو: «إن لم تطع الله عصيت»، أريد به التنبيه علىٰ العقاب فكأنه قال: وجب عليك ما وجب علىٰ العاصي، ومنه: «**فمَن كانت هِجْرَتُهُ إلى الله ورَسُولِهِ فهِجْرَتُهُ إلى الله ورَسُولِهِ...**» الحديث.

(**مسألة**): في جواز حذف الفاء من الجواب أقوال:

أحدها: يجوز ضرورة واختيارًا، نقله أبو حَيَّان عن الأخفش وبعض النحويين، وخرج عليه ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١].

ثانيها: المنع في الحالين، قال أبو حَيَّان: في محفوظي قديمًا أن المبرد منع من حذف الفاء في الضرورة، وأنه زاعم في قول عبد الرحمن بن حسان:

مَـن يفعـلِ الحَسَـناتِ اللهُ يَشْـكُرُها والشَّـــرُّ بالشَّـــرِّ عنـدَ الله مِـثْلانِ

أن الرواية من يفعل الخير فالرحمن يشكره، قال: وهذا ليس بشيء لأنه علىٰ تقدير صحة الرواية لا يطعن ذلك في الرواية الأخرىٰ.

ثالثها: وهو الأصح، يجوز ضرورة ويمتنع في السعة، وهو مذهب سيبويه. وقال ابن مالك: يجوز في النثر نادرًا، ومنه حديث اللقطة: «**فإن جاء صاحبها وإلا استمتع بها**» انتهىٰ من "الهمع".

(**تتمة**): قال البصريون: لأداة الشرط الصدر فلا يسبقها معمول معمولها، ولا فعل الجواب عليها؛ لأنها عندهم كأداة الاستفهام وما النافية ونحوهما مما له الصدر، ولا يعمل ما قبلها فيما بعدها، وإنما تقع مستأنفة أو مبنية علىٰ ذم خيرا ونحوه. وجوَّز الكسائيُّ تقديم معمول فعل الشرط أو الجواب علىٰ الأداة

نحو: «خيرًا إن تفعل يُثبك الله»، و«خيرًا إن تُصب».

قال أبو حَيَّان: وتحتاج إجازة هذا التركيب إلى سماع من العرب غير معمول الجواب المرفوع، فإنه يجوز تقديمه نحو: «خيرًا إن أتيتني تصب»، وسوغ ذلك أنه ليس فعل جواب حقيقة، بل هو في نية التقديم والجواب محذوف.

قال أكثر البصريين: ولا الجواب أيضًا لأنه ثان أبدًا من الأول متوقف عليه، وقال الأخفش: يجوز تقديمه عليها كمذهب الكوفيين ماضيًا كان أو مضارعًا، وقال المازني: يجوز تقديم الجواب إن كان مضارعًا ويمتنع إن كان ماضيًا، وقال غيره: يجوز تقديمه إن كانا ماضيين.

(مُهِمَّة): يحذف الجواب لدليل كقوله تعالى: ﴿أَئِن ذُكِّرْتُم﴾ [يس: ١٩] أي: تطيرتم، وقوله: ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ﴾ [الأنعام: ٣٥] الآية، أي: فافعل، فحذف لتقدم شبهه على الأداة، ولتقدم جواب قسم يدل عليه، ويحذف الشرط وهو أقل من حذف الجواب، نص عليه ابن مالك في "شرح الكافية"، ومنه ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾ [التوبة: ٦]، وقولهم: «إن خيرًا فخير» وقيل: إنما يجوز حذفه إن عوض منه لا، وعليه الأبذي وابن عصفور كقوله الأحوص:

فطَلِّقْهَا فلستَ لها بكُفْءٍ ... وإلَّا يَعْلُ مَفْرَقَكَ الحُسامُ

قال أبو حَيَّان: وليس بشيءٍ؛ لأنها لو كانت عوضًا من الفعل المحذوف لم يجز الجمع بينهما مع أنه يجوز. ويحذفان مع أنَّ دون سائر الأدوات، واختصت

بذلك لأنها أم الباب، ولأنه لم يرد في غيرها كقول رؤبة:

قالَت بنـاتُ الحَـيِّ: يـا سَـلْمَىٰ وإنْ كـان فَقِـيرًا مُعْـدَمًا، قالَـتْ: وإنْ

وقيل: حذفهما ضرورة، قاله ابن مالك، قال أبو حَيَّان: وتبع فيه ابن عصفور، قال: ولم ينص غيرهما على أنه ضرورة بل أطلقوا الجواز إذا فهم المعنى. انتهى من "الهمع" ملخصًا.

(فائدة): لا يجوز حذف أداة الشرط ولو «إن» في الأصح، كما لا يجوز حذف غيرها من الجوازم ولا حذف حرف الجر، وجوز بعضهم حذف إن، فيرتفع الفعل وتدخل الفاء إشعارًا بذلك وخرج عليه قوله تعالى: ﴿تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ﴾ [المائدة: ١٠٦].

(مسألة): إن توالى شرطان فصاعدًا من غير عطف فالأصح أن الجواب للسابق، ويحذف جواب ما بعده لدلالة الأول وجوابه عليه، ومنهم من جعل الجواب للأخير، وجواب الأول الشرط الثاني وجوابه، وجواب الثاني الشرط الثالث وجوابه وهكذا على إضمار الفاء، فإذا قال: «إن جاء زيد إن أكل زيد إن ضحك فعبدي حر»، فعلى الأصح الضحك أول ثم الأكل ثم المجيء فإذا وقعت على هذا الترتيب عتق وعلى مقابله عكسه فإذا وقع المجيء ثم الأكل ثم الضحك لزم العتق فإن كان العطف فالجواب لهما معًا ومنه ﴿وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ﴾ [محمد: ٣٦] الآية. قاله السيوطيُّ.

(خاتمة): إذا انقضت جملتا الشرط والجواب ثُمَّ جئت بمضارع مقرون بالفاء أو الواو فلك جزمه بالعطف على الجواب، ورفعه على الاستئناف،

ونصبه بأن مضمرة وجوبًا وهو قليل.

قرأ عاصم وابن عامر ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٨٤] بالرفع وباقيهم بالجزم وابن عبَّاسٍ بالنصب، وقرئ بهنَّ أيضًا في قوله تعالىٰ: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ﴾ [الأعراف: ١٨٦].

وإذا توسط المضارع المقرون بالفاء أو الواو بين الجملتين فالوجه الجزم بالعطف علىٰ الشرط ويجوز النصب.

ونقل عن الكوفيين أنهم أجروا ثم مجرىٰ الفاء والواو، واحتجوا بقراءة بعضهم: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٠] بنصب يدركه وهي قراءة شاذة، وقد قرئ بالرفع وهي قراءة طلحة بن سليمان، والجزم قراءة الجماعة. وهذه القراءات لم يثبت البصريون بها حكمًا لندورها. انتهىٰ ملخَّصًا من "التوضيح" وشرحه.

(بابُ مرفوعاتِ الأسماءِ)

من إضافة الصفة إلى الموصوف، أو من الإضافة البيانية، أو الإضافة على معنى من وعلى كل تخرج المرفوعات من الأفعال، لأنها تقدمت في قوله: «وهو مرفوع أبدًا»، وإنما بدأ بالمرفوعات لأنها عمد؛ والعمدة عبارة عما لا يسوغ حذفه إلا بدليل يقوم مقام اللفظ به، وجعل إعرابها الرفع لأنه ثقيل وهي قليلة أي: أقل وجودًا من المنصوبات والمخفوضات إذ هي للمبتدأ والخبر والفاعل، ويدخل في العمد ما هو عمدة في المعنى كمفعولي ظن، وما نصب بغيرها من النواسخ، والفاعل المجرور بالباء نحو: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٩].

وقوله: «مرفوعات»، يحتمل أن يكون جمع مرفوع بمعنى لفظ مرفوع، وأن يكون جمع مرفوعة بمعنى كلمة مرفوعة، وعلى هذا الثاني فلا يشكل جمعه جمع مؤنث، وأما على الأول فقال ابن هشامٍ: «إنما جاز جمع المرفوع والمنصوب والمخفوض بالألف والتاء وإن كانت مذكرة؛ لأنها صفة للفظ وصفة ما لا يعقل يجوز ذلك فيه بقياس نحو قوله تعالى: ﴿أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ [البقرة: ١٩٧]».اهـ

قال المؤلِّف: (**المرفوعاتُ سبعةٌ وهي: الفاعلُ، والمفعولُ الذي لم يُسَمَّ فاعله، والمبتدأُ وخبرُه، واسمُ كانَ وأخواتِها، وخبرُ إنَّ وأخواتِها، والتابعُ للمرفوعِ وهو أربعةُ أشياء: النَّعْتُ والعَطْفُ والتوكيدُ والبَدَلُ**).

قوله: «**المرفوعاتُ سبعةٌ وهي: الفاعلُ، والمفعولُ الذي لم يُسَمَّ فاعله**» وهي عبارة المتقدمين، وعبارة المتأخِّرين النائب عن الفاعل، قالوا: وهي أحسن لما سيأتي.

«**والمبتدأُ وخبرُه، واسمُ كانَ وأخواتِها**» والمراد بأخواتها نظائرها في العمل، فتدخل أفعال المقاربة وما ولا ولات وإن المشبهات بليس؛ لأن أسماءهن مرفوعة ككان.

«**وخبر إن وأخواتها**» والمراد بأخواتها نظائرها في العمل، فتدخل «لا النافية للجنس»؛ لأن خبرها مرفوع ونحوها مما ينصب المبتد أويرفع الخبر.

«**والتابع للمرفوع وهو أربعة أشياء**» وقيل: ستة بجعل التوكيد اللفظي قسمًا واحدًا، والتأكيد المعنوي كذلك والحق أنها خمسة وهو قول الزجَّاجي وغيره، وتبعه المصنف بإدراج عطفي البيان والنسق تحت وعطف البيان.

«**النعت والعطف**» عطف النسق «**والتوكيد والبدل**» ويشكل عليه نحو: «قام قام زيد»، و «نعم نعم» و «لا لا»؛ فإنها مشتملة على التوكيد ولا تبعية في شيء منها.

ودليل الحصر في الخمسة أن التابع إما أن يتبع بواسطة حرف أو لا، الأول عطف النسق والثاني إما أن يكون على نية تكرار العامل أو لا، الأول البدل والثاني إما أن يكون بألفاظ مخصوصة أو لا، الأول التوكيد والثاني إما أن يكون بالمشتق أو لا، الأول النعت والثاني عطف البيان، قاله في "التصريح".

واعلم أن جمهور النحاة لم يحدوا التابع لأنه محصور بالعدد فلا يحتاج إلى حد، وحده ابن مالك في "التسهيل" بقوله: «ما ليس خبرًا من مشارك».

ولما فرغ من ذكرها مجملة أخذ يتكلم عليها مفصلة على ترتيب ما أجمله مقدمًا، الأول فالأول، فقال:

(بابُ الفاعلِ)

(مقدِّمة): اختلفوا في أصل المرفوعات، فقيل المبتدأ والفاعل فرع عنه، وهو مذهب سيبويه وابن السراج، ووجهه أنه مبدوء به في الكلام وأنه لا يزول عن كونه مبتدأ وإن تأخَّر، والفاعل تزول فاعليته إذا تقدَّم، وأنه عامل معمول، والفاعل معمول لا غير، وقيل: الفاعل أصل والمبتدأ فرعٌ عنه وهو مذهب الخليل.

قال ابن يعيش: وعليه حذاق أصحابنا اليوم، ووجهه أنَّ عامله لفظيٌّ وهو أقوىٰ من عامل المبتدأ المعنوي، فإنه إنما رفع للفرق بينه وبين المفعول، وليس المبتدأ كذلك، والأصل في الإعراب أن يكون للفرق بين المعاني، وقيل: كلاهما أصلان وليس أحدهما محمولا علىٰ الآخر ولا فرعًا عنه، واختاره الرضي ونقله عن الأخفش وابن السراج ورجَّحه السيوطيُّ، وإلىٰ هذا الخلاف أشار في "الفريدة" بقوله:

واختلفُوا فيما لـه التَّأصُّلُ ... في الرَّفع هل مبتدأٌ أو فاعلُ
وَجَّهَ كلٌّ باتِّجاه يحلُو ... مِنْ ثَمَّ قال البعضُ كُلٌّ أصل

قال أبو حَيَّان: وهذا الخلاف لا يُجدِي.

(فائدة): قال المصنِّف: الفاعل لغةً: من أوجد الفعل، واصطلاحًا: اسم أو ما في تأويله، أسند إليه فعل أو ما في تأويله، مُقدَّم أصليُّ المحل والصيغة. فالاسم نحو: «تبارك الله»، والمؤول به نحو: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا﴾ [العنكبوت: ٥١].

والفعل كما مثلنا ومنه «أتىٰ زيد»، و«نعم الفتىٰ»، ولا فرق بين المتصرِّف والجامد والمؤوَّل بالفعل نحو: ﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾ [النحل: ٦٩] نحو «منيرًا وجهه»، ومقدم رافع لتوهم دخول نحو: «زيد قام» في حد الفعل، وأصليُّ المحلِّ مُخرِجٌ لنحو: «قائم زيد»، فإنَّ المسند وهو قائم أصله التأخير لأنه خبر، وذكر أصالة الصيغة مخرج لنحو: «ضرب زيد»، بضمِّ أول الفعل وكسر ثانيه فإنها صيغة مفرعة عن ضرب بفتحهما. اهـ قاله ابن هشامٍ.

(تنبيه): اختلف في رافع الفاعل علىٰ أقوال:

أحدها: أنه العامل المسند إليه من فعل أو ما ضمن معناه كما فهم من الحد؛ لأنه طالب له وهو مذهب الجمهور.

الثاني: أن رافعه الإسناد، فيكون العامل معنويًّا، وهو مذهب ابن هشامٍ.

الثالث: شبهه بالمبتدأ، من حيث أنه يخبر عنه بفعله كما يخبر عن المبتدأ بالخبر.

الرابع: كونه فاعلًا في المعنىٰ، وهو مذهب خلف كما نقله أبو حَيَّان.

الخامس: أن يرتفع بإحداثه الفعل، نقله ابن عمرون عن قوم من الكوفيين.

(تنبيه): للفاعل أحكام سبعة:

أحدها: الرفع لأنه عمدة، إذ لا يستغنىٰ الكلام عنه وقد يجر لفظًا بإضافة المصدر نحو: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ﴾ [الحج: ٤٠]، أو اسمه نحو: «مِنْ قُبْلَةِ الرجلِ امرأتَه الوضوءُ»، أو بمن أو الباء الزائدتين نحو: ﴿أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ﴾ [المائدة: ١٩] ونحو: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٩] ونحو: ﴿هَيْهَاتَ

هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٦].

الثاني: وقوعه بعد المسند، فإن وجد ما ظاهره أنه فاعل تقدم وجب تقدير الفاعل ضميرًا مستترًا، وكون المقدم إما مبتدأ في نحو: زيد قام، وإما فاعلًا محذوف الفعل في نحو: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾ [التوبة: ٦] وجاز الأمران في نحو: ﴿أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ [التغابن: ٦] والأرجح الفاعلية.

(فائدة): أجاز الكوفيون تقديم الفاعل على المسند، مستدلين بقول الزباء:

مَا للجِمالِ مَشْيُها وَئِيدًا أَجَنْدَلًا يحمِلْنَ أَمْ حَدِيدًا

وهو عند البصريين ضرورة، أو «مشيها» مبتدأ حذف خبره، أي: يظهر وئيدًا.

الثالث: من أحكامه أنه لا بد منه لأن المسند حكم، ولا بد للحكم من محكوم عليه، فإن ظهر في اللفظ نحو: قام زيد فذاك، وإلا فهو ضمير مستتر إما راجع لمذكور كزيد قام، أو لما دل عليه الفعل نحو: «**لا يزني الزَّاني حِينَ يَزْنِي وهو مُؤمِنٌ، ولا يَشْرَبُ الخَمْرَ حين يَشْرَبُها وهو مُؤمِنٌ**».

الرابع: من أحكامه أنه يصح حذف فعله جوازًا إن أجيب به نفي كقولك: «بلى زيد» لمن قال: «ما قام أحد»، ومنه قوله:

تَجَلَّدتُ حتى قيل لم يَعْرُ قلبَهُ من الوجدِ شيءٌ قلتُ: بل أعظمُ الوَجْدِ

أو استفهام محقَّقٌ نحو: «نعم زيد» جوابًا لمن قال: «هل قام أحد؟».

الخامس: من أحكامه أن فعله يوحد مع تثنيته وجمعه كما يوحد مع إفراده، قال الله تعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾ [المائدة: ٢٣] ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ﴾ [الفرقان: ٨] ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾ [يوسف: ٣٠].

(فائدة): حكىٰ البصريون عن طيء وبعضهم عن أزد شنوءة نحو: «ضربوني قومك»، و«ضربتني نسوتك»، و«ضرباني أخواك»، والصحيح عند سيبويه ومن تبعه أن الألف والواو والنون أحرف دلوا بها علىٰ التثنية والجمع، كما دل جميع العرب بالتاء في قامت علىٰ التأنيث.

السادس: مِن أحكامه، أنه إن كان مؤنَّثا أُنِّث فِعْلُه بتاءٍ ساكنةٍ في آخر الماضي، وبتاء المضارعة في أول المضارع ويجب ذلك في مسألتين:

إحداهما: أن يكون ضميرًا متصلًا لغائبة حقيقية التأنيث أو مجازيته «كهند قامت أو تقوم»، و«الشمس طلعت أو تطلع»، بخلاف الضمير المنفصل نحو: «ما قام أو ما يقوم إلا هي». ويجوز تركها في الشعر إن كان التأنيث مجازيًا كقول عامر بن جوين الطائي:

فلا مُزْنَةٌ وَدَقَتْ وَدْقَهَا ... ولا أرضَ أَبْقَلَ إِبْقَالَهَا

الثانية: أن يكون متصلا بالفعل حقيقي التأنيث نحو: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ ﴾ [آل عمران: ٣٥].

(فائدة): حكىٰ سيبويه عن بعض العرب: قال فلانة، قال ابن هشامٍ: هو رديء لا ينقاس؛ فيقتصر فيه علىٰ السماع، وإنما جاز في الفصيح: نعم المرأة، وبئس المرأة؛ لأن المراد جنس.

(مسألة): يجوز التذكير والتأنيث في مسألتين:

إحداهما: المؤنث الحقيقي الظاهر المنفصل من الفعل، كقول جرير:

لقد وَلَدَ الأَخْيطِلَ أمُّ سوءٍ ... علىٰ بابِ اسْتِها صُلُبٌ وشَامُ

والتأنيث أكثر إلَّا إن كان الفاصل «إلا» فالتأنيث خاصٌّ بالشعر، نصَّ عليه الأخفش، وأنشد على التأنيث:

مَا برِئَتْ مِنْ رِيبةٍ وذَمّ ... في حربِنا إلَّا بناتُ العَمّ

وجوزه ابن مالكٍ في النثر.

الثانية: المجازي التأنيث نحو: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [القيامة: ٩].

قال ابن هشامٍ: ومن مجازي التأنيث اسم الجنس واسم الجمع والجمع، لأنها في معنى الجماعة والجماعة مؤنث مجازي فلذلك جاز التأنيث نحو: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ [الحج: ٤٢] و﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ﴾ [الحجرات: ١٤]، و«أورقت الشجر». والتذكير نحو: «أورق الشجر»، و«كذب به قومك»، و«قال نسوة»، و«قال الرجال»، و«جاء الهنود». انتهى كلامه.

(فائدة): إنما لم يجب التأنيث مع المؤنث المجازي لأمرين:

أحدهما: أنَّ التأنيث غير حقيقي فتضعف العناية به.

و الثاني: أنَّ هذا المؤنث في معنى المذكَّر فيحمل عليه كما حمل المذكَّر على المؤنَّث في: جاءتني كتاب زيد أي صحيفته.اهـ قاله الأزهريُّ.

(مُهِمَّة): ينصب الفاعل شذوذًا إذا فهم المعنى، وسمع من كلامهم: «خَرقَ الثوبُ المسمارَ»، و«كَسرَ الزجاجُ الحَجَرَ»، برفع أولهما ونصب ثانيهما، وجعله ابن الطراوة قياسًا مطردًا، واستأنس له بعضهم بقراءة عبد الله بن كثير ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة: ٣٧] بنصب آدم ورفع كلمات وفيه نظر لإمكان حمله على الأصل؛ لأن من تلقَّى شيئًا فقد تلقَّاه الآخر».اهـ قاله الأزهريُّ.

(مسألة): أجاز الكسائي وهشام والسهيلي وابن النحاس حذف الفاعل تمسُّكًا بنحو: «﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾ [القيامة: ٢٦] ونحو قولهم: «إذا كان غدًا فاشي»، والجواب: أنَّ الفاعل في الآية ضميرٌ راجعٌ لما دلَّ عليه الكلام أو الحال المشاهدة، وكذلك في المثل أي إذا بلغت الروح التراقي وإذا كان هو، أي: ما نحن الآن عليه من سلامة ولا حذف. قاله ابن هشامٍ.

قلت: يطرد حذفه في أربعة مواضع:

الأول: في باب النائب عن الفاعل نحو: ﴿قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ [يوسف: ٤١].

الثاني: في الاستثناء المفرَّغ نحو: «ما قام إلَّا زيدٌ».

الثالث: في أفعل بكسر العين في التعجُّب، إذا دلَّ عليه متقدِّم مثله نحو: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ [مريم: ٣٨].

الرابع: في مصدر نحو: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا﴾ [البلد: ١٤ – ١٥].

(مسألة): اختلف في «نعم، وبئس» إذا أسند الفاعل، فالبصريون يقولون: «نعم الرجل، وبئس الرجل» فعليتان.

والكسائي يقول: اسمان محكيان نقلًا عن أصلهما، وسمي بهما المدح والذم «كتأبط شرًا» ونحوه. قاله في "الهمع".

قلت: واختلف في فعليتهما، فذهب البصريون والكسائي إلى أنهما فعلان بدليل اتصال تاء التأنيث الساكنة بهما عند جميع العرب، وفي الحديث: «**من توضَّأَ يومَ الجُمُعةِ فبها ونِعْمَتْ**».

وذهب الفراء والكوفيون غير الكسائي إلى أنهما اسمان بدليل دخول الجار

عليهما في قولهم: «والله ما هي بنعم الولد»، و«نعم السير على بئس العير» وعدم التصرف والمصدر.

وأجيب بأن الجار قد يدخل على ما لا خلاف في فعليته بتأويل موصوف مقدر، وبأن عدم التصرف والمصدر لا يدلان على الاسمية بدليل ليس وعسى.

واعلم أنَّ المصنِّف رحمه الله لم يحد الفاعل بل رسمه ببعض خواصِّه فقال: **(الفاعِلُ هو: الاسمُ المرفوعُ المذكُورُ قبلَهُ فِعلَهُ. وهو على قسمين: ظاهِرٌ، ومُضمَرٌ. فالظاهِر نحو قولِك: قام زيدٌ، ويقوم زيدٌ، وقام الزَّيدانِ، ويقومُ الزَّيدانِ، وقامَ الزَّيدونَ، ويقوم الزَّيدون، وقام الرجالُ، ويقومُ الرجالُ، وقامَت هِندُ، وتقومُ هندُ، وقامَتِ الهِندانِ، وتقوم الهندان، وقامت الهِنداتُ، وتقومُ الهنداتُ، وقامَت الهُنُودُ، وتقوم الهُنُودُ، وقامَ أخوكَ، ويقوم أخوك، وقامَ غُلامي، ويقومُ غُلامي، وما أشبَهَ ذلك. والمُضمَر اثنا عشر، نحو قولك: ضَربْتُ، وضربْنَا، وضَرَبْتَ، وضَرَبْتِ، وضربْتُمَا، وضربْتُم، وضرَبْتُنَّ، وضَرَبَ، وضَرَبَتْ، وضَرَبَا، وضَرَبُوا، وضَرَبْنَ).**

«هو الاسم المرفوع المذكور قبله فعله» ذلك لأن الرفع وكونه مذكورًا قبله فعله خارجان عن حقيقة الفاعل، فإن قلت: قد توجد هذه الخاصة في غيره كاسم كان وأخواتها فالتعريف غير كافٍ.

قلت: قال أبو النجا: «الخاصة قسمان:

مطلقة: وهي ما يختص بالشيء بالنظر إلى جميع ما وراءه، كالضاحكا للإنسان.

وإضافية: وهي تختص بالشيء بالنظر إلى بعض أغياره كالماشي للإنسان وهي المرادة هنا لأن ما ذكره من كونه مذكورًا قبله فعله يخص الفاعل بالنسبة

إلى بعض أغياره، كالمبتدأ دون بعض كاسم كان وأخواتها، فالتعريف كاف كما صوبه السيد».اهـ

قلت: تعبير المصنِّف بـ«المذكور قبله فعله»، مصير منه إلى مذهب البصريين، من عدم جواز تقدُّم الفاعل على فعله.

(تنبيه): الفاعل كجزء من أجزاء الفعل؛ والدليل على ذلك أمور:

منها: أنَّ آخر الفعل يسكن لضمير الفاعل لئلا يتوالى أربع متحرِّكات كـ«ضربت، وضربنا»، ولم يسكنوه مع ضمير المفعول نحو: «ضربنا زيد»، لأنه في حكم المنفصل.

ومنها: أنهم لم يعطفوا على الضمير المتصل المرفوع من غير توكيد لجريانهِ مجرى الجزء من الفعل واختلاطه به.

ومنها: أنهم وصلوا تاء التأنيث بالفعل دلالة على تأنيث الفاعل فكان كالجزء منه.

ومنها: أنهم نسبوا إلى «كنت» فقالوا: «كنتي» ولولا جعلهم التاء كجزء من الفعل لم تبق مع النسب.

ومنها: امتناعهم من تقدم الفاعل على الفعل كامتناعهم من تقدم بعض حروفه.

ومنها: أنهم جعلوا حبَّذا بمنزلة جزء واحد لا يفيد مع أنه فعل وفاعل.اهـ مختصرًا من "الأشباه".

(مُهِمَّة): الأصل تقديم الفاعل وتأخير المفعول، وإنما كان الأصل في الفعل التقديم لأنه يتنزل من الفعل منزلة الجزء ولا كذلك المفعول، وهذا هو

الحكم السابع من أحكام الفاعل، وقد يجاء بخلاف الأصل، وكل من الأصل وعكسه جائز وواجب، فأما جواز الأصل فنحو: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [النمل: ١٦].

وأما وجوبه ففي مسألتين:

إحداهما: أن يخشى اللبس نحو: «ضرب موسى عيسى» قاله ابن السراج والجزوليّ وابن عصفور وابن مالك، ونازعهم ابن الحاج في نقده على "المقرب" بأن سيبويه لم يذكر في كتابه شيئًا من هذه الأغراض الواهية، محتجًّا بما يُعلم مراجعته من "التصريح".

الثانية: أن يحصر المفعول بإنما نحو: «إنما ضرب زيد عمرًا»، فيجب تقديم الفاعل إجماعًا، وكذا الحصر بـ«إلا» عند الجزولي وجماعة من المتأخرين، فإنهم أوجبوا تأخير المفعول المحصور بـ«إلا» نحو: « ما ضرب زيد إلا عمرًا». وأجاز البصريون والكسائي والفراء وابن الأنباري تقديم المفعول على الفعل كقول دعبل الخزاعي:

ولَمَّا أَبَى إلا جِماحًا فؤادُه ... ولم يَسْلُ عن ليلى بمال ولا أهلِ

انتهى من "التوضيح" وشرحه.

قلت: من وجوب الأصل أيضًا إذا كان الفاعل ضميرًا غير محصور نحو: «ضربت زيدًا وأكرمتك»؛ لأن الفصل يؤدِّي إلى انفصال الضمير مع إمكان اتصاله، وكان الأولى للموضح أن يجعل هذه المسألة هي الثانية بدل المحصور لأن المحصور «بإنما» وكذا «بالأعلى» الأصح يجب تأخيره فاعلًا كان أو مفعولًا، فتأمَّل.

وأمَّا جواز توسُّط المفعول فنحو: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ﴾ [الحجر: ٦١]، وأما وجوبه ففي مسألتين:

إحداهما: أن يتصل بالفاعل ضمير المفعول نحو: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ﴾ [البقرة: ١٢٤].

الثانية: أن يكون المفعول ضميرًا والفاعل ظاهرًا نحو: «ضربني زيدٌ».

(تنبيه): يتقدَّم المفعول على الفعل والفاعل معًا جوازًا نحو: ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧]، ووجوبًا في مسألتين:

إحداهما: أن يكون له الصدر نحو: «﴿فَأَىَّ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ﴾ [غافر: ٨١].

الثانية: أن يقع عامله بعد الفاء الجزائية في جواب إما ظاهرة أو مقدرة، وليس له منصوب غيره مقدم عليها نحو: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [المدثر: ٣]، ونحو: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: ٩]. قاله ابن هشامٍ.

«وهو» أي: الفاعل. «على قسمينِ: ظاهرٍ ومضمرٍ» «فالظاهرُ» يرفعه الماضي والمضارع إذا أسند إلى غائب ولا يرفعه الأمر «نحو قولك: قامَ زيدٌ ويقومُ زيدُ» للمفرد «وقامَ الزيدان ويقوُم الزيدان» للمثنى «وقامَ الزيدون ويقومُ الزيدون» لجمع المذكَّر السالم «وقام الرجال ويقوم الرجال» لجمع التكسير.

«وقامتْ هندُ وتقوم هندُ، وقامتْ الهندان وتقومُ الهندان، وقامت الهندات وتقومُ الهنداتُ، وقامت الهنودُ وتقوم الهنودُ».

«وقام أخوك ويقوم أخوك» للأسماء الخمسة «وقام غلامي ويقوم غلامي

وما أشبه ذلك» وقس على هذا ما أشبهه.

«**والمضمرُ**» ما كني به عن الظاهر اختصارًا وهو«**اثنا عشر**» ضميرًا متصل ومنفصل، والمتصل اثنا عشر أيضًا، اثنان للمتكلِّم وخمسة للمخاطَب، وخمسة للغائب.

فالمتكلِّم وحده «**نحو قولك: ضربتُ**» بضم التاء، وله معه غيره أو المعظم نفسه «**ضربْنَا**» بسكون الباء.

وللمخاطَب «**ضَرَبْتَ**» بفتح التاء، وللمخاطبة «**ضَرَبْتِ**» بكسر التاء، وللمخاطبين مذكرين كانا أو مؤنثين «**ضَرَبْتُما**» بضم التاء، ولجمع الذكور المخاطبين «**ضربتُم**» بضم التاء، وللمخاطبات «**ضربتُنَّ**» بضم التاء.

وللغائب «**ضَرَبَ**»، وللغائبة المؤنثة «**ضَرَبَتْ**»، وللغائبين المذكرين «**ضَرَبا**»، وللغائبتين «**ضَرَبَتا**»، ولجمع المذكر الغائب «**ضَرَبُوا**»، ولجمع الإناث الغائبات «**ضَرَبْنَ**».

(تنبيهان):

الأول: بقي من أقسام المتصل ياء المؤنثة المخاطَبة نحو: تقومين يا هند، وقومي يا بكر.

الثاني: ما ذكره المصنف من الضمائر على قسمين: بارز ومستتر، فالمستتر في «ضرب» للغائب و«ضربت» للغائبة، والبارز فيما عداهما.

والمنفصِل اثنا عشر أيضًا، نحو: ما قام إلا أنا، وما قام إلا نحن، وما قام إلَّا أنت، وما قام إلَّا هو، وما قام إلَّا هي، وما قام إلَّا هما، وما قام إلَّا هم، وما قام إلَّا هنَّ، وقِسْ عليه ما أشبهه.

(تنبيه): إذا كان الفاعل والمفعول ضميرين ولا حصر في إحداهما وجب تقديم الفاعل «كأكرمته».

(تتمة): يتنزل منزلة الفعل ما هو في تأويله وهو عشرة ألفاظ:

اسم الفاعل نحو: « أقائم الزيدان».

والصفة المشبَّهة نحو: «زيد حسن وجهه».

والمصدر نحو: «عجبت من ضرب زيد عمرًا».

واسم الفعل نحو: «هيهات العقيق».

والظرف والجار والمجرور نحو: «زيد عندك أبوه أو في الدار غلاماه».

وأفعل التفضيل نحو: «مررت بالأفضل أبوه».

واسم المصدر نحو: «عجبت من عطاء الدنانير زيد».

وأمثلة المبالغة نحو: «أضراب زيد؟».

واسم المفعول نحو: «أمضروب الزيدان؟».

والمنسوب إليه نحو: « رجل قرشي أبوه».

(تكملة): قال ابن النحاس: «المضمر والمظهر من جهة التقديم والتأخير على أربعة أقسام:

أحدها: أن يكون الظاهر مقدمًا على المضمر لفظًا ورتبة نحو: «ضرب زيد غلامه».

الثاني: أن يكون الظاهر مقدمًا على المضمر لفظًا دون رتبة نحو: «ضرب زيدًا غلامه».

الثالث: أن يكون الظاهر مقدمًا على المضمر رتبة دون لفظ نحو: «ضرب

غلامه زيد»، فهذه الثلاثة تجوز بالإجماع.

الرابع: أن يكون الظاهر مؤخرًا لفظًا ورتبة نحو: «ضرب غلامه زيد»، فهذا أكثر النحاة لا يجيزه لمخالفته باب الضمائر ومنهم من أجازه».اهـ، نقله السيوطي.

(تذنيب): قال أبو الحسن بن أبي الربيع: الإسناد والبناء والتفريع والشغل ألفاظ مترادفة لمعنىٰ واحد؛ يدلك علىٰ ذلك أن سيبويه قال: الفاعل شغل به الفعل، وقال في موضع: فرع له، وفي موضع: بني له، وفي موضع: أسند له؛ لأنها كلها في معنىٰ واحد.، نقله في "الأشباه".

بابُ المفعولِ الذي لم يُسمَّ فاعلُه

قال المؤلِّف: (وهو الاسمُ المرفوعُ الذي لم يذكرْ معه فاعلُه)

(مسألة): مما يطَّرد حذف الفاعل فيه هذا الباب كما تقدَّم، قال ابن النحاس: «وحذفه هنا غير مرادٍ».اهـ

قلت: وها هنا إشكال وهو أن يقال: قد مرَّ في باب الفاعل من جملة أحكامه: لا يحذف لأنه عمدة، فكيف يحذف هنا وهو غير مراد؟ والجواب: أنه لا يحذف إذا أريد بقاء الفعل على صيغته الأصلية.

(فائدة): ترجم المصنِّف تبعًا لجمهور النحاة بالمفعول الذي لم يُسمَّ فاعله، وخالف ابن مالكٍ فترجم بالنائب عن الفاعل، قال أبو حَيَّان: لم أرَ مثل هذه الترجمة لغير ابن مالكٍ والمعروف المفعول الذي لم يُسمَّ فاعله، قالوا: وترجمة ابن مالكٍ أشهر، ولأن ترجمة الجمهور لا تشمل ما ينوب غير المفعول كالظرف والمجرور، مع أنهما مقصودان وتصدق على «دينارًا» من قولك: «أعطي زيد دينارًا» لأنه مفعول لم يسم فاعله مع أنه غير مقصود، وقد أجيب عن ذلك بما لا حُجَّة فيه.

(تتمَّة): يحذف الفاعل لغرض من الأغراض، كالعلم به نحو: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ﴾ [البقرة: ٢١٦].

أو للجهل به كـ«سُرِقَ المتاعُ»، أو تعظيمه فيُصان اسمه عن أن يقترن باسم المفعول كقوله: «مَن بُلي منكم بهذه القاذورات». أو تحقيره فيصان اسم المفعول عن مقارنته كقولك: «أوذي فلان» إذا عظم وحقر من آذاه أو «خوف منه»

أو«خوف عليه» فيستر ذكره، أو قصد إبهامه بأن لا يتعلَّق مراد المتكلِّم بتعيينه نحو: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ [البقرة: ١٩٦].

أو إقامة وزن الشعر كقوله:

وإذا شَرِبْتُ فإنَّني مُسْتَهلِكٌ مالي وعِرضِي وافرٌ لم يُكْلَمِ

أو إصلاح السجع نحو: «مَن طابت سَريرته حُمدت سِيرته»، أو قصد الإيجاز نحو: ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ﴾ [الحج: ٦٠] فينوب عنه المفعول به فيما له من رفع وعمدية ووجوب تأخير وامتناع حذف وينزل منزلة الجزء.اهـ قاله في "الهمع".

والنائب «هو الاسمُ» الصريح نحو: ﴿وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ [البقرة: ٢١٠] أو المؤوَّل به نحو: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ﴾ [الجن: ١].

«المرفوعُ» وجوبًا لقيامه مقام الفاعل كما تقدَّم، «الذي لم يُذْكَرْ معه فاعِلُه» بأن ترك ولم يقصد فلم يحتج إلى ذكر فاعل له لا لفظًا ولا تقديرًا.

(تنبيه): إن كان الفعل مما يتعدَّى لأكثر من واحدٍ فإن كان من باب «أعطي» ففي إقامة المفعول الثاني عن الفاعل دون الأول أقوال:

أصحها وعليه الجمهور: الجواز إذا أمن اللبس، والأحسن إقامة الأول والمنع إذا لم يؤمن فينوب الأول.

الثاني: المنع مطلقًا.

والثالث: المنع إن كان نكرة والأول معرفة؛ لأن المعرفة بالرفع أولى، وعزاه أبو ذر الخشني للفارسي.

والرابع: أنه قبيحٌ حينئذٍ، أي: إذا كان نكرة والأول معرفة، فإن كان معرفة كالأول كانا في الحسن سواء، وعُزي للكوفيين.

وإن كان من باب «ظن» أو «أعلم» ففيه أيضًا أقوال:

أحدها: الجواز إذا أمن اللبس ولم يكن جملة ولا ظرفًا، مع أنَّ الأحسن إقامة الأول، والمنع إن حصل اللبس، أو كان جملة أو ظرفًا، وصحَّحه طلحة وابن عصفورٍ وابن مالكٍ.

و الثاني: المنع مطلقًا وتعين الأول؛ لأنه مبتدأ في الأصل وهو لشبه الفاعل فكان بالنيابة عنه أولى واختاره الجزولي والخفراوي.

الثالث: الجواز بالشروط السابقة، وبشرط أن لا يكون نكرة.

وإن كان من باب «اختار» ففيه قولان:

أصحهما كما قال أبو حَيَّان: تعين الأول وهو ما تعدَّى إليه بنفسه وامتناع إقامة الثاني وعليه الجمهور، وجوَّز الفراء وابن مالكٍ إقامة الثاني، وأمَّا الثالث: من باب «أعلم» فلا يجوز إقامته، وقال الخفرواي وابن أبي الربيع بالاتفاق، لكن قال أبو حَيَّان: ذكر صاحب "المخترع" جوازه، وعن بعضهم بشرط أن لا يلبس وهو مقتضى كلام السهيليِّ، وجزم به ابن هشامٍ في "الجامع". انتهى ملخَّصًا من "الهمع".

ثم اعلم أنه لا بد من تغيير صيغة الفعل عن صيغة الفاعل وإلى ذلك أشار المصنِّف بقوله: (**فإنْ كانَ الفعلُ ماضيًا ضُمَّ أوَّلَه وكُسِرَ ما قبلَ آخرِهِ**): تحقيقًا كـ«ضُرِبَ» أو تقديرًا كـ«غِيضَ».

(وإن كان مضارعًا ضُمَّ أولُه وفُتحَ ما قبلَ آخرِه): تحقيقًا كيُضرَب أو تقديرًا كيُقال.

قال المؤلِّف: (وهو على قسمين: ظاهرٍ ومضمرٍ، فالظاهرُ نحوُ قولك: ضُرِبَ زيدٌ) بضم الضاد وكسر الراء في الماضي.

(ويُضرَبُ زيدٌ) بضم الياء وفتح الراء في المضارع، ولا فرق بين أن يكون ثلاثيًّا كما مرَّ أو رباعيًّا نحو قولك: «وأُكرِم عمرو» بضم الهمز وكسر الراء في الماضي. و«يُكرَم عمرو» بضم الياء وفتح الراء في المضارع.

(تنبيه): إذا كان الماضي مبدوءًا بتاء زائدة ضم ثانيه أيضًا، نحو: «تُعُلِّم» «وتُدُحرِجَ»، وسواء كانت التاء للمطاوعة كما مثلنا أم لا كتضارب، وإن كان مبدوءًا بهمزة الوصل فيضم أوله وثالثه، سواء متعدِّيًا أو لازمًا كانطلق واستخرج.

قال الأزهريُّ: «وفي جمل الزجَّاج لا يجوز أن يبني الفعل اللازم للمفعول عند أكثر النحويين».اهـ

وخصَّه أبو البقاء بما لا يتعدَّىٰ بحرف جرٍّ ومثله بقام وجلس، وعلَّله بأنه لو بني للمفعول لبقي الفعل خبرًا بغير مخبر عنه وذلك محال.اهـ

(مُهِمَّة): إذا كان الماضي معتل العين وهو ثلاثي كـ«قال» من الواوي و«باع» من اليائي، أو علىٰ وزن افتعل وانفعل كـ«اختار» من اليائي و«انقاد» من الواوي، فقد سمع في فائه ثلاثة أوجه:

إخلاص الكسر نحو: قيل وبيع، ومنه قوله:

حِيكَتْ علىٰ نِيرَينِ إذ تُحَاك ... تختبطُ الشَّوكَ ولا تُشَاك

إخلاص الضم نحو: قول وبوع ومنه قول رؤبة:

لَيْتَ وهَلْ يَنْفَعُ شَيْئًا لَيْتُ ... لَيْتَ شَبابًا بُوعَ فاشْتَرَيْتُ

وهي لغة بني دبير وفقعس. الإشمام: وهو الإتيان بالفاء بحركة بين الضم والكسر، ولا يظهر ذلك إلا في اللفظ. وقد قرئ في السبعة قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ﴾ [هود: ٤٤] بالإشمام في «قيل» «وغيض».اهـ قاله ابن عقيل.

قلت: إخلاص الكسر لغة قريش، وإخلاص الضم لغة قليلة، وادَّعى ابن عذرة أنها ممتنعة في افتعل وانفعل، فلا يقال: اختور وانقود، والمشهور الجواز وعليه ابن عصفور والأبذي وابن مالكٍ.

قال المؤلف: (**والمُضْمَرُ نحو قولِك: ضُرِبْتُ، وضُربتا، وضُربت، وضُربت، وضُربتما، وضُربتم، وضُربتنَّ، وضُربَ، وضُربت، وضُربا، وضُربوا، وضُربن**).

«**والمضمر**» قسمان: متصل، ومنفصل. فالمتصل «**نحو قولك: ضُرِبْتُ**» بضمِّ الضاد وكسر الراء للمتكلِّم «**وضُرِبْنا**» للمتكلِّم ومعه غيره «**ضُرِبْتَ**» بفتح التاء للمخاطَب «**وضُرِبْتِ**» بكسرها للمخاطَبة «**وضُرِبْتُما**» للمثنى المخاطَبَين «**وضُرِبْتُم**» لجمع المذكَّر المخاطَب «**وضُرِبْتُنَّ**» لجمع الإناث المخاطَبات «**وضُرِبَ**» للغائب «**وضُرِبَتْ**» بسكون التاء للغائبة «**وضُرِبَا**» للغائبين و«**ضُربوا**» للغائبين «**وضُرِبنَ**» للغائبات.

والمنفصل نحو: «ما ضُرب إلَّا أنا»، «وما ضُرب إلَّا نحن»، «وما ضُرب إلَّا أنت»، «وما ضُرب إلَّا أنت»، «وما ضُرب إلَّا أنتما»، «وما ضُرب إلَّا أنتم»، «وما ضُرب إلَّا أنتن»، «وما ضُرب إلَّا هو»، «وما ضُرب إلَّا هي»، «وما

ضُرب إلَّا هما»، «وما ضُرب إلَّا هم»، « وما ضُرب إلَّا هنَّ».

(مُهِمَّة): ذهب الجمهور إلى أنَّ الفعل المبنيَّ للمفعول مغير من فعل الفاعل فهو فرع عنه، وذهب الكوفية والمبرد وابن الطراوة إلى أنه أصل، ونسبه ابن مالك في شرح "الكافية" لسيبويه للزومه في أفعال لم ينطق لها بفاعل «كزُهِيَ» «وعُنِيَ»، قالوا: فلو كان فرعًا للزم أن لا يوجد إلا حيث يوجد الأصل. ورُدَّ بأنَّ العرب قد تستغني بالفرع عن الأصل بدليل أن وردت جموع لا مفرد لها كـ«مذاكير» ونحوه. قال أبو حَيَّان: وهذا الخلاف لا يجدي كبير فائدة. قاله في "الهمع".

(تتمَّة): قال ابن عصفور في "المقرب": «الأفعال ثلاثة أقسام: قسم لا يجوز بناؤه للمفعول باتفاق وهو الأفعال التي لا تتصرف نحو: «نعم» و«بئس»، وقسم فيه خلاف وهو كان وأخواتها المتصرِّفة، وقسم لا خلاف في جواز بنائه للمفعول وهو ما بقي من الأفعال المتصرِّفة».اهـ نقله في "الأشباه".

قلت: والأفعال التي لا تتصرف «ليس» و«عسى» و«نعم» و«بئس» و«حاشا» و«خلا» و«عدا» و«قلما» و«تبارك» و«هدك» و«سقط» و«كذب» في الإغراء و«يهيط» و«اهلم» و«اها» و«عم صباحًا» و«ينبغي» و«حبَّذا» و«فعل التعجُّب».

والخلاف المشار إليه في «كان» موجود أيضًا في «كان وأخواتها»، ذهب الفارسي وابن السراج إلى منع بناء هذه الأفعال للمفعول، وذهب سيبويه والسيرافي والكوفيون إلى جوازه، قال أبو حَيَّان: «والذي نختاره مذهب الفارسي، لأنه لم يسمع والقياس يأباه».اهـ وحكى السيوطيُّ صحَّته.

(تكملة): اختلف في إقامة غير المفعول به مع وجوده على قولين:

أحدهما: عدم الجواز وعليه البصريون، لأنه شريك الفاعل.

والثاني: الجواز وعليه الكوفيون والأخفش وابن مالك لوروده.

قرأ أبو جعفرٍ: ﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الجاثية: ١٤]، قال أبو حَيَّان: «ونقل الدهان أن الأخفش شرط في جواز ذلك تأخر المفعول به في اللفظ، فإن تقدم على المصدر أو الظرف لم يجز إلا إقامة المفعول به». انتهى من "الهمع".

قلت: أما إن فقد المفعول به فلا خلاف في جواز إقامة غيره من مصدر أو ظرف أو مجرور. وشرط المصدر أن يكون متصرفًا بخلاف «سبحان الله ومعاذ الله» لالتزام العرب فيه النصب، وأن لا يكون للتأكيد بخلافه في: قام زيد قيامًا لعدم الفائدة إذ المفهوم منه حينئذ غير المفهوم من الفعل، وسواء في الجواز الملفوظ به نحو «سير سير شديد»، والمضمر الذي دل عليه غير الفعل نحو: «بلى سير»، لمن قال: «ما سير سير شديد»؟ فإن كان مدلولًا عليه بالفعل كقولك: «جلس»، وأنت تريد: هو، أي: جلوس، لم يجز. قال أبو حَيَّان: وفي كلام ابن طاهر إشعار بجوازه.

ولا يجوز إقامة وصف المصدر مقام المصدر الموصوف، فلا يقال: في «سير سير حثيث سير حثيث»، بل يجب نصبه، وأجازه الكوفيون. وشرط الظرف أن يكون بخلاف غيره، فلا يقال في: «سرت وقتا سير وقت»، لعدم الفائدة، ويجوز «سير وقت صعب».

وأن يكون متصرِّفًا بخلاف ما لزم الظرفية كـ«عند» و«ثم» و«سحر»؛ لأن

نيابته تخرجه عن الظرفية. وأجاز الكوفيون والأخفش نيابة غير المتصرف نحو: «سير عليه سحر».

ولا يجوز نيابة الظرف المنوي، وجوزه ابن السراج كالمصدر، وفي نيابة صفة الظرف الخلاف في نيابة صفة المصدر فالبصريون على المنع والكوفيون على الجواز.

وأما المجرور فإن جر بحرف زائد فلا خلاف في إقامته وأنه في محل رفع، وإن جر بغيره ففيه خلاف فمذهب الجمهور أن المجرور في محل رفع وهو النائب، ومذهب الفراء أن النائب حرف الجر وحده وأنه في موضع رفع.

قال أبو حَيَّان: وهذا مبني على الخلاف في قولهم: «مر زيد بعمر»، فمذهب البصريين أن المجرور في موضع نصب؛ فلذا قالوا: إنه إذا بني للمفعول كان في موضع رفع. ومذهب الفراء أن حرف الجر هو الذي في موضع نصب، فلهذا ادعى أنه إذا بني للمفعول كان هو في موضع رفع.

وفي أصل المسألة قول ثالث: إن النائب ضمير مبهم مستتر في الفعل. قاله هشام، ورابع: أن النائب ضمير عائد على المصدر المفهوم من الفعل، والتقدير سير هو أي السير، قاله ابن درستويه، والسهيلي والرندي، وينبني على هذا الخلاف جواز تقديم المجرور نحو: بزيد سير، فعلى القول الأول والثالث لا يجوز، وعلى القول الثاني والرابع يجوز.

(فائدة): إذا اجتمعت هذه الثلاثة: المصدر والمجرور فأنت مخير في إقامة ما شئت، هذا مذهب البصريين، وقيل: يختار إقامة المصدر، وعليه ابن عصفور. وقيل: يختار إقامة المجرور، وعليه ابن معطٍ، وقيل: يختار إقامة ظرف المكان،

وعليه أبو حَيَّان.

(مسألة): إذا اقتضى الفعل مفعولين أو ثلاثة وأقيم أحدها نصب الباقي بتعدي الفعل المبني للمفعول إليه عند سيبويه والجمهور، وقيل: لا ينتصب به وإنما هو منصوب بفعل الفاعل لما بني الفعل للمفعول في: «أعطيت زيدًا درهمًا» بقي درهما منصوبًا على أصله بفعل الفاعل، وذهب الفراء وابن كيسان إلى أنه منصوب بفعل مقدر أي «وقبل» أو «أخذ». وذهب الزجاجي إلى أنه انتصب على أنه خبر ما لم يسم فاعله كما في: «كان زيد قائمًا». قاله في "الهمع".

(مسألة): قال ابن الخباز: حروف الجر يجوز بناء الفعل لها إلا ما استثنيته فمن ذلك «لام التعليل»، لا يقال: أكرم لزيد، وكذلك «الباء، ومن» إذا أفادتا ذلك، و«رب» لأن لها صدر الكلام، ومذ ومنذ لأنهما ضعيفتا التصرف، وزاد ابن إياز الباء الحالية نحو: «خرج زيد بثيابه» فإنها لا تقوم مقام الفاعل، وكذلك «خلا» و«عدا» و«حاشا» إذا «جررن»، والمميز إذا كان معه من نحو: «طلبت من نفس»، لا يقوم شيء من ذلك مقام الفاعل.اهـ نقله في "الأشباه".

(مسألة): لا يجوز إقامة التمييز، وجوزها الكسائي وهشام، فيقال في: «امتلأت الدار رجالًا»: «امتلئ رجال»، وحكي: «خذه مطيوبة به نفسي». قال أبو حَيَّان: لا يقام في هذا الباب مفعول له ولا مفعول معه ولا حال ولا تمييز؛ لأنها لا يتسع فيها بخلاف المصدر والظرف، قاله في "الهمع".

(مسألة): إذا بني الفعل اللازم للمفعول ففي النائب أقوال:

أحدها: ضمير المصدر، وعليه الزجاج وابن السيد، قال أبو حَيَّان: ويجعل فيه اختصاص.

الثاني: ضمير المجهول، وعليه الكسائي وابن هشام.

الثالث: أنه فارغ لا ضمير فيه، وعليه الفراء.

(**مسألة**): اختلف في نائب «كان» إذا بنيت للمفعول، فقيل: ضمير مصدرها ويحذف الاسم والخبر، وعليه السيرافي وابن خروف، وقيل: ظرف أو مجرور معمول لها على القول بأنهما تعمل فيهما ويحذف الاسم والخبر أيضًا، وعليه ابن عصفور، وقيل: يجوز إقامة الخبر والمفرد نحو: «كين قائم»، وإقامة الفعل نحو: «كين يقام»، ولا يقدر فيه شيء وعليهما الفراء، والبصريون على المنع طلقًا.

(**تذنيب**): قال ابن معط في "ألفيته":

مَسْـــأَلَةٌ بهـــا امتحـــانُ النَّشـــأة ... أُعْطِـي بـالمعطى بـه ألـفَ مائـةً

وكســـي المكســـو فَـــرْوًا جُبَّـــةً ... ونُقِـــصَ المـــوزونَ ألفًـــا حبـــةً

قال ابن القواس: هذه المسألة تذكر في هذا الباب لامتحان النشأة بها، ولها أربع صور:

الأولى: أن يشتغل الفعل واسم المفعول بالباء نحو: أعطي بالمعطي به ألف مائة.

فأعطي فعل ما لم يسم فاعله ويتعدى في الأصل إلى مفعولين، والمعطى اسم المفعول وهو بمنزلة فعل ما لم يسم فاعله، ويتعدى أيضًا إلى اثنين فلا بد لهما من أربعة مفاعيل، اثنين لأعطي واثنين للمعطي أما أعطي فمفعوله الأول مائة والثاني بالمعطى، ويتعين رفع المائة بأعطي؛ لوجوب قيامها مقام الفاعل، وامتناع قيام الحال والمجرور مقامه مع وجود المفعول به الصريح، فالمعطي في

محل النصب على ما كان أولا.

وأما المعطى فمفعوله الأول ألف ويتعين رفعه لقيامه مقام الفاعل، والثاني في محل النصب وهو الضمير المجرور بالباء الذي هو به لامتناع قيامه مقام الفاعل.فإن قيل: فهلا جعلت المائة مرتفعة بالمعطى والألف بأعطي؟ أجيب بأن الألف واللام لما كانت في المعطي اسمًا موصولا وما بعدها من اسم المفعول وما عمل فيه الصلة، امتنع رفع المائة لامتناع الفصل بين الصلة والموصول بأجنبي وهو الألف، والضمير في به يعود على الألف واللام في المعطى، لأن التقدير: أعطيت بالثوب المعطى به زيد ألف مائة، فلما حذف الفاعل مسمى وبنيا للمفعول أقيم المائة والألف مقامه.

الثانية: أن يجرد من حرف الجر نحو: «كسي المكسو فروًا جبة»، فـ«المكسو» مرفوع بالفعل الذي هو «كسي» وجبة منصوبة لأنها مفعوله الثاني، وفي «المكسو» ضمير يعود على الألف واللام وهو قائم مقام فاعله، «وفروا» منصوب لأنها المفعول الثاني «للمكسو»، ولا يجوز أن يكون «الفرو» منصوبًا بـ«كسي» لامتناع الفصل بين الصلة والموصول، ويجوز أن يرفع «الفرو» و«الجبة» لقيامهما مقام الفاعل، وينصب «المكسو» والضمير الذي كان في اسم الفاعل فيعود منفصلًا منصوبًا فيقال: «كسي المكسو إياه فرو جبة» لعدم اللبس. انتهى من "الأشباه".

وتركت الصورتين الباقيتين دفعًا للتكرار.

(**تتمة**): قال السيوطي: «لا يكون الفاعل ونائبه جملة، وهو الأصح.

وقيل: يجوز لوروده في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ﴾ [يوسف: ٣٥].

وأجيب بأن الفاعل ضمير البداء المفهوم من «بدا»، أو ضمير السجن المفهوم من الفعل، وقيل: يجوز أن يقع فاعلًا أو نائبًا عنه لفعل من أفعال القلوب إذا علق نحو: «ظهر لي أقام زيد أم عمر»، و«علم أقام بكر أم خالد»، بخلاف نحو: «يسرني خرج عبد الله»، فلا يجوز. ونسب هذا لسيبويه».اهـ

باب المبتدأ والخبر

وجه تسمية المبتدأ مبتدأ أنه ابتدئت به الجملة لفظًا أو تقديرًا، وتسمية الخبر خبرًا من باب تسمية الجزء باسم الكل، وخص الثاني بذلك لأن حصول الفائدة عنده، كما قال ابن مالك: والخبر الجزء المتم الفائدة.

قلت: وإنما جمعهما في باب واحد لتلازمهما غالبًا، وإلا فقد يكون المبتدأ بغير خبر كما قاله غير واحد، وسيأتي بيانه.

قال المؤلف: (**المبتدأُ هو: الاسمُ المرفوعُ العاري عنِ العواملِ اللَّفظيَّةِ**).

«**المبتدأ هو الاسم**» الصريح أو المؤول به «**المرفوع**» لفظًا أو محلًا لأنه عمدة فلا ينتصب إلا بناسخ ولا يجر إلا بحرف زائد أو شبهه «**العاري عن العوامل اللفظية**) أو بمنزلته، مخبر عنه أو وصف رافع لمكتفىٰ به عن الخبر أو بمنزلة الوصف. فالاسم نحو: «الله ربنا ومحمد نبينا»، والمؤول به نحو: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٤]، والمجرد كما مثلنا، والذي بمنزلة المجرد نحو: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣] ونحو: «حسبك درهم»، لأن وجود الزائد كلا وجود. والوصف يتناول اسم المفعول، والفاعل، والصفة المشبهة، واسم التفضيل، والمنسوب نحو: «أقائمٌ هذان» و«ما مضروبٌ العمران»، و«هل حَسنٌ الوجهان»، و«هل أحسنُ في عين زيد الكحلُ منه في عين غيره»، و«ما قرشيٌّ أبواك»، والذي بمنزلة الوصف نحو قولهم: «لا نولك أن تفعل»، فخرج نحو: «نزال فإنه لا مخبر عنه ولا وصف»، ونحو: «أقائم أبواه زيد»، فإن المرفوع بالوصف غير مكتفىٰ به.اهـ قاله ابن هشامٍ.

قال السيوطي: «وهذا الحد غير مرضي عندي لأمرين:

أحدهما: أن عامل المبتدأ عندي الخبر وهو لفظي.

والآخر: أنه شامل للفعل المضارع المجرد من ناصب وجازم، وما قالوه في «بحسبك درهم» غير مرضي أيضًا، فإن شيخنا الكافيجي اختار أن «بحسبك» خبر مقدم، وأن المبتدأ درهم نظرًا للمعنى؛ لأنه محط الفائدة إذ القصد الإخبار عن درهم بأنه كافيه، وما قاله شيخنا هو الصواب».اهـ

(**والخبرُ: هوَ الاسمُ المرفوعُ**) بالمبتدأ كما ذهب إليه ابن مالك «**المسند إليه**» أي: إلى المبتدأ، ولذا قال بعضهم: إن المبتدأ فاعل في المعنى، لأن المبتدأ محكوم عليه فهو المسند إلى غيره، والخبر محكوم به فهو المسند إلى غيره.

(**تنبيه**): اختلفوا في رافع المبتدأ والخبر على أقوال:

أحدها: أن رافع المبتدأ معنوي وهو الابتداء لأنه بني عليه، ورافع الخبر المبتدأ لأنه مبني عليه فارتفع به كما ارتفع هو بالابتداء. وهذا مذهب سيبويه والجمهور، واختاره ابن مالك.

الثاني: أن العامل في الخبر الابتداء أيضًا، لأنه طالب لهما فعمل فيهما. وهو مذهب الأخفش وابن السراج والرماني، وصححه أبو البقاء.

الثالث: أن العامل في الخبر الابتداء والمبتدأ معًا، وعلى هذا هل العامل مجموع الأمرين، أو الابتداء بواسطة المبتدأ؟ قولان.

الرابع: أن المبتدأ رفع الخبر، والخبر رفع المبتدأ لأن كلا منهما طالب الآخر وبه صار عمدة، وهو مذهب الكوفيين، واختاره أبو حَيَّان وابن جني والسيوطي.

الخامس: أن المبتدأ مرفوع بالذكر الذي في الخبر نحو: «زيد ضربته»، لأنه لو زال الضمير انتصب فكان الرفع منسوبًا للضمير، فإذا لم يكن ثَمَّ ذكر نحو: «القائم زيد» ترافعا. وهذا مذهب آخر للكوفيين.

واعترض القول الأول بأن المبتدأ قد يرفع فاعلًا، فلو كان رافعًا للخبر لأدىٰ إلىٰ إعمال واحد رفعين ولا نظير له. وأجيب بأن ذلك إنما يحذر إذا اتحدت الجهة وهي هنا مختلفة. واعترض الثاني بأن أقوىٰ العوامل -وهو الفعل- لا يعمل رِفين فالمعنوي أولىٰ.

واعترض الرابع بأنه يلزم عليه أن تكون رتبة كل منهما التقديم، لأن أصل كل عامل أن يتقدم علىٰ معموله. وأجيب بمنع ذلك بدليل أدوات الشروط فإنها عاملة في أفعالها الجزم، وأفعالها عاملة فيها النصب، ولو سلم قلنا: كل منهما متقدم علىٰ صاحبه من وجه متأخر عنه من وجه آخر، فلا دور لاختلاف الجهة. انتهىٰ من "الجمع" بمعناه.

قلت: وهذا الخلاف لا طائل تحته ولا فائدة أصلًا، وإنما هو مجرد آراء ليس غير.

(فائدة): اختلف في الابتداء علىٰ قول الجمهور فقيل: جعل الاسم أولا ليخبر عنه ثانيًا، وقيل: تجرده من العوامل اللفظية. والأول أصح.

(تنبيه): قال السيوطي في شرح "الجمع": شرط الوصف الذي يكون مبتدأ أن يكون سابقًا، فليس منه نحو: «أخواك خارج أبوهما» لعدم سبقه، وشرط مرفوعه أن يكون منفصلًا سواء كان ظاهرًا أم ضميرًا نحو: «أقائم أنتما». ومنع الكوفيون الضمير فلا يجيزوه إلا «أقائمان أنتما» بالمطابقة بجعل

الضمير مبتدأ مؤخرًا، قالوا: لأن الوصف إذا رفع الفاعل الساد مسد الخبر جرىٰ مجرىٰ الفعل، والفعل لا ينفصل منه الضمير ورد بالسماع قال:

خليليَّ ما وافٍ بعهديَ أنتُما إذا لم تكونا لي علىٰ من أُقاطعُ

وشرطه أيضًا أن يكون كافيًا: أي مغنيًا عن الخبر ليخرج نحو: «أقائم أبواه زيد»، فإن الفاعل فيه غير مغن، إذ لا يحسن السكوت عليه. وشرطه أيضًا تقدم نفي أو استفهام بأي أدواتهما «كما» و«لا» و«إن» وغير، نحو: «غير قائم الزيدان».

ومنه قوله:

غيرُ مأسوفٍ علىٰ زَمَنٍ ينقَضِي بالهمِّ والحَزَنِ

وكـ «الهمزة» و«هل» و«ما» و«من» و«متىٰ» و«أين» و«كيف» و«كم» و«أيان». هكذا زعم ابن مالك قياسًا علىٰ سماع ما والهمزة، وقصره أبو حَيَّان عليهما إذ لم يسمع غيرهما. ولم يشرط الكوفيون والأخفش الاعتماد عليهما بناء علىٰ رأيهم في عمله غير معتمد، وشرطه ابن مالك استحسانًا لا وجوبًا، وجعل منه قوله:

خبيرٌ بنو لِهْبٍ فلا تكُ مُلغِيًا مقالةَ لِهْبِيٍّ إذا الطيرُ مرَّتِ

وأجيب بأن «خبير» خبر مقدم ولم يطابق لأن باب فعيل لا يلزم فيه المطابقة. انتهىٰ كلامه.

قلت: ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤].

(فائدة): المبتدأ قسمان: قسم له خبر، وقسم له فاعل أو نائب عنه يغني عن الخبر وهو الوصف.

(فائدة أخرى): المبتدأ قسمان: مسند إليه وهو الذي له خبر، ومسند وهو

الرافع لما أغنى عن الخبر. قاله السيوطي.

واعلم أنه تارة يكون المبتدأ والخبر مفردين لمذكر، نحو قولك: (**زيد قائم**) وتارة يكونان مثنيين لمذكر نحو قولك: (**والزيدان قائمان**) وتارة يكونان مجموعين لمذكر نحو قولك: (**الزيدون قائمون**) والزيود قيام. وتارة يكونان مفردين أو مثنيين أو مجموعين لمؤنث نحو: «هند قائمة» و«الهندان قائمتان» و«الهندات قائمات» و«الهنود قيام».

والخبر في هذه الأمثلة كلها مطابق للمبتدأ في إفراده وتثنيته وجمعه تصحيحًا وتكسيرًا، فإن قلت: الزيدان والهندان والزيدون والهندات والزيود والهنود مفرداتها أعلام، والعلم يدل على الوحدة، فإذا زيد عليه ما يدل على التثنية أو الجمع دل على التعدد والوحدة والتعدد متضادان.

قلت: إذا أريد تثنية العلم أو جمعه قصد تنكيره ثم يثنى ويجمع بدليل جواز دخول «أل» عليه عوضًا عما فاته من تعريف العلمية. قاله الأزهري.

قلت: نوقش هذا الجواب بأن الوحدة المعينة زالت بالتنكير، وبقيت الوحدة الشائعة في حال التنكير، والوحدة مطلقًا تنافي التعدد، والحق أن لا ورود للسؤال من أصله كما قاله العطار.

(**لطيفة**): تعبير المصنف عند تعريفه المبتدأ بـ«العاري» أولى وأسلم من تعبير غيره بـ«المجرد»؛ لأن التجرد يقتضي سبق ما تجرد منه، ولم يوجد في المبتدأ عامل لفظي تجرد منه، وإن أجيب بما لا تقوم الحجة به.

قال المؤلف: (**والمبتدأُ قِسْمانِ: ظاهرٌ ومُضْمَرٌ. فالظَّاهرُ ما تقدَّم ذِكرُهُ**)

في الأمثلة المتقدمة «والمضمر اثنا عشر» ضميرًا منفصلًا ليس غير. وأما

المتصل فلا يبتدأ به البتة.

قال المؤلِّف: (وهي: أنا) للمتكلم مذكرًا كان أو مؤنثًا، وهي بجملتها ضمير عند الكوفيين، واختاره ابن مالك بدليل إثبات الألف وصلًا في لغة تميم، وأن وحدها عند البصريين في قول بعضهم: إن فعلت بسكون النون، والأكثرون على فتحها وصلًا وعلى الإتيان بالألف وقف، وأثبتها تميم في الوصل أيضًا، وبه قرأ نافع. وفي الألف لغات: إثباتها وصلًا ووقفًا عند تميم، وحذفها فيهما، وحذفها وصلًا وإثباتها وقفًا وهي الفصحى ولغة الحجاز.

(ونَحْنُ) للمتكلم معظمًا نفسه نحو: «نحنُ اللَّذونَ صبَّحُوا الصَّبَاحَا»، أو معه غيره.

واختلف في علة بنائه على الضم فقال الفراء وثعلب: لما تضمن معنى التثنية والجمع قوى بأقوى الحركات، وقال الزجاج: «نحن» لجماعة ومن علامة الجماعة الواو، والضمة من جنس الواو، وقال الأخفش الصغير: «نحن» للمرفوع فحرك بما يشبه الرفع، وقال المبرد: تشبيها بقبل وبعد، وقال هشام: الأصل «نحن» بضم الحاء وسكون النون، فنقلت حركة الحاء إلى النون وأسكنت الحاء.

قال المؤلف: (وأنتَ) بفتح التاء للمخاطب المذكر (وأنتِ) بكسرها للمخاطبة المؤنثة.

قال المؤلف: (وأنتُما) للمخاطبَيْن مذكَّرَيْن كانا أو مؤنَّثَيْن. (وأنتُم) للمذكرين المخاطبين. (وأنتنَّ) للمخاطبات المؤنثات.

ومذهب البصريين أن الضمير في هذا كله أن وحدها وإذا أريد الخطاب

زيد عليها وهي حرف خطاب لا اسم، وهي كالتاء الاسمية لفظًا، فتفتح في المذكر وتكسر في المؤنث، وتوصل بميم في جمع المذكر، وبميم وألف في المثنى، وبنون في جمع الإناث، وتضم التاء في الثلاثة. وقد عللوا فتح التاء في المخاطب وكسرها في المؤنث وضمها في الثلاثة بعلل واهية. والحق كما قال أبو حَيَّان: هذه التعاليل لا يحتاج إليها لأنها تعليل وضعيات، والوضعيات لا تعلل. وذهب الفراء إلى أن الضمير مجموع أنْ والتاء، وذهب ابن كيسان إلى أن الضمير في هذه المواضع التاء فقط وزيدت الميم للتقوية والألف للتثنية والنون للتأنيث.

(تنبيه): ذهب بعض المتقدمين إلى أن «أنا» مركب من ألف أقوم ونون نقوم و «أنت» مركب من ألف أقوم ونون نقوم وتاء تقوم، وردها أبو حَيَّان. قاله السيوطي.

قال المؤلف: (وهوَ) للغائب (وهِيَ) للغائبة (وهُمَا) لمثناها (وهمْ) للغائبين (وهنَّ) للغائبات.

قال السيوطي: اختلف في الأصل منها، فعند البصريين أن «هو» و«هي» أصلان أي: ضميران برمتهما، وزيد الميم والألف والنون في المثنى والجمع، وقال الكوفيون والزجاج وابن كيسان: الضمير من «هو» و«هي» الهاء فقط، والواو والياء زائدان كالبواقي لحذفهما في المثنى والجمع ومن المفرد في لغة، ثم قال: وهذا المذهب هو المختار عندي.

(تنبيه): قد يسكن هاء «هو، وهي» بعد الواو والفاء وثم واللام، وقرئ

بذلك في السبع ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد: ٤] ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم﴾ [الأنعام: ١٢٧]، ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [القصص: ٦١] ﴿لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤] وبعد همزة الاستفهام كقوله: «أهي سرت أم عادني حلم»، وبعد كاف الجر كقوله: «وقد علموا ما هي كهي فكيف لي»، وتسكين الواو والياء لغة قيس وأسد كقوله: «وركضك لولا هو لقيت الذي لقوا»، وقوله: «حبذا هي من خلة لو تخلنا»، وتشديد الواو والياء لغة همدان كقوله: «وهو على من صبه الله علقم»، وقوله: «وهي ما أمرت باللطف تأتمر».اهـ، قاله السيوطي.

(فائدة): المضمر والضمير عبارة البصريين، والكوفيون يقولون: الكناية والمكنى.

ثم مثَّل المصنف رحمه الله لما قدمه بقوله: (**نحو قولِك: أنا قائمٌ ونحنُ قائمونَ وما أشبَهَ ذلِك**) من نحو قولك: «أنت قائم» و«أنت قائمة» و«هو قائم» و«هي قائمة» إلخ... (**والخبرُ قسمان: مفردٌ**) والمراد به في هذا الباب: ما ليس جملة ولا شبهها (**وغيرُ مفرد**) وهو الجملة وشبهها.

(**فالمفردُ**): ما للعوامل تسلط على لفظه مضافًا كان أو غيره، وهو قسمان: جامد ومشتق، فالمشتق: ما دل على متصف مصوغًا من مصدر كـ «ضارب» و«مضروب» و«حسن» و«أحسن» منه، والجامد بخلافه، فالجامد لا يتحمل ضميرًا، وزعم الكسائي أنه يتحمله، ونسبه صاحب "البسيط" وغيره كابن عقيل إلى الكوفيين والرماني، قال ابن مالك: وهو دعوى لا دليل عليها. والمشتق يتحمله إن لم يرفع ظاهرًا نحو: زيد قائم، بخلاف ما إذا رفعه لفظًا

نحو: «الزيدان قائم أبوهما»، أو محلًا نحو: «زيد عمرو ربه». قاله السيوطي.

(مسألة): المشهور أن الخبر المشتق لا يتحمل غير ضمير واحد، وقيل: إن قدر خلفًا من الموصوف استتر فيه ضميران أحدهما الابتداء، والآخر الموصوف الذي صار خلفًا منه، فإن كان صلة لـ «أل» ففيه ثلاث ضمائر، للمبتدأ وللموصوف الذي صار خلفًا منه ولـ «أل» اهـ، قاله السيوطي.

(تنبيه): المشتق الذي يتحمل الضمير هو ما كان جاريًا مجرىٰ الفعل، فأما ما ليس جاريًا مجرىٰ الفعل فلا يتحمل ضميره، قال ابن عقيل: وذلك كأسماء الآلة نحو: «مفتاح»، فإنه مشتق من الفتح ولا يتحمل ضميرًا، فإذا قلت: هذا مفتاح لم يكن فيه ضمير، وكذلك ما كان علىٰ صيغة مفعل وقصد به الزمان أو المكان كـ«مرمىٰ»، فإنه مشتق من الرمي ولا يتحمل ضميرًا، فإذا قلت: هذا مرمىٰ زيد، تريد مكان رميه أو زمان رميه كان الخبر مشتقًا ولا ضمير فيه.اهـ

(فائدة): إذا تضمن الجامد معنىٰ المشتق نحو: «زيد أسد» أي: شجاع، تحمل الضمير.

(مُهِمَّة): قال ابن عقيل: جوز سيبويه في: «زيد قائم هو» وجهين:

أحدهما: أن يكون هو تأكيدًا للضمير المستتر في قائم.

والثاني: أن يكون فاعلًا بقائم.اهـ

ثم مثل المصنف للمفرد بقوله (**نحو قولك: زيد قائم، والزيدان قائمان، والزيدون قائمون**) وما أشبهه.

(تتمة): يجب إبراز الضمير في الخبر المشتق إذا جرىٰ علىٰ غير من هو له مطلقًا، أمن اللبس أو لم يؤمن عند البصريين، وأما الكوفيون فقالوا: إن أمن

اللبس جاز الأمران، وإن خيف اللبس وجب الإبراز. وقد ورد السماع بمذهبهم، فمن ذلك قوله:

قومي ذُرا المجدِ بانُوها وقد عَلِمَتْ بكُنْهِ ذلكَ عدنانٌ وقَحْطَانُ

التقدير: بانوها هم، فحذف الضمير لأمن اللبس، قاله ابن عقيل، واختار ابن مالك في "الكافية" قول الكوفيين، وفي "الألفية" قول البصريين.

قال المؤلف: (**وغيرُ المفردِ أربعةُ أشياءَ**) وهي على قسمين: جملة وشبهها. فشبه الجملة (**الجارُّ والمجرورُ والظرفُ**) التامان، نحو: «زيد أمامك» و«زيد في الدار»، بخلاف الناقص فإنه لا يقع خبرًا نحو: «زيد بك»، أو فيك، وعنك، أي:واثق بك وراغب فيك ومعرض عنك إذ لا فائدة فيه، ويتعلقان بمحذوف وجوبًا.

(تنبيهات):

الأول: اختلف في عامل المجرور والظرف الواقعين خبرًا، فذهب ابن خروف وسيبويه على ما نسبه إليه ابن أبي العافية أنه كون مقدر أو المبتدأ، وأنه عمل فيه النصب لا الرفع لأنه ليس الأول في المعنى، ورد بأنه مخالف للمشهور من غير دليل.

وذهب الكوفيون إلى أن العامل فيهما معنوي وهو كونهما مخالفين للمبتدأ فإذا قلت: زيد أخوك، فالأخ هو زيد، أو زيد خلفك، فالخلف ليس بزيد، فمخالفته له عملت النصب. وعلى الأول يجوز تقدير الكون باسم الفاعل وبالفعل.

واختلف في الأولى منهما، فرجح ابن مالك وغيره من البصريين تقدير اسم

الفاعل، لأن الأصل في الخبر الإفراد، ورجح ابن الحاجب تبعًا للفارسي تقدير الفعل لأنه الأصل في العمل، قال ابن هشامٍ: والحق عندي أنه لا يترجَّح تقديره اسمًا ولا فعلًا بل بحسب المعنى.اهـ

(مُهِمَّة): إن قدرت اسم الفاعل كان من قبيل الخبر المفرد، وهو مذهب الأخفش ونسب إلى سيبويه، وإن قدرت الفعل كان من قبيل الجملة وهذا مذهب جمهور البصريين، ونسب إلى سيبويه أيضًا، فلا يخرج الخبر عن القسمين. وقيل: هو قسم برأسه مطلقًا وهذا مذهب ابن السراج، نقله عنه تلميذه الفارسي . انتهى من شرح الجمع مع زيادة من غيره.

الثاني: ذهب البصريون إلى أن الظرف يتحمل ضمير المبتدأ كالمشتق سواء تقدم أو تأخر، وقال الفراء: لا ضمير فيه إلا إذا تأخر، فإن تقدم فلا.

الثالث: ذهب ابن كيسان إلى أن الخبر في الحقيقة هو العامل المحذوف، وأن تسمية الظرف خبرًا مجاز، وتابعه ابن مالك، وهو الصحيح عند ابن هشامٍ والسيوطي، وذهب الفارسي وابن جني إلى أن الظرف حقيقة، وأن العامل صار نسيًا منسيًّا، وذهب بعضهم إلى أن الجمع من العامل، والظرف خبر.

الرابع: لا يجوز الإخبار بظرف الزمان عن اسم الذات لعدم الفائدة سواء كان منصوبًا أو مجرورًا بفي، وما ورد من ذلك مؤول على حذف مضاف كما قاله الفارسي، نحو قولهم: «اليومَ خمرٌ» أي شرب خمرًا، و«الليلةَ الهلالُ» أي: طلوعه. وأجاز ذلك قوم إذا كان فيه معنى الشرط، وذهب بعض المتأخرين منهم ابن الطراوة وابن مالك إلى جوازه بشرط الفائدة، كأن يكون المبتدأ عامًّا والزمان خاصًّا نحو: «نحن في شهر كذا»، والصحيح المنع مطلقًا كما ذهب إليه

جمهور البصريين. ويجوز الإخبار به عن اسم المعنىٰ إذا كان الحدث غير مستمر نحو: «الصومُ اليومَ» و«السفرُ غدًا»، فإذا كان الحدث مستمرا امتنع الإخبار به عنه، فلا يقال: «طلوعُ الشمس يومَ الجمعة» لعدم الفائدة.

الخامس: منع الجمهور الإخبار بوحده لأنه اسم جرىٰ مجرىٰ المصدر فلا يخبر به، وأجازه يونس وهشام، فيقال: «زيد وحده»، إجراء له مجرىٰ عنده، وتقديره زيد موضع التفرد، وعلىٰ هذا هل يجوز تقديمه؟ قال يونس وهشام: لا. قال أبو حَيَّان: وحجتهما نص العرب علىٰ قولهم: «زيد وحده».

(مسألة): يغني عن الخبر مصدر نحو: «زيد سيرًا» أي: يسير سيرًا، ومفعول به نحو: «إنما العامري عِمامَته» أي: متعهد عمامته، وحال، حكىٰ الأخفش: «زيد قائمًا»، أي: ثبت قائمًا. وقرئ ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ [يوسف: ٨] بالنصب. قال الكسائي: ووصف مجرور. انتهىٰ ملخصًا من شرح "الجمع" وغيره.

(تتمة): قال ابن النحاس: أجاز الكوفيون الإخبار بالظرف الناقص إذا تم بالحال، وجعلوا له من قوله تعالىٰ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤] خبر يكن، وخبر يكن حال من الضمير المستكن في له، وقاسوه علىٰ جواز الإخبار بالخبر الذي لا يتم إلا بالصفة كقوله تعالىٰ: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النمل: ٥٥]، ونحوه.

وفرق الكوفيون فأجازوا الإخبار بما لا يتم إلا بالصفة، ومنعوا الإخبار بما لا يتم إلا بالحال؛ لأن الصفة من تمام الموصوف والحال فضلة؛ فلا يلزم من

جواز ما هو من تمامه جواز ما هو فضله.اهـ نقله في "الأشباه والنظائر".

والجملة تنقسم إلى فعلية واسمية وظرفية. فالفعلية هي المصدر بفعل (و) هي: (**الفعلُ معَ فاعلِه**) نحو: قام زيد، ولو عبر بالفعل مع مرفوعه لكان أولى ليشمل النائب عن الفاعل نحو: «ضُرِبَ اللِّصُّ»، واسم كان وأخواتها نحو: «كان زيد قائمًا»، وغيرها من نواسخ المبتدأ نحو: «ظننت زيدًا قائمًا» لأن الكل جملة (و) الاسمية هي: المصدرة باسم وهي: (**المبتدأُ معَ خبرِه نحو قولِك: زيدٌ في الدارِ، وزيدٌ عندَك، وزيدٌ قام أبوه، وزيدٌ جاريتُه ذاهبةٌ**) و«هيهاتَ العقيقُ» و«قائم الزيدان»، عند الأخفش والكوفيين. والظرفية هي المصدرة بظرف أو مجرور نحو: «أعندك زيد»و«أفي الدار زيد»إذا قدرت زيدًا فاعلًا بالظرف والجار والمجرور لا بالاستقرار المحذوف ولا مبتدأ مخبرًا عنه بهما، وزاد بعضهم الجملة الشرطية، والصواب أنها من قبيل الفعلية.

(**تنبيه**): المراد بالصدر المسند أو المسند إليه، فلا عبرة بما تقدم عليهما من الحروف، فالجملة من نحو: «أقائم الزيدان»، و«أزيد أخوك»، و«لعل أباك منطلق»، و«ما زيد قائمًا» اسمية، ومن نحو: «أقام زيد»، و«إن قام زيد»، و«قد قام زيد»، و«هلا قمت فعلية»، والمعتبر أيضًا ما هو صدر في الأصل، فالجملية من نحو: «كيف جاء زيد»، ونحو: ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾[البقرة: ٨٧] فعلية، لأن هذه الأسماء في رتبة التأخير. انتهى من "المغني".

(**تقسيم**): قد تكون الجملة الكبرى ذات وجه وذات وجهين، فذات الوجهين هي اسمية الصدر فعلية العجز نحو: «زيد يقوم أبوه»، قال ابن هشامٍ: وينبغي أن يزاد عكس ذلك في نحو: «ظننت زيدًا أبوه قائم»، وذات

الوجه نحو: «زيد أبوه قائم»، قال ابن هشامٍ: ومثله «ظننت زيدًا يقوم أبوه».

(تقسيم ثان): تكون الجملة كبرىٰ وصغرىٰ، فالكبرىٰ هي الاسمية التي خبرها جملة نحو: «زيد قام أبوه»، والصغرىٰ هي المبنية علىٰ المبتدأ كالجملة المخبر بها في المثال، وقد تكون الجملة كبرىٰ وصغرىٰ باعتبارين نحو: «زيد أبوه غلامه منطلق»، فمجموع هذا الكلام جملة كبرىٰ، و«غلامه منطلق» صغرىٰ لا غير، و«أبوه غلامه» منطلق كبرىٰ باعتبار «غلامه منطلق»، صغرىٰ باعتبار جملة الكلام، قاله في "الهمع".

(تنبيه): إذا وقعت الجملة خبرًا فلا بد لها من رابط يربطها بما هي خبر عنه وروابطها عشرة: أحدها: الضمير وهو الأصل، ولهذا يربط به مذكورًا نحو: «زيد ضربته»، ومحذوفًا مرفوعًا نحو: ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ [طه: ٦٣] إذ قدر لهما ساحران، ومنصوبًا كقراءة ابن عامر في سورة الحديد: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [النساء: ٩٥] ولم يقرأ بذلك في (سورة النساء)، بل قرأ بنصب «كل» كالجماعة، ومجرورًا نحو: «السمنُ منوانِ بدرهم» أي: منه، وقول امرأة: «زَوِّجِي المسُّ مَسُّ أرنبٍ، والرِّيحُ ريحُ زرْنَب»، إذا لم نقل أن « ال» نائبة عن الضمير.

الثاني: الإشارة نحو: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦] وخص ابن الحاج المسألة بكون المبتدأ موصولًا أو موصوفًا، والإشارة إشارة البعيد فيمتنع نحو: «زيد قام هذا لما نعين» و«زيد قام ذاك لمانع»، والحجة عليه في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

الثالث: إعادة المبتدأ بلفظه نحو: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ [الحاقة: ١ - ٢]، ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٢٧].

الرابع: إعادته بمعناه نحو: «زيد جاءني أبو عبد الله»، إذا كان كنية له، أجازه الحسن.

الخامس: عموم يشمل المبتدأ نحو: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠].

السادس: أن يعطف بفاء السببية جملة ذات ضمير على جملة خالية منه أو بالعكس نحو: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ [الحج: ٦٣].

السابع: العطف بالواو عند هشام وحده نحو: «زيد قامت هند وأكرمها».

الثامن: شرط يشمل على ضمير مدلول على جوابه بالخبر نحو: «زيد يقوم عمرو إن قام».

التاسع: «أل» النائبة عن الضمير في قول الكوفيين وطائفة من البصريين نحو: «﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤١] أي مأواه.

العاشر: كون الجملة نفس المبتدأ في المعني نحو: «هجيري أبي بكر لا إله إلا الله». انتهى ملخصًا من "المغني" وغيره.

(**مُهِمَّة**): يعرض في باب المبتدأ والخبر تعدد مبتدءات متواليات وفي الإخبار عنها طريقان:

أحدهما: أن تجعل الروابط في الإخبار فيؤتى بعد خبر الأخير بها آخر لأول وتال لمتلو، مثاله: «زيد هند الأخوان الزيدون ضاربوهما عندها بإذنه»، والمعنى: الزيدون ضاربوا الأخوين عند هند بإذن زيد.

الثانية: أن تجعل الروابط في المبتدءات فيخبر عن آخرها وتجعله مع خبره خبرًا لما قبله إلى أن تخبر عن الأول بتاليه مع ما بعده، مثاله: «زيد عمه خاله أخوه أبوه قائم»، والمعنى: أبو أخي خال عم زيد قائم.

قال أبو حَيَّان: وهذا المثال ونحوه مما وضعه النحويون للاختبار والتمرين، ولا يوجد مثله في كلام العرب البتة. انتهى من "شرح جمع الجوامع".

قلت: وكذا يتعدَّد الخبر أيضا لمبتدأ واحد على خلاف فيه، والأصح الذي عليه الجمهور الجواز كما في النعوت، سواء اقترن بالعاطف أم لا.

قال ابن مالك في "ألفيته":

وأخبَرُوا باثنينِ أو بأكثَرَا ... عن واحدٍ كهُم سَرَاةٌ شُعَرَا

فالأول نحو قولك: «زيد فقيه وشاعر وكاتب»، والثاني نحو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٤ - ١٦].

واختار ابن عصفور وكثير من المغاربة المنع، وعلى هذا فما ورد من ذلك جعل الأول خبرًا والباقي صفة للخبر.

واختار بعضهم الجواز إن اتحدا في الإفراد والجملة، فالأولى كما تقدم، والثانية نحو: «زيد أبوه قائم أخوه خارج»، والمنع إن كان أحدهما مفردًا

والآخر جملة.

واختار بعضهم قصر الجواز على ما كان المعنى منها واحدًا نحو: «زيد أعسر أيسر» أي: أضبط وهو الذي يعمل بكلتا يديه، ويتعين فيه ترك العطف لأن مجموع الخبر بمنزلة واحد. وأجاز الفارسي استعماله بالعطف كغيره من الأخبار المفردة فيقال: «هذا أعسر وأيسر».

قال السيوطي: قال صاحب "البديع": «لا يجوز الفصل بين هذين الخبرين ولا تقديمهما على المبتدأ عند الأكثرين، ولا تقديم أحدهما وتأخير الآخر، وأجازه بعضهم».اهـ

(مسألة): يجوز حذف ما علم من المبتدأ والخبر، فالأول يكثر في جواب الاستفهام نحو: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ [القارعة: ١٠ - ١١]، أي: هي نار.

وبعد فاء الجواب نحو: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾ [فصلت: ٤٦]، أي: فعمله لنفسه.

ويقل بعد إذا الفجائية، ولم يقع في القرآن بعدها إلا ثابتا، ومنه في غير ذلك ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا﴾ [النور: ١] ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١] أي: هذه.

والثاني نحو: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥] أي: دائم، ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [المائدة: ٥] أي: حل لكم.

(فائدة): قال ابن إياز: إذا دار الأمر بين كون المحذوف مبتدأ وكونه خبرًا

فأيهما أولى؟ قال الوسطي: «الأولى كون المحذوف المبتدأ لأن الخبر محط الفائدة ومعتمدها». وقال العبدي في "البرهان": «الأولى كونه الخبر لأن الحذف اتساع وتصرف وذلك في الخبر دون المبتدأ، إذ الخبر يكون مفردًا جامدًا ومشتقًّا وجملة على تشعب أقسامها، والمبتدأ لا يكون إلا اسمًا مفردًا، ومثال المسألة ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ١٨] أي: شأني صبر جميل، أو صبر جميل أمثل من غيره».اهـ، نقله في "الأشباه".

(فائدة): إذا جئت بعد مبتدأين بخبر واحد نحو: «زيد وعمر قائم»، فذهب سيبويه والمازني والمبرد إلى أن المذكور خبر الأول، وخبر الثاني محذوف. وذهب ابن السراج وابن عصفور إلى عكسه، وقال آخرون: أنت مخير في تقديم أيهما شئت. قاله في "شرح الجمع".

(مُهِمَّة): قال ابن الدهان في "الغرة": المبتدأ لا يعطف عليه خبره بحرف البتة، إلا بالفاء في موضعين:

أحدهما: يلزمه الفاء نحو: من يأتني فله درهم، ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ﴾ [المائدة: ٩٥]، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

والثاني: لا يلزمه الفاء نحو: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣] والذي يأتيني فله درهم، ونحو: ﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا﴾ [النساء: ١٦]، ونحو: كل رجل يأتيني فله درهم. نقله في "الأشباه والنظائر".

(مسألة): قال ابن النحاس: إذا دخلت على المبتدأ الموصول «ليت»

و«لعل» فلا يجوز أن تدخل الفاء في خبره، واختلفت في علة ذلك ما هي، فمنهم من قال: علته أن الشرط لا يعمل فيه ما قبله، فإذا عملت فيه ليت ولعل خرج من باب الشرط، فلا يجوز دخول الفاء حينئذ. ومنهم من قال: بل العلة أن معنى ليت ولعل ينافي معنى الشرط من حيث كان ليت للتمني ولعل للترجي، ومعنى الشرط التعليق فلا يجتمعان.اهـ، نقله في "الأشباه".

(تتمة): قال السيوطي في "الأشباه": «أصل المبتدأ أن يكون معرفة، وأصل الخبر أن يكون نكرة، وذلك لأن الغرض من الإخبارات إفادة المخاطب ما ليس عنده، وتنزيله منزلتك في علم ذلك الخبر، والإخبار عن النكرة لا فائدة فيه، فإن أفاد جاز». انتهى بلفظه.

قلت: الابتداء بالنكرة يحتاج إلى مسوغ، والمتقدمون لم يعولوا في ضابط ذلك إلا على حصول الفائدة، كما في "المغني".

قال: والذي يظهر لي أن المسوغات منحصرة في عشرة أمور:

أحدها: أن تكون موصوفة لفظًا نحو: ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ [الأنعام: ٢]، أو تقديرًا نحو: «السمن منوان بدرهم» أي: منه، أو معنى نحو: «رجيل جاءني»، لأنه في معنى رجل صغير.

الثاني: أن تكون عاملة إما رفعًا نحو: «قائم الزيدان»، أو نصبًا نحو: «أمر بمعروف صدقة» أو جرًا نحو: «غلام رجل جاءني».

الثالث: العطف بشرط كون المعطوف والمعطوف عليه مما يسوغ الابتداء به

نحو: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ [محمد: ٢١] أي: أمثل من غيرهما، ونحو: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى﴾ [البقرة: ٢٦٣].

الرابع: أن يكون خبرها ظرفًا أو مجرورًا، قال ابن مالك: أو جملة نحو: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥]، ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨].

الخامس: أن تكون عاملة إما بذاتها كأسماء الشرط والاستفهام أو بغيرها نحو: «هل إله مع الله؟»، وفي "شرح منظومة ابن الحاجب" له: أن الاستفهام المسوغ للابتداء هو الهمزة المعادلة بـ«أم»، نحو: «أرجل في الدار أم امرأة»، كما مثل في الكافية، وليس كما قال.

السادس: أن يكون مرادًا بها الحقيقة من حيث هي نحو: «رجل خير من امرأة»، و«تمرة خير من جرادة».

السابع: أن تكون في معنى الفعل وهو شامل لنحو: «عجب لزيد»، وضبطوه بأن يراد بها التعجب، ولنحو: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ﴾ [الصافات: ١٣٠]، و ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١] وضبطوه بأن يراد بها الدعاء.

الثامن: أن يكون ثبوت ذلك الخبر للنكرة من خوارق العادة نحو: «شجرة سجدت»، و«بقرة تكلمت».

التاسع: أن تقع بعد إذا الفجائية نحو: «خرجت فإذا رجل بالباب».

العاشر: أن تقع في أول جملة حالية نحو:

سَرَيْنَا ونجمٌ قدْ أَضَاءَ فمُذْ بَدَا ... مُحَيَّاك أَخْفى ضوؤَه كلَّ شَارِقِ

وقوله:

الـذئب يُطرقُهـا في الـدهرِ واحـدةً وكـلَّ يـومٍ تـراني مُدْيـةٌ بيـدِي

وبهذا يعلم أن لاشتراط النحويين وقوع النكرة بعد واو الحال ليس بلازم. انتهى كلامه ملخصًا.

قلت: وذكر بهاء الدين بن النحاس ما ينيف على الثلاثين مسوغًا تركتها خوف الإطالة، وكلها ترجع لقسمين كما قال أبو حَيَّان في "أرجوزته" بعد ذكره جملة منها:

وكـلُّ مـا ذكـرتُ في التَّتْمـيمِ يرجـع لِلتَّخْصِـيصِ والتَّعمـيمِ

(خاتمة): الأصل تقديم المبتدأ وتأخير الخبر، لأن المبتدأ محكوم عليه فلابد من تقديمه، ويجوز تأخيره حيث لا مانع نحو: «قائم زيد»، فإذا كان الخبر معرفة كالمبتدأ لم يجز تقديمه لأنه مما يشكل ويلبس، إذ كل واحد منهما يجوز أن يكون خبرًا ومخبرًا. انتهى من "الهمع" و"الأشباه".

قلت: وهذا من الأسباب المانعة من تقديم الخبر.

باب العوامل الداخلة على المبتدأ والخبر

ولما فرغ المصنف رحمه الله من المبتدأ والخبر، شرع في الكلام على نواسخهما فقال: (**بابُ العواملِ الدَّاخلَةِ على المبتدإِ والخبرِ وهي: كانَ وأخواتُها، وإنَّ وأخواتُها، وظنَّ وأخواتُها**).

العوامل: جمع عامل والمراد بها النواسخ لحكم المبتدأ والخبر، والنسخ لغة: النقل والإزالة، يقال: نسخ الكتاب أي نقله، ونسخت الشمس الظل أي: أزالته، قال ابن فارس: وانتسخت الكتاب أيضًا بمعنى نسخته.اهـ وسميت بالمعنى الثاني لأنها أزالت حكم المبتدأ والخبر، قالوا: وإنما أزالته لأنها عامل لفظي، والابتداء عامل معنوي واللفظي أقوى من المعنوي.

قلت: هذا التعليل باطل عندي من وجهين:

الأول: أن هذا تعليل وضعيات، والوضعيات لا تعلل.

والثاني: أنه منقوض بارتفاعه بالخبر في قول الكوفيين.

(**تنبيه**): تدخل هذه النواسخ على المبتدأ إذا لم يلزم التصدير كاسم الشرط، ولا الحذف كالمخبر عنه بنعت مقطوع، ولا عدم التصرف نحو: «طوبى للمؤمن»، ولا الابتدائية بنفسه نحو: «أقل رجل يقول ذلك إلا زيدًا»، أو بغيره كمصحوب إذا الفجائية، وعلى الخبر إذا لم يكن طلبًا ولا إنشاء.

(**فائدة**): النواسخ بالنسبة إلى أنواعها أربعة: كان وأخواتها، وكاد وأخواتها، وإن وأخواتها، وظننت وأخواتها.

وبالنسبة إلى ذواتها اثنان: أفعال وحروف، فالأفعال: كان، و كاد، وظن وأخواتهن، والحروف: إن وأخواتها.

وبالنسبة إلى عملها ثلاثة: ما يرفع المبتدأ وينصب الخبر وهي: كان وكاد وأخواتها، وما ينصب المبتدأ ويرفع الخبر وهي: إن وأخواتها، وما ينصبهما معًا وهي: ظننت وأخواتها.

وإلى هذا أشار المصنف بقوله: (**فأما كان وأخواتها فإنها ترفع الاسم**) أي: المبتدأ ويسمى اسمها حقيقة، وربما يسمى فاعلًا مجازًا لشبهه به وقع ذلك في عبارة المبرد، وعبر سيبويه باسم الفاعل، هذا مذهب البصريين.

وذهب الكوفيون إلى أنها لم تعمل فيه شيئًا وأنه باق على رفعه، واستدل البصريون باتصال الضمائر بها وهي لا تتصل إلا بالعامل (**وتنصِبُ الخبرَ**) باتفاق الفريقين ويسمى خبرها وربما يسمى مفعولًا مجازًا لشبهه به. وقع ذلك في عبارة المبرد. وعبر سيبويه باسم المفعول.

واختلفوا في نصبه، فذهب الفراء إلى أنه انتصب تشبيها بالحال، «فكان زيد ضاحكًا» مشبه عنده بـ«جاء زيد ضاحكًا». وذهب الكوفيون إلى أنه انتصب على الحال، ورد بوروده مضمرًا ومعرفة وجامدًا وأنه لا يستغنى عنه وليس ذلك شأن الحال. وذهب سيبويه والبصريون إلى أنه انتصب تشبيها بالمفعول وهو الصحيح، واعترض بوقوعه جملة وظرفًا ولا يقع المفعول كذلك، وأجيب بالمنع بل تقع الجملة موقع المفعول نحو: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ [مريم: ٣٠] والمجرور نحو: «مررت بزيد»، والظرف إذا توسع فيه.اهـ، قاله السيوطي.

(تنبيه): أجاز الجمهور رفع الاسمين بعد كان، وأنكره الفراء. ورد بالسماع قال:

إذا مِتَّ كان الناسُ صنفان شَامِتٌ ... وآخرُ مُثْنٍ بالذي كنتُ أَصْنعُ

ثم اختلفوا في توجيه ذلك، فالجمهور على أن في «كان» ضمير الشأن اسمها والجملة في موضع نصب على الخبر. ونقل عن الكسائي أن «كان» ملغاة، ووافقه ابن الطراوة. قاله في شرح "الجمع" والمتفق على عدة من هذه الأفعال ثلاثة عشر، ثمانية تعمل هذا العمل مطلقًا «وهيَ كَانَ» لاتصاف المخبر عنه بالخبر في الزمن الماضي نحو: "كان الشيخ شابًّا" وقد تقع للدوام والاستمرار نحو: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٩٦]، وبمعنى هو نحو: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٩].

(مُهِمَّة): قال ابن بابشاذ: «كان» أم الأفعال لأن كل شيء داخل تحت الكون لا ينفك شيء من معناها، ومن ثم صرفوها تصرفًا ليس لغيرها.

وقال أبو البقاء في "اللباب": إنما كانت «كان» أم هذه الأفعال لخمسة أوجه:

أحدها: سعة أقسامها.

والثاني: أنَّ «كان التامة» دالة على الكون وكل شيء داخل تحت الكون.

والثالث: أنَّ «كان» دالة على مطلق الزمان الماضي، و«يكون» دالة على مطلق الزمان المستقبل بخلاف غيرها، فإنها تدل على زمان مخصوص كالصباح والمساء.

والرابع: أنها أكثر في كلامهم؛ ولهذا حذفوا منها النون في قولهم: لم يك.

والخامس: أن بقية أخواتها تصلح أن تقع أخبارًا لها كقولك: كان زيد أصبح منطلقًا، ولا يحسن: أصبح زيد كان منطلقًا.اهـ نقله في "الأشباه".

(وأمسى) وهي لاتصاف المخبر عنه بالخبر في المساء نحو: «أمست خلا».

(وأصبح) وهي لاتصاف المخبر عنه بالخبر في الصباح نحو: ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

(وأضحى) وهي لاتصاف المخبر عنه بالخبر في الضحىٰ نحو: «أضحىٰ يمزق أثوابي».

(تنبيه): همزة أمسىٰ وأصبح وأضحىٰ للدخول، أعني الدخول في المساء والصباح والضحىٰ.

(وظل) نحو: «ظل وجهه مسودًا».

(وبات) نحو: «أبيت ريان الجفون».

(وصار) للتحول والانتقال نحو: «صار العصير خمرًا».

(تنبيه): قال ابن هشامٍ: الذي يظهر لي أن «صار» ليس من أخوات «كان»، وإنما هي من باب الفعل والفاعل والمفعول، والدليل علىٰ ذلك أمران:

أحدهما: أني أقول: «صار الجاهل عالمًا»، و«صار الطين خزفًا»، فأجدها داخلة علىٰ ما لا ينعقد منه مبتدأ وخبر، وليس في أخواتها شيء هكذا.

الثاني: أن صار يجوز فيها بالإجماع أن تلحق همزة النقل فاءها، وأن تضعف عينها فتزداد منصوبًا، تقول: «أصرت الطين خزفًا، وصيرته خزفًا». انتهىٰ المراد منه.

(وليس) نحو: ﴿لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ [هود: ٨] وهي كلمة دالة علىٰ نفي

الحال، وتنفي غيره بالقرينة، قال ابن هشامٍ: ليس فعل لا يتصرف وزنه فعل بالكسر ثم التزم تخفيفه، ولم نقدره فعل بالفتح لأنه لا يخفف، ولا فعل بالضم لأنه لم يوجد في يائي العين إلا في هَيُؤَ، وسمع لَيُسَ بضم الياء فيكون على هذه اللغة كهيؤ. وزعم ابن السراج أنه حرف بمنزلة ما. وتابعه الفارسي في الحلبيات وابن شقير وجماعة، والصواب الأول. انتهى المراد منه.

وأربعة شرطها تقدم نفي أو شبهه، وهو النهي والدعاء وهي: «زال، وفتئ، وانفك، وبرح».

قال السيوطي: «هذه الأربعة بمعنى باتفاق النحويين».اهـ، وسواء كان هذا النفي بحرف نحو: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود: ١١٨]، ﴿لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ﴾ [طه: ٩١] أو اسم كقوله:

غيرُ منفكٍّ أسيرُ هوىً ... كلُّ وانٍ ليس يُعْتَبَرُ

أو فعل موضوع للنفي كقوله:

ليس ينفكّ ذا غنىً واعتزازِ ... كلُّ ذي عفَّةٍ مقلٍّ قنوعِ

أو عارض للنفي كقوله:

قلَّما يبرحُ اللبيبُ إلى ما ... يورِثُ الحمدَ داعيًا أو مجيبَا

وسواء كان للنفي ظاهرًا كما مثلنا، أو مقدرًا نحو: ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٥].

ونحو قول امرؤ القيس:

فقلــتُ يمــين الله أبــرحُ قاعــدًا ولو قَطَعوا رأسي لديكِ وأوصَالي

إذ الأصل لا تفتؤا ولا أبرح. ومثال النهي قوله:

صاحِ شَمِّرْ ولا تَـزَلْ ذاكـرَ المـوتِ فنِســـيانهُ ضـــلالٌ مبـــينٌ

وبعد الدعاء قول ذي الرمة:

ألا يا اسْلَمِي يا دارَ مـيَّ عـلى الـبِلى ولا زالَ منهلًّا بجَرْعائِك القَطْـرُ

وسواء كان متصلًا بالفعل، أم مفصولًا بينه وبينه كقوله:

ولا أَرَاهـــا تـــزالُ ظالمـــةً تُحْـــدِثُ بي قُرحـــةً وتنكَؤُهَـــا

وذكر المصنف هذه الأربعة مقرونة بـ«ما النافية» فقال: (وما زال) ماضي يزال ووزنه «فعل» بكسر العين لأنه من باب «سمع يسمع»، واحترزت بماضي «يزال» من «زال» ماضي «يزول»، فإنه فعل تام قاصر ووزنه «فعل» بالفتح لأنه من باب «نصر ينصر» ومعناه الانتقال، ومن «زال» ماضي «يزيل» بفتح الياء فإنه فعل تام متعد إلى مفعول ووزنه «فعل» بالفتح أيضًا، لأنه من باب «ضرب يضرب»، ومعناه: ماز.

(تنبيه): حكى الكسائي والفراء لـ«زال الناقصة» مضارعًا آخر وهو «يزيل» فيكون مشتركًا بين التام والناقص، بل قال الفراء: غيرت «زال الناقصة» من التامة بتحويلها إلى «فعل» بكسر العين بعد أن كانت مفتوحتها فرقًا بين التام والناقص.اهـ، نقله الأزهري.

(وما انفكَّ وما فَتِئَ) بتثليث التاء و«أفتأ» أيضًا، وذكر الصغاني «فتؤ يفتؤ» على وزن «ظرف يظرف» لغة فيها.

(وما بَرِحَ) بكسر الراء على وزن سمع.

(مُهِمَّة): قال ابن مالك: «يلحق بـ«زال» بشرطها المتقدم «وني ورام» معناها، قال: وهما غريبتان، ولا يكاد النحويون يعرفونهما إلا من عني باستقراء الغريب، ومن شواهد استعمالهما قوله:

لا يني الجد شيمة الحب مادام فلا يحْسِبَنَّه ذا ارعِوَاءِ

وقوله:

إذا رُمْتَ ممَّن لا يَرِيمُ متيَّمًا سُلُوًّا فقد أبْعَدْتَ في رَوْمِكَ

قال: واحترزت بقولي: «بمعنى: زال»؛ من «وني» بمعنى: «فتر»، و«رام» بمعنى: حاول أو تحول».اهـ، نقله في "شرح الجمع".

(تنبيه): هذه الأفعال الأربعة تدل على ملازمة الصفة للموصوف مذ كان قابلًا لها على حسب ما قبلها، فإن كان ما قبلها متصلة الزمان دامت كذلك نحو: «ما زال زيد عالما»، وإن كان قبلها في أوقات دامت له كذلك نحو: «ما زال يعطي الدراهم». أفاده في "الهمع".

وواحد يعمل هذا العمل بشرط تقدم «ما الظرفية المصدرية» (و) هو دام نحو: «لا أصحبك ما دام زيد متردد إليك»، ونحو قوله تعالى: ﴿مَادُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١]. أي: مدة دوام تردد زيد إليك، ومدة داومي حيًا، وسميت «ما» هذه «مصدرية» لأنها تقدر بالمصدر وهو الدوام، وسميت «ظرفية» لنيابتها عن الظرف وهو المدة.

(تنبيه): إذا كانت «ما» مصدرية غير ظرفية لم تعمل «دام» بعدها، فإن ولي

مرفوعها منصوب فهو حال نحو: «يعجبني ما دمت صحيحًا»، فإذا لم تذكر «ما» أصلًا فأحرىٰ بعدم العمل نحو: «دام زيد صحيحًا»، فدام فعل ماض تام بمعنىٰ بقي، وصحيحًا حال من زيد، ولا يلزم من وجود «ما» المصدرية الظرفية العمل المذكور بدليل ﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [هود: ١٠٧]، ولا توجد الظرفية بدون المصدرية. قاله في "التصريح".

(و) يعمل من هذه الأفعال العمل المذكور (**ما تصرف منها**) من ماض ومضارع وأمر ومصدر، وهي في التصرف وعدمه ثلاثة أقسام: ما لا يتصرف أصلًا، وهو ليس باتفاق ودام عند الفراء وكثير من المتأخرين، وما يتصرف تصرفًا ناقصًا وهو زال وأخواتها فإنها لا يستعمل منها أمر ولا مصدر، ودام عند الأقدمين فإنهم أثبتوا لها مضارعًا، وما يتصرف تصرفًا تامًا وهو الباقي (**نحوُ: كانَ، ويكونَ، وكنْ، وأصبحَ، ويصبِحُ، وأَصْبِحْ**) وللتصاريف ما للماضي من العمل (**تقول كانَ زيدٌ قائمًا**) وفي المضارع: ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٠] وفي الأمر ﴿قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ [الإسراء: ٥٠].

وفي المصدر:

ببذلٍ وحلمٍ سادَ في قومه الفتىٰ ... وكونُك إيَّاه عليكَ يَسِيرُ

وفي اسم الفاعل:

وما كلُّ مَنْ يبدي البشاشَة كائنًا ... أخاك إذا لم تُلْفِهِ لكَ مُنْجِدَا

وقول الحسين بن مطير الأسدي:

قضىٰ الله يا أسماءُ أن لستُ زائلًا ... أحبُّكِ حتَّىٰ يُغْمِضَ العَينَ مُغْمِضُ

وتقول في الذي لا يتصرف منها: لا أكلمك ما دام زيد واقفًا (**وليس عمرو شاخصًا وما أَشْبَهَ ذَلك**) من الأمثلة المتقدمة.

(**تتمة**): قال أبو الحسن بن أبي الربيع في "شرح الإيضاح": «كان وأخواتها في تقديم أخبارها عليها على أربعة أقسام: قسم لا يتقدم خبرها عليها باتفاق وهو: «مادام»، وقسم يتقدم عند الجمهور إلا المبرد وذلك: «ليس»، وقسم لا يتقدم خبرها عليها عند الجمهور إلا ابن كيسان وهي: «ما زال وأخواتها»، وقسم يتقدم الخبر عليه باتفاق ما لم يعرض عارض وهي: «كان» وبقية أفعال الباب».اهـ، نقله في "الأشباه".

(**فائدة**): اختلف في جواز تقدم أخبار هذا الباب على الأفعال إذا كانت منفية بـ«ما»، فالبصريون على المنع، والكوفيون على الجواز، ومنشأ الخلاف اختلافهم في أن ما هل لها صدر الكلام أو لا؟ فالبصريون على الأول، والكوفيون على الثاني.

(**تنبيه**): قال الخفاف اختلف هل الأفعال الناقصة تدل على الحدث أم لا؟ ويبتني على ذلك الخلاف في عملها في الظرف والمجرور والحال، فمن قال تدل؛ أعمل، ومن قال لا؛ فلا.

(**فائدة**): اختلف لم سميت هذه الأفعال نواقص، فقيل: لأنها لا تدل على الحدث بناء على القول به، وعلى القول الآخر سميت ناقصة بكونها لا تكتفي بمرفوعها.

(**تكملة**): قال أبو حَيَّان في شرح "التسهيل": «تعدد خبر كان مبني على

الخلاف في تعدد خبر المبتدأ، ثم قيل: الجواز هنا أولىٰ لأنه إذا جاز مع العامل الأضعف وهو الإبتداء فمع الأقوىٰ وهو «كان» أولىٰ، وعليه ابن درستويه، واختاره ابن أبي الربيع، وهو ظاهر كلام سيبويه، قال: لأن ضرب لا يكون له إلا مفعول واحد، فما شبه به يجري مجراه».اهـ، قاله السيوطي في "الأشباه والنظائر".

فصل

وأعملت «ما، ولا، ولاتَ، وإن» تشبيهًا لها بـ«ليس» في النفي، ولإعمالها شروط:

أما «ما» فأعملها الحجازيون بشروط أربعة:

أحدها: أن لا يقترن اسمها بـ«أن» الزائدة كقوله:

بَنِـي غُدَانَـةَ مـا إن أنـتُمُ ذهـبٌ ... ولا صريـفٌ ولكـنْ أنـتمُ خَـزَفُ

فبطل عملها وجوبًا عند البصريين.

الثاني: أن لا ينتقص نفي خبرها بـ«إلا»، فلذلك وجب الرفع في: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ﴾ [القمر: ٥٠].

الثالث: أن لا يتقدم علىٰ الاسم؛ خلافًا للفراء، وإن كان ظرفًا أو مجرورًا علىٰ الأصح؛ خلافًا لابن عصفور، فإن تقدم بطل العمل كقولهم: «ما مسيءٌ مَن أعتَبَ».

الرابع: أن لا يتقدم معمول خبرها علىٰ اسمها كقول مزاحم بن الحارث

العقيلي:

وقالوا تعرفَّها المنازلَ مِنْ مِنىٰ ... وما كلَّ مَنْ وافىٰ مِنىٰ أَنا عارفُ

إلا إن كان المعمول ظرفًا أو مجرورًا كقوله:

بأُهْبةِ حَزْمٍ لُذْ وإن كنتَ آمنًا ... فما كلَّ حينٍ مَنْ تُوالي مُواليَا

وأما «لا» فإعمالها قليل عند الحجازيين، وإليه ذهب سيبويه وطائفة من البصريين، وذهب الأخفش والمبرد إلىٰ منعه، وعلىٰ الإعمال يشترط له الشروط السابقة في «ما»، ما عدا الشرط الأول، وأن يكون المعمولان نكرتين، والغالب أن يكون خبرها محذوفًا حتىٰ قيل بلزوم ذلك، كقول سعد بن مالك:

مَنْ صَدَّ عَنْ نيرانِها ... فأنا ابنُ قَيْسٍ لا بَرَاحُ

والصحيح جواز ذكره كقوله:

تَعزَّ فلا شيءٌ علىٰ الأرض باقيَا ... ولا وزرٌ مما قضىٰ الله واقيَا

وإنما لم يشترط الشرط الأول؛ لأن «أن» لا تزاد بعد «لا» أصلًا.

وأما «لات»: فاختلف فيها، فقال قوم: إنها كلمة واحدة فعل ماض، ثم اختلفوا علىٰ قولين:

أحدهما: أنها في الأصل بمعنىٰ نقص من قوله تعالىٰ: ﴿لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا﴾ [الحجرات: ١٤] قاله أبو ذر الخشني.

والثاني: أن أصلها «ليس» بكسر الياء، فقلبت الياء ألفًا لتحركها وانفتاح ما قبلها وأبدلت السين تاء. وقال الجمهور: إنها كلمتان، «لا النافية»، والتاء لتأنيث اللفظة، كما في «ثمت، وربت»، وإنما وجب تحريكها لالتقاء الساكنين.

واختلف في عملها فعن الأخفش في أحد القولين أنها لا تعمل شيئًا، وإن وليها مرفوع فمبتدأ حذف خبره أو منصوب فمفعول بفعل محذوف. وقيل: تعمل عمل «أن» فتنصب الاسم وترفع الخبر، وهذا أحد القولين للأخفش.

والجمهور على أنها تعمل عمل «ليس» بشرطين: كون معموليها اسمي زمان، وحذف أحدهما. والغالب كونه المرفوع، نحو: ﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [ص: ٣]. واختلف في معمولها فقال الفراء: إنها لا تعمل إلا في لفظة «الحين»، وهو ظاهر قول سيبويه، وذهب الفارسي وجماعة إلى أنها تعمل في «الحين» وفيما رادفه.

وأما «إِنْ» فإعمالها نادر عند ابن مالك، وقال غيره: إنه أكثر من عمل لا وهو لغة أهل العالية، واختلف في جواز إعمالها فذهب الكسائي وأكثر الكوفيين وأبو بكر وأبو علي وأبو الفتح إلى الجواز، وذهب الفراء وطائفة وأكثر أهل البصرة إلى المنع، واختلف النقل عن سيبويه والمبرد، فنقل السهيلي الإجازة عن سيبويه والمنع عن المبرد، وعكس ذلك ابن النحاس، ونقل ابن مالك عنهما الإجازة، وسمع ذلك من أهل العالية كقول بعضهم: «إنْ أحدٌ خيرًا من أحد إلا بالعافية».

وقول الشاعر:

إنْ هــوَ مُسْــتَوليًا عــلى أحــدٍ ... إلا عــلى أضــعفِ المجَــانِين

أنشده الكسائي شاهدًا على عمل «إِن» عمل «ليس». انتهى ملخصًا من "المغني" و"التصريح".

(فائدة): قال أبو البقاء: «ما»، هي الأصل في النفي وهي أم بابه، والنفي

فيها آكد.

(تنبيه): قال تاج الدين بن مكتوم: «لم تقع ما في القرآن إلا على لغة الحجاز ما خلا حرفًا واحدًا وهو ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ﴾ [النمل: ٨١] على قراءة حمزة، فإنها هنا على لغة تميم.

(مسألة): التصرف في «لا النافية» أكثر من التصرف في «ما النافية»، ومن ثم جاز حذف «لا» في جواب القسم، نحو: ﴿تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟﴾ [يوسف: ٨٥] أي: «لا تفتؤ»، ولم يجز حذف «ما»، كذا نقله ابن الخباز عن شيخه معترضًا به على ابن معطٍ.

(مُهِمَّة): قال ابن هشامٍ في "تذكرته": زيادة الباء في الخبر على ثلاثة أقسام: كثير، وقليل، وأقل.

فالكثير: بعد «ليس، وما» نحو: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦]، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ﴾ [الأنعام: ١٣٢]، وبعد «أو لم يروا» نحو: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الأحقاف: ٣٣].

و القليل: بعد كل ناسخ منفي، كقول عمرو بن براق الأزدي:

وإنْ مُدَّتِ الأَيدي إلى الـزَّاد لم أكـنْ بأعجلِهم إذْ أجشَعُ القـومِ أعجـلُ

وقول دريد بن الصمة:

دعـاني أخـي والخيـلُ بينـي وبينَـه فلـما دعـاني لم يجـدْني بِقُعْـدُدِ

وبعد «لا» العاملة عمل «ليس» كقول سواد بن قارب:

فكـنْ لي شـفيعًا يـوم لا ذو شـفاعةٍ بمُغْنٍ فتيلًا عن سوادِ بـنِ قـاربِ

والأقل: بعد «إن» كقول امرؤ القيس:

فـإنْ تنـأَ عنهـا حِقْبـةً لا تُلاقِهـا فإنَّـك ممَّـا أحـدَثَتْ بـالمجرِّبِ

وبعد «لكن» كقوله:

ولكنَّ أجرًا لو علمت بهـيِّنٍ وهـل يُنْكرُ المعروفُ في النـاسِ والأجـرُ

وبعد هل كقوله: «ألا هل أخو عيش لذيذ بدائم».

انتهى ملخَّصًا من "الأشباه والنظائر".

إن وأخواتها

قال المؤلف: (وأمَّا إنَّ وأخواتُها) وهو الثاني من النواسخ (فإنَّها تنصبُ الاسمَ) اتفاقًا (وترفعُ الخبرَ) في مذهب البصريين، ومذهب الكوفيين أنها لم تعمل فيه شيئًا، واستدل له السهيلي بأنها أضعف من الأفعال فلم يجز أن تعمل عملهن. واختلفوا في عددها فعدها سيبويه في "الكتاب" والمبرد في "المقتضب" وابن السراج في "الأصول" وابن مالك في "التسهيل" والسيوطي في "جمع الجوامع"؛ خمسة بإسقاط «أن» المفتوحة لأنها فرع المكسورة عند سيبويه فلا تعد، وعدها قوم منهم ابن مالك في "ألفيته" وتبعهم المصنف ستة بزيادتها، وعدها ابن هشام ثمانية بزيادة «عسى» و«لا التبرئية».

قال المؤلف: (وهِيَ إنَّ) بكسر الهمزة، وهي أصل الباب كما قاله أبو البقاء في التبيين.

(وأنَّ) بفتحها وهي فرع عن المكسورة في مذهب سيبويه وغيره كما تقدم آنفًا.

(ولكنَّ) بتشديد النون وهي بسيطة عند البصريين، ومركبة من «لكن أن» عند الفراء فحذفت الهمزة للتخفيف ونون «لكن» للساكنين، ومن «لا، وإن» عند قوم من الكوفيين فحذفت الهمزة وزيدت الكاف، ومن «لا، وكان» عند بعضهم، واختاره السهيلي.

(وكأن) بتشديد النون وهي بسيطة عند شرذمة وأبي حيان، ومركبة عند الخليل وسيبويه والأخفش وجمهور البصريين والفراء، وادعى ابن هشامٍ وابن الخباز الإجماع على أنها مركبة وليس كذلك. قال الفراء: وهي مركبة من «أن

وكاف التشبيه»، وللاهتمام بالتشبيه قدموا الكاف على «أن» وفتحوا همزتها، واختلف على هذا هل تتعلق هذه الكاف بشيء؟ على قولين:

أحدهما: لا، وعليه ابن جني وابن عصفور وهو الصحيح.

والثاني: نعم، وعليه الزجاج.

(وليتَ) ويقال فيها «لَتَّ» بإبدال الياء تاء وإدغامها في التاء.

(ولعلَّ) بتشديد اللام الأخيرة وفيها لغات: «عل، ولعل، بفتح اللام وكسرها، ولعن، وعن، ولان، ولن، ورعن، ورغن، ولغن، وغن، ولعلت، ولعا، ولوان، وهي، ورعل».

(فائدة): «علَّ» بتشديد اللام أصل «لعل» عند من زعم أن اللام زائدة.

(تقول) في مثال عمل هذه الحروف ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣].

ومنه **(إنَّ زيدًا قائمٌ)** وقد تنصب الجزأين جميعًا في لغة كعمر بن أبي ربيعة:

إذا اسودَّ جنحُ الليلِ فلتَأْتِ ولتكُنْ ... خُطاك خفَافا إن حرَّاسَنا أُسْدَا

وفي الحديث: «**إن قعرَ جهنَّم سبعينَ خرِيفًا**».

قال في "المغني": وقد يرتفع بعدها المبتدأ فيكون اسمها ضمير شأن محذوفًا كقوله عليه الصلاة والسلام: «**إنَّ من أشدِّ الناس عذابًا يوم القيامةِ المصوِّرون**» الأصل أنه أي الشأن.اهـ

(تقسيم): لـ«أن» ثلاثة أحوال: وجوب الفتح، ووجوب الكسر، وجواز الأمرين.

فيجب فتحها إذا قدرت بمصدر كما إذا وقعت في موضع مرفوع فعل نحو: «يعجبني أنك قائم»، أو منصوبة نحو: «عرفت أنك قائم»، أو في موضع

مجرور بحرف نحو: «عجبت من أنك قائم».

ويجب كسرها في تسعة مواضع:

الأول: إذا وقعت «إن» ابتداءًا أي: في أول الكلام نحو: «إن زيدًا قائم»، ولا يجوز وقوع المفتوحة ابتداءًا فلا تقول: «أنك فاضل عندي»، وأجازه بعضهم.

الثاني: أن تقع «إن» صدر صلة نحو: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ﴾ [القصص: ٧٦].

الثالث: أن تقع جوبًا للقسم وفي خبرها اللام نحو: «والله إن زيدًا لقائم».

الرابع: أن تقع جملة محكية بالقول نحو: ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ [مريم: ٣٠].

فإن لم تحك به بل أجري القول مجرى الظن فتحت نحو: «أتقول أن زيدًا قائم؟ أي: تظن.

الخامس: أن تقع في جملة في موضع الحال نحو: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ [الأنفال: ٥].

السادس: أن تقع بعد فعل من أفعال القلوب وقد علق عنها باللام نحو: «علمت إن زيدًا لقائم»، فإن لم يكن في خبرها اللام فتحت نحو: «علمت أن زيدًا قائم».

السابع: أن تقع بعد «ألا الاستفتاحية» نحو: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ [البقرة: ١٣].

الثامن: إذا وقعت بعد حيث نحو: «اجلس حيث إن زيدًا يجلس».

التاسع: إذا وقعت في جملة هي خبر عن اسم عين نحو: «زيد إنه قائم»، قاله ابن عقيل في "شرح الألفية".

قلت: بقي عليه من مواضع وجوب فتح الهمزة خمسة:

الأول: أن تقع نائبًا عن الفاعل نحو: «﴿أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ﴾ [الجن: ١]

الثاني: أن تقع في موضع رفع بالابتداء نحو: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ [فصلت: ٣٩].

الثالث: أن تقع في موضع خبر اسم معنى نحو: «اعتقادي أنك فاضل».

الرابع: أن تكون تابعة لشيء مما ذكر نحو: «﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي﴾ [البقرة: ٤٧]، ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧]

الخامس: أن تقع مجرورة بالإضافة نحو: ﴿مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٣]

ويجوز الوجهان في ثلاثة مواضع:

أحدها: بعد «إذا الفجائية» نحو: «خرجت فإذا أن زيدًا بالباب».

الثاني: بعد الفاء الجزائية نحو: ﴿فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ٥٤].

الثالث: إذا وقعت خبرًا عن قول وخبرها قول وفاعل القولين واحد نحو: «أول قولي أني أحمد الله»، كذا قال ابن هشامٍ في "شرح الشذور".

قلت: وبقي عليه موضعان:

الأول: أن تقع بعد «أي المفسرة» فإنه يجوز أيضًا الفتح والكسر.

الثاني: بعد «مذ، ومنذ» نحو: «ما رأيته مذ، أو منذ، أن الله خلقني»، أجاز الأخفش الكسر، وصححه ابن عصفور، لأن «مذ، ومنذ» يليهما الجمل، ومنعه بعضهم لأن الجملة بعدهما بتأويل المصدر، وصرح سيبويه وابن السراج بجواز الفتح ساكتين عن إجازة الكسر وامتناعه. ذكرهما السيوطي.

قلت: بقي موضع آخر ذكره ابن عقيل في "شرح الألفية" وهو أن تقع في جواب قسم وليس في خبرها اللام نحو: حلفت أن زيدًا قائم، وروي بالوجهين قول رؤبة:

أو تحلفِي بربِّكِ العَلِّي أنِّي أبو ذَيَّالِكِ الصَّبِي

(تنبيه): تخفف «إن» المكسورة فيجوز الإهمال وهو الأكثر، نحو: ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٣٢] وتلزمها اللام في ثاني الجزأين فرقًا بينها وبين أن النافية لالتباسها حينئذ بها نحو: «إن زيد لقائم»، وقد تغني عنها قرينة لفظية نحو: «إن زيد لن يقوم»، أو معنوية كقول الطرماح:

أنا ابنُ أُبَاةِ الضَّيمِ من آلِ مالكٍ وإنْ مالكٌ كانت كِرَامَ المعادِنِ

واختلف في هذه اللام، فذهب سيبويه والأخفش الأوسط والصغير وأكثر نحاة بغداد وابن الأخضر وابن عصفور إلى أنها لام الابتداء التي تدخل مع المشددة، لزمت للفرق.

وذهب الفارسي وابن أبي العافية والشَّلَوْبين وابن أبي الربيع إلى أنها لام أخرى اجتلبت للفرق.

وذهب بعضهم إلى التفصيل بين أن تدخل على الجملة الاسمية فتكون لام

الابتداء أو الفعلية فتكون الفارقة. قال أبو حَيَّان: وثمرة الخلاف تظهر علمت وأخواتها، فإن كانت للفرق لم تعلق، وإن كانت لام الابتداء علقت.

(مسألة): قال السخاوي: إذا خففت «إن» المكسورة لم يليها من الأفعال إلا ما كان من نواسخ الابتداء عند البصريين، وجوز الكوفيون غيره، وهو مبني على مذهبهم أنها نافية. نقله في "الأشباه".

وقد تعمل على قلة نحو: ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٣٢] في قراءة نافع وابن كثير، وحكى الإعمال سيبويه والأخفش، قال ابن عقيل: «وحينئذ لا تلزمها اللام لأنها لا تلتبس -والحالة هذه- بالنافية، لأن النافية لا تنصب الاسم وترفع الخبر».اهـ

(مسألة): قال في "الأشباه": قال أبو حَيَّان: «حال «إن» المخففة إذا عملت كحالها وهي مشددة في جميع الأحكام إلا في شيء واحد وهو أنها لا تعمل في الضمير إلا لضرورة بخلاف المشددة».اهـ

(فائدة): اختلف هل تأتي «إن» حرف جواب كـ«نعم»؟ فأثبت ذلك سيبويه والأخفش، وصححه ابن عصفور وابن مالك، وأنكروا أبو عبيدة.

ومن شواهد من أثبت: قول عبد الله بن الزبير -لمن قال له «لعن الله ناقة حملتني إليك-: إنَّ وراكبها. ولا عمل لها حينئذ، وخرَّج الأخفش عليها قراءة: ﴿قَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ [طه: ٦٣]. قاله في "الهمع".

وتخفف «أن» المفتوحة فقيل: لا تعمل شيئًا لا في ظاهر ولا في مضمر،

وتكون حرفًا مصدريًا مهملًا كسائر الحروف، وعليه سيبويه والكوفيون، وقيل: تعمل في المضمر وفي الظاهر، وعليه طائفة من المغاربة، وقيل: تعمل جوازًا في مضمر لا ظاهر، وعليه الجمهور.

(مسألة): تقع «أنَّ» المفتوحة ومعمولاها اسمًا لـ«إن» المكسورة بشرط الفصل بالخبر، وقال الفراء بعدم شرط الفصل. قال أبو حَيَّان: «وهذا من الفراء بناء على رأيه أن «أن» يجوز الابتداء بها، والجمهور على منعه.

(مسألة): وتخفف «لكن» فلا تعمل البتة لعدم سماعه، وعلل بمباينة لفظها لفظ الفعل، وبزوال موجب إعمالها وهو الاختصاص، إذ صارت يليها الاسم والفعل، وأجاز يونس والأخفش إعمالها قياسًا على «إن» و«أن» و«كأن».

وتخفف «كأن»، فقيل: لا تعمل مطلقًا وعليه الكوفيون، وقيل: تعمل مطلقًا في المضمر والبارز، وقيل: تعمل في المضمر لا في البارز، ولا يلزم أن يكون ضمير الشأن. ويجوز أن يكون خبرها مفردًا وقد يظهر اسمها، ومنه بيت الكتاب:

وصَدرٍ مشرقِ النَّحرِ كَأَنْ ثدييهِ حُقَّانِ

(فائدة): زعم قوم أن «كأن» قد تنصب الجزأين وأنشدوا:

كأنَّ أذنيه إذا تشَوَّفَا قادمةً أو قلمًا محرَّفَا

وقيل: الخبر محذوف، يحكيان.

وقيل: إنما الرواية: تخال أذنيه.

وقيل: الرواية: قادمتان.

وقيل: أخطأ قائله -وهو أبو نخيلة- وقد أنشده بحضرة الرشيد فلعنه أبو عمرو والأصمعي، وهذا وهم، فإن أبا عمرو توفي قبل الرشيد. قاله ابن هشامٍ.

(فائدة): قال الفراء وبعض أصحابه: قد تنصب «ليت» الجزأين، كقول العجاج: «يا ليت أيام الصبا رواجعا»، وتقترن بها «ما الحرفية» فلا تزيلها عن الاختصاص بالأسماء خلافًا لابن أبي الربيع وطاهر القزويني، ويجوز حينئذ إعمالها لبقاء الاختصاص وإهمالها حملًا على أخوتها.

ورووا بالوجهين قول النابغة:

قالتْ ألا ليتما هذا الحمامُ لنا ... إلى حمامتنا أو نِصْفُه فقدِ

قاله ابن هشامٍ.

ولا تخفف «لعل» عند الجمهور، وقال الفارسي: «تخفف وتعمل في ضمير الشأن محذوفًا».

قال بعض أصحاب الفراء: «قد تنصب لعل الجزأين»، وزعم يونس أن ذلك لغة لبعض العرب، وحكى: لعل أباك منطلقًا، وتتصل بها «ما الحرفية» فتكفها عن العمل كسائر أخواتها إلا «ليت» بدليل قول الفرزدق:

أَعِدْ نظرًا يا عبدَ قيسٍ لعلَّما ... أضاءتْ لك النَّارُ الحمارَ المقيَّدَا

(مُهِمَّة): قيل: أول لحن سمع بالبصرة: «لعل لها عذر وأنت تلوم». وهذا محتمل لتقدير ضمير الشأن. قاله ابن هشامٍ.

قلت: إنما يتمشى هذا التوجيه على قول الفارسي، وأما على مذهب الجمهور -وهو الصحيح من أن «لعل» لا تخفف ولا ينوي لها ضمير الشأن- فهو لحن فاحش.

(تنبيه): قال في "المفصل": جميع ما ذكر في خبر المبتدأ من أصنافه وأحواله وشرائطه قائم في خبر «إن»، ما خلا جواز تقديمه، إلا إذا وقع ظرفًا كقولك: «إن عندي زيدًا»، أو مجرورًا كقولك: «إن في الدار زيدًا».

وقال ابن يعيش في "الشرح": «كل ما جاز في المبتدأ والخبر جاز مع «إن وأخواتها»، لا فرق بينهما، ولا يجوز تقديم خبرها ولا اسمها عليها، ولا تقدم الخبر فيها على الاسم، ويجوز في المبتدأ لعدم تصرف هذه الحروف، وكونها فروعًا على الأفعال في العمل، فانحطت عن درجة الأفعال فجاز التقديم في الأفعال نحو: «قائمًا كان زيد»، و«كان قائمًا زيد»، ولم يجز ذلك في هذه الحروف اللهم إلا أن يكون الخبر ظرفًا أو جارًا ومجرورًا، وذلك أنهم توسعوا في الظرف وخصوصًا بذلك لكثرتها في الاستعمال، نقله في "الأشباه".

وقد يجب تقديم الخبر إذا اتصل بالاسم ضميره نحو: «إن في الدار ساكنها»، و«إن عند هند أخاها».

وكذلك لا يتقدم معمول خبرها على اسمها إن كان غير ظرف أو مجرور بالإجماع، فإن كان ظرفًا أو مجرورًا جاز للتوسع فيهما كقوله:

فلا تَلْحَنِي فيها فإنَّ بِحبِّها أخاك مصابُ القلبِ جَمٌّ بلابِلُه

ومنع الأخفش قياس ذلك وقصره على السماع، وإن كان حالا فالجمهور على منعه، وأجازه أبو علي الحسن الآمدي.

(تتمة): قال ابن يعيش: «إنما قدم المنصوب في هذا الباب على المرفوع فرقًا بينها وبين الفعل، فالفعل من حيث كان الأصل في العمل جرى على سنن قياسه في تقديم المرفوع على المنصوب إذ كان رتبة الفاعل مقدمة على المفعول،

وهذه الحروف لما كانت فروعًا على الأفعال ومحمولة عليها جعلت بأن قدم المنصوب فيها على المرفوع حطًا لها عن درجة الأفعال، إذ تقديم المفعول على الفاعل فرع، وتقديم الفاعل أصل». انتهى نقله في "الأشباه".

قال المؤلف: (**وليتَ عمرًا شاخِصٌ وما أشبه ذلك**) لهذه الأحرف الستة معان فـ«**معنى إنَّ وأنَّ للتوكيد**) أي: لتوكيد النسبة بين الجزأين ونفي الشك عنها ونفي الإنكار لها بحسب العلم بالنسبة والتردد فيها والإنكار لها فإن كان المخاطب عالما بالنسبة فهما بمجرد توكيد النسبة، وإذا كان مترددًا فيها فهما لنفي الشك عنها، وإن كان منكرًا لها فهما لنفي الإنكار لها، فالتوكيد لنفي الشك عنها مستحسن، ولنفي الإنكار واجب، ولغيرهما لا ولا. قاله في "التصريح".

قلت: وفي كون «أن» المفتوحة تفيد التوكيد إشكال ذكره السيوطي في حاشيته على "المغني" المسماة "بالفتح القريب" ولم أقف عليها، وقد راجعت هذا الباب في نكته فلم أجد الإشكال فيها.

قال المؤلف: (**ولكنَّ للاستدرَاكِ**) والمشهور أنه لا معنى لها غيره، وفسروه بأن تنسب لما بعدها حكمًا مخالفًا لما قبلها نحو: «ما هذا ساكنًا لكنه متحرك»، و«ما هذا أبيض لكنه أسود»، وقيل: إنها ترد تارة للاستدراك وتارة للتوكيد، وعليه جماعة منهم صاحب "البسيط".

وفسروا الاستدراك برفع ما يتوهم ثبوته نحو: «ما زيد شجاعًا لكنه كريم»، ومثلوا للتوكيد بنحو: «لو جاءني أكرمته لكنه لم يجئ» فأكدت ما أفادته

«لو» من الامتناع. وقيل: إنها للتوكيد دائمًا مثل «أن»، ويصحب التوكيد معنى الاستدراك، وهو قول ابن عصفور.

قال المؤلف: (**وكأنَّ للتشبيه**) وهو الغالب عليها والمتفق عليه.

قال ابن هشامٍ: «وهذا المعنى أطلقه الجمهور لـ«كأن»، وزعم جماعة منهم ابن السيد البطليوسي أنه لا يكون إلا إذا كان خبرها اسمًا جامدًا نحو: «كأن زيدًا أسد»، بخلاف «كأن زيدًا قائم، أو في الدار، أو عندك، أو يقوم»، فإنها في ذلك كله للظن. وقيل: ترد للشك والظن وذلك فيما ذكرنا.

وحمل ابن الأنباري عليه: «كأنك بالشتاء مقبل»، وقيل: ترد للتحقيق، ذكره الكوفيون والزجاجي وأنشدوا عليه:

فأصبحَ بطنُ مكةَ مُقْشَعِرًّا ... كأنَّ الأرضَ ليس بها هِشَامُ

وقيل: ترد للتقريب، وعليه الكوفيون، وحملوا عليه: «كأنك بالشتاء مقبل»، و«كأنك بالفرج آت»، و«كأنك بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل».اهـ كلامه ملخصًا.

(**وليتَ للتمنِّي**) ويتعلق بالمستحيل غالبًا كقوله:

فيا ليت الشبابَ يعود يومًا ... فأخبرَه بما فعلَ المشيبُ

وبالممكن قليلًا. (**ولعلَّ للترجي**) أي: ترجي المحبوب نحو: لعل الحبيب قادم (و) الإشفاق من المكروه نحو: «لعل الرقيب حاصل»، ويعبر عن كلا المعنيين بـ (**التَّوقُّع**) فإن كان في المحبوب سمي ترحيبًا، وإن كان في المكروه سمي إشفاقًا، ولا تستعمل إلا في الممكن.

(تنبيه): زاد الأخفش والكسائي في معانيها: التعليل، وخرَّجا عليه: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤].

وزاد الكوفيون في معانيها: الاستفهام، وحملوا عليه: ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: ١] زاد المطوال وأكثر الكوفيين: الشك.

(فائدة): يقترن خبرها بـ«أن» كثيرًا حملًا على عسى كقوله:

لعلك يومًا أن تُلِمَّ مُلمَّةٌ ... عليكَ من اللائي يدعُنَك أجدَعَا

قاله في "المغني".

ظننت وأخواتها

قال المؤلف: (**وأما ظننتُ وأخواتُها**) وهو الثالث من النواسخ (**فإنها تنصبُ المبتدأَ والخبرَ**) بعد استيفائها الفاعل (**على أنهما مفعولان لها**) فتعمل عكس «كان» و«إن».

(**تنبيه**): ذهب الجمهور إلى أنها تدخل على المبتدأ والخبر، وذهب السهيلي إلى أن المفعولين هنا ليس أصلهما المبتدأ والخبر بل هما كمفعولي «أعطى»، واستدل بـ«ظننت زيدًا عمرًا» فإنه لا يقال: «زيد عمرو» إلا على جهة التشبيه، وأنت لم ترد ذلك مع «ظننت» إذ القصد أنك ظننت زيدًا عمرًا نفسه لا شبه عمرو.

وقال أبو حَيَّان: والصحيح قول الجمهور بدليل رجوع المفعولين إلى المبتدأ والخبر إذا ألغيت هذه الأفعال والجمهور على أن هذه الأفعال نصبت المفعولين معًا. وذهب الفراء إلى أن الثاني منصوب على التشبيه بالحال، واستدل بوقوعه جملة وظرفًا ومجرورًا. واستدل الجمهور بوقوعه معرفة ومضمرًا واسمًا جامدًا.

قال المؤلف: (**وهي**) نوعان: أفعال القلوب، وأفعال التحويل.

فأما أفعال القلوب فتنقسم إلى قسمين: أحدهما: ما يدل على الرجحان وهي: (**ظننتُ، وحسِبْت، وخِلْت، وزعَمْتُ**)، وعدَّ، وحجا، وجعل، وهب.

مثال «ظن» في الرجحان: «ظننت زيدًا صاحبك»، وقد تستعمل لليقين كقوله تعالى: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ﴾ [التوبة: ١١٨]، و«حسبت زيدًا صاحبك».

وقد تستعمل لليقين كقول لبيد العامري:

حسِبتُ التقىٰ والجودَ خيرَ تجارةٍ رَباحًا إذا ما المرءُ أصبحَ ثاقِلَا

و«خلت زيدًا أخاك»، وقد تستعمل لليقين:

دعاني الغواني عمَّهُن وخِلْتُنِي لي اسم فلا أُدعىٰ به وهو أوَّلُ

وزعمت زيدًا أخاك، وقد تستعمل لليقين كقول أبي أمية:

زَعَمتْنِي شيخًا ولستُ بشيخٍ إنَّما الشيخُ من يدبُّ دبيبًا

ومثال «عد» قول النعمان بن بشير:

فلا تَعْدِدِ المولىٰ شريكَكَ في الغِنىٰ ولكنَّما المولىٰ شريكُكَ في العُدْمِ

ومثال «حجا» قول تميم:

قد كنتُ أحجُو أبا عمرو أخَا ثقةٍ حتىٰ ألَمَّتْ بنا يومًا مُلِمَّاتُ

ومثال «جعل» قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزخرف: ١٩].

ومثال «هب» قول ابن همام:

فقلت أجِرْني أبا خالدٍ وإلا فهبْنِي امرَأً هالِكَا

والثاني من أفعال القلوب ما يدل علىٰ اليقين (و) هي (**رأيت، وعلمت، ووجدت**) ودريت وتعلم.

مثال رأىٰ قوله:

رأيت اللهَ أكبرَ كلِّ شيءٍ محاولةً وأكثرَهُم جنودَا

وقد تستعمل للرجحان كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ﴾ [المعارج: ٦].

ومثال «علم» قوله تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩] وقد تستعمل للرجحان كقوله تعالى: ﴿فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ﴾ [الممتحنة: ١٠].

ومثال «وجد» قوله تعالى: ﴿وَإِن وَجَدۡنَآ أَكۡثَرَهُمۡ لَفَٰسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٢].

ومثال «درى» قول الشاعر:

دُرِيتَ الوفيَّ العَهْدِ يا عُرْوَ فاغْتبِطْ فإنَّ اغتباطًا بالوفاءِ حَميدُ

ومثال «تعلم» وهي التي بمعنى «اعلم» قول زياد بن يسار:

تَعَلَّمْ شِفاءَ النَّفْسِ قَهْرَ عَدُوِّها فبالغ بلُطْفٍ في التحيُّلِ والمَكْرِ

وأما النوع الثاني من أفعال الباب، وهي أفعال التحويل، ويقال لها أيضًا: أفعال التصيير، وذلك لدلالتها على التحويل والانتقال من حالة إلى أخرى، فتتعدى أيضًا إلى مفعولين، وعدها بعضهم سبعة: «صير» نحو: «صيرت الطين خزفًا»، (اتخذت) كقوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴾ [النساء: ١٢٥]. وترك كقوله تعالى: ﴿وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖ﴾ [الكهف: ٩٩].

و«تخذ» كقول جند بن مرة:

تَخِذَتْ غرانَ إثرَهم دليلًا وفرُّوا في الحجاز ليعجِزُوني

و«رد» كقوله تعالى: ﴿يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا ﴾ [البقرة: ١٠٩].

(وجعلت) كقوله تعالى: ﴿ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣].

و«هب» كقول بعض العرب فيما حكاه ابن الأعرابي: وهبني الله فداك أي صيرني «و) ألحق الأخفش بـ«علمت» من أفعال هذا الباب «سمعت) المعلقة بعين المخبر بعدها بفعل دال على صوت نحو: «سمعت زيدًا يتكلم»، بخلاف المعلقة بمسموع نحو: «سمعت كلامًا وسمعت خطبة».

ووافقه على ذلك الفارسي، وابن بابشاذ، وابن عصفور، وابن الصائغ، وابن أبي الربيع، وابن مالك، واحتجوا بأنها لما دخلت على غير مسموع أتى لها بمفعول ثان دل على المسموع، كما «ظن» لما دخلت على غير مظنون أتي بمفعول ثان يدل على المظنون.

والجمهور قالوا: لا تتعدى «سمعت» إلا إلى مفعول واحد، فإن كان مما يسمع فهو ذاك، وإن كان عينا فهو المفعول، والفعل بعده في موضع نصب على الحال.اهـ قاله في "الهمع".

(مسألة): ما دخلت عليه «كان» دخلت عليه هذه الأفعال، وما لا فلا، إلا المبتدأ المشتمل على استفهام فإنه لا تدخل عليه «كان» لأن الاستفهام له الصدر، وتدخل عليه ظننت وتقدم عليها.اهـ، من "شرح الجمع".

فصل

ولهذه الأفعال ثلاثة أحوال:

أحدها: الإعمال، وهو الأصل، وهو واقع في هذا الباب الجميع الجامد منها والمتصرف والقلبي والتصييري.

والثانية: الإلغاء، وهو إبطال العمل لفظًا ومحلًا لضعف العامل بتوسطه أو

تأخره، قال منازل بن ربيعة:

أبـالأراجيزِ يـابنَ اللُّـؤمِ تَوعِـدُني وفي الأراجيزِ خِلْتُ اللؤمَ والخَوَرُ

وقال أبو أسيدة الدبيري:

همـا سـيِّدانَا يَـزْعُمانِ وإنَّـما يَسُـودانِنَا إنْ أَيْسَـرتْ غَنَماهُمَـا

وإلغاء المتأخر أقوي من إعماله بلا خلاف، والمتوسط بالعكس. وقيل: هما في المتوسط بين المفعولين سواء.

(تنبيه): إذا تقدم العامل امتنع الإلغاء عند البصريين، فإن جاء من لسان العرب ما يوهم إلغاءها متقدمة أول على إضمار ضمير الشأن، كقوله:

أرجُـو وآمُـلُ أن تـدنو مودتُهـا ومـا إخـالُ لـدينا منـكِ تنويـلُ

فالتقدير: «ما أخاله»، فلا إلغاء حينئذ، وعلى تقدير لام الإبتداء كقوله:

كذاك أدِّبتُ حتى صار من خُلُقِـي أنِّي وجدت مِلاكُ الشِّـيمةِ الأدبُ

فالتقدير: «أني وجدت لملاك»، فهو من باب التعليق وليس من باب الإلغاء في شيء.

وذهب الكوفيون وتبعهم أبو بكر الزبيدي وغيره إلى جواز إلغاء المتقدم، فلا يحتاجون إلى تأويل البيتين. قاله ابن عقيل.

والثالثة: **التعليق**، وهو إبطال العمل لفظًا لا محلًّا لمجيء ما له صدر الكلام بعده وهو «لام الابتداء» نحو: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾ [البقرة: ١٠٢] الآية.

و«لام القسم» كقول لبيد:

ولقــد علمــتُ لتــأتينَّ منيَّتــي إنَّ المنايــا لا تَطِــيشُ سِــهامُها

وما النافية نحو: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٥]، و«لا» و«إن» النَّافيتان في جواب قسم ملفوظ به أو مقدر، و«الاستفهام» نحو: ﴿إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ [الجن: ٢٥]، ونحو: ﴿لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ﴾[الكهف: ١٢]، ونحو: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[الشعراء: ٢٢٧].

(تنبيه): لا يدخل الإلغاء ولا التعليق في شيء من أفعال التصيير لقوتها، ولا قلبي جامد لعدم تصرفه.

(مسألة): الإلغاء عند توفر شرائطه جائز والتعليق واجب.

(تتمة): فعلان من أفعال الباب لا يتصرفان، وهما «هب» من أفعال التصيير، و«تعلم» من أفعال القلوب، فإن الأول ملازم للماضي والثاني ملازم للأمر. وما عداهما متصرف، ولتصرفهن ما لهن من الإعمال والإلغاء والتعليق، وهي مبسوطة في المطولات.

(مسألة): قال ابن عصفور: لم يعلق من الأفعال إلا أفعال القلوب وهي: «ظننت» و«علمت» ونحوهما. ولم يعلق من غير أفعال القلوب إلا «أنظر» و«أسأل»، قالوا: «انظر: من أبو زيد» و«اسأل: أبو من عمرو»، وكان الذي سوغ ذلك فيهما كونهما سببين للعلم، والعلم من أفعال القلوب فأجرىٰ السبب مجرىٰ المسبب.

(مُهِمَّة): قال ابن القواس: لهذه الأفعال خواص لا يشاركها فيها غيرها من الأفعال المتقدمة، منها أن مفعوليها مبتدأ وخبر في الأصل، ومنها أنه لا

يجوز الاقتصار على أحد مفعوليها غالبًا كما جاز في باب أعطيت، ومنها الإلغاء، ومنها التعليق، ومنها جواز كون ضميري الفاعل والمفعول لمسمى واحد نحو: «ظننتني قائمًا وعلتني منطلقًا»، والمخاطب: «ظننتك منطلقًا» أي ظننتك نفسك، والغائب: «زيد رآه عالمًا»، أي: نفسه، وفي التنزيل: ﴿أَن رَّءَاهُ اسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: ٧] أي: رأى نفسه.

وإنما جاز ذلك فيها دون غيرها لأن المقصود هو الثاني لتعلق العلم أو الظن به، فبقي الأول كأنه غير موجود، بخلاف «ضربتني» و«ضربتك» فإن المفعول محل الفعل فلا يتوهم عدمه. انتهى. نقل ذلك في "الأشباه والنظائر".

ثم مثل المصنف لعملها بقوله: «**تقول: ظننت زيدًا منطلقًا**» فزيدًا مفعول أول ومنطلقًا مفعول ثان.

(**تنبيه**): إذا كان «ظن» بمعنى «اتهم» فتتعدى لمفعول واحد نحو: «ظننت زيدًا» أي اتهمته، وفي السبعة ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير: ٢٤] أي بمتهم.

(**فائدة**): تتعدى «رأى الحلمية» إلى مفعولين إجراءًا لها مجرى «رأى العلمية» من حيث أن كلا منها إدراك بالباطن ومنه: ﴿إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٣٦] خلافًا لمن منع ذلك، وجعل ثاني المنصوبين حالا وهو محجوج بوقوعه معرفة كقول عمرو بن أحمر الباهلي:

أراهُمْ رُفْقَتِي حتَّى إذا ما تَجافَى الليلُ وانخَزَلَ انخِزَالَا

ولا يدخلها إلغاء ولا تعليق خلافًا للشاطبي، فإن كانت «رأى» بصرية أو بمعنى أصاب الرئة تعدت لواحد.

(وخلت عمرًا شاخصًا) عمرًا مفعول وشاخصًا ثان، ومضارعها يخال، والمصدر خيلا وخالا وخيلة ومخالة وخيلانا ومخيلة وخيلولة، وتقول في مستقبله: «إخال» بكسر الهمزة وهو الأفصح، وبنو أسد تفتحها وهو القياس.

(تنبيه): إذا كانت خال بمعنى تكبر، أو ظلع، من خال الفرس: ظلع، أي: غمز في مشيه، والمضارع منها يخال أيضًا فهي لازمة.

(فائدة): إذا كانت «علم» بمعنى عرف تعدت لواحد، فإذا كانت بمعنى علم علمة فهو أعلم، أي مشقوق الشفة العليا فهي لازمة.

(تتمة): يحذف المفعولين بالإجماع، ومن حذفهما قول الكميت:

بأيِّ كتابٍ أم بأيَّة سِنَّةٍ ... ترى حبَّهم عارًا عليّ وتحسبُ

أي: تحسب حبهم عارًا علي، فحذفهما لوجود دليل عليهما.

وأما حذفهما اختصارًا ففيه خلاف: والمنع مطلقًا وعليه الأخفش والجرمي، ونسبه ابن مالك لسيبويه وللمحققين كابن طاهر وابن خروف والشَّلَوْبِين.

والجواز مطلقًا وعليه أكثر النحويين منهم ابن السراج والسيرافي، وصححه ابن عصفور لوروده، قال تعالى: ﴿أَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٥] وقال: ﴿وَظَنَنتُمۡ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ﴾ [الفتح: ١٢].

والجواز في «ظن» وما في معناها دون «علم» وما في معناها وعليه الأعلم.

والمنع قياسًا والجواز في بعضها سماعًا، وعليه أبو العلاء إدريس ونسبه لسيبويه. وأما حذف أحدهما اقتصارًا فلا يجوز بالإجماع، وأما اختصارًا فيجوز عند الجمهور، ومنعه ابن الحاجب، وصححه ابن عصفور وأبو إسحاق بن

ملكون وطائفة.

وقد ورد حذفه كقول عنترة العبسي:

ولقــد نزلْــتِ فــلا تظنِّــي غــيرَه مِنِّــي بمنزلــةِ المُحِــبِّ المكْــرَمِ

أي واقعا أو حقًا.اهـ

قال المؤلف: (وما أشبه ذلك) من أمثلة الرجحان واليقين، وأفعال القلوب والتصيير.

واعلم أن هذا الباب دخيل في المرفوعات لأنه من باب الفاعل والمفعول، فحقه أن لا يذكر هنا، وإنما ذكروه هنا تتميمًا لنواسخ الابتداء.

(باب النعت)

ولما فرغ من المرفوعات شرع يتكلم على التوابع فقال: (باب النعت) والتعبير به اصطلاح الكوفيين وربما قاله البصريون، والأكثر عندهم الوصف والصفة، والعبارتان مترادفتان، خلافًا لمن قال أن الصفة تطلق على ما لا يتغير وعلى غيره، والنعت لا يطلق إلا على ما يتغير؛ ولذا يقال: «صفات الله» ولا يقال: نعوته، وهو دعوى لا دليل عليه.

وبدأ رحمه الله تعالى -كابن الحاجب- بالنعت ثم بالنسق ثم بالتوكيد ثم بالبدل، وفي "التسهيل" بالتوكيد ثم بالنعت ثم بالبيان ثم بالبدل ثم بالنسق، كذلك ابن هشامٍ في "الشذور" وأبو حَيَّان.اهـ

وفي "القطر" بالنعت ثم التوكيد ثم عطف البيان ثم النسق ثم البدل، وليس هذا ترتيبها إذا اجتمعت بل عند اجتماعها يبدأ بالنعت ثم بالبيان ثم بالتوكيد ثم بالبدل ثم بالنسق، قاله في "التسهيل"، وارتضاه جلال الدين السيوطي. قال: «لأن النعت كجزء من متبوعه؛ فلذلك تقدم، ثم البيان لأنه جار مجراه، ثم التأكيد لأنه شبيه بالبيان في جريانه مجرى النعت، ثم البدل لأنه تابع كَلَا تابع لكونه مستقلًّا، ثم النسق لأنه تابع بواسطة».

قال: «وقدم قوم التوكيد على النعت فيقال: قام زيد نفسه الكاتب، ورُد بأن التأكيد لا يكون إلا بعد تمام البيان، ولا يحصل ذلك بالنعت».

قال المؤلف: (النَّعت) لغة: وصف الشيء بما فيه من حسن، واصطلاحًا: هو (**تابعٌ للمنعوتِ في رفعِه ونصبِه وخفضِه وتعريفِه وتنكيرِه**) مكمل له لدلالته على معنى فيه أو في متعلق به، فخرج بالمكمل البدل والنسق فإنهما لا

يكملا متبوعهما؛ لأنهما لم يوضعا لقصد الإيضاح والتخصيص. ومجيء البدل للإيضاح في بعض الصور عرضي، وبما بعده البيان والتوكيد، فإنهما لا يدلان على معنى في متبوعهما ولا فيما يتعلق به.

أما البيان فلأن ثاني الاسمين هو عين الأول، وأما التوكيد فلأن نفس الشيء هو الشيء لا معنى فيه، نقله الأزهري عن ابن مالك. والمراد بالمكمل الموضح للمعرفة كجاءني زيد التاجر أو التاجر أبوه، والمخصص للنكرة كجاءني رجل تاجر أو تاجر أبوه.

(فائدة): اختلف في معنى الإيضاح والتخصيص، فقيل: الإيضاح رفع الاشتراك اللفظي الواقع في المعارف على سبيل الاتفاق، فهو يجري مجرى بيان المجمل. والتخصيص رفع الاشتراك المعنوي الواقع في النكرات على سبيل الوضع، فهو يجري مجرى تقييد المطلق بالصفة. وقيل: الإيضاح رفع الاحتمال في المعارف، والتخصيص تقليل الاشتراك في النكرات.اهـ قاله في "التصريح".

(تنبيه): ينقسم النعت إلى ثلاثة أقسام:

حقيقي: وهو الرافع ضمير الموصوف المستتر الجاري على من هو له نحو: «جاءتني امرأة كريمة» و«رجل كريم» و«رجلان كريمان» و«رجال كرام».

ومجازي: وهو الجاري على غير من هو له إذا حول الإسناد عن الظاهر إلى ضمير الموصوف، وجر الظاهر بالإضافة إن كان معرفة، ونصب على التمييز إن كان نكرة نحو: «جاءتني امرأة كريمة الأب» أو «كريمة أبًا»، و«جاءني رجلان كريما الأب»، أو «كريمان أبا»، و«جاءني رجال كرام»، أو «كرام أبا»،

والوصف في هذين القسمين يتبع موصوفه في إفراده وتثنيته وجمعه وتذكيره وتأنيثه وتعريفه وتنكيره وفي أوجه الإعراب الثلاثة.

ويستثنى من ذلك شيئان:

أحدهما: الوصف باسم التفضيل إذا استعمل بمن أو أضيف إلى نكرة، فإنه يلزمه الإفراد والتذكير فقط نحو: مررت برجل أفضل من زيد، وبرجلين أفضل من زيد، وبامرأة أفضل من زيد وبنساء أفضل من زيد.

ثانيهما: الوصف بما يستوي فيه المذكر والمؤنث من الأوصاف الآتية على وزن فعول بمعنى فاعل، وفعيل بمعنى مفعول إذا كان جاريًا على موصوفه نحو: رجل صبور وامرأة صبور، ورجل قتيل، وامرأة قتيل.

والثالث من أقسام النعت: السببي، وهو الرافع الظاهر أو الضمير البارز فيعطى حكم الفعل ولم يعتبر حال الموصوف في الإفراد والتذكير والتأنيث والتثنية والجمع نحو: مررت برجل قائمة أمه، وبامرأة قائم أبوها، وبرجلين قائم أبواهما، وبرجال قائم آباؤهم، على لغة أكلوني البراغيث، قائمين أبواهما وقائمين آباؤهم، لكنهم خالفوا حكم الفعل إذا كان الاسم المرفوع بالوصف جمعًا، فأجازوا تكسير الوصف.

ثم قال سيبويه والمبرد وأبو موسى: جمع التكسير أفصح من الإفراد كـ«قيام آباؤهم». وقال الأبذي والشَّلَوْبِين وطائفة: إفراد الوصف أفصح من تكسيره، وفصَّل آخرون فقالوا: إن كان النعت تابعًا لجمع فالتكسير أفصح، وإن كان لمفرد أو مثنى فالإفراد أفصح، واتفق الجميع على أن الإفراد أفصح من جمع السلامة. انتهى ملخصًا من "التصريح".

قلت: والذي رأيته في كتاب "الأشباه والنظائر" نقلًا عن الزجاج مخالف لما قالوه من أن الوصف الرافع للظاهر يجري مجرىٰ الفعل ونصه، قال الخفاف في شرح "الإيضاح": «وقع في كتاب "المهذب" لأبي إسحاق الزجاج أن تثنية الصفة الرافعة للظاهر وجمعها فصيح في الكلام، لا كضعف: «أكلوني البراغيث». قال: «والفرق أن أصل الصفة كسائر الأسماء التي تثنىٰ وتجمع، وإنما يمتنع فيها بالحمل علىٰ الفعل فيجوز فيها وجهان فصيحان أحدهما أن يراعىٰ أصلها فتثنىٰ وتجمع، والثاني أن يراعىٰ شبهها بالفعل فلا تثنىٰ ولا تجمع». قال الخفاف: «وهذا قياس حسن لو ساعده السماع». انتهىٰ بلفظه.

(مُهِمَّة): قال في "البسيط": «جملة ما يوصف به ثمانية أشياء: اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وهذه الثلاثة هي الأصل في الصفات لأنها تدل علىٰ ذات باعتبار معنىٰ هو المقصود؛ وذلك لأن الغرض من الصفة الفرق بين المشتركين في الاسم وإنما يحصل الفرق بالمعاني القائمة بالذوات والمعاني هي المصادر وهذه الثلاثة هي المشتقة من المصادر فهي التي توجد المعاني فيها، والرابع المنسوب كـ«مكي» و«كوفي» وهو في معنىٰ اسم المفعول، والخامس الوصف بـ«ذي» التي بمعنىٰ: صاحب، والسادس الوصف بالمصدر كـ«رجل عدو» هو سماعي، والسابع ما ورد من المسموع غيره كـ«مررت برجل» أي رجل، والثامن الوصف بالجملة.

(تنبيه): قال ابن عصفور في "شرح الجمل": «الأسماء تنقسم أربعة أقسام: قسم لا ينعت ولا ينعت به وهو اسم الشرط واسم الاستفهام والمضمر، وكل اسم متوغل في البناء وهو ما ليس بمعرب في الأصل ما عدا الأسماء الموصولة

وأسماء الإشارة.

وقسم ينعت به ولا ينعت وهو ما لا يستعمل من الأسماء إلا تابعًا نحو: «بسن، وليطان، ونايع» من قولهم: «حسن بسن»، و«شيطان ليطان»، و«جامع نايع»، وهي محفوظة لا يقاس عليها.

وقسم ينعت ولا ينعت به وهو العلم وما كان من الأسماء ليس بمشتق ولا في حكمه نحو: ثوب وحائط وما أشبه ذلك.

وقسم ينعت وينعت به وهو ما بقي من الأسماء.

وقال ابن هشامٍ في "تذكرته": المعارف أقسام: قسم لا ينعت بشيء وهو المضمر، وقسم ينعت بشيء واحد وهو اسم الإشارة خاصة ينعت بما فيه أل خاصة، وقسم ينعت بشيئين وهو ما فيه أل ينعت بما فيه أو بمضاف إلى ما فيه أل، وقسم ينعت بثلاثة أشياء، وهو شيئان أحدهما العلم ينعت بما فيه أل وبمضاف وبالإشارة، والثاني المضاف ينعت بمضاف مثله وبما فيه أل وبالإشارة»اهـ

(مستملحة): أنشد بعضهم في مليح نحوي وأجاد:

أضمرتُ في القلبِ هوىٰ شادِنٍ ... مشتغلٍ بالنحوِ لا يُنصِفُ
وصفتُ ما أضمرتُ يومًا له ... فقالَ لي المضمرُ لا يُوصَفُ

(تقسيم): تبعية الصفة لموصوفها في الإعراب ثلاثة أقسام: ما يتبع الموصوف على لفظه لا غير، وهو كل معرب ليس له موضع من الإعراب يخالف لفظه، وما يتبع الموصوف على محله لا غير، وهو جميع المبنيات التي

أوغلت في شبه الحرف كالإشارة وأمس والمركب من الأعداد وما لا ينصرف في الجر، وما يجوز أن يتبعه على لفظه وعلى محله وهو أربعة أنواع: اسم لا، والمنادى، وما أضيف إليه المصدر، أو اسم الفاعل.اهـ لخصت ذلك كله من "الأشباه".

(مسألة): يرد النعت مدحًا نحو: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] الآيات، وذمًّا نحو: ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾، وترحمًا نحو: «لطف الله بعباده الضعفاء»، وتوكيدًا نحو: ﴿لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ [النحل: ٥١]، وتعميمًا نحو: «إن الله يحشر الناس الأولين والآخرين»، وتفصيلًا نحو: «مررت برجلين عربي وعجمي»، وغير ذلك.

(فائدة): شرط الجمهور في النعت أن لا يكون أعرف من منعوته بل دونه أو مساويًا له نحو: «تقول: قام زيد العاقل، ورأيت زيدًا العاقل، ومررت بزيد العاقل» نعم يجوز كونه أخص منه نحو: رجل فصيح ولحان. وقال الفراء: يوصف الأعم بالأخص نحو: مررت برجل أخيك، وابن خروف: توصف كل معرفة بكل معرفة كما توصف كل نكرة بكل نكرة من غير ملاحظة تخصيص ولا تعميم، وجوز الأخفش وصف النكرة بالمعرفة إذا خصصت، وقوم عكسه مطلقًا، وابن الطراوة: إذا كان الوصف خاصًا بالموصوف. قاله في "الجمع" وشرحه.

ولما جرى ذكر التعريف والتنكير في كلام المصنف أراد أن يعرف المعرفة والنكرة اللذين يتوقف عليهما في أحكام كثيرة فقال: (والمعرفةُ خمسةُ أشياء:

الاسم المضمرُ نحو: أنا وأنت، والاسمُ العلم نحو: زيد ومكة، والاسمُ المبهمُ نحو: هذا وهذه وهؤلاء، والاسم الذي فيه الألف واللام نحو: الرجل والغلامُ، وما أضيفَ إلى واحدٍ من هذه الأربعة. والنكرة كلُّ اسمٍ شائعٍ في جنسه لا يختصُّ به واحدٌ دون آخرَ وتقريبه كلُّ ما صلح دخولُ الألفِ واللام عليه نحو: الرجلُ والفرسُ).

قلت: الكلام هنا في مقاصد:

المقصد الأول: اعلم أن النكرة والمعرفة في الأصل اسما مصدرين لنكَّرته وعرَّفته بالتشديد، ثم نقلا وسمي بهما الاسم المنكر والاسم المعرف، واختلف النحويون في تعريفهما فمنهم من لم يحدهما كابن مالك، قال في شرح "التسهيل": «حد النكرة عسر، فهي ما عدا المعرفة، ومن تعرض لحدهما عجز عن الوصول إليه دون استدراك عليه؛ لأن من الأسماء ما هو معرفة معنىً نكرة لفظًا نحو: كان ذلك عامًا أول وأول من أمس فمدلوليها معين لا شياع فيه بوجه، ولم يستعملا إلا نكرتين، وما هو نكرة معنىً معرفة لفظًا كأسامة هو في اللفظ كحمزة في منع الصرف والإضافة ودخول أل ووصفه بالمعرفة دون النكرة ومجيئه مبتدأ، وصاحب حال وهو في الشياع كأسد وما هو في استعمالهم على وجهين كواحد أمِّه وعبد بطنه فأكثر العرب هما عنده معرفة بالإضافة وبعضهم يجعلهما نكرة وينصبهما على الحال وإذا كان الأمر كذلك فأحسن ما يتبين به المعرفة ذكر أقسامها مستقصاة، ثم يقال: وما سوى ذلك نكرة». انتهى من "النكت" بلفظه.

وحدهما كثير من النحويين بحدود ليس منها حد سالم. قال ابن هشامٍ في

"القطر": النكرة ما شاع في جنس موجود كرجل، أو مقدر كشمس. وقال صاحب "البسيط": المعرفة تعيين المسمى عند الإخبار للسامع.

المقصد الثاني: مذهب سيبويه والجمهور أن النكرة أصل والمعرفة فرع عنها، والدليل على ذلك من وجوه:

الوجه الأول: أن النكرة أعم والعام قبل الخاص، لأن الخاص يتميز عن العام بأوصاف زائدة على الحقيقة المشتركة.

الوجه والثاني: أن لفظة شيء تعم الموجودات فإذا أريد بعضها خصص بالوصف أو ما قام مقامه، والموصوف سابق على الوصف.

الوجه الثالث: أن التعريف يحتاج إلى علامة لفظية وضعية.

الوجه الرابع: أن مسمى النكرة أسبق في الذهن من مسمى المعرفة بدليل طريان التعريف على التنكير.

الوجه الخامس: أنك لا تجد معرفة إلا وله اسم نكرة وتجد كثيرًا من المنكرات لا معرفة لها. وخالف الكوفيون وابن الطراوة قالوا: لأن من الأسماء ما لزم التعريف كالمضمرات وما التعريف فيه قبل التنكير كمررت بزيد وزيد آخر.

(**تنبيه**): إذا اجتمعت النكرة والمعرفة غلبت المعرفة مع أنها فرع كقولك: هذا رجل وزيد ضاحكين فينصب على الحال ولا يرفع على الصفة لأن الحال قد جاءت من النكرة دون وصف المعرفة بالنكرة، ونظيره تغليب أعرف المعرفتين على الأخرى كقولك: أنا وأنت قمنا، وأنت وزيد قمتما.اهـ، قاله في "البسيط".

المقصد الثالث: المعارف سبعة على الصحيح وهي: المضمر، والعلم،

والإشارة، والموصول، والمحلى بأل، والمضاف إلى واحد منها، والمنادى المقصود فإنه معرفة بالإشارة إليه والمواجهة كما اختاره ابن مالك في "التسهيل" ونقله في شرحه عن سيبويه، وذهب قوم إلى أنه معرفة بأل مقدرة، قال أبو حَيَّان: وهو الذي صححه أصحابنا، واختلف في العلم نحو: «يا زيد» فذهب قوم إلى أنه تعرف بالنداء بعد إزالة تعريف العلمية، والأصح أنه باق على تعريف العلمية، وإنما ازداد بالنداء وضوحًا، وزاد ابن كيسان في المعارف «من» و«ما» الاستفهاميتين، واستدل بتعريف جوابهما نحو: من عندك؟ فيقال: زيد، وما حملك على هذا؟ فيقال: لقاؤك. والجواب يطابق السؤال. والجمهور على أنهما نكرتان، وزاد قوم ألفاظ التأكيد: «أجمعون، وأجمع، وجمعًا، وجمع»، وقالوا: إنها صيغ مرتجلة وضعت لتأكيد المعارف لخلوها عن القرائن الدالة على التعريف من خارج وتقدير المعرف الخارجي بعيد. وعلى هذا فتكون أنواع المعارف ثمانية، قاله في : البسيط: .

قلت: وعلى قول ابن كيسان تكون تسعة.

المقصد الرابع: ذهب جمهور النحويين إلى أن المعارف متفاوتة، وخالف ابن حزمٍ فقال: «كلها متساوية لأن المعرفة لا تتفاضل، إذ لا يصح أن يقال: عرفت هذا أكثر من هذا».

وأجيب بأن مرادهم بأن هذا أعرف من هذا إن تطرق الاحتمال إليه أقل من تطرقه على الآخر، وعلى التفاوت فاختلف في أعرفها، فمذهب سيبويه والجمهور أن المضمر أعرفها، ورتبتها في الأعرفية كذلك عند ذكري لها، ومذهب الصميري والكوفيين، ونسب لسيبويه واختاره أبو حَيَّان أن العلم

أعرفها، قال أبو حَيَّان: لأنه جزئي وضعًا واستعمالًا وباقي المعارف كليات وضعًا جزءيات استعمالا. ومذهب ابن السراج أن اسم الإشارة أعرفها، وقيل: ذو الأداة أعرف؛ لأنه وضع لتعريفه أداة وغيره لم توضع له أداة. قال ابن مالك: أعرف المعارف ضمير المتكلم لأنه يدل على المراد بنفسه ومشاهدة مدلوله، ثم ضمير المخاطب لأنه يدل على المراد بنفسه، ثم العلم لأنه يدل على المراد ماض أو غائبًا ثم ضمير الغائب السالم عن إبهام، ثم المشار به والمنادى كلاهما في مرتبة واحدة لأن كلا منهما تعريفه بالقصد، ثم الموصول ثم ذو أل.

وقيل: ذو أل قبل الموصول وعليه ابن كيسان لوقوعه صفة له في قوله تعالى: ﴿مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾ [الأنعام: ٩١] والصفة لا تكون أعرف من الموصوف والذين ذهبوا إلى أن المضمر أعرف المعارف قالوه على الإطلاق ثم يليه العلم. ومذهب الكوفيين أن مرتبة الإشارة قبل العلم ونسب لابن السراج.

واختلف في المعرفة بالإضافة فمذهب ابن طاهر وابن خروف وابن مالك أنه في مرتبة ما أضيف إليه مطلقًا، ومذهب أهل الأندلس ونسب لسيبويه أنه في مرتبة المضاف إلا المضمر فإنه دونه في رتبة العلم، ومذهب المبرد أنه دونه مطلقًا وحكى في الإفصاح قولًا رابعًا وهو أنه دونه إلا المضاف لذي أل.

(تنبيه): محل الخلاف في الأعرفية في غير اسم الجلالة فإنه أعرف المعارف بالإجماع.

(مسألة): أعرف الأعلام أسماء الأماكن ثم أسماء الأناس ثم أسماء الأجناس، وأعرف الإشارة ما كان لقريب ثم لوسط ثم لبعيد، وأعرف ذي

الأداة ما كانت فيه للحضور ثم للعهد في شخصي ثم الجنس قاله أبو حَيَّان.

المقصد الخامس: اعلم أن النكرة قسمان:

ما شاع في جنس موجود كرجل، فإنه موضوع لما كان حيوانًا ناطقًا ذكرًا بالغًا، فكل ما وجد من هذه الجنس واحد فهذا الاسم صادق.

وما شاع في جنس مقدر كشمس فإنها موضوعة لما كان كوكبًا نهاريًا ينسخ ظهوره وجود الليل، فحقها أن تصدق على متعدد، وإنما تخلف ذلك من جهة عدم وجود أفراد له في الخارج، ولو وجدت لكان اللفظ صالحًا لها، وكذلك قمر، قاله في "التصريح".

(تنبيه): أنكر النكرات: مذكور، ثم موجود، ثم محدث، ثم جوهر، ثم جسم، ثم نامٍ، ثم حيوان، ثم إنسان، ثم رجل، ثم عالِم.

فكل واحد من هذه أعم مما تحته، وأخص مما فوقه فتقول: كل عالِم رجل، ولا عكس، وهكذا كل رجل إنسان ولا عكس إلخ. قاله الأشموني.

المقصد السادس: ذهب الجمهور إلى أن العائد إلى النكرة معرفة كسائر الضمائر، وذهب بعضهم إلى أنه نكرة؛ لأنه لا يخص من عاد إليه من بين أمته؛ ولذا دخلت عليه رب في نحو: «ربه رجلًا»، ورد بأنه يخصصه من حيث هو مذكور وذهب قوم إلى أن العائد على واجب التنكير نكرة كالحال والتمييز، بخلاف غيره كالفاعل والمفعول.

المقصد السابع: مذهب الجمهور أنه لا واسطة بين النكرة والمعرفة، وقال بها بعضهم في الخالي من التنوين واللام نحو: «ما، ومن، ومتى، وأين، وكيف». انتهى ملخصًا من "شرح الجمع" للسيوطي.

المقصد الثامن: قول المصنف: (**والمعرفةُ خمسةُ أشياء**).

قلت: بدأ رحمه الله كابن الحاجب بالمعرفة، والأَوْلىٰ أن يبتدئ بالنكرة لما تقدم من أنها الأصل.

قوله: «**خمسة أشياء**»: **قلت**: عدها خمسة مع أنها سبعة إما لأنه أدخل الموصول في قسم المبهم، كما قال ابن الدهان في "الغرة": الأسماء وتنقسم إلىٰ ثلاثة أقسام: مظهر، ومضمر، ومبهم. والمبهم هي أسماء الإشارة والموصولات. نقله في "الأشباه".

وإما لأن الموصولات تعرفت عنده بأل ظاهرة كـ«التي» أو منوية كما في «من، وما».

قوله: (**الاسم المضمر**): **قلت**: هو بضم الميم الأولىٰ وفتح الثانية مفعول من أضمرت الشيء سترته أو عزمت عليه، والاسم الضمير والجمع الضمائر، وهو عبارة البصريين، وعبارة الكوفيين الكتابة والمكنىٰ، لأنه ليس باسم صريح وهي تقابله. قال أبو نواس:

فصرِّحْ بمن تهوىٰ ودعني من الكنىٰ ... فلا خيرَ في اللذاتِ من دونِها سَتْرُ

وإطلاقه علىٰ البارز توسع، ولا نحتاج إلىٰ ذكر حد له في الاصطلاح لأن القاعدة: «ما كان محصورًا بالعد يستغني عن الحد»، كما هو اللائق بكل معدود.

فنقول والله المستعان: الضمير نوعان: متصل، ومنفصل، فالأول تسعة ألفاظ: خمسة منها لا تقع إلا مرفوعة وهي: التاء المفردة مضمومة للمتكلم ومفتوحة للمخاطب ومكسورة للمخاطبة، والنون وهي لجمع الإناث مخاطبات أو غائبات وهي مفتوحة أبدًا، والواو لجمع الذكور مخاطبين أو

غائبين، والألف للمثنى مذكرًا كان أو مؤنثًا مخاطبًا أو غائبًا والياء وهي للمخاطبة. وثلاثة منها تقع منصوبة ومجرورة وهي: الكاف للمخاطب مفتوحة وللمؤنث مكسورة، والهاء للغائب المذكر، والياء للمتكلم، يقال لها: ياء النفس. وواحد منها يقع مرفوعًا ومنصوبًا ومجرورًا وهو: نا للمتكلم ومن معه أو المعظم نفسه، وهذا القسم لا يبتدأ به كما مر في باب الابتداء، ولا يقع بعد إلا في الاختيار، أما في الضرورة فجائز كقوله:

وما نُبالي إذا ما كنتِ جارتَنا ... ألا يجاورَنا إلاكِ دَيَّارُ

وأجاز ابن الأنباري وجماعة وقوعه بعد إلا في الاختيار. والمنفصل نوعان: ما للرفع، وما للنصب، ولا يقع مجرورًا.

فالأول: «أنا، ونحن، وهو، وهي، وهما، وهم، وهن».

والثاني ما للنصب وهو: «إيا»، ويليه دليل ما يراد به من متكلم أو مخاطب أو غائب، إفرادًا وتثنية وجمعًا وتذكيرًا وتأنيثًا، فيقال: «إياي، وإيانا، وإياكَ، وإياكِ، وإياكما، وإياكم، وإياكن، وإياه، وإياها، وإياهما، وإياهم، وإياهن». ومذهب سيبويه والفارسي أن هذه اللواحق حروف تبين الحال كاللاحقة في أنت وفروعه.

قال أبو حَيَّان: وهو الذي صححه أصحابنا وشيوخنا، ومذهب الخليل والمازني واختاره ابن مالك أنها أسماء مضمرة أضيف إليها الضمير الذي هو «إيا»، وهو مردود بما يعلم من مراجعة "الهمع".

(تنبيه): المجمع على كونه ضميرًا ستة ألفاظ: «التاء، والكاف، والهاء، وياء المتكلم، وأنا، ونحن». وفي ما عداها خلاف.

ثم اعلم أن الضمير ينقسم أيضًا إلى قسمين: بارز، ومستتر؛ فالبارز ما له صورة في اللفظ، وينقسم إلى متصل ومنفصل، وتقدم الكلام عليه بقسميه آنفًا.

والمستتر قسمان: واجب الاستتار وجائزه، والمراد بالواجب ما لا يخلفه ظاهر، وهو المرفوع بفعل الأمر المسند للمذكر كاضرب والمضارع المفتتح بهمزة المتكلم كأضرب، أو النون للمتكلم أو المعظم نفسه كنضرب، أو المخاطب كتضرب واسم فعل الأمر كصه ونزال واسم فعل المضارع كأوه وأف والتعجب كما أحسن زيدًا، والتفضيل كزيد أفضل من عمرو، وأفعال الاستثناء كقاموا ما خلا زيدًا وما عدا عمرًا ولا يكون خالدًا، وجائز الاستتار وهو الذي يخلفه ظاهر وهو المرفوع بالماضي كضرب وضربت واسمه كهيهات والمضارع الغائب كيضرب وتضرب هند والوصف كضارب ومضروب والظرف كزيد عندك أو في الدار.

(تنبيه): الغرض من وضع الضمائر الاختصار لأنه جل مقصود العرب، وعليه مبنى أكثر كلامهم، وهي أخصر من الظواهر، خصوصًا ضمير الغيبة فإنه يقوم مقام أسماء كثيرة. وقد قام في قوله تعالى: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً﴾ [الأحزاب: ٣٥] مقام عشرين ظاهرًا، ولذا لا يعدل إلى المنفصل مع إمكان المتصل، انتهى من "الأشباه" بمعناه.

«فرع»: قال ابن مالك في "الخلاصة":

وفي اختيارٍ لا يجيءُ المُنفَصِل ... إذا تأتَّى أن يجيء المتصل

وصِلْ أو افصِلْ هاء سلنيهِ وما ... أشبهَهُ في كنته الخلفُ انتمى

كذاك خلتَنِيه واتِّصالا ... أختارُ غيري اختار الانفصالا

وقـــدِّم الأخـــصَّ في اتصـــالِ وقـدِّمنْ مـا شـئتَ في انفصـالِ
وفي اتِّحـاد الرتبـةِ الـزَم فَصْـلا وقـد يبـيحُ الغيـبُ فيـه وَصْـلا

زاد في "الكافية": مع اختلاف ما قيدا للشطر الأخير.

وقوله: «**والاسم العلم نحو: زيد ومكة**». **قلت**: العَلَم -بفتحتين- العلامة والمنار والجبل، قالت الخنساء:

وإن صـخرًا لتـأتمُّ الهـداةُ بِـهِ كأنَّـه عَلَـمٌ في رأسِـه نَـارُ

وفي الحديث: «**لينزلنَّ إلى جنب عَلَمٍ**». وجمعه أعلام.

واصطلاحًا نوعان: شخصي وهو المراد هنا، وعرفوه بأنه ما عين مسماه تعيينا مطلقًا من غير قيد زائد عليه بل بمجرد الوضع أو الغلبة، فخرج بالتعيين النكرات فإنها لا تعين مسمياتها، وبالإطلاق ما عداه من المعارف فإن تعيينها لمسمياتها تعيين مقيد، ألا ترى أن ذا الألف واللام إنما يعين مسماه ما دامت فيه «أل» فإذا فارقته فارقه التعريف، والذي إنما يعين مسماه بالصلة، وكذا الباقي من المعارف.

فإن قلت: من النكرات ما يعين مسماه كشمس وقمر؟

قلت: هذان اللفظان لم يعينا مدلولهما من حيث الوضع، وإنما حصل التعيين بعد الوضع لأمر عرض في المسمى وهو الانفراد في الوجود الخارجي.اهـ

وينقسم إلى قسمين: مرتجل ومنقول.

فالمرتجل: ما لم يسبق له استعمال قبل العلمية في غيرها كسعاد وأدد، وهو قسمان: قياسي وشاذ.

فالقياسي: ما له نظير في أبنية الأسماء نحو: غطفان وحمدان وعمران وفقعس وحنتف، فإن نظيرها نزوان وسرحان وندمان وجعفر وعنبس.

والشاذ: ما لا نظير له نحو: محبب وموهب وموظب ومكوزة وحيوة.

والمنقول: ما سبق له استعمال قبل العلمية في غيرها. والنقل إما من صفة كحارث، أو من مصدر كفضل، أو من اسم جنس كأسد، وهذه تكون معربة أو من فعل ماض كـ«شمر»، أو مضارع كـ«يشكر»، أو من جملة فعلية كـ«قام زيد»، أو اسمية كـ«زيد قائم».

(**تنبيه**): لم يسمع من العرب النقل من الجملة الاسمية، لكنَّ النحويون قاسوه على ما سمع من النقل من الجملة الفعلية، وجعلوه قسيمًا له على تقدير التسمية بها. انتهى ملخصًا من "التصريح" وغيره.

زاد أبو حَيَّان قسمًا لا منقولا ولا مرتجلًا وهو الذي علميته بالغلبة فهو واسطة بين المنقول والمرتجل. قال السيوطي في "الهمع": «وهذا رأى الأكثرين».اهـ

(**مُهِمَّة**): ذهب سيبويه إلى أن الأعلام كلها منقولة؛ لأن الأصل في الأسماء التنكير، وذهب الزجاج إلى أنها كلها مرتجلة لأن الأصل عدم النقل، وما وافق وصفًا أو غيره فهو اتفاقي لا مقصود، قاله في "التصريح".

(**تقسيم**): العَلَم ثلاثة أنواع: مفرد كـ«زيد»، وإسنادي كـ«شاب قرناها»، ومزجي كـ«بعلبك، وسيبويه»، وإضافي كـ«عبد الله، وأبي بكر».

(**تقسيم آخر**): العلم ثلاث أنواع: اسم، وكنية، ولقب، فالأول كعبد الرحمن. والثاني ما صدر بأب كأبي بكر، أو أم كأم كلثوم، زاد الرضي أو بابن أو

بنت كابن آوىٰ وبنت وردان. والثالث: ما اشعر بمدح المسمىٰ كزين العابدين، أو ذمه كأنف الناقة، وأنكر بعضهم استعماله في المدح. فإذا كان مع الاسم فالغالب أن يتأخر، ولا ترتيب بين الكنية وغيرها.

(تنبيهات):

الأول: مكة هي البلدة المعروفة وهي أفضل البقاع بعد المدينة خلافًا للشافعية، قيل: ومأخذ الاسم من تمككت العظم، أي: اجتذبت ما فيه من المخ، فكأنها تجتذب إلىٰ نفسها ما في البلاد من الأقوات، وقيل: لأنها تمك الذنوب أي: تذهبها، وقيل: لقلة مائها. ومن أسمائها بكة، فقيل: الباء أصل، ومأخذه من البك؛ لأنها تبك أعناق الجبابرة أي: تكسرهم فيذلون لها، وقيل التباك وهو الازدحام لازدحام الناس فيها في الطواف، وقيل: مكة البلد، وبكة البيت وموضع الطواف، وقيل: البيت خاصة، وقيل: مكة الحرم وبكة المسجد خاصة.اهـ من "الاتفاق". وهي غير منصرفة للعلمية والتأنيث.

الثاني: ليس في القرآن من الكنىٰ غير أبي لهب، واسمه عبد العزىٰ؛ ولذلك لم يذكر باسمه لأنه حرام شرعًا، وقيل لإشارة إلىٰ أنه جهنمي. وأما الألقاب فمنها إسرائيل لقب يعقوب، وإلياس لقب إدريس، وذو الكفل لقب اليسع، وتبع لقب أسعد، من ملوك اليمن. انتهىٰ من "الإتقان".

الثالث: قال في "البسيط": يطلق لفظ العلم علىٰ الشيء وضده كإطلاق زيد علىٰ الأبيض والأسود، ويجوز نقله من لفظ إلىٰ لفظ، كنقل اسم ولدك من جعفر إلىٰ محمد؛ لكونه لم يوضع لمعنىٰ في المسمىٰ، بدليل تسمية القبيح بحسن

والجبان بأسد؛ بخلاف أسماء الأجناس فإنها وضعت لمعنى عام، فيلزم من نقلها تغيير اللغة، كنقل رجل إلى فرس أو جمل بخلاف نقل العلم. انتهى من "الأشباه والنظائر".

النوع الثاني من أنواع العلم: العلم الجنسي، قال ابن هشامٍ: هو اسم يعين مسماه بغير قيد تعيين ذي الأداة الجنسية أو الحضورية وبهذا يفارق العلم الشخصي، تقول: أسامة أجرأ من ثعالة فيكون بمنزلة قولك: الأسد أجرأ من الثعلب و«أل» في هذين للجنس. وتقول: هذا أسامة مقبلًا، فيكون بمنزلة قولك: هذا الأسد مقبلًا، و«أل» في هذا لتعريف الحضور.اهـ

قال الأزهري: «فإن قلت: كيف تقول هذا الأسد مشيرًا إلى واحد بعينه وأنت تعني الجنس؟ فالجواب: أن أصل الاسم الوضع على جملة الجنس، فإذا أشرت إليه فإنما تعني به ذلك الفرد من حيث هو معلوم الأشباه لا أسدًا بعينه».اهـ

(تنبيه): هذا العَلَم يشبه العَلَم الشخصي من جهة الأحكام اللفظية، كامتناعه من دخول «أل» ومن الإضافة ومن الصرف إذا كانت فيه علة زائدة على العلمية، وكإتيان الحال منه والابتداء به ويشبه النكرة من جهة المعنى لأنه شائع في إفراده لا يختص به واحد دون آخر كالنكرة. واسم الجنس هو ما وضع للماهية من حيث هي، أي: من غير أن تعين في الخارج والذهن، قاله السيوطي.

(مُهِمَّة): قال في "البسيط": «الفرق بين علم الجنس واسمه بأمور:

أحدها: امتناع دخول اللام على أحدهما وجوازه في الآخر، ولذلك كان «ابن لبون» و«ابن مخاض» اسمي جنس لدخول اللام عليهما ولم يكن «ابن عرس» اسم جنس لامتناع «ابن العرس».

الثاني: امتناع الصرف يدل على العلمية.

الثالث: نصب الحال عنها على الأغلب.

الرابع: نص أهل اللغة على ذلك».اهـ

(تنبيه): ينقسم العلم الجنسي باعتبار ذاته إلى اسم وكنية ولقب، كالشخصي وباعتبار مدلوله إلى أعيان لا تؤلف، وهو الغالب فيه كالسباع والحشرات، وإلى أعيان تؤلف كهيان بن بيان للمجهول العين والنسب، وإلى أمور معنوية كسبحان للتسبيح.

قوله: «**والاسمُ المبهمُ نحو: هذا وهذهِ وهؤلاءِ**». **قلت**: الاسم المبهم هو اسم الإشارة، وهو محصور بالعد فاستغنى عن الحد فيشار للمفرد المذكر بذا.

قال في "الهمع": «اختلف البصريون في ألف «ذا» بعد اتفاقهم على أنها منقلبة عن أصل، فقال بعضهم: إنها منقلبة عن ياء لقولهم في التصغير: «ذيا» ولإمالتها، فالعين واللام المحذوفة ياءان. وهو ثلاثي الوضع في الأصل، وقال بعضهم: عن واو، وقال الكوفيون ووافقهم السهيلي: هي زائدة لسقوطها في التثنية. ورد بأنه ليس في الأسماء الظاهرة القائمة بنفسها ما هو على حرف واحد، وأما حذفها في التثنية فلالتقاء الساكن. واختلف أيضًا في وزنها، فالأصح أنه فعل بتحريك العين لأن الانقلاب عن المتحرك أولى، وقيل: فعل بسكونها لأنها الأصل».اهـ

(فائدة): قد يشار إلى المفرد المذكر بـ«ذاء» بهمزة مكسورة بعد الألف، و«ذائه» بهاء مكسورة بعد همزة مكسورة، و«ذاؤه» بهمزة وهاء مضمومتين ويشار للمفرد المؤنث بعشرة ألفاظ وهي: «ذي، وتي، وذِهِ، وتِهِ، وذهي، وتهي، وذِهْ، وتِهْ بإسكان الهاء، وذات بضم التاء، وتا، والإشارة من ذات ذا، والتاء للتأنيث».

(تنبيه): إذا كان المشار إليه بعيدًا لحقته كاف حرفية تتصرف تصرف الكاف الاسمية غالبًا، فتفتح للمخاطب وتكسر للمخاطبة وتلحقها علامة التثنية والجمعين، ومن غير الغالب أن تفتح في التذكير وتكسر في التأنيث ولا تلحقها علامة تثنية ولا جمع، ودون هذا أن تفتح مطلقًا ولا تلحقها علامة تثنية ولا جمع، وتزاد اللام جوازًا قبل الكاف إلا في التثنية مطلقًا، وفي الجمع في لغة من مده وهم الحجازيون، وفي لغة بعض من قصره وهم التميميون وفيها سبقته «ها» التنبيه، وبنو تميم لا يأتون باللام مطلقًا، حكاه الفراء عنهم.

(تنبيه): قال في "الهمع": «تزاد -يعني في الإشارة للمؤنث- «تِيك» بكسر التاء، و«تَيك» بفتحها، و«ذيك»، وأنكرها ثعلب، و«تِلك» بكسر التاء، و«تَلك» بفتحها، حكاهما هشام، و«تِيلِك» بكسر اللام والتاء، و«تَالِك» بكسر اللام، حكاهما الفراء».اهـ

ويشار للمثنى المذكر بـ«ذان»، والمؤنث بـ«تان»، وحكمهما كالمثنى في رفعهما بالألف ونصبهما وجرهما بالياء، وتلحقهما الكاف في البعد فيقال: «ذانك» في الرفع، و«ذينك» في النصب والجر. وقد يقال فيهما: «ذانيك، وذينيك، وتانيك، وتينيك» وذلك على لغة من شدد النون بإبدال إحدى

النونين ياء.اهـ

ويشار لجمع المذكر والمؤنث معًا بـ«أولاء» بالمد في لغة أهل الحجاز، و«ألاك» بالتشديد، و«أولئك» و«أولالك» بالقصر عند أهل نجد وقيس وربيعة وأسد، والأكثر مجيء هذا الجمع للعقلاء ومن غير الأكثر مجيئه لغيرهم كقول جرير:

ذُمَّ المنازلَ بعد منزلةِ اللِّوىٰ والعيشَ بعد أولائِك الأيامِ

(مسألة): تصحب هاء التنبيه المجرد من الكاف كثيرًا نحو: «هذا» و«هذه»، والمقترن بالكاف دون اللام قليلًا كقوله: «ولا أهلُ هذاك الطِّرافِ الممدَّدِ». ولا تدخل مع اللام البتة، قال في "الهمع": «علله ابن مالك بأن العرب كرهت كثرة الزوائد. وقال غيره: الهاء تنبيه واللام تنبيه فلا يجتمعان».اهـ

(مسألة): قال في "الهمع": «تفصل هاء التنبيه من الإشارة بأنا وأخواته من ضمائر الرفع المنفصلة كثيرًا نحو: «ها أنا ذا»، و«ها نحن أولاء» قال تعالىٰ: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ﴾ [آل عمران: ١١٩] وبغير الضمائر المذكورة قليلًا كقوله: تعلمنها لعمر الله ذا قسمًا.اهـ

(تنبيهات):

الأول: يشار للمكان القريب بـ«هنا» الملازمة للظرفية، وتجر بـ«من، وإلىٰ»، وبها هنا مقرونة بها التنبيه. قال في "الجمع": «ويقال: هنه». وللبعيد: بـ«هناك أو هنالك». قال في "الجمع": «وقد يشار بهناك وهنالك وهنا للزمان، وقال الفضل: هناك للمكان وهنالك للزمان».اهـ

ويشار أيضًا للمكان البعيد بـ«هنا» بفتح الهاء وتشديد النون قال في "الجمع": «ويقال في هنا المشددة هنت مشددًا ساكن التاء، وبهنا بكسر الهاء وتشديد النون، وكسر الهاء أردأ من فتحها، قاله السيرافي. قال الأزهري: وأصلهما هنن بثلاث نونات أبدلت الثالثة ألفًا لكثرة الاستعمال».اهـ

ويشار للمكان البعيد أيضًا بـ«ثَمَّ» بفتح الثاء المثلثة وتشديد الميم قال الأزهري: «وبنيت على الفتح للتخفيف ولم تكسر على أصل التقاء الساكنين لاستثقال الكسرة مع التضعيف».اهـ، قال في "الجمع": «ويقال فيها ثمة وقفًا».اهـ

الثاني: قال في "الهمع": «لا خلاف أن المجرد من الكاف واللام للقريب ثم اختلف فقيل: ما فيه كاف وحدها أو مع اللام كلاهما للبعيد وليس للإشارة سوى مرتبتين وهذا ما صححه ابن مالك، ونسبه الصفار إلى سيبويه، وذهب أكثر النحويين إلى أن الإشارة ثلاث مراتب: قربى ولها المجرد، ووسطى ولها ذو الكاف، وبعدى ولها ذو الكاف واللام، وصححه ابن الحاجب. واختلف على هذا في مرتبة «أولائك» بالمد فقيل: «هؤلاء» وسطى كـ«أولاك» وقيل: للبعدى كـ«أؤلالك»، والمثنى توسطه بتخفيف النون، وبعده بتشديدها، أو الياء المبدلة عنه جوازًا مع الألف، ولزومًا مع الياء عند البصريين لمنعهم التشديد معها. قاله أبو حَيَّان».اهـ

الثالث: إنما بنيت أسماء الإشارة لشبهها بالحروف، قاله ابن معطٍ في "الفصول". قال ابن باز في شرحه: «وتعليله البناء بشبهها بالحروف غريب لم أر أحدًا ذكره غيره».اهـ

(تنبيه): لم يذكر المصنف الموصول كما قدمنا، ونذكره تتميمًا للفائدة فنقول: الموصول قسمان: حرفي وهو كل حرف أول مع صلته بمصدر ولم يحتج لعائد، وهو خمسة: «أنَّ» المفتوحة الهمزة المشددة النون، وتوصل بجملة اسمية، وتؤول مع معموليها بمصدر، فإن كان خبرها مشتقًا فالمصدر المؤول من لفظه وإن كان جامدًا أول بالكون، وإن كان ظرفًا أو مجرورًا أول بالاستقرار، وحكم المخففة من الثقيلة حكم المشددة في ذلك، وأن الناصبة للمضارع، وتوصل بفعل متصرف ماضيًا كان أو مضارعًا أو أمرًا على الأصح، و«ما» المصدرية وتوصل بفعل متصرف غير أمر وبجملة اسمية لم تصدر بحرف، قاله ابن هشامٍ، و«كي» المصدرية وتوصل بمضارع مقرونة بلام التعليل لفظًا أو تقديرًا، و«لو» المصدرية، وتوصل بفعل متصرف غير أمر، زاد يونس فيما حكاه عنه الفارسي «الذي» وجعل منه ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُۥ﴾ [الشورى: ٢٣] وقال في "الهمع": ذهب يونس والفراء وابن مالك إلى أن الذي قد يقع موصولًا حرفيًّا، وخرجوا عليه ﴿وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟﴾ [التوبة: ٦٩] أي: كخوضه، والجمهور منعوا ذلك، وأولوا الآية: أي كالجمع الذي خاضوا.اهـ

وإسميًّا، وهو المراد هنا، وإنما ذكر الحرفي استطرادًا، فمنه الذي للمذكر عاقلًا كان أو غيره، و التي للمؤنث كذلك وفيهما لغات: إثبات الياء ساكنة وهو الأصل، وتشديدها مكسورة، وتشديدها مضمومة، وحذفها، وإسكان ما قبلها، وحذفها وكسر ما قبلها، ولتثنيتهما اللذان واللتان رفعًا، واللذين واللتين جرًا ونصبًا، ولجمع المذكر الذين في الأحوال الثلاث، ويختص بالعاقل، ويرفع بالواو في لغة عقيل وهذيل كقوله:

نحنُ الَّذون صبَّحُوا الصَّباحَا يَوم النُّخَيْلِ غارةً مِلْحاحَا

والألى بوزن العلى، والمشهور وقوعها بمعنى الذين، فتكون للعقلاء المذكرين، وقد تقع للمؤنث وما لا يعقل، وقد تمد، واللاء كالذين واللائين، وتعرب في لغة كالذين، ولجمع المؤنث اللائي واللاتي واللاواتي، وبلا ياءات مع كسر ما قبلها وسكونه، واللا واللوا بقصرهما، واللاءات بالبناء على الكسر. وبالإعراب كجمع المؤنث السالم، وذوات بالبناء على الضم في لغة طيء، وبالإعراب كجمع المؤنث السالم وحذف «أل» من «الذي، والتي، واللذان، واللتان، والذين، واللاتي»، لغة حكاها ابن مالك. انتهى ملخصًا من "الهمع".

ومن الموصولات: من وما وذو الطائية وقد تعرب، وذات لمؤنث وذا غير ملغاة وماذ مجرد عن الاستفهام وأل وأي وهي بمعنى الذي وفروعه، وتستعمل للواحد والمثنى والجمع مذكرًا ومؤنثًا بلفظ واحد، إلا ذو وذات فإنهما يثنيان ويجمعان كما حكى بعضهم.

(فائدة): تفتقر كل الموصولات الاسمية إلى صلة متأخرة عنها لزومًا مشتملة على عائد مطابق للموصول.

(فائدة): قال ابن يعيش: أكثر النحويين سمى صلة الموصول صلة، وسيبويه يسميها حشوًا، أي: أنها ليست أصلًا وإنما هي زيادة يتم بها الاسم ويوضح معناه.

(فائدة أجنبية): قال الأندلسي: الصلة يقال بالاشتراك عندهم على ثلاثة أشياء: صلة الموصول، وهذا الحرف صلة أي: زائد، وحرف الجر صلة أي:

وصلة.

(مُهِمَّة): ذهب قوم إلى أن تعريف الموصولات بـ«أل» ظاهرة في «الذي» و«التي» وتثنيتهما وجمعهما، ومنوية في «من» و«ما» ونحوهما؛ والصحيح أن تعريف الجميع بالصلة. قاله في "الأشباه".

قوله: (**والاسمُ الذي فيه الألفُ واللامُ نحو: الرجلُ والغلامُ**).

قلت: تقدم الكلام على «أل» صدر الكتاب فراجعه هناك، وذكر المبرد في "الشافي": «أن حرف التعريف الهمزة المفتوحة وحدها وضم إليها اللام لئلا يشتبه التعريف بالاستفهام».اهـ وتبدل لامها ميمًا في لغة طيئ وحمير، ومنه الحديث: «**ليس من امبر امصيام في امسفر**» أخرجه أحمد عن كعب بن عاصم الأشعري بهذا اللفظ. قال الحافظ ابن حجر في "التلخيص" عقب تخريجه: «وهذه لغة لبعض أهل اليمن. ويحتمل أن يكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم خاطب بها هذا الأشعري كذلك لأنها لغته، ويحتمل أن يكون الأشعري هذا نطق بها على ما ألف من لغته، فحملها عنه الراوي، وأداها باللفظ الذي سمعها به».

(فرع): قال ابن مالك:

وقدْ تزادُ لازمًا كاللات ... والآنَ والذين ثم اللاتِ

ولاضطرارٍ كبناتِ الأَوْبَرِ ... وطبتَ النفسَ يا قيسُ السَّري

وبعض الأعلامِ عليه دخلا ... للَمْحِ ما قد كانَ عنه نُقِلَا

كالفضلِ والحارِثِ والنُّعمان ... فذكرُ ذا وحذفُه سِيَّانِ

قوله: «**وما أضيفَ إلى واحدٍ من هذهِ الأربعةِ**» نحو: غلامك وغلام زيد وغلام هذا وغلام الذي قام إلخ..... وتقدم الكلام عليه مستوفىٰ في محله. قوله: «**والنكرةُ كلُّ اسمٍ شائعٍ لا يختصُّ به واحدٌ دون آخرَ**». تقدَّم الكلام عليه.

قوله: «**وتقريبه**» للمبتدئ «**كل ما صلح**» بفتح اللام وضمها لغتان «**دخول الألف واللام عليه**» أو يقع موقع ما يصلح دخولها عليه. قال ابن مالك:

نكـــرةٌ قابـــلُ أَلْ مُـــوثِّرا أو واقـعٌ موقـعَ مـا قَـدْ ذُكِـرَا

يعني: أن النكرة هي الاسم الذي يصلح دخول «أل» عليه، كان من حقه أن يزيد وتؤثر التعريف احترازًا من التي لا تؤثر، كعباس علمًا، فوجودها فيه وعدمها سواء، و التي تؤثر فيه التعريف «**نحو**»: رجل وفرس نكرتين فيقال في تعريفهما: «**الرجل والفرس**» والذي يقع موقع ما يقبلها نحو: ذي، فإنه لا يقبلها لكنه واقع موقع صاحب، وهو يقبلها نحو: الصاحب.

(**فائدة**): قال الفيومي: «الفرس يقع علىٰ الذكر والأنثىٰ، فيقال: هو الفرس وهي الفرس، وتصغير الذكر فريس، والأنثىٰ فريسة، علىٰ القياس وجمعت الفرس علىٰ غير لفظها، فقيل: خيل، وعلىٰ لفظها فقيل: ثلاثة أفراس بالهاء للذكور وثلاث أفراس بحذفها للإناث».اهـ

قال في "القاموس": «ويجمع علىٰ الفروس».

(باب العطف)

وهو في اللغة مصدر عطفت الشيء ثنيته أو أملته، وعطف الفارس على قرنه إذا التفت إليه، وعطفت الناقة على ولدها حنت إليه، وعطفته عن حاجته صرفته عنها.

وفي الاصطلاح قسمان: عطف بيان ولم يذكره المصنف، ولعله تبع الكوفيين فإنهم لا يترجمون له كما قاله الأعلم، وهو التابع المشبه للصفة في إيضاح متبوعه وتخصيصه فخرج بالمشبه للصفة النعت؛ لأن المشبه بالشيء غير ذلك الشيء، فكأنه قال: تابع غير صفة. وخرج بذكر الإيضاح والتخصيص التوكيد والنسق والبدل. انتهى من "التصريح".

قلت: والذي يظهر لي أنه لا بد من زيادة قيد في التعريف كما فعل ابن عقيل وغيره، وهو أن يقال: التابع الجامد... إلخ؛ ليكون نصًّا في إخراج الصفة؛ لأنها مشتقة أو مؤولة به. والله أعلم.

أما توضيحه المعرفة فمتفق عليه عند البصريين والكوفيين كقوله:

أقسَمَ باللهِ أبو حفْصِ عُمرْ ... ما مسَّها من نَقَبٍ ولا دَبَرْ

وأما تخصيصه النكرة، فأثبته الكوفيون وجماعة من البصريين منهم الفارسي وابن جني وجماعة من المتأخرين منهم ابن عصفور وابن مالك وولده، وأنكره جمهور البصريين وخصوه بالمعارف، محتجين بأن البيان بيان كاسمه، والنكرة مجهولة والمجهول لا يبين. ودفع بأن بعض النكرات قد يكون أخص من بعض، والأخص يبين غير الأخص.

(تنبيه): لا يجوز التخالف بين عطف البيان ومتبوعه اتفاقًا.

(فائدة): عطف البيان يوافق متبوعه في أربعة من عشرة أوجه كالنعت.

(فرع): كل ما جاز أن يعرب عطف بيان جاز أن يعرب بدلًا إلا فيما أشار إليه ابن مالك في غير نحو: يا غلام يعمرا، ونحو:

بِشْرٍ تابعِ البكريِّ وليس أن يُبْدَل بالمرضِيِّ

فيتعين كونه عطف بيان، وقوله: «وليس أن يبدل بالمرضى» يشير به إلى ما ذهب إليه الفراء من جواز البدلية في نحو قول المرار الأسدي:

أنا ابنُ التاركِ البكريِّ بشرٍ عليه الطيرُ ترقبُهُ وُقُوعَا

وليس بمرضى عند الجمهور كما قال.

(فائدة): عطف البيان لا يكون إلا بعده مشترك كما قاله الأعلم.

(فائدة): الكوفيون يسمون عطف البيان بالترجمة.

والقسم الثاني عطف النسق وهو المراد من هذا الباب، والنسق بفتح السين اسم مصدر نسقت الكلام أنسقه نسقًا أتيت به متتابعًا.

قال الأزهري: «وكثيرًا ما يسميه سيبويه باب الشركة».اهـ

قلت: وبهذا يسميه البصريون أيضًا، وأما عطف النسق فاصطلاح الكوفيين، قال أبو حَيَّان: «ولكونه بأدوات محصورة لا يحتاج إلى حده، ومن حده كابن مالك بكونه تابعًا بأحد حروف العطف لم يصب مع ما فيه من الدور لتوقف معرفة المعطوف على حرفه ومعرفة الحرف على العطف». انتهى من "الهمع".

قلت: ولهذا لم يجد المصنف العطف، واستغنى عن حده بذكر حروفه فقال: (وحروفُ العطفِ عشرةٌ) وفاقًا وخلافًا (وهي: الواو) أم الباب

وأصلها؛ ولهذا انفردت عن سائر حروف العطف بأحكام:

أحدها: احتمال معطوفها للمعية والتقدم والتأخر.

الثاني: اقترانها بإما نحو: ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣].

الثالث: اقترانها بلا إن سبقت بنفي ولم يقصد المعية نحو: «ما قائم زيد ولا عمرو»، ليفيد أن الفعل منفي عنهما في حالتي الاجتماع والافتراق وإذا فقد أحد الشرطين امتنع دخولها.

الرابع: اقترانها بـ«لكن» نحو: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

الخامس: عطف المفرد السببي على الأجنبي عند الاحتياج إلى الربط كـ«مررت برجل»، «قام زيد وأخوه».

السادس: عطف العقد على النيف نحو: أحد وعشرين.

السابع: عطف الصفات المفرقة مع اجتماع منعوتها نحو: على أربعين مسلوب وبال

الثامن: عطف ما حقه التثنية والجمع نحو: «فقدان مثل محمد ومحمد».

التاسع: عطف ما لا يستغني عنه كـ«اختصم زيد وعمرو»، و«جلست بين زيد وعمرو».

العاشر والحادي عشر: عطف العام على الخاص وبالعكس نحو: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [نوح: ٢٨].

﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨] ويشاركها في هذا الحكم الأخير «حتى»، كـ«مات الناس حتى الأنبياء» فإنها عاطفة خاصًّا على

عام.

الثاني عشر: عطف عامل حذف وبقي معموله على عامل آخر، يجمعهما معنى واحد نحو: «وزجَّجْنَ الحواجبَ والعيونا» أي وكحلن العيون، والجامع بينهما التحسين.

الثالث عشر: عطف الشيء على مرادفه، نحو: «وألفي قولها كذبا ومينا».

الرابع عشر: عطف المقدم على متبوعه للضرورة كقوله: «عليكِ ورحمةُ الله السلامُ»

الخامس عشر: عطف المخفوض على الجوار نحو: ﴿وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾ [المائدة: ٦].

السادس عشر: ذكر أبو علي الفارسي أن عطف الجملة الاسمية على الفعلية وبالعكس يجوز بالواو فقط دون الحروف، نقله عنه ابن جني في "سر الصناعة".اهـ

ومن "شرح الجمل" للأعلم: «أصل حروف العطف الواو؛ لأن الواو لا تدل على أكثر من الجمع والتشريك، وأما غيرها فيدل على الاشتراك وعلى معنى زائد، كالترتيب والمهلة والشك والإضراب والاستدراك والنفي؛ فصارت بمنزلة الشيء المفرد، وباقي الحروف بمنزلة المركب، والمفرد أصل المركب». انتهى من "الأشباه" بلفظه.

وقال ابن هشامٍ في "تذكرته": «ليس في التابع ما يتقدم على متبوعه إلا المعطوف بالواو لأنها لا ترتب».اهـ

قال الأبذي في "شرح الجزولية": «لا يجوز عطف الضمير المنفصل على الظاهر بالواو، ويجوز فيما عدا ذلك».اهـ

قال ابن الصائغ: وأورد شيخنا شهاب الدين عبد اللطيف على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [النساء: ١٣١]، وقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ [الممتحنة: ١].

قال ابن الصائغ: وعندي أنه ينبغي أن ينظر في علة منع ذلك حتى يتلخص هل هذا داخل تحت منعه فلا يلتفت إليه، أو ليس بداخل فيدور الحكم مع العلة، والذي يظهر من التعليل أن الواو لما كانت لمطلق الجمع فكان المعطوف مباشرًا بالعمل، ولا يجوز العمل في الضمير وهو منفصل مع إمكان اتصاله، أما في غير الواو فليس الأمر معها كذلك كقولك: «زيد قام عمرو ثم هو»، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى﴾ [سبأ: ٢٤]. فنجيء إلى الآيتين فنجد المكانين مكان ثم لأن المقصود في الآية الأولى ترتبها على الزمان الوجودي، مع إرادة كون المخاطب له أسوة بمن مضى، وكذلك في الآية الثانية المقصود ترتيب المتعاطفين من جهة شرفهما والبداءة بما هو أشنع في الرد على فاعل ذلك، وإذا تلخص ذلك لم يكن فيهما رد على الأبذي. ويحمل المنع على ما إذا لم يقصد بتقديم أحد المتعاطفين معنى وهذا تأويل حسن لكلامه، موافق للصناعة وقواعدها. انتهى كلامه ملخصًا من "الأشباه".

قال المؤلف: (والفاء) للترتيب مع التشريك، وهو معنوي كقام زيد فعمرو، وذكري وهو عطف مفصل على مجمل نحو: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ

رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى ﴾ [هود: ٤٥] وأنكر الترتيب الفراء مطلقًا.

قال في "المغني": «وهذا مع قوله: إن الواو تفيد الترتيب غريب».اهـ واحتج بقوله تعالى: ﴿أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا﴾ [الأعراف: ٤] ومجيء البأس سابق للإهلاك، وأجيب بأن المعنى أردنا إهلاكها، أو بأنها للترتيب الذكري، وأنكر الجرمي إفادتها الترتيب في البقاع والمطر، واحتج بقول امريء القيس:

قِفَا نَبْكِ مِن ذِكْرَى حَبيبٍ ومَنْزِلِ بسَقْطِ اللِّوى بينَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

وقولهم: «مطرنا مكان كذا فمكان كذا». وإن كان وقوع المطر فيهما في وقت واحد.

والتعقيب في كل شيء بحسبه نحو: «جاء زيد فعمرو»، أي: عقبه بلا مهلة، و«تزوج فلان فولد له»، إذا لم يكن بينهما إلا مدة الحمل، ومنه قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ [الحج: ٦٣].

قال ابن هشامٍ: قيل: الفاء في هذه الآية للسببية وفاء السببية لا تستلزم التعقيب بدليل صحة قولك: «إن يسلم فهو الجنة»، ومعلوم ما بينهما من المهلة، وقيل: الفاء تقع تارة بمعنى «ثم» ومنه الآية، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا﴾ [المؤمنون: ١٤] فالفاءات في «فخلقنا العلقة» وما بعدها بمعنى ثم لتراخي معطوفاتها.

وتارة بمعنى الواو كقوله: «بين الدخول فحومل».

وزعم الأصمعي أن الصواب روايته بالواو ولأنه لا يجوز «جلست بين

زيد فعمرو»، وأجيب بأن التقدير بين مواضع «الدخول» فمواضع «حومل»، كما يجوز جلست بين العلماء فالزهاد.اهـ وللسببية غالبًا في عطف جملة أو صفة نحو: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٣٧]، ﴿لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ۝٥٢ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ۝٥٣ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ﴾ [الواقعة: ٥٢ - ٥٤] وقد تأتي في ذلك لمجرد الترتيب نحو: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾ [ق: ٢٢].

(تنبيه): تختص الفاء بعطف مفصَّل على مجمل كما تقدم في الأمثلة آنفًا، وبعطف جملة شرطها العائد وخلت منه صفة أو صلة أو خبرًا أو حالًا لما فيها من الربط نحو «اللذان يقومان فيغضب زيد أخواك»، «خالد يقوم فيقعد عمرو»، و«مررت برجل يبكي فيضحك عمرو»، و«عهدت زيدًا يغضب فيطير الذباب»، قال ابن هشامٍ: «يجب أن يدعى أن الفاء في ذلك كله قد أخلصت لمعنى السببية وأخرجت عن العطف كما أن الفاء كذلك في جواب الشرط».اهـ

(فائدة): قيل: ترد الفاء للغاية بمعنى إلى، وجعل منه بعض البغداديين قوله: «بين الدخول فحومل» على أن الأصل: «ما بين» فحذف «ما» دون «بين»، كما عكس ذلك من قال: «يا أحسن الناس ما قرنا إلى قدم» أصله: «ما بين قرن» فحذف «بين» وأقام «قرنا» مقامها، و«الفاء» نائبة عن «إلى».

قال ابن هشامٍ: «وكون الفاء بمنزلة إلى غريب قال: ويستأنس له بمجيء عكسه في نحو قوله:

وأنتِ التي حبَّبْتِ شَغْبًا إلى بَدا إليَّ وأوطانِي بلادٌ سواهُمَا

إذ المعنى «شغبا فبدا» وهما موضعان، ويدل على إرادة الترتيب قوله بعده:

حَلَلْتِ بهذا حَلَّةً ثم حَلَّةً بهذَا فطابَ الواديانِ كِلاهُمَا

وهذا معنى غريب لإلى، لم أر من ذكره. وترد للاستئناف نحو قول جميل:

ألم تسألِ الرَّبعَ القَوَاء فينطقُ وهل تُخبرنْك اليومَ بيداءُ سَمْلَقُ

أي فهو ينطق؛ لأنها لو كانت عاطفة لجزم ما بعدها أو كانت سببية لنصب، ومثله:

﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧] أي فهو يكون.

وقول الحطيئة:

زلَّتْ به إلى الحَضِيضِ قَدَمُه يُريدُ أن يُعْرِبَهُ فيُعْجِمُه

أي فهو يعجمه. قال ابن هشامٍ: «والتحقيق أن الفاء في ذلك كله للعطف، وأن المعتمد بالعطف الجملة لا الفعل».اهـ

وترد زائدة دخولها كخروجها، ولا يثبته سيبويه، وجوز الأخفش زيادتها في الخبر مطلقًا، وحكى: أخوك فوجد، وقيد جماعة -منهم الأعلم والفراء- الجواز بكون الخبر أمرًا أو نهيًا كقول عدي بن زيد:

أَرواحٌ مودِّعٌ أم بُكورُ أنت فانظرْ لأيِّ ذاك تصيرُ

وحمل عليه الزجاج: ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ﴾ [ص: ٥٧].

قال المؤلف: (وثم) ويقال فيها «فم» كما يقال في جدث: جدف، قاله ابن هشامٍ، وثمت بفتح التاء المثناة وسكونها، قاله في "الهمع"، وتقتضي التشريك

في الحكم والترتيب.

قال ابن هشامٍ: وفي كل منهما خلاف؛ فأما التشريك فزعم الأخفش والكوفيون أنه قد يتخلف بأن تقع زائدة فلا تكون عاطفة، وحملوا على ذلك قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [التوبة: ١١٨]. وخرجت الآية على تقدير الجواب. وأما الترتيب فخالف جماعة منهم قطرب في اقتضائها إياه تمسكًا بقوله تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾ [النساء: ١] وقول الشاعر:

إنَّ مَنْ سادَ ثم سادَ أبوه ... ثم قَدْ سادَ قبلَ ذلك جدُّه

وأجيب بأنها في الجميع لترتيب الإخبار لا الحكم. انتهى كلامه بالمعنى.

والمهلة: وفي إفادتها إياه أيضًا، فزعم الفراء أنها بمعنى الفاء كذا في "الهمع". وقال ابن هشامٍ: أما المهملة فزعم الفراء أنها قد تتخلف بدليل قولك: أعجبني ما صنعت اليوم ثم ما صنعت أمس أعجب، لأن ثم في ذلك لترتيب الإخبار ولا تراخي بين الإخبارين، وجعل منه ابن مالك: ﴿ثُمَّ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [الأنعام: ١٥٤]».اهـ

وقد تقع موقع الفاء كقول حارثة بن الحجاج:

كهزِّ الرُّدَينِيِّ تحتَ العَجَاجِ ... جَرى في الأنابيبِ ثم اضطرب

إذ الهز متى جرى في أنابيب الرمح يعقبه اضطرابه بلا تراخٍ.

قال الفراء: «وتقع للاستئناف نحو: أعطيتك ألفًا ثم أعطيتك قبل ذلك

مالًا». قاله في "الهمع".

قلت: ومنه الحديث فيما يظهر لي وهو قوله صلىٰ الله عليه وسلم: «**لا يبولَنَّ أحدُكم في الماءِ الدائمِ ثم يغتسلُ فيه**» بالرفع علىٰ الاستئناف ولم يذكره الفراء ولا ابن هشامٍ ولا السيوطي ولا غيرهم من المتأخرين فيما أعلم، ثم إني وقفت بعد كتب هذا بعض شروح "المغني" فوجدت ما قلته صحيحًا ولله الحمد.

قال المؤلف: (وأو) موضوعة لإحدىٰ الشيئين أو الأشياء عند المتقدمين، قال ابن هشامٍ: «وهو التحقيق، والمعاني التي ذكرها غيرهم مستفادة من غيرها».اهـ

والمتأخرون أنهوا معانيها إلىٰ اثني عشر:

الأول: الشك، نحو: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [الكهف: ١٩].

الثاني: الإبهام، نحو: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤] الشاهد في الأولىٰ.

والثالث: التخيير، نحو: تزوج هندًا أو أختها.

والرابع: الإباحة، نحو: جالس العلماء أو الزهاد.

والخامس: الجمع المطلق، كالواو عند الكوفيين والأخفش والجرمي والأزهري وابن مالك، محتجين بقول توبة:

وقد زعمتْ ليلىٰ بأنِّي فاجرٌ لنفسي تُقاها أو عليها فجورُها

والسادس: الإضراب كبل، نقل عن سيبويه إجازة ذلك بشرطين تقدم نهي أو نفي وإعادة العامل نحو: لا يقم زيد أو لا يقم عمرو، وما قام زيد أو ما قام عمرو، ومطلقًا عند الكوفيين والفارسي وابن جني وابن برهان محتجين بقول

جرير:

كـــانوا ثمانـــين أو زادوا ثمانيـــةً لولا رَجـاؤُك قـدْ قَتَّلْـتُ أولادي

وأما قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٧] فاختلف فيه، فقال الفراء: بل يزيدون، هكذا جاء في التفسير مع صحته في العربية، وقال بعض الكوفيين: بمعنى الواو، وللبصريين فيها أقوال؛ قيل: للإبهام، وقيل: للتخيير، ولا يصح، وقال ابن جني: هي للشك مصروفًا إلى الرائي.

والسابع: التقسيم، نحو: الكلمة اسم أو فعل أو حرف، ذكره ابن مالك في "الألفية" وفي "شرح الكافية"، وعدل عنه في "التسهيل" وشرحه فقال: تأتي للتفريق المجرد من الإبهام والشك والتخيير.

والثامن: أن تكون بمعنى إلا في الاستثناء، وينتصب المضارع بعدها بأن مضمرة كقول زياد الأعجم:

وكنـــتُ إذا غَمَـــزْتُ قنـــاةَ قـــومٍ كســـرتُ كعُوبَهـــا أو تســـتقيمَا

والتاسع: أن تكون بمعنى إلى، وهي كهذه قبلها في انتصاب المضارع بعدها بأن مضمرة، كقوله:

لأستسهلنَّ الصَّعبَ أو أُدرِكَ المنى فـما انقـادتِ الآمـالُ إلا لصـابرِ

والعاشر: التقريب، نحو: ما أدري أسلم أو ودع، قاله الحريري وغيره.

الحادي عشر: الشرطية، نحو: لأضربنه عاش أو مات، ذكره ابن الشجري.

والثاني عشر: التبعيض، نحو: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ﴾ [البقرة: ١٣٥]، نقله ابن الشجري عن بعض الكوفيين.اهـ

(تنبيهات):

الأول: قال ابن هشامٍ: قول الحريري بيِّن الفساد لأن التقريب من إثبات اشتباه السلام بالتوديع فهي للشك.

وقال في قول ابن الشجري: «إنها تأتي للشرط»: الحق أنها للعطف على بابها، لكنها لما عطفت على ما فيه معنى الشرط دخل المعطوف في معنى الشرط.

وقال في قول الكوفية بالتبعيض: والذي يظهر لي أنه أراد معنى التفصيل، فإن كل واحد مما قبل أو التفصيلية وما بعدها بعض لما تقدم عليها من، ولم يرد أنها ذكرت لتفيد مجرد معنى التبعيض.اهـ

الثاني: لا تقع «أو» بعد همزة التسوية، قال ابن هشامٍ: وقد أولع بها الفقهاء وهو لحن.اهـ

قلت: وجه اللحن أن «أو» لأحد الشيئين أو الأشياء، والتسوية تقتضي شيئين فأكثر، وقرأ ابن محيصن: «أو لم تنذرهم» قال في "الكامل": وهي من الشذوذ بمكان. قال: أما همزة الاستفهام فيعطف بعدها بـ«أو» نحو: أزيد عندك أو عمرو؟.اهـ

قال السيوطي: «وفي "البديع" قال سيبويه: إذا كان بعد سواء همزة الاستفهام فلا بد من «أم» اسمين كانا أو فعلين، تقول: سواء علي أزيد في الدار أم عمرو، وسواء علي أقمت أم قعدت. وإذا كان بعدها فعلان بغير ألف

الاستفهام عطف الثاني بـ«أو» تقول: سواء علي قمت أو قعدت، وإن كانا اسمين بلا ألف عطف الثاني بالواو تقول: سواء علي زيد وعمرو، وإن كان بعدها مصدران كان الثاني بالواو حملًا عليها.

قال الدماميني: وبذلك تبين صحة قول الفقهاء، وكأن ابن هشامٍ توهم أن الهمزة لازمة بعد كلمة «سواء» في أول جملتيها وليس كذلك.

الثالث: قال أبو البقاء: «أو» في النهي نقيضة أو في الإباحة فيجب اجتناب الأمرين كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤] فلا يجوز فعل أحدهما؛ فلو جمع بينهما كان فعلًا للمنهي عنه مرتين لأن كل واحد منها أحدهما.اهـ

(فائدة): أخرج البيهقي عن ابن جريج قال: كل شيء في القرآن فيه «أو» فللتخيير إلا قوله: ﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ﴾ [المائدة: ٣٣] ليس بمخير فيها، قاله في "الإتقان".

قال المؤلف: (وأم) وأنكرها أبو عبيدة، وتبعه محمد بن مسعود الغزي فقال: ليست بحرف عطف بل بمعنىٰ همزة الاستفهام، ولهذا يقع بعدها جملة يستفهم عنها كما تقع بعد الهمزة، لكن لما كانت تتوسط بين محتملي الوجود كتوسط «أو» قيل إنها حرف عطف، وزعم ابن كيسان أن أصلها «أو» وأبدلت واوها ميمًا، فتحولت إلىٰ معنىٰ يزيد علىٰ معنىٰ «أو»، قال أبو حَيَّان: وهي دعوىٰ بلا دليل، ولو كان كذلك لاتفقت أحكامها، وهما مختلفان من أوجه منها: أن جواب «أو» بنعم أو لا، وجواب «أم» بالتعيين بالاسم أو الفعل، وأن الأحسن مع «أو» تقديم الفعل ومع «أم» تقديم الاسم، وأن «أو» لا يلزم

معادلتها للاستفهام بخلاف «أم»، انتهى مختصرًا من "الهمع".

وهي قسمان:

القسم الأول: متصلة: وهي نوعان:

الأول: أن يتقدم عليها همزة التسوية نحو: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ [البقرة: ٦].

والثاني: أن تتقدم عليها همزة يطلب بها وبأم التعيين نحو: ﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٣].

وسميت متصلة لأن ما قبلها وما بعدها لا يستغني أحدهما عن الآخر، وتسمى أيضًا معادلة لمعادلتها للهمزة في إفادة التسوية في النوع الأول والاستفهام في الثاني.

(تنبيه): يفترق النوعان من أربعة أوجه؛ الأول والثاني: أن الواقعة بعد همزة التسوية لا تستحق جوابًا؛ لأن المعنى معها ليس على الاستفهام، وأن الكلام معها قابل للتصديق والتكذيب، وليست تلك كذلك؛ لأن الاستفهام معها على حقيقته.

الثالث والرابع: أن الواقعة بعد همزة التسوية لا تقع إلا بين جملتين، ولا تكون الجملتان معها إلا في تأويل المفردين، وتكون الجملتان فعليتين كما تقدم واسميتين كقوله:

ولستُ أبالي بعد فقدي مالكًا ... أموتي ناءٍ أم هو الآن وَاقعُ

ومختلفتين نحو: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ﴾ [الأعراف:

١٩٣]. و«أم» الأخرىٰ تقع بين مفردين وهو الغالب فيها نحو: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا﴾ [النازعات: ٢٧] وبين جملتين ليستا في تأويلها.

القسم الثاني: منقطعة: وهي ثلاثة أنواع:

مسبوقة بالخبر المحض: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ [السجدة: ٢ - ٣].

ومسبوقة بهمزة لغير الاستفهام، نحو: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ﴾ [الأعراف: ١٩٥] إذ الهمزة في ذلك للإنكار فهي بمنزلة النفي، والمتصلة لا تقع بعده.

ومسبوقة باستفهام بغير الهمزة، نحو: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾ [الرعد: ١٦]. وأم المنقطعة هي التي لا يفارقها معنىٰ الإضراب، وقد تقتضي معه استفهامًا إنكاريًّا أو استفهامًا حقيقيًّا.

فمن الأول: ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾ لأن الاستفهام لا يدخل علىٰ الاستفهام، ومن الثاني قول العرب: «إنها لا بل أم شاء»، أي: بل هي شاء.

(تنبيهات):

الأول: ترد «أم» محتملة للاتصال والانقطاع كقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٨٠].

الثاني: سمع حذف «أم» المتصلة ومعطوفها كقول أبي ذؤيب:

دعـاني إليهـا القلـبُ إنِّي لأمـرِه سـميعٌ فـما أدري أَرُشْـدٌ طِلَابُهـا

تقديره: «أم غي».

الثالث: قال أبو زيد الأنصاري: تَرِد «أم» زائدة، واستدل بقول ساعدة:

يـا ليـتَ شـعري ولا مَنْجَـىٰ مـن الهَـرَمِ

أم هـلْ عـلىٰ العَـيشِ بعـد الشَّـيْبِ مِـنْ نَـدَمِ

قال المؤلف: (**وإما**) بكسر الهمزة وتشديد الميم، وقد تفتح همزتها وقد تبدل ميمها الأولىٰ ياء وهي عند سيبويه مركبة من «إن» و«ما» الزائدة، وبسيطة عند غيره واختاره أبو حَيَّان لأن الأصل البساطة، ولها خمسة معان:

الأول: الشك، نحو: جاءني إما زيد وإما عمرو.

والثاني: الإبهام، نحو: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٦].

والثالث: التخيير، نحو: ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [الكهف: ٨٦].

والرابع: الإباحة، نحو: تعلم إما فقهًا وإما نحوًا.

والخامس: التفصيل، نحو: ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣].

وهذه المعاني لـ«أو» كما تقدم، والفرق أن «إما» يبنىٰ معها الكلام من أول الأمر علىٰ ما جيء بها لأجله من شك أو غيره ولذلك وجب تكرارها، و«أو» يفتح الكلام معها علىٰ الجزم ثم يطرأ الشك وغيره ولهذا لم تتكرر، قال في

"الهمع": «والتحقيق أنها لأحد الشيئين أو الأشياء وهذه المعاني تعرض في الكلام من جهة أخرىٰ كما في "أو"».اهـ وأنكر قوم فيها الإباحة مع إثباتهم إياها في «أو».

(تنبيه): لا خلاف في أن «إما» الأولىٰ غير عاطفة، واختلفوا في الثانية فذهب الأكثر إلىٰ أنها عاطفة. وذهب يونس والفارسي وابن كيسان وابن برهان وابن عقيل وابن مالك إلىٰ أنها غير عاطفة، قال ابن هشامٍ: وهو الحق، قال: وقال الجرجاني: عدها من حروف العطف سهو ظاهر.اهـ

قال ابن مالك: وذلك لملازمتها غالبًا الواو العاطفة، وادعىٰ ابن عصفور الإجماع عليه تخلصًا من دخول عاطف علىٰ عاطف، قال: وإنما ذكروها في باب العطف لمصاحبتها لحرفه.اهـ

وقال بعضهم: إنها عطفت الاسم علىٰ الاسم، والواو عطفت «إما» علىٰ «إما»، قال ابن هشامٍ: وعطفت الحرف علىٰ الحرف غريب.اهـ، وقال الرضي: غير موجود.اهـ

(تنبيه): ليس من أقسام «إما» التي في قوله تعالىٰ: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا﴾ [مريم: ٢٦] بل هذه «إن» الشرطية و«ما» الزائدة.

قال المؤلف: (وبل) للإضراب وتعطف بشرطين: إفراد معطوفها، وأن تسبق بإيجاب أو أمر أو نهي أو نفي، ومعناها بعد الأولين سلب الحكم عما قبلها حتىٰ كأنه مسكوت عنه ولم يحكم عليه بشيء وجعله لما بعدها، كـ«قام زيد بل عمرو»، و«ليقم زيد بل عمرو»، وبعد الأخيرين تقرير حكم ما قبلها

وجعل ضده لما بعدها نحو: «لا تضرب زيدًا بل عمرًا»، و«ما قام زيد بل عمرو».اهـ "توضيح". وأجاز المبرد وعبد الوارث أن تكون ناقلة معنى النفي والنهي إلى ما بعدها، وعلى قولهما فيصح «ما زيد قائمًا بل قاعدًا» أو «بل قاعد» ويختلف المعنى.اهـ "مغني". قال ابن مالك: قولهما مخالف لاستعمال العرب كقوله:

لو اعتصمتَ بنا لم تعتَصِم بِعِدَى ... بل أولياءَ كفاةٍ غيرِ أَوْغادِ.اهـ

ومذهب الجمهور أنها لا تفيد نقل حكم ما قبلها لما بعدها إلا بعد الإيجاب والأمر، ومنع الكوفيون وأبو جعفر بن صابر أن يعطف بها بعد النفي والنهي، قال هشام منهم: محال «ضربت زيدًا بل إياك»، قال أبو حَيَّان: وهذا من الكوفيين مع كونهم أوسع من البصريين في اتباع شواذ العرب دليل على أنه لم يسمع العطف بها في الإيجاب ولو على قلته. انتهى من "همع الهوامع".

(فائدة): لا يعطف بـ«بل» بعد الاستفهام اتفاقًا.

(تنبيه): تزاد «لا» قبل «بل» لتوكيد الإضراب بعد الإيجاب كقوله:

وجهُكَ البدرُ لا بل الشمسُ لو ... لم يقضَ للشمسِ كسفةٌ وأفولُ

ولتوكيد تقرير ما قبلها بعد النفي، ومنعها ابن درستويه ورد بقوله:

وما هجرتُكِ لا بل زادني شَغفًا ... هجرٌ وبُعدٌ تَراخى لا إلى أجلِ

ولتوكيد تقرير ما قبلها بعد النهي، ومنعها ابن عصفور قال: لأنه لم يسمع. ورد بقوله:

لا تَمَلَّنَّ طاعةَ الله لا ... بل طاعة الله ما حَيِيت استدِيمَا

وقد تزاد لا ضرورة.

(فائدة): قال أبو حَيَّان: يقال في «لا بل»: «نابن» و«لابن» و«نابل» بإبدال اللامين أو إحداهما نونًا.اهـ "همع".

(تنبيه): إذا تلى «بل» جملة فهي لإبطال معنى الأول وإثباته لما بعد، نحو: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ [المؤمنون: ٧٠]، أو للانتقال من غرض إلى غرض آخر بدون إبطال نحو: ﴿وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ﴾ [المؤمنون: ٦٢ - ٦٣] وليست حينئذ عاطفة على الصحيح بل حرف ابتداء، وزعم بعضهم أنها تستعمل جارة وجعل منه قول رؤبة: «بل بلدٍ ملءُ الفِجاجِ قَتمَهُ».

وهو وهم إذ الجر بـ«رب» محذوفة، والتقدير: بل رب بلد موصوف بهذا الوصف قطعته، فهو من باب دخولها على الجملة كما في "المغني".

(تنبيه): ذهب صاحب "الأزهرية" إلى أن «بل» تكون حرف جر، ووهمه أبو حَيَّان وابن هشامٍ وغيرهما، فقد نقل ابن عصفور وابن مالك اتفاق النحويين على خلافه.اهـ "أشباه".

(فائدة): لم تقع «بل» في القرآن عاطفة، قاله في "الإتقان".

قال المؤلف: «ولا» وتعطف بثلاثة شروط:

أحدها: أن تسبق بأمر أو إيجاب اتفاقًا كجاء زيد لا عمرو، واضرب زيدًا لا عمرًا. قال سيبويه: أو نداء نحو: يابن أخي لابن عمي، وزعم ابن سعدان: أنه ليس من كلام العرب، قال أبو حَيَّان: هذه شهادة على نفي والظن بسيبويه

أنه لم يذكره في كتابه إلا وهو مسموع.

والثاني: أن لا تقترن فإذا قلت: ما جاءني زيد ولا عمرو، فالعاطف الواو، ولا توكيد للنفي.

الثالث: شرط السهيلي في "نتائج الفكر" والأبذي في "شرح الجزولية" وأبو حَيَّان في "الارتشاف" وابن هشامٍ في "المغني" تعاند متعاطفيها، فلا يجوز: «جاءني رجل لا زيد»، لصدق اسم الرجل عليه، بخلاف «لا امرأة» أو «عالم لا جاهل»، وعلله الأبذي، وأجاب عنه البدر الدماميني بما يعلم من مراجعتهما، ومنع جماعة -منهم الزجاجي- العطف بها على معمول فعل ماض، فلم يجيزوا: «قام زيد لا عمرو»، مع إجازتهم ذلك في المضارع؛ قالوا: لأنها تكون نافية للماضي ونفي الماضي لا يجوز، وما جاء منه حفظ ولم يقس عليه؛ وقيل: لأن العامل مقدر بعد العاطف. ولا يقال: «لا قام عمرو» إلا على الدعاء، قال ابن هشامٍ: وهو مردود؛ فإنه لو توقفت صحة العطف على تقدير العامل بعد الحرف لامتنع «ليس زيد قائمًا ولا قاعدًا». ولا يعطف بـ«لا» جملة لا محل لها على الأصح، وقد يحذف متبوعها نحو: «أعطيتك لا لتظلم»، أي: لتعدل لا لتظلم. انتهى من "همع الهوامع".

(**فائدة**): لم تقع لا في القرآن عاطفة، قاله في "الإتقان".

قال المؤلف: (**ولكن**) وأنكرها يونس والجمهور على أنها تعطف بشرطين: **أحدهما**: أن يتقدمها نفي أو نهي نحو: ما قام زيد لكن عمرو، و لا يقم زيد لكن عمرو، وزاد الكوفيون أو إيجاب كـ«بل» لأنها مثلها في المعنى نحو: قام زيد لكن عمرو، والبصريون منعوه لأنه لم يسمع فيتعين كونها حرف ابتداء

بعده الجملة فيقال: لكن عمرو لم يقم.

الثاني: أن لا تقترن بالواو، قاله الفارسي وأكثر النحويين، فإن اقترنت بالواو فحرف ابتداء لأن العاطف لا يدخل على مثله، وقال ابن خروف: لا تكون عاطفة إلا بالواو، وقال ابن مالك: العطف بالواو دونها، لكن عطف جملة حُذِف بعضها على جملة صرح بجميعها، والتقدير: ولكن قام عمرو. وقال ابن عصفور: الواو زائدة لازمة، والعطف بلكن، وقال ابن كيسان: الواو زائدة غير لازمة، والعطف بـ«لكن» أيضًا.

(فائدة): إذا تلت «لكن» جملة فهي حرف ابتداء لا عاطفة، سواء اقترنت بالواو نحو: ﴿وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الزخرف: ٧٦]. أو بدونها كقول زهير:

إنَّ ابـنَ ورقـاءَ لا تُخشـى بـوادرُه ... لكـنْ وقائعُـه في الحـربِ تُنْتظَـرُ

وزعم ابن أبي الربيع أنها حين اقترانها بالواو عاطفةٌ جملةً على جملة، وأنه ظاهر قول سيبويه.اهـ "مغني".

(تنبيه): اشتركت «لا» و«بل» و«لكن» من وجهين:

أحدهما: أنها عاطفة.

والثاني: أنها تفيد رد السامع عن الخطإ في الحكم إلى الصواب.

وافترقت من وجهين أيضًا:

أحدهما: أن لا تكون لقصر القلب وقصر الإفراد، وبل ولكن إنما يكونان لقصر القلب فقط، تقول: جاءني زيد لا عمرو، ردًّا على من اعتقد أن عمرًا جاء دون زيد، أو أنهما جاءاك معًا، وتقول: ما جاءني زيد لكن عمرو، أو: بل عمرو، ردًّا على من اعتقد العكس.

والثاني: أن «لا» إنما يعطف بها بعد الإثبات، وبل يعطف بها النفي، ولكن يعطف بها بعد النفي، ويكون معناها كما ذكرنا، ويعطف بها بعد الإثبات ومعناها حينئذ إثبات الحكم لما بعدها وصرفه عما قبلها وتصييره كالمسكوت عنه من قبل أنه لا يحكم عليه بشيء.اهـ قاله ابن هشامٍ.

قال المؤلف: (وحتى) وتكون جارة نحو: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ [القدر: ٥] وحرف ابتداء فتدخل على الجملة الاسمية كقول جرير:

فما زالتِ القتلى تمجُّ دماءَها بدِجلة حتى ماءُ دجلةَ أشكَلُ

والفعلية كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ﴾ [البقرة: ٢١٤] بالرفع في قراءة نافع. وعاطفة وذلك قليل، والكوفيون ينكرونه البتة، ويجعلون ما وردت فيه عاطفة على أنها ابتدائية وما بعدها على إضمار عامل. قاله ابن هشامٍ وغيره. وقول المصنف: (في بعضِ المواضِع) يشير إلى هذا وهو وجه تخصيصه حتى بهذا القيد، ويحتمل أن يكون هذا القيد عامًا في الحروف المتقدمة؛ لأن كل واحد منها له معان غير العطف.

(تنبيه): للعطف بـ«حتى» شروط:

أحدها: كون المعطوف اسمًا لا فعلًا، فلا يجوز على العطف: «أكرمت زيدًا بكل ما أقدر عليه حتى أقمت نفسي خادمًا له»، وأجازه ابن السيد.

والثاني: كونه ظاهرًا لا مضمرًا، فلا يجوز: «قام الناس حتى أنا»، ذكره ابن هشامٍ الخضراوي، قال في "المغني": ولم أقف عليه لغيره.

والثالث: كونه بعضًا من المعطوف عليه إما بالتحقيق بأن يكون جزءًا من

كل، نحو: أكلت السمكة حتىٰ رأسها، أو فردًا من جمع، نحو: قدم الحجاج حتىٰ المشاة، أو نوعًا من جنس، نحو: أعجبني التمر حتىٰ البرني، أو بالتأويل كقول ابن مروان النحوي:

ألقىٰ الصحيفةَ كي يخفِّفَ رحلَه والزادَ حتىٰ نعلَه ألقاها

فإن ما قبلها في تأويل «ألقىٰ ما يثقله»، أو شبيهًا بالبعض نحو: أعجبتني الجارية حتىٰ كلامها، فإنه لشدة اتصاله بها صار كجزئها. قال ابن هشامٍ: وضابط ذلك أنه إن حسن الاستثناء المتصل حسن دخول «حتىٰ» وإن لم يحسن امتنع.اهـ

والرابع: كونه غاية لما قبلها في زيادة حسية أو معنوية أو في نقص كذلك، وقد اجتمعا في قوله:

قهرناكم حتىٰ الكماةَ فأنتُمُ تهابوننَا حتىٰ بنينَا الأصاغِرَا

(تنبيه): «حتىٰ» كالواو لمطلق الجمع لا للترتيب خلافًا لمن زعم ذلك، قال ابن مالك: وهي دعوىٰ بلا دليل، ففي الحديث: «**كل شيء بقضاء وقدر حتى العجز والكيس**». وليس في القضاء ترتيب وإنما الترتيب في ظهور المقضيات.اهـ

وتفارق الواو من ثلاثة أوجه:

أحدها: أنها لا تعطف إلا بالشروط الأربعة.

الثاني: أنها لا تعطف الجمل؛ لأن شرط معطوفها أن يكون جزءًا مما قبلها كما تقدم، ولا يتأتىٰ ذلك إلا في المفردات.

الثالث: أنها إذا عطفت علىٰ مجرور أعيد الجار فرقًا بينها وبين الجارة،

فتقول: مررت بالقوم حتىٰ بزيد، قال ابن عصفور: يعاد رجحانًا، وقال ابن الخباز وأبو عبد الله الجليس: وجوبًا، وقال ابن مالك: إن لم يتعين للعطف وجب، نحو: اعتكفت في الشهر حتىٰ في آخره، وإن تعينت له فلا، لحصول الفرق، كقوله:

جـودُ يمنَـاك فـاضَ في الخلْـقِ حتَّـىٰ بـائسٍ دَانَ بالإسـاءةِ دِينَـا

قال ابن هشامٍ: وهو حسن، وأما أبو حَيَّان فرده وقال: هي في المثال جارة وفي البيت محتملة.اهـ

(فائدة): هذيل تقول في «حتىٰ»: «عتىٰ»، وبها قرأ ابن مسعود، قال في "الإتقان": لا أعلم حتىٰ جاءت في القرآن عاطفة.اهـ

(مُهِمَّة): حروف العطف أربعة أقسام: قسم يشرك بين الأول والثاني في الإعراب والحكم وهو: الواو والفاء وثم وحتىٰ، وقسم يجعل الحكم للأول فقط وهو: لا، وقسم يجعل الحكم الثاني فقط وهو: بل ولكن، وقسم يجعل الحكم لأحدهما بعينه وهو: أو، وهي علىٰ اختلاف معانيها تشرك ما بعدها لما قبلها في الإعراب.

قال المؤلف: (فإن عطفتَ بها على) اسم (مرفوعٍ) ظاهرًا كان أو ضميرًا منفصلًا (رفعتَ) المعطوف بلا شرط، سواء صلح لمباشرة العامل أم لا، فيجوز: قام زيد وأنا، وقمت أنا وزيد، وقام زيد وعمرو، وأنا وأنت قائمان. ومنع الأبذي عطف ضمير منفصل علىٰ ظاهر، قال أبو حَيَّان: ووهم في ذلك؛ وكلام العرب علىٰ جوازه ومنه: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ

وَإِيَّاكُمْ ﴾ [النساء: ١٣١]. انتهى من "همع الهوامع".

قلت: خص الأبذي منع العطف بالواو فقط، وأجازه فيما عداها كما نقلنا عبارته من "الأشباه" فيما تقدم فبين العبارتين فرق.

(مسألة): لا يعطف على ضمير رفع متصل اختيارًا إلا بفاصل ما، ضميرًا منفصلًا أو غيره، نحو: ﴿كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ﴾ [الأنبياء: ٥٤]، ﴿يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ﴾ [الرعد: ٢٣]، ﴿مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨]، والكوفيون يجيزون العطف عليه بلا فصل اختيارًا، حكي: مررت برجل سواء والعدم، وفي الصحيح: «**كنت وأبو بكر وعمر، فعلت وأبو بكر وعمر، وانطلقت وأبو بكر وعمر**»، انتهى من "همع الهوامع".

قال المؤلف: (**أو على**) اسم (**منصوب**) ظاهرًا كان أو ضميرًا (**نصبت**) المعطوف بلا شرط نحو: ضربت زيدًا وعمرًا، وضربت زيدًا وإياك، وقوله تعالى: ﴿جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المرسلات: ٣٨] (**أو على مخفوض**) ظاهر (**خفضت**) المعطوف، وأما الضمير المخفوض فلا يكثر العطف عليه إلا بإعادة الخافض نحو: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ﴾ [فصلت: ١١] ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ﴾ [البقرة: ١٣٣] وليس بلازم وهو رأي يونس والأخفش والزجاج والكوفيين، وصححه ابن مالك وأبو حَيَّان خلافًا لجمهور البصريين في قولهم بوجوب إعادته لأنه الأكثر كما في الآيتين وغيرهما، ودليل القول الأول قراءة ابن عبَّاسٍ والحسن البصري وحمزة ﴿تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١] بالخفض، وحكاية قطرب «ما فيها غيره وفرسه» بالخفض أيضًا.

(فائدة): قال الحريري في "درة الغواص": «فإن قيل: كيف جاز العطف على المضمرين المرفوع والمنصوب من غير تكرير، وامتنع العطف على المجرور إلا بالتكرير؟ فالجواب: إنه لما جاز أن يعطف ذانك المضمران على الاسم الظاهر، جاز أن يعطف الظاهر عليهما، ولما لم يجز أن يعطف المضمر على الظاهر إلا بتكرير الجار في قولك: مررت بزيد وبكر، لم يجز أن يعطف الظاهر على المضمر إلا بتكريره أيضًا، نحو: مررت بك وبزيد، وهذا من لطائف علم العربية ومحاسن الفروق النحوية». انتهى كلامه.

وكتب عليه الخفاجي في الشرح: «هذا تخيل لا أصل له لأن المرفوع والمنصوب يكون متصلًا ومنفصلًا؛ فلذا جاز عطف المنفصل، وأما المجرور فلا يكون منفصلًا، فلذا لم يصح عطفه بدون العامل».اهـ

قلت: وهوالأحسن إلا أن تفريقه أيضًا لا أصل له لثبوت نقيض المدعى في آيات قرآنية وأشعار عربية مما لا يمكن إنكاره إلا على طريق المباهتة.

ثم قال: (أو على مجزومٍ جزمتَ) المعطوف فيه دليل على أن العطف جائز في الأفعال كالأسماء، ونحوه قول ابن مالك: وعطفك الفعل على الفعل يصح وذلك بشرط اتحاد زمنيهما، سواء اتحدا في النوع أم لا، قال تعالى: ﴿لِّنُحْيِۦَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ﴾ [الفرقان: ٤٩]، ﴿وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٦]، ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ [هود: ٩٨] ﴿تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّـٰتٍ﴾ [الفرقان: ١٠] الآية.

(فرع): قال ابن مالك:

واعطِفْ علىٰ اسمٍ شبهِ فعلٍ فعلَا وعكسًا استعمِلْ تَجِدْه سَهْلَا

نحو: ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾ [العاديات: ٣ - ٤] ونحو: ﴿صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ﴾ [الملك: ١٩] ونحو قول الشاعر:

يا رُبَّ بيضاءَ من العَواهِجِ أمِّ صَبيٍّ قد حَبَا أو دَارِجِ

قال المؤلف: (**تقول**) في مثال عطف المرفوع: (**قام زيد وعمرو**) وفي عطف المنصوب: (**ورأيت زيدًا وعمرًا**) وفي عطف المخفوض: (**ومررت بزيد وعمرو**) وفي عطف المجزوم: (**وزيد لم يقم ولم يقعد**).

(**خاتمة**): أقسام العطف ثلاثة:

أحدها: العطف على اللفظ، وهو الأصل نحو: ليس زيد بقائم ولا قاعد، وشرطه: إمكان توجه العامل إلىٰ المعطوف فلا يجوز في نحو: ما جاءني من امرأة ولا زيد، إلا الرفع عطفًا علىٰ الموضع لأن «من» الزائدة لا تعمل في المعارف، وقد يمتنع العطف علىٰ اللفظ والمحل جميعًا نحو: ما زيد قائمًا لكن - أو بل- قاعد؛ لأن في العطف علىٰ اللفظ إعمال ما في الموجب، وعلىٰ المحل اعتبار الابتداء مع زواله بالناسخ، والصواب الرفع علىٰ إضمار مبتدأ.

الثاني: العطف على المحل، نحو: ليس زيد بقائم ولا قاعدًا وله شروط.

أحدها: إمكان ظهور ذلك المحل في الفصيح، فلا يجوز: مررت بزيد وعمرًا.

الثاني: أن يكون الموضع بحق الأصالة، فلا يجوز: هذا الضارب زيدًا وأخيه؛ لأن الوصف المستوفي لشروط العمل الأصل إعماله لالتحاقه بالفعل.

الثالث: **وجود الطالب لذلك المحل**، فلا يجوز: إن زيدًا وعمرو قائمان؛ لأن الطالب لرفع عمرو الابتداء وقد زال بـ«إن».

الرابع: العطف على التوهم، نحو: ليس زيد قائمًا ولا قاعد، بالخفض وشرط جوازه صحة دخول ذلك العامل المتوهم، وشرط حسنه كثرة دخوله هناك، انتهى مختصرًا من "الأشباه".

باب التوكيد

ثم قال المصنف رحمه الله: (**باب التوكيد**) وهو مصدر «وكد» والتأكيد بالهمز وعدمه مصدر «أكد» والواو أفصح وبها جاء القرآن قال تعالى: ﴿بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [النحل: ٩١] ولذلك شاع استعماله بالواو عند النحويين وهو لغةً: التقوية والتسديد، واصطلاحًا ضربان: معنوي وسيأتي، ولفظي ولم يذكره المصنف، وهو اللفظ المكرر به ما قبله أو تقويته بمرادفه، ويكون في الاسم والفعل والحرف والجملة، ولا يزيد على ثلاث نحو قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**فنكاحها باطل باطل باطل**» وقوله:

فأينَ إلى أينَ النجاةُ ببغلتي أتاكِ اللاحقونَ احبسِ احبسِ

وقول جميل:

لا لا أبوحَ بحبِّ بثنةَ إنَّها أخذتْ عليَّ مواثقًا وعهُودا

وقوله تعالى: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝٣٤ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ﴾ [القيامة: ٣٤ - ٣٥] ومثال توكيد اللفظ بمرادفه نحو: حقيق جدير، وصمت سكت زيد، وأجل جير، وانزل نزال، أو ضمير متصل بضمير منفصل نحو: قمت أنت، وأما التوكيد المعنوي فبألفاظ محصورة.

(**التوكيدُ**) هو (**تابعٌ للمؤكَّد**) بفتح الكاف (**في رفعهِ ونصبهِ وخفضِه وتعريفِه**) ولم يذكر التنكير لأن ألفاظه لا تتبع النكرة مطلقًا عند أكثر البصريين، وأجاز بعض الكوفيين تبعيتها للنكرة مطلقًا أفادت أم لا، نقله ابن مالك في "شرح التسهيل"، خلاف دعواه في "شرح الكافية" الاتفاق، ودعوى ابن

هشامٍ في "التوضيح" كذلك، وأجاز الأخفش والكوفيون توكيد النكرة إن كانت مؤقتة وإلا فلا. قال ابن مالك: وهذا القول أولى بالصواب لصحة سماع بذلك ولأن فيه فائدة؛ لأن من قال: صمت شهرًا، قد يريد جميع الشهر وقد يريد أكثره، ففي قوله احتمال يرفعه التوكيد، ومن الوارد فيه قوله: «قد صرت البكرةُ يومًا أجمعًا»

وقوله: «تحملني الذلفاء حولًا أكتعًا».

وقوله: «أوفت به حولًا وحولًا أجمعًا».

وقول عائشة رضي الله عنها: «ما رأيت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم صام شهرًا كلَّه إلا رمضان».

أما غير المؤقت فلا فائدة فيه فلا، يقال: اعتكفت وقتًا كله، ولا رأيت شيئًا نفسه، والمانعون مطلقًا أجابوا بأن ما ورد من ذلك محمول على البدل أو النعت أو الضرورة.اهـ

قال رحمه الله: (ويكونُ) هذا التوكيد **(بألفاظٍ معلومةٍ)** وتلك الألفاظ منها ما هو لدفع توهم المجاز من حذف مضاف أو غيره أو السهو **(وهي: النفسُ والعينُ)** فإذا أكدت بأحد منهما أو بهما زال ذلك الاحتمال، وزعم ابن عصفور أن التأكيد يضعف المجاز ولا يرفع احتماله أصلًا.

(فائدتان):

الأولى: إذا أكدت بالنفس والعين مثنى ففيهما ثلاث لغات: أفصحها الجمع تقول: جاء الزيدان أنفسهما أعينهما، ودونه الإفراد نحو: جاء الزيدان نفسهما عينهما، دونه التثنية نحو: جاء الزيدان نفساهما عيناهما.

الثانية: النفس أنثىٰ إن أريد بها الروح قال تعالىٰ: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [النساء: ١] وإن أريد الشخص فمذكر، وتجمع في القلة علىٰ أنفس، وفي الكثرة علىٰ نفوس.

والعين تقع بالاشتراك علىٰ الباصرة وعين الماء وعين الشمس والعين الجارية وعين الشيء نفسه، ومنه: أخذت مالي بعينه أي: أخذت عين مالي. أفاده في "المصباح".

(**وكلٌّ وأجمعَ**) ومنها ما هو للشمول ودفع توهم إطلاق البعض علىٰ الكل وهي في المثنىٰ: «كلا، وكلتا» وفي الجمع وما في معناه: «كل، وجميع، وعامة» مضافة كلها إلىٰ الضمير المطابق للمؤكد، وأجمع بفتح الميم حكاه ابن السكيت.

(**وتوابعُ أجمعَ**) ينوىٰ فيها ضمير المؤكد ولا يصرح به (**وهي: أكْتَعُ**) مأخوذ من قولهم: أتىٰ عليه حول كتيع، أي: تام (**وأبتَعُ**) مأخوذ من البتع وهو طول العنق؛ لأن الدابة إذا طال عنقها جالت في المرعىٰ وضمت ما حولها وجمعته (**وأبْصَعُ**) مأخوذ من البصع وهو العرق المجتمع، وبعضهم يقوله بالضاد المعجمة (**تقولُ**) في مثال المرفوع (**قام زيدٌ نفسُه**) وإن شئت زدت عينه، وفي مثال المنصوب (**رأيتُ القومَ كلَّهم**) ولك أن تزيد ما شئت من ألفاظ التوكيد، وفي مثال المخفوض (**مررتُ بالقومِ أجمعين**) أكتعين أبتعين أبصعين.

(**فوائد**):

الأولىٰ: لا يؤكد بهذه الألفاظ غير ذي أجزاء ولو حكمًا؛ إذ ما لا جزء له لا يتوهم فيه عدم الشمول حتىٰ يرفع بالتوكيد بها، فلا يقال: جاء زيد كله ويقال: قبضت المال كله، وبعت العبد كله.اهـ "همع".

الثانية: قال ابن هشامٍ في "تذكرته": إذا اجتمعت ألفاظ التوكيد بدأت بالنفس فالعين فكل فأجمع فأكتع فأبصع فأبتع، وأنت مخير بين أبتع وأبصع فأيهما شئت قدمته فإن خدمت النفس أتيت بها بعدها مرتبًا، أو العين فكذلك، أو كلا فكذلك. انتهى من "الأشباه".

الثالثة: قال ابن النحاس: هل يجوز أن يقع كل واحد من أكتع وأبصع وأبتع تأكيدًا بمفرده؟ فيه ثلاثة مذاهب:

أحدها: نعم، وهو مذهب الكوفيين.

والثاني: لا، بل تكون بعد أجمع تابعًا بالترتيب، وهو مذهب الجمهور.

والثالث: جوز أن يتقدم بعضها على بعض بشرط تقديم أجمع قبلهن.

قال: وهذا الخلاف مبني على أنه هل لكل واحد منهن معنى في نفسه أم لا؟ فإن قيل: لا معنى لها إلا الاتباع فلا بد من تقدم أجمع، وإن قيل بأن لها معاني، جاز أن تستعمل بأنفسها. انتهى كلامه من "الأشباه".

الرابعة: اختلف في توكيد محذوف فأجازه الخليل وسيبويه والمازني وابنا طاهر وخروف، ومنعه الأخفش والفارسي وثعلب وابنا جني ومالك، وصححه أبو حَيَّان؛ لأن التوكيد بابه الإطناب والحذف للاختصار فتدافعا؛ ولأنه لا دليل على المحذوف.

الخامسة: خالف التوكيد النعت في أنه ألفاظ مخصوصة ووجوب ترتيبها إذا اجتمعت، وأنه لا يجري على النكرة على رأي الجمهور، ولا على محذوف على الأصح، ولا على توكيد، ولا يعطف بعض ألفاظه على بعض، وفي أنه لا

يقطع لا إلى رفع ولا إلى نصب، أفاده في "الهمع".

باب البدل

ثم قال المصنف رحمه الله: (**باب البدل**) والتعبير به اصطلاح البصريين.

والكوفيون -قال الأخفش- يسمونه بالتبيين، كذا نقله في "الهمع"، وقال الأزهري نقلًا عنه أيضًا: والترجمة.اهـ وقال ابن كيسان: التكرير. وهو لغة: العوض قال الله تعالى: ﴿ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ ﴾ [القلم: ٣٢].

وفي الاصطلاح: تابع مقصود بالحكم بلا واسطة فخرج بالمقصود ما عدا النسق، وبلا واسطة النسق، وهو تابع للمبدل منه في رفعه ونصبه وخفضه وجزمه، وهذا معنى قوله: (**إذا أُبدلَ اسمٌ من اسمٍ، أو فعلٌ من فعلٍ تبعه في جميعِ إعرابِهِ، وهو**) أي البدل (**أربعةُ أقسامٍ: بدل الشيء من الشيء، وبدلُ البعضِ من الكلِّ، وبدلُ الاشتمالِ، وبدلُ الغلطِ**).

والكلام هنا في ثلاثة مسائل:

الأولى: اعلم أن البدل أقسام أربعة:

الأول: بدل كل من كل، بأن اتحدا معنى، نحو: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ ﴾ [الفاتحة: ٦ - ٧].

الثاني: بدل بعض من كل، إن دل على بعض ما دل عليه الأول، نحو: مررت بقومك ناس منهم.

والثالث: بدل اشتمال، إن دل على معنى في الأول أو استلزامه فيه، نحو: عجبت من زيد علمه أو قراءته، وقوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ

فِيهِ ﴾[البقرة: ٢١٧].

وشرط بدل البعض والاشتمال صحة الاستغناء بالمبدل منه وعدم اختلال الكلام لو حذف البدل، فلا يجوز: قطعت زيدًا أنفه، ولا: لقيت كل أصحابك أكثرهم، ولا: أسرجت القوم دابتهم.

(فائدة): رجع السهيلي بدل البعض والاشتمال إلى بدل الكل قال: لأن العرب تتكلم بالعام وتريد به الخاص، وتحذف المضاف وتنويه، فإذا قالوا: أكلت الرغيف ثلثه وأعجبني زيد علمه، فالمعنى أكلت بعض الرغيف، وأعجبني وصف زيد، ثم أبدل من البعض والوصف، ثم حذفا للدليل عليهما.

والرابع: البدل المباين للمبدل منه، وهو أقسام: لأنه لا بد أن يكون مقصودًا، ثم الأول إن لم يكن مقصودًا البتة بل سبق إليه اللسان فهو بدل الغلط، وهذا القسم أثبته سيبويه وغيره، وإن كان الأول مقصودًا فإن تبين بعد ذكره فساد قصده فهو بدل نسيان، وهذان النوعان جائزان قياسًا ولم يرد بهما سماع، وإن كان قصد كل واحد منهما صحيحًا، فهو بدل إضراب، ويسمى بدل بداء، وهذا يثبته سيبويه وغيره كابن مالك.

(فائدة): أنكر جماعة بدل النداء والغلط، وقالوا في الأول: إنه مما حذف فيه حرف العطف، وفي الثاني: إنه لم يوجد، قال المبرد -على سعة حفظه-: بدل الغلط لا يكون مثله في كلام الله، ولا في شعر، ولا في كلام مستقيم. أفاده في "الهمع".

المسألة الثانية: قول المصنف: **(إذا أبدل اسم من اسم)** يبدل المضمر من الظاهر، نحو: رأيت زيدًا إياه، والمفرد من غيره وبالعكس كقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ

مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة: ١٤٢] والظاهر من المضمر مطلقًا إن كان الضمير لغائب نحو: ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ [الأنبياء: ٣] وكذا إن كان لحاضر نحو: ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا ﴾ [المائدة: ١١٤] وقول الشاعر:

أوعدَني بالسِّجنِ والأداهِمِ ... رِجْلي فرِجْلي شَثْنَةُ المناسِمِ

ولا يبدل المضمر من المضمر، ولا المضمر من الظاهر عند ابني مالك وهشام، وتبدل المعرفة من المعرفة، والنكرة من المعرفة وبالعكس نحو: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ ﴾ [الفاتحة: ٦ - ٧]، ﴿لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴾ [العلق: ١٥]، ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ﴾ [الشورى: ٥٢ - ٥٣].

وتبدل الجملة من الجملة نحو: ﴿أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ۝١٣٢ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴾ [الشعراء: ١٣٢ - ١٣٣] وقد تبدل من المفرد عند ابن جني وابن مالك كقول الفرزدق:

إلى الله أشكُو بالمدينة حاجةً ... وبالشام أخرى كيفَ يلتقيانِ

فكيف يلتقيان بدل من حاجة أخرى، وهما مفردان.

قوله: (**أو فعلٌ من فعلٍ**) يبدل كذلك عند الشاطبي إذا أفاد زيادة بيان للأول، فبدل الكل نحو: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۝٦٨ يُضَٰعَفْ ﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٦٩]، وبدل البعض نحو: «إنْ تُصلِّ تسجدْ لله يرحمْكَ»، وبدل الاشتمال كقوله:

إنَّ عليَّ الله أن تُبايِعَا ... تؤخذَ كرْهًا أو تَجيءَ طائعَا

وبدل الإضراب والغلط نحو: إن تطعم زيدًا تكسه أكرمك.اهـ كلامه مختصرًا من "التصريح".

وقوله: (**بدلُ الشيءِ من الشيءِ**) عبارة عن بدل كل، وسماه ابن مالك بدلًا مطابقًا وذلك لوقوعه في اسم الله تعالى نحو: ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم: ١ - ٢] بجر الجلالة فلا يقال فيه: بدل كل؛ لأنه لا يقال إلا فيما يقبل التجزي وهو ممتنع في الآية.

وقوله: (**وبدلُ البعضِ من الكلِّ**) قال أبو حاتمٍ: قلت للأصمعيِّ: رأيت في كلام ابن المقفع: العلم كثير ولكن أخذ البعض خير من ترك الكل، فأنكره أشد الإنكار وقال: «كل، وبعض» معرفتان فلا تدخلهما الألف واللام لأنهما في نية الإضافة.اهـ

وقال الأزهري: «أجاز النحويون إدخال «أل» على «بعض، وكل» إلا الأصمعي».اهـ، "مصباح"

وفي "القاموس" ما نصه: «بعض لا تدخله اللام خلافًا لابن درستويه قال أبو حاتم: استعملها سيبويه والأخفش في كتابيهما لقلة علمهما بهذا النحو. واستعملها الزجاجي في جمله، واعتذر عنه بأنه تسامح فيه موافقة للناس».اهـ بلفظه.

وفيه أيضًا ما نصه: «يقال: كل وبعض معرفتان لم يجيء عن العرب بالألف واللام وهو جائز».اهـ

وفي "المختار": كل وبعض معرفتان ولم يجيء عن العرب بالألف واللام

وهو جائز لأن فيهما معنى الإضافة أضفت أو لم تضف».اهـ

فلا اعتراض حينئذ على المصنف لما تلخص من جواز استعمالهما بـ«أل».

(تنبيه): لا بد في بدل البعض من اتصاله بضمير يرجع إلى المبدل منه فإن وجد فذاك وإلا يقدر.

وقوله: (**وبدل الاشتمال**) واختلف في المشتمل فقال الرماني والفارسي وخطاب: هو الأول، واختاره في "التسهيل" وقال أبو علي في "الحجة" والرماني أيضًا: الثاني، وقال المبرد والسيرافي وابن جني وابن الباذش وابن الأبرش وابن أبي العافية وابن ملكون: هو العامل بمعنى أن الفعل يستدعيهما أحدهما على سبيل الحقيقة والقصد، والثاني على سبيل المجاز والتبع.اهـ، وأمره في الرابط له بالمبدل منه كأمر بدل البعض.

قوله: (**وبدل الغلط**) أي بدل عن اللفظ الذي هو غلط لا أن البدل نفسه هو الغلط كما قد يتوهم من ظاهر اللفظ. انتهى من "التوضيح".

(فائدة): قال أبو عمرو: «الغلط في القول والغلت في الحساب».اهـ

وفي "المختار": غلط في الأمر من باب طرب وأغلطه غيره، والعرب تقول: غلط في منطقته وغلت في الحساب وبعضهم يجعلهما لغتين بمعنى.اهـ

وفي "القاموس": «الغلط محركة أن تعيا بالشيء فلا تعرف وجه الصواب فيه، وقد غلط -كفرح- في الحساب وغيره أو خاص بالمنطق، وغلت بالتاء في الحساب، والتغليط أن تقول له: غلطت».اهـ

قال المؤلف: «**نحو قولِك: قام زيدٌ أخوك، وأكلتُ الرغيفَ ثلثَه ونفعني**

زيدٌ علمُه) لا يشترط في البدل البعض أن يكون أقل من النصف كما يوهمه مثال المصنف، بل يكون أقل كذا وأكثر؛ كأكلت الرغيف ثلثيه، ومساويًا كأكلت الرغيف نصفه، وذهب الكسائي وهشام إلى أن بدل البعض لا يقع إلا على ما دون النصف.

قال المؤلف: **(ورأيت زيدًا الفرسَ، أردتَ أن تقولَ: الفرس، فغلطتَ وأبدلتَ زيدًا منه)** ظاهره أن الفرس مبدل منه وليس كذلك فإن الفرس هو البدل من زيد، وإنما ذكر زيد غلطًا، وتوضيح المسألة أنك أردت أن تقول: رأيت الفرس فسبقك لسانك إلى زيد، فرفعت الغلط وأبدلت منه بقولك الفرس.

(تتمة): يجوز قطع البدل على إضمار مبتدأ فيما فصل به جمع أو عدد، كمررت برجل طويل وقصير وربعة، وقوله عليه الصلاة والسلام: «**بُنِي الإسلامُ على خمسٍ شهادةِ أن لا إله إلَّا الله...**» الحديث.

وكذا غير التفصيل يجوز فيه القطع نحو: مررت بزيد أخوك، نص عليه سيبويه والأخفش، وقيل: يقبح في غير التفصيل ما لم يطل الكلام فيحسن نحو: ﴿بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [الحج: ٧٢]. أفاده في "الهمع".

المسألة الثالثة: اعلم أن البدل في نية إحلاله محل الأول لأنه المقصود كما تقدم والمبدل في نية الطرح، وعلى هذا مبني لفائدة المقررة وهي أن البدل على نية تكرار العامل، ثم رأيت في كتاب "الأشباه والنظائر" النحوية للجلال السيوطي ما نصه: «قال الأعلم في "شرح الجمل": الدليل على أن البدل على

نية تكرار العامل ثلاثة أدلة: شرعي، ولغوي، وقياسي، فالشرعي قوله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٢٠ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ﴾ [يس: ٢٠ - ٢١] الآية، ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأعراف: ٧٥]، واللغوي قول الشاعر:

إذا مَا مَاتَ ميْتٌ من تميمٍ ... فسرَّك أن يعيشَ فجيءْ بِزادِ

بخبزٍ أو بتَمْرٍ أو بسَمْنٍ ... أو الشيءِ الملَفَّفِ في البِجادِ

والقياسي: يا أخانا زيد، لو كان في غير نية النداء لقال: يا أخانا زيدًا.اهـ بلفظه.

قلت: وكثير ما كنت أسمع هذه القاعدة من الطلبة ولا أعرف لها دليلًا حتى وجدته ولله الحمد.

ولما فرغ من العمد وتوابعها شرع يتكلم في الفضلات وتوابعها فقال:

(بابُ منصوباتِ الأسماءِ)

قال المؤلف: (**المنصوباتُ خمسةَ عشر**) بعد الظرفي واحدًا، وخبر كان وأخواتها واسم إن وأخواتها واحدًا، وعد التوابع أربعة. قاله أبو النجا.

(فائدة): قوله: «خمسة عشر» في محل رفع على الخبرية وهو مبني على الفتح في الجزأين الصدر والعجز؛ لأن الأعداد المركبة كلها تبنى نحو: أحد عشر وثلاث عشر، ويستثني من ذلك: اثنا عشر، واثنتا عشرة، فإن صدرهما يعرب بالألف رفعًا وبالياء جرًا ونصبًا كالمثنى، وأما عجزهما فيبنى على الفتح.

و«**المنصوبات**»: جمع منصوب، والنصب لغة: الإقامة والعلامة والرفعة، واصطلاحًا إعراب الكلمة بالفتح لأنه استعلاء ويكون في الأفعال وقد تقدم، وفي الأسماء وهو المراد هنا.

قال المؤلف: «**وهي: المفعولُ به، والمصدرُ، وظرفُ الزمان، وظرفُ المكان، والحالُ، والتمييزُ، والمستثنى، واسمُ لا، والمنادى، وخبر كان وأخواتها، واسمُ إنَّ وأخواتها، والمفعول من أجله، والمفعول معه، والتابعُ للمنصوب وهو أربعةُ أشياء: النعتُ والعطفُ، والتوكيدُ، والبدلُ**) وقال الأزهريُّ: الخامس عشر «خبر ما الحجازية»، وقد أخل بذكره.اهـ

باب المفعول به

قال المصنف: (**باب المفعول به**): «أل» في المفعول موصولة بدليل عود الضمير من به عليها.

(فوائد):

الأولى: حدَّ ابن الحاجب المفعول به بأنه: ما وقع عليه فعل الفاعل، والمراد بالوقوع التعلق المعنوي لا المباشرة ليدخل نحو: أردت السفر، وما ضربت زيدًا، وخرج بقولنا: «ما وقع عليه» المفعول المطلق؛ فإنه نفس الفعل الواقع، والظرف؛ فإن الفعل يقع فيه، والمفعول له؛ فإن الفعل يقع لأجله، والمفعول معه؛ فإن الفعل يقع معه لا عليه، قاله في "شرح الشذور".

الثانية: اختُلف في ناصب المفعول به، فقال البصريون: الفعل أو شبهه، وقال هشام من الكوفيين: الفاعل، وقال الفراء: الفعل والفاعل معًا، وقال خلف: معنى المفعولية.

الثالثة: مذهب البصريين أن المفاعيل خمسة: مفعول مطلق، ومفعول به وله، وفيه، ومعه. وزعم الكوفيون فيما نقله أبو حَيَّان في "شرح التسهيل" عنهم أن الفعل إنما له مفعول واحد وهو المفعول به وباقيها ليس شيء منها مفعولًا وإنما شبه بالمفعول، وزعم الزجاجي أنها أربعة فنقص المفعول معه وجعله مفعولا به، وزعم الكوفيون فيما نقله ابن هشامٍ عنهم أنها أربعة فأزالوا المفعول به وجعلوه من باب المفعول المطلق، وزاد السيرافي سادسًا وهو المفعول منه نحو: ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا ﴾ [الأعراف: ١٥٥] لأن المعنى: «من قومه»، وسمى الجوهري المستثنى مفعولًا دونه. انتهى من

"الهمع" و"شرح القطر" بالمعنى.

وبدأ المصنف من المفاعيل بالمفعول به كما فعل الفارسي وجماعة؛ منهم ابن عصفور وابن مالك؛ لا بالمفعول المطلق كما فعل ابن الحاجب، ووجه ما اختاره المصنف أن المفعول به أحوج إلى الإعراب لأنه الذي يقع بينه وبين الفاعل الالتباس، ولأنه جرى في اصطلاحهم على أنه إذا قيل: «مفعول» وأطلق لم يرد إلا المفعول به؛ ولما كان أكثر المفاعيل دورًا في الكلام خفضوا اسمه وإن كان حق ذلك أن لا يصدق إلا على المفعول المطلق، ولكنهم لا يطلقون على ذلك اسم المفعول إلا مقيدًا بقيد الإطلاق. أفاده ابن هشامٍ بالمعنى.

ثم قال المصنف: (وهو) أي: المفعول (**الاسمُ**) فلا يكون فعلًا ولا حرفًا (**المنصوبُ**) وسمع رفعه ونصب الفاعل ورفعهما ونصبهما، وقد تقدم شاهد ذلك (**الذي يقعُ به الفعلُ**) أي عليه الفعل فالباء بمعنى على (**نحو: ضربت زيدًا، وركبت الفرسَ**) فزيدًا والفرس واقع عليهما الفعل وقوعًا حسيًّا، وقد يكون الوقوع معنويًا نحو: طالعت الكتاب، ومن ثم يسمى الفعل متعديًا وواقعًا وله علامتان:

إحداهما: أن يصح أن تتصل به هاء غير ضمير المصدر على وجه لا يكون خبرًا.

والثانية: أن يصح أن يبنى منه اسم مفعول تام وذلك كـ«ضرب»، ألا ترى أنك تقول: زيد ضربه عمرو، فتصل به هاء ضمير غير المصدر وهو زيد وتقول: هو مضروب، والفرس مركوب، فيكونان تامين.

(فائدة): ينصب المفعول به واحدًا من أربعة: الفعل المتعدي كما تقدم ووصفه

نحو: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦ﴾ [الطلاق: ٣] ومصدره نحو: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ﴾ [البقرة: ٢٥١] واسم فعله نحو: ﴿عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡ﴾ [المائدة: ١٠٥] أفاده في "شرح الشذور".

(وهو) أي: المفعول بحسب الإظهار والإضمار (على قسمين: ظاهر ومضمر، فالظاهر ما تقدم ذكره) في الأمثلة السابقة، (والمضمرُ قسمان: متَّصلٌ ومنفصلٌ، فالمتصلُ) تقدم تعريفه وهو(اثنا عشر) ضميرًا (نحو قولِك) وهي بحسب التكلم والحضور والغيبة: ثلاثة أقسام للمتكلم وحده منها (ضرَبَنِي)، وله معظمًا أو مشاركًا (ضرَبْنَا و) للمخاطب المذكر (ضرَبَكَ) بفتح الكاف (و) المؤنثة (ضربَكِ) بكسرها (و) للمثنى مطلقًا (ضربَكُما) (و) للجمع المذكر (ضربَكُم و) المؤنث (ضربَكنَّ و) للمفرد الغائب (ضربَهُ و) الغائبة (ضرَبَها و) للمثنى مطلقًا (ضربَهما و) للجمع المذكر (ضرَبَهُم و) المؤنث (ضربهنَّ. والمنفصلُ اثنا عشرَ) أيضا (نحو قولك) تختص بمحل النصب لا تتجاوز غيره نحو: (إيايَ) للمتكلم وحده (و) فرعها (إيَّانا) فقط (وإيَّاك) بفتح الكاف للمخاطب (و) فروعها أربعة (إياك) بكسر الكاف (وإياكُما وإياكُم وإياكنَّ و) للمفرد الغائب (إياه و) فروعها أربعة أيضًا (إياها وإياهما وإياهم وإياهن).

(تتمة): المختار أن الضمير نفس «إيا» فقط، وأن اللواحق لها حروف تكلم وخطاب وغيبة وهو مذهب سيبويه والفارسي، وعزاه صاحب "البديع" إلى الأخفش، قال أبو حَيَّان: وهو الذي صححه أصحابنا وشيوخنا.

واستشكل بأن الضمير ما دل على متكلم أو مخاطب أو غائب، و«إيا» على حدتها لا تدل على ذلك.

وأجيب بأنها وضعت مشتركة بين المعاني الثلاثة فعند الاحتياج إلى التمييز أردفت بحروف تدل على المعنى المراد.

وذهب بعض البصريين وجمع من الكوفيين واختاره أبو حَيَّان أن اللواحق هي الضمائر، وذهب الخليل والمازني واختاره ابن مالك أن «إيا» ضمير مضاف إلى ما بعده وأن ما بعده ضمير أيضًا.

وذهب الزجَّاج إلى أن «إيا» اسم ظاهر لا ضمير واللواحق له ضمائر أضيف «إيا» إليها فهي في محل خفض بالإضافة.

وذهب الكوفيون إلى أن مجموع «إيا» ولواحقها هو الضمير، وقال ابن درستويه: إنه بين الظاهر والمضمر وليست مشتقة من شيء، وذهب أبو عبيدة وغيره إلى أنها مشتقة، فقيل من الآية فتكون عينها باء، وفيها سبع لغات قريء بها تشديد الياء، وتخفيفها مع الهمزة، وإبدالها هاء مكسورة ومفتوحة، فهذه ثمانية تسقط منها فتح الهاء مع التشديد. أفاده في "الهمع".

(تكملة): إذا تعدد المفعول في غير باب «ظن» و«أعلم» كباب «أعطى» و«اختار» فالأصل تقديم ما هو فاعل في المعنى، وما يتعدى إليه الفعل بنفسه على ما ليس كذلك، هذا مذهب الجمهور، وقيل: المفعولان في مرتبة واحدة بعد الفاعل فأيهما تقدم فذلك مكانه، وعليه هشام وبعض البصريين.

قال أبو حَيَّان: وينبني على هذا الخلاف جواز تقديم المفعول الثاني إذا اتصل به ضمير يعود على الأول، نحو: أعطيت درهمه زيدًا، فعند الجمهور يجوز، وعند غيرهم لا، بناء على ما ذكر.قاله في "الأشباه".

(خاتمة): يجوز حذف المفعول لغرض إما لفظي كتناسب الفواصل في

نحو: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ٣] وكالإيجاز في نحو: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ [البقرة: ٢٤] وإما معنوي كاحتقاره نحو: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ﴾ [المجادلة: ٢١] أي: الكافرين، أو لاستهجانه، كقول عائشة رضي الله عنها: «ما رأى مني ولا رأيت منه» أي: العورة، وقد يمتنع حذفه كأن يكون محصورًا فيه نحو: إنما ضربت زيدًا، أو جوابًا: كضربت زيدًا، جوابًا لمن قال: من ضربت؟. انتهى من "التوضيح".

بابُ المصدرِ

ثم قال المصنف: (باب المصدر): هذا هو الثاني من المفاعيل وهو المفعول المطلق، وسمي مطلقًا لأن يقع عليه اسم المفعول بلا قيد، بخلاف باقي المفاعيل فإنها مقيدة بـ«فيه وبه وله ومعه»؛ ولهذه العلة قدمه ابن الحاجب في الذكر على غيره لأنه المفعول حقيقة، قاله في "شرح الشذور".

وقال السخاوي: قال النحويون: أقوى تعدي الفعل إلى المصدر لأن الفعل صيغ منه، لذلك كان أحق باسم المفعول. انتهى من "الأشباه".

المصدر أظهر في محل الإضمار إيضاحًا للمبتديء **(وهو الاسم المنصوب الذي يجيء ثالثًا في تصريف الفعل نحو قولك: ضرب يضرب ضربًا، وهو قسمان: لفظي، ومعنوي، فإن وافق لفظه لفظ فعله فهو لفظي، نحو قولك: قتلته قتلا. وإن وافق معنى فعله دون لفظه فهو معنوي نحو: جلست قعودًا، وقمت وقوفًا وما أشبه ذلك)**.

(تنبيه): حدَّ ابن هشامٍ المفعول المطلق بأنه المصدر الفضلة المسلط عليه عامل من لفظه أو من معناه.اهـ، فخرج بقوله: «الفضلة» غيرها نحو: جلوسك جلوس؛ فجلوس وإن كان مصدرًا سلط عليه عامل من لفظه فليس بفضلة لأنه خبر.

(تنبيهات):

التنبيه الأول: المصدر يفيد ثلاثة أمور:

الأول: التوكيد لعامله نحو: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

الثاني: بيان نوعه، نحو قوله تعالى: ﴿فَأَخَذۡنَٰهُمۡ أَخۡذَ عَزِيزٖ مُّقۡتَدِرٍ﴾ [القمر: ٤٢].

الثالث: بيان عدده كقوله تعالى: ﴿فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ [الحاقة: ١٤] ونحو قولك: ضربت ضربتين أو ضربات.اهـ

التنبيه الثاني: يُنصب المصدر بمثله نحو: ﴿فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا﴾[الإسراء: ٦٣] ونحو: أعجبني إيمانك تصديقًا. وقول الجرمي: لا يعمل المصدر في المصدر، مردود بالآية وغيرها، وبما اشتق منه من فعل غير تعجبي ولا ناقص ولا ملغي عن العمل نحو: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾، وبوصف اسم فاعل أو مفعول أو للمبالغة نحو: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾ [الصافات: ١] ونحو: «الخبز مأكول أكلًا، وزيد ضراب ضربًا»، وإلى ناصب المفعول المطلق أشار ابن مالك بقوله: بمثله أو فعل أو وصف نصب.

الثالث: ينوب عن المصدر في الانتصاب على المفعولية المطلقة نحو: «كل، وبعض»، مضافين لمصدر نحو: ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ﴾ [النساء: ١٢٩]، ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾ [الحاقة: ٤٤] وكذلك العدد نحو: ﴿فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ [النور: ٤] وأسماء الآلات نحو: ضربته سوطًا. وكذلك الصفة عند بعضهم نحو: اشتمل الصَّمَّاء، وجعلوا منه قوله تعالى: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا﴾ [البقرة: ٣٥] كذا قال المعربون، وزعموا أن الأصل: أكلًا رغدًا، وأنه حذف الموصوف ونابت صفته منابه. ومذهب سيبويه أن ذلك إنما هو حال من مصدر الفعل المفهوم منه، والتقدير: فكلا حالة كون الأكل رغدًا، ويدل على ذلك أنهم يقولون: سير عليه طويلًا، فيقيمون الجار والمجرور مقام الفاعل، ولا يقولون: «طويلٌ» بالرفع فدل على أنه حال لا مصدر، أفاده في "شرح

القطر".

الرابع: المصدر المؤكد لا يثنَّى ولا يجمع اتفاقًا لأنه بمنزلة تكرير الفعل، فعومل معاملته في عدم التثنية والجمع. والمصدر العددي يثنى ويجمع اتفاقًا. والنوعي فيه خلاف، قيل: يثنى ويجمع وعليه ابن مالك قياسًا على ما سمع منه كالعقول والألباب والحلوم، والثاني: لا، وعليه الشَّلَوْبِين قياسًا للأنواع على الآماد فإنها لا تثنى ولا تجمع، ونسبه أبو حَيَّان لظاهر كلام سيبويه. أفاده في "الهمع".

الخامس: لا يجوز أن تقع «أن» والفعل في موقع المصدر، لأن «أن» تخلص الفعل للاستقبال، والتأكيد إنما يكون بالمصدر المبهم، وأجاز الأخفش ذلك.

السادس: يجوز لقرينة لفظية أو معنوية حذف عامل المصدر غير المؤكد ويجب حذفه في مواضع أشار لها ابن مالك:

والحذفُ حتْمٌ مع آتٍ بَدَلا ... من فعلِه كَنْدلًا اللَّذْ كَانْدُلاَ
وما لتفصيلٍ كإمَّا مَنًّا ... عامله يحذفُ حيثُ عَنَّا
كذا مكرَّرٌ وذو حصرٍ ورَدْ ... نائبُ فعل لاسمِ عينٍ استَنَدْ
ومنْهُ ما يدعونَه مؤكِّدا ... لنفسِه أو غيرِه فالمبتَدا
نحوُ له عليَّ ألفٌ عُرفَا ... و الثاني كابني أنتَ حِقًّا صِرْفَا
كذاك ذو التَّشْبِيهِ بعد جُمله ... كـ: لي بُكَى بُكَاءَ ذاتِ عَضْله. اهـ

السابع: من المصدر ما هو علم للمعنى كـ«سبحان» علم للتسبيح، و«بَرَّة» علم للمبرة، و«فجارِ» للفَجْرة، و«يسارِ» للميسرة، يقال: برة برة، وفجر به

فجرة، وهو معلق على الجنس.

الثامن: لا يجوز عمل الفعل في مصدرين عند الأخفش والمبرد وابن السراج، وذهب السيرافي وابن طاهر إلى أنه يجوز أن ينصبهما وأن ينصب ثلاثة إذا اختلف معناها. أفاده في "الهمع".

التاسع: قوله: «**فإنْ وافقَ لفظُه لفظَ فعلِه**» وكان جاريًا عليه «**فهو لفظيٌّ نحو: قتلته قتلًا**» ونحو: ﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣]. وهو منصوب بفعله عند الجمهور، ونفى صاحب "الإفصاح" فيه الخلاف، وقال ابن الطراوة: هو مفعول به بفعل مضمر لا يجوز إظهاره، والتقدير في «قعد قعودًا» أفعل قُعودًا.

وقال السهيلي كذلك، إلا أنه قال: انصبه بمضمر من لفظ الفعل السابق، فإذا قيل: «قعد قعودًا» فهو عنده بـ«قعد» آخر لا يجوز إظهاره.

وإن كان من لفظه وهو غير جار عليه نحو: ﴿أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧] ففيه مذاهب:

أحدها: أنه منصوب بذلك الفعل الظاهر، وعليه المازني.

والثاني: أنه منصوب بفعل ذلك المصدر الجار عليه مضمرًا، والفعل الظاهر دل عليه، وعليه المبرد وابن خروف وعزاه لسيبويه.

والثالث: التفصيل، فإن كان معناه مغايرًا لمعنى الفعل كالآية فنصبه بفعل مضمر والتقدير: فنبتم نباتًا، وإن كان غير مغاير فنصبه بالظاهر كقوله: «وقد تَطَوَّيتُ انطِواءَ الحِضْبِ» واختاره ابن عصفور. أفاده في "الهمع".

قوله: «**وإن وافق معنى فعله دون لفظه فهو معنوي**» وفيه أيضًا مذاهب:

أحدها: وعليه الجمهور، أنه منصوب بفعل مضمر من لفظه كقوله:

السالكُ الثغرةَ اليقظانَ كالئُها مشيَ الهلوكِ عليها الخَيْعَلُ الفُضُلُ

فـ«مشي» منصوب بمضمر دل عليه السالك.

والثاني: أنه منصوب بالفعل الظاهر لأنه بمعناه فتعدىٰ إليه كما لو كان من لفظه، وعليه المازني، واختاره المصنف كما هو الظاهر من تقسيمه؛ لأنه لو «مشىٰ» علىٰ مذهب الجمهور لاقتصر علىٰ اللفظي لأن الثاني عندهم من باب المفعول به.

والثالث: التفصيل، فإن أريد به التأكيد عمل فيه المضمر الذي من لفظه كقعدت جلوسًا، وقمت وقوفًا، بناء علىٰ أنه من قبيل التأكيد اللفظي، فلا بد من اشتراكه مع عامله في اللفظ؛ أو بيان النوع عمل فيه الظاهر لأنه بمعناه. انتهىٰ من "الهمع" بزيادة.

فائدتان:

الفائدة الأولى: استعملوا العطاء مصدرًا بمعنىٰ الإعطاء، والثواب مصدرًا بمعنىٰ الإثابة. قال الشاعر: «وبعد عطائِك المائةَ الرتَاعَا».

وقال تعالىٰ: ﴿ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٩٥] وذلك مسموع لا يقاس عليه. أفاده في "الهمع".

الثانية: قال ابن هشامٍ في "تذكرته": ذكر ثعلب في "أماليه" أنه يقال: ناب هذا عن هذا نوبا، ولا يجوز ناب عنه نيابة، وهو غريب. انتهىٰ من "الأشباه".

(**خاتمة**): المصدر بينه وبين المفعول المطلق عموم وخصوص بإطلاق، فكل مفعول مطلق مصدر ولا عكس، وقيل: بينهما عموم وخصوص وجهي،

يجتمعان في نحو: ضربت ضربًا، ويتفرد المصدر في نحو: يعجبني ذهابك، وينفرد المفعول المطلق في نحو: ضربت سوطًا، وقال السيد: المفعول المطلق هو الحاصل بالمصدر لا المصدر، وإطلاقه على المفعول المطلق بضرب من المسامحة وعدم التمييز بين التأثير والأثر.اهـ

وظاهر كلام ابن مالك في "الألفية" أنهما مترادفان.

باب المفعول فيه

(**باب المفعول فيه**) وهو (**ظرفُ الزمانِ**) وظرف المكان عند البصريين، قال المرادي: ولا يسوغ عند الكوفيين تسميته ظرفًا لأن العرب لم تسمه بذلك في موضع من المواضع، والكسائي وأصحابه يسمون الظروف صفات.اهـ

والظرف لغة الوعاء وجمعه ظروف مثل: فلس فلوس، وفي الاصطلاح: ما سلط عليه عامل على معنى من في اسم زمان أو مكان مبهم. قال المصنف (**هو اسمُ الزمان**) مطلقًا مختصًّا كان أو مبهمًا (**المنصوبُ**) باللفظ الدال على المعنى الواقع فيه، سواء كان ذلك اللفظ مذكورًا أو مقدرًا (**بتقديرِ**) معنى (**في**) وهي الظرفية (**نحو: اليومَ**) وأوله من طلوع الفجر إلى غروب الشمس؛ ولهذا من فعل شيئًا بالنهار وأخبر به بعد غروب الشمس يقول: فعلته أمس لأنه فعله في النهار الماضي، واليوم مذكر وجمعه أيام، وتأنيث الجمع أكثر. ويوم أيوم، ويوم كفرح، ويوم شديد قال رؤبة:

شَيَّبني الهَمُّ الهمام الهمم ... وليلة ليلى يوم أيوم

والعرب قد تطلق اليوم وتريد الوقت والحين نهارًا كان أو ليلًا فتقول:

ذخرتك لهذا اليوم، أي: لهذا الوقت الذي افتقرت فيه إليك، ولا يكادون يفرقون بين يومئذ وحينئذ وساعتئذ.

(فائدة): في "الأساس": ومن المجازي: ذكر في أيام العرب كذا؛ أي: في وقائعها ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٥] بدمادمه على الكفرة.

قال المؤلف: (والليلة) وهي من غروب الشمس إلى طلوع الفجر الصادق أو الشمس، وتجمع على ليال وليائل، والليل مثل الليلة، كما يقال: العشي والعشية، وليلة ليلاء -وتقصر- طويلة شديدة، أو هي أشد ليالي الشهر ظلمة، وليل أليل كذلك قال:

فأيَّمْتُ نِسْوانًا وأيَّتمتُ إِلْدَةً وعُدتُ كما أبدأتُ والليلُ أليلُ

قال المؤلف: (وغُدوة) بالضم هي ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس، وجمعها غدى مثل: مدية و مدى.

(فائدة): غدوة غير مصروف لأنها معرفة مثل سحر.اهـ "مختار". أي: إن أريد بها غدوة يوم بعينه فهي ممنوعة من الصرف، وإلا فمصروفه.

قال المؤلف: (وبُكرة) بالضم، الغدوة، وجمعها بكر مثل غرفة وغرف، وأبكار جمع الجمع مثل رطب وأرطاب، وهي كسحر، إن أريد بها يوم بعينه منعت من الصرف، وإلا صرفت.

(فائدة): في "الأساس": ومن المجاز: «بكَّر بالصلاة» صلاها في أول وقتها، و«ابتكر الفاكهة» أكل باكورتها، و«ابتكر الشيء» أخذ أوله، و«ابتكر الجارية» أفتضها.

قال المؤلف: (وسحرًا) بفتحتين قبيل الصبح، وبضمتين لغة، والجمع

أسحار. والسَّحور: وزان رسول؛ ما يؤكل في ذلك الوقت.

(فائدة): في "الأساس": ومن المجاز: «لقيته سحرًا، وبالسحر، وفي أعلى السحر، وعلى أعلى السحرين»، وهما سحر مع الصبح وسحر قبله، كما يقال: الفجران؛ الكاذب والصادق، و«استحروا» خرجوا سحرًا، و«تسحرت» أكلت السحور، وإنما سمي السحر استعارة لأنه وقت إدبار الليل وإقبال النهار فهو متنفس الصبح.

قال المؤلف: (وغدًا) وهو اسم اليوم الذي يأتي بعد يومك على إثره، ثم توسعوا فيه حتى أطلق على البعيد المترقب، وأصله «غدو» مثل: فلس، ثم حذِفت اللام بلا عوض وجعلت الدال حرف إعراب، قال الشاعر:

لا تقلُواهـــا وادْلُواهـــا دَلْـــوَا إنَّ مَـــع اليـــومِ أخَـــاه غَـــدْوَا

قال المؤلف: (وعَتَمة)؛ في "القاموس": العتمة -محركة-: ثلث الليل الأول بعد غيبوبة الشفق، أو وقت صلاة العشاء الآخرة، وأعتم، وعتم: سار فيها. وفي "المصباح": عتمة الليل: ظلام أوله عند سقوط نور الشفق، وأعتم: دخل في العتمة، مثل أصبح: دخل في الصباح.

(فائدة): في "الأساس": ومن الاستعارة: «الليل العاتي» الشديد الظلمة.

قال المؤلف: (وصباحًا)؛ في "القاموس": الصبح: الفجر أو أول النهار، جمعه أصباح وهو الصبيحة والصباح والإصباح والمصبح كمكرم، وأصبح: دخل فيه، بمعنى صار.اهـ

وفي "المصباح": «قال ابن الجواليقي: الصباح عند العرب من نصف الليل الآخر إلى الزوال، ثم المساء إلى آخر نصف الليل الأول. هكذا روى عن

ثعلب».اهـ

(فائدة): في "الأساس": ومن المجاز: هذا يوم الصباح، وأصبح يا رجل: انتبه من غفلتك، قال رؤبة:

بل أيُّها القائلُ قولًا أقْذَعَا أصبِحْ فمَنْ نادىٰ تميمًا أسْمَعَا

وقد أصبح القوم: إذا استيقظوا وذلك في جوف الليل.

(وأبدًا)؛ في "القاموس": الأَبَد -محركة-: الدهر، جمعه آباد وأبود، والدائم، والقديم الأزلي.اهـ، وفي "المصباح": ويقال: الدهر الطويل؛ الذي ليس بمحدود، قال الرماني: فإذا قلت: لا أكلمه أبدًا، فالا بد: من لدن تكلمت إلىٰ آخر عمرك.

(فائدة): في "الأساس": ومن المجاز: فلان مولع بأوابد الكلام، وهي غرائبه، وبأوابد الشعر وهي التي لا تشاكل جودة، قال الفرزدق:

لنْ تُدركوا كرمِي بلؤمِ أبيكُم وأوابِدِي بتنحُّلِ الأشعارِ

(وأمدًا)؛ في "القاموس": الأمد -محركة-: الغاية والمنتهىٰ.

قال المؤلف: (وحينًا)، في "القاموس": الحين -بالكسر-: الدهر، أو وقت مبهم يصلح لجميع الأزمان طال أو قصر، يكون سنة وأكثر، أو يختص بأربعين سنة، أو سبع سنين، أو سنتين، أو ستة أشهر، أو شهرين، أو كل غدوة وعشية، ويوم القيامة، والمدة، وقوله تعالىٰ: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [الصافات: ١٧٤] أي: حتىٰ تنقضي المدة التي أمهلوها، جمعه أحيان وجمع الجمع أحايين، ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [ص: ٣] أي: ليس حين.

(فائدة): غلط كثير من العلماء فجعلوا «حين» بمعنى: حيث، والصواب أن «حيث» بالثاء المثلثة ظرف مكان، و«حين» بالنون ظرف زمان، يقال: «قمت حيث قمت» أي: في الموضع الذي قمت فيه، وأما حين بالنون يقال: «قمت حين قمت»، أي: في ذلك الوقت، وضابطه أن كل موضع حسن فيه «أين، وأي» اختص به «حيث» بالثاء، وكل موضع حسن فيه «إذا، ولما، ولم، ووقت» وشبهه، اختص به «حين» بالنون. قاله أبو حاتم.

(وما أشبه ذلك) من أسماء الزمان المبهمة والمختصة، نحو: ضحى وضحوة ووقت وساعة وزمان .

(تنبيه): هذه الأمثلة على أربعة أقسام:

منها ما هو ثابت التصرف والانصراف كـ«يوم، وليلة، وحين، ومدة».

ومنها ما هو منفي التصرف والانصراف كـ«سحر» إذا أريد به التعيين مجردًا من «أل» والإضافة والتصغير فلا ينوى لعدم انصرافه ولا يفارق الظرفية لعدم تصرفه، والموافق له في عدم الانصراف والتصرف: «عشية» إذا قصد بها التعيين مجردة عن «أل» والإضافة، عزا ذلك سيبويه إلى بعض العرب، وأكثر العرب يجعلونها عند ذلك متصرفة منصرفة.

ومنها ما هو ثابت التصرف منفي الانصراف، وهو «غدوة، وبكرة» إذا جعلا علمين فإنهما لا ينصرفان للعلمية والتأنيث، وينصرفان فيقال في الظرفية: لقيت زيدًا أمس غدوة أو بكرة، ويقال في عدم الظرفية: سهرت البارحة إلى غدوة وإلى بكرة، فلو لم يقصد العلمية تصرف وانصرف كقولك: ما من بكرة

أفضل من بكرة يوم الجمعة، وكل غدوة يستحب فيها الاستغفار.

ومنها ما هو ثابت الانصراف منفي التصرف وهو ما عين من «ضحىٰ، وسحير، وبكر، ونهار، وليل، وعتمة، وعشاء، ومساء، وعشية» في الأشهر، فهذه إذا قصد بها التعيين بقيت علىٰ انصرافها وألزمت الظرفية فلم تتصرف. قاله ابن مالك في "شرح العمدة" مختصرًا.

(فائدة): قال بعضهم: مأخذ التصرف والانصراف في الظروف هو السماع، حكاه الشَّلَوْبِين في "شرح الجزولية"، ونحوه لابن مالك.اهـ من "الأشباه".

قال المصنف : (وظرفُ المكانِ هو اسمُ المكانِ) المبهم (المنصوب بتقدير في) وذلك (نحو) الجهات الست هي:

(أَمام): بالفتح مستقبل الشيء وهو مذكر، وقد يؤنث علىٰ معنىٰ الجهة قال الزجاج: واختلفوا في تذكير «الأمام» وتأنيثه. انتهىٰ بلفظه.

(وخَلْف): وهي: ضد قدام.

(وقدام): خلاف «وراء» وهي مؤنثة، وتصغر بالهاء فيقال: قديميّة، قالوا: ولا يصغر رباعي بالهاء إلا «قدام».

(ووراء): في "القاموس": ووراء -مثلثة الآخر مبنية- يكون خلف أمام ضد، أو لأنه بمعنىٰ وهو ما توارىٰ عنك، ويكون بمعنىٰ «سوىٰ» كقوله تعالىٰ: ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ [المؤمنون: ٧] أي سوىٰ ذلك.اهـ

(حكاية): رأيت في كتاب "أخبار الحمقىٰ والمغفلين" لابن الجوزي: عن

عباد بن صهيب قال: قدمت الكوفة لأسمع من إسماعيل بن خالد، فمررت بشيخ جالس فقلت: يا شيخ كيف أمر إلى منزل إسماعيل؟ فقال: إلى ورائك، فرجعت خلفي، فقال: أقول لك وراءك، وترجع؟! فقلت: أليس ورائي خلفي؟ قال: لا، ثم قال: حدثني عكرمة عن ابن عبَّاسٍ في قوله: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ [الكهف: ٧٩]، أي: بين أيديهم. قال: قلت: بالله من أنت؟ قال: جحا».اهـ

قلت: جحا هذا هو الذي يزعمون أنه من أهل مدينة فاس وأن له بها مآثر، من ذلك دار سكناه وهي الآن عندهم حبس لا يسكن فيها إلا العميان، وقرب هذه الدار شارع يسمونه برياض جحا.

وليس كذلك؛ فإن جحا من أهل الكوفة وبها كان سكناه، وأدرك التابعين.

ثم قال المصنف: (**وفوق**): في "القاموس": فوق نقيض تحت، يكون اسمًا وظرفًا مبنيًّا، فإذا أضيف أعرب، وقوله تعالى: ﴿بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: ٢٦] أي: في الصغر، وقيل: في الكبر.اهـ

(**وتحت**): في "المصباح": تحت نقيض فوق وهو ظرف مبهم لا يتبين معناه إلا بإضافة.اهـ

قلت: وكل ظرف مبهم من ظروف المكان كذلك؛ لا يتبين معناه إلا بالإضافة كما ذكره في "التوضيح". والأسفل، واليمين، والشمال، وذات اليمين، وذات الشمال، قال الله تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦]، ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٤]، ﴿وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾

[الأنفال: ٤٢]، ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ [الكهف: ١٧]، ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ﴾ [الكهف: ٧٩].

ويلحق بأسماء الجهات ما أشبهها في شدة الإبهام والاحتياج إلى ما يبين معناها (و) هي:

(عند): في "القاموس": عند -مثلثة الأول-: ظرف في المكان والزمان غير متمكن، ويدخله من حروف الجر «من»، ويقال: عندي كذا، فيقال: ولك عند؟ استعمل غير ظرف ويراد به القلب والمعقول، وقد يغرى: عندك زيدًا؛ أي: خذه ولا تقل: مضى إلى عنده، ولا إلى لدنه.اهـ، وفي "المغني": وقول العامة: ذهبت إلى عنده لحن.

(ولَدَى): وهي مرادفة لعند نحو: «لدى الحناجر» «لدا الباب».

(ومَعَ): وفي "القاموس": مع اسم، وقد يسكن وينون، أو حرف خفض، أو كلمة تضم الشيء إلى الشيء، وأصلها معًا، أو هي للمصاحبة، وتكون بمعنى «عند» وتقول: كنا معًا أي: جميعًا.اهـ

وفي "المصباح": «مع» ظرف على المختار بمعنى «لدى» لدخول التنوين.اهـ.

(وإِزَاء): في "القاموس": الإزاء -ككتاب-: سبب العيش، أو ما سبب من رغده وفضله، وللحرب: مقيمها، وللمال: سائسها، وهم ازاؤهم: أقرانهم وآزى على صنيعه إيزاء: أفضل، وعن فلان: هابه، والشيء: حاذاه وجاراه.اهـ

وفي "المصباح": الإزاء هو الحذاء، وهو بإزائه أي محاذيه.اهـ

(وحِذَاء): في "القاموس": الحذاء: الإزاء، ويقال: هو حذاءك، وحذوتك، وحذتك بكسرهن، وداري حذوة داره، وحذتها حذوها، بالفتح مرفوعًا ومنصوبًا: إزاؤها.اهـ

(وتلْقاء): بكسر التاء بمعنى تجاه بتثليث التاء كما في "القاموس".

(وثَمّ): بفتح المثلثة، اسم يشار به إلى المكان البعيد وهو ظرف، فلذلك غلط من أعربه مفعولًا لـ«رأيت» في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ﴾ [الإنسان: ٢٠]. كما في "المغني".

(وهنا): اسم يشار به للمكان القريب.

(وما أشْبه ذَلك) من أسماء مقادير المساحات كالفرسخ والميل والبريد، ومما كان مصوغًا من مصدر عامله، كقولك: جلست مجلس زيد.

قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ [الجن: ٩].

ولو قلت: «ذهبت مجلس زيد» لم يصح؛ لاختلاف مصدر اسم المكان ومصدر عامله. أفاده في "شرح القطر".

(تنبيه): قال ابن مالك:

وقد ينوبُ عن مكانٍ مصدرُ ... وذاك في ظرفِ الزمَّان يكثُرُ

قال ابن عقيل في "شرحه": «ينوب المصدر عن ظرف المكان قليلًا كقولك: «جلست قرب زيد» أي: مكان قرب زيد، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فنصب على الظرفية ولا ينقاس ذلك، ويكثر إقامة المصدر مقام ظرف الزمان، نحو: آتيك طلوع الشمس، والأصل وقت طلوع الشمس

فحذف المضاف وأعرب المضاف إليه بإعرابه، وهو مقيس في كل مصدر».

انتهى مختصرًا.

(مسائل):

المسألة الأولى: الظروف المبنية ثلاثة أقسام:

قسم زماني: كـ«أمسِ، والآنَ، ومتى، وأيَّان، وقَطُّ المشددة، وإذْ، وإذا المُقتَضِيةُ جوابًا».

ومكاني: كـ«لدى، وحيث، وأين، وهنا، وثم، وإذا المستقبلية».

وقسم تجاذبه الزمان والمكان: وذلك «قبل، وبعد». قاله ابن الشجري في "أماليه".

قلت: في «قط» خمس لغات: بناؤها على الضم كـ«قبل وبعد»، وكسر الطاء على أصل التقاء الساكنين، واتباع القاف الطاء في الضم، وتخفيف الطاء مع ضمها وسكونها. وبنيت لشبه الحرف في إبهامه لوقوعها على كل ما تقدم من الزمان، وأما بقية الظروف فعلة بنائها معلومة لا حاجة إلى الإطالة بها.

المسألة الثانية: اسم المكان ثلاثة أقسام:

قسم لا يستعمل ظرفًا وهو ما كان محدودًا نحو: البيت والدار والبلد والحجاز والشام والعراق واليمن.

وقسم لا يستعمل إلا ظرفًا نحو: «عند، ولدى، وسوى، وسواء، ودون».

وقسم لا يلزم الظرفية وهو الجهات الست. قاله السخاوي في "شرح المفصل".

المسألة الثالثة: «نزلت عند بابه على زيد» جائز؛ لأن نسبة الظرف من

المفعول كنسبة المفعول من الفاعل، فكما يصح: ضرب غلامه زيد، كذلك يصح ما ذكرناه، قاله الفارسي في "التذكرة".

المسألة الرابعة: كما أن الفعل اللازم لا يتعدىٰ إلىٰ مفعول به إلا بحرف الجر، كذلك لا يتعدىٰ إلىٰ ظرف من الأمكنة مخصوص إلا بحرف الجر، نحو: وقفت في الدار، وقمت في المسجد. قاله ابن يعيش.

المسألة الخامسة: اعلم أن التصرف وعدمه في عبارة النحويين يقال علىٰ ثلاثة معان:

فمرة يقال: متصرف وغير متصرف، ويراد به اختلاف الأبنية لاختلاف الأزمنة، وهو المختص بالأفعال.

ومرة يقال ويراد به الظرف الذي يستعمل مفعولًا فيه وغيره، وإذا أرادوا الظرف الذي لا يستعمل إلا منصوبًا علىٰ أنه مفعول فيه خاصة، أو مخفوضًا مع ذلك بـ«من» خاصة قالوا فيه: غير متصرِّف.

ومرة يقال: متصرف وغير متصرف، ويراد به أنه ما يتصرف ذاته ومادته علىٰ أبنية مختلفة كضارب وقائم، وأما ما لا يكون كذلك كاسم الإشارة. قاله الشَّلَوْبِين، والأعلم.

(فائدة): ذكر الأندلسي أن الظروف التي لا تدخل عليها من حروف الجر سوىٰ «مِنْ» خمسة، وعدَّها.

قال السيوطي عقب سردها: وقد نظمتها فقلت:

من الظروفِ خمسةٌ قد خُصِّصَتْ ... بمن ولم يجُرها سِواهَا

عِنـد ومـع و قبـل بعـد ولـدىٰ شرحُ الإمـامِ اللـورقيِّ حَوَاهَـا

ثم قال الأندلسي -شارح "المفصل" المشهور-: هو الإمام علم الدين اللورقي له ترجمة جيدة في "سير النبلاء" للذهبي.

(فائدة): الظروف كلها مذكرة إلا «قدام، ووراء» وهما شاذان. قاله ابن عصفور في "شرح الجمل".

(خاتمة): هل يتسع في الظرف مع «كان وأخواتها»؟ هو مبني علىٰ الخلاف هل تعمل في الظرف أم لا؟ فإن قلنا: لا تعمل؛ فلا يتوسع، وإن قلنا: يجوز أن تعمل فيه؛ فالذي يقتضيه النظر أن لا يجوز التوسع فيه معها. قاله في "الارتشاف".

التقطت هذه المسائل من "الأشباه والنظائر النحوية" للسيوطي، مع زيادة من الله بها.

باب الحال

ثم قال المصنف رحمه: (باب الحال) في "القاموس": «الحال كِينَةُ الإنسان وما هو عليه كالحالة والوقت الذي أنت فيه، ويذكَّر. جمعهُ أحوال وأحولة».اهـ

وقال في "التصريح": «وألفها منقلبة عن واو لقولهم في جمعها: أحوال، وفي تصغيرها: حويلة، واشتقاقها من التحول وهو التنقل».اهـ

ولهم في حدها عبارات، منها قول أبي القاسم الزجاجي: الحال كل اسم نكرة جاء بعد معرفة وقد تم الكلام دونه.

ومنها قول بعضهم: الحال كل اسم انتصب لفظًا أو تقديرًا أو محلًّا علىٰ

معني في بيانًا للهيئة.

ومنها قول ابن هشامٍ؛ وهو أحسنها: «الحال عبارة عما اجتمع فيه شروط: **أحدها**: أن يكون وصفًا، **والثاني**: أن يكون فضلة، **والثالث**: أن يكون صالحًا للوقوع في جواب «كيف»، وذلك كقولك: ضربت اللص مكتوفًا.

فإن قلت: يرد على ذلك الوصف نحو قوله تعالى: ﴿فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ﴾ [النساء: ٧١]؛ «ثُبَاتٍ» حال وليس بوصف.

وعلى ذكر الفضلة نحو قوله: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [لقمان: ١٨]؛ فإنه لو أسقط «مَرَحًا» فسد المعنى، فيبطل كون الحال فضلة.

وعلى ذكر الوقوع في جواب «كيف» نحو: ﴿وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: ٦٠].

قلت: ثبات في معنى متفرقين فهو وصف تقديرًا، أو المراد بالفضلة ما يقع بعد تمام الجملة لا ما يصح الاستغناء عنه، والحد المذكور للحال المبينة لا للمؤكدة».اهـ

قال المصنف: (**الحالُ هو الاسمُ المنصوبُ المفسِّرُ لما انبهمَ من الهيئاتِ**).

قوله: «**الاسم**» يريد صريحًا أو ما في تأويله من الجملة الواقعة حالًا ماضوية كانت أو مضارعية أو اسمية أو ظرفًا وجارًّا مجرورًا فهي في جميع ذلك في محل نصب على الحال.

وقوله: «**المنصوب**» هذه صفة لازمة له لأنه فضلة والنصب إعراب الفضلات، والمصنف كثيرًا ما يدخل الأحكام في الحدود، وفيه مقال يطلب من

محله.

واختلفوا من أي باب نصب الحال فقيل: نصب المفعول به، وقيل: نصب التشبيه بالمفعول به. قال السيوطي: وهو الأرجح. وقيل: نصب الظروف لأن الحال يقع فيه الفعل؛ إذ المجيء مثلًا في نحو: جاء زيد ضاحكًا، وقع في وقت الضحك فأشبهت ظرف الزمان، ورد بأن الظرف أجنبي من الاسم.

وقوله: «**المفسر لما انبهم من الهيئات**» مخرج للتمييز فإنه مفسر لما انبهم من الذوات.

(**تنبيه**): في "القاموس": «أبهم الأمر: اشتبه، كاستبهم». قال الشيخ مرتضى في شرحه عند قوله: استبهم: «قال شيخنا -يعني العلامة الشيخ محمد بن الطيب الفاسي-: النحاة يقولون في باب الحال والتمييز: المفسر لما انبهم. ولم يسمع في كلام العرب، بل الصواب: استبهم، وتوقفت مدة لاشتهاره في جميع مصنفات النحو، ثم رأيت الراغب تعرض له ونقله عن شيخه أن انبهم غير مسموع وأن الصواب استبهم كما قلت».اهـ ثم زاد: «لأن انبهم انفعل وهو خاص بما فيه علاج وتأثير».اهـ

قلت: ونقل الراعي نحو هذا في شرحه لهذا الموضع عن شيخه العلامة أبي الحسن علي بن محمد بن سمعت الغرناطي الأندلسي، ولولا خوف الإطالة لأتيت بكلامه.

و«الهيئات»: جمع هيئة، والهيئة بفتح الهاء وتكسر: حال الشيء وكيفيته، ورجل هيئ وهيئ، ككيس وظريف حسنها، كذا في "القاموس".

واعلم أنه يأتي الحال من الفاعل نصًّا (نحو) قولك: (جاء زيد راكبًا)، (و) من المفعول كذلك نحو: (ركبت) بكسر في العين وفتحها في المضارع (الفرس مسرجًا)، (و) محتملة لأن تكون منهما نحو: (لقيت عبد الله راكبًا)، ومنهما جميعًا نحو: زيد لقيته راكبين (وما أشبه ذلك) من الأمثلة.

ومن إتيانها من المجرور بحرف نحو: مررت بهند جالسة، وفي تقديمها عليه فيقال: مررت جالسة بهند، وعدمه خلاف، ذهب الجمهور إلى المنع، وذهب الفارسي وابنا كيسان وبرهان إلى جواز ذلك، وتابعهم ابن مالك لورود السماع به.

(فرع): قال ابن مالك:

ولا تُجِزْ حالًا من المضافِ لَهْ ... إلَّا إذا اقتضَى المضافُ عَمَلَهْ

أو كانَ جزءَ ما له أُضِيفَا ... أو مثلَ جزئِه فلا تَحِيفَا

فمثال المضاف إليه الذي يصح عمله: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٤] ونحوه مما تضمن معنى الفعل كاسم الفاعل، ومثال ما هو جزء المضاف: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا﴾ [الحجر: ٤٧] ومثال ما هو كجزئه في صحة الاستغناء عنه: ﴿اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٣].

قال المؤلف: (ولا يكونُ الحالُ إلا نكرةً) عند الجمهور، فإن ورد منها ما هو معرف لفظًا فهو منكر معنى كقولهم: «جاءوا الجَمَّاء الغَفِيرَ»، و«أرسلَهَا العِرَاك» و«اجتهدْ وحدَك»، و«كلمتُه فَاهُ إلى فِيَّ».

فالجماء، والعراك، ووحدك، وفاه، أحوال معرفة مؤولة بنكرة، والتقدير: جاءوا جميعًا، وأرسلها معتركة، واجتهد منفردًا، وكلمته مشافهة.

وزعم البغداديون ويونس أنه يجوز تعريف الحال مطلقًا، وفصل الكوفيون فقالوا: إن تضمنت الحال معنى الشرط صح تعريفها وإلا فلا.

(مسألة): كثر مجيء الحال مصدرًا نكرة وهو خلاف الأصل؛ إذ حق الحال أن يكون وصفًا، وهو ما دل على معنى وصاحبه: كقائم وحسن ومضروب، والمصدر لا دلالة فيه على صاحب المعنى، فذلك مع كثرة وروده ليس بمقيس لأنه خلاف الأصل، فمنه: طلع زيد بغتة، فـ«بغتة» مصدر نكرة وهو منصوب على الحال، والتقدير: طلع زيد باغتًا، هذا مذهب سيبويه والجمهور، وذهب الأخفش والمبرد إلى أنه منصوب على المصدرية والعامل فيه محذوف والتقدير: طلع زيد يبغت بغتة، فيبغت هو الحال، وذهب الكوفيون إلى أنه منصوب على المصدرية والناصب له الفعل المذكور وهو «طلع» لتأوله بفعل من لفظ المصدر. قاله ابن عقيل.

قال المؤلف: (ولا يكونُ إلا بعدَ تمامِ الكلامِ) يعني بعد أخذ الفعل فاعله والمبتدأ خبره؛ لأنها فضلة كما تقدم. ويجوز تقديمها على صاحبها كالخبر، سواء كان مرفوعًا كقوله:

فسَقَى ديارَك غيرَ مُفْسِدِها صوبُ الغَمَام وديمةٌ تَهْمِي

أم منصوبًا كقوله: «وصلت ولم أصرم مُسِيئينَ أُسْرتي».

أم مجرورًا بحرف زائد نحو: ما جاءني عاقلًا من أحد، أو أصلي نحو: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨] هذا هو الأصح.

أما المجرور بالإضافة فلا يجوز تقديم الحال عليه لئلا يفصل بين المتضايفين، وسواء كانت الإضافة محضة أم لا، قال ابن هشام في "الجامع": وهو الأصح. ويجوز أيضًا تقديم الحال على ناصبها إن كان فعلًا متصرفًا، أو صفة تشبه الفعل المتصرف، والمراد بها تضمن معنى الفعل وحروفه كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة نحو: مخلصًا زيد دعا، ومسرعًا ذا راحل، فإن كان الناصب لها فعلًا غير متصرف أو صفة لا تشبه الفعل المتصرف لم تتقدم عليها، وذلك كفعل التعجب وأفعل التفضيل (**ولا يكونُ صاحبُها إلا معرفةً**) وهو الأصل الغالب؛ لأنها لما كانت الحال خبرًا في المعنى وصاحبها مخبرًا عنه أشبه المبتدأ؛ فلم يجز مجيء الحال من النكرة غالبًا إلا بمسوغ من مسوغات الابتداء بها، واختار أبو حَيَّان مجيء الحال من النكرة بلا مسوغ كثيرًا قياسًا، ونقله عن سيبويه.

(**تتميم**): قال ابن مالك:

وكـــونهُ مُنْتَـــقِلًا مُشْتَـــقًّا ... يَغلِـبُ لكـنْ لـيسَ مُسـتَحَقًّا

ويكثـرُ الجمُـودُ في سِـعْرٍ وفي ... مُبـدِي تـأوُّلٍ بـلا تَكَلُّـفِ

(**فرع**):

و الحـالُ قـد يجـيءُ ذا تَعَـدُّدِ ... لمفْـردٍ فاعْـلَمْ وغيـرِ مُفْـرَدِ

وعامـلُ الحـالِ بهـا قـد أُكِّـدَا ... في نحوِ لا تَعْثَ في الأرضِ مُفْسِدا

(**تنبيهات**):

الأول: تنقسم الحال باعتبارات، فتنقسم باعتبار انتقال معناها ولزومه إلى قسمين منتقلة -وهو الغالب- وملازمة، وذلك واجب في ثلاث: الجامدة غير

المؤولة بالمشتق نحو: هذا مالك ذهبا، والمؤكدة نحو: ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾ [النمل: ١٠]، و التي دل عاملها على تجدد صاحبها نحو: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨].

وتنقسم بحسب قصدها لذاتها وللتوطئة بها إلى قسمين: مقصودة -وهو الغالب- وموطئة وهي الجامدة الموصوفة نحو: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧] فإنما ذكر «بَشَرًا» لذكر «سَوِيًّا».

وتنقسم بحسب الزمان إلى ثلاثة: مقارنة -وهو الغالب- ومقدرة وهي المستقبلة نحو: ﴿فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]، ومحكية وهي الماضي نحو: جاء زيد أمس راكبًا.

وتنقسم بحسب التبيين والتوكيد إلى قسمين: مبينة -وهو الغالب- وتسمى مؤسسة، ومؤكدة وهي التي يستفاد معناها بدونها وهي ثلاثة: مؤكدة لعاملها نحو: ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾ [النمل: ١٠]، ومؤكدة لصاحبها نحو: جاء القوم طرًا، ومؤكدة لمضمون الجملة نحو: زيد أبوه عطوفًا.

الثاني: مما يشكل قولهم: جاء زيد والشمس طالعة، فإن الجملة الاسمية حال مع أنها لا تنحل إلى مفرد يبين هيئة فاعل ولا مفعول ولا هي مؤكدة، فقال ابن جني: تأويلها جاء زيد طالعة الشمس عند مجيئه، يعني فهي كحال والنعت السببين كمررت بالدار قائمًا سكانها، وبرجل قائم غلمانه، وقال ابن عمرون: هي مؤولة بمنكر أو نحو.

الثالث: الحال صفة في المعنى، ولذلك اشترط فيها ما يشترط في الصفات

من الاشتقاق، فكما أن الصفة يعمل فيها عامل الموصوف، فكذلك الحال يعمل فيها العامل في صاحبها، إلا أن عمله في الحال على سبيل الفضلة، وعمله في الصفة على سبيل الحاجة إليها إذا كانت مبينة للموصوف فجرت مجرى حرف التعريف، وهذا أحد الفروق بين الصفة والحال، وقد ضعف سيبويه: «مررت برجل أسد» على أن يكون نعتًا؛ لأن «أسدًا» اسم جنس جوهر، ولا يوصف بالجوهر، ولو قلت: «هذا خاتم حديد» لم يجز، وأجاز: «هذا زيدٌ أسدَ شِدَّةٍ» على أن يكون حالًا من غير قبح، واحتج بأن الحال مجراها مجرى الخبر، وقد يكون خبرًا ما لا يكون صفة، ألا تراك تقول: هذا مالك درهمًا، وهذا خاتمك حديدًا، ولا يحسن أن يكون وصفًا، وفي الفرق بينها نظر؛ وذلك أنه ليس المراد من السبع شخصه، وإنما المراد أنه في الشدة مثله، والصفة والحال في ذلك سواء، وليس كذلك الحديد والدرهم؛ فإن المراد جوهرهما. قاله ابن يعيش.

(فوائد):

الأولى: كل ما جاز أن يكون حالًا جاز أن يكون صفة للنكرة، وليس كل ما يجوز صفة للنكرة يجوز أن يكون حالًا؛ ألا ترى أن الفعل المستقبل يكون صفة للنكرة نحو: هذا رجل سيكتب، ولا يجوز أن يقع حالًا.

الثانية: جميع العوامل اللفظية تعمل في الحال إلا «كان وأخواتها»، و«عسى» على الأصح فيهما.

الثالث: الحال شبيهة بالظرف قال ابن كيسان: ولذا أغنت عن الخبر في: ضربت زيدًا قائمًا.اهـ التقطت ذلك من "الأشباه".

(خاتمة): قال ابن هشامٍ: أكثر ما يرد حذف الحال إذا كان قولًا أغنى عنه

المقول نحو: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾ [الرعد: ٢٣ - ٢٤] أي: قائلين ذلك، ومثله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ [البقرة: ١٢٧] ويحتمل أن الواو للحال، وأن القول المحذوف خبر، أي: وإسماعيل يقول؛ كما أن القول حذف خبرًا للموصول في ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ﴾ [الزمر: ٣] ويحتمل أن الخبر هنا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ [الزمر: ٣] فالقول المحذوف نصب على الحال، أو رفع خبرًا، أو لا موضع له لأنه بدل من الصلة هذا إذا إن كان «الذين» للكفار والعائد الواو، فإن كان للمعبودين عيسى والملائكة والأصنام والعائد محذوف، أي: اتخذوهم، فالجزاء أن الله يحكم بينهم، وجملة القول حال أو بدل.اهـ ثم قال المصنف:

(باب التمييز)

في "القاموس": «مازه يميزه ميزًا: عزله وفرزه، كأمازه وميزه فامتاز وانماز وتميز واستماز، والشيء: فصل بعضه على بعض».اهـ.

قال السيوطي: ويقال له المعين والتبيين والمبين والتفسير والمفسر.

وفي الاصطلاح قال المصنف: (**التمييزُ هو الاسمُ المنصوبُ المفسِّرُ لما انبَهمَ من الذَّواتِ**) ومن النسب. وقال ابن هشامٍ: التمييز اسم نكرة فضلة يرفع إبهام اسم أو إجمال نسبة.

فالأول أربعة أقسام:

أحدها: أن يقع بعد العدد وهو قسمان: صريح وكناية، فالصريح الأحد عشر فما فوقها إلى المائة، نحو قول الله تعالى: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ [يوسف: ٤]، ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ [المائدة: ١٢]، ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف: ١٤٢]، ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: ١٤]، ﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ [المجادلة: ٤]، ﴿ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ [الحاقة: ٣٢]، ﴿فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ [النور: ٤] ﴿إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ [ص: ٢٣].

والكناية: هي «كم الاستفهامية» نحو: كم عبدًا ملكت، فـ«كم» مفعول مقدم و«عبدًا» تمييز واجب النصب والإفراد، وزعم الكوفية أنه يجوز جمعه، وهذا لم يسمع ولا قياس يقتضيه، ويجوز جر تمييز «كم الاستفهامية» بشرطين: دخول حرف الجر عليها، وأن يكون تمييزها إلى جانبها، والجر حينئذ عند

الجمهور النحاة بـ«من» مضمرة، وزعم الزجاج: أنه بالإضافة.

والثاني: أن يقع بعد المقادير وهي ثلاثة: ما يدل على الوزن كقولك: منوان سمنا، والمنوان: تثنية «منا» وهو لغة في المن، وما يدل على مساحة كقولك: شبر أرضًا، وما يدل على الكيل كقولهم: صاع تمرًا.

القسم الثالث: أن يقع بعد شبه هذه الأشياء ولذلك أمثلة:

أحدها: قوله تعالى: ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا﴾ [الزلزلة: ٧] فهذا يعد شبه الوزن؛ لأن مثقال الذرة ليس اسمًا لشيء يوزن به في عرفنا.

الثاني: قولهم: عندي نحي سمنًا، والنحي: بكسر النون وإسكان الحاء المهملة بعدها ياء خفيفة؛ اسم لوعاء السمن، وهذا يعد شبه الكيل لأن النحي ليس مما يكال به السمن.

الثالث: قولهم على التمرة: مثلها زبدًا، فـ«زبدًا» واقع بعد «مثل» وهي شبيهة بالوزن.

القسم الرابع: أن يقع بعد ما هو متفرع منه، كقولهم: هذا خاتم حديدا؛ وذلك لأن الحديد هو الأصل، والخاتم فرع منه.

والقسم الثاني من أقسام التمييز: هو المبين لجهة النسبة أربعة:

أحدها: أن يكون محولًا عن الفاعل كقول الله تعالى: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾ [النساء: ٤] وقوله تعالى: ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤] أصلهما: فإن طابت أنفسهن لكم عن شيء منه، واشتعل شيب الرأس، فحول الإسناد فيهما عن المضاف وهي «الأنفس» في الأولى و«الشيب» في الثانية إلى المضاف

إليه وهو «ضمير النسوة» و«الرأس»، وأفردت النفس بعد أن كانت مجموعة؛ لأن التمييز إنما يطلب فيه بيان الجنس وهو يتأدى بالمفرد.

الثاني: أن يكون محولًا عن المفعول، كقوله تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾ [القمر: ١٢] التقدير: عيون الأرض.

الثالث: أن يكون محولًا عن غيرهما كقوله تعالى: ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا﴾ [الكهف: ٣٤] أصله: مالي أكثر، فحذف المضاف وهو المال وأقيم المضاف إليه وهو ضمير المتكلم مقامه فارتفع وانفصل، ثم جيء بالمحذوف تمييزًا، ومثله: زيد أحسن وجهًا، والتقدير وجه زيد أحسن.

الرابع: أن يكون غير محول كقول العرب: لله دره فارسًا، وحسبك به ناصرًا. انتهى كلام ابن هشامٍ مختصرًا.

إذا تقرر هذا علمت أنَّ قول المصنف: (**نحوُ قولِك: تَصبَّبَ زيدٌ عَرَقًا، وتفقَّأ**) أي: تشقق كما في "المصباح" (**بكرٌ شحمًا، وطابَ محمدٌ نفسًا**) من القسم الثاني وهو تمييز النسبة محولًا عن الفاعل، والأصل تصبب عرق زيد، وتفقأ شحم بكر، وطابت نفس محمد (و) قوله: (**اشتريتُ عشرين غلامًا، وملكتُ تسعين نعجةً**) من القسم الأول وهو تمييز الذوات (و) قوله: (**زيد أكرم منك أبًا وأجمل منك وجهًا**) من الثاني فكان حقه أن يقدم على ذكر العدد (**ولا يكونُ إلا نكرةً**) عند البصريين، فأما قول رشيد اليشكري:

رأيتُك لمَّا أنْ عرفتَ وجوهَنَا صدَدْتَ
وطبتَ النَّفسَ يا قيسُ عن عمرِو

فمحمول على زيادة «أل» للضرورة، وخالف الكوفيون وابن الطراوة فأجازا تعريف التمييز تمسكًا بنحو ما أوله البصريون (**ولا يكونُ إلا بعد تمامِ الكلامِ**) في "الأشباه": قال ابن النحاس في "التعليقة": أجاز المازني والمبرد والكوفيون تقديم التمييز على الفعل قياسًا على الحال، ومنعه أكثر البصريين، والقياس لا يتجه؛ لأن الفرق بين الحال والتمييز ظاهر؛ لأن التمييز مفسر لذات المميز، والحال ليس بمفسر، فلو قدمنا التمييز لكان المفسر قبل المفسر وهذا لا يجوز، وقال الأبذي في "شرح الجزولية": التمييز مشبه للنعت فلم يتقدم، وإنما تقدمت الحال لأنها خبر في المعنى، ولتقديرها بـ«في» فأشبهت الظرف، وأيضًا فالحال لبيان الهيئة لا ببيان الذات ففارقت النعت.

وقال ابن يعيش في "شرح المفصل": سيبويه لا يرى تقديم التمييز على عامله فعلًا كان أو معنى أما إذا كان معنى فظاهر لضعفه، ولذلك يمتنع تقدم الحال على العامل المعنوي، وأما إذا كان فعلًا متصرفًا فقضية الدليل جواز تقديم منصوبه عليه لتصرف عامله، إلا أنه منع من ذلك مانع وهو كون المنصوب فيه مرفوعًا في المعنى، من حيث كان الفعل مسندًا إليه في المعنى والحقيقة، ألا ترى أن التصبب والتفقؤ في قولنا: «تصبب زيد عرقًا، وتفقأ شحمًا» في الحقيقة للعرق والشحم والتقدير: تصبب عرق زيد وتفقأ شحمه، فلو قدمناهما موقعًا لا يكون فيه الفاعل لأن الفاعل إذا قدمناه خرج عن أن يكون فاعلًا، وكذلك إذا قدمناه لم يصح أن يكون في تقدير فاعل نقل عنه الفعل؛ إذ كان هذا موضعًا لا يقع فيه الفاعل فإن قيل: فإذا قلت: «جاء زيد راكبًا» جاز تقديم الحال وهو المرفوع في المعنى فما الفرق بينهما؟ قيل: نحن إذا

قلنا: «جاء زيد راكبًا» فقد استوفى الفعل فاعله لفظًا ومعنى، وبقي المنصوب فضلة فجاز تقديمه، وأما إذا قلنا: «طاب زيد نفسًا» فقد استوفى الفعل فاعله لفظًا لا معنى، فلم يجز تقديمه كما لم يجز تقديم المرفوع. انتهى المراد منه بلفظها.

قلت: وافق الجمهور سيبويه على ذلك، وما ورد من ذلك عندهم ضرورة كما في "المغني".

(تنبيهات):

التنبيه الأول: قال ابن الصائغ في "تذكرته": التمييز المنتصب عن تمام الكلام يجوز أن يأتي بعد كل كلام منطوٍ على شيءٍ مبهم إلا في موضعين:

أحدهما: أن يؤدي إلى تدافع الكلام نحو: ضرب زيد رجلاً، إذا جعلت رجلًا تمييزًا لما انطوى عليه الكلام المتقدم من إبهام الفاعل، وذلك أن الكلام مبني على حذف العامل فذكره تفسيرًا آخره متدافع؛ لأن ما حذف لا يذكر، وقد ذهب إلى إجازته بعض النحويين.

والموضع الثاني: أن يؤدي إلى إخراج اللفظ عن أصل وضعه نحو قولك: ادهنت زيتًا، لا يجوز انتصاب زيت على التمييز؛ إذ الأصل: ادهنت بزيت، فلو نصب على التمييز لأدى إلى حذف حرف الجر والتزام التنكير في الاسم ونصبه بعد أن لم يكن كذلك، وكل ذلك إخراج اللفظ عن أصل وضعه، وتوقف فيما ورد من ذلك على السماع، والذي ورد منه قولهم: امتلأ الإناء ماء، وتفقأ زيد شحمًا، والدليل على أن ذلك نصب على التمييز التزام التنكير ووجوب التأخير بإجماع. انتهى من "الأشباه".

قلت: دعواه الإجماع على وجوب التأخير لا يصح، فقد تقدم أن في ذلك

خلافًا، اللهم إلا أن يحمل ذلك على الفعل الجامد فتصح دعوى الإجماع.

التنبيه الثاني: قال ابن الطراوة: الإبهام الذي يفسره التمييز إما في الجنس نحو: عشرون رجلًا، أو البعض نحو: أحسن الناس وجهًا، أو الحال نحو: أحسنهم أدبًا، أو السبب نحو: أحسنهم عبدًا.

قال ابن هشامٍ في "تذكرته": فهو كالبدل في أقسامه الثلاثة، والقسمان الأخيران نظيرهما بدل الاشتمال، ويوضح الأول أن الإفراد في موضع الجمع، فـ«رجل» في موضع «رجال»، فالعشرون نفس الرجال. انتهى من "الأشباه".

التنبيه الثالث: قال ابن هشامٍ: اعلم أن الحال والتمييز قد اجتمعا في خمسة أمور وافترقا في سبعة، فأما أوجه الاتفاق فإنهما اسمان نكرتان فضلتان منصوبتان رافعتان للإبهام، وأما أوجه الافتراق:

فأحدها: أن الحال يكون جملة كجاء زيد يضحك، وظرفًا نحو: رأيت الهلال بين السحاب، وجارًّا ومجرورًا نحو: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ﴾ [القصص: ٧٩]، والتمييز لا يكون إلا اسمًا.

والثاني: أن الحال قد يتوقف معنى الكلام عليها كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ [لقمان: ١٨]، ﴿ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ ﴾ [النساء: ٤٣] بخلاف التمييز.

والثالث: أن الحال مبينة للهيئات، والتمييز مبين للذوات.

والرابع: أن الحال يتعدد كقوله:

عليَّ إذا ما زرتُ ليلى بخُفْيةٍ زيارةُ بيتِ اللهِ رَجْلَانَ حافيَا

بخلاف التمييز.

والخامس: أن الحال تتقدم على عاملها إذا كان فعلًا متصرفًا أو وصفًا يشبه نحو: ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ﴾ [القمر: ٧]، وقوله: «نَجَوْتِ وهذا تحملينَ طَليقُ»، ولا يجوز ذلك في التمييز على الصحيح.

والسادس: أن حق الحال الاشتقاق وحق التمييز الجمود، وقد يتعاكسان.

والسابع: أن الحال تكون مؤكدة لعاملها نحو: ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾ [القصص: ٣١] ولا يقع التميز كذلك.اهـ

وأما ما جزم به في "شرح" القطر من التمييز يقع مؤكدًا واستشهد عليه بقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ [التوبة: ٣٦] فسبقه إلى ذلك ابن مالك، وبهذه الآية استشهد، والجمهور على خلافه، وأجيب بأن شهرًا وإن أكد ما فهم من أن عدة الشهور إلا أنه بالنسبة إلى عامله وهو «اثني عشر» مبين.

التنبيه الرابع: يجوز حذف التمييز إذا قصد إبقاء الإبهام، أو كان في الكلام ما يدل عليه، ولا يجوز حذف المميز لأنه يزيل دلالة الإبهام إلا أن يوضع غيره موضعه، كقولهم: ما رأيت كاليوم رجلًا، وقد يحذف من غير بدل كقولهم: «تالله رجلًا» أي: تالله ما رأيت كاليوم رجلًا. أفاده في "الهمع".

التنبيه الخامس: قال في "الهمع": مميز كذا لا يكون إلا مفردًا منصوبًا قال الشاعر: «عِدِ النفسَ نُعمَى بعدَ بؤساك ذاكرًا كذا وكذا لطفًا به نُسِي الجَهدُ»

هذا مذهب البصريين، ولا يجوز جره بـ«من» اتفاقًا ولا بالإضافة خلافًا

للكوفيين أجازوا في غير عطف ولا تكرار أن يقال: «كذا ثوب، وكذا أثواب» قياسًا على العدد الصريح، ورد بأن المحكي لا يضاف وبأن في آخرها اسم إشارة واسم الإشارة لا يضاف، وأجاز بعضهم: «كذا درهم» بالجر على البدل، وجوز الكوفيون الرفع بعد كذا. قال أبو حَيَّان: وهو خطأ لأنه لم يسمع، وجوز الجمع بعد الثلاثة إلى العشرة اهـ.

ولابن هشامٍ في مسألة «كذا» مؤلف حافل استدرك فيه على ما كتبه أبو حَيَّان فيها، وبين ما أجمله، وأورد ما أهمله وسماه: "فوح الشذا بمسألة «كذا»" راجعه تستفد، فإنه وإن كان صغير الجرم كبير العلم وبالله التوفيق والهداية.

باب الاستثناء

ثم قال المصنف:(**باب الاستثناء**) وهو مصدر قولهم: استثنيت الشيء أستثنيه: حاشيته، واسم المفعول مستثنى: أي: محاشي. قاله الراعي.

وفي "المصباح": الاستثناء استفعال من ثنيت الشيء أثنيه ثنيا، إذا عطفته ورددته، وثنيته عن مراده إذا صرفته عنه؛ فالاستثناء صرف العامل عن تناول المستثنى.اهـ

ويحمل على المستثنى لأن الكلام في المنصوبات من إطلاق المصدر وإرادة اسم المفعول، وهو الاسم الواقع بعد «إلا» وإحدى أخواتها. قاله أبو النجا.

وأقول: وقع في نسخة الراعي التي شرح عليها التعبير بالمستثنى، فلا حاجة إلى الحمل والتقدير، والعبارة الأولى موافقة لعبارة النحويين سيبويه فمن بعده، والثانية عبارة ابن مالك في "التسهيل" وابن هشامٍ في "القطر"

و"الشذور" و"التوضيح" والسيوطي في "جمع الجوامع"، وحده في "التسهيل" بأنه المخرج تحقيقًا أو تقديرًا من مذكور أو متروك بإلا أو ما في معناها بشرط الفائدة. قال في "التصريح": قوله: «المخرج» جنس يشمل المخرج بالبدل وبالصفة وبالشرط وبالغاية، وقوله: «تحقيقًا أو تقديرًا» إشارة إلى قسمي المتصل والمنقطع، وقوله: «من مذكور أو متروك» إشارة إلى قسمي التام والمفرغ، وقوله: «بإلا» فصل يخرج ما عدا المستثنى مما تقدم، وقوله: «أو ما في معناها» يشمل جميع أدوات الاستثناء، وقوله: «بشرط الفائدة» احترازًا عن نحو: جاءني ناس إلا زيدًا، وجاءني القوم إلا رجلًا.

قال الشاطبي: ومعنى إخراجه أن ذكره بعد اللامين أنه لم يرد دخوله فيما تقدم، فبين ذلك للسامع بتلك القرينة، لا أنه كان مرادًا للمتكلم ثم أخرجه، هذا حقيقة الإخراج عند النحويين؛ سيبويه وغيره، وهو الذي لا يصح غيره، وبه يتضح الحال ويزول الإشكال. انتهى مختصرًا.

قال المؤلف: (**وحروفُ الاستثناءِ ثمانيةٌ**) قال الراعي في "شرحه": كان الأنسب أن يتكلم على المستثنى، ثم بعد ذلك على حروفه، وأطلق الشيخ على أدوات الاستثناء حروفًا باعتبار الكلمات، فكأنه قال: كلمات الاستثناء، وهذا كثير في كلام الأقدمين يطلقون الحروف على الأسماء والأفعال اهـ.

(**وهي: إلا**) قال ابن إياز: أصل أدوات هذا الباب إلا لوجهين:

الأول: أنها حرف، والموضوع لإفادة المعاني الحروف كالنفي والاستفهام والنداء.

الثاني: أنها تقع في أبواب الاستثناء فقط، وغيرها في أمكنة مخصوصة بها،

وستعمل في أبواب أخر.

(فائدة): ترد «إلا» لمعان أخر غير الاستثناء أحدها: أن تكون بمنزلة «غير» فيوصف بها وبتاليها جمع منكر أو شبهه، ويعرب الاسم الواقع بعدها بإعراب «غير» نحو: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] فلا يجوز أن تكون هذه للاستثناء لأن «ءَالِهَةٌ» جمع منكر في الإثبات فلا عموم له، فلا يصح الاستثناء منه، ولأنه يصير المعنى حينئذ: لو كان فيهما آلهة ليس فيهم الله لفسدتا وهو باطل باعتبار مفهومه. قاله في "الإتقان".

قلت: هذه الآية قضية منطقية وقعت في القرآن وبها يستدل على جوازه.

ثانيها: أن تكون عاطفة بمنزلة «الواو»، ذكره الأخفش والفراء وأبو عبيدة وجعلوا منه: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٥٠] أي: ولا الذين ظلموا، وتأولها الجمهور على الاستثناء المنقطع.

ثالثها: أن تكون بمعنى «بل»، ذكره بعضهم وجعل منه: ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً﴾ [طه: ٢ - ٣] أي بل تذكرة.

رابعها: أن تكون بمعنى: «بدل» وذكره ابن الصائغ، وخرج عليه: ﴿ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] أي: بدل الله أو عوضه، وبه يخرج عن الإشكال المذكور في الاستثناء وفي الوصف بـ«إلا» من جهة المفهوم.

خامسها: أن تكون زائدة، ذكره الأصمعي وابن جني، وحملا عليه قول ذي الرمة:

حَرَاجِيجُ ما تنفكُّ إلا مُناخةً على الخسْفِ أو نَرْمِي بها بَلَدًا قَفْرًا

انتهى من "المغني" و"الإتقان".

(تنبيه): قال الرماني في "تفسيره": معنى «إلا» اللازم لها: الاختصاص بالشيء دون غيره، فإذا قلت: جاءني القوم إلا زيدًا، فقد اختصصت زيدًا بأنه لم يجيء، وإذا قلت: ما جاءني إلا زيد، فقد اختصصته بالمجيء، وإذا قلت: ما جاءني زيد إلا راكبًا، فقد اختصصته بهذه الحالة دون غيرها من المشي والعدو ونحوه.اهـ، نقله في "الإتقان".

(وغير) وتقال على أوجه:

الأول: أن تكون للنفي المجرد من غير إثبات معنى به نحو: مررت برجل غير قائم، أي: لا قائم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]، ﴿وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف: ١٨]، الثاني: بمعنى إلا فيستثنى بها وتوصف بها النكرة نحو: ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]، ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣].

الثالث: لنفي صورة من غير مادتها نحو: الماء إذا كان حارًّا غيره إذا كان باردًا، ومنه قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: ٥٦].

الرابع: أن يكون ذلك متناولا لذات نحو: ﴿تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٩٣]، ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا﴾ [الأنعام: ١٦٤]، ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ﴾ [يونس: ١٥]، ﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٩]. قاله الراغب في "المفردات".

قال المؤلف: (وسِوى) كرضا، (وسُوى) كهدى، (وسَواء) كسماء، وسِواء

كبناء، وهي أغربها وقل من ذكرها، ونص عليها الفارسي في "الحجة"، وهي بلغاتها قسم واحد.

قال المؤلف: (**وخَلا**) وهي على وجهين: حرف جار للمستثنى، وفعل ناصب متعدٍ له.

قال المؤلف: (**وعَدا**) كخلا فيما ذكرته من القسمين، وسيبويه لم يحفظ فيها إلا الفعلية (**وحاشا**) وهي حرف بمنزلة «إلا» عند سيبويه وأكثر البصريين، وقيل: تستعمل حرفًا كثيرًا وقليلًا فعلا متعديًا جامدًا لتضمنه معنى «إلا»، وعليه الجرمي والمازني والمبرد والزجاج والأخفش وأبو زيد والفراء وأبو عمرو الشيباني (**فالمستثنَى بإلَّا ينصَبُ إذا كانَ الكلامُ تامًّا موجبًا**) واعلم أن الذي ينصب بعد «إلا» ينصب في ستة مواضع:

الأول: الاستثناء من الموجب لفظًا ومعنى نحو: قام القوم إلا زيدًا، وخرج الناس إلا عمرًا.

الثاني: أن يكون موجبًا معنى لا لفظًا نحو: ما أكل أحد إلا الخبز إلا زيدًا؛ لأن التقدير يؤدي إلى الإيجاب، فكأنه قال: كل الناس أكلوا الخبز إلا زيدًا.

الثالث: أن يكون للمستثنى منه حال موجبه، نحو ما جاءني أحد إلا راكبًا إلا زيدًا؛ لأنه يؤدي أيضًا إلى الإيجاب، فيكون تقديره: كل الناس جاءوني راكبين إلا زيدًا.

الرابع: أن تكرر إلا مع اسمين مستثنين، فلا بد من نصب أحدهما نحو: ما جاءني أحد إلا زيد إلا عمرًا، أو إلا زيدًا إلا عمرو.

والخامس: أن يقدم المستثنى على المستثنى منه نحو: ما جاءني إلا زيدًا أحد.

السادس: الاستثناء من غير الجنس نحو: ما في الدار أحد إلا حمارًا. قاله ابن الدهان.

(تنبيهات):

الأول: اختلف في ناصب المستثنى بإلا على ثمانية أقوال:

أحدها: أنه نفس «إلا» وحدها، وإليه ذهب ابن مالك وزعم أنه مذهب سيبويه والمبرد.

والثاني: تمام الكلام كما انتصب «درهمًا» بعد «العشرين».

والثالث: الفعل المتقدم بواسطة «إلا»، وإليه ذهب السيرافي والفارسي وابن الباذش.

والرابع: الفعل المتقدم بغير واسطة «إلا»، وإليه ذهب ابن خروف.

والخامس: فعل محذوف من معنى «إلا» تقديره: استثني زيدًا، وإليه ذهب الزجاج.

والسادس: المخالفة، وحكي عن الكسائي.

والسابع: أنَّ بفتح الهمزة وتشديد النون محذوفة هي وخبرها، حكاه السيرافي عن الكسائي.

الثامن: أن «إلا» مركبة من «إن، ولا» ثم خففت «إن» وأدغمت في اللام، حكاه السيرافي عن الفراء، وزاد ابن عصفور فإذا انتصب ما بعدها فعلى تغليب حكم «إن»، وإذا لم ينتصب فعلى تغليب حكم لا؛ لأنها عاطفة. قاله في "التصريح".

الثاني: إذا ورد الاستثناء بعد جمل عطف بعضها على بعض، فهل يعود إلى

الكل؟ فيه خلاف قيل: نعم، وقيل: لا، بل يختص بالجملة الأخيرة.

قال أبو حَيَّان: والخلاف مبني على الخلاف في العامل في المستثنى، فمن قال أنه «إلا» أعاده إلى الكل ومن قال أنه الفعل السابق قال: إن اتحد العامل عاد إلى الكل، وإن اختلف فللأخيرة خاصة؛ إذ لا يمكن عمل العوامل المختلفة في مستثنى واحد. انتهى كلامه من "الأشباه". وقد بسط الكلام على هذه المسألة في "شرح الجمع" فراجعه.

الثالث: في جواز تقديم المستثنى على المستثنى منه وعلى العامل فيه إذا لم يتقدم وتوسط بين جزئي كلام -نحو: القوم إلا زيدًا قاموا- خلاف، قيل بالجواز، وقيل بالمنع، قال أبو حَيَّان: وهو مبنى الخلاف في العامل في المستثنى فمن قال: إنه ما تقدم من فعل أو شبهه منعه، ومن قال: إنه «إلا» أو نحوه جوزه. انتهى من "الأشباه".

الرابع: يجب النصب في الاستثناء التام الموجب كيفما كان؛ متصلًا كما مر أو منقطعًا نحو: ضربت القوم إلا حمارًا، وقام القوم إلا حمارًا، ومررت بالقوم إلا حمارًا، والمراد بالمتصل أن يكون المستثنى بعضًا مما قبله، وبالمنقطع أن لا يكون بعضًا مما قبله، ويقال للأول: تخصيص؛ لأنه استثناء من الجنس، وللثاني: استدراك؛ لأنه استثناء من غير الجنس، والبصريون يقدرونه بلكن الاستدراكية.

قال عبدالقاهر: وهو مشبه بالعطف، ولك عطف الشيء على ما هو من غير جنسه، كقولك: جاءني رجل إلا حمارًا، فشبهت «إلا» بـ«لا»؛ لأن الاستثناء والنفي متقاربان فقيل: ما مررت بأحد إلا حمارًا، كما قيل: مررت

برجل لا حمار.اهـ

قال المؤلف: (**وإن كانَ الكلامُ منفيًّا تامًّا**)، فإما أن يكون متصلًا أو منقطعًا، فإن كان متصلًا (**جازَ فيه البدلُ**)، وهو المختار ولذا قدمه المصنف (و) يجوز (**النصبُ على الاستثناء نحو**) قولك: (**ما قام القومُ إلا زيدٌ**) بالرفع على البدل، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النور: ٦].

ومثل النفي في ذلك النهي والاستفهام نحو: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾ [هود: ٨١] قريء بالرفع والنصب، وقوله: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦] والمشهور أنه بدل من متبوعه، بدل بعض من كل عند البصريين، وليس في المبدلات ما يخالف البدل حكم المبدل منه إلا هنا فقط؛ وذلك أنك إذا قلت: ما قام أحد إلا زيد، فقد نفيت القيام عن أحد وأثبته لزيد، وهو بدل منه.

(**وزيدًا**) وتقول في مثال النصب على الاستثناء: ما قام القوم إلا زيدًا، وهو عربي جيد قريء به في السبع.

(**تنبيهات**):

التنبيه الأول: قال الأبذي في "شرح الجزولية": المنفي عندهم هو ما دخلت عليه أداة النفي وما كان خبرًا لما دخلت عليه، نحو: ما أحد يقوم إلا زيدًا، وما كان في موضع المفعول الثاني من باب «ظننت» نحو: ما ظننت أحدًا يقوم إلا زيدًا، وكذلك ما دخلت عليه أداة الاستفهام وأريد بها معنى النفي، وكذلك ما كان من الأفعال بعد «قل» أو ما يقرب منها نحو: قل رجل يقول

ذاك إلا زيد، وأقل رجل يقول ذاك إلا زيد، وقل ما يقوم إلا عمرو؛ ولأن العرب تستعمل «قل» بمعنى النفي؛ فإذا قلت: قل رجل يقول ذلك إلا زيد، وأقل رجل يقول ذاك إلا زيد؛ فالبدل فيهما محمول على المعنى دون اللفظ لأن المعنى: ما رجل يقول ذاك إلا زيد، ولا يجوز أن يكون «إلا زيد» بدلا من «أقل» المرفوع لأنه لا يحل محله لأن «إلا» لا يبتدأ بها، ولا من «ضمير» لأنه لا يقال: يقول إلا زيد، ولا من «رجل» في «قل رجل» لأنه لا يقال: قل إلا زيد؛ ولأن «قل» لا تعمل إلا في نكرة، ولا تقع بعدها «إلا زيد»، ولا من الضمير لأن الفعل في موضع الصفة ولا تنتفي الصفة، ولا يجوز: أقل رجل يقول ذاك إلا زيد، بالخفض؛ لأن «أقل» لا يدخل على المعارف فهي كـ«رب»، وإنما بدل من «رجل» على الموضع لأنه في معنى: ما رجل يقول ذاك إلا زيد. انتهى مختصرًا.

قلت: ومن حمل البدل على المعنى قوله تعالى: ﴿فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٩] قال البيضاوي في "تفسيره": النفي في هذه الآية مقدر، والمعنى لم يطيعوه إلا قليل منهم.اهـ

قلت: وليس كما قال، فإنه يجوز البدل من الموجب في لغة، وعليه الآية عند قوم، ويشهد له قول حضرمي بن عامر الصحابي:

وكـــلُّ أخٍ مفارقُـــه أخُـــوه لعمـــرُ أبيـــك إلا الفَرْقَـــدَانِ

التنبيه الثاني: قال الأبذي: من أصل هذا الباب أنه لا يجوز أن يستثنى بالاسمين فإذا قلت: أعطيت الناس المال إلا عمرًا الدينار، لم يجز، وكذلك

النفي، لا يجوز: ما أعطيت الناس المال إلا عمرًا الدينار، إذا أردت الاستثناء، وإذا أردت البدل جاز في النفي إبدال اسمين، ومن هنا منع الفارسي أن يقال: ما ضرب القوم إلا بعضهم بعضًا؛ لأنه لم يتقدم اسمان فتبدل منهما اسمين، وتصحيح المسألة عنده: ما ضرب القوم أحدًا إلا بعضهم بعضًا، وتصحيحها عند الأخفش أن يقدم بعضهم، وأجاز غيرهما المسألة من غير تغيير اللفظ على أن يكون البعض المتأخر منصوبًا بضرب نصب المفعول به لا بدل ولا مستثنى، وإنما هو بمنزلة اضرب بعضًا لا بعض القوم.اهـ

التنبيه الثالث: إذا تقدَّم المستثنى على المستثنى منه في النفي وشبهه تعيَّن نصبه وامتنع البدل، نحو: ما جاءني إلا زيدًا أحد، لأن البدل لا يتقدَّم المبدل من حيث كان من التوابع كالنعت والتوكيد، وليس ما قبله يكون بدلًا منه فتعيَّن النصب.

التنبيه الرابع: قال ابن إياز: لا يعمل ما بعد «إلا» فيما قبلها، فلا يجوز: ما قومه زيدًا إلا ضاربون؛ لأن تقديم الاسم الواقع بعد «إلا» عليها غير جائز، فكذا معموله لأن من أصولهم أن المعمول يقع حيث يقع العامل إذا كان تابعًا وفرعًا عليه، فإن جاء شيء يوهم خلاف ذلك أضمر له فعل ينصبه من جنس المذكور. انتهى من "الأشباه".

قال المؤلف: (**وإن كانَ الكلامُ**) منفيًا (**ناقصًا كان على حسب العوامل**) أي معربًا بإعراب ما يقتضيه ما قبل «إلا» قبل دخولها، وذلك (**نحو: ما قام إلا زيدٌ، وما ضربت إلا زيدًا، وما مررت إلا بزيدٍ**)، فوجود إلا كسقوطها، وهذا هو الاستثناء المفرغ، ولا يقع إلا في غير الموجب عند الجمهور وهو النفي كما

مثل. والنهي والاستفهام نحو: ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١] ﴿يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام: ٤٧]، وجوز بعضهم وقوعه في الموجب، وأكثر النحاة على منعه لأنه يلزم منه الكذب.

وإن كان الاستثناء منقطعًا، فإما أن يمكن تسليط العامل على المستثنى أولًا، قال في "التوضيح": فإن لم يمكن تسليط العامل عليه وجب النصب اتفاقًا نحو: ما زاد هذا المال إلا ما نقص؛ إذ لا يقال: زاد النقص، وإن أمكن تسليطه فالحجازيون يوجبون النصب، وعليه قراءة السبعة: ﴿مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ [النساء: ١٥٧] وتميم ترجحه وتجيز الإتباع كقوله:

وبلدةٍ ليس بها أنيسُ إلا اليعافيرُ وإلا العِيسُ

(تتمتان):

الأولى: مذهب الجمهور أن الاستثناء من النفي إثبات، ومن الإثبات نفي، فنحو: قام القوم إلا زيدًا، وما قام أحد إلا زيد، يدل الأول على نفي القيام عن زيد، والثاني على ثبوته له، وخالف في ذلك الكسائي وقال: إنه مسكوت عنه لا دلالة له على نفيه ولا ثبوته واستفادة الإثبات في كلمة التوحيد من عرف الشرع.

الثانية: في الاستثناء من العدد أقوال:

أحدها: الجواز مطلقًا، اختاره ابن الصائغ.

والثاني: المنع مطلقًا، واختاره ابن عصفور؛ لأن أسماء العدد نصوص؛ فلا يجوز أن ترد إلا على ما وضعت له.

والثالث: المنع إن كان عقدًا نحو: عندي عشرون إلا عشرة، والجواز إن كان غير عقد نحو: له عشرة إلا اثنين.

ورد هذا وما قبله بقوله تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: ١٤] وقال أبوحيان: لا يكاد يوجد استثناء من عدد في شيء من كلام العرب إلا في هذه الآية الكريمة.اهـ، أفاده في "الهمع".

قال المؤلف: (**والمستثنى بغير وسِوى وسُوى وسَواء مجرور لا غير**) لإضافتها إليه. وتعرب غير بما للاسم الواقع بعد إلا من وجوب نصب في الموجب وفي المنقطع وفي المقدم، ومن جوازه ورجحان الإتباع في المنفي ومن كونه على حسب العوامل في المفرغ. وبعض بني أسد وقضاعة يفتحها في الاستثناء مطلقًا.

(تنبيهات):

التنبيه الأول: اختلف في ناصب «غير» في الاستثناء على أقوال

التنبيه الأول: اختلف في ناصب «غير» في الاستثناء على أقوال:

أحدها: أن انتصابها انتصاب الاسم الواقع بعد «إلا»، والناصب له كونه جاء فضلة بعد تمام الكلام، وذلك موجود في «غير» وعليه المغاربة.

الثاني: أنها منصوبة بالفعل السابق وعليه السيرافي وابن الباذش.

الثالث: أنها منصوبة على الحال وفيها معنى الاستثناء وعليه الفارسي .

التنبيه الثاني: قال ابن النحاس في "التعليقة": إن قيل: كيف جاز أن يصل الفعل إلى «غير» من غير واسطة، وهو لا يصل إلى ما بعد «إلا» إلا بواسطة؟ فالجواب أن «غير» أشبهت الظروف بإبهامها، والظرف يصل الفعل إليه،

فوصل أيضًا إلى غير كذلك.

فإن قيل: فلم لم تبن لتضمنها معنى الحرف وهو إلا؟ فالجواب: إنها لم تقع في الاستثناء لتضمنها معنى إلا بل لأنها تقتضي مغايرة ما بعدها لما قبلها، والاستثناء إخراج، والإخراج مغايرة، فاشترك «إلا» و«غير» في المغايرة، فالمعنى الذي صارت به «غير» استثناء هو لها في الأصل، لا لتضمنها معنى إلا فلم تبن.اهـ كلامه، انتهى من "الأشباه".

التنبيه الثالث: إذا عطف على المستثنى بها جاز في المعطوف مراعاة اللفظ فيجر -وهو الأجود- ويجوز مراعاة المعنى فينصب ويرفع، في نحو: ما جاء أحد غير زيد وعمرو، وليس ذلك عطفًا على غير بل على المجرور بها؛ لأن أصله النصب أو الإتباع. أفاده في "الهمع".

والمستثنى بـ«سوى» كـ«غير» في وجوب الخفض كما تقدم، قال ابن هشامٍ: قال الزجاج وابن مالك: «سوى» كـ«غير» معنى وإعرابًا، ويؤيدهما حكاية الفراء: أتاني سواك.اهـ

وقال في "المغني": قولهم: «لا غير» لحن. قال الدماميني: لا نسلم ذلك فقد حكى ابن الحاجب «لا غير» وتابعه على ذلك شارحو كلامه كالرضي وغيره، وفي "المفصل" أيضًا حكايتها قال الأندلسي: وأما «لا غير» فإن أبا العباس كان يقول: إنه مبني على الضم مثل: «قبل وبعد»، وأنشد ابن مالك في شرح "التسهيل":

جوابًا بـه تَنْجُـو اعتَمِـدْ فوَربِّنـا لَعَنْ عملٍ أسْـلَفْتَ لا غـيرُ تُسْـأَلُ. اهـ

(تتمة): من أدوات الاستثناء: «ليس» و«لا يكون»، والمستثنى بهما واجب

النصب لأنه خبرهما.

وفي الحديث: «**ما أنهرَ الدَّم وذُكرِ اسمُ الله عليهِ فكُلُوا، ليسَ السِّنَّ والظُّفرَ**».

وتقول: أتوني لا يكون زيدًا. واسمهما ضمير مستتر وجوبًا عائد على اسم الفاعل المفهوم من الفعل السابق، أو البعض المدلول عليه بكله السابق، فتقدير قاموا ليس زيدًا: ليس القائم، أو ليس بعضهم، وعلى الثاني، فهو نظير ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً﴾ [النساء: ١١] بعد ذكر الأولاد، وجملتا الاستثناء في موضع نصب على الحال أو مستأنفتان فلا موضع لهما.اهـ توضيح بزيادة.

قال المؤلف: (**والمستثنى بخلا وعدا وحاشا يجوزُ نصبهُ**) على أنها أفعال جامدة لوقوعها موقع «إلا» وفاعلها ضمير مستتر، وفي مفسرة وفي موضع الجملة البعث السابق في ليس ولا يكون (**وجرُّه**) على أنها أحرف جارة وذلك (**نحو: قام القوم خلا زيدًا وزيدٍ، وعدا عمرًا وعمرٍو، وحاشا بكرًا وبكرٍ**)، والأولان لم يحفظ فيهما سيبويه إلا الفعلية، والأخيرة لم يحفظ فيها إلا الحرفية، ومن شواهد النصب قوله:

اللهمَّ اغفرْ لي ولمن يَسْمَعْ ... حاشا الشيطانَ وأبا الإِصْبَعْ

(**فوائد**):

الأولى: إذا دخلت «ما» على «خلا، وعدا» تعين النصب بعدها لأنها مصدرية، فدخولها يعين الفعلية، كقوله: «ألا كل شيء ما خلا الله باطل». وقوله: «تُمَلُّ الندامى ما عداني فإنني»

وزعم الجرمي والربعي والكسائي والفارسي وابن جني أنه يجوز الجر على تقدير «ما» زائدة. قال في "المغني": فإن قالوه بالقياس ففاسد؛ لأن «ما» لا تزاد قبل حروف الجر بل بعدها، أو بالسماع فشاذ بحيث لا يقاس عليه، وأجاز بعضهم دخول «ما المصدرية» على «حاشا» بقلة تمسكًا بقوله:

رأيت النَّاس ما حاشا قريشًا فإنَّا نحنُ أفضلُهم فِعَالَا

والذي نصَّ عليه سيبويه المنع.

الثانية: ذهب الكسائي إلى أنه يجوز دخول «إلا» على «حاشا» إذا جرت وحكى: قام القوم إلا حاشا زيد. ومنع البصريون ذلك كما إذا نصبت لأنه جمع بين أداتين لمعنى واحد، والحكاية شاذة لا يقاس عليها، أفاده في "الهمع".

الثالثة: قال ابن السراج في "الأصول": لا ينسق على حروف الاستثناء؛ لا تقول: قام القوم ليس زيدًا ولا عمرًا، ولا قام القوم غير زيد ولا عمرو، قال: والنفي في جميع العربية ينسق عليه بـ«لا» إلا في الاستثناء.اهـ، نقله في "الأشباه".

(**خاتمة**): قال ابن الدهان في "الغرة": الاستثناء على ثلاثة أقسام:

استثناء بعد استثناء، وتكون إلا فيه بمعنى الواو كقوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩] فكأنه قال: إلا يعلمها وهي في كتاب مبين.

واستثناء من استثناء، كقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ

ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ [الحجر: ٥٨ - ٦٠] فتقديره: إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين لئلا نبقي منهم أحدًا بالإهلاك إلا آل لوط إنا لمنجوهم أجمعين، ثم استثنى من الموجب فقال: إلا امرأته قدرنا إنها لمن الغابرين، فالأصل في هذا أن الذي يقع بعد معنى النفي يكون بـ«إلا» موجبًا، ومعنى الموجب يكون منفيًّا.

واستثناء مطلق من استثناء وعليه أكثر الكلام، كقولك: سار القوم إلا زيدًا. انتهى كلامه من "الأشباه".

بابُ «لا» الَّتي لنفى الجِنس

ثم قال المصنف: (باب «لا» التي لنفى الجنس) التي يراد بها نفي الجنس على سبيل التنصيص وعملت لاختصاصها بالأسماء، قال ابن هشامٍ: «وتسمى تبرئة».اهـ

(فائدة): المراد بنفي الجنس: نفي صفته وحكمه لأن الجنس لا ينفى، وإسناد النفي إليها مجاز من إسناد ما للشيء إلى آلته، والمراد بتبرئة دلالتها على البراءة من ذلك الجنس.اهـ

قال أبو البقاء: وإنما عملت عمل «إنَّ» المشددة لمشابهتها لها من أربعة أوجه:

أحدها: أن كلًّا منهما يدخل على الجملة الاسمية.

الثاني: أن كلًا منهما للتأكيد، فـ«لا» لتأكيد النفي و«إن» لتأكيد الإثبات.

والثالث: «لا» نقيضة «إن»؛ والشيء يحمل على نقيضه كما يحمل على نظيره.

والرابع: أن كلا منهما له صدر الكلام.اهـ، "تصريح".

(**اعلم**) بكسر الهمزة وفتح اللام أمر من علم بكسرها، وهو خطاب لمن يتأتى منه العلم أو لمن ينظر في هذه المقدمة، وإنما صدر الباب بالأمر بالعلم إيذانًا بصعوبتها؛ واستجماعًا لذهن المخاطب (**أن «لا» تنصب النكرات بغير تنوين**) ظاهره أن اسم «لا» معرب وأنه منصوب نصبًا صحيحًا، وهو مذهب الزجاجي والجرمي والسيرافي والرماني.

قالوا: وحذف منه التنوين تخفيفًا لا بناءً، ومذهب البصريين أنه لا يظهر نصب الاسم إلا إذا كان مضافًا أو شبيهًا به، فإن كان مفردًا ركب معها وبني على الفتح. واختلف في موجب البناء فقيل: تضمنه «من الاستغراقية» بدليل

التصريح بها في قوله: «ألا لا من سبيل إلى هند».

وصحَّحه ابن عصفور. وقيل: تركيبه معها تركيب خمسة عشر بدليل زواله عند الفصل، وصححه ابن الصائغ ونقل عن سيبويه، وقيل: تضمنه معنى «اللام الاستغراقية»، ورد بأنه لو كان كذلك لوصف بالمعرفة، كما قيل: لقيته لأمس الدابر، قاله في "الهمع". ولإعمال «لا» هذا العمل شروط:

أحدها: أن يقصد به النفي العام لأنها حينئذ تختص بالاسم، فإن لم يقصد بها العموم فتارة تلغى، وتارة تعمل عمل ليس.

الثاني: أن يكون مدخولها نكرة؛ فلا تعمل في معرفة بإجماع البصريين، وهو مفهوم قول المصنف (**تنصب النكرات**)، وخالف الكوفيون فأجاز الكسائي إعمالها في العلم المفرد، والمضاف لكنية أو الله أو الرحمن والعزيز، وأجاز الفراء إعمالها في ضمير الغائب واسم الإشارة، وكل ذلك خطأ عند البصريين، وأما ما سمع مما ظاهره إعمالها في فمؤول باعتقاد تنكيره.

الثالث: ألا يفصل بينها وبين معمولها ولو بالظرف والمجرور وهو معنى قوله: (**إذا باشَرت النكرةَ**) وأجاز المازني إعمالها مع الفصل ولكنه لا يبنى، وورد في السعة: «لا منها بد» بالبناء، وليس مما يعول عليه.

الرابع: أن لا تتكرر، وإليه يشير قوله: «**ولم تتكرر «لا» نحو: لا رجلَ في الدار**) فإن كررت لم يتعين إعمالها؛ بل يجوز (**فإن لم تباشرها**) أو كان معمولها غير نكرة (**وجب الرفعُ، ووجب تكرارُ «لا» نحو: لا في الدار رجلٌ ولا امرأةٌ**)، ونحو: «لا فيها غولٌ» ونحو: لا زيد في الدار ولا عمرو، هذا مفهوم قوله: «إذا باشرت النكرة».

ثم ما ذكره من وجوب تكرار لا هو مذهب سيبويه والجمهور، وأجاز المبرد وابن كيسان مع الفصل والمعرفة أن لا تكرر كقوله:

بكتْ أسفًا واسترجعتْ ثم آذنتْ ركائبُها أن لا إلينا رجوعها

وذلك ونحوه عند الجمهور ضرورة، نعم إن كان مدخولها في معنى الفعل لم يكرر، نحو: «لا نولك أن تفعل» لأنه في معنى: «لا ينبغي».

(فإن كررتْ جاز إعمالُها وإلغاؤُها) يعني: إذا اجتمعت الشروط وتكررت «لا» جاز إعمالها عمل «إن» وإلغاؤها ورفع ما بعدها على الابتداء والخبر، ويجوز إعمالها عمل «ليس» وهو قليل، ولذلك لم يذكره المصنف، وهذا مفهوم قوله: «ولم تتكرر».

(فإن شئتَ قلتَ) في الإعمال **(لا رجلَ في الدار ولا امرأةَ)** بفتح رجل وامرأة، **(وإن شئت قلت)** في الإلغاء **(لا رجلٌ في الدار ولا امرأةٌ)** برفع رجل وامرأة.

(فائدة): يجب ذكر خبر «لا» إن جهل نحو: **«لا أحدَ أغيرُ من الله»**، ويجوز حذفه إن علم نحو: ﴿فَلَا فَوْتَ﴾ [سبأ: ٥١]، قالوا: لا خير، ويوجبه التميميون والطائيون.

(تتمات):

الأولى: قال ابن مالك:

ومفردًا نعتًا لمبنيٍّ يَلِي فافتحْ أو انصبَنْ أو ارفعْ تعدِلِ

الثانية: المفرد في هذا الباب وفي باب النداء هو ما ليس مضافًا ولا شبيهًا به، وإن كان مثنى أو مجموعًا.

الثالثة: تزاد «لا» بين الجار والمجرور فيتخطاها الجار كقولهم: جئت بلا زاد.

(**خاتمة**): قال الهلالي في جزء لطيف له على كلمة الشهادة: المراد من ذلك الجزء الاستثناء في قولنا: «لا إله إلا الله» متصل قطعًا لأن البعضية والإخراج اللذين يتحقق بها الاتصال متحققان، دليل البعضية أن الإله في الكلمة المشرفة كلي، والكلي حسبما في فن المنطق هو المفهوم الذي لا يمنع مجرد تصوره من صدقه على متعدد، ولا يشترط إمكان وجود شيء من أفراده خارجًا فضلًا عن وجودها وعن تعددها، فيصدق بما أفراده مستحيلة كالتشريك وجمع الضدين، وبما أفراده معدومة ممكنة كالعنقاء، وبما وجد منه واحد واستحال غيره، ومن هذا القسم «الإله» حسبما أوضحه في "المطول" وابن عرفة في "التفسير"، ولكونه كليًّا صح دخول «لا النافية للجنس» عليه، ومعناه فيها: المعبود بحق الغلبة استعماله في ذلك، وإن كان أصل وضعه لمطلق المعبود كما في "القاموس"، فلا يخفى أن مفهوم المعبود بحق كلي، وأن الله علم على الفرد الذي انحصر فيه ذلك الكلي خارجًا وقام البرهان على استحالة غيره، ومن الضروري أن الفرد الواحد بعض من جملة الأفراد.

ودليل الإخراج أن الأدلة موضوعة لذلك، وأنه لو لم يخرج من الأفراد التي نفى وجودها على سبيل الاستغراق مع شمول اللفظ له لكان منفيًّا، ولكانت الكلمة المشرفة تعطيلًا، واللازم باطل. وكفى في اتصاله تصريح أئمة العربية بذلك، ولا يصح أن يكون منقطعًا لأن الاتصال والانقطاع متناقضان متى صح أحدهما بطل الآخر وقد صح الاتصال. فإن زعم زاعم أن منفصل

فيقال له: ما معنى الإله الذي نفيت أفراده على سبيل الاستغراق؟ المعبود بحق أم بباطل أم الشامل لهما؟، فإن قال الأول لزمه الكفر لزعمه أن الله لا يصدق عليه أنه معبود بحق، وحينئذ يصدق عليه نقيضه لاستحالة ارتفاع النقيضين، فيكون مدلول الكلمة نفي كل فرد من أفراد المعبود بحق دون إخراج شيء منها، وإثبات واحد لا يصدق مفهوم المعبود بحق، وتذكر ما ثبت عن الأصوليين من كون المنفصل ليس فيه تخصيص، بل ما قبل الأداة فيه باق على حاله.

وإن قال الثاني لزمه أمران: الكذب لكثرة المعبودات بالباطل، وخلو الكلمة من التوحيد الذي هو المقصود منها لصدقها بتعدد المعبود بحق، ومعنى الكلمة عند المسلمين بل والكافرين قصر الألوهية على الله.

وإن قال الثالث لزم الكفر والكذب اللازمان قبله إن قدر الخبر بموجود أو في الوجود، فإن قدر بمعبود بحق لزم الكفر فقط، وإن قال: المراد بالإله المعبود بحق وهو صادق على الله تعالى والأفراد الذهنية لكنها غير مشاركة له في وصف الوجود فلم يكن بعضها بهذا الاعتبار؛ فكان منقطعًا وإن وجد فيه الإخراج، قلنا: هذا مفاد جعله في الكلمة متصلًا؛ فتسميته منفصلًا جهل بمعناه، ولو كان مجرد ما ذكر من المغايرة يوجب كونه منفصلًا لما تحقق اتصال أصلًا لوجوب مغايرة المستثنى المتصل للمستثنى منه في الحكم التي هي مفاد الإخراج، ولا يصح أن يكون متصلًا منفصلًا منفصلًا للزموية ارتفاعهما لارتفاع النقيضين.

فإن زعم زاعم أنه واسطة فيقال له: ما حكم هذا المستثنى الذي زدته على ما عند الناس، وبماذا تعربه؟ فإن النحويين قسموا المستثنى إلى قسمين،

وحكموا أن لا واسطة حيث ردوا القسمة إلى نفي وإثبات.

فإن قلت: ما ذكرت من تحتم الاتصال هو لازم عند جعل الكلام تامًّا، وعند جعله مفرغًا، بأن تكون الجلالة خبرًا عن الإله، وبأن تكون مبتدأ قدم خبره فركب مع «لا»، وبأن تكون الجلالة نائب فاعل «إله» سادة مسد خبر «لا»، أم تخص بالوجه الأول فيكون عند الثاني واسطة.

قلت: هو لازم على كليهما؛ لما صرح به النحاة من أن المستثنى منه مقدر عام للمستثنى وغيره، والمستثنى مخرج منه بتحقق البعضية والإخراج دائمًا في المفرغ، فلا فرق بين التفريع على التفريغ وعلى التمام.

فإن قلت: إذا كان المستثنى منه في التفريغ مقدرًا فما الفرق بينه وبين التام في الكلمة على ما اختار أبو حَيَّان من كون الا بدال من ضمير الخبر المحذوف معه إذ هو مقدر فيهما.

فالجواب: إن التقدير في التفريغ إنما هو لجانب المعنى لا للصناعة فنحو: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣] كلام تام صناعة مشتمل على طرفي الإسناد؛ ولذا يعرب ما بعد الأداة فاعلًا لا بد منه، وأصل التركيب: «يعقلها العالمون»، فجيء بالنفي والإثبات لإفادة القصر، ذكر معناه سيبويه، بخلاف قولك: نعم إلا زيدًا، جوابًا للقائل: أقام القوم؟، أو ما قام القوم؟

فإن قلت: يلزم الا بدال من المحذوف وهو من المحذور وقد اعترض على أبي حيان. **فالجواب**: إن سلم أنه من المحذور فرب شيء يجوز تبعًا ولا يجوز استقلالًا، والمبدل منه حذف مع عامله لا وحده، فهو كالفاعل ونائبه، لا يحذفان وحدهما ويحذفان مع عامليهما.

ومما يقطع به أن الاستثناء في الكلمة متصل؛ إجماع القراء في المتواتر والشاذ على التزام الرفع في نحو: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩] ونحو: ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام: ١٧] و﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧] و﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [آل عمران: ١٨]، وفي الحديث: «**لا شافي إلا أنت، ولا شفاء إلا شفاؤك**».

وأمثالها لا تحصر، ولم ترد إلا بالرفع، ولا يصح الإجماع على الرفع في المنفصل لأنه ممنوع في اللغة الحجازية، مرجوح في التميمية تارة وممنوع فيها أخرى، والحاصل أن الانفصال في الكلمة ممنوع بالنظر إلى علم النحو وإلى علم الأصول كما دل عليه كلامهم في المخصصات، وإلى علم البيان، كما دل عليه كلامهم في القصر، وإلى علم القراءات.

وذكر الشيخ اليوسي في "منهاج الخلاص" أن الاستثناء في الكلمة المشرفة متصل على كل من التقادير الممكنة فيها، وكذلك الشيخ إبراهيم الكوراني في "إنباء الأنباه".

فإن قلت: بقي نوع من المستثنى ولا نأمن أن يدعي مدع أنه واسطة، فما الحكم فيه؟ وهو المركب من شيئين أحدهما بعض المستثنى منه، والآخر خارج عنه نحو: جاء الناس إلا اثنين رجلًا وفرسًا.

فالجواب: أنه من المنقطع قطعًا؛ لأن المركب من البعض وغيره ليس ببعض ضرورة فيدخل في تعريفه، ونظيره -بل هو عينه- ما في "شرح المقاصد" للسعد: أن المركب من الداخل والخارج ليس بداخل والله تعالى أعلم.اهـ

باب المنادى

وفيه فصول:

الفصل الأول

النداء لغة الصوت، وكسر النون أكثر من ضمها، والمد فيها أكثر من القصر. والمنادىٰ اسم مفعول ناديته، وبه: أي: دعوته، وفي الاصطلاح: الدعاء بأحرف مخصوصة.

وهو من باب المفعول به عند الجمهور، والناصب له فعل واجب الإضمار، وسبب إضماره قصد الإنشاء، وإظهار الفعل يوهم الإخبار والاستغناء بظهور معناه وكثرة الاستعمال والتعويض منه بحرف النداء ويقدر بـ«أنادي» أو «أدعو» إنشاء، وخالف بعضهم الجمهور فزعم أن الناصب له معنوي وهو القصد، وبعضهم أن الناصب له حرف النداء، فقيل: نيابة وعوضًا عن الفعل فهو مشبه بالمفعول به لا مفعول به، وعليه الفارسي. وقيل: هي أسماء أفعال بمعنىٰ «أدعو» وليس ثم فعل مقدر، وقيل: هي أفعال.

وذهب بعضهم إلىٰ أن النداء قسمان خبر وهو النداء بصفة نحو: يا فاسق ويا فاضل، لاحتمال الصدق والكذب في تلك الصفة، وإنشاء وهو النداء بغير صفة وقدر، وكل هذه الأقوال غير قول الجمهور بما لا حاجة إلىٰ الإطالة به.

الفصل الثاني

في أدوات النداء وأحكامها، أما الأدوات فثمانية: «الهمزة، وأي»، مقصورتين وممدودتين، و«يا، وأيا، وهيا»، و«وا» عند ابن عصفور، نحو: «وافَقْعَسَا وأينَ منِّي فَقْعسُ»، والجمهور أنها لا تستعمل إلا في الندبة.

وحكى بعضهم أنها تستعمل في غيرها قليلًا كقول ابن الخطاب لابن العاص: واعجبا لك يا ابن العاص.

وأما أحكامها: فالهمزة للقريب كقول امريء القيس:

أفاطمُ مهلًا بعض هذا التَّدلُّلِ وإن كنتِ قد أزْمَعْتِ صَرْمي فَأَجمِلِي

وزعم شيخ ابن الخباز أنها للمتوسط قال ابن هشامٍ: وهو خرق لإجماعهم، وزعم ابن مالك: أن النداء بها قليل في العرب، وتبعه ابن الصائغ، قال السيوطي: وما قالاه؛ فقد وقفت لذلك على أكثر من ثلاثمائة شاهد، و«أي» للقريب عند الجزولي والمبرد كقوله: «ألم تسمعي أي عبد في رونق الضحى».

وللبعيد عند ابن مالك، وللمتوسط عند بعض المتأخرين. و«أيا» للبعيد، وزعم صاحب "الصحاح" فيه أنها لنداء القريب والبعيد. قال ابن هشامٍ: وليس كذلك قال:

أيا ظبيةَ الوَعْسَاءِ بين جلاجلٍ وبينَ النَّقَا أأنتِ أم أمُّ سالمِ

و«هيا» للبعيد كقوله: «هيا أم عمرو هل لي اليوم عندكم» وهاؤها أصل، وقيل بدل همزة «أيا» وعليه ابن السكيت وجزم به ابن هشامٍ.

و«ءا» بالمد و«ءاي» بالمد والسكون للبعيد، نقلهما الكوفيون عن العرب وزعم ابن عصفور أن «ءا» للقريب كالهمزة و«يا» أم الباب؛ ومن ثم قال أبو حَيَّان: إنها أعم الحروف، وإنها تستعمل للقريب والبعيد مطلقًا.

وفي "المغني": هي لنداء البعيد حقيقة أو حكمًا، وقد ينادى بها القريب توكيدًا، وقيل: هي مشتركة بينهما، وقيل: بينهما وبين المتوسط، ونقل ابن الخباز عن شيخه أنها للقريب، وهو خرق لإجماعهم.اهـ

ولكونها أم الباب كانت أكثر أحرفه استعمالًا ولا يقدر عند الحذف سواها، ولا ينادىٰ اسم الله تعالىٰ، والمستغاث، وأيها، وأيتها، إلا بها، ولا المندوب إلا بها أو بواو، ولم يقع في القرآن مع كثرة النداء فيه غيرها.

(تنبيه): قال بدر الدين بن مالك في شرح خلاصة أبيه: أجمع النحاة علىٰ جواز نداء القريب بها للبعيد توكيدًا وعلىٰ منع العكس.

الفصل الثالث

في أقسام المنادىٰ وأحكامه: (**المنادى خمسة أنواع: المفرد العلم، والنكرة المقصودة، والنكرة غير المقصودة، والمضاف، والمشبه بالمضاف. فأما المفرد العلم والنكرة المقصودة فيبنيان على الضم من غير تنوين نحو: يا زيد ويا رجل، والثلاثة الباقية منصوبة لا غير**).

لا يخلو المنادىٰ من أن يكون مفردًا أو مضافًا أو شبيهًا به، فإن كان مفردًا فإما أن يكون معرفة أو نكرة مقصودة أو غير مقصودة، فإن كان معرفة أو نكرة مقصودة فيجب أن يبنىٰ علىٰ ما كان يرفع به؛ فإن كان يرفع بالضمة بني عليها كما في مثال المصنف، وإن كان يرفع بالألف والواو فكذلك نحو: يا زيدان، ويا زيدون، ويا رجلان، ويا مسلمون، ويا هندان، وما كان مبنيًّا قبل النداء كسيبويه وحزام في لغة الحجاز قدرت فيه الضمة وجاز في تابعه الرفع والنصب والمحكي كالمبني.

(تنبيه): قال في "الأزهرية" ما نصه: إذا وصفت النكرة المقصودة ترجح نصبها علىٰ ضمها، لأن النعت من تمام المنعوت فألحقت بالشبيه بالمضاف نحو:

يا عظيمًا يرجىٰ لكل عظيم؛ فجملة «يرجىٰ» في موضع نصب نعت لـ«عظيم» هذا قول ابن مالك.

وقال ابن هشامٍ: جملة «يرجىٰ» في موضع نصب علىٰ الحال من فاعل «عظيمًا» المستتر فيه، والعامل في الحال هو العامل صاحبها، فهي من أمثلة الشبيه بالمضاف لا من الملحق به. انتهىٰ ممزوجًا بشرحها باللفظ.

وإن كان مفردًا غير مقصودة فيجب النصب كقول ابن وقاص الحارثي:

فيا راكبًا إمَّا عَرَضْتَ فبَلِّغَنْ ... نداماي مِنْ نجرانَ أنْ لا تَلاقِيَا

وأحال المازني وجود هذا مدعيًا أن نداء غير المعين لا يمكن، وأن التنوين في ذلك شاذ أو ضرورة، ومنع الأصمعي نداء المنكر مطلقًا.

وأما المضاف فيجب نصبه سواء كانت الإضافة محضة نحو: «ربنا اغفر لنا»، أو غير محضة نحو: يا حسن الوجه، وأجاز ثعلب البناء في غير المحضة علىٰ الضم، ورُد بأن البناء ناشئ عن شبه الضمير والمضاف عادم له. ويجب أيضًا نصب الشبيه بالمضاف وهو ما اتصل به شيء من تمام معناه، نحو: يا حسنًا وجهه، ويا طالعًا جبلا، ويا مارًّا بزيد، ويا ثلاثة وثلاثين -فيمن سمي بذلك- ويمتنع إدخال «يا» علىٰ «ثلاثين» خلافًا لبعضهم.

(مسألة): يجوز حذف الحرف وهو «يا» خاصة في المنادىٰ مطلقًا إلا في ثمان مسائل: المندوب، والمستغاث، والمنادىٰ البعيد، لأن المراد فيهن إطالة الصوت والحذف ينافيه، واسم الجنس غير المعين وأجازه بعضهم وليس بشيء، والمضمر المخاطب ونداؤه شاذ، وظاهر كلام ابن مالك أنه مطرد، وقصره ابن عصفور علىٰ الشعر، وزعم أبو حَيَّان أنه لا ينادىٰ البتة ويأتي علىٰ صيغتي

المنصوب والمرفوع، واسم الله تعالىٰ إذا لم يعوض في آخره الميم المشددة، واسم الإشارة واسم الجنس لمعين، وأجازه الكوفيون فيهما تمسكًا بقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٨٥] أي: يا هؤلاء، وقولهم: أَطْرِق كَرَا إنَّ النَّعام في القُرَىٰ، أي: يا كروان، وهو مرخم علىٰ لغة من لا ينتظر، وذلك عند البصريين ضرورة وشذوذ، والإنصاف القياس علىٰ اسم الجنس لكثرته نظمًا ونثرًا، وقصر اسم الإشارة علىٰ السماع إذ لم يوجد في غير الشعر، وأما نحو الآية فمحمول علىٰ أن «أَنتُمْ» مبتدأ و«هَٰٓؤُلَآءِ» خبره أو بالعكس، وجملة «تَقْتُلُونَ» حال.

(تتمة): لا يجوز نداء ما فيه «أل» لأن نداءه يفيد التعريف، و«أل» تفيد التعريف، ولا يجمع بين معرفين، فلا يقال: «يا الرجل» عند البصريين إلا في اسم الله تعالىٰ بالإجماع تقول: «يا الله» بإثبات الألفين، وبحذفهما، وبحذف الثانية فقط.

فإن قيل: قد أجازوا نداء «هذا» ونحوها وهو معرف بالإشارة فلم لم يجيزوه مع «أل»؟ **قلنا**: الفرق من وجهين:

أحدهما: أن تعريف الإشارة إيماء إلىٰ حاضر ليعرفه المخاطب، وتعريف النداء خطاب لحاضر وقصد له؛ فلتقارب معنىٰ التعريفين صارا كالتعريف الواحد؛ ولذلك شبه الخليل تعريف النداء بالإشارة في نحو: «يا هذا» وشبهه.

ثانيهما: وهو قول المازني أن أصل «هذا» أن تشير به لواحد إلىٰ واحد، فلما دعوته نزعت منه الإشارة التي كانت فيه وألزمته إشارة النداء، فصارت «يا» عوضًا من نزع الإشارة؛ ومن أجل ذلك لا يحذف فيه حرف النداء.

فإن قيل: فلم جاز نداء اسم الجلالة مع وجود «أل» فيه؟ **فالجواب**: أنها لا تفارقه، هكذا قال صاحب "المفصل"، قال سيبويه: وهي عوض من همزة «إله» فصارت بذلك كأنها من نفس الكلمة.

(تنبيهات):

الأول: اختلف في «اللهم»، فمذهب البصريين أن الميم عوض من حرف النداء، ومذهب الكوفيين أنها بقية من جملة محذوفة، والأصل: يا الله آمنا بخير، وينبني على هذا جواز إدخال «يا» على «اللهم».

فعند البصريين لا يجوز؛ لأنه لا يجمع بين العوض والمعوض، وعند الكوفيين يجوز لأن الميم على رأيهم ليست عوضًا من «يا».

قال أبو حَيَّان: قول الكوفيين سخيف، لا يحسن أن يقوله من عنده علم.اهـ

الثاني: يجوز تنوين المنادى المبني في الضرورة بالإجماع، ثم اختلف هل الأولى بقاء ضمه أو نصبه، فالخليل وسيبويه والمازني على الأول عَلَمًا كان أو نكرة مقصودة، وأبو عمرو وعيسى بن عمر والجرمي والمبرد على الثاني ردًّا على أصله، واختار ابن مالك بقاء الضم في العَلَم والنصب في النكرة المقصودة، واختار السيوطي عكسه؛ لعدم الإلباس في العلم وللإلباس في النكرة المقصودة بالنكرة غير المقصودة إذ لا فارق إلا الحركة لاستوائهما في التنوين.

(فائدة): البناء قسمان:

واجب كبناء المنادى والظروف المقطوعة عن الإضافة و«لا رجل» و«خمسة عشر» وهذا أقرب المبنيات إلى المعرب.

وجائز كبناء الظرف المضاف إلى جملة فعلية فعلها مبني كقوله:

علىٰ حينَ عاتبتُ المشيبَ علىٰ الصِّبا وقلتُ ألَمَّا أصْحُ والشَّيبُ وازِعُ

الثالث: قال ابن هشامٍ: تابع المنادىٰ المبني خمسة أقسام:

١- قسم يجب نصبه علىٰ الموضع وهو المضاف الذي ليس بـ«أل».

٢- وقسم علىٰ تقديرين يجب إتباعه علىٰ اللفظ وهو «أي».

٣- وقسم يجوز إتباعه علىٰ اللفظ وعلىٰ المحل وهو اسم الإشارة.

٤- وقسم يجوز إتباعه علىٰ اللفظ وعلىٰ المحل مطلقًا وهو النعت والتوكيد وعطف البيان المفرد مطلقًا وعطف النسق المفرد الذي بـ«أل».

٥- وقسم يحكم له بحكم المنادىٰ المنتقل وهو البدل والنسق الذي بغير «أل».

الرابع: إذا كان المنادىٰ علمًا موصوفًا بـ«ابن» مضاف إلىٰ علم، جاز في المنادىٰ مع الضم الفتح اتباعًا لحركة «ابن»؛ إذ بينهما ساكن وهو حاجز غير حصين، واختلف في الأجود فقال المبرد: الضم لأنه الأصل، وابن كيسان: الفتح لأنه الأكثر في كلام العرب، ونحو: «عيسىٰ» مما تقدر فيه الحركة، فيه ما تقدم. فإن كان غير علم أو علمًا بعده لكنه غير صفة بل بدل أو بيان أو مفعول بمقدر أو صفة لكنه غير متصل أو متصل لكنه غير مضاف إلىٰ علم أو وصف بغير «ابن»؛ تعين الضم في الصور كلها وجوبًا وأجاز الكوفيون الفتح في الأخير تمسكًا بقوله: « بأجودَ مِنْك يا عمرَ الجوادَا»

علىٰ أن الرواية بفتح «عمر»، وحكىٰ الأخفش أن من العرب من يضم نون «الابن» اتباعًا لضم المنادىٰ، وزعم الجرجاني أن فتحة «ابن» بناء.

وإن كان الموصوف علمًا مؤنثًا ونعت بـ«ابنة» مضافًا علىٰ علم فحكمه في النداء حكم المذكر الموصوف بـ«ابن»، وبه جزم ابن مالك وغيره قياسًا علىٰ

«ابن»، وجزم بعضهم بالمنع لأن السماع إنما ورد في «الابن» وهو خروج عن الأصل فلا يقاس عليه، وفي الوصف بـ«بنت» وجهان رواهما سيبويه نحو: «هذه هند بنت عاصم» بالتنوين وبحذفه لكثرة الاستعمال فقط، ولو كان المؤنث مبنيًّا في الأصل نحو: «يا رقاشِ ابنة عمرو» لم يغير البناء الأصلي، ويكون فتح الاتباع تقديرًا، أفاده في "الهمع" مختصرًا.

الخامس: إذا ذكر منادىٰ مضاف وكرر المضاف إليه فهو توكيد، فإن كرر المضاف فقط فيضم الأول منادىٰ مفردًا، وينصب الثاني مضافًا مستأنفًا أو بإضمار «أعني» أو عطف بيان أو بدلًا، زاد ابن مالك: أو تأكيدًا، قال أبو حَيَّان: لم يذكره أصحابنا وهو ممنوع لأنه لا معنوي كما هو واضح، ولا لفظي لاختلاف جهتي التعريف. وأجاز السيرافي أن ينصب نعتًا وتأول فيه معنىٰ الاشتقاق، وهو ضعيف، وينصب أيضًا الأول، قال سيبويه: علىٰ الإضافة إلىٰ متلو الثاني، والثاني مقحم بينهما، ولا يجوز الفصل بين المتضايفين بغير الظرف إلا في هذه المسألة خاصة، والفراء: هو والثاني معًا مضافان إلىٰ المذكور، والمبرد: هو علىٰ نية الإضافة إلىٰ مقدر مثل المضاف إليه الثاني، والأعلم: هو علىٰ التركيب، وفتح الأول والثاني بناء لا إعراب جعلا اسمًا واحدًا وأضيفا، والسيرافي: هو علىٰ الاتباع والتخفيف، ولا تختص المسألة عند البصريين بالعلمين، فيجوز نصب في اسمي الجنس وفي الوصفين، والكوفيون أوجبوا في اسمي الجنس ضم الأول وفي الوصفين ضمه بلا تنوين أو نصبه منونًا.

السادس: من الأسماء أسماء لازمت النداء، فلم يتصرف فيها بأن تكون مبتدأ ولا فاعلًا ولا مفعولًا ولا مجرورًا، بل لا تستعمل إلا في النداء خاصة،

وهي قسمان: مسموع، ومقيس، فمن المسموع «فل» للرجل و«فلة» للمرأة، وقد جر «فل» في الضرورة قال أبو النجم:

تَضِلَّ منهُ إبلي بالهوجَلِ ... في لُجَّةٍ أمسِكْ فلانًا عن فُلِ

واختلف فيهما فقيل: هما ترخيما «فلان، وفلانة» وبه جزم ابن مالك، ونسبه أبو حَيَّان للكوفيين، وقيل كنايتان عن علم من يعقل وبه جزم ابن عصفور.

قال أبو حَيَّان: ومذهب سيبويه أنهما كنايتان عن نكرة من يعقل، و«فل» الذي في الشعر هو «فلان» صيره الشاعر كذلك ضرورة. ومنها هناة قال ابن مالك: يقال للمنادىٰ المصرح باسمه في التذكير: «يا هن، ويا هناه، ويا هنون»، وفي التأنيث: «يا هنت، ويا هنتان، ويا هنات»، وقد يلي أواخرهن ما يلي المندوب من الألف وهاء السكت. ومنها: «ملام، ولومان، ونومان»، ولا يقاس عليها البتة قال:

إذا قلتُ يا نومانُ لم يجهلِ الذي

أُريدُ ولم يأخذْ بشيءٍ سوىٰ حجِّلي

ومنها المدح والذم: «مكرمان، وملأمان، ومخبثان، وملكعان، ومطيبان، ومكذبان»، ولا ينقاس عند الأكثر، وقال بعض المغاربة: إنه منقاس، وإنه يؤنث بالتاء، وحكىٰ ابن سيده: «ملأمانه».

ومنهم من أجاز استعماله في غير النداء بقلة، ومنها في سب المذكر: «لكع، وفسق، وخبث»، و«غدر» معدولة عن «ألكع، وفاسق، وخبيث، وغادر»، ولا ينقاس عند ابن مالك، قال أبو حَيَّان: وأصحابنا نصوا علىٰ القياس فيه، والمقيس فعال المعدول في سب المؤنث نحو: «يا لكاع، ويا خباث، ويا فساق»،

وأما قوله: «إلى بيت قعيدته لكاع» فضرورة، وهذا النوع مبني على الكسر لمشابهته حذام في العدل والتأنيث والوزن، وينقاس في السب بلا خلاف وفي الأمر على الأصح وهو قول سيبويه من كل فعل ثلاثي مجرد تام متصرف نحو: «يا لآم، ويا قذار»، بمعني: «يا لئيمة، ويا قذرة». و«جلاس، ونطاق، وقدام»، بمعنى: «اجلس، وانطق، وقم»، فلا يبنى من غير ثلاثي ولا من مزيد، بل يقتصر فيه على ما سمع نحو: «دراك» من أدرك، خلافًا لابن طلحة، ولا من ناقص فلا يجوز: كوان منطلقًا، وبيات ساهرًا، بمعنى «كن» و«بت»، ولا من جامد فلا يجوز: «وذار» ولا «وداع» بمعنى: «ذر، ودع». أفاده في "الهمع".

(تتمتان):

الأولى: قال ابن يعيش: الندبة نوع من النداء فكل مندوب منادى وليس كل منادى مندوبًا؛ لأنه يجوز أن ينادى المذكور والمبهم، ولا يجوز ذلك في الندبة.اهـ

وقال الأبذي: المندوب يشرك المنادى في أحكام وينفرد في أحكام وينفرد في إلحاق ألف الندبة.

الثانية: قال المهلبي فيما لا يرخم:

إن أسماء توالت عشرة ... لم ترخم عند أهل الخبرة

مبهم ثمت نعت بعده ... والمضافان معًا والنكرة

ثم شبه لمضاف خالص ... والثلاثي ومندوب الترة

يجتذيه مستغاث راحم ... وإذا كانت جميعًا مضمرة

(**فائدة**): قال ابن فلاح في "المغني": قالوا: أكثر ما رخمت العرب ثلاثة أشياء وهي: حارث، ومالك، وعامر. انتهى من "الأشباه".

باب المفعول من أجله

ثم قال المصنف: (**باب المفعول من أجله**) هذا هو الرابع من المفاعيل، وكان حقه أن يذكر عقب المصدر لأنه قريب منه؛ ولذلك لم يترجم الكوفيون له استغناء بالمصدر عنه. ويسمى المفعول لأجله وله.

قال المؤلف: (**وهو الاسمُ المنصوبُ الذي يُذكرُ بيانًا لسببِ وقوعِ الفعلِ**) وقال في "الشذور": «هو المصدر الفضلة المعلل لحدث شاركه في الزمان والفاعل».اهـ

قال السيد: وهو قسمان:

أحدهما: علة غائية للفعل كالتأديب للضرب.

الثاني: ما ليس كذلك كالجبن للقعود.

والأول يكون بحسب تعقله علة للفعل، وبحسب وجوده في الخارج معلولًا له، والثاني يكون بحسب وجوده في الخارج علة للفعل».اهـ

وله خمسة شروط:

الأول: أن يكون مصدرًا؛ وذلك لأن الباعث إنما هو الحدث لا الذوات. وزعم يونس أن قومًا من العرب يقولون: «أما العبيدَ فذو عبيدٍ» بالنصب، وتأوله على المفعول له وإن كان غير مصدر، وتأوله الزجاج بتقدير التملك ليصير بمعنى المصدر، كأنه قيل: «أما تملك العبيد».

الثاني: أن يكون قلبيًّا، أي: من أفعال النفس الباطنة، نحو: جاء زيد خوفًا ورغبة، بخلاف أفعال الجوارح الظاهرة نحو: جاء زيد قتالًا للكفار، وقراءة

للعلم، فلا يكون مفعولًا له، ذكر هذا الشرط بعض المتأخرين كابن الخباز والبرندي. وأجاز الفارسي: جئتك ضرب زيد، أي لتضرب زيدًا.

الثالث: أن يكون معللًا، بخلاف المصادر التي لا تعليل فيها كقعد جلوسًا، ورجع القهقرىٰ.

الرابع، والخامس: شرط الأعلم والمتأخرون كالشَّلَوْبِين مشاركته لفعله في الوقت والفاعل، نحو: ضربت ابني تأديبًا، بخلاف ما لم يشاركه في الوقت نحو: «وقد نَضَّتْ لنومٍ ثيابَها» لأن النض ليس وقت النوم، أو الفاعل نحو: «وإني لتَعْروني لذكراكِ هزةٌ» ففاعل تعروني: هزة، وفاعل ذكرىٰ: الشاعر.

ولم يشترط ذلك سيبويه ولا أحد من المتقدمين، وتبعهم ابن خروف في الشرط الخامس؛ فيجوز عندهم: أكرمتك أمس طمعًا غدًا في معروفك، ومنه: ﴿يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الرعد: ١٢] ففاعل الإراءة هو الله، والخوف والطمع من الخلق.

وشرط الجرمي والرياشي والمبرد كونه نكرة، وأنه إن وجدت فيه «أل» فزائدة؛ لأن المراد ذكر ذات السبب الحامل فيكفي فيه النكرة، فالتعريف زيادة لا يحتاج إليها.

ورده سيبويه والجمهور فإن السبب الحامل قد يكون معلومًا عند المخاطب فيحمله عليه فيعرفه ذات السيد، وإنها المعلومة له فلا تنافي بينهما. أفاده في "الهمع". فهذه ستة شروط وفاقًا وخلافًا.

وبقي سابع: وهو أن لا يكون من لفظ الفعل، فإن كان فمفعول مطلق؛

لأن الشيء لا يكون علة لنفسه وهو راجع إلى معنى الشروط المذكورة.

(تنبيهات):

الأول: اختلف في ناصب المفعول له، فالصحيح -وعليه سيبويه والفارسي- أن ناصبه مفهم الحدث، نصب المفعول به المصاحب في الأصل حرف جر لأنه جواب له، فقولك في جواب: لم ضربت زيدًا؟: ضربته تأديبًا؛ أصله: للتأديب، إلا أنه أسقط اللام ونصب؛ ولهذا تعاد في مثل: ابتغاء الثواب تصدقت له؛ لأن الضمير يرد الأشياء إلى أصولها.

وذهب الكوفيون إلى أنه ينتصب انتصاب المصادر وليس على إسقاط حرف الجر، وكأنه عندهم من قبيل المصدر المعنوي، فإذا قلت: ضربت زيدًا تأديبًا، فكأنك قلت: أدبته تأديبًا، وذهب الزجاج فيما نقل عنه ابن عصفور إلى أنه ينتصب بفعل مضمر من لفظه، فالتقدير في: جئت إكرامًا لك: أكرمتك إكرامًا لك، حذف الفعل وجعل المصدر عوضًا من اللفظ به، فلذلك لم يظهر.اهـ

الثاني: متى فقد شرط من الشروط المتقدمة وجب جره باللام، فمثال فقد المصدرية: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ [الرحمن: ١٠]. ومثال فقد المشاركة البيتان السابقان، وقد يجر بـ«من» أو «الباء» لأنهما في معنى اللام نحو: ﴿خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]، ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ [النساء: ١٦٠] وقد يجر بـ«في» السببية نحو: «**دخلتِ امرأةٌ النارَ في هِرَّة**».

ولا يتعين الجر مع «إن، وأن»، وإن كانا غير مصدرين لأنهما يقدران

بالمصدر، وإن لم يتحد فيهما الفاعل أو الوقت لأن حرف الجر يحذف معهما كثيرًا نحو: أزورك إن تحسن إلي، أو: إنك تحسن إلي.

الثالث: لا يتعين النصب عند استيفاء الشروط، بل يجوز معه الجر، ثم إن كان مجردًا من «أل» والإضافة فالنصب أكثر ويقل الجر.

(**نحو قولك: قام زيد إجلالًا لعمرو**) والأمثلة السابقة، ويجوز: ضربته لتأديب. وذهب الجزولي إلى منع جره، قال الشَّلَوْبِين: ولا سلف له في ذلك.

وإن كان معرفًا بأل فالجر أكثر، ويقل النصب كقوله:

لا أقعدُ الجُبنَ عن الهَيْجَاءِ ... ولو توالتْ زُمَرُ الأعداءِ

وقول قريط:

فليتَ لي بهم قومًا إذا ركبوا ... شَنُّوا الإغارةَ فُرسَانًا ورُكبانَا

ويجوز: للجبن، وللإغارة.

وإن كان مضافًا استوى نصبه وجره قال تعالى: ﴿يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٦٥]، وقال: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ [قريش: ١]، (و) نحو قولك: (**قصدتك ابتغاء معروفك**). وقال الكسائي والأخفش: اللام في «لِإِيلَٰفِ» متعلقة بـ«اعجبوا» مقدرا، وقال الزجاج: متعلقة بقوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل: ٥].

الرابع: يجوز تقديم المفعول له على عامله، ومنعه ثعلب وطائفة، ورد بالسماع قال: «فما جزعًا وربِّ الناسِ أبكي». وقال الكميت:

طربتُ وما شوقًا إلى البيضِ أطرَبُ ... ولا لعبًا مني وذو الشَّيْبِ يلعَبُ؟

الخامس: لا يجوز تعدد المفعول له منصوبًا كان أو مجرورًا، ومن ثم منع في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا﴾ [البقرة: ٢٣١] تعلق «لِّتَعْتَدُوا» بـ«تُمْسِكُوهُنَّ» على جعل «ضِرَارًا» مفعولًا له، وإنما يتعلق به على جعله حالًا.

السادس: قال الجزولي: لا يكون المفعول له منجرًّا باللام إلا مختصًّا نحو: قمت لإعظامك، ولا يجوز: لإعظام لك، قال الشَّلَوْبِين: وهذا غير صحيح، بل هو جائز لأنه لا مانع يمنع منه، ثم قال: ولا أعرف له سلفًا في هذا القول. انتهى من "الأشباه".

باب المفعول معه

ثم قال المصنف: (**باب المفعول معه**) هذا هو الخامس من المفاعيل وإنما أخر عنها في الذكر لأمرين:

الأول: أنهم اختلفوا فيه هل هو قياسي أو سماعي؟ وغيره من المفاعيل لم يختلفوا في أنه قياسي.

والثاني: أن العامل إنما يصل إليه بواسطة حرف ملفوظ به وهو الواو بخلاف سائر المفعولات. قاله ابن هشامٍ.

(**وهو الاسمُ المنصوبُ الذي يُذكرُ لبيان من فُعِلَ معه الفِعلُ**)، وفي "الأزهرية": المفعول معه هو الاسم الفضلة الواقع بعد واو المصاحبة المسبوقة بفعل، أو اسم فيه معنى الفعل وحروفه؛ فخرج بالاسم: الفعل نحو: لا تأكل السمك وتشرب اللبن؛ بالنصب، وبالفضلة: العمدة، نحو: اشترك زيد وعمرو، وبالواقع بعد واو المصاحبة: الواقع بعد «مع» نحو: جئت مع زيد، وبالمسبوقة بفعل نحو: كل رجل وضيعته، وباسم فيه معنى: الفعل وحروفه نحو: هذا لك وأباك؛ بالموحدة، فلا يتكلم به خلافًا للفارسي (**نحو**) قولك فيما استوفى الشروط: «**جاء الأميرُ والجيشَ، واستوى الماءُ والخشبةَ**)، وأنا سائرٌ والنيلَ.

(**فائدة أجنبية**): الماء اسم جنس يقع على القليل والكثير، وجمع باعتبار اختلاف أنواعه، فجمعه في القلة: «أمواه»، وفي الكثرة: «مياه»، والنسبة إليه: «مائي، وماوي».

(تنبيهات):

التنبيه الأول: الصحيح أن هذا الباب مقيس، واختلف فيه فقوم يقيسونه في كل شيء حتىٰ حيث يراد بالواو معنىٰ العطف المحض، وحيث لا يتصور معنىٰ العطف أصلًا نحو: قعدت وطلوع الشمس، وعليه ابن مالك والجمهور، وقال المبرد والسيرافي: يقاس فيما كان الثاني مؤثرًا للأول وكان الأول سببًا له نحو: جاء البرد والطيالسةَ؛ فالبرد سبب لاستعمال الطيالسة. وقال الخضراوي: الاتفاق علىٰ أن هذا مطرد في لفظ الاستواء والمجيء والصنع، وفي كل لفظة سمعت وينبغي عندي أن يقاس علىٰ ما سمع ما في معناه ولم يكن من لفظه؛ فيقاس «وصل» علىٰ «جاء»، و«وافق» علىٰ «استوىٰ»، و«فعلت» علىٰ «صنعت»، وما ليس من ألفاظها ومعانيها لا ينبغي أن يجوز.اهـ

التنبيه الثاني: اختلف في ناصب المفعول معه علىٰ أقوال:

أحدها: أنه ما تقدمه من فعل أو شبهه وسواء في الفعل المتعدي أو اللازم عند الجمهور. وقالت طائفة: لا يكون مع المتعدي لئلا يلتبس بالمفعول به.

وهل يكون مع كان الناقصة؟ قولان:

الأول: نعم، وعليه الجمهور؛ لأن الصحيح أنها مشتقة، وأنها تدل علىٰ معنىٰ سوىٰ الزمان، قال الشاعر: «يكونُ وإياها بها هائمًا بعدي».

و الثاني: لا، وعليه طائفة؛ لأنه ليس فيها معنىٰ حدث تعدىٰ بالواو.

ومذهب سيبويه أنه لا ينصبه حرف التشبيه واسم الإشارة والظرف والجار والمجرور، وأجازه الفارسي وغيره وعليه: «هذا ردائي مطويًّا وسربالًا».

القول الثاني: أن ناصبه الواو، وعليه عبد القاهر الجرجاني، ورد بأنه لو كان كذلك لاتصل بها إذا كان ضميرًا كما في سائر الحروف الناصبة.

القول الثالث: أن ناصبه فعل مضمر بعد الواو، وعليه الزجاج قال: وإنما لم يعمل فيه الفعل السابق لفصل الواو، وعورض بالعطف؛ فإن فصل الواو فيه لم يمنع من تسلط العامل.

الرابع: أن الناصب له الخلاف، ونسبه ابن مالك وهشام للكوفيين، ورد بأن الخلاف لو كان ناصبًا لقيل: ما قام زيد لكن عمرًا، ولم يقله أحد من العرب؛ قال أبو حَيَّان: وأكثر الكوفيين والأخفش على أن الواو مهيئة لما بعدها أن ينتصب انتصاب الظرف. والأول من هذه الأقوال هو الأصح كما ذكره المتأخرون.

التنبيه الثالث: لا يتقدم المفعول معه على عامله اتفاقًا؛ لأن أصل واوه للعطف، والمعطوف لا يتقدم على عامل المعطوف عليه اتفاقًا، ولا يتقدم على مصاحبه أيضًا لما ذكر، وأجاز ابن جني لوروده في العطف قال:

ألا يـا نخلـةً مـن ذاتِ عِـرْقٍ ... عليـكِ ورحمـةُ الله السَّـلامُ

وسماعه هنا قال:

جمعـتَ وفُحشًـا غيبـةً ونميمـةً ... خصالًا ثلاثًا لستَ عنها بِمُرْعَوِي

ولأن باب المفعولية في التقديم أوسع مجالًا من باب التابعية.

التنبيه الرابع: لا يجوز الفصل بين الواو والمفعول معه بظرف ولا بغيره؛ فلا يقال: قام زيد واليوم عمرًا، وإن جاز الفصل بالظرف بين الواو العاطفة

ومعطوفها؛ لأن الواو هنا نزلت منزلة الجار مع المجرور فمنعوا الفصل بينهما.

الخامس: زعم صدر الأفاضل أن المفعول معه يكون جملة، وخرج عليه قولهم: جاء زيد والشمس طالعة، وفر من جعلها حالًا لأنها لا تنحل إلى مفرد يبين هيئة فاعل ولا مفعول ولا هي مؤكدة، وأجيب بأنها مؤولة بالحال السببية، أي جاء زيد طالعة الشمس عند مجيئه، وقيل: تؤول بمنكر أو نحوه. أفاده في "الهمع".

السادس: إذا وقعت بعد المفعول معه خبر لما قبله أو حال طابق ما قبله نحو: كان زيد وعمرًا متفقًا، وجاء البرد والطيالسة شديدة، ويجوز عدم المطابقة بأن تثنى نحو: كان زيد وعمرا متفقين، وجاء البرد والطيالسة شديدين، ومنع ذلك ابن كيسان وأوجب المطابقة للأول، قال أبو حَيَّان: وإياه نختار. أفاده في "الهمع".

السابع: مسائل هذا الباب بالنسبة إلى العطف والمفعول معه خمسة أقسام:

الأول: ما يجب فيه العطف وهو شيئان:

أحدهما: وعليه الجمهور؛ أن يتقدم الواو مفرد نحو: الرجال وأعضاؤها، والنساء وأعجازها، وجوز الصميري فيه النصب على المفعول معه بلا تأويل، وجوزه بعضهم على تأويل ما قبل الواو جملة حذف ثاني جزأيها.

ثانيهما: أن يتقدم الواو جملة ليس فيها معنى الفعل نحو: أنت أعلم ومالك والمعنى بمالك، وهو عطف على أنت، ونسبة إليه مجاز.

الثاني: ما يجب فيه النصب، وهو أن يتقدم الواو جملة فعلية أو اسمية فيها

معنى الفعل، وقبل الواو ضمير متصل مجرور أو مرفوع لم يؤكد بمنفصل نحو: مالك وزيدًا، وما شأنك وزيدًا، وما صنعت وإياك، فلا يجوز العطف هنا لامتناعه، والنصب في الاسمية بـ«كان» مضمرة قبل الجار وهو اللام و«شأن»، أي: ما كان شأنك وزيدًا، أو بمصدر «لابس» منويًّا بعد الواو؛ أي: ما شأنك وملابسة زيدًا أو ملابسك زيدًا، قاله سيبويه.

قال أبو حَيَّان نقلًا عن شيخه ابن الضائع: هكذا تقدير معنى الإعراب لأنه عند سيبويه مفعول معه، وتقدير الملابسة يجعله مفعولًا به، وقال السيرافي وابن خروف: المقدر فعل وهو: «لابس» لأن المصدر لا يعمل مقدرًا.

الثالث: ما يختار فيه العطف، وهو أن يكون المجرور في الصورة السابقة ظاهرًا أو ضميرًا لمرفوع منفصلًا نحو: ما شأن عبد الرحمن وزيد، وما أنت وزيد، فالأحسن العطف لإمكانه وهو الأصل، ويجوز النصب، ومنعه بعض المتأخرين كابن الحاجب.

ورد بالسماع قال: «وما أنت والسير في متلف».

وسمع: ما أنت وزيدًا، وكيف أنت وقصعة من ثريد، قال سيبويه: أي: ما كنت وزيدًا، وكيف تكون وقصعة من ثريد، لأن «كان» تقع هنا كثيرًا.اهـ

قال الفارسي: وكان هذه المضمرة تامة لأن الناقصة لا تقل هنا، واختاره الشَّلَوْبِين وقال أبو حَيَّان: الصحيح أنها الناقصة، وأنها تعمل هنا و«كيف» خبرها وكذا «ما».

الرابع: ما يختار فيه النصب، وهو أن تجتمع شروط العطف لكن يخاف منه

فوات المعية المقصودة نحو: لا تغتذ بالسمك واللبن، أي مع اللبن؛ لأن النصب يبين مراد المتكلم، وكذا إذا كان فيه تكلف من جهة المعنى نحو قوله:

فكونوا أنتُم وبني أبيكم مكانَ الكُلْيَتَيْنِ مع الطِّحَالِ

فإن لم يصلح الفعل للتسلط على المعطوف امتنع العطف عند الجمهور، وجاز النصب على المعية وعلى إضمار الفعل الصالح نحو: ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ [يونس: ٧١] فإما أن يجعل مفعولًا معه أو مفعولًا بأجمعوا مقدرًا، ومثله: ﴿تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ [الحشر: ٩] فالإيمان مفعول معه أو به بـ«اعتقدوا» مقدرًا، فإن لم يحسن جعل «مع» موضع الواو ولم يمكن تسليط العامل على المعطوف تعين الإضمار وامتنع المفعول معه والعطف كقوله:

إذا ما الغانياتُ برزْنَ يومًا وزجَّجْنَ الحواجبَ والعيونَا

فيقدر: «وكحلن»؛ لأن «زججن» غير صالح للعمل في العيون، وموضع الواو غير صالح لـ«مع»، وذهب أبو عبيدة والأصمعي واليزيدي والمازني والمبرد إلى جواز العطف على الأول بتضمين العامل معنى يتسلط به على المتعاطفين، واختاره الجرمي وقال: يجوز في العطف ما لا يجوز في الإفراد نحو: أكلت خبزًا ولبنًا.

الخامس: ما يجوز فيه العطف والمفعول معه على السواء، وذلك إذا أكد ضمير رفع متصل نحو: ما صنعت أنت وإياك، ونحو: رأسه والحائط؛ أي: دع، وشأنك والحج؛ أي: عليك، بمعنى الزم، وذلك مقيس في كل متعاطفين

على إضمار فعل لا يظهر. فالمعية في ذلك والعطف جائزان، والفرق بينهما من جهة المعنى أن المعية منها الكون في حين واحد دون العطف لاحتماله مع ذلك التقدم والتأخر، قال أبو حَيَّان: وفي تمثيل سيبويه بهذه الأمثلة رد على من يعتقد أن المفعول معه لا يكون إلا مع الفاعل. أفاده في "شرح الجمع".

قال المؤلف: (**وأما خبرُ كان وأخواتِها واسمُ إنَّ وأخواتِها فقد تقدَّم ذكرُهما في المرفوعاتِ، وكذلك التَّوابع فقد تقدمت هناك**) فلا حاجة لإعادتها هنا.

ولما فرغ من ذكر المنصوبات شرع يتكلَّم على المخفوضات فقال:

(بابُ مخفوضاتِ الأسماءِ)

المخفوضات جمع مخفوض، والخفض الدعة، وعيش خافض، والخافض في الأسماء الحسنىٰ من يخفض الجبارين والفراعنة، والانخفاض الانحطاط وخفض بالمكان أقام. وهو في الإعراب بمنزلة الكسر في البناء.

والأسماء (**المخفوضاتُ ثلاثةٌ**) أقسام: «**مخفوضٌ بالحرف، ومخفوضٌ بالإضافةِ**) ومخفوض بالتبعية وهو المراد بقوله: (**وتابعُ للمخفوضِ**) وقد اجتمعت الثلاثة في البسملة وهذه طريقة مرجوحة.

والراجح أن المخفوضات قسمان، فأما الخفض بالتبعية فمرجوح عند الجمهور كما تقدم.

فإن قلت: الجر بالإضافة رأي الأخفش وهو مرجوح أيضًا.

قلت: المراد الجر الكائن بسببها من أن الجار المضاف علىٰ رأي سيبويه، أو فيها من أنه الحرف المقدر علىٰ رأي ابن مالك.

(«**فأما المخفوضُ بالحرفِ**) يعني به حرف الجر (**فهو ما يخفِضُ بمِن**) ترد من اسمًا مفعولًا كقوله تعالىٰ: ﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢]، قال: وكذا حيث كانت فهي في موضع المفعول به.

قال الطيبي في "حاشيته": وإذا قدرتها مفعولًا كانت اسمًا كـ«عن».

قلت: وترد فعل أمر من: «مان يمين»: كذب (**وإلى**) قال السيوطي: وترد اسما بمعنىٰ النعمة وجمعه الآلاء.اهـ

قلت: وترد فعل أمر للاثنين من «وأل، يئل»: طلب النجاة.

قال المؤلف: (وعن): وترد اسمًا بمعنى جانب: «من عن يميني مررت وأمامي»، وكقوله:

على عنْ يميني مرَّت الطير سُنحا وكيف سُنوح واليمينُ قطيعُ

وتكون «عن» مصدرية في عنعنة تميم كما تقدم.

قال المؤلف: (وعلى) فعلًا ماضيًا بمعنى صعد.

قال المؤلف: (وفي) وترد اسمًا بمعنى «الفم» مجرورًا، وفعل أمر للمؤنث من «وفى، يفي».

قال المؤلف: (ورُبَّ) وفيها لغات تقدم ذكرها صدر الكتاب، وزعم ابن فضال المجاشعي في "الهوامل والعوامل" أنها ثنائية الوضع ساكنة الثاني كـ«هل، وبل»، وأن فتح التاء مخففة دون الباء ضرورة، وأن فتح الراء مطلقًا شاذ.

والجمهور على أنها ثلاثية الوضع، وأن تخفيف التاء وفتح الراء لغة معروفة. وزعم الكوفية وابن الطراوة أنها اسم مبني لأنها في التقليل مثل «كم» في التكثير، وهي اسم بإجماع، وللإخبار عنها في قوله:

إنْ يقتلوكَ فإنَّ قَتْلكَ لم يكنْ عارًا عليكَ وربَّ قتلٍ عارُ

وتقع مصدرًا كـ«رب ضربة ضربت»، وظرفًا كـ«رب يوم سرت»، ومفعولا كـ«رب رجل ضربت».

واختار الرضي أنها اسم؛ قال: لأن معنى «رجل» في أصل الوضع قليل من هذا الجنس، كما أن معنى «كم» كثير من هذا الجنس، لكن قال: إعرابه أبدًا رفع على أنه مبتدأ لا خبر له، قال: فإن كفت بـ«ما» فلا محل لها حينئذ لكونها

كحرف النفي الداخل على الجملة.

وأجاب البصريون بأنها لو كانت اسمًا لجاز أن يتعدى إليها الفعل بحرف الجر وأن يعود عليها الضمير ويضاف إليها وذلك وجميع علامات الاسم منتفية عنها، وبأن الرواية في البيت: «وبعض قتل عار»، وإن صحت تلك الرواية فـ«عار» خبر محذوف، أي: هو، والجملة صفة المجرور أو خبره إذ هو في موضع المبتدأ.

قال الفارسي : ومن الدليل على أنها حرف لا اسم أنهم لم يفصلوا بينها وبين المجرور، كما فصلوا بين «كم» وبين ما تعمل فيه. أفاده في "الهمع".

قال المؤلف: (الباء) مكسورة مطلقًا، وقيل: تفتح مع الظاهر قال أبو حَيَّان: حكاه أبو الفتح عن بعضهم. وتزاد توكيدًا في ستة مواضع: في الفاعل، والمفعول، والمبتدأ، والخبر، والحال، والتوكيد.

قال المؤلف: (والكاف) وتقع اسمًا مرادفة لمثل جارة أيضًا، قال سيبويه والمحققون: لا تقع كذلك إلا ضرورة؛ وحينئذ فتجر بالحرف كقوله:

يَضْحكْنَ عَنْ كَالْبَرَدِ الْمُنْهَمِّ

بكا لِلَّقْوَةِ الشّغْواء جُلْتُ فَلم أكُنْ

وبالإضافة كقوله:

تيَّم القلبَ حبٌّ كالبدرِ لا بل فاق حسنًا من تيَّم القلبَ حبَّا

وتقع فاعلة كقوله:

أتنتهُونَ ولنْ ينهى ذَوي شَطَطٍ كالطَّعنِ يذهبُ فيه الزيتُ والفُتُلُ

ومبتدأة كقوله:

بنا كالجوىٰ مما نخاف وقد نرىٰ شفاءَ القلوبِ الصاديات الحوائم

واسم كان كقوله:

لو كان في قلبي كقدرِ قُلامةٍ فضْلا لغيرك ما أتَتْكِ رسائلي

ومفعولة كقول النابغة:

لا يبرمون إذا ما الأفْقُ جلَّله بردُ الشتاءِ من الإمحالِ كالأدمِ

وقال الأخفش والفارسي : تقع كذلك اختيارًا كثيرًا نظرًا إلىٰ كثرة السماع، وعليه يجوز في «زيد كالأسد» أن تكون في محل رفع، و«الأسد» مجرورًا بالإضافة، وعليه كثير من المعربين، قال ابن هشامٍ: ولو صح ذلك لجمع في الكلام مثل «مررت بكالأسد». وقال أبو حَيَّان: تقع اختيارًا قليلًا. قال أبو جعفر بن مضاء: هي اسم دائمًا، ورده الأكثرون بمجيئها علىٰ حرف واحد، ولا يكون علىٰ ذلك من الأسماء الظاهرة إلا محذوف منه أو شاذ. وقال بعضهم: هي اسم إذا زيدت، ورد بأن زيادة الاسم لم تثبت وقل جرها بـ«مذ». انتهىٰ من "الهمع".

قال المؤلف: (واللام) والأشهر عند العرب كسرها مع كل ظاهر إلا المستغاث، وفتحها مع المضمر غير الياء. وبعضهم يفتحها مع الظاهر مطلقًا. وبعضهم إذا دخلت علىٰ الفعل وقريء «وما كان ليعذبهم» وخزاعة تكسرها مع المضمر، قال في "الهمع": وإنما كسرت هي والباء، وإن كان الأصل في الحرف الواحد بناؤه علىٰ الفتح تخفيفًا لموافقة معمولها ولم تكسر الكاف لأنها تكون اسمًا فكان جرها ليس بالإضافة، وبقيت في المضمر علىٰ الأصل لأنه

يتميز ضمير الجر من غيره، ولم يعول في الظاهر على الفرق بالإعراب لعدم اطراده إذ قد يكون مبنيًّا وموقوفًا عليه (حروفُ القَسَم) بالجر عطفًا على من (وهي: الواوُ) ويضمر معها الفعل وجوبًا كما تقدم خلافًا لابن كيسان، وهل هي الواو العاطفة أو بدل من الباء؟ خلاف، جزم مالك ونقله أبو حَيَّان عن الجمهور: بأنها بدل من الباء لتقارب معناهما. وقال السهيلي وغيره: بل هي العاطفة كواو «رب» عطفت على مقدر، ويقويه أنها لا تدخل على مضمر كالعاطفة.

قال المؤلف: (والباءُ) وهي أصل أحرفه، وإن كانت الواو أكثر استعمالًا منها، ومن ثم جاز حذفها لا غيرها من أحرفه؛ فينصب المقسم به بإضمار فعل القسم. قال ابنا خروف وعصفور: أو فعل آخر كـ«الزم» ونحوه، ويرفع على الابتداء والخبر محذوف وروي بهما قوله: «فقلتُ يمين اللهِ أبرحُ قاعدًا». ولا تجر خلافًا للكوفيين في إجازتهم الجر بالحرف المحذوف.

قال المؤلف: (والتاء) واللام ويكون لما فيه معنى التعجب وغيره كقولهم: «للهِ لا يؤخَّرُ الأجلُ»، أي: «تالله»، وقوله: «لله يبقي على الأيام منتعل».

(تنبيه): بقي من حروف القسم «أيمن»، وهو حرف عند الرماني والزجاج، واسم على الأصح، وفيه لغات: «أيمُن» بفتح الهمزة وضم الميم، «إيمُن» بكسر فضم، و«أيمَن» بفتحهما، و«إيمَن» بكسر ففتح، و«إيمُ» بالكسر والضم، و«أيمُ» بالفتح والضم، و«إيمِ» بكسرتين، و«هَيمُ» بفتح الهاء مبدلة من الهمزة والضم وهي أغرب لغاتها، و«أمَ» بفتحتين، و«أمُ» بالفتح والضم،

و«أمِ» بالفتح والكسر، و«إمُ» بالكسر والضم، و«إمَ» بالكسر والفتح ومن مثلث الحرفين وم مثلثا.

والأصح أنه معرب لعدم سبب البناء. وقال الكوفيون: مبني لشبهه بالحرف في عدم التصرف، والأصح أنه لازم للرفع. وقال ابن درستويه: يجوز جره بواو القسم، والأصح أنه مبتدأ حذف خبره، وقال ابن عصفور: هو خبر والمحذوف مبتدأ والأصح أنه مضاف لله، والكعبة، والكاف، والذي.

فالأول غالب، والباقي نحو: أيمن الكعبة، وقول عروة بن الزبير: أيمنك لئن ابتليت لقد عافيت، وقوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**وأيم الذي نفسي بيده**». والأصح أنه مفرد، وقال الكوفيون: هو جمع «يمين» على أفعل كأفلس؛ لأن بناء أفعل لا يوجد في الأسماء مفردًا. والأصح أنه مشتق من اليمين، وبه جزم ابن مالك، وحكى ابن طاهر عن سيبويه أنه مشتق من اليمين. والأصح أن همزتها همزة وصل، وقال الكوفيون: همزة قطع.

(تتمتان):

الأولى: يغني عن القسم: «لا جرم» في حكاية الفراء؛ تقول العرب: لا جرم لآتينك؛ فاستغنوا بها عن القسم قاصدين بها معنى حقًّا، وأصلها بمعنى لا بد. قال الكوفية: ويغنى عنه أيضًا «عوض»؛ فيقال: عوض لأفعلن، والبصريون لا يعرفون القسم به وإن ذكره الزجاجي.

ويجمع بين أيمان توكيدًا سواء اختلف حرف القسم أم لا، فإن اختلف الحرف لم يؤت بالثاني حتى يوف الأول جوابه، فيقال: تالله لأفعلن، بالكعبة لأفعلن، وجوزه الأخفش فيقال: تالله بالله والله لا أفعل، كما يقال: والله والله لا

أفعل البتة.

الثانية: من القسم: غير صريح، قال في "الهمع": وهو ما لا يعلم بمجرد لفظه كون الناطق به مقسمًا كـ«علمت» نحو: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢] قال سيبويه: ومنه قولهم: علم الله، و«شهدت» نحو: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨] في رواية الكسر، ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ [المنافقون: ١]، و«جاهدت»، و«أوثقت»، و«أخذت»، ومنه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٨٧] وهذه الألفاظ في الخبر.

وفي الإنشاء: «نشدتك الله»، و«عمّرتك الله» بالتشديد، و«عمرك الله» بضم الراء وفتحها مع ضم العين، و«قعدك الله» بفتح القاف وكسرها، و«عزمت»، ويجوز حذف «نشدت»، ومنه قوله:

قالتْ لـه بـالله يَـا ذَا الـبُرْدَين ... لمـا غَنِثْـتَ نَفَسًـا أو اثنَـيْنِ

ويجوز حذف الباء فينتصب تاليها نحو: نشدتك الله لما فعلت، والأصل «بالله».اهـ

(فائدة): «نشدتك بالله»: سألتك وطلبت منك، من نشد الضالة: طلبها. و«عمرك الله»: سألتك بتعميرك، أي: بإقرارك له بالبقاء، وهو مخفف عمر تعميرًا، وجاء في الحديث النهي عن قول: «لعمر الله». و«قعيدك الله»، قيل: كأنه قاعد معك بحفظه عليك، أو معناه: يصاحبك الذي هو صاحب كل نجوى.

ثم قال المصنف: (وبواو رب) هذا مذهب الكوفيين والمبرد، والصحيح عند البصريين أن الواو عاطفة، وأن الجر بـ«رب» محذوفة.

واحتجَّ الكوفيون بافتتاح القصائد بها، لقول رؤبة: «وقاتمِ الأعماقِ خاوي المخترقْن»، وقوله: «وليلٍ كموجِ البحرِ أرخىٰ سدولَه».

وأجيب بجواز تقدير العطف علىٰ شيء في نفس المتكلم ويوضع كونها عاطفة أن واو العطف لا تدخل عليها. وذهب المبرد إلىٰ أن الفاء جارة في نحو قول امريء القيس:

فمثلِك حبلىٰ قد طرقتُ ومرضعٍ فألهيتُها عن ذي تَمائمَ مُحول

وبعضهم إلىٰ أن «بل» كذلك كقول رؤبة: «بل بلدٍ ملِء الفِجَاج قَتَمهُ»، وهو وهم؛ إذ الجر ونحوه بـ«رب» محذوفة.

قال المؤلف: (وبمذ ومنذ) ومعناها ابتداء الغاية الزمانية كـ«من» إن كان الزمان ماضيًا كقول زهير:

لمن الديارُ بقُنَّةِ الحِجْرِ أقوَيْنَ مُذ حِجَجٍ ومذ دهرِ

وقول امريء القيس:

قِفَا نبكِ من ذكرىٰ حبيبٍ وعِرْفانِ وَرَبْعٍ عَفَتْ آثاره منذُ أزمانِ

والظرفية كـ«في» إذا كان الزمان حاضرًا، نحو: ما رأيته مذ يومنا أو منذ يومنا. ويدلان علىٰ ابتداء الغاية وانتهائها كـ«من، وإلىٰ» معًا إذا كان الزمان معدودًا نكرة نحو: ما رأيته مذ يومين أو منذ يومين. وأكثر العرب علىٰ وجوب جرهما للحاضر، وعلىٰ ترجيح جر «منذ» للماضي، وعلىٰ ترجيح رفع «مذ»

للماضي.

(تنبيه): تقع «مذ» و«منذ» اسمين، قال ابن هشامٍ: وذلك إذا وقع بعدهما اسم مرفوع أو الجمل الاسمية والفعلية. فإن وقع بعدهما اسم مرفوع فقال المبرد والفارسي وابن السراج: مبتدآن وما بعدهما خبر، ومعناهما «الأمد» إن كان الزمان حاضرًا أو معدودًا وأول المدة إن كان ماضيًا، وقال الأخفش والزجاج والزجاجي: ظرفان مخبر بهما عما بعدهما، وقال أكثر الكوفيين ظرفان مضافان لجملة حذف فعلها وبقي فاعلها، واختاره السهيلي وابن مالك. وقال بعض الكوفيين: خبر لمحذوف بناء على أن «منذ» مركبة من كلمتين: «من، ذو» الطائية.

وإذا تليتهما جملة اسمية كقول الأعشى: «وما زِلْتُ أَبغِي المالَ مذْ أنا يافعٌ»، أو فعلية كقول الفرزدق: «ما زال مذْ عقدَتْ يداه إزارَه»؛ فالمشهور أنهما حينئذ ظرفان مضافان، فقيل: إلى الجملة، وقيل: إلى زمن مضافًا إلى الجملة، وقيل: مبتدآن فيجب تقدير زمان مضاف للجملة يكون هو الخبر.اهـ

(فائدة): أصل «مذ»: منذ، بدليل رجوعهم إلى ضم ذال «مذ» عند ملاقاة الساكن، ولولا أن الأصل الضم لكسروا؛ ولأن بعضهم يضم بلا ساكن، وقال ابن ملكون: هما أصلان لأنه لا يتصرف في الحرف ولا شبهه، ويرده تخفيفهم «إن، وكأنّ، ولكنّ» وقال المالقي: إذا كانت «مذ» اسمًا فأصلها «منذ»، أو حرفًا فهي أصل، قاله ابن هشامٍ.

(لطيفة): ألغز أبو عبد الله محمد بن مصعب المقري في «مذ» و«منذ» فقال:

أيُّها العالِمُ الذي ليس في الأرضِ ... له مُشْبِهٌ يُضاهِيه عِلْمَا

أيُّ شـيءٍ مِـن الكَـلامِ تَـراه عـامِلًا في الأسـماء لفظًـا وحُكْـمًا
خافضًـا ثُـمَّ رافـعًا إن تفهمـتَ يـزدْ فهـمَك التفـهمُ فهـمًا
يُشـبه الحـرفَ تـارة فـإذا مـا ضارَع الحـرفَ نفسَـه صـار اسـمًا
هـو مرفـوعٌ رافـعٌ وهـو أيضًـا رافـع غيـرَه وليـس معـمى
وهـو من بعـد ذاك للجـرِّ حـرفٌ فأجِبْنا إن كنـتَ في النحـوِ شـهمًا

قلت: والشهم: الذكي المتوقِّد.

(تكملة): من حروف الجر: «حاشا، وخلا، وعدا»، نحو قوله: «من رامها حاشا النبي ورهطه»، وقوله: «حاشاي إني مسلم معذور»، وقوله: «خلا اللهِ لا أرجو سواك وإنما»، وقوله: «عدا الشَّمطاءِ والطفلِ الصغيرِ».

و«كي»: وتختص بما الاستفهامية، و«أي، وما» المصدرتين لا تجر غيرها كقولهم في السؤال عن العلة: كيمه؟ وقال: «يرجى الفتى كيما يضر وينفع».

و«لعل»: والجر بها لغة عقيلية حكاها أبو زيد والأخفش والفراء، قال شاعرهم: «لعل أبي المِغْوارِ منك قريبُ»، وأنكرها قوم منهم الفارسي وتعسف في تأويل البيت. وحكم محلها ومجرورها كـ«رب».

ومتى: والجر بها لغة لهذيل بمعنى «من» كقول ابن ذؤيب:

شَربـن بـماءَ البحـرِ ثـمَّ ترفَّعَـتْ متـى لُجَـجٍ خُضْـرٍ لهـنَّ نَئِيـجُ

وتأتي بمعنى «وسط»، وحكي: وضعتها متى كمه، أي: وسطه، وإذا كانت بمعنى «وسطًا» فهي اسم، أو «من» فحرف. جزم به ابن هشامٍ وغيره. انتهى من "الهمع".

(تنبيهات):

الأول: حروف الجر عشرون، ثلاثة لا تجر إلا في الاستثناء وهي: «خلا، وعدا، وحاشا»، وثلاثة لا تجر إلا شذوذًا وهي: «كي، ولعل، ومتىٰ»، وسبعة تجر الظاهر والمضمر وهي: «من، وإلىٰ، وعن، وعلىٰ، وفي، والباء، واللام»، والسبعة الباقية لا تجر إلا الظاهر وهي تنقسم إلىٰ أربعة أقسام: قسم لا يجر إلا الزمان وهو «مذ، ومنذ»، وقسم لا يجر إلا النكرات وهو «رب»، وقسم لا يجر إلا «لفظي الجلالة» و«رب» وهو التاء، وقسم يجر كل ظاهر، وهو الباقي.

الثاني: مذهب البصريين أن أحرف الجر لا ينوب بعضها عن بعض بقياس، كما أن أحرف الجزم والنصب كذلك، وما أوهم ذلك فإما مؤول تأويلًا يقبله اللفظ، أو علىٰ تضمين الفعل معنىٰ فعل يتعدىٰ بذلك الحرف، أو علىٰ النيابة شذوذًا، والأخير محل الباب كله عند الكوفيين بلا شذوذ، قال ابن هشامٍ وتبعه السيوطي: هو أقل تعسفًا.

الثالث: لا يحذف الجار ويبقىٰ عمله اختيارًا، فأما قوله:

إذا قيل أيُّ النَّاس شرُّ قبيلة ... أشارتْ كُلَيْبٍ بالأكفِّ الأصَابعِ

وقوله:

وكريمةٍ مِنْ آلِ قَيْسَ ألفتُه ... حَتَّىٰ تَبَذَّخَ فَارْتَقىٰ الأَعْلامِ

فضرورة، وحديث البخاري: «**صلاةُ الرجلِ في جماعةٍ تضعف على صلاتِه في بيته وسوقِه خمس وعشرين ضعفًا**» نادر لا يقاس عليه إلا مع «كم» فيحذف بقياس نحو: بكم درهم اشتريت، أي: بكم من درهم، وزعم الزجاج أن الجر بالإضافة، ورد بما يطول ذكره. ومع الحروف الثلاثة السابقة وهي «واو رب،

والباء، وبل».

الرابع: فصل الجار من مجروره وتأخيره عنه ضرورة، أما الأول فيكون بظرف كقوله: إنَّ عمرًا لا خيرَ في -اليومَ- عمروٍ. وبجار مجرور كقوله:

رُبَّ في النـاسِ مُـوسرٍ كعـديمٍ وعَـديمٍ يُخَـالُ ذا إيسـار

ومفعول كقوله: «وأقطعُ بالخَرْقَ الهبوعِ المُراجم»، أي: وأقطع الخرق بالهيوع، وسمع في النثر بقسم؛ حكى الكسائي: اشتريته بوالله ألف درهم، وقاسه تلميذه علي بن المبارك الأحمر في «رب».

قال أبو حَيَّان: ولا يبعد ذاك إلا أن الاحتياط أن لا يقدم عليه إلا بسماع. قاله في "الهمع".

الخامس: تزاد ما بعد «من، وعن، والباء» فلا تكفهن، كقوله تعالى: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٤٠]، ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ﴾ [نوح: ٢٥]، ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٥].

وبعد اللام فلا تكفها أيضًا كقول الأعشى:

إلى ملـكٍ خـيرِ أربابِـهِ فـإنَّ لِمَـا كـلِّ شيء قـرارا

وبعد «رب»؛ فالغالب الكف وإيلاؤها الفعل الماضي كقوله:

ربَّـما أوفيـتُ في علـمٍ تَـرْفَعَنْ ثـوبِي شـمالاتُ

وقد يليها المضارع نحو: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ﴾ [الحجر: ٢]، والجملة الاسمية نحو: «ربما الجاملُ المؤبلُ فيهم»، وقد لا يكف نحو: «ربما ضربةٍ بسيف

صقيلٍ».

قال الفارسي : يتعين بعدها الفعلية إذا كفت، وأول البيت على أن «ما» نكرة موصوفة. وقد يحذف الفعل بعدها كقوله:

فـــذلك إن يلـــقَ المنيَّـــة يلقهـــا حميـدًا وإن يَسْـتَغْنِ يومًـا فأَجْـدِرِ

وقد تلحق التاء بها ولا تكف كقوله: ماوي يا ربتما غارة.

وتزاد «ما» بعد «الكاف» فتكف غالبًا. ويليها الجمل الاسمية والفعلية

أخٌ ماجـدٌ لم يخـزني يـومَ مَشْـهَد كما سيفُ عمـرٍو لم تخنْـه مضـاربُه

وقوله:

ألَمْ تَـــرَ أن البغـــلَ يتبـــعُ إِلفَـــهُ كـــما عـــامرٌ واللـــؤمُ مؤتَلِفَـــانِ

وقد لا يكف كقوله:

وننصـــرُ مولانـــا ونعلـــمُ أنَّـــه كما النـاسِ مجـرومٌ عليـه وجـارِمُ

وقال أبو حَيَّان: لا يكف أصلًا، وأول الأبيات الواردة في ذلك على أن «ما» مصدرية منسبكة من الجملة بعدها بمصدر بناء على جواز وصلها بالاسمية ومحله حينئذ جر. قاله في "الهمع".

السادس: يجب تعليق حروف الجر بفعل أو شبهه ولو مقدرًا كقوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ [الأعراف: ٧٣].

وهل تتعلق بأحرف المعاني؟ أقوال:

أحدها: وهو المشهور؛ المنع مطلقًا.

الثاني: الجواز مطلقًا.

ثالثها: تتعلق بها إن نابت عن فعل حذف ويكون ذلك نيابة لا أصالة، فإن لم يكن كذلك فلا، وعليه الفارسي وابن جني؛ قالا في نحو: «يا لزيد»: إن اللام متعلقة بـ«يا». ولا يتعلق من حروف الجر زائد كـ«الباء»، و«من» في: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨]، ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣].

وذلك لأن معنى التعلق: الارتباط المعنوي، والأصل أن أفعالًا قصرت عن الوصول إلى الأسماء فأعينت على ذلك بحروف الجر، والزائد إنما دخل تقوية وتوكيدًا ولم يدخل للربط إلا اللام المقوية فإنها تتعلق بالعامل المقوي نحو: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة: ٩١]، ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦]، ولا تتعلق «لعل» الجارة في لغة عقيل لأنها بمنزلة الحرف الزائد؛ ألا ترى أن مجرورها في موضع رفع بالابتداء، ولا «لولا» إذا جرت الضمير لأنها بمنزلة «لعل»، ولا «خلا، وعدا، وحاشا» إذا جررن المستثنى لأنهن لتنحية الفعل عما دخلن عليه، قال الأخفش وابن عصفور: ولا الكاف التي للتشبيه. قاله في "الهمع".

السابع: قال ابن فلاح في "المغني": تعلق حروف الجر بالفعل يأتي لسبعة معان: تعلق المفعول به، وتعلق المفعول له كـ«جئتك للسمن واللبن»، وتعلق الظرف كـ«أقمت بمكة»، وتعلق الحال كـ«خرج بعشيرته»، وتعلق المفعول معه نحو: ما زلت بزيد حتى ذهب، وتعلق الشبيه بالمفعول به نحو: قام القوم حاشا زيد، وخلا زيد، لأنها نائبة عن «إلا» والاسم بعدها ينتصب على التشبيه بالمفعول بها، فكذا المجرور بعد هذه على التشبيه بالمفعول به، وتعلق التمييز

نحو: يا سيدًا ما أنت من سيد.اهـ

قال المؤلف: (**وأمَّا ما يُخْفَضُ بالإضافةِ فنحوُ قولِك: غلامُ زيد**).

قلت: الإضافة لغة: الإمالة والإسناد، ومنه ضافت الشمس إلى الغروب، وقول امرئ القيس:

فَلَـمَّا دخلنَـاه أضَـفْنَا ظهورَنـا إلى كـلِّ حـارِيٍّ قشـيبٍ مُشَـطَّبِ

واصطلاحًا: إسناد اسم إلى آخر على تنزيل الثاني من الأول منزلة تنوينه أو ما يقوم مقام تنوينه. وعرفها في الجمع بقوله: نسبة تقييدية بين اسمين توجب لثانيهما الجر، قال في شرحه: فخرج بالتقييدية الإسنادية نحو: زيد قائم، وبما بعده نحو: قام زيد.

ولا ترد الإضافة إلى الجمل لأنها في تأويل الاسم، وبالأخير الوصف نحو: زيد الخياط.اهـ

وتصح بأدنى ملابسة كقوله تعالى: ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٦]، أضاف الضحى إلى العشية لكونهما طرفي النهار. وقول الشاعر:

إذا كوكـبُ الخَرْقـاءِ لاحَ بسُـحْرةٍ سهيلٌ أذاعتْ غزْلَهـا في القَرَائِـب

أضاف الكوكب إليها لجدها في عملها عند طلوعه.

(تنبيهات):

الأول: اختلف في المضاف والمضاف إليه ما هو؟ فقال سيبويه: المضاف هو الأول والمضاف إليه هو الثاني، وهو قول ابن مالك أيضًا. وقال غيره عكسه. وقيل: يجوز في كل منهما أن يكون مضافًا ومضافًا إليه.

الثاني: اختلف أيضًا في الجار للمضاف إليه؛ فقال سيبويه وابن مالك: المضاف لاتصال الضمائر به، ولا تتصل إلا بعاملها. وقال الزجاج وابن الحاجب: الحرف المقدر. وقال الأخفش: الإضافة، وهو صريح كلام المصنف، والراجح قول سيبويه.

ويحذف من الاسم عند إضافته ما فيه من نون تثنية وجمع وما ألحق بهما، ومن تنوين ظاهر أو مقدر. ولا تحذف نون مفرد وجمع تكسير، وقد تحذف تاء التأنيث للإضافة في قول الفراء وذكر نحوه بعضهم مستدلًا بقول زهير:

إنَّ الخَلِيطَ أجدُّوا البين فـانْجردُوا وأخلفوكَ عِدَ الأمرِ الذي وَعَـدُوا

وأجاب بعضهم عن البيت بأن «عدى» جمع «عدوة» وهي الناحية، وقراءة بعضهم«عُدَّهُ»: ﴿لَأَعَدُّوا لَهُۥ عُدَّةً﴾ [التوبة: ٤٦]، كقوله تعالى: ﴿وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾ [الروم: ٣]، ﴿وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [الأنبياء: ٧٣] وهذا الحذف سماعي كما في "البحر".

ثم ذكر أن مذهب الفراء مرجوح وأن البصريين لا يرون سقوط التاء من نحو هذا للإضافة وتكون الإضافة بمعنى اللام في قول الجمهور لأنها الأصل، وبمعنى «من» عند قوم إذا كان المضاف بعضًا من الثاني وصح الإخبار به عنه، ولم يشترط ابن كيسان والسيرافي صحة الإخبار اكتفاء بالبعضية؛ واستدلا بظهورها في قوله: «فالعينُ مني كأنَّ غَرْبٌ تحطُّ به»، وقوله: «كأن على المتنين منه إذا انتحى».

ورده ابن مالك بأن الفصل بمن لا يدل على أن الإضافة بمعناها، وقد

فصل بها ما ليس بجزء قال: «وإنَّ حديثًا منك لو تعلمِينَه».

قال الجرجاني وابن الحاجب في "الكافية" وابن مالك: وتكون بمعنى «في» إن كان ظرفًا له كقوله تعالى: ﴿أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾ [البقرة: ٢٠٤]، ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سبأ: ٣٣]، ﴿تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ [البقرة: ٢٢٦]، ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ﴾ [يوسف: ٣٩]، وفي الحديث: «**فلا يجدون أعلم من عالم المدينة**». قال في شرحي "الكافية" و"التسهيل": معنى «في» في هذه الأمثلة ظاهر، ولا يصح تقدير غيرها إلا بتكلف.اهـ

وقول أبي حيان: «لا أعلم أحدًا ذهب إلى هذه الإضافة غيره»؛ واضح البطلان؛ بل لا أعلم أحدًا جهل هذه الإضافة غيره، إلا أن تقديرها أقل من تقدير «اللام» و«من» كما صرح به ابن الحاجب.

وبمعنى «عند» في قول الكوفيين، كـ«هذه ناقة رقود الحلب»: أي: رقود عنده؛ قال أبو حَيَّان: وهذا وما قدر فيه من باب الصفة المشبهة، والأصل رفعه على الفاعلية مجازًا للمقايسة.اهـ

والإضافة على قسمين: محضة، وهي التي تفيد تعريفًا بالإجماع أو تخصيصًا في الأصح إذا كان الثاني معرفة أو نكرة وتسمى أيضًا معنوية.

وغيرها وهي التي لا تفيد شيئًا من ذلك بل تأتي للتخفيف ورفع القبح فقط، وتسمى لفظية.

وهي أنواع: منها إضافة الصفة إلى معمولها المرفوع بها في معنى أو المنصوب لأنها في تقدير الانفصال، ولذلك وصف بها النكرة في قوله تعالى:

﴿هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥] ووقعت حالًا في قوله: ﴿ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ﴾ [الحج: ٩] ودخل عليه «رب» في قول جرير: «يا رُبَّ غابطِنا لو كان يطلبُكم»

وقول ابن مالك ردًا على ابن الحاجب: إنها تفيد التخصيص، رده ابن هشامٍ في "المغني" بما يعلم من مراجعته.

ويشترط في الإضافة إلى المعمول أن تكون بمعنى الحال أو الاستقبال، فإن كانت بمعنى الماضي فهي محضة؛ لأنها ليست في تقدير الانفصال.

ومنها إضافة «غير، ومثل، ونحو، وشبه، وخدن، وناهيك، وحسبك، وضربك، وتريك، وندك، وشرعك، ونجلك، وقطك، وقدك»، فإضافتها للتخفيف لمشابهتها اسم الفاعل بمعنى الحال، هذا قول سيبويه والمبرد وارتضاه أبو حَيَّان.

وذهب ابن السراج والسيرافي إلى أنها أضيفت لشدة إبهامها، وارتضاه الشَّلَوْبِين. ومنها إضافة المصدر إلى مرفوعة أو منصوبة في قول ابن برهان: إن المجرور به مرفوع المحل أو منصوبة فأشبه الصفة، وهذا مذهب مرجوح، والجمهور على أن إضافته محضة بدليل نعته بالمعرفة في قول الشاعر:

إنَّ وجْـدِي بـكَ الشَّـديدَ أراني ... عاذرًا مَـنْ عهـدتُ فيـك عَـذُولَا

وتأكيده بها في قوله:

فلـو كـان حبِّـي أمَّ ذي الـودِّع ... كلِّه لأهلك ما لم تستمعه المسارحُ

ومنها إضافة اسم التفضيل في قول الكوفيين والفارسي وأبي الكرم بن الدباس والجزولي وابن عصفور وابن أبي الربيع وجماعة من المتأخرين؛ قال

الفارسي : لأنه ينوي بها الانفصال لكونها تضاف إلى جماعة هو أحدها، وإلا لزم إضافة الشيء إلى نفسه إذ لا ينفك أن يكون بعض الجملة المضاف إليها، وهذا قول مرجوح، والجمهور على أنها محضة لأن وروده حالًا وتمييزًا وبعد «أل» و«رب» لم يحفظ؛ قال السيوطي: قال سيبويه: العَرَبُ لا تقول هذا زيد أسودَ الناس؛ لأن الحال لا يكون إلا نكرة.اهـ

وقال ابن السراج: إن كانت إضافة اسم التفضيل بمعنى «من» فغير محضة؛ لأنها حينئذ في حكم الانفصال، وبهذا قيد قول الكوفيين وإلا فمحضة وعليه حمل قول سيبويه.

وتتعرف الصفة المضافة إلى معمولها إن قصد تعريفها بأن وصف بها من غير اختصاص بزمان دون آخر ولذلك وصف بها المعرفة في قوله سبحانه: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ [غافر: ٣] ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦]، إلا الصفة المشبهة فلا تتعرف إلا بدخول «أل»؛ وذلك لأن الإضافة فيها نقلت عن أصل وهو الرفع بخلافها في غيرها فهي عن فرع وهو النصب، وقال الكوفيون والأعلم: هي كغيرها من الصفات؛ فتتعرف إن قصد التعريف، ويجوز اقتران هذا المضاف دون غيره من المضافات بـ«أل» لكون إضافته لفظية، فانتفى المانع وهو اجتماع أداتي تعريف، وذلك إذا كان مثنى أو جمعًا على حده، كقول الشاعر:

إنْ يغْنَيَا عنِّي المستوطِنا عَدَنٍ ... فإنَّني لستُ يومًا عنهما بِغَنِي

وقوله:

ليس الأخِلَّاءُ بالمصْغِي مسامِعِهم إلى الوشاةِ ولو كانوا ذَوِي رَحِمِ

أو أضيف لمقرون بها كقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [الحج: ٣٥] أو إلى مضاف إليه مضاف إلى مقرون بها كقوله:

لقد ظَفِرَ الزُّوارُ أقفِيةَ العِدَا بما جاوز الآمال مِلْأَسْرِ والقَتْلِ

أو إلى مضاف إليه مضاف لضمير هي في مرجعه على الأصح نحو:

الودُّ أنتِ المستحقَّةُ صفوهِ منِّي وإن لم أرْجُ مِنْك نَوَالا

ومنع المبرد هذه الصورة وأوجب النصب. أو إلى ضمير ما في قول المبرد والرماني والزمخشري، ومنع سيبويه والأخفش ذلك.

أو إلى معرفة ما في قول الفراء، قال السيوطي: ولا حجة له في السماع. أو أضيف عدد إلى معدود. قاله الكوفيون، قال السيوطي: قال ابن مالك: وحجتهم السماع، وأما البصريون فاستندوا في المنع إلى القياس لأنه من باب المقادير؛ فكما لا يجوز الرطل زيتًا لا يجوز هذا.اهـ

(تنبيه): ذهب الجمهور إلى أنه لا يضاف اسم لمرادفه أو صفته أو موصوفة، أو مؤكدة إلا بتأويل، وأجازه الكوفيون بشرط اختلاف اللفظين، ووافقهم ابن الطراوة، وأبو سعيد الضرير، قال الأشموني: وظاهر "التسهيل" و"شرحه" موافقته.اهـ

قلت: وهو الصواب لوروده في الكلام العزيز كقوله تعالى: ﴿حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ [الواقعة: ٩٥]، ﴿وَلَلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ﴾ [الأنعام: ٣٢]، ﴿بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ﴾ [القصص: ٤٤]

وفي الشعر كقول امرئ القيس: «كَبِكْر المُقاناة البَياض بصُفْرةٍ»، وقول جرير:

يا ضَبُّ إنَّ هوىٰ القبورِ أضلَّكم كضلالِ شعبةَ أعورِ الدَّجالِ

ولأن العرب أجازت عطف الشيء علىٰ نفسه إذا اختلف اللفظان، وإن كان الأصل في العطف المغايرة، والمضاف والمضاف إليه كالمعطوف والمعطوف عليه، ومن ذلك في العطف قوله: «فألفىٰ قولها كذبًا ومينًا».

وأجازت أيضًا نعت الشيء بمرادفه كقوله تعالىٰ: ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر: ٢٧]، وتأكيده به كقوله تعالىٰ: ﴿كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [الحجر: ٣٠].

والتأويل الذي ذهب إليه المانعون خلاف الأصل. واختلف في هذه الإضافة هل هي محضة أو لا؟ قال بالأول جماعة واختاره أبو حَيَّان لأنه لا يقع بعد «رب» ولا «أل»، ولا ينعت بنكرة، ولا ورد نكرة. وبالثاني الفارسي وابن الدباس وغيرهما.

وذهب ابن مالك إلىٰ أنها شبيهة بالمحضة؛ قال: لأن لها اعتبارين: اتصال من جهة أن الثاني غير مفصول بضمير منوي، وانفصال من جهة أن المعنىٰ لا يصح إلا بتكلف خروجه عن الظاهر، وكذلك قال فيما ألغي من مضاف ومضاف إليه كقول لبيد:

إلىٰ الحولِ ثم اسمُ السلامِ عليكما ومن يَبْكِ حَوْلا كاملًا فقد اعتذَر

وقول بعض الطائيين:

أقامَ ببغدادِ العراقِ وشوقُه لأهلِ دمشقِ الشامِ شوقٌ مُبرِّحُ

ونصه في "التسهيل": «وإضافة الاسم إلىٰ الصفة شبيهة بمحضة لا

محضة، وكذا إضافة المسمى إلى الاسم، أو الصفة إلى الموصوف، والموصوف إلى القائم مقام الوصف، والمؤكد إلى المؤكد، والملغى إلى المعتبر، والمعتبر إلى الملغى». انتهى بلفظه.

وهذا مذهب غريب كما في شرحي "التسهيل" لأبي حيان وابن عقيل فإنه جعل الإضافة ثلاثة أقسام وحصر هذا الثالث في سبعة أنواع، والمعروف أنها قسمان فقط، وما في الصبان من تكلف جعلها غير محضة لعله يخرج على قول الفارسي، وإلا فلا مانع من تسميتها شبيهًا بغير المحضة، فاعتراضه على الحفني غير صحيح. ولا يقدم على المضاف معمول مضاف إليه لأنه من تمامه. وجوزه الكسائي على أفعل، والزمخشري وابن مالك على غير النافية كقوله:

فتى هو حقًّا غير مُلغٍ فريضةً ... ولا تتخذْ يومًا سِواه خليلا

ونص ابن مالك في "التسهيل": «لا يقدم على مضاف معمول مضاف إليه إلا غير مراد به النفي خلافًا للكسائي في جواز: أنت أخانا أول ضارب».اهـ

فأطلق الجواز في غير النافية، وقيده قوم بما إذا كان المعمول ظرفًا أو مجرورًا كقوله:

إنَّ امرأً خصَّني يومًا مودَّته ... عند التنائي لعندي غيرُ مكفورِ

وجوزه قوم على لفظة حق كقوله:

فإنْ لا أكنْ كلَّ الشُّجاعِ فإنني ... بضربِ الطلى والهامِ حقٌّ عليم

قال أبو حَيَّان: والصحيح المنع في المسائل الأربع؛ أما الأولى فلم يرد بها سماع، وأما الثلاث فلا يقاس عليها لندور ورود ذلك.

قلت: بل الصحيح الجواز في غير الأولى لورود السماع به، والحجة فيه لا في القياس، فإنه إذا تعارض النص والقياس قدم النص كما يعلم من مراجعة أصول هذا العلم، وارتكاب غير هذا تعسف ظاهر، ونقل ابن الحاج أن قومًا أجازوا التقديم على مثل.

ويكتسب المضاف من المضاف إليه تأنيثًا وتذكيرًا إن صح الاستغناء عنه، وكان بعض الثاني أو كبعضه نحو قوله تعالى: ﴿يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾ [يوسف: ١٠] وقول الشاعر:

رؤيةُ الفكرِ ما يؤولُ له الأمـرُ (م) معـينٌ عـلى اجتنـابِ التَّـواني

وغير ذلك، ونظمه السيوطي بقوله:

ويكتسـبُ المضـاف فخـذْ أمـورًا أحلَّتْهـا الإضـافة فـوق عشـرِ
فتخصـيصٌ وتعريـفٌ بنـاءٌ وتخفيـفٌ كضـاربِ عبـدِ عمـرِو
وتـركُ القـبح و التجـويز شرط و الاستفـهام فانتسـبا لصـدر
وتذكـيرٌ وتأنيـثٌ وظَـرْفَ وسلـبٌ للمعـارف شِـبه نُكْـرِ
ومعنى الجـنسِ والحـدث المعـرَّى فخـذْ نظـمًا يحـاكي عِقْـدَ دُرِّ

وهي أمور خمسة عشر، ذكر منها في "المغني" تبعًا للمهلبي عشرة.

(تنبيه): لزم الإضافة لفظا: «حُمادى، وقُصارى» -بضم أولهما- مطلقًا، فيضافان إلى الظاهر كالضمير نحو:

قصـر جديـد إلى بـلى والعـيش في الـدنيا انقطاعـه

واستشهد به الجوهري على أن «قصارى» يقال فيها: قصر.

و«وحد» إلى ضمير مطلقًا، وتجب لما قبله كقوله تعالى: ﴿إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ﴾ [غافر: ١٢]، وقول الربيع الفزاري:

والـذئبَ أخشـاهُ إن مـررتُ بـه وحدي وأخشى الريَّاحَ والمطرَا

وقول عبد الله بن عبد الأعلى القرشي:

وكنـتَ إذ كنـتَ إلهـي وحـدَكَا لم يـكُ شيءٌ يـا إلهـي قبلَكَـا

وقوله:

أعـاذلُ هـل يـأتي القبائـلَ حظُّهـا مِنَ الموتِ أم خُلِّي لنا الموتُ وحدَنا

وهو لازم النصب على المصدر في حكاية الأصمعي، وقيل: على الحال، أو على حذف حرف الجر والإفراد والتذكير والتنكير، وقد يثنى أو يجر بـ«على»، وبإضافة «نسيج، وقريع، وجحيش، وعيير، وكلا، وكلتا»، إلى معرفة مثناة لفظًا نحو: «وكلا الرجلين»، ﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ﴾ [الكهف: ٣٣]، أو معنى نحو قول عبدالله بن الزبعرى:

إنَّ للخـيرِ وللشـرِّ مَـدَى وكـلَا ذلِـكَ وجـهٌ وقبـل

أو بالاشتراك نحو قول الأبيرد الرياحي:

كلانـا غنـيٌّ عـن أخيـهِ حياتـه ونحـنُ إذا متنـا أشـدُّ تغانيـا

واشترطوا في المضاف إليه أن يكون كلمة واحدة احترازًا من نحو:

كِـلا أخـي وخلـيلي واجِـدي عَضُدا في النائبات وإلمامِ الملـمَّاتِ

قالوا: لأنه من الضرورات، وليس كذلك لما قدمنا، قال الكوفيون: وإلى نكرة محدودة سمع كلتا جاريتين عندك مقطوعة يدها، وقال ابن الأنباري: أو

إلى مفرد إن كررت كـ«لا»، و«ذو» وفروعه و«أولوا، وأولات» إلى اسم جنس قياسًا كـ«ذي علم» و ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطلاق: ٢]، ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٨] وإلى علم سماعًا وقاسها الفراء، وتلغى حينئذ أو إلى ضمير على المختار كقوله: «إنما يعرفُ ذا الفضلِ من الناسِ ذووه».

وقول الأحوص:

وإنا لنرجو عاجلًا منك مثلَ ما ... رجوناه قِدْما من ذَويكَ الأفاضلِ

ومنعه الكسائي والنحاس والزبيدي وجل المتأخرين إلا في الشعر وبه جزم الجوهري وليس كذلك. ولزم الإضافة معنى لا لفظًا آل، ويضاف إلى ظاهر كقوله:

نحن آل الله في بلدتنا ... لم نَزُلْ آلًا على عهدِ إِرَمْ

وقول الله تعالى: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦] وإلى ضمير كقول عبد المطلب:

وانصُرْ على آلِ الصَّليـ ... ـبِ وعابديه اليومَ آلَكْ

ومنع هذه الأخيرة الكسائي والزبيدي والنحاس. وكل وبعض وهما معرفتان بنيتها عند الجمهور ولذلك امتنع وقوعها حالًا وتعريفهما بـ«أل»، وقال الأخفش والفارسي وابن درستويه: إنهما نكرتان يتعرفان بـ«أل» وينصبان على الحال قياسًا على «نصف» ونحوها.

و«أي» بأقسامها فتكون نفس ما تضاف إليه، وهي مع النكرة كـ«كل» ومع المعرفة كـ«بعض»، ولذلك لم تضف لمفرد معرف إلا مكررة، أو منويًّا بها

الأجزاء كقوله:

فلئنْ لقيتُك خاليَيْنِ لتعلَمَنْ أيِّي وأيُّك فارسُ الأحزابِ

ونحو: أي زيد حسن؟؛ أي: أي أجزائه، فإن لم تكن؛ تعين إضافتها إلى نكرة أو مثنى.

ويحذف المضاف جواز الدليل نحو: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ١٩] بدليل: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ﴾ [البقرة: ١٩]، ونحو: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ﴾ [النور: ٤٠] بدليل ﴿يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ﴾ [النور: ٤٠] ولغير دليل كقول ذي الرمة:

عشيةَ فرَّ الحارثيُّون بعدَما قَضَى نحبَه في ملتقَى القومِ هَوْبرُ

وهو قياسي ما لم يستبد الثاني بنية الحكم، نحو: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، و ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة: ٩٣]، فإن جاز استبداده به فسماعي، وقاسه ابن جني مطلقًا.

وقد يحذف متضايفان وثلاثة، نحو ﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢] ﴿قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ [طه: ٩٦]، ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ [النجم: ٩] ثم الأفصح نيابة الثاني عن الأول في أحكامه من الإعراب وهو ظاهر.

والتذكير نحو قول حسان:

يسقُونَ مَنْ وَرَدَ البَرِيصَ عليهُمُ بَردى يصفَّقُ بالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ

والتأنيث نحو:

مرَّتْ بنا في نسوةٍ خولةٌ والمسكُ من أردانِها نافِحَةٌ

وعود ضميره نحو: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ [الكهف: ٥٩] وغير ذلك كحديث: «**إن هذين حرام على ذكور أمتي**».

والتنكير إذا كان المحذوف مثلًا في قول الخليل وابن مالك؛ ولذلك نصب على الحال في نحو: تفرقوا أيادي سبأ، وركب مع «لا» كحديث: «**إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده**».

ومنعه سيبويه، وقد يبقى على جره إن عطف على مماثل للمحذوف أو مقابل له كقول أبي داود الإيادي:

أكلَّ امرِئ تحسبين امرَأً ... ونارٍ تَوقَّدُ بالليلِ نارا

وقول الله تعالى: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ [الأنفال: ٦٧] وشرط ابن مالك اتصال العطف أو فصله بـ«لا» كقوله:

ولم أر مثلَ الخير يتركُه الفتى ... ولا الشرِّ يأتيهِ امرؤٌ وهْو طائعُ

ورده الجمهور بالآية. وشرط بعضهم سبق نفي أو استفهام كالأمثلة، قال أبو حَيَّان: والصحيح الجواز بدونها كقول عروة العذري:

لَوَ انَّ طبيبَ الإنسِ والجنِّ داوَيا الـ ... ـذي بي مِن عَفْراءَ ما شَفَيانِيَ

وقوله:

كلُّ مُثْرٍ في رهطِه ظاهر العزِّ ... وذي غُربةٍ وفقرٍ مَهِينُ

أو دون عطف عند الكوفيين كقوله:

الآكلُ المالَ اليتيمِ بَطَرًا ... يأكلُ نارًا وسيصْلى سَقَرَا

خلافًا للبصريين.

ويحذف المضاف إليه منويًّا بكثرة في الأسماء التامة، وبقلة في نحو: قبل وبعد، ولا يقيسه ابن عصفور إلا في مفرد مضافة زمان وقد يبقى الأول بلا تنوين إن عطف هو على المضاف لمثله، أو عطف عليه مضاف لمثله نحو حديث البخاري عن أبي برزة: «غزوت مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم سبع غزوات أو ثماني». بفتح الياء بلا تنوين.

وحديث أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**تحيضين في علم الله ستة أو سبعة أيام**».

وخصه الفراء بالمصطحبين كالنصف والربع واليد والرجل وقبل وبعد، قال ابن مالك: وقد ينفى بلا تنوين من غير عطف كقراءة ابن محيصن: ﴿فَلَا خَوْفُ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: ٣٨] وقول الأعشى:

أقولُ لَمَّا جاءنِي فخرُه ... سبحانَ مِنْ علقمةَ الفاخِرِ

قلت: والبيت شاهد أيضًا على إفراد «سبحان» من الإضافة؛ ولذا أنشده سيبويه في الكتاب وهو عنده علم للتسبيح ممنوع من الصرف، وقد ينون ضرورة كقول ورقة بن نوفل:

سبحانه ثم سبحانا نعوذ به ... وقبلنا سبَّح الجوديُّ والجمَدُ

وليس كذلك؛ فإنه نوِّن في البيت الثاني لعدم نية المضاف إليه المحذوف، وترك في الأول لنيته.

ولا يفصل بين المتضايفين اختيارًا عند البصريين إلا بمعموله أو ظرفه على الصحيح كقراءة ابن عامر: ﴿قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ﴾ [الأنعام:

١٣٧]، وقرئ: ﴿مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾ [إبراهيم: ٤٧]، وحديث البخاري: «**هل أنتم تاركو لي صاحبي**». وقيل: لا يجوز بهما، ورد بأن الظرف يتوسع فيه، وبأن المفعول ثبت في السبع. ولا يفصل بهما أجنبيين، وأجاز يونس الفصل بالظرف والمجرور غير المستقبل، والصواب قول الكوفيين وهو الجواز مطلقًا فيفصل بالمفعول الأجنبي كقول جرير:

تسقي امتياحًا ندىٰ المِسواكَ ريقتُها ... كما تضمَّنَ ماءَ المزنةِ الرصفُ

وبالظرف الأجنبي كقول أبي حية النميري:

كما خُطَّ الكتابُ بكفِّ يومًا ... يهوديٍّ يقاربُ أو يزيلُ

وبالمجرور كقول عمرة الخثعمية:

هما أخوا في الحربِ من لا أخا لَهُ ... إذا خافَ يومًا نبوءةً فدعاهما

وبالقسم، قال أبو عبيدة: «إن الشاة لتجتر فتسمع صوتَ والله ربِّها».

وبإما كقوله:

هما خطتا إما إسارٍ ومنةٍ ... وإما دم والقتلُ بالحر أجدرُ

ووافقهم ابن مالك علىٰ هذين الأخيرين، ولم يذكرهما في "التسهيل".

وبالنعت كقول معاوية:

نجوتُ وقد بلَّ المراديُّ سيفَه ... من ابنِ أبي شيخِ الأباطحِ طالبِ

والمُرادي بضم الميم كما في "المصباح" وغيره من كتب اللغة هو أشقىٰ الآخرين كما في الحديث، فلعنة الله عليه.

وبالنداء كقوله:

كـــأنَّ بِـــرْذَوْنَ أبـــا عِصَـــام زيـــدٍ حمـــارٌ دقَّ باللِّجـــامِ

وذكره في "شرح الكافية"، وتأوله ابن هشامٍ باحتمال أن يكون «أبا» مضافًا إليه على لغة القصر، و«زيد» بدل منه أو عطف بيان، وفيه بُعد.

وبالفاعل تعلق بالمضاف أو غيره كقوله:

مـا إنْ وَجَـدْنا للهـوى مِـن طِـبٍّ ولا عـدِمْنا قهـرَ وجـدٌ صَـبِّ

وقول الأعشى:

أنجـــبَ أيـــامَ والـــدَاه بِـــه إذ نَجَـــلاهُ فـــنِعْم مـــا نَجَـــلا

وبالفعل الملغي كقوله:

بـــأيِّ تـــراهُمُ الأرضـــينَ حلُّـــوا أألـــدبران أم عَسَـــفوا الكفَـــارا

وبالمفعول له كقول أبي زبيد الطائي:

مُعـــاوِدُ جـــرأةَ وقـــتِ الهـــوادي أَشَـــمُّ كأنَّـــه رجـــلٌ عَبُـــوسُ

(تنبيه): يجب كسر آخر المضاف للياء مناسبة لها إلا المثنى، والمجموع على حده، وما حمل عليهما، والمعتل الذي لا يجري مجرى الصحيح؛ فيسكن وهو الألف من الأول والأخير، والواو من الثاني، والياء من الثلاثة، ثم تدغم الياء والواو بعد قلبها ياء في ياء الإضافة، وتسلم الألف فلا تقلب في المثنى والمقصور كزيداي، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ ﴾ [طه: ١٨]، وأما ﴿وَمَحْيَايَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢] فقليل، وقد تقلب ياء في المقصور في لغة هذيل كقول أبي ذؤيب:

ســبقوا هــويَّ وأعنقــوا لهــواهم فتُخُرِّمُــوا ولكــلِّ جنــبٍ مَصْــرَعُ

ويكثر في «لدىٰ، وإلىٰ، وعلىٰ» الاسمين، وقد تكسر الياء مع المقصور كقراءة الحسن: «عصايِ» والمدغمة في جمع أو غيره كقراءة حمزة: «بمصرخيِّ»، وقول النابغة:

عَلَيَّ لعمرو نعمةٌ بعد نعمةٍ لوالده ليستْ بذاتِ عقارِبِ

بكسر الياء ويجوز فتحها وسكونها في المفرد الصحيح، واختلف في الأصل منهما فجزم ابن مالك بالأول قال: لأنه حرف واحد فقياسه التحريك به ثم سكن تخفيفًا، وبعضهم بالسكون قال: لأنه حرف علة ضمير فوجب السكون كواو «ضربوا»؛ ولأن بناء الحرف علىٰ حركة إنما هو لتعذر الابتداء به، والمتصل بغيره لا تعذر فيه.

قلت: وهذا الخلاف لا يجدي كبير فائدة.

ويقل حذفها مع كسر الذي قبلها كقوله تعالىٰ: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ﴾ [الزمر: ١٧ - ١٨] بحذفها وصلًا ووقفًا وخطًا وقلبها ألفًا كقوله:

أُطَوِّفُ ما أطوِّفُ ثمَّ آوِي إلىٰ أمَّا ويروينِي النَّقِيعُ

يريد: أمي، وخصه ابن عصفور بالضرورة، والصواب الجواز كما لغيره.

ويقل حذف الألف مع فتح ما قبلها كقوله:

ولستُ بمدركٍ ما فات مِنِّي بلهفَ ولا بليتَ ولا لواني

ومع ضمه كقول ابن غلفاء:

ذريني إنَّما خطئِي وصوبي عليَّ وإنما أهلكتُ مالي

يريد: مالي، ذكر هذا الثاني أبو عمرو بن العلاء وأنكره أبو زيد، وقال:

معنى البيت أن الذي أهلكته مال لا عرض، وقال ابن مالك: لا تحذف الياء ولا تقلب ألفًا إذا كانت الإضافة لفظية لأنها في نية الانفصال فلم تمازج ما اتصلت به، فتشبه ياء «قاض» في جواز الحذف، فلا حظ لها غير الفتح والسكون، وأنكره أبو حَيَّان زاعمًا أن هذا لم يذكره أحد غيره، ثم نقله في "الارتشاف" عن ثعلب في "المجالس"، ومن هنا تعلم بطلان اعتراضه على ابن مالك.

وإذا نودي المضاف للياء ففيها لغات أشهرها الحذف وإبقاء الكسر نحو: ﴿يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾ [الزمر: ١٦] ثم إبقاؤها ساكنة ثم مفتوحة نحو: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣] ثم قلبها ألفًا نحو: ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦] ثم حذف الألف مع فتح ما بعدها. كذا قال الأخفش والمازني والفارسي، ومنعه الجمهور، ثم مع ضمه حيث لا لبس قريء: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنبياء: ١١٢]، ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ [يوسف: ٣٣]، وأنكره ابن هشامٍ اللخمي.

ويقل إثبات الياء وحذفها ألفًا ثابتة إذا كان المضاف إلى الياء في النداء «أما، وعما» مع «ابن، وابنة» كقول أبي زبيد الطائي:

يا ابنَ أمِّي ويا شقيقَ نفسِي ... أنتَ خلَّفتَنِي لدهرٍ شديدِ

وقول أبي النجم العجلي:

يا ابنةَ عمَّا لا تلومِي واهجَعِي ... وانمِي كما ينمي خضابُ الأشجَعِ

والغالب الحذف مع كسر الميم دلالة على الياء أو فتحها دلالة على الألف،

وذهب سيبويه وأصحابه إلى أنه مركب مبني كأحد عشر، ويرد عليهم قوله تعالى: ﴿يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ﴾ [طه: ٩٤] فإنه قريء في السبع بالكسر والفتح، أو مع ضمها في قول بعضهم، ولا تحذف في نحو: يا ابن خالي، يا ابنة أخي، ولـ«أب» ما للـ«أم» من الحكم إلا أنهما يزيدان على أخواتهما بقلب الياء تاء مكسورة ومفتوحة، وبهما قريء في السبع والأول أكثر، ومضمومة في قول الفراء والنحاس وحكاية الخليل: «يا أمت لا تفعلي» ومنعه الزجاج، وهي عوض من الياء أو الألف على الأصح ولذلك لا يجتمعان اختيارًا عند البصريين، والجمهور من الكوفيين يجيز الجمع بينهما.

قلت: ويشهد له قول الشاعر:

يـــا أبتَـــا أرَّقَنِـــي القِـــذَّانُ فـــالنَّوم لا تلاقـــه العينـــانُ

ويجوز في «الياء» الفتح والقلب إذا ندب المنادى وذلك على لغة من أثبتها ساكنة فيه، وأما على لغة من فتحها فتفتح فقط وتزاد الألف، وكذلك على اللغات الباقية تقلب ألفًا وتحذف ألف الندبة.

وتحذف الياء من المنادى المعطوف عليه المندوب استغناءًا عنها بالكسرة في قول الجمهور، ومنعه الفراء.

ويضاف «ابنم» إلى الياء فيقال: ابنمي، وكذلك «الفم» فترد الواو التي هي الأصل وتقلب ياء وتدغم في ياء الإضافة، ويقل: فمي، وقيل: إنه ضرورة لأن الإضافة ترد إلى الأصل، وليس كذلك؛ ففي الصحيحين: «**لخلوف فم الصائم**». قاله ابن مالك وتبعه أبو حَيَّان.

وفي "الأشباه والنظائر": إذا أضيف «الفم» إلى ياء المتكلم رد المحذوف.

قال ابن يعيش: فإن قيل: لم قلبتم الألف هنا ياء مع أنها دالة على الإعراب وامتنعتم من قلب ألف التثنية؟ وما الفرق بينهما؟.

فالجواب: أن في ألف التثنية وجد سبب واحد يقتضي قلبها ياء، وعارضه الإخلال بالإعراب وهاهنا وجد سببان لقلبها ياء؛ وهو وقوعها موقع مكسور، وانكسارها قبلها في التقدير من حيث أن الفاء تكون تابعة لما بعدها فقوي سبب قلبه ولم يعتد بالعارض. انتهى.

ويقال فيه على لغة التضعيف: فمي، والقصر: فماي، وأما «أب وإخوته» فلا يرد له اللام إذا أضيف إليها نحو: إن هذا أخيي؛ لأنه المستعمل في الإضافة إلى غيرها، وجوزه الكوفيون والمبرد وابن مالك في «أب» نحو:

كـــأن أبيِّ كرمًـــا وســـودا يلقِـي عَـلى ذي اللِّبَـدِ الجديـدا

قال ابن مالك: وكذلك «أخ» قياسًا على «أب»، وكذلك «ذي» على الأصح لأن الأصل في الرفع: «ذوي»، قلبت الواو ياء وأدغمت فيها كالجر والنصب، ومنع بعضهم إضافتها إلى الضمير.

(تنبيه): قال الأشموني في "شرح الألفية": في المضاف إلى ياء المتكلم أربعة مذاهب:

أحدها: أنه معرب بحركات مقدرة في الأحوال الثلاثة وهو مذهب الجمهور.

والثاني: أنه معرب في الرفع والنصب بحركة مقدرة وفي الجر بكسرة

ظاهرة. واختاره في "التسهيل".

والثالث: أنه مبني وإليه ذهب الجرجاني وابن الخشاب.

والرابع: أنه لا معرب ولا مبني وإليه ذهب ابن جني، وكلا هذين المذهبين بيِّن الضعف. انتهى.

قال المصنف رحمه الله: (**وهو على قسمين**)، هو مبتدأ عائد إلى ما في قوله: «وأما ما يُخْفَضُ بالإضافة» و«على قسمين» خبره؛ يعني أن الاسم الذي يخفض بالإضافة على قسمين: (**ما يُقدَّر باللامِ، وما يقدَّرِ بمِنْ**) وهذا مذهب سيبويه والجمهور، وما يوهم أن الإضافة بمعنى في محمول عندهم على أنها فيه بمعنى اللام توسعًا، وذهب بعضهم إلى أنها بمعنى اللام على كل حال، وبعضهم إلى أنها ليست على تقدير حرف ولا نيته. والراجح خلاف هذا كله كما تقدم فارجع إليه.

واختلف في إضافة الأعداد إلى المعدودات؛ فقيل: إنها بمعنى «اللام» وعليه الفارسي، وقيل: بمعنى «من» وعليه ابن السراج، قال الأشموني: واختاره في شرحي "الكافية" و"التسهيل"، فقال بعد ذكر ما المضاف فيه بعض المضاف إليه مع صحة إطلاق اسمه عليه: «ومن هذا النوع إضافة الأعداد إلى المعدودات والمقادير إلى المقدرات وقد اتفقا فيما إذا أضيف عدد إلى عدد نحو ثلاثمائة على أنها بمعنى: من». انتهى.

(**تنبيه**): ما لا يمكن تنكيره من المعارف كالمضمرات وأسماء الإشارة لا تجوز إضافته لملازمة القرينة الدالة على تعريفه وضعًا، وأما الأعلام فالقياس

عدم إضافتها وعدم دخول «أل» عليها، والاشتراك الاتفاقي فيها لا يلحقها باشتراك النكرات؛ فإن النكرات تشترك في حقيقة واحدة، والأعلام تتفق في اللفظ دون الحقيقة، وقد جاء إدخال اللام عليها وإضافتها إلحاقًا للاشتراك اللفظي بالوضعي في قوله: بإعدام العمر ومن أسيرها، وقوله: علا زيدنا يوم النَّقَا رأسَ زيدكم.

واجتمعت «أل» والإضافة في قوله:

وقد كان منهم حاجبٌ وابـن أُمِّـه أبو جنـدلٍ والزيـدُ زيـدُ المعـارِكِ

إلا أن الإضافة فيها أكثر من تعريفها بـ«أل» وذلك لوجهين:

أحدهما: التأنيس بكثرة الأعلام المضافات كعبد الرحمن والكنى؛ فلم يكونا متنافيين.

والثاني: أنه قد عهد من الإضافة عدم التعريف بها في المنفصلة؛ فلم تستنكر كاستنكار دخول «أل» التي لا يكون ما تدخل عليه نكرة، وإن وجد كـ «أرسلها العراك» فقليل بالنسبة للإضافة اللفظية. انتهى مختصرًا من "الأشباه".

ثم قال رحمه الله: (**فالذي يُقدَّر باللام نحو: غلامُ زيدٍ، والذي يقدَّر بمن نحو: ثوبُ خَزٍّ، وبابُ ساجٍ، وخاتمُ حديدٍ وما أشبه ذلك**) والخاتم: بفتح التاء وكسرها، ويقال فيه: خيتام وخاتام، قال في "الصحاح": كله بمعنى، والجمع الخواتيم. والخز: نوع من الحرير فارسي معرب. والساج: نوع من الشجر قال في "الصحاح": وهو أيضًا الطيلسان الأخضر، وجمعه سيجان بوزن تيجان.

وأما تابع المخفوض فقد ذكر في المرفوعات فليراجع هناك.

(خاتمة): أثبت جمهور البصريين والكوفيين الجر بالمجاورة للمجرور وذلك في بابي النعت والتوكيد، زاد بعضهم: عطف النسق؛ فأما النعت ففي قولهم: هذا جحرُ ضبٍّ خربٍ، بجر «خرب» لمجاورته لـ«ضب» مع أنه نعت لجحر المرفوع، وقول امريء القيس:

كأنَّ ثبيرًا في عرانين وَبْلِهِ كبيرُ أُناسٍ في بِجَادٍ مزمَّلِ

فـ«المزمل» نعت لـ«كبير» المرفوع وجر بمجاورته لـ«بجاد».

وأما التوكيد ففي نحو قوله:

يا صاح بلِّغ ذوي الزوجاتِ كلِّهم

أنْ ليس وَصْلٌ إذا انحلَّت عُرى الذَّنب

بجر «كلهم» للمجاورة لأنه توكيد ل«ذوي» لا «للزوجات»؛ وإلا لقال: «كلهن».

وأما العطف ففي قوله تعالى: ﴿وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ﴾ [المائدة: ٦]، قال أبو حَيَّان: وذلك ضعيف جدًّا ولم يحفظ من كلامهم، والفرق بينه وبين النعت والتوكيد أنهما تابعان بلا واسطة؛ فهما أشد مجاورة من العطف المفصول بالحرف. انتهى.

وأجيب عن الآية بأن العطف فيها على المجرور الممسوح، فقيل: الرجل مغسولة، وأجيب عن ذلك بوجهين:

أحدهما: أن المسح هنا: الغسل. حكاه الفارسي عن أبي زيد؛ وخصت

باسم المسح ليقتصر في صب الماء عليهما إذ كانتا مظنة الإسراف.

ثانيهما: أن المراد المسح على الخفين وجعل ذلك مسحًا للرجل مجازًا، والسنة بينت ذلك.

ويرجح هذا القول ثلاثة أمور:

أحدها: أن الحمل على المجاورة حمل على شاذ؛ فينبغي صون القرآن عنه.

الثاني: أنه إذا حمل على ذاك كان العطف في الحقيقة على الأيدي فيلزم الفصل بين المتعاطفين بجملة أجنبية، وإذا حمل على العطف على الرءوس لم يلزم الفصل بأجنبي وهو الأصل.

الثالث: أن العطف على هذا التقدير حمل على المجاور، وعلى الأول حمل على غير المجاور، والحمل على المجاور أولى.

فإن قلت: يدل للتوجيه الأول قراءة النصب.

قلت: لا نسلم أنها عطف على الأيدي بل على محل الجار والمجرور، كما قال:

يسلكنَ في نجدٍ وغورًا غائرًا فواسقًا عن قصدِها جوائر. اهـ

وقال أيضًا: لا يمتنع في القياس الخفض على الجوار في عطف البيان لأنه كالنعت والتوكيد في مجاورة المتبوع، وينبغي امتناعه في البدل لأنه في التقدير من جملة أخرى فهو محجوز تقديرًا.اهـ

وكذا قال أبو حَيَّان في البدل، بل صرح أنه لم يحفظ من كلام العرب، وأنكر السيرافي وابن جني الجر بالمجاورة مطلقًا، وتأولا ما ورد من ذلك

بتأويلات واهية وقصره الفراء على السماع، وخصه بعضهم بالنكرة كالمثال، ورد بما حكاه أبو ثروان: «كان والله من رجال العرب المعروف له ذلك».

وعن الخليل فيه روايتان:

أحدهما: أنه خصه بالمفرد فقط.

ثانيها: أنه أجازه في الجمع أيضًا، وجوزه سيبويه في المثنى، والله سبحانه وتعالى أعلم.

هذا آخر ما يسر الله جمعه على المقدمة المباركة.

وكان الفراغ منه يوم الثلاثاء ثاني صفر الخير سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة وألف، ونسأل الله تعالى أن يتقبله منا ويجعله خالصًا لوجهه الكريم وأن يغفر لنا ولوالدينا ومشايخنا وللمسلمين آمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلِّم تسليمًا، والحمد لله ربِّ العالمين.

موسوعـة

العلَّامة المُـتَفَنِّن الجامع بين المَعْقُولِ والمَنْقُولِ
سيِّدي الشَّريف عبدالله بن محمَّد بن الصِّدِّيق
الغُمَاريِّ الحَسنيِّ (١٣٢٨ - ١٤١٣) رحمه الله

قدَّم لها

الشَّريف الدكتور

عبدالمُنعم بن عبدالعزيز بن الصِّدِّيق

إشراف

الدكتور محمود سعيد بن محمد ممدوح

المجلد الخامس عشر

المنطق

المنـــطـــق

ويحتوي على:

١- التوقِّي والاسْتِنْزاه عن خطأ البناني في معنىٰ الإله.

٢- رَفْعُ الإشْكال عن مَسألَةِ المُحالِ.

٣- التنصُّلُ والانفِصال مِن فضيحة الإشكال.

١ - التوقِّي والاسْتِنْزاه
عن خطأ البناني في معنى الإله

المقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدِنا محمد أشرف المرسلين، ورضي الله عن آله الأكرمين، وصحابته، والتابعين.

أما بعد: فهذا جزء سميته: "التوقِّي والاستنزاه عن خطأ البناني في معنى الإله"، وأرجو من الله أن يوفِّقني للصواب، إنه الكريم الوهَّاب.

قال صاحبُ "السُّلَّم":

فمُفهِمُ اشتراكِ الكُلِّيِّ كأسَدٍ وعَكْسُهُ الجُزْئِيُّ

قال العلَّامة البناني في "شرحه": «يعني أنَّ الكلِّيَّ هو الذي يُفهِم الشركةَ في معناه، أي :لا يمنع نفس تصوُّر معناه من صدقه على مُتعدِّدٍ، كإنسانٍ وأسدٍ، فدخل في تعريف الكلِّيِّ أنواع».

فذكر النوع الأول ثم قال: «وثانيها ما وُجد منه فردٌ واحدٌ إمَّا مع استحالة وجود غيرِه بدليلٍ خارجٍ عن تصوُّره، كالإله؛ أي :المعبود بحقٍّ فإنَّ مجرَّد تصوُّر معناه لا يمنع من صدقه على متعدِّدٍ، لكنَّ قام الدليل القاطع على وجوب انفراد الله تبارك وتعالى بالألوهيَّة واستحالة ثبوتها لغيره، وتفسير الإله بالمستغني عن كلِّ ما سواه المُفتقِر إليه كلُّ ما عداه لا يمنعُ كونه كليًّا؛ إذ لا يوجب تشخُّصَه؛ لأنَّه بهذا المعنى يحتمل أن يَصْدُق على كثيرٍ على سبيل البدليَّة».اهـ

وقال مُحشِّيه العلَّامة علي قصارة: «كان ينبغي إسقاطُ هذا القسم من أقسام الكلِّيِّ لأنَّه موهمٌ في مقام الألوهيَّة ما لا يصحُّ في حقِّه تعالى مِن التعدُّد

والجِسْميَّةِ والتَّركيبِ فلا ينبغي إطلاقُه كما صرَّح به القرافيُّ في شرح "التَّنقيح" ونصُّه: «إطلاق لفظ الكُلِّيِّ على واجبِ الوجودِ فيه إيهامٌ، تمنع من إطلاقه الشَّريعةُ فلذلك تركتُه أدبًا».اهـ

قال سيِّدي عيسى السّكتاني: «وكذا الجزئيُّ يوهم النِّسبة إلى جزء الشيء الموضوع للمجموع فذلك مستحيلٌ في حقِّه تعالى».اهـ

عُلِم مِن هذا أنَّ إطلاق لفظ الكُلِّيِّ على الإله لا يجوز شرعًا للإيهام المذكور(١).

وهذا **أول خطأ** مِن البُناني رحمه الله تعالى.

الثاني: ويشاركه فيه القرافيُّ وأهلُ المنطق؛ أنَّ الإله ليس بكلِّيٍّ بل هو خاصٌّ بالله تعالى كالرحمن وفي النَّاس كثيرون اسمهم عبدُ الإله.

قال الفيُّوميُّ في "المصباح المنير": «الإلهُ المعبودُ وهو الله سبحانه وتعالى، ثُمَّ استعارهُ المشركون لما عبدوه من دون الله تعالى».اهـ

وقال الراغبُ في "مفردات القرءان": «وإله حقُّه ألَّا يُجمعَ إذْ لا معبودَ سواه لكنَّ العربَ لاعتقادهم أنَّ ههُنا معبوداتٍ جمعوه فقالوا الآلهة».اهـ

وفي القرآن الكريم: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾ [يوسف: ٤٠]، وهذه الآية مِن أدلَّة

---

(١) صرَّح العلماء أيضًا بأنَّه لا يجوز وصفُ عِلم الله بأنَّه ضروريٌّ وإن كان له معنى صحيحٌ، لإيهامه معنى لا يليق بالله تعالى.

القائلين بأنَّ اللُّغة توقيفيَّةٌ.

تبيَّن مِن هذا أنَّ الإله علمٌ خاصٌّ كما قلنا، وأنَّه لتضمُّنه معنىٰ العبادة أطلقه العرب علىٰ معبوداتهم علىٰ سبيل الاستعارة، وتوهَّم أهل المنطق أنَّ هذا إطلاقٌ حقيقيٌّ، زعموه كليًّا مع أنه عَلَمٌ خاصٌّ، ونظير هذا إطلاقُهم لفظَ حاتمٍ علىٰ الكريم اشتقاقًا مِن معنىٰ الكرم الذي اشتهر به حاتم الطائي المعروف، ولم يُخرجه ذلك الإطلاق عن عَلَمِيَّته الشخصيَّة.

كذلك لفظ «الإله» لا يخرجه إطلاقه علىٰ المعبودات اشتقاقًا من معنىٰ العبادة عن عَلَمِيَّته الخاصة بالله تعالىٰ.

الثالث: أنَّ الكليَّ إنما يتأتَّىٰ في الممكنات كالنبيِّ والملَك والعرش والكرسيِّ واللوح والقلم والسماء والشمس والقمر والفلك والكواكب والروح والنفس والإنسان والحيوان والنبات وما إلىٰ ذلك مما يتركَّب من أجناس وفصول ويدخل في دائرة المقولات[1] العشر المجموعة في قول القائل:

---

(١) أخذت هذا العلم عن شيخنا العلامة المُحقِّق الشيخ العباس بناني بجامعة القرويين أعاد الله لها مجدها، وهو أحد أربعة علماء عرفوا بالتحقيق.

وثانيهم: العلامة مولاي عبد الله الفضيلي، أخذت عنه "رسالة الوضع" ومقدِّمات "جمع الجوامع".

وثالثهم: العلامة الشيخ الراضي السناني صاحب "الشذرات" أخذت عنه بعض "جمع الجوامع".

ورابعهم: العلامة مولاي أحمد القادري أخذت عنه باب الجنايات من "المختصر" بـ"شرح الخرشي"، وأجازني أولهم بما يرويه عن سيدي أحمد بن الخياط رحمهم الله جميعًا وأثابهم رضاه.

زيد الطويلُ الأبيضُ ابنُ مالكِ ببيتِه بالأمسِ كان متَّكي
بيده غُصنٌ لواه فالتوىٰ فهذه عشْرُ مقولاتٍ سَوىٰ

أما واجب الوجود سبحانه فهو منزَّهٌ عن ذلك، ليس شيء من أسمائه وصفاته كليًّا يتركَّب مِن جنسٍ يشترك به مع غيره، ولا من فصل يميزه عنه بل أسماؤه وصفاته خاصَّةٌ به لخصوص العلَم الشَّخصي بمسمَّاه.

الرابع: أنَّ الكلِّيَّ لا يُتصوَّر كونه محالًا؛ إذ هو ما له جزئياتٌ موجودةٌ كالحيوان، أو ممكنةُ الوجود كجبلِ ياقوتٍ.

والمحالُ عدمٌ محضٌ ليست له صورة في الذِّهن ولا يمكن أن تكون له صورةٌ، بل لا يُدرَك إلَّا بطريق التَّشبيه كأن يعقل اجتماعُ السَّواد والحلاوة في العنب مثلًا ثُمَّ يقال: مثل هذا الاجتماع لا يكون بين السواد والبياض، وأحيانًا لا يمكن تقريبه بطريق التشبيه لكون الشيء موجودًا معدومًا في آنٍ واحدٍ فكيف يُتصوَّر كونه كليًّا له جزئيَّات؟!!.

والذين اعتبروا «الإله» و«شريك الباري» كلِّيَّين مخطئون واهمون لم يعرفوا معنىٰ المحال علىٰ حقيقته، أو اشتبه عليهم الأمر حين وجدوا كليًّا جزئياتُه معدومةٌ كجبل ياقوت وبحر زِئْبق فاعتبروا المحال كليًّا مثلَه، لكن بينهما بونٌ شاسعٌ؛ لأنَّ الممكنَ المعدومَ قابلٌ للوجود وقد أخبر الله أنَّ في الجنَّة أنهارٌ ﴿مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد: ١٥] وهذه أمورٌ ممكنةٌ غير موجودةٍ في الدنيا وهي موجودةٌ في الآخِرة.

أمَّا المحال فإنه مُغرقٌ في العدَم لا يقبل الوجود بحالٍ، لا في الخارج ولا في

الذِّهن، ووجود جزئيَّات الكلِّيِّ مترتبٌ على وجود صورة له في الذِّهن والمحال لا صورةَ له ولا يُذكر إلَّا منفيًّا.

والخلاصة: أنَّ الكليَّ لا يكون إلَّا في الممكنات فقط دون الواجب والمحال.

الخامس: قول البناني في بيان كلِّية الإله: «مجرَّد تصور معناه لا يمنع من تعدُّد مصدوقِهِ لكنَّ الدليلَ القاطع على وجوب انفراد الله تبارك وتعالى بالإلوهية» يشتمل على تناقضٍ؛ إذ حاصله أنَّ الإله مصدوقُه جائزُ التعدُّد عقلًا، والإله واجبُ الإنفراد في واحدٍ عقلًا، وهذا تناقضٌ واضحٌ لا خفاء فيه.

السادس: وهو مبنيٌّ على ما قبله، أنَّ جواز تعدُّد الإله ثابتٌ وقيام الدليل القاطع على وجوب تفرُّد الله بالألوهيَّة لا يمنع منه؛ لأن جواز التعدُّد مفهومٌ ذاتيٌّ، وما بالذَّات لا يتخلَّف، وفي هذا من الخطر ما لا يخفى بل هو هدم للتوحيد.

السابع: أنَّ زيادة لفظ: «بحقٍّ» في معنى الإله لا أصلَ لها في اللغة ولا علاقة للعقل بها؛ فالإله هو المعبود وكونه معبودًا بحقٍّ حكمٌ شرعيٌّ والحكم لا يدخل في الحدِّ. قال صاحب "السُّلَّم":

وعندهُمْ مِنْ جُملةِ المَرْدودِ ... أنْ تدخلَ الأحكامُ في الحُدودِ

الثامن: قوله أيضًا: «تفسير الإله بالمستغني عن كلِّ ما سواه المفتقر إليه كلُّ ما عداه لا يمنع كونه كليًّا ؛ إذ لا يوجب تشخيصه؛ لأنه بهذا المعنى يحتمل أن يصدق على كثير على سبيل البدليَّة».اهـ

إغراقٌ في الخطأ وتشبُّثٌ به إلى حدِّ التزمُّت حتى أنه لم يفرِّق بين ما يُعيِّن

المسمَّى ويُخصِّصه وبين ما ليس كذلك، ومن البدهيات في علم المنطق أنَّ التشخُّص في الجزئي يمنع الاشتراك فيه فـ«إنسان» كليٌّ يقبل الاشتراك، و«زيد» جزؤه لا يقبل الشركة لتشخُّصه وتعيُّنه.

فلو فرضنا أنَّ الإله بمعنى المعبود كليٌّ كما قال فإنَّ تفسيره بالمستغني عن كلِّ ما سواه المُفتقِر إليه كلُّ ما عداه تخصيص له بما لا يشاركه فيه غيره من المعبودات، فهو بمنزلة التشخُّص في «زيد»؛ ذلك أنَّ المعبوداتِ بجميعِ أنواعها من ملائكةٍ وإنسٍ وجنٍّ وحيوانٍ وأصنامٍ؛ لا يُجيز العقل في شيءٍ منها أن يكون مستغنيًا عن كلِّ ما سواه مفتقرًا إليه كلُّ ما عداه؛ لأنها ممكنةٌ والممكن لا يستغني عن المحلِّ والمُخصِّص.

التاسع: قوله: «إذ لا يوجب تشخصه» والصواب أن يقول: إذ لا يوجب تعينه؛ لأن التشخص لا يجوز أن يضاف إلى الله سبحانه وتعالى.

يرد في هذا المقال ثلاثة إيرادات نذكرها مع الجواب عنها:

الأول: دعوى أن المحال ليس بكليٍّ يخالفُ ما أطبق عليه أهل المنطق من اعتبار شريك الباري كليًّا وكذا الإله وأن لم يذكره بعضهم تأدبًا كما مر، وتعريفُ المحال يقتضي كلِّيتَه أيضًا.

والجواب: مسائلُ المنطق يُعمَل فيها بما يقضي به العقلُ والفكر السليم لا بالإجماع أو قولِ الأكثر، والمنطق الحديث أبطل نظريَّاتٍ أطبق عليها القدماءُ في المنطق القديم.

ومما لا يخفى على دارس أنَّ الكلِّياتِ مبادئ التصوُّرات التي هي حدودٌ ورسومٌ لماهيَّاتِ الموجودات الممكنة، فالحدود والرُّسوم تتركب من أجناسٍ

وفصولٍ وخواصٍّ كما هو معلوم.

والموجوداتُ نوعان: موجوداتٌ بالفعل كالإنسان والشمس، وموجودات بالقوَّة كنهر لبنٍ وبحر زئبقٍ وجبل ياقوتٍ، فإنَّ هذه الأشياء ممكنة الوجود وإمكان الشيء كوقوعه فهي موجودة بالقوة.

والكلِّيات التي تدخل في التعريف تقع على أشياء موجودة في الذهن أو الخارج أو فيهما، والمحال لا يتصور في العقل وجوده ويسميه الحكماء منفيًّا وحكى شارحُ "العقيدة الطَّحاوية" إجماعَ العقلاء على أن المحال ليس بشيء والخلاف الذي حكاه صاحب "جمع الجوامع" بقوله: «فعلى الأصحِّ المعدومُ ليس بشيءٍ ولا ذاتٍ ولا ثابتٍ» إنَّما هو في المعدوم الممكن كما قيَّده به شارحه الجلال المحلِّي فثبت أنَّ المحال لا يكون كليًّا والعقل لا يمكنه أن يتصور شخصًا قائما قاعدًا ولا ثوباً أبيضَ أسودَ، وبالضرورة لا يمكن تصور أفرادٍ لما لا يمكن تصوره في نفسه.

الثاني: قال الشيخ سعيد قدوره في بيان أفراد الكلِّي الممتنع: «فإنَّ الجمع بين البياضِ والسوادِ جمعٌ بين الضِّدين، والجمع بين القيام والقعود جمع بين الضدين، والجمع بين الترقِّي والتدلِّي جمع بين الضِّدين، فتبيَّن أنَّ الجمع بين الضِّدين واقعٌ على كثيرين وأفراده كلُّها ممتنعةُ الوجود في الخارج».اهـ

وهذا الكلام يشتمل على أوهام:

١- أنَّ الجمع بين الضِّدين مثالٌ لمحاولة فِعل المحال الذي هو اجتماع الضِّدين.

٢- أنَّ أفراد الكلِّي ما يتحقَّق فيها مفهومُه كالإنسان يتحقَّق في جزئيَّاته

مفهومه الذي هو حيوان ناطق، وهذا إنَّما يتأتَّىٰ في الماهيَّات الممكنة التي يتمايز أفرادُها بالتَّشخيص وغيرِه في الوجود الذِّهنيِّ أو الخارجيِّ.

وماهيَّة المحال عدمٌ بحتٌ لا تَقبَل الوجودَ في الخارج ولا في الذِّهن، والعدم لا تمايز فيه بين المُعدَمات.

٣- أنَّ الكلِّي إنَّما يطلق علىٰ شيءٍ موجود بالفعل أو بالقوَّة والمحال ليس بشيءٍ كما مرَّ بيانُه.

٤- أنَّ تعدُّد الأفراد في الأمثلة التي ذكرها الشيخ سعيد إنَّما هي أمثلة لمتعلق المحال أعني: الضِّدين فإنَّه لفظ عامٌ يشمل الأبيض والأسود والقيامَ والقُعود وغير ذلك من الأضداد الموجودة.

فالتعدُّد واقعٌ فيها، والتَّرقي والتدلِّي، والليل والنهار، والحياة والموت، لا في المحال الذي هو اجتماعها وهو المحكوم بنفيه وقد اشتبه الأمر علىٰ الشيخ سعيد رحمه الله تعالىٰ، يوضح ذلك أنَّ المحالَ الذي لا يتعلَّق بضدَّين مثلًا كشريك الباري لا يُتصوَّر له أفراد أبدًا.

الثالث: من الإيرادات، دخول النَّفي العامُّ علىٰ «إله» في قولنا: «لا إله إلَّا الله» يؤيِّد القول بكلِّيته، لأنَّه لا يجوز أن يقال: لازيدَ في الدار وإنما يقال: لا إنسانَ في الدار.

والجواب: أنَّ النَّفي توجَّه باعتبار الإطلاق المجازيِّ أي: لا معبودَ إلا الله، وهذا كما يقال: لا حاتمَ إلا فلانٌ، أي: لا كريمَ، أو لاقُسَّ إلا فلانٌ، أي: لا فصيحَ، وهكذا.

فإله في الكلمة المشرَّفة كلِّيٌّ في المعنىٰ المجازيِّ كما أنَّ لفظ حاتم كلِّيٌّ

لاستعماله في الكريم مجازًا، مع أنَّه في الحقيقة علمٌ شخصيٌّ وكذلك قُسٌّ كلِّيٌّ لاستعماله في الفصيح مجازًا وهو في الحقيقة علمٌ شخصيٌّ لقُسِّ بنِ ساعدة.

الرابع: اختار السنوسيُّ أنَّ معنىٰ «إله» في كلمة التوحيد لا مستغنيًا عن كل ما سواه ومفتقرًا إليه كل ما عداه إلا الله، فهو علىٰ هذا كلِّيٌّ.

والجواب: أنَّ اختيار السنوسيِّ لهذا المعنىٰ هو الذي غرَّ البُنانيَّ وأوقعه في ذلك الخطأ الذي مرَّ بيانُه، والسنوسيُّ إنَّما اختاره ليدَّعي أنَّ كلمة التوحيد شاملةٌ للصِّفاتِ الواجبة لله تعالىٰ لكنَّ اختيارَه غيرُ صحيحٍ لأمور:

أحدها: أنَّه تكلَّف في إدخال تلك الصِّفات بما لا دليل عليه ولا حاجة تدعوإليه.

ثانيها: أنَّ الإله لم يستعملْه العرب إلا بمعنىٰ المعبود، كذلك جاء في القرآن الكريم: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴾ [الصافات: ٣٥ – ٣٦]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤]، ﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص: ٥]، ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾ [النمل: ٦٠]، ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [النحل: ٥١].

فالإله في هذه الآياتِ وغيرها مفردًا ومثنىٰ ومجموعًا معناه: المعبود، ونفي المعبودات في الكلمة المشرفة يكفي في إثبات التَّوحيد ونبْذِ الشرك ولذلك جعلها الشارع دليلًا علىٰ الإسلام وعنوانًا له لأنَّه يلزم بالضَّرورة من نفي المعبودات نفيُ لخصائص الألوهيَّة عنها وهي منتفية بضرورة العقل والمشاهدة

كما قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣].

فلا حاجة إلى ما تكلفه السنوسي وغيره في شرح الكلمة المشرفة.

وهذا آخر ما رأيت كتابته في هذا الموضوع الذي لم يتنبه له أحد فيما علمت، والحمد لله على توفيقه وإلهامه، وأسأله القبول بفضله.

والداعي إلى تحرير هذا البحث: أني درست للطلبة بزاويتنا الصديقية شرح بناني على السلم، ولما وصلت إلى هذا الموضع، وبينت لهم خطأ ما قرره بناني كغيره من المنطقيين، طلب مني بعضهم كتابة ذلك البحث، فأجبت طلبهم، لما فيه من عموم الفائدة، وكان أنس رضى الله عنه يقول لبنيه: يا بني قيدوا العلم بالكتابة.

أما مسألة تعلق القدرة بالمحال، فلي فيها رسالة اسمها: **"رفع الإشكال عن مسألة المحال"** أثبت فيها بما لم يسبقني إليه أحد والحمد لله.

وهي منتفية بضرورة العقل والمشاهدة كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣].

تتمة: علم مما حرَّرناه: أنَّ الكليَّ والجزئيَّ لا يكونان إلا ممكنين، أما واجب الوجود والمحال، فلا شيء منهما يكون كليًّا لما مرَّ بيانه بتفصيل

٢- رَفْعُ الإشْكال
عن مَسألَـةِ المُحـالِ

مقدمة

الحمد لله الكبير المتعال، تنزَّه عن مماثلة الحوادث في الذات والصفات والأفعال، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، يهدىٰ ويُضِلُّ وهو الوليُّ الحميد.

والصَّلاة والسَّلام علىٰ سيِّدنا محمَّدٍ الذي عيَّن الواجب والجائز، وبيَّن الخائب والفائز؛ ورضي الله عن آله وأصحابه الذين بذلوا في نصرة الدين غاية الإمكان، فنالوا هداية الرحمن.

أما بعد: فإني قرأت كلام الإمام أبي محمد بن حزمٍ -رحمه الله- في مسألة تعلق القدرة بالمُحال، فوجدته قد خبط فيها وخلط، وأتىٰ بما يُعدُّ في قبيل الشطط، حيث بنىٰ كلامه علىٰ جواب سؤال: هل يقدر الله علىٰ فعل المحال؟ فقسَّم في الجواب ونوَّع، لكنه ما أقنع، ونمَّق الكلام وحَبَّر لكن ما حرَّر. وكان هدفه المقصود، تنزيه الباري -عزَّ شأنه- أن يُنسب عجزٌ إلىٰ قدرته العامَّة الشاملة؛ وهو مقصد نقدره له ونمدحه عليه. غير أنه في فورة عاطفته الدينية وغيرته الإيمانية غفل عن سرِّ البحث ولبابه، فأتىٰ البيت من غير بابه.

ولو أعمل فكره لأدرك أنَّ السؤال المذكور فاسدٌ لا يُجاب عليه، وأنَّ الصواب أن يقال: هل يريد الله فعل المحال؟ هذا أصل الموضوع، وعليه مدار الكلام.

ولأجل توضيحه ألَّفت هذا الجزء الذي سمَّيته: "رَفْعُ الإشْكالِ عن مسألة المُحال".

واللهَ أسألُ أن يرزقني التوفيق ويهديني سواء الطريق.

فصل

وقسَّم ابن حزمٍ المحال إلى أربعة أقسام :

١- **محال بالإضافة**: مثل نبات اللحية لابن ثلاث سنين، وإحباله امرأة، وكلام الأبله الغبي في دقائق المنطق؛ ونحو هذا من المعاني الموجودة ممن هي ممكنةٌ منه، ممتنعةٌ من غيره.

٢- **محال في الوجود**: كانقلاب الحيوان جماداً، والجماد حيوانًا، ونُطْق الحَجر، ونحو هذا مما ليس ممكنًا عندنا ولا موجودًا.

قال: وبهذين القسمين تأتي الأنبياء -عليهم السلام- في معجزاتهم الدالة على صدقهم في نبوتهم.

قلت: وهما من قبيل المحال العادي ؛ بمعنى أن استحالتهما مستمدة من العادة الجارية بين الناس، والسنن الكونية التي يمشي عليها نظام العالم. والعقل يقضي بجواز خرق العادة ووقوعه، كانقلاب عصا موسى ثُعبانًا، وكلام عيسى في المهد، وانشقاق القمر للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وتسليم الحجر عليه بالرسالة. ثم قال:

٣- **محال فيما بيننا في بنية العقل**: ككون المرء قائمًا قاعدًا معًا في حين واحدٍ.

قال: وهذا النوع وإن كان الله قادرًا عليه؛ لا يكون البتة في هذا العالم، لا معجزة لنبيٍّ ولا بغير ذلك البتة، هذا يُدرك بالضرورة .

قال: ولا يبعد أن يكون الله يفعل هذا في عالم له آخر.

٤- **محال مطلق**: وهو المحال لعينه؛ كوجود شريك لله تعالى، أو الولد له، ونحو هذا مما يقتضي تغييرًا في ذات الله سبحانه وتعالى.

قال: وهذا النوع لم يزل الله تعالى يعلمه محالاً ممتنعًا باطلًا قبل حدوث العقل وبعد حدوثه أبدًا.

قال: وأما المحال في العقل -وهو القسم الثالث- فإن العقل مخلوق، خلقه الله بعد أن لم يكن، أحدثه الله وأحدث رتبه على ما هي عليه، وكل ما خلقه الله تعالى محالًا في العقل فقط فإنما كان محالًا منذ جعله الله تعالى محالًا وحين أحدث صورة العقل لا قبل ذلك، فلو شاء تعالى ألا يجعله محالًا لما كان محالًا.

قلت: هذان النوعان -أعني الثالث والرابع- من قبيل المحال العقلي.

فصارت الأنواع الأربعة نوعين: محال عادي، ومحال عقلي.

وما فرق به بين المحال العقلي وبين ما سماه محالًا مطلقًا لا معنى له ولا تحصيل فيه؛ لأن كلا النوعين يقضي العقل امتناعه، ويعلمه الله ممتنعًا باطلًا قبل خلق العقل وبعده، إلا إن كان غرضه أن اجتماع الضدين أو النقيضين مثلًا كان قبل خلق العقل ممكنًا ولما خلق العقل وأدرك استحالته صار محالًا.

وإليه يشير قوله: وكل ما خلقه الله تعالى محالًا في العقل فقط فإنما كان محالًا منذ جعله الله تعالى محالًا ....إلخ. فهذا في غاية الفساد.

أما أولًا: فلأن الممكن لا يصير محالًا ذاتيًّا أبدًا بحال، ولو جاز ذلك جاز أن يصير الواجب ممكنًا، والمحال واجبًا، ويبطل حكم العقل.

نعم؛ قد يصير الممكن محالًا عرضيًّا لداعٍ يقتضي ذلك، كإيمان أبي جهل مثلًا هو في نفسه ممكن لكن تعلق العلم الإلهي بعدم وقوعه، فصار محالًا من هذه الجهة، فهو محال عرضي وليس كلامنا فيه.

وأما ثانيًا: فلأن الله تعالىٰ لم يجعل المحال لأنه عدم، والله لا يجعل العدم.

ألا ترىٰ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨] عبر عن عدمهم الأصلي، بكينونتهم أمواتًا، ولم يقل: «وجعلكم أمواتًا»، لأنه لم يجعلهم عدمًا.

وإنما كان المحال معدومًا لأن العدم فصل مقدم لماهيته، إذ هو ما لا يتصور في العقل وجوده، فلا تحصل له صورة في العقل ولا يمكن أن يتصور إلا علىٰ طريق التشبيه بأن يعقل بين السواد والحلاوة أمر هو الاجتماع، ثم يقال: هذا الأمر لا يمكن حصوله بين السواد والبياض. أو علىٰ طريق النفي بأن يعقل أنه لا يمكن أن يوجد مفهوم اجتماع السواد والبياض .

وأما ثالثًا: فإن المتكلمين والحكماء اختلفوا في الماهيات الممكنة هل هي مجعولة؟ -وهو قول الأشعري والحكماء الإشراقيين- أو غير مجعولة؟ -وهو قول المعتزلة والحكماء المشائين- ومع هذا اتفق الفريقان علىٰ أن الماهيات الممتنعة غير مجعولة لما بيناه.

وقوله في المحال العقلي: «لا يبعد أن يكون الله تعالىٰ يفعله في عالم له آخر» دعوىٰ باطلة من جهات:

إحداها: أنه لا دليل علىٰ وجود عالم آخر.

ثانيتها: أنه لو فرض وجود عالم آخر، فدون إثبات وقوع المحال فيه خرط القتاد، بل إثباته محال.

ثالثتها: أن عالم الآخرة أوسع من عالم الدنيا وأبقىٰ، وفيه من أنواع النعيم

والعذاب ما لا يخطر على بال، ومع ذلك لا يقع فيها إلا المحال العادي فقط.

ودونك نصوص القرآن والسُّنَّة الواردة في مواقف القيامة ونعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار لا تجد فيها ما يشير إلى وقوع محال عقلي قط.

والحاصل: أنَّ ابن حزمٍ اعترف مجبرًا- بأن المحال في العقل لا يكون البتة لا معجزة ولا غيرها، وأن عدم كونه مدرك بالضرورة، فذهب يلتمس عالمًا آخر يمكن أن يكون الله يفعل فيه المحال!

وإذا كان لم يجد العالم الذي التمسه -وهو غير موجود بالضرورة- فقد وجده ابن العربي الحاتمي في أرض الحقيقة.

قال: وهي مخلوقة من فضلة فضلت من طينة آدم عليه السلام مقدار السمسمة، وهي من السعة بحيث لو جمع العرش وما حوله والسموات والأرضون والجنة والنار، كانت كحلقة ملقاة في فلاة من الأرض!!

وزعم أنه دخلها ورأى المحال العقلي واقعًا فيها، كأنه أمر عادي عند أهلها!! وأطال في وصف هذه الأرض المخلوقة من مقدار سمسمة، وفي وصف أهلها وما شاهد فيها، بحيث عقد الباب الثامن من "الفتوحات" لهذه الأرض الغريبة.

قرأت ذلك الباب وأنا لا أزال في الكتّاب فراعني خصب خياله وحسن إنشائه ووصفه، وهو في نظري أخصب خيالًا من بديع الزمان الهمذاني وأبي القاسم الحريري، وأحسن منهما وصفًا وأقدر على ابتكار المعاني التي لا يقبلها العقل.

ووجدت العطار نقل في حاشية "جمع الجوامع"، عن كتاب "اليواقيت

والجواهر" أنَّ ابن العربي الحاتمي قال: إن الله تعالىٰ يقدر علىٰ خلق المحال عقلًا. وأنه دخل الأرض المخلوقة من بقية خميرة طينة آدم فرأىٰ فيها ذلك بعينه.

قال العطار: إن لم يكن هذا مدسوسًا علىٰ الشيخ الشعراني أو ابن العربي فيجب القطع بصرفه عن ظاهره، ولعل ابن العربي أراد به معنىٰ آخر يعلمه واعتقاد ظاهره لا يجوز، وينسب لأبي حيان:

إنَّ عقــلي لفــي عِقَــالٍ إذا مَــا أنا صدَّقتُ قولَ كلِّ قولٍ مُحال».اهـ

قلت: كلام ابن العربي صريح، والصريح لا يجوز صرفه عن معناه ولا التعلل بأن قائله لعله أراد به معنىٰ يعلمه، لأنه لا معنىٰ له إلا ما هو نص فيه.

وقد بنىٰ ابن العربي كلامه علىٰ حديث خلق النخلة من فضلة طين آدم، لكن لم يثبت أن النخلة خلقت من فضلة طينة آدم عليه السلام إلا ما رواه مسرور بن سعيد عن الأوزاعي، عن عروة بن رويم، عن علىٰ عليه السلام مرفوعًا: «**أكرمُوا عمَّتكم النَّخلة فإنها خُلِقَتْ من فضلةِ طِينةِ أبيكُم آدمَ**» الحديث.

ومسرور؛ قال ابن حِبَّان: يروي عن الأوزاعي المناكير الكثيرة.

وقال العقيليُّ: هذا الحديث غير محفوظٍ، لا يعرف إلا بمسرور.

وقال ابن كثيرٍ في تفسير (سورة مريم): هذا حديث منكر جدًّا.

قلت: بل هو موضوعٌ كما قال ابن الجوزيِّ في "الموضوعات"، وهو من كذبات مسرور. والإمام الأوزاعي أجل من أن يروي هذا الكلام البارد السخيف الذي يربط بين الإنسان والنخل برباط النسب[1].

---

(١) وقد ورد ما يخالفه؛ قال عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن قتادة، عن سعيد بن أبي

وإني لأعجب من ابن العربي كيف خفي عليه كذب الحديث من جهة الكشف، بعد أن خفي عليه من جهة الصناعة؟!

وقد سئل عنه القطب سيدي عبد العزيز الدباغ، فقال: «ليس هو من كلام النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم». انظر "الإبريز".

الواقع أن ابن العربي -رحمه الله- أتى في هذا الخبر بطامات كبار:

١- وجود أرض تسمى أرض الحقيقة.

٢- كونها مخلوقة من قدر السمسمة، من فضلة طينة آدم عليه السلام.

٣- كونها أكبر من الدنيا والآخرة ومعهما العرش وما حوله، يعني الكرسي[1].

الحسن، أخي الحسن، قال: إن الله تبارك وتعالى خلق آدم، فبقي من طينته بيده شيء فخلق منه الجراد، فهو جند من جنود الله ليس جند أكثر منها.

وروى أيضًا عن معمر، عن الزهري، عن ابن المسيب قال: لم يخلق الله بعد آدم شيئًا إلا الجراد، بقي من طينته شيء فخلق منها الجراد.

فهذان الأثران يخالفان ذلك الحديث المكذوب، مع أنهما منكران أيضًا وأولهما أشد نكارة لتصريحه بأن الله تعالى بقي بيده من طينة آدم بقية، وهذه صفة الحوادث، تعالى الله عنها.

ثم دعوى وجود بقية فضلت من طينة آدم عليه السلام، تستلزم عدم دقة في تحديد الطين الكافي لخلقه، وهو جهل يتنزه الله عنه.

(١) مع أن الله تعالى نوه عن كبر العرش وعظمته بقوله سبحانه: ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [النمل: ٢٦] وقال في الكرسي: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]

٤- وقوع المحال العقلي فيها، وهذه كبرى الطامات، والعقدة التي لا تجد حلًّا[١].

٥- أن هذه الأرض عمتنا أيضًا، قياسًا على النخلة!!

يضاف إلى ذلك أن أحدًا من كبار الأولياء، كأبي مدين الغوث وأبي الحسن الشاذلي وأبي العباس المرسي والشيخ محمد الحنفي وسيدي علي وسيدي عبدالعزيز الدباغ وغيرهم، لم يذكروا خبر هذه الأرض العجيبة ولا عرجوا عليه، مع أن ابن العربي صرح بأن الأولياء يدخلونها.

ويزاد على ذلك أن سيدي عبد العزيز الدباغ -رضى الله عنه- صدق قول الجمهور: أن القدرة لا تتعلق بالمحال، وسيأتي كلامه إن شاء الله.

فصل

وحكى ابن حزمٍ أقوال الأشعرية والمعتزلة وطوائف منهم -كالبلخي والنظَّام وعلي الأسواري- في عدم تعلق القدرة بالمحال، وناقش أقوالهم وفنَّد أدلتهم وأورد عليهم إلزامات، كعادته في مناظراته.

ثم اختار أن الله تعالى يقدر على المحال في العقل، وعلى اتخاذ الولد، مع أنه

ولو كانت أرض الحقيقة موجودة كان التنويه بها أحق، لأنها أدل على قدرة الله وسعة ملكه. ولا أدرى كيف يجرؤ شخص على ادعاء وجود عالم لم يقم عليه دليل ثم لا يكتفي بذلك حتى يدعي أنه أعظم مما عظمه الله في كتابه؟!!

(١) روى الخطيب في كتاب "الكفاية" عن أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت حفص بن غياث يقول: إذا أخبر الراوي عن نفسه بأمر مستحيل؛ سقطت روايته .

من المحال المطلق كما صرح به في تقسيمه السابق، فناقض نفسه.

ثم قال: «وإن كنا لموقنين -بضرورة العقل- بأن الله تعالى لم يفعله قط، ولا يفعله أبدًا» وهذا تناقض أيضًا يهدم حكم العقل بجعل المحال ممكنًا، ثم يستدل لعدم وقوعه بضرورة العقل!! وأي عقل يستدل بضرورته بعد هدم أهم أحكامه؟!!

وقد غفل مع هذا عن أمر خطير لم يتنبه له؛ وهو أنه حيث حكم بأن الله تعالى يقدر على فعل المحال، صار ثبوت العلم والصدق والعدل له من قبيل الجائز لا الواجب، ويكون تنزهه عن الولد والجهل والكذب والظلم جائزًا في حقه لا واجبًا، وهذه شناعات بالغة لها خطورة شديدة على عقيدة المسلم، إذ تحمله على اعتقاد جواز لحوق النقص لله، تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا.

والقاعدة عند العلماء: أنَّ جواز الشيء بمنزلة وقوعه.

والذي ورط ابن حزمٍ في تلك الشناعات خطأ عنوان المسألة كما سبق في الخطبة، إذ كان السؤال بصيغة: هل يقدر الله على المحال؟ سيئًا خاليًا من الأدب.

«**وحسن السؤال نصف العلم**». كما ورد في حديث عن ابن عمر رضى الله عنهما. رواه الطبراني في "مكارم الأخلاق"، والبيهقي في "الشعب".

هذا مع أن مناط البحث إرادة الله لا قدرته.

وأنا أريد بحول الله أن أكشف الحجاب عن وجه الصواب، وأفتح الأقفال عن غوامض المحال، حتى تظهر للعيان لا يتمارى فيها اثنان.

فصل

هل يريد الله فعل المحال؟ هذا هو السؤال الصحيح، والجواب عنه بلفظ لا أو نعم، واجب لازم.

ومما لا ريب فيه أنَّ تعلُّق القُدْرة تابعٌ لتعلُّق الإرادة، فإذا أراد الله فعل شيءٍ، تعلَّقت به قدرته فأوجدته، وإذا لم يرده لم تتعلَّق به القُدْرة فلا يوجد.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [الحج: ١٤].

ومما هو مُدْرَك بالضرورة العقلية: أن الله إذا أراد شيئًا، فلا يعوقه عن فعله عائق ولا يحجزه عنه حاجز، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧] وقال النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ما شاءَ اللهُ كان وما لم يشأ لم يكن**».

أما المخلوق فإنه قد يريد الشيء ولا يفعله؛ لعجز قدرته عنه أو لكسل أو لعائق، أو نحو ذلك. إذا تمهد هذا فالجواب عن السؤال المذكور:

أن الله تعالى لا يريد فعل المحال؛ لأنه يلزم على فعله أحد أمرين:

١- إما لحوق النقص لله تعالى، كما في الظلم والكذب ونحو ذلك.

٢- وإما العبث، كما في الجمع بين النقيضين أو الضدين مثلًا.

وكل من النقص، والعبث، ممتنع في حَقِّه تعالى.

والدليل من القرآن، قول الله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٨]، ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ [غافر: ٣١].

أفادت هاتان الآيتان أنَّ الله لا يريد فعل الظلم لأنه نقص لا يليق بكماله، وهكذا كل محال، فإن الله لا يريده لمنافاته كماله سبحانه، وستأتي آيات تفيد هذا المعنى إن شاء الله.

وفي الحديث القدسي الصحيح: «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي**» أي: ما أردت فعله، فعبر عن عدم إرادة الظلم بتحريمه على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠] لا يتناول المحال، وذلك لأمرين:

أحدهما: أن لفظ شئ موصوف بصفة دل عليها ما تقدم بيانه آنفًا، والمعنى: شئ يريد فعله. والمحال لا يريده الله، فلم تتناوله الآية.

ثانيهما: أن المحال معدوم كما هو معلوم، ولذلك يسميه الحكماء والمتكلمون: «منفيًا» وقد اتفقوا على أن المنفي ليس بشيء، وإن اختلفوا في الممكن المعدوم، والأصح عند الأشعرية أنه ليس بشئ أيضًا لقوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٩]. فلفظ ﴿شَيْـًٔا﴾ في الآية، لا يصدق على المحال ولا يشمله بحال.

فإن قيل: ماذا يكون الحال لو أراد الله فعل المحال؟

قلنا: هذا سؤال باطل فاسد، يهمل ولا يجاب عنه.

والله تعالى لا يجوز في حقِّه أن يريد فعل المحال، إذ يلزم عليه -كما سبق- لحوق النقص لله تعالى، ولحوق النقص له محال.

فصل

المحال أحد أحكام العقل التي ينبني عليها دلائل علم التوحيد وبراهينه، ولا يكون الاستدلال به إلا باعتباره ممتنع الوجود.

وكذلك استعمله القرآن في محاجَّة المشركين كما يمر بك في الآيات التي نتلوها عليك:

١- ﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٧] قال ابن عبَّاسٍ وعكرمة والسُّدِّي: المراد باللهو هنا: الولد.

وقال الزجاج: هو الولد، بلغة حضرموت.

قال ابن عبَّاسٍ: هذا رد على من قال: اتخذ الله ولدًا.

وقال الحسن وقتادة: اللهو ؛ المرأة بلغة أهل اليمن. وهذا رد على من زعم أن لله زوجة. ومعنى من لدنا: من عندنا.

أفادت الآية تعليق اتخاذ الولد، بإرادة ذلك، وهو تعليق محال بمثله.

أما استحالة اتخاذ الولد، فدليلها قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾ [مريم: ٩٢]، أي: وما يتأتى له اتخاذ الولد لأن التوالد ممتنع، والتبني لا يكون إلا فيما هو من جنس المتبنى وليس لله تعالى جنس، فالبنوة والتبني مستحيلان.

وقوله سبحانه: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ﴾ [الأنعام: ١٠١]، أي: كيف يكون له ولد وهذه حاله؟ أي: أن الولد إنما يكون من زوجة وهو لا زوجة له، وعبر عن الزوجة بالصاحبة للإشارة إلى أنه

لا يوجد من يزواجه لأن الزوجة تستلزم المجانسة ولا مجانس له تعالىٰ .

قال الزمخشري: في الآية إبطال الولد من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن مبدع السموات والأرض -وهي أجسام عظيمة- لا يستقيم أن يوصف بالولادة لأنها من صفات الأجسام ومخترع الأجسام لا يكون جسمًا حتىٰ يكون والدًا.

والثاني: أن الولادة لا تكون إلا بين زوجين من جنس واحد، وهو تعالىٰ متعالٍ عن المجانس.

والثالث: أنه ما من شيء إلا وهو خالقه، والعالم به. ومن كان بهذه الصفة، كان غنيًّا عن كل شئ، والولد إنما يطلبه المحتاج».اهـ

وأما استحالة إرادة الولد، فقد قدَّمنا أن الله تعالىٰ لا يريد المحال، وذلك علىٰ وجه الامتناع لأمرين:

أحدهما: أن إرادته تقتضي جواز لحوق النقص لله تعالىٰ.

والآخر: أن القضايا الشرطية في براهين التوحيد ومسائل العقيدة يجب أن يكون المقدم فيها ممتنعًا .

وتلك الآية -أعني: ﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ ﴾- قصد بها الرد علىٰ المشركين الذين ادعوا لله الولد أو الزوجة، فهي تنفي ذلك أبلغ نفي بأن إرادة ما ادعوه مستحيلة في حقه تعالىٰ، وجاءت جملة: ﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ أي: ما كنا فاعلين، مؤكدة لذلك النفي البليغ.

واتخاذ الولد أو الزوجة من المحال المطلق علىٰ اصطلاح ابن حزمٍ، وهو

المحال لعينه، وقد اضطرب فيه فذكر أن السؤال عنه متفاسد لا يستحق الجواب، وأصاب في ذلك. ثم زعم أن الله يقدر على فعله، فأخطأ خطأً شنيعًا.

واستدل لزعمه بهذه الآية، وبقوله تعالى: ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ [الزمر: ٤] فكان استدلاله أفحش خطأً وأشد شناعة؛ لأن الآيتين قصد بهما امتناع إرادة الولد على وجه الاستحالة، كما بيَّنَّا آنفًا، ولهذا قال ابن عبَّاسٍ: «كل شيء في القرآن: «لو»، فإنه لا يكون أبدًا». رواه ابن أبي حاتم من طريق الضَّحَّاك عنه.

فهما تفيدان الرد على المشركين وأنهم نسبوا إلى الله ما لا يجوز في حقه أن يريده فضلًا عن أن يتخذه، لأنه يتضمن نقصًا يتعالى الله عنه، ولهذا ذيلت الآية الأولى بجملة: ﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾، وذيلت الثانية بعبارة: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾.

أما لو قيل: أن الآيتين تفيدان إمكان اتخاذ الولد -كما فهم ابن حزمٍ خطأ- لم يكن فيهما إبطال دعوى المشركين؛ لأنهم -بناء على هذا الفهم السقيم- نسبوا إلى الله ما هو جائز في حقه، ولا ينفع الرد عليهم بأن هذا لم يقع ولا يقع، لأنه حيث ثبت إمكان اتخاذ الولد صار وقوعه في حيز الإمكان أيضًا، وهذا كاف في عذرهم وتوجيه دعواه، إذ المقرَّر عند العلماء -كما قدمنا- وهو مركوز في فطرة العقلاء: أن جواز الشيء بمنزلة وقوعه.

على أن الآيتين مسوقتان -كما ترى- في معرض إثبات وحدانية الله، وتنزهه عن الولد، لا في معرض إثبات قدرته .

(تنبيه): الأمر الجائز يصح الوصف به ويكون حقيقيًّا وإن لم يقع، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، وقوله سبحانه: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦ - ٢٧].

وقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قالها الشَّاعِرُ كَلِمَةُ لبيدٍ: ألا كُلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطِلُ**».

ويقال لله تعالى: «الوارث»، لأنه يرث الأرض ومن عليها، وإن لم يقع إرث الآن.

فهل يصح أن يقال له: متخذ الولد، باعتباره جائزًا على الرأي الفاسد الذي شذَّ به ابن حزمٍ عن جماعة المسلمين ؟!! بالضرورة لا يصح ذلك ولا يجوز، لأنه شرك صريح نفاه الله في القرآن وذم قائله، وما نفى الله -ولا يجوز أن ينفي أمرًا جائزًا في حقه- يمتنع وصفه به جزمًا.

٢- ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] رتبت الآية فساد السموات والأرض، على تعدد الآلهة باعتباره محالًا لا يتصور العقل وجوده ولو كان ممكنًا، لما تم الاستدلال به على نفي الفساد.

٣- ﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا﴾ [الأنبياء: ٩٩] وكون الأصنام آلهة محال، فلذلك دخلوا النار مع عابديهم.

٤- ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: ٧١].

قال الزمخشري: «معناه: ولو كان الله يتبع أهواءهم ويأمر بالشرك

والمعاصي لما كان إلهًا ولما قدر أن يمسك السموات والأرض».اهـ

ولاشك ان اتباع الحق لأهواء المشركين محال لا يريده الله.

٥- ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾ [الزخرف: ٨١] قال الزمخشريُّ: «معناه: إن كان للرحمن ولد وثبت ذلك ببرهان توردونه، فأنا أعظم ذلك الولد وأسبقكم إلى طاعته، كما يعظم الرجل ولد الملك لعظم أبيه.

وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل للمبالغة في نفي الولد والإطناب فيه وألا يترك لناطق به شبهة إلا مضمحلة، مع الترجمة عن نفسه بثبات القدم في التوحيد؛ وذلك أنه علق العبادة بكينونة الولد، وهي محال في نفسها، فكان المعلق بها محال مثلها، فهو في صورة إثبات الكينونة والعبادة وفي معنى نفيهما على أبلغ الوجوه وأقواها».اهـ

وقال أبو حَيَّان: «إن إله العالم يجب أن يكون واجب الوجود وما كان كذلك فهو فرد مطلق لا يقبل التجزي، والولد عبارة عن أن ينفصل عن الشخص جزء من أجزائه فيتولد منه شخص مثله ولا يكون إلا فيما هو قابل للتجزي وهذا محال في حقه تعالى، فامتنع إثبات الولد».اهـ

٦- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ [الأعراف: ٤٠]، سيقت هذه الآية لتأييس الكفار من دخول الجنة، وأنه لا حظ لهم فيها إن لم يؤمنوا، فهي مثل قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي ﴾ [العنكبوت: ٢٣] ولو كان دخول الجمل في سم الخياط ممكنًا لما كان فيها تأييس

للكفار، بل تكون مطمعة لهم في دخول الجنة.

وفيما أوردناه من الآيات، كفاية في الدلالة على بطلان كلام ابن حزمٍ، وفساد استدلاله.

استدل ابن حزمٍ، لإمكان وقوع المحال العقلي بما يراه النائم في منامه مما لا شك أنه محال في حال اليقظة ممتنع يقينًا.

قال: «فبالضرورة يدري كل ذي حس أن الذي جعل المحال ممكنًا في النوم، كان قادرًا على أن يوجده ممكنًا في اليقظة».اهـ

قلت: اشتبه عليه الحال فظن ما يراه النائم في منامه من الأضغاث والغرائب محالًا عقليًّا، والواقع: أنه ليس في المنامات على اختلاف أنواعها ما يخرج عن المحال العادي.

والظاهر أن ابن العربي الحاتمي حصل له مثل هذا الاشتباه أيضًا حيث ظن ما رآه في أرض السمسمة -إن كان يقظة وليس تخيلًا- محالًا عقليًّا، مع أنه لم يخرج عن دائرة المحال العادي، لأن من أفراده ما يظن أنه من المحال العقلي لبعده عن المألوف أو لشدة غرابته، فهو من قبيل المشكل.

واستدل ابن حزمٍ أيضًا لرأيه الفاسد بما هو أشد فسادًا منه فقال: إن الله تعالى حكى قول اليهود: ﴿عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠] وقولهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١]، وقولهم: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤].

وحكى قول النصارى: ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠] وقولهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣] وقولهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ

مَرْيَمَ ﴾ [المائدة: ١٧] وهذا كله كذب.

قال: فأي حماقة أشنع من قول من قال: إن الله قادر على أن يقول كل ذلك حاكيًا، ولا يقدر أن يقوله من غير أن يضيفه إلى غيره».اهـ

وأقول: بل الحماقة الشنعاء، والداهية الدهياء، والمصيبة التي ليس لها دواء، هي تجويز الكذب في حق الله تعالى، وإذا كان الله يلعن الكاذب ويذمه، فكيف يصح أن نجوزه في حقه؟!

وقد بيَّنا فيما مر أن الله لا يريد فعل المحال لما يلزم عليه من شناعات وقبائح تورط فيها ابن حزمٍ، سامحه الله وغفر له، ولقد كنا نُجِلُّه عن أن يسقط هذه السقطة، لكن الكمال لله تعالى.

فصل

في أخبار توهم تعلق القدرة بالمستحيل

١- روى الترمذي من طريق أبي قبيل عن شُفيٍّ بن ماتع عن عبد الله بن عمرو، قال: خرج علينا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وفي يده كتابان فقال: «**أتدرون ما هذان الكتابان؟**» فقلنا: لا يا رسول الله إلا أن تخبرنا.

فقال للذي في يمينه: «**هذا كتابٌ من ربِّ العالمين فيه أسماءُ أهل الجنة وأسماءُ آبائِهم وقبائِلهم ثم أجملَ على آخرهم فلا يزادُ فيهم ولا يُنقصُ منهم أبدًا**». ثم قال للذي في شماله: «**هذا كتابٌ من ربِّ العالمين فيه أسماءُ أهلِ النار وأسماءُ آبائِهم وقبائِلهم ثم أجملَ على آخرِهم فلا يزادُ فيهم ولا يُنقصُ منهم أبدًا**». ثم قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بيديه فنبذهما.

قال الترمذيُّ: «حديث حسن صحيح غريب»، وقال الحافظ ابن حجر: في "فتح الباري": «إسناده حسن».

قال العلامة الشيخ أحمد بن المبارك في "الإبريز": استشكله بعض الناس وظن أن فيه تعلق القدرة بالمستحيل، حيث جمع أسماء أهل الجنة في كتاب تحمله يمناه عليه السلام وكذا أسماء أهل النار.

وقدَّم سؤالًا إلى سيدي عبد العزيز الدباغ، قال فيه: سيدي، قال علماء الكلام: القدرة تتعلق بالممكنات دون المستحيل. مع أن في حديث جاء عن المصطفى صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: أنه خرج ذات يوم وفي يده كتابان على أصحابه، وذكر الحديث. وقال: مع صغر جرم الكتابين وكثرة الأسماء، ففي ذلك إيراد الكبير على الصغير من غير تكبير الصغير ولا تصغير الكبير، وإلا فأي ديوان يحصر أسماء هؤلاء؟!

فهذا أقوى دليل على المحال العقلي من إدخال الواسع على الضيق لو شاء ذلك. مع بقاء هذا على صغره وهذا على كبره.

فأجاب رضى الله عنه بأن ما قاله علماء الكلام وأهل السنة والجماعة هو العقيدة، ولا يمكن أن يكون في أطوار الولاية ولا في معجزات الرسالة ما تحيله العقول، نعم قد يكون فيها ما تقصر عنه العقول فإذا أرشدت إلى المعنى المراد قبلته وأذعنت له.

والكتابة المذكورة في هذين الكتابين كتابة نظر لا كتابة قلم، وذلك أن صاحب البصيرة لا سيما سيدنا محمد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، إذا توجه قصده إلى شئ بأن ينظره فإن بصيرته تخرق الحجب التي بينه وبين المنظور إليه

حتىٰ يبلغ نورها إليه ويحيط به، فإذا حصلت صورة المنظور إليه في البصيرة وفرضناها بصيرة كآلة، فإن حكمها يتعدىٰ إلىٰ البصر وتصير القدرة الحاصلة لها حاصلة للبصر أيضًا، فيرىٰ البصر الصورة مرتسمة له فيما يقابله.

فإن كان المقابل له حائطًا رآها في حائط، وإن كان المقابل له يده رآها في يده، وإن المقابل له قرطاسًا رآها في قرطاس.

وعلىٰ هذا يتخرَّج حديث: «**مُثِّلَت لي الجنَّة والنَّار في عَرْضِ هذا الحائِط**» لأنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم توجَّه ببصيرته إليهما وهو في صلاة الكسوف فخرق ذلك إلىٰ بصره وكان المقابل له عرض الحائط فرأىٰ صورتهما فيه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

وعليه أيضا يتخرج حديث الكتابين، فإنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم توجه ببصيرته إلىٰ الجنة فحصلت صورتها في بصره وكان المقابل له الكتاب الذي في يمينه فجعل عليه الصلاة والسلام ينظر إلىٰ الجنة وسكانها في ذلك الجرم الذي في يمينه فقال: «**هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وآبائهم وقبائلهم**» ثم توجه ببصيرته إلىٰ النار فحصلت صورتها في البصر وكان الجرم المقابل له الكتاب الذي في شماله فقال: «**هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار وآبائهم وقبائلهم**» وإنما سمَّىٰ الصورة الحاصلة في الجرم كتابًا، لمشابهتها للكتابة في الدلالة علىٰ ما في الخارج، وإنما أضيف الكتاب إلىٰ رب العالمين، لأن النور الذي هو سبب في حصول الصورة التي عبَّر عنها بالكتاب ليس هو من طوق العبد ولا من كسبه، وإنما هو مدد رباني ونور من عند الله سبحانه.

نخرج من هذا أن المراد بالكتابة الصورة الحاصلة في النظر لا غير فالحديث من نوع الممكنات وهكذا سائر المعجزات والخوارق».اهـ ملخصًا.

وهو جوابٌ نفيسٌ يدلُّ على عُلوِّ كعب صاحبه ودِقَّة نظره وصِحَّة إلهامه، وهو مبنيٌّ على عالم المثال الذي أثبته الصوفية وحقَّقه العلامة الأصولي علاء الدين القونويُّ في كتاب "الإعلام" ونقلت كلامه مع كلام غيره، في كتاب "الحجج البيِّنات".

ويؤيده ما رواه الطبرانيُّ بإسنادٍ صحيحٍ من طريق ابن مجاهد، عن أبيه، عن ابن عمر: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، خرج فبسط كفَّه اليمنى فقال: «**بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتابٌ مِن الله الرحمن الرحيم بأسماء أهلِ الجنَّةِ وأسماء آبائهم وقبائلهم وعشائرهم لا يُزاد فيهم ولا يُنتقَصُ منهم**».

ثُمَّ بسط كفَّه اليُسرى فقال: «**بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتابٌ من الله الرحمن الرحيم إلى أهل النَّار بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم وعشائرهم لايُزادُ فيهم ولا يُنتقَصُ مِنهم**».

فهذا الحديث واضحٌ في أنَّ الكتابة كتابة نظر، وأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حين نظر إلى كفِّه وتحدَّث، كان يرى أسماء أهل الجنة وأهل النار تمر أمامه وهو يتحدَّث.

يُوضِّح ذلك ويُقرِّبه: ما يظهر على شاشة التلفزة من كتابة وأشخاص ومناظر تمر أمام الحاضرين وذلك كله واقع في دائرة الإمكان.

(تنبيه): روى ابن عديٍّ في "الكامل" هذا الحديث من طريق عبد الوهاب ابن همام أخي عبد الرازق: أخبرنا عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر

قال: خرج رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ذات يوم وفي يده كتابان بتسمية أهل الجنة وتسمية أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم.

قال الذهبي في "الميزان": «هو حديثٌ مُنكَرٌ جدًّا، ويقتضي أن يكون زنة الكتابين عدة قناطير».

قال الحافظ في "اللسان": «وليس ما قاله من زنة الكتابين بلازم، بل هو معجزة عظيمة، وقد أخرج الترمذيُّ لهذا المتن شاهدًا».

قلت: كلام الحافظ صواب، فالحديث معجزة عظيمة، وما فيه من إشكال أزاله القطب الدباغ ببيانه الشافي.

٢- قال بعض العلماء في حديث: «**يا عبادي إنِّي حَرَّمتُ الظلمَ على نَفْسِي**» يؤخذ منه أنَّ الله يقدر علىٰ الظلم لكن لا يفعله فضلًا منه وكرمًا.

وبنوا علىٰ ذلك أمرين:

الأول: تعريف الظلم بأنه وضع الشيء في غير موضعه، كإثابة الكافر وتعذيب المؤمن.

الثاني: مدح الله نفسه بأنه لا يظلم، والمدح لا يكون إلا بما هو مقدور.

وهذا خطأ من وجهين:

الأول: أنا بينا فيما مرَّ أنَّ مناط البحث إرادة الله لا قدرته، وأنَّ الله لا يريد فعل المحال لما يلزم عليه من النقص أو العبث، فالله لا يريد فعل الظلم لأنه ينافي كماله، سواء أكان معناه وضع الشيء في غير موضعه أم التصرف في ملك الغير بغير إذنه.

الثاني: أنَّ المدح معناه في اللغة: الثناء الحسن، ولم يقيد بمقدور أو غيره.

وقد مدح العرب النساء وتغزَّلوا في أوصافهنَّ الخَلْقية ونوَّعوا في وصف جمالهنَّ، كما مدحوا الظِّباء، وعيون المها، ومدحوا الأزهار والورود، وتغنوا بجمال الطبيعة، وتمدح كثير منهم بأوصافه الخلقية المحمودة.

وعلى أسلوبهم جاء القرآن الكريم فمدح الله ذاته بالكمال الواجب له عقلًا ومنه تنزهه عن النقائص التي نفاها عنه، في مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا﴾ [يونس: ٤٤]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٣ - ٤]، ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ [المؤمنون: ٩١] فهذه نقائص تمدح الله بنفيها عنه، لأنها تنافي كماله الواجب له، وتغير الأسلوب في ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ﴾ لأنها سيقت لرد قول المشركين ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ [البقرة: ١١٦].

فصل

في مسألة التكليف بالمحال

مما له مناسبة لموضوع هذا البحث مسألة التكليف بالمحال وهي ذات خلاف بين العلماء، فمنعه الماتريدية والمعتزلة والجمهور وهو الحق، وجوزه معظم الأشعرية.

ومنهم من منع التكليف بالمحال لذاته وجوَّزه بالمحال العادي.

واستدل كل فريق لقوله بما يطول جلبه، وإن كانت أدلة المجوزين ضعيفة

لا تقوم بها حجة، ومن أراد تفصيل الأقوال واستيعاب أدلتها فليطلبها في كتب الأصول.

وغرضي هنا أن أذكر دليلين من القرآن يدلان على المنع .

١- قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

معنى الآية: يريد الله تكليفكم باليسر الذي تحتمله قدرتكم ويدخل في استطاعتكم بدون مشقة، ولا يريد تكليفكم بالعسر الذي لا تحتملونه.

ولا ريب أن التكليف بالمحال هو نهاية العسر فلا يريده الله بنص الآية؛ وما لا يريده الله لا يجوز أن يكون، وهذا الوجه هو المتعين في الآية.

أما من قال: معنى يريد: يطلب، فقد أخطأ، لأنه معنى مجازي، والحمل على الحقيقة واجب.

٢- قوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة: ٦] الحرج: الضيق. والمعنى: ما يريد الله ليجعل عليكم من ضيق فيما يكلفكم به. والتكليف بالمحال غاية الضيق، فلا يجوز لأن الله لا يريده وما لا يريده الله يستحيل أن يكون، هذان الدليلان لم أر من سبقني إليهما.

فالحمد لله على ما ألهم وعلم، وصلَّى الله على سيِّدنا محمد وآله وسلم.

تم عشية يوم الإثنين ١٢ من رجب سنة ١٣٩٢ بخط مؤلفه أبي الفضل عبد الله بن محمد بن الصِّدِّيق عفا الله عنه بمَنِّه.

خاتمة

في كلام لبعض الفضلاء في الأشعرية وفي قولهم بأن قدرة الله تعالى لا تتعلق بالمستحيل

لما أتممت تحرير هذا الجزء أطلعت على رسالة لبعض الفضلاء كتبها إلى بعض الإخوان جاء فيها ما نصه:

«وأما كون قدرة الله تعالى لا تتعلق بالمستحيل، فمن خرافات الأشعرية، وتحكمهم على الله تعالى، ومن أغرب ما رأيته في "الإبريز" إقرار سيدي عبدالعزيز لهم على هذا وأخشى أن يكون من زوائد ابن المبارك الذي كان لحمه ودمه أشعريًّا، ولو فصد لنزل منه بدل الدم آراء الأشعرية المنتنة، وإلا فهو من خطأ كشف الدباغ؛ ولابد.

لأن المستحيل إنما يحكم به العقل المخلوق لله تعالى على صفة محدودة لا يمكنه أن يتعداها فكيف يحكم خالقه؟ إن هذا لعجب!!

مع أننا نرى الأولياء -وهم مخلوقون- يتصفون بالمستحيل ككون الواحد منهم في الشرق والغرب في لحظة واحدة وبذات واحدة، هكذا في كثير من كراماتهم المقطوع باستحالتها في العقول، كدخول الرجل من جرح في بدن الآخر ويسري مع دمه إلى أن يصل قلبه بدون توسيع الجرح ولا تصغير الجثة. بل وكل الناس يرى المستحيل أحيانًا في الرؤيا فيرى نفسه داخلًا في عين إبرة أو مخيط بدون تكبير عين الإبرة ولا صَغُر جسمُه.

ويرى نفسه حيًّا وهو ميت، ويرى نفسه ميتًا فوق نعش، وهو حي حامل

للنعش، في أمثال هذه المستحيلات.

وأخبار أهل الجنة كلها من قبيل المستحيلات وهي صادرة من مخلوق، بحيث ينكح سبعين حوراء في لحظة واحدة، إلى غير ذلك.

وهذا القرآن يثبت ذلك أيضًا، فإن اتخاذ الولد لله محال عقلًا ومع ذلك فأخبر لو شاء لاتخذه.

وهذه المسألة هي التي كفَّروا بها ابن حزمٍ وهم الكفرة في الحقيقة.

نعم هناك مستحيل لا تتعلق به القدرة وهو كون الله تعالى يجعل له شريكًا في الملك مثله.

وكأن هذا هو الذي قصده من قال: قدرة الله تعالى لا تتعلق بالمحال فأخذه الجهلة وعمموه في كل مستحيل. حتى صاروا يحكمون على الله تعالى بما يحكم به على المخلوق».اهـ

والكلام على هذه الجملة، في مقامات:

المقام الأول:

اتهام العلامة أحمد بن المبارك لم يقم عليه دليل ولا أمارة بل هو ثقة عدل فاضل صالح ليس في أخبار ترجمته وسيرته ما يثير شكًا في صدقه وصلاحه، رحمه الله ورضي عنه.

ثم أهل المغرب أشعرية فلابد أن سيدي عبد العزيز الدباغ رضى الله عنه تلقن العقيدة الأشعرية من أبيه أو من العلماء الذين تلقى عنهم مبادئ الدين، وأحكام الصلاة.

والمغاربة -خصوصا أهل فاس- كان لهم عناية كبيرة بـ"صغرى السنوسي" حفظًا وشرحًا وتفهمًا، وكان كثير من العوام يحفظونها كما يحفظون الفاتحة، تبركًا بها وبمؤلفها السنوسي الولي الصالح، وفي مفتتحها تقسيم حكم العقل إلى الواجب والمستحيل والجائز.

المقام الثاني:

اتهام الأشعرية بالضلال ونتانة الرأي اتهام جائر ظالم وأشد منه جورًا وظلمًا أن يقال عنهم: هم الكفرة في الحقيقة.

والواقع: أنهم من خيار المسلمين وفضلائهم، وقفوا في وجوه المعتزلة وغيرهم من الطوائف الضالة واعتقدوا ما جاء في السنة من سؤال القبر وعذابه، والشفاعة، والصراط، والحوض، والميزان، وخروج عصاة المؤمنين من النار، وأنه لا يجب على الله صلاح ولا أصلح، وأنه تعالى منزه عن كل نقص، موصوف بكل كمال.

وصرَّح أبو الحسن الأشعري في كتاب "مقالات الإسلاميين" أنه يصف الله تعالى بما جاء في القرآن وما رواه الثقات عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بلا تكييف ولا تشبيه، وما نقل عنه من أقاويل ضالة مكذوب عليه، كما بيَّنه الحافظ ابن عساكر في كتاب " تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري" وهو مهم نفيس، ينبغي الوقوف عليه.

نعم، أوَّل متأخروا الأشعرية ظواهر الآيات والأحاديث التي جاءت في الاستواء والعلو والمعية، مع اعتراف زعمائهم بأن التفويض أسلم وأكمل

والذي دعاهم إلى تأويل تلك الظواهر أسباب :

أحدها: أن المتقدمين كابن المبارك وأحمد والترمذي أولوا ظواهر المعية، بأنها معية علم، وذكروا لها شواهد من كلام العرب.

وهذا يؤذن بأن تأويل ما يشكل من الظواهر سائغ، ولا شك أن ظواهر الاستواء والعلو مشكل، فتناولوه بالتأويل دفعًا للإشكال. فتخصيصهم بالذم حيف واضح.

ثانيها: أن المثبتين للصفات المشكلة أسرفوا في إثباتها حتى شبهوا الله بخلقه، فأثبتوا له المكان، وهو العرش وأنه ينزل منه بحركة إلى السماء الدنيا، وإذا نزل خلا منه العرش، وأنه يقعد على الكرسي لفصل القضاء يوم القيامة، ويدع مقدار أربع أصابع بجانبه يقعد عليها النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، إلى غير ذلك من الطامات التي تجدها في "كتاب الرد على بشر المريسي" للدارمي، و"كتاب التوحيد" لابن خزيمة، و"كتاب الأربعين" لأبي إسماعيل الهروي، و"النونية" لابن القيم.

وقال الهروي المذكور مغرقًا في التشبيه: أنا ألتزم بكل ما ورد في حق الله من العين واليد والرجل والقدم، ما عدا اللحية والعورة فإنهما لم تردا.

وقال ابن تيمية في تقرير الاستواء بالمعنى المعهود: «إن الله تعالى لو شاء لاستوى على جناح بعوضة، فاستقلت به بقدرته فكيف بعرش عظيم»[1].

---

(١) وتكلم ابن القيم في "بدائع الفوائد" على المفاضلة بين السماء والأرض وذكر حجج من فضل الأرض وقال: «قال المفضلون للسماء: يكفي في فضلها أن رب العالمين

سبحانه فيها».اهـ (ص ٢٤ ج ٤).

وقال في (ص ٣٩ ج ٤): «فائدة: قال القاضي: صنف المروزي كتابًا في فضيلة النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وذكر فيه إقعاده على العرش، وحكى ذلك عن جماعة ذكرهم بأسمائهم، ثم قال : وإمام هؤلاء كلهم مجاهد إمام التفسير. وهو قول أبي الحسن الدارقطني، ومن شعره فيه :

حديث الشفاعة عن أحمد ... إلى أحمد المصطفى مسندُه
وجاء حديث بإقعاده ... على العرش أيضا فلا نجحدُه
أمروا الحديث على وجهه ... ولا تدخلوا فيه ما يفسدُه
ولا تنكروا أنه قاعد ... ولا تنكروا أنه يقعدُه

هذه الأبيات رواها أبو محمد محمود بن أبي القاسم الدشتي في كتابه "إثبات الحد لله تعالى، وأنه قاعد وجالس على عرشه"، وإسنادها هالك مظلم، فيه أحمد بن عبيد الله ابن كادش، أقرَّ بوضع حديث في فضل أبي بكر، وقال ابن النجار : «كان مخلطًا كذابًا لا يحتج بمثله». والدشتي من الغلاة في الإثبات إلى حد التشبيه والتجسيم كما هو ظاهر من عنوان كتابه.

والعجب من ابن القيم الذي نقل هذه الأبيات محتجًّا بها كأنها ثابتة مسلمة، وهو يسمي الأشعرية معطلة لأنهم نفوا عن الله تعالى وصف القعود والجلوس!!.

ويعني بـ«قول مجاهد» ما رواه ابن جرير في "تفسيره"، قال: حدثنا عباد بن يعقوب الأسدي: ثنا ابن فضيل، عن ليث، عن مجاهد في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩]، قال: «يجلسه معه على عرشه».

وهذا القول تفرد به مجاهد في تفسير الآية لم يقله صحابي ولا تابعي وراويه عنه ليث ابن أبي سليم وحاله معروف.

ولم يرد في آية أو حديث نسبة الجلوس أو القعود إلى الله تعالى، ولكن المثبتين للاستواء جعلوه جلوسًا وقعودًا بمماسة لغلبة التشبيه عليهم.

بل المتواتر عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وعن الصحابة تفسير المقام المحمود بالشفاعة العظمى، وجاء عن مجاهد أيضًا كذلك، وهو الموافق من جهة اللفظ والمعنى.

أما الأول؛ فإن المقام من القيام، والنبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقوم في الشفاعة قيامًا طويلًا ولو كان يجلس على العرش لقيل: «مجلسًا» أو «مقعدًا».

وأما المعنى؛ فإن شفاعته تريح الخلق من عذاب الوقوف وطول الانتظار ولذلك يحمدونه، وجلوسه على العرش ليس فيه ما يحمد عليه.

ونقل الحافظ ابن عبد البر في "التمهيد" عن مجاهد في قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣]، قال: «حقيقة ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال: تنظر الثواب»، وتعقبه بقوله : «قول مجاهد هذا مردود بالسنة الثابتة وأقاويل الصحابة وجمهور السلف، وهو قول عند أهل السنة مهجور.

ومجاهد وإن كان أحد المقدمين في تأويل القرآن فإن له قولين في تأويل آيتين، هما مهجوران عند العلماء مرغوب عنهما، أحدهما هذا.

والآخر قوله عز وجل : ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] قال: يوسع له على العرش فيجلسه معه. وهذا قول مخالف للجماعة من الصحابة ومن بعدهم، فالذي عليه العلماء في تأويل هذه الآية أن المقام المحمود: الشفاعة».اهـ

وابن القيم غفر الله له يستحسن هذا القول المهجور الشاذ غافلًا عن مخالفته للسنة المتواترة وأقوال الصحابة وغيرهم لميله الشديد إلى التشبيه والتجسيم مثل شيخه ابن تيمية سامحهما الله.

وهذه شناعات مخزية تحاماها الأشعرية بالتأويل السائغ المستمد من كلام العرب في شعرهم ونثرهم، فقاموا بواجب تنزيه الله عن التشبيه بخلقه وهو عمل يثابون عليه عند الله تعالى.

لكن المشبهة والمجسمة لم يعجبهم هذا المسلك من الأشعرية فناصبوهم العداء وسعوا في إذايتهم ورموهم بالكفر والضلال، حتى إن الهروي قال في كتابه "ذم الكلام": «إن ذبائح الأشعرية لا تحل».

وكان ابن تيمية يسميهم «معطِّلة» -بكسر الطاء المشددة- وكذلك ابن القيم، ويسميهم المعتزلة: «مُجْبرة»، بضم الميم وسكون الجيم وكسر الموحدة، وما عاداهم أهل الضلال إلا لكونهم على الحق.

ثالثها: المحافظةعلى عقول العامة من أن يتسرب إليها تشبيه أو تجسيم إذا سمعوا تلك الظواهر وقد تسرب ذلك إلى ابن تيمية وأمثاله مع ما عندهم من العلم فما بالك بالعامي الذي ليس عنده من العلم والقواعد ما يحمى عقله وفكره، من أن ينزلق في هذه المهاوي المهلكة.

ومنذ بضعة أشهر قال أحد الخطباء في خطبة الجمعة -وهو يحفظ القرآن فقط-: «من لم يعتقد أن الله في السماء فهو كافر»، وحصلت ضجة بين المصلين، وقال بعض المدرسين يرد عليه: «وأنا أقول: من لم يعتقد أن الله معنا فهو كافر». واتصلت بالخطيب وسألته عن ذلك، فاعترف به وأصر عليه، مستندًا إلى أن أبا حنيفة قاله!!.

فانظر كيف وقع ذلك الخطيب العامي في هذه الزلة العظيمة وأشاعها بين

العامة؟! مع أن أبا حنيفة لم تصح عنه تلك الكلمة لأن راويها عنه كذاب.

قد يقال: الواجب أن تبقى ظواهر الاستواء والعلو والمعية كما هي من غير تأويل، ويعتقد معناها من غير تكييف ولا تمثيل.

ونقول: هذا غير متيسر، لأن التشبيه يسبق إلى الأذهان ويطغى عليها.

وقد رأينا المتقدمين الذين تمسكوا بظواهر الاستواء والعلو بدون تكييف ولا تشبيه، كيف صرَّح بعضهم بأن الله فوق عرشه بائن من خلقه يفصله عنهم الكرسي والعرش والسموات، وأن له حدًّا!! وهذا هو التشبيه عينه.

وكذلك ظواهر المعية إذا أبقيت على حالها لابد أن يتسرب إلى الأذهان تحيز الخالق واتحاده مع الخلق.

على أن القرآن أرشد إلى تأويل المعية بذكر العلم معها، اقرأ الآيات التالية:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة: ٧]، ففي هذا الآيات إشارة واضحة إلى أن المعية علمية.

وقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقعة: ٨٥]، يراد به ملك الموت وأعوانه، بدليل قوله سبحانه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ

رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ [الأنعام: ٦١].

والمقصود: أن التأويل سلكه كل من السلف والخلف بلا استثناء، ولم يختص به الأشعرية.

(تنبيه): قال الإمام ابن دقيق العيد: «إن كان التأويل من المجاز البين الشائع، فالحق سلوكه من غير توقف وإن كان من المجاز البعيد الشاذ فالحق تركه، وإن استوى الأمران فالاختلاف في جوازه وعدم جوازه مسألة فقهية اجتهادية، والأمر فيها ليس بالخطر بالنسبة للفريقين».اهـ

وهذه قاعدة نفيسة يستفاد منها أن التأويل لا يذم إلا إذا كان بعيدًا شاذًا ينبو عنه ظاهر اللفظ أو ينافيه الأسلوب والسياق. وفيما عدا ذلك فهو دائر بين الوجوب والجواز .

المقام الثالث:

كشف الدباغ مصيب جدًّا، لأنه يوافق الواقع الذي لا مرية فيه حتى إن ابن حزمٍ الذي أجاز تعلق القدرة بالمحال صرَّح بأنه لم يقع معجزة لنبي ولا يمكن أن يقع أبدًا بحكم الضرورة العقلية كما مر في كلامه.

ودعوى دخول الولي من جرح في بدن الآخر ويسري مع دمه حتى يصل إلى قلبه دون إثباتها خرط القتاد، بل لا يمكن إثباتها حتى ينقلب المحال العقلي جائزًا.

ومن المقرر في علم الأصول: أن الخبر إذا خالف المعقول يقطع بكذبه.

ويلاحظ أن الله تعالى اعتبر دخول جسم كبير في جسم صغير ممتنع

الوقوع، حيث علق على حصوله دخول الكفار للجنة حيث قال سبحانه: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]، وما اعتبره الله ممتنعًا فهو في الواقع ممتنع لا يمكن وقوعه أبدًا بحال، وما سمعنا أن أحدًا رأى نفسه في الرؤيا يدخل في عين إبرة، بل هذا لم يحصل ولن يحصل أبدًا.

وما يُرى في الرؤيا من قبيل عالم المثال وهي أشياء تتخيلها الروح وهي سابحة في الخيال، فالشخص الذي يرى نفسه ميتًا وهو يحملها يتخيل أنه على النعش، والواقع أنه فارغ ليس عليه شئ.

وقد أخبرني الأستاذ عز الدين عبد القادر أنه رأى في المنام أربعة نعوش يحملها الناس إلى المقابر وهي متتابعة بعضها إثر بعض، فسأل عنها، فقيل له: الأول نعش عزيز المصري، والثاني مصطفى النحاس، والثالث جمال عبدالناصر، والرابع عز الدين يعني نفسه.

وبالضرورة كانت النعوش خاوية ليس عليها شئ وإنما هي رموز لهؤلاء الأشخاص والعجيب أنهم ماتوا على هذا الترتيب وأنا بمصر، إلا عز الدين فتركته حيًّا.

ووجود الولي في مكانين متباعدين صحيح واقع، لكن ليس بجسمه الطبيعي بل بجسم مثالي، وهو من باب تعدد الصور الروحانية كما في قضية قضيب البان وغيره.

بل في القرآن إشارة إليه في قوله تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧] وقد حررت هذا البحث في كتاب "الحجج البينات" بما فيه كفاية.

ولم يقع المحال العقلي كرامة لولي قط، إلا حكاية نقلها الشعراني في "الطبقات الكبري" وهي باطلة، بينَّا بطلانها في غير هذا الكتاب.

وليس في أخبار الجنة ونعيمها ما يخرج عن المحال العادي ولم يثبت في حديث أن الرجل في الجنة ينكح سبعين حوراء في لحظة واحدة، ولو ثبت لوجب حمله على الرواية بالمعنى حسب فهم الراوي أو تأويله بأن ذلك يتم بسرعة غير معتادة أو نحو ذلك من التأويل.

ومما تقرر في علم الأصول أن الحديث يجب تأويله إذا خالف ظاهره قضية عقلية.

ويحسن أن ننبه على قاعدة غفل عنها كثير من الناس وهي أنه إذا كان البحث في مسألة عقلية كمسألتنا هذه فيجب أن يكون الاستدلال فيها قبولًا وردًّا بدليل عقلي، كما فعل ابن حزمٍ فإنه استدل لرأيه بدليل عقلي، وإن أخطأ في وجه الاستدلال كما مر بيانه، ولا تجوز محاولة نقضها أو إبطالها بحديث يحتمل تأويل لفظه أو غلط راويه، ولا بحكايات يجوز تكذيب رواتها أو توهيمهم، ومر آنفا أن الخبر إذا خالف المعقول يقطع بكذبه.

وقال ابن الجوزي: «ما أحسن قول القائل: إذا رأيت الحديث يباين المعقول، أو يخالف المنقول، أو يناقض الأصول، فاعلم أنه موضوع».

ولا شك أن تكذيب الراوي أو توهيمه ولو كان ثقة، أهون وأيسر من إبطال قاعدة بنى عليها علم أصول الدين واعتبرها القرآن في أدلة توحيد الله ونفي الولد عنه.

أما قوله تعالى: ﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ ﴾ [الأنبياء: ١٧] فهو

يدل على استحالة اتخاذ الولد لاستحالة إرادته كما مر بيانه بتفصيل مع بيان خطأ ابن حزمٍ في فهم هذه الآية.

وقوله تعالى: ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ [الزمر: ٤] يفيد استحالة التبني في حقه سبحانه كاستحالة التوالد.

قال أبو حَيَّان: «﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ تشريفًا له وتبنِّيًا، إذ يستحيل أن يكون ذلك في حقه تعالى بالتوالد المعروف ﴿لَّٱصْطَفَىٰ﴾ أي: اختار من مخلوقاته ﴿مَا يَشَآءُ﴾ ولدًا على سبيل التبني، ولكنه تعالى لم يشأ ذلك لقوله: ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم: ٩٢] وهو عام في اتخاذ النسل، واتخاذ الاصطفاء. ويدل على أن الاتخاذ هو التبني والاصطفاء قوله: ﴿مِمَّا يَخْلُقُ﴾ أي: من التي أنشأها واخترعها».اهـ كلامه.

وقال أبوالسعود: «﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ﴾ أي: لاتخذ ﴿مِمَّا يَخْلُقُ﴾ أي من جملة ما يخلقه أو من جنس ما يخلقه ﴿مَا يَشَآءُ﴾ أن يتخذه إذ لا موجود سواه إلا وهو مخلوق له تعالى، لامتناع تعدد الواجب ووجوب استناد جميع ما عداه إليه، ومن البين أن اتخاذ الولد منوط بالمماثلة بين المتخِذ والمتخَذ، وأن المخلوق لا يماثل خالقه حتى يمكن اتخاذه ولدًا، فما فرضناه من اتخاذ ولد لم يكن اتخاذ ولد بل اصطفاء عبد، وإليه أشير حيث وضع الاصطفاء موضع الاتخاذ الذي تقتضيه الشرطية تنبيهًا على استحالة مقدمها، لاستلزام فرض وقوعه انتفاءه، أي لو أراد الله تعالى أن يتخذ ولدًا لفعل شيئًا ليس هو

من اتخاذ الولد في شئ أصلًا بل إنما هو اصطفاء عبد ولا ريب في أن ما يستلزم فرض وقوعه انتفاءه فهو ممتنع قطعا».اهـ

المقام الرابع:

من كفَّر ابن حزمٍ بنى تكفيره على أنه يلزم من قوله جواز اتخاذ الله ولدًا وجواز نسبة الكذب والظلم إليه تعالى، وهذا كفر صريح، لكن الراجح عند علماء الكلام أن لازم القول لا يعد قولًا؛ لأنه لم يقصده القائل ولا خطر على باله لاستيلاء الغفلة والنسيان على بني الإنسان.

فتكفير ابن حزمٍ خطأ كبير بل غلو وإسراف، ونحن لا نوافق على تكفير مسلم فضلًا عن عالمٍ كبير كابن حزمٍ له مواقف في خدمة الإسلام، وحرصه على اتباع السنة والعمل بها مشهور لا ينكر ، لكننا لا نوافقه على كثير من شواذه ومنها تكفيره لبعض علماء الكلام وحملته العنيفة على الأشعري والباقلاني وأمثالهما، والرفق خير من العنف، والإسراع بالتكفير أمر خطير ووزره كبير. نسأل الله أن يلهمنا الرشد ويرزقنا السداد ويوفقنا لما فيه رضاه.

ملحوظة: ردي لكلام ابن العربي في وقوع المحال واعتراضي عليه في ذلك لا يغير اعتقادي فيه أنه من كبار الأولياء والعلماء وأنه كان سليم العقيدة متبعًا للسنة النبوية، وأن رميه بالحلول والاتحاد كما زعم ابن تيمية وأشياعه ليس بصحيح، وأنه برئ من ذلك براءة الذئب من دم ابن يعقوب.

وكلامه في "الفتوحات" وغيرها صريح في تنزيه الباري عن مشابهة المخلوقات وعن اتحاده بهم أو حلوله فيهم وهو يقضي على الغامض من

عباراته فالذين رموه بالكفر مخطئون بل آثمون.

وابن تيمية الذي رماه بالكفر والزندقة هو نفسه يعتقد عقيدة كفرية، هي قدم العالم بالنوع، ويقول في جراءة غريبة: إن الله لو شاء لاستوىٰ علىٰ جناح بعوضة فاستقلت به بقدرته، فكيف، بعرش عظيم ؟!!

والحمد لله رب العالمين. تم صباح يوم الجمعة ١٣ من ذىٰ القعدة الحرام سنة ١٣٩٣.

٣- التَّنَصُّلُ والانفِصَال

مِنْ فَضِيحَةِ الإشْكَال

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله وكَفَىٰ، وسلامٌ علىٰ عباده الذين اصطفي.

أما بعد: فهذا جزءٌ سمَّيته "**التنصُّلُ والانفْصِالُ مِنْ فضيحةِ الإشْكالِ**" ورتَّبته علىٰ مسألتين:

المسألة الأولى

تقرَّر في علم المنطق أنَّ أنواع التقابل أربعةٌ:

١- تقابل الخلافين.

٢- تقابل الضِّدَّين.

٣- تقابل النقيضين.

٤- تقابل العَدَم والمَلَكَة.

فالأول: أن يكون بين شيئين تَغايرٌ في المفهوم، من غير تنافٍ بينهما كالسَّواد والحلاوة، هما مختلفان في المفهوم لكن لا تنافي بينهما، فيمكن اجتماعهما في طعامٍ مثلًا كالعنب الأسود.

والثاني: أن يكون بين شيئين تنافٍ في طرف الإثبات، فلا يجتمعان أبدًا، ويمكن ارتفاعهما كالسَّواد والبياض لا يجتمعان في أمرٍ أبدًا فلا يكون شئٌ أبيض وأسود في وقتٍ واحدٍ، ويمكن ارتفاعهما بأن يكون أخضر.

والثالث: أن يكون بين شيئين تنافٍ في طَرَفي الإثبات والنفي، بحيث لا يجتمعان ولا يرتفعان، كالبياض واللابياض، فالشيء إمَّا أن يكون أبيض أو لا أبيض، وكالليل والنهار، فالدنيا إمَّا ليلٌ، وإمَّا نهارٌ، أو ليلٌ في مكانٍ ونهارٌ في

مكانٍ آخر. ولا يجوز أن يكون في مكانٍ في الدنيا ليلٌ ونهارٌ في وقتٍ واحدٍ أبدًا.

والرابع: أن يكون بين الشيئين تنافٍ في الوجود بمعنى أنه إذا وُجِدَ أحدهما انعدم الآخر، كالعلم والجهل، والحياة والموت، والبصر والعمى، فالجهل عدم العلم عما من شأنه، والموت عدم الحياة عما من شأنه، والعمى عدم البصر عما من شأنه.

وتقرَّر في علم المنطق أيضًا: «أنَّ القاعدة العقلية لا يدخلها التخصيص» مثل قولنا: الضدَّان لا يجتمعان وقد يرتفعان، النقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [المائدة: ٧٣] وقوله سبحانه: ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ [غافر: ١٦] ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٨٢] فهذه القواعد أوالكُليَّات وأمثالها، لا مجال للتخصيص فيها؛ لأنَّ العقل قاطعٌ بصحَّتها ودوامها، وإنما يدخل التخصيص في النصوص والقواعد الفقهيَّة، التي تقبل النسخ والتخصيص.

هذه المسائل عرفناها منذ أكثر من أربعين سنةً، حين قرأنا متن "السُّلَّم بشرح المَلَّوي"، و"حاشية الصبَّان" عليه، و"السُّلَّم" في المنطق مثل "الآجرومية" في النحو، وإنما ذكرناها هنا لأنها تنبني عليها.

المسألة الثانية

ممَّا هو مُدرَكٌ بالضرورة أنَّ المشرق يتقدَّم على المغرب بساعتين من الزمان، في طلوع الفجر وشروق الشمس وزوالها وغروبها، وفي دخول أوقات الصَّلاة، وفي دخول الشهر العربي وانتهائه، ولهذا قال المالكية والحنفية: إذا

رُؤي هلال رمضان في المشرق فإنه يدخل في المغرب بعد مرور ساعتين، هي مدَّة الفرق بينهما، وهذا حكمٌ مبنيٌّ على الواقع الملموس، لكنَّ شخصًا شديد الجدل كثير الخصام نقض ذلك الحكم بإشكالٍ يجب أن يُسمَّى: "فضيحة الفضائح وقبيحة القبائح" حيث زعم أنه بمجرَّد رؤية هلال رمضان في المشرق يدخل رمضان في المغرب بلا توانٍ. فسوَّى بينهما في الزمان، وأسقط مدَّة الفرق التي تبلغ ساعتين ليُفسد قول المالكية والحنفية والجمهور بوجوب صيام المغرب برؤية المشرق.

والحامل له على إفساد هذا القول أنَّ الداعي إلى نصره، والكاتب في تأييده عالمٌ يكرهه صاحب الإشكال ويعتبره خصيمه، ولو أنَّ ذلك العالم كتب يؤيِّد القول الآخر لكان صاحب الإشكال أول الداعين إلي وجوب الصيام على المغرب برؤية المشرق؛ لأنه لا يؤيِّد رأيًا ولا ينصر قولًا اتباعًا للدليل ولا تمسُّكًا بالانصاف ولا طلبًا للحقِّ، لكنه ينظر إلى صاحب الرأي أو قائل القول، فإن كان صديقًا له نصر قوله وأيَّد رأيه، وتغاضى عمَّا فيه من خطأ وخَطَلٍ، وإن كان خصيمًا له حاول هدم رأيه بكلِّ ما يملك مِن قوةٍ، ولو قال محالًا ونطق ضلالًا، كما في مسألتنا هذه.

فإنه يدرك بالضرورة العقلية أنَّ المغرب متأخِّرٌ عن المشرق بساعتين، وأنَّ دخول الشهر في المشرق يتقدَّم دخوله في المغرب بتينك الساعتين، فإذا اعتبرنا أنَّ رمضان يدخل في المغرب بمجرَّد رؤية هلاله في المشرق، لزم على هذا أن يصير المغرب المتأخِّر عن المشرق في الزمان مساويًا له فيه، وأن يكون المشرق المتقدِّم على المغرب بساعتين من الزمان مساويًا له فيه، والتقدُّم أو التأخُّر

نقيض المساواة.

فأيُّ عقلٍ يحكم بأن يكون المغرب في حال كونه متأخِّرًا عن المشرق في الزمان الذي منه دخول رمضان مساويًا له فيه أيضا؟! هذا أمحل المحال وأبطل الباطل!! وهو مع ذلك يُجاحش ويقاوم إصرارًا على العِناد، هداه الله.

فوائد

الأولى: اشتراك بلدين في الليل سببٌ في عمل أحدهما برؤية الآخر؛ لأنَّ الليل وقتٌ لرؤية الهلال وظرفٌ لنية الصوم، ولا يضرُّ التفاوت بينهما في الوقت بنصف ساعة أو أكثر؛ لأنَّ ذلك مبنيٌّ على اختلاف أطوال البلدين، لا على اختلاف مطالعهما، ومَن ظنَّ أنَّ مطلعهما مختلفٌ فقد أخطأ خطأً فاحشًا[1].

الثانية: لو مات رجلٌ بالمغرب وقت رؤية الهلال بالمشرق، فإنه يقال: مات آخر يوم من شعبان، وإن شئت الدقة في التاريخ قلت: مات قبل غروب آخر يوم من شعبان بساعتين. ذلك أنَّ الشهر يتأخَّر دخوله في المغرب عن المشرق بتينك الساعتين، ونحن نسأله بدورنا عن شخصين يتوارثان: أحدهما بالمشرق، والآخر بالمغرب، ماتا ساعة رؤية الهلال بالمشرق أيهما يرث الآخر؟ على رأي صاحب الإشكال الذي جمع بين المتناقضين.

الثالثة: قد بينَّا استحالة ذلك الإشكال وعدم إمكانه لكن لا يكفي ذلك مع صاحبه العنيد الذي يُنكِر البديهيَّات العقليَّة، وإنما ينفع معه أن نُجيبه على قدر

---

(١) لأنَّ اختلاف المَطْلَع لا يكون إلَّا إذا اختلف البَلَدان في الليل، بحيث لم يجتمعا فيه أصلًا.

عقله الذي لا يزال في دور الطفولة العِلْميَّة، فلنفرض وقوع المحال وهو دخول رمضان بالمغرب وقت رؤية هلاله بالمشرق فلا يجب على أهل المغرب صيامٌ في تلك الساعة لأمرين:

١ - أنَّ رؤية الهلال بالنهار تعتبر لليوم التالي هذا هو المقرَّر في كتب الفقه، قال الشيخ خليل في "المختصر": «ورؤيته بساعتين». وفي "حاشية الصفتي" بيان هذا الحكم بإيضاحٍ.

٢ - أنَّ الساعة الثالثة بعد الظهر ليست وقتًا للصوم ولا لنيَّته بإجماع العلماء، ونظير هذا في الحكم أنَّ رؤية الهلال بعد الغروب لا توجب الصوم في تلك الساعة؛ لأنَّ الليل ليس وقتًا للصيام، فكما لم يجب الصيام على أهل المشرق ساعة رؤية الهلال كذلك لا يجب الصيام على أهل المغرب في الساعة الثالثة بعد الظهر، لسببٍ واحدٍ، وعلَّةٍ واحدةٍ وهي: أنَّ الوقت في الحالين ليس وقت صيامٍ شرعًا، وهذا قياسٌ جَلَـيٌّ لا مَناص لصاحب الإشكال منه.

ونؤيِّده بسؤالٍ نوجِّهه إليه: لو أنَّ شخصًا نذر أن يصوم نصف يومٍ من الظهر إلى المغرب، فهل يجوز له أن يصوم كذلك؟ بالضرورة لا يجوز؛ وما ذلك إلَّا لأنَّ بعض اليوم لا يصحُّ صيامه شرعًا، كما لا يصحُّ صيام الليل.

الرابعة: بين طنجة والرباط عشر دقائق فرق الوقت، وبينها وبين أكادير ثلث ساعة، وبينها وبين طرفاية نصف ساعة. وصاحب الإشكال الباطل المحال يصوم برؤية هذه البلاد، مع أنَّ الفرق بين البلدين بعشر دقائق، مثل الفرق بنصف ساعة وبساعة وأكثر لأنَّ سببه اختلاف أطوال البلدين كما قلنا، وهذا تناقضٌ منه واضحٌ، ثُمَّ إنه مع صيامه برؤية هذه البلاد لا يفطر بغروبها

بل يفطر بغروب طنجة، على حين أنه يلزم الذين يصومون برؤية المشرق أن يفطروا بغروبه الذي يوافق الساعة الرابعة بعد العصر في طنجة، وهذا تناقضٌ آخر، يؤكِّد ما قلناه أنَّ الرجل لا يريد الحقَّ والإنصاف، بل يريد العِناد والخِلاف، هداه الله.

خاتمة

إنَّ ذلك الإشكال الباطل المُحال الذي أبداه صاحبه معاندةً للحقِّ ومؤازرةً للباطل أفاد فائدةً يَحْسُنُ السُّكوتُ عليها، كما قال علماء النحو في تعريف الكلام، وهي: أنَّ الضِّدَّين أو النَّقيضَين قد يجتمعان خلافًا لما أطبق عليه العُقلاء جميعًا؛ لأنَّ المغرب مع تأخُّره عن المشرق بساعتين من الزمان ساواه في دخول شهر رمضان، فصار المغرب متأخِّرًا عن المشرق في الزمان ومساويًا له فيه، وهذا هو اجتماع الضِّدَّين الذي أفاده ذلك الإشكال.

وتنبني عليه فائدةٌ أخري وهي: أنَّ القاعدة العقليَّة قد يدخلها التخصيص فيصح على هذا أن يقال: الضِّدَّان أو النقيضان لا يجتمعان إلَّا في دخول شهر رمضان. ناهيك بإشكالٍ يُثمر فائدتين تُنابِذان ما أجمع عليه العقلاء، وتجعلان المُحال العقليَّ داخلًا في حيِّز الإمكان. بارك الله في صاحب الإشكال، وبارك في عقله حتى يأتي بالمعجب المطرب من مخالفات العقلاء، وهدم ما تعارف عليه العلماء من قديم الزمان، فهو جديرٌ بذلك وبما هو أشنع منه.

أبطلتُ إشْكَال الهِلال بحُجَّةٍ ... وحَلَلتُ عُقْدَتَهُ بحُسْنِ بَيانِ
وفَسَادُه لولا اللَّجاجَةُ واضِحٌ ... بادٍ بُدُوَّ الشَّمْسِ للعَيْنَانِ
وجَميعُ ما يُبْنَي عليه مُهلْهَلٌ ... مُتخَلْخِلٌ مُتساقِطُ الأَرْكانِ
فاعْجَبْ لمَنْ يزهو به مُتفاخِرًا ... مُتبجِّحًا كبلاهَةِ الصِّبيانِ

نسأل الله أن يرزقنا الإنصاف، ويُجنِّبنا حبَّ العِناد والخِلاف، إنه وليُّ التوفيق والهادي لأقوم طريق.

كتب يوم الخميس ٢٣من شعبان ١٣٩١هـ.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

النحو

١ - تشييد المباني لتوضيح ما حَوَتْهُ المقدِّمةُ الآجرُّوميَّة من الحقائق والمعاني

أقسام الكلام..... ٩
فائدة: قال السُّيوطيُّ في "الأشباه والنظائر": «ما خرج من الفم إن لم يشتمل على حرفٍ فصوتٌ، وإن اشتمل على حرفٍ ولم يُفِدْ معنىً فلَفْظٌ، وإن أفادَ معنىً فقَوْلٌ، فإن كان مفردًا فكلمةٌ، أو مركَّبًا من اثنين ولم يُفِدْ نسبةً مقصودةً لذاتها فجملةٌ، أو أفادَ ذلك فكلامٌ، أو من ثلاثٍ فكَلِمٌ..... ١٣
تنبيه: مواضع حذف التنوين..... ١٧
تتميم: في نيابة «أل» عن ضميرِ المضافِ إليه..... ٢٠
مُهِمَّة: من الغريب أن «أل» تأتي للاستفهام..... ٢٠
تنبيه: الخفضُ عبارةُ الكوفيين..... ٢١
تنبيهان: (الأوَّلُ): مجموعُ ما ذُكِرَ من أقسامِ الواوِ عشرةٌ ٣٣
(الثاني): تُحرَّك التَّاءُ في أوائلِ الأسماءِ وأواخرِها، وتُحرَّك في أواخرِ الأفعال وتُسكَّنُ في أواخرِها..... ٣٦
(فائدة): ذكر ثلاثون علامةً أخرىٰ من علاماتِ الاسمِ..... ٣٦
تتميم: ذكر عشرُ علاماتٍ بقيت من علاماتِ الفعلِ..... ٣٨
خاتمة: أقسامُ الكلامِ كلِّه دائرٌ بين خبرٍ وإنشاءٍ، ولا ثالثَ لهما..... ٣٩
باب الإعراب..... ٤١

«الإِعْرَابُ» الكلامُ عليه في مقاصد: ٤١
(المقصدُ الأوَّلُ): معناه لغةً ٤١
(المقصدُ الثاني): معناه اصطلاحًا ٤١
(المقصدُ الثَّالثُ): وجهُ نقلِه من اللُّغةِ إلى اصطلاحِ النحويين ٤٣
(المقصدُ الرَّابعُ): لأيِّ شيءٍ دخل الإعرابُ في الكلامِ؟ ٤٣
(المقصدُ الخامسُ): في أنَّ الإعرابَ والكلامَ أيُّهما أسبقُ؟ ٤٤
تنبيهٌ: كما أنَّ أقسامَ الإعرابِ أربعةٌ، فكذلك أقسامُ البناءِ وهي: الضمُّ والفتحُ والكسرُ والسُّكونُ ٤٦
فائدة: ما ذُكِرَ من أقسامِ الإعرابِ أصولٌ، وما عداها فروعٌ نائبةٌ ٤٦
تنبيه: ما ذكره المصنِّف من العلاماتِ على قسمين: علاماتُ أصول، وعلاماتُ فروعٍ ٤٩
مُهِمَّة: استشكال إطلاقُ الضَّمِّ وما عُطِفَ عليه على الإعرابِ. والجوابُ عليه ٥٠
تتميم: في معنى: «الهِجَانُ» ٥٢
فائدة: جمعُ التَّكسيرِ يُفارقُ جمعَ السَّلامةِ في أربعةِ أشياء ٥٢
تكميل: ينقسمُ الجمعُ على ثلاثةِ أقسامٍ ٥٢
تنبيه: حُمِلَ على جَمْعِ المُؤَنَّثِ السَّالِمِ شيئان ٥٣
تتميم: أصل ﴿أُوْلَٰتِ﴾ أُلِي بضمِّ الهمزةِ وفتحِ اللامِ، قُلِبَتْ الياءُ ألِفًا، ثمَّ حُذِفَتْ لاجتماعها مع الألفِ والتَّاءِ المزيدتَينِ ٥٣

تنبيهٌ: المركَّبُ الإضافيُّ يُجمعُ أوَّلُ المتضايفَينِ فيه ويُضافُ للثاني ٥٦
تكميلٌ: قال ابن هشامٍ: حملوا على هذا الجمعِ أربعةَ أنواعٍ:..... ٥٦
تتميمٌ: يجوزُ فيما سُمِّيَ به من هذا الجمعِ أربعةُ أوجهٍ..... ٥٦
تنبيهٌ: النقصُ في الهَنُ أفصحُ من إعرابِه بالحروفِ..... ٥٨
تتميم: يجوز النقصُ بضعفٍ في الأب والأخ والحم..... ٥٩
تكميل: الأسماءُ السِّتَّة على ثلاثةِ أقسامٍ..... ٥٩
فائدة: في الحم ثلاث لغات..... ٥٩
خاتمة: اختلفوا في إعرابِ الأسماءِ السِّتَّة على مذاهبَ ٥٩
فائدة: قد يغلِّبون على الشَّيءِ ما لغيرِه لتناسبٍ بينهما أو اختلاطٍ ٦٢
تنبيه: يُشترطُ في كلِّ ما يُثنَّى عند الأكثرين ثمانيةُ شروطٍ..... ٦٢
مُهِمَّة: من العربِ من يُعرِبُ المثنَّى بالألفِ رفعًا، وبالياء جرًّا ونصبًا وهي اللغةُ المشهورةُ..... ٦٣
تتميم: حملوا على المثنَّى في الإعرابِ بالحروفِ أربعةَ ألفاظٍ: اثنين واثنتين في لغةِ الحجازِ، وثنتين في لغةِ تميمٍ..... ٦٤
تنبيه: هذه التَّفرقةُ في كِلَا وكِلْتَا هي اللغةُ المشهورةُ، ووراءها إطلاقان..... ٦٤
تنبيه: فيما سُمِّيَ به من المثنَّى إعرابان ٦٤
فائدة: إنَّما فُتِحَ ما قبلَ ياءِ المثنَّى وكُسِرَ ما قبلَ ياءِ الجمعِ لوجهين ٦٤
خاتمة: مما يَرُدُّ الأشياءَ على أصولها التَّثنيةُ ٦٥
تنبيه: قال السُّودانيُّ: «لو قالَ المصنِّفُ: إذا اتَّصلَ به ألفُ تثنيةٍ أو واوُ جمعٍ لكان

أحسن ليشمل ما إذا كانا ضميرَينِ كما تقدَّم، أو حرفَينِ نحو: يقومان الزَّيدان، ويقومون الزَّيدون».اهـ..... ٦٥
مُهِمَّة: ما قاله المصنِّف من أنَّ ياءَ المؤنَّثةِ ضميرٌ، هو المشهورُ عند الجمهورِ . ٦٦
تتمَّة: إذا اتَّصلَ بهذه النُّونِ نونُ الوِقايةِ قال ابنُ مالكٍ: يجوزُ حذفُها تخفيفًا، وإدغامُها في نونِ الوِقايةِ والفَكُّ..... ٦٦
تنبيه: قال أبو حَيَّان: «إنَّما حُرِّكِتْ هذه النونُ لالتقاءِ السَّاكنَينِ، وكانت بعد الواوِ والياءِ مفتوحةً تشبيهًا بنونِ الجمعِ، وكُسِرَتْ مع الألفِ تشبيهًا بنونِ التَّثنيةِ».اهـ..... ٦٦
فائدة: وردَ حذفُ النُّونِ في الرَّفعِ في النَّثرِ والنَّظمِ..... ٦٧
خاتمة: النُّونُ تُشابهُ حروفَ المدِّ واللِّين من وجوهٍ..... ٦٧
تذنيب: ما قاله المصنِّف من أنَّ جمعَ المؤنَّثِ يُنصبُ بالكسرةِ هو الغالب ... ٧٠
مسألة: المطَّرد من جمعِ المؤنَّثِ السَّالمِ..... ٧٠
خاتمة: كلُّ ما فيه التَّاءُ يُجمعُ هذا الجمع إلَّا ثلاثةَ ألفاظٍ: شَفَة، وأَمَة، وشَاة؛ لأنَّهم استغنَوا عن ذلك بجمعها جمعَ تكسيرٍ ٧٠
فائدة: نونُ المثنَّى مكسورةٌ، ونونُ الجمعِ مفتوحةٌ..... ٧١
تنبيهٌ: لو عبَّر المصنِّف بالأمثلة لكان أَوْلَى؛ لأنَّها ليست أفعالًا بأعيانها، وإنَّما هي أمثلةٌ يُكنَى بها عن كلِّ فعلٍ كانَ بمنزلتِها..... ٧١
تنبيهٌ: «ثَبَات» مصدرٌ سماعيٌّ لثبتَ، والمصدرُ القياسيُّ لها ثُبوت كقُعود ٧١
فائدة: تَثبتُ النُّونُ في حالةِ النَّصبِ..... ٧١

تنبيهٌ: لم يُقيد المصنِّف جمعَ المؤنَّثِ بالمنصرفِ؛ لأنَّه لا يكون إلَّا منصرفًا، نَعَم إن سُمِّيَ به كان ممنوعًا من الصرفِ على لغةٍ، لكنَّه تَكلَّم فيه على حِدَة ٧٢
فائدة: يُبنَى الاسمُ إذا شابهَ الحرفَ شَبَهًا قويًّا يُدنِيهِ منه ٧٢
مُهِمَّة: البناءُ يكون في ستِّ أبوابٍ من الأسماءِ..... ٧٢
مسألة: يكفي في بناءِ الاسمِ شَبَهُهُ بالحرفِ من وجهٍ واحدٍ اتفاقًا، ولا يكفي في منعِ الصَّرفِ مشابهتُه للفعلِ من وجهٍ واحدٍ اتفاقًا، بل لا بدَّ من مشابهتِه له من وجهَينِ..... ٧٣
مسألة: إن قيل لِمَ لَمَّا شَابَهَ الفعلُ الاسمَ أعطيتموه بعضَ الإعرابِ؟ ولَمَّا أشبَهَ الاسمُ الحرفَ أعطيتموه كلَّ البناءِ؟ والجوابُ عليه..... ٧٣
تنبيهٌ: والعلَّتان اللتان قامت مقامَهما ألفُ التأنيثِ هما: التأنيثُ ولزومُه ٧٤
فائدة: الاختلاف في «سراويل»؛ ما المانعُ له من الصَّرفِ؟ والاختلاف في سماعِ «سِرْوالة»..... ٧٥
تتمة: قال ابن هشامٍ: «إن سُمِّيَ بهذا الجمعِ أو بما وازنه من لفظٍ أعجميٍّ، مثل: «سَرَاوِيلَ» و«شَرَاحِيلَ»، أو لفظٍ مُرتَجلٍ للعلميَّةِ مثل: «كُشَاجِمَ» مُنعَ الصرفَ».اهـ..... ٧٥
تنبيهٌ: نحو مَصَّان وسَيْفَان وأَلْيَان ونَدْمَان، مما مؤنَّثه «فَعْلَانة» منصرفٌ لعدم وجود الشَّرطِ فيه. وأمَّا ذو الوزن، فهو أَفْعَلُ غالبًا بشرط ألَّا يقبل التاء؛ إمَّا لأنَّ مؤنَّثه فَعْلاءَ كأحمرَ، أو فُعْلَى كأفضلَ، أو كأنَّه لا مؤنَّث له كأكمَرَ وآدَرَ. ٧٦
تنبيهٌ: لماذا صُرِفَ «أَرْبَعُ»، ومنع صرف باب «أَبطَح» و«أَدهَم» للقيد، و«أسود»

و«أرقم» مع أنَّها أسماء..... ٧٦
تنبيهٌ: لا تُستعملُ هذه الألفاظُ إلَّا نُعُوتًا..... ٧٧
تنبيهٌ: إن كان أُخَرُ جمعًا لأُخْرَىٰ بمعنىٰ آخِرَة بكسر الخاء وهي المقابلةُ للأولىٰ كان مصروفًا؛ لأنَّه غيرُ مَعْدُولٍ..... ٧٧
فائدة: ما سُمِّيَ به من الأنواعِ الثَّلاثةِ: وهي الوصفُ ذو الزِّيادتين، والموازنُ للفعل، والمعدولُ، فالجمهورُ علىٰ ما كان قبل التَّسميةِ..... ٧٧
تنبيه: ما كان من الأسماءِ في آخِرِهِ ألفٌ ونونٌ واحتملت النُّون فيه الأصالةَ والزِّيادةَ ففيه وجهان: الصَّرفُ وعدمُه اعتبارًا بأصالتها وزيادتها..... ٧٨
مسألة: اختلف في صرف «أبَان» بتخفيف الباء عَلَمًا..... ٧٨
(تتمة): في ضبط وتفسير: «غَطَفان»، و«إصبهان»، و«الرَّمُّ»، و«الحِسُّ»، و«الدَّهْقُ»، و«الشَّيْطُ»، و«الرَّمنُ»، و«الحُسْنُ»، و«الدِهْقَان»، و«الشَّيْطَنة». ٧٩
تنبيهٌ: يجوز في نحو: «هند، ودَعْد» الصَّرفُ وعدمُه..... ٧٩
تتمة: قال المبرِّدُ وأبو زيدٍ والجَرْمَيُّ وعيسىٰ الثَّقَفيُّ في نحو: «زيد» اسم امرأة: إنَّه كـ«هند» في جواز الوجهين، وذكر سيبويه أنَّ عَلَمَ المؤنَّثِ إذا كان ثُنائيَّ اللَّفظِ، كـ«يَدٍ» يجوز فيه الوجهان..... ٧٩
تكميل: قال الأزهريُّ: «إذا سُمِّيَ مذكَّرٌ بمؤنَّثٍ وجب منعُ صرفِه بأربعةِ شروطٍ..... ٧٩
فائدة: المراد بالعَجَميِّ ما نُقِلَ عن لسانِ غيرِ العربِ بأيِّ لغةٍ كانت..... ٨٠
تتمة: تُعرف عجمةُ الاسْمِ بوجوهٍ..... ٨٠

فائدة: في إبراهيم لغاتٌ سِتٌّ ٨١
تنبيهٌ: إذا سُمِّيَ بنحو: «لِجَامٍ، وفِرِنْدٍ» صُرِفَ لحُدُوثِ عَلَمِيَّته، ونحو: نُوحٍ ولُوطٍ وشَتِرٍ مصروفةٌ ٨١
فائدة: «لِجام» بكسرِ اللامِ آلةٌ للفَرَسِ تُجعلُ في فِمِه، و«فِرِنْد» بكسر الفاءِ والرَّاءِ جوهرُ السَّيفِ..... ٨١
فائدة: في تفسير وضبط «الإِثْمِد»، و«إِصْبَع»، و«أُبْلُم»..... ٨١
تنبيهٌ: في «إِصْبَع» عشرُ لغاتٍ ٨٢
مسألة: حكمُ همزةِ الوصلِ في الفعلِ المسمَّىٰ به: القطعُ ٨٢
(فائدة): تفسير وضبط «أَفْكَل»، و«أَكْلُب»..... ٨٢
تنبيهٌ: المانعُ لـ«عَلْقَىٰ» و«أَرْطَىٰ» من الصَّرفِ..... ٨٢
فائدة: قيل: إنَّ «أَرْطَىٰ» وزنه أَفْعَل، فمانعه من الصَّرفِ العلميَّةِ ووزنِ الفعلِ..... ٨٢
تتمة: إنَّما لم تمنع الصَّرفَ ألفُ الإلحاقِ الممدودةِ كـ«علباء»، لتخلُّفِ شبهِها بألفِ التَّأنيثِ الممدودةِ؛ لأنَّ همزةَ الإلحاقِ من جهةِ أنَّ همزتَه مُنْقَلِبةٌ عن ألفٍ لا عن ياءٍ فافترقا في الحكمِ لأجل افتراقِهما في التقديرِ ٨٣
فائدة: في تفسير «العَلْقَىٰ»، و«الأَرْطَىٰ»، و«العِلْبَاءُ» ٨٣
فائدة: قال السُّهَيْلِيُّ والشَّلَوْبِين في «سَحَر»: إنَّه مُعرَبٌ مصروفٌ، واختلفا في منعِ تنوينِه، فقال السُّهَيْلِيُّ: هو علىٰ نيَّةِ الإضافةِ، وقال الشَّلَوْبِين: علىٰ نيَّةِ «أل»..... ٨٤

تنبيهٌ: ذهب ناصرُ بن أبي المكارمِ المُطَرِّزيِّ إلى خلافِ هذا كلِّه، فقال: إنَّه مبنيٌّ على الفتحِ لتضمُّنِه معنى اللَّامِ كأمسِ..... ٨٤
تتميم: الفرقُ بين التَّضمينُ والعدلُ..... ٨٤
مُهِمَّة: إن أُرِيدَ بـ«سَحَرَ» سَحَرٌ ما، فإنَّه ينصرفُ اتفاقًا، وإن أُريدَ به «سَحَرٌ» معيَّنٌ واستُعملَ غيرَ ظرفٍ فيجبُ تعريفه بـ«أل» والإضافة، وإن كان بـ«أل» أو الإضافة فيصرفُ اتفاقًا..... ٨٥
تنبيهٌ: المحفوظُ من المعدول على وزن «فُعَل»: عُمَر، ومُضَر، وزُفَر، وقُثَم، وزُحَل، وجُشَم، وجُمَع، وقُزَح، وعُصَم، وحُجَى، ودُلَف، وهُذَل، وبُلَغ، وبُعَل..... ٨٥
مسألة: العدلُ في هذه الأعلام مقدَّر..... ٨٥
تتمة: فائدةُ العدلِ في الأعلام تخفيفُ اللَّفظِ وتحقيقُ العلميَّةِ ونفيُ الوصفيَّةِ..... ٨٥
مُهِمَّة: ما ورد من باب فُعَل جمعًا كـ«غُرَق، وقُرَب»، أو اسمَ جنسٍ كـ«صُرَد، ونُغَر»، أو صفةً كـ«حُطَم، ولُبَد»، أو مصدرًا كـ«هُدًى، وتُقًى» فمصروفٌ اتفاقًا، وما ورد مصروفًا كـ«أُدَدٍ» فلا كلام فيه..... ٨٥
تكملة: اختلفوا في ما لم يُسمع فيه صرفٌ ولا عدمُه من هذا البابِ..... ٨٦
تتميم: إن ختم فَعَالِ عَلَمًا لمؤنثٍ بالرَّاءِ كـ«سَفَارِ» اسمًا لماء، وكـ«وَبَارِ» اسمًا لقبيلةٍ، بَنَوهُ على الكسرِ إلَّا قليلًا منهم، وأهلُ الحجازِ يَبْنُونَ البابَ كلَّه على الكسرِ تشبيهًا له «بنَزَالِ»..... ٨٦

تكميل: إذا سُمِّيَ بباب «حَذَامِ» مذكَّر، زال مُوجبُ البناءِ وهو التشبيه بنَزَال؛ لأنَّه ليس الآن مؤنثًا، فيعرب غير منصرفٍ، ومن العرب من يصرفه ٨٦
تتمة: إن أردت بـ«أَمْسِ» يومًا من الأيامِ الماضيةِ مُبهمًا، أو عرَّفته بالإضافةِ، أو بالأداةِ، فهو منصرفٌ إجماعًا، وإن استَعْمَلتَ المجرَّد من «أل» والإضافة المراد به مُعيَّن ظرفًا فهو مبنيٌّ إجماعًا لتضمنه معنىٰ الحرفِ..... ٨٧
مُهِمَّة: يَعْرِضُ الصَّرفُ لغيرِ المنصرفِ لأحدِ أربعةِ أسبابٍ ٨٧
فائدة: ممَّا ينصرفُ مُكبَّرًا ولا ينصرفُ مُصغَّرًا، نحو: «تِحْلِئ»، عَلَمًا لاستكمال العلَّتين بالتَّصغيرِ وهما العلميَّةُ والوزنُ، فإنَّه يُقال في تصغيرِه «تُحَيْلِئ» علىٰ وزنِ «تُدَحْرِج» مضارع «دَحْرَجَ»..... ٨٨
فائدة أخري: في ضبط وتفسير «تِحْلِئ»..... ٨٨
فائدة: اصطلاح الكوفيين في المنصرفِ وغيره المجرىٰ وغير المجرىٰ..... ٨٨
تنبيهٌ: مجموعُ العِلَلِ المانعةِ من الصَّرفِ تسعةٌ، وزاد بعضُهم علَّةً عاشرةً.... ٨٨
مسألة: إذا أُضيفَ ما لا ينصرفُ أو قُرِنَ بـ«أل» كان غير منصرفٍ اتفاقًا... ٨٨
خاتمة: قيل: إنَّ بين المنصرفِ وغيرِ المنصرفِ واسطةٌ لا توصفُ بصرفٍ ولا بعدمِه..... ٨٨
مُهِمَّة: في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِي وَيَصْبِرْ﴾..... ٩٠
خاتمة: قال الأزهريُّ: «القولُ بأنَّ علامةَ الجزمِ في هذه الأفعالِ حذفُ حرف العلَّة، إنَّما يتمشَّىٰ علىٰ قول ابن السَّرَّاجِ ومن تابعه..... ٩١
تنبيهٌ: «النَّصبُ في الأفعالِ محمولٌ علىٰ الجزمِ، كما أنَّ النَّصبَ محمولٌ علىٰ الجرِّ

في المثنَّى والجمع على حِدَه ٩١
خاتمة: في قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ﴾ ٩٢
فصل: المُعرَبات ٩٢
تنبيهٌ: يُحتملُ أن يكون قوله: «قِسْمٌ يُعْرَبُ» بدلًا مُفصَّلًا من مُجمَلٍ، وأن يكون بدلَ بعضٍ من كلٍّ ٩٣
نكتة: قول المصنِّف هنا: «قِسْمٌ يُعْرَبُ بِالحَرَكَاتِ»، وكلُّها ترفعُ بالضمَّة إلخ... مُنافٍ لقوله سابقًا: «تَغْيِيرُ أَوَاخِرِ الكَلِمِ» إلخ، فتأمَّل ٩٣
فائدة: قال الأزهريُّ: «حاصلُ علاماتِ الإعرابِ عشرةُ أشياءٍ ٩٥
باب الأفعال ٩٦
فائدة: أصلُ «ماضٍ»: ماضي بالياء، استُثقلت الضمَّة على الياء فحُذفت، ثمَّ التقى ساكنان الياءُ والتَّنوينُ فحُذفت الياء فصارت ماضٍ ٩٨
تنبيهٌ: ما قاله المصنِّف من أنَّ الأفعال ثلاثةٌ، هو مذهب جمهور البصريين .. ٩٨
نكتة: قوله: «وَالأَمْرُ مَجْزُومٌ» مُنافٍ لما قاله آنفًا من أنَّ الأفعالَ ثلاثةٌ ١٠٠
فصل: حصر لنُونَيِّ التَّوكيدِ ونونِ النِّسوةِ إذا دخلن على المضارعِ ١٠١
تنبيهٌ: الأصلُ في آخِرِ الفعلِ المؤكَّدِ فتحَه ١٠٣
التنبيه الثَّاني: أنَّ الأصلَّ في الضمير ذي اللِّين وجوبُ حذفِه إن كان واوًا أو ياءًا ١٠٤
تذنيب: حكم المضارع مع النُّونَينِ البناءُ إذا اتصلا به ١٠٥
فائدة: قال الزَّجَّاجيُّ في "الجُمَل": « كلُّ موضعٍ دخلت النُّونُ الثَّقيلةُ فيه

دخلت النُّونُ الخفيفةُ إلَّا في الاثنين المذكَّرين والمؤنَّثين، وجماعةِ النِّساءِ فإنَّ الخفيفة لا تدخلها».....١٠٦
خاتمة: في نون التوكيد ونون النسوة.....١٠٦
تنبيهٌ: ذكر بعض الكوفيين وأبو عبيدة: أنَّ بعضهم يَجزِمُ بـ«أن»، ونقلَه اللِّحْيَانيُّ عن بعض بني صُبَاحٍ من ضَبَّةَ.....١٠٨
فائدة: أكثر العرب على وجوب إعمال «أن» النَّصب، وبعضهم يهملها حملًا على «ما» أختها المصدريَّة.....١٠٩
فائدة: قال عبداللطيف في "اللُّمَعِ الكَامِلِيَّةِ": «ليس في الحروفِ النَّاصبةِ للفعلِ ما يَنصِبُ مُضمَرًا إلَّا «أن» خاصَّة».....١٠٩
تنبيهٌ: تكون «أن» مُفسِّرةً وزائدةً ومُخفَّفةً من الثَّقيلةِ، فلا تَنصِبُ في هذه الأحوالِ كلِّها.....١٠٩
فائدة: إذا وَلِيَ «أن» الصَّالحة للتفسير مضارعٌ معه «لا» نحو: أشرْتُ إليه أن لا تفعل.....١١٠
فائدة: لا يتقدَّم معمولُ «أن» عليها عند جميع النُّحاةِ إلَّا الفرَّاء.....١١١
تنبيهٌ: ذكروا لـ«أن» أربعةَ معانٍ أخرى.....١١١
مُهِمَّة: قال الأندلسيُّ في "شرح المفصَّل": «قال عليُّ بن عيسى: إنَّما عَمِلَت «أَنْ» في المضارع ولم تعمل «ما»؛ لأنَّ «أَنْ» نَقَلَتْه نقلين إلى معنى المصدرِ والاستقبالِ، و«ما» لم تنقلْه إلَّا نقلًا واحدًا إلى معنى المصدرِ فقط، وكلُّ ما كان أقوى على تغيير معنى الشَّيءِ كان أقوى على تغييرِ لفظِه.....١١٣

خاتمة: قال في "الأشباه" أيضًا: «أنْ» أصلُ النَّواصبِ للفعل وأُمُّ الباب بالاتفاق، كما نقله أبو حَيَّان في "شرح التسهيل"، ومن ثَمَّ اختُصَّت بأحكامٍ ١١٣
فائدة: يجوز تقديمُ معمولِ «لن» عليها عند جميع النُّحاةِ إلَّا الأخفش الصَّغير ١١٤
مسألة: ذهب بعضهم إلى أنَّ «لن» قد تَجزِمُ ١١٤
مُهِمَّة: قال الفرَّاءُ: أصل «لن»: «لا» أُبدل الألف نونًا فصارت «لن» ١١٥
«إِذَنْ» والكلامُ عليها في مسائلَ: ١١٥
المسألة الأولى: في نوعها ١١٥
المسألة الثَّانية: في معناها ١١٦
المسألة الثالثة: في لفظها عند الوقف عليها ١١٦
المسألة الرابعة: في عملها، وهو نصبُ المضارعِ، وتنصبه بثلاثةِ شروطٍ ... ١١٧
مسألة: قال جماعةٌ من النحويين: إذا وقعت «إذن» بعد الواو أو الفاء جاز فيها الوجهان ١١٧
تنبيهٌ: قال الأزهريُّ: «حكى سيبويه عن بعض العرب إلغاء «إذن» مع استيفاء الشُّروط، وهو القياس ١١٨
تذنيب: قال الأندلسيُّ في "شرح المفصَّل": «إذن» لها ثلاثةُ أحوالٍ ١١٨
تنبيهٌ: يجوز الأمران في نحو: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً﴾ ١٢٠
مُهِمَّة: تقسيم «كي» إلى مصدريَّة وتعليليَّة ١٢٠

تذنيب: قال أبو حَيَّان: أجاز ابنُ مالكٍ الفصل بين «كي» ومعمولها بمعموله، أو بجملةٍ شرطيَّةٍ، ولا يبطل عملها..... ١٢١
فائدة: قال في "الأشباه" أيضًا: «حكم «كي» عند الجمهور حكم «أن»، لا يجوز تقدُّم معمولُ معمولِها..... ١٢١
مسألة: تكون «كي» اسمًا مختصرًا من «كيف»..... ١٢٢
فائدة: إذا قيل: «جئتُ لتُكرمَني» بالنَّصبِ، فالنَّصبُ بـ«أن» مضمرة..... ١٢٢
مُهِمَّة: يدخل تحت قولنا: «اللام» لامُ العاقبة، و«لامُ» التَّوكيد وهي الزَّائدة..... ١٢٢
مسألة: «لام» كي يسمُّونها: «اللام» الجارَّة..... ١٢٣
تذنيب: إن قُرِنَ الفعلُ بـ«لا» النَّافية أو الزَّائدة المؤكدة وجب إظهار «أن» ١٢٣
مسألة: زعم بعضهم أنَّه يجوز إظهار «أن» بشرط حذف «اللام» ١٢٣
فائدة: تسميتهم هذه اللام بـ«لام الجحود» من تسمية العامِّ بالخاصِّ..... ١٢٤
مسألة: لـ«أن» بعد اللام ثلاث حالاتٍ..... ١٢٤
لرفع الفعل بعد حتىٰ ثلاثةُ شروطٍ..... ١٢٥
خاتمة: قال أبو محمد بن السَّيد: الأسبابُ المانعةُ من الرَّفعِ بعد «حتىٰ» ستةٌ؛ أربعةٌ متفقٌ عليها، واثنان مختلفٌ فيهما..... ١٢٦
مسألة: الفرقُ بين «حتىٰ» وبين «كي» حيث صحَّ فيها أنَّها جارَّةٌ ناصبةٌ بنفسها..... ١٢٧
تنبيهٌ: شرطُ النَّهي عدمُ النَّقض بـ«إلَّا»..... ١٢٨

مسألة: لم يُسمع نصبُ الفعل بعد الواو بعد واحدٍ من أربعة ١٣٠
فائدة: اشترطوا في الطَّلب أن يكون بالفعل ١٣٠
مسألة: إذا سقطت الفاءُ من المضارع الواقع بعد الطَّلبِ وقُصِدَ به معنى الجزاءِ جُزِمَ الفعلُ..... ١٣٠
فائدة: النَّفيُ لا يجزم الفعل في جوابه..... ١٣١
مُهِمَّة: تُضمرُ «أن» وجوبًا بعد «لام الجحود» وبعد «حتى» وبعد «الفاء» و«الواو»، وتُضمرُ جوازًا بعد «لام كي»، وبعد «الفاء، والواو، وأو، وثمَّ» إذا كان العطفُ بهنَّ على اسمٍ صريحٍ ليس في تأويل الفعل..... ١٣٢
فائدة: تَحَصَّلَ من هذا أنَّ لـ«الفاء، والواو، وأو» حالتين: حالةٌ يجب فيها إضمارُ «أن» بعدهنَّ، وحالةٌ يجوز..... ١٣٣
مسألة: لا ينتصب الفعل بـ«أن» مُضمرة في غير هذه المواضع العشرة إلَّا شذوذًا، وهي في ذلك على قسمين: تارةً يكون في الكلام مثلُها فيَحْسُنُ حذفُها، وتارةً لا يكون..... ١٣٣
تنبيهٌ: القولُ بالشذوذِ هو مذهبُ الجمهورِ، وذهب الكوفيون ومن وافقهم من البصريين إلى أنَّه يُقاس عليه ١٣٤
تنبيهٌ: «لمَّا» تُشاركُ «لمْ» في أمورٍ: في الحرفيَّة، والاختصاصِ بالمضارعِ، والنَّفْيِ، والجزمِ، والقَلْبِ للماضي، وتفارقُها في أربعةِ أمورٍ..... ١٣٥
تنبيهٌ: ما ذُكِر في أن (لمْ، و لمَّا)يقلبان المضارع إلى الماضي هو مذهب المبرِّد.. ١٣٦
مسألة: سُمِعَ رفعُ المضارعِ بعد «لمْ» ١٣٦

مسألة: قد يُفصَلُ بين «لَمْ» ومجزومِها بالظَّرْفِ في الضرورةِ ١٣٧
تنبيهٌ: تأتي «لَمَّا» لمعنيين آخرين..... ١٣٧
فائدة: من مشكل «لَمَّا»..... ١٣٨
فائـدة: قال السُّيوطـيُّ في "الأشبـاه": يجوزُ تسكينُ «لام الأمر» بعد «واوٍ وفاءٍ»..... ١٤١
مسألة: تجزم «لا» فعلي المتكلم مبنيين للمفعول بكثرة..... ١٤٢
تنبيهٌ: قال بعضهم: أصلُ «لا النَّاهية» «لامُ الأمر» زيدت عليها الألف فانفتحت..... ١٤٢
مُهِمَّة: قال أبو حَيَّان في "شرح التَّسهيل": لا تدخل على التي للنَّهي أداةُ الشَّرطِ..... ١٤٢
مسألة: اختلف في «لا» من قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾ على قولين..... ١٤٣
فائدة: «لا» النَّاهية تختصُّ بالدخول على المضارع وتقتضي استقباله..... ١٤٤
تنبيه: كل من الأدوات يقتضي فعلين، يسمَّى أولهما: شرطًا لتعليق الحكم عليه، وثانيهما: جوابًا؛ لأنَّه مرتَّبٌ على الشَّرط، كما ترتب الجواب على السؤال، وجزاء لـ«أنْ» مضمونه جزاء لمضمون الشَّرط..... ١٤٥
مسألة: لا يشترط في الشَّرط والجزاء أنْ يكونا من نوعٍ واحدٍ..... ١٤٥
فائدة: رفع الجواب المسبوق بماضٍ أو مضارعٍ منفي بـ«لم» قوي..... ١٤٦
مُهِمَّة: يُشترط في الشَّرط ستة أمور..... ١٤٦

مسألة: قال ابن هشامٍ: قد تقترن «إنْ» بـ«لا» النَّافية، فيظن من لا معرفة له إنَّها «إلَّا» الاستثنائيَّة ١٤٦
تذنيب: كلُّ جوابٍ يصح جعله شرطًا بأنْ كان ماضي اللفظ دون المعنى مجرَّدًا من «قد» وغيرها، أو مضارعًا مجرَّدًا أو منفيًّا بـ«لم» أو «لا»، فالأكثر خلوه من الفاء، ويجوز اقترانه بها، ويبقى الماضي على حاله ويرفع المضارع ١٤٧
تنبيهٌ: تأتي «ما» الاسميَّة لمعنيين آخرين..... ١٤٨
تنبيهٌ: إذا قيل: من يفعل هذا إلَّا زيد؟ فهي «من» الاستفهاميَّة أشربت معنى النَّفي ١٥٠
(فائدتان): الأولى: نحو: «من يكرمني أكرمه» يحتمل الأوجه الأربعة ١٥١
الثانية: زِيد في أقسام «مَنْ» قسمان آخران..... ١٥١
مسألة: «مهما» بسيطة على الأصح..... ١٥٣
فائدة: لا تجر «مهما» بحرف ولا إضافة..... ١٥٤
تنبيهٌ: اختلف في إهمال متى..... ١٥٦
مُهِمَّة: لم جزمت «متى» وشبهها ولم تجزم «الذي» إذا تضمنت معنى الشرط..... ١٥٦
تنبيه: أنكر قوم الجزم «بأيَّان» لقلته وكثرة ورودها استفهامًا ١٥٧
لا تكون كيف بدلا من إبل لأن دخول الجار على كيف شاذ ١٦٢
مُهِمَّة: زعم عيسى بن موهب وجماعة أن «كيف» تأتي عاطفة ١٦٢
مسألة: إذا قلت: «خرجت فإذا الأسد» صح كونها خبرًا على المكان عند المبرد،

لا على الزمان عند الزجاج..... ١٦٤
تنبيه: إنما دخلت «إذا الشرطية» على الاسم في نحو: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ لأنه فاعل بفعل محذوف على شريطة التفسير، لا مبتدأ..... ١٦٥
مُهِمَّة: قد تخرج «إذا» عن معنى الشرط فتتجرد للظرفية المحضة..... ١٦٥
فائدة: لا تعمل «إذا» الجزم إلا في ضرورة..... ١٦٥
تنبيهات: الأول: في خروج «إذا» عن الظرفية..... ١٦٦
الثاني: في خروجها عن الاستقبال..... ١٦٦
الثالث: في ناصب «إذا» مذهبان..... ١٦٧
فائدة: زعم أبو عبيدة أن إذا قد تزاد..... ١٦٨
تنبيه: أدوات الشرط على أربعة أنواع..... ١٦٨
مُهِمَّة: ذهب جمهور البصريين إلى أن أداة الشرط جازمة للفعلين معًا الشرط والجواب..... ١٧٠
تتمة: قال ابن الخباز: «الجازم أضعف من الجار وفرع عليه أن لا يضمر البتة»..... ١٧٠
فرع: قال ابن جني: «اتصال المجزوم بجازمه اشد من اتصال المجرور بجاره، وجواب الشرط أشد اتصالًا بالشرط من جواب القسم..... ١٧٠
فائدة: كيف عملت أن في شيئين؟..... ١٧١
مسألة: قال ابن هشامٍ: « بعض الجمل لا تصح أن تقع شرطًا..... ١٧١
مسألة: قال ابن هشامٍ: «كما تربط الفاء الجواب بشرطه، كذلك تربط شبه

الجواب بشبه الشرط ١٧١
فائدة: شرط الجواب الإفادة، فلا يكون بما لا يفيد كخبر المبتدأ ١٧١
مسألة: في جواز حذف الفاء من الجواب أقوال..... ١٧٢
تتمة: قال البصريون: لأداة الشرط الصدر فلا يسبقها معمول معمولها، ولا فعل الجواب عليها..... ١٧٢
فائدة: لا يجوز حذف أداة الشرط ولو «إن» في الأصح..... ١٧٤
مسألة: إن توالى شرطان فصاعدًا من غير عطف فالأصح أن الجواب للسابق، ويحذف جواب ما بعده لدلالة الأول وجوابه عليه ١٧٤
خاتمة: إذا انقضت جملتا الشرط والجواب ثم جئت بمضارع مقرون بالفاء أو الواو فلك جزمه بالعطف على الجواب، ورفعه على الاستئناف، ونصبه بأن مضمرة وجوبًا وهو قليل..... ١٧٤
(بابُ مرفوعاتِ الأسماءِ)..... ١٧٦
(بابُ الفاعلِ) ١٧٨
مقدمة: اختلفوا في أصل المرفوعات ١٧٨
فائدة: قال المصنف: الفاعل لغة: من أوجد الفعل، واصطلاحًا: اسم أو ما في تأويله، أسند إليه فعل أو ما في تأويله، مقدم أصلي المحل والصيغة..... ١٧٨
تنبيه: اختلف في رافع الفاعل على أقوال ١٧٩
تنبيه: للفاعل أحكام سبعة ١٧٩
فائدة: أجاز الكوفيون تقديم الفاعل على المسند..... ١٨٠

فائدة: حكى البصريون عن طئ وبعضهم عن أزد شنوءة نحو: «ضربوني قومك»، و«ضربتني نسوتك»، و«ضرباني أخواك»، ١٨١
فائدة: حكى سيبويه عن بعض العرب: «قال فلانة» ١٨١
مسألة: يجوز التذكير والتأنيث في مسألتين ١٨١
فائدة: إنما لم يجب التأنيث مع المؤنث المجازي لأمرين ١٨٢
مُهِمَّة: ينصب الفاعل شذوذًا إذا فهم المعنى ١٨٢
مسألة: أجاز الكسائي وهشام والسهيلي وابن النحاس حذف الفاعل تمسكًا بنحو: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾ ١٨٣
مسألة: اختلف في «نعم، وبئس» إذا أسند الفاعل ١٨٣
تنبيه: الفاعل كجزء من أجزاء الفعل؛ والدليل على ذلك أمور ١٨٥
مُهِمَّة: الأصل تقديم الفاعل وتأخير المفعول ١٨٥
تنبيه: يتقدم المفعول على الفعل والفاعل معًا جوازًا ووجوبا ١٨٧
تنبيهان: الأول: بقي من أقسام المتصل ياء المؤنثة المخاطبة ١٨٨
الثاني: ما ذكره المصنف من الضمائر على قسمين: بارز ومستتر ١٨٨
تنبيه: إذا كان الفاعل والمفعول ضميرين ولا حصر في إحداهما وجب تقديم الفاعل ١٨٩
تتمة: يتنزل منزلة الفعل ما هو في تأويله ١٨٩
تكملة: قال ابن النحاس: «المضمر والمظهر من جهة التقديم والتأخير على أربعة أقسام ١٨٩

تذنيب: قال أبو الحسن بن أبي الربيع: الإسناد والبناء والتفريع والشغل ألفاظ مترادفة لمعنىٰ واحد ١٩٠
بابُ المفعولِ الذي لم يُسمَّ فاعلُه ١٩١
فائدة: ترجم المصنف تبعًا لجمهور النحاة بالمفعول الذي لم يسم فاعله، وخالف ابن مالك فترجم بالنائب عن الفاعل ١٩١
تتمة: يحذف الفاعل لغرض من الأغراض ١٩١
تنبيه: في حالات الفعل إذا كان مما يتعدىٰ لأكثر من واحد ١٩٢
تنبيه: إذا كان الماضي مبدوءًا بتاء زائدة ضم ثانيه أيضًا ١٩٤
مُهِمَّة: إذا كان الماضي معتل العين وهو ثلاثي كـ«قال» من الواوي و«باع» من اليائي، أو علىٰ وزن افتعل وانفعل كـ«اختار» من اليائي و«انقاد» من الواوي، فقد سمع في فائه ثلاثة أوجه ١٩٤
مُهِمَّة: ذهب الجمهور إلىٰ أن الفعل المبني للمفعول مغير من فعل الفاعل فهو فرع عنه ١٩٦
تتمة: الأفعال ثلاثة أقسام: قسم لا يجوز بناؤه للمفعول باتفاق، وقسم فيه خلاف، وقسم لا خلاف في جواز بنائه للمفعول ١٩٦
تكملة: اختلف في إقامة غير المفعول به مع وجوده علىٰ قولين ١٩٧
فائدة: إذا اجتمعت هذه الثلاثة: المصدر والمجرور فأنت مخير في إقامة ما شئت ١٩٨
مسألة: إذا اقتضىٰ الفعل مفعولين أو ثلاثة وأقيم أحدها نصب الباقي بتعدي

الفعل المبني للمفعول إليه عند سيبويه والجمهور.....١٩٩
مسألة: قال ابن الخباز: حروف الجر يجوز بناء الفعل لها إلا ما استثنيته ...١٩٩
مسألة: لا يجوز إقامة التمييز.....١٩٩
مسألة: إذا بني الفعل اللازم للمفعول ففي النائب أقوال ١٩٩
مسألة: اختلف في نائب «كان» إذا بنيت للفعول ٢٠٠
تذنيب: مسألة تذكر في هذا الباب لامتحان النشأة بها ٢٠٠
تتمة: لا يكون الفاعل ونائبه جملة.....٢٠١
تنبيه: اختلفوا في رافع المبتدأ والخبر على أقوال.....٢٠٤
فائدة: اختلف في الابتداء على قول الجمهور.....٢٠٥
تنبيه: شرط الوصف الذي يكون مبتدأ أن يكون سابقًا، وشرط مرفوعه أن يكون منفصلًا سواء كان ظاهرًا أم ضميرًا ٢٠٥
فائدة: المبتدأ قسمان: قسم له خبر، وقسم له فاعل أو نائب عنه يغني عن الخبر وهو الوصف.....٢٠٦
فائدة أخرى: المبتدأ قسمان: مسند إليه وهو الذي له خبر، ومسند وهو الرافع لما أغنى عن الخبر.....٢٠٦
لطيفة: تعبير المصنف عند تعريفه المبتدأ بـ«العاري» أولى وأسلم من تعبير غيره بـ«المجرد» ٢٠٧
تنبيه: ذهب بعض المتقدمين إلى أن «أنا» مركب من ألف أقوم ونون نقوم و «أنت» مركب من ألف أقوم ونون نقوم وتاء تقوم، وردها أبو حَيَّان ٢٠٩

تنبيه: قد يسكن هاء «هو، وهي»..... ٢٠٩
فائدة: المضمر والضمير عبارة البصريين، والكوفيون يقولون: الكناية والمكنى..... ٢١٠
مسألة: المشهور أن الخبر المشتق لا يتحمل غير ضمير واحد ٢١١
تنبيه: المشتق الذي يتحمل الضمير هو ما كان جاريًا مجرى الفعل، فأما ما ليس جاريًا مجرى الفعل فلا يتحمل ضميره..... ٢١١
فائدة: إذا تضمن الجامد معنى المشتق نحو: «زيد أسد» أي: شجاع، تحمل الضمير..... ٢١١
مُهِمَّة: قال ابن عقيل: جوز سيبويه في: «زيد قائم هو» وجهين..... ٢١١
تتمة: يجب إبراز الضمير في الخبر المشتق إذا جرى على غير من هو له..... ٢١١
تنبيهات: الأول: اختلف في عامل المجرور والظرف الواقعين خبرًا ٢١٢
مُهِمَّة: إن قدرت اسم الفاعل كان من قبيل الخبر المفرد..... ٢١٣
الثاني: ذهب البصريون إلى أن الظرف يتحمل ضمير المبتدأ كالمشتق سواء تقدم أو تأخر..... ٢١٣
الثالث: ذهب ابن كيسان إلى أن الخبر في الحقيقة هو العامل المحذوف، وأن تسمية الظرف خبرًا مجاز..... ٢١٣
الرابع: لا يجوز الإخبار بظرف الزمان عن اسم الذات لعدم الفائدة سواء كان منصوبًا أو مجرورًا بفي، وما ورد من ذلك مؤول على حذف مضاف كما قاله الفارسي ٢١٣

الخامس: منع الجمهور الإخبار بوحده لأنه اسم جرىٰ مجرىٰ المصدر فلا يخبر به ٢١٤
مسألة: يغني عن الخبر مصدر، ومفعول به، وحال، ووصف مجرور..... ٢١٤
تتمة: قال ابن النحاس: أجاز الكوفيون الإخبار بالظرف الناقص إذا تم بالحال ٢١٤
تنبيه: المراد بالصدر المسند أو المسند إليه، فلا عبرة بما تقدم عليهما من الحروف ٢١٥
تقسيم: قد تكون الجملة الكبرىٰ ذات وجه وذات وجهين..... ٢١٥
تقسيم ثان: تكون الجملة كبرىٰ وصغرىٰ ٢١٦
تنبيه: إذا وقعت الجملة خبرًا فلا بد لها من رابط يربطها بما هي خبر عنه وروابطها عشرة..... ٢١٦
مسألة: يجوز حذف ما علم من المبتدأ والخبر ٢١٩
فائدة: قال ابن إياز: إذا دار الأمر بين كون المحذوف مبتدأ وكونه خبرًا فأيهما أولىٰ؟ ٢١٩
فائدة: مجيء مبتدأين بخبر واحد..... ٢٢٠
مُهِمَّة: المبتدأ لا يعطف عليه خبره بحرف البتة، إلا بالفاء في موضعين ... ٢٢٠
مسألة: إذا دخلت علىٰ المبتدأ الموصول «ليت» و«لعل» فلا يجوز أن تدخل الفاء في خبره، واختلفت في علة ذلك ما هي ٢٢٠
تتمة: قال السيوطي في "الأشباه": «أصل المبتدأ أن يكون معرفة، وأصل الخبر

أن يكون نكرة..... ٢٢١
مسوغات الابتداء بنكرة منحصرة في عشرة أمور..... ٢٢١
خاتمة: الأصل تقديم المبتدأ وتأخير الخبر..... ٢٢٣
باب العوامل الداخلة على المبتدأ والخبر..... ٢٢٤
تنبيه: في دخول هذه النواسخ على المبتدأ والخبر..... ٢٢٤
فائدة: النواسخ بالنسبة إلى أنواعها أربعة..... ٢٢٤
تنبيه: أجاز الجمهور رفع الاسمين بعد كان..... ٢٢٥
مُهِمَّة: «كان» أم الأفعال لخمسة أوجه..... ٢٢٦
تنبيه: همزة أمسى وأصبح وأضحى للدخول، أعني الدخول في المساء والصباح والضحى..... ٢٢٧
تنبيه: «صار» ليس من أخوات «كان»، وإنما هي من باب الفعل والفاعل والمفعول، والدليل على ذلك..... ٢٢٧
تنبيه: حكى الكسائي والفراء لـ«زال الناقصة» مضارعًا آخر وهو «يزيل» فيكون مشتركًا بين التام والناقص..... ٢٢٩
مُهِمَّة: قال ابن مالك: «يلحق بـ«زال» بشرطها المتقدم «وني ورام» معناها ٢٣٠
تنبيه: هذه الأفعال الأربعة تدل على ملازمة الصفة للموصوف مذ كان قابلًا لها على حسب ما قبلها..... ٢٣٠
تنبيه: إذا كانت «ما» مصدرية غير ظرفية لم تعمل «دام» بعدها..... ٢٣٠
تتمة: كان وأخواتها في تقديم أخبارها عليها على أربعة أقسام..... ٢٣٢

فائدة: اختلف في جواز تقدم أخبار هذا الباب على الأفعال إذا كانت منفية بـ«ما»..... ٢٣٢
تنبيه: قال الخفاف اختلف هل الأفعال الناقصة تدل على الحدث أم لا؟ ويبتني على ذلك الخلاف في عملها في الظرف والمجرور والحال..... ٢٣٢
فائدة: اختلف لم سميت هذه الأفعال نواقص..... ٢٣٢
تكملة: تعدد خبر كان مبني على الخلاف في تعدد خبر المبتدأ..... ٢٣٢
فصل: شروط إعمال «ما، ولا، ولات، وأن»..... ٢٣٣
فائدة: «ما»، هي الأصل في النفي وهي أم بابه، والنفي فيها آكد..... ٢٣٥
تنبيه: قال تاج الدين بن مكتوم: « لم تقع ما في القرآن إلا على لغة الحجاز ما خلا حرفًا واحدًا..... ٢٣٦
مسألة: التصرف في «لا النافية» أكثر من التصرف في «ما النافية»، ومن ثم جاز حذف «لا» في جواب القسم ٢٣٦
مُهِمَّة: زيادة الباء في الخبر على ثلاثة أقسام: كثير، وقليل، وأقل ٢٣٦
إن وأخواتها..... ٢٣٨
فائدة: «عل» بتشديد اللام أصل «لعل» عند من زعم أن اللام زائدة ٢٣٩
تقسيم: لـ«أن» ثلاثة أحوال: وجوب الفتح، ووجوب الكسر، وجواز الأمرين..... ٢٣٩
مسألة: إذا خففت «إن» المكسورة لم يلها من الأفعال إلا ما كان من نواسخ الابتداء عند البصريين، وجوز الكوفيون غيره..... ٢٤٣

(مسألـــة): حـــال «إن» المخففـة إذا عملـت كحالهـا وهـي مشـددة في جميـع الأحكام إلا في شيء واحد وهو أنها لا تعمل في الضمير إلا لضرـورة بخـلاف المشددة ٢٤٣
فائدة: هل تأتي «إن» حرف جواب كـ«نعم»؟ ٢٤٣
مسألة: تقع «أن» المفتوحة ومعمولاها اسمًا لـ«إن» المكسورة بشرط الفصل بالخبر ٢٤٤
مسألة: وتخفف «لكن» فلا تعمل البتة لعدم سماعه ٢٤٤
فائدة: زعم قوم أن «كأن» قد تنصب الجزأين ٢٤٤
فائدة: قال الفراء وبعض أصحابه: قد تنصب «ليت» الجزأين، وتقترن بها «ما الحرفية» فلا تزيلها عن الاختصاص بالأسماء ٢٤٥
مُهِمَّة: قيل: أول لحن سمع بالبصرة: «لعل لها عذر وأنت تلوم» ٢٤٥
تنبيـه: قال في "المفصل": جميـع ما ذكر في خبـر المبتـدأ مـن أصنافـه وأحوالـه وشرائطه قائـم في خبـــر «إن»، مـا خـلا جـواز تقديمـه، إلا إذا وقـع ظرفًـا أو مجرورًا ٢٤٦
تتمة: قال ابن يعيش: «إنما قدم المنصوب في هذا الباب على المرفوع فرقًا بينها وبين الفعل ٢٤٦
تنبيه: زاد الأخفش والكسائي في معاني«لعل»: التعليل، وزاد الكوفيون في معانيها: الاستفهام ٢٤٩
فائدة: يقترن خبرها بـ«أن» كثيرًا حملًا على عسى ٢٤٩

ظننت وأخواتها..... ٢٥٠
تنبيه: ذهب الجمهور إلى أنها تدخل على المبتدأ والخبر..... ٢٥٠
مسألة: ما دخلت عليه «كان» دخلت عليه هذه الأفعال، وما لا فلا..... ٢٥٣
فصل: لهذه الأفعال ثلاثة أحوال..... ٢٥٣
تنبيه: إذا تقدم العامل امتنع الإلغاء عند البصريين، فإن جاء من لسان العرب ما يوهم إلغاءها متقدمة أول على إضمار ضمير الشأن ٢٥٤
تنبيه: لا يدخل الإلغاء ولا التعليق في شيء من أفعال التصيير لقوتها، ولا قلبي جامد لعدم تصرفه..... ٢٥٥
مسألة: الإلغاء عند توفر شرائطه جائز والتعليق واجب ٢٥٥
تتمة: فعلان من أفعال الباب لا يتصرفان، وهما «هب» من أفعال التصيير، و«تعلم» من أفعال القلوب..... ٢٥٥
مسألة: لم يعلق من الأفعال إلا أفعال القلوب..... ٢٥٥
مُهِمَّة: قال ابن القواس: لهذه الأفعال خواص لا يشاركها فيها غيرها من الأفعال المتقدمة..... ٢٥٥
تنبيه: إذا كان «ظن» بمعنى «اتهم» فتتعدى لمفعول واحد..... ٢٥٦
فائدة: تتعدى «رأى الحلمية» إلى مفعولين إجراءًا لها مجرى «رأى العلمية» ٢٥٦
تنبيه: إذا كانت خال بمعنى تكبر، أو ظلع، فهي لازمة ٢٥٧
فائدة: إذا كانت «علم» بمعنى عرف تعدت لواحد، فإذا كانت بمعنى علم علمة فهو أعلم، أي مشقوق الشفة العليا فهي لازمة..... ٢٥٧

تتمة: في حذف المفعولين ٢٥٧
(باب النعت) ٢٥٩
فائدة: اختلف في معنى الإيضاح والتخصيص ٢٦٠
تنبيه: ينقسم النعت إلى ثلاثة أقسام ٢٦٠
مُهِمَّة: قال في "البسيط": جملة ما يوصف به ثمانية أشياء ٢٦٢
تنبيه: قال ابن عصفور في "شرح الجمل": «الأسماء تنقسم أربعة أقسام .. ٢٦٢
مستملحة: إنشاد لبعضهم في مليح نحوي ٢٦٣
تقسيم: تبعية الصفة لموصوفها في الإعراب ثلاثة أقسام ٢٦٣
مسألة: يرد النعت مدحًا، ذمًا، وترحمًا، وتوكيدًا، وتعميمًا، وغير ذلك. ... ٢٦٤
فائدة: شرط الجمهور في النعت أن لا يكون أعرف من منعوته بل دونه أو مساويًا له ٢٦٤
الكلام على المعرفة والنكرة في مقاصد ٢٦٥
الأول: في تعريفهما عند النحويين ٢٦٥
الثاني: مذهب سيبويه والجمهور أن النكرة أصل والمعرفة فرع عنها، والدليل على ذلك من وجوه ٢٦٦
تنبيه: إذا اجتمعت النكرة والمعرفة غلبت المعرفة مع أنها فرع ٢٦٦
تنبيه: محل الخلاف في الأعرفية في غير اسم الجلالة فإنه أعرف المعارف بالإجماع ٢٦٨
مسألة: في أعرف الأعلام ٢٦٨

تنبيه: أنكر النكرات.....٢٦٩
تنبيه: المجمع على كونه ضميرًا ستة ألفاظ: «التاء، والكاف، والهاء، وياء المتكلم، وأنا، ونحن». وفي ما عداها خلاف ٢٧١
تنبيه: الغرض من وضع الضمائر الاختصار.....٢٧٢
تنبيه: لم يسمع من العرب النقل من الجملة الإسمية، لكن النحويون قاسوه على ما سمع من النقل من الجملة الفعلية.....٢٧٤
مُهِمَّة: ذهب سيبويه إلى أن الأعلام كلها منقولة.....٢٧٤
تقسيم: العَلَم ثلاثة أنواع؛ مفرد، وإسنادي، ومزجي، وإضافي.....٢٧٤
تقسيم آخر: العلم ثلاث أنواع: اسم، وكنية، ولقب.....٢٧٤
تنبيهات: الأول: في اسم «مكة» ٢٧٥
الثاني: الكنى والألقاب في القرآن ٢٧٥
الثالث: قال في "البسيط": يطلق لفظ العلم على الشيء وضده، ويجوز نقله من لفظ إلى لفظ ٢٧٥
مُهِمَّة: الفرق بين عَلَم الجنس واسمه ٢٧٦
تنبيه: في تقسيم العلم الجنسي.....٢٧٧
فائدة: ألفاظ الإشارة للمفرد المذكر والمفرد المؤنث.....٢٧٨
تنبيه: إذا كان المشار إليه بعيدًا لحقته كاف حرفية تتصرف تصرف الكاف الإسمية غالبًا.....٢٧٨
تنبيه: تزاد -يعني في الإشارة للمؤنث- «تِيك» بكسر التاء، و«تَيك» بفتحها،

و«ذيك»، وأنكرها ثعلب، و«تِلك» بكسر التاء، و«تَلك» بفتحها، حكاهما هشام، و«تِيلِك» بكسر اللام والتاء، و«تَالِك» بكسر اللام، حكاهما الفراء٢٧٨
مسألة: تصحب هاء التنبيه المجرد من الكاف كثيرًا نحو: «هذا» و«هذه»، والمقترن بالكاف دون اللام قليلًا كقوله: «ولا أهل هذاك الطراف الممد». ولا تدخل مع اللام البتة.....٢٧٩
مسألة: تفصل هاء التنبيه من الإشارة بأنا وأخواته من ضمائر الرفع المنفصلة كثيرًا، وبغير الضمائر المذكورة قليلًا.....٢٧٩
تنبيهات: الأول: يشار للمكان القريب بـ«هنا» الملازمة للظرفية، وتجر بـ«من، وإلى»، وبها هنا مقرونة بها التنبيه.....٢٧٩
الثاني: قال في "الهمع": لا خلاف أن المجرد من الكاف واللام للقريب ثم اختلف في غيره.....٢٨٠
الثالث: إنما بنيت أسماء الإشارة لشبهها بالحروف.....٢٨٠
تنبيه: لم يذكر المصنف الموصول كما قدمنا، ونذكره تتميمًا للفائدة.....٢٨١
فائدة: تفتقر كل الموصولات الاسمية إلى صلة متأخرة عنها لزومًا مشتملة على عائد مطابق للموصول.....٢٨٢
فائدة: قال ابن يعيش: أكثر النحويين سمى صلة الموصول صلة، وسيبويه يسميها حشوًا.....٢٨٢
فائدة أجنبية: قال الأندلسي: الصلة يقال بالاشتراك عندهم على ثلاثة أشياء.....٢٨٢

مُهِمَّة: ذهب قوم إلى أن تعريف الموصولات بـ«أل» ظاهرة في «الذي» و«التي» وتثنيتهما وجمعهما، ومنويي في «من» و«ما» ونحوهما؛ والصحيح أن تعريف الجميع بالصلة ٢٨٣
فائدة: في اسم الفرس ٢٨٤
(باب العطف) ٢٨٥
تنبيه: لا يجوز التخالف بين عطف البيان ومتبوعه اتفاقًا ٢٨٥
فائدة: عطف البيان يوافق متبوعه في أربعة من عشرة أوجه كالنعت ٢٨٦
فرع: كل ما جاز أن يعرب عطف بيان جاز أن يعرب بدلًا إلا فيما أشار إليه ابن مالك ٢٨٦
فائدة: عطف البيان لا يكون إلا بعده مشترك ٢٨٦
فائدة: الكوفيون يسمون عطف البيان بالترجمة ٢٨٦
تنبيه: تختص الفاء بعطف مفصَّل على مجمل، وبعطف جملة شرطها العائد وخلت منه صفة أو صلة أو خبرًا أو حالًا ٢٩١
فائدة: قيل: ترد الفاء للغاية بمعنى إلى ٢٩١
تنبيهات: الأول: تعقيبات لابن هشامٍ على معنى أو ٢٩٦
الثاني: لا تقع «أو» بعد همزة التسوية ٢٩٦
الثالث: قال أبو البقاء: «أو» في النهي نقيضة أو في الإباحة فيجب اجتناب الأمرين ٢٩٧
فائدة: أخرج البيهقي عن ابن جريج قال: كل شيء في القرآن فيه «أو» فللتخيير

إلا قوله: ﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ﴾.....٢٩٧
تنبيه: افتراق نوعي «أم» المتصلة على أربعة أوجه.....٢٩٨
تنبيهات: الأول: ترد «أم» محتملة للاتصال والانقطاع.....٢٩٩
الثاني: سمع حذف «أم» المتصلة ومعطوفها.....٢٩٩
الثالث: قال أبو زيد الأنصاري: تَرِد «أم» زائدة.....٣٠٠
تنبيه: ليس من أقسام «إما» التي في قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدًا﴾ بل هذه «إن» الشرطية و«ما» الزائدة.....٣٠١
فائدة: لا يعطف بـ«بل» بعد الاستفهام اتفاقًا.....٣٠٢
تنبيه: تزاد «لا» قبل «بل» لتوكيد الإضراب بعد الإيجاب.....٣٠٢
فائدة: قال أبو حَيَّان: يقال في «لا بل»: «نابن» و«لابن» و«نابل» بإبدال اللامين أو إحداهما نونًا.....٣٠٣
تنبيه: إذا تلى «بل» جملة فهي لإبطال معنى الأول وإثباته لما بعد.....٣٠٣
تنبيه: ذهب صاحب "الأزهرية" إلى أن «بل» تكون حرف جر، ووهمه أبو حَيَّان وابن هشامٍ وغيرهما.....٣٠٣
فائدة: لم تقع «بل» في القرآن عاطفة.....٣٠٣
فائدة: لم تقع لا في القرآن عاطفة.....٣٠٤
فائدة: إذا تلت «لكن» جملة فهي حرف ابتداء لا عاطفة، سواء اقترنت بالواو أو بدونها.....٣٠٥
تنبيه: اشتركت «لا» و«بل» و«لكن» من وجهين، وافترقت من وجهين..٣٠٥

تنبيه: للعطف بـ«حتى» شروط.....٣٠٦
تنبيه: «حتى» كالواو لمطلق الجمع لا للترتيب خلافًا لمن زعم ذلك.....٣٠٧
فائدة: هذيل تقول في «حتى»: «عتى».....٣٠٨
مُهِمَّة: حروف العطف أربعة أقسام.....٣٠٨
مسألة: لا يعطف على ضمير رفع متصل اختيارًا إلا بفاصل ما، ضميرًا منفصلًا أو غيره.....٣٠٩
فائدة: إن قيل: كيف جاز العطف على المضمرين المرفوع والمنصوب من غير تكرير، وامتنع العطف على المجرور إلا بالتكرير؟ والجواب عليه ٣١٠
خاتمة: أقسام العطف ثلاثة.....٣١١
باب التوكيد.....٣١٣
فائدتان: الأولى: إذا أكدت بالنفس والعين مثنى ففيهما ثلاث لغات.....٣١٤
الثانية: في تأنيث وتذكير جمع «النفس»، والمعاني التي تقع عليها «العين»..٣١٥
فوائد: الأولى: لا يؤكد بكل وأجمع وتوابعها، غير ذي أجزاء ولو حكمًا ..٣١٥
الثانية: ترتيب ألفاظ التوكيد إذا اجتمعت.....٣١٦
الثالثة: قال ابن النحاس: هل يجوز أن يقع كل واحد من أكتع وأبصع وأبتع تأكيدًا بمفرده؟ فيه ثلاثة مذاهب.....٣١٦
باب البدل.....٣١٧
البدل أربعة أقسام.....٣١٧
فائدة: رجع السهيلي بدل البعض والاشتمال إلى بدل الكل.....٣١٨

فائدة: أنكر جماعة بدل النداء والغلط ٣١٨
تنبيه: لا بد في بدل البعض من اتصاله بضمير يرجع إلى المبدل منه فإن وجد فذاك وإلا يقدر ٣٢١
فائدة: قال أبو عمرو: «الغلط في القول والغلت في الحساب» ٣٢١
تتمة: يجوز قطع البدل على إضمار مبتدأ فيما فصل به جمع أو عدد، كمررت برجل طويل وقصير وربعة..... ٣٢٢
(بابُ منصوباتِ الأسماءِ) ٣٢٣
باب المفعول به..... ٣٢٥
فوائد: الأولى: حدَّ ابن الحاجب المفعول به بأنه ما وقع عليه فعل الفاعل . ٣٢٥
الثانية: اختُلف في ناصب المفعول به ٣٢٥
الثالثة: مذهب البصريين أن المفاعيل خمسة..... ٣٢٥
تتمة: المختار أن الضمير نفس «إيا» فقط، وأن اللواحق لها حروف تكلم وخطاب وغيبة..... ٣٢٧
تكملة: إذا تعدد المفعول في غير باب «ظن» و«أعلم» كباب «أعطى» و«اختار» فالأصل تقديم ما هو فاعل في المعنى، وما يتعدى إليه الفعل بنفسه على ما ليس كذلك، هذا مذهب الجمهور..... ٣٢٨
خاتمة: يجوز حذف المفعول لغرض إما لفظي، وإما معنوي ٣٢٨
بابُ المصْدرِ..... ٣٣٠
تنبيه: حدَّ ابن هشامٍ المفعول المطلق بأنه المصدر الفضلة المسلط عليه عامل من

لفظه أو من معناه..... ٣٣٠
تنبيهات: التنبيه الأول: المصدر يفيد ثلاثة أمور ٣٣٠
التنبيه الثاني: يُنصب المصدر بمثله ٣٣١
الثالث: ما ينوب عن المصدر في الانتصاب على المفعولية المطلقة ٣٣١
الرابع: المصدر المؤكد لا يثنَّى ولا يجمع اتفاقًا، والمصدر العددي يثنى ويجمع اتفاقًا، والنوعي فيه خلاف..... ٣٣٢
الخامس: لا يجوز أن تقع «أن» والفعل في موقع المصدر..... ٣٣٢
السادس: يجوز لقرينة لفظية أو معنوية حذف عامل المصدر غير المؤكد ويجب حذفه في مواضع أشار لها ابن مالك..... ٣٣٢
السابع: من المصدر ما هو علم للمعنى..... ٣٣٢
الثامن: عمل الفعل في مصدرين..... ٣٣٣
فائدتان: الفائدة الأولى: استعملوا العطاء مصدرًا بمعنى الإعطاء، والثواب مصدرًا بمعنى الإثابة..... ٣٣٤
الثانية: قال ابن هشامٍ في "تذكرته": ذكر ثعلب في "أماليه" أنه يقال: ناب هذا عن هذا نوبا، ولا يجوز ناب عنه نيابة، وهو غريب ٣٣٤
خاتمة: المصدر بينه وبين المفعول المطلق عموم وخصوص بإطلاق ٣٣٤
باب المفعول فيه..... ٣٣٥
فائدة: في "الأساس": ومن المجازي: ذكر في أيام العرب كذا؛ أي في وقائعها..... ٣٣٦

فائدة: غدوة غير مصروف لأنها معرفة مثل سحر ٣٣٦
فائدة: في "الأساس": ومن المجاز: «بكر بالصلاة» صلاها في أول وقتها، و«ابتكر الفاكهة» أكل باكورتها، و«ابتكر الشيء» أخذ أوله، و«ابتكر الجارية» أفتضها ٣٣٦
فائدة: في "الأساس": ومن المجاز: «لقيته سحرًا، وبالسحر، وفي أعلى السحر، وعلى أعلى السحرين ٣٣٧
فائدة: في "الأساس": ومن الاستعارة: «الليل العاتي» الشديد الظلمة ... ٣٣٧
فائدة: في "الأساس": ومن المجاز: هذا يوم الصباح، وأصبح يا رجل: انتبه من غفلتك..... ٣٣٨
فائدة: في "الأساس": ومن المجاز: فلان مولع بأوابد الكلام، وهي غرائبه، وبأوابد الشعر وهي التي لا تشاكل جودة..... ٣٣٨
فائدة: غلط كثير من العلماء فجعلوا «حين» بمعنى: حيث، والصواب أن «حيث» بالثاء المثلثة ظرف مكان، و«حين» بالنون ظرف زمان..... ٣٣٩
تنبيه: هذه الأمثلة (ضحى، وضحوة، ووقت، وساعة، وزمان) على أربعة أقسام..... ٣٣٩
فائدة: قال بعضهم: مأخذ التصرف والانصراف في الظروف هو السماع، حكاه الشَّلَوْبِين..... ٣٤٠
حكاية: عن جحا، من كتاب "أخبار الحمقى والمغفلين" لابن الجوزي... ٣٤٠
مسائل..... ٣٤٤

المسألة الأولى: الظروف المبنية ثلاثة أقسام..... ٣٤٤
المسألة الثانية: اسم المكان ثلاثة أقسام: ٣٤٤
المسألة الثالثة: «نزلت عند بابه على زيد» جائز..... ٣٤٤
المسألة الرابعة: كما أن الفعل اللازم لا يتعدى إلى مفعول به إلا بحرف الجر، كذلك لا يتعدى إلى ظرف من الأمكنة مخصوص إلا بحرف الجر ٣٤٥
المسألة الخامسة: اعلم أن التصرف وعدمه في عبارة النحويين يقال على ثلاثة معان..... ٣٤٥
فائدة: ذكر الأندلسي أن الظروف التي لا تدخل عليها من حروف الجر سوى «من» خمسة، وعدَّها..... ٣٤٥
فائدة: الظروف كلها مذكرة إلا «قدام، ووراء» وهما شاذان..... ٣٤٦
خاتمة: هل يتسع في الظرف مع «كان وأخواتها»؟..... ٣٤٦
باب الحال ٣٤٦
تنبيه: في "القاموس": «أبهم الأمر: اشتبه، كاستبهم»..... ٣٤٨
مسألة: كثر مجيء الحال مصدرًا نكرة وهو خلاف الأصل ٣٥٠
تنبيهات: الأول: تنقسم الحال باعتبارات ٣٥١
الثاني: مما يشكل قولهم: جاء زيد والشمس طالعة..... ٣٥٢
الثالث: الحال صفة في المعنى، ولذلك اشترط فيها ما يشترط في الصفات من الاشتقاق..... ٣٥٢
فوائد: الأولى: كل ما جاز أن يكون حالًا جاز أن يكون صفة للنكرة، وليس

كل ما يجوز صفة للنكرة يجوز أن يكون حالًا.....٣٥٣
الثانية: جميع العوامل اللفظية تعمل في الحال إلا «كان وأخواتها»، و«عسىٰ» علىٰ الأصح فيهما.....٣٥٣
الثالث: الحال شبيهة بالظرف قال ابن كيسان: ولذا أغنت عن الخبر في: ضربت زيدًا قائمًا.....٣٥٣
خاتمة: قال ابن هشامٍ: أكثر ما يرد حذف الحال إذا كان قولًا أغنىٰ عنه المقول.....٣٥٣
(باب التمييز).....٣٥٥
تنبيهات: الأول: قال ابن الصائغ في "تذكرته": التمييز المنتصب عن تمام الكلام يجوز أن يأتي بعد كل كلام منطوي علىٰ شيء مبهم إلا في موضعين ٣٥٩
الثاني: قال ابن الطراوة: الإبهام الذي يفسره التمييز إما في الجنس أو البعض أو الحال أو السبب.....٣٦٠
الثالث: قال ابن هشامٍ: اعلم أن الحال والتمييز قد اجتمعا في خمسة أمور وافترقا في سبعة.....٣٦٠
التنبيه الرابع: يجوز حذف التمييز إذا قصد إبقاء الإبهام، أو كان في الكلام ما يدل عليه، ولا يجوز حذف المميز لأنه يزيل دلالة الإبهام إلا أن يوضع غيره موضعه.....٣٦١
التنبيه الخامس: قال في "الهمع": مميز كذا لا يكون إلا مفردًا منصوبًا.....٣٦١
باب الاستثناء.....٣٦٢

(فائدة): ترد «إلا» لمعان أخر غير الاستثناء..... ٣٦٤
تنبيه: قال الرماني في "تفسيره": معنى «إلا» اللازم لها: الاختصاص بالشيء دون غيره..... ٣٦٥
تنبيهات: التنبيه الأول: في بيان المنفي..... ٣٦٩
التنبيه الثاني: قال الأبذي: من أصل هذا الباب أنه لا يجوز أن يستثنى بالاسمين..... ٣٧٠
التنبيه الثالث: إذا تقدم المستثنى على المستثنى منه في النفي وشبهه تعين نصبه وامتنع البدل..... ٣٧١
التنبيه الرابع: قال ابن إياز: لا يعمل ما بعد «إلا» فيما قبلها ٣٧١
تتمتان:..... ٣٧٢
الأولى: مذهب الجمهور أن الاستثناء من النفي إثبات، ومن الإثبات نفي ٣٧٢
الثانية: في الاستثناء من العدد أقوال ٣٧٢
تنبيهات: التنبيه الأول: اختلف في ناصب «غير» في الاستثناء على أقوال . ٣٧٣
التنبيه الثاني: كيف جاز أن يصل الفعل إلى «غير» من غير واسطة، وهو لا يصل إلى ما بعد «إلا» إلا بواسطة؟ وجوابه..... ٣٧٣
التنبيه الثالث: إذا عطف على المستثنى بها جاز في المعطوف مراعاة اللفظ فيجر -وهو الأجود- ويجوز مراعاة المعنى فينصب ويرفع ٣٧٤
تتمة: من أدوات الاستثناء: «ليس» و«لا يكون»، والمستثنى بهما واجب النصب لأنه خبرهما..... ٣٧٤

فوائد: الأولىٰ: إذا دخلت «ما» علىٰ «خلا، وعدا» تعين النصب بعدها لأنها مصدرية، فدخولها يعين الفعلية..... ٣٧٥
الثانية: ذهب الكسائي إلىٰ أنه يجوز دخول «إلا» علىٰ «حاشا» إذا جرت .. ٣٧٦
الثالثة: قال ابن السراج في "الأصول": لا ينسق علىٰ حروف الاستثناء... ٣٧٦
خاتمة: قال ابن الدهان في "الغرة": الاستثناء علىٰ ثلاثة أقسام ٣٧٦
بابُ «لا» الَّتي لنفىٰ الجِنس..... ٣٧٨
فائدة: المراد بنفي الجنس: نفي صفته وحكمه لأن الجنس لا ينفىٰ، وإسناد النفي إليها مجاز من إسناد ما للشيء إلىٰ آلته، والمراد بتبرئة دلالتها علىٰ البراءة من ذلك الجنس..... ٣٧٨
فائدة: يجب ذكر خبر «لا» إن جهل..... ٣٨٠
خاتمة: في أن الاستثناء في قولنا: «لا إله إلا الله» متصل قطعًا ٣٨١
باب المنادىٰ..... ٣٨٥
الفصل الأول: في تعريف النداء..... ٣٨٥
الفصل الثاني: في أدوات النداء وأحكامها..... ٣٨٥
تنبيه: أجمع النحاة علىٰ جواز نداء القريب بها للبعيد توكيدًا وعلىٰ منع العكس..... ٣٨٧
الفصل الثالث: في أقسام المنادىٰ وأحكامه..... ٣٨٧
تنبيه: قال في "الأزهرية" ما نصه: إذا وصفت النكرة المقصودة ترجح نصبها علىٰ ضمها..... ٣٨٧

مسألة: يجوز حذف الحرف وهو «يا» خاصة في المنادىٰ مطلقًا إلا في ثمان مسائل.....٣٨٨
تتمة: لا يجوز نداء ما فيه «أل» لأن نداءه يفيد التعريف، و«أل» تفيد التعريف، ولا يجمع بين معرفين.....٣٨٩
تنبيهات: الأول: اختلف في «اللهم».....٣٩٠
الثاني: يجوز تنوين المنادىٰ المبني في الضرورة بالإجماع، ثم اختلف هل الأولىٰ بقاء ضمه أو نصبه.....٣٩٠
(فائدة): البناء قسمان.....٣٩٠
الثالث: قال ابن هشامٍ: تابع المنادىٰ المبني خمسة أقسام.....٣٩١
الرابع: إذا كان المنادىٰ علمًا موصوفًا بـ«ابن» مضاف إلىٰ علم، جاز في المنادىٰ مع الضم الفتح اتباعًا لحركة «ابن».....٣٩١
الخامس: إذا ذكر منادىٰ مضاف وكرر المضاف إليه فهو توكيد، فإن كرر المضاف فقط فيضم الأول منادىٰ مفردًا، وينصب الثاني مضافًا مستأنفًا أو بإضمار «أعني» أو عطف بيان أو بدلً.....٣٩٢
السادس: من الأسماء أسماء لازمت النداء، فلم يتصرف فيها بأن تكون مبتدأ ولا فاعلًا ولا مفعولًا ولا مجرورًا، بل لا تستعمل إلا في النداء خاصة، وهي قسمان.....٣٩٢
تتمتان: الأولىٰ: قال ابن يعيش: الندبة نوع من النداء فكل مندوب منادىٰ وليس كل منادىٰ مندوبًا.....٣٩٤

الثانية: إنشاد للمهلبي فيما لا يرخم..... ٣٩٤
فائدة: قال ابن فلاح في "المغني": قالوا: أكثر ما رخمت العرب ثلاثة أشياء وهي: حارث، ومالك، وعامر..... ٣٩٤
باب المفعول من أجله..... ٣٩٥
تنبيهات: الأول: اختلف في ناصب المفعول له ٣٩٧
الثاني: متىٰ فقد شرط من الشروط المتقدمة وجب جره باللام..... ٣٩٧
الثالث: لا يتعين النصب عند استيفاء الشروط، بل يجوز معه الجر، ثم إن كان مجردًا من «أل» والإضافة فالنصب أكثر ويقل الجر ٣٩٨
الرابع: يجوز تقديم المفعول له علىٰ عامله..... ٣٩٨
الخامس: لا يجوز تعدد المفعول له منصوبًا كان أو مجرورًا..... ٣٩٩
السادس: قال الجزولي: لا يكون المفعول له منجرًا باللام إلا مختصًا ٣٩٩
باب المفعول معه..... ٤٠٠
فائدة أجنبية: الماء اسم جنس يقع علىٰ القليل والكثير، وجمع باعتبار اختلاف أنواعه ٤٠٠
تنبيهات: التنبيه الأول: الصحيح أن هذا الباب مقيس ٤٠١
التنبيه الثاني: اختلف في ناصب المفعول معه علىٰ أقوال..... ٤٠١
التنبيه الثالث: لا يتقدم المفعول معه علىٰ عامله اتفاقًا..... ٤٠٢
التنبيه الرابع: لا يجوز الفصل بين الواو والمفعول معه بظرف ولا بغيره... ٤٠٢
الخامس: زعم صدر الأفاضل أن المفعول معه يكون جملة ٤٠٣

السادس: إذا وقعت بعد المفعول معه خبر لما قبله أو حال طابق ما قبله... ٤٠٣
السابع: مسائل هذا الباب بالنسبة إلى العطف والمفعول معه خمسة أقسام. ٤٠٣
(بابُ مخفوضاتِ الأسماءِ)..... ٤٠٧
تنبيه: بقي من حروف القسم «أيمن»..... ٤١١
تتمتان: الأولى: يغني عن القسم: «لا جرم» في حكاية الفراء..... ٤١٢
الثانية: من القسم: غير صريح..... ٤١٣
فائدة: في «نشدتك بالله»، و«عمرك الله»..... ٤١٣
تنبيه: تقع «مذ» و«منذ» اسمين..... ٤١٥
فائدة: أصل «مذ»: منذ..... ٤١٥
لطيفة: ألغز أبو عبد الله محمد بن مصعب المقري في «مذ» و«منذ»..... ٤١٥
تكملة: من حروف الجر: «حاشا، وخلا، وعدا»..... ٤١٦
تنبيهات: الأول: حروف الجر عشرون، وبيان ذلك..... ٤١٧
الثاني: مذهب البصريين أن أحرف الجر لا ينوب بعضها عن بعض بقياس، كما أن أحرف الجزم والنصب كذلك..... ٤١٧
الثالث: لا يحذف الجار ويبقى عمله اختيارًا..... ٤١٧
الرابع: فصل الجار من مجروره وتأخيره عنه ضرورة..... ٤١٨
الخامس: تزاد «ما» بعد «من، وعن، والباء» فلا تكفهن، وبعد اللام فلا تكفها، وبعد «رب»؛ فالغالب الكف..... ٤١٨
السادس: يجب تعليق حروف الجر بفعل أو شبهه ولو مقدرًا، وهل تتعلق

بأحرف المعاني؟.....٤١٩
السابع: قال ابن فلاح في "المغني": تعلق حروف الجر بالفعل يأتي لسبعة معان.....٤٢٠
تنبيهات: الأول: اختلف في المضاف والمضاف إليه ما هو؟ ٤٢١
الثاني: اختلف أيضًا في الجار للمضاف إليه.....٤٢٢
تنبيه: ذهب الجمهور إلى أنه لا يضاف اسم لمرادفه أو صفته أو موصوفة، أو مؤكدة إلا بتأويل، وأجازه الكوفيون بشرط اختلاف اللفظين ٤٢٦
تنبيه: لزم الإضافة لفظا: «حُمادى، وقُصارى» -بضم أولهما- مطلقًا، فيضافان إلى الظاهر كالضمير.....٤٢٩
تنبيه: يجب كسر آخر المضاف للياء مناسبة لها إلا المثنى، والمجموع على حده، وما حمل عليهما، والمعتل الذي لا يجري مجرى الصحيح.....٤٣٦
تنبيه: قال الأشموني في "شرح الألفية": في المضاف إلى ياء المتكلم أربعة مذاهب.....٤٤٠
تنبيه: ما لا يمكن تنكيره من المعارف كالمضمرات وأسماء الإشارة لا تجوز إضافته لملازمة القرينة الدالة على تعريفه وضعًا، وأما الأعلام فالقياس عدم إضافتها وعدم دخول «أل» عليها.....٤٤١
خاتمة: أثبت جمهور البصريين والكوفيين الجر بالمجاورة للمجرور وذلك في بابي النعت والتوكيد.....٤٤٣

المنطق:

١ - التَّوَقِّي والاسْتِنْزَاه عن خَطَأ البُناني في مَعْنَى الإله

المقدِّمة.....٤٥٣
الخطأ الأول: إطلاق لفظ الكُلِّيِّ على الإله لا يجوز شرعًا.....٤٥٣
الثاني: أنَّ الإله ليس بكلِّيٍّ بل هو خاصٌّ بالله تعالى.....٤٥٤
الثالث: أنَّ الكليَّ إنما يتأتَّى في الممكنات كالنبيِّ والملَك والعرش والكرسيِّ... أما واجب الوجود سبحانه فهو منزَّهٌ عن ذلك.....٤٥٥
الرابع: أنَّ الكلِّيَّ لا يُتصوَّر كونه محالًا.....٤٥٦
الخامس: في تناقض وقع فيه البناني رحمه الله تعالى.....٤٥٧
السادس: وهو مبنيٌّ على ما قبله، أنَّ جواز تعدُّد الإله ثابتٌ وقيام الدليل القاطع على وجوب تفرُّد الله بالألوهيَّة لا يمنع منه.....٤٥٧
السابع: أنَّ زيادة لفظ: «بحقٍّ» في معنى الإله لا أصلَ لها في اللغة ولا علاقة للعقل بها.....٤٥٧
الثامن: قوله أيضًا: «تفسير الإله بالمستغني عن كلِّ ما سواه المفتقر إليه كلُّ ما عداه ...» إغراقٌ في الخطأ وتشبُّثٌ به إلى حدِّ التزمُّت.....٤٥٧
التاسع: قوله: «إذ لا يوجب تشخصه» والصواب أن يقول: إذ لا يوجب تعينه. لأن التشخص لا يجوز أن يضاف إلى الله سبحانه وتعالى.....٤٥٨
ثلاثة إيرادات على هذا المقال والجواب عليها.....٤٥٨
الأول: دعوى أن المحال ليس بكليٍّ يخالفُ ما أطبق عليه أهل المنطق.....٤٥٨

حديث: «لا شخصَ أغيرُ من الله» من تصرف بعض الرواة ولفظه الثابت في أغلب الطرق: «لا أحدَ أغيرُ من الله» (ت).....٤٥٨
الثاني: كلام الشيخ سعيد قدوره في بيان أفراد الكلِّي الممتنع، واشتماله على أوهام.....٤٥٩
الثالث: من الإيرادات، دخول النَّفي العامُّ على «إله» في قولنا: «لا إله إلَّا الله» يؤيِّد القول بكلِّيته.....٤٦٠
الرابع: اختار السنوسيُّ أنَّ معنى «إله» في كلمة التوحيد لا مستغنيًا عن كل ما سواه ومفتقرًا إليه كل ما عداه إلا الله، فهو على هذا كلِّيٌّ ٤٦١
خاتمة.....٤٦٢

٢- رفع الإشكال عن مسألة المحال

مقدِّمة.....٤٦٥
خطبة المؤلف وسبب تأليف هذا الجزء.....٤٦٥
فصل: كلام ابن حزمٍ في تقسيم المحال إلى أربعة أقسام ٤٦٦
بيان فساد قول ابن حزمٍ: «وكل ما خلقه الله تعالى محالًا في العقل فقط فإنما كان محالًا منذ جعله الله تعالى محالًا ....إلخ» من وجوه.....٤٦٧
بيان بطلان دعوى ابن حزمٍ بقوله في المحال العقلي: «لا يبعد أن يكون الله تعالى يفعله في عالمٍ له آخر» من عدة جهات.....٤٦٨
ذكر كلام ابن العربي الحاتمي في أرض الحقيقة وأن المحال العقلي واقعًا فيها، والتعليق عليه.....٤٦٩

فصل: تناقض ابن حزمٍ في قوله أن الله تعالىٰ يقدر علىٰ المحال في العقل، وعلىٰ اتخاذ الولد، مع أنه من المحال المطلق، والتعقيب عليه ٤٧٢
فصل: بيان وجه الصواب في مسألة المحال..... ٤٧٤
فصل: في أنَّ المحال لا يكون إلَّا ممتنع الوجود وبيان ذلك من القرآن الكريم..... ٤٧٦
تنبيه: الأمر الجائز يصح الوصف به ويكون حقيقًا وإن لم يقع..... ٤٧٩
استدلال ابن حزمٍ لإمكان وقوع المحال العقلي بما يراه النائم في منامه، وبيان فساد ذلك..... ٤٨١
استدلاله بما حكاه الله من أقوال اليهود والنصارىٰ بما لا يجوز في حقِّه تعالىٰ، وبيان فساد ذلك..... ٤٨١
فصل: في أخبار توهم تعلق القدرة بالمستحيل..... ٤٨٢
حديث: «هذا كتابٌ مِن ربِّ العالمين فيه أسماء أهل الجنَّة وأسماء آبائهم وقبائلهم...» الحديث..... ٤٨٢
حديث: «يا عبادي إني حرَّمتُ الظلمَ علىٰ نَفْسي»..... ٤٨٦
فصل: في مسألة التكليف بالمحال..... ٤٨٧
خاتمة: في كلام لبعض الفضلاء في الأشعرية وفي قولهم بأن قدرة الله تعالىٰ لا تتعلق بالمستحيل..... ٤٨٩
تنبيه: قاعدة نفيسة في التأويل للإمام ابن دقيق العيد..... ٤٩٧

٣- التنصُّل والانفصال من فضيحة الإشكال

مقدِّمة ٥٠٥
المسألة الأولى: أنواع التقابل في علم المنطق..... ٥٠٥
المسألة الثانية: مما هو مدرك بالضرورة أن المشرق يتقدم على المغرب بساعتين من الزمان ٥٠٦
فوائد: الأولى: اشتراك بلدين في الليل سبب في عمل أحدهما برؤية الآخر ٥٠٨
الثانية: لو مات رجل بالمغرب وقت رؤية الهلال بالمشرق، فإنه يقال: مات آخر يوم من شعبان..... ٥٠٨
الثالثة: على فرض وقوع المحال وهو دخول رمضان بالمغرب وقت رؤية هلاله بالمشرق فلا يجب على أهل المغرب صيام في تلك الساعة..... ٥٠٨
الرابعة: فرق الوقت بين المشرق والمغرب له نفس حكم فرق الوقت بين بلاد المغرب وبعضها..... ٥٠٩
خاتمة: في أنه يلزم من هذا الإشكال أمور تخالف ما أجمع عليه العقلاء.... ٥١١
فهرس الموضوعات..... ٥١٥

موسوعة

العلامة المحدث المتفنن

سيدي الشريف عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري الحسني

(١٣٢٨ - ١٤١٣هـ) رحمه الله تعالى

قدم لها

الشريف الدكتور

عبد المنعم بن عبد العزيز بن الصديق

إشراف

الدكتور محمود سعيد بن محمد ممدوح

المجلد السادس عشر

فتاوى وأجوبة

موسوعة

العلامة المحدث المتفنن

سيدي الشريف عبد الله بن محمد الصديق الغماري الحسني

(١٣٢٨ - ١٤١٣هـ) رحمه الله تعالى

(١٦)

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية
عام / ١٤٣٨

قام بطباعتها وإخراجها: مركز البحوث والدِّراسات
بكُليَّة الصَّفا الإسلاميَّة بماليزيا

يطلب من:

دار السَّلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

جمهورية مصر العربية: القاهرة – الإسكندرية.
الإدارة: القاهرة ٤٠ شارع أحمد أبو العلا – المتفرِّع من شارع نور الدين بهجت – الموازي لامتداد شارع مكرم عبيد – مدينة نصر.
هاتف: ٢٢٨٧٣٢٤٦ - ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ (٢٠٢+)
فاكس: ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢+)
البريد الإلكتروني: info@dar-alsalam.com
موقعنا على الإنترنت: www.dar-alsalam.com

المجلد السادس عشر: فتاوى وأجوبة

ويحتوي على فتاوى وأجوبة في:

١ - علم الكلام.

٢ - القرآن الكريم وقصص الأنبياء.

٣ - الحديث النبوي الشريف.

٤ - الفقه وأصوله.

٥ - التصوف والأدب.

٦ - مسائل خلافية.

٧ - السِّير والشمائل والمناقب والتراجم.

٨ - فتاوىٰ عامَّة ومُتفرِّقات.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة مشرف العمل

هذه فتاوىٰ سُئل عنها العلامة المُحَقِّق السيِّد عبدالله بن الصِّدِّيق الغُماريُّ الحسنيُّ رحمه الله تعالىٰ، سأله عنها تلاميذه وهم:

١ - الشيخ عبد السلام بو عياد الطنجي.

٢ - الشيخ إبراهيم شحاته.

٣- الشيخ عبدالسَّلام ماضي.

٤ - الشيخ مصطفىٰ البِقالي.

٥- محمود سعيد ممدوح.

٦ - الشيخ محمد حبيب الله الباكستاني.

وقُرَّاؤه في عددٍ مِن المجلَّات الإسلامية التي كان يكتب فيها وهي:

١ - مجلَّة الشَّرق العربي.

٢ - مجلَّة الإسلام.

٣- مجلة المسلم.

٤ - مجلة الرابطة الإسلامية.

٥ - مجلة دعوة الحق.

وقد جعلناها علىٰ أبواب الفقه ليسهُل الاطِّلاع عليها في أبوابها، وأفردنا بابًا للفتاوىٰ الحديثية، وإذا كان المُخاطَب مِن الشيخ يحتاج إلىٰ بيانٍ ذكرناه في الحاشية.

محمود سعيد بن محمد ممدوح

١ - علم الكلام

هل يكفي في الإيمان قول: «لا إله إلَّا الله»؟

س١- سُئل رضي الله عنه: هل يكفي في الإيمان بالله قول: لا إله إلَّا الله؟

ج١- فأجاب رضي الله عنه: دعوىٰ الاكتفاء في الإيمان بشهادة ألَّا إله إلا الله جهلٌ يؤدِّي إلىٰ الكفر، واقتصار آية (البقرة) علىٰ الإيمان باليوم الآخر؛ لأنه يستلزم الإيمان بالرسول لأنه لم يُعرف إلَّا من طريقه، ولأنه لا يمكن أن يؤمِن باليوم الآخر ولا يؤمن بالرسول الذي جاء به، وهذا من إيجاز القرآن؛ يكتفي بالملزوم لاستتباعه اللازم حتمًا. وقول النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**قل كلمةً أحاجُّ لك بها عند الله**». لأنَّ أبا طالبٍ كان يُصَدِّق النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم صرَّح بذلك مرات، وإنما كان يمتنع من كلمة التوحيد تقليدًا لآبائه، فأمره النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بقولها ليجتمع له الإيمان بشِقَّيه.

وفي الحديث المتواتر: «**بُني الإسلامُ على خمسٍ: شهادة ألَّا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله...**». الحديث. وكذلك في حديث سؤل جبريل، وفي "صحيح مسلم": «**والذي نَفْسُ محمَّدٍ بيدِهِ، لا يَسْمَعُ بي أَحَدٌ مِن هذه الأُمَّةِ يهوديٌّ، ولا نصرانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ ولم يُؤمِنْ بالذي أُرسِلتُ به، إلَّا كان مِن أصحابِ النَّارِ**».

ثُمَّ لو كان الإيمان بالله يكفي دون الرسول لكان أهل الكتاب مؤمنين، ولكن الله حكم بكفرهم في القرآن وأمر بقتالهم حتىٰ يعطوا الجِزية.

س٢- وسُئل رضي الله عنه: كيف طلب النبيُّ مِن عمِّه قول: «لا إله إلا الله» فقط؟

ج٢- فأجاب رضي الله عنه: كان العرب وسائر المشركين لا يعرفون: لا إله إلا الله، ولا يعترفون بها. فلما جاء بها النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أنكروها

عليه، وعرضها على عمِّه فلم يقبلها، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ﴾ [الصافات: ٣٥ - ٣٦] فالاقتصار عليها في الحديث من باب الاكتفاء؛ لأن الإيمان بها يستلزم عقلًا الإيمان بمَن جاء بها.

هل يجب على النصراني إذا أسلم في بلده أن يهاجر منها، وهل النَّصارى اليوم أهل كتاب؟

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الأكرمين.

وبعد: فقد سُئلت عن أمرين:

س٣- **أحدِهما**: هل يجبُ على النَّصراني إذا أسلم في بلده أن يُهاجر منها إلى بلاد الإسلام؟

ج٣- **والجوابُ**: لا تجب عليه مفارقةُ بلده لأنَّه يستطيعُ أن يؤدِّيَ شعائر دينه فيها، وكثيرٌ من المسلمين يعيشون في بلاد النَّصارى ولهم مساجدُ تقام فيها الجماعة والجمعة ولهم في تلك البلاد حريةٌ أكثر من بلادهم.

على أنَّ بلاد المسلمين اليوم فيها منكراتٌ وفجورٌ مثل بلاد النَّصارى أو أكثر منها.

س٤- **ثانيهما**: هل النَّصارى اليوم أهل كتاب؟ وهل يجوز التزوُّج بنسائهم وأكلُ ذبائحهم؟

ج٤- **والجواب**: المقرَّر عند جمهور الفقهاء أنَّ النَّصارى الذين ينتسبون إلى دين المسيح يكونون من أهل الكتاب بالتبعيَّة، فأهل أوروبا الآن كلُّهم أهل

كتاب بهذا الاعتبار، وإن كان عيسىٰ عليه السلام إنما أرسل لليهود خاصَّة.

لكن لا يجوز التزوُّج بنسائهم، وإذا عقد مسلمٌ علىٰ نصرانيَّة فالعقدُ فاسدٌ، وإذا ولدت له فالولد ابن زنا، لأنَّ النِّكاح غيرُ صحيحٍ، وشرط الزواج بالكتابية ألَّا تكونَ من أمَّة محارِبةٍ، والنَّصارىٰ في هذا الزمان يحارِبُون المسلمين ويعادونهم عداوةً قبيحةً، فالزَّواج بنسائِهم حرامٌ بالإجماع.

وكذلك أكلُ ذبائِحِهم حرامٌ أيضًا لأنَّهم لا يذبحُون بل يَقتُلون الذَّبيحةَ بالمسدَّس أو الكهرُباء، فذبائحُهم موقوذة محرَّمة بالقرآن، والسلام.

الاشتقاق من أسماء الله الحسنى، وفي أسماء الله الحسنى

س٥- وسئل رضي الله عنه عن الاشتقاق من أسماء الله الحسنىٰ، و في أسماء الله الحسنىٰ.

ج٥- فأجاب رضي الله عنه: الاشتقاق مِن أسماء الله الحسنىٰ فيه خلافٌ؛ ذهب الجمهور إلىٰ التوقيف بمعنىٰ أنه لا يطلق اسم أو صفة علىٰ الله إلَّا إذا جاء في آيةٍ أو حديثٍ صحيحٍ، ولا يكفي ورود الفعل.

وقال الغزاليُّ: «إذا ورد فعل منسوب لله تعالىٰ وكان معناه يليق به جاز اشتقاق صفة منه لله تعالىٰ مثل «سَتَرَ» أما إذا كان لا يليق به مثل: ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ [البقرة: ١٥]، ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٥٤]، ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥] فلا يجوز أن يقال: مستهزئ، ولا ماكر، ولا مستوي.

وأخطأ ابن القيِّم خطأ فاحشًا حيث أطلق علىٰ الله «مستوي» وخالف إجماع العلماء، سامحه الله.

وأمَّا الاشتقاق في أسماء الله فيرى الغزالي جوازه إذا كان لا يفيد نقصًا في حقِّ الله تعالى، وعلى هذا لا مانع من إطلاق «ساتر» لأنه في معنى «ستير»، ومَن أنكر على من أطلقه على الله لم يُصِب.

إيمان فرعون

س٦- وسُئل رضي الله عنه: هل تفرَّد ابن العربي بالقول بإيمان فرعون؟

ج٦- فأجاب رضي الله عنه: ابن العربي لم ينفرد بالقول بقبول إيمان فرعون، بل سبقه إليه بعض الصوفية، حكاه عنهم عبدالصمد الحنفي في "تفسيره" وهو من علماء المائة الرابعة.

والقائلون بإيمان فرعون اشتبه عليهم مقام الدعاء بمقام الإيمان، فقالوا إنَّ فرعون كان مضطرًا والله تعالى يقبل دعاء المضطر، وهذا صحيحٌ، ولو دعا فرعون ساعة الغرق لنجاه الله، ولكنه لم يدع بل آمن، والإيمان في تلك الساعة لا يقبل، بنصِّ القرآن. والدليل الصريح على موته كافرًا من القرآن قول الله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ [طه: ٣٩] فهذه الآية تخبر أنَّ فرعون عدوٌّ الله، والخبر لا يتغيَّر ولا ينسخ، ففرعون مات كافرًا عدوًّا لله، إذ لو قبل إيمانه لم يسم عدوًّا لله، وهذا باطلٌ.

كتابة أعمال العباد في علم الله القديم

س٧- وسُئل رضي الله عنه: إن الله سبحانه وتعالى كتب في علمه القديم أنِّي أزني أو أقتل أو أسرق فلم يعذِّبني على هذا الإثم وهو الذي كتبه عليَّ، ولو اجتمع الإنس والجنُّ على أن ينفعوني بشيءٍ لن ينفعوني إلَّا بشيءٍ قد كتبه الله لي؟

ج٧- فأجاب رضي الله عنه: ورد في الحديث: «**إذا ذُكِرَ القَدَرُ فأمْسِكُوا**»، وورد في حديثٍ آخر: «**أُخِّر الكلام في القَدَرِ لشرار أمَّتي آخر الزمان**».

وقد نصَّ ابن السمعانيِّ وغيره من العلماء على أنَّ سِرَّ القَدَر مما اختصَّ اللهُ بعلمه، فلم يُطلِع عليه نبيًّا مرسلًا ولا مَلَكًا مُقَرَّبًا.

ولا يمكن لأحدٍ من الخَلْق أن يقف على حقيقة القدر وسرِّه لا في الدنيا ولا بعد الموت ولا في موقف القيامة، وإنما يُطلعهم الله عليه بعد دخول أهل الجنَّةِ الجنَّةَ ودخول أهل النَّارِ النَّارَ، فهناك فقط يعرف الخلق سِرَّ القدر وحقيقته، أمَّا قبل ذلك فلا مطمع لأحدٍ في معرفته كائنًا مَن كان.

وقد خاض قومٌ في القدر وحاولوا أن يعرفوه بعقولهم فضلوا وأضلوا، بل كفرت طائفةٌ منهم حيث زعمت أنَّ الله لم يُقَدِّر خيرًا ولا شرًّا، ولا يعلم ما يفعله العبدالا بعد حصوله، وهذا كفرٌ صُراحٌ؛ لأن فيه إثبات الجهل لله تعالى عن ذلك عُلُوًّا كبيرًا.

وزعمت طائفةٌ أخرى أنَّ الله قدَّر الخير ولم يُقدِّر الشرَّ، وهذا ضلالٌ في العقيدة.

وزعمت طائفةٌ أخرى أنَّ الله قدَّر الخير وقدَّر الشرَّ ولكنها اعترضت على تعذيب العاصي لعصيانه.

وكل هذا ضلالٌ أدَّى إليه الخروج عن أوامر الشرع بغية الوصول إلى شيءٍ أخبر الله أنه اختصَّ بعلمه، ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧].

ومع هذا يجب أن تعلم أنَّ علم الله بحصول الشيء أو كتابته له في اللوح

المحفوظ لا يؤثِّر في حصوله، ولا يرغم الشخص على فعله؛ لأن العلم والكتابة ليس من شأنهما التأثير، وإنما التأثير شأن القدرة فعلم الله أنك ستزني لم يرغمك على فعل الزِّنا وإنما الذي أرغمك شهوتك الشيطانية وتزيين الشيطان لك، ولا دخل لعلم الله ولا لمشيئته ولا لكتابته في إرغامك على الفعل، ولا انسياقك إليه فاعرف هذا وتأمَّله جيِّدًا، والله يتولَّى هُداك.

الوعد والوعيد

س٨- وسُئل رضي الله عنه: هل يجوز أن يتوعَّد اللهُ بعقوبةٍ على ذنب ثُمَّ لا ينفذها؟

ج٨- فأجاب رضي الله عنه: جزاء الشخص على ذنبٍ فعله لا يلزم تنفيذه، وكثيرًا ما يقول الإنسان لابنه أو خادمه: «جزاؤك أن أعاقبك عقوبةً شديدةً ولكني سامحتك».

ومثل هذا قوله تعالى: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ [النساء: ٩٣]أي إن لم يسامحه لشفاعة فيه أو لرحمة تلحقه، ودليل هذا قوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ١١٦].

هل رأى النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ربَّه بالبصر؟

س٩- وسُئل رضي الله عنه: هل رأى النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ربَّه بالبصر؟

ج٩- فأجاب رضي الله عنه: ذكرت في "الأحاديث المنتقاة" أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رأى الله رؤية بصرية حقيقية مُقلِّدًا في ذلك الإمام أحمد، ثُمَّ

تبيَّن لي أخيرًا أنني كنت مخطئًا، وأنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رأى الله بقلبه لا ببصره؛ لأنه لم يثبت حديث يُثبت رؤية البصر، ولأن رؤية الله تعالى أعظم جزاءً للمؤمنين في الآخرة، وإذا رآه في الدنيا لم يبقَ ما يجازيه به في الآخرة، ولهذا منع الله موسى من رؤيته وادَّخرها له في الآخرة لتكون جزاءه.

حديث: «إن الله ينزل إلى سماء الدنيا»

س١٠- وسُئل رضي الله عنه: حديث: «**إنَّ اللهَ يَنْزِلُ إلى سماءِ الدُّنيا في ثُلُثِ اللَّيلِ**... إلخ» هل هو على ظاهره أم مؤوَّلٌ؟

ج١٠- فأجاب رضي الله عنه: صحَّ في حديثٍ أنَّ الله سبحانه وتعالى ينزل إلى السماء الدنيا كلَّ ليلةٍ فيقول: «**هل مِن داعٍ فأستجيبَ له؟ وهل مِن سائلٍ فأُعْطِيَهُ**... إلخ». وهو حديثٌ مستفيضٌ مِن طرقٍ، وهذا الحديث وما في معناه فيه طريقان معلومان طريق السَّلَف هو تفويض المراد منه إلى الله تعالى مع تنزيه الله عن النزول المتعارف بيننا؛ لأنه حركةٌ لا تليق إلَّا بالحوادث والله مُنزَّهٌ عن ذلك.

وطريق الخلف وهو تأويل الحديث على وجهٍ سائغٍ في اللغة العربية، وقد أوَّله بعضهم هنا بمزيد من الإقبال وخصوص العناية، وأوَّله آخرون بنزول المَلَك، وهذا التأويل هو الأوجه، فقد جاء في بعض طرق هذا الحديث أنَّ الله يأمر مَلَكًا فينادي: «**هل مِن داعٍ، هل مِن سائلٍ**.... إلخ» فيكون المراد بنزول الله نزول مَلَكٍ بأمر الله، وهذا واضحٌ لا خفاء فيه.

أمَّا حمل النزول على ظاهره من غير تنزيهٍ ولا تأويلٍ فهو مذهب المُجَسِّمة

المُشَبِّهة الذين يُشبِّهون الله بخَلْقِهِ، والسَّلَف بريئون من هذا المذهب والله أعلم.

ما هو الحق الواجب على الله؟

س١١- وسُئل رضي الله عنه: عن الحقِّ الواجب على الله؟

ج١١- فأجاب رضي الله عنه: الحقُّ نوعان: حقٌّ إيجابيٌّ، يكون بين المخلوقين بعضهم مع بعضٍ ولا يجوز أن يتعلَّق بالله تعالى، وحقٌّ تفضليٌّ أوجبه الله على نفسه تفضلًا منه، فقال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]ولما كان وعد الله لا يخلف سمَّى وعده حقًّا باعتبار أنَّ خلفه لا يجوز.

ومع ذلك صرَّح عز الدين بن عبدالسلام في "الفتاوى الموصلية" أنَّ من خصائص النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم جواز أن يُقسِم بحقِّه على الله تعالى لعلوِّ رتبته، وعِظَم منزلته، ولا يلحق به في ذلك رسولٌ ولا مَلَكٌ، وكذلك قال السيوطيُّ في "الخصائص الكبرى".

رؤية الله في المنام

س١٢- وسُئل رضي الله عنه: هل رأى الله تعالى في المنام أحد من المسلمين؟

ج١٢- فأجاب رضي الله عنه: اختلف العلماء هل تجوز رؤيا الله في المنام؟ والصحيح أنها جائزةٌ، وقد رآه جماعةٌ من الأئمَّة منهم الإمام أحمد بن حنبلٍ، رآه تسعًا وتسعين مرة، ورآه في المرة المائة فسأله: ما أفضل ما يتقرَّب المتقرِّبون إليك يارب؟ فقال: «كلامي يا أحمد». فقال أحمد: بفهمٍ أو بغير فهمٍ؟ فقال: «بفهمٍ وبغير فهمٍ».

ورآه أيضًا حمزة بن حبيب الزيات أحد أئمة القراءة السبعة، وقرأ عليه القرآن في المنام، وبعد القراءة حلَّاه بأسورة من ذهب وتوَّجه، وقال هذا بإقرائك الناس من غير أجرٍ.

ورآه أيضًا شيخنا الإمام المُحدِّث شمس الدين محمد بن جعفر الكتانيُّ الحسنيُّ وقد كان ختام السلف الصالح.

وقد حلَّل الإمام الغزالي رؤيا الله في المنام بما يبعد عن الوهم ما يعلق بالذِّهن من اتصاف الله بالجسمية التي هو منزَّهٌ عنها.

مقولة: «ربَّ الأرباب»

س١٣- وسُئل رضي الله عنه: عن خطيبٍ قال في خطبته: «يا ربَّ الأرباب» فانتقد عليه أستاذ من الأساتذة وقال إن فيه سوء أدب.

ج١٣- فأجاب رضي الله عنه: هذا ليس فيه سوء أدب مع الله؛ لأن الله ربُّ الجميع، وإن كانت هذه الأرباب والآلهة باطلة ولكن الله هو ربها وإلهها وخالقها.

مقولة: «ما شاء اللهُ وشاء فلانٌ»

س١٤- وسُئل رضي الله عنه: لماذا ورد النهي عن قول: «ما شاء اللهُ وشاء فلانٌ»؟

ج١٤- فأجاب رضي الله عنه: معنى: «لا تقل ما شاء الله وشاء فلانٌ» أنَّ الواو تقتضي التشريك فيكون المعنى أنَّ مشيئة فلانٍ شاركت مشيئة الله وهذا باطلٌ، لكن «ثُمَّ» تقتضي الترتيب والتراخي، فمعنى: «ما شاء اللهُ ثُمَّ شاء فلانٌ». أنَّ مشيئة فلانٍ متأخِّرةٌ عن مشيئة الله ومُترتِّبةٌ عليها.

مقولة: «أنا مع الله»

س١٥- وسُئل رضي الله عنه: هل يصح للإنسان أن يقول: «أنا مع الله»؟

ج١٥- فأجاب رضي الله عنه: عبارة: «أنا مع الله». لم ترد في آيةٍ ولا حديثٍ، والله مع عبده بعِلْمِهِ أو بعفوه أو بعنايته أو بنصره، والعبد كيف يكون مع الله؟ فالعبارة غير صحيحةٍ في معناها، وإن اشتهرت بين الناس.

مقولة: «اسمع ندائي»

س١٦- وسُئل رضي الله عنه: كيف يقول الإمام ابن بشيش في صلاته: «اسمع ندائي بما سمعت به نداء عبدك زكريا»؟

ج١٦- فأجاب رضي الله عنه: وأمَّا قول ابن بشيش: «اسمع ندائي بما سمعت به نداء عبدك زكريَّا». معناه: «اقبل»، ولا شيء فيه، لقوله تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦] وقوله: ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ﴾ [الشعراء: ١٥] وقوله: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ [المجادلة: ١].

أسماء الأنبياء والرسل حسب تواريخ نزولهم

س١٧- وسُئل رضي الله عنه: أرجو ذكر جميع أسماء الأنبياء والرسل مرتبة حسب تواريخ نزولهم؟ وما مهمَّة كلِّ نبيٍّ أو رسولٍ باختصارٍ؟

ج١٧- فأجاب رضي الله عنه: أول الأنبياء آدم، ثُمَّ إدريس، ثُمَّ نوحٌ، ثُمَّ هودٌ، ثُمَّ صالحٌ، ثُمَّ إبراهيم، ثُمَّ ولداه إسماعيل وإسحاق، ولوطٌ ابن أخي إبراهيم، ثُمَّ يعقوب بن إسحاق، ثُمَّ يوسف بن يعقوب، ثُمَّ موسى وهارون،

ثُمَّ إلياس من ذريَّة هارون.

وشعيب في قول جمهور المُفسِّرين كان معاصرًا لموسىٰ وهو صهره، ثُمَّ داوود وسليمان ابنه، ثُمَّ زكريا، ثُمَّ ابنه يحيىٰ وابن خالته عيسىٰ.

أمَّا أيوب فهو من بني إسرائيل واختلف فيه هل كان قبل موسىٰ أو بعده علىٰ قولين، واليسع من بني إسرائيل أيضًا، وقيل هو إلياس نفسه، وذو الكفل من بني إسرائيل خلف اليسع بعد موته واختلف فيه، فقيل كان نبيًّا وقيل كان صالحًا وليس بنبيٍّ.

وأمَّا يونس فلا يعرف عنه أكثر من أنه يونس بن متىٰ، وأنَّ الله أرسله إلىٰ أهل نينوىٰ من أرض الموصل، ولا يعرف تاريخه بالضبط إلَّا أنَّ الحافظ ابن حجرٍ قال في "شرح البخاري": «يقال إنه كان في زمان ملوك الطوائف من الفرس». وملوك الطوائف كانوا قبيل إبراهيم.

أمَّا مُهِمَّة كلِّ نبيٍّ ورسولٍ فهي الدعوة إلىٰ توحيد الله وتبليغ الناس شرائع الله وأحكامه حتىٰ تنتظم حياتهم الدنيوية والأخروية علىٰ أكمل وجهٍ وأحسن حال.

هل للأنبياء «دايةٌ» خاصَّةٌ بولادتهم.

س١٨- وسُئل رضي الله عنه: الأنبياء هل لهم «داية» خاصة بولادتهم، أم هي «داية» للعوام؟

ج١٨- فأجاب رضي الله عنه: إنَّه لم يرد في ذلك أثرٌ، وليست المسألة بمهمَّةٍ، وأي معنًىٰ في أن تكون لهم «داية» خاصَّةٌ بهم؟ فالصواب أنَّ «دايتهم» هي «داية» العوام، ومَن ادَّعَىٰ خِلاف هذا فعليه الدليل، والله أعلم.

عصمة الأنبياء

س١٩- وسُئل رضي الله عنه: حصلت مشادَّة مع أحد المسيحيين بسبب قوله أنَّ نبيَّ الله داود زنىٰ، نرجو شرح هذا الموضوع.

ج١٩- فأجاب رضي الله عنه: المسيحيون وكذا اليهود لا يعتقدون عصمة الأنبياء، ولذلك نسبوا إلىٰ جماعةٍ مِن الأنبياء جملةً من الفواحش، فزعموا أنَّ داود زنىٰ، وأنَّ ابنه سليمان كان ساحرًا، وأنَّ لوطًا شرب الخمر ووقع علىٰ بنته، إلىٰ غير ذلك من الكفريات التي يجدها القاريء في كتبهم المسمَّاة: "العهد القديم" و"العهد الجديد" وكل ذلك افتراءٌ وكذبٌ، بل كفرٌ وإلحادٌ.

والذي يجب اعتقاده أنَّ الأنبياء والرسل معصومون، ما فعلوا معصية قطُّ، هذا ما تؤيِّده الدلائل العقلية وبه نطقت الكتب السماوية؛ لأن الله اصطفىٰ الأنبياء واختارهم لهداية الخلق وإرشاد الناس، ومِن المُحال أن يكون المختار للهداية والإرشاد مُلوَّثًا بالمعاصي؛ لأن فاقد الشيء لا يُعطيه، ولأنَّ الله حكىٰ عن الأقوام السابقين أنهم كذَّبوا رسلهم واتهموهم بالجنون ولم يحكِ عنهم أنهم اتهموا رسلهم بشيءٍ من المعاصي أو بنقصٍ في أخلاقهم؛ لأنهم كانوا يرون الرسل علىٰ غاية ما يكون في الكمال فلا يجدون سبيلًا للطعن إلَّا بأن يكذِّبوهم حسدًا وعُدْوانًا.

وهذا أبو جهلٍ وأبو سفيان وغيرهما من المشركين سُئلوا غير مرَّةٍ هل تتهمون محمَّدًا بالكذب؟ فقالوا: والله ما عهدنا عليه كذبًا وما كنا ندعوه إلَّا محمدًا الأمين.

والله تعالى يقول في حقِّ رسله: ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ [ص: ٤٧]، وقال في كثير منهم: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠]، وبرأ موسى مما نسب إليه قال الله تعالى: ﴿فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩].

وقال في شأن اليهود وكذبهم على سليمان: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وقال في حقِّ إبراهيم: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤] وقال في حقِّ يوسف: ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

وهكذا تجد القرآن مليئًا بتنزيههم عن المعاصي والردِّ على الكفَّار الذين لمزوهم بالسوء، والله أعلم.

عموم رسالة النبي لأهل الأرض والملائكة

س٢٠- وسُئل رضي الله عنه: رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أرسل إلى النَّاسِ عامَّةً ولم تكن يوم انتقاله إلى الرفيق الأعلى دولة أمريكا مثلًا، فهل تعم الدعوة من لم يكن وجد بعد؟ وهل رسالته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم تعم الملائكة وهم أجسام نورانية لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون؟.

ج٢٠- فأجاب رضي الله عنه: دعوة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عامَّةً لكلِّ الناس من وجد ومن لم يوجد إلى يوم القيامة، ويجب على المسلمين تبليغ الدعوة إلى غيرهم كالأمريكانيين واليابانيين وجميع الأوروبيين؛ لأن النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كلَّفنا بذلك حين وقف على عرفة في حجَّةِ

الوَدَاع فقال للصحابة: «فليُبَلِّغ الشَّاهِدُ منكم الغائِبَ»، وقال في حديثٍ آخر صحيحٍ: «بَلِّغُوا عَنِّي ولو آيةً». إلى غير ذلك من الدلائل الكثيرة.

فالمسلمون اليوم مُكلَّفون بتبليغ دينهم إلى جميع الأمم ولكنهم قصَّروا، هداهم الله.

وأمَّا عموم رسالة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم للملائكة فقد اختلف فيها العلماء، منهم من قال لم يكن مرسلًا إليهم، وحكى فخر الدين الرازيُّ في "تفسيره" الإجماع على ذلك.

ومنهم من قال إنه كان مرسلًا إليهم رسالة تشريفٍ لا رسالة تكليفٍ، وهو قول جمهور الأشاعرة.

لكن اختار تقيُّ الدِّين السُّبْكيُّ وتبعه السيوطيُّ أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان مرسلًا إلى الملائكة رسالة تكليفٍ واستدل على ذلك بأدلةٍ:

منها: أنَّ الملائكة جاهدوا مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في غزواته كبدرٍ وغيرها، ولو لم يكونوا مُكلَّفين برسالته ما جاهدوا معه كما لم يجاهدوا مع غيره من الأنبياء.

ومنها: ما ثبت في الأحاديث أنَّ الملائكة تُؤمِّن مع تأمين الإمام في الصَّلاة، فهذا يدل على أنهم مُكلَّفون بالصلاة التي فرضها الله على نبيِّه وأُمَّته.

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٩].

قال الحافظ السيوطيُّ: «هذا إنذارٌ من الله للملائكة على لسان نبيِّه في

القرآن أنَّ مَن ادَّعىٰ منهم الألوهية يُجزىٰ جهنَّم».

قال: «وهو أقوىٰ دليلٌ علىٰ رسالته إليهم لقوله تعالىٰ في آيةٍ أخرىٰ: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، والقرآن بَلَغَ الملائكة.

وقال تعالىٰ أيضًا: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، والعالمين يشمل الملائكة بلفظه.

إلىٰ غير ذلك مما بسطه السيوطيُّ في رسالةٍ خاصَّةٍ في هذا الموضوع، وكون الملائكة أجسامًا نورانية لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمَرون لا يمنع من إرسال الرسول إليهم، علىٰ أنَّ الأشاعرة يرون أنَّ الملائكة غير معصومين، وإن كان قولهم في هذا ضعيفًا، والله أعلم.

استشكال حول قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾

س٢١- وسُئل رضي الله عنه: كيف تربَّىٰ موسىٰ عند فرعون ويوسف عند العزيز وطعامهما حرامٌ علىٰ الأنبياء لقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [المؤمنون: ٥١]؟

ج٢١- فأجاب رضي الله عنه: قول الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [المؤمنون: ٥١] خطاب للرسل بعد رسالتهم، وقبلها لا حكم ولا تكليف، وطعام فرعون والعزيز حلالٌ علىٰ الأصل، وإنما جاءك الإشكال من جهة أنك تقيس فروع الشرائع السابقة علىٰ شريعتنا، وهذا خطأ لأنه الله تعالىٰ يقول: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨] فمن أين لك أن طعام فرعون

والعزيز حرامٌ؟ ومَن الذي حرَّمه؟ وهل كان في مصر رسولٌ قبل موسىٰ؟ وقبل يوسف؟ وهل ثبت أنهما حرَّما طعام فرعون؟ أو طعام العزيز؟

ومن اختلاف الشرائع قول يوسف: ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ﴾ [يوسف: ٢٣] يعني العزيز، فهو جائزٌ عندهم، مكروهٌ أو حرامٌ عندنا، بل قد تختلف الأحكام بين مذهبين فالخيل حلالٌ عند الشافعية حرامٌ عند المالكية، وإذا كان هذا في شريعةٍ واحدةٍ فكيف بشريعتين؟

هل أراد سيدنا موسى عليه السلام قتل القبطيِّ

س٢٢- وسُئل رضي الله عنه: هل أراد سيِّدنا موسىٰ عليه السلام قتل القبطيِّ كما هو ظاهرٌ مِن قول الله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾ [القصص: ١٩]؟

ج٢٢- فأجاب رضي الله عنه: قول الله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾ [القصص: ١٩] لا يدل علىٰ إرادة النبيِّ للمعصية لوجوهٍ:

١- دفاع العدوِّ ومقاتلته أمرٌ تفرضه الطبيعة البشريَّة ويؤيِّده الدِّين.

٢- أنَّ موسىٰ استُغِيثَ به، وإغاثة المُستغيث ممَّا تضافر الدِّين والمروءة علىٰ استحسانه.

٣- أنَّ كون الفعل طاعةً أو معصيةً إنما يُعرف بالوحي، وموسىٰ لم يكن في ذلك الوقت رسولًا، ففعله ليس بمعصيةٍ ولا طاعةٍ لعدم الوحي حينئذٍ، وإنما استغفر مِن قتل القِبطيِّ واعتبره من عمل الشيطان؛ لأنه عرَّض نفسه لعقوبة الإعدام في حكم فرعون.

هل كان هارون عليه السلام رسولا أم وزيرًا؟

س٢٣- وسُئل رضي الله عنه: هل كان هارون وزيرًا لموسى أم رسولًا معه؟

ج٢٣- فأجاب رضي الله عنه: قال الله تعالى لموسى: ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴾ [طه: ٤٢] وموسى طلب مِن الله أن يجعل أخاه هارون وزيرًا له ورسولًا معه، قال: ﴿ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴾ [طه: ٢٩ - ٣٢] أي: الرسالة، ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴾ [طه: ٤٧].

فهارون رسول بنصِّ القرآن. وكذلك طلب موسى من الله أن يحل عقدة لسانه فقال: ﴿ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي ﴾ [طه: ٢٧ - ٢٨] وليست الفصاحة شرطًا في التبليغ.

شبهة حول إلقاء سيِّدنا يونس لنفسه في البحر

س٢٤- وسُئل رضي الله عنه: هل إلقاء سيِّدنا يونس لنفسه في البحر يُعدُّ انتحارًا منه؟

ج٢٤- فأجاب رضي الله عنه: عمل يونس لم يكن انتحارًا؛ لأن الله يقول: ﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴾ [الصافات: ١٤١] المغلوبين بالقرعة، فأُلقي في البحر مغلوبًا لا باختياره.

وعلى فرض أنه رمى نفسه مختارًا، فالانتحار لم يكن محرَّمًا عليه ولا على

الأمم السابقة بل جعله الله طريقًا للتوبة في شريعة موسىٰ؛ ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤] الآية.

وما حُرِّم الانتحار إلَّا في شريعتنا، وكان تحريمه بعد الهجرة، وأحكام الشرائع تختلف كما قال الله تعالىٰ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]. فكيف يعاب علىٰ يونس فعل لم يكن حرامًا عنده؟! بل لعله قدَّم نفسه قربانًا وتوبةً لله تعالىٰ.

ولا يرد علىٰ هذا حديث "الصحيحين": «**كان فيمَن كان قبلكم رجلٌ به جُرْحٌ فجَزِعَ فأخذ سِكِّينًا فحَزَّ بها يَدَهُ فما رَقَأَ الدَّمُ حتَّى ماتَ فقال اللهُ: بادَرَني عَبْدي بنَفْسِهِ فحرَّمتُ عليه الجنَّةَ**».

لأن هذا المريض قتل نفسه جَزَعًا وتسخُّطًا لقضاء الله، والفعل المباح قد يحرم لما يصحبه من قصدٍ سيِّءٍ.

حول نبوة الخضر

س٢٥- وسُئل رضي الله عنه: عن ترجيحه بأنَّ الخَضِر كان نبيًّا، وذكر له اعتراض بعض الإخوان علىٰ ذلك.

ج٢٥- فأجاب رضي الله عنه: المعروف عند العلماء أنَّ الباحث ينبغي له أن يعدَّ بحثه بذكر الأقوال في الموضوع ويبيِّن الراجح منها، وهذا ما فعلته في جوابي، حكيت الأقوال الموجودة في الخَضِر وهي خمسةٌ: وليٌّ، نبيٌّ، نبيٌّ ورسولٌ، مَلَكٌ، التوقُّف فيه، وبيَّنت الراجح منها، وهذا فيما أرىٰ أسلوب سليم، فإن كان فيه خطأ فما هو؟ بيِّنه لي لأتفاداه فلست معصومًا من الخطأ.

والقول بولاية الخَضِر لم يصدر عن صحابيٍّ ولا تابعيٍّ، وإنما قال به بعض الصوفيين بعد القرون الثلاثة، فلذلك قلنا لا دليل عليه، ويبطله قاعدتان متفقٌ عليهما بين العلماء:

١- لا يجوز أن يكون الوليُّ أعلم مِن النبيِّ، كما لا يكون أفضل منه، ولهذا أخذ الصحابة نبوة الخَضِر من أنه عَلَّم موسىٰ.

٢- لا يجوز أن يتساوىٰ علم الوليِّ الملقىٰ إليه بطريق الإلهام مع النبيِّ الذي يشافهه المَلَك بوحي الله وتشريعه.

والقائلون بنبوَّة الخَضِر استدلوا بأدلَّةٍ ذكرنا بعضها، وهاتان القاعدتان من أعظم الأدلة علىٰ نبوته، والإلهام إنما يفيد الظن في الأصل، بدليل أنه يقبل الخطأ، وقد يفيد اليقين بقرينة، كإلهام عمر فإنه أفاد اليقين لأن الوحي أيده، ولا نستطيع أن نقول: إنَّ إلهام الأولياء في قوة إلهام عمر إلَّا إذا أيد بكتابٍ أو سُنَّةٍ. وهل نستطيع أن نقول: أنَّ عمر أعلم من موسىٰ؟!

فنحن أمام رسولين ووليين، فإمَّا أن نقول: بأعلمية الوليين علىٰ الرسولين، فنخالف القاعدتين المتقدِّمتين ونطرق باب الكفر، علىٰ رأي ابن حزمٍ، وإمَّا أن نقول بأعلمية الرسولين وهو الحقُّ، أما أن نفرق بينهما، فهو تفريقٌ مبنيٌّ علىٰ العاطفة، وتحكُّمٌ لا يؤيِّده نقلٌ ولا عقلٌ، والصوفية القائلون بولاية الخَضِر، غفلوا عن هذا الإلزام الذي لا مفرَّ لهم عنه ولا محيص، ولو فطنوا لهذا الإلهام لسلَّموا بنبوة الخَضِر، والوليُّ لو فعل ما يخالف الشريعة بإلهامه عوقب؛ لأنه غير معصومٍ، بخلاف النبيِّ المعصوم، فإنه إذا فعل أمرًا يخالف شريعةً لنا يحمل علىٰ أنه شريعةٌ له.

وفي "صحيح مسلم" عن أُبيِّ بن كعبٍ عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ الغُلامَ الذي قَتَلَهُ الخَضِرُ طُبع كافرًا ولو عاش لأَرْهَقَ أبويه طُغْيانًا وكُفْرًا**». ورواية: «لقد أحببتك قبل أن أخلقك». تدل علىٰ نبوته من حيث أنَّ الله خاطبه بهذا الكلام وحيًا أوحاه إليه، والوليُّ لا يقول الله له هذا وحيًا ولا إلهامًا.

وقوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [الكهف: ٨٢]بل بوحي، هذا هو المُتعيِّن.

ولا يجوز فعلته بإلهام؛ لأن موسىٰ عنده الوحي وهو دليلٌ، والإلهام ليس بدليل، ولا يجوز في حقِّ نبيٍّ أن يسكت علىٰ محرَّمٍ يدَّعي فاعله أنه فعله بإلهامٍ.

وهل يجوز أن يقول وليٌّ في أمرٍ محرَّمٍ بالكتاب والسُّنَّة: أنَّ الإلهام أباحه لي؟! طبعًا لا يجوز، فكذلك لا يجوز أن يقول الخَضِر: فعلت المحرَّم بإلهامٍ، ولا سيِّما وهو يخاطب نبيًّا يُوحَىٰ إليه.

والخلاصة: أنَّ القول بولاية الخَضِر لا أصل له في الكتاب ولا في السُّنَّة، ولا في قول صحابيٍّ ولا تابعيٍّ، وإنما هو فلتةٌ مِن بعض الصوفية منشأها غلوهم في شأن الولاية وتقدسيها، فتخيَّلوا أنَّ الوليَّ يمكن أن يكون مُعلِّم نبيٍّ، ونسوا الفوارق البعيدة بينهما.

ونظير هذا الغلو ما حكاه بعض الجهلة عن جلال الدين الرومي شيخ الطريقة المولوية: «أنَّ ناسا كانوا يتكلَّمون في الكرامات ومقارنتها بالمعجزات وتطرَّقوا إلىٰ معجزات عيسىٰ وإحيائه الموتىٰ، فقال لهم جلال الدين: كيف كان يحيي الموتىٰ؟ قالوا: كان يقول للميت قم بإذن الله، فيقوم، ومرَّت بهم جنازةٌ، فقال جلال الدين للمشيِّعين: حطوا النعش، وقال: قم بإذن الله، فقام في

الحال». فجعل هذا الجاهل كرامة الوليِّ أقوىٰ من معجزة الرسول.

وقرأت في ترجمة الشعرانيِّ -لبعض أحفاده-: «أنَّ بعض أتباعه مات، فلحق الشعراني مَلَكُ الموت وهو صاعدٌ بالأرواح، وطلب منه ردَّ روح صاحبه فلم يقبل، فهجم الشعرانيُّ وأخذ الروح مِن المَلَك، وتشتَّتت الأرواح، فعادت إلىٰ أصحابها»!!. وهذا غلوٌّ قبيحٌ لا يرضاه الأولياء أنفسهم.

وقرأت خطبة جمعة كتبت في القرن الهجري الماضي في فضائل السيِّد البدوي كلها مغالاةٌ مُكفِّرةٌ، ومما جاء فيها أنَّ السيد البدوي طلب من الله أن يأذن له بدخول النار فلم يأذن له؛ لأنه لو دخلها لانطفأت ولا يتعذَّب العصاة بعد ذلك، وهذا مقام لم يدركه الأنبياء، فهو كالقول بولاية الخَضِر سواء بسواء.

هل كان آدم وإدريس نبيين ورسولين

س٢٦- وسُئل رضي الله عنه: هل كان آدم نبيًّا ورسولًا وكذلك إدريس؟

ج٢٦- فأجاب رضي الله عنه: آدم نبيٌّ ورسولٌ بدليل القرآن، قال الله تعالىٰ: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] والإشارة إلىٰ الرسل المذكورين في (سورة البقرة) وهم: آدم، وموسىٰ، وعيسىٰ، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، وسليمان، وداود.

وفي قصة ابنَي آدم، ذكر المقتول أحكامًا شرعيَّة منها قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧] وقوله تعالىٰ: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٨] وقوله تعالىٰ: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ [المائدة: ٢٩] وقوله تعالىٰ: ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ [المائدة: ٢٧]، وهذه

أحكام لا تعرف إلَّا من رسول، وهو آدم، كان رسولًا إلى زوجته وأولاده.

وإدريس كان نبيًّا رسولًا كما جاء في "صحيح ابن حِبَّان" عن أبي ذرٍّ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

وقوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧] حمله بعض التابعين على الرفع المعنويِّ، لكن الآية ليست بصريحةٍ فيه؛ لأن الرفع الحسِّي تذكر معه: «إلى» الدالة على الانتهاء إلى مكانٍ محسوسٍ، مثل قول الله تعالى: ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] وقوله تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨] أمَّا رفع المكان فالظاهر منه رفع المكانة ووصف الله له بذلك، لئلا يتوهَّم مُتوهِّمٌ أن إدريس عليه السلام أقل رتبة من الأنبياء الذين جاهدوا قومهم، وتحمَّلوا في دعائهم الشدائد كنوحٍ وهودٍ وصالحٍ، فكأنَّ الآية تقول: إدريس مرفوع الرتبة مثل إخوانه الأنبياء وإن لم يكن له جهادٌ كجهادهم.

هل يعد عيسى عليه السلام صحابيًّا؟

س٢٧- وسُئل رضي الله عنه: هل يعتبر عيسى عليه السلام صحابيًّا؟

ج٢٧- فأجاب رضي الله عنه: عيسى صحابيٌّ كما قال الذهبيُّ، والعراقيُّ، وابن حجرٍ، والسيوطيُّ؛ لأنه اجتمع بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ليلة الإسراء اجتماعًا متعارفًا، والبيتان اللذان ذكرهما الجردانيُّ هما لتاج الدين السبكيُّ، وهما:

مَن باتِّفاقِ جميعِ الخَلْقِ أَفْضَلُ مِن ... خَيْرِ الصِّحابِ أبي بكرٍ ومِن عمر

و من عليٍّ ومِن عثمانَ وهو فتًى ... مِن أُمَّةِ المُصْطفَى المَبعوثِ مِن مُضَر

وأجابه الشيخ محمد الطالب بن الحاج المالكي بهذين البيتين:

ذاك ابنُ مَرْيمَ رُوحُ الله حيث رأى نبيَّنا المُصطفَى في أحسن الصُّوَرِ
فَوْقَ السَّمواتِ ليلًا عندما اجْتَمَعا كذاك عند ظِرابِ البَيْتِ والحجر

وتقييد الجردانيِّ الصحبة كون الاجتماع في الأرض لا يعتبره المحدِّثون، بل المعتبر عندهم أن يكون الاجتماع حال الحياة في الأرض أو في السماء، ولم يقم دليلٌ على أنَّ الإسراء كان للأنبياء، وإنما هي أقوال لبعض العلماء اجتهادًا منهم، فالصواب أنَّ الإسراء خاصٌّ كالمعراج.

هل يعد موسى عليه السلام صحابيًّا؟

س٢٨- وسُئل رضي الله عنه: إذا كان عيسى صحابيًّا لاجتماعه بالنبيِّ ليلة الإسراء، فلماذا لا يكون موسى كذلك وقد تردَّد عليه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ليلة الإسراء أكثر مِن مرَّة؟

ج٢٨- فأجاب رضي الله عنه: الإجماع المتعارف أن يكون في اليقظة وفي حال الحياة، وموسى مات، فاجتماعه مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم روحيٌّ غير متعارفٍ، بخلاف عيسى فإنه حيٌّ، فاجتماعه متعارفٌ، ولذلك كان صحابيًّا ومِن الأمَّة المحمديَّة وصلاته خلف المهديِّ تأكيدٌ لذلك.

قول أنس: «لو بقي إبراهيم لكان نبيًّا»

س٢٩- وسُئل رضي الله عنه: ما معنى قول أنس رضي الله عنه: «لو بقي إبراهيم لكان نبيًّا» مع أنه لا نبي بعد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؟

ج٢٩- فأجاب رضي الله عنه: «لو عاش إبراهيم لكان نبيًّا» يُزيل الإشكال

الذي فيه قول أنسٍ: «لو بقي إبراهيم لكان نبيًّا ولكن لم يكن ليبقى فإن نبيكم آخر الأنبياء».

وقول عبدالله بن أبي أوفى الصحابي: «مات إبراهيم صغيرًا، ولو قضي أن يكون بعد محمَّدٍ نبي عاش إبراهيم، ولكن لا نبي بعده».

على أنه لا إشكال من الأصل؛ لأن لفظ «لو» لا يقتضي وقوع الشرط بل يتعلَّق بالمحال مثل: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾ [الإسراء: ٤٢] ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨] ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٦٧] والحديث مِن هذا القَبيل.

رسالة يوسف عليه السلام

س٣٠- وسُئل رضي الله عنه: كيف كانت رسالة يوسف عليه السلام؟

ج٣٠- فأجاب رضي الله عنه: يوسف عليه السلام دعا إلى الله في السجن وخارجه، لكن لم يُعارَض مِن أهل مصر؛ لأنه كان مَلِكًا عليهم، بل أظهروا الطاعة ظاهرًا فلما مات عادوا لكفرهم، يدل على هذا آية غافر ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [غافر: ٣٤].

نقد بيت في البردة

س٣١- وسُئل رضي الله عنه: ما معنى قول الإمام البوصيري في "بردته":

وقَدَّمَتْكَ جَميعُ الأنبياءِ بها ... والرُّسْلِ تَقْديمَ مَخْدُومٍ على خَدَمِ

ج٣١- فأجاب رضي الله عنه: قول البوصيريِّ: «تقديم مخدومٍ على خدمٍ»،

خطأ قبيحٌ؛ لأن الرسل اشتركوا معه في شرف الرسالة، وإنما فضلهم بميزة اختصه الله بها، فلا يجوز إنزالهم إلى درجة الخدم، فإن هذه استهانةٌ بمقام النبوة.

س٣٢- وسُئل رضي الله عنه: ما وجه تخطأة صاحب "البردة" في قوله: «تقديم مخدومٍ على خَدَمِ»؟

ج٣٢- فأجاب رضي الله عنه: صاحب البردة مخطئ في قوله: «تقديم مخدوم على خدم». ومخطئ أيضًا في قوله:

فإنَّ مِن جُودِكَ الدُّنيا وضَرَّتَها ... ومِن عُلومِكَ عِلْمَ اللَّوحِ والقَلَمِ

لأنَّ الدنيا والآخرة من جود الله تعالى لا مِن جود رسوله، وعلم اللوح والقلم مِن علم الله تعالى لا مِن علم رسوله، وهذا التغالي في المدح يكرهه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وينهى عنه.

س٣٣- وسُئل رضي الله عنه: كيف يخطِّئ الإمام البوصيريُّ في "بردته"، وقد كان جبريل عليه السلام يمسك الركاب لرسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؟

ج٣٣- فأجاب رضي الله عنه: جهلة الصوفية يعطون بجهلهم سلاحًا قويًّا للوهابيين وهم لا يشعرون، كما أنهم لا يدركون أن تغليط البوصيريِّ وألف مثله أهون من المساس بمقام جبريل والأنبياء عليهم السلام، وقد مدح الله جبريل، يقول تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ١٩-٢١] وسمَّاه: روح القدس، فكيف نصفه بأنه أمسك الركاب ليلة المعراج؟ مع أنَّ هذا لم يرد في حديثٍ، وإنما هو من زيادات

القُصَّاص كذبًا.

ولقد تعرَّضتُ لقصة المعراج في درسي ونفيت حكاية مسك الرِّكاب فعارضني عالمٌ ممن كان حضر على الشيخ الأنبابيِّ وقال: «إنَّ هذه الحكاية ذكرها كلُّ من كتب في المعراج».

قلت: لكنها كذبٌ، بل الثابت أنَّ جبريل كان راكبًا مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على صدر البراق والنبيُّ خلفه، وقد أثبت ذلك الحافظ ابن حجرٍ في "فتح الباري"، ثُمَّ إنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نهى عن التفضيل بين الأنبياء لأجل ألَّا ينشأ عنه غلوٌّ في حقِّ الفاضل ونقصٌ في حقِّ المفضول.

وقد وقع جهلة الصوفية فيما نهى عنه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ونحن مشينا مع القرآن، قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ﴾ [البقرة: ٢٥٣] أي أنهم سواء في وصف الرسالة ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ بميزات خارجة عن أصل الرسالة كالخُلَّة والكلام ونحو ذلك.

وليس فيهم خادمٌ لآخر لدليل قوله لرسوله: ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٢] أي واحد منهم، ولما قابلوه ليلة المعراج قالوا له: «مرحبًا بالأخ الصالح والنبيِّ الصالح». فالبوصيريُّ زَلَّ بتلك الكلمة ونرجو الله أن يغفر له تلك الزَّلَّة؛ لأنه لم يقصدها.

هل النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مرسل إلى الملائكة

س٣٤- وأمَّا قولُك: هل النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مرسلٌ إلى الملائكةِ على سبيلِ الوجوبِ؟

ج٣٤- **فجوابه**: أنَّ العلماءَ اختلفوا في ذلك، فقال الحليميُّ والبيهقيُّ أنَّه غير مرسلٍ إليهم، وجزم به الحافظُ العراقيُّ في نكَتِه على ابن الصَّلاح، والجلالُ المحليُّ في "شرح جمع الجوامع"، وحكى الرازيُّ في "تفسيره" الإجماعَ عليه.

وقال البارزيُّ والتقيُّ السُّبكيُّ أنَّه مرسلٌ إليهم، ووافقهما الحافظ السُّيوطيُّ، واحتجُّوا بعمومِ قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١] وقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] وقولِه: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩].

وقولِه عليه وآله السلام: «**وأرسِلتُ إلى الخلقِ كافَّةً**».

ولا شكَّ أنَّ لفظَي «العالمين» و«الخلق» يشملان الملائكةَ لغةً وعُرفًا، كما أنَّه لا شكَّ في أنَّ القرآنَ بلَغَ الملائكةَ.

واحتجُّوا أيضًا بخصوص أدلَّةٍ أصرحُها في الدِّلالة قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ يعني: الملائكة ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦ - ٢٧] إلى قوله: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ﴾ يعني الملائكة ﴿إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٢٩].

ففي هذه الآية إنذارٌ للملائكة على لسان النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في القرآنِ الذي أُنزل عليه.

وأمَّا ما قاله بعض الفُضَلاء من أنَّه مرسلٌ إليهم على سبيل الكمالِ فهذا وإن قاله بعضُ العلماء وصرَّح به البُنانيُّ في "حاشية جمع الجوامع" لا معنى له ولا تحصيلَ فيه؛ لأنَّ الإرسالَ لا يكون إلى على سبيل الوجوبِ، وليس في اللغةِ

ولا في الشرع إرسالٌ على سبيل التَّشريفِ والكمال.

وما علَّل به ذلك من أنَّهم لا يعصون اللهَ ما أمرهم سهوٌ وذهولٌ، إذ ليس الإرسال خاصًّا بمن يعصي بل يكونُ له ولغيرِه.

ألا ترى أنَّ الأنبياء مرسلون إلى أنفسِهم وهم معصمون بالإجماعِ، والأدلَّةِ العقليَّةِ القاطعةِ؟! وأَجِلْ طرْفَك في القرآنِ تجدْه كثيرَ الأمرِ والنَّهي للنبيِّ عليه وآله السَّلام مع أنَّه أفضلُ من الملائكة بالإجماع وأولى بالعِصمة منهم. على أنَّ الآية التي ذكرناها قريبًا فيها إنذارُ الملائكة مع عصمتهم فكلّ هذا يدلّك على بطلانِ ذلك التعليل.

رؤية الملائكة لله تعالى في الجنة

س٣٥- وسُئل رضي الله عنه: عن رؤية الملائكة لله تعالى في الجنة.

ج٣٥- فأجاب رضي الله عنه: وأمَّا رؤيةُ الملائكة لله تعالى ففيها قولان أيضًا. **أحدُهما**: أنَّهم لا يرونَه. صرَّح بهذا عزُّ الدين بن عبد السلام في "القواعد الصغرى" وهو مبنيٌّ على أنَّ الرؤية خاصَّة بالبشر وهي دعوى لا دليل عليها.

والقولُ الثاني: أنَّهم يرونه وهذا هو القولُ المنصورُ لعمومات الأدلَّة، ولما رواه روحُ بن عبادة قال: حدثنا عَبَّاد بن منصور قال: سمعت عديَّ بن أرْطأة يخطبُ على المنبر بالمدائن فجعلَ يعظُ النَّاسَ حتى بكى وأبكانا ثم قال: لقد سمعت فلانًا -يعني رجلًا من الصَّحابة نَسِي عبَّادٌ اسمَه- يقول: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ لله ملائكةً ترعُد فرائصُهُم مِن مخافتِه ما منهُم ملَكٌ تقْطُرُ دمعتُه منْ عينِه إلَّا وقَعَتْ ملَكًا يسبِّحُ الله تعالى**. قال: **وملائكةٌ**

سُجُودٌ منذُ خَلقَ اللهُ السَّمواتِ والأرضَ لم يرفَعُوا رؤوسَهُم ولا يرفَعُونَها إلى يومِ القيامةِ، وصفوفٌ لم ينصَرِفُوا عن مصافِّهم ولا ينصرفُونَ إلى يوم القيامةِ، فإذا كان يومُ القيامةِ وتجلَّى لهُم ربَّهُم فنظَرُوا إليه قالوا: سُبحانَكَ ما عبدناكَ كما ينبغِي لكَ أنْ نَعبُدكَ».

وقال صدقةُ بن عمرو العقديُّ: قرأتُ على محمَّد بن إسحاق: حدَّثني أميةُ بن عبدالله بن عمرو بن عثمان، عن أبيه، عن عبدالله بن عمرو بن العاص أنَّه كان يُحدِّثُ مروانَ بن الحكم وهو أميرُ المدينةَ قال: إنَّ اللهَ خلقَ الملائكةَ لعبادتِهِ أصنافًا، فإنَّ منهم ملائكةً قيامًا صافِّين من يومِ خلَقَهم إلى يوم القيامة وملائكةً ركوعًا خشوعًا من يوم خلقهم إلى يومِ القيامة، وملائكةً سجودًا منذُ خلَقَهم إلى يومِ القيامة، فإذا كان يومُ القيامة، وتجلَّى لهم تعالى، ونظرُوا إلى وجهِه الكريم، قالوا: سبحانَك، ما عبدناك حقَّ عبادتِك.

جبريل أفضل أم إسرافيل؟

س٣٦- وسُئل رضي الله عنه: هل جبريل أفضل أم إسرافيل؟ وهل الملائكة العالون صنفٌ من الملائكة لم يأمروا بالسجود لآدم كما ذكر ذلك الشيخ الدجويُّ؟ وكيف يرى الدِّيك الملائكة؟

ج٣٦- فأجاب رضي الله عنه: اختلف في جبريل وإسرافيل أيهما أفضل؟ والراجح أفضلية جبريل؛ لأنه صاحب الوحي، ولأنَّ الله وصفه بأوصافٍ عظيمةٍ لم يصف بها غيره من الملائكة.

وما ذكره المرحوم الدجويُّ لا دليل عليه ولا أصل له، وليس المراد بـ«العالين» صنفًا مِن الملائكة وإنما المراد به المتكبِّرون بطبعهم.

ولا توجد ملائكة ولا تراهم الملائكة، وإثبات مثل هذا من شطحات بعض الصوفية، كما قالوا: «توجد أوادم غير آدم»!.

ولا تطاق رؤية الملك بصورته الأصلية، لكن تطاق رؤيته بصورةٍ مثالية فلا مانع أن يرىٰ الديك مَلَكًا في صورة رجلٍ أو ديكٍ ويلهم أنه مَلَكٌ فيصرخ.

اسم ملك الموت

س٣٧- وسُئل رضي الله عنه: هل ثبت تسمية مَلَك الموت بعزرائيل؟

ج٣٧- فأجاب رضي الله عنه: لم يرد تسمية ملك الموت بعزرائيل إلَّا في حديثٍ موضوعٍ، وورد تسميته عن أشعث بن سليم الكوفيِّ، وهذا الاسم مأخوذٌ من الإسرائيليات.

هل أرسل نوحٌ إلى الجنِّ؟

س٣٨- وسُئل رضي الله عنه: هل أرسل نوحٌ إلىٰ الجنِّ؟

ج٣٨- فأجاب رضي الله عنه: نوحٌ عليه السلام لم يرسل إلىٰ الجنِّ ولم يكونوا مُكلَّفين باتباعه، فلم يعمهم الطوفان، كما لم يعم الأرض كلها، وإنما عم منطقة الشرق الأوسط.

هل أرسل الله سُليمانَ إلى الجِنِّ؟

س٣٩- وسُئل رضي الله عنه: هل أرسل الله سُليمانَ إلىٰ الجِنِّ؟

ج٣٩- فأجاب رضي الله عنه: وأمَّا قولُك: هل أرسل الله سُليمانَ إلىٰ الجِنِّ؟ أو كان يحكُم فيهم فقط؟ فجوابُه: أنَّه كان مَلِكًا عليهم غيرَ مُرسَلٍ إليهم لأنَّه لم يرسل إلىٰ الجنِّ قبل نبيِّنا رسولٌ. ففي الصَّحيحين عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أُعطِيتُ خمسًا لم يُعطَهُنَّ أحدٌ مِنَ**

الأنبياءِ قَبْلي...» فذكرها إلى أن قال: «وكانَ النبيُّ يُبْعَثُ إلى قومه خاصَّةً وبُعثتُ إلى النَّاس عامَّةً».

فقوله: «وكان النبيُّ يُبعَثُ إلى قومِه خاصَّةً» صريحٌ في أنَّ الأنبياء لم يُبعثُوا إلى الجنِّ لأنَّهم ليسوا قومًا لهم وإنَّما قومُهم الإنسُ كما هو واضحٌ.

عقيدة الجن

س٤٠- وسُئل رضي الله عنه: ما عقيدة الجنِّ التي يؤمنون بها؟، ومَن الذي يتولَّى إرشادهم؟

ج٤٠- فأجاب رضي الله عنه: الجنُّ قبل البعثة المحمدية كانوا على أقسام منهم مَن آمن برسول من رسل الله وإن لم يكن مرسلًا إليهم، فهو مؤمنٌ كمن آمن منهم بموسى عليه السلام، ومنهم من أشرك أو حرَّض على الشرك فهو كافرٌ، ومنهم أهل فترةٍ لم يؤمنوا ولم يشركوا، والذي يتولَّى إرشادهم بعد إسلامهم علماء منهم ومِن الإنس، في عهد التابعين ومن بعدهم إلى الآن، وقد وفدوا إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مرات كالإنس، وتعلَّموا منه قرآنًا وأحكامًا.

وفي قرافة مصر قبر أبي الحسن علي بن الحسن الخلعيِّ الشافعيِّ، كان الجنُّ يأتون إليه ويقرءون عليه وكان يقال له: «قاضي الجن».

وللشيخ الشعرانيِّ كتاب اسمه "كشف الران عن أسئلة الجان" ذكر في خطبته أنَّ الجنَّ سألوه عن مسائل في التوحيد نحو (٨٠) سؤالا، طلبوا الإجابة عليها فأجابهم بهذا الكتاب، وهو مطبوعٌ بمصر.

والشيخ المدابغي الشافعيُّ كان في بيته جنيٌّ يلازمه يستفيد منه في صورة قِطٍّ، والشيخ لا يعلم، ولمَّا علم به، وطلب منه أن يأتيه بنقود خرج ولم يعد.

وكان كثير من علماء المغرب وأوليائه يعلمون الجنَّ القرآن ويلقِّنونهم الطريق، منهم جدي الإمام أحمد بن عبدالمؤمن الغماريُّ، ووالدي رضي الله عنه، وهم يحضرون دروس من يرضونه من علماء الإنس، إمَّا خفية، أو في صورة إنسان، وإن كان من الأولياء ظهروا له وأظهروا حقيقتهم.

هل يدخُل مؤمنوا الجنِّ الجنَّة؟

س٤١- وسئل رضي الله عنه: هل يدخُل مؤمنوا الجنِّ الجنَّة؟

ج٤١- فأجاب رشي الله عنه: وأما أنَّ مؤمني الجنِّ هل يدخُلون الجنَّة ويتنعَّمون فيها من أكلٍ وشربٍ ويترقَّون في الدَّرجاتِ ويكونُ لهم الثوابُ والعقابُ ويرَوْن الله تعالى كما يراه بنو آدمَ ويتزوَّجون بالحُورِ العِينِ؟

فهذه مسائلُ اختَلفَ فيها العلماءُ، فأمَّا دخولُهم الجنَّة ففيه أربعةُ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّهم يدخلونها وهو قولُ الجمهور.

الثاني: أنَّهم لا يدخُلون الجنَّة بل يكونون في رَبَضِها يراهُم الإنسُ من حيثُ لا يرونَهم، وهذا مرويٌّ عن مالكٍ، والشَّافعيِّ، وأحمدَ، ومحمَّدِ بن الحسن تلميذِ أبي حنيفةَ.

الثالثُ: أنَّهم على الأعرافِ، وهو قولُ بعض العلماء، واحتجَّ له بما رواه الكنجروديُّ في "أماليه" عن أنس، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ مؤمني الجنِّ لهم ثوابٌ وعليهِم عِقابٌ**». فسألناه عن ثوابهم فقال: «على

الأعرافِ وليسُوا في الجنَّةِ مع أمَّة محمَّد» فسألناه عن الأعراف، قال: «حائطٌ الجنَّة تَجْرِي منهُ الأنهارُ وتنبتُ فيه الأشجَار والثِّمارُ». وقال الذهبيُّ: «هذا حديثٌ منكرٌ جدًّا».

الرابعُ: الوقْفُ، وهذا أضعفُ الأقوال وأسخَفُها، لأنَّ الوقفَ يحسُن عند تعارُضِ الأدلَّة وتساويها في القوَّة وليس الأمرُ هنا كذلك، بل القولُ الأوَّلُ هو الصَّحيحُ وأدلتُه هي القويَّة دون غيرها وهي كثيرةٌ:

منها: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مرسَلٌ إلى الثَّقلَيْنِ وهما الجِنُّ والإنسُ وقد جاء عنه في الأحاديثِ المتواترةِ أنَّ من أطاعه دخل الجنَّة ولم يفرِّق بين إنسيٍّ وجنِّيٍّ.

ومنها: العُموماتُ الواردةُ في القرآن كقوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [ق: ٣١]، ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣] في آياتٍ كثيرة لا يجوزُ الإقدام على تخصيصها إلَّا بدليلٍ، ودون وجودِه خَرْطُ القَتَادِ.

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٦ - ٤٨] فهذه الآيةُ صريحةٌ في دخول الجنِّ للجنَّة لأنَّ الخطابَ في (سورة الرحمن) موجَّه إلى الإنس والجنِّ بنصِّ القرآنِ وإجماعِ الأمَّة.

وجاء عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنَّه قال لأصحابه لما تلا عليهم هذه السورة: «**الجنُّ كانو أحسنَ جوابًا منكُم، ما تلَوتُ عليهِمْ من آيةٍ إلَّا قالوا: ولا بشيءٍ من آلائِكَ ربَّنا نُكذِّبُ**». رواه التِّرمذيُّ.

ومنها: ما رواه أبو الشيخ ابن حيان بإسنادٍ فيه انقطاعٌ عن ابن عبَّاسٍ قال: «الخَلقُ أربعةٌ: فخلقٌ في الجنَّة كلُّهم وهم الملائكةُ، وخلقٌ في النَّار كلُّهم وهم الشَّياطينُ، وخلقٌ في الجنَّة والنَّار وهم الإنسُ والجنُّ، لهم الثوابُ وعليهم العقابُ».

وأما تنعُّمُهم في الجنَّة بالأكلِ والشُّرب ففيه قولان:

أحدُهما: ما رواه ابن أبي الدنيا عن مجاهدٍ أنَّه قال في الجنِّ: «يدخلون الجنَّة ولكنْ لا يأكُلون ولا يشربُون، يُلهَمون من التَّسبيح والتَّقديس ما يجدُه أهلُ الجنَّة من لذَّة الطَّعامِ والشَّرابِ».

والقول الثاني: أنَّهم يأكلون ويشربون وهذا هو الصحيحُ وبه جاءت الأدلَّةُ.

وأمَّا ترقِّيهم في الدرجات فهو مبنيٌّ على دخولهم للجنة، وتقدَّم أنَّهم يدخلونَها، وعليه فيترقون في الدَّرجات بحسبِ أعمالهم.

وأمَّا ثوابُهم وعقابُهم فالثاني مُجمَعٌ عليه لمجيء الآياتِ والأحاديثِ به، والأوَّل فيه قولان:

أحدُهما: أنَّه لا ثوابَ لهم إلا النَّجاة من النَّار ثم يقال لهم: «كونُوا ترابًا» كبقيَّة البهائم. وهذا قولُ أبي الزِّناد، وليثِ بن أبي سُلَيم، وأبي حنيفة، وهو قولٌ ضعيفٌ.

والقولُ الثاني: أنَّهم يُثابُون. وهذا قولُ ابن عبَّاسٍ، وضمرةَ بن حبيب، والأوزاعيِّ، ومالكٍ، والشَّافعيِّ، وأحمدَ، وابنِ أبي ليلى، وأبي يوسف، ومحمَّد بن

الحسن، وابن وهْب، وابن القاسم، وجماهير العُلماء، وهو الصحيحُ.

غيرَ أنَّ هؤلاءِ اختلفوا في ثوابِهم: بماذا يكونُ؟ هل بدخول الجنَّة؟ أو بالبَقاء على الأعراف؟... إلخ الأقوال المتقدمة.

وأمَّا رؤيتُهم لله تعالى ففيها قولان أيضًا:

الأوَّلُ: أنَّهم لا يرونه، لأنَّ الرُّؤية خاصَّةٌ بمؤمني البشر. وهذا قولٌ ضعيفٌ لا دليلَ عليه، والخصُوصيَّة لا تثبُت بالادِّعاء.

والقولُ الثاني: أنَّهم يرون الله تعالى كما يراهُ بنو آدمَ. وهذا ما نقله ابنُ العماد عن شيخِه سراجِ الدين ابنِ الملَقِّن، وأبداه بحثًا من عنده جلالُ الدِّين البُلْقِينيُّ.

وهو الصحيحُ الذي لا يجوزُ أن يُعتَقد غيره لأنَّ آياتِ الرُّؤية وأحاديثَها عامَّةٌ في كلِّ مؤمن، فكيف يجوز إخراجُ الجنِّ من عمومِها بالادِّعاء العاري عن الدَّليل؟!.

وأمَّا تزوُّجُهم بالحُور العِين فهو من جملة النَّعيم الذي يتنعَّمون به في الجنَّة، وفي القرآن في وصفُ الحُور العِين: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن: ٧٤] ففي هذه الآية دليلٌ على تَأَتِّي طَمْثِ الحوِر العِين من الجنِّ.

وأمَّا رؤيتُنا لهم في الجنَّة دون أن يرَوْنا فهذا قولٌ قاله الحارثُ المحاسِبي ولم نقفْ على حديثٍ يؤيِّده ويعضدُه.

دليل دخول الجنِّ الجنَّةَ

س٤٢- وسُئل رضي الله عنه: ما هو دليل دخول الجنِّ الجنَّةَ يومَ القيامةِ؟

ج٤٢- فأجاب رضي الله عنه: أمَّا دخول الجنِّ الجنَّة، فدليله (سورة الرحمن)؛

فإنَّ الله تعالىٰ خاطب فيها الإنس والجنَّ، وتوعَّدهم بالنار، كما وعد طائعيهم بالجنَّة، وصحَّ عن جابرٍ قال: «قرأ علينا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم (سورة الرحمن) حتَّىٰ ختمها، ثُمَّ قال: «**مالي أراكم سُكُوتًا؟ فالجنُّ كانوا أحسن رَدًّا منكم، ما قرأت عليهم هذه الآية من مَرَّةٍ: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾** [الرحمن: ١٣] **إلَّا قالوا: ولا بشيءٍ مِن نِعَمِكَ رَبَّنا نُكَذِّبُ فلك الحمدُ**».

فلماذا قرأ عليهم هذه السورة إن كانوا لا يدخلون الجنَّة؟! وهل يجوز في حِكْمَة الله وفضله أن يدخل بعض الطائعين الجنَّة دون بعضٍ؟! مع أنَّه وعد الطائعين عامَّةً بالجنَّة.

والحقيقة أنَّ مَن زعم أنَّ الجنَّ لا يدخلون الجنَّة زَعَمَ باطلًا، وحَجَّر فضل الله، وبخل علىٰ طائعي الجنِّ بما لا يملكه.

ومثل هذا الزعم في السقوط قول مَن زعم أنَّ الملائكة والنِّساء لا يرون الله يوم القيامة، فهم محجوبون عن رؤية الله كالكفار، وهذه أقوال شاذَّةٌ لا يُعتَدُّ بها.

هل الجنُّ كلّهم يتطوَّرون؟

س٤٣- وسئل رضي الله عنه: هل الجنُّ كلّهم يتطوَّرون؟

ج٤٣- فأجاب رضي الله عنه: وأمَّا قولُك: هل الجنُّ كلّهم يتطوَّرون أو فيهم من لا يتطوَّر؟ فجوابُه: أنَّهم كلَّهم يتطوَّرون لأنَّ الأدلةَ التي أثبتَت لهم التَّطوُّر لم تفرِّقْ بينهم فيه.

هل إبليس من الجن أم من الملائكة؟

س٤٤- وسئل رضي الله عنه: هل إبليس من الجن أم من الملائكة؟

ج٤٤- فأجاب رضي الله عنه: وأمَّا أنَّ إبليسَ هل هو من الجنِّ أو هو من الملائكةِ ففي ذلك قولانِ:

أحدُهما: أنَّه من الملائكة من صِنْفٍ يقالُ لهم الجنُّ.

والثاني: أنَّه من الجنِّ الذي هو خلاف الإنس وهو أبُوهم، كما أنَّ آدمَ أبو الإنس، وهذا القولُ هو الصحيحُ وأدلَّته في كتب التفسير كـ"تفسير ابن كثير" وغيرِه.

كيفية مجيء الذرية الشيطانية وطريقة تناسلها

س٤٥- وسُئل رضي الله عنه: المعروف أن إبليس طرد من رحمة الله بدون زوجةٍ فمن أين أتت هذه الذرية الشيطانية وما هي طريقة تناسلها؟

ج٤٥- فأجاب رضي الله عنه: لم يرد نصٌّ صحيحٌ في أنَّ إبليس كان ساعة الطرد بدون زوجةٍ أو ذرية بل الظاهر أنه كان له ذرية قبل خلق آدم بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ [الحجر: ٢٦ - ٢٧] فهذه الآية تفيد أنَّ الجنَّ كانوا موجودين قبل آدم.

وقد ورد في الآثار أنهم كانوا سكَّان الأرض فلما عتوا وطغوا وأفسدوا بعث الله عليهم ملائكة طردوهم إلى الجبال والجزر وانضمَّ إبليس منهم مع الملائكة بعبادة الله حتى وقع منه ما وقع.

وأمَّا طريقة تناسلهم فلم يأتِ في بيانها حديثٌ صحيحٌ يُعتمَد عليه،

والظاهر أنها كطريقة تناسل الآدميين بدليل أنَّ أناسًا تزوَّجوا بجنيَّات، وكان بعض التابعين يقول: «اللهمَّ ارزقني بجنية أتزوَّج بها».

وكون أصلهم من نار لا يمنع أن تكون أجسامهم مثلنا كما أنَّ الإنسان مخلوقٌ من طينٍ لكن تركيبه الحالي لا يشاهد عليه شيءٌ من التراب أو الطِّين.

مكان سكن الشياطين وكيفية موتهم

س٤٦- وسُئل رضي الله عنه: هل تسكن الشياطين على وجه الأرض وهل تموت مثل الإنسان؟

ج٤٦- فأجاب رضي الله عنه: تسكن الشياطين على وجه الأرض، وتأوي إلى الأماكن الموبوءة بالنجاسات وما يشابهها، وتموت مثل الإنسان لكن منهم مُنظَرون لا يموتون إلَّا عند قيام الساعة.

هل يجب الغسل على الإنسية إذا وطئها جني؟

س٤٧- وسئل رضي الله عنه: هل يجب الغسل على الإنسية إذا وطئها جني؟

ج٤٧- فأجاب رضي الله عنه: وأمَّا قولُك: إذا وجدنا إنسيَّة تزوَّجتْ بجنيٍّ ويطؤُها وتنال منه ما تنال من الإنسيِّ من اللذة فهل يجبُ عليها الغسلُ أم لا؟ فجوابه: أنَّ بعض الفقهاء الحنابلة ولعلَّه أبو الوفاء بن عَقيل فيما أظنُّ قال: «لا يجبُ عليها الغُسْلُ» وعلَّل ذلك بعلَّةٍ فيها نظرٌ.

والصَّواب الذي لا يجوز أن يُفتى بغيره: وجوبُ الغُسل، لأنَّ الشَّارعَ أوجبَ الغسلَ بإيلاجِ الحشَفَةِ أو إنزالِ المنيِّ فإذا وجدا أو أحدُهما وجبَ

الغُسل، سواء كان ذلك من إنسيَّين أو جنيَّين أو إنسيٍّ وجنيَّةٍ أو العكسِ، ومن ادَّعىٰ تفرقةً بين هذه الصور فقد أتىٰ بما لا يستطيعُ أن يُقِيم عليه دليلًا أو يلجُ الجَمَلُ في سَمِّ الخِيَاطِ.

الأرواح بعد الموت هل هي حرة أو مقيدة؟

س٤٨- وسُئل رضي الله عنه: هل الأرواح بعد مفارقتها للأجساد تعتبر حرة أم هي مقيدة سجينة؟ وما حكم علم استحضار الأرواح بعد أن أتىٰ علماء هذا الفن من الغربيين بالأدلة والبراهين لإثبات ذلك؟

ج٤٨- فأجاب رضي الله عنه: الروح بعد مفارقة البدن إمَّا أن تكون طائعةً أو لا، فالأولىٰ تذهب إلىٰ البرزخ ويُؤذَن لها في زيارة قبرها أحيانًا وتكون طليقةً.

والثانية تُحبس علىٰ صخرةٍ في باب جهنَّم فتتألَّم بنظرها إلىٰ النَّارِ مع علمها بأنها ستصير إليها، وقد يُؤذَن لها في الاتصال بغيرها في بعض الأحيان.

ولكن سواء أكانت الروح طليقةً أم حبيسةً فلا يستطيع أحدٌ من الأحياء استحضارها؛ لأنها في مكانٍ ليس من عالم الدنيا بل من عالم البرزخ، ولا يهتدي أحدٌ من الأحياء إلىٰ معرفة ذلك المكان، ولو فرض وعرفه -وهذا محالٌ- فلا يعرف كيف الطريق إلىٰ استحضار الروح المراد استحضارها.

وعلم تحضير الأرواح الذي كتب فيه الغربيون المؤلَّفات الكثيرة وبنوه علىٰ تجارب قاموا بها في بلادهم باطلٌ لا أصل له وإن اغترَّ به كثيرٌ من إخواننا الشرقيين. وقد حضرت بنفسي بعض المجالس فتيقَّنت أنه حديث خُرَافة، وأنه لا ينبني علىٰ أساسٍ من العلم الصحيح. ولا يهولنَّك اجتماع الغربيين علىٰ

الاعتراف بهذا العلم؛ فإن اجتماعهم لا قيمة له في مسألة تتصل بالدِّين كهذه المسألة، ومن شرط الإجماع الذي هو حُجَّةٌ عند معظم المسلمين أن يكون المجمعون عُدُولًا مسلمين، فلا قيمة لإجماع غيرهم ولو ملأوا الأرض.

والغربيون إنما يُرجَع إليهم فيما أتقنوه من الماديات كهذه المخترعات الحديثة، أمَّا الروحيات والدينيات فلا دخل لهم فيها، وإن تكلموا فيها فتطفُّلٌ منهم، وكل فنٍّ يُرجَع فيه إلى أربابه.

وإن أردت تعليلًا معقولًا لتحضير الأرواح على فرض صحَّته فاعلم أنَّ كلَّ إنسانٍ مِنَّا معه قرينه من الجنِّ كما ثبت في القرآن والحديث الصحيح، فإذا مات إنسانٌ انضمَّ قرينه إلى جند إبليس للإغواء والإضلال، والجنُّ كما تعلم أُعطُوا قدرة التَّشَكُّل في صورٍ مختلفةٍ، فهذا الذي يحضر بسبب الوسيط ما هو إلَّا جنِّيٌّ قرينٌ للميت يزعم أنه روح الميت ويخبر بأشياء يعرفها عن الميت بحكم مصاحبته طول حياته، فيظنُّ الحاضرون أنها روح الميت حضرت وتكلَّمت، وما هي في الواقع إلَّا جنِّيٌّ حضر وكذب عليهم وأضلَّهم كما هو شأنه مع بني الإنسان.

هذا ما نراه تعليلًا لتحضير الأرواح يتمشَّى مع العلم والدين، وما سوى ذلك لا عبرة به ولا التفات إليه، والله أعلم.

سؤال القبر و كيفيته

س٤٩- وسُئل رضي الله عنه: ما حكم سؤال القبر وما كيفيته؟

ج٤٩- فأجاب رضي الله عنه: سؤال القبر ثابتٌ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في أحاديث كثيرةٍ بلغت نحو سبعين حديثًا، ولهذا اتفق أهل السُّنَّة

على إثباته والقول به، وأنكره المعتزلة لجهلهم بالسُّنَّة كما أنكروا الصراط والميزان والشفاعة وغيرها من الأمور التي تثبت بالسُّنَّة المتواترة، وحكَّموا في إنكارها عقولهم جاهلين بما ورد فيها.

والسؤال ينحصر في ثلاثة أمورٍ، هي: مَن رَبُّك؟ وما دينك؟ وما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟

فالموفَّق يجيب بما يوافق الحقَّ، والكافر ومن في معناه يقول في الثلاثة: لا أدري. فيجيبه الملكان منكر ونكير: لا دريت ولا تليت، قد كنا نعلم إن كنت لكافرًا. ثُمَّ يضرب بمقمعةٍ من حديدٍ خلف أذنه ثُمَّ يُفتح له بابٌ من الجنَّة فيقال له: هذا مكانك لو آمنت، أمَّا إذ كفرت فانظر ما أبدلك الله به، ويُفتح له بابٌ إلى جهنَّم، ويقال له: هذا مقعدك حين يبعثك الله، ويُضيَّق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه.

أمَّا المؤمن فبعد أن يجيب إجابةً موفَّقةً يقول له الملكان منكر ونكير: قد علمنا إن كنت لمؤمنًا، ثُمَّ يفتح له بابٌ إلى جهنَّم فيقال: انظر إلى مكانك لو كفرت أمَّا إذ آمنت فانظر ما أبدلك الله به، ويُفتح له بابٌ إلى الجنَّة ويوسَّع عليه قبره مد البصر، ثُمَّ يقول له المَلَكان: نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلَّا أحبُّ أهله إليه.

فهذا معنى كون القبر حُفْرةً مِن حُفَر النَّارِ أو روضةً مِن رياض الجنَّة.

وهذه الأشياء التي تقع للميت حقيقية يحس بها ويشعر ويفرح ويتألَّم ولكن لا نحس نحن بها لأنها في عالم غير العالم الذي نعيش فيه.

أمَّا الحساب الذي يكون في الموقف يوم القيامة فهو أن يسأل الإنسان عما

عمل من وقت بلوغه إلى وقت موته من طاعاتٍ ومعاصٍ.

فسؤال القبر يختلف عن الحساب في الموقف، إذ سؤال القبر خاصٌّ بأصول الإيمان فهو بمثابة جواز السفر. أمَّا السؤال في الموقف فهو حسابٌ دقيق عما فعله الإنسان طول حياته، والله أعلم.

الصراط وأدلة وجوده

س٥٠- وسُئل رضي الله عنه: بعض مَن ينتسب إلى العلم يقول ليس في يوم القيامة صراطٌ؛ لأن القرآن لم يذكره، فما هي أدلة إثبات الصراط؟

ج٥٠- فأجاب رضي الله عنه: الأحاديث المُثبِتة للصِّراط ثابتةٌ في الصحيحين وبقية الكتب الستة بل هي متواترةٌ كما قال القاضي عياض في "الشفاء" والحافظ السيوطيُّ في "الأزهار المتناثرة" وشيخنا السيد محمد بن جعفر الكتانيُّ في كتاب "نظم المتناثر" وغيرهم، ولهذا أدرجه أهل السُّنَّة في جملة العقائد التي يجب على المؤمن اعتقادها، فلا تجد كتابًا من كتب التوحيد على مذهب أهل السُّنَّة إلَّا وتجد فيه وجوب اعتقاد الصِّراط، وأنه جِسرٌ على جهنَّم يمرُّ عليه الناس إلى الجنَّة فناجٍ مُسَلَّمٌ ومَخدوشٌ مُكرْدَسٌ، على هذا أجمع أهل السُّنَّة عملًا بالحديث المتواتر كما قدَّمنا.

وأنكره المعتزلة لجهلهم بالحديث، كما أنكروا غير ذلك من المعتقدات الثابتة بالسُّنَّة مثل: الحوض والشفاعة والميزان ونحو ذلك.

والمعتزلة طائفةٌ ضالَّةٌ؛ لأنهم أنكروا عقائد ثبتت بالأحاديث، وتمسَّكوا بأنَّ القرآن لم يذكرها، فكان هذا سبب ضلالهم عند أهل السُّنَّة؛ لأن القرآن ترك أشياء

كثيرةً لم يذكرها؛ ليُبيِّنها رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في سُنَّته. والله يقول في كتابه مخاطبًا نبيه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، ويقول مخاطبًا لنا: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

فمن لم يقبل ما أخبر به رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من أمور الآخرة وأحوالها وأهوالها فقد خالف الله ورسوله؛ لأنه لم يقبل بيان رسول الله، ولم يمتثل قول الله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ وهذا هو الضلال، وقانا الله ذلك بمَنِّه وكرمه، والله أعلم.

شهادة أعضاء الإنسان

س٥١- وسئل أيضًا رضي الله عنه: عن شخص نقل له عضوٌ من الرجل أو اليد أو اللسان علام تشهد هذه الأعضاء للأول أم للثاني؟

ج٥١- فأجاب رضي الله عنه:بأنها تشهد للجسم الذي خلقت معه أمَّا الثاني فإنها مستعارةٌ له فقط.

حكم الأطفال في الجنَّة

س٥٢- وسُئل رضي الله عنه: عن الصِّبيان والصِّغار جدًّا ماذا حكمهم في الجنَّة يوم القيامة؟

ج٥٢- فأجاب رضي الله عنه: أنهم يبقون على حالتهم التي ماتوا عليها صغارًا، ولكن الذي يموت بعد البلوغ سواء مات هرمًا أو متوِّسطًا يكون سن الجميع ثلاثًا وثلاثين سنة، هكذا أفتى الشيخ عبدالله أيضًا بأنَّ الصغار يكونون

في الجنَّة صغارًا على الحالة التي ماتوا عليها .

هل يقرأ أهل الجنة القرآن؟

س٥٣- وسُئل رضي الله عنه: هل يقرأ أهل الجنة القرآن؟

ج٥٣- فأجاب رضي الله عنه: جاء في حديثٍ ضعيفٍ لفظه: «**كل قرآنٍ يُوضَعُ عن أهلِ الجنَّةِ فلا يَقْرؤون منه شيئًا إلَّا طه ويس فإنهم يقرؤون بهما في الجنَّة**».

رواه ابن مَرْدُوَيه عن أمامة، والثعلبيُّ عن الحسن مرسلًا، وكلاهما ضعيفٌ، ولا عبادة في الجنَّة، لكن جاء في حديثٍ صحيحٍ: «**أنَّ أهل الجنَّة يُلْهَمُون التسبيح والتكبير كما نُلهَم النَّفَس هنا**». وليس هذا بعبادةٍ، بل تلذُّذٌ بتنزيه الله وتعظيمه، ويتذاكر أهل الجنَّة ما كان بينهم في الدنيا من مسائل علمية وغيرها، وهناك ينكشف لهم ما غمض عليهم في الدنيا، كحقيقة الروح وسر القضاء والقَدَر.

القول بفناء النار

س٥٤- وسُئل رضي الله عنه: عن الأسباب التي جعلت ابن تيمية وابن القيِّم يقولان بفناء النار.

ج٥٤- فأجاب رضي الله عنه: شذَّ ابن القيِّم وشيخه وخرجا عن الإجماع بقولهما بفناء النار مع من فيها مَن الكفار، ووجَّه ابن القيم ذاك بأنَّ النار تظهر غضب الله، والغضب صفة فعل، فلذلك تفنى، والجنة تظهر رحمة، والرحمة صفة ذاتية، فلذلك لا تفنى. ولكن النصوص تردُّ ذلك وتقطع بأبدية النَّار والجنَّة.

الإمام المهدي المنتظر والمسيح الدجال

س٥٥- وسُئل رضي الله عنه: أنكر أحد الناس ظهور المسيح الدجال والمهدي وقال لا أُصَدِّق إلَّا بآيةٍ من القرآن أرجو توضيح هذا الموضوع.

ج٥٥- فأجاب رضي الله عنه: روىٰ أبو داوود وغيره عن المقدام بن مَعْدِي كَرِبَ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لا أعرفنَّ -وفي رواية: لا أُلْفِينَّ- أحدكم مُتَّكِئًا على أَريكَتِهِ يأتيه الأمر ممَّا أمرتُ به أو نَهيتُ عنه فيقول: لا ندري ما وَجَدْنا في كتابِ الله اتَّبَعْناهُ**» زاد في روايةٍ أخرىٰ: «**أَلَا وإنِّي أُوتيتُ القرآنَ ومِثْلَهُ مَعَهُ**». صدق رسول الله.

فهذا الحديث ينطبق تمام الانطباق علىٰ جماعة المبتدعة، زعموا ألا يعملوا ولا يعتقدوا إلَّا ما جاء في القرآن وكأنهم لم يسمعوا قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

وقد ظهر قرن هذه الفئة في عهد الصحابة، إذ ظهر جماعةٌ في ذلك الوقت ينكرون أشياء وردت في السُّنَّة ولم ترد في القرآن، فكان ممن ردَّ عليهم عمران بن حصينٍ الصحابيُّ الجليل إذ قال لأحد هؤلاء المبتدعة: أخبرني عن عدد ركعات الصلاة في القرآن، وعن تحديد أوقاتها، وعن تحديد مقادير الزكاة وبيان الأنواع التي تزكىٰ، فكأنما ألقم ذلك المبتدع حجرًا وهداه الله فتاب.

فالنغمة التي تسمعها اليوم من الاقتصار علىٰ القرآن وردِّ الحديث؛ فتنةٌ

قديمةٌ كما بيَّنا، إلَّا أنها كثرت اليوم لضعف الدين وكثرة المارقين.

وبعد؛ فحديث المسيح الدَّجَّال تواتر عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من طرق تجاوزت ثلاثين صحابيًّا، وهي مخرجة في الصحاح كـ"البخاري" و"مسلم" و"ابن خزيمة" و"ابن حِبَّان" و"الحاكم"، بل في جميع كتب السُّنَّة علىٰ اختلاف أنواعها.

بل هذه الصلاة التي تصليها كل يومٍ خمس مرات أمر النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أن تقول فيها بعد التشهد الأخير وقبل السلام: «**اللهمَّ إنِّي أعوذ بك مِن عذابِ جهنّمَ، ومِن عذاب القَبْرِ، ومِن فِتْنَةِ المَحْيا والممات، ومِن فِتْنَةِ المسيح الدَّجَّالِ**».

بل ذهب ابن حزم إلىٰ أنَّ ذكر هذا الدعاء في الصلاة فرضٌ لازمٌ من تركه بطلت صلاته، قال: «لأنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أمر به وواظب عليه».

وممن نصَّ علىٰ تواتر أحاديث الدَّجَّال من الحُفَّاظ: الحافظ ابن كثيرٍ، وابن القيِّم، والحافظ ابن حجرٍ، وغيرهم.

وكذلك حديث المهدي متواترٌ أيضًا؛ لأنه ورد عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من طريق ثلاثين صحابيًّا بأسانيد وطرقٍ مُتعدِّدةٍ مُخَرَّجةٍ في كتب السُّنَّة الصِّحاح والسُّنن والجوامع والمُصنَّفات وغيرها.

ونصَّ علىٰ تواتره الحافظ أبو الحسين السجزيُّ، والقرطبيُّ صاحب التفسير، والحافظ السخاويُّ، وغيرهم.

وألَّف الإمام الشوكانيُّ في بيان تواتر حديث المهدي والدَّجَّال ونزول

عيسىٰ كتابًا خاصًّا سمَّاه "التوضيح لبيان تواتر حديث المنتظر والدَّجَّال والمسيح" أطال فيه وأطاب وهو كتاب جيِّدٌ وقد طبع بالهند.

وقد بيَّن تواتر هذه الثلاثة أيضًا -أعني حديث الدَّجَّال والمهدي ونزول عيسىٰ- تلميذ الشوكاني وهو السيِّد الصديق حسن خان القنوجي (ملك بهوبال بالهند) في كتابه "الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة" وهو مطبوعٌ في الهند أيضًا.

وقال السفاريني الحنبليُّ في العقيدة التي نظمها علىٰ مذهب السلف ما نصُّه:

وما أَتَىٰ في النَّصِّ مِن أَشْرَاطِ ... فكلُّه حَقٌّ بلا شِطَاطِ

منها الإمامُ الخَاتَمُ الفَصِيحُ ... محمَّدُ المهديُّ والمسيحُ

وقد نصَّ علىٰ هذا في كتب العقائد المتدولة المشهورة، فالمنكر لهذا مصادمٌ للسُّنَّة المتواترة ومُخالفٌ للإجماع وعاصٍ لله؛ لأن الله أمر بطاعة نبيِّه وقبول قوله، وهذا المُنكِر المُبتدِع لم يقبل قول رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم المتواتر المُجمَع عليه إلَّا إذا كانت معه آية تؤيِّده وتصرِّح بمضمونه، وكفىٰ بهذا ابتداعًا في الدين.

س٥٦- وسُئل رضي الله عنه: في مقالكم «ظهور المهدي حق» كلام علىٰ الدَّجَّال هل هو الذي يظهر آخر الزَّمان ويكون أتباعه أهل الطبول والملاهي والزمور، يعني المزامير؟ وهل هو الذي له جنَّةٌ ونارٌ، فالذي يُطيعه يُدخِله جنَّته، والذي يَعصيه يُدخله ناره، ويأمر السماء أن تُمطرَ فتمطر؟

ج٥٦- فأجاب رضي الله عنه: إنَّ الدَّجَّال المذكور في مقالنا «ظهور المهدي حقٌّ» هو الدَّجَّال الذي يظهر آخر الزمان علىٰ الوصف المذكور في السؤال، إلَّا

أن أتباعه أهل الطبول والملاهي لم يرد في الحديث، وإنما ورد أنَّ أتباعه اليهود ومَن يرتدُّ مِن هذه الأُمَّة افتتانًا به والعياذ بالله تعالىٰ، ولا يفهمنَّ السائل مِن هذا أنَّ آلة الملاهي حلالٌ، كلا، بل حرامٌ بنصِّ الحديث الوارد في الصحيح.

س٥٧- وسُئل رضي الله عنه: هل المهدي له وزراء أم هو قائم بالدعوة وحده؟ وهل هو من ملوك الفواطم أم من غيرهم؟

ج٥٧- فأجاب رضي الله عنه: إنَّ المهديَّ له وزراء وغيرهم مما هو ضروريٌّ للقيام بمصالح الأُمَّة وأعباء الخلافة، وفي بعض الآثار التي أوردناها إشارةٌ إلىٰ ذلك. وأمَّا هل هو من ملوك الفواطم، فالجواب: أنه ليس بمَلِكٍ بل هو خليفةٌ، وليس من الفواطم بل من غيرهم.

س٥٨- وسُئل رضي الله عنه: ما قولكم -دام فضلكم- في شخصٍ ادَّعىٰ المهديَّة؟ هل وقع في محذورٍ؟ وهل إذا ادَّعىٰ شخصٌ أنه المهدي المُنتظَر واجتمعت فيه شروط المهديِّ الصحيحة وأنكر عليه مسلمٌ ذلك، يقع المُنكِر في محذورٍ؟

ج٥٨- فأجاب رضي الله عنه: ظهور المهدي حقٌّ لازمٌ، وقد أثبتناه فيما مضىٰ بدلائل حاول المُهوِّشون وسماسرة التبشير أن ينقضوها فلم يستطيعوا ولن يستطيعوا إلىٰ ذلك سبيلًا.

ولكن مع هذا مَن ادَّعىٰ المهدويَّة في وقتنا هذا أو قبله فهو كاذبٌ آثمٌ مُضَلِّلٌ، فلا تثق بأحدٍ يقول إنه المهدي المُنتظَر مهما رأيت عليه مِن سيما الصلاح والعبادة؛ وذلك أنَّ المهدي لا يُخبِر عن نَفْسِهِ أحدًا ولا يعرض نَفْسَهُ علىٰ النَّاسِ كما فعله أولئك الدَّجَّالون الذين ادَّعوا المهدوية، ولكن المهدي يُبايَع بين الرُّكِن والمقامِ بإكراهٍ، بل لا يقبل البيعة حتىٰ يُهدِّده المُبايِعون له كما ورد في الحديث. ثُمَّ بعد

انعقاد البيعة يخرج على أنه خليفةٌ يُقيم العَدْلَ ويُبطِل الظُّلْمَ ويُقاتِل بمَن أطاعه مَن عصاه، في أوصافٍ أخر جعلها الشارع علامةً عليه، وبغيرها لا يكون المهدي.

فأمَّا الرجل يرى في نَفْسِهِ صلاحًا ورأيًا ويرى في غيره فسادًا وغيًّا فيُهيَّأ له أنه المهدي الذي يُصلِح ما فسد مِن أخلاق الناس، ويُقوِّم مِن اعوجاجهم، وتختمر الفكرة في رأسه فيجهر بها ويذيعها، فكل هذا أضغاث أحلامٍ وضروبٌ مِن الأوهام، وأجدر بصحابها أن يُحوَّل على مستشفى الأمراض العقليَّة إن لم يكن غرضه التضليل والإيهام.

ومِن هنا ظهر لك عدم صحَّة السؤال الثاني؛ لأن المهدي كما قلنا لا يدَّعي المهدوية ولا يُخبِر عن نفسه.

نعم، مُنكِر ظهور المهدي فاسقٌ كما نصَّ على مثله في كتب العقائد، وبالله التوفيق.

كرامات الأولياء

س٥٩- وسُئل رضي الله عنه: كيف تؤثر كرامة الولي في الشفاء من المرض وكيف يؤثر حسد الحاسد في إصابة المحسود بدون واسطة؟

ج٥٩- فأجاب رضي الله عنه: تأثير كرامة الوليِّ بالشفاء كتأثير معجزة النبيِّ، وذلك أنَّ الشخص المتصل بالله إذا توجَّه إلى الله في شيءٍ أجاب الله طلبه في الحال كما في حديث البخاريِّ: «**ولئن سَألني لأُعْطِينَّه ولئن استعاذني لأُعِيذَنَّه**»، ويكون لمس الوليِّ للمريض بيده سببًا عاديًّا يخلق الله عقبه الشفاء من غير أن يكون للوليِّ في ذلك تأثيرٌ أصلًا، وإنما هو من إظهار فضل الله على عبده المخلص، ولهذا يقول ابن عطاء الله في "الحكم": «إذا أراد الله إظهار فضله

عليك خلق ونسب إليك».

كذلك جعل الله نظر الحاسد إلى المحسود سببًا عاديًّا يخلق الله عقبه ضررًا في الشخص المحسود ولو شاء ما خلقه.

وبعض العلماء يقول: إنَّ الحاسد إذا نظر ينفصل من عينه شعاعٌ بسيطٌ كالذرَّة يتصل بالمحسود فيحصل الضرر، ولكن هذا لم يقم عليه دليلٌ شرعيٌّ.

س٦٠- وسُئل رضي الله عنه: عن إشاعة وجود أجساد بعض العلماء عند نقلهم من قبورهم سليمةً؟

ج٦٠- فأجاب رضي الله عنه: أهل مصر يتساهلون في الكرامات، فقد شاع بينهم حكاية طيران نعش الميت وهي باطلةٌ، فقد ألَّف الشيخ الشعرانيُّ رسالةً في بيان بطلانها لأنها ظهرت في زمانه. وأخبرني صديقٌ بمصر أنهم لمَّا حفروا قبر سعد زغلول لينقلوه، وجدوه بضعة عظام نخرة لكنهم أشاعوا أنهم وجدوا جسمه صحيحًا. وقال محمود بسيوني إنه رأى جسمه صحيحًا بعينيه ولمسه بيده. ولما حضرت جنازة شيخنا المرحوم الشيخ محمد بخيت وخرجنا به من الأزهر بعد الصلاة عليه، زعم بعض الطلبة أنه رأى نعشه يطير، وأخبرتني امرأةٌ متديِّنةٌ من جماعة السيدات المسلمات أنها رأت نعش الشيخ محمد المنير الواعظ يطير، وهكذا.

٦١- (فائدة): العقائد ثلاث: إلهيات، ونبوات، وسمعيات.

٦٢- (قاعدة): كل من أنكر حديثًا متواترًا معلومًا من الدين بالضرورة فهو كافرٌ، وإن كان حديثًا صحيحًا فهو فاسقٌ، وإن كان متواترًا وغير معلوم من الدين بالضرورة فهو ضال.

سبب ذكر الصحابة في العقائد

س٦٣- وسئل رضي الله عنه، عن سبب ذكر الصحابة في العقائد.

ج٦٣- فأجاب رضي الله عنه: ذكر الصحابة في العقائد الأصل فيه والغرض منه الرد على المبتدعة الذين طعنوا فيهم مع أنهم نقلوا لنا القرآن والسُّنَّة والسيرة والأحكام، والمفاضلة بينهم ذكرت تبعًا لبيان الأخذ بالأفضل عند تعارض أقوالهم.

ولم يتفق أهل السُّنَّة على تقديم أبي بكرٍ، وعمر... إلخ، بل جماعة من الصحابة فضلوا عليًّا على الجميع، فيهم جابرٌ، وأبو ذرٍّ، والمقداد، وسلمان، وفاطمة، وهذا رأي أخي.

أمَّا فاطمة عليها السلام فإنَّ مالكًا فضَّلها على جميع الصحابة من حيث هي بضعة نبوية، وهذا لا يسري على وَلَدَيها؛ لأن النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أخبر أنَّ أباهما أفضل منهما رضي الله عنهم.

حول من يضلل الأشاعرة ويكفرهم

س٦٤- وسُئل رضي الله عنه عمن يُضلِّل الأشاعرة ويراهم مبتدعة ويكفرهم بذلك؟

ج٦٤- فأجاب: أمَّا الذي يُكفِّر المبتدعة ويُضلِّل الأشاعرة فهو الضال المُضل حقيقة، وهو إن لم يكن كافرًا قريب من الكفر؛ لأنه يُضلِّل معظم المسلمين، فالمسلمون اليوم إما أشعرية وهم المالكية والشافعية، وإما ماتريدية وهم الحنفية، فكيف يجرؤ من عنده دين على تضليل عامَّة المسلمين؟!

٢ - القرآن الكريم
وقصص الأنبياء

بيان كبائر الإثم ومعنى اللمم

س٦٥- سُئل رضي الله عنه: ما هي كبائر الإثم، وما هو اللَّمم، وذلك من قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ﴾ [النجم: ٣٢]؟

ج٦٥- فأجاب رضي الله عنه: ﴿ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ ﴾: هي المعاصي التي يعظم إثمها ويشتد ضررها وتنبئ عن قلة دين صاحبها، وهي كثيرةٌ، منها: القتل، والزنا، وشرب الخمر، والرِّبا، وترك الصلاة، وشهادة الزور، والقمار...إلخ، وقد أوصل بعض العلماء الكبائر إلى سبعين كبيرة.

والكبيرة لا تُكفَّر باستغفارٍ ولا بعملٍ صالحٍ وإنما يُكفِّرها الحدُّ الشرعيُّ أو التوبة الصادقة، وتُسمَّى الكبائر مُقْحِماتٌ؛ لأنها تُقْحِمُ مرتكبها إلى النَّار، وكما تُسمَّى الموبِقات لأنها توبقه في النار أيضًا ما لم يتب.

أمَّا ﴿ٱللَّمَمَ﴾ فهي الذنوب الصغائر التي لا حدَّ فيها ولا تُنبئ عن قِلَّة دين صاحبها كسرقة لقمةٍ، أو التطفيف بتمرةٍ -أي نقصها من الميزان- أو النظر إلى أجنبيةٍ، أو لمسها باليد ونحو ذلك، فهذه الصغائر تسمَّى «لمَّا» تُكفَّر بالتوبة أو بعملٍ صالحٍ يقع بعدها، كصدقةٍ أو صلاةٍ أو باجتناب الكبائر كما قال تعالى: ﴿ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ ﴾ [النساء: ٣١]، أي الصغائر، والله أعلم.

معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾

س٦٦- وسُئل رضي الله عنه: نرجو تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢].

ج٦٦- فأجاب رضي الله عنه: قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ ﴾ أي التكاليف الشرعية جميعها وقيل: المراد بالأمانة الصلاة، وقيل: الغسل من الجنابة، وقيل: الأمانة المعروفة وهي أن يضع شخصٌ عندك شيئًا أمانةً تحفظه له، والصحيح الأول لأنه يشمل جميع ما ذكر.

﴿ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ ﴾ بأن خلق فيها فهمًا ونطقًا ﴿ فَأَبَيْنَ ﴾ أي امتنعن ﴿ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ﴾ أي خِفن من حمل الأمانة، ويجوز أن يكون إباؤهنَّ كنايةً عن عدم استعدادهنَّ لحمل الأمانة بخلقتهنَّ التي خلقهنَّ الله عليها ﴿ وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ آدم، أو المراد النوع الإنساني من حيث هو بعد عرضها عليه ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا ﴾ لنفسه بما حمله من الأمانة ﴿ جَهُولًا ﴾ بما يلزمه عند تفريطها من المؤاخذة والمسئولية.

معنى الحروف المذكورة في أوائل بعض سور القرآن

س٦٧- وسُئل رضي الله عنه: أرجو التكرُّم بإفادتي عما يأتي ﴿ الٓمٓ ﴾ أول (سورة البقرة) وأوائل (سورة مريم)، و (ص)، و (ق)، ما معنى هذه الحروف وأغلب المُفسِّرين يقولون: الله أعلم بمراده في ذلك؟

ج٦٧- فأجاب رضي الله عنه: الأحرف المذكورة في أوائل السور اختلف فيها على أقوال:

منها: قول أبي بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه: «لله في كلِّ كتابٍ من كُتُبِهِ سِرٌّ، وسِرُّه في القرآن أوائل السور»، وهو قول الشَّعْبيِّ أيضًا.

ومنها: قولٌ روي عن ابن عبَّاسٍ، وهو أنَّ هذه الحروف أقسام أقسم الله بها على صِدْق ما بعدها من الكلام.

ومنها: أنَّ الله أراد أن يظهر الإعجاز على يد نبيِّه حيث يأتي بهذه الحروف التي هي مُسمَّى الحرف مع أنه أُمِّي، وهذا شيءٌ لا يعلمه إلَّا الذين تعلَّموا القراءة والكتابة.

ومنها: قول ذكره الزمخشريُّ في "الكشاف"، والبيضاويُّ في "التفسير" وغيرهما، وهو الإشارة إلى أنَّ القرآن مؤلَّفٌ من حروفٍ ينطقون بها وتجري على ألسنتهم في تخاطبهم، ومع ذلك لا يستطيعون الإتيان بمثله، وهذا أبلغ ما يكون في الإعجاز.

ومنها: قولٌ روي عن ابن عبَّاسٍ أيضًا، وهو أنَّ هذه الحروف مُقتطَعةٌ من كلمات فلفظ ﴿الٓمٓ﴾ مقتطعٌ من «أنا الله أعلم»، أو «من الله أرسل جبريل إلى محمد». و ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ مقتطعةٌ من «كاف هاد عدل -أو عليم- صادق»، وهكذا في سائر الحروف، وهذا قولٌ ضعيفٌ.

ومنها: قول جماعةٍ من العلماء أنها أسماء للسور فيقال: (سورة ألم) و(سورة ص) مثلًا.

ومنها: قولٌ آخر ذكره بعض العلماء أيضًا، وهو أنَّ الكفار لما قالوا لبعضهم ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ [فصلت: ٢٦] أنزل الله هذه الحروف المُقطَّعة ليلفت نظرهم إلى سماع القرآن؛ لأن الإنسان من طبعه إذا سمع شيئًا غريبًا عن مألوفٍ عادته أصغى له واهتمَّ به، وبذلك يحصل استماعهم للقرآن باهتمامٍ منهم، هذا ما يتسع له المقام الآن، والله أعلم.

هل في القرآن مبالغة؟

س٦٨- وسُئل رضي الله عنه: هل في القرآن مبالغة؟

ج٦٨- فأجاب رضي الله عنه: بأن القرآن لا توجد فيه المبالغة، وما يقولون في قوله تعالى: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١] فأجاب بأن هذا فيه حكايةٌ عن قول النساء وليس من كلام ربِّ العالمين، وما يقولون: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ ﴾ [طه: ٨٢] فالمراد بتلك الصيغة الكثرة لا المبالغة.

حكم قرآة الفاتحة لقضاء الحوائج، وإهدائها للنبي ﷺ

س٦٩- وسُئل رضي الله عنه: عن أسباب التماس كثيرٍ من الناس قضاء مصالحهم بقراءة الفاتحة، وعن جواز إهدائها للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

ج٦٩- فأجاب رضي الله عنه: ودليل قراءة الفاتحة قول عطاء بن أبي رباحٍ التابعيِّ: «مَن كانت له حاجةٌ يريد قضاءها فليقرأ الفاتحة».

ثُمَّ افتتاح القرآن بها يدل على استحباب تقديمها في الأمور المهمَّة اقتداء بصنيع القرآن العظيم. لكن في إهدائها للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قولان

للعلماء حكاهما ابن القيِّم: منهم مَن قال: يجوز إهداؤها، ومنهم من منع، وعِلَّة المنع بأنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يصله ثواب أعمال أُمَّته تلقائيًّا سواء أهدوه أم لا، فإهداء الفاتحة إليه لا معنىٰ له.

قراءة القرآن بأجر

س٧٠- وسُئل رضي الله عنه: قراءة القرآن بأجرٍ في المناسبات والليالي وعلىٰ القبور حلال أم حرام؟

ج٧٠- فأجاب رضي الله عنه: ثبت في "الصحيحين" أنَّ جماعةً من الصحابة مرُّوا بحيٍّ مِن أحياء العرب فلم يُضيِّفوهم، فلُدِغَ سيِّد الحيِّ فأتوا إلىٰ الصحابة وقالوا: هل فيكم مِن راقٍ فإنَّ سيِّدنا قد لُدغ؟ فقال أبو سعيدٍ الخدريُّ: لو ضَيَّفتمونا لرقيناه ولكن لا أذهب إلَّا علىٰ أجرٍ. فاتفق معهم علىٰ قطيعٍ من الغنم -أي نحو ثلاثين خروفًا- فذهب فرقاه بفاتحة الكتاب ثُمَّ ساق القطيع.

فقال أصحابه: أخذت علىٰ كتاب الله أجرًا؟! فأخبروا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال لأبي سعيدٍ: «**مَن أنبأك أنَّها رُقْيَةٌ؟ خذوها واضربوا لي معكم بسَهْمٍ**».

وفي روايةٍ أخرىٰ في "الصحيحين": «**إنَّ أحقَّ ما أَخَذْتُمْ عليه أجرًا كتابُ الله**».

فمن هذا الحديث الصحيح يُستفاد أنَّ أخذ الأجره علىٰ القرآن جائزةٌ؛ لأن النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أقرَّ الصحابة علىٰ أخذ الغَنَمِ مقابل الرقية بفاتحة الكتاب وأخذ نصيبه معهم، وعمَّم الحكم فقال: «**إنَّ أحَقَّ ما أَخَذْتُمْ عليه أجرًا**

كتابُ الله» وهذا أقوىٰ ما يكون في إفادة العموم.

وأمَّا حديث: «اقرءوا القرآنَ ولا تَجْفُوا عنه، ولا تَغْلو فيه، ولا تأكلوا به» فهو حديثٌ ضعيفٌ في إسناده انقطاعٌ، وعلىٰ فرض صحَّته فالحديث الذي ذكرناه أصح وأقوىٰ؛ لأنه ثبت في "الصحيحين"، وهذا الحديث في "مسند أحمد"، والمسند لا يختص بالصحيح بل فيه الضعيف كما هو معلومٌ.

أهل الأعراف

س٧١- وسُئل رضي الله عنه: هل أصحاب الأعراف هم الذين توازنت حسناتهم وسيئاتهم؟ وما حكم البكم والهبل والأطفال الذين لا يعرفون شيئًا هل يستحقون جنةً أم نارًا يوم القيامة أو لا؟

ج٧١- فأجاب رضي الله عنه: قال الله تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ [الأعراف: ٤٦].

وورد في الحديث أنَّ الأعراف هو سور الجنَّة عليه رجال استوت حسناتهم وسيئاتهم ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا﴾ من أهل الجنَّة وأهل النَّار ﴿بِسِيمَىٰهُمْ﴾ أي بعلامتهم، وهي بياض وجوه المؤمنين وسواد وجوه الكافرين، ﴿وَنَادَوْا۟﴾ أي نادىٰ أصحاب الأعراف أصحاب الجنَّة قائلين لهم ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾، قال الله تعالىٰ: ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا﴾ أي الجنة ﴿وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ في دخولها.

قال الحسن البصري: «لم يطمعهم إلا الكرامة يريدها بهم».

وروىٰ الحاكم في "المستدرك" عن حذيفة قال: «بينما هم كذلك إذ اطلع

عليهم ربك فقال: قوموا ادخلوا الجنة فقد غفرت لكم».

أمَّا البكم والصم والمجانين ففيهم خلافٌ، وقد ورد في الحديث الذي رواه البزَّار وغيره أنهم يحتجُّون عند الله يوم القيامة بأعذارهم، وأنهم لو سلموا من الأعذار والآفات لما سبقهم غيرهم إلى الإسلام، فيمتحنهم الله هناك بأن يخرج لهم عنقًا من النار ثُمَّ يأمرهم بالاقتحام فيه فمن سبقت له السعادة اقتحم العنق فيكون عليه بردًا وسلامًا ويدخل الجنَّة، ومَن سبق عليه الشقاء يحجم عن الاقتحام فيقول الله له: «إياي عصيت فكيف برسلي؟!»، ويدخل النَّار.

وأمَّا أطفال المسلمين الذين يموتون دون البلوغ فهم ملحقون بآبائهم كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ ٱمْرِيٍٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ [الطور: ٢١].

وأمَّا أطفال الكافرين الذين يموتون دون البلوغ ففيهم خلاف، قيل مع آبائهم وقيل يكونون على الأعراف وهو سور الجنَّة كما قدَّمنا، والصحيح أنهم يدخلون الجنَّة ويكونون خَدَمًا لأهلها.

قراءة القرآن بلحون العرب

س٧٢- وسُئل رضي الله عنه: كيف تكون قراءة القرآن بلحون العرب دون لحون أهل الفِسق؟

ج٧٢- فأجاب رضي الله عنه: قراءة القرآن بلحون العرب قراءته بمَدٍّ وتنغيمٍ وتحسين الصوت، ولحون أهل الفِسق هو تلحينه على قواعد الغناء كما هو حاصلٌ الآن، وبعض المغنيين عندكم لحَّن (سورة الرحمن) على العود،

وبالطبع قراءة القرآن بهذه اللحون الفاجرة لا يتعظون به ولا ينتفعون بقراءته؛ لأنه لا يدخل قلوبهم، وهمهم إجادة النغم لا غير.

سبب نزول آية التحريم

س٧٣- وسُئل رضي الله عنه: وما هو سبب نزول آية التحريم؟

ج٧٣- فأجاب رضي الله عنه: سبب نزول آية التحريم كما في "صحيح البخاري" عن عائشة أنَّ حفصة لما قالت للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: أَكَلْتَ مَغَافِيرَ[1]، إنِّي أَجِدُ مِنكَ رِيحَ مَغَافِيرَ. قال: «**لا، ولكنِّي كنتُ أشربُ عَسَلًا عند زينبَ بنتِ جَحْشٍ، فلن أعُودَ له، وقد حَلَفْتُ، لا تُخْبِرِي بذلك أَحَدًا**».

وصحَّ أيضًا عن عمر قال: قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لحفصة: «**لا تُخبري أحدًا أنَّ أُمَّ إبراهيم عليَّ حرامٌ**».

فالآية نزلت بسبب تحريم العسل وتحريم مارية، وقد حلف النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كما أخبر عن نفسه، ولم يصدق حفصة في أنه أكل مغافير، وإنما حرم العسل كراهة أن يوجد منه إن أكله رائحة كريهة، والخبرة بأنواع الطعوم والنباتات والمأكولات صفة النَّهِم الأكول، وهي صفة ذمٍّ، وفي الأمثال الشائعة: «مَن كانت هِمَّته في بطنه فقيمته ما يخرج منها».

والنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مُنزَّهٌ عن ذلك، فلا يعيبه ألَّا يفرق بين طُعوم الأكل.

---

(١) «مَغافِير»: جمع مغفور، وهو شيءٌ يَنْضَحُهُ شجرُ العُرْفُط، حُلْوٌ وَلَهُ رِيحٌ كريهةٌ منكَرةٌ. وانظر: النهاية لابن الأثير (٣/ ٣٧٤).

معنى تشبيه الله تعالى المنافقين بقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾

س٧٤- وسُئل رضي الله عنه: ما معنى تشبيه الله تعالى المنافقين بقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ [المنافقون: ٤]؟

ج٧٤- فأجاب رضي الله عنه: قول الله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ [المنافقون: ٤] معنى هذا التشبيه أنَّ الخشب إمَّا أن يكون في شجرةٍ تثمر، وإمّا أن يكون في سقفٍ أو بابٍ أو منبرٍ أو كرسيٍّ أو نحو ذلك مما ينتفع به، فإن لم يكن فيه نفعٌ أسند إلى الحائط بعضه إلى بعضٍ.

والمؤمنون ينفع بعضهم بعضًا بالدُّعاء والاجتماع في الصلاة وغيرها والتعاون على الخير، والمنافقون لا نفع فيهم، فشبَّههم الله بخُشُبٍ مُسنَّدةٍ خاليةٍ مِن المنفعة، فهم أشباح بلا أرواح، وإذا أسلم أحدهم صار مؤمنًا نافعًا ولم يبقَ خشبًا مسندةً.

وتشبيه المنافقين بخشبٍ مسنَّدةٍ يحمل معاني كثيرةً منها: أنَّ المنافقين لا ينتفعون بحضور الجماعة والجمعة وغيرهما من مواسم الخير التي لا يحرِّكهم لحضورها إلَّا خوف افتضاح كفرهم، فهم كخشبٍ مسندةٍ لا فائدة فيها.

أو أنَّ المنافقين موتى بكفرهم، والإيمان حياةٌ، فشُبِّهوا في استنادهم في مجلس النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالخشب المسنَّدة؛ لأن أجسامهم خاليةٌ مِن الإيمان والخير.

أو أنَّ الخشب كانت في الأصل أغصانًا طرية تصلح لأشياء ينتفع بها، فلما كبرت غلظت ويبست فسندت إلى الحائط، وكذلك المنافقون ولدوا على

الفِطْرة، فلمَّا كفروا خرجوا عن الصلاحية للإسلام ومنافعه، فصاروا كخشبٍ مسنَّدةٍ.

أو أنَّ الخشب المسندة حطبٌ يصلح للنار، والمنافقون كذلك حطبٌ للنار يوم القيامة، أو أنَّ الخشب المسنَّدة إلى الحائط أحد طرفها إلى جهة وطرفها الآخر إلى جهة أخرى، وكذلك المنافقون أحد طرفيهم وهو الباطن إلى جهة الكفر، وطرفهم الآخر وهو الظاهر إلى جهة الإسلام.

حكم تفسير القرآن بالرأي

س٧٥- وسُئل رضي الله عنه: ما قولكم في أحد الفقهاء عندنا بالمغرب فسَّر القرآن برأيه وقال في قوله جل ذكره: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ ﴾ [الفرقان: ٢٧] الآية، هو الفقير -المريد- مع شيخه هل معه الصواب في هذا التفسير أم لا؟

فعجِّلوا لنا بكشف الغطاء عن هذه الآية جعلكم الله رحمةً لهذه الأُمَّة.

ج٧٥- فأجاب رضي الله عنه: لا خلاف بين العلماء فيما أعلم أنَّ تفسير القرآن -كلًّا أو بعضًا ولو أقصر آية- بالرأي والهوى من غير معرفةٍ بقواعد التفسير وعلومه حرامٌ، وأزيد على ذلك أنه كبيرةٌ توجب لصاحبها دخول النَّارِ إلَّا أن يتوب هو أو يعفو الله عنه.

والدليل على ما قلنا ما رواه الترمذيُّ في "جامعه" قال: حدَّثنا محمود بن غيلان: نا بشر بن السريُّ: نا سفيان، عن عبدالأعلى، عن سعيد بن جُبيرٍ، عن ابن عبَّاسٍ قال: قال رسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن قالَ في القرآنِ بغير**

عِلْمٍ فليَتَبَوَّأ مَقْعَدَهُ مِن النَّارِ». قال الترمذيُّ: «هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ».

وقال أيضًا: حدَّثنا سفيان بن وكيعٍ: نا سويد بن عمر، والكلبيُّ: نا أبو عوانة: عن عبدالأعلىٰ، عن سعيد بن جُبيرٍ، عن ابن عبَّاسٍ، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**اتقوا الحديثَ عَنِّي إلَّا ما عَلِمْتُمْ، فمَن كَذَبَ عليَّ مُتعَمِّدًا فليتبوَّأ مَقْعَدَهُ مِن النَّارِ، ومَن قالَ في القرآنِ برأيه فليتبوَّأ مَقْعَدَهُ مِن النَّارِ**». قال الترمذيُّ: «هذا حديثٌ حسنٌ».

وقال ابن جريرٍ: حدَّثنا محمد بن بشَّار: ثنا يحيىٰ بن سعيدٍ: ثنا سفيان -هو الثوريُّ- حدَّثني عبدالأعلىٰ، عن سعيد بن جُبيرٍ، عن ابن عبَّاسٍ، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن قالَ في القرآنِ برأيه أو بما لا يَعْلَمُ فليتبوَّأ مَقْعَدَهُ مِن النَّارِ**».

وقال عبدالرزَّاق: نا الثوريُّ، عن عبدالأعلىٰ، عن سعيد بن جُبيرٍ، عن ابن عبَّاسٍ به مرفوعًا.

ففي الحديث وعيدٌ شديدٌ علىٰ القول في القرآن بالرأي من غير علمٍ، لمثل هذا الوعيد أجمع العلماء علىٰ أنَّ الكذبَ علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كبيرةٌ، حتىٰ بالَغَ أبو محمد الجوينيُّ فأكفر مُرتكِبه.

فإن أعلَّ أحد الحديث بما رواه ابن جرير، عن محمد بن حميد، عن الحكم بن بشير، عن عمرو بن قيس المُلائيِّ، عن عبدالأعلىٰ، عن سعيدٍ، عن ابن عبَّاسٍ به موقوفًا.

ورواه أيضًا عن محمد بن حميدٍ، عن جريرٍ، عن ليثٍ، عن بكرٍ، عن سعيدٍ، عن ابن عبَّاسٍ موقوفًا.

قلنا: ليس هذا بعِلَّةٍ توجب ردَّ الحديث؛ لأن الروايات إذا اختلفت بالرفع والوقف فالعمل على الأول، إلَّا إن ترجح الثاني بدليل من الدلائل المُقرَّرة في المُصطَلَح وهي مفقودةٌ هنا، ولئن سلَّمنا وجودها ورجَّحنا الوقف على الرفع فذلك من حيث الصناعة الإسنادية فقط، وأمَّا من حيث المعنى فالحديث في حكم المرفوع جزمًا؛ لأنه مما لا مجال فيه للاجتهاد ولا يمكن أخذه عن الإسرائيليَّات.

وقد كان أكابر السلف يُشدِّدون في التفسير من غير علمٍ، ويبتعدون عنه كل الابتعاد، كما قال أبو عبيد: ثنا محمد بن يزيد، عن العوام بن حَوْشَبٍ، عن إبراهيم التيميِّ: أنَّ أبا بكرٍ رضي الله عنه سُئل عن قوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٣١] فقال: «أيُّ سماءٍ تُظِلُّني وأيُّ أرضٍ تُقِلُّني إذا أنا قلتُ في كتاب الله مالا أعلم؟!».

وقال شعبة: عن سليمان، عن عبدالله بن مرَّة، عن أبي معمرٍ، عن أبي بكرٍ رضي الله عنه قال: «أيُّ أرضٍ تُقِلُّني وأيُّ سماءٍ تُظِلُّني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم؟!».

وقال أبوعبيد: ثنا يزيد: ثنا حميد، عن أنسٍ: أنَّ عمر رضي الله عنه قرأ على المنبر ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٣١] فقال: «هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأب؟». ثُمَّ رجع إلى نفسه فقال: «إنَّ هذا لهو التكلُّف يا عمر».

وقال ابن سعدٍ: ثنا سليمان بن حربٍ: ثنا حمَّاد بن زيدٍ، عن ثابتٍ، عن أنسٍ قال: كنَّا عند عمر رضي الله عنه وفي ظهر قميصه أربع رقاعٍ فقرأ:

﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾ فقال: فما الأبُّ؟ ثُمَّ قال: هو التكلُّف.

وقال ابن جريرٍ: ثنا يعقوب بن إبراهيم: ثنا ابن علية، عن أيوب، عن ابن أبي مليكة: أنَّ ابن عبَّاسٍ سُئل عن آيةٍ لو سئل عنها بعضكم لقال فيها، فأبىٰ أن يقول فيها.

وقال أبوعبيد: ثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن أيوب، عن ابن أبي مليكة قال: سأل رجلٌ ابن عبَّاسٍ عن: ﴿يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [السجدة: ٥] فقال له ابن عبَّاسٍ: فما ﴿يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤] فقال له الرجل: إنما سألتك لتحدِّثني. فقال ابن عبَّاسٍ: «هما يومان ذكرهما الله في كتابه، الله أعلم بهما». فكره أن يقول في كتاب الله ما لا يعلم.

وروىٰ مالكٌ، عن يحيي بن سعيدٍ، عن سعيد بن المُسيِّب: أنه كان إذا سُئل عن تفسير آيةٍ من القرآن قال: «إنا لا نقول في القرآن شيئًا».

وروىٰ الليث بن سعدٍ، عن يحيي بن سعيدٍ، عن سعيد بن المُسيِّب: أنه كان لا يتكلَّم إلَّا في المعلوم من القرآن.

وروىٰ شعبة، عن عمرو بن مرة قال: سأل رجلٌ سعيد بن المُسيِّب عن آيةٍ مِن القرآن فقال: «لا تسألني عن القرآن وسل مَن يزعم أنه لا يخفىٰ عليه منه شئ» يعني عكرمة.

وقال ابن شوذب، عن يزيد بن أبي يزيد قال: «كنا نسأل سعيد بن المُسيِّب عن الحرام والحلال وكان أعلم الناس فإذا سألناه عن تفسير آيةٍ من القرآن سكت كأن لم يسمع».

وقال ابن جريرٍ: ثني أحمد بن عبدة الضبيُّ: ثنا حمَّاد بن زيدٍ: ثنا عبيدالله بن عمر قال: لقد أدركت فقهاء المدينة وإنهم ليعظِّمون القول في التفسير، منهم سالم بن عبدالله، والقاسم بن محمدٍ، وسعيد بن المُسيِّب، ونافع.

وقال أبوعبيد: ثنا عبدالله بن صالحٍ، عن ليثٍ -هو ابن سعد-، عن هشام بن عروة قال: «ما سمعت أبي يؤوِّل آيةً مِن القرآن قطُّ».

وروى أيوب، وابن عون، وهشام الدَّسْتُوائيُّ، عن ابن سيرين قال: سألت عَبيدة بفتح العين -وهو السلمانيُّ- عن آيةٍ مِن القرآن فقال: «ذهب الذين كانوا يُعلِّمون فيمَ أنزل القرآن فاتق الله وعليك بالسداد».

وخرج أبوعبيد: ثنا معاذٌ، عن ابن عون، عن عبدالله بن مسلم بن يسار، عن أبيه قال: «إذا حدَّثت عن الله حديثًا فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده».

وقال أيضًا: ثنا هشيم، عن مغيرة، عن إبراهيم -هو النَّخَعيُّ- قال: «كان أصحابنا يتقون التفسير ويهابونه».

وروي أيضًا عن هشيم: عن عمرو بن أبي زائدة، عن الشَّعْبيِّ، عن مسروقٍ قال: «اتقوا التفسير فإنما هو الرواية عن الله تعالى».

فهذه الآثار -وكلها صحيحةٌ- تدل دلالةً واضحةً على ما كان عليه الصحابة والتابعون مِن تحرُّجهم عن القول في القرآن بغير علمٍ، واعتقادهم أنه ذنبٌ كبيرٌ.

وكيف لا يكون كذلك وهو اجتراءٌ على الله وتقوُّلٌ عليه، إذ تأويل الآية على معنى من المعاني حكم من المؤول بأن ذلك المعنى هو ما أراده الله وقصده. ومن يجترئ على هذا ممن يخاف الآخرة ويرجو رحمة ربِّه؟! ولذا كان النبي صلَّى الله

عليه وآله وسلَّم لا يُفسِّر شيئًا مِن القرآن برأيه.

كما جاء في "مسند البزَّار" من طريق حفصٍ -قال البزَّار: أظنه ابن عبدالله- عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: كان النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لا يُفسِّر شيئًا مِن القرآن برأيه، إلَّا آياتٍ بعددٍ علَّمَهُ إياهنَّ جبريل.

وروىٰ أبو يعلىٰ فقال: عن فلان بن محمد بن خالد، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة به.

فإذا كان حال النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وأصحابه والتابعين مِن التأدُّب مع القرآن ما ذكرناه، فما لنا نرىٰ الأدعياء في هذا العصر يُفسِّرونه بمقتضىٰ آرائهم وأهوائهم غير متقيدين بما قرَّره أئمَّة التفسير وأعلامه؟!

بل بلغت بهم الوقاحة إلىٰ حد أن رموهم بالجمود والتقصير وعدم الفهم، لم يزعهم وازعٌ من دينٍ ولا حياءٍ، فلا حول ولا قوة إلَّا بالله.

وبعد؛ فما قاله ذلك الفقيه مِن أنَّ المراد بتلك الآية هو المريد مع شيخه خطأ محضٌ ليس له من الصحَّة نصيبٌ، وبيان ذلك يتوقَّف علىٰ أمرين:

١- بيان سبب نزول الآية:

أخرج ابن مَرْدُويَه في "التفسير" وأبو نعيمٍ في "الدلائل" بإسنادٍ صحيحٍ من طريق سعيد بن جُبيرٍ، عن ابن عبَّاسٍ قال: كان أبو مُعَيْطٍ يجلس مع النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بمكة لا يؤذيه، وكان رجلًا حليمًا وكان بقية قريشٍ إذا جلسوا معه آذوه، وكان لأبي مُعَيْطٍ خليل غائب بالشام فقالت قريشٌ: صبأ

أبو مُعَيْطٍ. وقدم خليله من الشام ليلًا فقال لامرأته: ما فعل محمد مما كان عليه؟ فقالت: أشد مما كان أمرًا. فقال: ما فعل خليلي أبو مُعَيْطٍ؟ فقالت: صبأ. فبات بليلة سوء فلمَّا أصبح أتاه أبو مُعَيْطٍ فحيَّاه فلم يرد عليه التحية فقال: مالك لا ترد عليَّ تحيتي؟ فقال: كيف أرد عليك وقد صبوت؟ قال: أو قد فعلتها قريش؟ قال: نعم. قال: فما يبرئ صدورهم إن أنا فعلت؟ قال: تأتيه في مجلسه وتَبْزُق في وجهه وتشتمه بأخبث ما تعلمه من الشتم، ففعل. فلم يزد النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أن مسح وجهه مِن البزاق ثُمَّ التفت إليه فقال: «**إن وجدتُك خارجًا مِن جبالِ مكَّة أضرب عُنُقَكَ صَبْرًا**».

فلما كان يوم بدرٍ وخرج أصحابه أبىٰ أن يخرج، فقال له أصحابه: اخرج معنا. قال: قد وعدني هذا الرجل إن وجدني خارجًا من جبال مكة أن يضرب عنقي صَبْرًا. فقالوا: لك جمل أحمر لا يدرك فلو كانت الهزيمة طرت عليه. فخرج معهم فلما هزم الله المشركين وَحَلَ به جمله في جددٍ من الأرض فأخذه رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أسيرًا في سبعين من قريش وقدم إليه أبو معيطٍ فقال: تقتلني بين هؤلاء؟! قال: «**نعم، بما بَزَقْتَ في وَجْهي**».

فأنزل اللهُ في أبي مُعَيطٍ: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾ [الفرقان: ٢٧ - ٢٩].

وخرَّج أبونعيم من طريق الكلبيِّ، عن أبي صالحٍ، عن ابن عبَّاسٍ قال: كان عقبة بن أبي مُعَيْطٍ لا يقدم من سفر إلَّا صنع طعامًا فدعا إليه أهل مكة

كلهم، وكان يكثر مجالسة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ويُعْجِبُه حديثه، وغلب عليه الشقاء فقدم ذات يوم من سفرٍ فصنع طعامًا ثُمَّ دعا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ طعامه فقال: «**ما أنا بالذي آكل مِن طعامِكَ حتَّى تَشْهَدَ أن لا إله إلَّا الله وأنِّي رسول الله**». فقال: اطعم يا ابن أخي. قال: «**ما أنا بالذي أفعل حتى تقول...**» فشهد بذلك، وطَعِم مِن طعامه.

فبلغ ذلك أُبي بن خلف فأتاه فقال: أصبوت يا عقبة؟ وكان خليله، فقال: لا والله ما صبوت، ولكن دخل عليَّ رجلٌ فأبىٰ أن يَطْعَمَ مِن طعامي إلَّا أن أشهد له، فاستحييتُ أن يخرج من بيتي قبل أن يَطْعَم، فشهدت له فطَعِم.

فقال: ما أنا بالذي أرضى عنك حتىٰ تأتيه فتبصق في وجهه. ففعل عقبة، فقال له رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لا ألقاك خارجًا مِن مكَّة إلَّا عَلَوتُ رَأْسَكَ بالسَّيفِ**»، فأُسِر عقبة يوم بدرٍ فقُتل صَبْرًا، ولم يُقتَل مِن الأسارىٰ يومئذٍ غيره.

وخرَّج ابن جريرٍ قال: حدَّثني محمد بن عمرو: ثنا أبو عاصم: ثنا عيسىٰ. وحدَّثني الحرث: ثنا الحسن: ثنا ورقاء، جميعًا عن ابن أبي نجيحٍ، عن مجاهدٍ: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ ﴾ [الفرقان: ٢٧] قال: عقبة ابن أبي معيطٍ دعا مجلسًا فيهم النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ الطعام فأبي النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أن يأكل وقال: «**لا آكل حتَّى تَشْهَدَ أن لا إله إلَّا الله وأنَّ محمَّدًا رسول الله**». فقال: ما أنت بآكلٍ حتَّىٰ أشهد؟ قال: «**نعم**». قال: أشهد أن لا إله إلَّا الله وأنَّ محمَّدًا رسول الله.

فلقيه أبي بن خلف فقال: صبوت؟! فقال: إنَّ أخاك علىٰ ما تعلم ولكني

صنعتُ طعامًا فأبىٰ أن يأكل حتىٰ أقول ذلك فقلت، وليس من نفسي.

والروايات في سبب نزول الآية كثيرة متضاربة ذكر الحافظ السيوطيُّ في "الدر المنثور" منها جملةً وافرةً، ولكن المُعتمَد منها هو ما تضمَّنته هذه الرواية والتي قبلها مِن أنَّ الآية نزلت في عقبة بن أبي مُعَيْطٍ وأُبيٍّ بن خلف إذ هو الذي تؤيِّده الدلائل.

فمعنىٰ الآية علىٰ هذا هكذا: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ ﴾ عقبة بن أبي مُعَيْطٍ، والعضُّ كناية عن التندُّم والتحسُّر، ﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ أي طريقًا إلىٰ النجاة من النار وهو الإيمان ﴿ يَٰوَيْلَتَىٰ ﴾ كلمة تحسُّرٍ، ﴿لَيْتَنِى﴾ كلمة تمنِّي ﴿لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا﴾ أُبي بن خلف ﴿خَلِيلًا﴾، ﴿ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ ﴾ أي: القرآن ﴿بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى﴾.

ومعنىٰ الآية علىٰ سبيل الإجمال: أنَّ عقبة بن أبي مُعيطٍ حينما يشاهد العذاب ويتيقَّن أن لا مناص له منه يتحسَّر علىٰ ما فرط منه من الإشراك بالله، ويتمنَّىٰ أن لو كان اتخذ مع النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في الدنيا طريقًا يُنجِيه مما هو أمامه من العذاب، وهذا الطريق هو الإيمان بالله ورسوله، ويكرِّر التحسر علىٰ ذلك متمنيًّا أن لو لم يتخذ أُبيًّا خليلًا، إذ هو الذي أضله عن القرآن وحرمه بسبب ذلك من كلِّ خيرٍ. هذا ما تفيده الآية تفصيلًا وإجمالًا.

فإن قال قائل: إنَّ العام إذا ورد علىٰ سبب خاصٍّ بقي علىٰ عمومه كما صحَّحه ابن برهان، والآمديُّ، والإمام الرازي، وابن الحاجب، والبيضاويُّ، فنزول الآية في عقبة بن أبي معيطٍ لا يقتضي تخصيصها به بل يبقىٰ لفظ الظالم

فيها متناولًا لكلِّ ظالمٍ.

ويؤيِّد هذا ما ذكره علماء التفسير عند الكلام على هذه الآية:

قال ابن كثيرٍ ما نصُّه: «قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ الآية يخبر تعالى عن ندم الظالم الذي فارق طريق الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وما جاء به من عند الله من الحقِّ المبين الذي لا مرية فيه، وسلك طريقًا أخرى غير طريق الرسول فإذا كان يوم القيامة ندم حيث لا ينفعه الندم، وعضَّ على يديه حسرةً وأسفًا، وسواء كان سبب نزولها في عقبة ابن أبي معيطٍ أو غيره من الأشيقاء فإنها عامَّةٌ في كلِّ ظالمٍ كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ﴾ [الأحزاب: ٦٦] الآيتين.

فكلُّ ظالمٍ يندم يوم القيامة غاية الندم، ويعضُّ على يديه قائلًا: ﴿يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٧ - ٢٨] يعني من صرفه عن الهدى وعدل به إلى طريق الضلال من دعاة الضلالة، وسواء في ذلك أمية بن خلف أو أخوه أُبيُّ بن خلف أو غيرهما».اهـ

ونحوه في "البيضاوي" و"النسفي" وجهًا.

قلنا: ما ذكر مبنيٌّ على أنَّ لفظ الظالم عامٌّ ونحن نمنع ذلك؛ لأنه مفردٌ محلًّى بأل، والمفرد المُحلَّى ليس بعامٍّ على ما صحَّحه الرازي في "المحصول"، والفاضل تاج الدين الأرمويُّ في "الحاصل" واختارا أنه للجنس الصادق بالواحد كماء وعسل، وقد صدق لفظ الظالم هنا على عقبة بن أبي معيطٍ فلا يَصْدُق على غيره.

سلَّمنا أنه عام، لكن عموم المفرد المُحلَّى مُقيَّدٌ بما إذا لم تكن «ال» عهدية ففي "جمع الجوامع" و"شرحه" ما مؤدَّاه: «والمفرد المُحلَّى باللام مثل المضاف في أنه للعموم مالم يتحقَّق عهدٌ».اهـ

أي فإن تحقَّق عهدٌ فلا عموم، وال في «الظالم» للعهد كما وضح من سبب نزول الآية، فلا يتأتَّى تعميمه.

وهذا جوابٌ جدليٌّ، وأمَّا الجواب التحقيقي وهو الأمر الثاني فملخَّصه:

أنَّ المفرد المُحلَّى إما أن تكون «ال» فيه استغراقية أو عهدية[1] وهو على كليهما عامٌّ وهو مذهب أكثر العلماء غير أنَّ مدلوله يختلف بحسب المعنيين فهو على الاستغراقية يعم جميع الأفراد لا فرق بين فردٍ وآخر نحو: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [العصر: ٢ - ٣] فلولا الاستثناء لكان المؤمنون داخلين في الإنسان المحكوم عليه بالخسران كما دخل غيرهم، بخلافه على العهدية فإنه يكون عامًّا في أفراد المعهود بصفته المعهودة لا يتعدَّاه إلى غيره كما صرَّح به الإسنوي في "شرح المنهاج"، وعبارته: «الحال الثاني أن يكون عمومه مستفادًا من اللغة لكن بقرينة وتلك القرينة قد تكون في الإثبات وهي «ال» والإضافة الداخلان على الجمع المنكر كالعبيد وعبيدي وعلى المفرد كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ [الإسراء: ٣٢] ، ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ [النور: ٦٣] إن كانت «ال» عهدية فإن تعميمها لأفراد المعهودين خاصَّة».اهـ

---

(١) أنواع «ال» غير منحصرة في هذين القسمين كما يعلم من "المغني" و"المطول" وإنما اقتصرنا عليهما لأن بحثنا هذا لا يعدوهما.

و«ال» في الظالم عهدية كما نبَّهنا عليه فيما سبق، والمعهود مشرك فيكون لفظ الظالم عامًّا في المشركين خاصَّةً، ولا يصح أن يتناول فردًا من أفراد المسلمين.

فتأويل الآية على المريد مع شيخه كتأويلها على بعض الصحابة، قال النيسابوريُّ في "تفسيره" بعد أن ذكر أنَّ الآية نزلت في عقبة وأُبيٍّ كما ذكرنا، ما نصُّه: «وفي رويات الشيعة أنَّ الظالم هو رجلٌ بعينه، وأنَّ المسلمين غيَّروا اسمه وكتموه وجعلوا فلانًا بدلًا من اسمه، وذكروا فاضلين من الصحابة».اهـ

فهذا التأويل وذلك سيَّان في التلاعب بالقرآن وحمل آياته على غير محاملها الصحيحة المطابقة للقواعد الأصولية وأسباب النزول.

ومن الدليل على بطلان هذين التأويلين أنَّ السبيل الذي يتمنَّاه الظالم يوم القيامة هو الإيمان بالله ورسوله، وهذا القدر حاصلٌ لكلِّ مسلمٍ فكيف يتمنَّى ما هو حاصلٌ له؟!

وهذا الوجه وحده كان كافيًا لذلك الفقيه في الرجوع عن تأويله إن لم يعرف تلك الوجوه التي أوضحناها.

وليت شعري ما الذي أوقعه في ذلك التأويل الخاطئ الآثم؟! أصح عنده أنَّ شيخًا أمر مريده بالكفر والعصيان؟! لئن صح عنده هذا فالذي نعرفه عن الطريق الصحيحة خلافه، لقد خبرنا عدة طرق من طرق الصوفية الحقيقية فما رأينا فيها شيئًا يخالف قواعد الشرع إلَّا مسائل اختلفت فيها آراء العلماء كالسماع والرقص وبعض أنواع من الذكر فبعضهم حرَّمها، وبعضهم أباحها، وبعضهم رأى أنَّ الأولى اجتنابها.

فعلىٰ فرض تحريمها لا ينبغي أن نوسع من يرتكبها شتمًا وسبًّا ونحمل عليه آيات الوعيد الواردة في الكفَّار والمشركين، كما فعل ذلك الفقيه في الآية المذكورة حيث حملها علىٰ المريد مع شيخه.

لا ينبغي ذلك؛ لأنَّ العلماء نصُّوا علىٰ أنه لا يُنكَر ويبالغ في إنكاره إلَّا ما أجمع علىٰ أنه مُنكَرٌ حرامٌ وما سواه فالأمر فيه واسعٌ.

علىٰ أن التلطُّف في إنكار المُنكَر مطلوبٌ مطلقًا، وفي الحديث: «**إذا أمر أحدكم بالمَعْروفِ فليكن أمره ذلك بالمَعْروفِ**»(١).

نعم، نحن لا ننكر أنَّ في شيوخ الطرق أدعياء دُخلاء اتخذوا الطريق وسيلةً إلىٰ تحصيل أغراضهم وشهواتهم فباعوا آخرتهم بدنياهم، لكن ليس من الإنصاف في شيءٍ أن نجري حكمهم علىٰ غيرهم ونجعله كلية عامة شاملة لكلِّ شيخٍ وكلِّ طريقٍ، ونصيحتي لذلك الفقيه وأمثاله مِن مُفسِّري عصرنا أن ينتهوا عن تفسير القرآن بآرائهم، وإلَّا فليتبوَّأوا مقاعدهم مِن النار، عافانا الله منها بمَنِّه.

حكم التغنِّي بقراءة القرآن

س٧٦- وسُئل رضي الله عنه: عن حكم الشرع في التغنِّي بقراءة القرآن؟

ج٧٦- فأجاب رضي الله عنه: التغنِّي بالقرآن جائزٌ إذا لم يؤدِّ إلىٰ الإخلال بقواعد التلاوة وإلَّا فهو حرامٌ.

---

(١) أخرجه البيهقيُّ في "الشعب" من حديث عمرو بن شعيبٍ، عن أبيه، عن جدِّه.اهـ كاتبه.

سبب نزول آية طلب الصدقة عند المناجاة

س٧٧- وسُئل رضي الله عنه: ما سبب نزول آية طلب الصدقة عند مناجاة الرسول عليه الصلاة والسلام، وكذلك (سورة الكوثر)؟

ج٧٧- فأجاب رضي الله عنه: وأمَّا آية المناجاة فسبب نزولها أنَّ المسلمين أكثروا سؤال النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حتى شَقُّوا عليه، فأوجب الله الصَّدَقة عند مناجاته، وكان هذا الوجوب عند الله مؤقَّتًا قصد به التخفيف عن نبيِّه. وكان عند عليٍّ دينار فصرفه عشرة دراهم وناجى بها عشر مرات.

وخاف المسلمون أن يستمر وجوب الصدقة، كاستمرار وجوب الزكاة فلا يستطيعون السؤال عما يهمهم، فنزل قول الله: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١٣]إذا استمرَّ وجوب الصدقة عند المناجاة ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟﴾ لم تناجوا حيث لم تجدوا صدقة لفقركم ﴿وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ رجع بكم إلى التخفيف ورفع عنكم وجوب الصدقة ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أي استمروا على إقامتها ولا تتراخوا فيها كما تراخيتم في صدقة المناجاة.

وهذا كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٦] أي استمرُّوا على الإيمان بهما، وقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هود: ١١٢] أي استمِر على الاستقامة.

ونسخ الآية بعد عمل بعض الناس بها جائزٌ في علم الأصول، وليس في ذلك تعليل للآية؛ لأن المقصود حصل وهو التخفيف عن الرسول، فلم يعودوا إلى كثرة السؤال.

أمَّا (سورة الكوثر) ففي "صحيح مسلم" عن أنس قال: «بينا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بين أظهرنا في المسجد إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه مبتسمًا، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «**لقد أنزلت علي آنفًا سورة فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم** ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ [الكوثر: ١-٣]».

وهذا يقتضي أنها مدنيةٌ، وهو قول الحسن وعكرمة وقتادة وهو الذي أُرجِّحه، ومعنى ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾: فصل لربِّك وانحر له، أي: اجعل نحرك لله تقرُّبًا إليه، بخلاف المشركين الذين ينحرون لآلهتهم تقرُّبًا إليها، فليس الأمر لإيجاد النحر بالفعل، بل أن يكون النحر حين يوجد خالصًا لله كالصلاة، والنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أهدى في حَجِّه مائة بدنة، نحر ثلاثًا وستين منها بيده، وناب عنه عليٌّ في نحر بقيَّتها. ﴿شَانِئَكَ﴾ مفرد مضاف، يعم كل شانئ بمكة كالعاص بن وائل، وأبي جهلٍ، وأبي لهبٍ، وعقبة بن أبي مُعَيطٍ، وبالمدينة ككعب بن الأشرف، والمنافقين، ثُمَّ نزول الآية بعد هلاك أهل مكة يكون إخبارًا عن بترهم حقيقة حيث هلكوا وانبتر ذِكْرهم.

أهمية المناسبة بين الآيات والسور

س٧٨- وسُئل رضي الله عنه عن أهمية المناسبة بين الآيات والسور؟

ج٧٨- فأجاب رضي الله عنه: لا يمكن فهم القرآن الكريم فهما صحيحًا إلا بالمناسبة بين الآيات ويعجبني كتاب البقاعي وأحرص عليه وأتمنَّى أن يوفِّقني الله لعمل تفسيرٍ بالمناسبة بين الآيات والسور.

الإعجاز العددي لرقم (١٩) في القرآن

س٧٩- وسُئل رضي الله عنه عن الإعجاز العددي لرقم (١٩) في القرآن.

ج٧٩- فأجاب رضي الله عنه: الإعجاز العددي في القرآن دسيسةٌ بهائيَّةٌ لأنَّ عدد ١٩ له اعتبارٌ كبيرٌ في الدين الجديد للبهائية المرتدين، وهم يحبُّون أن ينتزعوا من القرآن ما يؤيِّد دعواهم.

من القائل: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ﴾؟

س٨٠- وسُئل رضي الله عنه: وسأل فضيلته عن قول الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ﴾ [النمل: ٣٠] هل هو من كلام سيِّدنا سليمان؟

ج٨٠- فأجاب رضي الله عنه: جملة ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ﴾ [النمل: ٣٠] من كلام مَلَكَة سبأ، لا من كلام سليمان.

معنى قوله: ﴿أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ﴾

س٨١- وسُئل رضي الله عنه: وما معنى قوله: ﴿أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ﴾ [النمل: ٣١] هل يدل على العظمة؟

ج٨١- فأجاب رضي الله عنه: وقوله: ﴿أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ﴾ [النمل: ٣١] لا يشير إلى عظمة، وإنما يطلب منهم ألَّا يتعاظموا عليه كما يفعل الملوك، ومِن حقِّ أي شخصٍ عادل أن يرفض تعاظم غيره عليه، فكيف بسليمان الذي جمع بين عظمة الدين بالرسالة، وعظمة الدنيا بالمُلك؟!

على أنَّ التعاظم على الكفَّار محمودٌ غير مذمومٍ؛ لأنهم ليسوا أهلًا للتواضع

معهم، وقول موسىٰ: ﴿وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ﴾ [الدخان: ١٩] هو بمعنىٰ كلام سليمان؛ لأنَّ العلوَّ علىٰ الله إنما يكون بالعُلوِّ علىٰ رسوله، واختلف الأسلوبان بحسب المقامين، موسىٰ خاطب فرعون الذي يدَّعي الإلوهية، فذكَّره بالعليِّ الأعلىٰ، وسليمان خاطب مَلِكَة وقومها بما جرت به عادة الملوك في مخاطبة بعضهم لبعضٍ، فلا تعارض والحمد لله.

تفسير قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾

س٨٢- وسُئل رضي الله عنه: عن قول الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨] هل يفيد ما ثبت في سبب نزولها؟

ج٨٢- فأجاب رضي الله عنه: وقوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]يفيد ما ثبت في سبب نزول الآية[1].أما نصرة الله للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فتفُيده آيات أخرىٰ مثل: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]﴿وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾ [الأنفال: ٦٢]، ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾[الحجر: ٩٥].

---

(١) عن أنسٍ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كُسِرَتْ رباعِيَّتُهُ يومَ أُحُدٍ وشُجَّ في رَأسِهِ وجعل يَسِيلُ الدَّمُ عنه ويقول: «كيف يُفْلِحُ قومٌ شَجُّوا نبيَّهُمْ وكَسَرُوا رباعِيَّتَهُ وهو يَدعُوهُمْ إلى رَبِّهِمْ» فأنزلَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]. انظر: "أسباب النزول" للواحديِّ (١/ ١٢١).

ما هي موعدة إبراهيم أباه

س٨٣- وسُئل رضي الله عنه: وما هي الموعدة التي وعد إبراهيم بها أباه؟

ج٨٣- فأجاب رضي الله عنه: وأمَّا قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ [التوبة: ١١٤] يشير إلىٰ قوله لأبيه: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ [مريم: ٤٧] هذه هي الموعدة وقد نفَّذها بقوله: ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الشعراء: ٨٦].

الضمير في قوله تعالى: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾

س٨٤- وسُئل رضي الله عنه: هل إعادة الضمير في سورة الفتح ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ [الفتح: ٩] علىٰ النبيِّ ﷺ؟

ج٨٤- فأجاب رضي الله عنه: يمنع من عود الضمير في ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ [الفتح: ٩] علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أنَّ التسبيح خاصٌّ بالله تعالىٰ، وقد جاءت هذه المادَّة في القرآن مصدرًا نحو: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١] وماضيًا نحو: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد: ١] ومضارعًا نحو: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الجمعة: ١] وأمرًا نحو: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلىٰ: ١] للدلالة علىٰ اختصاصها بالله، ولأن التوحيد نصفان: نصف تنزيهٍ عن النقص وهو التسبيح، ونصف إثباتٍ الكمال لله وهو الحمد.

عودة الضمير في قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ﴾

س٨٥- وسُئل رضي الله عنه: هل الضمير في قول الله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ﴾ [التوبة: ٤٠] يعود على النبيِّ أم على أبي بكرٍ؟

ج٨٥- فأجاب رضي الله عنه: والضمير في قول الله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ﴾ [التوبة: ٤٠] يعود على الرسول، وقال ابن عبَّاسٍ وحبيب بن أبي ثابت: «الضمير يعود على أبي بكرٍ». والأول المشهور كما قال ابن كثيرٍ.

ولا مانع أن يُنزلَ اللهُ على رسوله سكينةً خاصَّةً بذلك المقام، أو المراد فأدام الله إنزال سكينته عليه مجازًا مرسلًا، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾ [هود: ١١٢] أي دم على الاستقامة؛ لأنه مستقيمٌ.

معنى قول الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ﴾

س٨٦- وسُئل رضي الله عنه: عن معنى قول الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ﴾ [يوسف: ٢١].

ج٨٦- فأجاب رضي الله عنه: يعرض للرئيس الحازم أو المَلِك القويِّ أن تتشعَّب عليه الأمور، وتصعب مسالكها فيغلب على أمره ويَعْجَز عن علاج مشاكله، فنفى الله تعالى هذه الحالة عن نفسه بقوله: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ﴾ [يوسف: ٢١] أي أنه تعالى لا يعرض له أمرٌ يَعْجَز عن حَلِّه كما يحصل للبشر، بل الأمور كلها صعبها وسهلها مملوكةٌ له، مرهونةٌ بإشارة «كُنْ».

علة التعبير بفاسقٍ في قوله: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾

س٨٧- وسُئل رضي الله عنه: ما العِلَّة في وصف الله تعالىٰ للصحابيِّ الذي ذهب لجمع الزكاة بلقب فاسقٍ ولم يعبر بكلمة رسولٍ أو مخبرٍ؟

ج٨٧- فأجاب رضي الله عنه: التعبير بفاسقٍ في قوله: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦] دون رسول أو مخبرٍ سببه أمران:

١- الحكم بفِسْق ناقل الخبر الكذب كما ثبت في سبب نزول الآية.

٢- ترتيب التبين والتثبت علىٰ خبر الفاسق، وأنه لا يُقبَل حتىٰ يثبت صدقه، ومِن هنا اشترط الفقهاء في الشاهد أن يكون عَدْلًا، وكذلك اشترط أهل الحديث في الراوي أن يكون عَدْلًا ضَابِطًا.

معنى ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾

س٨٨- وسُئل رضي الله عنه: ما معنىٰ ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]؟

ج٨٨- فأجاب رضي الله عنه: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨] هذه الآية تُحدِّد اختصاص النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وتُبيِّن مُهمَّته، فهو لا يملك تعذيب الكفَّار، ولا يملك تخفيف العذاب عنهم، وإنما مهمته التبليغ والإنذار، وكان صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أراد أن يدعو عليهم؛ لأنهم كسروا رباعيَّته ومَثَّلوا بعمِّه حمزة، فقيل له هذا، وهو يشير إلىٰ أنَّ الله يتولَّىٰ الانتقام مِن أعدائه من غير أن يدعو عليهم، ولهذا جاء عنه عليه الصلاة

والسلام : «**اللهمَّ واقيةً كواقية الوليد**». والوليد لا يملك شيئًا، والذي يتولَّى وقايته والده.

إثم إهانة حملة القرآن

س٨٩- وسُئل رضي الله عنه: رجلٌ حَلَفَ أن يضرب قارئًا للقرآن بالحِذاء لخلافات بينهما فساعده بعض الناس في تنفيذ يمينه لإنهاء الخلاف بينهما فهل يجوز منهم ذلك؟

ج٨٩- فأجاب رضي الله عنه: ضَرْبُ قارئ القرآن «بالجزمة» على رأسه كبيرةٌ، والذين ساعدوه على تنفيذ يمينه آثمون، بل كان يجب عليه أن يُكَفِّر عن يمينه ولا يعصي الله بضرب مسلمٍ على رأسه بالنَّعْل وهذا هو المُقرَّر في كتب الفقه الإسلاميِّ، ولكن الجهل يؤدِّي إلى أقبح مِن هذا.

قراءة سورة الكهف يوم الجمعة

س٩٠- وسُئل رضي الله عنه: جرت العادة بأن تُتلَى (سورة الكهف) يوم الجمعة في المساجد فما السِّرُّ في ذلك؟

ج٩٠- فأجاب رضي الله عنه: السِّرُّ في قراءة (سورة الكهف) يوم الجمعة ما ورد في الحديث: أنَّ الإنسان إذا قرأ (سورة الكهف)، وفي روايةٍ أخرى عشر آيات من أوَّلها يوم الجمعة عُصِمَ مِن فتنة الدَّجَّال. أخرجه مسلمٌ عن أبي الدرداء.

وأخرج النَّسائيُّ والبيهقيُّ عن أبي سعيدٍ الخدريِّ أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن قرأ سورةَ الكَهْفِ في يومِ الجُمُعَةِ أضاءَ له مِن النور ما بين**

الجمعتين»، فلهذا أختير قراءتها يوم الجمعة.

أمَّا كون قراءتها سِرًّا أو جهرًا فليس بذي أهمية في الموضوع؛ لأنه إذا ثبت الأصل فأمر الكيفية سهلٌ، لذلك ينبغي لكلِّ شخصٍ أن يقرأ هذه السورة يوم الجمعة وليلتها للفضل الوارد فيها، والله أعلم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾

س٩١- وسُئل رضي الله عنه: لماذا سأل النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الأنصار عن الطهارة التي يفعلونها عند نزول قول الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]؟

ج٩١- فأجاب رضي الله عنه: حديث السؤال عن الطهارة حين نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] حديثٌ صحيحٌ لا شك في صحَّته، وسؤال الأنصار عن الطهارة لا للجهل بها، بل لأجل أن يعلم غيرهم هذه الطهارة التي مدحها الله فيفعلونها، فهو سؤال تعليمٍ، كما يسأل الله ملائكته الذين يقفون على مجالس الذِّكر فيقول لهم: «**كيف تركْتُم عبادي؟**» يسألهم ليريهم فضل الذِّكر وثوابه وهو العالم بالخفيَّات.

س٩٢- وسُئل رضي الله عنه: هل قول أصحاب الجنَّة: ﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾ [القلم: ٣٢] يعتبر توبة؟

ج٩٢- فأجاب رضي الله عنه: قول أصحاب الجنة: ﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾ [القلم: ٣٢] توبةٌ وندمٌ، قال ابن مسعودٍ: «بلغني أنَّ القوم

أخلصوا وعلم الله منهم الصِّدْق، فأبدلهم الله بها جنَّةً يقال لها الحيوان».

وقول الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ﴾ [القلم: ٣٣] معناه كفعلنا بهم نفعل بمن تعدى حدودنا وخالف أمرنا، وهو تهديد لأهل مكة، وليس فيه ما يفيد عدم قبول توبتهم.

معنى كلمة «الرُّوح» في القرآن الكريم

س٩٣- وسُئل رضي الله عنه: ما معنى كلمة «الرُّوح» في القرآن الكريم؟

ج٩٣- فأجاب رضي الله عنه: «الرُّوح» جسمٌ نورانيٌّ تكون به الحياة، وسُمِّي القرآن «روحًا» لأن به تحيا القلوب، وكذلك سُمِّي جبريل «رُوحًا» لأنه مكلَّفٌ بالوحي الذي يُحيي القلوب، وعيسى «رُوح» لأنه كان يُحيي الموتى.

ونفخ الروح إجراء ريحٍ في تجاويف جسمٍ آخر مثل النفخ في الزمارة.

وقوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: ٢٩] معناه أجريت الحياة في جسم آدم عليه السلام، فهو كناية، لاستحالة النفخ في حقِّ الله تعالى.

وقوله: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١] أي روح مِن صنع الله وتخليقه، و«مِن» ابتدائية أي عيسى مبتدأ من الله بغير واسطة كونه نطفةً وعلقةً... إلخ، ولهذا قال: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ [آل عمران: ٥٩]﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ﴾ [التحريم: ١٢] أي أجرينا الحياة، أو فنفخنا: أمرنا جبريل بالنفخ فيه، كما يقال: بني الأمير البيت، أي أمر ببنائه، وإضافة الروح إلى الله للتشريف مثل بيت الله وناقة الله.

معنى قول الله تعالى

في حقِّ يوسف عليه السلام: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ﴾

س٩٤- وسُئل رضي الله عنه: ما معنى قول الله تعالى في حقِّ يوسف: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ﴾ [يوسف: ٢٤]؟

ج٩٤- فأجاب رضي الله عنه: قول الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ﴾ [يوسف: ٢٤] المراد بالسوء الخيانة؛ لأنها لما قالت له: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ قال: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٢٣] فلا أخونه، فقدم السوء لأنه بمجرَّد لمسها أو تقبيلها تحصل الخيانة قبل وقوع الزنا.

معنى قول الله تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾

س٩٥- وسُئل رضي الله عنه: ما معنى قول الله تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ [سبأ: ٤٧]؟

ج٩٥- فأجاب رضي الله عنه: قول الله تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ [سبأ: ٤٧] كناية عن عدم سؤاله أجرًا بدليل قوله: ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ فهو كقول القائل: «إن أعطيتني شيئًا فخذه». كناية عن أنه لم يعطه شيئًا.

ويحتمل أنه طلب منهم أجرًا يعود نفعه عليهم كقوله تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٥٧] واتخاذ

السبيل ينفعهم، وقوله تعالىٰ: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [الشورىٰ: ٢٣] وقربىٰ النبي قرباهم.

قراءة (سورة الأنعام) وقت تغسيل الميت

س٩٦- وسُئل رضي الله عنه: ما قولكم في قراءة بعض الناس (سورة الأنعام) وقت تغسيل الميت؟

ج٩٦- فأجاب رضي الله عنه: قراءة (سورة الأنعام) وقت تغسيل الميت لم يرد فيها شيءٌ من الأحاديث، وإنما ورد أنَّ مَن قرأها علىٰ عليلٍ شفاه الله.

خرَّجه الخطيب مُسلسلًا يقول كل راوٍ: قرأت علىٰ شيخي فأخذ علي خمسًا فعقدها بيده ثُمَّ قال لي: حسبك فقلت: زدني.

قال الذهبي في "الميزان": «وهو حديثٌ موضوعٌ».

وورد في فضل (سورة الأنعام) أحاديث غير هذا الحديث كلها ضعيفةٌ بل فيها الموضوع وبعضها في "تفسير النسفي" و"البيضاوي" و"أبي السعود" و"الزمخشري" فليحذرها قارئها.

أشد آية نزلت على النبي ﷺ

س٩٧- وسُئل رضي الله عنه: وكتب فضيلته يسأل عن أشد آية نزلت علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

ج٩٧- فأجاب رضي الله عنه: أشدُّ آيةٍ علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قوله تعالىٰ: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾ [هود: ١١٢]، قاله ابن عبَّاسٍ.

وروىٰ البيهقيُّ في "شعب الإيمان" عن أبي عليٍّ السري قال: رأيت النبيَّ

صلَّى الله عليه وآله وسلَّم -يعني في المنام- فقلت: يا رسول الله روي عنك أنك قلت: شيَّبتني هود، قال: نعم، قلت: ما الذي شيَّبك منها؟ قصص الأنبياء وهلاك الأمم؟ قال: لا، ولكن قوله: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾ [هود: ١١٢].

حكم قراءة القرآن في الراديو

س٩٨- وسُئل رضي الله عنه: هل قراءة القرآن في الراديو حرام؟

ج٩٨- فأجاب رضي الله عنه: وماذا في قراءة القرآن بالراديو؟ وما الدليل على حرمتها أو حتى كراهتها؟

ما هو الأعراف

س٩٩- وسُئل رضي الله عنه: ما هو الأعراف المذكور في القرآن الكريم؟

ج٩٩- فأجاب رضي الله عنه: الأعراف سورٌ بين الجنَّة والنَّار، ليس فيه حورٌ ولا نعيمٌ، يوقف عليه من استوت حسناتهم وسيئاتهم، وشهداء عاقُّون لآبائهم، حتى يغفر الله لهم بشفاعةٍ أو غيرها فيدخلون الجنَّة.

المراد من قول الله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ﴾

س١٠٠- وسُئل رضي الله عنه: ما المراد من قول الله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ﴾ [الأنعام: ٣٨]؟

ج١٠٠- فأجاب رضي الله عنه: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ﴾ [الأنعام: ٣٨] المراد بالكتاب هنا اللوح المحفوظ، كما قال بذلك ابن عبَّاسٍ وقتادة وابن زيدٍ وهو المُتعيِّن؛ لأن سياق الآية يفيد أنَّ الله كتب في ذلك الكتاب أجناس الأمم

وأنواعها، والقرآن ليس فيه ذلك؛ ولأن ابن عبَّاسٍ يقول: «خَلَقَ اللهُ اللوحَ المحفوظَ كمسيرة مائة عامٍ، فقال للقلم اكتب عِلْمي في خَلْقي فجرىٰ بما هو كائنٌ إلىٰ يوم القيامة».

وإلىٰ هذا تشير الآية ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] وأيضًا القرآن نفسه في اللوح المحفوظ، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ٤] ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ [البروج: ٢١ - ٢٢] ومن اللوح المحفوظ أنزله جبريل بأمر الله، ودعوىٰ الفخر الرازي غير مُسلَّمةٍ[1] بل المعهود بين المسلمين عامَّة هو القرآن لا الكتاب، والمعهود بين العامة في الدعاء الذي يتلونه ليلة نصف شعبان أن المحو والإثبات يكون في تلك الليلة طبقًا لما في أمِّ الكتاب وهو اللوح المحفوظ.

تنسيق الضمائر في آيات المعراج

س١٠١- وسُئل رضي الله عنه: كيف يتم تنسيق الضمائر في آيات المعراج من أول قول الله تعالىٰ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٤]؟

ج١٠١- فأجاب رضي الله عنه: قوله تعالىٰ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ أي: ما نطقه في الدِّين إلَّا وحي من الله يوحىٰ إليه، ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ هو جبريل عليه

---

(١) قال الإمام فخر الدين الرازي في الكلام علىٰ آية: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] الألف واللام إذا دخلا علىٰ الاسم المفرد انصرف إلىٰ المعهود السابق، والمعهود السابق من الكتاب عند المسلمين هو القرآن.

السلام، ﴿فَٱسۡتَوَىٰ﴾ أي: استقام على صورته الحقيقية له ستمائة جناحٍ، ﴿وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ من جهة المشرق ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ جبريل ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾ من الأفق إلى الأرض ﴿فَكَانَ﴾ في قربه من النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ﴿قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ﴾ ﴿فَأَوۡحَىٰٓ﴾ جبريل ﴿إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ﴾ أي: عبدالله ﴿مَآ أَوۡحَىٰ﴾ [النجم: ٤-١٠].

لما أقسم الله على نفي الضلال والبغي عن نبيه وذكر أنه إنما يتكلَّم بوحي، بيَّن صفة مَن يأتيه بالوحي وأنه رآه على صورته الحقيقية رؤية حقيقية لم يعزب قلبه عنها أو بصره، بحيث لا يصح أن يماروه فيها، والمشركون كانوا يسمعون مِن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنَّ جبريل صاحبه، وكانوا ينكرون عليه ذلك، فأيَّد الله كلام نبيِّه بهذه الآيات وزاد عليها أنه رأى جبريل مرة أخرى عند سِدْرة المنتهى، وهذا تأكيدٌ في التأييد، وأخبر الله أنه رآه عند حراء في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣] وهذا تنسيق الضمائر وربطها ربطًا منسجمًا لا يبقى معه اشتباه فيما أظن.

رد كلام الإمام الرازي في قوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ﴾

س١٠٢- وسُئل رضي الله عنه: لماذا لا تأخذ بكلام الإمام فخر الدين الرازي في قول الله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ﴾ [الأنعام: ٣٨] هو القرآن؟

ج١٠٢- فأجاب رضي الله عنه: قول الإمام الرازي يرده أمورٌ:

١- أنَّ الألف واللام الداخلين على المفرد لا يتعيَّنان للعهد بل يكونان

أيضًا للجنس والعموم، وعلى فرض أنهما في الآية للعهد فالمعهود عند المسلمين كتابان اللوح المحفوظ والقرآن، وتعيين أحدهما في الآية يحتاج إلى دليلٍ، والدليل على أنه اللوح المحفوظ عدم التقدير في الآية إذ يبقى ﴿ مِن شَيْءٍ ﴾ على عمومه، ولو كان المراد القرآن لاحتيج إلى تخصيص ﴿ مِن شَيْءٍ ﴾ بكونه يتعلق بالدِّين، وما لا يحتاج إلى تقديرٍ أولى ممَّا يحتاج إليه، وأيضًا إبقاء الآية على عمومها أولى مِن تخصيصها.

٢- قال الله تعالى: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾ [النساء: ١٦٤]، ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴾ [الفرقان: ٣٨] هذه أمور لم تذكر في القرآن فتعيَّن أنَّ المراد اللوح المحفوظ؛ لأنها موجودةٌ فيه بالتفصيل.

٣- إنَّ القرآن لم يذكر عدد ركعات الصلاة، ولا مقادير الزكاة، ولا أنواع الرِّبا والبيوع، والمعاملات، وإدخالها فيه بواسطة ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾ [الحشر: ٧] لا ينفي أنَّ القرآن لم يذكرها.

٤- قول الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾ [النساء: ١٠٥] إذنٌ للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالاجتهاد فيما لا نصَّ فيه مِن القرآن.

٥- لما بعث النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم معاذًا إلى اليمن سأله: «**كيف تَقْضِي إذا عَرَضَ لك قضاءٌ**»؟ قال: أقضي بكتاب الله، قال: «**فإن لم تَجِدْ في**

كتابِ الله»؟ قال: «أقضي بسُنَّة رسول الله...». الحديث، فهذه الأدلة تؤيِّد أن الكتاب في الآية هو اللوح المحفوظ.

قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ لا يفيد العموم

س١٠٣- وسُئل رضي الله عنه: هل قول الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩] يفيد العموم أم لا؟

ج١٠٣- فأجاب رضي الله عنه: قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩] يعني مِن أمر الدين وما يتعلَّق به، فلا يفيد العموم كما في اللوح المحفوظ.

معنى قوله تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾

س١٠٤- وسُئل رضي الله عنه: ما معنى قول الله تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩]؟

ج١٠٤- فأجاب رضي الله عنه: قول الله تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ﴾ أي: نعمة ﴿فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ أي: من فضله وخلقه، ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ﴾ أي: نقمة ﴿فَمِن نَّفْسِكَ﴾ أي: من أجل نفسك تربيةً لها وتأديبًا؛ لأنَّ دوام النِّعمة يُطغي النفس.

قال الزجاج وأبو جعفر أحمد بن نصر الداودي: الخطاب للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم والمراد غيره.

وهذا كقول العرب: «إياك أعني واسمعي يا جارة».

معنى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةً﴾

س١٠٥- وسُئل رضي الله عنه: هل بلوغ الرجل عند سن الأربعين كما ترشد إليه الآية: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةً﴾ [الأحقاف: ١٥]؟

ج١٠٥- فأجاب رضي الله عنه: الصبيُّ إذا احتلم وجب عليه التكليف لحديث: «**رُفِعَ القَلَمُ عن ثلاثةٍ: عن النَّائمِ حتَّى يَسْتَيْقظَ، وعن الصَّبيِّ حتَّى يَحْتلِمَ، وعن المَجْنونِ حتَّى يَعْقِلَ**». رواه أحمد وأبو داود والنَّسائيُّ، وصحَّحه ابن حِبَّان والحاكم عن عائشة.

ورواه أحمد وأبو داود والترمذيُّ عن عليٍّ عليه السلام، وصحَّحه ابن حِبَّان والحاكم، وحسَّنه الترمذيُّ.

وله طرقٌ عن عمر وابن عبَّاسٍ وثوبان وغيرهم وانعقد عليه الإجماع.

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلۡأَطۡفَٰلُ مِنكُمُ ٱلۡحُلُمَ فَلۡيَسۡتَـٔۡذِنُواْ كَمَا ٱسۡتَـٔۡذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ [النور: ٥٩].

فأوجب الاستئذان على الطفل إذا بلغ كما أوجبه على الرجل البالغ أربعين.

ثُمَّ إنَّ الطفل منذ ولادته تنمو أعضاؤه وتزداد قوته، فإذا بلغ ثمانية وعشرين سنة وقفت أعضاؤه عن النمو وبقيت قوته في ازدياد، حتى إذا بلغ أربعين سنة وقفت قوته وبلغ أشده وكمل عقله، وسُمِّي كهلًا.

فآية (الأحقاف) ترشد من بلغ هذه السِّنَّ أن يُجدِّد الإنابة إلى الله ويترك ما كان عليه أيام الشباب من اللهو والغفلة؛ لأنه أشرف على الشيخوخة.

ولا علاقة للآية بالتكليف، بل فيها ما يثبت أنَّ ابن الأربعين مُكلَّفٌ؛ لأن

قوله: ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ [الأحقاف: ١٥] يدل على أنَّ له أولادًا يدعو لصلاحهم، وكيف يكون له أولاد وهو غير بالغٍ ولا مُكلَّفٍ؟!

كيف كان طول آدم عليه السلام حين نزل من الجنة؟

س١٠٦- وسُئل رضي الله عنه: في "مولد الحلواني" أنَّ سيِّدنا آدم عليه السلام كان طوله عند هبوطه من الجنَّة بحيث تمسُّ رأسُه السماء، ودلَّل على ذلك بما هو مذكورٌ في ذلك الكتاب فهل ورد في ذلك نصٌّ؟ وما المراد بالذِّراع الوارد في خبر طول أهل الجنَّة؟

ج١٠٦- فأجاب رضي الله عنه: أمَّا ما ذكر في "مولد الحلواني" من طول آدم عليه السلام فورد فيه حديثٌ وآثارٌ.

فأمَّا الحديث فرواه عبدالرزَّاق في "المصنَّف" عن أبي هريرة مرفوعًا: «**أنَّ آدمَ لَمَّا أُهْبِطَ كانت رِجْلَاهُ في الأرضِ ورأسُهُ في السَّماءِ فحَطَّهُ اللهُ إلى ستين ذِراعًا**». وهو حديثٌ ضعيفٌ جدًّا ولا يصحُّ رَفْعُهُ.

وأمَّا الآثار، فخرَّج ابن أبي الدنيا في "مكايد الشيطان"، وابن عساكر في "التاريخ" عن جابر بن عبدالله قال: «إنَّ آدمَ لمَّا أُهبط إلى الأرضِ هَبَطَ بالهند، وإنَّ رأسه كان ينال السماء، وإنَّ الأرض شَكَت إلى ربِّها ثِقَلَ آدمَ فوَضَعَ الجبَّارُ تعالى يده على رأسِهِ فانحَطَّ منه سبعون ذِراعًا».

وخرَّج ابن سعدٍ عن ابن عبَّاسٍ قال: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ آدمَ كان رأسُهُ يمسُّ السَّماءَ فوَطَّده الله إلى الأرض حتَّى صار ستين ذِراعًا في سبع أذرعٍ عَرْضًا».

وخرَّج أيضًا من طريق آخر عن ابن عبَّاسٍ قال: «كان آدم حين أُهبط

يَمْسَحُ رأسُهُ السَّماءَ، فمِن ثَمَّ صَلُعَ وأَوْرَثَ وَلَدَهُ الصَّلَعَ، ونَفَرَتْ مِن طوله دوابُّ البرِّ، فصارت وَحْشًا مِن يومئذٍ، وكان آدم وهو على ذلك الجبل -يعني الجبل الذي نزل عليه بالهند ويسمَّى نودا- قائمًا يسمع أصوات الملائكة ويجد ريح الجنَّة فهبط من طوله ذلك إلى ستين ذراعًا فكان ذلك طوله حتى مات».

وخرَّج الطبرانيُّ عن عبدالله بن عمرو قال: «لما أهبط اللهُ آدمَ أهبطه بأرض الهند ومعه غرسٌ من شجر الجنَّة فغرسه بها، وكان رأسه في السماء ورجلاه في الأرض، وكان يسمع كلام الملائكة فكان ذلك يُهوِّن عليه وحدته، فغمز غمزة فتطأطأ إلى سبعين ذراعًا، فأنزل اللهُ: إني منزل عليك بيتًا يطاف حوله كما تطوف الملائكة حول عرشي، ويُصَلَّى عنده كما تُصَلِّي الملائكة حول عرشي، فأقبل نحو البيت فكان موضع كل قدم قرية، وبين رجليه مفازة، حتى قدم مكة، فدخل من باب الصفا وطاف بالبيت وصَلَّى عنده ثُمَّ خرج إلى الشام فمات بها».

وخرَّج أبو الشيخ ابن حَيَّان في "العظمة" عن مجاهدٍ قال: «لما أُهبط آدم إلى الأرض، فَزِعَتِ الوحوشُ ومَن في الأرض مِن طوله فأُطِرَ منه سبعون ذرعًا».

وهذه الآثار كلُّها ضعيفةٌ، وهي مع ضعفها مأخوذةٌ من الإسرائيليَّات، فلا يجوز الاعتماد عليها، خصوصًا وقد ثبت عن نبيِّنا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ما يُخالِفها، وهو ما في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**خَلَقَ اللهُ آدمَ على صُورَتِهِ وطُولُهُ سِتُّون ذِراعًا...**» إلخ.

وروى أحمد بإسنادٍ حسنٍ عن أبي هريرة رفعه: «**كان طول آدمَ سِتِّين ذِراعًا في سبعة أذرعٍ عَرْضًا**».

فهذا هو الذي يجب أن يُتمسَّك به، ويُنبذ ما سواه، ولا ينافيه ما في "تفسير ابن أبي حاتمٍ" بإسنادٍ حسنٍ عن أبي بن كعبٍ مرفوعًا: «**إنَّ اللهَ خَلَقَ آدمَ رَجُلًا طُوَالًا كثير شَعْرِ الرأسِ، كأنَّه نَخْلَةٌ سَحُوقٌ**»، وصحَّحه الحاكم موقوفًا وأقرَّه؛ لأنَّ الطول وقع في هذا الحديث مطلقًا، فيقيد بما وقع في الحديثين قبله.

والمراد بالذِّراع الوارد في خبر طول أهل الجنَّة ذراع الملك، كما ورد مُصرَّحًا به في رواية أنس.

قال ابن أبي الدنيا في كتاب "صفة الجنة": حدَّثنا القاسم بن هشام: حدَّثنا صفوان بن صالح: حدَّثنا رواد بن الجراح العسقلانيُّ: حدَّثنا الأوزاعيُّ، عن هارون بن رِئاب -بكسر الراء- عن أنس بن مالكٍ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يَدْخُلُ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ على طولِ آدمَ سِتِّين ذِراعًا بذِراعِ المَلَكِ، وعلى حُسْنِ يوسفَ، وعلى ميلاد عيسى ثلاثٌ وثلاثون سنةً، وعلى لِسَانِ محمَّدٌ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم جُرْدٌ مُرْدٌ مُكَحَّلُون**».

اسم والد سيدنا يونس

س١٠٧- وسُئل رضي الله عنه: هل «متَّى» اسم والد سيِّدنا يونس أم اسم والدته؟

ج١٠٧- فأجاب رضي الله عنه: في "صحيح البخاري" عن ابن عبَّاسٍ عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ما يَنْبَغي لعبدٍ أن يقولَ إنِّي خيرٌ مِن يونسَ بن مَتَّى**». ونسبه إلى أبيه. فمتَّى أبوه، وكلمة: «ونَسَبَهُ إلى أُمِّه»، وقعت في "تفسير عبدالرزَّاق"، وهي ضعيفةٌ مردودةٌ برواية البخاريِّ، فلا يعتد بها.

فضل يونس عليه السلام

س١٠٨- وسُئل رضي الله عنه: لماذا زيد في حديث ابن عبَّاسٍ في يونس بن متَّىٰ ونسبه إلىٰ أبيه؟، وهل في قول الله تعالىٰ: ﴿لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ [القلم: ٤٩] لوم ليسدنا يونس؟

ج١٠٨- فأجاب رضي الله عنه: كلمة : «ونسبه إلىٰ أبيه» في حديث ابن عبَّاسٍ نكتة، زيادتها أنه لا يجوز تنقيص يونس من جهة أبيه، وبيان ذلك أنَّ والد النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم اسمه عبدالله وهو أشرف الأسماء، ومتَّىٰ اسمٌ قبطيٌّ، فكما لا يجوز تنقيص يونس من جهة ما حصل له في السفينة كذلك لا يجوز تنقيصه من جهة اسم أبيه. ونظير ذلك ما يحصل من بعض الجهلة عندكم في مصر أثناء المناقشة مع المسيحيين، في شأن المفاضلة بين النبيِّ وعيسىٰ عليهما السلام، حيث يقولون: النبيُّ أفضل لأنه رجلٌ ابن رجلٍ، وعيسىٰ رجلٌ ابن امرأة، فهذه مفاضلةٌ قبيحةٌ، تخدش مقام نبيٍّ كريمٍ. وعلىٰ هذا لا يجوز أن يقال: يونس أبوه قبطيٌّ ويفضل عليه النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بأن والده عربيٌّ من عائلةٍ كريمةٍ، فإنَّ هذا فيه تنقيص ليونس عليه السلام.

وقول الله تعالىٰ: ﴿لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ [القلم: ٤٩] شرطٌ مُعلَّقٌ علىٰ جواب، والمعنىٰ لو لم تتداركه نعمة الله نبذ وهو مذمومٌ، لكن نعمة الله تداركته فلم ينبذ مذمومًا، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ١٤٥]وهذه عبارةٌ فيها شفقةٌ ورحمةٌ بدليل قوله: ﴿وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾ [الصافات: ١٤٦] وإذن فلا شدَّة في التعبير.

كيفية وسوسة الشيطان لآدم

س١٠٩- وسُئل رضي الله عنه: عن كيفية وسوسة الشيطان لآدم؟

ج١٠٩- فأجاب رضي الله عنه: الشيطان يوسوس في صدور الناس ويلتقم قلوبهم، ويجري منهم مجرى الدم، وهذا المعنى عصم الله منه أنبياءه وحفظ أولياءه، ووسوسته لآدم لم يتسلَّط فيها على قلبه، بل كلَّمه شفاهًا كما يُكَلِّم الرجلُ الرجلَ، وكذب عليه وأكَّد كذبه القسم، وهذا لا غضاضة فيه على آدم فكثير من الكفار حدَّثوا أنبياءهم وكذبوا عليهم، وقد فضح الله المنافقين بعد أن صدَّقهم النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وحال إبليس كحال المنافقين.

هل في قتل موسى للقبطي ذنب؟

س١١٠- وسُئل رضي الله عنه: هل في قتل موسى للقبطيِّ ذنب يستغفر منه؟

ج١١٠- فأجاب رضي الله عنه: موسى حين قتل القبطيَّ لم يكن مُكلَّفًا؛ لأنه لا تكليف إلَّا بشرعٍ، ولا شرع في ذلك الوقت حتى جاءته الرسالة، فقتله للقبطيِّ لم يكن معصيةً إطلاقًا، لا كبيرةً ولا صغيرةً، وإنما استغفر لأنه عرَّض نفسه لعقوبة الإعدام مع ما يتبعها مِن تنكيلٍ بقومه الإسرائيليين.

هل مس الشيطان سيدنا أيوب

س١١١- وسُئل رضي الله عنه: هل مَسَّ الشيطانُ سيِّدنا أيوب كما صُرِّح بذلك في القرآن الكريم؟

ج١١١- فأجاب رضي الله عنه: وأيوب لم يمسَّه الشيطانُ بشيءٍ، وإنما مسَّ

زوجه وبعض أتباعه حين ألقىٰ إليهم: «لو كان أيوب نبيًّا لم يبتله الله»، وحصل عندهم زعزعة بكلامه، ومَن مسَّ أهلك فقد مَسَّك، وردَّ اللهُ علىٰ أيوب أهله حقيقةً كما أحيا صاحب القرية بعد موته بمائة عامٍ.

كيف ينسب العصيان لآدم عليه السلام مع أنه أكل من الشجرة ناسيًا؟

س١١٢- وسُئل رضي الله عنه: كيف يُنسب العصيان لآدم مع أنه أكل من الشجرة ناسيًا؟

ج١١٢- فأجاب رضي الله عنه: المعصية تقع علىٰ وجهين:

١- أن يفعلها الشخص عامدًا عالمًا بحُرمتها.

٢- أن يفعلها الشخص خطأ أو نسيًا، وهذه ليست معصية في شريعتنا لقوله تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] ولقوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**رُفِعَ عن أُمَّتي الخطأ والنِّسيانُ**».

وكانت الشرائع السابقة تعتبرها معصيةً، ولهذا قال الله تعالىٰ: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ﴾ [طه: ١٢١] مع أنه أكل ناسيًا لكنها لم تخدش العصمة، إنما يخدشها الإقدام مع التعمُّد والعِلْم بحرمتها، ولله أن يؤاخذ عباده بما شاء من نسيانٍ أو عمدٍ، وموسىٰ لم يتعمَّد القتل وإنما وَكَزَ القبطيَّ بيده، والوكز لا يقتل في العادة كما يقتل السيف أو السكين، وإذن فموسىٰ قتل القبطيَّ خطأ.

هل آزر عم سيِّدنا إبراهيم أم والده؟

س١١٣- وسُئل رضي الله عنه: هل آزر عمُّ سيِّدنا إبراهيم أم والده؟

ج١١٣- فأجاب رضي الله عنه: آزر أبو إبراهيم عليه السلام بلا شك،

وسبب قول معظم المُفسِّرين أنه عمُّه، ما رواه أبو نعيمٍ في "الدلائل" وغيره عن ابن عبَّاسٍ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لم يزل اللهُ يَنْقُلني مِن الأصلاب الطَّيِّبة إلى الأرحام الطَّاهِرة مُصَفًّى مُهذَّبًا...**» الحديث.

قالوا: «فلو كان أبو إبراهيم مُشركًا لم يكن صلبه طيبًا لأنه مشركٌ». فوجب أن يكون المذكور في القرآن عمُّه ليتفق مع الحديث، هذا دليلهم فيما ادَّعوه وهم واهمون.

أمَّا أولا: فإنَّ مراد الحديث أنَّ أبويه عليه السلام لم يلتقيا إلَّا بنكاحٍ صحيحٍ لا بسفاحٍ.

أمَّا ثانيًا: فإنَّ والد إبراهيم حين التقى بوالدته وخلف منها إبراهيم لم يكن مُشركًا بل كان مِن أهل الفَترة، غير مخاطبٍ بدينٍ، فصلبه طيب إذ ذاك، وإنما حكم بشِركه بعد أن بعث إليه ابنه فكفر به فالشرك طارئ عليه، ولو مات قبل أن يبعث إليه ابنه لم يُعذَّب لقول الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

خفاء موت سليمان عليه السلام على الإنس والجن

س١١٤- وسُئل رضي الله عنه: كيف خفي عن الإنس والجنِّ موت سليمان عليه السلام مدَّة سنةٍ؟

ج١١٤- فأجاب رضي الله عنه: سيدنا سليمان عليه السَّلام كان يخلو بنفسه للعبادة الشهر والشهرين بل والسَّنة أيضًا، ويأخذ معه الزاد الكافي لتلك المدَّة، وحين أخبره مَلَك الموت بقرب أجله، صادف أنه يبني بيت المقدس وبقي على إتمامه سنة، وخاف إن علموا بموته ألَّا يتمُّوا بناء المسجد، فأخذ زاد

سنةٍ، وأوصى بعض أهله ألَّا يعلنوا موته حتى يتمَّ البناء، ودخل خلوته، ومات وهو قائمٌ متكئ على عصاه، وسقطت العصا بعد سنةٍ، هذا حاصل ما ذكره العلماء في هذه القصة.

مكانة سيدنا موسى عليه السلام

س١١٥- وسُئل رضي الله عنه: لماذا خصَّ ورقة موسى بالذِّكر عندما أخبره النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بأمر الوحي؟، وكذلك قول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لعمر: «**لو كان موسى حيًّا ما وَسِعَهُ إلَّا اتباعي**»؟

ج١١٥- فأجاب رضي الله عنه: موسى عليه السلام أُنزلت عليه التوراة وهي تشبه القرآن في كبرها وفيها تشريعٌ وقصصٌ، وهو صاحب شريعةٍ مستقلَّةٍ، وأنبياء بني إسرائيل بعده تابعون له، حتى عيسى عليه السلام، فلهذا خصَّه ورقة بالذِّكر، وقال الجنُّ: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ [الأحقاف: ٣٠] والإنجيل لم يكتب، والأناجيل الموجودة الآن ليست هي المنزَّلة، بل هي تشتمل على سيرة عيسى ككتب السيرة عندنا، وعيسى حي وسينزل في آخر الزمان خليفة عن نبيِّنا يحكم بشريعته، فلهذا لم يقل: «لو كان عيسى حيًّا... إلخ» ولأن عمر نسخ من بعض أحبار اليهود قطعة من التوراة، فقال له النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لو كان موسى حيًّا ما وَسِعَهُ إلَّا اتِّباعي**».

سجود الملائكة لآدم عليه السلام

س١١٦- وسُئل رضي الله عنه: هل هناك ملائكة لم يُؤمَروا بالسجود لآدم كما ذكر ذلك عبدالكريم الخطيب؟

ج١١٦- فأجاب رضي الله عنه: ما ذكره عبدالكريم الخطيب لا أصل له بل هو من التقوُّل على الله بغير علم، والله تعالى يقول: ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ [الحجر: ٣٠] وهو يقول: «في ملائكة لم يؤمروا بالسجود»! مِن أين أتاه هذا؟! والجنة قد اختلف فيها قيل: أنها في السماء وقيل: في الأرض، ولكلِّ قولٍ دليلٌ.

٣- الحديث الشريف

معنى حديث أفضل الأعمال

س١١٧- وسُئل رضي الله عنه: ما معنى حديث عبدالله بن مسعودٍ حين سأل النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن أي العمل أفضل، قال: «**الصَّلاةُ على ميقاتها**»، قال: ثُمَّ أي؟ قال: «**بِرُّ الوالدين**»، قال: ثُمَّ أي؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**».

ج١١٧- فأجاب رضي الله عنه: الحديث صحيحٌ، ومعناه: أنَّ الصلاة المفروضة في وقتها المُعيَّن لها أفضل أعمال الشخص؛ لأنها أهم أركان الدين بعد الشهادتين، حتى لقد ورد في الحديث الصحيح نفي الإسلام عمَّن ترك صلاةً واحدةً حتى يخرج وقتها، وورد في حديثٍ آخر: «**الصَّلاةُ خَيْرٌ مَوْضُوعٌ، فمَن شاء فليُقِلَّ ومَن شاء فليُكْثِر**».

ثُمَّ يليها في الفضل برُّ الوالدين وطاعتهما، وهذا أمرٌ واجبٌ بنصِّ القرآن في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣ - ٢٤].

وفي قوله: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤].

ففي الآية الأولى قرن طاعتهما بعبادته، وفي الآية الثانية قرن شكرهما بشكره، وذلك لتأكيد حقِّهما وتعظيم شأنهما؛ لما تحمَّلا مِن المشاقِّ في حمل الولد وتربيته، ولما أسديا إليه من الإحسان.

والله تعالى أوجب شكر مَن أسدى إلى الشخص معروفًا، فكيف

بالوالدين؟! لا جرم أن كان البر بهما أفضل الأعمال بعد الصلاة، كما أنَّ عقوقهما من الكبائر بنصِّ الحديث الصحيح.

ثُمَّ يلي هذا الفضل الجهاد في سبيل الله، والجهاد هو مقاتلة الكفار ومحاربتهم بالنفس والمال واللسان.

وقد أعد الله للمجاهدين من الثواب ما لم يعطه لغيرهم ويكفي دليلًا على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٦٩ - ١٧٠].

وهذا الحديث اشتمل على أهم الفروض الواجبة على الشخص نحو ربِّه، ووالديه، ودينه، هذا شرحٌ موجزٌ للحديث لعله يكون كافيًا والله أعلم.

شرح حديث: «ما من أحد يسلم علي إلا رد الله روحي»

س١١٨- وسُئل رضي الله عنه: ما معنى حديث: «ما مِن أحدٍ يُسَلِّم عليَّ إلَّا رَدَّ اللهُ إليَّ رُوحي حتَّى أردَّ عليه السَّلام»؟

ج١١٨- فأجاب رضي الله عنه: حديث: «ما مِن أحدٍ يُسَلِّم عليَّ...» حديثٌ صحيحٌ صحَّحه جماعةٌ منهم ابن تيمية في كتابه "اقتضاء الصراط المستقيم" وإن خالف في تصحيحه ابن عبدالهادي المقدسي فلا عبرة بخلافه لتعنُّته وتعصُّبه، فإنَّ سند الحديث على شرط الصحيح كما قال ابن تيمية، وقد أطال ابن القيِّم في الردِّ على مَن أعلَّ الحديث وأتى بوجوهٍ حسنةٍ في بيان اتصال

سنده وصحَّته.

وأمَّا معنى الحديث فقد اختلف العلماء في فهم معنى قوله: «إلَّا رَدَّ اللهُ إلَيَّ رُوحي» وأبدوا في شرحه وجوهًا سردها الحافظ السيوطيُّ في كتابه "إنباء الأذكياء بحياة الأنبياء" فبلغت خمسة عشر وجهًا:

منها: أنَّ الروح كنايةٌ عن النطق، والمعنى أنَّ الله يردُّ عليه النطق ليردَّ السلام، لأنه لا داعي لنطقه إلَّا حين يسلِّم عليه المُسلِّم.

ومنها: أنَّ ردَّ الروح كنايةٌ عن التفات روحه الشريفة من الاستغراق في حضرة الملكوت إلى هذا العالم لردِّ سلام المُسلِّم، والأول رأي ابن المنير والثاني رأي تقي الدين السبكيِّ.

ومنها: أنَّ هذا الحديث كنايةٌ عن دوام الحياة له؛ لأن الوجود لا يخلو من مُسلمٍ يُسلِّم عليه في لحظةٍ من ليلٍ أو نهارٍ، وهذا الوجه ذكره القسطلانيُّ في "المواهب" وأطال في تقريره.

والمقصود: أنَّ حياة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في قبره وهو و سائر الأنبياء ثابتةٌ بالكتاب والسُّنَّة المتواترة والإجماع.

أمَّا الكتاب: فقد أثبت حياة الشهداء، والأنبياء أفضل من الشهداء بالإجماع، مع أنَّ نبيَّنا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مات شهيدًا بأكلة خيبر كما في الصحيح.

وأمَّا السُّنَّة: فقد تواتر الحديث عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بأنَّ الأنبياء أحياءٌ في قبورهم يصلُّون، نصَّ على تواتره غير واحدٍ من الحفَّاظ آخرهم الحافظ السيوطيُّ.

وأمَّا الإجماع: فقال الحافظ السخاويُّ في "القول البديع" ما نصُّه: «ونحن نؤمن ونصدِّق بأنه حيٌّ يرزق في قبره الشريف، وأنَّ جسده لا تأكله الأرض والإجماع على هذا».

وقد سبقه إلى حكاية الإجماع الإمام الحافظ أبو محمد بن حزمٍ الأندلسيُّ في كتابه "المحلَّى" وكتابه "الفِصَل" والله أعلم.

حياة الخضر و إلياس عليهما السلام

س١١٩- وسُئل رضي الله عنه: هل مات الخَضِر و إلياس عليهما السلام أم مازالا في زمرة الأحياء، وهل ورد حديث يثبت ذلك؟

ج١١٩- فأجاب رضي الله عنه: في ذلك خلاف بين العلماء، أمَّا الخَضِر فذهب البخاريُّ وجماعةٌ من المحدِّثين إلى أنه مات، وذهب جماعةٌ من العلماء والصوفية إلى أنه لا يزال حيًّا.

وذكر جماعةٌ من الصوفية أنهم تقابلوا معه وأخذوا عنه، وللعارف الشعرانيِّ كتاب "الميزان الخضرية" ذكر فيه أنه تقابل مع الخضر وسأله عن اختلاف المذاهب الأربعة وعن سبب هذا الاختلاف فأفاده الخضر بجواب دوَّنه في ذلك الكتاب، وسمَّاه بالاسم المذكور وهو مطبوعٌ، وصحَّ عن عمر بن عبدالعزيز أنه رآه واجتمع به، وبشَّره بالخلافة.

وأمَّا إلياس عليه السلام ففيه خلافٌ أيضًا، قال سعد التفتازانيُّ في "شرح العقائد النسفية" ذهب العظماء من العلماء إلى أربعة من الأنبياء في زمرة الأحياء: الخَضِر و إلياس في الأرض، وعيسى وإدريس في السماء.

وقد وردت أحاديث في حياة الخَضِر و إلياس عليهما السلام لكنها لم تصح بل كلها واهيةٌ أو موضوعةٌ.

الفرق بين القرآن والحديث القدسي

س١٢٠- وسُئل رضي الله عنه: ما الفرق بين القرآن والحديث القدسي؟

ج١٢٠- فأجاب رضي الله عنه: الفرق بين القرآن والحديث القدسي من وجوهٍ:

١- القرآن نزل به جبريل خاصَّةً دون غيره من الملائكة، والحديث القدسيُّ قد ينزل به جبريل أو غيره.

٢- أنَّ القرآن نزل على قلب النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في اليقظة لا في المنام، بخلاف الحديث القدسي فقد نزل كثيرٌ منه في المنام.

٣- أنَّ القرآن نزل بهيئته الموجودة الآن لفظًا ومعنًى بحيث لا يصح تغيير حرفٍ منه بآخر ولو كان في معناه، بخلاف الحديث القدسيِّ فإنه نزل معناه وفوض التعبير عنه إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وتجوز روايته بالمعنى كسائر الأحاديث.

٤- أنَّ القرآن أعجز الله به العالمين وأخبر أنهم لا يستطيعون الإتيان بسورةٍ مثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا -أي نصيرًا- بخلاف الحديث القدسيِّ فلم يحصل به إعجازٌ بل جازت روايته بالمعنى كما تقدَّم.

٥- أنَّ القرآن منقولٌ نقل تواتر جيلًا بعد جيلٍ، بمعنى أنَّ المصحف الذي بأيدينا تلقته الأُمَّة بهيئته وحالته عن مثلها بحيث لا يوجد حرف منه إلَّا وهو منقولٌ نقل كافَّةٍ عن كافَّةٍ إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ولهذا مَن أنكر

شيئًا من القرآن يكفر بإجماع المسلمين.

بخلاف الحديث القدسي فإنه مرويٌّ في كتب الأحاديث التي لا يعرفها كثيرٌ من الناس، وفيه كثيرٌ من الأحاديث الضعيفة والموضوعة وليس كل الناس يدرك الفرق بين الضعيف والموضوع والله أعلم.

حقيقة سحر لبيد اليهودي للنبي

س١٢١- وسُئل رضي الله عنه: هل سحر لبيد اليهوديُّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حقيقةً؟ وما الحكمة في تأثير السِّحر في سيِّد الرسل إذا ثبت أنه سُحِر؟

ج١٢١- فأجاب رضي الله عنه: ثبت حديث السِّحر في صحيحَي "البخاري" و"مسلم" وهو حديثٌ صحيحٌ لم يطعن فيه أحدٌ، حتى أتى الشيخ محمد عبده فطعن فيه بأمرٍ تافهٍ لا يستحق الذِّكر، وقد كان تأثير السِّحْر في النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من قبيل الأمراض التي تعرض لذاته الشريفة، ولم يتأثَّر عقله بشيءٍ؛ لأن الله عَصَمَ عقله من جميع الآفات، وغاية تأثير السِّحر فيه، أنه كان إذا أراد أن يأتي أهله لم يجد النشاط الذي كان يعهده من نفسه حتى أنزل الله عليه سورتي المُعوِّذتين فانفكَّ الربط وذهب تأثير السِّحْر، كما جاء مُبيَّنًا في طرق الحديث.

والشيخ محمد عبده ظنَّ أنَّ السِّحْر أثَّر على عقله فنفاه لذلك فهو مخطئ فيما ظنَّ.

العمل بالحديث الضعيف

جاءني خطاب من أحد الأفاضل يقول فيه بعد الديباجة والتحية ما هذه صورته: أرجو من فضيلتكم الجواب عما يأتي ولكم منا الشكر ومن الله حسن الثواب:

س١٢٢- في تفسير (سورة البقرة) من كتاب "فتح البيان" لعلَّامة الهند المرحوم صديق حسن ما نصُّه: «قد أخطأ من قال إنه يجوز التساهل في الأحاديث الواردة في فضائل الأعمال؛ وذلك لأن الأحكام الشرعية متساوية الإقدام، لا فرق بين واجبها ومحرمها، ومسنونها ومكروهها ومندوبها، فلا يحل إثبات شيءٍ منها إلَّا بما تقوم به الحُجَّة، وإلَّا فهو من التقوُّل على الله بما لم يقل...» إلخ كلامه.

ثم إن المقرر عند جمهور أهل الحديث أنه يجوز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال بشروطه، فنرجو توضيح المقام وإزالة الإبهام في هذا الموضوع، مع بيان المراد من العمل في قولهم: «يجوز العمل بالحديث الضعيف...» إلخ.

س١٢٣-هل يجوز التصدِّي لقراءة كتب الحديث بدون أن يكون لذلك القارئ سندٌ أو إجازةٌ، أو يكفي في ذلك صحَّة الكتب التي تُقرأ، كـ"مختصر البخاري"، و"الأربعين النووية"، أو لا؟

الجواب: وأقول للسائل: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

ج١٢٢- أمَّا ما ذكرته عن القنوجيِّ في تفسيره "فتح البيان" فقد صرَّح به أيضًا في كتابه "نزل الأبرار بالعلم المأثور من الأدعية والأذكار".

وعبارته: «تساهل العلماء وتسامحوا حتىٰ استحبُّوا العمل في الفضائل والترغيب والترهيب بالحديث الضعيف ما لم يكن موضوعًا، وإلىٰ هذا ذهب الجمهور، وبه قال النوويُّ، وإليه نحا السخاويُّ وغيره، ولكن الصواب الذي لا محيص عنه أنَّ الأحكام الشرعيَّة متساويةٌ، فلا ينبغي العمل بحديثٍ حتىٰ يصح أو يحسن لذاته أو لغيره، أو انجبر ضعفه فترقَّىٰ إلىٰ درجة الحسن لذاته أو لغيره».اهـ

وهذا مذهب الحافظ أبي بكر ابن العربي المالكي كما نقله البدر الزركشيُّ في حواشيه علىٰ ابن الصلاح، والحافظ السخاويُّ في "فتح المغيث"، و"القول البديع"، وهو أحد الأقوال في المسألة، وحاصله منع العمل بالحديث الضعيف في الأحكام وغيرها.

القول الثاني: أنه يجوز العمل بالحديث الضعيف في الأحكام إذا لم يكن في الباب دليلٌ غيره من كتابٍ أو سُنَّةٍ صحيحةٍ، حتىٰ لو كان هناك قياسٌ قُدِّم الحديث الضعيف عليه، وهذا مذهب أحمد بن حنبلٍ وأبي داود.

قال الحافظ السخاويُّ: «روينا بالإسناد الصحيح عن عبدالله بن الإمام أحمد، قال: سمعت أبي يقول: لا نكاد نرىٰ أحدًا ينظر في الرأي إلَّا وفي قلبه غِلٌّ، والحديث الضعيف أحب إليَّ من الرأي. قال عبدالله: فسألته عن الرجل يكون ببلدٍ لا يجد فيه إلَّا صاحب حديثٍ لا يدري صحيحه من سقيمه وصاحب رأي فمن يسأل؟ قال: يسأل صاحب الحديث، ولا يسأل صاحب الرأي».

وورد عن أحمد أيضًا، قال لابنه عبدالله: لو أردت أن أقتصر علىٰ ما صح

عندي، لم أروِ من هذا المسند إلَّا الشيء بعد الشيء، ولكنك يا بني تعرف طريقتي، أني لا أخالف ما يضعف إلَّا إذا كان في الباب شيءٌ يدفعه.

وصرَّح ابن الجوزي في "الموضوعات" أنَّ أحمد كان يُقدِّم الضعيف على القياس، وكذا قال ابن تيمية فيما نقله عن الطوفيِّ.

وقال الحافظ بن منده: «كان أبو داود يخرج الإسناد الضعيف إذا لم يجد في الباب غيره؛ لأنه أقوى عنده من رأي الرجال، نقله ابن الصلاح في "علوم الحديث" ونظمه الحافظ العراقي في "الألفية" فقال:

كانَ أبو داود أقوى ما وَجَدْ ... يَرْوِيهِ، والضَّعِيفَ حيثُ لا يَجِدْ
في البابِ غَيرَهُ فَذَاكَ عِنْدَهْ ... من رَأيٍ أقوَى قَالَهُ ابْنُ مَنْدَهْ

ونقل الحافظ أبو محمد ابن حزمٍ اتفاق الحنفية على مذهب أبي حنيفة تقديم الحديث الضعيف على الرأي والقياس، ونُوزِع في نقل هذا الاتفاق.

القول الثالث: جواز العمل بالحديث الضعيف فيما عدا الأحكام من ترغيبٍ وترهيبٍ وما إلى ذلك، وهذا مذهب الجمهور.

قال الحافظ ابن الصلاح: «يجوز عند أهل الحديث وغيرهم التساهل في الأسانيد ورواية ما سوى الموضوع من أنواع الأحاديث الضعيفة من غير اهتمامٍ ببيان ضعفها فيما سوى صفات الله تعالى وأحكام الشريعة من الحلال والحرام وغيرهما، وذلك كالمواعظ والقصص وفضائل الأعمال وسائر فنون الترغيب والترهيب مما لا تعلُّق له بالأحكام والعقائد».اهـ

ومثله للنووي في"التقريب" و"المجموع" وغيرهما من كتبه، بل حكى في بعضها إجماع المحدِّثين على ذلك، لكن لا يصح الإجماع لما تقدَّم من مخالفة ابن

العربي، وقد تخرج صحَّته على من لا يعد مخالفة الواحد والاثنين خارقة للإجماع، وهو قول محكيٌّ في كتب الأصول وفي "الألفية":

وسَهَّلُوا في غَيْرِ مَوْضُوعٍ رَوَوْا ... مِنْ غَيْرِ تَبْيِينٍ لِضَعْفٍ، وَرَأَوْا
بَيَانَهُ في الحُكْمِ والعَقَائِدِ ... عَنِ ابنِ مَهْدِيٍّ وَغَيْرٍ وَاحِدِ

وخرَّج البيهقيُّ في "المدخل" بإسناده إلى عبدالرحمن بن مهدي قال: «إذا روينا عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في الحلال والحرام والأحكام شدَّدنا في الأسانيد وانتقدنا في الرجال، وإذا روينا في الفضائل والثواب والعقاب سهلنا في الأسانيد وتسامحنا في الرجال».

وورد مثل هذا عن سفيان الثوريِّ وابن عيينة وعبدالله بن المبارك ويحيى بن معينٍ وأحمد بن حنبل وغيرهم، أسند ذلك عنهم الحافظ أبو أحمد بن عدي في مقدِّمة كتابه "الكامل" حيث عقد لجواز العمل بالضعيف في الفضائل بابًا مستقلًّا، وأورد فيه نقولًا كثيرةً وكذا فعل الخطيب في "كفايته".

وقال الحاكم: سمعت أبا زكرياء العنبريَّ يقول: الخبر إذا ورد لم يحرم حلالًا ولم يحل حرامًا، ولم يوجد حكمًا وكان في ترغيب أو ترهيب، أغمض عنه وتساهل في رواته.

وقال الحافظ بن عبدالبر: «أحاديث الفضائل لا نحتاج فيها إلى من يحتج به».اهـ

لكن شرط لجواز العمل بالضعيف شروط:

١- أن يكون ضعف الحديث غير شديدٍ، فإن كان شديدًا فلا يجوز العمل به، وهذا الشرط متفقٌ عليه كما قال الحافظ العلائيُّ والتقي السبكيُّ.

ومثال الضعف الشديد أن يتفرَّد بالحديث متهمٌ بالكذب، أو مَن فَحُشَ غلطه، أو كثرت غفلته، أو ظهر فِسْقُهُ ونحو ذلك.

٢- أن يكون الحديث مندرجًا تحت أصلٍ عامٍّ من أصول الشرع، فلا يعمل به في غير ذلك، كما إذا كان الحديث يقتضي اختراع شيءٍ ليس في قواعد الشرع ما يشهد له.

٣- ألَّا يُعتقَد عند العمل به ثبوته عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لئلَّا ينسب إليه ما لم يقله، وهذان الشرطان ذكرهما العزُّ بن عبدالسلام وتلميذه التقي بن دقيق العيد.

والمراد بالعمل في قولهم: «يجوز العمل بالحديث الضعيف» أن يفعل الشخص ما رغَّب فيه الحديث الضعيف بقصد تحصيل ما وعد به من الثواب على ذلك الفعل، ويجتنب ما نفر منه رهبة مما أوعد به من العقاب عليه.

ولنذكر لك أمثلة يتضح بها المقام:

١- مثال الضعيف الشديد الضعف حديث: «**مَن صَلَّى سُبْحَةَ الضُّحَى ركعتين إيمانًا واحْتِسابًا كتبَ اللهُ له مائتي حَسَنَةٍ، ومَحا عنه مائتي سَيِّئَةٍ، ورفع له مائتي درجةٍ، وغُفِرَتْ له ذنوبُه كلُّها ما تقدَّم منها وما تأخَّر إلَّا القَصَاصَ**».

رواه آدم ابن أبي إياس في كتاب "الثواب" من حديث عليٍّ عليه السَّلام، وهو حديثٌ ضعيفٌ جدًّا كما قال الحافظ ابن حجرٍ فلا يجوز العمل به، بمعنى أنَّ الإنسان لا يجوز له أن يُصلِّي الضُّحَى اعتمادًا على ما في هذا الحديث من الثواب، بل يُصلِّيها على أنها سنَّةٌ اعتمادًا على الأحاديث الصحيحة الواردة بسنيَّتها.

٢- مثال المندرج تحت أصل عامٍ حديث: «**ما مِن عَبْدٍ يَبْسُطُ كفَّيْهِ في دُبُرِ كلِّ صلاةٍ ثُمَّ يقول: اللهمَّ إلهي وإله إبراهيم وإسحاق ويعقوب....**» ثُمَّ ذكر الحديث وقال في آخره: «**إلَّا كان حَقًّا على الله أَلَّا يرد يَدَيْهِ خائِبتَين**».

رواه بن السُّنِّيِّ عن أنسٍ مرفوعًا، فهذا حديثٌ ضعيفٌ لكنه مُندَرِجٌ تحت عموم أحاديث دالَّةٍ على استحباب رفع اليدين في الدُّعاء في جميع الأوقات من غير تقييدٍ بكونه بعد الصَّلاة أو قبلها، كحديث سلمان مرفوعًا: «**إنَّ اللهَ حَيِيٌّ كريمٌ يَسْتَحِي إذا رَفَعَ الرَّجُلُ إليه يَدَيْهِ أن يَردَّهُما صِفْرًا خائِبتَين**». حسَّنه الترمذيُّ وصحَّحه الحاكم.

وحديثه أيضًا: «**ما رَفَعَ قومٌ أكفَّهُم إلى الله عزَّ وجلَّ يسألونه شيئًا إلَّا كان حَقًّا على الله أن يَضَعَ في أيديهم الذي سألوا**». رويناه في "معجم الطبراني" بإسنادٍ صحيحٍ.

فيجوز العمل بحديث أنسٍ، بمعنى أنه يجوز للإنسان أن يرفع يديه في الدعاء عقب الصلاة، مُعتقدًا أنَّ اللهَ لا يرده خائبًا.

٣- مثال المُخالف لقواعد الشرع: حديث صلاة التسابيح، ورد من طرقٍ ضعيفةٍ أمثلها طريق ابن عبَّاسٍ لقربه من شرط الحسن، ومع ذلك لا يجوز العمل به؛ لأنه يدل على اختراع نوعٍ من الصلاة مخالفٌ لسائر أنواع الصلوات، كذا قال النوويُّ. ووافقه الحافظ ابن حجرٍ في "التلخيص" ثُمَّ خالفه في "الخصال المكفرة"، وكذا خالفه السبكيُّ وجماعةٌ، وفي المسألة كلامٌ طويلٌ ليس هذا موضع بسطه.

٤- مثال آخر من نوع ما قبله، وهو حديث: «**مَن وَقَعَ على بَهيمَةٍ فاقْتُلُوهُ**

واقْتُلوا البهيمةَ». رواه أحمد وأصحاب السُّنن عن ابن عبَّاسٍ، فهذا الحديث مع ضعفه ليس في قواعد الشرع ما يُؤيِّده، إذ ليس في الأحاديث ولا غيرها من الأدلة ما يدل على قتل البهيمة في مثل هذا الموطن، فلا يجوز العمل به.

هذا وقد بقي رأيٌ آخر في العمل بالحديث الضعيف تركناه لاستدعائه طول بحثٍ لسنا بصدده الآن، وربما نُفرد له مقالًا مستقلًّا فيما بعد إن شاء الله تعالى.

ج١٢٣- وأمَّا التصدِّي لقراءة كتب الحديث بدون أن يكون للقارئ سندٌ أو إجازةٌ، فحكى الحافظ المقري أبو بكر محمد بن خير الإشبيليُّ المالكيُّ الاتفاق على أنه لا يجوز إلَّا إذا كان للقاريء سندٌ ولو بالإجازة. ذكر ذلك في أول "معجم شيوخه"، وهذه عبارته: «اتفق العلماء رحمهم الله تعالى على أنه لا يصح لمسلمٍ أن يقول: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كذا، حتى يكون عنده ذلك القول مرويًّا ولو على أقل وجوه الرِّوايات، لقول رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «مَن كَذَبَ عليَّ مُتعَمِّدًا فليَتبوَّأ مَقْعَدَهُ مِن النَّارِ»[1]، وفي بعض الروايات: «مَن كَذَبَ عليَّ» مطلقًا بدون تقييد».اهـ

ونقله الحافظ العراقي في "الألفية" فقال:

قُلْتُ: وَلابْنِ خَيْرٍ امْتِنَاعُ نَقْلٍ سِوَى مَرْوِيِّهِ إجْمَاعُ

غير أنَّ البدر الزركشيَّ تعقَّب ما قاله الحافظ ابن خير بما نصُّه: «نقل الإجماع عجيبٌ، وإنما حُكِي ذلك عن بعض المُحدِّثين، ثُمَّ هو معارَضٌ بنقل

---

(١) هذا الحديث رواه ثمانية وتسعون صحابيًّا.اهـ كاتبه.

ابن برهان إجماع الفقهاء على الجواز، فقال في "الأوسط": ذهب الفقهاء كافَّةً إلى أنه لا يتوقَّف العمل بالحديث على سماعه، بل إذا صح عنده النسخة جاز له العمل بها، وإن لم يسمع.

وحكى الأستاذ الإسفرايني الإجماع على جواز النقل من الكتب المعتمدة ولا يشترط اتصال إلى مصنِّفيها، وذلك شاملٌ لكتب الحديث والفقه، وقال الْكِيَا الطبريُّ في تعليقه: مَن وجد حديثًا في كتابٍ صحيحٍ جاز له أن يرويه ويحتجَّ به، وقال قومٌ من أصحاب الحديث: لا يجوز له أن يرويه لأنه لم يسمعه، وهذا غلطٌ».

ثُمَّ نقل الزركشيُّ عن العزِّ بن عبدالسلام أنه قال: «اتفق العلماء في هذا العصر على جواز الاعتماد على الكتب الصحيحة الموثوق بها؛ لأن الثقة قد حصلت بها كما تحصل بالرواية، ولذلك اعتمد الناس على الكتب المشهورة في النحو واللغة والطب وسائر العلوم لحصول الثقة بها، وبعد التدليس».

ثُمَّ قال الزركشيُّ: «واستدلاله -يعني الحافظ ابن خير- على المنع بالحديث المذكور، أعجب وأعجب، إذ ليس في الحديث اشتراط ذلك، وإنما فيه تحريم القول بنسبة الحديث إليه حتى يتحقَّق أنه قاله، وهذا لا يتوقَّف على روايته، بل يكفي في ذلك علمه بوجوده في كتب من خرج الصحيح، أو كونه نصَّ على صِحَّته إمامٌ، وعلى ذلك عمل الناس».اهـ

والحاصل: أنَّ المعتمد عند المحدِّثين أنه يجوز قراءة الكتب الصحيحة الموثوق بها من غير أن يكون للقارئ سندٌ ولا إجازةٌ، بشرط أن يُصحِّح كتابه على نسخةٍ صحيحةٍ أو على شيخٍ يثق بصحَّة فهمه وشدَّة إتقانه، كما نصَّ عليه ابن الصلاح والنوويُّ والعراقيُّ، هذا مع بقاء الإجماع على استحباب اتصال

سند القارئ بأصحاب الكتب التي يقرؤها، ولو بالإجازة حفظًا لبقاء الإسناد الذي هو من خصوصيات هذه الأُمَّة؛ لأن الأمم السابقة كانت روايتهم ليست إلا مجرد تعليقٍ أو وِجادَةٍ.

أمَّا الكتب التي فيها الصحيح وغيره كـ"نزهة المجالس للصفوريِّ"، "والروض الفائق" لشعيب الحريفيش، "وتنبيه الغافلين" لأبي الليث السمرقندي ونحوها، فالإجماع على عدم جواز قراءتها إلَّا لعارفٍ بالحديث مُميِّزٍ لصحيحه من سقيمه، والله سبحانه وتعالى أعلم.

تبليغ الرسالة ليأجوج ومأجوج

س١٢٤- سؤال: أرجو من فضيلتكم أن تُبيِّنوا لنا هل ورد حديثٌ صحيحٌ أو حسنٌ يُفيد أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بلَّغ يأجوجَ ومأجوجَ الدعوة فلم يُجيبوا؟ وأسأل الله الكريم أن يحفظكم وينفع الإسلام بكم.

ج١٢٤- الجواب: تبليغ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الدعوةَ ليأجوج ومأجوج لم يرد فيه حديثٌ صحيحٌ ولا حسنٌ وإنما ورد فيه حديثٌ ضعيفٌ خرَّجه نُعيم بن حمَّاد في كتاب "الفتن" وابن مَرْدُوَيه في "التفسير" عن ابن عبَّاسٍ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**بَعَثَني اللهُ ليلةَ أُسْرِيَ بي إلى يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ فدَعَوْتُهم إلى دين الله وعبادَتِه فأَبَوا أن يُجيبوني، فهم في النَّارِ مع مَن عَصَى مِن وَلَدِ آدمَ ووَلَدِ إبليس**». وإسناده واهٍ.

وخرَّج الطبرانيُّ نحوه من طريق سعيد بن بشيرٍ، عن قتادة عن رجلين عن أبي بكرة.

وورد حديثٌ يدل على أنَّ رجلًا منهم يُسْلِم عند قُرْب خروجهم من السَّدِّ، وهو ما رواه ابن مَرْدُوَيه في "التفسير" عن حذيفة رفعه: «**إنَّ يأجوجَ ومأجوجَ يَحْفرون السَّدَّ كلَّ يومٍ حتَّى إذا كادوا يَخْرِقُونَهُ قال الذي عليهم: ارْجِعُوا فستَخْرِقونه غَدًا، فيُعيدُه اللهُ كأشد ما كان حتَّى يُسْلِمَ رَجُلٌ منهم حين يُريد الله أن يبلغ أمره، فيقول المؤمن غدًا نفتحه إن شاء الله، فيُصبِحون ثُمَّ يغدون عليه فيفتحونه...**» الحديث.

لكن قال الحافظ: «سنده ضعيفٌ جدًّا»، والله أعلم.

معنى: «إنِّي أخافُ عليكم مِن الدَّجَّال غير الدَّجَّالِ»

س١٢٥- سؤال: الرجاء من حضرتكم أن تفيدونا، ما معنى حديث النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنِّي أخافُ عليكم مِن الدَّجَّال غير الدَّجَّالِ**».

ج١٢٥- الجواب: لفظ الحديث هكذا: «**غيرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفَني عليكم**» خرَّجه مسلمٌ من حديث النوَّاس بن سَمْعَان، وهذا بظاهره يُعارض ما ثبت عنه عليه وآله الصَّلاة والسَّلام أنه قال: «**لا فِتْنَةَ أعظمُ مِن فِتنة الدَّجَّالِ**» وكان يستعيذ منها في صلاته تشريعًا لأُمَّته.

ولكنه في الحقيقة لا تعارض؛ ففتنة الدَّجَّال هي أعظم الفِتن على الإطلاق أعاذنا الله منها، وأمَّا قوله: «**غيرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفَني عليكم**» فإنما خاطب به الصحابة؛ لأن الذي خافه عليهم من الفِتن والملاحم التي حصلت بينهم أقرب إليهم من الدَّجَّال، فالقريب المُتيقَّن وقوعه لمن يخاف عليه يشتد الخوف منه على البعيد المظنون وقوعه به ولو كان أشد، قاله الحافظ.

جواب عن أحاديث

س١٢٦- وسُئل رضي الله عنه: كثيرًا ما نسمع ونقرأ في الكتب والمجلات هذا الحديث الشريف: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**اعْمَلْ لدُنياك كأنَّك تَعِيشُ أبدًا، واعْمَلْ لآخِرَتك كأنَّك تَموتُ غَدًا**». وقد طالعتُ كتبًا كثيرةً في الحديث فلم أعثر عليه، فنرجو منكم إبداء رأيكم فيه، هل هو حديثٌ أو حِكْمةٌ؟

ج١٢٦- فأجاب رضي الله عنه: الحديث المذكور غير واردٍ، وأحسب العوام أخذوه من حديث: «**اعْمَلْ عَمَلَ امرئٍ يظنُّ أن لن يموتَ أبدًا، واحْذَرْ حَذَرَ امرئٍ يَخْشَى أن يَموتَ غَدًا**» وهذا الحديث خرَّجه البيهقيُّ في "السنن الكبرىٰ" مِن حديث عبدالله بن عمرو بن العاص بإسنادٍ ضعيفٍ جدًّا.

وروىٰ القضاعيُّ في "مسند الشهاب" قال: أخبرنا الحسن بن محمد الأنباريُّ: حدَّثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن المسور: ثنا مِقْدامُ بن داود: ثنا عليُّ بن معبدٍ: ثنا عيسىٰ بن واقد الحنفيُّ، عن سليمان بن أرقم، عن الزهريِّ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أَصْلِحُوا دُنياكُمْ واعْمَلُوا لآخِرَتِكُمْ كأَنَّكَمْ تَموتون غَدًا**». سليمان بن أرقم متروكٌ ساقطٌ.

ورواه الديلميُّ في "مسند الفردوس" من حديث أنسٍ رضي الله عنه بإسنادٍ فيه مجهولٌ.

ومما ينخرط في معنىٰ الحديث ما رواه الخطيب في "تاريخ بغداد" قال: أخبرني محمود بن عمر العكبريُّ: أخبرنا أبو طالب عبدالله بن محمد بن عبدالله: أنا عمي أبو العباس أحمد بن عبدالله فيما أجازه لنا: أنَّ أحمد بن عيسىٰ المصريَّ حدَّثهم، قال: ثنا نعيم بن سالم بن قنبر، عن أنس بن مالكٍ، عن رسول الله

صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «خَيْرُكُمْ مَن لم يترك آخِرَتَهُ لدُنياه، ولا دُنياهُ لآخِرَتِهِ، ولم يكن كلًّا على النَّاسِ».

هذا حديثٌ واهٍ جدًا، في سنده كذَّابٌ وهو يغنم -بياء مثناة تحت وغين معجمة ونون- ابن سالم بن قنبر.

ووقع في "تاريخ الخطيب" نعيم -بنون فعين مهملة فياء مثناة تحت- وكذا وقع للحافظ أبي الحسن بن القطان السجلماسيِّ فقال: «لا يعرف».

وقال الحافظ: «تصحَّف عليه اسمه، وإلَّا فهو معروفٌ مشهورٌ بالضعف متروك الحديث، وأول اسمه ياء مثناة تحتية...»إلخ ما تقدَّم.

قلت: والتصحيف أتى من بعض الرواة كما نبَّه عليه ابن عديٍّ في ترجمته من "الكامل".

والحاصل: أنَّ الحديث المسئول عنه لا أصل له بذلك اللفظ، وفي معناه الأحاديث التي أوردناها مع ما فيها من الضعف الشديد الذي لا يَنْجَبِر، والله أعلم.

هل بال النبي قائمًا؟

س١٢٧- وسُئل رضي الله عنه: هل ورد حديثٌ يُثبت أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بال قائمًا؟ وإن كان كذلك فنرجو الكتابة على صفحات "الإسلام" مع أنَّ السيَّدة عائشة نَفَتْ ذلك بحديثٍ أوردته. أرجو إفادتنا ولكم الشكر؟

ج١٢٧- فأجاب رضي الله عنه: صحَّ أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بال قائمًا، ففي الصحيحين عن حذيفة رضي الله عنه قال: أتي النبيُّ صلَّى الله

عليه وآله وسلَّم سُبَاطَةَ قومٍ -بضم السين وتخفيف الموحَّدة- فبال قائمًا، ثُمَّ دعا بماء فجئته بماء فتوضأ.

وفيهما أيضًا -واللفظ للبخاريِّ- عن حذيفة قال: رأيتُني -بضم التاء- أنا والنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نتماشى، فأتى سُبَاطَةَ قومٍ خَلْفَ حائِطٍ فقام كما يقوم أحدكم فبال، فانتبذتُ منه فأشار إليّ فجئته، فقمت عند عقبه حتى فرغ.

وقد اختلف العلماء في سبب بوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قائمًا وذكروا أسبابًا كثيرة أظهرها كما قال الحافظ: «أنه فعل ذلك لبيان الجواز».

وأمَّا نفي عائشة فرواه الترمذيُّ وابن ماجه عن طريق شريك عن المِقدام بن شُرَيح بن هانيء، عن أبيه، عن عائشة قالت: «مَن حَدَّثكم أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان يبول قائمًا فلا تُصَدِّقوه، أنا رأيته يبول قاعدًا».

فروى الحاكم من طريق سفيان عن المِقدام، عن أبيه عنها قالت: «ما بالَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قائمًا منذ أنزل عليه الفُرقان».

وقد تمسَّك بهذا أبو عوانة وابن شاهين، فادَّعيا أنَّ البول عن قيامٍ منسوخٌ، وفاتهما ما ثبت في حديث حذيفة وغيره أنَّ بولَ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن قيامٍ كان بالمدينة، أي بعد نزول القرآن بمُدَّةٍ.

ففي "التمهيد" بإسنادٍ صحيحٍ من طريق عيسى بن يونس، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن حذيفة في حديثه المُتقدِّم: أنَّ ذلك -يعني البول قائمًا- كان بالمدينة.

وفي "معجم الطبراني الكبير" عن عصمة بن مالكٍ، قال: خرج علينا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في بعض سِكَكِ المدينة فانتهى إلى سُباطة

قومٍ ثُمَّ قال: يا حذيفة استرني، وبال قائمًا.

فهذان الحديثان يتضمَّنان إثبات ما نفته عائشة فيجب تأويل كلامها بأن يحمل على أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لم يفعل ذلك في البيوت وفي غالب أحواله، وأمَّا في غير البيوت ففعله قليلًا، ولم تكن هي معه فتشاهده، وقد كان معه حذيفة وشاهده وأخبر عن عيان، وهو من كبار الصحابة وصاحب سِرِّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فلا يكون نفي عائشة مُقدَّمًا على إثباته رضي الله عنهما، ومن المُقرَّر في الأصول: «أنَّ المُثْبِتَ مُقَدَّمٌ على النَّافي».

هذا وأخبرني حضرة السائل أنَّ بعض الناس ممَّن يبول قائمًا يقول عند بوله: اللهمَّ صَلِّ على مَن بال قاعِدًا وقائمًا، وهذه عادةٌ قبيحةٌ وبِدعةٌ مُنكَرةٌ يجب اجتنابها؛ لما فيها مِن مُخالفة الشرع، ومِن المفاسد التي لا تخفى، والله سبحانه أعلم.

هل ثبتَ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنَّه لبِسَ السَّراويلَ؟

س١٢٨- سئل رضي الله عنه: هل ثبتَ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنَّه لبِسَ السَّراويلَ؟

ج١٢٨- فأجاب رضي الله عنه: لم يثبُتْ ذلك وإنَّما ورد فيه حديثٌ ضعيفٌ رواه الطبرانيُّ في "الأوسط" وأبو يعلى في "مسنده" من طريق يوسف بن زياد الواسطيِّ، عن عبد الرحمن بن زياد الإفريقيِّ، عن أبي مسلم الأغَرِّ، عن أبي هريرة قال: دخلت يومًا السُّوق مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فجلس إلى بزَّازين فاشترى سراويلَ بأربعةِ دراهيم.

وكان لأهل السُّوق وزَّان فقال له رسولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**زِنْ وأَرجِحْ**». وأخذ رسولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم السَّراويل وذهبت لأحمله عنه فقال: «**صاحبُ الشَّيء أحقُّ بحَملِهِ إلَّا أن يكونَ ضعيفًا يعجِزُ عنه فيُعِينُه أخوه المسلمُ**». قلتُ: يا رسولَ الله وإنَّك لتلبِسُ السَّراويلَ؟ قال: «**أجَلْ في السَّفَرِ والحضَرِ وباللَّيلِ والنَّهارِ فإنِّي أُمِرتُ بالسَّتْرِ فلم أجِدْ أستَرَ مِنْه**».

ويوسفُ بن زياد وشيخُه ضعيفان ولأجلِهما أورد ابنُ الجوزيِّ الحديثَ في "الموضوعات" فأخطأ لأنَّهما لم يصِلا في الضَّعف إلىٰ حدٍّ أن يُحكَمَ علىٰ حديثِهما بالوضْعِ.

حديثُ: «منْ لم يُكثِرْ ذكرَ الله فقد بَرِئَ منَ الإيمانِ»

س١٢٩- وسئل رضي الله عنه عن حديثُ: «**منْ لم يُكثِرْ ذكرَ الله فقد بَرِئَ منَ الإيمانِ**».

ج١٢٩- فأجاب رضي الله عنه: وأما حديثُ: «**منْ لم يُكثِرْ ذكرَ الله فقد بَرِئَ منَ الإيمانِ**». فهو حديثٌ واهٍ، خرَّجَه الطبرانيُّ في في "الأوسط" و"الصغير"، قال فيهما: حدثنا محمَّد بن سهل ابن المهاجر الرَّقِّي، عن مُؤمَّلِ بنِ إسماعيل، ثنا حمَّاد، عن سُهيل، عن أخيه، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبيِّ صلىٰ الله عليه وسلم: «**منْ لم يُكثِرْ ذكرَ الله فقد بَرِئَ مِنَ الإيمانِ**». تفرد به مُؤمَّلٌ وهو مجمَعٌ علىٰ ضعفِه وتوهِينِه، ومحمَّد بن سهْل مجهولٌ، وقد صرَّح الحافظُ في بعض تقاييده بأنَّ الحديثَ موضوعٌ.

وعلىٰ كِلا الحالين فنحنُ في غنىً عن تأويله لعدم ثُبوته كما علمتَ، وإن

كان لابدَّ من تأويله فيؤوَّل على ما ذكرت من زيادةِ الإيمان ونقصِه.

ومثلُ هذا ما ورد عن بعض الصَّحابة أنَّه كان يقول: «اجلسْ بنا نُؤمِن ساعةً». يعني بذلك :الذكر فهو محمولٌ أيضًا على زيادةِ الإيمانِ.

تخريج حديث من غسَّل واغتَسَل

س١٣٠- وسئل رضي الله عنه عن تخريج حديث من غسَّل واغتَسَل.

ج١٣٠- فأجاب رضي الله عنه: قال الإمام أحمد في "مسنده": حدَّثنا يحيى ابن آدم: حدَّثنا بن المبارك، عن الأوزاعيِّ، عن حسَّان بن عطية، عن أبي الأشعث الصنعانيِّ، عن أوس بن أوسٍ الثقفيِّ قال: سمعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**مَن غَسَّلَ واغْتَسَلَ، وغَدَا، وابْتكَرَ، فَدَنَا، وأَنْصَتَ ولم يَلْغُ كان له بكلِّ خُطْوَةٍ، كأَجْرِ سَنَةٍ صِيَامِها وقِيامِها**». وله في المسند طرقٌ وألفاظٌ.

وخرَّجه ابن ماجه قال: ثنا أبو بكر بن أبي شيبة: ثنا عبدالله بن المبارك.

وخرَّجه الترمذيُّ قال: ثنا محمود بن غَيْلان: ثنا وكيعٌ: ثنا سفيان وأبو جَنابٍ يحيى بن أبي حَيَّة، عن عبدالله بن عيسى، عن يحيى بن الحرث، عن أبي الأشعث الصنعانيِّ، عن أوسٍ بن أوسٍ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن اغْتَسَلَ يومَ الجُمُعَةِ وغَسَّلَ، وبَكَّرَ وابْتكَرَ، ودَنَا واسْتَمَعَ وأَنْصَتَ، كان له بكلِّ خُطْوَةٍ يَخْطُوها أَجْرُ سَنَةٍ صِيَامُهَا وَقِيَامُهَا**».

ثُمَّ قال الترمذيُّ: «حديث أوس بن أوسٍ حديثٌ حسنٌ، وأبو الأشعث اسمه شراحيل ابن آدَةَ، وأبو جَناب يحيى بن حَبيبٍ القَصَّاب».اهـ

وخرَّجه الحاكم وابن حِبَّان والنَّسائيُّ وغيرهم، ولم استحضر طرقهم الآن

فأذكرها، وقد تكلَّم عليه الحافظ المنذري في "الترغيب والترهيب" وغيره، والله أعلم.

التوسعة يوم عاشوراء

س١٣١- وسُئل رضي الله عنه: روى الطبراني عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنه قال: «**من وسَّع على عياله يوم عاشوراء وسع الله عليه في سنته كلها**». فحسمًا للنزاع القائم بيني وبين فئةٍ مِن النَّاسِ في صِحَّة هذا الحديث أرجو البيان، وهل لهذا الحديث أصلٌ صحيحٌ مِن السُّنَّة؟ وفي أي كتابٍ ؟

ج١٣١- فأجاب رضي الله عنه: هذا الحديث ورد مِن حديث عبدالله بن مسعودٍ وأبي هريرة وجابرٍ وأبي سعيدٍ الخدريِّ وابن عمر رضي الله عنهم.

فحديث ابن مسعودٍ خرَّجه الطبرانيُّ قال: ثنا عبدالوارث بن إبراهيم: ثنا عليُّ بن أبي طالبٍ البزَّار: ثنا هيضم بن شداخٍ، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن ابن مسعودٍ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن وَسَّعَ على عِيالِهِ يومَ عاشُوراءَ وَسَّعَ اللهُ عليه سائِرَ سَنَتِهِ**».

وهذا إسنادٌ ضعيفٌ لاتفاق المُحدِّثين على ضعف هَيْضَمٍ.

وحديث أبي هريرة خرَّجه أبو نعيمٍ في "تاريخ أصبهان" قال: ثنا عليُّ بن محمود بن عليٍّ بن مالكٍ: ثنا إبراهيم بن أحمد بن الفضل: ثنا إبراهيم بن عونٍ: ثنا حجَّاج بن نصيرٍ: ثنا محمد بن ذَكْوان، عن يعلى بن حكيمٍ، عن سليمان بن أبي عبدالله، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن وَسَّعَ على عِيالِهِ وأهلِه يومَ عاشُوراءَ وَسَّعَ اللهُ عليه سائِرَ سَنَتِهِ**». وهذا إسنادٌ ضعيفٌ أيضًا.

وحديث جابرٍ خرَّجه ابن عبدالبر في "الاستذكار" قال: أنبأنا أحمد بن قاسم ومحمد بن إبراهيم ومحمد بن حكم قالوا: ثنا محمد بن معاوية: ثنا الفضل بن الحباب: ثنا هشام بن عبدالملك الطيالسيُّ: ثنا شعبة، عن أبي الزبير، عن جابرٍ: سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**مَن وَسَّعَ على نَفْسِهِ وأَهْلِهِ يومَ عاشُوراءَ وَسَّعَ اللهُ عليه سائِرَ سَنَتِهِ**».

قال جابرٌ: جرَّبناه فوجدناه كذلك، وقال أبو الزبير وشعبة مثله.

وحديث أبي سعيدٍ الخدريِّ خرَّجه الطبرانيُّ في "الأوسط" قال: ثنا هاشم بن مَرْثَدٍ: ثنا محمد بن إسماعيل الجعفريُّ: ثنا عبدالله بن سلمة الرَّبَعيُّ، عن محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي صَعْصَعَةَ، عن أبيه، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن وَسَّعَ على أَهْلِهِ يومَ عاشُوراءَ، وَسَّعَ اللهُ عليه سَنَتَهُ كلَّها**».

وحديث ابن عمر خرَّجه الدارقطنيُّ في "الأفراد" والخطيب في "رواة مالك"، بإسنادٍ فيه مجهولون من طريق مالكٍ، عن نافعٍ، عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن كان ذا جِدَةٍ ومَيْسَرَةٍ فوَسَّعَ على نَفْسِهِ وعِيالِهِ يومَ عاشُوراءَ وَسَّعَ اللهُ عليه إلى رأس السَّنَةِ المُقْبِلَةِ**».

فهذه الطرق -وإن كانت ضعيفةً- إذا ضُمَّ بعضها إلىٰ بعضٍ أحدثت قوةً، يصير الحديث بها قريبًا من درجة الحسن، علىٰ أنَّ الحافظ العراقيَّ نقل عن الحافظ أبي الفضل بن ناصر أنه صحَّح بعض طرق حديث التوسعة، ولا يخلو هذا التصحيح عن تساهلٍ.

والحاصل: أنَّ الحديث المسئول عنه ليس بصحيحٍ ولا حسنٍ، ولكنه قويٌّ

قريبٌ من الحَسَن، والله أعلم.

س١٣٢- وسُئل رضي الله عنه: أرجو إفتاءنا عن حديث: «**مَن اعْتَصَمَ بعد النبيِّ كَفَرَ**» هل هذا الحديث صحيح؟ وإذا كان كذلك فلماذا؟

ج١٣٢- فأجاب رضي الله عنه: هذا كلامٌ وليس بحديثٍ، والله أعلم.

س١٣٣- وسُئل رضي الله عنه: عن حديث: «**عَبْدي أَطِعْني أجعلْك رَبَّانِيًّا تقول للشيء كن فيكون**» هل هو موجودٌ في "صحيح البخاري"؟

ج١٣٣- فأجاب رضي الله عنه: هذا الحديث غير موجودٍ في "صحيح البخاري"، ولا في بقيَّة الكتب الستة، وإنِّي لشديد العجب ممَّن ادَّعى أنه رآه في "صحيح البخاري"؛ لأنه حديثٌ موضوعٌ، لم يُخرِّجه أحدٌ من أئمَّة الحديث وإنما ذكره بعض الصوفية مُعلَّقًا بدون إسنادٍ، وهو من الإسرائيليات التي أُدخلت في حديث النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، هذا هو الفصل في الموضوع، فشُدَّ عليه بكلتا يديك أيها السائل، والله المُوفِّق.

س١٣٤- وسُئل رضي الله عنه: عن حديث: «**إذا كان آخِر الزَّمان تَقِلُّ الرِّجال...**» إلخ هل هو صحيحٌ؟ وإذا كان ذلك ففي أي كتاب من الكتب؟ فقد حصلت مجادلةٌ في هذا الحديث.

ج١٣٤- فأجاب رضي الله عنه: نعم، هو حديثٌ صحيحٌ خرَّجه البخاريُّ في "صحيحه" قال: ثنا حفص بن عمر -هو الحوضيُّ-: ثنا هشام -هو الدَّسْتَوائيُّ- عن قتادة، عن أنسٍ رضي الله عنه قال: لأُحَدِّثنَّكم حديثًا سمعتُه مِن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لا يُحدِّثكم به أحدٌ غيري، سمعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**إنَّ مِن أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أن يُرْفَعَ**

العِلْمُ، ويَكْثُرَ الجَهْلُ، ويَكْثُرَ الزِّنَا، ويَكْثُرَ شُرْبُ الخَمْرِ، ويَقِلَّ الرِّجَالُ، ويَكْثُرَ النِّسَاءُ حتَّى يكون لخمسين امْرَأَةً القَيِّمُ الواحِدُ».

وخرَّجه مسلمٌ في "صحيحه": ثنا أبو بكر بن أبي شيبة: ثنا محمد بن بشرٍ.

(ح) وثنا أبو كريب، ثنا عبدة، وأبو أسامة؛ كلُّهم عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنسٍ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بمثل حديث البخاريِّ، والله أعلم.

الفرق بين القرآن والحديث القدسي

س١٣٥- وسُئل رضي الله عنه: هل الأرجح أنَّ الحديث القدسيَّ نزل باللفظ والمعنى، أو بالمعنى فقط؟ وما الفرق بينه وبين القرآن والسُّنَّة؟ مع بسط المقام.

ج١٣٥- فأجاب رضي الله عنه: الحديث القدسيُّ ويُسمَّى «الربَّاني، والإلهي» أيضًا، قال الطِّيبي: «إنما نزل معناه، وفُوِّض إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أن يرويه بأي عبارةٍ شاء».

ووافقه الجرجانيُّ وعليٌّ القاري، وعبارة الثاني: «الحديث القدسيُّ ما يرويه صدر الثِّقات وبدر الرُّواة عليه أفضل الصلوات وأكمل التحيات عن الله تبارك وتعالى، تارةً بواسطة جبريل عليه السلام وتارةً بالوحي والإلهام والمنام، مُفوِّضًا إليه التعبير بأيِّ عبارةٍ شاء من أنواع الكلام».

وقال الكرمانيُّ في أول كتاب الصوم من "شرح البخاري" ما يفيد أنه نزل لفظه ومعناه معًا وهو ظاهر كلام "التحرير" و"شرحه"، وكلام الجلال المحلِّي في "شرح جمع الجوامع" وهو الراجح؛ لأن السُّنَّة النبوية، والحديث القدسي

متساويان في نزول معناهما من الله تعالىٰ بدليل: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣ - ٤].

فروايته -أعني الحديث القدسي- عن الله تعالىٰ دون السُّنَّة النبوية مع تساويهما فيما تقدَّم ليس إلَّا لمزيَّةٍ له عليها، وليست تلك المزيَّة إلَّا أن لفظه منزَّلٌ أيضًا، وعلىٰ هذا يظهر الفرق بينه وبين السُّنَّة النبوية.

وحاصله: أنَّ السُّنَّة النبويَّة معناها مِن الله تعالىٰ واللفظ مِن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بخلاف الحديث القدسيِّ فإنَّ لفظه ومعناه من الله تعالىٰ وليس للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم منه إلَّا مجرَّد روايته.

وأمَّا الفرق بينه وبين القرآن فمن وجوهٍ:

١ - أنَّ القرآن مُعجِزٌ بخلاف الحديث القدسيِّ.

٢ - أنَّ القرآن مُتعَبَّدٌ بتلاوته وليس كذلك الحديث القدسي .

٣- أنَّ القرآن لا يكون إلَّا متواترًا، والحديث القدسي غالبه آحادٌ، بل لا أعرف حديثًا قدسيًّا متواترًا علىٰ كثرة ما قرأت من الأحاديث القدسية.

ومن الفروق أيضًا عدم صحَّة الصلاة بالحديث القدسي وعدم حرمة مَسِّه وقراءته للجُنب وعدم كُفْر مُنكِره بخلاف القرآن في جميع ذلك.

هذا وقد كنت أريد أن أبسط المقام إجابة لرغبة السائل ولأني لم أرَ أحدًا وافاه حقَّه من البحث والتحقيق، لكن منعني كثرة ما لدي من الأسئلة التي يلح علىٰ أصحابها في الجواب عنها فورًا، فاقتصرت علىٰ ما رأيت أنه كافٍ في الموضوع، ريثما يسنح وقت يتسع لأكثر من هذا.

هل أحاديث الصحيحين تفيد اليقين؟

س١٣٦ - وسُئل رضي الله عنه: هل ما في الصحيحين يُفيد القطع أو الظنَّ؟ وهل كلُّ ما فيهما صحيحٌ قطعًا؟ أرجو من فضيلتكم الإجابة جعلكم الله نِبراسًا للدِّين، وأيد بكم الإسلام والمسلمين.

ج١٣٦ - فأجاب رضي الله عنه: إنَّ في ذلك خلافًا كبيرًا.

فذهب أبو إسحاق، وأبو حامد الإسفراينيَّان، وأبو إسحاق الشيرازيُّ والقاضي أبو الطيب الطبريُّ، والقاضي عبدالوهاب، والسرخسيُّ، وأبو يعلى القاضي، وأبو الخطاب، وابن الزاغونيِّ، وابن فورك، والحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسيُّ، وأبو نصر عبدالرحيم بن عبدالخالق بن يوسف، والحافظ ابن الصلاح، إلى أنَّ ما في الصحيحين يُفيد القطع.

قال بعض الحُفَّاظ المتأخِّرين: «وهو مذهب أكثر أهل الكلام من الأشعرية وأهل الحديث قاطبةً والسلف عامَّةً».اهـ

واستثنى ابن الصلاح من ذلك أحاديث فيهما انتقدها حذَّاق الحُفَّاظ، كالحافظ أبي الحسن الدارقطني وأبي مسعود الدمشقي وأمثالهما، وعدة الأحاديث المنتقدة فيهما مائتان وعشرون حديثًا، اتفقا على اثنين وثلاثين وانفرد البخاريُّ بثمانية وسبعين، ومسلم بمائة، وما عدا هذا فمقطوعٌ بصحَّته عند من ذكرنا، واختاره الحافظ ابن كثيرٍ، وخاتمة الحفَّاظ الجلال السيوطيُّ.

وذهب ابن برهان والنوويُّ وابن عبدالسلام والحافظ العراقي، إلى أنَّ ما في الصحيحين يفيد الظن ما لم يتواتر. وحكاه النوويُّ عن المحقِّقين والأكثرين؛

لأن ذلك شأن الآحاد.

قال في "شرح مسلم": «لا فرق في ذلك بين الشيخين وغيرهما، وتَلَقِّي الأُمَّة بالقبول إنما أفاد وجوب العمل بما فيهما من غير توقفٍ على النظر فيه، بخلاف غيرهما فلا يعمل به حتى ينظر فيه ويوجد فيه شروط الصحيح، ولا يلزم من إجماع الأُمَّة على العمل بما فيهما إجماعهم على القطع بأنه من كلام النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم».اهـ

وقال الحافظ: «ما ذكره النوويُّ مُسَلَّمٌ مِن جهة الأكثرين أمَّا المُحقِّقون فلا، فقد قال بالقطع محقِّقون».اهـ

وقال في "شرح النخبة": «الخبر المُحتفُّ بالقرائن يُفيد العِلْمَ خلافًا لمن أبى ذلك»، قال: «وهو أنواع؛ منها ما رواه الشيخان في صحيحيهما مما لم يبلغ التواتر فإنه احتف به قرائن منها جلالتهما في هذا الشأن، وتقدمهما في تمييز الصحيح على غيرهما، وتلقِّي العلماء لكتابَيْهما بالقبول، وهذا التلقِّي وحده أقوى من إفادة العِلْم من مجرد كثرة الطرق القاصرة عن التواتر، إلَّا أنَّ هذا مختصٌّ بما لم ينتقده أحدٌ من الحُفَّاظ وبما لم يقع التجاذب بين مدلوليه حيث لا ترجيح لاستحالة أن يفيد المتناقضان العلم بصدقهما من غير ترجيحٍ لأحدهما على الآخر، وما عدا ذلك فالإجماع حاصلٌ على تسليم صحَّته، وما قيل من أنهم إنما اتفقوا على وجوب العمل بكل ما صح، ولو لم يخرجاه، فلم يبقَ للصحيحين في هذا مزيَّة، والإجماع حاصلٌ على أنَّ لهما مَزيَّة فيما يرجع إلى نفس الصحة، ويحتمل أن يقال المزية المذكورة كون أحاديثهما أصح الصحيح».

ثُمَّ ذكر الحافظ بقية أنواع الخبر الذي يفيد العلم، ثُمَّ قال: «وهذه الأنواع التي ذكرناها لا يحصل فيها العلم إلا للعالِم المُتبحِّر في الحديث العارف بأحوال الرُّواة والعِلل، وكون غيره لا يحصل له العلم لقصوره عن الأوصاف المذكورة، لا ينفي حصول العلم للمتبحِّر المذكور».اهـ

وخلاصة الجواب: أنَّ ما في الصحيحين يفيد القطع على نحو ما فعله الحافظ ابن حجرٍ، وعليه يحمل إطلاق كلام الحافظ ابن الصلاح ومن ذكر معه.

وأما هل ما فيهما صحيحٌ قطعًا، فقد علم جوابه مما سبق، وهو أنه صحيح قطعًا، سوى ما انتقده الحافظ وما وقع تجاذب بين مدلوليه، فإنه صحيح ظنًا، وقد بالغت في الاختصار مع أنَّ المقام واسعٌ طويل الذيول، وفيه فوائد ونفائس قَلَّ من يعرفها، وعذري في الاختصار ما قدَّمته.

ضبط كلمة في حديث: «لعن الله آكل الربا وموكله»

س١٣٧- وسُئل رضي الله عنه: عن لفظ: «مُوكِله» من حديث: «**لَعَنَ اللهُ آكِلَ الرِّبا ومُوكِلَهُ**». هل هو بالهمزة أو عدمه؟

ويذكر السائل أنه وجد في ضبطه اختلافًا، قال: فقد رأيت في بعض كتب الحديث ضبط قوله: «موكله» بفتح الواو بدون همز، كما في "مختصر جامع الأصول" الذي صحَّحه الشيخ محمد هارون، ولكن في "نهاية" ابن الأثير، بالهمز فوق الواو، وكذا في كتب اللغة، كل هذا مضبوط بالشكل، وبرجوعي لـ"شرح النوويِّ على مسلمٍ"، لم أره تعرَّض لضبط هذه الكلمة، كما أنَّ العزيزي أهملها أيضًا، وكذا الحفني.

ثم رأيت الشيخ الحلواني في رسالته "الوسم في الوشم" يقول في ضبط هذه الكلمة: «إنها بضم الميم وسكون الواو».

فنرجو أن تُبيِّنوا لنا الرواية في الحديث هل وردت بالهمز وعدمه، أو أنَّ الرواية واحدة فقط؟

ج١٣٧- فأجاب رضي الله عنه: إنَّ الأوجه المذكورة في السؤال في ضبط لفظ «موكله» كلها جائزةٌ من حيث اللغة والمعنى عليها واحدٌ لكن الرواية جاءت في "صحيح البخاري" بالضبط الذي ذكره الحلواني، وكذا في بقية الكتب الستة.

وروينا الحديث في "سنن الدارمي" بلفظ «مؤكله» بالهمز مع السكون فهذان الوجهان مرويَّان، وما عداهما من تصرُّف الرُّواة وهو جائزٌ، والله أعلم.

وصايا فاطمة الزهراء

س١٣٨- وسُئل رضي الله عنه: هل هذا الحديث صحيحٌ أو موضوعٌ: روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: دَخَلَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على ابنته فاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها فوجدها تطحن شعيرًا وهي تبكي، فقال لها النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «ما يُبْكيك يا فاطمةُ؟».

فقالت: «يا أبتِ مِن هَمِّ الطحين وحاجة البيت، فلو سألت الإمام عليًّا رضي الله عنه يشتري له جاريةً لكان له أجرٌ عظيمٌ».

قال: فلمَّا سمع النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كلامها رَقَّ قَلْبُهُ عليها وفاضت عيناه مِن الدُّموع، قال: فعند ذلك جلس النبيُّ صلَّى الله عليه وآله

وسلَّم عند الرَّحَىٰ، وأخذ كفًّا من الشعير بيده المباركة وقال: «بسم الله الرحمن الرحيم» وجعل يلهىٰ في الرحىٰ، فدارت فوجدها تُسَبِّح الله سبحانه وتعالىٰ تسبيحًا بلسانٍ فصيحٍ وصوتٍ مَليحٍ فلم تزل كذلك حتىٰ فرغ الطحين.

فقال لها النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «اسْكُتي أيَّتها الرَّحَىٰ». فأنطقها الله الذي انطق كلَّ شيءٍ فقالت: «والذي بعثك بالحقِّ نبيًا وبالرِّسالة نجيًّا لا أسكت حتىٰ تضمن لي علىٰ الله الجنَّة والنَّجاة مِن النَّار».

فقال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «أنتِ حَجَرٌ وتخافين مِن النَّارِ؟» فقالت: «يا رسول الله، سمعت في القرآن العظيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦] فدعا لها النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فلمَّا فَرَغَ من الدعاء هبط الأمين جبريل عليه السلام وقال: «يا محمد، الربُّ سبحانه وتعالىٰ يُقرئك السلام ويخصُّك بالتحية والإكرام ويقول لك: بَشِّر هذا الحَجَرَ أنَّ الله سبحانه وتعالىٰ أعتقه من النَّار وجعله مِن حِجارة الجنَّة في قصر فاطمة الزهراء، نوره كنور الشمس في الدنيا»، قال: فبشَّره، ثُمَّ التفت إلىٰ فاطمة رضى الله تعالىٰ عنها وقال لها: «يا فاطمة، لو شاء اللهُ سبحانه وتعالىٰ لطَحَنَتِ الرَّحَىٰ وحدها كلَّ يوم، ولكنَّ الله سبحانه وتعالىٰ يكتبُ لك الحسناتِ ويرفع لك الدَّرَجاتِ في تحمُّلك الأذىٰ.

يا فاطمة، ما من امرأة طحنت إلَّا كتب الله بكلِّ حَبَّةٍ حَسَنَةً.

يا فاطمة، ما مِن امرأة عرقت عند خبيزها إلَّا جعل الله بينها وبين النار

سبع خنادق ما بين الخندق والخندق كما بين السماء والأرض.

يا فاطمة، ما من امرأة كسرت البصلة عند الطعام فدمعت عيناها إلَّا كتب الله لها ثواب الباكين من خشية الله.

يا فاطمة، ما من امرأة غزلت بيدها إلَّا كتب الله لها بكلِّ خيطٍ مائةَ حسنةٍ ومحا عنها مائةَ سيئةٍ. يا فاطمة، ما مِن امرأة برمت غَزْلَها إلَّا كان لها دويٌّ تحت العرش يوم القيامة. يا فاطمة، ما من امرأة غسلت وكست أولادها وعيالها إلَّا كتب الله لها ثواب من أطعم ألف جائعٍ وكسا ألف عريان.

يا فاطمة، ما من امرأة دهنت رأس أولادها وحلَّت شعورهم وغسلت ثيابهم وقتلت قملهم إلَّا كتب الله بكلِّ شعرةٍ حسنةً، ومحا عنها بكلِّ شعرةٍ سيئةً، وزيَّنها في أعين الناظرين. يا فاطمة، ما من امرأة منعت جيرانها مِن حاجتها إلَّا منعها الله تعالىٰ الشرب من الكوز يوم القيامة.

يا فاطمة، خمسة أشياء لا يحل منعهنَّ: الماء، والنار، والخميرة، والرَّحىٰ، والإبرة. ولكلِّ واحدةٍ منهنَّ حسنةٌ.

يا فاطمة، مَن منع الماء ابتلاه الله بالاستسقاء، ومَن منع النَّار ابتلاه الله بالعداوة بينه وبين أهله، ومَن منع الرَّحىٰ ابتلاه الله بالصداع، ومن منع الإبرة ابتلاه الله بالمرض.

يا فاطمة، أفضل الأعمال عند الله تعالىٰ رضا زوجك عنك.

يا فاطمة، مَن رضي عنها زوجها ومات وهو راضٍ عنها كتب الله بكلِّ شعرةٍ علىٰ جسده حسنةً، ولا تخرج روحها من جسدها حتىٰ يرضى عنها ربها.

يا فاطمة، ما من امرأة ماتت علىٰ طاعة زوجها إلَّا كتب الله لها ألف حسنةٍ.

يا فاطمة، ما من امرأة بلا زوج إلا كشجرة بلا ثمر.

يا فاطمة، إذا نظر الرجل في وجه زوجته كتب الله له مائة حسنةٍ، فإن جامعها كتب الله بكلِّ شعرةٍ في جسده حسنةً، فإن اغتسل من الجنابة خلق الله تعالىٰ من كلِّ قطرةٍ ملكًا يُسبِّح الله تعالىٰ ويستغفر له إلىٰ يوم القيامة وله ثوابهم.

يا فاطمة، فإذا حملت المرأة تستغفر لها الملائكة في السماء والحيتان في الماء وكتب الله لها ألف حسنةٍ، ومحا عنها ألف سيئةٍ، ولها في كلِّ يومٍ من حملها ثواب المجاهدين في سبيل الله تعالىٰ، فإذا وضعت حملها خرجت من ذنوبها كيوم ولدتها أمها، وكتب الله لها ثواب سبعين حَجَّة مقبولة، فإذا أرضعت ولدها كتب الله لها بكل قطرة لبنٍ حسنةً، وكفَّر عنها سيئةً، وتستغفر لها الحور العين في جنَّات النعيم.

يا فاطمة، ما من امرأة عبست في وجه زوجها إلَّا غضب الله عليها، وغضب عليها الملائكة أجمعون، فإن منعته الفراش لعنها كلُّ رطبٍ ويابسٍ.

يا فاطمة، ما من امرأة قالت لزوجها أفٍّ عليك إلَّا لعنها الله والملائكة والناس أجمعون. يا فاطمة، ما من امرأة خفَّفت عن زوجها صداقها إلَّا كتب الله لها بكلِّ درهم قصرًا في الجنَّة. يا فاطمة، ما من امرأة صلت صلاتها ودعت لنفسها ولم تدع لزوجها إلَّا ردَّ الله عليها صلاتها حتىٰ تدعو لزوجها.

يا فاطمة، ما من امرأة غضب عليها زوجها ولم تسترضه حتىٰ يرضى إلَّا كانت في سخط الله وغضبه.

يا فاطمة، ما من امرأة لبست ثيابها وتزيَّنت وخرجت من بيتها من غير إذن زوجها إلَّا لعنها كلُّ رطبٍ ويابسٍ حتىٰ ترجع إلىٰ بيتها، وما من امرأة نظرت إلىٰ

وجه زوجها ولم تضحك إلَّا غضب الله عليها والملائكة والناس أجمعون.

يا فاطمة، ما مِن امرأة كشفت عن وجهها لغير زوجها إلَّا أكبَّها الله على وجهها في النَّارِ.

يا فاطمة، ما من امرأة دخلت في بيت من يكره زوجها إلَّا أدخل الله عليها سبعين عقربًا من عقارب جهنَّم تلدغها إلى يوم القيامة.

يا فاطمة، ما من امرأة صامت بغير إذن زوجها إلَّا ردَّ الله عليها صومها، ولم يقبل منها صَرْفًا ولا عَدْلًا. يا فاطمة، ما من امرأة سرقت من بيت زوجها إلَّا كتب الله عليها وزر سبعين سرقة.

والله أعلم، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلَّم.

ج١٣٨- فأجاب رضي الله عنه: هذا الحديث يعرف عند المحدِّثين بـ«وصايا فاطمة» عليها صلوات الله، وهو حديثٌ موضوعٌ كما صرَّح به جماعةٌ من الحفَّاظ، آخرهم الحافظ جلال الدين السيوطيِّ رضي الله عنه، والله أعلم.

حديث: «كنتُ كنزًا لا أُعرَف...»

س١٣٩- حديث: «كنتُ كنزًا لا أُعرَف فأردتُ أنْ أُعْرَفَ فخلقتُ خلقًا فعرَّفتُهم بي فعرفُوني».

وفي لفظ: «كنتُ كنزًا مخفيًّا فأحببتُ أنْ أُعرَفَ فخلقتُ خلقًا فبي عرفُوني».

ج١٣٩- اشتهر على الألسنة وذكره كثيرٌ من الصوفيَّة، قال ابن تيمية: ليس من كلام النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ولا يعرفُ له سندٌ صحيحٌ ولا

ضعيفٌ. ووافقه الزَّركشيُّ، والحافظُ ابن حجرٍ، والحافظُ السَّخاويُّ، والحافظُ السُّيوطيُّ، والله أعلم.

حديث: «السُّلطان ظلّ الله في الأرضِ»

١٤٠- (فائدة): قرأتُ كلمة الأستاذ ماءُ العينين في الردِّ على أخي الذي بيَّن وضعَ حديث: «السُّلطان ظلّ الله في الأرضِ». فوجدتها بعيدةً عن الصناعة الحديثيَّة بعدًا كبيرًا ولا تَمُتُّ إلى قواعد مصطلح الحديث.

فأردت أن أبيِّن ما فيها بإيجاز:

١- غفل الأستاذُ كما غفل السيد عبد الكبير العلويُّ عن أمر مُهِمٍّ وهو أنَّ السيوطيَّ حين عزا الحديث إلى ابن النجار أشار إلى تضعيفه لأنَّه بيَّن في خطبة "الجامع الكبير" الذي هو أصل "الجامع الصغير" أنَّه إذا عزا الحديث للعقيليِّ وابن عديٍّ والخطيب وابن عساكر والحكيم التِّرمذيِّ والحاكم في "تاريخه" وابن النجَّار والديلميِّ فهو ضعيفٌ، فيستغنى بالعَزْو إليها أو إلى بعضها عن بيان ضعفها، وعلى هذا فالحديث ضعيفٌ عند السيوطيِّ، والموضوع من أقسام الضعيف كما تقرَّر في المصطلح.

٢- دعوى حسن الحديث بأنَّ السُّيوطيَّ رمز له بـ«الحاء» خطأ عليه لأنَّ السُّيوطيَّ لم يقل ذلك، ولكنَّ العلقميَّ يذكر في شرحه لـ"جامع الصغير" عقب الحديث قوله: بجانبه علامة الصِّحة، أو علامة الحُسن، أو الضَّعف.

ونصَّ العلماءُ على أنَّه لا يجوزُ الاعتماد على هذه الحروف لأنَّ تحريف النُّسَّاخ أفسدها، وحديثنا هو عند السيوطيِّ ضعيفٌ فكيف يرمز له بالحاء؟!

٣- دعوىٰ أنَّ "الجامع الصغير" ليس فيه حديثٌ موضوعٌ غيرٌ صحيحةٍ، بل فيه أحاديثُ موضوعةٌ كثيرةٌ، منها علىٰ سبيل المثال:

حديث: «**آخِرُ أربِعاء في الشَّهر يومٌ نحْسٌ مُستَمِرٌّ**».

وحديث: «**ربيعُ أمَّتي العِنَبُ والبِطِّيخُ**».

والسيوطيُّ متساهلٌ، نصَّ عليه العلماء، منهم صاحب "عون المعبود شرح سنن أبي داود".

٤- العبرة عند أهل الحديث بالسَّند لا بالتقليد لفلان وفلان، وحديثُنا الذي نتكلم عنه في سندُه شيخُ ابن النَّجار المطعونُ فيه فكيف تنتظر من يحكم عليه أو من يرمز له بالحاء؟!

نعم قد يكون حكمُ أخي شديدًا، والحديثُ لا يخرج عن كونه واهيًا، والواهي مثل الموضوع، والتفرقة بينهما أمرٌ اصطلاحي يعرفُه أهل الحديث.

أسئلة حديثية وأجوبتها

حديث: «لا خاب من استخار ولا ندم من استشار».

س١٤١- وسئل رضي الله عنه عن حديث: «**لا خاب من استخار ولا ندم من استشار**».

ج١٤١- فأجاب رضي الله عنه: رواه الطبرانيُّ في "الصغير" والقضاعيُّ في "مسند الشهاب" عن أنس بن مالكٍ مرفوعًا بلفظ: «**ما خابَ مَن اسْتَخارَ، ولا نَدِمَ مَن اسْتَشارَ، ولا عَالَ مَن اقْتَصَدَ**». وفي سنده عبدالقدوس ابن حبيبٍ وابنه عبدالسلام، وهما ضعيفان. لكن للحديث شواهد تقويه.

حديث: «من أتى بعراف فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»

س١٤٢- وسئل رضي الله عنه عن حديث: «**من أتى بعراف فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ**».

ج١٤٢- فأجاب رضي الله عنه: رواه أحمد وأبو داود والترمذيُّ والنَّسائيُّ والحاكم وابن ماجه عن أبي هريرة بلفظ: «**مَن أَتَى مِنكُمْ كاهِنًا أو عَرَّافًا فصَدَّقَهُ بما يقول فقد كَفَرَ بما أُنزلَ على محمَّدٍ**». وإسناده صحيح على شرط البخاريِّ ومسلمٍ.

ورواه الطبرانيُّ في "الكبير" و"الأوسط" والبزَّار وأبو يعلى عن أبي مسعودٍ موقوفًا بإسنادٍ صحيحٍ، عدا سند الطبرانيِّ في "الأوسط" فإنه ضعيفٌ. وفي الباب أحاديث كثيرة.

حديث موضوع في "دلائل الخيرات"

س١٤٣- وسُئل رضي الله عنه عن حديث رآه السائل في "دلائل الخيرات" في حزب يوم الجمعة الخامس وهو: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن قرأ هذه الصَّلاة مرَّةً واحدةً كتبَ اللهُ له ثوابَ حَجَّةٍ مقبولةٍ، وثواب مَن أعتق رقبةً من ولد إسماعيل عليه السلام، فيقول الله تعالى: يا ملائكتي هذا عبدٌ من عبادي أكثر الصلاة على حبيبي محمَّدٍ فوعِزَّتي وجلالي ومجدي وجودي وارتفاعي لأعطينَّه بكلِّ حرفٍ صلَّى قصرًا في الجنَّة ولياتينَّ يوم القيامة تحت لواء الحمد نور وجهه كالقمر ليلة البدر وكفُّه في كفِّ حبيبي محمَّدٍ، هذا لمن قالها كلَّ يوم جمعةٍ له هذا الفضل والله ذو الفضل العظيم**».

ج١٤٣- فأجاب رضي الله عنه: لا أصل لهذا الحديث في شيءٍ من كتب

السنة النبوية ولقد تتبَّعت الأحاديث القدسية حتى أتيت على أقصى ما وصل إليه اطلاع خاتمة الحفَّاظ -وهو تسعمائة حديث قدسي- لعلِّي أجد ذلك الحديث، فلم أعثر عليه بحالٍ. وإني جازم بأنه موضوعٌ لأمور:

أ- نَكارَةُ مَعْنَاهُ ورَكاكَةُ مَبْناهُ.

ب- أنَّ الصلاة التي ذكر هذا الحديث مُبيِّنًا لفضلها لم ترد عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ولا عن أحدٍ من أصحابه.

ت- أنَّ أول من ذكر هذا الحديث -وهو ابن عظوم القيرواني- لم يكن من أهل الحديث ولا من المتثبتين في نقله، فتراه يذكر في كتابه الذي ألَّفه في فضل الصلاة على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أحاديث لا يشك قارئها أنها منقولةٌ من مثل "سيرة البكري"، و"ضياء الأنوار"، و"رأس الغول" ونحوها.

ثُمَّ رجعت إلى "شرح دلائل الخيرات" لسيدي المهدي الفاسي فوجدته تبرأ من عهدة الحديث المذكور وألقى تبعته على ناقله أولًا، وهو من قدَّمنا ذكره، والله أعلم.

حديث: «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل»

س١٤٤- وسُئل رضي الله عنه عن حديث «**علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل**» هل هو صحيحٌ؟ وهل حاجَّ الغزاليُّ موسى عليه السلام؟

ج١٤٤- فأجاب رضي الله عنه: أمَّا الحديث فقال الحافظ الدميريُّ والبدر الزركشيُّ والحافظ ابن حجرٍ والحافظ السخاويُّ والحافظ السيوطيُّ: «لا أصل له»، يعنون أنه موضوعٌ، وعندي أنه واهٍ فقط، وليس بموضوعٍ.

وهو مسندٌ في كتاب "الكامل" لابن عديٍّ، وقد شرحه ابن العربي الحاتمي في جزءٍ خاصٍّ ليس هو عندي الآن، وتكلَّم عليه أيضًا في كتاب "الأنوار"، فقال ما نصُّه: «اعلم أنَّ كلَّ وليٍّ لله تعالىٰ فإنه يأخذ ما يأخذ بواسطة روحانية نبيِّه الذي هو علىٰ شريعته، ومن ذلك المقام شهد، فمنهم من يعرف ذلك ومنهم من لا يعرفه. ويقول: قال لي الله، وليس غير الروحانية، وهنا أسرار لطيفة تضيق هذه الأوراق عنها لما أردناه من التقريب والاختصار، غير أنَّ الأولياء مِن أُمَّة محمدٍ عليه الصلاة والسلام الجامع لمقامات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد يرث الواحد منهم موسىٰ عليه السلام، ولكن من النور المحمدي لا من النور الموسوي، فيكون حاله من محمدٍ عليه الصلاة والسلام حال موسىٰ عليه الصلاة والسلام، وربما يظهر من وليٍّ عند موته ملاحظة موسىٰ أو عيسىٰ فيتخيَّل العامي ومن لا معرفة له أنه تهوَّد أو تنصَّر لكونه يذكر هؤلاء الأنبياء عند موته، وإنما ذلك من قوة المعرفة بمقامه، إلَّا القطب فإنه علىٰ قلب محمَّدٍ عليه الصلاة والسلام، ولقد لقينا رجالًا علىٰ قلب عيسىٰ وهو أول شيخ لقيته، ورجالًا علىٰ قلب موسىٰ وآخرين علىٰ قلب إبراهيم وغيرهم عليهم الصلاة والسلام ولا يعرف ما نذكره إلا أصحابنا.

واعلم أنَّ محمَّدًا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم هو الذي أعطىٰ جميع الأنبياء والرسل مقاماتهم في عالم الأرواح حتىٰ بعث بجسمه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وتبعناه، والتحق بنا من الأنبياء في الحكم من شاهده أو أنزل بعده[1]، فأولياء

---

(١) يعني عيسىٰ عليه السلام فإنه سينزل عند قرب الساعة كما تواتر في الحديث.

الأنبياء الذين سلفوا يأخذون عن أنبيائهم، وأنبيائهم يأخذون عن محمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فشاركت الولاية المحمدية الأنبياء في الأخذ عنه، ولهذا ورد في الخبر: «**علماء هذه الأمَّة كأنبياء بني إسرائيل**» وقال تعالى فينا: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣] وقال في حقِّ الرسل: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [النحل: ٨٩]، فنحن والأنبياء شهداء على أتباعهم».اهـ كلامه، وليتأمَّل.

وأمَّا مُحاجَّة الغزاليِّ لموسى عليه الصلاة والسلام فهي -وإن اشتهرت بين علماء الأزهر وتلقيتها من أفواه كبرائهم ومُحقِّقيهم؛ مكذوبةٌ وموضوعةٌ، بل هي من أسمج الكذب وأفحشه، لعن الله مختلقها ما أجرأه على الكذب.

نعم، ذكر ابن السبكيِّ في "الطبقات" أنَّ أبا الحسن الشاذليَّ رضي الله عنه رأى النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في النوم وهو يباهي موسى وعيسى عليه وعليهما الصلاة والسلام بالغزالي ويقول: «**أفي أُمَّتكما حَبْرٌ مثل هذا؟**» فقالا: «لا».

هذا أصل الحكاية قبل أن يزيد فيها الدَّجَّالون والمُضَلِّلون قاتلهم الله أنى يؤفكون.

س١٤٥- وسُئل رضي الله عنه: عن حديثٍ، وهو سؤال الصحابة الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كم تكفي المؤمن من الأكل في اليوم؟ قال: «أكلتان»، قالوا أو ثلاثة؟، قال: «علقوا له المعلقة».

ج١٤٥- فأجاب رضي الله عنه: قال: هذا ليس بحديث. وإنما الحديث هو قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أكلتان في اليومِ إسرافٌ**» وهو حديثٌ ضعيفٌ.

«إنما العلوم أربعةٌ...» ليس بحديث□

س١٤٦- وسُئل رضي الله عنه: عن حديث: «إنما العلوم أربعةٌ: علم الفقه لحفظ الأديان، وعلم الطبِّ لحفظ الأبدان، وعلم النحو لحفظ اللسان، وعلم النجوم لحفظ الزمان».

ج١٤٦- فأجاب رضي الله عنه: فقال رضى الله عنه: ليس بحديثٍ وإنما هو قاعدةٌ عِلميَّة لا حديث.

أسئلة حديثة وأجوبتها

كتب إليَّ فضيلة الأستاذ الشيخ عبدالغني عوض يشكرني على ما أجبته به في مسألة ولادة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ويطلب مني أن أجيبه على الأسئلة الآتية:

س١٤٧- «مَن عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ».

س١٤٨- «علماء أُمَّتي كأنبياء بني إسرائيل» .

س١٤٩- «مَن تكلَّمَ يومَ الجُمُعَةِ والإمام يخطبُ فهو كالحمارِ يحملُ أسفارًا، والذي يقول له أنْصِتْ ليست له جُمعةٌ».

س١٥٠- «كنتُ كَنْزًا مخفيًّا فأحببتُ أن أُعرَف... » إلخ.

س١٥١- «نور أبي بكرٍ وعمر وعثمان وعليٍّ مِن نوري».

هل هذه بهذه الصيغ أحاديث أم لا؟

حديث: «مَن عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ».

ج١٤٧- أما الحديث الأول: فليس من كلام النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كما قال النوويُّ، وابن تيمية، والبدر الزركشيُّ، والسخاويُّ،

والسيوطيُّ، وذكر أبو المظفر السمعانيُّ في مبحث التحسين والتقبيح العقليين من كتاب "القواطع" أنه من كلام يحيىٰ بن معاذ الرازيِّ.

حديث: «علماء أُمَّتي كأنبياء بني إسرائيل».

ج١٤٨- **وأمَّا الحديث الثاني**: فقد ذكرنا فيما سبق من أجوبتنا أنه واهٍ، ويجب أن تعلم أنَّ الواهي حكمه حكم الموضوع من حيث عدم جواز العمل به، وعدم جواز روايته إلَّا إن قرنت ببيان حاله، وأنَّ التفرقة بينهما أمرٌ صناعيٌّ خاصٌّ بالمحدِّثين.

حديث: «مَن تكلَّمَ يومَ الجُمُعَةِ والإمام يخطبُ...»

ج١٤٩- **وأمَّا الحديث الثالث**: فرواه أحمد، والبزَّار، والطبرانيُّ، في "الكبير" من حديث ابن عبَّاسٍ بإسنادٍ ضعيفٍ، ورواه حمَّاد بن سلمة في جامعه عن ابن عمر موقوفًا بإسنادٍ قويٍّ.

«كنتُ كَنزًا مخفيًا فأحببتُ أن أُعرَف... ».

ج١٥٠- **وأما الحديث الرابع**: فموضوعٌ كما نبَّهنا عليه فيما مضىٰ من أجوبتنا.

حديث:«نور أبي بكرٍ وعمر وعثمان وعليٍّ مِن نوري».

ج١٥١- **وأمَّا الحديث الخامس**: فسنده مُظلِمٌ فيه أبو معشر السنديُّ وأبو شعيب السوسيُّ والهيثم بن جميل وهم متروكون، وفيه أيضًا أحمد بن يوسف المسبحي مجهولٌ وهو الذي وَضَعَهُ.

سؤال عن قراءة البسملة ٢١ مرة

س١٥٢- ما حكم قراءة البسملة ٢١ مرة بين فرض الصبح وسنته القبلية، وهل وردت؟

ج١٥٢- قراءة البسملة على الوصف المذكور بدعةٌ لم يرد فيها حديثٌ صحيحٌ ولا حسنٌ ولا ضعيفٌ، وإنما ذكرها أصحاب الخواصِّ كالبُونيِّ في "شمس المعارف" والدَّيربيِّ في "المجرَّبات" والسنوسيِّ في "فوائده" وغيرهم وليس على ذلك أَثَارَةٌ مِن عِلْمٍ.

وقد ورد فيما يقرأ بين ركعتي الفجر وصلاة الصبح أحاديث:

منها: حديث عائشة قالت: كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يصلِّي الركعتين بعد طلوع الفجر ثُمَّ يقول: «**اللهمَّ رَبَّ جبرئيل وميكائيل وربَّ إسرافيل وربَّ محمَّدٍ، أعوذ بك مِن النَّارِ، ثُمَّ يخرجُ إلى صَلاتِهِ**». خرَّجه أبو يعلى وفيه عبيدالله بن أبي حميد وهو ضعيفٌ.

ومنها: حديث أسامة بن عمير أنه صلَّى مع رسول الله ﷺ ركعتي الفجر فصلَّى قريبًا منه، فصلَّى ركعتين خفيفتين: فسمعته يقول: «**ربَّ جبريل وميكائيل وإسرافيل ومحمَّدٍ أعوذ بك مِن النَّارِ**» ثلاث مرَّاتٍ. خرَّجه الطبراني وفيه عَبَّاد بن سعيدٍ، عن مُبشِّرٍ ضعيفان، وذكرهما ابن حِبَّان في "الثقات".

ومنها: حديث ابن عبَّاسٍ أنه رقد عند النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: قام النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فصلَّى ركعتين فأطال فيهما القيام والركوع والسجود، ثُمَّ انصرف فنام حتى نفخ، ثُمَّ فعل ذلك ثلاث مرات ست ركعات كل ذلك يستاك ويتوضَّأ ويقرأ هؤلاء الآيات، ثُمَّ أوتر بثلاثٍ، فأتاه بلال فآذنه

بالصلاة حين طلع الفجر فصلَّىٰ ركعتين الفجر، ثُمَّ خرج إلىٰ الصلاة وهو يقول: «**اللهمَّ اجعل في قَلْبِي نورًا، وفي لساني نورًا، واجعل في سمعي نورًا، واجعل في بصري نورًا، واجعل مِن خَلْفي نورًا، ومِن أمامي نورًا، واجعل مِن فوقي نورًا، ومِن تحتي نورًا، اللهمَّ أعطني نورًا** ». خرَّجه مسلمٌ وأبو داود واللفظ له. فذِكْر هذا الدعاء الصحيح أفضل مِن ذِكْرِ ما تقدَّم.

أسئلة حديثية وأجوبتها

كتب إلي حضرة الأستاذ الضوي مصطفىٰ سلمان خطيب مسجد النواصر بالمطاعنة كتابًا يقول فيه بعد الدِّيباجة ما نصُّه: أرجو من فضيلتكم التكرُّم بالإجابة عن طرق هذه الأحاديث وأسانيدها ورواتها، وهل صحيحةٌ أم حسنةٌ أم ضعيفةٌ؟ نرجو بيان ذلك كلِّه بالتفصيل ولكم منا الشكر ومن الله المثوبة والأجر:

س١٥٣- حديث الذباب: «**إذا وَقَعَ الذُّبابُ في إناءِ أَحَدِكُمْ...**» إلخ.

س١٥٤- عن أمِّ عطية قالت: نُهينا عن اتِّباع الجنائز ولم يُعزَمْ علينا.

س١٥٥- كان النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في جنازةٍ فرأىٰ عمر رضي الله عنه امرأةً فصاح بها فقال: «**دَعْهَا يا عمر**».

س١٥٦- «**مَن غَسَّلَ مَيتًا فليغتسل، ومَن حمله فليتوضَّأ**».

س١٥٧- هل ورد حديثٌ صحيحٌ في عدد تكبيرات العيدين أم لا؟

حديث الذباب

ج١٥٣- أمَّا حديث الذُّباب فبين يدي الآن من طرقه أربعةٌ: طريق أبي هريرة، وأبي سعيدٍ، وعليٍّ، وأنسٍ، رضي الله عنهم.

فطريق أبي هريرة ورد من رواية عبيد بن حنين، وسعيد المقبري.

فرواية عبيد بن حنين أخرجها البخاريُّ في موضعين من "صحيحه" فقال في كتاب «بدء الخلق»: حدَّثنا خالد بن مخلدٍ: ثنا سليمان بن بلالٍ قال: حدَّثني عتبة بن مسلم قال: أخبرني عبيد بن حنين قال: سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا وَقَعَ الذُّبابُ في شرابِ أَحَدِكُمْ فليَغْمِسْهُ ثُمَّ لِيَنْزِعْهُ؛ فإنَّ في إحْدَى جَناحَيْهِ داءً والأُخرَى شِفاءً**».

قلت: خالد بن مخلد هو القَطَواني -بفتح القاف والطاء- من كبار رجال البخاريِّ، احتجَّ به السته إلَّا أبا داود، وهو ثقةٌ شيعيٌّ غير أنَّ أحمد قال: «له مناكير».

قال الحافظ ابن حجرٍ: «تتبَّعها ابن عديٍّ من حديثه وأوردها في كامله وليس فيها شيءٌ ممَّا أخرجه له البخاريُّ، بل لم أرَ له عنده من أفراده سوىٰ حديثٍ واحدٍ وهو حديث أبي هريرة: **مَن عادَى لي وليًّا.... الحديث**».اهـ

قلت: علىٰ أنه لم ينفرد بهذا الحديث أيضًا فقد ورد من طرقٍ غير طريقه استوعبناها في تعليقاتنا علىٰ كتاب "تأييد الحقيقة العلية" للحافظ السيوطيِّ وبينَّا هناك خطأ الحافظ الذهبيِّ فيما ادَّعاه مِن التفرُّد والنكارة في الحديث بما يشفي ويكفي.

وسليمان بن بلال هو الكوفي المدنيُّ احتجَّ به الستة وهو ثقةٌ مشهورٌ، ولا نعلم أحدًا طعن فيه إلَّا ما قاله ابن شاهين في "الثقات" عن عثمان بن أبي شيبة أنه قال فيه: «لابأس به لكن ليس ممن يعتد عليه».

قال الحافظ ابن حجرٍ: «وهو تليين غير مقبولٍ».

وعتبة بن مسلمٍ ثقةٌ احتجَّ به الستة إلَّا الترمذيَّ.

وعبيد بن حنين ثقةٌ قليل الحديث لا نعلم أحدًا تكلَّم فيه إلَّا ما بلغنا عن الشيخ رشيد رضا عفا الله عنا وعنه أنه جرَّحه بحُجَّة أنه ليس عريقًا في الإسلام.

وهذا -إن صحَّ عن الشيخ رشيد- مِن أسخف ما وقع له فمتىٰ اشترط في عدالة الراوي وثقته أن يكون عريقًا في الإسلام، وليت شعري كيف يقبل رواية الصحابة وجلُّهم حديثو عهدٍ بالإسلام؟! أم كيف يحتج بالبخاريِّ وأضرابه ممن لم يتجاوز الإسلام جدهم الثالث أو الرابع؟!

تالله إنَّ هذا لتجديدٌ في علم التعديل والتجريح لم يكن لنا بحسبان، ولا غرابة فالدنيا أمُّ العجائب تلد كلَّ يومٍ عجيبةٍ، ووقتنا هذا وقت اختراعٍ وابتداعٍ حتىٰ فيما لا يَقبل الاختراع والابتداع.

والشيخ رشيد كان ينكر أحاديث صحيحة ويُجرِّح رواة ثقات لا عن جهلٍ منه بالقواعد الحديثية لكن لحوائج في نفسه قضاها سامحه الله.

وقال البخاريُّ في كتاب «الطب»: حدَّثنا قتيبة: ثنا إسماعيل بن جعفر، عن عتبة بن مسلمٍ مولىٰ بني تميمٍ ،عن عبيد بن حنين مولىٰ بني زريقٍ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا وَقَعَ الذُّبابُ في إناءِ أحدكم فليَغْمِسْهُ كلَّه ثُمَّ ليَطْرَحْهُ؛ فإنَّ في أَحَدِ جَناحَيْهِ داءً وفي الآخَر شِفاءً**».

وقال ابن ماجه: حدَّثنا سويد بن سعيد، ثنا مسلم بن خالدٍ، عن عتبة بن مسلمٍ، عن عبيد بن حنين، عن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إذا وَقَعَ الذُّبابُ في شَرابِكُمْ فليَغْمِسْهُ فيه، ثُمَّ ليَطْرَحْهُ؛ فإنَّ في أَحَدِ جَناحَيْهِ داءً وفي الآخَر شفاءً**». هذا إسنادٌ علىٰ شرط الحسن.

ورواية سعيد المقبري خرَّجها أبو داود في "السنن" قال: حدَّثنا أحمد بن حنبلٍ: ثنا بشر -يعني ابن المفضل- عن ابن عجلان، عن سعيد المقبريِّ، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا وَقَعَ الذُّبابُ في إناءِ أحدكم فإنَّ في أَحَدَ جَناحَيْهِ داءً وفي الآخر شفاءً، وإنه يُتَّقي بجَناحِهِ الذي فيه الداء؛ فليَغْمِسْهُ كلَّه**».رجاله رجال الصحيح إلَّا ابن عجلان فهو وإن كان ثقةً لكن اختلطت عليه أحاديث أبي هريرة فهذا الحديث حسنٌ.

وطريق أبي سعيد خرَّجه ابن ماجه في "سننه" قال: حدَّثنا أبو بكر بن أبي شيبة: ثنا بن هرون، عن ابن أبي ذئب، عن سعيد بن خالدٍ، عن أبي سلمة حدَّثني أبو سعيد أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**في أَحَدِ جَناحَي الذُّباب سُمٌّ وفي الآخَر شِفاءٌ، فإذا وَقَعَ في الطَّعَامِ فامْقُلُوهُ فيه؛ فإنَّه يُقَدِّمُ السُّمَّ ويُؤَخِّرُ الشِّفاءَ**».

وقال النَّسائيُّ في كتاب الفرع والعتيرة من "سننه" أخبرنا عمرو بن عليٍّ -هو الفلاس- قال: حدَّثنا يحيي قال: حدَّثنا ابن أبي ذئب قال : حدَّثني سعيد بن خالدٍ، عن أبي سلمة، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إذا وَقَعَ الذُّبابُ في إناءِ أحدكم فليَمْقُلْهُ**». رجال الإسنادين رجال الصحيح غير سعيد بن خالدٍ ففيه ضعفٌ، وقد وثَّقه النَّسائيُّ وابن حِبَّان، وصحَّح له هذا الحديث في "صحيحه".

وطريق عليٍّ عليه السلام خرَّجه ابن النجار في "تاريخه" ولفظه: «**في الذُّباب أحد جناحَيْهِ داءٌ وفي الآخر شِفاءٌ، فإذا وَقَعَ في الإناء فأرْسِبُوهُ، فيَذْهَبُ شفاؤه بدائِهِ**». وإسناده ضعيفٌ.

وطريق أنسٍ خرَّجه البزَّار في "مسنده" والطبرانيُّ في "الأوسط" ولفظه: «**إذا وَقَعَ الذُّبابُ في إناءِ أحدكم فليَغْمِسْهُ؛ فإنَّ في أَحَدِ جَناحَيْهِ داءً، وفي الآخر شِفاءً**». قال الحافظ الهيثميُّ: «رجال إسناد البزَّار رجال الصحيح».

قلت: وروىٰ البزَّار أيضًا من طريق عبدالله بن المثنىٰ الأنصاري، عن عمِّه ثمامة: أنه حدَّثه قال: كنا عند أنسٍ فوقع ذبابٌ في إناءٍ، فقال أنس بأصبعه فغَمَسَهُ في ذلك الإناء ثلاثًا، ثُمَّ قال: بسم الله. وقال: إنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أمرهم أن يفعلوا ذلك. ورجال إسناده ثقاتٌ كما قال الحافظ ابن حجرٍ.

حديث أمِّ عطية: نُهينا عن اتِّباع الجنائز

ج١٥٤- وأما حديث أم عطية فهو حديث صحيح أيضًا كسابقه خرجه البخاري في مواضع من "صحيحه" فقال في «كتاب الحيض»: حدَّثنا عبدالله بن عبدالوهاب: ثنا حمَّاد بن زيدٍ، عن أيوب، عن حفصة، عن أمِّ عطية قالت: «كُنَّا نُنْهَىٰ أن نُحِدَّ علىٰ مَيِّتٍ فوقَ ثلاثٍ، إلَّا علىٰ زَوْجٍ أربعة أشهر وعشرًا، ولا نكتَحِلَ ولا نتَطَيَّبَ ولا نَلْبَسَ ثَوْبًا مَصْبوغًا، إلَّا ثوبَ عَصْبٍ، وقد رُخِّصَ لنا عند الطُّهْرِ إذا اغْتَسَلَتْ إحْدَانَا مِن مَحِيضِها في نُبْذَةٍ مِن كُسْتِ أظْفَارٍ، وكُنَّا نُنْهَىٰ عن اتِّباعِ الجَنائِزِ». قال البخاريُّ: وروىٰ هشام بن حسان، عن حفصة، عن أمِّ عطية عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

قلت: غرض البخاريِّ بهذه الجملة التنبيه علىٰ أنَّ النهي في قول أمِّ عطية: «كنا نُنهىٰ أن نُحِدَّ...» إلخ صادرٌ مِن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وقد تقرَّر في عِلْمَي الحديث والأصول أنَّ الصحابيَّ إذا قال: «أُمرنا، أو نُهينا» يُحمَل كلامه علىٰ الرفع؛ لانصراف هذا اللفظ إلىٰ مَن له الأمر والنهي وهو النبيُّ

صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وفي المسألة تفاصيل وخلافات لسنا بصددها الآن.

وقال في «كتاب الجنائز»: حدَّثنا قبيصة بن عقبة: ثنا سفيان -هو الثوريُّ- عن أمِّ الهذيل -هي حفصة بنت سيرين-، عن أمِّ عطية قالت: «نُهينا عن اتِّباع الجنائز ولم يُعْزَمْ علينا»(١).

وروى الإسماعيلي في "المستخرج" من رواية يزيد بن أبي حكيم عن الثوريِّ، عن أمِّ الهذيل، عن أمِّ عطية قالت : «نهانا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن اتِّباعِ الجنائزِ ولم يُعزَم علينا».

وقال البخاريُّ في «كتاب الطلاق»: حدَّثني عبدالله بن عبدالوهاب: ثنا حمَّاد بن زيدٍ، عن أيوب، عن حفصة، عن أمِّ عطية... وذكر الحديث باللفظ المذكور في «كتاب الحيض» وقد نقلناه آنفًا.

وقال ابن ماجه: حدَّثنا أبوبكر بن أبي شيبة: ثنا أبو أسامة، عن هشام، عن حفصة، عن أمِّ عطية قالت: «نُهينا عن اتِّباع الجنائزِ ولم يُعزَم علينا». إسناده صحيحٌ.

حديث: «دَعهَا يا عمر، فإنَّ العَينَ دامِعَةٌ...».

ج١٥٥- وأمَّا الحديث الثالث فخرَّجه ابن أبي شيبة في "المصنَّف" قال: حدَّثنا وكيعٌ، عن هشامٍ، عن عروة-هو وهب بن كيسان- وعن محمد بن عمرو بن عطاءٍ، عن أبي هريرة: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان في جنازةٍ فرأى عمر امرأةً فصاح بها، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم :

---

(١) بهذا اللفظ رواه مسلم في "صحيحه" ونسينا أن نذكر سنده فليراجعه من أراده في «كتاب الجنائز» من الصحيح المذكور.

«دَعْها يا عمرُ، فإنَّ العَيْنَ دامِعَةٌ، والنَّفْسُ مُصابَةٌ، والعَهْدُ قَريبٌ».

وقال ابن ماجة: ثنا أبوبكر بن شيبة وعلي بن محمد قالا: ثنا وكيع عن هشام بن عروة، عن وهب بن كَيْسان، عن محمد بن عمرو بن عطاءٍ، عن أبي هريرة به.

وقال أيضًا: ثنا أبو بكر بن أبي شيبة: ثنا عفَّان، عن حمَّاد بن سلمة، عن هشام بن عروة، عن وهب بن كَيْسان، عن محمد بن عمرو بن عطاءٍ، عن سلمة بن الأزرق، عن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بنحوه.

ورجال الحديث ثقاتٌ كما قال الحافظ ابن حجرٍ.

حديث: «مَن غَسَّلَ مَيتًا فليغتسل، ومَن حمله فليتوضَّأ».

ج١٥٦- وأمَّا الحديث الرابع فخرَّجه الترمذيُّ قال: حدَّثنا محمد بن عبدالملك بن أبي الشوارب: نا عبدالعزيز بن المختار، عن سهيل بن أبي صالحٍ، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مِن غَسْلِهِ الغُسْلُ، ومِن حَمْلِهِ الوُضُوءُ**». يعني الميت.

قال الترمذيُّ: «وفي الباب عن عليٍّ وعائشة». قال: «وحديث أبي هريرة حديثٌ حسنٌ، وقد رُوي عن أبي هريرة موقوفًا».اهـ

قلت: وفي الباب أيضًا عن المغيرة بن شعبة، وأبي سعيدٍ، وحذيفة، وسعيد بن المُسيِّب، وأبي قِلابة.

فأمَّا حديث عليٍّ عليه السلام فخرَّجه ابن أبي شيبة قال: ثنا وكيعٌ، عن إسرائيل، عن جابرٍ، عن عامرٍ، عن الحرث، عن عليٍّ قال: «مَن غَسَّل ميِّتًا فليغتسل».

وقال أيضًا: ثنا شريكُ، عن أبي إسحاق: أنَّ رجلين مِن أصحاب عليٍّ وأصحاب عبدالله غسَّلا ميِّتًا فاغتسل الذي من أصحاب عليٍّ وتوضَّأ الذي من أصحاب عبدالله، يعني بن مسعودٍ.

وأمَّا حديث عائشة رضي الله عنها فخرَّجه ابن أبي شيبة أيضًا قال: ثنا محمد بن بِشرٍ العبديُّ، عن زكريا، عن مصعب بن شيبة، عن طَلْق بن حبيبٍ، عن عبدالله بن الزبير أنَّ عائشة حدَّثته أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال «**يُغْتَسَلُ مِن غُسْلِ الميِّتِ**».

وأمَّا حديث المغيرة فخرَّجه أحمد قال: ثنا يعقوب: ثنا أبي، عن إسحاق قال: وقد كنت حفظت من كثير من علمائنا بالمدينة أنَّ محمد بن عمرو بن حزمٍ كان يروي عن المغيرة أحاديث، منها أنه حدَّثه أنه سمع النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**مَن غَسَّلَ مَيِّتًا فليَغْتَسِلْ**».

وأمَّا حديث أبي سعيدٍ رضي الله عنه فخرَّجه الضياء في "المختارة" ولفظه: «**الغُسْلُ مِن الغُسْلِ والوضُوءُ مِن الحَمْلِ**».

وأمَّا حديث حذيفة رضي الله عنه فخرَّجه ابن أبي شيبة قال: ثنا وكيعٌ، عن سعيد بن العزيز، عن مكحولٍ قال: سأل رجلٌ حذيفة كيف أصنع: قال اغسله فإذا فرغت فاغتسل.

وأمَّا أثر سعيد بن المُسيِّب فخرَّجه ابن أبي شيبة أيضًا قال: ثنا عبدالأعلى عن مَعْمَرٍ ،عن الزهريِّ، عن سعيد بن المُسيِّب قال: مِن السُّنَّة أنَّ مَن غَسَّل مَيِّتًا اغتَسَلَ.

وأمَّا أثر أبي قِلابة فقال ابن أبي شيبة أيضًا: ثنا عبدالوهاب الثقفيُّ، عن

أيوب، عن أبي قِلابة أنه كان إذا غَسَّلَ مَيِّتًا اغتسلَ .

وإذ قد أتينا على جميع ما في الباب نرجع إلى الكلام على حديث أبي هريرة ونذكر من رواه غير الترمذيِّ فنقول: قال أبو داود: ثنا أحمد بن صالح: ثنا ابن فُدَيْكٍ: ثني ابن أبي ذئبٍ، عن القاسم بن عبَّاسٍ، عن عمرو بن عمير، عن أبي هريرة: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن غَسَّلَ المَيِّتَ فليَغْتَسِلْ ومَن حَمَلَهُ فليَتَوضَّأ**».

وقال أيضًا: ثنا حامد بن يحيي ،عن سفيان، عن سهيل بن أبي صالحٍ، عن أبيه، عن إسحاق مولى زائدة، عن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بمعناه.

وقال ابن أبي شيبة: ثنا شبابة، عن ابن أبي ذئبٍ، عن صالح مولى التَّوأمَة، عن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن غَسَّلَ مَيِّتًا فليَغْتَسِلْ، ومَن حَمَلَهُ فليَتَوضَّأ**». وقول الترمذيُّ فيما نقلناه عنه سابقًا: وقدروى عن أبي هريرة موقوفًا.

قلت: كذلك رواه ابن أبي شيبة قال: ثنا عبدةُ بن سليمان، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة أنه كان يقول: «**مَن غَسَّلَ مَيِّتًا فليَغْتَسِلْ ومَن حَمَلَهُ فليَتَوضَّأ**». هذا ما يتعلَّق بطُرُق الحديث ورواياته، أمليناه على وجه لا يوجد في غير هذا المحلِّ والحمد لله.

أمَّا ما يتعلَّق بمعناه: فحكى الترمذيُّ في ذلك خلافًا بين أهل العلم من الصحابة وغيرهم وعبارته: «اختلف أهل العلم في الذي يُغَسِّل الميت، فقال بعض أهل العلم من أصحاب النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وغيرهم: إذا

غَسَّلَ مَيِّتًا فعليه الغُسْلُ، وقال بعضهم: «عليه الوضوء». وقال مالك بن أنسٍ: «استحب الغُسْلُ مِن غُسْلِ الميِّت، ولا أري ذلك واجبًا». وهكذا قال الشافعيُّ، وقال أحمد: «مَن غَسَّل مَيِّتًا أرجو ألا يجب عليه الغسل، وأمَّا الوضوء فأقل ما فيه». وقال إسحاق: «لابد من الوضوء». وقد روىٰ عن عبدالله بن المبارك أنه قال: لا يغتسل ولا يتوضَّأ مَن غَسَّلَ الميِّت».اهـ

قلت: أمَّا الصحابة الذين أوجبوا الغسل فقد تقدَّم ذكرهم، وأمَّا غيرهم ممن نفىٰ الوجوب فهم ابن عبَّاسٍ، وابن عمر، وابن مسعودٍ، وسعدٌ، وعائشة، وعائذ بن عمرو، وأبو برزة، وإبراهيم النَّخَعيُّ، والشَّعْبيُّ.

واحتجُّوا لما قالوه بأنَّ الميِّت ليس بنجسٍ فلا يوجب مسُّه غُسْلًا، أسند ذلك عنهم أبوبكر بن أبي شيبة في "مصنَّفه" تحت ترجمة «من قال: ليس علىٰ غاسل الميت غُسْلٌ».

والحقُّ أنَّ الحديث ظاهرٌ في الوجوب أخذًا بحقيقة الأمر، فيحتاج من حمله علىٰ الندب كالشافعية إلىٰ إبداء دليلٍ صارفٍ عن الوجوب، وقد رأيت أبا داود صرَّح في السُّنن بأنَّ الحديث منسوخٌ، فإن صحَّ هذا فهو أحسن ما يُعتذَر به عن عدم الأخذ بظاهر الحديث.

هل ورد حديثٌ صحيحٌ في عدد تكبيرات العيدين ؟

ج١٥٧- وأمَّا عدد تكبيرات العيدين فورد فيه أحاديث عن عمرو بن عوف المزنيِّ، وابن عبَّاسٍ، وابن عمر، وابن عمرو، وأبي هريرة، وسعد القرظ، وعائشة، وأبي موسىٰ، وحذيفة، وعبدالرحمن بن عوف، وأبي واقد الليثيِّ، بأسانيد ضعيفةٍ لا تقوم بمثلها الحُجَّة، وأصحها إسنادًا حديث عمرو بن

شعيب، عن أبيه، عن جدِّه عبدالله بن عمر بن العاص أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كبَّر في العيدين الأضحى والفِطر ثنتي عشرة تكبيرة سبعًا في الأولى وخمسًا في الأخيرة سوى تكبيرة الإحرام. خرَّجه أحمد، وابن ماجه، وأبو داود، والدارقطنيُّ واللفظ له.

هذا أمثل إسنادٍ في الباب، وهو إسنادٌ حسنٌ على ما أصَّله نُقَّاد المُحدِّثين كالحافظ الذهبيِّ من تحسين رواية عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدِّه. وإن كانت وِجَادَةً على أنَّ الترمذيَّ نقل عن أحمد بن حنبلٍ وعليِّ بن المدينيِّ والبخاريِّ أنهم صحَّحوا هذا الحديث، وهذا التصحيح لا يخلو عن تساهلٍ إلَّا إن كان مرادهم بالنظر إلى شواهده فيمكن أن يُسلَّم.

فقد كنا نريد أن نتوسَّع في ذكر الطرق وبيان عللها وما فيها من توثيقٍ وتضعيفٍ وتعديلٍ وتجريحٍ ولم يُساعد الوقت على ذلك، وفيما ذكرناه كفايةٌ، وبالله التوفيق.

أسئلة حديثية و أجوبتها

أحاديث موضوعة في فضل بعض الأذكار

س١٥٨- عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «مَن صَلَّى ليلةَ الجُمُعة ركعتين يقرأ في كلِّ ركعةٍ (فاتحة الكتاب) مرَّةً و(سورة الزلزلة) خمسة عشر مَرَّةً، فإذا فَرَغَ مِن صَلاتِهِ يقول: يا حيُّ يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام. مائة مرة أمَّنه الله من عذاب القبرِ وظُلْمَتِهِ وضِيقته ومِن أهوال يوم القِيامِ، ولا يقومُ مِن مَقامِهِ، لا جائعًا ولا ظمآنًا ويُكْسَى حُلَّةً مِن نورٍ ولا يخرج مِن الدُّنيا حتى يرى مَقْعَدَهُ في الجنَّةِ».

س١٥٩- وعن معاذ بن جبلٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «مَن صلَّىٰ ليلة السبت ستَّ ركعاتٍ يقرأ في كلِّ ركعةٍ (فاتحة الكتاب) مرة و(سورة الإخلاص) إحدىٰ وثلاثين مرة أُخرج الغِلُّ والمكر والوسواس والعجب والرِّياء مِن قلبه، ويجمع اللهُ في قلبه النور والرحمة والرأفة، ويُلبسه يومَ القِيامة المغفرةَ، ويبقىٰ وجهه كالقمر ليلة البدر، ويبني له بكلِّ ركعةٍ قصرًا في الجنَّةِ».

س١٦٠- وعن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه أنه قال: قال رسول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «مَن صلَّىٰ ليلة الأحد ست ركعات يقرأ في كلِّ ركعةٍ (فاتحة الكتاب) مرة و(سورة الاخلاص) سبع مراتٍ أعطاه الله ثواب الشاكرين والصابرين وأعمال المُطيعين، وكتب له عبادة سنتين، ولا يقوم مِن مقامه إلَّا مغفورٌ له، ولا يخرجُ من الدنيا حتىٰ يرىٰ مقعدَه في الجنَّةِ».

س١٦١- وعن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «مَن صلَّىٰ ليلة الاثنين عشر ركعاتٍ يقرأ في كلِّ ركعةٍ (الفاتحة) مرة و(آية الكرسي) مرة، فإذا فَرَغَ مِن صلاته يقرأ (سورة الاخلاص) ثنتي عشرة مرة فينادي منادٍ يومَ القِيامَةِ: أين فلان بن فلانةٍ؟ يقوم يأخذ ثوابه مِن الله تعالىٰ. فأوَّل ما يُعطيه من الثواب ألف حُلَّةٍ مِن النور ويُتوَّج بتاجٍ من النور، ويدخل الجنَّة مع الصِّدِّيقين والشهداء والصالحين، ويستقبله ألف مَلَكٍ يسير كلُّ مَلَكٍ بهديةٍ، وترون له ألف قصرٍ من النور تتلألأ».

س١٦٢- قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «مَن صلَّىٰ ليلة الثلاثاء ست ركعاتٍ يقرأ في كلِّ ركعةٍ (فاتحة الكتاب) مرة و(سورة الاخلاص)

والمُعوِّذتين، فإذا فَرَغَ مِن صلاته يقول: لاإله إلا الله وحده لا شريك له له المُلْك وله الحمد يُحيي ويُميت وهو حيٌّ دائمٌ لا يموت أبدًا بيده الخير وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ. سبعين مرة، أعطاه الله بكلِّ حرفٍ عشرة حوريات من الحور العِين على كلِّ واحدةٍ منهنَّ سبعون حُلَّة مِن النور، ويُبنى له عشرة مدينات في كلِّ مدينةٍ ألف قصرٍ، وله من الثواب ما لا يصفه الواصفون».

س١٦٣- وعن أنس بن مالكٍ قال: قال الرسول ﷺ: **«مَن صلَّى ليلة الأربعاء أربع ركعاتٍ يقرأ في كلِّ ركعةٍ (الفاتحة) مرة و(سورة الاخلاص) مائة مرة فإذا فَرَغَ مِن صلاته ينام ووجهه إلى القبله، فإنه يراني وكأنما اشترى نَفْسَهُ من الله تعالى»**.

س١٦٤- وعن أنس بن مالكٍ قال: قال الرسول ﷺ: «مَن صلَّى ليلة الخميس ثمان ركعاتٍ يقرأ في كلِّ ركعةٍ (فاتحة الكتاب) مرةً و(سورة الإخلاص) عشرة مرات ثُمَّ يقول: لا إله إلَّا الله المَلِكُ الحقُّ المُبين، محمَّدٌ رسول الله الصادق الوعد الأمين. مائة مرة بنى الله له ثمانمائة قصر من ياقوته حمراء ويصرف الله عنه كلَّ شيطانٍ مَريدٍ».

س١٦٥- **«مَن قرأ في اليوم الآيتين آخر (سورة التوبة) لم يَمُت ذلك اليوم»**. وفي رواية **«لم يُقتَل، ولم يقربه أحد بحديدةٍ، ومَن قرأها في ليلةٍ كذلك»**. ذكر هذا سيدي علي الأجهوري.

والجواب: هذه الأحاديث كلها موضوعة وبيان ذلك:

ج١٥٨- أنَّ الحديث الأول في سنده عبدالله بن داود الواسطي كان يأتي بالطامَّات ولذلك اتهمه البخاريُّ وغيره وإن كان ابن عديٍّ قال في "الكامل":

«هو مما لا بأس به إن شاء الله». فقد ردَّ كلامه الذهبيُّ في "الميزان" وقال: «بل كل البأس به ورواياته تشهد بصحَّه ذلك».اهـ

وهو كما قال؛ فإنَّ مَن يروي مثل الحديث الذي تكلَّمنا عليه ويروي مثل حديث: «**جاءني جبريل بسفرجلة مِن الجنَّة أكلتها فواقعت خديجة فعلقت بفاطمة...**». الحديث. فقد أغنىٰ الناس عن بيان حاله. ولمَّا ذكر الذهبيُّ حديث السفرجله أعقبه بقوله: «وقد علم الصبيان أنَّ جبريل لم يهبط علىٰ نبيِّنا إلَّا بعد مولد فاطمة بمدَّةٍ». يشير إلىٰ أنَّ هذا كذبٌ مكشوفٌ.

ج١٥٩: ج١٦٤- وأمَّا الأحاديث الباقية[1] فقد اتهم ابن الجوزيِّ بوضعها الجوزقانيَّ، وبنىٰ ذلك علىٰ أنَّ رجال الإسناد كلهم ثقات سواه فانحصرت التهمة فيه.

لكن خطَّأه الحافظ وقال: «لعلَّ الجوزقانيَّ دخل عليه إسنادٌ في إسنادٍ؛ لأنه كان قليل الخبرة بأحوال المتأخِّرين...» إلخ ما ذكره في "اللسان" فليرجع في ترجمة الحسين بن إبراهيم. وما ذكره هو الصواب؛ لأن الجوزاقانيَّ حافظٌ صدوقٌ ما نعلم أحدًا تكلَّم فيه قبل ابن الجوزيِّ.

ج١٦٥- أمَّا الحديث الثامن فلم يتبيَّن لي الآن علىٰ من تقع تبعته. وكأنَّ واضعه أخذه ممَّا رواه أبو داود بإسنادٍ لا بأس به عن أبي الدرداء موقوفًا قال: «مَن قال إذا أصبح وإذا أمسىٰ: حسبي الله لا إله إلَّا هو عليه توكَّلتُ وهو ربُّ العرشِ العظيمِ. سبع مرات كفاه الله ما أهمَّه».

---

(١) يعني من س ١٥٩ ألىٰ س١٦٤.

ورواه ابن عساكر في ترجمة عبدالرزَّاق بن عمر الدمشقيِّ من "تاريخه" عن أبي الدرداء مرفوعًا بزيادةٍ مُنكَرةٍ.

وأخرج ابن النجار في "تاريخه" عن الحسن موقوفًا عليه قال: «من قال حين يصبح سبع مرات: حسبي الله لا إله إلَّا هو عليه توكَّلتُ وهو ربُّ العرشِ العظيمِ. لم يصبه ذلك اليوم ولا تلك الليلة كربٌ ولا سلبٌ ولا غرقٌ».

هذا ما رأينا إملاءه على تلك الأحاديث وبالله التوفيق.

أسئلة حديثية وأجوبتها

ورد كتاب من حضرة جلال فارس بالقوصية يقول فيه: سمعت من أحد العلماء في جلسة من جلسات التدريس بعض أحاديث أحببت أن أتثبت منها لأعرف هل هي صحيحةٌ أو موضوعةٌ، فأرجو البيان ولكم الشكر.

س١٦٦ - حديث: كلّما أغضب القلب يغضب الله، ولو قلب بهيم.

س١٦٧ - حديث: لو صَدَقَ السائل لهلك المسئولُ.

س١٦٨ - حديث: يأتي على أُمَّتي زمانٌ مَن لم يتوحَّش فيه تأكله الذِّئاب.

س١٦٩ - حديث: استعينوا على نسائكم بالعري.

حديث: كلّما أغضب القلب يغضب الله، ولو قلب بهيم.

ج١٦٦ - **أمَّا الحديث الأول**: فلا أصل له.

وقد يؤدِّي بعض معناه حديث مسلمٍ: «**إنَّ اللهَ لا يَنْظُرُ إلى أجْسامِكُمْ ولا إلى صُورِكُمْ ولكن يَنْظُرُ إلى قُلوبِكُمْ**».

فإنه إذا كانت القلوب محل نظره -كما أفاده هذا الحديث الصحيح- لابد

وأن يغضب لغضبها، لكن ينبغي أن يكون ذلك خاصًّا بقلوب الأولياء ومَن على طريقتهم من صالحي المؤمنين، فأمَّا الفسَّاق ومَن على شاكلتهم فإنَّ اللهَ لا يغضب لغضب قلوبهم ولا يأبه لهم في أي وادٍ هَلَكوا.

حديث: لو صَدَقَ السائل لهلك المسئولُ.

ج١٦٧- **وأمَّا الحديث الثاني**: فذكر الحافظ ابن عبدالبر في "الاستذكار" أنه روي من جهة جعفر بن محمدٍ، عن أبيه، عن جدِّه مرفوعًا بلفظ: «**لو صَدَقَ السَّائِلُ ما أَفْلَحَ مَن رَدَّهُ**».

ومِن طريق يزيد بن رومان، عن عروة، عن عائشة مرفوعًا: «**لولا أنَّ السؤَّال يَكْذِبون ما أَفْلَحَ مَن رَدَّهُمْ**».

ورواه القضاعيُّ في "المسند" بلفظ: «**ما قُدِّسَ مَن رَدَّهُمْ**».

وروى الطبرانيُّ مِن حديث أبي أُمامة مرفوعًا: «**لولا أنَّ السائلين يَكْذِبون ما أَفْلَحَ مَن رَدَّهُمْ**». قال ابن عبدالبرِّ: «وأسانيد هذه الأحاديث ليست بالقوية».

وسبقه إلى ذلك عليُّ بن المدينيِّ كما قال السخاويُّ حيث أدرجه في خمسة أحاديث قال أنه لا أصل لها، ورواه العقيليُّ في "الضعفاء" من حديث عائشة وابن عمر وقال: «لا يصح في هذا الباب شيءٌ».

حديث: يأتي على أُمَّتي زمانٌ مَن لم يتوحَّش فيه تأكله الذِّئاب.

ج١٦٨- **وأمَّا الحديث الثالث**: فرواه الدارقطنيُّ في "الأفراد" من طريق زياد بن أبي زياد الجصَّاص، عن أنسٍ مرفوعًا: «**يأتي على النَّاسِ زمانٌ هم فيه ذئابٌ، فمَن لم يكن ذِئبًا أكلته الذِّئاب**». قال الدارقطنيُّ: «تفرَّد به زيادٌ، وهو متروكٌ»، فهو

حديثٌ ضعيفٌ وأخطأ ابن الجوزيِّ حيث ذكره في "الموضوعات".

حديث: استعينوا على نسائكم بالعري.

ج١٦٩- **وأمَّا الحديث الرابع**: فرواه ابن عديٍّ في "الكامل" بذلك اللفظ وفي إسناده زكريا بن يحيىٰ الخزَّاز، عن إسماعيل بن عبَّاد الكوفيِّ وهما متروكان. ورواه الطبرانيُّ من طريق آخر فيه موسىٰ بن زكريا شيخ الطبرانيِّ، وهو ضعيفٌ.

وروىٰ الطبرانيُّ في "الكبير" و"الأوسط" من طريق مجمع بن كعبٍ، عن مسلمة بن مخلدٍ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أَعْرُوا النِّساءَ يَلْزَمْنَ الحِجالَ**». مجمع بن كعبٍ مجهولٌ، وبقية رجاله ثقاتٌ.

وروي عن أنسٍ مرفوعًا: «**أَجيعوا النِّساءَ جُوعًا غير مُضِرٍّ وأَعْروهُنَّ عُرْيًا غير مُبرِّحٍ؛ لأنهنَّ إذا سَمِنَّ واكْتَسَيْنَ فليس شيءٌ أحبَّ إليهنَّ مِن الخروج، وإن هنَّ أصابهنَّ طَرَفٌ مِن العُرْي والجوعِ فليس شيءٌ أحبَّ إليهنَّ مِن البيوت، وليس شيءٌ خيرًا لهنَّ مِن البيوتِ**». وفي إسناده ثلاثةٌ مِن الرُّواة: أوَّلهم يكذب، والثاني عنده مناكير، والثالث مجهول، وللحديث أصلٌ في الجملة، والله أعلم.

حديث البسملة المُسلسل بالحَلِف

س١٧٠- وسئل عن حديث البسملة المُسلسل بالحَلِف المروي عن سيِّدي محيي الدين بن العربي رضي الله عنه، الوارد في شأن قرأتها مع (الفاتحة) في نفسٍ واحدٍ، هل هو صحيح ؟ وما رتبته؟

ج١٧٠- والجواب: حديث البسلمة رواه أبو حفصٍ عمر الميَّانشيُّ في "المجالس المكية" قال: حدَّثنا القاضي الإمام أبو المظفَّر محمد بن عليِّ بن

الحسين الشيبانيُّ، وقال: بالله العظيم لقد أنبأنا الجليل الفقيه أبو علي الحسين بن محمد الطوسي المعروف بالصاهلي.

(ح) وقال قطب العارفين محيي الدين بن العربي الحاتمي في "الفتوحات المكية": بالله العظيم لقد حدَّثني أبو الحسن عليُّ بن أبي الفتح المعروف والده بالكناري بمدينة الموصل سنة إحدىٰ وستمائة وقال: بالله العظيم لقد سمعت شيخنا أبا الفضل عبدالله بن أحمد بن بن عبدالقاهر الطوسيَّ الخطيب يقول: بالله العظيم لقد سمعت والدي أحمد يقول: بالله العظيم لقد سمعت المبارك بن أحمد بن محمد النيسابوريَّ المقري يقول: بالله العظيم لقد سمعت من لفظ أبي بكر الفضل بن محمد الكاتب الهروي.

قال هو والصاهليُّ: بالله العظيم لقد ثنا أبو بكر محمد بن علي الشاشيُّ الشافعيُّ من لفظه، وقال: بالله العظيم لقد ثنا عبدالله المعروف بابن نصر السرخسيُّ، وقال: بالله العظيم لقد ثنا أبو بكر محمد بن الفضل، وقال: بالله العظيم لقد ثنا أبوعبدالله محمد بن يحيىٰ الورَّاق الفقيه، وقال: بالله العظيم حدَّثني يونس بن محمد الطويل الفقيه، وقال: بالله العظيم لقد ثني محمد بن الحسن العلويُّ الزاهد، وقال: بالله العظيم لقد ثني موسىٰ بن عيسىٰ، وقال: بالله العظيم لقد ثني أبو بكرٍ الراجفيُّ بالبصرة، وقال: بالله العظيم لقد ثني عمار بن موسىٰ البرمكيُّ، وقال: بالله العظيم لقد ثني أنس بن مالكٍ، وقال: بالله العظيم لقد حدَّثني عليُّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه، وقال: بالله العظيم لقد حدَّثني أبو بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه، وقال: بالله العظيم لقد حدَّثني محمدٌ المصطفىٰ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وقال: بالله العظيم لقد ثني جبريل

عليه السلام وقال: بالله العظيم لقد حدَّثني ميكائيل عليه السلام وقال: بالله العظيم لقد حدَّثني إسرافيل عليه السلام وقال: قال الله تعالى: «يا إسرافيل وعِزَّتي وجلالي وجودي وكرمي مَن قرأ بسم الله الرحمن الرحيم متصلةً بفاتحة الكتاب مرَّةً واحدةً اشهدوا علي أنِّي قد غفرت له، وقبلت منه الحسنات وتجاوزت عن السيِّئات، ولا أحرق لسانه في النَّارِ، وأُجيره مِن عذابِ القبرِ وعذابِ النَّارِ وعذابِ القِيامَةِ والفَزَعِ الأكبر، ويلقاني قبل الأنبياء والأولياء أجمعين».

وكذا رواه ابن الطيلسان والسخاويُّ في في "مسلسلاتهما"، وقال الحافظ السخاويُّ عقب روايته: «وهو باطلٌ متنًا وتسلسلًا، ولولا قَصْدُ بيانه ما استحسنتُ حكايته، قَبَّحَ الله واضِعَهُ». ثُمَّ حكى عن الحافظ ابن حجرٍ أنه حكم بوضعه أيضًا.

قلت: وحكم الحافظ السيوطيُّ أيضًا بوضعه فأورده في كتاب الصلاة من "الذيل".

وللحديث إسنادٌ آخر أورده ابن العربي في "مشكاة الأنوار" حيث قال: ثنا محمد بن قاسم، عن عمر بن عبدالمجيد، عن محمد بن حامد المقدسيِّ، عن محمد القلانسيِّ، عن أبي سعيد محمد بن الحسن بن عليٍّ بن محمد، عن حمدان، عن أبي عبدالله الحسين بن عليٍّ البيع، عن أبي بكر محمد بن الحسن، عن عمِّه إسحاق بن عليٍّ، عن محمد بن مسلمٍ، عن محمد بن خالدٍ، عن سواد بن عاصمٍ، عن عاصمٍ، عن طلحة، عن مالكٍ، عن مكحولٍ، عن أبي بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه، وذكر الحديث كما تقدَّم.

وفي هذا السند مجاهيل، مع أنَّ مكحولًا ما سمع من أبي بكرٍ رضي الله عنه.

وبالجملة فالحديث باطلٌ كما قال الحافظ السخاويُّ.

ومما يدل على بطلانه ما اشتمل عليه من ذلك الوعد العظيم الكبير على فعلٍ قليلٍ يسيرٍ، فقد ذكر أهل الحديث في العلامات التي تدل على الوضع الإفراط بالوعيد الشديد على الأمر الصغير، أو الوعد العظيم على الفعل الحقير كهذا الحديث.

وليت شعري ماذا عسى أن يكون في وصل البسملة بالفاتحة من الفضل حتى يستوجب فاعله أن يلقى الله قبل الأنبياء والأولياء علاوة على غفران ذنوبه ومحو سيئاته و... و... إلخ ذلك الكذب السمج.

والعجب من الشيخ إبراهيم الكورانيِّ حيث نازع الحافظين ابن حجرٍ والسخاويَّ في حكمهما بوضعه مستدلًّا بحُجَجٍ واهيةٍ غافلًا عمَّا احتوى عليه الحديث من نكارة في المتن وجهالة في الإسناد، وغير ذلك مما لو أدركه لتذوق صحَّة قول الحافظين رحمهما الله تعالى.

زيادة «رب اغفر لي» عند قول الإمام: «ولا الضالين»

س١٧١- وسئل رضي الله عنه: نص في "طرح التثريب" على أنه لا يطلب من المأموم أن يقول: «ربِّ اغفر لي» عند قول الإمام: «ولا الضالين» لضعف الحديث، ولكن نصَّ ابن عِلَّان في "شرح الأذكار" على أنه مطلوبٌ، وأنَّ الحديث حسنٌ ناقلًا ذلك عن ابن حجرٍ.

ج١٧١- فأجاب رضي الله عنه: زيادة «رب اغفر لي» عند قول الإمام: «ولا الضالين» حديثها ضعيفٌ كما قال الحافظ العراقيُّ.

وبيان ذلك أنَّ الحديث رواه البيهقيُّ في "سننه" قال: أخبرنا أبو الحسين بن بشران: أنبأ أبوجعفر الرزَّاز: ثنا أحمد بن عبدالجبار العطارديُّ: ثنا أبي، عن أبي بكرٍ النهشليُّ، عن أبي إسحاق، عن أبي عبدالله اليحصبيِّ، عن وائل بن حجرٍ: أنه سمع رسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حين قال: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] قال: **ربِّ اغْفِر لي، آمين**».

هذا هو الحديث الذي استند إليه من قال من الفقهاء باستحباب زيادة «ربِّ اغفر لي» عند قول الإمام: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ وهو حديثٌ ضعيفٌ؛ لأن في سنده أحمد بن عبدالجبار العطارديَّ وأبا بكرٍ النهشليَّ وهما ضعيفان.

وقد ورد الحديث بدون تلك الزيادة أخرجه أحمد وأبو داود والترمذيُّ وابن ماجه والدارقطني وابن حِبَّان والبيهقي، عن وائل ابن حجرٍ قال: سمعتُ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قرأ: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] فقال: «آمين» يمد بها صوته.

حسَّنه الحافظ ابن حجرٍ في "أمالي الأذكار" كما نقله ابن عِلَّان في "شرحها" وصحَّحه في "التخليص الحبير"، وكذا صحَّحه الدراقطنيُّ، وحسَّنه الترمذيُّ وإعلال ابن القطَّان له بجهالة حجر بن عنبس ردَّه الحافظ بأنه ثقةٌ معروفٌ بل قيل له صحبةٌ.

والحاصل: أن الحديث بدون زيادة: «رب اغفر لي» حسنٌ صحيحٌ كما قال ابن حجرٍ وغيره، وهو بها ضعيفٌ كما قال الحافظ العراقيُّ، فظهر أن لا تناقض بين القولين لاختلاف موردهما وإن كان أصل الحديث واحد، وبالله التوفيق.

هل يُسَنُّ لإمام الجمعة الإتيان بالذِّكر المسنون عقب الإقامة؟

س١٧٢- هل يُسَنُّ لإمام الجمعة الإتيان بالذِّكر المسنون عقب الإقامة؟ وهل يُسَنُّ لخطيب الجمعة الإتيان بالذكر المسنون عقب الأذان الثاني؟

ج١٧٢- نعم يسنُّ له ذلك؛ لأنَّ الأحاديث الواردة في فضل الذِّكر تعمُّ إمام الجمعة وغيره، فلا معنى لإخراجه منها بدون دليلٍ يقتضيه.

وقول من قال من الفقهاء: «ينبغي لإمام الجمعة أن يسرع بتكبيرة الإحرام عقب الإقامة» ليس عليه دليلٌ، وكذلك يسن لخطيب الجمعة الإتيان بالذكر المسنون عقب الأذان الثاني لعموم الأحاديث أيضًا؛ ولأن الدعاء مطلوبٌ عقب الأذان فيتكرَّر بتكرُّره كما قال عزُّ الدين بن عبدالسلام في إجابة المؤذِّن.

حديث: يا رسول الله، إنَّ امرأتي لا ترد يد لامس

س١٧٣- كتب حضرة أحمد عبدالعزيز محمد رزق باشتمورجي بعيادة الدكتور جلال أبوالسعود بالعتبة الخضراء يسأل عن الحديث الآتي:

جاء رجلٌ إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وقال: يارسول، إنَّ امرأتي لا ترد يد لامس. فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**فارقها**». فقال: إنِّي أحبها. فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**تمتَّع بها**». رواه أبوداود والنَّسائيُّ وغيرهما.

أرجو التكرُّم بالبحث عن حقيقة هذا الحديث وإفادتنا عن صحَّته ومَن الراوي له؟ وهل السند بعيد عن الطعن أم لا؟ مع شرح هذا الحديث وما الغرض من ذكر الرسول له بقوله: «**تمتَّع بها**»؟

ج١٧٣- والجواب: هذا الحديث رواه أبو داود في "سننه" قال: كتب إليَّ الحسين بن حريث المروزيُّ: ثنا الفضل بن موسىٰ، عن الحسين بن واقدٍ، عن عمارة بن أبي حفصة، عن عكرمة، عن ابن عبَّاسٍ، قال: جاء رجلٌ إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: إنَّ إمرأتي لا ترد يد لامس. قال: «طَلِّقْها» قال: إني أُحِبُّها. قال: «اسْتَمْتِعْ بها».

ورواه النَّسائي في "سننه" قال: أنبأنا الحسين بن حريث فذكره.

قال الحافظ المنذري في "اختصار سنن أبي داود": «رجال إسناده محتجٌّ بهم في الصحيحين علىٰ الاتفاق والانفراد».

قال الحافظ ابن حجرٍ: «يريد بالنسبة إلىٰ مجموع الصحيحين لا إلىٰ كلِّ فردٍ فردٍ منها، فإنَّ البخاري ما احتجَّ بالحسين بن واقدٍ، وكذلك لم يحتج مسلمٌ بعمارة، ولا بعكرمة، فلو سلم أنَّ الحديث علىٰ شرط الصحيح، لم يسلم أنه علىٰ شرط البخاريِّ ولا علىٰ شرط مسلمٍ».اهـ

وقال الحافظ الذهبي في "مختصر السنن": «إسناده صالحٌ».اهـ

وأطلق النوويُّ عليه الصحة لكنه متعقب، فإنَّ الحسين بن واقد مع كونه ثقةٌ فإنه قد يُخطِئ، والفضل بن موسىٰ قال أحمد: «في روايته مناكير».

قال الحافظ: «وإذا قيل مثل هذا في الراوي توقَّف الناقد في تصحيح حديثه الذي ينفرد به، وقد قال البزَّار بعد تخريجه: لا نعلمه يروىٰ إلَّا بهذا الإسناد، وقال الدارقطنيُّ: تفرَّد به الحسين بن واقد، عن عمارة، وتفرَّد به الفضل بن موسىٰ، عن الحسين».

ثُمَّ قال الحافظ: «ودعوىٰ البزَّار فيها نظرٌ؛ لأن النَّسائيَّ أخرجه من وجهٍ

آخر عن ابن عبَّاسٍ بإسنادٍ قويٍّ، وللحديث مع ذلك شاهدٌ عن جابر بن عبدالله أخرجه الخلال والطبرانيُّ ورجاله مُوثَّقون إلَّا أنه من رواية أبي الزبير عن جابرٍ وهو موصوفٌ بالتدليس، ولم أرَه من حديثه إلَّا بالعَنْعَنَةِ».

قال الحافظ: «فلو انضمَّت هذه الطريق إلى ما تقدَّم مِن طريقَي ابن عبَّاسٍ لم يتوقَّف المُحدِّث عن الحكم بصحَّة الحديث».اهـ

وأمَّا الإمام أحمد فإنه أنكر الحديث لما سأله الخلال عنه فقال: «ليس له أصل»، وتمسَّك بهذا ابن الجوزيِّ فأورد الحديث في "الموضوعات" حاكمًا ببُطلانه.

قال الحافظ: «فأبان ذلك عن قلَّة اطلاعه وغلبة التقليد عليه حتى حكم بوضع الحديث بمجرَّد ما جاء عن إمامه، ولو عرضت تلك الطرق على إمامه لاعترف بأنَّ للحديث أصلًا، ولكنه لم تقع له فلذلك لم أرَ له في "مسنده" ولا فيما يروى عنه ذكرًا، لا من طريق ابن عبَّاسٍ ولا من طريق جابرٍ، سوى ما سأله عنه الخلال وهو معذورٌ في جوابه بالنسبة لتلك الطريق بخصوصها».اهـ

هذا ما يتعلَّق بالحديث من حيث صناعة الإسناد على سبيل الاختصار.

وأمَّا ما يتعلَّق بمعناه فاختلف العلماء في المراد بقوله: «لا ترد يد لامسٍ» فقيل: معناه الفُجور، وأنها لا تمنع من يطلب منها الفاحشة، وبهذا قال أبو عبيد والخلال والنَّسائيُّ وابن الأعرابي والخطابيُّ والغزاليُّ والنوويُّ، وهو مقتضى كلام الرافعي في اللعان.

وهذا القول ضعيفٌ أو باطلٌ؛ لأنه لو كان المراد ذلك لعُدَّ الزوج قاذفًا فيجب عليه حدُّ القذف أو الملاعنة، ولم ينقل في الحديث شيءٌ من ذلك.

وقيل: معناه التبذير وأنها لا تمنع أحدًا طلب منها شيئًا من مال زوجها.

وبهذا قال أحمد والأصمعيُّ وابن ناصر ونقله عن علماء الإسلام.

وهو ضعيفٌ أيضًا؛ لأن استعمال ذلك اللفظ في الكناية عن التبذير بعيدٌ ولأنها إن كانت تُبذِّر مِن مالها فليس له منعها، وإن كانت تُبذِّر مِن ماله فعليه حفظه ولا يوجب شيءٌ من ذلك الأمر بطلاقها.

وقيل: معناه أنها لا ترد يد لامس يمد يده ليتلذَّذ بلمسها، وأنَّ زوجها فهم ذلك مِن حالها لا أنه وقع منها، وهذا هو الظاهر المُتعيِّن.

ولهذا قال له النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «استمتع بها». لعدم تحقُّق ذلك منها، ولأنه لو طلَّقها مع حبِّه لها لتشوَّفت إليها نفسه فيقع معها في الزِّنا المحظور. وبالله التوفيق.

حديث صلاة التسبيح

وكتب إلي حضرة عبدالسلام محمود سرحان يقول: للأستاذ الغماريِّ أرفع سؤالي هذا راجيًا منه الإجابة على صفحات مجلة الإسلام ليعمَّ النفع، والسلام.

س١٧٤- يجتمع الناس على أحد العلماء الأجلَّاء في مسجدٍ مِن مساجد القاهرة ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان فيَعِظُهم ويذكِّرهم، ثُمَّ يُصلِّي بهم أربع ركعات التسابيح بتسليمتين، وكيفيَّة هذه الصلاة: أن يقرأ في كلِّ ركعةٍ بفاتحة الكتاب وآيةٍ ثُمَّ يقول: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر» عدد (١٥) ثُمَّ يركع ويقوله عدد (١٠) ثُمَّ يرفع ويقوله كذلك، ثُمَّ في السجود كذلك ثُمَّ بين السجدتين كذلك وفي السجدة الثانية كذلك وإذا قام للركعة الثانية يقولها كذلك ويفعل في الباقي كما فعل في الأولى.

وقد زعم هذا الفاضل أنَّ هذه الصلاة علَّمها النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لعمِّه العباس وأخبره بأنها تُكفِّر الذنبَ كبيره وصغيره.

ج١٧٤- والجواب: أنَّ حديث صلاة التسبيح أورده ابن الجوزيِّ في "الموضوعات" وردَّ عليه الحفاظ ذلك وحكموا بخطئه.

ثُمَّ اختلفوا هل هو حديثٌ صحيحٌ أو حسنٌ أو ضعيفٌ؟

أقوال ثلاثة، ولو أردنا أن نبيِّن الراجح من هذه الأقوال لطال الحال لتوقُّف ذلك علىٰ تتبُّع الأسانيد وبيان حال رجالها وغير ذلك مما لسنا بصدده الآن.

لكنا نشير إلىٰ طرقه إجمالًا فنقول:

ورد حديث صلاة التسبيح من طريق عبدالله بن عبَّاسٍ وأخيه الفضل وأبيهما العباس وعبدالله بن عمر وأبي رافع وعليِّ بن أبي طالبٍ وأخيه جعفر وابنه عبدالله وأمِّ سلمة والأنصاريِّ -غير مسمىٰ وقيد قيل أنه جابر بن عبدالله- وثبت فعلها عن جماعةٍ من السلف منهم أبو الجوزاء وابن المبارك وقال أبو عثمان الحيري الزاهد: ما رأيت للشدائد والغموم مثل صلاة التسبيح.

والمقصود أنَّ فعلها مرغَّبٌ فيه لكن لم يرد فعلها في جماعةٍ كما يفعل ذلك العالم، فالصواب أن يصلِّيها الإنسان منفردًا اتباعا للسلف.

مَن هم أهل الفَترَة، وهل هم ناجون أم لا؟

س١٧٥- مَن هم أهل الفَتْرَة، وهل هم ناجون أم لا؟ وإذا كانوا غبر ناجين فما الحكم في أبوي النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم؟

ج١٧٥- الفترة هي ما بين الرسولين مِن رسل الله من الزمان الذي انقطعت فيه الرسالة، وأهل الفترة هم الموجودون في ذلك الوقت كالعرب فيما

بين انقطاع رسالة إسماعيل إلى بعثة نبيِّنا عليهما الصلاة والسلام.

وقد اختلف العلماء هل هم ناجون أو معذَّبون وذلك مبنيٌّ على الخلاف في تكليفهم بالتوحيد والإيمان.

فجمهور الأشاعرة يقولون أنهم غير مكلَّفين بشيءٍ مِن ذلك أصلًا، فلا إثم عليهم بكفرٍ، ولا يجب عليهم إيمانٌ واحتجُّوا بقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]

وبعض الأشاعرة وأكثر المعتزلة يقولون أنهم مكلَّفون بذلك، فمن بلغته منهم دعوة نبيٍّ ممن سبقهم وترك أن يستدل على صحَّتها بعقله فهو كافرٌ آثمٌ، واحتجُّوا بآحاديث وردت في تعذيب بعض أهل الفترة كعمرو بن لحي الخزاعي، وأجاب الأولون بأنَّ هذه هذه الأحاديث آحاد لا تعارض الآيات السابقة لأنها قطعية.

وهذا جوابٌ ضعيف؛ لأن تلك الآيات وإن كانت قطعية المتن فإن دلالتها ظنيَّة كما قال الإمام والأصفهاني وغيرهما.

والتحقيق الذي يدفع التعارض بين تلك الأدلة ويرفع الإشكال جملة، هو أنَّ أهل الفترة ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

١- قومٍ غيَّروا الشرائع وبدَّلوا فيها وعبدوا الأوثان كعمرو بن لحي، فهؤلاء معذَّبون وعليهم تتنزَّل الأحاديث الواردة في تعذيب بعض أهل الفترة.

٢- قومٍ نظروا في شريعة من قبلهم فاتبعوها وعبدوا الله عليها كزيد بن عمرو بن نفيل، فهؤلاء مثابون كما وردت بذلك أحاديث.

٣- قومٍ لم يغيِّروا الشرائع ولا عبدوا الأوثان ولم يتبعوا شريعة مَن قبلهم

بل عاشوا كما ولدوا على البساطة والسذاجة فهؤلاء ناجون وعليهم يتنزل قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

إذا علمت هذا فاعلم أنَّ أبوي النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من القسم الأخير فهما ناجيان، وما ورد من الأحاديث في حقِّهما ممَّا ظاهره يوهم خلاف ذلك فهو مؤولٌ، وأخطأ من قال أنهما معذَّبان خطأ فاحشًا.

والعجب أنَّ ابن سلطان ألَّف في إثبات عذابهما تأليفًا مستقلًّا، وتالله إنها لجرأة تضع من رتبة صاحبها وتوهن من قَدْره، فما كان أغناه عن الكتابة في هذا الموضوع، سامحنا الله وإياه.

وبالجملة فالكلام طويل لا يسعه هذا المحل وسنظهر إن شاء الله كتابنا "نقد المباحث المحرَّرة" ففيه بغية كلِّ باحثٍ في هذا الموضوع إذ جمع فأوعى، وعمد إلى الجَفَلَى[1] حين دعا، وبالله التوفيق.

حديث موضوع في أكل البطيخ

س١٧٦- قرأت في كتاب "مختصر تذكرة الإمام القرطبي" للشيخ عبدالوهاب الشعراني رضي الله عنهما في «باب ما جاء في أشجار الجنة وثمارتها وما يشبه ثمرات الجنة في الدنيا» الحديث الآتي:

روى عن عاصم بن ضمرة، عن عليٍّ رضي الله عنه قال: قال رسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «تفكَّهوا بالبطِّيخ وعَظِّمُوه؛ فإنَّ ماءَهُ مِن الجنَّةِ وحَلاوَتَهُ مِن حَلاوَةِ الجنَّةِ، وما مِن عبدٍ أَكَلَ منها لقمةً إلَّا أدخل اللهُ جوفه سبعين دواءً

(١) «الجَفَلَى»: هي أن تَدْعُوا النَّاسَ إلى طعامِكَ دَعْوَةً عَامَّةً مِن غير اختِصَاصٍ.

وأخرج عنه سبعين داءً، وكتب له بكلِّ لقمةٍ عشر حسناتٍ، ومحا عنه عشر سيئاتٍ، ورفع له عشر درجاتٍ».

ثُمَّ تلا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: ﴿وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ﴾ [الصافات: ١٤٦]. ثُمَّ قال: «**إنَّ الدُّبَّاءَ والبطيخ مِن الجنَّةِ**».

رواه الإمام القرطبيُّ بسنده المتصل إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم. وهذا الحديث بصفحة (٩٣) طبعة أولىٰ من الكتاب المذكور.

فما موقع هذا الحديث من الصحَّة وما الحِكْمة في تعظيم البطيخ؟ وإذا كان الحديث صحيحًا فما الحِكْمة في أنه يكتب لآكل البطيخ عشر حسناتٍ ويُمحَىٰ عنه عشر سيئاتٍ ويرفع له عشر درجاتٍ؟

ج١٧٦- هذا الحديث ذكره أيضًا الشيخ عبدالرحمن الثعالبيُّ في كتاب "العلوم الفاخرة" وقال عقبه ما نصُّه: «ذكر القرطبيُّ هذا الحديث ولم يذكر في سنده مطعنًا والله أعلم بصحَّته، وقد ذكر بعض المحدِّثين أنَّ أكثر أحاديث الخضراوات ضعيفةٌ، ولا يخفىٰ عليك لين مثل هذا، فجزىٰ الله نقَّاد الأئمَّة عنَّا خيرًا وما أعظم مصيبة من يكذب علىٰ الله ورسوله».اهـ

وأقول: الحديث موضوعٌ بلا شك.

وقد ظننت لأول وهلة أنه من وضع هنَّاد بن إبراهيم النسفيِّ؛ لأنه متهمٌ بأحاديث البطيخ، فقد قال ابن الجوزيِّ: «سمعنا عنه -يعني روينا من طريقه، لأن ابن الجوزيِّ لم يدرك هنادًا- أحاديث كثيرة منها مرفوع ومنها موقوف كلها في فضائل البطيخ لم نجدها عند غيره وكلها محال».اهـ

لكني لما راجعت "تذكرة القرطبي" وجدته يقول: «رأيت بخطِّ الإمام

الفقيه المحدِّث أبي الحسن علي بن خلف الكومي: أنَّ شيخنا أبا القاسم عبدالله، قال: وجدت حديثًا عليه سماع جماعة على أبي الفرج محمد بن أبي حاتم محمود بن الحسن القزويني في ربيع الأول سنة ٤٩٨ قال: ثنا أبوجعفر بن زيد الجعفري في شوال ٣٣٨: ثنا أبي: ثنا يحيى بن الحسين الحسيني: ثنا عقيل بن سمير: ثنا علي بن حماد القاري: ثنا العباس بن حميد: ثنا أبوبكر بن عياش، عن أبي إسحاق، عن عاصم بن ضمرة، عن عليٍّ به مرفوعًا.

فإذًا سند الحديث ليس فيه هنَّاد لكن فيه عِلَّتان أخريان يقتضيان الحكم بالوضع مع ركاكة لفظ الحديث ومعناه:

إحداهما: أنه وِجادةٌ على وجادةٍ.

ثانيتهما: أنَّ السند من أبي بكر بن عياشٍ فمن دونه كلَّه مجاهيل، فالآفة من أحد أولئك المجاهيل.

غير أنِّي لم أطمئن إلى حكمي هذا، فنظرت هل أجد أحدًا وافقني؟ فوجدت الحافظ السيوطيَّ سبقني إلى الحكم بوضع الحديث حيث أورده في "ذيل اللآلي" من "مسند الفردوس"، و"جزء البطيخ" لأبي عمرو النوقانيِّ فالحمد لله حمدًا كثيرًا.

وإني أختصر الطريق للسائل وأقول له كما قال ابن الجوزي: «لم يصح في فضل البطيخ أكثر مِن أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أكله»، وبالله التوفيق.

س١٧٧- هل هناك حديثٌ ما معناه أنَّ الرجل إذا جامع زوجته يوم وفاة ابنها الذي رزقه الله منها تحمل في هذه الليلة؟ وما نصَّ الحديث؟ ومَن هم الرواة؟ كما أرجو إيضاح هذا الحديث بشرحٍ موجزٍ، وما الحكم إذا كانت

الست في هذه الليلة في الحيض أو النفاس؟

ج١٧٧- هذا الحديث لا أصل له ولا نعرف حديثًا في هذا المعنى وإنما هو من باب الخواص، وأكثر الخواص خرافات لا يَصْدُق منها إلَّا النادر على سبيل المصادفة.

جمع بين حديثين

س١٧٨- كتب إلي حضرة محمد فهمي بغدادي أبو زيد من البياضية بالأقصر يقول: أرجو التكرُّم والنزول بالإجابة على حديثين هل هما صحيحان؟ إذا كان كذلك فبأي شئ يحصل الوفاق بينهما؟

١- «ما أصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة».

٢- «المستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربِّه».

ج١٧٨- والجواب: أمَّا الحديث الأول فأنبأنا به بدر الدين الدمشقيُّ: أنا البرهان السقَّا: أنا محمد بن محمد السنباويُّ: أني والدي: أنا عليُّ بن أحمد العدويُّ الصوفيُّ: أنا عقيلة المكيُّ الصوفيُّ: أنا حسن العجميُّ الصوفيُّ: أنا أحمد بن محمد القُشَاشيُّ الصوفيُّ: أنا أحمد بن عليٍّ بن عليٍّ الشنَّاويُّ الصوفيُّ: أنا والدي علي بن عبدالقويِّ الصوفيُّ: أنا عبدالوهاب الشعرانيُّ الصوفيُّ: أنا زكريا بن محمد الفقيه الصوفيُّ: أنا زين الدين المراغي العثمانيُّ الصوفيُّ: أنا شرف الدين إسماعيل بن إبراهيم العقيليُّ الصوفيُّ: أنا أبو الحسن علي بن عمر الوافي الصوفيُّ: أنا محيي الدين محمد بن عليٍّ بن عليٍّ بن العربي الحاتميُّ الصوفيُّ شيخهم: أنا عبدالوهاب بن عليٍّ بن سكينة البغداديُّ الصوفيُّ: أنا أبو الفتح عبدالملك بن

عبدالله الكروخيُّ الصوفيُّ: أنا شيخ الإسلام عبدالله بن محمد الأنصاريُّ الهرويُّ الصوفيُّ: أنا عبدالجبار الجراحيُّ: أنا أبو العباس محمد بن أحمد بن محبوب المحبوبيُّ: حدثنا أبوعيسىٰ الضرير البوغي الترمذيُّ قال في "جامعه": ثنا حسين بن يزيد الكوفي: نا أبو يحيي الحمانيُّ: نا عثمان بن واقدٍ، عن أبي نُصَيْرَةَ، عن مولىٰ لأبي بكرٍ، عن أبي بكرٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ما أَصَرَّ مَن اسْتَغْفَرَ ولو فَعَلَهُ في اليومِ سبعينَ مَرَّةً**».

وكذا رويناه في "سنن أبي داود"، ومسانيد "أبي يعلىٰ"، "والبزَّار"، و"القضاعي" و"عمل اليوم" لابن السُّنِّيِّ من طريق عثمان بن واقدٍ، عن أبي نصيرة به باللفظ المذكور في السؤال.

قال الترمذيُّ عقب روايته: «هذا حديثٌ غريبٌ إنما نعرفه من حديث أبي نُصَيْرَةَ وليس إسناده بالقويِّ». وقال البزَّار: «لانحفظه إلَّا من حديث أبي بكرٍ بهذا الطريق وأبو نُصَيْرَةَ وشيخه لا يُعرفان».اهـ

وأقول: أمَّا أبو نصيرة فمعروفٌ، اسمه مسلم بن عبيد الواسطيُّ، ضعَّفه الأزديُّ ووثَّقه أحمد وابن معينٍ وابن حِبَّان، وهو الذي رجَّحه الحافظ في "التقريب" وأمَّا مولىٰ أبي بكرٍ فاسمه أبو رجاء وهو مجهولٌ كما قال البزَّار.

ورأيت الزيلعيَّ في "تخريج أحاديث الكشاف" قال: «إنَّ جهالته لا تضر إذ يكفيه نسبته إلىٰ الصِّدِّيق» وحسَّن الحديث بناء علىٰ ذلك، وقول البزَّار لايحفظه إلَّا من حديث أبي بكرٍ بهذا الطريق، هذا بحسب ما وصل إليه حفظه كما هو مقتضىٰ كلامه.

وقد وجدنا له طريقًا آخر لم يحفظه البزَّار، نروي هذا الطريق بالسند

السابق إلى السنبلوي قال: أنا البدر الحفني: أنا البديري: أنا الملا إبراهيم الكردي: أنا صفي الدين القُشاشيُّ: أنا الشمس الرمليُّ: أنا شيخ الإسلام زكريا الأنصاريُّ: أنا مسند الديار المصرية عز الدين ابن الفرات: أنا ابن أبي حفص بن الحسين بن يزيد المراغي: أنا الفخر عليُّ بن أحمد بن عبدالواحد: أنا أبو جعفر الصيدلانيُّ: أنا فاطمة بنت عبدالله الجوذقانيَّه: أنا أبوبكر محمد بن عبدالله الأصبهانيُّ قال: حدَّثنا أبوالقاسم سليمان بن أحمد الطبرانيُّ قال: في جزئه المسمى بـ"كتاب الدعاء": ثنا محمد بن الفضل السقطيُّ: ثنا سعيد بن سليمان: ثنا أبو توبة، عن ابن أبي ملكية، عن ابن عبَّاسٍ به مرفوعًا باللفظ السابق.

وأمَّا الحديث الثاني فرواه ابن أبي الدنيا في "كتاب التوبة" ومن طريقه البيهقيُّ في "الشعب"، وابن عساكر في "التاريخ" عن ابن عبَّاسٍ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**التَّائِبُ مِن الذَّنْبِ كمَن لا ذَنْبَ لَهُ، والمُسْتَغْفِرُ مِن الذَّنْبِ وهو مُقِيمٌ عليه كالمُسْتَهْزِئِ برَبِّهِ، ومَن آذَى مُسْلِمًا كان عليه مِن الذَّنْبِ كذا وكذا**». لفظ ابن أبي الدُّنيا.

ولفظ ابن عساكر: «**ومَن آذى مُسْلِمًا كان عليه مِن الذُّنوبِ مثل مَنابِتِ النَّخْلِ**». وسنده ضعيفٌ كما قال الحافظ العراقيُّ.

وقال الحافظ الذهبيُّ: «سنده مظلمٌ والأشبه وقفه».

قلت: كذا قال الحافظ المنذريُّ أيضًا أنه روي موقوفًا، ولعله أشبه فالحديثان كما ترى غير صحيحين، لكن الأول أحسن حالًا وأنظف إسنادًا من الثاني، وعلى فرض صحَّتهما فلا تعارض بينهما؛ لأن المراد بالاستغفار في الحديث الأول الاستغفار الذي يصحبه الندم على الذنب، والعزم على عدم الرجوع إليه، ولا

شك أنَّ المستغفر بهذه الكيفية يكون تائبًا توبة صحيحةً ماحيةً لما وقع قبلها من الذنوب، فإذا صدر منه بعد ذلك ذنب بحكم الاتفاق أو غلبة النفس عليه لا يسمَّى مُصِرًّا؛ لأنه كلَّما أحدث ذنبًا جدَّد له توبةً صادقةً تمحوه.

وهكذا روينا في معجمَي الطبرانيِّ "الكبير" و"الأوسط" بإسنادٍ حسنٍ عن عتبة بن عامر: أنَّ رجلًا جاء إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: يا رسول الله أحدنا يذنب قال: «**يكتب عليه**» قال: ثُمَّ يستغفر منه ويتوب. قال: «**يُغْفَر له ويُثابُ عليه**». قال: فيعود فيذنب. قال: «**فيُكتَبُ عليه**». قال: ثُمَّ يستغفر منه ويتوب. قال: «**يُغْفَرُ له ويُثابُ عليه ولا يمل الله حتى تملُّوا**».

أمَّا المستغفر بلسانه وهو فرحٌ بذنبه، عازم على العود إليه متي سنحت له فرصة، فهذا كاذبٌ في استغفاره مستهزئٌ بربِّه كما نطق به الحديث الثاني فافهم.

إذا أكلتم فأفضلوا، و الإناء يستغفر للاعقه. لا أصل لهما

س١٧٩- وسئل رضي الله عنه عن حديثي: «إذا أكلتم فأفضلوا»، و «الإناء يستغفر للاعقه».

ج١٧٩- فأجاب رضي الله عنه: هذا الحديثان لم أجد لهما أصلًا وهما غير واردين جزمًا، والله أعلم.

حديثان موضوعان من كتاب "نزهة المجالس"

س١٨٠- ورد كتاب من حضرة منير عبدالقادر شهاب، تاجر ببيروت. ونص ذلك الكتاب بعد الديباجة والتحية: المبدي إلى جنابكم تفسير المشروح أدناه هل هو صحيحٌ أم لا، لأننا قد وجدناه في أحد الكتب تأليف العالم الشيخ

عبدالرحمن الصفوري الشافعي رحمه الله:

١- «لاتسبُّوا أصحابي، فإنه يجيء قومٌ في آخر الزمان يسبُّون أصحابي فلا تُصَلُّوا عليهم ولا تُصَلُّوا معهم، ولا تُناكحوهم ولا تجالسوهم، وإن مرضوا فلا تعودوهم».

٢- «يا عليُّ، أنت في الجنَّة، يا عليُّ، أنت في الجَّنة، يا علي، أنت في الجنَّة وسيكون قوم يقال لهم الرافضة فإذا أدركتهم فقاتلهم». قال: يا نبيَّ الله ما علاماتهم؟ قال: «لا يرون جماعة ولا جمعة ويشتمون أبا بكرٍ وعمر».

ج١٨٠- والجواب: هذا الحديثان موضوعان وكتاب الشيخ عبدالرحمن الصفوريِّ اسمه "نزهة المجالس ومنتخب النفائس" يحرمُ النظر فيه إلَّا لعارفٍ بالحديث لأنه محشوٌّ بأحاديث موضوعةٍ، وأخرىٰ واهيةٍ، وبكثيرٍ من الخرافات والإسرائليَّات، وفيه نزرٌ يسيرٌ من الأحاديث المقبولة ما بين ضعيفٍ مُنجَبِرٍ، وحسنٍ.

أمَّا الحديث الصحيح فوجوده في هذا الكتاب نادرٌ جدًّا ولهذا لما جمعه مؤلِّفه الصفوريُّ المذكور وأظهره للناس وتناقلوه عنه بالشام -لأنه كان مقيمًا هناك- نهاه محدِّث الشام برهان الدين إبراهيم الناجي عن ذلك، ونصحه بالرجوع عنه، وما زال به حتىٰ أظهر التوبة وقال: إني رجعت عنه كما رجع الإمام الشافعي عن أقوال القديم.

ثُمَّ بعد مدَّةٍ عاد إلىٰ إظهاره ثانيًا فكتب البرهان الناجي إلىٰ علماء مصر يسألهم عن الكتاب المذكور: هل يجوز قراءته وتداوله لمن لا معرفة له تميز بين الصحيح والسقيم؟، ونقل عدة أحاديث مع السؤال ليجاب عنها، فأجابه

الحافظ السيوطيُّ موافقًا له على ما قال؛ إلَّا في بضع أحاديث أطلق الناجي أنها لم تَرِدْ فبيَّن الحافظ السيوطي أنها واردة .

وأيضًا "الروض الفائق" للشيخ شعيب الحريفيش وكتاب "خزينة الأسرار" و"التحفة المرضية" وغيرها إلَّا إذا كان القارئ ذا معرفة بالحديث على طريقة أهله لا على طريقة أدعياء هذا العصر الذين يصححون ويضعفون بمقتضى أهوائهم كما فعل بعضهم في حديث: «**شَفاعَتي لأهلِ الكبائرِ مِن أُمَّتي**». فزعم أنه ضعيفٌ، وآخر زعم أنه مختلفٌ في صحَّته، مع أنه صحيحٌ باتفاق المحدِّثين.

والعجب أني لما سألت من ضعفه عن سبب ضعفه كان جوابه أن قال: «لم يدخل مخي لأنه يعين على ارتكاب المعاصي»!!، ويلاحظ أنَّ هذا المتكلِّم عالمٌ، فما بالك بغيره؟! نسأل الله أن يلهمنا رشدنا بمنه وفضله.

أسئلة حديثية وأجوبتها

كتب إليَّ حضرة محمود أحمد إبراهيم بملوي كتابًا فيه بعد الديباجة ما لفظه: وقع خلاف بين بعض أهل العلم بشأن المواضيع الآتية:

حديث: «حياتي خيرٌ لكم ومَماتي خيرٌ لكم...»

س١٨١- حديث: «**حياتي خيرٌ لكم ومَماتي خيرٌ لكم...**» إلخ، هل هو صحيحٌ أم ضعيفٌ؟ فإن كان الثاني فخير، وإن كان الأول فما وجه التوفيق بينه وبين حديث الصحيح القائل في شأن قومٍ يذادون عن حوض الرسول يوم القيامة: «**إنَّك لا تَدْرِي ما أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**»؟

ج١٨١- والجواب: هو حديثٌ صحيحٌ لا غبار عليه، ورَدَ مِن حديث ابن

مسعودٍ، وأنس بن مالكٍ، ومن مرسل بكر بن عبدالله المُزنيِّ.

أمَّا حديث ابن مسعودٍ فخرَّجه البزَّار في "مسنده" عنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**حَياتي خيرٌ لكم تُحْدِثُونَ ويُحْدَثُ لكم، ووفاتي خيرٌ لكم تُعْرَضُ عليَّ أعمالكم فما رأيتُ مِن خيرٍ حمدتُ اللهَ عليه، وما رأيتُ مِن شَرٍّ استغفرتُ اللهَ لكم**».

قال الحافظ العراقيُّ في كتاب الجنائز من "طرح التثريب في شرح التقريب": «إسناده جيدٌ».

وقال الحافظ الهيثميُّ في "مجمع الزوائد"، والمحدِّث القسطلانيُّ في الجزء الثاني من "شرح البخاري": «رجاله إسناده رجال الصحيح».

وقال الحافظ السيوطيُّ في كتاب المعجزات والخصائص: «إسناده صحيحٌ».

وكذا قال القاري والشهاب الخفاجي في أول شرحيهما علىٰ "الشفاء".

وأمَّا حديث أنسٍ فخرَّجه الحرث بن أبي أسامة في "مسنده"، وابن عديٍّ في "الكامل" من طريق خراشٍ عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**حياتي خيرٌ لكم تُحدِثون ويُحدَثُ لكم، فإذا أنا مِتُّ كانت وفاتي خيرًا لكم تُعرَضُ عليَّ أعمالكم فإن رأيتُ خيرًا حمدتُ اللهَ، وإن رأيتُ غير ذلك استغفرتُ اللهَ لكم**».

قال الحافظ العراقيُّ في "المغني": «إسناده ضعيفٌ لضعف خراشٍ».اهـ

قلت: لكن له طريقٌ آخر:

قال الحافظ أبو نصر محمد بن إبراهيم اليونارتي الأصبهانيُّ في "معجمه": سمعت الشريف واضح بن أبي تمام الزينبيَّ يقول: سمعت أبا علي بن تومة

يقول: اجتمع قوم من الغرباء عند أبي حفص بن شاهين فسألوه أن يُحدِّثهم أعلىٰ حديثٍ عنده فقال: لأحدثنَّكم حديثًا من عوالي ما عندي: ثنا عبدالله بن محمد البغويُّ: ثنا شيبان بن فروخ الأيليُّ: ثنا نافع أبو هرمز السجستانيُّ: سمعتُ أنس بن مالكٍ يقول: سمعتُ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**حياتي خيرٌ لكم...**» الحديث.

خرَّجه ابن النجَّار في "تاريخ بغداد" عن معمر بن محمد الأصبهانيِّ، عن أبي نصر اليونارتيِّ به. وهذا إسنادٌ ضعيف أيضًا لاتفاقهم علىٰ ضعف أبي هرمز.

وأمَّا مرسل بكر بن عبدالله المزنيِّ فأخرجه الحرث بن أبي أسامة قال: ثنا الحسين بن قتيبة: ثنا جسر بن فرقد، عن بكر بن عد الله المزنيِّ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**حَياتي خيرٌ لكم تُحدِثون ويُحدَثُ لكم، ووفاتي خيرٌ لكم تُعْرَضُ عليَّ أعمالكم فما كان من حسنٍ حمدتُ اللهَ عليه، وما كان مِن سيِّءٍ استغفرتُ اللهَ لكم**». إسناده ضعيفٌ لضعف الحسن بن قتيبة.

لكن خرَّجه إسماعيل القاضي المالكيُّ من طريقٍ آخر فقال: ثنا سليمان بن حربٍ: ثنا حمَّاد بن زيدٍ، عن غالب القطان، عن بكر بن عبدالله المزنيِّ به مرفوعًا. وهذا إسنادٌ صحيحٌ.

وقال أيضًا: ثنا حجَّاج بن المنهال: ثنا حمَّاد بن سلمة، عن كثير بن الفضل، عن بكر بن عبدالله به مرفوعًا أيضًا.

فالحديث كما قلنا صحيحٌ لا شك في صحَّته، وقد طعن فيه بعض الناس ممن لا معرفة لهم بهذا العلم الشريف، وأتىٰ في طعنه بما دلَّ علىٰ جهلٍ تامٍّ وغباوةٍ متزايدةٍ وإليك ما قاله، جاء في كتابٍ يسمَّىٰ "القول المبين في حكم

دعاء ونداء الموتى والأنبياء والصالحين" عند الكلام على أدلة أصحاب التوسُّل ما نصُّه: «الشبهة السادسة: حديث «حياتي خير لكم...» إلخ وهذا الحديث وإن اشتهر على ألسنة كبار الناس وصغارهم فقد خَلَت منه جميع كتب السُّنَّة، حتى الحاكم الذي يروي ما هبَّ ودبَّ، ومع هذا فالذي رواه وقفه على بكر بن عبدالله المزنيِّ وهو تابعيٌّ مشهورٌ، ومع ذلك لم يذكر فيه الصحابي أحد من رواة السُّنَّة لا في صحيح الكتب ولا في ضعيفها، وهو منقطعٌ لا يصلح للاحتجاج به».اهـ

وهو باطلٌ من وجوه:

١- ادعاؤه أنَّ الحديث خلت منه جميع كتب السُّنَّة مع أنه موجودٌ في "طبقات ابن سعد"، و"مسند الحرث"، و"مسند البزَّار"، و"تاريخ ابن النجار"، و"بغية الباحث لزوائد مسند الحرث"، و"مجمع الزوائد" كلاهما للحافظ الهيثميِّ، و"الشفا" للقاضي عياض، و"القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع" للحافظ السخاويِّ، و"الجامع الصغير" و"الجامع الكبير" و"الخصائص الكبرى" الثلاثة للحافظ السيوطيِّ، و"طرح التثريب" للحافظ العراقيِّ، و"شرح البخاري" للقسطلانيِّ، و"كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال" لابن المتقي الهندي وغيرهم، أليست هذه من كتب السُّنَّة؟!

٢- ادعاؤه أنَّ الحاكم يروي ما هبَّ ودبَّ، وهو معذورٌ في هذا الادِّعاء لأنه لم يقرأ "المستدرك" ولا رآه بعينه ولا عرف ما فيه من الأحاديث ولا قيمتها في نظر الحُفَّاظ، وإنما سمع كما يسمع العامَّة أنَّ الحاكم روى أحاديث ضعيفةً وموضوعةً فأخذه على عِلَّاته وزاد عليه أنه يروي ما هبَّ ودبَّ؛ ليوهم

بذلك أنَّ الحديث في نهاية الغرابة، وهيهات أن يرد الحديث الصحيح بمثل هذه التمويهات.

٣- قوله: «ومع هذا فالذي رواه وقفه على بكر بن عبدالله المزني...» وهو خطأ مركَّبٌ على خطأ، فإنَّ مثل هذا لا يُسمَّى موقوفًا ولا يمكن أن تنطبق عليه حقيقة الموقوف بحالٍ من الأحوال، إنما تنطبق عليه حقيقة المرسل لا غير، ولكنه فيما يظهر سمع أنَّ عند المُحدِّثين شيئًا يسمُّونه الموقوف فراح يطبِّقه على كلِّ ما هبَّ ودبَّ، ثُمَّ إنَّ بين قوله: «ومع هذا فالذي رواه...» وقوله: «خلت منه جميع كتب السُّنَّة» تناقضًا لا يخفى.

٤- قوله: «ومع ذلك لم يذكر فيه الصحابيَّ أحدٌ مِن رواة السُّنَّة لا في صحيح الكتب ولا في ضعيفها» وأنت خبيرٌ ممَّا تقدَّم أنَّ الحديث وصله البزَّار من حديث ابن مسعودٍ بإسناد صحيح، ورواه الحرث وغيره من حديث أنس بإسنادين ضعيفين.

ثُمَّ ارتقى في الطعن من هذه الإطلاقات الكاذبة التي ظنها غايةً في التحقيق إلى وجهٍ آخر يساويها في البطلان أو يزيد فقال: «ومما يدل على بطلان هذا الحديث معارضته للحديث الصحيح» ثُمَّ ذكر حديث الحوض الذي ذكره السائل، وهذا ممَّا زادني دلالة على أنَّ الرجل يتكلَّم من غير علمٍ ويهرف بما لا يعرف.

وذلك أنَ حديث الحوض ذكر البخاريُّ الجواب عنه عقب روايته له، فروى عن شيخه قبيصة بن عقبة في الجماعة الذين يذادون عن الحوض قال: «هم المرتدُّون الذين ارتدُّوا على عهد أبي بكرٍ فقاتلهم أبو بكرٍ رضي الله عنهم» ورجَّح هذا أبو الوليد الباجي، والقاضي عياض، وغيرهما.

ويؤيِّده قوله في الحديث: «**إنهم لم يزالوا على أعقابهم مرتدِّين**».

وحديث أمِّ سلمة: «**إنَّ مِن أصحابي مَن لا يراني بعد أن أفارقه**». رواه أحمد، وابن عبدالبر في ترجمة ابن عوف من "الاستيعاب" بأسانيد بعضها صحيحٌ.

والحاصل: أنَّ حديث الحوض خاصٌّ بالصحابة الذين لم يراعوا شرف الصحبة فبدَّلوا وغيَّروا وأتوا العظائم بعد انتقال النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى الرفيق الأعلى فتقطَّعت بينهم وبينه الأسباب، ولم يكن لعرض أعمالهم عليه حينئذٍ فائدةٌ؛ لأنه لا يستغفر للمرتدِّين ومَن على شاكلتهم، ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣].

فلهذا خفي عليه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حالهم ودعاهم إلى الحوض ظنًّا منه أنهم لا زالوا على الحال التي فارقهم عليها، فلما أخبر بتبديلهم قال: «**سُحْقًا لمن بدَّل بعدي سُحْقًا سُحْقًا**». هذا وجهٌ من الجمع بين الحديثين وهناك وجوهٌ أخر تركناها خوف الإسهاب.

حديث: «ما مَن أحدٍ يُسَلِّمُ عليَّ عند قَبْرِي...»

س١٨٢- حديث: «**ما مَن أحدٍ يُسَلِّمُ عليَّ عند قَبْرِي إلَّا رَدَّ اللهُ عليَّ رُوحي حتَّى أردَّ عليه السلام**» هل هو صحيحٌ أم ضعيف أيضًا؟ وإذا كان الأول فهل هو خاصٌّ برسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أم هو عامٌّ بصالحي المؤمنين؟

ج١٨٢- وأمَّا حديث: «**ما مِن أحدٍ يُسَلِّم عليَّ**[1]... إلخ» فهو حديثٌ

---

(١) يلاحظ أنَّ في السؤال زيادة: «عند قبري» ولم تثبت هذه الزيادة في شيءٍ من الطرق. وإن عزاها ابن قدامة إلى "مسند أحمد"، فهو خطأ منه رحمه الله تعالى.

صحيحٌ أيضًا أخرجه أحمد، وأبو داود، والطبرانيُّ، والبيهقيُّ، وغيرهم عن أبي هريرة رضي الله عنه، ورجال إسناده محتجٌّ بهم في الصحيحين وإن كان في بعضهم كلامٌ فهو غير ضارٍّ، ولذلك صحَّحه النوويُّ في "الأذكار" والسبكيُّ في "جزء الزيارة" وغيرهما، وقال الحافظ: «رجاله ثقاتٌ».

والعجب من الحافظ السخاويِّ حيث اقتصر على تحسينه ونازع هؤلاء في الحكم بالصحَّة بأنَّ: «في سنده يزيد بن قُسَيْط وقد تفرَّد به وهو يمنع من الجزم بصحَّته لأن فيه مقالًا».

وأعجب منه قول الحافظ ابن عبدالهادي المقدسي: «إنَّ إسناده مقاربٌ صالحٌ أن يكون متابعًا لغيره».اهـ

وهو تعنُّتٌ شديدٌ وتعسُّفٌ غير مرضٍ، فالحقُّ ما قدَّمناه مِن أنَّ الحديث صحيحٌ، ولو كان عندنا ثمَّة وقتٍ وفراغ بالٍ لبينَّا بطلان كلام السخاويِّ وابن عبدالهادي ومَن نحا نحوهما بناصع الحُجَّة وواضح البرهان، ولعل لنا إلى ذلك عودة إنشاء الله تعالى.

وأمَّا ردُّ السلام هل هو خاصٌّ بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أو عامٌّ لصالحي المؤمنين؟

فالجواب: أنَّ الخاصَّ بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم هو ردُّ السلام على كلِّ مَن سلَّم عليه سواء أكان في المشرق أم في المغرب أم في أي جهةٍ من جهات الأرض، وأمَّا ردُّ السلام على مَن سلَّم عند القبر فهو عامٌّ؛ لما ورد في أحاديث أنَّ المؤمن إذا زار قبر صديقه فسلَّم عليه عرفه وردَّ عليه السلام واستأنس به مادام جالسًا عنده.

سؤال عن حديث عَكَّاف بن وداعة

س١٨٣- وورد كتاب من صفاقس يسأل فيه صاحبه الطالب الشيخ صادق علي الحمامي عن حديث عَكَّاف بن وداعة الواقع في إحدى خطب صديقنا فضيلة الأستاذ محمود خليفة المنشورة بالعدد ٤٦ من السنة الثانية للمجلة فطلب مني فضيلة الأستاذ المذكور أن أجيب عنه.

ج١٨٣- وتلبية لطلبه أقول: روينا في "مسند أبي يعلى" قال: حدثنا أبو طالب عبدالجبار بن عاصم: ثنا بقية بن الوليد، عن معاوية بن يحيى، عن سليمان بن موسى، عن مكحول، عن غضيف بن الحرث، عن عطية بن بسر المازنيِّ قال: جاء عَكَّاف بن وداعة الهلاليُّ إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال له رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يا عَكَّاف ألك زوجةٌ؟**» قال: لا. قال: «**ولا جارية؟**» قال: لا. قال: «**وأنت صحيحٌ مُوسِرٌ**». قال: نعم. قال: «**فأنتَ إذًا مِن إخوان الشياطين، إمَّا أن تكون مِن رهبان النصارى فأنت منهم، وإمَّا أن تكون مِنَّا فاصنع كما نصنع، وإنَّ مِن سُنَّتنا النِّكاح، شِراركم عُزَّابكم، ويحك يا عَكَّاف تزوَّج**». فقال عكاف: يا رسول الله لا أتزوَّج حتَّى تزوِّجني مَن شئت. فقال: «**قد زوَّجتك على اسم الله والبركة كريمة** -وفي رواية: **زينب- بنت كلثوم الحميرية**».

وهكذا رواه ابن منده وابن السكن من طريق بقية بهذا الإسناد، إلَّا أنَّ الأخير قال: عن عطية بن بسر عن عَكَّاف بن وداعة فهو على هذا من رواية صحابيٍّ عن صحابيٍّ.

ورواه العقيليُّ من طريق الوليد بن مسلمٍ، عن معاوية بن يحيى، عن سليمان بن موسى، عن مكحول، عن عطية بن بسر به. ولم يذكر غضيف بن الحرث.

ورواه أشعث بن شعبة، عن معاوية بن يحيىٰ، عن رجلٍ من بجيلة، عن سليمان بن موسىٰ به.

ورواه الطبرانيُّ في "مسند الشاميين"، والعقيليُّ من طريق برد بن سنان، عن مكحول، عن عطية بن بسرٍ، عن عَكَّاف بن وداعة الهلاليِّ به.

وروىٰ بن شاهين من طريق محمد بن عبدالرحمن السلماني، عن أبيه، عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لعكَّاف الهلاليِّ: «يا **عَكَّاف ألك زوجةٌ**». قال: لا... الحديث. وكلُّ هذه الطرق فيها ضعفٌ واضطرابٌ كما لا يخفىٰ علىٰ خبيرٍ بصناعة الإسناد.

ثُمَّ وجدت طريقين آخرين شاذَّين:

١- قال أحمد: ثنا عبدالرزَّاق، عن محمد بن راشدٍ، عن مكحولٍ، عن غضيف بن الحرث، عن أبي ذَرٍّ قال: جاء عَكَّاف بن بشر التميميُّ إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم... وذكر الحديث.

٢- قال الديلميُّ: أنبأنا حميد بن نصر: أنا عبدالرحمن بن عمرو: حدَّثنا إسماعيل بن الحسين بن عبدالله الصرصريُّ: ثنا أبو القاسم عمر بن محمد بن أحمد بن هارون العطار: ثنا عليُّ بن داود القنطريُّ: ثنا سعيد بن سليمان الزُبَيْديُّ -بالتصغير-: حدَّثني عمر بن الصبيح، عن بسر بن عطاءٍ، عن ابن عبَّاسٍ بمثل حديث أبي ذَرٍّ.

هذا طريقان غريبان جدًّا وفيهما مخالفةٌ كبيرةٌ للطرق السابقة والآفة في الطريق الأول منهما محمد بن راشد كما صرَّح به الحافظ، وفي الثاني عمر بن الصبيح علىٰ ما أظن. وبالجملة فالحديث ضعيفٌ مضطربٌ والله سبحانه وتعالىٰ أعلم.

هل ماورد في الصلاة خلف الفاسق صحيح

س١٨٤- وسألته عن صحَّة حديث الصلاة خلف الفاسق.

ج١٨٤- فأجاب سيادته بما نصُّه: وأمَّا حديث: «**صلُّوا خَلْفَ كلِّ بَرٍّ وفاجِرٍ**». فرواه الدارقطنيُّ في "السنن"، عن أبي هريرة عن، النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**سيَليكُمْ مِن بعدي ولاةٌ، البَرُّ ببرِّه والفاجر بفُجُورِهِ، فاسمعوا له وأطيعوا فيما وافقَ الحَقَّ، وصَلُّوا وراءهم، فإن أحسنوا فلكم ولهم، وإن أساؤوا فلكم وعليهم**». وهو حديثٌ ضعيفٌ.

وروىٰ أبو داود في "السنن"، عن أبي هريرة أيضًا، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**الجهادُ واجبٌ عليكم مع كلِّ أميرٍ برًّا كان أو فاجرًا، والصلاة واجبةٌ على كلِّ مسلمٍ برًّا كان أو فاجرًا وإن عمل الكبائر**».

وهو ضعيفٌ أيضًا.

وروىٰ الدارقطنيُّ من حديث أبي هريرة أيضًا بلفظ: «**صَلُّوا خَلْفَ كلِّ بَرٍّ وفاجِرٍ، وصَلُّوا على كلِّ بَرٍّ وفاجِرٍ، وجاهدوا مع كلِّ بَرٍّ وفاجِرٍ**». وهو حديثٌ ضعيفٌ أيضًا.

الاستتار عند الجماع

س١٨٥- وسألته عن صحة قول السيدة عائشة رضي الله عنها: «ما رأيت منه ولا رأىٰ مني».

ج١٨٥- فأجاب سيادته بقوله: وحديث عائشة: «ما رأيت منه ولا رأىٰ مني» صحيحٌ، وكان اغتساله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بمئزرٍ سواء كان وحده أم مع زوجته.

بيان عورة المرأة

س١٨٦- وسألته عن صحَّة حديث دخول السيِّدة أسماء بنت أبي بكرٍ رضي الله عنها بثيابٍ رقاقٍ على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؟

ج١٨٦- فأجاب سيادته قائلا: عن عائشة رضي الله عنها أنَّ أسماء بنت أبي بكرٍ دخلت على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وعليها ثيابٌ رِقاقٌ فأعرض عنها رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وقال: «**يا أسماء إنَّ المرأةَ إذا بَلَغَتْ المحيضَ لم يصح أن يُرَى منها إلَّا هذا وهذا**». وأشار إلى وجهه وكفَّيه، رواه أبو داود، وقال: هذا مرسلٌ وخالد بن دريك -يعني الراوي عن عائشة- لم يدرك عائشة.

وروى الطبرانيُّ في "الكبير" و "الأوسط"، عن أسماء بنت عميسٍ، قالت: «دخل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يومًا على عائشة وعندها أختها أسماء وعليها ثيابٌ شاميةٌ واسعة الأَكِمَّة، فلما نظر إليها رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قام فخرج، فقالت لها عائشة: تنحِّي، فقد رأى منك رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أمرًا كَرِهَهُ، فتنحَّت فدخل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فسألته عائشة لِمَ قامَ، فقال: «**ألم تَرَيْ إلى هيئتها؟ إنه ليس للمرأة المُسلِمَةِ أن يَبْدُو منها إلَّا هكذا**». وأخذ كُمَّيْه فغطَّى بهما ظهر كفَّيه حتَّى لم يبد مِن كفَّيه إلَّا أصابعه، ثُمَّ نصب كفَّيه على صدغيه حتى لم يبد إلَّا وجهه.

قال الحافظ الهيثميُّ: «فيه ابن لَهيعة وحديثه حسنٌ، وبقية رجاله رجال الصحيح».اهـ

وعلى هذا يكون ستر المرأة لوجهها إذا خيفت الفتنة كما يقول الفقهاء

بطريق القياس والنظر في حكمه ووجوب احتجاب سائر جسمها.

معنى حديث: «مَن عَشِقَ فعَفَّ»

س١٨٧: وسألته عن معنى حديث: «**مَن عَشِقَ فعَفَّ**»، هل هو خاصٌّ بالنِّساء أم لا؟ وإذا كان الحديث صحيحًا فإنه يفيد جواز النظر إلى النِّساء ومُجالستهنَّ؛ لأنه لا يكون عِشْقٌ إلَّا بعد تقدُّم أسباب ذلك مِن النظر والمجالسة؟

ج١٨٧- فأجابني سيادته بما نصُّه: وحديث: «**مَن عَشِقَ فعَفَّ فكَتَمَ فماتَ ماتَ شَهيدًا**». مُتكلَّمٌ فيه من جهة راويه سويد بن سعيدٍ، لكنه لم ينفرد به بل له طريقٌ آخر صحيحٌ، ولأخي السيِّد أحمد فيه رسالة اسمها "دَرْءُ الضَّعْف عن حديث مَن عَشِقَ فعَف".

وعلى فرض صحَّته فالمراد به عشق النساء وليس في ذلك إشكالٌ، ومعناه: مَن عشق امرأةً فعَفَّ عن قربانها في الحرام، بأن منع نفسه من التمتُّع بها فكَتَمَ الحديث عنها والتغزُّل فيها، فمات مات شهيدًا؛ لأنه جاهد نفسه وهواه وكبح جماحَ شهوته، وممَّا يُزيل الإشكال عنك حديث: "الصحيحين" في السبعة الذين يُظلُّهم اللهُ في ظِلِّه، فذكر منهم: «**ورَجُلٌ دَعَتْهُ امرأةٌ ذات مَنْصِبٍ وجَمالٍ فقال: إنِّي أخافُ اللهَ**».

وحديث: "الصحيحين" في الثلاثة الذين وقعت عليهم الصخرة في غارٍ فتوسَّلوا بصالح أعمالهم، وأحدهم توسَّل بأنه كان يحب ابنة عمٍّ له حتَّى إذا تمكَّن منها تركها لله.

وحديث: الكفل من بني إسرائيل وهو حديثٌ صحيح أيضًا.

بل في القرآن الكريم مدح الله يوسف عليه السلام على امتناعه عن قربان المرأة مع ميله إليها فقال: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾[يوسف: ٢٤].

والحديث لا إشكال فيه ولكن يتوقَّف على فهم معنى عَفَّ، ومعناها: أنه كَفَّ عن مكالمة المعشوقة والنظر إليها ومجالستها؛ لأن ذلك كله حرامٌ وزنًا كما سمَّاه الشارع، ومعنى «كَتَم» أنه لا يتغزَّل في محاسن معشوقته؛ لأن ذلك حرامٌ أيضًا، أمَّا أن يخبر بأنه يُحبُّها فيجوز بشرط ألَّا يعود بضررٍ عليها بأن يصل خبر حبِّه إلى زوجها أو أبيها مثلًا فهذا أيضًا حرامٌ بلا نزاع.

والحاصل: أنَّ مَن عَشقَ امرأةً وكافح نفسه، فلم يتصل بالمعشوقة ولا جالسها ولا تغزَّل فيها ومات على ذلك كان شهيدًا، فإن اختلَّ شرطٌ مِن ذلك لم يكن شهيدًا بل يكون عاصيًا بقدر فعله مِن كلامٍ أو جلوسٍ... إلخ، وحتى لو تابَ فإنَّ اللهَ يتوب عليه لكن لا يكون شهيدًا.

حكم الوعظ بأحاديث موضوعةٍ

س١٨٨- وسُئل رضي الله عنه: عن حكم الوعظ بأحاديث موضوعةٍ؟

ج١٨٨- فأجاب رضي الله عنه: ذلك الواعظ الذي يعظ بأحاديث موضوعة لا ثواب له في وعظه، بل يجب منعه من الوعظ كما أفتى به البخاريُّ وغيره، وللحافظ السيوطيِّ كتاب "تحذير الخواص مِن أكاذيب القُصَّاص" وهو مفيدٌ في هذا الباب، والقُصَّاص هم الوُعَّاظ.

حكم اختلاط الرجال والنِّساء

س١٨٩- وسئل رضي الله عنه عن حديث دعوة الفارسي للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم والسيِّدة عائشة هل يفيد جواز اختلاط الرجال والنِّساء؟

ج١٨٩- فأجاب سيادته بما نصُّه: حديث دعوة الفارسيِّ للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رواه مسلمٌ في "صحيحه" عن أنسٍ، وكان الفارسيُّ جارًا للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم. وهو لا يدل على جواز الاختلاط بين الرجال والنِّساء، فعائشة جلست مع امرأة الفارسيِّ ولم تقعد مع الرجال، ولا مانع أن يذهب الرجل بزوجته إلى دعوة أحد أصدقائه، فتقعد الزوجة مع النِّساء، ويقعد الزوج مع صاحب المنزل، أمَّا أن تقعد المرأة مع الرجال فهذا ليس في الحديث ما يدل عليه، والله تعالى يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْئَلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣] فكيف يعقل بعد هذه الآية أن يُخرج النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم زوجته ويُجلسها مع الرجل؟

وحديث دعوة أبي أسيد الساعدي للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وتقديم زوجته الطعام وهي عروسٌ، رواه البخاريُّ عن سهل بن سعدٍ، قال الحافظ ابن حجرٍ: «في الحديث جواز خدمة المرأة زوجها ومن يدعوه، ولا يخفى أن محل ذلك عند أمن الفتنة ومراعاة ما يجب عليها مِن الستر».اهـ

فامرأة أبي أسيد كانت مُتحَجِّبةً بالحجاب الشرعيِّ، ولو كانت مُتبرِّجةً لنهاها النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؛ لأنه لا يسكت على باطلٍ، ولا يُقرُّ على معصيةٍ.

والذي أثار الكلام في هذين الحديثين هو الشيخ الباقوري في "مجلة العربي" وردَّ عليه دكتور شامي اسمه حسن هويدي في "مجلة الحضارة الإسلامية" ردًّا قويًا أظهر جهل الباقوريِّ.

الأحاديث الواردة في ذَمِّ المُكُوس

س١٩٠- وسألته عن الأحاديث الواردة في ذَمِّ المُكُوس؟

ج١٩٠- فقال سيادته: والأحاديث في ذَمِّ المُكُوس كثيرةٌ، منها الأحاديث الواردة في فضل ليلة النصف من شعبان: «**إنَّ ممَّن لا يَغْفِر الله له فيها العشار**» وهو المكاس، وأخذ العشور من الأجانب جائزٌ، وصفة المكوس أن تعين الحكومة حرَّاسًا على الأسواق والميناء ونحوهما يأخذون على البضاعة مبلغًا تفرضه الحكومة بنسبةٍ معينةٍ، وأخذه من المسلمين حرامٌ؛ لأن المسلم لا يجب عليه في ماله إلَّا الزكاة والنفقة على أهله ودابَّته، والضيافة إذا نزل به ضيفٌ لمدَّة ثلاثة أيام.

تجريد "صحيح البخاري" من الأسانيد

س١٩١: هل يوجد تجريد لأحاديث "صحيح البخاريِّ" من الأسانيد؟

ج١٩١- تجريد "صحيح البخاريِّ" من الأسانيد موجودٌ ومطبوعٌ بمصر، واسمه "التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح" للحسين ابن المبارك الزبيديِّ، وشرحه الشيخ عبدالله الشرقاويُّ، وشرحه مطبوعٌ بمصر أيضًا ومُقرَّرٌ بالجامع الأزهر، وابن أبي جمرة جرَّد أسانيد ثلاثمائة حديثٍ من البخاريِّ وشرحها في أربعة مجلَّدات، وشرحه مطبوعٌ بمصر، ولصديقنا المرحوم الشيخ

مصطفى عمارة كتاب "جواهر البخاري" جرَّد فيه نحو ٧٠٠ حديث من البخاري وهو مطبوعٌ أيضًا.

حديث مكذوب، وبيان بعض مظان الأحاديث الموضوعة

س١٩٢- وسمعت خطيبًا ليلة الإسراء والمعراج يذكر أنَّ الله تعالى فوَّض النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في أن يُدخلَ مَن يشاء الجنَّةَ ومَن يشاء النَّارَ، وأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أخبر بأنه لن يدخل الجنَّة مَن لم يُصَلِّ عليه، فذكرت ذلك لسيادته؟

ج١٩٢- فقال ما نصُّه: وذلك الحديث الذي ذكره الخطيب ليلة الإسراء والمعراج مِن أقبح الكذب وأسمجه، بل هو أقرب إلى الكفر كما ذكرت، ومصدر هذه الأحاديث المكذوبة:

١- "نزهة المجالس" للصفوري.

٢- "الروض الفائق" للحريفيش.

٣- "الكنز المدفون" المنسوب للسيوطيِّ.

٤- "مفيد النعم ومبيد النقم" للخوارزميِّ.

٥- "مشارق الأنوار" للشيخ حسن العدويِّ.

٦- "التحفة المرضية".

٧- "دقائق الأخبار".

٨- "نور الأبصار" للشَّبَلَنْجيِّ.

٩- "خزينة الأسرار" لحقي النازلي.

١٠- "فضل الصلاة على النبي" للهاروشي، وكتابٌ مثله أيضًا للشيخ عظّوم القيرواني.

١١- "قصة المعراج" المنسوبة لابن عبَّاسٍ.

١٢- "قصة المعراج" لنجم الدين الغيطي.

١٣- "قصة المعراج" للدردير.

فهذه الكتب وأمثالها ملأى بالموضوعات، وهي مستند الخطباء والوعَّاظ.

نقد كتاب "الأضواء القرآنية"

س١٩٣- وأرسلت لسيادته كتاب "الأضواء القرآنية" الذي أنكر فيه مؤلِّفه (٢٠٠) حديثًا من "صحيح البخاريِّ".

ج١٩٣- فكتب إلى سيادته ما نصُّه: وصل كتاب "الأضواء القرآنية" وصاحبه جاهلٌ جريءٌ، وهو أقبح من الوهَّابية؛ لأنهم لا ينكرون المعراج ولا أحاديث "البخاري"، وهو لا يستند في إنكاره على قواعد علميَّة وإنما يستند على مخِّه، مع جهله بأبسط الأشياء.

فأول حديثٍ أنكره حديث محاولة إلقاء النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نفسه من الجبال عند فترة الوحي، وهذه المحاولة ذكرها الزهريُّ بلاغًا كما في "البخاري" فهي منقطعةٌ ضعيفةٌ.

وعلى فرض صحَّتها فإنَّ الانتحار لم يكن حرامًا في ذلك الوقت وإنما حُرِّم بعد الهجرة.

وعلى فرض حرمته قبل البعثة فمَن حرَّمه؟ والنبيُّ صلَّى الله عليه وآله

وسلَّم مكث بمكة ثلاث عشر سنة يدعو إلى التوحيد فقط، ولم تأتِ الشريعة بالتحريم والإيجاب إلَّا بعد الهجرة كما هو معروفٌ، والنبيُّ معصومٌ من فعل المعصية لا مِن الهمِّ بها، قال الله تعالى في حقِّ يوسف: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: ٢٤].

فالنبيُّ يهمُّ بالمعصية تحقيقًا لبشريَّته، لكن لا يفعلها تحقيقًا لنبوَّته، ولو لم يهم بالمعصية لم يكن بشرًا ولم يكن له فضلٌ في ترك المعصية، وإنما الفضل لمن يهم بها ثُمَّ يتركها، ولذلك مدح الله يوسف عليه السلام لأنه ترك المعصية بعد همِّه بها.

وقال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦]لأنه قاوم الشيطان ونفسه، والصبر عن المعصية أكثر ثوابًا من الصبر على الطاعة وعلى المعصية.

والخلاصة: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يهمُّ بالمعصية لكن لا يعزم عليها فضلًا عن عملها، والهمُّ غير مؤاخذ به إطلاقًا لا النبي ولا غيره.

القواعد التي يعرف بها وضع الحديث

س١٩٤- وسألت سيادته عن القواعد التي يُعرف بها وضع الحديث؟

ج١٩٤- فأجاب سيادته بما نصُّه: والقواعد التي يعرف بها وضع الحديث كثيرةٌ:

منها: أن يكون فيه مبالغةٌ في الثواب أو العقاب على عملٍ قليلٍ، أو مَن قال كذا...، خَلَقَ اللهُ مِن قوله مَلَكًا، أو أعطاه الله ثواب سبعين صِدِّيقًا، أو لقي اللهَ قبل الأنبياء.

ومنها: وروده في فضل الأطعمة مثل: «الباذنجان لما أكل له». «قُدِّس

العدس على لسان سبعين نبيًّا».

ومنها: أن يكون معارضًا لآيةٍ أو حديثٍ صحيحٍ.

تخريج حديث: «ما طُفِئَ المِصباحُ على قومٍ إلَّا غُفِرَ لهم»

س١٩٥- وسُئل عن صحَّة حديث: «ما طُفِئَ المِصْباحُ على قومٍ إلَّا غُفِرَ لهم»؟

ج١٩٥- فأجاب: وحديث: «ما طُفِئَ المِصباحُ على قومٍ إلَّا غُفِرَ لهم». موضوعٌ لا أصل فيه، وفيه من علامات الوضع اشتماله على الثواب الكبير على ما ليس بعملٍ.

نعم، روى أبو داود في "المراسيل" عن عمران القصير قال: «طُفِئَ مصباحُ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فاسترجع -أي قال: «إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون»- فقالت عائشة: إنَّما هذا مصباحٌ. فقال: «**كلُّ ما سَاءَ المُؤمِنُ فهو مُصِيبَةٌ**».

وروى ابن أبي الدنيا في كتاب "العزاء" عن عكرمة، قال: «طُفِئَ مِصباحُ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون**». فقيل: يا رسول الله أمصيبةٌ هي؟ قال: «**نعم، وكلُّ ما يُؤذى المؤمِنَ فهو مُصِيبَةٌ له وأَجْرٌ**».

وروى ابن أبي شيبة، والبيهقيُّ في "الشعب" عن عمر، أنه انقطع شِسْعُهُ فقال: إنَّا لله وإنا إليه راجعون. فقيل له: مالك؟ قال: انقطع شِسْعِي فساءني، وما ساءك فهو لك مصيبةٌ.

وروى الطبرانيُّ بإسنادٍ ضعيفٍ عن أبي أُمامة: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم انقطع شِسْعُهُ فاسْتَرْجَعَ، فقال له رجلٌ: هذا الشِّسْعُ؟ فقال: «**إنَّها مُصيبةٌ**».

معنى حديث المرأة التي لا ترد يد لامس

س١٩٦- وسُئل رضي الله عنه: عن معنىٰ حديث المرأة التي لا ترد يد لامس؟

ج١٩٦- فأجاب رضي الله عنه: الرجل الذي أخبر بأن امرأته لا ترد يد لامس لم يقصد الزِّنا؛ لأنه لو قصده لوجب اللعان أو الحد، ولم يحصل ذلك، وإنما قصده أنها متساهلةٌ لا تمنع لمس جسمها، أمَّا إذا تحقَّق زناها فلابد مِن فراقها.

حديث: «الدنيا جيفة وطلابها كلاب»؟

س١٩٧- وسُئل رضي الله عنه: عن صحة حديث: «الدنيا جيفة وطلابها كلاب»؟

ج١٩٧- فأجاب رضي الله عنه: قولهم: «الدنيا جيفة وطلابها كلاب». ليس بحديث.

معنى: «عبث النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في منامه»

س١٩٨- وسألت فضيلته عن معنىٰ قول السيدة عائشة رضي الله عنها: «عَبَثَ النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في مَنامِهِ».

ج١٩٨- فأجاب سيادته بما نصُّه: أمَّا حديث عائشة: «عَبَثَ النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في مَنامِهِ... إلخ».

فمعنىٰ «عبث» فيه أنه حرَّك يده كالآخذ لشيءٍ أو الدافع لشيءٍ، وهذا لما يرىٰ النائمُ أنه يأخذ شيئًا عن أحدٍ مثلًا فيمد يده لذلك الشيء فيقال عبث في منامه، أي: فعل فعلًا لا فائدة له فيما يرىٰ المُستيقِظ وإن كان النائم فَعَلَه لباعثٍ وداعٍ.

هل صحَّ أنَّ أحد الأنصار تطاول على العبَّاس رضي الله عنه بالسبِّ؟

س١٩٩- هل صحَّ أنَّ أحد الأنصار تطاول على العبَّاس رضي الله عنه بالسبِّ؟

ج١٩٩- أمَّا حديث تلاحم العباس والأنصاري ففي حفظي أن الحافظ الهيثمي استنكره -أي عده منكرًا- لمواجهة العباس لما يؤلم، مع أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان يحترم العباس ويُجِلُّه، وكان يرى له ما يرى الولد للوالد، كما قال عمر؛ فالحديث مُنكَرٌ من هذه الناحية وقد احتطت في كلامي عليه حيث قلت: «إسناده على شرط الحسن، ولم أقل إسناده حسنٌ». وبين العبارتين فرقٌ لا يخفى على أهل الصنعة.

تقبيل قدم النبي ﷺ

س٢٠٠- وأنكر أحد السبكيين ما ورد في تقبيل قدم رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فسئل فضيلته عن ذلك.

ج٢٠٠- فرد سيادته عليه بما نصُّه: وما أنكره ذلك السبكيُّ جائزٌ غير مُستنكَر، فقد ثبت في حديث وفد عبدالقيس عن زارع -أحد رجال الوفد- قال: «لَمَّا قَدِمْنا المدينةَ جعلنا نُبادِرُ مِن رَواحِلنا فنُقَبِّل يدَ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ورِجْلَيْهِ». رواه أبو داود، والبخاريُّ في "الأدب المفرد" وغيرهما، وهو حديثٌ جيِّدٌ كما قال الحافظ ابن حجرٍ في " فتح الباري".

وعن بريدة أنَّ أعرابيًّا أتى النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: «يا رسول الله إنِّي قد أسلمتُ فأمر لي بشيء أزدد به يقينًا قال: «ما تُريد؟» قال: ادعُ تلك

الشجرة فلتأتك، قال: «**اذهبْ إليها فادْعُها**». فذهب إليها فقال: أجيبي رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فمالت فقطعت عروقها حتى أتت النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقالت: السلام عليك يا رسول الله، فقال: حسبي، فمُرْها فلترجع. فرجعت، فدلَّت عروقها في ذلك المكان. فقال: ائذن لي أن أُقبِّل رأسك ورِجْلَيْكَ. فأذن له. ثُمَّ قال: ائذن لي أن أسجد لك. قال: «**لا يَسْجُدُ أحدٌ لأحدٍ، ولو كنتُ آمِرًا أحدًا أن يَسْجُدَ لأحدٍ لأمرتُ المرأةَ أن تَسْجُدَ لزَوْجِها تَعْظِيمًا لحَقِّهِ**». صحَّحه الحاكم، وسلَّمه الذهبيُّ، وصحَّحه العراقيُّ في "تخريج أحاديث الإحياء". وروى البخاريُّ في "الأدب المفرد" أنَّ عليًّا قبَّل يد العبَّاس ورِجْلَهُ.

فقل لذلك السبكيِّ: إنَّ تقبيل الرِجْل غير ممنوعٍ ولا قبيحٍ، ولكن الممنوع والقبيح شرعًا وعرفًا هو البخل المنافي للإيمان، فما اجتمع إيمان وبخل في قلب أبدًا، والله تعالى يقول: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]. والسبكيون لم يوقوا شح أنفسهم فهم غير مفلحين بدلالة القرآن، ولا تجد عندهم مروءة ولا نجدة ولا شهامة بل هم بخلاء جبناء حريصون على جمع المال بأي طريق.

الحكمة في مخاطبة جبريل النبي ﷺ باسمه مجرَّدًا

س٢٠١- وكتب فضيلته يسأل: لماذا خاطب جبريل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم باسمه مُجَرَّدًا؟

ج٢٠١- فأجابه سيادته بما نصه: أمَّا قول جبريل عليه السلام: «يا محمد» ففيه احتمالان:

أحدهما: أنه أراد مبالغة التعمية على الصحابة فيعتقدون أنه من جفاة الأعراب، بل عمي على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أيضًا، فقد ثبت في بعض روايات الحديث في آخره قوله عليه الصلاة والسلام: «**جبريل أتاكُم يُعَلِّمُكُمْ دِينكُم، وما أتى في صورةٍ إلَّا عَرَفْتُهُ فيها إلَّا في هذه**». وهذا واضحٌ.

ثانيهما: أنَّ جبريل فعل ذلك إدْلالًا؛ لأنَّ له دالة الشيخ إذ لم يأتِ مُتعلِّمًا وإنما أتى مُعَلِّمًا ويدل على هذا من لفظ الحديث أمور:

١- أنه قال: فجلس إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ولم يقل: فجلس بين يديه كما هو شأن المُتعلِّم مع أستاذه.

٢- أنه وضع يده على ركبتي النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وفخذيه كما جاء صريحًا في رواية البزَّار.

٣- أنه قال له: «صدقت» عقب الجواب، وهو يدل على أنه كان عالمًا بالجواب، فكان قوله: «يا محمد» مِن تمام الدالة.

وجواب آخر: وهو أنَّ النهي عن دعائه باسمه المُجرَّد لا يشمل الملائكة بل هو متوجِّهٌ للآدميين الذين يقصد بعضهم من ذلك التنقيص أو عدم الاعتراف له بالرسالة أو نحو ذلك مما لا يمكن صدوره ولا قصده من الملائكة.

معنى أن تلد الأَمَةُ رَبَّتها

س٢٠٢- كيف أخبر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بأن من علامة الساعة أن تلدَ الأمَةُ رَبَّتها، وهذا أمرٌ غير موجودٍ في وقتنا الحاضر؟

ج٢٠٢- قوله في آخر الحديث: «**أن تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَها**». فعلى قول مَن فسَّره

بالإماء الشرعيَّات يقال في جوابه: ليس من شرط العلامة أن تستمرَّ ولا تنقطع، بل يكفي في العلامة أن تظهر مرة فيكون ظهورها إيذانًا باختلال الحال، ولا مانع أن تنقرض بعد ذلك؛ لأنه لم يأتِ نصٌّ بدوامها إلى آخر الزمان، بل الأحاديث تفيد أنَّ العلامات تنقرض وتتعاقب، أي يعقب بعضها بعضًا.

سبب كون النساء أكثر أهل النار

س٢٠٣- وأرسل فضيلته يسأل عن الحِكْمة في أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رأى أكثر أهل النَّار النِّساء؟

ج٢٠٣- فأجاب سيادته بما نصُّه: أمَّا حديث اطلاع الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على النار ورؤيته أكثر أهلها النساء... إلخ، فالذي أعرفه أنَّ الحديث مرويٌّ بهذا اللفظ: عن أبي أُمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أريتُ أنِّي دَخَلْتُ الجنَّةَ فإذا أعالي أهل الجنَّةِ فُقراءُ المُهاجرين وذَراري المؤمنين، وإذا ليس فيها أقلَّ مِن الأغنياء، فإنَّهم على الباب يُحاسَبون ويُمَحَّصُون، وأمَّا النِّساءُ فألهاهُنَّ الأحمران الذَّهبُ والحَريرُ...**» الحديث.

رواه أبو الشيخ ابن حَيَّان وغيره بإسنادٍ ضعيفٍ.

ومعناه: أنَّ الأحمرين شغلا النِّساء عن أن يكنَّ من أعالي أهل الجنَّة؛ لأنهنَّ فُتِنَّ بهما عن الإكثار من الطاعة كما فَتَن الأغنياء غناهم.

أمَّا كثرة النِّساء في النار فسببها ما جاء في "الصحيحين" عن ابن عبَّاسٍ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ورأيتُ النَّارَ فَلَمْ أَرَ مَنْظَرًا**

كَاليَوْمِ قَطُّ أَفْظَعَ، ورأيتُ أكثر أهلها النِّساءُ» قالوا: بِمَ يا رسول الله؟ قال: «بكُفْرِهِنَّ» قيل: يَكْفُرن بالله؟، قال: «يَكْفُرنَ العَشيرَ ويَكْفُرنَ الإحْسانَ، لو أحسنتَ إلى إحداهُنَّ الدَّهْرَ كُلَّهُ ثُمَّ رَأَتْ مِنكَ شيئًا قالت: ما رأيتُ مِنك خَيْرًا قَطُّ». والمراد بالعَشِير: الزوج.

وفي حديث جابرٍ ما لفظه: «وأكثرُ مَن رأيتُ فيها -يعني النَّار- مِن النِّساء اللَّاتي إن اؤتمنَّ أَفْشَيْنَ، وإن سُئِلْنَ بَخِلْنَ، وإن سَئَلْنَ ألْحَفْن [1]، وإن أُعْطِين لم يَشْكُرن...».

والحاصل: أنَّ سبب كثرة النِّساء في النَّار ما اشتمل عليه هذان الحديثان من كُفران الزوج وكُفران الإحسان... إلخ.

ومَن دَخَلَ منهنَّ الجنَّة فسبب قصورهن عن الرُّتبة العليا فيها اشتغالهنَّ بالذهب والحرير، وتقصيرهنَّ بسبب ذلك عن الإكثار من الطاعة، ولعل في هذا الجواب كفايةً.

معنى حديث: «تُبَخِّلُون وتُجَبِّنُون»

س٢٠٤- وسأل فضيلته عن معنى حديث: «تُبَخِّلُون وتُجَبِّنُون».

ج٢٠٤- فأجاب سيادته بما نصه: حديث: « تُبَخِّلُون وتُجَبِّنُون». معناه أنَّ الأولاد يحملون آبائهم على البخل والجبن؛ فإنه إذا أراد أن ينفق في خيرٍ قالت نفسه والشيطان: «ولدك أولى بما تعطيه للغير»، فيقبض يده عن الإنفاق ويبخل. وإذا أراد أن يُجاهِدَ أو يقول كلمة حَقٍّ عند أميرٍ مثلًا ذكرته نفسه

---

(١) ألحَفَ في المسألةِ يُلْحِف إلحافًا، إذا ألَحَّ فيها ولزِمَها. النهاية لابن الأثير (٤/ ٢٣٧).

والشيطان بأولاده ويُتْمِهِم بعده فخاف الهلاك وجَبُن.

تخريج حديث: «العلماء ورثة الأنبياء».

س٢٠٥: وكتب فضيلته يسأل هل حديث: «**العُلماءُ وَرَثَةُ الأنبياءِ**» مِن كلام عليٍّ بن أبي طالب؟

ج٢٠٥- فأجاب سيادته بما نصُّه: حديث: «**العلماء ورثة الأنبياء**» ليس من كلام عليٍّ، فقد رواه أبو داود والترمذيُّ وابن ماجه عن أبي الدرداء عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في جملة حديثٍ، وفي سنده انقطاعٌ واضطرابٌ، فهو ضعيفٌ يُعمَل به في الفضائل، بخلاف حديث: «علماء أُمَّتي كأنبياء بني إسرائيل». لا يعمل به في الفضائل كالموضوع، والتفرقة بينهما أمرٌ اصطلاحيٌّ.

حديث في فضل العلم

س٢٠٦- وكتب فضيلته يسأل عن نصِّ حديث أبي الدرداء في فضل العلم؟

ج٢٠٦- فأجاب سيادته بما نصُّه: حديث أبي الدرداء هذا لفظه:

عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فيه عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ له طريقًا إلى الجنَّةِ، وإنَّ الملائكةَ لتَضَعُ أَجْنِحَتَها لطَالِبِ العِلْمِ رِضًا بما يَصْنَعُ، وإنَّ العَالِمَ ليَسْتَغْفِرُ له مَن في السَّمَواتِ ومَن في الأَرْضِ حتَّى الحِيتانُ في الماءِ، وفَضْلُ العَالِمِ على العابِدِ كفَضْلِ القَمَرِ على سَائِرِ الكَواكِبِ، وإنَّ العُلَماءَ ورَثَةُ الأنبياءِ، وإنَّ الأَنْبياءَ لم يُورِّثُوا دينارًا ولا درهمًا إنَّما ورَّثوا العِلْمَ، فمَن أَخَذَهُ أَخَذَ بحَظٍّ وافِرٍ**». رواه أبو داود وابن ماجه والترمذيُّ، وصحَّحه ابن

حِبَّان، وفي سنده اختلافٌ كبيرٌ، وهو على كلِّ حال صالحٌ للعمل به.

«خُذ مِن القرآنِ ما شِئتَ لما شئت» كلامٌ عاميٌّ

س٢٠٧- وسُئل عن حديث: «خُذْ مِن القرآنِ ما شِئتَ لما شئت»؟

ج٢٠٧- فأجاب سيادته بما نصُّه: «خُذْ مِن القرآن ما شِئتَ لما شِئت» ليس بحديثٍ ولا حِكْمَةٍ، ولكنه كلامٌ عاميٌّ.

تخريج حديث: «رجعنا من الجهاد الأصغر..»؟

س٢٠٨- وسئل عن صحَّة حديث: «رجعنا من الجهاد الأصغر..»؟

ج٢٠٨- وحديث: «رجعنا من الجهاد الأصغر... إلخ». قال ابن تيمية: «موضوع». والصواب أنه ضعيفٌ، رواه البيهقيُّ عن جابرٍ، قال: قَفَلْنا مِن تبوك، فلمَّا بدت المدينة، قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «قَدِمْتُمْ خَيْرَ مَقْدَمٍ رَجَعْتُمْ مِن الجِهادِ الأَصْغَرِ إلى الجهادِ الأكبرِ جهادُ العَبْدِ هَواهُ». هذا لفظ الحديث. ويؤيِّده أنَّ جهاد الكفار فرض كفايةٍ، وجهاد الهوى فرض عينٍ، وهو أقوى وأعظم.

الاحتجاج بالقدر

س٢٠٩- وهل صحَّ حديث احتجاج آدم بالقَدَر على موسى بسبب الخطيئة؟

ج٢٠٩- وحديث احتجاج آدم وموسى رواه الشيخان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «احْتجَّ آدمُ وموسى عند ربِّهما، قال موسى: أنت آدمُ الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك مِن رُوحه، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك في جنَّته، ثُمَّ أهبطتَ النَّاسَ بخطيئتك إلى الأرضِ؟!.

فقال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وكلامه، وأعطاك الألواح

فيها تِبيان كلِّ شيءٍ، وقرَّبك نجيًّا، فبكم وجدتَ الله كتب التوراة قبل أن أخلق، قال موسى: بأربعين عامًا، قال آدمُ: فهل وجدت فيها وعصى آدمُ رَبَّهُ فغَوَى، قال : نعم، قال: أفتلومنى على أن عملت عَمَلًا كتبه اللهُ عليَّ أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟!» قال رسول الله: «فحَجَّ آدمُ موسى».

وإنما غلب آدمُ موسىٰ؛ لأنه لامه علىٰ ذنبٍ تاب منه وقبلت توبته: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢٢]والممنوع شرعًا هو أن يحتجَّ الإنسان لتبرير معصيته بالقَدَر من غير أن يتوب منها، كالكفَّار الذين ماتوا علىٰ كفرهم مصرِّين عليه ثُمَّ يقولون يوم القيامة: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨] فلم ينفعهم احتجاجهم.

وأيضًا فإنَّ الاحتجاج بالقَدَر من غير توبةٍ يتضمَّن التكبُّر علىٰ الله بترك التوبة من الذنب، وكيف يتوب مِن أمر يراه مُقَدَّرًا عليه؟

وآدم نبيٌّ مُكَلَّمٌ كما جاء في حديث أبي ذرٍّ، والفرق واضحٌ بين أن يكلِّم الإنسان عدوَّه بغضبٍ وزعلٍ، وبين أن يكلِّم صديقه بلطفٍ وبشاشةٍ.

تخريج حديث: «ما بين قَبْري ومِنْبري...»

س٢١٠- وهل رواية حديث: «ما بين قَبْري ومِنْبري رَوْضَةٌ مِن رياضِ الجنَّة». صحيحةٌ أم لا؟

ج٢١٠- وحديث: «ما بين بيتي ومِنبري روضةٌ مِن رياض الجنَّةِ». هكذا ثبت في "الصحيحين" وغيرهما، ورواية « قبري». ضعيفةٌ، لكن معناها صحيحٌ؛ لأن قبره في بيته.

والنبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان يعلم أنه يموت في المدينة؛ لأن الأنصار تخوَّفوا أن يقعد النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بمكة بعد فتحها ويترك المدينة، فقال لهم صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**المَحْيا محياكُم والمماتُ مماتُكم**». فعرف الأنصار أنه يموت عندهم في المدينة وفرحوا بذلك.

وأخبر صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أنَّ النبيَّ يدفن حيث يقبض، ولذلك حفر الصحابة قبره في بيته.

معنى حديث: «النساء ناقصات عقل ودين»

س٢١١- وسئل عن معنىٰ حديث: «**النِّساء ناقِصاتُ عَقْلٍ ودينٍ**»؟

ج٢١١- وأمَّا حديث: «**النِّساءُ ناقِصاتُ عَقْلٍ ودينٍ**». فليس المقصود به التعيير أو التبكيت، وإنما المقصود الإخبار عن خاصيَّة الجنس النِّسائيِّ فهو مثل قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج: ١٩ - ٢١].

وفائدة هذا الإخبار قطع طمع المرأة عن التطلُّع إلىٰ مناصب الرجال، كالخلافة والإمامة والقضاء ونحو ذلك، والحكم علىٰ المجموع طبعًا.

وفي "الصحيحين" حديث: «**كَمُلَ مِن الرِّجالِ كثيرٌ ولم يَكْمُلْ مِن النِّساءِ إلَّا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النِّساءِ كفضل الثَّريدِ على سائر الطَّعامِ**». ومنع الحائض أو الجنب من المكث في المسجد لأجل احترامه؛ لأنه بيت الله، وبيت الله لا يكون كبيوت الناس، بل يمتاز عليهنَّ بأن لا يجلس فيه إلَّا طاهرٌ، كما أنَّ كلامه لا يقرؤه إلَّا طاهرٌ.

تخريج حديث: «من مات يوم الجمعة...»

س٢١٢- وسُئل رضي الله عنه: هل صحَّ حديث: «مَن ماتَ يومَ الجُمُعةِ أو ليلتها وُقي فِتْنةَ القَبْرِ»؟

ج٢١٢- فأجاب رضي الله عنه: وحديث: «مَن ماتَ يومَ الجُمُعةِ أو ليلة الجُمُعة وَقاهُ اللهُ فِتنةَ القَبْرِ». حسَّنه الترمذيُّ مع اعترافه بانقطاعٍ فيه، لكن وصله الترمذيُّ الحكيم في "نوادر الأصول" وهذا منحةٌ من الله منحها لعباده المسلمين طائعهم وعاصيهم ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

هل يفدى آزر يوم القيامة؟

س٢١٣- هل يُفدَىٰ والد إبراهيم يوم القيامة حتىٰ لا يدخل النَّار؟

ج٢١٣- وأمَّا قصة إبراهيم مع أبيه يوم القيامة فقد رواها البخاريُّ عن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «يَلْقَى إبراهيمُ أباهُ آزَرَ يومَ القِيامَةِ، وعلى وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وغَبَرَةٌ، فيقولُ له إبراهيمُ: ألم أقُلْ لك لا تَعْصِني، فيقول أبوه: فاليوم لا أَعصيك، فيقول إبراهيم: يا ربِّ إنَّك وعَدْتَني أن لا تُخْزِيَني يومَ يُبعثون، فأيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِن أبي الأبعَدِ؟ فيقول الله تعالى: «إنِّي حَرَّمْتُ الجنَّة على الكافرين، ثُمَّ يقال: يا إبراهيم، ما تحتَ رِجْلَيْكَ؟ فينظُرُ، فإذا هو بذِيخٍ مُلْتَطِخٍ، فيؤخذ بقوائِمِهِ فيُلْقَى في النَّارِ». والذِّبح بكسر الذال: ذَكَرُ الضباع.

فالحديث صريحٌ في أنَّ آزر مسخ ضبعًا ودخل النار، وأنَّ الجنَّة محرَّمةٌ علىٰ الكافر، ولم تُجَب دعوة إبراهيم عليه السلام؛ لأن دعوة النبيِّ إنما تستجاب في

الأمر الجائز، والمغفرة للكافر ممتنعةٌ شرعًا وعقلًا، والدعاء بالممتنع لا يجوز.

ولذلك لما تبيَّن إبراهيم كفرَ أبيه تبرَّأ منه، لكنه حين يراه يوم القيامة في حالته القبيحة تأخذه الشفقة على أبيه فيحاول أن يشفع له، فيمسخ الله أباه ضبعًا متلطخًا بالنتن فيأخذ إبراهيم بأنفه من نتن ريحه ويقول له: «لست أبي، فيتبرَّأ منه أبديًّا».

فحكاية الفداء خطأ كبيرٌ، وآزر في النَّار قطعًا ولا يُفدَىٰ أبدًا.

هل يعرفُ الميتُ مَن يزوره

س٢١٤- هل يعرفُ الميتُ مَن يزوره؟

ج٢١٤- وأمَّا حديث: «**ما مِن مُسْلِمٍ يمرُّ بقبر أخيه المُسْلِم كان يعرفه...**». المراد بالمعرفة هنا معرفةٌ خاصَّةٌ، كأن كان قريبه أو جاره أو صديقه مثلًا؛ لأن بقية الحديث: «**فإن لم يكن يعرفه رَدَّ عليه السلام**».

والحاصل: أنَّ الميت كالحيِّ إن مرَّ على قبره شخصٌ كان له به صلةٌ ومعرفةٌ فسلَّم عليه وجلس عنده ردَّ عليه واستأنس به كما كان في الحياة، وإن مرَّ عليه شخصٌ لا يعرفه وسلَّم عليه ردَّ عليه السلام

تصحيح حديث: «أنا مدينةُ العِلْمِ وعليٌّ بابها»

س٢١٥- هل صحَّ حديث: «**أنا مدينةُ العِلْمِ وعليٌّ بابُها**»؟

ج٢١٥- حديث: «**أنا مَدينةُ العِلْمِ وعليٌّ بابُها**». صحيحٌ لا غبار عليه، صحَّحه جماعةٌ مِن الحفَّاظ كالطبريِّ والسمرقنديِّ والحاكم. والذين ضعَّفوه نوعان: نوعٌ ضعَّفوه باعتبار طرقٍ مخصوصةٍ ضعيفةٍ لم يقفوا على غيرها. ونوعٌ

ضعَّفوه لأنهم ظنوه يفيد أفضلية عليٍّ على أبي بكرٍ رضي الله عنهما، حتى أنَّ بعض المُتعصِّبين أوَّل الحديث فقال: «عليٌّ: مِن العلو». والمعنى: «أنا مدينة العِلْمِ وبابها عالٍ». وهذا تحريفٌ قبيحٌ.

والأعلمية لا تستلزم الأفضلية، ولو سلَّمنا أنها تستلزمها، فلا ضرر في ذلك، وقد كان جماعةٌ مِن الصحابة يُفضِّلون عليًّا على الشيخين، منهم سلمان الفارسيُّ، وأبو ذرٍّ، والمقداد بن الأسود، وجابر بن عبدالله، وغيرهم كعمَّار بن ياسر.

زيارة القبور للنِّساء

س٢١٦- هل يجوز زيارة القبور للنِّساء مع ورود حديث: «**لَعَنَ اللهُ زَوَّاراتِ القُبورِ**»؟

ج٢١٦- زيارة القبور للنِّساء مباحةٌ بشرط ألَّا يُرتكَب فيها محظورٌ، فإن ارتُكِبَ محظورٌ اختلَّ الشرط وسقط الجواز، وحديث: «**لَعَنَ اللهُ زَوَّاراتِ القُبورِ**» حسَّنه الترمذيُّ، وصحَّحه ابن حِبَّان، لكن في سنده انقطاعٌ، وراوٍ متكلَّمٌ فيه، فلا يكون صحيحًا ولا حسنًا، وحديث: «**ارجعنَ مَأْزوراتٍ غير مَأْجوراتٍ**» واردٌ في منع النِّساء من تشييع الجنازة؛ لأنهنَّ لا يحملن الميت ولا يدفنَّه.

«هذه يدٌ لا تمسَّها النَّارُ»، حديث واهٍ

س٢١٧- هل صحَّ حديث سعد بن معاذٍ في تقبيل النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ليده؟

ج٢١٧- حديث سعد بن معاذٍ الأنصاريِّ -غير المشهور- أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قبَّل يده وقال: «**هذه يدٌ لا تَمَسُّها النَّارُ**». هذا لفظ الحديث،

وهو واهٍ لا يجوز ذكره، ولا العمل به لأن الواهي حكمه حكم الموضوع.

حديث: «ومَن ذَكَرَني في مَلأ ...»

س٢١٨- هل حديث «مَن ذَكَرني في ملأ...» يدل على فضل الملائكة؟

ج٢١٨- حديث: «**ومَن ذَكَرَني في مَلأ ذَكَرْتُهُ في مَلأ خَيْرٍ مِن مَلائِهِ**»، هو مِن تفضيل المجموع، والمعنى: أنَّ الجانب الذي يكون الله معه ذاكرًا أفضل من الجانب الآخر وهذا واضحٌ.

هل صحَّ في فضل الحجِّ يوم الجمعة حديثٌ؟

س٢١٩- هل صحَّ في فضل الحجِّ يوم الجمعة حديثٌ؟

ج٢١٩- لم يصح حديث في فضل الحجِّ يوم الجمعة، وإنما صحَّ أنَّ الوقوف بعرفة في حَجَّة الوداع كان يوم جمعةٍ.

هل قصر أهل مكة الصلاة في حَجَّة الوداع؟

س٢٢٠- هل أهل مكة المكرَّمة قصروا الصلاة مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في حَجَّة الوداع؟

ج٢٢٠- لم يثبت التصريح بأنَّ أهل مكة قصروا الصلاة مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في عرفة، ولكن روى أبو داود والترمذيُّ عن عمران بن حصين قال: «غزوت مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وشهدت معه الفتح فأقام بمكة ثماني عشرة ليلة، لا يُصلِّي إلَّا ركعتين، ويقول: «**يا أهلَ البَلَدِ صَلُّوا أربعًا فإنَّا قومٌ سَفْرٌ**». فهذا الحديث يقتضي أنهم لم يقصروا معه في حَجَّة الوداع ولو ثبت أنهم قصروا معه، ففيه دليلٌ لمن حدَّ مسافة القصر بخمسة عشر ميلًا؛

لأن بين مكة وعرفة ٢٥ كم.

أحاديث العقل كلها موضوعةٌ

س٢٢١: هل ورد في فضل العقل أحاديث؟

ج٢٢١- أحاديث العقل كلها موضوعةٌ فلا تتعب نفسك في فهمها وتأويلها.

حديث: «مَن اعتكفَ في المسجد فُواق ناقة»؟

س٢٢٢- هل صحَّ حديث: «مَن اعتكفَ في المسجد فُواق ناقة»؟

ج٢٢٢- حديث: «من اعتكف في المسجد فواق ناقة بني له قصر في الجنة». موضوعٌ.

حديث: «أبشر بالفقر...» ليس بصحيح

س٢٢٣- هل صحَّ حديث الرجل الذي قال للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «إنِّي أحبك. قال: أبشر بالفقر...» إلخ؟

ج٢٢٣- حديث: أنَّ رجلًا قال للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «إنِّي أحبك. قال: أبشر بالفقر...» إلخ. ليس بصحيحٍ. لكن روى أحمد عن أبي هريرة حديث: «**إنَّ اللهَ إذا أحبَّ أحدًا ابْتلاهُ ليسمعَ تَضَرُّعَهُ**».

وروى الطبرانيُّ عن أبي عنبة الخولانيِّ -صحابي- عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إذا أحبَّ اللهُ عبدًا ابْتلاهُ، وإذا أحبه الحبَّ البالغ اقْتناه، لا يترك له مالًا ولا ولدًا**».

وفي الحديث الصحيح: «**أشدُّ الناس بلاءً الأنبياء، ثُمَّ الصالحون، ثُمَّ الأَمْثَلُ فالأَمْثَلُ**».

«الظالم عَدلُ الله في الأرض» ليس بحديثٍ

س٢٢٤- هل صحَّ حديث: «الظالم عَدْلُ الله في الأرض»؟

ج٢٢٤- «الظالم عَدْل الله في الأرض» ليس بحديثٍ.

لكن روى الطبرانيُّ بإسنادٍ ضعيفٍ عن جابرٍ مرفوعًا: «**إنَّ اللهَ تعالى يقول: «أنتقِمُ ممَّن أبغضُ بمَن أبغضُ ثُمَّ أصير كلًّا إلى النَّار»**.

وحديث: «**إنَّ اللهَ ليؤيِّد هذا الدِّين بالرَّجُلِ الفاجِرِ**». في "صحيح البخاري" وسببه أنَّ رجلًا في غزوة أُحُدٍ أكثر القتل في المشركين، فقالوا عنه للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فلما رآه قال: «**هو في النار**».

فتبعه بعض الصحابة، فما زال يقاتل حتى كثرت عليه الجراحة، فقتل نفسه، فأخبروا النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**إنَّ اللهَ ليؤيِّد هذا الدِّين بالرَّجُل الفاجِر**».

وقد حصل مثل هذا في عصرنا، فإنَّ المستشرقين مع عداوتهم للإسلام، طبعوا كتب التفسير والحديث والسيرة في ألمانيا وهولندا وإسبانيا وغيرها، وهذا تأييدٌ للدِّين.

حديث صلاة التسابيح صحيح

س٢٢٥- هل صحَّ حديث صلاة التسابيح؟

ج٢٢٥- حديث صلاة التسابيح أخطأ ابن الجوزيِّ بذكره في "الموضوعات" وردَّ عليه الحافظ ابن حجرٍ، وضعَّفه ابن تيمية والمِزِّيُّ وهو خطأ أيضًا، وحسَّنه العلائيُّ، وتناقض النوويُّ وابن حجرٍ فيه فحسَّناه في موضعٍ، وضعَّفاه في موضعٍ آخر، والصواب أنه حديثٌ صحيحٌ.

التنبيه على خطأ بعض المؤلفين

س٢٢٦- إن بعض المؤلِّفين ذكر أنَّ رجلًا جاء للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: أصبتُ حدًّا وهو الزِّنا، فقال له النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**هل صَلَّيتَ معنا**».؟ قال: نعم، قال: «**قد غُفِرَ لك**». كيف ذلك؟

ج٢٢٦- ما ذكره هذا المؤلِّف أخطأ فيه، والذي في الحديث الصحيح: أنَّ رجلًا قال للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «أصبتُ حدًّا». وفي رواية: «أصبت ذَنْبا». فقال: «**أصلَّيتَ معنا**»؟ قال: نعم، قال: «**قد غُفِر لك**». وفسَّر الذنب في الحديث بأنه: قبَّل امرأةً ولمسها ولم يجامعها، وظنَّ الذي فعل هذا -وهو أبو اليسر- أن فيه حدًّا، فكلمة زنيتُ مِن تصرُّف المؤلِّف.

دفع تعارض بين آية وحديث

س٢٢٧- هل يتعارض حديث: «**لن يَدْخُلَ أَحَدُكُم الجنَّةَ بعمَلِه**». مع قول الله تعالىٰ: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢]؟

ج٢٢٧- لا تعارض بين حديث: «**لن يُدْخِلَ أحدكم الجنَّةَ عَمَلُهُ**». وبين قول الله: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢] لأن الحديث ينفي استحقاق العمل لدخول الجنَّة؛ لأن العبد لا حقَّ له علىٰ الله، والآية تريد تفضل الله علىٰ عبده بإدخاله الجنَّة بعمله، فلا معارضة بينهما.

س٢٢٨- هل حديث: «**لَعَنَ اللهُ اليهودَ والنصارى اتَّخذُوا قُبورَ أنبيائهم مَساجِدَ**». يتعارض مع القرآن؟

ج٢٢٨- الجمع بين القرآن والحديث واجبٌ؛ لأن مصدرهما واحدٌ،

والقرآن يُقرِّر أنَّ اليهود قتلة الأنبياء، والحديث يخبر أنهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد فكيف يتفق عقلًا أن يقتلوهم ويتخذوا قبورهم مساجد؟!

ثُمَّ اليهود موحِّدون إلَّا طائفة العزيرية، وهذا إشكالٌ لا مخلص منه ولم أجد له حلًّا إلى الآن، وفلسطين هي محل أنبياء بني إسرائيل وليس فيها قبر نبيٍّ ظاهر إلَّا قبر موسى ولم يعبَد، وهذا إشكال آخر، ونحن نؤمن بصحة الحديث ونقول لا نعمل به حتى يظهر حل إشكاله.

نعم النصارى عبدوا عيسى وأمَّه، فالحديث بالنسبة إليهم واضحٌ لا خفاء فيه، والحديث حُجَّةٌ لا محالة ولكن نحب أن نفهمه فهل عند أحدٍ لهذا الإشكال حلٌّ؟

ما صحَّة حديث: «ما وَسِعَني سماءٌ ولا أرضٌ...»؟

س٢٢٩- هل صحَّ حديث: «ما وَسِعَني سماءٌ ولا أرضٌ، ووسعني قلب عبدي المؤمن»؟

ج٢٢٩- حديث: «ما وسعني سماء ولا أرض ووسعني قلب عبدي المؤمن» لا أصل له. ولكن أخرج أحمد في "الزهد" عن وهب بن مُنبِّه قال: «إنَّ اللهَ فتحَ السموات لحزقيل حتى نظر إلى العرش فقال حزقيل: سبحانك ما أعظمك يا رب، فقال الله تعالى: إنَّ السموات والعرش ضعفن عن أن يسعنني ووسعني قلب المؤمن الوادع اللين». هذا أصله في الإسرائيليات. وروى الطبراني عن أبي عتبة الخولانيِّ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ لله آنيةً مِن أهل الأرض وآنيةُ ربِّكم قلوبُ عباده الصالحين، وأحبُّها إليه ألينُها وأرقُّها**».

قول ابن مسعودٍ: «لا غفر الله لك». ليس بصحيحٍ

س٢٣٠- هل صحَّ أنَّ عبدالله بن مسعودٍ قال لمن طلب المغفرة للميت: «لا غَفَرَ الله لك»؟ وهل ثبت ذلك للميت؟

ج٢٣٠- قول ابن مسعودٍ: «لا غفر الله لك». ليس بصحيحٍ.

وحديث ابن عمر قال: «لم يكن يسمع من النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وهو يمشي خلف الجنازة إلَّا قول: «لا إله إلَّا الله» ضعيفٌ.

وروى ابن أبي شيبة عن بكير بن عتيق قال: «كنت في جنازةٍ فيها سعيد بن جُبيرٍ، فقال رجل استغفروا الله غفر الله لكم، فقال سعيدٌ: «لا غفر الله لك». وسعيد ليس بصحابيٍّ. وروى عبدالرزَّاق عن ابن جريجٍ قال: قلت لعطاءٍ: قولهم: «استغفروا له غفر الله لكم؟». قال: «مُحدَث، وبلغني عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنه قال لذي البجادين: «اسْتَغفِرُوا له غَفَرَ اللهُ لكم».

وروى عبدالرزَّاق عن أبي جحيفة أنه أخذ بقوائم سرير عمرو بن شرحبيل فما فارقه حتى أتى القبر، وهو يقول: «اللهمَّ اغفر لأبي ميسرة».وأبو جحيفة صحابيٌّ معروفٌ. وعن عكرمة قال: «مات ابنٌ لأبي بكرٍ كان يشرب الشراب، فقال أبو هريرة: استغفروا له، فإنما يستغفر لمسيءٍ مثله».

اليهود قتلة الأنبياء

س٢٣١- وسئل رضي الله عنه عن قبر إبراهيم عليه السلام، وعن اليهود وكيف كانوا مع أنبيائهم؟

ج٢٣١- فأجاب رضي الله عنه: إبراهيم عليه السَّلام أقدم من أنبياء بني إسرائيل بمدَّةٍ كبيرةٍ وقبره معروفٌ ومعه أولاده إسحاق ويعقوب ويوسف،

واليهود قتلة الأنبياء بصفةٍ دائمةٍ حتىٰ أنهم قتلوا زكريا ويحيىٰ وشبيه عيسىٰ، وحاولوا قتل النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مرَّتين أنجاه الله منهما، ولا زالوا إلىٰ الآن يتخلَّصون من مناوئيهم بقتلهم.

واليهود ليس في كنائسهم صلبان ولا تصاوير ولا قبور، وأنبياء بني إسرائيل كلهم كانوا بفلسطين لم يخرجوا عنها، واكتشف رأس يحيىٰ في عهد الأمويين وهو مدفون بالشام الآن وعليه مسجد، وذكر القرآن أنواع المعبودات من دون الله من جنٍّ وإنسٍ وملائكةٍ وأصنامٍ وتماثيل وكواكب، ولم يذكر قبرًا من القبور؛ لأن قبرًا لم يعبد، لهذا أقول إنَّ حديث: «**لعَنَ اللهُ اليهودَ اتَّخذوا قبورَ أنبيائهم مساجد**» لا أفهمه وأنا متوقِّفٌ فيه حتىٰ يظهر لي وجهه.

هل الألبانيُّ مُحدِّثٌ يُعتمَد عليه في تصحيح الأحاديث

س٢٣٢- هل الألبانيُّ مُحدِّثٌ يُعتمَد عليه في تصحيح الأحاديث؟

ج٢٣٢- الألبانيُّ مُحدِّثٌ بلا شك. لكنه لا يعرف الأصول، ولذلك يخلط في فهم الأحاديث، ويخلط في الاستنباط فيجعل الحكم منسوخًا والمجاز حقيقةً، ويخرق الإجماع وهو لا يشعر، وقد ردَّ عليه الوهابية أنفسهم بالرياض والهند وبيَّنوا خطأه في تضعيف بعض الأحاديث أو تصحيحها؛ لأنه يُصحِّح ويُضعِّف بالهوىٰ. وممن ردَّ عليه الشيخ إسماعيل الأنصاريُّ بالرياض، وحمود التويجري بالرياض، أيضًا وأرشد السلفي بالهند، والدكتور سعيد البوطي بالشام، وغيرهم، مثل الشيخ عبدالله الحبشي ببيرو.

وقد قرأت ردود هؤلاء وغيرهم، وهو مع هذا عنيدٌ لا يرجع عن رأيه، وشتَّامٌ

سفيه اللسان، وهو يعترف لي بعلم الحديث في كتبه ومع أصحابه، ولما جاء إلى طنجة طلب منه بعض الوهابيين أن يكتب له عنوانًا بالشام ليراسله فيما يعرض له في الحديث، فقال له الألبانيُّ: عندك الشيخ عبدالله الصديق مُحدِّثٌ فارجع إليه.

معنى تكرار الفعل في قوله ﷺ: «نَجَوْا، وَنَجَوْا جميعًا»

س٢٣٣- لماذا تكرَّر الفعل في حديث: «**مَثَلُ القائِمِ على حُدودِ الله والواقِعِ فيها...**». الحديث؟

ج٢٣٣- في "صحيح البخاري" عن النعمان بن بشير عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَثَلُ القائِمِ على حُدُودِ الله والواقِعِ فيها، كمَثَلِ قومٍ اسْتَهَمُوا على سَفِينَةٍ، فأَصَابَ بعضهم أَعلاها وبعضُهم أَسْفَلَها، فكان الذين في أَسْفَلِها إذا اسْتَقَوا مِن الماءِ مَرُّوا على مَن فوقَهُم، فقالوا: لو أَنَّا خَرَقْنا في نَصِيبِنا خَرْقًا ولم نُؤْذِ مَن فوقنا، فإن يَتْرُكُوهُمْ وما أرادُوا هَلَكُوا جميعًا، وإن أَخَذُوا على أيدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جميعًا**».

أي الذين أرادوا الخَرْقَ نَجَوْا، ونَجَوْا هم: أي رُكَّاب السفينة جميعًا. وهذا معنى تكرار الفعل لتعدُّد الفاعل، ومعنى الحديث: أنَّ منع مَن أرادوا خرق السفينة من علمهم، لا ينجيهم وحدهم بل ينجيهم وينجي رُكَّاب السفينة أيضًا.

هل صح زواج النبي في الجنة من مريم وكلثم وآسيا

س٢٣٤- هل صحَّ أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يتزوَّج في الجنَّة مريم ابنة عمران وكُلْثم أخت موسى وآسيا امرأة فرعون؟

ج٢٣٤- روى الزبير بن بكار عن أبي داود قال: دخل النبيُّ صلَّى الله عليه

وآله وسلَّم على خديجة في مرضها الذي ماتت فيه، فقال: «**أما عَلِمْتِ أنَّ اللهَ زوَّجني معك في الجنَّة مريم ابنة عمران، وكُلْثَم أخت موسى، وآسيا امرأة فرعون؟**». فقالت: «وقد فعل ذلك يا رسول الله»؟ قال: «**نعم**». قالت: بالرفاء والبنين.

وهذا الحديث واهٍ متروكٌ لا أصل له، ولم يثبت أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يتزوَّج في الجنة مريم أو غيرها.

معنى: «وإن أَفْتَاكَ النَّاسُ وأَفْتَوْكَ»؟

س٢٣٥: ما معنى الجملة الثانية من حديث: «**اسْتَفْتِ قَلْبَكَ وإن أَفْتَاكَ النَّاسُ وأَفْتَوْكَ**»؟

ج٢٣٥- حديث: «**اسْتَفْتِ قَلْبَكَ وإن أَفْتاكَ النَّاسُ وأَفْتَوْكَ**». معنى الجملة الثانية أنَّ المؤمِن المُنوَّر القلب، إذا اطمأنَّ قلبه لشيءٍ عمله، وإن أفتاه الناس بتحريمه وإن كرَّروا الفتوى عليه، فلا يعمل بفتواهم ولا بتكرارها عليه.

سؤال عن السموات

س٢٣٦- نرجو الإفادة عن بُعد السَّماء عن الأرض وعن سُمك كلِّ سماءٍ، وبعدُ كلِّ سماءٍ إلخ؟ وهل صحيحٌ أنَّ الأولى من موجٍ مكفوفٍ، والثانية من مرمرٍ، والثالثة من حديدٍ، والرابعة من نحاسٍ، والخامسة من فضةٍ، والسادسة من ذهبٍ، والسابعة من ياقوتةٍ حمراء؟ وفي "مختصر بن أبي جمرة" في هامشه للشَّيخ الشنوانيِّ في ليلة الإسراء في حديث المعراج، عن أنس بن مالكٍ عن مالك بن صَعْصَعَةٍ في صحيفة (١٦٦) يقول الله: «بُعد السَّماء عن الأرض

خمسمائة عامٍ، وغلظ كلِّ سماءٍ خمسمائة عام، وهكذا إلى السَّماء السابعة»، فالرَّجاء إفادتنا بالجواب.

ج٢٣٦- أمَّا بُعد السَّماء عن الأرض، وسُمْك كل سماءٍ... إلخ، فروى الترمذي وأبو الشَّيخ وابن مردويه من طريق الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما نبي الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم جالسٌ وأصحابه، إذ أتى عليهم سحابٌ فقال نبيُّ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**هل تدرون ما هذا؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**هذا العَنان -بفتح العين-**» وفي رواية: «**هذه الغياية -بياءين السَّحابة- هذه رَوَايا الأرضِ يَسُوقُها اللهُ إلى قومٍ لا يَشْكُرونَهُ ولا يَدْعُونَهُ**»، وفي رواية: «**ولا يعبدونه**»، ثمَّ قال: «**هل تدرون ما فوقكم؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**فإنَّها الرَّقِيعُ سَقْفٌ محفوظٌ ومَوجٌ مَكْفوفٌ**»، ثُمَّ قال: «**هل تَدْرون كم بينكم وبينها؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**بينكم وبينها خمسمائة سنةٍ**»، ثمَّ قال: «**هل تدرون ما فوق ذلك؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**فإنَّ فوق ذلك سماءَين ما بينهما مسيرة خمسمائة عامٍ**»، حتَّى عدَّ سبع سماواتٍ ما بين كلِّ سماءين ما بين السَّماء والأرض، ثُمَّ قال: «**هل تدرون ما فوق ذلك؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**فإنَّ فوق ذلك العَرْشَ، وبينه وبين السَّماء بعد ما بين السَّماءين**»، ثمَّ قال: «**هل تدرون ما الذي تحتكم؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**فإنها الأرض**»، ثمَّ قال: «**هل تدرون ما الذي تحتها؟**» قالوا الله ورسوله أعلم. قال: «**فإنَّ تحتها أرضًا أخرى بينهما مسيرة خمسمائة سنةٍ**» حتَّى عدَّ سبع أرضين بين كلِّ أرضَين مسيرة خمسمائة سنةٍ، ثمَّقال: «**والذي نَفْسُ محمَّدٍ بيده، لو أنَّكم دُلِّيتم بحبلٍ إلى الأرض السُّفلى لهبط على الله**» ثمَّ

قرأ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[الحديد: ٣]، رجال إسناده عند الترمذيِّ رجال الصَّحيح إلَّا أنَّ فيه انقطاعًا؛ لأنَّ الحسن لم يسمع من أبي هريرة غير حديثٍ واحدٍ، وهو حديث: «**المنتزعات والمختلعات هن المنافقات**»(١).

ورواه أحمدُ أيضًا وفي سنده الحكم بن عبدالملك وهو ضعيفٌ، وقوله: «**لهبط على الله**» نقل الترمذي تأويله عن بعض أهل العلم بأنَّ المعنى: لهبط على علم الله وقدرته وسلطانه، قال: وعلم الله وسلطانه وقدرته في كلِّ مكانٍ.

وروى ابن راهويه والبزَّار في "مسنديهما" وأبو الشَّيخ عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ما بين السَّماء والأرض مسيرة خمسمائة عامٍ، وكِثَف كلِّ سماءٍ خمسمائة عامٍ، وما بين السَّماء إلى التي تليها مسيرة خمسمائة عامٍ كذلك إلى السَّماء السَّابعة، والأرضون مثل ذلك، وما بين السَّماء السَّابعة إلى العرش مثل جميع ذلك**»، وإسناد ابن راهويه والبزَّار صحيحٌ إلَّا أنَّ فيهانقطاعًا أيضا؛ لأنَّه من رواية أبي نصر حميد بن هلال عن أبي ذرٍّ ولم يسمع منه.

وروى عثمان بن سعيد الدَّارمي في كتاب "الرد على الجهمية"، وابن المنذر والطبرانيُّ وابن خزيمة وغيرهم عن ابن مسعودٍ قال: «بين السَّماء والأرض

---

(١) هذا على ما في "تهذيب التهذيب"، لكنِّي وجدت حديثًا آخر سمعه الحسن من أبي هريرة، قال أبو يعلى: حدَّثنا إسحاق بن أبي إسرائيل: ثنا حجَّاج بن محمَّد عن هشام بن زياد، عن الحسن قال: سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن قرأ يس في ليلةٍ أصبح مَغْفُورًا له، ومَن قرأ (حم) التي يُذكر فيها الدُّخان أصبح مغفورًا له**»، وهذا إسنادٌ جيِّدٌ كما قال الحافظ ابن كثيرٍ.

خمسمائة عامٍ، وما بين كل سمائين خمسمائة عامٍ، وبصر كل سماء -يعني غلظ ذلك- خمسمائة عامٍ، وما بين السَّماء إلى الكرسيِّ مسيرة خمسمائة عامٍ، وما بين الكرسيِّ والماء مسيرة خمسمائة عامٍ، والعرش على الماء والله فوق العرش». يعني: عِلْمه، كما سيجيء في روايةٍ أخرى.

وروى أحمد وأبو داود والترمذيُّ وحسَّنه وابن ماجه وابن خزيمة والبيهقيُّ في "الأسماء والصفات" وغيرهم، عن العبَّاس بن عبدالمطَّلب قال: كنَّا جُلوسًا بالبطحاء في عصابةٍ فيهم رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فمرَّت سحابة فقال: «**هل تدرون ما هذا؟**» فقلنا: السَّحاب، فقال: «**والمُزْن**»، قلنا: والمُزْن، قال: «**والعَنان**»، قلنا: والعَنان، فقال: «**هل تدرون بعد ما بين السماء والأرض؟**» قلنا: لا، قال: «**فإنَّ بُعد ما بينهما إمَّا واحدةٌ أو اثنتان أو ثلاث وسبعون**» قال: «**وإلى فوقها مثل ذلك**» حتَّى عدَّهُنَّ سبع سماواتٍ على نحو ذلك، قال: «**ثمَّ فوق السَّابعة بحرٌ بين أعلاه وأسفله مثل ما بين السَّماء إلى السَّماء، ثمَّ فوقه ثمانية أوعال ما بين أظلافهنَّ وركبهنَّ مثل ما بين سماءٍ إلى سماءٍ، ثمَّ العرش فوق ذلك، ما بين أعلاه وأسفله مثل ما بين سماءٍ إلى سماءٍ، ثمَّ إنَّ الله تبارك وتعالى فوق العرش**» وفي روايةٍ: «**والله سبحانه وتعالى علمه فوق ذلك، وليس يخفى عليه من أعمال بني آدم شيءٌ**».

قلت: «**البحر**» المذكور في هذا الحديث هو المراد بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧]، و«**الأوعال الثمانية**»: هي أملاك في صورة الأوعال كما جاء ذلك في روايةٍ عن العبَّاس بن عبدالمطَّلب في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧].

وأمَّا قوله: «**إنَّ بُعد ما بين السَّماء والأرض أحد وسبعون، وكذلك بين كلِّ سماءين**» فلا ينافي الرِّوايات المشهورة المصرِّحة بأنَّ البُعد في ذلك مسيرة خمسمائة سنةٍ، وذلك لاختلاف التقدير بطء السير وسرعته كما نصَّ عليه ابن خزيمة في كتاب "التوحيد" والحافظ في "الفتح"، هذا ما يتعلق بالسُّؤال الأول على سبيل الاختصار.

وأما قول السَّائل: وهل صحيحٌ أنَّ الأولى من موجٍ مكفوفٍ والثانية من مرمرٍ والثالثة من حديدٍ والرابعة من نحاسٍ ... إلخ؟.

فهذا كلام الرَّبيع بن أنس رواه الطبرانيُّ وغيره بإسنادٍ رجاله ثقاتٌ غير أبي جعفر الرَّازي فمختلفٌ فيه.

وروى أبو الشَّيخ في "العظمة" بسندٍ ضعيفٍ جدًّا عن سلمان الفارسيِّ رضي الله عنه قال: «السَّماء الدُّنيا مِن زمردةٍ خضراء واسمها رقيعاء، والثانية من فضَّةٍ بيضاء واسمها أزقلون، والثالثة من ياقوتةٍ حمراء واسمها قيدوم، والرابعة من دُرَّةٍ بيضاء واسمها ماعونا، والخامسة من ذهبةٍ حمراء واسمها ريقا أو ربعا، والسادسة من ياقوتةٍ صفراء واسمها دقناء، والسابعة من نورٍ واسمها عريبا» ومثل هذا لا يصلح للتعويل عليه؛ لأنَّه مع كونه ضعيفًا واهيًا لم يرد عن الصَّادق المصدوق صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فلا حُجَّة فيه مطلقًا.

نعم تقدَّم في حديث أبي هريرة في أول الجواب أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم سمَّى السَّماء الدُّنيا بالرقيع، وقال: «**إنَّها سقفٌ محفوظٌ وموجٌ مكفوفٌ**»، وروى أبو الشَّيخ وابن أبي حاتمٍ وابن مَرْدُويَه عن ابن عبَّاسٍ أنَّ رجلًا قال: يا رسول الله ما هذه السماء؟ قال: «**موجٌ مكفوفٌ عنكم**».

وروىٰ ابن أبي حاتم عن الشَّعْبيِّ أنَّ ابن عبَّاسٍ كتب إلىٰ أبي الجلد يسأله عن السَّماء من أيِّ شيءٍ هيَ؟ فكتب إليه أنَّ السَّماء من موجٍ مكفوفٍ.

هذا ما بلغنا مما ورد في السَّماء الدُّنيا، وما عداها من السَّماوات لم يرد فيه شيءٌ والعلم عند الله تعالىٰ.

حديث: «من صام رمضان وفي نيِّته معصية في شوَّال...»

س٢٣٧- وسئل عن حديث: «مَن صامَ رمضان وفي نيِّته معصية في شوَّال، فصيامه مردودٌ عليه».

ج٢٣٧- فأجاب رضي الله عنه: حديثٌ موضوعٌ.

حديث: «مَن نوى على معصيةٍ ولم يفعلها لم تُكتب عليه».

س٢٣٨- وسئل عن حديث: «مَن نوىٰ علىٰ معصيةٍ ولم يفعلها لم تُكتب عليه».

ج٢٣٨- في معناه مارواه مسلمٌ في "صحيحه" عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم:«مَن هَمَّ بحسنةٍ فلم يعملها كتبت له حسنةٌ، ومَن هَمَّ بحسنةٍ فعملها كُتبت له عشرُ حسناتٍ إلىٰ سبعمائة ضعفٍ، ومن هَمَّ بسيِّئةٍ فلم يعملها لم تكتب عليه، وإنْ عملها كُتبت».

الحديث القدسيِّ: «مَن طَلبني وَجَدني...» موضوع

س٢٣٩- وجاء كتابٌ من الأستاذ صالح عمر العفيفي طالب الأزهر يقول فيه أنَّه سمع بمسجد السيِّدة زينب رضي الله عنها عالمًا نِحْرِيرًا، يقول في خلال درسه: قال الله تعالىٰ في الحديث القدسيِّ: «مَن طَلبني وَجَدني ومَن

وَجَدني عَرَفَني، ومَن عَرَفَني عَشِقَني، ومَن عَشِقَني قَتَلْتُه، ومَن قَتَلْتُه كنت دِيَّته، ومَن كنتُ دِيَّته لا فرق بيني وبينه» فلمَّا قال هذا الحديث لأهل بلده أثناء تدريسه، أنكروا عليه، وجادلوه ونازعوه، فهو لذلك يطلب الفصل فيه إلخ.

ج٢٣٩- والجواب: هذا الحديث موضوعٌ وأمره معروفٌ بين المحدِّثين، فالحقُّ مع أولئك الذين أنكروه واستبعدوه. ولقد غلط الأستاذ السَّائل حيث اعتمد على ذلك العالم النِّحْرِير كما قال؛ فإنَّا رأينا كثيرًا من العلماء النَّحَارِير -لا نذكر أسماءهم احتفاظًا بمكانتهم- يحتجُّون في مذاكراتهم العلميَّة بأحاديث موضوعةٍ، لا يشتبه في وضعها صغار المحدِّثين -كالحديث المسؤول عنه- وهم غير عارفين بذلك.

والمقصود: أنَّ الإنسان لا يطمئن لحديثٍ إلَّا إذا سمعه من محدِّثٍ مُتْقِنٍ لفنِّه، أمَّا إذا سمعه من غيره -مهما كان عالمًا نِحْرِيرًا ومُحَقِّقًا شهيرًا- فلا بدَّ أنْ يسأله عن مصدر الحديث، وفي أيِّ كتابٍ رآه ليكون على بصيرةٍ من أمره، وإذا كان التساهل في مطلق الأشياء مذمومًا قبيحًا فهو في الحديث أكثر ذمًّا وأشدُّ قُبْحًا.

كلمة حول كتاب "مسائل عبدالله بن سلام للنبيِّ ﷺ"

س٢٤٠- وبعث إليَّ حضرة عبدالسَّلام محمود ماضي من أويش الحجر بنسخةٍ من كتابٍ اسمه "مسائل عبدالله بن سلام للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم"، يريد أنْ يعرف هل ما فيه صحيحٌ؟

ج٢٤٠- والجواب: اطَّلعنا على تلك النُّسْخة فإذا هي موضوعةٌ ليس فيها شيءٌ ثابتٌ، وأصل القِصَّة في سؤال عبدالله بن سلام، مارواه البخاريُّ في

"صحيحه" عن أنسٍ، أنَّ عبدالله بن سلام بلغه مقدم النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بالمدينة، فأتاه يسأله عن أشياء؟ فقال: إنِّي سائلُك عن ثلاثٍ لا يعلمهنَّ إلَّا نبيٌّ، ما أوَّل أشراط السَّاعة؟ وما أوَّلُ طعامٍ يأكله أهل الجنَّة؟ وما بال الولد ينزع إلىٰ أبيه أو إلىٰ أمه؟ قال: «**أخبرني بهنَّ جبريل آنفًا**».

قال ابن سلام: ذاك عدوُّ اليهود من الملائكة؟ قال: «**أمَّا أول أشراط السَّاعة: فنارٌ تحشرهم من المشرق إلى المغرب، وأمَّا أول طعامٍ يأكله أهل الجنَّة: فزيادة كبد الحوت، وأمَّا الولد: فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولدَ** -بنصب الولد علىٰ المفعوليَّة- **وإذا سبق ماء المرأة ماء الرَّجل نزعت الولد**».

قال: أشهد أنْ لا إله إلَّا الله وأنَّك رسول الله.

قال: يا رسول الله إنَّ اليهود قومٌ بُهْتٌ، فاسألهم عنِّي قبل أنْ يعلموا بإسلامي، فجاءت اليهود، فقال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أيُّ رجلٍ عبدالله بن سلام فيكم؟**» قالوا: خَيْرُنا وابن خيرنا، وأفضلنا وابن أفضلنا، فقال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أرأيتم إنْ أسلم عبدالله بن سلامٍ؟**» قالوا: أعاذه الله مِن ذلك، فأعاد عليهم، فقالوا مثل ذلك، فخرج إليهم عبدالله فقال: أشهد أن لا إله إلَّا الله وأنَّ محمَّدًا رسول الله. قالوا: شَرُّنا وابن شرِّنا، ونقصوه، قال: هذا ما كنت أخاف يا رسول الله.

هذا سؤال عبدالله بن سلامٍ رضي الله عنه علىٰ حقيقته، فأضاف إليه القُصَّاص الكذَّابون تلك النُّسْخَة المكذوبة في غير ورعٍ ولا حياءٍ، فلا حول ولا قوَّة إلَّا بالله.

حديث: «من زار وليًّا في الله ...» موضوع

س٢٤١: وسئل عن حديث: «من زار وليًّا في الله، خيرٌ ممَّن عبدالله في جميع زوايا الأرض، حتَّىٰ تقطَّع جسمه إرَبًا إرِبًا».

ج٢٤١- حديث: «من زار لي وليًّا في الله ...» إلخ، فهو حديثٌ موضوعٌ. وأذكر أني سُئلت عنه قبل هذا فنبَّهْتُ عليه.

نعم روىٰ الترمذيُّ وابن ماجه عن أبي هريرة مرفوعًا: «**مَن عاد مريضًا أو زار أخًا في الله، ناداه منادٍ من السَّماء، طِبْت وطاب ممشاك وتبوَّأت من الجنَّة منزلًا**». وهو حديثٌ ضعيفٌ.

وفي "صحيح" مسلمٍ عن أبي هريرة مرفوعًا: «**أنَّ رجلًا زار أخًا له في قريةٍ أخرى، فأرصد الله على مدرجته ملكًا، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخًا لي في هذه القرية، قال: هل له عليك من نعمةٍ تَرُبُّها؟ قال: لا. غير أنِّي أُحِبُّه في الله، قال: فإنِّي رسول الله إليك، إنَّ الله قد أحبَّك كما أحببته فيه**».

فضل قضاء الحوائج

س٢٤٢- وسئل عن حديث: «إنَّ لله خلقًا خلَقَهم لقضاء حوائج النَّاس آلَىٰ علىٰ نفسه ألَّا يعذبهم بالنَّار، فإذا كان يوم القيامة وضِعَت لهم منابر من نورٍ، فيجلسون عليها ويتحدَّثون مع الله والنَّاس في الحساب».

ج٢٤٢- حديث: «إنَّ لله خلقا ...»إلخ. فيقرب من معناه ما رواه الطبرانيُّ عن ابن عمر مرفوعًا: «**إنَّ لله خَلْقًا خَلَقَهُمْ لحوائج النَّاس، يفزع النَّاس إليهم في حوائجهم، أولئك الآمنون مِن عذاب الله**»، وهو حديثٌ ضعيفٌ، وحسَّنه المناوي في "شرح الجامع الصغير" فوَهِم.

ورواه أبو الشَّيخ ابن حَيَّان في "الثواب" من طريق الجهم بن عثمان عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جدِّه مرفوعًا، والجهم شيعيٌّ مجهولٌ عند ابن أبي حاتمٍ، وضعَّفه الأزديُّ، وللطبرانيِّ عن أبي أُمامة مرفوعًا: «إنَّ لله عبادا يُجْلِسهم يوم القيامة على منابر مِن نورٍ، يغشى وجوههم النُّور، حتى يفرغ مِن حساب الخلائق» وإسناده جيِّدٌ.

وورد في أحاديث أخرى أنَّ هؤلاء هم المتحابُّون في الله وبالله التوفيق.

حديث: «أحبب حبيبك هونًا ما ...» موقوف

٢٤٣- (تنبيه): اطَّلعت على شرح الحديث في العدد الفائت، فكان ممَّا لفت نظري فيه، أنِّ رأيت الحديث المشروح لا يصح رفعه عند المحدِّثين فأردت أنِّ أنبِّه عليه تتميمًا للفائدة فأقول:

قال الترمذيُّ: ثنا أبو كريب: ثنا سويد بن عمرو الكلبيِّ، عن حمَّاد بن سلمة، عن أيوب، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة أراه رفعه قال: «**أحبب حبيبك هونًا ما...**» الحديث. ثمَّ قال الترمذيُّ: «هذا حديثٌ غريبٌ لا نعرفه بهذا الإسناد إلَّا من هذا الوجه، وقد روي هذا الحديث عن أيوب بإسنادٍ غير هذا، رواه الحسن بن أبي جعفر -وهو حديثٌ ضعيفٌ أيضًا- بإسنادٍ له عن عليٍّ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، والصَّحيح عن عليٍّ موقوفٌ» اهـ كلام الترمذيِّ.

وقد رواه البيهقيُّ وابن عديٍّ والدَّارقطنيُّ بطُرقٍ ضعيفةٍ، وصرَّح الدَّارقطني في "الأفراد" بأنَّ رفعه لا يصح، وقال ابن حِبَّان: رفعه خطأ.

والحاصل: أنَّ الحديث موقوفٌ على عليٍّ عليه السلام.

هل تُردُّ أرواح الأنبياء؟

س٢٤٤- وسئل رضي الله عنه: هل صحَّ حديث في ردِّ أرواح الأنبياء إليهم بعد موتهم وكيف ذلك؟

ج٢٤٤- فأجاب سيادته بما نصُّه: حديث: «**ما مِن نبيٍّ يموتُ فيُقيمُ في قَبْرِهِ إلا أربعين صباحًا حتَّى تُرَدَّ إليه رُوحُهُ**». فقد ذُكِر في "الجامع الصغير" مختصرًا، ولفظه الذي أوردناه لا إشكال فيه وبهذا اللفظ أخرجه ابن حِبَّان في "الضعفاء" عن أنسٍ وأعلَّه بالخشنيِّ، لكن نازعه السيوطيُّ وقال: «إنَّ للحديث شواهد ترقيه إلى الحسن». يعني بذلك الأحاديث الدالة على حياة الأنبياء في قبورهم. نعم، روى الثوريُّ في "جامعه" عن شيخٍ، عن سعيد بن المُسيِّب قال: «ما يمكث نبيٌّ في قبره أكثر من أربعين حتى يُرفَع». وهذا شيءٌ لم يرد فيه حديثٌ صحيحٌ بل الأحاديث تُخالفه، وورد عن سعيدٍ نفسه ما يُخالفه أيضًا.

س٢٤٥: ما معنى قول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن اغْتَسَلَ يومَ الجُمُعةِ غُسْلَ الجنابة**»؟

ج٢٤٥- حديث: «**مَن اغتسلَ يومَ الجُمُعَةِ غُسْلَ الجنابة...**» إلخ. وزيادة هذه اللفظة لبيان أنَّ غسل الجمعة ليس لمجرَّد النظافة والتزين بل هو عبادةٌ، يكون بنيةٍ كغسل الجنابة.

حديث أمِّ عطية في غسل الميت

س٢٤٦: وسُئل رضي الله عنه عن حديث أمِّ عطية في غسل الميت؟

ج٢٤٦- فأجاب: وحديث أمِّ عطية في غسل الميت رواه الستة عنها، قالت: دخل علينا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حين ماتت بنته، فقال: «**اغْسِلْنها**

ثلاثًا أو خمسًا أو أكثر إن رأيتُنَّ ذلك بماءٍ وسِدْرٍ، واجعلن في الأخيرة شيئًا مِن كافورٍ». وأعطاها حِقْوَهُ -أي إزاره- وقال: «**أَشْعِرْنها إيَّاهُ**» أي ألففنها فيه.

وفي رواية «**ابدأن بمَيامِينها ومَواضِع الوضوء منها**». وله روايات، والتي غسَّلتها أمُّ عطية أمَّ كلثوم أو زينب على خلافٍ.

الصلاة الوسطى

س٢٤٧: هل حديث: «**شَغَلُونا عن الصَّلاة الوُسْطَى صَلاةِ العَصْرِ**». يفيد أنَّ الصلاة الوسطى هي العصر؟

ج٢٤٧- حديث: «**شَغلُونا عن الصَّلاةِ الوُسْطَى صَلاةِ العَصْرِ**». وهو في "صحيح مسلم" لكنه لم يقطع الخلاف في صلاة العصر؛ لأن الحديث ليس بمشهورٍ ولا بمستفيضٍ، فكثيرٌ من العلماء لم يطلع عليه ولم يسمع به، ومِن هنا جاء الخلاف.

«مَن أتَى كاهنًا أو عَرَّافًا...»

س٢٤٨- وسُئل أيضًا عن حديث: «**مَن أتَى كاهنًا أو عَرَّافًا...**» إلى آخر الحديث «**فقد كَفَرَ بما أُنزلَ على محمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم**» على أي شيءٍ يحمل الكفر؟

ج٢٤٨- فأجاب: إنَّ هذا كفرٌ عمليٌّ سيؤول فيما بعد إلى الكفر؛ لأن الشارع لَمَّا جاء الإسلام منع من تصديق هؤلاء لأنهم يخدمون الجنَّ.

من شيوخ المصنِّف في الرواية والكلام على بعض الأثبات

س٢٤٩- وسُئل عن روايته عن بعض العلماء؟

ج٢٤٩- فأجاب رضي الله عنه: أروي عن الشيخ محمد راغب الطباخ، والشيخ عبدالقادر توفيق الشلبيِّ، والسيِّد محمد زبارة الحسنيِّ، والشيخ عبدالواسع اليمنيِّ، والسيِّد المهدي العَزُّوزيِّ -والد السيِّد محمد العربي العزوزي- استجزته بفاس.

ولا أروي عن الشيخ حسن المشَّاط ولا عن الشيخ محمد الحجويِّ صاحب "الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي" لأنه ليس عندي منهما إجازة.

والشيخ حسن بن محمد المشَّاط المكي علَّامة وكان بيننا صداقة وروىٰ عني وصحَّحت له بعض كتبه التي كانت تطبع بالقاهرة ككتابه "طلعة الأنوار" في المصطلح وهو شرح علىٰ نظم مختصر الألفية للشيخ عبدالله العلوي الشنقيطيِّ.

والسيِّد المهدي العزَّوزي لا ثبت له، وأخبرتك أنه رجلٌ عاميٌّ، وقد استقبلته بفاس واستجزته لي ولأخي الأكبر. أمَّا البوجمعوي واسمه علي بن سليمان الدمنتي البوجمعوي فثبته مطبوعٌ بمصر، طبعه مؤلِّفه حين طبع حواشيه علىٰ الكتب الستة سنة ١٣٠٣، والسيِّد العربي العزَّوزي توفي ببيروت، ولا يعرفون عنه في المغرب إلَّا أنه ابن السيِّد المهدي.

والسيِّد أحمد رافع الطهطاوي سمعت منه حديث الأوَّلِيَّة وأجازني، والسيِّد عبدالحي الكتَّاني سمعت منه حديث الأوَّلِيَّة وأجازني، وثبت السيِّد أحمد رافع مقدَّم علىٰ "فهرس الفهارس" لشِدَّة إتقانه، ولأنه نبَّه علىٰ أوهام "فهرس الفهارس" وغيره، وأنا لم أره، ولكن أخبرني عنه أخي السيِّد أحمد

الذي رآه وأثنى عليه كثيرًا، بل فضَّله على كثيرٍ من الأثبات لتحقيقه، ولو طبع لكان يغني عن غيره، لكن أولاد المؤلِّف لا علاقة لهم بالعلم فلم يهتموا بطبعه، ثُمَّ إنَّ بعض مَن لا يتقي الله استعار بعض كراسات منه ولم يردها حتى مات المؤلِّف وبقي الكتاب ناقصًا، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله.

و"فهرس الفهارس" لا يحتاج إلى شرح ولم يشرحه أحد.

والشيخ الحجويُّ لم أقابله ولم أروِ عنه وكذلك أخي لم يروِ عنه وثبته لا بأس به وإن كان ضيِّق الرواية. والشيخ سليمان الصنيع كان على صلة بنا في مصر وكان رجلًا طيبًا رحمه الله لكن لم أروِ عنه ولم يروِ عني، ولم أعهد فيه العناية بالحديث، وإن كان له عناية بالكتب واطلاع فيها كبيرٌ.

والسيد أحمد رافع الطهطاوي مُسنِد العصر لأن كتابه "المسعى الحميد إلى بيان وتحرير الأسانيد" حرَّر الكلام فيه على أكثر من أربعمائة ثبت من المتقدِّمين والمتأخِّرين مع دقَّةٍ في اتصال رجالها ووفياتهم.

وقد حاول ذلك الشيخ عبدالحي الكتَّاني لكنه لم ينجح كثيرًا ووقع له أخطاء نبَّه عليها السيِّد أحمد رافع في كتابه.

أمَّا عبدالحفيظ الفاسي ومحمد بن جعفرٍ الكتَّانيُّ وأخي فإنهم ألَّفوا أثباتًا في روايتهم وشيوخهم فقط، أمَّا بدر الدين الحسني الدمشقي فهو وإن كان من شيوخي ليس من أهل الحديث ولا علم له به.

والحجوي وإن كان علَّامة مُحقِّقًا لم تكن له عناية واسعة بالرواية والإسناد كبعض معاصريه بالمغرب والحجاز والهند، وكذلك الكوثري عنايته بالرواية قليلةٌ جدًّا وأسانيده نازلةٌ، ومع ذلك استجزته قُبيل وفاته تبرُّكًا بعلمه وفضله رحمه الله.

والشريف محمد الباقر هو ابن السيِّد محمد بن عبدالكبير الكتاني، توفِّي رحمه الله منذ عدة سنوات، ولم أروِ عنه وإنما أروي عن عمه السيِّد عبدالحي.

والشيخ محمد حبيب الله ناولني رسالةً في المصافحة وأجازني، لكن ليس له شيوخٌ كثيرون ولا سندٌ عال، وليس هو صاحب موضوع الإرسال بل أخوه الخضر.

والشيخ محمد سالم النجدي يمكن أن يروي عن الأمير الكبير بواسطةٍ؛ لأنه مات عن سنٍّ عاليةٍ، والكوثري أدركه بمصر، وأدرك الشيخ محمد إمام السقَّا، لكن لا أدري هل قابله؟ لأني لم أسأله عنه، ولا يجوز أن يسند من طريقه عمن عاصرهم ممن أجازوا إجازة عامَّةً؛ لأنه لا يُعرف هل علم بها وقبلها؟

ورواية الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري عن سيِّدي محمد بن جعفر بواسطتين سندٌ نازلٌ جدًّا؛ لأن ابن جعفر توفِّي سنة (١٣٤٥) وأدركته بفاس.

وشيخنا القاضي عبدالحفيظ الفاسي لم يكن حافظًا ولا مُحدِّثًا ولكنه مُسنِدٌ، والشيخ محمد البشير الإبراهيمي الجزائري لم يكن له معرفةٌ بالحديث لا قليلًا ولا كثيرًا، زرته بمصر مرات وناقشته فوجدته خاوي الوفاض بادي الإنقاض وكنت أنوي استجازته فلمَّا تبيَّن لي بُعده الشاسع عن علم الحديث عدلت عن نيَّتي، وتبيَّن لي أيضًا أنه لا رواية له وكان وهَّابيًّا سفيه اللسان.

والشيخ بدر الدين الحسني أجازني، وليس له إلَّا سندٌ واحدٌ لا غير، وأخبرني أخي رحمه الله أنه حضر درسه الذي يلقيه بعد صلاة الجمعة فوجده يذكر الأحاديث الضعيفة والموضوعة ولا يعرفها.

السبب في ترك البخاري الرواية عن الإمام الشافعي

س٢٥٠- وسُئل رضي الله عنه: لماذا لم يروِ البخاريُّ للشافعيِّ؟

ج٢٥٠- فأجاب: والبخاري لم يرو للشافعيِّ في "الصحيح" لسببين- غير علوِّ السند، فالشافعي لم يُعمَّر وللخطيب البغدادي جزءٌ في هذا الموضوع-:

الأول: أنَّ الشافعيَّ كثيرًا ما يقول: أخبرنا الثقة، أو أخبرني من لا أتهم.

الثاني: أنَّ الرجال الذين روى لهم الشافعيُّ فيهم ضعفاء ومجاهيل، والشافعيُّ نفسه ينبِّه على بعضهم.

وسبب ثالث: وهو أنَّ الشافعي لم يكن واسع الراوية، والأحاديث التي رواها صحيحةً قليلةٌ، معظمها ليس على شرط البخاريِّ، والذي منها على شرطه هي عند البخاريِّ بطريقٍ أعلي.

وقد نقل البخاريُّ عن الشافعيِّ مرتين في "صحيحه"، مرة في كتاب الزكاة تحت عنوان: «باب في الرِّكاز الخمس»، ومرة في كتاب البيوع تحت عنوان: «باب تفسير العرايا».

الأحاديث الضعيفة في "مسند أحمد"

س٢٥١- وسئل رضي الله عنه عن الضعيف في "مسند أحمد"؟

ج٢٥١- فأجاب: "مسند أحمد" كتابٌ عظيمٌ وفيه أحاديث ضعيفةٌ رواها أحمد نفسه، وسبب ذلك فيه أنه روى عن رجال يرى توثيقهم وضعَّفَهم الجمهور، أو أنه كان يرى العمل بالضعيف إذا لم يجد غيره، ويراه خير من رأي الرجال، وهذا رأي تلميذه أبي داود أيضًا.

تفرُّد حمَّاد بن شاكر

س٢٥٢- وسُئل رضي الله عنه عن تفرُّد حمَّاد بن شاكر بأحاديث في روايته للبخاري عن باقي الرواة.

ج٢٥٢- فأجاب: ما تفرَّد به حمَّاد بن شاكر يعزىٰ إلىٰ البخاريِّ مقيدًا برواية حمَّاد بن شاكر لا مطلقًا.

أمراء المؤمنين في الحديث

س٢٥٣- وسئل عن أمراء المؤمنين في الحديث.

ج٢٥٣- فأجاب: أمراء المؤمنين في الحديث عشرون جمعهم الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطيُّ في رسالةٍ مطبوعةٍ بمصر، منهم: شعبة، ومحمد بن إسحاق، ومالكٌ، والبخاريُّ، والدارقطنيُّ، وخاتمتهم ابن حجرٍ العسقلانيُّ.

رواية شيخ الإسلام زكريا الأنصاري عن البرهان التنوخي

س٢٥٤- وسُئل: عن رواية شيخ الإسلام زكريا الأنصاري عن البرهان التنوخي.

ج٢٥٤- فأجاب: زكريا الأنصاري يروي عن البرهان التنوخي مباشرةً كما يروي عنه الحافظ ابن حجرٍ.

مرتبة النجديين في الحديث

س٢٥٥- وسئل عن عناية النجديين بالصناعة الحديثية.

ج٢٥٥- فأجاب: القوم هناك ليس لهم عنايةٌ بالحديث ولا بكتبه النادرة؛ فلذلك توجد مكاتبهم خاوية من النفائس كما ذكرت، وعنايتهم متوجِّهةٌ إلىٰ كتب ابن تيمية وكتب الحديث المشهورة مع تزمُّتهم داخل المذهب الحنبليِّ،

والإمام أحمد نفسه كان مُتزمِّتًا وسرت روحه في أهل مذهبه.

تحقيق "أحاديث القصاص" للشيخ محمد الصباغ

س٢٥٦- وسئل عن تحقيق الشيخ محمد الصباغ الدمشقي لـ"أحاديث القصاص".

ج٢٥٦- فأجاب: الشيخ محمد الصباغ رأيت له "أحاديث القصاص" فقط، وهو ليس بذاك.

التعليقات على "البرهان الجلي"

س٢٥٧- وسُئل عن كاتب التعليقات على "البرهان الجلي".

ج٢٥٧- فأجاب: التعليقات التي على كتاب "البرهان الجلي" للشيخ أحمد مرسي أخذها عنِّي.

رأي الشيخ رحمه الله في بعض من وُصِف بالحفظ

س٢٥٨- وسأله تلميذه الشيخ محمود سعيد محمد ممدوح عن بعض الحفَّاظ من بعد الحافظ ابن حجرٍ، وعن رأيه في بعض من وصف بالحفظ؟

ج٢٥٨- فأجاب رضي الله عنه: مسألة الحفَّاظ بعد ابن حجرٍ بحث طريف ينبغي الاعتناء به وقيامك به حسنٌ جدًّا. والحافظ في هذه العصور المتأخِّرة مَن عَنَى بعلم الحديث، وقرأ كتبه الكثيرة سماعًا، وحفظ جملة مستكثرة من الأحاديث، وكان له اطلاعٌ ومعرفةٌ بالمتون والرجال والمؤلَّفات المختلفة.

والأسماء التي ذكرتها[1] ليس في أصحابها مَن يستحق اسم الحافظ إلَّا ابن

---

(١) هذا الخطاب موجه لتلميذه الشيخ محمود سعيد محمد ممدوح فإنه كان يشتغل في

فهدٍ، ونسيت أن تذكر الحافظ عثمان الديميَّ كان معاصرًا للسيوطيِّ وصديقًا له، وتلميذًا للحافظ ابن حجرٍ، وقاسم بن قطلوبغا الحنفيَّ تلميذ ابن حجرٍ أيضًا.

وراجعت كشف الحفَّاظ الذين ذكرتهم فلاحظت ما يأتي:

١- ابن سنة الفلاني شخصٌ لا وجود له وإنما اختلقه الشيخ صالح الفلاني غفر الله له، كما اختلق اسم الشريف محمد بن عبدالله الولاتي، ادَّعى لهما علوَّ السَّند، وهو نفسه لا يستحق اسم الحافظ.

٢- سُقِّين العاصمي له إجازات وليس بحافظ.

٣- إطلاق الشيخ زاهد لفظ: «حافظ» على شيوخه الأتراك يقصد به حفظ القرآن على عادة الأتراك في ذلك، فإن مَن يُتقِن حفظ القرآن منهم يسمُّونه حافظًا.

٤- الدِّيمي الصغير ليس بحافظٍ

الإمام البخاريُّ مقدمٌ على الإمام أحمد في الصناعة الحديثية

س٢٥٩- وسُئل رضي الله عنه: لماذا يُقدَّم الإمام البخاريُّ على الإمام أحمد؟ وهل كان الترمذيُّ أعلم من أحمد في العلل؟

ج٢٥٩- فأجاب: الإمام البخاريُّ له كتابان يدلَّان على تقدُّمه في الصناعة الحديثية على الإمام أحمد وغيره، وهما "الجامع الصحيح" و"التاريخ الكبير"،

"ذيل الحفاظ" وكان يراسل شيخه العلامة عبدالله بن الصِّدِّيق رحمه الله تعالى وكل ما سيأتي من نظائره فهو هو.

ما خطَّت أنامل أحمد بن حنبلٍ مثلهما، فإنَّ فيهما من الاستنباط الدقيق والتعديل والتجريح والترجيح عند التعارض ما يقضي بتفوق البخاريِّ على كثيرٍ من شيوخه. ودخل شيخه إسحاق بن راهويه -وهو مَن هو- عليه يعوده فاستفاد منه أثرًا أخرجه في سنده.

ويقول البخاريُّ عن شيخه علي بن المدينيِّ: «ما استصغرت نفسي عند أحد غيرعليٍّ، وودتُ لو كنت شعرة في صدره، ومع ذلك كنت أُغرب عليه». يعني أنَّ البخاريَّ كان يذكر لعليٍّ بن المديني أحاديث لا يعرفها.

وفي "صحيح البخاري" حديث: «**مَن عادى لي وليًا...**» إلخ، ليس هو في "المسند" على كبره، لأن أحمد لم يطَّلع عليه.

أمَّا الترمذي فتلميذ البخاري ومنه استفاد في العلل والتجريح، وكتابه "السنن" مفيد في هذا الباب خصوصًا العلل، وهذا علم البخاري، ولا عجب أن يكون أعلم من الإمام أحمد من هذه الناحية.

ونظير هذا أنَّ ابن رجب أعلم بعلل الأحاديث من ابن تيمية بمراحل، وكتابه "شرح علل الترمذي" يدل على ذلك، وابن تيمية مع حفظه كان ضعيفًا في علم العلل، ومع ذلك كان أحمد عالمًا بالعلل وله أجوبة وآراء.

حاشية على "صحيح مسلم" للمؤلف

س٢٦٠- وسأله تلميذه الشيخ محمود سعيد محمد ممدوح عن حاشية على "صحيح مسلم" في أربعة مجلدات وجدها بخطِّ السيِد عبدالله بن الصديق الغماري بمكتبة جامعة الرياض، واستغرب لذلك؟

ج٢٦٠- فأجابه رضي الله عنه: والهوامش التي على "صحيح مسلم"[١] إن أمكنك نقلها فحسن جدًا لأنها خلاصة أبحاثي وأبحاث غيري من بعض المحقِّقين.

ترتيب كتب السُّنَّة بحسب الأصَحِّية

س٢٦١- وسُئل رضي الله عنه: عن ترتيب كتب السُّنَّة بحسب الأصَحِّية؟

ج٢٦١- فأجاب: ترتيب كتب الحديث الصحيحة: البخاريُّ، ثُمَّ مسلمٌ، ثم أبو عوانة والإسماعيلي، ثُمَّ ابن خزيمة، ثُمَّ ابن حِبَّان، ثُمَّ الحاكم، ثُمَّ الضياء المقدسي.

ثُمَّ كتب السنن: سنن الدارمي، ثُمَّ النِّسائيُّ، ثم أبو داود، ثُمَّ الترمذيُّ، ثُمَّ الموطأ، ثُمَّ ابن ماجه.

الفرق بين "ميزان الاعتدال" و"تهذيب التهذيب"

س٢٦٢- وسُئل رضي الله عنه: عن الفرق بين "ميزان الاعتدال" و"تهذيب التهذيب"، وهل يكفيان في الرِّجال؟

ج٢٦٢- فأجاب: "ميزان الاعتدال" في الضعفاء مطلقًا، و"تهذيب التهذيب" في رجال الستة. وأحدهما لا يغني عن الآخر، وكلاهما لا يكفيان في الرجال.

---

(١) قصة هذه الهوامش على "صحيح مسلم" أنها حاشية على الصحيح في أربع مجلدات بخط السيِّد عبدالله بن الصِّدِّيق بيعت في محنته بمصر ووقف عليها الشيخ محمود سعيد ممدوح بمكتبة الرياض وكانت تحوي في ذلك الوقت مكتبات: سليمان الصنيع، خير الدين الزركلي، أحمد خيري، ورجل من آل الشيخ.

اصطلاح الحافظ عند الزيدية

س٢٦٣- وسُئل رضي الله عنه: عن اصطلاح الحافظ عند اليمنيين الزيدية؟

ج٢٦٣- فأجاب: ليس في اصطلاح اليمنيين إطلاق الحافظ على حافظ القرآن، لكنهم يطلقونه على من يكون كثير الاطلاع كالحسين العمري الصنعاني.

صاحب "كشف الأستار المسبلة"

س٢٦٤- وسُئل رضي الله عنه عن صاحب "كشف الأستار المسبلة".

ج٢٦٤- فأجاب: "كشف الأستار المسبلة" صاحبه أبو الحسن علي بن أحمد، يمني كان بمصر ثم رجع إلى اليمن وقتل في الفتنة التي حصلت بعد مقتل الإمام يحيى، وحديث: «البسملة» واهٍ بلا شك، وكتاب "إفهام الحي" لم أره ولم يطبع بل لم يكمل.

تحسين الترمذيِّ لحديث «طِيب الرجال»

س٢٦٥- وسُئل رضي الله عنه عن تحسين الترمذيِّ لحديث «طِيب الرجال».

ج٢٦٥- فأجاب: للترمذيِّ اصطلاحٌ خاصٌّ في الحديث الذي يقول فيه: «حسن» فقط، بيَّنه في «كتاب العلل» حيث قال:

«وما ذكرنا في هذا الكتاب: «حديثٌ حسنٌ» فإنما أردنا حسن إسناده عندنا، كل حديث يروى لا يكون في إسناده من يتهم بالكذب ولا يكون الحديث شاذًّا و يروى من غير وجه نحو ذلك فهو عندنا حديث حسنٌ». اهـ كلامه.

وحديث: «طِيب الرجال» كذلك؛ لأنه ليس في إسناده متهمٌ وليس هو

بشاذٍّ وله طرقٌ أخرىٰ، فلهذا قال عنه: «حديث حسنٌ» ولا مشاحَّة في الاصطلاح.

ثُمَّ الغريب ما ليس له إلَّا طريقٌ واحدٌ، وحديث: «طيب الرجال» له طريقان أو ثلاثة فلا يكون غريبًا.

هل في البخاري أحاديث ضعيفة

س٢٦٦- وسُئل رضي الله عنه: هل في البخاري أحاديث ضعيفة؟

ج٢٦٦- فأجاب: في "صحيح البخاري" أحاديث ضعيفة لا من جهة السند بل من جهة المعنىٰ، لكنها ليست بكثيرةٍ، وشرح ذلك يطول، وأذكر لك مثالًا واحدًا للتوضيح:

في "صحيح البخاري" حديث: «**لَعَنَ اللهُ اليهودَ اتَّخذُوا قُبورَ أنبيائهم مَساجِدَ**». فهذا الحديث لم يعترضه الحفَّاظ مع أنه باطلٌ لأمور:

١- أنَّ الله أخبر عن اليهود أنهم يقتلون أنبيائهم في عِدَّة آيات فكيف يعقل أن يقتلوهم ثُمَّ يتخذوا قبورهم مساجد؟!

٢- أنه لا يوجد قبر نبيٍّ معروفٍ لليهود ولا للمسلمين إلَّا قبر إبراهيم وأولاده في بلدة الخليل، ولم يثبت أنَّ اليهود عبدوا هذه القبور.

٣- أنَّ كنائس اليهود ليس فيها قبر نبيٍّ ولا صورة له.

٤- أنَّ اليهود لم يكونوا يحترمون الأنبياء أو يقدِّسونهم، فإلىٰ جانب قتلهم لهم آذوا موسىٰ، وكفَّروا سليمان ونفوا عنه النبوة، واتهموا داود بالزنا وشرب الخمر، وقالوا تهكمًا: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٥٧].

السيوطي أوسع حفظًا من ابن حجرٍ

س٢٦٧- وسُئل رضي الله عنه عن حفظ الحافظ السيوطي.

ج٢٦٧- فأجاب: كان الحافظ السيوطي أوسع حفظًا من الحافظ ابن حجرٍ مع قلَّة إتقانه وكثرة تساهله.

المقصود من قول الشافعي «حدثني الثقة»

س٢٦٨- وسُئل رضي الله عنه عن المبهم في قول الشافعي: «حدثني الثقة»، هل هو مالك؟

ج٢٦٨- فأجاب: إذا قال الشافعي: «حدَّثني الثقة» فلا يقصد مالكًا، بل يقصد يحي بن حسان أو إسماعيل بن علية أو غيرهما.

وقال: وإذا قال الشافعيُّ: «حدَّثني من لا أتهم» فقد يريد إبراهيم بن أبي يحيىٰ وقد يريد غيره.

معنى قول بعض المحدِّثين: «فلان لا يروي إلَّا عن ثقةٍ»

س٢٦٩- وسئل رضي الله عنه عن معنىٰ قول بعض المحدِّثين: «فلان لا يروي إلَّا عن ثقةٍ».

ج٢٦٩- فأجاب رضي الله عنه: قول بعض المحدِّثين: «فلان لا يروي إلَّا عن ثقةٍ» يستفاد منه في ترجيح صحَّة حديث روي من طريق شخصٍ روىٰ عنه من لا يروي إلَّا عن ثقةٍ، أو ترجيح توثيق ذلك الراوي إذا ضعَّفه أحدٌ، أو اختلف في تضعيفه وتوثيقه.

متى يحسن حديث المستور

س٢٧٠- وسئل رضي الله عنه: متىٰ يحسن حديث المستور؟

ج٢٧٠- فأجاب: المستور قد يُحَسَّن حديثه إذا لم يكن منكرًا، وكان رجال السند ثقات سواه.

العمل بالحديث الضعيف وموقف الألباني منه

س٢٧١- وسُئل عن العمل بالحديث الضعيف وموقف الألباني منه؟

ج٢٧١- فأجاب: أما دعوىٰ الألباني فهو مخطئ.

أولًا: لإيهامه أنها من اجتهاداته مع أنه مقلِّدٌ لابن العربي المعافري، والأمانة العلمية توجب أن يقول: هذا رأي فلان وأنا أرجِّحه، وابن عبَّاسٍ يقول: «السرقة في العلم أشد مِن السرقة في المال».

وثانيًا: الحفَّاظ حين أجمعوا -إلَّا ابن العربي- علىٰ العمل بالضعيف في الفضائل اقتدوا بالشارع، فإنه تسامح في فضائل الأعمال ما لم يتسامح في الفرائض؛ أجاز للصحيح القادر أن يصلِّي النافلة قاعدًا، وأن يصلِّي ركعة منها قائمًا وأخرىٰ قاعدًا، ويبتدئ النافلة قاعدًا ثُمَّ عند الركوع يقوم فيركع مِن قيام، ويجوز أن يُصلِّيها مضطجعًا، كلُّ هذا في الحديث.

وأجاز في النافلة أن تصلَّىٰ علىٰ الراحلة ولو اتجهت لغير القبلة، وفي الصوم أجاز للمتنفِّل أن ينويه من النهار ما لم يأكل، وفي الفرض لا يصح إلَّا بنيةٍ قبل الفجر، والصائم المتطوِّع إذا شاء أفطر ولم يتم صومه ولا إثم عليه، والترتيب بين المناسك في الحجِّ سنةٌ، وسُئل النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عمن خالف

ترتيبها وقدَّم ما هو مؤخَّر وبالعكس فقال: «**افعل ولا حرج**».

وهذا بابٌ واسعٌ لمن تتبَّعه، فالحفَّاظ ماعدوا أن اقتدوا بالشارع.

وثالثًا: فإنهم اشترطوا للعمل بالضعيف شرطين مهمَّين:

أحدهما: أن يكون ضعفه خفيفًا لا شديدًا. **والآخر**: أن يكون مندرجًا تحت أصلٍ عامٍّ كآيةٍ أو حديثٍ أو قاعدةٍ لئلا يستقل الضعيف بإثبات فضيلة لا يوجد ما يشهد لها.

ورابعًا: قولهم: «الضعيف لا يُعمل به في الأحكام» كلامٌ نظريٌّ لم يطبَّق عمليًّا، فقد عمل الأئمَّة الأربعة بالحديث الضعيف في الأحكام مجتمعين ومنفردين، وللحافظ ابن الملقن كتاب "المعيار" مرتَّبٌ على الأبواب الفقهية، ذكر في كلِّ بابٍ الأحاديث الضعيفة التي عمل بها الأئمَّة كلهم أو بعضهم وهو نفيسٌ.

وخامسًا: قرَّر أبو حنيفة تقديم الضعيف على القياس في الأحكام، وهو مذهب أحمد أيضًا. وقد كنت كتبت مقدمة لـ"رياض الصالحين" طبع بالدار البيضاء، تعرضت فيها للعمل بالضعيف في الفضائل.

نهاية تقييد الحديث مسندًا

س٢٧٢- وسئل رضي الله عنه: عن تقييد الحديث الشريف بالإسناد، وهل انتهى بعصر البيهقي؟

ج٢٧٢- فأجاب رضي الله عنه: تقييد الحديث لم ينته بالبيهقيِّ، بل امتدَّ بعده فشمل الديلميَّ صاحب "مسند الفردوس"، والضياء المقدسي صاحب "المختارة"، والطبسي؛ من شيوخ ابن عساكر، وتلميذه ابن عساكر صاحب

"التاريخ" المشهور، وابن النجار صاحب "ذيل تاريخ بغداد". وكتب هؤلاء مشهورةٌ يُعزَىٰ إليها الحديث كما يُعزَىٰ لكتب المتقدِّمين عليهم، بل قال ابن تيمية: «تصحيح الضياء في "المختارة" أعلىٰ من تصحيح الحاكم».

درجة أحاديث تاريخ بغداد

س٢٧٣- وسئل رضي الله عنه عن الأحاديث المذكورة في "تاريخ بغداد" للحافظ الخطيب البغدادي، ودرجتها من حيث الصحة والضعف.

ج٢٧٣- فأجاب رضي الله عنه: "تاريخ الخطيب" فيه أحاديث حسنةٌ وصحيحةٌ لكنها قليلةٌ، وفيه موضوعات ومنكرات أوردها للتنبيه عليها بواسطته أو بواسطة مشايخه ومشايخهم، وهو كتاب مفيد جدًا وفيه، فوائد تشد إليها الرحال.

زيادات رزين العبدري

س٢٧٤- وسئل رضي الله عنه عن زيادات رزين العبدري في كتابه الذي جمع فيه الأصول الستة.

ج٢٧٤- فأجاب رضي الله عنه: رزين العبدري لم يكن من الحفَّاظ، والزيادات التي زادها لا يوردها بإسنادٍ بل هي معلَّقةٌ، وأغلبها لا أصل له.

هل أحاط المجتهدون بالسنة؟

س٢٧٥- وسئل رضي الله عنه: هل أحاط المجتهدون بالسنة؟

ج٢٧٥- فأجاب رضي الله عنه: أبو حنيفة والشافعي والأوزاعي لم يحيطوا بالسُّنَّة، بل لم يكن الشافعي وأبو حنيفة مِن الحفَّاظ، فادِّعاء إحاطتهما بالسُّنَّة غلوٌّ شديدٌ مردودٌ.

ترتيب كتب الحديث؟

س٢٧٦- وسئل رضي الله عنه عن ترتيب كتب الحديث.

ج٢٧٦- فأجاب رضي الله عنه: لابن حزمٍ كلام في ترتيب كتب الحديث نقله الذهبيُّ في "تذكرة الحفاظ" (ج٣/ ص ١١٥٣) في ترجمة ابن حزمٍ فانظره هناك.

كتاب "الفوائد الموضوعة"

س٢٧٧- وسُئل رضي الله عنه عن كتاب "الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة" للشيخ مرعي الكرمي المقدسي الحنبلي، والذي حققه محمد بن لطفي الصباغ، وطبع بالرياض.

ج٢٧٧- فأجاب: قرأت كتاب "الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة" فوجدته عديم الفائدة، والذي حقَّقه لا يعرف الحديث.

الرد على الألباني في منعه العمل بالحديث الضعيف

س٢٧٨- وسُئل رضي الله عنه عن منع الألباني للعمل بالحديث الضعيف وما حجة من عمل به من الحفاظ والفقهاء؟

ج٢٧٨- فأجاب: والألباني محدِّثٌ صُحَفيٌّ، مغرورٌ، هَجَّامٌ، شَتَّامٌ، جاهلٌ بالأصول وقواعد الاستنباط، له استنباطاتٌ مضحكةٌ ومخالِفةٌ للإجماع. ثُمَّ هو غير مأمونٍ؛ يُصَحِّح ويُضَعِّف حسب هواه، ولا يُحسن إلَّا سَبَّ العلماء والولوغ في أعراضهم. وإنكار العمل بالضعيف في الفضائل سبق إليه ابن العربي المعافري، وقلَّده القنوجي في "نزل الأبرار"، ثُمَّ جاء الألبانيُّ في مؤخِّرة القطار يُردِّد

الصَّدَى.

ولم يعلم أنَّ ابن الملقِّن له كتاب "المعيار" جمع فيه الأحاديث الضعيفة التي عمل بها الأئمَّة الأربعة مجتمعين أو منفردين ورتَّبه على الأبواب الفقهية، وأنَّ الشارع نفسه تساهل في الفضائل.

خذ مثلًا صلاة النفل؛ تصح من قعود مع القدرة على القيام ولا يصح ذلك في الفرض، وصوم التطوُّع يصح بنيَّة من النهار ما لم يطعم والفرض لا يصح إلَّا بنية من الليل، والصائم المتطوع له أن يفطر قبل المغرب كما في الحديث، أي لا يتم صومه، وصيام الفرض لا يجوز فيه ذلك.

ومن فضائل الحج ترتيب المناسك كالرمي والحلق والذبح والطواف، وقد سُئل النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عمن عكس ترتيبها فقال: «**افعل ولا حرج**».

فأهل الحديث حين تساهلوا في الضعيف بالنسبة للفضائل؛ بالشارع اقتدوا فماذا يقول الألبانيُّ الجاهل المتزمِّت؟

حول كتاب "المنتقى" لابن الجارود

س٢٧٩- وسُئل رضي الله عنه عن قول الشيخ حماد بن محمد الأنصاري: إن "المنتقى" لابن الجارود مستخرج عن "صحيح ابن خزيمة"، ونقله عن الحافظ ابن حجرٍ؟

ج٢٧٩- فأجاب: ما ذكره الشيخ حماد عن كتاب "المنتقى" ليس بصحيح، وهو في نقله عن الحافظ ابن حجرٍ واهمٌ.

إنكار ابن تيمية والذهبيِّ مؤاخاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام

س٢٨٠- وسئل رضي الله عنه عن إنكار ابن تيمية والذهبيِّ مؤاخاة النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لعليٍّ عليه السلام.

ج٢٨٠- فأجاب رضي الله عنه: مؤاخاة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لعليٍّ عليه السلام ثابتةٌ في "سيرة ابن إسحاق" وهي مستفيضةٌ، ولم يثبت أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم آخى بين عليٍّ وأحد من الصحابة، وإنكار ابن تيمية والذهبيِّ لها؛ نزعةٌ شاميةٌ ناصبيةٌ.

وليقولا لنا : مَن أخو عليٍّ مِن الصحابة؟؟! فإنهما لن يستطيعا جوابًا عن ذلك لأنه لم يكن له أخ إلَّا النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وإنكار هذا إنكارٌ للضروريات كإنكار عِلْمِهِ وشجاعته وزُهْدِه عليه السَّلام.

حكمةٌ صوفيةٌ وليس بحديث

س٢٨١- وسُئل: عن حديث: «**ما عبدالله بشيء أكثر من جبر الخواطر**»؟

ج٢٨١- فأجاب: «ما عبدالله بشيء أكثر من جبر الخواطر» ليس بحديثٍ، بل هو حكمةٌ صوفيةٌ يتداولها الصوفية في كتبهم ومحاضراتهم.

الراوي المُختلَف فيه

س٢٨٢- وسُئل رضي الله عنه عن كيفية التصرُّف مع الراوي المُختلَف فيه؟

ج٢٨٢- فأجاب رضي الله عنه: الراوي المختلَف فيه يُحسَّن حديثه لقرينةٍ تقوم به، بصرف النظر عن قواعد الجرح والتعديل، وهو أمرٌ يتعلَّق بشخص المُحدِّث وشفوف نظره، وكذلك الحديث المختلَف فيه.

سكوت الحافظ ابن حجرٍ عن الحديث في "فتح الباري"

س٢٨٣- وسئل رضي الله عنه عن سكوت الحافظ ابن حجرٍ عن الحديث في "فتح الباري"، هل يعد تصحيحا له؟

ج٢٨٣- فأجاب رضي الله عنه: سكوت الحافظ عن الحديث في "فتح الباري" يعتبر مقبولًا عنده، صرَّح بذلك في أول "فتح الباري"، وسكوته عن الحديث في "التلخيص الحبير" لا يدل على ذلك.

ترك العمل بالحديث في زمن الصحابة والتابعين

س٢٨٤- وسئل رضي الله عنه عن الحديث إذا ترك العمل به في زمن الصحابة والتابعين.

ج٢٨٤- فأجاب رضي الله عنه: ترك العمل بالحديث في زمن الصحابة والتابعين لا يشير إلي شيءٍ، إلَّا إذا كان الترك إجماعًا منهم مع علمهم بالحديث، فيشير إلى أنه شاذٌّ أو منسوخٌ.

كتاب "قواعد في علم الحديث" للتهانوي

س٢٨٥- وسئل رضي الله عنه عن كتاب "قواعد في علم الحديث" للتهانوي.

ج٢٨٥- فأجاب رضي الله عنه: كتاب "قواعد في علم الحديث" للشيخ ظفر أحمد التهانوي، وهو يمشي فيه على أصول الحنفية.

هل الحسن عند الترمذيِّ ضعيفٌ عند أحمد؟

س٢٨٦- وسُئل عن قول ابن تيمية وابن القيِّم: «أنَّ الحسن عند الترمذيِّ ضعيفٌ عند أحمد»؟

ج٢٨٦- فأجاب وقول ابن تيمية وابن القيِّم: «أنَّ الحسن عند الترمذيِّ ضعيفٌ عند أحمد» ليس بقاعدةٍ منصوصٍ عليها في المصطلح، وإنما أخذاه مِن أنَّ المتقدِّمين قسَّموا الحديث إلى صحيحٍ وضعيفٍ وأنَّ الترمذيَّ أوَّل مَن قسَّمه إلى صحيحٍ وحسنٍ وضعيفٍ؛ فاستنبطا مِن هذا أنَّ الحسن عند الترمذيِّ ضعيفٌ عند أحمد، وهذا خطأ مِن وجهين:

الأول: أنَّ الحسن جاء في كلام عليِّ بن المديني وبعض القُدماء.

الثاني: أنَّ الترمذيَّ حسَّن أحاديث هي في "صحيح مسلم" أو "البخاري".

وأيضًا فإنَّ تعريف الحسن عند الترمذيِّ يخالف تعريف الضعيف عند الجمهور، نعم قد يكون حديثٌ حسنٌ عند الترمذيِّ ضعيفًا عند أحمد لكن ليس دائمًا ولا مطَّرِدًا.

كتاب "الكنز الثمين" وطباعة بعض كتب الشيخ بدون إذنه[1]

س٢٨٧- وسئل عن كتاب "الكنز الثمين" وطباعة بعض كتبه بدون إذنه.

ج٢٨٧- فقال: مؤلفاتي التي طُبِعَت أحب أن أعرفها وأود أن لا يكون فيها "الكنز الثمين" لأني غير راضٍ عن هذا الكتاب لأني كتبته في ظروفٍ صعبةٍ لم

---

(١) كانت مكتبة عالم الكتب ببيروت قد طبعت بعض كتبه رضي الله عنه بدون إذنه.

يكن عندي مراجع فجاءت فيه أحاديث ضعيفة، ولذلك يحتاج إلى تنقيحٍ وتحريرٍ.

معاوية بن أبي سفيان

س٢٨٨- وسُئل عن معاوية بن أبي سفيان؟

ج٢٨٨- فأجاب: معاوية من مسلمة الفتح، فهو صحابيٌّ.

لكن جاءت عنه أشياء نقمها عليه الصحابة، وأنا شخصيًّا لا أتكلَّم فيه ولا أترضَّى عنه، ولا خلاف أنه كان باغيًا بخروجه على الإمام الحقِّ عليٍّ عليه السلام.

وقال في موضع آخر: خمسة من الصحابة لا أترضى عنهم ولا أسبهم: معاوية، وعمرو، والنعمان بن بشير، وسمرة بن جندب، والمغيرة بن شعبة.

وكان المغيرة بن شعبة واليًا لمعاوية على الكوفة وكان خطيب المسجد يسب عليًّا عليه السلام فاعترضه سعيد بن زيدٍ أحد العشرة المبشرين بالجنة، واعترضه حُجْر بن عديٍّ وأصحابه وهذا كان سبب قتل معاوية لحجر بن عديٍّ رضي الله عنه. ومعاوية كان كاتبًا لرسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعد الفتح لكن لم يكتب الوحي.

سند السيد عبدالله إلى كتاب "اللمع" للشيرازيِّ

س٢٨٩- وسأله تلميذه محمود سعيد محمد ممدوح عن سنده إلى كتاب "اللمع"لأبي إسحاق الشيرازيِّ ؟

ج٢٨٩- فأجابه بقوله: بدا لي أن أسعفك بمطلوبك فأذكر سندي إلى أبي إسحاق الشيرازيِّ فأنا أروي كتاب "اللمع" وغيره من كتبه عن شيخنا خطيب الجامع الأزهر الشيخ محمد إمام السَّقَّا الشافعيِّ، عن والده شيخ الشافعية بمصر

الشيخ إبراهيم السقا، عن محمد بن سالم الفشنيِّ ثعيلب، عن الشهابين الجوهريِّ والمليِّ، كلاهما عن أبي العز محمد بن أحمد العجميِّ الوفائيِّ، عن شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشوبريِّ، عن شمس الدين محمد بن أحمد بن حمزة الرمليِّ، عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاريِّ، عن محمد بن مقبل الحلبيِّ، عن محمد بن علي الحراويِّ، عن الحافظ شرف الدين الدمياطيِّ، عن أبي الحسن بن المقير، عن الفضل بن سهل الاسفراينيِّ، عن الحافظ أبي بكر الخطيب، عن الإمام أبي إسحاق الشيرازي رحمه الله ورضي عنه.

هل البيهقي أمير المؤمنين في الحديث

س٢٩٠- وسئل رضي الله عنه: هل البيهقي أمير المؤمنين في الحديث؟

ج٢٩٠- فأجاب رضي الله عنه: البيهقي حافظ بارك الله في علمه ومصنفاته ولم يكن أمير المؤمنين في الحديث والحاكم شيخه أعلم منه وأوسع رواية.

رد كلام ابن تيمية في حديث صلاة التسابيح

س٢٩١- وسئل رضي الله عنه عن كلام لابن تيمية رد فيه حديث صلاة التسابيح.

ج٢٩١- فأجاب رضي الله عنه: زعم ابن تيمية أثناء كلام له على صلاة التسابيح حَكَم فيه بوضع حديثها أنه لم يثبت عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنه ضمن في عمل أنه يغفر لصاحبه ما تأخر من ذنبه.

قال: «وقد جمع عبدالعظيم المنذري في ذلك مصنفًا وأحاديثه كلها ضعيفة بل باطلة حتى حديث العمرة بإحرام من المسجد الأقصى.

وإنما الأحاديث الصحيحة مثل قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن صامَ رمضانَ إيمانًا واحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ ما تقدَّمَ مِن ذَنْبِهِ**»، «**مَن حَجَّ هذا البيتَ فلم يرفُثْ ولم يَفْسُقْ رَجَعَ مِن ذُنُوبِهِ كيومِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**»، «**مَن توضَّأ نحو وُضُوئي هذا ثُمَّ صَلَّى ركعتين لا يُحدِّثُ نَفْسَهُ فيهما بشيءٍ غُفِرَ لَهُ ما تقدَّم مِن ذَنْبِهِ**»، وكقوله: «**الصَّلُواتُ الخَمْسُ والجُمُعَةُ إلى الجُمُعَةِ ورمضانُ إلى رمضانَ مُكَفِّراتٌ لما بينهنَّ إذا اجْتُنبتِ الكبائرُ**».

فهذه الأحاديث وأمثالها هي الأحاديث التي رواها أهل الصحيح وتلقَّاها أهل العلم بالقبول». اهـ كلامه، وهو مردودٌ باطل.

ويكفي في رده ما ثبت في "صحيح مسلم" عن أبي قتادة قال: سئل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن صيام عرفة فقال: «**يكفر السنة الماضية والباقية**».

وفي "صحيح البخاري" عن علي عليه السلام عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لعلَّ الله اطَّلَعَ على أهلِ بَدْرٍ فقال اعْمَلُوا ما شِئْتُم فقد وَجَبَتْ لكُم الجنَّةُ، أو فقد غَفَرْتُ لَكُمْ**».

ورواه مسلمٌ بنحوه من حديث ابن عبَّاسٍ عن عمر، ورواه أحمد وابن أبي شيبة وأبو داود من حديث أبي هريرة ولفظه: «**إنَّ الله اطَّلَعَ على أهل بَدْرٍ فقال: اعْمَلُوا ما شِئْتُم فقد غَفَرْتُ لَكُمْ**».

أفاد الحديث الأول أن صوم عرفة يكفر السنة الآتية، كما أفاد الحديث الثاني أن شهود بدر غفر للبدريين ما تأخر من ذنوبهم وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ١ - ٢].

فالحق أن الأحاديث صحت في أعمال تغفر لصاحبها ما تأخر من ذنبه وهي

التي بينها المنذري وابن حجرٍ في كتابيهما، وابن تيمية تعود الإطلاقات المهوِّلة التي لا تنبني على تحقيق علمي، مع أن كلًا من المنذري وابن حجرٍ أعلم منه بصناعة الحديث وقواعده وأخبر بالعلل والرجال بل لا نسبة بينهما وبينه في ذلك، وهما إلى جانب هذا أتقى لله وأورع من أن يصححا حديثًا ضعيفًا أو باطلًا.

جواز العمل بالحديث الضعيف بشروطه

س٢٩٢- وسئل رضي الله عنه عن حكم العمل بالحديث الضعيف.

ج٢٩٢- فأجاب رضي الله عنه: قال ابن الصلاح وغيره: «يجوز عند أهل الحديث وغيرهم التساهل في الأسانيد ورواية ما سوى الموضوع من أنواع الأحاديث الضعيفة من غير اهتمام ببيان ضعفها فيما سوى صفات الله تعالى وأحكام الشريعة من الحلال والحرام وغيرهما وذلك كالمواعظ والقصص وفضائل الأعمال وسائر فنون الترغيب والترهيب مما لا تعلق له بالأحكام والعقائد».اهـ

وورد نحو هذا عن أئمة الحديث والسنة سفيان الثوري وسفيان بن عيينة وعبدالله بن المبارك وعبدالرحمن بن مهدي ويحيى بن معين وأحمد بن حنبل وغيرهم. وقد أفرد كل من ابن عدي في "الكامل" والخطيب في "الكفاية" بابًا لجواز العمل بالحديث الضعيف في الفضائل أوردا فيه نصوصًا كثيرة لكن يشترط لذلك شروط.

أحدها: ألا يشتد ضعف الحديث، فإن اشتد كان واهيًا أو متروكًا لم يعمل به حينئذ كما لا يعمل بالموضوع.

ثانيها: أن يكون الحديث مندرجًا تحت أصل عام من أصول الشرع بألا ينفرد باختراع شيء مثلًا ليس في قواعد الشريعة ما يشهد له.

ثالثها: ألا يعتقد العامل به ثبوته عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لئلا يقع في إثم الكذب عليه.

والشرط الأول حكى الاتفاق عليه الحافظ العلائي وتقي الدين السبكي، والشرطان بعده ذكرهما عز الدين بن عبدالسلام وتلميذه تقي الدين بن دقيق العيد.

درجة حديث شهر بن حوشب

س٢٩٣- وسئل رضي الله عنه عن درجة حديث شهر بن حوشب.

ج٢٩٣- فأجاب رضي الله عنه: شهر بن حوشب -بفتح الحاء والشين- الأشعري الشامي أبو سعيد وأبو عبدالله وأبو عبدالرحمن وأبو الجعد مولى أسماء بنت يزيد بن السكن الصحابية التي كانت تسمى خطيبة النساء. كان شهر فقيهًا قارئًا عالمًا وقد اختُلف فيه فضعفه جماعة ووثقه آخرون ومما ضُعِّف به تزييه بزي الجند وسماع الغناء بالآلات وكان على بيت المال فأخذ خريطة فيها دراهم فقال فيه قائل: لقد باع شهر دينه بخريطة فمن يأمن القراء بعدك يا شهر؟

قال الحافظ ابن القطان السجلماسي: «لا حجة في هذا على تضعيفه لأنه إما لا يصح أو خارج على مخرج لا يضره».اهـ

وقد استقر عمل الحفاظ على تحسين أحاديثه كالحافظ المنذري والحافظ الهيثمي والحافظ ابن حجرٍ.

صلاة التسبيح

س٢٩٤- وسئل رضي الله عنه عن صلاة التسابيح.

ج٢٩٤- فأجاب رضي الله عنه: صلاة التسبيح وردت من حديث ابن عبَّاسٍ وأخيه الفضل وأبيهما العباس وعبدالله بن عمرو وأبي رافع وعلي وأخيه جعفر وابنه عبدالله بن جعفر وأم سلمة وأنس والأنصاري غير مسمىٰ، قال الحافظ: «وقد قيل: إنه جابر بن عبدالله» قال: «والظاهر أنه أبو كبشة الأنماري بالميم فتصحف بالصاد». ووردت أيضًا من مرسل إسماعيل بن رافع.

ولكل من الداراني والحافظ الخطيب كتاب "صلاة التسبيح" أوردا فيه طريق هذه الأحاديث.

واختلف العلماء في هذه الصلاة من الصحة إلىٰ الوضع، فأورد ابن الجوزي حديثها في الموضوعات ووافقه ابن تيمية وهذا منهما تعنُّتٌ مبنيٌّ علىٰ غير أساسٍ، وقد ردَّ الحافظ كلام ابن الجوزيِّ وقالوا أساء بذكر الحديث في الموضوعات، ورأىٰ النوويُّ أنَّ الحديث ضعيفٌ.

والصحيح أن حديث صلاة التسبيح صحيح كما قال غير واحد، منهم ابن منده، وأبو موسىٰ المديني وأفردا لتصحيحه جزءًا خاصًا، وأبو سعد السمعاني، وأبو الحسن بن المفضل، وأبو محمد عبدالرحيم المصري، والمنذري، وابن الصلاح، وصلاح الدين العلائي، والتقي السبكي، وابنه التاج، والبلقيني، والزركشي، والحافظ في "أمالي الأذكار" وفي "الخصال المكفرة" وقد كتبها بعد تخريج أحاديث الرافعي المسمىٰ بـ"التلخيص الحبير".

قال البيهقي: «كان عبدالله بن المبارك يصليها، وتداولها الصالحون بعضهم

عن بعض، وفي ذلك تقوية للحديث».

وممن كان يواظب على فعلها من التابعين أبو الجوزاء أوس بن عبدالله البصري، وقال عبدالعزيز بن أبي روَّاد: «من أراد الجنة فعليه بصلاة التسبيح». وقال أبو عثمان الحيري الزاهد: «ما رأيت للشدائد والغموم مثل صلاة التسبيح». وقال التاج السبكي في "الترشيح لصلاة التسبيح": «وأما من يسمع عظيم الثواب الوارد فيها ثم يتغافل عنها فما هو إلا متهاون في الدين غير مكترث بأعمال الصالحين لا ينبغي أن يعد من أهل العزم في شيء نسأل الله السلامة».اهـ

تنبيه حول هيئة صلاة التسبيح:

احتجَّ مُضعِّفوا حديث صلاة التسبيح بأن هيأتها تخالف هيئة باقي الصلوات في إطالة جلسة الاستراحة وجعلوا هذا الوجه مقتضيًا لضعف الحديث أو بطلانه، وهذا التضعيف منهم ضعيف بل باطل، بدليل صلاة الكسوف فإن هيئتها تخالف هيئة باقي الصلوات مخالفة شديدة لأن في كل ركعة منها ركوعين أو ثلاث ركوعات أو أربعة أو خمسة وكل ركوع يستتبع قيامًا وقراءة طويلة وأحاديثها مخرجة في الصحاح والسنن ومع ذلك لم يضعفها أحد بالمخالفة المذكورة.

الحافظ يحيى بن عبدالحميد الحماني الكوفي

س٢٩٥- وسئل رضي الله عنه عن يحيى بن عبدالحميد الحماني الكوفي.

ج٢٩٥- فأجاب رضي الله عنه: يحيى بن عبدالحميد الحِمَّاني -بكسر الحاء وتشديد الميم- الكوفي، الحافظ الكبير، أول من صنَّف المسند بالكوفة، كان شيعيًا يتكلم في معاوية وبغيه وحطِّه على علي عليه السلام، فبالغ النواصب في

تضعيفه والحط عليه. وهو بالرغم من ذلك ثقة كما قال ابن معين وغيره. توفي في رمضان سنة ٢٢٨ رحمه الله.

أحاديث باطلة في فضل بعض الأعمال

س٢٩٦- وسُئل رضي الله عنه عما جاء في بعض الأحاديث: من عمل كذا خلق الله من ذلك العمل ملكًا؟

ج٢٩٦- فأجاب رضي الله عنه: جاء في بعض الأحاديث من عمل كذا خلق الله من ذلك العمل ملكًا يسبح أو يحمد الله ...إلخ وكلها أحاديث باطلة والملائكة مخلوقون جميعًا قبل آدم خلقهم الله من نور كما ثبت في الصحيح، وهم لا يتناكحون، ولا يتناسلون، ولا يموتون إلا عند انقراض العالم وفناء الدنيا، فلا ملك يخلق الآن لا من عمل ولا من غيره.

والملائكة أفضل من جميع بني آدم إلا الأنبياء عليهم السلام وهم كالأنبياء معصومون، هذه حقائق يجب أن تعرفها وتشد عليها يد الضنين فإن أغلب الناس يخطئون فيها، وبالله التوفيق.

أحاديث زيارة النبي عليه الصلاة والسلام

س٢٩٧- وسئل رضي الله عنه عن الأحاديث الواردة في فضل زيارة النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، والترغيب فيها.

ج٢٩٧- فأجاب رضي الله عنه: أحاديث الزيارة استوعبها الإمام التقي السبكي في كتاب "شفاء السقام بزيارة خير الأنام" رد به على ابن تيمية الذي زعم أن الأحاديث الواردة في زيارة القبر النبوي الشريفة باطلة وأن السفر

بقصد ذلك معصية لا تقصر فيه الصلاة، وهذا من جملة إطلاقاته المهولة أملاها عليه الغرض والهوىٰ وإلا فحديث: «**من زار قبري وجبت له شفاعتي**» رواه ابن خزيمة في "صحيحه" وأشار إلىٰ تضعيفه فقط، ورواه البيهقي بنحوه وضعَّفه، وقال الذهبي: «طرقه كلها لينة -واللِّين: الضعف الخفيف- لكن يتقوىٰ بعضها ببعض لأن ما في رواتها متهم بالكذب ومن أجودها إسنادًا حديث حاطب: «**من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي**» أخرجه ابن عساكر وغيره».اهـ

نقله السخاوي في "المقاصد الحسنة" وسلَّمه، وهؤلاء أعلم من ابن تيمية بالعلل والرجال.

وقد انتصر له أحد أشياعه؛ الحافظ ابن عبدالهادي بكتاب سماه "الصارم المنكي في نحر السبكي" لكنه تعنت كثيرًا وخرج عن حد الإنصاف.

وانتصر للسبكي ابن علان الصديقي بكتاب سماه "المبرد المبكي" وللشيخ السمنودي صاحب كتاب "سعادة الدارين في الرد علىٰ الفرقتين" كتاب "نصرة الإمام السبكي برد الصارم المنكي" لكنه ليس بذاك.

أجوبة على أسئلة

الشيخ محمد حبيب الله الباكستاني

الحمد لله ربِّ العالمين والصَّلاة والسَّلام على أشرف المرسلين، سيِّدنا محمَّد وآله الأكرمين، ورضى الله عن صحابته والتابعين.

وبعد، فقد بعث إليَّ الأستاذ الفاضل والطالب النَّجيب الشيخ محمد حبيب الله -أحبَّه الله وفتح عليه- سؤالات طلب الإجابة عليها، فلبَّيت طلبه وحقَّقت رغبته، والله الموفِّق والهادي.

٢٩٨- أراد الحافظ إبطال دعوى الحافظ ابن الصلاح: «عِزَّة المتواتر» فذكر ما نقله عنه مختصرًا.

وقوله: «المقطوع عندهم بصحَّة نسبتها إلى مصنِّفيها» لا يقتضي أنَّ القطع حاصلٌ عن التواتر، ولا يفهم ذلك منه، بل قد يكون عن خبر الآحاد المحتفِّ بالقرائن كما ذكرت، أو عن السماع المُنتشِر بين النَّاس، فإنَّنا نقطع بأن "الإحياء" للغزاليِّ ولم ينقل إلينا بالتواتر ولا بالآحاد، وإنَّما هو السَّماع المُنتشِر بين عامَّة أهل العلم بأنَّ "الإحياء" تأليف الغزاليِّ، ولا يدخلهم شكٌّ في ذلك.

وكذلك "صحيح البخاري" مقطوعٌ بنسبته إلى مؤلِّفه بطريق السَّماع المُنتشِر، حتى أنَّ العامَّة يحلفون به، وهم لا يعرفون تواترًا ولا غيره.

وكلام الحافظ لا يخالف هذا، ولا يفيد أنَّ صحة نسبة الكتاب إلى مؤلِّفه تستلزم صحَّة الأحاديث الموجودة فيه.

نعم كلام الحافظ لا يفيد ذلك مطابقةً ولا التزامًا.

ومعنى كلام الحافظ في عِزَّة المتواتر: أنَّ الكتب المعروفة المتداولة كالسُّنن

والمسانيد والمعاجم إذا اجتمعت على رواية حديثٍ وتعدَّدت طُرُقه عندهم بأن رواه أحدهم عن أبي هريرة، وآخَر عن ابن عبَّاسٍ، وآخَر عن ابن عمر، وهكذا حتى زاد رواته على عشرين صحابيًّا، ورواه كلُّ صحابيٍّ عن تابعي أو أكثر، واستمرَّ حتى انتهي إلى أصحاب الكتب المتداولة فإنَّه يكون متواترًا، وعلى هذا الأساس حكم الحفَّاظ بتواتر أحاديث الشَّفاعة والحوض ونزول عيسى والدَّجَّال وغيرها، وليس المراد أن تستمر الكثرة إلى عصرنا، فإنَّ هذا لم يقله أحد ولا يمكن أن يقوله؛ لأنَّ الرواية بالإسناد ختمت بابن عساكر، وبقيت الإجازة فقط.

٢٩٩- نبَّهني أخي رحمه الله إلى أنَّ الحُفَّاظ خالفوا في استعمالهم لفظ «المنكر» لما قرَّروه في تعريفه، وهذا صحيحٌ، فإنَّك تجد تخالفًا ظاهرًا بين استعمالهم المُنكَر وبين تعريفهم له، ولا يمكن تعريفه بما يجمع استعمالاتهم المختلفة؛ لأنَّهم يستعملونه في المنفرد وفي الواهي، وفي الموضوع.

فكيف يجمع بين هذه المعاني في تعريفٍ واحدٍ؟

ففي "تذكرة الحفاظ" ذكر الذَّهبي حديثًا وقال عقبه: «هذا حديثٌ مُنكَرٌ جدًّا». يعني أنَّه: واهٍ.

وفي "الميزان" في ترجمة عبدالملك بن بديل ذكر الذَّهبيُّ حديثًا قال: «إنَّه مُنكَرٌ»، يعني: أنَّه موضوعٌ، وقول الحافظ: «إنَّ الإمام أحمد يطلق المُنكَر على تفرُّد الثِّقة وعلى الحديث الفرد»، هذا من جملة استعمالاتهم للمُنكَر.

وإطلاق أحمد لفظ المُنكَر يقصد به معنيين، يتميَّز أحدهما عن الآخَر بالقرائن:

١- تفرُّد الثِّقة ولم يخالِف، وهذا ليس بعلَّة عنده، و المنكر بهذا المعنى

يرادف الغريب.

٢ - تفرد الثِّقة مع المُخالفة، وهذا علَّةٌ عنده. وبه علَّل حديث الاستخارة، حيث قال: «كان يروي حديثًا منكرًا عن ابن المنكدر عن جابر في الاستخارة، قال: وأهل المدينة يقولون إذا كان الحديث غلطًا: ابن المنكدر عن جابر. وأهل البصرة يقولون: ثابت عن أنس، يحملون عليهما».اهـ

وأحمد لم يعل حديث الاستخارة بمجرد تفرُّد ابن أبي الموال ولكن بضميمة أنَّ راويه غلط في سنده، فجعله عن ابن المنكدر عن جابر، على عادة أهل المدينة حين يكون الحديث غلطًا يلصقونه براويه ابن المنكدر عن جابر، وابن أبي الموال في نظر أحمد لا بأس به، لم يرتفع إلى درجة الثِّقة، وطرق حديث الاستخارة لم يقف عليها أحمد جزمًا ولم يروها في "المسند" ولا في غيره من كتبه، رغم تبحُّره وسعة حفظه.

والخلاصة: أنَّ المنكر في الاصطلاح هو كما عرَّفه الحافظ ابن حجرٍ وقد يستعمل في الواهي والموضوع، أمَّا الإمام أحمد فيستعمله بمعنى الغريب، وبمعنى المعلَّل.

٣٠٠- المتروك أو المطروح والواهي والتالف ألفاظٌ مترادفةٌ، ومثلها ضعيفٌ جدًّا، وقد وقعت في عبارات المتقدِّمين، غير أنَّ أكثرها دورانًا بينهم المتروك والمطروح، كما أنَّ الألفاظ الباقية يكثر دورانها بين المتأخِّرين.

٣٠١- ذهب البخاري وشيخه علي بن المَديني إلى اشتراط ثبوت السَّماع أو اللِّقاء في الجملة، لا في حديثٍ حديث.

قال الحافظ ابن رشيد في رسالة "السَّنَن الأبين والمورد الأمعن في المحاكمة

بين الشيخين في المُسنَد المُعَنْعَن": «وهذا هو الصَّحيح من مذاهب المحدِّثين، وهو الذي يعضده النظر، فلا يحمل منه على الاتصال إلَّا ما كان بين متعاصرين، يعلم أنَّهما قد التقيا من دهرهما مرَّة فصاعدًا، ومالم يعرف ذلك فلا تقوم منه إلَّا بما شهد به لفظ السَّماع أو التحديث أو أشبههما من الألفاظ الصَّريحة إذ أخبر بها العدل عن العدل».اهـ

وقال ابن عبدالبر: «وجدت أئمَّة الحديث أجمعوا على قبول المُعنعن لا خلاف بينهم في ذلك إذا جمع شروطًا ثلاثة: عدالتهم، ولقاء بعضهم لبعضٍ مُجالسةً ومشاهدةً، وبرائتهم من التدليس. وقال ابن الصلاح: والاعتماد في الحكم بالاتصال على مذهب الجمهور إنَّما هو على اللقاء والإدراك».اهـ

وقال ابن رشيد: ينبغي أن يحمل قول البخاريِّ وابن المدينيِّ على أنَّهما يريدان باللقاء السَّماع، واستدل لذلك بما نقله عن مسلمٍ والحاكم، ولا يرد على البخاري شيءٌ مما أورده عليه مسلمٌ؛ لأنَّه شرط اللقي في صحَّة المعنعن، ولم يشترطه في صحَّة كل حديث، فإذا ثبت لقاء الرَّاوي الثِّقة لشيخه، ولم يكن مدلِّسًا، فإنَّ عنعنته محمولةٌ على الاتصال، وإذا كان مسلمٌ اكتفى بالمعاصرة، فإنَّ البخاريَّ ضم إليها شرط اللقي؛ لتكون العنعنة مَبنيَّة على أساسٍ متينٍ، ولا يخدش في ذلك كون صغار الصَّحابة رأوا النبيَّ صلى الله عليه و سلم ولم يسمعوا منه؛ لأن الصَّحابة كلهم عدولٌ، وهم يروي بعضهم عن بعضٍ، أمَّا في غير الصَّحابة فإنَّ البخاريَّ إذا احتمل عنده أنَّ الرَّاوي لم يسمع من شيخه، يأتي بإسنادٍ يثبت السماع تصريحًا أو يقول: تابعه فلان، ومن تتبَّع الصَّحيح وجد فيه ذلك بكثرة.

٣٠٢- الخلاف في قبول رواية المُبتدِع خلافٌ نظري، أمَّا في التطبيق فالعمل على قبول روايته إذا كان ثقةً ضابطًا سواء كان داعية أم لا، ولا عبرة بمذهبه، يقول الذهبيُّ في ترجمة أبان بن تغلب الكوفيِّ: «شيعيٌّ جلد، لكنَّه صدوق، فلنا صدقه وعليه بدعته».اهـ من "الميزان".

و هذا هو الصواب الذي استقرَّ عليه العمل.

٣٠٣- جهالة الرَّاوي العينيَّة تزول برواية راويين، وأمَّا جهالة عدالته، وهي جهالة الحال، ويسمَّى صاحبها مستورًا، فتزول برواية اثنين مع توثيق أحد أئمَّة الجرح والتعديل، فإن لم يوثِّقه أحدٌ، واشتهر الأخذ عنه بين الرُّواة، احتج به.

وهذا حال رجال في "الصحيحين"، اشتهروا وأخذ عنهم ولم يوثِّقهم أحد، وتجهيل ابن أبي حاتمٍ لبعض المشاهير قصورٌ منه لا يُعتمَد عليه، وطريقة ابن حِبَّان أنه يوثِّق المجهول إذا روى عن ثقةٍ وروى عنه ثقةٌ، ولم يأتِ بحديثٍ منكَرٍ، وفيه بعض تساهل، وأرى أنَّ مثل هذا يكون حديثه حسنًا.

أمَّا تشدُّد ابن حِبَّان في الجرح، فقد عابه الذَّهبيُّ، فقال في ترجمة أفلح بن سعيد المدني من "الميزان": «ابن حِبَّان ربما قصب الثِّقة حتى كأنَّه لا يدري ما يخرج من رأسه».

٣٠٤- رواية الرَّاوي عمَّن لقيه ولم يسمع منه تدليسٌ على الصَّحيح، والمرسل الخفي: أن يروي الرَّاوي عمَّن عاصره ولم يَلْقَه.

وما قاله الذهبيُّ عن أحاديث في "صحيح مسلم"، لم يصرِّح فيها أبو الزبير بالسماع من جابر صحيحٌ. وقال أيضًا في ترجمة الحافظ أبي الفضل محمَّد بن أحمد الجاروديِّ: «رأيت له جزءًا فيه بضعة وثلاثون حديثًا تتبَّعها من "صحيح

مسلم" وبيَّن عللها. وما ذكره الحافظ العلائي مبنيٌّ على تحسين الظَّن بمسلم، وذلك لا يجزئ عند البحث والتمحيص.

فالصَّواب أنَّ في "مسلم" أحاديث منقطعة لا شك في ذلك، بل فيه حديثان موضوعان.

٣٠٥- جَمْعُ الترمذيِّ بين وَصْفَي صحيحٍ وحسنٍ، أو حسن غريب، أو صحيح حسن غريب، أشكل على كثير من النَّاس، وقد أجاب الحافظ ابن حجرٍ بجوابٍ أزال كلَّ إشكالٍ وهو في "النخبة" و"شرحها" ولا تجد جوابًا أوفق بالقواعد وباستعمال الترمذيِّ من ذلك الجواب، وما أظنُّ أحدًا من الحفَّاظ وُفِّق إليه قبله.

٣٠٦- الحسن معمولٌ به كالصحيح، والحسن لا يكون ضعيفًا بالنسبة للصحيح، بل هو مثله في شروط القبول إلَّا أنَّ الضَّبط فيه خفيفٌ وهذا لا يقتضي ضعفه، فإذا تعارض حديثٌ حسنٌ مع حديثٍ صحيحٍ وكان الحسن متأخِّرًا في الورود عن الصَّحيح، قوي جانبه بذلك، وصحَّ النَّسخ به، كما أنَّ خبر الآحاد إذا جاء متأخِّرًا عن آية نسخها. وهذا لا إشكال فيه.

وقول الحافظ: «القوي لا تؤثِّر فيه مخالفة الضعيف». يقصد الضعيف الحقيقي، لا الضعيف النسبي.

٣٠٧- قول الذَّهبيِّ: «لم يجتمع اثنان من علماء هذا الشَّأن على توثيق ضعيفٍ، ولا تضعيف ثقةٍ». يقصد به: أنَّهما لا يتفقان على خلاف الواقع. فإذا وثَّقا شخصًا فهو في الواقع ثقةٌ، وكذلك إذا ضعَّفاه.

٣٠٨- المعتبر في حدِّ الصحيح تمام الضبط، وتمام ضبط الراوي يعرف

بتتبُّع مرويَّاته، وبهذا الطريق عرف تمام ضبط الزُّهريِّ ومالكٍ والثوريِّ وأضرابهم، فإنَّ الحفَّاظ تتبَّعوا رواياتهم، فوجدوها في غاية الضَّبط والإتقان، تتبَّعوها من أفواه الرُّواة عنهم، ومن الأجزاء الحديثيَّة وغيرها، ولم يتتبَّعوا رواية أو روايتين أو عشرة أو مائة، بل تتبَّعوا الآلاف.

ومن هذا التتبُّع وجدوا بعض الرُّواة يكون متقنًا في روايته عن شخصٍ معيَّنٍ للزومه له أكثر من غيره، أو لقرابة منه أو لصهر ونحوه. فقالوا: فلانٌ أثبت في فلانٍ من غيره، ولا تناقض في ذلك؛ لأنَّ الضَّبط تختلف رتبه، ولا يلزم أن يكون ضبط الرَّاوي متساويًا في جميع الحالات، وبالنِّسبة إلى جميع الشيوخ، بل الواقع أثبت خلاف ذلك، وهذا كما يكون الشَّخص متقنًا في علمٍ، ضعيفًا في علمٍ آخَر.

مثلًا حفص القارئ: إمامٌ متقنٌ في القراءات حتى قال عنه الشَّاطبيُّ:

وحَفْصٌ وبالإتقانِ كان مُفَضَّلًا

وهو في رواية الحديث ضعيفٌ، وشيخه عاصم إمامٌ متقنٌ في القراءات، وضبطه في الحديث خفيفٌ، لا يرقى فوق درجة الحسن، ومثل هذا كثيرٌ.

٣٠٩- قرَّر الحافظ أنَّ الشَّيخ إذا لم يجزم بنفي مرويه كأن يقول: ما أذكر هذا، أو لا أعرفه، قُبِل ذلك المروي في الأصح؛ لأنَّ ذلك يُحمل على نسيان الشَّيخ... إلخ. واستشعر سائلًا يقول: لم لا يسقط المروي في هذه الصورة قياسًا على الشَّهادة؟ فإنَّ الشَّاهد الأصل إذا أنكر الشَّهادة جزمًا أو احتمالًا، سقطت شهادة الفرع، فأجاب: أمَّا قياس ذلك بالشَّهادة ففاسدٌ، وفرقٌ بينهما بأن شهادة الفرع لا تسمع إلَّا بتعذُّر الأصل بموته أو مرضه، بخلاف الرِّواية

فإنَّ رواية الفرع تسمع مع وجود الأصل ولا يحتاج إلى السَّماع منه فافترقا، واعترض ابن قطلوبغا: بأنَّ الفرق يؤثِّر إذا ورد على العلَّة التي تجمع بين الفرع والأصل، والفرق الذي لم يذكره الحافظ لم يرد على العلَّة هنا.

وهي: أنَّ كلًّا من الفرع في الرِّواية والفرع في الشَّهادة اشترك في آداء ما تحمله، وحيث بطلت شهادة الفرع بإنكار الأصل جزمًا أو احتمالًا، وكون شهادة الفرع لا تسمع مع إمكان شهادة الأصل أمرٌ خارجٌ عن العلَّة، لا يؤثِّر فيها.

هذا توضيح كلامه وبيان مرامه، وغرضه الميل إلى ترجيح بطلان رواية الرَّاوي الذي أنكر شيخه روايته جزمًا أو احتمالًا بدون تفصيلٍ، ويرى أنَّ هذا أحوط لصحَّة الحديث.

٣١٠- قال الحافظ الخطيب في "الكفاية": ويرجح أن يكون رواته فقهاء؛ لأنَّ عناية الفقيه بما يتعلَّق من الأحكام أشد من عناية غيره بذلك، ثُمَّ أسند عن علي بن خشرم قال: قال لنا وكيع: أي الإسنادين أحبُّ إليكم؟ الأعمش عن أبي وائل عن عبدالله، أو سفيان عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبدالله؟ قلنا: الأعمش عن أبي وائل. فقال: سبحان الله! الأعمش شيخٌ، وأبو وائل شيخٌ، وسفيان فقيهٌ، ومنصور فقيهٌ، وإبراهيم فقيهٌ، وعلقمة فقيهٌ، وحديث تداوله الفقهاء، خيرٌ من أنْ يتداوله الشُّيوخ».اهـ

فرجَّح إسنادًا نازلًا على إسنادٍ عالٍ بفقه الرُّواة. وهذا هو الذي استمرَّ عليه عمل المحدِّثين الفقهاء.

٣١١- عبارة الحافظ التي نقلتها عنه، وهي في "النخبة" و"شرحها"، يحكي فيها الإجماع على أنَّ "للصَّحيحين" مزيَّة فيما يرجع إلى نفس الصَّحة.

واعتراضك لا يتوجَّه؛ لأنَّ الإجماع يسلَّم له ولا يُعترض عليه، وإنما يمكن أنْ يقال: ما قاله الحافظ في ذلك المحل، ويحتمل أنْ يقال: المزيَّة المذكورة كون أحاديثها أصح الصَّحيح».اهـ.

وتلقِّي العلماء لكتابيهما بالقبول من قرائن إفادة حديثهما العلم النظريَّ، وهذا أعلى من مجرَّد الصِّحة، وقد ظهر في "مسلم" أحاديث معلَّلة بالانقطاع، وحديثان موضوعان، وهذا ينفي ما قلته.

٣١٢- هذه المسألة بحثٌ منطقي، ذكر في علم الأصول استطرادًا، فما كان ينبغي لابن قطلوبغا أن يشير إليها هنا؛ لأنَّها بعيدةٌ عن علم المصطلح غاية البعد، وخلاصته ما أشار إليه: أنَّ المتواتر خبرٌ يفيد العلم، ولفظ: «خبر»، جنسٌ يشمل خبر الواحد والاثنين والمشهور، ولفظ: «يفيد العلم»، فصل أخرج تلك المذكورات.

والمشهور: خبرٌ لا يفيد العلم إلَّا بقرينةٍ، وهو مباينٌ للمتواتر؛ لأنَّه يفيد العلم والمشهور لا يفيده.

وقول الحافظ: «فكلُّ متواترٍ مشهورٌ عن غير عكسٍ»، لا يصح لتباينهما. وإنَّما يصح إذا قلنا: المتواتر خبر جمع، وألغينا قيد إفادة العلم. فيتلاقى مع المهشور؛ لأنَّ كليهما خبر جمع حينئذٍ، ويصح قولنا: كلُّ متواترٍ مشهورٌ. ولكن اعتبار الجنس بدون فصلٍ خطأٌ مُبيَّن في بحث المُباح من الأصول.

وتوضيح ذلك: أنَّ المباح عرَّفه الأصوليون: بأنَّه المأذون في فعله. وعرَّفوا الواجب: بأنَّه المأذون في فعله مع المنع من تركه. فقال بعضهم: المباح جنسٌ للواجب، بمعنى: أنَّه يتناوله فيصدق أنَّ كلَّ واجبٍ مباحٌ من جهة أنَّ كلًّا

منهما مأذونٌ في فعله وإن كان الواجب يختص بأنَّه ممنوعٌ من تركه، وردَّ عليهم بأنَّ المباح مقيَّدٌ بفصل وهو أنَّه: جائزٌ تركه، ولا يجوز أن يكون جنسًا للواجب إلَّا إذا ألغينا اعتبار الفصل، وهو جواز تركه، وذلك لا يصح.

فالصَّواب: أنَّ الواجب نوعٌ وحده له جنسٌ وفصلٌ، والمباح نوعٌ وحده، له جنسٌ وفصلٌ.

وعلىٰ هذا يُقال: المتواتر نوعٌ وحده، له جنسٌ و فصلٌ، والمشهور نوعٌ وحده له جنسٌ وفصلٌ، وليس أحدهما جنسًا للآخر.

هذا غاية ما يمكن توضيحه، وفهم هذه المسألة ينبني علىٰ خبرةٍ بعلم المنطق والأصول.

٣١٣- وَصْفُ الشخص بأفعل التفضيل يقتضي نفي المساواة غالبًا، وقد ينفىٰ التفوق بقرينة، هذا بالنسبة لاستعمال النَّاس حسب وضع اللُّغة، والناس لا يحيطون بأوصاف المفاضلة.

أمَّا إذا وقع في كلام الله المحيط علمه بكلِّ شيءٍ، فيقتضي نفي التفوق، وكذلك في كلام رسوله المبلِّغ عنه، فإن وجد في كلام الله أو رسوله تصريحٌ بأنَّ أبا بكر أفضل، فإنَّه يقتضىٰ حتمًا استجماع أبي بكرٍ لأوصاف المفاضلة كلها بلا إشكالٍ وإن لم نعلمها.

٣١٤- الراجح عند علماء الكلام عدم التكفير بلازم المذهب؛ لأنَّه لا يعد مذهبًا لقائله، وهذا يكاد يكون مجمعًا عليه بينهم ودليله أمران:

أ - أنَّ الشَّخص يقول القول، ولا يخطر بباله لازمه، فضلًا عن أن يقصده، فكيف نكفِّره بما لم يخطر علىٰ باله؟

ب - أنَّ التكفير لا يكون إلَّا بالقول الصَّريح الذي لا يحتمل غير الكفر، قال العلماء: ولو كان الكلام يحتمل الكفر من عدَّة وجوهٍ، ويحتمل عدم الكفر من وجهٍ واحدٍ لم يُكفَّر صاحبه. والله سبحانه وتعالى أعلم وأحكم.

٤ - الفقه وأصوله

التشدد في شروط الاجتهاد

س٣١٥- وسُئل عن اعتراض محمد بن عبدالوهاب على التشدد في بعض شروط الاجتهاد.

ج٣١٥- فأجاب: غرض محمد بن عبدالوهاب أنَّ المتأخِّرين صعَّبوا شروط الاجتهاد فذكروا فيها ما لعله لا يوجد في أبي بكرٍ وعمر، وهذا منه على سبيل المبالغة لا الحقيقة.

والتحقيق في هذا أن الاجتهاد نوعان:

اجتهاد استقلال: بأن يستقل المجتهد بتقعيد قواعد وتأصيل أصول يجتهد على أساسها، وهذا النوع انقطع بعد الأئمَّة.

والآخر اجتهاد إطلاق: وهو أن يعمل المجتهد بالدليل ولا يتقيَّد بمذهبٍ، لكن لا يخرج عن الأصول التي أصلها الأئمَّة وهذا موجودٌ لم ينقطع.

وقال: الاجتهاد يتجزأ؛ فيكون الشخص مجتهدًا في باب، مُقلِّدًا في غيره، ولهذا قلَّد بعض الصحابة غيرهم فيما لم يبلغوا فيه درجة الاجتهاد، وهذا مُقرَّرٌ في علم الأصول.

وقال: العامي لا يطلب الدليل من المفتي وإنما يهمه معرفة حكم الله، فإذا أخبره المفتي بأن هذا حكم الله عمل به. نعم، إذا كان يفهم معنى الدليل وأراد الاطمئنان جاز له طلب الدليل، لا إن كان متعنتًا.

الاستدلال بالأحاديث الضعيفة في الأحكام

س٣١٦- وسُئل عن استدلال العلامة الشوكاني ببعض الأحاديث الضعيفة في الأحكام في كتابه "نيل الأوطار"؟

ج٣١٦- فأجاب: عمل الشوكانيِّ بالحديث الضعيف مسبوقٌ به، فقد عمل به قبله فقهاء المذاهب الأربعة، ويمكنك أن تعرف ذلك بمراجعة "نصب الراية"، و"التلخيص الحبير"، وقد اطلعت على كتاب اسمه "المعيار" مرتبٌ على الأبواب الفقهية ذكر فيه مؤلِّفه -وهو من الحفَّاظ- الأحاديث الضعيفة التي عمل بها الأئمَّة الأربعة مجتمعين أو منفردين، وهو جديرٌ بالطبع.

وأحمد وتلميذه أبو داود يريان العمل بالضعيف إذا لم يوجد في الباب غيره، وأبو حنيفة يقدم الضعيف على القياس.

وقد حقق هذا الموضوع أخي في كتابه "المثنوني والبتار" وقال: «إن قولهم: الحديث الضعيف لا يعمل به في الأحكام، قاعدة نظرية خالفوها في التطبيق فعملوا بالأحاديث الضعيفة وتعلَّلوا في بعضها بأن له شواهد أو تُلُقِّيَ بالقبول، أو أيده قول صحابيٍّ، وسكتوا عن باقيها إذ لم يجدوا ما يؤيِّده فعملوا به كذلك».

هل تجوز الرواية بالإجازة منامًا

س٣١٧- رأى بعض المحبِّين الحافظ السيِّد أحمد بن الصِّدِّيق الغُماريِّ رحمه الله تعالى في المنام وأجازه فيه، فسأل: هل يجوز أن يروي عنه؟

ج٣١٧- فأجاب: لا تجوز الرواية عن أخي برؤيا منامية لأن العمل

بالرؤيا ممنوع ، وقال: كلام أحمد بهجت ترديد لكلام عبدالحميد جودة السحَّار في كتابه "محمد رسول الله والذين معه" وقد رددت عليه باختصار في آخر كتاب "الرؤيا في القرآن والسُّنَّة".

جواز الصلاة على الأولياء والصالحين

س٣١٨- وسُئل هل تجوز الصلاة على الأولياء والصالحين؟

ج٣١٨- فأجاب: اتفق العلماء كما قال النوويُّ على جواز الصلاة على غير الأنبياء، تبعًا لهم والأحاديث متواترةٌ بذلك، ومنه قول بعض السلف: «اللهمَّ صلِّ على ملائكتك المقرَّبين وأنبيائك والمرسلين، وأهل طاعتك أجمعين من أهل السماوات والأرضين».

وأمَّا الصلاة على غير الأنبياء، استقلالًا كأن يقال: «اللهمَّ صَلِّ على أبي بكرٍ، أو صلِّ اللهم على عليٍّ وسلِّم» فاختلف فيه العلماء، فمنعها مالكٌ وأبوحنيفة وسفيان الثوريُّ وابن عُيَيْنَة، وبه قال طاوس، وهو مذهب الجمهور.

ثُمَّ اختلف أصحاب الشافعيِّ: هل هذا المنع معناه التحريم، أو كراهية التنزيه، أو خلاف الأولى؟ ثلاثة أوجه لهم حكاها النوويُّ في "الأذكار"، وصحَّح الثاني منها وقال: «عليه الأكثر».

قلت: والمنقول عن مالكٍ هو التعبير بـ«أكره ذلك» وهو يوافق ما صحَّحه النوويُّ.

ثُمَّ احتجَّ هؤلاء المانعون بما رواه إسماعيل بن إسحاق القاضي المالكي في

كتابه "أحكام القرآن" بإسنادٍ صحيحٍ عن ابن عبَّاسٍ قال: «لا تصح الصلاة على أحدٍ إلَّا على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ولكن يُدعى للمسلمين والمسلمات بالاستغفار».

وروى هو وابن أبي شيبة بإسنادٍ حسنٍ عن عمر بن عبدالعزيز أنه كتب إلى أحد عُمَّاله: «أمَّا بعد: فإنَّ ناسًا من الناس قد ألهموا الدنيا بعمل الآخرة، وإن مِن القُصَّاص من قد أحدثوا في الصلاة على خلفائهم وأمرائهم عدل صلاتهم على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فإذا جاءك كتابي فمرهم أن تكون صلاتهم على النبيين، ودعاؤهم للمسلمين عامَّة ويَدَعُوا ما سوى ذلك».

واحتجُّوا أيضًا بما قاله مالكٌ: «لم يكن ذلك من عمل مَن مضى»، يعني الصحابة والتابعين، وبأنها صارت شعار أهل الأهواء، يصلون على من يعظِّمونه من أهل البيت وغيرهم، ذكره النوويُّ وغيره.

وبأنَّ الصلاة صارت شعارًا للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لا يُشاركه فيها غيره، كما صار لفظ «عزَّ وجلَّ» ونحوه شعار الله تعالى، فكما لا يصح أن يقال: «محمد عزَّ وجلَّ» وإن كان معناه صحيحًا، كذلك لا يصح أن يقال: «أبو بكرٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم»، وإعطاء كل رتبةٍ ما يناسبها، فلا يصح أن يلحق غير النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم به فيما هو ثناءٌ خاصٌّ به، كما لا يصح أن يلحق النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالله في الثناء الخاصِّ به، وبأنَّ الله سبحانه ذكر الأمر بالصلاة على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في معرض حقوقه وخواصِّه التي خَصَّه بها من تحريم نكاح أزواجه وجواز نكاحه لمن وهبت نفسها له، وإيجاب اللعنة لمن آذاه وغير ذلك من حقوقه، فدل ذلك على

أنَّ الصلاة حقٌّ له خاصَّة في وجوه أخر يطول ذكرها.

وذهب الحسن البصريُّ وخصيف ومجاهد ومقاتل بن سليمان ومقاتل بن حيان وإسحاق بن راهوية وأبو ثور وأحمد وابن جرير الطبري وأبو داود وأبو الحسين بن الفراء وكثيرٌ من أهل التفسير إلى جواز الصلاة على غير النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم استقلالًا واستدلوا بقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٣].

وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ [الأحزاب: ٤٣].

وبحديث "الصحيحين" عن عبدالله بن أبي أوفى قال: كان النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: «اللهمَّ صَلِّ على آل فلانٍ» فأتاه أبي بصدقتهم فقال: «اللهمَّ صَلِّ على آل أبي أوفى».

وبحديث مسلم عن أبي هريرة: «إذا خَرَجَتْ رُوحُ المُؤْمِنِ تَلَقَّاهَا مَلَكَانِ يُصْعِدانِها، ويقولُ أَهْلُ السَّماءِ: رُوحٌ طَيِّبَةٌ جاءتْ مِن قِبَلِ الأرضِ، صَلَّى الله عليك وعلى جَسَدٍ كنتِ تَعْمُرِينَهُ...» الحديث.

وبحديث أبي داود وغيره عن جابرٍ أنَّ امرأةً قالت: يا رسول الله، صلِّ عليَّ وعلى زوجي، فقال: «صلَّى الله عليك وعلى زوجك».

وبحديث: «إنَّ اللهَ ومَلائكتَهُ يُصَلُّون على الصَّفِّ الأوَّل».

وبحديث: «إنَّ اللهَ ومَلائكتَهُ يُصلُّون على مَيامِنِ الصُّفوفِ».

وفي حديث آخر: «إنَّ اللهَ وملائكتَهُ يُصَلُّون على الذين يَصِلُون الصَّفوف».

وبما صحَّ في أحاديث أنَّ مَن صلَّى على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مرَّةً

صلىٰ الله عليه عشرًا، واحتجُّوا أيضًا بوجوهٍ أُخَر لا تخلو من ضعفٍ.

وأجاب المانعون بأنَّ هذه الآيات والأحاديث ليست في محلِّ النِّزاع؛ لأنه ليس فيها إلَّا صلاة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ غيره، أو صلاة الله علىٰ عبده وصلاة الملائكة معه، وكلُّ ذلك لا يفيد هنا، أمَّا صلاة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فلأنه صاحب الحقِّ وله أن يتفضَّل مِن حَقِّه بما شاء وليس لغيره أن يتصرَّف إلَّا بإذنه، ولم يثبت إذنٌ في ذلك وأيَّدوا ذلك بأن قتل شاتمه ومؤذيه حقٌّ له يجب علىٰ الأُمَّة القيام به، وقد صحَّ أنه كان يعفو عنه حين يبلغه ويقول: «**رَحِمَ اللهُ موسى لقد أُوذي بأكثرَ مِن هذا فصَبَرَ**» وهذا لا يسقط حقَّ شاتمه عن الأمَّة.

وأمَّا صلاة الله سبحانه وتعالىٰ فهي غير الصلاة من العبد قطعًا، وحتىٰ لو اتفق معناهما علىٰ سبيل الفرض، فكيف يصح قياس فعل العبد علىٰ فعل الربِّ سبحانه؟!

وأمَّا صلاة الملائكة فكذلك خارجةٌ عن محلِّ النِّزاع؛ لأنهم ليسوا داخلين تحت أحكام تكاليف البشر حتىٰ يصح قياس فعلنا علىٰ فعلهم بل هم رسل الله في خَلْقِهِ يتصرَّفون بأمره.

فظهر أن لا شيء من تلك الآيات والأحاديث يدل علىٰ الجواز المذكور.

وذهبت طائفةٌ -منهم ابن القيِّم- إلىٰ التفصيل فقالوا: لا يجوز اتِّخاذ الصلاة علىٰ شخصٍ مُعيَّنٍ شعارًا لا يخل به، بحيث كلَّما ذكر اسمه يُصلَّىٰ عليه كما تفعل الرافضة وأهل الأهواء بمن يُعظِّمونه، وأمَّا أن يُصلِّي عليه أحيانًا بحيث لا يصير ذلك عادةً وشعارًا فهذا لا بأس به، كما جاء عن عليٍّ عليه

السلام أنه دخل على عمر وهو مسجّى فقال: «صلَّى الله عليك، ما أحد لقي الله بصحيفته أحب إلي من هذا المسجَّى بينكم». رواه ابن سعدٍ في "الطبقات".

قالت هذه الطائفة: وبهذا التفصيل تتفق الأدلة وينكشف وجه الصواب في المسألة وبالله التوفيق.

هل «فضائل الأعمال» من الأحكام الشرعية؟

س٣١٩- وسُئل: أشكر لكم إجابتكم القيِّمة عن السؤال الخاصِّ بالعمل بالحديث الضعيف، ثُمَّ إني لأرجو من فضيلتكم إزالة ما بقي من إلباسٍ؛ فقد جاء صريحًا في كلامكم أنَّ فضائل الأعمال وسائر فنون الترغيب والترهيب غير مُندَرجَةٍ في الأحكام الشرعيَّة، مع أنه معلومٌ لفضيلتكم من كتب الأصول أنَّ الحكم الشرعيَّ الذي هو خطابُ الله المُتعَلِّق بأفعال المُكلَّفين..... إلخ. شاملٌ لها؛ لأنها لا تخرج عن كونها من باب الندب والكراهة وهما من الأحكام الخمسة.

ج٣١٩- الجواب: لا خلاف بين الأصوليين أنَّ الحكمَ هو: خطابُ الله المُتعلِّق بفعل المُكلَّف. كما أنه لا خلاف أنَّ الندب والكراهة داخلان فيه، وأنهما من جملة أقسامه الخمسة المعروفة أو الستة بزيادة خلاف الأولى الذي استدركه ابن السبكيِّ على الأصوليين أخذًا من كلام متأخِّري فقهاء الشافعيَّة.

ولكن هل المندوب والمكروه مُكلَّفٌ بهما؟ في ذلك خلافٌ.

قيل: نعم، بناءً على أنَّ التكليف طلب ما فيه كُلْفَةٌ، سواء كان على وجه الإلزام أو لا. وهذا قول القاضي أبي بكر الباقلَّانيِّ، وهو ضعيفٌ.

وقيل: لا، بناءً على أنَّ التكليف إلزام ما فيه كُلْفَةٌ ولا إلزام في المندوب

والمكروه، وهذا ما صحَّحه ابن الحاجب والعضد وابن السبكيِّ ومُحَقِّقوا الحنفيَّة، وعليه دَرَجَ المُتأخِّرون.

إذا عُلِم هذا، فالمراد بالأحكام في قول المُحدِّثين: «يجوز العمل بالحديث الضعيف فيما عدا الأحكام مِن ترغيبٍ وترهيبٍ...» إلخ: الأحكام التكليفيَّة، أعني التي فيها تكليفٌ وإلزامٌ، ولا شك أنَّ فضائل الأعمال وسائر فنون الترغيب والترهيب لا إلزام فيها، فهي خارجةٌ من الأحكام بهذا المعنى، وإذا كانت داخلةٌ في الأحكام بمعنى خطاب الله المُتعلِّق... إلخ لشموله -أي الخطاب- لما فيه إلزامٌ ولما لا إلزام فيه.

والحاصل: أنَّ المراد بالأحكام في مسألة العمل بالحديث الضعيف نوعٌ خاصٌّ منها، وهي ما كان فيه إلزامٌ كالواجب والحرام والعقائد وما إلى ذلك دون غيره ممَّا لا إلزام فيه، كالترغيب والترهيب ونحوهما.

هل النهي للتحريم؟

س٣٢٠- وسُئل عن صيغة النهي وهل هي للتحريم؟

ج٣٢٠- فأجاب: النهي ليس له قواعد مُعيَّنة، وإنما يُعرف عدم كونه للتحريم بالقرينة.

كأن يكون الذي يتعلَّق بالفضائل مثل حديث: «**لا تقولوا للعِنَبِ الكَرْمُ؛ فإنَّ الكَرْمَ، قَلْبُ المُؤمِنِ**».

أو مثل حديث: «**إذا دَخَلَ أحَدُكُمْ المسجدَ فلا يَجْلِسْ حتَّى يُصَلِّيَ رَكْعَتَينِ**».

أو حديث: «**لا تَصُوموا يومَ الجُمُعَةِ مُفْرَدًا**».

أمَّا النهي الوارد في الأحكام فهو للتحريم إلَّا إذا دلَّ حديثٌ آخر على أنه

ليس للتحريم.

توضيح حول تقليد الأئمة

س٣٢١- وسُئل: ما ذكرته سيادتكم بخصوص صلاة الجمعة كلام مقنع مفيد ولكن الناس يقولون: كلام الأئمَّة يجب اتباعه؛ لأنهم أعلم ولعلهم اطلعوا على ما لم نطَّلِع عليه.

ج٣٢١- فأجاب: ما ذكرته من اقتناعك بكلامي بعد أن كان عندك تردُّدٌ مِن جهة كلام الناس وقولهم: «أنَّ الأئمَّة أعلم... إلخ». حسنٌ جميلٌ، وكون الأئمَّة أعلم لا يوجب قبول كلامهم في كلِّ شيءٍ، ولا يسيغ ردَّ دليلٍ لم يطلعوا عليه لأجل كلامهم، وهم قد احتاطوا لمثل هذا فأمروا مَن وجد الحديث يُخالف رأيهم أن يأخذ بالحديث.

ثُمَّ إنَّ الإنسان مسئولٌ عند الله عمَّا عَلِمَ هو لا عمَّا عَلِمَ غيره، فلا يقال لك يوم القيامة: ما عملت فيما عَلِمَ الشافعيُّ أو مالكٌ؟ ولكن يقال لك: ما عملت فيما علمت أنت؟

بعد هذا نعود إلى الموضوع فنقول: إنَّ الأئمة اشترطوا في الجمعة شروطًا لم يقم عليها دليلٌ:

منها: العدد وهل يكفي أربعون أو ثلاثون أو اثنا عشر أو أربعة؟

ومنها: أن تكون في بناءٍ، وأن لا تتعدَّد، فإن تعدَّدت فأيها تصح؟

قال المالكية: «تصح جمعة المسجد القديم وإن تأخَّرت».

وقال الشافعية: «تصح الجمعة السابقة بتكبيرة الإحرام»، وبنوا على ذلك قولهم: «الجمعة لمن سبق»، وظنه الناس حديثًا وليس بحديثٍ، كقولهم:

«المغرب جوهرة فالتقطوها».

ومنها: عند الحنفية: أن تكون في بلدٍ كبيرٍ فيه حاكم وقاض و... و... إلخ. فعلى هذا لا تصح في قرى مصر إطلاقًا.

ومنها: عندهم -أي عند الحنفية- أن يأذن في إقامتها الإمام الخليفة.

ومنها: عند الأربعة: أن يكون مُصلِّيها حرًّا أمَّا العبد لا تجب عليه.

كأنه لا يدخل في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ﴾ [الجمعة: ٩] واحتجُّوا بأنَّ العبد مشغولٌ بخدمة سيِّده.

قلنا: وهل خدمة السيِّد مُقدَّمةٌ على فرض الله؟ إذن قولوا: لا يُصَلِّي الظهر ولا العصر للعلة المذكورة، وهم لا يقولون ذلك.

ومنها: أن تفعل مرة واحدة. أي لا تعاد جمعة وإنما تعاد ظهرًا، اتفق على هذا الأئمَّة الأربعة واحتجُّوا بأنه لم يثبت أنها أعيدت جمعة في عهد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ولا عهد الخلفاء الراشدين.

وهذا صحيحٌ، كما أنه لم يثبت أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نهى عن إعادتها جمعة، ولا الخلفاء الراشدون والحُجَّة في نهيه لا في وقوع الإعادة في عهده، ثُمَّ لا تنس أنَّ القياس دليلٌ عند الأئمة الأربعة وجمهور العلماء، وهو يقتضي جواز إعادة الجمعة إذا فاتت؛ لأنه إذا جازت إعادة الظهر أو العصر جماعةً فالجمعة كذلك، بل هي أولى لأن الظهر لم يوجب الشرع فيه الجماعة عند الأئمَّة الثلاثة بخلاف الجمعة فالجماعة فيها واجبةٌ وشرطٌ، فهي أولى بالإعادة كما لا يخفى.

والمقصود: أنَّ الأئمَّة أحاطوا الجمعة بشروطٍ لم يقم على أكثرها دليلٌ اجتهادًا منهم لا يُلامون عليه بل هم مثابون، وإنما اللوم على من عرف الدليل ثُمَّ استمرَّ في التقليد بدعوى أنهم أعلم، ولعلهم أطلعوا على ما لم نطلع عليه.

وهذه دعوى باطلةٌ إذ لو اطلعوا على شيءٍ لذكروه وبيَّنوه ولم يكتموه عنَّا؛ إذ في كتم العلم إثمٌ كبيرٌ. سلَّمنا أنهم كتموه ولم يظهروه فنحن غير مسئولين عما لا نعلم وإنما نسأل عما علمناه وظهر لنا دليله، ألا ترى لو أنَّ الشافعيَّ مثلًا خالف حديثًا لم يطلع عليه لم يكن مؤاخذًا إجماعًا وإن كان غيره قد اطلع على ذلك الحديث كمالك مثلًا، وما ذاك إلَّا أنه لا يؤاخذ بما لم يعلمه، فكذلك نحن مع الأئمَّة سواء بسواء، والكلام في هذا طويلٌ نكتفي منه بهذا القدر.

حكم التلفيق

س٣٢٢- وسُئل: وهل يجوز عقد الزواج على مذهب أبي حنيفة مع الأخذ بمذهب الشافعيِّ في الرَّضاع المُحَرِّم؟

ج٣٢٢- فأجاب: كتابة عقد الزواج على مذهب أبي حنيفة مع الأخذ بمذهب الشافعيِّ في الرَّضاع المُحَرِّم جائزٌ لا شيء فيه؛ لأنَّ التزام مذهب إمامٍ في جميع أقواله ليس بلازمٍ ولا واجبٍ.

فللشخص أن يُقَلِّد مالكًا في الوضوء والشافعيَّ في الصلاة وأبا حنيفة في البيوع مثلًا، ولا يلزم مراعاة شرط الإمام المقلَّد كأبي حنيفة في مسألة الزواج، ولا يلزم لمن قلَّد مالكًا في الصلاة أن يمسح جميع رأسه في الوضوء، هذا ما حقَّقه العلماء واستقرَّ عليه الأمر.

وكان الحافظ ابن حجرٍ وهو شافعيٌّ، قاضي القضاة بمصر، إذا عرضت عليه قضية ورأىٰ مذهب مالكٍ فيها أصلح حولها إلىٰ القاضي المالكيِّ ليحكم فيها بمذهبه.

س٣٢٣- وسُئل: هل يجوز التلفيق في صوم اليوم الواحد حيث أنَّ القول بجواز التلفيق في العبادة هو معتمد مذهب الإمام مالك.

ج٣٢٣- فأجاب: يجوز بناء علىٰ المعتمد من جواز التلفيق في العبادة، ولا شك أنَّ الصوم من العبادات.

هل الكفار مخاطبون بفروع الشريعة؟

س٣٢٤- وسئل: هل الكفَّار مخاطبون بفروع الشريعة؟

ج٣٢٤- فأجاب: آية (فصلت)[1] دليلٌ علىٰ أنَّ الكفَّار مخاطبون بفروع الشريعة، وكذلك آية المُدَّثر: ﴿قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾ [المدثر: ٤٣] وهم أيضًا مخاطبون بتحصيل الإسلام الذي هو شرطٌ، والقاعدة الأصولية: «أنَّ الأمر بالشيء أمرٌ بشرطه»، فالأمر بالصلاة أمر بالطهارة لها، والكفار يعذَّبون علىٰ ترك الإسلام وترك فروعه، وآية (المدثر) بيَّنت ذلك.

هل المزية لا تقتضي التفضيل؟

س٣٢٥- وسُئل: هل المزية لا تقتضي التفضيل؟

ج٣٢٥- فأجاب سيادته بما نصُّه: عبارة: «المزية لا تقتضي التفضيل» ليست بقاعدةٍ أصولية، ولا يشهد لها دليلٌ والواقع يُبطِلها، فإنَّ التفضيل مبنيٌّ

---

(١) قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [فصلت: ٧]

على المزيَّة، فالنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أفضل الرسل؛ لأن مزاياه التي أعطيها أكثر مِن مزاياهم، وإبراهيم بعده؛ لأن مزيَّة الخُلَّة التي أُعطيها تعدل بمزايا الرسل، ثُمَّ موسى بعده لمزيَّة الكلام... وهكذا. فإذا وجد في المفضول مزيَّةٌ لا توجد عند الفاضل فليس معنى ذلك أنَّ المزيَّة لا تقتضي التفضيل، بل هي تقتضيه ولكن عارضها وجود مزايا عند الفاضل أكثر منها عددًا أو أقوى قيمة.

فمزية خالد تقتضي تفضيله وبها فضل على كثير من الصحابة، لكن مزايا عمر أقوى منها وأكثر، ولولا ذلك لكان خالد أفضل.

فكل مزيَّةٍ في حدِّ ذاتها تقتضي التفضيل فإذا تعارضت مزايا الفضائل والمفضول رجَّحنا مزايا الفاضل، إمَّا لكثرة عددها وإمَّا لقوة قيمتها المعنوية، ولهذا لا تجد فاضلًا إلَّا وتجد عنده مزايا تزيد على مزيَّة المفضول.

وبعبارة أخرى المزايا أدلة على التفضيل، فإذا تعارضت بين الفاضل والمفضول رجَّحنا بعضها لقوته، ومثل هذا إذا تعارض حديثان رجَّحنا أصحَّهما، فالمسألة من باب ترجيح دليلٍ على آخر.

هل يجوز تخصيص القرآن بالسنة؟

س٣٢٦- وسُئل رضي الله عنه: هل يجوز تخصيص القرآن بالسُّنَّة كما حدث في منع أبي بكرٍ السيدة فاطمة عليها السلام مِن ميراثها؟

ج٣٢٦- فأجاب: آية الميراث عامَّةٌ، وتخصيص عموم القرآن بالحديث الصحيح قول الجمهور؛ لأنَّ السُّنَّة تُبيِّن القرآن، ومِن بيانها له تخصيص عمومه، وهناك دقيقةٌ ننبِّه إليها، وهي أنَّ أبا بكرٍ رضي الله عنه سمع حديث:

«نحنُ معاشِرَ الأنبياءِ لا نُوَرَّث». عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كما سمع منه الآية، فهما بالنسبة له في درجةٍ واحدةٍ من اليقين، ليس أحدهما أقوىٰ من الآخر ولذا خَصَّصَ الآية بالحديث، وفاطمة رضي الله عنها لم تسمع الحديث مِن أبيها صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فهو بالنسبة إليها ظنيٌّ، لكنها لم تُكَذِّب أبا بكرٍ، وإنما أخذتها صدمة منع الميراث مضافةً إلىٰ صدمة الحزن، فغضبت، وذهب بعد ذلك أبو بكرٍ إليها في بيتها واسترضاها فرضيت.

معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾

س٣٢٧- وسُئل رضي الله عنه: هل في قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [النور: ٣٣] جواز الزِّنا للأَمَة؟

ج٣٢٧- فأجاب: المقرَّر في الأصول: «أنَّ الكلام إذا وقع فيه صفة لبيان الواقع، فإنها لا تفيد حكمًا زائدًا». مثل قول الله تعالىٰ: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم﴾ [النساء: ٢٣] فهذه صفة لبيان الواقع؛ لأن اليتيمة التي تتزوَّج أمُّها تتربَّىٰ عادةً في حجر زوج أمِّها، فلا تفيد الآية حلَّ نكاح البنت التي لم تتربَّ في حجر زوج أمِّها، وكذلك قوله تعالىٰ في خطاب الأوصياء: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾ [النساء: ٩] غرض حض الوصي علىٰ مراعاة اليتيم، كما يراعي ابنه الذي يخاف عليه في الضياع لو مات وتركه، فصفة خافوا عليهم لبيان الواقع لأن كل واحد يخاف علىٰ ابنه، فلا تفيد حكمًا زائدًا.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [النور: ٣٣]، كان عبدالله بن أُبيٍّ بن سلول يُكرِه أَمَته على الزِّنا ليأخذ مهرها، وهي تكره ذلك، فنزلت الآية تنهى عن هذا الواقع، فلا تفيد حِلَّ الزِّنا إذا لم يكن إكراه.

حكم التلفيق للمقلِّد

س٣٢٨- وسُئل رضي الله عنه: هل التلفيق في التقليد جائزٌ؟

ج٣٢٨- فأجاب: التلفيق في التقليد جائزٌ إلَّا إذا اجتمعت منه صورة لا يقول بها أحدٌ مِن الأئمَّة، فللشافعيِّ أن يخرج زكاة الفِطْر نقودًا كما يقول أبوحنيفة ولا حرج عليه في ذلك، واشتراط النِّصاب عند الحنفية لا يمنع تقليدهم، وقول الحنفية بإخراج ثمن الزكاة قويٌّ مِن جهة الدليل، واشتراطهم النِّصاب في زكاة الفِطْر ضعيفٌ.

هل الرؤيا تعتبر دليلًا من أدلة الأحكام

س٣٢٩- وسُئل رضي الله عنه : هل الرؤيا تعتبر دليلًا من أدلة الأحكام؟

ج٣٢٩- فأجاب: الرؤيا ليست من مصادر الأحكام، ومثلها الإلهام، وهذا مقرَّرٌ في علم الأصول.

المياه التي تصلح للعبادة، وحكم ماء المجاري المعالج بالكيماويات

س٣٣٠- وسُئل رضي الله عنه: ما هي المياه التي تصلح للعبادة؟ وهل كل ما في جوف الأرض ماء؟ وهل إذا حفرنا بئرًا وجد به بنزين فهل يعتبر هذا طهورًا كالماء؟

ج٣٣٠- فأجاب: الماء الذي يصلح للعبادة هو الماء المُطلَق الذي لم يتغيَّر طعمه ولا ريحه ولا لونه بشيءٍ يضاف إليه، فإذا أضيف إليه شيءٌ وغيَّر أحد أوصافه الثلاثة «اللون، الطعم، الرائحة» نظر في ذلك المُغيِّر فإن كان طاهرًا كالورود مثلًا، استعمل في العادات من طبخٍ وشربٍ ونحوها، وإن كان المُغيِّر نجسًا لم يستعمل في العادات، وإنما يستعمل في سقي البهائم والأرض فقط.

نعم، إذا اقتضى الحال وضع دواء في الماء لتنقيته مما فيه من ميكروبات فيصح استعماله والوضوء به...إلخ، ويكون التغير هنا معفوًّا عنه لأجل الضرورة بشرط أن يكون الدواء المضاف إليه طاهرًا غير نجسٍ.

أمَّا سائر المعادن السائلة في جوف الأرض فلا تصلح العبادة بها؛ لأنها لا تُسمَّى ماءً لغةً ولا شرعًا بل هي داخلةٌ في باب الزيوت، والشرع إنما علَّق صحَّة العبادة على الماء المطلق غير المقيد بشيءٍ من الأوصاف، فماء الورد مع كونه ماء لا تصح به العبادة؛ لأنه مقيَّدٌ غير مطلقٍ، وهكذا الحكم في سائر المياه المُتغيِّرة، والله أعلم.

وماء المجاري المعالج بالكيماويات حتى ذهب لونه ورائحته وطعمه يكون طاهرًا بالاستحالة ولا يكون مطهِّرًا، لأنَّ شرط طهُوريَّة الماء ألا تكون بعِلَّة، مثل الخمر يحِلُّ إذا صار خلًّا بنفسه ولا يحِل إذا خُلِّل بعلاجٍ.

س٣٣١- وسُئل أيضًا عن رجلٍ اشترى ثيابًا من محلِّ الدلالة[1] أو من الطريق مستعملة. هل يغسلها أم لا؟

---

(١) مكان بيع الأشياء المستعملة.

ج٣٣١- فأجاب: الأصل حملها على الطهارة، ولكن يغسلها لئلا يكون صاحبها مريضًا مرضًا خطيرًا. لهذا قال يجب غسلها من هذه الناحية. وكذلك الحذاء إذا اشتراه مستعملًا يجب غسله، وكل شيءٍ ملبوسٍ يجب غسله قبل لبسه.

ماءُ الطّهر الذي ينزل من فرج المرأة

٣٣٢- ماءُ الطّهر الذي ينزل من فرج المرأة بكثرة متنجِّسٌ برطوبة فرجِها، فيجب الوضوءُ منه، إلا إذا وقع منها مرات فيعطى حكم السَّلسِ لأنَّه يعسُر التحرُّز منه. والله أعلم.

حكم الصلاة لمن تلوثت ملابسه بلحم الخنزير

س٣٣٣- أنا أشتغل عند جماعةٍ مسيحيين، وهم يأكلون لحم الخنزير جاهزًا كالمرتديله، وتتلوَّث بعض الأطباق والسكاكين التي تُصيب ملابسي، فهل صلاتي صحيحةٌ أم باطلة؟.

ج٣٣٣- يكره الاشتغال عند المسيحيين ما لم يتعرَّض المشتغل عندهم لإهانةٍ في دينه أو في نفسه بأن يساعدهم على ما يتناولون من المحرَّمات كالخمر والخنزير وإحضار الأكل لهم في نهار رمضان ونحو ذلك، فإن تعرَّض المشتغل عندهم لشيءٍ من هذا، كان بقاؤه عندهم في هذه الحالة حرامًا ويجب عليه أن يفارقهم في الحال، ولو لم يجد عملًا عند غيرهم.

ولم يجعل الله رزق شخص موكولًا إلى أحد من الناس بل تكفَّل سبحانه وتعالى برزق كلِّ أحدٍ، حيث قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]. وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]. وقال أيضًا:

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ - ٣].

أمَّا الأطباق الملوَّثة مِن أثر الخنزير فلا يقربها، وإن أصابه شيءٌ منها في ثيابه أو في بدنه فليغسله حتىٰ تصح صلاته، فإن لم يفعل فصلاته باطلةٌ، والله أعلم.

س٣٣٤- وسُئل أيضًا عن رجلٍ شرع في الوضوء وغسل بعد الأعضاء ثُمَّ خرج منه الرِّيح هل ينتقض وضوءه أم لا؟

ج٣٣٤- فأفتىٰ أنه ينتقض وضوءه ويعيد الوضوء، وبعض العلماء أفتوا بأنه لا ينتقض وضوءه وقد خطَّأهم.

حكم الوضوء مع لبس الخاتم وطلاء الأظافر

س٣٣٥- وسئل سيادته عن لبس الخاتم عند الوضوء؟ وعن وضع الطلاء علىٰ أظافر النساء هل يمنع هذا الوضوء أم لا؟

ج٣٣٥- فأجاب سيادته: مَن توضَّأ وفي يده خاتمٌ فهل يحركه أو لا؟ قيل: لا يحرِّكه، وهو رواية ابن القاسم عن مالكٍ وهو المشهور، وسواء كان الخاتم واسعًا أم ضيقًا. وهذا القول هو الموجود في "حاشية الصفتي".

وقال ابن شعبان: «يُحرِّك الخاتم مطلقًا».

وقال ابن حبيب: «يُحرِّكه إن كان ضيِّقًا ليصل الماء إلىٰ الأصبع».

وقال ابن الحكم: «يزيل الخاتم عند الوضوء».

وقال العلامة الشيخ محمد مَيَّارة في "شرحه الكبير" علىٰ "المرشد": «أمَّا غير الخاتم ممَّا يحول بين الماء والعضو يدًا كان أو وجهًا أو غيرهما فلابد من نزعه فإن لم ينزع فموضعه لمعة».

فيندرج فيه ما يُزيِّن به النِّساء وجوههنَّ وأصابعهنَّ مِن النقط التي لها تجسد، وما يُضفِّرن به شعورهنَّ من الخيوط، وما يكون في شعر الرأس من حناء، أو حلتيت، أو غيرهما ممَّا له تجسُّد، وما يلصق بالظفر أو الذراع أو غيرهما من عجين، أو زفت، أو شمعٍ، أو نحوها.

فإن كان العجين ونحوه يسيرًا فقولان، استظهر ابن رشدٍ تخفيف ذلك، لكن محل القولين بعد الوقوع والنزول، وأمَّا ابتداء فلابد من إزالته، والنشادر لمعة؛ لمشاهدته يتقشَّر، فإن نُفِضت الحِنَّاء من الرأس ولم تغسل، فحكى بعض الشيوخ في جواز المسح خلافًا ثُمَّ مال إلى الجواز.

قال الشيخ زروق: «وكان شيخنا أبو عبدالله القوري رحمه الله يقول: «إني لأفتي النساء بالمسح على الحناء؛ لأنا إن منعناهنَّ تركن الصلاة رأسًا، وإذا دار الأمر بين ترك الصلاة وبين فعلها على خلاف فارتكاب الخلاف أولى».اهـ كلامه.

وفيه تصريحٌ بما سألت عنه، ويؤخذ منه أن ما كان على الأظفار لا يجوز إلَّا إذا كان يسيرًا فيعفى عنه.

ولك أن تقيس على فتوى أبي عبدالله القوري، لكن بشرط أن يستعمل الطلاء بعد وضوء، نظير المسح على الخفين وطلاء الأظافر لا بد أن يقيد بمدة لأنه إنما أجيز للترخُّص، وثلاثة أيام جعلها الشارع مدة المسح في السفر، أمَّا مدة الحضر فيومان، وهي أنسب بمدة طلاء الأظافر.

حكم المسح على الجبائر

س٣٣٦- وسئل رضي الله عنه: هل يجوز المسح على الجبائر؟

ج٣٣٦- فأجاب: المسح على الجبائر: مذهب المالكية أنَّ الجبائر التي تشد على الجراح والقروح والفصاد يجوز المسح عليها وعلى العصائب المشدودة فوقها، سواء كانت في أعضاء الغسل أو الوضوء، أو كانت على الموضع وحده، أو انتشرت عنه، ولا يشترط شدها على طهارةٍ ولا يعيد الصلاة إذا برأ وصحَّ، وإذا نزعها للمداواة ثُمَّ ردَّها أعاد المسح، وإذا صحَّ فنزعها غسل الموضع على الفور، وإن سقطت الجبيرة وهو في الصلاة بطلت صلاته؛ لأن طهارة الموضع قد انتقضت بظهوره، هذا مذهب مالكٍ، وفيه سعةٌ.

من انقطع عنه الماء قبل غسل رجليه

٣٣٧- من انقطع عنه الماء قبل غسل رجليه يتيمم ويدرك الجماعة، فإن أمكنه الحصول على ماء تعين عليه غَسْلُ رجليه.

السلام على المرأة للمتوضئ

س٣٣٨- إذا كان الإنسان متوضِّئ للصلاة وسلَّم على امرأةٍ فهل ينتقض وضوءه أم لا؟

ج٣٣٨- السلام على المرأة لا ينقض الوضوء إلَّا إذا حصلت شهوةٌ، بأن أحسَّ الشخص بنزول مذيٍ منه، فإن لم يحصل فلا شيء، هذا في مذهب الحنفية والدليل يؤيِّده.

وذهب الشافعية إلى أنَّ لمس المرأة غير المَحْرَمِ ينقض الوضوء إطلاقًا سواء

أكان بشهوةٍ أو لا.

وتوسَّط المالكية فقالوا من لمس المرأة قاصدًا الشهوة ينتقض وضوءه ولو لم يجد لذَّةً، وكذلك من وجد لذَّةً ولم يقصدها ينتقض وضوءه أيضًا، أمَّا مَن لمس امرأةً ولم يقصد اللذة ولا وجدها فلا ينتقض وضوءه هذا مذهب المالكية، والله أعلم.

انتقاض الوضوء بلمسِ المرأة

س٣٣٩- هل لمس المرأة ينقض الوضوء؟

ج٣٣٩- لمس المرأة لا ينقض الوضوء عند الحنفية، والدليل يؤيِّدهم: «كان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يُقَبِّل عائشة ويُصلِّي ولا يتوضَّأ».

ومذهب الشافعية في اللمس ضعيفٌ، وفيه شدَّةٌ تنافي التيسير، كما أنَّ مذهبهم بتخصيص التيمُّم بالتراب فقط ضعيفٌ أيضًا ومخالفٌ للقواعد ومنافٍ للتيسير.

س٣٤٠- وسُئل عن وجه الصواب في حكم نقض الوضوء بمسِّ المرأة لاختلاف المذاهب فيه.

ج٣٤٠- فأجاب سيادته بما نصُّه: أمَّا نقض الوضوء بمسِّ المرأة فقال به الشافعية مُطلقًا بدون قيدٍ، وقيَّده المالكيَّة بوجود الشهوة أو قصدها، وقال الحنفية: مسها لا ينقض مطلقًا إلَّا إذا انتشر أو أمذَى.

وليس في السُّنَّة دليلٌ يؤيِّد الشافعية وإنما تمسَّكوا بظاهر قوله تعالى: ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [النساء: ٤٣]، وأنَّ في قراءة: «أو لمستم»، وهي تشمل كل لمس

باليد وغيرها، فيكون مطلق لمس المرأة ناقضًا.

لكن في الاستدلال بالآية مناقشات تتعلَّق بعلم الأصول قد يكون من الصعب بسطها هنا.

واستدل الحنفية بحديث: «كان صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يُقبِّل عائشة ثُمَّ يُصلِّي من غير وضوءٍ». وهذا الحديث وإن كان ضعيفًا فله طرقٌ، ثُمَّ هو مؤيَّدٌ بالأصل، إذ الأصل عدم النقض إلَّا إذا ثبت بدليلٍ صحيحٍ ولم يصح في النقض دليلٌ.

بل روى النَّسائيُّ بإسنادٍ صحيحٍ، عن عائشة قالت: «إن كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ليصلِّي بالليل وأنا معترضةٌ في قبلته اعتراض الجنازة، فإذا أراد أن يوتر مَسَّني برجله».

تريد ليوقظها للصلاة، وهذا صريحٌ في أنَّ مَسَّ المرأة لا ينقض، واحتمال أن يكون بحائلٍ كما أوَّله الشافعية احتمالٌ بعيدٌ مُتكَلَّفٌ.

ثُمَّ راجعت فوجدت حديثًا رواه البزَّار، عن عائشة: «أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان يُقَبِّل بعض نسائه ولا يتوضَّأ». وإسناده جيِّدٌ، قال عبدالحق الإشبيليُّ المالكيُّ: «لا أعلم له عِلَّةً توجِب تركه».

ووجدت حديثًا آخر عن أمِّ سلمة: «أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان يُقَبِّل ثُمَّ يخرج إلى الصلاة ولا يتوضَّأ». رواه الطبرانيُّ في "الأوسط" ورجاله على شرط الحسن إلَّا راويًا فمختلف فيه، ضعَّفه أحمد ووثَّقه البخاريُّ، وبمجموع الطرق يكون حسنًا، بل صحيحًا.

وأمَّا دليل المالكية فتجده في "مسالك الدلالة في شرح متن الرسالة" وهو اسم كتابٍ لشقيقي الحافظ أبي الفيض أحمد بن الصِّدِّيق رحمه الله.

والتحقيق المبنيُّ على الدليل أنَّ اللمس لا ينقض بنفسه بل هو من أسباب النقض كالنوم، فإذا وجد مع اللمس أو القبلة إنعاظٌ أو مذيٌ انتقض الوضوء وإلَّا فلا، وهذا ملحظ الحنفية وهو الراجح، على أنَّ مجرَّد الإنعاظ لا ينقض أيضًا إلَّا إذا نزل مذي.

وبيان ذلك أنَّ النواقض قسمان: أحداث تنقض بنفسها كالبول، والغائط، والمذي، والودي، والريح. وأسباب كالنوم، وزوال العقل مثلًا.

فهل اللمس سبب ينقض مطلقًا؛ لأنه مظنَّة الشهوة وخروج المذي الذي هو الحدث، وبهذا قال الشافعية، أو لا ينقض إلَّا إن وجد الحدث بالفعل وهو خروج المذي وبهذا قال الحنفية.

وتوسَّط المالكية فقالوا: إذا قصد اللامس اللذَّة أو وجدها ينتقض الوضوء لقرب المظنَّة، وإذا لم يقصد ولم يجد لا ينتقض، لبعد المظنَّة حينئذٍ. هذا مأخذ الأقوال وملحظ أصحابها فتأمَّله جيِّدًا.

الوضوء من حمل الميت وغسله

س٣٤١- وسُئل أيضًا عن رجل حمل ميتًا أو غَسَّله، هل يجب عليه الوضوء، أو الغسل؟

ج٣٤١- فأجاب: لا يجب عليه وضوءٌ ولا غسلٌ، وإنما يندب ويستحب فقط الوضوء لمن حمل ميتًا أو غَسَّل ميتًا .

حكم سَلَسِ البول

س٣٤٢- وسئل: ما حكم مَن ينزل منه البول بمُعدَّل كل ربع ساعة مرة كيف يُصلِّي؟

ج٣٤٢- فأجاب: حكم من ينزل منه البول باستمرارٍ ينطبق عليه حكم السَّلَس؛ لأنه يخرج منه حدثٌ كل ربع ساعة، والسَّلَسُ عند المالكية معفوٌّ عنه، بمعنى أنه يتوضَّأ ويُصَلِّي ولو كان الحدث ينزل منه أثناء الصلاة، والحدث إنما ينقض عند المالكية إذا خرج من الإنسان على وجه الصحة والعادة، أمَّا إذا خرج منه على خلاف ذلك كمثل هذه الحالة فلا ينقض الوضوء.

والذي أُفتي به أنه يتوضَّأ حين يحضر وقت الصلاة ولا يضره ما ينزل منه وهو يصلِّي، أو في الفترة بين الوضوء والصلاة؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] وهذا ما في وسعه، ويقول النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «إذا أَمَرْتُكُمْ بأَمْرٍ فائتُوا مِنه ما اسْتَطَعْتُمْ». وهذه استطاعته، فليصلِّ كما ذكرتُ لك، وليطمئنَّ باله فصلاته صحيحةٌ لا خلل فيها.

الوضوء من مس الدبر

س٣٤٣- رجل وامرأة، سواء، يستعمل القوالب في دبره من أجل الدواء، هل ينتقض وضوءه أم لا إذا أصاب يده دبره؟

ج٣٤٣- الجواب: مسُّ الدُّبر لا ينقض الوضوء، وإنما ينقض الوضوء مسُّ الذَّكَر والفَرْج فقط.

أسئلة متفرقة في أحكام الطهارة والجواب عليها

س٣٤٤- وسُئل أيضًا عن رجلٍ جامع أهله ولم ينزل منه المني، واغتسل وبعد الغسل خرج منه المني هل يجب عليه الغسل من خروج المني أم لا؟

ج٣٤٤- فأفتى أنه يجب عليه الغسل من خروج المنيِّ وهو مذهب الشافعيِّ، وفي المذهب المالكيِّ لا يجب عليه الغسل.

س٣٤٥- وسُئل أيضًا عن امرأةٍ متزوِّجةٍ وزوجها فيه قوة الجماع كل يومٍ، وهي يصعب عليها الحال من ناحية الغسل ورأسها يبرد من الماء فيحصل لها زكامٌ قويٌّ يغلق أنفها فتتيمَّم يومًا ويومين وبعد ذلك تغتسل.

ج٣٤٥- فأفتى لها بالتيمُّم لهذا العذر .

س٣٤٦- وسُئل أيضًا عن رجلٍ جامع أهله ليلًا وتوضَّأ هل يصلِّي بذلك الوضوء أو يمس المصحف أو يدخل المسجد؟

ج٣٤٦- فقال: ذلك الوضوء لا يصلح به شيء وإنما هو وضوء الجنابة فقط.

س٣٤٧- وسُئل أيضًا عن امرأةٍ إذا اغتسلت تشتكي من رأسها سواء في الصيف والشتاء.

ج٣٤٧- فأفتى بأنها تمسح عليها وتتيمَّم وعند الوضوء تتوضَّأ وتمسح رأسها.

س٣٤٨- ما هي الأشياء التي يجوز التيمُّم بها؟

ج٣٤٨- في مذهب مالكٍ يجوز التيمُّم على التراب والحَجَر والرَّمل والحصى والرَّحَى والطين والثلج وجصٍّ قبل طبخه، وشبٍّ وملحٍ في مقرِّهما

قبل أن يُنقلا، والغبار على الأرض أو الجدار إذا كان كثيرًا لا قليلًا والتراب أفضل.

س٣٤٩- هل لا بد من استعمال التراب عند التيمُّم؟

ج٣٤٩- الصعيد في الآية عامٌّ يشمل التراب، والحجر، والزلط، والرمل، والملح في الملاحة، وجذع الشجرة، والرخام، ولفظ التراب في الحديث لا يُخصِّص الآية لقاعدةٍ مقرَّرةٍ في الأصول ذكرها السبكيُّ في "جمع الجوامع" وغفل عنها الشافعية، والكمال لله وحده، والله أعلم.

س٣٥٠- وسُئل أيضًا عن رجلٍ احتلم مع رِفْقَةٍ في السَّفر أو في دار صديقٍ له ولا يستطيع أن يغتسل من أجل التهمة.

ج٣٥٠- فقال: إنَّ الشافعية أباحت التيمُّم مِن أجل هذا العُذْر، وقال أيضًا: يجوز أن يكون إمامًا، والمالكية تمنع إمامة المتيمِّم بالمتوضِّئ.

س٣٥١- وسُئل أيضًا أنَّ امرأةً وصلت من السنِّ أكثر من ستين سنة وقد كان انقطع منها الدم -أي دم الحيض- والآن صار ينزل منها الدم هل يعتبر هذا دم الحيض أو عِلَّةٍ وفسادٍ؟

ج٣٥١- أجاب بأن هذا مرضٌ يجب معالجته، ولا تقطع الصلاة والصيام ويجامعها زوجها.

س٣٥٢- وسُئل عن بنت يأتيها حق الشهر أربعة أيام أو خمسة أيام ولا ينقطع.

ج٣٥٢- فأفتى بها أن تنتظر سبعة أيام وإذا بقي الدم تزيد ثلاثة أيام إلى نهاية خمسة عشر يومًا بعد ذلك يعتبر مرضًا تصلِّي وتصوم.

س٣٥٣- وسُئل أيضًا عن شخصٍ مقطوع اليدين ما حكمه في الغسل والوضوء والتيمُّم.

ج٣٥٣- أفتىٰ لا شيء عليه، ويصلِّيٰ بلا وضوء ولا تيمُّم. غاية الأمر في الغسل إن دخل في ماءٍ وخرج فيصح غسله، ويجوز لأهله المكاشفة عليه إن لم تكن له زوجة.

من أحكام الحيض

س٣٥٤- وسئل رضي الله عنه عن أحكام الحيض.

ج٣٥٤- فأجاب رضي الله عنه: أمَّا ما سألت عنه فالحيض أقله قطرة وأكثره خمسة عشر يومًا، والمرأة تعمل علىٰ ما اعتادت مِن الأيام التي تحيض فيها، ويحرم علىٰ الحائض الصلاة، والصيام، وقراءة القرآن، إلَّا نحو الآيتين للتعوُّذ والتحصُّن، ولا يجوز جماعها حتىٰ تغتسل من الحيض ويجوز ملاعبتها ومباشرتها حالة الحيض إلَّا في الفرج.

س٣٥٥- وسُئل أيضًا عن أحكام الحيض؟

ج٣٥٥- ومسألة الحيض إن كانت المرأة عادتها خمسة أيامٍ وزاد الحيض عليها فإن انقطع بعد ثلاثة أيام أخرىٰ أو أقل منها تغتسل وتُصلِّي.

وإن لم ينقطع ثلاثة أيامٍ أخرىٰ، كلَّما انقطع اغتسلت وصلَّت، فإذا بلغ مجموع أيام الحيض خمسة عشر يومًا بما فيها الأيام الخمسة المعتادة فإنها تغتسل وتُصلِّي، ولو استمرَّ نزوله فإنه دم استحاضة لا يمنع الصلاة ولا يوجب الغسل.

والحاصل: أنَّ المرأة إذا زاد نزول الدم علىٰ عادتها فإنها تنتظر ثلاثة أيام

استظهارًا، فإن انقطع داخلها أو عند تمامها اغتسلت وصلَّت، وإن لم ينقطع انتظرت ثلاثة أيام أيضًا، حتى تصل الأيام إلى خمسة عشر، فإن زاد عليها لم يكن حيضًا بل استحاضة لا يمنع الصلاة، وقبل وصوله إلى خمسة عشر يومًا، كلما انقطع اغتسلت وصلَّت وإذا نزل امتنعت عن الصلاة والصوم، هذا حكم التي ينقطع حيضها بالتفصيل.

هل يجب الغسل من الإجهاض

س٣٥٦- وسُئل أيضًا عن امرأةٍ عمل لها زوجها إجهاضًا أي المسمَّى «الكرطاج»[١] وهو غسل «الولدة»[٢].

ج٣٥٦- فأفتى بأنه يلزمه صدقة عن هذا العمل، وأيضًا تغتسل عندما ينقطع الدم لأنه مثل دم النفاس.

س٣٥٧- وسُئل أيضًا عن امرأةٍ عملت الإجهاض أي المسمَّى بالكورطاج.

ج٣٥٧- قال: يجب عليها الغسل لأنه يشبه الولادة، أمَّا مجرَّد غسل الولدة لأنها تكون بعض المرات فيها شيء يمنع الحمل فذا يجب منه الوضوء فقط.

س٣٥٨- وسُئل أيضًا عن رجلٍ أراد أن يشتري مصحفًا كاملًا وليس على وضوءٍ هل ممنوعٌ أن يمسَّه أو لا؟

ج٣٥٨- فأفتى: لا بأس به.

---

(١) كلمة فرنسية: «cutage» مستعملة في الدارجة وتعني: الإجهاض.

(٢) كلمة دارجة وتعني: الرحم.

حكم الكلام والدعاء من سامع الأذان وقت الأذان

س٣٥٩- ما حكم الكلام والدعاء من سامع الأذان وقت الأذان، وهل للدعاء صيغ خاصَّةٌ تقال فقط أم يقاس غيرها عليها، ولو حال الأذان الثاني الذي يقال يوم الجمعة والخطيب فوق المنبر، وهل الأفضل الاشتغال بالدعاء أم بسماع الأذان؟

ج٣٥٩- الكلام مِن سامع الأذان جائزٌ لما روىٰ مالك في "الموطأ" قال: ثنا ابن شهابٍ، عن ثعلبة بن أبي مالكٍ القرظيِّ: أنه أخبره أنهم كانوا في زمان عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه يصلُّون يوم الجمعة حتىٰ يخرج عمر، فإذا خرج عمر وجلس علىٰ المنبر وأذَّن المؤذِّنون قال ثعلبة: جلسنا نتحدَّث فإذا سكت المؤذِّن وقام عمر يخطب أنصتنا فلم يتكلَّم مِنَّا أحدٌ.

وأمَّا الدعاء فمحله بعد الفراغ من الأذان كما في الصحيح وله صيغ خاصَّةٌ وردت في صحيحَي "البخاري" و"مسلم" والسنن الأربعة وقد ذكرها الحافظ المنذريُّ في "الترغيب والترهيب" والإمام النوويُّ في "الأذكار " فلا نطيل بها.

ومع ذلك فلا مانع أن يدعو السامع بما شاء مِن أمر دينه ودنياه لكن بعد الفراغ من الأذان؛ لأنه من مواطن الإجابة، والأولىٰ أن يشتغل السامع حالة الأذان بمُحاكاة المؤذِّن، بل ذلك متأكِّدٌ شديد التأكيد خروجًا من خلاف مَن أوجب المُحاكاة، وهم جماعةٌ من السلف والحنفية وابن وهب وأهل الظاهر قاطبةً، واستدلوا بالحديث: «**فقولوا مِثل ما يقول المؤذِّن**». والأمر للوجوب علىٰ ما تقرَّر في الأصول.

وأجاب الجمهور عن هذا بأجوبةٍ أحسنها فيما أعلم علىٰ ما فيه، ما ذكره

ابن عبدالسلام المالكيُّ في "شرح مختصر ابن الحاجب" فقال: «ظاهر الحديث الوجوب لكن قد تكون القرينة الصارفة عنه هي تبعية قول الحاكي للقول المحكي الذي هو الأذان».اهـ

وممَّا هو جديرٌ بالذكر في هذا الموطن ما شاع بين كثير من الناس عند قول المؤذن: أشهد أن محمدًا رسول الله أنهم يقبلون ظاهر إبهامهم ويمسحون بها أعينهم قائلين: مرحبًا بحبيبي... إلخ، وقد عزا الديلمي في "الفردوس" هذا لفعل أبي بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه وأنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: لما رآه فعل ذلك: «من فعل مثل ما فعل خليلي فقد حلت عليه شفاعتي». وهو غير صحيحٍ كما قال الحافظ السخاويُّ. وخرج أبوالعباس أحمد بن أبي بكر الرداد في كتابه "موجبات الرحمة وعزائم المغفرة" بسند فيه -مع انقطاعه- مجاهيل عن الخضر عليه السلام أنه قال: «من قال حين يسمع المؤذن يقول أشهد أن محمدًا رسول الله: مرحبًا بحبيبي وقرة عيني محمد بن عبدالله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ثم يقبل إبهاميه ويجعلها علىٰ عينيه لم يرمد أبدًا».

وقال شمس الدين محمد بن صالح المدني في "تاريخه": روي عن الفقيه محمد بن سعيد الخولاني قال: أخبرني الفقيه العالم أبوالحسن علي بن محمد بن حديد الحسينيُّ: أخبرني الفقيه الزاهد البلاليُّ، عن الحسن عليه السلام قال: مَن قال حين يسمع المؤذِّن يقول «أشهد أنَّ محمدًا رسول الله»: مرحبًا بحبيبي وقرَّة عيني محمد بن عبدالله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم. ويقبل إبهاميه ويجعلها علىٰ عينيه لم يعمَ ولم يرمد.

وقال صاحب "المسائل الملقوطة": حدَّثنا الفقيه الصديق الصالح الأزكىٰ

العالم الأوفى المجتهد المجاور بالمسجد الحرام المتجرِّد الأرضى صدر الدين ابن سيدنا الصالح بهاء الدين عثمان بن علي الفارسي حفظه الله قال: لقيت الشيخ العالم المتفنِّن المُفسِّر المُحدِّث المشهور الفضائل نور الدين الخرساني بمدينة شيراز، وكنت عنده في وقت الأذان فلمَّا سمع المؤذِّن يقول: أشهد أنَّ محمَّدًا رسول الله قبَّل الشيخ نور الدين إبهامَي يديه اليُمنَي واليُسرَى ومسح بالظفرين أجفان عينيه عند كلِّ تشهُّدٍ مرة، وبدأ بالموق من ناحية الأنف وختم باللحاظ من ناحية الصدغ قال: فسألته عن ذلك فقال: إني كنت أفعله من غير رواية حديثٍ، ثُمَّ تركته فمرضت عيناي فرأيت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في المنام فقال: «لم تركت مسح عينيك عند ذكري في الأذان؟ إن أردت أن تبرأ عيناك فعد إلى المسح». أو كما قال، فاستيقظت ومسحت فبرئت عيناي ولم يعاودني مرضهما إلى الآن.

وهناك مَراءٍ من هذا القبيل تركناها لعدم إفادتها في مثل هذا الصدد، وإن كان المضلِّلون يتَّخذونها حُجَّةً قاطعةً لا تقل عن رتبة حديثَي البخاريِّ ومسلمٍ ليتوصَّلوا بها إلى أغراضهم السيِّئة هداهم الله وعفا عنهم.

الحِكمة من تجريد الأذان من العطف

س٣٦٠- لماذا جُرِّد الأذان مِن العطف بينما التشهُّد حصل فيه العطف بين كلماته؟

ج٣٦٠- والأذان: إعلامٌ بدخول الوقت، وكلُّ جملةٍ منه إعلامٌ بنفسها؛ فجُرِّد مِن العطف لكمال الاتصال بين جمله، بخلاف التشهُّد في الصلاة، فإنَّ المقصود به الذِّكر، والإقرار بوحدانية الله ورسالة رسوله، فحصل العطف

رعايةً لتغايُر معنى الجملتين، وبقية هذا البحث يعرف مِن عِلْم المعاني.

نكتةٌ بلاغيةٌ في الفرق بين ألفاظ الأذان والتشهد

س٣٦١: هل العطف بالواو كما هو في التشهُّد يقتضي المغايرة؟

ج٣٦١- العطف بالواو أو غيرها يقتضي المغايرة، ولهذا لا يجوز العطف إلَّا بين متغايرين حقيقةً أو اعتبارًا، نحو جاء زيدٌ وعمرٌو، فعمرٌو غير زيدٍ حقيقةً، ونحو: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٥٣] فالفرقان غير الكتاب باعتبار أنَّ الصفة تغاير الموصوف؛ لأن الكتاب قد يكون غير فرقانٍ، أمَّا إذا كان الشيئان متحدين فلا يجوز العطف نحو: جاء خالد أخو بكرٍ، لا يجوز أن تقول وأخو بكرٍ؛ لأن المعنى يتغيَّر بالعطف.

إذا تقرَّر هذا فاعلم أنَّ الأذان جعله الشارع إعلامًا بدخول الوقت فكانت كلماته غير معطوفة؛ لأنها تفيد معنًى متحدًا، وكذلك الإقامة، فلو عُطفت بعض كلمات الأذان والإقامة لأفاد العطف خروج المعطوف عن معنى الأذان والإقامة إلى الذكر المجرَّد، وهو غير مقصودٍ هنا، بخلاف التشهُّد في الصلاة فإنَّ المقصود منه الذِّكر، وتكثير أنواع الذِّكر مطلوبٌ شرعًا، فعطفت جملتا التشهد ليحصل الذكر بالشهادة لله بالوحدانية، ولنبيِّه بالرسالة، وهما متغايران حقيقةً، أمَّا الأذان فهما متحدان باعتبار معنى الإعلام.

كيف كان أذان عائشة رضي الله عنها؟

س٣٦٢- كيف كان أذان عائشة رضي الله عنها؟

ج٣٦٢- عائشة كانت تمكث في مكة بعد الحجاب وكانت محتجبةً، وأذانها في بيتها للنِّساء بصوتٍ منخفضٍ، وصوت المرأة ليس بعورةٍ على الراجح

عندي الآن، وإنما يكون عورة ويحرم سماعه إذا كان فيه تخنُّثٌ وغنجٌ، لقول الله تعالى: ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

أسئلة متفرقة عن أحكام الصلاة

س٣٦٣- وسُئل عن رجلٍ كان نائمًا ونسي صلاة الظهر، وعندما استيقظ وجد وقت العصر حاضرًا فتوضَّأ وشرع في صلاة العصر في الركوع تذكر أنه لم يصلِّ الظهر فحوَّل نية العصر إلى صلاة الظهر.

ج٣٦٣- فأفتى بعدم الجواز وأنه يعيد تلك الصلاة لأنها مختلطة النية.

س٣٦٤- سؤال آخر: رجلٌ احتلم عند شخصٍ ولم يستطع أن يغتسل خوف التهمة وتوضَّأ وصلَّى وأصبح صائمًا صيام رمضان.

ج٣٦٤- أفتى الشيخ أنَّ صلاته باطلةٌ لأنه صلاها بلا وضوءٍ وأنَّ صيامه صحيحٌ .

س٣٦٥- وسُئل أيضًا عن إمامٍ يتكئ في الصلاة على حائطٍ في الوقوف أو الجلوس.

ج٣٦٥- فقال: إنَّ الصلاة صحيحةٌ، وهذا الفعل مكروهٌ، أمَّا إذا كان الإمام بدينًا وذا جسمٍ كبير فله عذره ولا كراهة فيه.

س٣٦٦- وسُئل أيضًا عن رجلٍ كان بين أسنانه شيءٌ ضعيفٌ من الأكل وفي الصلاة خرج من بين أسنانه فابتلعه عمدًا. فأفتى بعض الجهَّال بأن صلاته باطلةٌ.

ج٣٦٦- فأفتى بأن صلاته صحيحةٌ، قال: لأن تعمُّد الأكل هو الذي يبطل الصلاة وهذا ليس بأكلٍ.

حكم اللَّحن في الصلاة

س٣٦٧- وأفتىٰ عندنا أحد المتعلِّمين بأن اللَّحن في السورة يُبطل الصلاة، فسألت سيادته عن ذلك؟

ج٣٦٧- فأجاب بما نصُّه: ولا دليل علىٰ أنَّ اللحن في السورة يُبطل الصَّلاةَ إلَّا في صورتين:

١- أن يتعمَّد المُصلِّي اللحن في السورة، فهو تحريفٌ لكلام الله وهو معصيةٌ تُبطل الصلاة.

٢- أن يقتصر الحنفي علىٰ السورة في الصلاة دون (الفاتحة) ويلحن في السورة لحنًا يغير المعنىٰ، فتبطل صلاته؛ لأن السورة عنده ركنٌ في الصلاة، واللحن في الرُّكن يبطلها، وفي غير هاتين السورتين لا تبطل الصلاة باللحن في السورة إطلاقًا.

س٣٦٨- كيف يقول المالكية بعدم قضاء الصلاة عند فقد الطهورين؟

ج٣٦٨- عند المالكية قول: إذا كان الرجل في سفينةٍ مثلًا ولم يجد دلوًا يأخذ به ماء البحر ولا ما يتيمَّم به، حتىٰ خرج الوقت فلا أداء عليه ولا قضاء؛ لأن الوقت صادفه وهو فاقد لشرطٍ من شروط الصلاة، وهذا قول مالكٍ نفسه، ولكن المالكية رجَّحوا وجوب القضاء.

س٣٦٩- هل يكفي عن تكبيرة الإحرام نية القلب؟

ج٣٦٩- تحريك اللسان بتكبيرة الإحرام بحيث يسمع الإنسان نفسه لابد منه في صحة الصلاة وكذلك في قراءة الفاتحة.

س٣٧٠- وسُئل أيضًا عن الخطيب يوم الجمعة يدخل المسجد ولا يُصلِّي

تحيَّة المسجد.

ج٣٧٠- قال: لابد أن يعمل تحية المسجد لأن الأدلة العامة في تحية المسجد تشمله.

س٣٧١- وسُئل أيضًا عن أشخاص اشتروا جهة من الكنيسة في ألمانيا لأجل صلاة الجمعة والعيد.

ج٣٧١- فأفتى بالجواز لأن الصلاة في جانب الكنيسة جائزةٌ، والذي يمنع أن يكون محل الصلاة أسفل والكنيسة فوق كما وقع في فرنسا، فهذا ممنوعٌ. ومسجد قرطبة الآن نصفه لا زال كنيسة ونصفه يصلَّى فيه.

س٣٧٢- وسُئل أيضًا عن مسجدٍ في جانبه مراحيض وأراد الجماعة أن يهدموها ويوسِّعوا المسجد ويجعلوا المراحيض فوق المسجد.

ج٣٧٢- فأفتى بالمنع وقال إنَّ المراحيض فوق المسجد فيها إهانةٌ للمسجد والله يقول: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ ﴾ [النور: ٣٦].

حكم وجود الراديو في المسجد

س٣٧٣- وسئل عن حكم وجود الراديو في المسجد؟

ج٣٧٣- والراديو في المسجد ليس بحرامٍ، وهو مثل الميكروفون.

الصلاة في مسجد تحت كنيسة

س٣٧٤- وسُئل أيضًا عن مسجدٍ في فرنسا تحت كنيسة، هل يجوز فيه الصلاة؟

ج٣٧٤- فأفتى بالمنع والبطلان لأن بها إهانة لبيت الله. وأفتى عالم أفريقي

ببطلان الصلاة ووافقه الشيخ عبدالله رحمه الله .

الصلاة بين الأعمدة في المسجد

س٣٧٥- هل تكره الصلاة بين الأعمدة في المسجد؟

ج٣٧٥- قال البخاريُّ في "الصحيح": «باب الصلاة بين السواري في غير جماعة». وروى حديث ابن عمر عن بلال أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم صلَّى في الكعبة بين العمودين المقدمين، قال الرافعيُّ: «احتجَّ البخاريُّ بهذا الحديث على أنه لا بأس بالصلاة بين الساريتين إذا لم يكن في جماعةٍ، وأشار إلى أنَّ الأولى للمنفرد أن يصلِّي إلى السارية ومع هذه الأولوية فلا كراهة للمنفرد في الوقوف بينهما»اهـ

وقال المحب الطبري: «كره قوم الصف بين السواري للنهي الوارد عن ذلك، ومحل الكراهة عند عدم الضيق والحكمة فيه إمَّا لانقطاع الصف، أو لأنه موضع النِّعال».اهـ

قال القرطبي: «روي في سبب كراهة ذلك أنه مصلَّى الجنِّ المؤمنين والكعبة تعتبر مسجدًا لقول الله تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ [المائدة: ٩٧] ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧] ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤] أي الكعبة».

أيهما أرجح في الصلاة القبض أم السدل؟

س٣٧٦: اختلف عندنا عالمان جليلان في مسألة القبض والسَّدْل في مذهب المالكيَّة في الصلاة، وكلاهما أيد قوله بأقوال من أئمَّة المذهب، فما هو

القول الراجح في هذه المسألة الذي يجب الاعتماد عليه؟

ج٣٧٦: العالم المؤيِّد لاستحباب القبض في الصلاة هو المعتمَد الراجِح، وأدلَّته واضحةٌ لا غبار عليها، وممن نصَّ على استحباب القبض من أئمَّة المالكية المشهود لهم بالاجتهاد في المذهب، القضاة: أبو الوليد الباجيُّ، وأبو الوليد بن رشد الجد، وأبو بكر بن العربي المعافريُّ، وابن رشد الحفيد، والقاضي عياض، والمازريُّ، وغيرهم، كما بيَّنه العلَّامة أبو عبدالله المسناوي في رسالته التي ألَّفاها في سنية القبض في الصلاة على مذهب مالكٍ، وشيخنا العلَّامة المُحدِّث السيِّد محمد بن جعفر الكتاني الحسني في كتابه المسمى "سلوك السبيل الواضح إلى أنَّ القبض في الصلوات كلِّها على مذهب مالكٍ مشهورٌ وراجحٌ" وهو كتابٌ نفيسٌ قرأته في مكتبة مؤلِّفه الخاصَّة بفاس.

وكذلك للعلَّامة الشيخ محمد المكي بن عزُّوز المالكيُّ رسالةٌ في سُنِّية القبض في الصلاة على مذهب مالكٍ، اسمها "هيئة الناسك" كما رجَّح العلَّامة محمد الطالب بن الحاج في حاشيته على "شرح المرشد المعين" سُنِّية القبض أيضًا، وهي حاشيةٌ محرَّرةٌ مُعتمَدةٌ عندنا بالمغرب.

أمَّا من حيث الحديث فالأحاديث في القبض متواترةٌ؛ لأن الصحابة الذين رووها عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم تجاوز عددهم عشرين شخصًا، ثُمَّ هي مخرَّجةٌ في الكتب الستة وغيرها كـ"مستدرك الحاكم" وصحاح "ابن حبان"، و"ابن خزيمة"، و"ابن الجارود"، و"الإسماعيلي"، و"الجوزقي"، عدا كتب السنن والمسانيد.

ولهذا أخذ الأئمَّة الثلاثة بالقبض، بل مالكٌ نفسه كان يقبض، وروي عن

أصحابه المدنيون القبض، ولا يوجد في مذهب مالكٍ قول بالسدل إلَّا رواية ابن القاسم، وهي واردةٌ في كراهة القبض للاعتماد، ولم يرد في السدل حديثٌ صحيحٌ ولا حسنٌ ولا ضعيفٌ، بل ولا موضوعٌ أيضًا، فالحالف على عدم ورود حديث فيه بارٌّ في يمينه، بخلاف الحالف على القبض فإنه حانثٌ في يمينه تلزمه الكفَّارة.

وكلام الشيخ عليش في "فتاويه" مردودٌ جملة وتفصيلًا، وهو أحد أخطائه المعدودة في تلك الفتاوى، وما يذكره عليش وغيره من أنَّ السدل عمل أهل المدينة باطلٌ لا أصل له؛ فإنَّ مالكًا يعنى بعمل أهل المدينة وفقهائها من الصحابة والتابعين الذين منهم شيوخه مثل عمر، وزيد بن ثابتٍ، و عبدالله بن عمر، وسعيد بن المُسيِّب، ونافعٍ، والزهريِّ، وغيرهم، وهؤلاء ثبت عنهم تواتر القبض عملًا وقولًا، ولم يرد في شيءٍ من الكتب نسبة السدل إلى واحدٍ منهم ولو بسندٍ واحدٍ ضعيفٍ، فاستحباب القبض في الفرائض والنوافل هو مذهب مالكٍ الذي كان يعمل به في نفسه وروى حديثه في "الموطأ" ولقَّنه لأصحابه المدنيين، وبالله التوفيق.

حكم قراءة سورة من القرآن في الركعتين الأخيرتين من الصلاة الرباعية

س٣٧٧- هل يستحب قراءة سورة أو بعض آيات من القرآن في الركعتين الأخيرتين من الصلاة الرباعية؟

ج٣٧٧- قال تقي الدين السبكيُّ: «يحسن قراءة سورة أو شيء من القرآن بعد الفاتحة في الركعتين الأخيرتين في الرباعيات، وفي الثالثة في المغرب».اهـ

وكان أبو بكرٍ رضي الله عنه يقرأ في ثالثة المغرب: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨] بعد (الفاتحة).

ردٌّ على الألبانيِّ في قوله: «كان النبيُّ ﷺ يعجن في صلاته».

س٣٧٨- الألباني قال بأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم- كان يعجن في صلاته فلماذا لم ترد عليه؟

ج٣٧٨- عدم إجابتي عن قول الألبانيِّ: «كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يعجن في صلاته»، سببه أنَّ هذه المسألة ليست من فرائض الصلاة ولا سننها، مع تزمُّت الألبانيُّ وميله إلى شواذِّ المسائل ليظهر اطِّلاعه ويَصْدُقُ عليه المثل: «خالف تُعرَف» وأنا لا أحب أن أدخل في نقاشٍ من هذا القبيل.

وحيث أصررت على معرفة رأيي، فأصغ سمعك: قول الألبانيِّ المذكور خطأ من جهة الصناعة ومن جهة الفقه.

وبيان ذلك: أمَّا الصِّناعة فروى البيهقيُّ في "السنن" عن الأزرق بن قيس قال: رأيت ابن عمر إذا قام من الركعتين اعتمد على الأرض بيديه، فقلت لولده ولجلسائه: لعله يفعل هذا من الكبر؟ قالوا: لا ولكن هكذا يكون.

وروى عبدالرزاق، عن نافعٍ، عن ابن عمر: أنه كان يقوم إذا رفع رأسه من السجدة معتمدًا على يديه.

وروى الطبرانيُّ في "الأوسط" عن الأزرق بن قيس قال: رأيت عبدالله بن عمر وهو يعجن في الصلاة -يعتمد على يديه- إذا قام كما يفعل الذي يعجن العجين.

فهذه الروايات مُصرِّحةٌ بأن هذا الفعل موقوفٌ على ابن عمر، لا مِن فعل النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

وروى إبراهيم الحربي في "غريب الحديث" عن الأزرق بن قيس قال: رأيت ابن عمر يعجن في الصلاة فسألته ما هذا؟ فقال: رأيت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يعجن في الصلاة».

وهذا الحديث معلولٌ من جهات:

١- أنه شاذٌّ مُنكَرٌ؛ لأن الأحاديث في وصف سجود النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن أبي وائل وأبي حميد الساعدي ومالك بن الحويرث وغيرهم في الكتب الستة وغيرها ليس فيها صفة العجن.

٢- أنَّ سنده ليس بصحيحٍ ولا حسنٍ، وقول الألبانيِّ: «إسناده صالحٌ»، - يريد دعم دعواه- لا يفيده؛ لأنه يعلم أنَّ الصالح دون الحسن، وهو نفسه لا يعمل به إذا كان يخالف هواه، كما يعلم من تصرُّفاته في كتبه، والمقرَّر عند أهل الحديث: «أنَّ الحديث الصحيح الشاذَّ لا يعمل به». وهذا أولى بعدم العمل به لأنه ليس بصحيحٍ، أي فلا يجوز العمل به.

٣- قول الألبانيِّ: «ومعناه عند البيهقيِّ بسندٍ صحيحٍ»، أتى بما هو دليلٌ عليه لا له، لأن حديث البيهقيِّ الذي استدل به، هو الذي بدأت به كلامي، وليس فيه صفة العجن، وكذلك في رواية عبدالرزَّاق والطبرانيِّ، بل هذه الروايات كلها ذكرت أنَّ ابن عمر كان يقوم من السجدة معتمدًا على يديه، إلَّا رواية الطبرانيِّ فيها العجن، وليس كل اعتمادٍ يكون عجنًا، وهذه الروايات أيضًا ذكرت أنَّ الاعتماد من فعل ابن عمر، ولم تنسبه إلى النبيِّ صلَّى الله عليه

وآله وسلَّم.

بل ذكر البيهقيُّ في روايته أنَّ الأزرق سأل جلساء ابن عمر وولده فلم يقولوا له أنَّ النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فعله. وابن عمر فقيهٌ له رأيه واجتهاده.

٤- قال ابن الصلاح: «عمل بهذا -أي العجن- كثير من العَجْمَىٰ، وهو إثبات هيئةٍ شرعيةٍ في الصلاة لا عهد لها، بحديثٍ لم يثبت».اهـ

٥- أنَّ الاعتماد ليس خاصًّا بالعجن، فالمالكية يستحب عندهم الاعتماد عند الرفع من السجود إلىٰ القيام، لكن لا يعجنون.

و المقصود: أنَّ الألبانيَّ مخطئ في العجن صناعةً وفقهًا، وهو لا يرجع عن رأيه لأنه عنيدٌ، ومن شواذِّه ومخالفته للإجماع دعواه أنَّ خطاب النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في التشهُّد نسخ بالغيبة.

وقد بيَّنتُ خطأه في كتاب "الرؤيا في القرآن والسنة"، وهو صاحب هوًىٰ، يرىٰ كل من خالفه مُبتدِعًا، وهو وحده علىٰ الحقِّ، وهو مُتزمِّتٌ، ويعتقد الجهة.

هل يصح السلام على النبيِّ ﷺ في التشهُّد بصيغة الغيبة؟

س٣٧٩- هل يصح السلام علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في التشهُّد بصيغة الغيبة بدلًا من صيغة الحضور؟

ج٣٧٩- ثبت في "صحيح البخاري" عن ابن مسعودٍ قوله: «كنا نقول والنبيُّ حيٌّ: السلام عليك أيها النبيُّ، فلمَّا مات قلنا السلام علىٰ النبيِّ».

زعم الألبانيُّ أنَّ الخطاب في التشهُّد منسوخٌ بكلام ابن مسعودٍ، وهو جهلٌ

بعلم الأصول، فالخطاب في التشهُّد ثابتٌ مِن قول النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وفعله، وانعقد عليه الإجماع إلىٰ اليوم، حكىٰ الإجماع ابن حزمٍ، وابن تيمية.

وقال التقي السبكيُّ: كلام ابن مسعودٍ يفيد أنَّ الخطاب في التشهُّد لا يتعيَّن، بل تجوز الغيبة.

س٣٨٠- وسُئل أيضًا عن رجلٍ يقع له شكٌّ هل سجد سجدتين أم سجد واحدة؟

ج٣٨٠- فأفتىٰ: يبني علىٰ اليقين ويسجد سجدةً أخرىٰ ويسجد قبل السلام.

سنن الصلاة والصيام وأوقاتها

س٣٨١- ما هي سنن الصلاة، وما هي أوقاتها؟

ج٣٨١- سنن الصلاة مع بيان أوقاتها علىٰ الوجه الآتي:

سُنَّة الصبح: ركعتان قبل فرض الصبح، وتسمُّيان ركعتي الفجر. ووقتها يدخل بأذان الصبح.

وسُنَّة الظهر: أربع ركعات قبلها، وأربع بعدها.

وسُنَّة العصر: أربع ركعات قبلها ولا صلاة بعدها.

وسُنَّة المغرب: ركعتان بعدها.

وسُنَّة العشاء: ركعتان بعدها غير الوتر وهو ثلاث ركعات.

س٣٨٢- وسئل أيضًا عن رجل صلىٰ العصر ثم تصدق علىٰ شخص بالنافلة بعد العصر.

ج٣٨٢- فقال بالجواز ولكن إذا لم يحن وقت الغروب.

معنى التهجد

س٣٨٣- هل التهجُّد هو الصلاة بالليل بعد النوم؟

ج٣٨٣- والتهجُّد في اللغة: القيام بعد نومٍ، وفي عُرْف الشرع صلاة الليل مطلقًا، فالمصلِّي بالليل متهجِّدٌ شرعًا ولو لم ينم قبل الصلاة.

س٣٨٤- هل يفيد قول السيدة عائشة: «ما كان النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يزيد في رمضان ولا في غيره عن ثلاثة عشرة ركعة» على قلَّة تهجُّده بالليل

ج٣٨٤- فأجاب سيادته بما نصه: قول عائشة: «ما كان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يزيد في رمضان ولا غيره على ثلاثة عشرة ركعة». لا ينفي تهجُّده الكثير؛ لأنها تتكلَّم على ما رأته في بيتها بعد الهجرة، وآيات (المزمل)، و(الإسراء) نزلت بمكة قبل أن يتزوَّجها بل كانت حينذاك صغيرةً جدًّا، ولأن ثلاثة عشرة ركعة منه توازي قيام الليل كله؛ لأنه كان يقرأ في الركعة (سورة البقرة)، و(آل عمران) و(النساء)، ولا يمر بآية رحمةٍ إلَّا وقف وسأل، ولا بآية عذابٍ إلَّا وقف وتعوَّذ، ويسجد مقدار خمسين آية فكم تأخذ من الوقت؟! ومِن هنا قال كثير من العلماء: الأفضل طول القيام في صلاة الليل؛ لأنها صلاة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم. ولقول الصحابي: «قام حتى تورَّمت قدماه». ولقوله تعالى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

الصلاة خلف الفاجر

س٣٨٥- هل يجوز الصلاة خلف الفاجر مثل مُدَّعي المهدوية؟

ج٣٨٥- حديث: «صَلُّوا خَلْفَ كلِّ بَرٍّ وفاجِرٍ وصَلُّوا على كلِّ برٍّ وفاجِرٍ». ضعيفٌ لكن له طرقٌ تقويِّه، وتؤيِّده أيضًا القاعدة الأصولية، وهي: «أنَّ كلَّ مَن صحَّت صلاته لنفسه صحَّت صلاته لغيره».

والمراد: الفاجر الذي فجوره خاصٌّ به، أمَّا مُدَّعي المَهْدَويَّة ففجوره يتعدَّىٰ إلىٰ غيره، حيث يُضلِّل الناس ويحملهم علىٰ اعتقاد الباطل، ويؤدِّي بهم إلىٰ تكذيب الحديث إن ظهر كذبه أو الكذب علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إن اعتقدوا أنه المهدي حقًّا، وهو كاذبٌ علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أيضًا وهو كفرٌ عند والد إمام الحرمين.

س٣٨٦- وسُئل أيضًا عن رجلٍ يسبُّ الدِّين هل تجوز إمامته إذا تاب أم لا؟

ج٣٨٦- أجاب: تجوز إمامته إذا تاب.

النية عند تكبيرة الإحرام

س٣٨٧- هل للمصلِّي أن ينوي الصلاة عند تكبيرة الإحرام؟

ج٣٨٧- المُصلِّي ينوي الصلاة ظهرًا أو عصرًا أو غيرهما وينوي صلاة الجنازة، ولا داعي لنية التكبيرات أو الركعات ولا دليل علىٰ ذلك في السُّنَّة، وإن اشترط الشافعية تعيين الركعات، فهو تضييقٌ.

وزاد بعضهم تضييقًا فاشترط علىٰ المصلِّي أن يستحضر الصلاة كلها عند

تكبيرة الإحرام، ولفظ صلاة الجنازة يطلق على التكبيرات والقراءة والسلام، والتكبيرة الأولى هي تكبيرة الإحرام.

حكم قراءة الفاتحة خلف الإمام

س٣٨٨- وسُئل عن قراءة الفاتحة خلف الإمام؟

ج٣٨٨- مذهب المالكية: «أنَّ المأموم يقرأ فيما أسر فيه الإمام ولا يقرأ فيما جهر فيه فقط». والحنفية يستدلون لمذهبهم بحديث: «**مَن كانَ له إمامٌ فقِراءةُ الإمامِ له قراءةٌ**». وهو حديثٌ ضعيفٌ بجميع طرقه، ولا يقوى على معارضة حديث: «**لا صَلاةَ لمن لم يقرأ بفاتحة الكتابِ**». لأنه متواترٌ كما قال البخاريُّ، والإمام لا يحمل عن المأموم الفرض وإنما يحمل عنه السُّنَّة، فلابد من قراءة الفاتحة مع الإمام جَهَرَ أو أَسَرَّ، ولو أدرك الإمام في الركوع لا يعتد بتلك الركعة، بل يأتي بدلها بركعة يقرأ فيها فاتحة الكتاب، هذا ما أفعله وأُفتي به.

حكم من سلَّم قبل الإمام ناسيًا

س٣٨٩- وسُئل أيضًا عن رجلٍ سلَّم قبل الإمام ناسيًا.

ج٣٨٩- فأجاب بأن صلاته صحيحةٌ على مذهب أبي حنيفة، ولا يرجع إلى الصلاة فيسلم مع الإمام.

أسئلة متفرقة عن أحكام الصلاة والجواب عليها

س٣٩٠- وسُئل أيضًا أنَّ رجلًا صلَّى وراء شخصٍ يُخفِّف في الصَّلاة جدًّا، وعندما سجد المأموم السجدة الأولى عندما كان رافعًا رأسه من السجود وجد الإمام ساجدًا السجدة الثانية سجد المأموم ولم يجلس مطمئنًّا؟

ج٣٩٠- فأفتى بأن صلاته باطلةٌ. وأفتى له بعض الناس بأن عليه السجود البعدي، وقد أخطأوا لأن السجود البعدي والقبلي يكونان في السُّنن المؤكدة .

س٣٩١- وسُئل أيضًا عن إمامٍ ترك التشهد الأوسط وسبَّح له كثيرٌ مِن النَّاسِ، والإمام حصل له تشويشٌ، وعندما أتمَّ الصَّلاةَ وقبل أن يُسلِّم تكلَّم مع النَّاس فقال لهم: ماذا تركتُ؟ فأجاب بعض الناس: تركت التشهد الوسط، فسجد قبل السلام. فأفتى بعض الناس بأنَّ صلاة الإمام والمأموم باطلةٌ.

ج٣٩١- وأفتى الشيخ بأنَّ صلاتهم جميعًا صحيحةٌ على مذهب الإمام أبي حنيفة .

س٣٩٢- وسُئل أيضًا عن إمام استخلف شخصًا في الصلاة الجهريَّة بماذا يبتدئ المستخلف، هل من قراءة الإمام أم يبتدئ الفاتحة لنفسه؟

ج٣٩٢- أجاب: يبتدئ الفاتحة لنفسه لتصحَّ صلاته، أمَّا في الصلاة السريَّة فكذلك الحكم لا يختلف.

س٣٩٣- وسُئل أيضًا عن شخصٍ دخل مع الإمام في صلاة المغرب في الركعة الثانية، وعندما جلس الإمام للتشهُّد الأخير قام المسبوق يتمُّ الركعة قبل سلام الإمام. فأفتى له ذلك الإمام بأن صلاته باطلةٌ.

ج٣٩٣- لكن الشيخ عبدالله أفتى بأن صلاة المسبوق صحيحةٌ، إنما أثم لكونه لم يبق ملتزمًا بالإمام حتى يُسلِّم، خالف الإمام في مفارقته له قبل السلام.

س٣٩٤- وسُئل أيضًا أن إمامًا يصلِّي التراويح وختم القرآن في آخر

رمضان وقرأ في الوتر في آخر الليل (الفاتحة) وبعدها (سورة الإخلاص) و(المعوذتين) وكرر (الفاتحة) والآيات الأولى من (سورة البقرة)، هل يلزمه في تكرار (الفاتحة) شيء أم لا؟

ج٣٩٤- فأفتى بأن هذا أساء فلا ينبغي له أن يفعل ذلك، ولكن لا يلزمه سجود.

س٣٩٥- وسُئل أيضًا عن تعديل الصفوف إذا تمَّ الصف الأول وشرع في الصف الثاني هل يبتدئ من يمين الإمام أو وسطه؟

ج٣٩٥- فقال يبتدئ من يمين الإمام كما هو مقرر في الفقه وكما يؤذن به قوله صلى الله عليه وسلم: «**إنَّ الله وملائكته يُصَلُّون على مَيامِن الصفوف**».

س٣٩٦- وسئل أيضًا عن رجلين دخلا مع الإمام مسبوقين ثُمَّ لما انتهى قاما يقضيان فاقتدى أحدهما بالآخر.

ج٣٩٦- فقال: جائزٌ، ولكن لا داعي للجماعة هنا؛ لأنهما قد تحصَّلا عليها عندما دخلا مع الإمام، نعم إذا جاء شخصٌ متأخِّر ووجد مسبوقًا يدخل معه ويأتم به ليحصل على فضل الجماعة، ولكن هذا عند غير المالكية، أمَّا المالكية يمنعونه.

س٣٩٧- وسُئل أيضًا عن إمامٍ بالمخفي قبيلة أنجرة صلَّى بالناس المغرب ركعتين وسلَّم وعندما وصل وقت صلاة العشاء وقال له بعض الناس إن المغرب صليت ركعتين فأجابهم لم لم تُسبِّحوا لها؟

ج٣٩٧- وأفتى الشيخ عبدالله بأن تعاد المغرب يعيدونها جميعًا الإمام ومن معه.

حكم إعادة صلاة الجماعة منفردًا طلبًا للثواب

س٣٩٨- وهل يجوز الصلاة جماعةً، ثُمَّ إعادتها ثانيًا منفردًا طلبًا للثواب؟

ج٣٩٨- قال الأصوليون:

١- الأداء: «فعل الصلاة في وقتها المُحدَّد لها شرعًا أولًا».

٢- والقضاء: «فعلها خارج وقتها».

٣- والإعادة: «فعلها في وقتها ثانيًا لعذرٍ، كخللٍ حصل في فعلها أوَّلًا، أو لفقد شرطٍ أو نقص ركنٍ، أو طلب حصول فضل الجماعة للمصلِّي إن كان صلاها أولًا منفردًا أو لغيره». وكما جاء في الحديث: «**ليتصَدَّق عليه أحدُكم**».

هذه هي الإعادة المشروعة، أمَّا أن يصلِّي الشخص صلاةً صحيحةً في جماعةٍ، ثُمَّ يعيدها منفردًا، لا لعذرٍ فهذا منهيٌّ عنه شرعًا، ولم يفعله أحدٌ من الصحابة، كما قلت في كتابي "الرأي القويم".

كيفية صلاة النِّساء

س٣٩٩- هل صلاة النِّساء في صفوفٍ خلف الرجال صحيحةٌ ولو كانوا في مكانٍ مرتفعٍ عن الإمام؟

ج٣٩٩- وصلاة النِّساء في المسجد على الكيفية المرسومة صحيحةٌ لا غبار عليها، وصلاة الرجال أو النِّساء في مكانٍ مرتفعٍ كسطح المسجد صحيحةٌ لا شبهة في صحَّتها.

ولو صلَّت المرأة في بيتها مع الجماعة في المسجد وسمعت تكبيراتهم فصلاتها صحيحةٌ ولها فضل الجماعة.

وصلاة الرجل جماعة مع أولاده وأهله في بيته أفضل من الصلاة في

المسجد في النافلة كالتراويح، لا في الفريضة.

وموقف المرأة خلف الرجل، زوجة كانت أو محرمًا، وكذلك موقفها يكون خلف الصبيِّ ولو كانت محرمًا له.

هل ينقص ثواب صلاة القائم خلف القاعد

س٤٠٠- هل ينقص ثواب صلاة القائم خلف القاعد؟

ج٤٠٠- صلاة القائم خلف الجالس تنقص عن صلاة خلف القائم في صلاة النافلة كالتراويح إذا كان الإمام الجالس قادرًا على القيام، وأمَّا إذا كان الإمام مريضًا وصلَّى جالسًا في فريضةٍ أو نافلةٍ، فالصلاة خلفه مثل الصلاة خلف القائم سواء بسواء، لا فضل لإحداهما على الأخرى.

وحديث: «**صلاةُ القاعِدِ على النِّصفِ مِن صلاةِ القائم**». إنما هو في صلاة النافلة للقادر، كما حرَّره الحافظ ابن حجرٍ.

حكم وقوف الرجل بين النساء المحارم في الصلاة؟

س٤٠١- ما حكم وقوف الرجل بين النساء المحارم في الصلاة؟

ج٤٠١- في "صحيح البخاري" عن أنسٍ أنَّ جدته مليكة دعت النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لطعامٍ صنعته له، فأكل منه ثُمَّ قال: «**قُومُوا فلأُصَلِّ لكم**». فقام النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وصَفَفْتُ واليتيمَ وراءه، والعجوز -جدته- مِن ورائنا، فصلَّى لنا ركعتين ثُمَّ انصرف.

ترجم عليه البخاريُّ: «باب المرأة وحدها تكون صفًا».

وقال الحافظ ابن حجرٍ: «فيه أن المرأة لا تصف مع الرجل، وأصله ما

يخشى من الافتتان بها فلو خالفت أجزأت صلاتها عند الجمهور، وعند الحنفية: تفسد صلاة الرجل دون المرأة، وهو عجيبٌ».اهـ

حكم زيادة ركعة في الصلاة نسيانًا

س٤٠٢- هل إذا زاد الإمام ركعةً في الصلاة نسيانًا فهل صلاة المأمومين خلفه تكون صحيحةً؟

ج٤٠٢- في "الصحيحين" عن ابن مسعودٍ أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم صلَّى الظهر خمس ركعات، فلمَّا سُئل قيل: «أزيد في الصلاة»؟ قال: «**لا وما ذاك؟**» قيل: صلَّيتَ خمسًا. فسجد سجدتين وسلَّم، ثُمَّ قال: «**لو زِيدَ في الصَّلاةِ لأخبرتكم، ولكنِّي بشرٌ أنسى كما تَنْسَون، فإذا نسيتُ فذَكِّروني**».

أخذ بهذا الحديث المالكيَّة والشافعية والحنابلة فقالوا: «لو صلَّى الإمام خمس ركعات سهوًا فصلاته صحيحةٌ، ويسجد للسهو».

وحيث صحَّت صلاة الإمام فصلاة المأمومين صحيحةٌ؛ لأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لم يأمر المأمومين أن يعيدوا صلاتهم.

س٤٠٣- وسُئل أيضًا أنَّ جماعة أدركوا مع الإمام ثلاث ركعات من صلاة العصر ولم يعمل التشهد الوسط، وعندما انتهى من الصلاة قبل أن يسلِّم سجد سجدتين، والمسبوقون قاموا عندما سجد، وبعدما أتمُّوا الصلاة قبل السلام سجدوا السجدتين.

ج٤٠٣- فأفتى بأنَّ الصلاة في هذه الصورة باطلةٌ ولكن هنا يعذرون لجهلهم.

صلاة القصر للمسافر

س٤٠٤- هل على المسافر وجوب صلاة القصر رغم قدرته على أدائها كاملة؟

ج٤٠٤- صلاة القصر للمسافر واجبةٌ عند الحنفيَّة، وسُنَّةٌ عند المالكية وفي الحديث الصحيح: «**إنَّ اللهَ يحبُّ أن تُؤتَى رُخَصُهُ كما يُحبُّ أن تُؤتَى عَزائِمُهُ**».

وعلى هذا ينبغي للمسافر صلاة القصر ولو كان قادرًا على أدائها كاملًا؛ لأن الشارع رخَّص للمسافر أن يُصلِّي صلاة قصرٍ ولو لم يتعب في سفره، بل لو سافر بالطائرة لتأكَّد في حقِّه أن يصلِّي صلاة القصر.

وقد صحَّ عن عمر رضي الله عنه أنه قال: «صلاة السفر ركعتان تمامٌ غير قصرٍ على لسان نبيكم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم».

وقالت عائشة رضي الله عنها: «فرضت الصلاة ركعتين، فأقرَّت صلاة السفر وزيدت صلاة الحضر ركعتين».

س٤٠٥- ماذا يفعل المسافر في القطار إذا لم يجد ماءًا وحل وقت الصلاة؟

ج٤٠٥- المسافر في القطار أو غيره يتيمَّم إن لم يجد ماءً، وهل يُعيد أو لا يُعيد؟ قولان للمالكية، وإن لم يجد ما يتيمَّم به أيضًا فلهم أقوال أربعة:

١- يُصلِّي كذلك ثُمَّ يعيد إذا وصل المحل.

٢- يؤدِّي كذلك ولا يقضي.

٣- ينتظر حتى يصل، ثُمَّ يقضي.

٤- إذا استمرَّ كذلك حتَّى خرج الوقت فلا أداء عليه ولا قضاء.

هل يؤخَّر الوتر عند جمع التقديم؟

س٤٠٦- وكتب فضيلته يسأل إذا جمع الإنسان العشاء مع المغرب يصلِّي الوتر أم ينتظر مَغيب الشَّفَق؟

ج٤٠٦- لو جمع الإنسان العشاء مع المغرب يُصَلِّي الوتر، ولا ينتظر مَغيب الشَّفَق، ولا دليل على انتظاره.

س٤٠٧- وسُئل أيضًا عن الإخوة الذين يقدمون من الخارج لبلادهم هل يصلون في بلادهم ومنازلهم ركعتين أم أربع ركعات؟

ج٤٠٧- فأفتى بأنهم يجب عليهم أن يصلوا أربع ركعات، ولا يجوز لهم أن يصلوا ركعتين، لكن عندما يكونون في طريقهم ذهابًا وإيابًا يصلون ركعتين.

من بعض أحكام صلاة الجمعة

٤٠٨- الحمدُ لله والصَّلاة والسَّلام على رسول الله وآله.

وبعد: فإنَّ إقامةَ الجُمُعة في مسجدِ المعهدِ صحيحةٌ، ولا يضرُّ كونُ المعهد خارجَ المدينة، واشتراطُ اتِّصال البُنيان بمسجدِ الجُمُعة ليس عليه دليلٌ، ولهذا لم تقلْ به الشَّافعيَّة.

ولا يشترطُ في الجُمُعة إلا أن تكون بخطبتَين وفي جماعةٍ، وما عدا ذلك من الشُّروط لا دليلَ عليه، وليس من الورَع أن تعطَّل فريضةٌ أنزلها الله في كتابِه لأجْلِ شروطٍ لم يذكرْها اللهُ ورسولُه.

أمَّا سماعُ آلاتِ الطَّرب الوتريَّة والنُّحاسيَّة فهو حرامٌ عند الجمهور، وأباحها ابنُ حزم، وللشيخ عبد الغني النَّابلسيِّ الحنفيِّ رسالةٌ في إباحتها

سماها: "إيضاح الدلالات في سماع الآلات"، وللشيخ جعفر الكَتَّاني رسالة اسمها: "مواهبُ الأرَب المبرئة من الجرَب في إباحة سماعِ آلةِ اللَّهو والطَّرب"، وهو مالكي.

والحافظ السيوطيُّ أباح استماع الطَّرب للصوفية، قال: «لأنَّهم يستعينون بها على ذكر الله». ولكنَّ الحديثَ يقتضي منع الطَّرب بجميعِ آلاته إلا ما كانت آلةً جلديَّةً كالدُّفِّ، والله أعلم

تعدد صلاة الجمعة في بلد واحد

س٤٠٩: تعداد بلدنا يصل إلى حوالي عشرة آلاف نسمة وبها مسجدان أحدهما يسع المُصلِّين في بعض الأحيان ويضيق بهم في البعض الآخر، فهل هناك مانعٌ مِن أن تصلَّى الجمعة في المسجدين معًا؟

ج٤٠٩: لا مانع من إقامة الجمعة في المسجدين المذكورين، بل وفي مسجد ثالثٍ إن وُجِدَ؛ لأنَّ العِبرة في إقامة الجمعة بأهل البلد لا بالمصلِّين فقط، لأن المفروض في أهل البلد إذا كانوا مسلمين أنهم يصلون الجمعة ولو كان أكثرهم لا يصلِّي، على أنَّ الصواب جواز تعدُّد الجمعة في البلد الواحد، ولو لغير حاجةٍ، وليس في كتاب الله ولا في سُنَّة رسول الله ما يمنع مِن تعدُّد الجمعة كما يقول متأخِّرو الفقهاء، هذا هو الحقُّ، والله أعلم.

س٤١٠- وسُئل أيضًا عن جماعةٍ انتظروا يوم الجمعة إمامًا فتأخَّر جدًّا ثُمَّ صلوا الظهر أربع ركعاتٍ، وعندما انتهوا من الصلاة أتى الإمام وطلب منهم أن يصلوا الجمعة.

ج٤١٠- فأفتى بالمنع وقال: إنَّ الجمعة تصلَّى عند النداء فلا ينتظر بها أي وقت ولا أية حالة كما أمر الله في القرآن، والفريضة لا تعاد في اليوم مرتين.

س٤١١- سئل عن حادثةٍ وقعت في يوم عيد العرش وكان الناس مجتمعين في دار الجماعة عندما وصل وقت الجمعة ذهب الناس إلى المسجد ليؤدوا صلاة الجمعة، وبقيت طائفة من الناس في دار الجماعة فتقدم شخص من مدشر علوش «المخروط»[1] المفتن بين الناس المؤذي وصلَّى بهم الجمعة في دار الجماعة.

ج٤١١- فأفتى الشيخ عبدالله بأن هذه الجمعة باطلة، ولا ضرورة تلجئ للصلاة هناك، وتعاد ظهرًا.

س٤١٢- وسُئل أيضًا عن مشكلةٍ تقع كثيرًا، وهي أنَّ بعض الناس يذهبون من الحيِّ الذي يسكنون فيه إلى مسجدٍ آخر بعيدٍ عنهم لأجل صلاة الجمعة، فبعض الحي وخطيبهم يقول لهذا الشخص إنَّ جمعته باطلةٌ.

ج٤١٢- فأفتى الشيخ بأن جمعته صحيحةٌ وهو يذهب للبحث عن الفائدة والموعظة الواضحة.

س٤١٣- وسُئل أيضًا عن رجلٍ حضر خطبة الجمعة وعند الانتهاء منها انتقض وضوءه، وعندما توضَّأ ورجع وجدهم صلوا هل يصلِّي الجمعة ركعتين على أساس أنه حضر الخطبة أم يصلِّي الظهر أربعًا؟

ج٤١٣- فأفتى بأن يصلِّي الظهر أربعًا؛ لأنه وقع له خللٌ في الخطبة .

---

(١) كلمة دارجة تعني: المشاء بالشر بين الناس.

س٤١٤- ما قولكم في الدعاء الذي يحصل من الناس وقت جلوس خطيب الجمعة بين الخطبتين مع وجوب الإنصات عند المالكية وسنية عند الشافعية.

ج٤١٤- الدعاء وقت جلوس الخطيب بين الخطبتين لا بأس به؛ لأن الإمام في تلك الآونة غير خاطبٍ، والنهي إنما قُيِّد بحالة الخطبة، ويحتمل أن يمنع، لأن سكوت الإمام في تلك اللحظة يسير فلا يعد فاصلًا كالسكون للتنفُّس، وهذا مذهب مالكٍ والأوزاعيِّ وإسحاق بن راهويه، ويحتمل أن يفرَّق بين رفع الصوت بالدعاء فيمنع وبين الإسرار به فيجوز، وهو تفريقٌ حسنٌ تنطبق عليه قواعد المالكية، والله تعالى أعلم.

حكم تعدُّد الجمعة في بلدٍ واحدٍ

س٤١٥- هل قول الإمام الشافعيِّ: «ولا يجمع في مصر وإن عظم أهله وكثر عامله ومساجده». يفيد ترك تعدُّد الجمعة في بلدٍ واحدٍ أم لا؟

ج٤١٥- وأمَّا قول الشافعيِّ: «ولا يجمع في مصرٍ وإن عظم أهله وكثر عامله ومساجده... إلخ». فليس بدليلٍ على منع التعدُّد بل هو نفسه يحتاج إلى دليلٍ، وقد استدلَّ له الإمام الشافعيُّ بأنَّ الجُمُعة لم تتعدَّد في العهد النبويِّ، ولا عهد الخلفاء الراشدين، وهو استدلالٌ بالعدم فلا يُفيد؛ لأنَّ عدم تعدُّد الجمعة في العهد النبويِّ لا يستلزم منع تعدُّدها ولا يُفيده كما بيَّنته في (ص ٤٩-٥٠) من كتابي "الرد المحكم المتين" فانظره.

ويجب أن تعلم أنَّ الأئمَّة الأربعة مجتمعين ومنفردين شرطوا في الجمعة

شروطًا لم يقم عليها دليلٍ، كاشتراطهم عددًا مُعيَّنًا، وكونها في بنيانٍ، وعدم تعدُّدها، وعدم إعادتها لمن فاتته إلى غير ذلك.

وفي عزمي أن أكتب تأليفًا خاصًّا في الجمعة أبيِّن منه ما صحَّ دليله من شروطها على قواعد علم الأصول؛ لأني سئلتُ في ذلك غير مرَّةٍ ونسأل الله أن يوفِّقني إلى تأليفه قريبًا.

وأمَّا صلاة أسعد بن زرارة الجمعة بالمدينة فكان بأمر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وذلك أن الجمعة فرضت بمكة ولم يستطع النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أن يصلِّيها لأجل الكفَّار، فلما هاجر مَن هاجر مِن أصحابه قبله كتب إليهم يأمرهم بإقامة الجمعة فأقاموها في نقيع يقال له نَقيع الخَضَمات.

وهذا أحد الأدلَّة على أنَّ المسجد لا يُشترط في الجمعة ولا البناء أيضًا؛ لأن المكان الذي صلوها فيه لم يكن مبنيًّا ولا فيه مسجد، وصلاة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ببطن الوادي دليلٌ ثانٍ على عدم اشتراط البناء أيضًا.

وهذا الحديث وإن كان فيه ضعفٌ فإنَّ الأصل يؤيِّده إذ الأصل عدم اشتراط مكانٍ مبنيٍّ للصلاة، أي صلاةٍ كانت، جمعة أو غيرها. كيف وقد صح في الحديث: «**وجُعِلَتْ لي الأرضُ مَسْجدًا**». وصحَّ عن ابن عمر أنه كان يرى أهل المياه بين مكة والمدينة يجمعون فلا يعتب عليهم.

وأهل المياه قومٌ رُحَّلٌ يتَّبعون الماء حيث كان، يسكنون في خيامهم ينقلونها معهم كلما رحلوا، وهؤلاء لا تجب عليهم الجمعة في مذهب مالكٍ لعدم الاستقرار وعدم البناء.

متى فرضت الجمعة؟

س٤١٦- وسُئل: متىٰ فرضت الجمعة؟، وهل يشترط لإقامتها عددا مُعيَّنًا؟

ج٤١٦- فأجاب سيادته بما نصُّه: ومسألة فرض الجمعة بالمدينة أو مكة ما قلته لك فيها هو الصحيح وإليك الدليل علىٰ ذلك، قال البخاريُّ في "الصحيح" باب فرض الجمعة، وقول الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ﴾ [الجمعة: ٩].

قال الحافظ ابن حجرٍ في شرحه "فتح الباري" بعد كلام ما نصه: «واختلفت في وقت فرضيتها فالأكثر علىٰ أنها فرضت بالمدينة». وهو مقتضىٰ ما تقدَّم أنَّ فرضيتها بالآية المذكورة وهي مدنية.

وقال الشيخ أبو حامد: «فرضت بمكَّة وهو غريبٌ».اهـ

وذكر قبل ذلك أنَّ الإمام الشافعيَّ استدل علىٰ فرضية الجمعة بالآية المذكورة ونقل كلامه في "الأم".

والقول بفرضيتها بمكة حديثٌ واردٌ عن ابن عبَّاسٍ عند الدارقطنيِّ في "السنن" وهو مستند من قال بذلك ورجال الحديث ثقاتٌ والبحث في هذا طويلٌ نرجئه إلىٰ فرصةٍ أخرىٰ.

وأمَّا الاستدلال بقوله تعالىٰ: ﴿فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩] علىٰ وجوب الجماعة في الجمعة ووجوب الاجتماع إليها فغلطٌ يخفىٰ علىٰ كثيرٍ من الناس؛ لأنَّ القاعدة المُقرَّرة في الأصول: «أنَّ الأمر المتوجِّه للجميع لا يوجب

الاجتماع على المأمور به ساعة فعله»، نحو: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ١١٠] وقوله: ﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ﴾ [الحج: ٧٧] فلا يقدر أحد أن يقول أنَّ الاجتماع في الصلاة واجبٌ بهذه الآية، أو في الزكاة، أو فعل الخير.

فكذلك الأمر في الجمعة، وسر هذا أن الأمر المتوجِّه للجميع في قوة أوامر متعدِّدة موجَّهة لكلِّ فردٍ مِن الأُمَّة وليس من شرط صحَّة فعل الفرد للمأمور به أن يكون معه فيه فردٌ آخر إلَّا إذا دلَّ على ذلك دليلٌ خارجٌ عن مطلق الأمر.

والدليل على ذلك في الجمعة أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم صلاها في جماعةٍ وقال: «**صلوا كما رأيتموني أُصَلِّي**».

ولما لم يشترط في الجماعة عددًا مُعيَّنًا بل ورد حديثٌ ضعيفٌ: «**الاثنان فما فوقهما جماعةٌ**». وترجم البخاري به في "صحيحه" فقال: «باب اثنان فما فوقهما جماعة»، قلنا: تصح الجمعة بما يُسمَّى جماعةً شرعًا فتأمَّل هذا جيدًا.

كيفية قضاء صلاة الجمعة

س٤١٧- وسُئل عن كيفية قضاء صلاة الجمعة لمن فاتته صلاتها؟

ج٤١٧- الجمعة قد اشترط لها العدد وليس بشرطٍ، واشترط لها المسجد وليس بشرطٍ، واشترط لها المصر وليس بشرطٍ، واشترط عدم تعدُّدها وليس بشرطٍ، إلى غير ذلك مما اشترط فيها.

ثُمَّ المقصود من حضور الجمعة سماع الخطبة وهي المراد بذكر الله في الآية، فإذا فاتت الجمعة شخصًا بغير عذرٍ فهو آثمٌ، وإن كان لعذرٍ فلا إثم عليه، ويقضيها كما فاتته جهرًا ركعتين، وإن فاتت جماعةً وكانوا ثلاثةً غير إمامٍ لهم

جاز أن يصلوها جماعةً بخطبةٍ.

وهنا في المغرب يصلون الجمعة بالترتيب، مسجد يصلِّي عند آذان الظهر، وآخر بعده بنصف ساعة، وهكذا حتى يكون آخر مسجد يصلِّي في الساعة الثانية يعملون حساب من تفوته الجمعة من العمال وذوي الأشغال.

كيفية صلاة الاستخارة

س٤١٨- أرجو بيان الاستخارة بالتفصيل وهل يصح للإنسان أن يُصلِّيها يوميًّا عن الأعمال التي ستقع في اليوم أم لا؟

ج٤١٨- صلاة الاستخارة الشرعية كيفيتها أن تصلِّي ركعتين تقرأ في الأولى (الفاتحة)، و(قل يا أيها الكافرون) وفي الركعة الثانية تقرأ (الفاتحة)، و(قل هو الله أحد). فإذا سلمت منها تقول: «اللَّهُمَّ إنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ وأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ وأَسْأَلُكَ مِن فَضْلِكَ العَظِيمِ فإنَّكَ تَقْدِرُ ولا أَقْدِرُ وتَعْلَمُ ولا أَعْلَمُ وأنتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إن كنتَ تَعْلَمُ أنَّ هذا الأَمْرَ -وتذكر حاجتك باسمها- خَيْرٌ لي في دِيني ومَعَاشِي وعاقِبَةِ أمرِي وعاجِلِهِ وآجِلِهِ فاقْدُرْهُ لي ويَسِّرْهُ لي ثُمَّ بارك لي فِيهِ، وإن كنتَ تَعْلَمُ أنَّ هذا الأَمْرَ -وتذكر حاجتك- شَرٌّ لي في دِيني ومَعَاشِي وعَاقِبَةِ أمْرِي وعاجِلِهِ وآجِلِهِ فاصْرِفْهُ عَنِّي واصْرِفْنِي عنه واقْدُرْ لي الخَيْرَ حيثُ كان ورَضِّني به، إنَّكَ على كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ».

ثُمَّ بعد هذا الدعاء تنظر ماذا يشرح الله له صدرك فافعله، ولا مانع من صلاة استخارة كل يومٍ إلَّا أنها إنما تطلب عند عروض حاجةٍ مهمَّةٍ مُعيَّنةٍ وذلك لا يتأتَّى كل يومٍ.

حِكْمة مخالفته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بين الطريق في العيد

س٤١٩- يؤخذ من كلام شرَّاح حديث مخالفة الطريق في العيد أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان يزور قبور أقاربه قبل العودة إلى المنزل، فهل هذا صحيحٌ مطلقًا؟ أم فيه فرق بين القبور القريبة والبعيدة؟ أم لا تسن الزيارة للقبور إلَّا بعد العودة إلى الأهل في يوم العيد؟

ج٤١٩- هذا القول واحد من عشرين قولًا أبداها العلماء في حِكْمة مخالفته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بين الطريق في العيد، وإليك بقيتها:

٢- أنه فعل ذلك ليشهد له الطريقان.

٣- ليشهد له سكانهما مِن الجنِّ والإنس.

٤- ليسوِّي بينهما في مزيَّة الفضل بمروره والتبرُّك به.

٥- ليُشَمَّ رائحة المِسك من الطريق التي يمرُّ بها؛ لأنه كان معروفًا بذلك.

٦- أنَّ طريقه إلى المصلَّى كانت على اليمين فلو رجع منها لرجع على جهة الشمال، فرجع من غيرها.

٧- أنه خالف الطريق لإظهار شعائر الإسلام فيهما.

٨- لإظهار ذِكْر الله.

٩- ليغيظ المنافقين أو اليهود.

١٠- ليرهبهم بكثرة مَن معه. ورجَّحه ابن بطال.

١١- حذرًا من كيد الطائفتين أو إحداهما. ونظر فيه ابن التين.

١٢- ليعمهم بالسرور برؤيته والانتفاع به في قضاء حوائجهم في الاستفتاء أو التعلُّم والاقتداء والاسترشاد وغير ذلك.

١٣- ليصل رِحَمَهُ.

١٤- ليتفاءل بتغيُّر الحال إلى المغفرة والرِّضى.

١٥- أنه كان في ذهابه يتصدَّق فإذا رجع لم يبقَ معه شيء فيرجع في طريق أخرى لئلا يرد مَن يسأله. وهذا ضعيفٌ.

١٦- أنه فعل ذلك لتخفيف الزحام. وهذا رجَّحه أبو حامد.

١٧- كانت طريقه التي يتوجَّه منها أبعد من التي يرجع فيها فأراد تكثير الأجر بتكثير الخطا في الذهاب، وأمَّا في الرجوع فليسرع إلى منزله. وهذا اختيار الرافعي، وهو مردودٌ.

١٨- لأن الملائكة تقف في الطرقات فأراد أن يشهد له فريقان منهم.

١٩- أنه فعل ذلك حذرًا من إصابة العين على حدِّ قول يعقوب لبنيه: ﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖ ﴾ [يوسف: ٦٧]. قاله ابن أبي جمرة.

وليس على هذه الأقوال دليل بل هي مجرَّد احتمالات.

ولذلك قال ابن القيِّم بعد حكايتها: «إنه فعل ذلك لجميع ما ذكر من الأشياء المحتملة القريبة»، وبه تكمل الأقوال عشرين.

ولم نجد في الأحاديث ما يدل على استحباب زيارة القبور في خصوص يوم العيد كما هي العادة المتبعة الآن في مصر، فلا ندري متى اعتاد المصريون ذلك ومن أين تسرَّب إليهم؟ مع أنَّ سائر الأقطار الإسلامية لا يعرفون ذلك.

س٤٢٠- قال الفقهاء يسن التكبير في خلال خطب الأعياد من الخطيب، كما يسن لمن سمعه من الخطيب أن يكبر عند سماع تكبير الخطيب، فما دليل الأمرين؟

وهل هذا عام في عيد الفطر والأضحى؟ وكيف مع قولهم ينتهي سماع تكبير الخطيب؟ وكيف مع قولهم ينتهي تكبير عيد الفطر بخروج الإمام أو باحرامه؟

ج٤٢٠- قول الفقهاء: يسن التكبير خلال خطب الأعياد من الخطيب دليله ما رواه ابن ماجه عن سعد المؤذِّن قال: كان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يُكبِّر بين أضعاف الخطبة يكثر التكبير في خطبة العيدين. وإسناده ضعيفٌ.

وأخرج البيهقيُّ عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة قال: «السُّنَّة أن تفتتح الخطبة بتسع تكبيرات تَتْرَى والثاني بسبع تكبيرات تَتْرَى».

وعبيد الله تابعيٌّ، وليس قول التابعي: «السُّنَّة كذا» ظاهرًا في سُنَّة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وآله وسلم على ما تقرَّر في الأصول.

وأمَّا قولهم: يُسنُّ لمن سمعه من الخطيب أن يكبِّر عند سماع تكبير الخطيب فهذا قول مالكٍ، واحتجَّ له الباجيُّ بأنه مرويٌّ عن ابن عبَّاسٍ ولا مخالف له.

وأمَّا قولهم: ينتهي تكبير عيد الفطر بخروج الإمام أو بإحرامه فلا ينافي قول مالكٍ المتقدِّم لإمكان حمل كلامهم على انتهاء الجهر بالتكبير، وحمل كلام مالكٍ على الإسرار به فيتوافقان، وبالله التوفيق.

أسئلة متفرقة عن أحكام الصلاة والجواب عليها

س٤٢١- سؤال: رجل عمل عملية ولم يجد ما يتيمَّم به وترك الصلاة ليومين أو ثلاثة، هل يقضي تلك الصلاة أم يكثر النافلة كما يفتي بعض الناس.

ج٤٢١- أجاب الشيخ عبدالله بن الصديق أنه يقضي تلك الصلاة الفائتة .

س٤٢٢- سؤال: رجل في أول شبابه كان قد ترك الصلاة وترتَّبت عليه

فرائض كثيرة وعندما تاب ورجع يُصَلِّي صار يُصَلِّي مع كلِّ فريضة أداء فريضة قضاء، وبقي على هذه مدَّةً ثم حصل له تعب وترك الصلاة المقضية، والآن يبحث ماذا يعمل ليتخلَّص من هذا الدَّين الذي في ذمَّته، هل يكثر من النوافل أم يقضي مع كلِّ فريضةٍ فريضةً؟

ج٤٢٢- المطلوب في حقِّه أن يكثر من النوافل.

س٤٢٣- وسُئل أيضًا أنَّ شخصًا يشتغل في التلفون في المطار وهذا المحل له اتصال بالشركات الخارجية والداخلية باستمرار، وعندما يشرع في الصلاة «يقع التليفون»[1]، ماذا يفعل؟

ج٤٢٣- وأفتاه الشيخ عبدالله لابد أن ينيب شخصًا ليقوم مقامه ليؤدِّي الصلاة.

س٤٢٤- وسُئل أيضًا عن امرأةٍ تترك أولادها الصغار وتذهب لتصلِّي في المسجد الصلوات الخمس والتراويح.

ج٥٢٤- فأفتى بالجواز، ولكن من الأحسن والأفضل أن تصلِّي في قعر بيتها وتصون أولادها وتحافظ عليهم.

حكم المصافحة عقب الصلوات

س٤٢٥- وسُئل: ما حكم المصافحة عقب الصلوات؟

ج٤٢٥- والمصافحة سُنَّةٌ عند اللِّقاء، وهذا مما اتفقت عليه العادات في جميع البلاد، أمَّا المصافحة عقب الصلاة فهي تختلف باختلاف العادات

---

(١) يقصد: «يرن».

والأذواق، فهي في مصر شائعةٌ، لكن معظم البلاد الإسلامية لا يستعملونها ولا يعتبرونها من الذوق في شيءٍ، ومسألة الذوق والظرف مرجعها إلى العرف والعادة، فربَّ أمرٍ يكون ظُرفًا وذوقًا في بلدٍ ووقتٍ، ثُمَّ يكون غير ظرفٍ ولا ذوقٍ في بلدٍ ووقتٍ آخر، فمن الصعب إصدار حكمٍ عامٍّ في مسألةٍ ذوقيَّةٍ.

حكم إعادة صلاة صبح يوم الجمعة إذا تركت السجدة

س٤٢٦- هل يجوز إعادة صلاة صبح يوم الجمعة إذا ترك الإمام السجدة فيها؟

ج٤٢٦- إعادة صلاة الصبح يوم الجمعة لأجل السجدة باطلةٌ لا تصح، والصلاة لا تُعاد شرعًا إلَّا لتحصيل الجماعة أو لتدارك ركنٍ أو شرطٍ في الصلاة، والسجدة ليست ركنًا ولا شرطًا، ولا بعضًا وإنما هي هيئة، ولكن الجهل مصيبةٌ.

س٤٢٧- ما هي السور التي كان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقرأ بها في صبح يوم الجمعة؟

ج٤٢٧- روى الطبرانيُّ في "الصغير" عن ابن مسعودٍ أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾[السجدة: ١ - ٢] و﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ [الإنسان: ١] يديم ذلك، ورجاله ثقاتٌ.

القيام للجنازة

س٤٢٨- ما معنى حديث جابرٍ قال: مرَّت بنا جنازة يهوديٍّ فقام لها النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وقمنا معه فقلنا: يا رسول الله إنها جنازة يهوديٍّ!،

فقال: «إذا رأيتمُ الجَنازَةَ فقوموا لها».

ج٤٢٨- القيام للجنازة قد ورد فيه أحاديث بعضها يفيد أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان يقوم للجنازة كالحديث المذكور في السؤال، وبعضها يفيد أنه لم يكن يقوم للجنازة.

وقد اختلف العلماء في ذلك فمنهم مَن رأىٰ أنَّ القيام للجنازة مطلوبٌ، سواء كانت جنازة مسلمٍ أو غيره، وعلَّل ذلك بأنَّ القيام ليس لأجل الميت بل إجلالًا لرهبة الموت ولمن مع الميت من الملائكة.

ومنهم مَن رأىٰ أنَّ الجنازة لا يقام لها أصلًا لا لمسلم ولا لغيره وقال: إنَّ القيام لها من عادة الكفَّار، وأجاب عن الأحاديث التي تفيد قيام النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم للجنازة بأنه قام لأمرٍ خاصٍّ لا يتعدَّىٰ غيره، إمَّا لكونه رأىٰ الملائكة وغيره لا يراهم، أو لأنه صادف قيامه وقت مرور الجنازة أو لغير ذلك.

ومنهم من قال: إنَّ القيام للجنازة كان مشروعًا أول الأمر ثُمَّ نُسِخ، ولكن دعوىٰ النسخ تحتاج إلىٰ دليلٍ وهو مفقودٌ.

والذي نراه صوابًا استحباب القيام للجنازة كما أفاده الحديث المذكور في السؤال والله أعلم.

ثناء الناس على الميت بعد الصلاة عليه

س٤٢٩- هل ورد ما يثبت عمل بعض الناس بعد الصلاة علىٰ الميت من الشهادة له بالخير أو بأنه من أهل الخير؟.

ج٤٢٩- في "صحيح البخاري" عن أبي الأسود قال: أتيت المدينة

فجلست إلى عمر فمُرَّ بجنازةٍ فأثنوا عليها خيرًا فقال: وجبت. ثُمَّ مُرَّ بجنازةٍ أخرى فأثنوا على صاحبها شرًّا فقال: وجبت. فقلت: يا أمير المؤمنين، ما وجبت؟ فقال: قلت كما قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أيما مُسْلِمٍ شَهِدَ له أربعةُ نَفَرٍ بخيرٍ أَدْخَلَهُ اللهُ الجنَّةَ**»، قال: فقلنا: وثلاثةٌ؟، فقال: «**وثلاثةٌ**»، فقلنا: واثنان؟ فقال: «**واثنان**» ثُمَّ لم نسأله عن الواحد.

وفي "صحيح ابن حِبَّان" و"مسند أبي يعلى" عن أنسٍ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ما مِن مُسْلِمٍ يَمُوتُ فيَشْهَدُ لَهُ أربعةُ أَهْلِ أَبْياتٍ مِن جِيرَتِهِ الأَدْنَيْنَ أنَّهم لا يَعْلَمُون إلَّا خيرًا إلَّا قال الله جلَّ وعلا قد قَبِلْتُ عِلْمَكُمْ فيه وغَفَرْتُ له ما لا تعلمون**».

ومن هنا قال العلماء: ينبغي الثناء على الميت بخيرٍ والسكوت عن مساوئه، لكن ينبغي في الثناء ألَّا يجزم الشخص في الميت بأنه من أهل الخير، بل يقول كما في الحديث لا أعلم إلَّا خيرًا أو أرجو أن يكون من أهل الخير، ويترك باطن الأمر وخفي حال الميت إلى خالقه الذي يعلم السِّرَّ وأخفى، والله أعلم.

الصمت خلف الجنازة

س٤٣٠- عن الصمت خلف الجنازة أفضل أم الجهر بالذكر؟

ج٤٣٠- الصَّمْتُ في الجنازة أفضل وهو السُّنَّة.

س٤٣١- أيهما أفضل للميت اللحد أو الشق؟ وهل في حثو التراب على الميت أصلٌ؟ وهل زيارة القبور للنِّساء جائزةٌ؟

ج٤٣١- اللحد والشق جائزان، وإنما اختلفوا أيهما أليق وأفضل؟ وهم في الحقيقة لم يختلفوا، وإنما قالوا: نستخير الله ونبعث للذي يلحد ويشق فأيهما

سبق كانت الخيرة فيه فسبق الذي يلحد.

وأما حثو التراب على الميت فروى ابن ماجه عن أبي هريرة أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم صلَّى على جنازةٍ ثُمَّ أتى قبر الميت فحَثا عليه مِن قِبل رأسه ثلاث حَثَياتٍ.

وروى البيهقيُّ عن أبي أُمامة قال: «لما وُضِعت أمُّ كلثوم بنت النبيِّ في القبر قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥]». قال البيهقيُّ سنده ضعيفٌ.

وزيارة النِّساء للقبور جائزةٌ؛ لأن عائشة قالت: «كيف أقول يا رسول الله إذا زرت القبور؟ قال: «**قولي: السَّلامُ على أهل الدِّيار مِن المؤمنين**». الحديث، رواه مسلمٌ في "صحيحه"، ومرَّ النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على امرأةٍ تبكي عند قبرٍ، فقال لها: «**اتَّقي الله واصْبِري**». رواه البخاريُّ ولم ينكِر عليها زيارة القبر. وروى الحاكم: «أنَّ فاطمة عليها السلام كانت تزور قبر عمِّها حمزة كلَّ جمعةٍ، فتصلِّي وتبكي عنده». ولأن الشارع علَّل زيارة القبور بأنها تُذَكِّر الآخرة، وهذه العِلَّة تشمل النِّساء كالرجال.

س٤٣٢- هل يجوز للمرأة أن تُغسِّل زوجها بعد موته؟

ج٤٣٢- روى أحمد وأبو داود وابن ماجه عن عائشة قالت: «لو استقبلتُ مِن أمري ما اسْتَدْبَرْتُ ما غَسَّل النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلَّا نساؤه». وفي سنده عنعنة مُدلِّسٍ.

س٤٣٣- وسُئل رضى الله عنه عن الميت يعمل له دواء وحنوط ليبقَى

جسمه غير مُتغيِّرٍ طول السنين هل هو جائزٌ؟

ج٤٣٣- فبيَّن أنه لا يمكن أن يعمل له ذلك حتى يخرج أمعاءه وتبقى وحدها في إناء ويعمل لها حنوطٌ وحدها وتكون قرب جسمه كما هو موجودٌ في مصر في أجسام الفراعنة وغيرهم، لهذا فهو ممنوعٌ.

حكم إحياء ليلة الأربعين للأموات

س٤٣٤- وسُئل عن دليل إحياء ليلة الأربعين للأموات؟

ج٤٣٤- إحياء ليلة الأربعين لا أصل له في الدِّين، وإنما صحَّ عن طاووس أنه قال: «إنَّ الموتى يُفتنون سبعًا». فكانوا يستحبون أن يطعموا عنهم تلك الأيام، وقال عبيد بن عمير التابعيِّ: «يفتن رجلان مؤمن ومنافق، فأمَّا المؤمن فيفتن سبعًا، وأمَّا المنافق فيفتن أربعين صباحًا».

هل يتأذَّى الميت مما يتأذَّى منه الحي؟ وحكم الانتفاع بالأرض التي كانت مدفنًا

س٤٣٥- هل يتأذَّى الميت مما يتأذَّى منه الحي؟ وهل يجوز الانتفاع بالأرض إذا كانت مدفنًا للأموات وطال عليها الزمن وأصبحت خرابًا لا يدفن فيها أحد؟

ج٤٣٥- وأمَّا مسألة القبور فالحق فيها ما ذكرته لأن الميت يتأذَّى ممَّا يتأذَّى منه الحيُّ كما في الحديث، والقبر وقفٌ على صاحبه ما دام فيه منه بقية ولو عظمًا واحدًا.

ولا يصح نقل الميت إلَّا لمصلحةٍ، بشرط ألَّا تُنتهَك حرمته ككسر عظمٍ من

عظامه أو نحو ذلك مما يُشينه أو يؤذيه.

فإن نقلت الموتى على هذا الوصف وتحقَّق أن لم يبقَ منهم شيءٌ أصلًا نظر في الأرض التي كانت مدفنًا لهم هل كانت مِلْكًا لأحدٍ وأوقفها لهذا الغرض؟

فإن كان ذلك روجع شرط الواقف وعمل عليه حتى أنه لو أراد الواقف استرجاعها بعد انتهاء الدفن منها فله ذلك.

فإن لم يعلم الواقف أو لم تكن شروط الوقف مكتوبة تنقل الأرض إلى جهة برٍّ عامَّةٍ كمسجد البلد فتكون وقفًا ينفق منها عليه.

أمَّا ما يفعلونه الآن من البناء، وأخذ السماد فكله حرامٌ لا يُقرُّه الدِّين ولكن أين من يسمع؟! وأين من يعمل؟!

فضل الدفن بجوار الصالحين

س٤٣٦- وهل للإنسان أن يوصي بالدفن بجوار من يعتقد صلاحه؟ وهل يجوز أن تُدفَن المرأة مع زوجها؟

ج٤٣٦- من حقِّ المسلم أو المسلمة أن يوصي أن يدفن بجوار من يعتقد صلاحه، لحديث: «**ادْفِنوا موتاكم وَسَطَ قومٍ صالحين؛ فإن الميت يتأذَّى بجار السوء كما يتأذَّى الحيُّ بجار السُّوء**». وهو وإن كان ضعيفًا؛ له شواهد تقويِّه وعمل السلف بمقتضاه، كما قال الحافظ السخاويُّ.

وعمر رضي الله عنه لَمَّا حضرته الوفاة أوصى أن يدفن مع صاحِبَيه بعد استئذان عائشة رضي الله عنها؛ لأنها صاحبة المحل، فلما استأذنوها قالت: «كنت أعددته لنفسي، ولأوثرنَّه اليوم به». فصرَّحت بأنها كانت تريد أن تدفن

مع زوجها وأبيها لكنها احترمت وصية عمر فنفَّذتها إيثارًا منها له، وهذه القصة في "الصحيحين" وغيرهما.

وعليه: لا وجه لمنع الزوجة أن تدفن مع زوجها، وكيف تمنع عنه وهو زوجها؟ ولكن الناس يتكلَّمون بما لا يعلمون، ويتدخَّلون فيما لا يُحسنون، ولو سئلوا: ما الدليل على منع دفن المرأة مع زوجها؟ لم يجدوا دليلًا.

دفن المرأة مع زوجها

س٤٣٧- وسأل فضيلته: إنَّ العلماء عندنا اشترطوا أن يكون بين المرأة وزوجها عند الدفن حائل؟

ج٤٣٧- كلام هؤلاء العلماء لا يُغيِّر الحكم ولا يؤثِّر فيه؛ لأنه ليس من شرط الجواز أن يكون بين الجارين حاجزٌ، بل كل من كان بجانبك في مسكنٍ أو جلوسٍ أو نومٍ أو ركوبٍ فهو جارك، وفي اللغة يُسمَّى الزوج جارًا، وكذا الزوجة؛ لأن كلًّا منهما يجاور الآخر، ودفن ميتٍ بجانب آخر في غرفةٍ واحدةٍ يصدق عليه أنه جارٌ له وأنه دفن معه، ولا مانع يمنع من ذلك شرعًا بالنسبة لدفن المرأة مع زوجها.

س٤٣٨- هل جسم المؤمن بعد موته محترمٌ لذاته؟

ج٤٣٨- جسم المؤمن بعد موته محترمٌ لذاته، لما فيه من العلم والإيمان مجمدين، ثم الروح تزوره كلَّ يوم جمعة.

س٤٣٩- وسئل أيضًا عن رجل توفي وهو سكران هل يُصلَّى عليه أم لا؟

ج٤٣٩- فأجاب: يُصلَّى عليه وتطلب له الشفاعة والرحمة، وقال: مثل

هذا الذي تطلب له الشفاعة والرحمة؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «شَفاعَتِي لأهْلِ الكَبائِرِ مِن أُمَّتي».

عدم ورود شيء يسقط إثم ترك الصلاة على الميت

س٤٤٠- هل ورد شيءٌ يُسقط إثم ترك الصلاة عن الميت؟

ج٤٤٠- إسقاط الصلاة عن الميت لم يرد في حديثٍ صحيحٍ ولا حسنٍ ولا ضعيفٍ، وإنما ورد في حديثٍ مكذوبٍ اغترَّ به بعض متأخِّري الحنفية، كما نبَّه عليه العلَّامة المُحقِّق الشيخ عبدالحي اللكنويُّ الهنديُّ الحنفيُّ، وليس في الدِّين شيءٌ اسمه إسقاط الصَّلاة، وكل ما يوجد من ذلك في بعض الكتب التي قرأناها ورأيناها فإنما هو خرافات لا يصح التعويل عليها، والطريق الشرعيُّ للذي يريد أن يُخفِّف العقاب عن الميت هو:

١- أن يتصدَّق عنه.

٢- أن يدعو له.

٣- أن يهب له بعض أعماله الخيرية.

ويرجو بعد ذلك من الله أن يُخفِّف عنه أو يتجاوز عن ذنبه أو يغفر له، أمَّا أن يجزم بأنَّ هناك عملًا يُسقِطُ عن الميت الصَّلاةَ فهذا ما لا سبيل إليه إلَّا بوحيٍ من الله والوحي قد انقطع، والله أعلم.

دفع الزكاة في بناء المساجد

س٤٤١- عندنا مسجد مهدم فهل يجوز دفع جزء من زكاة المال لإعادة بناء هذا المسجد أم لا؟

ج٤٤١- لا يجوز صرف الزكاه في بناء المسجد لأن الزكاة نصَّ الله على

الأصناف التي تستحقها فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠] وعلى هذا انعقد إجماع العلماء، وقد أفتت مجلة الأزهر أخيرًا بجواز إعطاء الزكاة في بناء المساجد بناء على توسُّع بعض العلماء في معنى قوله تعالى: ﴿وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وهو قولٌ شاذٌّ لا يجوز اعتماده، والله أعلم.

احتساب الضريبة الحكومية من الزكاة المفروضة

س٤٤٢- هل يجوز أن تحتسب الضريبة التي تدفع للحكومة من زكاة المال أم يجب دفع الزكاة مهما كان الأمر؟

ج٤٤٢- فرض الله الزكاة على الأغنياء شكرًا على نعمة المال يدفعونها إلى الفقراء والمساكين وبقية الأصناف المذكورة في الآية، حتى لا يجوز دفعها في بناء مسجدٍ ولا مستشفى ولا مدرسة، ولا غير ذلك من المصالح العامَّة، ومعنى ذلك أنَّ المُزكِّي يدفع نصيبًا من ماله لمحض امتثال أمر الله من غير أن تعود عليه فائدةٌ من دفع الزكاة غير الثواب المُدخَّر عند الله إذا أعطاها بطيب نفسٍ.

والضريبة التي تأخذها الحكومة لا تشتمل على هذا المعنى؛ لأن الحكومة تأخذ الضريبة في نظير المرافق العامَّة، ومن هنا يُعلَم أنَّ الضريبة لا تكفي عن الزكاة أصلًا، بل لابد من دفع الزكاة، حيث أنه لا يوجد بيت المال اليوم فالمزكِّي يوزعها على الفقراء بمعرفته، هذا هو حكم الشرع في هذا الموضوع، فلا تغتر بمن يقول خلاف ذلك والله أعلم.

س٤٤٣- وسُئل أيضًا عن رجلٍ ذي عيال، ضعيف الحال، هل يجوز له أن

يسأل الناس؟

ج٤٤٣- فأفتى بالجواز لأجل ضعفه، ولكن يسأل لأجل قوته وقوت عياله وكسوتهم فقط لا للادخار والغِنَى.

أسئلة متفرقة عن أحكام الزكاة والجواب عليها

س٤٤٤- وسُئل رضى الله عنه عن مال مجموع للمسجد من أجل الإصلاح وغيره ودار عليه الحول هل يلزم فيه الزكاة أم لا؟

ج٤٤٤- فأجاب بأنَّ بعض المذاهب تقول فيه الزكاة، ورجَّح أنه لا زكاة فيه؛ لأن المساجد لا تَـمْلِك .

س٤٤٥- الأرض -أي العقار- وبناء الدور للبيع، هل يلزم في ذلك المال الزكاة؟، وهل تلزم الزكاة في جميع المال أم في الرِّبح فقط؟ وهل يُزكَّى ذلك المال عند كلِّ رأس سنة أم يزكَّى مرة واحدة؟

ج٤٤٥- فأجابني مرَّةً أنه عندما يبيع الأرض أو الدار يُزكَّى ذلك المال على سنةٍ واحدةٍ، وأجاب مرَّةً أخرى أنه لا زكاة في هذا كلِّه.

س٤٤٦- سؤال آخر: امرأة سألت هل يمكن أن تبعث بالصدقة خارج البلد لرجلٍ مملق مُتزوِّج وله عيال.

ج٤٤٦- أفتى بالجواز .

س٤٤٧- سُئل أيضًا عن رجلٍ يبيع السلعة مختلطة بالخمر وأخرج الزكاة وأعطاها لشخصٍ يعرف بهذه الصفة، هل يأخذ تلك الزكاة أم لا؟

ج٤٤٧- أجاب: لا يأخذها وإذا أخذها يعطيها لشخصٍ آخر، هذا من باب الورع.

س٤٤٨- وسُئل أيضًا عن مال الكفَّار ومال الحرام هل تخرج منه الزكاة؟

ج٤٤٨- أجاب: أمَّا مال الكفَّار فإنه لا تنفع فيه الزَّكاة حتى يؤمنوا، وأمَّا مال الحرام في حق المسلم فإنه لا تنفعه الزَّكاة، وأيضًا هي غير مقبولةٍ؛ لأنَّ الله اشترط في المال أن يكون حلالًا وطيِّبًا .

س٤٤٩- وسُئل أيضًا عن قضية الفِلاحة الموجودة في هذا الوقت مصاريفها كثيرةٌ جدًّا، منها كراء الأرض وشراء الزريعة وكراء آلة الحرث والدواء للزرع وكراء آلة الحصاد وغيرها من المصاريف، هل تكون الزكاة بعد إخراج المصاريف أم قبلها؟

ج٤٤٩- أجاب بأنَّ الزكاة تكون بعد إخراج المصاريف والله سبحانه لا يضرُّ أحدًا.

س٤٥٠- وسُئل أيضًا عن رجلٍ عنده تجارةٌ مختلطةٌ من ثيابٍ وغيره، وعند رأس الحول يُقوِّم تجارته وعندما تترتَّب الزكاة يخرج بعضها بالدراهيم وبعضها بالثياب التي تبقى لا تباع وهي جديدةٌ وصالحةٌ.

ج٤٥٠- فقال: يعمل لها ثمن الشراء لا يزيد ولا يغش. وأفتى له بالجواز يعطى بعضها ثياب وبعضها دراهيم .

س٤٥١- وسُئل أيضًا أنَّ رجلًا ترتَّبت بذمَّته زكاةٌ، وعندما جمعها وأراد إخراجها ذهبت منه إمَّا بسرقةٍ أو ضياعٍ، ولم يتمكَّن منها أصحابها، هل تسقط عليه أم تبقى بذمَّته؟

ج٤٥١- فأفتى بأنها لا زالت بذمته لأنها لم يتمكن منها أربابها.

س٤٥٢- وسُئل أيضًا أنَّ مُعلِّمًا أقرض معلِّمًا شيئًا من النقود ولكن

أحاطت بهذا المعلِّم المستلف للنقود ديونٌ كثيرةٌ من أجل زفاف وأراد المقرض أن يخرج زكاة ماله ويسمح له في تلك النقود مقابل الزكاة هل هذا جائزٌ؟

ج٤٥٢- فأفتى بالجواز أن يسمح له وتحسب زكاة.

س٤٥٣- وسُئل عن رجلٍ في البادية لزمته الزكاة في الحبوب وأراد أن يعطي قيمة الحب نقودًا.

ج٤٥٣- فأفتى بالجواز لأن النقود تقضى بها جميع المصالح الدينية والدنيوية.

كيف تحسب زكاة التجارة

س٤٥٤- وسألته كيف تحسب زكاة التجارة؟

ج٤٥٤- فأجاب سيادته بما نصُّه: وزكاة التجارة -كالبقالة مثلًا- تجب عند تمام السَّنة الهجريَّة لا الميلادية، فإذا ابتدأ التاجر تجارته في شهر شعبان مثلًا، فإذا جاء شعبان التالي قَوَّمَ البضاعة التي في المحل بالسعر الذي تباع به في السوق لا بالثمن الذي اشتراها به، وما أكله هو وأولاده لا يدخل في الحساب، وما جدَّ من الربح يضاف إلى رأس المال ويُزكَّى عنهما، فمن بدأ تجارته بألف جنيه، وبعد مرور سنةٍ وجد عنده ألفا ومائتين أو أكثر زكَّى عن المبلغ كلِّه.

زكاة التجارة والمعدن والركاز

س٤٥٥- وسألته عن الصايغ هل يُزَكِّي عن جميع ما في محلِّه من الذهب؟ وعن زكاة المعادن، والرِّكاز؟

ج٤٥٥- فأجاب سيادته بما نصه: الصايغ يزكِّي عن جميع ما في دكانه من الذهب لأنه مقصود به التجارة.

والمعدن يُزَكَّى عنه كيفما كان ذهبًا أو فضة أو غيرهما قليلًا أو كثيرًا، وقيمة

زكاته ربع العشر.

والرِّكاز ما يلقى في أرض مهجورةٍ، أو دارٍ خربةٍ داخل صندوقٍ، أو «زلعةٍ» مثلًا، فإن كانت الأرض لمسلمٍ فهو مِلْكٌ له، وان كانت غير مملوكةٍ فهو لمن أصابه، ويُخرِج منه الخمس، ولا ينتظر الحَوْلَ.

العلة في فرض زكاة الفطر، وهل تجب على الصغير؟

س٤٥٦- ما العلة في فرض زكاة الفِطر؟، وهل تجب على الصغير الذي لم يَصُم؟

ج٤٥٦- وأمَّا زكاة الفِطْر فعن ابن عبَّاسٍ قال: «فرض رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم زكاةَ الفِطْرِ طُهْرَةً للصَّائمِ مِن اللغوِ والرَّفَثِ وطُعْمَةً للمساكين». رواه أبو دود وابن ماجه، وصحَّحه الحاكم.

وبه أخذ سعيد بن المُسيِّب والحسن البصريُّ فقالا: «لا تجب زكاة الفِطْر إلَّا على مَن صام». وذهب الجمهور إلى وجوبها على الصبيِّ لقول ابن عمر: «فرضَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم زكاةَ الفِطْرِ مِن رمضان صاعًا مِن تمرٍ، أو صاعًا مِن شعيرٍ على الحرِّ والعبد والذَّكَر والأنثى والصغير والكبير مِن المسلمين». رواه الشيخان. قال الحافظ ابن حجرٍ: «وأُجيب عن حديث ابن عبَّاسٍ بأنه ذِكْر التطهير خرج مخرج الغالب، كما أنها تجب على متحقِّق الصلاح -كأبي بكرٍ مثلًا- أو على من أسلم قبل غروب الشمس بلحظةٍ، أي مع أنَّ إسلامه محا ذنوبه كلها بنصِّ القرآن».

ويُجاب أيضًا بأنَّ إخراجها عن الصبيِّ يكون طُهْرَةً لوليِّه الذي أخرجها

عنه، أو بأن قوله: «طُهْرَة للصَّائمِ» بيان لِحِكْمة وجوب الزكاة، والحكمة لا يجب وجودها في صور الحكم كلها بل يكفي وجودها في بعضها، بخلاف العِلَّة، لابد من وجودها في جميع الصور.

مثلًا: حُرِّمت الخمرُ لعِلَّة الإسكار، حِكْمة التحريم حفظ العقل، فإذا فقد الإسكار فقد التحريم، لكن لو وُجِد شخصٌ أو أشخاصٌ لا يتأثَّر بالخمور ولا تُذهب عقله، فإنها تحرم عليه لوجود العِلَّة، وإن كانت الحِكْمة غير موجودةٍ.

قيمة زكاة الفطر

س٤٥٧- عن قيمة زكاة الفِطْر حيث يذهب بعض العلماء إلى رفع قيمتها إلى جنيهٍ وأكثر.

ج٤٥٧- فقال سيادته ما نصُّه: وزكاة الفِطْر مقدارها ٢ كيلو ونصف على «النفر» مِن الدقيق المعتاد، أو ما يعادلها في القيمة من التمر أو الزبيب أو النقود، وثمن الدقيق لا يبلغ خمسين قرشًا صاغًا، وإن بلغها فلا يزيد عليها فلا أدري لِمَ يرفع بعض المُفتِين هنا وعندكم ثمنها إلى جنيهٍ وأكثر؟! هل اعتبروها من الدقيق الفاخر؟ وهذا تزيُّد منهم على الشارع لا يثابون عليه، بل يأثمون لأنهم أوجبوا على الناس ما لم يُوجِبه الشارع.

زكاة ما لم ينص عليه

س٤٥٨- هل يجوز إخراج الزكاة عن الأشياء التي لم يرد نصٌّ فيها بوجوب الزَّكاة؟

ج٤٥٨- روى أحمد بإسناد صحيح عن عمر: «أنَّ رجالًا مِن أهل الشام أتوه، فقالوا إنَّا أصبنا أموالًا: خيلًا ورقيقًا نحب أن تكون لنا فيها زكاةٌ

وطهورٌ، فقال: ما فعله صاحِباي فأفعله، واستشار الصحابة، فقال له عليٌّ: هو حسنٌ إن لم تكن جِزيةً راتبةً يؤخذون بها مِن بعدك، فأخذها منهم».

وهذا أمرٌ جائزٌ بل مندوبٌ، فلو أخرج رجلٌ الآن زكاة خيلٍ أو عسلٍ أو عقارٍ مثلًا كانت زكاة نافلة يُثاب عليها كصلاة النافلة.

س٤٥٩- هل يجوز دفع مال الزكاة في عمارة المساجد؟

ج٤٥٩- مَن أجاز دفع الزكاة للمساجد أدخلها في قوله تعالى: ﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦٠] وأورد عليه أنَّ الزكاة تمليكٌ، والمسجد لا يملك، وأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال لمعاذٍ: «**أخبر أهل اليمن أنَّ الله فرض عليهم الزكاة تُؤخَذُ مِن أغنيائهم فتردُّ على فُقرائهم**».

وأمَّا الزكاة في الأموال الموقوفة على المساجد، ففي ذلك خلافٌ، والراجح عند متأخِّري المالكية عدم وجوب الزكاة؛ لأنها تجب على وجه العبادة والمساجد لا عبادة عليها، وكذلك المال المرصد لإصلاح طريق، أو بناء كوبري مثلا، لا زكاة فيه أيضًا، والله أعلم.

س٤٦٠- ما حكمة إيجاب زكاة الفِطْر على الصغير؟

ج٤٦٠- إيجاب زكاة الفِطْر على الصغير أمرٌ تعبُّديٌّ، ويمكن أن يلتمس له حِكْمة بأنَّ الطفل إذا وعي وعَلِم أنَّ أبويه يُخرجان عنه الزكاة، تعوَّد البذل، هذا إلى أنَّ الصَّدَقَةَ تدفعُ عنه البَلاء.

س٤٦١- هل يجب توزيع صدقة الفِطر على الأصناف الثمانية المذكورين في القرآن؟

ج٤٦١- صدقة الفِطْر لا يجب توزيعها على الأصناف الثمانية، بل الأحاديث تدل على أنها للمساكين فقط.

لماذا يتأخَّر المغاربة في الصيام عن المشرق

س٤٦٢- وسُئل: عن معرفته بالفلك، ولماذا يتأخَّر المغاربة في الصيام عن المشرق مع اتفاقهم في أكثر الليل والنهار؟

ج٤٦٢- فأجاب: أنا لا أعرف علم الفلك ولكن أعرف أنَّ الهلال يظهر في المغرب قبل المشرق كما قرَّره الفلكيون، وفي هذا قال الشاعر:

المغـــــرب أفضـــــل أرضٍ ... ولي دليـــــــلٌ عليـــــــه

البـــــدر يرقـــــب مِنـــــه ... والشـــــمس تســـــعى إليـــــه

ويعني بالبدر الهلال.

وإذا صام مغربيٌّ ثلاثين يومًا ووجد في الهند ٢٨ أو ٢٩ من رمضان فإنه يفطر ولا يصوم، والتوحيد في الشهر لا يكون فيما زاد على ٣٠ يومًا، والمسافر يعتبر بالبلد الذي سافر منه وصام فيه لا بالبلد الذي سافر إليه.

جواز صوم أهل السودان برؤية الهلال بمصر

س٤٦٣- هل يجوز لأهل السودان مثلًا أن يصوموا شهر رمضان على الأخبار التي تأتي من مصر بالبرقية أم لابد من رؤية الهلال في السودان لصحة الصوم هناك؟

ج٤٦٣- ثبت في "صحيح مسلم" عن كريب أنه كان في الشام في مصلحةٍ ورأوا الهلال بالشام فصام معهم، ثُمَّ رجع إلى المدينة فسأله ابن عبَّاسٍ: هل

رأيت الهلال؟ قال نعم رأيته ورآه الناس، وأمر معاوية بالصيام، فقال ابن عبَّاسٍ: ولكن لا نفطر هنا حتىٰ نرىٰ الهلال، ثُمَّ قال: هكذا قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

يفهم من هذا الحديث أنَّ كلَّ بلدٍ يعتمد في الصيام والفطر علىٰ رؤية أهله، به أخذ الشافعية لكن اشترطوا أن يختلف المطلع، وذلك بأن تكون البلاد بعيدةً كالشام والمدينة، أو مصر والحجاز. ولكن ذهبت المالكية إلىٰ أنه إذا رؤي الهلال في بلدٍ وجب الصيام علىٰ سائر أهل البلاد سواء بعدت أو قربت، وفرَّق بعضهم بين البلاد البعيدة فيكون لكلِّ بلدٍ رؤيته وبين البلاد القريبة فتكتفي برؤية واحدٍ لجميعها.

وحيث أنَّ مصر والسودان يعتبران قطرًا واحدًا لاتفاقهما في المطلع وفي كثيرٍ من العادات والتقاليد كما هو مشاهدٌ فتكفي رؤية مصر للعمل بها في السودان وتكفي رؤية السودان للعمل بها في مصر، ونقل الخبر بالبرقية يعتمد شرعًا؛ لأن الشارع اعتمد في تبليغ الأحكام والشرائع علىٰ الخطابات التي كان يبعث بها إلىٰ البلاد، وهل البرقية إلَّا نوعٌ من الخطابات المقتضب السريع؟! فالعمل بها لا يعد خروجًا عن الشريعة.

حول أحكام الصيام

أرجو الجواب عن دلائل المسائل الآتية التي قرأتها بإحدىٰ المجلات الإسلامية وهي:

س٤٦٤- أنَّ الصائم إذا نام في نهار رمضان واحتلم فصومه صحيحٌ ولا قضاء عليه ولا كفَّارة.

س٤٦٥- أنَّ الصائم إذا أصبح جُنُبًا فصومه صحيحٌ ولو ظلَّ طول اليوم بدون غُسْلٍ.

س٤٦٦- أنَّ صوم المرأة دون إذن زوجها مكروهٌ.

س٤٦٧- أنَّ تقبيل الزوجة لا يُفسد الصومَ إلَّا إذا حصل إنزال.

س٤٦٨- ما معنى قوله عليه الصلاة والسلام: «**إذا نسى الصائمُ فأكل أو شرب فليتمَّ صَوْمَهُ فإنما أطْعَمَهُ اللهُ وسَقَاهُ**»؟.

س٤٦٩- ما معنى قوله عليه الصلاة والسلام: «**إذا ماتَ الرجل وعليه صيامٌ صامَ عنه وليُّه**»؟.

ج٤٦٤- فدليلها الإجماع؛ لأنَّ العلماء اتفقوا على ذلك ولم يختلفوا فيه، والمعني في ذلك ظاهرٌ لأن الفطر يحصل بتعمُّد الأكل ونحوه، والنائم غير مُتعمِّدٍ بل غير مُكَلَّفٍ في نومه، فلم يكن لاحتلامه أثرٌ في إفساد الصوم.

ج٤٦٥- ففيها خلافٌ، ذهب جمهور العلماء إلى أنَّ الصائم إذا أصبح جنبًا صحَّ صومه واستدلوا بقوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧] فإنه يقتضي إباحة الوطء في ليلة الصوم، ومن جملتها الوقت المقارن بطلوع الفجر وذلك يقتضي بالضرورة أن يصبح جُنُبًا.

وفي "الصحيحين" عن عائشة وأمِّ سلمة أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان يصبح جنبًا من غير احتلامٍ ثُمَّ يصوم في رمضان.

وفي روايةٍ لأُمِّ سلمة أيضًا قالت: «كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يصبح جُنُبًا مِن جماعٍ لا حلم، ثُمَّ لا يفطر ولا يقضي». رواه الشيخان.

وذهب أبو هريرة وعروة بن الزبير وطاوس وجماعةٌ إلى أنَّ مَن أصبح جُنُبًا فصومه باطلٌ، واستدلوا بحديث: «**مَن أصبحَ جُنُبًا فلا صوم له**»، وهو حديثٌ صحيحٌ، وأجاب الجمهور بأنَّ هذا الحديث منسوخٌ، نَسَخَهُ حديثُ عائشة وأمِّ سلمه، ولذلك رجع أبو هريرة عن قوله لما بلغه، وقد قيل في تأويل الحديث: «**مَن أصبحَ جُنُبًا فلا صوم له**» أي لا صوم له كامل، وذلك للحضِّ على التعجيل بالغُسْل فلا ينافي أنه لو لم يغتسل كان صومه صحيحًا.

ج٤٦٦- فدليلها قوله عليه الصلاة والسلام: «**لا تَصومُ المرأةُ وبعْلُهَا شاهِدٌ إلَّا بإذنه، غيرَ رمضانَ، ولا تأذنُ في بيتِهِ وهو شاهِدٌ إلا بإذنِه**». رواه أبوداود بإسنادٍ صحيحٍ. وهذا في صوم التطوُّع، أمَّا الفرض فتصومه بغير إذنه كما دلَّ عليه الحديث المذكور.

ج٤٦٧- ففيها أيضًا خلافٌ، فذهب الجمهور إلى أنَّ القُبْلَة لا تُفسد الصوم إلَّا إذا حصل إنزال، زاد المالكية: نزول المذي، فإنه يوجب القضاء عندهم، وقالوا: إذا لم يترتَّب على القُبْلة مذيٌ ولا منيٌّ فتجوز مع الكراهة، وهو رأي ابن عمر.

وقال ابن شبرمه: «القُبْلَةُ تُفسد الصوم مطلقًا» وهو ضعيفٌ، وأباح القُبْلة قومٌ مطلقًا وحرَّمها قومٌ مطلقًا، وقال آخرون: تجوز للشيخ ولا تجوز للشاب، وقال قوم: تجوز لمن يَمْلِك نَفْسَهُ وتحرم على من لا يَمْلِك نَفْسَهُ.

وقال بعض الظاهرية: تستحب القبلة للصائم؛ لأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان يُقبِّل عائشة وأمَّ سلمة وهو صائمٌ.

وقال ابن حزمٍ: «مَن قَبَّل امرأته فصومه صحيحٌ سواء أنزل أو لم ينزل، ومَن

قَـبَّل أجنبيةً عنده فصومه باطلٌ سواء حصل إنزال أو لا».

وقد ورد أنَّ رجلًا سأل النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن المُباشَرة للصائم فرخَّص له، وأتاه آخر فنهاه، فإذا الذي رخَّص له شيخٌ، وإذا الذي نهاه شابٌّ. رواه أبو داود.

ج٤٦٨- فمعنىٰ الحديث فيها أنَّ الصائم إذا أكل أو شرب ناسيًا فصيامه صحيحٌ ولا يجب عليه القضاء كما جاء في روايةٍ من روايات الحديث، وبهذا أخذ الجمهور فقالوا: مَن أكل أو شرب أو جامع ناسيًا فليتم صومه ولا قضاء عليه.

وقال ابن أبي ليلىٰ والمالكية والقاسمية يفسد صومه وعليه قضاء يومٍ بدله.

وقال أحمد بن حنبل: يبطل الصوم بالجماع نسيانًا، وفيه كفَّارةٌ، ولا يبطل بالأكل نسيانًا، والحديث حُجَّةٌ للجمهور علىٰ من خالفهم.

ج٤٦٩- فإنَّ الحديث فيها يدل علىٰ أنَّ الشخص إذا مات وعليه صومٌ فرضٌ كرمضان أو نذرٌ فإن وليَّه يصومه عنه، وبهذا أخذ أهل الحديث وأبو ثور والأوزاعي وجعفر الصادق والليث بن سعد وغيرهم.

وقال أحمد بن حنبلٍ وإسحاق بن راهويه يصوم الولي عن الميت النذر دون رمضان، وقال أبو حنيفة ومالكٌ والشافعيُّ في أحد قوليه: لا يصوم الوليُّ عن الميت لا نَذْرًا ولا غيره، والصحيح الأول.

ثُمَّ ذهب جمهور القائلين بصوم الوليِّ عن الميت إلىٰ أنَّ الصوم ليس بواجبٍ بل يندب فقط، وحكىٰ إمام الحرمين الإجماع عليه وهو غلطٌ، بل ذهب الظاهرية إلىٰ أنَّ صوم الوليِّ عن الميت واجبٌ سواء أوصىٰ به الميت أو لا، وأيَّد

ابن حزم ذلك. والحديث المذكور يؤيِّد الوجوب أيضًا.

ثُمَّ اختلفوا في الوليِّ الذي يصوم عن الميت هل هو قريبه أو وارثه أو عصبته؟ الراجح الأول وقيل الثاني قال الحافظ ابن حجرٍ: «وهو قريبٌ».

كيفية قضاء شهر رمضان لمن كان مريضًا

س٤٧٠- كنت مريضًا لم أتمكَّن من صيام شهر رمضان، وقد مرَّت السَّنة دون أن أتمكَّن مِن صيامه لأنَّ صحَّتي مازالت معتلَّةً، وقد صمت ثلاثة أيام شعرت بعدها بالتعب، فما العمل هل أكفِّر أم أصوم وأتحمَّل المتاعب إزاء الفرض المطلوب؟ وهل إذا صمت أيامًا من رجب ومن شعبان يجوز ذلك أم لا؟

ج٤٧٠- المقرَّر عند المالكية أنَّ الإنسان لا يُكفِّر عن الصوم إلَّا إذا كان المرض مستصحبًا معه بحيث لا يُرجَى بُرءه، وقد أجازوا للنُّفَساء والمُرضِع أن تفديا عن صومهما بشروطٍ مُفصَّلةٍ في كتب الفقه، وحيث أنَّ مرضك يُرجى برءه فلا بأس أن تؤخِّر الصِّيام إلى حين المقدرة ولا تلزمك الفِدْية عن التأخير؛ لأنه ليس بتفريطٍ منك، وإذا أمكنك أن تصوم في رجب أو شعبان فذلك جائزٌ لا شيء فيه، والله أعلم.

س٤٧١- ما هي سنن الصيام؟

ج٤٧١- أمَّا سنن الصوم فهي: صيام ستة أيامٍ من شوال، ثاني يوم عيد الفطر وما يليه من الأيام. وثلاثة أيام من كلِّ شهر عربي (١٣،١٤،١٥) وتُسمَّى الأيام البيض بالنسبة لبياض لياليها بنور القمر. وصيام يوم عرفة، ويوم عاشوراء مع يوم قبله أو يوم بعده، ويوم الاثنين والخميس مِن كلِّ

أسبوعٍ، ويوم النصف من شعبان.

س٤٧٢- وسُئل أيضًا عن شخصٍ عنده مرض المعدة، ولكن عنده تجربة إن طرأ عليه ذلك الوجع يشرب ماءًا باردًا ويزول في الحين، وقد طرأ عليه بعد صلاة الفجر في شهر رمضان فشرب وذهب الوَجَع، هل يستمر في الأكل لأنه بطل له اليوم أم يكتفي بذلك الماء فقط؟

ج٤٧٢- فأجاب: يستمر في الأكل لأنه بطل له اليوم بالشرب، ويقضي ذلك اليوم ولا أجر له.

س٤٧٣- وسُئل أيضًا أنَّ رجلًا يسكن في القصر الكبير وله أولاد هناك وهو يشتغل بمدينة طنجة، وذهب لداره في نهار رمضان وصادف زوجته قد طهرت من دم الحيض واغتسلت فجامعها نهارًا.

ج٤٧٣- فأفتى : عليه الكفَّارة، وهي إطعام ستين مسكينًا خمسة دراهم لكلِّ مسكينٍ في اليوم المجموع ثلاثمائة درهم.

س٤٧٤- وسُئل أيضًا أنَّ رجلًا لاعب امرأته في نهار رمضان فخرج منه المذي هل عليه قضاء ذلك اليوم أم لا؟

ج٤٧٤- فأفتى لا قضاء عليه، وإن كانت المالكية يقولون عليه القضاء .

س٤٧٥- وسُئل أيضًا عن رجلٍ جامع امرأته بعد أذان الفجر وصلاته.

ج٤٧٥- فأفتى بأن عليه الكفارة وهي إطعام ستين مسكينًا خمسة دراهم لكل مسكين، المجموع ثلاثمائةدرهم، ولا شيء على زوجته لا قضاء ولا كفَّارة.

س٤٧٦- وسُئل أيضًا عن امرأة هبطت منها صفرة في نهار رمضان مثل

«اشلال»[١].

ج٤٧٦- فقال: إن اتصلت بدم الحيض تقضي ذلك اليوم، وإن لم تتصل بها دم الحيض وبقيت تلك الصفرة فقط فلا قضاء عليها، وإن أتاها الحيض بعدها بيوم فلا تقضي ذلك اليوم الذي خرج منها ذلك النوع؟

س٤٧٧- وسُئل عن رجلٍ عنده علَّةٌ في أنفه ينقطع فيه النفس حتى يعمل قطرة أعطاها له الطبيب ويستعملها في رمضان.

ج٤٧٧- فأفتاه الشيخ باستعمالها ولكن عند الضرورة، فلا قضاء فيها ولا يستعملها في غير الضرورة، وإن استعملها لزمه القضاء .

س٤٧٨- وسُئل عن امرأةٍ حصلت لها ضيقة فشربت بعد أذان الفجر بخمس دقائق.

ج٤٧٨- فأفتى بأنه لا قضاء عليها وصومها صحيحٌ.

س٤٧٩- وسُئل أيضًا أن رجلًا جاء من سفر نهارًا وهو مفطرٌ فوجد امرأته طهرت من دم الحيض نهارًا واغتسلت ولم تنو الصيام ليلًا؛ لأنها لازالت حائضًا، وبعدما اغتسلت جامعها هل يترتَّب عليه شيء أم لا؟

ج٤٧٩- فأجاب: لا شيء عليه .

س٤٨٠- وسُئل عن رجلٍ كان يعيش في الخارج وأكل شهر رمضان عمدًا والآن يريد التوبة ويجب أن يكفر عن ذلك الشهر.

ج٤٨٠- فأفتى أنه يُطعِم عن كلِّ يومٍ ستين مسكينًا، وإذا لم يستطع فباب

---

(١) كلمة بالدارجة، وتعني الماء الذي يصب من غسل الشاي، ويكون لونه أصفر.

التوبة مفتوحٌ، يتوب إلى الله واللهُ يتوب عليه.

س٤٨١- وسُئل أيضًا عن امرأةٍ وقع لها مشكل في رمضان أدَّى بها إلى الغيبوبة، فشربت ولمَّا فاقت فكَّرت مع نفسها أنها أفطرت فهيَّأت الأكل وأكلت، فتسأل هل عليها القضاء والكفارة أم القضاء فقط؟

ج٤٨١- فأفتى بأنها عليها القضاء فقط؛ لأنها متأوِّلةٌ وشربت بسبب العذر.

س٤٨٢- وسُئل عن رجلٍ له قرحة في المعدة ولا يستطيع الصيام ومنعه الطبيب.

ج٤٨٢- فأفتى له أن يُطعِم عن كلِّ يومٍ مسكينًا؛ لأنه يعتبر كالمرض المُزمِن.

س٤٨٣- وسُئل عن رجلٍ في العرائش تسحر في الساعة الخامسة والنصف بعد صلاة الفجر خطأً. وامرأة في المصلَّى شربت الماء في الساعة الخامسة بعد الفجر أيضًا خطأً.

ج٤٨٤- فأفتى: صومهما صحيحٌ، لا شيء عليهما لا قضاء ولا كفَّارة.

س٤٨٥- صيام الثلاثة أشهر «رجب، وشعبان، ورمضان» متواليًا كما يفعل كثير مِن الناس سُنَّةٌ أم بدعةٌ؟ فإن كانت الأولى فما هو التوفيق بين فعلها وبين ما ثبت عنه عليه الصلاة والسلام مِن أنَّ خير الصيام صيام داود عليه السلام إذ كان يصوم يومًا ويفطر يومًا؟ نرجوا من فضيلتكم التفضُّل بالإجابة على صفحات "مجلة الإسلام" الغرَّاء تعميما للفائدة.

ج٤٨٥- صوم رجب وشعبان ورمضان على التوالي بدعةٌ لم يرد عن أحدٍ

من السلف، والأحاديث الواردة في فضل صوم رجب وصوم أول يوم منه كلها واهيةٌ وفيها الموضوع، وكذلك ما شاع أنَّ المعراج كان في ليلة السابع والعشرين من رجب موضوعٌ أيضًا.

والصيام في حدِّ ذاته مندوبٌ مرغَّب فيه، ولكن أفضل الصيام صيام داود عليه السلام كما ورد في الصحيح.

والموضوع طويلٌ يحتاج إلى بسطٍ وإيضاحٍ غير أنَّ وقتي لم يتسع لأكثر من هذا وفيه الكفاية إذ هو خلاصة مراجعةٍ طويلةٍ واستقراءٍ شديدٍ.

فدية الصيام

س٤٨٦- وسئل عن فدية الصِّيام؟

ج٤٨٦- فدية الصِّيام هي: إطعام المسكين بما يُشْبِعُه، «عيش، وغموس» مِن وسط الطعام، كما في كفَّارة اليمين، والتشدُّد لا معنى له، والله تعالى يقول: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

س٤٨٧- هل المرأة إذا نذرت صوم الإثنين والخميس وحلَّ بها مانعٌ مِن حيضٍ أو مرضٍ يلزمها قضاء ما أفطرت فيه مِن أيام نذرها أم لا؟

ج٤٨٧- المرأة التي نذرت كل يوم إثنين وخميس أن تصوم عليها الوفاء بالنَّذر كلَّما قدرت عليه، فإذا منعها مانعٌ مِن مرضٍ أو عملٍ فلا تصوم، ولا يلزمها قضاءٌ، ولا يُكلِّف الله نفسًا إلَّا وسعها.

س٤٨٨- هل إدخال الإصبع في الدُّبر أو الفرج يفطر الصائم؟

ج٤٨٨- إدخال الأصبع في الدُّبر أو الفرج لا يُفطر، وقول ابن عبَّاسٍ:

«الفِطْر ممَّا دَخَلَ وليس ممَّا خرج». رأي له خاصٌّ به لا يجب اتباعه فيه.

س٤٨٩- ما معنى حديث: «**مَن ذَرَعَهُ القيء فلا قضاء عليه**»؟

ج٤٨٩- حديث: «**مَن ذَرَعَهُ القيءُ فلا قضاءَ عليه**» يعني إذا لم يرجع إلى جوفه شيءٌ ومَن استقاء فعليه القضاء.

والخلاصة: أنَّ الفِطر لا يكون إلَّا بما وَصَلَ مِن منفذٍ كالفم والأنف.

س٤٩٠- هل مَن أكل أو شرب ناسيًا صحَّ صيامه في الفرض والنفل؟

ج٤٩٠- «**مَن أَكَلَ وشَرِبَ ناسيًا فإنما أَطْعَمَهُ اللهُ وسَقاهُ**». عامٌّ في الفرض والنفل، وتخصيص بعض الفقهاء له بالفرض لا دليل عليه، إلَّا أنهم رأوا أنَّ النفل لا يجب فيه القضاء إذا أكل الصائم عمدًا، وهذا فيه خلافٌ، فعند المالكية: «إذا أفطر صائم النفل عمدًا وجب عليه القضاء وإذا أفطر ناسيًا لم يجب عليه».

س٤٩١- أفتى الشيخ نجيب بفِطر الحقن فهل هذه الفتوى صحيحةٌ؟

ج٤٩١- فتوى الشيخ نجيب بفطر الحقن تجري على قواعد الشافعية، والشافعية تشدَّدوا في الصوم كثيرًا، والصحيح أنَّ الحقن لا تفطر ولو كانت حقنة شرجيَّة، وكذلك الكحل والتقطير في الأذن وإدخال الإصبع، كل ذلك لا يفطر.

حكمة تقبيل الحجر الأسود

س٤٩٢- لماذا يُقبِّل الناسُ الحَجَرَ الأسود مع أنه حَجَرٌ؟!

ج٤٩٢- تقبيل الحجر الأسود لأن النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان يُقبِّله، ولأنه نزل من الجنَّة، ولأن في الحديث: «**الحَجَرُ الأَسْوَدُ يمينُ الله**»، ولأنه يشهد لمن قبَّله يوم القيامة كما قال عليُّ بن أبي طالبٍ.

حكم الإحرام من مدينة جدة للمسافر

س٤٩٣- وسألته هل يجوز الإحرام بالحجِّ أو العمرة من مدينة جدة للمسافر بالطائرة إذا تعذَّر عليه الإحرام قبل ركوب الطائرة؟

ج٤٩٣- فأجاب سيادته بما نصُّه: والإحرام بالحَجِّ أو العمرة مِن جدَّة جائزٌ لا شيء فيه، روى ابن عديٍّ والبيهقيُّ في "السنن" عن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في قول الله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦] قال: «إنَّ مَن تمامِ الحَجِّ أن تُحْرِمَ مِن دُوَيْرَةِ أَهْلِكَ». إسناده ضعيفٌ.

لكن يؤيِّده ما رواه الحاكم بإسنادٍ صحيحٍ عن عليٍّ عليه السلام في الآية قال: «إتْمامُ الحَجِّ والعُمْرَةِ أن تُحْرِمَ لهما مِن دُوَيْرَةِ أَهْلِكَ». وروى الشافعيُّ في "الأم" عن عمر رضي الله عنه مثله.

ونحن حين حَجَجْنا أحرمنا بالعمرة في بيتنا -أي بمدينة طنجة بالمغرب- وركبنا الطائرة مُحرِمين.

استدراك: السؤال عن الإحرام بالحجِّ أو العمرة من مدينة جدَّة معناه: أنَّ ذلك في حالة عدم إحرامه مِن دُويرة أهله، بل يركب الطائرة غير ناوٍ للحجِّ أو العمرة، وإن كان يريدها فالنية شيءٌ والرغبة شيءٌ آخر، ثُمَّ عند وصوله جدة ينوي ويقول مع النية: «لبَّيك اللهمَّ بعمرةٍ أو حجٍّ». وحينئذٍ يجب عليه الإحرام.

حول أحكام الحج

س٤٩٤- وسُئل أيضًا: الإحرام قبل الميقات هل هو جائزٌ أم لا؟ وماالأفضل الإحرام قبل الميقات لأجل الضرورة الموجودة الآن في السفر على متن الطائرة، أو المرور عليه بلا إحرام حتى ينزل في جدَّة؟

ج٤٩٤- أجاب الشيخ بالجواز أي يجوز المرور بلا إحرام لأجل الضرورة أما اختيارًا فإنه مكروهٌ.

س٤٩٥- وسُئل أيضًا عن رجلٍ حجَّ عن أبيه أو أخيه أو أي مسلمٍ إمَّا مات أو له عذرٌ مانعٌ، فالنائب عن هؤلاء قام بهذه الفريضة على نفقتهم هل له أجرٌ أم لا؟

ج٤٩٥- أفتى بأن له أجرًا وثوابًا .

س٤٩٦- وسُئل الشيخ أيضًا عن امرأةٍ تسافر في السيارة إلى مدينةٍ بعيدةٍ في مهمَّةٍ وحدها بدون محرم أو في الطائرة أو القطار.

ج٤٩٦- فأفتى تسافر لا شيء عليها. وأفتى بالجواز وكذلك إلى الحج مع رفقة بدون مَحْرَم .

س٤٩٧: ما مكان الإحرام لمن يقدم الزيارة على الحجِّ؟

ج٤٩٧- الحُجَّاج الذين يقدمون الزيارة يحرمون مِن ميقات المدينة عند ذهابهم إلى مكة؛ لأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال لما بين المواقيت: «هنَّ لهنَّ ولمَن أتى عليهنَّ مِن غير أهلهنَّ». والإحرام إنما يجب مِن الميقات لمن قصد مكة، أمَّا لو مرَّ بالميقات وهو لا يريد مكة فلا إحرام عليه

س٤٩٨- هل يصح الحج لمن فاته طواف الوداع؟

ج٤٩٨- ذكر شيخنا المرحوم الشيخ محمد بخيت أنَّ الشخص إذا وقعت عبادته موافقة لمذهبٍ من المذاهب المُعتمَدة فهي صحيحةٌ، ولو لم يقصد تقليد ذلك المذهب، بل ولو لم يعلم به. وعليه فالذين فاتهم طواف الوداع حَجُّهم تامٌّ ولا شيء عليهم؛ لأن طواف الوداع عند المالكيَّة مِن الفضائل، لا إثم في تركه.

س٤٩٩- هل يجوز الحج عمن يكون صحيح البنية كامل العقل؟

ج٤٩٩- مَن لا يجب عليه الحجُّ إذا كان طفلًا أو معتوها جاز الحجُّ عنه، وإن كان صحيح البنية تام العقل فلا يحج عنه.

س٥٠٠- هل يجوز للمتمتع إذا فرغ من أعمال العمرة أن يذبح الهدي قبل أن يحرم بالحج؟

ج٥٠٠- إذا فرغَ المتمتِّع من أعمال العُمْرة جاز أن يذبحَ الهدْيَ قبل أن يُحرِم بالحجِّ، لأنَّ المحرِمَ بالعُمْرة صار متمتِّعًا، وبانتهاء العُمْرة يجوز له ذبحُ الهدْيِ، هذا ما تفيده الآية الكريمة، وهو مذهب الشافعية.

وقال المالكية: «لا يجوز ذبحُ الهدي قبل يومِ النَّحر» ودليلُهم القياس على الأُضحية، وهذا خطأ؛ لأن الأضحية عيَّن الشارع لها يوم النَّحر بعد صلاة العيد، والهدي جعله الشارعُ بالتمتُّع ولم يعيِّن له يوم النَّحر مثل الأضحية.

كيفية إحرام المرأة بالحجِّ والعُمْرة

س٥٠١- ما كيفية إحرام المرأة بالحجِّ والعُمْرة؟

ج٥٠١- الفقهاء صرَّحوا بأنَّ إحرام المرأة مثل الرجل في الحجِّ إلَّا في التجرُّد مِن الثياب، فإنَّ المرأة تبقى في ثيابها، ويجب عليها كشف وجهها، ولو غطَّته وجبت عليها الفِدية، وإحرامها مثل إحرام الرجل، تُحرم بالحجِّ أو العمرة أو بهما، والأفضل لها التمتع أي تحرم بالعمرة وكشف وجهها، فإذا طافت وسعت، قصَّت بعض شعرها وتحلَّلت وجاز لها تغطية وجهها والاستحمام وتنظيف شعرها، فإذا كان يوم التروية تحرم بالحجِّ وتهدي، فإن لم يكن عندها هديٌ تصوم ثلاثة أيام في الحجِّ وهي ثاني أيام العيد وما بعده، وسبعة أيام في بلدها، وفي هذا تيسيرٌ بلا شك، لكن لا بد مِن بعض التعب.

والنبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لما بعث عائشة مع أخيها إلىٰ التنعيم لتعتمر منه، قال لها: «أَجْرُكِ على قَدْرِ نَصَبِكِ».

والنبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان عنده شعرٌ كثيرٌ، فلمَّا حجَّ لبَّده، والتلبيد وضع شيءٍ لزجٍ علىٰ الشعر كالعسل أو الصمغ فيتلبَّد بعضه علىٰ بعضٍ ولا يتخلَّله غبارٌ ولا هوامٌ، فيجوز للمرأة أن تلبَّد شعرها لتحفظه مِن الهوام.

س٥٠٢- وسئل أيضًاكيف يكون علىٰ المرأة إحرام؟

ج٥٠٢- الإحرام: الإهلال بالحجِّ أو العمرة مع التجرُّد مِن المَخِيط والمُحيط واجتناب الممنوعات، والمرأة عليها إحرامٌ؛ لأنه يجب عليها كشف وجهها والامتناع عن التطيُّب وعن الزينة طول مدة الحجِّ، وعليها الفِدْية إن غَطَّت وجهها أو فعلت شيئًا مِن الممنوعات.

وقال الشافعي في "الأم": «أحب للمرأة عند الإحرام أن تمسح وجهها أيضًا بالحناء». فهذه العبارات تصرِّح بأنَّ المرأة عليها إحرامٌ، وليس معنىٰ الإحرام أن تقول: «أحرمت». بل معناه أن تقول هي أو الرجل: «لبَّيك بحَجٍّ أو عمرة أو هما». وليس لفظ الإحرام شرطًا في ذلك.

مسائل في المعاملات

س٥٠٣- وسُئل أيضًا عن رجل أراد أن يشتري سلعةً وصاحبها لا يعرفه، فجاء شخصٌ آخر وضَمِنه وقال له خذ ما شئت فإني أضمنك عنده، وقبل صاحب السلعة ولكن شريطة أن تعطيني «قهوة»[1] أي شيئًا من

(١) كلمة عامية، وتعني عمولة.

الدراهم، هل هذا جائزٌ أم لا؟ وهل هو من باب الرِّبا أم لا؟

ج٥٠٣- فأجاب: إنه ليس من باب الرِّبا، ولكن من باب أخذ الأجرة على الضمانة، وهي غير ممنوعةٍ شرعًا، والسلام .

س٥٠٤- سُئل رضى الله عنه عن امرأةٍ أرادت أن تبيع ميراثها في ابنها لولد ابنها وقدَّمته على سائر أولادها وأولاد أولادها هل هو جائزٌ أم لا؟

ج٥٠٤- فأفتى بالجواز؛ لأن هذا بيعٌ وليس هبةً فهي حُرَّةٌ فيه تبيعه لمن شاءت.

س٥٠٥- وسُئل أيضًا عن رجلٍ عمل عقد مع صاحب معملٍ أن يبيع له السلعة خاصَّةً ولا يبيعها لأحدٍ إن وجد الدراهيم، وفي وقتٍ ما فقد الدراهيم واضطر صاحب المعمل أن يبيعها للغير، فاضطر المشتري أن يأخذ الدراهيم من بعض عائلته واشترى تلك السلعة فأعطاها لأصحاب الدراهيم، بعضهم باعها بنفسه وبعضهم أعطاها للمشتري أن يبيعها على أنَّ الرِّبح أنصافًا بينهما.

ج٥٠٥- فأفتى بالجواز ولا شيء فيه.

س٥٠٦- سؤال: بنت معذورة في الركن عند رجل وله أولاد آخرون وأراد أن يعطيها شيئًا دون إخوتها، هل يجوز أم لا؟

ج٥٠٦- فأفتى الشيخ عبدالله بن الصديق بالجواز لأجل عذرها، ولكن إذا كان لتمييز فقط بين الإخوة لا يجوز .

س٥٠٧- وسُئل أيضًا عن رجلٍ اكتراه شخص سواء كان مسلمًا أو كافرًا أن يحمل له خنزيرًا مقتولًا إمَّا ليأكله أو يبيعه.

ج٥٠٧- فقال: إنَّ حمله بأجرةٍ أو بغير أجرةٍ حرامٌ لا يجوز.

س٥٠٨- وكذلك سُئل عمن يفتح مقهىٰ أو مطعم في رمضان ليأكل فيه مسلمٌ أو كافرٌ.

ج٥٠٨- فقال: هذا حرامٌ أيضًا لأن الجميع يُعين علىٰ معصية الله.

س٥٠٩- وسُئل أيضًا عن أشياء من العقار وغيره تغصبها الدولة أو يصول عليها شخصٌ ويبيعونها بالمزايدة.

ج٥٠٩- فقال: إنَّ شراءها حرامٌ، ومن يشتريها يكون مشاركًا في الإثم، وكذلك المكلَّفون بالمياه والغابات يأخذون من بعض الأفراد فحمًا ويجمعونه ثُمَّ يبيعونه بالمزايدة فقال حرامٌ علىٰ المسلم أن يشتريه.

س٥١٠- وسُئل أيضًا عن أخوين لهما شركةٌ في التجارة، وأحدهما هو المتصرِّف ويشتري سلعة إنَّ أدىٰ ثمنها في الحين تكون بثمن، وإذا تأخَّر في أداء الثمن إلىٰ أجلٍ تكون بثمنٍ زائدٍ، فأخوه ينتقد عليه ويقول إنَّ هذا ربا.

ج٥١٠- فأجاب الشيخ بالجواز وقال: هذا من باب البيعان في بيعةٍ في فقه بعض المذاهب، وأجازه البعض الآخر منهم الشافعية والشوكاني، وليس من نوع الرِّبا في شيءٍ.

س٥١١- وسُئل أيضًا عن عمل يقع في بعض القبائل وهو أنَّ شخصًا يعمد إلىٰ أرضٍ بدون إذن مالكها ويصير يلقم فيها الزيتون ويحرص عليها حتىٰ تطعم ثُمَّ بعد ذلك يأتىٰ ربَّ الملك ويريد أن يخرج منها فيطلب منه أن له ثلثا في الزيتون ورب الملك يطلب منه أن يعطيه أجر عمله.

ج٥١١- فأجاب: يعطيه أجر عمله فلا حق له في الثلث لأنه نزل فيها بغير إذن مالكها.

س٥١٢- وسُئل أيضًا عن رجلٍ يملك أرضًا وفيها «قعدة»[١] من شجرة الزيتون محبسة على المسجد وطال الزمن ثُمَّ اندثرت الزيتونة ويبست، وبعد مدة خرج منها عرق بري فلقمه صاحب الأرض هل تبقى الشجرة له أو لا زالت حبسًا؟

ج٥١٢- فأفتى: لا تزال حبسًا .

س٥١٣- وسُئل أيضًا عن رجلٍ يبيع ويشتري الأشرطة للغناء وفيها صور هل يجوز البيع والشراء فيها أم لا؟

ج٥١٣- فأفتى بالكراهة؛ لأنها تابعةٌ للغناء، والغناء فيه ما هو قبيحٌ وما هو حسنٌ؛ لأنه شعر .

س٥١٤- وسُئل أيضًا عن رجلٍ يشتغل هنا في المغرب بما قدره ٥٥٠ درهم ولكن يريد أن يذهب إلى العراق لأجل العمل هناك، ولكن لا بد أن يدفع دراهم من أجل الوساطة.

ج٥١٤- فأفتى بأنه يقنع بعمل في بلده خاليًا من دفع أي ثمنٍ حتى يغنيه الله من فضله. وقال في هذا الموضوع: الرشوة حقيقتها إعطاء مال لإحقاق باطل أو إبطال حقٍّ، أو لتولِّي عملٍ ليس هو أهلًا له.

س٥١٥- وسُئل أيضًا عن امرأةٍ كانت اكترت من امرأةٍ أخرى محلًّا بالقزدير وهذه المرأة الأخرى كانت اكترت هذا المحل من الأحباس بـ ١٥٠٠ فرانك وهي تأخذ من هذه المرأة ٥٠ درهم ولكن تؤدي ٥٠ درهمًا أدت بعض الشهور وامتنعت فدفعتها إلى المحكمة والمحكمة أبطلت هذه الدعوى

---

(١) كلمة دارجة تعني: قطعة صغيرة من الأرض.

وخرجت من عندها وبقيت في ذمتها من قبل هذا الكراء قيمة ٥٠٠ درهم وماتت المرأة المكرية وبقي لها الورثة هل تؤدِّي هذا الحقَّ للورثة أم لا؟

ج٥١٥- فأفتى لا شيء عليها لأن الأولى لا حق لها لأنه ليس ملكًا لها.

س٥١٦- وسُئل أيضًا عن رجلٍ يشتري نخالة من محلِّ عصير الخمر لعَلَفِ الدوابِّ.

ج٥١٦- فقال: جائزٌ لا شيء فيه .

س٥١٧- وسُئل أيضًا عن رجلٍ أعطاه شخصٌ دكَّانًا فيه سلعة، وتفاهم أن يستخدمه ولكن سنة كاملةً لم يُعطِه أجرةً، فكان ذلك العامل يأخذ في كلِّ شهرٍ ٢٥٠ درهم خفية مقابل أجرته، وعندما انتهت السنة تفاهم معه مفاهمة جديدة بعدما انتهت سنتان افترقا.

ج٥١٧- أفتى بجواز أخذه تلك القيمة مقابل أجرته، ويعرض القضية على أرباب المعرفة وأصحاب المهنة، ولا يمكن أن يضيع هذا العامل.

حكم البيع بضعف ثمن الشراء

س٥١٨- وسألته عن حكم الدين في بيع الأشياء بضعف ثمن شرائها، هل في ذلك حرمة؟

ج٥١٨- فأجاب سيادته بما نصُّه: أمَّا بيع التاجر الشيء بأربعة أمثاله أو أكثر أو أقل فلم يرد في تحريمه آيةٌ ولا حديثٌ، والشارع لم يُحدِّد في الربح قَدْرًا مُعيَّنًا، وقولهم: «مَن رَبِحَ أكثر مِن النصف فهو مُحَرَّمٌ» ليس بحديثٍ، بل ورد أنه حصل غَلاءٌ في المدينة فجاء الصحابة إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقالوا: سعِّر لنا يا رسول الله، فقال: «**إنَّ اللهَ هو المُسَعِّر**». ولم يرضَ أن يُسَعِّر

لهم بل ترك السوق حُرًّا يبيع كلُّ واحدٍ كيف شاء.

ومع ذلك، فقد حَضَّ الشارع على القناعة ونهى عن الحرص والطمع، ورغَّب في الاكتفاء بالرِّبح القليل من غير أن يُحرَم الرِّبح الكثير.

حكم بيع الزرع قبل حصاده

س٥١٩- ما حكم بيع المحصول مِن الزرع قبل حصاده؟

ج٥١٩- وأمَّا بيع المحصول قبل حصاده بمدَّةٍ فإنه يجوز بيع الثمر والزرع بعد بدوِّ صلاحه، وظهور صلاح الثمر: ظهور مبادئ النضج والحلاوة في الثمر الذي لا يتلوَّن، وفي الثمر الذي يتلوَّن أن يأخذ في الحمرة أو السواد، وظهور صلاح الزرع اشتداد الحب، ويكفي بدو بعضه ولا يشترط بدو كلِّه.

أمَّا قبل أن يظهر صلاح الثمر أو الزرع فلا يجوز البيع إلَّا إذا كان الثمر مقصودًا، وينتفع به قبل بدوِّ صلاحه فحينئذٍ يجوز بيعه مع شرط قطعه فور البيع حتى يتمَّ تسليمه على ما هو عليه الآن، فلا يشتمل على الغرر وأصل ذلك كله خبر مسلمٍ: نهى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن بيع السنبل حتَّى يبيضَّ.

وحديث: نهى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن بيع الثمار حتى تزهو، قيل: وما زهوها؟ قال: تحمر وتصفر. رواه البخاريُّ ومسلمٌ، عن أنسٍ رضي الله عنه.

حكم المعايدة

س٥٢٠- وسألته عن حكم المال الذي يدفعه بعض الأغنياء في مناسبة الأعياد للذين يؤدُّون لهم بعض الخدمات.

ج٥٢٠- فأجاب سيادته بما نصُّه: ومسألة أخذ المعايدة لا شيء فيها

لجريان العادة بها، ومن القواعد الأصوليَّة عند العلماء أنَّ: «العادة مُحكَّمة» أي: يرجع إليها في أشياء ويقضىٰ بما جرت به، وأيضًا فقد صحَّ قوله عليه الصلاة والسلام: « **ليس لك مِن مالِ أخيك إلَّا ما طابَتْ بِهِ نَفْسُهُ**». وحيث أنَّ المُعطِي طابت نفسه بإعطاء المعايدة فهي جائزةٌ بنصِّ الحديث، ومِن هنا أجاز العلماء ما سمحت به نفس الشخص سواء كان في مقابل عملٍ أو لا، إلَّا أن يكون في مقابل عملٍ محرَّمٍ -كرشوة مثلًا- فلا يجوز، والمعايدة ليست من هذا القبيل فهي جائزةٌ علىٰ جميع الاعتبارات.

هل الوكالة تنتهي بوفاة الموكل؟

س٥٢١- ولَمَّا أرسلتُ إليه إجابة الشيخ أرسل إلي ثانيًا قائلًا: قد أجاز الشيخ للمسلم أن يوكِّل من يقوم بعد وفاته بصرف مبلغ في سبيل الله، وقال بعد حديث الشريد بن سويد: «الوكالة مثل الوصية فلا فرق». قالوا هنا: الوكالة تنتهي بوفاة الموكِّل وتكون وصية يسري عليها أحكامها من حيث الثلث...إلخ، فالوكالة ليس لها شروط ولا حدود كالوصية فما هو الصواب؟

ج٥٢١- فأجاب سيادته بما نصُّه: الوكالة عند الجمهور تنتهي بوفاة الموكِّل، وقال مطرف وابن الماجِشون من أصحاب مالكٍ: «لا تنتهي بوفاة الموكِّل». وهو الذي أفتيت به أولًا.

هل تجوز الوكالة بعد الوفاة؟

س٥٢٢- وأرسل إليَّ أحد الإخوان يطلب مني أن أسأل الشيخ: هل يجوز أن يوكِّل المسلم من يقوم بعد وفاته بصرف مبلغ في سبيل الله؟

ج٥٢٢- فأجاب سيادته بما نصه: توكيل شخص يقوم بصرف مبلغ في

سبيل الله أو عمل خير آخر جائز بإجماع العلماء، ويكون للموكل أجر ما عمل من الخير بعد وفاته بواسطة وكيله.

عن الشريد بن سويد: أن أمه أوصت أن يعتق عنها رقبة مؤمنة بعد موتها، فسأل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن ذلك فقال: عندي جارية سوداء فقال له النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ائت بها**» فدعا بها فجاءت، فقال لها: «**من ربك؟**» قالت: الله، قال: «**من أنا؟**» قالت: رسول الله، قال: «**اعتقها فإنها مؤمنة**».رواه أحمد والنَّسائيُّ. والوكالة مثل الوصية بلا فرق.

هل يجوز وقف مال مستثمَر؟

س٥٢٣- هل يجوز إيقاف مال مُسْتَثْمَر لما يريد الواقف وأن يكون ذلك بعد وفاته؟

ج٥٢٣- إيقاف مال مُسْتَثْمَرٍ لما يريد الواقف ويكون بعد وفاته جائزٌ بل مطلوبٌ.

في "الصحيحين" عن أنسٍ أنَّ أبا طلحة قال: يا رسول الله إنَّ الله يقول: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] وإنَّ أحبَّ أموالي بَيْرُحَاءُ وإنها صدقةٌ لله أرجو ثوابها وذخرها عند الله، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ذاك مالٌ رابحٌ اجعلها في قرابتك**». و بَيْرُحَاءُ أرضٌ كان يستثمرها أبو طلحة.

وفي "الصحيحين" أيضًا عن ابن عمر: أن عمر أصاب أرضًا بخيبر، فقال يا رسول الله: «أصبت أرضًا بخيبر لم أصب مالًا قط أنفس منها فما تأمرني؟

فقال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إن شئتَ حبستَ أصلها وتَصَدَّق بها**». فتصدَّق بها عمر علىٰ ألَّا تباع ولا توهب ولا تورث، في الفقراء وذوي القربىٰ، والرقاب، والضيف، وابن السبيل.

حكم مقدَّم الإيجار والخلو

س٥٢٤- وسألتُ سيادته عن مقدَّم الإيجار الذي يحصل عليه المالِك عند تأجير السكن للساكن علاوةً علىٰ قيمة الإيجار؟ وكذلك ما يأخذه المستأجر عند تركه للسكن من المستأجر الجديد مبلغًا مِن المال يقتسمه مع مالك السكن؟

ج٥٢٤- فأجاب سيادته بما نصُّه: والمبلغ الذي يأخذه صاحب الدار زيادةً علىٰ الكِرَاء لا يجوز، وكذلك لا يجوز أخذ المُكْتَري واقتسامه مع صاحب المِلْك.

العمل عند المسلم الفاسق

س٥٢٥: هل يجوز العمل عند المسلم الفاسق في الأعمال النافعة وهو يعلم بفِسْقِهِ، وما حكم المرتَّب الذي يتقاضاه منه؟

ج٥٢٥: يجوز التعامل مع الفاسق في سائر الأعمال كالتجارة والاستصناع وغير ذلك بشرط أن لا يكون في ذلك التعامل مساعدة له علىٰ الفسق، فعلىٰ هذا لا يجوز الاشتغال مع المرابي، ولا مع صاحب مطعمٍ يفتح مطعمه في نهار رمضان، ولا مع صاحب قهوةٍ يُلعَب فيها الميسر.

والحاصل: أنَّ القاعدة الشرعية هي أنَّ كلَّ تعاملٍ خلا مِن محرَّمٍ أو من أن يكون وسيلةً إلىٰ محرَّمٍ فهو جائزٌ والله أعلم.

من أحكام الهبة

س٥٢٦: مسلم يملك أموالًا يستثمرها والعائد منها ينفقه جميعه في سبيل الله وهو يريد أن يهبه لجمعية خيريَّة دينيَّة على أن يأخذ جزءًا من العائد لإنفاقه بمعرفته والباقي للجمعيَّة وبعد وفاته يكون كله للجمعية فهل هذا جائزٌ؟ وإذا وهب الزوج مالًا أو عقارًا حال حياته لزوجته واشترط عليها برضاها إن هي توفيت قبله بعودة المال إلى الواهب فهل هذا يجوز؟

ج٥٢٦- هبة المال المُستثمَر لجمعية دينية مع استثناء جزء منه بنفقة الواهب بمعرفته جائزٌ لا شيء فيه، أمَّا هبة الرجل لزوجته هبة على أن تعود إليه بعد موتها فلا يجوز؛ لأن النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَثَلُ العَائِدِ فِي هِبَتِهِ كالكَلْبِ يَعُودُ فِي قَيْئِهِ**».

حكم استرجاع الهبة

س٥٢٧- وكتب فضيلته يسأل عن استرجاع سيِّدنا أبي بكرٍ لما وَهَبَهُ للسيِّدة عائشة عند موته؟

ج٥٢٧- فأجاب سيادته بما نصُّه: ومسألة استرجاع أبي بكرٍ ما أعطاه لابنته عائشة رضي الله عنهما رواها مالكٌ في "الموطأ" بإسنادٍ صحيحٍ، وفيها كرامةٌ لأبي بكرٍ، حيث أخبر بالبنت قبل ولادتها وهي أمُّ كلثوم.

وتتعلَّق بها مسألة فقهيَّةٌ وهي جواز استرجاع الرجل هبته لابنه أو بنته بشرط ألَّا يتمَّ الحوز، وعائشة لم تحز التمر الذي وهبه لها أبوها فلذلك استرجعه عند الوفاء؛ لأنه صار مِن حقِّ الورثة. والنهي عن رجوع الرجل في هبته خاصٌّ عند الفقهاء بغير هبة الرجل لأحد أولاده.

اللقطة

س٥٢٨- وسُئل أيضًا عن رجلٍ وجد أمانة من الدراهم وعرَّف بها سنة، ثُمَّ صار ليستغلها، وبعد مدَّةٍ ظهر صاحبها هل يدفع له المال كله حتىٰ الربح أم يعطيه رأس المال والربح يحتفظ به؟

ج٥٢٨- فأجاب: يعطيه المال والربح لأنها كانت عنده أمانة.

س٥٢٩- وسُئل أيضًا عن رجلٍ أراد أن يعمل التلفون في الشارع فوجد داخل التلفون نقودًا مجموعة تركوها هناك؛ لأنهم لا يعرفون كيفية التلفون وأَخَذَ نقودهم، وهو يعرف كيفية الآلة الوقتية فوجد هناك سبعة عشر درهمًا عندما وضع يده علىٰ الآلة أخرجت له هذه النقود. فتحيَّر، ماذا يعمل بهذه النقود؟.

ج٥٢٩- فأفتىٰ الشيخ بأنها لا تحل له، فيتصدَّق بها علىٰ الفقراء والمساكين، وتكون في صحيفة الأخوة الذين تركوها هناك.

فتوى في الإشهاد بالوصية

٥٣٠- (فتوىٰ): الحمد لله وحده، والصلاة والسلام علىٰ من لا نبيَّ بعده.

وبعد: فإنَّ الفصل من "المدوَّنة" (رقم ١٩٤) جاء فيه: «فصلٌ: إشهادٌ بوصية أو رجوعٌ عنها، تمَّ بعَدْلَين يجبُ أن يحرَّر ويسجَّل بكناش المحكمة المختصَّة داخلَ ثلاثةِ أيامٍ تبتدِئُ من وقتِ الإشهاد».

وقد قرَّر الفقهاء أن ما يذكر في المسألة من ألفاظ تفيد تقييدها بصفة معيَّنة يتعين العمل عليها، ولا تصحُّ المسألة إلا بتلك القيود، واعتمد الفقهاء في هذا

علىٰ ما تقرر في علم الأصول من حجِّية مفهوم المخالفة.

وهنا في هذا الفصل لفظان مقيدان: «يجب» ومعناه: «يتحتَّم»، و«داخل» وهو ظرف. ومن أخلَّ بما يتحتَّم عليه في أيِّ عمل بطل ذلك العمل ولم يُعتَدَّ به، والتقييد بكون التَّسجيل بكناش المحكمة داخل ثلاثة أيام يفيدُ بطلانَ الزيادة عليها، كما يفيدُ بطلانَ التقييد بغير كناش المحكمة.

وعلىٰ هذا فالذي يفيده (الفصل ١٩٤) في ضوء قواعد الفقه والأصول أنَّ تسجيل الإشهاد بكناش المحكمة بعد ثلاثة أيام يكون لاغيًا عديمَ التأثير، وكذلك التَّسجيل بغير كناش المحكمة.

ودعوىٰ عدم بطلان مخالفة الفصل المذكور بحجَّة أنه جاء علىٰ غير منوال الفصلين (١٩٢- ١٩٤) غير صحيحة؛ لأنَّ الفصلين المذكورين جاءت الصيغة فيهما: «يشترط في صحَّة كذا».

وصيغة (الفصل ١٩٤): «يجب» ومعناها في اللّغة والشَّرع: «يتحتَّم»، أي: لا تجوز مخالفةُ الفصل، ومخالفةُ ما يجب تُساوي في البطلان مخالفةَ ما يشترط، فتساوت الصيغتان «يجب» و«يشترط»، ولا فرق بينهما شرعًا ولغة.

والتعلّل بأنَّ مخالفةَ (الفصل ١٩٤) تشكِّل مخالفةً إداريةً لا تأثير لها علىٰ صحَّة العقد، تعلُّلٌ باطلٌ؛ لأنَّ ألفاظ العقود في الوصية وغيرها يرجع فيها إلىٰ الشريعة، والمخالفة الإدارية لا دخل لها هنا ولا تعتَبرها الشَّريعةُ، وإنما تعتبر ما تدلّ عليه الألفاظ بحسب مدلولاتها اللغوية والشَّرعية، فإدخالُ المخالفةِ الإدارية هنا خطأٌ لا معنىٰ ولا مسوَّغ له.

وفي "جمع الجوامع": «يحمَل الكلامُ علىٰ عُرف المخاطَب» ففي الشرع

يحمَل على المعنى الشرعيِّ لأنَّه عُرْفُه، وحديثُ الصَّحيحين عن ابن عمر: «**ما من امرئٍ مسلمٍ له شيءٌ يوصِي فيه يَبيت ليلتَين إلا ووصيَّتُه مكتوبةٌ عندَه**». لا علاقةَ له بالناحية الإدارية من جِهة المنطوقِ ولا المفهومِ، والتَّحديدُ فيه بليلتَين أمرٌ مندوبٌ، وما علاقة النَّدب بالإدارة؟!

ودعوى أنَّ (الفصل ٢١١) تناول بصريحِ اللفظ مُبطلاتٌ الوصية على سبيل الحصر ولم يذكر من بينها مقتضيات (الفصل ١٩٤) ولا أحال عليه، غفلة كبيرة عن مدلولات الألفاظ ومقتضياتها، فإنَّ (الفصل ٢١١) بيَّن ما يعرِض للوصية الصَّحيحة فيبطلها، ومخالفة (الفصل ١٩٤) تجعل الوصيةَ لاغيةً عديمةَ التَّأثير.

والمقرر فقهًا وأصولًا أنَّ المعدومَ شرعًا كالمعدوم حسًّا، فلهذا لم يذكرْها (الفصل ٢١١) لأنَّها ليست من شمُولاته، لبطلانها.

هذا مما يؤيد ما أفتينا به، وبالله التوفيق.

مسائل في الميراث

س٥٣١- وسُئل أيضًا عن رجلٍ مات وترك زوجًا حاملًا وبنتًا وأخًا شقيقًا وأخًا للأب ثُمَّ توفي الشقيق وترك ابنًا له ثُمَّ ولدت المرأة أنثى.

ج٥٣١- فأجاب: لا شيء للأخ الشقيق، والإرث الذي فضل عن أصحاب الفروض وهما الزوجة والبنتان يأخذه الأخ للأب؛ لأن الأخ الشقيق كان مشكوكًا في إرثه إن ولدت ذكرًا فلا شيء له، وإن ولدت أنثى فله الإرث.

س٥٣٢- وسُئل أيضًا عن امرأةٍ باعت لابنة أخيها محلًا ولكن صورة بيع

فقط، وعندها رفد[١] لهذا تسأل لأن الورثة طلبوا ميراث عمَّتهم وهي كانت تقوم بشؤونها منذ زمنٍ طويلٍ وصرفت عليها مالًا كثيرًا.

ج٥٣٢- فأفتى الشيخ بالجواز ولا حق للورثة، وهي غير مسؤولة ولا إثم عليها في ذلك المحل.

س٥٣٣- وسُئل أيضًا عن ولدٍ توفي وترك والدين فقيرين، وكانت مهنته إصلاح الماء[٢]، وترك بعض الوثائق أنه يتبع كثيرًا من الناس في دينٍ عليهم. ولما طلب الوالدان منهم أداء ذلك الدَّين أنكروا وأتى بعض الناس يطلبون حقَّهم من المال يتبعونه فيه، والوالدة سألت ما حل المشكل؟

ج٥٣٣- فأفتى بأن الوالدين لا شيء عليهما ولا يؤدوا عنه شيئًا؛ لأن المال الذي يتبع فيه الناس يكون مقابل المال الذي يتبعه الناس هذا بذاك.

س٥٣٤- وسُئل أيضًا عن امرأةٍ أوصت بمالها لولد أخيها فماتت هل تنفَّذ الوصية؟

ج٥٣٤- فأجاب: يعطى الثلث فقط، ولا يجوز أن يأخذ الزائد على الثلث إلا إذا رضي الورثة، والتصرف في هذه الوصية من المال كله إلى الثلث جائز؟

س٥٣٥- سؤال آخر: رجلٌ مات وترك زوجة وأولادًا ولهم مال، والأُمُّ تنوب عنهم وتتصرَّف تصرُّفًا مخطئًا، تعطي للبعض دون البعض، هل البعض المحروم له الحقُّ في المطالبة أم لا؟

---

(١) وثيقة تثبت قيام هذه المرأة بخدمة عمتها في حياتها بدون مقابل.

(٢) يعني: رصاص.

ج٥٣٥- أجاب: له الحقُّ في طلب حَقِّه ولا يكون هذا من باب العقوق في شيءٍ.

حرمانُ البنات من الوصية من بقايا أعمال الجاهليَّة

س٥٣٦- الحمدُ لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على سيِّدنا محمد وآله الأكرمين، وبعد: فقد سُئِلت عن شخصٍ أوصى بثُلثِ ماله لأحفاده الذّكور فقط من أولاده الذكور أيضًا، هل يوجد في السُّنة النبويَّة ما يفيد جوازَ هذه الوصيَّة؟

ج٥٣٦- والجواب: حرمانُ البنات من الوصية من بقايا أعمال الجاهليَّة التي أبطلها دينُ الإسلام وأوجب البرَّ بالبنات وإكرامَهنَّ والأحاديث الواردة في ذلك كثيرةٌ نذكر منها ما تيسَّر الآن:

روى ابن مردويه عن ابن عمر أنَّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «مِنْ بركةِ المرأةِ ابتِكارُها بالأُنثى لأنَّ الله قال: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ [الشورى: ٤٩].

وروى الطبرانيُّ في "الصغير" عن نُبَيطِ بن شَرِيط قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «إذا وُلِدَ لرجُلٍ ابنةٌ بَعثَ الله عزَّ وجلَّ ملائكةً يقُولون السَّلام عَليْكُم أهلَ البيتِ يكسُونَها بأجنِحَتِهم ويمسُحُون بأيدِيهم على رأسِهَا ويقولُون ضَعِيفةٌ خرجتْ من ضَعِيفةٍ القيِّمُ عليها مُعانٌ إلى يومِ القيامَةِ».

وروى أحمد والطبرانيُّ عن عقبةَ بن عامر قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «لا تكْرَهُوا البناتِ فإنَّهنَّ المؤنِسَاتُ الغالياتُ».

وروى الطبرانيُّ عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**اليدُ العليا أفضلُ مِنَ اليدِ السُّفْلى وابدأْ بمَنْ تعُولُ أمَّك وأباك وأختَك وأخاكَ وأدناكَ فأدناكَ**». قدَّم الحديثُ الأختَ على الأخِ في النَّفقة لئلَّا تتركَ على عادةِ أهل الجاهلية في إهمال المرأة أختًا كانت أو بنتًا.

وروى البزَّار عن أنس أنَّ رجلًا كان عند النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فجاء ابنٌ له فقبَّله وأجلسه على فخذه، وجاءتْ بنتٌ له فأجلسها بين يديه، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ألا سَوَّيت بينَهما؟!**».

أنكر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على هذا الصَّحابيِّ التفريقَ بين ابنه وبنته حيث قبَّل ابنه وأجلسَه على فخِذِه ولم يقبِّل بنته ولم يجلسْها على فخِذِه، وهنا أمر قريب، فالذي يحرِم بناتِه وحفيداتِه من الوصية أشدُّ قُبحًا وأكثرُ بعدًا عن السُّنة.

وروى أبو داود والحاكم عن ابن عبَّاسٍ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**من كانتْ له أُنثى فلم يئِدْها ولم يُهِنْها ولم يُؤْثِر وُلْدَهُ** -يعني الذكور- **عليها أدخَله الله الجنَّة**».

فالذي حَرَم بناتِه وحفيداتِه من الوصيَّة لا يدخلُ الجنَّة لأنَّه آثر الذُّكور على الإناثِ. وعلى هذا فالوصية المسئولُ عنها مخالفةٌ للسُّنة ولتعاليم الدين.

والعجيب أنَّ صاحبَ الوصية قال أنَّه قصد بها وجهَ الله، وهذا عجيبٌ، فإنَّ الإنسان يقصد وجه الله بشيء موافقٍ للسُّنة وللدين، ووصيته تخالِفُها.

فيجبُ على الوَرَثة أن يعدلوا تلك الوصية ويجعلوها تشمل الإناث، وإذا فعلوا ذلك أصابوا السُّنة وأراحوا مورِّثَهم في قبره لأنَّه الآن يتألم ويتحسَّر

لمخالفتِه السُّنة، والله يوفِّقُ الجميعَ لما فيه الخير، والسَّلام.

منع الحمل بطريقة العزل

س٥٣٧- ساءت صحَّة زوجتي مِن كثرة الحَمْلِ والوَضْعِ والإرضاع، فهل إذا استعملت طريقة (العَزْل) رحمةً بصحَّتها، وتمكينًا لها من التفرُّغ لتربية ما حولنا مِن أطفال أكون آثمًا أم لا؟

ج٥٣٧- الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فإنَّ العَزْلَ هو وسيلةٌ مِن وسائل منع الحَمْلِ عن المرأة، وتفسيره: تحويل الماء عن الرَّحِمِ قبل أن يقع مخافة الولد في المحيط.

اختلف أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في العزل؛ فعليٌّ ﷺ كان يكره ذلك، وابن عبَّاسٍ وابن عمر وابن مسعودٍ رضوان الله عليهم أجمعين كانوا يكرهون ذلك.

إلَّا أنَّ علماءنا رحمهم الله قالوا في المرأة الحرَّة المنكوحة يشترط رضاها في العزل، وفي الأَمَةِ المنكوحة يشترط رضا المولى عند أبي حنيفة وعندهما يشترط رضا الأَمَة، وفي الأَمَة المملوكة لا يشترط رضاها بلا خوف، والمسألة على هذا الوجه مذكورةٌ في "الجامع الصغير"، وفي "فتاوى أهل سمرقند": أنه إذا عزل خوفًا من الولد لفساد الزمان فهو جائزٌ من غير رضا المرأة.

وجاء في "فتح القدير" ما نصُّه: «العَزْلُ جائزٌ عند عامَّة العلماء، وكرهه قومٌ من الصحابة وغيرهم، لما في "مسلمٍ" من حديث عائشة رضي الله عنها عن جُدَامَةُ بنت وَهْبٍ أخت عكاشة قالت: حضرت رسول الله صلَّى الله عليه

وآله وسلَّم في أناسٍ يسألوه عن العزل قال: «**ذاك الوَأْدُ الخَفِيُّ**».

وصحَّ عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه أنه قال: «هو المَوءودَةُ الصُغْرَىٰ».

وعن أبي أُمامة أنه سُئل عنه فقال: «ما كنت أرىٰ مُسلمًا يفعله».

وقال نافعٌ، عن ابن عمر: «ضَرَبَ عمرُ علىٰ العَزْلِ بعضَ بنيه».

وعن عمر وعثمان أنهما كانا ينهيان عن العزل.

والصحيح الجواز، ففي "الصحيحين" عن جابرٍ: «كنَّا نَعْزِلُ والقرآنُ يَنْزِلُ».

وفي "مسلم" عنه: «كنَّا نعزل علىٰ عهد رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فبلغ ذلك النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فلم ينهنا».

وفي "السنن" عن أبي سعيدٍ الخدريِّ: أنَّ رجلًا قال: يا رسول الله إنَّ لي جاريةً وأنا أعزل عنها، وأنا أكره أن تحمل وأنا أريد ما يريد الرجال، وإن اليهود تحدث أنَّ العزل هو الموءودة الصُغْرَىٰ؟ قال: « **كذَبَت يهود، لو أرادَ الله أن يَخْلُقَه ما استطعتَ أن تَصرِفَه** ».

وفي "صحيح مسلم" عن جابرٍ قال: سأل رجلٌ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: إنَّ عندي جاريةً وأنا أعزل عنها. فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ ذلك لا يَمْنَعُ شيئًا أراده الله تعالى**».

قال: يا رسول الله، إنَّ الجارية التي كنت قد ذكرتها لك قد حملت، فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أنا عبدالله ورسوله**».

فهذه أحاديث ظاهرةٌ في جواز العزل.

وقد روي عن عشرة من الصحابة: عليٍّ، وسعد بن أبي وقاصٍ، وزيد بن

ثابتٍ، وأبي أيوب، وجابرٍ، وابن عبَّاسٍ، والحسن بن عليٍّ، وخَبَّاب بن الأرَتِّ، وأبي سعيدٍ الخدريِّ، وعبدالله بن مسعودٍ.

وحديث السنن يدفع حديث جذامة، وهو وإن كان في السنن فهو حديثٌ صحيحٌ.

وإن وقع فيه اختلاف على يحيى بن أبي كثير فقيل فيه: عن محمد بن عبدالرحمن بن ثوبان، عن جابرٍ.

وقيل فيه: عن أبي مطيع بن رفاعة. وقيل: عن رفاعة. وقيل: عن أبي سلمة عن أبي هريرة. فإنَّ الطرق كلها صحيحةٌ، وجاز أن يكون الحديث عند يحيى من حديث الكل بهذه الطُّرُق.

لكن بقي أنهما إذا تعارضا يجب ترجيح حديث جذامة؛ لأنه مخرجٌ عن الأصل، أعني الإجابة الأصلية، إلَّا أنَّ كثرة الأحاديث تدل على استهتار خلافه.

وقد اتفق عمر وعليٌّ رضي الله عنهما أنها لا يكون لها ذلك[1]؛ لأن قبل مضي مدة ينفخ فيها الروح لا حكم لها، فهذا والعزل سواء وفي "فتاوى أهل سمرقند": «لا تكون موءودةً حتى تمر عليها التارات السبع».

أسند أبو يعلى قال: جلس عمر وعليٌّ والزبير وسعد في نفرٍ من أصحاب الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فتذاكروا العزل فقالوا: لا بأس به. فقال رجلٌ منهم: إنهم يزعمون أنها الموءودة الصُّغْرَى فقال عليٌّ: لا تكون موءودةً حتى تمر عليها التارات السبع: حتى تكون سلالةً من طينٍ، ثُمَّ تكون نطفةً، ثُمَّ

---

(١) أي لا يكون للنطفة حكم الوأد.

تكون عَلَقَةً، ثُمَّ تكون مُضْغَةً، ثُمَّ تكون عِظامًا، ثُمَّ تكون لحمًا، ثُمَّ تكون خَلْقًا آخر. فقال عمر: صدقت. انتهى، والله أعلم.

حكم رضاع الكبير

س٥٣٨- وهل يجوز إرضاع الكبير، وكيف ذلك؟

ج٥٣٨- وأمَّا إرضاع الكبير ففي "الصحيح": أنَّ سهلة زوجة أبي حذيفة قالت: يا رسول الله إني أرى في وجه أبي حذيفة من دخول سالمٍ. فقال لها صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «أَرْضِعِيهِ تَحْرُمي عليه».

فأرضعته بصبِّ اللَّبن في حلقه لا بمصِّ الثدي، زاد مالكٌ في روايته في "الموطأ" عن عروة بن الزبير قال: «فأخذت بذلك عائشة أمُّ المؤمنين فكانت تأمر أختها أمَّ كلثوم بنت أبي بكر الصِّدِّيق وبنات أخيها أن يرضعن مَن أحبَّت أن يدخل عليها مِن الرجال».

وتبيَّن بهذا أنَّ عائشة لم ترضع أحدًا، ورضاع الكبير على القول به لا يكون إلَّا بصبِّ اللبن في الحَلْق.

الإجهاض

س٥٣٩- وسُئل عن امرأةٍ عملت الإجهاض -أي: «الكورطاج»- بعد تسعة عشر يومًا أو عشرين يومًا على الوقت الذي يأتي فيه دم الحيض. فأفتى خطيب بأن عليها أن تصوم شهرين متتابعين.

ج٥٣٩- وردَّ عليه بأنه لا شيء عليها من الصيام وغيره وإنما هي معصية يجب منها التوبة فقط.

الزفاف يوم الجمعة

س٥٤٠- هل الزفاف يوم الجمعة حرام أم مكروه؟

ج٥٤٠- الزفاف يوم الجمعة جائزٌ لا حرمة فيه، ويوم الجمعة من أبرك الأيام وأسعدها وهو أفضل أيام الأسبوع، فقد ورد في الحديث الصحيح: «**ما طَلَعَتِ الشمسُ ولا غَرَبَتْ على يومٍ أفضل مِن يومِ الجُمُعَةِ**». وفي هذا الحديث الصحيح أيضًا: «**إنَّ في يومِ الجُمُعَةِ سَاعَةً لا يُوافِقُها عبدٌ يَدْعُو اللهَ إلَّا استُجيبَ لَهُ**»، وزَعْمُ الناس أنَّ في الجمعة ساعةَ نحسٍ، أو أنَّ الزفاف فيها حرامٌ إنما هو خيالاتٌ وأوهامٌ، بل هي آراء شيطانية دسَّها أعداء الدين ليصرفوا الناس عما ثبت في السُّنَّة الصحيحة من فضل يوم الجمعة وفضل العمل فيه وسعادته عند الله، وإنَّ من الإجرام في حقِّ الدين أن يزعم مسلمٌ أنَّ الزفاف يوم الجمعة محرَّمٌ فأين وجد هذه الحرمة أفي كتاب الله؟! أم في سُنَّة رسوله؟!

ومثل هذا التحريف ما اشتهر بين العامَّة أنَّ الزواج محرَّمٌ في شهر المحرَّم وخصوصًا في العشر الأول من الشهر، والسر في هذا أنَّ الحسين قتل في شهر المحرَّم في يوم عاشوراء، فاتخذ الشيعة الفاطميون وغيرهم هذا الشهر مأتمًا وقلَّدهم الناس في ذلك.

جواز تزاوج الإنس من الجن

س٥٤١- هل ثبت أنَّ رجالًا من الإنس تزوَّجوا بنساءٍ مِن الجنِّ أو لا؟

ج٥٤١- زواج الإنس بالجنيَّات أمرٌ فيه خلافٌ بين العلماء؛ هل هو ممكنٌ أو غير ممكنٍ؟ وعلى فرض إمكانه هل وقع أو لا؟ ذهب إليه جماعةٌ من العلماء كما بسط ذلك بدر الدين الشِّبلي في كتابه "آكام المرجان في أحكام الجان".

وقد ذكر محيي الدين ابن العربي الحاتمي أنه تزوَّج بجنيَّةٍ فردَّ عليه بعض العلماء، بل صرَّح بعضهم بتكذيبه والواقع أنه ثقةٌ لا يكذب.

وقد أشار إلى هذه المسألة الحافظ الذهبيُّ في "الميزان"، والحافظ ابن حجرٍ في "لسان الميزان".

والذي أراه أنَّ الزواج بالجنيَّة جائزٌ قد يقع، ولكن مَن يدَّعون ذلك نصَّابون لا يُوثَق بهم غالبًا، وأنَّ من الحزم سوء الظنِّ كما قال عمر رضي الله عنه.

هل يجوز للرجل أن يسكن زوجتيه في دار واحدة؟

س٥٤٢- أرجو بيان حكم الشريعة المُطهَّرة في الرجل المُتزوِّج بامرأتين هل يُباح له إسكانهما ببيتٍ واحدٍ وفراشٍ واحدٍ، أو لكلِّ واحدةٍ فراشٌ مُستقِلٌّ والبيت واحدٌ؟ وعلى فرض أنه وقع فهل ذلك ما يلزم الزوج شرعًا؟ وإن كان عاجزًا عن إسكان كلِّ واحدة بانفرادها، ما العمل؟ هل يسوغ للزوج جعل فاصل كحائطٍ ضعيفٍ أو حائلٍ بينهما والبيت واحدٌ؟ جوابكم الشافي تؤجرون وترحمون.

ج٥٤٢: يجوز للرجل أن يُسكِن امرأتَيه ببيتين مِن دارٍ واحدةٍ رَضِيتا بذلك أو لا، حيث كان كل بيتٍ مستقلًا بمنافعه مِن مطبخ وغيره، فإن لم يكن للبيتين إلَّا مطبخٌ واحدٌ مثلًا، فلا يجوز جمعهما إلَّا برضاهما، وكذلك إسكانهما ببيتٍ واحد مِن دار واحدةٍ، لا يجوز إلَّا برضاهما. وأمَّا جمعهما في فراشٍ واحدٍ فممنوعٌ.

قال الشيخ خليل في "المختصر": «ولا يجوز جمعهما في فراشٍ ولو بلا وطءٍ، فيلزمه لهذا ومراعاة للعدل بينهما الواجب عليه: أن يجعل لكلِّ واحدةٍ فراشًا مستقلًا، ثُمَّ إن كانتا في بيتين أو في دارين فالأمر واضحٌ، وإن كانتا في بيتٍ

واحد لزمه أن يفصل بينهما بفاصلٍ من نحو ما ذكره السائل، غير أنه لابد أن يكون الحائط صفيقًا، بحيث لا تسمع منه إحدىٰ الضرتين ما يقع من الزوج مع الضرَّة الأخرىٰ مما هو مثار الغيرة بينهما، ولأنه يجب ستر ما يقع بين الزوجين ولو عن زوجةٍ أخرىٰ وأَمَة، هذا كله علىٰ مذهب الإمام مالكٍ، وإنما اقتصرنا عليه لأنه ليس بالمغرب مذهبٌ غيره، والله أعلم.

حول أحكام النكاح

س٥٤٣- رجلٍ عنده خالة متزوِّجة وأراد زوجها أن يتزوَّج عليها ووافقت له أن يتزوَّج بنت ولد أختها، هل هو جائزٌ شرعًا أم لا؟

ج٥٤٣- لا يجوز أن يعطي الرجل بنته لزوجٍ علىٰ خالته .

س٥٤٤- سئل عن رجلٍ تزوَّج امرأةً كبيرةً، ثُمَّ أراد أن يتزوَّج، فزوَّجته امرأتُه بنت أختها وعَقَدَ عليها ودخل بها وطلَّق زوجته الأولىٰ.

ج٥٤٤- فأفتىٰ بأنَّ هذا العقد فاسد وباطل شرعًا، وأنه إن عمل أولادًا مع تلك المرأة الثانية فهم أولاد زنا، ويجب عليه أن يبتعد عنها ويستبرئها بثلاث حيضاتٍ إن أراد أن يتزوَّج بها، ولولا الشبهة لكان يُرجَم.

س٥٤٥- سؤال: الرجل يتزوَّج الأجنبيَّة اليهوديَّة أو النصرانيَّة؟

ج٥٤٥- أفتىٰ: لا يجوز في تاريخنا هذا أن يتزوَّج المُسلم بالأجنبيَّة؛ لأن كثيرًا من الناس تزوَّجوا وصار أولادهم يهودًا أو نصارىٰ. وقال أيضًا إنَّ الكفَّار الآن الموجودين علىٰ وجه الأرض كلُّهم محاربون للمسلمين والإسلام.

س٥٤٦- سؤال أيضًا: رجل وطئ امرأة في زنىٰ ثُمَّ تزوَّج ابنتها هل يجوز؟

ج٥٤٦- أجاب: مذهب الحنفية والمالكية يمنعون ويقولون حرامٌ، والشافعية يُجيزون ويقولون إنَّ الماء الفاسد لا يُعتبَر.

ورجَّح المنع لأنه اطَّلع على فرج الأمِّ وبنتها، وسيترتَّب عليه مفسدةٌ قبيحةٌ.

س٥٤٧- وسُئل أيضًا عن الرجل الذي يمنع زوجته أن تلتقي بزوج بنته وهو صِهْره وصِهْر زوجته معًا.

ج٥٤٧- فقال: يجوز أن يلتقي بها؛ لأن الله يقول: ﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ﴾ [النساء: ٢٣] فهي من المُحرَّمات عليه، لكن إذا كان هذا الرجل لا يخاف الله وليس من أهل المروءة فيجوز أن يمنعه من اللقاء بها، ولكن لا يُعمَّم هذا الحكم، وإن منعها فإنه قد فعل حرامًا.

س٥٤٨- وسُئل أيضًا عن رجلٍ مُتزوِّجٍ بامرأةٍ وله بنات وذكور، وله بيتان فقط، ماذا يفعل ينام الأولاد بعضهم مع بعضٍ، الذكور والإناث، أم ينام الإناث معه؛ لأن زوجته ليست أمهم وتمنعهنَّ من النوم معها في بيت زوجها.

ج٥٤٨- أجاب الشيخ: لا ينام الإخوة بعضهم مع بعضٍ؛ لأنه منهيٌّ عنه شرعًا، وقد حصل أن حبل الأخ أخته.

س٥٤٩- وسُئل أيضًا عن رجلٍ قالت له امرأته: إنَّ أباه وطئها وسأل هو الأب فأنكر، وقال ما فعل أبدًا هذا الفعل فطلَّقها، وبعد ذلك حكمت المحكمة بالعدَّة والتمتيع والنفقة وأتى يسأل هل يجوز له أن يردَّها أم لا؟

ج٥٤٩- أجابه: يتزوَّجها ولا شيء عليه.

س٥٥٠- وسُئل أيضًا أنَّ رجلًا ماتت له امرأة وتركت له ولدًا ذكرًا ثُمَّ

تزوَّج امرأة أخرىٰ و أتت ببنتٍ لها مِن رجلٍ آخر، فهل يجوز لابنه أن يتزوج من هذه البنت؟.

ج٥٥٠- فأجاب: إن كانت البنت لا زالت في الرَّضاع لا يجوز للولد أن يتزوَّج بها، وإن كانت فاتت سنَّ الرَّضاع فيجوز له أن يتزوَّجها؛ لأنها إن كانت في سنِّ الرَّضاع فتكون أختًا له وإلَّا فلا.

س٥٥١- وسُئل أيضًا أنَّ رجلًا قالت له امرأته إنها ستذهب إلىٰ دار أمِّها، ولقد لحقها ليلًا فلم يجدها في دار أمِّها، وقالت له أمها إنها ذهبت في المساء وبحث عليها في عدَّة أماكن فلم يجدها، وعند الصباح في الساعة الثامنة جاءت لدار زوجها وأخبرته أنها كانت عند بعض العائلة، وقد سبق له أن بحث في هذا المحل، ثُمَّ صارت تخترع الكذب عندما افتضحت. فهو يسأل هل يطلقها وعنده معها بنت صغيرة جدًّا أم ماذا يفعل؟

ج٥٥١- فأجابه الشيخ: يستبرؤها بحيضةٍ ليتحقَّق أنَّ رحمها فارغٌ؟

س٥٥٢- وسُئل أيضًا عن رجلٍ يسكن في محلٍّ ضيِّقٍ يجتمع فيه الزوجة والزوج والأم والأب والأخ والأخت علىٰ مائدةٍ واحدةٍ في الطعام، ولكن زوجته مستورةٌ لا يظهر منها إلَّا الوجه والكفَّين هل هذا جائزٌ شرعًا أم لا؟

ج٥٥٢- فأفتىٰ بالجواز مادامت مستورةً، ولكن إذا لم تكن مستورةً فلا يجوز.

س٥٥٣- وسُئل أيضًا أنَّ رجلًا تزوَّج امرأة أخيه علىٰ أنها بنت بكر عذراء، وعندما دخل بها وجدها مفتضَّة، واستعطفته علىٰ أن يسترها، وعندما سترها مرَّت عليها ست أشهر فولدت وعند ذلك اعترفت أنَّ الذي افتضَّها

هو أخوه، وأخوه جاء عند فقيه يطلب التوبة من ذلك العمل الخطير.

ج٥٥٣- فأفتى الشيخ بأن الولد ينسب للرجل المتزوِّج وهو ابنه، وألَّا يسمع لكلامها وكلام أخيه؛ لأن المرأة أتت بالحمل على الوجه الشرعيِّ وهو ستة أشهر، فلو أتت به أقل من ستة أشهر لكانت تعتبر زانية ويفسخ العقد، وقد حكم بهذا عمر اتباعًا لقول الله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥] لأنَّ مدَّة الرضاع سنتان وهي قول الله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٣٣] بقيت مدة الحمل ستة أشهر. بهذا أفتى رضي الله عنه.

س٥٥٤- وسُئل أيضًا عن رجلٍ تزوَّج بامرأةٍ رضعت مِن أُمِّه مع أخته مرَّةً واحدةً.

ج٥٥٤- فأفتى بمذهب الشافعية، وهو: لابد من خمس رضعاتٍ معدوداتٍ.

س٥٥٥- وسُئل أيضًا عن رجلٍ وطئ امرأةً في الزنا وحملت منه ثُمَّ أكره قانونًا على التزوج بها وعقد عليها وهي حاملٌ وعمل معها ثمانية أولاد.

ج٥٥٥- فأفتى بأن هذا العقد فاسدٌ وهؤلاء الأولاد أولاد زنا؛ لأن العقد على المرأة وهي حاملٌ لا يجوز حتى تضع الحمل.

س٥٥٦- وسُئل أيضًا عن رجلٍ في قبيلة «بني جرفط» تزوَّج بامرأةٍ ثُمَّ تزوَّج عليها بامرأة أبيها وجمع بينهما هل هذا جائزٌ أم لا؟

ج٥٥٦- فأجاب بالجواز ولا شيء فيها.

س٥٥٧- وسُئل أيضًا عن زوجةٍ مريضةٍ هل يجب على الزوج أن يعالجها وينفق عليها من ناحية الدواء، وإن أدَّى الحال إلى العملية وتكون هذه المساعدة من لوازم النفقة أم لا؟

ج٥٥٧- فأفتى بأن كل هذه المساعدة من لوازم النفقة؛ لأنه لا يتمتع بها وهي مريضة أو مصابة بالألم فلهذا تكون هذه الأشياء تابعة للنفقة ومن لوازمها.

س٥٥٨- وسُئل أيضًا عن رجلٍ تزوَّج بامرأةٍ على خالتها وجمعهما في عقدٍ واحدٍ وعصمةٍ، وعمل مع بنت الأخت الأولاد هل هؤلاء الأولاد يلحقون بأبيهم أو أولاد زنا؟

ج٥٥٨- فأفتى بأنهم أولاد زنا ولا يلحقون بأبيهم ولا يرثونه، ولا شبهة في هذا العقد؛ لأن الإجماع وقع على أنَّ العقد فاسدٌ وباطلٌ.

س٥٥٩- وسُئل أيضًا عن فقيهٍ يعظ النساء يجلسن أمامه متحجِّبات بلا سترةٍ ولا حجابٍ بينه وبينهنَّ.

ج٥٥٩- فأفتى بالجواز، والدليل في ذلك هو أنَّ الرسول وعظ النِّساء وحدهنَّ وأمرهنَّ بالصدقة وبلال يجمع منهنَّ ويعمل في حجره.

وأمَّا الآية وهي قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْئَلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣] فهي خاصَّةٌ بأزواج الرسول، وأمَّا منع أزواج الرسول من النظر للأجنبيِّ فهو خاصٌّ بهنَّ.

وأمَّا جميع المؤمنات فيجوز لهنَّ النظر ولكن مع غضِّ الطرْف من الرجل

والمرأة كما أمرت الآية: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [النور: ٣٠] ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

س٥٦٠- وسُئل أيضًا عن رجلٍ جامع زوجته بعدما ماتت وغُسِّلت.

ج٥٦٠- فأفتىٰ بأن الرجل فعل حرامًا.

ويقول الدردير شارح "المختصر": «يعزر».

والشيخ عبدالله يقول: لا يعزر لأن العصمة قد انقطعت بالموت فيحل له أن يتزوج في الحال، والمرأة لا شيء عليها ولا تعاد بالغسل بل يغسل الفرج إذا بقي فيه شيء من المني.

س٥٦١- وسئل أيضًا عن الرجل يصافح امرأة ابنه.

ج٥٦١- فأفتىٰ بالجواز؛ لأنها تحرم عليه في الزواج فيجوز له أن يصافحها.

س٥٦٢- وسُئل أيضًا عن التزوُّج بالأجنبيات.

ج٥٦٢- فقال إنه حرامٌ والعقد علىٰ الأجنبية باطلٌ وفاسدٌ، وهو عقدٌ علىٰ محرم، فالأولاد يكونون أولاد زنا لا يلتحقون بأبيهم ولا يرثونه ولا يرثهم.

س٥٦٣- وسُئل عن رجلٍ له زوجتان هل يجامعهما في محلٍّ واحدٍ تنظر إحداهما إلىٰ الأخرىٰ؟

ج٥٦٣- فأفتىٰ بالمنع، لا بد أن يجامع كل واحدة علىٰ انفراد، لكن النوم معهما معًا جائز لا بأس به، لكن يجامعهما معًا كل واحدة تنظر إلىٰ الأخرىٰ في الجماع حرام.

طهارة البنت (الختان)

س٥٦٤- هل طهارة البنت حرام أم حلال؟

ج٥٦٤- طهارة البنت مكرمة عند المالكية وهو الخفاض، وقد ورد في الحديث أنَّ أمَّ عطية -صحابية معروفة- كانت تخفض النِّساء فقال لها النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**اخْفِضي ولا تُنْهِكي**» أي لا تستأصلي البَظْرَ بالقطع «**فإنه أَنْضَرُ للوَجْهِ وأَحْظَى عند الزَّوْجِ**». ولكن في صحَّة هذا الحديث خلافٌ، والله أعلم.

سؤال في الزواج وجوابه

س٥٦٥- ما قولكم في شخصٍ أراد أن يتزوَّج بابنة أختي، وبعد أن عقد عليها فعلًا تُوفِّيت قبل الدخول بها، وأراد ذلك الشخص أن يقترن بي ولي أخ يأبى عليَّ الزواج به، فهل لأخي أن يمانع في الزواج إذا أنا تزوَّجت منه بدون إذنه؟ وهل له الحق في إيذائي إذا أنا تزوَّجت أو إيذاء الزوج نفسه؟ وهل عليَّ بأسٌ شرعًا أوعقلًا أو عادة إذا أنا نفذت هذا الزواج؟ أرجو الجواب ولكم الشكر.

ج٥٦٥- قال ابن رشد: «اتفقوا على أنه ليس للوليِّ أن يمنع موليته إذا دُعت إلى كفءٍ وبصداق مثلها، وأنها ترفع أمرها إلى السلطان فيزوِّجها ما عدا الأب».اهـ

وقال ابن جزيٍّ في "القوانين الفقهية" ما نصُّه: «الفرع الرابع إن عضل الولي -أي منع المرأة- أمره السلطان بإنكاحها، فإن امتنع زوَّجها السلطان، وذلك إذا دعت إلى كفءٍ وبصداق مثلها».اهـ

من هذين النصَّين يعلم حكم الصورة المسئول عنها، فإذا كان الزوج الذي يريد الاقتران بهذه المرأة كفؤًا لها فلا وجه لأخيها في منعه لها من الزواج به، بل يعتبر منعه لها في هذه الحالة كبيرة على ما صرَّح به ابن حجرٍ الهيتمي في كتاب "الزواجر"، فيجب عليه أن يزوِّج أخته من الزوج المذكور وإن كان صدر منه يمين بخلاف ذلك فليُكَفِّر عن يمينه، وإن أصرَّ على امتناعه ولم يرضَ أن يزوِّجها ترفع أمرها إلى القاضي وهو يزوِّجها بدون إذنه ولا حق له أن يؤذيها ولا أن يؤذي زوجها فإن آذى أحدًا منهما فهو عاصٍ آثمٌ.

وقد وقع نظير هذه القصة في عهد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فحكم فيها بنحو ما ذكرنا ففي "صحيح البخاري" و"سنن أبي داود" و"الترمذي" عن معقل بن يسار قال: كانت لي أخت تخطب إلي فزوجتها من رجل ثم طلقها طلاقًا له رجعة ثم تركها حتى انقضت عدتها، فلما خطبت إلي أتاني يخطبها فقلت له: زوجتك وأكرمتك فطلقتها ثم جئت تخطبها؟! لا والله لا تعود إليك أبدًا. وكان رجلًا لا بأس به وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه. فأنزل الله هذه الآية: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٢] الآية. قال: فكفرت عن يميني وزوجتها إياه.

فإذا تأمَّلت في هذا الحديث الصحيح وجدته صريحًا فيما قدمناه.

والخلاصة: أنه لا مبرِّر لهذا الرجل في منع أخته من الزواج بالزوج المذكور مهما كانت الأسباب والظروف، فليتق الله ولا يكن عونًا للشيطان على أخته لا سيَّما وهي لم تطلب إلَّا خيرًا؛ فإنَّ الزواج سُنَّة سيِّد المرسلين، وهو مع ذلك

يغض البصر، ويعف النفس، ويحفظ العرض والشرف، ويعين على إقامة شعائر الدين، وحسبك قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا تزوَّجَ العبدُ فقد استكمل نِصْفَ الدِّين فليتق الله في النصفِ الباقي**». رواه البيهقيُّ عن أنسٍ وبالله التوفيق.

آداب الزوجية

س٥٦٦- ولما وفَّقني الله تعالى للزواج سألته عن آداب الزوجية؟ وسألته عن كتابٍ سَهْلٍ يوضِّح حقوق الزوجين بالأدلة من الكتاب والسُّنَّة ؟

ج٥٦٦- ومِن آداب الجماع أن يُسمِّي الله عنده ويقول: «**اللهمَّ جَنِّبنا الشيطانَ وجَنِّب الشيطانَ ما رَزَقْتَنا**». ويُقدِّم شيئًا من الملاعبة، وألَّا ينظر إلى فرج امرأته لا حالة الجماع ولا بعده، فإنه وإن كان النظر إلى فرجها جائزًا إلَّا أنه خلاف المروءة ويورث في الذرية وقاحةً.

وكذلك لا ينبغي للزوجين أن يتجرَّدا مِن ثيابهما حالة الجماع بل يستتران ويلتزمان السكينة، وإذا قضى الرجل شهوته قبلها فلا يعجلها ولينتظر حتَّى تقضي شهوتها.

ومِن حقِّ المرأة على زوجها ألَّا يقصر في إطعامها وكسوتها حسب استطاعته، وأن يُنبِّهها إذا أخطأت بلطفٍ، وإذا فعلت ما يوجب عقابها فليعظها أولًا ثُمَّ ليهجرها في الفراش ثانيًا، ثُمَّ ليضربها ضَرْبًا غير شديدٍ، لكن لا يضربها على الوجه ولا في المواضع الخطرة، ولا يقبِّح وجهها ولا يعبس فيها، وله أن يهجرها في الكلام إذا اقتضى الحال إلى غاية شهرٍ.

ومِن حقِّه عليها ألَّا تمنع نفسها عنه إلَّا لعذرٍ شرعيٍّ كالحيض، وألَّا تدخل

في بيته أحدًا لا يريده ولو كان أباها مثلًا، وألَّا تتصدَّق بنقوده إلَّا بإذنه، أمَّا الطعام فلها أن تتصدَّق به ويكون الثواب مشتركًا بينهما، وألَّا تصوم التطوُّع إلَّا بإذنه، وألَّا تخرج من البيت إلَّا بإذنه كما يجب عليها القيام بشئون البيت وإتمام الراحة للزوج.

وكتاب أحكام الزوجين لا يوجد بالوصف الذي تريده، لكن توجد كتب في هذا الموضوع بالذات تذكر فيها الأحكام الفقهية مجرَّدة عن الدليل على عادة الفقهاء، وأغلبها للشافعية.

حكم مجامعة الرجل امرأته وهي مكشُوفةٌ كلّها

س٥٦٧- هل يجوزُ أو يحرُمُ أو يكرَه للرَّجل أنْ يجامعَ امرأتَه وهي مكشُوفةٌ كلّها؟

ج٥٦٧- جوابه: نعم يجوزُ له ذلك مع امرأتِه وأَمَتِه، لأنَّ الشَّارعَ أباحَ الاستمتاعَ بجسمِ المرأةِ والأمَةِ ولم يقيِّدْ ذلك بنوعٍ خاصٍّ من الاستمتاع، كما أنَّه لم يُوجِبْ على الرجل أنْ يجامعَ امرأتَه وهي مستورةٌ ولا ندَبه إلى ذلك، فمن حرَّم ذلك أو كرَّهه فقد أتى سُخفًا من القول، وإن رأيتَ أحدًا من الفقهاء نصَّ على كراهة ذلك فاحمِلْه على الكراهةِ الخفيفةِ التي هيَ خِلافُ الأَولى.

وقد ورد حديثٌ يقتضي منعَ نظرِ الرجل إلى فرجِ امرأته، ونصَّ الحفَّاظُ على أنَّه موضوعٌ.

والحاصل: أنَّ مجامعةَ الرَّجلِ لامرأتِه مكشوفةً كلّها من الاستمتاعِ المباحِ الذي لا إثمَ على فاعلِه البتَّةَ، فمن ادَّعى خلافَ ذلك فليأتِ بالدَّليل.

حكم الزواج على المرأة الشريفة

س٥٦٨- وسألته عن جواز الزواج على المرأة الشريفة؟

ج٥٦٨- وأمَّا الزواج على الشريفة فالذي يظهر أنه جائزٌ، وأنَّ المنع منه خصوصية لفاطمة عليها السلام، لكن مع جوازه ينبغي تركه أدبًا وحفظًا لقلب الشريفة من التغير، فقد روى الطبرانيُّ بإسنادٍ لا بأس به، أنَّ الحسن ابن الحسن والد عبدالله الكامل بعث إلى المِسْور يخطب ابنة له فقال: قل له يوافيني في وقت ذكره. فلقيه فحمد اللهَ المِسْورُ وقال: ما مِن سببٍ ولا نسبٍ ولا صهرٍ أحبُّ إليَّ مِن نسبكم وصهركم، ولكن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**فاطمةُ شُجْنَةٌ مِنِّي، يَبْسُطُني ما بَسَطَها، ويَقْبِضُني ما قَبَضَها، وإنَّه يَنْقَطِعُ يومَ القِيامَةِ الأنسابُ والأسبابُ، إلَّا نَسَبي وسَبَبي**». وتحتك ابنتها فلو زوجتك قبضها ذلك، فذهب الحسن عاذرًا له، وكان الحسن متزوِّجًا بشريفةٍ مِن بنات عمِّه فلذلك اعتذر المِسور مِن تزويجه للعلة التي أبداها.

والمِسور بن مَخْرَمَة هو ابن أخت عبدالرحمن بن عوفٍ، رأى النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وهو صغيرٌ وسمع بعض حديثه، فهو صحابيٌّ صغيرٌ.

حكم الزواج بفتاة سترًا عليها

س٥٦٩- وعلمت بزلَّة فتاةٍ من أسرةٍ كبيرةٍ فعرضت على أحد إخواني الزواج بها سترًا لها، وأرسلت لسيادته أسأله عن حكم ذلك شرعًا؟

ج٥٦٩- فأجاب بما نصه: وزواج الفتاة التي أشرت إليها فيه خيرٌ كثيرٌ، ويصدق على متزوِّجها بنيَّة سترها قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ومَن سَتَرَ**

مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنيا والآخِرة». وقد حصلت هذه الحادثة عندنا في طنجة لفتاةٍ من أسرة طيِّبة غُرِّر بها فزلَّت، ورفع أمرها إلى مولانا الوالد فزوَّجها في الحال سَتْرًا عليها؛ لأن والدها كان من صلحاء الشاذليَّة.

نعم، ينهى عن زواج المعروفة بالزنا إذا لم تتب كما هو مقرَّرٌ في كتب الفقه.

لبس الذهب والحرير للرجال

س٥٧٠- هل الذهب والحرير حرام للرجال أم حلال؟

ج٥٧٠- الذهب والحرير حرامٌ على الرجال إلَّا في مسائل خاصَّة وهي: ربط السِّنِّ بالذهب، وتحلية السيف والمصحف، والأنف إذا قطع يجوز استعمال بدله من الذهب. وكذلك الحرير يحل استعماله لمن أصيب بالجرب أو كثرة القمل كما ورد في الحديث، وفي غير هذه المسائل لا يصح استعمال الذهب والحرير للرجال، والله أعلم.

حكم مصافحة النساء

س٥٧١- وسألته عن حكم مصافحة النِّساء.

ج٥٧١- فقال سيادته: ومصافحة النِّساء الأجنبيَّات حرامٌ عند كثيرٍ من الفقهاء، لأنها ربَّما تؤدِّي إلى ما هو أعظم منها، والذي يقتضيه الدليل أنها تُكرَه، إلَّا إذا قُصِدت الشهوة فتحرم؛ لأن بعض الصحابيَّات كنَّ يخرجن في الغزوات مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يضمِّدن الجَرْحَى -أي يربطن جراح المصابين بخرقةٍ ونحوها ليمتنع نزيف الدم- وهذا ثابتٌ في "صحيح البخاري" وغيره.

ومبايعة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالكلام دون المصافحة لا يدل على تحريم مصافحتهنَّ حسب قواعد علم الأصول، بدليل أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان يدخل على أمِّ حرامٍ يأكل عندها وتفلِّي رأسه كما في "الصحيحين" ولو كان اللمس بدون شهوةٍ حرامًا لما تركها تلمس رأسه وتفلِّيه، مع أنَّ التفلية فيها لمس كثيرٌ كما هو معروفٌ.

والحاصل: أنَّ مصافحة النِّساء بدون شهوةٍ لا تحرم؛ لأن كفَّها غير عورةٍ، نعم يحرم لمس شيءٍ من جسدها غير الكفِّين لأنه عورةٌ كما يحرم النظر إليه، وعليه تحمل الأحاديث الواردة في تحريم اللمس، ولكنه معصيةٌ صغيرةٌ كما قال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما وكلامه في "صحيح البخاري".

استدراك: حكم مُصافحة النِّساء حكمتُ بكراهتها ثُمَّ تبيَّن لي أنها حرامٌ كما ذهب إليها جمهور الفقهاء.

معنى التفريق بين الأبناء في المضاجع

س٥٧٢- وسألته عن معنى التفريق بين الأبناء في المضاجع كما ورد في حديث الأمر بالصلاة؟

ج٥٧٢- فأجاب سيادته بما نصُّه: والتفريق بين الأبناء في المضاجع يراد به التفريق بين الذكور والإناث، بحيث لا ينام الولد مع أخته في فراشٍ واحدٍ.

هل الغيلة حرام؟

س٥٧٣- وسُئل عن تحريم الغيلة؟ وهي جماع الزوجة أثناء إرضاع طفلها الصغير.

ج٥٧٣- وتحريم الغيلة لأجل الطفل، فإذا لم يتضرَّر بها فلا تحرم، وجاء

حديثٌ بعدم تحريمها.

هل صوت المرأة عورة؟

س٥٧٤- وسُئل: هل صوت المرأة عورةٌ؟

ج٥٧٤- وصوت المرأة ليس بعورةٍ لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْئَلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣] وأجاز الشارع للمرأة أن تمارس البيع والشراء وغير ذلك من العقود، وأوجب عليها أن تتعلَّم الضروريَّ مِن أمور دينها وحياتها الزوجية، وأجاز أن تكون شاهدةً، قال الله تعالى: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾ [البقرة: ٢٨٢] وكان عبدالله بن جعفر وبعض الصحابة يسمعون غناء مغنيةٍ معروفةٍ بالمدينة، وقراءة المرأة للقرآن جائزةٌ، لكن لا تقرأ وهي حائضٌ.

ما تحل به المرأة لزوجها الأول

س٥٧٥- وسُئل: هل الإيلاج من الزوج كافٍ في تحليل المرأة لزوجها الأوَّل؟

ج٥٧٥- وحديث عائشة في امرأة رفاعة التي قالت عن عبدالرحمن بن الزبير: «ما معه إلَّا مثل هُدْبَةِ الثوبِ». وقول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «حتَّى تَذُوقي عُسَيْلَتَهُ ويَذُوقَ عُسَيْلَتَكِ». يفيد أنَّ الإيلاج كافٍ في التحليل، وعليه عامَّة الفقهاء غير الحسن البصريِّ فإنه اشترط الإنزال وهو شاذٌّ؛ لأن الإيلاج يوجب الحدَّ والمهر، ويُفسِد الصومَ والحجَّ ولو لم يحصل إنزال.

فالعُسَيْلة: هي الإيلاج بانتشارٍ، وهو الذي تتلذَّذ به المرأة، وتلك الزيادة

التي فيها أنها أتت النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقالت: «يا رسول الله، إنه كان مَسَّني، فقال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**كُذِّبْتِ بقولِك الأوَّل، فلن أُصَدِّقك...**» إلخ. معناها: أنَّ المرأة كذَّبت نفسها في قولها أوَّلًا: «ما معه إلَّا مثل هُدْبَةِ الثوب». وأنه كان قد جامعها جماعًا صحيحًا لكنها كذبت عليه لتُشِينه؛ لأنها لا تحبه، على أنَّ تلك الزيادة ضعيفةٌ لا تقوم بها حُجَّةٌ.

مدَّة استبراء السبايا

س٥٧٦- ما مدَّة استبراء السَّبايا؟

ج٥٧٦- استبراء المَسْبيَّة يكون بحيضةٍ كما جاء في الحديث، والحيضة تكفي في براءة الرَّحِم، ولم يكتف الشارع بها في عِدَّة المُطلَّقة لأجل أن يعطي لزوجها فرصة مراجعتها إذا أراد.

والنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لم يدخل بصفية حتى حلَّت بطهرها من حيضة، كما في "البخاري". وقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في سبايا أوطاس: «**لا توطأ حامِلٌ حتَّى تَضَعَ، ولا غير ذات حَمْلٍ حتَّى تحيضَ حَيْضَةً**». رواه أبو داود.

س٥٧٧- مات زوجٌ قبل أن يدفع لزوجته مهرها، فهل لها أن تأخذ مِن ميراثه؟ وجهاز المنزل كان هو القائم به، فهل هو لها كذلك أم لا؟

ج٥٧٧- إذا مات الزوج استحقَّت الزوجة المهر كلَّه؛ لأنه حقها ولا يدخله ميراث، أمَّا الجهاز فترث ربعه، ويأخذ أهل الميت باقيه، وهذا عند المالكية الذين يعتبرون الجهاز مِلْكًا للزوج يورث عنه.

هل للعبدالرقيق أن يتزوَّج مالكته

س٥٧٨- هل للعبدالرقيق أن يتزوَّج مالكته؟

ج٥٧٨- المقرَّر في الفقه أنَّ الرقيق يحرم عليه أن يتزوَّج مالكته فهي بالنسبة إليه من المحارم، ولهذا كانت عائشة تصلِّي خلف عبدها ذكوان.

يقول عروة بن الزبير: إنَّ ذكوان غلام عائشة كان يؤمُّ قريشًا وخلفه عبدالرحمن بن أبي بكرٍ الصِّدِّيق؛ لأنه كان أقرأهم للقرآن.

وقال عبدالله بن أبي مليكة: كانت عائشة مجاورة بين حراء وثَبِيرٍ- يعني بمكة- فكان يأتيها رجالات قريش فإذا حضرت الصلاة أمَّنا عبدالرحمن بن أبي بكرٍ، فإذا لم يحضر عبدالرحمن أمَّنا فتاها ذكوان.

وما رواه البيهقيُ: أنَّ عائشة كانت تؤذِّن وتؤمُّ النِّساء وتقف وسطهنَّ. ليس ذلك بصفة مستمرَّةٍ، كما أنَّ إمامة عبدها ذكوان لم تكن بصفةٍ مستمرَّةٍ.

الحلف بالطلاق على شرب الدخان

س٥٧٩- حلفت بالطلاق إني لا أشرب الدخان وشربته وحلفت ثانيًا وثالثًا فهل لي مندوحة لرجوع زوجتي أم لا؟

ج٥٧٩- الحلف بالطلاق عادةٌ سيئةٌ طالما أدَّت إلى وقوع مآسٍ زوجيَّةٍ خربت البيوت وشرَّدت الأولاد، وربما اتصل الزوج ببعض المتساهلين في أمور الدين ليرد له اليمين لقاء أجرٍ زهيدٍ فيعيش الزوجان في حرامٍ، وهما يعتقدان أنَّ عيشهما حلالٌ.

ولهذا أثَرٌ ظاهرٌ في فساد الذريَّة كما لا يخفى، أمَّا الحلف بالطلاق على عدم

فعل شيءٍ أو فعل شيءٍ تعتبره المحاكم الشرعية الآن غير يمينٍ، استنادًا إلى بعض الآراء التي ترى أنَّ الحلف بالطلاق إنما يقصد به التهديد، أو الامتناع ولا يقصد به الطلاق، فلا يقع الطلاق إذا حنث فيه، فعلى هذا يجوز للسائل أن تستمرَّ معه زوجته ولا داعي إلى عملية رجوع اليمين؛ لأنه ليس بيمينٍ كما قلنا بالنسبة إلى الرأي المذكور.

ومع هذا فإني أنصح للسائل أن يقلع عن هذه العادة السخيفة التي تُعرِّضه في حياته الزوجية إلى عيشةٍ حرامٍ.

رجلٍ شرب لبن امرأته غلطًا هل تحرم عليه

س٥٨٠- وسُئل رضى الله عنه عن رجلٍ شرب لبن امرأته غلطًا هل تحرم عليه بسبب هذا اللبن أم لا؟

ج٥٨٠- فأجاب رضى الله عنه: لا تحرم عليه؛ لأن الرَّضاع المُحرِّم هو الذي يكون داخل الحولين كما قال الله: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ [البقرة: ٢٣٣] والرِّضاع بعد الحولين لا يحرم، وهذا رأي الجمهور إلَّا عائشة وبعض الصحابة منهم عروة بن الزبير وبعض التابعين.

حول أحكام الطلاق

س٥٨١- وسئل عن رجل قال لزوجته: سأُطلِّق سأُطلِّق، وهو يهوديٌّ إن جامعها. ماذا يترتَّب عليه؟

ج٥٨١- فأفتى أنه لا تُطلَّق عليه، ويلزمه استغفار وتوبة من هذه الكلمة الخطيرة وهو قوله: يهوديٌّ.

س٥٨٢- وسُئل أيضًا عن شخصٍ طلَّق امرأته الطلقة الأولىٰ وكتب العدول الرجعة، وطلَّق الثانية ولم يكتبها العدول، ثُمَّ طلق الثالثة فلم يكتبها أيضًا.

ج٥٨٢- فأفتىٰ أنها تحرم عليه حتىٰ تنكح زوجًا غيره .

س٥٨٣- وسُئل أيضًا أنَّ رجلًا كانت عنده امرأةٌ متزوِّج بها وهي تدخل لدار الجيران باستمرار، ويومًا قال لها إن وجدتك عندهم مرَّةً أخرىٰ لابد أن أوصلك لداركم، وإن لم أوصلك لداركم فهو يهوديٌّ. وعندما سُئل هل قصد الطلاق أم لا؟أجاب أنه لا يعرف شيئًا من هذا ولا يعرف الكناية ولم يقصد شيئًا.

ج٥٨٣- أجاب الشيخ رضى الله عنه أنه لا يلزمه شيءٌ ويستغفر الله من قوله إنه يهوديٌّ لأنها كلمةٌ خطيرةٌ .

س٥٨٤- وسُئل أيضًا عن رجلٍ في ناحية البرج مهنته «غياط»[1] وقع له نزاع مع أصحابه فقال عليه «بأثلاث مثلث»[2] لا يشتغل معهم.

ج٥٨٤- فأفتىٰ بأنه لا يلزمه شيءٌ، وبعض العلماء أفتىٰ له أنه يطلِّق امرأته ثُمَّ يُراجعها.

س٥٨٥- وسُئل أيضًا عن رجلٍ قال لزوجته: أنت طالقٌ ثلاث مرَّاتٍ. وبعد ذلك أتىٰ إليها وجامعها.

ج٥٨٥- فأجاب بأنَّ جماعه لها يعد رجعةً، ولا يشترط الإشهاد، ويبقىٰ يملك فيها طلقتين ولا شيء عليه.

---

(١) بالدارجة وتعني: زامر.

(٢) صيغة تأكيد لطلاق الثلاث في الدارجة.

س٥٨٦- وسُئل أيضًا عن رجلٍ قال لزوجته: «غدىٰ نطلقك»[1] ولكن عندما ذهب لعند العدلين وقع التدخُّل وقال له العدلان: لا تقل تلك الكلمة؟ وتأخَّر لأمور، هل تحسب عليه طلقة أم لا؟

ج٥٨٦- فأفتىٰ لا تحسب عليه ولا شيء عليه وإن كانت نيَّته الطلاق .

س٥٨٧- وسُئل أيضًا عن رجلٍ من الحسيمة كتب رسالة وقع له خصام مع ولد أخيه ثُمَّ قال إن دخل دار أخيه فامرأته طالق طلاق الثلاث، ماذا يلزمه؟

ج٥٨٧- فأفتىٰ: تلزمه طلقة واحدة إن كانت هذه الطلقة الأولىٰ أو الثانية، وإذا صادفت الثالثة فلا تحل له حتىٰ تنكح زوجًا غيره.

س٥٨٨- وسُئل أيضًا عن رجلٍ كان يصلِّي فجاءت زوجته وأخذت منه دراهيم وهو في الصلاة، وعندما انتهىٰ غضب وقال: والله حتىٰ نطلقك.

ج٥٨٨- فقال: تلزمه كفارة يمين ولا يلزمه الطلاق لأن لفظه أنه سيطلق فيما بعد.

س٥٨٩- وسُئل عن رجلٍ غضب مع زوجته وقال إن لم يُطلِّقها لا يشفع فيه الله، ماذا لزمه عن هذه المقالة؟

ج٥٨٩- فأفتىٰ بأنَّ هذا القول وهو: «لا يشفع فيه الله» لا يجوز أن يقولها فإنها قولةٌ قبيحةٌ، والحكم أنه يستغفر الله ويتوب ويتصدَّق، ولا شيء عليه، وزوجته غير طالقٍ عليه.

---

(١) بالدارجة وتعني: سوف أطلقك.

س٥٩٠- وسُئل أيضًا عن رجلٍ قال لزوجته إن أتيت لي بشيءٍ من إرث عائلتك «سأسالي معك»[1]، وهذه العبارة هل تفيد الطلاق أم لا؟

ج٥٩٠- فقال: لا تفيد الطلاق في شيء فزوجته لا زالت في عصمته.

س٥٩١- وسُئل أيضًا عن رجلٍ زنا بامرأةٍ ثُمَّ تزوَّجها ولم يستبرئها، ثُمَّ طلَّقها ثُمَّ تزوَّجها ثُمَّ طلَّقها ثُمَّ تزوَّجها ثُمَّ طلَّقها، ثُمَّ أراد بعد هذا الطلاق أن يتزوَّجها هل هذا الطلاق الأول يعتبر طلاقًا أم لا؟

ج٥٩١- فأفتىٰ بأنَّ هذا الطلاق الأول لم يصادف محله لأنها لم تكن زوجة شرعية ولم يكن ذلك العقد صحيحًا شرعًا حتىٰ يصادف الطلاق محله فعدته في هذه المرأة طلقتان فقط بقي له طلاق واحد فلا تحل له من بعد حتىٰ تنكح زوجًا غيره.

س٥٩٢- وسُئل أيضًا عن رجلٍ كان غائبًا فسأله شخصٌ عن غيبته فقال كنت عند الوالدة في البادية، فقال له كم لك من أمٍّ؟ فأجابه واحدة في البادية وأخرىٰ في الحاضرة، يقصد بها الزوجة، فأفتىٰ عالم وهو بومغايث خطيب جامع المصلىٰ أنَّ المرأة حرمت عليه لأنه اعتبره ظهارًا.

ج٥٩٢- والشيخ عبدالله أفتىٰ: لا بأس به ولا يلزمه شيء.

س٥٩٣- وسُئل أيضًا عن رجلٍ وقع له سوء التفاهم مع خال زوجته وعندما عصبه قال له نلتقي عند العدول غدًا، ولم يتكلَّم بطلاقٍ لا تصريحًا ولا إشارة.

ج٥٩٣- فأفتىٰ لا يلزمه شيء.

---

(١) كلمة دارجة تستعمل بمعاني متعددة، وتعني هنا: سأنهي علاقتي بك.

من أحكام الظهار

س٥٩٤- هل أحكام الظهار لا يُعمل بها الآن لجهل العامَّة بها؟

ج٥٩٤- متأخِّرو الفقهاء تفلسفوا فقالوا: إنَّ العامَّة في هذا الزمان لا يعرفون معنى الظهار كما تقصده العرب ولا يفهمونه، فلا يلزمهم حكمه المصرَّح به في (سورة المجادلة). ثُمَّ اختلفوا كيف يكون حكمه؟ فمنهم من اعتبره كنايةً؛ إن قُصد به الطلاق وقع، وإن لم يقصد لم يقع. ومنهم من اعتبره تحريمًا للزوجة وألحقه بقصة مارية، فأوجب فيه الكفارة لقوله تعالى: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ [التحريم: ٢] ومنهم من شبَّهه بتحريم الشخص على نفسه أكل اللحم مثلًا، فقال: لا كفارة فيه، لأنه تحريمٌ لاغٍ.

هذا منشأ الخلاف، وهم في هذا مخطئون؛ لأنهم أبطلوا حكم النصِّ بالاجتهاد، وهو غير جائزٍ.

حكم قتل الزاني والزانية وقت التلبس

س٥٩٥- شخص وجد أخته متلبسة بجريمة الزنا وهي متزوجةٌ فقتلها وقتل الزاني بها وهو متزوِّجٌ أيضًا، فما حكمه؟

ج٥٩٥- الشخص الذي يجد أخته أو امرأته مُتلبِّسةً بالزِّنا فالواجب عليه أن يقيم البيِّنة، ليقوم الحاكم بإقامة الحدِّ الشرعيِّ في ذلك، فإن تعجَّل بالقتل في هذه الحالة وجب عليه القصاص عند الجمهور.

وقال بعض العلماء: لا يجب القصاص؛ لأنه في حالة دفاعٍ عن العِرْضِ، واستدل هذا البعض بحديث: «**كَفَى بالسَّيْفِ شَا**» (أي شاهدًا).

والصحيح قول الجمهور، وكان عمر رضي الله عنه في هذه الحالة يقتص

مِن القاتل ويدفع الدية لأهله سِرًّا، وليس على القاتل في الحالة المذكورة عقوبة في الآخرة، والله أعلم.

هل لولي الدم أن يقتص ممن ظلمه بنفسه

س٥٩٦- إذا انعدم الحاكم بالشريعة الإسلامية فهل لوليِّ الدَّم أن يقتصَّ ممن ظلمه بنفسه؟ وإن لم يستطع فهل له أن يؤجِّر مَن يَقْدِر على القصاص أم يهاجر إلى بلدةٍ تحكم بالشريعة الإسلامية؟

ج٥٩٦- لا يجوز لولي الدم أن يقتصَّ بنفسه ولا أن يؤجِّر على ذلك لما في هذا العمل من الفوضى والاضطراب والإخلال بالأمن العام، والشرع الإسلامي فوَّض إقامة الحدود إلى الحُكَّام المسئولين ولم يتركها فوضى ليقوم بها أفراد الناس، فإذا انعدم الحاكم الشرعيُّ وجب على الشحيح بدينه أن يهاجر إلى بلدٍ إسلاميٍّ تقام فيه الحدود وتصان فيه الدماء حسب ما أمر الله.

وإنما يجوز للشخص أن يقتل ظالمه في حالة الدفاع عن نفسه أو ماله أو عِرْضِهِ، على أن يتفادى في دفاعه القتل ما أمكن إلَّا إذا اضطر إليه اضطرارًا، والله أعلم.

س٥٩٧- سؤال آخر: الشخص الذي يقتل إنسانًا في حادثة السَّير خطأ.

ج٥٩٧- عليه الدِّية والصِّيام، فإن لم يستطع الصيام فإطعام ستين مسكينًا. فحكم الإطعام قياسًا على الظهار والجماع في رمضان.[1]

س٥٩٨- وسُئل أيضًا عن الملاكمة يموت صاحبها.

---

(١) أفتى بهذا للسيد مصطفى العوامي يوم الأربعاء ٢٦ في شهر شوال سنة ١٤٠١هجرية.

ج٥٩٨- فقال: من مات في الملاكمة يموت مُنتحِرًا، والقتل في الملاكمة والكرة وجميع الرياضة كله من هذا القبيل، فإنه يشبه العمد تكون فيه الدِّية مُغلَّظةٌ؛ لأن القتل ينقسم إلى ثلاثة أقسام: العمد، وشبه العمد، والقتل خطأ. والعمد فيه القصاص، وشبه العمد الدِّية مُغلَّظة، والخطأ فيه الدِّية وعتق الرقبة المؤمنة.

قتل الجماعة بالواحد

س٥٩٩- هل يجوز قتل الجماعة بالواحد؟

ج٥٩٩- قتل الجماعة بالواحد ليس متفقًا عليه، ومعناه عند القائلين به: أن تشترك الجماعة في مباشرة القتل، بأن يضربوه حتى يموت، أمَّا المُحرِّض على القتل من غير مباشرةٍ، فلا يقتل، ولكن يُعزَّر بالحبس أو غيره، والذي باشر قتل عمر أبو لؤلؤة وحده، والهرمزان محرِّضٌ ومتآمرٌ، فلا يقتل، ولهذا طلب عليٌّ رضي الله عنه القصاص مِن قاتله.

س٦٠٠- وسُئل أيضًا عن امرأةٍ كانت في الشهر الثاني من الحمل فيها وحم على لحم الخنزير فأكلتها.

ج٦٠٠- فأفتى بالحرمة في أكلها لحم الخنزير فتتوب إلى الله وتستغفره.

س٦٠١- وسُئل أيضًا عن حيوانٍ مأكول اللحم أرضع من جروة ولمَّا كبر ذلك الحيوان ضحَّى به صاحبه، بعض الناس أفتى بأنه حرامٌ؛ لأنه أخو الكلب.

ج٦٠١- والشيخ عبدالله أفتى بحلِّه؛ لأنه ليس محرَّمًا أصلًا .

س٦٠٢- وسُئل أيضًا عن ذكاة الأبكم الذي لا يتكلَّم.

ج٦٠٢- فأجاب: إذا كان مسلمًا تجوز ذكاته ولا شيء فيها، والآية التي تقول: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٨] ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾[الأنعام: ١٢١] قال: الآية في سياق المشركين والمسلم إن نسي التسمية ذكاته صحيحةٌ وجائزٌ أكلها.

س٦٠٣- وسُئل الشيخ عبدالله عن رجلٍ مات له ثورٌ كبيرٌ فلم يذكِّه وأخذ جلده وباعه قبل دبغه.

ج٦٠٣- فأفتى بالجواز اعتمادًا على ما في "البخاري".

س٦٠٤- وسُئل أيضًا عن بقرةٍ ضربت أختها وذُبحت المضروبة فوجد في بطنها جنين ميِّت.

ج٦٠٤- فأفتى بأن ذكاة أمِّه ذكاة الجنين يؤكل بلا ذبح.

س٦٠٥- وسُئل عن الكنور الذي يصنع في الدار البيضاء إمَّا من دجاج أو الغنم أو البقر.

ج٦٠٥- فأفتى بحليَّته وهو قد أكله في مصر .

س٦٠٦- وسُئل أيضًا عن رجلٍ ذبح العقيقة قبل سابع الولادة هل هو جائزٌ أم لا؟

ج٦٠٦- فأفتى لا بأس به.

موضع ذبح الحيوان

س٦٠٧- هل ذبح الحيوان قبل الجوزة يعد باطلًا أم لا؟

ج٦٠٧- لا دليل على أنَّ الذَّبحَ يكون فوق الجوزة أو تحتها وقوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ما أَنْهَرَ الدَّمَ وذُكِرَ اسمُ الله عليه فكُلْ، ليس السِّنَّ والظُّفْرَ**».

عامٌّ يشمل ما إذا كانت الجوزة تحت أو فوق.

حكم ذبيحة النصارى

جاءني كتابٌ من الأستاذ الفاضل صراوي الطَّاهر بن محمَّد الخروب بعمالة القسنطينة - الجزائر، يقول فيه بعد الديباجة: نظرًا لثقتنا بفضيلتكم، ويقينًا أنَّكم مرجع المسلمين لاستفتاء الأحكام الدينيَّة، معوِّلين على بيانكم للحكم في هاته المُهمَّة، أتقدَّم إلى فضيلتكم بالسُّؤال الآتي ملتمسًا الإجابة، مع نشره على صفحات مجلَّة الإسلام الغرَّاء أرجوكم تحقيق آمالنا.

س٦٠٨- ما هو الحكم في ذبيحة نصارى زماننا؟ أتنطبق عليهم أحكام الإنجيل حتَّى يسمَّوا بأهل الكتاب؟ وهل في الإنجيل شرط قطع الحلقوم والودجين أم لا؟ وهل يسمح الشَّرع العزيز بأكل لحوم وشحوم ذكاتهم أم لا؟ أفيدونا أبقاكم الله منارًا للدين والسَّلام.

ج٦٠٨- ذبيحة الكتابي وهو اليهودي والنصراني، حلالٌ بإجماع العلماء كما قال الحافظ ابن كثير وغيره، ولا يشترط في تسميتهم بأهل الكتاب أنْ يكونوا متمسِّكين، بحيث تنطبق عليهم أحكام كتبهم كالإنجيل؛ لأنَّ الله سمَّاهم أهل كتابٍ، ورتَّب على ذلك أحكامًا كحِلِّ ذبائحهم، ونكاح نسائهم وغير ذلك، مع أنَّه أخبر في عدَّة آيات من القرآن: أنَّهم بدَّلوا دينهم وحرَّفوا كتبهم، ولعنهم على ذلك لعنًا كثيرًا، فكان في هذا إشارةٌ إلى أنَّ المشترط في الكتابيين كونهم ينتسبون إلى كتبٍ صحيحةٍ أُنزِلت من عند الله، وإنْ كانت تلك الكتب الآن محرَّفة مبدَّلة، بل ولو كانت صحيحة لما قبل منهم التمسُّك بأحكامها؛ لأنَّها منسوخةٌ بالقرآن وأحكام الإسلام

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[آل عمران: ٨٥]، وكذلك لا يشترط في ذكاتهم أنْ تكون على وفق أحكام التوراة والإنجيل، بل يشترط فيها أنْ تكون على وفق ذكاتنا الشَّرعيَّة الإسلاميَّة، ولهذا لا يجوز لنا أكل ما وقذوه[١] مثلًا بالإجماع، وإنْ أخبرونا أنَّه حلالٌ عندهم؛ لأنَّ الوقذ ونحوه ليس بذكاة شرعيَّة، ولقد أخطأ ابن العربي في هذا الموضوع في كتابه "الأحكام" خطأً شنيعًا، حيث أجاز أكل الدَّجاجة التي يفتل عنقها النَّصراني فتموت بذلك، واحتج بأنَّ هذا طعامهم وطعام رهبانهم، وإنْ لم تكن هذه ذكاة عندنا، وقد ردَّ عليه علماء المذهب وفنَّدوا كلامه بعدَّة وجوهٍ، حتى قال العلَّامة البساطي شارح "المختصر": «ليت قوله هذا لم يخرج للوجود، ولا سُطِّر في كتب الإسلام»، ثمَّ جاء الشَّيخ محمَّد عبده في آخر الزَّمان فقلَّد هذا القول الخاطئ المنبوذ باتفاق علماء المالكيَّة وغيرهم، وأجاز في فتاواه الترنسفاليَّة أكل البقر الذي يضربه النَّصارى بالبلطة[٢] ثمَّ يذبحونه بعد ذلك، وزاد من عنديَّاته في هذه الفتاوى إباحة لبس البرنيطة إذا كان لبسها لحاجةٍ من حجب شمسٍ مثلًا، فكم جرَّت هذه الفتاوى المغرضة- وما أكثرها في كلام الشَّيخ محمَّد عبده- من ويلاتٍ على الإسلام لا يعلم مداها إلَّا الله، وسوف يكون حسابه عليها عسيرًا إنْ لم يتداركه الله بعفوه.

ومع هذا تجد طائفة من المفتونين يدَّعون له الاجتهاد المطلق، فأنعم باجتهاد

---

(١) الوقذ: الضرب بحجر ونحوه.

(٢) هي الشاقور.

تكون نتيجته مثل الفتاوىٰ الترنسفاليَّة!!! ولم يكن غرضنا أنْ نعرض لهذا لولا المناسبة مع ما نراه من المفاسد التي ترتَّبت علىٰ فتاوىٰ الأستاذ الإمام! وإنْ شئت فقل: تساهلاته أو تلاعباته، وما شيوع ورق اليانصيب بالقُطر المصري ذلك الشُّيوع الذي ليس بعده من شيوعٍ، وولوع النَّاس به علىٰ اختلاف طبقاتهم، إلَّا نتيجة فتوىٰ الأستاذ الإمام بجوازه، وقد تغالىٰ النَّاس فيه حتَّىٰ اتخذوه وسيلة للمشاريع الخيريَّة العامَّة فبنوا عن طريقه المستشفيات والملاجيء والمدارس فحقَّ عليهم قول القائل:

بنَىٰ مسْجدًا لله مِن غير كَدِّه ... فكان بحمدِ الله غيرَ موفَّقِ
كفعلِ التي تَزْني وتبذلُ مالها ... لكِ الويل لا تَزْني ولا تَتَصَدَّقي

ولقد ناظرت مرَّةً بعض العلماء في هذا الورق، فكانت حجَّته علىٰ إباحته فتوىٰ الأستاذ الإمام!! أمَّا الطَّامة فقد شاهدنا من حال كثيرٍ منهم وسمعنا من كلامهم، ما دلَّنا علىٰ أنَّهم لا يشكُّون في إباحته اعتمادًا علىٰ فتوىٰ الأستاذ الإمام أيضًا، وفتاواه التي من هذا القبيل يطول استيفاؤها، فلنرجع إلىٰ ما كُنَّا بصدد الكلام عليه.

ذكرنا أنَّ المعتبر في ذبيحة الكِتابي أنْ تكون موافقة لذكاتنا الشَّرعيَّة فلا بدَّ إذًا من قطع الحلقوم والودجين، ويُشترط مع ذلك في حِلِّ ذبيحته عند المالكيَّة شروطٌ ثلاثة:

١- أنْ يذبح ما يحل له بشرعنا كالبقر والغنم، فإنْ ذبح ما ثبت تحريمه عليه بشرعنا حُرِّمت ذبيحته، فلو ذبح اليهودي ذا الظفر وهو الإبل والنعام والأوز لا الدَّجاج، لم يحل لنا أكله؛ لأنَّه محرَّمٌ علىٰ اليهود فلا تؤثِّر فيه ذكاتهم

هذا على المشهور، وقيل: يكره ولا يحرم. نقله ابن عبدالبر عن مالك.

أمَّا الشُّحوم المحضة من ذبيحة اليهود ففيها أقوال ثلاثة:

أ - الكراهة وهو قول مالكٍ، وهو المشهور.

ب - والجواز وهو الأقوى دليلًا.

جـ - والحرمة وهو ضعيفٌ.

٢- ألا يذبح للصَّنم أو عزير أو عيسى عليهما السَّلام، فإنْ ذبح لشيءٍ من ذلك بمعنى: أنَّه سُمي الصَّنم بأنْ قال: باسم الصَّنم أو باسم عيسى قاصدًا تحليل الذَّبيحة بذلك متبرِّكًا به تبرُّك الألوهيَّة، حُرِّمت ذبيحته، أمَّا إنْ ذبح للصَّنم مثلًا بمعنى أنَّه قصد التقرُّب بإهداء ثواب الذَّبيحة إليه فتكره ذبيحته، ولا تحرم كما في "المختصر" لكن بشرط ألَّا يذكر اسم الصَّنم بل ذكر اسم الله أو لم يذكر شيئًا، ومن هنا تعلم أنَّ التسمية لا تشترط في ذبيحة الكِتابي، بل الشَّرط ألَّا يذكر اسم الصَّنم ونحوه سواء ذكر اسم الله أو لم يذكره.

٣ - ألَّا يكون الكِتابي يستبيح أكل الميتة، فإنْ كان يستبيح أكل الميتة، حرمت ذبيحته، إلَّا إنْ ذبحها بحضرة مسلمٍ عارفٍ بالذَّكاة الشَّرعيَّة، فيحل أكلها حينئذ، هذا قول مالك في "الموازية" وهو المشهور وإليه أشار في "المختصر" بقوله: «وإنْ أكل الميتة إنْ لم يغب» وقيل: لا تحل مطلقًا سواء ذبحها بحضرة مسلمٍ أو لا، واستظهره ابن عرفة في "مختصره"، والقولان مبنيان على خلافٍ آخر، وهو هل تشترط نيَّة الذَّكاة بمعنى قصد التحليل من الكِتابي أو لا؟

قيل: تشترط، وعليه ابن عرفة ولذلك استظهر الحرمة في ذبيحة الكتابي الذي يأكل الميتة، سواء ذبحها بحضرة مسلمٍ أو لا.

وقيل: لا تشترط، وهو المعتمد وعليه فتحل ذبيحة الكِتابي الذي يأكل الميتة إذا ذبحها بحضرة مسلم، لا إنْ ذبحها غائبًا عنه، وهذا هو المشهور المعتمد.

ونصارىٰ زماننا يأكلون الميتة بلا شكٍّ، فعلىٰ مشهور مذهب مالك يتجه الحكم بعدم أكل لحوم ذبائحهم التي تأتي من بلادهم؛ لأنَّهم غابوا عليها فلا ندري أذبحوها أم وقذوها؟ إلَّا إنْ تيقَّن في بعضهم أنَّهم لا يأكلون الميتة أو علمنا أنَّهم يذبحونها فتحل ذبيحتهم حينئذ، واللحوم والشُّحوم في ذلك سواء؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالىٰ لم يحرِّم علىٰ النصارىٰ شحمًا ولا غيره، ولكن حرَّم علىٰ اليهود الشُّحوم الممضة من البقر والغنم، وأباح لهم غيرها من الشَّحم المختلط بعظم والحوايا وهي الأمعاء، فالتفريق بين اللَّحم والشَّحم إنَّما يتأتَّىٰ في ذبيحة اليهود، علىٰ أنَّ الجمهور لا يفرِّقون في ذبيحة اليهودي بين ما أُبيح له وما حُرِّم عليه، بل كلُّ ذلك عندهم جائزٌ من غير كراهةٍ، لعموم قوله تعالىٰ: ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ ﴾ [المائدة: ٥]، وهو أظهر وأقوىٰ، هذا حكم المسألة في مذهب مالك، وقد آثرناه علىٰ غيره؛ لأنَّه المذهب المعمول به في تلك البلاد، فإنْ بقي إشكالٌ في المسألة عند السَّائل فليبده لنا حتىٰ نبيِّنه له، وبالله التوفيق.

حكم أكل السردين

س٦٠٩- وسُئل: عن حكم السردين المحفوظ في العلب؟

ج٦٠٩- فأجاب: السردين المحفوظ في علب، والسلمون ليس بحرامٍ لعدم نتنه، وهي علَّة حرمة الفسيخ، وفي الحديث جوابًا عن سمك العنبر

«كلوه مالم ينتن».

حكم النهي عن خلط التمر والزبيب

س٦١٠- وسئل عن حكم النهي عن خلط التمر والزبيب، هل هو للتحريم أم لا؟

ج٦١٠- فأجاب سيادته بما نصُّه: في "صحيح مسلم" عن أبي سعيدٍ الخدريِّ أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم نهىٰ عن التمر والزبيب أن يُخلط بينهما، وعن التمر والبُسْرِ أن يُخلط بينهما -يعني في الانتباذ- وقال: «مَن شَرِبَهُ مِنكُم فليَشْرَبْهُ زَبِيبًا فَرْدًا، وتَمْرًا فَرْدًا، وبُسْرًا فَرْدًا». والنهي للتنزيه عند الجمهور.

من أحكام الأيمان والنذور

س٦١١- وسئل أيضًا عن رجلٍ حلف يمينًا وأكَّدها بالحرام الثلاث إن ذهبت امرأته إلىٰ زفافٍ يشتمل علىٰ رقصٍ ونوع الفساد فلا تبقىٰ معه أبدًا.

ج٦١١- فأفتىٰ أنه يُكفِّر عن اليمين ويزيد صدقة أخرىٰ في مقابل الحرام.

س٦١٢- وسئل عن إمامٍ قال: «عليَّ الحرام أن لا أدخل المسجد»، ثُمَّ راوده الناس وألحُّوا عليه حتىٰ صار إمامًا في ذلك المسجد. ماذا عليهم في الصلاة خلفه، وهل يلزمه شيءٌ أم لا؟

ج٦١٢- فأفتىٰ بأنه لزمه كفَّارة يمينٍ ولا شيء عليهم في الصلاة خلفه.

س٦١٣- وسئل عن شخص قال: «حرام علىٰ ديني أن فعل كذا». ماذا يلزمه؟

ج٦١٣- فأفتىٰ أنه يستغفر الله كثيرًا ويتصدَّق .

س٦١٤- سؤال: رجل حَنِثَ في يمينه فكفَّر عن يمينه أطعم ستين شخصًا أعطاهم خبزة ونصف درهم لكلِّ واحدٍ، هل يكفي هذا أم لا؟

ج٦١٤- أجاب رضى الله عنه: لا يكفي لابد أن يطعم عشرة مساكين وفق الآية فإن الخبزة الواحدة ونصف درهم لا يكفي، لابد من أن «الخبز والكواز»[1] يكون من الوسط، لا من الأعلىٰ ولا من الأدنىٰ .

س٦١٥- وسُئل عن رجلٍ قال هو يهوديٌّ أو نصرانيٌّ أو مجوسيٌّ إن فعل كذا وكذا، وفعل ذلك الفعل، ماذا يلزمه؟

ج٦١٥- أجاب: يستغفر الله ولا يعود ويطعم عشرة مساكين.

س٦١٦-وسُئل أيضًا عن رجلٍ نذر نذرًا فلم يوفِّ به، ماذا يلزمه؟

ج٦١٦- قال: تلزمه كفَّارة اليمين، وهي إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو عتق رقبةٍ، فإن لم يجد هذه الثلاثة بعد ذلك يصوم ثلاثة أيام.

س٦١٧- وسئل أيضًا عن رجل حلف في «استقرار» ابنه أن لا يفضحه في عمل، وعند ذلك أقرَّ ابنه وبعد نصف ساعة قال إن شاء الله. هل هذا اليمين يفسخ ولا يحنث فيه إن أعلن ذلك القوم وأفشىٰ ذلك السر أم يحنث؟

ج٦١٧- فأجاب بأن اليمين ينفسخ ولا يبقىٰ عليه شيء لأن إن شاء الله هنا تنفعه.

س٦١٨- وسُئل أيضًا عن رجلٍ نذر علىٰ نفسه أنَّ زوجته إذا وضعت ذكرًا ينعمها من جميع نعيم الدنيا وهو لا يملك إلا شيئًا قليلًا من الدنيا، ما الحل؟

ج٦١٨- فأفتىٰ رحمه الله أن يشترىٰ لها مصحفًا من القرآن.

---

(١) بالدارجة المغربية، وتعني: الإدام.

فتاوى في قضايا معاصرة

العمل بالبنوك التي تتعامل بالفوائد

س٦١٩: أفتىٰ بعض النَّاسِ بأنَّ العمل بالبنوك حرامٌ بحُجَّة أنَّ البنوك تتعامل بالفوائد ومرتبات الموظَّفين تُصرَف من هذه الفوائد فما الحكم؟

ج٦١٩: العمل بالبنوك التي تتعامل بالفوائد حرامٌ؛ لأنه إعانةٌ علىٰ المعصية، والمُعين علىٰ المعصية عاصٍ بلا خلاف، وفي الحديث الصحيح: «**لَعَنَ اللهُ آكِلَ الرِّبا ومُوكِلَهُ وكاتِبَهُ وشاهِدَيْهِ**».

أمَّا أخذ المال الملوَّث بالرِّبا فحرامٌ أيضًا، وللغزاليِّ تفصيلٌ كبير في المعاملة مع من يعلم أنَّ كلَّ ماله أو جله حرامٌ، وقد بسط ذلك في "الإحياء" فارجع إليه.

حكم شرب الدخان

س٦٢٠- لقد قلتم بحرمة شرب الدخان في كتاب "خواطر دينية" ثُمَّ عدتم إلىٰ القول بجوازها؟

ج٦٢٠- حين ذكرت حُجَّة منع شرب الدخان رجَّحتها ثُمَّ رجعت عنه عمدًا، لأني وجدت أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان يكره البصل والثوم، وقال: «**مَن أَكَلَ مِن هاتين الشَّجَرتَيْن الخَبيثَتَين فلا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدنا**». ولم يُحرِّمهما، وكان يعاف الضبَّ ولا يأكله ولم يُحرِّمه، وأرشد إلىٰ التداوي بالكيِّ وقال: «**أنا لا أُحِبُّ النَّارَ**».

والرجوع عن الرأي لا يكون نسيانًا. وقد رجع الشافعيُّ عن مذهبه القديم بالعراق ولم يقل أحدٌ أنه نسي بل عُدَّ رجوعه مِن سَعَة عِلْمِهِ.

شرب الخمر للتداوي

س٦٢١: يعتريني التهابٌ كلوي حادٌّ وقد أشار عليَّ أحد المسلمين بشرب كأسين من الخمور عند ظهور الألم بحُجَّة أنه جرَّب ذلك فمنع المرض، وأنه ليس على المريض حرجٌ، مع العلم بأنَّ الطبيب يستعمل حقن المورفين لتسكين الألم والمورفين مِن المُخدِّرات؟

ج٦٢١: لا يصح التداوي بالخمر لحديث: «**إنَّ اللهَ لم يجعل شفاءَكُمْ فيما حَرَّمَ عليكم**»، وفي حديثٍ آخر: أنَّ ناسًا من اليمن سألوا النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقالوا: إن أرضنا باردة، وإن أرضنا محمة -أي ذات حمى- ولا يصلحنا إلَّا هذا الشراب الذي يقال له المزر. فقال: «**أَوَيُسْكِرِ؟**»، قالوا: نعم. فلم يأذن لهم فيه.

فالتداوي بالخمر حرامٌ ولو شرب المريض الخمر بقصد التداوي لوجب عليه الحدُّ الشرعيُّ وقول الله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النور: ٦١] معناه في القعود عن الجهاد وفي فطر رمضان وفي الصلاة قاعدًا وفي غير ذلك مما أذن فيه الشرع.

أمَّا الخمر وسائر المحرَّمات فلم يأذن الشارع باستعمالها في التداوي بل نهى عنها، واستعمال الدكتور لحقن المورفين ليس بحُجَّةٍ، والله أعلم.

شرب الحشيش

س٦٢٢: هل تدخين الحشيش حرام أم مكروه وما أدلة ذلك؟

ج٦٢٢: تدخين الحشيش حرامٌ بالإجماع، حكى هذا الإجماع الإمام النوويُّ وغيره، وروى أبو داود في "السنن" عن أمِّ سلمة قالت: نهى رسول الله صلَّى الله

عليه وآله وسلَّم عن كلِّ مُسْكِرٍ ومُفَتِّرٍ. فالمسكر: الخمر والبيرة والبوظة، والمُفتِّر: الحشيش والأفيون وما في معناهما.

وذكر العلقميُّ في شرح "الجامع الصغير" أنَّ رجلًا من العجم دخل مصر وطلب الدليل على حرمة الحشيش وعقد لذلك مجلسًا حضره علماء مصر، فاستدل الحافظ العراقيُّ بحديث أمِّ سلمة المذكور فارتضاه العلماء وأفحم الخصم.

وذكر ابن تيمية في كتاب «الأشربة» من "فتاويه" أنَّ الحشيش أقبح من الخمر، وأنَّ معتقد حليتها يكفر، وهذا منه بناء على أنَّ الحشيش مُسكِرٌ، وهو قولٌ قال به جماعةٌ من العلماء ورجَّحه الزركشيُّ وغيره من الشافعية، لكن الذي رجَّحه القرافيُّ وغيره -وهو الراجح من حيث النظر- أنها مُفَتِّرةٌ أي من قبيل المُخدِّرات.

وعلى كلتا الحالتين فالإجماع منعقدٌ على تحريمها لكن لا يكفر من يعتقد حليتها خلافًا لابن تيمية، نعم يجب تعزيره وتأديبه حتى لا يعود إلى القول بإباحة ما حرَّمه الله، والله أعلم.

شرب الكينا المقوية

س٦٢٣: شرب الكينا المقوية المقصود بها المداواة هل يجوز أو لا؟

ج٦٢٣: إذا كان الدواء خاليًا من الخمر أو فيه كمية من الكحول مستهلكة في الدواء بحيث لم يعد لها أثرٌ في الطعم أو الرائحة أو التأثير على العقل فشربه جائزٌ، وإن لم يكن مستهلكًا بحيث بقيت رائحةٌ أو طعمٌ أو تأثيرٌ فلا يجوز.

حكم الشرع في ارتياد السينما والملاهي

س٦٢٤- ما حكم الشرع في ارتياد السينما والملاهي؟

ج٦٢٤- ارتياد السينما والملاهي حرامٌ؛ لأنه إضاعة للمال والوقت في غير فائدةٍ، مع ما يشتمل عليه من اختلاط الشُّبَّان والفتيات ورؤية المناظر المُخِلَّة بالآداب والمثيرة للغرائز الشهوانية، وفي ذلك من المفاسد ما لا يخفى على أحدٍ.

استعمال العقاقير لمنع الحمل

س٦٢٥- ما حكم من يعمل على عدم النَّسْل بإعطاء زوجته بعض العقاقير لمنع الحمل، مع العلم بأنَّ الصحَّة جيدةٌ والحالة المعيشية حسنةٌ.

ج٦٢٥: العمل على منع النَّسْل قبل تكوين الجنين مكروهٌ وتشتد الكراهة إذا كانت المعيشة حسنةً، وصحَّة الوالدين جيدة كما ذكر السائل، ومنع الحمل بعدم إيصال الماء إلى الرَّحم لا يجوز عند المالكية إلَّا برضاء المرأة؛ لأنه من حقِّها.

وقد ورد في الحديث عن جابرٍ قال: كنَّا نعزل على عهد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم والقرآن ينزل فلم ينهنا.

وورد أيضًا في العزل: أنه الوأد الخفي، والجمع بين هذين الحديثين بحمل العزل على الكراهة؛ لأن الحديث الأول يفيد جواز العزل إطلاقًا ولكن الثاني أفاد أن فيه كراهة حيث سماه وأدًا خفيًا كل هذا يختص بما قبل تكون الجنين.

أمَّا ا لعمل على منع النسل بعد تكون الجنين بإنزاله بطريق الإجهاض مثلًا فيحرم لأنه جنايةٌ على نفسٍ بغير ذنبٍ.

نعي الميت في الجرائد

س٦٢٦- هل نعي الميت في الجرائد حرامٌ؟

ج٦٢٦- نعي الميت في الجرائد إذا كان بقصد إعلام أقاربه أو أصدقائه الخاصّين به فلا بأس، أمَّا إذا كان نشر النعي بقصد الشهرة والتفاخر بتعداد أقارب الميت وأنسابه فهو حرامٌ شرعًا لورود النهي عنه، ولأن الموت ينافي الافتخار.

إقامة المآتم خصوصًا في مواسم الأعياد

س٦٢٧- ما هو الحكم في إقامة المآتم خصوصًا في مواسم الأعياد؟

ج٦٢٧: إقامة المآتم من أصلها بدعةٌ مُنكَرةٌ محرَّمةٌ في الدِّين وتحصل بسبب هذه المآتم مآثم لا عداد لها، فربما يكون الميت فقيرًا فيستدين أهله لإقامة المأتم، وربما يكون في ورثته قُصَّر لا يجوز التصرف في مالهم بشيءٍ لأنهم أولى به.

ثُمَّ هذه المآتم إنما تقام للفخر والتظاهر وترتكب فيها أمورٌ لا تليق بجلال الموت وهيبته، فترى المُعزِّين الوافدين على المآتم يقطعون الجلسة كلامًا وحديثًا وشرب قهوةٍ وسجائر أثناء تلاوة القرآن، فلا هم يعتبرون بحال الميت الذي أتوا يعزُّون فيه ولا هم استمعوا إلى كلام الله الذي يزجرهم بقواطع وعظمة.

أمَّا إقامتها في مواسم الأعياد فحرمته تحريمًا مضاعفًا؛ لأن العيد جعله الله للمسلمين يوم فرحٍ وسرورٍ، وأباح لهم فيه اللهو البريء ليسروا عن أنفسهم متاعب الحياة ويشكروا الله على ما هداهم إليه من نعمة الإسلام، فإقامة المآتم وزيارة القبور تنافي حكمة الشرع التي قصدها في يوم العيد، ولهذا لا تجوز إقامة المآتم ولا زيارة القبور في يوم العيد.

س٦٢٨- رجل يسأل أنه يلاقي في بلاده في المغرب متاعب ومصاريف وأزمة مادية، هل يجوز له أن يذهب إلى الخارج أم لا؟

ج٦٢٨- الجواب: الأَوْلى والأحسن والأفضل له أن يبقى في بلده محافظة على دينه وتربية أولاده. أفتى بهذا أيضًا الشيخ عبدالله .

س٦٢٩- وسُئل أيضًا عن رجلٍ دفع شيكًا من قبل دينٍ كان عليه وليس له حسابٌ في البنك، وإذا لم يؤدِّ في الوقت المُحدَّد سيدخلونه السجن، وليس عنده ما يؤدِّي. هل يمكن له أن يستلف من البنك بالفائدة أم لا؟

ج٦٢٩- أجاب: ليستلف من البنك بالفائدة، ولكن فعل حرامًا لأنه اعتبر في هذه الصورة الاضطرار، وقال: إنَّ الآخذ هنا للربا أكثر حرمة من المعطي.

س٦٣٠- وسُئل أيضًا عن رجلٍ عنده أولاد يشتغلون في الخارج وأمهم معه وأختهم صغيرة، ومعاملة الأولاد مع أبيهم وأمهم غير مستقيمةٍ، هل يجوز له شرعًا أن يعطي شيئًا للزوجة والبنت الصغيرة؟

ج٦٣٠- فأفتى بالجواز ولا يكون من باب تفضيل الأولاد وتمييزهم، ولكن لابد أن يكون عن طريق البيع أو طريق يُصحِّحها الفقه الإسلاميُّ.

س٦٣١- وسُئل أيضًا عن امرأة متزوِّجة وهي حاملٌ من شهرين ونصف وألحَّ عليها الزوج أن تعمل الإجهاض، هل هو جائزٌ في هذا الوقت أم لا؟

ج٦٣١- فأجاب: جائزٌ مع الكراهة إن لم يكن من أجل الفقر، وإلَّا مع خوف الفقر أو وجود الفقر فهو حرامٌ.

س٦٣٢- وسُئل أيضًا أنَّ رجلًا اشترىٰ لأولاده علبة صابون «أومو»[١] ووجدوا فيه دعاية يؤخذ بها آلة الخياطة، فدفع لهم تلك الورقة وأعطوه آلة الخياطة؛ لأنهم يعملون دعاية وتشجيعًا لسلعتهم، هل هذا من باب القمار أم لا؟

ج٦٣٢- فأجاب: لا ليس هذا من باب القمار وإنما هو من باب التشجيع وترويج للسلعة.

وكذلك بعض الأسئلة يجاب عنها فيفوز بعض الأفراد بجائزة ورقة الطائرة للحجِّ أو للعمرة، فأجاب بالجواز ولا شيء فيها .

س٦٣٣- وسُئل أيضًا أنَّ شخصًا وضع مالًا في البنك وعندما أتىٰ لأخذه فوجئ بالفائدة هل يأخذها وينفقها في المشاريع أو أشياء غير شرعية مثل الضريبة والتأمين أو أشياء من هذا القبيل؟

ج٦٣٣- فأفتىٰ: لا يجوز له أن يأخذ ذلك المال شرعًا؛ لأنه سيعاقب عليه لأنه ربا.

س٦٣٤- وسُئل عن رجلٍ قطعت يده حدًّا في السرقة وأراد طبيب أن يرد يده في الحين طريَّةً هل يجوز أم لا؟

ج٦٣٤- فأفتىٰ: لا يجوز؛ لأن فيه محاربة للشارع، فلا بد أن تبقىٰ يده مقطوعة ليرتدع غيره ويراها الناس.

س٦٣٥- وسُئل أيضًا عن رجلٍ عنده امرأةٌ عقيمٌ لا تلد وذهب بها إلىٰ أمريكا ولقَّحوا لها منيًّا أجنبيًا ليس المني له، وحملت.

ج٦٣٥-فأفتىٰ بكون هذا العمل حرامًا، والولد ولد زنا ولا حدَّ عليهما

---

(١) اسم تجاري لنوع من مسحوق الصابون.

شرعًا، -أعني الرجم- لأنها لم تُباشر الزنى ولم يباشرها رجلٌ؛ لأن الحد المشترط فيه مباشرة الذكر بالدخول في الفرج.

س٦٣٦- وسُئل أيضًا عن حادثةٍ وقعت في لبنان، وهو أنَّ جماعةً من الفلسطينيين حصروا في مخيَّمٍ ولم يجدوا الأكل حتى اضطر بهم الحال إلى أكل الفيران والقطط والكلاب. وأفتى لهم عالمٌ شرقيٌّ شيعيٌّ بأكل لحم إخوتهم الموتى.

ج٦٣٦- فأفتى بالمنع.

التبرع بالأعضاء

س٦٣٧- وسُئل أيضا عن رجلٍ أو امرأةٍ يوصيان إذا ماتا أنهما يتبرعان بأعينهما أو قلبيهما أو أي عضو منهما لمريض بقصد العلاج.

ج٦٣٧- فأفتى: هذه الوصية باطلةٌ ولا تنفَّذ؛ لأن الأعضاء ليست مِلْكًا له فهي ملكٌ لله، ولهذا حرَّم الله على الإنسان أن يقتل نفسه أو يجني عليها بأي شيءٍ من الهلاك، ورغَّب الرسول في أن الإنسان يصبح مطلوبًا بالصدقة عن أعضائه شكرًا لله وأشياء من هذا القبيل.

س٦٣٨- وسُئل أيضًا عن شخصين أخوين بينهما شركة في تجارة بيع الثياب وأرادا أن يشتريا ثيابًا من ألمانيا فطلبت الشركة الألمانية أن يضمنها البنك وهما عندهما حساب في البنك الشعبيِّ وعندما ذهبا إلى البنك فطلب منهما التعويض على الضمانة ٥ , ١٪ لأجل أن تجيء السلعة في اسم البنك وهو الضامن لقيمة السلعة. فبعض العلماء أفتوا بأن هذا التعويض على الضمانة ربا.

ج٦٣٨- وأفتى الشيخ عبدالله بالجواز، وأنَّ هذه الأجرة على الضمانة ليست ربا في شيءٍ وإنما هؤلاء غلطوا في تسميتهم هذه ربا.

س٦٣٩- وسُئل أيضًا عن رجلٍ يشتغل مع المحامي كاتبًا ويعطيه أجرة قدرها في كلِّ شهر ٥٠٠ درهم وهو عندما يأتيه أي واحد لأداء اللوازم يزيده عشرين درهمًا أو ثلاثين درهمًا أو أكثر أو أقل والناس لا يعرفون أن كل ذلك القدر من اللوازم.

ج٦٣٩- فقال إن هذا فيه شبهة وفيه خيانة ولا يمكن أن يكون حلالًا.

وسُئل أيضًا عن بنت عندها في الكلى حجر والأطباء كلهم يقولون لها لا عملية لهذا الحجر لأنه نبت في اللحم مع ولادتها فلا تكون لها العملية وأمروها أن تشرب كل ساعتين ومنعوها من الصيام طول حياتها.

فأفتى لها بأن تطعم عن كلِّ يومٍ مسكينًا ويقدر بستة دراهم عن كلِّ يومٍ حسب اليسر.

س٦٤٠- وسُئل عن رجلٍ باع سيَّارةً لشخصٍ وأعطاه ذاك الشخص شيكًا بنكيًّا، فأخذ نقوده ثُمَّ ظهر له أن يردَّ سيارته ولا يبيعها فردَّ له سيارته ورد له نقوده، ثُمَّ بعد ذلك ظهر له بيعها فأعطاه السيارة وأعطاه المشتري النقود عندما بحثها وجد هناك زيادة قدرها ٥٠٠ درهم فأخبر المشتري بالزيادة، فقال: إني لم أزد شيئًا، النقود التي رددت لي لم أزد عليها ولم أنقص منها، فذهب إلى البنك يسأل عن الساعة واليوم الذي أخذ تلك النقود هل وقع نقص؟ فلم يجد أي نقص وقع في ذلك اليوم، وإنما وقع بعده في يوم آخر وقدره ٧٠٠ درهم.

ج٦٤٠- يتصدَّق بها على الفقراء والمساكين.

س٦٤١- وسُئل أيضًا عن فرقة كرة القدم وأرسلت لها من الجامعة الملكية

بالرباط تبرُّع من المال، فاتفقت كلمتهم أن يتبرَّعوا بها على المسجد هل هو جائزٌ أم لا؟

ج٦٤١- فأفتى بالجواز.

حكم دفع المال من أجل الحصول على وظيفة

س٦٤٢- وسألته عن حكم الشرع في دفع أحد الإخوان مالًا لمقاول إحدى الدوائر الزراعية لتعيينه بها؟

ج٦٤٢- فأجاب سيادته بما نصُّه: ولا بأس عليه أن يدفع لمقاول الدائرة ما طلبه منه وليس هذا مِن الرِّشوة؛ لأن الرِّشوة المحرَّمة هي التي تُعطَى لإبطال حقٍّ أو إحقاق باطلٍ، أمَّا عن دفع مالًا ليصل إلى حقِّه أو ليرفع ظلمًا نزل به فلا حرمة عليه في دفع المال ولا إثم، وإنما يأثم الآخذ فقط، هذا نصَّ عليه جماعةٌ من العلماء منهم ابن حجرٍ في كتابه "الزواجر".

ثُمَّ إنَّ هذا كله فيما يتعلَّق بالقضاء والحكَّام، أمَّا ما يتعلَّق بإلحاق شخصٍ في عملٍ مُعيَّنٍ فلا يظهر انطباق وصف الرِّشوة عليه وبيان ذلك: أنَّ الموظَّف يحرم عليه أخذ الأجر على عملٍ واجبٍ عليه بحكم دينه أو وظيفته، ومِن هنا قال جماعةٌ من العلماء: «يحرم أخذ الأجر على الصلاة؛ لأنها واجبةٌ لابد من أدائها على أي حال». وهكذا كل واجبٍ على الشخص لا يصح أخذ الأجر عليه، أمَّا إلحاق شخص مُعيَّنٍ في عملٍ مُعيَّنٍ فليس واجبًا على الموظَّف سواء كان مقاولًا أو غيره، فأخذ الأجر عليه لا يعد رشوة إلَّا إذا كان يعلم أن الذي سيلحقه بالعمل ليس أهلًا له فيكون حينئذ غِشًّا وخيانةً، نعم أخذ الأجر على مثل هذه الخدمات يعد منافيًا لمكارم الأخلاق.

حكم عمل المرأة

س٦٤٣- وسألته عن حكم اشتغال المرأة في الوقت الحاضر في الأعمال العامَّة.

ج٦٤٣- فأجاب سيادته بما نصُّه: أنَّ الشرع أباح للمرأة مزاولة البيع والشِّراء، وكان النِّساء يخرجن في الغزوات مع النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يُضَمِّدن الجَرْحَىٰ ويسقينهم، فإذا كانت المرأة في عملٍ تعيش منه وهي محتشمةٌ في حجابها لا تمس رجلًا ولا يمسها فلا مانع من ذلك، علىٰ ألَّا تقعد في مكتبٍ مع رجلٍ وحده، نُهي عن ذلك، ولأنه مظنَّة الفساد والتهمة.

س٦٤٤- وسُئل عن حكم سفر المرأة بدون مَحْرَمٍ؟

ج٦٤٤- سفر المرأة وحدها مع الأمن جائزٌ؛ لقول النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لعديِّ بن حاتم: «**يُوشِكُ أن تَخْرُجَ الظَّعِينَةُ مِن الحِيرةِ تؤمُّ البيتَ لا زَوْجَ معها**». الحديث رواه البخاريُّ.

قال الحافظ ابن حجرٍ: «هذا خبرٌ في سياق المدح ورفع منار الإسلام فيحمل علىٰ الجواز».اهـ، لكن يشترط أمن الطريق وأمن الفِتنة، فإن فُقِدا أو أحدهما فلا يجوز لها السفر وحدها.

حكم سفر المرأة بدون محرم للعمل

س٦٤٥- وسألته عن حكم سفر المرأة بدون محرم للعمل في غير بلدها؟

ج٦٤٥- فأجاب سيادته بما نصُّه: وسفر المرأة للعمل في غير بلدها محل بحثٍ ونظرٍ، ففي الحديث الصحيح: «**لا تُسافِرْ المَرأةُ إلَّا مع ذي مَحْرَمٍ، ولا يَدْخُلُ عليها رَجُلٌ إلَّا ومعها مَحْرَمٌ**». وهو في "صحيح البخاريِّ".

وقال القفَّال الشاشيُّ الشافعيُّ: «يجوز للمرأة أن تُسافر وحدها إذا كان الطريق آمنًا؛ وذلك لأن حَكَمة منعها من السفر وحدها هو الخوف عليها. وحَجَّ أمهات المؤمنين في عهد عمر ومعهنَّ عثمان وعبدالرحمن بن عوفٍ كما في "البخاري".

وممَّا يدل على جواز سفرها وحدها حديث عديِّ بن حاتمٍ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يوشك أن تَخْرُجَ الظَّعِينَةُ مِن الحِيرَةِ تَؤُمُّ البَيْتَ لا تَخافُ أحدًا إلَّا اللهَ**». فهذا يدل على جواز سفر المرأة وحدها عند الأمن.

قال الحافظ ابن حجرٍ: «وتُعقِّب بأنه يدل على وجود ذلك لا على جوازه. قال: وأجيب بأنه خبرٌ في سياق المدح ورفع منار الإسلام فيحمل على الجواز».اهـ

وهو في "صحيح البخاري" ويدل على الجواز كما قال الحافظ، لا سيِّما وقد قال عديُّ بن حاتم كما في "البخاري": «فرأيت الظَّعينَةَ تَرْتَحِلُ مِن الحِيرة حتَّى تطوفَ بالكعبةِ لا تخافُ إلَّا اللهَ».

لكن يبقى البحث في جواز سفر المرأة لأجل الوظيفة، عند الحنفية: يجوز سفرها إلى بلدٍ آخر لأجل معيشةٍ ضروريةٍ، فهل الوظيفة معيشةٌ ضروريةٌ؟ تقدير هذا يرجع إلى ظروف المرأة وظروف أهلها، وعلى أساس هذا يمكن أن يتقرَّر سفر امرأةٍ أو عدم سفرها، وإذا سافرت فأين تقيم؟ ومع مَن؟.

حكم التنميص

س٦٤٦- وسألته عن حكم ترقيق حواجب المرأة وإزالة شعر وجهها، وعن حكم من يقول بإباحة التبرُّج للنِّساء.

ج٦٤٦- فأجاب سيادته بما نصه: والنهي عن ترقيق حواجب المرأة وإزالة شعر وجهها عامٌّ في كلِّ حالٍ. نعم قال العلماء: «إذا أذن لها زوجها بذلك فيكون من باب التزيُّن للزوج، لكن لا تخرج به للشارع».

والمستحلون للتبرُّج إن لم يكونوا كفَّارًا فهم قريبون من الكفر؛ لأن التبرُّج منهيٌّ عنه في القرآن الكريم.

حكم العمل بالجمارك والبنوك والمحاكم

س٦٤٧- وسألته عن العمل بالجمارك التي تُحَصِّل المُكُوس، والبنوك التي تتعامل بالرِّبا، والمحاكم التي يحكم فيها بالقوانين الوَضْعِيَّة؟

ج٦٤٧- فأجاب سيادته بما نصُّه: العمل بالجمارك والبنوك والمحاكم حرامٌ، ومَن لا مورد له إلَّا مِن ذلك العمل يتجنَّب أكله.

العمل بالجمارك

س٦٤٨- وسألته كيف يكون العمل بالجمارك حرام مع أن المقصود منها زيادة موارد الدولة وحماية الصناعة المحلية من المنافسة الأجنبية؟

ج٦٤٨- فأجاب سيداته بما نصُّه: ومسألة الجمرك يراجع عليها كتاب "الشرح الصغير" في باب الجهاد عند الكلام على الجِزْية وما يلحق بها، فهناك نصَّ الشيخ الدردير على أنَّ أخذ العُشُور من تُجَّار المسلمين حرامٌ بالإجماع، على أنَّ الشاطبيَّ أفتى بجواز ضرب ضريبة على المسلمين إن كانت الدولة ضعيفةً لتُقوِّي نفسها وتقوم بمصالح رَعيَّتها، والجمرك مثل ذلك.

بسم الله الرحمن الرحيم

أَجوِبةٌ هامَّةٌ في الطِّب

الحمدُ لله والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّدٍ وآله.

وبعد: فقد سُئلتُ من بعض طلبة الطِّب بالإسكندريَّة أسئلةً عن قضايا جديدةٍ، في عالم الطِّب الذى يُدرس ويُمارس على الطَّريقة الأوربيَّة التى تُخالف التعاليم الأسلامية جملةً وتفصيلًا، ومع هذا فالمسلمون في حاجةٍ شديدةٍ مُلِحَّةٍ إلى الطِّب الحديث، تعلُّمًا وتعليمًا ومُمارسةً؛ لحفظ صحَّتهم وعلاج أمراضهم، فارتقى عن رتبة الحاجيَّات إلى رتبة الضروريَّات؛ لتعلُّقه بحفظ النَّفْس ووقايتها.

والشريعة الإسلامية تُعطِي للضروريَّات عنايةً تتَّفق ومالها مِن أهميَّةٍ، فحرَّمت إتلاف النفس بالانتحار وأسبابه، كوصال الصَّوم، والإضراب عن الطعام، وأوجبت شقَّ بطن الميت إذا كان فيه مالٌ لأحدٍ؛ لأنَّ حفظ المال من الضروريَّات.

وإذا ماتت نُفَسَاء وفي بطنها جنينٌ حيٌّ وجب إخراجه.

وإذا ماتت امرأةٌ وسط رجالٍ لم يَجز لهم أن يُغَسِّلوها؛ لأنَّ حِفظ عورتها من الضروريَّات، ولكن يُيَمِّمُونها في وجهها وكفَّيها، ومِن هنا قال العلماء: «الضروريَّات تُبيح المَحْظُورات» يَقصدون أنَّ حِفظ النَّفْس وما في معناها من الضروريَّات إذا توقَّف على ارتكاب مُحَرَّمٍ سَاغَ ارتكابه، ولم يَصِر مُباحًا بل هو لم يزل مُحَرَّمًا، ولكنَّ الله تعالى يغفره لأجل الضَّرورة، كما قال الله تعالى: ﴿فَمَنِ

اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[الأنعام: ١٤٥] أفادت الآيه أنَّ الله غفر ارتكاب المُحرَّم - مع كونه مُحرَّمًا- لأنَّ مرتكبه مُضْطَـرٌّ.

ولهذا قال العلماء أيضًا: «ماجاز للضَّرورة يُقَدَّر بقَدْرها» يعنى لا يُتوسَّع في سائر المُباحات، بل يُقتصر فيه على قَدْر الضَّرورة بحسب زمانها ومكانها.

والضَّرورة في علم الطِّب تنحصر في أمرين:

١- إنقاذ نفس المريض مِن التَّلف إن كان له أَجَلٌ.

٢- إذهاب أَلَمِه، أوتخفيفه على الأقلِّ.

ووظيفة الطَّبيب أن يُعالج المريض لا أن يَشفيه؛ لأنَّ الله هوالشَّافي ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾[الشعراء: ٨٠].

وفي إطار هذه المقدِّمة يظهر جواب الأسئلة المقدَّمة إليَّ:

ج٦٤٩- يُشرع للرجل مُمارسة طبِّ أمراض النِّساء والولاده، بل هو فرض كفايةٍ يقوم به بعض الرجال، لقلَّة النِّساء الطَّبيبات وقِلَّة كفاءتهنَّ، لكن لا يُباشر علاج امرأةٍ أو توليدها إلَّا إذا لم يوجد في المكان طبيبةٌ، أو كانت موجودةً وعجزت، أو استعانت به فحينئذٍ يتعيَّن عليه علاجها.

ج٦٥٠- إذ كانت حالة المريضة خطيرةً تستدعي العلاج؛ فيجب عليه المبادرة إلى علاجها. أمَّا إذا كانت حالة المريضة لا تستدعي الاستعجال، فلا بأس أن يُؤخِّر العلاج، على أنَّه لو عجَّل علاجها في هذه الحالة أيضًا لم يكن عليه حرجٌ؛ لأنَّ الضَّرورة موجودةٌ وهي إنقاذ حياة المريضة، أو تخفيف أَلَمِها.

ج٦٥١- يَحرُم اختلاء الطَّبيب بالمرأة أثناء الكشف عليها، ولابُدَّ مِن

وجود مَحْرَمٍ معها، ففي الحديث: «ما خَلا رَجُلٌ بامْرَأةٍ إلَّا كان الشَّيطانُ ثالثهما»، فوجود الزوج أو المَحْرَم واجبٌ شرعًا، وهل يكفي وجود امرأةٍ من قريباتها؟ مَحَلُّ نظرٍ، وأنا أرىٰ أنَّها لاتكفي بل لابُدَّ من امرأتين فأكثر؛ لأنَّ المرأة تَستُر صاحبتها أو قريبتها إذا رأت منها ما يَشِين.

وإذا أتت مريضةٌ بدون مَحْرَمٍ معها فلا يَكشف عليها الطَّبيب إلَّا إذا ترك باب العيادة مفتوحًا علىٰ مِصْرَاعيه أو يدخل معها مريضاتٌ أُخَر، حتىٰ لا يَختلي بها. وعلىٰ هذا ينبغي للطبيب أن يكون كشفه علىٰ النِّساء مُجتمعاتٍ، لا مُنفرداتٍ، أمَّا إذا كانت حالة المريضة تستدعي التدخُّل الفوري وليس معها أحدٌ وهي في عيادته أو في بيتها، فيتصرَّف حسبما تقتضيه الضَّرورة العاجلة، وفي العيادة يترك باب غرفة الكشف مفتوحًا حتىٰ لا تكون خَلْوَةً، وإذا حضرت المريضة إلىٰ العيادة بغير مَحْرَمٍ وحالتها غير عاجلةٍ فلا يَكشف عليها.

ج٦٥٢- توليد الطَّبيب للمرأة إن كان يتوقَّف علىٰ التَّدريب علىٰ عمليَّة الولادة فيجوز بقَدْر الضرورة، يعني إذا كان التدريب علىٰ عمليَّةٍ أو إثنتين مثلًا، تَحرم الزيادة عليها. ويأتي هنا سؤالٌ وهو: هؤلاء «الدَّايات» الماهرات في التوليد منذ أقدم العصور، كيف تَعلَّمن؟

ج٦٥٣- يُشترط في الطَّبيب المُعالج لمسلمةٍ أن يكون مُسلمًا أو طبيبةً نصرانيَّةً مثلًا. دخل أبو بكر الصِّدِّيق علىٰ عائشة وهي مريضةٌ، ووجد يهوديةً تَرْقِيها فقال لها: ارقيها بكتاب الله، والمقرَّر في الشَّريعة أنَّ الذميَّ-يهوديًّا أونصرانيًّا- إذا كشف عورة مسلمةٍ متعمِّدًا انتقضت ذمَّته، ولم يبقَ له حرمةٌ، وعلىٰ هذا إذا فُقدت الطَّبيبة المُسلمة والطَّبيب المسلم، والطَّبيبة النَّصرانيَّة، جاز

أن يُعالجها الطَّبيب غير المسلم للضَّرورة، بشرط أن يكون مرضها شديداً يخاف على حياتها منه.

ج٦٥٤- يجب على الطبيب أن يتحاشَى النَّظر إلى العورة المُغلَّظة إلَّا في حالة الضَّرورة القُصْوَى؛ لأنَّ النَّظر إلى العورة المُغلَّظة يوجب المقت كما في الحديث، والنَّظر إلى عورة المرأة أشدُّ مَقْتًا. وإذاكان النَّجاح في الامتحان يتوقَّف على الكشف على مريضةٍ وتشخيص مرضها فيجوز مع البعد عن عورتها إن أمكن، ولا يجوز التدريب على مريضةٍ مطلقاً إلَّا إذا لم يكن مفرٌّ مِن ذلك بوجهٍ من الوجوه.

ج٦٥٥- التكسُّب من الطِّب مشروعٌ لابأس به، وهو على قَدْر ما يبذله الطَّبيب مِن مجهودٍ، وعلى هذا يُقَدِّر الطَّبيب الأجر الذي يأخذه على أساس مستوى المريض الاجتماعيِّ، والطِّب في الأصل ليس المراد منه التكسُّب والإثراء كسائر المِهن والصِّناعات، بل هو خدمةٌ إنسانيةٌ، فلذلك ينبغي للطَّبيب أن يُراعي الرِّفق في تقديره أُجْرته.

كان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في سفرٍ، فعَرضت له امرأة تحمل ابنًا لها، فقالت يارسول الله ابني هذا يُصرَع في اليوم كذا مرَّة، فأخذه بين يديه وعالجه ثُمَّ ردَّه إليها وذهب، وفي عودته لقيته المرأة في ذلك المكان ومعها كَبْشان، فقالت يارسول الله ابني لم يَعُد يُصرع مِن ذلك اليوم وهذان لك، فأخذ واحدًا وردَّ عليها الآخر رِفقاً بها، وكان ابن جُرَيجٍ حافظًا للحديث وطبيبًا يعالج بالمجَّان.

وأخبرني صديقٌ مصريٌّ أنَّه ذهب إلى لندن لعملية استخراج الحصوة،

واتَّفق معه الطَّبيب على مبلغ (٤١٠ جنيه) وبعد انتهاء العملية ولوازمها، ردَّ له الطَّبيب (١٠٠ جنيه) فقال ما هذا ؟ قال الطَّبيب هذا مِن حقِّك؛ لأنَّ المبلغ الذي طلبته منك تبيَّن أنَّه أكثر ممَّا يلزمك، فمَن من الأطباء هنا يردُّ على المريض ممَّا دفعه؟!

والطَّبيب الذي يقول لأهل المريض: انقلوه إلى المستشفى أوكلمة نحوها لايستحقُّ أُجرةً، ولو أخذها فإنَّه يأخذ حرامًا. ويشبه ذلك أنَّ طبيبًا أعرفه، دعي للكشف على طبيبٍ فوجده في سِياق الموت وهذه حالةٌ لا تخفى على الطَّبيب ومع ذلك كتب له دواءً وأخذ الأجر، ولم يَبعُد عن البيت بضع خطواتٍ حتى سمع صراخ أهله عليه، فكان ينبغي له أن يردَّ ما أخذه منهم لكنَّه لم يفعل، بل ما كان ينبغي له أن يأخذ أجرًا من مريضٍ في سياق الموت، ولكنَّه الحرص على المال. ويجوز للطَّبيب الكشف على البنت الصَّغيرة إذا كان معها من يَحرُسها، والمرأة العجوز لابُدَّ أن يكون معها مَحْرَمٌ؛ لأنَّ الله نهى العجائز عن التبرُّج في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[النور ٦٠] لأنَّ أطماع الرجال قد تمتد إليهنَّ وترغب فيهنَّ، وفي المثل العربي : ما مِن ساقطةٍ إلَّا ولها لاقطةٌ.

والطَّبيبة تكشف على الرجل إذا لم يوجد غيرها لكن لا يجوز اختلاؤهما.

ج٦٥٦- التشويهات الخَلْقيَّة الوِراثيَّة، لا تجوز إزلتها بعمليَّة تجميلٍ؛ لأنَّ النبيَّ لعن النِّساء المتزيِّنات بالنَّمصِ ووَصْلِ الشَّعْرِ، وسمَّاهنَّ مُغيِّراتٍ لخَلْقِ الله، والمرأة

أحوج إلى التَّزيُّن مِن الرجل، والحالة النَّفسية لا اعتبار لها في هذا الباب، إلَّا إذا كانت التشوُّهات تُسبِّب آلاماً وأضراراً بدنيَّةً، جاز إزلتها، أمَّا إذا كان التَّشوُّه نتيجة حادثٍ عارضٍ فيجوز إزالته؛ لأنَّ صحابيًا قُطع أنفه في حربٍ أيام الجاهلية، فأمره النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أن يتَّخذ أنفًا من ذهبٍ. ومن هذا الحديث يؤخَذ جواز استعمال الأطراف الصِّناعيَّة مثل: يدٍ، أو رجلٍ، أو عينٍ، أو طقم أسنانٍ .

ج٦٥٧- أمَّا نقل عضوٍ من ميت فور موته، كعينٍ أو كُليةٍ، إلى مريضٍ، فهذا ممَّا شاع عند الأطباء الأوربِّيين، وقلَّدهم فيه أطبَّاء المسلمين، وهو خطأٌ كبيرٌ؛ لأنَّ الدِّين الأسلاميَّ يحترم المسلم الميت، ولا يُجيز نقل عضوٍ منه إلى غيره كيفما كانت الأسباب، ولو أوصى المسلم قبل موته بأن يُنقل عضوٌ منه لمصلحة مريضٍ، لا تُنفَّذ وصيَّته؛ لأنَّ أعضاءه ليست مِلْكًا له، فلا يملك التصرُّف فيها وقد أخبر النبيُّ أنَّ المسلم فيه (٣٦٠) مِفصلًا، وأنَّه ينبغي له كل مطلع شمسٍ أن يُقدِّم صدقاتٍ بعددها شُكرًا على إنعام الله بها عليه، وأنَّه يقوم مقام الصَّدقات طاعاتٌ أُخرى كالتسبيح، والتحميد، والتكبير، والتهليل بعدها، ذلك أنَّ الأعضاء مِلْكٌ الله تعالى، لا يجوز إزالة عضوٍ منها إلَّا إذا كان به مرضٌ يُخشى أن يتسرَّب منه إلى بقيَّة الأعضاء، فيجب بَتْره حِفظًا لها، وإبقاءً عليها. وقد ظهرت الأَكَلَةُ في رجل عُروة بن الزُّبير -أحد فقهاء المدينة وعلمائها- وأخبره الأطبَّاء أنَّ رجله إذا لم تُقطع فسيسري المرض إلى غيرها فقطعها.

وبعض المتحذلقين يُسوِّغ نقل عضوٍ من ميت إلى حيٍّ، بقوله : الحيُّ أفضل من الميت، وهذا قولٌ باطلٌ؛ فإنَّ الصَّالح الميت أفضل من الفاسق الحيِّ،

والعادل الميت أفضل من الظالم الحيِّ، فنقل العضو من الميت حرامٌ، وتزداد الحرمة إذا نُقل من مسلمٍ إلى كافرٍ.

أمَّا نقل الدَّم مِن شخصٍ إلى آخر، والدَّم: سائلٌ نجسٌ كالبول فهل يجوز التداوي به؟

مسألةٌ فيها نظرٌ، ثبت في الحديث أنَّ قومًا استوخموا المدينةَ لم يوافقهم هواؤها، فأمرهم النبيُّ بشرب أبوال الإبل وألبانها فصَحُّوا. قال الشَّافعيُّ، بول الإبل نجس وجاز شُرْبه للتداوي، وعلى وزنه يقال : يجوز نقل الدَّم مع نجاسته لأجل التداوي.

ج٦٥٨- وبالنسبه للكحول يَحرم التداوي به، أمَّا إذا كان داخل دواءٍ واستهلك فيه، بحيث لم يبقَ له رائحةٌ ولا طعمٌ جاز التداوي به، ولا حرج فيه .

وبالنسبه للتخدير، يجوز استعماله لإجراء جراحةٍ، أو لدفع آلامها بعد نهايتها، أمَّا إعطاؤه للمرضى فلا يجوز؛ لأنَّه يُعوِّدُهم الإدمان عليه ويُفسد مِزَاجَهم.

ج٦٥٩- كذلك لا يجوز علاج المصروع بإعطائه مُخدِّرًا، إذ هو علاجٌ وقتيٌّ لا يُذهب الصَّرع من أصله، والطِّب الحديث لا يعترف بصرع الجنِّ، ويلجأ في علاجه إلى المخدِّر أوللصدم الكهربائيِّ، وهو خطأٌ كبيرٌ، فالواجب على الطَّبيب المسلم ألَّا يُعالج المصروع بالتخدير بل يُعالجه علاجًا روحيًّا بالقرآن والأذكار الوارده في السُّنَّه، أو يُحيله على رجلٍ صالحٍ يُعالجه بذلك.

وقد حدث في شبابي أنَّ ابنة خالتي صرعها جنيٌّ، ولازمها وأكثر من صرعها، فكنتُ أُعالجها بسورة الجنِّ أَقرأُها عليها وكانت إذا رأتني داخلًا

عليها تخاف منِّي وتصرخ، وهذا عمل الجنيِّ الذي يصرع، وبعد شهرين من العلاج صحَّت وسَلِمت، وهي الآن متزوِّجةٌ ولها أولادٌ وأحفادٌ.

ج٦٦٠- بالنسبة للتشريح، لا يجوز تشريح جسد ميتٍ مسلمٍ للتدريب، أو لغيره من الأسباب، والذين أفتوا بجواز تشريحه مُخطئون مُتساهلون؛ لأنَّ النبيَّ قال: «كَسْرُ عَظْمِ الميِّتِ ككَسْرِهِ حَيًّا»، والحكومة السعوديَّة تستورد من الهند جثث البوذيين الوثنيين الذين يموتون في حادث غَرَقٍ أو سَيرٍ، ليتدرَّب عليها طلبة الطِّب عندها.

فيجب على الحكومه أن تفعل مثل السعوديَّة، كما يجب على وزارة الصِّحَّة وكليَّة الطِّب بوجهٍ خاصٍّ أن تذكر أنَّها في بلد إسلاميٍّ وبين شعبٍ مسلمٍ .

فيجب أن تُراعي شروط الإسلام في تعليم الطِّب، فلا يَختلط الطَّلبة والطَّالبات في محاضرةٍ ولا تدريبٍ، ولا يتعلَّم الطَّالبات إلَّاالتوليد وأمراض النِّساء، ولايحضر الطَّلبة تشريح امرأةٍ .

ج٦٦١- إذا دُعي طبيبٌ لإجهاض حاملٍ فيحرم عليه إجهاضها، إلَّا في حالتين:

- أن لا يتم تكوين الجنين في بطنها.

- أو تمَّ تكوينه ولكن حالتها خطيرةٌ، بحيث يتعيَّن الإجهاض لإنقاذها من الموت ففي هذه الحالة تكون المحافظة على حياتها أهمَّ من الجنين.

٦٦٢- (تنبيه): بقي أن ننبِّه على أمرٍ لا يعرفه الأطبَّاء المسلمون لتقليدهم الأوربين: إذا دُعي طبيبٌ مسلمٌ للكشف على مريضٍ مسلمٍ في بيته، فقد علم

أنَّ مسلمًا مريض، والنبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أخبر أنَّ حقَّ المسلم علىٰ المسلم ستٌّ، وذكر منها: «**أن يَعُودَهُ إذا مَرِضَ**»، فليجعل الطَّبيب خطواته إلىٰ بيت المريض قيامًا بحقِّ العياده المطلوبة، فيُثاب عليها، ويأخذ الأجر من المريض باعتبار أنَّه كشف عليه في عيادته لا في بيته، وهذا المعنىٰ لم يتفطَّن له الأطبَّاء المسلمون مع وضوحه، ونحن قد نسينا ديننا وتقاليدنا واتبعنا الأوربِّين في كلِّ ما جاؤا به من غير استثناءٍ.

وحِسَابُنا عند الله عسيرٌ إن لم نتدارك الأمر، ونرجع إلىٰ قواعد ديننا الحنيف، والسَّلام.

حكم تعلم علم الطب وتشريح الميت

٦٦٣- تعلم علم الطب فرض كفاية وكان في العهد النبوي أطباء منهم الحارث بن كَلَدَة.

ولا يجوز تشريح الجثث بغرض التعلم كما لا يجوز فحص المرأة بغرض التعلم أيضًا، لأن الشارع قرَّر حرمة الميت المسلم ولم يُجِز مسه بأي شيءٍ في جثته، ولو صرَّح شخص بأن يُشرَّح جسمه بعد موته فلا يجوز أيضًا؛ لأن جسمه مِلْكٌ لله لا له، ولذلك لا يجوز له الانتحار ولا قطع عضوٍ مِن أعضائه إلَّا لمرضٍ به.

حكم الاختلاط للطالبات

س٦٦٤- وسُئل: هل يجوز للطالبات بكلية الطب حضور محاضرة مختلطة؟ وما حكم ركوب الطالبات للمواصلات العامة.

ج٦٦٤- فأجاب: لا يجوز للطالبات بكلية الطب أن يحضرن محاضرة

مختلطة إلا إذا كنَّ محتشماتٍ وفي مكان خاص بهن.

ولا يجوز لهن أن يحضرن عملية تشريح الميت، ولا يجوز لهن أن يكشفن على مريضٍ إلَّا إذا لم يوجد الطبيب، وإذا كشفت الطالبة عن مريضٍ فلابد أن يكون معها امرأة أخرى أو محرَم بحيث لا تكون مختلية بالمريض، ولا يجوز لهنَّ حضور دروس خادشة للحياء إلَّا إذا دعت الضرورة لذلك.

أما مسألة ركوب المواصلات فهي عويصة؛ إذ الزحام فيها بالرجال كثير، فلا تركب الطالبة إلَّا لضرورة وتبتعد عن الزحام بالرجال بقدر إمكانها.

وقال: إذا كانت للطالبة رغبة في عدم الذهاب للكلية لما فيها من المحرَّمات فلتقعد في بيتها، ومخالفة والديها في هذا لا تحرم عليها ولا عقوق فيها؛ إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ومن أفتاها بالذهاب إلى الكلية مع ما فيها من المحرَّمات فهو متساهلٌ مجازفٌ في دينه، وهذه الأمور واضحةٌ لا تحتاج إلى إفاضة في الجواب. والمرأة لا يجب عليها شرعًا أن تتعلَّم إلَّا مسائل دينها وحكم الزواج، وما زاد على ذلك فهو جائزٌ إن لم يتصل به محرَّمٌ.

٥- التصوف والأدب

أصل اجتماع الصوفية على الذكر

س٦٦٥: وسُئل عن أصل اجتماع الصوفية على الذكر؟

ج٦٦٥- اجتماع الصوفية للذِّكر أصله اجتماع أهل الصُّفَّة في المسجد النبويِّ للذِّكر والدُّعاء، وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف: ٢٨] ثُمَّ كان الاجتماع في عهد الحارث بن أسد المحاسبيِّ ثُمَّ الجنيد والشبليِّ وغيرهم، وانظر "عوارف المعارف" للسهروردي بهامش "الإحياء".

س٦٦٦- توجد عبارات في كتب ابن العربي غير مفهومةٍ فما القول فيها؟

ج٦٦٦- ابن العربي الحاتمي له في "الفتوحات" و"الفصوص" عباراتٌ صعبةٌ تخالف نصوص الشريعة بحسب ظاهرها، ولذلك قال الحافظ السيوطيُّ: «لا تجوز قراءة كتب ابن العربي إلَّا لمن كان في درجته من الولاية».

حكم الذكر بلفظ «آه»

٦٦٧- الذكر بلفظ: «آه» لا يجوز لأنه لم يرد فيه إلَّا حديثٌ موضوعٌ ويعرف (آه) بالأنين، وهو اسم الصدر عند الطريقة الفاسية بمصر.

استعمال الطبل والكأس عند ذكر الله

س٦٦٨- ما حكم ضرب الطبل والكأس عند ذكر الله تعالى؟

ج٦٦٨- آلة الطَّرَب فيها مذاهب:

الأول: تحريمها مطلقًا وهو مذهب الشافعية.

والثاني: إباحتها مطلقًا وهو رأيٌ منسوبٌ إلى جماعةٍ من الصحابة والتابعين وأطال ابن حزمٍ في الانتصار لهذا الرأي.

والثالث: التفصيل وهو تحريم الآلات ذات الأوتار كالكمنجة.

وإباحة آلة الطرب كلها للصوفية لأنهم يستعينون بها على الذكر وهو رأي الحافظ السيوطيِّ.

وللشيخ عبدالغني النابلسي الحنفي "إيضاح الدلالات في سماع الآلات" رجَّح فيه الجواز وأطال في ذلك وكتابه هذا مطبوعٌ.

وللعلَّامة السيِّد جعفر الكتانيِّ المالكيِّ شيخ الجماعة بالمغرب كتاب "مواهب الأرب المبرئة من الجرب في استعمال آلة اللهو والطرب" واختصره تلميذه العلَّامة السيد أحمد ابن الخياط شيخ الجماعة بعده، واختصاره هذا مطبوعٌ بالمغرب.

وعلى إباحة استماع الطرب جرى العمل عندنا بالمغرب فجميع طرق الصوفية هناك يقيمون الحضرة بهذه الآلات، مع العلم بأنَّ إباحة آلة الطرب مقيدةٌ بما إذا لم تشتمل على محرَّمٍ كما هو معلومٌ، ولعل في هذا القدر كفاية والله أعلم.

أول اجتماع للصوفية على الذكر بالاسم المفرد

س٦٦٩- وسألته عن أول اجتماع للصوفية على الذكر بالاسم المفرد؟

ج٦٦٩- فقال سيادته: وأول اجتماع الصوفية على ذكر الاسم المفرد كان في بغداد في عهد أبي بكر الشبليِّ، وكان قليلًا ثُمَّ بدأ انتشاره في عهد أبي العباس المرسيِّ حتى صار شعارًا للشاذليَّة، والأصل فيه ذكر بلال اسم «أحدٌ أحد» والمشركون يُعذِّبونه.

كيفية إحياء ذكرى مشايخ الصوفية بالمغرب

س٦٧٠- وسألته عن كيفية إحياء ذكرى مشايخ الصوفية بالمغرب؟

ج٦٧٠- فأجاب سيادته بما نصُّه: وكيفية الاحتفال عندنا أن يجتمع الإخوان عقب صلاة المغرب، ويقرأ كلُّ واحدٍ جزءًا من القرآن حفظًا أو نظرًا بحيث يقرءون ختمةً أو ختمتين هديَّةً لصاحب الذِّكْرَى، وبعد صلاة العشاء يلقى درس في فضل الصالحين وما يتصل بذلك، ثُمَّ يُقدَّم الطعام، ثُمَّ تقام الحضرة لمدَّة ساعة أو أكثر، ويختم الاحتفال بقراءة الفاتحة والدعوات.

ومثل هذا الاحتفال أحدثه الصوفية إحياء لذكرى مشايخهم الكبار ولأجل أن ينهجوا نهجهم، وليس له دليلٌ خاصٌّ، وإنما هو داخلٌ في عموم فعل الخير والاجتماع للذكر وتلاوة القرآن.

س٦٧١- وسألته عن حكم ما يفعله بعض المُنشِدين في حلقات الذِّكْر مِن طلب المَدَدِ من رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أو من مشايخهم؟

ج٦٧١- فأجاب سيادته بما نصُّه: وطلب المَدَدِ كنت قرأت رسالة لبعض المتصوِّفة في طنطا يُجيزه، وهو عندي من التوسُّل غير الجائز، لكنه ليس بشركٍ وإن كانت عبارته موهمة، ومن الأدلة على تحريمه أن فيه تشبها بالمشركين في العبادة وفيه طلب من غير الله ما لا يَقْدِر عليه إلَّا الله.

فضل الخوف من الله

س٦٧٢- وسُئل عن معنى قول أبا بكرٍ الصِّدِّيق: «لا آمَن مَكْرَ الله ولو كانت إحدى رجلاي في الجنَّة»؟

ج٦٧٢- يقول الله تعالى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾

[الأعراف: ٩٩] فالأمن لمكر الله كبيرةٌ، وغرض أبي بكرٍ رضي الله عنه بمقالته التبرِّي من هذه الكبيرة، وأنه لا يفعلها ولو كان بباب الجنَّة حيث ينسيه الفرح كلَّ شيءٍ إلَّا خوفه مِن الله.

ومثل هذا قوله عليه الصلاة والسلام: «**أنا أَعْلَمُكُمْ بالله وأَشَدُّكُمْ له خَشْيَةً**». فهو صلَّى الله عليه وآله وسلَّم معصومٌ، ومِن عصمته أن يخاف الله ولا يأمن مَكْرَه؛ ذلك لأن خوف الله عبادةٌ كالتوكُّل، والإنابة، هي مطلوبة من كلِّ مُكلَّفٍ نبيٍّ وغيره، والآيات في مدح خوف الله كثيرة.

وفي "الخريدة":

وغَلِّبِ الخَوْفَ على الرَّجاءِ وسِرْ لمولاكَ بلا تَنَائي

فالخوف من الله لا ينافي كون الخائف معصومًا أو مُبشَّرًا بالجنَّة؛ لأن ملحظه عظمة الربوبية وذل العبودية، ولولا الخوف لما عبد عابدٌ، والعوام إذا رأوا شخصًا جريئًا على المعاصي يقولون: هذا لا يخاف الله، وأشار أيضًا أبو بكرٍ بمقالته إلى أنَّ العبد لا يأمن مَكْرَ الله إلَّا بعد دخول الجنَّة، وقول الله للمؤمنين فيها: «**اليومَ أُحِلُّ عليكم رِضْواني فلا أَسْخَطُ بعده أبدًا**».

هل الصَّدَقة أفضل أم الذِّكْر؟

س٦٧٣: هل الصَّدَقة أفضل أم الذِّكْر؟

ج٦٧٣- الصدقة والذِّكر يتفاضلان بحسب الأحوال والمناسبات لا مطلقًا، وكذلك سائر الطاعات يحصل التفاضل بينها بالاعتبارات المختلفة ليحصل الفضل لكلِّ متمسِّكٍ بطاعة منها.

فالذكر للفقير أفضل والصدقة للغنيِّ أفضل، نعم إذا كان الذِّكر بإخلاصٍ وحضور قلبٍ، وشهودٍ لعظمة الله، واستغراقٍ في محبَّته، فهو أفضل مِن الصدقة، بل الذِّكر بهذه الصفة يفضله الصوفية على جميع الأعمال بعد الفرائض.

س٦٧٤- وسُئل أيضًا عن الإشارة الصوفية الموجودة في "تفسير ابن عجيبة" والإشارة الموجودة في "تفسير الألوسي" بينهما فرقٌ كبيرٌ.

ج٦٧٤- فأجاب بأن إشارة الشيخ أحمد بن عجيبة ذوقيةٌ؛ لأنه كان عنده شيخ التربية وهو سيدي محمد البوزيدي، والألوسي إشارته تقليدية لأنه كان عنده شيخ التبرُّك فقط، ولم يكن عنده شيخ التربية.

أثر زيارة قبور الصالحين

س٦٧٥- وسأله بعض الأخوة عن أسباب ما يحصل عنده من الانقباض والضيق عند زيارة قبور الصالحين؟

ج٦٧٥- فأجابه رضي الله عنه: أمَّا انقباضك بعد زيارة الصالحين والفضلاء فدليل على وجود أثرٍ للزيارة، وذلك أنَّ الإنسان إذا زار الصالحين اكتسب منهم نورًا وبركةً، فإذا هجم ذلك النور على باطن الإنسان قاومته ظلمة النفس فيحصل الانقباض، فإذا توالت الزيارة وتوالى ورود النور على الباطن ضعفت الظلمة أو ذهبت كلية، فيبقى الصدر منشرحًا، فدواء حالك هو المداومة على الزيارة مع الإكثار مِن الصلاة على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وزيارة مادحه الإمام البوصيري فلذلك تأثيرٌ في شرح الصدور

وإذهاب الانقباض.

كتاب المدخل لابن الحاج

س٦٧٦- ولما قرأت كتاب "المدخل" لابن الحاجِّ العبدريِّ وجدت في كثيرٍ من المواضع تشدُّدًا كبيرًا فسألته عن ذلك؟

ج٦٧٦- فأجاب سيادته بما نصه: وكتاب "المدخل" لابن الحاجِّ جيِّدٌ لا بأس به، لكنه شديدٌ ووجه شِدَّته أنه فقيهٌ مالكيٌّ يريد تطبيق ما في فقه مالكٍ بالحرف الواحد، وفاته أن يراعي المذاهب الأخرىٰ التي قد يكون فيها سعةٌ في بعض الأشياء بالنسبة لمذهب مالكٍ، وقد تنبَّه علىٰ ما فيه من الشدة تلميذ مؤلِّفه وهو الشيخ خليل صاحب "المختصر"، بل قال الشعرانيُّ أنَّ مطالعته تورث ظلمةً في القلب؛ وذلك لأنه -كما تقدَّم- يُطبِّق الفقه المالكيَّ تطبيقًا شديدًا من غير مراعاةٍ ما في المذاهب الأخرىٰ مِن رخصٍ وتوسُّعاتٍ.

والشيخ محمود خطَّاب السبكي كان شيخًا للطريقة الخلوتية لكنه طالع كتاب "المدخل" وتشبَّع به فأنكر التصوف وقلب طريقته الخلوتية إلىٰ طريقة السبكية.

المعاملة مع المعارف

س٦٧٧- وشكىٰ له البعض من أحوال الناس، وأنهم لا يسألون عمن يعرفونه إلا لمصالحهم.

ج٦٧٧- فأجابه سيادته بما نصه: وعدم سؤال المعارف عنك ليس خاصًا بك بل هو عامٌّ؛ لأن الناس في هذا الزمان شغلتهم شئونهم الخاصَّة وألهتهم شواغل الحياة فلا يسأل أحدٌ عن أحدٍ، وكأننا في يوم القيامة، كلُّ واحدٍ يقول نفسي نفسي!! فمن زارك فرحِّب وافرح به، ومَن لم يزرك فلا تَعْتِب عليه ولا

تغضب منه، وهذا ما أعمله أنا مع معارفي بمصر وهنا.

حكم مداراة الناس

٦٧٨- حديث المداراة هو من باب المُجاملة المطلوبة وقول النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في عُيَيْنَة بن حصنٍ: «**بِئسَ أخو العشيرة**» لبيان حاله؛ لأنه كان فحَّاشًا جافي الطبع، وكان مع ذلك رئيس قومه وسمَّاه النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم الأحمق المُطاع، وكان صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يلاينه ويلاطفه يؤلِّفه بذلك علىٰ الإسلام، فهو مِن المُؤلَّفة قلوبهم.

وقد ارتدَّ في عهد أبي بكرٍ وانضمَّ إلىٰ طليحة المتنبئ، وأسره المسلمون في حربهم لأهل الرِّدَّة فأسلم ثانيًا بعد أن كاد يقتل.

وعبارة: «إنَّا لنبش في وجوه قومٍ وقلوبنا تلعنهم». ليست بحديثٍ، بل هي من كلام أبي الدرداء، وهي محمولةٌ علىٰ مجاملة من له رياسة وزعامة مع قبح حاله، ويكون في الإنكار عليه فسادٌ وفتنةٌ.

حول استغفار النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم لأُمِّه

س٦٧٩- وسُئل: لماذا لم يُأذَن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في الاستغفار لأُمِّه؟

ج٦٧٩- وعدم الإذن للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في الاستغفار لأُمِّه، يجاب عنه بوجهين:

١- أنَّ الاستغفار يكون لمن بلغته الدعوة وآمن لكن ارتكب معاصي، وأهل الفترة لم تبلغهم الدعوة فلا يُستغفَر لهم؛ لأنه لا عذاب عليهم وهو

الصحيح.

٢- أنَّ الحديث الوارد بعدم الاستغفار شاذٌّ وإن كان صحيح السند لمخالفته قول الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] والقاعدة أنَّ الحديث الصحيح إذا خالف قطعيًّا كالقرآن أو السُّنَّة المتواترة يكون شاذًّا غير معمول به.

وأبو طالب كان يدافع عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ويناضل لحماية النسب والقرابة لا لأجل الدين، بدليل أنه عند الوفاة أبى أن يقول: لا إله إلا الله، وصرَّح بأنه يموت على مِلَّة عبدالمطلب، كما صرَّح بأنه لم يقل كلمة التوحيد مخافة أن تُعيِّره قريش أنه قالها جَزَعًا من الموت، فهو قد مات مُصِرًّا على الشِّرك، ونزل فيه قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦].

والله تعالى بيَّن بهذا أنَّ حب الرسول لا ينفع صاحبه إلا إذا كان لأجل الدِّين فقط، وإنما فعل النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعبدالله بن أُبيٍّ ما فعل، إجابة لطلب ابنه عبدالله، وهو صحابيٌّ فاضلٌ مع أنَّ قوله تعالى: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠] أطمعه في أن يزيد على السبعين رجاء المغفرة كما ثبت في "الصحيح" فلما نزل قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ﴾ [التوبة: ٨٤] فامتنع نهائيًّا.

كلمة حول الهَجْر

س٦٨٠- هل ثبت أنَّ عائشة رضي الله عنها حلفت ألَّا تُكَلِّم عليًّا رضي الله عنه؟ وهل يجوز هجر أهل المعاصي؟

ج٦٨٠- لم يثبت عن عائشة رضي الله عنها أنها حلفت ألَّا تُكَلِّم عليًّا عليه السلام. لكن ثبت في "صحيح البخاريِّ" أنها نذرت ألَّا تُكَلِّم ابن أختها عبدالله بن الزبير لاعتراضه على تصرُّفٍ في مالها، ثُمَّ تشفَّع إليها فكلَّمته وكفَّرت عن نذرها. وثبت عن ابن عمر أنه هجر ابنه، وعن عبدالله بن مُغَفَّلٍ أنه هجر قريبًا له، وثبت مثل ذلك عن كثيرٍ من التابعين.

وقال مالكٌ وأحمد والخطَّابيُّ والنوويُّ وغيرهم: «يجوز هجر المُبتَدِعَة وأهل المعاصي حتى يتوبوا». وذلك كلُّه خطأ، والهجر لا يجوز لأيِّ مسلمٍ كان فوق ثلاثة أيام، بل هو كبيرةٌ.

والشارع لم يأمرنا أن نهجر اليهود والنصارى مع أنهم أعداء الدِّين، بل أجاز لنا معاملتهم وأكل طعامهم والتزوُّج بنسائهم، وليس العاصي أو المبتدع شرًّا من اليهوديِّ والنصرانيِّ، فالذين أجازوا هجر المسلم لمعصيةٍ أو بدعةٍ مخطئون، ابتداء مِن عائشة ومَن ذُكِر معها إلى النووي رضي الله عنهم، وقد أخطأ كثيرٌ من الصحابة في اجتهاداتهم وهذا منها.

اعتراضات على المؤلِّف والجواب عليها

س٦٨١- وكتب فضيلته يخبر بأن بعض الإخوان استعظم تخطئة السيدة عائشة. وكيف تنهى عن الهَجْرِ وقد هَجَرَ النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نساءَه

شَهْرًا؟ وأخبر بأنَّ تصحيح حديث: «**أنا مدينةُ العِلْمِ**». لأن سيادتكم من شيعة عليٍّ رضي الله عنه؟

ج٦٨١- الذين استعظموا تخطئة عائشة يقال لهم: حين خرجت عائشة على عليٍّ في وقعة الجمل كانت مخطئةً أم لا؟

والهجر كبيرةٌ كما قلتُ لك، ومَن أجازه لأجل فسقٍ أو امتهانٍ أخطأ ولم يفهم روح الشريعة.

والنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم اعتزل نساءه شهرًا وحلف أن لا يدخل عليهنَّ، وهذا إيلاءٌ، وهو هجر الزوجة في الفراش لا في الكلام، وقال الله في تأديب الزوجات: ﴿وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [النساء: ٣٤] أي: لا في الكلام.

وحديث قصة كعبٍ وصاحبَيه قضية عَيْنٍ خاصَّةٌ بهم لا يجوز تعميمها، كما بيَّنته في مقال لي "بحث في المعصية" نشر في مجلة "دعوة الحق".

أمَّا من أصر على ألَّا تكلمه ولا تتصل به فلا إثم عليك في متاركته، بل الإثم عليه وحده، وكذلك المؤذي والسيِّئ الخُلُق لا إثم في متاركتهما.

وقوله إنَّنا صحَّحنا حديث: «**أنا مدينةُ العِلْم**» لأننا شيعةٌ. يقال له: بل الذين ضعَّفوه ناصبيةٌ، والشيعة يحبُّون آل البيت والناصبية يبغضونهم، فأي الفريقين خيرٌ؟ والنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال لعليٍّ: «**لا يحبُّك إلَّا مؤمنٌ ولا يَبْغَضُكَ إلَّا منافقٌ**». وهو في "صحيح مسلم".

الحِكْمة مِن مُدارة النبيِّ ﷺ

س٦٨٢- وكيف يقول النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في الرجل: «بئس أخو العَشيرةِ». ثُمَّ يُجامِلُهُ في المُعامَلَةِ؟

ج٦٨٢- كان الرجل يزور النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وهو منافقٌ أو ضعيف الإيمان، أو سليط اللِّسان، وله منزلةٌ في قومه، فكان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يُجامِلُهُ في المقابلة مداراةً له وتألُّفًا لقلبه، وهذا محمل قوله: «بئس أخو العَشيرة». أمَّا إذا حصل مُنكَرٌ وعلم به فإنه يغضب، ولا يراقب في تغييره صغيرًا ولا كبيرًا، فالمُداراة في المقابلة لا تنافي الصراحة في الحقِّ، وهذا عمر جاءَه ضيفٌ فأكرمه وأحسن نزله، وفي اليوم الثاني سَكِرَ مِن نبيذٍ شربه فأقام عليه الحدَّ، وفي المثل: «دي نقرة ودي نقرة».

مقام الصِّدِّيقين

س٦٨٣- لماذا غضب النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من أبي بكرٍ حين أراد أن ينتصر لنفسه؟

ج٦٨٣- مقام الصِّدِّيقين أعلى مقامٍ بعد النبوة، ومِن مقتضيات هذا المقام الأخذ بعزائم الأمور، ومِن عزائمها ألَّا ينتصر لنفسه، قال الله تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣] وأبو بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه كانت فيه حِدَّةٌ، والنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بقيامه حين احتدَّ أبو بكرٍ على شاتمه، أراد أن يحمله على التمسُّك بصِدِّيقيَّته، وأخبره أنَّ الصِّدِّيقين يتولَّى الله الدفاع عنهم، فالصِّدِّيق مع الله كالطفل مع أُمِّه هي التي تتولَّى شئونه، وتدفع

عنه الأذىٰ، وقد حصل خصامٌ بين عائشة وبعض ضرَّاتها فتركها تنتصر لنفسها ولم يقم مِن مجلسه؛ لأنها لم تنل مقام والدها رضي الله عنهما.

تحريم لعن المعيَّن

س٦٨٤- هل يجوز لعن شخصٍ مُعيَّنٍ إذا كان مُصِرًّا علىٰ معصيةٍ؟

ج٦٨٤- قوله عليه الصلاة والسلام: «**لا تَلْعَنْهُ فإنَّهُ يُحِبُّ اللهَ ورَسُولَهُ**». يقتضي بطريق مفهوم المخالفة جواز لعن مَن لا يحب الله ورسوله إذا شرب الخمر كالكافر، وهذا المفهوم لا ينظر إليه، كما قال صاحب السيرة؛ لأن لعن الشخص المُعيَّن لا يجوز ولو كان كافرًا، لجواز أن يسلم، فتعود اللعنة إلىٰ اللاعن.

س٦٨٥- لماذا أعطىٰ النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لأبي هريرة نعليه علامةً ليبشِّر المؤمنين بالجنة؟

ج٦٨٥- كان النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في بستانٍ، ولم يكن معه ما يعطيه أمارة غير نعليه، وأنه حين حَجَّ قلَّد بهما هديه؛ فأي صحابي رآهما يعرف أنهما له.

وماذا يقول المثقف في الذي يمد رجليه لمن يمسح حذاءه؟ وقد يكون الماسح أفضل منه أو أعلم أو أسن، وقد رأيت بمصر ماسح أحذية يحمل شهادة ليسانس، ورأيت أخوين في فرنسا متعلِّمَين نزلا من سيارتهما وخلع الأكبر «جزمته»، ولبس «جزمة» برقبة طويلة وحدف «الجزمة» التي خلعها إلىٰ أخيه ليوصلها إلىٰ البيت، فتلقفها بيديه وضمها إلىٰ صدره حتىٰ أوصلها إلىٰ البيت، فلم يعب عليه ذلك أحدٌ، ولا عدُّوه إذلالًا وإهانة، وفرنسا بلد

الحضارة العصرية وبلد الموضة.

س٦٨٦- كيف رجع النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن البشارة للمؤمنين لقول عمر رضي الله عنه؟

ج٦٨٦- في "مسند البزار" عن أبي سعيدٍ الخدريِّ: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال يومًا: «**مَن قال: لا إله إلا الله وَجَبَتْ له الجنَّة**». فاستأذنه معاذٌ أن يُبشِّر بها الناس، فلقيه عمر فأخبره، فقال: لا تعجل، ثُمَّ دَخَلَ علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: يا نبيَّ الله أنت أفضل رأيًا، إنَّ الناس إذا سمعوا بهذا اتكلوا عليه. فقال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لمعاذٍ: «**فخلهم**».

لا يعتبر رجوعًا عن الوحي، بل يدل علىٰ أنَّ الأمر لا يقتضي العمل فورًا، كصلاة الظهر تجب في أول وقتها ويجوز تأخيرها ما لم يخش خروج الوقت، فأمر البشارة كان أمرًا مُوسَّعًا، جاز تأخيره بإشارة عمر، لكن لما خشي النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فوات تبليغه نفَّذه ولم يلتفت إلىٰ رأىٰ عمر أو غيره.

ففي "معجم الطبراني الكبير" عن بلال: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال له: «**يا بلالُ، نادِ في النَّاسِ، مَن قال: لا إله إلَّا اللهُ قبلَ مَوْتِهِ بسَنَةٍ دَخَلَ الجنَّة، أو شهرٍ، أو جُمُعَةٍ، أو يومٍ، أو ساعةٍ**». قال: إذًا يَتَّكِلوا، قال: «**وإن اتَّكَلُوا**».

الأشياء المحترمة لذاتها في الإسلام

س٦٨٧- ما هي الأشياء المحترمة لذاتها في الإسلام؟

ج٦٨٧- المحترم لذاته هو الذي يكون احترامه ناشئًا مِن ذاته لا من شيء خارج عنه، مثل القرآن، والحديث، وأسماء الله، وأسماء النبيِّ صلَّىٰ الله عليه

وآله وسلَّم.

والمحترم لغيره مثل الحروف العربية هي في ذاتها لا حرمة لها، وإنما احترمت لما يكتب بها من القرآن وغيره من المحترم لذاته.

وعلى هذا فالجريدة العربية إذا كانت خالية من آيةٍ أو حديثٍ أو اسمٍ مُعظَّمٍ يحرم درسها أو رميها عند المالكية؛ لأجل الحروف العربية، ولا يحرم ذلك عند الشافعية.

وكذلك جلدة المصحف يحرم لمسها بدون وضوءٍ احترامًا للمصحف لا لذاتها، وليلة القدر احترمت لنزول القرآن فيها لا لذاتها، ومكة احترمت لوجود البيت الحرام فيها لا لذاتها.

هل يجوز للإنسان الافتخار بنفسه

س٦٨٨- هل يجوز للإنسان الافتخار بنفسه لقول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أنا ابن عبدالمطلب**»؟

ج٦٨٨- القاعدة الأصولية: «أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إذا نهى عن شيءٍ ثُمَّ فعله، فيكون خاصًّا به». وعلى هذا فقوله: «**أنا ابن عبدالمطلب**..إلخ». من خصوصياته ولا يجوز للأُمَّة، لأنه في افتخاره معصومٌ من العجب، بخلاف غيره.

حكم الهجر

س٦٨٩- كيف ينسب الخطأ لعائشة في هجرها لعبدالله بن الزبير؟

ج٦٨٩- هجر عائشة لابن الزبير تكلَّمتُ عنه في كتاب "القول المسموع في بيان الهجر المشروع" وخلاصة ما قلته: أنَّ عائشة رضي الله عنها كانت فيها

حِدَّةٌ كأبيها رضي الله عنهما، فلمَّا بلغها كلام ابن أختها احتدَّت وأسرعت بنذر قطيعته، ونسيت الحديث الذي روته وهو: «لا نَذْرَ في مَعْصِيةٍ». ونسيت أن النَّذْرَ في المعصية لا ينعقد، فأخطأت عن نسيان، ولا يجوز تقليدها في ذلك.

س٦٩٠- هل أصاب الشيخ عبدالجليل شلبي في قوله بجواز هجر العاصي أو المبتدِع؟

ج٦٩٠- قول الشيخ عبدالجليل شلبي بجواز هجر العاص أو المبتدع خطأ قلَّد فيه غيره، والصواب أنه لا يجوز هجر عاصٍ ولا مبتدعٍ، ولا أي مسلمٍ أكثر من ثلاثة أيام، وعثمان لم يعصِ ولم يبتدع وإنما حصل بينه وبين ابن عوفٍ خلافٌ ما فتهاجرا أيامًا ثُمَّ اصطلحا.

س٦٩١- لماذا لم يدعُ النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لمن يحبُّه بالهداية؟

ج٦٩١- لم يدعُ الرسول لمن كان يحبُّه رجاء أن يؤمِن عن اقتناعٍ ودليلٍ، ولتنفذ إرادة الله بموته على الشرك. ولا يدعو الرسول بهلاك قومه عامَّة إلَّا بعد إذن الله كما في قصة نوحٍ ولوطٍ وغيرهما.

س٦٩٢- تشبب[1] ابن زهير بامرأةٍ في قصيدته المشهورة فهل يجوز ذلك؟

ج٦٩٢- كعب بن زهير حين أنشد قصيدته لم يكن مسلمًا بل قالها مُعتذرًا ثُمَّ أسلم بعدها، والإسلام يهدم ما قبله، والتشبيب الممنوع إذا كان بامرأةٍ مُعنيَّةٍ، لأن ذلك يعيبها ويثلم عرضها، أمَّا التشبيب بامرأةٍ مجهولةٍ فلا يحرم ولا يعاب؛ ولذلك لم ينكِر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على كعب بن زهير.

---

(١) تَشْبِيبُ الشِّعْر تَرْقِيقُ أوَّله بذِكْر النِّساء. انظر لسان العرب لابن منظور (١/ ٤٨١).

إطلاق الدُّعاء على الثَّناء

س٦٩٣- هل يجوز إطلاق الدُّعاء على الثَّناء؟

ج٦٩٣- في "صحيح البخاري" عن أبي موسى قال: كنَّا مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في سَفَرٍ، فكنا إذا عَلَونا كبَّرنا، فقال: «**أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصمًّا ولا غائبًا ولكن تدعون سميعًا بصيرًا**». سمَّى التكبير دعاء من باب مجاز المجاورة؛ لأن العادة جرت أنَّ الإنسان إذا طلب شيئًا مِن أحد قدَّم قبله طلبه الثناء على المسئول، كما قال الشاعر العربي:

أأطْلُبُ حاجَتي أم قد كَفَاني ثَنائِي إنَّ شِيمَتُكَ السَّخَاءُ

وقال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] أي أثنوا عليه بها يستجب لكم، ويونس عليه السلام حين ابتلعه الحوت قال: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]فكان ثناؤه دعاءٌ قال الله: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ [الأنبياء: ٨٨] فإطلاق الدُّعاء على الثناء مجازٌ شائعٌ.

كيفية طاعة أم لا تصلي ولا تصوم وتسب الدين

س٦٩٤- أمٌّ تبلغ من العمر ستين عامًا لا تصلِّي ولا تصوم مهما نصحناها، وهي مع ذلك ذات خُلُقٍ ذميمٍ تسبُّ الدِّين وتُسيء لكلِّ مَن يراها بسبٍّ فظيعٍ، فما حكم الطاعة لها؟ وماذا يصنع الابن المُكلَّف بها معها؟

ج٦٩٤- سبُّ الدِّين أو الخالق سبحانه وتعالى رِدَّةٌ والعياذ بالله، ومُرتكب ذلك يعتبر مُرتدًّا في حكم الدين الإسلامي تجب استتابته شرعًا، وهل يستتاب

مدة ثلاثة أيام أو أقل أو أكثر؟ خلافٌ بين العلماء في ذلك.

فإن تاب قُبلت توبته، وإن لم يتب يُقتل كافرًا ولا يُدفَن في مقابر المسلمين، ولا يرثه أهله بل يكون ماله فَيْئًا لجميع المسلمين، والذي يتولَّى الاستتابة والقتل هو الحاكم الشرعيُّ، وهو مفقودٌ الآن.

وتَرْكُ الصَّلاةِ كفرٌ عند الإمام أحمد بن حنبلٍ وعبدالملك بن حبيبٍ من المالكية، وقال به جماعةٌ من الصحابة منهم عمر وعليٌّ وغيرهما.

وقال المالكية والشافعية والحنفية ترك الصلاة فسقٌ وكبيرةٌ من الكبائر، لكنه ليس بكفرٍ.

ثُمَّ اتفق الحنابلة والشافعية والمالكية وغيرهم على أنَّ تارك الصَّلاة يقتل إلَّا أنَّ الحنابلة قالوا يقتل كفرًا، وغيرهم قال يقتل حدًّا أي يحكم بإسلامه كما يرجم الزَّاني مثلًا، وكذلك حكم الصوم عند المالكية كما صرَّح به الحطَّاب في شرح "مختصر خليل"، إلَّا أنَّ الحاكم الشرعي الذي يُنفِّذ الأحكام غير موجودٍ، والحدود الشرعية مُعطَّلةٌ مِن زمنٍ بعيدٍ.

والذي نراه أنَّ هذه الأم إن صحَّ عنها ما ذكر في السؤال سقطت طاعتها؛ لأنه لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق، والله تعالى أوجب طاعة الوالدين فيما لا يمس الدِّين.

وليس لأحدٍ أن يقول: إنَّ الله أوجب البر بالوالدين الكافرين؛ لأنا نقول: الوالدان الكافران أصالةً قد أقرَّهما الشرع نظير الجِزية المقرَّرة، أمَّا هذه الأم فهي شرٌّ من الوالدين الكافرين؛، لأنها إن صحَّ عنها ما ذكر في السؤال تكون مرتدَّةً، لا تقر على حالها أبدًا، فالفرق بين المسألتين واضحٌ، والله أعلم.

إلقاء فضلات الطعام في المراحيض

س٦٩٥- هل يجوز إلقاء فضلات الطعام في المراحيض؟

ج٦٩٥- ينبغي احترام الطعام وعدم تعريضه للإهانة لقوله: «أَكْرِمُوا الْخُبْزَ» صحَّحه الحاكم، وفي معنى الخبز كل ما يؤكل؛ لأن العِلَّة في إكرام الخُبْزِ كونه من نِعَمِ الله علينا وبركته، وذلك يشمل كلَّ مَطْعومٍ، وقد وردت آثار عن جماعةٍ من السلف على تكريم فضلات الطعام وعدم إهانتها، وعلى هذا لا ينبغي لإنسانٍ أن يلقي فضلات الطعام في المراحيض، بل يلقيها لما يأكلها من الحيوانات كالهِرَّة ونحوها، أو يلقيها في الأمكنة المُخصَّصة لذلك والله أعلم.

حكم من ينتقد بعض أحكام الدين

س٦٩٦- ما حكم من انتقد شيئًا من أحكام الدِّين لعدم معرفته الحِكْمة منها؟

ج٦٩٦- من أنكر شيئًا من التشريع على سبيل الانتقاد له فهو كافرٌ؛ لأنه تَسَخُّطٌ لحكم الله ورسوله، وتعديلٌ عليهما والله تعالى يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

ويقول: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

وليس من الضروريِّ أن يفهم الإنسان حِكْمة كلِّ تشريعٍ؛ إذ لو كان الأمر كذلك لكان الإنسان مؤمنًا بعقله لا بالشرع، ولهذا نصَّ العلماء على أنّ الحكم التعبُّديَّ أكثر ثوابًا من الحكم المعقول المعنى لأن فيه إيمانًا بالغيب.

وقد مدح الله المؤمنين بالغيب في أول (سورة البقرة)، وجعلهم في طليعة المُفلِحين والله أعلم.

حدود الغيبة

س٦٩٧- ما حدود الغِيبة؟ وما هي الأقوال التي تعتبر غِيبةً شرعًا؟

ج٦٩٧- الغِيبة سُئل عنها النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**هي ذِكْرُكَ أخَاكَ بما يَكْرَهُ**». قيل: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ فقال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إن كانَ فيه ما تقولُ فقد اغْتَبْتَهُ، وإن لم يكن فيه ما تقولُ فقد بَهَتَّهُ**».

فالغيبة هي أن تذكر الشخص بما فيه من العيوب التي يكره الاطِّلاع عليها، وهي حرامٌ كما قدَّمنا، لكنها تجوز بل تجب في مواضع:

أحدها: أن تكون علىٰ وجه النصيحة، مثلًا شخص يريد أن يتزوَّج أو يعامل شخصًا في تجارةٍ وأنت تعرف عنه من العيوب ما لا يتفق مع عائلة الزوجة، أو مع الشخص الذي يريد معاملته في التجارة، وسُألتَ عن رأيك في هذا الشخص وعما تعرفه عنه، فمن النصيحة الواجبة أن تبيِّن ما فيه من العيوب بقصد النصح لا بقصد التشفِّي.

ثانيها: أن يكون الشخص مجاهرًا بالمعاصي مستهترًا لا يبالي ما أتىٰ من المنكَرات فغيبته جائزةٌ لتبين حاله عند من لا يعرفه، وعلىٰ هذا يحمل الحديث: «**لا غِيبة لفاسقٍ**» وحديث: «**حتَّى متى تَزَعُونَ عن ذِكْرِ الفَاجِرِ، اهْتِكُوهُ حتَّى يَحْذَرَهُ النَّاسُ**». وإن كان هذان الحديثان ضعيفين.

ثالثها: المتظلِّم، أي الشاكي من شخصٍ ظلمه في حقٍّ من الحقوق، يجوز أن

يذكره بعيوبه التي حصلت منه في حقِّه.

رابعها: المستفتي، بمعنى أنَّ شخصًا إذا استفتى عالمًا في شيءٍ يتعلَّق بشخصٍ واقتضى الاستفتاء ذكر بعض عيوب الشخص المستفتَى في حقِّه فيجب ذكر تلك العيوب لتوضيح الفتوى حتى يكون الجواب الشرعي عنها صحيحًا سالمًا.

خامسها: إذا اشتهر الشخص بوصفٍ من الأوصاف ولم يعرَف إلَّا بها، كما عرف بين المحدِّثين تلقيب أئمَّة من العلماء بأوصاف مكروهةٍ ولكنها صارت علمًا عليهم لا يعرفون إلَّا بها مثل: الأعمش، والأعرج، والأعمى.

وقوع المعصية ممن يدعي أنه من الأشراف

س٦٩٨- بعض الناس يدَّعي أنه من الأشراف رغم أنه يرتكب كثيرًا من المعاصي ويستدل بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

ج٦٩٨- فعل المعاصي لا يدل على نفي النَّسَب عن الشخص المُنسَّب؛ لأن الشريف غير معصومٍ بل هو كغيره من المسلمين، لكن لا يليق به أن يفعل معصيةً تكريمًا لنسبه، فإذا فعل الشريف معصيةً واتكل على أنه شريفٌ كان إثمه مضاعفًا وعذابه أشد. ثُمَّ إنَّ الإسلام لا يعرف شريفًا ولا غيره بالنسبة لأحكام الدِّين، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] والنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**النَّاس رجلان: مؤمنٌ تقيٌّ كريمٌ على الله، وفاجِرٌ شَقِيٌّ هَيِّنٌ على الله**».

وقد حذَّر آل بيته أن يتَّكِلوا على النسب، وأمَرَهُم أن يستبقوا إلى الطاعات ويبتعدوا عن المعاصي.

وأمَّا قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]، فقد ثبت في الحديث الصحيح أنها نزلت في خمسةٍ وهم: النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وعليٌّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وهؤلاء كانوا فعلًا مُطهَّرين ما عصوا الله قطُّ.

س٦٩٩- ولما تُوفِّي زوج شقيقتي سألته عن ثواب برِّ أبنائه مِن بعده؟

ج ٦٩٩- فقال سيادته: أعانكم الله على مساعدة اليتامَى والأخذ بساعدهم، فإنَّ في ذلك أجرًا عظيمًا وخيرًا جسيمًا. كيف لا وقد جمعوا بين اليتم والقرابة، فمساعدتهم تشتمل على ثوابين ويُضاعف أجرها مرَّتين، وكفاك قوله تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ [البلد: ١١- ١٥]. وفي الحديث: «**إنَّ أحبَّ البيوتِ إلى الله بيتٌ فيه يتيمٌ يُكْرَم**»... إلى غير هذا ممَّا ورد في القرآن والسُّنَّة.

ما يستحب للتائب أن يفعله

س٧٠٠- واعترف أحد إخواني على نفسه بارتكاب معصيةٍ فكتبت لسيادته في ذلك؟

ج٧٠٠- فأجاب بما نصُّه: وأمَّا مسألة ذلك الشخص الذي اعترف بما اعترف به فهي خطيرةٌ، وما كنَّا نحب أن نسمع ذلك عنه ولا عن أحدٍ من الإخوان، وحيث أنه تاب فنرجو أن يتوب الله عليه، لكن مِن تمام توبته أن

يترك المكان الذي حصلت فيه المعصية بل تكرَّرت وإلَّا فقعوده في المكان نفسه يدعو إلى معاودة المعصية، «**ولأن يَهْديَ اللهُ بك رَجُلًا واحدًا خيرٌ لك مِن حُمُرِ النَّعَمِ**». كما جاء في الحديث.

تحدث الرجل بما يدور بين أهله

س٧٠١- ما حكم الشرع في تحدُّث الرجل بما يدور بينه وبين زوجته؟

ج٧٠١- تُحدُّث الرجل بما يدور بين أهله حرامٌ، وكذلك تحدُّث المرأة بما يحصل من زوجها معها حرامٌ أيضًا، وقد ورد التشديد فيه كثيرًا.

ففي "صحيح مسلم" عن أبي سعيدٍ الخدريِّ أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ مِن شَرِّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عند الله يومَ القِيامَةِ الرجلُ يُفْضِي إلى امرأته وتُفْضِي إليه، ثُمَّ يَنْشُر أحدهما سِرَّ صَاحِبِهِ**».

وفي "مسند أحمد" بإسنادٍ حسنٍ عن أسماء بنت يزيد أنها كانت عند النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم والرجال والنساء عنده قعودٌ، فقال لعل رجلًا يُحدِّث بما فعل بأهله ولعل امرأة تُحدِّث بما فعلت مع زوجها-فأرم القوم- أي سكتوا عن خوفٍ؟ فقالت أسماء: أي والله إنهم ليفعلون وإنهنَّ ليفعلْنَ، فقال: «**فلا تَفْعَلوا فإنَّ مثل ذلك مثل شيطانٍ لقي شَيْطَانَةً في طريق فغَشِيها والنَّاسُ يَنْظُرون**».

وفي حديثٍ آخر حسنٍ أيضًا عن أبي سعيدٍ الخدريِّ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**السِّباع حرامٌ**». وهو الافتخار بالجماع وما يحدث فيه من أفعال وأقوال.

والأحاديث في هذا المعنى كثيرةٌ تُبيِّن قُبْحَ هذه العادة الخبيثة التي تستوجب مقت الله تعالى، والله أعلم.

٦- مسائل خلافية

الصلاة في المساجد التي بها أضرحة

س٧٠٢: كثر الكلام عندنا جدًّا وطال النِّزاع في مسألة الأضرحة وفي حكم الصلاة فيها، حتَّى تجرَّأ بعض الناس وقالوا إنَّ الصلاة فيها باطلةٌ وحرامٌ لقول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لَعَنَ اللهُ اليهودَ والنَّصارَى اتَّخذوا قُبورَ أنبيائهم مَساجِدَ**». ولقوله: «**لَعَنَ اللهُ زَوَّاراتِ القُبُورِ والمُتخذين عليها المساجِدَ والسُّرُجَ**»، أضرحة الأولياء لا تخلو من هذا فما الحكم؟

ج٧٠٢: إنَّ بناء الضريح على القبر إن كان في مقابر مُسَبَّلةٍ أي موقوفة حرم ووجب هدم الضريح؛ لأنه شَغَلَ قطعةً من أرض الوقف بغير حَقٍّ، وما كان كذلك وجبت إزالته.

وإن كان في مقبرةٍ خاصَّةٍ بالميت أو قرابته لم يحرم بناء الضريح بل يكره فقط ولا تجب إزالته بعد بنائه لأنه ليس بحرامٍ.

وأمَّا بناء المسجد على ضريح وليٍّ مِن الأولياء بقصد التبرُّك فقد صرَّح البيضاويُّ بجوازه وقال: «لا يدخل في النهي عن بناء المساجد الذي حكاه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن اليهود والنصارى؛ لأنهم كانوا يقصدون ببناء المساجد على القبور عبادة أصحابها والسجود لهم، وهذا المعنى منتفٍ في بناء مسجدٍ على رجلٍ صالحٍ للتبرُّك به».

وناقشه الحافظ ابن حجرٍ بما يعلم من مراجعته في "فتح الباري".

أمَّا الصلاة في الأضرحة وفي المساجد المبنية عليها فهي صحيحةٌ لا شيء فيها؛ لأن المدار في صحَّة الصلاة على طهارة المكان واستقبال القبلة، فكل مسجدٍ تصح فيه الصلاة سواء كان على قبرٍ أو لا.

نعم، لو قصد المصلِّي جهة القبر وصمد إليه، قاصدًا استقباله في الصلاة، بطلت صلاته حينئذٍ، والله أعلم.

التوسل بالأولياء والصالحين

س٧٠٣: رجائي الإجابة على التوسل بالأولياء والصالحين أحياءًا وأمواتًا، وهل الوليُّ حيٌّ في قبره أم لا؟ وهل مخاطبة الرسول والأولياء حقٌّ أم لا؟

ج٧٠٣: التوسُّل بالأولياء جائزٌ بمعنى أن يقول المُتوسِّل: اللهمَّ إنِّي أسألك ببركة فلانٍ -مثلًا- أن ترزقني، أمَّا من يقول في توسُّله: يا سيِّدي أعطني كذا أو اشفِ مريضي أو نجِّحني في قضيتي، فهذا غير جائزٍ لأن السؤال لغير الله لا يجوز.

والأنبياء أحياءٌ في قبورهم وكذا الأولياء وهي حياةٌ روحيَّةٌ برزخيَّةٌ ومخاطبة الأولياء حقٌّ؛ لأنه ورد في الحديث الأمر بالسلام على الموتى والإخبار بأنهم يردون السلام ويعرفون شخص المُسَلِّم عليهم، ويستأنسون به إذا كانت لهم معرفة به في الدنيا ولنا في تحقيق هذه المسائل بأدلتها كتاب اسمه: "الرد المحكم المتين على كتاب القول المبين" وهو مطبوعٌ.

الاجتماع على الذكر مع التمايل فيه

س٧٠٤: نحن في موقفٍ حرجٍ مع إمام مسجدٍ يدَّعي أننا على غير حقٍّ في اجتماعنا للذِّكر بالمسجد مع رفع الصوت به والتمايل، ويقول: هذا حرامٌ، محتجًّا بقوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ

ٱلْقَوْلِ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، وقول الرسول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ارأفوا بأنفسكم لأنكم لا تدعون أصمَّ**».

فقلت له: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا مَرَرْتُمْ برياض الجنَّة فارْتَعُوا**» قالوا: وما رياض الجنَّة يا رسول الله؟ قال: «**حِلَقُ الذِّكْرِ**».

فقال ذلك الإمام: هذا خاصٌّ بمجلس العلم.

فنرجو الإجابة مع بيان الدليل.

ج٧٠٤: الاجتماع علىٰ الذِّكر إذا كان خاليًا مما يشين حرمة الذكر لا شيء فيه، ورفع الصوت به في المسجد في غير أوقات الصلاة جائزٌ أيضًا، وكذلك الرقص والتمايل جائزٌ إذا كان الاسم الذي يذكر به صحيحًا ليس فيه تحريفٌ.

أمَّا الاجتماع علىٰ الذكر ففيه أحاديث كثيرةٌ منها الحديث القدسي: «**أنا عند ظَنِّ عَبْدِي بي وأنا معه إذا ذَكَرَني فإن ذَكَرَني في نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي وإن ذَكَرَني في مَلَإٍ**» يعني جماعةً «**ذَكَرْتُهُ في مَلَإٍ خيرٍ منه**» يعني جماعة الملائكة، والذكر في الملأ لا يكون إلَّا جهرًا كما هو واضحٌ.

وجاء في حديثٍ آخر: «**إنَّ لله ملائكةً يطوفون بحِلَقِ الذِّكْرِ فإذا وَجَدُوا طلبتهم نادى بعضهم بعضًا: هلموا، فحفوهم بأجنحتهم حتى إذا انتهى الذِّكْرُ صَعدوا إلى الله فقالوا: جئنا من عند عبادك يُسبِّحونك ويحمدونك ويُهلِّلونك**» أي يقولون: سبحان الله والحمد لله ولا اله إلَّا الله... إلىٰ آخر الحديث.

وهو يُبيِّن أنَّ المراد بحِلَق الذِّكْر هو الذكر المعتاد، ويرد دعوىٰ ذلك الإمام تخصيصه الحديث بحلق العلم.

وجاء في حديثٍ آخر صحيح عن شداد بن أوسٍ قال: إني لعند النبيِّ صلَّىٰ الله

عليه وآله وسلَّم إذ قال: «**ارْفَعُوا أيدِيكُمْ فقولوا لا إلهَ إلَّا الله**» ففعلنا، فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**اللَّهُمَّ إنَّكَ بَعَثْتَني بهذه الكلمةِ، وأَمرتني بها، ووَعَدْتَني عليها الجنَّـةَ، إنَّكَ لا تُخْلِفُ المِيعادَ**» ثُمَّ قال: «**أَبْشِرُوا فإن الله قد غَفَرَ لكم**».

وفي حديثٍ آخر عن جابر بن عبدالله: أنَّ رجلًا كان يرفع صوته بالذِّكْر فقال رجل: لو أنَّ هذا خفض من صوته. فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**دَعْهُ فإنَّه أَوَّاهٌ**». أي خاشعٌ مُتضرِّعٌ.

والأحاديث في الاجتماع للذكر والجهر به كثيرةٌ تبلغ نحو ست وعشرين حديثًا جمعها الحافظ السيوطيُّ في جزء خاصٍّ سمَّاه "نتيجة الفِكْر في الجهر بالذِّكْر" وقد طبع مع تعليقنا عليه وهو كتابٌ نافعٌ في هذا الباب.

وأمَّا التمايل في الذِّكر فدليله ما ورد بإسنادٍ جيِّدٍ عن أبي أَرَاكَةَ قال: صَلَّيتُ مع عليِّ بن أبي طالبٍ صلاة الفجر، فلما انفتل عن يمينه مكث كأنَّ عليه كآبة حتىٰ إذا كانت الشمس علىٰ حائط المسجد قيد رُمْحٍ صلَّىٰ ركعتين ثُمَّ قلب يده فقال: «والله لقد رأيت أصحاب محمَّدٍ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فما أرىٰ اليوم شيئًا يشبههم، لقد كانوا يُصْبحون شُعْثًا غُبْرًا صُفْرًا بين أعينهم كأمثال ركب المِعْزَىٰ قد باتوا لله سُجَّدًا وقيامًا يتلون كتاب الله ويتراوحون بين جباههم وأقدامهم فإذا أصبحوا فذكروا الله مَادُوا -أي تمايلوا- كما يَمِيدُ الشجر في يوم الريح، وهملت أعينهم حتىٰ تبتل ثيابهم». فهذا الأثر صريحٌ في التمايل ساعة الذِّكْر.

وأما قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ [الأعراف: ٢٠٥] فهذه الآية مكية نزلت بمكة وكان الإسلام إذ ذاك

غريبًا والمسلمون في قِلَّةٍ، وكان المشركون إذا سمعوا الذكر أو القرآن سبُّوا القرآن ومَن أنزله؛ فأنزل الله هذه الآية بسبب ذلك، وأنزل الآية الأخرىٰ وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠] فلمَّا انتشر الإسلام وقويت شوكته لم يبقَ داعٍ لإخفاء الذِّكْر.

وقد جمع الحافظ السيوطيُّ في "نتيجة الفكر" بين هذه الآية والأحاديث المُصرِّحة بالجهر بالذكر بمسلك آخر نقله عن النوويِّ وغيره، والمقصود أنه لا تعارض بين الأدلة الدالة علىٰ الجهر بالذكر وبين الآية المتقدِّمة لأنَّ لكلٍّ محملًا، والله أعلم.

الصلاة على النبي بعد الأذان

س٧٠٥: ما حكم الزيادة في الأذان بعد قول المؤذن: «لا اله إلَّا الله»؟

ج٧٠٥: زيادة الصلاة علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بعد الأذان لا بأس بها، أحدثها صلاح الدِّين الأيوبيُّ لغرضٍ استدعىٰ ذلك، وأفتىٰ العلماء بجوازها بل بمشروعيتها، منهم الحافظ السخاويُّ وشيخ الإسلام زكريا الأنصاريُّ وابن حجرٍ وغيرهم، وهي علىٰ كلِّ حال ليست زيادة في الأذان بل هي زيادةٌ بعد تمام الأذان فلا تضر شيئًا.

قراءة القرآن على المقابر

س٧٠٦: هل قراءة القرآن علىٰ المقابر تفيد الأموات، وهل ثبت أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أو أحد أصحابه قرأ سورة من القرآن وأهدىٰ ثوابها إلىٰ أحد الأموات، وكيف يتفق هذا مع قوله تعالىٰ: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا

سَعَىٰ ﴾ [النجم: ٣٩].

ج٧٠٦: يتلى القرآن على الأموات لأمرين:

الأمر الأول: رجاء تنزُّل الرحمة على الميت؛ لأنَّ القرآن إذا تُلِي في موضعٍ نزل فيه الرحمة كما ثبت في الحديث، فتعم الحاضرين، ومن ضِمنهم الميت.

الأمر الثاني: انتفاع الميت بثواب القراءة إذا أهداه له القارئ، ومسألة انتفاع الميت بتلاوة القرآن كثر فيها النِّزاع، والحقُّ الذي لا مراء فيه أنَّ القراءة تصل إلى الميت إذا أهداها إليه القارئ، والدليل على ذلك أنه ثبت بالنصِّ والإجماع انتفاع الميت بالدعاء.

وثبت بالحديث الصحيح الحجُّ عن الميت والصوم عنه، ولهذا ذهب الشافعية وجماهير من العلماء إلى أنَّ الرجل إذا مات وعليه حجٌّ أو صومٌ مفروضٌ فلوليِّه أن يحجَّ عنه ويصوم وينتفع الميت بذلك ويسقط عنه فرض الحجِّ والصوم، بل ذهب الظاهرية إلى أنَّ وليَّ الميت يجب عليه أن يصوم عن الميت إذا كان عليه صومٌ مفروضٌ، وتمسَّكوا بقوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن ماتَ وعليه صيامٌ صامَ عنه وليُّه**». والحديث صحيحٌ.

فإذا ثبت وصول الدعاء والحجِّ والصوم ثبت وصول القراءة بلا شك؛ لأن الكلَّ عبادةٌ، والتفريق بين هذه وتلك تحكُّمٌ لا دليل عليه، بل في حديث الحجِّ إخبارٌ بوصول القرآن إلى الميت؛ لأن الحجَّ يتضمَّن صلاة ركعتي الطواف وهي تشتمل على قراءة القرآن قطعًا، وقد أخبر الحديث بوصول الحجِّ إلى الميت ففيه إخبارٌ ضمنيٌّ بوصول القراءة إليه.

وأيضًا فقد ثبت عن الشَّعْبيِّ وهو تابعيٌّ أنَّ الأنصار كانوا إذا مات لهم

ميتٌ، اختلفوا على قبره يقرأون عليه القرآن.

بل ثبت أعلى من هذا وهو أنَّ اللجلاج أوصى ابنه العلاء إذا مات ودفنه أن يقرأ على قبره بخاتمة (البقرة)، وقال: «فإنِّي سمعتُ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول ذلك».

وهذا حديثٌ حسنٌ قال عنه الحافظ الهيثميُّ: «رجاله مُوثَّقون»، وهناك آثارٌ أخرى ضاق المقام عنها.

وأمَّا قوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم: ٣٩]. فإنه لا ينفي وصول القراءة إلى الميت بدليل أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أخبر بوصول الحجِّ والصوم إلى الميت، وبدليل انعقاد الإجماع على وصول الدعاء إلى الميت، والدعاء والصوم والحجُّ مِن سعي الحيِّ لا مِن سعي الميت، فكيف وصلت إليه؟!

وإيضاح القول في هذه الآية الكريمة: أنها تخبرنا بتمام عدل الله، وأنَّ الله سبحانه وتعالى لعدله لا يضيع من عمل الإنسان شيئًا، فما عمل الإنسان من عملٍ خيرًا كان أو شرًّا يجده حاضرًا أمامه لا زيادة فيه ولا نقصان، ولا يظلم ربُّك أحدًا.

أمَّا إهداء عمل إلى آخر على سبيل المحبَّة والتودُّد فليس في الآية دلالةٌ على نفيه أصلًا بل الدليل يدل على وصول العمل المهدى إلى الميت، وهو الأحاديث الصحيحة التي أشرنا إليها.

وقد ذهب ابن القيِّم إلى وصول ثواب القراءة إلى الميت، وحكاه عن نصِّ

أحمد وأطال في تقرير ذلك والاستدلال عليه في كتاب "الروح" فليرا جع.

الجمع بين أحاديث فضل الزيارة وحديث: «لا تشد الرحال»

س٧٠٧: كيف يمكن الجمع بين أحاديث فضل زيارة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وحديث: «**لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إلَّا إلى ثلاثة مَساجدَ**».

ج٧٠٧: أحاديث زيارة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حصل فيها نزاعٌ شديدٌ بين ابن تيمية وأتباعه وبين جمهور المسلمين، فابن تيمية يزعم أنها موضوعةٌ، وتبعه علىٰ ذلك ابن عبدالهادي المقدسي فنصر رأي ابن تيمية وتعصَّب له كثيرًا وبالغ في الحطِّ من هذه الأحاديث ونقدها بمبالغةٍ كبيرةٍ، وألَّف في ذلك كتابًا ردَّ به علىٰ تقي الدين السُّبكيِّ الذي ألَّف كتابًا في تصحيح حديث الزيارة وردَّ فيه كلام ابن تيمية، وكلا الكتابين -أعني كتاب السبكي والمقدسي- مطبوعٌ.

ولو أردنا أن نذكر الأحاديث الواردة في الزيارة بأسانيدها مع بيان حالها وما عليها لطال الحال، ولكن يمكننا أن نقول كلمةً موجزةً تعتبر خلاصة لما قرأناه في هذا الموضوع، وهي أنَّ أحاديث الزيارة صحيحةٌ باعتبار مجموعها، أمَّا أفرادها فضعيفةٌ لوجود الضعف في سند كلٍّ منها، لكن ليس في سند واحدٍ منها كذَّابٌ أو مُتَّهمٌ بالكذب كما قال الذهبيُّ، وهو إمام هذا الشأن فلذلك اكتسبت بانضمامها قوة فصارت صحيحةً.

أمَّا حديث: «**لا تُشَدُّ الرِّحالُ إلَّا لثلاثة مَساجِدَ**... إلخ» فلا يعارض هذه الأحاديث ولا يناقضها، وذلك لأن الحصر في هذا الحديث إضافيٌّ بالنسبة إلىٰ الصلاة لا إلىٰ شيءٍ آخر، ومعناه أنَّ الإنسان لا يشد رحاله إلىٰ مسجد لأجل

الصلاة فيه إلَّا هذه المساجد الثلاثة.

والدليل على ما نقول ما رواه أحمد وغيره بإسنادٍ حسنٍ في هذا الحديث بلفظ: «**لا تُشَدُّ الرِّحالُ إلى مسجدٍ تُبتغَى فيه الصَّلاةُ إلَّا المساجد الثلاثة** ...إلخ» فهذا الحديث صريحٌ كما قال الحافظ ابن حجرٍ في تخصيص شد الرحال بالصلاة فقط.

ويدل عليه أيضًا أنَّ بعض الصحابة ذهب إلى مسجد الطور يُصلِّي فيه فلمَّا علم أبو هريرة قال: لو علمت قبل سفرك ما تركتك... ثُمَّ ذكر الحديث.

وكذلك ورد في الحديث أنَّ رجلًا قام يسأل النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عام الفتح وهو بمكة وقال له: نذرت أن أصلِّي في بيت المقدس. فقال له النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**الصَّلاة ها هنا أفضل**» فهذا الحديث يدل أيضًا على أنَّ شدَّ الرِّحال لغير الصلاة جائزٌ، والله أعلم.

حكم الاحتفال بالمولد النبوي

س٧٠٨- وسُئل: عن قول الشيخ عبدالله بن حميد الحنبلي المفتي في درس له في الحرم المكي محرِّمًا أو مبدِّعًا للاحتفال بالمولد النبوي الشريف: «قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ولم يقل: وما أولدناك».

ج٧٠٨- فأجاب: ابن حميد قليل الأدب في تعبيره، كثير الجهل في علمه، والنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حين سُئل عن صوم يوم الاثنين قال: «**ذاك يوم وُلدتُ فيه**» فلمَّح إلى الاحتفال به لكونه وُلِد فيه، وصام يوم عاشوراء وأمر بصيامه احتفالًا بنجاة موسى، والله تعالى شرع لنا العقيقة فرحًا بوجود الولد.

أنفرح بوجود ولدٍ ونذبح عنه ولا نفرح بوجود النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم؟!

وعدم الاحتفال به في عهد السلف لا يدل علىٰ منعه، وإنما يدل علىٰ جواز تركه، وهذه قاعدة أصولية لا يعرفها كثيرٌ من الناس، وهي داخلةٌ في العبادات أيضًا، ودليلها عدَّة أحاديث مذكورة في "إتقان الصنعة"، والذي سألك لم يتنبَّه لها لأنه متشبِّعٌ بفكرة: «كل ما لم يحدث في عهد السلف فهو بدعةٌ لا تجوز»، ولو جرَّد نفسه من هذه الفكرة لانتفع بقراءة "إتقان الصنعة" واستفاد منه، ولكن التقليد يمنع من ذلك.

وعند اجتماعنا إن شاء الله نتوسَّع في الموضوع بحول الله.

أول من أحدث الاحتفال بالمولد النبوي

س٧٠٩- مَن أوَّل مَن أحدث الاحتفال بالمولد النبويِّ؟ وما حكم العادات التي جرىٰ عليها الناس في الاحتفال من إقامة الحفلات وتقديم الحلوىٰ وغير ذلك؟

ج٧٠٩- للحافظ جلال الدين السيوطيِّ فتوىٰ قيمة في هذا الموضوع، نلخّصها فيما يأتي قال رحمه الله: «إنَّ أصل عمل المولد الذي هو اجتماع الناس وقراءة ما تيسَّر من القرآن، ورواية الأخبار الواردة في مبدأ أمر النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وما وقع في مولده من الآيات، ثُمَّ يمد لهم سماطٌ يأكلونه وينصرفون من غير زيادةٍ علىٰ ذلك هو من البدع الحسنه التي يُثاب عليها صاحبها؛ لما فيه من تعظيم قدر النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وإظهار الفرح

والاستبشار بمولده الشريف.

وأول من أحدث فعل ذلك صاحب إرْبِل المَلِك المُظفَّر أبو سعيد كُوكْبَري ابن زين الدين علي بن بَكْتكين، أحد الملوك الأمجاد والكبراء الأجواد وكان له آثارٌ حسنةٌ، وهو الذي عمَّرَ الجامع المظفَّري بسفح قاسيون.

قال ابن كثيرٍ في "تاريخه": «كان يعمل المولد الشريف في ربيع الأول ويحتفل به احتفالًا هائلًا، وقد صنَّف له الشيخ أبو الخطاب ابن دحية مجلدًا في المولد النبوي سماه "التنوير في مولد البشير النذير" فأجازه على ذلك بألف دينار. وقد طالت مدته في الملك إلى أن مات وهو محاصر للفرنج بمدينة عكا سنة ٦٣٠هـ محمود السيرة والسريرة».

إلى أن قال: «وحكت زوجته ربيعة خاتون بنت أيوب أخت الملك الناصر صلاح الدين أنَّ قميصه كان من كرباس غليظ لا يساوي خمسة دراهم، قالت: فعاتبته في ذلك، فقال: لبس ثوب بخمسة والتصدق بالباقي خير من أن ألبس ثوبًا مثمنًا وأدع الفقير والمسكين».

وقال ابن خَلِّكان في ترجمة الحافظ أبي الخطاب ابن دحية: «كان من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء قدم من المغرب فدخل الشام والعراق واجتاز بأربل سنة ٦٠٤هـ فوجد ملكها المعظم مظفَّر الدين بن زين الدين يعتني بالمولد فعمل له كتاب "التنوير في مولد البشير النذير" وقرأه عليه بنفسه فأجازه بألف دينار».

وقد تكلَّم أبو عبدالله ابن الحاج في كتابه "المدخل" على عمل المولد فأتقن الكلام فيه جدًا وحاصله مدح ما كان فيه من إظهار شعار هو شكر، وذم ما احتوى عليه من محرَّمات ومنكرات، فمن ذلك قوله: «وإن كان النبي صلَّى الله

عليه وآله وسلَّم لم يزد فيه على غيره من الشهود شيئًا من العبادات وما ذاك إلَّا لرحمته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لأمَّته ورفقه بهم؛ لأنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان يترك العمل خشية أن يفرض على أمَّته رحمة منه بهم.

لكن أشار صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى فضيلة هذا الشهر العظيم بقوله للسائل الذي سأله عن صوم يوم الاثنين: «**ذاك يومٌ وُلِدتُ فيه**» فتشريف هذا اليوم متضمِّن لتشريف هذا الشهر الذي ولد فيه، فينبغي أن نحترمه غاية الاحترام ونُفضِّله بما فضل الله به الأشهر الفاضلة، وهذا منها لقوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أنا سيِّد وَلَدِ آدمَ ولا فَخْرَ، آدمُ فمَن دُونَهُ تحتَ لِوائي**».

وفضيلة الأزمنة والأمكنة بما خصَّها الله به من العبادات التي تفعل فيها لما قد علم أنَّ الأمكنة والأزمنة لا تشرف لذاتها وإنما يحصل لها التشريف بما خُصَّت به من المعاني، فانظر إلى ما خصَّ الله به هذا الشهر الشريف ويوم الاثنين، ألا ترى أنَّ صوم هذا اليوم فيه فضلٌ عظيمٌ لأنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وُلِد فيه.

فعلى هذا ينبغي إذا دخل هذا الشهر الكريم أن يُكرَّم ويُعظَّم ويُحتَرم الاحترام اللائق به اتباعًا له صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في كونه كان يخصُّ الأوقات الفاضلة بزيادة فعل البرِّ فيها وكثرة الخيرات.

ألا ترى إلى قول ابن عبَّاسٍ: «كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان». فنمتثل تعظيم الأوقات الفاضلة بما امتثله على قدر استطاعتنا.

فإن قال قائل: قد التزم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في الأوقات الفاضلة ما التزمه مما قد عُلِم، ولم يلتزم في هذا الشهر ما التزمه في غيره.

فالجواب: أنَّ ذلك لما علم من عاداته الكريمة أنه يريد التخفيف عن أُمَّته سيما فيما كان يخصه، ألا ترىٰ أنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حرَّم المدينة مثل ما حرَّم إبراهيم مكة، ومع ذلك لم يشرع في قتل صيده ولا شجره الجزاء تخفيفًا علىٰ أُمَّته ورحمةً بهم، فكان ينظر إلىٰ ما هو من جهته وإن كان فاضلًا في نفسه فيتركه تخفيفًا عنهم.

فعلىٰ هذا تعظيم هذا الشهر الشريف إنما يكون بزيادة الأعمال الزاكيات فيه والصدقات... إلىٰ غير ذلك من القُربات، فمن عجز عن ذلك فأقل أحواله أن يجتنب ما يحرم عليه ويسكن له تعظيمًا لهذا الشهر الشريف، وإن كان ذلك مطلوبًا في غيره إلَّا أنه في هذا الشهر أكثر احترامًا، كما يتأكَّد في شهر رمضان وفي الأشهر الحُرُم».اهـ

وقد سُئل شيخ الإسلام الحافظ ابن حجرٍ عن عمل المولد فأجاب بما نصُّه: «أصل عمل المولد بدعةٌ لم تُنقَل عن أحدٍ من السلف الصالح من القرون الثلاثة -الصحابة، والتابعين، وتابع التابعين- ولكنها مع ذلك قد اشتملت علىٰ محاسن وضدِّها، فمن تحرَّىٰ في عملها المحاسن وتجنب ضدَّها كان بدعةً حسنةً وإلَّا فلا».

قال الحافظ السيوطيُّ: «وقد ظهر لي تخريجها علىٰ أصلٍ ثابتٍ، وهو ما ثبت في "الصحيحين" مِن أنَّ النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم فقالوا: هو يومٌ أغرق الله فيه فرعون ونجَّا موسىٰ، فنحن نصومه شكرًا لله تعالىٰ. فيُستفاد منه فعل الشكر لله علىٰ ما مَنَّ به في يومٍ مُعيَّن من إسداء نعمةٍ أو دفع نِقْمَةٍ، ويعاد ذلك في نظير ذلك

اليوم من كلِّ سنةٍ. والشكر لله يحصل بأنواع العبادة كالسجود والصيام، والصدقة والتلاوة.

وأي نعمةٍ أعظم من النِّعمة ببروز هذا النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نبيِّ الرحمة في ذلك اليوم.

التوسل

س٧١٠: تضاربت الأقوال وتعارضت الأدلة حول مسألة التوسل ونجم عن ذلك اختلافٌ كبيرٌ بين الناس فما هو الحق في ذلك؟

ج٧١٠: التوسُّل أنواعٌ:

الأول: التوسل بأسماء الله الحسنى وهذا أمرٌ مُرَّغبٌ فيه اتفاقًا، بدليل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

الثاني: التوسُّل بالأعمال الصالحة وهذا أيضًا مُرغَّبٌ فيه اتفاقًا بدليل حديث أصحاب الغار الثلاثة الذي انطبق عليهم فم الغار فتوسَّلوا إلى الله بأعمالهم الصالحة فنجَّاهم الله كما ثبت في "الصحيحين".

الثالث: التوسُل بجاه النبيِّ أو الوليِّ أو ببركتهم كأن يقول: «اللهمَّ إني أسألك ببركة فلانٍ. أو بجاه فلانٍ، أو بما له من المنزلة عندك، أن تعطيني كذا» وهذا جائزٌ لحديث الترمذيِّ أنَّ أعمى أتى إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وسأله أن يدعو الله لكشف بصره، فأمره أن يتوضَّأ ويصلِّي ركعتين ويقول: «اللهمَّ إني أسألك وأتوجَّه إليك بنبيِّك محمدٍ نبيِّ الرحمة، يا محمد إنِّي أتوجَّه بك إلى ربِّي في حاجتي هذه لتقضى لي، اللهمَّ فشفِّعه فيَّ وشفِّعني في نفسي».

وزاد ابن أبي خيثمة في روايته: «فإن كانت لك حاجة فمثل ذلك»، أي إذا

عرضت لك حاجة فقل مثل هذا الدعاء. والحديث بهذه الزيادة صحيحٌ.

الرابع: أن ينادي الشخص الوليَّ المتوسَّل به كأن يقول: «يا سيِّد اشفِ مريضي»، «يا سيِّدة خلِّي بالك مِنِّي» ونحو ذلك، فهذا توسُّلٌ حرامٌ لا يجوز.

حلق اللحية

س٧١١: هل حلق اللحية للرجل حرامٌ أم مكروهٌ؟

ج٧١١: اختُلف في حَلْقِ اللحية، فمذهب المالكية ونصُّ الشافعي في "الأم" ومذهب الحنابلة أنَّ حلق اللحية حرامٌ؛ لقوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**خَالفوا المشركين وفِّرُوا اللحية وقُصُّوا الشَّوارِبَ**». وفي رواية: «**أعفوا اللِّحَى، وجُزُّوا الشَّوَارِبَ**». وللحديث ألفاظٌ وطرقٌ في "الصحيحين" وغيرهما.

والأمر إذا أطلق فهو للوجوب عند الجمهور لا سيَّما وقد عُلِّل في الحديث بمخالفة المشركين أو بمخالفة المجوس كما في بعض الطرق، ولا شك أنَّ مخالفة المشركين أو المجوس واجبةٌ بل هي من أهم مقاصد الدين الإسلاميِّ فيكون الأمر المُعلَّل بها واجبًا أيضًا كما بيَّن ذلك بإيضاحٍ وإسهابٍ أبو العباس ابن تيمية في كتاب "اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم" وهو مطبوعٌ.

ورأى متأخِّرو الشافعية أنَّ حلق اللحية مكروهٌ كراهةً تنزيهيَّةً، واستدلوا بقوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**عَشْرٌ مِن الفِطْرَة...**» فذكرها، منها إعفاء اللِّحَى.

وهو استدلالٌ ضعيفٌ؛ لأن الفِطْرة في الحديث مراد بها الدِّين، وهكذا كل فِطْرةٍ تَرِد في الشرع فالمراد بها الدِّين، والدِّين اسمٌ لمجموع الأوامر والنواهي سواء أكانت واجبة أم مندوبة، واقتران إعفاء اللحية في حديث الفطرة بأمورٍ مندوبةٍ كالسواك لا يقتضي ندبه، إذ يجوز لغة وشرعًا قرن الواجب بالمندوب

وعطف بعضهما على بعض، وذلك واقعٌ كثيرًا لا سبيل إلى إنكاره، فيبقى الأمر في حديث: «**وفِّروا اللِّحَى**»، أو «**أعفوا اللِّحَى**»، أو «**أرخوا اللِّحَى**» خالصًا للوجوب لا صارف له عنه.

وقول الغزاليِّ في "الإحياء": «في اللحية عشرة خصال مكروهة، بعضها أشد كراهة من بعض» فذكرها وذكر منها حلقها؛ لا يصلح مخصِّصًا للحديث ولا صارفًا له عن الوجوب؛ لأن الغزالي لا يعرف الحديث كما اعترف هو بذلك وإن وافقه النوويُّ على عد تلك الخصال العشرة مكروهة فهو سهوٌ من النوويِّ رحمه الله.

والخلاصة: أنَّ حلق اللحية حرامٌ في مذهب مالكٍ إلَّا في قولٍ شاذٍّ نُسب لعياض، وحرامٌ في نصِّ الشافعيِّ، وفي مذهب أحمد بن حنبلٍ، ومكروهٌ عند متأخِّري الشافعية، وهو الذي رجَّحوه واستقرَّ عليه العمل عندهم، وهذا ما يقال في هذه المسألة باختصارٍ، والله أعلم.

تلقين الميت

س٧١٢: ما حكم تلقين الميت وقت دخوله القبر؟

ج٧١٢: تلقين الميت بعد دفنه ورد فيه حديثٌ ضعيفٌ رواه الطبرانيُّ عن أبي أُمامة، وقد قوَّى الحديث الحافظ ابن حجرٍ، وسُئل عنه الإمام أحمد فقال: «استمرَّ عليه العمل في الشام والحجاز وسائر الأمصار»، ولذلك نصَّ على استحبابه جماعةٌ من المالكية والشافعية والحنابلة وغيرهم.

ومما تقرَّر عند العلماء أنَّ الحديث الضعيف إذا تُلقِّي بقبولٍ واستمرَّ العمل عليه كان حُجَّةً كما ذكره غير واحدٍ، فالتلقين المذكور مستحبٌّ والذين ينكرونه

مخطئون في إنكارهم، والله أعلم.

قراءة القرآن على المقابر وتوزيع الصدقات

س٧١٣: ما حكم قراءة القرآن على المقابر وتوزيع الصدقات على روح الموتى عند القبر خصوصًا في المواسم والأعياد؟

ج٧١٣: قراءة القرآن على القبر جائزةٌ، بل ذكر النوويُّ نَقْلًا عن الشافعية استحباب قراءة القرآن على القبر بعد دفن الميت، وروى البيهقيُّ بإسنادٍ حسنٍ عن العلاء بن اللجلاج أنه أوصى أولاده إذا دفنوه أن يقرءوا على قبره بخاتمة (البقرة)، وذكر أنَّ ابن عمر كان يفعل ذلك، وورد عن الشَّعْبيِّ -وهو تابعيٌّ- أنَّ الأنصار كانوا إذا مات لهم ميتٌ اختلفوا إلى قبره -أي تواردوا عليه مختلفين- يقرءون عليه القرآن.

وذكر الخلال في كتاب "الجامع" عن الإمام أحمد أنه حضر جنازةً فلمَّا دُفن الميت قام ضريرٌ يقرأ على القبر فقال له الإمام أحمد: يا هذا إنَّ القراءة على القبر بدعةٌ. فروى محمد بن قدامة الجوهري للإمام أحمد حديثًا صحيحًا عن اللجلاج أنه أوصى أولاده إذا دفنوه أن يقرأوا عليه بفاتحة (البقرة) أو خاتمتها، وقال: إنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان يقول ذلك، فلما سمع الإمام أحمد هذا الحديث قال لابن قدامة: ارجع إلى الرجل وقل له يقرأ.

فانظر إلى إنصاف الإمام أحمد وسرعة رجوعه إلى الدليل.

أمَّا الصدقة على روح الميت فهي مستحبةٌ بالإجماع لم يخالف فيها أحدٌ، لكن يستحب إخفاؤها لأن إخفاء الصدقة أبعد عن الرِّياء وأدعى للقبول.

وأمَّا زيارة الموتىٰ في مواسم الأعياد فهي عادةٌ مسيحيةٌ لا إسلامية فيجب علىٰ المسلمين تركها.

والزيارة المشروعة هي أن يزور الشخص قريبه الميت يوم الجمعة، علىٰ شرط ألَّا تخرج النساء للزيارة إلَّا إذا كانت المرأة كبيرةً غير متزيِّنةٍ، وبشرط ألَّا يحصل في المقابر اختلاط النساء بالرجال كما هو مشاهدٌ اليوم، والله أعلم.

وجود الصور بالمنزل

س٧١٤: هل وجود الصور بالمنزل حرامٌ؟ وهل التحريم يشمل جميع الصور أم صور مخصوصة؟

ج٧١٤: الصور الفوتوغرافية جائزةٌ لأنها حبس الظلِّ المنعكس علىٰ عدسة الآلة وما عداها من الصور المُجسِّمة أو المرسومة علىٰ الحائط، أو المنقوشة علىٰ الثوب فهي حرامٌ، وعليها تتنزَّل الأحاديث الواردة في تحريم التصوير والصور، وعلىٰ هذا فتعليق الصور الفوتوغرافية بالمنزل جائزٌ، وأمَّا ما عداها من الصور فاقتناؤها حرامٌ بل مجرَّد النظر إليها حرامٌ حسب ما نصَّ عليه الشيخ الدردير في "الشرح الكبير".

حكم الانضمام إلى الأحزاب السياسية

س٧١٥: هل يجوز أن أنضمَّ إلىٰ حزبٍ من الأحزاب مع العلم بأنَّ من بيدهم تيسير هذه الأحزاب لا يؤدُّون الفرائض الدينية؟

وما الحكم فيمن يسير في ركب هؤلاء الرؤساء يبجل أسماءهم ويهتف بحياتهم، هل يصدق عليه أنه باع آخرته بدنيا غيره؟

ج٧١٥: هذه الأحزاب بدعةٌ مُنكَرةٌ، وهي أثرٌ ممن آثار الاستعمار أحدثها المُستعمِرون ليفرِّقوا بين أبناء الأُمَّة الواحدة، وليجعلوا أبناء الوطن الواحد شِيَعًا وأحزابًا، فتجد هذا الحزب ينابذ ذاك الحزب ويَصِمُهُ بأقبح الوصمات، ويتراشقون التهم في الجرائد والمجلَّات كما هو حاصلٌ مشاهدٌ؛ فالانضمام إلى حزبٍ من هذه الأحزاب هو نفسه بدعةٌ لا يُقرُّها الشرع، فكيف إذا انضمَّ مع ذلك عدم تمسُّك رؤساء الحزب بالدين واتخاذهم الدين طريقًا لنيل أغراضهم ونيل مطلوبهم؟!

ولا شك أنَّ من يمشي في ركاب هؤلاء ويهتف بحياتهم ويُضحِّي بنفسه وماله في سبيل حزبهم يصدق عليه أنه باع آخرته بدنيا غيره.

والدين لا يعرف أحزابًا ولا جماعاتٍ وإنما يأمرنا إذا حدق الخطر بنا أن نتعاضد ونتعاون ونقوم قومة رجلٍ واحدٍ للدفاع عن ديننا الذي لا حياة للأمم والأفراد بدونه، وما سوى ذلك فهو هراءٌ باطلٌ ضرره أكثر من نفعه بل لا نفع فيه عند التحقيق، والله أعلم.

٧- السِّير والشمائل

والمناقب والتراجم

قول المؤذن: يا أول خلق الله

س٧١٦: أنكر رجل على المؤذِّن قوله بعد الأذان في الثناء على رسول الله: «يا أول خلق الله وخاتم رسل الله»، وقال: إنَّ آدم عليه السلام هو أول خلق الله وليس محمدًا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

ج٧١٦: صحَّ في الحديث: «**كنتُ نبيًّا وآدمُ مُنْجدَلٌ في طِينَتِهِ**» رواه الترمذيُّ والبخاريُّ في "التاريخ" والحاكم.

وفي حديثٍ آخر صحيحٍ: سُئل رسول الله ﷺ متى كنتَ نبيًّا؟ فقال: «**وآدمُ بين الرُّوحِ والجَسَدِ**».

وفي حديثٍ آخر: «**كنتُ أوَّلَ النَّاسِ خَلْقًا وآخِرَهُمْ بَعْثًا**».

والمراد بالنَّاسِ في هذا الحديث الأنبياء عليهم السلام كما جاء في روايةٍ أخرى، فلهذه الأحاديث وغيرها لم يختلف العلماء الذين كتبوا في دلائل النبوة والسيرة النبوية كأبي نعيمٍ، والبيهقيِّ، والقاضي عياض، وابن القطَّان وغيرهم في أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان نبيًّا قبل خلق آدم، وذلك بالطبع يستلزم أنه تقدَّم خَلْقُه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على خَلْقِ آدم.

وإنما اختلفوا ما الذي كان موصوفًا بالنبوة قبل آدم هل حقيقته المحمدية أو روحه الشريفة، بمعنى أنَّ الله خلق حقيقته قبل الحقائق أو روحه قبل الأرواح وأفاض عليهما وصف النبوة قبل نفخ الروح في آدم، ثُمَّ خَلَقَ جسده الشريف بعد ذلك في وقته الذي ظهر فيه، وهذا بحثٌ طويلٌ تكلَّم عليه تقي الدين السبكيُّ في رسالةٍ خاصَّةٍ.

فذلك المنكر إن قصد أن آدم عليه السلام هو أول المخلوقات أي جسده وهيكله البشري المعروف فهو محق، وإن أراد أن حقيقة آدم أو روح آدم خلقت قبل حقيقة النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أو روحه فهو مخطئ أشد الخطأ لمخالفته الأحاديث الصحيحة التي سقناها وغيرها، والله أعلم.

معنى صلاة الله على النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم والمقصود منها

س٧١٧: ما معنى صلاة الله على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؟ وما القصد منها؟ وما تفسير ذلك؟

ج٧١٧: صلاة الله على نبيه زيادة تشريفٍ وتكريمٍ له، وصلاة الملائكة والناس على النبيِّ دعاءٌ بذلك: فقولنا: «اللهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمدٍ» معناه: «اللهمَّ زِدْهُ تشريفًا وتكريمًا وأعلِ شأنه». وبالطبع ما عند الله من التشريف والتكريم لا يتناهى فيكون النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم دائماً في ازديادٍ بصلاة الله عليه.

أمَّا صلاة الله على عباده فهي رحمته بهم ولطفه ورعايته لهم كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الأحزاب: ٤٣]، وصلاة الملائكة علينا دعاءٌ لنا بالرحمة والمغفرة.

والقصد من صلاة الله على نبيِّه إعلاء قدره وتعريف الخَلْق منزلته عنده، وإنما أمرنا بالصلاة عليه مع أنَّ صلاة الله كافيةٌ؛ لنقوم بحقِّ شكره الواجب علينا، فإنَّ الله بسبب نبيِّه هدانا وأنقذنا من عبادة الأوثان، وأخرجنا من الظلمة إلى النور، فمن الواجب علينا أنَّ نشكره بالصلاة عليه، وإن كنَّا لا نبلغ

بذلك قدره ولكنه جهد المُقِلِّ جزاه الله عنا أفضل ما جزىٰ نبيًّا عن أُمَّته.

الحلف بالنبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم

س٧١٨: هل الحَلِفُ بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كفرٌ لحديث: «**مَن كان مِنكم حالِفًا فليَحْلِف بالله أو ليَصْمُتْ**»؟

ج٧١٨: الحَلِفُ بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مكروهٌ عند المالكية والشافعية وللإمام أحمد فيه قولان:

الأول: أنه يمينٌ تلزم في الحنث به الكفَّارة كما تلزم في اليمين بالله؛ لأن اسم النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أحد شَطْرَي كلمة الشهادة.

القول الثاني: أنه ليس بيمينٍ ولا كفَّارة فيه.

وما علمنا أحدًا من العلماء في المذاهب الأربعة قال: إنَّ الحلف بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كفرٌ، والحديث المذكور في السؤال ورد في النهي عما اعتاده أهل الجاهلية من الحلف بأصنامهم وأوثانهم وآبائهم المشركين، وهذا المعنىٰ لا ينطبق علىٰ الحلف بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فالحكم عليه بالكفر جرأةٌ قبيحةٌ يُخشَىٰ علىٰ صاحبها سوء الخاتمة.

كثرة أسماء النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم

س٧١٩: ما العِلَّة في أنَّ سيِّدنا محمدٍ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم له أسماءٌ كثيرةٌ وما أصل ذلك؟ ومن الذي سمَّاه بها؟

ج٧١٩: العِلَّة في ذلك: **أولا**: شرف النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وعُلُوِّ قَدْرِهِ، والعادة عند العرب أنَّ كثرة الأسماء تدل علىٰ شرف المُسمَّىٰ.

ثانيًا: أنَّ النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم امتاز بصفاتٍ حميدةٍ اشتُقَّ له من كلِّ صفةٍ منها اسم: كالرؤوف الرحيم، والبشير النذير، وأحمد، ومحمود وحامد، ونحو ذلك.

ثالثًا: أنَّ الله أخبر عنه في الكتب السابقة وبشَّر به كلُّ نبيٍّ أُمَّته، فكان كل نبيٍّ يُسمِّيه بوحي من الله بالصفة التي يعرف بها بينهم على اختلاف لغاتهم وعاداتهم وتقاليدهم.

والذي سمَّاه هذه الأسماء هو الله تعالى إمَّا بوحيٍ لبعض أنبيائه أو بإلهامٍ كما ألهم جده عبدالمطلب أن يسمِّيه محمدًا.

كيفية صلاة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على نفسه

س٧٢٠- كيف كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يصلِّي على نفسه في الصلاة وخارجها؟

ج٧٢٠- كيفية صلاة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على نفسه في الصلاة وخارجها هي الصلاة الإبراهيمية كما تواترت بها الأحاديث في الجملة، وإن اختلفت روايتها بزيادة ألفاظٍ ونقص أخرى.

وقد كنَّا نريد أن نقف على تلك الرِّويات بجميع طرقها، ثُمَّ وجدنا الوقت لا يساعدنا على ذلك فأرجأناه لفرصةٍ أخرى.

عدد مؤذني الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم

س٧٢١- كم كان للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من المؤذِّنِينَ؟

ج٧٢١- فالذي يحضُرني الآنَ ثلاثةٌ: بلالٌ، وأبو محذُورة، جعله رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مؤذِّنَه بمكةَ المكرَّمة، وابنُ أمِّ مكْتومٍ.

ثُمَّ تذكرتُ رابعًا وهو زيادُ بن الحارث الصُّدَائِيُّ.

هل أذَّن بلالٌ بعد موتِ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم

س٧٢٢- هل أذَّن بلالٌ بعد موتِ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؟

ج٧٢٢- **جوابه**: نعم أذَّن مرَّةً في خلافةِ عمرَ رضي الله عنه ولم يُتمَّ الأذانَ لاختناقِه بالبُكاء كما جاء في "تاريخ ابن عساكر" بإسنادٍ جيِّدٍ على ما قال السُّبكيُّ.

وورَد في "مصَّنف ابنِ أبي شيبة" أنَّه أذَّن لأبي بكرٍ رضي الله عنه مُدَّة خلافتِه ثُمَّ بعد موتِه خرج إلى الشَّام ولم يرجعْ حتَّى ماتَ، وإسنادُ هذا الأثر منقطعٌ ضعيفٌ.

حول أوَّلية النور المحمدي

س٧٢٣- وأرسلت لسيادته كلام أحد الإخوان حول أوَّلية النور المحمَّديِّ؟

ج٧٢٣- فقال سيادته بما نصُّه:

١- أوَّلية النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فضيلة مِن الفضائل وليست بعقيدةٍ فلا ينبغي التشديد فيها ولا كثرة الخصومة حولها.

٢- أحسن ما يؤيِّد الأوَّلية حديث مَيْسَرة الفَجْر، وأبي هريرة، والعِرباض بن سارية بالطريقة التي بينتها في "الأحاديث المنتقاة".

٣- ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾ [الأحزاب: ٥٦] لا تفيد الأولية للتعبير فيها بالفعل المضارع، وهو يدل على التجدُّد والحدوث أي أنَّ اللهَ وملائكته يصلُّون الآن وبعده إلى يوم القيامة، نعم لو قال: «صلوا» بالماضي لأفادت الأولية على احتمال بعيد، والحقيقة أنَّ الآية تفيد أوَّلية الملائكة؛ لأن الله

أخبر أنهم يصلون معه على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وعلى هذا فقد كانوا مخلوقين قبله.

٤- في الآية دليلٌ على أمرٍ أعظم من الأوَّلية وأفخم، ذلك أنَّ الله شرَّف آدم عليه السلام فأمر الملائكة بالسجود له، والله تعالى مُنزَّهٌ عن السجود لا يليق به، وفي هذه الآية أخبر أنه يُصلِّي هو وملائكته على نبيِّه، ولا شك أنَّ تشريفًا يصدر عن الله تعالى أفضل مِن تشريفٍ يحصل من الملائكة وحدهم.

وأيضًا فإنَّ سجود الملائكة لآدم حصل لحظةً وانتهى، أمَّا صلاة الله والملائكة على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فهو تشريفٌ مُستَمِرٌّ لا ينقطع.

وليس من الأولية كبير فضلٍ، وقد كتبت فيها عدة مقالات "بمجلة الإسلام" سنة ١٩٣٦م ردًّا على الشيخ سيد الطوبجيِّ، ثُمَّ بحثت عن حديث جابرٍ: «أوَّل ما خَلَقَ اللهُ نور نبيِّك يا جابر». حتى وجدته في كتاب "تلقيح الأذهان ومفتاح معرفة الإنسان" لابن العربي الحاتمي فإذا هو حديثٌ طويلٌ وموضوعٌ، ثُمَّ وجدت الحافظ السيوطيُّ نصَّ على أنه حديثٌ غير ثابتٍ، وتبيَّن لي أنَّ الأوَّليَّة فكرةٌ صوفيَّةٌ قالها أهل التصوف ذوقًا، واستدل لها بعضهم بدليلٍ عقليٍّ حتى زعم زكي مبارك أنَّ الصوفية ادعوا في الحقيقة المحمَّدية مثل النصارى في عيسى ورددت عليه، والمقصود أنَّ الأولية ليس لها كبير أهمية وإنكارها لا يخدش العقيدة ولا يُغيِّرها.

س٧٢٤- لماذا كان حديث أوَّليَّة النور المحمَّديِّ موضوعٌ، وقد قال بالأوَّليَّة الكثير من الصوفية وغيرهم؟

ج٧٢٤- حديث أولية النور المحمَّديِّ حديثٌ موضوعٌ، ولا يجوز أن

يُنسَب إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ما لم يقله انتصارًا للرأي، نعم، يمكن استنباط الأوَّلية من حديث: «**كنتُ نبيًّا وآدمُ بين الرُّوحِ والجَسَدِ**». وحديث: «**كنتُ أوَّلَ النَّاسِ في الخَلْقِ وآخِرَهُمْ في البَعْثِ**». على أنَّ أوَّلية الخَلْقِ ليس فيها فضيلةٌ، ألا ترى أنَّ الجِنَّ مخلوقون قبل الإنس بنصِّ القرآن، والإنس أفضل منهم بلا خلاف، وسخَّرهم الله لسليمان، ولكلِّ مَن يستعمل الأسماء الروحانية كما هو معلومٌ، ولكثير من الأولياء، وللشيخ الشعرانيِّ كتاب: "كشف الرَّان عن وجه أسئلة الجان" أجاب فيه عن ثمانين سؤالًا بعثها إليه الجنُّ مع جنيٍّ في صورة كلبٍ أصفر، وهو مطبوعٌ ولعل في هذا كفايةٌ.

س٧٢٥- وهل ثبتت أولية النور المحمَّديِّ؟

ج٧٢٥- وحديث أولية النور المحمَّديِّ، قال الحافظ السيوطيُّ في "الحاوي" أنه غير ثابتٍ، وهو تساهلٌ شديدٌ، والصواب أنه موضوعٌ، ويغني عنه حديث: «**كنتُ نبيًّا وآدمُ بين الرُّوحِ والجَسَدِ**». وهو حديثٌ صحيحٌ.

هل طه ويس من أسماء النبيِّ ؟

س٧٢٦- وسُئل رضي الله عنه: هل اسم «طه، ويس»، مِن أسماء النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؟

ج٧٢٦- فأجاب رضي الله عنه: «طه ويس» لم يأتِ فيهما حديثٌ صحيحٌ ولا ضعيفٌ، لكن قال ابن عبَّاسٍ: «طه: يا رجل». وهكذا قال مجاهدٌ وعكرمةٌ وسعيد بن جُبيرٍ وعطاءٌ ومحمد بن كعبٍ وأبو مالكٍ وعطية العوفيُّ وقتادة والحسن والضَّحَّاك والسُّدِّيُّ والكلبيُّ وابن أبزى، وهي لغة عكل، يقولون للرجل: «طه».

وهذا القول رجَّحه الطبريُّ، والخطاب للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قطعًا، فلهذا عُدَّ من أسمائه.

وكذلك «يس» قال ابن عبَّاسٍ وعكرمة: معناه «يا إنسان». وقال أبو بكر الورَّاق: «معناه يا سيِّد البشر». فهو مِن أسمائه أيضًا. وروي عن ابن عبَّاسٍ أنهما من أسماء الله أقسم بهما على ما بعدهما، والأول أصح.

معنى الخلة

س٧٢٧- لماذا تبرَّأ النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من أن يكون له خليلًا؟

ج٨٢٧- وحديث: «**إنِّي أَبْرَأُ إلى الله أن يكون لي خَليلٌ...**» إلخ. سرُّه ومغزاه: أنَّ الخلة معناها الحاجة والانقطاع، والخليل هو المُنقَطِع إلى خليله والمحتاج إليه، والنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يبرأ مِن أن ينقطع إلى غير الله أو يحتاج إلى سواه؛ لأن الله اتخذه خليلًا فانقطع إليه واعتمد في كلِّ أموره عليه، ولو جاز أن يتخذ خليلًا يحتاج إليه غير الله لاتخذ أبابكرٍ خليلًا، لكن ذلك لا يجوز.

لا ينافي التواضع

س٧٢٨- هل ينافي التواضع حمل عبدالله بن مسعودٍ لنعل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؟

ج٧٢٨- كان العرب يرون ويسمعون ما يفعله أهل اليمن وفارس والشام والحيرة مع ملوكهم من التعظيم كتقبيل الأيدي والقيام والسجود ونحو ذلك، وكان الصحابة يرون النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أحق بذلك من الملوك

الكفار، فقاموا له إذا حضر، فنهاهم عن ذلك، وقال: «**لا تَفْعَلوا كما يفعلُ الأعاجمُ مع ملوكها**».

وسجد له معاذٌ حين جاء من الشام، فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم «**ما هذا**»؟ فقال معاذٌ: «رأيتهم بالشام يسجدون لبطارقتهم وأساقفتهم فأردت أن أفعل ذلك بك». فنهاه عن السجود له.

وعلى هذا الأساس اختصَّ ابن مسعودٍ بنعل النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وسواكه ووسادته، ولم ينهه عن ذلك جَبْرًا لخاطره، وليعلم جوازه إذا فعله تلميذٌ مع أستاذه مثلًا، وهذا لا ينافي التواضع، والذي ينافي التواضع هو أن لو أمره بذلك، كما يفعل الملوك الذين يأمرون الأتباع بحمل النِّعال والقيام لهم ونحو ذلك.

شبهةٌ والردُّ عليها

س٧٢٩: إذا كان الصحيح أنَّ أبا إبراهيم كان مشركًا فكيف يستقيم ذلك مع أن الله نقل رسوله من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة؟

ج٧٢٩- طهارة الصلب منوطةٌ بالنِّكاح، وخبثه منوطٌ بالسِّفاح، ولا علاقة لطهارة الصلب وخبثه بالإيمان والكفر، والنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حين بيَّن طهارة نسبه، لم يقل خرجت من أصلاب مؤمنةٍ، بل قال: «**إنما خَرَجْتُ مِن نِكاحٍ ولم أَخْرُجْ مِن سِفاحٍ مِن لَدُنْ آدمَ، لم يُصِبْني مِن سِفاحِ الجاهليَّة شيءٌ، ولم أخرج إلَّا مِن طُهْرَةٍ**». أي: نكاحٍ، وقال: «**لم يَلْتَقِ أبواي قطُّ على سفاحٍ، لم يزل الله يَنْقُلُني مِن الأَصْلابِ الطيِّبة إلى الأَرْحامِ الطَّاهِرَةِ**».

ونطفة الكافر إذا كانت في النِّكاح فهي طاهرةٌ، ولا عبرة بكفره، على أنَّ

آزر لم يكن كافرًا حين ولادة إبراهيم؛ لأنه من أهل الفترة، وهم كالصبيان لا حكم عليهم.

ولو سلَّمنا أنَّ نطفة آزر خبيثةٌ، فالاستحالة مُطهِّرةٌ كما تقرَّر في الفقه.

ألا ترى أنَّ عصير العنب إذا تخمَّر نجس وحرم بعد حلِّيَّته، ثُمَّ إذا استحال خلًّا حلَّ وطَهُر، والنطفة تستحيل في الرَّحِمِ إلى أطواره، فتصير خَلْقًا آخر كما في القرآن.

والله تعالى يقول: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ [الأنعام: ٩٥] أي يخرج المؤمن من الكافر، وليس المعنى يخرج الفرخة من البيضة كما قيل خطأ؛ لأن البيضة فيها حياةٌ، ولولا ذلك لم تخرج منها الفرخة، والله تعالى لا يخرج من الأرض نباتًا حتى يُحييها قال تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ [يس: ٣٣].

والمقصود: أنَّ سجود آزر للأصنام قبل البعثة، لا غضاضة فيه على إبراهيم عليه السلام كما سبق بيانه.

س٧٣٠- هل قول شقيق البلخيِّ: «نحن قوم إن أُعطينا آثرنا وإن مُنعنا شكرنا». يرقى إلى زهد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؟

ج٧٣٠- عبارة: «إن مُنعنا شكرنا وإن أُعطينا آثرنا». لا ترقى إلى زهد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؛ لأنه عُرض عليه أن تتبعه الجبال ذهبًا، وعُرض عليه أن يكون نبيًّا مَلِكًا فزهد في ذلك مختارًا، وهذا هو الزهد في أكمل معانيه.

وقد أثنى الله على بعض الصحابة بقوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ

كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩] وأين من يؤثر بغذائه أو عشائه ممن يرفض جبال الذهب والمُلك، ويختار عيشة الكفاف؟!

ولكن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في سلوكه قدوة للأمة، يراعي حال ضعفائها وعامتها فكان إذا وجد طعامًا أكل وحمد الله، وإذا لم يجد صبر ودعا الله، ولو سلك طريق الإيثار لم يقتد به إلَّا القليل.

الحِكْمة في عدم الوقف على رسول الله ﷺ

س٧٣١: لماذا لم يوقف الصحابة بعض أموالهم لرسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؟

ج٧٣١- وأمَّا عدم وقف الصحابة على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعض أموالهم فله حِكَم:

منها: أنه لا يقبل ذلك ولا يحبُّه..

ومنها: أنه لو قبله لكان في معنى أخذ الأجر على التبليغ، فمنع ذلك الشبهة.

ومنها: أنَّ الله لا يريد أن يكون لأحدٍ عليه مِنَّةٌ، ولذلك قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «وجعلَ رِزْقي تحتَ ظِلِّ رُمْحي». يعني أنَّ الله جعل رزقه فيما يغنمه مِن الكفار وهو الخمس، وصفي المغنم.

ومنها: أنَّ الصحابة لم يكونوا على درجةٍ واحدة من السخاء والبذل، منهم السخيُّ ومنهم الحريص، فلو وقف السخيُّ لأحرج غيره واضطر أن يفعل مثله فيوقف مغصوبًا بسيف الحياء والإحراج، وقد فرض الله الصدقة عند المناجاة، فتأخَّر كثيرٌ من الناس بل لم يعمل بآية المناجاة إلَّا عليٌّ كرَّم الله وجهه.

ومنها: أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان في مقام التوكُّل، والمتوكِّل لا يجب أن يشغل نفسه بمال مرصود يتطلع إليه.

وقد تأخَّر عنده ليلة مال من الزكاة فقلق في نومه ولم يسترح حتى فرَّقه ليلًا.

ومنها: لو حصل الوقف المذكور لاتخذ الخلفاء والملوك ذلك وسيلةً لإرغام الأغنياء على أن يوقفوا لهم؛ لأنهم نُوَّابٌ عنه وهو صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يكره أن يرتكب ظلمٌ باسمه أو باسم شريعته.

هل باع النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم عبدًا من عبيده؟

س٧٣٢- وكتب فضيلته يسأل هل باع النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عبدًا من عبيده؟

ج٧٣٢- فأجاب سيادته بما نصُّه: لم يبع النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عبدًا قطُّ، ومَن نسب إليه ذلك فقد كَذَبَ عليه.

الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاته

س٧٣٣: لماذا توقَّف الصحابة في الصلاة على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ؟ وهل تجب الصلاة على الشهداء؟

ج٧٣٣- الصَّلاة على الميت واجبةٌ كما هو معلومٌ، والشهيد لا يُصلَّى عليه بمعنى أنها لا تجب الصلاة عليه، وليست بممنوعةٍ بل هي مستحبةٌ؛ لأنه صحَّ أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم صلَّى على شهداء أحدٍ، وبهذا تجتمع الأدلة.

الذي قال: لا يُصَلَّى على الشهداء أراد نفي الوجوب؛ لأن الشهادة قامت مقام الصلاة، والذي قال: يُصلَّى عليه أراد إثبات الاستحباب؛ لأن زيادة الخير خيرٌ.

وشهادة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ليست شهادة معركةٍ وحربٍ؛ لأنه

مات مِن أكلة خيبر، فهي شهادةٌ من قبيل شهادة المبطون والغريق والحريق والهدم، وهؤلاء يُصلَّىٰ عليهم إجماعًا، وإن كانوا شهداء في الثواب، وإنما توقَّف الصحابة في الصلاة عليه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لأن الصلاة علىٰ الميت شفاعةٌ له وهو نبيٌّ معصومٌ، ثُمَّ رَجَّحوا الصلاة عليه أرسالًا أي أفذاذًا لئلا يؤم الناس عليه إمامٌ؛ لأنه إمام الناس، فلا يتقدَّم عليه أحدٌ.

قال الشافعي: «وذلك لعظم رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم -بأبي وأمِّي- وتنافسهم في أن لا يتولىٰ الإمامة عليه في الصلاة واحدٌ».اهـ

مفارقة النبيِّ ﷺ للمرأة التي قالت له: «أعوذ بالله منك»

س٧٣٤- كيف فارق النبيُّ ﷺ المرأةَ التي قالت له: «أعوذ بالله منك»؟

ج٧٣٤- مِن خصائص النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ألَّا يمسك امرأةً تُبدي رغبتها في فراقه، وتلك المرأة قالت: «أعوذ بالله منك» وهي عبارةٌ تفيد الرغبة في الفراق، فلبَّىٰ رغبتها وليس في ذلك عقوبةٌ أو مؤاخذةٌ، وتلك المرأة عربية تعرف أن معنىٰ الاستعاذة من شخصٍ تفيد الرغبة عنه، فلم يخطر بباله عليه الصلاة والسلام أن تبلغ بها الغفلة والبله إلىٰ حدٍّ أن تصدق من يقول لها: إنه يجب أن تقال له تلك الكلمة، وإذا كان المعروف عند الناس جميعًا أنَّ الاستعاذة إمَّا تكون من الشيطان، فكيف جاز في عقل تلك المرأة أن يستعاذ من نبيِّ الرحمة؟! وهذا من الجهل الذي لا يعذر صاحبه، ومع ذلك عذرها صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فلم يعاقبها، وهي تستحق الأدب والتعزير.

شبهة والرد عليها

س٧٣٥- هل صحَّ أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان يدخل يده الشريفة يمسُّ صَدْرَ حليمة السعديَّة؟

ج٧٣٥- لم يثبت أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان يدخل يده الشريفة يمسُّ صدر حليمة السعدية، مع أنه لو حصل لم يكن فيه حرجٌ؛ لأنها أمُّه مِن الرَّضاعة.

خطبة المشركة

س٧٣٦- هل خطب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أمَّ هانئ وهي مشركةٌ؟

ج٧٣٦- رواية أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم خطب أم هانئ وهي مشركةٌ في سندها كذَّابٌ، والصحيح أنه طلب زواجها وهي مسلمةٌ بمكة، فاعتذرت بأن حقَّ الزوج عظيمٌ، وهي تخشى أن تضيع حقَّ الزوج، وبأنها مصبيةٌ أي-كثيرة الصبيان- وتكره أن يؤذوه، ثُمَّ كبر أولادها فعرضت نفسها، فقال: «**أمَّا الآن فلا**»؛ لأن الله أنزل عليه ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ ٱلَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ [الأحزاب: ٥٠] وأم هانئ لم تهاجِر، فامتنعت أولًا هيبةً للرسول ألَّا تقوم بحقِّه فعذرها وقال بسببها: «**خير نساءٍ رَكِبْنَ الإبلَ نساءُ قريشٍ، أَحْناهُ على طِفْلٍ في صِغَرِهِ، وأَرْعاهُ على زَوْجٍ في ذات يَدِهِ**».

وهو في "صحيح مسلم"، وردُّ الرسول لها أخيرًا؛ لأن الله حرَّم عليه زواج مَن لم تهاجر مِن أقاربه.

حول خِطبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأمِّ هانئ

س٧٣٧- كيف تعتذر السيِّدة أمُّ هانئ عن الزواج بالنبيِّ ثُمَّ تعرض بعد ذلك نفسها عليه؟

ج٧٣٧- أمُّ هانئ حين خطبها الرسول مِن أبيها أول البعثة لم يكن زواج المشركة محرَّمًا عليه، ثُمَّ خطبها لنفسها حين أسلمت فاعتذرت بغيرتها وبعِظَم حَقِّ الزوج وبولدين صغيرين يحتاجان إلى مَن يتولَّى شئونهما أحدهما رضيعٌ، فلما كَبُرا أي استغنيا عن ملازمة أمِّهما في نومهما بحيث يمكنهما أن يناما في بيتٍ مستقلٍّ عن أمِّهما عرضت نفسها عليه، ثُمَّ إنَّ رواية عرض نفسها بعد كبر أولادها مرسلَةٌ، وقد يجوز أن تُسلِّم أولادها لمربيةٍ وتعرض نفسها.

شبهة والرد عليها

س٧٣٨- بعض الناس عندنا يعيب على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عدم معرفته بتأبير النخل؟

ج٧٣٨- مكة المكرَّمة لا نخل فيها إطلاقًا، ولم يرَ النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم النخل إلَّا في المدينة، وأولئك العيَّابون جهلةٌ أغبياء، وليس مِن شرط النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أن يعرف جميع الصِّناعات، والنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عرف ما كان في بلده، وهو رعي الغَنَم والتجارة.

هل أسلم عَدَّاس

س٧٣٩- هل أسلم عدَّاس؟

ج٧٣٩- عَدَّاس أسلم وهو معدودٌ في الصحابة، ولم يقاتل في بدرٍ وإن

حضرها مع سيِّده شيبة بن ربيعة بعد أن نهاه عن الخروج إليها، وقال له: «إنما تخرج لمصرعك، فإنه رسول الله». وقيل: إنَّ عَدَّاسًا لم يقتل ببدرٍ، بل مات بعد الرجوع منها.

متى أذن للمؤمنين في القتال؟

س٧٤٠: متى أذن للمؤمنين في القتال؟

ج٧٤٠- قول الله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾ [الحج: ٣٩] نزل عند هجرة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مِن مكَّة، كما جاء عن ابن عبَّاسٍ وعروة بن الزبير، فهذا إذن بالقتال من غير إيجابٍ ثُمَّ أوجبه الله في السنة الثانية.

وعليه فلا إشكال في كلام "السيرة الحلبية" لأن سريَّة حمزة حصلت في وقتٍ كان القتال مأذونًا فيه، وإن لم يكن واجبًا.

س٧٤١- لماذا تأخَّر الصحابة في دفن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؟

ج٧٤١- تأخير النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالدفن دعت إليه الضرورة، وهي تسوية مسألة الخلافة، حتى لا يحصل شِقاق بين الصحابة ويتسع الخلاف، وفي ذلك خطرٌ عظيمٌ.

س٧٤٢- كيف تأخَّر الصحابة في دفن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وقد أمر بتعجيل الدَّفن؟

ج٧٤٢- لمَّا سمع الأنصار بوفاة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم اجتمعوا فورًا في سقيفة بني ساعده، وعزموا على مبايعة سعد خليفة، وذهب إليهم بعض المهاجرين يعارضونهم، وحصل نقاشٌ وجدالٌ، وخشي الشيخان وكبار

المهاجرين إن اشتغلوا بالدفن ولوازمه أن يفاجئهم الأنصار بمبايعة خليفةٍ لا يحصل الاتفاق عليه من بقية الصحابة، وتحصل فتنةٌ، وربما يحصل قتالٌ، ولم يكن لهم أميرٌ يرجعون إليه أو يسمعون قوله فتضطرب الأمور وتحصل فوضى تفرِّق جماعتهم، هذا ما دعاهم إلى تأخير الدَّفن حتى قضوا على الفتنة في مهدها، والأمر بتعجيل الدَّفن عِلَّته وحِكْمته خوف تغير الميت بمكثه في البيت ونتانة ريحه، وانتفاخ بطنه وتعفُّنه، وهذا منتفٍ في حقِّ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لأنه طيِّبٌ حيًّا وميتًا.

هل أمَّ الصحابة في الصلاة على النبيِّ أحدٌ

س٧٤٣- هل أمَّ الصحابة في الصلاة على النبيِّ أحدٌ؟ وهل اختلفت الصحابة في مكانه دفنه؟

ج٧٤٣- النبيُّ عليه الصلاة والسلام لم يؤمَّ عليه أحدٌ، بل صلُّوا عليه فُرادَى؛ لأن عليًّا قال للصحابة: «لا يقوم عليه أحدٌ، هو إمامكم حيًّا وميتًا، فصلُّوا عليه بدون إمامٍ».

وقال الشافعيُّ: «صلوا عليه فُرادَى لعِظَمه في أعينهم، وتنافسهم في ألَّا يتولَّى الإمامة عليه في الصلاة أحدٌ».

وكانت صلاتهم عليه شهادةٌ له بتبليغ الرِّسالة وأداء الأمانة، ونصر الدين ودعاء لأنفسهم بأن يثبتوا على ما تركهم عليه حتى يلقوه

قال ابن عبَّاسٍ: اختلف المسلمون في دفنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال قائلون: ادفنوه في مسجده، وقال قائل: بالبقيع. فقال أبو بكرٍ: سمعته

صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**ما ماتَ نبيٌّ إلَّا دُفِنَ حيث يُقْبَض**». فرفع الفراش الذي تُوفِّي عليه، وحفر له تحته.

س٧٤٤- هل تأخَّر جبريل عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ليلة الإسراء والمعراج عند سدرة المنتهى؟

ج٧٤٤- لم يتأخَّر جبريل عند سدرة المنتهى، وما يقال عن تأخُّره ليس بصحيحٍ بل هو مِن زيادات القُصَّاص في قصة المعراج.

مما كان ينفق على أمهات المؤمنين بعد وفاة النبيِّ؟

س٧٤٥- مما كان ينفق على أمهات المؤمنين بعد وفاة النبيِّ؟

ج٧٤٥- كان يُنفَق على أُمَّهات المؤمنين مما ترك النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ممَّا أفاء الله عليه من خيبر وفدك وبني النضير، وقال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لا يَقْتَسِمُ وَرَثَتي دينارًا، ما تَرَكْتُ بَعْدَ نَفَقَةِ نِسائي ومُؤنةُ عامِلي فهو صدقةٌ**». رواه البخاريُّ.

س٧٤٦- هل مارية أم إبراهيم تعتبر مِن أزواج النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؟

ج٧٤٦- مارية أمُّ إبراهيم لم تكن مِن زوجات النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بل هي من سراريه، ولهذا لا تُسمَّى أمَّ المؤمنين، لكن يحرم التزوُّج بها؛ لأنها في معنى الزوجة.

س٧٤٧- هل فَرَّ عمر رضي الله عنه في غزوة أحدٍ؟

ج٧٤٧- غزوة أُحُدٍ امتُحِن فيها المسلمون لمخالفتهم أمر النبيِّ صلَّى الله

عليه وآله وسلَّم وكان عمر وعثمان ممن امتُحِن بالهزيمة والهرب، ولم يكن عمر جبانًا ولكن قضىٰ الله بامتحانه فهرب.

السبب في حرمة زواج عليٍّ على السيِّدة فاطمة عليها السلام

س٧٤٨- وكتب فضيلته يسأل عن السبب في حرمة زواج عليٍّ عليه السلام علىٰ السيِّدة فاطمة؟

ج٧٤٨- فأجابه سيادته بما نصُّه: أمَّا مسألة عليٍّ كرَّم الله وجهه فإليك إيضاح ما استوضحته:

لفظ الحديث: «**وإنِّي لستُ أُحَرِّمُ حَلالًا، ولا أُحِلُّ حَرامًا، ولكن والله لا تَجْتَمِعُ ابنةُ رسولِ الله وابنة عَدُوِّ الله مكانًا واحدًا أبدًا**».

وقال في أول الحديث: «**فاطمة بَضْعَةٌ مِنِّي يُريبني ما رابها ويُؤذيني ما آذاها**».

وإذاية النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لا تحل ولو بما يحل للإنسان أن يفعله، ولذا قال العلماء: «من جملة محرَّمات النِّكاح الجمع بين بنت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وبنت عدوِّ الله».

فسبب الحرمة مبنيٌّ علىٰ حرمة إيذاء النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في بنته.

تنزيه عائشة رضي الله عنها

س٧٤٩- وسئل: هل خطر ببال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أنَّ عائشة رضي الله عنها ارتكبت الزِّنا؟

ج٧٤٩- قول النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لعائشة: «**إن كنتِ أَلَمْتِ**

بذنبٍ فاسْتَغْفِري اللهَ». قصد بالذنب ما دون الزنا كالملامسة والمعانقة والقبلة؛ لأنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لم يكن مُصَدِّقًا للقاذفين، بل كان شاكًّا فقط، بدليل قوله علىٰ المنبر: «والله ما عَلِمْتُ على أهلي إلَّا خيرًا». وهذا قبل نزول آيات التبرئة.

ولو فُرض أنه أراد الزِّنا فلم يصرِّح بإسقاط الحدِّ، والاستغفار لا يقتضي إسقاطه، بل ينبغي للمحدود أن يستغفرَ اللهَ قبل الحدِّ وبعده، وسرُّ ذلك أنَّ الحدَّ عقوبةٌ والاستغفار عبادةٌ، فلا يسقط أحدهما بالآخر.

وأيضًا فالحدُّ مُطَهِّرٌ والاستغفار مُطَهِّرٌ، واجتماع مُطَهِّرين أقوىٰ من مُطَهِّرٍ واحدٍ، ولو فُرض أنه صرَّح بإسقاط الحدِّ فإنَّ للشارع أن يُخصِّص بعض الناس ببعض الأحكام، وهذا متفقٌ عليه بين العلماء.

من هو تميم الداري

س٧٥٠- من هو تميم الداري راوي حديث كلام الجمل لرسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم؟

ج٧٥٠- شكاية الجمل للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم تعدَّدت في أحاديث، وتميم الداري: كان نصرانيًّا فقدم المدينة وأسلم سنة تسع هو وأخوه نعيم، وغزا مع النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وروىٰ عنه النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قصة الجسَّاسة، وذلك مِن مناقبه.

قال أبو نعيمٍ: «كان راهب أهل عصره، وعابد أهل فلسطين، وكان كثير التهجُّد، وهو أول من أسرج السراج في المسجد، وأول مَن قصَّ، وكان عمر يُجلُّه».

ومِن كراماته أنَّ نارًا خرجت بالحرَّة، فجاء عمر إليه فقال: يا تميم اخرج فقال: وما أنا؟ يصغر نفسه، ثُمَّ خرج فحاش النار حتىٰ أدخلها من الباب الذي خرجت منه ثُمَّ اقتحم في أثرها ثُمَّ خرج فلم تضره.

سكن فلسطين في أرضٍ أقطعها له النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بقرية عينون وبها عقبه، وهو راوي حديث: «**الدِّينُ النَّصيحَةُ**».

تاريخ كسوة القبر النبوي الشريف

س٧٥١- ما تاريخ كسوة القبر النبوي الشريف وما دليل ذلك؟

ج٧٥١- ذكر الحافظ ابن النجَّار في "تاريخ المدينة" والأقفهسيُّ في "تاريخ مكة": «أنَّ الحسين بن أبي الهيجاء صهر الصالح وزير ملك مصر عمل ستارة من الدَّيبقي الأبيض وعليها الطروز والجامات مكتوبٌ عليها (سورة يس) ووضعها علىٰ الحجرة الشريفة بعد استئذان الخليفة المستضيء بأمر الله، ثُمَّ بعد سنتين أرسل الخليفة كسوة من الدِّيباج البنفسجي، ثُمَّ أرسل ولده الخليفة الناصر -لما وُلِّي- كسوةً من الدِّيباج الأسود، ولما حجَّت أُمُّ الخليفة أرسلت كسوةً كذلك، ثُمَّ صارت الكسوة ترسل من جهة مصر كل سبع سنين».اهـ

وهذا يقتضي أنَّ أوَّل من كسا الحجرة الشريفة هو ابن أبي الهيجاء في خلافة المستضيء بأمر الله، وكانت خلافته (٥٦٦هـ وتوفي سنة ٥٩٥هـ) وكان جوادًا كريمًا مُعظِّمًا للعلم وأهله محبًّا للسُّنَّة، أبطل مظالم كثيرة وأمنت البلاد في عهده، وكذلك كان ابنه الناصر من بعده.

وذكر رزين العبدريُّ ما يفيد تقدُّم تاريخ الكسوة علىٰ هذا العهد فإنه قال

ضمن كلام نقله عن محمد بن إسماعيل ما نصُّه: «فلما كانت ولاية هارون أمير المؤمنين وقدمت معه الخيزران أمرت بتخليق -أي تطييب المسجد بالطيب- مسجد رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وتخليق القبر وكسيه بالزنانير والشبائك الحرير». انتهىٰ.

ولعل هذا أصح، وكلام ابن النجَّار السابق ليس صريحًا في أولية ابن أبي الهيجاء في وضع الكسوة، ويؤيِّد كلام رزين ما جاء في "العتبية" فإنه قال في أوائلها: «قيل لمالكٍ: قلت أنه ينبغي أن ينظر في قبر النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كيف يكسون سقفه فقيل: يجعل عليه خيشٌ، فقال: وما يعجبني الخيش وأنه ينبغي أن ينظر فيه».

قال الإمام ابن رشدٍ في شرح هذا الكلام: «كره مالكٌ كشف سقف قبر النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ورأىٰ من صونه أن يكون مُغطًّىٰ، ولم يرَ أن يكتفي في ذلك بالخيش، وكأنه ذهب إلىٰ أن يُغَطَّىٰ بتغطية البيوت المسكونة». انتهىٰ. هذا قول الإمام مالك في كسوة القبر الشريف، وأن يُكسَىٰ كما تُكسَىٰ البيوت.

قال السيِّد السمهوديُّ: «وقد يضم إلىٰ ذلك أنه إنَّما جاز كسوة الكعبة لما فيه من التعظيم، ونحن مأمورون بتعظيم النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وتعظيم قبره من تعظيمه، وهذا أولىٰ بالجواز مما سيأتي عن السُّبكيِّ في مسألة القناديل من الذهب حيث سلك بها هذا المسلك». انتهىٰ.

قلت: لتقيِّ الدين السُّبكيِّ تأليفٌ خاصٌّ في قناديل الذهب والفضة المعلَّقة في الحجرة الشريفة واسمه: "تنزيل السكينة علىٰ قناديل المدينة".

وأجاب ابن عرفة أول (سورة آل عمران) بأنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله

وسلَّم أفضل من حروف القرآن وقد جازت تحلية المصحف المشتمل على الحروف الدالة على الكلام فتحلية القبر الشريف أحرى تعظيمًا له كما تُكسَى الكعبة، وقد شاع ذلك من غير نكيرٍ مِن الأُمَّة وهو إجماعٌ، ومخالفة الإجماع الضروري لا يخفى ما فيه.

وكذا كسوة الكعبة وتزيينها فُعِل بحضرته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وأصحابه بعده، وأجمعت الأُمَّة على جوازه ولم ينكره أحدٌ، وتحلية القبر الشريف وتزيينه أولى بذلك، ويلحق بذلك ما كان تعظيمًا لجانب الله بالقياس عليه لاتحاد العِلَّة، كما ألحق كتب الإجازات بالذهب والتحديق المحيط بها وبالمصحف.

وقال الإمام ابن المنير: «فإن قلتَ: إذا كان تشييد المساجد وتحميرها وتصفيرها منهيًّا عنه فكيف تنفذ الوصية به؟ وماذا تقول في المسجد الشريف وقد حدث فيه ما حدث من الانهدام، هل كان الأولى أن يعاد بالتشييد، أو كما كان باللبن والعريش؟

قلت: قد حدث عند الناس مؤمنهم وكافرهم تشييد بيوتهم وتزيينها ولم يمكن أن يمنعوا من ذلك فكانت بيوت الله أولى بذلك؛ لأننا لو بنينا مساجدنا باللَّبِن و سقفناها بالسعف وجعلناها بين الدور المشيدة ولعلها لأهل الذِّمَّة لكانت الاستهانة ظاهرةٌ، فحدث للناس فتوى بقدر ما أحدثوا، ولو أنَّ المسجد الشريف أعيد بالطين والسعف وشيدت المدينة على جنبه لكان ذلك إهمالًا من المسلمين، فالذي اختاره الله الآن للمسلمين خيرٌ إن شاء الله، ولو عاد الزمان لما كان عليه لعاد المسجد إلى ما يناسب حال القوم من التواضع والتقنع».اهـ

قال بدر الدين الدمامينيُّ المالكيُّ في "شرح البخاري" بعد نقل هذا الكلام: «فاعرف هذا وقِسْ عليه جميع ما يؤدِّي إلى إهانة ما شرع تعظيمه مما يضاف إلى جانب الله سبحانه، وقد علم أيضًا أنَّ ما يقع من ذلك كله فيه تعظيم حرمات الله، وإفخام جناب المصطفى صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الذي شرف ذلك المعظم من أجله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم».اهـ

وقال شيخ الجماعة الشيخ عبدالقادر الفاسي في الكلام على قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾ [النور: ٣٦]: «ما ورد في النهي عن تزويق المساجد والوعيد على ذلك كحديث الترمذيِّ عن أبي الدرداء: «**إذا زَخْرَفْتُمْ مَساجِدَكُمْ وحَلَّيْتُمْ مَصَاحِفَكُمْ فالدَّمارُ عليكم**». قال ابن المنير: «كان ذلك قبل التأنُّق في البناء وحيث تأنَّق الناس في غير المساجد فيكون عدم التأنق فيها إهانةً لها وحطًّا وسقوطًا من الأعين، فالواجب جعلها من جنس غيرها وترفيعها وتحسينها بأكثر من بيوت السكنى إن أمكن». وفي البرذلي: يكره تزويق المساجد بالذهب فإن كان لا يشغل المصلِّي فالظاهر أنه جائزٌ».اهـ

وهذا في سائر المساجد فكيف بالمسجد النبويِّ والحجرة الشريفة؟ لا شك أنها أولى بسائر وجوه التعظيم والاحترام، فكسوة المقام النبويِّ الشريف من ألزم اللوازم وأوجب الواجبات، ومن أنكر ما انعقد عليه الإجماع الضروريُّ، كما سبق في كلام ابن عرفة، ومنكر الإجماع الضروري لا يخفى حكمه شرعًا.

فقد سئل بعض الفقهاء عما وقع في المسجد النبوي من التحلية بالنقدين فأجاب ذلك الفقيه بأن ذلك إسرافٌ لا يجوز، وأجاب تقي الدين السُّبكيُّ بكفر ذلك الفقيه.

قال أبو زيد عبدالرحمن الفاسي في "تحفة الأكابر": «ولم يرد على السبكيُّ أحدٌ من أهل عصره، ولا من بعده إلى الآن».

وقال الفقيه الزاهد الورع أبو العباس أحمد بن علي السوسيُّ الهشتوكيُّ المالكيُّ تعليقًا على فتوى تقي الدين المذكورة:

«كان هذا يتردَّد في صدري، أقول سبحان الله صاحب الشريعة حرَّم استعمال النقدين في الأواني النافعة وهو صاحب هذا القبر وهو صلَّى الله عليه وآله وسلَّم القائل: «**إذا حَلَّيْتُمْ مَصَاحِفَكُمْ وزَخْرَفْتُمْ مَساجِدَكُمْ فالدَّمارُ عليكم**» فكيف بالجدران؟ ويكفِّر منكره؟! حتى تذكرت أنَّ عثمان رضي الله عنه أوَّل من فعل ذلك في تمويه بعض أعمدته حين بنى مسجده صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

فتبيَّن لنا بذلك سلفًا وخلفًا مباينة أحواله وأحكام تعظيمه لمذاهب الأمَّة حيًّا وميتًا، فلو لم يبرزوا هذين الحقين -أعني المولد والتحلية- لما ألزم منكرهما بالجفاء والكفر، وليست هذه التحلية بشيءٍ مما يتعلق بذاته ولا بنقصان من معناه ولا مبناه ظاهرًا ولا باطنًا.

وسكوت المعاصرين للإمام السبكيِّ وتسليم فتواه على تكفير المذكور لأن ما ارتكبه عندهم مستهجَنٌ ومستقبَحٌ، وإنَّ ذلك مما لا يعنيه أن يتكلم به في ذلك المقام، وأنَّ قبره المقدَّس والكعبة خُصَّا بذلك ولا يبعد بيت المقدس لمحلِّ الأنبياء فيه، ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب».اهـ

والحديث الذي ذكره تقدَّم عزوه إلى الحكيم الترمذيِّ وهو حديثٌ ضعيفٌ، وهذا ما رأينا كتابته في هذا الموضوع بإيجازٍ والله أعلم.

قصة قيام عمر بن الخطاب بإقامة الحد على ابنه

س٧٥٢- بعض الناس يزعم أنَّ عمر رضي الله عنه أقام الحد على ابنه لأنه شرب الخمر وزنى، وفي أثناء إقامة الحدِّ توفِّي قبل استيفاء الجلد فأمرهم بإتمام الحدِّ بعد الوفاة فهل هذا صحيحٌ أم لا؟

ج٧٥٢- أصل القصة أنَّ ابنًا لعمر يسمَّى عبدالرحمن ويكنى أبا شحمة كان في مصر مع أخيه عبدالله بن عمر، فشرب أبو شحمة نبيذًا ووجد منه أثر السكر فذهب هو وأخوه عبدالله إلى عمرو بن العاص ليقيم عليه الحدَّ إذ كان واليًا على مصر من قبل عمر بن الخطاب، فأقام عليه الحدُّ في بيته، وحلق عبدالله رأس أخيه أبي شحمة.

فلما وصل الخبر إلى عمر غضب، وبعث إلى عمرو يُعنِّفه حيث ميَّز ابنه وأقام عليه الحدَّ في بيته، فكتب إليه عمرو يحلف له أنه ما ميَّز ابنه، وأنه عامله كما يعامل سائر المسلمين، فلم يطمئن عمر إلى ذلك وأقام الحدَّ مرَّةً ثانية على ابنه أبي شحمة، واتفق عقب ذلك أنه مرض بضعة أشهر وتُوفِّي.

هذا أصل القصة كما وردت، وأمَّا ما سوى ذلك فهو من روايات القصاص ليرقِّقوا قلوب العوام بها كما ذكر ابن الجوزي في "الموضوعات".

س٧٥٣- وسُئل أيضًا رضي الله عنه: هل سيِّدنا الحسن والحسين عليهما السلام توأمان، أم ازداد كل واحد وحده؟

ج٧٥٣- فأجاب بأنَّ سيِّدنا الحسن ازداد أولًا، ثُمَّ ازداد سيِّدنا الحسين، بينهما سنةٌ واحدةٌ للفرق، ثُمَّ ازداد سيِّدنا محسنٌ، وعندما اختار سيِّدنا محمدٌ صلى الله عليه وآله سلم الرفيق الأعلى وفارق الدنيا ترك سيِّدنا الحسن عنده ستة أعوام

وسيدنا الحسين عنده خمسة أعوام، خلافًا لما يظنه بعض الناس أنهما توأمان والسلام.

مصادر دفن بعض الأنبياء بالبيت الحرام

س٧٥٤- وسألته عن مصادر دفن بعض الأنبياء بالبيت الحرام كسيدنا نوح، وصالح، وإسماعيل؟

ج٧٥٤- فأجاب سيادته بما نصُّه: ومصادر الكلام عن دفن بعض الأنبياء بالبيت الحرام هي كتاب "تاريخ مكة" للأزرقيِّ وهو مطبوعٌ، وكتاب "تاريخ مكة" للتقيِّ الفاسي، وكتاب "تاريخ مكة" للفاكهيِّ، وهما مطبوعان، وكتاب "سيرة ابن هشام"، وغيرها، وليس في ذلك حديثٌ صحيحٌ، وإنما هي آثارٌ وآراءٌ.

من قتل عقبة بن أبي مُعَيطٍ

س٧٥٥- هل باشَرَ النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بنفسه قتل عقبة بن أبي مُعَيطٍ أم لا؟

ج٧٥٥- عقبة بن أبي مُعَيطٍ قتله عاصم بن أبي الأقلح، أو عليٌّ، بعد الرجوع من بدرٍ بأمر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فإسناد قتله إليه باعتبار أنه الآمر به، وهذا شائعٌ في اللغة والعرف، يقال: بنى الأمير المسجد، أي أمر ببنائه.

موقف عبيدالله بن عبَّاسٍ من معاوية

س٧٥٦- هل ما قيل بأنَّ عبيدالله بن عبَّاسٍ انحاز إلى معاوية ضَدَّ آل البيت صحيحٌ؟

ج٧٥٦- ما قرأته من انحياز عبيدالله بن عبَّاسٍ إلى معاوية غير صحيحٍ، ومعاوية أسهم في قتل الحسن عليه السلام؛ لأنه كان يريد أن ينفرد بالمُلْكِ ويجعله وراثةً في بني أُمِيَّة، وهو مِن مسلمة الفتح الطُّلَقاء.

ومُسلِمة الفتح نوعان: نوعٌ حَسُن إسلامه فكان صحابيًّا فاضلًا مثل حكيم بن حزام، وعتاب ابن أسيد.

ونوعٌ لم يحسُن إسلامه مثل معاوية وأبيه وبسر بن أرطاة السَّفَّاك عامل معاوية على اليمن.

وليس كل صحابيٍّ فاضل، بل فيهم مُنحَرِفون عن الجادَّة مثل سمرة بن جندب، والمغيرة بن شعبة، وعمرو بن العاص، وجرير بن عبدالله البجلي، ورئيسهم معاوية الباغي بنصِّ الحديث.

تكذيب حكاية تزويج عبدالله بن جعفر بنته للحجَّاج

س٧٥٧- سئل: هل صحَّ أنَّ عبدالله بن جعفرٍ زوَّج ابنته للحَجَّاج؟

ج٧٥٧- حكاية تزويج عبدالله بن جعفرٍ بنته للحجَّاج اختلقها النواصب أعداء أهل البيت ليعيبوا بها عبدالله بن جعفرٍ الصحابيَّ الفاضل الذي كان النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يحبُّه ودعا له بالبركة في صفقة يمينه فكان كثير المال، وكان جوادًا يضرب بجوده المثل، ووالده جعفر الطيَّار، وعمُّه عليٌّ أعلم الصحابة وأشجعهم وأزهدهم. قاتل الله النواصب، ما أجرأهم على الكذب في حقِّ آل البيت رضي الله عنهم!!.

خِطبة عليٍّ رضي الله عنه عنه لابنة أبي جهل

س٧٥٨- وسئل: هل صحَّ خِطبة عليٍّ رضي الله عنه لابنة أبي جهلٍ، وكيف حدث ذلك منه؟

ج٧٥٨- فأجاب سيادته بما نصُّه: أمَّا خِطبة عليٍّ عليه السلام لبنت أبي جهلٍ واسمها جويرية، فهي قصةٌ صحيحةٌ رواها الشيخان، ولا غضاضة فيها على عليٍّ، لأنه أقدم على أمرٍ مباحٍ في نظره واجتهاده، فلمَّا علم أنَّ ذلك لا يجوز تركه نهائيًّا.

روى الحاكم بإسنادٍ صحيحٍ عن سويد بن غفلة قال: «خَطَبَ عليٌّ بنت أبي جهلٍ من عمِّها الحارث بن هشام، فاستأذن عليٌّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**أعن حَسَبها تسألني؟**» قال عليٌّ: لا، ولكن أتأمرني؟ فقال: «**لا، فاطمة مُضْغَةٌ مِنِّي ولا أحسب إلَّا أنَّها تَحْزَنُ أو تَجْزَعُ**» فقال عليٌّ: «لا آتي شيئًا تكرهه».

وقد ترتَّب على هذه الخطبة مصلحة، وهي بيان أنَّ فاطمة عليها السَّلام لا يجوز الزواج عليها، وهذا حكمٌ شرعيٌّ عرف بسبب هذه الخِطبة.

حضور النبي صلى الله عليه وآله وسلم اختضار ابن بنته

س٧٥٩- من التي بعثت من بنات النبيِّ إليه ليحضر احتضار ابنها؟

ج٧٥٩- زينب بنت النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم هي التي بعثت إليه تطلب منه أن يحضر إلى بيتها لأن ابنها في النزع، وحضر إليها ووضع ابنها في حجره عليه الصلاة والسلام فدمعت عيناه.. إلخ.

س٧٦٠- هل خروج عائشة إلى موقعة الجَمل خطأ منها؟

ج٧٦٠- خروج عائشة رضي الله عنها إلى موقعة الجمل كان له سببٌ

وجيهٌ في نظرها، لكنها أخطأت في ذلك، ولامها كثيرٌ مِن الصحابة منهم أمَّهات المؤمنين، بل هي نفسها ندمت بعد ذلك على خروجها الذي لم يكن مُوفَّقًا، وهي على كلِّ حال غير معصومةٍ.

س٧٦١- كيف فات عائشة خطأها في موقعة الجمل؟

ج٧٦١- خروج عائشة رضي الله عنها له سببٌ وجيه في نظرها لا مطلقًا، وهو المطالبة بدم عثمان، مع تحريض طلحة والزبير لها على الخروج بدعوى الإصلاح، وهي في الحقيقة كانت تضمر لعليٍّ عليه السلام كراهية من يوم الإفك حين قال للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «طَلِّقها إن كنتَ تشك فيها فالنِّساء غيرها كثيرٌ». قال هذا قبل نزول براءتها.

وقد أخبر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عائشة أنها ستخرج على عليٍّ وهي ظالمةٌ له، وأخبر الزبير بذلك أيضًا.

س٧٦٢- هل كان لأبي بكرٍ ولدٌ كان يشرب الخمر؟

ج٧٦٢- أبو بكرٍ له ولد اسمه عبدالله وكان يشرب النبيذ وفيه خلافٌ، ليس متفقًا على تحريمه، ولو كان مُسكِرًا لحُدَّ كما حُدَّ أبو شحمة ابن عمر.

س٧٦٣- هل كانت أحوال ابن الصيَّاد غير عادية؟

ج٧٦٣- ابن صياد كان إذا غضب انتفخ حتى يملأ السكة كما في "صحيح مسلم" قال القرطبي: «وهو حقيقة على سبيل خرق العادة». ويجوز أن يكون انتفاخه غير عادي، فعبر عنه بأنه يملأ السكة على سبيل المجاز، وأحوال ابن صياد كانت غير عادية حتَّى شَكَّ النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فيه هل هو الدَّجَّال.

فضل سعد بن معاذ

س٧٦٤- لماذا خصَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أمَّ سعد بن معاذٍ بالنِّياحة علىٰ الميت؟

ج٧٦٤- أجاب سيادته بما نصُّه: النائحات يكذبن ويزدن علىٰ الحدِّ المقبول، إلَّا أمَّ سعد بن معاذٍ لم تكذب في ندب سعدٍ، ولم تفعل غير الحقيقة؛ لذا قال عليه الصلاة والسلام: «**كلُّ نادِبةٍ تَكْذِبُ إلَّا نادِبة سعدٍ**».

وفي رواية ذكرها ابن عبدالبر عن سعد بن أبي وقاصٍ، قال: لما خرج بجنازة سعد بن معاذ جعلت أمُّه تبكي، فقال لها عمر: «انظري ما تقولين يا أمَّ سعدٍ». فقال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**دَعْها يا عمرُ، كلُّ باكيةٍ مُكْثِرَة إلَّا أم سعدٍ ما قالت مِن خيرٍ فلن تَكْذِبَ**».

هل ثبت أنَّ رقية رضي الله عنها ماتت صبيحة اتصال عثمان بها؟

٧٦٥- سئل رضي الله عنه: هل ثبت أنَّ رقية رضي الله عنها ماتت صبيحة اتصال عثمان بها؟ وما علة عدم نزول من قارف أهله للقبر عند الدفن؟

ج٧٦٥- لم يثبت أنَّ رقية رضي الله عنها ماتت صبيحة اتصال عثمان بها وإن كان جاء ذلك في رواية حمَّاد بن سلمة، عن ثابتٍ، عن أنسٍ قال: «لما ماتت رقية قال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لا يدخلُ القَبْرَ رجلٌ قارفَ أَهْلَهُ**». فلم يدخل عثمان».

قال ابن عبدالبر: «هذا خطأ من حمَّاد؛ لأن النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لم يحضر دفن رقية، كان في غزوة بدرٍ».

وفي "صحيح البخاريِّ" عن أنسٍ قال: «لما ماتت أم كلثوم رأيت النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم جالسًا على القبر وعيناه تدمعان، فقال: «**هل منكم مِن أحد لم يُقارف الليلة؟**». فقال أبو طلحة: أنا، فقال: «**انزل في قبرها**». فنزل في قبرها». قد يفهم منه أن عثمان زوجها قارف تلك الليلة.

وعلة عدم نزول من لم يقارف أهله للقبر تنبيه عثمان بلطفٍ إلى أنه ما كان ينبغي له أن يلم بأهله تلك الليلة وهي مريضةٌ. وقال ابن حبيبٍ الأندلسيُّ المالكيُّ: «كان عثمان قد جامع بعض جواريه في تلك الليلة، فتلطَّف النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في منعه من النزول في قبر زوجته بغير تصريحٍ».اهـ

وعلى الوجهين فعثمان ارتكب خلاف الأولى والأفضل.

من الذي غسَّل السيدة فاطمة عليها السلام وصلَّى عليها؟

س٧٦٦- هل صحَّ أنَّ عليًّا هو الذي قام بغسل السيِّدة فاطمة عليها السلام والصَّلاة عليها؟

ج٧٦٦- روى ابن إسحاق في "المغازي" وأحمد في "المسند" أنها اغتسلت قبل وفاتها، وجاء في روايةٍ أخرى أنَّ عليًّا غَسَّلها بعد وفاتها بوصيةٍ منها ومعه أسماء بنت عميسٍ، وكلتا الروايتين فيهما مقالٌ، وعلى فرض صحَّة الرواية الأولى فإنَّ غسل الميت ليس مجمعٌ على وجوبه بل فيه خلافٌ، وعند المالكيَّة قولٌ بأنه سُنَّةٌ فقط، ورجَّحه القرطبيُّ في "شرح مسلم".

أما دفن فاطمة ليلًا فهو ثابتٌ، وصلَّى عليها عليٌّ والعباس، والغرض بذلك المبالغة في سترها، وهي أول مَن وُضِع على نعشها غطاءٌ مِن جريد النخل

كما جاء بوصيتها للستر عليها، وأدخلها في قبرها عليٌّ والعباس.

وكثرة المُصلِّين على الميت يقصد بها الشفاعة له، وفاطمة سيِّدة نساء أهل الجنَّة بالنصِّ فمَن يشفع لها؟!! وصلَّى عليها عليٌّ، وهو يقوم مقام ألفٍ.

فضل أبي بكر

س٧٦٧- لماذا قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لسيِّدنا عمر في حقِّ أبي بكرٍ: «**هل أنتم تاركون لي صاحِبي**»؟

ج٧٦٧- قصة أبي بكرٍ مع عمر رضي الله عنهما: قد احتدَّ أبو بكرٍ على عمر ثُمَّ ندم، وذهب إليه يعتذر له، فلم يقابله عمر بل اختفى منه لئلَّا يقبل اعتذاره، فلهذا قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**هل أنتم تاركون لي صاحبي؟**»، فاللوم على عدم قبول اعتذار أبي بكرٍ رضي الله عنه.

حول قتل القُرَّاء من الصحابة يوم بئر معونةٍ

س٧٦٨- سئل رضي الله عنه: هل في قتل القُرَّاء من الصحابة يوم بئر معونةٍ مساسٌ بتصرُّف النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؟

ج٧٦٨- فأجاب رضي الله عنه: قضية القُرَّاء السبعين ليس فيها ما يمسُّ تصرُّف النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بشيءٍ، ولكن أعداء الإسلام يجعلون مِن الحَبَّة قُبَّةً ويلقون مِن المثقَّفين آذانًا صاغية، وبيان ذلك على أصح الروايات: «أنَّ أبا براء عامر بن مالك مُلاعِبُ الأَسِنَّة، قَدِمَ على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فعرض عليه الإسلام فلم يُسْلِم ولم يَبْعُد من الإسلام، وقال: يا محمَّد، لو بعثت رجالًا من أصحابك إلى أهل نجدٍ رجوت أن يستجيبوا لك، وأنا جارٌ

لهم، فبعث سبعين رجلًا يقال لهم القُرَّاء فعرض لهم حَيَّان مِن سليم: «رعل»، و«ذكوان»، عند بئرٍ يقال لها «بئر معونة»، فقال القوم: «والله ما إيَّاكم أردنا إنما نحن مجتازون في حاجةٍ للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم» فقتلوهم.

هذه خلاصة القضية من غير زوائد وإضافاتٍ، ويؤخذ منها أمورٌ:

١- أنَّ القُرَّاء ذهبوا لتبليغ الإسلام، والنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مأمورٌ بالتبليغ، لا يجوز له أن يتأنَّى فيه أو يستشير أو ينتظر وحيًا.

٢- أنهم ذهبوا في جوار مُلاعِب الأَسِنَّة رئيس قومه وبعهدٍ منه.

٣- أنَّ الذين قتلوهم غير الذين كانوا سيذهبون إليهم، وهذا حادثٌ حَصَلَ لهم في الطريق كما يحصل لأيِّ مسافرٍ، وفي الحديث: «**إنَّ المُسافِرَ ومَالَهُ على قَلَتٍ** -أي هلاكٍ- **إلَّا ما وَقَى اللهُ**». بل قد يخرج الرجل من بيته إلى عمله فيحصل له حادثٌ في الطريق يموت فيه أو ينكسر مثلًا.

٤- أنَّ أولئك السبعين كانوا يحفظون بعض القرآن لا كلَّه؛ لأنهم قتلوا أوائل السنة الرابعة، ولم يتم نزول القرآن إلَّا في السَّنة العاشرة.

٥- أنه لا يشترط في السفر لدعوةٍ أو تجارةٍ القطع بأمان الطريق، بل يكفي ظن الأمان ولو كان القطع بالأمان شرطًا في السفر لم يسافر أحد لحجٍّ ولا لغيره.

الحكمة من عدم بناء الكعبة

س٧٦٩- لماذا خشي النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مِن إعادة بناء الكعبة على قواعد إبراهيم؟

ج٧٦٩- في "صحيح البخاريِّ" أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال

لعائشة: «لولا أنَّ قومَك حديثٌ عَهْدُهُمْ بالجاهِلِيَّة فأخافُ أن تُنكِرَ قُلوبُهم». الحديث يفيد أنه ترك بناء البيت خشية أن يُنكِروا عليه بقلوبهم، وفي إنكارهم عليه هلاك دينهم، وهذا مِن تمام شفقته بأُمَّته؛ ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

معنى قولهم: حجَّ أبو بكرٍ في شهر ذي القَعدة

س٧٧٠- وسُئل: هل ثبت أنَّ أبا بكرٍ حَجَّ في السنة التاسعة في ذي القَعْدة؟

ج٧٧٠- قولهم حجَّ أبو بكرٍ في شهر ذي القَعدة، ليس معناه أنه أوقع الحجَّ فيه، لكن معناه أنه سافر إلى الحجِّ فيه.

قال ابن اسحق: «أقام النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعد أن رجع من تبوك، رمضان وشوال وذو القَعدة، ثُمَّ بعث أبا بكرٍ أميرًا على الحجِّ».

وهذا النصُّ اعتمده الحافظ ابن حجرٍ، وهو واضحٌ لا إشكال فيه، وكان ذلك الحجُّ فريضةً أدَّاها أبو بكرٍ ومَن معه، وكلُّ مَن حَجَّ بعد فرضية الحجِّ فحجُّه صحيحٌ إذا اجتمعت شروطه.

أيهما أفضل أبو بكرٍ أم عليٌّ؟

س٧٧١- أيهما أفضل أبو بكرٍ أم عليٌّ؟

ج٧٧١- سئل الحافظ أبو الفرج ابن الجوزيِّ في الدرس: أيهما أفضل أبوبكرٍ أو عليٌّ؟ وكان في المجلس شيعةٌ وأشعريَّةٌ، ولو صرَّح بتعيين أحدهما أغضب أحد الفريقين، فقال: أفضلهما مَن كانت ابنته تحته؟ ففهمت الشيعة أنه أراد عليًّا عليه السلام، وفهمت الأشعريَّة أنه أراد أبا بكرٍ رضي الله عنه، وهو

الواقع؛ لأنه أشعريٌّ.

لماذا كان الحسن والحسين يقبلان المال مِن معاوية؟

س٧٧٢- لماذا كان الحسن والحسين يقبلان المال مِن معاوية؟

ج٧٧٢- كان معاوية مستوليًا على بيت المال، ويُعطي منه لأغراضه السياسية، وكان يعطي للحسن أو الحسين عليهما السلام تملُّقًا لهما لا حُبًّا فيهما، وكانا يأخذان منه؛ لأنه بعض حقِّهما في بيت المال، فلا فضل له في ذلك[1].

الاحتياط في الحدود

س٧٧٣- هل تساهل عمر في إقامة الحدِّ على قدامة لَمَّا أخبره الجارود بأنه شرب خمرًا؟

ج٧٧٣- عمر لم يستاهل في مسألة قدامة وإنما توقَّف، لما رأى الجارود يطلب إقامة الحدِّ عليه، واحتمل عنده أن يكون خصمًا لا شاهدًا؛ لأن الشاهد لا يطلب إقامة الحدِّ على المشهود عليه، فلما استظهر بشهادة أبي هريرة وزوجة قدامه، أقام الحدَّ، والحدود يجب الاحتياط فيها.

س٧٧٤- هل عادت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى زوجها بعد إسلامه بعقد جديد؟

ج٧٧٤- إذا أسلمت الزوجة، وبقي زوجها كافرًا لم يبطل نكاحهما بل يكون صحيحًا موقوفًا إلى إسلامه، لكن يحرم على الزوجة أن تمكِّنه من نفسها

---

(١) انظر "تفسير الجصاص" (١/ ٨٨) في توجيه أخذ السلف المال من أيدي الحكام الظالمين.

لمانع الكفر. فإن أسلم داخل العِدَّة أو بعدها وانتظرته عادت إليه بنكاحهما الأول، وهكذا حصل في حادثة زينب رضي الله عنها، فإنها أسلمت قبله وهاجرت وهو بمكة، ولما نزل تحريم زواج الكافر بالمسلمة بقي زواجهما صحيحًا موقوفًا لمانع الكفر حتىٰ أسلم، فعادت إليه، ولو استمرَّ علىٰ الكفر لبانت منه بتمام العِدَّة.

س٧٧٥- وسُئل رضي الله عنه عن فضل مسجد قباء، ولماذا خصَّص النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يوم السبت مِن كلِّ أسبوعٍ لزيارته؟

ج٧٧٥- مسجد قباء من المساجد الفاضلة، أسَّسه النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قبل مسجد المدينة، وجبريل بيَّن له قبلته، وقال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**الصَّلاةُ في مَسْجِدِ قِباءٍ كعُمْرَةٍ**». حسَّنه الترمذيُّ، وصحَّحه ابن حِبَّان، وهو المسجد الذي أُسِّس علىٰ التقوىٰ، وكان النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يزوره راكبًا وماشيًا فيصلِّي فيه، وتخصيص زيارته بيوم السبت لأجل أن يسأل عمن لم يحضر الجمعة من الأنصار لمرضٍ أو غيره، وكان يزوره يوم الإثنين أحيانًا أيضًا.

س٧٧٦- كيف حلَّ مال مخيريق للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وهو مِن اليهود؟

ج٧٧٦- مال مخيريق حلالٌ للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وذكر الواقعة أنه أسلم واستشهد بأحدٍ، وقال الزهريُّ: «لما قتل مخيريق قال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**مُخيريق سابق يهود، وسلمان سابق فارس، وبلال سابق الحبشة**». وذكره الحافظ ابن حجرٍ في الصحابة.

س٧٧٧- ما دليل المالكيَّة على تفضيل مسجد المدينة على المسجد الحرام؟

ج٧٧٧- دليل المالكية على تفضيل مسجد المدينة حديث: «**صلاةٌ في مَسْجِدي هذا أفضل مِن ألفِ صلاةٍ فيما سواه إلَّا المسجِدِ الحرام**». حملوا الاستثناء على أنَّ الصلاة في المسجد النبويِّ أفضل من الصلاة في المسجد الحرام بأقل مِن ألف، وهذا ضعيفٌ؛ لأنه ثبت في بقية الحديث الذي استدلوا به: «**وصلاةٌ في المسجد الحرام أفضل مِن صلاةٍ في مسجدي هذا بمائة صلاةٍ**». واستدلوا أيضًا بأحاديث ضعيفةٍ، والصحيح أنَّ المسجد الحرام أفضل.

فضل الصلاة بالبيت الحرام

س٧٧٨- لماذا ضُعِّفت الصلاة في المسجد الحرام؟

ج٧٧٨- الصلاة في البيت الحرام ضُعِّفت لعِظَم البيت؛ ولأنها تستدعي مشقَّةً، فلو أراد مسلمٌ أن يصلِّي في البيت الحرام لزمه أن يفارق أهله ووطنه وينفق المال الكثير ليصل إلى البيت، وهذه مشقَّةٌ عظيمةٌ.

س٧٧٩- وسُئل رضي الله عنه عن الحِكْمة في تضعيف الصلاة في المسجد الحرام؟

ج٧٧٩- تضعيف الصلاة في المسجد الحرام هو من باب تنمية القليل حتى صار كثيرًا كمن عنده جنيه مثلًا فنمَّاه حتى صار مائة ألف، وسبب التنمية أنَّ المسجد الحرام بناه إبراهيم وإسماعيل، فكرَّمهما الله بأن جعل بنايتهما قبلة المسلمين وأوجب الحجَّ إليها وضاعف فيها الحسنات والسيِّئات، وأهل مكة جيران البيت فنالهم هذا الفضل لحقِّ الجوار، والإسلام يوصي بالجار، ولعل ما

ينالهم من مضاعفة صلواتهم لا يوازي ما ينالهم من تضعيف سيئاتهم؛ لأنهم مفرطون والحاصل: أنَّ عِظَم ثواب الصلاة في المسجد الحرام، لأجل المكان وبنائه، لا لأجل المصلَّى.

س٧٨٠- وسُئل رضي الله عنه: هل يجوز الترضِّي على أبوَي النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؟

ج٧٨٠- فأجاب رضي الله عنه: لا يترضَّى على أبوي النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لأنهما من أهل الفَترة، وهما غير مُعذَّبين بنصِّ القرآن، لكن لم تكن أعمالهم طاعةٌ يستحقُّون الترضِّي عنهم بسببها كما يترضى عن صالحي المؤمنين بما فعلوا من طاعات، فأعمال أهل الفترة كأعمال الصبيان والبهائم، لا ثواب فيها ولا عقاب فكيف يُترضَّى عنهم؟

بعض مما أكرم الله تعالى به سيِّدي عبدالله بن الصِّدِّيق من المبشِّرات والكرامات

س٧٨١- وسأل رضي الله عنه عما خصَّه الله تعالى به من المُبشِّرات والكرامات؟

ج٧٨١- فقال سيادته ما نصُّه: ومسألة المُبشِّرات والكرامات أذكر لك منها ما تيسَّر إجابة لرغبتك:

١- ألهمني الله علم تناسب سور القرآن، وألقاه في صدري إلقاءً، وبسببه ألَّفتُ "جواهر البيان" وهذا علمٌ لا يدرس ولا يوجد من يعرفه في هذا العصر.

٢- عوَّدني الله تعالىٰ أنِّي إذا أردت كتابة تأليفٍ أو بحثٍ، يسهل لي الاطلاع علىٰ المراجع بدون قصدٍ مِنِّي، فإذا فتحتُ أيَّ كتابٍ أجد الموضوع الذي أريد الكتابة فيه.

٣- سئلتُ عن قصة يوسف لِمَ لمْ تتكرَّر في القرآن؟ ولم أجد جوابًا عنه في كتب التفسير، وبينما أنا أمشي ليلًا بجوار مسجد النبوية بالقاهرة سمعت مقرئًا يفتتح سورة يوسف فألهمني الله جوابًا أثبته في كتاب " كمال الإيمان".

٤- لما كنت في المِحْنة جاءني السيِّد البدويُّ في المنام وقال لي: «فرج الله قريبٌ» ثلاث مرات.

٥- ورأيت سيِّدي أحمد بن عجيبة أخذ بيدي وشدَّني إليه بقوَّةٍ حتىٰ أطلعني إلىٰ سطحٍ وأوقفني بجانبه.

٦- ورأيت ابن حزمٍ يشتكي إليَّ مِن بعض الأزهريين لعدم عمله بالسُّنَّة فأوَّل لي أخي رحمه الله رؤياي بأنِّي مِن أنصار السُّنَّة.

٧- ورأيت عزَّ الدين ابن عبدالسلام سلطان العلماء، وجرت بيننا مناقشةٌ علميةٌ.

٨- ورأيت عليًّا عليه السلام واضعًا يده علىٰ كتفي.

٩- ورأيته مرةً أخرىٰ، وأبا سعيدٍ الخدريِّ، فأوَّلتُ رؤيا عليٍّ بالسعة في العِلْم، ورؤيا أبا سعيدٍ الخدريَّ بالتمكُّن في الحديث؛ لأنَّ أبا سعيدٍ كان من حُفَّاظ الصحابة، وهم سبعةٌ.

١٠- أخبر الشيخ أحمد بن عجيبة -وهو من الصالحين- أنه كان يرىٰ

النور يخرج من فمي حين أبدأ قراءة الحديث حتىٰ أنتهي من قراءة السَّند والمتن وذلك بأويش الحجر مركز المنصورة.

١١- وفي أويش أيضًا تضايقت امرأةٌ مِن حضوري هناك؛ لأن زوجها يُكلِّفها بتجهيز الطعام، فرأت في المنام مَن يزجرها عن التضايق مِنِّي ويقول لها: «هذا حامل حديث رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم».

١٢- ورأىٰ الشيخ التليدي من يخبره بأنِّي من الأبدال.

بعض ما أكرم الله به سيدي عبدالله بن الصديق أيام المحنة

س٧٨٢- وسُئل عن بيان ما أكرمه الله به أيام المِحنة؟ وكيف جرىٰ علىٰ كثيرٍ من أصدقائه ومعارفه تصديق ما قيل فيه مع معرفتهم بفضله وعلمه وشرفه؟!

ج٧٨٢- ما رأيته في المحنة يمكن أن أذكر منه ما يأتي:

١- رأيت نفسي واقفًا علىٰ باب مكتبة الخصوصي بالقاهرة، وإذا بالسيِّد البدوي يأتي من جهة النحَّاسين وعليه «زعبوطٌ» أحمر، فوقف أمامي وقال لي: «فرج الله قريبٌ». ثلاث مرات وذهب.

٢- رأيت نفسي واقفًا علىٰ باب الغورية من جهة شارع الأزهر، وأنا خائفٌ محتارٌ من ظلمة الليل وخلوِّ الشارع ولا أدري أين أذهب؟ وإذا بي أرىٰ السيِّد البدوي يمشي في شارع الأزهر فناديته فجاء وأمسك بيدي وذهبنا.

٣- رأيت نفسي علىٰ سطح «واطٍ»، وبجانبه سطح عالٍ، وعليه ناسٌ كثيرون معهم سيِّدي أحمد بن عجيبة، وأنا أريد أن أطلع إليهم فلا أستطيع فمد

سيِّدي أحمد يده من غير أن أطلب منه وأخذ بيدي وشدَّني إليه بقوة حتىٰ أوقفني بجانبه علىٰ السطح العالي.

٤- رأيت عزَّ الدين ابن عبدالسلام سلطان العلماء، وناقشته في قاعدة أصولية فقهية.

٥- رأيت نفسي واقفًا بجانب عليٍّ بن أبي طالبٍ عليه السلام وهو واضعٌ يده علىٰ كتفي، ومشينا بضع خطوات، وأنا أعتقد أنه حيٌّ لم يمت إلىٰ الآن -أي في النوم- وأعجب كيف عاش أكثر من ألف سنة؟

٦- رأيت نفسي جالسًا مع عليٍّ وأبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنهما، وتكلَّمت معهما.

٧- رأيت والدتي رضي الله عنها وأنا أكلمها في خادمةٍ وأقول لها: إنها طيبة، فقالت: أنت طيب وسليم القلب.

٨- أخبرتني زوجتي أنها باتت ليلة «زعلانة» وبكت لأنه ليس في البيت فلوس ولا أكل، فرأتني في المنام أقول لها: لا تزعلي هاهي الفلوس، ووضعتها تحت الوسادة، وقلت لها: لا تخافي فالبيت مستورٌ، فلما استيقظت في الصباح وجدت فلوسًا تحت الوسادة، وأثناء النهار حضر أخي السيِّد إبراهيم من السفر وأعطاها فلوسًا كثيرة.

وأهل الأزهر لو قصروا فقط لكان الأمر هينًا، ولكن كثير منهم باح بما في نفسه من الحقد والكراهية، وكان أقربهم مني مودة أكثرهم ذمًّا وأقبحهم كلامًا، وقد كان علماء الشام أوفىٰ منهم عهدًا وأشجع قلبًا؛ فإنهم لما علموا بالمحنة كتبوا للرئيس جمال يُبرِّئونني مما اتهمت به ويطلبون الإفراج عنِّي،

وكانت الشجاعة الكبرىٰ موقف السيِّد الصِّدِّيق المهدي رحمه الله فإنه اتصل تليفونيًا بالرئيس، وقال له: فلان برئ من كل ما قيل فيه، وإن كنتم تريدون ضامنًا يضمنه فأنا أضمنه بشخصي.

هكذا تكون الشهامة، وقد صدق الشاعر الذي يقول:

جَـزَىٰ اللهُ الشَّـدَائِدَ كُـلَّ خَـيْرٍ عَرَفْتُ بهـا عَـدُوِّي مِـن صَـديقي

كنت قبل المحنة أحسن الظنَّ بكلِّ من أعرفه وأعتبر الناس أصدقائي وأحبائي، وكنت كنائمٍ في حلمه، فلما وقعت المحنة كشَّروا عن أنيابهم ونهشوا عرضي بمخالبهم، واستيقظت من نومي فوجدتني في واقعٍ مريرٍ كله غدرٌ وحقدٌ وتشفٍّ، كأنني كنت شجىٰ في حلوقهم وغمًا علىٰ صدورهم، ولولا الصبر الذي رزقنيه الله لمت كَمَدًا ممَّا رأيت مِن غَدْرِ الناس وتشفِّيهم مِنِّي واستهزائهم بي.

ومع ذلك كان بعض الأزهريين يرسل إلي في الليمان يطلب معاونتي في رسائل قدموها لنيل الدكتوراه بإرشادهم إلىٰ المراجع التي يعتمدون عليها، وكان بعضهم يبعث لي ما كتبه، لأراجعه وأصلح ما فيه من خطأ.

ومصر الآن خلو من أهل الحديث تمامًا، وإذا تكلَّم أزهريٌّ في حديثٍ فهو يخبط خبط عشواء، وأقرب شيء في ذلك، قرأت في "مجلة المسلم" عدد جمادىٰ الآخرة في الكلام علىٰ فضل أهل البيت، حديث: «ارقبوا محمدًا في أهل بيته». مَعزوًّا للبخاريِّ، وهو كذلك لكن ليس من كلام النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بل من كلام أبي بكر رضي الله عنه، وكم لهذا من نظيرٍ.

وبكل أسف أقول لك ما كنت أظنُّ أنَّ مصر يذهب الوفاء من أهلها إلىٰ

هذا الحدِّ حتى نكران الجميل.

طبع عالمٌ شامي رسالة علَّق عليها وأنا في الليمان، وكان حضر عليَّ بمصر، فذَكَرَني في شيوخه ونقل رأيًا عني لقنته إياه، ودعا لي بالفرج.

وتلاميذي بمصر نبذوني نبذ النواة، بل اتخذوني مضغة في أفواههم، ولو حكيت لك ما حصل من المصريين معي قبل المحنة لاندهشت، وكنت أظن ذلك حوادث فردية، حتى وقعت المحنة فتبين لي أنَّ قِلَّة الوفاء طبيعةٌ في المصريين إلَّا ما قلَّ، والأمر لله.

٨- فتاوى عامَّة ومُتفرِّقات

إغفال تعاليم الإسلام

س٧٨٣- وشكوت لسيادته من إغفال المدارس ووسائل الإعلام لتعاليم الإسلام.

ج٧٨٣- فأجاب بما نصُّه: ومسألة المدارس والمجلات والجرائد هي مشكلة الوقت الحاضر عندنا وعندكم وعند جميع البلاد الإسلامية، فقد فشا الاختلاط والفساد، وكثرت الدعوة إلى الفجور والتهتُّك والشباب سريع التأثُّر، وضَعُفَ التعليم الديني ولا عاصم إلا الله.

والمسئولية تقع على الآباء والأمَّهات وعلى الحكومات كلٌّ فيما يتصل به، وما الهزائم والنكبات التي لحقت بالمسلمين إلَّا بسبب تمرُّدهم على الدين وتحلُّلهم من تعاليمه وأخلاقه وآدابه، والعجب أن نجد اليهود يحضُّون على التمسُّك بتوراتهم الباطلة، والمسلمين يخرجون على تعاليم القرآن الحقِّ، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قبر أبي الدرداء وحذيفة رضي الله عنهما

س٧٨٤- وسألته عن وجود قبرٍ لأبي الدرداء وحذيفة بن اليمان عندنا بالإسكندرية.

ج٧٨٤- فقال سيادته: أبو الدرداء الصحابي مات بالشام، والمدفون بالإسكندرية شخصٌ صالحٌ مسمًّى باسمه، وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهما مدفونٌ بالمدائن من العراق، كان واليًا عليها من قبل عليٍّ عليه السلام ومات بها.

س٧٨٥- وسُئل أيضًا عن كلمة تقع في "ترتيب المدارك" للقاضي عياض وهي قوله: «هناك فقيه البدن»، فسعيد أعراب علَّق على المجلد السادس فقال:

«في بعض نسخ الكتاب «فقيه البلد»، وقال: «إن فقيه البدن خطأ».

ج٧٨٥- فأجاب الشيخ عبدالله أن سعيد أعراب هو المخطأ والراجح فقيه البدن.

ما الحِكْمة في الدَّمار الذي لحق بفرنسا

س٧٨٦- ما الحِكْمة في الدَّمار الذي لحق بفرنسا أثناء الحرب العالمية الثانية حيث أصاب معظم قصورها مع ضخامتها وحسنها؟

ج٧٨٦- فناء قصور فرنسا على ضخامتها وحسنها لا شيء فيه ينافي الحكمة، أما أولًا: فلأن الدنيا كلها لا قيمة لها عند الله كما أخبر في القرآن عدة مرات اقرأ قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ ﴾ [الزخرف: ٣٣] إلى قوله: ﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الزخرف: ٣٥].

وفي الحديث: «**لو كانتِ الدُّنيا تَزِنُ عند الله جَناحَ بَعُوضَةٍ ما سَقَى الكافِرَ منها جَرْعَةَ مَاءٍ**».

وقد أقام الله الدليل الماديَّ على ذلك، فأودع المعادن النفيسة في التراب الذي يوطأ بالأقدام، وجعل الحرير نسيج دودة والعسل قيء ذبابٍ، والمِسك دمًا مستحيلًا، وجعل كلَّ شيءٍ نفيسٍ في الدنيا مُتفرِّعًا عن حقيرٍ فيها، والفرع يتبع الأصل فيكون أنفس ما في الدنيا حقيرًا فكيف بالحقير فيها؟!

وأمَّا ثانيًا: فلأن الله يقول: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ

ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل: ١١٢] ويقول: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٦] ويقول: ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ﴾ [النمل: ٥٢].

وفرنسا بلغت من الكفر والفسق والظلم حدًّا لم تسبقها إليه دولةٌ فكان خرابها مُنتظَرًا حتمًا.

بل لو لم يحصل لها هذا الخراب لحقَّ للناس أن يتساءلوا: كيف يهون على الله أن يترك فرنسا ساهرةً لاهيةً ظالمةً غاشمةً طاغيةً عاتيةً مِن غير أن يأخذها بالخوف والجوع والخراب كما فعل مع الظالمين قبلها؟! أأخلف وعده؟ كلَّا فإنَّ الله لا يُخلِف الميعاد.

أأبدل سُنَّته؟ كلَّا فلن تجد لسنة الله تبديلًا.

هذا هو السؤال الذي يتوجَّه لو لم تخرب فرنسا، أما وقد خربت فلا يتوجَّه سؤالٌ أصلًا؛ لأن التخريب اقتضته سنُن الله الكونيَّة والعمرانيَّة.

رأي المؤلف في طه حسين والشيخ شلتوت

س٧٨٧- وسئل فضيلته عن الأستاذ طه حسين والشيخ شلتوت؟

ح٧٨٧- فأجاب سيادته بما نصُّه: طه حسين كذَّب القرآن صراحةً بإنكار إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، والشيخ شلتوت كان عدوًّا للسُّنَّة يحضُّ على إهمالها، وصرَّح في "مجلة الرسالة" بأنه يجوز مخالفة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فيما قضى به إذا اقتضت المصلحة ذلك، وهذا مناقضٌ لقوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ ﴾ [النساء: ٦٥].

حول رسالة "أسنى المطالب في نجاة أبي طالب"

س٧٨٨- وسُئل رضي الله عنه: ما هو القول في رسالة "أسنى المطالب في نجاة أبي طالب"؟

ج٧٨٨- فأجاب رضي الله عنه: ورسالة "أسني المطالب في نجاة أبي طالب" للشيخ أحمد زيني دحلان شيخ الشافعية بمكة اعتمد فيها على أنَّ أبا طالبٍ قال عند وفاته: هو على مِلَّة عبدالمطلب، وهو ناجٍ لأنه من أهل الفترة، وكان يقر بالتوحيد، فكذلك من مات على ملَّته، لكن فاته أنَّ أبا طالبٍ أدرك البعثة، ولم ينطق بالشهادة وعرض عليه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الإسلام والصلاة فاستنكر السجود فيها، وقال: «لا تعلوني عجيزتي أبدًا».

والشيخ دحلان شيخ بعض شيوخي توفي سنة ١٣٠٤ رحمه الله.

مشاهدة المعصية مع عدم الإنكار على الفاعل

س٧٨٩- إذا شاهد الإنسان معصيةً ولم ينكر على فاعلها هل عليه وزرٌ؟

ج٧٨٩- كثيرٌ من الناس يعتقد أنَّ الشخص إذا لم يباشر المعصية بنفسه فلا يلحقه وزرها ولو شاهدها أو ساعد عليها، ولهذا نرى بعض المطاعم في شهر رمضان تشتغل طوال اليوم مع أنَّ أصحابها صائمون مُصلُّون ويحتجُّون بأنَّ هذا «أكل عيش».

وقد كنت في فرنسا وذهبت لزيارة مغربيٍّ حاج، فوجدته يُصلِّي المغرب داخل حانةٍ يبيع فيها الخمر، وامرأته الفرنسية تزاول معه بيع الخمر، فلمَّا كلمته في هذا التناقض الغريب احتجَّ بأنه «أكل عيش» ثُمَّ نصحني بالعدول عن هذا التشدُّد.

وكلُّ هذا خطأ فاحشٌ وافتياتٌ على الشرع، وجهلٌ فاضحٌ بالضروريِّ من أحكام الدِّين.

والقاعدة الشرعيَّة المُستمدَّة من الأحاديث وإجماع العلماء «أنَّ كلَّ ما حرَّم الشَّرع فِعْلَهُ تحرم مُشاهدته والمساعدة عليه بأي نوعٍ من أنواع المساعدة».

فالذي يُشاهد عملية الزنا آثمٌ، والذي يشاهد التماثيل المُجسَّمة في الميادين آثمٌ؛ لأن عمل التماثيل حرامٌ، فالنظر إليها حرامٌ، والذي يفتح مطعمه في نهار رمضان آثمٌ وصومه غير نافعٍ، والذي يبيع الخمر آثمٌ

ثُمَّ إثم هؤلاء ليس إثمًا خفيفًا بل يعدُّ في نظر الشرع مشاركًا كصاحب العمل نَفْسِهِ.

واسمع إلى قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن كان يُؤمِنُ بالله واليومِ الآخِرِ فلا يَقْعُدْ على مائدةٍ يُشْرَبُ عليها خَمْرٌ**»، وقوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لَعَنَ اللهُ آكِلَ الرِّبا ومُوكِلَهُ، وكاتِبَهُ، وشَاهِدَيْهِ إذا عَلِمُوا بذلك**»، وقال: «هم سواء» بل نصَّ الشارع على أنَّ المعصية إذا فُعلت في مكانٍ وعَلِمَ بها شخصٌ في مكانٍ بعيدٍ عنها ورضي بها كان شريكًا لفاعلها، والله أعلم.

س٧٩٠- وسُئل رضي الله عنه عن كتاب "الأم" للشافعيِّ هل هو له أم لا؟

ج٧٩٠- فأفتى بأنه أملاه على تلميذه البويطيِّ، وتلميذه هو الذي ألَّفه، وغلط زكي مبارك لأنه عمل تأليفًا يقول فيه إنه ليس تأليفًا للشافعي وإنما هو من فعل البويطيِّ وأعانه عليه الربيع فليس من تأليف الشافعي ولا ينسب إليه وكلُّ مَن نسبه إليه فهو مخطئ، وقد ردَّ عليه علماء مصر.

أحسن مختصر في الفقه المالكي

س٧٩١- فقد سألت سيادته عن كتابٍ مختصَرٍ سهلٍ في مذهب الإمام مالكٍ؟

ج٧٨٩١- فأجاب سيادته بما نصُّه: أحسن كتابٍ مختصرٍ في مذهب مالكٍ "حاشية الصفتي على العشماوية".

تعبير منام

س٧٩٢- وسُئل أيضًا عن امرأةٍ رأت في المنام مرارًا وتكرارًا -تقريبًا سنة- أنها عندها بقرة ولم تعطها تشرب وهي تتأسَّف مِن أجل عدم شربها.

ج٧٨٩٢- فأول البقرة بالسنة لأن البقرة تأول بالسَّنة، وسنُّ هذه المرأة كبيرٌ وعدم شربها أن عملها الصالح قليل، لهذا ينبغي لها أن تكثر من العمل الصالح.

س٧٩٣- وسُئل أيضًا عن رؤيا منامية أن شخصًا رأى النبيَّ قد مات ودفن.

ج٧٩٣- فأولها بأن رؤيا موت النبيِّ هو موت سُنَّته ودينه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

س٧٩٤- وسُئل أيضًا عن الرجل يسكن في مقبرة النصاري أو اليهود.

ج٧٩٤- قال: إنه في محلِّ الغضب والعذاب، أمَّا صلاته فصحيحة خلافًا لمن يقول بالبطلان؛ لأن الأرض كلَّها مسجدٌ وطهورٌ.

قيمة كتاب "تنبيه الغافلين" العلمية

س٧٩٥- وسئل رضي الله عنه عن قراءة كتاب "تنبيه الغافلين" للسمرقنديِّ؟

ج٧٩٥- وكتاب "تنبيه الغافلين" يشتمل على أحاديث ضعيفةٍ وموضوعةٍ، فلا ينبغي قراءته للعامَّة؛ لأنهم لا يعرفون صحيحه مِن موضوعه، ولكن ليقرءوا كتاب "رياض الصالحين" للنوويِّ فهو يفيدهم، وكلُّ ما فيه صحيحٌ.

حمل حجاب الحصن الحصين

س٧٩٦- هل يجوز حمل حجاب "الحصن الحصين" بنيَّة أنَّ الله يدفع عن حامله شرَّ الإنس والجنِّ وعين الحاسد بما يحتوي عليه من أسماء الله تعالى والآيات القرآنية؟.

ج٧٩٦- ورد النهي عن التمائم والتِّوَلَة وغيرهما مما كان يفعله العرب أيام الجاهلية، حديث: «**مَن عَلَّقَ تميمةً فلا أتمَّ اللهُ له ومَن عَلَّق وَدَعَةً فلا أودع اللهُ له**»، وحديث: «**إنَّ الرُّقَى والتَّمائم والتِّوَلَةُ شِرْكٌ**» إلى غير ذلك من الأحاديث.

أمَّا الوهَّابيون فزعموا أنَّ هذه الأحاديث تصدق على كلِّ حرزٍ وحجابٍ سواء كان من نوع ما يفعله العرب أيام جاهليتهم أو من غيره، كالأحجبة المشتملة على الآيات القرآنية والأدعية النبوية، وجعلوا ذلك كله شركًا، وهو قولٌ باطلٌ، عارٍ عن التحقيق العلميِّ، والصواب في ذلك ما ذكره العلماء.

قال الإمام أبو سليمان الخطابيُّ في "معالم السنن": «المنهي عنه من الرُّقَى ما

كان بغير لسان العرب فلا يدرى ما هو، ولعله قد يدخله سِحْرٌ أو كفرٌ، فأمَّا إذا كان مفهوم المعنى، أو كان فيه ذكر الله تعالى فإنه مستحبٌّ متبرَّكٌ به».

وقال ابن التين في "شرح البخاري": «الرُّقَى بالمعوِّذات وغيرها من أسماء الله تعالى هو الطب الروحاني، إذا كان على لسان الأبرار من الخلق حصل الشفاء بإذن الله تعالى، فلما عزَّ هذا النوع فزع الناس إلى الطب الجسماني، وتلك الرُّقَى المنهي عنها التي يستعملها المعزم وغيره ممن يدعي تسخير الجنِّ فيأتي بأمورٍ مشتبهةٍ مُركَّبةٍ من حقٍّ وباطلٍ يجمع إلى ذكر الله وأسمائه ما يشوبه من ذكر الشياطين والاستعانة بهم والتعوُّذ بمَرَدَتهم».

إلى أن قال: «فلذلك كره من الرُّقَى ما لم يكن بذكر الله وأسمائه خاصَّة وبلسانٍ عربيٍّ يعرف معناه ليكون بريئًا من الشرك، وعلى كراهة الرُّقَى بغير كتاب الله علماء الأُمَّة».

وفصل الإمام القرطبيُّ تفصيلًا حسنًا فقال: «الرُّقَى ثلاثة أقسام:

أحدها: ما كان يُرقَى به في الجاهلية مما لا يعقل معناه فيجب اجتنابه، لئلا يكون فيه شركٌ، أو يؤدِّي إلى الشرك.

الثاني: ما كان بكلام الله أو بأسمائه فيجوز، فإن كان مأثورًا فيستحب.

الثالث: ما كان بأسماء غير الله مِن مَلَكٍ أو صالحٍ أو مُعَظَّمٍ من المخلوقات كالعرش فهذا ليس من الواجب اجتنابه، ولا من المشروع الذي يتضمَّن الالتجاء إلى الله والتبرُّك بأسمائه ويكون تركه أولى، إلَّا أن يتضمَّن تعظم المخلوق المرقي باسمه فينبغي أن يجتنب كالحلف بغير الله تعالى».

ونقل الحافظ ابن حجرٍ إجماع العلماء على جواز الرُّقَى بشروطٍ ثلاثة: «أن

تكون بكلام الله تعالىٰ أو أسمائه أو صفاته، وأن تكون بما يعرف معناه، وأن يعتقد أنَّ الرُّقَىٰ لا تؤثِّر بذاتها بل بقُدْرة الله تعالىٰ».اهـ

فمن هذه النقول يُعلَم أنَّ الاستشفاء بكلام الله تعالىٰ وأسمائه وصفاته وبما ورد في الأحاديث من الأدعية النبوية أمرٌ مستحبٌّ مرغوبٌ فيه بإجماع العلماء؛ لأن الله تعالىٰ يقول: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[الإسراء: ٨٢].

قال الفخر الرازي وغيره: «لفظة ﴿من﴾ ليست للتبعيض بل هي للجنس، والمعنىٰ: وننزِّل من هذا الجنس الذي هو القرآن ما هو شفاءٌ للأمراض الروحانية والأمراض الجسمانية».

وروىٰ ابن ماجه والحاكم في "المستدرك" عن ابن مسعودٍ عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**عليكم بالشِّفاءَين: العَسَلِ والقُرْآنِ**». قال الحاكم: «حديثٌ صحيحٌ علىٰ شرط الشيخين».اهـ

ونقل عن أبي القاسم القشيريِّ أنَّ ولده مرض مرضًا شديدًا حتىٰ قارب الموت فاشتد عليه الأمر قال: فرأيت النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في المنام فشكوت إليه ما بولدي، فقال: «**أين أنتَ مِن آياتِ الشِّفاء؟**».

فانتبهتُ فأفكرت فيها فإذا هي في ستة مواضع من كتاب الله وهي قوله:

١- ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾[التوبة: ١٤].

٢- ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾[يونس: ٥٧].

٣- ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ﴾[النحل: ٦٩].

٤- ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[الإسراء: ٨٢].

٥- ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠].

٦- ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤].

قال: فكتبتها ثُمَّ حللتها بالماء وسقيته إياها فكأنما نَشِطَ مِن عِقالٍ».اهـ والأصل في الاستشفاء بالقرآن والأدعية النبوية أن يتلوها الشخص على محلِّ الداء أو يتلوها بنيَّة دفع البلاء أو نحو ذلك، فإذا كان الشخص لا يحسن التلاوة أو لا يحسن حفظ الرقية الواردة جاز كتابتها وتعليقها لهذا الغرض مع التحرُّز من امتهانها أو تعريضها للتنجُّس ونحوه.

وهكذا كان يفعل عبدالله بن عمرٍو، فإنه كان يعلِّق على أولاده الصِّغار بعض الأدعية الواردة بقصد الحفظ.

وعلى هذا فتعليق "الحصن الحصين" وما في معناه جائزٌ لا شيء فيه، والله أعلم.

وجود صورة بارزة مجسمة في مسجد

س٧٩٧- كنت أصلِّي في أحد المساجد فلفت نظري وجود ساعة حائط داخلها «رفاص» نُقش عليه صورةٌ بارزةٌ مُجسَّمةٌ، فهل وضع ساعةٍ بهذا الشكل داخل مسجدٍ أو غيره من بيوت المسلمين جائزٌ؟

ج٧٩٧- الصور المُجسَّمة يحرم تصويرها واقتناؤها للأحاديث الصحيحة الواردة في ذلك، منها: «**إنَّ أشدَّ النَّاسِ عَذَابًا يومَ القِيامَةِ المُصَوِّرون**»، وفي حديثٍ آخر صحيحٍ: «**لا تَدْخُلُ الملائكةُ بيتًا فيه كَلْبٌ أو صورةٌ**».

وصرَّح المالكية بأنَّ النظر إلى الصورة المُجسَّمة حرامٌ، قالوا: «لأن فعلها محرَّمٌ والنظر إلى المحرَّم محرَّمٌ»، هكذا نصَّ عليه الشيخ الدردير.

ثُمَّ إنَّ اقتناء الصور المُجسَّمة في مطلق الأماكن حرامٌ، فإذا وضعت في مسجدٍ كانت أشد حرمةً وأكثر إثمًا؛ لأن المساجد يجب أن تجرد عن كثيرٍ مما يفعل في البيوت من التزويق والزخرفة فضلًا عن الأشياء المحرَّمة كالصور المُجسَّمة.

وبهذه المناسبة أحب أن ألفت النظر إلى أنَّ الصور الفوتوغرافية لا ينطبق عليها التحريم الوارد في الأحاديث التي ذكرناها وغيرها، وعلى هذا فهي جائزةٌ فعلًا واقتناء ما لم تكن صورًا فاضحةً منافيةً للآداب فتكون حينئذٍ محرَّمةً بلا خلاف.

اقتناء الصحف والمجلات التي بها صورة فاضحة

س٧٩٨- ما حكم اقتناء الصحف والمجلَّات التي تهتم بنشر الصور الفاضحة والعارية بأوضاعٍ مثيرةٍ ومنافيةٍ للآداب؟

ج٧٩٨- اقتناء المجلَّات المذكورة حرامٌ لما فيها من المفاسد والقبائح التي لا يأتي عليها الحصر، وما أفسد البيوت والعائلات إلَّا هذه المجلَّات الخليعة التي تنشر الصور الفاضحة، حتى ليخيَّل للرجل الغيور إذا رآها أنه وسط جماعةٍ من المتوحِّشين الذين لا يعرفون دينًا ولا فضائل، ومن المحزن حقًّا أن تصدر هذه المجلات بوصفها الذميم القبيح في بلادٍ تعتبر زعيمة البلاد الإسلامية وفيها أكبر معهدٍ دينيٍّ يحجُّه المسلمون من سائر أقطار الأرض، فأين هذه الحكومة الإسلامية؟! وأين حال هذا المعهد الديني العتيق؟!

تحضير الأرواح

س٧٩٩- ما حكم تحضير الأرواح[١] وعمل تمائم سحرية توجب محبة بين الزوجين أو كراهية بين جماعةٍ مجتمعين على الفساد؟ وما حكم أخذ الأجرة على ذلك مع العلم بأنَّ هذه الأمور مذكورةٌ في كثير من كتب المسلمين كالبوني وابن سينا وغيرهما؟

ج٧٩٩- عمل السِّحْر حرامٌ وكبيرةٌ من الكبائر ورد فيه الآيات والأحاديث الصحيحة، والمالكية يوجبون قتل الساحر.

وعمل محبةٍ بين الزوجين أو نحو ذلك مما فيه مصلحة ولا ضرر فيه إذا كان بآياتٍ وأذكارٍ فقد أفتى بعض متأخِّري المالكية بجوازه واستنادًا إلى حديث: «**مَن اسْتَطَاعَ منكم أن ينفعَ أخَاهُ فليَفْعَل**».

وأمَّا عمل الكراهة فلا يجوز لأنه إضرار بالناس وإيذاء لهم، والشخص غير مكلَّفٍ بالتفريق بين جماعةٍ مجتمعةٍ على الفساد، ولو كان ذلك سائغًا لأرشد الشارع إليه.

وذكر السِّحْر في الكتب التي ذكرها السائل ليس دليلًا على جواز السِّحْر وما إلى ذلك؛ لأن أولئك المشايخ أنفسهم الذين ألَّفوا تلك الكتب وذكروا فيها تلك الأشياء خالفوا الشرع وتكلَّموا فيما لا يعنيهم بل تحمَّلوا إثم مَن يأخذ بكلامهم من بعدهم، فدعك من الاحتجاج بفلانٍ وفلانٍ، وليس البوني ولا ابن سينا ولا أبو معشر ولا ابن الحاج الكبير بأئمَّةٍ يُقتدَى بهم.

---

(١) تقدم كلام عن تحضير الأرواح في فتاوى علم الكلام.

وأخذ الأجرة على عمل هذه الأشياء حرامٌ إلَّا إذا كان الشخص يكتب عزائم من القرآن والأذكار الواردة على سبيل التبرُّك أو لعمل محبة بين الزوجين فلا بأس بأخذ الأجرة حينئذٍ، والله أعلم.

لعب الطاولة

س٨٠٠- ما حكم لعب الطاولة؟

ج٨٠٠- لعب الطاولة حرامٌ شرعًا للحديث الصحيح الوارد في ذلك ففي "صحيح مسلم" وغيره عن بريدة عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن لَعِبَ بالنَّرْدِ فكأنَّما غَمَسَ يَدَهُ في لَحْمِ خِنْزيرٍ ودَمِهِ**».

وروى الإمامان مالكٌ وأحمد عن أبي موسى عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن لَعِبَ بنَرْدٍ أو نَرْدَشِير فقد عصى اللهَ ورَسُولَهُ**».

وفي حديثٍ آخر مرسل رويناه في جزء أبي مظهر عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**اللَّاعِبُ بالنَّرْدِ قِمَارًا كآكلِ لحمِ الخِنْزير، واللَّاعِبُ به بغير قِمَارٍ كالمُدْهِن بشَحْمِهِ**».

والنرد أو النردشير هو الطاولة باللغة الفارسية، لأن الطاولة لعبة فارسية أحدثت قبل الإسلام بمدةٍ طويلةٍ.

تأييد المبادئ الأجنبية

س٨٠١- نرى كثيرًا من الناس يؤيِّدون المبادئ الأجنبية ويُحبِّذونها كالشيوعية والاشتراكية، والديمقراطية، والقومية، وإذا ذُكِّروا بتعاليم الإسلام أخذتهم العِزَّة، واتهموا الداعي إلى الدِّين بالرجعيَّة وقالوا: كان الإسلام زمان

مضىٰ، والإسلام لا يصلح مع تطور الحياة الإنسانية في هذا الزمن. ما حكم الدِّين في هؤلاء؟

ج٨٠١- حكم الدين في هؤلاء الناس الذين يحبذون المبادئ الأجنبية ويتهمون الإسلام بالجمود وعدم مسايرة الحياة أنهم غير مسلمين؛ إذ لو كانوا مسلمين لآمنوا بأنَّ الإسلام دين الله في الأرض، وأنه صالحٌ لكلِّ زمانٍ ومكانٍ وفردٍ ومجتمعٍ، وإذا كان كثير من الغربيين المنصفين يعترفون في ثنايا كلامهم بأن الإسلام يحوي نُظُمًا اجتماعية وسياسية تضمن للمتمسكين بها حياةً مثاليَّةً طالما تمنَّاها حكماء الفلاسفة فلم يصلوا إليها، نقول إذا كانت هذه شهادة كثيرٍ من الغربيين المنصفين للإسلام فلا عبرة بكلام هذه الفئة المتطرِّفة التي فقدت الدين والأخلاق فهي أشبه بالحيوان الأعجم.

الاحتفال بشم النسيم

س٨٠٢- هل يجوز الاحتفال بشمِّ النَّسيم علىٰ اعتبار أنه عيد قوميٌّ، وبيع ورق اليانصيب للمشروعات الخيرية أم لا ؟

ج٨٠٢- الإسلام لا يعرف عيدًا غير عيدَي الفطر والأضحىٰ، والمواسم الدينية كرمضان ونصف شعبان وما أشبه ذلك، أمَّا شمُّ النَّسيم فهو عيدٌ قوميٌّ ورثه المصريون من عادة أجدادهم الوثنيين، وكلُّ ما هو من عادة الوثنيين لا يجوز الاحتفال به.

وأمَّا ورق اليانصيب فهو ميسرٌ محرَّمٌ لا نزاع في تحريمه، ودعوىٰ بيعه للمشروعات الخيرية لا يُجيزه، كما أنَّ الحفلات الخليعة التي تعمل باسم البرِّ لا

يُجيزها الشرع، ولو كان قصد الخير و البرِّ يُجيز الوسيلة لجاز الزِّنا، وبيع الخمر لإعانة المشروعات الخيرية، وهذا لا يقول به مسلمٌ.

ملابسة الجن في أجسام بعض الناس

س٨٠٣- ظهرت دعوى الجن وملابستهم لأبدان كثير ممن لا نشك في صدقهم رجالًا ونساء، ويملون عليهم إرادتهم من استحضار أشياء مختلفة من أنواع الملابس والأطعمة والأشربة منها المباح وغير المباح، ما رأي الدين في هذا؟

وماذا على المسلم لو استحضر ما يطلبوه لهم إشفاقًا على صحة قريبه؟ وما هي طريقة التخلُّص من هذا العادي الجنِّي السليط؟ نرجو الجواب.

ج٨٠٣- مَسُّ الجنِّ ثابتٌ وإن أنكره الطبُّ الحديث وعجز عن علاجه، والجنُّ أعداء الإنس عداوة طبيعية، ومسُّ الجنِّي للإنس يكون لأسبابٍ: منها قصد الأذية والضرر، ومنها ميل الجنِّي إلى روح الشخص الذي مَسَّه ومنها غير ذلك.

وإذا طلب الجنِّي شيئًا فلا مانع من إحضاره ما لم يكن محرَّمًا، وطريقة التخلُّص بقراءة الآيات والأذكار المفيدة في ذلك كـ(آية الكرسي) و(سورة الجن) ولا بأس من استعمال الفوائد الموجودة في كتب الروحانيات بشرط أن تكون مفهومة.

ثُمَّ علاج هذه الحالة رأسًا يتوقَّف على قوة الرجل المُعالِج، فإذا كان الشخص الذي يعالج حالة مثل هذه صالحًا قوي الروح استطاع أن يطرد

الجنِّي من غير أن يجيب له طلبًا.

وقد حصلت حادثة في عهد عمر بن الخطاب في حفر بئرٍ بمكانٍ مجهولٍ، طلب سُكَّانه من الجنِّ أن يذبح في ذلك المكان ثور بصفة خاصَّةٍ فبلغ الأمر عمر فامتنع من تلبية الطلب، واستطاع أن يحفر البئر ويطرد الجنَّ بقوَّة روحه.

كما ظهر لعمَّار بن ياسر جنِّيٌّ عند عين من الماء ذهب يستقي منها وأراد أن يمنعه من السقي، فأخذه عمار وأوقعه على الأرض وجلس على صدره وصار يضربه بحجرٍ على فمه فاندحر الجنِّي ولم يعد ثانية لذلك المكان.

ويجب أن يعلم أنَّ الزار ليس طريقًا للتخلُّص من الجنِّ؛ لأنه يشتمل على منكراتٍ وضلالاتٍ يُحبِّها الجنُّ ويستمرئونها ليضلوا بها الناس، والله أعلم.

س٨٠٤- وسُئل أيضًا عن إصلاح كلمة قول المادحين «وصحبه الكِرَم» هل هي بفتح الكاف أو كسرها؟

ج٨٠٤- فأجاب: هي بكسر وفتح الراء ألف كرام، ولكن حذف الألف للوزن، وهو جائز. أما «الكرم» بفتح الكاف فهي خطأ.

معنى وصف بعض الحيوانات بالخير أو الشر

س٨٠٥- وسألته عن معنى وصف بعض الحيوانات بالخير أو الشر مع أنها غير مُكلَّفة؟

ج٨٠٥- فقال سيادته ما نصُّه: ووصف بعض الحيوانات بالخير أو الشرِّ هو بالنسبة إلينا لنتجنب الشرِّير منها ونقتله، كالوَزَغ والعقرب والحيَّة والفأرة ونحوها، فإنَّها تؤذينا، وكون الكلب الأسود شيطانًا كناية عن خبثه وشدَّة ضرره وهو شرُّ الكلاب وأقلها نفعًا، وخبثاء الجنِّ كثيرًا ما يتشكَّلون في

صورته.

والديك يوقظ للصلاة؛ لأن الله ألهمه الصراخ في وقت الصلاة، طبيعةً فيه لا تتخلَّف، وكان الصحابة يتسحَّرون على صراخه، وأفتى بعض الشافعية بالاعتماد عليه في وقت صلاة الصبح، وصحَّ أنَّ الجمل سجد للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وأنَّ حَجَرًا بمكة كان يُسَلِّم عليه، فكذلك نفخ الوزغ على إبراهيم عليه السلام، بطبيعة الإيذاء التي خلق عليها، والله يخلق في الحيوانات إلهامات عجيبة، لا يصدر بعضها إلَّا عن الحكماء العقلاء.

هل «وجّ» واد مقدس

س٨٠٦- وسئل: عن «وَجّ» هل هو وادٍ مُقدَّس كما قيل أم لا؟

ج٨٠٦- فأجاب: أما «وَجّ» فوادٍ بالطائف ورد في أحاديث -لا تصح- أنه مُقَدَّسٌ، وأنَّ الرب عرج منه إلى السماء، وورد في حديث: «**إن آخِرَ وَطْأَةٍ وَطِئَهَا اللهُ بوَجٍّ**». يشير إلى غزوة الطائف، فهي وطأة معنوية مثل قوله عليه الصلاة والسلام: «**اللهمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ على قريشٍ، واجعلها عليهم سِنين كسنين يوسف**».

حكم إلقاء ما فيه اسم الله

س٨٠٧- ما حكم إلقاء الورق المكتوب فيه اسم الله أو آيةٌ مِن القرآن أو شيءٌ ممَّا يُعظَّم شرعًا؟

ج٨٠٧- إلقاء الورق المكتوب فيه اسم الله أو آيةٌ أو شيءٌ ممَّا يُعظَّم حرامٌ، بل هو عند المالكية رِدَّةٌ، ودعوى أنَّ السرَّ يسحب منه عند إلقائه على الأرض

ليست بصحيحةٍ؛ لأن اسم الله وما في معناه مُعظَّمٌ لذاته لا للسرِّ الذي فيه، ولهذا نهىٰ النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أن يُسافَرَ بالمصحف إلىٰ أرض العدوِّ، والمصريون يتساهلون في هذا، وهو تساهلٌ قبيحٌ.

س٨٠٨- وسُئل أيضًا: عن رجلٍ مات وكتب الورثة علىٰ رخامةٍ اسمه، ووافق اسمه محمدًا، وألقيت عند رأسه علىٰ الأرض والناس يقفون عليها، هل هذا جائزٌ أم لا؟

ج٨٠٨- أفتىٰ بالمنع والتحريم؛ تعظيمًا لاسم النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وقال: كادت في بعض الأوقات أن تكون رِدَّةً .

من هم «الأذواء»؟

س٨٠٩- وسُئل عن «الأذواء» مَن هم؟

ج٨٠٩- فأجاب سيادته بما نصُّه:

١- «ذو اليدين»: رجلٌ مِن بني سليمٍ، حجازيٌّ يُسمَّىٰ الخِرْباق، شَهِد مع النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم صلاة الظهر أو العصر، فسلَّم من اثنتين، فقال له ذو اليدين: أَقَصُرَتِ الصَّلاةُ أم نسيتَ يا رسول الله؟ الحديث. وهو في "الصحيحين".

وفي "مسند أحمد" عن أمِّ إسحاق أنها دخلت علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فوجدته يأكل ثريدًا ومعه ذو اليدين.

٢- «ذو الشمالين»: اسمه عمير بن عبد عمرو بن نَضْلَة الخزاعيُّ، استشهد يوم بدرٍ، روىٰ الطبرانيُّ عن عمَّارٍ قال: «كان مع النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ثلاثة كلهم أضبط: ذو الشمالين، وعمر بن الخطاب، وأبو ليلىٰ». والأضبط من

يعمل بيديه جميعًا.

٣- «ذو البجادين»: اسمه عبدالله بن عبد نهم بن عفيف المزنيُّ، كان يتيمًا في حِجْر عمِّه، وكان مُحسنًا إليه، فلمَّا أسلم جرَّده عمُّه مِن كلِّ شيءٍ حتَّىٰ ثوبه، فقطعت له أمُّه بِجادًا لها نصفين اتزر بنصفه وارتدىٰ بنصفه، فلما رآه النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال له: «**أنت عبدالله ذُو البِجادَين فالتزم بابي**». فلزم بابه.

وكان يرفع صوته بالذِّكر، فقال عمر: «أمِراء هو»؟ فقال: «**بل هو أحد الأوَّاهين**».

وتُوفي في غزوة تبوكٍ ودُفِن ليلًا علىٰ نور شمعة، دلَّاه النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في حفرته، فلما دفن قال النبيُّ عليه الصلاة والسلام: «**اللهمَّ إنِّي أمسيتُ عنه راضيًا فارضَ عنه**».

٤- «ذو القرنين»: اسمه غوروش، كان مَلِكًا صالحًا، وكان في تاجه قرنان مِن ذهبٍ رمز القوة، وقصته في القرآن الكريم.

وعليٌّ أيضًا ذو القرنين؛ لأن النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال له: «**إنَّك في الجنَّة ذو قَرْنَيْها فلا تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ فإنَّما لك الأولى وليست لك الآخِرة**».

٥- «ذو الجناحين»: جعفر أخو عليٍّ، قُطعت يداه في غزة مؤتة وهو يحتضن الراية، فعوَّضه الله منهما جناحين في الجنة.

٦- «ذو الشهادتين»: خُزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة الأوسي الأنصاريُّ، من السابقين الأوَّلين، شهد بدرًا وما بعدها، واستشهد بصفِّين في جيش عليٍّ.

٧- «ذو النورين»: عثمان بن عفان.

٨- «ذو السوقتين»: الحبشي الذي يهدم الكعبة.

س: هل حُرِّم على المهاجرين الإقامة بمكَّة بعد الهجرة؟

المهاجرون من الصحابة يحرم عليهم السكنى بمكة؛ لأنهم هاجروا منها لله فلا يعودون لسكناها، وإنما يجوز لهم العودة إليها لحجٍّ أو عمرةٍ أو صلة رحمٍ مثلًا، ولهذا كانوا يكرهون الموت بمكة.

هل يدخل الجنَّة بعض الحيوانات

س٨١٠- هل يدخل الجنَّة بعض الحيوانات؟

ج٨١٠- لا يدخل الجنة حيوان قطُّ، لا ذئبٌ ولا غيره، وما ورد في دخول ذئب الجنة باطلٌ.

معنى لقب «السيِّد»

س٨١١- ما معنى لقب «السيِّد» في الكتاب والسُّنَّة؟

ج٨١١- السيِّد يطلق على عدَّة معانٍ، ففي الحديث: «**السيِّد الله**». ومِن هنا كره مالك أن يطلق السيِّد على غير الله.

والسيِّد: الرئيس، ومنه: «**قوموا إلى سيِّدكم**». أي رئيسكم، و«سيدنا الجد بن قيس»: أي رئيسنا.

والسيِّد: الزوج، ومنه قول الله: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ﴾ [يوسف: ٢٥].

والسيِّد: الذي فاق غيره في الصفات الحميدة، ومنه قول الصحابة للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «أنت سيِّدنا». أي أعلمنا وأحلمنا وأكرمنا.

والسيِّد: المَلِك، والسيد: الذي لا يغلبه غضبه.

والسيِّد: العابد الورع، ومنه قول عمر: أبو بكر سيِّدنا وأعتق سيِّدنا.

والسيِّد: الكريم، والسيِّد: السخي.

والسيِّد: الحليم العالم، قال الشاعر العربي: «بحلم وعلم ساد في قومه الفتى».

والسيِّد: المولى، ومنه سيِّد العبد، أي مولاه.

والسيِّد: الفاضل، ومنه قول الله: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ [آل عمران: ٣٩].

ولفظ السيِّد لم يكن لقب تعظيم عند الصحابة؛ لأنهم كانوا يستعملونه في أحد هذه المعاني، أمَّا العرف الآن فاتخذ لفظ السيِّد لقب تعظيم ولم ينظر إلى هذه المعاني أو بعضها، بل الناس لا يعرفونها ويطلقون السيِّد على من يعظمونه ولو كان جاهلًا أو بخيلًا أو فاسقًا، والمقصود أنَّ عرف الناس اليوم خصَّص السيِّد للتعظيم بخلافه في عهد الصحابة.

وأين يقع سِدُّ ذي القرنين؟ وأين مكان كهف أهل الكهف؟

سد ذي القرنين اكتشفه العلامة أبو أكلام أزاذو وزير المعارف بالهند وذكر ذلك في تفسيره، وذهب إليه بنفسه وحدَّد موقعه ونقل كلامه الدكتور عبدالمنعم النمر في "مجلة العربي" مع خريطةٍ توضح المكان.

والكهف اكتشف بعمان بالأردن ووجد على الصفة المذكورة في القرآن، وهو من الأماكن التي يزورها السياح في الأردن.

الحِكْمة من معارضة النبي ﷺ تقدم عمر للصلاة أثناء مرضه

س٨١٢- لماذا عارض النبيُّ في تقدُّم عمر للصلاة أثناء مرضه؟

ج٨١٢- وقول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**قدِّموا أبا بكرٍ يأبى اللهُ ذلك والمؤمنون**». ليس فيه جرحٌ لإحساس عمر؛ لأن تقديم الأفضل لا يحرج المفضول، على أنَّ الأحكام التشريعية لا يراعَى فيها إحساس أحدٍ كائنًا مَن كان، والنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم غَضِبَ وجهر بالكلام؛ لأنهم خالفوا أمره، فأدَّبهم بذلك حتى لا يعودوا.

الفرق الأساسي بين اليهودية والمسيحية والإسلام

س٨١٣- ما الفارق الأساسي بين اليهودية والمسيحية والإسلام؟

ج٨١٣- قال الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]، وقال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**الأنبياءُ إخوةٌ لعَلَّاتٍ، أُمَّهاتُهُمْ شَتَّى ودينهم واحدٌ**».

من هذين النصَّين يُعلَم أنَّ جميع الأديان التي أنزلها الله منذ عهد آدم إلى عهد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مُتفقةٌ على أصلٍ واحدٍ وهو توحيد الله، وإفراده بالعبادة، فاليهودية والمسيحية قبل أن يدخلهما التحريف متفقان مع الإسلام في الأصل المذكور، وإنما الخلاف فيما عدا ذلك من الأحكام الفرعية مثل الصلاة، فإن المفروضة على اليهود والنصارى صلاتان واحدة في الصباح وواحدة في المساء، والمفروض في الإسلام خمس صلواتٍ كما هو معلومٌ، ومثل

التيمُّم عند فقد الماء لم يكن مشروعًا عند اليهود ولا النصارىٰ وإنما شُرع في الإسلام خاصَّةً، وكانت بنت الأخت حلالًا للخال أن يتزوَّجها في دين اليهود، ثُمَّ حرَّمها الله في الإسلام، وكذلك حرَّم الله علىٰ اليهود بعض المأكولات التي أشار إليها في قوله تعالىٰ: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٤٦]

والخلاصة: أنَّ الدِّين من حيث هو يشتمل علىٰ شيئين:

الأول: الأصول، وهي توحيد الله والإيمان بملائكته وأنبيائه ورسله والبعث بعد الموت وبالجنَّة والنار، فهذه الأصول تتفق فيها اليهودية والمسيحية والإسلام، كسائر الأديان السماوية منذ عهد آدم.

الثاني: الفروع، وهي الأحكام التي تتعلَّق بالشخص في نفسه أو معاملته مع أهله ومع سائر الناس كالصلاة، والصيام، والنكاح، والطلاق، ونحو ذلك، وهذه تختلف الأديان فيها إذ ينزل الله لكلِّ أمَّةٍ من الأحكام ما تتفق وبيئتها وهيئتها الاجتماعية، وإلىٰ هذا أشار الله بقوله: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة: ٤٨].

س٨١٤- وسُئل أيضًا عن رجلٍ أعمىٰ ولا زوج له، وهو لا يستطيع أن يحلق عانته وبقيت بلا حلق لمدَّةٍ طويلةٍ، فهو يسأل هل يمكن لأي شخصٍ أن يباشره بالحَلْق.

ج٨١٤- فأجاب أنَّ هذه ضرورةٌ لا بد من الكشف، والضرورات تبيح

المحظورات وهذه المسألة من صورها.

تسمية المولود

س٨١٥- ولما قرُب موعد وضع زوجتي كتبت لسيادته ليسمِّي لنا المولود -إن شاء الله- بإحدى اسمين ذكر أو أنثى مع إخباري له بحبِّي أن أسميه إذا جاء ذكرا باسم عبدالله؟

ج٨١٥- فكتب إليَّ قائلا: أمَّا اختيارك لاسم عبدالله فحسنٌ موافقٌ للسُّنَّة، ففي "صحيح مسلم" عن ابن عمر قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: **«إنَّ أحبَّ أسمائكم إلى الله عزَّ وجلَّ عبدالله وعبدالرحمن»**.

وفي "الصحيحين" عن أنس بن مالكٍ قال: وُلِد لأبي طلحة غلامٌ فأتيتُ به إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فحنَّكه وسمَّاه عبدالله، وفي ذلك أحاديث أخرى.

وإن كان المولود أنثى فليس يليق بها أحسن من أسماء بنات آل البيت النبويِّ الكريم وإنِّي أرجِّح أن يكون أحد اسمين نفيسة أو سكينة تيمُّنًا بصاحبتَي الاسمين، فقد كانا لهما شأنٌ كبيرٌ في العلم والتقوى.

هل تسقط نفقة الابنة العاملة؟

س٨١٦- وسألت سيادته هل نفقة الابنة التي تعمل في وظيفةٍ عامَّةٍ على والدها القادر أو لا؟

ج٨١٦- فأجاب سيادته: والبنت التي تعمل في وظيفةٍ عامَّةٍ تسقط نفقتها عن والدها، لكن لا يسقط إشرافه عليها وعلى سلوكها حتى تصير ذات زوجٍ.

حكم العتاقة

س٨١٧- وسُئل رضي الله عنه: عن العتاقة؟

ج٨١٧- فأجاب: العتاقة التي يفعلها العوام وهي قراءة الهيللة سبعين ألف مرة فحديثها باطلٌ موضوعٌ كما نصَّ عليه الحافظ ابن حجرٍ، وكذا عتاقة الصمدية الوارد قراءتها مائة مرة أو ألف مرة أو مائة ألف مرة حسب الروايات وكلها غير صحيحةٍ، ولا يجوز العمل بها لكن من أراد أن يقرأ الهيللة والصمدية على أنها ذكر أو قرآن راجيًا ثواب الله ومغفرته فلا بأس بذلك.

والعتاقة الكبرى لا أصل لها وحديثها موضوعٌ، وإنما هي من عمل المشايخ.

زيارة الوليِّ مِن الخارج

س٨١٨- وسألته عن حكم زيارة قبور الأولياء من الشارع بمحاذاة قبورهم؟

ج٨١٨- فأجاب سيادته بما نصُّه: وزيارة الوليِّ مِن الشارع بمحاذاة ضريحه جائزةٌ لا شيء فيها.

هل يجوزُ النَّعتُ بغير مشتقٍّ؟

س٨١٩- **وأمَّا قولُك**: هل يجوزُ النَّعتُ بغير مشتقٍّ؟ وأنَّ ابنَ مالك لا يجوزُ عنده إلا بالمشتَقِّ.

٨١٩- **فجوابُه**: أنَّ ما ذهب إليه ابنُ مالكٍ هو مذهبُ الأكثرين وذهب جماعةٌ من المحقِّقين كابن الحاجب إلى أنه لا يشترط في النَّعت أن يكون مشتقًّا، انظر حاشية الخضري.

وفي المسألة أقوال لم يتسع الوقت لذكرها وإليكها مجملة:

قال السيوطيُّ: «ويكونُ النَّعتُ جملةً كالصِّلةِ وحذفُ عائدِها كثيرٌ وفي نيابة أل عنه خُلْفٌ» إلى أن قال: «ومفردًا مشتقًّا أو جاريًا مجراه باطِّراد كأسماء النَّسب والإشارة والموصول المبدوء بهمز -يعني: المبدوءَ بال كالذي والتي- وذو الطَّائية ورجُل بمعنى كامل ومضافًا لصِدْق وسوءٍ بمعنى صالحٍ وطالحٍ وأيٍّ وجِدّ وحقٍّ وذي الخبرية -يعني: التي بمعنى صاحب- مضافات يعني: أيًّا وما بعدها- وغير مطَّرد كثيرًا كالعدد ومصدر الثُّلاثي بتقدير مضاف وقال الكوفيَّة بتأويله بمشتق وقليلًا كمصدرٍ غيره وكالمقدار وجنس ما صُنع منه وأعيانٍ مؤوَّلة».

هذه عبارة السيوطيِّ مع ما أوضحناها به، فتأمَّل ذلك بإمعانٍ، فإن عَسُر عليك فهمُه فأخبرْنا لنشرحَه لك غايةَ الشَّرح.

وأمَّا تعليقُ السُّبْحة في العُنُق فليس فيه حديثٌ ولا أثر ولكنَّه جائزٌ لا شيء فيه، عملًا بالأصل في الأشياء، بل مستحبٌّ اقتداءًا بالأولياء رضي الله عنهم.

وأما إظهارها -أعني: السُّبحة- فوارد من فعل أبي هريرة، وأبي صفيَّة، وسعد بن أبي وقاص، وفاطمةَ بنت الحسين بن علي، والحسن البصري وأبي سعيد الخدري، وأم يعفور، وأبي مسلم الخولانيِّ رضي الله عنهم.

فمن أنكر جعل السُّبْحة في العُنُق أو اتِّخاذها في الأيدي وإظهاراها فهو جاهلٌ محجوجٌ بالقواعد الأصوليَّة والوقائع الفقهيَّة.

أسماء بعض الكتب في الرد على النصارى

س٨٢٠- وكتبت لسيادته أخبره بإسلام أحد المسيحيين وعن أسماء الكتب في الردِّ عليهم؟

ج٨٢٠- فكتب إليَّ قائلًا: وإسلام «فلان» أمرٌ عظيمٌ ولك في معاشرته وتعليمه ثوابٌ كبيرٌ فأبلغه سلامي وتهنئتي على هداية الله له، أدام الله توفيقه وزاده بصيرة وإيقانًا.

أمَّا الكتب التي تردُّ على النصارى فكثيرةٌ، أحدها كتاب "الفارق بين المخلوق والخالق" للشيخ باجه جي زاده، وبهامشه كتابان في الردِّ أيضًا أحدهما للإمام أبي العباس القرافي المالكي، وثانيهما للحافظ ابن القيِّم.

كتاب "الإحسان بتعقب بعض ما في الإتقان"

س٨٢١- سُئل رضي الله عنه: عن وجود منكرات وواهيات بكتاب "الإتقان" للسيوطي.

ج٨٢١- فأجاب: أتممت كتاب كنت بدأت فيه منذ مدة وسميته "الإحسان بتعقب بعض ما في الإتقان".

نبَّهت فيه على الروايات الموضوعة والواهية والأقوال الساقطة التي لم ينبِّه عليها السيوطيُّ، وهو -وإن كان صغيرًا- يجب على كل من عنده كتاب "الإتقان" أن يكون عنده هذا الكتاب.

أحب التفاسير إلى السيد عبد لله

س٨٢٢- سُئل رضي الله عنه: عن أحب التفاسير إليه.

ج٨٢٢- فأجاب: أحبُّ، وأطمئنُّ في قراءة "تفسير الخازن".

كتب النحو المحببة للشيخ

س٨٢٣- سُئل رضي الله عنه: عن الكتاب الذي يحبه في النحو؟

ج٨٢٣- فأجاب: يعجبني شرح الخضري على ابن عقيل، و"المفصل" لابن يعيش، والدماميني على "مغني اللبيب".

وقال: وتعلمت النحو وأتقنته بالقرويين وشهرت به وكنت أستحضره وكان مشايخي يعرفون ذلك.

إفادات عن بعض كتب المصطلح

س٨٢٤- سُئل رضي الله عنه: عن كتب المصطلح؟

ج٨٢٤- فقال: كتاب "شرح نخبة الفكر" محرر وكتاب "تدريب الراوي" مقرر وهما كافيان جدًا لشرح المصطلح، وكثير من قواعد الحديث نظرية يخالفها الحفاظ عند التطبيق، وعليك بالاشتغال بالرجال والتطبيق، وراجع "نصب الراية" و"التلخيص الحبير" وتخريج "الكشاف" للزيلعي.

وقال: "تدريب الراوي" أجمع كتاب في المصطلح، لم يفته إلَّا اليسير، ومَن قال: «إليه المنتهى» لم يبعد عن الصواب.

كتاب "إعلاء السنن" للتهانوي

٨٢٥- كتاب "إعلاء السنن" للتهانوي كتاب جيد وفيه مجهود لكن صاحبه متعصب ولما رأيت بحثه حول العقيقة وجدت عنده مخالفات أصولية وحديثية وعندي رغبة في مباحثته في بحثه حول العقيقة.

كتاب "العلل المتناهية" لابن الجوزي؟

٨٢٦- كتاب "العلل المتناهية" لابن الجوزي لم أره مطبوعًا وإنما رأيته من مدة مخطوطًا في مكتبة الأزهر وعليه خط السيِّد مرتضى الزبيدي.

ومن المؤاخذة على هذا الكتاب أنه يذكر فيه ما ذكره في "الموضوعات" ويذكر فيه أحاديث لم تكن واهية.

ومؤلفه ابن الجوزي حافظٌ على طريقة المحدِّثين لكنه غير متقنٍ، غلب عليه الوعظ فانضم إلى زمرة الواعظين في التساهل وعدم الإتقان.

وهو مع ذلك يمتاز عن مُشبِّهة الحنابلة بأن عقيدته ليست فيها تشبيه ولا تجسيم، وهو عدوٌّ للصوفية كسائر الحنابلة.

المصنفات في مكفرات الذنوب

٨٢٧- أول من جمع مكفرات الذنوب في تأليف خاص الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن سعيد المروزي القاضي أحد شيوخ النسائي المتوفى سنة ٢٩٢.

ثم الحافظ الناقد الورع زكي الدين عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري.

ثم القاضي ناصر الدين محمد بن عبدالدائم المعروف بابن الميلق واسم كتابه "الوجوه المسفرة المبشرة بتيسير المغفرة".

ثم الحافظ ابن حجرٍ العسقلاني وسمى تأليفه "الخصال المكفرة للذنوب المتقدمة والمتأخرة".

ثم برهان الدين إبراهيم بن محمد الدمشقي الناجي واسم كتابه "الخصال المكفرة لما تقدم وما تأخر".

ثم العلامة أبو عبدالله محمد بن محمد الحطاب شارح "مختصر خليل" وسمى تأليفه: "تفريح القلوب في الخصال المكفرة لما تقدم وما تأخر من الذنوب".

ثم العلامة المحقق الشيخ أحمد بابا السوداني واسم كتابه "تنوير القلوب بتكفير الأعمال الصالحات للذنوب".

ثم العلامة المحدث السيد محمد بن جعفر الكتاني واسم كتابه "شفاء الأسقام والآلام بما يكفر ماتقدم وما تأخر من الذنوب والآثام".

ثم شقيقنا الحافظ أبو الفيض السيد أحمد بن الصديق واسم كتابه "تنوير الحلبوب بتكفير ما تقدم وما تأخر من الذنوب".

وجمع الحافظ السيوطي في حواشيه على "الموطأ" الخصال المكفرة للذنوب فأوصلها إلى ست عشرة خصلة ونظمها.

ثم نظمها الشيخ عبدالله بن إبراهيم ابن الإمام العلوي في نحو ثلاثين بيتًا وشرحه في نحو ست ورقات، كما نظمها العلامة المحقق الشيخ الطيب بن عبدالمجيد بن كيران، ولخصها نثرًا العلامة أبو سالم العياشي في رحلته، والعارف أبو العباس أحمد بن ناصر الدرعي في رحلته أيضًا.

حول بعض الكتب المصنفة في البدع

س٨٢٨- سُئل رضي الله عنه: عن رأيه في كتاب "الاعتصام" للشاطبي وبعض الكتب المصنفة في البدع.

ج٨٢٨- فأجاب: كتاب "الاعتصام" للشاطبيِّ فيه تعسُّفٌ وتشديدٌ، مع

أنه اعتبر المصالح المرسلة وأبىٰ أن يسمِّيها بِدَعًا، مع أنها بدعٌ بلا شك؛ لأنه عرف البدعة تعريفًا لا يُسَلَّم له، ولك أن تنظر "الرد المحكم المتين".

و"المدخل" لابن الحاج جيدٌ إلَّا أنه يعتبر ما خالف مذهب مالكٍ بدعةً في الغالب.

وكتاب "الإبداع" للشيخ علي محفوظ لا بأس به إلا أنه ينحو نحو الوهابيين، وفيه أخطاء حديثية.

وكتاب "الباعث" لأبي شامة مختصر، وكذلك كتاب "النهي عن البدع" لابن وضاح مع اقتصاره علىٰ مذهب مالكٍ أيضًا، وكتاب "السنن والمبتدعات" مؤلفه عاميٌّ سفيه اللسان لا قيمة له ولا علم فيه، والكتاب الأول أوسع وأجمع.

ولي رسالة سميتها "إتقان الصنعة في تحقيق معنىٰ البدعة" سأتمها وأصحبها معي إلىٰ مصر لطبعها بحول الله.

والبدعة هي الأمر الحادث بعد العهد النبوي، فإن كان في العقيدة فهي بدعةٌ ضلالةٌ بدون استثناء كبدعة المعتزلة والجهمية والخوارج وغيرهم من الفرق الضالة.

وإن كان في عبادة أو معاملة فيعرض علىٰ دلائل الشرع وقواعده فما قَبِلَته فهو مقبول وما ردَّته فهو مردودٌ.

وقد أحدث ابن مسعود تغييرًا في التشهد، وغيَّر ابن عمر في الأذان، وزاد بعض الصحابة في التلبية، اجتهادًا منهم فلم يكونوا ضالين وحاشاهم من ذلك، وابن عمر نفسه تبرأ من القدرية لابتداعهم في العقيدة.

كتاب "تسديد النظر إلى بحث مبتكر"

٨٢٩- "تسديد النظر" غيرت اسمه إلى كتاب "بيان استحالة نسخ التلاوة" والذين قالوا «هم على ما عليه الأكثر» غلَب عليهم التقليد، وأطْلِعْهُم على الرسالة التي طبعتها مع كتاب الشيخ الفاداني في المنطق واسمها "التبري والاستنزاه" فقد خالفت فيها أهل المنطق كلهم بدون استثناء، فماذا يقولون عنها؟ وأنا بفضل الله تنبَّهت لأشياء لم يتفطَّن لها المتقدِّمون، مع أني ألتزم الأدب معهم وأعرف لهم فضل سبقهم تنفيذًا لوصية والدي رضي الله عنه.

و ما ذكرته عن الشيخ محمد عوامة[1] لا حُجَّة فيه؛ لأن الأحاديث آحاد لا يثبت بها قرآن لأن شرطه التواتر، وقد اعتذرت عن الذين قالوا بنسخ التلاوة بأنهم لم ينتبَّهوا لما في نسخها من الخطر، وإنما رأوا أنَّ التلاوة حكمٌ فأجازوا نسخها كسائر الأحكام.

كتاب "إيقاظ همم أولي الأبصار"

٨٣٠- كتاب "إيقاظ همم أولي الأبصار" كتاب جيد في الحض على العمل بالسنة، وصالح الفلاني كان له خبرة بالسنة ومعرفة بالحديث لكن لم يكن ثقة غفر الله لنا وله، وكتاب "العتب الإعلاني" فيه بيان ذلك بالدليل لكنه لم يطبع.

"شرح المَحَلِّي على جمع الجوامع"

٨٣١-هو شرح جيد وليس فيه ترجيحات واختيارات، وهو كان يحب أن يُعَقِّد العبارة السهلة.

---

(١) وكان الشيخ محمد عوامة قد اعترض على رسالة "ذوق الحلاوة ببيان امتناع نسخ التلاوة" بوجود أحاديث واردة في ذلك.

كتاب "نيل الأوطار"

س٨٣٢- سُئل: عن تدريسه لكتاب "نيل الأوطار" في الزاوية الصديقية بطنجة، وهل له تعليقات على "بلوغ المرام" للحافظ ابن حجرٍ

ج٨٣٢- فأجاب: أدرس للطلبة "نيل الأوطار" بزاويتنا الصِّدِّيقية ولي عليه تعليقاتٌ في الكلام على الأسانيد والتصحيح والتضعيف، وتطبيقات في القواعد الفقهية والأصولية، لكن الطلبة لم يكتبوها.

وقد أتممت أمس رسالة سميتها "القول السديد في اجتماع الجمعة والعيد" رددت بها على الشوكاني حيث ذكر في "نيل الأوطار" أنه إذا كان يوم الجمعة يوم عيد فطر أو أضحى فإنه يرخص للناس في ترك الجمعة والظهر ولا يصلون إلا العصر، وهذا شذوذ بيَّنته في تلك الرسالة. وليس لي تعليقات على "بلوغ المرام".

عمدة الشَّوكاني في نقل آراء الصَّحابة والتابعين

٨٣٣- عمدة الشَّوكاني في نقل آراء الصَّحابة والتابعين كتاب "البحر الزَّخَّار في مذاهب علماء الأمصار" وهو مطبوعٌ بتحقيقي في مصر، ومؤلِّفه من علماء الزيدية المعتمدين.

هل الشوكاني زيدي أم مجتهد؟

٨٣٤- الشوكانيُّ مجتهدٌ مطلقٌ، أمَّا المجتهد المستقل فلا يوجد منذ المائة الرابعة أو الثالثة، والشوكانيُّ يخطئ كثيرًا، وقد كتبت رسالة رددت بها عليه سميتها "القول السديد في حكم اجتماع الجمعة والعيد" حيث زعم أنه إذا صادف العيد يوم الجمعة سقطت صلاة الجمعة وصلاة الظهر بدلها ولم يُصَلِّ إلا العصر، وإذا كان ترجيح الشوكاني أو غيره يستند إلى دليل استنادًا واضحًا

فامشِ معه، وإلَّا فابق على مذهبك.

تشدد ابن عبدالهادي في "الصارم المنكي"

س٨٣٥- سُئل رضي الله عنه : عن كلام الحافظ ابن عبدالهادي في "الصارم المنكي"؟

ج٨٣٥- فأجاب: الحافظ ابن عبدالهادي كان متشدِّدًا جدًّا في "الصارم المنكي" ومِن تشدُّده في القواعد كان يفارقها فيمكن التعقيب عليه لأنه كان يفارق القواعد بسبب تشدده.

الكتب التي تكفي للتفقُّه في المذهب

٨٣٦- الكتب التي لا تذكر الدليل في الفروع الفقهية تكفي لمن يقلِّد المذهب الذي كُتبت فيه، أمَّا من يريد معرفة الدليل والعمل به فلا تكفيه تلك الكتب.

علوم الفقيه

س٨٣٧- وسُئل رضي الله عنه: عن علوم الفقيه؟

ج٨٣٧- فأجاب: عدة الفقيه ستة علوم: الأصول، والقواعد، والفروع، والفروق، وتاريخ التشريع، والمقاصد، بالإضافة للآلات الأساسية.

أسماء بعض الحفاظ بالمغرب

س٨٣٨- وسُئل رضي الله عنه: عن أسماء بعض الحفاظ الذين أملاهم الشيخ عبد الفتاح أبو غدة على أحد تلاميذه ؟

ج٨٣٨- فأجاب: ومن المغاربة الذين لم يذكرهم الشيخ عبد الفتاح أبوغدة:

١- أبو العلاء إدريس العراقي الحسيني الفاسي ، اختصر "الميزان" للذهبي، واستدرك على السيوطي نحو خمسة آلاف حديث كتبها على حاشية نسخته من "الجامع الكبير"، وله أعمال أخرى .

٢- وجدنا أبو العباس أحمد بن عبدالمؤمن الغماري كان يحفظ "صحيح البخاري" كالفاتحة، إلى جانب حفظه للقراءات السبعة، مع تضلعه في علوم العربية والفقه المالكي وغيرها.

٣- وشيخنا أبو عبدالله محمد بن إدريس القادري شارح "الترمذي" ومات قبل إتمامه، وله رسالة "إزالة الدهش والوله عن صحة حديث ماء زمزم لما شرب له" مطبوعة بمصر.

٤- ووالدنا أبو عبدالله محمد بن الصديق كان "صحيح البخاري" نصب عينيه، وكان يدرسه بالجامع الأعظم فيذكر الحديث بإسناده ويتكلَّم على رجاله واحدًا واحدًا، ويذكر ما في المتن من بحوث لغوية وفقهية وفوائد وآداب وينقل نقولًا غريبة، وله اطلاعٌ واسعٌ وحافظةٌ نادرة قوية.

وحضرت عليه شرح ابن أبي جمرة على مختصره للبخاريِّ وكان يفيدني عن كتب الحديث النادرة وكتب التفسير وغيرها، ثم ننظر هل حفظهم كلهم اصطلاحي أم لا " هذا فيه بحث .

الكوثري والأزهريون

س٨٣٩- وسُئل: عن قول بعضهم: «الكوثري عَلَّم الأزهرية».

ج٨٣٩- فأجاب: الكوثري كان في العلوم الأزهرية كأحد الأزهريين، وكان الشيخ بخيت يفوقه في علم الكلام والفقه والفلسفة، وكذلك الشيخ

الدجويُّ، والكوثريُّ يعترف بذلك، لكن كان يفوقهم في علم الرجال، ومعرفة نوادر المخطوطات في مختلف العلوم وله إلمامٌ بعلم الحديث، فمن هذه الناحية ظهر على الأزهريين وعُدَّ مُعلِّمًا لهم، وليس كذلك.

بين الشيخ الكوثري والمعلمي

س٨٤٠- سُئل: عن الكوثري ورد المعلمي عليه.

ج٨٤٠- فأجاب: الكوثري علامة وتعليقاته جيدة، إلَّا أنه يتعصَّب جدًّا للحنفية ثُمَّ للأشعرية، وقد اعترف لي بتعصُّبه رحمه الله، وردُّ المعلمي عليه في "التنكيل" أفرط فيه وخرج عن دائرة الإنصاف، وإن أصاب في أشياء.

حطّ الشيخ الكوثري على الصنعاني والشوكاني

٨٤١- الشيخ الكوثري رحمه الله كان مُتعصِّبًا للتقليد بصفةٍ عامَّةٍ، ومتعصِّبًا أكثر لتقليد أبي حنيفة بصفةٍ خاصَّةٍ، وهو لذلك يعادي مَن يميل إلى الاجتهاد ويحط عليه ويستهزئ به، فلا غرابة أن يحط على الأمير الصنعانيِّ والشوكانيِّ لأنهما يدعوان إلى الاجتهاد، والشوكانيُّ إمامٌ في الأصول متمكِّن فيه، وكتابه "نيل الأوطار" كتابٌ قَيِّمٌ على أخطاء فيه فإنه لم تكن صناعته الحديث.

ثناء السيد عبدالله على الشيخ عبدالفتاح أبو غدة

٨٤٢- أوصى تلميذه الشيخ محمود سعيد محمد ممدوح قائلًا:

وأوصيك أن تتصل بالشيخ عبدالفتاح أبو غدة وتبلغه سلامي وتلازمه فهو عالمٌ محدِّثٌ ثقةٌ.

مذهب الترمذي وتركه آراء أبي حنيفة الفقهية في جامعه

س٨٤٣- وسُئل: هل الترمذي شافعيٌّ؟ ولماذا لم يذكر إسناده لأبي حنيفة؟

ج٨٤٣- فأجاب: الترمذيُّ ذُكِر في الشافعية، ولم ينقل رأي أبي حنيفة لأنه لا سند له متصل به ، وهو لا ينقل من الأقوال إلَّا ما اتصل سنده إلى قائله، كذا قيل : وأظن الصواب هو لسبب ما كان بين أبي حنيفة والمحدثين.

وما ذكره صاحب "فيض الباري" عن الترمذيِّ فليس هو كل الواقع، بل يضم إليه أنَّ الترمذيَّ كان منحرفًا عن أبي حنيفة ويراه من أصحاب الرأي المذمومين، وعدم ذكره سنده في أول كتابه لأنه لم يرو آراءه كما روى آراء الشافعيِّ ومالكٍ، وتعمَّد ترك روايتها بسبب الرأي.

الشيخ بكر أبو زيد

س٨٤٤- وسُئل: عن بكر بن عبدالله أبي زيد؟

ج٨٤٤- فقال: الشيخ بكر أبو زيد تعرَّف إليَّ بالمسجد النبويِّ وصحبني إلى بيته، ورأيت ركنًا في مكتبته لكتبنا، وكان يراني كل يوم بالمسجد النبويِّ ويسألني كثيرًا في مسائل في فنون متعدِّدة

المجلات التي كتب بها المؤلف

س٨٤٥- وسُئل: عن مقالاته في المجلات الإسلامية المصرية؟

ج٨٤٥- فأجاب: كنت أكتب في «مجلة الإسلام» لمدة سنوات متتابعة وعندي عشر مجلدات من المجلة فيها كل ما كتبته.

وكتبت في «مجلة الشرق العربي» مقالات جمعها الحاج إبراهيم شحاتة في

"الحاوي"، وضممت إليها نصف ما كتبته في «مجلة الإسلام» وطبعت بمصر باسم "الحاوي"، قام بطبعها الأستاذ علي جمعة بارك الله فيه وبعث إلي بنسخ منها لم تصل بعد.

وبقية المقالات في المجلدات التي عندي من «مجلة الإسلام» سأنظر من يقوم بنسخها لنطبعها تتمة للحاوي والله الموفق.

مسألة خالف فيها شقيقه السيد أحمد بن الصديق[1]

٨٤٦-المسألة الثالثة التي خالفتُ فيها أخي هي تعلُّق القدرة بالمستحيل، هو يرى أنها تتعلَّق به تبعًا لابن حزمٍ، وأنا لا أرى ذلك، ولي فيها تأليفٌ مستقلٌّ اسمه "رفع الإشكال عن مسألة المحال" خالفت فيه جميع المتكلِّمين بجميع فرقهم، وهو مالم أسبق إليه بحمد الله.

ادِّعاء المهدوية من بعض الوهَّابية

س٨٤٧- وسُئل: عن أحداث اقتحام بعض الوهابية للحرم بقيادة جهيمان العتيبي.

ج٨٤٧- فأجاب: أحداث البيت الحرام ليس لنا عليها تعليق إلَّا أنها لا تجوز ولا تليق كيفما كان الدافع لها، وتبيَّن من كلامك أنَّ رئيسهم جاهلٌ وليس هو بالمهديِّ يقينًا وإنما هو من جملة دعاة المهدوية قبل المهدي الحق.

---

(١) ذكر السيِّد عبدالله أنه خالف السيِّد أحمد في ثلاث مسائل فتذكَّر السائل اثنين وسأله عن الثالثة.

ردُّ حماد الأنصاريُّ على السيد عبدالله

س٨٤٨- وسُئل: عن ردِّ حماد بن محمد الأنصاريِّ عليه في أحاديث التوسل؟

ج٨٤٨- فأجاب: وصلني رد حماد السوداني، وكنت رأيته قبل ذلك عند وهابي بطنجة، وهذا الوهابي الذي رد علي -أعني حمادًا- رأيته بالجامعة الإسلامية وسألني عن حديث في "مجمع الزوائد" (ج٧ ص ٢٠٤) جاء فيه: «**كأني بنساء بني فهر يطفن بالخزرج**» وقال لي: لم أفهم كلمة «الخزرج»، وقال: راجعت "مسند أحمد" الذي حقَّقه الشيخ أحمد شاكر فوجدته يقول: «كذا في "المسند"»، ولم يزد على ذلك.

فقلت له: كلمة «الخزرج» تصحيف من الناسخ جرى عليه الطبع.

قال: وما الصواب؟ قلت: «بالحَزْوَرَة» وهو اسم مكان.

فرجع إلى "مراصد الاطلاع" فوجد «الحزورة: اسم سوق بمكة قرب البيت الحرام»، فأصلح التصحيف في "مجمع الزوائد" عنده بعد أن بقي مدة حائرًا في تلك الكلمة كما أخبرني، ولكن الوهابية ينكرون الجميل.

تعبير رؤيا الشيخ محمود سعيد ممدوح

س٨٤٩- وسأله تلميذه الشيخ محمود سعيد محمد ممدوح قال: رأيت الحافظ السيوطي بمكة يدرس للطلبة وناولني جزءًا حديثيًا وشعرت بألم في ذراعي؟

ج٨٤٩- فقال: إجازتي لك بمصنفات الحافظ السيوطي صحيحة، وسيفتح الله عليك في الحديث، وستذهب لمكة وتجاور، وسيصيبك أذى من الوهابية.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدِّمة مشرف العمل ٧

١- عـلـم الـكـلام

هل يكفي في الإيمان قول: «لا إله إلَّا الله»؟ ١١

هل يجب على النصراني إذا أسلم في بلده أن يهاجر منها، وهل النَّصارى اليوم أهل كتاب؟ ١٢

الاشتقاق من أسماء الله الحسنى، و في أسماء الله الحسنى ١٣

إيمان فرعون ١٤

كتابة أعمال العباد في علم الله القديم ١٤

الوعد والوعيد ١٦

هل رأى النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ربَّه بالبصر؟ ١٦

حديث: «إن الله ينزل إلى سماء الدنيا» ١٧

ما هو الحق الواجب على الله؟ ١٨

رؤية الله في المنام ١٨

مقولة: «ربَّ الأرباب» ١٩

مقولة: «ما شاء اللهُ وشاء فلانٌ» ١٩

مقولة: «أنا مع الله» ٢٠

مقولة: « اسمع ندائي» ٢٠
أسماء الأنبياء والرسل حسب تواريخ نزولهم..... ٢٠
هل للأنبياء «دايةٌ» خاصَّةٌ بولادتهم. ٢١
عصمة الأنبياء ٢٢
عموم رسالة النبي لأهل الأرض والملائكة..... ٢٣
استشكال حول قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾..... ٢٥
هل أراد سيدنا موسى عليه السلام قتل القبطيِّ ٢٦
هل كان هارون عليه السلام رسولا أم وزيرًا؟ ٢٧
شبهة حول إلقاء سيِّدنا يونس لنفسه في البحر ٢٧
حول نبوة الخضر..... ٢٨
هل كان آدم وإدريس نبيين ورسولين ٣١
هل يعد عيسى عليه السلام صحابيًّا؟..... ٣٢
هل يعد موسى عليه السلام صحابيًّا؟ ٣٣
قول أنس: «لو بقي إبراهيم لكان نبيًّا» ٣٣
رسالة يوسف عليه السلام ٣٤
نقد بيت في البردة ٣٤

هل النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مرسل إلى الملائكة ٣٦
رؤية الملائكة لله تعالى في الجنة ٣٨
جبريل أفضل أم إسرافيل؟ ٣٩
اسم ملك الموت ٤٠
هل أرسل نوحٌ إلى الجنِّ؟..... ٤٠
هل أرسل الله سُليمانَ إلى الجِنِّ؟..... ٤٠
عقيدة الجن ٤١
هل يدخُل مؤمنوا الجنِّ الجنَّة؟..... ٤٢
دليل دخول الجنِّ الجنَّةَ ٤٥
هل الجنُّ كلّهم يتطوَّرون؟..... ٤٦
هل إبليس من الجن أم من الملائكة؟ ٤٧
كيفية مجيء الذرية الشيطانية وطريقة تناسلها..... ٤٧
مكان سكن الشياطين وكيفية موتهم ٤٨
هل يجب الغسل على الإنسية إذا وطئها جني؟..... ٤٨
الأرواح بعد الموت هل هي حرة أو مقيدة؟ ٤٩
سؤال القبر و كيفيته ٥٠

الصراط وأدلة وجوده ٥٢
شهادة أعضاء الإنسان ٥٣
حكم الأطفال في الجنَّة ٥٣
هل يقرأ أهل الجنة القرآن؟ ٥٤
القول بفناء النار ٥٤
الإمام المهدي المنتظر والمسيح الدجال ٥٥
كرامات الأولياء ٥٩
سبب ذكر الصحابة في العقائد ٦١
حول من يضلل الأشاعرة ويكفرهم ٦١

٢- القرآن الكريم وقصص الأنبياء

بيان كبائر الإثم ومعنى اللمم ٦٥
معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ٦٦
معنى الحروف المذكورة في أوائل بعض سور القرآن ٦٦
هل في القرآن مبالغة؟ ٦٨
حكم قرآة الفاتحة لقضاء الحوائج، وإهدائها للنبي ﷺ ٦٨
قراءة القرآن بأجر ٦٩

أهل الأعراف ٧٠
قراءة القرآن بلحون العرب..... ٧١
سبب نزول آية التحريم ٧٢
معنى تشبيه الله تعالى المنافقين بقول: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ ٧٣
حكم تفسير القرآن بالرأي ٧٤
حكم التغنِّي بقراءة القرآن..... ٨٦
سبب نزول آية طلب الصدقة عند المناجاة ٨٧
أهمية المناسبة بين الآيات والسور ٨٨
الإعجاز العددي لرقم (١٩) في القرآن ٨٩
من القائل: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ﴾؟ ٨٩
معنى قوله: ﴿أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ﴾ ٨٩
تفسير قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾..... ٩٠
ما هي موعدة إبراهيم أباه ٩١
الضمير في قوله تعالى: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾..... ٩١
عودة الضمير في قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ﴾ ٩٢

معنى قول الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ ٩٢
علة التعبير بفاسقٍ في قوله: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ ٩٣
معنى ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ ٩٣
إثم إهانة حملة القرآن ٩٤
قراءة سورة الكهف يوم الجمعة ٩٤
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ ٩٥
معنى كلمة «الرُّوح» في القرآن الكريم ٩٦
معنى قول الله تعالى ٩٧
في حقِّ يوسف عليه السلام: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ﴾ ٩٧
معنى قول الله تعالى: ﴿قُل مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ ٩٧
قراءة (سورة الأنعام) وقت تغسيل الميت ٩٨
أشد آية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم ٩٨
حكم قراءة القرآن في الراديو ٩٩
ما هو الأعراف ٩٩
المراد من قول الله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ ٩٩

تنسيق الضمائر في آيات المعراج ١٠٠
رد كلام الإمام الرازي في قوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾..... ١٠١
قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ لا يفيد العموم ١٠٣
معنى قوله تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ ... ١٠٣
معنى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾..... ١٠٤
كيف كان طول آدم عليه السلام حين نزل من الجنة؟ ١٠٥
اسم والد سيدنا يونس ١٠٧
فضل يونس عليه السلام ١٠٨
كيفية وسوسة الشيطان لآدم..... ١٠٩
هل في قتل موسى للقبطي ذنب؟ ١٠٩
هل مس الشيطان سيدنا أيوب..... ١٠٩
كيف ينسب العصيان لآدم عليه السلام مع أنه أكل من الشجرة ناسيًا؟ ١١٠
هل آزر عم سيِّدنا إبراهيم أم والده؟ ١١٠
خفاء موت سليمان عليه السلام على الإنس والجن ١١١
مكانة سيدنا موسى عليه السلام..... ١١٢
سجود الملائكة لآدم عليه السلام ١١٢

٣- الحديث الشريف

معنى حديث أفضل الأعمال ١١٧
شرح حديث: «ما من أحد يسلم علي إلا رد الله روحي» ١١٨
حياة الخضر و إلياس عليهما السلام ١٢٠
الفرق بين القرآن والحديث القدسي ١٢١
حقيقة سحر لبيد اليهودي للنبي ١٢٢
العمل بالحديث الضعيف ١٢٣
تبليغ الرسالة ليأجوج ومأجوج ١٣١
معنى: «إنِّي أخافُ عليكم مِن الدَّجَّال غير الدَّجَّال» ١٣٢
جواب عن أحاديث ١٣٣
هل بال النبي قائمًا؟ ١٣٤
هل ثبتَ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنَّه لبِسَ السَّراويلَ؟ ١٣٦
حديثُ: «منْ لم يُكثِرْ ذكرَ الله فقد بَرِئَ منَ الإيمانِ» ١٣٧
تخريج حديث من غسَّل واغتَسَل ١٣٨
التوسعة يوم عاشوراء ١٣٩
الفرق بين القرآن والحديث القدسي ١٤٢

هل أحاديث الصحيحين تفيد اليقين؟ ١٤٤
ضبط كلمة في حديث: «لعن الله آكل الربا وموكله» ١٤٦
وصايا فاطمة الزهراء ١٤٧
حديث: «كنتُ كنزًا لا أُعرَف...» ١٥١
حديث: «السُّلطان ظلّ الله في الأرضِ» ١٥٢
أسئلة حديثية وأجوبتها ١٥٣
حديث: «لا خاب من استخار ولا ندم من استشار». ١٥٣
حديث: «من أتىٰ بعراف فقد كفر بما أنزل علىٰ محمد ﷺ» ١٥٤
حديث موضع في "دلائل الخيرات" ١٥٤
حديث: «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل» ١٥٥
«إنما العلوم أربعةٌ...» ليس بحديث..... ١٥٨
أسئلة حديثة وأجوبتها ١٥٨
حديث: «مَن عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ»..... ١٥٨
حديث: «علماء أُمَّتي كأنبياء بني إسرائيل» ١٥٩
حديث: «مَن تكلَّمَ يومَ الجُمُعَةِ والإمام يخطبُ...» ١٥٩
«كنتُ كَنْزًا مخفيًّا فأحببتُ أن أُعرَف... ». ١٥٩

حديث:«نور أبي بكرٍ وعمر وعثمان وعليٍّ مِن نوري». ١٥٩
سؤال عن قراءة البسملة ٢١ مرة ١٦٠
أسئلة حديثية وأجوبتها ١٦١
حديث الذباب..... ١٦١
حديث أمِّ عطية: نُهينا عن اتِّباع الجنائز ١٦٥
حديث: «دَعْهَا يا عمر، فإنَّ العَيْنَ دامِعَةٌ...». ١٦٦
حديث: «مَن غَسَّلَ مَيتًا فليغتسل، ومَن حمله فليتوضَّأ». ١٦٧
هل ورد حديثٌ صحيحٌ في عدد تكبيرات العيدين ؟ ١٧٠
أسئلة حديثية و أجوبتها ١٧١
أحاديث موضوعة في فضل بعض الأذكار ١٧١
أسئلة حديثية وأجوبتها ١٧٥
حديث: كلّما أغضب القلب يغضب الله، ولو قلب بهيم. ١٧٥
حديث: لو صَدَقَ السائل لهلك المسئولُ. ١٧٦
حديث: يأتي على أُمَّتي زمانٌ مَن لم يتوحَّش فيه تأكله الذِّئاب. ١٧٦
حديث: استعينوا على نسائكم بالعري. ١٧٧
حديث البسملة المُسلسل بالحَلِف..... ١٧٧

زيادة «رب اغفر لي» عند قول الإمام: «ولا الضالين» ١٨٠
هل يُسَنُّ لإمام الجمعة الإتيان بالذِّكر المسنون عقب الإقامة؟ ١٨٢
حديث: يا رسول الله، إنَّ امرأتي لا ترد يد لامس ١٨٢
حديث صلاة التسبيح ١٨٥
مَن هم أهل الفَتْرَة، وهل هم ناجون أم لا؟ ١٨٦
حديث موضوع في أكل البطيخ ١٨٨
جمع بين حديثين ١٩١
إذا أكلتم فأفضلوا، و الإناء يستغفر للاعقه. لا أصل لهما ١٩٤
حديثان موضوعان من كتاب "نزهة المجالس" ١٩٤
أسئلة حديثية وأجوبتها ١٩٦
حديث: «حياتي خيرٌ لكم ومَماتي خيرٌ لكم...» ١٩٦
حديث: «ما مَن أحدٍ يُسَلِّمُ عليَّ عند قَبْرِي...» ٢٠١
سؤال عن حديث عَكَّاف بن وداعة ٢٠٣
هل ماورد في الصلاة خلف الفاسق صحيح ٢٠٥
الاستتار عند الجماع ٢٠٥
بيان عورة المرأة ٢٠٦

معنىٰ حديث: «مَن عَشِقَ فعَفَّ».....٢٠٧
حكم الوعظ بأحاديث موضوعةٍ ٢٠٨
حكم اختلاط الرجال والنِّساء.....٢٠٩
الأحاديث الواردة في ذَمِّ المُكُوس ٢١٠
تجريد "صحيح البخاري" من الأسانيد.....٢١٠
حديث مكذوب، وبيان بعض مظان الأحاديث الموضوعة ٢١١
نقد كتاب "الأضواء القرآنية" ٢١٢
القواعد التي يعرف بها وضع الحديث ٢١٣
تخريج حديث: «ما طُفِئ المِصْباحُ علىٰ قومٍ إلَّا غُفِرَ لهم».....٢١٤
معنىٰ حديث المرأة التي لا ترد يد لامس ٢١٥
حديث: «الدنيا جيفة وطلابها كلاب»؟.....٢١٥
معنىٰ: «عبث النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في منامه» ٢١٥
هل صحَّ أنَّ أحد الأنصار تطاول علىٰ العبَّاس رضي الله عنه بالسبِّ؟ ٢١٦
تقبيل قدم النبي ﷺ ٢١٦
الحكمة في مخاطبة جبريل النبي ﷺ باسمه مجرَّدًا.....٢١٧
معنىٰ أن تلد الأَمَةُ رَبَّتها ٢١٨

سبب كون النساء أكثر أهل النار ٢١٩
معنىٰ حديث: «تُبَخِّلُون وتُجَبِّنُون» ٢٢٠
تخريج حديث: «العلماء ورثة الأنبياء» ٢٢١
حديث في فضل العلم ٢٢١
«خُذ مِن القرآنِ ما شِئتَ لما شئت» كلامٌ عامِّيٌّ ٢٢٢
تخريج حديث: «رجعنا من الجهاد الأصغر..»؟ ٢٢٢
الاحتجاج بالقدر ٢٢٢
تخريج حديث: «ما بين قَبْري ومِنْبري...» ٢٢٣
معنىٰ حديث: « النساء ناقصات عقل ودين» ٢٢٤
تخريج حديث: «من مات يوم الجمعة...» ٢٢٥
هل يفدىٰ آزر يوم القيامة؟ ٢٢٥
هل يعرفُ الميتُ مَن يزوره ٢٢٦
تصحيح حديث: «أنا مدينةُ العِلْمِ وعليٌّ بابها» ٢٢٦
زيارة القبور للنِّساء ٢٢٧
«هذه يدٌ لا تمسَّها النَّارُ»، حديث واهٍ ٢٢٧
حديث: «ومَن ذَكَرَني في مَلأ ...» ٢٢٨

هل صحَّ في فضل الحجِّ يوم الجمعة حديثٌ؟ ٢٢٨
هل قصر أهل مكة الصلاة في حَجَّة الوداع؟ ٢٢٨
أحاديث العقل كلها موضوعةٌ ٢٢٩
حديث: «مَن اعتكفَ في المسجد فُواق ناقة»؟ ٢٢٩
حديث: «أبشر بالفقر...» ليس بصحيح ٢٢٩
«الظالم عَدْلُ الله في الأرض» ليس بحديثٍ ٢٣٠
حديث صلاة التسابيح صحيح ٢٣٠
التنبيه على خطأ بعض المؤلفين ٢٣١
دفع تعارض بين آية وحديث ٢٣١
ما صحَّة حديث: «ما وَسِعَني سماءٌ ولا أرضٌ...»؟ ٢٣٢
قول ابن مسعودٍ: «لا غفر الله لك». ليس بصحيحٍ ٢٣٣
اليهود قتلة الأنبياء ٢٣٣
هل الألبانيُّ مُحدِّثٌ يُعتمَد عليه في تصحيح الأحاديث ٢٣٤
معنى تكرار الفعل في قوله ﷺ: «نَجَوْا، وَنَجَوْا جميعًا» ٢٣٥
هل صح زواج النبي في الجنة من مريم وكلثم وآسيا ٢٣٥
معنى: «وإن أَفْتَاكَ النَّاسُ وأَفْتَوْكَ»؟ ٢٣٦

سؤال عن السموات ٢٣٦
حديث: «من صام رمضان وفي نيِّته معصية في شوَّال...» ٢٤١
حديث: «مَن نوىٰ علىٰ معصيةٍ ولم يفعلها لم تُكتب عليه». ٢٤١
الحديث القدسيِّ: «مَن طَلبني وَجَدني...» موضوع ٢٤١
كلمة حول كتاب "مسائل عبدالله بن سلام للنبيِّ ﷺ" ٢٤٢
حديث: «من زار وليًّا في الله ...» موضوع ٢٤٤
فضل قضاء الحوائج ٢٤٤
حديث: «أحبب حبيبك هونًا ما ...» موقوف ٢٤٥
هل تُردُّ أرواح الأنبياء؟ ٢٤٦
حديث أمِّ عطية في غسل الميت ٢٤٦
الصلاة الوسطىٰ ٢٤٧
«مَن أتىٰ كاهنًا أو عرَّافًا...» ٢٤٧
شيوخ المصنِّف في الرواية والكلام علىٰ بعض الأثبات ٢٤٨
السبب في ترك البخاري الرواية عن الإمام الشافعي ٢٥١
الأحاديث الضعيفة في "مسند أحمد" ٢٥١
تفرُّد حمَّاد بن شاكر ٢٥٢

أمراء المؤمنين في الحديث ٢٥٢
رواية شيخ الإسلام زكريا الأنصاري عن البرهان التنوخي..... ٢٥٢
مرتبة النجديين في الحديث ٢٥٢
تحقيق "أحاديث القصاص" للشيخ محمد الصباغ ٢٥٣
التعليقات على "البرهان الجلي"..... ٢٥٣
رأي الشيخ رحمه الله في بعض من وُصِف بالحفظ..... ٢٥٣
الإمام البخاريُّ مقدمٌ على الإمام أحمد في الصناعة الحديثية ٢٥٤
حاشية على "صحيح مسلم" للمؤلف ٢٥٥
ترتيب كتب السُّنَّة بحسب الأصَحِّية..... ٢٥٦
الفرق بين "ميزان الاعتدال" و"تهذيب التهذيب" ٢٥٦
اصطلاح الحافظ عند الزيدية ٢٥٧
صاحب "كشف الأستار المسبلة"..... ٢٥٧
تحسين الترمذيِّ لحديث «طِيب الرجال» ٢٥٧
هل في البخاري أحاديث ضعيفة..... ٢٥٨
السيوطي أوسع حفظًا من ابن حجرٍ..... ٢٥٩
المقصود من قول الشافعي «حدثني الثقة»..... ٢٥٩

معنى قول بعض المحدِّثين: «فلان لا يروي إلَّا عن ثقةٍ» ٢٥٩
متى يحسن حديث المستور ٢٦٠
العمل بالحديث الضعيف وموقف الألباني منه ٢٦٠
نهاية تقييد الحديث مسندًا ٢٦١
درجة أحاديث تاريخ بغداد ٢٦٢
زيادات رزين العبدري ٢٦٢
هل أحاط المجتهدون بالسنة؟ ٢٦٢
ترتيب كتب الحديث؟ ٢٦٣
كتاب "الفوائد الموضوعة" ٢٦٣
الرد على الألباني في منعه العمل بالحديث الضعيف ٢٦٣
حول كتاب "المنتقى" لابن الجارود ٢٦٤
إنكار ابن تيمية والذهبيِّ مؤاخاة النبي ﷺ لعلي عليه السلام ٢٦٥
حكمةٌ صوفيةٌ وليس بحديث ٢٦٥
الراوي المُختلَف فيه ٢٦٥
سكوت الحافظ ابن حجرٍ عن الحديث في "فتح الباري" ٢٦٦
ترك العمل بالحديث في زمن الصحابة والتابعين ٢٦٦

كتاب "قواعد في علم الحديث" للتهانوي..... ٢٦٦
هل الحسن عند الترمذيِّ ضعيفٌ عند أحمد؟ ٢٦٧
كتاب "الكنز الثمين" وطباعة بعض كتب الشيخ بدون إذنه ٢٦٧
معاوية بن أبي سفيان ٢٦٨
سند السيد عبدالله إلى كتاب "اللمع" للشيرازيِّ..... ٢٦٨
هل البيهقي أمير المؤمنين في الحديث ٢٦٩
رد كلام ابن تيمية في حديث صلاة التسابيح ٢٦٩
جواز العمل بالحديث الضعيف بشروطه ٢٧١
درجة حديث شهر بن حوشب ٢٧٢
صلاة التسبيح ٢٧٣
تنبيه حول هيئة صلاة التسبيح ٢٧٤
الحافظ يحيى بن عبدالحميد الحماني الكوفي..... ٢٧٤
أحاديث باطلة في فضل بعض الأعمال ٢٧٥
أحاديث زيارة النبي عليه الصلاة والسلام ٢٧٥
أجوبة على أسئلة ٢٧٧
الشيخ محمد حبيب الله الباكستاني..... ٢٧٧

٤ - الفقه وأصوله

التشدد في شروط الاجتهاد ٢٩١
الاستدلال بالأحاديث الضعيفة في الأحكام ٢٩٢
هل تجوز الرواية بالإجازة منامًا ٢٩٢
جواز الصلاة على الأولياء والصالحين ٢٩٣
هل «فضائل الأعمال» من الأحكام الشرعية؟ ٢٩٧
هل النهي للتحريم؟ ٢٩٨
توضيح حول تقليد الأئمة ٢٩٩
حكم التلفيق ٣٠١
هل الكفار مخاطبون بفروع الشريعة؟ ٣٠٢
هل المزية لا تقتضي التفضيل؟ ٣٠٢
هل يجوز تخصيص القرآن بالسنة؟ ٣٠٣
معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ ٣٠٤
حكم التلفيق للمقلِّد ٣٠٥
هل الرؤيا تعتبر دليلًا من أدلة الأحكام ٣٠٥
المياه التي تصلح للعبادة، وحكم ماء المجاري المعالج بالكيماويات ٣٠٥

ماءُ الطّهر الذي ينزل من فرج المرأة ٣٠٧
حكم الصلاة لمن تلوثت ملابسه بلحم الخنزير ٣٠٧
حكم الوضوء مع لبس الخاتم وطلاء الأظافر ٣٠٨
حكم المسح على الجبائر ٣١٠
من انقطع عنه الماء قبل غسل رجليه ٣١٠
السلام على المرأة للمتوضئ ٣١٠
انتقاض الوضوء بلمسِ المرأة ٣١١
الوضوء من حمل الميت وغسله ٣١٣
حكم سَلَسِ البول ٣١٤
الوضوء من مس الدبر ٣١٤
أسئلة متفرقة في أحكام الطهارة والجواب عليها ٣١٥
من أحكام الحيض ٣١٧
هل يجب الغسل من الإجهاض ٣١٨
حكم الكلام والدعاء من سامع الأذان وقت الأذان ٣١٩
الحِكمة من تجريد الأذان من العطف ٣٢١
نكتةٌ بلاغيةٌ في الفرق بين ألفاظ الأذان والتشهد ٣٢٢

كيف كان أذان عائشة رضي الله عنها؟ ٣٢٢
أسئلة متفرقة عن أحكام الصلاة ٣٢٣
حكم اللَّحن في الصلاة ٣٢٤
حكم وجود الراديو في المسجد ٣٢٥
الصلاة في مسجد تحت كنيسة ٣٢٥
الصلاة بين الأعمدة في المسجد ٣٢٦
أيهما أرجح في الصلاة القبض أم السدل؟ ٣٢٦
حكم قراءة سورة من القرآن في الركعتين الأخيرتين من الصلاة الرباعية . ٣٢٨
ردٌّ على الألبانيِّ في قوله: « كان النبيُّ ﷺ يعجن في صلاته». ٣٢٩
هل يصح السلام على النبيِّ ﷺ في التشهُّد بصيغة الغيبة؟ ٣٣١
سنن الصلاة والصيام وأوقاتها ٣٣٢
معنى التهجد ٣٣٣
الصلاة خلف الفاجر ٣٣٤
النية عند تكبيرة الإحرام ٣٣٤
حكم قراءة الفاتحة خلف الإمام ٣٣٥
حكم من سلَّم قبل الإمام ناسيًا ٣٣٥

أسئلة متفرقة عن أحكام الصلاة والجواب عليها ٣٣٥
حكم إعادة صلاة الجماعة منفردًا طلبًا للثواب..... ٣٣٨
كيفية صلاة النِّساء ٣٣٨
هل ينقص ثواب صلاة القائم خلف القاعد..... ٣٣٩
حكم وقوف الرجل بين النساء المحارم في الصلاة؟ ٣٣٩
حكم زيادة ركعة في الصلاة نسيانًا ٣٤٠
صلاة القصر للمسافر ٣٤١
هل يؤخَّر الوتر عند جمع التقديم؟..... ٣٤٢
من بعض أحكام صلاة الجمعة ٣٤٢
تعدد صلاة الجمعة في بلد واحد ٣٤٣
حكم تعدُّد الجمعة في بلدٍ واحدٍ ٣٤٥
متى فرضت الجمعة؟ ٣٤٧
كيفية قضاء صلاة الجمعة..... ٣٤٨
كيفية صلاة الاستخارة ٣٤٩
حِكْمة مخالفته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بين الطريق في العيد..... ٣٥٠
أسئلة متفرقة عن أحكام الصلاة والجواب عليها ٣٥٢

حكم المصافحة عقب الصلوات ٣٥٣
حكم إعادة صلاة صبح يوم الجمعة إذا تركت السجدة..... ٣٥٤
القيام للجنازة..... ٣٥٤
ثناء الناس على الميت بعد الصلاة عليه ٣٥٥
الصمت خلف الجنازة ٣٥٦
حكم إحياء ليلة الأربعين للأموات ٣٥٨
هل يتأذَّى الميت مما يتأذَّى منه الحي؟ ٣٥٨
وحكم الانتفاع بالأرض التي كانت مدفنًا ٣٥٨
فضل الدفن بجوار الصالحين..... ٣٥٩
دفن المرأة مع زوجها ٣٦٠
عدم ورود شيء يسقط إثم ترك الصلاة على الميت ٣٦١
دفع الزكاة في بناء المساجد..... ٣٦١
احتساب الضريبة الحكومية من الزكاة المفروضة ٣٦٢
أسئلة متفرقة عن أحكام الزكاة والجواب عليها ٣٦٣
كيف تحسب زكاة التجارة ٣٦٥
زكاة التجارة والمعدن والركاز ٣٦٥

العلة في فرض زكاة الفطر، وهل تجب على الصغير؟ ٣٦٦
قيمة زكاة الفطر ٣٦٧
زكاة ما لم ينص عليه ٣٦٧
لماذا يتأخَّر المغاربة في الصيام عن المشرق ٣٦٩
جواز صوم أهل السودان برؤية الهلال بمصر ٣٦٩
حول أحكام الصيام ٣٧٠
كيفية قضاء شهر رمضان لمن كان مريضًا ٣٧٤
فدية الصيام ٣٧٨
حكمة تقبيل الحجر الأسود ٣٧٩
حكم الإحرام من مدينة جدة للمسافر ٣٨٠
حول أحكام الحج ٣٨٠
كيفية إحرام المرأة بالحجِّ والعُمْرة ٣٨٢
مسائل في المعاملات ٣٨٣
حكم البيع بضعف ثمن الشراء ٣٨٧
حكم بيع الزرع قبل حصاده ٣٨٨
حكم المعايدة ٣٨٨

هل الوكالة تنتهي بوفاة الموكل؟ ٣٨٩
هل تجوز الوكالة بعد الوفاة؟ ٣٨٩
هل يجوز وقف مال مستثمَر؟ ٣٩٠
حكم مقدَّم الإيجار والخلو ٣٩١
العمل عند المسلم الفاسق ٣٩١
من أحكام الهبة ٣٩٢
حكم استرجاع الهبة ٣٩٢
اللقطة ٣٩٣
فتوىٰ في الإشهاد بالوصية ٣٩٣
مسائل في الميراث ٣٩٥
حرمانُ البنات من الوصية من بقايا أعمال الجاهليَّة ٣٩٧
منع الحمل بطريقة العزل ٣٩٩
حكم رضاع الكبير ٤٠٢
الإجهاض ٤٠٢
الزفاف يوم الجمعة ٤٠٣
جواز تزاوج الإنس من الجن ٤٠٣

هل يجوز للرجل أن يسكن زوجتيه في دار واحدة؟ ٤٠٤
حول أحكام النكاح ٤٠٥
طهارة البنت (الختان) ٤١١
سؤال في الزواج وجوابه ٤١١
آداب الزوجية..... ٤١٣
حكم مجامعة الرجل امرأته وهي مكشُوفةٌ كلّها..... ٤١٤
حكم الزواج على المرأة الشريفة ٤١٥
حكم الزواج بفتاة سترًا عليها ٤١٥
لبس الذهب والحرير للرجال..... ٤١٦
حكم مصافحة النساء ٤١٦
معنى التفريق بين الأبناء في المضاجع ٤١٧
هل الغيلة حرام؟..... ٤١٧
هل صوت المرأة عورة؟ ٤١٨
ما تحل به المرأة لزوجها الأول ٤١٨
مدَّة استبراء السبايا ٤١٩
هل للعبدالرقيق أن يتزوَّج مالكته..... ٤٢٠

الحلف بالطلاق على شرب الدخان ٤٢٠
رجلٍ شرب لبن امرأته غلطًا هل تحرم عليه ٤٢١
حول أحكام الطلاق ٤٢١
من أحكام الظهار ٤٢٥
حكم قتل الزاني والزانية وقت التلبس ٤٢٥
هل لولي الدم أن يقتص ممن ظلمه بنفسه ٤٢٦
قتل الجماعة بالواحد ٤٢٧
موضع ذبح الحيوان ٤٢٨
حكم ذبيحة النصارى ٤٢٩
حكم أكل السردين ٤٣٣
حكم النهي عن خلط التمر والزبيب ٤٣٤
من أحكام الأيمان والنذور ٤٣٤
فتاوى في قضايا معاصرة ٤٣٦
العمل بالبنوك التي تتعامل بالفوائد ٤٣٦
حكم شرب الدخان ٤٣٦
شرب الخمر للتداوي ٤٣٧

شرب الحشيش ٤٣٧
شرب الكينا المقوية ٤٣٨
حكم الشرع في ارتياد السينما والملاهي ٤٣٩
استعمال العقاقير لمنع الحمل ٤٣٩
نعي الميت في الجرائد ٤٤٠
إقامة المآتم خصوصًا في مواسم الأعياد ٤٤٠
التبرع بالأعضاء ٤٤٣
حكم دفع المال من أجل الحصول على وظيفة ٤٤٥
حكم عمل المرأة ٤٤٦
حكم سفر المرأة بدون محرم للعمل ٤٤٦
حكم التنميص ٤٤٧
حكم العمل بالجمارك والبنوك والمحاكم ٤٤٨
العمل بالجمارك ٤٤٨
أَجـوِبةٌ هـامَّـةٌ في الطِّـب ٤٤٩
حكم تعلم علم الطب وتشريح الميت ٤٥٧
حكم الاختلاط للطالبات ٤٥٧

٥- التصوف والأدب

أصل اجتماع الصوفية على الذكر ٤٦١
حكم الذكر بلفظ «آه» ٤٦١
استعمال الطبل والكأس عند ذكر الله ٤٦١
أول اجتماع للصوفية على الذكر بالاسم المفرد ٤٦٢
كيفية إحياء ذكرى مشايخ الصوفية بالمغرب ٤٦٣
فضل الخوف من الله ٤٦٣
هل الصَّدَقة أفضل أم الذِّكْر؟ ٤٦٤
أثر زيارة قبور الصالحين ٤٦٥
كتاب المدخل لابن الحاج ٤٦٦
المعاملة مع المعارف ٤٦٦
حكم مداراة الناس ٤٦٧
حول استغفار النبيِّ ﷺ لأُمِّه ٤٦٧
كلمة حول الهَجْر ٤٦٩
اعتراضات على المؤلِّف والجواب عليها ٤٦٩
الحِكْمة مِن مُدارة النبيِّ ﷺ ٤٧١

مقام الصِّدِّيقين..... ٤٧١
تحريم لعن المعيَّن ٤٧٢
الأشياء المحترمة لذاتها في الإسلام..... ٤٧٣
هل يجوز للإنسان الافتخار بنفسه ٤٧٤
حكم الهجر ٤٧٤
إطلاق الدُّعاء على الثَّناء..... ٤٧٦
كيفية طاعة أم لا تصلي ولا تصوم وتسب الدين..... ٤٧٦
إلقاء فضلات الطعام في المراحيض ٤٧٨
حكم من ينتقد بعض أحكام الدين ٤٧٨
حدود الغيبة ٤٧٩
وقوع المعصية ممن يدعي أنه من الأشراف..... ٤٨٠
ما يستحب للتائب أن يفعله ٤٨١
تحدث الرجل بما يدور بين أهله ٤٨٢

٦- مسائل خلافية

الصلاة في المساجد التي بها أضرحة ٤٨٥
التوسل بالأولياء والصالحين ٤٨٦
الاجتماع على الذكر مع التمايل فيه..... ٤٨٦

الصلاة على النبي بعد الأذان ٤٨٩
قراءة القرآن على المقابر ٤٨٩
الجمع بين أحاديث فضل الزيارة وحديث: «لا تشد الرحال» ٤٩٢
حكم الاحتفال بالمولد النبوي ٤٩٣
أول من أحدث الاحتفال بالمولد النبوي ٤٩٤
التوسل ٤٩٨
حلق اللحية ٤٩٩
تلقين الميت ٥٠٠
قراءة القرآن على المقابر وتوزيع الصدقات ٥٠١
وجود الصور بالمنزل ٥٠٢
حكم الانضمام إلى الأحزاب السياسية ٥٠٢

٧- السِّير والشمائل والمناقب والتراجم

قول المؤذن: يا أول خلق الله ٥٠٧
معنى صلاة الله على النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم والمقصود منها ٥٠٨
الحلف بالنبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٥٠٩
كثرة أسماء النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٥٠٩

كيفية صلاة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ نفسه ٥١٠
عدد مؤذني الرسول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ٥١٠
هل أذَّن بلالٌ بعد موتِ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم..... ٥١١
حول أوَّلية النور المحمدي..... ٥١١
هل طه ويس من أسماء النبيِّ ؟ ٥١٣
معنىٰ الخلة..... ٥١٤
لا ينافي التواضع ٥١٤
شبهةٌ والردُّ عليها ٥١٥
الحِكْمة في عدم الوقف علىٰ رسول الله ﷺ ٥١٧
هل باع النبيُّ ﷺ عبدًا من عبيده؟ ٥١٨
الصلاة علىٰ النبي ﷺ بعد وفاته ٥١٨
مفارقة النبيِّ ﷺ للمرأة التي قالت له: «أعوذ بالله منك» ٥١٩
شبهة والرد عليها ٥٢٠
خطبة المشركة ٥٢٠
حول خِطبة النبي ﷺ لأمِّ هانئ..... ٥٢١
شبهة والرد عليها ٥٢١

هل أسلم عَدَّاس ٥٢١
متى أذن للمؤمنين في القتال؟ ٥٢٢
هل أمَّ الصحابة في الصلاة على النبيِّ أحدٌ ٥٢٣
مما كان ينفق على أمهات المؤمنين بعد وفاة النبيِّ؟ ٥٢٤
السبب في حرمة زواج عليٍّ على السيِّدة فاطمة عليهما السلام ٥٢٥
تنزيه عائشة رضي الله عنها ٥٢٥
من هو تميم الداري ٥٢٦
تاريخ كسوة القبر النبوي الشريف ٥٢٧
قصة قيام عمر بن الخطاب بإقامة الحد على ابنه ٥٣٢
مصادر دفن بعض الأنبياء بالبيت الحرام ٥٣٣
من قتل عقبة بن أبي مُعَيطٍ ٥٣٣
موقف عبيدالله بن عبَّاسٍ من معاوية ٥٣٣
تكذيب حكاية تزويج عبدالله بن جعفر بنته للحجَّاج ٥٣٤
خِطبة عليٍّ رضي الله عنه عنه لابنة أبي جهل ٥٣٥
حضور النبي صلى الله عليه وآله وسلم اختضار ابن بنته ٥٣٥
فضل سعد بن معاذ ٥٣٧

هل ثبت أنَّ رقية رضي الله عنها ماتت صبيحة اتصال عثمان بها؟ ٥٣٧
من الذي غسَّل السيدة فاطمة عليها السلام وصلَّى عليها؟ ٥٣٨
فضل أبي بكر ٥٣٩
حول قتل القُرَّاء من الصحابة يوم بئر معونةٍ..... ٥٣٩
الحكمة من عدم بناء الكعبة ٥٤٠
معنى قولهم: حجَّ أبو بكرٍ في شهر ذي القَعدة ٥٤١
أيهما أفضل أبو بكرٍ أم عليٌّ؟..... ٥٤١
لماذا كان الحسن والحسين يقبلان المال مِن معاوية؟ ٥٤٢
الاحتياط في الحدود ٥٤٢
فضل الصلاة بالبيت الحرام ٥٤٤
بعض مما أكرم الله تعالى به سيِّدي عبدالله بن الصِّدِّيق من المُبشِّرات والكرامات ٥٤٥
بعض ما أكرم الله به سيدي عبدالله بن الصديق أيام المحنة ٥٤٧

٨- فتاوى عامَّة ومُتفرِّقات

إغفال تعاليم الإسلام ٥٥٣
قبر أبي الدرداء وحذيفة رضي الله عنهما ٥٥٣
ما الحِكْمة في الدَّمار الذي لحق بفرنسا ٥٥٤

رأي المؤلف في طه حسين والشيخ شلتوت ٥٥٥
حول رسالة "أسنى المطالب في نجاة أبي طالب" ٥٥٦
مشاهدة المعصية مع عدم الإنكار على الفاعل ٥٥٦
أحسن مختصر في الفقه المالكي ٥٥٨
تعبير منام ٥٥٨
قيمة كتاب "تنبيه الغافلين" العلمية ٥٥٩
حمل حجاب الحصن الحصين ٥٥٩
وجود صورة بارزة مجسمة في مسجد ٥٦٢
اقتناء الصحف والمجلات التي بها صورة فاضحة ٥٦٣
تحضير الأرواح ٥٦٤
لعب الطاولة ٥٦٥
تأييد المبادئ الأجنبية ٥٦٥
الاحتفال بشم النسيم ٥٦٦
ملابسة الجن في أجسام بعض الناس ٥٦٧
معنى وصف بعض الحيوانات بالخير أو الشر ٥٦٨
هل «وجّ» واد مقدس ٥٦٩

حكم إلقاء ما فيه اسم الله..... ٥٦٩
من هم «الأذواء»؟ ٥٧٠
هل يدخل الجنَّة بعض الحيوانات ٥٧٢
معنى لقب «السيِّد» ٥٧٢
الحِكْمة من معارضة النبي ﷺ تقدم عمر للصلاة أثناء مرضه..... ٥٧٤
الفرق الأساسي بين اليهودية والمسيحية والإسلام..... ٥٧٤
تسمية المولود ٥٧٦
هل تسقط نفقة الابنة العاملة؟..... ٥٧٦
حكم العتاقة ٥٧٧
زيارة الوليِّ مِن الخارج..... ٥٧٧
هل يجوزُ النَّعتُ بغير مشتقٍّ؟ ٥٧٧
أسماء بعض الكتب في الرد على النصارى ٥٧٩
كتاب "الإحسان بتعقب بعض ما في الإتقان" ٥٧٩
أحب التفاسير إلى السيد عبد الله ٥٧٩
كتب النحو المحببة للشيخ ٥٨٠
إفادات عن بعض كتب المصطلح ٥٨٠

كتاب "إعلاء السنن" للتهانوي ٥٨٠
كتاب "العلل المتناهية" لابن الجوزي؟ ٥٨١
المصنفات في مكفرات الذنوب ٥٨١
حول بعض الكتب المصنفة في البدع ٥٨٢
كتاب "تسديد النظر إلى بحث مبتكر" ٥٨٤
كتاب "إيقاظ همم أولي الأبصار" ٥٨٤
"شرح المَحَلِّي على جمع الجوامع" ٥٨٤
كتاب "نيل الأوطار" ٥٨٥
عمدة الشَّوكاني في نقل آراء الصَّحابة والتابعين ٥٨٥
هل الشوكاني زيدي أم مجتهد؟ ٥٨٥
تشدد ابن عبدالهادي في "الصارم المنكي" ٥٨٦
الكتب التي تكفي للتفقُّه في المذهب ٥٨٦
علوم الفقيه ٥٨٦
من علماء المغرب ٥٨٦
الكوثري والأزهرية ٥٨٧
بين الشيخ الكوثري والمعلمي ٥٨٨

حطٌّ الشيخ الكوثري على الصنعاني والشوكاني.....٥٨٨
ثناء السيد عبدالله على الشيخ عبدالفتاح أبو غدة.....٥٨٨
مذهب الترمذي وتركه آراء أبي حنيفة ٥٨٩
الشيخ بكر أبو زيد ٥٨٩
المجلات التي كتب بها المؤلف.....٥٨٩
مسألة خالف فيها شقيقه السيد أحمد بن الصديق.....٥٩٠
ادِّعاء المهدوية من بعض الوهَّابية ٥٩٠
ردٌّ حماد الأنصاريٌّ على السيد عبدالله ٥٩١
تعبير رؤيا الشيخ محمود سعيد محمد ممدوح ٥٩١
فهرس الموضوعات ٥٩٥

موسوعة

العلامة المحدث المتفنن

سيدي الشريف عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري الحسني

(١٣٢٨ - ١٤١٣هـ) رحمه الله تعالى

قدم لها

الشريف الدكتور

عبد المنعم بن عبد العزيز بن الصديق

إشراف

الدكتور محمود سعيد بن محمد ممدوح

المجلد السابع عشر

المقالات

ومقدمات لبعض الكتب العلمية

موسوعة

العلامة المحدث المتفنن

سيدي الشريف عبد الله بن محمد الصديق الغماري الحسني

(١٣٢٨ - ١٤١٣هـ) رحمه الله تعالى

(١٧)

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية
عام / ١٤٣٨

قام بطباعتها وإخراجها: مركز البحوث والدِّراسات
بكُليَّة الصَّفا الإسلاميَّة بماليزيا

يطلب من:

دار السَّلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

جمهورية مصر العربية: القاهرة – الإسكندرية.
الإدارة: القاهرة ٤٠ شارع أحمد أبو العلا – المتفرِّع من شارع نور الدين بهجت – الموازي لامتداد شارع مكرم عبيد – مدينة نصر.
هاتف: ٢٢٨٧٣٢٤٦ - ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ (٢٠٢+)
فاكس: ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢+)
البريد الإلكتروني: info@dar-alsalam.com
موقعنا على الإنترنت: www.dar-alsalam.com

المجلد السابع عشر

المقالات ومقدِّمات لبعض الكُتُب العِلْمِيَّة

وتحتوي على:

١- مقالات في عِلْمِ الكَلامِ والمنطق.

٢- مقالات في القُرآنِ الكريمِ وعلومه.

٣- مقالات في الحديثِ الشَّريفِ وعلومه.

٤- مقالات في الفِقْهِ الإسلامي.

٥- مقالات في التصَوُّفِ الإسلامي.

٦- مقالات في فضائل النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم.

٧- مقالات حول مُباحثاتٍ مع المعاصِرين.

٨- مقالات مُتنوِّعَةٌ.

٩- مُقدِّمات لبعضِ الكُتُبِ العِلْمِيَّةِ.

(١)

مقالات في علم الكلام والمنطق

١- بحثٌ في معنى الإله[١]

لَفَتَ نظري حين تدريسي للطَّلَبة "شرح البُناني على السُّلَّم" بزاويتنا الصِّدِّيقية أنه مثَّل بلفظ «الإله» لنوعٍ مِن الكُلِّيِّ، فلم يعجبْني هذا التمثيل وكتبتُ عليه ثماني ملاحظاتٍ أحببْت أنْ أنقلَها إلى القُرَّاء الكِرام:

قال صاحبُ "السُّلَّم":

فمُفهِمُ اشتراكِ الكُلِّيُّ كأسَدٍ وعَكْسُهُ الجُزْئِيُّ

قال العلَّامة البناني في "شرحه": «يعني أنَّ الكلِّيَّ هو الذي يُفهِم الشركةَ في معناه، أي: لا يمنع نفس تصوُّر معناه من صدقه على مُتعدِّدٍ، كإنسانٍ وأسدٍ، فدخل في تعريف الكلِّيِّ أنواع».

فذكر النوع الأول ثمَّ قال: «وثانيها ما وُجد منه فردٌ واحدٌ إمَّا مع استحالة وجود غيرِه بدليلٍ خارجٍ عن تصوُّره، كالإله؛ أي: المعبود بحقٍّ فإنَّ مجرَّد تصوُّر معناه لا يمنع من صدقه على متعدِّدٍ، لكنْ قام الدليل القاطع على وجوب انفراد الله تبارك وتعالى بالألوهيَّة واستحالة ثبوتها لغيره، وتفسير الإله بالمستغني عن كلِّ ما سواه المُفتقِر إليه كلُّ ما عداه لا يمنعُ كونه كليًّا؛ إذ لا يوجب تشخُّصَه؛ لأنَّه بهذا المعنى يحتمل أن يَصْدُق على كثيرٍ على سبيل البدليَّة».اهـ

وقال مُحشِّيه العلَّامة علي قصارة: «كان ينبغي إسقاطُ هذا القسم من أقسام الكلِّيِّ لأنَّه موهمٌ في مقام الألوهيَّة ما لا يصحُّ في حقِّه تعالى مِن التعدُّد

---

(١) مجلة دعوة الحق.

والجِسْميَّةِ والتَّركيبِ فلا ينبغي إطلاقُه كما صرَّح به القرافيُّ في شرح "التَّنقيح" ونصُّه: «إطلاق لفظ الكُلِّيِّ على واجبِ الوجودِ فيه إيهامٌ، تمنع من إطلاقه الشَّريعةُ فلذلك تركتُه أدبًا».اهـ

قال سيِّدي عيسى السّكتاني: «وكذا الجزئيُّ يوهم النِّسبة إلى جزء الشيء الموضوع للمجموع فذلك مستحيلٌ في حقِّه تعالى».اهـ

عُلِم مِن هذا أنَّ إطلاق لفظ الكُلِّيِّ على الإله لا يجوز شرعًا للإيهام المذكور(١).

وهذا **أول خطأ** مِن البُناني رحمه الله تعالى.

الثاني: ويشاركه فيه القرافيُّ وأهلُ المنطق؛ أنَّ الإله ليس بكلِّيٍّ بل هو خاصٌّ بالله تعالى كالرحمن وفي النَّاس كثيرون اسمهم عبدُ الإله.

قال الفيُّوميُّ في "المصباح المنير": «الإلهُ المعبودُ وهو الله سبحانه وتعالى، ثُمَّ استعارهُ المشركون لما عبدوه من دون الله تعالى».اهـ

وقال الراغبُ في "مفردات القرءان": «وإله حقُّه ألَّا يُجمعَ إذْ لا معبودَ سواه لكنَّ العربَ لاعتقادهم أنَّ ههُنا معبوداتٍ جمعوه فقالوا الآلهة».اهـ

وفي القرآن الكريم: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾ [يوسف: ٤٠]، وهذه الآية مِن أدلَّة القائلين بأنَّ اللُّغة توقيفيَّةٌ.

تبيَّن مِن هذا أنَّ الإله عَلَمٌ خاصٌّ كما قلنا، وأنَّه لتضمُّنه معنى العبادة أطلقه

---

(١) صرَّح العلماء أيضًا بأنَّه لا يجوز وصفُ عِلم الله بأنَّه ضروريٌّ وإن كان له معنى صحيحٌ، لإيهامه معنى لا يليق بالله تعالى.

العرب على معبوداتهم على سبيل الاستعارة، وتوهَّم أهل المنطق أنَّ هذا إطلاقٌ حقيقيٌّ، زعموه كليًّا مع أنه عَلَمٌ خاصٌّ، ونظير هذا إطلاقُهم لفظَ حاتمٍ على الكريم اشتقاقًا مِن معنى الكرم الذي اشتهر به حاتم الطائي المعروف، ولم يُخرجه ذلك الإطلاق عن عَلَمِيَّته الشخصيَّة.

كذلك لفظ «الإله» لا يخرجه إطلاقه على المعبودات اشتقاقًا من معنى العبادة عن عَلَمِيَّته الخاصَّة بالله تعالى.

الثالث: أنَّ الكليَّ إنما يتأتَّى في المُمكنات كالنبيِّ والملَك والعرش والكرسيِّ واللوح والقلم والسماء والشمس والقمر والفلك والكواكب والروح والنفس والإنسان والحيوان والنبات وما إلى ذلك ممَّا يتركَّب مِن أجناس وفصول ويدخل في دائرة المقولات[1] العشر المجموعة في قول القائل:

زيد الطويلُ الأبيضُ ابنُ مالكِ ... ببيتِه بالأمسِ كان متَّكي

بيده غُصنٌ لواه فالتوى ... فهذه عشرُ مقولاتٍ سَوى

---

(١) أخذتُ هذا العِلم عن شيخنا العلامة المُحقِّق الشيخ العباس بناني بجامعة القرويين أعاد الله لها مجدها، وهو أحد أربعة علماء عرفوا بالتحقيق.

وثانيهم: العلامة مولاي عبد الله الفضيلي، أخذتُ عنه "رسالة الوضع" ومقدِّمات "جمع الجوامع".

وثالثهم: العلامة الشيخ الراضي السناني صاحب "الشذرات" أخذت عنه بعض "جمع الجوامع".

ورابعهم: العلامة مولاي أحمد القادري أخذت عنه باب الجنايات من "المختصر" بـ"شرح الخرشي"، وأجازني أولهم بما يرويه عن سيدي أحمد بن الخيَّاط رحمهم الله جميعًا وأثابهم رضاه.

أما واجب الوجود سبحانه فهو منزَّهٌ عن ذلك، ليس شيءٌ مِن أسمائه وصفاته كليًّا يتركَّب مِن جنسٍ يشترك به مع غيره، ولا من فصل يميِّزه عنه بل أسماؤه وصفاته خاصَّةٌ به لخصوص العلَم الشَّخصي بمسمَّاه.

الرابع: أنَّ الكلِّيَّ لا يُتصوَّر كونه محالًا ؛إذ هو ما له جزئياتٌ موجودةٌ كالحيوان، أو ممكنةُ الوجود كجبلِ ياقوتٍ.

والمحالُ عدمٌ محضٌ ليست له صورة في الذِّهن ولا يمكن أن تكون له صورةٌ، بل لا يُدرَك إلَّا بطريق التَّشبيه كأن يعقل اجتماعُ السَّواد والحلاوة في العنب مثلًا ثُمَّ يقال: مثل هذا الاجتماع لا يكون بين السواد والبياض، وأحيانًا لا يمكن تقريبه بطريق التشبيه لكون الشيء موجودًا معدومًا في آنٍ واحدٍ فكيف يُتصوَّر كونه كليًّا له جزئيَّات؟!!.

والذين اعتبروا «الإله» و«شريك الباري» كُلِّيَّيْن مخطئون واهمون لم يعرفوا معنى المحال على حقيقته، أو اشتبه عليهم الأمر حين وجدوا كليًّا جزئياتُه معدومةٌ كجبل ياقوت وبحر زِئْبق فاعتبروا المحال كليًّا مثلَه، لكن بينهما بونٌ شاسعٌ؛ لأنَّ الممكنَ المعدومَ قابلٌ للوجود وقد أخبر الله أنَّ في الجنَّة أنهارٌ ﴿مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد: ١٥] وهذه أمورٌ ممكنةٌ غير موجودةٍ في الدنيا وهي موجودةٌ في الآخِرة.

أمَّا المحال فإنه مُغرقٌ في العدَم لا يقبل الوجود بحال، لا في الخارج ولا في الذِّهن، ووجود جزئيَّات الكلِّيِّ مترتِّبٌ على وجود صورةٍ له في الذِّهن والمحال لا صورةَ له ولا يُذكر إلَّا منفيًّا.

والخلاصة: أنَّ الكليَّ لا يكون إلَّا في الممكنات فقط دون الواجب والمحال.

الخامس: قول البناني في بيان كلِّية الإله: «مجرَّد تصوُّر معناه لا يمنع من تعدُّد مصدوقِهِ لكنَّ الدليلَ القاطع على وجوب انفراد الله تبارك وتعالى بالإلوهية» يشتمل على تناقضٍ؛ إذ حاصله أنَّ الإله مصدوقُه جائزُ التعدُّد عقلًا، والإله واجبُ الإنفراد في واحدٍ عقلًا، وهذا تناقضٌ واضحٌ لا خفاء فيه.

السادس: وهو مبنيٌّ على ما قبله، أنَّ جواز تعدُّد الإله ثابتٌ وقيام الدليل القاطع على وجوب تفرُّد الله بالألوهيَّة لا يمنع منه؛ لأن جواز التعدُّد مفهومٌ ذاتيٌّ، وما بالذَّات لا يتخلَّف، وفي هذا من الخطر ما لا يخفى بل هو هدمٌ للتوحيد.

السابع: أنَّ زيادة لفظ: «بحقٍّ» في معنى الإله لا أصلَ لها في اللغة ولا علاقة للعقل بها؛ فالإله هو المعبود وكونه معبودًا بحقٍّ حكمٌ شرعيٌّ والحكم لا يدخل في الحدِّ. قال صاحب "السُّلَّم":

وعندهُمْ مِنْ جُملةِ المَرْدودِ ... أنْ تدخلَ الأحكامُ في الحُدودِ

الثامن: قوله أيضًا: «تفسير الإله بالمستغني عن كلِّ ما سواه المفتقر إليه كلُّ ما عداه لا يمنع كونه كليًّا ؛إذ لا يوجب تشخيصه؛ لأنه بهذا المعنى يحتمل أن يصدق على كثير على سبيل البدليَّة».اهـ

إغراقٌ في الخطأ وتشبُّثٌ به إلى حدِّ التزمُّت حتى أنه لم يفرِّق بين ما يُعيِّن المسمَّى ويُخصِّصه وبين ما ليس كذلك، ومن البدهيات في علم المنطق أنَّ التشخُّص في الجزئي يمنع الاشتراك فيه فـ«إنسان» كليٌّ يقبل الاشتراك، و«زيد» جزؤه لا يقبل الشركة لتشخُّصه وتعيُّنه.

فلو فرضنا أنَّ الإله بمعنىٰ المعبود كليٌّ كما قال فإنَّ تفسيره بالمستغني عن كلِّ ما سواه المُفتقِر إليه كلُّ ما عداه تخصيصٌ له بما لا يشاركه فيه غيره من المعبودات، فهو بمنزلة التشخُّص في «زيد»؛ ذلك أنَّ المعبوداتِ بجميعِ أنواعها من ملائكةٍ وإنسٍ وجنٍّ وحيوانٍ وأصنامٍ؛ لا يُجيز العقل في شيءٍ منها أن يكون مستغنيًا عن كلِّ ما سواه مفتقرًا إليه كلُّ ما عداه؛ لأنها ممكنةٌ والممكن لا يستغني عن المحلِّ والمُخصِّص.

التاسع: قوله: «إذ لا يوجب تشخصه» والصواب أن يقول: إذ لا يوجب تعيّنه؛ لأن التشخُّص لا يجوز أن يضاف إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ[1].

يرد في هذا المقال ثلاثة إيرادات نذكرها مع الجواب عنها:

الأول: دعوىٰ أن المحال ليس بكليٍّ يخالفُ ما أطبق عليه أهل المنطق من اعتبار شريك الباري كليًّا، وكذا الإله وأن لم يذكره بعضهم تأدُّبًا كما مرَّ، وتعريفُ المحال يقتضي كلِّيتَه أيضًا.

والجواب: مسائلُ المنطق يُعمَل فيها بما يقضي به العقلُ والفكر السليم لا بالإجماع أو قول الأكثر، والمنطق الحديث أبطل نظريَّاتٍ أطبق عليها القدماءُ في

---

(١) وحديث: «**لا شخصَ أغيرُ من الله**» من تصرُّف بعض الرواة ولفظه الثابت في أغلب الطرق: «**لا أحدَ أغيرُ من الله**»، وفي روايةٍ: «**لا شيءَ أغيرُ من الله**» علىٰ أن النَّووي في "شرح مسلم" أوَّلَ «لا شخص» بـ«لا أحد» وقال: «عبَّر بالشخص عن أحد استعارة، وقيل: لا يدلُّ الحديث علىٰ إطلاق لفظ شخصٍ علىٰ الله وإنَّما يدلّ علىٰ وصفه بالغيرة لأنَّ «أفْعَلَ مِن» يدلّ علىٰ المشاركة في الصِّفة فقط، يقال: لا خيْلَ أسرعُ من فلان، وكان يقال في سلمة بن الأكوع: أسرع من الخيل يوضِّحه أنَّك لو قلت: لا إنسان أغير من الله لم يُفد أنَّ الله يُسمَّىٰ إنسانًا.

المنطق القديم.

ومما لا يخفى على دارس أنَّ الكلِّياتِ مبادئ التصوُّرات التي هي حدودٌ ورسومٌ لماهيَّاتِ الموجودات الممكنة، فالحدود والرُّسوم تتركَّب من أجناسٍ وفصول وخواصٍّ كما هو معلومٌ.

والموجوداتُ نوعان: موجوداتٌ بالفعل كالإنسان والشمس، وموجودات بالقوَّة كنهر لبنٍ وبحر زئبقٍ وجبل ياقوتٍ، فإنَّ هذه الأشياء ممكنة الوجود وإمكان الشيء كوقوعه فهي موجودةٌ بالقوة.

والكلِّيات التي تدخل في التعريف تقع على أشياء موجودةٍ في الذِّهن أو الخارج أو فيهما، والمحال لا يتصوَّر في العقل وجوده ويسمِّيه الحكماء منفيًّا وحكى شارحُ "العقيدة الطَّحاوية" إجماعَ العقلاء على أنَّ المحال ليس بشيءٍ، والخلاف الذي حكاه صاحب "جمع الجوامع" بقوله: «فعلى الأصحِّ المعدومُ ليس بشيءٍ ولا ذاتٍ ولا ثابتٍ» إنَّما هو في المعدوم الممكن كما قيَّده به شارحه الجلال المحلِّي فثبت أنَّ المحال لا يكون كليًّا والعقل لا يمكنه أن يتصوَّر شخصًا قائما قاعدًا ولا ثوباً أبيضَ أسودَ، وبالضرورة لا يمكن تصوُّر أفرادٍ لما لا يمكن تصوُّره في نفسه.

الثاني: قال الشيخ سعيد قدوره في بيان أفراد الكلِّي الممتنع: «فإنَّ الجمع بين البياضِ والسوادِ جمعٌ بين الضِّدين، والجمع بين القيام والقعود جمع بين الضدين، والجمع بين الترقِّي والتدلِّي جمع بين الضِّدين، فتبيَّن أنَّ الجمع بين الضِّدين واقعٌ على كثيرين وأفراده كلُّها ممتنعةُ الوجود في الخارج».اهـ

وهذا الكلام يشتمل على أوهام:

١- أنَّ الجمع بين الضِّدين مثالٌ لمحاولة فِعل المحال الذي هو اجتماع الضِّدين.

٢- أنَّ أفراد الكلِّي ما يتحقَّق فيها مفهومُه كالإنسان يتحقَّق في جزئيَّاته مفهومه الذي هو حيوانٌ ناطقٌ، وهذا إنَّما يتأتَّى في الماهيَّات الممكنة التي يتمايز أفرادُها بالتَّشخيص وغيرِه في الوجود الذِّهنيِّ أو الخارجيِّ.

وماهيَّة المحال عدمٌ بحتٌ لا تَقبَل الوجودَ في الخارج ولا في الذِّهن، والعدم لا تمايز فيه بين المُعدَمات.

٣- أنَّ الكلِّي إنَّما يطلق على شيءٍ موجود بالفعل أو بالقوَّة والمحال ليس بشيءٍ كما مرَّ بيانُه.

٤- أنَّ تعدُّد الأفراد في الأمثلة التي ذكرها الشيخ سعيد إنَّما هي أمثلة لمتعلِّق المحال أعني: الضِّدين فإنَّه لفظ عامٌ يشمل الأبيض والأسود والقيامَ والقُعود وغير ذلك من الأضداد الموجودة.

فالتعدُّد واقعٌ فيها، والتَّرقي والتدلِّي، والليل والنهار، والحياة والموت، لا في المحال الذي هو اجتماعها وهو المحكوم بنفيه وقد اشتبه الأمر على الشيخ سعيد رحمه الله تعالى، يوضح ذلك أنَّ المحالَ الذي لا يتعلَّق بضدَّين مثلًا كشريك الباري لا يُتصوَّر له أفراد أبدًا.

الثالث: من الإيرادات، دخول النَّفي العامُّ على «إله» في قولنا: «لا إله إلَّا الله» يؤيِّد القول بكلِّيته، لأنَّه لا يجوز أن يقال: لازيدَ في الدار وإنما يقال: لا إنسانَ في الدار.

والجواب: أنَّ النَّفي توجَّه باعتبار الإطلاق المجازيِّ أي: لا معبودَ إلا الله،

وهذا كما يقال: لا حاتمَ إلا فلانٌ، أي: لا كريمَ، أو لاقُسَّ إلا فلانٌ، أي: لا فصيحَ، وهكذا.

فـ«إله» في الكلمة المشرَّفة كلِّيٌّ في المعنى المجازيِّ كما أنَّ لفظ حاتم كلِّيٌّ لاستعماله في الكريم مجازًا، مع أنَّه في الحقيقة علمٌ شخصيٌّ وكذلك قُس كلِّيٌّ لاستعماله في الفصيح مجازًا وهو في الحقيقة عَلَمٌ شخصيٌّ لقُسِّ بنِ ساعدة.

الرابع: اختار السنوسيُّ أنَّ معنى «إله» في كلمة التوحيد لا مستغنيًا عن كلِّ ما سواه ومُفتقرًا إليه كل ما عداه إلَّا الله، فهو على هذا كلِّيٌّ.

والجواب: أنَّ اختيار السنوسيِّ لهذا المعنى هو الذي غرَّ البنانيَّ وأوقعه في ذلك الخطأ الذي مرَّ بيانُه، والسنوسيُّ إنَّما اختاره ليدَّعي أنَّ كلمة التوحيد شاملةٌ للصِّفاتِ الواجبة لله تعالى لكنَّ اختيارَه غيرُ صحيحٍ لأمورٍ:

أحدها: أنَّه تكلَّف في إدخال تلك الصِّفات بها لا دليل عليه ولا حاجة تدعو إليه.

ثانيها: أنَّ الإله لم يستعملْه العرب إلا بمعنى المعبود، كذلك جاء في القرآن الكريم: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴾ [الصافات: ٣٥ – ٣٦]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ [الزخرف: ٨٤]، ﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص: ٥]، ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾ [النمل: ٦٠]، ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [النحل: ٥١].

فالإله في هذه الآياتِ وغيرها مفردًا ومثنى ومجموعًا معناه: المعبود، ونفي

المعبودات في الكلمة المشرَّفة يكفي في إثبات التَّوحيد ونبْذِ الشرك ولذلك جعلها الشارع دليلًا على الإسلام وعنوانًا له لأنَّه يلزم بالضَّرورة من نفي المعبودات نفيُ لخصائص الألوهيَّة عنها وهي منتفيةٌ بضرورة العقل والمشاهدة كما قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣].

فلا حاجة إلى ما تكلَّفه السنوسي وغيره في شرح الكلمة المشرَّفة.

٢- النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رأى ربه بعيني رأسه وقلبه

بيان معنى قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[١]

يكره جماعةٌ من المُتسَلِّفة المدخولين أن يكون لرسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم خصيصةٌ تميِّزه عمَّن سواه، وتبعًا لهذا الحقد القاتل منعوا أن يكون النبيُّ قد رأىٰ ربَّه ليلة إسرائه، علىٰ أنَّ المتأمِّل في حِكمة شقِّ صدره قُبَيل إسرائه كما رواه البخاريُّ، ثمَّ تكريمه بملاقاة الأرواح في بيت المقدس، ثمَّ رقيِّه إلىٰ سدرة المنتهىٰ واندماجه في العالم المحجوب، وقيامه فيما وراء السِّدرة يرىٰ كلَّ ذلك كان إعدادًا وتأهيلًا ليتأتىٰ له ملاقاةُ فيض التَّجلِّي، ولم يكن رفعه إلىٰ قاب قوسين ليقرب من مكان بالذات، تعالىٰ الله عن المكان، ولكنَّ قدسيَّةَ التَّجلِّي تستوجب أن يكون صاحبُ هذه الخصوصيَّة في مقامٍ لم يتهيَّأ لمخلوقٍ قبله، حتَّىٰ يتناسبَ مقامُه وقيامُه مع شرف الموهبة الكبرىٰ فيُرفع الحجاب عنه هو، ليرىٰ المحدود غير المحدود في نوره السَّرمدي كما شاء علىٰ ما شاء وإليك الدَّليل.

قال: النَّووي: إنَّه -صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم- رأىٰ ربَّه بعيني رأسه، وروىٰ التِّرمذي من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عبَّاسٍ قال: رأىٰ محمد ربَّه. فقلت: أليس يقول الله ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] ؟ قال: ويحك ذاك إذا تجلَّىٰ بنوره الذي هو نوره وقد رأىٰ ربَّه مرَّتين.

وروىٰ النَّسائيُّ بإسنادٍ صحيحٍ، وصحَّحه الحاكم أيضًا، عن عكرمة عن ابن عبَّاسٍ قال: أتعجبون أن تكون الخُلَّة لإبراهيمَ والكلامُ لموسىٰ والرؤيةُ لمحمد صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم؟.

---

(١) مجلة المسلم، السنة الرابعة، العدد الثاني عشر، رجب ١٣٧٤.

وللطبرانيِّ في "الأوسط" بإسنادٍ رجاله رجال الصحيح غير واحدٍ وثَّقه ابنُ حِبَّان، عن ابن عبَّاسٍ أنَّه كان يقول: إنَّ محمدًا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم رأىٰ ربَّه مرتين مرَّةً ببصره، ومرَّةً بفؤاده.

وروىٰ ابن خزيمة بإسنادٍ قويٍّ عن أنس بن مالكٍ قال: رأىٰ محمد ربَّه.

وروىٰ ابن خزيمة: عن عبد الرازق، عن معتمر بن سليمان، عن المبارك بن فضالة قال: كان الحسن -يعني: البصريَّ- يحلف بالله لقد رأىٰ محمدًا ربَّه.

وروىٰ ابن خزيمة أيضًا عن كعب قال: إنَّ الله قسَّم كلامه ورؤيته بين موسىٰ ومحمد صلوات الله عليهما فرآه محمد مرَّتين وكلَّم موسىٰ مرَّتين.

وروىٰ أيضًا عن عروة بن الزبير إثبات الرُّؤية أيضًا.

وروىٰ ابن الجوزي عن الإمام أحمد عن عبدوس بن مالك العطار قال: سمعتُ أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: «أصول السُّنة عندنا التمسُّك بما كان عليه أصحاب رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم والاقتداء بهم وذكر أشياء من العقيدة».

إلىٰ أن قال: «وإنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم رأىٰ ربَّه، فإنَّه مأثورٌ عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم صحيحٌ. رواه قتادة عن عكرمة عن ابن عبَّاسٍ. ورواه الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عبَّاسٍ. ورواه عليُّ بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عبَّاسٍ. والحديث عندنا علىٰ ظاهره كما جاء عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم».اهـ

روىٰ الخلَّال في "كتاب السنة" عن المرُّوَزيِّ: قلت لأحمد: إنَّهم يقولون إنَّ عائشة قالت: «مَن زعم أنَّ محمدًا رأىٰ ربه فقد أعظم علىٰ الله الفِرْية»، فبأيِّ

معنىٰ تدفعُ قولَها؟ قال: بقول النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «رأيتُ ربِّي». قول النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أكبرُ من قولِها.

وهذا الحديث رواه ابن عبَّاسٍ، وأشار إلىٰ طرقه في كلامه آنفًا.

وأفرد ابن خُزَيمة في كتاب التوحيد بابًا لرؤية النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ربه تعالىٰ وأطال الاستدلال لذلك، وأجاب عن كلام عائشة بأنَّها نفتْ الرؤية، وابن عبَّاسٍ وأنس وغيرهما أثبتوها، والإثبات مقدَّم علىٰ النَّفي.

ورُوي عن عبد الرزاق قال: ذكرتُ لمَعْمَر حديث عائشة فقال: ما عائشة عندنا أعلم من ابن عبَّاسٍ. قال ابن خزيمة: ومحال أن يقال: إن ابن عبَّاسٍ أعظم علىٰ الله الفرية ولا أظنُّ أحدًا من أهل العلم يتوهَّم أنَّ ابن عبَّاسٍ أثبت الرؤية بالظنِّ والرأي ولا أنسُ بن مالك ولا أبو ذرٍّ. هذا ملخَّص كلام ابن خزيمة.

وأما قوله تعالىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] فلا يدلُّ علىٰ نفي الرُّؤية لوجهين:

الأول: أنَّ الأبصار لفظٌ عامٌّ، أي: لا تدركه عموم أبصار الناس وخُصَّ منه بصرُ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ سبيل التمييز والإكرام، فتكون الآيةُ من قَبِيل العامِّ المخصوص وهو كثير في القرآن والسُّنة.

والثاني: أنَّ الإدراك معناه الإحاطة فالآية الكريمة تنفي الإحاطة، ونفي الإحاطة لا يستلزم نفي الرؤية، ألا ترىٰ أنَّ المؤمنين يرون ربَّهم في الجنة؟ أمَّا حديث أبي ذرٍّ فقد أجاب ابن خزيمة بأنَّه كان قبل حصول الرؤية بالفعل.

٣- رؤية الله في المنام[١]

اطَّلعتُ في العدد السَّابع من المجلَّة على ما كتبه صديقنا فضيلة الأستاذ الشيخ عبدالرحمن خليفة حفظه الله، جوابًا عمَّن سأل: هل يرى النائم ربَّه في النوم؟ فاستحسنْتُ ما أجاب به غاية الاستحسان، ورأيت أنْ أعلِّق عليه بما يكون كالتَّتِمَّة له من ذكر مسائل تركَها. فأقول:

لا خلاف بين أهل السُّنَّة في أنَّ المؤمنين يرون ربهم في الآخرة، وردَّ بذلك القرآن، وتواترت به الأحاديث كما نصَّ عليه الحافظ الديلميُّ في مبحث العَلَق -بفتحتين- من "حياة الحيوان"، والمحدِّث الشِّهاب القسطلاني في الكلام على الإسراء من "المواهب"، وذكر الإمام النَّووي في "شرح مسلم" أنَّ عدَّة مَن روى ذلك عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عشرون صحابيًّا، وقد عدَّهم من قبله الحكيم التِّرمذي فأوصلهم إلى أحد وعشرين، زاد عليه الشَّيخ قاسم بن قُطْلُوبُغا الحنفيُّ في "حاشيته" على "المسايرة" أسماء سبعة من الصَّحابة فصار المجموع ثمانية وعشرين، وهم -كما في "نظم المتناثر" لأبي عبدالله السَّيد محمَّد بن جعفر الكتاني-: ابن مسعودٍ، وابن عمر، وابن عبَّاسٍ، وصُهَيب، وأنس، وأبو موسى الأشعري، وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، وعمَّار بن ياسر، وجابر، ومعاذ، وثَوبان، وعمارة بن روبية الثَّقفي، وحذيفة، وأبو بكر الصِّديق، وزيد بن ثابت، وجرير بن عبدالله اليمني، وأبو أُمامة، وبُرَيدة الأسلمي، وأبو بَرْزة، وعبدالله بن الحرث، وابن جزء الزبيدي، وأبو رزين العقيلي، وعبادة بن

---

(١) مجلة الإسلام العدد (١٢)، السنة (٥)، ٢٢ ربيع ١٣٥٥.

الصَّامت، وكعب ابن عُجرة، وفضالة بن عبيدة، وأُبيٌّ بن كعب، وعبدالله بن عمرو، وعائشة، وليس هذا بآخر الممكن من ذلك، فمن فحص وتتبَّع وجد أكثر من هذا القدر يقينًا، وكذلك لا خلاف بين أهل السُّنَّة في جواز رؤية الله في الدُّنيا يقظةً وفي المنام، وخالفهم المعتزلة وكثيرٌ من أهل الفرق، قال السَّيد في "شرح المواقف" ما نصُّه: «قال الآمدي اجتمعت الأئمَّة من أصحابنا على أنَّ رؤيته تعالى في الدُّنيا والأخرى جائزةٌ عقلًا، واختلفوا في جوازها سمعًا في الدنيا، فأثبته بعضُهم ونفاه آخرون، وهل يجوز أنْ يُرى في المنام؟ فقيل: لا، وقيل: نعم، والحقُّ أنَّه لا مانع من هذه الرُّؤيا وإنْ لم تكن رؤيةً حقيقيَّةً».اهـ

في "شرح الإمام النووي على مسلم" ما نصُّه: «قال القاضي: واتَّفق العلماء على جواز رؤية الله تعالى في المنام وصحَّتها، وإنْ رآه الإنسان على صفةٍ لا تليق بحاله من صفات الأجسام؛ لأنَّ المرئيَّ غيرُ ذات الله تعالى إذْ لا يجوز عليه سبحانه وتعالى التَّجسيم، ولا اختلاف الأحوال.

قال ابن الباقلاني: «رؤية الله في المنام خواطرُ في القلب، وهي دلالاتٌ للرَّائي على أمورٍ ممَّا كان أو يكون كسائر المرئيَّات». اهـ

أمَّا وقوع رؤية الله تعالى في الدُّنيا يقظةً فلم يحصلْ لأحدٍ ولن يحصلَ، قال تعالى لموسى عليه السلام: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾[الأعراف: ١٤٣]، وقال النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لن يرى أحدٌ منكم ربَّه حتى يموت**» رواه مسلمٌ في كتاب الفتن من "صحيحه" في الكلام على ابن صيَّاد، قال الجلال المحلِّي في "شرح جمع الجوامع": «نعم اختلف الصَّحابة في وقوعها له صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ليلة المعراج، والصَّحيح: نعم».اهـ

وكذا صحَّح وقوعها له جماعةٌ مِن العلماء وذكروا لذلك أدلَّةً لا يتحمَّلها هذا الموضعُ، ولم يأتِ المخالف كعائشة وأبي هريرة رضي الله عنهما بحُجَّةٍ تصلح للتمسُّك، وأمَّا وقوع رؤية الله تعالىٰ في المنام فأنكره جماعةٌ منهم الحافظ ابنُ الصَّلاح وبالغوا في إنكاره، ولا حُجَّة لهم إلَّا أنَّهم قالوا: إنَّ المرئيَّ في النوم خيالٌ ومثالٌ وذلك علىٰ الله محال، ولو تأمَّلوا قليلًا لأدركوا أنَّ النَّوم لا يستحيل فيه شيءٌ من ذلك، ثمَّ هم محجوجون بما نقل السَّلف من رؤيتهم لله تعالىٰ في النَّوم مما سنذكر بعضه إنْ شاء الله تعالىٰ، فالصَّحيح أنَّ رؤيةَ الله في عالم الرؤيا واقعةٌ، وعلىٰ ذلك جرىٰ المعبِّرون كما قال المحلِّي في "شرح جمع الجوامع"، وقال الحافظ في "فتح الباري" ما نصُّه: جوَّز أهل التعبير رؤية الباري عزَّ وجلَّ في المنام مطلقًا، ولم يجروا فيها الخلاف في رؤيا النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وأجاب بعضهم عن ذلك بأمورٍ قابلةٌ للتأويل في جميع وجوهها، فتارة يُعبِّر بالسلطان، وتارة بالولد، وتارة بالسَّيد، وتارة بالرئيس، في أيِّ فنٍّ كان، فلما كان الوقوف علىٰ حقيقة ذاته ممتنعًا وجميع من يعبِّر به يجوز عليهم الصِّدق والكذب كانت رؤياه تحتاج إلىٰ تعبيرٍ دائمًا، وقال أيضًا بعد كلام ما نصُّه: قال الغزاليُّ ومثل ذلك من يرىٰ الله تعالىٰ في المنام فإنَّ ذاته منزَّهة عن الشكل والصورة، ولكن تعريفاته تنتهي إلىٰ العبد بواسطة مثال محسوسٍ مِن نورٍ أو غيره، ويكون ذلك المثال حقًّا في كونه واسطةً في التعريف فيقول الرَّائي: رأيت الله تعالىٰ في المنام، لا يعني أنِّي رأيت ذات الله تعالىٰ كما يقول في حقِّ غيره، وقال أبو القاسم القشيري ما حاصله: لو رأىٰ الله علىٰ وصفٍ يتعالىٰ عنه وهو يعتقد أنَّه منزَّهٌ عن ذلك، لايقدح في رؤيته بل يكون لتلك الرُّؤيا ضربٌ من التأويل، كما

قال الواسطيُّ: من رأىٰ ربَّه علىٰ صورة شيخٍ كان إشارةً إلىٰ وقار الرَّائي، وغير ذلك اهـ. وللغزالي في كتاب "المضنون به علىٰ غير أهله" كلامٌ نفيسٌ في هذا المعنىٰ، ولخَّصه العلَّامة العطَّار في "حاشية جمع الجوامع".

إذًا تقرَّر هذا وأنَّ رؤية الله في النَّوم جائزةٌ ولو رُئي علىٰ صفة يتعالىٰ عنها وأنَّ ذلك علىٰ ضربٍ من التأويل.

فلنذكر بعض من ورد عنه أنَّه رأىٰ الله في المنام فنقول:

أخرج الترمذي في "جامعه" قال: ثنا سلمة بن شبيب وعبد بن حُميد قالا: ثنا عبدالرزَّاق عن معمَّر، عن أيوب عن أبي قُلابة، عن ابن عبَّاسٍ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أتاني الليلة ربِّي في أحسن صورةٍ**»، قال: أحسبه في المنام«**فقال: يا محمَّد هل تدري فيمَ يختصِم الملأ الأعلى؟ قال: قلت: لا. فوضع يده بين كتفي حتى وجدتُ بردَها بين ثديي، أو قال: في نحري، فعلمتُ ما في السماوات وما في الأرض، قال: يا محمَّد هل تدري فيمَ يختصمُ الملأُ الأعلى؟ قلت: نعم. في الكفَّارات والدرجات، والكفَّارات المكثُ في المساجد بعد الصلوات، والمشي على الأقدام إلى الجماعات، وإسباغ الوضوء في المكاره، ومن فعل ذلك عاش بخيرٍ ومات بخيرٍ، وكان من خطيئته كيوم ولدته أُمُّه، وقال: يا محمَّد إذا صلَّيت فقل: اللَّهم إنِّي أسألك الخيرات وتركَ المنكرات، وحبَّ المساكين، وإذا أردتَ بعبادك فتنةً فاقبضْني إليك غير مفتونٍ، قال: والدرجاتُ إفشاء السَّلام، وإطعامُ الطعام، والصَّلاةُ بالليل والنَّاسُ نيامٌ**» ثمَّ قال التِّرمذيُّ: وقد ذكروا بين أبي قلابة وبين ابن عبَّاسٍ في هذا الحديث رجلًا: ثنا محمَّد بن بشار: ثنا معاذ بن هشام: ثني أبي عن قتادة عن أبي قلابة، عن خالد بن

اللَّجلاج، عن ابن عبَّاسٍ، عن النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «أتاني ربِّي في أحسن صورةٍ، فقال: يا محمَّدُ، قلتُ: لبَّيك ربِّي وسَعْديك، قال: فيمَ يختصمُ الملأ الأعلى؟ قلتُ: ربِّي لا أدري، فوضع يده بين كتفيَّ فوجدتُ بردَها بين ثدييَّ فعلمتُ ما بين المشرق والمغرب، قال: يا محمَّد، قلت: لبيك ربِّ وسعديك، قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: في الدَّرجاتِ والكفَّاراتِ، وفي نقلِ الأقدام إلى الجماعات، وإسباغِ الوضوءِ في المكروهاتِ، وانتظارِ الصَّلاةِ بعد الصَّلاة، ومن يحافظ عليهنَّ عاش بخيرٍ ومات بخيرٍ، وكان من ذنوبه كيوم ولدتْه أمُّه» قال الترمذيُّ: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ من هذا الوجه، وفي الباب عن معاذ وعبدالرحمن بن عائش، وقد رُوي هذا الحديث عن معاذٍ عن النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بطوله وقال: «إنِّي نَعَسْتُ فاستثْقَلتُ نومًا، فرأيت ربِّي في أحسنِ صورةٍ فقال: فيمَ يختصمُ الملأُ الأعلى؟» اهـ كلام الترمذي.

قلت: أمَّا حديث معاذ فرواه أحمد والترمذيُّ من طريق أبي سلَّام عن عبدالرحمن بن عائش، عن مالك بن يَخَامِر، عن معاذ رضي الله عنه قال: احتبس علينا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ذاتَ غداةٍ من صلاةِ الصُّبح حتَّىٰ كِدْنا نَتَراءىٰ قرْنَ الشَّمس، فخرج سريعًا فثوب بالصَّلاة فصلَّىٰ وتجوَّز في صلاته، فلما سلَّم قال: «كما أنتُم» ثمَّ أقبل إلينا فقال: «إنِّي قمتُ من اللَّيل فصلَّيت ما قُدِّر لي، فنَعَسْتُ في صلاتي حتَّى استثْقلتُ فإذا أنا بربِّي عزَّ وجلَّ في أحسنِ صورةٍ، فقال: يا محمَّد أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري يا رب-أعادها ثلاثًا- فرأيتُه وضَعَ كفَّه بين كتِفيَّ حتى وجدتُ بردَ أنامله بين صدري، فتجلَّى لي كلُّ شيءٍ وعرفتُ، فقال: يا محمَّد فيم يختصمُ الملأ الأعلى؟

قلت: في الكفَّاراتِ، قال: وما الكفَّاراتُ؟ قلتُ: نقلُ الأقدامِ إلى الجماعاتِ والجلوسُ في المساجد بعد الصَّلواتِ، وإسباغُ الوضوء عند الكريهاتِ، قال: وما الدرجاتُ؟ قلتُ: إطعامُ الطعام، ولِينُ الكلام، والصَّلاةُ والنَّاس نيامٌ، قال: سلْ. قلتُ: اللهمَّ إنِّي أسألكَ فعلَ الخيراتِ وتركَ المنكراتِ، وحبَّ المساكين، وأنْ تغفرَ لي وترحمَني، وإذا أردتَ فتنةً بقومٍ فتوفَّني غيرَ مفتونٍ، وأسألكَ حبَّك وحبَّ من يحبُّك، وحبَّ عملٍ يقرِّبُني إلى حبِّك» وقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «إنَّها حقٌّ فادْرُسوها وتعلَّمُوها» قال التِّرمذيُّ: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

وأمَّا حديث عبدالرحمن بن عائش فرواه الطَّبراني بطرقٍ وألفاظٍ منها أنَّه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «رأيت ربِّي في أحسن صورةٍ فقال: يا محمَّد فيمَ يختصمُ الملأ الأعلى؟ قلت: أنت أعلم -أي ربِّ-، فوضع كفَّه بين كتفي فوجدتُّ بردَها بين ثدييَّ فعلمتُ ما في السَّماوات وما في الأرض، ثمَّ تلا ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٥]، ثمَّ قال: فيمَ يختصمُ الملأ الأعلى يا محمَّد؟ فقلتُ: في الكفَّاراتِ، قال: وما هُنَّ؟ قلتُ: المشْيُ على الأقدام إلى الجماعاتِ، والجلوسُ في المساجد خلافَ الصَّلواتِ، وإسباغُ الوضوءِ أماكِنَه في المكارِهِ، قال: قال الله عزَّ وجلَّ: منْ يفعلْ ذلك يَعِشْ بخيرٍ ويمتْ بخيرٍ ويكونُ كيومِ ولدتْه أمُّه، ومِنَ الدَّرجاتِ إطعامُ الطعامِ، وبذلُ السَّلام، وأنْ تقومَ باللَّيل والنَّاس نيامٌ، ثمَّ قال: يا محمَّد قل: اللَّهم إنِّي أسألك فعلَ الطيِّباتِ، وترْكَ المنكراتِ، وحبَّ المساكين، وأنْ تغفرَ لي وترحمَني وتَتُوبَ عليَّ، وإذا أردتَ بقومٍ فتنةً فتوفَّني غير مفْتُونٍ»

فقال النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**تعلَّموهنَّ فوالذي نفسي بيده إنَّهنَّ لحقٌّ**»، ورجاله ثقاتٌ غير أنَّ فيه اضطرابًا كثيرًا ذكره الحافظ في ترجمة عبدالرحمن بن عائش من "الإصابة"، وللحديث طرقٌ وألفاظ غير ما ذكرنا، أورده الحافظ الهيثميُّ في كتاب التعبير من "مجمع الزوائد"، والحافظ السُّيوطي في تفسير سورة (ص) من "الدُّرّ المنثور" عند قوله تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [ص: ٦٩]، قال البيهقي في "الأسماء والصِّفات" عقِبَ روايته له ما نصُّه: ثمَّ تأويله عند أهل النَّظر علىٰ وجهين:

أحدهما: أنْ يكون معناه: وأنا في أحسن صورةٍ كأنَّه زاده كمالًا وحسنًا وجمالًا عند رؤيته.

والثاني: أنَّه بمعنىٰ الصِّفة ومعناه أنَّه تلقَّاه بالإكرام والإجمال، فوصفه بالجمال.

وأما قوله: «فوضع كفَّه بين كتِفيَّ» فكذا في روايتنا وفي رواية بعضهم يد، وتأويله عند أهل النَّظر: إكرام الله إياه، وإنعامه عليه حتىٰ وجد برد النِّعمة يعني: روحها وأثرها في قلبه، فعلم ما في السَّماء والأرض، وقد يكون المراد باليد: الصِّفة بما وجد من زيادة العلم، كتعلُّق اليد التي هي صفةٌ لخَلْق آدم عليه السَّلام تعلُّق الصِّفة بمقتضاها لا علىٰ معنىٰ المباشرة، وإنَّما أمره إذا أراد شيئًا أنْ يقول له كن فيكون، لا تجوز عليه ولا علىٰ صفاته التي هي من صفات ذاته مماسَّة أو مباشرة، تعالىٰ الله عزَّ اسمه عن شبه المخلوقين علوًّا كبيرًا.اهـ

وأخرج الحافظ ابن الجوزي قال: أخبرنا عبدالملك بن أبي القاسم: أنا عبدالله بن محمَّد الأنصاري: أنا محمَّد بن عبدالجليل بن أحمد: أنا محمَّد بن أحمد بن

إبراهيم، وأنا ابن ناصر: أنا أبو علي الحسن بن أحمد: أنا أبو محمَّد الخلال: أنا عبيدالله بن عبدالرحمن الزهري قالا: ثنا أحمد بن محمَّد بن مقسم: سمعت عبدالعزيز بن أحمد النهاوندي قال: سمعت عبدالله بن أحمد بن حنبل قال: سمعتُ أبي يقول: رأيت ربَّ العزَّة عزَّ وجلَّ في المنام فقال: يا ربِّ ما أفضل ما تقرَّب به المتقرِّبون إليك؟ فقال: «كلامي يا أحمد»، قلت: يا رب بفهمٍ أو بغير فهمٍ؟ قال: «بفهمٍ وبغير فهمٍ».

وأخرج ابن الجوزي في "مناقب أحمد" أيضًا بإسناده إلى يعقوب ابن أخي معروف عن محمَّد بن إسحق قال: رأيتُ القيامة قد قامتْ، ورأيت ربَّ العزَّة عزَّ وجلَّ-أسمع الكلام وأرى النور- فقال: «ما تقول في القرآن؟» فقلت: كلامُك يا ربَّ العالمين، قال: «من أخبرك؟» فقلتُ: أحمد بن حنبل، فقال: «الحمد لله»، فدعى أحمد فقال له: «ما تقول في القرآن؟» فقال: كلامُك يا ربَّ العالمين، قال: «ومنْ أين علمتَ؟» قال: فصفح أحمد ورقتين فإذا في ورقة شعبة عن المغيرة، وفي الأخرى عطاء عن ابن عبَّاسٍ، فدعى شعبة، فقال الله تعالى: «ما تقول في القرآن؟» فقال: كلامك يا رب العالمين، فقال: «من أين علمت؟» قال: أنا عطاء عن ابن عبَّاسٍ، فلم يدع عطاء، ودعا ابن عبَّاسٍ، فقال: «ما تقول في القرآن؟» قال: كلامك يا رب العالمين، قال: «أين علمت؟» قال: أنا محمَّد رسول الله، فدعى النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال الله له: «ما تقول في القرآن؟» فقال: «كلامُك يا ربَّ العالمين»، قال: «ومن أخبرك؟» قال: «جبريلُ عنك»، قال: «صدقتَ وصدقوا».

وأخرج ابن الجوزي أيضًا بسنده إلى أبي الحسن بن الحسين الصوَّاف، قال:

رأيت ربَّ العزَّة في المنام فقال لي: «يا حسنُ من خالف ابنَ حنبل عُذِّب»؛ أي: لأنَّه كان يقول: القرآنُ كلامُ الله غيرُ مخلوقٍ.

وقال أبو سعيد الواعظ في كتاب "التعبير": أخبرنا أبو القاسم الحسين بن هرون بعكَّا: ثنا أبو يعقوب إسحق بن إبراهيم الأوزاعي: أخبرني عبدالرحمن بن واصل أبو زرعة الحاضري: ثنا أبو عبدالله التستُريُّ قال: رأيت ربِّي في منامي كأنَّ القيامة قد قامت وقمتُ من قبري، فأُتيتُ بدابَّة فركبتُها ثمَّ عُرج بي إلىٰ السَّماء فإذا فيها جنَّة، وأردت أنْ أنزل فقيل لي: ليس هذا مكانك، فعُرج بي إلىٰ سماء سماء في كلِّ سماءٍ منها جنَّة حتىٰ صرتُ إلىٰ أعلىٰ علِّيين، فنزلت ثمَّ أردتُ أن أقعد فقيل لي: تقعدُ قبل أنْ ترىٰ ربَّك عزَّ وجلَّ؟ قلت: لا. فقمتُ فساروا بي فإذا الله تبارك وتعالىٰ قدَّامَهُ آدمُ عليه السَّلام، فلما رآني آدم عليه السَّلام أجلسني يمينَه جِلسةَ المستغيثِ قلتُ: يا ربِّ قد أفلجت علىٰ الشَّيخ بعفوك، فسمعت الله تعالىٰ يقول: «قمْ يا آدمُ قد عفونا عنك».

وقال أبو سعيد أيضًا: أنا أبو علي الحسن بن محمَّد الزبيري: ثنا محمَّد بن المسيِّب: ثنا عبدالله بن حنيف قال: ثني ابن أخت بشر بن الحرث قال: جاء رجلٌ إلىٰ بشر فقال: أنت بشر بن الحرث؟ قال: نعم. قال: رأيت الربَّ عزَّ وجلَّ في المنام، وهو يقول: ائت بشرًا فقل له: «لو سجدتَ لي علىٰ الجَمر ما أدَّيتَ شُكري لما قد بيَّنتُ اسمَك في النَّاس».

وقال أبو سعيد أيضًا: أنا أحمد بن أبي عمران الصُّوفي بمكَّة: أني أبو بكر الطَّرطوسيُّ قال: قال عثمان الأحول تلميذ الخرَّاز: بات عندي أبو سعيد – يعني: الخرَّاز– فلما مضىٰ ثلث اللَّيل صاح بي يا عثمان قُم أسرجْ، فقمت

فأسرجت فقال لي: ويحك رأيت السَّاعة كأنِّي في الآخرة والقيامة قد قامت، فنوديت فأوقفت بين يدي ربِّي وأنا أرعُدُ لم يبق عليَّ شعرة إلَّا قد ماتت، فقال: «أنت الذي تشير إليَّ في السَّماع إلى سلمى وبثينة، لولا أعلم أنَّك صادقٌ في ذلك لغذَّبتك عذابًا لا أعذِّبه أحدًا من العالمين».

وذكر القطب الشَّعراني رضي الله عنه في "الطبقات الكبرى" عن أبي يزيد البسطامي أنَّه قال: رأيتُ ربَّ العزَّة في النوم فقلتُ: يا رب كيف أجدك؟ فقال: «فارقْ نفسَك وتعالَ إليَّ».

وذكر عبدالحكيم السِّيَالَكُوتي في "حاشية المواقف": أنَّ ممن ورد عنه رؤية الله تعالى في النَّوم من الصَّحابة عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه، ومن غيرهم أبو حنيفة رحمه الله تعالى، ومثل هذا كثيرٌ بالغٌ حدَّ التواتر، وأنا أعرف أناسًا رأوا الله تعالى في المنام منهم شيخنا وشيخ شيوخنا خاتمة المحدِّثين بفاس السَّيد محمَّدبن جعفر الكتاني روَّح الله روحه، ونوَّر ضريحه، فقد أثبت ذلك في "مبشراته"، وبلغني أنَّ بعض المتعصِّبة من علماء بلده استنكروا ذلك لما سمعوه واستعظموه، وليت شعري ما حملهم على الاستنكار والاستعظام! أغاب عنهم ما ذكرناه وما ذكره أهل التعبير؟ ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾[النساء: ٥٤].

والخلاصة: أنَّه لا داعي لاستنكار رؤية الله في المنام، إذ هي ثابتةٌ واقعةٌ وهي ضربٌ من المُبشِّرات، يكرم الله بها من يشاء من عباده المؤمنين، ولما يقع فيها من الأوصاف المستحيلة على الله كرؤيته على صورة شيخٍ أو شابٍّ، أو مقبلًا أو مدبرًا، لكلِّ ذلك تأويلات تختلف بحسب حال الرَّائي، عقد لها أهل

التَّعبير في كتبهم بابًا خاصًّا، هذا ما رأينا كتابته في الحال، وقد كنَّا عزمنا على تحرير مثله، منذ زمنٍ حيث كان كتب في الموضوع نفسه، فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمَّد سليمان سليمان كتابة تحتاج إلى مناقشة، فلم تساعده الأقدار إذ ذاك على ذلك، ولكلِّ أجلٍ كتابٌ.

٤- رؤية الأولياء لله[١]

قال مسروقٌ لعائشة رضي الله عنها: هل رأىٰ محمَّدٌ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ربه عزَّ وجلَّ؟ فقالت: سبحان الله!! لقد قَفَّ شعري لما قُلتَ، يرحم الله عائشة كيف لو أدركت زماننا هذا حتىٰ تسمع من يحدِّثُها أنَّ فلانًا الوليَّ يرىٰ الله عيانًا؟!

ورؤية النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ربَّه مما اختلف فيها العلماء الصَّحابة رضي الله عنهم فمن بعدهم، فمِن مُثبتٍ لها ومن مُنكرٍ، وبنو هاشمٍ كما يقول ابن عبَّاسٍ: كلُّهم علىٰ إثباتها، والإمام أحمد ممن يثبتها أيضًا، ويقول: فيما يرويه عنه عبدوس بن مالك العطَّار، من كلامٍ له بيَّن به أصول السُّنَّة عند السَّلف: والإيمان بالرؤية يوم القيامة كما روي عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من الأحاديث الصِّحاح، وأنَّ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قد رأىٰ ربَّه، فإنَّه مأثورٌ عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم صحيحٌ، رواه قتادة عن عكرمة عن ابن عبَّاسٍ، ورواه الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عبَّاسٍ، ورواه عليُّ بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عبَّاسٍ، والحديث عندنا علىٰ ظاهره كما جاء عن النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم والكلام فيه بدعةٌ، ولكن نؤمن به علىٰ ظاهره ولا نناظر فيه أحدًا، وسُئل عن ذلك كما في "تفسير العشاب" فقال: رآه رآه رآه رآه رآه حتىٰ انقطع نفسه، وسُئل -كما جاء في "علل الأخلاق"- عن حديث أبي ذر: «**نورٌ أنَّى أراه رأيتُ نورًا**». فقال: ما زلت منكرًا له وما أدري ما وجهه؟

قلت: وابن خزيمة يوافق الإمام أحمد علىٰ إثبات الرؤية، ويُعلُّ حديث أبي ذرٍّ بما تجده في كتاب "التوحيد"، والكلام في هذا طويلٌ متشعِّبٌ أفرد بالتأليف

---

(١) مجلة الإسلام.

فيحتاج بَتُّ الرَّأي فيه إلىٰ دراسةٍ واسعةٍ تجمع أطراف ما كتب من الجانبين مع تمحيصٍ دقيقٍ، ثمَّ بعد ذلك لا يخفىٰ علىٰ الباحث الفَطِن ما هو الحقُّ الحقيق بالاتباع، ونرجع إلىٰ موضوعنا الذي أنشأنا المقال لأجله.

بلغني أنَّ محيي الدين بن العربي ذكر في "فتوحاته" أنَّه رأىٰ الله عيانًا، فأخذتني قشعريرةٌ من سماع هذا الكلام وعلَّتني الرَّمضاء، ثمَّ قلت لمحدِّثي -بعد وجوم-: هذا لا يصح عن ابن العربي، وإنْ صحَّ فهو مؤوَّلٌ يقينًا؛ لأنَّ إجماع الصُّوفيَّة ومعهم علماء الظَّاهر، قائمٌ علىٰ أنَّ رؤية الله في الدُّنيا يقظة لم تقع لأحدٍ غير نبيِّنا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، علىٰ ما في رؤيته من خلاف، وكلُّ قول يكون بمنطوقه أو مفهومه مخالفًا للإجماع يجب طرحه جانبًا أو تأويله بما يوافق الجماعة إن كان للتأويل فيه مجال، هذا ما قرَّرته حينئذٍ، ثمَّ ظهر لي بعد أن أتوسَّع في التقرير بعض التوسُّع وأعود عليه بالتنقيح والتهذيب، فلعلَّ فيه استبهامًا يحتاج إلىٰ بيانٍ، أو اعتراضًا يعوزه جوابٌ، أو نقصًا يتوقَّف علىٰ تتميمٍ وتكميلٍ مع ما في إذاعة ذلك ونشره من الفائدة لجمهرة القرَّاء، إذ الموضوع يتصل بصميم العقائد ويدخل في أمَّهات السَّمعيَّات من عِلم التوحيد، فإليك طائفةً من النُّصوص لا تتعلَّق بجواز الرُّؤية وإنْ دلَّت عليه التزامًا؛ إذ أنَّ ذلك مفروغٌ منه في موضعه، ولكنَّها تتسع الوقوع وتبيِّن حكم مدَّعيه.

في "صحيح" مسلم عن بعض أصحاب النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**تعلَّموا أنَّ أحدًا منكم لن يرى ربَّه عزَّ وجلَّ حتَّى يموتَ**»، ومثله عند ابن خزيمة من حديث أبي أُمامة ومن حديث عبادة بن الصَّامت[1] وهو صريحٌ

---

(١) رواه أحمد أيضًا.

في منع الوقوع، ولذا قال الحافظ في "الفتح": «فإنْ جازت الرُّؤية في الدُّنيا عقلًا فقد امتنعت سمعًا» اهـ.

وفي "الفتح" أيضًا كلامٌ على حديث سؤال جبريل عن الإسلام والإيمان والإحسان عقب قوله: «**فإنْ لم تكنْ تراهُ فإنَّه يراك**»، تنبيهٌ دلَّ على سياق الحديث، على أنَّ رؤية الله في الدُّنيا بالأبصار غير واقعةٍ، وأمَّا رؤية النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فذاك لدليلٍ آخر، وقد صرَّح مسلمٌ في روايته من حديث أبي أُمامة بقوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**واعلموا أنَّكم لن تروا ربَّكم حتى تموتوا**».

وأقدم بعض غُلاة الصُّوفيَّة على تأويل الحديث بغير علمٍ، فقالوا: فيه إشارةٌ إلى مقام المحو والفناء وتقديره: فإنْ لم تكن -أي: فإنْ لم تَصِرْ شيئًا وفنيت عن نفسك- حتى كأنَّك ليس بموجودٍ فإنَّك حينئذٍ تراه، ثمَّ ردَّ هذا التأويل بما يطلب هناك.

وفي كتاب "التوحيد" بعد ذكر آيتي الرُّؤية يوم القيامة: حدَّثنا جلَّ ثناؤه أنَّها -يعني الرُّؤية- بعد الموت وأنَّهم لا يرونه قبل الممات، ولو كان معنى قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[الأنعام: ١٠٣]، على ما تتوهَّمه الجهميَّة المعطِّلة الذين يجهلون لغة العرب، فلا يُفرِّقون بين النَّظر وبين الإدراك، لكن معنى قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾أي: أبصار أهل الدُّنيا قبل الممات، ثمَّ استشهد بحديث أبي أُمامة: «**لنْ ترَوْا ربَّكم حتَّى تموتوا**» ثمَّ قال: فيه دلالةٌ واضحةٌ اهـ.

وفي "تفسير العشاب": وروى مالكٌ أنَّه سئل عن رؤية الله بالبصر في الدُّنيا فقال: لا يُرى الباقي بالفاني، وذكره القاضي عياض في "إكمال المعلم ولفظه"- بعد ذكر جواز الرُّؤية ووقوعها في الآخرة-، وأمَّا في الدنيا فقال مالكٌ: إنَّما لم يُرَ

سبحانه في الدُّنيا؛ لأنَّه باقٍ والباقي لا يُرىٰ بالفاني، فإذا كان في الآخرة ورزقوا أبصارًا باقيةً رأوا الباقي بالباقي، هذا كلامُ الإمام مالك[1] شيخ الأئمَّة وأشدُّهم إتقانًا وتثبُّتًا، ويوافقه في المعنىٰ من كلام علية القوم، قول السهروردي في "أعلام الهدىٰ وعقيدة أرباب التقىٰ": أنَّ رؤية العيان متعذِّرةٌ في هذه الدَّار؛ لأنَّها دار الفناء والآخرة هي دار البقاء، فلقوم من العلماء نصيبٌ من علم اليقين في الدُّنيا، وللآخرين -أعلىٰ منهم مرتبة- نصيبٌ من عين اليقين، كما قال قائلهم: رأىٰ قلبي ربي، وقرأت في "استجلاب ارتقاء الغرف" للحافظ السَّخاوي: وفي "المجالسة" من طريق المدائني قال: بينما محمَّد بن علي بن الحسين عليهم السَّلام في فناء الكعبة أتاه أعرابي فقال له: هل رأيت الله حيث عبدته فأطرق وأطرق من كان حوله، ثمَّ رفع رأسه إليه فقال: ما كنت أعبد شيئًا لم أره، قال: لم تره الأبصار بمشاهدة العيان، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان، لا يُدرَك بالحواسِّ، ولا يُقاسُ بالنَّاس، معروفٌ بالآيات، منعوتٌ بالعلامات،

---

(١) لما نقل ابن الصلاح عن أبي منصور التميمي أن أصحَّ الأسانيد الشافعي عن مالك عن نافع عن ابن عمر، واحتجَّ بإجماع أهل الحديث علىٰ أنه لم يكن في الرواة عن مالك أجل من الشافعي، اعترضه مغلطاي الحنفي برواية أبي حنيفة عن مالك إن نظرنا إلىٰ الجلالة وابن وهب والقَعْنبي إن نظرنا إلىٰ الإتقان، وأجيب عنه بأجوبةٍ منها ما قاله شيخ الإسلام الحافظ أنَّ رواية أبي حنيفة عن مالك لم تثبت وإنما أوردها الدارقطني ثم الخطيب لرواية وقعت لهما عنه بإسنادين فيهما فقال: وأيضًا فإن رواية أبي حنيفة عن مالك إنما هي ذكره في المذاكرة ولم يقصد الرواية عن كالشافعي الذي لازمه وأخذ عنه "الموطأ" إلخ ومعلوم أنَّ القعنبي وابن وهب أنزل من الشافعي بدرجات بل أجلية أبي حنيفة علىٰ الشافعي في مقام المنع.

لا يجوز في قضيَّته، بَانَ من الأشياء وبانت الأشياء منه، وليس كمثله شيءٌ، ذلك الله الذي لا إله إلَّا هو. فقال الأعرابي: الله أعلم حيث يجعل رسالاته.

وهذا كلام أبي جعفر الباقر صفوة آل بيت النُّبوَّة، وممن جمع حسب الدِّين وشرف الأبوَّة. وفي "شرح صحيح مسلم" للإمام النووي بعد ذكر جواز الرُّؤية ووقوعها في الآخرة: وأمَّا رؤية الله تعالىٰ في الدُّنيا، فقد قدَّمنا أنَّها ممكنة ولكن الجمهور من السَّلف والخلف من المتكلِّمين وغيرهم أنَّها لا تقع في الدُّنيا، وحكىٰ الإمام أبو القاسم القشيري في "رسالته" المعروفة عن الإمام أبي بكر ابن فورك رضي الله عنه، حكىٰ فيها قولين للإمام أبي الحسن الأشعري، أحدهما: وقوعها، والثاني: لا» اهـ.

وعبارة "الرسالة القشيرية": فصلٌ: فإنْ قيل: فهل تجوز رؤية الله بالأبصار اليوم في الدُّنيا علىٰ جهة الكرامة؟

فالجواب: عنه أنَّ الأقوىٰ فيه أنَّه لا يجوز، لحصول الإجماع عليه وقد سمعت الإمام أبا بكر بن فورك رضي الله عنه يحكي عن أبي الحسن الأشعري أنَّه قال في ذلك قولين في كتاب "الرؤية الكبير".

قلت: قول أبي الحسن الأشعري لا يضرُّ الإجماعَ شيئًا كما ستعرفه، ألا ترىٰ أنَّ الإمام القشيريَّ حكىٰ الإجماع أولًا ثمَّ نقل قول الأشعري، ولو كان مؤثِّرًا شيئًا لما استجاز حكاية الإجماع، وفي "حادي الأرواح" بعد استيعاب أدلَّة الرُّؤية يوم القيامة استيعابًا بالغًا: والمنحرفون في باب رؤية الرَّب تبارك وتعالىٰ نوعان:

أحدهما: من يزعم أنَّه يُرىٰ في الدُّينا ويحاضِر ويسامِر.

والثاني: من يزعم أنَّه لا يُرىٰ في الآخرة البتَّة ولا يكلِّم عباده.

وما أخبر الله به رسوله وأجمع عليه الصَّحابة والأئمَّة يكذِّب الفريقين، وفي كتاب "التعرُّف لمذهب التصوُّف": وأجمعوا على أنَّه تعالى لا يُرى في الدُّنيا بالأبصار، ولا بالقلوب إلَّا من جهة الإيقان بأنَّه غاية الكرامة وأفضل النعم، ولا يجوز ذلك إلَّا في أفضل مكانٍ، ولو أعطوا في الدُّنيا أفضل النِّعم لم يكن بين الدُّنيا الفانية والجنة الباقية فرقٌ، ولمَّا منع الله كليمه موسى عليه السَّلام ذلك في الدُّنيا كان مَنْ دونه أحرى، ولا نعلم أحدًا من مشايخ هذه الطريق ولم نر في كتبهم ولا في مصنَّفاتهم ولا في رسائلهم ولا في الحكايات الصَّحيحة عنهم، ولا سمعنا ممن أدركنا منهم زعم أنَّ الله يُرى في الدنيا أو رآه أحدٌ من الخلق، إلَّا طائفة غُلاة لم يعرفوا بأعيانهم، بل زعم بعض النَّاس أنَّ قومًا من الصُّوفيَّة ادعوه لأنفسهم، وقد أطبق المشايخ كلُّهم على تضليل من قال ذلك، وتكذيب من ادَّعاه وصنَّفوا في ذلك كتابًا، منهم أبو سعيد الخرَّاز والجُنيد في تكذيب من ادَّعاه وتضليله، وقالوا: من ادَّعى ذلك لم يعرف الله تعالى، وهذه كتبهم تشهد على ذلك، هذا كلامٌ صريحٌ موضِّحٌ كافٍ وشافٍ، وقد أقرَّه عليه شارحه علاء الدين القونوي والحافظ السُّيوطي في "تأييد الحقيقة العليَّة"، بل زاد القونوي: وقد يكون الشَّيطان تراءى لمن ادَّعى ذلك ودعاه لنفسه وربطه في الضَّلال.

قلت: مثل هذا -من المزالق الخطرة- يجد الشَّيطان فيه مجالًا واسعًا للتَّضليل والإغْواء، فلا ينجو إلَّا من أراد الله به خيرًا، كما ذكر العارف الشَّعراني في "الطبات"، و"اليواقيت" عن الشَّيخ عبدالقادر الجيلي رضي الله عنه قال: تراءى لِيَ مرَّة نورٌ عظيمٌ ملأ الأفق، ثم بدتْ لي صورةٌ تناديني يا عبدالقادرأنا ربُّك وقد أسقطتُ عنك التكاليف، فإنْ شئتَ فاعبدني وإنْ شئتَ

فاتركْ، فقلتُ له: اخسَأْ يا لعين فإذا ذلك النُّور قد صار ظلامًا وتلك الصورة صارت دخانًا ثمَّ خاطبني اللَّعين، وقال لي: يا عبدالقادر نجوتَ منِّي بعلمك بأحكام ربك وفقهك في أحوال منازلاتك، ولقد أضللت بمثل هذه الواقعة سبعين من أهل الطريق، فقيل للشيخ عبدالقادر: فمن أين عرفت أنَّه شيطانٌ؟ فقال: بإحلاله لي ما حرَّم الله على لسان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فإنَّه تعالى لا يحرِّم شيئًا على ألسنة رسله ثمَّ يبيحه لأحدٍ في السِّر أبدًا، وفي "شرح الفقه الأكبر" لملَّا علي القاري -بعد كلامٍ في هذا المعنى- وقد نقل جماعةٌ الإجماع على أنَّ رؤية الله تعالى لا تحصل للأولياء في الدُّنيا، وقد قال ابن الصَّلاح وأبو شامة: إنَّه لا يُصدَّق مُدَّعي الرُّؤية في الدُّنيا حال اليقظة، فإنَّها شيءٌ مُنع منه كليم الله موسى، وفيه أيضًا:

والحاصل: أنَّ الأمة قد اتَّفقتْ على أنَّه تعالى لا يراه أحدٌ في الدُّنيا بعينه، ولم يتنازعوا في ذلك، إلَّا لنبيِّنا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حال عروجه على ما صرَّح به في "شرح عقيدة الطحاوي" وفي "اليواقيت"، فإنْ قيل: فهل وقعت رؤية الله تعالى في يقظة الدُّنيا لأحدٍ غير رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بحكم الإرث له في المقام؟

فالجواب كما قاله الشيخ عبدالقادر الجيلي رضي الله عنه: لم يبلغنا وقوع ذلك في الدُّنيا لأحدٍ غير رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وفي هذه دلالةٌ واضحةٌ على أنَّ ابن العربي لم يصحّ عنه ادعاء الرُّؤية كما قدَّمنا، إذْ لو صحَّ لنقله العارف الشَّعراني رضي الله عنه فإنَّه أعرف بكلام الشَّيخ، لا يغيب عليه منه شيءٌ وأفهم له في غيره.

٥- حكمُ الذين يحقِرون النبيَّ ﷺ باسم التَّوحيد والسُّنة[١]

عن ابن عبَّاسٍ قال: إنَّ أعمىٰ كانت له أم ولدٍ علىٰ عهد رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم تُكثر الوقيعة في رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وتشتُمه، فقتلها الأعمىٰ، فذكر ذلك للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فقال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أشهدُ أنَّ دمَهَا هَدَر**». رواه أبو داود والنَّسائيُّ والبيهقيُّ وهذا لفظه.

وفي "سنن أبي داود" و"البيهقي"، واللفظ للأول، عن أبي برْزةَ قال: كنت عند أبي بكر رضي الله عنه فتغيَّظ علىٰ رجلٍ فاشتدَّ عليه، فقلتُ: ائذنْ لي يا خليفة رسول الله أضرب عنقه. قال: فأذهبتْ كلمتي غضبَه فقام فدخل فأرسل إليَّ، فقال ما الذي قلتَ آنفًا؟ قلت: ائذن لي أضرب عنقه. قال: أكنتَ فاعلًا لو أمرتُك؟ قلت: نعم. قال: لا والله، ما كانتْ لبشر بعد رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم. صحَّحه الحاكم وابن تيمية.

وقوله: «إنَّ أعمىٰ كان له أمُّ ولد علىٰ عهد رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم تُكثر الوقيعةَ فيه... إلخ».

وفي "سنن أبي داود" و"سنن ابن بطة" عن الشَّعْبي عن عليٍّ عليه السلام، أنَّ يهوديَّة كانت تشتُم النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وتقع فيه فخنقَها رجلٌ حتىٰ ماتت، فأبطل رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم دَمَها.

وجاء في روايةٍ أنَّ الرَّجل كان أعمىٰ، قال ابن تيمية في كتاب "الصارم المسلول علىٰ شاتم الرسول" وهذا الحديث نصٌّ علىٰ جواز قتلها -يعني:

---

(١) مجلة المسلم، السنة الخامسة، العدد الرابع، ذي القعدة ١٣٧٤.

اليهودية- لأجل شتم النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، ودليل علىٰ قتل الرجل الذِّميِّ، وقتل المسلم والمسلمة إذا سبَّا بطريق الأولىٰ.

وقال أبو بكر بن المنذر: «أجمع عوامُّ أهل العلم علىٰ أنَّ مَن سبَّ النبيَّ يُقتل». وممن قال ذلك: مالك بن أنس، والليث، وأحمد، وإسحاق، وهو مذهب الشافعيِّ.

وقال القاضي عياض في "الشفا": «اعلمْ أنَّ جميع مَن سبَّ النبيَّ أو عابه أو ألحق به نقصًا في نفسه أو نسبه أو دينه أو خصلة من خصاله أو عرَّض به أو شبهه بشيءٍ علىٰ طريق السبِّ له أو الإزراء عليه أو التصغير لشأنه أو الغضِّ منه والعيب له، فهو سبٌّ له والحكم فيه حكم السابِّ؛ يقتل كما نبيِّنُه، ولا نستثني فصلًا من فصول هذا الباب علىٰ هذا القصد ولا نمتري فيه تصريحًا كان أو تلويحًا، وكذلك من لعنه أو دعا عليه أو تمنىٰ مضرَّةً له أو نسَب إليه ما لا يليق بمنصبه علىٰ طريق الذمِّ أو عبثَ في جهته العزيزة بسُخْفٍ من الكلام وهُجْرٍ ومنكرٍ من القول وزورٍ، أو عيَّره بشيءٍ مما جرىٰ من البلاء والمحنة عليه، أو غمَصَه ببعض العوارض البشريَّة الجائزة والمعهودة لديه، وهذا كله إجماعٌ من العلماء وأئمَّة الفتوىٰ من لدن الصحابة إلىٰ هلمَّ جرّا».

وقال الإمام محمد بن سَحْنون: «أجمع العلماء أنَّ شاتم النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم المتنقِّص له: كافرٌ، والوعيد جارٍ عليه بعذاب الله له، وحكمه عند الأمَّة القتل، ومَن شكَّ في كفره وعذابه كفَر».

وقال الإمام ابن عتاب: «الكتاب والسُّنة موجبان أنَّ من قصد النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بأذًىٰ أو نقصٍ معرِّضًا أو مصرِّحًا وإن قلَّ؛ فقتله واجبٌ».

وسمع رجلٌ قومًا يتذاكرون صفة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إذ مرَّ بهم رجلٌ قبيحُ الوجه واللِّحية فقال لهم: تريدون تعرفون صفته؟ هي في صفة هذا المارِّ في خلقه ولحيته. فأفتىٰ الإمام ابن أبي زيد القيرواني بقتله وعدم قبول توبته.

وأفتىٰ أبو الحسن القابسيُّ فيمن قال في النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «الحمَّال يتيمُ أبي طالب» أنه يُقتل، وفتاوىٰ العلماء ونصوصهم في هذا كثيرةٌ.

قوله: «كنت عند أبي بكر فتغيَّظ علىٰ رجل.. إلخ»، لهذا الأثر طرقٌ عند النَّسائيِّ وغيره، وروىٰ قاسم بن أصبغ في "مصنفه"، ومن طريقه ابن حزمٍ، عن أبي برزة قال: أغلظ رجل لأبي بكر الصِّدِّيق، قلت: ألا أقتله؟ فقال أبو بكر: ليس هذا إلَّا لمن شتم النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

ورويا أيضًا عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أنَّه كان علىٰ الكوفة لعمر بن العزيز، فكتب إلىٰ عمر: «إنِّي وجدت رجلًا بالكوفة يسبُّك وقامت عليه البيِّنة فهممتُ بقتله أو قطع يديه أو قطع لسانه أو رجليه، ثمَّ بدا لي أنْ أراجعَك فيه».

فكتب إليه عمر بن العزيز: «سلام عليك أمَّا بعد؛ والذي نفسي بيده لو قتلتَه لقتلتُك به، ولو قطعتَه لقطعتُك به، ولو جلدتَه لأقدتُه منك، فإذا جاءك كتابي هذا فاخرج به إلىٰ الكناسة فسبَّه كالذي سبَّني أو اعفُ عنه فإن ذلك أحبُّ إليَّ، فإنه لا يحلُّ قتل امرئ مسلمٍ يسبُّ أحدًا من الناس إلا رجلًا سبَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم».

وروىٰ محمد بن عبد الملك بن أيمن، ومن طريقه ابن حزمٍ، عن علي بن

المديني قال: دخلت على أمير المؤمنين فقال لي: أتعرف حديثًا مسندًا فيمن سبَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فيُقتل؟ قلتُ: نعم. فذكرتُ له حديث عبدالرزاق، عن معمر، عن سِماك بن الفضل، عن عروة بن محمد، عن رجل من بلقين قال: كان رجل يشتم النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن يكفني عدوًّا لي؟**» فقال خالد بن الوليد: أنا. فبعثه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقتله.

فقال أمير المؤمنين: ليس هذا مسندًا هو عن رجل. فقلت: يا أمير المؤمنين بهذا يعرف هذا الرجل وهو اسمه وقد أتى النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فبايعه وهو مشهورٌ معروفٌ. قال فأمر لي بألف دينار.

وقال ابن حزمٍ: هذا حديثٌ مسندٌ صحيحٌ، وقد رواه علي بن المديني عن عبدالرزَّاق كما ذكره. ثم قال ابن حزم بعد ذكر ما تقدَّم من الأثار ما نصُّه: «فصحَّ بما ذكرناه أنَّ كلَّ مَن سبَّ الله تعالى أو استهزأ به، أو سبَّ ملَكًا من الملائكة أو استهزأ به، أو سبَّ نبيًّا من الأنبياء أو استهزأ به، أو سبَّ آيةً من آيات الله تعالى أو استهزأ بها -والشرائع كلُّها والقرآن من آيات الله تعالى- فهو بذلك كافرٌ مرتدٌّ له حكم المرتدِّ وبهذا نقول».

وقلت: يدخل في هذا ما بلغني عن بعض المتسلِّفين ممن انضمَّ أخيرًا إلى القَصيمي -قصمه الله- أنه قال في مجلسٍ يضمُّ كثيرًا من الناس: إنَّ القرآن ناقصٌ؛ لأنه لم يُشِر إلى المخترعات الحديثة وأنَّه كان الواجب أن يقول: وإنَّ لكم في (الأورنيوم) لعبرة بدل قوله: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ﴾ [النحل: ٦٦] مثلًا وهذا كما ترى كفرٌ صريحٌ يوجب قتل صاحبه والعياذ بالله تعالى.

(تنبيه): كثير ما يحصل بين الناس أن يذكر أحدهم نبيًّا من الأنبياء، أو ملكًا من الملائكة على سبيل ضرب المثل كأن يقول: إن قيل فيَّ السوء فقد قيل في النبيِّ، أو: إن كُذِّبتُ فقد كُذِّب الأنبياء، أو: صبرتُ كصبر أيُّوب، أو: لا أفعل كذا ولو نزل عليَّ جبريل، أو: أنا أسلم من ألسنة الناس ولم يسلم منهم أنبياء الله ورسله، أو: كلُّ الناس أذنبوا حتى الأنبياء، ونحو هذا مما يدور بين الناس في محاورتهم ومخاصماتهم.

قال القاضي عياض في "الشفا" بعد أن ذكر كثيرًا من الأمثلة من هذا القبيل ما نصه: «فحَقُّ هذا -إن دُرئ عنه القتل- الأدب والسجن وقوة تعزيره بحسب شنعة مقاله ومقتضى قبح ما نطق به ومألوف عادته لمثله أو ندوره أو قرينة كلامه أو ندمه على ما سبق منه، ولم يزل المتقدمون ينكرون مثل هذا ممن جاء به».

ثم نقل فتاوى عمر بن عبد العزيز ومالك وسحنون وغيرهم فليراجعْ كلامه، فإنَّه أجاد فيه غاية الإجادة.

وللحافظ السيوطي رسالة "تنزيه الأنبياء عن تشبيه الأغبياء" ألَّفها بسبب حادثةٍ وقعت من القبيل المذكور وهي مطبوعةٌ في كتابه "الحاوي للفتاوى".

ومن قلَّة الأدب مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ما سمعته من عالم أزهري -وهو في الواقع جاهل- سمعته يقول في مجلس خليط: إنَّ محمدًا أخطأ وسجَّل الله عليه الخطأ في القرآن أعادها مرتين أو ثلاثة فأخذتْ بعض الحاضرين حماسة الإيمان وردَّ عليه بأنَّ هذا لا يليق وأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لم يخطئ، فأصرَّ على مقالته وأعادها وقال: إنَّه يأسف على تصريحه

هذا ولكنْ دعاه إليه التعليم.

قلت: ما كان أحوجه أن يأسف على قلَّة أدبه وكثرة جهله وفرْط حقده وتعصُّبه.

ومقام النبَّوة أعلى وأجلُّ عن مثل هذا التعبير الشنيع قال ابن السبكي في "جمع الجوامع": «والصواب أنَّ اجتهاده صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لا يخطئ».

قال شارحه الجلال المحلِّي: «تنزيهًا لمنصب النبوَّة عن الخطأ في الاجتهاد وقيل: قد يخطئ ولكن ينبَّه عليه سريعًا لما تقدم في الآيتين: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ﴾ [الأنفال: ٦٧] ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣]».

ولبشاعة هذا القول عبَّر المصنف بـ«الصواب» أي: ليفيد أن مقابله غير صواب، كما قاله العلامة العطار في حاشيته على "جمع الجوامع" والله أعلم.

٦- سؤال القبر لا يتأخَّر عن موعده(١)[1]

اطَّلعت في العدد الرابع والأربعين من "مجلة الإسلام" الغرَّاء على أسئلة وأجوبتها للأستاذ الشيخ عبد الجواد محمد الدومي، فإذا هو يجيب من سأله عما يقال: إن نقل الجُثَّة يستلزم السؤال مرَّتين؛ بأنَّ المصرَّح به في بعض كتب التوحيد أنَّ الميت إذا علم الله تعالى أنه سينقل من قبره إلى قبر آخر لا يسأل إلا في مقرِّه الأخير. اهـ

وحيث أن هذا الجواب لم يصادف محلَّه من الصواب رأيت أن أبيِّن الحقَّ في الموضوع مع احترامي لشخص الأستاذ فأقول:

إنَّ الميت لا يُسأل إلَّا في قبره الأول سواء أنقل منه إلى قبر آخر أم لم يُنقل، وإذا نقل لم يسأل في القبر الثاني أصلًا. هذا ما دلَّ عليه عموم أحاديث:

١ - عن عطاء بن يسار قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لعمر ابن الخطاب: «**يا عمرُ، كيف بك إذا أنت متَّ فقاسوا لك ثلاثة أذرعٍ وشبرًا في ذراعٍ وشبرٍ ثُمَّ رجعوا إليك وغَسَّلُوكَ وكَفَّنوكَ وحَنَّطُوكَ، ثُمَّ احْتَمَلوكَ حتَّى يَضَعُوكَ فيه ثُمَّ يُهيلوا عليك الترابَ ويَدْفُنوكَ، فإذا انصرفوا عنك أتاك فتَّانا القَبْرِ -مُنكَرٌ ونَكيرٌ- أصواتُهما كالرَّعْدِ القاصِفِ، وأبصارُهما كالبرقِ الخاطفِ، يُجرُّان أشعارهما، ويبحثان القبرَ بأنيابهما، فتَلْتَلاك وتَرْتَرَاك -أي: أزعجاك- وهوَّلاك فكيف بك عند ذلك يا عمر؟**».

فقال عمر: و يكون معي مثل عقلي الآن؟، فقال رسول الله صلَّى الله عليه

---

(١) مجلة الإسلام -السنة الثالثة (العدد ٤٦) ٢٥ ذي القعدة ١٣٥٣.

وآله وسلَّم: «نعم» قال: إذًا أكفيكهما.

رواه ابن أبي الدنيا في "القبور"، والبيهقيُّ في "عذاب القبر"، وأبو نعيم في "الحلية" بإسنادٍ صحيحٍ غير أنه مرسلٌ، لكن رواه ابن بطة في "الإبانة" من حديث ابن عبَّاسٍ، ورواه البيهقي في "الاعتقاد" من حديث عمر بإسنادٍ ضعيفٍ، ورواه أحمد، وابن حِبَّان من حديث عبد الله بن عمرو، وهو حديث طويل اختصرنا منه لفظ السؤال وكيفيَّته.

٢- عن عثمان رضي الله عنه قال: كان النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه، وقال: «**اسْتَغْفِرُوا لأخيكم، وسَلوا لَهُ التثبيتَ؛ فإنَّه الآن يُسأل**». رواه أبو داود، والحاكم وقال: «صحيح الإسناد» وأقرَّه الحافظ الذهبيُّ.

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا مات العبدُ أتاه ملكان أسودان أزرقان يقالُ لأحدهما منكرٌ وللآخر نكيرٌ، فيقولان له: ما كنتَ تقولُ في النبيِّ**». وفي روايةٍ: «**في هذا الرجل**»، وذكر الحديث في كيفية السؤال والجواب من المؤمن والكافر. خرجه الترمذيُّ وحسَّنه.

٤- عن أبي هريرة أيضًا قال: شهدنا جنازة مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فلما فرغ من دفنها وانصرف الناس قال: «**إنَّه الآنَ يسمعُ خفقَ نعالِكم أتاه منكرٌ ونكيرٌ أعينُهما مثل قُدور النُّحاس وأنيابهما مثل صياصِيِّ البقر وأصواتُهما مثلُ الرَّعد**». وذكر الحديث في كيفية السؤال والجواب. رواه الطبرانيُّ في "الأوسط" وقال: «تفرَّد به ابن لَهيعة».

قلت: وهو ثقةٌ بل كان فقيه مصر في وقته، وإنما تُكلِّم فيه لأجل اختلاطه فإنَّ كتبه احترقت في آخر حياته فصار يُحدِّث من حفظه، وقد استقرَّ عمل الحفَّاظ على تحسين حديثه، وحسَّن له الحافظ الهيثمي في "مجمع الزوائد" عدَّة أحاديث تفرَّد بها، فحديثه هذا حسنٌ لا سيَّما وله شواهد مُتعدِّدة.

٥- عن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ العبد إذا وُضِعَ في قبره وتولَّى عنه أصحابه وإنه يسمع قَرْعَ نِعالهم، قال: يأتيه مَلَكان فيُقْعِدانِهِ، فيقولانِ ما كنتَ تقولُ في هذا الرجل الذي يقالُ له محمَّد..**». وذكر الحديث في السؤال، رواه الشيخان.

٦- عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ المؤمن إذا كان في انقطاعٍ مِن الدُّنيا وإقبالٍ مِن الآخرة بعثَ اللهُ إليه ملائكةً كأنَّ وجوهَهم الشمسُ، معهم حَنُوطُهُ وكَفَنُهُ فيَجْلِسون مَدَّ بصره، فإذا خرجت رُوحه صلَّى عليه كلُّ مَلَكٍ بين السماء والأرض، وفتُحِتْ أبواب السماء، فإذا صُعِدَ برُوحه قيل: أيْ ربِّ عبدك فلان. فيقول: أرجعوه فأروه ما أعددتُ له مِن الكرامة. فتُعاد روحه في جسده، وإنه ليسمع خَفْقَ نِعالهم إذا ولو مُدْبِرين، يأتيه مَلَكان فيُجْلِسانِهِ، فيقولان له: مَن رَبُّك؟ فيقول: ربِّي الله. فيقولان له: ما دينُك؟ فيقول: ديني الإسلامُ. فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بُعِثَ فيكم؟ فيقولُ: هو رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم..**» وذكر الحديث. ثُمَّ قال: «**وإنَّ العَبْدَ الكافِرَ إذا كان في انقطاعٍ مِن الدُّنيا وإقبالٍ مِن الآخِرة نزلت إليه ملائكةٌ غِلاظٌ شِدادٌ معهم ثيابٌ مِن نارٍ وسرابيل مِن قَطِران فيَحْتَوشُونه فإذا خرجتْ رُوحه لعنه كلُّ مَلَكٍ بين السماء والأرض، وغُلِّقت أبوابُ السَّماء،**

فإذا صُعِد بروحه نُبِذ وقيل: أي ربِّ عبدك فلان لم تقبلْه سماءٌ ولا أرضٌ. فيقول: أرجعوه فأرُوه ما أعددتُ له مِن الشرِّ. فتعادُ روحُه في جسده، وإنه ليسمع خَفْقَ نِعالهم إذا ولَّوا مُدبرين، ويأتيه مَلَكان فيُجْلِسانه فيقولان له: مَن رَبُّك؟ فيقول هاه هاه لا أدري. فيقولانِ ما دينُك؟ فيقول هاه هاه لا أدري. فيقولان: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول هاه هاه لا أدري. فينادي منادٍ مِن السَّماء: أنْ كذب عبدي فافرشوا له مِن النَّار، وألبِسُوه مِن النَّار، وافتحوا له بابًا مِن النَّار. فيأتيه مِن حَرِّها، وسَمُومِها، ويُضَيَّق عليه قبره حتَّى تختلفَ أَضْلَاعُهُ». الحديث. رواه أحمد، وابن أبي شيبة، والطَّيالسي، وأبو داود، وعبد ابن حميد، وابن جرير، وهناد، وابن حِبَّان، والحاكم، والبيهقي. بألفاظ متعدِّدة وطرقٍ صحيحةٍ.

٧- حديث تميم الداري وهو بلفظ حديث البَرَاء، ومعناه. رواه ابن أبي الدنيا، وأبو يعلي في "مسنده الكبير" من طريق يزيد الرقاشي عن أنس عنه، ويزيد ضعيفٌ.

٨- عن أبي رافع قال: بَيْنَا أنا مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في بَقِيعِ الغَرْقَدِ، وأنا أمشي خَلْفَهُ، إذ قال: «لاَ هُدِيتَ ولا اهْتَدَيْتَ»، قلت: ما لي يا رسول الله ؟ قال: «لَسْتُ إيَّاكَ أُرِيدُ، ولكنْ أُرِيدُ صاحِبَ هذا القَبْرِ، وسُئِلَ عَنِّي، فزَعَمَ أَنَّهُ لا يَعْرِفُني». فإذا قَبْرٌ مَرْشُوشٌ عليه ماءٌ حِينَ دُفِنَ صاحِبُهُ. رواه البزَّار، والطَّبراني والبيهقي بإسنادٍ ضعيفٍ، ورواه أبو نعيم في "الدلائل" من طريق آخر.

٩- عن أبي سعيد الخدريِّ قال: شَهِدْتُ مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله

وسلَّم جَنَازَةً، فقال: «**يا أيُّها النَّاسُ، إنَّ هذه الأُمَّةَ تُبْتَلَى فى قُبُورِها، فإذا الإنسانُ دُفِنَ فتَفَرَّقَ عنه أَصْحابُهُ جاءَهُ مَلَكٌ في يَدِهِ مِطْرَاقٌ، فأقعَدَه..**» وذكر الحديث. رواه أحمد، والبزَّار، وابن أبي الدنيا، والبيهقيُّ بإسنادٍ صحيحٍ.

١٠- عن ابن عبَّاسٍ قال: «**إنَّ المؤمنَ إذا حضرَتْه الموتُ شهدتْهُ الملائكةُ فسلَّموا عليه وبشَّروه بالجنَّة فإذا مات مَشَوْا مع جنازته ثمَّ صلُّوا عليه مع النَّاس، فإذا دُفن أُجلسَ في قبره، فيقالُ له: مَن ربُّك؟**» الحديث. رواه أبي حاتمٍ والبيهقيُّ، وهذا حُكْمه الرفع عند أهل الحديث والأصول لأنه مما لا مجال فيه للرأي.

فهذه عشرة أحاديث تدلُّ على أنَّ الميت يسأل عند دفنه عقب موته، ولم تُفرِّق في ذلك بين من نقل من قبره ومن لم ينقل، والتمسُّك بعموم الحديث واجبٌ كما نصَّ عليه الشافعيُّ في مواضع من "الرسالة"، والغزالي في "المستصفى"، وابن السبكي في "جمع الجوامع"، وغيرهم.

فمن أين أتى لذلك القائل أن الميت الذي علم الله أنه سينقل من قبره لا يسأل إلا في مقرِّه الأخير؟! لا أعرف لهذا القول مستندًا إلا أن يكون صاحبه قاله تخريجًا على كلام البزازي الحنفي فإنَّه قال في فتاويه ما نصُّه: «السؤال فيما يستقرُّ فيه الميت حتى لو أكله سَبُع فالسؤال في بطنه فإنْ جُعل في تابوت أيامًا لنقله إلى مكان آخر لا يُسأل ما لم يُدفن».اهـ

لكن لا يخفى أنَّ أمور الآخرة وما هو من متعلِّقاتها لا يجوز فيها الرَّأي والاستظهار، وإنَّما يُرجع فيها لكلام الصَّادق المصدوق، وهذا منصوصٌ عليه في كتب التوحيد، وليس لأحدٍ أن يقول يمكن أن يكون صاحب ذلك القول استند إلى حديثٍ وقع له لأنَّا تتبَّعنا الأحاديث الواردة في سؤال القبر -وهي

سبعون حديثا كما قال الحافظ السيوطي وغيره- وتصفَّحناها بتتبُّع طرقها وألفاظها فوجدناها متضافرةً على ما أفادته العشرة أحاديث التي ذكرناها، فإن جازف أحدٌ وادَّعى وجود حديثٍ يدلُّ على خلاف ما دلَّت عليه تلك الأحاديث فليأتنا به، ولا يسعُنا إلا قبولَه بشرط أنْ يكون ثابتًا.

وبمناسبة الكلام في سؤال القبر أذكر ما شاع بين كثير من النَّاس أنَّ الملَكين يسألان الميت بالسريانية، ورأيت البنانيَّ قال في "حاشية جمع الجوامع": إنَّ لفظ سؤالهما هكذا: «أتره أترح كاره سالحين».

لكن وجدتُ القطب سيِّدي عبدالعزيز الدَّبَّاغ يقول في "الإبريز": «إنَّهما يقولان للميت: «مرزة؟» فيجيبهما بقوله: «مرد أزره». وهذا مخالف لما ذكره البناني. وقد سُئل شيخ الإسلام الحافظ ابن حجرٍ: هل لذلك أصل في السُّنَّة؟ فأجاب بما نصُّه: «ظاهر الأحاديث أنَّ السؤال بالعربيِّ، ويحتمل مع ذلك أن يكون خطاب كلِّ أحدٍ بلسانه».اهـ

وقال الحافظ السيوطي: «لم أقف في شيءٍ من الأحاديث على أنَّ السؤال بالسريانية».اهـ وكفاك بهما حُجَّة.

ومما شاع بين النَّاس أنَّ اسم الملَكين اللذان يسألان المؤمن مبشر وبشير، وأن منكرًا ونكيرًا إنَّما يسألان الكافر ومَن في حكمه، لكن الأحاديث التي ذكرناها وغيرها مصرِّحة بأن منكرًا ونكيرًا يسألان المؤمن والكافر، وأنَّهما يبشِّرانِ المؤمن ويوسعانِ عليه قبره.

نسأل الله أن يختم لنا بالإيمان، ويلهمنا حُجَّتنا، ويُخفِّف عنا ضَغْطة القبر، ويقينا عذابه بفضله وكرمه.

٧- سؤال القبر لا يتأخَّر عن موعده (٢)[١]

شقَّ على الأستاذ الشيخ محمد الطاهر عوض الله ما كتبته تحت هذا العنوان ردًّا على شيخه فقام ينتصر له في حميَّةٍ كبيرةٍ عن انفعال شديدٍ، غير أنَّ إسرافه في الحميَّة حمله على الإساءة في الردِّ فوجَّه إليَّ من التهم ما لا يحسُن التفوُّه به من مثل أهل العلم، كاتِّهامه إياي بعدم البصيرة وبعدم الدِّراية وبعدم حسن النِّية و..و...إلخ.

وكأنَّ الأستاذ لشدَّة ما تملَّكه من الغضب نسي أنَّه يتكلَّم في مسألةٍ علميةٍ فخرج من ميدان الردِّ العلمي إلى دائرة الشتم والسِّباب.

مهلًا يا أستاذ مهلًا ورفقًا بنفسك رفقًا، فلتسكن من غضبك ولتستردّ من عقلك ولتعلم أنَّك في ميدان علميٍّ ليس للعاطفة فيه مجال ولا للعصبيَّة عليه تأثير.

لكنَّه ميدان قرعِ الحجَّة بالحجَّة ومعارضة الدليل بالدليل حتى يظهرَ الحقُّ واضحًا لا يشتبه فيه اثنان، هذه آداب المناقشة العلميَّة وعلى ضوئها سنناقشك الحساب فيما أبديت ونهدم لك من الشبه ما بنيت.

قلتَ في افتتاح كلمتك أنَّ مصادفة جواب الأستاذ الدومي لمحلِّه من الصواب لا تتوقَّف على كون هذا الرأي المعزوِّ صحيحًا في ذاته، إلى أن رميت بتلك الجملة الشائعة المتداولة بين صغار الطلبة وهي: إن كنت ناقلًا فالصحَّة أو مدعيًا فالدليل. وكأنَّك لم تحصِّل من علم آداب البحث والمناظرة إلَّا على هذه الجملة التي صرت تستعملها في غير محلِّها ولم تدر ما قيَّدوها به من أن

---

(١) مجلة الإسلام، السنة الثالثة، العدد (٤٧) ذي الحجة ١٣٥٣.

الناقل لرأي إذا بان من قرائن كلامه اعتماده عليه كما فعل الأستاذ الدُّومي في ذلك الجواب عُدَّ مدعىً عليه وتوجَّه عليه ما يتوجَّه على صاحب الرأي نفسه من التخطئة وغيرها، راجع كتب آداب البحث كرسالة العلامة إسماعيل الكلنبوي وحواشيها للعلامة عمر القره داغي الكردي وغيرهما.

واستدلالك بكلام الشيخ الدردير وغيره ممن سوَّدتَ الورق بالنقل عنهم بدون فائدةٍ هو مع غرابته شبيه بالمصادرة؛ لأني أبطلت في مقالي الرأي من أصله سواء أكان صادرًا من الدردير أم من غيره، بل لم يكن كلامي في الحقيقة موجَّهًا إلَّا للشيخ الدردير ومن ذكر معه ولم أصرِّح بأسمائهم تفاديًا من التصريح بتخطئتهم وإنما عرضت في كلامي حيث قلتُ بعد ذكر الأحاديث: فمن أين أتى لذلك القائل... إلخ.

فلم تفعل في ردِّك شيء سوى أن احتججْتَ عليَّ بمن رددتُ كلامه وقد كنت أظنُّ إذ سمعتُ بردِّك أنك أتيت فيه ببحوثٍ علميَّةٍ قيِّمةٍ ودلائِلَ متينة فلما رأيت هذا وجدت الأمر أدون مما كنت أظن فتمثَّلتُ بقول صاحب المقامات: لقد اسْتسمنْت ذا وَرمٍ.

ولشدة ما تعجَّبتُ من الأستاذ حين وجدته ينقل عن العدوي عن الأمير عن ابن حجرٍ الهيتمي -ويالها من حجَّةٍ قوية كسابقتها- ما نصه: «إن كان وضعه في الأولى على نية النقل فالظاهر».

سبحان الله!! تراني يا أستاذ أصرِّح في مقالي بأن أمر الآخرة لا يجوز فيها الاستظهار ثمَّ تحتج علي بنفس الاستظهار!!

ماذا يسمَّى هذا في آداب البحث؟! وماذا يسمَّى في المنطق؟! وماذا يقال له

عند ذوي العقول؟! هذا ما نترك الجواب عليه لحضرتك.

ثم أفيدك يا أستاذ أنَّ ابن حجرٍ والدردير والصاوي والعدوي وأمثالهم - وإن كانوا علماء أجلاء- ليسوا من أهل هذا الشأن ولا استوفوا منه بمكيال ولا ميزان، فدعك من الاحتجاج بكلامهم في هذا المقام فإنه لن يغنيك من الحقِّ شيئًا.

ثم ذكر الأستاذ حديث أبي هريرة الذي فيه كلمة: «**حتَّى يبعثَه الله من مضْجعِه ذلك**» وظن أنه ظفر بالدليل الحاسم للنزاع فصار يتطاول ويدعي عليَّ في كلامه دعاوىٰ ختمها بقوله: «كما لا يخفىٰ علىٰ ذي بصيرة»!.

وإنَّني ليحزُنني أن أُخجل الأستاذ وأردُّه خائبًا يرضى من الغنيمة بالإياب.

يا أستاذ؛ تلك الكلمة التي توهمت أنها حُجَّةٌ قاطعةٌ أعني: «**حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك**» تفرَّد بها عبدالرحمن بن إسحاق لم يذكرها أحد غيره ممن روىٰ حديث أبي هريرة هذا، بل ولا ذكرت في غيره من بقية أحاديث السؤال، وعبد الرحمن بن إسحاق مختلفٌ فيه فوثَّقه جماعةٌ وضعَّفه آخرون وذكر بعض من وثَّقه ومن ضعَّفه كالبخاري وابن عدي أنه يروي ما لا يتابع عليه.

قلت: كهذه الكلمة؛ لأن أحاديث السؤال رواها أكثر من عشرين راويًا فيهم من هو من رجال الشيخين من طريق جماعة من الصحابة وهم: عمر، وعثمان، وأنس، والبراء، وابن عبَّاسٍ، وجابر، وتميم الداري، وثوبان، وعبدالله بن عمر، وعمرو بن العاص، وابنه، عبدالله، وحذيفة، وعبادة بن الصامت، ومعاذ بن جبل، وأبو موسىٰ، وأبو هريرة، وعبدالله بن رواحة، وأبو أمامة، وأبو الدرداء، وأبو قتادة، وابن مسعودٍ، وأبو سعيد الخدري، وأبو رافع،

وأسماء، وعائشة، وبشير بن أكال.

ومن مرسل عطاء بن يسار، وضمرة بن حبيب، وقتادة، وغيرهم.

ولم يذكر تلك الكلمة أحد من أولئك الرواة إلا عبد الرحمن بن إسحاق أفيكون أحفظَ منهم كلِّهم وأضبط؟! كلَّا ثمَّ كلَّا، لا يكون ذلك ولن يكون كيف وقد قال البخاري: ليس هو ممن يعتمد على حفظه إذا خالف من ليس بدونه؟! فبطل التعلق بتلك الكلمة بتاتًا.

وكأنِّي بك تتشبَّثُ بتحسين التِّرمذيِّ للحديث؟ فأبطلُ تشبُّثَك بأنَّه إنَّما حسَّن أصل الحديث أي: أصل معناه وهو ما اقتصرت عليه في كلامي.

وبيان ذلك أن الحديث إذا كان معناه مشهورًا مثلًا ثم جاء في بعض رواياته زيادةٌ منكرة كما نحن فيه أطلق المخرِّج لتلك الرواية أنها حسنة أو صحيحة بحسب حال رجالها وعني بذلك أصل الحديث أي: أصل معناه دون الزيادة، ويُحيل في تمييزها على رجال السَّند فإذا جاء المحدِّث واطَّلع على السند عرف مِن رجاله مَن يتفرَّد بما لا يُتابع عليه ومن لا فأمكنه بكل سهولة أن يميِّز أصل الحديث من الزيادة هذه عادة المحدِّثين ومن لا يعرفها يقع في أغلاط فاحشة كما وقع للأستاذ حيث استدل بتلك الكلمة من غير أن يعرف ما فيها.

وكما وقع لجماعة في حديث «البسملة» حيث نقلوا تحسينه عن ابن الصلاح والنووي مع أنَّهما حسَّنا أصل الحديث وهو حديث الحمد كما بيَّنا في مقالنا بالعدد (٤٤) من المجلَّة وأمثلة هذا كثيرة.

ولو سلَّمنا صحَّة تلك الكلمة -وهي غير صحيحة- فليس فيها للأستاذ حجَّةٌ لأنَّ لفظ «ذلك» في الموضعين مشار به إلى المضجع الذي يُنعَّم فيه المؤمن

والمضجع الذي يُعذَّب فيه الكافر لا على المضجع الذي يُسألان فيه كما توهَّمه الأستاذ.

ومعنى الحديث: أن كلًّا من المؤمن والكافر يبعثه الله من مضجعه ذلك الذي ينعَّم ويعذَّب فيه سواء أكان هو المضجع الذي سئل فيه بأن لم ينقل منه أم كان غيره بأن نقل منه بعد السؤال إلى مكان آخر.

ويؤيد هذا أنَّ نعيم القبر ليس خاصًّا بالمسؤولين بل يكون لغيرهم كالشهيد والمرابط ومن مات ليلة الجمعة أو يومها ومن قرأ (تبارك الملك) كل ليلة فإن هؤلاء لا يسألون، ومع ذلك لا يزالون منعَّمين حتى يبعثهم الله من مضاجعهم تلك التي يتنعَّمون فيها.

فصَحَّ أن الميت يُبعث من مضجعه الذي ينعَّم أو يعذَّب فيه، سئل أو لا، كان هو المضجع الذي سئل فيه أو غيره، فتأمَّل وتفهَّمْ.

وأما قول الأستاذ: «إنَّ الإحاطة في أيِّ باب من أبواب السُّنة لم يدَّعِها أحد من كبار الأئمَّة» فتلك كلمة يلوكها من لا دراية له بعلم الحديث ولا رواية ومثله في إطلاقها على عمومها كمثل من سمع: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ [الماعون: ٤]، فصار يطلق أنَّ للمصلين الويل ولم يستمع لبقية الآية حتى يقف على محطِّ الفائدة.

يا أستاذ؛ إذا سمعت أنَّ الأئمة لم يدَّعوا الإحاطة فاعلم أنَّ ذلك كان في العصور الأولى حيث كانت السنة غير مجموعةٍ والصحابة متفرِّقين على الأقطار فكان منهم المكِّي والمدني واليمني والكوفي والبصري والشامي والمصري وكان عند أهل كلِّ قطر من أحاديث الصحابة الذين وفدوا عليه ما ليس عند

غيرهم، وكان الواحد إذا أراد حديثًا واحدًا رحل في طلبه شهرًا وزيادة كما رحل جابر مسيرةَ شهر إلى عبد الله بن أُنيس -مصغرًا- في حديث القصاص، ورحل أبو أيوب الأنصاري كذلك إلى عقبة بن عامر في حديث السَّتر على المسلم فكانت الإحاطة متعذِّرة.

ولهذا لما أراد الرشيد أن يحمل الناس على "الموطأ" قال له مالك: لا تفعل فإنَّ أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم تفرقوا في البلاد وعند أهل كلِّ بلد من العلم ما ليس عند غيرهم.

أما بعد أن استقرَّت الأخبار وجُمعت في الكتب مرتبةً على المسانيد والمعاجم والأبواب والحروف وأفرد لكلِّ نوعٍ من أنواع الحديث كتبٌ خاصَّةٌ فلم يقل أحد بامتناع الإحاطة ولا بتعسُّرها بل هي ممكنةٌ وواقعةٌ.

يرشد إلى ذلك ما صحَّحوه في كتب الأصول والمصطلح من أنَّ الحديث إذا فُتِّش عنه في كتب الحديث ولم يوجد يقطع بأنَّه مكذوبٌ، فالقطع بالكذب لا يتأتَّى إلا مع وجود الإحاطة وإلا فلا يمكن الظن فضلًا عن القطع وانظر كتب المصطلح تستفد وترشد.

على أني لم أدع الإحاطة في كلامي وإنما قلت: إن أحاديث السؤال سبعون، كما قال الحافظ السيوطي وغيره بزيادة هذا النقل الذي حذفته في نقلك لكلامي فادعيت الإحاطة بالسبعين لا بما زاد عليها -إن كان- وبين المقامين فرقٌ واضحٌ.

ثم دعنا من هذا وتعال إلى ميدان الحجَّة الدامغة أفليس قد ادَّعيت عليَّ أني ادَّعيت الإحاطة وقد نقلتَ في أول كلامك أن المدَّعي يلزمه الدليل فأثبت

مدَّعاك وائت بحديث زائد على السبعين التي أشرت إليها في كلامي حتى تبرهن بذلك على عدم إحاطتي بأحاديث السؤال.

مع أنِّي أقسم لك قسمًا بارًّا غير حانث أنك لو عُمِّرت عمر نوح عليه السلام لما استطعت أن تأتني بالسبعين فضلًا عن أن تزيد عليها حديثًا أو حديثين، إذن فلا تنازع الأمرَ أهلَه وحسبُك قول الشاعر:

وإذا لم تَرَ الهِلالَ فسَلِّمْ لأُناسٍ رَأَوْهُ بالأبصَارِ

أما أنا فمستندي في الإحاطة -إن ادعيتُها- كلام الحافظ السيوطي وأمثاله من أفراد الأمَّة وبحور الحديث، لا كلام الشيخ العدوي والشيخ الأمير فاعرف ذلك.

وقول الأستاذ: «على أن كثرة الرواية لا تدل على وجود الدراية...» إلخ لا موقع له مما قبله في تركيب الكلام العربي؛ لأنه كان يتكلَّم في الإحاطة وعدمها فكان مقتضى تركيب الكلام العربي أن يقول: على أنَّ كثرة الرواية لا تدلُّ على وجود الإحاطة ويقتصر على هذا حتى يكون آخر الكلام مرتبطًا بأوله، لكنه فيما يظهر لمَّا التزم أن يردَّ عليَّ ولم يجد لديه من الدليل ما يقاوم حجَّتي استنكف أن يرجع القهقَرَى فاستعمل في ردِّه ما في وسعه، و﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وليس في وسعه أكثر من الشتم فصار يشتم غير مراعٍ لسياق الكلام من سوابق ولواحق كما فعل هنا، فأي مناسبة لذكر الدراية سوى التعريض بعدم درايتي وأني كالصيدلي... إلخ. فلتهنأ بدرايتك يا أستاذ.

وكذلك قوله: «ولعمري لقد حاولت أن أقنع نفسي بحسن نيتك في مقالك هذا... إلى أن قال: فلم أستطع ذلك بحال» ليس لذكره محل إلا الشتم

الصرف وهو فيه أصرح من سابقه.

وأنا أقول للأستاذ: من أين اطلعت على سوء نيتي؟ أمن كلامي، أم بوحي، أو ولاية، أو إخبار شيطان؟!

وكلُّ هذه الوجوه باطلةٌ، أما الأول فلأن مقالي ليس فيه إلا تخطئة الأستاذ الدومي وتبيين الرأي الحق في الموضوع، ثم ذكر الأحاديث، ثم النقل عن الإمام الشافعي ومن ذكر معه. هذا كل ما في مقالي وليس فيه مايُستنتج منه سوءُ نيَّتي، وأما بطلان الأوجه الباقية فأظهر من أن يستدل عليه.

وهب أني سيء النية كما قلت فماذا يعنيك؟! إن كانت نيتي حسنة فلنفسي أو سيئة فعليها وما أنت عليَّ بوكيل.

هذا وقد وقع الأستاذ بكلامه ذلك في عدة مخالفات:

١- حلفه بغير الله، وقد روينا من حديث ابن عمر بإسنادٍ صحيحٍ: «**من كان حالفًا فلا يحلفْ إلَّا بالله**» وروينا من حديثه أيضًا: «**مَن حلفَ بغير الله فقد كفَر**». قال الحاكم: «صحيح» وأقرَّه الذهبيُّ.

٢- ظنه بي ذلك الظن السيِّء، وقد روينا من حديث ابن عبَّاسٍ بإسنادٍ حسنٍ وعن ابن عمر بإسنادٍ ضعيفٍ وعن غيرهما أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نظر إلى الكعبة فقال: «**ما أعظمَكِ وأعظمَ حرمتَكِ، وللمسلمُ أعظمُ حرمةً منك، حرَّم الله دمَه ومالَه وعرضَه وأن يُظنَّ فيه ظنُّ السُّوء**».

٣- جهره بذلك الظن وإشاعته والله يقول: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [النساء: ١٤٨].

وما أوقع الأستاذ في كلِّ هذا إلا تعصُّبه لشيخه والتعصُّب يفتك بصاحبه

أكثر من هذا، ولعمر الله لو خطأت مالكًا أو الشافعي أو أحدًا من كبار العلماء لما قامت من الأستاذ قائمة مع أنه لا نسبة بين هؤلاء وبين شيخه ولكنها الأهواء عمَّت فأعمَت.

وأما قول الأستاذ: «إني كنت شديد التأثُّر حين كتابة المقال» فما زاد على أن تكلم بما هو -ساعة الكتابة- حال فيه، والمؤمن مرآة أخيه .

وبعد فلا أزال أكرر على الأسماع أن سؤال القبر لا يتأخَّر عن موعده أي: الدفن عقب الموت كما تظافرت به الأحاديث من غير مخصِّص ولا معارض وهو الموعد الذي لم يجعل الله لسؤال الميت موعدًا غيره حتى جاء الاستظهار ممن لا يقبل منه الجزم في هذا المقام.

وها قد أعدم السَّند لذلك الرأي فيتحتَّم عليك أن توافقني على بطلانه وخطأ من يقول به وتعتقد معي ومع عموم المسلمين ما تواترت بمضمونه الأحاديث وهو أن سؤال القبر لا يتأخَّر عن موعده، هذا إن أنصفت ولم تلِجَّ في التعصُّب والله يتولَّى هداك.

٨- تحريم إكفار أهل القبلة[١]

قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن دعا رجلًا بالكفر أو قال: عدوُّ الله، وليس كذلك إلَّا حارَ عليه**». رواه مسلمٌ.

من دأْب أدعياء السَّلفية إدِّعاءُ كلٍّ منهم أنه بلغ ما بلغه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من الحقِّ وهو ادِّعاءٌ كاذبٌ؛ لأنَّ رسالة السلفية ليس فيها رمي المسلمين بالضلال والعدوان وتطبيق آياتِ الشرك عليهم ونبذهم بكلِّ عظيمةٍ وغير ذلك مما لو رآه غِرٌّ جاهل لاعتقد أنَّ المسلمين حقًّا صاروا ضُلَّالًا مشركين، وهذا خلاف ما بلغه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من الحقِّ الذي هو تحسين الظن بالمسلمين وحمل أحوالهم على المحامل الحسنة وإرشادهم فيما أخطئوا فيه بالحسنى، وحرمة دعائهم بالكفر والضلال إلا لمقتض شرعيٍّ يقتضي ذلك ليس للتأويل فيه مجال ولا يدخله أدنى احتمال، وإلا كان وبال الإكفار راجعًا إلى مدعيه وتضليله حائرًا عليه، فقد ثبت من حديث ابن عمر وغيره أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نظر إلى الكعبة فقال: «**ما أعظمك وأعظم حُرمتك وللمسلم أعظم حُرمةً منك، حرَّم الله دمَه ومالَه وعرضَه وأن يُظنَّ به ظنَّ السوء**».

وفي الصحيحين عن ابن عمر أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**أيُّما رجل قال لأخيه: «يا كافر» فقد باءَ بها أحدُهما؛ إنْ كان كما قال وإلَّا رجعتْ عليه**».

وفي "صحيح البخاري" عن أبي ذرٍّ أنه سمع النبيَّ صلَّى الله عليه وآله

---

(١) المسلم، السنة السادسة، العدد (٣) شوال ١٣٧٥.

وسلَّم يقول: «**لا يَرمي رجلٌ رجلًا بالفُسوق ولا يرميه بالكفر إلا ارتدَّتْ عليه إن لم يكنْ صاحبُه كذلك**».

ورواه مسلمٌ أيضًا ولفظه: «**ومن دعا رجلًا بالكفر أو قال عدوُّ الله وليس كذلك إلا حارَ عليه**».

فظاهر هذه الأحاديث أن من رمىٰ مسلمًا بالكفر أو الفسوق ولم يكن المرميُّ كذلك كان الواصف هو المستحقُّ للوصف المذكور وأولىٰ به وهذا هو الظاهر وإن كان غير مراد كما قال شرَّاح الحديث وتأوَّلوا تلك الأحاديث بعدَّة تأويلاتٍ، فإنه مع ذلك يفيد زجر المسلم عن أن يقول ذلك لأخيه المسلم وتهديده عليه.

ومما أوَّلوا به تلك الأحاديث حملُها علىٰ من رمىٰ مسلمًا بالكفر معتقدًا حِلَّ ذلك فإنه حينئذٍ يكون كافرًا، وأخشىٰ أنَّ الرامي بالكفر يكون داخلًا في عموم الأحاديث المذكورة بمقتضىٰ هذا التأويل فإن من قرأ كتب المتسلِّفة لا شك يكاد يجزم بأنَّ إكفار المسلمين عندهم أسوغُ من شرب الماء.

فتبيَّن مما ذكرنا أنَّ فاعل هذا خالف رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حيث ارتكب ما نهىٰ عنه وكان بعيدًا عن الحقِّ بُعد الضَّبِّ من النُّون، وليس لأحدٍ أن يعتذر عنه بأنه متأوِّل فيما سلكه من تضليل المسلمين وتطبيق آيات الشرك عليهم فلا يلحقه إثمٌ ولا وعيدٌ لأنه متأوِّل؛ لأنَّا نقول علىٰ فرض صحَّة تأويله -وهو غير صحيح ولا مُسلَّم- كان يجب ألا يحكم عليهم بالضلال حتىٰ يتحقَّق من أنَّهم ليس لهم دليل ولا شبهة فيما يقولون ويفعلون؛ لأنَّ القاعدة المقرَّرة أن المُسلِم لا يُحكم بكفره أو ضلاله حتىٰ يفعل أو يقول ما

يقتضي ذلك غير متأوِّل فيه تأوُّلًا مقبولًا على قواعد الشريعة ولا له عليه دليل وإن كان مخطئًا فيه إن كان مثله يقبل منه مثل ذلك الخطأ وقائل هذا لم يحافظ على هذه القاعدة المقرَّرة بإجماع العلماء فعليه يطبَّق ما تحصَّل مما أسلفنا من الأحاديث.

٩- حديث: «ما شاء الله وشاء محمد»

كلمة ليس فيها شرك (١)

قال بعض المتعالمين مع متمسلفة هذا الزمان: أخرج ابن جريرٍ وأصحاب السنن الأربعة أنَّ رجلًا من اليهود جاء إلى أصحاب النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: إنَّ ما تقولونه حقٌّ لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد فأنزل الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لا تقولوا: ما شاء اللهُ وشاء محمَّدٌ، ولكنْ قولوا: ما شاء الله ثُمَّ ما شاء محمدٌ**».

وأقول: لا ينقضي عجبي من جرأة هذا المتمسلف في الكذب على الله ورسوله، وعلى العلم والعلماء، ولو كان في عصر ابن معين وأحمد بن حنبل وعلي بن المديني لأدرجوه في طائفة الكذَّابين الوقحين في الكذب مثل محمد بن سعيد المصلوب وجعفر بن نسطور وأضرابهما.

فالحديث الذي عزاه إلى ابن جريرٍ وأصحاب السنن الأربعة لم يروه أحد منهم ولا وجود له في كتبهم، بل لم يأتِ في شيءٍ من كتب التفسير والحديث أنَّ الآية نزلت بسبب الحادثة المذكور فيه.

وإليك طرق الحديث وألفاظه لتتيقَّن صحَّة ما ذكرناه:

قال البيهقي في "الأسماء والصفات": أخبرنا أبوعبدالله الحافظ: حدثنا عليُّ بن حَمْشاذ العدْل إملاءً: حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة: حدثنا جَنْدلُ بن والقٍ: حدثنا عبيدالله بن عمر، عن عبدالملك بن عُمير، عن رِبْعي بن حِراش،

---

(١) مجلة المسلم.

عن الطُّفيل بن عبدالله، وكان أخًا لعائشة لأمِّها: أنه رأىٰ فيما يرىٰ النائم أنه لقي رهطًا من النَّصارىٰ فقال: نعمَ القوم أنتم لولا أنكم تزعمون أنَّ المسيحَ ابن الله. قالوا: أنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمَّد. ثمَّ لقي رهطًا من اليهود فقال: أنتم القوم لولا أنكم تزعمون أنَّ عزيرًا ابن الله قالوا: وأنتم قوم تقولون: ما شاء الله وشاء محمَّد. قال فأتىٰ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقصَّها عليه فقال: «**حدثْتَ بها أحدًا بعدُ؟**». فقال: نعم. فحمد الله وأثنىٰ عليه ثم قال: «**إنَّ أخاكم قد رأى ما بلغكُم فلا تقولوها ولكنْ قولوا: ما شاء الله وحدَه لا شريكَ له**».

تابعه شعبة وحماد بن سلمة عن عبدالملك بن عمير هكذا، وفي رواية شعبة: «**ولكنْ قال ماشاء الله ثمَّ شاء محمَّد**».

وقيل عن عبدالملك بن عمير عن جابر بن سمرة. قال البخاري: «حديث شعبة أصحُّ من حديث ابن عيينة».

ورواه ابن ماجة في "سننه" في أبواب الكفارات من طريق أبي عوانة عن عبدالملك بن عمير به. ورواه ابن مَرْدُويَه من طريق حماد بن سلمة: حدثنا عبدالملك بن عمير به، ورواه من طريق آخر عن عبدالملك به نحوه.

ورواه أحمد في "المسند" قال: حدثنا بَهْزٌ وعفانُ قالا: حدثنا حمَّاد بن سلمة، عن عبدالملك بن عمير، عن رِبْعي بن حراش، عن طُفيل بن سَخْبَرة أخي عائشة لأمِّها أنه رأىٰ فيما يرىٰ النائم كأنه مرَّ برهط من اليهود فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن اليهود. قال: إنكم أنتم القوم لولا أنكم تزعمون أنَّ عزيرًا ابنُ الله. فقالت اليهود: وأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمَّد، ثُمَّ مرَّ

برهْطٍ من النَّصارىٰ فقال: إنكم أنتم القوم لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله، قالوا: وإنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد. فلما أصبح أخبر بها من أخبر ثُمَّ أتىٰ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فأخبره. فقال: «**هلْ أخبرتَ بها أحدًا؟**» قال: نعم. فلما صلُّوا خطَبَهم فحمد الله وأثنىٰ عليه ثم قال: «**إنَّ طُفيلًا رأى رؤيا فأخبرَ بها من أخبَر منكم وإنَّكم كنتُم تقولون كلمةً كان يمنعني الحياءُ منكم أنْ أنهاكم عنها، لا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمَّد**».

قلت: في هذا الحديث دليل علىٰ أن تلك الكلمة ليست بشرك إذ لو كانت كذلك لما استحيىٰ النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أن ينهاهم عنها من أوَّل لحظةٍ فسكوته حياءً مع تكرُّرها منهم دليلٌ واضحٌ علىٰ أنَّها ليست بشركٍ وإنَّما نهاهم عنها آخر الأمر لمخالفتها كمال الأدب مع الله.

ورواه الحاكم من طريق عبيدالله بن عمرو بن عبدالملك بن عمير، عن رِبْعي بن حِراش قال: قال الطُّفيل بن عبدالله بن أخي عائشة لأمِّها إنه رأىٰ فيما يرىٰ النائم وذكر الحديث نحوه ثم قال: خالفه حماد بن سلمة عن عبدالملك بن عمير. ثم روىٰ من طريق حجَّاج بن مِنهال، عن حماد بن سلمة، عن عبدالملك بن عمير، عن ربعي بن حراش، عن الطفيل بن عبدالله بن سَخْبرة أخي عائشة لأمِّها فذكر الحديث بمثله. قال: وهذا أولىٰ بالمحفوظ من الأول.

قلت: لأن الطفيل أخو عائشة لأمِّها لا ابن أخيها كما جاء في سند الحاكم الأول.

ورواه الطَّحاويُّ في "مشكل الآثار" من طريق معمر عن عبدالملك بن عمير، عن جابر بن سَمُرة قال: رأىٰ رجل من أصحاب النبيِّ صلَّىٰ الله عليه

وآله وسلَّم في النَّوم قومًا من اليهود فأعجبته هيأتهم فقال: إنكم قومٌ لولا أنكم تقولون: عزير ابن الله. قالوا: وأنتم قوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. ثم إنه لقي قومًا من النَّصارىٰ فأعجبته هيأتهم فقال: إنكم قوم لولا أنكم تقولون المسيح بن الله. قالوا: وإنكم قوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. فلما أصبح قصَّ ذلك علىٰ النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ، فقال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أسمعُها منكم فتؤذيني فلا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمَّد، ولكنْ قولوا: ما شاءالله ثُمَّ شاء محمَّد**».

وقال ابن ماجه في "سننه": حدَّثنا هشام بن عمار: حدثنا سفيان ابن عيينة، عن عبدالملك بن عمير، عن رِبْعي بن حِراش، عن حذيفة بن اليمان: أن رجلًا من المسلمين رأىٰ في النوم أنه لقي رجلًا من أهل الكتاب فقال: نعمَ القوم أنتم لولا أنكم تشركون؛ تقولون: ما شاء الله وشاء محمدٌ. وذكر ذلك للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**أمَا والله إن كنتُ لأعرفُها لكمْ قولوا ما شاء اللهُ ثمَّ ما شاءَ محمَّدٌ**». لم يروه أحد من السِّتَّة غير ابن ماجه ورواه البيهقي في "الأسماء والصفات" من طريق سفيان ابن عُيينة به غير أنه قال: «**إنِّي كنتُ لأكرهها لكم قولوا ما شاء الله ثمَّ شاء فلان**».

ولحذيفة حديث آخر مختصر رواه أبو داود في "السنن" قال: حدثنا أبو الوليد الطيالسي: حدثنا شعبة، عن منصور، عن عبدالله، بن يسار، عن حذيفة رضي الله عنه، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا: ما شاء الله ثمَّ شاء فلان**».

(٢)

مقالات في القرآن الكريم وعلومه

١٠- وقوف القرآن(١)

من علوم القرآن المتعلِّقة به والمعينة على فهمه وإدراك معانيه معرفة وقوفه، وهو فنٌّ جليلٌ تعرف به كيفيَّة أداء القراءة.

وقد اعتنى العلماء به عنايةً كبيرةً وأفردوه بمؤلَّفاتٍ كثيرةٍ منها: كتاب "الوقف والإبتداء" لثعلب ولابن الإنباري، ولأبي جعفر النحاس، ولأبي عمرو الداني، ولأبي بكر بن مِقْسم -بكسر الميم وسكون القاف- ولركن الدين السجاوندي البسطامي، وللزَّجَّاجي، ولمكيٍّ بن أبي طالب القيرواني، ولأبي محمد الحسن بن علي العماني.

وكتاب "الوقف والابتداء" الكبير والصغير، كلاهما للرؤاسي أستاذ الكسائي والفرَّاء.

وكتاب "الوقوف" لأحمد بن كامل بن شجرة القاضي البغدادي الحافظ المعروف بوكيع صاحب "أخبار القضاة".

وكتاب "وقف التمام" للأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة، والتمام من أنواع الوقوف.

وكتاب "منار الهدى في بيان الوقف والابتداء" لأحمد بن محمد بن عبدالكريم الأشموني وهو غير شارح "الألفية".

والأصل في هذا الفنِّ ما رواه أبو جعفر النحاس في كتاب "الوقف" والبيهقيُّ في "السنن" من طريق هلال بن العلاء بن هلال الباهلي الرَّقِّي: حدَّثنا أبي، وعبدالله بن جعفر قالا: ثنا عبيدالله بن عمرو الرقي، عن زيد بن أبي

---

(١) مجلة "دعوة الحق"، العدد الأول، السنة الخامسة عشرة، محرم الحرام ١٣٩٢.

أنيسة، عن قاسم بن عوف البكري قال: سمعت عبدالله بن عمر يقول: «لقد عشنا برهة من دهرنا وإنَّ أحدنا ليؤتىٰ الإيمان قبل القرآن وتنزل السور علىٰ محمد صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فنتعلم حلالها وحرمها وما ينبغي أن يوقف عنده منها كما تتعلمون أنتم القرآن اليوم، ولقد رأينا اليوم رجالًا يؤتىٰ أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحته إلىٰ خاتمته ما يدري ما أمره؟ ولا زجره؟ ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه». إسناده حسنٌ.

قال النَّحَّاس: «فهذا يدلُّ علي أنهم كانوا يتعلَّمون الأوقاف كما يتعلَّمون القرآن وقول ابن عمر: «لقد عشنا بُرهة من دهرنا....» يدلُّ علىٰ أن ذلك إجماعٌ من الصحابة ثابتٌ».اهـ

وقال الإمام عليٍّ عليه السَّلام في قوله تعالىٰ: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]: «الترتيل: تجويد الحروف ومعرفة الوقف».

وقال ابن الأنباري: «من تمام معرفة القرآن معرفة الوقف والابتداء».

وقال النكزاوي: «باب الوقف عظيم القدْر جليل الخطر؛ لأنه لا يتأتَّىٰ لأحدٍ معرفة معاني القرآن ولا استنباط الأدلَّة الشرعية منه إلا بمعرفة الفواصل».

وقال ابن الجزري في "النشر": «لما لم يمكن للقارئ أن يقرأ السورة أو القصة في نفَسٍ واحدٍ، ولم يجز التنفُّس بين كلمتين حالة الوصل بل ذلك كالتَّنفس في أثناء الكلمة وجب حينئذٍ اختيار وقفة للتنفس والاستراحة وتعيَّن ارتضاء ابتداء بعده ويتحتَّم ألا يكون ذلك مما يُحيل المعنىٰ ولا يخُلُّ بالفهم إذ بذلك يظهر الإعجاز ويحصل القصد وبذلك حضَّ الأئمة علىٰ تعلُّمه ومعرفته».اهـ

ولا نطيلُ بذكر النُّقول فإنَّها كثيرةٌ متَّفقةٌ على وجوب تعلُّم الوقف والعناية به لأنه:

١ - يؤدِّي إلى معرفة معاني القرآن.

٢ - يفيد في استنباط الأدلة منه.

٣- يُبيِّن إعجازه ويُظهره.

واشترط العلماء لجواز الوقف وصحَّته ألا يُغيِّر المعنى ولا يُفكِّك نظم الآية.

وبناءً على ذلك قالوا: لا يجوز الوقف على المضاف دون المضاف إليه، ولا على الفعل دون مرفوعه أو متعلِّقه من مفعول أو حال أو جار ومجرور، ولا على القول دون مقوله، ولا على المبتدأ دون خبره، وبالعكس، أو نحو ذلك مما يكون الوقف عليه محيلًا للمعنى أو مفككًا للنظم أو ملجئًا إلى تعسُّف في التقدير.

فيجب مراعاة هذه القواعد في الوقوف التي توضع في المصاحف وتلقَّن للصِّبيان في الكتاتيب لتكون التِّلاوة صحيحيةً لا يعتريها خلَلٌ ولا يترتَّب عليها إثمٌ.

غير أنَّ القواعد المشار إليها لم تراعَ كما يجب في الوقوف الموضوعة في مصحف ورش؛ فكان فيها أخطاء كثيرة تغيِّر المعنى، كفصل بين الفعل ومرفوعه، وبينه وبين متعلقه، وبين المعلول وعلَّته، وبين المتعاطفين، وبين المبتدأ والخبر وعكسه..... ولا يمكن إصلاح الخطأ إلا بتخريج تلك الوقوف على وجهٍ ضعيفٍ في الإعراب، أو احتمال بعيدٍ في التقدير وسلوك ذلك في

القرآن لا يجوز كما صرَّح به أبو حيَّان وابنُ هشام وغيرهما لأنَّه ينافي فصاحته.

وإلى القارئ الكريم أمثلة من تلك الوقوف المخطئة يستبين منها صحَّةُ ما قرَّرته:

١-﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ﴾ [البقرة: ٩٦] الوقف التَّامُّ على أشركوا لأنَّ الواو حرف عطف والجار والمجرور معطوف على الناس ومتعلق بأفعل التفضيل والتقدير: ولتجدنَّ اليهودَ أحرصَ الناس على حياة وأحرصَ من الذين أشركوا.

ومعنى الآية على هذا الوقف ظاهر وموافق للسياق، لكن الوقف في مصاحف ورش على كلمة «حياة» وقف خطأ لأنه يفصل بين المتعاطفين وبين العامل ومعموله، ويغيِّر معنى الآية إلى معنى لم يقصد منها ولا يساعد عليه السياق، وقد وجه تصحيحه بوجهين ضعيفين.

٢- ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة: ١٨٠] الوقف على ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾، وفي مصاحف ورش الوقف على ﴿خَيْرًا﴾ وهو خطأ لأنه يفصل بين الفعل وهو ﴿كُتِبَ﴾ ومرفوعه وهو ﴿ٱلْوَصِيَّةُ﴾ لأنَّه نائب فاعل ﴿كُتِبَ﴾، وقد وجه تصحيحه بإعرابين بعيدين متكلَّفين.

٣-﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ [آل عمران: ٧] الوقف على ﴿مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ و﴿مِنْهُ﴾ خبر مقدَّم و ﴿ءَايَٰتٌ﴾ مبتدأ مؤخَّر وجملة المبتدأ والخبر مرتبطة بالكتاب تبيِّن تقسيمه إلى

نوعين: محكم، ومتشابه.

لكن الوقف في مصاحف ورش على ﴿مِنْهُ﴾ وهو يفصل بين المبتدأ وخبره، ويضيِّع معنى التقسيم الذي أفادته الجملة. وصُحِّح بما لا طائل تحته.

٤- ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ [النساء: ٣٣] ﴿تَرَكَ﴾ فعل ماض و﴿الْوَالِدَانِ﴾ فاعله ﴿وَالْأَقْرَبُونَ﴾ معطوف عليه والوقف عليه لكن الوقف في مصاحف ورش على ﴿تَرَكَ﴾ وفيه فصل بين الفعل وفاعله.

٥- ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [المائدة: ٣١ - ٣٢] الوقف على ﴿النَّادِمِينَ﴾؛ لأنَّه رأس الآية ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾ متعلِّق ﴿كَتَبْنَا﴾ علَّةٌ له والمعنى: من أجل قتل قابيل لهابيل كتبنا على بني إسرائيل ... الآية . لكن الوقف في مصاحف ورش على ﴿ذَٰلِكَ﴾ وهو يفصل بين المعلول وعلته ويكون الابتداء بـ﴿كَتَبْنَا﴾ غير حسنٍ لا تربطه مناسبة بما قبله.

٦- ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [الأعراف: ١٠٤ - ١٠٥] الوقف على ﴿الْعَالَمِينَ﴾ و﴿حَقِيقٌ﴾ اسم فاعل و﴿عَلَىٰ﴾ متعلِّق به، و﴿أَنْ لَا أَقُولَ﴾ فاعله.

والوقف في مصاحف ورش على ﴿حَقِيقٌ﴾ وفيه فصلٌ بين اسم الفاعل وفاعله وبين متعلقه.

٧- ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [يوسف: ٩٢].

﴿عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ متعلِّقان بمحذوف خبر ﴿لَا﴾ والتقدير: لا تثريب متوجِّه عليكم اليوم.

والوقف على ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ كذلك جاء عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنه أخذ بعُضادتَي باب الكعبة يوم الفتح وقال لقريش: «**ما تظنُّون أنِّي فاعلٌ بكم؟**» قالوا: خيرًا؛ أخٌ كريمٌ وابن أخ كريم. فقال: «**أقولُ كما قال أخي يوسفُ: لا تثريبَ عليكُم اليومَ، اذهبُوا فأنتُم الطُّلَقاء**».

لكن الوقف في المصاحف المغربية على كلمة ﴿عَلَيْكُمُ﴾ وهو يفصل بين الظرف وعامله ويحول معنى الآية: ﴿يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ من الدعاء إلى الخبر.

٨-﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾[الأحقاف:٣٥]

الوقف على ﴿لَّهُمْ﴾ والمعنى: ولا تستعجل العذاب للمشركين.

لكن الوقف في مصاحف ورش على ﴿تَسْتَعْجِل﴾ وفيه فصل بين الفعل ومتعلقه. وبقيت أمثلةٌ أخرى سأجمعها في رسالةٍ خاصَّةٍ.

ولا أدري ما الداعي إلى اختيار هذه الوقوف التي يحتاج تصحيحُها -إن أمكن- إلى تمحُّل في الإعراب وتكلُّف في التقدير مما ينافي بلاغة القرآن التي أعجزت الإنسَ والجانَّ؟!.

مصحف حفص المطبوع بمصر أخذت وقوفه من كتب القراءات والتفسير بمعرفة جماعةٍ من كبار قرَّاء السبع وعلماء العربية فجاءت وقوفًا صحيحة خالية من التكلُّف والتمحُّل.

فلماذا لا نفعل مثلهم في مصحف ورش ونضع له وقوفًا سليمة ترشد التالي للمعنى، وتعينه على فهم المراد، وتعفيه من عَناء التقدير؟ ولماذا نجمُد على وقوفٍ وُضعتْ من أربعة قرونٍ؟

ومهما قيل في وضعها من فضل وصلاح فإن ذلك لا يجيز إبقائها على وضعها الحالي بل يجب استبدال الصواب مكان الخطأ والحسن مكان القبيح. إننا إن فعلنا ذلك نكون قد قمنا ببعض الواجب علينا نحو جانب من كتاب الله تعالى له أهميته البالغة وفائدته الكبيرة.

١١- فتنة داود عليه السلام؟[١]

اعتمد جُلُّ المفسِّرين -إن لم نقُل كلّهم- في تعيين فتنة داود على ما جاء في الإسرائيليات التي اختلفت رواياتها على جهات:

١- أنَّه رأى امرأةً تغتسل فأعجبه جمالها وحانت منها التِفاتة فأحسَّت ظلَّه فنقَضَتْ شعرها وغطَّتْ به بدنها فزاده ذلك إعجابًا بها، فسأل عنها فقيل هي امرأة أوريا وزوجها غائب في غَزَاة بالبَلْقاء.

فكتب داود إلى أمير تلك الغزاة أن ابعث أوريا إلى موضع كذا وقدمه قبل التَّابوت، وكان من قُدِّم على التابوت لا يحلُّ له أن يرجع وراءه حتى يفتح الله عليه أو يقتل. فبعثه وقدمه ففتح على يديه، فبعثه ثانيًا، وثالثًا، حتى استشهد.

فلما انقضت عدة المرأة تزوَّجها داود وهي أمُّ سليمان، فأنزل الله ملَكَين، قيل هما جبريل وميكائيل، في صورة خصمَين يختصمان في نِعاجٍ؛ كنَّيَا بها عن النساء فلما حكم بينهما تبسَّم أحدُهما للآخر وغابا فعلم أنَّه المقصود، أنه كان له تسعةٌ وتسعون زوجةً وضَمَّ إليهن زوجةِ أوريا فاستغفر ربه وخرَّ راكعًا وأناب.

وروى الحكيم الترمذيُّ في "نوادر الأصول"، وابن جرير، وابن أبي حاتم في تفسيريهما، من طريق ابن لَهِيعة، عن أبي صخر، عن يزيد الرَّقاشي، عن أنس قال: سمعتُ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: إنَّ داود عليه السلام حين نظر إلى المرأة قطَّع -بتشديد الطاء قصَّر مدة الغزو- على بني إسرائيل وأوصى صاحبَ الجيش فقال: إذا حضر العدوُّ فقرِّبْ فلانًا بين يدي التابوت

---

(١) مجلة دعوة الحق.

وكان التابوت في ذلك الزمان يُسْتَنصر به، ومن قُدِّم بين يديه لم يرجعْ حتى يُقتل أو ينهزم عنه الجيش، فقُتل وتزوَّج المرأة ونزل الملَكان على داود عليه السلام فسجد فمكث أربعين ليلة ساجدًا حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه وأكلَت الأرضُ جبينَه.

وذكر حديثا طويلًا قال السيوطي: سنده ضعيفٌ. وهذا لا يكفي، لأن يزيد الرَّقاشي مع ضعفه قال عنه ابن حِبَّان: كان يقلب كلام الحسن فيجعله عن أنسٍ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فلا تحلُّ الرواية عنه إلا على سبيل التعجُّب.

فهذا الحديث من كلام الحسن البصري أخذه من الإسرائيليات وليس من كلام النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فهو حديثٌ موضوعٌ.

وجاء في حديثٍ موضوعٍ أيضًا: إنَّ وفدًا أتوا إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وفيهم غلامٌ وضِيء فأجلسه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم خلف ظهره وقال: «**إنَّما كانتْ فتنةُ أخِي داودَ من النَّظر**».

وقد وردت هذه القصَّة عن ابن عبَّاسٍ، ومجاهد، والحسن، وأبي الجلد، وأبي عمران الجَوْني، والسُّدي، والكَلْبي، ومُقاتل، وفي بعض رواياتها زياداتٌ منكرةٌ أيضًا.

ووجد القُصَّاص في هذه القصة وزياداتها مادَّةً دسِمةً لترقيق قلوب العوام واستنزال دموعه واستدرار نقودهم.

والعجب أن ينخدع كثيرٌ من السلف بهذه القصة ويذكروها في مواعظهم كما تجد ذلك في كتاب "الزهد" لابن المبارك، ولأحمد بن حنبل مع أنها باطلةٌ

قطعًا وليس في القرآن ما يدل عليها تصريحًا أو تلوحيًا ولا أتىٰ في حديثٍ ثابتٍ إشارة إليها ولا أدري علىٰ أيِّ أساس حُشِرت في كتب التفسير.

٢- أنَّ داود طلب من أوريا أن يتنازل له عن زوجته حين رآها وأعجبته فنزل الملكان ونبَّهاه بحكاية النِّعاج إلىٰ أنه لا ينبغي له أن يفعل ذلك وإن كان طلب التنازل عن الزوجة جائزًا في شريعتهم وذلك لعظم منزلته وشفوف رتبته.

روي هذا عن ابن مسعودٍ وابن عبَّاسٍ أيضًا، وابن زيد، ورجَّحه الزمخشري في "الكشاف" وابن العربي في "الأحكام" وهذا باطلٌ أيضًا لأنه لم يثبت أن طلب التنازل عن الزوجة كان جائزًا في تلك الشريعة، بل المعروف عنهم أنَّ زواج المطلَّقة زنا ولأنَّ طلب الملِك من أحد رعيته يكون غصبًا وداود لا يفعل ذلك -جزمًا- لعصمته.

قال ابن العربي: كان ببلدنا أمير يقال له سبر بن أبي بكر فكلمته في أن يسأل لي رجل حاجة فقال لي: أما علمت أن طلب السلطان الحاجة غصبٌ لها؟! فقلت له: أما إذا كان عدلًا فلا.

لكن غاب عن ابن العربي أنَّ سيف الحياء أشدُّ من سيف الغصب، بل ما وسط الأمير في طلب الحاجة من الرجل إلا استعانة بسيف الحياء الذي لا يقاوم.

٣- أنه نوىٰ إن مات زوجها أن يتزوَّجها، حكاه ابن العربي في "الأحكام" فقال: هذا لا شيء فيه إذ لم يعرضه للموت.

وهو باطل أيضًا لأنَّ قصَّة امرأة أوريا والنظر إليها ومحاولة زواجها باطلةٌ

من أصلها فما بُني عليها باطلٌ أيضًا.

وقد أبطل الإمام الرازي تلك القصة في "تفسيره" من عدَّة وجوهٍ أفاد فيها وأجاد.

٤- أنه حكم لأحد الخصمين قبل أن يسمع كلام الآخر. حكاه ابن العربي أيضًا، وأبداه الإمام الرازي احتمالًا وقال: لا شيء فيه.

قال ابن العربي: «لا يجوز ذلك على الأنبياء وقال الحليمي: أنه رأى في المدَّعي مخايلَ الضَّعف والهضِيمة فحَمل أمره على أنَّه مظلومٌ كما يقول فدعاه ذلك إلى ألا يسأل المدَّعَى عليه فاستعجل بقوله: لقد ظلمَكَ.

وضعَّفه أبو حيَّان، وهو جديرٌ بالتضعيف، والصواب أنَّ في الكلام محذوفًا تقديره فأقرَّ المدعى عليه فقال لقد ظلمك. قال أبو حيان ولكنَّه لم يُحك في القرآن اعتراف المدعى عليه لأنَّه معلوم من الشرائع كلِّها إذ لا يحكم الحاكم إلا بعد إجابة المدعى عليه.

٥- أنه خطب المرأة بعد خِطبة أوريا لها فآثروه عليه وزوَّجوه بها فعوتب على ذلك. وهذا باطل أيضًا.

وقد قيل في فتنة داود غير هذا مما لا أصل له.

قال ابن كثير في "تفسيره": «قد ذكر المفسِّرون هاهنا قصةً أكثرها مأخوذٌ من الإسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم حديثٌ يجب اتِّباعه، ولكن روى ابن أبي حاتمٍ هنا حديثًا لا يصحُّ سنده؛ لأنه من رواية يزيد الرَّقَاشي عن أنسٍ رضي الله عنه.

ويزيد؛ وإن كان من الصالحين، لكنه ضعيف الحديث عند الأئمَّة فالأولى

أن يُقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة وأن يُرد علمها إلى الله عزَّ وجلَّ فإن القرآن حقٌّ وما تضمَّن فهو حقٌّ أيضًا».اهـ

قال أبو حيَّان: «ذكر المفسِّرون في هذه القصة أشياء لا تناسب مناصب الأنبياء ضربنا عن ذكرها صفحًا».اهـ

وعندي مسلك آخر يدل على بطلان ما ذكره المُفسِّرون، وهو مراعاة السِّياق وهو مسلكٌ مُهمٌّ يجب على المفسِّر أن يجعله نُصْب عينيه ولا يتكلَّم على آيةٍ حتى ينظر علاقتها بما قبلها؛ لأنَّ آيات القرآن متماسكةٌ آخذٌ بعضها بحُجزة بعضٍ فمن لم يراع ذلك في تفسيره جانبَه التوفيق.

ومتقدِّموا المفسِّرين غفلوا عن هذا المسلك فوقعوا في أغلاط كثيرةٍ، وتنبَّه له المتأخِّرون كالزمخشري والإمام الرازي والبرهان البقاعي وأبو حيَّان.

وأكثرهم مراعاة لهذا المسلك العلامة البقاعي في تفسيره "تَرْجُمان القرآن" رأيته مخطوطًا وهو يطبع الآن، ذكر أنه ألَّفه في أربعةَ عشرَ عامًا حتى أوجد المناسبة بين كلِّ آيةٍ وآيةٍ مِن أول القرآن إلى آخره بطريق مراعاة السِّياق.

وأنا أسلك هذا الطريق في تدريس التفسير بزاويتنا الصِّدِّيقية وقد أُلهمتُ فيه أشياء كثيرة بحمد لله.

وتعيين فتنة داود عليه السَّلام يتعيَّن فيه تلاوة ما قبل القصة حيث حكى الله تعالى تعنُّت الكفار في كفرهم وتعصُّبهم لأصنامهم وتكذيبهم للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وقولهم على سبيل الاستخفاف به: ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: ١٦] مع أنهم لا يؤمنون بالبعث.

وذكر من كذب قبلهم الرسل بدءًا من قوم نوحٍ وهلمَّ جرّا، ثم قال لنبيِّه:

﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِ﴾ [ص: ١٧] فأمره بالصبر على إذاية الكفار وذكر قصصًا للأنبياء: داود، وسليمان، وأيوب، صبروا حتى فرَّج الله عنهم وكان عاقبتهم النصر.

وبدأ بداود لمناسبة سنبيِّنها، ووصفه بالأيد أي: القوة في الدين والصَّدع بأمر الله والطاعة لله مع قوة بدنه أيضًا.

وذكر قصة الخصومة ليبيِّن مدى صبره على جفاء قومه فهذان خصمان إسرائليان مختلفان في غنمٍ بينهما تسوَّرا عليه المحراب فأفزعاه ولم يأتيا من الباب وهذا جرمٌ يستحِقَّانِ عليه العقوبة لكنَّه صبر ولم يعاقبهما.

ثمَّ خاطباه بلهجةٍ جافَّةٍ: ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ﴾ [ص: ٢٢]، أمراه بالحكم بالحقِّ ونهياه عن الجور وهذه قلَّة أدبٍ يستحقَّانِ العقوبة عليها لكنه صبر ولم يعاقبهما بل حكم بالحقِّ؛ لأنه معصومٌ لا يحكم بالجَوْر، ولهذا أعطاه الله رتبة الخلافة عنه: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [ص: ٢٦]، والخلافة أعلى من الملك.

وحصل مثل هذا للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ناداه جفاة الأعراب: يا محمد اخرج إلينا، فصبر على جفائهم ولكن الله أنزل في ذمِّهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [الحجرات: ٤].

وحكم بين الزبير وخصمه وهو أنصاري في شِراجِ الحَرَّة فأغضب الأنصاريَّ حكمُه وقال: أنْ كان ابنَ عمَّتِك!

فصبر على قلَّة أدبه ولكنَّ الله أنزل في حقه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ

يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

أمَّا فتنة داود فتكمُن في قوله تعالى: ﴿فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ [ص: ٢٢] أي: خاف، والخوف طبيعةٌ بشريةٌ فقد خاف موسى وهارون وغيرهما، لكن داود ظنَّ أنَّ خوفه من الخصمين وهو في عبادة الله وفي حضرته فتنةٌ أي: امتحان ظهر فيه تقصيره فاستغفر ربَّه من التقصير الذي ظنه وخَرَّ راكعًا وأناب.

وقد قال: النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّه ليُغانُّ علَى قلبِي وإنِّي لأستغفرُ اللهَ في اليومِ سبعين مرَّةً**». فالاستغفار لا يستلزم الذنب شرعًا ولا عادةً.

هذا ما رأيته في تعيين فتنة داود بعد مراعاة السِّياق.

وفي تعيينها رأيان آخران:

أحدهما للإمام الرازي قال في "تفسيره": «روي أن جماعةً من الأعداء طمعوا في أن يقتلوا داود عليه السلام وكان له يوم يخلو فيه بنفسه ويشتغل بطاعة ربه فانتهزوا الفرصة في ذلك اليوم وتسوَّروا المحراب فلما دخلوا عليه وجدوا عنده أقواما يمنعونه منهم فخافوا فقالوا كذبًا: ﴿خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [ص: ٢٢] فلما علم بقصدهم دعاه الغضب إلى أن ينتقم منهم لكنه مال إلى الصَّفح والتجاوز عنهم فكانت هذه الواقعة هي الفتنة، أو أنه ظنَّ أنهم أرادوا قتله ولما لم يتحقَّق ظنه كان ذلك فتنة فاستغفر منه».اهـ ملخَّصًا.

والآخر لأبي حيان، قال في "البحر المحيط": «والذي نذهب إليه ما دلَّ عليه ظاهر الآية مِن أنَّ المتسوِّرين المحراب كانوا من الإنس دخلوا عليه من غير المدخل وفي غير وقت جلوسه للحكم وأنه فزع منهم ظانًّا أنهم يغتالونه إذ

كان منفردًا في محرابه لعبادة ربه فلما اتَّضح له أنهم جاءوا في حكومة وبرز منهم اثنان للتحاكم كما قصَّ الله تعالىٰ وأنَّ داود عليه السلام ظنَّ دخولهم عليه في ذلك الوقت ومن تلك الجهة إنفاذا من الله له أن يغتالوه فلم يقع ما كان ظنه، فاستغفر من ذلك الظن حيث أخلف ولم يقع مظنونه وخرَّ ساجدًا ورجع إلىٰ الله تعالىٰ فغفر له ذلك الظن ولذلك أشار بقوله: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾ [ص: ٢٥]

ولم يتقدَّم سوىٰ قوله: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ [ص: ٢٤] ويعلم قطعًا أن الأنبياء عليهم السلام معصومون من الخطايا لا يمكن وقوعهم في شيءٍ منها ضرورة أن لو جوَّزنا عليهم شيئًا من ذلك بطلت الشرائع ولم نثق بشيءٍ مما يذكرون أنه أوحىٰ الله به إليهم، فما حكىٰ الله في كتابه يمرُّ علىٰ ما أراده تعالىٰ، وما حكىٰ القُصَّاص مما فيه غضٌّ عن منصب النبوة طرحناه».اهـ

ولو كانت فتنة داود علىٰ ما ذكره المفسِّرون لزم علىٰ ذلك مفاسد:

١- أنه ليس في سياق الآيات ما يدلُّ عليها أو يرشد إليها.

٢- أن قصة الخصومة تفيد أنه وقع في حبِّ امرأة وحاول انتزاعها من زوجها، وهذا ضعفٌ في الإرادة وخوَرٌ في العزيمة ينافي ثناء الله عليه بأنه «ذو الأيد»، أي: القوة.

٣- أنَّ الله تعالىٰ قال لنبيِّه: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ [ص: ١٧] وما كان من داود إلا الصبر علىٰ عبادة الله وعلىٰ جهالة قومه، لا حبُّ امرأة ومحاولةُ انتزاعها من زوجها، فكيف أُقحم هنا؟!

٤- أن يكون الله أمر نبيه بالاقتداء بداود في حبِّ النساء والافتتان بهنَّ!!.

٥- أنَّ الملائكة كذَبوا في ادعاء خصومة لم تقع مع أنهم معصومون،

ودعوىٰ أن ذلك كان منهم علىٰ سبيل التمثيل مردودةٌ بأنه يجب نَصْب قرينة علىٰ ذلك ولا قرينة في سياق القصة إطلاقًا.

وبالجملة فما ذكر المفسِّرون في فتنة داود عليه السلام كلُّه مأخوذٌ من الإسرائيليات التي نهينا عن تصديقها لا سيَّما إذا كان فيها ما يمَسُّ مقام الأنبياء ويخدِش عصمَتهم، وكذلك فعلوا في تفسير قصة هاروت وماروت ويوسف وأيوب وسليمان، ذكروا إسرائيليات ملأىٰ بالخرافات.

ولا يغرنَّك نقلها عن كثيرٍ من التابعين مثل: الحسن، ومجاهد، وأبي الجلد، والسدي، ومقاتل، والكلبي، وأبي صالح، وسعيد بن جبير، وعكرمة، وأبي عمران الجوني، وغيرهم.

فإن هؤلاء يأخذون عن الإسرائيليات علىٰ سبيل الموعظة والتذكر.

وأخذ عنهم مثل ابن المبارك، وأحمد، وابن أبي حاتم، وابن جريرٍ، وأضرابهم، وامتلأت كتب التفسير والزهد والرَّقائق بالإسرائليات حتىٰ اشتبه الأمر علىٰ بعض الضعفاء في الرواية فرفعوا منها أحاديث إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

كما أنَّ قصة هاروت وماروت مع أناهيد التي أحبَّاها وفي سبيل الوصول إليها شربا الخمر وعلَّماها الاسم الذي يطلعان به إلىٰ السماء بطلبها فطلعت إلىٰ السماء ومُسِخت هناك وهي الآن الزُّهرة.

فهذه الخرافة منقولةٌ عن الإسرائيليات ورفعها بعض الرواة إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم واغترَّ بعض الحفَّاظ بنظافة سندها فصحَّحها حديثًا نبويًّا مرفوعًا، ولم يتنبَّه لما فيه من عللٍ تقضي بعدم صحَّته، والكمال لله تعالىٰ.

١٢- فتنة سليمان عليه السلام(١)

قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾ [ص: ٣٤] أخبرت الآية الكريمة أنَّ سليمان فُتن، فما هي فتنته؟

قال كثير من المُفسِّرين: كانت فتنته بسبب خاتمه، ثم اختلفوا في كيفيتها على جهاتٍ مأخوذةٍ من الإسرائيليات وبيانها على الوجه الآتي:

١- قال أبو جعفر بن المنادي: حدَّثنا أبو خالد القرشي: حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عمارة بن عبد، عن عليٍّ عليه السَّلام قال: بينما سليمان عليه السلام جالس على شطِّ البحر وهو يلعب بخاتمه فوقع، وكان مُلْكه في خاتمه.

فانطلق فأتى عجوزًا فأوى إليها وخلفه الشيطان، فقالت العجوز: اذهب فاطلب وأنا أكفيك عمل البيت فذهب فانتهى إلى صيَّادين فنبذوا إليه سمكات فأتى بهن فشقَّت العجوز سمكة فإذا الخاتم فأخذه فقلبه فأقبلت إليه الجنُّ والطير والوحوش وفرَّ الشيطان إلى جزيرةٍ.

فقال سليمان: ائتوني به، قالوا: لا نقدر عليه، إلا أنه يرد علينا في كلِّ أسبوع قال: فصبُّوا له خمرًا فلما شرب سكِر فأروه الخاتم فقال سمعًا وطاعة فأتوا به سليمان فأوثقه وأمر به إلى جبل الدُّخَان فما ترون من الدُّخَان فذاك.

هذا لا يصحُّ عن عليٍّ عليه السلام وما نطق به قطُّ، وأبو خالد القرشي متروك، قال يحيى بن معين: كذَّاب خبيث، حدَّث بأحاديثَ موضوعةٍ.

٢- قال ابن أبي حاتم في "تفسيره": حدَّثنا علي بن الحسين: حدَّثنا محمد بن العلاء، وعثمان بن أبي شيبة، وعلي بن محمد قالوا: حدَّثنا أبو معاوية: أخبرنا

---

(١) مجلة دعوة الحق.

الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبَّاسٍ في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: ٣٤]:

أراد سليمان عليه السَّلام أن يدخل الخلاء فأعطىٰ الجَرَادةَ خاتمه وكانت الجرادةُ امرأتَه، وكانت أحبَّ نسائه إليه فجاء الشيطان في صورة سليمان فقال لها: هاتي خاتمي فأعطته إياه فلمَّا لبسه دانتْ له الإنس والجنُّ والشياطين.

فلما خرج سليمان عليه السَّلام من الخلاء قال لها: هاتي خاتمي فقالت: قد أعطيتُه سليمان قال: أنا سليمان قالت: كذبتَ ما أنت بسليمان، فجعل لا يأتي أحدًا يقول له: أنا سليمان إلَّا كذبه، حتىٰ جعل الصِّبيان يرمونه بالحجارة. فلمَّا رأىٰ ذلك سليمان عرف أنَّه من أمر الله تعالىٰ.

قال: وقام الشيطان يحكم بين الناس فلما أراد الله تعالىٰ أن يردَّ علىٰ سليمان سلطانه ألقىٰ في قلوب الناس إنكار ذلك الشيطان، قال: فأرسلوا إلىٰ نساء سليمان فقالوا لهنَّ: تُنكِرْنَ من سليمان شيئًا؟ قلن: نعم إنه يأتينا ونحن حُيَّض، وما كان يأتينا قبل ذلك.

فلما رأىٰ الشيطان أنه قد فطن له ظنَّ أن أمره قد انقطع، فكتبوا كتبًا فيها سِحْر وكفر فدفنوها تحت كرسيِّ سليمان ثم أثاروها وقرأوها علىٰ الناس قالوا: بهذا كان يظهر سليمان علىٰ الناس ويغلبهم فأكفر الناس سليمان عليه السلام، فلم يزالوا يكفِّرونه، وبعث ذلك الشيطان بالخاتم فطرحه في البحر فتلقته سمكة.

وكان سليمان يحمل علىٰ شطِّ البحر بالأجر، فجاء رجل فاشترىٰ سمكًا فيه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم، فدعا سليمان فقال: تحمل لي هذا السمك؟ قال: نعم، قال: بكم؟ قال: بسمكة من هذا السمك.

قال: فحمل سليمان السمك إلى منزل الرجل فلما انتهى إلى بابه أعطاه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم فأخذها سليمان فشق بطنها فإذا الخاتم في جوفها فأخذه فلبسه فدانت له الإنسُ والجنُّ والشياطينُ، وعاد إلى حاله، وهرب الشيطان حتى لحق بجزيرة من جزائر البحر، فأرسل سليمان في طلبه، وكان شيطانًا مريدًا يطلبونه ولا يقدرون عليه حتى وجدوه يومًا نائمًا فبنَوا عليه بنيانًا من رَصاص فاستيقظ فوثب فجعل لا يثبت في مكان من البيت إلا أن دار معه من الرَّصاص.

قال: فأخذوه وأوثقوه فجاءوا به إلى سليمان، فأمر به فنُقر له نحتٌ من رخام ثم أُدخل في جوفه ثم سُدَّ بالنُّحاس ثم أمر به فطرح في البحر فذلك قوله: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾ [ص: ٣٤] يعني: الشيطان الذي كان تسلَّط عليه.

قال ابن كثير: «إسناده إلى ابن عبَّاسٍ قويٌّ ولكن الظاهر أنه إنما تلقَّاه ابن عبَّاسٍ -إن صحَّ عنه-من أهل الكتاب، وفيهم طائفةٌ لا يعتقدون نبوة سليمان عليه السلام فالظاهر أنهم يكذبون عليه، ولهذا كان في السِّياق منكرات من أشدها ذكر النساء فإن المشهور عن مجاهد وغير واحدٍ من أئمَّة السلف أن ذلك الجنِّيَّ لم يسلَّط على نساء سليمان بل عصمهن الله منه تشريفًا وتكريمًا لنبيه عليه السلام».اهـ

قلت: لم يصح هذا الأثر عن ابن عبَّاسٍ لأن في سنده عنعنة الأعْمَش وهو مدلِّس قال الذهبي: وربما دلَّس عن ضعيف وهو لا يدري به.

ويظهر من كلام ابن كثير أنه مقتنع بأنَّ الجنيَّ سُلِّط على ملك سليمان وإنما

استنكر هذا السِّياق، خصوصًا تسليط الجني على نساء سليمان عليه السلام ولم ينكر القصة من أصلها مع أنها باطلةٌ؛ لأنَّه وجد كثيرًا من التابعين اعتمدها كمجاهد وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب والحسن البصري.

ولا ينقضي عجبي من هؤلاء وغيرهم من التابعين بل وبعض الصحابة الذين يعتمدون روايات أهل الكتاب في تفسير آيات القرآن الكريم، رغم ورود النهي عن ذلك ورغم مخالفة تلك الروايات لألفاظ القرآن وسياقه.

فلفظ: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ [ص: ٣٤] ينفي أن يكون بطلُ القصة جنيًّا سرق الخاتم وجلس على الكرسي وصرَّف الملك مختارًا مدة أربعين يومًا؛ لأن الإلقاء والجسد ينفيان أن يكون الملقى[1] حيًّا مختارًا كما يتبيَّن مما يأتي.

٣- روى الفريابي، والحكيم الترمذي؛ من طريق الأعمش، عن المنهال، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبَّاسٍ في قول الله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: ٣٤] قال: هو الشيطان الذي كان على كرسيه يقضي بين الناس أربعين يومًا وكان لسليمان عليه السلام امرأة يقال لها جرادة، وكان بين بعض أهلها وبين قوم خصومة فقضى بينهم بالحقِّ إلا أنه ودَّ أن الحق كان لأهلها فأوحى الله إليه إنه سيصيبك بلاءٌ فكان لا يدري يأتيه من السماء أم من الأرض؟.

صحَّحه الحاكم، ووافقه الذهبيُّ، مع أن فيه عنعة الأعمش على أن الحاكم علَّقه عنه.

---

(١) بفتح القاف.

ومن أين علم لنا أن سليمان تمنى أن يكون الحقُّ مع أهل زوجه؟ وإذا حكم بالحقِّ فلا عتب عليه أن يتمنَّى خلاف ما حكم به ولو فرض أن عوقب فكيف يعاقب بتسليط شيطان يحكم في الرعية بخلاف الحقِّ أربعين يومًا حتى أنكروا عليه؟!!

فهذه عقوبةٌ للرعية أكثر منها لسليمان عليه السلام، وما ذنبهم أن يصيبهم هذا البلاء؟! وصرح ابن عبَّاسٍ بأنه تلقَّى تفسير هذه الآية عن كعب الأحبار حيث سأله عنها وعن قصة تُبَّع، رواه عنه عبد الرزاق في "تفسيره".

٤- روى ابن جريرٍ من طريق ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ [ص: ٣٤] قال: شيطانًا يقال له آصف، قال له سليمان: كيف تفتنون الناس؟ قال: أرني خاتمك أخبرك. فلما أعطاه إياه رماه آصف في البحر، فساح سليمان وذهب مُلكه، وقعد آصف على كرسيه، ومنعه الله نساء سليمان، فلم يقربهنّ، وأنكرنه.

قال: فكان سليمان يستطْعِم فيقول: أتعرفونني؟ أطعموني أنا سليمان، فيكذّبونه، حتى أعطته امرأة يومًا حوتًا، فوجد خاتمه في بطنه.

وهذه قصةٌ باطلةٌ أيضًا وفيها أمور لا تليق بمقام النبوة.

وجاء عن قتادة والحسن وسعيد بن المسيب حكايات في قصة الجنِّيِّ الذي قام بانقلاب ضدَّ سليمان عليه السلام بواسطة سرقة خاتمه واضطربوا في اسمه فقيل: صخر، أو آصف، أو آصر، أو حبقيق، وتلك الحكايات منتشرة في كتب التفسير.

٥- روى الطبراني في "الأوسط"، وابن مَرْدُويَه في "التفسير" عن أبي

هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «وُلد لسليمانَ بن داود ولدٌ، فقال للشياطين: أين نُوَاريه من الموت؟ فقالوا: نذهب به إلى المشرق. قال: يصِل إليه الموتُ. قالوا: فإلى المغرب. قال: يصِل إليه الموتُ. قالوا: إلى البِحارِ قال: يصِل إليه، قالوا: نضعُهُ بين السَّماءِ والأرضِ.

ونزل عليه ملَكُ الموتِ، فقال: يا ابن داود، إنِّي أمرت بقبض نسَمة طلبتُها في المشرق فلم أُصبْها، فطلبتُها في المغرب فلم أُصبْها، وطلبتُها في البحار، وفي تُخُوم الأرضين فلم أصبْها، فبينا أنا أصْعدُ إذ أصبتُها، فقبضتُها، وجاء جسدُهُ حتى وقعَ على كرسيِّه، فهو قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾ [ص: ٣٤].

في سنده يحيىٰ بن أبي كثير صاحب البصري قال النَّسائي: ليس بثقةٍ، وقال الدارَقُطني: متروك، وقال ابن حِبَّان: يروي عن الثقات ما ليس من حديثهم، فالحديث موضوعٌ واقتصار السيوطي علىٰ تضعيفه قُصور.

ويعجبني موقف أبي حيَّان من هذه القصة حيث قال: «نقل المفسِّرون في هذه الفتنة وإلقاء الجسد أقوالًا يجب براءة الأنبياء منها، وهي إمَّا مِن وضع اليهود أو الزَّنادقة».اهـ كلامه.

وفتنة سليمان عليه السلام لم يُعيِّنها الله تعالىٰ بصريح القول لكن يمكن إدراك تعيينها بتدبُّر الآيات ومراعاة السِّياق التي يغفل عنها معظم المفسِّرين.

وإذا رجعنا إلىٰ أول السورة نجد الله تعالىٰ يحكي تكذيب الكفار لنبيِّه ويصفونه بأنَّه ساحرٌ كاذبٌ وبأن ما جاء به اختلاف وافتراء ثم أمر بالصبر وبذكر الأنبياء الذين ابتُلوا فصبروا ونالوا الرفعة والمنزلة العظيمة، فبدأ بداود

وابنه سليمان ثم قال: ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ ﴾ [ص: ٤١]، ﴿ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ ﴾ [ص: ٤٥]، ﴿ وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِ ﴾ [ص: ٤٨].

ومهَّد لذكر فتنة سليمان بتزكيته فقال تعالىٰ: ﴿ وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾ [ص: ٣٠]، ومن يزكِّيه الله بهذا المدح المؤكَّد كيف يصحُّ عنه ما جاء في تلك الحكايات المكذوبة؟ وأيُّ علاقة بل أي عبرة في استيلاء الشيطان علىٰ ملكه؟ أرأيت كيف يسقط المفسِّرون بغفلتهم عن سياق الآيات وأسلوبها البديع النظام؟!

وفتنة سليمان ثبتت فيما رواه الشيخان عن أبي هريرة عن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، قال: «**قال: سليمانُ بن داود: لأطوفنَّ الليلة على سبعين امرأةً، تحملُ كلُّ امرأة فارسًا يجاهدُ في سبيل الله، فقال له صاحبُه: إن شاء الله، فلم يقُلْ، فلم تحمل شيئا إلا واحدة، جاءتْ بشِقِّ غُلامٍ**»، فقال النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فُرْسانًا أجمَعون**».

فذلك الشِّقُّ هو الجسد الذي ألقي علىٰ كرسيه أتوا به فرآه سليمان وعلم أن أمنيته لم تتحقَّق لأنه لم يقل: «إن شاء الله». «وأناب»: أي: رجع إلىٰ تعليق أموره كلِّها علىٰ المشيئة الإلهية.

ووقع نظير هذا للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم؛ بعثت قريش إلىٰ اليهود بالمدينة يطلبون منهم يبعثوا إليهم بأسئلة يمتحنون بها النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فأرسلت إليهم يهود: أن سلوه عن أمر أصحاب الكهف، وعن ذي القرنين، وعن الروح.

فجاءت قريش إلىٰ النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وسألوه عن هذه

الأشياء فقال: «**ائتوني غدًا**». ولم يستثن. أي لم يقل: إن شاء الله.

فمكث رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم خمس عشرة ليلة لا يحدِث الله في ذلك وحيًا ولا يأتيه جبريل، حتى أرْجَف أهل مكة، وحتى أحزن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مكث الوحي عنه وشَقَّ عليه ما يتكلَّم به أهل مكة، ثم جاء جبريل بجواب ما سئل عنه وبقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الكهف: ٢٣ - ٢٤].

فأدَّبه الله على ترك المشيئة كما أدَّب سليمان عليها قبله ولهذا قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن سليمان: «**لو قال، إنْ شاءَ الله لجاهدوا كلُّهم**». أي لرزقه الله الأولاد وكبروا وجاهدوا.

والحكمة في ذكر فتنة سليمان عليه السلام تسلية النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عما حصل له من ترك المشيئة والتأديب عليها بأنَّ مثله حصل لنبيٍّ كريمٍ أوَّاب.

ومن تمام المناسبة بينهما أنَّ سليمان سخَّر الله له الجنَّ رعايا في مملكته والنبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم صرف الله إليه الجنَّ ليكونوا من جملة أمته.

وترك التعليق بالمشيئة ليس بمعصية بل غايته أن يكون مكروهًا أو خلاف الأولى والمقرَّر في علم الأصول: أن النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يفعل المكروه للتشريع كما هنا.

فقد ترتَّب على تأديب الله عليها الحضُّ على سلوك الأولى والأفضل دائما اقتداء بصنيع الله تعالى حيث يقول: ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ [الفتح: ٢٧]، وهذه الآية نزلت بعد

آية الكهف، وبهذا يكون الله تعالىٰ قد حضَّ علىٰ التعليق بالمشيئة الإلهية قولًا في آية الكهف وحضَّ عليها عملًا في هذه الآية.

وبعد هذا نرد المفاسد والمنكرات في تلك الإسرائليات التي غفل عنها من فسَّر بها فتنة سليمان عليه السلام، ويتلخَّص الردُّ فيما يلي:

١ - المقرَّر في علم أصول الدين أنَّ الشيطان لا يقدر أن يتمثَّل في صورة نبيٍّ أبدًا ولا يقدره الله علىٰ ذلك، وصحَّ في الحديث المستفيض أن النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**منْ رآني في المنام فقد رآني حقًا فإنَّ الشَّيطان لا يتمثل بي**»، وفي رواية: «**فإنَّ الشيطان لا يتكوَّنُني**» أي لا يتكون علىٰ صورتي هذا في المنام، فكيف باليقظة؟

٢- من المقرَّر كذلك: أنَّ الشيطان لا يقدر علىٰ الاتصال بنساءِ نبيٍّ والزنا بهنَّ، بل صرَّحوا بأنَّ نساء الأنبياء لا يزنين وإن كنَّ كافرات، لأنَّ الكفر ينشأ عن تقليد الآباء بخلاف الزِّنا فإن منشأه خِسَّة الطبع ودناءة النفس وشدة الغلمة.

ولما جاءت هند أمُّ معاوية وهي مشركة إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لتبايعه علىٰ الإسلام وعرض عليها في البيعة: «**ولا تزنين**» قالت مستنكرة: أوتزني الحُرَّة؟! مع أنها كانت معتزة بشركها باعتباره دينًا وجدت عليه أهلها وقومها.

وقد زلَّ زلةً عظيمةً مَن فسَّر من المعاصرين خيانة امرأتي نوحٍ ولوطٍ بالزنا، وما خيانتُهما إلا ممالأة قومها علىٰ الكفر وإيذاء زوجيهما وحقُّ هذا المفسِّر أن يُعزَّر تعزيرًا بالغًا.

٣- أخبر الله تعالىٰ أنه أعطىٰ سليمان المُلك الذي طلبه وقال له: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [ص: ٣٩] ولم يعلِّقه بخاتم ولا غيره.

٤- اليهود لعنهم الله ينكرون نبوة سليمان ويعتبرونه مَلِكًا حكيمًا، يعنون بالحكمة السِّحر، ويعتقدون أنه نال الملك وتسخير الجنِّ بالطِّلَّسَمات السِّحرية ولذلك قالوا: كان ملكه في خاتمه.

وما كان للمفسِّرين أن ينخدعوا بكذبهم ويدوِّنوه في تفاسيرهم.

٥- من أبطل الباطل دعوىٰ أنَّ صورة سليمان كانت في خاتمه أيضًا بحيث لما ذهب الخاتم ذهبت صورته معه وأنكره الناس ولم تعد إليه صورته حتىٰ عاد الخاتم!! كيف ارتبطت صورته التي خلقه الله عليها بخاتم في يده؟! وأي عقل يصدِّق هذه الخرافة؟!!

٦- لا يجوز في حقِّ سليمان النبيِّ عليه السَّلام أن يهرب بولده من الموت ويستعين بالشياطين علىٰ ذلك وأنهم وضعوه بين السماء والأرض هذه خرافةٌ أيضًا.

٧- الجسد جسم لا روح فيه ولذلك قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ [ص: ٣٤] وفي الحديث: «**كنتُ نبيًّا وآدمُ بين الرُّوحِ والجَسَد**». أي: حين كان آدم جسدًا لا روح فيه، فإذا انضمَّ الروح إليه زال عنه اسم الجسد وسمي إنسانًا أو ملكًا أو شيطانًا لأنه حيٌّ يعقل ويتحرَّك بإرادته.

فتفسير الجسد في الآية بالشيطان لا تساعد عليه اللغة العربية وينافي دقَّة التعبير القرآني إذ لو كان المراد شيطانًا كما في الإسرائيليات لقيل: وسلَّطنا علىٰ كرسيِّه شيطانًا.

٨- ما كان الله تعالىٰ ليسلب نبيه ما أعطاه ويلجئه إلىٰ التكفُّف وسؤال الناس لا لذنب أتاه إذ هو معصوم ولكن لأن الشيطان سرق خاتمه من زوجه.

والله تعالىٰ يكره لعبده أن يسأل غيره خصوصًا من كان نبيًّا مرسلًا، جاء في بعض الآثار إن الله أوحىٰ إلىٰ موسىٰ عليه السلام: «سلْني في كلِّ شيءٍ حتىٰ في شِسْع نَعلِكَ ومِلْح عَجِينِكَ».

١٣- القرآن دواءٌ للجسم والرُّوح وأنفُ المضلِّلين راغمٌ[١]

لا شكَّ أنَّ كتاب الله شفاءٌ ودواءٌ وغذاءٌ للجسم والرُّوح، ولكن الجماعات الوثنية الباطنية العصرية المستترة وراء التسلُّف، والتي تريد أن تقضي على الإسلام من طريق القضاء على معنوياته وأسراره وروحانياته، والتي يسَّر لها الزمان أسباب الظهور والتغرير لغير وجه الله، هذه الطوائف التي مزَّقت وحدة المسلمين وشغلتهم عن مصائب الاستعمار بتوافه، والخلافات على الفروع، وابتداع الغيرة على الدين، للتمكين للاستعمار المنتظر، وخدمة التبشير القائم، كان من آخر ما فتنوا به الأمَّة وشغلوها به عن واجبها الأكبر، قولهم بعدم بركة القرآن وأنه لا يصلح للتداوي على أي وجهٍ، وادَّعَوا بأنَّ فاعل هذا دجَّالٌ كافرٌ فاسمع تكذيب هؤلاء المضلِّين بما لا شك فيه[٢].

القرآن دواء للأجسام

قال ابن ماجه في كتاب الطِّب من "سننه"، باب الاستشفاء بالقرآن، حدَّثنا محمد بن عبيد بن عتبة بن عبد الرحمن الكِندي، حدثنا عليُّ بن ثابت، حدثنا سعاد بن سليمان عن أبي إسحاق عن الحارث عن عليٍّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**خيرُ الدَّواءِ القرآنُ**». قلت: إسناده حسن.

وللسِّجْزي في "الإبانة"، والقضاعي في "مسند الشِّهاب" من طريق أبي

---

(١) مجلة المسلم، السنة الرابعة، العدد السادس، محرم ١٣٧٤هـ.

(٢) الديباجة من المجلة

إسحاق، عن الحارث، عن عليٍّ، عن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**القرآنُ هو الدواء**». وإسناده حسنٌ كما قال المناوي في "التيسير".

وروىٰ ابن ماجه والحاكم عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**عليكُم بالشفاءين العسلُ والقرآنُ**». قال الحاكم: صحيحٌ علىٰ شرط الشيخين وسلَّمه الذهبيُّ[1] وروىٰ الحاكم أيضًا عن ابن مسعودٍ قال: «**عليكم بالشفاءين القرآنُ والعسلُ**» وإسناده صحيحٌ أيضًا.

وروىٰ الثعلبي من طريق أحمد بن الحارث الغساني، حدَّثتنا ساكنة بنت الجرود، قالت: سمعت رجاء الغنوي يقول: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**منْ لم يستشفِ بالقرآنِ فلا شَفاه اللهُ**».

الفاتحة دواءٌ من العقْرب:

قال البخاري: «باب الشروط في الرُّقية بفاتحة الكتاب»، ثم روىٰ فيه عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما أنَّ نفرًا من أصحاب النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مرُّوا بماء فيهم لديغ أو سليم، فعرض لهم رجل من أهل الماء فقال: هل فيكم من راقٍ؟ إنَّ في الماء رجلًا لديغًا أو سليمًا، فانطلق رجل منهم فقرأ بفاتحة الكتاب علىٰ شاءٍ فبرأ، فجاء بالشاءِ إلىٰ أصحابه، فكرهوا ذلك وقالوا: أخذتَ علىٰ كتاب الله أجرًا؟!، حتىٰ قدموا المدينة فقالوا يا رسول الله: أخذ علىٰ كتاب الله أجرًا! فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ أحقَّ ما أخذتُم عليه أجرًا كتابُ الله**».

ورواه البزَّار من حديث جابر بن عبد الله وزاد في روايته: فقالوا لهم: قد

---

(١) وقال الحافظ ابن كثير بعد أن عزا الحديث لابن ماجه: «إسناده جيِّد».

بلغنا أنَّ صاحبَكم جاء بالنُّور والشِّفاء؟ قالوا: نعم، قالوا: فهل فيكم من راقٍ، فقال رجل من الأنصار أنا أرقيه ...إلخ، وهذا الرجل من الأنصار هو أبو سعيدٍ الخدريُّ، كما سبق في رواية الترمذيِّ وابن أبي حاتم وهذه قصة أخرىٰ.

الفاتحة دواءٌ من الجُنُون:

أخرج أحمد وأبو داود والتِّرمذيُّ والنَّسائيُّ والدارَقُطني في "السنن" عن خارجة بن الصَّلت عن عمِّه أنه أتىٰ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ثم أقبل راجعًا من عنده فمرَّ علىٰ قوم عندهم رجلٌ مجنونٌ مُوثَقٌ بالحديد، فقال أهله: إنَّا قد حُدِّثنا أنَّ صاحبَكم هذا قد جاء بخيرٍ فهل عندك شيءٌ تداويه؟ قال: فرقيته بفاتحة الكتاب ثلاثة أيام كلَّ يوم مرتين فبَرأ، فأعطوني مائتي شاةٍ فأتيت النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فأخبرته فقال: «**خذْها فلعَمْري من أكلَ برُقية باطلٍ، لقد أكلتَ برُقيةِ حقٍّ**»[1].إسناده صحيحٌ وصحَّحه ابن حبان والحاكم أيضًا.

الفاتحة دواءٌ من الصَّرَع:

روىٰ الثعلبيُّ من طريق معاوية بن صالح، عن أبي سليمان قال: مرَّ أصحاب رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في بعض غزوهم علىٰ رجلٍ قد

---

(١) قسَّم النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في هذا الحديث الرُّقية إلىٰ قسمين: رقيةِ حقٍّ، ورقيةِ باطلٍ، فرقية الحقِّ: ما كانت بالقرآن أو بما ورد عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، من قوله أو فعله أو تقريره. ورقية الباطل: ما لم تكن كذلك. قال الشَّوكاني: «وعلىٰ الرقية الباطل تحمل الأحاديث الواردة في النهي عن الرُّقىٰ، وعلىٰ رقية الحقِّ تحمل الأحاديث الواردة بالإذن بها».اهـ

صُرِع، فقرأ بعضهم في أذنه بأمِّ القرآن فبَرأ، فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**هي أمُّ القرآن وهي شفاءٌ من كلِّ داءٍ**».

الفاتحة داءٌ من السُّمِّ:

روىٰ سعيد بن منصور والبيهقيُّ عن أبي سعيدٍ: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**فاتحة الكتاب شفاءٌ من السُّمِّ**».

وروىٰ أبو الشيخ في "الثواب" من طريق آخر، عن أبي سعيد وأبي هريرة عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مثله.

الفاتحة شفاء لكلِّ داءٍ:

روىٰ الدارميُّ والبيهقيُّ بسندٍ رجاله ثقاتٌ، عن عبد الملك بن عُمير قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**فاتحةُ الكتابِ شفاءٌ من كلِّ داءٍ**».

المعوِّذات دواءٌ نبويٌّ:

أخرج الإمام مالك والبخاريُّ ومسلمٌ عن عائشة، أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان إذا اشتكىٰ يقرأ علىٰ نفسه المعوِّذات وينفُثُ، فلما اشتدَّ وجعه كنتُ أنا أقرأ عليه بيمينِه رجاءَ بركَتِها.

وفي روايةٍ لمسلمٍ: كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إذا مرض أحد من أهله نفَثَ عليه بالمعوِّذات فلما مرض مرضه الذي مات فيه جعلتُ أنفُثُ عليه وامسحُه بيد نفسِه لأنَّها كانت أعظمَ بركةً من يدي.

والمراد بالمعوِّذات: (قُل هُو الله أحدٌ)، و(قُل أعوذُ بربِّ الفَلَق)، و(قُل أعوذُ بربِّ النَّاس)، نصَّ عليه الحافظ ابن حجرٍ وغيره.

المعوِّذات مع الماءِ دواءٌ:

أخرج الطبراني عن أبي عبيد واسمه عامر، وقيل اسمه كنيته، أن أباه

عبدالله بن مسعودٍ رضي الله عنه رأىٰ في عنق امرأة من أهله سيْرًا فيه تمائم، فمدَّ يده مدًّا شديدًا حتىٰ قطع السَّير وقال: لو أنَّ إحداكنَّ تدعو بماء فتنضحه في رأسها ووجهها ثمَّ تقول: بسم الله الرحمن الرحيم، ثم تقرأ (قل هو الله أحد)، و(قل أعوذ برب الفلق)، و(قل أعوذ برب الناس)، نفعها ذلك إن شاء الله.

المعوِّذات دواءٌ من العقْربِ:

أخرج بن أبي شيبه في "مسنده" عن عبد الله بن مسعود قال: بينا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يصلِّي إذ سجد فلدغتْه عقربٌ في أصبعه، فانصرف رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وقال: «**لعنَ اللهُ العقربَ ما تدع نبيًّا ولا غيرَه**».

ثمَّ دعا بماء ومِلْح فجعل يضع موضع اللَّدغة في الماء والملح ويقرأ (قل هو الله أحد) و(المعوذتين) حتىٰ سكنت. وفي "مجمع الزوائد" بإسنادٍ حسنٍ زاد (الكافرون).

سورة (الإخلاصُ) لكلِّ مرضٍ:

أخرج أبو يعلىٰ في "الكبير" عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: مرضتُ وكان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يعُودُني فعوَّذني يومًا فقال: «**بسم الله الرحمن الرحيم، أعيذُكَ بالله الأحَدِ الصَّمَدِ، الذي لم يَلدْ ولم يُولدْ ولم يكنْ له كفُوًا أحدٌ من شرِّ ما تجدُ، فلما استَقلَّ رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قائمًا قال: يا عثمانُ تعوَّذْ بها فما تعوَّذتُم بمثلِها**».

المعوِّذتان دواءٌ من العَين:

أخرج الترمذيُّ والنَّسائيُّ وابن ماجه عن أبي سعيدٍ الخدريِّ قال: كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يتعوَّذ من أعين الجانِّ، وأعين الإنس، فلما

نزلت المعوِّذتان أخذ بهما وترك ما سوىٰ ذلك، قال الترمذيُّ: «حديثٌ حسنٌ».

قلت: معنىٰ الحديث كما قال العلماء: إنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان يتعوَّذ من العين، والحسد، وشرِّ الإنس والجنِّ بتعاويذَ من أدعية وأذكار، فلما نزلت المعوِّذتان صار يتعوَّذ بهما وترك غيرهما لأنَّهما يكفيان عن سائر المعوِّذات.

آياتٌ تداوي مِن مسِّ الجنِّ:

أخرج بن ماجه في "السنن" عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ، عن أبيه أبي ليلىٰ، قال: كنت جالسًا عند النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إذ جاءه أعرابيٌّ فقال: إنَّ لي أخًا وجِعًا. قال: «**ما وجعُ أخيك؟**» قال به لَمَمٌ. قال: «**اذهبْ فائتني بِهِ**».

قال: فذهب فجاءه به فأجلسه بين يديه فسمعتُه عوَّذه بفاتحة الكتاب وأربع آياتٍ من أول (البقرة)، وآيتين من وسطها، و(إلهكم إله واحد)، و(آية الكرسي)، وثلاث آيات من خاتمتها، وآية من (آل عمران) أحسِبه قال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ وآية من (الأعراف) ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ﴾ وآية من (المؤمنون) ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ وآية من (الجن) ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ وعشر آيات من أول (الصافات)، وثلاث آيات من آخر (الحشر)، و(قل هو الله أحد)، و(المعوذتين)، فقام الأعرابي وقد برأ، ليس به بأس. ورواه أبو يعلىٰ في "المعجم" وأبو نصر السِّجْزي في "الإبانة".

آياتٌ تداوي المبتَلَى:

أخرج أبو يعلىٰ وابن أبي حاتم وأبو نعيم وابن مَرْدُويَه والحكيم الترمذيُّ والخطيب البغدادي من طريق ابن لَهِيعة، عن عبد الله بن هبيرة، عن حنش

الصنعاني، عن عبد الله بن مسعود أنه قرأ في أذن مبتلىٰ فأفاق، فقال: له رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «ما قرأتَ في أُذُنِه» قال: قرأت ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥] حتىٰ فرغ إلىٰ آخر السورة، فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «لو أنَّ رجلًا مُوقنًا قرأ بها على جبلٍ لزَال».

قال الحافظ الهيثميُّ: «ابن لَهيعة فيه ضعْفٌ، ولكنَّ حديثَه حسنٌ وبقية رجاله رجال الصحيح»، وقال الحافظ السيوطي في "التعقيبات": «طريقه علىٰ شرط الحُسن».

الحكم الأخير:

إذا تأمَّل القارئ الكريم تلك الأحاديث التي أوردناها معزوَّة لرواتها وضح له أمران:

الأول: أنَّ التَّداوي بالقرآن العظيم واردٌ عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من فعله أو أمره أو تقريره، بطرقٍ تفيد القطع واليقين، بحيث لا يسع من وقف عليها وكان عنده مسْكةٌ من علم أن يتشكَّك في ذلك أو يداخله أدنىٰ احتمال.

وكيف يبقىٰ مجال للشك أو الاحتمال في شيءٍ رواه عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أربعةَ عشرَ صحابيًّا هم: عليٌّ، وابن مسعودٍ، وأبو سعيد الخدري، وابن عبَّاسٍ، وجابر بن عبد الله، وعِلاقُة بن صَحَارٍ عمُّ خارجه بن الصَّلْت، والسائب بن يزيد، وعائشة، وعثمان بن عفان، وعبد الله الأسلمي، وعقبة بن عامر، وابن عبَّاسٍ الجهني، وأبو ليلىٰ، وأبي بن كعب.

وفي هؤلاء من الخلفاء الراشدين علي وعثمان، وفيهم من كبار فقهاء

الصحابة علي وابن مسعودٍ وابن عبَّاسٍ وعائشة وأبي، ومن حفَّاظهم أبو سعيد الخدري وابن عبَّاسٍ وجابر وعائشة، أضف إلى ذلك أنَّ الطرق تعدَّدت عن بعضهم كأبي سعيد وعائشة وعقبة تعدُّدًا بلغ حدَّ الشهرة والاستفاضة.

الثاني: أنَّ أحاديث التداوي بالقرآن مخرَّجة في كتاب "الموطأ" للإمام مالك، "ومسند الإمام أحمد"، وصحيحي "البخاري" و"مسلم"، وسنن "أبي داود" و"الترمذي" و"النسائي" و"ابن ماجه".

"وصحيح ابن حِبَّان" "ومستدرك الحاكم"، وسنن "الدارقطني" و"البيهقي"، "ومعاجم الطبراني"، ومسانيد "البزَّار" و"أبي يعلى".

وتفاسير "ابن جرير" و"ابن المنذر" و"ابن أبي حاتم" و"ابن منده".

و"حلية الأولياء" لأبي نعيم و"تاريخ بغداد" للخطيب، "ومجمع الزوائد" للحافظ الهيثمي.

وغيرها من كتب السُّنة التي عن طريقها وصل إلينا الهدي النبوي، وبواسطتها نقلت إلينا شرائع الدين المحمدي.

فمن يستطيع بعد هذا كلِّه أن ينكر التداوي بالقرآن الكريم ويجعله من قبيل الدَّجَل والخرفات إلا أن يكون عريقًا في الجهل غريقًا في الابتداع والانحراف عن السُّنة النبويَّة المطهَّرة؟!!.

١٤- القرآن هو الدواء[١]

المشروع والممنوع من الرّقى والتمائم

عن ابن مسعودٍ قال: سمعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**إنَّ الرُّقى والتمائم والتِّوَلة شِركٌ**». قالوا يا أبا عبد الرحمن هذه الرُّقى والتمائم قد عرفناهما فما التِّوَلة؟ قال: شيءٌ تصنعه النِّساء يتحبَّبن به إلى أزواجهنَّ.

صحَّحه ابن حِبَّان والحاكم، وفي الباب أحاديث غير هذه لا تخلوا أسانيدها من ضعفٍ.

و«**الرُّقى**»: جمع رُقْية بضمِّ الراء وسكون القاف، وهي معروفة. والتمائم: جمع تميمة وهي خَرَز أو قلادة تُعلَّق في الرأس. والتِّوَلة: بكسر التاء وفتح الواو واللام مرَّ بيانها في كلام ابن مسعودٍ وهي من السِّحر.

وإنما كانت هذه الأشياء من الشِّرك؛ لأنَّ أهل الجاهلية أرادوا بها جلب المنافع ودفع المضارِّ من عند غير الله.

قال الحافظ: «ولا يدخل في ذلك ما كان بأسماء الله وكلامه فقد ثبت في الأحاديث استعمال ذلك، وقال الربيع سألتُ الشافعيَّ عن الرُّقية فقال: لا بأس أن يُرقى بكتاب الله وما يُعرف من ذكر الله. قلت أيرقي أهل الكتاب المسلمين؟ قال: نعم إذا رقوا بما يُعرف من كتاب الله وبذكر الله».اهـ

وقال الإمام أبو سليمان الخطابي: «المنهيُّ عنه من الرُّقى ما كان بغير لسان العرب فلا يُدرى ما هو، ولعله قد يدخله سحرٌ أو كفرٌ، فأمَّا إذا كان مفهوم المعنى وكان فيه ذكر الله تعالى فإنه مستحبٌّ متبرَّكٌ به».اهـ

---

(١) السنة السادسة، العدد الأول، شعبان ١٣٧٥.

وقال ابن التِّين في "شرح البخاري": «الرُّقى بالمعوِّذات وغيرها من أسماء الله تعالى هو الطبُّ الرُّوحاني إذا كان على لسان الأبرار من الخَلْق حصل الشفاء بإذن الله تعالى. فلما عزَّ هذا النوع فزع الناس إلى الطبِّ الجسماني وتلك الرقى المنهي عنها التي يستعملها المعزِّم وغيره ممن يدعي تسخير الجنِّ له فيأتي بأمورٍ مشتبهةٍ مركَّبةٍ من حقٍّ وباطل يجمع إلى ذكر الله وأسمائه ما يشوبه من ذكر الشياطين والاستعانة بهم والتعوُّذ بمردَتِهم ويقال: إنَّ الحية لعداوتها للإنسان بالطبع تصادق الشياطين لكونهم أعداء بني آدم فإذا عزم على الحية بأسماء الشياطين أجابت وخرجت من مكانها، وكذا اللديغ إذا رُقي بتلك الأسماء سالت سمومها من بدن الإنسان، فلذلك كره من الرقى ما لم يكن بذكر الله وأسمائه خاصة، وباللسان العربي الذي يعرف معناه ليكون بريئًا من الشرك، وعلى كراهة الرقى بغير كتاب الله علماء الأمَّة». وقال القرطبي: الرقى ثلاثة أقسام:

أحدها: ما كان يرقى به في الجاهلية مما لا يعقل معناه فيجب اجتنابه لئلا يكون فيه شركٌ أو يؤدِّي إلى الشرك.

والثاني: ما كان بكلام الله أو بأسمائه فيجوز فإن كان مأثورًا فيستحب.

والثالث: ما كان بأسماء غير الله من ملك أو صالح أو معظَّم من المخلوقات كالعرش فهذا ليس من الواجب اجتنابه ولا من المشروع الذي يتضمَّن الالتجاء إلى الله والتبرُّك بأسمائه فيكون تركه أولى إلا أن يتضمَّن تعظيم المرْقيِّ به فينبغي أن يجتَنَب كالحلف بغير الله تعالى».اهـ

ونقل الحافظ إجماع العلماء على جواز الرُّقى بشروط ثلاثة:

الأول: أن تكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته. **والثاني**: أن تكون

باللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره. **والثالث**: أن يعتقد أن الرُّقى لا تؤثِّر بذاتها بل بقُدْرة الله تعالى».اهـ

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدريِّ أنَّ ناسًا من أصحاب النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أتوا على حيٍّ من أحياء العرب فلم يُقْروهم، فبينما هم كذلك إذ لُدغ سيِّد أولئك فقالوا: هل معكم من دواء أو راقٍ؟ فقالوا: إنكم لم تُقْرونا لا نفعل حتى تجعلوا لنا جُعلًا، فجعلوا لهم قطيعًا من الشاة، فجعل يقرأ بأمِّ القرآن ويجمع بُزاقَه ويتفُل فبرأ، فأتوا بشاةٍ فقالوا: لا نأخذه حتى نسأل النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فسألوه فضحك وقال: «**وما أدراكَ أنَّها رُقْية؟! خُذُوها واضربُوا لي بسَهْم**».

والرَّاقي هو أبو سعيد الخدريِّ كما جاء في بعض روايات "مسلم"، وفي "صحيح البخاري" عن ابن عبَّاسٍ أن نفرًا من أصحاب النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مروا بماءٍ فيه لديغٌ أو سليمٌ فعرَضَ لهم رجلٌ من أهل الماء فقال: هل فيكم من راقٍ؟ إنَّ في الماء رجلًا لديغًا أو سليمًا فانطلق رجلٌ منهم فقرأ بفاتحة الكتاب على شاء فبرأ، فجاء بالشَّاء إلى أصحابه فكرهوا ذلك وقالوا: أخذت على كتاب الله أجرًا؟! حتى قدموا المدينة فقالوا يا رسول الله: أخذ على كتاب الله أجرًا!! فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ أحقَّ ما أخذتُم عليه أجرًا كتابُ الله**».

وروى أحمد وأبو داود والترمذيُّ والنَّسائيُّ والحاكم وصحَّحه عن خارجة ابن الصَّلت التميميِّ عن عمِّه أنه أتى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فأسلم، ثمَّ أقبل راجعًا من عنده فمرَّ على قوم عندهم رجلٌ مجنون موثَقٌ

بالحديد فقال أهله: إنا حُدِّثنا أنَّ صاحبكم قد جاء بخيرٍ فهل عندك شيءٌ تداويه؟ فرقَيتُه بفاتحة الكتاب فبرأ وأعطوني مائة شاة، فأتيتُ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فأخبرته فقال: «**هل قلتَ غيرَ هذا؟**» قلت: لا. قال: «**خذْها فلعَمري لمنْ أكَلَ برُقيةِ باطلٍ لقد أكلتَ برُقيةِ حَقٍّ**».

وروىٰ الثعلبيُّ من طريق معاوية بن صالح عن أبي سليمان قال: مرَّ أصحاب رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في بعض غزواتهم علىٰ رجلٍ قد صرع، فقرأ بعضهم في أذنه بأمِّ القرآن فبرأ فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**هي أمُّ القرآن وهي شفاءٌ من كلِّ داءٍ**».

وروىٰ الطبرانيُّ في "الأوسط" والدارقطني في "الأفراد" وابن عساكر بإسنادٍ ضعيفٍ عن السائب بن يزيد قال: عوَّذني رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بفاتحة الكتاب تفلًا.

وروىٰ سعيد بن منصور والبيهقيُّ عن أبي سعيدٍ أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**فاتحةُ الكتابِ شفاءٌ من السُّمِّ**».

وروىٰ أبو الشيخ في "الثواب" من طريق آخر عن أبي سعيد وأبي هريرة مرفوعًا مثله.

وروىٰ الدارميُّ والبيهقيُّ بسندٍ رجاله ثقات عن عبد الملك بن عمير قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**فاتحة الكتاب شفاء من كلِّ داءٍ**».

وروىٰ الثعلبي عن الشَّعْبيِّ أن رجلًا شكا إليه وجعَ الخاصرة، فقال: «**عليكَ بأساسِ القرآن**»[1] قال: وما أساسُ القرآن؟ قال: «**فاتحةُ الكتابِ**»

---

(١) انظر كتابي "كمال الإيمان في التداوي بالقرآن" وهو الكتاب الذي أبطلت به دعوىٰ

والأحاديث والآثار في الاسترقاء والاستشفاء بالفاتحة كثيرة، وكذا بغيرها من السور والآيات بل القرآن كله شفاء كما قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢].

قال الفخر الرازي وغيره: لفظة «من» ليست للتبعيض بل للجنس، والمعنى: وننزل من هذا الجنس الذي هو القرآن ما هو شفاء للأمراض الروحانية والأمراض الجسمانية».

وفي "سنن ابن ماجه" و"مستدرك الحاكم" عن عليٍّ عليه السلام، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**خيرُ الدَّواء القرآنُ**».

وللسِّجزي في "الإبانة" والقضاعي في "مسند الشهاب" عنه أيضًا مرفوعًا: «**القرآن هو الدواء**».

وروى ابن ماجه والحاكم وقال: صحيحٌ على شرط الشيخين عن ابن مسعودٍ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**عليكم بالشفاءين العسلُ والقرآنُ**».

وورد عن ابن مسعودٍ موقوفًا عليه أيضًا رواه ابن أبي حاتم وغيره.

قال ابن القيم: «إذا ثبت أنَّ لبعض الكلام خواصَّ ومنافعَ فما الظنُّ بكلام ربِّ العالمين، ثمَّ بالفاتحة التي لم ينزل في القرآن ولا غيره من الكتب مثلها لتضمنها جميع معاني الكتاب».

المبتدع الشيخ شلتوت حيث زعم أنَّ التداوي بالقرآن من قبيل الدَّجل والخُرافة.

١٥- جواز التداوي بالقرآن(١)[1]

سبق أن نشرت "مجلة المسلم" طائفةً من الأحاديث التي تؤكِّد استحباب التداوي بالقرآن ردًّا على بدعة منع التداوي به وبالرقى النبوية، وبمناسبة عودة هؤلاء المبتدعة إلى القول بعدم جواز التداوي بالقرآن نعود إلى تتمَّة هذا الموضوع فنقول: قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**خيرُ الدَّواء القرآنُ ومن لم يسشفِ بالقرآنِ فلا شَفاهُ اللهُ**».

الإجماع منعقدٌ على جواز التداوي بالقرآن الكريم بل على استحبابه منذ عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم وهلمَّ جرًّا إلى أن فشَت البدع وظهر المبتدعة الذين سمَّوا أنفسهم مصلحين أرادوا أن يصلحوا الدِّين ويهذِّبوه ناسين أو متناسين أنَّ الدِّين وضعٌ إلهيٌّ نزل به الروح الأمين على سيد العالمين لا يمكن أن تمتد إليه يد أحد من البشر -كائنا من كان- بإصلاح أو تهذيب بل الواجب الانقياد لما ثبت عن الله ورسوله لا يتحمل في رده بتكلف تأويل أو تعلل برأي حقير أو جليل؛ ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

ونحن نورد نصوصًا تثبت ما ذكرناه من الإجماع وتؤيده ليعلم مبلغ إجرام ذلك المبتدع الذي زعم التداوي بالقرآن العظيم دجلًا وخرفات، قاتله الله ما أكثر جهله وأشد جراءته.

قال الإمام مالك في "الموطأ" عن يحيى بن سعيد، عن عمرة بنت عبدالرحمن:

---

(١) المسلم، السنة الثامنة العدد (٤) ذي القعدة ١٣٧٧.

أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه دخل على عائشة وهي تشتكي ويهودية ترقيها فقال أبو بكر: أرقيها بكتاب الله.

قال الإمام أبو الوليد الباجي في "المنتقي": «قول أبي بكر لليهودية: «ارقيها بكتاب الله» ظاهره أنه أراد التوارة؛ لأن اليهودية في الغالب لا تقرأ القرآن، ويحتمل -والله أعلم- أن يريد بذكر الله عزَّ اسمه، أو رقية موافقة لما في كتاب الله تعالى».

قلت: وإذا جاء الاسترقاء بالتوراة فجوازه بالقرآن أولى وأظهر كما هو ظاهر.

وقال الحافظ ابن كثير: «وروينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «إذا أراد أحدكم الشفاء فليكتبْ آيةً من كتاب الله في صحيفة وليغسلْها بماء السماء وليأخذْ من امرأته درهمًا مع طيب نفس منها فلْيشترِ به عسلًا فليشربْه كذلك فإنه شفاء».

قال ابن كثير: أي من وجوه؛ قال الله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقال: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا ﴾ [ق: ٩]، وقال: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا﴾ [النساء: ٤]، وقال في العسل: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ﴾[النحل: ٦٩].

وقال الباجي: كانت عائشة رضى الله عنها كثيرة الاسترقاء، قال مالك في "العتبية": بلغني أنها كانت ترى البثرة الصغيرة في يدها فتلحُّ عليها بالتعويذ فيقال لها: إنها صغيرة. فتقول: «إنَّ الله عزَّوجل يعظِّم ما يشاء من صغير ويصغِّر ما يشاء من عظيم».

وقال ابن القيم في الكلام على علاج العين ودفع ضرر العائن من "زاد

المعاد" ما نصه: «ورأى جماعة من السلف أن يكتب له الآيات من القرآن ثم يشربها، قال مجاهد: لا بأس أن يكتب القرآن ويغسله ويسقيه المريض، ومثله عن أبي قلابة. ويذكر عن ابن عبَّاسٍ أنه أمر أن يكتب لامرأة تعسَّرت عليها ولادتها أثر من القرآن ثم يغسل وتسقى. رواه أحمد وغيره.

وقال أيوب: رأيت أبا قلابة كتب كتابًا من القرآن ثم غسله بماء وسقاه رجلًا كان به وجع».

وقد علَّق عليه بعض جهلة المبتدعة يناقشه في صحَّة هذه الآثار وما درى أنها مسندة في كتب لم يرها هذا المبتدع الجاهل ولا يمكنه أن يراها "كمصنف ابن أبي شيبة" و"مسنده"، و"مصنف عبدالرزاق" وكتب الخلَّال شيخ الحنابلة وغيرها مما ينقل عنها ابن القيم.

وقال في كتاب "الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي": «ولو أحسن العبد التداوي بالفاتحة لرأى لها تأثيرًا عجيبًا في الشفاء، ومكثت بمكة مدة تعتريني أدواء ولا أجد طبيبًا ولا دواء فكنت أعالج نفسي بالفاتحة فأرى لها تأثيرًا عجيبًا، فكنت أصف ذلك لمن يجد ألمًا وكان كثيرًا منهم يبرأ سريعًا».

وقال القرطبي في كتاب "الأذكار" في باب الآداب التي تلزم حامل القرآن ومنها أنه: «لا يمحوه باللوح بالبُصاق ولكن يغسله بالماء ويتوقَّى النجاسة من المواضع النجسة والمواضع التي توطأ فإن لتلك الغُسالة حرمة، وكان من كان قبلنا من السلف منهم يستشفي بغُسالته، وفي التنزيل: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧].

وأخبر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أن خاتمة القرآن معوِّذتان لم يتعوذ الناس بمثلهما، ورقى أبو سعيد الخدري اللديغ بفاتحة الكتاب فبرأ، وأعطوه قطيعًا من الغنم ثلاثين شاة، وفي الجملة أن الكلام مما يستشفى به».

إلى أن قال: «وقد جاء عن المتقدمين في باب الاحترازات من المخاوف والاستشفاء من الأمراض بآيات القرآن ما هو مذكور في غير هذا الموضع، وأنهم انتفعوا بذلك فكان ذلك أدلَّ دليل على أن القرآن من عند الله تعالى ومنها إذا اغتسل بكتابته مستشفيًا من سقم أن لا يصبه على كناسة ولا في موضع نجاسة ولا على موضع يوطأ، ولكن في ناحية من الأرض في بقعة لا يطأها الناس، أو يجد حفرة في موضع طاهر حتى يصيب من جسده في تلك الحفرة ثم يكبها، أو نهر كبير يختلط بمائه فيجري.

وروى الثعلبي عن الشَّعْبي أن رجلًا شكى إليه وجع الخاصرة فقال الشَّعْبي: عليك بأساس القرآن قال وما أساس القرأن؟ قال: فاتحة الكتاب.

وقال الربيع: سألت الشافعي عن الرقية فقال: لا بأس أن يرقى بكتاب الله وما يعرف من ذكر الله. قلت: أيرقي أهل الكتاب المسلمين؟ قال: نعم إذا رقوا بما يعرف من كتاب الله وبذكر الله. نقله الحافظ ابن حجرٍ في "فتح الباري".

وقال ابن أبي الدنيا في كتاب "التوكل": حدثنا محمد بن إدريس: حدثنا موسى بن أيوب: حدَّثنا بقية، عن زرعة بن عبدالله الزبيدي، عن عبدالله بن كريز قال: كتب عامل أفريقية إلى عمر بن عبد العزيز يشكو الهوامَّ والعقارب فكتب إليه: وما على أحدكم إذا أصبح وإذا أمسى أن يقول: ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ﴾ [إبراهيم: ١٢].

١٦- التداوي بالقرآن والرقى(٢)[١]

قال الحافظ ابن حجرٍ في "شرح البخاري" في الكلام على حديث أبي سعيد في الرقية بالفاتحة: «في الحديث جواز الرقية بكتاب الله ويلتحق به ما كان بالذكر والدعاء المأثور، وكذا غير المأثور مما لا يخالف ما في المأثور، وأما الرقى بما سوى ذلك فليس في الحديث ما يثبته ولا ما ينفيه، وفيه الاجتهاد عند فقد النصِّ، وعظمةُ القرآن في صدور الصحابة خصوصًا الفاتحة».

وقال أيضًا: «وقد أجمع العلماء على جواز الرُّقى عند اجتماع ثلاثة شروط: أن يكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته، وباللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره، وأن يعتقد أنَّ الرُّقية لا تؤثِّر بذاتها بل بذات الله تعالى».

ثم ذكر أحاديث في جواز مطلق الرُّقى إذا لم يكن فيها شرك، راجعه في كتاب الطِّب من "فتح الباري".

وقال الإمام ابن التِّين في "شرح البخاري": «الرُّقى بالمعوِّذات وغيرها من أسماء الله تعالى هو الطِّب الروحاني إذا كان على لسان الأبرار من الخلق حصل الشِّفاء بإذن الله تعالى، فلما عزَّ هذا النوع فزِع الناس إلى الطِّب الجُسماني، وتلك الرُّقى المنهيِّ عنها التي يستعملها المعزم وغيره ممن يدَّعي تسخير الجنِّ له فيأتي بأمور مشتبهة مركبة من حق وباطل يجمع إلى ذكر الله وأسمائه ما يشُوبه من ذكر الشياطين والاستعانة بهم والتعوُّذ بمردَتهم، ويقال إنَّ الحيَّة لعداوتها للإنسان بالطبع تصادق الشياطين لكونهم أعداء بني آدم فإذا عزم على الحيَّة بأسماء الشياطين أجابت وخرجت من مكانها وكذا اللديغ إذا رُقي بتلك

---

(١) المسلم، السنة الثامنة العدد (٥) ذي الحجَّة ١٣٧٧.

الأسماء سالت سُمُومها من بدن الإنسان فلذلك كره من الرُّقىٰ ما لم يكن بذكر الله وأسمائه خاصة، وباللسان العربي الذي يعرف معناه ليكون بريئًا من الشرك، وعلىٰ كراهة الرُّقىٰ بغير كتاب الله علماء الأمة».

وقال العلامة المحدِّث القاضي أبوعبدالله الشبلي الحنفي في "آكام المرجان": «قدمنا أن عامة ما بأيدي الناس من العزائم والطلاسم والرُّقىٰ لا يفقه بالعربية معناها ولهذا نهىٰ علماء المسلمين عن الرُّقىٰ الغير مفهومة المعنىٰ؛ لأنها مظِنَّة الشرك وإن لم يعرف الراقي أنها شركٌ، ومن رتَع حول الحمىٰ أوشك أن يقع فيه، وفي الصحيح عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أنه رُخِّص في الرُّقىٰ ما لم يكن شركًا وقال: «**من استطاعَ أنْ ينفعَ أخاه فلْيفعلْ**». وفي التطبّب والاستشفاء بكتاب الله عزَّ وجلَّ غنىٰ تامٌّ ومَقْنع عامٌّ، وهو النور والشفاء لما في الصدور والوقاء الدافع لكل محذور، والرحمة للمؤمنين من الأحياء وأهل القبور، وفَّقنا الله لإدراك معانيه وأوقفنا عند أوامره ونواهيه، ومن تدبَّر من آيات الكتاب من ذوي الألباب وقف علىٰ الدواء الشافي لكلِّ داء موافٍ، سوىٰ الموتِ الذي هو غاية كلِّ حيٍّ فإن الله تعالىٰ يقول: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] وخواصُّ الآيات والأذكار لا ينكرها إلا من عقيدته واهية ولكن لا يعقِلُها إلا العالمون».

وقال العلامة المحدِّث القَسطلاني في "المواهب اللدنية": «اعلم أنَّ الله تعالىٰ لم ينزِّل من السماء شفاءً قطُّ أعمَّ ولا أنفعَ ولا أعظمَ ولا أنجعَ في إزالة الدَّاء من القرآن، فهو للدَّاء شفاءٌ ولصَدَأ القلوب جِلاءٌ كما قال تعالىٰ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

ولفظة: ﴿من﴾ -كما قال الإمام فخر الدين- ليست للتبعيض بل للجنس، والمعنى وننزِّل من هذا الجنس الذي هو القرآن شفاء من الأمراض الروحانية وشفاء أيضًا من الأمراض الجسمانية».

ثمَّ بيَّن ذلك بما يعلم من مراجعته في الجزء الثاني من "المواهب" تحت ترجمة «النَّوع الأوَّل في طبِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالأدوية الإلهية»، وأغلبه ملخَّصٌ من "فتح الباري" للحافظ ابن حجرٍ.

ونقل في "المواهب اللدنية" وغيرها عن أبي القاسم القشيري أن ولده مرض مرضًا شديدًا حتى أشرف على الموت فاشتدَّ عليه الأمر، قال: فرأيت النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في المنام فشكوت إليه ما بولدي فقال: صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أين أنت من آيات الشفاء؟**».

فانتبهتُ فأفكرت فيها فإذا هي في ستة مواضع من كتاب الله وهي قوله:

١- ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤].

٢- ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧].

٣- ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩].

٤- ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

٥- ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠].

٦- ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤].

قال: فكتبتها ثمَّ حللتها بالماء وسقيته إياها فكأنما نشط من عقال.

وقال الشوكاني في "نيل الأوطار" في الكلام على حديثَي ابن عبَّاسٍ وأبي

سعيد في الرُّقية بفاتحة الكتاب ما نصُّه: «وفي الحديثين دليل على جواز الرُّقية بكتاب الله ويلتحق به ما كان بالذكر والدعاء المأثور وكذا غير المأثور مما لا يخالف ما في المأثور، وأما الرُّقى بغير ذلك فليس في الأحاديث ما يثبتُه ولا ينفيه إلا ما سيأتي في حديث خارجة».

يريد قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لعم خارجة: « **خذْها فلعَمْري من أكَلَ برُقيةِ باطل لقد أكَلتَ برقيةِ حقٍّ**».

قال الشوكاني: «والرُّقى الباطلة المذمومة هي التي كلامها كفرٌ أو التي لا يعرف معناها كالطّلاسم المجهولة المعنى».

وقال الإمام ابن أبي زيد القيرواني في "الرسالة" ما نصه: «ولا بأس بالرُّقى بكتاب الله وبالكلام الطيِّب».

قال العلامة ابن ناجي في شرحه عليها: «قال في "البيان": كره مالك الرقى بالحديد والملح وعقد الخيوط لأن الشفاء لا يكون إلا بكتاب الله وأسمائه وما يعرف من الذكر».

وقال ابن ناجي أيضًا: الأصل في جواز الاسترقاء قوله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ ﴾ [الأنعام: ٩٢].

وكذا استدل العلامة الشيخ زرُّوق في "شرح الرسالة" على جواز الاسترقاء بالقرآن بالآية الأولى، وبحديث أبي سعيد الخدري في رقية اللديغ بالفاتحة.

ثم قال: وأما الكلام العربي المفهوم، المحتوي على ذكر الله ورسوله

والصالحين من عباده، لا المُوهِمات والمُبهَمات. إذ حكىٰ المازري أنَّ مالكًا سئل عن الأسماء المعجمة فقال: وما يدريك لعلها كفرٌ؟ وعلىٰ هذا فالأصل المنع حتىٰ يأتي المُبِيح، وقال بعضهم الأصل خلاف ذلك حتىٰ يتبيَّن الباطل لأنَّه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حين قال: «**اعرِضُوا عليَّ رُقاكُمْ**» فعرضوا فقال: «**لا أرَى بأسًا**» الحديث.

ونصوص العلماء علىٰ جواز الاسترقاء بالقرآن بل علىٰ استحبابه كثيرةٌ وذلك محلُّ إجماع كما تقدَّم في كلام ابن حجرٍ وغيره.

(٣)

مقالات في الحديث الشريف وعلومه

الإسلام كتاب وسنة
ومنكر السنة جاهل أو فاسق[١]

قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يوشكُ أنْ يقعدَ الرجلُ منكم على أَرِيكتِهِ يُحدَّث بحديثي فيقول: بيني وبينكم كتابُ الله فما وجدنا فيه حلالًا استحْلَلناه وما وجدنا فيه حرامًا حَرَّمناه، وإنَّ ما حرَّم رسولُ الله مثلُ ما حرَّم الله**». رواه أبو داود والحاكم والبيهقيُّ بإسنادٍ صحيح.

وفي روايةٍ للبيهقيِّ: «**ألا إنِّي أوتيتُ الكتابَ ومثلَه معه، ألا إنِّي أوتيتُ الكتابَ ومثلَه معه، ألا يوشِكُ رجلٌ شبعانُ على أريكَتِهِ يقولُ عليكمْ بهذا القرآنِ فما وجدتُم فيه من حلالٍ فأحلُّوه وما وجدتُم فيه من حرامٍ فحرِّموه، ألا لا يحلُّ لكم الحمارُ الأهليُّ**» الحديث.

وفي "مسند أبي يعلى" عن جابرٍ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**عسى أن يُكذِّبني رجلٌ منكم وهو متَّكئٌ على أريكَته يبلُغُه الحديثُ عنِّي فيقول: ما قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم هذا، دعْ هذا وهاتِ ما في القرآن**». وللحديث طرقٌ.

قوله: «**يوشك أن يقعد الرجل منكم على أريكته**» أي: سريره، «**يحدَّث**» بالبناء للمجهول، أي: يحدثه أحد بحديثي، «**فيقول: بيني وبينكم كتاب الله...**» إلخ.

هذا من أعلام النبوة فقد وقع ما أخبر به صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وظهر مبتدعةٌ ملاحدةٌ ينكرون الحديث النبويَّ عملًا واحتجاجًا ويزعمون أنَّ الحجَّة في القرآن خاصَّة، فإن ذكرت لهم قول الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ

---

(١) المسلم، السنة الخامسة، العدد (١٠) رجب ١٣٧٥.

فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧] قالوا: يعني في القرآن لا في غيره، وهكذا كلُّ آية فيها الأمر بطاعة الرسول يحمِلونها على طاعته في القرآن فقط.

ومنهم من يحتجُّ لهذا الرأي الفاسد بحديث: «**ما جاءكم عنِّي فاعرضُوه على كتابِ الله فما وافقَه فأنا قلتُه وما خالفَه فلم أقُلْه**».

وهذا حديثٌ مكذوبٌ قال الإمام الشافعي: «ما روى هذا أحد يثبت حديثه في شيءٍ صغير ولا كبير وإنما هي روايةٌ منقطعةٌ عن رجلٍ مجهول».

وقال عبد الرحمن بن مهدي: «الزنادقة والخوارج وضعوا حديث: ما أتاكم عنِّي فاعرضُوه على كتاب الله».

وقال البيهقي في "المدخل": «هذا حديثٌ باطلٌ لا يصحُّ، وهو ينعكس على نفسه بالبطلان فليس في القرآن دلالة على عرض الحديث على القرآن».

وقال الحافظ بن عبد البر في "كتاب العلم": «هذه الألفاظ لا تصحُّ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عند أهل العلم بصحيح النَّقل من سقيمه».

وعارضه ابن حزمٍ فقال: «عرضنا هذا الحديث على كتاب الله فخالفه لأنا وجدنا كتاب الله تعالى يقول: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧] ووجدنا فيه ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] ووجدنا فيه ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]».

وقد أوردت طرق هذا الحديث الباطل وبيَّنت عللها في كتاب "الابتهاج بتخريج حديث المنهاج" في الأصول.

وقال الشَّوكاني في "إرشاد الفحول": «اتَّفق من يُعتدُّ به من أهل العلم على أنَّ السُّنة المطهَّرة مستقلةٌ بتشريع الأحكام وأنها كالقرآن في تحليل الحلال

وتحريم الحرام وقد ثبت عنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنه قال: «**ألا وإنِّي أوتيتُ القرآنَ ومثلَه معَه**» أي: أوتيت القرآن وأوتيت مثله من السُّنة التي لم ينطق بها القرآن وذلك كتحريم لحوم الحمر الأهلية وتحريم كلِّ ذي ناب من السِّباع ومخلَب من الطير وغير ذلك مما لم يأت عليه الحصر».اهـ

قلت: وقد انعقد إجماع الأئمَّة والعلماء على العمل بالسُّنة المطهَّرة والاحتجاج بها في أصول الدين وفروعه إلا ما كان من بعض المبتدعة الزنادقة الذين يريدون أن يفرِّقوا بين الله ورسوله ويقولون: نؤمن ببعض ونكفر ببعض، فإنهم خرجوا عن إجماع المسلمين ولَمَزوا السُّنة وناقليها وأعرضوا عنها فتصدى الأئمَّة للردِّ عليهم وبيان زيغهم وضلالهم.

فللإمام الشافعي في ذلك كلام طويل جميل ذكره في "الرسالة" ونقله البيهقي في "المدخل" وعلَّق عليه بما يؤيده من الأحاديث والأثار فزاده حسنًا على حسن.

وللإمام أحمد بن حنبل كتاب خاصٌّ في الردِّ عليهم، وفي كتاب "العلم" للحافظ ابن عبد البرِّ بابٌ خاصٌّ في هذا المعنى ذكر فيه من نصوص الأئمَّة ما فيه كفاية.

وللحافظ السيوطي رسالة "مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسُّنة" وهي مطبوعة، ذكر أنه ألَّفها بسبب رافضيٍّ زنديقٍ سمعه يقول: إنَّ السُّنة لا يحتج بها وإنَّ الحجَّة في القرآن خاصَّة، وهي رسالةٌ مفيدةٌ قيمةٌ.

وللقاضي عياض في "الشفا" فصل حسن في هذا المعنى، وكذا في "المواهب اللدنية"، وغيرها.

والمقصود أنَّ السُّنة أصل من أصول الدين لا يتم الإسلام إلا بالاحتكام إليها والاستسلام لها كما قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[النساء: ٦٥].

وروى الإمام الشافعي رضي الله عنه يومًا حديثًا وقال: إنه صحيح، فقال له قائل: أتقول به يا أبا عبد الله؟ فاضطرب وقال: يا هذا أرأيتني نصرانيًّا أرأيتني خارجًا من كنيسة؟ أرأيت في وسطي زِنَّارًا؟ أروي عن رسول الله حديثًا ولا أقول به».اهـ وأقوال الأئمَّة في هذا كثيرةٌ جدًا.

قوله: «**وإنَّ ما حرَّم رسولُ الله مثلُ ما حرَّم الله**» أي: في وجوب الاجتناب كما قال في الحديث الآخر: «**وإذا نهيتُكم عن شيءٍفاجتنبُوه**».

١٨- الصحيح لغيره والمتواتر[١]

وجَّه إلي سؤالًا حول هذا الموضوع حضرة الأستاذ العالم البحَّاثة الشيخ ابن بشير الرابحي الجزائري حفظه الله، بسبب ما ذكرته في إحدى مقالاتي المنشورة بهذه المجلة من أنَّ حديث: «**لا وضوءَ لمن لم يذكر اسمَ الله عليه**». صحيح لغيره وليس بمتواتر كما قال الحافظ السيوطي.

وحيث إنَّ سؤال الأستاذ اشتمل على مسائل أربعٍ يستدعي كلُّ منها بحثًا طويلاً رأيت أن أقسم جوابي إلى مسائل بقدرها ليكون الجواب مطابقًا للسؤال زيادة على ما في التقسيم من حصر أطراف الموضوع الذي هو أقرب إلى تحصيله.

المسألة الأولى: رُسم المتواتر في علمي المصطلح والأصول بأنه: خبر جمعٍ يمتنع عادةً تواطؤُهم على الكذب عن مشاهَدٍ أو مسموعٍ.

والصحيح عند علماء الحديث والأصول عدم انحصار الجمع في عدد معين، بل الشرط عندهم أن يبلغ الجمع في الكثرة إلى حدٍّ تُحيل العادة معه أن يجتمعوا على الكذب أو يتوافقوا عليه.

ورأى جماعة تحديد ذلك الجمع في عدد معيَّن، ثم اختلفوا فقيل: أقل عدد يفيد التواتر أربعة، ورده الباقلاني بأن الأربعة لو كان خبرهم يفيد العلم لما احتاج القاضي إلى تزكيتهم إذا شهدوا عنده بالزنا.

وقيل: خمسة وتوقَّف فيه الباقلاني ولا معنى لتوقُّفه فهو باطلٌ كالذي قبله.

وقيل: سبعة بعدد أهل الكهف.

---

(١) مجلة الإسلام.

وقيل: عشرة، وهو قول الإصطَخري، واختاره الحافظ السيوطي، قال في "ألفيته":

وَمَا رَوَاهُ عَدَدٌ جَمٌّ يَجِبْ إِحَالَةُ اجْتِمَاعِهِمْ على الكَذِبْ
فَالمُتَواتِرُ، وقَوْمٌ حَدَّدُوا بعَشْرَةٍ، وهْوَ لَدَيَّ أَجْوَدُ

واستدلَّ له في "تدريب الرواي" بأن العشرة أول جموع الكثرة.

وقيل: اثنا عشر، عدد نقباء بني إسرائيل.

وقيل: عشرون، لقوله تعالى: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ﴾ [الأنفال: ٥٦] الآية.

وقيل: أربعون، لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤] وكانوا أربعين كما جاء عن سعيد بن جبير بإسنادٍ صحيحٍ.

وقيل: سبعون عدة أصحاب موسى عليه السلام.

وقيل: ثلاثمائة وبضعة عشر عدة أهل بدر.

وقيل: أربعَ عشرةَ أو خمسَ عشرةَ أو سبعَ عشرةَ مائة على الخلاف في عدد أهل بيعة الرضوان.

وقيل: يشترط أن يكونوا جميع الأمَّة كالإجماع، على قول ضعيفٍ فيه.

وقيل: لابد أن يكونوا بحيث لا يحويهم بلد لجواز أن يتفق أهل البلد على الكذب.

فهذه كل الأقوال في تعيين عدد التواتر وهي واضحة البطلان وليس بينها

وبين دلائلها المذكورة معها ملازمة، وإن بيَّنها الجلال المحلي في بعضها بما لا يخلو من تكلُّفٍ.

وأحسن أدلتهم -فيما أعلم- ما ذكره الحافظ ابن حجرٍ مع الجواب عنه فقال: «وتمسَّك كل قائل بدليل جاء فيه ذكر ذلك العدد فأفاد العلم وليس بلازم يطرد في غيره لاحتمال الاختصاص».اهـ

المسألة الثانية: علمت أنَّ الصحيح عند المحدثين والأصوليين عدم اشتراط عدد معيَّن في التواتر وأنَّ المدار عندهم على أنْ يكون الجمع في الكثرة بحيث تركن النفس إلى خبرهم وتتيقَّن صدقَهم بالضرورة.

ولا شك أنَّ حديث: «**لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه**» لم يبلغ في الكثرة إلى ذلك الحدِّ، فإنَّ جميع ما له من الطرق تسعة، هي: طريق عليٍّ، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وسعيد بن زيد، وسهل بن سعد، وأنس، وعائشة، وأبي سبرة، وأم سبرة.

فطريق عليٍّ: فيه عيسى بن عبد الله العلوي وهو متروك الحديث كما قال الدارقطني وغيره ونسبه بعضهم إلى الوضع.

وطريق أبي هريرة: فيه -مع انقطاعه في موضعين- يعقوب بن أبي أسامة الليثي وهو ضعيف.

وطريق أبي سعيد: فيه كثير بن زيد وربيح بن عبد الرحمن، والأول ليس بالقوي كما قال ابن معين، والثاني قال أحمد: مجهول. وقال البخاري: منكر الحديث.

وطريق سعيد بن زيد: فيه -مع اضطرابه- أبو تفال ورباح بن عبد الرحمن

وكلاهما مجهول.

وطريق سهل بن سعدٍ: فيه عبدالمهيمن وأُبيٌّ ابنا عبَّاسٍ، والأول ضعيفٌ، والثاني مختلَفٌ فيه.

وطريق أنسٍ: فيه عبد الملك بن حبيب وهو شديد الضعف.

وطريق عائشة: فيه حارثة بن محمد وهو ضعيف، قال ابن عدي: بلغني عن أحمد أنَّه نظر في "جامع إسحاق بن راهويه" فإذا أول حديث قد أخرجه هذا الحديث فأنكره جدًّا وقال: أول حديث يكون في "الجامع" عن حارثة؟!».اهـ

وطريق أبي سبرة وأم سبرة: فيه عيسىٰ بن سبرة عن أبيه وهما مجهولان.

فكيف تركن النفس إلىٰ خبر هذه حال طرقه فضلًا عن كونها لم تخرج عن حدِّ الآحاد؟!

وأزيدك أن لا يمكن ادعاء تواتره علىٰ رأي الحافظ السيوطي أيضًا، لأنه اختار -كما تقدم عنه- أن أقل عدد يفيد التواتر عشرة، وهذا الحديث لم يبلغها فعد الحافظ السيوطي له من المتواتر ذهول منه عما أختاره في كتبه ومخالف لما ذكره في خطبة كتابيه "الفوائد المتكاثرة"، و"الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة" من أنه يورد فيهما ما رواه من الصحابة عشرة فصاعدًا.

نعم يكتسب الحديث من مجموع طرقه قوة يصير بها صحيحًا لغيره كما قلنا علىٰ أن الحافظ ابن حجرٍ ما صحَّحه وإنما قال بعد ذكر طرقه ما نصه: «والظَّاهر أنَّ مجموع الأحاديث يحدثُ منها قوَّة تدلُّ علىٰ أنَّ له أصلًا».اهـ

المسألة الثالثة: إذا علمت أن الحديث غير متواتر بما ذكرناه من القواعد

والدلائل فاعلم أن قول أبي بكر بن أبي شيبة: «ثبت لنا أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قاله» هو بمعنى قولنا: صحيح لغيره، وذلك لأن لفظ: «ثبت» وما تصرف منه يطلق في اصطلاح المحدِّثين على الصحيح والحسن كما يعلم من "تدريب الرواي"، بل ذكروا أنَّ الحافظ المطلع لا يعدل عن قوله في الحديث: «صحَّ» إلى قوله: «ثبَتَ» إلا لنكتة؛ كأن يرتقي الحديث عنده عن الحسن لذاته ويتردَّد في بلوغه الصحيح.

فالوصف بثابت أنزل من الوصف بصحيح ومن هذا تعلم أنَّ قول ابن أبي شيبة: «ثبت لنا...» إلخ أدون من قولنا: «صحيح لغيره» وتعلم أيضًا أن في تعبيرنا بالصحة تساهلًا بالنسبة إلى كلام ابن أبي شيبة وكذا بالنسبة إلى كلام الحافظ الذي نقلناه قريبًا.

وأما قول البخاري: «إنه أحسن شيء في هذا الباب» فهو بالنسبة إلى الدلالة على تواتر الحديث أبعد من كلام ابن أبي شيبة؛ لأنَّ البخاريَّ قال ذلك في طريق سعيد بن زيد كما في "التلخيص الحبير" وغير معقول أن يكون مراده أنَّ ذلك الطريق بانفراده متواتر بل هذا يجلُّ عنه أصغر محدِّث فضلًا عن البخاري.

وإنما معنى كلامه أن طريق سعيد بن زيد مع ضعفه أحسن من بقية طرق الحديث، أي: أقل ضعفًا منها في نظره، وهذا من عادة المحدثين معروف؛ يطلقون على أحاديث ضعيفة أنها أصح أو أحسن شيء في الباب يريدون: بالنظر إلى ما هو أضعف منها، ومن تتبع مواقع استعمالهم في هذا وجد منه ما لا يكاد يدخل تحت حصر، وفي كلِّ علم اصطلاح خاصٌّ بأهله ألا ترى إلى

الأصوليين فإنهم يطلقون العام في باب التخصيص على أعمَّ من معناه في باب العام فإذًا ليس في كلام البخاري ما يعكِّر على كلامنا.

المسألة الرابعة: حديث: «**كلُّ أمر ذي بال...**» حسَّنه الحافظ السيوطي في "الدر المنثور" و"نواهد الأبكار" والمناوي في "التيسير" وصحَّحه النفراوي في "شرح الرسالة" وزعم بعضهم أنه -لشهرته وكثرة طرقه- كاد أن يكون متواترًا.

وكل هذا خطأ قبيح وتساهل تأباه قواعد الصنعة الحديثية والواقع أن الحديث غريب مطلق، أي: ليس له إلا طريقٌ واحدٌ وذلك الطريق واهٍ بمرَّة.

وبيان ذلك أن الحديث رواه الخطيب في كتابه "الجامع لآداب الراوي والسامع"، ومن طريقه رواه الحافظ عبد القادر الرهاوي في "الأربعين البلدانية: فقال: أخبرنا محمد بن حمزة بن محمد القرشي: أنا هبة الله بن أحمد بن محمد الأكفاني: أنا أحمد بن علي بن ثابت الخطيب الحافظ، قال: أخبرنا محمد بن علي بن مخلد الوراق، ومحمد بن عبد العزيز بن جعفر البردعي، قالا: حدثنا أحمد بن محمد بن عمران -عرف بابن الجندي، بضم الجيم كما في "تنزيه الشريعة" لابن عراق-: ثنا محمد بن صالح البصري بها، ثنا عبيد بن عبدالواحد ابن شريك، ثنا يعقوب بن كعب الأنطاكي، ثنا مبشر بن إسماعيل، عن الأوزاعي، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**كلُّ أمرٍ ذي بالٍ لا يُبدأ فيه ببسم الله الرَّحمن الرَّحيم فهو أقْطَعُ**».

فهذا سند الحديث الوحيد الذي لا يستطيع أكبرُ محدِّث ولا أحفظ حافظ

أن يعزِّزه بإسناد ثان فضلًا عن أكثر.

ولا بأس أن نذكر ما قيل في رجاله من التجريح حتى يتبيَّن ضعفه فنقول:

أما محمد بن عبد العزيز البردعي: فقال الخطيب: فيه نظر مع أنه لم يرو كبير شيء. وهذه اللفظة في اصطلاحهم بمعنى ذاهب الحديث أو متروك الحديث.

قال في مراتب التجريح في "الألفية":

وذَاهِبٌ مَتْرُوكٌ اوْ فيهِ نَظَرْ و سَكَتُوا عَنْهُ بِهِ لا يُعْتَبَرْ

وأما ابن الجُندي: فقال الخطيب: «كان يُضعَّف في روايته ويطعن عليه في مذهبه، قال لي الأزهري: ليس بشيء».اهـ

ونقل الحافظ في "اللسان" وابن عراق في "تنزيه الشريعة المرفوعة" عن ابن الجوزيِّ أنه اتَّهمه بوضع حديث في فضل عليٍّ عليه السلام وأقرَّاه على ذلك. والحديث في "اللآلي المصنوعة".

وأما محمد بن صالح البصري: فهو مجهول، قال الحافظ في "اللسان": «ما عرفت حاله».

وأما عبيد بن عبد الواحد: فهو وإن كان ثقةً لكنه تغيَّر في آخر أيامه ولا يدرى أروى عنه محمد بن صالح البصري قبل التغيُّر أم بعده.

وأما مبشِّر بن إسماعيل: فقد كان ثقةً لكن ضعَّفه ابن قانع وتكلَّم فيه غيره، ولذا روى له البخاري متابعة لا استقلالاً.

فحالُ رجال السَّند كما ترى ولهذا جزم الحافظ بأن الحديث واه، وتبعه على ذلك أبو العلاء السيد إدريس بن محمد العراقي الحسيني، وأبو زيد السيد عبدالرحمن ولده وإليهما انتهى علم الحديث بالمغرب في القرن الثاني عشر.

قال شقيقنا العلامة المحدث السيد أحمد في كتابه "الصواعق المنزلة": وللحديث مع هذا علة أخرىٰ وهي شذوذ متنه ومخالفة راويه للجمِّ الغفير من الثِّقات، فقد رواه من أصحاب الأوزاعي جماعة، منهم: الوليد بن مسلم وعبيد الله بن موسىٰ العبسي وعبد القدوس بن الحجاج الخولاني وعبد الحميد ابن أبي العشرين وشعيب بن إسحاق الأموي ومحمد بن كثير المصيصي وخارجة بن مصعب وعبد الله بن المبارك وموسىٰ بن أعين والمعافىٰ بن عمران وبقية بن الوليد وابن سماعة كلهم عن الأوزاعي بلفظ «الحمد» بدل «البسملة» إلا أن موسىٰ بن أعين وعبد الله بن المبارك قالا: «بذكر الله».

ورواه عن الزهري غير الأوزاعي جماعة وهم سعيد بن عبدالعزيز ويونس ابن يزيد وعقيل وشعيب بن أبي حمزة ومحمد بن الوليد الزبيدي فذكروه بلفظ: «الحمد» أيضًا.

ثم ذكر هذه الطرق بأسانيدها بما فيها من موصول ومرسل ثم قال ما ملخصه: فهؤلاء عشرة من أصحاب الأوزاعي كلهم ذكروه عنه بلفظ: «الحمد» إلا موسىٰ بن أعين وابن المبارك بلفظ: «الذكر» وخمسة من أصحاب الزهري كذلك ذكروه بلفظ: «الحمد» أيضًا فإن كانت المخالفة فيه -أي: في حديث «البسملة»- من مُبشِّر بن إسماعيل وهو صدوق؛ فحديثه شاذٌّ ضعيفٌ لمخالفته العدد الكثير من أصحاب الأوزاعي مع أنَّ فيهم من هو أوثق منه بمراحل وأضبطُ بدرجاتٍ كابن المبارك.

وإن كانت المخالفة فيه من أحد الضعفاء قبله فالحال ظاهر والحكم أبين بل لا يبعُد حينئذ الحكم عليه بالوضع، لأنه إذا حكم علىٰ مخالفة المغفَّل

الصدوق بالنَّكارة كان الحكم على مخالفة المتَّهم بالوضع والمجهول للعدد الكثير من الثقات أشدَّ من ذلك.اهـ

ومما تقدم يعلم أنَّ الخبر الذي روي من طرق عديدة بأسانيد مختلفة مرسلًا وموصولًا بأسانيد جيدة هو خبر «الحمد» لا خبر «البسملة» كما وقع في السؤال.

وكذلك ما وقع فيه من أن ابن الصلاح والنووي حسَّناه ليس كذلك؛ فابن الصلاح إنَّما حسَّن حديث «الحمد» لا غير كما نقل عنه ابن السبكي في أول "طبقات الشافعية" ومن نقل عنه سوى هذا كالشيخ زكريا الأنصاري فهو واهمٌ جزمًا.

وكذلك النووي لم يحسن إلا حديث «الحمد» بدليل أنه عزاه لأبي داود وابن ماجه والنَّسائيِّ في "عمل اليوم والليلة" وأبي عوانة وهؤلاء لم يخرجوا حديث «البسملة» إنما أخرجوا حديث «الحمد» وبدليل أنَّه عزَا بعض طرقه لرواية كعب بن مالك الصحابي وكعب لم يرو إلا حديث «الحمد».

والكلام على هذا مستوفى في كتاب "الصواعق المنزلة" لشقيقنا المذكور.

ولإنْ سلَّمنا أنَّ ابن الصلاح والنووي حسَّنا حديث «البسملة» فكم لهما من أغلاط في تصحيح أحاديث ضعيفة وتضعيف أحاديث صحيحة نبَّه على كثير منها الحافظ ابن حجرٍ في "التلخيص" و"فتح الباري" وغيرهما من كتبه؟!

وعلى كلٍّ فحديث «البسملة» ضعيفٌ شاذٌّ لا يصلح أن يكون عاضدًا لحديث: «لا وضوءَ لمن لم يَذكر اسمَ اللهِ عليه» لأن شرط العاضد أن يكون

قويًّا في نفسه حتىٰ يمكن أن يعضد غيره وحديث «البسملة» هو أحوج الأحاديث إلىٰ عاضد يعضده ولو سلَّمنا أنه عضَّد حديث: «**لا وضوء...**» إلخ فلا يلزم من مجرد العضد ثبوت التواترفالعضد أعمُّ ولا يلزم من وجود الأعمِّ وجود الأخصِّ.

ثم لوسلَّمنا أنه يلزم من مجرد العضد ثبوت التواتر فيكون الحديث متواترًا معنىٰ فلا يصح حمل كلام السيوطي عليه إلا لو عبر بما يشمل حديث «البسملة» كأن يقول مثلًا: حديث التسمية في الوضوء ورد من طريق كذا... إلخ، لكنه عبر بما يخرج حديث «البسملة» فإنه في كتاب الطهارة من "الأزهار المتناثرة" عند سرْده للأحاديث ما نصُّه: «حديث: **لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه**» أخرجه الحاكم عن سعيد بن زيد وأبي سعيد وأبي هريرة، والطبراني عن أبي سبرة، وأحمد عن سهل بن سعد، والبزَّار عن عائشة، وابن عدي عن علي، وأبو موسىٰ في "معرفة الصحابة" عن أم سبرة، وعبد الملك بن حبيب الأندلسي عن أنس».اهـ بحروفه.

وعبارته كما ترىٰ ظاهرة إن لم تكن صريحة في أنه أراد التواتر اللفظي، فلا يصح حمل كلامه علىٰ التواتر المعنوي، والله أعلم.

١٩- حول سماع الحسن البصري من علي عليه السلام(١)[1]

كنت كتبتُ مقالًا نقدتُ فيه ما ورد في أذكار الوضوء وكان مما ذكرتُ فيه أنَّ أهل الحديث لا يثبتون للحسن البصري سماعًا من عليٍّ عليه السلام، ونقلت ذلك عن ابن الجزري فكتب الأستاذ عبد الوهاب عبد اللطيف عبد الله بتخصُّص كلية الشريعة الإسلامية مقالًا رجَّح فيه سماع الحسن من عليٍّ كرم الله وجهه، واستدل بما نقله من كتاب "إتحاف الفرقة" ثم طلب مني في ختام كلامه أن أبيِّن له وجهة نظري إذا كان لا يترجَّح عندي ما نقله من الكتاب المذكور.

وكذا سألني في هذا الموضوع حضرة الأستاذ الشيخ ابن بشير الرابحي المدير والمدرس بالمدرسة الإحسانية ببلدة القليعة من قطر الجزائر، ولفظ سؤاله: أصحَّ سماع الحسن من علي عليه السلام أم لم يصح؟ وإذا قلتم بالثاني حسبما نقلتموه عن الحافظ ابن الجزري الشافعي، فما وجه ترجيح الحافظ السيوطي في الفتاوىٰ الحديثية خلاف ما قررتم وتبعه علىٰ ذلك غير واحد؟ بيِّنوا لنا وجه الصواب ولكم مزيد الشكر من الملك الوهَّاب.

ونحن لا يسعنا إلا أن نلبِّيَ رغبة الأستاذين الفاضلين خدمةً للعلم وإظهارا للحقيقة التي إليها ينتهي بحث الباحث وعندها يقف جواد المناظرة ونوفِّي سؤالهما حقَّه من الجواب فنقول:

إنَّ الحسن البصريَّ لا يثبت له سماع من عليٍّ عليه السلام وإنما رآه فقط، بهذا قال حفَّاظ الحديث ونقَّاده حتىٰ كاد أن يكون مُجمعًا عليه بينهم، بل حكىٰ

---

(١) مجلة الإسلام، السنة الثالثة العدد (٣٦) ٧ رمضان ١٣٥٣.

بعض الحفَّاظ الإجماع عليه، ولكنه لا يصحُّ لما سيأتي وهذه أسماء من حضرنا من الحفَّاظ الذين أنكروا سماع الحسن من عليٍّ عليه السلام:

أبو زرعة الرازي، يحيىٰ بن معين، البخاري، الترمذي، الذهبي، المزي، ابن ناصر الدين الدمشقي، الدمياطي، أبو الخطاب بن دحية، ابن الصلاح، النووي، العلائي، ابن الملقن، مُغَلطاي، البرهان الحلبي، الأبناسي، الهكاري، أبو حيان، العراقي، ابن الجزري، ابن حجرٍ العسقلاني، السَّخاوي.

ولا بأس إذا نحن ذكرنا بعض العبارات عن هؤلاء وغيرهم في نفي سماع الحسن من علي عليه السلام بل لعل ذكر ذلك يكون أدعىٰ لقبول النفس واطمئنانها.

روىٰ همام بن يحيىٰ عن قتادة قال: والله ما حدثنا الحسن عن بدريٍّ مشافهة.

وقال بَهْز بن أسد: حدثنا حمَّاد بن زيد، عن أيوب هو السختياني قال: ما حدثنا الحسن عن أحد من أهل بدر مشافهة.

وسئل أبو زرعة فقيل له: هل سمع الحسن أحدًا من البدريين؟ فقال: رآهم رؤية، رأىٰ عثمان وعليًّا. قيل هل سمع منهما حديثًا؟ قال: لا، رأىٰ عليًّا بالمدينة وخرج علي إلىٰ الكوفة والبصرة ولم يلقه الحسن بعد ذلك.

وقال علي بن المديني: لم ير عليًّا إلا إن كان بالمدينة وهو غلام.

وقال أبو الخطاب بن دحية وأبو عمرو بن الصلاح: لم يسمع الحسن من عليٍّ عليه السلام حرفًا.

وقال النووي: قيل إن الحسن لقي عليًّا رضي الله عنه ولم يصحّ.

وقال أبو الحجاج المِزِّي: رأىٰ الحسن عليًّا، وطلحة بن عبيد الله، وعائشة -رضي الله عنهم- ولم يصحَّ له سماع من أحد منهم.

وقال ابن الجزري: أهل الحديث لا يثبتون للحسن سماعًا من علي مع أنه عاصره بلا شك، وثبت أنه رآه وأنه ولد في خلافة عمر رضي الله عنه، وصح أنه سمع خطبة عثمان رضي الله عنه.

قلت: والمعاصرة والرؤية لا يلزم منهما اللَّقي والسماع، فهذا الحسن عاصر أبا هريرة وعمار بن ياسر وثوبان رضي الله عنهم، ولم يسمع منهم. ورأىٰ طلحة وعائشة رضي الله عنهما ولم يسمع منهما.

وقال الحافظ ابن حجرٍ: أئمة الحديث لم يثبتوا للحسن من علي سماعًا والنقول في هذا المعنىٰ كثيرة أفردها الحافظ ابن ناصر الدين بجزء خاصٍّ، وكذا الحافظ شمس الدين السخاوي وسنذكر بعضها عند الحاجة إليه في مقالنا هذا إن شاء الله تعالىٰ.

ولم يخالف في هذا من الحفَّاظ الذين وقفنا علىٰ كلامهم غير الحافظ ضياء الدين المقدسي صاحب "المختارة" فإنه رجَّح سماع الحسن من عليٍّ عليه السلام وعبارته: قال «الحسن بن أبي الحسن البصري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقيل لم يسمع منه».اهـ ولكنه أرسل كلامه كما ترىٰ دعوىٰ مجرَّدة عن الدليل وقد اختاره الحافظ جلال الدين السيوطي، وبرهن عليه في كتاب "إتحاف الفرقة" بوجوه سنذكرها مع مانبديه عليها من الملاحظات في العدد المقبل إن شاء الله تعالىٰ.

٢٠- حول سماع الحسن البصري من علي عليه السلام(٢)[١]

ذكرنا في مقالنا السابق أنَّ الحافظ السيوطيَّ رجَّح سماع الحسن من علي عليه السلام مستدلًّا بوجوه ضمَّنها كتابه "إتحاف الفرقة" وهي التي اعتمد عليها الأستاذ عبد الوهاب عبد اللطيف في مقاله المنشور بالعدد الرابع والثلاثين من "مجلة الإسلام" الغراء.

وقد اعتمدها من قبله جماعة من المتأخِّرين مثل صفِيِّ الدين القشاشي في كتابه "السمط المجيد"، وأبي بكر العيدروس في كتابه "الجزء اللطيف"، والجفري في كتابه "كنز البراهين الكسبية".

غير أن تلك الوجوه ليس شيء منها يثبت سماع الحسن بمقتضىٰ القواعد الحديثية، ولا يغرنَّك اعتماد الحافظ السيوطي لها فإنه رحمة الله عليه يحصل منه تساهل في بعض الأشياء؛ لأنه كثير التأليف في كثير من العلوم فلم يكن يمكنه أن يعطي كلَّ مسألة حقَّها من البحث والنظر اللائقَين بها شأن كلِّ مكثر.

وما بالعهد من قدم، فقد نقلنا عنه في نقدنا لأذكار الوضوء أنه جعل حديث: «**لا وضوءَ لمنْ لم يَذكر اسمَ الله عليه**» متواترًا، وقلنا أن القواعد الحديثية لا تساعد علىٰ ما قال، وهو كذلك، لأنَّ جميع ما له من الطرق التِّسعة كلِّها ضعيفة ومنها ما هو شديد الضعف علىٰ أنَّ المصحَّح في علمي الحديث والأصول أن تسعة طرق لا تكفي في التواتر.

وأغرب من هذا أنه جعل حديث: «**الأئمةُ من قريش**» متواترًا مع إيراده له

---

(١) مجلة الإسلام السنة الثالثة، العدد (٣٧) ١٤ رمضان ١٣٥٣.

من طرق ثلاثة من الصحابة فقط، وهم: علي وأنس وأبو بُردة رضي الله عنهم.

وأغرب من هذا وذاك عده حديث شكوى الجمل للنبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من المتواتر، مع أنه لم يذكر له إلا طريقًا واحدًا من حديث أنس.

وله من هذا الشيء كثير يفضي بنا تتبعه إلى الخروج عن المقصود.

ولذا كان الحافظ السخاوي أشد إتقانًا منه لعلم الحديث والتاريخ؛ لأنه قصر حياته على هذين العلمين، مع ملازمته لحافظ الدنيا على الإطلاق الشهاب ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى.

وهذا يعتبر نقدًا إجماليًّا لتلك الوجوه، وأما التفصيلي فهو ما أبديه عقب كل جملة من جمل كلامه، وقد كنا نُجِلُّ الحافظ السيوطي عن أن نعرض لكلامه بنقدٍ أو ردٍّ لما أودعه الله في قلوبنا من محبته وإعظامه، لكنَّ ألجأنا إظهار الحقيقة فأقدمنا متمثلين بقول الإمام أحمد: «لا محابَاة في العلم».

قال الحافظ السيوطي في استدلاله: ولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه، وكانت أمُّه خيرة مولاة لأمِّ سَلَمة رضي الله عنها.

ونحن نقول: صاحب هذا الكلام هو الحافظ المِزِّي الذي قدَّمنا ذكره في نفاة سماع الحسن، ومثل كلامه هذا كلام الحافظ ابن الجزري ونقلناه فيما تقدَّم.

وسبقهما إلى ذلك ابن حِبَّان فإنه قال في كتاب "الثقات" ما نصُّه: الحسن ابن أبي الحسن أبيه يسار مولى زيد بن ثابت الأنصاري وكان من سبي مَيْسَانَ واسم أمِّه خيرة مولاة أم سلمة رضي الله عنها.

ولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه وكان يوم الدَّار ابن أربع عشرة سنة، واحتلم سنة سبعة وثلاثين، وخرج من المدينة أيام صفِّين ولم

يلق عليًّا عليه السلام.

وقد أدرك بعد صفِّين، رأىٰ عشرين ومائة من أصحاب رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وما شافه بدريًّا قطُّ إلا عثمان بن عفان رضي الله عنه، وعثمان لم يشهد بدرًا. مات في رجب سنة عشر ومائة وهو ابن سبع وثمانين سنة».اهـ

وقريب من هذا قول الحافظ ابن حجرٍ في كتابه "تعريف أهل التقديس": «الحسن بن أبي الحسن البصري الإمام المشهور من سادات التابعين، رأىٰ عثمان وسمع خطبته، ورأىٰ عليًّا ولم يثبت سماعه منه، كان مكثرًا من الحديث ويرسل كثيرًا عن كلِّ أحد».اهـ

فوضح من هذا أن نفاة سماع الحسن يقرُّون بأن ولادته كانت في خلافة عمر وبأنه رأىٰ عليًّا عليه السلام بل هم الذين أوصلوه إلينا وهذا تحقيق منهم بالغ، فإنهم لو لم يذكروا ذلك لكان لمثبت السماع أن يقول: لم يقفوا عليه، فلذلك نفوا، لكنهم أثبتوا أن ولادته كانت في خلافة عمر وبأنه رأىٰ عليًّا وقالوا مع ذلك: لم يسمع منه، فلم يكن في تحقيق النفي أبلغ مما فعلوه.

وحينئذ فما ذكره الحافظ السيوطي أدلُّ علىٰ النفي منه علىٰ الإثبات.

ثم قال الحافظ المذكور: وكان علي رضي الله عنه يزور أمهات المؤمنين ومنهم أم سلمة رضي الله عنها، والحسن في بيتها مع أمه، وكان الحسن يحضر الجماعة خلف عثمان رضي الله عنه وعلي عليه السلام إذ ذاك بالمدينة.

ونحن نقول: لا نعلم أحدًا ذكر هذا في ترجمة الحسن، والحافظ السيوطي أبداه علىٰ أنه استنباط منه كما يعلم بالوقوف علىٰ كلامه، واستنبطه من شيئين:

١- أن عليًّا كان يزور أمهات المؤمنين والحسن في بيت أم سلمة وهي

إحداهن.

٢- أن الصَّبي يؤمر بالصلاة لسبع سنين، فمن المعلوم أن الحسن لما بلغ سبع سنين أمر بالصلاة فكان يحضر الجماعة...إلخ.

ونحن نفيد أن هذا الاستنباط غير صحيح، والحسن إنما كان في بيت أمِّ سلمة وهو رضيعٌ، وذكر النووي وابن خَلِّكان والحافظ ابن حجرٍ أنه نشأ بوادي القرىٰ وهو موضع يبعد من المدينة بثمانية بُرُد، وموقعه بينها وبين الشام، فكيف يمكن للحسن أن يصلي الجماعة خلف عثمان؟!

هذا مع أنه لم ينقل عن الحسن أنه سمع من عثمان أكثر من خطبة، وما نقل عنه أنه سمع من أمِّ سلمة، وغير معقول أن يكون في بيتها ويسمع ممن يزورها ثم لا يسمع منها وهي صاحبة البيت، فهذا يدلك علىٰ بطلان ذلك الاستنباط.

ثم قال الحافظ السيوطي: ورد عن الحسن ما يدل علىٰ سماعه. ثم ذكر ما رواه أبو نعيم عن يونس بن عبيد قال: قلت للحسن يا أبا سعيد إنك تقول: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم. ولم تدركه؟ قال: يابن أخي لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد قبلك.. إلىٰ أن قال: كل شيء سمعتني أقول: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فهو عن علي عليه السلام.

ونحن نفيد أن هذا الكلام لا يصحُّ عن الحسن، ذلك لأنَّ أبا نعيم رواه من طريق أبي حنيفة الواسطي، عن محمد بن موسىٰ الحرشي؛ وهما ضعيفان، عن ثمامة بن عبيدة؛ قال علي بن المديني: إنه كذَّاب. عن عطية بن محارب؛ واهٍ غير معروف. فالإسناد كما ترىٰ مسلسل بالضعفاء والمتروكين ولذا لم يقل بمقتضاه الحافظ المِزِّي مع أنه أسنده في ترجمة الحسن من كتابه "تهذب الكمال".

ومما يدل على بطلان هذا الكلام عن الحسن ما اشتهر عند المحدثين قاطبة وصرَّح به الحسن نفسه من أنه كان يرسل عن كلِّ أحدٍ.

قال ابن عون: قلت للحسن: عمن تحدِّث هذه الأحاديث؟ قال: عنك وعن ذا وعن ذا.

ولهذا نصَّ المحدِّثون على أنَّ مرسلات الحسن من أضعف المراسيل.

قال الإمام أحمد: مرسلات سعيد بن المسيب أصحُّ المراسيل، ومرسلات إبراهيم النَّخعي لا بأس بها، وليس في المرسلات أضعف من مرسلات الحسن وعطاء بن أبي رباح فإنَّهما كانا يأخذان عن كلِّ أحدٍ.

وقال الحافظ العراقي: مراسيل الحسن عندهم شبه الرِّيح.

فلو كان ذلك الكلام صحيحًا عن الحسن لكانت مراسيله صحيحة ولما استجاز المحدثون أن يقولوا إنها أضعف المراسيل؛ لأنَّ العلة التي لأجلها رُدَّ المرسل وهي الجهالة بالساقط من الإسناد مفقودة في مرسل الحسن على فرض صحة ذلك الكلام عنه، وقد عرَّفناك أنه لا يصحُّ لأنَّ إسناده ظلماتٌ بعضُها فوق بعضٍ.

ثم ذكر الحافظ السيوطي أحاديث وقعت من رواية الحسن عن عليٍّ عليه السلام، وهي:

١ - حديث: «**رُفِع القلمُ عن ثلاثةٍ...**» إلخ.

٢ - حديث: «**أفْطَر الحاجمُ والمحجومُ**».

٣- حديث: «**إذا كان في الرَّهن فضلٌ...**» إلخ.

٤ - حديث: «**ياعليُّ قد جعلنا إليك هذه...**»الحديث.

٥- حديث: «من قال كلَّ يوم ثلاثَ مراتٍ: صلواتُ الله على آدم... الحديث».

٦- «الخلية والبرية... إلخ»، وهو وما بعده موقوف.

٧- «ليس في مسِّ الذَّكر الوضوء».

٨- «طوبى لكلِّ عبدٍ نومة».

٩- «كفَّنتُ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في قميصٍ أبيضَ...» إلخ.

ونحن نستدرك عليه حديثًا آخر من رواية الحسن عن عليٍّ عليه السلام في أن أولاد الزنا يعتقون، ذكره الحافظ ابن حجرٍ في ترجمة الحسن بن عمارة من "تهذيب التهذيب".

وسنتكلَّم على هذه الأحاديث في العدد المقبل إن شاء الله تعالى.

٢١- حول سماع الحسن البصري من علي عليه السلام(٣) [١]

ثم أراد الحافظ السيوطي أن يقوِّي استدلاله بتلك الأحاديث فقال في الحديث الأول منها: «أخرجه الترمذي وحسَّنه، والحاكم وصحَّحه».

ونحن نقول لا شيء من تلك الأحاديث يثبت ما قال، وذلك أنها معَنْعنة لم يصرَّح فيها بالتحديث، ثم هي معَلَّة بالانقطاع بين الحسن وعليٍّ عليه السلام، وهذا النوع من الانقطاع يسميه المحدثون: الإرسال الخفيَّ، وإليك ما قاله المحدثون في بعض تلك الأحاديث:

قال الترمذي عقب روايته لحديث رفع القلم عن ثلاثة ما نصه: «حديث علي حديث حسن غريب من هذا الوجه، وقد روي من غير وجه عن علي ولا نعرف للحسن سماعًا من علي بن أبي طالب».اهـ

فالترمذي لم يقتصر على تحسين الحديث كما أفهمه نقل الحافظ السيوطي عنه بل استغربه من طريق الحسن عن عليٍّ عليه السلام ثم أعلَّه بعدم سماع الحسن.

ولعلَّ أحدًا يستشكل تحسين الترمذيِّ للحديث مع اعترافه بانقطاعه، والحسن كالصحيح في أنه لابدَّ من اتصال سنده، ولكنَّه لا إشكال في ذلك؛ لأن الترمذيَّ إنما حسَّنه باعتبار طرقه ألا ترى أنه أضاف إلى قوله: «حسن غريب» قوله: «وقد روي من غير وجهٍ عن عليٍّ» وهو كما قال؛ فإنَّ للحديث طرقًا ذكر بعضها هو، وخرجها أبو داود وغيره، وهذه عادة الترمذيِّ في

---

(١) مجلة الإسلام السنة الثالثة، العدد (٣٨) ٢١ رمضان ١٣٥٣.

"جامعه" يصحِّح ويحسِّن أحاديث ضعيفة باعتبار ما لها من الطرق، ويشير إلى ذلك بقوله: وقد روي من غير وجه، وقال الحافظ الذهبيُّ في "تلخيص المستدرك" عقب رواية الحاكم للحديث المتقدِّم ما لفظه: «صحيح فيه إرسال».اهـ

أتدري ماذا يعني بالإرسال؟ يريد به عدم سماع الحسن من عليٍّ عليه السلام وقدمنا أنَّ هذا يسمَّى إرسالًا خفيًّا، وضابطه: أن يروي الراوي بصيغة محتملة للسماع كـ«عن» عمن عاصره ولم يسمع منه، كحال الحسن مع عليٍّ عليه السلام، ولما روى الدارقطني حديث الخلية والبرية...إلخ قال عنه مُحشِّيه المحدِّث أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي ما نصُّه: «الحديث منقطع؛ الحسن لم يسمع من عليٍّ رضي الله عنه».اهـ

ومثل هذا يقال في بقية تلك الأحاديث لأنَّ مخْرجَها واحد وصيغة أدائها واحدة، فلا نطيل بالنقول في هذاالمعنى، ولا يقولن أحدٌ: إنَّ المقرَّر في علم الحديث أن عنعنة المعاصر محمولة على السماع فتكون تلك الأحاديث التي عنعنها الحسن عن عليٍّ عليه السلام متصلة مسموعة؛ لأنا نقول: محلُّ حمل العنعنة على السماع إذا لم يكن صاحبها مدلِّسًا، أما إذا كان مدلِّسًا فهي غير محمولة على السماع كما قال الحافظ وغيره، والحسن البصري كان مدلِّسًا فكيف تحمل عنعنته على السماع؟!

ولعل القارئ يستغرب كون الحسن مدلِّسًا مع ما هو معلوم من إمامته وجلالته وثقته، لكن لا غرابة في ذلك فقد وصفه بالتدليس النَّسائي وابن حِبَّان والذهبي وغيرهم من أئمَّة هذا الشأن، وذكره الحافظ في الطبقة الثانية

من المدلِّسين في كتابه "تعريف أهل التقديس".

وهذه عبارة الذهبي؛ قال في ترجمة الحسن بن أبي الحسن المؤذن البغدادي من كتابه "الميزان" بعد أن نقل عن ابن عدي أنه منكر الحديث ما نصُّه: «أما سَمِيُّه الإمام البصري فثقة لكنه يدلس عن أبي هريرة وغير واحدٍ فإذا قال: «حدثنا» فهو ثقةٌ بلا نزاع».اهـ

ثم قال الحافظ السيوطي: وقع في "مسند أبي يعلىٰ" قال: ثنا جويرية بن أشرس: أخبرنا عقبة بن أبي الصَّهباء قال: سمعت الحسن يقول: سمعت عليًّا يقول... وذكر الحديث.

ونحن قبل أن نخوض في الكلام علىٰ هذا الحديث ننبِّه علىٰ خطأ وقع في إسناده، وذلك أنه وقع في كلام الحافظ السيوطي جويرية بن أشرس وتبعه علىٰ ذلك كلُّ من نقل عنه، مع أنه ليس في الرواة من اسمه جويرية بن أشرس والصواب في اسمه: حوثرة بن أشرس، قال ابن حِبَّان في كتاب "الثقات" ما نصُّه: «حوثرة بن أشرس العدوي أبو عامر من أهل البصرة يرروي عن حمَّاد ابن سلمة والبصريين حدثنا عنه الحسن بن سفيان وأبو يعلىٰ مات سنة إحدىٰ وثمانين ومائتين».اهـ

وليس له رواية في الكتب الستة كشيخه عُقبة.

ونرجع إلىٰ المقصود فنقول: متن الحديث الذي روي بهذا الإسناد: «**مثلُ أمَّتي مثلُ المطر لا يُدرى أوَّلُه خيرٌ أم آخرُه**». وهذا الحديث له طرق عن أنس، وعمَّار، وعمران، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن عمرو.

وهذه الطرق ذكرها الترمذيُّ في "جامعه"، والحافظ نور الدين الهيثمي في

"مجمع الزوائد"، والحافظ السخاوي في "المقاصد الحسنة"، أما طريق عليٍّ عليه السلام فلم يذكرها أحد من هؤلاء ولا من غيرهم ممن تكلَّم على هذا الحديث كابن عبدالبر والنووي، مع عزْو بعضهم الحديث لـ"مسند أبي يعلى" من طريق أنس فقط، وأول ما رأينا ذلك الطريق -نعني: طريق عليٍّ عليه السلام- في كتب الحافظ السيوطي، ثم لو كان نقله من "المسند" مباشرة لركنَّا إلى قوله وأرحنا أنفسنا من تعب البحث عنه لكنَّه صرَّح بأنَّه نقله بواسطة غيره لأنه قال في كتابه "زاد المسير" مالفظه: «قال الحافظ ابن حجرٍ في "تهذيب التهذيب" وقع في "مسند أبي يعلى" قال: ثنا...» إلخ ما تقدم وتبعناه على ذلك في تعاليقنا على كتابه "تأييد الحقيقة العلية".

ثم رجعنا إلى مظانِّ الحديث من "تهذيب التهذيب" فلم نجده فيها فاتهمنا ذاكرتنا وراجعنا تلك المظانَّ ثانيًا وثالثًا فلم نجده، ثم رجونا أن نجده في "معجم أبي يعلى" فراجعنا المعجم كله فما وجدناه ولا وجدنا حديثا آخر بذلك الإسناد فعجبنا.

ثم اشتد عجبنا لما وجدنا كلام الحافظ ابن حجرٍ على الحديث يخالف ما نقله الحافظ السيوطي عنه وذلك أنه قال في "فتح الباري" ما نصه: «هذا - يعني حديث « مثل أمتي...» إلخ- حديثٌ حسنٌ له طرق قد يرتقي بها إلى الصحة وأغرب النووي فعزاه في فتاويه إلى "مسند أبي يعلى" من حديث أنس بن مالك بإسنادٍ ضعيفٍ مع أنه عند الترمذيِّ بإسناد أقوى منه في حديث أنس، وصححه ابن حِبَّان من حديث عمار».اهـ

فكيف يقتصر على تحسين الحديث ويقول أنَّ له طرقًا قد يرتقي بها إلى

الصحة مع وجود طريق علي في كتابه "تهذيب التهذيب" -على نقل الحافظ السيوطي- وهو بانفراده على شرط الصحيح، وعادة المحدثين في تخريج الحديث أن يقتصروا من طرقه على الأمثل والأقوى، ألا ترى أن الحافظ اعترض على النووي حيث اقتصر في تخريج الحديث المذكور على الطريق الضعيف في "مسند أبي يعلى" مع وجود طريق أقوى منه في "سنن الترمذي"؟!

ثم كيف يكون ذلك الطريق في "تهذيب التهذيب" ولم يعترض به الحافظ على الذين أنكروا سماع الحسن من عليٍّ عليه السلام؟ بل نقل كلامهم وسلَّمه مع أنه لما نقل عنهم إنكار سماع الحسن من أبي هريرة تعقَّبهم بأنه ورد عن الحسن بإسنادٍ صحيحٍ تصريحه بالسماع من أبي هريرة، انظر ("تهذب التهذيب" ج٢ ص٢٦٦ إلى ص ٢٧٠).

هذا مع اعترافنا بثقة الحافظ السيوطي وجلالته وإمامته، لكنه رضي الله عنه يتساهل كما قلنا مستندين إلى ما شاهدناه من ذلك في كتبه وذكرنا أُنموذجًا منه فيما تقدم.

وإليك أنموذجًا آخر، ذكر في تفسير "الدر المنثور" حديث: «**كلُّ أمرٍ ذي بالٍ لا يُبدأ فيه بِبسم الله الرَّحمن الرَّحيم أبْتَر**». وقال: «سنده حسن».

والواقع أن سنده واهٍ بمرَّة وذكر في كتابه "الباهر" الحديث الذي فيه شهادة الجمل لصاحبه بالبراءة من سرقته وعزاه إلى الحاكم ونقل عنه أنه قال: «رواية عن آخرهم» والحاكم لم يقتصر على هذا بل استثنى منهم راويًا وقال: «لا أعرفه بجرح ولا عدالة» وبه أعلَّ الحديث الذهبي في "تلخيصه".

ثم دعنا من هذا كله وهَبْ الحديث موجودًا في "تهذيب التهذيب" فليس فيه ما يثبت سماع الحسن من عليٍّ عليه السلام؛ لأن لفظ سمعت عليًّا ليس من مقول الحسن وإنما هو من تصرُّف الرواة بعده، وذلك أنَّ أصل الحديث معنعن فظنَّ بعض الرواة أنَّ «عن» مثل «سمعت» فأبدلها بها، ومثل هذا التصرف موجود في الصحيحين والسنن وغيرها وإليك مثلًا من ذلك تطمئنُّ إليه نفسك

قال أبو حاتم: حدَّثنا مسلم بن إبراهيم: حدثنا ربيعة بن كلثوم قال: سمعت الحسن يقول: «حدثنا أبوهريرة...» وذكر الحديث، ثم قال أبو حاتم: «لم يعمل بعمل ربيعة شيئًا، لم يسمع الحسن من أبي هريرة شيئًا». فقال له ابنه إن سالمًا الخياط روىٰ عن الحسن قال: «سمعت أبا هريرة قال هذا مما يبين ضعف سالم».اهـ

فأنت ترىٰ أبا حاتم يقول عن ربيعة: «لم يعمل شيئًا» حيث تصرف بإبدال «عن» بـ«حدثنا» مع أن ربيعة ثقة من رجال مسلم، وقول محمد بن الحسن الصريفيني: «هذا نصٌّ صريحٌ في سماع الحسن من عليٍّ ورجاله ثقات...إلخ» ذهول منه عما ذكرناه، وثقة الراوي إنما تدفع عنه الكذب أما نحو الخطأ في الفهم والغلط في التصرف فلا يخلو منه أوثق ثقة ولا أحفظ حافظ.

٢٢- حول سماع الحسن البصري من علي عليه السلام(٤)[١]

كنتُ كتبت ثلاث مقالاتٍ متتابعاتٍ فنَّدت فيها رأي من رجَّح سماع الحسن البصري من عليٍّ عليه السلام ونقضت ما أتىٰ به المرجِّح من الدلائل نقضًا يتمشَّىٰ مع قواعد الصنعة الحديثية، وكان غرضي أن أواصل البحث في الموضوع إلىٰ النهاية لكن عاق دون مواصلته عوائق فانقطعت عنه بحكم الضرورة.

ثم سنَحت لي فرصة فرأيت أن أغتنمها وأعود إلىٰ إتمام البحث فأقول:

قال الغزالي في بيان ما بدل من ألفاظ العلوم من كتاب العلم من "الإحياء" ما نصه: «وأخرج علي رضي الله عنه القُصَّاص من مسجد جامع البصرة، فلما سمع كلام الحسن البصري لم يخرجه إذ كان يتكلم في علم الآخرة والتذكير بالموت والتنبيه علىٰ عيوب النفس...» إلخ كلامه.

وأصله لأبي طالب المكي في "قوت القلوب" وهو كما يرىٰ القارئ صريح في ثبوت اجتماع الحسن بعليٍّ عليه السلام.

وقد اغترَّ به السيد أبو بكر العيدروس فاستدل به لذلك في كتابه "الجزء اللطيف"، وتبعه تلميذه شيخ بن محمد الجفري في كتابه "كنز البراهين الكسبية" ولا يخفىٰ أن صحة الاستدلال به متوقِّفة علىٰ صحته في نفسه وهو غير صحيح.

أما أولًا: فلأن أبا طالب المكي والغزالي ذكراه معلَّقًا بدون إسنادٍ، والتعليق

---

(١) مجلة الإسلام السنة الثالثة العدد (٣٩) ٢٨ رمضان ١٣٥٣.

غير مقبول عند المحدِّثين، وإنما قبلوه من البخاري في "صحيحه" بتفصيل مذكور في كتب المصطلح، على أنَّ بعضهم كابن حزمٍ جعل البخاري كغيره في عدم قبول معلَّقاته، وردَّ بسبب ذلك خبر المعازف الذي علَّقه البخاري في كتاب الأشربة عن شيخه هشام بن عمار، والكلام على هذا مبسوط في "فتح الباري" و"فتح المغيث".

وأما ثانيًا: فلأنَّ إجماع الحفَّاظ منعقدٌ على أنَّ الحسن لم ير عليًّا عليه السلام بعد خروجه إلى البصرة والكوفة حينما أفضى أمر الخلافة إليه، لم يتنازع في هذا منهم اثنان، حتى أن الحافظ السيوطي نفسه معترف بهذا، فإنه جمع بين نفي الحفَّاظ لاجتماع الحسن بعلي عليه السلام وبين إثباته الذي تبع فيه الحافظ المقدسي بحمل نفيهم على ما بعد خروج علي عليه السلام من المدينة إلى الكوفة والبصرة.

ومما هو جدير بالذكر في هذا الموطن حديثان وقع في سندهما تصريح الحسن بالسماع من عليٍّ عليه السلام:

١- قال الديلمي في "مسند الفردوس": أنبأنا والدي: أنا أبو الحسن الميداني الحافظ قال: قرأت في أمالي أبي عبد الله الحسيني بن محمد بن هارون الضبي: حدثنا أبو إسحق إبراهيم بن محمد النيسابوري: ثنا أبو زكريا يحيى بن محمود بن عبدالله بن أسد.

(ح) وقال ابن مَرْدُويَه: ثنا عبد الحميد بن عبد الرحمن النيسابوري.

قالا، واللفظ لابن أسد: ثنا علي بن الحسن الأفطس: ثنا عيسى بن موسى: نا عمر بن صُبح: نا كثير بن زياد، عن الحسن قال: سمعت رجالًا من الأنصار

والمهاجرين منهم علي بن أبي طالب عليه السلام يقولون: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**من طَلَبَ العلمَ لله لم يُصِبْ منه بابًا إلا ازداد في نفسِه ذلًّا، وفي الناسِ تواضعًا، ولله خوفًا، وفي الدِّين اجتهادًا، فذلك الذي ينتفعُ بالعلم فيلتعلَّمْه. ومن طلبَ العلمَ للدنيا والمنزلةِ عندَ النَّاسِ والحظْوةِ عند السُّلطان لم يُصِبْ منه بابًا إلا ازداد في نفسِه عظمةً، وعلى النَّاس استطالةً، وبالله اغترارًا، وفي الدِّين جفاءً، فذلك لا ينتفعُ بالعلم، فليمسكْ وليكفَّ عن الحجَّة على نفسِه والندامةِ والخزي يومَ القيامة**».

فهذا الحديث -لو صحَّ- صريح في سماع الحسن من علي عليه السلام.

لكنه موضوع وآفته عمر بن صبح فإنه وضَّاع. قال ابن حِبَّان: كان يضع الحديث على الثِّقات، لا يحلُّ كتب حديثه إلا على وجه التعجب.

وقال إسحاق بن راهويه: أخرجت خراسان ثلاثة لم يكن لهم في الدنيا نظير في البدعة والكذب: جهم بن صفوان، ومقاتل بن سليمان، وعمر بن صبح.

قلت: وهو الذي وضع حديث: «**مهورُ الحور قبضاتُ التَّمر وفلقُ الخُبزِ**».

ومن هذا الحديث أخذ العوام بالمغرب قولهم: فتات الخبز صداق الجنة.

٢- قال: الحافظ أبو بكر بن مسدي في "مسلسلاته": «صافحت أبا عبدالله محمد بن عبدالله النفراوي بها قال: صافحت أبا الحسن علي بن سيف الحضرمي بالإسكندرية.

(ح) وقال: صافحت أيضًا أبا القاسم عبد الرحمن بن أبي الفضل المالكي بالإسكندرية، قال: صافحت شبل بن أحمد بن شبل قدم علينا، قال كل واحد منهما: صافحت أبا محمد عبد الله بن مقبل بن محمد العجيبي قال: صافحت

محمد بن الفرج بن الحجاج السكسكي قال: صافحت أبا مروان عبد الملك بن أبي ميسرة قال: صافحت أحمد بن محمد النقري بها.

(ح) وقال الكازروني في "مسلسلاته": صافحت الشيخ السعيد شمس الدين أبا الخير محمد بن علي بن محمد الأصفهاني الموازيني قال: صافحت مجد الدين علي بن محمد بن عبد الصمد الدوني قال: صافحت الشيخ الأجلَّ رضي الدين أبا الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني قال: صافحت أبا إسحاق إبراهيم بن أحمد بن عبد الله بن محمد بمدينة عدن قال: صافحت والدي بعدن قال: صافحت علي بن أبي بكر بن حمير بن تبع بالمسجد السعيدي في عدن قال: صافحت سالم بن عبد الله بن محمد بن سالم الإمام قال: صافحت أحمد بن عبد الله الثغري.

قال كل واحد من النقري والثغري -وسياق الحديث للأول- صافحت أحمد الأسود قال: صافحت ممشاد الدِّينَوري -من رجال الرسالة القشيرية- قال: صافحت علي بن رزين الخراساني قال: صافحت عيسى القصار قال: صافحت الحسن البصري قال: صافحت علي بن أبي طالب عليه السلام قال: صافحت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**صافحتْ كفِّي هذه سرادقاتِ عرشِ ربِّي عزَّ وجلَّ**».

هذا حديث غريب وفي كلا إسناديه مجاهيل ولذا لم يستدلّ به الحافظ السيوطي في "إتحاف الفرقة" مع أنه أسنده في "الجامع الكبير" حيث قال: أخبرتني نشوان بنت الجمال عبد الله الكتاني إجازة قالت: أخبرني أحمد بن أبي بكر بن عبد الحميد بن قدامة المقدسي، عن عثمان بن محمد التوزري، عن

الحافظ ابن مسدي به.

ونقله البوتيجي في ثبت الحافظ ابن الجزري ثم استدل به -أعني البوتيجي- على سماع الحسن وهو غلط منه رحمة الله عليه لأن سنده غير صحيح.

هذا ولا يفوتنا أن نبدي ملاحظات على كلمة الأستاذ عبد الوهاب عبداللطيف المنشورة بالعدد الرابع والثلاثين من هذه المجلة، وتلك الملاحظات تنحصر فيما يأتي:

١- ذكر الأستاذ أن الحافظ المِزِّي أثبت سماع الحسن من علي عليه السلام ولست أدري من أين أتى بهذا فإنه لم يَعُدُ في كلمته كتاب "إتحاف الفرقة" وصاحبه لم يقل ذلك، وكيف يستجيز أن يقوله وعبارة المزي في "تهذيب الكمال" صريحة في نفي السماع صراحة قاطعة للاحتمال؟! وقد نقلتها في أول مقالة من المقالات الثلاثة التي كتبتها في هذا الموضوع.

٢- استدل الأستاذ على ما ادعاه على المزِّي من إثبات السماع بقوله: حضر الحسن يوم الدار وهو ابن أربعَ عشرةَ سنةً، وهو استدلال غريب لأن حضور الدار لا يستلزم اللَّقي والسماع لا سيما ويوم الدار كان يوم فتنة وهرْج لم يكن يوم أخذ وسماع.

وأنى يمكن للحسن يوم الدار أن يرى عليًّا عليه السلام وقد جعل الخوارج على بابه وباب طلحة والزبير حرسًا منعوا الناس من الدخول إليهم ومنعوهم من الخروج إلى نجدة عثمان رضي الله عنه حتى قتل؟! هكذا أسنده سيف بن عمرو في كتاب "الردة والفتوح".

٣- أتىٰ الأستاذ في آخر كلمته بما يفهم منه أن الحافظ العراقي مثبت لسماع الحسن من علي عليه السلام، وهو غلط من الأستاذ يدرك بعرض كلامه علىٰ كتاب "إتحاف الفرقة".

٤- ذكر الأستاذ أن الحافظ ابن حجرٍ رجَّح في "أطراف المختارة" سماع الحسن من عليٍّ عليه السلام، وهو غلط من الأستاذ أوقعه فيه أنه رأىٰ في كتاب "إتحاف الفرقة" ما نصه: «وقد رجَّحه أيضًا الضياء المقدسي في "المختارة" فإنه قال: قال الحسن بن أبي الحسن البصري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقيل لم يسمع منه. وتبعه علىٰ هذه العبارة الحافظ ابن حجرٍ في "أطراف المختارة" ولكنه بعدُ رجَّح سماعه وصحَّحه».اهـ

فنقل الأستاذ ما روىٰ من غير تأمُّل فيه مع أن لفظ: «وتبعه» تحريف والصواب: «وتعقَّبه»، لكن الأستاذ معذور لأنه لم يقف علىٰ "إتحاف الفرقة" إلا بعدما طبعه حسام ومنير، وفي كلا الطبعتين تحريف.

نعم لو تأمل قليلًا في قوله: «ولكنه بعد رجح» إلخ، لأدرك التحريف.

ثم غلط الأستاذ غلطًا آخر وذلك أنه ظن أن «قال» الثانية من قول الحافظ السيوطي، فإنه قال: قال الحسن بن أبي الحسن البصري... إلخ. مكررة لا فائدة لها فأسقطها من كلامه وما درىٰ أنها موجودة في أصل المؤلف وأن الإتيان بها مقصود له وذلك لأن المحدِّثين يستعملون كثيرًا «قال» بمعنىٰ «روىٰ» فيقولون مثلا: قال سعيد بن المسيب عن عمر، أي: روىٰ عنه.

وعلىٰ هذا لا تكرار في كلام الحافظ السيوطي بل «قال» الأولىٰ فيه بمعناها الأصلي، و«قال» الثانية بمعنىٰ «روىٰ» وهي وما بعدها مقول لـ«قال» الأولىٰ.

أما فيما يرجع إلى إثبات الحافظ ابن حجرٍ لسماع الحسن من علي عليه السلام فالعهدة فيه على الحافظ السيوطي لأنه الذي اختص بنقل ذلك عنه، مع أن الموجود في كتبه وفتاويه والذي نقله عنه تلميذه وخريجه الحافظ السخاوي هو نفي السماع لا غير.

ثم ماذا يضر إثباته في جانب ما أبدينا من الدلائل على النفي ومن الدحض لشبه الإثبات؟!

٢٣- أحاديث شاذة ومنكرة[١]

إذا روى الراوي حديثًا خالف فيه من هو أوثق منه أو أكثر عددًا؛ فإن كان ثقةً أو صدوقًا كانت روايته شاذَّةً، وإن كان ضعيفًا كانت روايته منكرةً، وكلاهما من قبيل المردود.

هذا هو المقرَّر في علوم الحديث، ولكن المحدِّثين يخالفون ذلك عند الاستعمال، حيث يطلقون المنكر على الموضوع وكذلك الشاذ، وسيمرُّ بالقارئ الكريم أمثلة من هذا الإطلاق في الأحاديث التي نوردها عنوانًا على سائرها:

١- روى الحاكم من طريق أبي الضحى، عن ابن عبَّاسٍ أنه قال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢]، قال: سبع أرضين في كلِّ أرضٍ نبيٌّ كنبيِّكم، وآدمُ كآدمَ، ونوحٌ كنوحٍ، وإبراهيمُ كإبراهيمَ، وعيسى كعيسى.

ورواه البيهقي في "الأسماء والصفات" عن الحاكم بهذا الإسناد، ثم قال: «إسناد هذا عن ابن عبَّاسٍ صحيح لكنه شاذٌّ بمرَّة لا أعلم لأبي الضحى عليه متابعًا».

وقال ابن كثير في "تاريخه": «هو محمول على أن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنه أخذه عن الإسرائيليات».

ومال العلامة الشيخ عبد الحيِّ اللّكنوي إلى إثبات معنى هذا الأثر وأنه ليس بشاذٍّ، وألَّف في ذلك رسالة سماها: "زجر الناس عن إنكار أثر ابن عبَّاسٍ".

---

(١) مجلة دعوة الحق.

لكن مثل هذا لا يقبل فيه إلا ما صحَّ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ولا حديث ثابت في هذا الباب.

وذكر ابن العربي الحاتمي حديثًا عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إن الله خلقَ مائةَ آلفِ آدمَ**». وهذا الحديث لا أصل له.

٢- قال ابن أبي الدنيا في كتاب "التفكر": حدثني إسحاق بن حاتم المدائني: حدثنا يحيى بن سليمان، عن عثمان بن أبي دَهْرَسَ قال: بلغني أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم انتهى إلى أصحابه وهم سكوت فقال: «**ما لكم لا تتكلَّمون؟**» فقالوا: نتفكَّر في خلق الله. قال: «**فكذلك فافعلوا، تفكَّروا في خلقِ الله ولا تتفكَّروا فيه، فإنَّ بهذا المغربِ أرضًا بيضاءَ نورُها بياضُها** -أو قال: **بياضُها نورُها**- **مسيرة الشمس أربعين يومًا، بها خلقٌ من خلقِ الله تعالى لم يعصُوا الله طَرْفةَ عينٍ قطُّ**». قالوا: فأين الشيطان عنهم؟ قال: «**مايدرون خُلق الشيطانُ أم لم يُخلقْ**». قالوا أمن ولد آدم؟ قال: «**لا يدرون خُلق آدم أم لم يخلَقْ**».

قال ابن كثير: «هذا حديث مرسل، وهو منكر جدًّا».

وعثمان بن أبي دهرس -بوزن جعفر- ذكره ابن أبي حاتم فقال: «روى عن رجل من آل الحكم بن أبي العاص، وعنه سفيان بن عيينة وابن المبارك ويحيى ابن سليم الطائفي، سمعت أبي يقول ذلك». (الجرح والتعديل ج٦ ص١٤٩)

قلت: روى عنه أيضًا يحيى بن سليمان. وعثمان هذا مجهول الحال، ولم يذكره البخاري في "التاريخ الكبير"، ولا الذهبي في "المغني"، ولا "الميزن"، ولا الحافظ في "اللسان"، مع أنه على شرطهما فيستدرك عليهما.

٣- روى أحمد والترمذي وابن جريرٍ وابن أبي حاتم، من طريق علي بن

زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عبَّاسٍ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: لما قال فرعون: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [يونس: ٩٠] قال: «**قال لي جبريلُ: لو رأيتَني وقد أخذتُ من حال البَحْر** -طينه الأسود- **فدسَسْتُه في فيه مخافةَ أنْ تناله الرَّحمةُ**». حسَّنه الترمذي مع أن في سنده علي بن زيد.

لكن له طريقًا آخر عن ابن عبَّاسٍ صححه الترمذي أيضًا، وله طرق عن أبي هريرة وابن عمر. وقد ورد موقوفًا علىٰ أبي هريرة وابن عبَّاسٍ.

ومتن الحديث منكر لوجهين:

أحدهما: أن جبريل يعلم -وكل مؤمن يعلم- أن دسَّ الطين في فم فرعون لا يمنع عنه رحمة الله لو أراد أن يرحمه.

والآخر: أن جبريل نزل علىٰ أمِّ موسىٰ بقول الله تعالىٰ لها: ﴿أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥ﴾ [طه: ٣٩] وهذا خبر بأن فرعون عدو لله ولرسوله، وخبر الله لا يدخله نسخ، وعدو الله لا نصيب له في الرحمة، فكيف يقول جبريل: «دسست الطين في فمه مخافة أن تناله الرحمة؟!» هذا من الباطل الذي لا يحصل من جبريل عليه السلام، فتبين أنه موقوف وأنه أخذ عن الإسرائيليات.

وهذه الآية ترد قول من زعم أن فرعون قُبل إيمانه، وتثبت أنه مات كافرًا عدوًّا لله ولرسوله.

واستدل ابن العربي لقبول إيمانه بأنه آمن في حالة الاضطرار؛ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ

أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ ﴾ [يونس: ٩٠] والله تعالى يقول: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ [النمل: ٦٢] فإيمان فرعون مقبول بمقتضى وعد الله الصادق ورحمته الواسعة.

لكن الإيمان غير الدعاء فلو أن فرعون دعا في حالة الغرق لأنجاه الله، لكنه آمن، والإيمان لا يقبل في تلك الحالة، قال الله تعالى: ﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ ﴾ [النساء: ١٨].

وفي "سنن الترمذي" عن ابن عمر، عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ اللهَ يقبلُ توبةَ العبدِ مالم يغَرْغِر**». حسنه الترمذي.

ولم ينفرد ابن العربي الحاتمي بدعوى إيمان فرعون كما يظن كثير من الناس، بل سبقه إليها بعض الصوفية كما نقله الفقيه عبد الصمد الحنفي في تفسيره، وهو من أهل المائة الخامسة.

٤- قال أبو سعيد الكنجرودي في "أماليه": أخبرنا الحافظ أبو الفضل نصر بن محمد بن أحمد العطار: أنا أحمد بن الحسين بن الأزهر بمصر: حدثنا يوسف بن يزيد القراطيسي: نا الوليد بن موسى: نا منبه بن عثمان، عن عروة بن رويم، عن الحسن، عن أنس، عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ مؤمني الجنِّ لهمْ ثوابٌ وعليهم عقابٌ**». فسألناه عن ثوابهم، قال: «**على الأعرافِ وليسوا في الجنَّة مع أمَّة محمَّد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم**». قلنا وما الأعراف؟ قال: «**حائطُ الجنَّة تجري فيه الأنهارُ وتنبُت فيه الأشجارُ والثِّمارُ**».

قال الذهبي: هذا حديث منكر جدًّا.

قلت: في سنده الوليد بن موسىٰ الدمشقي، قال الدارقطني: منكر الحديث. ووهاه ابن حِبَّان والعقيلي.

زاد العقيلي: أحاديثه بواطيل لا أصول لها، وليس ممن يقيم الحديث.

وقال الحاكم: روىٰ عن عبد الرحمن بن ثابت عن ثوبان، أحاديثه موضوعة.

ولا يقبل قول أبي حاتم فيه: صدوق الحديث، لين، حديثه صحيح. وأبو حاتم لم يطلع من رواياته المنكرة علىٰ ما اطلع عليه من جرحه.

ومن أحاديثه الدالة علىٰ تجريحه ما رواه عن الأوزاعي، عن يحيىٰ بن أبي كثير، عن الحسن، عن أنس مرفوعًا: «**آجالُ البهائمِ كلِّها من القملِ والبراغيثِ والجرادِ والخيلِ والبغالِ والدوابِّ كلِّها والطيرِ وغير ذلك، آجالُها في التَّسبيحِ، فإذا انقضى تسبيحُها قبضَ الله أرواحها وليس لملَكِ الموتِ من ذلك شيءٌ**».

ذكره ابن الجوزي في "الموضوعات"، وأعله بالوليد بن موسىٰ، وقال الحافظ في "اللسان": هذا حديث منكر جدًا.

٥- قال نُعيم بن حماد: حدثنا ابن وهب: حدثنا عمرو بن الحارث، عن سعيد بن أبي هلال، عن مروان بن عثمان، عن عمارة بن عامر، عن أم الطفيل: أنها سمعت النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**رأيتُ ربِّي في أحسنِ صُورةٍ شابًّا موفَّرًا** -له وَفْرة- **رجلاه في خُضر عليه نَعْلان من ذَهَبٍ**».

قال ابن حِبَّان في ترجمة عمارة بن عامر من "الثقات": هذا حديث منكر.

وقال الحافظ ابن حجرٍ في "تهذيب التهذيب" عن هذا الحديث: هو متن منكر.

وقال الفقيه أبو بكر بن الحداد: سمعت النَّسائيَّ يقول: ومن مروان بن عثمان حتى يصدق على الله عزَّ وجلَّ؟!

ومروان ضعفه أبو حاتم، وقال الحافظ في "الإصابة": متروك.

ورواه الدارقطني في "الرؤية" بلفظ: «رأيتُ ربِّي في المنامِ» الحديث، وبهذا اللفظ رواه الخطيب في "تاريخ بغداد" ومن طريقه أورده ابن الجوزي في "الموضوعات"، وأعله بنعيم بن حماد، ومروان بن عثمان، وعمارة بن عامر.

وتعقبه الحافظ السيوطي بما نقله ابن عراق في "تنزيه الشريعة" وختمه بقوله: وما كان من هذه الروايات غير مقيد بالمنام فينبغي أن يحمل عليه لتتفق الروايات ويزول الإشكال.

قلت: رؤية الله في اليقظة لم تقع لأحد في الدنيا، والنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم شاهد الله ليلة المعراج بقلبه ولم يره ببصره، والأحاديث التي يفيد ظاهرها رؤية الله في اليقظة في صورة شابٍّ أمردَ كهذا الحديث؛ موضوعة قطعًا.

وأما رؤيته كذلك في المنام فمنعها الصابوني من الحنفية، والقاضي أبو يعلى من الحنابلة، وبالغ ابن الصلاح في إنكارها.

وقال القاضي عياض في "شرح مسلم": لم يختلف في جواز رؤية الله تعالى في المنام حتى لو رؤي على صفة لا تليق كرؤيته في صفة رجل، للعلم بأن ذلك المرئيَّ ليس ذاته الكريمة لاستحالة صفة الأجسام عليه.

وقال القاضي أبو بكر بن العربي: «رؤيته تعالى في المنام أوهامٌ وخواطرُ في القلب يتعالى الله سبحانه عنها، وهي دلالة للرائي عل أمور مما كان أو سيكون

كغيرها من الرؤيات».اهـ

وقال الغزالي في كتاب "المضنون به على غير أهله": «الحق أنا نطلق القول بأن الله تعالى يرى في المنام كما نطلق القول بأن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يرى، لكنَّ المرئيَّ مثالٌ محسوس من نور وغيره من الصور الجميلة التي تصلح أن تكون مثالًا للجمال الحقيقي المعنويِّ الذي لا صورة له ولا لون، ويكون ذلك المثال صادقًا حقًّا وواسطة في التعريف.

فيقول الرائي: رأيت الله في المنام، لا بمعنى رأيت ذاته، كما يقول: رأيت النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، لا بمعنى أني رأيت ذات روحه أو ذات شخصه بل بمعنى أنه رأى مثاله.

قال: فإن قيل: النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم له مثل والله تعالى لا مثل له.

قلنا: هذا جهل بالفرق بين المثل والمثال، فليس المثال عبارة عن المثل، إذ المثل: المساوي في جميع الصفات والمثال لا يحتاج فيه إلى المساواة، فإن العقل معنى لا يماثله غيره مماثلة حقيقية ولنا أن نضرب له الشمس مثالًا لما بينهما من المناسبة في شيء واحد، وهو أن المحسوسات تنكشف بنور الشمس كما تنكشف المعقولات بالعقل، فهذا القدر من المناسبة كافٍ في المثال.

ويمثل في النَّوم السُّلطان بالشمس، والوزير بالقمر، والسلطان لا يماثل الشمس بصورته ولا معناه ولا الوزير يماثل القمر، إلا أنَّ السُّلطان له استعلاء على الكلِّ ويعم أمره الجميع، والشمس تناسبه في هذا القدر، والقمر واسطة بين الشمس والأرض في إفاضة النور كما أن الوزير واسطة بين السلطان والرعية في إفاضة نور العدل، فهذا مثال وليس بمثل.

وقال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ [النور: ٣٥] الآية، ولا مماثلة بين نوره وبين الزجاجة والمشكاة.

وعبر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن اللبن في المنام بالإسلام، والحبل بالقرآن، وأي مماثلة بين اللبن والإسلام، وبين الحبل والقرآن؟ إلا في مناسبة وهي أن الحبل يتمسك به في النجاة، واللبن غذاء الحياة الظاهرة، والإسلام غذاء الحياة الباطنة، فهذه كلُّها مثال وليست بمثل.

فذات الله تعالى وذات النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لا يُريان في المنام وأن مثالًا يعتقده النائم ذات الله تعالى وذات النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يجوز أن يرى، وكيف ينكر ذلك مع وجوده في المنامات؟ فإن من لم يره بنفسه فقد تواتر إليه عن جماعة أنهم رأوا ذلك».اهـ كلام الغزالي، وهو تحقيق نفيس.

وعلى هذا فحديث اختصام الملأ الأعلى الذي رواه أحمد والترمذي عن معاذ: أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنِّي قمتُ من الليل فصلَّيت ما قدِّر لي فنمتُ في صلاتي فاستثقَلْتُ فإذا أنا بربِّي في أحسنِ صورةٍ فقال: يا محمَّد أتدري فيما يختصمُ الملأُ الأعلى؟ قلت: لا أدري يا رب. قالها ثلاثًا. فرأيته وضَعَ كفَّه بين كتفيَّ حتى وجدتُ بردَ أنامله بين صدري فتجلَّى لي كلُّ شيءٍ وعرفتُ..**» الحديث. صححه الترمذي، ونقل عن شيحه البخاري أنه صححه أيضًا.

معناه: أن الله تعالى أراد أن يطلع نبيَّه على الملأ الأعلى وعلى ما شاء من غيبه بغير واسطة جبريل عليه السلام، فتعرف إليه بهذه الصورة التي كانت آلة أدت ما أوحى الله إليه بواسطتها فهي مثال وليست بمثل.

وعالم الرؤيا عالم المثال يرى فيه ما ليس بجسم في صورة الجسم فيرى العلم في صورة اللبن، والدين في صورة القميص، والعهد في صورة الحبل، وهكذا.

ومن أوابد ابن تيمية ما نقله تلميذه ابن القيم في "زاد المعاد" حيث قال: وكان شيخنا أبو العباس ابن تيمية قدس الله روحه في الجنة يذكر في سبب الذؤابة شيئًا بديعًا، وهو أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إنما اتخذها صبيحة المنام الذي رآه في المدينة لما رأى رب العزة تبارك وتعالى فقال: «**يا محمد فيما يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري، فوضع يده بين كتفي...**» الحديث.

قال: فمن تلك الليلة أرخى الذؤابة بين كتفيه... ولم أر هذه الفائدة في إثبات الذؤابة لغيره.

قلت: شهد ابن القيم بأن هذه الفائدة تفرد بها شيخه.

وقال الحافظ العراقي: لم نجد لها أصلًا.

قال ابن حجرٍ في "شرح الشمائل": بل هذا من قبيح رأيهما وضلالهما إذ هو بني على ما ذهبا إليه من إثبات الجهة والجسمية لله تعالى.

قال المناوي تعقيبًا عليه: أما كونهما من المبتدعة فمسلَّم، وأما كون هذا بخصوصه بناء على التجسيم فغير مستقيم. وبيَّن ذلك بما يناقش فيه.

والحقيقة في هذه الفائدة أنها من كيس ابن تيمية، ومما يردها أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان يرخي الذؤابة لعمامته على عادة العرب في ذلك وهو بمكة، ورؤيا الله تعالى حصلت له في المدينة في أواخر حياته، وكان صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إذا بعث سرية عمَّم أميرها بيده الشريفة وأرخى له ذؤابة.

٦- روى ابن خزيمة في "صحيحه" والبيهقي في "الأسماء والصفات" من

طريق جرير، عن الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لا تُقبِّحُوا الوجهَ فإنَّ الله خلقَ آدمَ على صورةِ الرحمنِ**».

هذا الحديث شاذ، وأول بعضهم لفظ «الصورة» بالصفة، قال: والمعنى أن الله خلق آدم بصفة الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام. وهي الصفات المسماة بصفات المعاني القائمة بذات الله تعالى وإن كانت صفة آدم حادثة وصفة الله قديمة فلا شبه بينهما إلا في الاسم.

وأعل ابن خزيمة هذا الحديث بثلاث علل:

إحداها: أن الثوري رواه عن عطاء مرسلًا، ولم يذكر ابن عمر.

ثانيتها: أن الأعمش عنعنه، وهو مدلس.

ثالثتها: أن حبيب بن أبي ثابت لم يصرح بالسماع من عطاء، وهو أيضًا مدلس.

وقال البيهقي: «يحتمل أن يكون ذكر «الرحمن» من تصرف بعض الرواة بحسب فهمه». وهذا هو الصحيح.

وكذلك ما رواه ابن أبي عاصم في كتاب "السنة" من طريق أبي يونس عن أبي هريرة مرفوعًا: «**من قاتل فليتجنَّب الوجهَ فإنَّ صورةَ وجهِ الإنسان على صورةِ وجهِ الرحمنِ**». هو أيضًا حديث شاذ ولم يخل من تصرف الرواة كما يتبين مما يأتي:

ثبت في الصحيحين وغيرهما: عن أبي هريرة، عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**خلقَ الله آدمَ على صورتِه طولُه ستُّون ذراعًا**» الحديث. فالضمير

في «صورته» و«طوله» يعود على آدم جزمًا لأنه محطُّ الفائدة ويستفاد منه أمران:

الأول: أن الله خلق آدم رجلًا كاملًا سويًّا من أول ما نفخ فيه الروح، ولم ينتقل في النشأة أحوالًا ولا تردد في الأرحام أطوارًا كذريته.

الثاني: أن آدم عليه السلام لم يكن من فصيلة الحيوان الأعجم ثم ترقى إلى أن صار قردًا ثم تخطى حلقة مفقودة فصار إنسانًا.

فالحديث يرد نظرية التطوُّر والارتقاء التي ظهر بها دارون.

على أن عالمًا ألمانيًّا قال أن القرد إنسان متقهقر وليس الإنسان قردًا مرتقيًا، عكس ما يقول دارون واتخذ أدلة دارون وبراهينه أدلة وبراهين على صحة نظريته هو فجعل أدلة دارون حجَّةً عليه لا له.

ومِن تشدَّد الإمام أحمد هجرانه لأبي ثور على تأويله لهذا الحديث؛ إذ أن مذهبه إبقاء الحديث على ظاهره في إثبات الصورة لله تعالى وتفويض معناها إليه، مع تنزيهه عن الصورة المعهودة.

لكن غاب عنه أمر ظاهر في الإعراب وهو عود الضمير إلى آدم؛ لأنه أقرب مذكور ولأنه المقصود من سياق الحديث إذ المراد الإخبار بأن الله خالق آدم على صورته التي أوجده بها.

وفي "صحيح مسلم": عن أبي هريرة عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إذا قاتلَ أحدُكم فلْيتجنب الوجهَ فإنَّ اللهَ خلقَ آدمَ على صورتِه**». الضمير في «صورته» يعود على المقاتَل أو المضروب.

يؤيده ما رواه البخاري في "الأدب المفرد" والإمام أحمد، عن أبي هريرة، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لا تقولنَّ قبَّح اللهُ وجهَك ووجهَ من**

أشبهَ وجهَك فإنَّ اللهَ خلقَ آدمَ على صورتِه».

والغرض من الحديثين تكريم وجه المضروب والمشتوم لشبهه بوجه آدم أبي البشر عليه السلام.

وأمَّا ما رواه الطبرانيُّ في "السنة" قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: قال رجل لأبي: إن رجلًا قال: خلق الله آدم على صورته أي: صورة الرجل؟ فقال: كذب، هو قول الجهمية.اهـ

فهذا تذمُّتٌ شديدٌ! وكيف يجزم بعود الضمير على الله مع ظهور عوده على الرجل؟! بل لو صرَّح بعوده على الله كما في بعض الروايات لم يجز الجزم به لاحتمال روايته بالمعنى حسب فهم الرواي.

ولهذا اعترض أبو حيَّان على ابن مالك في استشهاده بالأحاديث النبوية لبعض القواعد النحوية وقال: إنَّ الحديث دخلته الرواية بالمعنى حيث لا نكاد نجزم باللفظ النبوي إلا في القليل النادر.

فمن الخطأ الواضح قول إسحاق بن راهويه: صحَّ أنَّ الله خلق آدم على صورة الرحمن. وقول أحمد: هو حديث صحيح. وقول ابن قتيبة: صورة لا كالصور.

قال ابن حزمٍ في "الفصل": «وكذلك القول في الحديث الثابت: «**خلقَ اللهُ آدمَ على صورتِه**» فهذه إضافة ملك، يريد الصورة التي تخيرها الله سبحانه ليكون آدم مصورًا عليها وكلُّ فاضل في طبقته فإنه ينسب إلى الله عزَّ وجلَّ، كما نقول: «بيت الله» عن الكعبة، والبيوت كلها بيوت الله، لكن لا يطلق عليها هذا الاسم كما يطلق على المسجد الحرام وكما نقول في جبريل وعيسى: «روح الله»، والأرواح

كلها لله. وكالقول في ناقة صالح: «ناقة الله»، والنُّوق كلُّها لله عزَّ وجلَّ، فعلى هذا قيل: على صورة الرحمن، والصور كلُّها لله تعالى».اهـ

وسبقه ابن خزيمة إلى تأويل إضافة الصورة لله، على أنها إضافة خلق، وعاب من حملها على الصفة ووصفه بعدم تحري العلم.

وأما الحديث الذي رواه ابن أبي عاصم في كتاب "السنة" من طريق أبي يونس عن أبي هريرة مرفوعًا: «**من قاتلَ فلْيجتنب الوجهَ فإنَّ صورةَ وجهِ الإنسانِ على صورةِ وجهِ الرَّحمنِ**».

فهو حديثٌ شاذٌّ لم يأت في الصحيحين، ومنكر المعنى؛ لأنه يُشبِّه وجه الإنسان بوجه الرحمن وهو تشبيهٌ صريحٌ لا يحتمل تأويلًا فهو مردودٌ لا محالة.

٧- روى أبو داود والترمذي وابن ماجه من طريق سماك بن حرب، عن عبد الله بن عميرة، عن الأحنف بن قيس، عن العباس بن عبد المطلب قال: كنت في البطحاء في عصابة فيهم رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فمرت سحابة فنظر إليها فقال: «**ماتسمُّون هذه؟**» قالوا: السَّحاب. قال: «**والمُزْنَ؟**» قالوا: والمزن. قال: «**والعَنَان؟**» قالوا: والعنان. قال: «**هل تدرُون بُعد ما بينَ السماءِ والأرضِ؟**» قالوا: لا ندري. قال: «**إنَّ بُعدَ ما بينهما إمَّا واحدةٌ أو اثنتان أو ثلاثٌ وسبعون سنةً، ثُمَّ السماءُ فوقَها كذلكَ**». حتى عد سبع سماوات، «**ثم من فوق السابعة بحْرَين أعلاه وأسفلُه كما بين سماءٍ إلى سماءٍ ثُمَّ فوق ذلك ثمانيةُ أوْعالٍ، بين أظْلافِهِم ورُكَبِهم مثلُ ما بين سماءٍ إلى سماءٍ، ثمَّ على ظهورهم العرشُ، ما بين أسفلِه وأعلاه مثلُ ما بين سماءٍ إلى سماءٍ، ثمَّ الله تبارك وتعالى فوقَ ذلكَ**». قال الترمذي: «حديث حسن غريب». وقال الحاكم: «صحيح

على شرط مسلم»، وسلَّمه الذهبي.

وأجهد نفسه ابن القيم في تقويته في شرحه لـ"مختصر سنن أبي داود" لإفادته فوقية الله على العرش وهو يعتقدها كشيخه.

وهذا الحديث يعرف بحديث الأوعال وهو ليس بصحيح ولا حسن وقد كنت كتبت وأنا بمصر جزءًا في بطلانه ونكارته وأخذه مني بعض كبار العلماء بالأزهر وبقي عنده حتى مات ولم أتوصَّل به.

ويمكن تلخيص ذلك الجزء في النقاط الآتية:

١- أنَّ هذا الحديثَ تفرد به سماك وهو وإن كان من رجال مسلم فقد ضعَّفه شعبةُ والثوريُّ وابنُ المبارك، وقال أحمد: «مضطرب الحديث» وقال النَّسائي: كان ربَّما لُقِّن، فإذا انفرد بأصل لم يكن حجَّةً لأنه كان يُلَقَّن فيتلقَّن. وهذا مما انفرد به.

٢- أنَّ سماكًا اضطرب فيه فرواه مرة كما هنا ورواه مرة عن عبدالله بن عَميرة عن العباس بإسقاط الأحنف، وقال مرة: عن عبد الله بن عميرة عن زوج درَّة بنت أبي لهب، ورواه مرة مرفوعًا وأخرى موقوفًا على العباس.

٣- أن عبد الله بن عَميرة -بفتح العين- قال الذهبي: فيه جهالة. وقال ابراهيم الحربي: لا أعرفه. وقال مسلم في "الوحدان": تفرد سماك بالرواية عنه، وذكره ابن منده في "الصحابة" فأخطأ، وبيَّن خطأه أبو نعيم.

٤- قال البخاري: «لا يعلم لعبد الله بن عَميرة سماع من الأحنف» وعلى هذا فالإسناد منقطع.

٥- أن الحديث يفيد أن حملة العرش اليوم ثمانية والقرآن يفيد أنهم ثمانية

يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧].

روى ابن جريرٍ في "تفسيره" عن ابن زيد قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يحملُه اليومَ أربعةٌ، ويومَ القيامةِ ثمانيةٌ**».

وروى أيضًا عن ابن اسحاق قال: بلغنا أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**همُ اليومَ أربعةٌ** -يعني: حملة العرش- **وإذا كان يومُ القيامة أيَّدهم الله بأربعةٍ آخرين فكانوا ثمانيةً**».

٦- مخالفة الحديث للقرآن؛ يقول الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ [فاطر: ١] فأفاد أن الملائكة ذوو أجنحة وكذلك جاء في السُّنة الصحيحة، وهذا الحديث أفاد أن حملة العرش من ذوات الأظلاف، وهذه نكارة ظاهرة.

٧- ذم الله المشركين الذين وصفوا الملائكة بأنهم إناث، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩]، وهذا الحديث جعل حملة العرش وهم الملائكة المقربون أوعالًا ذوي أظلاف وقرون، وهي نكارة ظاهرة.

٨- أن الوعول جمع وعل، والوعل هو التيس الجبلي، والذكر من المعز، والتيس مذموم عند العرب، قال الشاعر العربي: «وشرُّ مَنِيحةٍ تيسٌ مُعارُ»، وقالوا: أحمق من ناطح الصخرة؛ أي: الوعل.

وفي "صحيح مسلم" عن جابر بن سمرة: أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**كلَّما نفرْنا غازين في سبيلِ الله تخلَّف أحدُكم ينبُّ نَبيبَ التَّيس**». وذلك أنه أتي برجل زنى فأمر برجمه وذكر الحديث.

نبَّ التيس: بتشديد الباء، صاح عند السِّفاد.

وفي "سنن ابن ماجه" بإسناد حسن عن عقبة بن عامر: أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ألا أخبرُكم بالتَّيس المسْتعار؟ هو المحلِّل**».

ولذا قال ابن العربي في "عارضة الأحوزي": «إن خبر الأوعال متلقَّف من الإسرائيليات».اهـ

وما قاله صحيح، والله تعالى أعلم.

ورواه أحمد وابن شيبة والنسائي والبيهقي، وأخرج البيهقي في "الأسماء والصفات" من طريق جعفر بن عون: أنبأنا الأجلح، عن يزيد بن الأصَمِّ، عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يكلمه في بعض الأمر فقال الرجل لرسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: ما شاء الله وشئت. فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أجَعلتَني لله عَدلًا بل شاء اللهُ وحدَه**».

ورواه البخاري في "الأدب المفرد" وابن مَرْدُويَه من طريق سفيان الثوري عن الأجلح الكِنديِّ به.

ورواه الطحاوي من طريق شيبان النحوي عن الأجلح.

ورواه ابن ماجه من طريق عيسى بن يونس: حدثنا عن يزيد بن الأصم، عن ابن عبَّاسٍ قال رسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا حلَفَ أحدُكم فلا يقُلْ ما شاء اللهُ وشئتَ ولكنْ ليقُلْ ما شاءَ اللهُ ثمَّ شئتَ**». هذا اللفظ هو المحفوظ.

وروى أبو يعلى عن عائشة -فيما يعلم عثمان بن عمر راوي الحديث- أنَّ

يهوديًّا رأىٰ في المنام نعم القوم أمة محمد لولا أنهم يقولون: ماشاء الله وشاء محمد. فذكر ذلك لرسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**لا تقولوا: ما شاء اللهُ وشاء محمدٌ. قولوا: ما شاءَ الله وحدَه**».

وروىٰ ابن سعد والنَّسائي والطَّبراني من طريق مِسْعر، عن مَعْبَد بن خالد الجدلي عن عبدالله بن يسار، عن قُتَيْلة بنت صَيْفيٍّ امرأة من جهينة قالت: جاء حبرٌ من الأحبار إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: يا محمد نعم القوم أنتم لولا أنكم تشركون. قال: «**وكيفَ**» ؟قال: يقول أحدكم: لا والكعبة، فقال النبيُّ ﷺ: «**إنَّه قدْ قالَ** -يعني نفسه- **فمنْ حَلَف فليحْلِفْ بربِّ الكعبةِ**»، فقال: نعم القوم أنتم لولا أنكم تجعلون لله أندادًا، قال: «**وكيف ذاك؟**» قال: يقول أحدكم: ما شاء الله وشئت. فقال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّه قدْ قالَ: فمَن قال منكم فليقُلْ: ما شاء الله ثُمَّ شئتَ**». هذا لفظ ابن سعد وأشار إلىٰ أن قتيلة ليس لها غير هذا الحديث.

ورواه الطحاوي في "مشكل الآثار" وابن منده من طريق المسعودي عن مَعْبَد بن يَسَار، عن قُتَيْلَةَ بنت صَيفِيٍّ الجُهنيَّة به -وقتيلة بصيغة التصغير صحابية- قال ابن عبدالبر الحافظ: «من المهاجرات الأُوَل». فهذا الحديث بجميع طرقه ليس فيه إشارة إلىٰ الآية الكريمة ولا جاء في شيءٍ من طرقه أنها نزلت بسببه، والله أعلم.

٢٤- أحاديث موضوعة[١]

راج بين كثير من أهل العلم في المشرق والمغرب أحاديث تُنسب إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يذكرونها في مناسباتٍ مختلفةٍ ومنهم من يوردها في معرض الاستدلال والاحتجاج، مع أنها مكذوبةٌ لا يجوز ذكرها على الإطلاق إلا لبيان حالها لئلا يغترَّ بها من لا يعرفها.

ومن تلك الأحاديث ما ليس له أصل أي: ليس له إسناد في كتب الحديث، وأنا أورد جملة منها نموذجًا لسائرها:

١- في "الموطأ": وحدثني يحيى عن مالك أنه بلغه أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنِّي لأنسَى أو أُنَسَّى** -بالبناء للمجهول- **لأسُنَّ**». وروي كما قال عياض بلفظ: «**إني لا أنْسَى ولكن أُنَسَّى لأسُنَّ**».

قال ابن عبد البر: «لا أعلم هذا الحديث روي عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مسندًا ولا مقطوعًا من غير هذا الوجه، وهو أحد الأحاديث الأربعة التي في "الموطأ" التي لا توجد في غيره مسندة ولا مرسلة ومعناه صحيح في الأصول».اهـ

وقال الحافظ ابن حجرٍ في "الفتح" عن هذا الحديث: «لا أصل له فإنه من بلاغات مالك التي لم توجد موصولة بعد البحث الشديد».

قال الزرقاني في "شرح الموطأ": «معنى قوله: أنه لا أصل له أي: ما يحتج به لأن البلاغ من أقسام الضعيف وليس معناه أنه موضوع معاذ الله، إذ ليس البلاغ بموضوع عند أهل الفنِّ لا سيما من مالك، كيف وقد قال سفيان: إذا

---

(١) مجلة دعوة الحق.

قال مالك بلغني فهو إسنادٌ صحيحٌ».اهـ

وبلاغ مالك تعليق، والتعليق لا يحكم عليه بشيء حتى ينظر هل له إسناد أو لا، فإن وجد له إسناد حكم عليه بمقتضى حال رجاله من ثقةٍ أو ضعفٍ وإن لم يكن له إسناد كهذا البلاغ الذي نتكلَّم عليه اعتبر من قبيل ما لا أصل له.

يضاف إلى ذلك مخالفته لما ثبت في "صحيح البخاري" عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه، عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّما أنا بشَرٌ مثلُكم أنسَى كما تنْسَون فإذا نَسِيتُ فذكِّرُوني**».

نعم ترتَّب على نسيانه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أحكام سجود السهو في الصلاة، وإلى هذا يشير ابن عبد البر بقوله: ومعناه صحيح في الأصول.

٢- في "الموطأ" أيضًا عن مالك أنه بلغه أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان يقول: «**إذا نشَأت بحريَّة ثم تشاءمتْ فتلك عينٌ غُدَيقةٌ**».

قال ابن عبد البر: «هذا الحديث لا أعرفه بوجه من الوجوه في غير "الموطأ" إلا ما ذكره الشافعي في "الأم" عن إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى عن إسحاق بن عبد الله عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إذاأ نشَأتْ بحريَّة ثمَّ استحالتْ شاميَّةً فهو أمطرُ لها**».اهـ

وروى الطبراني في "الأوسط" عن عائشة قالت: «إذا أنشأت بحرية ثم تشاءمت فهي عين غُديقة». قال الطبراني: تفرد به الواقدي.

غديقة بالتصغير وهي التي يقال لها بالمغرب: الغديكة.

٣- «اعملْ لدنياك كأنَّك تعيشُ أبدًا واعملْ لآخرتِك كأنَّك تموتُ غدًا».

لا أصل له.

وروى ابن أبي الدنيا بإسنادٍ ضعيفٍ مجهول عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: احرث لدنياك كأنك تعيش أبدًا.

وروى البيهقي في "السنن" بإسنادٍ ضعيفٍ عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**اعملْ عمَلَ امرئٍ يظنُّ أنْ لن يموتَ أبدًا واحذَر حذَرَ امرئٍ يخشَى أنْ يموتَ غدًا**».

وهذا الحديث أخرجه البيهقي في الحضِّ على الاقتصاد في العبادة والبعد عن قربان المعاصي خوف مفاجأة الموت.

ومعنى اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا: أنك تعمل لدنياك في مهل وتؤدة من غير حرص ولا استعجال؛ لأن من يعيش أبدًا لا يفوته شيء إن لم يدركه اليوم يدركه غدًا أو بعد غد بخلاف عمل الآخرة فإنه يستعجل به خوف الفوات بموت قريب.

ولشقيقنا الحافظ أبي الفيض رحمه الله جزء اسمه "إياك من الاغترار بحديث اعمل لدنياك".

٤- «إذا وقفتم في الصلاة فلا تقبضوا أيديكم فإن ذلك تكفير اليهود». ذكره القاضي النعمان الشيعي الإمامي في كتاب "دعائم الإسلام"، وهذا حديثٌ مكذوبٌ لوجوه:

منها: ما رواه الطبرانيُّ بإسنادٍ صحيحٍ عن ابن عبَّاسٍ قال: سمعت نبيَّ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**إنَّا معشَرَ الأنبياءِ أُمِرْنا بتَعْجيل فطْرِنا وتأخِير سحُورنا وأنْ نضَعَ أيمانَنا على شمائِلنا في الصَّلاة**».

وروى في "الأوسط" و"الصغير" نحوه من حديث ابن عمر.

ومنها: ما رواه الطبراني في "الأوسط" بإسنادٍ ضعيفٍ عن يعلىٰ بن مرة الثقفي قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ثلاثٌ يحبُّها الله: تعجيلُ الفِطْر وتأخير السُّحورِ وضربُ اليدين إحداهما على الأخرى في الصَّلاة**».

ومنها: تواتر وضع إحدىٰ اليدين علىٰ الأخرىٰ في الصلاة عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من فعله وقوله.

ومنها: أن الصلاة فرضت علىٰ اليهود وهي تكفير أي: تعظيم لله تعالىٰ والتكفير بالركوع والسجود فيها أعظم، فلم خصَّ هذا الحديث التكفير بالقبض فقط؟ لأن الإمامية لا يقبضون في الصلاة فاخترع أحدهم هذا الحديث لتأييد مذهبه.

وهذا كما اخترع بعض المالكية حديثًا عزاه لكتاب "البدور الملتمعة في أدلة الأئمة الأربعة" نقلًا عن "مسند الأوزاعي" عن ابن مسعودٍ قال: ترك رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم القبض في صلاة الفريضة قبل أن يفارق الدنيا بستة وثلاثين يومًا.

وهذا كذب مضاعف فكتاب "البدور الملتمعة" لا وجود له في كتب الحافظ العراقي ولا في كتب غيره والأوزاعي لا مسند له، والنبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لم يترك القبض في الصلاة قط.

فالإمامي اخترع حديثًا ينهىٰ عن القبض في الصلاة فرضها ونفلها لأن مذهبه كذلك.

والمالكي اخترع حديثًا يفيد ترك القبض في الفريضة لأن مذهبه يفرق بين الفريضة والنافلة.

ولو صحَّ حديث المالكي لأفاد عدم وجوب القبض لا نسخه كما هو مقصود واضعه؛ لأنه مندوبٌ والمندوب فضيلةٌ والفضائل لا تنسخ وإنما ينسخ الواجب والمحرَّم والمباح، فقيام الليل وصوم عاشوراء كانا واجبين ثمَّ نسخا إلى الندب، وزيارة القبور كانت محرَّمة ثم نسخت إلى الندب أيضًا، ونكاح المتعة كان مباحًا ثمَّ حُرِّم.

ولا تجد مندوبًا نسخه الشارع في آيةٍ أو حديث أبدًا. ودعوى بعض العلماء نسخ بعض المندوبات غفلة منهم عن هذه القاعدة.

وسبب غفلتهم أنهم رأوا الشارع أمر ببعض المندوبات أو فعلها ثم تركها فظنوا التَّرك نسخًا لها وليس كذلك بل هو بيان لعدم وجوبها فقد أمر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بصلاة الضُّحى وحضَّ عليها وفعلها ثم تركها إشعارًا بأنها لا تجب، وأمر بركعتين قبل المغرب وصلاهما ثم تركهما ورأى الصحابة يصلونهما فلم ينههم عنها وما ذاك إلا لأن ترك المندوب لا يقتضي نسخه.

٥- «اللهمَّ اجعلْها رياحًا ولا تجعلْها رِيحًا». كنت أسمع هذا الحديث من بعض شيوخنا بفاس أيام قرائتي بها، ووجدت الطَّحاوي عقد بابًا في "مشكل الآثار" للكلام على الريح ماذا يراد بها في القرآن مفردة أو مجموعة.

وروى عن أبي عبيد قال: القراءة التي سمعتها في الريح والرياح أن ما كان منها من الرحمة فإنه جمع، وما كان من العذاب فإنه على واحده والأصل الذي اعتبرنا به هذه القراءة حديث النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنه كان إذا هاجت الرِّيح قال: «**اللهمَّ اجعلْها رياحًا ولا تجعلْها رِيحًا**».

وتعقَّبه الطحاوي بقوله: فكان ما حكاه أبو عبيد من هذا عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مما لا أصل له، وقد كان الأولى به لجلالة قدره ولصدقه في روايته غير هذا الحديث ألا يضيف إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ما لا يعرفه أهل الحديث عنه.

وذكر قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ﴾ [يونس: ٢٢] وقال: فكانت الريح الطيبة من رحمة الله والريح العاصف منه عزَّ وجلَّ عذابًا، ففي ذلك ما قد دلَّ على انتفاء ما رواه أبو عبيد.

ثم أسند أحاديث تفيد بطلان ذلك الحديث:

منها: حديث الصحيحين عن ابن عبَّاسٍ أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**نُصِرْتُ بالصَّبا وأُهلكَتْ عادٌ بالدَّبُور**».

ثم قال: فكان في هذا الحديث أن النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نصر بالصَّبا وهي ريح واحدة وأن عادًا أهلكت بالدبور وهي ريح واحدة.

ومنها: حديث مسلم عن عائشة قالت: كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إذا عصفت الريح قال: «**اللهمَّ إنِّي أسألك خيرَها وخيرَ ما فيها وخير ما أرسلَت به وأعوذ بك من شرِّها وشرِّ ما فيها وشرِّ ما أُرسلَتْ به**». وذكر أحاديث أخرى في هذا المعنى.

لكن قال الشافعي في "الأم": أخبرني من لا أتهم قال: حدثنا العلاء بن راشد، عن عكرمة، عن ابن عبَّاسٍ قال: ما هبَّت الريح إلا جثا النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على ركبتيه وقال: «**اللهمَّ اجْعلها رحمةً ولا تجعلْها عذابًا اللهمَّ**

اجعلْها رياحًا ولا تجعلْها ريحًا».

قال: قال ابن عبَّاسٍ: في كتاب الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا﴾ [القمر: ١٩]، ﴿إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ﴾ [الذاريات: ٤١]، ﴿وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ [الحجر: ٢٢]، ﴿يُرۡسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٖ﴾ [الروم: ٤٦]. ورواه البيهقي في "المعرفة" من طريق الشافعي.

قال الحافظ ابن حجرٍ: هذا حديثٌ حسنٌ، وشيخ الشافعي ما عرفته وكنت أظنه ابن أبي يحيىٰ لكن لم يذكروه في الرواة عن العلاء بن راشد، والعلاء موثَّق. كذا قال في "أمالي الأذكار".

وخالف ذلك في "تعجيل المنفعة" حيث قال: العلاء بن راشد عن عكرمة وعنه إبراهيم بن أبي يحيىٰ لا تقوم بإسناده حُجَّةٌ قاله الحسيني كذا قال: وعكرمة مشهور وحال إبراهيم معروف».اهـ ورمز لهذه الترجمة بحرف (فع) وهو رمز الإمام الشافعي.

وهذا يعيِّن المبهم في إسناد "الأم" بأنه ابن أبي يحيىٰ وحاله معروف بالضعف ولذلك استبعد تحسين الحافظ للحديث.

لكنه استند إلىٰ اعتضاده بما رواه مسدد في "مسنده الكبير" ومن طريقه الطبراني في كتاب "الدعاء" عن ابن عبَّاسٍ قال: كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إذا هاجت الريح استقبلها وجثا علىٰ ركبتيه وقال: «**اللهمَّ اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابًا، اللهم اجعلها رياحًا ولا تجعلها ريحًا، اللهمَّ إنِّي أسألك من خيرِ ما تُرسل به وأعوذ بك من شرِّها وشر ما تُرسل به**». وإسناده ضعيفٌ لضعف جبر بن عبد الله حفيد عبيد الله بن عبَّاسٍ.

وفي نسخة من "مسند مسدَّد": عن حسين بن قيس الرحبي، عن عكرمة، عن ابن عبَّاسٍ. وحسين ضعيف متروك.

وروىٰ البخاري في "الأدب المفرد"، وابن حِبَّان في "صحيحه"، عن سلمة بن الأكوع قال: كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إذا اشتدت الريح يقول: «**اللهمَّ لَقْحًا لا عَقِيمًا**». لَقْحًا بفتح اللام والقاف تفتح وتسكن حاملة للسحاب فيه الماء.

٦- «جاءكم الطهور» يعني: رمضان، لا أصل له بهذا اللفظ.

وروىٰ الديلمي في "مسند الفردوس"، ومن طريقه ابن عساكر في "التاريخ" عن عائشة مرفوعًا: «**شهرُ رمضانَ شهرُ الله وشهرُ شعبانَ شهري شعبانُ المطهِّر ورمضانُ المكفِّر**». وإسناده تالف والمتن موضوع.

أما حديث: «رجب شهر الله وشعبان شهري ورمضان شهر أمتي» فمصرح بوضعه في كتب بالموضوعات.

والثابت في هذا الباب ما رواه مسلم في "صحيحه" عن أبي هريرة عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**الصَّلواتُ الخمسُ والجمعةُ إلى الجمعةِ ورمضانُ إلى رمضانَ مكفِّراتٌ ما بينهن إذا اجْتُنبتْ الكَبائرُ**».

٧- «لكلِّ بلدٍ رؤيتُه». ليس بحديث ولكنه متداول بين الشافعية بناء علىٰ مذهبهم.

وقال الترمذيُّ في "سننه": «باب ما جاء لكل أهل بلد رؤيتهم» وهذه الجملة قالها استنباطًا من حديث ابن عبَّاسٍ الذي رواه في هذه الترجمة عن كريب -بالتصغير- أنه قدم الشام واستهل رمضان فسأله هناك، ثم رجع

المدينة في آخر رمضان فسأله ابن عبَّاسٍ: متىٰ رأيتم الهلال؟ قال كريب: رأيناه ليلة الجمعة. قال: أنت رأيته؟ قلت: رآه الناس فصاموا وصام معاوية. فقال: لكن رأيناه ليلة السبت فلا نزال نصوم حتىٰ نكمل ثلاثين يومًا أو نراه. فقلت: ألا تكتفي برؤية معاوية وصيامه؟ قال: لا، هكذا أمرنا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

قال المباركفوري في "تحفة الأحوزي": هذا بظاهره يدل علىٰ أن لكل أهل بلد رؤيتهم.

قلت: ترجم النووي في "شرح مسلم" بهذه الجملة أيضًا فظنها بعض أهل العلم حديثًا وليس كذلك.

وأهل الحديث لا يستدلون ولا يقرون الاستدلال علىٰ ورود حديث أو ثبوته بأن حافظًا جعله عنوانًا لباب من أبواب كتبه.

وقد ناقش الشوكاني في "نيل الأوطار" استدلال الشافعية بحديث ابن عبَّاسٍ علىٰ أن لكل أهل بلد رؤيتهم ورجح مذهب المالكية أنه إذا رأىٰ الهلال أهل بلد لزم أهل البلاد كلها.

٨- «لا تكرهُوا الفتنَ فإنَّ فيها حَصَادُ المنافقين».

روىٰ أبو الشيخ في "الفتن" ومن طريقه الديلمي في "مسند الفردوس" عن علي عليه السلام مرفوعًا: «**لا تكرهُوا الفتنَ فإنَّها تُبيرُ المنافِقِين**». إسناد ضعيف جدًّا.

وذكره الحافظ ابن حجرٍ في "الفتح" بلفظ: «**لا تستعيذُوا بالله من الفتَن فإنَّ فيها حصادُ المنافقين**» وقال: قد سئل ابن وهب قديمًا عنه فقال: إنه باطل.

قلت: قد صحَّ في أحاديث كثيرة: التعوذ من الفتن من قول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وأمره.

٩- «إذا أراد الله عذاب أمة أعقم نساءهم خمس عشرة سنة قبل أن يصابوا لئلا يصاب الوِلدانُ الذين لم يجرِ عليهم القلم».

قال الحافظ في "الفتح": «ليس له أصل وعموم حديث عائشة يرده».

يعني ما رواه مسلم في "صحيحه" عن عائشة، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**العجبُ أنَّ ناسًا من أمتي يؤمُّون هذا البيتَ حتَّى إذا كانوا بالبيْداءِ خُسِفَ بِهِمْ**» فقلنا: يارسول الله إن الطريق قد تجمع الناس قال: «**نعم فيهم المستَبْصِرُ والمجبورُ وابنُ السَّبيل يهلكُون مَهْلكًا واحدًا ويصدُرون مصادرَ شتَّى يبعثُهم الله على نِيَّاتهم**». وفي القرآن الكريم: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾ [الأنفال: ٢٥].

١٠- «الدِّين المعاملةُ». ليس بحديث والواقع أن الدين يتألف من ثلاثة أشياء: عبادة ومعاملة وسلوك فيهما.

فالصلاة عبادة والسلوك فيها ألا يلتفت المصلي يُمنة ويُسرة ولا يعبث بيده.

والتِّجارة معاملة والسلوك فيها أن يكون التاجر سمحًا في شرائه سمحًا في قضاء ما عليه سمحًا في اقتضاء ماله. وعلى هذا القياس.

١١- «**لا تُنزلُوهنَّ الغُرَفَ ولا تُعلِّموهُنَّ الكتابةَ** -يعني: النساء- **وعلِّموهنَّ المِغزَلَ وسورةَ النُّور**». رواه البيهقي في الشعب عن الحاكم في المستدرك من طريق عبد الوهاب بن الضحاك عن شعيب بن إسحاق عن

هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة به مرفوعًا.

وهذا الحديث موضوع كما قال الذهبي.

عبد الوهاب بن الضحاك هو الحمصي، كذَّابٌ يسرق الحديث.

نعم روى سعيد بن منصور في "سننه" عن مجاهد قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**علِّموا رجالكم سورةَ المائدةِ وعلِّموا نسائكم سورةَ النُّور**». أما (سورة المائدة) فإنها تشتمل على ثمانية عشر حكمًا لا توجد في سائر السور. وأما (سورة النور) فإنها تشتمل على آداب السلوك بجانب ما فيها من الأحكام.

١٢- «من قال: لا إله إلا الله ومدَّ بها صوتَه هدمتْ له أربعةَ آلافِ ذنبٍ من الكبائر». رواه الديلمي، وهو حديثٌ موضوعٌ.

١٣- «اختلافُ أمَّتي رحمة». ذكره السيوطي في "الجامع الصغير" وقال ما نصه: نصر المقدسي في "الحجة"، والبيهقي في "الرسالة الأشعرية" بغير سند، وأورده الديلمي والقاضي حسين وإمام الحرمين، ولعله خرج في بعض كتب الحفاظ التي لم تصل إلينا».اهـ

قلت: سلك السيوطي طريقة الفقهاء الذين يكتفون في ثبوت الحديث بكونه مذكورًا في كتاب فلان وفلان من العلماء، وأهل الحديث لا يعترفون بهذه الطريقة ولا يعوِّلون عليها، وإنما يعتمدون على البحث عن سند الحديث والكشف عن حال رجاله فإن لم يجدوا له إسناد كهذا الحديث حكموا بأنه لا أصل له.

ويؤيد حكمهم هنا ما رواه أحمد في "المسند" بإسناد لا بأس به عن النعمان بن

بشير قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ المنبر: «**منْ لم يشكُر القليلَ لم يشكُر الكثيرَ ومن لم يشكُر النَّاسَ لم يشكر الله والتحدُّث بنعمة الله شكْرٌ وتركُها كفرٌ والجماعة رحمةٌ والفرقةُ عذابٌ**». الفرقة هي الاختلاف.

وروىٰ الطبراني في "الأوسط" بإسناد ضعيف عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ما اختلفتْ أمَّة بعد نبيِّها إلا ظهر أهلُ باطلِها على أهلِ حقِّها**».

وتأول بعض العلماء حديث اختلاف أمتي رحمة علىٰ فرض ثبوته باختلافهم في الفروع الفقهية، لكن هذا أمر مستحدث لا ينبغي حمل كلام الشارع عليه.

١٤ - «أصحابي كالنُّجوم بأيِّهم اقتديتُم اهتديتُم».

رواه نعيم بن حماد، عن عبد الرحيم بن زيد، عن أبيه، عن سعيد بن المسيب، عن عمر. وربما رواه عبد الرحيم عن أبيه عن ابن عمر.

وعبد الرحيم بن زيد، هو العَمِّي -بفتح العين وتشديد الميم- البصري كذاب . ورواه حمزة بن أبي حمزة الجزري عن نافع عن ابن عمر. وحمزة قال ابن معين: لا يساوي فلسًا. وقال ابن عدي: عامة ما يرويه موضوع.

ورواه الحارث بن غصين، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر. والحارث قال ابن عبد البر: مجهول. وقال الحافظ: ذكره الطوسي في رجال الشيعة وقال: روىٰ عن جعفر الصادق. وذكره ابن حِبَّان في "الثقات".

وروىٰ البيهقي في "المدخل" بإسناد ضعيف منقطع عن ابن عبَّاسٍ مرفوعًا: «**مهما أوتيتُم من كتابِ الله فالعملُ به لا عذرَ لأحدٍ في تركِه فإنْ لم يكنْ**

كتابُ الله فسنَّةٌ مني ماضيةٌ فإن لم تكن سنَّةٌ منِّي فما قال أصحابي إنَّ أصحابي بمنزلةِ النُّجوم في السَّماء فأيُّما أخذتُم به اهتديتُم واختلافُ أصحابي لكم رحمةٌ».

ورواه آدم بن أبي إياس في "كتاب العلم" عن الحسن مرسلًا.

قال البزار: «هذا الكلام لا يصح عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وهو منكر عنه وقد روي عنه بإسناد صحيح: «**عليكم بسنَّتي وسنَّة الخلفاءِ الراشدين من بعدي عَضُّوا عليها بالنَّواجِذ**». وهو يعارض هذا الكلام والنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لا يبيح الاختلاف بعده من أصحابه».اهـ

وقال المزني: «إن صح هذا الخبر فمعناه فيما نقلوا عنه وشهدوا به عليه فكلهم ثقة مؤتمن على ما جاء به لا يجوز عندي غير هذا، وأما ما قالوا فيه برأيهم فلو كان عند أنفسهم كذلك ما خطَّأ بعضهم بعضًا ولا أنكر بعضهم على بعض، ولا رجع أحد منهم إلى قول صاحبه».اهـ

وقال ابن عبد البر: «الاقتداء بأصحاب النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم منفردين إنما هو لمن جهل ما يسأل عنه ومن كان هذا حاله فالتقليد لازم له ولم يأمر أصحابه أن يقتدي بعضهم ببعض إذا تأولوا تأويلًا سائغًا جائزًا ممكنًا في الأصول، وإنما كل واحد منهم نجم جائز أن يقتدي به العامي الجاهل بمعنى ما يحتاج إليه من دينه وكذلك سائر العلماء مع العامة».

وللحديث طرق أخرى واهية ذكرتها في كتاب "تخريج أحاديث المنهاج" للبيضاوي في علم الأصول.

١٥ - «توسَّلوا بجاهي فإنَّ جاهي عند الله عظيمٌ».

لا أصل له وقد عزاه بعض العلماء بمصر إلى "حلية أبي نعيم" وهو خطأ،

بل لا وجود له في "الحلية" ولا في غيرها من كتب الحديث.

ويغني عنه حديث توسل الضرير وهو حديث صحيح، ولفظه: «**اللهمَّ إني أسألُك وأتوجَّهُ إليك بنبيِّك نبيِّ الرحمة يا محمَّد إني أتوجَّه بك إلى ربِّي في حاجتي هذه لتقْضَى لي اللهمَّ فشفِّعه فيّ**». وهذا التوسل وما في معناه جائز لا ينبغي أن يختلف فيه.

لكن العوام توسعوا فيه حتى صاروا يستغيثون بالأولياء والصالحين ويذبحون على قبورهم الهدايا، وذلك كله حرام لا تقره الشريعة؛ فالاستغاثة لا تكون إلا بالله، والهدايا لا تكون إلا للبيت الحرام ولا تذبح إلا عنده، وكان مولانا الإمام الوالد رحمه الله ينهى عن الأكل من الذبائح التي تذبح عند قبور الأولياء.

١٦ - «من قلَّد عالمًا لقِيَ الله سالمًا».

ليس بحديث وليس معناه بصحيح على الإطلاق، فإن من عرف الحكم بدليله لا يجوز له العدل عنه إلى التقليد فإن ما تقلد مع علمه بمخالفته للدليل كان آثما غير سالم.

١٧ - «الجُمُعةُ لمنْ سَبَقَ».

ليس بحديث وإن ذكره كثير من الشافعية بناء على قاعدة مذهبهم.

ذلك أن الجمعة لا يجوز تعددها عندهم كسائر المذاهب الأربعة لكن حدث تعددها ببغداد في أواخر المائة الثاني للهجرة، والناس في المشرق يصلون الجمعة في جميع المساجد وقفة واحدة عند آذان الظهر على خلاف ما عندنا بالمغرب وقرَّر الشافعية أنَّ الجمعة الصحيحة هي التي يسبق إمامها بتكبيرة

الإحرام وما عداها باطل ولم يعتبروا الجامع العتيق كما اعتبره المالكية فلهذا قالوا: «الجمعة لمن سبق»، أي بتكبيرة الإحرام. ومع أن تعدد الجمعة بدعة دعت إليه الحاجة أو الضرورة أضيف إليها بالمغرب بدع أخرىٰ:

منها: صلاتها بالمساجد مرة بعد مرة علىٰ التعاقب والتوالي.

ومنها: الآذان ثلاث مرات عند صعود الخطيب علىٰ المنبر وهذه البدعة أنشأها ابن حبيب بسبب غلطة في فهم الحديث كما قال ابن العربي.

ومنها: قراءة القرآن أو دلائل الخيرات في المساجد جهرًا وفيه تشويش.

ومنها: رواية الحديث بين يدي الخطيب.

ومنها: الشخص الذي يمشي أمام الخطيب ويناوله العصا بعد الأذان.

ومنها: قعود الخطيب في المقصورة ويحرم نفسه من ثواب المكث في المسجد وهو ثواب كبير.

ومنها: أن بعض الأئمة يخطب الجمعة ويصليها مرتين في مسجدين وهذه البدع لا توجد في البلاد الإسلامية غير المغرب.

١٨ - «من تعلَّم لغة قومٍ أمن مكرَهم».

ليس بحديث، لكن ثبت أن النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أمر زيد بن ثابت بتعلم لغة اليهود لأنه لا يأمنهم علىٰ كتبه.

وتعلم اللغات الأجنبية واجب كفاية لأنه وسيلة إلىٰ واجبات كفاية، وما أدَّىٰ إلىٰ الواجب فهو واجب.

ومنها: تبليغ الدعوة الإسلامية إلىٰ غير المسلمين.

ومنها: معرفة ما يكتبه المستشرقون من مطاعن في الإسلام والردِّ عليهم.

ومنها: معرفة ما استحدث عند الأجانب من علوم وصناعات نافعة في شئون الحياة المختلفة، لكن مع المحافظة على اللغة العربية والتمكن منها وجعلها لغة رسمية لكلِّ بلد إسلامي لأنه لغة القرآن.

وكان عمر إذا سمع شخصًا يرطن أخذ بعضده وقال له: ابتغ إلى العربية سبيلًا، وأحيانًا كان يعلوه بالدِّرة.

ذلك أن الرطانة بين مسلمين في بلد إسلامي لا معنى له إلا الاستخفاف باللغة العربية ونقص قدرها وتلك خطة سوء يستحق صاحبها التأديب.

١٩- «الفتنةُ نائمةٌ لعنَ اللهُ من أيقَظَها».

رواه الرافعي في "تاريخ قزوين" عن أنس وهو حديث موضوع.

٢٠- «مَنْ عرفَ نفسَه عرفَ ربَّه».

كلام يحيى بن معاذ الرازي وليس بحديث، وللحافظ السيوطي جزء اسمه: "القول الأشبه في حديث من عرف ربَّه" بيَّن فيه أنه ليس بحديث وذكر في معناه أقوالًا.

٢١- «النَّاسُ هلْكى إلا العالمون، والعالمون هلكى إلا العاملون، والعاملون هلكى إلا المخلصُون، والمخلصون على خَطَرٍ عظيمٍ».

ذكره الكفراوي في "شرح الآجرومية" وهو كلام سهل بن عبد الله التستريِّ وليس بحديثٍ، ونصب المستثنى بعد الكلام التام الموجب واجب في اللغة الفصحى ويجوز رفعه على الاتباع كما هنا ومنه قراءة ابن مسعودٍ وأبي والأعمش: ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُم﴾ [البقرة: ٢٤٩] بالرفع وهي قراءة شاذة.

٢٢- «علماءُ أمَّتي كأنبياءِ بني إسرائيل».

حديث موضوع وإن ذكره ابن العربي الحاتمي في "الفتوحات المكية".

٢٣- «ذِكرُ الصَّالحين كفَّارةٌ».

ذكره الديلمي في "الفردوس" وهو موضوع.

٢٤- «مَنْ قرأ القُرآن مَعْكوسًا أُلْقِي في النَّارِ مَنْكُوسًا».

لا أصل له، لكن لا يجوز قراءة آيات القرآن على عكس ترتيبها في المصحف كما يفعل كثير من القراء فإن أحدهم إذا أراد أن تقضى حاجته فورًا يقرأ (سورة يس) من آخرها بأن يقول: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٨٣]، ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، ويستمر في تنكيسه حتى يختم بقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يس: ٣ - ٤]، ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يس: ١ - ٢].

يزعمون أن قراءة (يس) بهذا التَّنكيس تسرع بإهلاك العدوِّ وبقضاء الحاجات وكذبوا فيما زعموا.

ويظهر أنَّ الشيطانَ أوحى لهم بهذه الفكرة الخبيثة ليحرِّفوا كلام الله ويفسدوا نظمه ومعناه، ومن المقرَّر بإجماع المسلمين أن ترتيب الآيات في كلِّ سورة بأمر من الله تعالى لنبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

فمن نكس (سورة يس) أو غيرها أتى كبيرة من الكبائر لأنه حرَّف ما أمر الله بترتيبه، وأفسد معنى السورة وتقرَّب إلى الله بعبادةٍ باطلةٍ، وأوهم من لا يعلم أن السورة أنزلت منكَّسة.

وحديث: «يس لما قُرِئتْ لهُ». ليس له أصل وإن اشتهر بين الناس.

٢٥- «المؤمنُ حُلوٌ يحبُّ الحلاوةَ». ليس بحديث.

هذا، ومن الكتب التي تكثر فيه الأحاديث الموضوعة:

١- كتاب "إحياء علوم الدين" للإمام الغزالي لأن بضاعته في الحديث مُزْجاة كما قال عن نفسه.

ولقد خرج أحاديثه الحافظ العراقي غير أنه كثيرًا ما يطلق الضعيف على الموضوع باعتباره نوعًا منه فيشتبه الأمر على من لا يعرف ذلك، وعقد التاج السبكي في "طبقات الشافعية" فصلًا أورد فيه الأحاديث التي لم يجد لها إسنادًا وهي في "الإحياء".

٢- وكتاب "الكنز المدفون والفلك المشحون" للشيخ يونس السيوطي المالكي من تلامذة الذهبي ونسبته للحافظ السيوطي غلط.

كما نسب إليه كتاب "الرحمة في الطب والحكمة" غلطًا وليس هو له، بل هو تأليف الحكيم المقري مهدي الصبري.

٣- وكتاب "نزهة المجالس" للصفوري وقد أنكر المحدث برهان الدين الناجي على مؤلفه إيراد تلك الأحاديث الموضوعة في كتابه وبعث بها إلى الحافظ السيوطي يسأله عنها فخرج واحد وأربعين منها وهي ما بين واهٍ وموضوع. ثم قال: وما عدا ذلك من الاحاديث المسؤول عنها فمقطوع ببطلانه.

٤- وكتاب "الروض الفائق في المواعظ والرقائق" للشيخ شعيب الحريفيش.

٥- وكتاب "نور الأبصار" للشِّبْلَنجي نسبة إلى شبلنجة بكسر الشين وسكون الموحدة وفتح اللام وسكون النون، قرية بمحافظة القليوبية بمصر.

وفي هذا الكتاب مما يجب التنبيه عليه:

الحكاية المنقولة عن الشيخ أحمد الرفاعي أنه لما حج وزار الروضة الشريفة وأنشد البيتين المشهورين: في حالة البعد روحي كنت أرسلها...إلخ؛ خرجت اليد الشريفة من القبر فقبلها والناس ينظرون.

وحكى صاحب الكتاب رواية تقول أن هذه الحكاية وقعت للشيخ علي الرفاعي دفين القاهرة وهو مشهور بين العامة بأبي شُبَّاك استنادًا إلى هذه الحكاية، وهي حكاية باطلة مكذوبة لا يجوز ذكرها إلا مع التنبيه عليها وهي مندرجة في الكذب على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

ورأيت رسالة منسوبة للسيوطي في تأييد وقوع هذه الحكاية الباطلة.

٦- وكتاب "التحفة المرضية"، وقد خرج أحاديثه شقيقنا أبو الفيض رحمه الله.

٧- وكتاب "قصة الإسراء" المنسوبة لابن عبَّاسٍ وهي مكذوبة عليه.

وكذلك التفسير المنسوب إليه لأنه من رواية محمد بن مروان السدي عن الكلبي وكلاهما كذاب.

والكتب المؤلفة في قصة المولد النبوي جُلُّها يشتمل على روايات مكذوبة وفيها مع ذلك مجازفات يجِلُّ مقام النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عنها، وقراءتها في ليلة المولد لا تجوز لأن فيها مدح الجناب النبويِّ بالكذب وهو حرام.

٨- وكتاب "دقائق الأخبار في ذكر الجنة والنار" ليس فيه صحيح إلا البسملة في أوله.

٩- وكتاب "ينابيع المودة في فضل أهل البيت" مملوء بالموضوعات.

١٠- وكتاب "خزينة الأسرار" كذلك.

وبقيت كتب أخرى ننبه عليها في مناسبة تالية بحول الله تعالى.

٢٥- أحاديث موضوعة(٢)[١]

في العدد رقم (٧) من سنة المجلة الحالية قدمنا للقرَّاء جزءًا من الأحاديث التي لم تصح نسبتها إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وقد يكون بعضها صحيحًا عن الصحابة، أو التابعين، أو بعض الأئمة من السلف وهي على كل حال تُعد من قبيل الموضوع؛ لأنها لم تثبت عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

وها نحن نقدِّم للقرَّاء الجزء الثاني من هذه الأحاديث برًّا بوعدنا مراعين فيه جانب الاختصار مع الإفادة[٢].

١- «إذا ثبتت المحبَّةُ سقطتْ شروطُ الأدبِ»: قال الحافظ السخاوي ليس بحديث.

٢- «اغتسِلُوا يومَ الجُمُعة ولو كأسًا بدينار»: روي عن أنس من كلامه، وفي إسناده راوٍ كذاب، ولكن غسل الجمعة مع هذا سنَّة مؤكدة لا ينبغي تركها بل قال جماعة الصحابة بوجوب غسل الجمعة لحديث: «**غُسلُ الجُمُعة واجبٌ على كلِّ مُحتَلم**» وأول الجمهور الوجوب في هذا الحديث بتأكيد السنية واستدلوا على تأويلهم بحديث آخر جاء فيه: «**مَنْ توضَّأ يومَ الجُمُعة فبِها ونعمتْ ومَن اغتَسلَ فالغُسلُ أفضلُ**». وناقشهم القائلون بالوجوب بما لا يحتمله هذا المكان.

---

(١) الشرق العربي، السنة الثالثة، العدد ٢٨، ٢٣ صفر ١٣٦٨ هـ.

(٢) من المجلة.

٣- «آخرُ ما تكلَّم به إبراهيمُ حينَ أُلقي في النَّار حَسْبي اللهُ ونعمَ الوكيلُ»: هو من كلام ابن عبَّاسٍ وليس بحديث مرفوع إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

٤- «أنفِقْ ما في الجَيْبِ، يأتيكَ ما في الغَيْبِ»: ليس بحديث، لكن قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

وروى الطبراني وغيره: أن النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عاد بلالًا في بيته فجاء سائل يسأل فردَّه بلال ولم يعطه شيئًا فنظر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى جانب البيت فإذا فيه صبرة من تمر فاستنكر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على بلال أن يرد السائل وعنده هذا التمر فقال يا رسول الله: هذا تمر أعددته لفطري فإني صائم فقال النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أنفقْ بلالًا ولا تخشَ من ذي العرشِ إقلالًا**».

٥- «ارحموا من النَّاس ثلاثةً: عزيزَ قومٍ ذَلَّ وغنيَّ قومٍ افتقَرَ وعالمًا بين جُهَّال»: أورده ابن الجوزي في "الموضوعات".

٦- «اتَّقُوا البرْدَ فإنَّه قتلَ أخاكُم أبا الدَّرداء»: حديث باطلٌ.

٧- «تزوَّجُوا فقراءَ يغنِكم الله»: قال ابن مشحم في "النوافح العطرة في الأحاديث المشتهرة": «يدور على ألسنة العوامِّ ومعناه صحيح».اهـ

أي: لقوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ﴾[النور: ٣٢].

٨- «**تفكُّرُ ساعةٍ خيرٌ مِن عِبادةِ سَنةٍ**». لم يثبت مرفوعًا ونسب إلى ابن عبَّاسٍ، وأبي الدرداء والصحيح أنه من كلام السري السقطي أستاذ الجنيد.

٩- «حُبُّ الدُّنيا رأسُ كلِّ خَطِيئةٍ»: من كلام مالك بن دينار الزاهد المعروف ونسب إلى عيسى عليه السلام«حسناتُ الأبرار سيِّئاتُ المقرَّبين» ليس بحديث كما قال الحافظ السخاوي في "المقاصد الحسنة".

١٠- «حدِّثوا النَّاس بما يعرفُون أتريدون أن يُكذَّب اللهُ ورسولُه». هو من كلام علي عليه السلام

١١- «الحزمُ سُوءُ الظَّنِّ». وفي لفظ: «إنَّ مِن الحزْمِ سوءَ الظَّنِّ»: من كلام عمر رضي الله عنه وروى عن علي أيضًا «الحيُّ أفضلُ من الميِّتِ» كلام يدور على ألسنة العوام وهو باطل مبنى ومعنى.

١٢- «حبُّ الوَطنِ مِنَ الإيمانِ»: ليس بحديث وللصوفية في شرح معناه بحث طويل لا يتسع المقام لذكره.

١٣- «خابَ قومٌ لا سفِيهَ لهم»: قال الحافظ السخاوي هو من كلام ابن مكحول التابعي المشهور.

١٤- «خيرُ البرِّ عاجِلُهُ»: رُوي عن ابن عبَّاسٍ من قوله: «خيرُ الأمورِ أوْساطُها» رواه ابن جريرٍ في تفسير من كلام مطرف بن عبدالله، ومن كلام يزيد بن مرة الجعفي...

١٥- «الخيَرةُ فيما اختارهُ الله»: وكذلك «الخيرة في الواقع» ليسا بحديثين.

١٦- «دارِهِمْ ما دُمتَ في دارِهم»: ليس بحديث.

١٧- «الرُّجوعُ إلى الحقِّ خيرٌ من التَّمادي في الباطِلِ»: من كلام عمر رضي الله عنه.

١٨- «سِياسة النَّاس أشدُّ من سياسة الدَّوابِّ»: من حكم الإمام الشافعي.

١٩- «سؤر المؤمنِ شِفَاءٌ»: ليس بحديث.

٢٠ «السَّفر يُسفر عن أخلاقِ الرِّجَالِ»: من كلام عمر رضي الله عنه.

٢١- «الصَّبر على المُعسِر صدقةٌ»: ليس بحديث وفي القرآن الكريم: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٠] «عند ذِكرِ الصَّالحين تنزلُ الرَّحمةُ » ليس بحديث وقيل إنه من كلام سفيان بن عيينة.

٢٢- «القلبُ بيتُ الرَّبِّ»: كلام صوفي وليس بحديث.

٢٣- «كلُّ طويلِ اللِّحيةِ قليلُ العقلِ»: ليس بحديث.

٢٤- «كلُّ قصيرٍ فتنةٌ» وكذلك «اتَّقوا شرَّ ما قرُبَ من الأرضِ»: ليسا بحديثين.

٢٥- «كلُّ ناشِفٍ طاهرٌ»: ليس بحديث.

٢٦- «لو كان الأرز رجلًا لكان رجلًا حليمًا»: حديث باطل.

٢٧- «ربيع أمَّتي العنبُ والبِطِّيخُ»: رواه أبو عمرو النوقاني في كتاب "فضل البطيخ" وهو حديثٌ باطلٌ، مع أنه موجود في "الجامع الصغير" للسيوطي.

٢٨- «ما أفلحَ صاحبُ عيال قطُّ»: من كلام سفيان بن عيينة يعني أن العيال تشغل الشخص وتلهيه عن الاتصال بالله.

٢٩- «ما رفع أحدٌ أحدًا فوقَ مقداره إلا واتَّضع عنده بأزيدَ» ليس بحديث.

٣٠- «من مزَح استُخِفَّ به»: من كلام عمر رضي الله عنه.

٣١- «من قال أنا عالمٌ فهو جاهلٌ» من كلام عمر، وللسيوطيِّ في إبطاله

رسالة اسمها "أعزب المناهل في حديث من قال أنا عالم فهو جاهل" وحاصل ما علل به الحديث في هذه الرسالة: أن رفعه وهم من راويه ليث بن أبي سليم فقد كان مختلطًا رفَّاعًا للموقوفات.

٣٢- «ما أفلح سَمينٌ قطُّ»: نسبه القاري إلى الإمام الشافعي .

٣٣- «ما كثُر آذان بلدة إلا قلَّ بردُها»: ليس بحديث قال السخاوي ويروى عن علي يعني من كلامه لكنه لم يصح.

٣٤- «من أحبَّكَ لشيء ملَّكَ عند انقِضائه»: من كلام بعض الحكماء.

٣٥- «من استُرضي فلم يرضَ فهو شيطان» من كلام الإمام الشافعي.

٣٦- «من سلك مسالك التُّهم اتُّهِم»: من كلام عمر رضي الله عنه.

٣٧- «من كتم سرَّه ملَك أمرَه»: من كلام عمر أيضًا.

٣٨- «من لانت كلمته وجبت محبته»: من كلام علي كرم الله وجهه.

٣٩- «من عرف نفسه عرف ربه»: من كلام يحيى بن معاذ الرازي، وللسيوطي في هذا الكلام رسالة خاصة اسمها "القول الأشبه في حديث من عرف نفسه فقد عرف ربه".

٤٠- «من بورك له في شيء فلْيلزمه» من كلام عائشة أم المؤمنين.

٤١- «من أتتْه هديةٌ وعنده قومٌ جلوسٌ فجلساؤه شركاءُ فيها» ذكره ابن الجوزي في الموضوعات والصحيح أنه موقوف على ابن عبَّاسٍ.

٤٢- «ما تبعُد مصرَ عن حبيبٍ» من كلام ذي النون المصري الصوفي الزاهد الشهير.

٢٦- حول الإسراء والمعراج[١]

لا أريد أن أكتب في صميم الموضوع فقد وفَّاه الكتاب والمحاضرون في مقالاتهم ومحاضراتهم ما يستحق من عناية وتمحيص، وبينوا وجه الإعجاز في هذه الآية الكبرىٰ التي اختص الله بها نبيَّه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وإنما أريد أن أنبِّه علىٰ أغلاط وقع فيها معظم المتكلمين في هذا الموضوع إن لم نقل كلهم والذي يحضرني منها الآن ما يلي:

١- يذكرون أن النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان ليلة الإسراء نائمًا في بيت أمِّ هانئ بنت أبي طالب، وربما يزيد بعضهم علىٰ هذا أنها كانت زوجَه وهذا خطأ مزدوج فالنبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان في تلك الليلة نائمًا في المسجد الحرام كما ثبت في "صحيح البخاري"، وأمُّ هانيء لم تكن قط من أمهات المؤمنين؛ نعم عرض عليها النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بعد الهجرة أن تتزوَّجه فاعتذرت بشدة غيرتها فقبل عذرها.

٢- يذكرون أن التحيات التي تقال في تشهد الصلاة شرعت في ليلة المعراج أثناء مراجعة بين الله ونبيِّه وهذا غير صحيح، فالتحيات إنما شرعت بعد الهجرة وكان الناس قبلها يسلمون علىٰ أهليهم وأقاربهم فيقولون السلام علىٰ فلان السلام علىٰ فلان، ثم يخرجون من الصلاة هكذا ثبت في الأحاديث الصحيحة.

٣- يذكرون أن النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عرج به في معراج من

---

(١) الشرق العربي، السنة الثامنة، العدد (٦) ٩ شعبان ١٣٧٢.

ذهب وهذا لم يثبت في شيء من الأحاديث الصحيحة.

٤- يقولون أن النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لما عرج إلى حيث شاء الله استوحش فسمع صوت أبي بكر رضي الله عنه فاستأنس واطمأنَّ.

وهذا غير صحيح، بل هو باطلٌ سندًا ومنكرٌ من جهة المعنى؛ لأن النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لا يستأنس بغير مولاه ولا يستوحش بالقرب من حضرته.

ولهذه المناسبة أذكر أن العلماء قرروا أن ليلة المعراج أفضل الليالي في حق النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لما حصل له فيها من أنواع القرب والاختصاص كما أن ليلة المولد النبويِّ أفضل بالنسبة للأمة.

٥- يذكرون أن جبريل عليه السلام ترك النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حين وصلا إلى سدرة المنتهى، وهذا غير صحيح بل جبريل لم يتركه في تلك الليلة لحظة واحدة كما ثبت في الأحاديث الصحيحة.

٦- يذكرون أن جبريل كان ممسكًا بركاب البراق والنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم راكب وهذا غير صحيح، بل ثبت أنهما كانا راكبين معًا ذهابًا وإيابًا.

هذا ما عنَّ لي أن أثبته من الأغلاط التي ألصقت بهذه الليلة العظيمة ونرجو أن يوفقنا الله إلى كتابة قصة الإسراء والمعراج خالية مما أدرج فيها من الأكاذيب والموضوعات، والله الموفق.

٢٧- الأحاديث الموضوعة في رمضان[١]

فكرت إدارة المجلة بمناسبة شهر رمضان المعظَّم أن تصدر عددًا خاصًا بأحكام الصيام وفضائله وما يتعلق بذلك من مناسبات وتتمات.

وهي فكرة جميلة مجدية تفيد القراء في كثير من النواحي المتعلقة بهذا الشهر المقبل العظيم، وقد عهدت إليَّ الإدارة أن أقوم بقِسط من الواجب في عددها الممتاز فلم أر أحسن من أن أنبِّه على أحاديث موضوعة ليجتنبها القرَّاء إن رأوها في كتاب، أو سمعوها من واعظ مثلًا، ثم أعقبها بذكر أحاديث ضعيفة يجوز العمل بها في مثل هذا الباب باتفاق العلماء إلا من شذ منهم، فإن كان الحديث يقتضي إثبات شيء لا يكتفي فيه بالحديث الضعيف نبَّهت على ذلك، ولم أرَ أن أتعرَّض للأحاديث الصحيحة في هذا الموضوع لأنها- فضلًا عن كونها مشهورةً ذائعةً- سيتناول معظمها إخواني كتاب المجلة بالشرح والتبيين ويستقون من معينها كل على حسب قابليَّته واستعداده، على أنَّ الاعتناء بالأحاديث الموضوعة والضعيفة في حدِّ ذاته مهمٌّ جليلٌ، وقد ثبت عن إسحاق بن راهويه أنه كان يحفظ أربعة آلاف حديث موضوعة، وثبت عن البخاري أنه كان يحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح، وذكر ابن حِبَّان في كتاب "الضعفاء" أنه كتب عن أحمد بن محمد بن عمرو بن مصعب المروزي أكثر من ثلاثة آلاف حديث كلها مقلوبة إلى غير هذا مما يطول تتبُّعه، ولنشرع فيما قصدنا إليه، وبالله التوفيق.

فمن الأحاديث الموضوعة: ما روي عن أنسٍ مرفوعًا: «إذا كان أوَّلُ ليلة

---

(١) مجلة الإسلام، السنة الخامسة، العدد (٣٤) ٢٨ شعبان ١٣٥٥.

من شهر رمضان نادىٰ الجليلُ رضوانَ خازنَ الجنَّةِ، فيقول: لبَّيك ربِّ وسعديك، فيقول: هيِّئ جنَّتي وزيِّنها للصائمين من أمَّة أحمدَ، ولا تُغلقْها عنهم حتَّىٰ ينقضي شهرُهم، ثم ينادي: يا جبريلُ، فيقول: لبَّيك ربِّ وسَعَديك، فيقول: انزِل إلىٰ الأرض فغُلَّ مرَدَة الشَّياطين عن أمَّة أحمدَ لا يُفسِدوا عليهم صِيامهم، ولله في كلِّ ليلةٍ من رمضانَ عند طلوع الشَّمس وعند وقتِ الإفطار عُتَقاءُ يعتقهم من النَّار عبيدٌ وإمَاءٌ، وله في كلِّ سماءٍ ملَك ينادي عرْفُه تحت عرش ربِّ العالمين، ورجلُه في تُخُوم الأرض السابعة، جناحٌ له بالمشرق مُكَلَّل بالمَرجان والدُّر والجَوْهر، وجناحٌ له بالمغرب مُكَلَّل بالمرجان والدُّر والجوهر، ينادي: هل من تائبٍ يُتاب عليه، هل من داعٍ يُستجاب له، هل من مظلومٍ فيُنصَر، هل من مستغفرٍ يُغفر له، هل من سائل يُعطىٰ سُؤلَه، والرَّبُّ تعالىٰ ينادي الشَّهر كلَّه عبيدي وإمائي أبشروا أَوشكَ أن تُرفع عنكم المؤنات وتُفْضوا إلىٰ رحمتي وكرامتي، فإذا كانت ليلةُ القدر ينزل جبريلُ في كَبْكبة من الملائكة يصلُّون علىٰ كلِّ عبدٍ قائمٍ وقاعدٍ يذكرُ الله تعالىٰ، فإذا كان يومُ فِطرِهم باهَىٰ بهم الملائكةَ فيقول: يا ملائكتي ما جزاءُ أجِيرٍ وفَّىٰ عملَه؟ قالوا: جزاؤُه أن يوفىٰ، قال: عبيدي وإمائي قضوا فريضَتي عليهم ثُمَّ خرجوا يعجُّون إليَّ بالدُّعاء، وعزَّتي وجلالي، وكبريائي وعُلُوِّي وارتفاعِ مكاني، لأُجيبُهم اليومَ: ارجِعوا فقد غفرتُ لكم وبدَّلت سيئاتِكم حسناتٍ فيرجِعون مغفورًا لهم».

هذا حديثٌ موضوعٌ، رواه عن أنسٍ ثلاثة كلهم هَلْكَىٰ: أصرم، وأبان، وعباد بن عبدالصمد، وهذا الأخير لم يكتف بهذا القَدْر من الكذب فزاد علىٰ

صاحبيه زيادةً طويلةً أعرضنا عنها اختصارًا.

ومن الأحاديث الموضوعة: ما روي عن أبي مسعود الغفاري أنه سمع النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول وقد أهلَّ رمضان: «لو علِم العبادُ ما رمضان لتمنَّت أمتي أن يكونَ رمضان السنةَ كلّها، فقال رجل من خزاعة حدِّثنا به، قال: إنَّ الجنة تزيَّن لرمضانَ من رأس الحول إلى الحول، حتَّى إذا كان أول يوم من رمضان هبَّت ريحٌ من تحت العرش فصفقت ورق الجنة، فينظر الحورُ العين إلى ذلك فقلْنَ: يا ربِّ اجعل لنا من عبادك في هذا الشهر أزواجًا تقرّ أعيننا بهم، و تقر أعينهم بنا، قال: فما من عبد يصومُ إلا زوِّج زوجة من الحور العين في خيمة من درَّة مجوَّفة مما نعت الله ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢] على كلِّ امرأة منهنَّ سبعون حُلَّةً، ليس فيها حلَّةٌ على لون الأخرى، ويُعطى سبعون لونًا من الطِّيب، ليس منها ريحٌ على ريحِ الآخر، لكلِّ امرأة سريرٌ من ياقوتة حمراء موشَى بالدر، على كل سرير سبعون فراشا بطائنُها من استبرق، وفوق السبعين فراشًا سبعون أريكةً، لكلِّ امرأة منهن سبعون ألفِ وصيفةً، لحاجتها وسبعون ألفِ وصيفٍ مع كلِّ وصيفةٍ صحفةٌ من ذهب فيها لون طعام، يجد لآخر لقمة منها لذة لا يجد لأوَّله، ويعطي زوجها مثل ذلك على سرير من ياقوت أحمرَ عليه سُواران من ذهبٍ موشَى بياقوتٍ أحمرَ، هذا بكلِّ يومٍ صامَ من رمضانَ سوى ما عمل من الحسناتِ».

هذا حديثٌ موضوعٌ في سنده جرير بن أيوب البجلي، قال أبو نعيم: كان يضع الحديث. وأخرجه ابن أبي الصقر الأنباري من حديث أبي شريك

الغفاري، وفي سنده الهيَّاج بن بِسطام وهو متروك.

ومنها: ما روي عن أبي هريرة مرفوعًا: «إذا كان أولُ ليلةٍ من شهر رمضانَ نظر اللهُ إلى خلقِه الصيام، وإذا نظر الله إلى عبدٍ لم يعذِّبه أبدًا، ولله عزَّ وجلَّ في كلِّ يوم ألفُ ألفِ عتيقٍ من النَّار، فإذا كان ليلةُ النِّصفِ من شهر رمضانَ أعتَق الله فيه مثلَ جميعِ ما أعتقَ، وإذا كان ليلةُ خمسٍ وعشرين أعتق الله فيها مثلَ جميعِ ما أعتق، وإذا كانت ليلة تسعٌ وعشرين أعتق فيها مثلَ جميعِ ما أعتق في الشَّهر كلِّه، وإذا كانت ليلةُ الفطر ارتجَّت الملائكة وتجلَّى الجبَّار تعالى بنوره مع أنَّه لا يصفُه الواصفُون، فيقول للملائكةِ وهم في عيدِهم من الغد يوحى إليهم: يا معشرَ الملائكةِ ما جزاءُ الأجير إذا وفَّى عمله؟ فتقول الملائكة: يوفَّى أجرَه. فيقول الله تعالى: أشهدكم أني قد غفرتُ لهُم». هذا حديث موضوع في سنده عثمان بن عبد الله القرشي هو المتهم به وقد كان وضَّاعًا.

ومنها: ما روي عن أنس مرفوعًا: «أنَّ الله تعالى أوحى إلى الحفَظة ألَّا تكتُبوا على صُوَّام عبيدي بعدَ العصْرِ سيِّئةً». هذا حديث موضوع، وضعه إبراهيم ابن عبد الله المخرمي الدقاق كما قاله الدارقطني.

ومنها: ما روي عن أنس مرفوعًا: «لو أنَّ الله عزَّ وجلَّ أذِن للسماوات والأرض أن تتكلَّم لبشَّرت الذي يصومُ شهر رمضان بالجنَّة». وضعه أبو هدبة وسرقه منه أبو هرمز.

ومنها: ما روي عن أنس مرفوعًا: «إنَّ لله تعالى في كل ليلة من رمضان ستَّمائة ألف عتيقٍ من النَّار كلُّهم قد استوجبوا النَّار». هذا الحديث بهذا اللفظ موضوع، وآفته أزور بن غالب، وللحديث طرق واهية في بعض ألفاظها

ركاكة بيِّنة.

والصحيح من ذلك عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ لله عزَّ وجلَّ عتقاءَ عند كلِّ ليلةٍ من رمضان**».

ومنها: ما روي عن أبي أمامة وواثلة وعبد الله بن بشر، سمعوا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «إنَّ الجنة لتزيَّن من الحول إلى الحول لرمضان، من صان نفسَه ودينه في شهر رمضان زوَّجه الله من الحور العين، وأعطاه قصرًا من قصور الجنة، ومن عمل سيئة أو رَمى مؤمنًا ببهتان أو شرب مسكرًا في شهر رمضان أحبط الله عمله سنةً». ثم قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «اتَّقُوا شهر رمضان لأنَّه شهر الله، جعل الله لكم أحد عشر شهرًا تشبعون فيها وتروون، وشهر رمضان شهر الله فاحفَظوا فيه أنفسَكم». هذا بهذا اللفظ موضوع في سنده محمد بن إسحاق الأسدي كذاب.

وقد صحَّ عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا: «**مَن صامَ رمضانَ وعرفَ حُدودَه وتحفَّظ ما ينبغي له أن يتحفَّظ كفر ما قبله**».

وصحَّ عن أبي هريرة مرفوعًا: «**مَن لم يَدَعْ قولَ الزُّورِ والجهلَ والعملَ به فليس لله حاجةٌ في أن يدع طعامَه وشرابَه**».

وعنه أيضًا مرفوعًا: «**ليس الصيامُ من الأكل والشرب، إنَّما الصيام من اللغو والرَّفَث**» الحديث.

وصحَّ عن ابن عمر مرفوعًا: «**ما من أحد يشربُها -يعني: الخمر- فتقبَل له صلاةٌ أربعين ليلة ولا يموت وفي مثانَته منها شيء إلا حرمت بها عليه الجنة، فإن مات في أربعين ليلة مات ميتة جاهليَّة**».

ومن الأحاديث الموضوعة: ما روي عن الحسين بن عليٍّ عليهما السلام عن أبيه مرفوعًا: «من اعتكف عشرًا في رمضان عدلْنَ حَجَّتين وعُمرتين». هذا موضوع وآفته عنبسة بن عبد الرحمن القرشي كان يضع.

ومنها: ما روي عن أبي هريرة مرفوعًا: «من صام رمضان في إنصاتٍ وسكون وكفَّ سمعه وجوارحه من الحرام والكذب اقترب الله عزَّ وجلَّ منه يوم القيامة حتىٰ تمسَّ ركبتُه ركبةَ إبراهيمَ عليه السلام». هذا موضوع، في سنده السري بن سهل متَّهم بالوضع.

ومنها: ما روي عن أنس مرفوعًا: «من أفطر علىٰ تمرةٍ من حلال زِيد في صلاته أربعمائة صلاةٍ». موضوع، في سنده موسىٰ الطويل يضع.

ومنها: ما روي عن أنس مرفوعًا: «من تأمَّل خلقَ امرأةٍ حتىٰ يتبيَّن حجم عظامها ورأىٰ ثيابَها وهو صائم فقد أفطرَ». في سنده الحسن بن علي العدوي وشيخه خراش بن عبد الله وهما كذابان.

ومنها: ما روي عن جابر مرفوعا: «من أفطر يومًا في شهر رمضان في الحضر فلْيهد بدنةً، فإن لم يجد فلْيطعم ثلاثين صاعًا من تمر المساكين». في سنده مقاتل بن سليمان كذاب.

ومنها: ما روي عن أنس مرفوعًا: «تدرون لم سمِّي رمضان لأنه ترمضُ فيه الذُّنوب، وإن في رمضان ثلاثَ ليال من فاتته فاته خيرٌ كثيرٌ ليلة سبعة عشر، وليلة تسعة عشرة، وليلة إحدىٰ وعشرين، وآخر ليلة فقال: يا رسول الله هي سوىٰ ليلة القدر؟ قال: نعم، ومن لم يغفر له في شهر رمضان ففي أيِّ شهر يغفر له؟!» فيه زياد بن ميمون كذاب .

ومنها: ما روي عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا: «إذا كان أول ليلة من رمضان فتحت أبواب السماء فلا يغلق منها باب حتىٰ يكون آخر ليلة من رمضان، وليس عبد مؤمن يصلي في ليلة إلا كتب الله له ألفًا وخمس مائة حسنة بكلِّ سجدة، وبنىٰ له بيتًا في الجنة من ياقوتة حمراء لها ستُّون ألف باب لكلِّ باب منها قصر من ذهب، مُوشَّحٌ بياقوتة حمراء، فإذا صام أول يوم من رمضان غفر له ما تقدم من ذنبه إلىٰ مثل ذلك اليوم من شهر رمضان، واستغفر له كل يوم سبعون ألف ملك من صلاة الغداة إلىٰ أن توارتْ بالحجاب، وكان له بكل سجدة يسجدها في شهر رمضان بليل أو نهار شجرة يسير الراكب في ظلها خمس مائة عام».

ومنها: ما روي عن ابن عبَّاسٍ: أنه سمع النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «إن الجنة لتبختَر وتزيَّن من الحول إلىٰ الحول لدخول شهر رمضان، فإذا كانت أول ليلة من شهر رمضان هبَّت ريح من تحت العرش يقال لها المثِيرة، فتصفق ورق أشجار الجنان وحِلَق المصاريع فيُسمع لذلك طنينٌ لم يسمع السامعون أحسن منه».

وذكر حديثًا طويلا أورده في "الترغيب والترهيب" بتمامه، وقال: «ليس في إسناده من أجمع علىٰ ضعفه».

وهو موضوع بلا شك، غير أني لست أدري الآفة فيه من أي رواته؟ ثم أغلب ألفاظه مأخوذ من حديث الهياج بن بسطام فلعل أحد رواته سرقه منه وزاد فيه، والمتروكون يسرق بعضهم أحاديث بعض.

ومنها: ما روي عن أنس مرفوعًا: «خمس يُفطرن الصائم ويَنقضن

الوضوء: الكذب، والنميمة، والغيبة، والنظر بشهوة، واليمين الكاذبة». موضوع، في سنده كذاب وثلاثة مجروحون.

ومنها: ما روي عن أنس مرفوعًا أيضًا: «تدرون لم سمي شعبان؟ لأنه يتشعَّب فيه لرمضان خير كثير، وإنما سمي رمضان لأنه يرمض الذنوب أي: يذيبُها من الحر». موضوع وضعه زياد بن ميمون.

وفي هذا القدر كفاية، وسنتكلم على الأحاديث الضعيفة في العدد الآتي إن شاء الله تعالى، وبالله التوفيق.

٢٨- أحاديث موضوعة تختص بشهر رمضان والصيام[١]

هذه بعض أحاديث وضعها الوضَّاعون في فضل شهر رمضان المعظَّم أردنا أن نتحف القرَّاء ببيانها خدمة للعلم وقيامًا ببعض الواجب في نفي الكذب عن أحاديث رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فنقول وبالله التوفيق.

منها: حديث أبي هريرة مرفوعًا: «من صام رمضان في إنصات وسكون وكف سمعه وجوارحه من الحرام والكذب، اقتراب الله عزَّ وجلَّ منه يوم القيامة حتى تمس ركبته ركبة إبراهيم عليه السلام».

رواه الديلمي في "مسند الفردوس" وفي سنده السري بن سهل عن عبدالله بن رشيد، قال البيهقيُّ: «لا يحتج به ولا بشيخه».اهـ، وقال الحافظ السيوطي في "ذيل اللآلي": «السري بن سهل متهم».

ومنها حديث أنس مرفوعًا: «تدرون لم سمي شعبان لأنه يتشعب فيه لرمضان خير كثير، وإنما سمى رمضان لأنه يرمض الذنوب أي يذيبها من الحر». رواه أبو الشيخ في كتاب "الثواب"، وفي سنده زياد بن ميمون كان كذابًا اعترف على نفسه بالوضع وتاب ثم نقض التوبة وعاد إلى التحديث بالموضوعات.

وروى الصباح بن سهل وهو ضعيف عن زياد بن ميمون، عن أنس مرفوعًا: «ليس من امرأة تحمِل حملًا إلا كان لها كأجر القائمِ الصائم المخبِت، فإذا وضعت كان لها بكلِّ رضعة عتق رقبة، والرجل إذا جامع زوجته واغتسل باهى الله به الملائكة». هذا من كذب زياد.

---

(١) مجلة الشرق العربي، السنة الثالثة، العدد (٧) سنة ١٣٦٧.

ومنها: حديث أنس مرفوعًا: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان نادىٰ الجليل رضوان خازن الجنة فيقول: لبيك وسعديك فيقول هيئ جنتي وزينها للصائمين من أمة أحمد ولا تغلقها عنهم حتىٰ ينتهي شهرهم...» وذكر حديثًا طويلًا.

رواه ابن حِبَّان في كتاب "الضعفاء" من طريق أصرم بن حوشب قاضي همدان وقال: «كان يضع الحديث علىٰ الثقات».

ورواه العقيلي في "الضعفاء" من طريق عباد بن عبد الصمد عن أنس، وعباد واه، ومن عجيب أمره أنه شيعي بصري مع أن أهل البصرة يغلب عليهم الانحراف عن أهل البيت كأهل الشام والأندلس.

ورواه أيضًا الديلمي من طريق أبان عن أنس به، وأبان هو ابن أبي عياش متروك الحديث وإن كان في نفسه رجلًا صالحًا.

ومنها: حديث أنسٍ مرفوعًا: «إن الله تبارك وتعالىٰ ليس بتارك أحد من المسلمين صبيحةَ أوَّل يومٍ من شهر رمضان إلا غَفر له». رواه الخطيب في "التاريخ" من طريق سلام الطويل عن زياد بن ميمون عن أنس، وسلام متروك، وزياد كذاب.

ومنها: حديث أبي مسعود الغفاري قال: سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ذات يوم وأهل رمضان فقال: «لو يعلم العباد ما رمضان لتمنت أمتي أن تكون السَّنةُ كلُّها رمضانَ». فقال رجل من خزاعة: يا نبي الله حدثنا فقال: «إن الجنة لتزين لرمضان من رأس الحول إلىٰ الحول فإذا كان أول يوم من رمضان هبت ريح من تحت، فصفقت ورق أشجار الجنة» وذكر بقية الحديث.

وهو بتمامه في كتاب "الترغيب والترهيب" للحافظ المنذري، رواه أبو الشيخ وأبو يعلىٰ وابن خزيمة والبيهقي، وفي سندهم جميعًا جرير بن أيوب البجلي؛ واه. قال أبو نعيم كان يضع الحديث.

وأسند الذهبي في "الميزان" من طريق جرير هذا عن محمد بن أبي ليلىٰ، عن محمد بن أبي إسحاق، عن مسروق، عن عائشة مرفوعًا: «ما من عبد أصبح صائمًا إلا فتحت له أبواب السماء وسبَّحت أعضاؤُه واستغفر له أهل السماء الدنيا إلىٰ أن تتواريٰ بالحجاب، فإن صلىٰ ركعة أو ركعتين تطوُّعًا أضاءت له السموات نورًا وقال أزواجه من الحور العين: اللهم اقبضْه إلينا فقد اشتقنا إلىٰ رؤيته وإن هلَّل أو سبح تلقاها سبعون ألف ملك يكتبونها إلىٰ أن تتواريٰ بالحجاب». ثم قال الذهبي: «هذا موضوع علي ابن أبي ليلىٰ» يريد بذلك أن ابن أبي ليلىٰ وإن كان ضعيفًا فإنه لا يحتمل مثل هذا الحديث البين النكارة.

ومنها: حديث أنس مرفوعًا: «إن لله تعالىٰ في كلِّ ليلة من رمضان ستمائة ألف عتيق من النار كلُّهم قد استوجبوا النَّار». رواه ابن حِبَّان في "الضعفاء" وقال: «باطل لا أصل له».

قلت: لأن في سنده الأزور بن غالب منكر الحديث. ومن بلاياه ما رواه عن سليمان التميمي عن ثابت عن أنس مرفوعًا: «لله في كل يوم جمعة ستمائة ألف عتيق من النار».

وفي هذا القدر كفاية ولعلنا نعود إلىٰ بقية الأحاديث الموضوعة نبينها بحول الله.

٢٩- الأحاديث الضعيفة في رمضان[١]

انتهينا في العدد الماضي مما أردنا ذكره من الأحاديث الموضوعة في فضل رمضان، ونريد أن نثبت في هذا العدد ما تيسر من الأحاديث الضعيفة على نمط ما سبق، وبالله التوفيق.

فمنها: ما رواه البزار، والطبراني في "الأوسط"، والبيهقي في "شعب الإيمان" عن أنس: أن النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان إذا دخل رجب قال: «**اللهم باركْ لنا في رجب وشعبان، وبلِّغنا رمضان**». ضعفه البيهقي لأن في سنده زائدة بن أبي الرقاد، وهو ضعيف.

ومنها: ما رواه الطبراني في "الكبير" عن ابن عبَّاسٍ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ألا أخبرُكم بأفضلِ الملائكةِ جبريلُ، وأفضلُ النبيين آدمُ، وأفضلُ الأيام يومُ الجمعة، وأفضل الشهور شهرُ رمضانَ، وأفضلُ الليالي ليلة القَدْرِ، وأفضلُ النِّساءِ مريمُ بنت عِمرانَ**». هذا الحديث ضعيفٌ جدًا فيه نافع أبو هرمز.

وقد علم بالدلائل القطعية أن أفضل النبيين والمرسلين هو نبيُّنا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وثبت في صحيح الأدلة أن مريم عليها السلام أفضل نساء عالمها فقط، فلا يشمل ذلك جميع النساء بما فيهن فاطمة عليها السلام، وخديجة وعائشة رضي الله عنهما، وفي أفضلية جبريل على غيره من الملائكة خلاف. والمقصود أن الحديث المذكور ليس مما يعمل به بما فيه له اتصال بالمعتقدات.

---

(١) مجلة الإسلام السنة الخامسة العدد (٣٥) ٦من رمضان ١٣٥٥.

٢١٤ ـــــــ

قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ بِمَكَّةَ فَصَامَهُ وقامَ مِنْهُ مَا تَيَسَّرَ، كَتَبَ الله لَهُ مِائَةَ أَلْفِ شَهْرِ رَمَضَانَ فِيما سِوَاهَا، وَكَتَبَ لَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ عِتْقَ رَقَبَةٍ، وَكُلِّ لَيْلَةٍ عِتْقَ رَقَبَةٍ، وَكُلِّ يَوْم حُمْلاَنَ[1] فَرَسٍ في سَبِيلِ الله، وَفِي كُلِّ يَوْم حَسَنَةً، وَفِي كُلِّ لَيْلَةٍ حَسَنَةً».

تفرَّد به ابن ماجه، وإسناده ضعيف جدًّا؛ لأن فيه عبد الرحيم بن يزيد العمِّي؛ متروك، وكذَّبه ابن معين، عن أبيه وهو ضعيف.

ومنها: ما رواه ابن خزيمة، ومن طريقه البيهقي، عن سلمان الفارسي قال: خطبنا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في آخر يوم من شعبان فقال: «يا أيُّها النَّاس قد أظلَّكم شهرٌ عظيمٌ مباركٌ، شهرٌ فيه ليلةٌ خيرٌ من ألفِ شهرٍ جعل الله صيامَه فريضةً، وقيام ليله تطوُّعًا، من تقرَّب فيه بخصلةٍ كان كمَن أدَّى فريضةً فيما سواه، ومن أدَّى فريضة فيه كان كمن أدَّى سبعين فريضةً فيما سواه، وهو شهرُ الصَّبر والصَّبر ثوابُه الجنَّة، وشهرُ المواساة، وشهرٌ يُزاد في رزق المؤمنِ فيه، من فطَّر فيه صائما كان مغفرةً لذنوبه وعتق رقبته من النَّار، وكان له مثلُ أجره من غير أن يُنتَقص من أجرِه شيءٌ». قالوا يا رسول الله: ليس كلُّنا نجد ما نفطر به الصائم! فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «يعطي الله هذا الثواب من فطَّر صائمًا على تمرة، أو شَربة ماء، أو مَذْقة لبن، وهو شهر أوَّله رحمة، وأوسطُه مغفرة، وآخرُه عتق من النَّار، من خفَّف عن مملوكه فيه غفرَ اللهُ له وأعتقَهُ من النار، فاستكثروا فيه من أربعِ خصالٍ: خصلتين ترضُون بهما ربَّكم،

---

(١) «حُمْلان» بضمِّ الحاء وسكون الميم: أحد مصادر حمل، والمعنى: أنه يكتب له في كل يوم ثواب حمل فرس في سبيل الله، يعني في الجهاد.

٢١٦ ـــــــ

وقال الحافظ الهيثمي في "مجمع الزوائد" إنه لن يجد لخلف أبي الربيع راويًا غير عمرو بن حمزة، كما ذكر ابن أبي حاتم.

قلت: خلف أبو الربيع وإن لم يعرفه أبي حاتم وابن أبي خزيمة فقد عرفه غيرهما وهو خلف بن مهران العدوي أبو الربيع البصري إمام مسجد سعيد بن أبي عروبة، وهو مسجد بني عدي بن يشكر، كذا ذكره الحافظ المزي في "التهذيب".

وقال: روىٰ عن عامر بن عبد الواحد الأحول، وعمرو بن عثمان بن يعلىٰ بن أمية، وعبد الرحمن بن عبد الله الأصم. وعنه حرمي بن حفص بن عمارة، وأبو عبيدة الحداد. وقال: كان ثقة صدوقًا خيِّرًا مرضيًّا. وذكره ابن حِبَّان في "الثقات".

لكن ذكر الحافظ في "تهذيب التهذيب" أن البخاري جعل خلف بن مهران إمام مسجد بني عدي غير خلف أبي الربيع إمام مسجد سعيد بن أبي عروبة، وأن الثاني يروي عن أنس، وروىٰ عنه عمرو بن حمزة القيسي كما قال أبو حاتم، ثم نقل عن البغوي رواية تفيد أنهما واحد لا اثنان.

وأما عمرو بن حمزة القيسي فضعَّفه الدارقطني وغيره، وقال ابن عدي: «مقدار ما يرويه غير محفوظ»، وقال العقيلي: «بصري لا يتابع علىٰ حديثه»، ثم ساق له أحاديث منها الحديث الذي أوردناه، وذكره ابن حِبَّان في "الثقات"، فظهر أنه معروف وأن جهل ابن خزيمة له في غير محله والله أعلم.

ومنها: ما رواه الطبراني في "الأوسط" و"الصغير" عن أم هانئ بنت أبي طالب قالت: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ أمَّتي لم يُخزَوا ما**

أقاموا رمضانَ». قيل: يا رسول الله وما خزيهم في إضاعة شهر رمضان؟ قال: «**انتهاكُ المحارمِ فيه، من زنا فيه أو شَرب خمرًا لعنَه اللهُ ومَن في السَّماوات إلى مثلِه من الحولِ، فإن مات قبل أن يدرَكه رمضانُ فليست له عند الله حسنةٌ يتَّقي بها النَّار، فاتَّقوا شهرَ رمضانَ فإنَّ الحسناتِ تُضاعفُ فيه ما لا تضاعفُ فيما سواه وكذلك السيِّئاتُ**». في سنده عيسى بن سليمان أبو طيبة؛ ضعيف.

ومنها: ما رواه ابن عدي ومن طريقه البيهقي في "السنن" عن أبي هريرة مرفوعًا: «**لا تقولوا رمضان، فإنَّ رمضانَ اسمٌ من أسماءِ الله تعالى، ولكنْ قولوا شهر رمضانَ**». ضعَّفه البيهقي بأبي معشر، ثم قال: وقد قيل عن أبي معشر عن محمد بن كعب من قوله وهو أشبه، ووهم ابن الجوزي حيث ذكره في "الموضوعات"؛ لأن الحديث لم ينته إلى حدِّ الوضع بل هو ضعيف فقط.

نعم، لا يعمل به في إثبات رمضان اسما لله تعالى، لأن أسماء الله تعالى وصفاته توقيفية لا يثبت شيء منها إلا بحديث صحيح، كما تقرر في محله.

ومن هنا يظهر لك خطأ من يزعم أن «آه» اسم من أسماء الله تعالى مستندًا لحديث: «**دعُوه يئِنُّ فإنَّ الأنينَ اسمٌ من أسماءِ الله تعالى يستريحُ إليه العليلُ**». وهذا الحديث رواه الرافعي في "تاريخ قزوين"، والديلمي في "مسند الفردوس" عن عائشة بإسناد فيه راوٍ كذَّاب، فهو حديث واهٍ نازلٌ عن درجة الاحتجاج بالمرة.

ولقد غلط العزيزي في "شرح الجامع الصغير" حيث ادعى أنه حسن لغيره، مع أن عمدته في التصحيح والتحسين غالبا -وهو المناوي- لم يحسِّنه أصلًا لا في شرحه الكبير ولا الصغير، ولا حسَّنه الحافظ السيوطي الذي هو

عمدتهم جميعًا، وكيف يستطيع أن يحسِّنه وفي سنده كذَّاب كما ذكرنا؟

وقد رأيت في العدد (٣٣) فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الرحمن خليفة، ذكر هذا الحديث ونقل من العزيزي في "شرح الجامع الصغير" أنه عزاه للشيخين والترمذي، فتعجبت من هذا العزو جدًّا لعلمي بأن الحديث المذكور لا وجود له في شيء من الكتب الستة البتة، وجزمت بغلط العزيزي لكني لما راجعت شرحه على "الجامع الصغير" وجدته بريئًا من عهدة ذلك العزو إذ لم أجده فيه، وأدركت أن الشيخ عبد الرحمن خليفة حفظه الله انتقل ذهنه من حديث الأنين الواهي إلى حديث: «**دعُوه فإنَّ لصاحبِ الحقِّ مقالًا**». الذي هو -بحقٍّ- في الصحيحين والترمذي كما قال العزيزي، وسبب ذلك الانتقال أن الحديثين ذُكرا في "الجامع الصغير" بإزاء بعضهما جنبًا إلى جنبٍ.

والخلاصة: أنَّ حديث الأنين واهٍ لا يحلُّ الاحتجاج به، وأنَّ عزْوَه للكتب الستة أو بعضها سبقُ قلم ناشئ عن انتقال ذهن ليس غير، وقد جاء ذكر الأنين في حديث آخر ولفظه: «**المريضُ أنينُه تسبيحٌ، وصيامُه تكبيرٌ، ونفَسُه صدقةٌ، ونومُه عبادةٌ، وتقلُّبه من جنبٍ إلى جنبٍ جهادٌ في سبيلِ الله**». ولكنه حديث ليس بثابت كما قال الحافظ، على أن جماعة من السلف كرهوا أنين المريض، منهم طاوس، والفضيل بن عياض، وذو النون المصري، وسفيان الثوري، وأحمد بن حنبل، وبالجملة قلنا: دلائل على إبطال «آه» لسنا بصدد ذكرها الآن، ولعلنا فيما بعد نفردها بكتابة خاصة إن يسر الله ذلك، وبالله التوفيق.

٢٢٠ ـــــــ

يبد من حجة في تفنيد الحديث إلا إطلاق لفظ الروايات عليه حيث قال: «جاء في الروايات...، وتقول الروايات....»، ولعله يعتقد أن إطلاق لفظ «الروايات» عذرٌ كافٍ عند الله في ترك الأحاديث الصحيحة وإهدار جانبها![1].

حياة الخضر:

ثم إن الخضر مُعمَّرٌ محجوبٌ عن الأبصار كما قال الثعلبي في "تفسيره" وقال ابن الصلاح: «هو حي عند جمهور العلماء، والعامة معهم في ذلك، وإنما شذ بإنكاره بعض المحدثين».اهـ وتبعه النووي، وزاد: «أن حياته متفق عليها بين الصوفية وأهل الصلاح، وحكايتهم في رؤيته والاجتماع به أكثر من أن تحصر».اهـ

قال الحافظ: «والذي جزم بأنه غير موجود الآن: البخاري، وإبراهيم الحربي، وأبو جعفر بن المنادي، وأبو يعلى بن الفراء، وأبو طاهر العبادي، وأبو بكر بن العربي، وطائفة، وعمدتهم الحديث المشهور عن ابن عمر وجابر وغيرهما أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال في آخر حياته: «**لا يبقَى على وجهِ الأرضِ بعد مائةِ سنةٍ ممَّا هو عليها اليومَ أحدٌ**». قال ابن عمر: أراد بذلك انخرام قرنه.

وأجاب من أثبت حياته أنه كان حينئذ على وجه البحر، أو هو مخصوص من الحديث كما خص منه إبليس بالاتفاق».اهـ

وبالضرورة لم يقصد الحديث فناء العالم وانقراض الدنيا كما فهم بعض ملاحدة العصر لجهله، وبنى على ذلك أن المحدِّثين يعتمدون على صحة السَّند

---

(١) ومتى رضي المدني وشلتوت عن رسول الله بغير عوض؟!

فقط وإن كان الحديث يخالف الواقع المشاهد، وإنَّما أراد الحديث انقراض ذلك القرن وانقطاع الصحابة، حتىٰ إذا ما ادعىٰ أحدٌ أنه صحابيٌّ بعد المائة الأولىٰ عرفنا أنه كذاب، وقد ادعىٰ صحبةَ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم معمَّرون كذابون، كرَتَن الهندي وأمثاله، فكان هذا الحديث دليلًا علىٰ كذبهم.

رأي ابن حجرٍ:

قال الحافظ في "فتح في الباري": «وقد بين ابن عمر في هذا الحديث مراد النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وأنَّ مراده أن عند انقضاء مائة سنة من مقالته تلك ينخرم ذلك القرن، فلا يبقىٰ أحد ممن كان موجودًا حال تلك المقالة. وكذلك وقع الاستقراء، فكان آخر من ضبط أمره ممن كان موجودًا حينئذ أبو الطُّفيل عامر بن واثلة، وقد أجمع أهل الحديث أنه كان آخر الصحابة موتًا، وغاية ما قيل فيه أنه بقي إلىٰ سنة عشر ومائة وهي رأس مائة سنة من مقالة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، والله أعلم».

قال النووي وغيره: «احتجَّ البخاريُّ ومن قال بقوله بهذا الحديث علىٰ موت الخضر، والجمهور علىٰ خلافه، وأجابوا عنه بأن الخضر كان حينئذ من ساكني البحر، فلم يدخل في الحديث، قالوا: ومعنىٰ الحديث: لا يبقىٰ ممن ترونه أو تعرفونه فهو عام أريد به الخصوص، وقيل احترز بالأرض عن الملائكة، وقالوا: خرج عيسىٰ من ذلك وهو حي، لأنه في السماء لا في الأرض، وخرج إبليس لأنه علىٰ الماء أو في الهواء، وأبعد من قال إن اللام في الأرض عهدية، والمراد: أرض المدينة والحقُّ أنها للعموم، وتتناول جميع بني آدم، وأما من قال: «المراد أمَّةُ محمد، سواء أمة الإجابة وأمة الدعوة، وخرج عيسىٰ والخضر

لأنهما ليسا من أمته» فهو قول ضعيف، لأن عيسى يحكم بشريعته فيكون من أمته، والقول في الخضر إن كان حيًّا كالقول في عيسى والله أعلم».اهـ

وكلام الحافظ ابن حجرٍ نقلته بتمامه لما فيه من الفوائد، والبحوث المتعقلة بالخضر كثيرة نكتفي منها بما كتبناه.

رتبة الخضر: الخضر نبيٌّ، وهو قول أكثر أهل العلم، حكاه عنهم البغوي وابن عطية، وحكاه القرطبي وأبو حيان في تفسيريهما عن الجمهور، وقال الثعلبي: «هو نبيٌّ على جميع الأقوال».

وذهب جماعة من الصوفية إلى أنه وليٌّ، وهو قول أبي القاسم القشيري في "الرسالة"، وبه قال أبو علي بن أبي موسى من الحنابلة، وأبو بكر بن الأنباري في كتابه "الزاهر"، بعد أن حكى عن العلماء قولين، هل هو نبيٌّ أو وليٌّ؟.

وحكى الماوردي قولًا ثالثًا؛ أنه ملك من الملائكة يتصور في صورة الآدميين، وقال الحافظ أبو الخطاب ابن دحية: «لا ندري هل هو ملك، أو نبيٌّ، أو عبد صالح»؟

والصحيح أنه نبيٌّ لأمور:

أحدها: تصريح هذا الحديث الذي نتكلم عليه بنبوته.

ثانيها: أن الله حكى عنه قوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [الكهف: ٨٢] أي: بل فعلته بوحيٍ كما هو الظاهر.

ثالثها: أن موسى عليه السلام ذهب يطلبه ويتعلم منه، وغير النبيِّ لا يكون أعلم من النبيِّ، كيف والنبيُّ يوحى إليه؟

رابعها: أن الخضر عليه السلام خرق السفينة، وقتل الغلام، وهذان أمران

عظيمان لا يمكن أن يقدم عليهما بمجرد الإلهام الذي يلقي في قلوب الأولياء.

خامسها: ما رواه عبد بن حميد من طريق الربيع بن أنس قال: قال موسىٰ لما لقي الخضر: السلام عليك يا خضر، فقال: وعليك السلام يا موسىٰ، قال: وما يدريك أني موسىٰ، قال: أدراني بك الذي أدراك بي.

وقال وهب بن منبه في "المبتدأ": قال الله تعالىٰ للخضر: «لقد أحببتُك قبل أن أخلقَك، ولقد قدَّستك حين خلقتُك، ولقد أحببتُك بعدما خلقتُك».

وروي عن مكحول عن كعب الأحبار قال: « أربعة من الأنبياء أحياء أمان لأهل الأرض؛ اثنان في الأرض: الخضر وإلياس، واثنان في السماء: إدريس وعيسىٰ».

وقال أبو حيان: «والجمهور علىٰ أنه نبيٌّ وكان علمه معرفة بواطن أوحيت إليه، وعلم موسىٰ الحكم بالظاهر».اهـ

ثم كان رسولًا أو لا؟ جاء عن ابن عبَّاسٍ ووهب بن منبه، أنه كان نبيًّا غير مُرسَلٍ وهو قول الجمهور كما تقدم في كلام أبي حيان آنفًا، وجاء عن إسماعيل ابن أبي زياد ومحمد بن إسحاق وبعض أهل الكتاب، أنه أرسل إلىٰ قومه فاستجابوا له، ونصر هذا القول أبو الحسن الرُّماني وابن الجوزي، والأول أصحُّ والله أعلم.

وصية الخضر: قال الطبرانيُّ في "المعجم الأوسط": حدَّثنا محمد بن المعافىٰ: حدَّثنا زكريا بن يحيىٰ الوقار، قال: قرئ علىٰ عبد الله بن وهب، وأنا أسمع: قال الثوري، قال: مجالد، قال: أبو الوداك، قال: أبو سعيد، قال: عمر ابن الخطاب، قال: رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**قال أخي موسى عليه السلام: يا**

رب أرني الذي كنتَ أريتَني في السَّفينة فأوحى الله إليه يا موسى إنَّك ستَراه، فلم يلبثْ إلا يسيرًا حتى أتاه الخضر، وهو فتى طيِّب الرِّيح، حسنُ بياض الثِّياب، مشمِّرها فقال: السلامُ عليك ورحمةُ الله وبركاتُه يا موسى بنَ عِمران، إنَّ ربَّك يقرأُ عليك السلام. قال موسى: هو السَّلامُ وإليه السَّلام ومنه السَّلام، والحمدُ لله ربِّ العالمين الذي لا أُحصي نعمَه ولا أقدر على أداءِ شكره إلا بمعونَته. ثم قال موسى: أريدُ أن تُوصيني بوصيَّة ينفعُني الله بها بعدك.

قال الخضر: يا طالبَ العلمِ إنَّ القائلَ أقلُّ ملالةً من المستمِع، فلا تُمِلَّ جلساءَك إذا حادثْتَهم. واعلم أنَّ قلبَك وِعاءٌ، فانظر ماذا تحشُو به وعاءَك. واعزِفْ عن الدُّنيا وانبُذها وراءَك، فإنَّها ليسَت لك بدارٍ، ولا لك بها محلُّ قرارٍ، وإنما جعلتْ بُلْغةً للعباد، والتزوُّد منها للمعاد. ورِضْ نفسَك على الصَّبر، تخلص من الإثم.

يا موسى تفرَّغ للعلم إن كنتَ تريده، فإنَما العلمُ لمن تفرَّغ له، ولا تكنْ مِكثارًا بالمنطق مِهزارًا، فإنَّ كثرة المنطِق تُشين العلماءَ وتُبدِى مساوي السُّخفاء، ولكن عليك بالاقتصاد فإنَّ ذلك من التوفيق والسَّداد. وأعرْض عن الجهَّال وباطلِهم واحلُمْ عن السُّفهاء، فإنَّ ذلك فضلُ الحكماء وزيْن العلماء، وإذا شتمَك الجاهل فاسكتْ عنه حلمًا وجانبه حزمًا، فإن ما بقي من جهله عليك وسبِّه إياك أكثرُ وأعظم، يا ابن عمران أولا ترى أنك أُوتِيت العلم إلا قليلًا؟، فإن الاندلاس والتعسُّف من الاقتحام والتكلُّف، يا ابن عمران لا تفتحن بابًا لا تدري ما غلقه، ولا تغلقن بابًا لا تدري ما فتحه... إلخ». والحديث مفصل ويعتبر دستورًا في الوعظ والرقائق.

٣١- سبب النبي ونسبه لا ينقطعان
توجيه حديث: «يا فاطمة اعملي»[(١)]

عن جابر أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول حين تزوج ابنة عليٍّ رضي الله عنهما ألا تهنُّوني؟ سمعت رسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**ينقطعُ يومَ القيامة كلُّ سَببٍ ونسَبٍ إلَّا سَبَبي ونسبي**». رواه الطبراني والدارقطني، وقال الحافظ الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح غير الحسن بن سهل وهو ثقة»، وصححه أيضًا التاج السبكي في أول "طبقات الشافعية الكبرى"، وللحديث مع هذا طرق عن عمر، وابن عبَّاسٍ، والمسْوَر بن مَخرمة، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر، وغيرهم.

قوله: ينقطع يوم القيامة كل سبب ونسب لقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠١].

قوله: «**إلا سببي ونسبي**» أي: فإنه موصول غير مفصول وهذا من خصائصه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كما ذكره الحافظ السيوطي في "الخصائص الكبرى" ولهذا حرص عمر بن الخطاب رضي الله عنه على زواج ابنة عليٍّ رضي الله عنهما - واسمها أمُّ كلثوم- ليكون له من رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم سبب صهارة ينال به القرب منه يوم القيامة وفي هذا دليل على فضل أهل البيت وأن نسبهم موصول في الدنيا والآخرة وأن في الانتساب إليهم ومصاهرتهم شرفًا وفضلًا.

وليس بين هذا الحديث وحديث: «**يا فاطمةُ اعملي...**» إلخ تعار ض أصلًا

---

(١) مجلة المسلم، السنة الخامسة، العدد (٢) سنة ١٣٧٤.

كما زعمه الجهلة أعداء أهل البيت النبوي الشريف.

ولفظ هذا الحديث: «**يا فاطمةُ بنت محمَّد سَلِيني من مالي ما شئتِ أنقِذي نفسَكِ من النَّار فإنِّي لا أُغني عنْكِ مِنَ الله شيئًا**». وذا طرف من حديث طويل ثبت في الصحيحين وغيرهما.

وحاصل الجمع بينه وبين حديث الترجمة من وجوه ثلاثة:

الأول: أن هذا الحديث أخبر بالحقيقة فإنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لا يغني عن أحد من الله شيئًا ولا يملك لأهله ولا لغيرهم نفعًا ولا ضرًّا وهذا لا ينافي أن الله يملكه نفع أقاربه وجميع أمته بالشفاعة الخاصة والعامة وقد فعل فأعطاه عدة شفاعات كما ثبت في الأحاديث الكثيرة في الصحيحين وغيرهما فهو لا يملك إلا ما يملكه له مولاه عزَّ وجلَّ وقد ملَّكه الله الشفاعة وغيرها من المكرُمات ذكر هذا المعنى الحافظ المحبُّ الطبري في "ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى".

الثاني: أن هذا الحديث كان قبل أن يعلِّمه الله بأنه ينفع يوم القيامة رحمَه وأقاربَه بالانتساب إليه دون غيره ذكره السيد السمهودي في "جواهر العقدين" ويؤيده أن الحديث ورد عند نزول قول الله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] وكان ذلك بمكة في أوائل بعث النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

الثالث: أن يكون المقصود من الحديث تحذيرهم من الشرك وأنه لا يملك لهم من الله شيئًا إن أشركوا أو استمر من كان منهم مشركًا على إشراكه؛ لأن المشرك لا حظَّ له في الشفاعة. ويؤيد هذا أمور:

أحدها: أن أغلب أقاربه كانوا إذ ذاك مشركين كما يعلم من سبب ورود الحديث

ثانيها: أنه وجَّه الخطاب إلى جميع أقاربه مؤمنيهم ومشركيهم فوجب أن يكون على وتيرة واحدة من التحذير من الشرك كما هو واضح.

ثالثها: ما ثبت في الصحيح في قصة وفاة أبي طالب أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال له: «**أيْ عمّ قل لا إله إلا الله كلمة أحاجُّ لك بها عند الله**».

فأفاد هذا الحديث أنه يملك نفعه ويحاج عنه إذا هو مات على التوحيد.

وقد روى أحمد، والحاكم، والبيهقي، من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل، عن حمزة بن أبي سعيد الخدري، عن أبيه قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول على المنبر: «**ما بالُ رجالٍ يقولون إنَّ رحمَ رسولِ الله لا تنفعُ قومَه يومَ القيامة؟! بلى والله إنَّ رحمي موصولةٌ في الدنيا والآخرة وإنِّي أيُّها الناس فرَطٌ لكم على الحوْضِ**».

فهذا الحديث ورد بالمدينة وقد أنكر فيه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على من زعم أنه لا ينفع رحمه ولا يملك الشفاعة لهم وقرر أنَّ رحمه موصولة في الدنيا والآخرة وأنه بجانب هذا ينفع أمته أيضًا حيث يكون فرطًا لهم الحوض وهذا يؤيد ما قررناه والحمد لله.

٣٢- حديث: «حياتي خير لكم...» ورد من نحو عشرين طريقا[١]

معروف أن المتسلِّفة يتميزون عن جمهور المسلمين بأشياء؛ منها ادعاؤهم أنهم يعلمون بالسنة في الوقت الذي يخاصمون فيه صاحب السُّنة، ويكاد أحدهم أن تتفجَّر جوانبه غيظًا وحقدًا كلما ذكرت لرسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم خصيصة، فترى أحدهم وقد ركب رأسه وراح يدفع هذه الخصيصة الماجدة عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كأنما يدفع عنه سُبَّة أو مهانة، وإذا أردت أن ترى الذي يتخبَّطه الشيطان من المسِّ فاقرأ على أحدهم حديث: «**حياتي خيرٌ لكم**» فسوف ترى عجبًا أيَّ عجب!!

مع أن دنيا المسلمين مفعمة بما يُسيل دم العين ودم القلب، ولكن واحدًا من المتمسلفة لا يعنيه هذا بمقدار ما يعنيه أن ينفي ما في حياة الرسول وموته من خصائص ذاتية ومن خير للمسلمين بل وغير المسلمين، فاسمع تحقيق صحة هذا الحديث بمناسبة المولد النبوي الشريف[٢].

حديث: «**حياتي خيرٌ لكم تحدِثُون ويُحدَثُ لكم ومماتي خيرٌ لكم تُعرضُ علي أعمالُكم فما رأيتُ من خيرٍ حمدتُ الله، وإن يكُ سوى ذلك استغفرتُ لكُم**».

يقول المضللون كذبًا وزورًا: وإن اشتهر على ألسنة كبار الناس وصغارهم فقد خلت منه جميع كتب السُّنَّة.

ويقولون: ومع هذا فالذي رواه وقفه على بكر بن عبد الله المزني وهو تابعيٌّ مشهورٌ، ومع ذلك لم يذكر فيه الصحابيَّ أحدٌ من رواة السُّنة لا في

---

(١) المسلم السنة الخامسة العدد (٨) محرم ١٣٧٥.

(٢) هذه الديباجه من المجلة.

٢٣٠ ـــــــ

«حياتي خير لكم تُحدِثون ويُحدَث لكم، فإذا أنا مِتُّ كانت وفاتي خيرًا لكم؛ تعرض عليَّ أعمالكم فإن رأيتُ خيرًا حمدت الله، وإن رأيت غيرَ ذلك استغفرتُ الله لكم».

قال الحافظ العراقي في "المغني": «إسناده ضعيف لضعف خراش».اهـ

قلت: لكن له طريق آخر، قال الحافظ أبو نصر الحسن بن محمد بن إبراهيم اليونارتي الأصبهاني في "معجمه": سمعت الشريف واضح بن أبي تمام الزينبي يقول: سمعت أبا علي بن تومه يقول: اجتمع قوم من الغرباء عند أبي حفص بن شاهين فسألوه أن يحدِّثهم أعلى حديث عنده فقال: لأحدثنكم حديثًا من عوالي ما عندي؛ حدَّثنا عبد الله بن محمد البغوي: حدثنا شيبان بن فرُّوخ الإيلي: حدثنا نافع أبو هرمز السجستاني: سمعت أنس بن مالك يقول: سمعت النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «حياتي خير لكم....» الحديث.

وخرجه بن النَّجار في "تاريخ بغداد" عن معمر بن محمد الأصبهاني، عن الحافظ أبي نصر اليونارتي به.

وهذا إسناد ضعيف أيضًا لاتفاقهم على ضعف أبي هرمز.

وعن أنس حديث آخر أخرجه أبو نعيم في "الحلية" قال: حدثنا عبدالله بن محمد بن جعفر: حدثنا أحمد بن عيسى بن ماهان الرازي: حدثنا محمد بن مصفًّى: حدثنا بقيَّة: حدثنا عبَّاد بن كثير، عن عمران -هو القصير-، عن أنس قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «إنَّ أعمالَ أمَّتي تعرضُ عليَّ في كلِّ يومِ جُمُعَة، واشتدَّ غضبُ الله على الزُّناة».

وأما مرسل بكر بن عبدالله المزني فأخرجه الحارث بن أبي أسامة في

٢٣٢ ـــــــ

وبالجملة فالحديث صحيح لا مطعن فيه وهو يدل على أن النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يعلم أعمالنا بعرضها عليه ويستغفر الله لنا على فعلنا من سيِّئٍ وقبيحٍ وقد أخبر الله في القرآن أن النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم شهيد على أمته وذلك يقتضي أن تُعرض أعمالهم عليه ليشهد على ما رأى وعلم.

قال ابن المبارك: أخبرنا رجلٌ من الأنصار عن المنهال ابن عمرو أنه سمع سعيد بن المسيب يقول: «ليس من يوم إلا يعرض فيه على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أمته غدوة وعشيًّا فيعرفهم بأسمائهم وأعمالهم فلذلك يشهد عليهم يقول الله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١] ».اهـ

وقال القرطبي في "التذكرة": «باب ما جاء في شهادة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على أمته»، ثم أورد أثر سعيد بن المسيب السابق، ثم قال: «قد تقدم أن الأعمال تعرض على الله كل يوم اثنين وخميس، وأنها تعرض على الأنبياء والآباء والأمهات يوم الجمعة»، قال: «ولا تعارض فإنه يحتمل أن يخص نبيِّنا بما يعرض عليه كل يوم، ويوم الجمعة مع الأنبياء عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام. اهـ

وروى الطبراني بإسناد ضعيف عن ابن عبَّاسٍ قال: لما نزلت ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا ﴾ [الأحزاب: ٤٥] وقد كان أمر عليًّا ومعاذًا أن يسيرا إلى اليمن فقال: «**انطلقا فبشِّرا ولا تُنفِّرا، ويسِّرا ولا تُعسِّرا، فإنَّه قد أُنزل عليَّ: يأيُّها النبيُّ إنا أرسلناك شاهدًا على أمَّتك ومبشِّرًا بالجنَّة، ونذيرًا من النَّار، وداعيًا إلى شهادة أنْ لا إله إلا الله بإذنه وسِراجًا مُنيرًا بالقُرآنِ**».

فالقرآن كما ترىٰ يؤيد حديث عرض الأعمال ويُعضده.

فإن قيل: قد أخبر الله تعالىٰ عن هذه الأمة أنها تشهد علىٰ غيرها، ولم يرد في حديث ولا أثر أن أعمال الأمم تعرض عليها.

فالجواب من وجهين:

الأول: أن عرض الأعمال مما خُصَّ به نبيُّنا عليه الصلاة والسلام كما خُصَّ في قبره بحياة أكمل من حياة الشهداء وبأن جسده لا يبلىٰ.

الثاني: أنه ورد في الصحيحين أن هذه الأمة تشهد علىٰ إخبار نبيِّها وكلامه، وذلك أنها إذا شهدت بأن الأنبياء بلَّغوا أممهم، فيقال: وما علمكم؟ فتقول: أخبرنا نبيُّنا أن الرسل قد بلَّغوا فصدَّقناه.

هكذا صحَّ في الحديث وهو واضحٌ لا خفاء به.

فإن قيل: فما تقول فيما رواه الطبراني وغيره عن محمد بن فضالة أن النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أمر قارئًا يقرأ فلما بلغ قوله تعالىٰ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴾ [النساء: ٤١] بكىٰ حتىٰ اضطرب لحياه وقال: «**أيْ ربِّ شهِدتُ على ما أنا بين ظَهْرانَيْه فكيفَ بمَنْ لم أرَ**».

فربما يفهم بعض الجهلة من هذا أنه ينفي عرض الأعمال.

قلت: هذا الحديث مؤيِّد لعرض الأعمال لا نافٍ له بل هو أحد الأسباب التي لأجلها أكرم الله نبيَّه بهذه الخصوصية حتىٰ تكون شهادته علىٰ أمته عن مشاهدة، وعيان كما أكرمه بعرض أمته مع الأمم الأخرىٰ عليه وهو في المدينة كما ثبت في الصحيحين.

أمَّا أنَّ الحديث خلت منه جميع كتب السُّنَّة فهذا كذبٌ وجهلٌ فإن الحديث

موجود في كثير من كتب السنة كـ"طبقات ابن سعد"، و"مسند البزار"، و"مسند الحارث"، و"تاريخ النجار"، و"طرح التثريب" للحافظ العراقي و"بغية الباحث بزوائد مسند الحارث" و"مجمع الزوائد" كلاهما للحافظ الهيثمي، و"الجامع الصغير" و"الجامع الكبير" و"الخصائص الكبرىٰ" الثلاثة للحافظ السيوطي، و"شرح البخاري" للقسطلاني، و"كنز العمال للمتقي الهندي"، وغيرها.

أمَّا أن راويه وقفه علىٰ بكر بن عبد الله المزني فهذا خطأ ناشئ عن جهل، فإن مثل هذا لا يسمَّىٰ موقوفًا، ولا يمكن أن تنطبق عليه حقيقة الموقوف بحال من الأحوال، وإنما تنطبق عليه حقيقة المرسل لا غير.

أمَّا أنه لم يذكر فيه الصحابيَّ أحدٌ من رواة السُّنة لا في صحيح الكتب ولا في ضعيفها فكذبٌ مبنيٌّ علىٰ جهل، فإنَّ الحديث واردٌ من طريق ابن مسعودٍ وأنسٍ وورد معناه من طريق سعيد الشامي ومجاهد كما تقدَّم كل ذلك بل وصلت طرقه إلىٰ عشرين طريقًا.

٣٣- حديث الحوض وحديث عرض الأعمال[١]

في كتاب "البخاري": «**بينَما أنا أسْقي النَّاسَ على حوضي يُؤتَى بأناسٍ من أمَّتي يريدون أن يشربُوا فيُحَالَ بيني وبينهم ويؤخَذَ بهم إلى جِهة النَّار، فأقول: أصحابي أصحابي فيقال: إنك لا تدري ما أحدثُوا بعدك، ارتدُّوا على أدبارهم بعدما فارقتَهم، فأقول كما قال العبدُ الصَّالح** -يعني عيسىٰ عليه السلام-: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧] إلىٰ ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾».

يحتج بعض الناس بهذا الحديث علىٰ ضعف حديث عرض الأعمال وهو خطأ فإن هذا الحديث قد روىٰ من اثنتي عشر طريقًا، أما حديث عرض الأعمال علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقد ورد من عشرين طريقًا، فطرقه أكثر من حديث الحوض.

والمقرَّر في علم الأصول والمصطلح أن الدليلين المتعارضين لا يُرجَّح أحدهما علىٰ الآخر إلا إذا لم يمكن الجمع بينهما بوجهٍ من الوجوه، أما إذا أمكن الجمع بينهما فهو الواجب ولا يجوز العدول عنه إلىٰ ترجيح أو غيره؛ لأن في ذلك إلغاء لدليل شرعيٍّ بغير حقٍّ وهو حرامٌ، بخلاف الجمع فإن فيه إعمال الدليلين، وطاعتهما جميعًا والحديثان هنا غير متعارضين في الحقيقة لإمكان الجمع بينهما وتيسّره.

وبعد: فإليك طريق الجمع بين الحديثين ودفع تعارضهما وقد آثرنا أن ننقله عن بعض أهل هذه الفرقة، فقد ذكر هذا البعض حديث عرض الأعمال من

---

(١) المسلم، السنة السابعة، العدد (٤) ذي القعدة ١٣٧٦.

طريق بكر بن عبد الله المزني فقط، وقال: إنه مرسلٌ ليس صحيحًا ولا ثابتًا، قال: وقد ضعَّف بعض المتأخِّرين هذا الخبر بطريق آخر فقال: إنه معارضٌ لما هو أصحُّ منه وأثبت باتفاق أهل العلم والحديث، وهو ما رواه البخاريُّ ومسلمٌ وغيرهما، وذكر حديث الحوض نحو ما تقدَّم، ثم قال: وعندي أن هذا التضعيف ضعيفٌ بأربعة أمور:

الأول: أنه لا تعارض البتَّة، إذ حديث عرض الأعمال فيه أنه يعلم نفس الأعمال وأنها خير أو شر وأنها منسوبة إلى أمته ولا يلزم أن يعرف أصحاب العمل الصالح بالتعيين والفاسد كذلك، وحديث: «**لا تدري ما أحدثوا بعدك**» فيه أنه يجهلهم أمِنَ الصَّالحين أو الطَّالحين ولا ينافي أنه يعلم أن أمته جاءت بعمل صالح أو طالح.

الثاني: وقت الحادثين مختلفٌ، أو يمكن أن يكون مختلفًا وحينئذٍ لا يتحقَّق التعارض؛ إذ يجوز أن تُعرض عليه الأعمال في البرزخ قبل النُّشور ويوم القيامة يوم الفزع الأكبر يذهَل عنها ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢]. قال بعض المفسِّرين في آية (المائدة): ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩]: أنهم ينسون ما كانوا يعملون من تفاقم الهول.

الثالث: أن يقال: حديث «لا تدري ما أحدثوا بعدك» خاصٌّ، وحديث «عرض الأعمال» عامٌّ، والخاص مع العام ليس تعارضًا، وطريق الجمع بينهما معلوم.

الرابع: يمكن أن يقال: خبر «العرض» على الإجمال وخبر «لا تدري» على سبيل التفصيل فهو يعلم إجمالًا ولا يعلم تفصيلًا، ونحن نعلم حال أهل الإسلام بالجملة ولا نعلمها بالتفصيل.

وأضعف هذه الوجوه الوجه الثاني، وأقواها الأخير، حتى إنَّ بعض العلماء جعله متعيِّنًا للجمع بين الحديثين المذكورين، وأما الوجه الثالث فهو متَّجه أيضًا لأن حديث «لا تدري ما أحدثوا بعدك» جاء فيه: «ليُذَادَنَّ رجالٌ» وفي رواية «ناس» وفي رواية «أقوام» وكل هذا جموع منكرة واقعة في سياق الإثبات، والقاعدة الأصولية تقرر أن الجمع المنكر الواقع في سياق الإثبات ليس بعام، بخلاف حديث عرض الأعمال، فقد جاء فيه: «**تعرضُ عليَّ أعمالُكم**».

وهذا جمعٌ مضافٌ والجمع المضاف من صيغ العموم الموضوعة له حقيقة كما تقرَّر في علم الأصول، وطريق الجمع بين العامِّ والخاصِّ إذا تنافيا أن يحمل العامُّ على الخاصِّ بأن يخصَّص به، وكيفية ذلك هنا أن يقال: إن النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم تُعرض عليه أعمال أمته إلا أولئك القوم الذين سبق القضاء بنفوذ الوعيد فيهم بذودهم عن الحوض، فلا تعرض عليه أعمالهم حتى لا يستغفر لهم، فلهذا لم يعلم بحالهم فدعاهم إلى الحوض فقيل له لا تدري ما أحدثوا بعدك.

وبما قرَّرناه ظهر أن لا تعارض بين الحديثين وأن لكل منهما محملًا غير محْمَل الآخر، وتبيَّن أيضًا قصر نظر المتنطِّعين وخطأ فهمهم وجهلهم المطبق وجرأتهم على الأحاديث النبويَّة يضرب بعضَها ببعضٍ، ويقدِّم بعضَها على

بعضِ بمحْضِ الهوىٰ والتَّشهِّي وتلك خطَّةُ سوءٍ نسأل الله أن يعافينا منها بمنِّه؛ وبالله التوفيق.

(تنبيه): اختلف العلماء في الرجال الذين يُذَادون عن الحوض اختلافًا كبيرًا وأنا أنقل كلام الحافظ ملخِّصًا، وفيه إشارة إلىٰ صحة حديث عرض الأعمال وكونه أمرًا ثابتًا متقرَّرًا.

قال في "الفتح" في شرح حديث ابن عبَّاسٍ الذي فيه: «**وإنه سَيُجاءُ برجالٍ من أمَّتي فيُؤخذُ بهم ذاتَ الشِّمال، فأقول يا ربِّ أصحابي، فيقول الله: إنَّك لا تدري ما أحدَثُوا بعدك، فأقولُ كما قال العبدُ الصَّالحُ: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿الْحَكِيمُ﴾**» قال: «**فيقالُ: إنَّهم لم يزالُوا مرتدِّين على أعْقابِهم**».

ما ملخَّصه وقع في ترجمة مريم، قال الفربري، ذكر عن أبي عبد الله البخاري عن قبيصة قال: هم الذين ارتدُّوا علىٰ عهد أبي بكر فقاتلهم، يعني: وماتوا علىٰ الكفر.

وقال الخطابي: «لم يرتدَّ من الصحابة أحدٌ وإنما ارتدَّ قوم من جفاة الأعراب»، وقال غيره: «قيل: هو علىٰ ظاهره من الكفر، والمراد بأمتي أمة الدعوة، ورجَّح بقوله في حديث أبي هريرة: «**فأقول بعدًا لهم وسُحْقًا**»، ويؤيده كونهم خفي عليه حالهم، ولو كانوا من أمة الإجابة لعرف حالهم، بكون أعمالهم تعرض عليه.

ويرد هذا قوله في حديث أنس وأبي هريرة: «**حتَّى إذا عرفتُهم**».

وقال ابن التِّين: «يحتمل أن يكونوا منافقين أو مرتكبي الكبائر»، وقيل: «هم من جفاة الأعراب دخلوا في الإسلام رغبةً ورهبةً»، وقال النووي: «قيل

٢٤٠ ـــــــ

لأنَّه يصرِّح بأنَّهم أصحابه يعرفهم ويعرفونه وأنَّه يناديهم بأسمائهم.

ثم كيف يتبرَّأ من أصحابه ويقول في حقِّهم: «**سُحْقًا سُحْقًا**» وهو صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لا يتبرَّأ من عصاة أمته؟! بل يشفع لهم ويسعى في خلاصهم بعد دخولهم النار.

فالحديث مشكلٌ جدًّا حتى أن الإمام مالكًا ندم على روايته في "الموطأ" وقال: «ليتني لم أروه ولم يكتب عنِّي» نقله الأُبِّي في "شرح مسلم".

وما ندم مالك على روايته إلا لما فيه من الأخبار بتبديل الصحابة وتبرُّؤ النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم منهم، وذلك يخالف القرآن والسنة المتواترة وما اتفق عليه جمهور العلماء.

فأحسن محامل حديث الحوض على مذهب الجمهور أن يكون من المتشابه الذي يترك معناه إلى الله، بخلاف حديث عرض الأعمال فإنه مع صحته مؤيد بالقرآن والسنة المستفيضة ومذاهب جمهور العلماء، فأين يذهب الناصبية المتنطِّعون؟!

٣٤- ما ورد في ليلة النصف من شعبان[١]

بمناسبة شهر شعبان المبارك رأينا أن نتكلَّم على ما ورد في فضل ليلة النصف منه، وقيامها، والدعاء فيها، وما إلى ذلك على سبيل الإيجاز. ولم نر أن نتعرَّض لما ورد في فضل صيام الشهر نفسه؛ لأن استحباب ذلك من فعل النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم معروف ومشهور.

ففي الصحيحين وغيرهما عن عائشة قالت: «كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم، وما رأيت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم استكمل صيام شهر إلا رمضان، وما رأيته أكثر صيامًا منه في شعبان».

وفيهما أيضًا: قالت: لم يكن النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يصوم شهرًا أكثر من شعبان، فإنه كان يصوم شعبان كله وكان يقول: «**خُذوا من العملِ ما تُطِيقُون فإنَّ الله لا يَملُّ حتَّى تملُّوا**». وكان أحب الصلاة إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ما دووم عليه وإن قلَّت، وكان إذا صلى صلاة داوم عليها.

وعن أسامة بن زيد، وأمِّ سلمة وأنسٍ رضي الله عنهم كلها بأسانيد جيِّدة.

فمما ورد في ليلة النصف من شعبان: ما رواه الطبراني، وابن حِبَّان في "صحيحه" عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم« **يطَّلع اللهُ إلى جميعِ خلقِه ليلةَ النِّصفِ من شعبانَ فيغفِرُ لجميع خلقه إلَّا لمشركٍ أو مشاحِنٍ**». ورواه ابن ماجه من حديث أبي موسى وإسناده ضعيفٌ لأن فيه ابن لَهيعة وغيره.

---

(١) مجلة الإسلام السنة الخامسة العدد (٣٢) ١٤ شعبان ١٣٥٥.

ورواه البزَّار والبيهقيُّ وابن زنجويه من طريق القاسم بن محمد بن أبي بكر عن أبيه أو عمه، عن جده أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ينزلُ اللهُ إلى السَّماء الدُّنيا ليلةَ النِّصفِ من شعبان فيغفرُ لكلِّ نفسٍ إلَّا إنسانًا في قلبه شَحْناءُ، أو مشركًا بالله**». أشار له الحافظ المنذري في "الترغيب والترهيب" وقال: إسناده لا بأس به.

وروىٰ البيهقي من طريق مكحول، عن كثير بن مرة، عن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**في ليلة النِّصف من شعبانَ يغفرُ الله عزَّ وجلَّ لأهل الأرضِ إلا مشركًا أو مشاحنًا**». قال البيهقي: «هذا مرسل جيد».

ووصله هو والطبرانيُّ من طريق مكحول، عن أبي ثعلبة الخُشنيِّ: أن النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**يطَّلع الله إلى عباده ليلةَ النِّصف من شعبانَ فيغفرُ للمؤمنين، ويُمهِلُ الكافرينَ، ويدعُ أهلَ الحقْدِ بحِقدِهِم حتَّى يدَعُوهُ**» أي: يتركوه. قال البيهقي: «وهو أيضًا بين مكحول وأبي ثعلبة مرسل جيد».اهـ

لأن مكحولًا لم يسمع من أبي ثعلبة، وروىٰ أحمد بإسناد ليِّنه الحافظ المنذري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**يطَّلع اللهُ عزَّ وجلَّ إلى خلقِهِ ليلةَ النِّصفِ من شعبانَ فيغفرُ لعباده إلا لاثنين مُشاحنٍ وقاتلِ نفسٍ**».

وروىٰ البيهقيُّ عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إذا كان ليلةُ النِّصْفِ من شعبانَ نادى منادٍ: هل من مستغفرٍ فأغفرَ له؟ هل من سائل فأعطيَه؟ فلا يَسألُ أحدٌ إلا أُعطِي، إلا زانيةٌ**

٢٤٤ ـــــــ

أن قمت فلبستهما فأخذتني غيرة شديدة ظننت أنك تأتي بعض صويحباتي حتىٰ رأيتك بالبقيع تصنع ما تصنع. فقال: «**ياعائشةُ أكنتِ تخافين أن يَحيفَ الله عليك ورسولُه؟ أتاني جبريلُ عليه السَّلامُ فقال: هذه ليلةُ النِّصفِ من شعبانَ ولله فيها عتقاءُ من النَّار بعدد شُعورِ غَنَم كلْبٍ، لا ينظرُ اللهُ فيها إلى مشركٍ، ولا إلى مشاحنٍ، ولا إلى قاطعِ رحِمٍ، ولا إلى مُسْبلٍ، ولا إلى عاقٍّ لوالديه، ولا إلى مُدْمنِ خمرٍ**». قالت: ثم وضع عنه ثوبيه فقال لي: «**يا عائشةُ تأذَنِين لي في قيامِ هذه الليلةِ**».

قلت: نعم بأبي وأمي، فقام فسجد ليلًا طويلًا حتىٰ ظننت أنه قُبض فقمت التمسته ووضعت يدي علىٰ باطن قدميه فتحرَّك ففرحت وسمعته يقول في سجوده: «**أعوذُ بعفوِكَ من عقَابِكَ وأعُوذُ برضاكَ من سَخَطِكَ، وأعُوذُ بكَ منكَ، جلَّ وجهُك لا أُحصِي ثناءً عليكَ، أنت كما أثنَيتَ على نفسِكَ**». فلما أصبح ذكرتهن له.

فقال: «**يا عائشةُ تَعلَّميهن وعلِّميهن فإنَّ جبريلَ عليه السَّلامُ علَّمَنِيهُنَّ وأمَرَني أنْ أُردِّدَهنَّ في السُّجُودِ**».

وروىٰ البيهقيُّ عن العلاء بن الحرث أن عائشة رضي الله عنها قالت: قام رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من الليل فصلىٰ فأطال السجود حتىٰ ظننت أنه قد قبض، فلما رأيت ذلك قمت حتىٰ حركت إبهامه فتحرك فرجعت فسمعته يقول في سجوده: «أعوذُ بعفوكَ من عقابِك، وأعُوذ برضاك من **سَخطك، وأعوذُ بك منك، لا أُحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيتَ على نفسِك**». فلما رفع إلي رأسه من السجود و فرغ من صلاته قال:

«**يا عائشةُ -أو يا حُمَيراءُ[١]- أظننتِ أنَّ النبيَّ قد خَاسَ بِكِ؟**» قلت: لا والله يا رسول الله ولكنني ظننت أنك قُبِضْتَ لطول سجودك. فقال: «**أتدرين أيّ ليلةٍ هذه؟**» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**هذه ليلةُ النِّصفِ من شعبان إنَّ الله عزَّ و جلَّ يطَّلع على عبادِهِ في ليلةَ النصف من شعبان فيغفرُ للمستغفِرين ويرحَمُ المسترحِمِين ويؤخِّر أهلَ الحِقْدِ كما هُم**».

قال البيهقيُّ: هذا مرسلٌ جيِّدٌ. يعني: أنَّ العلاء لم يسمع من عائشة[٢] قال: ويحتمل أن يكون العلاء أخذه من مكحول، يعني: فيكون متصلًا.

وروىٰ البيهقيُّ عن عائشة قالت: كانت ليلة النصف من شعبان ليلتي وكان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عندي فلما كان في جوف الليل فقدته فأخذني ما يأخذ النساء من الغيرة، فتلفَّعت بمِرْطي، فطلبته في حُجَر نسائه فلم أجده.

فانصرفت إلىٰ حجرتي فإذا أنا به كالثوب الساقط و هو يقول في سجوده: «**سجَد لك خيالي و سَوادي و آمنَ بكَ فُؤادي، فهذه يدي وما جنَيتُ بها على نفسي يا عظيمُ يُرجَى لكلِّ عظيمٍ يا عظيمُ اغفِر الذَّنب العظيمَ، سجَد وجْهي للذي خلَقَه وشَقَّ سمعَه وبصرَه**».

---

(١) بهذا ونحوه يبطل قول من زعم أنَّ كلَّ حديثٍ ذكر فيه لفظ الحُميراء فهو باطلٌ، ولا شكَّ أنَّ هذا الإطلاق باطلٌ. نعم حديث «**خذُوا شطْرَ دينِكُم عن هذه الحُمَيراءِ**» يعني: عائشة لا أصل له كما قال الحافظ وغيره، وإن احتجَّ به الإسنويُّ في "شرح المنهاج" وغيره ممن ليس لهم خبرة بهذا الشأن.

(٢) فهم بعض من كتب في هذا الموضوع بـ"مجلة هدىٰ الإسلام" في السنة الماضية من عبارة البيهقي أنه يريد المرسل بمعناه المشهور فقابلته مصادفة، وأفهمته المراد، وأخيرًا اعترف بعد لجاجٍ وعنادٍ، ونبَه عليه في عددٍ آخر لكن لم يذكر من أرشده إليه.

ثم رفع رأسه، ثم عاد ساجدًا فقال: «**أعوذُ برضاك من سَخطِكَ و أعوذُ بعفوِكَ من عقابِكَ وأعوذُ بِكَ منكَ أنتَ كما أثنيتَ على نفسِك، أقولُ كما قال أخي داودُ أعَفِّر وجْهيَ في التُّراب لسيِّدي وحقَّ له أن يسجدَ**» ثم رفع رأسه فقال: « **اللهمَّ ارزقْني قلبًا تقيًّا من الشر نقيًّا لا جافيًا و لا شقيًّا**».

ثم انصرف فدخل معي في الخميلة و لي نفَس عال فقال: «**ما هذا النَّفسُ يا حُمَيراءُ؟**» فأخبرته. فطفق يسمح بيده على ركبتي، و هو يقول: «**ويحَ هاتَين الرُّكبتَين ما لقِيَتا في هذه الليلة، هذه ليلةُ النِّصف من شعبانَ، ينزلُ الله فيها إلى السَّماء الدُّنيا فيغفرُ لعباده إلا المشرِك أو المشاحِن**».

هذا ما حضرنا من الأحاديث الواردة في فضل قيام ليلة النصف من شعبان، وأن الدعاء فيها مستجاب، وهي كما ترى ليس فيها تعيين صفة ذلك القيام من كونه صلاة أو غيرها، وعدد ركعاتها، وما يقرأ فيها، فيسن لطالب الخير إحياء هذه الليلة بأنواع الطاعات من صلاة وتلاوة قرآن ودراسة علم نافع، ودعاء له وللمسلمين بما فيه صلاح دنياهم وخير آخرتهم، وغير ذلك من أنواع القُربات.

فأما ما روي عن عليٍّ عليه السلام قال: رأيت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ليلة النصف من شعبان، قام فصلى أربع عشرة ركعة، ثم جلس بعد الفراغ، فقرأ بأم القرآن أربع عشرة مرة، و"قل هو الله أحد" أربع عشرة مرة، و"قل أعوذ برب الفلق" أربع عشر مرة، و"قل أعوذ برب الناس" أربع عشرة مرة، وآية الكرسي مرة، و ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾[التوبة: ١٢٨] الآية.

فلما فرغ من صلاته سألته عمّا رأيت من صنيعه، قال: «**من صنع مثلَ الذي**

٢٤٨ ـــــــ

لا أصل البتة لشيء من ذلك في كتب السنة النبوية، كما جزم به خاتمة المحدِّثين النقاد السيد محمد مرتضى الزبيدي الحسيني، وقال: إنما هو من عمل المشايخ، نعم وردت جمل من ذلك الدعاء عن بعض الصحابة موقوفة، كما في "تفسير ابن جرير" وغيره عند قوله تعالى في آخر (سورة الرعد): ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩].

والقول بأن ليلة النصف من شعبان هي الليلة المباركة التي قال الله فيها: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان: ٣]؛ قول روي عن عكرمة واحتجَّ له بما جاء في بعض الأحاديث أن الآجال تنسخ في شعبان حتى أن الرجل يتزوَّج وقد رفع اسمه فيمن يموت، وأن الرجل يحج وقد رفع اسمه فيمن يموت.

والصحيح الذي تضافرت به الروايات أن الليلة المباركة هي ليلة القدر بل جاء ذلك في القرآن صريحًا قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] وقال جل ثناؤه: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥] فاستفدنا من الآيتين أن القرآن أنزل في ليلة القدر من شهر رمضان وهذا قول الجمهور.

وأما الأحاديث التي استدلَّ بها لقول عكرمة فهي أحاديث ضعيفة لا تعارض النصوص الصحيحة، وأمثلها حديث عائشة عند أبي يعلى فإن إسناده حسن أو قريب منه، ومع ذلك قال الحافظ المنذريُّ: «إن متنه غريب». وهو كما قال، والله أعلم.

٣٥- شرح حديث شريف[١]

روينا بالسند المتصل إلى أبي بكر محمد بن الفرج الأزرق قال: في جزء من حديثه: حدثنا ابن جريج، عن عطاء، عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**قُولوا خيرًا؛ قُولوا سبحانَ الله وبحمده، فبالواحدة عشرةٌ وبالعشرة مائةٌ، وبالمائة ألفٌ ومن زاد زادَه الله عزَّ وجلَّ، ومن استغفر غفرَ الله له، ومن حالتْ شفاعتُه دون حدٍّ من حدودِ الله فقد ضادَّ الله في مُلكه، ومن باهَتَ مؤمنًا أو مؤمنةً حُبس في ردْغَة الخَبَال حتَّى يخرجَ ممَّا قال، ومن مات وعليه دينٌ أخِذ من حسناتِه ليس ثَمَّ دينارٌ ولا درهمٌ، حافظوا على ركعتي الفجرِ فإنَّ فيهما الرَّغائبَ**».

الشرح والبيان

«الخير»: اسم جامع لكل ما يستحسن شرعًا أو عادة.

فقوله: «**قولوا خيرًا**» أمر بتعويد اللسان على نطق الخير والبعد عن اللفظ النابي وقول الفحش، فلا يخاطب الإنسان صاحبه إلا بأحبِّ الألفاظ وأحسنها كما كان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يفعله فإنه كان ينادي أصحابه بأحبِّ أسمائهم، ومن له كنية ناداه بها احترامًا له واستجلابًا لحبِّه ومودَّته، وكان صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يُغيِّر الأسماء القبيحة بالأسماء الحسنة، وهذه الجملة من الحديث توافق قوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣] إلا أن الآية خاصة في مخاطبة الناس بعضهم بعضًا والحديث عام في ذلك وغيره.

---

(١) مجلة الشرق العربي، السنة الثالثة، العدد (٤٠) ١٨ جمادى الأولى ١٣٦٨.

وفي أواخر "الموطأ" عن يحيي بن سعيد: «أن عيسىٰ عليه السلام لقي خنزيرًا في الطريق فقال له: عيسىٰ «اذهب بسلام» فقيل له: أتقول هذا لخنزير؟ فقال: إني أكره أن أعوِّد لساني النطق بالسُّوء»

ويشبه هذا ما ذكره تاج الدين السبكي في "طبقات الشافعية الكبرىٰ" في ترجمة والده تقي الدين السبكي أنه -أي: تاج الدين- كان قاعدًا في دِهْليز بيته مع جماعة من أهل العلم ينتظرون والده- تقي الدين- وكان اليوم مطيرًا فمر به كلب مبتَلٌّ بالمطر فقال له تاج الدين: اذهب يا كلب، وذلك خوفًا من أن ينجِّسه ببلله. فسمعه والده فقال له: أثمت فيما قلت. قال تاج الدين: قلت له: أليس هو كلبًا؟ قال: نعم، ولكنك أخرجت الكلمة مخرج الاحتقار والازدراء ولا يجوز احتقار مخلوق لله تعالىٰ.

قال تاج الدين: فاستفدنا من هذا أن الإنسان إذا تكلَّم بلفظ قصد به الاحتقار فإنه يكون آثمًا في ذلك بحسب قصده ولو كان ما قاله حقيقة.

والمقصود أن نطق الخير واستعمال الألفاظ الحسنة اللائقة مطلوب شرعًا إلا في حقِّ من لا يستحق ذلك من الناس مثل الفاسق المجاهر بفسقه ومن في معناه.

وقوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**قولوا سبحان الله وبحمده**» هذا اللفظ من جملة الخير المأمور به أولًا فهو تخصيص بعد التعميم خصَّصه بالذكر لتأكد فضله وعظم ثوابه لأن هذا اللفظ يشتمل علىٰ معنيين هما خلاصة التوحيد إذ معنىٰ «سبحان الله»: تنزيه الله عن كلِّ نقصٍ لا يليق به مما وصفه المشركون به كالشريك، والولد، والصاحبة، والجسمية، ونحو ذلك فقول القائل: سبحان الله

معناه: أنزه الله عن كل ما لا يليق به.

ومعنى «وبحمده»: إثبات كل كمال لله تعالى. والتوحيد ينحصر في هذين الوصفين؛ تنزيه الله عن النقائص، ووصفه بالكمالات.

ولهذا ورد ترغيب كثير في هذا الذكر ففي الحديث الصحيح: «**كلمتان خَفيفَتانِ على اللِّسان ثقيلتانِ في الميزانِ، حبيبتانِ إلى الرَّحمن: سبحانَ الله وبحمدِه، سبحانَ اللهِ العظِيمِ**». وهذا الحديث هو آخر حديث في "صحيح البخاري".

وفي حديث آخر صحيح أيضًا: «**وسبحانَ الله والحمدُ لله تملآنِ أو تملأُ ما بين السَّماءِ والأرضِ**»، أي ثواب هذين اللفظين يملأ الفراغ بين السماء والأرض.

وقوله: «**فبالواحدةِ عشرةٌ، وبالعشرةِ مائةٌ، وبالمائةِ ألفٌ**». بيان لبعض ثواب هذه الكلمة وهو على أساس أن الحسنة بعشر أمثالها، كما قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] وقد يزيد الله في الثواب بحسب قوة إخلاص القائل، وصفاء قلبه وشدة يقينه.

وقوله: «**ومن زادَ زادَه الله عزَّ وجلَّ**» ترغيب في الإكثار من ذكر هذه الكلمة. فإن الإنسان إذا علم أنَّ الحسنة تضاعف بعشر أمثالها وأنه كلما زاد منها زاده الله ثوابًا مضاعفًا عليها كان ذلك حافزًا له على الإكثار من الطاعة خصوصًا إذا كانت سهلة لا تكلف كبير مشقة مثل هذه الكلمة «سبحان الله وبحمده».

«**ومن استغفر غفر الله له**» الاستغفار في عرف الشرع كناية عن التوبة؛ لأن

الاستغفار يقارنها دائمًا والمراد أن الإنسان إذا استغفر من ذنبه تائبًا إلى الله منه عازمًا على عدم العودة إليه نادمًا على ما فرط من فعله غفر الله له لأنه قد تاب توبة نصوحًا ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الشورى: ٢٥] أما مجرد الاستغفار باللسان مع عدم عقد التوبة بالقلب فإنه لا يفيد بل ربما يأثم صاحبه لما ورد أن المستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه.

«ومن حالتْ شفاعتُه دون حدٍّ من حدودِ الله فقد ضادَّ الله في مُلكه»: يعني: أن الإنسان إذا شفع في شخصٍ استوجب عقوبة شرعية فلم تنفَّذ فيه العقوبة بسبب شفاعته كان مضادًّا لله في ملكه لأن الله أمر بتنفيذ العقوبة فيمن يستحقها فمن عمل على عدم تنفيذها بشفاعة أو غيرها فقد خالف أمر الله وتعرض لغضبه وعقابه.

وقد ورد عن صفوان بن أمية أنه كان نائمًا في المسجد فسرق شخص منه شملة كان متوسِّدَها فأمسك به وأخذه إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فلما ثبتت عليه السرقة أمر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بقطع يده قال صفوان: فأخذتني الشفقة وقلت: هي له يا رسول الله أي قد سمحت له فيها، فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: **«كان هذا قبلَ أنْ تأتيَني»**. يعني: أن الحدَّ إذا وصل إلى الإمام الحاكم وجب تنفيذه ولا يسقطه مسامحةُ صاحب الحق ولا شفاعته ولا غير ذلك، وأيضًا فإن الشفاعة فيمن يستحق العقوبة تساعد على انتشار الإجرام واتساع الفوضى ولذلك أوجب الشارع إقامة الحد وعدم قبول أي عذر في إبطاله.

«ومن باهتَ مؤمنًا أو مؤمنةً حُبس في ردغَةِ الخَبالِ حتَّى يخرجَ ممَّا قالَ».

البهت: القول الباطل يعني: أنَّ من نسب إلى مؤمن أو مؤمنة قولًا أو فعلًا لم يصدر منه كان جزاؤه عند الله أن يحبس في ردغة الخبال يوم القيامة، وأصل الردغة الطين والوحل الكثير، والخبال: الهلاك، والمراد بردغة الخبال هنا: عُصارة أهل النار كما جاء مفسرًا في حديث آخر.

وهذه العقوبة جعلها الله لشخصين:

أحدهما: هذا وهو الذي يبهت المؤمن أو المؤمنة بما لم يقل أو لم يفعل.

والثاني: شارب الخمر فإنه إذا مات لم يتب منها سقاه الله من ردغة الخبال.

«ومن مات وعليه دينٌ أُخذ من حسناتِه ليس ثَمَّ دينارٌ ولا درهمٌ». يعني: أن الإنسان إذا مات وعليه دين لأحد الأشخاص لم يؤده له فإن صاحب الدين يأخذه يوم القيامة من حسناته لأنه ليس هناك دينار ولا درهم يقضي به دينه وإنما هي الحسنات والسيئات فمن كانت له حسنات أخذ منها بقدر ما عليه من الحقوق، ومن لم تكن له حسنات أو كانت ونفدت بسبب الحقوق التي عليه وبقيت حقوق أخرى أخذ من سيئات أصحاب الحقوق وضُمَّت إلى سيئاته ثم طرح في النار.

وهذا الحكم عام في كل من عليه حق سواء كان دينًا أو عرضًا أو غير ذلك، وقد ورد في الحديث أن الإنسان إذا كان عليه دين وهو ينوي أداءه ثم مات قبل أن يتمكن من الأداء فإن الله يؤديه عنه يوم القيامة، وإن كان عليه دين لا ينوي أداءه لصاحبه بعثه الله سارقًا يوم القيامة. وكذلك ورد في الحديث أيضًا أن من تزوج امرأة على مهر لا ينوي أداءه لها بعثه الله زانيًا يوم القيامة.

فيؤخذ من هذا الحديث أن الإنسان يجتهد في أداء ما عليه من الحقوق

وينوي أداءها لأصحابها ويعزم على ذلك وإذا لم يتمكن لموت أو غيره فإن الله تعالى يعلم عذره ويؤديه عنه.

«**حافظُوا على ركعتَي الفجْرِ فإنَّ فيهما الرَّغائب**». ركعتا الفجر هما سنة الصبح، والرغائب: جمع رغيبة والرغيبة الشيء الواسع، والمراد به هنا الثواب الواسع الكثير.

وهذا الحديث وما في معناه مستند المالكية في تسمية سنة الصبح رغيبة وليس عند المالكية سنة تقضى غير ركعتي الفجر فإنهما تقضيان إلى الزوال قال ابن عاشر في "المرشد المعين ":

فَجْـرٌ رَغِيبـة وتُقضَـى للـزَّوال والفَرْضُ يُقضَـى أبـدًا وبـالتَّوال

هذا بعض ما يشتمل عليه هذا الحديث من الأحكام والأخلاق والآداب وما من جملة من جمله إلا وهي مؤيدة بآيات قرآنية أو أحاديث نبوية، والله أعلم.

٣٦- شرح حديث شريف

منزلة السنة في التشريع[١]

عن المقدام بن معدي كرب قال: حرم رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أشياء يوم خيبر من الحمار الأهلي وغيره، ثم قال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يوشِكُ أنْ يقعُدَ الرَّجُلُ منكُم على أرِيكَتِهِ يُحدِّث بحديثي فيقولُ: بيني وبينكم كتابُ الله فما وجَدْنا فيه حلالًا استحلَلْناه وما وجَدْنا فيه حرامًا حرَّمناه، وإنَّما حرَّم رسولُ الله مثلُ ما حرَّم الله**». رواه أبو داود، والبيهقيُّ، وغيرهم بإسنادٍ صحيحٍ.

الشرح والبيان

ثبت في روايات أخرى أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حرم يوم خيبر كلَّ ذي ناب من السباع -والمُجثَّمة- بضم الميم وفتح الثاء المثلثة المشددة: هي الحيوان الذي يمسك ويجعل غرضًا يرمى بالسهام ولحوم البغال، وكل ذي مخلب من الطير والخلسة -بضم الخاء وسكون اللام- هي الفريسة يستنقذها الرجل من الذئب أو السبع فتموت قبل تزكيتها، فهذه المحرمات هي المشار إليها بأشياء في هذا الحديث.

ولا خلاف بين المسلمين في أن السنة المطهرة مثل القرآن، وأنها تستقل بتشريع الأحكام وبيان الحلال والحرام، وأن طاعتها والانصياع إليها فرض لازم بدون قيد ولا شرط.

وما يروى عن ثوبان وغيره أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**اعرضُوا**

---

(١) الشرق العربي السنة الثالثة العدد (٤٢) ٢ جمادى الآخرة ١٣٦٨.

حديثي على القرآنِ فما وافقَه فهو منِّي وما خالفَه فليس منِّي». باطل باتفاق حفَّاظ الحديث، نذكر منهم الإمام الشافعي، والبيهقي، وابن عبد البر، وابن حزمٍ، وزاد ابن مهدي الحافظ العلم أنه من وضع الزنادقة، وقد اغتر بهذا الحديث الباطل صاحب كتاب "حياة محمد" فجعله أساسًا لبحثه في قبول الأحاديث، وردها في كتابه المذكور وهو لا يدري بطلان بحثه.

والحديث الذي نشرحه اليوم من أعلام النبوة، إذ هو من جملة المغيِّبات التي أخبر النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بوقوعها بعده فوقعت كما أخبر، والمغيبات التي أخبر بها النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كثيرة جدًّا بلغت حدَّ التواتر علىٰ جميع الاصطلاحات، وهي منتشرة في كتب الصِّحاح والسُّنن وغيرها.

وقد قال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فيما رواه الطبراني وغيره: «**إنَّ الله رفعَ لي الدُّنيا فأنا أنظرُ إليها وإلى ما هو كائنٌ فيها كما أنظرُ إلى كفِّي هذه**».

وروىٰ أحمد وغيره بإسنادٍ صحيحٍ عن أبي ذرٍّ قال: «لقد تركنا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وما يقلِّب طائر جناحيه في السماء إلا ذكرنا منه علمًا». وورد من ذلك عن أبي الدرداء أيضًا.

فالذين ينكرون علم النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بالمغيِّبات مخطئون في إنكارهم لأن النصوص المتواترة ترد عليهم وتنبذ دعواهم، وإذا أخبر النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بشيءٍ فلابد أن يكون صحيحًا، ولابد أن يقع كما أخبر وارتكاب التمحُّلات الباردة لردِّه بتأويل أو غيره خطة السوء نعوذ بالله منها.

بعد هذه المقدمة الوجيزة نعود إلىٰ الكلام عن شرح الحديث فنقول:

أخبر المقدام بن معدي كرب أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حرم يوم خيبر الحمار الأهلي وغيره، وقد ورد في حديث آخر أن الصحابة ذبحوا يوم خيبر حمرًا أهلية ووضعوها علىٰ النار يُنضِجونها، فأمر رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بإكفاء القدور بما فيها، وأخبرهم بتحريم أكلها هي وكلُّ ذي ناب من السِّباع كالذئب والأسد، وكل ذي مِخْلَب من الطير كالنَّسر والصَّقر والبازي ولحوم البغال، وغير ذلك.

وورد في حديث خالد بن الوليد أن النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حرم في هذا اليوم -يعني يوم خيبر- لحوم الخيل أيضًا.

وقد اختلف العلماء في الأشياء المحرمة في هذا الحديث:

فالشافعية: قالوا بتحريمها كلها ما عدا الخيل لأن الرواية بتحريمها ضعيفة، وقالوا: بإباحة أكلها واحتجوا بالحديث الصحيح عن أسماء قالت: «أطعمنا رسول الله فرسًا»، وبحديث جابر الصحيح: «نحرنا علىٰ عهد رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فرسًا».

والمالكية: وافقوا علىٰ تحريم الخيل والبغال والحمير والمجثمة والخلسة، وقالوا بكراهية كلِّ ذي ناب من السباع، وكلِّ ذي مخلب من الطير، إلا ابن عبدالبرِّ منهم فإنه وافق الشافعية في تحريم السباع والطيور ذوات المخالب.

وأجابوا عن حديث إباحة أكل الخيل بأنه واقعة عين لا تدل علىٰ العموم، إذ يجوز أنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أباح لهم أكل الخيل لظروف خاصة كأن كانوا في سفر ولم يجدوا غير الخيل يأكلونها.

واحتجُّوا علىٰ كراهية السباع والطيور بأن الله تعالىٰ قال: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ

أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ﴾ [الأنعام: ١٤٥] وحملوا التحريم في الحديث المذكور على الكراهية.

والذي أراه في هذا الباب أن مذهب الشافعية أقوى إذ الدليل يؤيدهم، وما أجاب به المالكية لا يسلم من بحث ومناقشة، ثم إنه لما حرَّم رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم هذه الأشياء وهي غير محرَّمة في القرآن أراد أن يبيِّن أن تحريمه من قِبل تحريم القرآن كما قال في آخر الحديث: «**وإنَّ ما حرَّم رسولُ الله مثلُ ما حرَّم اللهُ**».

ومثل التحريم غيره، فما فرضه رسول الله مثل ما فرضه الله، وما أباحه رسول الله مثل ما أباحه الله، لأن الرسول مبلغ عن الله لا ينطق عن الهوى، وسنته وحيٌ غير متلوٍّ، ولهذا قال في حديث آخر صحيح: «**ألا وإنِّي أوتيتُ القرآنَ ومثلَه معه**». قال العلماء مثل القرآن الذي أوتيه هو الأحاديث المعبَّر عنها بالسنة.

ثم أخبرنا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على سبيل التحذير والتنبيه بقوم يأتون بعده يقتصرون على القرآن ويتركون حديثه وهو قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يوشك أن يقعد الرجل على أريكته يحدث** -بفتح الدال المشددة، أي يحدثه الثقة بحديثي- **فيقول بيني وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه حلالًا استحللناه، وما وجدنا فيه حرامًا حرمناه**».

يعني: أن هذا الشخص المتكبِّر يأتيه الحديث عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فيأبى قبوله ويتمسَّك بالقرآن وحده، ولا شك أن التمسُّك بالقرآن دون الرجوع إلى السُّنَّة في بيان عمومه وخصوصه ومطلقه ومقيده وغير ذلك،

مما وكل تفسيره إلى السُّنة ابتداع وضلال.

وقد ظهرت نشأة اليوم تسير على هذه الخطة المعوجَّة، وتحارب السنة بطرق شتَّى يخال الناظر إليها أنها طرق علميَّةٌ سليمةٌ، ولكن فيها السُّم الزُّعاف، فتارة يلجئون إلى رد الحديث بأنه من الإسرائيليات، وتارة بأنه آحاد والمطلوب التواتر، وتارة بأن الكثير من العلماء على خلافه وتارة بأنه يحتمل وجوه من الاحتمالات العشرة التي ابتدعها المتأخِّرون وتوسَّعوا فيها توسُّعًا غير مرضي، إلى غير ذلك من الحيل والألاعيب والله يعلم ما يسرون ويعلم ما يقصدون من ذلك

والعجيب في أمرهم أن الواحد منهم إذا عرض له حديث وافق عقله ورآه متمشِّيًا مع منطقه احتجَّ به ولا يهمه أن يكون ضعيفًا أو موضعًا، حتى إذا ما جاء حديث يخالف هواه لجأ إلى حيله السابقة واستعرضها ليأخذ منها ما يراه صالحًا لدفع ما خالف هواه.

والأمثلة على ما قلناه كثيرة لا بأس أن نشير إلى شيء منها:

فهذا كاتبٌ كتب في قصص الأنبياء كتابًا ضخمًا لا يأتيه حديث يتعلق بقصة نبيٍّ من الأنبياء إلا وردَّه بلسان طلق وعبارة ذلقة، وهو يعلم أن الحديث في الصحيحين أو أحدهما، وهو يتذرَّع في رد الأحاديث بالورع والاحتياط كأنه أورع من البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم من أئمَّة الدين، وفي الوقت نفسه لا يتورَّع أن يستشهد على رأي رآه بما جاء في التوراة أو الإنجيل.

انظر إليه حينما عرض لبيان صهر موسى عليه السلام هل هو شعيب عليه السلام أو غيره؟ فإنه بعد أن ذكر قول الأكثر بأنه شعيب عقب بقوله: «لم

تطاوعني نفسي أن أقول هو شعيب وتمثل لي شيخ المعرَّة يقول -يعني: أبا العلاء المعري-:

لا تظلموا الموتى وإنْ طال المَدى إني أخافُ عليكم أن تلتَقُوا

قال الكاتب الورع: «وخفت أن يلبيني -أي: يأخذ بتلابيبي- شعيب إلى الله يوم القيامة، ويقول: يا رب سل هذا لم جعلني صاحب موسى؟ ولم أكن صاحبه ولا وجدت في زمنه؟».!

وهذا ورع كبير لا مطمع للإمام أحمد في مثله.

ثم انظر إليه حينما عرض للدَّجَّال وحكى قول الشيخ محمد عبده فيه أنه رمز للدَّجل والخرافات وليس شخصًا حقيقيًّا عقب عليه يقول: «كنت أميل إلى هذا وأراه قويًّا ولكني الآن أميل إلى أن الدَّجَّال شخص حقيقيٌّ».

وإلى هنا ليس في الأمر ما يستغرب وإنما الغريب أن يقول في تعليل ميله هذا: «ذلك أني نظرت فوجدت اليهود ينتظرون الدجال».

وذكر أنه لما أرسل الله عيسى عليه السلام ظنه اليهود ملكهم المنتظر ولما وجوده غيره همُّوا بقتله والفتك به، ثم انظر ذكر فقرات من الإنجيل أن عيسى أنذر بظهور مسحه ودجالين بعده.

فأنت ترى من هذا الكلام أنه خالف الشيخ محمد عبده ورأى الدَّجَّال شخصًا حقيقيًّا لا وهميًّا، ولم يستند في رأيه إلى الأحاديث المتواترة المخبرة بالدَّجَّال وإنما استند إلى انتظار اليهود للدَّجَّال وإنذار عيسى بمسحه.

وهذا شخصٌ آخر كان يدرس المقارنة بين المذاهب في كليات الأزهر عرض لموضوع قتل المرتد، وذكر استدلال الفقهاء على وجوب قتله بقوله صلَّى الله عليه

وآله وسلَّم: «**مَن بدَّل دينَه فاقتُلوه**» ثم أراد أن يردَّ الحديث ويتخلَّص منه بأسلوبٍ مُلتوٍ فذكر أنَّ القرآن لم يُشِر إلى قتل المرتدِّ في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ الآية [البقرة: ٢١٧].

ثم عقب بقوله: «إنَّ كثيرًا من العلماء لا يقبل خبر الآحاد في الحدود».

وهذا تدليسٌ بالغ النهاية، فإن التعبير بكثير يوهم أن عشرة من العلماء على الأقل يقولون ما نسبه إليهم، ولكنك إذ بحثت كتب الأصول والفقه وراجعت كتب الخلاف لم تجد غير شخصين اثنين قالا إن خبر الواحد لا يعمل به في الحدود، وهما الكرخي من الحنفية، وأبو عبدالله البصيري من المعتزلة لا ثالث لهم إطلاقًا، ولكنه التجأ لردِّ الحديث بجعل الشخصين أشخاصًا.

وهذا ثالث يتولَّى منصب التفتيش في الأزهر تراه يذكر أحاديث لا زمام لها لأنها أحاديث حسنة في الأخلاق عظيمة في المعنى، كحديث ابن مسعودٍ: «**اعبُد اللهَ ولا تشركْ به، ودُرْ معَ القُرآن أينَما دارَ، واقبَل الحقَّ ممَّن جاءَ بهِ من صغيرٍ أو كبيرٍ...**» إلخ.

أذاع هذا الحديث في المذياع ونشره في أحاديث الصباح، وهو حديث لم يصح عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من وجه، وإنما رواه الطبرانيُّ ومن طريقة ابن عساكر عن ابن مسعودٍ موقوفًا عليه.

ثم في الإسناد إلى ابن مسعودٍ ضعيف، لكنه مع هذا شرحه ونوَّه به كثيرًا على حين أنا نراه يحاول التخلُّص من أحاديث صحيحة.

وهذه مجلة جديدة أصدرتها جماعة التقريب بين المذاهب رأينا أول عدد منها فإذا هي خُلْو من السُّنَّة، لم يشر فيها القائمون على شئونها إلى شيءٍ من

السُّنَّة لا بتصريحٍ ولا بتلميحٍ، بل رأينا كاتب التفسير فيها قدم بمقدمة استقعد فيها قواعد يؤخذ منها طرح السُّنَّة، وترك الرجوع إليها في تفسير القرآن وهذا شيءٌ له خطره، ومن يدري فلعل إهمال السُّنَّة في هذه المجلة تمهيد للتقريب المنشود، ولنا علي هذه المجلة تعقيبات سنظهرها في الوقت المناسب إن شاء الله، وهناك أمثلة أخرىٰ فيها ما هو أدهىٰ مما ذكرناه وستظهر في كتابنا "إرغام المبتدع الجهول باتباع سنة الرسول" وقد جهَّزناه للطبع.

وفي هذا القدر كفاية، وبالله التوفيق.

٣٧- شرح حديث شريف[١]
الأعمال عند الله عزَّ وجلَّ سبع

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**الأعمالُ عند الله عزَّ وجلَّ سبعٌ: عملان مُوجِبان، وعمَلان بأمثالِهما، وعملٌ بعشرِ أمثالِه، وعملٌ بسبعِمائةٍ، وعملٌ لا يَعلم ثوابَ عاملِه إلا الله تَعالى. فأمَّا المُوجِبان فمن مات لا يشرك بالله شيئا وجبتْ له الجنَّة، ومن مات وقد أشركَ وجبتْ له النَّارُ، ومن عمل سيِّئة جُزي مثلَها، ومن همَّ بحسنة ولم يعملْها جُزي مثلَها، ومن عمل حسنةً جُزي بعشرِ أمثالِها، ومن أنفقَ مالَه في سبيل الله ضُعِّفت له نفقتُه، الدرهمُ سبعِمائةٍ، والدينارُ سبعِمائةٍ، والصيامُ لا يعلم ثوابَ عاملِه إلا اللهُ تعالى**». رواه الطبرانيُّ وغيره.

الشرح والبيان

أعمال الطاعات كثيرة متنوعة نوَّعها الشارع لتنشيط المسلم على العبادة والإقبال عليها، ولتعدُّد الواردات التي تتجلَّى على الشخص بتلبُّسه بطاعة من الطاعات، كما قال ابن عطاء الله: «نوَّع لك أنواع العبادات لتعدُّد أنواع الواردات، وما الواردات إلا تجليَّات وإلهامات يلقيها الله في قلوب عباده الطائعين المتقين كما قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]» وفي حديث ورد من مرسل مكحول: «**من أخلَص لله أربعينَ صباحًا ظهرتْ ينابيعُ الحكمة من قلبِه على لسَانِه**».

ولكن الطاعات على تعدُّدها، وكثرة أنواعها لم تخرج من حيث جزاؤها

---

(١) المشرق العربي، السنة الرابعة، العدد (٩) ٥رمضان ١٣٦٨.

والثواب عليها عن أقسام سبعة كما حدَّدها الحديث الذي نشرحه وهي على الترتيب الآتي:

الأول: عمل موجب لدخول الجنة: وهو جزاء من مات على الإيمان، بمعنى أن المرء إذا مات مؤمنًا بالله ورسوله كان مآله إلى الجنة، ثم هو بعد ذلك ينقسم إلى ثلاثة أحوال:

مؤمن لم يعص الله قطُّ فهذا يدخل الجنة بدون سابقة عذاب.

مؤمن عصى الله ثم تاب توبة صحيحة محتْ ذنوبه، فهذا أيضًا يدخل الجنة من غير سابقة عذاب.

مؤمن عصى الله ومات غير تائب، أو تاب توبة غير صحيحة فهذا يأخذ قسطه من العذاب بقدر عصيانه ثم يدخل الجنة بشفاعة أو بمجرد رحمة الله.

فمآل المؤمن إلى الجنة لا محالة، خلافًا للمعتزلة في قولهم إن الفاسق يخلد في النار، وقولهم مخالف لما ثبت في الأحاديث المتواترة من إخراج الموحدين من النار ودخولهم الجنة، ثم أقصى ما يمكثه العاصي المسلم في النار أسبوع من أسابيع الآخرة أي: سبعة آلاف سنة.

الثاني: عمل موجب لدخول النار والخلود فيها: وهو الإشراك بالله فمن مات مشركًا فقد وجبت له النار وحرمت عليه الجنة قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢].

ومثل المشرك: الكافر، وهو من يؤمن بالله ويكفر برسول من رسله، أو ينكر أمرًا معلومًا من أمور الدين كوجوب الصلاة، وحرمة الزنا والخمر إلخ.

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ

ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**والذي نفسُ محمَّدٍ بيدِه، لا يسمَع بي أحدٌ من هذه الأمَّةِ يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ ثم مات ولم يؤمنْ بالذي جئتُ به، إلا كان من أهلِ النَّار**». رواه مسلم في "صحيحه".

الثالث: عمل بمثله، وهو عمل السيئة: وذلك أن الله تعالى رحمة منه بعباده جعل جزاء المعصية بمثلها ولم يضاعفها إلا في حالات معينة، فالمعصية في المسجد تضاعف على المعصية في غيره لحرمة المسجد، والمعصية في رمضان تضاعف عليها في غير رمضان لحرمة هذا الشهر العظيم المبارك، ومن ثم جعل المالكية الفطر في نهار رمضان موجبًا للكفارة الكبرى سواء كان بالجماع أو غيره، مع أن الحديث ورد في الفطر بالجماع فقط، لكن المالكية رأوا أن انتهاك حرمة الشهر تحصل بمطلق مفطِّر كما تحصل بالجماع، وقالوا: لو رفض نية الصيام نهارًا فعليه الكفارة، ولو لم يفطر بالفعل لأن رفض النية إفطار، وكل هذا -كما ترى- تعظيم لحرمة رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان.

ولأجل مضاعفة السيئة لحرمة المكان فضل كثير من الأئمة الابتعاد عن الإقامة بمكة أو المدينة مع اشتياقهم إلى ذلك مخافة أن يقصروا في القيام بحقوق هذه المجاورة الكريمة فيكثر عقابهم ويشتد عذابهم.

الرابع: عمل بمثله أيضًا: وهو الهم بعمل الحسنة، ثم تركها لعذر من الأعذار، كمن هم أن يتصدق فمنعه عذر من الصدقة، فإن الله يكتب له ثواب ما هم به، أما لو ترك الحسنة لغير عذر مع قدرته عليها فهذا لا ثواب له لأنه

مُضرب عن عمل الحسنة والمُضرب غيرُ مثاب.

الخامس: عمل بعشر أمثاله، وهو عمل الحسنة، أي: حسنة كانت صدقة أو صلاة، أو تلاوة قرآن، أو غير ذلك قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] وشرط هذا الجزاء أن يكون العبد مخلصًا فيها لا يقصد بها جاهًا أو غير ذلك، للحديث القدسي: «**أنا أغنى الشُّركاءِ عن الشِّرك من عملَ عملًا أشركَ معي غيري فيه فهو لشريكِهِ وليس لي منه شيء**».

السادس: عمل بسبعمائة: وهو الإنفاق في سبيل الله، وسبيل الله هو الجهاد عند الجمهور، وأضاف إليه أحمد بن حنبل الحج، فمن أنفق ماله في الجهاد أو في الحج مخلصًا لا مباهيًا ولا مكاثرًا، ضعف الله نفقته فيكون الدرهم بسبعمائة والدينار بسبعمائة.

قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦١] ومعلوم أن الإنفاق في الحج على قول أحمد بن حنبل إنما ينطبق عليه هذا الوصف إذا كان الحج للفريضة أو لنافلة ولم يترك الحاج فيها ما هو أوجب عليه منها.

أما ما يفعله كثير من الناس اليوم من الذهاب إلى الحج عدة مرات وتركهم أهلهم أو أولادهم أو أقاربهم في حاجة إلى معونتهم المادية، فمثل هذا الحج لا يعد الإنفاق فيه إنفاقًا في سبيل الله على جميع المذاهب لأن غرض صاحبه التظاهر بكثرة الحج ووضع يده على الشُّباك النبويِّ الشريف.

السابع: عمل لا يعلم ثواب عامله إلا الله تعالى وهو الصوم ذلك لأن الصوم صبر عن الشهوات والملذات، وكبح للنفس عما اعتادته طول السنة من

الإباحة في المآكل والمشارب، والصبر ثوابه غير محدود كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، فلهذا كان الصوم ثوابه غير محدود ولا معلوم، وإنما يعلمه الله تعالىٰ إذ هو الذي يقدره بحسب ما يعلمه من إخلاص الصائم وقوة يقينه واحتساب ثوابه.

هذا مجمل الكلام علىٰ الأنواع السبعة التي بينها الحديث وشرحناها بما زادها وضوحًا وتقريبًا للأفهام، ولا يفوتنا أن ننبه إلىٰ أن هذه الأنواع متداخلة يصحُّ اجتماعها كلُّها أو بعضها في شخص واحد، ومتىٰ اجتمعت في شخص فإنه يعطىٰ علىٰ كل منها ثوابه الخاص فضلًا من الله وكرمًا منه. والله ذو الفضل العظيم.

٣٨- توجيهات إلهية[١]
أحب العباد إلى الله

قال داود فيما يخاطب به ربه: «يا ربِّ أيُّ عبادِك أحبُّ إليك أحبُّه بحبِّك؟ قال: يا داود، أحبُّ عبادي إلي تقيُّ القلب نقيُّ الكفَّين لا يأتي إلى أحد سوءًا ولا يمشي بالنَّميمة تزول الجبالُ ولا يزولُ، أحبَّني وأحبَّ من يحبُّني وحبِّبني إلى عبادي. قال داود: يا ربِّ إنَّك لتعلمُ أنِّي أحبُّك وأحبُّ من يحبُّك فكيف أحبِّبك إلى عبادك؟ قال: ذكِّرهم بآلائي وبلائي، يا داود ما من عبد يمشي مع مظلوم في مظلمتِه إلا ثبَّت قدميه يوم تزولُ الأقدامُ».

الشرح والبيان

هذا أثر إلهي ينبئ عن أوصاف العبد المحبوب عند الله الذي أحب الله فأحبه الله وأكرمه وآواه، ومن قواعد الإيمان أن يحب الإنسان من يحبه الله من أنبيائه وأوليائه وصلحاء خلقه.

لا يتم إيمان العبد إلا بذلك فلهذا سأل داود عليه السلام ربه في بعض مناجاته عن العبد الذي يحبه الله ليحبه داود بسبب محبة الله له فأخبره الله تعالى بجملة صفات إذا اجتمعت في عبد كان كامل الإيمان معدودًا من أولياء الله تعالى.

فقال: «**أحبُّ عبادي إليَّ تقيُّ القلب**» وتقوى القلب: عبارة عن سلامته ونقائه من المعاصي التي تفسده وتجعله بعيدًا عن قبول ما يصلحه، وأساس تقوى القلب سلامته من الشرك بجميع أنواعه، وذلك بأن يكون القلب

---

(١) الشرق العربي، السنة السابعة، العدد (٣٦) ٦ جمادى الأولى ١٣٧٢.

خالصًا للإيمان ليس فيه للشرك والشك والوساوس الشيطانية مكان. وإلى هذا يشير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨ - ٨٩] وفي حديث رواه أحمد: «**قد أفلحَ من أخلَصَ قلبَه للإيمانِ**» الحديث.

ثم يأتي بعد ذلك سلامته من المعاصي التي هي دون الشرك وذلك مثل: الكبر والحقد وحبِّ الظُّهور والفخر وما إلى ذلك، مما يكون له على القلب أشد تأثير، وقد ورد في حديث: «**إنَّ بُدَلاءَ أمَّتي لم يدخلُوا الجنَّة بكثرةِ صلاةٍ ولا صيامٍ، ولكنْ دخلوها بسلامةِ الصُّدور وسخَاوةِ الأنْفُس والرَّحمة بجميعِ المسلمِين**».

«**نقيُّ الكفَّين**»: هذه صفة ثانية من صفات العبد المحبوب عند الله وهي نقاء الكفين والمراد بذلك: أن يكون مكسبه حلالًا لا تمتد يده إلى محرم، فلا يسرق ولا يغصب ولا يغش في المعاملة ولا يقبل الربا، وهذه صفة مهمة جدًّا بل تعتبر أهم شرط بعد الشرك، وقد قال عمر: «كلُّ لحمٍ نبَتَ من سُحْتٍ فالنَّار أولى بِهِ».

وقد يبالغ بعض الأولياء في البعد عن الحرام وصدق المعاملة به مع الله أنه عندما تناول محرم لا يعرفه يجد من نفسه وازاعًا يمنعه عن تناوله.

كان سهل بن عبد الله التستري يقول: «إذا أردت تناول محرم يضرب عرقٌ في يدي فأعلم أن ذلك الشيء محرم فلا أتناوله»، وكذلك قال أبو العباس المرسي.

بل ذكر الحافظ السيوطي في كتاب "حسن المحاضرة" أن الشيخ القباري المدفون بالإسكندرية باع بغلته لشخص لا يعرفه فمكثت البغلة يومين لا تأكل

شيئًا فردها المشتري إلى الشيخ وقال إن هذه البغلة مريضة لأنها لم تأكل يومين، فسأله الشيخ ما صنعتك؟ فأخبره أنه رقَّاص، فقال الشيخ: رد عليَّ بغلتي وخذ نقودك فإن بغلتي لا تأكل الحرام!!

«**لا يأتِي إلى أحدٍ سوءًا**»: هذه صفة ثابتة من صفات العبد المحبوب عند الله ومعناها: أنه لا يؤذي أحدًا لا بيده ولا بلسانه، بل ولا يسعى في إيذائه، وفي الحديث الصحيح: «**المُسلمُ من سَلِمَ المسْلِمون منْ لسانهِ ويدِه، والمؤمنُ منْ أمِنَهُ النَّاسُ على دمائِهِم وأموالِهِمْ**». فالله سبحانه وتعالى لا يحب أحدًا يؤذي الناس أو يحتقرهم إلا في حدود ما أوجبه الله تعالى من الحدود والعقوبات الشرعية.

وقد بلغ الصالحون في حفظ أيدهم وألسنتهم من إيذاء المخلوقات مبلغ لا مطمع فيه لأحد بعدهم.

ذكر تاج الدين السبكي في "طبقات الشافعية الكبرى" أنه كان قاعدًا في مدخل بيته ومعه بعض العلماء ينتظرون خروج والده تقي الدين السبكي، وكان الجو ممطرًا فمر بهم كلب مبتل بالمطر وخاف تاج الدين السبكي أن يلمسه الكلب فينجسه فقال له: امش يا كلب، فسمعه والده تقي الدين فلما خرج إليهم قال لولده: أثمت فيما قلت للكلب، قال له ولده: أليس هو كلبًا؟ قال: نعم ولكنك قلتها له على سبيل الاحتقار، واحتقار المخلوقات إثم.

«**ولا يمشِي بالنَّمِيمَةِ**»: هذه صفة رابعة، وهي وإن كانت داخلة في الصفة التي قبلها فقد أفردت بالذكر هنا للتنبيه على خطورتها فالنميمة من أقبح المعاصي لأنها تفرِّق بين الأحبة، وتُوقع العداوة بين الناس، وتُوغر الصدور، وتُورث الإحَن والضَّغائن، وقد ثبت في الحديث الصحيح أن النبيَّ صلَّى الله

عليه وآله وسلَّم مرَّ على قبرين يعذَّب صاحباهما فقال: «**إنَّهما ليعذَّبان وما يُعذَّبان في كبير** -أي: عند الناس- **بلى إنَّه لكبيرٌ**-أي: عند الله- **أمَّا أحدُهما فكان لا يستَنْزِهُ من البَولِ، وأمَّا الآخرُ فكانَ يمشِي بالنَّمِيمَةِ**».

«**تزولُ الجبالُ ولا يزولُ**»: هذه صفة خامسة ومعناها قوة الإيمان وثبات العزم بحيث يكون الشخص المؤمن أقوى من الجبال الرواسي، لا تزلزله حوادث الدهر ومصائب الزمان.

«**أحبَّني وأحبَّ منْ يحبُّني وحببَّني إلى عبادِي**»: هذه ثلاث صفات مجتمعة من صفات العبد المحبوب عند الله، وهي متلازمة شرعًا، وذلك لأن شرط من يحب الله أن يحب من يحبه الله، وأن يسعى في تحبيب الله إلى عباده لأن أصل الإيمان حبُّ الله وفي حديث آخر: «**الهمَّ إني أسألك حبَّك وحبَّ عمل يقرِّبني إلى حبِّك**».

قال داود: «**يا ربِّ إنَّك لتعلمُ أني أحبُّك وأحبُّ من يحبَّك، فكيف أحبِّبك إلى عبادك؟**» لما علم داود أن من صفات العبد الملازمة لمحبة الله أن يحبب الله إلى عباده، سأل داود عن السبيل الموصل إلى ذلك، فقال الله له: «**ذكِّرهم بآلائي وبلائي**» يعني: إذا أرت أن تحببني إلى عبادي فذكرهم بنعمي عليهم وبلائي وانتقامي ممن عصاني وهذا يوافق قوله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩ - ٥٠].

فالإنسان إذا علم نعم الله عليه وإكرامه له، وعلم بإزاء ذلك أن الله قادر على إزالة تلك النعم وإبدالها نقمًا ومصائب إذا شاء، حفَّزه ذلك إلى حب الله وطاعته والتقرُّب إليه ليضمن دوام نعمه ويبتعد عن مواطن نقمه.

«يا داود ما من عبدٍ يمشي مع مظلوم في مظلمته إلا ثَّبت الله قدميه يومَ تزولُ الأقدامُ»: هذه وصيةٌ إلهيةٌ وجَّهها الله إلى عباده في شخص داود الذي جعله الله نبيًّا وخليفة في الأرض.

أخبر الله في هذه الوصية أن من ساعد مظلومًا ومشى معه في إزالة مظلمته ثبت الله قدميه عند الصراط يوم تزول الأقدام ولا تثبت.

والحكمة في هذا ظاهرة وهي أنه لما كان المظلوم يحتاج إلى من يثبت له حقه ويدفع عنه ما حاق به من ظلم، جعل الله جزاء ذلك تثبيت الأقدام عند الصراط جزاءًا وفاقًا. والله أعلم.

٣٩- السنن والتوجيهات النبوية [١]
قوة الإيمان

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: **«المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمنِ الضَّعيف وفي كلٍّ خيرٌ، احرصْ على ما ينفعُك واستعنْ بالله ولا تَعْجِز، وإن أصابَكَ شيءٌ فلا تقُلْ لو أنِّي فعَلتُ كانَ كذا ولكنْ قلْ: قدَّر اللهُ ما شاء فَعلَ، فإنَّ لو تفتحُ عمَلَ الشَّيطَانِ»**. رواه مسلم في "الصحيح".

الشرح والبيان

ليس من نعمة أنعم الله بها على الإنسان أفضل من نعمة الإيمان لأنه يجلب سعادة الدنيا والنعيم الدائم المقيم في الآخرة.

والإيمان أيضًا يدعو معتنقيه إلى العزة والكرامة وإباء الضَّيم، وفي القرآن الكريم ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨] فليس من شأن المؤمن أن يكون ضعيفًا ذليلًا مهانًا، لأن الإيمان والذلة لا يجتمعان، كما جاء في الحديث الصحيح عن جابر رضي الله عنه: «**نُهي المؤمنُ عن إذلالِ نفسِه**» وذلك من أول مقتضيات الإيمان الذي هو الثقة بالله والاعتماد عليه ألَّا يخضعَ المؤمن لغير الله، ولا يخشى سواه، ولا يرهب أحدًا من الخلق كائنًا من كان.

وهذا الحديث الذي نشرحه يبين هذه الناحية في المؤمن فيقول: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف**»: يعني: أن المؤمن القوي في

---

(١) الشرق العربي، السنة السابعة، العدد (٣٧) ٢٠ جمادى الأولى ١٣٧٢.

إيمانه القوي في عقيدته أفضل وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف لأنه بقوة إيمانه وقوة عقيدته يستسهل الصِّعاب، ويستعذب العَذاب ويستقبل الشدائد والمكاره بصدر رحبٍ وعزيمة ثابتة لا يشتكي ولا يضعف ولا يني ولا يحزن؛ لأنه واثقٌ بأن الله معه وأن النصر آخر الأمر له، وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرًا.

وكذلك المؤمن القوي في بدنه السليم في جسمه أفضل وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف السقيم؛ لأنه بقوة بنيته وسلامة جسمه يقدر على تحمل أعباء الجهاد والثبات في ميادين الحرب والجلاء وأقوى في الدفاع عن جودة الإسلام ودفع العاديات عن بلاد المسلمين، بخلاف المؤمن الضعيف في ذلك كله فإنه لضعفه أقرب إلى الإنهزام أمام الحوادث لا يقدر على الثبات في صعاب الأمور ولا يتحمل مشاقَّ الجهاد والجلاد.

«**وفي كلٍّ خيرٌ**»: كل بالتنوين، أي: في كل من المؤمن القوي والمؤمن الضعيف خير وفضل وإن كان القوي أفضل من الضعيف؛ لأنهما اشتركا في أصل الإيمان وهو خير، بل هو أصل كلِّ خير، وإن تفاوتا بحسب استعدادهما ومقدرتهما لأن الإيمان درجات بعضها أفضل من بعض.

«**احرصْ على ما ينفعُكَ**»: هذا بيان لبعض مظاهر القوة في المؤمن القوي، وإرشاد له إلى سلوك الطريق الأقوى والأقوم والمعنى احرص أيها المؤمن القويُّ على تحصيل ما ينفعك في دينك من شئون العبادات والمعاملات التي تتعيش منها وتكتسب عن طريقها فلا تكسل في العبادات وتأدية ما فرض الله عليك منها ولا تكسل في أمور دنياك التي جعل الله فيها معاشك ولا تقعد عن

تحصيل رزقك وتتمسَّك بالتوكل المذموم فتكون عالة على غيرك بل اجتهد واعمل واسع في تحصيل رزقك.

«**واستعنْ بالله**» في أمورك كلها «**ولا تعجِز**» أي: لا تكسل ولا تقعد عن العمل متوقِّعًا حدوث ما يعرقل طريقك متعللًا بالقضاء والقدر كما هو شأن الكُسالى من الناس، بل امض في حياتك كالسَّهم النافذ.

«**وإن أصابَك شيء**» أي: حدث لك في طريقك ما يعرقل عملك من مرض أو غيره مما لامدخل لك فيه.

«**فلا تقل: لو أني فعلتُ كان كذا**» أي: استسلم لقضاء الله واعلم أن الله لم يرد إتمام ذلك الأمر لأنه لو أراد إتمامه ليسره لك، وسهَّل عليك الوصول إليه، ولا تقل: لو فعلت كذا كان كذا فإن هذا لا يقدم ولا يؤخِّر شيئًا.

«**ولكن قل قدَّر اللهُ ما شاءَ فعَل**» أي: أني فعلت ما أمكنني، وسلكت الطريق المشروع، ولكن قدر الله عاقني عن الوصول إلى النتيجة، وما شاء الله فعل ففي هذه الحالة تجمع بين الحالتين حالة التوكل الصحيح، وحالة الاستسلام لقضاء الله بعد العجز عن بلوغ المراد «**فإن «لو» تفتح عمل الشيطان**» يعني: أن قول الإنسان: لو فعلت كذا لكان كذا يفتح بابًا للشيطان يدخل منه إلى قلبه يوسوس له ويحسره ويحزنه مع أن ذلك لا يغير من قضاء الله شيئًا، والله أعلم.

٤٠- السنن والتوجيهات النبوية[١]

عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**النَّادمُ ينتظِرُ منَ الله الرَّحمةَ، والمُعجَبُ ينتظِرُ المقْتَ، واعلموا عبادَ الله أنَّ كلَّ عاملٍ سيقدُم على عملِه، ولايخرُج من الدُّنيا حتَّى يرى حُسنَ عملِه وسُوءَ عمله، وإنَّما الأعمال خواتيمُها، والليلُ والنَّهارُ مطيَّتان، فأحسِنُوا السَّير عليهما إلى الآخرة واحذرُوا التَّسويفَ، فإنَّ الموتَ يأتى بغْتةً، ولايغتَرنَّ أحدُكم بحلمِ الله عزَّ وجلَّ فإنَّ الجنَّةَ والنَّار أقربُ إلى أحدِكم من شِراك نعلِه**». ثمّ قرأ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨].

الشرح والبيان

النادم: هو التائب، وإنما أطلق على التائب نادم لأن الندم أهم شرط في التوبة، ولا شك أن من ندم على ما فرط منه من الذنوب، وأقلع عنها وعزم على ألا يعود إليها فإنه متعرض لرحمة الله منتظر لعفوه وغفرانه بشرط أن تكون توبته صحيحة لا تردد فيها ولا رجوع.

أما من تاب وهو ينوي الرجوع إلى الذنب أو يتردد في توبته فهذا لا يسمى تائبًا بل هو متلاعب مستهزئ كما ورد في حديث عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**التائبُ من الذنبِ كمنْ لا ذنبَ له، والمستغفرُ من الذنبِ وهو مقيمٌ عليه كالمستهزِئ بربِّه**».

---

(١) الشرق العربي السنة السابعة، العدد(٤٠) ١٢ جمادى الآخرة١٣٧٢.

وقد أخبر الله في غير آية من القرآن الكريم بأنه يحب التوابين والتوبة واجبة على كل مسلم ومسلمة إذ لا يخلو مكلف من الوقوع في الذنوب مهما توقَّى وتحرَّز لأن العصمة للأنبياء فقط، والمعجب -بفتح الجيم-: هو الذي يعجبه عمله ويرضى عن نفسه فإذا وقع منه ذنب لم يهتم له ولم يبال به فلا يحدث له توبة لاعتقاده أن عنده من الأعمال الصالحة ما يجبر الذنوب التي وقعت منه، وهذا لا شك متعرض لغضب الله وانتقامه لأن الله يكره المعجبين بأعمالهم ويحب المعترفين بذنوبهم التائبين منها.

وفي حكم ابن عطاءالله السكندري: «من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل».

وأيضًا فإن المعجب بعمله يظهر بمظهر المستغني عن رحمة الله إذ لو كان مفتقرًا إليها لسلك طريقها وتعرض لها بالتوبة العاجلة، فلما لم يفعل غضب الله عليه ومقته.

«**واعلموا عبادَ الله أنَّ كلَّ عاملٍ سيقدُم على عملِه**» يعني: أن كل عامل سيقدم على عمله في الآخرة خيرًا كان أو شرًّا قال تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾ [الإسراء: ١٣].

«**ولا يخرج من الدنيا حتى يرى حسنَ عمله وسوءَ عمله**»: يعني: أن الشخص قبل مماته يرى مآل عمله فإن كان عمله طاعة وخيرًا ختم له بخير ومات مستورًا، وإن كان عمله غير ذلك كانت خاتمته سيئة، ومات بحالة سوء. ولهذا قال عقب ذلك: «**وإنَّما الأعمال بخواتيمها**»، أي: أن العبرة بخاتمة حياة الشخص.

وهذا يوافق في المعنى قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في حديث صحيح: **«والذي نفسُ محمَّد بيده إنَّ أحدَكم ليعملُ بعملِ أهلِ الجنَّة حتى ما يكُون بينه وبينها إلا ذراعٌ فيسبقُ عليه الكتابُ فيعملُ بعملِ أهل النَّار فيدخلُها وإنَّ أحدَّكم ليعمل بعمل أهل النَّار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراعٌ فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الالجنَّة فيدخلها»**.

«والليل والنهار مطيَّتان فأحسنوا السَّير عليهما إلى الآخرة»: عمر الإنسان عبارة عن ليل يسلِمه إلى نهار، ونهار يسلِمه إلى ليل حتى ينتهي أجله، فلهذا شبه الحديث الليل والنهار بمطيتين يركبهما الإنسان طول حياته حتى يسلماه إلى نهايته المحتومة، ومن كانت له مطية فالمطلوب منه أن يحسن السيرعليها، وأن يصحبها بحسن المعاملة فلا يجهدها ولا يشق عليها، وكذلك الليل والنهار اللذان هما مطية الإنسان ينبغي له بل يجب عليه أن يحسن السير عليهما، وألا يفعل فيهما سوءًا يشهدان عليه به يوم القيامة فإن الزمان والمكان يشهدان للشخص أو عليه بما فعل فيهما من خير أو شر.

وقد جاء في بعض الآثار أن اليوم يخاطب الإنسان بقوله: «أنا فجر جديد وعلى عملك شهيد فإذا انصرفت عنك لم أرجع لك إلى يوم القيامة».

«واحذروا التَّسويف فإنَّ الموتَ يأتي بغتةً»: يعني أن الإنسان لا يسوف بالأعمال الصالحة وبالتوبة النصوح فيقول سوف أفعل كذا أو سوف أتوب كما يفعل كثير من الجهلة حيث يسوفون بتوبتهم إلى أن يحجُّوا أو يتزوجوا وذلك من تغرير الشيطان بهم لأن الأعمار غير مضمونة والآجال مغيبة في علم الله والموت يبغت الإنسان أصح وأقوى ما كان لأن الموت لا يفرق بين صغير

وكبير، فكم من ولد سبق أباه إلى الموت، وكم من مريض عاش بعد سليم.

«**ولا يغترنَّ أحدُكم بحلم الله عزَّ وجلَّ**»: يعني: أن الله حليم على عباده رحيم بهم فلا يعجل لهم بالعقوبة بل يمهلهم لعلهم يتوبون ويرجعون قال تعالى: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [النحل: ٦١].

فالحديث ينهانا أن نغتر بحلم الله إذا رأيناه أنعم علينا مع معصيتنا له ومخالفتنا لأمره فإن حلمه علينا لابد على رضاه بل هو إمهال واستدراج كما قال قيس ابن أبي حازم التابعي المشهور: «إذا رأيت الله منعها عليك وأنت تعصيه فاحذره».

«**فإن الجنة والنار أقرب إلى أحدكم من شراك نعله**»: الشراك بكسر الشين: هو سير النعل الذي تربط به وهذه الجملة من الحديث تصور لقرب الجنة والنار من الإنسان بحيث تكون في متناول يده وما ذاك إلا بعمله الصالح أو السيئ فإن عمل صالحًا كانت الجنة قريبة منه، وإن عمل سيئًا كانت النار قريبة منه فشقاوة المرء وسعادته بيده لأن الله قد نصب له الدليل وأوضح له السبيل قال تعالى: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد: ١٠].

ثم قرأ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨].

ختم الرسول هذا الحديث بهذه الآية الجامعة التي تدل على تمام العدل وغاية الرحمة، ومضمون الحديث يعتبر شرحًا لها وتفصيلًا لبعض معانيها، والله أعلم.

٤١- السنن والتوجيهات النبوية[١]

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن فارقَ الدُّنيا على الإخلاصِ لله وحدَه، وعبادتِه لا شريك له، وإقامِ الصَّلاة، وإيتاءِ الزَّكاة، فارقَها والله عنْهُ راضٍ**».

الشرح والبيان

اشتمل هذاالحديث على أربع قواعد:

الأولى: الإخلاص، وهو قصد وجه الله بالعبادة دون غيره بمعنى أن يصدر الإنسان في جميع أعماله عن باعث ديني لا يقصد به ذكرًا ولا محمدة، وإنما يقصد رضا الله وما عنده من الثواب.

وقد حض الله على الإخلاص في غير آية من القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

والإخلاص هو أفضل المقامات وأعلاها، وهو روح العبادة وسرها كما قال ابن عطاء الله: «الأعمال صور قائمة وأرواحها وجود سر الإخلاص فيها».

فالعمل بلا إخلاص كالجسد بلا روح لايقبله الله ولا ينظر إلى صاحبه والله إذا علم من عبده صدق الإخلاص في عمله أغاثه عند الشدة وفرَّج عنه كل كربةٍ وكان له وليًّا ونصيرًا.

وحسبك دليلًا على ذلك ما جاء في الصحيحين عن النفر الثلاثة الذين ذهبوا

---

(١) الشرق العربي السنة الثامنة، العدد (٦) ٩ شعبان ١٣٧٢.

٢٨٢ ـــــــ

بالصفات التي وصف بها نفسه في القرآن والسنة الصحيحة قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦] أي: إلا ليوحدون ويعرفون.

فهذه الآية الكريمة تصرح بأن الله خلق عباده لحكمة بالغة ومصلحة عظيمة وهي أن يشهدوا له بالوحدانية ويعرفوه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وما بعث الله الرسل وأنزل الكتب إلا لهذا المقصد السامي، فالتوحيد هو دين الله الذي فرضه على عباده منذ آدم إلى يوم القيامة كما جاء في الحديث الصحيح: «**الأنبياءُ أولادُ عَلَّات أمَّهاتهم شتَّى ودينُهم واحدٌ**».

وأولاد العلات: هم الأولاد الذين تكون أمهاتهم متعددة وأبوهم واحد، والمقصود أن توحيد الله وإفراده بالعبادة هو دينه الذي ارتضاه لجميع عباده، وإنما اختلفت الشرائع فيما عداه من الأحكام التي هي فروع ولأجل أن التوحيد هو الأصل والأعمال بعده فروع عنه أخبر الله أن من خالف الأصل واعتقد شريكًا مع الله فإن الله لا يغفر له وهو مخلَّد في النار أبدًا أما من تمسك بالأصل وفرط في بعض الفروع أو كلها فإن الله لابد يغفر له ولو عذب قبل ذلك في النار بما شاء الله أن يعذبه به قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨] وقال عليه الصلاة والسلام: «**من قال لا إله إلا الله نفَعتْه يومًا من دهرِه أصابَه قبل ذلك ما أصابَه**».

القاعدة الثالثة: إقام الصلاة، أي: المحافظة عليها والمواظبة على أدائها في أوقتها المحددة شرعًا مع إتمام أركانها والخشوع فيها.

والصلاة أهم ركن بعد التوحيد لا شيء من أركان الإسلام يعادلها، وقد شدد الشارع فيها تشديدًا بالغًا ولم يقبل في تركها عذرًا من الأعذار حتى أنه

فرض على المسلمين وهو في صفوف القتال أن يصلوا بل جعل الصلاة من أسباب النصر والفتح.

والصلاة مع أهميتها كما قدمنا فإنَّ بعض الصلوات أهم من بعض فقد ورد الحضُّ بصفة خاصة على صلاتي الصبح والعصر، قال عليه الصلاة والسلام: «**من حافظَ على البَرْدَين دخل الجنَّةَ**» يعني: الصبح والعصر.

وقال عليه الصلاة والسلام: «**من فاتَتْه صلاةُ العصرْ فقد حبِطَ عملُه**» وهذا الحديث أحد الأدلة على أن العصر هي الصلاة الوسطى التي قال الله فيها: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨] وقد قيل في كل صلاة من الصلوات أنها الوسطى ولكن الصحيح أنها العصر ويليه في الصحة الصبح.

القاعدة الرابعة: إيتاء الزكاة وهي أهم ركن في الإسلام بعد الصلاة وهي قنطرة الإسلام كما جاء في بعض الأحاديث، وأغلب الآيات القرآنية تقرن الصلاة مع الزكاة وذلك مما يدل على أهميتها وعظم قدرها، ولا غرو فهي طُهرة للمال وإعانة للفقير والمحتاج، ولو كان الأغنياء اليوم يخرجون زكاة أموالهم لكان مجتمعنا سليمًا من هذه الدعاوى الهادمة التي ظهرت بسبب انقطاع التعاون بين المسلمين وبخل الأغنياء وحقد الفقراء.

هذه قواعد أربعة هي دين الإسلام وروحه وخلاصته فلا شك أن من عمل بها وداوم عليها حتى فارق الدنيا ولم يقصر في شيء منها كان جزاؤه رضا الله وثوابه والله أعلم.

٤٢- السنن والتوجيهات النبوية[١]

عن ابن عبَّاسٍ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «إنَّ الله ناجى موسى بمائةِ ألفٍ وأربعين ألفِ كلمةٍ في ثلاثةِ أيَّامٍ فلما سمِعَ موسى كلامَ الآدميِّين مقتَهم لما وقعَ في مسامِعِه من كلامِ الربِّ عزَّ وجلَّ، وكان مما ناجاه الله بِهِ أنْ قال: يا موسى لم يتَصنَّع المتصَنِّعون لي بمِثلِ الزُّهدِ في الدُّنيا، ولم يتقرَّب المتقرِّبون إليَّ بمِثلِ الورَعِ عمَّا حرَّمتُ عليهِم، ولم يتعبَّد المتعبِّدون لي بمثلِ البُكاء من خَشْيتِي.

قال موسى: يا ربَّ البريَّة كلِّها ويا مالكَ يومِ الدِّينِ ويا ذا الجلالِ والإكرامِ ماذا أعددتَ لهُم وماذا جزَيتَهُم؟

قال: يا موسى أمَّا الزُّهادُ في الدُّنيا فإنِّي أبحتُهم جنَّتي يتبوَّؤون منها حيثُ شاءوا، وأما الوَرعُون عما حرَّمتُ عليهم فإنَّه إذا كان يومُ القيامةِ لم يبقَ عبدٌ إلَّا فتشْتُه وحاسبْتُه وناقشْتُه إلا الورعين فإنِّي أستحْيِيهم وأُجِلُّهم وأكرمُهم فأدخلُهم الجنَّة بغير حسابٍ، وأما البكَّاؤون من خشيتي فأولئك لهم الرَّفيق الأعلى لا يُشارَكُون فيهِ»

الشرح والبيان

موسى عليه السلام كليم الله بنصِّ القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤] وقد تعددت مناجاة الله لموسى في مواقف أخبر القرآن عن بعضها كما جاء في الأحاديث بيان بعضها الآخر.

وهذا الحديث الذي نشرحه اليوم يبين موقفًا من تلك المناجاة التي

---

(١) الشرق العربي السنة الثامنة العدد (٨) ٢٣ شعبان ١٣٧٢.

تكررت بين الله وبين عبده موسىٰ، وتكليم الله لموسىٰ لا يمكن لبشر أن يعرفه علىٰ كنهه وحقيقته لأن ذلك خارج عن طوق البشر وإنما يجب علينا الإيمان بأن الله كلم موسىٰ كما شاء علىٰ الوجه الذي أراد بغير بحث عن الكيفية والصفة.

وهذا الحديث الذي يقول: «**إن الله ناجى موسى بمائة ألف وأربعين ألف كلمة في ثلاثة أيام**» لا يريد تحديد الكلام بنوع خاص وصيغة خاصة، وإنما أراد تقريب ذلك إلىٰ أفهامنا وعقولنا بما تعارفناه من أن الكلام لا يكون إلا بحروف وكلمات وإلا فكلام الله منزه عن أن يكون مثل كلام البشر بحروف وأصوات تعتمد علىٰ مقاطع ومخارج.

أما قوله: «**فلما سمع موسى كلام الآدميين مقتهم لما وقع في مسامعه من كلام الرب عز وجل**» فهو تصوير للفرق الواضح بين كلام الخالق وكلام المخلوق فموسىٰ عليه السلام حين سمع كلام الله علىٰ الوجه الذي أراده الله تعالىٰ، ثم سمع كلام الخلق وقع كلام المخلوقات في سمعه أشبه بأصوات العجماوات هذا تصوير تقريبي وإلا فالفرق أبعد من ذلك.

ثم بين الحديث بعض ما اشتملت عليه المناجاة مما يفيد الحض علىٰ التمسك بما جاء فيها من تلك الوصايا الإلهية العظيمة وهي قوله تعالىٰ: «**يا موسى لم يتصنع المتصنعون لي بمثل الزهد في الدنيا**».

معنىٰ التصنع: التجمل وتحسين الهيئة، والمعنىٰ أن العباد حين يتجمَّلون ويتحلون بالصفات الفاضلة للقاء لله لا يجدون أفضل من التجمل والتحلي بصفة الزهد في الدنيا لأن الزهد في الدنيا هو أحب الصفات إلىٰ الله تعالىٰ لأمرين:

الأول: أن الدنيا يبغضها الله ولا يحبها وإنما جعلها دار ابتلاء وامتحان يمتحن فيها عباده بالتكاليف ويبتليهم بالمصائب ليظهر الطائع من العاصي والصابر من الجزع، وقد ورد في بعض الأحاديث الصحيحة: «**لو كانت الدنيا تساوي عند الله جناحَ بعوضةٍ ما سقى كافرًا منها جَرْعةَ ماءٍ**».

الثاني: أن الاشتغال بالدنيا يُلهي عن طاعة الله وفي ذلك هلاك العبد وخسرانه لأن الله إنما خلقنا لعبادته، وخلق الدنيا لنتقوىٰ بما فيها من المنافع المباحة علىٰ ما خلقنا لأجله فالرُّكون إليها جهل بحكمة الله وعدم وثوق بما وعد عباده الصالحين به في الآخرة.

ثم ليس معنىٰ الزهد أن يترك الإنسان أسباب السعي علىٰ المعيشة ويقعد عالة علىٰ الناس، ولكن معنىٰ الزهد أن تكون الدنيا في يد الإنسان لا في قلبه فيباشر الأسباب التي أهله الله لها ويكتسب قوته من الطرق المشروعة ويعُول نفسه ومن تجب عليه نفقته وفي الوقت نفسه لا يبخل بالمال عن إنفاقه في وجوه الخير.

وقوله تعالىٰ: «**ولم يتقرَّبْ المتقرِّبون إليَّ بمثلِ الوَرَعِ عما حرَّمتُ عليهم**» هذه وصية ثانية من الوصايا الثلاث وهي الورع عن المحرمات ومعنىٰ الورع: أن يكون الإنسان رقيبًا علىٰ نفسه يحاسبها علىٰ كل ما تفعل فإذا رأىٰ في شيء شبه تحريم ابتعد عنه حذرًا من الوقوع في الحرام، والورع ملاك الدين كما جاء في حديث آخر، ومِلاك الدين بكسر الميم أي أن من حاز الورع فقد ملك الدين.

وقوله تعالىٰ: «**ولم يتعبَّدْ المتعبِّدون لي بمثل البُكاءِ مِن خَشْيتي**». آخر الوصايا الثلاث.

والبكاء من خشية الله من أفضل القربات وأعظم المقامات لأنه يدل على امتلاء القلب بخشية الله واستشعاره لعظمته وجبروته، وبالضرورة إذا استشعر القلب عظمة الله اعترف الإنسان بضعفه وعجزه والتجأ إلى الله في أن يجبر كسره ويغفر زلته فيستجيب الله له كما جاء في بعض الآثار: «أنا عند المنكسرة قلوبُهم من أجلي».

هذه ثلاث وصايا تشتمل على ثلاثة مقامات وهي: الزهد، والورع، والبكاء من خشية الله، جعل الله لكلٍّ مقام منها جزاءً من جنسه فجعل جزاء الزهد في الدنيا إباحة الجنة للزهاد كما قال: «**أما الزهاد في الدنيا فإني أبحتهم جنتي يتبوأون منها حيث شاءوا**». وذلك لأن الزهاد منعوا أنفسهم في الدنيا عن كثير من اللذائذ المباحة واقتصروا على القوت الضروري فعوضهم الله التمتع المطلق بما في الجنة من نعيم مقيم.

وأما الورعون فإن الله يدخلهم الجنة بغير حساب كما قال: «**وأما الورعون عما حرمت عليهم فإنه إذا كان يوم القيامة لم يبق عبد إلا فتشته وناقشته إلا الورعين فإني أستحييهم وأجلهم وأكرمهم فأدخلهم الجنة بغير حساب**».

وذلك لأن الورعين قد حاسبوا أنفسهم في الدنيا وناقشوها على أعمالها فأعفاهم الله من حساب الآخرة، واستحياء الله منهم كفاية عن تكريمهم وإجلالهم.

يأتي بعد ذلك البكاء من خشية الله وهو أعلى المقامات لذلك جعل الله جزاءه موافقًا له حيث قال: «**وأما البكَّاءون من خشيتي فأولئك لهم الرفيق الأعلى لا يشاركون فيه**».

هذا جزاؤهم في الجنة أما في الموقف فإن الله يجازيهم بأن يظلهم في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله وذلك لما سبق أن بيناه من أن البكاء دليل على استشعار القلب عظمة الله واعتراف العبد بضعفه وعجزه.

وفقنا الله إلى الانتفاع بهذه الوصايا الإلهية العظيمة حتى نتصف بما فيها من الأخلاق الفاضلة والمقامات العالية.

٤٣- السنن والتوجيهات النبوية[١]

فضائل شهر رمضان

عن عبادة ابن الصامت قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يومًا وحضر رمضان: «**أتاكُم رمضانُ، شهرُ بركةٍ يغشاكم الله فيه فينزلُ الرحمةَ ويحطُّ الخطايا ويستجيبُ فيه الدعاء ينظرُ الله إلى تنافسِكم فيه ويُباهي بكم ملائكتَه فأرُوا الله من أنفسِكم خيرًا فإنَّ الشقيَّ من حُرِم فيه رحمةَ الله عزَّ وجلَّ**».

شهر رمضان شهر عظيم مبارك أنزل الله فيه القرآن إلى بيت العزة في السماء الدنيا، وجعل الله صيامه ركنًا من أركان الإسلام وادخره لهذه الأمة المحمدية إكرامًا لنبيِّها صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فلم يفرض صوم هذا الشهر على أمة من الأمم من قبلنا وإنما كان يفرض عليهم صوم أيام معدودات من بعض الشهور كما ثبت أن صوم عاشوراء كان مفروضًا على اليهود وفرض على المسلمين أيضًا في أول الهجرة، ولما فرض رمضان نسخ عاشوراء وأصبح صومه سنة.

وشهر رمضان -إلى جانب هذا- موسم من مواسم العبادة والبر والعطف، كان السلف ينتظرون دخوله فيستقبلونه بأنواع من العبادات ويجتهدون فيه ما قدر لهم الاجتهاد، يقتدون في ذلك برسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، حيث كان يخصُّ رمضان ما لا يخصُّ غيره من الشهور، وكان يحضُّ على الاجتهاد فيه بأنواع الطاعات.

وهذا الحديث الذي نشرحه اليوم من جملة الأحاديث التي وردت في فضل

---

(١) الشرق العربي، الثامنة، العدد (٩) ١ رمضان ١٣٧٢.

رمضان والتعرض فيه لنفحات الله تبارك وتعالى.

يقول النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أتاكم رمضان**» أخذ العلماء من هذا الحديث وغيره جواز أن يقول الشخص «رمضان» من غير إضافة كلمة شهر إليه، وذهب بعضهم إلى أنه يكره أن يفرد رمضان عن كلمة شهر بل يقال: «شهر رمضان» واستدلوا بحديث ضعيف جاء فيه: «**لاتقُولوا رمضان ولكنْ قُولوا شهر رمضان فإنَّ رمضانَ اسم من أسماءِ الله تعالى**»، والصحيح الأول ولم يثبت في أسماء الله تعالى اسم رمضان.

«**شهر بركة يغاشكم الله فيه**» أخبر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنَّ رمضان شهر بركة ومعنى البركة: الخير والبر، ثم بيَّن بركة رمضان بأن الله يغشى عباده فيه، وليس معنى غشيان الله لعباده أنه يأتيهم وينتقل إليهم بحركة فإن الله منزَّهٌ عن ذلك ولكن معناه هو ما بينه بقوله: «**فينزل الرحمة ويحطُّ الخطايا ويستجيب فيه الدعاء**».

فمعنى غشيان الله أنه يتجلى على عباده الصائمين في رمضان بعموم رحمته ويحط خطاياهم، أي يكفر عنهم سيئاتهم ويستجيب دعاءهم إذا دعوه لكن هذا مشروط بأن يجتنب الصائم كبائر المحرمات لقوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في حديث آخر صحيح: «**الصلاةُ إلى الصلاةِ والجمُعة إلى الجمُعة ورمضانُ إلى رمضانَ مكفِّرات لما بينَهن إذا اجتُنبت الكبائرُ**».

ومشروط أيضًا بحفظ الصائم لسانه عن الفحش واللغو وحفظ سمعه وبصره عما يحرم سماعه والنظر إليه.

كما أن استجابة الدعاء مشروطة بأكل الحلال، أما من يأكل الحرام فلا حظ

له في استجابة الدعاء والأحاديث في هذا المعنى كثيرة لا حاجة إلى الإطالة بها.

«**ينظر الله إلى تنافسكم فيه ويباهي بكم ملائكته**»: في هذه الجملة حضٌّ بليغٌ على الإكثار من العبادة في شهر رمضان لأن الصائم إذا علم أن الله ينظر إلى عمله في هذا الشهر بصفة خاصة، ويباهي به ملائكته حفزه ذلك إلى الإكثار من العبادة ليحظى برضاء الله ويفوز بثوابه.

ولهذا كان السلف كما قلنا يجتهدون في هذا الشهر مالا يجتهدون في غيره، فكانت عائشة تنقطع في هذا الشهر للصلاة وتلاوة القرآن، وكان الإمام مالك إذا دخل رمضان ترك دروسه وأقبل على تلاوة القرآن، وكان الإمام الشافعي يقرأ في شهر رمضان ستين ختمه، إلى غير ذلك مما ورد عن السلف من أنواع العبادات والاحتفال بهذا الشهر العظيم.

«**فأروا الله من أنفسكم خيرًا**»: يعني: اجتهدوا في العبادات حتى يرضى الله عنكم ويرى أنكم قد قمتم بحق هذا الشهر خير قيام.

«**وأن الشقيَّ من حُرم فيه رحمةَ الله عزَّ وجلَّ**»، يعني: أن من مر عليه شهر رمضان وهو متكاسل في العبادات غير قائم بحق هذا الشهر فإنه شقي لحرمانه من رحمة الله التي ينزلها على عباده الصائمين القائمين.

نسأل الله أن يوفقنا لاغتنام بركة هذا الشهر ويجعلنا من الصائمين المقبولين المشمولين برحمته وعنايته.

٤٤- شرح حديث شريف[١]

قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا دخل رمضانُ فُتِّحت أبوابُ الجنَّةِ وغُلِّقتْ أبوابُ جنَّهم وسُلسِلَتْ الشَّياطينُ**». رواه الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الألفاظ اللغوية:

فُتِّحت، وغُلِّقت: بضمِّ أولها وكسر ثانيهما مع تشديده، ويجوز تخفيفه، لكن الرواية جاءت بالأول. ومعنى الكلمتين واضح.

وسلسلت بضم أوله وكسر ثالثه معناه: ربطت بالسلاسل .

الشرح

شهر رمضان شهر عظيم القدر خصَّه الله تعالى بأنواع من الفضائل والمزايا ليست لغيره من بقية أشهر السنة، وتلك المزايا كثيرة ذكر منها في هذا الحديث ثلاث:

الأولى: تفتيح أبواب الجنة، واختلف هل هذا التفتيح حقيقيٌّ أو هو كناية عن شيء آخر؟ فقال ابن المنير المالكي أنه حقيقيٌّ، ولا ضرورة تدعو إلى صرف اللفظ عن ظاهره.

قلت: ويؤيده حديث ابن عبَّاسٍ الطويل في فضل رمضان، وفيه أن الله تعالى يقول: «**يا رضوانُ، افتحْ أبوابَ الجِنانِ. ويا مالكُ، أغلقْ أبوابَ الجحيمِ عن الصَّائمين من أمَّة أحمدَ**».

---

(١) مجلة هدي الإسلام، السنة الأولى، العدد (٧) ١٧ رمضان ١٣٥٣.

وهذا الحديث رواه أبو الشيخ ابن حيان في كتاب "ثواب الأعمال" والبيهقي في كتاب "فضائل الأوقات"، وهو وإن كان ضعيفًا يستأنس به في مثل هذه المواضع على أن ضعفه قريب محتمل.

وقيل أن تفتيح أبواب الجنة كناية عن تفتيح أبواب الرحمة، وأُيد برواية مسلم: «**إذا دخل رمضانُ فتِحت أبوابُ الرَّحمة**».

وأجيب بأن أصل الرواية: «**فتحتْ أبوابُ الجنَّة**» ولكن الرواة تصرفوا فأبدلوها تارة بأبواب الرحمة وتارة بأبواب السماء كما في رواية مسلم أيضًا.

وقيل إن تفتيح أبواب الجنة عبارة عما يفتحه الله لعباده في هذا الشهر من الطاعات التي هي سبب لتفتيح أبواب الجنة حقيقة.

ولا شك أن رمضان خص بأنواع من الطاعات مثل التراويح وغيرها.

الثانية: تغليق أبواب جنهم، وفيه من الخلاف ما في الذي قبله، فقيل إن التغليق حقيقي ويؤيده حديث ابن عبَّاسٍ المتقدم، ويؤيده أيضًا رواية النسائي من طريق أبي صالح عن أبي هريرة بلفظ: «**غلقت أبواب النار**» كناية عن صرف همم الصائمين عن المعاصي التي يؤول أصحابها إلى النار، ونحوه قول التوربشتي: «تغليق أبواب جنهم كناية عن تنزه أنفس الصُّوَّام عن رجس الفواحش والتخلص من البواعث عن المعاصي بقمع الشهوات».

قلت: ولرمضان في ذلك تأثير كبير فكثير من المنهمكين في المعاصي تراهم إذا حل هذا الشهر أقلعوا عن معاصيهم وكفُّوا عنها، وقد شاهدنا أناسًا لا يصلون من العام كلِّه إلا في شهر رمضان.

الثالثة: تسلسل الشياطين، أي: ربطهم بالسلاسل. واختلف في هذا الربط

هل هو حقيقي وهل الذي يربط جميع الشياطين أو بعضهم، وعلى الثاني هل هم المردة العتاة أو مسترقو السمع؟ والصحيح من هذا كله أن الربط حقيقي، وأن المربوط بعض منهم وهم المردة.

وإلى ما ذكرناه ذهب ابن خزيمة واستدل بما رواه هو في "صحيحه" من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعًا: «**إذا كانت أول ليلة من شهر رمضان صُفِّدت الشَّياطين مَرَدةُ الجِنِّ...**» الحديث وإسناده صحيح.

ورواه النسائي من طريق أبي قلابة عن أبي هريرة ولفظه: «**تغَلُّ فيه مردة الشياطين**».

وقوله: «**صفدت**» بضم الصاد وكسر الفاء المشددة معناه: شُدَّت بالأصفاد وهي السلاسل والأغلال. واستشكل بعض العلماء الأحاديث المتقدمة بأن مقتضى ما صرحت به من حبس الشياطين في رمضان أن لا تقع فيه الشرور والمعاصي والشاهد خلاف ذلك فإنا نرى المعاصي تقع في هذا الشهر، وأجاب صاحب المفهم وغيره بوجوه:

١- أن الذي يحبس بعض الشياطين وهم المردة أي: الطغاة الجبابرة دون غيرهم، فيجوز أن تقع المعاصي بوسوسة غيرهم ممن لم يحبس من الشياطين.

٢- أن المراد من حبس الشياطين تقليل المعاصي وهذا أمر مشاهد فإن وقوع المعاصي في رمضان أقل من غيره.

٣- أن عدم وقوع المعاصي في رمضان متحقق لكن بالنسبة للصائمين الذين حافظوا على شروط الصوم ورعوا آدابه فهم الذين لا تقع منهم المعاصي.

٤- أنه لا يلزم من حبس الشياطين عدم وقوع المعاصي لأن أسباب

المعاصي كثيرة، مثل النفوس الخبيثة فإنها بطبعها ميالة إلى المعاصي داعية إليها، ومثل شياطين الإنس وهؤلاء لا يحبسون في رمضان.

وسلك بعضهم مسلكًا آخر أبطل به الاستشكال من أصله فقال: ليس المراد من حبس الشياطين إلا قطع عذر المكلف لأن كثيرًا من الناس إذا فاتته طاعة، أو حصلت منه معصية نسب ذلك إلى الشيطان واعتل بوسوسته فكان حبس الشياطين لدفع ذلك، فكأن الله يقول للمكلف: قد حبست عنك الشياطين الذين تعتذر بهم فيما يقع منك من تقصير، ولم يبق لك ما تعتذر به فاجتهد واغتنم هذا الشهر العظيم.

ومما يتعلق بالحديث من الفوائد ما استنبطه العلماء من قوله: «**اذا دخل رمضان**» قالوا: فإنه يدل على أنه يجوز أن يقال: رمضان من غير أن يضاف إليه لفظ شهر، وهذا مذهب البخاري والنسائي، وصححه النووي.

وقال جماعة من المالكية والشافعية: يكره أن يقال رمضان بدون أن يضاف إليه لفظ شهر، واستدلوا بما رواه ابن عدي والبيهقي من طريق محمد بن أبي معشر، وعن أبيه، عن سعيدالمقبري، عن أبي هريرة مرفوعًا: «**لا تقولوا رمضان فإن رمضان اسم من أسماء الله ولكن قولوا شهر رمضان**».

وأجاب أصحاب القول الأول بضعف هذا الحديث بأن أبا معشر ضعيف في رواية الحديث، وبالخصوص في روايته عن المَقْبُري.

قال ابن أبي شيبة: سألت علي بن المديني عن أبي معشر فقال: ذاك شيخ ضعيف كان يحدث عن محمد بن قيس ومحمد بن كعب بأحاديث صالحة وكان يحدث عن المقبري ونافع بأحاديث منكرة.

وكذا ضعفه النسائي والدارقطني وغيرهما، وقال البخاري: منكر الحديث.

ثم لو كان هذا الحديث أفاد كراهة أن يقال رمضان فقط لجاز لنا أن نعمل به وإن كان ضعيفًا لأن الكراهة تنزيهية والضعيف يعمل به فيها كما قال النووي، ولكن الحديث أثبت زيادة على الكراهة أن رمضان اسم لله تعالى ومعلوم عند أهل السنة أن أسماء الله تعالى وصفاته توقيفية لا يثبت شيء منها له تعالى إلا بقرآن أو حديث صحيح متفق على صحته، وهذا الحديث ليس بصحيح فلذلك لم يعمل به، والله أعلم.

٤٥- شرح حديث شريف[١]

قال - صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَنْهُومَانِ لايشْبَعَانِ: منهومٌ في علمٍ لا يشبَعُ، ومنهومٌ في مالٍ لا يشبَعُ**». رواه الحاكم عن أنس رضي الله عنه.

الألفاظ اللغوية:

«النَّهم»: إفراط الشهوة في الشيء وكثرة الازدياد منه، يقال: نَهِم بكسر الهاء في الماضي وفتحها في المضارع إذا اشتدت شهوته إلى أكل أو غيره، والوصف منه يأتي على ثلاث صيغ: نَهِم- ونَهِيم- ومَنْهُوم

الشرح

فقوله: «**منهومان لا يشبعان**» معناه: شخصان مفرطان في شهوتهما لا يشبعان مما يشتهيانه، بل كلما حصلا منه شيئًا اشتدت شهوتهما إلى ما بعده وهكذا، ومما لا شك فيه أن أنواع الشهوة كثيرة تختلف باختلافها أوصاف المنوهمين مدحًا وذمًا فلذلك كان قوله: «**منهوم في علم...**» إلخ، موقعه مما قبله موقع المفصَّل من مجمَله في الإيضاح للمعنى والتقييد لعموم اللفظ.

وقد جمع النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في هذا التفصيل بين ممدوح ومذموم، فالنَّهم في العلم محمود وممدوح بدليل الأحاديث الكثيرة الدالة على فضل العلم، وسنشرح بعضها على صفحات هذه المجلة الغراء إن شاء الله تعالى.

وقد روى عمرو بن الحرث، عن درَّاج أبي السَّمح، عن أبي الهيثم، عن أبي

---

(١) مجلة هدي الإسلام السنة الأولى العدد (٥) ٢٥ شعبان ١٢٥٣.

سعيد الخدري مرفوعًا: «**لن يشبَعَ المؤمنُ من خيرٍ**». وفي لفظ: «**من علمٍ يسمَعُه حتَّى يكونَ منتهاهُ الجنَّة**».

والنهم في الدنيا مذموم بدليل الأحاديث الدالة على مدح التقلل منها وفي "سنن الترمذي" مرفوعًا: «**يقولُ ابنُ آدمَ: مالي مالي، وهل لكَ من مالِكَ إلَّا ما تصدَّقت فأمضَيتَ أو أكلتَ فأفنيتَ أو لبِستَ فأبلَيتَ؟**».

وفي "السنن" أيضًا مرفوعًا: «**لو كان لابن آدم واديًا**[1]**من ذهب لأحبَّ أن يكون له ثانيًا ولا يملأُ فاه إلا التُّرابُ ويتوبُ الله على من تابَ**».

وكلا الحديثين قال عنهما الترمذي: «حسن صحيح».

هذا ما يتعلق بشرح الحديث على سبيل الاختصار والإيجاز على أن لحديث واضح المعنى وإنما ذكرته لأتكلم على إسناده من حيث الصناعة الحديثية؛ لأني رأيت في بعض الجرائد اليومية السائرة مقالًا لبعض الناس طعن فيه على هذا الحديث، وذكر أنه موضوع أو ضعيف أو نحو هذا، والواقع أن الحديث صحيح لا غبار عليه ولا مطعن فيه وإليك أيها القارئ بيان ذلك:

قال الحاكم في "المستدرك": حدثنا علي بن حَمْشَاد العدل: ثنا يحيى بن منصور الهروي: ثنا أحمد بن نصر المقري النيسابوري: وأخبرني أبو الحسن محمد بن عبدالله الجوهري: ثنامحمد بن إسحاق الإمام -يعني ابن خزيمة-: ثني أحمد بن نصر: ثنا شريح بن النعمان: ثنا أبو عوانة، عن قتادة، عن أنس قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَنْهُومان لا يَشْبَعان: مَنْهُومٌ في**

---

(١) كذا في "سنن الترمذي" وهو مخالف لقواعد اللغة ولعله من تصحيف بعض الرواة بدليل أنه جاء بلفظ آخر مستقيم.

عِلْمٍ لا يَشْبَعُ، ومَنْهُومٌ في دُنيا لا يَشْبَعُ».

ثم قال الحاكم: «هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ولم أجد له عِلَّة». وسلَّم كلامه الحافظ الذهبي في "التلخيص".

وهذا السند كافٍ في صحة الحديث ولكنا مع ذلك نذكر أسانيد أخرى حتى يظهر خطأ من ضعَّفه أو تكلم فيه ظهور الشمس في كبد السماء ليس دونها سحاب، ولكي لا يجرؤ أحد على تصحيح الأحاديث أو تضعيفها بدون معرفة قواعد علم الحديث ولا تثبت في النقل عن أصحابه.

قال الحاكم أيضًا: ثنا أبو عمرو عثمان بن أحمد بن السماك: ثنا أبو جعفر محمد بن عبيدالله بن أبي داود المنادي: ثنا روح بن عبادة: ثنا كَهْمَس بن الحسن، عن عبدالله بن شقيق قال: جاء أبو هريرة إلى كعب يسأل عنه وكعب في القوم، فقال كعب: ما تريد منه؟ فقال: أما أني لا أعرف أحدًا من أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يكون أحفظ لحديثه مني. فقال كعب: أما إنك لن تجد أحدًا يطلب شيئًا لا يشبع منه يومًا من الدهر إلا طالب علم وطالب دنيا، فقال: أنت كعب فإني لمثل هذا جئت.

ثم قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين وقول الصحابي إني لحديث رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أحفظ من غيري يخرج في مسانيده». وسلَّمه الذهبي غير أنه قال: «في السند انقطاع».

وأخرج الطبراني في"الكبير"، والقضاعي في "المسند" من طريق أبي بكر الداهري، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن زيد بن وهب عن عبدالله بن مسعودٍ، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**منهومان لا يشبعان: طالب**

علم، وطاب دنيا». أبو بكر الداهري ضعيف.

وقال ابن أبي شيبة: ثنا ابن إدريس، عن ليث، عن طاووس، عن ابن عبَّاسٍ قال: «منهومان لا تنقضي نهمتُهما طالب علم وطالب دنيا». هكذا رواه ابن أبي شيبة موقوفًا.

ورواه الطبراني في "الكبير"و"الأوسط"، والبزار في "المسند" من طريق ليث -هو ابن أبي سليم- عن مجاهد، عن ابن عبَّاسٍ به مرفوعًا.

وليث بن أبي سليم حسن الحديث في الأصول على الانفراد فكيف مع المتابعات في الشواهد.

وروى الطبراني في "الأوسط"، بإسناد ضعيف عن عائشة مرفوعًا: «**أربعٌ لا يشبعنَ من أربعٍ: عينٌ من نظرٍ، وأرضٌ من مطرٍ، وأنثى من ذكرٍ، وعالمٌ من علْمٍ**».

أفلا يستحيي من يقدم على تضعيف حديث مثل هذا له من الطرق ما لا ينزل بها عن رتبة الحسن فضلًا عن كون أحد طرقه بانفراده على شرط الصحيحين بإقرار الذهبي وكفى به ناقدًا.

٣٠٢ ـــــــ

الإنسان حينئذ أن تصدر منه معصية لأنه يرىٰ نفسه مغمورًا في إحسان الله إليه، وليس من العدل ولا من العقل أن يقابل الإحسان بالاساءة، فيجتهد في الطاعة ويبتعد عن المعصية إرضاء للخالق المنعم المتفضل سبحانه وتعالىٰ.

ومن نِعَم الله علينا أنه يرضى منا بالعمل اليسير من الطاعة ويثيبنا عليه بالكثير من الثواب، مع أننا لو عبدناه الليل والنهار ما بلغنا حق نعمة من نعمه الكثيرة، وكان داود عليه السلام يقول: «إلهي لو أنَّ لكلِّ شعرةٍ منِّي لسانَين يسبِّحانِك الليلَ والنهارَ ما قضيتُ نعمةً من نِعمِكَ».

ثانية تلك الخصال: «لسانٌ ذاكرٌ»، والذكر يدل علىٰ حب المذكور واشتغال القلب به وفي حديث ضعيف: «**مَن أحبَّ شيئًا أكثرَ منْ ذِكرِه**».

ثم الذكر أنواع كثيرة:

منها -وهو أفضلها-: تلاوة القرآن إذ هو كلام الله القديم، وهو الذكر الحكيم فيه الهدىٰ والنور، هو القول الفصل، والجِدُّ ليس بالهزْل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغىٰ الهدىٰ في غيره أضله الله.

ومنها: الاستغفار: وهو استغفر الله، **ومنها**: قول لا إله إلا الله أو سبحان الله أو الحمد لله إلىٰ غير ذلك.

وينبغي للإنسان ألا يخلي نفسه من ذكر يقوله كل يوم فقد وردت أحاديث كثيرة صحيحة في فضل الذكر والإكثار منه بقدر الطاقة.

قال معاذ بن جبل: آخر كلام فارقت عليه رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أن قلت: يا رسول الله، أي الأعمال أحب إلىٰ الله؟ قال: «**أنْ تموتَ ولسانُكَ رطبٌ منْ ذِكرِ اللهِ**».

ثالثة تلك الخصال: «بدن صابر على البلاء». لأن الله تعالى طبع هذه الحياة الدنيا على الكدورات والأغيار، وجعلها دار امتحان واختبار، فمن أرادها صفوًا بلا كدر فقد طلب محالًا:

ومكلِّف الأيام ضدَّ طِباعِهَا مُتطلِّب في الماءِ جَذْوةِ نارِ

وأقول قول الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠] تجده ينطق بما فطر الله عليه الدنيا من تقلبات[١]

---

(١) المقالة ناقصة.

٤٧- تفسير الحديث الشريف[١]

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: **«إذا أدَّيت زكاةَ مالكَ فقد أدَّيتَ ما عليكَ، ومن جمعَ مالًا حرامًا ثم تصدَّق به لم يكنْ لهُ فيه أجرٌ، وكانَ إصْرَهُ عليهِ»**.

الزكاة ركن من أركان الدين وقاعدة من قواعد الإسلام قرنها الله بالصلاة في غير آية من كتابه الكريم إشادة بفضلها وإشارة إلى عظيم قدرها وجليل خطرها وتوعد على تركها بالعذاب الشديد: ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ [التوبة: ٣٥].

والزكاة فرضها الشارع طُهرة للمال وتحصينًا له، وجعلها سببًا لنمائه وطُعمة للفقير والمحتاج والمسكين وابن السبيل: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦٠].

والزكاة نظام اجتماعي عظيم يدعو إلى التآلف والتعاضد والتوادد والتراحم، فالنصيب الذي يخرجه الغني من ماله يخرج الضغن من قلوب الفقراء، وتجتمع على محبته وإجلاله وترتفع الأيدي بالدعاء إلى الله أن يبارك في عمره وماله.

وبالعكس إذا كان الغنيُّ بخيلًا لا يخرج الزكاة فإن القلوب تجتمع على

---

(١) مجلة الرابطة الإسلامية، السنة الثانيه، العدد (٣٩) ٧ صفر ١٣٦٦.

٣٠٦ ـــــــ

والمال الحرام أنواع كثيرة:

منها: الأرباح التي تؤخذ من صندوق التوفير.

ومنها: مكسب ورق اليانصيب.

ومنها: كسب المغنِّين والمغنِّيات.

ومنها: كسب الدجالين والمشعوذين كأصحاب الطوالع وضاربي الرمل والودع وغير ذلك.

أما كسب الزنا والرقص وبيع الخمر والخنزير فحرمته لا تحتاج إلى بيان.

وقد يكون الكسب في أصله حلالًا لكنه يحرم لعارض من العوارض فالبيع حلال، لكن يحرم وقت نداء الجمعة ويكون بيعًا فاسدًا.

وكسب أصحاب المطاعم حلال لكنه يحرم في نهار رمضان، وكذلك أصحاب القهاوي مكسبهم في نهار رمضان حرام وخبيث لأنهم ساعدوا المفطر على عصيانه وكذلك يحرم عليهم ما يكسبونه عن طريق لعب الطاولة والكوتشينه كما هو حاصل في أغلب القهاوي.

والمقصود أن طريق الكسب الشرعي واضح لمن أراد سلوكه وساعده التوفيق، وفقنا الله لما يرضيه.

٣٠٨ ـــــــ

فهذا الحديث يفيد تحريمها، وقد استدل به الحافظ العراقي لذلك في مجلس مناظرة عقده رجل من العجم وطلب فيه الدليل على حرمة الحشيشة، وأعجب الحاضرون باستدلال العراقي. وقد حكى النووي الإجماع على حرمة الحشيشة وذكر ابن تيمية في "فتاواه الكبرى" أن مستحلَّها يكفر، وهذا منه بناءًا على أنَّها مسكرة، ومستحلُّ المسكر يكفر بلا نزاع.

لكن الصحيح أنَّ الحشيشة مخدِّرة كما اختاره القرافي في "الفروق" وأبو الحسن في شرح "المدونة" وغيرهما، والفرق بين المسكر والمخدِّر أن المسكر ما غيَّب العقل دون الحواسِّ مع نشوة وفرح، والمخدِّر ما غيب العقل دون الحواس لا مع نشوة وفرح، وذكر القسطلاني في "المواهب اللدنية" أن بعضهم جمع في الحشيشة عشرين ومائة مضرة دينية وبدنية ولبعضهم في ذمها:

قُـل لمـنْ يأكـلُ الحَشِيشَـةَ جَهْـلًا ... يا خَسِيسًا قـد عِشْـتَ شَرَّ مَعِيشـه

دِيـــةُ العَقْـــلِ بـــدُرَّة فلـــماذا ... يـا سَـفِيهًا قـد بِعتَهـا بحَشِيشَـه

ومثل الحشيشة غيرها من المخدرات كالأفيون والسيكران والمعاجين ونحوها فكل ذلك حرام داخل في حدود المفتر في هذا الحديث وضرره على العقول والأبدان متحقَّق مشاهد.

وقد أحسنت الحكومة بمحاربة هذه الأشياء لكن ما بالها تبيح الخمر مع أنها الأصل الأصيل والداء الوبيل، فالواجب أولًا وقبل كل شيء محاربة الخمر لعظم إثمها وشدة ضررها وقبح أثرها، ثم يلحقها كل ضارٍّ بالعقل مفسد للدين مدعاة لتضيع المال وإنهاك الجسم، فإذا قدر النجاح في محاربة هذه الأدواء تم أمر المجتمع وصلح حاله واستقام سيرة إلى هدفه المنشود وغرضه المقصود.

٤٩- تفسير الحديث الشريف[١]

عن أبي أمامة، عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ الله بعثني رحمةً وهدى للعالمين وأمرني أنْ أمحَقَ المزامِير والكِبَارات -يعني البرابط- والمعازِف والأوثانَ التي كانت تُعبد في الجاهليَّة، وأَقسمَ ربِّي بعزَّته لا يشربُ عبدٌ من عبيدي جَرْعةً من خمر إلا سقيتُه مكانَها من حَمِيمِ جنهَّم معذَّبًا أو مغفورًا له، ولا يسقيها صبيًّا صغيرًا إلا سقيتُه مكانَها من حميمِ جنَّهمَ مُعذبًا أو مغفورًا له، ولا يدعُها أحدٌ من عبيدي من مخافَتي إلا سقيتُه إيَّاها من حظيرة القُدُسِ**».

بعث الله نبيَّه سيدنا محمدًا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رحمة عامة كما قال تعالى مخاطبًا له: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] وجعل رسالته شاملة وهدايته كاملة وأيده بمعجزات باهرات أعظمها معجزة القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من يديه ولا من خلفه، والباقي على وجه الدهر لا تزيغ به الأهواء ولا تتشعب معه الأراء ولا يشبع منه العلماء ولا تمله الأتقياء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه.

فيه قوانين الأحكام ونظم السياسة وقواعد الإجماع وحقائق العلوم والمعارف ولطائف الأسرار والحكم، ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وكان مما أمر الله به رسوله محاربة الشرك ومخالفة المشركين، والقضاء على ما كان شائعًا في الجاهلية من لهو باطل وعقائد لا تستند إلى دليل صحيح وخرافات لا يقبلها نظر ولا يؤيدها منطق، كالوأْدِ والكهانة والتطيُّر

---

(١) مجلة الرابطة الإسلامية السنة الثالثة العدد (٤٥) ٨جمادى الأولى ١٣٦٦هـ.

والاستمطار بالأنواء والتمائم وغير ذلك مما هو معروف في كتب التفسير والحديث والتاريخ.

ومنه ما جاء في هذا الحديث الذي نتكلم عليه وهو من رواية أبي أمامة - بضم الهمزة واسمه صُدَيٌّ بضم الصاد وفتح الدال ابن عَجْلان بفتح العين وسكون الجيم- الباهلي عن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إن الله بعثني رحمة وهدي للعالمين**».

ومن رحمته عليه الصلاة والسلام أن الله رفع عن أمته العذاب العاجل الذي حل بالأمم الماضية فلم يحصل في هذه الأمة خسف ولا قذف قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ [الأنفال: ٣٣].

أما هدايته عليه الصلاة والسلام فظاهرة شاملة «**وأمرني أن أمحق**» بفتح الهاء المهملة «**المزامير**» جمع مزمار بكسر الميم «**والكِبَارات**» بكسر الكاف وفتح الباء الموحدة جمع: كَبَر بفتحتين.

وقوله: «يعني: البرابط» تفسير من الرواة، والبرابط: بفتح الباءين بينهما راء ساكنة. «**والمعازف**» بفتح الميم جمع عزف بفتح العين وسكون الزاي وهو جمع سماعي غير مقيس ويقال في المفرد: معزف بكسر الميم، وعلىٰ هذا يكون المعازف جمعًا مقيسًا وكل هذه آلات ملاهٍ وطرب.

أما المزمار فهو معروف وأما الكَبَر فهو: طبل له وجه واحد وهو: المِزْهر أيضًا علىٰ قول، وأما البربط فهو: الكَبَر علىٰ التفسير المذكور في هذا الحديث وقيل: العود والمعازف والألات ذوات الأوتار.

وقد اختلف العلماء في جميع آلات الملاهي فمشهور مذهب مالك

والشافعي وأبي حنيفة وأحمد تحريم ذوات الأوتار في الأعراس وغيرها لما فيها من شدة الاضطراب المؤدي إلى الاستكثار منها وذلك يورث نفاقًا في القلب لبعده عن سماع القرآن وغيره مما يورث خشية الله وطاعته.

وذهب جمع إلى الإباحة مطلقًا وهو قول ابن حزمٍ الظاهري وحكاه الماوردي عن بعض الشافعية ومال إليه أبو منصور البغدادي وكان إبراهيم بن سعد الزهري أحد مشايخ الشافعي لا يحدِّث حديثًا إلا بعد نقْر العود، ولأبي المواهب التونسي تأليف في إباحة سماع الآلات ذكر فيه أن جمعًا من الصحابة سمعوا نقر العود منهم ابن عمر وعبدالله بن جعفر وابن الزبير ومعاوية وعمرو بن العاص، ومن التابعين سعيد بن المسيب وعطاء والشَّعْبي وغيرهم.

كما أن للشيخ عبدالغني النابلسي في هذا الموضوع رسالة مطبوعة هي "إيضاح الدلالات في سماع الآلات"، وممن ألف في الإباحة أيضًا الإمام العارف شهاب الدين الحديدي.

أما ابن حجرٍ الهيتمي الفقيه فقد ذهب إلى التحريم وشدد فيه وبالغ في الرد على من قال بالإباحة وذلك في كتاب " الزواجر" وفي كتاب آخر خاص سماه "كف الرّعاع عن محرَّمات اللهوِ والسَّماع" رد به على أبي المواهب التونسي.

كل هذا في آلات الأوتار وأما غير ذوات الأوتار كالكبر والغبربال والدف فتجوز في الأعراس بلا كراهة وكذلك في الأعياد والأفراح على تفصيل كبير مذكور في محله من الكتب المشار إليها وغيرها.

وأما سماع الغناء بدون آلة طرب فهو جائز إن خلا مما يثير الشهوة ونحوها مما هو محرَّمٌ شرعًا وهذا مقام يحتاج إلى بسط لا يتحمله هذا الموضوع.

ثم قال: «**والأوثان التي كانت تعبد في الجاهلية**»: هذا مما أمر الله رسوله بمحقه والقضاء عليه وقد فعل فكسر الأصنام التي كانت فوق الكعبة وهدم اللَّاتَ والعزَّىٰ، وحذر أمته من الشرك وما يقرب إليه من عادات وتقاليد حتىٰ ترك الناس علىٰ منهاج واضح وطريق قويم.

«**وأقسَمَ ربي بعزَّته لا يشربُ عبدٌ من عبيدي جَرْعة من خمر إلا سقيته مكانها من حميم جهنم معذبًا أو مغفورًا له**»: هذا وعيد شديد لمن يشرب الخمر فقد أخذ الله علىٰ نفسه عهدًا أكده بالقسم أن يسقي شارب الخمر مكانها من حميم جهنم عياذًا بالله ولو كان مغفورًا له لأن الخمر أم الخبائث ومفتاح الشرور وأصل البلايا فجدير بها هذا العذاب الشديد.

«**ولا يدعها عبد من عبيدي من مخافتي إلا سقيته إياها من حظيرة القدس**». أي: الجنة، ففيها أنهار من خمر لذة للشاربين، لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون، رزقنا الله دخولها من غير سابقة عذاب بمنه وكرمه.

٥٠- تفسير الحديث الشريف[١]
مجامع خصال الخير

عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ثلاثٌ من كُنَّ فيه استحقَّ ولايةَ الله تعالى: حِلمٌ أصيلٌ يدفعُ سَفَه السَّفيهِ عن نفسِهِ، وورَعٌ صادقٌ يحجِزُه عن معاصِي الله، وخُلُقٌ حسنٌ يداري بِهِ النَّاسَ**».

اشتمل هذا الحديث الشريف على ثلاث خصال هي مجامع خصال الخير وأصول الفضائل وأسس مكارم الأخلاق.

أولى تلك الخصال الفاضلة: حلم أصيل غير مكلف ولا دخيل يدفع به صاحبه سفه السفيه عن نفسه إغضاء عنه وتكرمًا حتى ينقلب العدو صديقًا حميمًا. كما روى أن عليًّا زين العابدين عليه السلام عرض له بعض السفهاء بالشتم والايذاء فمر به زين العابدين مر الكرام ولم يجبه بشيء فتبعه ذلك السفيه يقول له: إياك عنيت. فأجابه زين العابدين: وعنك أغضيت وعفوت. فقال الرجل: أشهد أنك من بيت النبوة وتاب على يديه.

وفي مثل هذا يقول الله تعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾ [فصلت: ٣٤].

والحلم -هداك الله- خلق عظيم يدل على قوة عزيمة صاحبه، وضبط نفسه عند موجبات الغضب والاستفزاز لا عن ضعف واستكانة بل عن كرم نفس وطيب عنصر بعدًا عن الدنايا وسفاسف الأمور.

وقد كان نبيُّنا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أوفر الناس حظًّا من هذا الخلق

---

(١) مجلة الرابطة الإسلامية الرابعة العدد (٧٨) ١٣ شوال ١٣٦٧.

العظيم فكان أحلم الناس على حين أنه كان أشجعهم بل كان من علامات نبوته عند أهل الكتاب أن يسبق حلمه غضبه، ولا يزيده جهل الجاهل عليه إلا حِلْمًا وتغاضيًا وكثير منهم أسلموا بسبب ما شاهدوا من حلمه الذي لم يعهد له نظير.

ثانية تلك الخصال الفاضلة: ورع صادق يحجز صاحبه عن معاصي الله. والورع -يا هذا- مِلاكُ الدين وباب التقوى وعصام اليقين.

وهو نوعان: ورع كاذب يمنع من المعصية أمام الناس حيث يخشى الذم والعار، فإذا ما خلا صاحبه بنفسه خلع رداء الورع والتقوى وبارز مولاه بالمعاصي كأنه لا يعتقد أن الله يعلم سره ونجواه ومثل هذا الورع وبال على صاحبه لأنه نفاق ورياء .

الثاني: ورع صادق مبعثه خشية الله ومراقبته وهذا هو الورع المطلوب وهو الذي يحجز صاحبه عن معاصي الله في جميع أحواله.

ومعنى الورع: الابتعاد عما فيه شبهة مخالفة الوقوع في الحرام كما جاء في الحديث: «**لا يبلغُ العبدُ أن يكونَ من المتَّقينَ حتَّى يدعَ مالا بأسَ بهِ حذرًا ممَّا بهِ البأسُ**». بترك الشبهات تتفاضل الناس ويتميز المتقي من غيره، أما الحرام الواضح كالخمر والزنا فالناس في معرفته سواء.

ثالثة تلك الخصال الفاضلة: خلق حسن يداري به الناس، بأن يقابل كل شخص بما يليق بمقامه وينزله المنزلة التي هيأها الله له في المجتمع فالمدارة هي أن تعطي لكل شخص ما يناسبه وتخاطبه بما يليق به وتشعره باحترامك له ولا تجرح شعوره بكلمة نابية أو بحركة يفهم منها الزراية به والامتهان له، فمن يكون بالصفة المذكورة تتوافر القلوب على حبه، وتجتمع الناس على إجلاله

وتعظيمه، ولهذا ذهب صاحب الخلق الحسن بخير الدنيا والآخرة.

أما المداهنة -عفاك الله منها- فهي خلق ذميم ووصف قبيح تنبني على النفاق والمخادغة وهي تنحصر في تعظيم الشخص بما لا يستحقه ووصفه بما ليس فيه كأن تعظم الغني لماله وثروته لا لدينه، وتصفه بالكرم وهو بخيل وتصوِّب قوله وأنت تعلم أنه خطأ، وتمدحه بالتقوى والصلاح في حين أنه فاسق مستهتر.

ومن المداهنة أيضًا تلمس الرخص البعيدة والأقوال الشاذة لتبرير موقف صديق في خطأ وقع منه، أو منكر ارتكبه، لأن الواجب على الشخص أن لا يجاهل أحدًا على حساب الدين ولو كان أباه أو أقرب الناس إليه.

أما بعد، فهذه الخصال الثلاثة حلم أصيل، وورع صادق، وخلق حسن، ما اجتمعت في شخص وتحقق بها إلا استحق بفضل الله ولاية الله تعالى وعنايته ونصرته. وليس كل من ادعى الولاية وليًّا ولا كل من تمتم بألفاظ غير مفهومة وأتى بحركات بهلوانية معلومة.

ولكن الولي من تولَّى الله بالطاعة فتولَّاه الله بالعناية.

الولي من راقب مولاه في سره ونجواه.

الولي من عامل الخلق بما يرضي الحق.

الولي من تدثَّر بدِثار الخشية وتردى برداء التواضع وتجمل بثياب التقوى.

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٢ – ٦٤].

٥١- تفسير الحديث الشريف
في مدينة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم(١)

«من حج ولم يزرني فقد جفاني».

من أكرمه الله بحج بيته الحرام وشرفه بالوقوف في تلك المشاهد العظام، فحق عليه أن يشد الرحلة إلى المدينة المنورة ليجتلي طلعة أنوارها، ويتشرف بمشاهدة آثارها، وينعم بالقرب من الحضرة النبوية الشريفة، ويفوز بقضاء مطالبه ونيل مآربه.

وفي المدينة مآثر عظيمة، ومشاهد فخمة تأخذ الألباب وتنسي من يشاهدها جميع الأهل والأصحاب، ففيها مسكن سيد الخلق وأفضل مخلوق ظهر على وجه الأرض، وفيها المسجد النبوي الكريم الذي تعدل الصلاة فيه ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، والذي يشتمل على روضة من رياض الجنة وهي ما بين القبر والمنبر كما ثبت في الحديث.

في المدينة بقيع الغَرْقد وهو مدفن آل البيت الكرام والصحابة العظام وغيرهم من الأئمة الأعلام كفاطمة الزهراء وابنها الحسن بن علي وعائشة ومالك بن أنس وغيرهم ممن يطول عددهم.

وفيها مسجد قباء الذي أنزل الله فيه قوله تعالى: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨].

وفيها جبل أُحد الذي قال فيه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «أحدٌ يحبُّنا

---

(١) مجلة الرابطة الإسلامية السنة الأولى العدد (١١) ٢٥ ذي القعدة ١٣٦٤.

ونحبُّه وهو على ترعةٌ من ترعِ الجنَّة». وعلى هذا الجبل كانت وقعة أحد المشهورة في كتب السيرة النبوية واستشهد فيه جماعة من الصحابة كأسد الله حمزة عم رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وسيد الشهداء، وكعبد الله بن حرام الأنصاري والد جابر بن عبدالله، وكاليمان والد حذيفة، وغيرهم من شهداء أحد.

وفيها غير ذلك من المواقف التي يطول ذكرها ولو لم يكن في المدينة إلا زيارة المصطفى صلَّى الله عليه وآله وسلَّم والمثول بين يديه والسلام عليه وعلى ضجيعيه أبي بكر وعمر والتوسل به إلى الله والاستشفاع به لديه لكفى بذلك فضلًا وشرفًا، وقد نص العلماء من المذاهب الأربعة في مناسكهم التي ألفوها على سُنِّية زيارة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وتأكد طلبها، وبينوا الآداب التي ينبغي أن يسلكها الزائر في ذلك المكان الطاهر المقدس.

وذكروا ما رواه عياض وغيره عن محمد بن حميد قال: ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكًا في مسجد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال له مالك: يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فإن الله تعالى آدب قومًا فقال: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢].

ومدح قومًا فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الحجرات: ٣].

وذم قومًا فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: ٤].

وإن حرمته ميتًا كحرمته حيًا فاستكان لها أبو جعفر وقال: يا أبا عبدالله استقبل القبلة وأدعوا أم أستقبل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؟ فقال: ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله يوم القيامة؟ بل استقبله استشفع به فيشفعك الله قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ﴾ [النساء: ٦٤] الآية.

فاحرص أيها الحاجُّ على زيارة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وأطلها بمهجتك ومالك واعلم أنك إذا نلتها فقد سعدت وسعد جدك، ولا تتركها كما تركها بعض المحرومين فتجفو نبيَّك وتحرم خيرًا كثيرًا وفي ذلك خسران مبين، وأكثر من الدعاء هناك فإنه مستجاب واسأل ربك أن يرزقك المغفرة وحسن الختام.

٥٢- تفسير الحديث الشريف[١]

فضل الحج

«إن عبدًا صَحَّحْتُ له جِسْمَهُ ووسَّعْتُ عليه في المَعِيشَةِ تَمْضِي عليه خمسةُ أعوامٍ لا يَفِدُ إليَّ لَمَحْرُومٌ».

يُقرِّر هذا الحديث الشريف أنَّ مَن تركَ الحَجَّ خمس سنوات متوالية وهو صحيحٌ مُوسِر فإنه يكون محرومًا مِن فضل الله محرومًا مِن نوال خيره محرومًا مِن هدايته وتوفيقه، ذلك لأنَّ الحَجَّ أحد أركان الإسلام وقاعدة من قواعد الدِّين، وأمارةٌ على قوَّة الإيمان وثبات اليقين.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧] جعل الله في هذه الآية ترك الحج كفرًا للإشارة إلى أن الدين لا يتم إلا بالحج، وأن من لم يحجَّ فدينه ناقص وهو إلى الكفر أقرب وبه أنسب.

وفي الحديث: **«مَن مَلَكَ زادًا أو راحِلَةً لأن يحجَّ ولم يحجَّ فليَمُتْ إن شاء الله يهوديًّا أو نصرانيًّا وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾»**. رواه الترمذيُّ وغيره.

والحج إلى جانب هذا يكفر الذنوب ويمحو الخطايا، ويكثر الرزق، ويطهر من جميع الشوائب، ويجعل القلب خالصًا لله لا يتجه إلى غيره، والحجاج ضيوف الله ووفود على بيته، لبوا دعوة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام،

---

(١) مجلة الرابطة الإسلامية السنة الأولى العدد (٩) ٢٤ شوال ١٣٦٤.

قال الله تعالى لإبراهيم: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ [الحج: ٢٧ - ٢٨].

فالسعيد من وفق لتلبية هذه الدعوة الكريمة ليشاهد بيت الله وما يتجلى عليه وعلى زائره من رحماته وبركاته في جميع اللحظات، ويحظى بمشاهدة مآثر الأنبياء، ويتشرف بلَثم مواطئ أقدامهم، ويتنقل بين أماكن تستجاب فيها الدعوات، وتستدر رزق الله وبركاته ومغفرته في عرفات، وينال من ضيافة الله ما يصبو إليه قلبه ويتمناه. قال داود عليه السلام: «إلهي ما لعبادك عليك إذا هم زاروك في بيتك؟ قال: لكل زائر حق على المزور، يا داود إن لهم علي حقًّا أن أعافيهم في الدنيا وأغفر لهم إذا لقيتهم». رواه الطبراني في "الأوسط".

فمن فاته الحج وفاتته فوائده ومزاياه وفضائله كان لا شك محرومًا كل الحرمان، لأنه لم يلب دعوة إبراهيم الخليل، ولم ينل شرف ضيافة الله وزيارة بيته، وفاته مع هذا كلِّه تلك المتعة الروحية واللذة القلبية التي يجدها الحاج في تنقله بين تلك الأماكن الطاهرة المقدسة فلا يملك إلا أن يسيل دموع الفرح والسرور مقرونة بالهيبة والإجلال.

فينبغي لكلِّ صحيح موسر أن يحجَّ في خمس سنين مرة على الأقل ليخرج من دائرة الحرمان، ويكون من أهل الرضا والرضوان وقد ورد: « أنَّ آدمَ أتى البيتَ ألفَ أَتيةٍ لم يركب قطُّ فيهن من الهند على رجليه».

وفي الحديث عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ هذا البيتَ دعامةٌ من دعائمِ الإسلام فمن حجَّ البيت أو اعتمر فهو ضامنٌ على الله، فإنْ مات أدخله الجنَّة، وإن ردَّه إلى أهله ردَّه بأجرٍ أو غنيمةٍ**».

٥٣- تفسير الحديث الشريف[١]

الدال على الخير كفاعله

«منْ دعا إلى هدًى كانَ له منَ الأجرِ مثلُ أجورِ من تبِعَه لا يُنقِص ذلك من أجورِهم شيئًا، ومن دعا إلى ضلالةٍ كان عليه من الإثمِ مثلُ آثام من تبِعه لا ينقص ذلك من آثارهم شيئًا».

أخبر هذا الحديث الشريف أن المتسبب في الهدي بدعوة الناس إليه، له مثل أجر من تبعه واهتدىٰ به؛ لأنه بذل جهده واستعمل وسع طاقته في هداية الناس ودعوتهم إلىٰ الخير وحضِّهم علىٰ العمل به.

وكذلك من تسبب في الشر والضلال بدعوة الناس إليه كان عليه إثم من تبعه وعمل بدعوته، لأنه بذل جهده وعمل كل قوته في حمل الناس علىٰ الشر وأخذهم به، فلكل من الداعي إلىٰ الهدىٰ والضلالة نصيبه من الجزاء وقسطه من الثواب والعقاب لا يأخذه أحد غيره ولا يحمله عنه سواه، فليحرص الإنسان علىٰ أن يكون داعية إلىٰ الخير وإلىٰ التمسك بالآداب والفضائل، وأن يكون متمسكًا بها متحليًا بزينتها لتنجح دعوته وتؤثر في قلوب الناس حجته، إذ لا يكفي أن تدعو إلىٰ الفضائل وأنت متجرد منها وأنت تحض علىٰ الخير وأنت بعيد عنه. فإن هذا من أخلاق المنافقين الذين يقولون ما لا يفعلون، ويظهرون خلاف ما يبطنون، يخادعون الله وهو خادعهم ألا ساء ما يصنعون.

فالشرط الداعي إلىٰ طريق الخير والرشاد أن يوافق قوله عمله، ويطابق سره علانيته وأن يكون الإخلاص رائده والحق هدفه وغايته، ومن حاد عن ذلك

---

(١) مجلة الرابطة الإسلامية السنة الأولىٰ العدد (١٠) ١١ ذي القعدة ١٣٦٤.

كان ضرره أكثر من نفعه وإثمه أكبر من ثوابه.

ومن هنا كان خطأ الزعماء والقادة -حين يخطئون- يعود على الجميع، وتكون مسئوليتهم عن هفواتهم جسيمة وحسابهم عليها عسيرًا؛ لأنهم قبلة أنظار الناس ومحل قدوتهم ومعقد أمالهم، فما يصدر عنهم من أقوال أو أعمال يجب أن تكون نتيجة تفكير سليم، وخلاصة بحث طويل مشفوعة بإخلاص وتقدير للمسؤلية، فإن لم يستطيعوا ذلك ولم يقدروا عليه، فليتخلوا عن الزعامة والقدوة وليتروكها لغيرهم ممن هم أقدر عليها وأجدر بها، وليس من المصلحة أن يكثروا اللغط والضجيج ويضعوا العراقيل والأشواك في الطريق، فإن ذلك مع ما فيه من الوقوف في طريق الخير وقطع السبيل وحض الناس عليهما، فينطبق على فاعل ذلك شِقُّ الحديث الثاني: «**ومن دعا إلى ضلالةٍ كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا**».

فهذا الحديث بين مسؤلية القادة والزعماء من العلماء وغيرهم، وحدد ما لهم وما عليهم بعبارة واضحة لا لبس فيها ولا غموض فعليهم أن يختاروا أي الطريقين شاءوا ليمشوا فيه ويسيروا عليه وليجعلوا نصب أعينهم قول الله تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾ [الأعراف: ١٧٠].

ومن أخطر الدعاة إلى الشر والضلال ناس يدعون إلى البدعة باسم السُّنة ويستغلون عقول السُّذَّج والبسطاء فيشوشون على الناس ويلبسون عليهم أمر دينهم بما يلقون إليهم من شبه زيَّنها الشيطان وحبك ديباجتها، فأوجدوا فرقة

بعد ائتلاف وخصومة بعد وفاق، وكانوا أبطال الفتنة وجنودها.

وما كان أحوج المسلمين اليوم إلى من يجمع شَتات الشَّمل ويرأب الصدع ويرتق الفتْقَ حتى يعود للمسلمين غابر مجدهم، ويكونوا كما قال الله تعالى مخاطبًا لسلفهم الصالح: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وفق الله المسلمين جميعًا إلى ما فيه عزتهم وسعادتهم.

٥٤- تفسير الحديث الشريف[١]

«لا هجرةَ بعدَ الفتحِ ولكنْ جهادٌ ونيَّةٌ وإذا استُنفِرتمُ فانفِرُوا».

أُمر رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في أول نبوته أن يدعو إلى الله بالرفق واللين، وأن يخاطب الناس بطريق العقل والبرهان، وألا يلجأ إلى السيف والسِّنان.

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥].

نفذ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ما أمر به وصار يدعو الناس إلى ربهم بالحسنى، ويغشى المشركين في مجالسهم ومنتدياتهم، ويعرض نفسه على وفود العرب في مواسم حجهم وأعيادهم مخاطبًا لرؤسائهم وذوي الزعامة فيهم: **«هلمُّوا إلى الله، تعالَوا إلى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكُم ألا نعبدَ إلا اللهَ ولا نُشركَ به شيئًا ولا يتَّخذَ بعُضنا بعضًا أربابًا من دون الله، أنا رسولُ الله حقًّا، أنا نذيرٌ لكم بين يدَي عذابٍ شديدٍ».**

فآمن من سبقت له العناية من الضعفاء والموالي، ولكن صناديد قريش وعظماء العرب من غيرهم حسبوا رفقه ضعفًا وحلمه عجزًا، وظنوا أن القضاء عليه مما تناله أيدهم ويدخل تحت قدرتهم، فأمعنوا في أذيته وعقدوا العزم على الوقوف في طريق دعوته، وسلكوا لإطفاء نور الله والصد عن سبيل الله هذا ورسوله الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم صابر محتسب يقابل إساءتهم بالإحسان

---

(١) مجلة الرابطة الإسلامية السنة الأولى العدد (١٣) ٢٥ ذي الحجة ١٣٦٤.

ويجازي إذايتهم بالمسامحة والغفران، حتىٰ لقد جاءه ملك الجبال وقال له: «إن الله كلفني أن أكون تحت أمرك فلو شئت أن أطبق عليهم الأخشبين لفعلت». فيقول عليه الصلاة والسلام: «**لا تفعل فإني أرجو أن يخرج من أصلابهم من يوحد الله**».

بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما أشد حلمك وما أوسع صدرك، حلم تنقطع دونه الأطماع وحسن خلق ما سمع بمثله منذ خلق الله الأرض ومن عليها في سائر البلاد والأصقاع، وكفاك فخرًا قول الله في مدحك: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

قضىٰ رسول الله ثلاثة عشر عامًا وهو في كفاح ونضال، وحجاج وجدال، والمشركون يزدادون عتوًا في الأرض وفسادًا، وكبرًا وعنادًا، وكان من آخر ما فعلوه أن ائتمروا في دار ندوتهم علىٰ قتله والفتك به، ليستريحوا وزعمهم من دعوته، فخيب الله سعيهم وردهم خاسئين، حيث أعلم نبيه بمكرهم وأمره بالهجرة إلىٰ المدينة فهاجر إليها ونزل علىٰ الأنصار معزَّزًا مكرمًا.

وكانت الهجرة نقطة التحول في تاريخ الدعوة المحمدية وحدًّا فاصلًا بين عهدين متباينين عهد مضىٰ بما يحمل من ضعف وقلة، وعهد مستقبل يبشر بالقوة والكثرة والعزة والغلبة، حيث أمر الله نبيه بالجهاد ونصره علىٰ أعدائه وأمكنه في رقابهم وأموالهم وديارهم، ودانت له العرب قاطبة وخشيته الملوك، وصانعته الأكاسرة والقياصرة ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

واستمرت الهجرة فرضًا علىٰ المسلمين حتىٰ فتح الله مكة لنبيِّه وصارت

دار إسلام، فقال عليه الصلاة والسلام عام الفتح: «**لا هجرةَ**» أي من مكة «**بعد الفتحِ**» فتح مكة «**ولكنْ**» بقي «**جهادٌ ونيَّة**» أي: عزم على الجهاد واستعداد له «**وإذا استُنفرتم**» أي: طلب منكم أن تنفروا للجهاد «**فانفِروا**» ولا تتأخروا لأن الجهاد فرض لا ينقطع إلى يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١].

كان أبو أيوب الأنصاري يقول: قال تعالى: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ فلا أحد من الناس إلا خفيف أو ثقيل».

يعني: أنه الأمر بالجهاد يعم جميع الأمة والله أعلم.

٣٢٨ ـــــــ

أحد أن ينعتها من شدة حسنها.

وكان المعراج بجسد النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وروحه أراه الله فيه آيات عظيمة من عجائب ملكوته فرأىٰ الجنة والنار وما فيهما من نعيم وعذاب، ومثلت له أمثلة فرآها ورآىٰ في السماء الأولىٰ آدم عليه السلام وعن يمينه نَسَم بنيه من أهل الجنة وعن يساره نسم بنيه من أهل النار، ورأىٰ في السماء الثانية ابني الخالة يحيي وعيسىٰ عليهما السلام، وفي السماء الثالثة يوسف عليه السلام، وفي السماء الرابعة إدريس عليه السلام، وفي السماء الخامسة هارون عليه السلام، وفي السماء السادسة موسىٰ عليه السلام، وفي السماء السابعة إبراهيم عليه السلام وهو مسند ظهره إلىٰ البيت المعمور الذي هو كعبة الملائكة يقصده كل يوم سبعون ألف ملك للطواف والصلاة ثم لا يعودون إليه أبدًا، وكل ملَك ونبيٍّ رحَّب بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وضحك إليه إلا مالكًا خازنَ النار فإنه رحَّب به ولم يضحك إليه، فقال له جبريل عليه السلام: «إنَّه لم يضحَكْ منذُ خلقَت النَّار ولو ضَحك إلىٰ أحدٍ لضحِكَ إليكَ».

وفي هذه الليلة فرضت الصلاة خمسين في اليوم فقال موسىٰ لنبيِّنا عليهما الصلاة والسلام: «ارجع إلىٰ ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا تُطيق ذلك». فلم يزل يراجع ربه حتىٰ بقيت خمسًا في العدد وخمسين في الثواب.

أما إبراهيم عليه الصلاة والسلام فإنه حمَّل نبيَّنا عليه الصلاة والسلام أمانة تبليغ السَّلام إلىٰ أمته بقوله: «أقرأْ أمَّتك منِّي السَّلامَ». وهذا شرف عظيم لهذه الأمة المحمدية أن يسلِّم عليها خليل الله، ويجب علىٰ من سمع هذا الحديث أن يرد السلام علىٰ إبراهيم عليه السلام؛ لأن ردَّ السلام حقٌّ واجب، ثم قال أبو

الأنبياء لابنه سيِّد الخلق: «**وأخبرْهم**» أي: أخبر أمتك «**أنَّ الجنة طيبةُ التربةِ**» ما يغرس فيها ينبت أطيب وأحسن ما يكون «**عذبة الماء**» لا يتغير طعمه ولا يتبدل ريحه ولونه، «**وإنها**» أي: الجنة «**قِيعان**» بكسر القاف جمع قيعة بكسر القاف أيضًا: هي المكان المستوي من الأرض ليس به نبات ولذلك قال: «**وأن غرسها**» بكسر الغين ما يغرس فيها بمنزلة التقاوي التي تبذر في الأرض «**سبحان الله**»: أي: أنزه الله تنزيها عن شوائب النقائص وسمات المحدثات، «**والحمد لله**»: أي كل كمال وثناء وتمجيد ثابت لله بالاصالة والاستحقاق «**ولا إله إلا الله**»: أي: لا معبود يستغني عن كل ما سواه ويفتقر إليه كل ما عداه إلا الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

«**والله أكبر**» في عظمته أكبر في جبروته فلا كبير غيره ولا عظيم سواه «**ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم**» أي: لا حول عن المعصية ولا قوة على الطاعة إلا بتوفيق الله العلي علي خلقه العظيم في شأنه وهو مالك أمور الخلق لا يقدرون على مقاومته ولا يستطيعون مخالفة إرادته.

ولكون هذه الكلمات الخمس اشتملت على توحيد الله وتنزيهه وتمجيده وتفريده بالقوة والعظمة والكبرياء والغنى التام والعلو المطلق كانت غراس الجنة، فينبغي الإكثار من ذكرها والمواظبة على قراءتها تقرُّبًا إلى الله وطمعًا في ثوابه والله الموفق والهادي.

٥٦- تفسير الحديث الشريف[١]

عن المغيرة بن شعبة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ الله تعالى حرَّم عليكُم عقُوقَ الأمَّهاتِ، ووأْدِ البنَاتِ، ومَنعًا وهاتِ، وكَرِهَ لكُم قِيلَ وقالَ وكثرةَ السؤالِ وإِضَاعةَ المالِ**».

اشتمل هذا الحديث على ستة أشياء كلٌّ منها منهيٌّ عنه لما فيه من الضرر والمفسدة وافتتح بجملة: «إن الله تعالى حرم» ايذانا بعظم هذه المنهيات وقبح أثرها وشدة خطرها.

فأول هذه المنهيات وهو أهمها: **عقوق الأمهات** أي: إيذاؤهن ومضايقتهن بكلام أو عمل لا يوافقهن، ولو كان مباحًا فيجب على الشخص أن يبتعد عما يؤذي والدته ويراعي حق أمومتها وينظر إلى ما تكبدت من المشاقِّ في حمله ووضعه ورضاعه ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ ﴾ [لقمان: ١٤].

ولهذا خص الحديث الأمهات بالذكر نظرًا لضعفهن وما تحملن من المشاق الكثيرة، وإن كان عقوق الآباء محرمًا أيضًا بل عقوق الوالدين أو أحدهما كبيرة من الكبائر، والعاق لا يغفر له في الليالي الفاضلة كليلة النصف من شعبان ونحوها، ويعجل الله له العقوبة كما جاء في الحديث.

ويكفي دليلًا على عظم أمر الوالدين وتأكد حقهما أن الله قرن برهما بطاعته وجعل شكرهما من شكره: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾

---

(١) مجلة الرابطة الإسلامية السنة الثانية العدد ٣٢ (٢١ شوال ١٣٦٥هـ).

[الإسراء: ٢٣]، ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤].

فشكر الوالدين وطاعتهما وبرهما فرض لازم بنصِّ القرآن إلا إنْ أمرا بما يحرم شرعًا فلا تجوز طاعتهما حينئذ ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥].

وثاني المنهيات: وأد البنات أي: دفنهن وهن أحياء، وكان العرب يفعلون ذلك تخلصًا من عار البنات في زعمهم، فحرمه الله تحريمًا قاطعًا ونعاه في القرآن ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِ﴾ [النحل: ٥٨ - ٥٩] ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨ - ٩].

فالإسلام هو الدين الذي قرر حق المرأة في الحياة وجعل لها حقوقًا وفرض عليها واجبات وأشعرها بمسئوليتها في المجتمع، ولم يمنعها من أن تعاطىٰ حقوقها في حدود الحجاب الذي جعله الله صونًا لها وعنونًا علىٰ عفتها وطهارتها، لا كما يريد الهدامون المارقون من كتاب اليوم ومن علىٰ شاكلتهم.

وثالث المنهيات: منعًا وهات، وهاتان الكلمتان كناية عن البخل والسؤال، فمنعًا كناية عن البخل وهات كناية عن السؤال، ولا شك أن البخل قبيح مذموم بنص القرآن والسنة، والبخيل عديم الإيمان لأنه لا يثق بوعد الله تعالىٰ في قوله: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ: ٣٩].

والسؤال أقبح وأشد لأنه إذلالٌ للنفس، وإراقة لماء الوجه، وإضاعة للكرامة، والأحاديث في تقبيحه لا تكاد تحصىٰ.

ورابع المنهيات: قيل وقال: هذان فعلان يُكنىٰ بهما عما يتحدث به الناس من فضول الكلام؛ لأنه إضاعة للوقت فيما لا يجدي نفعًا، والمسلم يجب أن يكون وقته معمورًا بما يعود عليه بالفائدة الدينيه والدنيوية، ويدخل في المنهي عنه هنا تلك الأقاصيص التي شُغف بها أغلب العامة مثل سِيرة عنترة وما إليها.

وخامس هذه المنهيات: كثرة السؤال عن أحوال الناس، وتتبع عوراتهم، لأنه تدخل فيما لا يعني، وتجسس محرم بنص القرآن، ويشمل الحديث أيضًا كثرة السؤال في المسائل العلمية علىٰ سبيل التعجيز والمغالطة، فإن هذا متوعد عليه في غير ما حديث، بل كان السلف يكرهون الخوض في المسائل التي لم تقع بعد ويقولون للسائل: دعها حتىٰ تقع فنبحث عن حكمها. وهذا من تمام احتياطهم وورعهم، ولم يكونوا كهؤلاء الثرثارين الذين يملأون -بل يضيعون- أوقاتهم في البحث عن فلسفة القضاء والقدر، ووحدة الوجود ونحو هذا مما لا يفيدهم في دينهم ولا دنياهم.

وسادس المنهيات، وهو آخرها في هذا الحديث: إضاعة المال، إما بصرفه في غير وجهه المشروع المباح، وإما بعدم حفظه وصيانته من التلف، وإما بالتوسع في المباحات إلىٰ الحد الذي يعد في العادة إسرافًا وتبذيرًا، فهذه الصور كلها تعد إضاعة للمال، وتقع تحت طائلة النهي في الحديث.

أما الإنفاق في الطاعة ووجوه البر فهو عبادة يثاب عليها فاعلها ولو كثر الإنفاق وفي مثل هذا قال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لبلال: «**أنفِق يا بلالُ ولا تخشَ من ذِي العرِش إقْلاقًا**».

٥٧- تفسير الحديث الشريف[١]

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «تَعِسَ عبدُ الدِّينارِ وعبدُ الدِّرهم وعبدُ الخَمِيصة إنْ أُعطِيَ رضِي وإنْ لم يُعطَ سَخِطَ، تَعِسَ وانتكَسَ وإذا شِيكَ فلا انتَقَش، طُوبى لعبدٍ آخذٍ بعِنانِ فرَسِهِ في سبيلِ الله، أشْعثَ رأسُهُ، مُغْبَرَّةٍ قدماه، إن كانَ في الحِراسَة كانَ في الحِراسَةِ، وإنْ كان في السَّاقَةِ كان في السَّاقَةِ، إن استأذَنَ لم يُؤذَنْ لَهُ، وإن شَفَعَ لم يُشَفَّعْ».

هذا الحديث عظيم القدر جليل الخطر يشتمل على فوائد هامة ما أحوجنا إلى تدبرها في هذا الوقت الذي طغت فيه المادة وساد سلطانها وأخلد الناس إلى عيشة الراحة وضعفت في نفوسهم الغيرة والحماسة الإيمانية، فأصبحوا لا يلقون بالًا إلى ما يرمى به دينهم، بل بلغ الأمر بالبعض أن صاروا يكيلون ألقاب المدح والثناء لمن يلطم المسلمين أشد اللطمات، ويبالغ في إهانتهم وتقبيح دينهم.

فهذا برنارد شو عدوُّ الله ورسوله له كلمات عن نبيِّ الإسلام صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لا تصدر إلا من أخبث الناس كفرًا وأقبحهم كذبًا وأوسخهم عقلًا وفهمًا، ومع هذا نجد في المسلمين من يخصص المقالات في مدح شخصه وأدبه ويقول إن العالم يتمنى المزيد من إنتاج هذا الأديب الفذِّ والكاتب العبقريِّ!

أي عالَم تعني أيه الكاتب الفاضل؟ عالم المسلمين أم عالم المسيحيين أم عالم اللادينيين الملحدين؟

وبهذه المناسبة أعتب على "مجلة الرابطة الإسلامية" وكل مجلة إسلامية أن

---

(١) مجلة الرابطة الإسلامية الثنة الثانية، العدد (٣٣) ٥ ذي القعدة ١٣٦٥.

تفسح صدرها لمثل هذه المقالات التي تؤذي المسلمين في أعز شيء لديهم وهو دينهم ونبيُّهم، بل نبيُّ العالم أجمع عليه الصلاة والسلام وعلى" برنادو شو" اللعنة الدائمة إلى يوم القيامة، هذه نفثة مصدور وأنة من كبد محرور دعت إليها المناسبة ولنا إلى هذا الموضوع عودة بحول الله.

يقول النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**تعس**»: بفتح التاء وكسر العين شقي وهلك، وأصل التعس انكباب الشخص على وجهه، ثم استعمل في الشقاء والهلاك، وإضافة العبد إلى الدينار والدرهم والخَمِيصة تفيد التحقير والإهانة، وتفيد أيضًا أن هذا العبد انهمك في أوحال المادة وشغف بجمعها بحيث لم يبق له وصف يعرف به إلا أنه عبدها والعياذ بالله.

«والخميصة»: ضرب من الثياب النفيسة، وجملة: «تعس... إلخ» يحتمل أن تكون دعائية أو خبرية والأول أولى بل لعله متعين، والمعنى أن عابد الدنيا والمنهمك في اقتنائها من كل طريق مدعو عليه بالشقاء والهلاك في الدنيا والآخرة، ودعاء النبي مستجاب.

وقوله: «**إن أُعطِي**»-بضم الهمزة وكسر الطاء- «**رضي**» «**وإن لم يُعطَ**» -بضم الياء وفتح الطاء-«**سخط**» بيان لحكمة الدعاء عليه ولمعنى أن عابد الدنيا يعبد الله على حرف إن أعطاه الله رضي وفرح وظن أن هذا من رضى الله عليه، وإن منع عنه المال أو قبض عنه بعض ما يشتهيه جزع وسخط، ونسي أن ما حصل له بقضاء الله وقدره وأكثر من الشكوى وتضجَّر من الظروف، وربما أظلمت الدنيا في عينيه حتى يهم بالانتحار، وكل هذا ناشئ عن الجهل بالله وقلة الإيمان به وعدم الثقة بوعده، وهذا شأن المنافقين كما قال الله في وصفهم:

﴿فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة: ٥٨].

وجدير بمن هذا حاله أن يدعىٰ عليه بالهلاك، ولهذا أعاد النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم الدعاء عليه بقوله: «**تعس وانتكس**» والانتكاس: سقوط الشخص علىٰ رأسه.

«**وإذا شيك**» -أي: دخلت الشوكة في رجله- «**فلا انتقَش**» أي: فلا يجد من يخرجها منه بالمِنْقاش يقال: نقشت الشوك أخرجته، وهذا تأكيد في الدعاء علىٰ عابد الدنيا لأنه أحب ما أبغضَه الله وركن إلىٰ شهواته وهواه.

أما السعي علىٰ المعاش برفق فليس بداخل في الحديث بل هو مأمور به في غيرما آيةٍ وحديثٍ والله أعلم.

لشرح الحديث بقية[1]

---

(١) بقية الشرح في المقالة التالية.

٥٨- تفسير الحديث الشريف[١]

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «تَعِسَ عبدُ الدِّينارِ وعبدُ الدِّرهمِ وعبدُ الخَمِيصَة إنْ أُعطِي رضِي وإن لم يُعطَ سَخِطَ، تَعِسَ وانتكَس، وإذا شِيكَ فلا انتَقَش طُوبَى لعبدٍ آخِذٍ بعِنانِ فرسِهِ في سبيل الله أشعثَ رأسُه مغبرَّةٍ قدماه إنْ كان في الحِراسةِ كانَ في الحراسةِ وإن كانَ في السَّاقة كان في السَّاقة، إن إستأذَن لم يُؤذَن لَهُ وإن شَفَعَ لم يُشفَّع».

تكلمنا في العدد الماضي عن شطر الحديث الأول واليوم نتكلم عن شطره الثاني وهو يحض على أمرين: الجهاد، وحب التواضع وإنكار الذات.

أما الجهاد: فهو فرض من فرائض الدين حض الله عليه في كتابه المبين به يَسْبر غَوْر الأخلاق وهو الحد الفاصل بين الإيمان والنفاق.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

والجهاد عدا هذا واجب تقتضيه الحياة ما دام في الدنيا صراع بين الحق والباطل، وبين العدل والظلم، وبين الفضيلة والرذيلة، وبين الإسلام والكفر.

الجهاد واجب من ضروريات الحياة ما دام في الدنيا جشَعُ الاستعمار وأطماع الاستعمار.

---

(١) مجلة الرابطة الإسلامية السنة الثانية، العدد (٣٤) ٢٢ ذي القعدة ١٣٦٥.

الجهاد واجب لمحاربة هؤلاء المستعمرين الذين يحاولون اغتصاب دول واسترقاق أمم واقتطاع أراض من أصحابها الشرعيين بحجة الرحمة الإنسانية أو القواعد الاستراتيجية أو نحو ذلك مما يختلقونه من الحيل الشيطانية فهل رأيت أعجب من عقول هؤلاء المستعمرين؟! وهل رأيت أخبث من دسائسهم الاستعمارية؟!

فالجهاد ضد هذه العقول وضد هذه الأساليب أمر واجب تقتضيه العزة القومية وتوجبة الكرامة الإنسانية حتى يتحرر الإنسان من إذلال أخيه الإنسان، فالدين حين فرض الجهاد لم يأت إلا بما هو من مقتضيات العزة وموجبات الكرامة.

وهكذا أوامر الدين تأخذ بيد ملتزمها إلى حيث الحياة السعيدة العزيزة التي لا يشوب عزتها ذلٌّ ولا يكدر سعادتها شقاء، وأما حب التواضع وإنكار الذات فهو أمر لازم لنجاح الأعمال وأدعى لقبولها وكل عمل دخله حب الظهور والرياسة فسد ولم يتم وفي هذا يقول ابن عطاء الله الصوفي: «ادفن نفسك في أرض الخمول فما نبت مما لم يدفن لا يتم نِتاجه».

فقوله عليه الصلاة والسلام: «**طوبى**» هي: كلمة مدح وترغيب مثل نعم وحبذا، «**لعبد آخذ بعنان فراسه**» يجاهد «**في سبيل الله**» والمراد: كل ما يركب في الجهاد فيشمل المركبات الحديثة «**أشعث رأسه**» أي: رأسه مغبر «**مغبرة قدماه**» من أثر الأرض وهاتان الصفتان مجرورتان على أنهما نعت لعبد والمعنى أنه غير متفرغ لإصلاح شأنه في جهاد وجلاد وقتال ونضال «**إن كان في الحراسة كان في الحراسة**» أي: حراسة الجيش «**وإن كان في الساقة كان في الساقة**» أي:

مؤخرة الجيش واتحاد الشرط والجزاء لبيان أنه خامل الذكر لا يقصد السُّموَّ فهو إن كان الحراسة استمر فيها، وإن كان في الساقة فكذلك من غير أن يلفت نظر أحد إلى نفسه أو عمله بدليل قوله: «**إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفع**». وهذا الحديث كما ترى سبق إلى تقرير فضل الجندي المجهول والإشادة بذكره.

٣٤٠ ـــــــ

وكذلك من نَسَبِ المشركين الولد إلى الله فقد تجاوز الحد ونسب إلى الله ما لا يليق به وكذب عليه، ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ [الأنعام: ٢١].

ويلتحق بهذا الظلم في عدم الغفران لصاحبة ظلم الكفر بتكذيب أحد من الرسل كموسى أو عيسى أو محمد عليهم السلام، فمن كذب أحدًا من الرسل فقد كذب جميعهم بل كذب خالقهم الذي أرسلهم، وأوجب تصديقهم وتعظيمهم، ولا ينفعه مع ذلك زعمه بلسانه أنه يؤمن بالله إذ لو كان إيمانه صادقًا لآمن برسل الله جميعًا، وليس دين من الأديان أوجب الإيمان بجميع الرسل والملائكة غير دين الإسلام ولهذا جعله الله دينه حيث قال: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩] ولم يقبل من الناس سواه حيث قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥] فمن أسلم نجا ومن لم يسلم هلك.

وظلم يغفره الله إن شاء وهو ظلم العباد أنفسهم بالمعاصي التي ارتكبوها فيما بينهم وبين خالقهم مما لا تعلق له بمخلوق، فلله أن يغفر من هذه المعاصي ما شاء لمن شاء، لكن لابد من نفوذ الوعيد في طائفةٍ من عصاة المسلمين تصديقًا لكلام الله ورسوله ثم يخرجون من النار برحمة الله وبشفاعة الشافعين ولا يخلد في النار إلا من مات على غير الإسلام، ومن المعلوم أن العاصي إذا تاب توبة نصوحًا غفر الله ذنوبه، كما أن الكافر إذا أسلم يغفر له جميع ما فعل في الكفر حتى يبقى نظيفًا كأنه وُلد لساعته.

وظلم لا يتركه الله، أي: لا يهمله، وهو ظلم العباد بعضهم بعضًا حتى يُدير -بضم الياء الأولى- أي: يأخذ لبعضهم من بعض، والمعنى أن الله يجمع

٣٤٢ ـــــــ

٦٠- تفسير الحديث الشريف[١]

عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه: أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**قد أفلحَ من أخلصَ قلبَه للإيمانِ، وجعلَ قلبَه سليمًا ولسانَهُ صادقًا ونفسَه مطمئنَّةً وخليقتَه مستقيمةً وجعل أذنَه مستمعةً وعينَه ناظرةً فأما الأذنُ فتعِي والعينُ مقرَّة بما يوعِي القلبُ وقد أفلحَ من جعل قلبَه واعيًا**».

هذا حديث عظيم يحضُّ على الإخلاص في الإيمان، ويرغب في جملة من الأخلاق الفاضلة الكريمة، والإخلاص خلق عظيم وسر من أسرار الله يضعه الله في قلب من يشاء من عباده، به قبول الأعمال ونجاحها، بل هو سرها وروحها، قال ابن عطاء الله في الحكم: «الأعمال صور قائمة وأرواحها وجود الإخلاص فيها».اهـ

فكل عمل صحبه الإخلاص فهو ناجح، وكل عمل فارقه الإخلاص فهو فاشل.

ولهذا حض الله على الإخلاص في غيرما آيةٍ من القرآن العظيم، وجعله ركنًا من أركان العبادات كلها فلا تقبل صلاة ولا صوم ولا زكاة ولا حج ولا غيرها إلا بإخلاص.

فهذا الحديث موافق لكثير من الآيات والأحاديث في تقرير فضل الإخلاص وبيان مزاياه وفضائله، فقوله عليه الصلاة والسلام: «**قد أفلح**» أي فاز وربح، «**من أخلص قلبه للإيمان**» أي: جعل قلبه خالصًا بالإيمان بالله وتصديق رسله وكتبه؛ لأن الإيمان أساس العمل فإذا صحَّ الأساس وسلِم

---

(١) مجلة الرابطة الإسلامية السنة الثانية العدد (٣٦) ٢٢ذي الحجة ١٣٦٥.

استقام البناء، «**وجعل قلبه سليمًا**» من الشرك وشوائبه كالرِّياء وحبِّ الظهور والرِّياسة والكبر والحقد والحسد وغيرها؛ لأن هذه المعاصي تورث فسادًا في القلب وخللًا في العمل، وتُوجب غضب الله على عبده، «**ولسانًا صادقًا**» لا ينطق إلا بالصدق لأن الصدق صفة من صفات الله وخلق من أخلاق رسله الكرام.

فالله يحب الصدق والصادقين ولا يزال العبد يصدق ويتحرَّى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا، والصدق عنوان الإيمان، وعلامة على طهارة النفس وصلاح القلب، كما أن الكذب مجانب للإيمان وعنوان على خبث الباطن وفساد السريرة، وما يكذب المرء إلا من مهانة نفسه عليه.

«**ونفسَه مطمئنَّةً**» راضيةٌ بما يجريه الله عليها، مرضيٌّ عنها من قبل الله لأنها رضيت عن الله فرضي الله عنها، وهذا أعلى مقام وصف الله به أهل الجنة حيث قال تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ [المائدة: ١١٩] ولهذا كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري يقول له: «إن استطعت أن ترضى وإلا فاصبر».

«**وخليقته مستقيمة**» يعني: وجعل طبيعته مستقيمة بأن راضَها على تعاليم الشرع وحملها على اعتناق الأخلاق الفاضلة فاستقامت على ذلك، وفي الحديث: «**إنَّما العلمُ بالتَّعلُّمِ والحِلمُ بالتَّحلُّمِ**».

«**وجعل أذنه مستمعة**» لما ينفعه في دينه ودنياه فيدخل في ذلك سماع سائر العلوم النافعة المثمرة، ويخرج عنه سماع اللهو والباطل.

«**وعينه ناظرة**» نظر اعتبار وتدبر ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]

والآيات في هذا كثيرة «**فأما الأذن فتعي**» ما يلقىٰ إليها، «**والعين مقرة بما يوعي القلب**» لأن القلب عن طريقها عرف فهي آلة توصل إليه المعلومات المبصرة «**وقد أفلح**» فاز وربح «**من جعل قلبه واعيًا**» حافظًا لما يلقىٰ إليه من عظات وعبر فينتفع بها في فعل ما يرضي الله واجتناب ما يغضبه فيعيش بذلك هادئًا مطمئنًا ويلقىٰ ربه راضيًا فيفوز بالسعادتين ويحظىٰ بالحسنيين. وبالله الهداية والتوفيق.

٦١- تفسير الحديث الشريف[١]

عن زيد بن أرقم عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ الله يحبُّ الصَّمتَ عند ثلاثٍ: عند تلاوةِ القرآنِ، وعند الزَّحفِ، وعند الجنازَةِ**».

حفظ السان بالصمت أمر مطلوب مرغوب، رغب فيه الحكماء ومدحه الشعراء قال الأحنف بن قيس: «الصمت أمان من تحريف اللفظ وعصمة من زيغ المنطق وسلامة من فضول القول وهيبة لصاحبه».

وقال الإمام مالك: «كل شيء ينتفع بفضله إلا الكلام فإن فضله يضر».

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: «لا خير في الحياة إلا لأحد رجلين: منصت واع، أو متكلم عالم». وقال الشاعر:

ما زلَّ ذو صمتٍ وما مِنْ مُكثِرٍ ... إلا يزِلُّ وما يعابُ صَمُوتُ

إن كان منطقُ ناطقٍ من فضَّةٍ ... فالصَّمت دُرٌّ زانَه اليَاقُوتُ

وقد جاءت الأحاديث الكثيرة في مدح الصمت وذم كثرة الكلام، يكفي منها قوله عليه الصلاة والسلام: «**من كان يؤمنُ بالله واليومِ الآخرِ فليقلْ خيرًا أو ليسكُتْ**».

والصمت وإن كان مطلوبًا في عموم الحالات فهو في بعضها آكد طلبًا وأقوى استحبابًا، منها هذه المواطن الثلاثة التي أخبر الحديث أن الله يحب الصمت عندها، ومعنى حب الله للصمت: رضاه عنه وإثابة فاعله، فالصامت في هذه المواطن يثيبه الله ويرضى عنه.

---

(١) مجلة الرابطة الإسلامية السنة الثانية العدد (٣٧) ٦ محرم ١٣٦٦.

أحدها: عند تلاوة القرآن قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤] فالواجب عند التلاوة الإنصات والاستماع وتدبر معاني القرآن والتفكير فيما حواه من عظات وعبر، واستحضار عظمة المتكلم وجلاله، فبذلك يحصل الانتفاع بالقرآن وتحصل الرحمة للتالي والسامع.

كان الصحابة إذا قرئ القرآن يكونون كأنما على رؤسهم الطير خشوعًا لله وخضوعًا لهيبته متدبرين معاني كلامه متفكرين فيما يتلى عليهم من أحكام وحكم وأمثال ومواعظ ومنهم من كانت تغلب عليه الخشية فتهتز مشاعره وتدمع عينه ويزداد يقينه ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣].

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

ثم خلف من بعدهم خلفٌ اتخذوا قراءة القرآن تغنيًا وسماعه تسليًا يكثرون عند تلاوته آهات الاستحسان حتى لا تكاد تفرق بين مجلس القرآن ومجلس الغناء والألحان لتشابههما ضجيجًا وتلحينًا وتقاربهما غناء وتفنينًا.

الموطن الثاني: من المواطن التي يحب الله الصمت فيها عند الزحف أي: عند التقاء الصفين في الجهاد؛ لأن هذا أشرف موطن يقدم الإنسان فيه نفسه وماله لله، فينبغي ألا يفسد هذه العبادة الشريفة بضجيج وصياح، فما بينه وبين الجنة إلا أن يأتيه سهم صائب، نعم قد يقتضي الحال الكلام في هذا الموطن لحفز همم الجيش وتقوية الروح المعنوية فيه ونحو ذلك، فيتعين الكلام حينئذ

٣٤٨ ـــــــ

٦٢- شرح حديث شريف[١]
العِرق دساس

سئلتُ عن حديث: «**إياكُم وخَضْراءَ الدِّمَن فإنَّ العِرْقَ دَسَّاسٌ**». هل هو حديثٌ ضعيفٌ أو موضوعٌ؟ وطلب مني السائل أن أجيبه على صفحات "هدي الإسلام" الغراء.

فأقول: الحديث المذكور مجموع من حديثين كما سنبينه، فأما صدره فخرجه الرَّامَهُرمُزيُّ في "الأمثال"، والدارَقُطني في "الإفراد"، وابن عدي في "الكامل"، والعسكري في "الأمثال"، والقضاعي في "مسند الشهاب"، والخطيب في "إيضاح الملتبس"، والديلمي في "مسند الفردوس"، كلهم من طريق محمد بن عمر الواقدي: ثنا يحيى بن سعيد بن دينار، عن أبي وجزة يزيد بن عبيد، عن عطاء بن يزيد الليثي، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إياكم وخضراءَ الدِّمن**». قيل يا رسول وما خضراء الدمن؟، قال: «**المرأةُ الحسناءُ في المنبتِ السُّوءِ**». وإسناده ضعيف، لكن سيأتي ما يشهد له.

وأما حديث «**العِرق دسَّاس**» فخرَّجه القضاعيُّ في "مسند الشهاب"، وابن الأعرابي في "المعجم"، والديلمي في "مسند الفردوس"، كلهم من طريق محمد بن عبدالرحمن البيلماني، عن أبيه، عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم -وهو يوصي رجلًا- يقول: «**أَقِلَّ من الدُّيونَ تعشْ حرًّا، وأقلَّ من الذُّنوبِ يهُن عليك الموتُ، وانظرْ في أيِّ نِصَابٍ تضعُ ولدكَ فإنَّ العِرقَ دسَّاسٌ**».

---

(١) مجلة هدي الإسلام السنة الأولى العدد (٢٧) ١٠ صفر ١٣٥٤.

ورواه أبو موسىٰ المديني في كتاب "تضيع العمر والأيام" من حديث عمر رضي الله عنه بلفظ: «**وانظر في أي نصاب تضع ولدك فإن العرق جساس**».

وخرج الديلمي بإسناد ضعيف عن ابن عبَّاسٍ، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**النَّاسُ معادنُ والعِرقُ دسَّاسٌ**».

وخرج ابن عديٍّ في "الكامل" بأسانيد ضعيفة، عن أنس عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**تزوَّجوا في الحُجْزِ**[1] **الصالح؛ فإنَّ العِرْقَ دَسَّاسٌ**».

وهذه الطرق إذا ضُمَّت أفادت الحديث قوَّةً يصير بها حسنًا لاسيما وله شاهد صحيح، وهو ما خرجه الشيخان عن أبي هريرة قال: جاء رجل من بني فزارة إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: إن امرأتي ولدت غلامًا أسود، فقال النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**هل لك من إبِلٍ؟**» قال: نعم. قال: «**فما ألوانُها؟**» قال: حمر. قال: «**هل فيها من أوْرقَ؟**» قال: إن فيها لوُرْقًا، قال: «**فأنَّى أتاها ذلك؟**»قال: عسىٰ أن يكون نزعة عرق. قال: «**وهذا عسى أنْ يكونَ نزعةُ عرقٍ**». وخرج عبدالغني بن سعيد المصري في "المبهمات" من طريق مطر بن العلاء عن عمته -قطبة بنت هرم بن قطبة- أن مدلوكًا حدثهم: أن ضمضم بن قتادة ولد مولودًا أسود من امرأة من بني عجل فأوجس لذلك؛ فشكا إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**هل لك من إبل؟**»قال: نعم. قال: «**فما ألوانها**» قال: فيها الأحمر والأسود وغير ذلك. قال: «**فأنَّى ذلك؟**» قال: عرقٌ نزعَ. قال: «**وهذا عرقٌ نزعَ**». قال فقدم عجائز من بني عجل فأخبرن أنه كان للمرأة جدة سوداء، والله سبحانه وتعالىٰ أعلم.

---

(١) «**الحُجْز**» بالضَّمِّ والكسر: الأصلُ. "النهاية" لابن الأثير (١/ ٣٤٤).

٦٣- شرح الحديث الشريف[١]

عن أسماء بنت عميس قالت: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول: «**بئسَ العبد عبد تجبَّر واعتدى ونَسِيَ الجبَّار الأعلى، بئس العبدُ عبدٌ تخيَّل واختَال ونسِيَ الكبيرَ المتعالِ، بئس العبدُ عبدٌ بغَى وعتَا ونسِيَ المبدأَ والمنتَهَى، بئس العبدُ عبدٌ يختلُ الدنيا بالدِّين، بئس العبدُ عبدٌ يختلُ الدنيا بالشُّبُهاتِ، بئسَ العبدُ عبدٌ طمَعٌ يقودُه، بئس العبدُ عبدٌ هوى يضلِّه، بئس العبدُ عبدٌ تزيلُه الرغبةُ عن الحقِّ**». رواه الخطيب في "الكفاية".

تضمن هذا الحديث الشريف النهي عن جملة من الأخلاق الذميمة، وحذر منها في أسلوب بلاغي عظيم، وبين ما يستهدف له الشخص من الذم واللوم إذا هو اتصف بخلق قبيح ينافي ما يجب أن يتصف به المؤمن من خلق كريم وطبع قويم وهدي مستقيم يقول عليه الصلاة والسلام: «**بئس العبد عبد تجبر واعتدى**» بئس كلمة معناها الذم والتقبيح، أي: قبح العبد الذي تجبر على الناس وأجبرهم على اتباع هواه واعتدى في تجبره فآذى من خالف هواه ووقف في طريقه ونسي هذا العبد المتجبر المعتدي «**الجبار الأعلى**» الذي له الملك والملكوت وبيده العزة والجبروت.

«**بئس العبد عبد تخيل**» في نفسه أن له فضلًا على غيره «واختال» تكبر الناس لتخيله أن له مزية عليهم «**ونسى الكبير المتعال**» المنفرد بالكبرياء دون خلقه كما جاء في الحديث القدسي: «**الكبرياءُ ردائي والعظمةُ إزاري فمن نازعني واحدًا منهما قصَمتُه ثمَّ قذفتُه في جنَّهم**».

---

(١) نشر الفضائل، السنة ١١ العدد (٣٨) ٩ ربيع الثاني ١٣٦٣.

«**بئس العبد عبد بغى**» ظلم الناس وأخذ حقوقهم «**وعتا**» بالغ في ظلمة واستمر في طغيانه «**ونسي المبدأ**» حيث كان نطفة من ماء مهين، ثم طفلًا ضعيفًا لا حول له ولا قوة «**والمنتهى**» حيث يحشره الله فيحاسبه على ما ظلم من الحقوق.

«**بئس العبد يختل**»: يطلب «**الدنيا بالدين**» فيجعل مركزه الدينيَّ شَرَكًا لاقتناص الأموال بخدع وألاعيب كدعوى المساعدة في مشروعات تفيد المجتمع الإنساني أو الإسلامي أو ما شئت من الألفاظ الضخمة الجوفاء التي تنتقي للتأثير على الفريسة.

«**بئس العبد عبد يختل الدنيا بالشبهات**» وهي الأمور المترددة بين التحليل والتحريم لتعارض الأدلة فيها أو لاختلاف أنظار الأئمة والواجب ترك ما اشتبه فيه حذرًا من الوقوع في المحرم كما جاء في الحديث الصحيح: «**فمن اتقى الشُّبهاتِ فقد اسْتبرأَ لدينهِ وعرضِهِ، ومن وقعَ في الشُّبهاتِ وقعَ في الحرامِ** ». وفي الطرق الشرعية متسع لطلب الرزق الحلال

«**بئس العبدُ عبد طمعٌ يقودُه**» إلى ما فيه حتفه وهلاكه من حيث لا يشعر، فإن الطمع -حماك الله منه- يُميت الضمير ويقتل الوجدان ويجعل من الطامع شبحًا أشبه بالحيونات المعجمة.

«**بئس العبد عبد هوًى يضله**» عن الصراط السَّوي ويُصِمُّه عن صوت الحق وتلبية ندائه كما قال البوصيري رحمه الله تعالى:

فاصْرِفْ هواهَا وحاذِرْ أن توليَه ... إنَّ الهوى ما تولَّى يُصْمِ أو يَصِمِ

«**بئس العبد عبد تزيله الرغبة**» في منفعة له «**عن الحق**» فلا يقوله بل يتكلم

بما يعلم أنه باطل، ويؤيد الباطل بكل قواه ليصل إلى غرضه ولا يهمه بعد ذلك إن ضاع دينه متى وصل إلى مراده كما يشاهد كل يوم ما يجري في الحفلات والمجتمعات وغيرها مما يغضب الله ويهدر كرامة المسلمين.

فالمؤمن من يجتنب كل خلة ذميمة ويتسم بكل فضيلة متبعًا للحق في سائر أحواله حققنا الله بذلك وأصلح من أحوال المجتمع الإسلامي ما فسد، ولم من شعثه ما تفرق بمنة وفضله.

٦٤- الحديث الشريف[١]
فضل الحج

عن أبي سعيد الخدري: أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**يقول الله عزَّ وجلَّ: إنَّ عبدًا صحَّحتُ له جسمَه، ووسَّعت عليه في المعيشه، تمضى عليه خمسةُ أعوامٍ لا يَفِد إليَّ لمحرومٌ**». رواه ابن حِبَّان في "صحيحه".

هذا من الأحاديث القدسية التي يرويها النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن الله تبارك وتعالى، وقد ذكرنا الفرق بينها وبين القرآن الكريم في تعليقاتنا على "الأربعين الغمارية" وهذا الحديث وارد في الحج وتفسيره يتوقف على ذكر مزايا الحج وتعداد فوائده وهي كثيرة:

أحدها: أنه الركن الخامس من الأركان التي بني عليه الإسلام.

ثانيها: أنه يكفر الذنوب للحديث الصحيح «**من حجَّ فلم يرفثْ ولم يفُسقْ رجَعَ من ذنوبِهِ كيوم ولدتْه أمُّه**».

ثالثها: أن يقوم مقام الجهاد للضعيف قال الحسين بن علي: جاء رجل إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: إني جبان وإني ضعيف فقال: «**هلمَّ إلى جهادٍ لا شوكةَ فيه، الحجُّ...**» رواه الطبراني بإسناد جيد.

وقالت عائشة: قلت: يا رسول الله هل على النساء من جهاد؟ قال: «**عليهنَّ جهادٌ لا قتالَ فيه الحجُّ والعمرةُ**». صححه بن خزيمة.

رابعها: أنه يوجب الجنة للحديث الصحيح: «**العمرةُ للعمرةِ كفارةٌ لما بينهما، والحجُّ المبرورُ ليس له جزاءٌ إلا الجنَّة**».

---

(١) نشر الفضائل السنة ١١ العدد (٥-٦) ٢٨ جماد الثاني ١٢٦٢.

المبرور: هو الذي لا تقع فيه معصية.

خامسها: أنه ينفي الفقر لقوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**وتابِعوا بين الحجِّ والعمرةِ فإنَّهما ينفيانِ الفقْرَ والذُّنوبَ كما ينفي الكِيرُ خبَثَ الحديدِ والذَّهبِ والفضَّةِ، وليس للحجَّةِ المبرورةِ ثوابٌ إلا الجنَّة**». صححه الترمذي وغيره.

سادسها: أنه يوجب قبولَ الدعاء لقوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**الحُجَّاجُ والعمَّار وفَدُ الله إنْ دعَوه أجابَهُم وإنْ استغفَرُوه غَفَرَ لهُم**». رواه النسائي.

سابعها: إن الحاجَّ يُكرم بالعافية في الدُّنيا والمغفرة في الآخرة.

رُوي عن أبي ذرٍّ أن النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ داودَ عليه الصَّلاةُ السَّلامُ قال: إلهي ما لعبادِكَ عليكَ إذا زارُوكَ في بيتِكَ؟ قال: لكلِّ زائرٍ حقٌّ على المزُور، يا داودُ إنَّ لهم عليَّ حقًّا أن أعافيَهم في الدُّنيا وأغفِرُ لهم إذا لقيتُهم**». رواه الطبراني في "الأوسط".

ثامنها: أن نفقة الحج مضاعفة لقوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**النفقةُ في الحجِّ كالنفقةِ في سبيلِ الله بسبعمائةِ ضِعفٍ**». رواه أحمد بإسناد حسن.

تاسعها: أن من مات في طريق الحج لم يحاسب.

يروى عن عائشة قالت: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**من خرجَ في هذا الوجه لحجٍّ أو عمرةٍ فمات فيه لم يُعرَض ولم يُحاسَب وقيل له: ادخُل الجنَّة**». رواه الدارقطني وغيره.

عاشرها: أن الحاج مغمور بالرحمة في طوافه وصلاته لقوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ينزلُ اللهُ كلَّ يومٍ على حُجَّاج بيتِه الحرامِ عشرين ومائةِ رحمةٍ ستِّين**

للطَّائفين وأربعينَ للمصلِّين وعِشرينَ للنَّاظِرينَ». رواه البيهقي بإسناد حسن.

وبقيت فوائد أخرىٰ يطول تتبعها، وحيث إن الحج يشتمل علىٰ هذه الفوائد وغيرها كان من تركه مع القدرة عليه محرومًا كل الحرمان، لأنه حرم نفسه من فوائد الحج الدينية والدنيوية والاجتماعية، وكان معرَّضًا للمَحْق في الدنيا والعذاب في الآخرة.

يروىٰ عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «ما من عبدٍ ولا أمةٍ يضِنُّ بنفقةٍ ينفقُها فيما يُرضِي اللهَ إلا أنفَقَ أضعافَها فيما يُسخِطُ اللهَ، وما من عبدٍ يدعُ الحجَّ لحاجة من حوائجِ الدُّنيا إلا رأىٰ محقَه قبل أن تُقضَىٰ تلك الحاجةُ -يعني: حجَّة الإسلام- وما من عبدٍ يدعُ المشيَ في حاجةِ أخيه المسلمِ قُضِيتْ أو لم تُقضَ إلا ابتُلِيَ بمعُونةِ مَن يأثَمُ عليه ولا يؤْجَرُ فيه». رواه الأصبهاني في "الترغيب".

وروىٰ الترمذي من طريق الحارث الأعور عن علي قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**من ملَك زادًا وراحلةً تبلِّغه إلى بيتِ الله ولم يحجَّ فلا عليه أن يموتَ يهوديًّا أو نصرانيًّا وذلك أن الله يقول: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾** [آل عمران: ٩٧]».

وصح عن عمر رضي الله عنه أنه قال: «لقد هممت أن أبعث رجالًا إلىٰ أهل الأمصار فينظروا كل من كان له جِدة -بكسر الجيم: غنًى- ولم يحج فيضربوا عليه الجزية، ما هم بمسلمين، ما هم بمسلمين». رواه سعيد بن منصور في "سننه".

وقال أيضًا: «ليمت يهوديًّا أو نصرانيًّا يقولها ثلاث مرات رجل مات ولم

يحج ووجد لذلك سعة وخُلِّيت سبيله». رواه البيهقي.

وروي عن سعيد بن جبير قال: «مات جار لي موسر لم يحج فلم أصل عليه».

وروى عبدالرزاق من طريق سالم بن أبي حفصة عن ابن عبَّاسٍ قال: «لو ترك الناس زيارة هذا البيت عامًا واحدًا ما مُطروا».

وروي عنه أيضًا قال: «ما من أحد لم يحج ولم يؤد زكاة ماله إلا سأل الرجعة عند الموت فقيل له: إنما يسأل الرجعة الكفار قال: وإن ذلك في كتاب الله عزَّ وجلَّ قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ﴾ أي: أؤدي الزكاة ﴿وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي: أحج [المنافقون: ١٠].

ثم إن الحديث الذي شرحناه أخذ به الحسن ابن حي فكان يقول: ينبغي للرجل الموسر الصحيح ألا يترك الحج خمس سنين وأخذ به المالكية أيضًا حيث قالوا: يستحب الحج في كل سنة لمن حج الفرض ويتأكد في كل خمس سنين، وينبغي أن ينوي به القيام بالفرض الكفائي ليحصل له ثوابه لأن إقامته في كل سنة فرض كفاية. انتهى من الأربعين الصديقية وشرحها.

٦٥- الحديث الشريف[١]

قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**شفاعتِي لأهلِ الكبائرِ من أمَّتي**». رواه الترمذي عن أنس رضي الله عنه.

أحاديث الشفاعة متواترة واردة عن أربعين صحابيًّا بألفاظ متعددة وطرق كثيرة، وهي مخرَّجة في الصِّحاح والسُّنن والجوامع والمعاجم وغيرها من كتب الحديث، وليس في دائرة العقل ما يردها، فلذلك كان إنكار المعتزلة لها سفهًا منهم خارجًا عن دائرة المعقول مردودًا بتواتر المنقول ولعمر الله إن رأيًا كهذا يجب أن ينبذ شرَّ نَبْذ ثم الشفاعة قسمان: خاصَّةٌ وعامَّةٌ.

فالخاصة: ما تتعلق بأناس في البرزخ كالشفاعة في تخفيف عذاب القبر كما ورد في الصحيحين في صاحبَي القبرين، ومثل الشفاعة في تخفيف عذاب بعض الكفار كما ورد في "صحيح مسلم" أنَّ النبَّي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وجد أبا طالب في غمرات من النار فأخرجه إلى ضَحْضاح منهاوهذا خاصٌّ بأبي طالب دون غيره من الكفار لمحبته للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ودفاعه عنه وحياطته له كما هو معروف في كتب السيرة.

والشفاعة العامة أنواع أعظمها الشفاعة في تعجيل الحساب وإراحه الناس من طول الوقوف وهي بنبيِّنا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يظهر الله بها فضله وكرامته على جميع خلقه في ذلك الموقف العظيم.

الثاني: الشفاعة في إدخال قوم الجنة بغير حساب غير السبعين ألفًا الذين

---

(١) مجلة نشر الفضائل السنة الثالثة العدد (٤٩) ٢ رمضان ١٣٥٤.

ورد بهم الحديث في الصحيح.

الثالث: الشفاعة في قوم من الموحدين استحقوا النار بذنوبهم ألا يدخلوها.

الرابع: الشفاعة في إخراج من أُدخل النار من عصاة الموحدين.

الخامس: الشفاعة في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها.

إذا عرف هذا فالحديث محمول على القسم الرابع مما ذكرنا فيكون معنى قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**شفاعتي لأهل الكبائرِ من أمَّتي**» أنه يشفع في إخراج من دخل النار من مذنبي أمته، ويكون الحديث على هذا عامًّا في كل صاحب كبيرة لما تقرر من أنه لا يخلد مسلم في النار.

ويجوز أن يحمل على النوع الثالث فيكون معناه أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يشفع في أصحاب الكبائر أن لا يدخلوا النار، لكن يجب على هذا تخصيصه ببعض أصحاب الكبائر حتى لا يعارض الدلائل القاضية بنفوذ الوعيد في طائفة من عصاة هذه الأمة وأنه لابد من دخولهم للنار وبذلك يتفق هذا الحديث مع تلك الدلائل البالغة مبلغ التواتر.

وقد فهم بعض الناس من الحديث أنه يدعو أصحاب المعاصي إلى الاتكال على الشفاعة، وسارع بسبب ذلك إلى تضعيفه وتوهينه من غير أن يعرف من خرَّجه، ولا حال رواته.

وليس هذا التسرُّع منه بجيد؛ فإن ما فهمه من الحديث بعيد لا يراد وليس معناه إلا ما قدمنا ذكره، والحديث صحيح خرجه الترمذي في "سننه" قال: حدثنا العباس العنبري: ثنا عبدالرزاق، عن معمر، عن ثابت، عن أنس قال:

قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**شفاعتي لأهلِ الكبائرِ من أمَّتي**».

ثم قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه». ورواه البيهقي من طريق عبدالرزاق، عن معمر، عن ثابت، عن أنس وقال: «إسناده صحيح»، ورواه الحاكم من هذا الطريق وقال: «صحيح علىٰ شرط الشيخين». وأقره الذهبي.

ثم رواه أيضًا من طريق الخليل بن عمر بن إبراهيم: ثنا عمر الألج، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس.

ورواه أيضًا من طريق سليمان بن حرب: ثنا بسطام بن حريث، عن أشعث الحداني، عن أنس.

ومن هذا الطريق خرجه أحمد وأبو داود وابن خزيمة في "صحيحه".

ورواه ابن خزيمة من طريق مالك بن دينار عن أنس، ورواه أيضًا من طريق يزيد الرَّقاشي وزياد النميري كلاهما عن أنس.

ورواه أبو داود الطيالسي في "مسنده"، والترمذي في "سننه" من طريقه عن محمد بن ثابت البناني، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر قال: قال رسول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**». قال محمد بن علي فقال لي جابر: يا محمد من لم يكن من أهل الكبائر فما له وللشفاعة؟

ومن هذا الطريق خرجه الحاكم. ورواه ابن خزيمة وابن حِبَّان في "صحيحهما" والحاكم في "المستدرك" والبيهقي من طريق زهير بن محمد، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر. وهذا إسناد صحيح.

ومن هذا الطريق خرجه ابن ماجة في "سننه " ورواه البيهقي في "البعث"

من طريق الشَّعْبي، عن كعب بن عجرة قال: قلت: يا رسول الله الشفاعة الشفاعة. فقال: «**شفاعتي لأهلِ الكبائرِ من أمَّتي**».

وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**شفاعتي يوم القيامة لأهل الكبائر من أمتي**». رواه البيهقي من هذا الطريق وقال: «هو مرسل حسن».

وقال ابن ماجه في "سننه": حدثنا إسماعيل بن أسد: ثنا زياد بن خيثمة، عن نعيم بن أبي حضر، عن ربعي بن حراش، عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**خُيِّرتُ بين الشَّفاعة وبينَ أن يدخلَ نصفُ أمتي الجنَّةَ فاخترتُ الشَّفاعةَ لأنَّها أعمُّ وأكفَى أترونَها للمتَّقين؟ لا، ولكنَّها للمذنِبينَ الخاطِئين المتلوِّثينَ**». تفرد بإخراجه ابن ماجه دون باقي الستة وقال الحافظ البوصيري في "الزوائد": «إسناده صحيح ورجاله ثقات».

ولهذه المناسبة أذكر ما نقل عن بعض الشافعية أنه كره لإنسان أن يطلب الشفاعة، وعلل ذلك بأن طلبها طلب للذنوب وهذا غلط واضح فقد طلب الصحابة الشفاعة.

ففي "مسند أحمد" عن معاذ وأبي موسى قالا: كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إذا نزل منزلًا كان الذي يليه المهاجرين قالا: فنزلنا منزلًا فنام رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ونحن... وذكر الحديث إلى أن قال: قال رسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أتاني آتٍ في منامي فخيَّرني في بين أن يدخُل نصفُ أمتي الجنة أو الشفاعةِ، فاخترتُ لهم الشَّفاعةَ**».

فقلنا: نسألك بحق الإسلام وبحق الصحبة لما أدخلتنا في شفاعتك؟ فدعا

لهما، فاجتمع عليه الناس وقالوا مثل قولنا، وكبر الناس فقال: «**إني جاعلٌ شفاعتي لمن ماتَ لا يشركُ بالله شيئًا**».

وفي رواية فقالا -أي: معاذ وأبي موسىٰ-: ادع الله يارسول أن يجعلنا في شفاعتك. فقال: «**أنتم ومن مات لا يشرك بالله شيئًا في شفاعتي**».

ورجال الإسناد رجال الصحيح غير عاصم ابن أبي النجود وهو ثقة، وإنما ضعف من قبل سوء حفظه، ويكفي فيه أنه من أئمة المقرئين أصحاب القراءات. فهذا معاذ وأبو موسىٰ ومن ذكر معهما من الصحابه سألوا النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أن يدعوا الله أن يدخلهم في شفاعته وأقرهم علىٰ ذلك ودعا لهم به، أفتراه غفل عن ذلك التعليل الذي أبداه بعض الشافعية؟! كلا. إذًا فلا كراهة في طلب الشفاعة بل يستحب أن يطلبها الإنسان اقتداء بالصحابة رضي الله عنهم فهم خير قدوة وفيهم أحسن أسوة.

٦٦- حديث فاطمة بنت أسد وحجية الحديث الضعيف(١)

روى الطبرانيُّ في معجميه "الكبير" و"الأوسط" قال: حدَّثنا أحمد بن حمَّاد بن زغبة: حدَّثنا روح بن صلاح: أخبرنا سفيان، عن عاصمٍ، عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد أمُّ عليٍّ رضي الله عنهما دخل عليها رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فجلس عند رأسها فقال: «**رحمَكِ الله يا أمِّي، كنتِ أمِّي بعد أمِّي، تَجُوعينَ وتشبِعينَنِي، وتَعرَيْنَ وتكسِينَني، وتمنَعينَ نفسَك طيِّبًا وتُطعَمِينَني تُريدينَ بذلك وجهَ الله والدَّارَ الآخرةَ**».

ثم أمر أن تغسل ثلاثًا ثلاثًا فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور وضعه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بيده ثم خلع قميصه فألبسها إياه، وكفنها ببُرد فوقه ثم دعا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أسامة بن زيد وأبا أيُّوبَ الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلامًا أسود يحفرون.

فحفروا قبرها فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بيده وأخرج ترابه بيده، فلما فرغ دخل فيه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فاضجع فيه وقال: «**الله الذي يُحيي ويميتُ وهو حيٌّ لا يموتُ اغفرْ لأمِّي فاطمةَ بنتِ أسَدٍ ولقِّنها حجَّتها ووسِّعْ عليها مُدخَلَها بحقِّ نبيِّك والأنبياءِ الذينَ منْ قَبلي فإنَّك أرحمُ الرَّاحمينَ**». وكبر عليها أربعًا وأدخلها اللحد هو والعباس وأبو بكر رضي الله عنهما.

قال الحافظ نور الدين الهيثمي في "مجمع الزوائد": «رجاله رجال

---

(١) المسلم: السنة السابعة العدد(٥) ذي الحجة ١٣٧٦.

٣٦٤ ـــــــ

بها الأئمَّة مجتمعين ومنفردين وجدت فيها من الضعيف ما لعله يبلغ نصفها أو يزيد، وربما وجدت فيها المنكر والساقط القريب من الموضوع، كما أشار إلى ذلك شقيقنا العلَّامة الحافظ السيِّد أحمد في كتاب "المثنوني والبتار" فليراجع.

بل مما أصله مالكٌ وأبو حنيفة الاحتجاج بالمرسل، ومن أصول الإمام أحمد وتلميذه أبي دواد الاحتجاج بالحديث الضعيف وتقديمه على الرأي والقياس، وقدَّمه أبو حنيفة أيضًا كما نقله ابن حزمٍ عنه، وفي مكتبتنا نسخة خطِّية من كتاب "المعيار"، وذكر في كلِّ بابٍ منه الأحاديث الضعيفة التي أخذ بها الأئمَّة الأربعة على الاجتماع والانفراد.

إذا تقرَّر هذا فلا يهولنك تهويش هذه الطائفة المتهوِّسة بأنَّ الحديث ضعيفٌ لا تقوم به الحُجَّة لما علمت من عمل الأئمَّة به، والعجب أنَّ هذه الطائفة نفسها تعمل به إذا وافق مرادها وتقدِّمه على الحديث الصحيح كما يعلم من الوقوف على ما يستدلون به لبدعهم ونزعاتهم، وهذ تلاعبٌ يوجب المَقْت.

٦٧- نبذة عن كتاب تيسير الوصول[١]

اطَّلعت في صحف الصباح (يوم ٣١ شهر ٧ سنة ١٩٣٧) على ما قدَّمه علماء الأزهر إلى جلالة الملك هدية تنبِئ عما يكنه الأزهر نحو جلالته من إخلاص وولاء، وقد سرَّني وسرَّ كلُّ مسلم أن تلك الهدية اشتملت على أنفس ما يقدم وأعظم ما يقتنى ألا وهو كتاب الله وحديث رسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

ولا ريب أن لهذه الهدية مغزاها الديني، فإن الكتاب والسُّنة هما أصل الدين ومنبع العرفان واليقين، ومغرس الأخلاق الفاضلة، كما أن لها مغزاها السياسي لاشتمال الكتاب على أصول الحكم ونظم العمران وقوانين الاجتماع.

وأن في اختيار العلماء الجمع بين كتاب الله وحديث رسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إشارة إلى أنهما صنوان لا يفترقان، وأنهما حبل الله المتين من استمسك بهما نجا، ومن تخلَّى عن أحدهما هلك وإليهما المرجع عند التخاصم كما قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [النساء: ٥٩].

فلا يجوز لأحد يزعم التمسك بكتاب الله أن يترك حديث رسوله وراءه ظِهريًّا كما شاع بين المتفرنجة وأشباههم في هذا العصر، يرون أن لا ضرورة داعية إلى السُّنة، وأن في القرآن كفاية عنها، وكأنما كان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ينظر إليهم من وراء حجب الغيب حيث قال كما جاء في "سنن أبي داود": «**ألا إنِّي أُوتِيتُ الكتابَ ومثلَه معه ألايوشكُ رجلٌ شبعانٌ على أريكتِهِ**

---

(١) مجلة هدي الإسلام، السنة الرابعة، العدد (٧) ٣٠ رمضان ١٣٥٦.

يقولُ عليكم بهذا القرآنِ فما وجدتُم فيه من حلالٍ فأحلُّوه وما وجدتُم فيه من حرامٍ فحرِّموه». وقال كما في "سنن أبي داود" أيضًا: «لا ألفَينَّ أحدَكم متَّكئًا على أريكتِهِ يأتيهِ الأمرُ من أمري مما أمرتُ به أو نهيتُ عنهُ فيقولُ لا ندري ما وجدْنا في كتابِ الله اتَّبعْناهُ».

غير أني في هذه الكلمة أريد أن ألفت نظر مشيخة الأزهر الجليلة إلى أن كتاب الحديث الذي أهدي إلى جلالة الملك ليس خاصًّا بصحاح الأحاديث كما أشيع عنه في الصحف بل فيه أحاديث صحيحة وضعيفة؛ لأنه مأخوذ من كتاب "جامع الأصول في أحاديث الرسول" لابن الأثير الجزري وهو غير صاحب كتاب "الكامل في التاريخ" و"جامع الأصول" هذا جمع بين دفتيه جميع الأحاديث التي وقعت في الكتب الستة التي تعتبر أصولًا لغيرها من كتب السنة وهي: "صحيح البخاري" و"صحيح مسلم" و "موطأ مالك" و"جامع الترمذي" و "سنن أبي داود" و "سنن النسائي".

وهذه الكتاب ما عدا صحيحي البخاري ومسلم فيها أحاديث صحيحة وأحاديث ضعيفة، وابن الأثير لم يُغيِّر شيئًا منها سوى جمعها، أنه رتبها ترتيبًا سهلًا قريبًا، غير أنه أشار إلى اختلاف روايات الأحاديث المتعددة وأعقب كل باب بشرح ما وقع فيه من الألفاظ اللغوية فطال بذلك كتاب "جامع الأصول" وأصبح النفع به قليلًا فاختصره الشيخ عبد الرحمن ابن الديبع الشيباني اليمني بأن اقتصر من الرويات المذكورة فيه على أكملها وحذف سائرها كذلك حذف منه ما يتعلق بشرح الألفاظ اللغوية وسمى اختصاره "تيسير الوصول إلى جامع الأصول في أحاديث الرسول".

٣٦٨ ـــــــ

(٤)

مقالات في الفقه الإسلامي

٦٨- التشريع الإسلامي في تلقين الميت وحكمه[١]

التلقين صرَّح باستحبابه جماعةٌ مِن أهل العلم فيهم المالكية والشافعية والحنابلة.

فمن أهل المذهب الأول: عبدالحق الإشبيليُّ، وأبو العباس أحمد بن عمر القرطبيُّ، وتلميذه أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبيُّ صاحب "التفسير"، وأبو بكر الطلاع، وابن الحاجِّ صاحب "المدخل"، والمنيوي، وأبو حامد بن البقَّال، والثعالبيُّ، والحطَّاب.

ومن أهل المذهب الثاني: القاضي حسين، والمتولِّي، ونصر المقدسي، والرافعي.

ومِن أهل المذهب الثالث: القاضي أبو يعلى، وأبو الخطاب.

واستدل أغلب هؤلاء لما قالوه بحديث أبي أُمامة رضي الله عنه، وهذا الحديث رويناه في كتاب "التذكرة " قال: أنبأنا الشيخ المُسنُّ الحُجَّة الرواية أبو محمد عبدالوهاب بن ظافر بن عليِّ بن فتوح بن أبي الحسين المقدسي عرف بابن رواج بمسجده بثغر الإسكندرية، والشيخ الفقيه الإمام أبو الحسن عليُّ بن هبة الله الشافعي بمنية ابن خصيب على ظهر النيل بها، قالا: أخبرنا الشيخ الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد السِّلَفي الأصبهاني قال: أخبرنا الرئيس عبدالله بن القاسم بن الفضل بن أحمد بن أحمد بن محمد النقفيُّ الأصبهانيُّ قال: ثنا أبو علي الحسن عبدالرحمن بن محمد بن عيدان التاج بنيسابور قال: ثنا

---

(١) مجلة هدي الإسلام السنة الرابعة العدد (٩) ٢١ شوال ١٣٥٦.

أبوالعباس محمد بن يعقوب الأصم قال: ثنا أبو الدرداء هاشم بن يعلىٰ الأنصاريُّ قال: ثنا عتبة بن السكن الفزاريُّ الحمصيُّ، عن أبي زكريا، عن حمَّاد بن زيدٍ، عن سعيد الأزدي قال: دخلت علىٰ أبي أُمامة وهو في النزع فقال لي: يا سعيد إذا أنا مِتُّ فاصنعوا بي كما أمرنا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أن نصنع بموتانا فقال: «**إذا ماتَ الرَّجُلُ مِنْكُمْ فدَفَنْتُمُوهُ فلْيَقُمْ أَحَدُكُمْ عند رَأْسِهِ فلْيَقُلْ: يا فُلانَ بنَ فُلانةٍ فإنه يَسْتَمِعُ، فلْيَقُلْ: يا فلانَ بنَ فُلانة فإنه يَسْتَوي قاعِدًا، فلْيَقُلْ: يا فُلانَ بنَ فُلانة فإنه سيقول: أَرْشِدْني رَحِمَكَ اللهُ. فلْيَقُلْ: اذْكُرْ ما خَرَجْتَ عليه مِن الدُّنيا؛ شهادة أن لا إله إلَّا الله وأنَّ محمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، وأنَّ السَّاعَةَ آتيةٌ لا رَيْبَ فيها، وأنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَن في القُبُورِ. فإنَّ مُنْكَرًا ونكِيرًا عند ذلك يَأْخُذُ كُلُّ واحِدٍ مِنْها بيَدِ صاحبه ويقول: ما نَصْنَعُ عند رَجُلٍ لُقِّنَ حُجَّتَهُ فيكونُ الله حَجِيجَهُما دُونَهُ**». قال القرطبيُّ: «وهو حديثٌ غريبٌ مِن حديث حمَّاد ما كتبناه إلَّا مِن حديث سعيدٍ الأزديِّ».اهـ

وكذا رواه الطبرانيُّ في "الكبير" وفي كتاب "الدعاء" وابن منده في كتاب "الروح" والديلميُّ في "مسند الفدوس" وابن عساكر في "التاريخ" من طريق سعيد بن عبدالله هو الأزديُّ قال: شهدت أبا أُمامة وهو في النزع فقال: إذا أنا مِتُّ فاصنعوا بي كما أمر رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**إذا مَاتَ أَحَدٌ مِن إِخْوَانِكُمْ، فسَوَّيْتُم التُّرَابَ على قَبْرِهِ، فلْيَقُمْ أَحَدُكُمْ على رَأْسِ قَبْرِهِ، ثُمَّ ليَقُلْ: يا فلانَ بنَ فُلانَة، فإنَّهُ يَسْمَعُهُ ولا يُجِيبُ، ثُمَّ يقولُ: يا فُلانَ بنَ فُلانَة، فإنَّهُ يَسْتَوِي قاعِدًا، ثُمَّ يقولُ: يا فُلانَ بنَ فُلَانَة، فإنَّهُ يقولُ: أَرْشِدْنَا رَحِمَكَ اللهُ، ولكن لا تَشْعُرُونَ. فلْيَقُلْ: اذْكُرْ ما خَرَجْتَ عليه مِن الدُّنيا شَهَادَةَ أَنْ لا إِلَهَ إلَّا اللهُ، وأنَّ**

مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، وأَنَّكَ رَضِيتَ بالله رَبًّا، وبالإسلامِ دِينًا، وبِمُحَمَّدٍ نبيًّا، وبالقُرْآنِ إمامًا، فإنَّ مُنْكَرًا ونَكِيرًا يأخُذُ واحِدٌ منهما بيَدِ صاحِبِهِ ويقول: انطَلِقْ بنا ما نَقْعُدُ عند مَن قد لُقِّنَ حُجَّتَهُ، فيكون اللهُ حَجِيجَهُ دُونَهُمَا». فقال رَجُلٌ: يا رسولَ الله، فإن لم يَعْرِفْ أُمَّهُ؟ قال: «**فيَنْسُبُهُ إلى حَوَّاءَ، يا فُلانَ بنَ حَوَّاءَ**». قال النوويُّ والعِراقيُّ بعد أن عزياه للطبرانيِّ: «في سنده ضعفٌ».اهـ

ولعل سبب ضعفه عندهما ما ذكره الحافظ الهيثميُّ في "مجمع الزوائد" أنَّ في سنده من لا يُعرَف، لكن رأيت الحافظ ابن حجرٍ قال: في "التلخيص" وقد عزاه للطبرانيِّ أيضًا: «إنَّ إسناده صالحٌ» قال: «وقد قوَّاه الضياء في أحكامه».اهـ

هذا هوالصواب؛ لأنه له طُرُقٌ وشواهد فأخرجه ابن عساكر من طريق آخر عن أبي أُمامة قال: قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: « **إذا ماتَ الرَّجُلُ مِنْكُمْ فَدَفَنْتُمُوه فلْيَقُمْ أَحَدُكُمْ على رَأْسِهِ ...** ». وذكر الحديث إلى أن قال: «**اذْكُرْ ما خَرَجْتَ عليه مِن الدُّنيا شَهَادَةَ أنْ لا إلَهَ إلَّا اللهُ، وأنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، وأنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فيها، وأنَّ اللهَ باعِثٌ مَن في القُبُورِ**».

وروى ابن منده مِن طريقٍ آخر عنه قال: إذا مِتُّ فليقم إنسانٌ عند رأسي فليقل يا صُدَيُّ بن عَجْلان -اسم أبي أُمامة الباهلي- اذكر ما كنت عليه في الدنيا شهادة أن لا إله إلَّا الله وأنَّ محمَّدًا رسول الله.

وروى سعيد بن منصور في "سننه": عن راشد بن سعد، وضمرة بن حبيب، وحكيم بن عمير، قالوا: إذا سُوي على الميت قبره وانصرف الناس عنه كان يستحب أن يقال للميت عند قبره: «قل: لا إله إلا الله -ثلاث مرات- يا

فلان قل ربِّي الله وديني الإسلام ونبيِّي محمد صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ثُمَّ ينصرف».

وروىٰ أبو المغيرة عن أبي بكر بن أبي مريم عن أشياخه أنهم كانوا يفعلون ذلك، وذكر عبدالحق الإشبيليُّ في كتاب "العاقبة" عن شيبة بن أبي شيبة قال: أوصتني أمي عند موتها فقالت: يا بني إذا دفنتني فقم عند قبري وقل: «يا أُمَّ شيبة قولي لا إله إلَّا الله ثُمَّ انصرف، فلما كان من الليل رأيتها في المنام فقالت لي يا بنيَّ لقد كدت أهلك لولا أن تداركتني لا إله إلا الله، لقد حفظت وصيَّتي يا بُنيّ».

هذا ما رأينا كتابته في موضوع التلقين، وقد اخترت نشره في مجلة هدي الإسلام الزاهرة لما لها من الشهرة الذائعة، و العناية التامَّة بالمواضيع العِلْميَّة الهامَّة، فجزىٰ الله أسرتها خير ما يجزي به مسلمًا عن خدمة دينه، ووفَّقنا وإياهم لما يُحبِّه ويرضاه، وسنوالي إن شاء الكتابة في مناحٍ شتَّىٰ مِن هذا التراث خدمةً للإسلام والمسلمين.

٦٩- زكاة الفطر[١]

عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: «فرضَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم صَدقَةَ الفِطْرِ طُهْرةً للصَّائمِ من اللَّغو والرَّفثِ وطُعْمةً للمساكين فمن أدَّاها قبلَ الصَّلاةِ فهي زكاةٌ مقبولةٌ، ومن أدَّاها بعد الصَّلاة فهي صدقةٌ من الصَّدَقاتِ».

قال الحافظ أبو بكر بن المنذر: «أجمع عوام أهل العلم على أن صدقة الفطر فرض، وممن حفظنا ذلك عنه من أهل العلم محمد بن سيرين، وأبو العالية والضحاك، وعطاء، ومالك، وسفيان الثوري، والشافعي، وأبو ثور، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، وأصحاب الرأي يعني: الحنفية».اهـ

فزكاة الفطر لا خلاف في فرضيتها بين العلماء كما رأيت، وهي مأخوذة من الحديث، كما أن زكاة المال منصوص عليها في القرآن، والحكمة في مشروعية الزكاة على وجه العموم مواساةُ الفقير والمحتاج والمسكين، وإشعارهم بالعطف الأخويِّ، وإذهابُ حرِّ صدورهم على الأغنياء وذوي اليسار، وإعلامهم بأنهم أعضاء في المجتمع ينظر إليهم بعين العطف والاحترام إلى غير ذلك من الحكم السامية.

ولو أن الناس يخرجون الزكاة وهي من أركان الإسلام لصلح حال المجتمع، وقلت جرائم السرقة وما إليها، وشعر الفقراء بسعادة وطمأنينة لعطف إخوانهم الأغنياء عليهم، ولوجد مجتمع مثالي يسوده الود والإخاء وترفرف عليه أجنحة السعادة والهناء، بل لو أخرج الناس الزكاة كما أمرهم الله

---

(١) مجلة الرابطة الإسلامية، السنة الثانية، العدد (٣١) ٣ شوال ١٣٦٥.

لم تجد هذه المذاهب الهدامة سبلًا إلى الظهور، فمن كان يصدق أن يظهر في بلاد إسلامية كمصر مذاهب هدامة كالشيوعية ونحوها؟ من كان يصدق هذا لولا خروج الناس على تعاليم الإسلام.

وشح الأغنياء وذهاب الرحمة من قلوبهم وتهاون الحكومات في الضرب على أيدي هؤلاء الأغنياء البخلاء، مع أن الشرع يوجب على الحكومة أن تأخذ من الغنيِّ زكاة ماله قهرًا عنه؛ لأنه حقٌّ لله في ماله لا سلطان له عليه، فلم تأخذ الحكومات الضرائب والعوائد وتسكت عن الزكاة؟ إن هذا تهاونٌ مخزٍ وخروج صارخ على أوامر الإسلام نسأل الله أن يلهمنا رشدنا.

وزكاة الفطر تشتمل على الحكم التي أشرنا إليها وعلى غيرها مما بينه الحديث الذي نشرحه يقول راويه ابن عبَّاسٍ: «فرض رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم صدقة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث».

واللَّغو: كل كلام لا فائدة فيه، والرَّفَث: الكلام القبيح، والصائم لا يخلو أثناء صومه أن يتكلم بكلام لغو أو كلام قبيح يؤاخذ به، فجعل الله زكاة الفطر تجبر ذلك، ولذلك ورد في حديث آخر: «**صومُ رمضانَ معلَّق بينَ السَّماءِ والأرضِ لا يُرفَعُ إلَّا بزكاةِ الفطرِ**».

لأنها تجبر ما فيه من خلل ونقص وهي واجبة على الرجل وعلى من تلزمه نفقته من زوجة وأولاد وخادمه المسلم.

وقوله: «**وطعمة للمساكين**» أي: مأكلة لهم أو كسبًا لهم ينتفعون به بناء على القولين في إخراج البُرِّ أو قيمته نقدًا، وإخراج القيمة اليوم أنفع وأيسر «**فمن أدَّاها قبلَ الصَّلاةِ**» أي: صلاة عيد الفطر «**فهي زكاةٌ مقبولةٌ**» لأن هذا

وقت إخراجها شرعًا ويصح إخراجها قبل ليلة العيد بيوم أو يومين وهي تجب بغروب شمس ليلة العيد. «**ومن أداها بعد الصلاة**» أي صلاة العيد «**فهي صدقةٌ من الصَّدقاتِ**» وأمر القبول فيه موقوف على مشيئة الله تعالى بخلاف التي أخرجت قبل الصلاة فقد أخبر الحديث أنها مقبولة، ويحرم تأخيرها عن يوم العيد كما يحرم تأخير الصلاة عن وقتها، ولا تسقط بالتأخير بل تبقى دينًا في ذمة الشخص يقضيه مع إثم التأخير، بل ذهب بعض العلماء إلى أن تأخيرها عن صلاة العيد حرام، والله سبحانه وتعالى أعلم.

٧٠- أحكام فقهية في الأضحية[١]

لمناسبة قرب حلول عيد الأضحى المبارك وهو العيد الأكبر للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، رأينا أن نتحف قراء المجلة بجملة من الأحكام المتعلقة بالأضحية على المذاهب الأربعة؛ لينتفعوا بها في هذه المناسبة المباركة، وراعينا في كلمتنا هذه وضوح القصد، وبسط العبارة، وسهولة المأخذ حتى يكون الانتفاع بها عامًا إن شاء الله فنقول: لا خلاف بين العلماء في أن الأضحية يوم العيد الأكبر مشروعة، وأنها أحب عمل إلى الله لما روته عائشة أن النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ما عملَ ابنُ آدمَ يومَ النَّحرِ عملًا أحبَّ إلى الله من هِراقةِ دمٍ، وإنَّها لتأتي يومَ القيامةِ بقُرونِها وأظلافِها وأشعارِها، وإنَّ الدَّمَ ليقعُ من الله بمكانٍ قبل أن يقَعَ على الأرضِ، فطِيبُوا بها نفسًا**». رواه الترمذيُّ وحسَّنه.

ولأن الأضحية سنة إبراهيم عليه السلام كما قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[الصافات: ١٠٧]وعن زيد بن أرقم قال: قالوا: يا رسول الله ما هذه الأضاحي قال: «**سنَّة أبيكُم إبراهيمَ**» قالوا ما لنا فيها؟ قال: «**بكلِّ شَعرةٍ حسنةٌ**» قالوا فالصُّوف؟ قال: «**بكلِّ شعرةٍ من الصُّوف حسنةٌ**»رواه الإمام أحمد.

وينبغي أن نشير هنا إلى أن الذبيح الذي فداه الله إسماعيل عليه السلام كما قامت عليه الدلائل المتعددة، وأما ما يروى عن ابن عبَّاسٍ من أن الذبيح

---

(١) الشرق العربي، السنة الثامنة، العدد (١٨) ١٢ ذي الحجة ١٣٩٦.

إسحاق ورجَّحه الطبري فغلط على ابن عبَّاسٍ، بل هو من الإسرائيليات، ويكره لمن وجد سعة لأن يضحي ثم لم يفعل؛ لما رواه أحمد وابن ماجه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**منْ وجَدَ سَعةً فلم يُضَحِّ فلا يقْربنَّ مُصَلَّانا**». وروي من كلام أبي هريرة وهو أصح.

أما من لم يجد سعة لأن يضحي فلا حرج عليه في ذلك؛ لما رواه أحمد وأبو داود والترمذيُّ عن جابرٍ قال صلَّيت مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عيد الأضحى فلما انصرف أتى بكبشٍ فذبحه فقال: «**بسْمِ الله واللهُ أكبرُ اللهمَّ هذا عنِّي، وعمَّن لم يضحِّ من أُمَّتي**». وورد نحوه من حديث أبي رافع.

ثُمَّ هل الضحية واجبة أم سنة؟ فقال ربيعة والأوزاعي، وأبو حنيفة وبعض المالكية: أنها واجبةٌ على المُوسِر، وذهب مالكٌ والشافعيُّ وأحمد بن حنبلٍ وأبو يوسف والجمهور: إلى أنها سنةٌ.

وروى ابن العربي المعافري في الأحكام بإسناده: أنَّ أبا بكرٍ وعمر كانا لا يُضحِّيان مخافة اعتقاد وجوبها.

لكن ذهب الجمهور إلى أنه يتأكَّد في حقِّ الموسِر، والموسر: هو القادر الذي يملك ثمن الأضحية زيادة عن مطلوباته الضرورية، وكذلك مطلوبات أهل بيته الذين تجب نفقتهم عليه. فمن كان كذلك تأكَّد في حقِّه أن يضحِّيَ، ويوسِّع على أهله ويتصدَّق من أضحيته فيوسِّع على الفقراء والمساكين، ويشعرهم ببهجة هذا اليوم وسروره.

وينبغي لمن أراد الضحية ألَّا يحلق شعره، ولا يقلِّم أظفاره من وقت أن يهل هلال ذي الحِجَّة إلى أن يذبح أضحيته يوم العيد لما رواه مسلمٌ وأبو داود

والترمذيُّ والنَّسائيُّ وابن ماجه عن أمِّ سلمة أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إذا رأيتُم هلالَ ذي الحِجَّة وأراد أحدُكم أن يضحِّي فليمسِكْ عن شعرِهِ وأظفَارِه**» وفي رواية مسلمٍ والنَّسائيِّ: «**من كانَ له ذبحٌ يذبحُه فإذا أهلَّ هلالُ ذي الحجَّة فلا يأخذَن من شعرِهِ وأظفارِه حتَّى يضَحِي**» وقد ذهب أحمد بن حنبلٍ وداود الظاهري وبعض الشافعية إلىٰ أنه يحرم علىٰ الشخص الذي يريد الضحية أن يحلق شعره أو يقلِّم ظفره حتىٰ يضحي. وقال الجمهور: أنه يكره ذلك ولا يحرم.

ولا يجزئ في الضحية إلَّا من مخصوصة عينها الشارع في الضأن والماعز إذا تمت سنة ودخلت الثانية، وفي البقر والجاموس لا تصح إلَّا إذا بلغت سنتين ودخلت في الثالثة، وفي الإبل خمس سنين ودخلت في السادسة هذا عند الحنفية.

وأما المالكية فخالفوا في البقر والجاموس حيث قالوا لا تجزئ إلا إذا بلغت ثلاث سنين.

والشافعية في المعز فاشترطوا فيها سنتين كاملتين ووافقوا الحنفية في سنِّ البقر والجاموس.

أما الحنابلة فخالفوا في الضأن حيث قالوا يضحىٰ بها إذا بلغت ستة أشهر ووافقوا الشافعية في الباقي.

ولا تصح الأضحية بالشاة العمياء ولا العوراء، ولا المهزولة، ولا العرجاء، ولا مقطوعة الأذن أو الذنب، أو مقطوعة الإلية إذا ذهب أكثر من ثلثها، ولا بالتي تأكل النجاسة حتىٰ تحبس وتطعم طعامًا طاهرًا، وتصح بالتي

لا قرون لها أو ذهب بعض قرنها ما لم يصل الكسر إلى المخ.

وقت الذبح:

وقت ذبح الأضحية عند الحنفية: يدخل بطلوع فجر يوم العيد، وينتهي قبيل غروب الشمس من اليوم الثالث للعيد، غير أنه يشترط لمن يضحي في المصر ألا يذبَح قبل صلاة العيد فإذا ذبح قبل هذا لا تصحُّ أضحيته، وسكان القرية لا يشترط فيهم ذلك.

أما عند المالكية: فوقت الأضحية لغير الإمام يبتدئ بعد أن يذبح الإمام، وللإمام بعد الفراغ من خطبته، ويستمر الوقت إلى غروب الشمس من اليوم الثالث للعيد ولا يكون الذبح إلَّا نهارًا فلو ذبح ليلًا لا تصح الأضحية.

والشافعية قالوا: يدخل وقت ذبح الأضحية بعد مضي قدر ركعتين وخطبتين بعد طلوع الشمس من يوم العيد ويستمر أيام العيد الثلاثة ويصح الذبح عندهم ليلًا أو نهارًا بعد دخول وقتها إلا أنه يكره في الليل.

وقال الحنابلة: يدخل وقت ذبح الأضحية بعد صلاة العيد مباشرة، ولو قبل الخطبة، والأفضل أن يكون بعدها، ومن هنا يعلم أنَّ ما يفعله بعض الناس اليوم من الذبح ليلة العيد باطل على جميع المذاهب، ولا تعتبر ذبائحهم أُضحيَّات، وإنما تكون ذبائح مطلقة للأكل فقط لا نصيب فيها للأضحية الشرعية ولا يثاب صاحبها لأنه خالف السُّنة على جميع المذاهب.

الاشتراك في الأضحية:

ويصح الاشتراك في الأضحية إذا كانت من الإبل أو البقر ويصح أن يكون المشتركون في البقرة مثلًا سبعة، لكلِّ واحد سبع لا يقل عن ذلك فإن

٣٨٢ ـــــــ

٧١- كلمة في الأضحية[١]

اتفق العلماء على أنَّ الأضحية مطلوبةٌ، ثُمَّ اختلفوا هل هي واجبةٌ أو سُنَّـةٌ، فذهب مجاهد ومكحول والحنفية إلى أنها واجبةٌ، وورد عن الشَّعْبي أنه قال: لم يكونوا يرخِّصون في ترك الأضحية إلَّا لحاجٍّ أو مسافرٍ، ورُوي القول بوجوبها أيضًا عن أبي هريرة، ولم يصح عنه.

وذهب سعيد بن المسيِّب وسعيد بن جُبيرٍ وعطاءٌ والحسن البصريُّ وطاوس وأبو جعفر الباقر ومالكٌ والشافعيُّ وأحمد وجمهور العلماء إلى أنها ليست بواجبةٍ بل سُنَّـةٌ فقط.

وصحَّ عن حذيفة بن أسيد الغفاريِّ الصحابيِّ أنه قال: لقد رأيت أبا بكرٍ وعمر وما يُضَحِّيان كراهية أن يُقتدَىٰ بهما.

وأخرج سعيد بن منصورٍ عن بلال قال: ما كنت أُبالي لو ضحَّيت بديكٍ، ولأن آخذ ثمن الأُضْحِية فأتصدَّق به على مسكينٍ مُقْتَرٍ فهو أحبُّ إلي مِن أن أُضَحِّي.

وورد عن ابن عبَّاسٍ: أنه أعطىٰ لمولاه درهمين وقال اشتر بهما لحمًا ومن لقيك فقل هذه أضحية بن عبَّاسٍ، وورد عن ابن عمر أنه قال: الأُضحية سُنَّـةٌ.

ولم يصح عن أحدٍ من الصحابة أنه قال بوجوب الأضحية وما ورد عنهم في ذلك فأسانيده ضعيفة.

ثُمَّ إنَّ سُنِّـيَّة الأضحية إنما تكون في حقِّ المُوسِر القادر الذي يملك ثمن الأضحية زائدًا على ما يكفيه ويكفي أهل بيته، فأمَّا من لا يَقْدِر على ثمنها إلَّا

---

(١) الشرق العربي، السنة الثالثة، العدد (١٨) ٥ ذي الحجة ١٣٦٧.

باستدانةٍ أو تضييقٍ على نَفْسِهِ فهذا لا تُسَنُّ في حقِّه.

ومَن أراد أن يُضَحِّي فأهلَّ هلال ذي الحِجَّة فينبغي له ألَّا يأخذ مِن شعره لا بحَلْقٍ ولا بقَصٍّ، ولا يُقَلِّم أظافره حتَّى يذبح أضحيته؛ لما رواه أبو داود عن أُمِّ سلمة قالت: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَن كان لَهُ ذِبْحٌ** - بكسر الذال المعجمة - **يَذْبَحُهُ، فإذا أَهَلَّ هِلَالُ ذِي الحِجَّةِ فلا يَأْخُذْ مِن شَعْرِهِ، ولا مِن أَظْفَارِهِ حتَّى يُضَحِّيَ**».

وفي رواية للنَّسائيِّ: «**مَن رَأَى هِلَالَ ذِي الحِجَّةِ، فأَرَادَ أَنْ يُضَحِّيَ، فلا يَأْخُذْ مِن شَعْرِهِ، ولا مِن أَظْفَارِهِ حتَّى يُضَحِّيَ**».

ثُمَّ اتفق العلماء على أنه لا تجوز الأضحية بعيوبٍ أربعة وهي: العَرْجَاءُ البيِّن عرجها، والعَوْرَاء والمريضة، والهَزيلة التي لا شَحْم فيها، لحديث البراء بن عازب قال له رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أربعٌ لا تُجْزِئُ في الأَضَاحِي: العَوْرَاءُ البَيِّنُ عَوَرُهَا، والمَرِيضَةُ البَيِّنُ مَرَضُهَا، والعَرْجَاءُ البَيِّنُ ظَلْعُهَا** -أي: عرجها- **والكَسِيرَةُ التي لا تَنْقَى**». الكسيرة: هي الشاة التي لا شحم فيها.

وروى أبو داود عن عليٍّ رضي عنه قال: أمرنا رسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أن نستشرف العين والأذن ولا نُضَحِّي بعَوْراء، ولا مُقَابَلَةٍ، ولا مُدَابَرَةٍ، ولا خَرْقاء ولا شَرْقاء.

المُقابَلة: مقطوعة طَرَف الأُذُن، والمدابرة: مقطوعة مؤخَّر الأُذُن، والخَرْقاء: محروقة الأُذُن، والشَّرْقاء: مَشْقُوقَة الأُذُن.

وهناك عيوبٌ أخرى اختلف العلماء فيها لا محل لذكرها هنا؛ لأن فيها

تفصيلاتٍ يطول شرحها.

والأضحية تجوز بالإبل، والبقر، والغنم عند الأئمَّة الأربعة، وإن اختلفوا في أيها أفضل فمالك يرىٰ الضَّأن أفضل من الإبل والبقر في الأضحية، وأبو حنيفة والشافعيُّ يريان الإبل أفضل، ثُمَّ البقر، ثُمَّ الضأن، ثُمَّ الماعز، وصحَّ عن بلال جواز الأضحية بديكٍ.

وينبغي استسمان الأضحية لما رواه سفيان الثوريُّ عن عليٍّ رضي الله عنه قال: «إذا اشتريت أضحية فاسْتَسْمِن، فإن أكلت أكلت طيِّبًا وإن أطعمتَ أطعمتَ طيِّبًا، واشتر ثنيًّا فصاعدًا والثنِّي ما دخل في السَّنَة الثالثة».

ويدخل وقت الأضحية بعد طلوع شمس يوم العيد ومضىٰ وقت يسعه صلاة العيد، فمن ضحَّىٰ قبل ذلك فلا أضحية له، وإنما هو لحمٌ قدَّمه لأهله، فالذين يذبحون ليلة العيد كما هو شائعٌ لا تعتبر ذبائحهم أضحية شرعية، لما رواه مسلمٌ في "صحيحه" عن البراء بن عازبٍ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ أوَّلَ ما نَبْدَأُ به في يومِنا هذا أنْ نُصَلِّيَ، ثُمَّ نَرْجِعَ، فنَنْحَرَ**».

وفي الصحيح أيضًا عن أنسٍ أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم صلىٰ ثُمَّ خطب فأمر مَن كان ذَبَحَ قبل الصَّلاة أن يُعِيدَ ذِبْحًا.

وعن جُنْدُبٍ قال: مرَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يوم النَّحْرِ علىٰ قوم قد نَحَروا وذَبَحُوا فقال: «**مَن نَحَرَ وذَبَحَ قبل صَلاتِنا فليُعِدْ، ومَن لم يَذْبَحْ أو يَنْحَرْ فليَذْبَحْ وليَنْحَرْ باسْمِ الله**».

ويستحبُّ للمُضحِّي أن يذبح أضحيته بنفسه لما جاء في "صحيح مسلم" عن أنس قال: «**ضَحَّى رَسُولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ**

٣٨٦ ـــــــ

٧٢- العيد والأضحية[١]

لا خلاف بين العلماء في أنَّ الأضحية يوم العيد مشروعةٌ، وأنها أحب عملٍ إلى الله.

ولا يُجزِيء في الضحية إلَّا سِنٌّ مخصوصةٌ بيَّنها الشارع: في الضَّأن والماعز إذا تمَّت سنةً ودخلت في الثانية، وفي البقر والجاموس لا تصح إلَّا إذا بلغت سنتين ودخلت في الثالثة، وفي الإبل خمس سنين ودخلت في السادسة هذا عند الحنفيَّة.

وأمَّا المالكية فخالفوا في البقر والجاموس حيث قالوا: لا تُجزئ إلَّا إذا بلغت ثلاث سنين، والشافعية خالفوا في المعز فاشترطوا فيها سنتين كاملتين ووافقوا الحنفية في سنِّ البقر والجاموس، أمَّا الحنابلة فخالفوا في الضأن حيث قالوا تصحُّ به إذا بلغت ستة أشهر ووافقوا الشافعية في الباقي.

ولا تصحُّ أضحية بالشاة العَمْياء، ولا العَوْراء، ولا المَهْزولة، ولا العَرْجاء، ولا مقطوعة الأُذُن أو الذَّنَب، أو مقطوعة الإلْية، إذا ذهب أكثر مِن ثلثها، ولا بالتي تأكل النجاسة حتى تحبس وتطعم طعامًا طاهرًا، وتصحُّ بالتي لا قرون لها أو ذهب بعض قرنها ما لم يصل الكسر إلى المُخِّ.

وقت الذبح

وقت ذبح الأضحية عند الحنفية يدخل بطلوع فجر يوم العيد، وينتهي قُبيل غروب الشمس من اليوم الثالث للعيد، غير أنه يشترط لمن يُضحِّي في المصر ألَّا يذبح قبل صلاة العيد، فإذا ذبح قبل هذا لا تصحُّ أضحيته، وسُكَّان

---

(١) الشرق العربي، السنة الثامنة، العدد (٢٢)، ١٠ ذي الحِجَّة ١٣٧٢هـ.

القرية لا يشترط فيهم ذلك.

أمَّا عند المالكية فوقت الأضحية لغير الإمام يبتدي بعد أن يذبح الإمام، وللإمام بعد الفراغ من خطبته، ويستمر الوقت إلى غروب الشمس من اليوم الثالث للعيد، ولا يكون الذبح إلَّا نهارًا فلو ذبح ليلًا لا تصح الأضحية.

والشافعية قالوا: يدخل وقت ذبح الأضحية بعد مضي قدر ركعتين وخطبتين بعد طلوع الشمس من يوم العيد، ويستمرُّ أيام العيد الثلاثة، ويصحُّ الذبح عندهم ليلًا أو نهارًا بعد دخول وقتها إلَّا أنه يكره في الليل.

وقال الحنابلة: يدخل وقت ذبح الأضحية بعد صلاة العيد مباشرة، ولو قبل الخطبة، والأفضل أن يكون بعدها، ومِن هنا يعلم أن ما يفعله بعض الناس من الذبح ليلة العيد باطلٌ على جميع المذاهب، ولا تُعتبر ذبائحهم أضحيات، وإنما تكون ذبائح مطلقة للأكل فقط لا نصيب فيها للأضحية الشرعية، ولا يُثاب صاحبها لأنه خالف السُّنَّة على جميع المذاهب.

٧٣- اعرف دينك: «الحج»[١]

الحجُّ ركنٌ مِن أركان الإسلام وقاعدةٌ مِن قواعد الدِّين لا خلاف في ذلك بين المسلمين، ولا خلاف أيضًا أنَّ الحجَّ إنما يجب على القادر المُستطيع وإن اختلف في تحديد معنى القُدرة وكيفية الاستطاعة.

وهل يجب على المستطيع فورًا؟ بحيث لو أُخِّر عن أوَّل سِنيِّ الاستطاعة يكون آثمًا، أو يجب على التراخي بحيث يجوز له التأخير إلَّا أن يخاف الفَوْتَ لمرضٍ أو كِبر سِنٍّ مثلًا؟ قولان مشهوران في مذهب مالكٍ قال بالأول: العراقيون، وبالثاني: المغاربة، وحكاهما خليلٌ في "المُختصَر" من غير ترجيحٍ لتساويهما، ثُمَّ لا خلاف بين العلماء أنَّ الحجَّ يُكفِّر صغائر الذنوب، أمَّا الكبائر فهل يُكفِّرها أو لا؟ في ذلك خلافٌ نشير إليه بإيجازٍ.

فنقول: ثبت في "الصحيحين" عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**مَن حَجَّ فلَمْ يَرْفُثْ ولمْ يَفْسُقْ رَجَعَ مِن ذُنُوبِهِ كيْومِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**». وقال القرطبيُّ في "المفهم": «هذا الحديث يتضمَّن الصغائر والكبائر».اهـ

واختار ابن بَزِيزَة هذا أيضًا، وقال: «يدل على ذلك حديث مباهاة الملائكة عليهم السَّلام بالحاجِّ؛ لأنَّ الملائكة مُطهَّرون مُطْلَقًا، ولا يُباهى المُطهَّر مطلقًا إلَّا بمُطَهَّرٍ مُطْلَقًا، فالقاتل يُعفَى عنه بحَجَّة وكذلك غير القتل مِن الكبائر». قال: «هذا مقتضى خبر رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم المخبر عن الله تعالى، ولله سبحانه أن يُعوِّض المظلوم أضعافًا وله ألَّا يُعوِّضه إذ لا حجر عليه في أحكامه،

---

(١) الشرق العربي، السنة الخامسة، العدد (١٣) ٢٠ شوال ١٣٦٩.

ويعضد هذا قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧] هذا ظاهر اللفظ، ولا يخاطب الله سبحانه الخَلْقَ إلَّا بظاهرٍ من الأمر فلا يُعطَّل ظاهرٌ بباطنٍ.

وقد روىٰ ابن المبارك حديثًا عن أنسٍ: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وقف بعرفة وقد كادت الشمس تغرب فقال: «**يا بلالُ أَنْصِتْ إليَّ النَّاسَ**». فقال بلالٌ: أنصِتُوا لرسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم. فأنصتَ الناسُ فقال: «**مَعْشَرَ النَّاسِ: أتاني جبريل آنفًا فأَقْرأني مِن رَبِّي السَّلامَ وقال: إنَّ الله قد غَفَرَ لأَهْلِ عَرفاتٍ وضَمِنَ عنهم التَّبِعاتِ**».

فقال عمر: يا رسول الله أهذا لنا خاصَّةً؟ فقال: «**هو لَكُمْ ولِمَن أَتَى بَعْدَكُمْ إلى يَوْمِ القِيامَةِ**». فقال عمر: كَثُرَ خَيْرُ الله وطاب».اهـ كلام ابن بَزِيزَة.

ومال إلىٰ هذا أيضًا الأُبِّي والحافظ ابن حجرٍ، ويؤيِّده ما رواه مسلمٌ، وابن خزيمة في "صحيحيهما" عن ابن شِماسَة قال: حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياقة الموت فبكىٰ طويلًا وقال: فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقلت: يا رسول الله ابسُط يمينَك لأبايعك فبسط يده فقبضت يدي فقال: «**مالك يا عمرو؟**» قلت: أردت أن أشترط يا رسول الله. قال: «**تشترطُ ماذا؟**» قلت: أن يغفر لي. قال: «**أَمَا عَلِمْتَ أنَّ الإسلامَ يَهْدِمُ ما كان قبله، وأنَّ الهِجْرَةَ تَهْدِمُ ما كان قبلها، وأنَّ الحَجَّ يَهْدِمُ ما كان قبله؟**».

فهذا عمومٌ يشمل كلَّ ذنبٍ، وأيضًا فإنَّ الإسلام يهدم جميع الذنوب قبله فليكن الحج المذكور معه كذلك.

وروىٰ الترمذيُّ عن عبد الله بن مسعودٍ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**تابِعُوا بَيْنَ الحَجِّ والعُمْرَةِ، فإنَّهما يَنْفِيَانِ الفَقْرَ والذُّنُوبَ كما يَنْفِي الكِيرُ**

خَبَثَ الحَدِيدِ والذَّهَبِ والفِضَّةِ». قال الترمذيُّ: «حسنٌ صحيحٌ»، وصحَّحه ابن خزيمة وابن حِبَّان أيضًا.

وللطبرانيِّ في "الأوسط" عن عبدالله بن جراد الصحابيِّ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**حُجُّوا، فإنَّ الحَجَّ يَغْسِلُ الذُّنُوبَ كما يَغْسِلُ الماءُ الدَّرَنَ**». إسناده ضعيفٌ.

وقال ابن ماجه في "سننه": حدَّثنا أيوب بن محمد الهاشميُّ: ثنا عبدالقاهر بن السريُّ السلميُّ: ثنا عبدالله بن كنانة بن عبَّاسٍ ابن مرداس السلميُّ، أنَّ أباه أخبره، عن أبيه: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم دعا لِأُمَّتِهِ عَشِيَّةَ عرفة بالْمَغْفِرَةِ، فَأُجِيبَ: «**إنِّي قد غَفَرْتُ لهم ما خَلَا الظَّالِمَ، فإنِّي آخُذُ للمَظْلُومِ مِنهُ**» قال: «**أيْ رَبِّ، إنْ شِئْتَ أَعْطَيْتَ المَظْلُومَ مِن الجَنَّةِ، وغَفَرْتَ لِلظَّالِمِ**».

فلم يُجَبْ عَشِيَّتَهُ، فلمَّا أصبح بالمُزْدَلِفَةِ أعاد الدُّعَاءَ، فأُجِيبَ إلى ما سأل، قال: فضَحِكَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم -أو قال: تَبَسَّمَ- فقال له أبو بكرٍ وعمرُ: بأبي أنتَ وأُمِّي! إنَّ هذِهِ لَسَاعَةٌ ما كُنْتَ تَضْحَكُ فيها، فما الذي أَضْحَكَكَ؟ أَضْحَكَ الله سِنَّكَ، قال: «**إنَّ عَدُوَّ الله إبليسَ، لَمَّا عَلِمَ أنَّ الله عزَّ وجلَّ قد اسْتَجَابَ دُعَائي، وغَفَرَ لأمَّتي، أخَذَ التُّرَابَ فجعل يَحْثُوهُ على رَأْسِهِ، ويَدْعُو بالوَيْلِ والثُّبُورِ، فأَضْحَكَنِي ما رَأيتُ مِن جَزَعِهِ**».

وروه أبوداود في "سننه" في أواخر كتاب الأدب: «قول: أضحك الله سِنَّك: قال: حدَّثنا عيسى بن إبراهيم وسمعته من أبي الوليد وأنا لحديث عيسى أحفظ، قالا: أخبرنا عبد القاهر بن السري -يعني: السلمي-: ثنا ابن كنانة ابن عبَّاسٍ بن مرداس، عن أبيه، عن جدِّه قال: ضحك رسول الله صلَّى الله

٣٩٢ ـــــــ

وأبي هريرة، وزيد جَدِّ عبدالرحمن بن عبدالله بن زيد، وكثرة الطرق إن اختلفت المخارج تزيد المتن قوة، وبعض ما في هذا الحديث له شواهد في أحاديث صِحاحٍ».اهـ

ومن شواهده ما رواه مالكٌ ومن طريقة البيهقيُّ عن طلحة بن عبيدالله بن كَرِيزٍ مرسلًا: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ما رُئِيَ الشَّيْطَانُ يَوْمًا هو فيه أَصْغَرُ، ولا أَدْحَرُ، ولا أَحْقَرُ، ولا أَغْيَظُ منهُ يومَ عَرَفَةَ، وما ذلك إلَّا ممَّا يَرَى مِن تَنَزُّلِ الرَّحْمَةِ وتَجاوُزِ الله عن الذُّنُوب إلَّا ما رَأَى يومَ بَدْرٍ فإنه رَأَى جبريلَ يَزَعُ الملائكةَ**».

والخلاصة: أنَّ الحجَّ المبرور يُكفِّر الكبائر كما رجَّحه ابن بَزِيزَة، والقرطبيُّ، والأبي، وابن حجرٍ العسقلانيُّ، خلافًا لابن العربي في قوله: «لا يكفِّرها»، بل زاد ابن حجرٍ أنه يُكفِّر التَّبِعات والمظالم، واستدلَّ على ذلك بما يعلم من مراجعة كتابه "قوَّة الحِجاج".

لكن ما معنى تكفير الحجِّ للذنوب؟ بيَّن ذلك عزُّ الدين بن عبدالسلام في جوابٍ له حيث قال: «فالحج يسقط ذنوب المخالفة ولا يسقط حقوق الله تعالى كالصَّلاة والزَّكاة وأشباههما، فما أجهل من جعل طاعة الله وإجابته ذنوبًا تغفر وإنما المغفور المخالفة لأعين الحقوق، فمن ترك الصلاة أو الزكاة أو غيرها من الحقوق فالحجُّ يُكَفِّر عنه إثم التأخير لأنه هو الذنب، وأمَّا إسقاطه لما استقرَّ في الذِّمَّة من صلاةٍ أو زكاةٍ أو نذرٍ فهذا خلاف إجماع المسلمين».اهـ

والبحث في هذا كثير الأطراف واسع الذيول، فلنكتف بهذه العُجالة وبالله التوفيق.

٧٤- حكم الإثفار[١]

ذكرنا في العدد الماضي أقوال من جوَّزُه ومن حرَّمه، ونريد الآن أنْ نذكر أدلَّة الفريقين، ونستخلص منها ما يصلح للتمسُّك به والعمل بمقتضاه فنقول:

استدلَّ المجوزون لمدعاهم بأمرين:

الأول: قوله تعالىٰ: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾[البقرة: ٢٢٣]، قالوا: فقد صحَّ عن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ الآية نزلت في هذه المسألة بخصوصها، وعارضهم المانعون بما خرَّجه أبو داود في "سننه" قال: ثنا عبدالعزيز بن يحيىٰ أبو الأصبغ: ثني محمد -يعني ابن سلمة- عن محمد بن إسحاق، عن أبان بن صالح، عن مجاهد، عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما، قال: إنَّ ابن عمر -والله يغفر له- إنَّما كان هذا الحي من الأنصار وهم أهل وثنٍ-مع هذا الحي من اليهود- وهم أهل كتابٍ، وكانوا يرون لهم فضلًا عليهم في العلم، فكانوا يقتدون بكثيرٍ من فعلهم، وكان من أمْرِ أهل الكتاب ألَّا يأتوا النِّساء إلَّا علىٰ حرفٍ، وذلك أستر ما تكون المرأة، فكان هذا الحي من الأنصار قد أخذوا بذلك من فعلهم، وكان هذا الحي من قريشٍ يشرحون النِّساء شَرْحًا منكرًا ويتلذَّذون منهنَّ مُقْبِلاتٍ ومُدْبِراتٍ ومُسْتلقياتٍ، فلمَّا قدم المهاجرون، تزوَّج رجلٌ منهم امرأةً من الأنصار، فذهب يصنع بها ذلك فأنكرته عليه، وقالت: إنَّما كنَّا نُؤتىٰ علىٰ حرفٍ فاصنع ذلك، وإلَّا فاجتنبني حتىٰ سرىٰ أمرهما، فبلغ ذلك رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فأنزل الله عزَّ وجلَّ:

---

(١) مجلة الإسلام السنة الخامسة عدد (٢٦) ٢ رجب ١٣٥٥.

﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ أي: مقبلات ومدبرات ومستلقيات، يعني بذلك: موضع الولد.

قال المانعون: فهذا ابن عبَّاسٍ يُصرِّح بتوهيم ابن عمر فيما تأوَّل عليه الآية ويذكر لسبب نزولها، غير ما ذكره ابن عمر، وكلامه أولىٰ بالقبول، إذ أنَّه ذكر القصَّة بتمامها، وفصَّل ما كانت عليهاالأنصار تبعًا لليهود، وما كانت عليه قريش من خلاف ذلك ما جرىٰ بين المهاجر والأنصاريَّة تفصيلًا، دلَّ علىٰ أنَّ ابن عبَّاسٍ أحاط من علم القضيَّة بما لم يحط به ابن عمر، فوجب المصير إلىٰ كلامه.

وأجاب المجوِّزون: بأنْ توهيم ابن عمر ليس بلائقٍ إذ أنَّه لم ينفرد بذلك، بل تابعه أبو سعيدٍ الخدري رضي الله عنهما، فذكر مثل ما ذكره ابن عمر، ولو فرضنا أنَّ توهيم ابن عبَّاسٍ يشملهما معًا لمكان علمه بالقضية أكثر منهما، فلا مانع يمنعنا من أنْ نستدلَّ بالآية من حيث عموم لفظها، إذ العبرة به لا بخصوص السبب، والقول: بأنَّ العام إذا خرج علىٰ سببٍ قُصر عليه، قولٌ لبعض الأصوليين وأكثرهم علىٰ خلافه.

الثاني: القياس وهو واضحٌ من مناظرة الشَّافعي لمحمَّد بن الحسن، هذا ما استدلَّ به المجوِّزون.

وأمَّا المانعون: فاستدلوا لما ذهبوا إليه بعدَّة أحاديث:

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لا ينظرُ اللهُ إلى رجلٍ جامع امْرَأته في دبرها**» رواه أحمد وابن ماجه والبيهقي من طريق الحرث بن مخلد عن أبي هريرة، ورواته ثقات سوىٰ الحرث بن مخلد

٣٩٦ ـــــــ

قال الحافظ الهيثمي.

(٦) عن عبدالله بن عمرو أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال في الذي يأتي امرأته في دبرها: «**هي اللُّوطيَّة الصُّغرى**». رواه أحمد من طريق عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدِّه، ورواه النَّسائي وأعلَّه، قال الحافظ: والمحفوظ عن عبدالله بن عمر من قوله كذا أخرجه عبدالرزَّاق وغيره.

قلت: لكن عزا الحافظ المنذري حديثه مرفوعًا لأحمد والبزَّار، وقال: رجالهما رجال الصَّحيح.

(٧) عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**استحيوا فإنَّ الله لا يستحي من الحق، ولا تأتوا النِّساء في أدبارهن**». رواه أبو يعلى بإسنادٍ جيِّدٍ كما قال الحافظ المنذري، وأخرجه النَّسائي والبزَّار من طريق رفعة بن صالح عن ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن الهاد عن عمر. وزمعة ضعيف.

(٨) عن خزيمة بن ثابت أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: نهى أنْ يأتي الرَّجل امرأته في دبرها. رواه أحمد ورواه ابن ماجه بلفظٍ: «**إنَّ الله لا يستحي من الحقِّ–ثلاث مرات– لا تأتوا النِّساء في أدبارهان**». ورواه الإمام الشَّافعي بزيادة في أوله وهي: أنَّ رجلًا سأل النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، عن إتيان النِّساء في أدبارهنَّ أو إتيان الرَّجل امرأته في دبرها؟ فقال: «**حلالًا**» فلمَّا ولَّى دعاه، أو أمر به فدعي، فقال: «**كيف قلت؟ في أيِّ الخربتين أو في أي الخرزتين أو في أي الخصفتين، أمن دُبرها في قبلها فنعم، أمْ من دبرها في دبرها فلا، إنَّ الله لا يستحي من الحق، لا تأتوا النِّساء في أدبارهن**» وفي إسناده عمرو بن أحيحة مجهول الحال، وقال البزَّار: كل ما روي فيه عن خزيمة بن ثابت من طريقٍ فغير

صحيحٍ، وكذا قال البخاري وأبو علي النيسابوري، لكن قال الحافظ المنذري: إنَّ النَّسائي رواه بأسانيد أحدها جيِّدٌ، وقال الحافظ في "الفتح": إنَّ حديث خزيمة بن ثابت إسناده صالحٌ، ونقل عن ابن حِبَّان أنَّه صحَّحه.

(٩) عن علي بن طلق قال: سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**لا تأتوا النِّساء في أستاهن فإنَّ الله لا يستحي من الحقِّ**». رواه أحمد والترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ، وصحَّحه ابن حِبَّان.

(١٠) عن جابرٍ أنَّ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم نهىٰ عن محاش النِّساء. رواه الطبراني في "الأوسط" بإسنادٍ رجاله ثقاتٌ، كما قال الحافظ المنذري، وروىٰ الدَّارقطني بإسنادٍ ضعيفٍ عن جابرٍ: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**استحيوا فإنَّ الله لا يستحي من الحق، لا يحل مأتاك النِّساء في حشوشهن**». وروىٰ ابن عدي نحوه من طريقٍ آخر ضعيف أيضًا.

(١١) عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لعن الله الذين يأتون النِّساء في محاشهن**». رواه الطبراني في "الكبير" وفي سنده عبدالصمد بن الفضل، قال الحافظ المنذري: لا بأس به لم أر فيه جرحًا، وقال الذَّهبي: له حديثٌ يُستنكر وهو صالح الحال إنْ شاء الله. وروىٰ أحمد عن عقبة نحوه، وفي إسناده ابن لهيعة.

(١٢) عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لا ينظر الله عزَّ وجلَّ إلى رجلٍ أتى رجلًا أو امرأةً في دبرها**». رواه الترمذي والنَّسائي وصحَّحه ابن حِبَّان.

(١٣) عنه أيضًا أنَّ عمر رضي الله عنه أتىٰ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم،

فقال: يا رسول الله هلكت، قال: «**وما أهلكك؟**» قال: حوَّلت رحلي البارحة، فلم يرد عليه بشيءٍ، قال: فأوحى الله إلى رسوله هذه الآية: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ «**أقبل وأدبر واتقوا الدُّبر والحيضة**».

رواه أحمد والترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ، وسياق الحديث يفيد أنَّ عمر رضي الله عنه، أتى امرأته من دبرها في قبلها، لا أنَّه أتاها في دبرها، إذْ لو كان المراد ذلك لكانت الآية نصًّا في إباحته، ويكون قوله في تفسيرها: «**أقبل وأدبر واتقوا الدبر**»، مناقضًا لمعناها تمام المناقضة؛ لأنَّه أخرج من عموم الآية صورة السَّبب التي لأجلها نزلت، فتعيَّن أنْ يكون المراد ما قلناه من أنَّه: أتاها من دبرها في قبلها، نعم يتجه أنْ يقال: لم عدَّ ذلك هلاكًا مع أنَّه ليس كذلك؟ والجواب: أنَّه اعتمد على ما كانت اليهود تزعمه في ذلك، وهم أهل كتابٍ حتى نزلت الآية مكذِّبةً لهم فيما زعموا والله أعلم.

(١٤) عن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في قوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ يعني: صمامًا واحدًا. رواه أحمد والترمذي وقال حديثٌ حسنٌ.

(١٥) عنها أيضًا قال: لما قدم المهاجرون المدينة على الأنصار تزوَّجوا من نسائهم، وكان المهاجرون يجبُّون وكانت الأنصار لا تجبي، فأراد رجلٌ من المهاجرين امرأته على ذلك، فأبت عليه حتى تسأل النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فأتته فاستحيت أن تسأله، فسألته أم سلمة فنزلت: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾، وقال: «**لا إلَّا في صمامٍ واحدٍ**». رواه أحمد.

فهذه الأحاديث مخصَّصة لعموم قوله تعالىٰ: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ وبمقتضىٰ هذا يكون الاستمتاع بجميع بدن المرأة حلالًا إلا الدبر فإنَّه حرامٌ، بل كبيرةٌ لظاهر قوله: «**لا ينظر الله إلى رجلٍ جامع امرأته في دبرها**»، وقوله: «**مَن أتى النِّساء في أدبارهن فقد كفر**». وقوله: «**ملعونٌ من أتى النِّساء في أدبارهن**»، فإنَّ هذا الوعيد الشَّديد لا يطلقه الشَّارع -بحسب الاستقراء- إلَّا في الكبائر كقوله: «**من ترك الصَّلاة فقد كفر، من أتى كاهنًا أو عرَّافًا فصدَّقه بما يقول فقد كفر**»، «**سِباب المسلم فسوقٌ وقتاله كفرٌ**»، وقوله: «**ملعونٌ من عمل عمل قوم لوط (ثلاث مرات)، ملعونٌ من ذبح لغير الله، ملعونٌ من أتى شيئًا من البهائم، ملعونٌ من عقَّ والديه، ملعونٌ من جمع بين امرأة وابنتها، ملعونٌ من غيَّر حدود الأرض، لعن الله آكل الرِّبا ومولكه ... الحديث**»ونحو ذلك.

وهكذا لو تتبَّعت الأحاديث وجدت أنَّ كلَّ ذنبٍ لعن الشَّارع مرتكبه أو أكفره أو توعَّده بعدم نظر الله إليه، عدَّه العلماء من الكبائر، بلا خلاف منهم إلَّا من لم يصله الحديث، فقد يخالف وله العذر، هذا في ذنبٍ مقرون بوعيدٍ واحدٍ من تلك الثَّلاثة، فكيف بذنبٍ، ما كان مبعدًا وليس لأحدٍ أنْ يقول لو كان الإثفار كبيرة لجعل الشَّارع له حدٌّ كالزِّنىٰ وشرب الخمر؛ لأنَّه ليس من شرط الكبيرة أنْ يقترن بها حدٌّ، ألا ترىٰ إلىٰ كثيرٍ من الكبائر -هي أعظم من الزِّنىٰ- لم يجعل الشَّارع لها حدٌّ؛ لأنَّها أعظم من أن يجبرها الحد.

كذلك ليس لأحدٍ أنْ يستبعد عدَّ الإثفار كبيرة، ويقول: غاية ما فيه أنَّه إتيانٌ للزَّوجة في غير المحل المشروع، فلا يُعدُّ أنْ يكون صغيرة؛ لأنَّا نقول:

حكم إتيان الأجنبيَّة في دبرها أنَّه كبيرةٌ بلا خلاف فكذلك حكمه بعد صيرورتها زوجة، وعقد النِّكاح إنَّما أباح من بدنها ما سوى الدُّبر، أمَّا هو فلا يزال على حكمه الأصلي بدليل الأحاديث التي أوردناها وغيرها، ولم يقف عليها أولئك المجوِّزون الذين نقلنا كلامهم في العدد الماضي حيث أخذوا بعموم الآية غير ناظرين إلى ما عداه، على أنَّ مالكًا منهم رجع إلى التحريم كما قدَّمنا، وما ذاك إلَّا لوقوفه عليها، وكذا الشَّافعي وقف على حديث خزيمة بن ثابت فرجع إليه، أخرج الحاكم عن الأصم عن الرَّبيع قال: قال الشَّافعي: قال الله: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ احتملت الآية معنيين:

أحدهما: أنْ تؤتى المرأة من حيث شاء زوجها؛ لأنَّ ﴿أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ يأتي بمعنى: أين شئتم.

ثانيها: أنَّ الحرث إنَّما يراد به النبات في موضعه دون ما سواه.

فاختلف أصحابنا في ذلك وأحسب كلًّا من الفريقين تأوَّلوا ما وصفت من احتمال الآية، قال: فطلبنا الدَّلالة من السُّنَّة فوجدنا حديثين مختلفين، أحدهما ثابتٌ وهو حديث خزيمة في التحريم فأخذنا به» اهـ.

فبان من هذا أنَّ القول بالتحريم هو الصَّحيح الذي تؤيده الدَّلائل من السُّنَّة النَّبويَّة، وأنَّ القول بالإباحة ضعيفٌ لا يجوز الاعتماد عليه، فمن أخذ به فقد ظلم نفسه وبالله التوفيق.

٧٤- أحكام التسمي بأسماء النبي عليه وآله الصلاة والسلام [١]

في "صحيح مسلم" عن جابرٍ قال: قال رسول الله -صلَّى الله عليه وآله وسلَّم-: «**تسمَّوْا باسمي ولا تكنَّوْا بكُنيتي فإنِّي أنا أبو القاسِم أقسِمُ بينكُم**».

قوله: «**تسمَّوا باسمي ولا تكنَّوا بكُنيتي**». قال النوويُّ: اختلف العلماء في المسألة على مذاهب كثيرة وجمعها القاضي وغيره:

أحدها: مذهب الشافعيِّ وأهل الظاهر أنه لا يحل التكنِّي بأبي القاسم لأحد أصلًا سواء كان اسمه محمدًا أو أحمد، أم لم يكن لظاهر هذا الحديث.

والثاني: أنَّ هذا النهي منسوخٌ فإنَّ هذا الحكم كان في أول الأمر لهذا المعنى المذكور في الحديث، وهو أنَّ رجلًا نادي بالبقيع يا أبا القاسم فالتفت إليه النبيُّ -صلَّى الله عليه وآله وسلَّم- فقال يا رسول الله إني لم أعنك إنما دعوت فلانًا فقال: «**تسمُّوا باسمي ولا تكنوا بكُنيتي**» ثم نسخ قالوا: فيباح اليوم التكني بأبي القاسم لكل أحدٍ سواء من اسمه محمد وأحمد وغيره وهذا مذهب مالكٍ، قال القاضي وبه قال جمهور السلف وفقهاء الأمصار، وجمهور العلماء قالوا: وقد اشتهر أنَّ جماعة تكنوا بأبي القاسم في العصر الأول وفيما بعد ذلك إلى اليوم مع كثرة فاعل ذلك وعدم الإنكار.

والثالث: مذهب ابن جريرٍ أنه ليس بمنسوخٍ وإنما كان النهي للتنزيه والأدب لا للتحريم.

والرابع: أنَّ النهي عن التكنِّي بأبي القاسم مختصٌّ بمن اسمه محمد أو أحمد، ولا بأس بالكنية وحدها لمن لا يسمى بواحد من الاسمين، وهذا قول جماعة

---

(١) المسلم، السنة السابعة، العدد الأول، شعبان ١٣٧٦.

من السلف وجاء فيه حديثٌ مرفوعٌ عن جابرٍ.

والخامس: أنه ينهىٰ عن التكنِّي بأبي القاسم مطلقًا، وينهىٰ عن التسمية بالقاسم لئلا يكنىٰ أبوه بأبي القاسم، وقد غيَّر مروان بن الحكم اسم ابنه عبدالملك حين بلغه هذا الحديث فسماه عبد الملك، وكان اسمه القاسم، وفعله بعض الأنصار أيضًا.

السادس: أنَّ التسمية بمحمدٍ ممنوعةٌ مطلقًا سواء كان له كنية أم لا، وجاء فيه حديث عن النبيِّ -صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم- «**تُسمُّون أولادَكم محمدًا ثُمَّ تلعنُونَهم**». وكتب عمر إلىٰ الكوفة: لا تسموا أحدًا باسم نبيٍّ، وأمر جماعة بالمدينة بتغيير أسماء أبنائهم، حتىٰ ذكر له جماعة أنَّ النبيَّ -صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم- أذن لهم في ذلك وسماهم به فتركهم، قال القاضي: والأشبه أنَّ فعل عمر هذا إعظام لاسم النبيِّ -صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم- لئلا ينتهك الاسم كما سبق في الحديث «**تسمونهم محمدًا ثم تلعنونهم**». وقيل سبب نهي عمر أنه سمع رجلًا يقول لمحمد بن زيد بن الخطاب فعل الله بك يا محمد، فدعاه عمر فقال: أرىٰ رسول الله -صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم- يُسبُّ بك، والله لا تدعىٰ محمدًا ما بقيت وسماه عبد الرحمن.

وحديث «**تسمُّون أولادكم محمدًا ثُمَّ تلعنونهم**». رواه البزَّار وأبو يعلىٰ وابن عديٍّ والحاكم من حديث أنسٍ وهذا الحديث معدود في فضائل التسمية باسمه -صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم- مع دلالته علىٰ احترم الاسم الشريف وتوقيره.

وقال ابن سعد في الطبقات: أخبرنا مطرف بن عبد الله اليساري: حدثنا

محمد بن عثمان العمري، عن أبيه قال: قال رسول الله -صلَّى الله عليه وآله وسلَّم-: « **ما ضرَّ أحدَكم أن يكونَ في بيتِه محمَّدٌ ومحمَّدانِ وثلاثةٌ**». وهذا مرسل، وأخرج بن أبي عاصم من طريق ابن أبي فديك عن جهم بن عثمان عن ابن جشيب عن أبيه عن النبيِّ -صلَّى الله عليه وآله وسلَّم- قال: «**من تسمَّى باسمي يرجُو بركتي غدتْ عليه البركةُ وراحتْ إلى يومِ القيامةِ**». وجهم جهَّله أبو حاتمٍ وضعَّفه الأزدي. وروى ابن القاسم في سماعه وابن وهبٍ في جامعه عن مالك قال: سمعت أهل مكة يقولون: «**ما من بيتٍ فيه اسمُ محمدٍ إلا نَما ورُزقوا ورُزق جيرانُهم**». وللحافظ أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن عبد الله ابن بكير البغدادي جزءٌ مطبوع في فضل التسمية بمحمد وأحمد، وفي عزمي أن أعيد طبعه مع التعليق عليه بما يتمِّم فوائده ويكمِّل مقاصده مع بيان علل الأحاديث ونقد أسانيدها يسَّر الله ذلك وأعان عليه.

قوله: «**أقسم بينكم**» يعني: يقسم بين أمَّته ما يرزقهم الله من معارف وعلوم وأموال وغيرها ويؤيِّد هذا العموم ويؤكِّده أمران:

الأول: قوله: «**إنما بُعثت قاسمًا** »وهو إنما بعثت لقسم ما أوتي من الهدى والنور والعلم والعرفان، فأمَّا قسم الفيء والمغانم فهم أمر ثانوي إنما حصل بعد فرض الجهاد، والأمر بقتال المسلمين بعد الهجرة.

الثاني: أنه -صلَّى الله عليه وآله وسلَّم- نهى غيره أن يتكنَّى بأبي القاسم، وعلل النهي بأنه يقسم ولو كان المراد قسم الفيء والمغانم لم يكن لهذا النهي والتعليل معنى؛ لأن كل إمام وخليفة يقسم المغانم بين المجاهدين كما كان يفعل عمر وغيره من الخلفاء وذلك هو المقرَّر في الشرع فلولا أنه صلَّى الله عليه

وآله وسلَّم اختص في القسم بشيء لم يشركه فيه غيره، لم يكن للنهي معنىٰ كما ذكرنا، ولهذا خص جماعة من الصحابة بأنواع من العلوم فاختص زيد بن ثابت بالفرائض، ومعاذًا بعلم الحلال والحرام، وأُبيًّا وابن مسعودٍ بعلم القرآن، وحذيفة بعلم أحوال المنافقين وكشف أسرارهم، وأبا هريرة بجرابَين من العلم بثَّ أحدهما ولم يبثَّ الآخر مخافة القتل كما في صحيح البخاري، وعليًّا بعلم القضاء وبعلوم أخرىٰ وسماه باب مدينة العلم، وهكذا كل صحابي له من رسول الله -صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم- بابٌ من العلم أو أبواب علىٰ قدر استعداده، ثم هو صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بعد وفاته حي في قبره تعرض عليه أعمال أمته فيستغفر لهم ويشفع، والموفَّقون من أفراد الأمة يشاهدونه ويسمعون كلامه ويرون نوره ساريًا في الوجود ويرون كل خير واصلًا إليهم عن طريقه لا يرتابون في ذلك لأنهم رأوه عيانًا.

حقَّقنا الله بما حقَّقهم به حتىٰ نزداد معرفةً بقدر هذا النبيِّ الكريم والرسول العظيم عليه أفضل الصلاة وأتمُّ التسليم.

(٥)

مقالات في التصوف الإسلامي

٧٥- التصوف الإسلامي في السنة النبوية والأحاديث المؤيدة لهذا المذهب [١]

موضوع التصوف الإسلامي موضوعٌ كثر فيه الجدل والنقاش ووقف الناس إزاءه ثلاث فرقٍ:

أ- فرقةٌ زعمت أنَّ التصوَّف دخيلٌ على الإسلام وأنه في الجملة من المبتدَعات المُنكَرة وهؤلاء فرقة (الهوالك) المعروفين بالحافقية في مصر، والبشارمة في المغرب، ومَن على شاكلتهم من عبدة الدولار الأمريكي والالتواء الفكري.

ب- فرقةٌ اعتقدت التصوف ولكنها تغالت فيه حتى خرجت عن الحدِّ المشروع، وبأعمالها وغلوِّها أضرَّت التصوف من حيث أرادت نفعه، وهي لا تشعر، وهؤلاء المبتدعة والدُّخَلاء والمتجرون بدين الله.

ج- فرقةٌ معتدلةٌ اعتقدت التصوف على دليلٍ، وقبلت ما أتى به ودعا إليه عن برهانٍ، وطهَّرته من المدسوس والدخيل وهذه هي فرقة الحقِّ.

والتصوف بعد هذا له أصلٌ أصيلٌ في السُّنَّة النبوية يعسر استيفاء الأحاديث الواردة في شأنه والدالة على عظم موقعه من الدين، ولكني أشير إلى بعض الأحاديث التي تُعتبَر أصولًا لمذهب التصوف على العموم:

أولًا: حديث سؤال جبريل عليه السلام للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن الإيمان والإسلام والإحسان، وفيه أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: **«الإحْسَانُ أن تَعْبُدَ اللهَ كأنَّك تَراهُ فإن لم تكن تَراهُ فإنَّه يراك»**.

---

(١) المسلم، السنة الخامسة، العدد (٦) محرم ١٣٧٥.

قال شيخ الإسلام الهرويُّ الحنبليُّ: «في هذا الحديث إشارةٌ جامعةٌ لمذهب هذه الطائفة الصوفية». قال شارحه ابن القيِّم الحنبليُّ: «لأن أصل هذه الطريقة الخاصة كمال المعرفة ودوام المراقبة للحقِّ سبحانه وتعالىٰ في الحركات والسكنات بل في الأنفاس واللحظات».

ثانيًا: حديث قصة الخَضِر وموسىٰ عليهما السلام فقد ثبت في "البخاري" و"مسلم" أنَّ موسىٰ عليه السَّلام لما قال للخَضِر: «**هل أَتَّبِعُكَ على أن تُعَلِّمني مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا**» قال له الخَضِر: «**لا تَسْتَطيعُ أن تتَّبِعَني؛ لأني على عِلْمٍ مِن عِلْمِ الله علَّمَنيه لا ينبغي لك أن تَعْلَمَهُ**».

قال البلقينيُّ في شرح "البخاري": «هذه إشارةٌ إلىٰ علم الحقيقة وما فيها من أسرار لا ينبغي لأهل الظاهر أن يعلموها؛ لأنها تصعب علىٰ كثيرٍ منهم».

ولهذه المناسبة أشير إلىٰ أن الخَضِر عليه السلام كان نبيًّا كما ذهب إليه جمهور العلماء قالوا: وكان مخصوصًا بعلم الحقائق كما كان موسىٰ مخصوصًا بعلم التشريع.

ثالثًا: حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ مِن العِلْمِ كهَيْئَةِ المَكنونِ لا يَعْلَمُهُ إلَّا أَهْلُ العِلْمِ بالله، فإذا نَطَقُوا به لم يُنكِرْهُ إلَّا أَهْلُ الغِرَّةِ بالله**».

قال العلماء في معنىٰ هذا الحديث أنه يشير إلىٰ علم الحقائق وأنه لا يعلمها إلَّا العلماء بالله وهم الذين باعوا أنفسهم ابتغاء مرضاة الله، وأنهم إذا نطقوا في مجالسهم أو دونوها في كتبهم أنكرها عليهم المَغرورون بالله.

وهذا حال الصوفية مع المنكرين عليهم، فالصوفية بنصِّ هذا الحديث

علماء بالله، والمنكِرون عليهم مخدوعون مغرورون.

رابعًا: روى الجنيد رضي الله عنه، عن السَّريِّ السَّقَطيِّ، عن معروفٍ الكرخيِّ، عن جعفر بن محمدٍ، عن أبيه محمد بن عليٍّ، عن أبيه عليٍّ زين العابدين، عن أبيه الحسين، عن أبيه عليٍّ عليهم السَّلام، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**طَلَبُ الحَقِّ غُرْبَةٌ**».

قال القطب القسطلاني: «الحقُّ هو الله سبحانه وتعالى، وطلبه هو طلب الوصول إليه والتعرف بآثاره والتعرُّض لمحابِّه ومراضيه، فالحديث يفيد أنَّ مَن طلب الوصول إلى الله لابد أن يغترب أي: يبتعد عن شهوات نفسه وحظوظها».

وهذا هو ما يدعو إليه الصوفية، لأنَّ مبنى طريقتهم على مخالفة النفس وكبح جماح شهواتها عملًا بقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠ – ٤١].

فالصوفية يقولون: إذا كان شرط دخول الجنَّة مخالفة النفس فالوصول إلى الله أولى بذلك وأحق؛ لأن معرفة الله عند مَن ذاق لذتها أحسن من نعيم الجنَّة.

خامسًا: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**العِلْمُ عِلْمان: عِلْمٌ في اللسان فذاك حُجَّةُ الله على خَلْقِهِ، وعِلْمٌ في القَلْبِ فذاك العِلْمُ النَّافِعُ**».

هذا الحديث يشير إلى ما يلقيه الله في قلوب خواص عباده من علوم ومعارف وأسرار، ويخبر مع ذلك بأن هذا هو العلم النافع، وهذا من الأحاديث التي تشير إلى ما يفيضه الله على أوليائه من العلوم والأسرار.

سادسًا: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه

وآله وسلَّم: «**كان فيمن كان قبلكم مُحدَّثون فإن يكن في أُمَّتي فعمر منهم**».

التحديث هو: الإلهام، وهذا الحديث أصل فيما يحصل للأولياء من مكاشفات وإلهامات كأنها رأي العين.

سابعًا: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «حفظت من رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم جِرابَين مِن العِلْم فأمَّا أحدُهما فقد بَثَثْتُهُ فيكم، وأمَّا الآخرُ فلو بَثَثْتُه لقُطِع مِنِّي هذا البُلْعومُ».

قال شرَّاح البخاري يقصد بهذا أنه حفظ من رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم علومًا من الحقائق والأسرار لو حدَّث بها لضاقت عنها عقول الناس وحكموا بكفره؛ لأنها تعلو على مداركهم.

ثامنًا: عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أُنزل القرآنُ على سبعة أحرفٍ لكلِّ آيةٍ منها ظهرٌ وبطنٌ**».

قال ابن النقيب في "تفسيره": «ظهر الآية ما ظهر من معانيها لأهل العلم بالظاهر، وبطنها ما تضمَّنته من الأسرار التي أطلع الله عليها أرباب الحقائق».

تاسعًا: عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: «إنَّ القرآن أنزل على سبعة أحرفٍ، ما منها حرف إلَّا له ظهرٌ وبطنٌ، وإنَّ عليَّ بن أبي طالبٍ عنده منه علم الظاهر والباطن».

عاشرًا: عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنه قال: «كنَّا نتحدَّث أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عهد إلى عليٍّ سبعين عهدًا لم يعهدها إلى غيره».

فهذان الحديثان هما أصل الصوفية في علم الباطن والحقائق والرجوع فيها إلى عليٍّ، فقد أطبق الصوفية على أنَّ أستاذهم في هذه العلوم هو عليٌّ عليه

السَّلام صرَّح بذلك الجنيد رضي الله عنه وابن العربي الحاتمي في "الفتوحات" والشعرانيُّ وغيرهم.

يؤيِّدهم في ذلك حديث: «**أنا مدينةُ العِلْمِ وعليٌّ بابها**»، وهو حديثٌ صحيحٌ على شرط البخاريِّ ومسلمٍ، وإن اجتهد ابن تيمية وغيره من النواصب في تكذيب هذا الحديث.

وبعضهم حين رآه صحيحًا عمد إلى التأويل فزعم أنَّ لفظة «علي» في قوله: «**وعليٌّ بابُها**» من العُلوِّ والارتفاع، وهذا تحريفٌ للكَلِمِ عن مواضعه وتكلُّفٌ سمجٌ لا دليل عليه.

فتستخلص من هذا أنَّ التصوف:

أولًا: أحد أركان الدين الثلاثة لأنه مقام الإحسان الذي جعله الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أحد أركان الدين حيث قال: «**إنَّ هذا جبريل جاءكم يُعَلِّمُكُمْ دِينكَمْ**».

فذكر الإسلام ثُمَّ الإيمان ثُمَّ الإحسان .

ثانيًا: أنَّ علم الباطن وعلم الحقائق الذي يتحدَّث عنه الصوفية ثابتان في القرآن والسُّنَّة.

ثالثًا: أنَّ المكاشفات والإلهامات التي يتفضَّل الله بها على أوليائه ثابتةٌ بالسُّنَّة أيضًا.

رابعًا: أنَّ عليًّا عليه السلام هو أستاذ الصوفية ومرجعهم بشهادة ابن مسعودٍ وابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما، وقد ورد عن عليٍّ عليه السلام كلامٌ جميلٌ في حقائق التصوف وأسرار العلوم، نُفرد له بحثًا إن شاء الله.

٧٦- كيف تشكر النعمة؟[١]

سمعت كثيرًا من الناس بطنجة إذا أكل أحدهم وشبع يقول: اللهم أدِّ عنَّا شُكْرَ النِّعمة.

وهذا دعاءٌ قبيحٌ فيه إساءة أدبٍ مع الله تعالي؛ فلا يجوز أن يُدعَىٰ به.

وبيان ذلك: أنَّ الله تعالىٰ أمرنا بالشُّكْر علىٰ نِعَمِهِ علينا قال سبحانه: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢] وقال: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٣].

وفي "جمع الجوامع": «وشُكْرُ المُنعِم واجبٌ بالشرع».

فالشُّكْر عند حدوث نِعْمَتِهِ عبادةٌ أمرنا الله بها كما أمرنا بالصَّلاة والصِّيام وغيرهما مِن العبادات.

وقد بيَّن النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كيف تؤدَّىٰ عبادة الشُّكْر بفعله وقوله.

أمَّا فعله: ففي "سنن أبي داود" و"الترمذي" عن أبي سعيدٍ الخدريِّ أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان إذا فرغ مِن طعامه قال: «**الحمدُ لله الذي أَطْعَمَنا وسَقَانا وجَعَلَنا مُسْلِمين**». وللحديث ألفاظٌ في "الصحيحين"، وطرقٌ مُتعدِّدةٌ.

وأمَّا قوله: ففي "معجم الطبراني" و"صحيح ابن حِبَّان" عن ابن عبَّاسٍ أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ذهب إلىٰ أبي أيوب ومعه أبو بكرٍ وعمر فقدَّم لهم تمرًا وشواءً فلما أكلوا وشبعوا، قال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم:

---

(١) مجلة دعوة الحق، السنة السابعة عشرة، العدد (٤) شوال ١٣٩٥.

«خُبْزٌ ولَحْمٌ وتَمْرٌ وبُسْرٌ ورُطَبٌ -ودَمَعَتْ عَيْناهُ- والذي نَفْسي بيدِهِ، إنَّ هذا لهو النَّعِيمُ الذي تُسألون عنه، قال الله جلَّ وعَلَا: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [التكاثر: ٨] فهذا النَّعِيمُ الذي تُسألون عنه يومَ القِيامَةِ». فكَبُرَ ذلك على أصحابه فقال: «إذا أَصَبْتُمْ مِثْلَ هذا، فضَرَبْتُمْ بأيدِيكُمْ، فقولوا: بسمِ الله، وإذا شَبِعْتُمْ فقولوا: الحمدُ لله الذي هو أَشْبَعَنَا وأَنْعَمَ علينا وأفضل، فإنَّ هذا كَفَافٌ بها».

وروى الحاكم والبيهقيُّ عن عائشة قالت: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «ما أَنْعَمَ الله على عبدٍ نِعْمَةً فعَلِمَ أنَّها مِن عند الله إلَّا كَتَبَ الله له شُكْرَها قبل أن يَحْمَدَهُ عليها، وما أَذْنَبَ عبدٌ ذَنْبًا فنَدِمَ عليه إلَّا كَتَبَ اللهُ له مَغْفِرَةً قبل أن يَسْتَغْفِرَهُ، وما اشْتَرَى عبدٌ ثَوْبًا بدينارٍ، أو نِصْفِ دينارٍ، فلَبِسَهُ فحَمِدَ اللهَ عليه إلَّا لم يَبْلُغْ ركبتيهِ حتَّى يَغفرَ اللهُ له».

وفي "صحيح مسلم" عن أنسٍ أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «إنَّ اللهَ لَيَرْضَى عن العَبْدِ أن يأكلَ الأَكْلَةَ فيَحْمَدهُ عليها ويَشْرَبُ الشَّرْبَةَ فيَحْمَدَهُ عليها[1]».

---

(١) وروى أبو داود والنَّسائيُّ عن معاذ بن جبلٍ رضي الله عنه قال: أخذ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بيدي وقال: «يا معاذُ، والله إنِّي لأُحِبُّك فلا تَدَعَنَّ في دُبُرِ كُلِّ صلاةٍ أن تقول: اللهمَّ أعنِّي على ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وحُسْنِ عِبادَتِكَ». صحَّحه ابن حِبَّان والحاكم.

وهذا الحديث نرويه بقول كلِّ أستاذٍ لتلميذه إني أُحبُّك فقل ...إلخ، وهو من المُسَلْسَلات الصحيحية كحديث الرَّحْمةِ المُسَلْسَلِ بالأَوَّلِيَّة، وأغلب المُسَلْسَلات ضعيفةٌ، بل منها ما هو موضوعٌ كحديث قراءة البسملة مع الفاتحة في نَفَسٍ واحدٍ، فإنه مع تَسَلْسُلِهِ يقول كلِّ راوٍ: «والله حدَّثني فلانٌ». موضوعٌ.

نِعَمُ الله علينا كثيرةٌ لا نستطيع إحصاءها، ولا نطيق أداء شكرها، ولكن الله كلَّفنا مِن ذلك بقَدْر طاقتنا.

قال سليمان التيميُّ: «إنَّ اللهَ أنعمَ على العباد على قَدْرِهِ، وكلَّفهم الشُّكْر على قَدْرهم». رواه البيهقيُّ في "الشعب".

فإذا حدَثت للمسلم نعمة فشُكْرها أن يقول: «الحمد لله» فإنَّ الله يرضى بهذا ويُثيبه عليه، فإن لاحظ مع هذا تقصيره في الشكر فله في علاج هذا التقصير إحدى طريقتين:

١- أن يقول: اللهمَّ اغْفِر لي تقصيري في شكرك، أو: اللهمَّ اعفُ عن تقصيري، أو: اللهمَّ لا تؤاخذني بما قصَّرت، أو نحو هذا مِن الدعاء المشروع.

٢- أن يقول: اللهمَّ ألهمني أداء شكرك، أو اللهمَّ وفِّقني لأداء شكرك، أو اللهمَّ أعنِّي عليه، أو نحو هذا مما يفيد طلب المعونة والتوفيق.

وفي القرآن الكريم: ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ [الأحقاف: ١٥]، معنى «أوزعني»: ألهمني.

هذا دعاءٌ قرآنيٌّ يرشدنا أن نطلب الإلهام لشكر الله على نعمه.

ولا يجوز أن يقول: اللهم أدِّ عنِّي شكر النِّعم لقبحه مِن وجوهٍ:

١- أنه يتضمَّن ردَّ الأمر على الآمِر به، وهو ممنوعٌ عادةً وشرعًا.

أمَّا العادة: فلأنك لو قلت لولدك أو لمن لك عليه واجب الطاعة: افعل الشيء الفلاني، وقال لك: افعله أنت عنِّي، عدَّ مخالفًا للأمر حيث ردَّه عليك واستحقَّ اللوم والتأديب، ولا يعفيني أن يبدي تأويلًا لقوله بأنه أراد كذا وكذا لأن كلامي صريحٌ في ردِّ الأمر، والصريح لا يقبل التأويل.

وأمَّا الشرع: فإنَّ مِن المعلوم بالضرورة وجوب تنفيذ أمر الشارع، وهذا لا يحتاج إلى دليلٍ.

٢- أنه يتضمَّن أنَّ اللهَ كلَّفك مِن شكره ما لا تطيق حتى طلبت منه أن يؤدِّيه عنك، وهذا يخالف القرآن حيث قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] والدعاء المخالف للقرآن يحرم الدعاء به كما نصَّ عليه العلماء، فلا يجوز أن يدعي بالمغفرة لكافرٍ بعد موته، ولا أن يدعي بطلب رؤية الله في الدنيا ونحو ذلك مما يخالف القرآن والسُّنَّة.

٣- أنَّ الشكر عبادةٌ أُمرنا بها، والعبادة لا يفعلها الله عن عبده، بل لا يجوز عقلًا أن يفعلها؛ لأنه معبودٌ وليس بعابد، وإنما يطلب منه التوفيق للعبادة والإعانة عليها.

٤- أنَّ الشارع بيَّن أنَّ حقَّ الله على عباده أن يعبدوه، وحقَّ العباد عليه إذا عبدوه أن يُثيبهم، وهذا حقٌّ تفضُّلي، وذلك الدعاء يستلزم أن يصير المعبود عابدًا، وهذا المعنى باطلٌ عقلًا وشرعًا فالدعاء به حرامٌ.

٥- أنَّ الداعي يطلب بدعائه حصول خيرٍ أو دفع ضرٍّ، وذلك الدعاء ليس فيه شيءٌ من ذلك، إذ لو فرض وقوع المحال وشكر الله ذاته نيابة عن عبده فالعبد لا يناله مِن ذلك الشكر ثواب له، ولا دفع ضر عنه لأنه فعلٌ فعله الله لا علاقة للعبد به فيكون ذلك الدعاء عبثًا فهو حرامٌ(١).

٦- أنَّ حمد الله ذاته وثناءه عليها واجبٌ عقلًا، اقتضاه كماله المطلق وعظمة

---

(١) لأنَّ العبث في الدعاء يتضمَّن العبث بالمدعوِّ وقال الله تعالى: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الأعراف: ٥٦]، والعابث في الدعاء ليس بخائفٍ ولا طامعٍ.

ربوبيته مع إنعامه على مخلوقاته بجليل النِّعم ودقيقها ظاهرها وخفيِّها، وقد نصَّ العلماء على أنَّ الدعاء يجوز بالممكن سواء كان واجبًا بالشرع أو جائزًا، ولا يجوز الدعاء بالواجب العقليِّ ولا بالمحال العقليِّ، وذلك الدعاء يطلب واجبًا عقليًّا فهو غير جائزٍ شرعًا.

٧- أنَّ علماء الكلام وغيرهم قالوا: إذا كان للفظ معنيان؛ أحدهما يليق بجانب الله والآخر لا يليق؛ فلا يجوز إطلاقه على الله منعًا لإلصاق معنى لا يليق به.

مثلًا العلم الضروري له معنيان: أحدهما ما لا يحتاج إلى نظر واستدلال وهذا صحيحٌ بالنسبة إلى علم الله، والآخر ما يضطر الشخص إليه كعلمه بحياته ووجوده. قالوا: فلا يجوز وصف علم الله بأنه ضروريٌّ؛ لأنه يوهم هذا المعنى الذي لا يليق به.

وكذلك قول القائل: اللهمَّ أَدِّ عنِّي شُكْرَ النِّعم. لا يجوز إطلاقه في جانب الله حتى لو فرض أنَّ له معنًى صحيحًا بضربٍ مِن التأويل والتجوُّز؛ لأنه يوهم معنى قبيحًا لا يليق بالله تعالى.

شبهات تعرض في هذا المقام والجواب عنها:

١- ثبت في الحديث أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان يقول: «**سُبْحَانَكَ لا أُحْصِي ثَناءً عليك أنتَ كما أَثْنَيْتَ على نَفْسِكَ**».

فيجوز على هذا أن يقال: اللهمَّ أدِّ عنِّي شُكْر النِّعم، باعتبار أنَّ الإنسان لا يُطيق شكر النِّعم ولا يُحصِيها.

وهذه شبهةٌ ضعيفةٌ جدًّا لوجوهٍ:

أولها: أنَّ الحديث أخبر بحقيقتين لا شك فيهما ولا مراء، وهما أنَّ الإنسان

لا يُحصِي الثناء على الله ولا يستطيعه؛ لأنه يقتضي الإحاطه بكمال الله وهي في حقِّنا محالٌ عقلًا، وأنَّ الله هو الذي يُحيط بكماله ويثني على نفسه كما يليق به.

ثانيها: أنَّ الثناء المطلق -وهو الذكر- عبادةٌ مطلوبةٌ أيضًا قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١ - ٤٢] وقال في معرض المدح: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وبيَّنت السُّنَّة أنواعًا مِن الذِّكر وما فيها من الثواب مثل: «لا إله إلا الله، لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، لا حول ولا قوة إلَّا بالله، حسبُنا الله ونعمَ الوكيلُ، اللهُ أكبرُ، سبحانَ الله وبحمدِهِ، سبحان الله العظيمِ، أستغفرُ الله العظيمَ الذي لا إله إلَّا هو الحيُّ القيومُ وأتوبُ إليه».

وهذه أنواعٌ مِن الذِّكر وغيرها كلها ثناء على الله تعالى، وكان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أكثر الناس ذكرًا لله كما ثبت في "صحيح مسلم" عن عائشة قالت: «كان يذكر الله على كلِّ أحيانه» ومع ذلك اعترف أنه لا يُحصي ثناءً على الله، لكن لم يقل: اللهمَّ أثنِ على نفسك؛ لأن هذا الدعاء لا يجوز لما سبق بيانه بل قال: «**أنتَ كما أَثْنَيْتَ على نَفْسِكَ**» وهذا خبرٌ صحيحٌ عقلًا وشرعًا.

ثالثها: حيث إنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نفَّذ الأمر بذكر الله، واعترف بالعجز عن إحصاء الثناء عليه، ولم يقل: اللهمَّ أثن على نفسك، أو اللهمَّ اذكر نفسك عنَّا، فيسعنا في هذا المقام ما وسعه عليه الصلاة والسلام وذلك بأن نشكر الله كما علمنا وإذا شعرنا بالتقصير والعجز دعونا الله بالمغفرة

أو التوفيق، ولا نقول: اللهمَّ أدِّ عنَّا شُكْر النِّعم.

رابعها: أنه سبق في حديث عائشة أنَّ العبد إذا علم أنَّ النعمة من الله بمعنى أنه اعتقد ذلك وتيقَّنه تصديقًا لقوله تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣] كتب الله له شكرها قبل أن يحمدها عليها، وهذا فضلٌ مِن الله كبيرٌ يُغنينا عن ذلك الدعاء القبيح الخطير.

٢- من أسماء الله الحسني اسم «الشكور» وهذا الاسم يُومِئ إلى جواز أن يقال: اللهمَّ أدِّ عنَّا شكر النعمة.

وهذه الشبهة أضعف من سابقتها؛ لأن الشكر معناه ثناء الشاكر على إحسانٍ وصل إليه مِن المشكور، والله تعالى لا يصل إليه إحسان محسنٍ؛ لأنه الغنيُّ الحميد المُنعِم المُتفضِّل، وإذن فمعنى اسمه الشكور إمَّا أن يظهر أعمال عباده الصالحين وينوِّه عنها ويمدحهم عليها، وهذا مجازٌ حقيقته إظهار الشاكر للنِّعمة وثناؤه عليها.

وإمَّا أنه يثيب الثواب الكثير على الطاعة القليلة، وهذا أيضًا مجازٌ حقيقته قولهم: شكرت الشجرة إذا كثرت أغصانها، وليس في هذا إشعارٌ بجواز ذلك الدعاء القبيح.

٣- أنَّ الله تعالى أمرنا بالصلاة على نبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، ونحن نقول: اللهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمدٍ، فنطلب منه أن يصلِّي على نبيِّه فكذلك يجوز أن يقال: اللهمَّ أدِّ عنَّا شُكْر النِّعم.

وهذه شبهةٌ واهيةٌ والقياس الذي يبنى عليها ظاهر الفساد؛ لأن الصَّلاة

معناها العطف كما حقَّقه ابن هشام في "المغني".

ثُمَّ العطف يختلف باختلاف فاعله حسب ما يليق به، فصلاة الله على المؤمنين: عطفه عليهم برحمته ومغفرته وهدايته، وصلاته على نبيِّه: عطفه عليه بإعلاء شأنه ورفعة قدره، وصلاة الملائكة علينا: عطفهم بالدعاء لنا كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧].

وصلاتنا نحن معشر المسلمين على نبيِّنا: عطفنا بالدعاء له برفعة قدره وإعلاء شأنه فقولنا: «اللهمِّ صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ» هو امتثالٌ لقول الله تعالى: ﴿صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] أمرنا بالدعاء له فدعونا، ولم نرد الأمر على الآمر به كما في قول القائل: اللهمَّ أدِّ عنَّا شُكْر النِّعم.

فظهر فساد القياس المذكور، وبطلت الشبهة من أصلها، وبالله التوفيق.

٧٧- المعصية[١]

الإثم: اسم جنسٍ يشمل المعاصي كلَّها، شمول الكلِّيِّ لجزئيَّاته.

والمعصية: مخالفة أمر الشارع أو نهيه، وتسمَّىٰ ذنبًا وخطيئة وسيِّئة، وهي تتنوَّع إلىٰ نوعين: صغيرةٍ، وكبيرةٍ.

ذلك أنَّ مجرَّد مخالفة الأمر أو النهي معصيةٌ صغيرةٌ، فإذا رُتِّب عليها حَدٌّ، أو سمِّيت موبقةً أو فاحشةً أو كبيرةً أو فسقًا، أو تُوعِّد عليها بلعنٍ أو غضبٍ أو عذابٍ أو تحريم دخول الجنَّة، أو سُمِّي مرتكبها فاسقًا أو ضالًّا أو خاسرًا، أو نحو ذلك مما يدل علىٰ عِظَم الإثم كانت معصيةً كبيرةً.

وهذا في المعاصي المنصوصة، أمَّا إذا كانت المعصية غير منصوصٍ عليها فينظر في المفسدة التي تشتمل عليها إن كانت مساويةً لمفسدة إحدىٰ الكبائر المنصوصة كانت كبيرةً مثلها، وإن كانت دونها فهي صغيرةٌ.

وقد اعتنىٰ العلماء ببيان الكبائر وألَّفوا في ذلك مؤلَّفاتٍ، منها جزء في الكبائر للحافظ الديلمي صاحب "الفردوس"، وللحافظ العلائي، وكتاب "الكبائر" للحافظ الذهبيِّ، وللحافظ ابن القيِّم، وهو أوسع وأفيد، وللجلال البلقينيِّ.

وكتاب "الزواجر عن اقتراف الكبائر" للعلَّامة الفقيه أحمد بن حجرٍ الهيتميِّ المكِّيِّ جرَّد فيه قسم الترهيب من كتاب "الترهيب والترغيب" للحافظ المنذري، وضمَّ إليه بحوثًا فقهية فجاء كتابا حافلًا، إلَّا أنه أورد فيه كبائر استند فيها إلىٰ أحاديث ضعيفةٍ، أو أقوال أئمَّة مذهبه الشافعي، والكبيرة لا تثبت إلَّا

---

(١) مجلة دعوة الحق، السنة السادسة عشرة العدد (٨) ربيع الثاني ١٣٩٤.

بحديثٍ ثابتٍ، أو تكون فيها مفسدة توازي مفسدة كبيرة منصوصة كما سبق.

وللصغائر والكبائر مُكفِّرات تمحو إثمها، منها ما يشملها جميعًا وهو التوبة، فإنها تُكفِّر الصغائر كما تكفر الكبائر، ونصوص الشريعة في ذلك كثيرةٌ جدًّا بحيث صار من المعلوم بالضرورة أنَّ التوبة بشروطها تمحو كلَّ ذنبٍ حتى الكُفْر: قال الله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ [الأنفال: ٣٨].

وقال سبحانه: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧٠].

ومنها مُكفِّراتٌ تختصُّ بالصغائر وهي ثلاثة:

١- **اجتناب الكبائر**: قال تعالى: ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ [النساء: ٣١].

وفي "صحيح مسلم": عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**الصَّلَواتُ الخَمْسُ، والجُمُعَةُ إلى الجُمُعَةِ، ورمضانُ إلى رمضانَ، مُكَفِّراتٌ ما بينهنَّ إذا اجْتُنِبَتِ الكَبائِرُ**».

٢- **إتْباعها بحسنةٍ**: روى ابن جريرٍ عن أبي مالكٍ الأشعريِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**جُعِلَتِ الصَّلواتُ كفَّارات لما بينهنَّ فإن الله قال:** ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [هود: ١١٤]».

وفي "الصحيحين" عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه: أنَّ رجلًا أصاب مِن امرأةٍ قبلةً فأتى النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فأخبره فأنزل الله: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [هود: ١١٤] فقال الرجل: يا رسول الله ألي هذا؟ قال: «**لجميعِ أُمَّتي كلِّهم**».

وفي "المسند" عن معاذٍ رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال له: «**يا معاذُ أَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا وخَالِقِ النَّاسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ**».

وروى الترمذيُّ عن أبي ذرٍّ ومعاذٍ رضي الله عنهما، عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**اتَّقِ اللهَ حيثما كنتَ، وأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا وخَالِقِ النَّاسَ بخُلُقٍ حَسَنٍ**».

٣- **مصيبة من مصائب الدنيا**: ثبت في "الصحيحين" عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ما مِن مُصِيبَةٍ تُصيبُ المُسْلِمَ إلَّا كَفَّرَ اللهُ عنه بها حتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا**».

وفيهما أيضًا عن أبي سعيدٍ الخدريِّ وأبي هريرة رضي الله عنهما، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ما يُصِيبُ المُؤمِنُ مِن نَصَبٍ ولا وَصَبٍ ولا هَمٍّ ولا حَزَنٍ ولا أَذًى ولا غَمٍّ حتَّى الشَّوْكَةِ يُشاكُها إلَّا كفَّر اللهُ بها مِن خطاياه**».

وفي "صحيح ابن حِبَّان" عن عبدالله بن مُغَفَّلٍ رضي الله عنه: أنَّ رجلًا لقي امرأةً كانت بغيًّا في الجاهلية فجعل يلاعبها حتى بسط إليها يده فقالت: مه فإنَّ اللهَ قد أذهب الشِّرك وجاء بالإسلام. فتركها وولَّى فجعل يلتفت خلفه وينظر إليها حتى أصاب وجهه حائطًا.

ثُمَّ أتى النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم والدم يسيلُ على وجهه فأخبره

بالأمر فقال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أنت عبدٌ أرادَ اللهُ بك خيرًا**». ثُمَّ قال: «**إنَّ اللهَ جلَّ وعلا إذا أراد بعبدٍ خيرًا عَجَّلَ عُقوبة ذَنْبِهِ، وإذا أراد بعبدٍ شرًّا أمسك ذنبه حتَّى يوافى يومَ القِيامَةِ كأنَّه عائِرٌ**».

وروى الطبرانيُّ في "الأوسط" عن أبي تميمة الهجيميِّ قال: بينا أنا في حائطٍ من حيطان المدينة إذا بصرت بامرأةٍ فلم يكن لي همٌّ غيرها، حتى حاذتني ثُمَّ أتبعتها بصري حتى حاذت الحائط فالتفت فأصاب وجهي الحائط فأدماني.

فأتيتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فأخبرته فقال: «**إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ إذا أراد بعبدٍ خيرًا عَجَّلَ عُقوبة ذَنْبِهِ، وربُّنا تبارك وتعالى أكرمُ مِن أن يُعاقِبَ على ذنبٍ مرَّتين**». قال الحافظ ابن حجرٍ: «إسناده حسنٌ».

قلت: كيف يكون حسنًا وفيه هشام بن لاحق أبو عثمان المدائني أو المدني؟ ضعَّفه شبابة بن سوار والبخاريُّ والساجيُّ والعقيليُّ، وترك أحمد حديثه بعد أن روى عنه، لكن قوَّاه النَّسائيُّ، وقال ابن عديٍّ: «أحاديثه حِسانٌ وأرجو أنه لا بأس به» وذكره ابن حِبَّان في "الثقات" كما ذكره في "الضعفاء" أيضًا.

وأبو تميمه تابعيٌّ معروفٌ يروي عن أبي هريرة وأبي موسى وأصل الحديث: عن أبي تميمة الهجيميِّ أنَّ رجلًا كان في حائطٍ من حِيطان المدينة...إلخ.

ولكن هشام بن لاحق لضعفه واضطراب حديثه نسب القصة لأبي تميمة مع أنه ليس بصاحبها ولا حضرها، فالحديث مرسلٌ ضعيف الإسناد، لكنه يتقوَّى بما قبله من الأحاديث.

هذا وتنقلب الصغيرة كبيرةً بانضمام معصيةٍ إليها كما سيأتي بحول الله.

وذكر كثير من العلماء أنَّ الإصرار على الصغيرة يُصيِّرها كبيرةً واحتجُّوا

٤٢٦ ـــــــ

١- الحَدُّ المُرتَّبُ على بعضها: لما رواه الشيخان عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال -وحوله عصابة من أصحابه: «**بايعوني على ألَّا تُشْركوا بالله شيئًا، ولا تَسْرِقوا، ولا تَزْنوا، ولا تَقْتُلوا أولادَكم، ولا تأتوا ببُهْتانٍ تَفْتَرُونه بين أيديكم وأرجلِكم، ولا تَعْصُوا في مَعْروفٍ، فمن وفَى منكم فأجرُه على الله، ومَن أصاب مِن ذلك شيئًا فعُوقِبَ في الدُّنيا فهو كفَّارةٌ له، ومَن أصابَ مِن ذلك شيئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللهُ فهو إلى الله؛ إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقَبَهُ**».

وفي "معجم الطبراني الأوسط" بإسنادٍ حسنٍ عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لأصحابه: «**أُبايعُكُمْ على أن لا تُشْرِكُوا بالله شيئًا، ولا تَقْتلوا النَّفْسَ التي حَرَّمَ اللهُ إلَّا بالحَقِّ، ولا تَزْنُوا، ولا تَسْرِقُوا، ولا تَشْرَبُوا، فمَن فَعَلَ شيئًا مِن ذلك، فأقِيمَ عليه حَدُّهُ فهو كَفَّارَةٌ، ومَن سَتَرَ الله عليه، فحِسَابُهُ على الله عزَّ وجلَّ، ومَن لم يَفعَل شيئًا مِن ذلك ضَمِنْتُ له الجنَّة**».

وروى الترمذيُّ عن عليٍّ عليه السَّلام، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**من أَصَابَ حَدًّا فعُجِّلَ عُقُوبَتَهُ في الدُّنيا فالله أَعْدَلُ مِن أن يُثنِّيَ على عبدِهِ العُقُوبَةَ في الآخِرَةِ، ومَن أَصَابَ حَدًّا فسَتَرَهُ الله عليه وعَفَا عنه فالله أكْرَمُ مِن أن يَعُودَ في شيءٍ قد عَفَا عنه**». حسَّنه الترمذيُّ وصحَّحه الحاكم.

وفي "المسند" عن خزيمة بن ثابتٍ رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن أصابَ ذنبًا فأُقِيمَ عليه حَدُّ ذلك الذنبِ فهوَ كفَّارتُهُ**». قال الحافظ الهيثميُّ: «فيه راوٍ لم يسمَّ وهو ابن خزيمة، وبقية رجاله ثقات».

قلت: ابن خزيمة هو عُمارة بضم العين وهو ثقةٌ، ولذلك قال الحافظ ابن حجرٍ: إسناده حسنٌ.

وروى الطبرانيُّ في "الكبير" عن خزيمة بن معمر الأنصاري قال: رجمت امرأة في عهد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال الناس: حَبِطَ عملُها. فبلغ ذلك النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**هو كفَّارة ذنبِها وتُحشرُ على ما سِوى ذلك**».

قال الحافظ الهيثميُّ: «فيه يحيى بن عبدالحميد الحِمَّانيُّ وهو ضعيفٌ».

قلت: الحِمَّاني بكسر الحاء وتشديد الميم، حافظٌ مشهورٌ وثَّقه ابن معينٍ وابن نمير والرماديُّ، وكان أحمد سيِّء الرأي فيه وهو أول من ألَّف المسند بالكوفة.

ورواه ابن السكن وابن شاهين من طريق المنكدر بن محمد بن المنكدر، عن أبيه، عن خزيمة بن معمر به. قال ابن السكن: تفرَّد به المنكدر وهو ضعيفٌ.

قلت: لم يقف على روايته الحِمَّاني، وهي تُبيِّن أنَّ المنكدر لم يتفرَّد به قال الحافظ: وقد خالفه أسامة بن زيد فرواه عن ابن المنكدر عن ابن خزيمة بن ثابت عن أبيه وهذا أشبه وفيه اختلاف آخر.

قلت: رواية أسامة أخرجها الدارمي في "سننه" وأسامة ضعيفٌ أيضًا والحديث مضطرب الإسناد كما قال ابن عبدالبر.

وروى الطبرانيُّ في "الأوسط" عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ما عُوقِبَ رجلٌ على ذنبٍ إلَّا جعله اللهُ كفَّارةً لما أصاب مِن ذلك الذَّنْبِ**». في إسناده ياسين بن معاذ الزيات ضعيفٌ

متروكٌ، لكنه مؤيَّدٌ بالأحاديث السابقة.

ولا يعارضها ما رواه أحمد، عن عبد الرزَّاق، عن مَعْمَرٍ، والبزَّار والحاكم من طريق معمر عن ابن أبي ذئب، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ما أدري الحُدودُ كفَّاراتٌ أم لا؟**». إسناده علىٰ شرط الشيخين.

لأن الأصل عدم العلم، ثُمَّ يأتي العلم ناقلًا عن الأصل، فالنبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لم يكن يدري هل الحدود كفَّاراتٌ، كما أفاد الحديث، ثُمَّ أدراه الله بأنها كفَّاراتٌ. كما أفادته الأحاديث المذكورة.

٢- **الاستشهاد في سبيل الله**: روىٰ مسلمٌ في "صحيحه" عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**يُغْفَرُ للشَّهِيدِ كُلُّ ذنبٍ إلَّا الدَّيْنَ**».

وروىٰ أيضًا عن أبي قتادة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قام فيهم فذكر أنَّ الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال. فقام رجلٌ فقال: يا رسول الله أرأيت إن قُتلتُ في سبيل الله، أتكفَّر عنِّي خطاياي؟ فقال: «**نَعَمْ، إن قُتلتَ في سبيلِ الله وأنتَ مُحتسبٌ مُقبلٌ غير مُدْبِرٍ**» ثُمَّ قال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**كيفَ قلتَ؟**» قال: أرأيت إن قتلتُ في سبيل الله أتكفَّر عنِّي خطاياي؟ فقال: «**نَعَمْ، إن قتلتَ وأنت صابرٌ مُحتسِبٌ مُقْبلٌ غير مُدبرٍ إلَّا الدَّين، فإنَّ جبريلَ قال لي ذلك**».

وفي "صحيح ابن حِبَّان" عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ السَّيفَ محَّاءٌ للخطايا**».

وفي "المسند" بإسنادٍ جيِّدٍ عن عتبة بن عبدٍ السُّلَميِّ رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**القَتْلَى ثلاثةٌ: رجلٌ مؤمنٌ جاهد بنَفْسِهِ وماله في سبيل الله، حتى إذا لقي العدوَّ قاتلهم حتى يُقتَل، فذلك الشهيد المُمْتَحَن، في جنَّة الله تحت عَرْشِهِ لا يَفْضُلُه النبيُّون إلَّا بفضلِ درجةِ النبوَّة، ورجلٌ قَرَفَ على نفسِه الذنوبَ والخطايا، جاهد بنَفْسِهِ في سبيل الله حتَّى إذا لقي العدوَّ قاتل حتى يُقتل فتلك مَصْمَصَةٌ محتْ ذنوبه وخطاياه، إنَّ السيفَ محَّاءٌ للخطايا، وأُدخل من أي أبواب الجنَّة شاء؟ فإنَّ لها ثمانيةَ أبوابٍ، ولجهنَّم سبعة أبوابٍ، ورجلٌ منافقٌ جاهد بنَفْسِهِ وماله حتى إذا لقي العدوَّ قاتلَ حتَّى يُقتَل فذلك في النار إنَّ السَّيفَ لا يمحُو النِّفاقَ**». صحَّحه ابن حِبَّان.

وروىٰ العقيليُّ في "الضعفاء" من طريق أصرم بن غياث، عن عاصم الأحول، عن أنسٍ مرفوعًا: «**لا يمرُّ السيف بذنبٍ إلَّا مَحاهُ**». وأصرم ضعيفٌ.

٣- **القتل**: بمعنىٰ أنَّ مرتكب الكبيرة إذا قُتل ظلمًا كان القتل كفَّارةً له

روىٰ البزَّار بإسنادٍ رجاله ثقاتٌ عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**قَتْلُ الصَّبر لا يمرُّ بذنبٍ إلَّا مَحاهُ**».

قتل الصبر: أن يُقتل الشخص مُقيَّدًا، والحديث يفيد شرطيته في التكفير.

وروىٰ سعيد بن منصور: عن عمرو بن شعيب، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن قُتل صَبْرًا كان كفَّارةً لخطاياه**». وهذا معضلٌ.

وروىٰ البزَّار من طريق داود بن عمرو الضبيِّ قال: حدَّثنا صالح بن موسىٰ: ثنا عبد العزيز بن رفيع، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**قَتْلُ الرجلِ صَبْرًا كفَّارةٌ لما قبله مِن الذُّنوبِ**».

صالح بن موسىٰ متروكٌ، ورواه أبو الأحوص ومحمد بن الفضل بن عطية، عن عبد العزيز بن رفيع، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدِّه به. قال الدارقطني: «هذا أشبه».

قلت: يريد أنَّ هذه الرواية أشبه بالصواب من رواية صالح بن موسىٰ فالحديث من رواية عبد الله بن عمرو بن العاص لا من رواية أبي هريرة.

ومحمد بن الفضل كذَّابٌ، لكن العبرة برواية أبي الأحوص سلام بن سليم وهو ثقةٌ من رجال "الصحيحين"، وكذلك شيخه عبد العزيز بن رُفيع بصيغة التصغير، فهذا الطريق علىٰ شرط الحسن بل قال الذهبيُّ: «أعلىٰ مراتب الحسن بهز بن حكيم عن أبيه عن جدِّه، وعمرو بن شعيب عن أبيه عن جدِّه، وأمثال ذلك مما قيل: أنه صحيحٌ وهو أدنىٰ مراتب الصحيح».اهـ

وروىٰ الطبرانيُّ بإسنادٍ صحيحٍ عن الحسن -هو البصريُّ- قال: كان زياد يتتبَّع شيعة عليٍّ عليه السَّلامُ فيقتلهم فبلغ ذلك الحسنَ بن عليٍّ عليهما السلامُ فقال: «اللهمَّ تفرَّد بموته، فإنَّ القتل كفَّارةٌ».

دعاء الحسن بن عليٍّ أن يموت زياد بن أبيه حتف أنفه؛ لأنه لو مات مقتولًا كان القتل كفَّارةً لذنوبه.

وروىٰ الطبرانيُّ أيضًا عن ابن مسعودٍ في الذي يصيب الحدود ثُمَّ يُقتَل عمدًا، قال: «**إذا جاء القتلُ محَا كلَّ شيءٍ**».

قلت: شرط القتل المُكفِّر للذنوب أن يكون عن عمدٍ؛ لأن القاتل المتعمِّد يحمل عن المقتول ذنوبه يوم القيامة، فإن كان القتلُ خطأً لم يكفِّر الذنوب؛ لأنه لا إثم فيه علىٰ القاتل.

٤٣٢ ـــــــ

وبذلك صرَّح الجوينيُّ والد إمام الحرمين والرافعيُّ، لكن الراجح عند الشافعية أنه كبيرةٌ وليس لهم عليه دليل، نعم إن انضمَّ إليه قمار أو إخراج صلاة عن وقتها مثلًا، كان كبيرةً بلا خلافٍ.

وقرأت في نسخة أبي مسهر عبد الأعلىٰ بن مسهر، ويحيىٰ بن صالح الوحاظي من حديث عبد الله بن عمرو، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**اللَّاعِبُ بالنَّرْدِ قمارًا كآكلِ لحمِ خنزيرٍ، واللَّاعِبُ به بغير قمارٍ كالمدَّهِن بشَحْمِهِ**».

ومن المعلوم أنَّ الادِّهان بشحم خنزيرٍ أو نحوه من النجاسات صغيرة، ولعب الورق المسمَّىٰ بالكارطة حكمه حكم النَّرد إن كان بقمارٍ أو أدَّىٰ إلىٰ ضياع واجبٍ فهو كبيرةٌ وإلَّا فهو صغيرةٌ.

أمَّا الشِّطْرنج فقال بتحريمه مالكٌ وأبو حنيفة وأحمد وإسحاق وكثير من العلماء، وكرهه الشافعي كراهة تنزيه، وكان سعيد بن جُبيرٍ والشَّعْبي وهشام بن عروة يلعبون به.

واستدل الذين حرَّموه بأحاديث واهيةٍ موضوعةٍ لا تقوم بها حُجَّةٌ، وبالقياس علىٰ النرد وهو قياس غير صحيحٍ؛ لأن النرد مبنيٌّ علىٰ الحظِّ والشِّطرنج مبنيٌّ علىٰ الفِكر فافترقا، بل قيل: إنَّ الشِّطرنج ينفع في تدبير الجيش والحرب، ولذلك أجازه الشافعيُّ ولعب به بعض التابعين كما تقدَّم.

والدليل علىٰ تحريمه فيما أرىٰ أنه لهوٌ، وقد روىٰ أحمد والأربعة عن عقبة بن عامرٍ، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**كلُّ شيءٍ يَلهو به ابنُ آدمَ فهو باطلٌ إلَّا ثلاثًا، رميهُ عن قَوْسِهِ، وتأديبه فَرَسَهُ، ومُلاعَبته أهلَهُ، فإنهنَّ مِن**

الحقِّ». إسناده حسنٌ.

وروى النَّسائيُّ والطبرانيُّ بإسنادٍ صحيحٍ عن عطاء بن أبي رباحٍ قال: رأيت جابر بن عبد الله وجابر بن عمير الأنصاري يرتميان فمل أحدهما فجلس فقال له الأخر: كسلت؟ سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**كلُّ شيءٍ ليس مِن ذكر الله عزَّ وجلَّ فهو لهوٌ، إلَّا أربع خصال: مشي الرجل بين الغرضَين، وتأديبه فرسه، وملاعبته أهله، وتعليم السِّباحة**».

حصر الحديثان أنواع اللعب الجائزة في الأشياء المذكورة لأنها حقٌّ، والشطرنج غيرها فهو باطلٌ، وكلُّ باطلٍ حرامٌ، فالشطرنج حرامٌ، لكنه صغيرةٌ إلَّا إذا أنضمَّ إليه قمار أو ضياع واجبٍ فيكون كبيرةً، وأخطأ مَن اعتبره كبيرةً مطلقًا.

ومنها: تركُ ردِّ السَّلام: قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ [النساء: ٨٦] أوجبت الآية ردَّ التحية وجوبًا مخيرًا بين أمرين فإذا قال لك أخوك المسلم: السلام عليكم، فيجب عليك أن تقول له: وعليكم السلام ورحمة الله، وهذا أفضل، أو تقول: وعليكم السلام، فإن لم ترد عليه فأنت عاصٍ آثمٌ شرعًا، وسواء أكان المسلم صالحًا أم فاسقًا؟ سنِّيًا أم مبتدعًا؟

وقال النوويُّ في "الأذكار": أمَّا المبتدع ومن اقترف ذنبًا عظيمًا ولم يتب منه فينبغي ألَّا يُسلَّم عليهم ولا يُردَّ عليهم السَّلام كذا قاله البخاريُّ وغيره من العلماء، واحتجَّ البخاريُّ بحديث قصة كعب بن مالكٍ رضي الله عنه حين تخلَّف عن غزوة تبوك هو ورفيقان له. قال: ونهى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن كلامنا قال: وكنت آتي رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فأسلِّم

عليه فأقول: هل حرَّك شفتيه بردِّ السَّلام؟ أم لا؟

وقال البخاريُّ: قال عبدالله بن عمرو: لا تُسلِّموا على شَرَبَةِ الخَمْرِ.اهـ

وقال البخاريُّ في "صحيحه": باب من لم يُسلِّم على مَن اقترف ذنبًا ومن لم يردَّ سلامه حتى تتبيَّن توبته، وفي متى تتبيَّن توبة العاصي؟

وقال عبد الله بن عمرو: لا تُسلِّموا على شَرَبَةِ الخمر.اهـ

قال الحافظ في "الفتح": «أما الحكم الأول فأشار إلى الخلاف فيه...» وحكى الخلاف بين الجمهور وغيرهم، ثُمَّ قال: «وأما الحكم الثاني فاختلف فيه أيضًا...».اهـ

ومنه يُعلم أنَّ البخاريَّ لم يجزم بالحكمين خلافًا للنوويِّ رحمه الله، وإنَّما أشار إلى الخلاف وذكر دليل أحد طرفيه، وورد عن ابن عمر بإسنادٍ ضعيفٍ قال: «لا تسلِّموا على مَن شرب الخمر، ولا تعودهم إذا مرضوا، ولا تصلُّوا عليهم إذا ماتوا». ونقل ابن رشدٍ عن مالكٍ قال: «لا يُسلَّم على أهل الأهواء».

قلت: هذه أقوال ضعيفةٌ يُبطلها أمور:

أحدها: عموم الآية فإنها تشمل الطائع والعاصي والسُّنِّي والمبتدِع، ولو أراد الله إخراج أحد منها لبيَّن ذلك ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤].

ثانيها: عموم الأحاديث الحاضَّة على إفشاء السلام وأنه حقٌّ مِن حقوق المسلم على أخيه ومن موجبات الجنَّة ومِن دواعي المحبَّة والأُلفة بين المسلمين.

وهي أحاديث متواترة رواها عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: أبو هريرة، وعبد الله بن عمرو، والزبير بن العوام، والبراء بن عازب، وعبد الله بن سلامٍ، وأبو شريحٍ، وأبو الدرداء، وأبو أُمامة، وجابرٌ، وابن مسعودٍ، وأنسٌ،

٤٣٦ ـــــــ

٢- ومنها: قطيعة الرَّحِم، فلطالما قطع أناس رَحِمَ أخوتهم وأقاربهم بدعوىٰ الابتداع أيضًا، وقاطع الرَّحِم ملعونٌ، والجنَّة عليه حرامٌ.

٣- ومنها: تفريق كلمة المسلمين وتشتيت جمعهم، فقد صاروا بسبب هذا الهجر المشؤوم شِيَعًا وأحزابًا كلُّ حزبٍ يدَّعي في الآخر أنه مبتدعٌ، فتهاجروا وتقاطعوا وخالفوا وصية النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، ونبذوا روح الإسلام.

٤- ومنها: أنَّ المغرضين اتخذوا الهَجْر سلاحًا شهروه في وجه مخالفيهم في الرأي، ترىٰ الشخصين متصاحبين يتواصلان حتىٰ إذا خالف أحدهما صاحبه في رأيٍ رآه أو قول قاله حَكَمَ بتبديعه وطلب أصحابه بهجره، وقد تتبَّعت أقوال الأئمَّة الذين أجازوا هجر المبتدِع -ولم يوجبوه- لأجد لهم دليلًا علىٰ ما رأوه فلم أجد غير حديثين اثنين لا ثالث لهما:

١- روىٰ أبو داود عن سمية، عن عائشة رضي الله عنها قالت: اعتلَّ بعيرٌ لصفيَّة بنت حُيَيٍّ وعند زينب فضل ظهرٍ، فقال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: لزينب: «**أَعْطِيها بعيرًا**» فقالت: أنا أُعطي تلك اليهوديَّة؟!

فغضبَ رسولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فهجرها ذا الحِجَّة والمُحرَّم وبعض صفرٍ.

وهذا حديثٌ ضعيفٌ لجهالة سمية، فلا يقوىٰ علىٰ مقاومة الآية والحديثين المتواترين.

٢- حديث قصة كعب بن مالكٍ وهو في "الصحيحين"، لكنه لا يصح الاستدلال به؛ لأنه واقعة حال وقضية عينٍ لا يجوز تعميمها كما تقرَّر في علم

الأصول. وبيان ذلك مِن وجوهٍ:

الأول: أنَّ كعب بن مالكٍ وصاحِبَيْهِ تخلَّفوا عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم والتخلُّف عنه ليس كالتخلُّف عن غيره مِن الأئمَّة والخلفاء؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ [التوبة: ١٢٠] وهذا نفيٌ معناه النهي، وهو أبلغ من النهي الصريح كما تقرَّر في علم المعاني ويقول سبحانه: ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٦] فلهذا شدَّد عليهم ما لم يُشدِّد على غيرهم.

الثاني: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أمر بهجرهم بعد أن تابوا منتظرًا قبول توبتهم مِن الله تعالى، فلما أوحى الله إليه ليلًا بقبولها أسرع بإخبارهم عقب صلاة الصبح مباشرةً، وهذا خلاف ما يدَّعيه أصحاب تلك الآراء مِن هجر المبتدع حتى يتوب.

الثالث: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال لكعبٍ حين أعلن توبته وصِدْقه: «**أمَّا هذا فقد صَدَقَ، قُمْ حتَّى يقضي الله فيك**». وكذلك قال لصاحِبَيْه وهذا دليلٌ على الخصوصية حيث علَّق انتهاء هجرهم بقضاء الله فيهم، وهو قبول توبتهم الذي جاء في قوله: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ ﴾ [التوبة: ١١٨] وقبول التوبة لا يُدرَك إلَّا بالوحي وهو خاصٌّ بزمنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

الرابع: أنهم لم يكونوا فُسَّاقًا ولا مُبتدِعين، بل كانوا من خيار الصحابة وفضلائهم، وكان الهجر تأديبًا خاصًّا بهم على خطأ ارتكبوه غير قاصدين

المخالفة ولا مُتعمِّدين المعصية.

الخامس: أنَّ هجرهم كان مؤقَّتًا غير دائمٍ بدليل قوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**قُمْ حتَى يقضي الله فيك**». لأنه كان ينتظر نزول الوحي بقبول توبتهم.

السادس: أنه بعد مرور أربعين يومًا بعث النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إلىٰ كلِّ واحدٍ منهم: «**اعْتَزِلْ امرأتك ولا تَقْرَبْها**». وأتته زوجة هلال فقالت: يا رسول الله إنَّ هلال بن أمية شيخٌ ضعيفٌ ليس له خادم فهل تكره أن أخدمه؟ قال: «**لا، ولكن لا يَقْرَبْكِ**». وهذا نصٌّ قاطعٌ في الخصوصية؛ لأنه لا يجوز لإمامٍ أو خليفةٍ أن يأمر أحدًا باعتزال زوجته تأديبًا له. بل هذا من خصوصيات النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

السابع: أنَّ حاطب ابن أبي بلتعة بعث إلىٰ المشركين بخطابٍ يخبرهم فيه بعزم النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ غزوهم، وهذا تجسُّسٌ، وهو أشدُّ مِن التخلُّف كما قال ابن القيِّم، ومرتكبه أولىٰ بالهجر مِن المتخلِّف، ومع ذلك لم يهجره النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فدل ذلك علىٰ أنَّ الهجر في قصة كعبٍ وصاحبَيه خاصٌّ بهم لا يصح تعدِّيته إلىٰ غيرهم، فتكون قضية عينٍ كما بيَّنا، والمستدلُّون بها علىٰ جواز هجر المبتدع أو العاصي هجرًا دائمًا مخطئون غاية الخطأ.

وقد استدل بعض الناس لمشروعية الهجر الدائم بآيتين لم يحسن فهمهما:

الأولى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ﴾ [الأنعام: ٦٨] ولا علاقة لها بالهجر ولا تدل عليه لوجهين:

١- **أنها نزلت في المشركين**: قال السُّدِّي وابن جريجٍ وغيرهما كان

المشركون إذا جالسوا المؤمنين وقعوا في النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، والقرآن، فسبُّوه واستهزؤوا به فأمرهم الله ألَّا يقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديثٍ غيره، وجاء نحو ذلك عن مجاهدٍ وقتادة وسعيد بن جُبيرٍ وأبي مالكٍ ومقاتل، وكان نزول الآية بمكَّة، ثُمَّ حصل من اليهود والمنافقين بالمدينة استهزاء بالقرآن فأنزل الله تعالى في (سورة النساء) مشيرًا إلى هذه الآية: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [النساء: ١٤٠] فالآيتان واردتان -كما ترى- في الكفار، والعصاة وأهل الأهواء لا يكفرون بآيات الله ولا يستهزئون بها، فإقحامهم في الآيتين تحريف لكلام الله.

٢- أنَّ الآيتين لم تأمرا بهجر الكفَّار وإنما أمرتا بترك مجالستهم ساعة الخوض فقط، فإذا تركوه إلى حديثٍ آخر جازت مجالستهم.

الثانية: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢] وهذه الآية كسابقتها لا تمت إلى الهجر بصلة إطلاقًا، لوجهين:

١- أنها واردةٌ في الكفَّار المعاندين لله ورسوله؛ لأن المحادَّة -بتشديد الدال- معناها المعاندة وتحقيق مدلولها اللغوي: أنهم في حدٍّ وجانبٍ، والله ورسوله في حدٍّ وجانبٍ، وهذا المعنى لا ينطبق على العصاة وأهل الأهواء لأنهم ليسوا محادِّين لله ورسوله.

٢- أنَّ ترك الموادَّة ليس معناه الهجر ولا تستلزمه، ولكن معناها: عدم الميل القَلْبي إلى الكفَّار، ألا ترى أننا مأمورون ببغض أهل الكتاب ومع ذلك أجاز

لنا الشارع أن نتعامل معهم ونأكل طعامهم ونتزوَّج بنسائهم.

وكان الصحابة في المدينة يتعاملون مع اليهود ومات النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ودرعه مرهونةٌ عند يهوديٍّ، هذا مع أنَّ الله يقول فيهم: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ [المائدة: ٨٢].

ولا شك أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم والصحابة كانوا يبغضون اليهود أشد البغض ولم يمنع بغضهم الشديد مِن معاملتهم.

وأوجب الله برَّ الوالدين المشركَين فقال تعالى: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥]، وجاءت أم أسماء بنت أبي بكرٍ وهي مشركة تطلب معروف ابنتها، فقال لها النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**صِلي أُمَّكِ**».

والمقصود أنَّ الهجر الدائم ممنوعٌ شرعًا وهو بدعةٌ شِرْكِيَّةٌ كما بيَّنته في غير هذا الموضوع.

ومن الصغائر: ترك إجابة الدعوة، روى الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إذا دُعِيَ أحدكم إلى وَليمَةٍ فليأتها**».

وفي "صحيح مسلم" عنه أيضًا قال: قال رسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا دعا أحدُكم أخاه فليُجِبْ، عُرْسًا كان أو نحوه**».

وفيه أيضًا عن جابرٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا دُعِيَ أحدُكم إلى طعامٍ فليُجِبْ، فإن شاء طَعِمَ وإن شاء تَرَكَ**».

وفي "الصحيحين" عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**حَقُّ المُسلمِ على المُسلمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلامِ، وعِيادَةُ**

المَريضِ، واتِّباعُ الجَنائِزِ، وإجابة الدَّعْوَةِ، وتَشْمِيتُ العاطِسِ».

فإجابة الدَّعوة واجبةٌ وتركها حرامٌ إلَّا أن يكون في مكان الدعوة منكرٌ كخمرٍ أو حشيشةٍ أو اختلاط نساءٍ ورجالٍ فتحرم الإجابة حينئذٍ.

ومنها: خروج الرجل من المسجد بعد الآذان بدون عذرٍ: روىٰ مسلمٌ في "صحيحه" عن أبي الشعثاء قال: كنَّا قُعودًا في المسجد مع أبي هريرة فأذَّن المؤذِّن، فقام رجلٌ مِن المسجد يمشي فأتبعه أبو هريرة بصره حتىٰ خرج من المسجد، فقال أبو هريرة: «أمَّا هذا فقد عصىٰ أبا القاسم صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم».

زاد أحمد في روايته بإسنادٍ صحيحٍ أيضًا: ثُمَّ قال: أمرنا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا كنتم في المسجد فنُودي بالصَّلاة فلا يخرج أحدكم حتَّى يُصَلِّي**». فالخروج من المسجد بعد الأذان حرامٌ إلا لعُذْرٍ شرعيٍّ، كمن خرج ليتوضَّأ أو ليعود مريضًا مرضًا شديدًا أو نحو ذلك، لكن لو خرج من المسجد زاعمًا أنَّ الصلاة خلف الإمام لا تجوز لفسقه أو بدعته مثلًا فيكون كبيرةً؛ لأنه انضم إليه تجريحٌ واغتيابٌ.

٧٨- أصول كرامات الأولياء في السنة النبوية حول الكشف والإلهام والفيض الإلهي[١]

ثبت في "صحيح البخاري" عن أبي هريرة قال: قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لقد كان فيما قبلكم مِن الأُمَمِ مُحدَّثونَ، فإن يكن في أُمَّتي أحدٌ فإنه عمرُ**».

وفي رواية: «**قد كان فيمَن قبلكم مِن بني إسرائيل يُكلَّمون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن في أُمَّتي أحدٌ فعمر**».

وفي "صحيح مسلم" عن عائشة، عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنه كان يقول: «**قد كان يكون في الأُمَمِ قبلكم مُحدَّثون فإن يكن في أُمَّتي منهم أحدٌ فعمر منهم**». قال ابن وهبٍ: تفسير «مُحدَّثون»: ملهمون.

وفي هذا الحديث إثبات كرامات الأولياء كما قال الإمام النوويُّ رضي الله عنه، والمُحدَّث -بفتح الدال المشددة- اختلف في تأويله فقال الأكثرون: هو المُلْهَم كما قال ابن وهبٍ، قالوا وهو الرجل الصادق الظن يُلقَى في رَوْعِهِ شيءٌ مِن قِبل الملأ الأعلى فيكون كالذي حدَّثه غيره به.

وقيل: مَن يجري الصواب على لسانه من غير قصدٍ، وقيل: مكَلَّم تُكلِّمه الملائكة بغير نبوةٍ كما سبق في إحدى روايتي البخاريِّ.

وجاء في حديث أبي سعيدٍ الخدريِّ: قيل: يا رسول الله وكيف يُحدَّث؟ قال: «**تتكَلَّمُ الملائكةُ على لسانِهِ**». رواه الجوهريُّ في "فوائده".

قال الحافظ: ويحتمل ردُّه إلى المعنى الأول أي تُكَلِّمه في نفسه وإن لم يكن

---

(١) مجلة المسلم، السنة الخامسة العدد (١) شعبان ١٣٧٤.

مُكلَّمًا في الحقيقة، فيرجع إلى الإلهام.

وقوله: «**فإن يكن في أُمَّتي أحدٌ....**». قال الحافظ: «قيل: لم يورد هذا القول مورد الترديد فإنَّ أُمَّته أفضل الأمم، وإذا ثبت أنَّ ذلك وُجِد في غيرهم فإمكان وجوده فيهم أولى، وإنما أورده مورد التأكيد كما يقول الرجل: إن يكن لي صديقٌ فإنه فلانٌ، يريد اختصاصه بكمال الصَّدَاقة لا نفي الأصدقاء، ونحوه قول الأجير: إن كنت عملت لك فوفِّني حقِّي، وكلاهما عالمٌ بالعمل».

وأخرج الطبرانيُّ في "الكبير" وأبو نعيمٍ في "الطب النبوي" والترمذيُّ الحكيم في "النوادر" عن أبي أُمامة، عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**اتَّقُوا فِراسَةَ المُؤمِنِ فإنَّه يَنْظُرُ بنور الله عزَّ وجلَّ**».

ورواه الترمذيُّ في "جامعه" عن أبي سعيدٍ الخدريِّ به مرفوعًا، ورواه ابن جريرٍ وأبو نعيمٍ مِن حديث ابن عمر، وهو حديثٌ حسنٌ كما قال الحافظ الهيثميُّ والحافظ السيوطيُّ، ولم يُصِب ابن الجوزيِّ في الحكم عليه بالوضع، وهذا الحديث أصلٌ في الكشف الذي يقع لكثيرٍ من الأولياء؛ تجد الواحد منهم يكاشِف الشخص بما حصل له في غيبته كأنه كان حاضرٌ معه.

وفي "البخاري": «**مَن عادَى لي وَلِيًّا فقد آذَنْتُهُ بالحَرْبِ...**» الحديث، وهو أصلٌ فيما يُكرَم به الأولياء من إجابة الدُّعاء وفيما ينزل بمن آذاهم من البلاء.

وأخرج الطبسيُّ في "الترغيب" والديلميُّ في "مسند الفردوس" وأبو عبدالرحمن السُّلَميُّ في "الأربعين" التي له في التصوف بإسنادٍ ضعيفٍ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ مِن العَلْمِ كهَيْئَةِ المَكْنُونِ لا يَعْلَمُهُ إلَّا العُلَماءُ بالله تعالى، فإذا نَطَقُوا بِهِ لا يُنْكِرُهُ إلَّا**

أَهْلُ الغِرَّةِ بالله عزَّ وجلَّ».

وأخرج المروزيُّ في "زوائد الزهد" لعبدالله بن المبارك قال: حدَّثنا أبو معاوية: أنبأنا حجَّاجٌ، عن مكحولٍ، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**مَن أَخْلَصَ لله أربعين يومًا ظهرتْ ينابيعُ الحِكْمَةِ مِن قَلْبِهِ على لسانِهِ**».

هذا إسنادٌ صحيحٌ لكنه مرسلٌ، وقد ورد موصولًا من حديث أبي أيوب في "حلية أبي نعيم" بإسنادٍ ضعيفٍ، وحديث ابن عبَّاسٍ القدسي: «**إنما أتقبَّلُ الصَّلاةَ ممَّن تَواضَعَ لعَظَمَتي...**» الحديث، وفيه: «**أجعل له في الجَهَالَةِ عِلْمًا**».

فهذه الأحاديث أصل فيما يُفاضُ علىٰ الأولياء مِن العلوم والمعارف والأسرار، مما قد يُنكِره بعض الأغرار، الذين يجهلون أو يتجاهلون فضل الله علىٰ عباده المخلصين، فيتهمون الأولياء بالزندقة والخروج علىٰ الدِّين.

ورأيت الذهبيَّ قال في ترجمة ذي النون المصري ما نصُّه: «كان ممن امتُحِن وأُوذي لكونه أتاهم بعِلْمٍ لم يعهدوه، كان أوَّل مَن تكلَّم بمصر في ترتيب الأحوال وفي مقامات الأولياء، فقال الجَهَلَةُ هو زنديقٌ قال السُّلَميُّ لما مات: أظلَّتِ الطيورُ جنازته»اهـ

وروىٰ الحاكم والخطيب بسندٍ صحيحٍ، عن إسماعيل بن إسحاق السراج قال: قال لي أحمد بن حنبلٍ: يبلغني أنَّ الحارث هذا -يعني المحاسبي- يكثر الكون عندك فلو أحضرته منزلك وأجلستني في مكانٍ أسمع كلامه، ففعلت وحضر الحارث وأصحابه فأكلوا وصلُّوا العَتَمَةَ ثُمَّ قعدوا بين يدي الحارث وهم سكوتٌ إلىٰ قريب نصف الليل، ثُمَّ أخذ الحارث في الكلام وكأنَّ علىٰ رؤوسهم الطير فمنهم مَن يبكي ومنهم مَن يَخِرُّ ومنهم مَن يزعق وهو في

كلامه، فصعدت الغرفة فوجدت أحمد قد بكىٰ حتىٰ غشي عليه، فلما تفرَّقوا قال أحمد: ما أعلم أني رأيت مثل هذا ولا سمعت في علم الحقائق مثل كلام هذا، وعلىٰ هذا فلا أرىٰ لك صحبتهم».اهـ

قال الحافظ ابن حجرٍ في "تهذيب التهذيب": «إنما نهاه عن صحبتهم لعلمه بقصوره عن مقامهم؛ فإنه مقام ضيِّقٌ لا يسلكه كلُّ أحدٍ، ويُخافُ علىٰ مَن يسلكه ألَّا يوفِّيه حقَّه».اهـ

وروىٰ الحافظ الخطيب في "تاريخ بغداد" قال: أخبرنا أبو عبدالرحمن إسماعيل بن أحمد الحيري: أنبأنا محمد بن الحسين السلميُّ قال: سمعت محمد بن الحسن البغدادي يحكي عن ابن الأعرابي قال: قال أبو حمزة: كان الإمام أحمد بن حنبل يسألني في مجلسه عن مسائل ويقول: ما تقول فيها يا صوفي؟

٧٩- جواز التوسل بأولياء الله[١]

روىٰ الطبرانيُّ بإسنادٍ حسنٍ في "معجمه الكبير" و"الأوسط" قال: حدثنا أحمد بن حماد بن زغبة: حدثنا روح بن صلاح: أخبرنا سفيان، عن عاصم، عن أنس رضي الله عنه قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد أم علي رضي الله عنهما دخل عليها رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فجلس عند رأسها فقال: «**رَحِمَكِ اللهُ يا أُمِّي، كنتِ أُمِّي بعد أُمِّي، تَجُوعِينَ وتُشْبِعِينِي، وتَعْرَيْنَ وتَكْسُونَنِي، وتَمْنَعِينَ نَفْسَكِ طَيِّبَ الطَّعامِ وتُطْعِمِينِي، تُرِيدِينَ بذلك وَجْهَ الله والدَّارَ الآخِرَةَ**».

ثم أمر أن تغسل ثلاثًا ثلاثًا فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور وضعه رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بيده ثم خلع قميصه فألبسها إياه، وكفَّنها ببردٍ فوقه، ثمَّ دعا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلامًا أسود يحفرون.

فحفروا قبرها، فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بيده وأخرج ترابه بيده فلما فرغ دخل فيه رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فاضطجع فيه وقال: «**الله الذي يُحيي ويُمِيتُ وهو حَيٌّ لا يَمُوتُ، اغفر لأُمِّي فاطِمَةَ بِنتِ أسدٍ، ولَقِّنها حُجَّتها، ووَسِّعْ عليها مُدْخَلَها، بحَقِّ نبيِّك والأنبياء الذين مِن قَبْلِي، فإنَّكَ أرحَمُ الرَّاحِمِينَ**». وكبَّر عليها أربعًا وأدخلها اللحد هو والعباس وأبو بكرٍ رضي الله عنهما. إسناده حسنٌ.

وفاطمة بنت أسد صحابية فاضلة قال الشَّعْبي: «أسلمت وهاجرت المدينة وماتت بها»، وقال الزبير بن بكار: «هي أول هاشمية ولدت خليفة ثم بعدها

---

(١) مجلة المسلم، السنة الثامنة العدد (٢) رمضان ١٣٧٧.

فاطمة الزهراء عليها السلام».

تنبيهان:

الأول: فاطمة بنت أسد هي إحدىٰ الفواطم الواردة في الحديث الذي رواه ابن أبي عاصم من طريق أبي فاختة، عن جعدة بن هبيرة، عن علي عليه السلام قال: أهدي إلي رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حلة استبرق فقال: «**اجعلها خُمُرًا بين الفَواطِم فشققتُها أربعة أخمرة: خِمارًا لفاطمة بنت الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وخِمارًا لفاطمة بنت أسد، وخمارًا لفاطمة بنت حمزة**».

قال الحافظ ابن حجرٍ: ولم يذكر الرابعة ولعلها امرأة عقيل أخي علي رضى الله عنها.

قلت: واسمها فاطمة بنت شيبة بنت ربيعة بن عبد شمس العبشمية، وقيل: فاطمة بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس العبشمية أخت هند أم معاوية.

الثاني: فاطمة بنت أسد هذه غير فاطمة بنت أبي أسد المخزومية التي قطعها النبي بسبب سرقة حلي واستشفع أهلها وقومها إلىٰ النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بغير واحد حتىٰ استشفعوا بأسامة بن زيد حبه وابن حبه فقال له النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أتشفع في حد من حدود الله؟!**» ولم يعفها من إقامة الحد عليها وقيل: اسمها فاطمة بنت الأسود بن عبد الأسد وبايعت.

وأما التوسل بغير الأنبياء فورد فيه الحديث الذي رواه أحمد وابن ماجة وابن خزيمة في كتاب "التوحيد" والطبراني في "الدعاء" وأبو نعيم وغيرهم عن أبي سعيدٍ الخدريِّ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «مَن

خَرَجَ مِن بيته إلى الصَّلاةِ فقال: اللهمَّ إنِّي أسألُكَ بحَقِّ السَّائِلينَ عليكَ، وأسألُكَ بحَقِّ مَمْشَايَ هذا، فإنِّي لم أخرُجْ أَشَرًا ولا بَطَرًا ولا رِيَاءً ولا سُمْعَةً، وخَرَجْتُ اتِّقاءَ سُخْطِكَ وابتغاءَ مَرْضَاتِكَ، فأسألُكَ أن تُعِيذَني مِن النَّارِ وأن تَغْفِرَ لي ذُنُوبي، إنَّه لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلا أنتَ أقبلَ الله عليه بوَجْهِهِ، واسْتَغْفَرَ له سبعون ألفَ مَلَكٍ».

ضعَّفه النوويُّ في "الأذكار" وليس كذلك، بل هو حديثٌ حسنٌ كما صرَّح به الحافظ أبو الحسن بن المفضل المقدسي المالكي والحافظ العراقي والحافظ ابن حجرٍ العسقلاني، وله مع هذا شاهد من حديث بلال عند ابن السنِّي في "عمل اليوم والليلة"، ومن حديث أبي أمامة عند الطبراني في "الدعاء"، وهذا الحديث يفيد التوسل بحقِّ أرباب الخير على سبيل العموم كما قال ابن عِلَّان الصدِّيقي في شرح "الأذكار".

وروى الطبرانيُّ بإسنادٍ صحيحٍ عن أمية بن عبدالله بن خالد بن أسيد مرسلًا: كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يستفتح بصعاليك المسلمين، وفي رواية: يستنصر بصعاليك المسلمين. وتقدم خبر استسقاء عمر بالعباس رضي الله عنهما.

روى أبو يعلى من طريقين عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «لَيَأتينَّ على النَّاسِ زمانٌ يَخْرُجُ الجيشُ مِن جُيُوشِهِمْ فيُقالُ: هل فيكم أحدٌ صَحِبَ محمَّدًا فتَسْتَنْصِرُونَ به فتُنْصَرُوا؟ ثُمَّ يُقالُ: هل فيكم مَن صَحِبَ محمَّدًا؟ فيُقالُ: لا. فمَن صَحِبَ أصحَابَهُ؟ فيُقالُ: لا. فيُقالُ: مَن رأى مَن صَحِبَ أصحابَهُ؟ فلو سَمِعُوا به مِن وراءِ البحرِ لأَتَوْهُ». قال

الحافظ الهيثميُّ: «رجال الطريقين رجال الصحيح».

وفي "أوسط معاجم الطبراني" عن أنسٍ قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لن تَخْلُوَ الأرضُ مِن أربعين رَجُلًا مِثلَ إبراهيمَ خليلِ الرَّحمنِ، فبهم يُسْقَوْنَ وبهم يُنْصَرُونَ، ما ماتَ منهم أحدٌ إلَّا أبدلَ الله مكانَهُ آخَرَ**».

قال سعيد وسمعت قتادة يقول: لسنا نشك أنَّ الحسن -يعني البصريَّ- منهم. قال الحافظ الهيثميُّ: «إسناده حسنٌ».

ففي الحديث إرشاد إلىٰ الاستشفاع بالأبدال وهم لا شك من الأولياء وفي الحديث الذي قبله الإفراز علىٰ الاستنصار بالصحابة والتابعين وفي هذا كفاية.

(٦)

مقالات في فضائل النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم

٨٠ - أول الأنبياء خلقًا وآخرهم بعثًا[١]

عن ميسرة الفجر قلت: يا رسول الله متىٰ كنتَ نبيًّا؟ قال: «**وآدمُ بين الرُّوحِ والجَسَدِ**».

رواه الإمام أحمد والبخاري في "التاريخ" والحاكم وصحَّحه، وقال الحافظ العسقلانيُّ والطبرانيُّ سنده قويٌّ، ورواه أبو الحسن بن بشران، ومن طريقه ابن الجوزيِّ في كتاب "الوفاء" بلفظ: قلت يا رسول الله متىٰ كنتَ نبيًّا؟ قال: «**لَمَّا خَلَقَ اللهُ الأرضَ واسْتَوى إلى السماءِ فَسَوَّاهُنَّ سبعَ سمواتٍ وخَلَقَ العَرْشَ، كتبَ على سَاقِ العَرْشِ: محمَّد رسولُ الله خاتمُ الأنبياء. وخَلَقَ اللهُ الجنَّةَ التي أسكنها آدم وحوَّاء، فكتب اسمي على الأبواب، والأوراق، والقباب، والخيام، وآدم بين الرُّوح والجسد، فلمَّا أحياه الله تعالى نظرَ إلى العرش فرأى اسمي، فأخبره الله أنه سيِّد ولدك، فلمَّا غَرَّهُم الشيطانُ تابا واستشفعا باسمي إليه**».اهـ

وإسناد هذه الرواية قويٌّ؛ لأنه عين إسناد الرواية الأولىٰ التي صحَّحها الحاكم، وقوَّاها الحافظ. وللحديث أمثال وشواهد صِحاحٌ أحصيناها في "الأحاديث المنتقاة".

وحاصل المعنى: أنَّ اللهَ أفاضَ علىٰ روح نبيِّه أو حقيقته المحمَّدية وصف النبوة قبل نفخ الرُّوح في آدم، وإفاضة النبوة في هذه الحالة تستلزم تقدُّم الخَلْق، ولهذا جاء من طرقٍ عن قتادة من رواية حاتمٍ وغيره «**كنتُ أوَّل النبيين في الخَلْقِ وآخِرهم في البَعْثِ**».

قال المناويُّ "في شرح الجامع الصغير": «جعله الله حقيقة تقصر عقولنا عن

---

(١) مجلة الخلاصة (المسلم) السنة الثالثة العدد (٨) ربيع الأول ١٣٧٢.

معرفتها، وأفاض عليها وصف النبوة من ذلك الوقت، ثُمَّ لما انتهى الزمان بالاسم الباطن إلى الظاهر ظهر بكليته جسمًا وروحًا». اهـ

وفي حديث الإسراء عن أبي هريرة قال -صلَّى الله عليه وآله وسلَّم-: «**وجَعَلَني فاتحًا وخاتمًا**»اهـ، وأجاد في هذا المعنى الإمام الحافظ تقي الدين السبكي في رسالة "التعظيم والمنة".

وقول المحبين خلق الله نور محمد قبل الأشياء؛ لأن روحه الشريف كان موجودًا وموصوفًا بالنبوة قبل نفخ الروح في آدم والروح جسم نوراني لطيف كما حقَّقه ابن القيم وغيره، وإذا كان المراد حقيقته -صلَّى الله عليه وآله وسلَّم- فهي أمر نوراني كذلك.

وقد ذكر بعضهم أنَّ المراد بهذا الحديث وما في معناه ثبوت نبوته -صلَّى الله عليه وآله وسلَّم- في علم الله وتقديره وهذا باطلٌ من وجوه:

الأول: أن نبوته -صلَّى الله عليه وآله وسلَّم- ثابتة في العلم والتقدير الإلهي منذ الأزل فتخصيصها في الحديث بوقت كون آدم بين الروح والجسد لغو يجب تنزيه الحديث عنه.

الثاني: أن نبوة الأنبياء جميعًا عليهم السلام ثابتة في العلم والتقدير فلم يبقى للنبي -صلَّى الله عليه وآله وسلَّم- خصوصية على غيره والحديث إنما ذكر لبيان الفضل والخصوصية فلابد أن يكون فيه معنى زائد لا يشاركه فيه نبي آخر وإلا كان الحديث عبثًا وهو باطل.

الثالث: أن الصحابة لما سألوه متى كنت نبيًا كانوا يعلمون أن نبوته ثابتة في علم الله وتقديره فهم بالضرورة إنما أرادوا بسؤالهم قدرًا زائدًا عن المعلوم لهم.

الرابع: أن عمر سأله -صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم- «متىٰ جعلت نبيًّا»؟ وهذا اللفظ صريح في التصيير – أي متىٰ صيرك الله نبيًا – وهذا لا يتأتَّىٰ إلا في موجودٍ يصح اتصافه بالصفة التي صير إليها، كما تقول جعلت الذهب خاتمًا أي صيرتها كذلك، وقد كانت موجودة من قبل، غير أنها لم توصف بالخاتمية إلا بعد الجعل والتصير.

الخامس: أن وجود الأشياء في علم الله وتقديره لا يتصور فيها أسبقية وإنما الأسبقية في الخلق بمعنىٰ الإيجاد لا بمعنىٰ العلم.

فتبيَّن بهذا بطلان ما ذكره البعض من أنَّ المراد هو التنبي في العلم والقُدرة، وتعيَّن ما ذكرناه من أن الله أفاض علىٰ روح نبيِّه وحقيقته المحمدية وصف النبوة وآدم بين الروح والجسد تميزًا له علىٰ سائر المخلوقات، واصطفاء له من بين أنواع الموجودات، فهو خلاصة النوع الإنساني وسيد الثقلين وأبو الأنبياء صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم .

٨١- من خصائص النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم[١]

عن جابرٍ رضي الله عنه: أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لم يُعْطَهُنَّ أَحَدُ قَبْلِي، نُصِرْتُ بالرُّعْبِ مَسِيرةَ شَهْرٍ، وجُعِلَتْ لِي الأرضُ مَسْجِدًا وطَهُورًا فأيَّما رَجُلٌ مِن أُمَّتي أدركَتْهُ الصَّلاةُ فليُصَلِّ، وأُحِلَّتْ لي الغَنائِمُ ولم تُحَلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي، وأُعْطِيتُ الشَّفاعَةَ، وكان النبيُّ يُبعَثُ إلى قومِهِ خاصَّةً وبُعِثْتُ إلى النَّاسِ عامَّةً**».

خصائص النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم التي اختص بها الأنبياء عليهم السلام كثيرة، ذكر أبو سعد النيسابوري في كتاب "شرف المصطفى" أنها بلغت ستين في العدد، وقد أفردت بالتأليف وهذ الحديث الذي نتكلم عنه الآن أفصح عن خمس من تلك الخصائص.

إحداها: نصره بالرعب، يلقى في قلوب أعدائه من مسيرة شهر، وإنما جعل الغاية شهرًا لأنه لم يكن بين بلده وبين أعدائه أكثر من ذلك، وهذه الخصوصية حاصلة له ولو كان وحده من غير جيشٍ.

ثانيها: جعل الأرض مسجدًا وطهورًا، ومعنى كون الأرض مسجدًا أنها مكان السجود لا يختص بالسجود موضع دون موضع، ولهذا قال: «**فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل**». إلا إذا كان المكان متنجِّسًا فلا يصلي فيه، أما الأمم السابقة فلم تبح الصلاة لهم إلا في أمكنة مخصوصة كالبيع والصوامع هكذا قال الخطابي.

---

(١) مجلة الرابطة الإسلامية، السنة الثانية، العدد (١٩) ٢٦ ربيع الأول ١٣٦٥.

ويؤيده ما جاء في حديث آخر ولفظه: «**كان من قبلي إنما كانوا يصلون في كنائسهم**». ومعنى كون الأرض طهورًا: أن الإنسان إذا لم يجد الماء أو وجده ومنع من استعمله مانع من مرض ونحوه تيمَّم وصلى، وهل يصح التيمم بكل ما في الأرض كحجر وتراب ورخام لم تدخله صنعة ونحو ذلك أو إنما يصح التيمم بالتراب فقط؟ رأيان للعلماء: ذهب المالكية إلى الأول، وذهب الشافعية إلى الثاني، والتيمم على كلا الرأيين من خصوصيات هذه الأمة لم يشرع لغيرها من الأمم.

ثالثتها: إحلال الغنائم وهي ما يغنم في الجهاد من الكفار قال تعالى: ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾ [الأنفال: ٦٩] أما السابقة فكانوا على ضربين: منهم من لم يؤذن له في الجهاد أصلًا فلم تكن لهم غنائم، ومنهم من أذن له في الجهاد لكن لم يحل لهم أكل الغنيمة ولا التصرف فيها بل كانوا يجمعون ما غنموه فتأتي نار تلتهمه.

رابعتها: الشفاعة والمراد بها الشفاعة العظمى في إراحه الناس من هول الموقف ولا خلاف في وقوعها، كذا جزم به النووي وغيره، وقال البيهقي: لا يحتمل أن الشفاعة التي يختص بها أنه يشفع لأهل الصغائر والكبائر وإنما يشفع لأهل الصغائر دون الكبائر، وقيل الشفاعة التي اختص بها أنه لا يرد فيما يسأل، وورد في حديث آخر: «**وأعطيت الشفاعة فأخرتها لأمتي فهي لمن لا يشرك بالله شيئًا**». وفي رواية أخرى: «**فهي لكم ولمن شهد أن لا إله إلا الله**». وثبت في حديث صحيح: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**».

والمقصود: أن نبينا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أعطي شفاعات لكن المراد

عند الإطلاق هي الشفاعة العظمىٰ وهي المقام المحمود الذي وعده الله إياه بقوله تعالىٰ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩].

خامستها: إرساله إلىٰ الناس عامة بخلاف من قبله من الأنبياء فإنهم كانوا يبعثون إلىٰ قومهم خاصة كما نطق القرآن العظيم، وهذا أمر واضح لا خفاء فيه غير أن بعض العلماء استشكل ذلك بأن نوحًا عليه السلام كانت بعثته بعد الطوفان عامة لأهل الأرض بدليل ما جاء في الحديث أن أهل الموقف حين يذهبون إلىٰ نوح في طلب الشفاعة يقولون له: «**أنت أول رسول إلى أهل الأرض**».

والجواب أن بعثة نوح كانت خاصة كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ﴾ [نوح: ١] وأما بعد الطوفان فإن الله أهلك الكفار جميعًا ولم يبق إلا المؤمنين الذين كان نوح مرسلًا إليهم فاتفق عموم بعثته بسبب هذا الحادث وهو انحصار الخلق في الموجودين بعد هلاك سائر الناس.

بخلاف نبينا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فإن بعثته كانت عامة من أصلها لا بسبب حادث من الحوادث فثبتت خصوصيته بذلك صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وعلىٰ إخوانه النبين والمرسلين وسلم تسليمًا كثيرًا، والحمد لله رب العالمين.

٨٢- توسل آدم بالنبي صلّى الله عليه وآله وسلّم[١]

عن ميسرة الفجر قال: «قلت يا رسول متى كنت نبيًّا؟» قال: «**لما خلق الله الأرض واستوى إلى السماء فسواهنَّ سبع سموات وخلق العرش وكتب على ساق العرش محمد رسول الله خاتم الأنبياء، وخلق الله الجنة التي أسكنها آدم وحواء فكتب اسمي على الأبواب والأوراق والقباب والخيام وآدم بين الروح والجسد، فلما أحياه الله تعالى نظر إلى العرش فرأى اسمي أنه سيد ولدك، فلما غرهما الشيطان تابا واستشفعا باسمي إليه**».

فضائل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لا تحصى، ومزياه لا تستقصى جعله الله نبيًّا وآدم بين الروح والجسد، وحكم ببقاء شريعته إلى آخر الأمد، وأخذ العهد على النبين أن يؤمنوا به وينصروه، وعلى المؤمنين أن يعزِّروه ويوقِّروه، وأقسم في القرآن بحياته، واختصه بمزيد القرب من بين سائر مخلوقاته، وبالجملة:

فإنَّ فَضْلَ رَسُولِ الله ليس لَهُ ... حَدٌّ فيُعْرِبَ عنه ناطِقٌ بفَمِ

وهذا الحديث يخبر عن جانب من جوانب الفضل الممنوحة لرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ذلك هو ما يتعلق بمبدأ أمره وأول نبوته.

فذكر هذا الحديث أن الله كتب اسمه على ساق العرش بوصفه الخاص به، وكذلك كتب اسمه على أبواب الجنة وقبابها وخيامها وأوراق أشجارها إظهارًا لتفوق قدره وعلو منزلته، وكان ذلك قبل أن ينفخ الله الروح في آدم كما في هذا

---

(١) مجلة الرابطة الإسلامية السنة الثانية العدد (١٨) ١٦ ربيع الأول ١٣٦٥.

الحديث، وكما جاء في أحاديث أخرىٰ منها حديث أبي هريرة قال: قيل للنبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: متىٰ وجبت لك النبوة؟ قال: «**بين خلق آدم ونفخ الروح فيه**».

وعن ابن عبَّاسٍ قال: قيل: يا رسول الله متىٰ كنت نبيًّا؟ قال: «**وآدم بين الروح والجسد**».

وعن الصنابحي: قال عمر رضي الله عنه: متىٰ جعلت نبيًّا؟ قال: «**وآدم منجدل في الطين**». أي طريح ملقي علىٰ الأرض قبل نفخ الروح فيه،

ولعل القارئ يسأل كيف يكون نبيًّا في ذلك الوقت مع أنَّ النبوة وصف لابد أن يكون الموصوف به موجودًا، ولا يتصف به إلا بعد بلوغ أربعين سنة كما هو معروف؟

والجواب علىٰ ذلك أن للعلماء في هذه الأحاديث تأويلات:

أحدها: حمل ذلك علىٰ الجعل العلمي والكون الكتابي أي كنت في علم الله وكنت مكتوبًا في الذكر وعلىٰ ساق العرش كذلك قبل نفخ الروح في آدم هذا رأي الغزالي، ويؤيده حديث العرباض ابن سارية قال سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: «**إني عند الله في أم الكتاب لخاتم النبين وان آدم لمنجدل في طينته**». رواه أحمد والحاكم.

لكن تقي الدين السبكي ناقش الغزالي في رأيه هذا بما يعلم من مراجعته في كتاب "التعظيم والمِنَّه" فاختار التأويلين الآتيين.

ثانيها: أن تكون تلك الأحاديث تشير إلىٰ روحه الشريفة لأنه جاء في حديث عمرو بن عبسة أن الله خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام، وعلىٰ

هذا فلا مانع أن يكون الله تعالى أفاض على روحه الشريفة وصف النبوة، وأعلم آدم والملائكة بذلك ليعلموا قدره.

ثالثها: أن تكون الإشارة إلى الحقيقة المحمدية التي جعلها الله قبل حقائق سائر الممكنات، وأهَّلها لهذا الوصف الكريم، وخلعه عليها بطريقة تقصر عقولنا عن إدراكها وعلى هذا التأويل اتفقت كلمة الصوفية ويؤيده حديث أبي هريرة مرفوعا: «**كنت أول النبين في الخلق وآخرهم في البعث**». رواه أبو نعيم وله طرق.

وقد عرض زكي مبارك لهذا الرأي في كتاب "التصوف الإسلامي" ووصف الصوفية بالغلو في الحقيقة المحمدية، وأنهم حذوا حذوا المسيحيين فيما ادعوه عن الحقيقة العيسوية، وزعم أن الأحاديث السابقة باطلةٌ ما عدا الحديث المشروح فإنه لم يسمع به أصلًا.

وهذا الرجل أخرق أهوج هجَّام على ما لا علم له به دباب سباب وإني لأعجب كيف أخذ الدكتوراه بكتابه المذكور.

٨٣- حب النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أصل الإيمان[١]

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لا يُؤْمنُ عبدٌ حتَّى أكونَ أحبَّ إليه منْ ولَدِه ووالدِهِ والنَّاسِ أجمَعِينَ**». رواه البخاريُّ ومسلمٌ.

قوله: «**لا يُؤْمِنُ أَحَدُكمْ حَتَّى أكُونَ أَحَبَّ إلَيهِ منْ ولَدِهِ...**» إلخ، قال القاضي عياضٌ وابنُ بطال وغيرُهما: «المحبة ثلاثةُ أقسام: محبةُ إجلال وإعظام كمحبة الوالد، ومحبةُ رحمةٍ وشفقةٍ كمحبةِ الولد، ومحبةُ مشاكلةٍ واستحسان كمحبةِ سائر الناس فجمعَ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أصنافَ المحبة في محبَّته».اهـ

وقال الخطابيُّ: «لم يُردْ بالحديثِ حبُّ الطبعِ، بل أراد به حبَّ الاختيار لأنَّ حبَّ الإنسان نفسَه طبعٌ ولا سبيل إلى قلبِه فمعنى الحديث: لا تصدُق في حبِّي حتَّى تُفني في طاعتي نفسَك وتُؤثر رضاي على هواك وإن كان فيه هلاكُك».

وقال ابن بطال: «معنى الحديث: أنَّ من استكمل الإيمان علمَ أنَّ حقَّ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم آكدُ عليه من حقِّ أبيه وابنه والناس أجمعين لأنَّ به صلَّى الله عليه وآله وسلَّم استُنقذْنا من النار وهُدِينا من الضلال».

وقال القاضي عياضٌ في "شرح مسلم": «ومن محبته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نُصرة سنَّته والذَّبُّ عن شريعته وتمني حضور حياته فيبذُل نفسَه وماله دونه». قال: «وإذا تبين ما ذكرناه تبين أنَّ حقيقة الإيمان لا تتمُّ إلا بذلك ولا يصحُّ الإيمانُ إلا بتحقيق إعلاء قدر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ومنزلته

---

(١) المسلم، السنة الخامسة، العدد (١١) جمادى الآخرة ١٣٧٥.

على كل والد وولد، ومحسن ومتفضل ومن لم يعتقدْ هذا واعتقد سواه فليس بمؤمنٍ».اهـ

وفي "صحيح البخاريِّ" عن عبد الله بنِ هشام أنَّ عمرَ بن الخطاب قال للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: لأنتَ يا رسولَ الله أحبُّ إلي من كل شيء إلا نفسي التي بين جنبيَّ، فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لنْ يُؤْمنَ أحدُكم حتَّى أكونَ أحبَّ إليه منْ نفْسِهِ**». فقال عمر: «والذي أنزل عليك الكتاب لأنت أحبُّ إلي من نفسي التي بين جنبيَّ». فقال له النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**الآنَ يا عُمَرُ**». رواه البخاريُّ في كتاب الأيمان والنذور.

وروى ابن إسحاق في "السيرة" والبيهقي في "الدلائل" أنَّ امرأةً من الأنصار قُتل أبوها وأخوها وزوجُها يوم أحد مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقالت: ما فعل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؟ قالوا: خيرًا هو بحمدِ الله كما تحبِّين. فقالت: أرُونِيه حتى أنظرَ إليه. فلما رأته قالت: كلُّ مصيبة بعدك جللٌ. أي صغيرة.

وقال عليٌّ رضي الله: «**كانَ رسولُ الله أحبَّ إلينا منْ أموالِنا وأوْلادِنا وآبائِنا وأمَّهاتِنا ومنَ الماءِ الباردِ على الظَّمأ**».

قال سهلُ بنُ عبد الله التُّستَريُّ: «من لم يرَ ولاية الرسول عليه في جميع الأحوال ويرَ نفسَه في ملكه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لا يذوقُ حلاوةَ سُنَّته لأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لا يؤْمِنُ أحدُكم حتَّى أكونَ أحبَّ إليه منْ نفسِه**»الحديث». اهـ

وقال القرطبيُّ: «كلُّ من آمنَ بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إيمانًا

صحيحًا لا يخلو عن وجدانِ شيء من تلك المحبَّة الراجحة إلا أنَّهم متفاوتُون فمنهم من أخذَ من تلك المرتبة بالحظِّ الأوفىٰ ومنهم من أخذَ بالحظِّ الأدنىٰ كمن كان مُستغرقًا في الشهواتِ محجوبًا في الغفلاتِ، في أكثر الأوقات لكن الكثير منهم إذا ذَكر النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم اشتاق إلىٰ رؤيته بحيث يُؤثرها علىٰ أهله وماله وولده ويبذُل نفسَه في الأمور الخطيرة ويجد رجحان ذلك من نفسه وجدانًا لا تردد فيه، وقد شُوهد من هذا الجنس من يؤثر زيارة قبره ورؤية آثاره علىٰ جميعِ ما ذكر لما وقر في قلوبِهم من محبته، غير أنَّ ذلك سريع الزوال لتوالي الغفلات». انتهىٰ

والكلامُ في محبَّته صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بحرٌ واسعٌ نقتصرُ من جواهرِه علىٰ ما التقطْناه. وما توفيقُنا إلا بالله.

٨٤- حنين الجذع معجزة أكبر من إحياء الموتى[١]

عن جابرِ بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «كانَ جِذْعٌ يقومُ عليه النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فلما وُضِعَ له المنبرُ سمِعْنا للجِذْعِ مثلُ أصواتِ العِشَارِ حتَّىٰ نزلَ النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسَلَّم فوضَعَ يدَهُ عليهِ فسَكتَ».

رواه البخاريُّ في "صحيحه" وله طرقٌ عن جابر وبُريدةَ وعائشةَ وابن عمر وأنسٍ وأبيِّ بن كعب، وأبي سعيد الخدريِّ وابن عبَّاسٍ وأمِّ سلمةَ وسهل بنِ سعدٍ وغيرِهم.

وروىٰ أبو حاتم الرازيُّ الإمامُ العلم عن شيخِه عمرو بن سواد قال: قال لي الشافعيُّ: «ما أعطىٰ الله تعالىٰ نبيًّا ما أعطىٰ محمَّدًا، قلت: أعطىٰ عيسىٰ إحياء الموتىٰ، فقال: أعطىٰ محمَّدًا حنينَ الجِذعِ فهذا أكبرُ منْ ذلك».

قوله: كان جِذْعٌ يقوم إليه النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أي يتكئ عليه حال الخطبة وذلك قبل أن يُصنع له المنبرُ، فلما صُنع له خطب عليه فسُمع للجِذعِ -بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة -مثلُ أصوات العِشار -بكسر العين- جمع عُشَرَاءَ وهي الناقةُ التي لحملِها عشرةُ أشهرٍ أو الحامل مطلقًا.

قوله: «فوضعَ يدَه عليه فسَكتَ» في رواية للبخاريِّ: «فنزل النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وضمَّها إليه -أي: السارية التي هي الجِذعُ- فجعلت تئنُّ أنين الصبيِّ الذي يُسَكَّنُ، قال: كانت تبكي علىٰ ما كانت تسْمع من الذِّكر عندها».

ولهذا الحديث طرق في "البخاري" و"مسند أحمد" ولا بأس أن نشير إلىٰ عزو الطرق المشار إليها في المتن، مع بيان ما في بعضها من الزوائد.

---

(١) المسلم، السنة السابعة، العدد (٢) رمضان ١٣٧٦.

فحديث بريدةَ عن أبيه وفيه من الزيادة ما نصُّه: فرجعَ النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فوضعَ يده عليه وقال: «**اخترْ أنْ أغرِسَكَ في المكانِ الذي كنتَ فيه فتكونَ كما كنتَ، وإنْ شئتَ أنْ أغرسَكَ في الجنَّة فتشربَ منْ أنهارِها وعيونِها فيحْسُن نبتُكَ وتثمرُ فيأكلُ أولياءُ الله من ثَمَرتِكَ**». فسمعه النبيُّ يقول: «**نعم قد فعلتُ مرَّتَينِ**». فسُئل النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**اختارَ أنْ أغرسَهُ في الجنَّة**».

وحديث عائشةَ رواه الطبرانيُّ في "الأوسط" وأبو نُعيم والبيهقيُّ في "الدلائل" بنحو حديثِ بريدةَ.

وحديثُ ابن عمر رواه البخاريُّ وأحمد، وحديثُ أنس رواه أحمد والترمذيُّ وابن ماجه والدارميُّ وأبو يعلى وأبو نُعيم والبيهقيُّ وفيه: خار الجذعُ كخُوار الثَّور حتى ارتجَّ المسجد بخُواره فنزل إليه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فالتزمه فسكت فقال: «**والذِي نفسِي بيدِه لو لم ألتزِمْهُ لما زال هكذا إلى يومِ القيامة حزنًا على رسُول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم**». قال الترمذيُّ: «صحيحٌ غريبٌ».

ورواه البغوي من طريق الحسن عن أنس وزاد بعده فكان الحسن -يعني البصري- إذا حدث بهذا الحديث بكى ثم قال: يا عباد الله؛ الخشبة تحن إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم شوقًا إليه لمكانه من الله فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه.

وروى الزبير بن بكار في "أخبار المدينة" عن المطلب بن أبي وداعة قال: كان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يسند ظهرَه إلى جذعٍ في المسجد إذا خطب

فلما جُعل له المنبرُ وجلس عليه خار الجذعُ خُوار الثَّور فأقبل عليه حتىٰ التزمه فسكنَ. وقال: لا تلومُوه فإنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لم يفارقْ شيئًا إلا وَجِدَ-أي حزن-عليه.

قال البيهقيُّ: «قصة حنين الجذْع من الأمور الظاهرة التي حمَّلها الخلف عن السَّلف».

وقال القاضي عياض: «حديثُ حنينِ الجذْعِ مشهورٌ منتشرٌ والخبر به متواترٌ أخرجه أهل الصحيح، ورواه من الصحابة تسعةَ عشرَ ثم ذكر عشرة من الصحابة».

وقال التاج السبكيُّ في "رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب": «والصحيح عندي أنَّ حنين الجذع متواترٌ وبعد أنْ عدد طرقه قال: ولست أدعي أنَّ التواتر حاصلٌ بما عددتُ من الطرق، بل من طرق أخرىٰ كثيرة، يجدها المحدِّث ضمنَ المسانيد والأجزاء وغيرها».

ولا شكَّ أن معجزةَ حنين الجذع أكبر من إحياء الموتىٰ كما قال الإمام الشافعي لأنَّ حنين الجماد وبكاءه كالطفل أبعد وأغربُ من عودة الحياة إلىٰ جسم كان حيًّا وستعود إليه الحياة عند بعثته، فالميت ليس بجَمادٍ صِرْفٍ بل من شأنه الحياة كما لا يخفىٰ.

٨٥- حديث توسل آدم بالنبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم[١]

عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «لما اقْترفَ آدمُ الخطيئةَ قال: يا ربِّ أسألُكَ بحقِّ محمَّدٍ إلا غفرتَ لي، فقال الله تعالى: يا آدمُ كيفَ عرَفتَ محمَّدًا ولم أخلُقْه بعد. قال لأنكَ لما خلقْتَنِي بيدِك ونفخْتَ فيَّ من رُوحِكَ رفعتُ رأسي فرأيتُ على قوائمِ العرشِ مكتوبًا: «لا إله إلا الله محمَّدٌ رسولُ الله»، فعلمتُ أنَّكَ لم تُضِفْ إلى اسْمِكَ إلا أحبَّ الخلقِ إليكَ. فقال الله تَعالى: صدقتَ يا آدمُ إنَّه لأحبُّ الخلقِ إليَّ، وإذ سألتَني بحقِّه غفرتُ لكَ، ولولا محمَّدٌ ما خلقتُكَ وما غفرتُ لكَ». رواه الحاكم وقال: «صحيحُ الإسنادِ» وتعقَّبه الذهبيُّ فقال: «بل موضوعٌ».

وزعم ابن تيمية في "الردِّ على البكريِّ" أنَّ هذا الحديث ليس له إسناد صحيحٌ ولا حسنٌ ولا ضعيفٌ يستأنس به، ولا هو موجود في كتب الحديث المعتمدة لا "المستدرك" ولا غيره.!!

وهذا من جملة إطلاقاته التي يريد بها التَّهويل والتشغيبَ وليس ذلك بنافعِه شيئًا، فالحديثُ رواه الحاكمُ في "المستدرك"، والطبرانيُّ في "المعجم الأوسط" و"الصغير"، والبيهقي في "دلائل النبوة".

وهو ضعيفٌ فقط كما صرَّح به البيهقيُّ في "دلائل النبوة"، وقال الحافظ الهيثميُّ في "مجمع الزوائد" (ص ٢٥٣ ج ٨) بعد أنْ عزاه للطبرانيِّ: «فيه من لم أعرفْهم».

ثم إنَّ ضعفَه قريبٌ لأنَّ له شاهدًا قويًّا، فروى أبو الحسين بن بشران من

---

(١) المسلم، السنة الخامسة، العدد (٥) ذي الحجة ١٣٧٤.

طريق محمد بن سنان العوفيِّ: حدثنا إبراهيم ابن طهمان، عن بديل بن ميسرة، عن عبد الله بن شفيق، عن ميسرة الفجر، قال: قلت: يا رسول الله، متىٰ كنت نبيًّا؟ قال: «**لما خلَقَ الله الأرضَ واسْتَوَى إلى السَّماءِ فسَوَّاهن سَبعَ سماواتٍ وخلقَ العرشَ؛ كتبَ على ساقِ العرشِ: محمَّدٌ رسولُ الله خاتمُ الأنبياءِ، وخلَقَ الله الجنةَ التي أسكنَها آدمَ وحوَّاءَ فكتبَ اسْمِي على الأبوابِ والأوراقِ والقبابِ والخيامِ، وآدمُ بينَ الرُّوحِ والجسَدِ، فلمَّا أحيَاهُ الله نظرَ إلى العرشِ فرأى اسْمِي، فأخبرَه الله أنَّه سيِّدُ ولدِك، فلمَّا غرَّهما الشَّيطانُ تَابَا واسْتَشْفَعا باسْمِي إليه**». وهذا إسنادٌ قويٌّ كما قال الحافظُ.

وقال الآجريُّ في "الشريعة": حدثنا هارون بن يوسف التاجر: حدثنا أبو مروان العثماني: حدثني أبو عثمان بن خالد، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن أبيه قال: «**منَ الكلماتِ التي تابَ بها الله على آدمَ قال: اللهُمَّ أسألكَ بحقِّ محمَّدٍ عليكَ، قال الله تعالى: وما يُدرِيكَ ما محمَّدٌ. قال: يا ربِّ، رفعتُ رأسِي فرأيتُ مكتوبًا على عرشِك: لا إله إلا الله محمَّدٌ رسولُ الله، فعلمتُ أنَّه أكرَمُ خلقِكَ**».

وأخرج ابنُ المنذر عن أبي جعفر الباقر عليه السَّلام قال: لما أصابَ آدمُ الخطيئةَ عَظُم كربُه واشتدَّ ندمُه فجاءَه جبريلُ عليه السَّلام فقال: يا آدمُ هل أدلُّك علىٰ بابِ توبتِكَ الذي يتوبُ الله عليك منه؟ قال: بلىٰ يا جبريلُ. قال: قم في مقامِكَ الذي تُناجِي فيه ربَّك فمجِّدْه وامدحْه فليسَ شيءٌ أحبَّ إلىٰ الله من المدح. قال: فأقولُ ماذا يا جبريل؟ قال: فقل: لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ يحيي ويميتُ وهو حيٌّ لا يموتُ بيده الخيرُ كلُّه وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ. ثم تبوءُ بخطيئتِك فتقولُ: سبحانك اللهمَّ وبحمدِك لا إله إلا

أنتَ، ربِّ إني ظلمتُ نفسي وعملتُ السُّوءَ فاغفرْ لي إنَّه لا يغفرُ الذُّنوبَ إلا أنت، اللهمَّ أسألكَ بجاهِ محمَّدٍ عبدِك وكرامتِه عليكَ أنْ تغفرَ لي خطيئتي.

قال ففعلَ آدمُ، فقال الله: يا آدمُ من علَّمك هذا. قال: يا ربِّ إنك لما نفخْتَ فيَّ الرُّوحَ فقمتُ بشرًا سويًّا أسمعُ وأبصرُ وأعقلُ وأنظرُ، رأيتُ على ساقِ عرشِك مكتوبًا: بسمِ الله الرحمنِ الرحيمِ، لا إله إلا الله وحْدَه لا شَريكَ له محمَّدٌ رسولُ الله. فلمَّا لم أرَ على أثرِ اسْمِكَ اسمَ ملَكٍ مقرَّبٍ ولا نبيٍّ مرسَل غيرَ اسمِه، علمتُ أنَّه أكرمُ خلقِكَ عليكَ. قال: صدقتَ، وقد تبتُ عليكَ وغفرتُ لك.

فحديثُ توسُّل آدمَ ضعيفٌ يرتقي بشواهده إلى رتبة الحسنِ لغيره، لاسيما حديث ميسرة فإنه بمفرده حسنٌ.

(تنبيهات): **الأول**: قوله في الحديث «**ولولا محمَّدٌ ما خلَقْتُكَ**» وردَ له شاهدٌ عن ابن عبَّاسٍ موقوفًا ومرفوعًا، روى الموقوفُ الحاكم في "المستدرك"، وروى المرفوع الديلميُّ في "مسند الفردوس" وقد ذكرتهما بإسنادهما في كتاب "الرد المحكم المتين" كما أبطلتُ هناك دعوى الذهبيِّ وضعَ الحديث وتوسعت في الكلام عليه توسعًا بالغًا من (ص ١٣٠ إلى ص١٥٢).

أمَّا زيادة «**وما غفَرْتُ لكَ**» فقد تفرد بذكرها المؤلفُ ولم نجدْها في شيء من طرق الحديث وألفاظه، والله أعلم.

والثاني: يؤخذ من أثر أبي جعفر الباقر عليه السلام أدبُ الدعاء والتوسل، وذلك بأن يبدأ الدَّاعي بالثناء على الله ليرضى عنه، ثمَّ يثَنِّي بالتوسل بأحب خلقه إليه فيقبل شفاعته ويجيب طلبه.

الثالث: أوردَ الأذرعيُّ هذا الحديثَ باعتبار أنَّ الدعاء الوارد فيه من مكفراتِ الذنوبِ، فينبغي للعاصي أن يتوسَّل إلى الله بنبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في محوِ أوزارِه وغفرانَ ذنوبِه.

٨٦- إسلام قرين النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم[١]

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ما منكُم مِن أحدٍ إلَّا وقدْ وُكِّلَ به قَرِينُهُ مِن الجنِّ وقَرينُهُ مِن الملائكة، قالوا وإيَّاك يا رسولَ الله؟ قال وإيَّاي، إلَّا أنَّ اللهَ أعانَني عليه فأَسْلَمَ فلا يأمُرُني إلَّا بخيرٍ**». رواه مسلمٌ في "صحيحه".

قال النوويُّ: «أسلمُ» برفع الميم وفتحِها روايتان مشهورتان، فمن رفع قال: معناه فأسلمُ أنا مِن شَرِّه وفتنته، ومَن فتح قال: إنَّ القرين أسلمَ من الإسلام وصار مؤمنًا لا يؤمرني إلَّا بخير، واختلفوا في الأرجح منهما فقال الخطابيُّ: الصحيح المختار الرفع. ورجَّح القاضي عياضٌ الفتح، وهو المختار لقوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**فلا يأمُرني إلَّا بخيرٍ**».

واختلفوا على رواية الفتح قيل أسلم بمعنى استسلم وانقاد، وقد جاء هكذا في غير "صحيح مسلم": فاستسلم، وقيل: معناه صار مسلمًا مؤمنًا وهذا هو الظاهر.

قال القاضي: واعلم أنَّ الأمة مجتمعةٌ على عصمة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من الشيطان في جسمه وخاطره ولسانه.

قلت: الصحيح الراجح ما رجحه عياض والنووي، أنه أسلم من الإسلام لما رواه البزار عن أبي هريرة مرفوعًا: «**فُضِّلتُ على الأنبياءِ بخصلتين: كانَ شَيطاني كافرًا فأعانَني الله عليه حتَّى أسلمَ ونسيتُ الأخْرَى**».

وللبيهقي في "الدلائل" بإسناد ضعيف عن ابن عمر مرفوعًا: «**فُضِّلتُ**

---

(١) المسلم، السنة السادسة، العدد (١٢) رجب ١٣٧٥.

على آدمَ بخصلتَينِ: كانَ شيطاني كافرًا فأعانني الله عليه حتَّى أسلمَ، وكنَّ أزواجِي عونًا لي، وكان شيطانُ آدم كافرًا، وزوجُه عونًا على خطيئَتِه».

وعلى هذا درجَ أصحابُ الخصائص فعدُّوا من خصائصه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إسلام قرينه، وفي الحديث الإخبار بوجود القرين مع كل واحد منا، لنحترز من وسوسته وفتنته وإغوائه.

روى الطحاويُّ في "مشكل الآثار" حديث ابن مسعودٍ كما في "صحيح مسلم"، وروى من طريق مجالد عن الشَّعبيِّ عن جابر قال: قال لنا النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لا تدْخُلُوا على المُغِيبَاتِ** -جمع مُغيبةٍ وهي المرأة التي غاب عنها زوجُها بسفر أو غيره- **فإنَّ الشَّيطانَ يجري منْ أحدِكُم مجْرَى الدَّمِ، قيل: ومنكَ يا رسُولَ الله؟ قال: ومنِّي لكنَّ الله أعانَني عليهِ فأسْلمَ».**

وروى أيضًا عن عائشة قالت: فقدت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ليلة وكان معي على فراشي فوجدتُه ساجدًا. وذكرت الحديث قالت: فلما انصرف قال: «**يا عائشةُ أخدعَكِ شيطانُك، فقالت: أما لكَ شيطانٌ؟ قال: ما منْ آدميٍّ إلا وله شيطانٌ فقلتُ: وأنتَ يا رسول الله؟ قال: وأنا، ولكنِّي دعوتُ الله فأعانَني عليه فأسلمَ** ».

قال الطحاويُّ: «فوقفنا بهذا على أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان في هذا المعنى كسائر الناس، وأن الله أعانه عليه بإسلامه فصار بالسلامة منه، بخلاف غيره من الناس».

ثم قال الطحاوي: «فإن قال قائل: قد روي في هذا الباب شيء يجب الوقوف عليه لرفع التضاد عما خص به من إسلام شيطانه».

ثم أسند من حديث صفوان الأنصاريِّ أن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان إذا أخذ مضجعه من الليل قال: «**بسمِ الله وضَعْتُ جَنْبي، اللهُمَّ اغفرْ لي ذنْبي، وأخْسِيء شيطاني، وفُكَّ رهَاني، وأثقِلْ مِيزاني، واجعَلْني في النَّدِيِّ الأعْلَى**».

قيل له هذا عندنا والله أعلم كان من رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قبل إسلام شيطانه، فلما أسلم استحال أن يدعو صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فيه بذلك مع إسلامه الذي هو عليه».

٨٧- توجيه حديث: يا فاطمة سليني[١]

لفظ الحديث معروف لكثرة إلحاح المتمسلفين عليه، وكثرة رد أهل السنة ولفظة: «**يا فاطمةُ بِنت محمَّدٍ سَلِيني منْ مالي ما شئتِ أنقذِي نفسَكِ من النار فإنِّي لا أُغني عنكِ منَ الله شيئًا**». وذا طرَفٌ من حديث طويل ثبت في الصحيحين وغيرهما وحاصل الجمع بينه وبين حديث الترجمة من وجوه ثلاثة:

الأول: أنَّ هذا الحديث أخبر بالحقيقة فإنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لا يغني عن أحد من الله شيئًا ولا يملكُ لأهله ولا لغيرهم نفعًا ولا ضرًّا، وهذا لا ينافي أن الله يُملكه نفع أقاربِه وجميع أمته بالشَّفاعة الخاصة والعامة وقد فعل فأعطاه عدة شفاعاتٍ كما ثبت في الأحاديث الكثيرة في الصحيحين وغيرهما، فهو لا يملك إلا ما يملكه له مولاه عزَّ وجلَّ، وقد ملكه الله الشفاعة وغيرها من المكرمات. ذكر هذا المعنى الحافظُ المحبُّ الطبريُّ في "ذخائر العُقبى في مناقب ذوي القربى".

الثاني: أنَّ هذا الحديثَ كان قبل أنْ يعلمَه الله بأنه ينفعُ يوم القيامة رحمه وأقاربه بالانتساب إليه دونَ غيره ذكره السَّيدُ السمهوديُّ في "جواهر العقدين" ويؤيده أنَّ الحديثَ ورد عند نزول قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] وكان ذلك بمكة في أوائل بعثةِ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

الثالث: أن يكونَ المقصودُ من الحديث تحذيرهُم من الشرك وأنه لا يملك

---

(١) المسلم، السنة التاسعة، العدد (١١) ١٢ جمادى الآخرة ورجب ١٣٧٩.

لهم من الله شيئًا إنْ أشركوا أو استمرَّ من كان منهمْ مشركًا على إشراكه لأن المشرك لاحظَّ له في الشفاعة ويؤيد هذا أمور:

أحدها أنَّ أغلبَ أقاربه كانوا إذ ذاك مشركين كما يعلم من سببِ ورود الحديث.

ثانيها: أنَّه وجَّه الخطاب إلى جميعِ أقاربِه مؤمنيهم ومشركيهم فوجب أن يكونَ على وتيرة واحدةٍ هي التَّحذير من الشركِ كما هو واضح.

ثالثها: ما ثبت في الصحيح في قصة وفاة أبي طالب أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال له: «**أيْ عمِّ قلْ لا إله إلا الله كلمةٌ أحاجُّ لكَ بها عندَ الله**». فأفاد هذا الحديثُ أنه يملك نفعَه ويحاجُّ عنه إذا هو مات على التوحيد.

وقد روى أحمدُ والحاكمُ والبيهقيُّ من طريق عبدالله بن محمد بن عقيل، عن حمزةَ بن أبي سعيدٍ الخدريِّ، عن أبيه قال: سمعتُ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول على المنبر: «**ما بالُ رجالٍ يقولُون إنَّ رحِمَ رسولِ الله لا تنفعُ يومَ القيامة؟! بلى والله إنَّ رَحِمِي موصولةٌ في الدنيا والآخرةِ وإنِّي أيُّها الناسُ فرطٌ لكُمْ على الحوْضِ**».

فهذا الحديثُ ورد بالمدينةِ وقد أنكر فيه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على من زعم أنه لا ينفع رحمه ولا يملك الشفاعة لهم وقرَّر أنَّ رحمَه موصولةٌ في الدنيا والآخرة وأنه بجانبِ هذا ينفع أمته أيضًا حيثُ يكون فرَطًا لهم على الحوضِ وهذا يؤيد ما قررناه، والحمد لله.

وعن جابر أنه سمع عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه يقولُ للناس حين تزوَّج ابنة عليٍّ رضي الله عنهما: ألا تهنوني؟ سمعت رسول الله صلَّى الله عليه

وآله وسلَّم يقول: «**ينقَطِعُ يومَ القيامةِ كلّ سَببٍ ونَسبٍ إلا سَبَبي ونَسَبي**».

رواه الطبرانيُّ والدارقطنيُّ وقال الحافظُ الهيثميُّ: «رجالُه رجالُ الصَّحيح غير الحسنِ بنِ سهلٍ وهو ثقةٌ».

قلت: وصححه أيضًا التاج السُّبكيُّ في أول "طبقات الشافعية الكبرىٰ" وللحديث مع هذا طرقٌ عن عمر وابن عبَّاسٍ والمسْوَر بن مخرَمَةَ وعبدالله بن الزبير وعبدالله بن عمر وغيرهم.

(٧)

مقالات حول مباحثات مع المعاصرين

٨٨- قصة الأعرابي وقصة الفلاح[١]

يقولُون أمَّا الميت من الأنبياء والصالحين فلم يشرعْ لنا أن نقولَ ادعُ لنا ولا اسألْ لنا ربَّك. (وهذه دعوىٰ باطلة).

بل شرع لنا ذلك بالنِّسبة للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] فهذه الآيةُ عامَّةٌ تشملُ حالة الحياة وحالة الوفاة وتخصيصها بأحدِهما يحتاجُ إلىٰ دليل وهومفقودٌ هنا.

فإن قيل: من أينَ أتىٰ العموم للآية حتىٰ يكونَ تخصيصُها بحالةِ الحياة دعوىٰ تحتاج إلىٰ دليل؟

قلنا: من وقوعِ الفعل في سياق الشَّرط والقاعدةِ المقرَّرة في الأصول أن الفعل إذا وقع في سياق الشرط كان عامًّا؛ لأنَّ الفعلَ في معنىٰ النكرة لتضمنه مصدرًا منكرًا والنكرةُ الواقعة في سياق النَّفي أو الشرط تكون للعموم وضعًا.

وقد ذكر ابن كثير وغيره في تفسير هذه الآية حكاية الأعرابيِّ المشهورة وقد أخرجها البيهقيُّ "الشُّعب"، وابنُ الجوزيِّ في "مثير الغرام الساكن"، وابن عساكر في "التاريخ":

عن محمَّد بن حرب الهلاليُّ قال: دخلتُ المدينة فأتيتُ قبرَ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فزرتُه وجلست بحذائِه فجاء أعرابيٌّ فزاره ثم قال: يا خير الرسل إن الله أنزل عليك كتابًا صادقًا قال فيه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ

---

(١) المسلم، السنة السابعة، العدد (٧) صفر ١٣٧٧.

جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ٦٤]. وإني جئتك مستغفرًا ربَّك من ذنوبي مستشفعًا فيها بك.

وفي رواية: وقد جئتك مستغفرًا من ذنبي مستشفعًا بك إلى ربِّي. ثم بكى وأنشد يقول:

يا خيرَ مَنْ دُفِنَتْ بالقَاعِ أعظُمُهُ فطابَ من طِيبِهنَّ القاعُ والأكَمُ
نفسِي الفِداءُ لقَبرٍ أنتَ ساكنُهُ فيه العفَافُ وفيهِ الجُودُ والكَرَمُ

ثم استغفر وانصرف فرقدت فرأيت النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في نومي وهو يقول: «**الحق الرَّجُلَ وبشِّرْه أنَّ الله قد غفرَ له بشَفَاعَتِي**». فاستيقظت فخرجت أطلبه فلم أجده.

قال الحافظُ ابنُ عبدالهادي المقدسيُّ: «هذه الحكايةُ بعضُهم يرويها عن العتبيِّ بلا إسنادٍ، وبعضُهم يرويها عن محمَّد بن حرب الهلاليِّ، وبعضهم يرويها عن محمَّد بن حرب، عن أبي الحسن الزعفرانيِّ عن الأعرابيِّ.

وقد ذكرها البيهقيُّ في كتاب "شعب الإيمان" بإسناد مظلمٍ عن محمَّد بن رُوح بن يزيد البصريِّ: حدثنا أبو حرب الهلالي قال: حجَّ أعرابيٌّ فلما جاء إلى باب مسجد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أناخَ راحلته فعقلَها، ثم دخل المسجد حتى أتى القبر ثم ذكر نحو ما تقدم».

قلت: فغايةُ ما ذكره يقتضي أنْ تكونَ الحكاية ضعيفةً إذ لم يُذكر في رواتها من هو كذابٌ أو متهمٌ بالكذب لاسيما وقد ذكرها الحافظُ ابنُ كثير ولم يتعقبْها، وكذلك أخرجَها البيهقي كما تقدم، وذكرها أيضًا الحافظ السَّخاوي في "القول البديع".

على أنّنا لم نذكرها استدلالًا واحتجاجًا[١] وإنّما ذكرناها استئناسًا وإيضاحًا لما قدمناه منْ أن الآية تفيد العمومُ حيثُ إنَّ، الأعرابيَّ وهو عربيٌّ فهم منها ذلك مع إخبارِ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في الرُّؤيا بأن الله غفر له بشفاعته فيه.

ثم وجدتُ لهذه القصَّة شاهدًا:

قال ابن السَّمعاني في "الدلائل": أخبرنا أبو بكر هبة الله بن الفرج: أنا أبو القاسم يوسف بن محمد بن يوسف الخطيب: أنا أبو القاسم عبدالرحمن بن عمر بن تميم المؤدِّب: حدثنا علي بن إبراهيم بن علان: أنا علي بن محمد بن عليٍّ: حدثنا أحمد الهيثم الطائيِّ: حدثني أبي، عن أبيه، عن سلمة بن كُهَيل، عن أبي صادق، عن عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قدم أعرابيٌّ بعدما دفنا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فرمى بنفسه على قبره صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وحثَا من ترابِه على رأسه وقال: يا رسولَ الله قلت فسمعنا قولك، ووعيتَ عن الله فوعينا عنك، وكان فيما أنزل الله عليك: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤] وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي فنودي من القبر: «أنه قد غفر لك».

نقله الحافظُ السيوطيُّ في "تنوير الحلك" وقد أشار ابن عبدالهادي في "الصارم المنكِي" إلى هذا الأثر وقال: «وضعَ إسنادَه بعضُ الكذَّابين» ولم يبين

---

(١) لأننا لا نستدل بالحكايات ولا نحتج بها.

ذلك بدليل، وابن عبدالهادي -مع حفظه- متعنت في التعصب لرأيه.

فإن قيل: طلبُ الدعاء والشفاعة من الحيِّ معقولٌ لأنَّ الحيَّ يدعو ويشفع كما كان الصحابة في عهد النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يسألونه الدعاء فيدعوا لهم ويطلبون الاستغفارَ فيستغفرُ لهم، وأما الميت فكيف يعقل منه الدعاء والاستغفار حتىٰ يقال بجواز طلبهما منه، بل هو مشغول بما هنالك عما هنا لا يدري ماذا يجري في هذه الدار من منافع ومضار؟!.

فعدم جواز طلب الدعاء ونحوه من الميت لعدمِ أهليتِه لذلك، ولهذا وجب تخصيص الآية السابقة بحالة الحياة للقطع بأن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بعد انتقاله إلىٰ الرفيق الأعلىٰ لم يبقَ له تعلّق بهذه الدار ولا بما فيها.

فالجواب: أن الأمر ليس علىٰ ما توهمه هذا القائل وادعاؤه القطع بانقطاع النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن أمته بعد وفاته ممنوع.

فقد ثبت بالتواتر والإجماع أنَّ الأنبياء أحياءٌ في قبورهم، وثبت أنَّ نبيَّنا يستغفر لسيئات أعمالنا كما في حديث عرض الأعمال وهو حديث صحيح.

ووقعت حادثة تشهد بصحة ذلك ذكرها المقريزي في كتاب "إغاثة الأمة بكشف الغمة" فقال ما نصه: «وقع في آخر هذا الغلاء أعجوبة في غاية الغرابة لم يسمع بمثلها، وهي أن رجلًا من أهل الفلح بجبة عسال -إحدىٰ قرىٰ دمشق- خرج بثور له ليرد الماء فإذا عدة من الفلاحين قد وردوا الماء فأورد الثور حتىٰ إذا اكتفىٰ نطق بلسان فصيحٍ أسمع من بالمورِد وقال: الحمد لله والشكر له إنَّ الله تعالىٰ وعد هذا الأمة سبْعَ سنين مجدبة فشفعَ لهم النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وأنَّ الرسول أمره أن يبلغ ذلك وأنه قال: يا رسول الله فما

علامة صدقي عندهم؟ قال أن تموت بعد تبليغ الرسالة وأنه بعد فراغ كلامه صعد إلى مكان مرتفع وسقط منه ومات.

فتسامع به أهلُ القرية وجاءوا من كلِّ حدبٍ ينسلون فأخذُوا شعره وعظامَه للتبرك فكانوا إذا بخَّروا به موعوكًا برئ وعمل بذلك محضر مثبوتٌ على قاضي البلد وحمل إلى السُّلطان بمصرَ فوقف عليه الأمراء واشتهر بين الناس خبرُه وشاع ذكره.

وذكرها أيضًا في كتاب "السلوك لمعرفة دول الملوك" فهذه معجزةٌ عظيمةٌ شاهدة بأن النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يعلم أحوالَ أمته ويشفعُ لهم، وإذا كان كذلك جاز لنا أنْ نطلبَ منه الاستغفار ونحوه أخذًا بعموم الآية كما قدمنا.

وادعاءُ تخصيصها لم يقمْ عليه دليلٌ، بل ثبتَ لمطلق موتى المؤمنين أنهم يشعرُون بمن يسلِّم عليهم ويردون عليه السلامَ ويستأنسون به ما دام جالسًا عندهم إذا كانوا يعرفونه في الدنيا فكيفَ يمتنع الدعاء منهم في هذه الحالة؟ بل هو ممكنٌ جائز ليس في العقل ما يحيلُه ولا في الشرع ما يمنعُ منه.

٤٨٦ ـــــــ

النوويُّ في باب أذكار صلاة الحاجة من كتاب "الأذكار"، وابن تيمية في غير موضع من كتبه، والحافظ السخاويُّ في "القول البديع"، والحافظ السيوطيُّ في "الخصائص الكبرىٰ" وغيرهم.

ويعترض بعضُهم بأن الحديث خاصٌّ بحياة رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وأنه لا يجوزُ التوسل به بعد مماته، وهذا منقوضٌ بفعل عثمان بن حُنيف وبلال المزني وقصتهما معروفةٌ في التوسل بالنبيِّ بعد وفاته في مسألة كانت عند عثمان بن عفان، كما هو مشهور عند أهل الحديث، ثم نردُّ علىٰ المعترضين من وجوه أخرىٰ:

منها: أنَّ تركَ الصحابةِ للتوسُّل -لو سلم علىٰ إطلاقه- يحتمل أن يكون اتفاقيًّا أي اتَّفق أنهم تركوا التوسل من غير أنْ يكون ممنوعًا، ويحتمل أنْ يكون في نظرهم غيره أفضل منه فتركوه إلىٰ الأفضل، ويحتمل أن يكون تركهم له لئلا يتخذ عادة متبعة ويترك ما سواه من الأدعية والعبادات، ويحتمل غير ذلك من الوجوه، والقاعدة: «أنَّ ما دخَلَه الاحتمالُ سقطَ به الاسْتِدلالُ».

ومنها: أنَّ هذا تركُ فعلٍ أي أنَّ الصحابةَ تركوا التوسُّل بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بعد انتقاله، والتركُ وحده إنْ لم يصحبْه نصٌّ علىٰ أن المتروك محظور لا يدلّ علىٰ ذلك بل غايته أن يفيدَ أن ترك ذلك الفعل مشروع، أمَّا أن ذلك الفعل المتروك يكونُ محظورًا فهذا لا يستفادُ من الترك وحده وإنما يستفاد من دليلٍ يدلّ عليه.

ومنها: لو سلم أنَ الصحابة تركوا التوسُّل بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بعد وفاته فنهايته أن يكونَ إجماعًا سُكوتيًّا لأنه لم يصرِّحْ أحدٌ منهم بمنع

التوسل جزمًا والإجماع السكوتيِّ مختلف في حقيقته وفي تسميته وفي حُجِّيته فكيف يكون -والحالة هذه- مخصصًا لدليل شرعيٍّ لا خلاف في حُجِّيته بين أحدٍ من العلماء؟!

وقال الإمامُ العلامة علاءُ الدين القونوي في شرح "التَّعرف" أثناء كلام له في هذا المعنى: وقد روى أبوالقاسم الأصبهاني في "الترغيب والترهيب" بإسناده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَنْ صَلَّى عليَّ في يومِ الجمُعةِ وليلةِ الجمُعة مائةً من الصَّلاة قُضِيَ له مائةُ حاجةٍ سبعينَ من حوائجِ الآخِرَةِ وثلاثينَ من حوائجِ الدُنيا ووكَّلَ الله بِذلكَ مَلَكًا يُدخلُه على قَبري كما تدخُلُ عَليكُم الهدايا إنَّ علمِي بعدَ مَوْتي كعِلْمِي في الحياةِ**».

وهذا وأمثاله من الأخبار تردُّ على هؤلاء المبتدعة الذن نبغوا في زماننا ومنعوا من التوسل بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعد وفاته.

نقول: وقد جمعَ بعضُهم كلامًا يتضمَّن نفيَ علمه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعد الوفاة، ونقل بعضُهم التفرقةَ بين حال حياته ووفاته فقال: والتفريق بين الحياة والوفاة كان ثابتًا عند الصَّحابة فلهذا اسْتَسْقى أميرُ المؤمنين عمرُ بالعبَّاس.

ونحنُ نقولُ: أمَّا التوسُّل برسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فلا نسِلِّمُ أنَّ عمرَ تركه بعد موته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وتقديمه العباس ليدعوَ للناس لا ينفي جواز توسُّله به بعد ذلك فإنَّ أحاديثَ عرضِ صلاتنا عليه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالغةٌ مبلغَ التواتر ولئن عدل عنه مرةً في هذه المناسبةِ للوجوه

المعروفة فيها لقد لجأ إليه غيرُه من الصحابة في مناسبة أخرىٰ.

قال الإمام الدارميُّ في "سننه": حدثنا أبو النعمان: حدثنا سعيد بن زيد: حدثنا عمرو بن مالك النكري: حدثنا أبو الجوزاء -أوس بن عبدالله- قال: قَحطَ أهلُ المدينة قحْطًا شديدًا فشكَوا إلىٰ عائشةَ فقالت: «انظرُوا قبر النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فاجعلُوا منها كُوىٰ إلىٰ السَّماء حتىٰ لا يكونَ بينه وبين السَّماءِ سَقْفٌ»، ففعلوا فمُطرنا مطرًا حتىٰ نبتَ العشبُ وسَمِنتِ الإبلُ حتىٰ تفتَّقت من الشَّحمِ، فسمِّي عام الفتقِ.

أخرجه الدارميُّ تحت ترجمة: «باب ما أكرم الله به نبيَّه بعد موته»، وإسناده لا بأس به، وسعيد بن زيد -وإن تكلِّم فيه- من رجال مسلمٍ ووثَّقه ابنُ معين وغيره قال صاحبُ "مرقاة المفاتيحِ شرح مشكاة المصابيح" ما نصُّه: «قيل في سبب كشف قبره أنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان يستشفع به عند الجدب فتُمطر السَّماء، فأمرتْ عائشةُ رضي الله عنها بكشْفِ قبره مبالغةً في الاستشفاع به، فلا يبقىٰ بينه وبين السَّماء حجاب».

وبالضرورة كان في المدينة إذ ذالك صحابة وتابعُون فلم ينقلْ عن أحدهم أنه أنكر عليها ذلك.

قال العلامةُ أبو عبدالله محمد بن عبدالقادر الفاسيِّ في شرح "عدة الحصن الحصين" بعد كلام في هذا المعنىٰ ما نصه: «وبالجملة فالتوسُّل بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم صاحب الشفاعة العُظمىٰ في حضورِه وغيابه مما لا توقف فيه».

وقال ابنُ أبي الدنيا في كتاب "مجابي الدُّعاء": حدَّثنا أبو هشام محمد بن

يزيد بن محمد بن كثير بن رفاعة قال: جاء رجل إلى عبدالملك بن أبجر -وكان طبيبًا- فجسَّ بطنَه، فقال بك داءٌ لا يبرأ قال: ما هو؟ قال: الدُّبَيْلَة. قال: فتحوَّل الرجل فقال: الله الله ربِّي لا أشركُ به شيئًا اللهم إني أتوجَّه إليك بنبيِّك محمَّدٍ نبيِّ الرَّحمة يا محمَّدُ إني أتوجَّه بك إلى ربِّك وربي يرحمُني مما بي. قال: فجسَّ بطنَه فقال: قد برئتَ ما بك علةٌ.

قلت: كان ابن أبجر حافظًا وهو من رجال مسلمٍ وأبي داود والترمذيِّ والنسائيِّ، وكان لا يأخذ أجرًا على العلاجِ، وثَّقه أحمد وابن معينٍ وغيرهما وأثنوا عليه خيرًا والله أعلمُ، وبالله التوفيق.

٩٠- الفرق بين القسم والتوسل[١]

تكلَّم ابن تيمية في رسالة "زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور" على التوسُّل وقسَّمه إلى أنواعٍ ثلاثةٍ، وأطالَ في النَّوع الأول والثاني ثم قال: «وأما القسم الثالث وهو أن يقول: اللهُمَّ بجاه فلانٍ عندك افعلْ بي كذا وكذا، فهذا يفعله كثير من الناس لكن لم ينقلْ عن أحدٍ من الصَّحابة والتابعين وسَلفِ الأمة أنَّهم كانوا يدعون بمثل هذا الدَّعاء ولم يبلغْني عن أحدٍ من العلماءِ في ذلك ما أحكيه إلا ما رأيتُ في فتاوي الفقيه أبي محمَّد بن عبدالسَّلام فإنَّه أفتى أنه لا يجوزُ لأحدٍ أن يفعلَ ذلك إلا للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إن صحَّ الحديث في النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

ومعنى الاستفتاء: قد روى النَّسائيُّ والترمذيُّ وغيرهما أنَ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم علَّم بعض أصحابه أن يدعو فيقول: «**اللهُمَّ إنِّي أسألكَ وأتوسَّلُ إليكَ بنبيِّكَ نبيِّ الرَّحمة يا محمَّدُ يا رسولَ الله إني أتوسَّل بك إلى ربِّي في حاجَتِي ليقْضِيَها لي اللهمَّ فشَفِّعْه فيَّ**» اهـ المراد منه.

وقلَّده الشوكانيُّ فحكى هذا القول عن عزِّ الدين بن عبدالسلام في رسالة "الدرّ النَّضِيد في إخلاصِ كلمةِ التَّوحيد" وإن لم يوافق على هذا الاستثناء بل ناقشه ورده.

والواقع أنَّ ابن تيمية أخطأ في النَّقل لأنَّ فتوى عزِّ الدين بنِ عبدالسلام في الإقسام على الله بخلقه لا في التوسُّل ونحنُ ننقلُ فتواهُ بنصِّها ليتبين المراد.

جاء في الفتوى الموصليَّة ما نصُّه: «الحمد لله ربِّ العالمين وصَلَّى الله على

---

(١) مجلة المسلم السنة الثامنة العدد (١) شعبان ١٣٧٧.

سيدنا محمَّدٌ وآله وسلَّم، نسخة أسئلةٍ أجابَ عنها الشيخُ الإمامُ العلامةُ شيخُ الإسلام عزُّ الدين بنُ عبدالسلام بن أبي القاسم بن مهذَّب السلمي رضي الله عنه وأعاد علينا وعلى الكافةِ من بركاته.

مسألةٌ: ما يقولُ وفقه الله في الداعي يُقسِمُ على الله تعالى بعظيمٍ من خلقِه في دعائه كالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم والوليِّ والملَكِ؟ هل يكرَه له ذلك أم لا؟ ثم ذكر عدَّةَ أسئلةٍ ثم قال: أجابَ الشيخُ رضي الله عنه: أما الدُّعاء فقد جاء في بعض الأحاديث أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم علم بعض الناس الدعاء فقال في أوله: «**قُلِ اللهُمَّ إنِّي أقسِمُ عليكَ بنبيِّكَ محمَّدٍ نبيِّ الرَّحمةِ**». وهذا الحديثُ -إن صحَّ- فينبغي أن يكون مقصورًا على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لأنه سيِّدُ ولدِ آدمَ وأنْ لا يُقسَمَ على الله تعالى بغيره من الأنبياء والملائكةِ والأولياءِ لأنهم ليسوا في درجتِه وأن يكونَ هذا مما خُصَّ به نبيُّنا على علوِّ درجتِه ومرتبتِه».

هذا كلامُه بحروفِه نقلناه من "الفتاوي الموصلية" وهي تحتَ يدِنا، وهكذا نقله أصحابُ الخصائص كالحافظ السيوطيِّ والقسطلانيِّ وغيرِهما مستدلِّين به على أن الإقسام على الله بالنبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من خصوصياته وهذا غير ما نحن فيه وهو التوسل إلى الله بجاهه مثلًا بدون إقسام عليه.

فإن قيل: قد نقل البرزلي في "نوازله" كلام ابن عبدالسلام وحمل القسم فيه على التوسل حيث قال أثناء كلامه مانصه: «وتقدم جواب عز الدين في الإقسام على الله بأحدٍ من خلقِه وأنه اختار أن لا يُتوسَّل بأحد من خلقه إلا بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم خاصة وتقدَّم ما فيه من مذهب غيره وما ذكر

في حكايات كثيرةٍ من الوسيلة بالصالحين فأحرىٰ الملائكةُ والأنبياءُ؛ فظاهره أن القسَم والتوسُّل واحدٌ، وأصرحُ منه قول أبي عبدالله الفاسي: إذا كان لا يراد بالقسم اليمين لما علم من النهي عن القسَم بغير الله تعالىٰ لم يبقَ إلا استعماله في معنىٰ التوسُّل والاستشفاع والتأكيد به وأطلق القسم علىٰ ذلك مجازًا فعلىٰ هذا لا يكونُ في نقل ابن تيمية خطأ لما تبين أنَّ القسم بمعنىٰ التوسُّل.

فالجواب من وجوه:

الأول: الراجحُ بل الواقعُ أنَّ القسَم غيرُ التوسُّل كما صرَّح به الحطاب وأبو عبدالله القصار وغيرهما لمغايرة حقيقة القسَم للتوسل وتباينهما وهذا واضحٌ لا يحتاج إلىٰ بيان.

الثاني: أنَّ الذين جعلوا القسَم بمعنىٰ التوسُّل اعترفوا بأن ذلك علىٰ سبيل المجاز لا الحقيقة والمجازُ خلافُ الأصلِ وإنَّما ارتكبوه لقرينة قامتْ عندهم، وهي النهي عن الحلف بغير الله تعالىٰ، لكنَّ النهيَ عند معظم العلماء للكراهة لا للتحريم بدليل قوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**أفْلَحَ -وأبيهِ- إن صَدَقَ**» ونحوه من الأحاديث، علىٰ أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مستثنىٰ من هذا النهي، فقد أجاز الإمام أحمدُ -في إحدي الروايتين عنه- الحلف به وأوجب الكفَّارة في حنثه؛ لأنَّ الله تعالىٰ أقسَم به في قولِه تعالىٰ: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢] فإنَّ هذا القَسَمَ مِن الله بحياة رسوله كما أجمع عليه أكثر المُفسِّرين مِن السَّلَف والخَلَف.

قال ابن القيِّم: بل لا يعرفُ السَّلفُ فيه نزاعًا، قال: فهو أهلٌ أنْ يُقسم به والقسمُ به أولىٰ من القسَم بغيره من المخلوقات، ولأنَّه صلَّىٰ الله عليه وآله

وسلَّم أحد جزأي الشهادة التي لا يتمُّ إسلامُ الشَّخص إلَّا بها، وهذا مدرك عِزِّ الدِّين في جعله الإقسام به من خصائصه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، ولم يتفطَّن لذلك ابن تيمية وغيره ممن حمل كلامه علىٰ التوسُّل.

الثالث: أنَّ واجبَ الأمانة العلميَّة يقضي علىٰ ابن تيمية أن ينقل كلام عزِّ الدين بلفظه ثم يحمل القسم فيه علىٰ التوسُّل كما فعل البرزليُّ، ويترك للقارئ أن يوازنَ بين رأيه ورأي من يخالفه في ذلك الحمل، أمَّا أن يُطلق القولُ بأنَّ عزَّ الدين يجعلُ التوسُّل بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من خصوصياته قاطعًا بذلك غير ناظرٍ إلىٰ ما في حمل القسَم علىٰ التوسُّل من الخلاف فذلك تدليسٌ لا يرضاه عالمٌ يحترمُ نفسَه ويعتزُّ بكرامته العِلْميَّة، وأقلُّ ما يقال فيه -مع كثير من التغاضي والتساهل- إنَّه خطأ.

٩١- المصطفى صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حي في قبره والتوسل بالحي لا خلاف عليه فتوسلوا به[١]

لا يزال الخلافُ يثيرُه عملاءُ الاستعمار والمنتفعُون به بين آونةٍ وأخرىٰ حول التوسُّل بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في قبره، يصرِفون الناس عن كبريات المهامِّ بذلك، وطالما أردنا إسكاتَ هؤلاء من طريقهم وأسلوبهم، فهم يقرِّرون جواز التوسل بالحيِّ ولو شيطانًا، ويمنعون التوسل بالميت ولو نبيًّا.

وهنا نثبت لهم أنَّ رسول الله حيٌّ في قبره وإذن فالتوسُّل به جائزٌ، وكذلك الشهداءُ ومن جاء ذكر حياتهم البرزخية كالمؤذن، وحاملِ القرآن، وبهذا ينقَضُ هذا الخلافُ من أساسهِ لو كانوا يعقلُون، قال الكاتب[٢]:

أخرج ابنُ ماجه عن أبي الدرداء قال: قال رسولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من حديثه: «**إنَّ اللهَ حَرَّم على الأرضِ أن تأكلَ أجسادَ الأنبياءِ، فنبيُّ الله حيٌّ يُرْزَقُ**». قال الحافظ المنذريُّ: «إسناده جيدٌ» وكذا قال العلامة السمهوديُّ، وقال السخاويُّ: «رجاله ثقاتٌ».

فالأنبياءُ أحياءٌ في قبورهم وأجسادهم لا تَبلىٰ، والإجماع منعقدٌ علىٰ هذا كما حكاه غير واحدٍ، منهم ابنُ حزمٍ، والسَّخاويُّ في "المقاصد الحسنة" وغيرهما، للنصوص الصحيحة الصريحة، والدلائل الكثيرة القاطعة.

فمن أفتىٰ بفناءِ أجسادهم فقد خرقَ الإجماعَ وكذَّب بما صحَّ عن الله والرسول فقد ذكر الله تعالىٰ في غير آية من القرآن أنَّ الشُّهداء أحياءٌ في

---

(١) المسلم، السنة السابعة، العدد (١١) جمادىٰ الآخرة ١٣٨٧.

(٢) هذه الديباجة من المجلة.

قبورهم، وأجمعَ المسلمون على أنَّ الأنبياء أرفعُ درجةً من الشهداء.

قال ابنُ حزمٍ بعد ذكره الآيات الواردة في أنَّ الشهداء أحياءٌ ما نصُّه: «ولا خلاف بين المسلمين في أنَّ الأنبياء عليهم السلام أرفعُ قدرًا ودرجةً وأتمُّ فضيلة عند الله عزَّ وجلَّ وأعلى كرامةً من كلِّ من دونَهم ومن خالفَ في هذا فليس مُسلمًا».

وصحَّ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بطريقِ التواتر أنَّ الأنبياء أحياءٌ في قبورهم وأنَّ أجسادهم لا تبلى، قال السيد محمد بن جعفر الكتاني في كتابه "نظم المتناثر من الحديث المتواتر" ما نصُّه: «أحاديثُ حياةِ الأنبياءِ في قبورِهم؛ قال السيوطيُّ في "مرقاة الصعود": «تواترتْ بها الأخبارُ».

وقال في "إنباء الأذكياء بحياة الأنبياء" ما نصُّه: «حياةُ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في قبره هو وسائر الأنبياء معلومةٌ عندنا علمًا قطعيًّا لما قام عندنا من الأدلة في ذلك، وتواترتْ به الأخبار الدالَّة على ذلك».

وقال ابنُ القيِّم في كتاب "الروح" نقلًا عن أبي عبد الله القرطبيِّ: «صحَّ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنَّ الأرضَ لا تأكل أجسادَ الأنبياء وأنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم اجتمعَ بالأنبياء ليلةَ الإسراء في بيتِ المقدسِ وفي السماء، خصوصًا موسى، وقد أخبر بأنَّ ما من مسلمٍ يُسلِّم عليه إلَّا ردَّ اللهُ عليه روحه حتى يردَّ عليه السلام إلى غير ذلك مما يحصل من جملته القطع بأن موت الأنبياء إنما هو راجعٌ إلى أنهم غُيِّبوا عنَّا بحيثُ لا ندركُهم وإن كانوا موجودين أحياء وذلك كالحال في الملائكة فإنَّهم أحياءُ موجودون ولا نراهم.

وقد نقل كلام القرطبيِّ وأقرَّه أيضًا الشيخ محمد السفارينيُّ الحنبليُّ في

شرح عقيدة أهل السُّنَّة ونصه: «قال أبو عبد الله القرطبي قال شيخُنا أحمد بن عمر -القرطبي صاحب "المفهم في شرح صحيحِ مسلم": «والذي يزيحُ هذا الإشكال -إنْ شاء الله تعالىٰ- أنَّ الموتَ ليس بعدمٍ محضٍ وإنما هو انتقال من حال إلىٰ حال، ويدلّ علىٰ هذا أنَّ الشهداء بعد موتهم وقتلهم أحياء عند ربهم يُرزقون فرحين، وهذه صفة الأحياء في الدنيا وإذا كان هذا في الشُّهداء كان الأنبياء بذلك أحقَّ وأولىٰ. مع أنه قد صحَّ عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء»، وذكر الكلام السابق بلفظه.

ويحقِّق ما ذكره هؤلاء الأئمة من تواتر الأحاديث الدالة علىٰ حياة الأنبياء أنَّ حديثَ عرض الأعمال عليه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم واستغفاره لأمته ورد من عشرين طريقًا، وحديث: «**إنَّ اللهَ حرَّمَ على الأرضِ أن تأكلَ أجسادَ الأنبياء**» ورد من طرقٍ كثيرةٍ جمعها الحافظ المنذريُّ في جزءٍ مخصوصٍ ذكره في اختصاره لـ"سنن أبي داود"، وحديث الإسراء وإخباره صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فيه أنه رأىٰ الأنبياءَ يصلّون وغير ذلك مما هو صريحٌ في حياتهم ورد من طريق خمسة وأربعين صحابيًّا؛ سرد منهم سبعةً وعشرين الحافظُ السيوطيُّ في "الأزهار المتناثرة"، وزاد عليه تلميذُه الحافظ الشاميُّ والزرقاني في "شرح المواهب" ما كمل به العدد المذكور كما ذكره شيخنا السيد محمد بن جعفر الكتاني في "نظم المتناثر".

علىٰ أنَّ المسألة كافٍ في إثباتها حديث: «**إنَّ اللهَ حَرَّمَ على الأرضِ أن تأكلَ أجسادَ الأنبياء**». فإنَّه علىٰ إفرادِه صحيحٌ لا غبارَ عليه، وقد صحَّحه من الأئمة ما لا يُحصىٰ عددُهم، منهم: ابنُ خزيمة وابنُ حِبَّان والحاكمُ، وزاد أنَّه علىٰ

شرط البخاريِّ وأقرَّه الذهبيُّ.

وصححه أيضًا النوويُّ في "الأذكار"، والحافظُ عبد الغنيِّ بن سعيد بل قال: إنه حسنٌ صحيحٌ، والقرطبيُّ في "التذكرة" وابنُ دحية فقال: «إنه صحيحٌ محفوظٌ بنقل العدل عن العدل»، وحسَّنه ابنُ العربي المعافريُّ فيما نقله الثعلبيُّ عنه في كتاب "العلوم الفاخرة"، وسكت عنه أبو داود وقد قال: «ما سكت عنه فهو صالحٌ عنده»، وصدره الحافظ المنذري في "الترغيب والترهيب" وغيره من الذين لا يكاد يسلم في نقدهم حديث كابن العربي المعافريِّ، فإنا نورد الحديث بسنده ونتكلم على رجاله.

فقد أخرجه سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وأحمد في "مسنده"، وابن أبي عاصم في "الصلاة" له، وأبو داود والنَّسائيُّ وابن ماجه في سننهم، والطبرانيُّ في "معجمه"، وابنُ خزيمة وابن حِبَّان والحاكمُ في صحاحِهم، والبيهقيُّ في "حياة الأنبياء" و"شُعب الإيمان" وغيرهما من تصانيفه، من طريق حسين بن علي الجعفيِّ: حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن أبي الأشْعث الصنعانيِّ، عن أوس بن أوس قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم **«أفْضَلُ أيامِكُم الجمُعةِ، فيه خُلِقَ آدمُ وفيه قُبِضَ، وفيه النَّفخةُ وفيه الصَّعقةُ، فأكثروا عليَّ مِن الصَّلاةِ فيه فإنَّ صَلاتكُم معْرُوضةٌ عليَّ»**.

قالوا: وكيف تُعرض صلاتنا عليك وقد أَرِمْتَ؟ يقولون: بَلِيت.

فقال: **«إنَّ اللهَ حَرَّمَ على الأرضِ أن تأكلَ أجسادَ الأنبياء»**.

رجاله كلُّهم ثقاتٌ، وأبو الأشعث الصنعانيُّ: اسمُه شَراحِيلُ بنُ آدة من رجال مسلمٍ، وثَّقه العجليُّ، وذكره ابن حِبَّان في "الثقات".

وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر: من رجال البخاريِّ ومسلمٍ، وثَّقه ابنُ معين والعجليُّ وابن سعد والنَّسائيُّ ويعقوبُ بن سفيان وأبو داود وجماعة.

والحسينُ بن عليٍّ الجعفيُّ: من رجال البخاريِّ ومسلمٍ ثقةٌ باتِّفاق وكان عثمان بن أبي شيبة يقول: بخٍ بخٍ، ثقة صدوقٌ وبه تمَّ الإسناد.

فإنه شيخُ جماعة ممن أخرجوا الحديث، فهذا برهانٌ ما حكم به أولئك الأئمة من الصِّحة لهذا الحديث.

ثم إنَّ له طريقًا آخر أخرجه بن ماجه عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أكثِرُوا الصَّلاةَ عليَّ يومَ الجمُعةِ فإنَّه مشهودٌ تشهدُه الملائكةُ وإنَّ أحدًا لنْ يُصلِّيَ عليَّ إلا عُرِضتْ عليَّ صلاتُه حتَّى يَفْرُغَ مِنْها**» قال: وقلتُ: وبعد الموتِ؟ قال: «**وبعدَ الموتِ، إنَّ الله حرَّمَ على الأرضِ أنْ تأكُلَ أجْسِامِ الأنبياءِ**». فنبيُّ الله حيٌّ يُرزقُ.

قال الحافظُ المنذريُّ في "الترغيب والترهيب": «إسنادُه جيِّدٌ». وكذا قال السمهوديُّ في "وفاء الوفاء". وقال السخاويُّ في "القول البديع": «رجاله ثقاتٌ لكنه منقطعٌ».

قلت: لا يضرُّ انقطاعُه فإنَّ الحديثَ الأول الصحيحَ شاهدٌ له وعاضدٌ له، وكذا صححه مع التنصيص على انقطاعه الحافظُ البوصيري في "زوائد ابن ماجه".

وللحديث طريق ثالثٌ مرسَلٌ عن ابن شهاب ولفظه: «**أكثِرُوا عليَّ من الصَّلاةِ في الليلةِ الغرَّاءِ واليومِ الأزْهرِ، فإنَّهما يؤدِّيان عنكُم، وإنَّ الأرضَ لا تأكلُ أجسادَ الأنبياءِ، وكلّ ابنِ آدمَ يأكلُه التُّرابُ إلا عَجْبُ الذَّنَبِ**». أخرجه

النميريُّ كما ذكره السخاويُّ في "القول البديع".

وله طريق رابعٌ أخرجه ابن ماجه من حديث شداد بن أوس بلفظ حديث أوس بن أوس المتقدِّم.

فالحديث مع صحَّة إسناده وثقة رجالِه وكونهم على شرط البخاريِّ ومسلمٍ ووجود هذه الطرق العاضدة له لا يَرتاب في صحَّته إلا جاهلٌ أو متعصِّبٌ معاندٌ.

ثُمَّ للمسألة أدلةٌ أخرى أيضًا منها حديث: «**الأنبياءُ أحياءٌ في قبورِهم يُصلُّون**».

رواه أبو يعلى قال: حدَّثنا أبو الجهم الأزرق بن علي: حدثنا يحيى بن أبي بكير: حدثنا المستلم بن سعيد، عن الحجاج بن الأسود، عن ثابت، عن أنس ابن مالك قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**الأنبياءُ أحياءٌ في قبورِهم يُصلُّون**».

ثابت: هو البُناني لا يسأل عن جلالته وإمامته ثقةٌ باتِّفاق، من رجال البخاريِّ ومسلمٍ.

والحجَّاج بن الأسود: قال الحافظ في "اللسان": قال أحمد: ثقةٌ، رجل صالح. وقال ابن معين: ثقةٌ. وقال أبو حاتم: صالحُ الحديث. وذكره ابن حبَّان في "الثقات".

وقد اشتبه فيه الحال على الذهبيِّ فقال: «إنه نكرةٌ»، يعني مجهولًا.

وردَّه الحافظُ بأنَّه معروفٌ روى عن ثابت وجابر بن زيد وأبي نضرة وجماعة، وعنه جرير ابن حازم وحمَّاد بن سلمة وروح بن عبادة وآخرون ثم

ذكر توثيقه الذي قدمناه.

والمستلم بن سعيد: من رجال الأربعة، وقال أحمد: شيخٌ ثقةٌ من أهل واسط قليل الحديث. وقال ابن معين: صويلحٌ. وقال النَّسائيُّ: ليس به بأس. وذكره ابن حبَّان في "الثقات".

ويحيىٰ بن أبي بكير: ثقةٌ من رجال البخاريِّ ومسلم، وثَّقه ابن معين والعجليُّ، وقال أبو حاتم: صدوقٌ، وذكره ابن حبَّان في "الثقات"، وقال علي ابن المديني: ثقةٌ.

وأبو الجهم: روىٰ له البخاريُّ في "الأدب المفرد"، والحاكم في "صحيحه"، وذكره بن حِبَّان في "الثقات".

فهذا حال رجال الإسناد كلّهم ثقات ليس في واحد منهم طعنٌ ولا مغمزٌ، فهو صحيح علىٰ رأي ابن حبَّان والحاكم وأمثالهما، حسن علىٰ رأي البخاري وأمثاله.

ثم له طرقٌ أخرىٰ غير هذا الطريق أخرجها البيهقيُّ في "حياة الأنبياء"، وبها يرتفع إلىٰ درجة الصحيح المتفق عليه، وهو قاطعٌ صريحٌ.

ومنها حديث «**مررْتُ على موسَى وهو قائمٌ يصلِّي في قبرِه**». الذي أخرجه مسلمٌ وغيره، وحديث صلاته صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بالأنبياء واجتماعه بهم كما تقدَّم في كلام القرطبيِّ وأنها متواترة، وبها احتجَّ البيهقيُّ أيضًا في "حياة الأنبياء".

وقد ورد من ثلاثة طرق عند عبدالرزاق والطبراني في معجمه عن عبدالله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عمرو بن العاص ومجاهد: «**إنَّ المؤذِّنَ المحتَسِبَ**

كالشَّهيدِ المتَشَحِّطِ في دمِهِ، وإذا ماتَ لم يُدوَّدْ في قبرِه».

وورد من ثلاثة طرق من حديث جابر بن عبد الله وأبي هريرة وعبد الله ابن مسعودٍ «**إنَّ حاملَ القرآنِ العاملَ بهِ لا تأكلُ الأرضُ لحمَه**». أخرج جميعها ابن مَنده.

وإذا ثبتَ هذا للمؤذِّن وحاملِ القرآن فكيفَ بالأنبياء عليهمُ الصلاة والسلام؟!

٩٢- معنى الوسيلة(١)[1]

رغب إليَّ صديقي الأستاذ محمود محمَّد العجميّ أن أكتب كلمةً لصدور العدد الأول من "مجلة الوسيلة" فسُررت بتوفيقه في إنشاء مجلة تدعو إلى الأخلاق والفضيلة، ورجوتُ له النَّجاح في مهمَّته الصحفيَّة النبيلة، ورأيت إجابة لرغبته أن أكتب كلمةً صغيرةً في معنى الوسيلة وما يتَّصل به.

الوسيلة تطلق على معانٍ؛ منها الحاجة:

قال عنترة:

إنَّ الرِّجالَ لهُم إليكَ وَسِيلَةٌ ... أنْ يَخْطِبُوكِ تَكَحَّلِي وتَخَضَّبِي

ومنها القُربةُ: وعليه فسر قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة: ٣٥] هذا على بعض التفاسير، وقيل الوسيلة هنا الطاعة وقيل غير ذلك مما لا داعي لذكره الآن.

ومنها الوسيلةُ في الدعاء، وهي أنواع:

أحدها: أنْ يتوسَّل الداعي إلى الله باسمٍ من أسمائه الحسنى كأن يقول: اللهمَّ إني أسألك بأنَّك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك أن ترزُقَني كذا وأن تُعطيَني كذا.

ثانيها: أن يتوسَّل إلى الله بعملٍ صالحٍ عمله في حياته كأن يقول: اللهمَّ إني أسألكَ بحبِّي لك أو إخلاصي في طاعتِك أن تعطيَني كذا. وهذا وردَ في أصحابِ الغار الثلاثة الذين انطبقتْ عليهم الصخرةُ فلم يجدوا مخلصًا إلا

---

(١) مجلة الوسيلة- السنة الأولى- العدد (١) ١٨ شعبان ١٣٧٠

بالتوجُّه إلى الله وسؤاله بأرجى عمل عملوه ففرَّج الله عنهم كما جاء في الحديث المخرج في الصحيحين وغيرهما من طرقٍ.

ثالثها: أنْ يتوسَّل إلى الله بطلب الدعاء ممن ترجى بركته كأن يأتي إلى رجل صالحٍ ويسأله أن يدعوَ الله له في قضاءِ حاجته، وكما ثبت في الصحيح أنَّ عمر استأذن النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أن يعتمرَ فأذنَ له وقال له: «**لا تنْسَنا منْ دعائِكَ يا أخِي**».

وكما ثبت متواترًا أنَّ الصحابةَ كانوا كلما حزبَهم أمرٌ لجأوا إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يستشفعون به إلى الله في كشف ما ينزل بهم فيكشف الله عنهم بشفاعته ويرد عنهم باسمه ودعائه.

رابعها: أنْ يتوسَّل إلى الله بوليٍّ من أوليائه ممن اختارهم الله لجواره في دار بقائه وهذا النوع هو محلُّ نزاعٍ كبير بين كثير من المسلمين وقد أخذ هذا النزاع يتطوَّر ويشتد حتى وصل إلى حدِّ التغالي بين كلٍّ من الطرفين، فبينما نجد مانعي التوسل يلمزُون مخالفيهم بالكفرِ الصريحِ والإشراك القبيحِ، نجدُ مناقضيهم يغرقُون في مدحِ الأولياء والتوسل بهم إلى حدٍّ لا يرضاهُ ذو عقلٍ وإنصافٍ، إلا أنَّ طوائفَ مانعي التوسُّل اتخذوا هذا اللونَ من الجدل بضاعةً يتاجرون بها ويأخذون مرتبات شهرية وسنوية ضخمةً في نظير الترويج لهذا المذهب والدعاية له بل بلغتْ بهم الشَّراهة وحبُّ المال والثراء الفاحش إلى حدٍّ أنهم يتصرفون في أموال جمعياتهم ويصرفونها في مصالحهم ويستغلُّون اسم الجمعية في قبضِ النوائل والمكافآت، هذا عدا أنَّهم يتَّخذون مكان الجمعية مخزنًا للتخزين والبضائع التي يتاجرون فيها، فصدقَ عليهم الحديثُ الذي رواه

الترمذيُّ والخطيب وغيرهما، عن أسماءَ بنتِ عُمَيسٍ، عن النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وهو حديثٌ طويلٌ جاء فيه مما يتعلق بمقصودنا قوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**بئسَ العبدُ عبدٌ يختِلُ الدُّنيا بالدِّينِ، بئسَ العبدُ عبدٌ يختِلُ الدُّنيا بالشّبُهاتِ، بئسَ العبدُ عبدٌ طمَعٌ يقُودُه، بئسَ العبدُ عبدٌ هوى يُضِلّه، بئسَ العبدُ عبدٌ تُزيلُه الرَّغبةُ عنِ الحقّ**».

فهذه الصفاتُ التي جاءت في هذا الحديث الشريف مقرونةٌ بالذَّم والتقبيحِ كلها تنطبق علىٰ أصحاب هذه الدعوة الذين أثَرَوا علىٰ حسابها واقتنَوا البيوت والأطيان ولا يهمهم في سبيل الحصول علىٰ المال أن يخالفوا ضمائرَهم ويحيدوا عن الحقِّ واضحًا جليًّا.

علىٰ أنَّ موضوعَ الوسيلة الذي طنطنَ حوله هذه الشِّرذمة وأثرتْ علىٰ حسابه لا يستحقُّ كل ما أثاروه من جدل وشقاق ونزاع فإن سؤال الله ببركة وليٍّ من أوليائه أو بجاه أهل بيت نبيِّه الكرام لا يمكن أن يختلف في جوازه اثنان إذا وجد إنصاف واجتنب المتنازعان طريق الشِّقاق والخلاف، إذ الأدلة النقلية والعقلية تؤيده وتعضدُه.

وذلك ما سنعرضُ له في العددِ الآتي إنْ شاء الله.

٩٣- معنى الوسيلة(٢)[١]

وعدنا في المقال السَّابق أن نبيِّن الأدلةَ التي تجيز الوسيلةَ بالمعنى المتنازَع فيه بين جمهور المسلمين وشرذمة الوهابيِّين وإلى القارئ الكريمِ بعض الأدلة التي وعدناه بها:

١- روى الترمذيُّ في "جامعه" والنسائيُّ في "عمل اليوم والليلة" وابن ماجه في "السنن" والحاكم في "المستدرك" والبيهقيُّ في كتابي "الدعوات" و"دلائل النبوة" والطبراني في "معاجمه" وغيرهم، عن عثمان بن حُنَيف أنه كان قاعدًا مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فجاءَ ضريرٌ يشكو ذَهاب بصره ويسأل النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أن يدعوَ الله له ليردَّ بصرَه عليه فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أوْ تصبرُ خيرٌ لك؟**» فقال الضرير: ليس لي قائدٌ وقد شقَّ عليَّ ذَهاب بصري، فأمره النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أن يتوضَّأ ويُصلِّي ركعتين ثم يدعو بهذا الدعاء: «**اللهمَّ إنِّي أسألكَ وأتوجَّه إليكَ بنبيِّك محمَّدٍ نبيِّ الرحمةِ يا محمَّد، إنِّي أتوجَّهُ بِكَ إلى ربِّي في حاجَتِي هذه لتقْضى لي -وتذكرُ حاجتَكَ- اللهمَّ فشفِّعْه فيَّ**». قال عثمان: فلم يطل بنا الحديث حتى جاء الضريرُ وكأنَّه لم يكنْ به ضررٌ قط.

صحَّح هذا الحديث الترمذيُّ والطبرانيُّ والحاكمُ والبيهقيُّ والذهبيُّ والمنذريُّ والهيثميُّ والعسقلانيُّ والسيوطيُّ وغيرُهم من الحفَّاظ.

وقد حاول الوهَّابيون في شخص زعيمِهم الشيخ رشيد رضا أن يضعِّفوا

---

(١) مجلة الوسيلة- السنة الأولى- العدد (٢) ٢٥ شعبان ١٣٧٠

هذا الحديث متعلِّلين بتعلُّلات باطلةٍ فما أفلحوا ولا نجحوا، والحديث كما ترىٰ صحيحٌ ثابت يتحدَّاهم أن يجدوا وجهًا لضعفه فلا يستطيعون إلىٰ ذلك سبيلًا ولقد بلغَ من جودةِ إسناده وثقةِ رجاله أنَّ ابن تيمية نفسَه -وهو زعيم الوهابيين- اعترف بصحته في غير كتاب من كتبه ولم يحاولْ أن يطعنَ فيه بشيء، وإنما حاول أن يخصص التوسُّل الوارد فيه بحالتي الحياة وحضور المتوسَّل به دون حالتي موته أو غيبته عن المتوسل.

وهو تخصيص باطلٌ لأمور:

أحدها: أنَّ القاعدة المقرَّرة في الأصول أنَّ الحديثَ إذا وردَ علىٰ سبب خاصٍّ فالعبرةُ بعمومِ لفظه ولا عبرةَ بخصوص السَّبب إلا إذا ورد نصٌّ من الشارع علىٰ تخصيصه بحادثة السبب وليس في هذا الحديث نصٌّ من الشارع علىٰ التخصيص.

ثانيها: أنَّ أبا بكر بن أبي خيثمة روىٰ هذا الحديث في "تاريخه" وزاد في روايته أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لما علم الضرير الدعاء المذكور قال له: «**وإنْ كانتْ لكَ حاجةٌ فمثلَ ذلكَ**». وإسنادُ هذه الزيادة صحيحٌ علىٰ شرط البخاريِّ ومسلمٍ، فهذا نصٌّ من الشارع علىٰ تعميمِ الدُّعاء واستعماله في سائر الأحوال حياة وموتًا غيبة وحضورًا.

ثالثها: أن عثمان بن حُنيف راوي الحديث فهم منه العمومَ وأشار باستعماله بعد وفاة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ولا شكَّ أنَّ الصحابيَّ الذي روىٰ الحديث وشاهدَ سببَ ورودِه أولىٰ بفهمِ الحديث من غيره كائنًا من كان كما هو مقرَّرٌ في علم الأصول.

٢- روىٰ الطبرانيُّ في "معجمه الكبير" و"الأوسط" عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ فاطمةَ بنتَ أسدٍ أمَّ عليٍّ بن أبي طالب كرَّم الله وجهه لما تُوفِّيت نزل النبيُّ في صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في قبرها قُبيل الدفن واضطجع فيه وقال: «**اللهمَّ وسِّعْ علَيها مُدخَلَها ولقِّنْها حجَّتَها بجاهِ نبيِّكَ والأنبياءِ الذين منْ قَبلي**». وهذا حديثٌ صحيحٌ علىٰ شرط ابن حبَّان والحاكم، حسن علىٰ شرط غيرهما، فهو حجَّةٌ علىٰ جميع الفروض والاحتمالات.

وهو كما يرىٰ القارئ يدلُّ علىٰ جواز التوسُّل بمن تُوفِّي من الأنبياء، وإذا جاز التوسل بهم في هذه الحالة جاز التوسل بغيرهم من الصالحين والأولياء لأنَّ المسئول هو الله سبحانه وتعالىٰ في جميع الحالات، وذكرُ الأنبياء أو الأولياء في الدعاء إنما هو توسُّلٌ واستشفاعٌ.

٣- روىٰ ابن ماجه عن أبي سعيد الخدريِّ، عن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في الدعاء الذي يقال عند الخروج إلىٰ صلاة الجمعة جاء فيه: «**اللهمَّ إني أسألكَ بحقِّ السَّائلينَ عليكَ وبحقِّ ممشَايَ هذا فإنِّي لم أخرجْ أشرًا ولا بَطرًا ولا رياءًا ولا سُمْعةً وخرجتُ اتِّقاءَ سخْطكَ وابتغاءَ مرضاتِك فأسألكَ أنْ تجيرَني منَ النَّار وتغفرَ لي ذنُوبي إنَّه لا يغفرُ الذنوبَ إلا أنتَ**». وهو حديثٌ حسنٌ حسَّنه الحافظُ العراقيُّ وتلميذُه ابن حجرٍ، وكفىٰ بهما حجَّةً في هذا الشأن.

والسائلون المتوسل بحقِّهم في هذا الحديث هم المتضرِّعون إلىٰ الله بخالص طويَّاتهم وحسن إخلاصهم كما بيَّنه خاتمة المحدِّثين بمصر أبو الفيض السيد مرتضىٰ الزّبيدي في "شرح الإحياء" وفي هذا دليل علىٰ جواز التوسل بعموم الصالحين أمواتا وأحياءًا.

هذه ثلاثة أحاديث واحد منها يكفي في الموضوع ولكنا مع ذلك سنتبعها بآثار عن الصحابة والتابعين والأئمَّة لنقطع ألسنة هؤلاء المتخرِّصين الذين اتخذوا الشَّغَب والفتنة لهم ديدنًا لقاء عرَض من الدنيا.

٩٤- معنى الوسيلة(٣)[١]

روى الطبرانيُّ في معجميه "الكبير" و"الصغير"، والبيهقيُّ في "دلائل النبوة"، عن عثمان بن حُنيف أنَّ رجلًا أتاه في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه وأخبره أن له حاجةً عند عثمان ولم يستطعِ الوصولَ إليه ليكلمه في قضائها ورجا عثمانَ بن حُنيف أن يكلم الخليفة في مسألته.

فقال له عثمان بن حُنيف: توضأ وصلِّ ركعتين وقل: «اللهمَّ إني أسألك وأتوجَّه إليك بنبيِّك محمَّدٍ نبيِّ الرحمةِ يا محمَّدُ إني أتوجَّه بك إلى ربِّي في حاجتي هذه لتُقضى لي، اللهمَّ فشفِّعْه في». وتذكر حاجتك، ثم اذهب إلى الخليفة.

ففعل الرجل ما أمره به عثمان بن حُنيف ثم ذهب إلى عثمان بن عفان وبمجرد وصوله أخذ الحاجب بيده وأدخله على الخليفة فأجلسه عثمان على طِنْفسة بجانبه ثم سأله عن حاجته وقضاها له، واعتذر له بأنه كان ناسيًا لها ولم يذكرها إلا في هذه الساعة.

فلما خرج الرجل من عند الخليفة قابل عثمان بن حُنيف فشكره ظانًّا أنه كلَّم الخليفة في مسألته فقال له عثمان بن حُنيف: والله ما كلمته ولكني أمرتك أن تفعل ما أمر به رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الضَّرير أنْ يفعَله حين جاء يطلب الدعاء برد بصره إليه.

هذه القصة إسنادها صحيحٌ، صحَّحها الطبرانيُّ والبيهقيُّ والمنذريُّ والهيثميُّ وغيرهم.

وقد حاول بعضُ الوهابيين الوُعَّاظ أن يضعِّف هذه القصة فلم يوفَّق في

---

(١) مجلة الوسيلة، السنة الأولى، العدد (٣) ٣ رمضان ١٣٧٠.

تضعيفها لاسيما بعد أن صحَّحها حافظان ناقدان هما: زكي الدين المنذري ونور الدين الهيثمي.

ويؤخذ من هذه القصة جواز التوسل بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعد وفاته؛ لأنها حدثتْ -كما رأيت- في عهد عثمان بن عفان والذي أمر بالتوسل في هذه القصة هو عثمان بن حنيف راوي الحديث، وهو أعلمُ بمعناه من كلِّ مَن بعده من الأئمَّة والعلماء بلا نزاع.

ولما وجد ابن تيمية هذه القصة صحيحةً ولم يجدْ مطعنًا فيها حاول أن يصرِفَها عن معناها بمحاولةٍ بعيدةٍ عن جادَّة الصواب، ولسنا الآن بصدد مناقشته فيما حاوله.

وروى ابن أبي شيبة والبيهقيُّ عن مالك الدار -وكان خازنَ عمر- قال: أصابَ الناسَ قحطٌ عام الرَّمادة فأتى رجل إلى قبر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وقال: يارسول الله استسق الله لأمتك فإنهم قد هلكوا. فأتاه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في المنام وقال له: «**اذهبْ إلى عمرَ وأخبرْه أنَّهم مُسْقَون وقلْ له: عليك الكيسَ الكيسَ**». يعني الحزم الحزم.

فأتى الرجل عمر فأخبره بما فعل وبما رأى وأبلغه رسالة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم التي تلقَّاها في المنام، فبكى عمر رضي الله عنه وقال: اللهمَّ ما آلو إلا ما عجِزْتُ عنه. أي: اللهمَّ ما أقصِّرُ في الحزم إلا ما عجِزْتُ عنه.

وهذا الأثر صحيح صحَّحه البيهقيُّ في كتاب "الدعوات" وصحَّحه أيضا الحافظ ابن حجرٍ العسقلاني في كتاب "فتح الباري بشرح صحيح البخاري" وبيَّن أنَّ الرجل الذي رأى المنام وذهب إلى عمرَ يخبره به اسمُه بلال بن

الحارث المزنيُّ صحابيٌّ معروفٌ.

فأنت ترىٰ من هذا الأثر أنَّ بلالًا الصحابي ذهب إلىٰ قبر النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم متوسِّلًا به، وأنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أتاه في المنام وأخبره أنهم مسقون وأمرَه

أن يذهبَ إلىٰ عمر ويخبره، وأنَّ عمر لما أخبره لم ينكر عليه ولم يقل له أشركت ولا كفرت ولا شيئًا من هذه الألفاظ الفاحشة التي تعوَّد سلفية اليوم أن يطلقوها علىٰ المسلمين.

فليس أدلَّ علىٰ جواز التوسل من هذا الأثر الصحيح الذي اجتمع فيه رأي عمرَ وبلال بن الحارث المزني علىٰ جواز التوسل بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بعد وفاته.

٩٥- حول أولية النور المحمدي(١)[1]

في أوائل رمضان كتبنا كلمةً وجَّهنا فيها إلى مُنْكِر أوليَّة النُّور النَّبوي سؤالًا عن الحديث الذي سُئلنا عنه من قبل الأستاذ الأديب حسن محمدين عويس ومن قبل المجلَّة، وهو حديث: «**أوَّلُ ما خلقَ الله نورُ نبيِّكَ يا جابرُ**»، ولم يكن الغرضُ من السُّؤال الاستفادة، ومتى صحَّ أنْ يُستفاد من جاهل؟! كما أنَّنا لم نقصدْ به التعنيت والتشديد، وإنْ كان الكلامُ على الحديث المذكور صعبًا شاقًّا لا يحرِّره إلَّا المبرِّزُون في هذا الشَّأن، نعم لم يكن غرضنا هذا ولا ذاك ولكن حملنا على ما فعلنا أنا رأينا ذلك المنكر نحا باللائمة على من سألنا دونه، وادَّعى أنَّ حقَّ الفصل في الحديث له؛ لأنَّه القائل بعدم صحَّته، ولأنَّ الكلام موجَّهٌ إليه، وزعم في امتعاضٍ وحنقٍ، أنَّ العدول في السُّؤال عنه إلينا نتيجة انخداع السَّائل بنا، فلم نرضَ لنفسنا أنْ نقف موقفًا نكون فيه غاصبين حقَّ غيرنا، وكيف لنا أنْ نرضى وقد عرفنا في آداب البحثِ والمناظرة أنَّ الغصْبَ ممنوعٌ، وأنَّ كلامَ الغاصب عند المحقِّقين غيرُ مسموع، لذلك رأينا أنْ نردَّ الأمر إلى نِصابه ونَكِل الفصلَ في الموضوع إلى من هو أحقُّ به في نظر نفسِه، حتى لا نكون قد خرجنا عن القواعد قيد شبرٍ.

سألنا ذلك المنكر وحدَّدنا له النقط التي كان يدور بخلدنا أنْ نُلِم بها لو أجبنا، وهي سبع نقاطٍ على هذا الترتيب:

سندُ الحديث من مخرِّجِه عبدالرزَّاق إلى جابر بن عبدالله، بيان حال رجاله،

---

(١) مجلة الإسلام، السنة الرابعة، العدد (٤٨) ١٩ ذي الحجة سنة ١٣٥٤.

هل له شواهدُ؟ هل لرواته متابعاتٌ؟ هل نصَّ على صحَّته أو ضعفه أحدٌ من الحُفَّاظ؟ ما الرَّأي الخاص فيه؟ وما توجيهه؟

على أنَّنا قدرنا حرج موقف المُنكِر إزاءَ سؤالنا هذا ووعورة الجواب عليه، وأشفقنا ألَّا يهتدي إلى مصادر الحديث، فأرشدناه إليها ولم نستحسن مع هذا أنْ نستعجلَه، ونضيِّق عليه فأمهلناهُ شهرًا كاملًا، وهي مدَّة تكفي لإنشاء مؤلَّف حافلٍ بل مؤلَّفات لا لكتابة جواب فحسب، ثمَّ قلنا بعد هذا كله: عسى أنْ نكون قد قلَّدنا القوسَ باريها، وانتظرنا ما يسردُ علينا من تحقيقاتِ المنكر وتدقيقاته، ولا غرر أنِ انتظرنا فهو هو عند نفسه، المحقِّقُ المدقِّقُ وعقليته في ادعائه لم يخلق الله مثلها، فأين الإمام الرَّازي وفلسفته؟ وأين الحافظُ ابن حجرٍ وبحثه واطلاعه؟ وأين فلان؟ وأين فلان؟ كلّ النَّاس مخرِّفون عداه، وكلّهم مغفَّلون سِواه، ولقد صدق الحافظُ أبو محمد بن حزم حيث قال: صنوف الحق أكثر من أنواع الثمر.

انتهى أمد الإمهال وإذا بمجلَّة هدي الإسلام تُطْلعنا بمقال عنوانه هكذا: «ردٌّ على ردٍّ»، فعجبنا لمنطق العنوان، وحقَّ لنا أن نعجب إذ نحن لم نرد على أحدٍ في كلمة رمضان، ولم نكتبْ فيها ما يستحقُّ ردًّا ولا قبولًا، وإنَّما وجهنا سؤالًا، والسُّؤال كما لا يخفى على من له أدنى مسكة من العلم والعقل من قبيل الإنشاء الذي لا يقبل تصديقًا ولا تكذيبًا ولا قبولًا ولا ردًّا، وإنَّما يعتمدُ جوابًا مطابقًا، فكان مقتضى العنوان أنْ يكتب بما يفهم منه، أنَّ المُعنون له جوابٌ عن سؤال من سأله الكاتب، ولكن ما الحيلة فيمنْ لا يعرفُ مواقعَ الكلامِ ولا يفرِّق بين ما يستحقُّ جوابًا وما يستحقُّ ردًّا؟ دعْ عنك هذا فهو أهون مما بعده

وإنَّ بعض الشَّر أهونُ من بعض، ألقِ نظرة على المقال تَرَ عجبًا مما لم يخطر ببالك ولا سنَح بفكرك، ولعلَّك تسأل ماذا عسى أنْ يكون في هذا المقال؟ فإليك البيانُ فيه ما شئت من فنونٍ الشَّتمِ والسبابِ فيه وادعاء ينطق بتكذيبهما الجماد، وفيه خلطُ المواضع البعيدة التناسب على وجهٍ يشهد الجاهلُ وعديمُ الذَّوق أنَّه محضُ هذَيان، وفيه قُحَّةٌ بالغةٌ تنبئ عن صفاته وفيه وفيه من ضروب التخريف والسَّخافة مالا أكاد أحصيه، افتتحَ ذلك المنكِرُ مقاله بالإزراء علينا والحطِّ من كرامتِنا، حتى لقد رمانا بما لو صحَّ لكان في إسلامنا شكٌّ والعياذُ بالله تعالى، ذلك أنَّه قال في حقِّنا بعد كلامٍ ما لفظه: «مؤْثِرًا نفسه على كرامةِ صاحبِ الأحاديثِ».اهـ حرفيًّا. فبالله عليكم أيُّها القُرَّاء ما معنى هذا الكلام السَّاقط؟ وكيف ترون الحكم في أيِّ مسلمٍ صحَّ عنه أنَّه آثر نفسه على كرامة النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؟

ثمَّ طَفَرَ طفرةً بعيدة المدى فتناول بالثَّلب شقيقَنا السَّيد أحمد للمناسبتين الآتيتين:

١ – كونه أخًا للمردود عليه، وتلك مناسبةٌ شديدةُ الارتباط بالموضوع في نظر المنكر، ولم يفتطن لها أهلُ الأصول، وإلا لأثبتُوها في مسالك العِلَّة، فهنيئًا للمنكر بهذا الاختراع الطَّازج.

٢ – كونه صحَّح حديث: «**أنا مدينةُ العِلْمِ وعليٌّ بابُها**» وتلك زلَّةٌ في نظر المنكر لا تُغفر، ولماذا؟ لأنَّ حديثَ العلم لم تقبله عقليته الجبَّارة، تلك العقليَّة التي سبقت عقليَّة الإمام الرَّازي وأمثاله من فلاسفةِ العالم وذهبت إلى حيث ...! والحقُّ يقال: نحنُ مخطِئون فيما فعلنا أشدَّ الخطأ، فقد كان يجب علينا

معشرَ أهلِ الحديثِ في مشارق الأرض ومغاربها أن نعرضَ الأحاديث على حضرة المنكر فما قبله عقلُه منها صحَّحناه ومالم يقبله تكلَّفنا تضعيفَه وتوهينه، ولو خولفت الصِّناعة الحديثية ولو كان في "صحيحي" البخاريِّ ومسلم ولو صحَّحه المحدِّثون قاطبةً، وما قيمة هذا بالنسبة إليه؟ أليس كل النَّاس مخرِّفين عداه؟! أليستْ القواعدُ مردودةً إلَّا ما تعطَّف علينا منها فأعاره عينَ الرِّضا والقبول؟!

احتجَّ المنكر لتضعيف حديث «**أنا مدينةُ العلمِ** ...»إلخ بنقول أهل الجرح والتعديل التي ذكرها الحافظ السُّيوطي في كتاب "اللآلىء المصنوعة"، وما درى المسكين أنَّ تلك النقول عرفناها وأضعافها قبل أن يعرفَ هو كتاب "اللآلىء"، وأزيدُ على ذلك أنَّنا استقيناها من نفس المصدر التي استقى منها صاحبُ "اللآلىء"، ما درى هذا ولا درى أنَّ أخي فنَّدها في كتابه "فتح الملك العليِّ" بما لا يبقى معه أدنى شك لعالمٍ عاقلٍ، ما درى هذا ولا درى أنَّ أخِي سلك في تصحيح الحديث تسعة مسالك تخلَّلها قواعد حديثيَّة، وأخرى أصوليَّة، ومسائل من الجرح والتعديل، وشواهد للحديث معنويَّة، ومتابعات لرواته، إلى غير هذا مما لو أتيح للمنكر أنْ يعرف بعضَه لادَّعى –وهو على قصوره كثير الدعاوى– أنَّه أوحدُ عصره حديثًا وأصولًا واطِّلاعًا، ما درى هذا ومن أدراه به كيف له أنْ يصل إليه؟ أستغفر الله، بل هو غنيٌّ عن هذا كلِّه بما وهبه الله من عقلٍ جبَّارٍ، وفكرٍ لا يُشقُّ له في ميدان المنطق الصَّحيح والمناظرة الحقَّة غُبار، بخٍ بخٍ!

مما يستدلّ به المنكر على عدم تحقيقي في علمِ الحديث أنَّني أثبت أحاديث

المهدي، وقلت: إنَّ ظهوره حقٌّ، ومن مدةِ شهر أخذ عنوان مقالاتنا العشر «ظهورُ المهديِّ حقٌّ» وغيره هكذا «المهديُّ حقٌّ ظهوره» وكتب تحته ما يضحك الثَّكلىٰ ويتسلَّىٰ به متعب الفكر إذا طلب الرَّاحة من عناء المطالعة، ولستُ في حاجةٍ إلىٰ وصفِ ما وقعَ فيه علىٰ التفصيل، فأسلوبُ المنكر في كتاباته معروفٌ لا يخرجُ عن هذه النقاط: شتمٌ بغير موجبٍ، دعاوىٰ كاذبةٌ، وقاحةٌ متناهيةٌ، خبطٌ وتخليطٌ، فهذا ونحوُه هو فنُّ المنكر منذ أنِ ابتلىٰ الله عالمَ الجرائد والمجلَّات به إلىٰ يومنا هذا، وإلىٰ ما شاء الله أن تستمر البليَّة به، يدَّعي أنَّ أحاديث المهديِّ لا تخلو من خدْشٍ، ونحن لا ننازع في هذا، ولكنَّا نستفسره أهيَ كلها مخدوشةٌ أم بعضُها؟ إنْ ادعىٰ الأول: فالواقع يكذِّبه وابن خلدون نفسه أوَّل من يخالفه، وإنْ اختار الثاني: صدَّقناه وصدَّقه الواقع ووافقه ابن خلدون، وحينئذ يكون بالضرورة في أحاديث المهديِّ ما هو سالمٌ من الخدش ولا معنىٰ لسلامته إلَّا أنَّه صحيحٌ أو حسنٌ فإذا صحَّ قولنا: «ظهورُ المهدي حقٌّ»؛ لأنَّ ما ثبت عن النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لا بدَّ أنْ يكون حقًّا، ومن شكَّ في ذلك فحكمُه ظاهرٌ.

انتقد ابن خلدون ثمانية وعشرين حديثًا من أحاديث المهديِّ، وهي كلها (١٢٠) حديثًا، ثمَّ قال في آخر نقده: فهذه جملة الأحاديث التي خرَّجها الأئمة في شأن المهدي وخروجه آخر الزَّمان، وادَّعىٰ بعد نقله كلام الصُّوفيَّة في المهدي أنَّه استوفىٰ جميعها، وهو معذورٌ في هذا الادعاء؛ لأنَّه لم يقفْ علىٰ بقيَّة طرقها التي زادت علىٰ المائة كما ذكرنا ثمَّ قال: «وهيَ كما رأيتَ لم يخلص منها إلَّا القليل أو الأقلّ منه»، فكتب عليه شقيقنا السَّيد أحمد في كتابه "إبراز الوهْم

المكنون من كلام ابن خلدون" لا في تغليظ ابن خلدون كما حرَّفه المنكر ما نصُّه: «قلتُ: وقد عرفت استنقادنا لها بالحق من نقده بالباطل، وأنَّ نقده لم يبقِ موجهًا إلَّا في القليل أو الأقل منه عكس ما قال»، وعلىٰ فرض تسليم دعواه وأنَّه لم يسلم منها إلَّا القليل أو الأقل منه، فما الشُّبهة عنده في دفع ذلك القليل؟ وما الاعتذارُ عن عدم قبول ذلك الأقل الذي اعترفَ بصحَّته وأقرَّ بخلاصه من النَّقد وسلامته؟ أيرىٰ فيما يذهبُ إليه أنَّه لا يعمل بمقتضىٰ وارد إلَّا إذا اشتهر أو توتَّر، كلَّا إنَّه لا يرىٰ هذا ولا رآه أحدٌ قبله ولا بعده، وإنَّما هو عنادٌ ظاهرٌ واختفاءٌ عن الحقِّ واضحٌ، وتكبُّر عن الإذعانِ لما لم يوافقْ الهوىٰ والمزاج، فكم رأيناه يحتجُّ بأحاديث أفرادٍ ليس لها إلَّا مخرجٌ واحدٌ، وفي ذلك المخرج أيضًا مقالٌ، نعم تلك لا ضرر فيها علىٰ النَّاصبيَّة وهذه الأحاديث المتواترة غير موافقة أصول مذهب النَّواصب والخوارج، فلذلك انتقد منها ما وجد له سبيلًا ولو في محلّه، ورأىٰ أنَّ ما صحَّ منها ولم يبلغ حد التواتر علىٰ شرطه لا يُعمل به في مثل هذا الباب، وإنْ تواتر علىٰ طريقة الجمهور، هذا ظاهرُ كلامه بل صريحُ صنيعه، انتهىٰ المقصودُ منه.

وهذا بعينه يتوجَّه علىٰ المنكر إلَّا إنْ حكَّم عقليَّته فلم يقر بصحَّة حديث أصلًا، وابن خلدون اعترف بصحَّة حديثين.

الأول: أخرجه الحاكم قال: ثنا أبو بكر بن إسحاق وعلي بن حَمْشاد العدل وأبو بكر محمد بن أحمد بن بالَوَيه قالوا: ثنا بشر بن موسىٰ الأسدي عن هارون ابن خليفة، عن عوف بن أبي جميلة الأعرابيِّ، عن أبي الصِّدِّيق الناجي، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لا تقومُ السَّاعةُ**

حتَّى تُمْلأ الأرضُ جَوْرًا وعُدْوانًا، ثمَّ يخرجُ مِن أهل بَيتِي رجلٌ يمْلؤُها قِسْطًا وعَدْلًا كما مُلِئتْ ظُلْمًا وعُدْوانًا».

وقال الحاكم أيضًا: ثنا الحسين بن علي الدارمي: ثنا محمد بن إسحاق الإمام: ثنا محمد بن يسار عن ابن أبي عدي، عن عوف الأعرابي به ثم قال الحاكم: هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشَّيخين، وأقرَّه ابن خلدون ومن قبله، أقره الحافظُ الذَّهبيُّ وهو أشدُّ الحُفَّاظ تحريًا في التصحيح.

الثاني: أخرجه الحاكمُ أيضًا قال: حدَّثنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي: ثنا سعيد بن مسعود: ثنا النضر بن شُميل: ثنا سليمان بن عبيد: ثنا أبو الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يخرجُ في آخرِ أُمَّتي المهديُّ، يسْقِيهِ اللهُ الغَيْثَ وتخرج الأرضُ نباتَها، ويُعْطِي المالَ صِحَاحًا، وتكثرُ الماشيةُ، وتعظمُ الأُمَّة سَبعًا أو ثمانيًا يعني حِججًا**» قال الحاكم: هذا حديثٌ صحيح الإسناد وأقرَّه الحافظ الذَّهبي وكذا ابن خلدون، غير أنَّه كتب عليه هذه العبارة: «مع أنَّ سليمان بن عبيد لم يخرج له أحدٌ من السِّتة، لكن ذكره ابن حبَّان في "الثقات" ولم يرد أنَّ أحدًا تكلَّم فيه».اهـ

وهي كما ترى لا تفيد طعنًا في الحديث، وكون الرَّاوي لم يُخرج له السِّتةُ ليس بضائره شيئًا، وكثيرٌ من الثِّقاتِ لم يروِ عنهم أحدٌ من السِّتة فكان ماذا؟ على أنَّ ابن خلدون اعترف بأنَّ سليمان بن عبيد ذكره ابن حبَّان في "الثقات" واعترف بأنَّ أحدًا لم يتكلَّم فيه، وهل يطلب في مُطلقِ التصحيح أكثر من هذا؟ فهذان حديثان صحيحان باعترافِ ابن خلدون يخرجان من الثمانية والعشرين

المنتقدة، مجموع المنتقد (٢٦) حديثًا تخرجُ من المائة والعشرين يبقى الخالص من النقد (٩٤) حديثًا، هذا بعد فرض تسليم نقد ابن خلدون، كيف وهو في حيِّز المنعِ فأين يذهبُ المنكرُ؟ أليس الأولى به أنْ ينقبعَ في عقرِ بيتِه، ويريحَ النَّاس من صخَبِه؟ ولله درُّ من قال: لو سكتَ من لا يعلم لقلَّ الخلافُ. (يتبع)

٩٦- حول أولية النور المحمدي(٢)[١]

طفر المنكِر طفرةً أخرىٰ -وكلّ مقاله طفراتٌ- فقال يخاطبني: أليس في تصحيحك لحديث: «**شَفَاعَتِي لأَهْلِ الكَبائر مِن أُمَّتي**» كلامٌ -وما هو هذا الكلام-؟ قال مبينًا له: «ادَّعيت أنَّ أهل الحديث متَّفقون علىٰ صحَّته، والإمام الذَّهبي يقول في "ميزانه" ناقلًا عن أبي يعلىٰ: إنَّه منكرٌ، وفي "تذكرة الموضوعات" للمقدسي قال: إنَّ فيه محمَّد بن ثابت البناني وأنَّه ليس بشيءٍ، والسُّيوطي لم يدَّع فيه الصِّحَّة فأين الاتفاق؟» اهـ.

لو كان المنكر يعقلُ لأدركَ أنَّ صواب العبارةِ أنْ يقولَ: أليس في نقلك الاتفاق علىٰ صحة حديث: «**شَفاعتي لأهل الكبائر مِن أُمَّتي**» كلامٌ ثمَّ ينبِّه بما بعده حتىٰ تتسقَ الجملتان، وترتبط ثانيتهما بأولاهما ارتباط النتيجة بالدَّليل فيحسن حينئذ موقع قوله: «فأينَ الاتفاقُ» مما قبله؟ وأمَّا موقعُه الآن فأقبحُ موقع، والجملتان متنافرتان؛ لأنَّ الأولىٰ: تشير إلىٰ الخدش في نفس تصحيح الحديث، والثَّانية: وهي مبيِّنة للأولىٰ ومتمِّمة لها، تخدش في نقل الاتفاق علىٰ صحته فيصير المعنىٰ هكذا: تصحيحك لحديث: «**شَفاعَتِي لأهلِ الكبائرِ من أمَّتي**» فيه كلامٌ؛ لأنَّك نقلتَ الاتفاق علىٰ صحَّته، والاتفاقُ غيرُ صحيحٍ ينتج أنَّ الحديث غير صحيح!! أليس كذلك؟! قياسٌ منطقيٌّ صحيحٌ، لكنَّه فاسد الصُّورة والمادة... ولا تعجبنّ لما فيه من تلازم بدون ملازمة، فإنَّ لذلك نظيرًا من مذهب المعتزلة في إثباتِ الصِّفات المعنويَّة مع نفي أصلِها، وهو صفات

---

(١) مجلة الإسلام، السنة الرابعة، العدد (٤٩) ٢٦ ذي الحجة ١٣٥٤.

المعاني، ولو أنَّه عكَس فاستدلَّ بنفيِ التصحيح على نفيِ الاتِّفاق على الصِّحة لكان أظهرَ في اللزوم مما فعل لكن شاءت عقليَّته الجبَّارة أنْ يكون استدلاله على الوجه الأكمل فسبحان الفتَّاح العليم!!!

أمَّا ما نقله عن الذَّهبيِّ في "الميزان" فهو لا يدلُّ على وجود خلافٍ في صحَّة الحديث كما زعم، وإنَّما يدلُّ على وجود خلل في عقله، وهكذا شِدَّة الذَّكاء تنقلبُ بصاحبها إلى غباوةٍ شديدةٍ، فإنَّ الشَّيء إذا خرجَ عن حدِّه انقلب إلى ضدِّه.

عادة الذَّهبي وغيره من أهل التعديل والتجريح: أنَّهم يوردون الحديث الصَّحيح بل والمتواتر في ترجمة راوٍ مجرَّح ويطلقون أنَّه باطلٌ! أو منكرٌ أو نحو هذا، ويريدون خصوص سندٍ معيَّنٍ أو لفظ لكون ذلك الرَّاوي المجرح اختلقه إنْ كان كاذبًا أو وهم فيه ولم يكن كذلك، وليس مرادهم الحكم على الحديث من أصله، فلهذا نصَّ الحُفَّاظ: أنَّه لا يصحُّ أخذِ كلام المجرَّحين في الحديث على إطلاقه إلَّا بعد مراجعته من مظانِّه؛ لأنَّهم يتكلَّمون باعتبار صناعة خاصَّة، ولذا تجد الذَّهبيَّ يستنكر أحاديث في "الميزان" وقد صحَّحها في غيره من كتبه من طريقٍ آخر كما ستمر بك أمثلة من ذلك إن شاء الله تعالى، قال الحافظُ السُّيوطي في كتاب "اللآلِيء" أثناء كلام ردَّ به على ابن خلدون ما نصُّه: «واعلم أنَّه جرت عادة الحفَّاظ كابن حبَّان والحاكم والعقيلي وغيرهم، أنَّهم يحكمون على حديثٍ بالبطلان من حيثيَّة سندٍ مخصوصٍ، لكون راويه اختلق ذلك السَّند لذلك المتن، ويكون ذلك المتن معروفًا من وجهٍ آخر، ويذكرون ذلك في ترجمة ذلك الرَّاوي يجرحونه به، فيغتر ابن الجوزيِّ بذلك ويحكم على

المتن بالوضع مطلقًا ويورده في كتاب "الموضوعات" وليس هذا بلائقٍ، وقد عاب عليه الناس ذلك آخرهم الحافظ ابن حجرٍ».اهـ

وقال أيضًا بعد كلامٍ ما نصُّه: «وكثيرًا ما تجدهم يقولون: هذا الحديث بهذا الإسناد باطلٌ-أي وهو بغيره ليس بباطلٍ- فمثل هذا لا يُذكر في كتب الموضوعات، وإنَّما يُذكر في كتب الجرحِ والتعديلِ في ترجمة الرَّاوي الذي يُراد جرحه».اهـ

فأين كان المنكر عن هذا الكلام النفيس وهو الباحثُ الكبير؟! لو أنَّه طالع كتاب "اللآلئ"-وهو متداولٌ بكثرة- لما وقعَ في هذه الأضُحوكة، أو لو أنَّه طالع الكتاب الذي انتقده -لطيشِه- قبل أنْ يراه وهو "فتح الملك العليّ بصحة حديث باب مدينة العلم عليّ" لوجد فيه هذه القاعدة بأدلتها مع قواعدَ أُخرَ لا يظفر بها حتىٰ في كتب المصطلح الكبيرة، لكنَّه ذو عقلٍ جبَّارٍ ينقد الكتبَ قبل أنْ يراها ويكتبُ بدون مطالعةٍ ولا تثبُّتٍ، ففي عقله غناءٌ عن كلِّ هذا وإذ قد ذكرنا تلك القاعدة، ولم يكن ليعرفها المنكر ولو عاش في تخبُّطه آلاف السِّنين، فلنوضِّحْها بجملةٍ من الأمثلة إذ بالمثال يتضح الحال.

١ - حديث: «**لا يحلُّ لمسلمٍ أنْ يَهْجُرَ أخاه فوقَ ثلاثٍ**» متفقٌ عليه من حديث أنس وأبي أيوب، ورواه الدَّارقطني في "غرائب مالك" من طريق أبي داود وإبراهيم بن فهد عن القَعْنبيّ، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر به مرفوعًا، وقال: هذا باطلٌ.

٢ - حديث: «**صلاةٌ في مسجدِي هذا أفضلُ مِن ألفِ صلاةٍ فيما سِواه، إلَّا المسجدَ الحرامَ**»، متفقٌ عليه من حديث أبي هريرة، ورواه الدَّارقطنيُّ في

"الغرائب" من طريق أحمد بن محمد بن عمران، عن عبدالله بن نافع الصَّائغ، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر، وقال: لا يثبت بهذا لإسناد وأحمد بن محمد مجهولٌ.

٣ - «**اتَّقُوا النَّارَ ولو بِشِقِّ تمْرةٍ**» متفقٌ عليه من حديث عديٍّ بن حاتم، ورواه الدَّارقطنيُّ في "الغرائب" من طريق الحسن بن يوسف عن بحر بن نصر، عن ابن وهب، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر وقال: هذا باطلٌ بهذا الإسناد.

٤ – حديث «**كلّكم راعٍ ومَسْئولٌ عنْ رعيِّته**»، متفقٌ عليه من حديثِ ابن عمر، وذكره الذَّهبي في ترجمة إبراهيمَ بن بشَّار الرَّمادي من روايته عن ابن عيينة، عن بريد، عن أبي بردة، عن أبي موسىٰ به مرفوعًا، وقال: هذا وهمٌ كان ابن عيينة يرسِله، ثمَّ نقلَ عن ابن عدي أنَّه قال: لا أعلمُ أنكر علىٰ إبراهيم إلَّا هذا، وباقي حديثه عن ابن عيينة مستقيمٌ.

٥ –حديث «**منْ يُرِدِ الله به خَيرًا يُفَقِّه في الدِّين**»، متفقٌ عليه من حديث معاوية، وذكره الحاكم في "تاريخه" من طريق الحجَّاج بن سمرة عن أبيه، وقال: هذا باطلٌ وإسناده مظلمٌ، وكذا ذكره الذَّهبيُّ في ترجمة أحمد بن محمَّد الوراق من روايته عن أبي بكر بن عبَّاس، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن عبدالله به مرفوعًا؛ لزيادة «**ويلهِمُهُ رُشْدَه**» ثمَّ استنكره ونقل عن ابن عدي مثل ذلك.

٦ –حديث «**إذا دَخَلَ أحدُكم المسجدَ فلا يجلسْ حتَّى يَرْكَعَ ركْعَتَين**»، متفقٌ عليه من حديث أبي قتادة، وذكره الذَّهبيُّ في ترجمة اليسع بن طلحة من

روايته عن أبيه، عن ابن عبَّاس وعدَّه من مناكيره.

٧ - «**مَن بَدَّلَ دينَه فاقْتُلُوهُ**» رواه البخاريُّ في "صحيحه" من حديث ابن عبَّاسٍ وأشار إليه الذَّهبيُّ في ترجمة موسىٰ بن إبراهيم الدمياطي من روايته عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر وأطلق أنَّه باطلٌ، قال الحافظ في "اللسان": «يعني بهذا الإسناد وليس المتن باطلًا، وإنَّما أطلقَ ذلك بالنسبة لهذا الإسناد».اهـ

٨ - حديث: «**مَنْ قالَ عليَّ ما لم أقلْ فلْيَتَبوَّأْ مَقْعَدَهُ مِن النَّار**» متواترٌ كما هو معلومٌ، وذكره الذَّهبيُّ في ترجمة محمَّد بن عبدالله بن الخيَّام السَّمَرْقَنديِّ من روايته عن الخضر وإلياس عن النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أنَّه موضوعٌ.

٩ -حديث: «**الحياءُ مِنَ الإيمانِ، والإيمانُ في الجنَّةِ، والبَذَاءُ مِنِ الجفَاءِ، والجفَاءُ في النَّار**» صحَّحه الحاكمُ علىٰ شرط الشَّيخين من حديث أبي بكرة وأقرَّه الذَّهبي، ثمَّ ذكره في ترجمة أحمد بن عبدالله بن يزيد الطبركي من روايته عن عليِّ بن إسحاق الحنظليِّ عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر وحكم بأنَّ المترجم وضعه.

١٠ - «**طَلَبُ العِلْمِ فريضةٌ على كلِّ مسلمٍ**» له طرقٌ متعدِّدةٌ أشرت إليها في مقالي «نقد وإجابة» وذكره الذَّهبيُّ في ترجمة إبراهيم بن موسىٰ المَرْوَزِيِّ من روايته عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر ونقل عن أحمد أنَّه قال: هذا كذبٌ. وأعقبه بقوله: يعني هذا الإسناد وإلَّا فالمتنُ له طرقٌ ضعيفة.

١١ - حديث «**مَنْ حَلفَ بشيءٍ دونَ الله فقدْ أشْرَكَ**» صحَّحه الحاكم علىٰ شرط الشَّيخين من حديث ابن عمر، وأقرَّه الذَّهبيُّ ثمَّ ذكره في ترجمة إسرائيل بن

يونس بن أبي إسحاقَ السَّبِيعِي وقال: غريبٌ.

١٢ - «**البحرُ هُوَ الطَّهُورُ ماؤُه الحِلُّ مَيْتَتُهُ**»(١)، رواه مالكٌ وأحمد والأربعة من حديث أبي هريرة، وصحَّحه البخاريُّ والترمذيُّ وابن المنذر والبغويُّ وابن مَنْده وابن الأثير وابن الملقِّن، ورواه الدَّارقطنيُّ في "الغرائب" من طريق أحمد بن عمر بن زنجويه، عن هشام بن عمَّار، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر ثمَّ قال: باطلٌ بهذا الإسناد، ومثل هذا كثيرٌ في "الميزان" و"لسانه" و"تعجيل المنفعة" وغيرها من الكتبِ المخصَّصة لبيان حال رواة الأحاديث، فلو أردنا استقصاءَه لاحتجْنا إلىٰ زمنٍ طويلٍ، وعلىٰ أنَّ فيما ذكرناه كفاية، والمقصود أنَّ أهل التعديل والتجريح يحكمُون علىٰ الحديث بالبطلان أو النَّكارة أو الضعف، ويعنون طريقًا مخصوصًا أو لفظًا معيَّنًا، ولا يضيرُهم أنْ يكون الحديث بالنَّظر إلىٰ أصله صحيحًا أو حسنًا أو متواترًا، فمن اعتمد إطلاقهم وأخذه حجَّةً علىٰ عمومه، ردَّ كثيرًا من الأحاديث الصَّحيحة والمتواترة، وأبان فعله ذلك عن جهلٍ عظيمٍ كما وقع للمنكر، فإنَّه رأىٰ الذَّهبيَّ استنكره في "الميزان" من طريقٍ خاصٍّ -ويُلاحظ أنَّ رؤيته كانت مصادفة- فما زاد علىٰ أنَّ نقله نقل مسطرة معتقدًا أنَّه فلج علينا، وهيهات هيهات، نحن لا نفوه بالكلمة حتىٰ نحسب لها حسابها ونحوطها بسياجٍ من الدَّلائل القويَّة، فما كنَّا غافلين عمَّا في "الميزان"

---

(١) هذا الحديث غير موجود في "الصحيحين" مع وجوده في "الموطأ"، وبهذا ونحوه يبطل قول من يزعمُ تعاطي هذا الشَّأن: «إنَّ كلَّ حديثٍ موصولٍ في "الموطأ" فهو مخرَّجٌ في "الصحيحين" وقد حققَ الموضوعَ شقيقُنا السَّيد أحمد في كتابه "سَمْل العينين، ممن فضَّل الموطأ علىٰ الصحيحين" وهوردٌّ علىٰ كتابِ "دليل السَّالك إلىٰ موطأ مالك"». اهـ كاتبه.

وقت أنْ قلنا: إنَّ حديثَ الشَّفاعةِ صحيحٌ، وإنَّ المحدِّثين متفقين على صحَّته، كما لم يكن يخطرُ لنا ببالٍ أنَّ ذكاءَ المنكر سيصلُ به إلى هذا الحدِّ حتَّى ينقضَ كلامنا بكلامٍ لم يعرفْ أوله من آخره، ولا كيف محمله عند أهله، ولكن حيث وقع ما لم نكن نتوقَّعه، وجب أنْ نلمعَ إلى الحديث بما يزيل عنه الإشكال فنقول:

حديث الشَّفاعة خرَّجه الترمذيُّ وابنُ خزيمة قالا: ثنا العبَّاس العنبريُّ: ثنا عبدالرزَّاق عن مَعْمَر، عن ثابتٍ، عن أنسٍ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليهوآله وسلَّم: «**شَفاعَتي لأهلِ الكبائرِ منْ أُمَّتي**» قال الترمذيُّ: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ من هذا الوجه.

ورواه البيهقيُّ من طريق عبدالرزَّاق عن مَعْمَر، عن ثابت، عن أنس، وقال: إسنادٌ صحيحٌ.

ومن هذا الطريق رواه الحاكمُ وقال: صحيحٌ على شرط الشَّيخين ووافقه الذَّهبيُّ.

وقال ابن خزيمة: ثنا محمَّد بن يحيى: ثنا الخليل بن عمر، وثنا يحيى بن محمَّد بن السَّكن: ثنا الخليل ابن عمر قال: قال عمر الأصمُّ -وهو عمر بن سعيد- عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنسٍ به مرفوعًا.

ورواه الحاكمُ من طريق الخليل بن عمر بن إبراهيم: ثنا عمرُ الأبحّ -بالموحدة والمهملة وهو الأصمُّ- عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة عن أنسٍ، وهذا الطريق رفع احتمال إرسال خفي في طريق ابن خزيمة.

وقال ابنُ خزيمة: ثنا العبَّاس بن عبدالعظيم -وهو العنبريُّ-: ثنا سليمان بن حرب: ثنا بسطام بن حريث عن أشعث الحُدَّاني -بضم المهملة وتشديد

الدَّال- عن أنسٍ به مرفوعًا.

ورواه أحمد وأبو داود والحاكم من طريق سليمان عن أشعث عن أنسٍ.

ورواه ابن خزيمة من طريق مالك بن دينار عن أنسٍ، ورواه أيضًا من طريقِ يزيد الرَّقاشي وزياد النميري، كلاهما عن أنس.

وخرَّجه ابن خزيمة وابن حبَّان في "صحيحيهما" في "المستدرك" والبيهقيُّ في "البعث" من طريق زهير بن محمَّد، عن جعفر بن محمَّد، عن أبيه، عن جابر، قال الحاكم: صحيحٌ على شرط الشَّيخين، وقال الذَّهبي: صحيحٌ على شرط مسلم.

وروى البيهقي في "البعث" من طريق الشعبي عن كعب بن عجرة قال: قلت يا رسول الله: الشَّفاعة الشَّفاعة، قال: «**شَفاعَتِي لأهلِ الكبائرِ منْ أُمَّتِي**»، وقال عبدالرزَّاق: أخبرنا مَعْمر عن ابن طاوس، عن أبيه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**شَفاعتِي يومَ القيامةِ لأهْلِ الكبائرِ منْ أُمَّتي**»، ومن هذا الطريق رواه البيهقي وقال: مرسلٌ حسنٌ.

هذا ما حضرنا من طرق الحديث أمليناه في الحال، وإليك أسماء بعض الحفَّاظ الذين صحَّحوه وهم: الترمذيُّ وابنُ خزيمة وابنُ حِبَّان والحاكمُ والبيهقيُّ والمنذريُّ والذَّهبيُّ والبوصيريُّ -وليس هو صاحب البردة- والسَّخاويُّ، هذا وقد وضع بعض الضُّعفاء المتروكين له أسانيد اختلافًا منهم أو وهمًا، فلذلك أورده الذَّهبيُّ في تراجمهم من "الميزان" مستنكرًا ذلك، فقال في ترجمة صديق بن سعيد الصوناجي التركي: روى عن محمَّد بن نصر[1] المرْوَزيِّ عن يحيى، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر مرفوعًا: «**شَفاعَتِي لأهلِ الكبائرِ**

---

(١) وقع في "الميزان" بصير وهو خطأ مطبعي.

من أُمَّتي» هذا لم يروه هؤلاء قط، لكن رواه عن صديق من يجهل حاله: أحمد بن عبدالله بن محمَّد السرسي فما أدرىٰ من وضعه اهـ.

وقال في ترجمة عبدالله بن أبي بكر المقدمي: له عن جعفر بن دينار عن أنسٍ مرفوعًا: «**شَفاعَتِي لأهلِ الكبائرِ منْ أُمَّتِي**» قال أبو يعلىٰ: هذا منكرٌ اهـ.

وقال في ترجمة موسىٰ بن عبدالرحمن الصَّنعاني: روىٰ عن ابن جريج عن عطاء، عن ابن عبَّاس مرفوعًا: «**شَفاعَتي لأهلِ الكبائرِ منْ أُمَّتِي**» وسرد أحاديث ثمَّ قال: قال ابنُ عديٍّ: هذه الأحاديثُ بواطيلُ اهـ.

بقي أنْ نتكلَّم علىٰ قول ابن طاهر المقدسي الذي نسخه المنكِر نسخًا من "تذكرة الموضوعات" معتقدًا أنَّه خادشٌ في صحة الحديث أيضًا ككلام الذَّهبيِّ السَّابق، فكان أنموذجًا من نماذج جهله، والواقع أنَّ كلام المقدسي لا حجَّة فيه علينا لأمورٍ:

١ – أنَّ ابن طاهر المقدسي متكلِّمٌ بلسان ابن حبَّان وابن عديٍّ؛ لأنَّ كتابه "تذكرة الموضوعات" ملخَّصٌ من "الضعفاء" للأول، و"الكامل" للثاني، وقد عرَّفْنَاك فيما سبق أنَّ صنيعَهما وغيرهما من الحفَّاظ، تضعيف الحديث من طريقٍ خاصٍّ لا مطلقًا.

٢ – أنَّ ابن طاهر هو نفسه مخدوشٌ فيه، وقد أورده الذَّهبيُّ في المحمَّديين في "الميزان" فقال ما نصُّه: محمَّد بن طاهر المقدسي ليس بالقوي «**بانَ له أوهامٌ كثيرةٌ في تآليفِه**» وقال ابن ناصر: كان لحنة وكان يصحِّف، وقال ابن عساكر: جمع أطراف الكتب السِّتَّة فرأيته بخطِّه «وقد أخطأ فيه في مواضع خطأً فاحشًا»اهـ.

ونقل من "تذكرة الحفَّاظ" عن الحافظ ابن عساكر أنَّه قال: مصنَّفاته كثيرة «لكنَّه كثير الوهم» اهـ.

ورماه بعضُهم بالزَّنْدقة والانحلال وعدم الثِّقة، لكن دافع عنه الذَّهبيُّ في "تذكرة الحفَّاظ" ولخَّص كلامه الحافظ في "اللسان"، وحاصله أنَّه صدوقٌ ثقةٌ يهِم كثيرًا، ولأجل وهمه المتفق عليه بينهم ذكرناه؛ لننبِّه المنكر على قيمة الكتب التي يحتجُّ بها ويعتمد عليها، ولنعرفه مقدار بحثه وتحقيقه.

٣ - أنَّ ابن طاهر ضعَّف الحديث بمحمَّد بن ثابت البناني وهو غير موجود في الطُّرق التي صحَّحناها وصحَّحها الحفَّاظ الذين ذكرنا أسماءهم وغيرهم، فكيف يرد كلامه نقضًا علينا مع هذا التباين؟!

٤ - أنَّ تضعيف ابن طاهر باطلٌ من أصله؛ لأنَّ محمَّد بن ثابت البناني لم ينفردْ بالحديث، بل تابعه عليه زُهير بن محمَّد -وهو من رجال الشَّيخين- متابعةً تامَّةً، وله مع هذه المتابعة شواهد متعدِّدة من حديث أنسٍ وكعبِ بن عُجْرة ومرسل طاوس وقد ذكرناها، مما دلَّ كل ذلك على أنَّ محمَّد بن ثابت حفظ الحديث ولم يهم فيه، فلا معنى لتضعيف الحديث به مع وجود من وافقه على روايته، ولهذا لم يذكره الحافظ في ترجمته من "الميزان" مع ذكره أحاديث من مناكيره.

والخلاصة: أنَّ هذه الأمور كل واحدٍ منها يكفي لبطلان التعلق بكلام ابن طاهر في تضعيف الحديث، فكيف بها مجتمعة؟ وبالله التوفيق.

٩٧- هل ينفع الشريف نسبه؟[١]

زارني فضيلة الأستاذ الشَّيخ حسن النجَّار حفظه الله، وأخبرني أنَّ جماعة من فضلاء قنا تذاكروا فيما بينهم فضائل أهل البيت، وما لهم من مزايا ليست لغيرهم، وكان مما ذكروه من الأحاديث في هذا الموضوع حديث: «**كلُّ سببٍ ونَسَبٍ ينقَطِعُ يومَ القيامةِ إلَّا سَببِي ونَسَبي**»، فأشكل عليهم وجه الجمع بينه وبين قوله تعالىٰ: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، ونحوه من الآيات والأحاديث الدَّالة علىٰ أنَّ يوم القيامة لا نسبَ فيه نافعٌ، ولا تُقبل شفاعةُ شافعٍ، إلَّا من أتىٰ الله بقلبٍ سليمٍ، وإلَّا من أذن له بالشَّفاعة من رسولٍ كريمٍ، ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾[البقرة: ٢٥٥]، وبعد أخذٍ وردٍّ ومناقشة بعضهم لبعض، قرَّ رأيهم أنْ يبعثوا لي بالمسألة علىٰ وجهها، لأبدي رأيي فيها، وطلبوا أنْ يكون ذلك علىٰ صفحات مجلَّة الإسلام، فلبَّيتُ رغبتهم رغبةً في الثَّواب، راجيًا من الله أنْ يوفقني للصَّواب، وأنْ يجعلني عند ظنِّ أولئك الأفاضل بي فهو الموفِّق والهادي، وعليه سبحانه اعتمادي.

وأوَّل ما نبدأ به ذكر الآيات الواردة في معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ ﴾ الآية، فمنها قوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ﴾[لقمان: ٣٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ

---

(١) مجلة الإسلام، السنة السابعة، العدد (١) سنة ١٩٣٨.

حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ ﴾[المعارج: ٨ - ١١]، وقوله عز شأنه: ﴿ أَمْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ [الطور: ٢١]، وفي آية أخرى في سورة المدثر: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ [المدثر: ٣٨]، وقوله جل ذكره: ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾[عبس: ٣٣ - ٣٧].

ومن الأحاديثِ في هذا المعنى ما جاء في "صحيح" مسلم والسُّنن الأربعة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**مَنْ نفَّسَ عن مُؤمنٍ كُرْبَةً مِن كُرَبِ الدُّنيا، نفَّس الله عنه كُرْبَةً مِن كُرَبِ يومِ القِيامَةِ...**». وذكر الحديث إلى أنْ قال: «**ومن أبْطَأ به عملُه لم يُسرِعْ به نَسَبُهُ**».

وأخرج أحمد والبيهقي عن عقبة بن عامرمرفوعًا: «**إنَّ أنسابَكُم هذه ليستْ بِسِبابٍ على أحدٍ، وإنَّما أنتم وَلَدُ آدم طَفُّ الصَّاعِ لم تملؤه، ليس لأحدٍ فضلٌ على أحدٍ إلَّا بدِينٍ أو عملٍ صالحٍ**» زاد أحمد والطبراني: «**حسب الرَّجل أنْ يكون فاحشًا بذيئًا بخيلًا جبانًا**» ورجال إسناده على شرط الحسن إلَّا أنَّ في ابن لهيعة وهو مختلفٌ فيه.

وأخرج البزَّار والطَّبرانيُّ واللَّفظ له عن أبي سعيدٍ مرفوعًا: «**إنَّ ربَّكم واحدٌ وأباكم واحدٌ، فلا فضلَ لعربيٍّ على أعْجَميٍّ ولا أحمرَ على أسودَ إلَّا بالتقْوَى**»، ولفظ البزَّار: «**إنَّ أباكم واحدٌ وإنَّ دينكم واحدٌ، أبوكم آدمُ، وآدمُ خُلِقَ مِن تُرابٍ**»، وإسناده صحيحٌ.

وروى أبو داود والترمذيُّ والبيهقيُّ واللفظُ له، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إنَّ الله عزَّ وجلَّ أذهبَ عنكم عُبِّيَّة الجاهليَّة وفخرَها بالآباءِ، النَّاسُ بنو آدمَ وآدمُ مِن ترابٍ، مؤمنٌ تقيٌّ،**

وفاجرٌ شقيٌّ، لينتهينَّ أقوامٌ يفتخِرون برجالٍ إنَّما هم فحمٌ من فحمِ جَهنَّم، أو ليكونُنَّ أهونَ على الله من الجِعْلان التي تدفعُ النَّتنَ بأنفِها» إسناده حسنٌ.

وأخرج الطبراني في "الصغير" و"الأوسط" والبيهقي عن أبي هريرة أيضًا مرفوعًا: «إذا كان يومُ القيامة أمر الله مناديًا ينادي: ألا إنِّي جعلتُ نسبًا وجعلتُم نسبًا، فجعلتُ أكرمَكم أتقاكم، فأبيتُم إلَّا أنْ تقولُوا: فلانُ ابن فلانٍ خيرٌ من فلانِ ابنِ فلانٍ، فاليومَ أرفعُ نَسَبي وأضعُ نسبَكم أينَ المتَّقُون؟» ورواه البيهقي أيضًا موقوفًا وقال: هو المحفوظ.

قلت: لأنَّ في سند المرفوع طلحة بن عمرو وهو متروكٌ.

ورواه الحاكم بلفظ: «إنَّ الله يقولُ يومَ القيامةِ، أمرتكُم فضيَّعتُم ما عَهِدتُ إليكُم ورَفَعتُم أنسابَكم، أينَ المتَّقونَ أينَ المتَّقونَ؟ إنَّ أكرمَكُم عند الله أتقاكُم».

وللخطيب من حديث عليٍّ عليه السَّلام: «إذا كان يومُ القيامةِ أُوقِفَ العبادُ بينَ يدي الله تعالى غُرْلًا بُهْمًا، فيقولُ الله: عبادي أمرتُكم فضيَّعتُم أمري، ورفعتُم أنسابَكم فتافخرتُم بها، اليومَ أضعُ أنسابَكم، أنا الملكُ الديَّان أنا الملكُ الديَّان أينَ المتقونَ أينَ المتقونَ؟ إنَّ أكرمَكم عند الله أتقاكُم» قال الخطيب: حديثٌ منكرٌ لم أكتبه إلَّا بهذا الإسناد.

وأخرج الطَّبرانيُّ عن حبيب بن فراش العصغري سمع النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول: «المسلمونَ أخوةٌ، لا فضلَ لأحدٍ على أحدٍ إلَّا بالتَّقوى» إسناده ضعيفٌ.

وللبيهقي من حديث جابر في خطبة الوداع: «ألا لا فَضْلَ لعربيٍّ على عجميٍّ، ولا لعجميٍّ على عربيٍّ، ولا لأحمرَ على أسودَ، ولا لأسودَ على أحمرَ، إلَّا

بالتقوى، إنَّ أكرمَكم عند الله أتقاكُم، ألا هلْ بلَّغتُ» قالوا: بلىٰ يا رسول الله، قال: «فليُبلِّغِ الشَّاهدُ الغائبَ» الحديث في إسناده ضعف.

وللترمذيِّ نحوه عن ابن عمر بإسنادٍ ضعيفٍ.

وروىٰ أحمد عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال له: «انظُرْ فإنَّكَ لستَ بخيرٍ من أحمرَ ولا أسودَ، إلَّا أنْ تفضُلَه بتَقْوى» رجاله ثقاتٌ مشهورون إلَّا أنَّ فيه إرسالًا.

وروىٰ الطبرانيُّ عن حميد بن عبدالرحمن بن عوف قال: سمع عبدالرحمن بن عوف رجلًا يقول: أنا أولىٰ النَّاس برسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: غيرُك أولىٰ به منك ولك نسبُه. إسناده ضعيفٌ.

وأصحُّ ممَّا تقدَّم كله وأصرح في الدَّلالة علىٰ المقصود ما جاء في "الصحيحين" عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[الشعراء: ٢١٤]، دعا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قريشًا فعمَّ وخصَّ، فقال: «يا معشرَ قريشٍ أنقذُو أنفسَكم منَ النَّارِ، يا معشرَ بني كَعْبٍ أنقذُوا أنفسَكم منَ النَّارِ، يا معشرَ بني هاشمٍ أنقذُوا أنفسَكم من النَّار، يا معشر بني عبدالمطلبِ أنقذُوا أنفسَكم منَ النَّارِ، يا فاطمةُ بنت محمَّدٍ أنْقِذِي نفسَك منَ النَّارِ، فإنِّي والله لا أملِكُ لكُم منَ الله شيئًا إلَّا أنَّ لكُم رحمًا سأبُلّها بِبَلَاهَا».

وفي رواية البخاري: «يا بَني عبدِ منافٍ اشترُوا أنفسَكم من الله، يا بني عبدالمطَّلبِ اشترُوا أنفسَكُم من الله، يا أمَّ الزُّبيرِ بن العوَّام عمَّةَ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، يا فاطمةُ بنتَ محمَّدٍ اشتريا أنفسُكما منَ الله، لا أملِكُ لكُما منَ الله

شيئًا سَلَاني من مالي ما شئتُما»، وفي لفظ مسلم: «يا فاطمةُ بنت محمَّدٍ، يا صفيَّة بنت عبدِالمطلب لا أملكُ لكم منَ الله شيئًا، سلُوني من مالي ما شِئْتُم».

ولأحمد من حديث أبي هريرة أيضًا بلفظ: «يا بني عبدِالمطلبِ اشترُوا أنفسَكُم من الله، يا صفيَّة عمَّةَ رسولِ الله ويا فاطمةُ بنت رسولِ الله اشترِيَا أنفسَكُما منَ الله فإنِّي لا أغْني عنكُما منَ الله شيئًا سلَاني منْ مَالي ما شِئْتُما». وللحديثِ ألفاظٌ وطرقٌ في "المسند" و"الصحيحين" والسنن.

ورواه الطبرانيُّ بزيادةٍ منكرةٍ، ولفظُه عن أبي أمامةَ قال: لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ جمع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بني هاشم فأجلسهم على الباب وجمع نساءه وأهله فأجلسهم في البيت، ثمَّ اطلع عليهم فقال: «يا بني هاشمٍ اشترُوا أنفسَكم منَ النَّار وأوسِعُوا في فِكَاكِ رِقابِكُم، وافتكّوا أنفسَكم منَ الله عزَّ وجلَّ فإنِّي لا أملكُ لكُم منَ الله شَيئًا، ثمَّ أقبلَ على أهلِ بيتِه فقالَ: يا عائشةُ بنتَ أبي بكرٍ ويا حفصةُ بنت عمرَ ويا أمَّ سلمةَ ويا فاطمةُ بنت محمَّد ويا أمَّ الزُّبير عمَّة رسولِ الله، اشترُوا أنفسَكم مِنَ النَّار وأوسِعُوا في فكَاكِ رقابِكُم، وافتكُّوا أنفسَكم منَ الله عزَّ وجلَّ، فإنِّي لا أملك لكم من الله شيئًا ولا أغني»، فبكت عائشةُ وقالت: أي حِبِّي هل يكون ذلك يوم لا تغني عنَّا من الله شيئًا؟ قال: «نعمْ في ثلاثِ مواطنَ يقولُ الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[الأنبياء: ٤٧]، فعند ذلكَ لا أُغْني عنكُم من الله شيئًا، ولا أملكُ لكم من الله شيئًا، وعند النُّورِ منْ شاء أتمَّ الله له نورَه، ومن شاءَ أكنَّه في الظُّلماتِ يغمُّه فيها، فلا أملكُ لكم منَ الله شيئًا ولا أُغني عنكم من الله شيئًا، وعند الصِّراط من شاء سلَّمه وأجازه، ومن شاء كبكبه في

النَّار» قالت عائشة: أي حبي قد علمت الموازين هي الكفتان فيوضع في هذه فترجح هذه وتخف الأخرىٰ، وقد علمنا ما النور وما الظُّلمة فما الصِّراط؟ قال: «**طريقٌ بين الجنَّة والنَّار يجوز النَّاس عليها، وهو مثل حدِّ الموُسِي، والملائكة حافَّة يمينًا وشمالًا يخطفونهم بالكلاليب مثل شوك السَّعدان، وهم يقولون: ربِّ سلِّم سلِّم، وأفئدتهم هواءٌ فمن شاء الله سلَّمه ومن شاء الله كبكبه فيها**». في سنده علي بن يزيد الألهاني الشَّامي متروكٌ، والحديث منكرٌ؛ لأنَّ آية الإنذار نزلت بمكَّة، فقد جاء في "الصحيح" عن ابن عبَّاس أنَّها لما نزلت صعد النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ الصَّفا فجعل ينادي... الحديث. وعائشة وأمُّ سلمة وحفصة لم يكن عنده، ولامن أزواجه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إلَّا بالمدينة، ولو ثبت الحديث لأمكن أنْ يقال: بتعدُّد القصَّة لكنَّه غير ثابتٍ فلا حاجة إلىٰ ادعاء التعدُّد مع أنَّه خلاف الأصل، علىٰ أنَّ تفسير الميزان والصِّراط في هذا الحديث يشهد له ما جاء في أحاديث أخرىٰ.

٩٨- هل ينفع الشريف نسبه(٤)[١]

وعدنا في المقال الثالث -بعد إذ أتينا بجملةٍ غير يسيرةٍ من طرق حديث: «كلُّ سببٍ ونسبٍ» وما في معناه- أنْ نجمع بينه وبين ما يعارضه مما قدمناه في المقال الأول؛ لأنَّ الجمع بينهما هو المقصود الأهم من السؤال، زيادةً على كونه مقررًا وجوبه في علم الأصول، إذا تعارضت النقول، وقد رأينا أنْ نقدِّم قبل ذلك تأويلًا ذكره بعض العلماء حاول أنْ يدفع به التعارض -حيث خفي عليه وجه الجمع- فقال: معنى الحديث أنَّ أمَّته عليه وآله الصَّلاة والسَّلام تُنسب إليه يوم القيامة، حيث تُدعى بأمَّة محمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، بخلاف سائر الأمم فإنَّهم لا ينسبون إلى أنبيائهم، فالمراد بالنَّسب في الحديث على هذا نسبٌ عامٌّ، هو انتساب الأمَّة إلى نبيها وإضافتها إليه، أمَّا النسب المنفي في الآية ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾[المؤمنون: ١٠١]، فهو النَّسب الخاص المعهود وهو نسب القرابة، وحينئذ لا تعارض بين الآية والحديث؛ لأنَّ النَّسب المنفي في أحدهما غير المثبت في الآخر، ذكر هذا التأويل الحافظ السُّيوطي في "الخصائص" والقسطلاني في "المواهب" وأشارا إلى تضعيفه، وحكاه الرَّافعي في "الشرح الكبير" وجهًا في معنى الحديث.

قال السَّيد السمهودي في "جواهر العقدين": ويرده أمور:

أحدها: ما ثبت عن عمر في استناده إليه في الحرص على تزويجه بأمِّ كلثوم، وأقرَّه عليٌّ رضي الله عنه على ذلك، وكأنَّ هذا القائل لم يطَّلع على ذلك.

---

(١) مجلة الإسلام، عدد (١١) ربيع الأول ١٣٥٧.

قلت: وأقرَّه المهاجرون والأنصار أيضًا، مع أنَّ عمر رضي الله عنه صرَّح بقوله: وإنَّه كانت لي صحبة أحببت أنْ يكون لي معها سببٌ.

ثانيها: ذكر الصهر مع السَّبب والنَّسب، كأنَّه لم يطَّلع عليه أيضًا.

ثالثها: غضبه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لما قيل: إنَّ قرابته لا تنفع.

رابعها: في الأحاديث ما يقتضي نسبة غير هذه الأُمَّة إلى أنبيائهم، ففي "صحيح" البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا: «**يجيء نوح عليه السَّلام وأُمَّته فيقول الله تعالى: هل بلَّغت؟ فيقول: أي ربِّ. فيقول لأمته: هل بلَّغكم؟ ... الحديث**» وكذا جاء في غيره اهـ.

وبقي أمرٌ خامسٌ: وهو قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**والله إنَّ رحمي موصولة في الدُّنيا والآخرة**».

وبالجملة فهذا التأويل بعيدٌ، وسيَّما التكلُّف عليه ظاهرة، فتعيَّن غيره طريقًا للجمع بين الآية والحديث، وذلك ينحصر في مسالك:

المسلك الأول: أنَّ الحديث محمولٌ على أنَّه من خصائصه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وعلى هذا درج الحافظ البيهقي في "السنن الكبرى"، والحافظ السُّيوطي في "الخصائص"، والقسطلاني في "المواهب"، وجمهور العلماء الذين ألَّفوا في الخصائص والمعجزات، وفي نفس الحديث إشارةٌ إلى ذلك فإنَّ الإضافة في قوله: «**إلَّا سببي ونسبي**» إضافة تمييز وتخصيص، لمجيئها بعد عموم: «**كلُّ سببٍ ونسبٍ منقطعٌ**»، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ عامٌّ في غير النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، أمَّا هو فلا يشمله هذا العموم، ويتأيَّد هذا المسلك بما تواتر من أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم

اختصَّه الله يوم القيامة بفضائل ومزايا لم يشركه فيها نبيٌ مرسلٌ ولا ملكٌ مقرَّبٌ، كالشَّفاعة العظمىٰ، والحوض، والسِّيادة المطلقة علىٰ ولد آدم، وأنَّه قائدالمرسلين وإمام النبيين وخطيبهم، وصاحب شفاعتهم وصاحب المقام المحمود، وبيده لواء الحمد، وأول من يقرع باب الجنَّة وهي محرَّمةٌ علىٰ الأنبياء حتىٰ يدخلها، وعلىٰ الأمم حتىٰ تدخلها أمَّته، ويدخلها منهم سبعون ألفًا بغير حسابٍ، وأنَّه لا يزال يسأل فيُعْطَىٰ ويشفع فيُشفَّع، حتىٰ إنَّ إبليس يتطاول طمعًا في الشَّفاعة وحتىٰ يناديه ربه: «أرضيت يا محمَّد»، فيقول: «أي ربِّ رضيت» وحتىٰ أنَّ مالكًا خازن النَّار يقول: يا محمَّد ما تركت لغضب ربِّك في أمَّتك من بقيَّة، إلىٰ غير ذلك من خصائصه التي لا تُحصىٰ في ذلك اليوم العظيم، فيكون اتصال نسبه من جملتها، إذ هو أظهر ما يمتاز به يومئذ مع انقطاع سائر الأسباب والأنساب، وأيُّ ميزة تكون له صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إذا كان كغيره من آحاد النَّاس يفرُّ من أخيه وأمِّه وأبيه وصاحبته وبنيه؟! وإذا كان العالم الصَّالح يشفع في أقاربه وأصحابه كما ورد، فما ظنُّك بسيد العلماء؟ وقد ذكر السَّيد السمهودي عن ابن عبدالقديم قال: أخبرني محمَّد بن أحمد بن يوسف الأنصاري السلاوي قال: أخبرني الشَّريف القاضي الرَّازي الحنفي أنَّه رأىٰ والدي -يعني أبا عبدالله السلاوي- في المنام سنة (٦٢٣) فقال له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي. قال: بماذا؟ قال: بشيءٍ من النِّسبة بيني وبين رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: فقلت له: أنت شريف؟ فقال: لا. قلت: فمن أين النِّسبة؟ قال: كنسبة الكلب إلىٰ الرَّاعي. قال ابن عبدالقديم: فأوَّلته بالنسبة إلىٰ الأنصار، قال: ابنه أو إلىٰ العلم اهـ.أي: لأنَّ اسمه أحمد وهذا كما قال

صاحب البردة:

فـإنَّ لي ذِمَّـةً مِنْـهُ بتَسْـمِيَتي محمَّدًا وهـو أوفَى الخَلْـقِ بالـذِّمَمِ

قال السَّيد السمهودي عقب الحكاية المذكورة: وكون المقول له ذلك في النَّوم شريفًا من أهل البيت النَّبوي ظاهرٌ في أنَّ السلاوي أراد بشارته بأنَّ الشَّيء من مطلق النِّسبة -لكنايته عنه بنسبة الكلب إلى الرَّاعي وإنْ بعدت- نافعٌ، فكيف بالنِّسبة النِّسبيَّة الخاصَّة اهـ.

فإن قال قائلٌ يعكِّر على هذا المسلك: قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في حديث "الصحيحين": «**يا فاطمة أنقذي نفسك من النَّار فإنِّي لا أملك لك من الله شيئًا**» وفيهما أيضًا عن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم جهارًا غير سرٍّ يقول: «**إنَّ آل أبي**[1] **ليسوا لي بأولياء، وإنَّما وليي الله وصالح المؤمنين**»، زاد البخاري من طريقٍ آخر: «**لكن لهم رحم سأبلها ببلاها**». ففي الحديث الأول: تصريحٌ بأنَّه لا يملك لآل بيته من الله شيئًا، وفي الحديث الثاني: نفى أنْ يكون له وليٌّ منهم إنْ لم يكن صالحًا.

قلنا: ليس الأمر كما توهم هذا القائل، وبيان ذلك يتضح بالجواب عن الحديثين.

فأمَّا الحديث الأول فيجاب عنه من وجوه ثلاثة:

الأول: أنَّ الحديث أخبر بالحقيقة فإنَّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لا يملك لأحدٍ من الله شيئًا لا ضرًا ولا نفعًا، وهذا لا ينافي أنَّ الله يملكه نفع أقاربه

---

(١)كذا جاء في "الصحيح" بدون ذكر المضاف إليه وقد اختلف في تعيينه على أقوال ذكرها الحافظ في "الفتح".

وجميع أمَّته بالشَّفاعة الخاصَّة والعامَّة، فهو لا يملك إلَّا ما يُمَلِّكه له مولاه عزَّ وجلَّ، وكذا قوله في رواية أخرىٰ: «**لا أُغني عنكم من الله شيئًا**» أي: بمجرَّد نفسي من غير ما يكرمني الله به من شفاعةٍ أو مغفرةٍ من أجلي -وقد أكرمه الله بذلك- وإنَّما أطلق الكلام ولم يقيِّده لاقتضاء المقام ذلك؛ لأنَّه مقام تخويفٍ وحثٍّ علىٰ العمل، ولأجل أن يحرِّضهم علىٰ أنْ يكونوا أوفىٰ النَّاس حظًّا من التقوىٰ والخشية لله عزَّ وجلَّ، ذكر هذا المعنىٰ المحب الطبري وغيره.

الوجه الثاني: أنَّ هذا كان قبل أنْ يُعْلِمَهُ الله بأنَّه يشفع وينفع يوم القيامة بالانتساب إليه دون غيره، ذكره السَّيد السمهودي ويؤيِّده أنَّ الحديث ورد عند نزول قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[الشعراء: ٢١٤]، وكان ذلك في أوائل ما بعث النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

الوجه الثالث: أنْ يكون المقصود من الحديث تحذيرهم من الشِّرك، وأنَّه لا يملك لهم من الله شيئًا إنْ أشركوا أو استمر من كان منهم مشركًا علىٰ إشراكه؛ لأنَّ المشرك لا حظَّ له في الشَّفاعة، ولو كان أخصُّ الأقربين بل محكومٌ عليه بالخلود في النَّار أبد الآبدين أعاذنا الله منها وجميع أحبابنا، وهذا الوجه استنبطته ولم أره منصوصًا، ويؤيِّده أمران:

١ - أنَّ أغلب أقاربه كانوا إذ ذاك مشركين كما يعلم من سبب ورود الحديث.

٢ - أنَّه لم يوجِّه الخطاب إلىٰ طائفةٍ منهم معيَّنة، ولكنَّه عمَّهم جميعًا كما جاء في "الصحيح"، فشمل مؤمنيهم ومشركيهم، فوجب أنْ يكون الخطاب علىٰ وتيرةٍ واحدةٍ هي التحذير من الشِّرك كما هو واضحٌ.

وبقي أمرٌ ثالثٌ: وهو ما جاء في "الصحيح" في قصَّة وفاة أبي طالب، أنَّ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال له: «**أي عمِّ قل: لا إله إلَّا الله كلمةٌ أحاج لك بها عند الله**». وفي رواية للطبري: «**أجادل عنك بها**» أفاد هذا الحديث: أنَّ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لا يملك لأبي طالب حجَّة يحتج له بها عند الله إنْ لم ينطق بكلمة التوحيد، مع أنَّه أقرب النَّاس إليه؛ لأنَّ الشرك يمنع من ذلك علىٰ أنَّه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم شفع في تخفيف العذاب، فشفع فيه كما في "الصحيح"، فهو أهون أهل النَّار عذابًا كما في الحديث.

وأما الحديث الثاني: فهو ينفي الولاية وهي وصفٌ خاصٌّ يستوجب مزيد العناية وكمال الرِّعاية، وذلك -أعني نفي الولاية- لا يستلزم نفي حصول نفع رَحِمَه وقرابته، وشفاعته للمذنبين من أهل بيته؛ لأنَّ الولاية وصفٌ خاصٌّ كما قلنا، وانتفاء الخاص لا يوجب انتفاء العام، والعام هنا: هو ثبوت الانتفاع بالشَّفاعة، وإليه يشير الاستثناء بقوله: «**ولكن لهم رحمًا سأبلها ببلاها**» فقد جوَّز الخطابي بعد أنْ حمل البلال علىٰ الصِّلة الدُّنيويَّة أنْ يحمل علىٰ الصِّلة الأخروية قال: فيكون معنىٰ قوله: «**أبلها ببلالها**» أشفع لها يوم القيامة اهـ، ويؤيِّده ما صحَّ من طرقٍ أنَّ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أُمَّتي**» ففي هذا الحديث إثبات شفاعته صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في أقلِّ الكبائر في أهل الكبائر، مع أنَّهم ليسوا بأولياء له إجماعًا، وإنَّما وليّه الله وصالح المؤمنين، قال السَّيد السمهودي: نعم ينتفي عنهم - أي مذنبي أهل البيت- بذلك الوصف بولاية الله ورسوله، وأعظم بها خسارة وإساءة أنْ يمنح الله العبد قرب النَّسب من أفضل خلقه وأشرفهم، فيكفر هذه النعمة بتعاطي ما

يسوءه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عند عرض عمله عليه، فإذا قال له يوم القيامة: «**يا محمَّد أعرض عنه**» كما ورد في الحديث، وكفى بلاء ونقمة، وإنْ حصل الغفران ودخول الجنان، فإنَّما أولياؤه المتقون؛ لأنَّ ولي الله ورسوله من توالت منه الطَّاعات ولم يصر على ارتكاب المنهيات اهـ.

ويريد بقوله: كما ورد في الحديث: ما رواه البخاري في "الأدب المفرد" وابن أبي الدنيا عن أبي هريرة مرفوعًا: «**إنَّ أوليائي يوم القيامة المتَّقون، وإنْ كان نسبٌ أقرب من نسبٍ لا يأتون بالأعمال وتأتون بالدنيا تحملونها على رقابكم فتقولون: يا محمَّد، فأقول: هكذا وهكذا وأَعْرَض في كِلا عِطْفَيْهِ**» فظهر مما تقدَّم: أنْ ليس بشيءٍ في الحديثين ما يعكِّر على ما اخترناه منالخصوصيَّة فإن قال قائلٌ: كيف تعمل بحديث مسلم وما جوابك عنه؟ وهو قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من حديث: «**ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه**»؟

قلنا: ليس فيه أيضًا ما يُعكِّر على اختيارنا؛ لأنَّنا لم نَدَّع أنَّ النَّسب يقوم مقام العمل، وأنَّه يرفع صاحبه إلى درجات المقربين، وإنْ كان من الكسالى المتعطِّلين، بل نحن معترفون بأنَّ التقرُّب إلى الله محصورٌ في الاجتهاد في الطَّاعات، وأنَّ من قصَّر في ذلك لا يمكن جبر تقصيره بنسبٍ أو حسبٍ.

وإنَّما الذي ندَّعِيه -استنادًا إلى الأدلَّة السَّابقة- أنَّ للنَّسب دخلًا في الشَّفاعة ونحوها مما تقتضيه القرابة من صلةٍ، وتوجيه لحمة النَّسب من عطفٍ وشفقةٍ، وقد كان النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أوصل النَّاس رحمًا وأبرهم بالقرابة وأرعاهم لحرمتها، وأشدَّهم عطفًا عليها، بل تواتر من عطفه على أمَّته يوم القيامة ما يفوق عطف الأم الرؤوم على طفلها الرَّضيع، حتى أنَّ الأنبياء

كلٌّ منهم يقول: نفسي نفسي، وهو يقول: «أُمَّتي أُمَّتي»، أتراه مع هذا العطف الذي ليس له من نهاية–تاركًا أهل بيته–؟ أظنُّ أنَّ أحدًا لا يرىٰ ذلك ولن يراه، اللَّهم إلَّا إذا كان عنده غضٌّ من الجانب النبوي، وعداء لمن ينتمي إليه، وليس كلامنا مع هذا فإنَّه مخذولٌ ومخبولٌ، وبالله التوفيق.

٩٩- ليس بعشك فادرجي[١]

يقول عميد كلية الآداب بالجامعة: «لا أعرف في كتاب الله ولا في سنة رسوله نصًّا يمنع اجتماع الفتيات والفتيان حول أستاذ يُعلِّمهم العلم والأدب والفنَّ».اهـ

قد يكون لهذا الكلام موقع من القبول لو أنه صدر من إمامٍ مُطَّلعٍ سَبَرَ غورَ الشريعة فيما ترمي إليه من حِكَم وأسرار، وأحاط بجمهرةٍ كبيرةٍ من الأحاديث النبوية، مع الاطلاع على أقوال الصحابة والتابعين وغيرهم من بقية المجتهدين، أما وهو صادرٌ من شخصٍ لا يعرف من الدِّين فتيلًا ولا رأى من كتب السُّنَّة كثيرًا ولا قليلًا فماذا يكون نصيبه سوى الرفض؟!

وماذا يقال عن صاحبه سوى أنه جاهل دعي، ومفتات مدعي، غرضه التضليل ليصل إلى تشويه الحقائق ورائده إنكار الحق ليتوصَّل إلى ما يريده من إثبات الباطل؟!

وذلك ضربٌ من التجديد في نظر العميد، وقد يكون صادقًا في أنه لا يعرف نصًّا في الكتاب والسُّنَّة يُحرِّم اجتماع الفتيان والفتيات على النحو الذي يعنيه ويريده؛ لأنه لم يكن في العصر النبويِّ جامعة مصرية فيها دكاترة وعمداء يجتمع على محاضراتهم فتيان وفتيات، ولكنه كاذبٌ في أنه ليس هناك نصٌّ يُحرِّم اختلاط الجنسين في مجلسٍ علميٍّ أو دينيٍّ أو نحو ذلك من المجتمعات العامَّة، فإنَّ النصوص طافحة بذلك وبالغة في الكثرة إلى حدٍّ بعيدٍ، أصبحت حرمة الاختلاط بسببه من ضرورات الدين وأولياته، بحيث لا يشك فيها أحد من

---

(١) مجلة الإسلام، السنة السادسة، العدد (٢) ١٣ محرم ١٣٥٦.

أهل الإسلام بل ولا كافر درس كتب الإسلام.

ونحن إذ نذكر هنا جملة من الأحاديث والآثار في هذا الصدد ليس غرضنا إقناع الخصم وإفحامه فإن حضرة العميد عنيد؛ لا تخضعه إلا مقامع من حديد، ولكن غرضنا أن نبيِّن للرأي العام إلى أي حدٍّ بلغ الطعن في الدين بهؤلاء المجددين، عسى أن يعتبر أولئك المغرورون بهذا النوع من التجديد الزائف ويفيقوا من تقلديهم الأعمى، ويتمسَّكوا بتعاليم دينهم القويم والله يقول الحقَّ وهو يهدي السبيل.

١- جاءت أسماء بنت يزيد بن السكن خطيبة النساء وافدة على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من قبل النساء فقالت له: إني رسول مَن ورائي من جماعة نساء المسلمين، كلهن يقولن بقولي وعلى مثل رأيي، إن الله تعالى أرسلك للرجال والنساء فآمنا بك واتبعناك ونحن معشر النساء مقصورات مخدرات قواعد بيوت، ومواضع شهوات الرجال، وحاملات أولادهن، وإن الرجال فضلوا بالجمعات وشهود الجنائز والجهاد، وإذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم وربينا أولادهم أفنشاركهم في الأجر يا رسول الله؟

فالتفت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بوجهه إلى أصحابه فقال: «**هل سمعتم مَقالة امرأةٍ أحسن سُؤلًا عن دينها من هذه؟**» فقالوا: بلى والله يا رسول الله. فقال رسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**انصرفي يا أسماء وأَعْلِمي مَن وراءك مِن النِّساء أنَّ حُسْنَ تَبَعُّل إحداكنَّ لزوجها وطلبها لمرضاته واتباعها لموافقته يعدل كلَّ ما ذكرت للرِّجال**». فانصرفت أسماء وهي تُهلِّل وتُكبِّر استبشارًا بما قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

ذكره الحافظ ابن عبدالبر في "الاستيعاب"، وخرجه الطبراني والبزار وغيرهما.

فانظر في قول أسماء: «ومواضع شهوات الرجال» وإقرار النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لها نجد أن الحكمة في الفصل بين الجنسين هي كون المرأة موضع شهوة الرجل، وليس بضروري أن تتحقق الشهوة بالفعل وتلك عادة الشرع الحكيم يعمد إلى الأشياء التي ينجم عنها ضرر في المجتمع وفساد في الأخلاق فينوط الحكم بمظنتها سدًّا للذريعة وحسمًا للشر من أصله، فلو أبيح الاختلاط على النحو الذي يريده العميد وثوقًا بأخلاق الشباب -كما يقول- لضاعت حكمة التشريع وأصبح الناس في فوضى ليس لها نهاية.

وهل في الشباب العالمي من هو أزكى طهرًا وأتقى قلبًا وأعف نفسًا من عمر بن الخطاب رضي الله؟ وإليك مثلًا من شدة حرصه على وجوب الفصل بين الجنسين:

قالت عائشة رضي الله عنها: كنت آكل مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وآله وسلم طعامًا في قعب فمرَّ عمر فدعاه فأكل فأصابت أصبعه أصبعي فقال عمر: «أوه لو أُطاع فيكنَّ ما رأتكنَّ عينٌ». فنزلت آية الحجاب. خرَّجه النَّسائيُّ والطبرانيُّ بإسنادٍ صحيحٍ.

سبحان الله!! عمر يتأوه من مجرد ملاقاة أصبعه لأصبع عائشة وهو هو في تقواه ونزاهته ونحن الآن نثق بأخلاق الشباب ولا نرى بأسًا من مزاحمتهم لفتيات في قاعات المحضارات!! رحماك يا رب!!

٢- جاءت امرأة إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقالت: يا رسول الله:

ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يومًا نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله قال: «**اجتمعن يوم كذا وكذا**». فاجتمعن فأتاهن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فعلمهن مما علمه الله... الحديث. خرجه البخاري ومسلم، وهذا لفظ مسلم.

فهذا الحديث نصٌّ في الموضوع لأنَّ النساء طلبن من النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أن يجعل لهن مجلسًا علميًّا خاصًّا بهنَّ فأجابهنَّ إليه، ولو كان يباح الاختلاط لما أجابهنَّ، ولبيَّن لهنَّ أنه لا حرج في اجتماع فتيان وفتيات على أستاذ يعلمهنَّ العلم والأدب والفن؟!

٣- قال ابن عبَّاسٍ: شهدت صلاة الفطر مع نبي الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وأبي بكر وعمر وعثمان فكلهم يصليها قبل الخطبة ثم يخطب. قال: فنزل نبي الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كأني أنظر إليه حين يجلس الرجال بيده ثم أقبل يشقهم حتى جاء النساء ومعه بلال فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [الممتحنة: ١٢] فتلى هذه الآية حتى فرغ منها ثم قال: «**أنتن على ذلك؟**». فقالت امرأة واحدة لم يجبه غيرها منهن: نَعَمَ يا نبي الله؟ قال: «**فتصدقن**» فبسط بلال ثوبه ثم قال: هلم فدًى لكنَّ أبي وأمي. فجعلن يلقين الفَتَخَ[1] والخواتيم في ثوب بلال. أخرجه البخاري ومسلم.

٤- قال جابر بن عبدالله: «إن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قام يوم الفطر فصلى فبدأ بالصلاة قبل الخطبة ثم خطب الناس فلما فرغ نبي الله صلَّى الله عليه

---

(١) «الفَتَخُ»: الخَوَاتِيمُ العِظَامُ كانت في الجاهِلِيَّةِ.

وآله وسلَّم نزل وأتىٰ النساء فذكرهن وهو يتوكأ علىٰ يد بلال باسط ثوبه يلقين النساء صدقة...» الحديث. خرَّجه البخاريُّ ومسلمٌ.

ففي هذا الحديث والذي قبله أن النساء حضرن صلاة الرجال ومجامعهم يكن بمعزل عنهم، ويؤخذ منها أيضًا أن الأدب في مخاطبة النساء في الموعظة أو الحكم ألا يحضر من الرجال إلا من تدعو الحاجة إليه، فبلال إنما مشىٰ مع النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لما ذهب لتعليم النساء لكونه خادمه ومتولي قبض صدقته.

٥- قال أبو داود في كتاب "السنن": «باب في اعتزال النساء في المساجد عن الرجال»، ثم روىٰ بإسناده عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**لو تركنا هذا البابَ للنِّساءِ**». قال نافع: فلم يدخل منه ابن عمر حتىٰ مات.

وروىٰ أبو داود في هذا الباب أيضًا عن عمر رضي الله عنه أنه كان ينهي أن يدخل من باب النساء.

من هذين الحدثين يعلم أن النساء كن يقعدن في المسجد بمعزل عن الرجال وأن لهن بابًا يدخلن منه لا يشاركهن فيه غيرهن مخافة الاختلاط بهن.

٦- قال ابن خزيمة في "صحيحه": «باب اختيار صلاة المرأة في حجرتها علىٰ صلاتها في دارها، وصلاتها في مسجد قومها علىٰ صلاتها في مسجد النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وإن كانت صلاة في مسجد النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم تعدل ألف صلاة في غيره من المساجد، والدليل علىٰ أ ن قول النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاةٍ فيما سِواه من**

المساجد» إنما أراد بها صلاة الرجال دون صلاة النساء».

ثم روىٰ بإسناده عن أم حميد امرأة أبي حميد الساعدي أنها قالت للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: يا رسول الله إني أحب الصلاة معك. قال: «**قد عَلِمْتُ أَنَّكِ تُحِبِّينَ الصَّلاةَ مَعِي، وصَلاتُكِ في بَيْتِكِ خيرٌ مِن صَلاتِكِ في حُجْرَتِكِ، وصَلاتُكِ في حُجْرَتِكِ خيرٌ مِن صَلاتِكِ في دارِكِ، وصَلاتُكِ في دارِكِ خيرٌ مِن صَلاتِكِ في مَسْجِدِ قومِكِ، وصَلاتُكِ في مسجدِ قومِكِ خيرٌ مِن صَلاتِكِ في مسجدي**».

قال فأمرت فبني لها مسجد في أقصىٰ شيء من بيتها وأظلمه وكانت تصلي فيه حتىٰ لقيت الله عزوجل. ورواه أيضًا أحمد وابن حِبَّان في "صحيحه".

والقصد من هذا الحديث تقليل خروج المرأة من بيتها ما أمكن، وإبعادها عن مجتمعات الرجال خوف الوقوع في الاختلاط المذموم، يدل علىٰ ذلك قوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في حديث آخر: «**خير مساجد النساء قعر بيتوهن**». رواه أحمد والطبراني وابن خزيمة والحاكم.

وقوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في حديث آخر: «**لا تمنعوا نساءكم المساجد، وبيتوهن خير لهن**». رواه أبو داود وغيره.

٧- قال عبدالله بن مسعود، عن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**النِّساء عورة، وإنَّ المرأة لتخرج من بيتها وما بها بأس، فيستشرفها الشيطان فيقول إنك لا تمرِّين بأحدٍ إلَّا أعجبته، وإنَّ المرأة لتلبس ثيابها فيقال: أين تريدين؟ فتقول: أعود مريضًا أو أشهد جنازةً أو أصلِّي في مسجد، وما عبدت امرأة ربها مثل أن تعبده في بيتها**». رواه الطبرانيُّ بإسنادٍ حسنٍ، وروىٰ الترمذيُّ، وابن خزيمة،

وابن حِبَّان عنه أيضًا قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**المرأة عورةٌ فإذا خرجتْ استشرفها الشيطانُ وأقرب ما تكون من وجه ربِّها وهي في قعر بيتها**». صحَّحه ابن خزيمة وابن حِبَّان.

٨- قال أبو عمرو الشيباني: رأيت عبدالله بن مسعودٍ يخرج النساء من المسجد يوم الجمعة ويقول: «اذهبن إلى بيوتكن خير لكن». خرجه الطبرانيُّ بإسنادٍ حسنٍ.

١٠٠- رسول الله ينفع ويضر حيًا وميتًا بإذن الله وأنوف خصومه المتمسلمين رغمة[١]

هذه الأوراد والأحاديث التي أوردها السيد السائل -وإن كانت في الظاهر متعارضة- فهي في الواقع ونفس الأمر متفقة لا تناقض بينها ولا تعارض وبيان ذلك من وجهين:

الأول: أنَّ الآيات والأحاديث التي تدل على اختصاص الله بالنفع والضر أخبرت بالحقيقة؛ لأن الأمور كلها بيد الله سبحانه وتعالى، والنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لا يملك معه نفعًا ولا ضرًّا ولا هداية ولا إضلالًا، وهذا لا ينافي أن يعطيه من ذلك ما يشاء ويملكه منه ما يريد.

والقرآن يشير إلى ذلك ويدل عليه قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الأعراف: ١٨٨] فمعنى الآية: لا أملك لنفسي جلب نفعٍ أو دفع ضرٍّ إلَّا ما شاء أن أملكه بتمليكه. تأمَّل!!

وقد فعل الله ذلك فأعطاه الشفاعة العُظمَى وغيرها من الشفاعات، وجعله رحمة مهداة وجعله هاديًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، إلى غير ذلك من المكرمات التي أعطاه الله له ومَلَّكه إياها.

وقد صحَّ في الحديث من عِدَّة طرقٍ أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**كلُّ سَبَبٍ ونَسَبٍ مُنقطِعٌ يومَ القِيامَةِ إلَّا سَببي ونَسبي**»، ولهذا خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه أُمَّ كلثوم بنت عليٍّ عليهما السلام، فلما زوَّجه

---

(١) مجلة المسلم، السنة الثالثة، العدد (٩) ربيع الآخر ١٣٧٣.

إياها، خطب عمر في الناس وقال: ألا تهنوني، سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقول: « **يَنقطِعُ يومَ القِيامَةِ كُلُّ نَسَبٍ وسَبَبٍ إلَّا سَببي ونَسبي**». زاد في روايةٍ أخرىٰ: «فلذلك رغبتُ في أمِّ كلثوم»، ولهذا الحديث طرقٌ استوفاها الحافظ ابن كثيرٍ في "جامع المسانيد" والحافظ السخاوي في كتاب "استجلاب ارتقاء الغرف" والعلامة السيد السمهودي في "جواهر العقدين" وغيرهم.

فانظر كيف حرص عمر علىٰ مصاهرة علي ليكون له من رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم نسب ينفعه يوم القيامة!!.

الوجه الثاني: أن تلك الآيات والأحاديث التي تدل علىٰ أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لا ينفع ولا يضر؛ خاصَّة بحالة الشرك، وأنَّ من مات علىٰ إشراكه لا ينفعه النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بقرابةٍ ولا شفاعةٍ؛ لأن الشرك يقطع الصلة قطعًا تامًّا، ويؤيد هذا أمور:

أحدها: أنَّ تلك الآيات والأحاديث وردت بمكة في أوائل البعثة، حيث كان أهل مكة مشركين، بل كان جل أعمامه وعشيرته مشركين، وحديث: «**يا فاطمة اعملي... إلخ**» قاله امتثالًا لقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، كما ثبت في الصحيح.

ثانيها: ما ثبت في قصة وفاة أبي طالب أن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال له: «**أي عمَّ، قل: «لا إله إلا الله» كلمة أحاج لك بها عند الله**».

وفي رواية للمحب الطبري: «**أجادل عنك بها**». فأفاد أنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يملك لعمه الشفاعة بل يحاج عنه ويجادل بشرط أن يكون مسلمًا، أما إن بقي علىٰ إشراكه فلا يملك له شيئًا .

ثالثها: أن الأحاديث التي وردت في المدينة بعد الهجرة بينت ذلك غاية البيان وأثبتت النفع ثبوتًا صريحًا، لأن الشرك كان قد انقطع من أهله وعشيرته ولم يبقى فيهم إلا المسلمون كعلي وفاطمة، وحمزة وجعفر، والعباس رضي الله، عنهم ونحن نذكر بعض الأحاديث دليلًا على المعنى:

١ - ثبت في الصحيحين من حديث الشفاعة الطويل قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**فأستأذنُ على ربِّي، فإذا رأيتُه وقعتْ له ساجِدًا، فيدعني ما شاء الله، ثُمَّ يقال لي: ارْفَعْ رأسَكَ، وسَلْ تُعْطَ، وقُلْ يُسْمَعْ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ. فأرفع رأسي فأحمد ربِّي بتحميدٍ يُعَلِّمني إياه، ثُمَّ أشفع فيحد لي حدًّا، ثُمَّ أخرجهم مِن النَّار، وأدخلهم الجنَّة، ثُمَّ أعود فأقع ساجدًا مثله في الثالثة أو الرابعة، حتى ما يبقى في النَّار إلَّا مَن حَبَسَهُ القُرآنُ**». قال قتادة: أي وجب عليه الخلود يعني الكفار.

٢ - روى البزَّار وغيره عن ابن عبَّاسٍ، قال: توفي لصفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها ابن، فبكت عليه، فقال لها: «**تبكين يا عمَّه؟ مَن توفَّى له ولدٌ في الإسلام كان له بيت في الجَّنة يسكنه**». فلما خرجت لقيها عمر بن الخطاب فقال يا صفية: سمعت صراخك، إن قرابة محمد لا تغني عنك من الله شيئًا. فبكت فسمعها رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم تبكي ففزع من ذلك وخرج، وكان مكرمًا لها يبرها ويحبها، فقال لها: «**يا عمة تبكين وقد قلت لك ما قلت؟**». فقالت ليس ذلك أبكاني، وأخبرته ما قال الرجل، فغضب صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وقال: «**يا بلال هجِّر بالصلاة**». فقام صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فحمد الله وأثنى عليه وقال: «**ما بال أقوام يزعمون أن قرابتي لا تنفع، إنَّ كلَّ نَسَبٍ وسَبَبٍ مُنقطِعٌ يومَ القِيامَةِ إلَّا سببي ونسبي، وإنَّ رَحِمي موصلةٌ في الدُّنيا**

والآخرة». قال عمر: فتزوَّجت أُمَّ كلثوم لما سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يومئذٍ وأحببت أن يكون بيني وبينه نسب وسبب.

٣- أخرج الحاكم عن جابرٍ، قال: كان لآل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم خادمة يقال بريرة، فلقيها رجل فقال لها غطي شعيفاتك، فإن محمد لا يغني عنك من الله شيئًا. فأخبرت النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فخرج يجر رداءه محمرة وجنتاه، وكنا معشر الأنصار نعرف غضبه بجر رداءه محمرة وجنتيه، فأخذنا السلاح ثم أتينا، فقلنا يا رسول الله مرنا بما شئت، والذي بعثك بالحق نبيًا لو أمرتنا بآبائنا وأمهاتنا وأولادنا لمضينا لقولك فيهم. ثم صعد المنبر فحمد الله عزَّ وجلَّ وأثنى عليه ثم قال: «**من أنا؟**»قلنا: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قال: «**أنا سيِّد وَلَدِ آدمَ ولا فَخْرَ، وأنا أوَّل مَن تنشقُّ عنه الأرض يوم القِيامَةِ ولا فخرَ، وصاحب لواء الحمدِ ولا فخرَ، وفي ظلِّ عرشِ الرحمن عزَّ وجلَّ يومَ القِيامَةِ يوم لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّه ولا فخرَ، ما بال أقوم يزعمون إن رَحِمي لا تنفعُ؟! بلى حتى يبلغ حا وحكم** -وهما قبيلتان في اليمن- **إني لأشفع فأشفَّع، حتَّى أنَّ مَن أشفع له ليشفع، حتى أن إبليس ليتطاول طمعًا في الشفاعة**».

ولعلَّ في هذا الجواب الموجز كفاية، وإن أراد سيادة السائل زيادة بيان فلدينا مزيد والحمد لله.

١٠١- كبار أئمة الإسلام ومحدثوه يتوسلون عند قبر النبي ﷺ وقبور الصالحين[١]

قال الدارمي "في سننه": حدَّثنا أبو النعمان: حدَّثنا سعيد بن زيدٍ: حدَّثنا عمرو بن مالكٍ النكريُّ: حدَّثنا أبو الجوزاء أوس بن عبدالله قال: قَحِطَ أهلُ المدينة قَحْطًا شديدًا فشكوا إلى عائشة فقالت: «انظروا قبرَ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فاجعلوا منه كُوًى إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقفٌ ففعلوا، فمُطِرنا مطرًا حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتى تفتَّقت مِن الشَّحْمِ، فسُمِّي عام الفَتْقِ».

فهذه عائشة أمُّ المؤمنين أمرتهم أن يلجأوا إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في قبره، ويجعلوا من قبره كوًى إلى السماء مبالغةً في الاستشفاع به صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وبالضرورة كان في المدينة إذ ذاك صحابةٌ وتابعيون فلم ينقَل عن أحدٍ منهم أنه أنكر عليها ذلك.

ورجال هذا الأثر لا بأس بهم، وسعيد بن زيد وإن كان مُتكلَّمٌ فيه فهو من رجال مسلمٍ، وقد وثَّقه ابن معينٍ وغيره.

وقال الخطيب في "تاريخ بغداد": أخبرنا القاضي أبو محمد الحسن بن الحسين بن رامين الإستراباذي: أنبأنا أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعيُّ قال: سمعت الحسن بن إبراهيم أبا علي الخلال يقول: ما همَّني أمرٌ فقصدتُ قبرَ موسى بن جعفرٍ فتوسَّلتُ به إلَّا سهَّل اللهُ تعالى لي ما أحب.

قلت: موسى هو الكاظم، والخلال أحد أئمَّة الحنابلة.

---

(١) المسلم، السنة السادسة، العدد (٤) ذي القعدة ١٣٧٥.

وقال الحافظ الخطيب في "تاريخ بغداد" أيضًا: أخبرنا القاضي أبو عبدالله الحسين بن علي بن محمد الصيمريُّ: أنبأنا عمر بن إبراهيم المقري: نبأنا مكرم بن أحمد: نبأنا عمر بن إسحاق بن إبراهيم: نبأنا عليُّ ميمون قال: سمعت الشافعيَّ يقول: إني لأتبرَّك بأبي حنيفة وأجيء إلى قبره في كلِّ يومٍ -يعني زائرًا- فإذا عَرَضَتْ لي حاجةٌ صلَّيت ركعتين وجئتُ إلى قبره وسألت الله تعالى الحاجة عنده، فما تبعد عنِّي حتى تُقضَى.

فهذا الشافعيُّ أحد الأئمَّة الأربعة يتبرَّك بأبي حنيفة ويتوسَّل بالدعاء عنده، ونظير ذلك ما ذكره التاج بن السبكيُّ في "طبقات الشافعية" في ترجمة الغزالي الكبير -واسمه أحمد بن محمد - قال: حكى لي سيدنا الشيخ الإمام العلَّامة وليُّ الله جمال الدين عمدة المحقِّقين محمد بن محمد الجمالي حيَّاه الله وبيَّاه وأمتع ببقياه أنَّ قبر الغزالي القديم مشهورٌ بمقبرة طوسٍ، وأنهم يسمونه الغزالي الماضي، وأنه جرَّب من أمره أن من كان به همٌّ ودعا عند قبره استُجيب له.

وذكر ابن السبكيِّ أيضًا في ترجمة ابن فورك أنَّ الإمام الشهيد أبا الحجَّاج يوسف بن دوناس العبدلاوي المالكي المدفون خارج باب الصغير بدمشق قبره ظاهرٌ معروفٌ باستجابة الدعاء عنده.

ونقل أيضًا عن عبدالغافر الفارسي: أنَّ قبر ابن فورك ظاهر بالحيرة يُستسقَى به ويُستجاب الدعاء عنده.

ونقل أيضًا في ترجمة الإمام نصر المقدسي عن الإمام النوويِّ أنه قال: سمعنا الشيوخ يقولون الدعاء عند قبره يوم السبت مستجابٌ.

وقال الحافظ أبو بكر بن المقري في "مسند أصبهان": كنت أنا والطبرانيُّ

وأبو الشيخ في مدينة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فضاق بنا الوقت فواصلنا ذلك اليوم، فلما كان وقت العشاء أتيت إلى القبر الشريف وقلت: يا رسول الله الجوع الجوع. فقال لي الطبرانيُّ: اجلس فإمَّا أن يكون الرزق أو الموت.

فقمت أنا وأبو الشيخ فحضر الباب علويٌّ ففتحنا له فإذا معه غلامان بزنبيلين فيهما شيءٌ كثيرٌ فقال: يا قوم شكوتم إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فإني رأيته فأمرني بحمل شيءٍ إليكم.

نقل هذه الحكاية الحافظ السخاويُّ في "القول البديع" فهؤلاء ثلاثة من كبار حفَّاظ السُّنَّة وعلمائها، وهم ابن المقري والطبرانيُّ وأبو الشيخ، أتوا إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في قبره وشكوا إليه الجوع لعلمهم أنه حيٌّ في قبره، وأنَّ له شفاعةً عند ربِّه، فأغاثهم الله وأطعمهم على يد العلويِّ بأمرٍ منه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

وذكر الحافظ السخاويُّ أيضًا مما عزاه لأبي عبد الرحمن السُّلَميِّ بإسناده إلى أبي الخير الأقطع قال: دخلت المدينة وأنا بفاقةٍ فأقمت خمسة أيام لم أذق ذوقًا فتقدَّمت إلى القبر الشريف وسلَّمت على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وعلى أبي بكرٍ وعمر رضي الله عنهما وقلت: أنا ضيفك الليلة يا رسول الله وتخلَّيت ونمت خلف المنبر، فرأيت النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وأبا بكرٍ عن يمينه وعمر عن شماله وعليًّا بين يديه فحرَّكني عليٌّ وقال قم قد جاء النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقمت إليه وقبَّلت بين عينيه فدفع لي رغيفًا فأكلت نصفه فانتبهت فإذا بيدي نصف رغيفٍ.

وأبو الخير الأقطع صاحب هذه الحكاية ذكره القشيريُّ في "الرسالة" وقال

مغربي الأصل سكن تينات وله كراماتٌ وفِراسةٌ حادَّةٌ، وكان كبير الشأن، مات سنة نيف وأربعين وثلاثمائة.

وذكر من كلامه قوله: «ما بلغ أحد إلى حالةٍ شريفةٍ إلَّا بملازمة الموافقة ومعانقة الأدب وأداء الفرائض وصحبة الصالحين».

وذكر بن القيِّم في كتاب "الكبائر" وفي كتاب "السنة والبدعة" له ومن هذين الكتابين نقلًا عن الحافظ السِّلَفيِّ نزيل الإسكندرية بإسناده إلى يحيي بن عطاف المعدل، أنه حكى عن شيخ دمشقي جاور الحجاز سنين أنه شكا ظلمه من رجل أسال عينه إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عند الحجرة الشريفة ثُمَّ نام فما استيقظ حتى وجد عينه قد صحَّت ولم يلبث أن انتقم الله ممن ظلمه.

والحكايات من هذا النوع كثيرةٌ كما قال ابن تيمية، بل قال: ومثل هذا يقع كثيرًا لمن هو دون النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وأعرف من هذا وقائع، وذكر منها حكاية بلال ابن الحرث المزني ونحن ننقل كلامه بلفظه.

قال في "اقتضاء الصراط المستقيم" ما نصُّه: «ولا يدخل في هذا الباب ما يروى أنَّ قومًا سمعوا ردَّ السَّلام مِن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أو قبور غيره من الصالحين، وأنَّ سعيد بن المسيِّب كان يسمع الأذان من القبر ليالي الحرَّة نحو ذلك، فهذا كله حقٌّ ليس مما نحن فيه، والأمر أجل مِن ذلك وأعظم.

وكذلك ما يروى أنَّ رجلًا جاء إلى قبر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فشكا إليه الجَدْبَ عام الرَّمادة فرآه وهو يأمره أن يأتي عمر، فيأمره أن يخرج يستسقي بالناس فإن هذا ليس من هذا الباب ومثل هذا يقع كثيرًا لمن هو دون

النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وأعرف من هذا وقائع، وكذلك سؤال بعضهم للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أو لغيره مِن أُمَّته حاجته فتقضىٰ له، فإن هذا قد وقع كثيرًا وليس هو مما نحن فيه». انتهىٰ كلام ابن تيمية.

نقول وإنما الغرض من ذكر هذه الوقائع المُسلَّم بها إنما هو تكذيب من يزعم أن شيئًا من هذا لم يحصل في القرون الفاضلة.

ويكون تكذيب هذا الزعم أبلغ إذا كان السؤال حاصلًا من علماء أجلاء، إيمانهم أثبت ويقينهم أرسخ كبلال بن الحارث المزني، وعائشة، وأبي الجوزاء، والحافظ ابن المقري، والطبراني، وأبي الشيخ، وأبي الخير الأقطع الزاهد المشهور.

وغيرهم كثير ممن لو وُزِن علم واحدٍ منهم وإيمانه بعلم ابن تيمية وإيمانه لرجح عليه، وإن كان لابد من التقليد فتقليد هؤلاء أولىٰ من تقليد ابن تيمية وأذنابه، ونعني بأذناب ابن تيمية من هم علىٰ شيءٍ من العِلْم، وفتنوا بأقوال ابن تيمية من بين أقوال سائر العلماء.

وقال القسطلانيُّ في "المواهب اللدنية": «وينبغي للزائر أن يكثر من الدعاء والتضرع والاستغاثة والتشفُّع والتوسُّل به صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فجديرٌ بمَن استشفع به أن يُشَفِّعه الله تعالىٰ فيه».

وتكلَّم علىٰ معنىٰ الاستغاثة وأنه لا فرق بين التعبير بلفظها أو بلفظ التوسل والتشفع أو التوجه ثُمَّ قال: «ثم إنَّ كلًا مِن الاستغاثة والتوسل والتشفع والتوجُّه بالنبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم -كما ذكره في "تحقيق النصرة" و"مصباح الظلام"- واقعٌ في كل حال قبل خلقه وبعده، في مدة

حياته وبعد وفاته، في مدة البرزخ وبعد البعث، وفي عرصات القيامة».

وتكلَّم على الحالة الأولى ثم قال: «وأمَّا التوسل به صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعد موته في البرزخ فهو أكثر من أن يحصى أو يدرك باستقصاء، وفي كتاب "مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام" للشيخ أبي عبدالله بن النعمان طرفٌ من ذلك، ولقد كان حصل لي داءٌ أعيا دواءه الأطباء وأقمتُ به سنين فاستغثت به صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ليلة الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٨٩٣ هـ بمكَّة زادها الله شرفًا، فبينما أنا نائمٌ إذ جاء رجلٌ معه قرطاس يكتب فيه هذا دواء داء أحمد بن القسطلانيِّ من الحضرة الشريفة بعد الإذن الشريف، ثُمَّ استيقظتُ فلم أجد بي والله شيئًا مما كنت أجد، وحصل الشفاء ببركة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

ووقع لي أيضًا في سنة ٨٨٥ هـ في طريق مكة بعد رجوعي من الزيارة الشريفة لقصد مصر إذ صرعت خادمتنا غزال الحبشية، واستمرَّ بها أيامًا فاستشفعتُ به صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في ذلك، فأتاني آتٍ في منامي ومعه الجِنِّيُّ الصارع لها فقال لقد أرسله لك صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فعاتبته وحلَّفته ألَّا يعود إليها.

ثُمَّ استيقظتُ وليس بها قَلَبَةٌ كأنما نشطت مِن عِقالٍ، ولا زالتْ في عافيةٍ من ذلك حتى فارقتها بمكَّة سنة ٨٩٤ هـ والحمد لله ربِّ العالمين». "ومصباح الظلام" محفوظ بدار الكتب المصرية رقم ٥٩م.

٥٦٢ ـــــــ

وأفرد التقيُّ السبكيُّ في الردِّ عليه كتابًا خاصًّا سمَّاه "شفاء السقام بزيارة خير الأنام" وهو مطبوعٌ.

وليس لابن تيمية حُجَّةٌ فيما زعم إلَّا حديث "الصحيحين": «**لا تُشَدُّ الرِّحالُ إلَّا إلى ثلاثة مساجد**». لكن القصر في الحديث إضافيٌّ باعتبار المساجد لا حقيقيٌّ، بدليل ما ثبت بإسنادٍ حسنٍ كما قال الحافظ: «**لا ينبغي للمَطِيِّ أن تشدَّ رحالها إلى مسجدٍ تُبْتغَي فيه الصَّلاةُ غير مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى**». رواه الإمام أحمد في "المسند" عن شهر بن حوشبٍ قال: سمعت أبا سعيد الخدريَّ وذكر عنده صلاة في الطور فقال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لا ينبغي للمَطِيِّ...**»إلخ، وحسَّنه الحافظ الهيثميُّ أيضًا في كتاب "مجمع الزوائد".

وهو كما ترى صريحٌ في أنَّ النهي عن شدِّ الرِّحال للمساجد لأجل الصلاة لا لأجل شيءٍ آخر -والزيارة غير الصلاة- فالزيارة وغيرها خارجةٌ عن النهي، كما ترى الأحاديث يُفسِّر بعضها بعضًا والجمع بينها واجبٌ، وإلغاء أحدهما بغير دليلٍ حرامٌ، كما نبَّهنا عليه غير مرَّةٍ، وانظر "الشفا" للقاضي عياض وشروحه و"المواهب اللدنية" وشروحه و"نيل الأوطار للشوكاني" وغيرها.

(تنبيه): قال العلَّامة ابن الحاج في "المدخل": «مَن لم يُقَدَّر له زيارته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بجسمه فلينوها كل وقتٍ بقلبه، وليحضر قلبه أنه حاضر بين يديه مستشفع به إلى مَنْ مَنَّ به عليه، وهذه زيارة رُوحية حضورية لا ينالها إلَّا مَن له مزيد تعلُّقٍ واختصاصٍ بالجناب النبويِّ الشريف حقَّقنا الله بهذا المقام بمَنِّه وفضله».

١٠٣- ميلاد الهداية[١]

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ إبراهيم أبو الخشب كلمةً متهافتةً متخاذلةً ليس عليها مسحة من طلاوة العلم، ولا يُزينها شيءٌ مِن رَوْنق الحُجَّة، أبىٰ فيها إلَّا أن يستمرَّ علىٰ شذوذه وشَطَطِهِ بعباراتٍ تنمُّ عن غرورٍ كاذبٍ، وأدبٍ مُصطَنعٍ، فرأينا أن نوقفه عند حدِّه ونبيِّن له ما تناقض فيه وتخاذل، مع استعدادنا لعودة إن عاد، حتىٰ يذهب شيطان الغرور من رأسه.

١ - زعم الأستاذ فيما استخلصه مِن ردِّي عليه أنه أساء الأدب في مذهب الإمام مالكٍ، وهذا زَعْمٌ ناشئ مِن خطأ فهمه وقلَّة اطلاعه، والذي قصدته في كلامي أنه أساء الأدب في المذاهب الأربعة وإنما امتاز مذهب الإمام مالك بإيجابه الأدب في مثل هذه الإساءة، وإنما لم أصرح بهذا لأني كنت أعتقد أن هذا من المسائل التي لا تخفىٰ علىٰ الأستاذ كعالم، وقدرت في نفسي أن يكون قد درسها فيما درس من كتب الأزهر، فبان خطأ اعتقادي وتقديري.

ولا لوم عليَّ في هذا الخطأ ولكن اللوم علىٰ من عرض نفسه لمثل هذا الموقف!! ويحق لي أن أقول: الآن يمد رجله أبو حنفية!!

٢- أحالنا الأستاذ -زاده الله عِلْمًا- علىٰ "السيرة الحلبية"، و"سيرة دحلان" ليعزِّز دعواه وقد كان في هذه الإحالة موفقًا كل التوفيق، وكنت أخشىٰ ألا يهتدي إلىٰ هذين الكتابين ولكن الله سلَّم، ثُمَّ العجيب أنه لم ينقل من هذين المصدرين شيئًا من الخوارق التي قارنت ميلاد الرسول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مع أنَّ هذا هو دعواه في كلمته الأولىٰ لا شيء آخر مما أتعب نفسه في

---

(١) الشرق العربي، السنة الثانية، العدد(٣٦) ١٧ ربيع الثاني ١٣٦٧.

نقله ثاني مرة.

٣- زعم أنَّ تلك الخوارق موضع تندر المبشِّرين والملاحدة، وهذا استدلال طريفٌ يجب أن نسير على منواله في نقد المعجزات والخوارق، فما كان موضع تندرهم تركناه وما لم يكن كذلك قبلناه!!

يا هذا ألم تعلم أنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠] ويقول: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا﴾ [المائدة: ٥٨] أفنترك الدين والصلاة لئلا يسخروا منا؟!

٤- استدل على نقص بشرية الرسول -وأستغفر الله من حكاية هذا الهراء- بقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ [يس: ٦٩].

وأنَّ هذه الآية ترمي إلى تخلُّفه عليه الصلاة والسلام عن ركب الشعراء، أي الذين قال الله عنهم: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤].

ثُمَّ ما لبث الأستاذ أن صفع نفسه صفعةً قويةً حيث قال: وكان هذا النقص عين الكمال، فالحمد لله على هذا الاعتراف الصريح وكأننا يا بدر لا رحنا ولا جينا!!

٥- أمَّا زعمه تخلُّف الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في حلبة الرأي فهي جليطة وإساءة أدب أيضًا، وما استدل به لذلك بعضه ضعيف، وبعضه ليس من رأي النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وبعضه ليس مما نحن فيه أصلًا.

ولو أنه رجع إلى كتب الحديث كـ"فتح الباري" و"شرح النووي" و"الأبي على مسلم" و"سيرة ابن سيد الناس" وغيرها لأدرك خطأه وبعده عن الصواب، ولكن قاتل الله الغرور... ومَن لي بأن تدري بأنك لا تدري.

٦- زعم الأستاذ أنه يحضره من دراسة "الآمدي" في الأزهر جواز الاجتهاد للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في أصح الأقوال.

ونحن نقول إذا كان هذا صحيحًا فكيف زعم كلمته الأولى أن وصفه بالاجتهاد والرأي يطعن على الرسالة؟ هذان زعمان متناقضان ولا سبيل إلى رفع التناقض إلَّا بأن نقول: لعله كان ناسيًا حتى ذكَّرناه!.

٧- بعد هذا كله يبقى ما أخذناه على الأستاذ في كلمته الأولى سالمًا لم يمس بشيءٍ، ولا سبيل إلى محوه إلَّا بإعلان التوبة والاستغفار ومقام الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أعلى من أن يكون موضع مناقشة تردَّد فيها ألفاظ لا تليق بمقامه الكريم، ولئن كان الأمر كما يزعم الأستاذ لما كان في ترديده وإشاعته من خيرٍ، وسيبقى الرسول في عقيدة المسلمين وكما هو عند الله، إنسانا كاملًا ممتازًا لا يلحقه بشرٌ في كمال بشريته ولا يفوقه مَلَكٌ في فضله وشرف رفعته، ويعجبني قول القائل:

وأَكْمَلُ مِنْكَ لم تَرَى قَطُّ عَيْنِي ... وأَجْمَلُ مِنْكَ لم تَلِدِ النِّسَاءُ
خُلِقْتَ مُبَرَّأً مِن كُلِّ عَيْبٍ ... كأَنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ كما تَشَاءُ

١٠٤- من هم ورثة الأنبياء[١]

قرأت في العدد الأخير من المجلة كلمة تحت عنوان «كرامة العلماء» جاء فيها هذه العبارة: «اطلعت على هذا الخبر فساءني أن أجد بعض المجلات تضع ورثة الأنبياء وحملة مشاعل الهدى...» إلخ.

والذي يعنيني من هذه الكلمة قول الكاتب «ورثة الأنبياء» يقصد بذلك أصحاب الفضيلة علماء الأزهر.

ولهذه المناسبة أحب أن أنبه إلى حقيقة علمية طالما غفل عنها الناس حيث صاروا يطلقون على علماء الأزهر أنهم ورثة الأنبياء، وهذا إطلاق يخالف الواقع لأن العالم في نظر الشرع هو المجتهد الذي تقوم به الحجَّة على خلق الله ويستطيع أن يؤيد الدين بمقاله وماله وحاله.

وهو أيضًا المراد بقوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ الله تعالى يبعثُ لهذه الأُمَّة على رأس كلِّ مائة سنةٍ مَن يُجدِّدُ لها دينها**».

والتجديد كما قال العلماء إنما يكون بالاجتهاد وقوة العارضة في العلم وسعة الاطلاع والتضحية بالنفس والمال في سبيل إعلاء كلمة الله.

وعلماء هذا العصر لا ينطبق عليهم هذا الوصف لأمرين:

أولًا: أنهم مقلدون يتمسكون بمذهب من المذاهب الأربعة والمقلد ليس بعالم كما في كتب الأصول.

الثاني: أنهم لم يبدوا تضحية في سبيل نشر الدين والدفاع عنه بل لم ينبسوا

---

(١) الشرق العربي، السنة الرابعة، العدد (٥) ٦ شعبان ١٣٦٨.

بكلمة في توافه الأمور فضلًا عن عظائمها، وطالما ترقبنا اجتماع العلماء في عدة مناسبات فإذا الاجتماع ينفض عن بحث الترقيات والعلاوات، ومن يستحق الدرجة الأولى والثانية.

والدِّين ينادي أغيثوني ولا مجيب.

١٠٥- حول قصة موسى والخضر[١]

تكلمنا في العدد (٤٢) من سنة المجلة الماضية تحت عنوان: «شرح حديث شريف» عما سلكه ويسلكه كتّاب العصر من محاولة التخلص والهرب من السنة بطرق مختلفة، وذكرنا في ذلك العدد أمثلة لتلك الطرق ولم نشأ أن نتوسع فيها لعلمنا أن وقائع الزمان ستؤيدنا فيما نقول وكذلك كان.

فهذا فضيلة الزميل: كاتب التفسير في هذه المجلة عرض لتفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴾ [الكهف: ٦٠]، ثم ذكر الخلاف في فتى موسى هل هو يوشع أو غيره؟ وهل موسى هو النبي المعروف أو غيره؟ وهل الذي اتخذ سبيله في البحر هو الحوت أو فتى موسى؟ وتكلم على معنى: سربًا، وعجبًا، وذكر معنى له من الاحتمالات ورجح ما رآه ينطبق على الآية كما قال.

والذي لاحظناه في هذه الكلمة أنه أشار إلى ما خالف رأيه إشارة تفيد التضعيف معبرًا بقوله: «جاء في الروايات»، مرددًا ذلك ليفهم القارئ أن ما ضعفه إنما هو مجرد روايات لا تستند إلى أساس علمي صحيح، ولكن نظرة بسيطة يلقيها القارئ على قصة موسى مع الخضر يجد أن ما ضعفه كاتب التفسير مما ذكر أنه روايات كله موجود في "صحيح البخاري" مسندًا إلى ابن عبّاسٍ عن أبي بن كعب عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم في حديث طويل،

---

(١) الشرق العربي، السنة الرابعة، العدد (٧) ٢٠ شعبان ١٣٦٨.

ومما جاء في هذا الحديث مصرحًا به عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم النقط الآتية:

١ - أن موسى هو موسى بني إسرائيل.

٢ - أن فتى موسى هو يوشع بن نون.

٣- أن الذي اتخذ سبيله في البحر سربًا هو الحوت لا فتى موسى.

٤ - أن خروج الحوت من المكتل ونزوله في البحر كان لموسى وفتاه عجبًا.

٥ - أن صاحب موسى هو الخضر.

هذه أهم النقاط التي اشتمل عليها الحديث الصحيح الصريح عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وهو في "صحيح البخاري" الجزء الرابع (صفحة ٣٠١ إلى ٣٠٤) طبعة منير.

فكان الواجب على فضيلة كاتب التفسير أن يرجع إلى "البخاري" ليرى الحديث فيه ويسير على هدية، إذ من المتفق عليه بين العلماء أن خير ما فسر به القرآن هو الوارد، وأن ما صح عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في تفسير آية لا يجوز العدول عنه لمن عرفه.

وليس "صحيح البخاري" كتابًا نادرًا أو مخطوطًا حتى يعسر الاطلاع عليه، وليست قصة موسى مع الخضر من قبيل العقائد حتى يزعم زاعم أن العقائد لا يعمل فيها بخبر الآحاد، وحتى لو سلمنا أن قصة موسى مع الخضر من قبيل العقائد فليس كل العقائد يطلب فيها المتواتر، بل بعضها فقط.

فقد ذكر الإمام الأبي في "شرح مسلم" وغيره من العلماء أن ما كان من العقائد لا يتعلق بالله ولا بصفاته يعتبر فيه خبر الآحاد، انظر الجزء الأول

والرابع من "شرح الأبي على مسلم".

وذكر العلماء أيضًا أن ما يتعلق بقصص الأنبياء، وبالأخبار عن بني إسرائيل، وعن الأمور الغيبية يعتمد فيه على ما ثبت عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بإسناد صحيح أو حسن كما تجد ذلك منصوصًا عليه في مواضيع من "البداية والنهاية" للحافظ ابن كثير، وفي كتاب "الإعلان بالتوبيخ" للحافظ السخاوي وفي كتاب "الشفا" للقاضي أبي الفضل عياض، وغير ذلك من كتب المحدثين والمفسرين.

كما نص ابن كثيرٍ في "تفسيره" على وجوب اتباع ما صح عن الصحابة في تفسير القرآن لأنهم شاهدوا الوحي والتنزيل، وعرفوا مراد الله بما تلقوه عن الرسول الكريم، وبما شاهدوه من القرائن التي لم نشاهدها نحن إلا ما كان من قبيل الاستنباط والاجتهاد، فذلك يتمشى على الخلاف في حجِّية قول الصحابي وغيرها.

وذكر الحاكم وأبو عبد الله أن ما صح عن الصحابي تفسير آية يتعلق بسبب نزولها أو يكون متعلقًا بقصة كهذه يعطى حكم المرفوع، إذ يحمل على أن الصحابي تلقى ذلك عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ما لم يكن يأخذ عن الإسرائيليات، والصحابة الذين أخذوا عن الإسرائيليات قليلون معدودون، فكيف إذا قال صحابي جليل كأبي بن كعب الذي كان يسميه عمر: «سيد المسلمين» أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بين قصة موسى وعين أشخاصها وصرح بما أبهمه القرآن منها؟

أقول: كيف يجوز لعالم مهما علا أمره أن يعدل عن حديث صحيح صريح

كهذا، ويسمي ما جاء فيه روايات إيذانًا بضعفها ليمهد الطريق إلى ما اختاره من الآراء الضعيفة؟!

وبعد؛ فسبيل الباحث في مثل هذا أن يسلك أحد طريقين:

الأول: التمسك بما جاء في الحديث الصحيح وتفسير الآية تطبيقًا لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

الثاني: أن يبين أن الحديث الوارد في تفسير تلك الآيات ضعيف ويبين ضعفه بالطرق المعروفة للعلماء أو يجمع بينه وبين ما اختاره.

على ألا يقدم رأيه على ما صح عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، لئلا يدخل في النهي الوارد في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١].

أما أن يترك الحديث كما هو ويعرض عنه فلا محمل له إلا الهرب من السنة والتخلص منها كما قلنا. ونسأل الله التوفيق.

١٠٦- تحقيق ولادة النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم[١]

كتب إليَّ فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الغني عوض يذكر ما رآه في بعض كتب الموالد وحواشيها من أنَّ ولادة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لم تكن من المحل المعتاد للولادة بل كانت من ثقب تحت السرة وفوق الفرج، أو من الخاصرة اليسرى تحت الضلوع، وذكر ما كان أفتى به الأستاذ الشيخ حسين سامي في العدد الثامن من السنة الحالية مما يخالف ذلك، ثم طلب مني أن أبيِّن على صفحات المجلة القول الفصل في الموضوع بيانًا شافيًا لا يترك ألمًا في أي نفس.

فتلبيةً لطلبه وتوفيةً للسؤال حقه من الجواب أقول: إنما كانت ولادة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من المحل المعتاد للولادة لا من غيره والدليل على ذلك أمران:

١ - أنَّ الأصل في البشر خروجهم حين الولادة من الفرج تلك عادة الله فيهم منذ خلق آدم وحواء، والنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من البشر فالأصل أنه ولد مما يولد منه أمثاله في البشرية، كما أنه تطوَّر في الرحم مثلهم من نطفةٍ إلى علقةٍ إلى مضغةٍ إلى أن أوجده الله إنسانًا كاملًا مُبرَّأ من جميع العيوب والنقائص صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، والتمسُّك بالأصل واجبٌ إلى أن يرد ناقل عنه، ولا ناقل هنا كما ستعرفه مما يأتي إن شاء الله تعالى.

٢ - تصريح أمِّ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بأنها رأت حين الولادة نورًا خرج من فرجها أضاءت له قصور الشام، قال الإمام محمد بن سعد في

---

(١) مجلة الإسلام، السنة الرابعة، العدد (٢١) ٢٤ جمادى الأول ١٣٥٤.

"الطبقات": أنا عمرو بن عاصم بن عاصم الكلابي: حدثنا همام بن يحيي، عن إسحاق بن عبدالله أنَّ أمَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قالت: «لما ولدته خرج من فرجي نور أضاء له قصور الشام» فولدته نظيفًا ما به قذر ووقع إلىٰ الأرض وهو جالسٌ علىٰ الأرض بيده.

وقال أبو نعيم: حدثنا عمر بن محمد: ثنا إبراهيم بن السندي: ثنا النضر بن سلمة: ثنا أبو غزية محمد بن موسىٰ: ثني أبو عثمان سعيد بن زيد الأنصاري، عن ابن بريدة، عن أبيه قال: كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مسترضعًا في بني سعد بن بكر فقالت أمه آمنة لمرضعته: «انظري ابني هذا فسلي عنه، فإني رأيت كأنه خرج من فرجي شهاب أضاءت له الأرض كلها حتىٰ رأيت قصور الشام».

فقول السيدة آمنة في هذين الأثرين: خرج من فرجي نور وشهاب صريح في خروج النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من فرجها الطاهر إذ لا معنىٰ لخروج النور من ذلك المحل المخصوص إلا لكون النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ولد منه، وإلا لو كان ولد من محل آخر غير الفرج لتبعه النور في الخروج من ذلك المحل كما لا يخفىٰ.

وأما كونه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ولد من ثقب تحت السرة أو في الخاصرة اليسرىٰ فأول من قال ذلك أبو الربيع سليمان بن سبع السبتي في كتابه "شفاء الصدور" وتمالأ علىٰ نقله المتأخِّرون ممن لا إلمام لهم بشيءٍ من علم الحديث كالقليوبي، والبجيرمي، والحلواني، والإنبابي، والباجوري، وأبي خضير الدمياطي، والجرداني، والتلمساني، والتجاني، والمعطي بن الصالح،

الشرقاوي، وغيرهم، وليتهم اقتصروا على ما ذكره ابن سبع ولكنهم زادوا من عندياتهم أنَّ جميع الأنبياء ولدوا كذلك[1] قياسًا على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وهو قياسٌ باطلٌ؛ لأن المعجزات والخصائص لا يعتمد فيها إلا على النقل المحض كما هو مقرَّرٌ في محله، هذا مع أنَّ المقيس عليه -وهو ما ذكره ابن سبع- باطل أيضًا لوجوه:

١- ما تقدم من تصريح السيدة آمنة بخروج النور من فرجها وهو يدل كما قدمنا على خروجه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم منه.

٢- أن ابن سبع ذكر القول معلَّقًا بدون إسنادٍ ولم يعزه لأحدٍ من أهل التخريج حتى يرجع إليه فيعرف هل هو صحيح أو لا.

٣- أن ابن السبع لم يكن بالمعتمد في النقل ولا من أهل الحديث المُميِّزين بين صحيحة وسقيمه، وقد ملأ كتابه المذكور بالواهيات والموضوعات مما أوجب عدم الاطمئنان إلى ما فيه.

قال العلامة أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن النحاس الدمشقي في كتاب له في الجهاد ما نصه: «اشتمل كتاب "الشفاء" على أحاديث في فضائل الأعمال ودلائل النبوة، وغير ذلك مما قد وضع فيه مؤلفه من عجائب الغرائب أصولًا وفروعًا، وجمع فأوعى، وأودعه أحاديث عارية عن الإسناد خالية من

---

(١) ولا تغتر بمن عزا ذلك من المتأخِّرين لابن سبع فإنه غلط محض إذ لا وجود له في كتابه "الشفاء" والشيخ التجاني إنما نقل ذلك عن بعض التقاييد، ومن المنصوص عليه عند المالكية عدم الاعتماد على ما فيها أعني التقاييد ما لم تعلم صحته من طريق آخر ذكر ذلك ميارة في شرح "المرشد المعين" وابن الحاج في "حاشيته" عليه.

التصحيح والتضعيف اخترت منها جملة اتبعت الرخصة في نقلها وخرجت من عهدتها بعزوها».اهـ

نقله محدِّث فاس في وقته بل والمغرب قاطبة أبو العلاء العراقي الحسيني في أول تخريج أحاديث شفاء القاضي عياض، وقال الشهاب الخافجي في شرح "الشفاء": «أعلم أن في كتاب "الشفاء" بعض أحاديث ضعيفة وقليل مما هو موضوع تبع فيه ابن سبع في شفائه، وقد نبَّه على ذلك كله الجلال السيوطي في "مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا"».اهـ

ومثله لشيخ شيوخنا السيد محمد بن جعفر الكتاني رضي الله عنه في كتابه "الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة" عند الكلام على شفاء القاضي عياض وسبقهما إلى ذلك الحافظ الذهبي فإنه نص على أن ما في "الشفاء" من الأحاديث الموضوعة مأخوذ من ابن سبع وعاب القاضي عياض بذلك

٤- أنَّ كتب الحديث والسِّير والموالد والتواريخ المسندة راجعناها وراجعها غيرنا من كبار المحدِّثين عندنا بالمغرب بخصوص هذا الموضوع إذ كان حصل فيه بين العلماء نزاع فلم نجد فيها لذلك القول ذكرًا لا بتصريح ولا بتلويح، ومن المقرَّر في علمَي الأصول والمصطلح أنَّ الحديث إذا لم يوجد بعد البحث يقطع بأنه موضوعٌ هكذا صحَّحه الإمام الرازي في "المحصول" والتاج السبكي في "جمع الجوامع" والحافظان الشمس السخاوي والجلال السيوطي كلاهما في "شرح التقريب" وغيرهم.

فهذه أربعة وجوه تدل على بطلان ذلك القول وسقوطه عن درجة

الاعتبار، وقد أبطله أيضًا قبلنا جماعة من العلماء منهم شيخ شيوخ المغرب في وقته الإمام العلامة المحدِّث المحقِّق أبو السعود عبدالقادر بن علي بن يوسف الفاسي المتوفى سنة ١٠٩١هـ رضي الله عنه وولداه الإمامان الكبيران سيوطي زمانه في الحفظ وكثرة التأليف أبو زيد عبدالرحمن، ومحلي وقته في التحقيق وسرعة الإدراك أبوعبدالله محمد، وتلميذه الإمام ناصر السنة أبو عبدالله محمد بن أحمد المسناوي الدلائي، وتلميذه وتلميذ الذي قبله المحدث المسند البارع الرحلة أبوعبدالله محمد بن عبدالسلام بناني شارح "الاكتفاء" و"الشفا" وغيرها من كتب السنة، والأصولي المحقق الطيب بن عبدالحميد بن كيران شارح "ألفية السيرة" للحافظ العراقي، والعالم النحرير مفتي درعة أبو عبدالله محمد بن محمد الحسيني الدرعي رحمه الله تعالى.

كل هؤلاء السبعة أفتوا ببطلان ما ذكره ابن سبع، وصرَّحوا بأنه لا أصل له وأنه مختلَقٌ مصنوعٌ، واستدلوا على ذلك بنحو ما قدمناه، ولو نقلنا كلامهم لطال بنا الحال لكنا نقتصر على نقل كلام الأخير منهم لاختصاره، وإليك نصه حرفيًا من أجوبته: «وسئل عما يقوله بعض الناس أنَّ المصطفى صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لم تلده أمه من المحل الذي يولد منه الولد دائمًا وإنما ولدته من محل آخر هل لذلك أصل أم لا؟ فأجاب بأن ذلك لا أصل له بل ولدته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من المحل الذي يولد منه الولد، نقيًّا نظيفًا طاهرًا ما به قذر قال الإمام ابن حجرٍ: قالت أم المصطفى: «رأت عندما وضعته كأنه خرج من فرجي شهاب أضاءت له الأرض حتى رأيت قصور الشام»، وفي رواية أخرى قالت: «لما ولدته خرج من فرجي نور أضائت به قصور الشام» فولدته نظيفًا

والله أعلم».اهـ

ولصديقنا العلامة المحدث الشيخ عبدالحي الكتاني في الموضوع تأليف خاص سماه "إنارة الأغوار والأنجاد بدليل معتقد ولادة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من السبيل المعتاد" نحا فيه أيضًا ما نحوناه من الجزم ببطلان ما ذكره ابن سبع وهو مفيد في بابه.

هذا، ولا يفوتنا أن ننبِّه علىٰ خطأ وقع للمتأخِّرين وذلك أنهم نقلوا عن القاضي عياض في كتاب "الشفا" وعن ابن رشد في كتاب "الجامع من البيان والتحصيل" أنهما قالا بمثل قول ابن سبع والواقع أنهما لم يذكرا ذلك القول ولا أثر له في كتابيهما المذكورين كما نبه عليه سيدي محمد بن عبدالقادر الفاسي المار ذكره.

وأما فتوىٰ المالكية بأن من قال: «ولد نبينا من مجرىٰ البول» يقتل فليست تلك الفتوىٰ منهم بناء علىٰ أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ولد من غير المحل المعتاد للولادة كما توهَّمه المتأخِّرون، ولكنها مبنيَّةٌ علىٰ ما أصَّلوه -أعني المالكية- من أن منتقص النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يجب قتله ولو عبر بما هو جائزٌ في حقِّه عقلًا وشرعًا وعادة. انظر "الشفا" للقاضي عياض فقد أطال في تقرير هذا وإيضاحه.

علىٰ أن نفس الفتوىٰ التي استشهد بها المتأخِّرون ترشد إلىٰ ضد ما توهَّموه وإليك نصها:

قال العلامة أبو محمد عبدالواحد الونشريسي في "المعيار": «سئل ابن رشد عن رجل شهدت عليه البيِّنة أنه قال: إنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم خرج

من المخرج الذي خرج منه البول وثبت ذلك من قوله عند الحاكم وهو ينكر ذلك ويكذب الشهود ويقول: حاشا لله أن أقول مثل هذا».اهـ

فأجاب: «الواجب فيما شهد به على هذا الرجل الضعيف الدين والخارج عن ملة المسلمين أنه قال في النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أن يسأل الشهود الذين شهدوا عليه بذلك عن الكلام الذي جر قوله ذلك وكان سببًا له خرج عليه جوابًا له فإن تبيَّن في ذلك تبيينا لا يشك فيه أنه قصد بذلك الغض منه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم والاحتقار لشأنه والوضع له عن مكانه ولم يكن عنه مدفع في البينة التي شهدت بذلك وجب قتله، وإن لم يتبيَّن أنه أراد بذلك سوى إثبات كونه من البشر ليس بملك من الملائكة وجب عليه الأدب الموجع إذ لم ينزِّه النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أن يذكره بمثل هذا وقد كان غنيًّا وفي مندوحةٍ عنه».اهـ هذا نصُّ كلام ابن رشد

قال سيدي محمد بن عبدالقادر الفاسي: «لا يفهم منه نفي الولادة عن المحل المعتاد ولم يتعرض لذلك أصلًا وإنما مقصوده بيان حكم من صدرت منه تلك المقالة الشنعاء وذلك أنه دائر بين أمرين أحدهما أن يكون قصد التنقيص والازدراء؛ والحكم بما ذكر من القتل ظاهر حينئذ، ولا فرق عند قصد التنقيص بين هذه العبارة وغيرها من العبارات حسبما دلت عليه نصوص الأئمَّة، ثم نقل عن القاضي عياض وغيره أنه يجب القتل على من قصد النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بأذى أو نقص تعريضًا أو تصريحًا، أو عيَّره برعاية الغنم، أو السهو، أو النسيان، أو السحر، أو ما أصابه من جرح أو هزيمة لبعض جيوشه، أو أذى من عدوه، أو شدة في زمنه، أو بالميل إلى نسائه.

ثم قال: وثانيها ألا يقصد التنقيص وإنما ذلك لبيان أنه من البشر لا من الملائكة مثلًا، فهذا حكمه الأدب كما ذكر لما في العبارة من الشناعة الدالة على التهوُّر وسوء الأدب، فإن بعض الأمور وإن جازت في حقِّ الأنبياء لكن يجب الاحتراز عنها لما فيها من سوء التعبير ويلتمس من الألفاظ ما يؤذن بالتعظيم والتوقير».اهـ كلام الفاسي

فتبيَّن من هذا أنَّ سبب إفتاء المالكية بقتل من قال ولد نبينا من مجرى البول هو ما في هذه العبارة من الخشونة وقلة الأدب، وأنه لو عبر بقوله مثلًا: ولد نبينا من المحل المعتاد للولادة لما أفتوا فيه بقتل ولا تأديب، والله سبحانه وتعالى أعلم.

١٠٧ – نقد وإجابة(٣)[١]

ثمَّ قال الأستاذ: وأمَّا ما انتقده الأستاذ الغُماري من أنَّ الخبر الذي روي موصولًا ومرسلًا هو خبر الحمد لا خبر البسملة كما وقع في السؤال فسبق قلم، إلى أنْ قال: وتقييده بخبر البسملة دعوى من غير دليلٍ اهـ.

ونحن نقول: دليلنا على التقييد، هو ما بين حديث البسملة وحديث التسمية من المناسبة الظَّاهرة، ولم يكن لنا بحسبان أنَّ الأستاذ يترك تلك المناسبة الواضحة، ويعتقد وجود مناسبة بين حديثي التسمية والحمد، مع ما بينهما من الفوارق التي لا تخفى، وإنْ سبقه إلى ذلك الاعتقاد النووي وغيره، فهو غير مسلَّم لهم.

وقول الأستاذ: فلا مانع من أن يعني بخبر الحمد وخبر البسملة، ما هو الأعم منهما وهو ذكر الله تعالى والثناء عليه، كما يدلُّ لذلك رواية ذكر الله إلى قوله: بل يرجع إلى أصل الإطلاق.

يقال عليه: كلُّ ذلك مُسلَّمٌ مقبول، لو كانت رواية ذكر الله صحيحة ولكنَّها ضعيفة، كرواية البسملة، قال الحافظ في "الفتح" عند الكلام على قول أبي سفيان في حديث هرقل الطويل: ثمَّ دعا بكتاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فإذا فيه «**بسم الله الرحمن الرحيم**» ما نصُّه: «قال النووي: «فيه استحباب تصدير الكتب بالبسملة، وإنْ كان المبعوث إليه كافرًا ويحمل قوله في حديث أبي هريرة: «**كلُّ أمرٍ ذي بال لا يُبدأ فيه بحمد الله فهو أقطع**» أي: بذكر الله

---

(١) مجلة الإسلام، السنة الرابعة، ٢٥ ربيع الثاني ١٣٥٤.

كما جاء في روايةٍ أخرىٰ، فإنَّه رُوي علىٰ أوجهٍ بـ«ذكر الله»، بـ«بسم الله»، بـ«حمد الله»، قال: وهذا الكتاب كان ذا بال من المهمات العِظام، ولم يبدأ فيه بلفظ الحمد، بل بلفظ البسملة».اهـ

والحديث الذي أشار إليه أخرجه أبو عوانة في "صحيحه" وصحَّحه ابن حِبَّان أيضا، وفي إسناده مقالٌ، وعلىٰ تقدير صحَّته فالرِّواية المشهورة فيه بلفظ «حمد الله» وما عدا ذلك من الألفاظ التي ذكرها النَّووي، وردت في بعض طرق الحديث بأسانيد واهية».اهـ كلام الحافظ

وهو -كما ترىٰ- مصرِّح بأنَّ رواية ذكر الله واهية الإسناد، فيعلم منه بطلان ما سبق للأستاذ، كما يعلم منه أيضًا بطلان ما نقله عن النووي والرملي ومحمد بن إسماعيل الأمير من قولهم: بتعاضد حديث التسمية، وحديث: «كلُّ أمرٍ ذي بال»، وذلك لما ذكرناه في مقالنا الأول: أنَّ شرط العاضد أنْ يكون قويًّا في نفسه حتىٰ يحصل بانضمامه إلىٰ ما يراد عضده به قوَّة يحصل بها الانجبار، والأمر هنا بخلاف ذلك، فكيف يصح ادعاء التعاضد؟

والحاصل: أنَّ حديث: «كلُّ أمرٍ ذي بال» لا يجوز أنْ يكون عاضدًا لحديث التسمية، سواء قيَّدناه بحديث البسملة أو حملناه علىٰ رواية ذكر الله كما قال الأستاذ تبعًا لغيره، فهو علىٰ كلا الأمرين غير عاضدٍ، ثمَّ ذكر الأستاذ خمسة أحاديث زادت -فيما قال- علىٰ ما حددناه من أحاديث الباب، ولست أدري كيف استساغ الأستاذ أنْ يذكرها مع أنَّها لا تلاقي الموضوع الذي نبحث فيه.

أمَّا أولًا: فلأنَّا بيَّنا في مقالنا أنَّ مراد الحافظ السُّيوطي بذكر حديث التسمية في المتواتر، التواتر اللَّفظي، وتلك الأحاديث إنْ أفادت -علىٰ ما فيها-

تواترًا فهو معنويٌّ، وهذا خلاف ما قلنا وخلاف مراد الحافظ السُّيوطي؛ لأنَّه إنَّما ألَّف كتابه "الأزهار المتناثرة" للمتواتر اللَّفظي كما يؤخذ من كلامه في "التقريب"، وكما صرَّح به شيخ شيوخنا السَّيد محمَّد بن جعفر الكتاني في كتابه "نظم المتناثر" وإنْ أدخل فيه بعض الأحاديث المتواترة المعنىٰ، فذلك قليل يمكن أنْ يكون ذكره علىٰ سبيل السَّهو، ومما يؤيِّد ما قلنا في خصوص مسألتنا أنَّ تلك الأحاديث التي ذكرها الأستاذ أوردها الحافظ السُّيوطي في "الجامع الكبير"، ولم يعرِّج عليها في كتاب "الأزهار"، مع أنَّه لخَّصه من الكتاب المذكور، ومن كتاب "مجمع الزوائد".

وأمَّا ثانيًا: فلأنَّ معنىٰ تلك الأحاديث مباين لمعنىٰ حديث التسمية أشد المباينة، ذلك أنَّ حديث التسمية معناه نفي صحَّة الوضوء لمن لم يسم الله عليه، وبه أخذ أحمد في إحدىٰ الرِّوايتين عنه، وإسحاق بن راهويه والحسن والظاهريَّة والعترة، فحكموا ببطلان وضوء من لم يسم الله عليه.

وتلك الأحاديث معنىٰ بعضها: «كمال وضوء من سمىٰ الله عليه»، وهذا منافٍ لمعنىٰ حديث التسمية، فكيف يصح أنْ نجمع بين معنيين متنافيين ونجعلهما من بابٍ واحدٍ؟ ثمَّ نستخلص منهما معنىٰ متواترًا؟

إنَّ هذا لبعيد، نعم من لم يوجب التسمية في الوضوء كالشَّافعيَّة جعل تلك الأحاديث قرينة صارفة لحديث التسمية عن حقيقته، قال الرَّافعي في "الشرح الكبير" ما نصُّه: من سنن الوضوء أنْ يقول في ابتدائه: بسم الله علىٰ سبيل التبرك والتيمُّن.

وذهب أحمد إلىٰ أنَّ التسمية واجبة لقوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «لا

وضوء لمن لم يسمِّ الله عليه»، قلنا: المعنى لا وضوء كامل.

كذلك جاء في بعض الروايات[١]، ويدلُّ عليه قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «مَن تَوَضَّأ وذَكَرَ اسمَ الله كان طهورًا لجميع بَدَنِهِ، ومَن توضَّأ ولم يَذْكُرِ اسمَ الله كان طهورًا لأعضاء وضوئه»، ولو كانت التسمية واجبة لما طهر شيءٌ اهـ.

وسبقه إلى هذا التأويل أبو عبيد في كتاب "الطهور" والبيهقي في "السن الكبرى"، ولذلك خرَّج الحديث الأول والثاني من تلك الأحاديث التي ذكرها الأستاذ، ولكن لا يخفى أنَّ تأويل الحديث على معنى من المعاني لا يجعله نصًّا في ذلك المعنى المتأول هو عليه حتى يجعل مع الحديث الصَّارف له عن حقيقته من بابٍ واحدٍ، لا سيَّما مع وجود المتمسِّك بالحقيقة والمانع لصحَّة التأويل كما هنا، فقد قدَّمنا عن أحمد ومن ذكر معه أنَّهم تمسَّكوا بحقيقة حديث التسمية.

ونذكر من خدش في صحَّة تأويله، قال الشوكاني في "نيل الأوطار": وذهب الشَّافعيَّة والحنابلة والحنفيَّة ومالك وربيعة وهو أحد قولي الهادي إلى أنَّها -يعني التسمية-: سُنَّة واحتجوا بحديث ابن عمر مرفوعًا: «من توضَّأ وذكر اسم الله ... الحديث»، وذكر بقيَّة الأحاديث التي ذكرها الأستاذ وغيرها مما استدلوا به على نفي وجوب التسمية، ثمَّ قال: قالوا: فيكون هذا الحديث قرينة لتوجه ذلك النفي -يعني في حديث التسمية- إلى الكمال لا إلى الصِّحَّة كحديث: «لا صلاة لجار المسجد إلَّا في المسجد» فلا وجوب، ثمَّ ذكر ما أيَّدوا به هذا التأويل، ثمَّ قال: ولا يخفى على الفطن ضعف هذه المستندات وعدم صراحتها وانتفاء دلالتها على المطلوب وما في الباب -يعني حديث التسمية-

---

(١) لم يرد ذلك في شيء من الروايات فليعلم. اهـ كاتبه

إنْ صلح للاحتجاج أفاد مطلوب القائل بالفريضة لما قدمناه اهـ، والذي قدَّمه هو أنَّ النَّفي في حديث التسمية للصِّحَّة، لكونها أقرب إلى الذَّات وأكثر لزومًا للحقيقة... إلخ ما ذكره فليراجع.

والمقصود من هذا الكلام كله: تنبيه الأستاذ إلى أنَّ تلك الأحاديث التي زادها كما قال: على ما حددته لا تصلح أنْ يسلك بها مسلك حديث التسمية، لما بينهما من المخالفة في التراكيب واللَّفظ والمعنى، وإنَّما تصلح أنْ تكون مؤولة له في رأي من لا يوجب التسمية على ما في ذلك التأويل من المناقشة والمنازعة من طرف المتمسك بحقيقة حديث التسمية، ولهذا لم نذكرها مع وجودها في كتب التخريج التي نراجعها كلَّ صباحٍ وكلَّ مساءٍ كـ"نصب الراية" و"الدراية" و"التلخيص" و"الجامع الكبير" وغير ذلك، فذِكْر الأستاذ لها وادعاؤه أنَّها من باب حديث التسمية، وأنَّها زائدة على ما حددته الطرق، ذهولٌ منه عمَّا ذكرناه والكمال لله، ثمَّ اقتصاره في الاستدراك على خمسة أحاديث قصور (أو تقصير)؛ لأنَّ الأحاديث من ذلك المعنى تزيد على مازاده بعدَّة أحاديث:

١ –حديث ابن عبَّاسٍ بلفظ: «**منْ توضَّأ وذكر اسم الله على وضوئه، تطهَّر من جسده كله، ومن توضَّأ ولم يذكر اسم الله عليه لم يتطهَّر إلَّا موضع الوضوء**» خرَّجه الدَّارقطني والبيهقيُّ وضعَّفه.

٢ – حديث الحسن الكوفي مرسلًا بلفظ: «**مَن ذكر الله عند الوضوء طَهُر جسده كلّه، فإنْ لم يذكر اسم الله عليه لم يطهر منه إلَّا ما أصاب الماء**» خرَّجه عبدالرزَّاق وهو مع إرساله ضعيفٌ.

٣ – حديث أبي سعيد الخدري: «**منْ قال: بسم الله، حين يتوضَّأ فإذا فرغ**

من وضوئه قال: سبحانك اللَّهم وبحمدك أشهد أنْ لا إله إلَّا أنت أستغفر وأتوب إليك، طبعت بطابعٍ ثمَّ جُعلت تحت العرش، حتى يوافي بها صاحبها يوم القيامة» خرَّجه ابن النجَّار في "تاريخ بغداد" وإسناده ضعيفٌ.

٤ – حديث البراء: «ما من عبدٍ يقول حين يتوضَّأ: بسم الله، ثمَّ يقول لكلِّعضوٍ أشهد أنْ لا إله إلَّا الله... الحديث» خرَّجه المستغفري في كتاب "الدعوات"، وقال: حسنٌ غريبٌ.

٥ – حديث أبي هريرة: «منْ سمَّى في وضوئه لم يزل ملكاه يكتبان له الحسنات حتى يحدث من ذلك الوضوء» خرَّجه الشَّيرازي في "الألقاب"، وقال: تفرَّد به ابن علوان. قلت: وهو مشهورٌ بالوضع.

وخرَّجه الطبراني في "الصغير" بلفظ: «يا أبا هريرة إذا توضَّأت فقل: بسم الله والحمد لله، فإنَّ حفظتك لا تستريح تكتب لك الحسنات حتى تُحْدِث من ذلك الوضوء»، قال الطبراني: لم يروه عن علي بن ثابت أخي عزرة إلَّا إبراهيم البصري، وقال الذَّهبي: هذا الحديث منكر وآفته إبراهيم.

٦ – حديث: «يا علي إذا توضَّأت فقل: بسم الله اللَّهم إنِّي أسألك تمام الوضوء وتمام الصَّلاة وتمام رضوانك وتمام مغفرتك فهذا زكاة الوضوء ... الحديث»، خرَّجه الحرث بن أبي أسامة في "مسنده" قال الحافظ السُّيوطي في "الجامع الكبير" هكذا أخرجه الحرث مختصرًا ولم يسق بقيَّته، ونقل في كتاب "الإغضاء" مثل ذلك عن الحافظ في "أمالي الأذكار" وأنَّه قال زيادة على ذلك: لا يحضرني سياق لفظه اهـ.

قلت: وقد وقفت على بقيَّته في كتاب الوصايا من كتاب "بغية الباحث بزوائد مسند الحارث" للحافظ نور الدين الهيثميِّ، فأحببت أنْ أذكره ليستفاد، قال الحارث بن أبي أسامة: حدَّثنا عبدالرحيم بن واقد: ثنا حمَّاد بن عمرو عن السري بن خالد بن شداد، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جدِّه، عن عليٍّ قال: قال لي رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يا عليُّ، إذا توضَّأت فقل: بسم الله ...**» إلخ ما سبق وبعده: «**وإذا أكلت فابدأ بالملح واختم بالملح، فإنَّ في المِلح شفاء من سبعين داء، أولها الجُذام والجنون والبَرَص ووجع الأضراس ووجع الحلق ووجع البطن، ويا علي كُلِ الزَّيت وادهن بالزَّيت، فإنَّه من ادهن بالزَّيت لم يقربه الشَّيطان أربعين ليلة، ويا علي لا تستقبل الشَّمس فإنَّ استقبالها داءٌ واستدبارها دواءٌ، ولا تجامع امرأتك في نصف الشَّهر ولا عند غُرَّة الهلال، أمَا رأيت المجانين يصرعون فيهما كثيرًا، يا علي وإذا رأيت الأسد فكبِّر ثلاثًا تقول: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر أعزُّ من كلِّ شيءٍ وأكبر، أعوذ بالله من شرِّ ما أخاف وأحاذر، تُكْفَى شرُّه إنْ شاء الله، وإذا هرَّ الكلب عليك فقل:** ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ﴾[الرحمن: ٣٣]، **يا عليُّ، وإذا كنت صائمًا في شهر رمضان فقل بعد إفطارك: اللهمَّ لك صُمْتُ وعليك توكَّلت وعلى رزقك أفطرتُ، يكتب لك مثل من كان صائمًا من غير أنْ ينتقص من أجورهم شيئًا، يا عليُّ واقرأ سورة ياسين، فإنَّ في ياسين عشر بركات ما قرأها جائعٌ إلَّا شبع، ولا ظمآنٌ إلَّا رُوي، ولا عارٍ إلَّا اكتسي، ولا عزب إلا تزوَّج، ولا خائفٌ إلَّا أمن، ولا مسجونٌ إلَّا خرج، ولا مسافرٌ إلَّا أُعِينَ على سفره، ولا من ضلَّت له ضالة**

إلَّا وجدها، ولا مريضٌ إلَّا بريء، ولا قرئت على ميت إلَّا خُفِّف عنه» هذا لفظ الحديث بتمامه وهو موضوعٌ، في سنده حمَّاد بن عمرو وضَّاع، ومع ذلك لو رحل طالب العلم مسيرة سنة وزيادة، ثمَّ لم يحصِّل في رحلته إلَّا هذا الحديث لما خابت رحلته؛ لأنَّ العثور على حديث كهذا شذَّ عن حفظ حافظين كبيرين هما سيد الحُفَّاظ وخاتمة الحُفَّاظ أعز من بيض الأنوق فلله الحمد على ما ألهمنا وعلَّمنا.

٧ – حديث أبي بكر رضي الله عنه موقوفًا عليه: **«إذا توضَّأ العبد فذكر اسم الله، طهر جسده كلُّه، وإن لم يذكر لم يطهر إلَّا ما أصابه الماء»** خرَّجه ابن أبي شيبة ولا يحضرني الآن حال إسناده.

٨ – حديث مكحول موقوفًا أيضًا ولفظه: **«إذا تطهَّر الرَّجل وذكر اسم الله طهر جسده كله، وإذا لم يذكر اسم الله حين يتوضَّأ لم يطهر منه إلَّا مكان الوضوء»** خرَّجه سعيد بن منصور في "سننه"، فهذه ثمانية أحاديث فات الأستاذ أنْ يذكرها علينا مع أنَّها من معنى ما استدركه، فأين كان عنها؟ هذا إنْ صحَّ الاستدارك، وإلَّا فقد عرَّفناك أنَّه باطلٌ من أصله، لمباينة تلك الأحاديث لمعنى حديث التسمية، وأنَّها إنما يصحُّ ذكرها على سبيل التأويل وصرف لفظ حديث التسمية عن ظاهره عند من يقول بعدم وجوب التسمية، دون من يقول بظاهر لفظ الحديث، ويمنع صحَّة تأويله كما قدَّمنا، كل ذلك على أنَّنا لو سلَّمنا جدلًا أنَّ تلك الأحاديث التي ذكرها الأستاذ هي بمعنى حديث التسمية وأنَّه يصح استدراكها علينا فلا يحصل بها التواتر الذي عليه مدار كلام الأستاذ لأمرين.

١٠٨- نقد وإجابة(٤)[١]

١ - أنَّ طرقها أشدُّ ضعفًا من طرق حديث التسمية، فضمها إليه لا يفيد كبير قوة على ما هو مقرَّرٌ في علوم الحديث.

٢ - أنَّ حديثين منها دلالتهما على المقصود ضعيفة، تكاد تكون دلالة إشارة وهما حديث أنس وحديث جابر في قصَّة نبع الماء من بين أصابعه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وقوله للصحابة: «**خذوا بسم الله**» وفي لفظ: «**توضؤوا بسم الله**».

والذي غرَّ الأستاذ حتى ذكرهما، قول البيهقي في حديث أنس: إنَّه أصح شيء ورد في التسمية، ولكنَّه لم يدر أنَّ الحافظ تعقَّبه بنحو ما ذكرناه، وكذا الشَّوكاني وقد نقلنا كلامه فيما سبق، ثمَّ بعد أنْ ذكر الأستاذ الحديث الخامس قال: حديثٌ غريبٌ تفرَّد به مرداس من ولد أبي موسى الأشعري، ضعَّفه بعض ووثَّقه آخرون وبقيَّة رجاله ثقات اهـ.

ونحن نقول: الحديث خرَّجه الدَّارقطني في "سننه" قال: حدَّثنا محمَّد بن مخلد: نا أبو بكر محمَّد بن عبدالله الزهيري: نا مرداس بن محمَّد بن عبدالله بن أبي بردة: نا محمَّد بن أبان عن أيوب بن عائذ الطَّائي، عن مجاهد، عن أبي هريرة عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**من توضأ فذكر اسم الله... الحديث**».

مرداس ذكره الذَّهبي في "الميزان" فقال: «لا أعرفه وخبره منكرٌ في التسمية على الوضو ».اهـ وذكره ابن حِبَّان في "الثقات" وقال: يغرب ويتفرَّد، وقال الحافظ: ليَّنه الحاكم.

---

(١) السنة الرابعة، ٣ جمادى الأولى سنة ١٣٥٤.

ومحمَّد بن أبان ذكره الذَّهبي أيضًا فقال: محدِّثٌ شهيرٌ روىٰ عن مهدي بن ميمون وهشيم والطبقة، فيه مقالٌ، قال الأزدي: ليس بذاك، وقال ابن حِبَّان في "الثقات": ربما أخطأ اهـ. وقال الحافظ في "التقريب": صدوقٌ تكلم فيه الأزدي من العاشرة اهـ.

وأيوب بن عائد الطَّائي ذكره في "الميزان" أيضًا فقال: وثَّقه أبو حاتم وغيره.

وأمَّا أبو زرعة فسرد اسمه في "الضعفاء" وكان من المرجئة، قاله البخاري، وأورده في "الضعفاء" لإرجائه، والعجب من البخاري يغمزه وقد احتجَّ به لكن له عنده حديث، وعند مسلم له حديثٌ آخر فإنَّه مقلٌّ اهـ.

وأقول: بل العجب من الذَّهبي؛ لأنَّ البخاري لم يحتج بأيوب وإنَّما أخرج له حديثًا في كتاب المغازي بمتابعة شعبة الإمام له، نعم احتجَّ به مسلم والترمذي كما قال الذَّهبي والحافظ، والصَّحيح فيه أنَّه ثقةٌ، وإنَّما ضُعِّف لأجل الإرجاء، إذا علم هذا ففي كلام الأستاذ نظرٌ من وجهين:

الأول: قوله في مرداس: وثَّقه آخرون. مع أنَّك علمت مما ذكرناه أنَّ أحدًا لم يوثِّقه إلَّا ابن حِبَّان، ولا تفهمن أنَّ تليين الحاكم له يعدُّ تعديلًا أو توثيقًا، كلَّا بل هو تجريحٌ خفيفٌ كما تقرَّر في علوم الحديث، فمرداس ضعيفٌ بمقتضىٰ كلام الحاكم والذَّهبي والحافظ في "التلخيص" ولا يرد علىٰ هذا ذكر ابن حِبَّان له في "الثقات"؛ لأنَّ تساهل ابن حِبَّان في التوثيق معروفٌ نبَّه عليه الحافظ قديمًا وحديثًا، قال الحافظ محمَّد بن أحمد بن عبدالهادي المقدسي في كتاب "الصارم المنكي" في الكلام علىٰ هارون بن قزعة الذي احتجَّ السُّبكي علىٰ توثيقه بذكر ابن حِبَّان له في "الثقات" ما نصُّه: ليس في ذلك ما يقتضي صحَّة

الحديث الذي رواه، ولا قوته، وقد علم أنَّ ابن حِبَّان ذكر في هذا الكتاب الذي جمعه في "الثقات" عددًا كثيرًا وخلقًا عظيمًا من المجهولين الذين لا يعرف لهم ولا غيره أحوالهم، وقد صرَّح ابن حِبَّان بذلك في غير موضعٍ من هذا الكتاب فقال في الطبقة الثالثة: سهل يروي عن شدَّاد بن الهاد روىٰ عنه يعقوب ولست أعرفه ولا أدري مَنْ أبوه، هكذا ذكر هذا الرجل في "الثقات"، ونصَّ علىٰ أنَّه لا يعرفه وقال أيضًا: حنظلة شيخٌ يروي المراسيل لا أدري من هو روىٰ ابن المبارك عن إبراهيم بن حنظلة عن أبيه هكذا ذكره لم يزد، وقال أيضًا: الحسن أبو عبدالله شيخٌ يروي المراسيل روىٰ عنه أيوب النجَّار لا أدري من هو ولا ابن من هو، وقال أيضًا: جميلٌ شيخٌ يروي عن أبي المليح بن أسامةَ روىٰ عنه عبدالله بن عون لا أدري من هو ولا ابنُ من هو، وقد ذكر ابن حِبَّان خلقًا كثيرًا من هذا النَّمَط وطريقته في هذا الكتاب أنَّه يذكرُ من لم يعرفْه بجرحٍ وإنْ كان مجهولًا لم يعرفْ حاله، وينبغي أنْ يتنبَّه لهذا، ويُعرف أنَّ توثيق ابن حِبَّان للرجل بمجرَّد ذكره في هذا الكتاب من أدنىٰ درجات التوثيق اهـ.

وقال الحافظ السَّخاوي في "شرح الألفية" في الكلام علىٰ من ألَّف في الثِّقات والضُّعفاء ما نصُّه: وفي "الثقات" لأبي حاتم بن حبَّان وهو أحفلها لكنه يدرج فيهم من زالت جهالة عينه، بل ومن لم يرو عنه إلَّا واحدٌ ولم يظهر فيه جرحٌ، وذلك غير كافٍ في التوثيق عند الجمهور وربما يذكر فيهم من أدخله في الضعفاء إمَّا سَهوًا أو غير ذلك اهـ. علىٰ أنَّ ابن حِبَّان أشار إلىٰ غمز مرداس حيث قال: يغرب ويتفرَّد؛ وذلك لأنَّ مرداسًا قليل الرِّواية جدًّا حتىٰ إنَّ الحافظ ابن القطَّان جهله لذلك، فإذا كان مع قلَّة روايته يغرب ويتفرَّد فأنىٰ

يكون ثقة؟ وأول شرطٍ في الثِّقة الضَّبط وعدم التفرُّد.

الثاني: قوله: وبقيَّة رجاله ثقاتٌ، مع أنَّ في تلك البقيَّة محمَّد بن أبان وهو لم يصل إلى درجة الثِّقة، بل هو في الدرجة الرَّابعة من التَّعديل، وهي ما حلَّاه به الحافظُ في "التقريب" كما نقلناه عنه فيما سبق، ولا نذكر هنا توثيقَ ابن حِبَّان فقد عرَّفناك ما فيه وأنَّه من أدنى درجاتِ التوثيق، على أننا لو سلَّمنا أنَّه من أعلى درجات التَّوثيق أو أعلاها بإسقاط من، لما صحَّ للأستاذ أنْ يطلقَ قوله وبقيَّة رجاله ثقاتٌ، وفيهم من تُكلِّم فيه؛ لأنَّ هذه العبارة لا يطلقُها المحدِّثون إلَّا على سندٍ لا خلافَ في ثقةِ رجاله أو فيهم خلافٌ لا يضرُّ لشهرتِهم وجلالتِهم، أمَّا إذا كان فيهم خلافٌ ضارٌّ كحال محمَّد بن أبان، فإنَّه لم يكن عنده من الإتقان والضَّبط والشُّهرة والجلالة ما يجعل الطَّعن فيه ضعيفًا ساقطًا، فسبيل التعبير في سندٍ هذا حالُ رجاله أنْ يقال: رجاله موثَّقون، أو ثقاتٌ وفي بعضهم خلافٌ، أو في بعضهم ضعفٌ أو نحو ذلك مما يفيد أنَّ رجالَ السَّند لم يصِلُوا أو بعضهم إلى درجة الثِّقة المطلق، هكذا كان يجب على الأستاذ أنْ يعبِّر، ولعلَّ الذي حمله على ذلك الإطلاق عدم اطلاعه على سند الدَّارقطني، الذي أتينا به على وجهه وما كان ينبغي له؛ لأنَّ الحكم على سندٍ بثقة رجاله أو ضعفهم يعتمد الوقوف عليه بتمامه، وجمع الطرق المناسبة له، واستقاءها من نفس الكتب التي خُرِّجت فيها، حتى يمكنَ للإنسان حينئذ أنْ يبنيَ حكمَه على أساسٍ متينٍ، ثمَّ قال الأستاذ: «وأمَّا حديثُ أبي سعيد الخدريِّ الذي رواه الترمذيُّ والدَّارميُّ وابن ماجه والحاكمُ وصحَّحه من طرقٍ متعدِّدة إلى كثير بن زيد وربيح بن عبدالرحمن». اهـ وفيه نظر من وجهين:

١ – قوله: إنَّ الحاكم صحَّح حديث أبي سعيدٍ الخدريِّ، وليس كذلك بل هو إنَّما صحَّح حديثَ أبي هريرة بعد أنْ أخرجه من طريقين عن يعقوب بن سلمة ثمَّ ذكر حديث أبي سعيد شاهدًا له، ولم يتكلم عليه بتصحيحٍ ولا تضعيف، وإنَّما نقل عن أحمد أنَّه قال: هو أحسن شيءٍ في الباب.

٢ –قوله: من طرقٍ متعدِّدة إلى كثير بن زيد، لا يخلو إمَّا أنْ يكون متعلِّقًا بقوله: صحَّحه، أو بقوله: رواه.

فإنْ كان الأول: فهو باطلٌ؛ لأنَّ الحاكمَ مع كونِه لم يصحِّحْه كما بيَّنَاه آنفًا، ماروواه عن كثير بن زيد إلَّا من طريقٍ واحدٍ ليس غير، وهو هذا: قال الحاكم: ثنا أبو العبَّاس محمَّد بن يعقوب: ثنا الحسن بن علي بن عفَّان: ثنا زيد بن الحباب: ثنا كثير بن زيد عن ربيح بن عبدالرحمن بن أبي سعيد الخدريِّ، عن أبيه، عن جده، عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: فذكر الحديث.

وليس في طرق "المستدرك" لهذا الحديث طريق عن كثير.

بقي في كلام الأستاذ نظرٌ ثالثٌ: وهو أنَّ عزوَه حديثَ الخدريِّ للترمذيِّ يقتضي أنَّه رواه في "السُّنن"؛ لأنَّ القاعدةَ أنَّ العزوَ لأحدٍ من أصحابِ الكتب السِّتة إذا أُطلق انصرفَ لكتابه المشهور، فإنْ كان في غيره قيِّد به كما هنا؛ لأنَّ الترمذيَّ لم يروِ حديثَ أبي سعيد في "سننه" وإنَّما رواه في كتاب "العلل الكبير"، فكان الواجبُ على الأستاذِ أنْ يقيِّد العزْوَ لا أنْ يطلقه، ولعلَّ له في الإطلاق عذرًا من تقليدٍ أو غيره.

ثمَّ قال الأستاذ: «فأمَّا كثير فقد ضعَّفه النَّسائيُّ، وقال أبو زُرعة: صدوقٌ وفيه لِينٌ، وقال ابن المدينيِّ: صالحٌ وليس بالقويِّ، وقال ابنُ معين: ثقةٌ

(خلاف ما قاله الأستاذ)».اهـ

وهذا اتهامٌ من الأستاذ لنا جارحٌ لولا ثقتُنا بحسن قصده لكان لنا معه شأنٌ يذكر!! ثمَّ هو في الوقت نفسِه دالّ على قصورٍ أو تقصيرٍ؛ لأنَّ ما نقلناه عن ابن معين موجودٌ في الكتب المتداولة المشهورة التي لا غنى للمحدِّث عن مراجعتها كلَّ حين، ففي "التلخيص الحبير" عند الكلام على سندِ حديثِ أبي سعيد الخدري ما نصُّه: وأمَّا حال كثير بن زيد فقال ابن معين: ليس بالقوي. وقال أبو زرعة: صدوقٌ فيه لينٌ. وقال أبو حاتم: ليس بالقوي يكتب حديثه اهـ.

ومثله في باب التسمية للوضوء من كتاب "نيل الأوطار"، فليراجعه من أراده، وقال الحافظ في ترجمته من كتاب "تهذيب التهذيب" بعد أن ذكر جملة من شيوخه وتلاميذه ما نصُّه: قال عبدالله بن أحمد عن أبيه ما أرى به بأسًا. وقال عبدالله ابن الدَّورقي عن ابن معين: ليس به بأسٌ. وقال معاوية بن صالح وغيره عن ابن معين: صالحٌ. وقال ابن خيثمة عن ابن معين: ليس بذاك.(وكان أولًا قال: ليس بشيءٍ). وقال ابن عمَّار الموصليُّ: ثقةٌ. وقال يعقوب ابن شيبة: ليس بذاك السَّاقط وإلى الضعف ما هو إلخ ما هناك فليراجع.

فقد صحَّ -كما ترى- عن ابنِ معينٍ أنَّه عبَّر في كثير بن زيد، بثلاثِ عباراتٍ كلّها تجريحٌ.

١- ليس بالقويِّ وهي التي اتَّهمنا الأستاذ في نقلها.

٢- ليسَ بذاك.

٣- ليس بشيءٍ وهي أشدُّ؛ لأنَّها في الدرجة الرَّابعة من التخريج، بخلاف اللتين قبلها، فهما في الدَّرجة السَّادسة، فما كان ينبغي للأستاذِ أنْ يبادرَ بإنكار

ما لم يطَّلع عليه بدون تأنٍّ ولا رويَّة، بل كان يجبُ عليه أنْ يبحثَ ويراجعَ، ثمَّ إنْ لم يجد فلا يجزمْ بالإنكار؛ لاحتمال أنْ نكونَ قد اطَّلعْنا على ما لم يطَّلع عليه كما هو الواقعُ في مسألتنا هذه، ونحنُ -ولله الحمدُ- لم نكنْ «ولن نكونَ» لنتساهلَ في نقلٍ عن أحدٍ لغرضٍ من الأغراض، فليطمئنَّ قارئ مقالاتنا ومؤلَّفاتنا، وما رآه فيها من النُّقول فليعتقدْ أنَّه وِفْقَ المنقول عنه من غير زيادةٍ ولا نقصٍ، إلَّا إنْ اقتضى الحال التصرُّف فيه فننبِّه على ذلك، هذه عادتنا في كتاباتنا فلنْ يجدَ الأستاذُ ولا غير الأستاذ سبيلًا إلى طعنٍ في نقلٍ نقلناه من حيث صحَّته عن صاحبه والحمد لله.

إنْ قال قائلٌ: فما العمل فيما نقله الأستاذ عن ابن معين من توثيق كثير بن زيد؟ وكيف يتلاقى مع ما صحَّ عنه من تضعيفه؟

قلنا: لو أردنا أنْ نتسرَّع تسرُّعَ الأستاذ لأنكرنا ما نقلَه عن ابنِ معين، ولا يهمنا أنْ يأتيَ هو أو غيره بعد ذلك بتصحيحٍ من كتاب "الترغيب" -وهو مستند الأستاذ!- أو من كتاب "الميزان"؛ لأنَّ من يتسرَّع يوطِّن نفسَه على أنْ يُتعقَّب عليه، بخلاف من يتروَّى ويتأنَّى فإنَّه لا يكاد يترك للتعقُّب عليه سبيلًا، وفي حديثٍ عند الطبراني والقضاعي بإسنادٍ ضعيفٍ عن عقبة بن عامر مرفوعًا: «**من تأنَّى أصَابَ أو كادَ، ومن عجَّل أخْطأ أو كادَ**»، وله طرقٌ وألفاظ، لكنَّا نعترف بصحَّة ما نقله الأستاذ ونرجِّحُ غيره عليه لأمرين:

١ - أنَّ النقول عن ابن معين بتوثيقِ كثير أقل منها بتجريحه، بل لم يرد عن ابن معين تصريحٌ بتوثيقه إلَّا في رواية ابن أبي مريم على حين أنَّه جرَّحه بثلاثِ عباراتٍ كلُّها صريحةٌ كما أوضحناه فيما سبق.

٢ – أننا تتبَّعنا حال كثير، من كتبِ الرجال ككتاب "الضُّعفاء والمتروكين" للنَّسائي، و"تهذيب الكمال" للمزِّي، و"تهذيب التهذيب" للحافظ، و"تقريب التهذيب" له، و"الميزان" للذَّهبيِّ، و"لسان الميزان" للحافظ، و"الخلاصة" للصفي الخزرجي، فلم نجدْ عنده من الضَّبطِ والإتقانِ ما يرقِّيه إلى درجة الثِّقة، بل وجدنا في بعضِ رواياته من العِللِ والخلَلِ ما ينْحطُّ به إلى الدَّرجة الرَّابعة من درجاتِ التعديل الذي هو أعمُّ من التوثيق، وعليها اقتصرَ الحافظُ في "التقريب"، وعادتُه في هذا الكتاب كما قال في خطبتِه: أنَّه يحكمُ على من يذكره بحكمٍ يشمل أصحَّ ما قِيل فيه، وأعدل ما وصفَ به، بألخصِ عبارةٍ، وأخْلصِ إشارةٍ، بحيث إذا اضطربت عليك أقوال أهل التجريح والتعديل في راوٍ من رجال الكتب السِّتة، ولم تميِّز الرَّاجحَ منها من غيره، فاعتمدْ على ما تجدُه في هذا الكتاب، فهو عُصارة التحقيقِ ونحنُ ننقل لك منه ترجمةِ كثيرٍ بنصِّها، قال في حرفِ الكافِ: كثير بن زيد الأسلميُّ أبو محمَّد المدني ابن مافَنَّة[1] (بفتح الفاء وتشديد النون) صدوقٌ يخطيءُ، من السَّابعة، ماتَ آخر خلافةِ المنصور اهـ بحروفه.

---

(١) هي أمُّه وهكذا ضُبِطَ اسمها في "تهذيب التهذيب" غير أنه وقعَ في الثاني صافنة بالصَّاد، وهو خطأ مطبعيٌّ وضبط في "الخلاصة" بالقاف الموحدة أي: قبة والأول أصحُّ. اهـ كاتبه.

(٨)

مقالات متنوعة

١٠٩- أغلاط شائعة[١]

شاعَ بين كثيرٍ من الناسِ عباراتٌ وجملٌ تجري بينهم في محاوراتهم ومناظراتهم كأنها من المسلَّمات، لا يحاولُ أحدٌ منهم أن يردَّها أو يناقشَ معناها مستدركًا أو معترضًا، وهي في الواقعِ خطأ بحتٌ ليس لها نصيبٌ من الصَّواب، بل منها ما يمسُّ العقيدة ويخدشُها بحيث يسير معتقدُ معناها واقعًا في الضلال وهو لا يشعرُ.

وتلك الجمل كثيرةٌ أحاول أن أجمعَها في كتاب خاصٍّ مع بيان خطرِها وضررها وإني ذاكر هنا بعضًا منها، نموذجًا لباقيها وعنوانًا عليها.

١- من تلك العبارات قولهم: «المزيةُ لا تقتضي التَّفضيل». وهي أقبَحها وأشدُّها ضررًا، وأظنُّ الشيطانَ ألقاها على ألسنتِهم ليضلَّهم بها.

فبسببُ هذه العبارة الخبيثة اعتقدُوا أنَّ في الأولياء من هو أعلمُ من بعض الأنبياء، كما اعتقدوا أنَّ بعضَ الأذكار أو الصلواتِ على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يوازي القرآنَ بل يزيدُ عليه مراتٍ! مع أن تلك العبارةَ التي بني عليها هذا الضَّلال وأمثاله كاذبةٌ ومختلةٌ.

أما كذبها فلأن المزية تقتضي التفضيل حتمًا وذلك لوجهين:

١- أنَّ معناها: هي الخصلةُ التي تُوجد في شيءٍ دون غيرِه فيتميزُ بها عليه وهذا هو معنى التفضيل.

٢- أنَّ المزيَّة والفضيلةَ والخصيصةَ والمنقبةَ ألفاظٌ مترادفةٌ تدلّ على الخصلةِ

---

(١) مجلة دعوة الحق.

التي يفضِّل الله بها بعضَ مخلوقاتِه، وقد تكونُ وَهْبيةً أو كسبيَّةً.

فالنبوةُ والرسالة مزيةٌ وهبيةٌ وخصيصةٌ وفضيلةٌ ومنقبةٌ فضَّل الله بها أنبياءه ورسله.

وتخصيصُ جبريلَ عليه السَّلام بالوحي مزيَّة وهبيةٌ وفضيلةٌ وخصيصةٌ ومنقبةٌ فضَّل الله بها جبريل عليه السلام على الملائكة.

والعلمُ فضيلةٌ ومزية وخصيصةٌ ومنقبة فضَّل الله به العالِم على الجاهل.

وليلة القدر فضَّلها الله بنزول القرآن فيها وهي مزيَّة وفضيلةٌ وخصيصةٌ ومنقبة، وبها أيضًا فضَّل الله شهر رمضان.

ويوم الجمعةِ، ويوم عرفةِ، ويوم عاشوراء، وعشر ذي الحجة، فضَّلها الله بمزايا لم توجدْ في غيرِها من الأيام.

وفضَّل الله مكةَ والمدينةَ بمزايا لم توجدْ في غيرهما من البلاد.

وإذا تعارضت المزايا في شخصَين أو زمانين أو مكانين؛ فُضِّل أحدُهما على الآخر بأكثرِها عددًا وأكبرها وزنًا وقيمةً.

ومن هنا كان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أفضلَ الأنبياء لكثرة مزاياه وعِظَم وزنِها وقيمتِها، وعلى هذا الأساس يحصلُ التفاضلُ بين الصَّحابة والأئمةِ والعلماءِ والأولياءِ.

ثم المزايا التي يمكنُ المفاضلة بينها عند التعارض هيَ العارضةَ لصاحبها كالرِّسالة والصحبةِ والعلمِ والزهدِ مثلًا، أمَّا المزية الذاتية للشيءِ فلا يمكنُ أن توازيها مزيةٌ عارضةٌ فضلًا عن أنْ ترجحَ عليها.

ولهذا كان القرآنُ أفضلَ الأذكار على الإطلاق لأنَّه كلامُ الله فمزيَّته ذاتيةٌ له

بمعنىٰ أنها جزءٌ من مفهومه، إذ لا يمكنُ أن يُتصوَّر القرآنُ في الذِّهنِ إلا أنه كلام الله وصفتُه، بخلاف الذكر أو الصلاة علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم؛ فإنَّه عملنا أضِيفَ إلىٰ الله علىٰ وجه العبادة له وشتان بينَ صفة الله وعبادته.

فمن زعمَ أنَّ بعض الأذكار يوازي القرآن أو يزيدُ عليه كان كمن زعم أن قدرة المخلوقِ في بعض حالاتها تساوي قدرةَ الخالقِ أو تزيدُ عليها وكلا الزَّعْمين فاسدٌ بضرورة العقلِ، ضلالٌ بحكم الشَّرع.

والحديث القدسيُّ الذي يرويه النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن الله تبارك وتعالىٰ هو مع أنَّه كلامُ الله تراخىٰ في الفضل عن القرآنِ لأمرين:

الأول: احتمالُ أنْ يكون مرويًّا عن الله بالمعنىٰ لا باللفظِ والقرآنِ ليس كذلك بل هو مرويٌّ باللفظِ والمعنىٰ.

الثاني: احتمالُ أن يكون وحيًا في المنام أو نفثًا في الرُّوعِ والقرآن لا يكون وحيًا في المنام ولا نفثًا.

فلهذين الاحتمالين لم يُعطَ حكمَ القرآن في الفضل ولا في التلاوة.

وأمَّا خللُ تلك العبارة فلأنَّ الذين يلوكُونها بألسنتِهم لا يستطيعونَ أنْ يذكروا لها معنىٰ يفرقُ بينها وبين الفضيلةِ والخصيصةِ والمنقبةِ حتىٰ يمكنهم أن يقولوا هذة مزية لا تقتضي التفضيل وهذه فضيلة تقتضيه.

نعم ليس لديهم تعريفٌ يفرق بين هذه الألفاظِ المترادفةِ ويلزَمُ علىٰ هذا الخلل فساد كبير؛ إذ ما من فضيلةٍ إلا ويمكنُ أن يقالَ عنها أنها مزيَّة لا تقتضي التفضيل فيقال في خلةِ إبراهيمَ عليه السَّلام أنه مزيةٌ لا تقتضي تفضيلَه، ويقال

في موسىٰ عليه السَّلام كونه كليمَ الله مزيةٌ لا تقتضي تفضيلَه، ويقالُ مثل ذلك في فضائل النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وفي فضائل الصَّحابة فتبطل الفضائل ويختلُّ ميزان معرفتِها وفي هذا من الفسَاد ما لا يخفىٰ.

قد يقال: إن الله تعالىٰ صرَّح بتفضيل موسىٰ بالكلامِ فقال سبحانه: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤].

فنقول: هذه الآية دليلٌ لنا علىٰ أنَّ المزيَّة تقتضي التفضيل، وعلىٰ أن تلك الجملةَ كاذبةٌ.

ومن فروع هذه الجملة -سوىٰ ما سبق- اعتقادُهم أنَّ الوليَّ قد يكون أعلم من النبيِّ مستندين إلىٰ قصَّة موسىٰ والخضر عليهما السَّلام بناءً علىٰ زعمِهم أن الخضِر وليٌّ، وهذا رأيٌ ضعيفٌ شاذٌّ، والراجحُ عند الجمهور وهو الذي لا يجوز غيره أن الخضِرَ نبيٌّ.

والدليل علىٰ نبوته من القرآن أمور:

١- قوله لموسىٰ: ﴿إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا﴾ [الكهف: ٦٧] ولا يجرؤ ولي أن يخاطب رسولًا بهذا النفي المؤكَّد اعتمادًا علىٰ مجرد الإلهام أو الكشْفِ، ولولا أنه نبيٌّ يوحىٰ إليه ما علم ذلك ولا نطق به.

٢- قتلُه للغلامِ، ولولا أنه أُوحي إليه بقتلِه لما فعلَ ذلك بمجرَّد إلهامِ الأولياءِ.

٣- قوله عن اليتيمين: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢]، ما علم إرادة الله ذلك إلا بوحيٍ منه.

٤- قوله: ﴿وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِي﴾ [الكهف: ٨٢]، أي: فعلتُه بوحيٍ.

٥- علم النبيِّ يقينيٌّ بوحيٍ، وعلم الوليِّ ظنيٌّ بإلهامٍ، ولم يكنْ موسىٰ ليرحلَ في طلبِ علمٍ ظنيٍّ يخطئُ ويصيبُ ومعه علمٌ يقينيٌّ لا يخطئُ.

٦- تبيَّن لي من أسلوبِ القرآن الكريم أنَّ الله تعالىٰ إذا نَسبَ إلىٰ ذاته المقدَّسة تعليمَ شخصٍ معيَّن فذلك دليل علىٰ نبوته، اقرأ قوله تعالىٰ: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة: ٣١]، ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾ [النساء: ١١٣]، ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ [المائدة: ١١٠]، ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ ﴾ [يوسف: ٦٨]، ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾ [يوسف: ٢١]، ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ ﴾ [الأنبياء: ٨٠].

وقال في الخضر: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [الكهف: ٦٥].

٧- قوله تعالىٰ: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا ﴾ [الكهف: ٦٥]، أي نبوة.

٨- قول موسىٰ له: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ [الكهف: ٦٦] أي مما علمك الله.

٩- وفي الصحيحن عن أبي بن كعب، عن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: **أنَّ الخضِرَ قال لموسى -عليهما السَّلام-: أنا على علمٍ منْ علمِ الله لا يَنْبغِي لكَ أن تعلَمَه، وأنتَ على عِلمٍ منْ علمِ الله لا ينبغِي لي أنْ أعلَمَهُ»**.

معنىٰ كلامه أن كلانا علىٰ علم من الله بشريعة تخالف الأخرىٰ فلا ينبغي لأحدنا أنْ يعلمَ شريعةَ الآخرِ لأنه غيرُ مكلَّفٍ بها وتثيرُ دهشتَه واستغرابَه.

وهذه هي النبوَّةُ في أجْلىٰ معانيها.

وبعضهم استند إلى قول أبي يزيد البِسطامي: «خُضنا بحرًا وقفتْ الأنبياء بساحله»، فهم منه أنَّ الوليَّ قد يخوضُ في علومٍ ومعارفَ لم يعرفْها الأنبياءُ، وأبو يزيد لم يقصدْ هذا المعنى لأنه كفرٌ صُراحٌ، وإنما قصد بحرَ الشَّهواتِ فهذا البحر وقف الأنبياء بساحله يحذرُون الناس من خوضه كما قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**أنا آخذٌ بحُجَزِكُم عَنِ النَّارِ وأنتمْ تقتَحِمُونَ فيها**». وقال أيضًا: «**حُفَّتِ الجنَّةُ بالمكارِهِ وحُفَّتِ النَّارُ بالشَّهَواتِ**».

وروى ابن عبد البرِّ في "الاستيعاب": عن خالد بن سعيد بن العاص أنه رأى في المنام أنه وقف به على شفيرِ جهنم ورأى والده يدفعه فيها ورأى النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم آخذ بحقويه لئلا يقعَ فيها ففزِعَ وقال: أحلفُ بالله إنها لرؤيا حقٌّ، ولقي أبا بكر رضي الله عنه فذكر ذلك له فقال أبو بكر: أُريدَ بك خير، هذا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فاتَّبِعْه، وإنك ستتبعه في الإسلام الذي يحجزُك من أن تقعَ فيها، وأبوك واقعٌ فيها. فلقي النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بأجياد فأسلمَ.

فوظيفة الأنبياء تحذير الناس من خوض بحر الشهوات الذي يؤدي بهم إلى النار، أعاذنا الله منها.

٢- ومنها قولهم: «حسناتُ الأبرارِ سيئاتُ المقرَّبين» هذه الجملة قيلت قديمًا ووقعتْ في كلامِ بعضِ الكبراء مثل الإمام النوويِّ رضي الله عنه وظنه بعضهم حديثًا، وليست هي بحديثٍ، كما قال السَّخاويِّ.

والواقع أنها خطأ من وجوهٍ ثلاثة:

١- أنَّ الحسنةَ من حيث ذاتها لا تختلفُ باختلاف فاعلِها فالحسنةُ من

العاصي حسنةٌ من الطائعِ، والحسنةُ من العالمِ أو الوليِّ حسنةٌ من النبيِّ، ولا يعقل أن تكونَ حسنةٌ من صالح هي نفسها سيئةٌ من نبيٍّ.

نعم قد يعرضُ للحسنة ما يجعلها سيئةً لأمر خارجٍ عارضٍ لها لا لذاتِها، وهي من أفرادِ مسألة الواحد بالشَّخص له جهتان لا تلازم بينهما وهذه المسألة مقرَّرة في علم الأصول.

٢- أنَّ الأبرار هم المقرَّبون، اختلفا في المفهوم واتحدا فيما هو صدق.

وعلى هذا يصير معنى الجملة: حسناتُ الأبرارِ سيئاتُ الأبرارِ، وهذا تهافتٌ.

والدليل على اتحادهما قول الله تعالى في الملائكة المقربين: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٥ - ١٦]، مع قوله في الصالحين من المؤمنين: ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣].

برَرَة وأبرارٌ جمعان لبارٍّ، أولهما جمعُ كثرةٍ والآخرُ جمعُ قِلَّةٍ، عبر في الملائكة بجمع الكثرة لأنهم مع كثرتهم طائعون مقربون ليس فيهم عاص.

وعبر عن المؤمنين بجمعِ القِلَّةِ لأنَّهم أقلَّاءُ بالنسبة لغيرهم.

يؤيد هذا أنه عبر في أضدادِهم بجمعِ الكثرةِ حيثُ قال سبحانه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ﴾ [عبس: ٤٢]، لأنَّهم أكثرُ بني آدمَ.

٣- ما المرادُ بحسناتِ الأبرار؟ إن أريدَ جميعُها فهو باطلٌ قطعًا، وإن أريد بعضُها، فما هو؟ وكيف السبيلُ إلى تعيينه؟ وما الدليلُ عليه؟

٣- ومنها قولهم: «خطأٌ مشهورٌ خيرٌ من صوابٍ مهجورٍ». وهذه جملة

خطيرة تدعو إلى تركِ صوابٍ كثير بدعوى أنَّه مهجورٌ لا يعرفُ، وقد وقعتْ أخطاءٌ كثيرةٌ في مسائل دينية واشتهرت، فهل يتبعها الناسُ ويدعونَ الصَّوابَ المهجور؟! إن فعلوا ذلك ضلُّوا ضلالًا مبينًا.

ثم الخطأ يحصُل عن جهل من المخطأ، والصَّواب نتيجة علمٍ وبحثٍ، فهل يجوز الجهل على العلم؟! والله تعالى علمنا أن نقول: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فأفاد أن الخطأ من المعفوات وأن الصواب هو الأصل والقاعدة.

وصرَّح النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بذلك في قوله: «**إنَّ اللهَ وَضَعَ عن أُمَّتي الخطأَ والنِّسْيانَ والأمرَ يُكرهُونَ عليهِ**». فكيف يصيرُ الخطأ المعفوُّ أصلًا معمولًا به ويطرحُ الصوابُ الذي هو الأصل؟! أليس في هذا مخالفةٌ للكتاب والسُّنة؟ ثم ما هذه الشهرة التي تجعل الخطأ مقبولًا دونَ الصَّواب؟!

إن كانت عند العوامِّ فلا اعتبارَ لها وإن كانت عند العلماء؛ فلم يحصُل أنهم تواطئُوا على خطأ حتى اشتهرَ بينهم بل لا بد أن يتنبَّه له وينبه عليه طائفة منهم.

ثم لفظُ الهجر يفيدُ ترك الشيء عن عمدٍ كما قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠]، وقال: ﴿وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل: ١٠]، وتركُ الصَّوابِ عن عمدٍ يوقعُ في الإثمِ لأنه إمَّا عن عنادٍ أو استكبارٍ، فاستبدال الخطأ المشهور به إصرارٌ على الإثمِ وهو معصيةٌ، فحقَّ تلك العبارة أن تكونَ هكذا: «صوابٌ مهجورٌ خيرٌ من خطأ مشهورٍ».

٤- الأبيات المشهورة:

طَلَعَ البَدْرُ علينا مِن ثَنِيَّاتِ الوَدَاع
وَجَبَ الشُّكْرُ علينَا ما دَعَا لله دَاع
أيُّها المَبْعُوثُ فينَا جِئْتَ بالأَمْرِ المُطَاع
جِئْتَ شَرَّفْتَ المدينة مَرْحبًا يا خَيْرَ داع

صرَّح الشيخُ مسعود بن محمد بن عليّ جموع في كتاب "الدرة المضية من خبر سيد البرية" أنَّها قِيلتْ في استقبال النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عند دخول المدينة المنورة مهاجرًا، وهكذا شاعَ بين الناس وهذا خطأ مشهور.

والصَّواب كما قال ابنُ القيِّم: أنها قيلت عند قدوم النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من غزوة تبوك، و«ثنية الوداع» موضعٌ في المدينة من جهةِ الشَّام لا من جهة مكة.

٦٠٨ ـــــــ

١١١- ما يجب أن تعرفه عن ليلة القدر

بحث شامل(١)

ليلة القَدْرِ باقيةٌ إلى القيامة:

سُمِّيت ليلةَ القدر لتقدير الله تعالى فيها ما يكونُ في تلك السَّنة من الأرزاق والآجال وغير ذلك والمرادُ بهذا التقدير إظهارُ ذلك للملائكةِ عليهم السَّلام وهي المرادُ بقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ﴾ [الدخان: ٣ – ٥] وذهبَ المتنطِّعون إلى أنَّ ليلة القدر رُفعت ولم يَعُد لها وجودٌ ولكنَّ الذي أجمع عليه أهل السُّنة أنها باقيةٌ مستمرةٌ إلى يوم القيامة وإنَّما رُفع تعيُّنُها لا غير وقد روى عبد الرزَّاق عن عبد الله بن بخنس قال قلتُ لأبي هريرة: زعمُوا أنَّ ليلة القدر رُفعت قال: كذَبَ مَنْ قال ذلك.

متى تكونُ ليلة القَدْرِ؟

اختلف العلماءُ في تعيين ليلةِ القدرِ، وفي أيِّ ليلة تكون، وذهبوا في ذلك مذاهبَ شتَّى وصلت إلى بضعةٍ وأربعين مذهبًا كلّ مذهب استدلّ صاحبُه بما ترجَّحَ عنده.

وأقربُ الأقوال فيها أنَّها في رمضان، وفي العشر الأواخر، وأنَّها ليلة سبعٍ وعشرين. وهو مذهبُ جماعةٍ من الصحابة منهم أبيُّ بن كعب، وعمرُ، وابنه، وحذيفةُ. وهو الجادَّة من مذهبِ أحمد، ورواية عن أبي حنيفةَ، وقول أكثر العلماءِ.

---

(١) مجلة الخلاصة (المسلم)، السنة الثانية العدد (٢) رمضان ١٣٧١.

علامة ليلة القَدْر:

في "صحيح مسلم" عن زِرٍّ بن حُبَيش قال: سمعتُ أبيَّ بن كعبٍ يقول - وقيل له: إنَّ عبد الله بن مسعود يقول: «من قام السَّنة أصابَ ليلةَ القدر»-: «والله الذي لا إله إلا هو إنَّها لفي رمضانَ -يحلف ما يستثني- ووالله إني لأعلمُ أيّ ليلةٍ هيَ؛ هي الليلة التي أمرنا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بقيامها، هي ليلةُ صبيحةِ سبعٍ وعشرين وأمارتُها أن تطلعَ الشمسُ في صبيحةِ يومها بيضاءُ لا شُعاعَ لها».

وفي "صحيح مسلم" أيضًا عن أبي هريرة قال: تذاكرنا ليلة القدر عند رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**أيكُمْ يَذكرُ حِينَ طلعَ القمرُ وهوَ مثلُ شِقِّ جَفْنةٍ؟**».

قال أبو الحسن الفارسيُّ: «أي ليلة سبعٍ وعشرينَ فإنَّ القمرَ يطلع فيها بتلك الصفة».

وأخرج البزَّار عن ابن عبَّاسٍ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**ليلةَ القدْرِ ليلةٌ طَلْقةٌ لا حارَّةٌ ولا بارِدةٌ**».

وفي "المسند" بإسناد رجاله ثقاتٌ عن عبد الله بن الصَّامت رضي الله عنه: أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**ليلةُ القدرِ في العشرِ البواقِي، من قامهنَّ ابتغاءَ حِسْبتِهن فإنَّ الله تباركَ وتعالى يغفرُ له ما تقدَّمَ من ذنبِه وما تأخَّرَ وهي ليلةُوترٍ تسعٍ أو سبعٍ أو خامسةٍ أو ثالثةٍ أو آخرِ ليلة**».

وقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ أمارةَ ليلةِ القدرِ أنَّها صافيةٌ بَلجَةٌ كأنَّ فيها قمرًا ساطعًا ساكنةٌ سَاجِيةٌ لا بردَ فيها ولا حرَّ ولا يحلّ لكوكبٍ**

أنْ يُرمَى بهِ فيها حتَّى يُصبِحَ وإنَّ أمارتَها أنَّ الشَّمسَ صبيحتَها تخرجُ مستويةً ليسَ لها شُعاعٌ مثلَ القمرِ ليلةَ البدرِ لا يحلُّ للشيطان أنْ يخْرجَ معَها يَومَئذٍ».

بلجة: يعني مشرقة.

استنباط ابن عبَّاسٍ تعيين ليلة القَدْر:

نقل ابنُ قدامة تعيين ليلة القدر من عددِ كلماتِ السُّور وأنَّ كلمة ﴿هِيَ﴾ من قوله تعالىٰ:

﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾ [القدر: ٥] سابع كلمة بعد العشرين من قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [القدر: ١] إلخ، فتكون ليلة سبعة وعشرين، ونقله ابن حزمٍ عن بعض المالكية.

وقال ابن عطية: «إنَّ هذا من مُلح التفاسير، واستنبطَ بعضهم ذلك من جهة أخرىٰ فقال: ليلة القدر تسعةُ أحرفٍ وقد أعيدت في السُّورة ثلاثَ مرات فذلك سبعٌ وعشرون».اهـ

وهذه الاستنباطات ليست من العلمِ في شيء، نعم استنبط ابن عبَّاسٍ ليلة القدر بطريقة أخرىٰ، فروىٰ عبد الرزَّاق والطبرانيُّ وغيرهما عن ابن عبَّاسٍ قال: دعا عمر أصحاب رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فسألهم عن ليلة القدر فأجمعوا علىٰ أنَّها في العشر الأواخر قال ابنُ عبَّاسٍ فقلتُ لعمر: إني لأعلم أو أظن أي ليلة هي. فقال: أي ليلة هي؟ فقلت: «سابعة تمضي أو سابعة تبقىٰ من العشر الأواخر» فقال عمرُ: «من أينَ علمتَ ذلك؟».

قلت: «خلقَ الله سبعَ سمواتٍ وسبعَ أرضين وسبعةَ أيام، وإن الشهر يدور علىٰ سبعٍ، وخلق الإنسان من سبعٍ، ويسجد علىٰ سبعٍ، والطواف بالبيت

سبعٌ، ورمي الأحجار سبعٌ، وأشياء ذكرها».

فقال عمر: «لقد فطنتَ لأمر ما فطنَّا له».

وكان قتادة يزيد عن ابن عبَّاسٍ في قوله: ويأكل من سبعٍ، قال: هو قول الله تعالى: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ٢٧ وَعِنَبٗا﴾ [عبس: ٢٧ - ٢٨] قال ابنُ كثير: «إسناده جيد قوي، ولكن المتن غريب جدًا».اهـ

(تنبيه): قالا صاحبا "الكافي" و"المحيط" من الحنفية: من قال لزوجته أنت طالقٌ ليلةَ القدر طلقتْ ليلةَ سبع وعشرين لأنَّ العامةَ تعتقدُ أنَّها ليلةَ القدرِ.

سبب رفع تعين الليلة:

في الصحِيحين عن عُباده بنِ الصامتِ قال: خرج النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ليخبرنا بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال: «**خرجتُ لأخبرَكُمْ بليلةِ القَدْرِ فتلاحَى فلانٌ وفلانٌ فرُفِعَتْ، فعسَى أنْ تكونَ خيرًا لكم فالتمسُوها في التاسِعَة والسَّابعةِ والخامَسةِ**».

وفي رواية لمسلم: «**فجاءَ رجلانِ يختَصِمانِ معَهُما الشَّيطانِ**».

وفي رواية ابنِ إسحاق أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لقيهما عند سدة المسجد فحجزَ بينهما فكانتْ المخاصمةُ والملاحاةُ شؤمًا على الأمَّة حيثُ رفع بسببِهما تعيينُ الليلة، والله أعلم.

هل عَلِمَها النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ؟

كان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يعلمُها وذلك لأمرين:

أحدهما: ما نقله البخاريُّ في "الصحيح" في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القدر: ٢] عن سيفانَ بن عيينة قال: «كلُّ شيءٍ من القرآنِ فيه «وما

أدراك» فقد أخبرَه به وكلُّ شيء فيه «وما يدريك» فلم يخبرْ به».اهـ

وهو صحيح بالنِّسبة للشقِّ الأول منقوضٌ بالنسبة للشقِّ الثاني لقولة تعالىٰ: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ [عبس: ٣] وقد علمَ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بتزكيته.

ثانيهما: ما رواه الطبرانيِّ في "الكبير" بإسناد حسن، عن عبد الله بن أُنيس قال: يا رسول الله أخبرني أيّ ليلة تُبتَغي فيها ليلةُ القدرِ؟ فقال: «**لولا أنْ تتركَ الناسُ الصَّلاة إلا تلكَ الليلةَ لأخبرتُكَ**».

وفي "مسند البزَّار" بإسناد رجاله ثقاتٌ، عن مَرْثَد قال: لقيتُ أبا ذرٍّ عند الجمْرة الوسطىٰ فسألتُه عن ليلة القدرِ فقال: ما كان بأسألَ عنها منِّي، قال: قلت: يا رسول الله يا رسول الله أنزلت علىٰ الأنبياء بوحي إليهم ثم تُرفع؟ قال: «**بل هِيَ إلى يومِ القيامة**» قلت: يا رسول الله أيتهنَّ هي؟قال: «**لوْ أذِنَ لي لأنبأتُكَ بِها ولكنِ التَمِسْها في التِّسْعَينِ والسَّبعَين**» بفتح العين فيهما، أي التاسع عشر والتاسع والعشرين، والسَّابع عشر والسَّابع والعشرين، ولا تسألني بعدها، ثم أقبل رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فجعل يحدث، قلت: يا رسول الله في أي السَّبعين هي؟ فغضبَ عليَّ غضبةً لم يغضبْ عليَّ قبلَها ولا بعدها مثلَها، ثم قال: «**ألم أنْهكَ عنها، لو أذِنَ لي لأنبأتُكَ بِها ولكنْ...**» وذكر كلمة أن تكون في السبع الأواخر.

ففي هذا دليل علىٰ أنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أعلِمَها ولم يُؤذنْ له في تعيينها لئلا يَتكِل الناسُ ويتركوا العبادةَ طولَ السَّنة اعتمادًا علىٰ أنَّ ليلة القدر تكفِّر جميعَ الذّنوب.

٦١٤ ـــــــ

وروىٰ ابنُ أبي الدُّنيا عن أبي جعفر محمَّد بن عليٍّ مرسَلًا أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**منْ أتَى عليهِ رمضانَ صَحِيحًا مُسْلمًا صامَ نهارُه وصلَّى وِردًا منْ ليلهِ وغضَّ بصرَهُ وحفِظَ فرْجَهُ ولسَانَه ويدَهُ وحافظَ على صَلاتِه في الجماعَةِ وبكَّر إلى الجمُعةِ فقد صَامَ الشَّهْرَ واسْتكْمَلَ الأجْرَ وأدرَكَ ليلةَ القَدرِ وفازَ بجائزةِ الربِّ**». وهو حديث ضعيفٌ أيضًا.

وعلىٰ كل ففضل الله واسع ومن شهد العشاء والصُّبح في جماعة طول شهر رمضان فالرجاء ألا يحرم من ليلة القدر، وبالله التوفيق.

هل يستحبُّ الاغتسالُ ليلةَ القدرِ؟

قال ابن جريرٍ الطبري: «كانوا يستحبُّون أن يغتسِلُوا كلَّ ليلة من ليالي العشر الأواخر، وكان إبراهيمُ النَّخعيُّ يغتسل في العشر كل ليلة، ومنهم من كان يغتسل ويتطيَّب في الليالي التي تكون أرْجىٰ لليلةِ القدِر، فأمر زِرُّ بن حُبَيش بالاغتسال ليلة سبع وعشرين من رمضان.

وكان أيوبُ السختيانيُّ التابعيُّ يغتسل ليلةَ ثلاثٍ وعشرين وأربعٍ وعشرين ويلبس ثوبين جديدَيْنِ ويستجمِرُ ويقول: ليلةُ ثلاث وعشرين هي ليلةُ أهل المدينة والتي تليها ليلتنا يعني البَصْريِّين.

وقال حمادُ بن سلمةَ: كان ثابت البنانيُّ وحُميد الطويل يلبِسان أحسنَ ثيابهما ويتطيَّبان ويطيِّبان المسجد بالنّضُوجِ والدُّخْنة في الليلة التي ترجىٰ فيها ليلة القدر.

وقال ثابتُ البنانيُّ: كان لتميم الداريِّ حُلّة اشتراها بألفِ درهمٍ وكان يلبسها في الليلة التي تُرجىٰ فيها ليلةُ القدر.

ورُوي عن أنس بن مالك إذا كان ليلة أربعٍ وعشرين اغتسل وتطيب ولبس حُلَّة إزارًا ورداءًا، فإذا أصبحَ طواهما فلم يلبِسْهُما إلى مثل ذلك من قابِلٍ».

قال الحافظُ ابنُ رجب: «تبينَ بهذا أنه يستحبُّ في الليالي التي تُرجى فيها ليلةُ القدرِ التنظيفُ والتزينُ والتطيبُ بالغسلِ والطيب واللباس الحسن كما يشرع ذلك في الجمع والأعياد».

قلت: ورد أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان يغتسلُ في العشر الأواخر من رمضانَ وذلك لمكان ليلةِ القدرِ فأخرج ابن أبي عاصم بإسناد مقاربٍ عن عائشةَ قالت: «كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إذا كان رمضان قام ونام، فإذا دخل العشر شدَّ المئزرَ، واجتنبَ النِّساءَ، واغتسل بسن الأذانين -أي آذان المغرب والعشاء- وجعل العشاء سحورًا».

وعن عليٍّ رضي الله عنه أن النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان يغتسل بين العشائين كل ليلة يعني من العشر الأواخر. في إسنادُه ضعف.

وروى ابنُ أبي عاصم عن حذيفة أنَّه قام مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ليلة من رمضان فاغتسل النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وستره وبقيت فضلة فاغتسل بها حذيفةُ وستره النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.

هل للنُّفَساء والحائضِ نصيبٌ من ليلةِ القدرِ؟

قال جويبر: قلتُ للضَّحاك أرأيت النفساء والحائضَ والمسافرَ والنائمَ، لهم في ليلة القدر نصيبٌ؟ قال: نعم كل من تقبَّل الله عملَه سيعطيه نصيبَه من ليلة القدر . ومعنى هذا أنَّ هؤلاء أحسنُوا العمل في شهر رمضان فتقبَّل الله منهم،

ومن تقبل الله منه لم يحرمه نصيبَه من ليلة القدر.

أيُّ العمل أفضلُ في هذه الليلة؟

قال سفيان الثوري: الدُّعاء في هذه الليلة أحبُّ إلي من كثرة الصَّلاة، قال: «وإذا كان يقرأ وهو يدعو ويرغب إلى الله في الدعاء والمسألة لعله يوافق».اهـ

قال الحافظُ ابن رجبٍ: ومرادُه أن كثرةَ الدُّعاء أفضلُ من الصَّلاة التي لا يكثر فيها الدعاء، وإن قرأ ودعا كان حسنًا وقد كان النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يتهجدُ في ليالي رمضان ويقرأ قراءة مرتلةً لا يمرُّ بآية فيها رحمة إلا سأل، ولا بآية فيها عذاب إلا تعوَّذ فيجمعُ بين الصلاة والقراءة والتفكر».اهـ

وقالت عائشة للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: أرأيتَ إن وفقت ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال: «قولي: **اللهُمَّ إنكَ عَفُوٌّ تحبُّ العَفْوَ فاعفُ عنِّي**». فالدعاء مفضَّل في هذه الليلة، والله أعلم.

١١٢- حكم الله على اليهود
بين الماضي والحاضر(١)

بمناسبة انتهاز الصُّهيونية فرصة الاضطراب العالمي حول مسألة القناة وعبثهم بمواثيقِ المهادنةِ وإدمانهم على الغدر والخيانة نذكر هنا حكم الله فيهم ليكون في علم المسلمين حتى ينفذُوه من بعد كما نفذه الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من قبل.

روى البخاريُّ ومسلمٌ في الصحيحين عن عائشةَ رضي الله عنه قالت: «أصيبَ سعدٌ يوم الخندق رماه رجلٌ من قريش في أكحَلِه فضرب عليه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم خيمةً في المسجد ليعودَه من قريبٍ، فلما رجع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من الخندقِ وضعَ السَّلاح واغتسل، فأتاه جبريلُ وهو ينفضُ رأسَه من الغبار فقال: قد وضعتَ السَّلاحَ؟والله ما وضعناه فاخرجْ إليهم، فقال: النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**فإلى أينَ؟**» قال جبريلُ: ها هنا وأشار إلى بني قريظة، فأتاهُم رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وحاصَرَهُم، فنزلوا على حكمه، فرد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الحكم فيهم إلى سعد، قال سعد فإنِّي أحكمُ فيهم أنْ تقتلَ المقاتلةُ، وأن تُسبى النِّساء والذريةُ، وأن تقسم أموالهم، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لقدْ حكمْتَ فيهمْ بحُكمِ الله عزَّ وجلَّ**».

لقد لعب بنو النضير -قبيلة من اليهود- دورًا هامًّا في غزوة الخندق، فإنهم كانوا إلى جانب إثارتهم قبائل قريش على الإسلام والمسلمين، قد أخذُوا على

---

(١) المسلم، السنة السادسة، العدد (٨) ربيع الأول ١٣٧٦.

عاتِقِهم التأثير في بني قريظة -قبيلة أخرىٰ من اليهود- كان موقفُهم من الإسلام حتىٰ تلك الغزوة موقفَ الحليف. فخرج حُيَيُّ بنُ أخطبَ النَّضِيرِيُّ حتىٰ أتىٰ كعب بن أسد القرظيَّ سيد بني قريظة وصاحب عقْدِهم وعهدِهم، فقد كان عاقد رسول الله وعاهده علىٰ أن ينصرَه إذا أصابته حربٌ، فما زال به حُيَيُّ بن أخطبَ يُغريه ويُمَنِّيه حتىٰ نقض كعبٌ عهده، وبرئ مما كان بينه وبين المسلمين.

فلما انتهىٰ الخبر إلىٰ الرسول وإلىٰ المسلمين بعث الرسول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم سعدَ بنَ معاذٍ سيِّدَ الأوس، وسعدَ بن عبادةَ سيِّدَ الخزرجِ، ليعلما له خبر بني قريظة وكان أمرهم يهمُّه أكثر مما يهمُّه أمر قريشٍ، لأنَّ هؤلاء في بلده والخيانة منهم تؤثر كثيرًا في مركز جيشه، فلما انتهىٰ السَّعدان إلىٰ بني قريظة وجدوهم علىٰ أخبثِ ما بلغهم عنهم؛ نالوا من رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وقالوا: من رسول الله؟ لا عهدَ بيننا وبين محمَّد! فشاتمهُم سعد بن معاذ وكان رجلاً فيه حدَّة، فقال له سعد بن عبادة: دعْ عنكَ مشاتمَتهم فما بيننا وبينهم أربىٰ من المشاتمة.

ثم جاء السَّعدان إلىٰ رسول الله وأعلماه بما عليه القومِ فعَظُم عند ذلك البلاءُ علىٰ المسلمين، حتىٰ أزاحَ الله عنهم هذه الغُمَّة الثقيلة التي علمتهم كيف يخندِقون علىٰ ديارهم إذا جاء عدوٌّ أكثرُ منهُم عددًا، وتعلَّموا من ذلك درسًا لهم استفاد منه الأناة في ملاقاة الأعداءِ، واضطروا بحكمِ ما هم فيه من الشدائد أن يستعينُوا بالخدعِ التي تفرق بين الأعداءِ الذين اعتدَوا عليهم، وعرفوا أن من عاقدوهم من بني قريظة لا عهد لهم ولا رادع عما استكن في

أنفسهم من العداءِ الشَّديدِ، فلم يكنْ هناك بدٌّ من جزائهم جزاء شديدًا، يناسب فظاعةَ جرمِهم وشناعةَ خيانتِهم.

فقد كانتْ فعلتُهم ائتمارًا على الدولة ونقضًا للعهْد، ونكثًا للحلفِ، مع أن العرب في جاهليتِهم لم يجتمِعوا على تعظيمِ شيء اجتماعَهم على تعظيم الوفاء بالعهود والمواثيق فأخذُوا به أنفسَهم في كل جيل وقبيل، ثم جاء الإسلام فزاد الأمر توثيقًا واعتنى بهذه الخصْلة أشدَّ عناية فوردتْ في تأييدها الآيات الكثيرة والأحاديث العديدة، قال تعالى: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ [النحل: ٩١] فكانَ أمرًا طبيعيًّا ومنطقيًّا بعد أن انتهت الغزوة بالغلبة والانتصار أن يَلقى بنو قريظة جزاءَهم العادل ليكونوا عبرةً لغيرِهم، فلا تكرَّر أمثال هذه الخيانات في المستقبل.

فلما رجع صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من الخندقِ وكان وقتُ الظهيرة دخل بيت عائشة ووضعَ السِّلاح واغتسل، أتاه جبريل عليه السلام فقال: أوضَعْتَ السَّلاح ونحن معاشرَ الملائكةِ ما وضعْناه؟ فاخرجْ، فقال: «**إلى أينَ؟**» فقال جبريل: هاهنا، وأشار إلى بني قريظة، فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**إنَّ منْ أصْحَابي جَهْدًا فلو أنظرتَهم أيامًا**». فقال جبريل: «انهضْ إليهم فوالله لأضَعْضِعَنَّهُم» ثم أدبرَ جبريل عليه السلام ومن معه من الملائكة حتى سطع الغبار كما روى البخاريُّ عن أنس رضي الله عنه قال: «كأني أنظرُ إلى الغبار ساطعًا في زُقاقِ بني غنْمٍ لموكبِ جبريلَ عليه السَّلام حين سار لبني قريظة».

فأتاهم رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ومعه أصحابُه فحاصرَهم حصارًا شديدًا، خمسًا وعشرين ليلة حتى أجْهدهم الحصارُ وقذفَ الله في

قلوبهم الرُّعبَ، فسألوا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أن ينزلُوا على حكمه، فردَّهم إلى النزول على حكم سَعد بنِ معاذٍ حليفِهم، فلما رضُوا بذلك أرسل رسول الله إلي سعد فأتاه على حمار، وقد كان لا يزال جريحًا فلما دنا قال عليه الصلاة والسلام للأنصار: «**قُومُوا إلى خيرِكم**» وقال لسعد: «**هؤلاءِ بنو قُرَيظةَ نزلوا على حُكْمِكَ فيهم**». فقال سعد يا رسول الله: «تقتلُ منهم مقاتلتُهم -وهم الرجال- وتُسْبى ذرارِيهم -وهم النِّساء والصِّبيان- وتقسم أموالهم». فقال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**لقدْ قضيْتَ فيهمْ بحكْمِ الله عزَّ وجلَّ**».

ثم أمر عليه الصلاة والسلام ببني قُريظةَ بعد نزولهم من الحصن أن يُساقوا إلى المدينة فضربتْ أعناقُهم، وكانوا أربعمائةٍ كما في حديث جابر عند الترمذيِّ والنسائيِّ وابن حِبَّان بإسنادٍ صحيحٍ، وأمر بالغنائم فجُمعتْ وقُسِمتْ بين المسلمين.

وإنما حكم فيهم سعدٌ بهذا الحكم الذي يبدو لصغار العقول أنه قاسٍ جائرٌ لأن سعدًا -وهو حليفُهم- قد أيقنَ بأنهم إن أبقى على حياتِهم لم تهدأ لهمْ نفس حتى يؤلبوا الأحزابَ من جديدٍ، ويجمّعوا العربَ لقتال المسلمين ليبيدوهم جميعًا، فالحكمُ الذي أصدره على قسوته وشدته إنما كان متأثرًا فيه بالدِّفاع عن النفس واعتباره إفناءَ اليهودِ أو زوالهم مسألةَ حياة أو موتٍ بالنسبة للمسلمين والسلام العامِّ، وهذا ما يجب أن يتمَّ إن شاء الله مرة أخرى في وقته.

١١٣- ذكرى الإمام الحسين[١]

بمناسبةِ قربِ مولدِ الإمامِ أبي عبد الله الحسين بن عليٍّ عليهما السَّلام رأينا أن نذكر نبذة موجزة عن حياته وبعضِ شمائله ومناقبِه فنقول:

هو الإمامُ أبو عبد الله الحسين بن عليٍّ بن أبي طالب الهاشميِّ، وأمُّه سيدة نساء أهل الجنة فاطمةُ الزَّهراء بنتُ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وهو وأخوه الحسن سيِّدا شبابِ أهل الجنة، وُلد في شعبان سنة أربعٍ من الهجرة في قول الأكثر، وقال الواقديُّ وطائفةٌ معه: ولد سنة ثلاث، وقال قتادةُ: وُلد الحسين بعد الحسن بسنة وعشرة أشهر، سنة ستٍّ، وقيل: وُلد سنة سبع وهذان القولان مستبعدان لا يعتدُّ بهما.

قال جعفرُ الصَّادقُ عن أبيه محمَّد الباقر عليهما السَّلام: «لم يكنْ بين الحسن والحسين إلا طهرٌ واحدٌ». رواه الطبرانيُّ بإسنادٍ صحيحٍ.

وروىٰ الطبراني أيضًا بسند رجاله ثقاتٌ عن الزُّبير بن بكَّار قال: وُلد الحسينُ لخمس ليال خلوْنَ من شعبان سنة أربعٍ من الهجرةِ وقُتل يومَ عاشوراء سنة إحدىٰ وستين، قتله سِنانُ بن أبي أنس وأجهز عليه خوْلي بن يزيد الأصبحيُّ من حمير وحز رأسه وأتىٰ به عبيد الله بن زياد أمير الكوفة فقال سِنانٌ:

أوْقِرْ رِكَابي فضةً وذَهبًا ... إنِّي قتلتُ الملِكَ المُحَجَّبَا

قتلتُ خيرَ الناسِ أمًّا وأبًا

ولما وُلدَ الحسينُ عقَّ عنه رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وعقَّ عن

---

(١) الشرق العربي، السنة الثانية، العدد (٣٥) ١٠ ربيع الثاني ١٣٦٧.

أخيه الحسن، وكان جسدُه شبيهًا بجسدِ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كما جاء عن محمَّدُ بن الضَّحَّاك بن عثمانَ الحزاميُّ فيما رواه الطبرانيُّ بإسنادٍ جيدٍ.

وفي "صحيح البخاريِّ" عن ابن سيرين، عن أنس: أتىٰ عبيد الله بن زياد برأس الحسين بن عليٍّ فجعل في طستٍ فجعل ينكتُ وقال في حسنه شيئًا.

أي قال: «ما رأيتُ مثل هذا حسنًا» كما في رواية الترمذيِّ.

فقال أنس: كان أشبهَهم برسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

ولا يعارض هذا قول أنس أيضًا كما في "صحيح البخاري": «لم يكن أحد أشبهَ بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من الحسن بن عليٍّ»، لأنَّ هذا قاله أنس في حياة الحسن وكان أشد شبهًا بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من أخيه الحسين فلما مات الحسن كان أشبه أهل البيت بالنبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم هو الحسين كما قال أنس، فلم يكنْ بين كلاميْهِ تعارضٌ.

كان النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يحبُّ الحسينَ ويلاعبُه ويقبِّلُه ويقول: «**اللهُمَّ إنِّي أحبُّه فأحبَّه وأحِبَّ منْ يحبَّه**».

وفي "مسند أبي يعلىٰ" بإسناد صحيحٍ عن جابر بن عبد الله قال: «من سره أن ينظر إلىٰ رجل من أهل الجنة فلينظرْ إلىٰ الحسين بن عليٍّ فإني سمعت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقوله».

وروىٰ الطبرانيُّ بإسناد حسن كما قال الحافظُ نور الدين عن أبي الطفيل قال: استأذن ملَكُ القطر أن يسلِّم علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في بيت أمِّ سلمةَ فقال: لا يدخل علينا أحدٌ، فجاءَ الحسينُ بن عليٍّ فدخل فقالت أمُّ سلمة: هو الحسين فقال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «دَعِيهِ» فجعل يعلو

رقبةَ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ويعبثُ به والملَك ينظرُ، فقال الملك: أتحبُّه يا محمَّدُ قال: «**إي والله إنِّي لأحبُّه**». قال: أما إنَّ أمتك ستقتُله وإن شئتَ أريتُك المكان فقال بيده فتناول كفًّا من تراب فأخذت أمُّ سلمةَ الترابَ فصرَّتْه في خمارِها فكانوا يرونَ أنَّ ذلك الترابَ منْ كربلاءَ.

ولهذا الحديث طرقٌ عن أمِّ سلمةَ وعليٍّ وأبي أمامة وابنِ عبَّاسٍ.

وفي "معجم الطبرانيِّ" بإسناد جيِّد عن أبي هريرة قال: سمعتْ أذناي هاتان وأبصرتْ عيناي هاتان رسولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وهو آخذٌ بكفَّيه جميعًا حسنًا أو حسينًا وهو يقول: «**حُزُقَّةٌ حُزُقَّةٌ تَرَقَّ عينَ بقَّة**». فيرقىٰ الغلامُ فيضعُ قدميه علىٰ صدر رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ثم قال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**افتحْ فاكَ**» ثم قبله ثم قال: «**اللهُمَّ أحبَّه فإنِّي أحبُّه**». حزقة بضم الحاء والزاي وفتح القاف المشددة هو: الضعيفُ المتهالك.

وقال يزيد بن أبي زياد: خرج النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من بيتِ عائشة فمر علىٰ بيت فاطمة فسمع حسينًا يبكي فقال: «**ألم تعْلَمِي أنَّ بُكاءَهُ يُؤذِينِي؟**». رواه الطبرانيُّ وهو معضل.

وفي "سنن الترمذيُّ" عن ابن عبَّاسٍ قال: كانَ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حامل الحسين بن علي علىٰ عاتقِه فقال رجلٌ: نعم المركَبُ ركبتَ يا غلامُ. فقال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ونعمَ الرَّاكبُ هُوَ**».

وقد وقع مثل هذا للحسنِ والحسينِ معًا، ففي "مسند أبي يعلىٰ" بإسناد صحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: رأيت الحسن والحسن علىٰ عاتقي النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقلتُ: نعم الفرسُ تحتكما. فقال النبيُّ

صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ونِعْمَ الفارسَانِ**».

وفي "معجم الطبرانيِّ" بإسنادٍ ضعيفٍ عن جابر رضي الله عنه: دخلتُ علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وهو يمشي علىٰ أربعةٍ وعلىٰ ظهرِهِ الحسن والحسينُ وهو يقول: نعم الجمَل جملكما، ونعمَ العِدْلان أنتُما. العِدْلان بكسر العين.

وورد من طرق كثيرة بلغت حد الاستفاضة والشهرة أن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**الحسنُ والحسينُ سيِّدا شبابِ أهلِ الجنَّة**».

وتواتر حبُّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ لهما ودعاؤُه لمن يحبُّهما، ولهذا كان كبار الصحابة وأجلاؤُهم يعظِّمون الحسنينِ ويجلونهما لحبِّ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لهما، ومكانهما منه، وفي القصَّة التاليةِ دليلٌ علىٰ ذلك:

قال الحسينُ عليه السَّلام: أتيتُ عمر وهو يخطبُ علىٰ المنبر فصعِدتُ إليه فقلتُ: انزلْ عن منبر أبي واذهبْ إلىٰ منبر أبيكَ فقال عمر: لم يكنْ لأبي منبرٌ، فأخذني وأجلسَني معه أقلبُ الحصىٰ بيدي فلما نزلَ انطلق بي إلىٰ منزله فقال لي: من علمَك؟ قلتُ: والله ما علَّمني أحدٌ. قال: بأبي لو جعلتَ تغْشانا. قال: فأتيته يومًا وهو خال بمعاويةَ وابنُ عمر بالباب فرجعَ ابنُ عمر فرجعتُ معه، فلقيني بعد فقال لي: لم أركَ. قلت: يا أميرَ المؤمنين إني جئتُ وأنت خال بمعاوية فرجعتُ مع ابن عمر. فقال: أنت أحقُّ من ابنِ عمرَ، فإنَّما أنبت ما ترىٰ في رؤُوسنا الله ثمَّ أنتُم.

هذه قصة صحيحة كما قال الحافظُ ابن حجرٍ رواها الخطيبُ في "تاريخ بغداد" وغيره.

وصحَّ عن العيزار بن حُريث قال: بينما عبد الله بن عمر جالسٌ في ظل الكعبة إذ رأىٰ الحسينَ مقبلًا فقال: هذا أحبُّ أهل الأرض إلىٰ أهل السَّماء اليوم.

وفي أوسطِ معاجمِ الطبرانيِّ بسند لا بأسَ به عن رجاء ابن ربيعة قال: كنتُ في مسجد رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إذ مرَّ الحسينُ بن عليٍّ فسلَّم فردَّ القوم عليه السَّلام وسكت عبد الله بن عمرو بن العاص، ثم رفع ابن عمرو صوته بعدما سكتَ القوم فقال: وعليك السَّلام ورحمة الله وبركاته، ثم أقبل علىٰ القوم فقال: ألا أخبرُكم بأحبِّ أهل الأرضِ إلىٰ أهل السَّماء قالوا: بلىٰ، قال: هو هذا المقفِّي -بكسر الفاء المشددة، أي الذَّاهب- لا والله ما كلَّمته كلمة ولا كلَّمني كلمةً منذ ليالي صفِّين ووالله لأن يرضى عنِّي أحبُّ إليَّ من أن يكون لي مثلُ أحدٍ، وذكر بقية القصة في ذهاب عبد الله إلىٰ الحسينِ واستسماحه وعفو الحسين عنه.

وكان الحسينُ كثيرَ الصَّومِ والصَّلاةِ والحجِّ قال مصعبٌ الزُّبيريُّ: حجَّ الحسنُ خمسًا وعشرين مرة ماشيًا.

وفي "سنن الترمذيِّ" عن سلمىٰ قالتْ: دخلتُ علىٰ أمِّ سلمةَ وهيَ تبكي فقلت: ما يُبكيك؟ فقالتْ: رأيتُ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم -تعني في المنام- وعلىٰ رأسه ولحيتِه الترابُ فقلت: مالكَ يا رسول الله؟ قال: «**شَهِدتُ قتلَ الحسَينِ آنفًا**».

وروىٰ ابن أبي شيبةَ بإسنادٍ صحيحٍ عن ابن عبَّاسٍ قال: رأيتُ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فيما يرىٰ النائمُ نصفَ النهار وهو قائمٌ أشعثُ أغبرُ بيده

قارورة فيها دمٌ، فقلت: بأبي أنت وأمِّي يا رسول الله ما هذا؟ قال: «**هذا دمُ الحسينِ لم أزلْ التقِطُه منذُ اليومَ**». فوجد قد قتل في ذلك اليوم.

وقال خلفُ بن خليفة عن أبيه: لما قُتلَ الحسينُ اسودَّت السَّماء فظهرت الكواكب نهارًا.

وقال منذرُ الثوريُّ: جاء رجلٌ يبشِّر الناسَ بقتلِ الحسينِ فرأيتُه أعمىٰ يُقاد، وقال الأعمشُ: تغوَّط رجلٌ علىٰ قبر الحسين فأصابَ أهل ذلك البيت خَبَلٌ وجنونٌ وجذامٌ وبرصٌ وفقرٌ.

وقال أبو رجاءٍ العطارديُّ: لا تسبُّوا أهلَ البيتِ فإنه كان لنا جار من بِلْهجيم قدم علينا من الكوفة قال: ألا ترونَ إلىٰ هذا الفاسقِ ابنِ الفاسقِ قتله الله -يعني الحسين- فرمَاه الله بكوكبينِ في عينه فذهبَ بصره.

هذه آثار صحيحةٌ حذفنا أسانيدها اختصارًا وهي قطرةٌ من بحرِ فضائلِ الحسينِ علىٰ جدِّه وأبيه وأمِّه وأخيه وعليه أفضلُ الصَّلاةُ والسَّلامُ.

١١٤- رجوع الحق إلى نصابه[١]

كان حادثُ الانقلابِ الأخيرِ في اليمن محنةً عظيمةً كادت تُودي بهذا القطرِ الشقيق وترمي به في أحضانِ الاستعمارِ البغيضِ، ولكنَّ الله سبحانه وتعالىٰ أراد باليمنِ وأهلِه خيرًا فقضىٰ علىٰ الفتنة في مهدِها، وأوقعَ بمُثِيرها والمروِّجين لها، وردَّ إمامةَ اليمن إلىٰ أهلها الشَّرعيين، فاستتبَّ الأمنُ هناك واستقرت الأمورُ، وانصرفَ إخوانُنا اليمنيُّون إلىٰ أعمالهم في هدوء واطمئنان مبتهجين بالقضاء علىٰ أولئك الخوارجِ الذين أرادُوا أن يثيرُوها فتنةً عمياءَ لا يعلم عاقبتها -لو تمت- إلا الله.

وقد كانتْ هذه المحنةُ امتحانًا قاسيًا خرجَ منه الشَّعب اليمنيُّ فائزًا مظفرًا وبرهنَ علىٰ أنه يرعىٰ الجميلَ ويخلص لأئمته الذين يرعون استقلاله ويحفظون كيانه، ويحافظون علىٰ القيام بمعالم الشَّرع وإقامة حدودِه، كما لمسَ ذلك في عهد الإمام الراحل المغفور له الإمام يحيىٰ حميد الدين؛ فلقد ظلَّ تغمَّدَه الله برضوانه محافظًا علىٰ استقلال البلاد مدة تسع وأربعين سنة رغم تقلُّب الأحداث السياسية، وتعاقب الحروب، وتوالي أطماع الدُّول الأجنبية فما سَمح لأجنبيٍّ أن يطأ بلاده ولا راجتْ عليه حيلةٌ من الحيل التي يخترعُها الأجانبُ لالتهام الشُّعوب بل وجدُوه رضوان الله عليه يقظًا حازمًا وشهمًا هُمامًا.

أما تمسُّكه بالشرع وحرصه علىٰ المحافظة عليه فهو أخصُّ صفاته، وأظهر سماته ولعائلتنا آل الصِّدِّيق به اتصال علميٌّ وثيقٌ، يرجع إلىٰ خمسَ عشرةَ سنة

---

(١) مجلة الشرق العربي، السنة الثانية، العدد (٤٣) جمادىٰ الأولىٰ ١٣٦٧.

حصل فيه تبادلُ الإجازات العلميَّة وربط أسانيد المغاربة باليمنين والعكس.

وأهدينا إلى جلالته بعضَ مؤلفاتنا فحازَت رضاءَه السَّامي عليه رضوان الله وإنَّ من يجالسْ نجلَه حضرة صاحب السُّمُو الأمير سيف الإسلام عبد الله أو يتصل بسموِّه عن كثبٍ ليلمسُ فيه روحًا دينيَّةً عاليةً، وأخلاقًا نبيلةً ساميةً، واطلاعًا واسعًا في الشؤون العربية والإسلامية، وحرصًا على التمسُّك بأهداب الدين مع تلطف في الحديث وتواضعٍ جمٍّ ينسى الشخصُ أنه في حضرة أمير.

وهو إلى جانب انشغاله بالقضايا العربية الهامَّة التي تشغل بالَ كلِّ عربي الآن يواصل اهتمامه بالشئون العلمية وطبع الكتب النادرة النافعة تحقيقًا لرغبة والده الإمام الشهيد فهذا كتاب "البحر الزَّخَّار الجامع لمذاهب علماء الأمصار" يجري طبعه بتصحيحي وهو كتابٌ فذٌّ في بابه يحكي مذاهبَ الأئمة من الصحابةِ وغيرِهم ويذكر مع كل مذهبٍ دليلَه ويرجِّح هذا على ذاك بحسب مقتضى الدليل.

وهذا كتاب "شمس العلوم" في اللغة يعد للطبع وهو كتابٌ عجيبٌ يعتبر دائرةَ معارفِ عامة، وهذا كتاب "توضيح الأفكار شرح تنقيح الأنظار" في علمِ مصطلحِ الحديث على وشكِ الانتهاء من الطَّبع، وهذا كتاب "المنية والأمل في شرح المِلَل والنِّحل" يعدُّ للطبع أيضًا إلى غير ذلك من الكتب القيمة التي يشهد طبعها بما للأمير الجليل من الأيادي البيضاء على العلم وأهله والتي ستفتح في عالمِ المطبوعات فتحًا جديدًا، وسينهل من معينها عشاق العلم وطلاب الحقائق.

ونحن لا يسعنا في هذه الكلمة العابرة إلا أنْ نسأل الله أنَ يُبقيَ سموَّ الأمير للعلم نصيرًا وللمكارم ظهيرًا، كما نسأله سبحانه أن يُهيِّئ لليمن أسباب الرقيِّ والتقدم في عهد أخيه جلالةِ الناصر لدين الله الإمام أحمد، أعزَّ الله نصرة وأعلىٰ علىٰ أعاديه أمرَه، إنه سبحانه سميعُ الدعاء فعالٌ لما يشاء.

١١٥- حسن التبعُّل[١]

عن أسماءَ بنتِ يزيدَ أنها أتتِ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقالت: إني رسول من ورائي من جماعةِ نساءِ المسلمين، كلهنَّ يقلنَ بقولي وعلىٰ مثلِ رأيي، إنَّ الله بعثَك إلىٰ الرِّجال والنساءِ فآمنَّا بك واتَّبعناك، ونحن معشرَ النِّساءِ مقصوراتٌ مخدَّراتٌ قواعدُ بيوتٍ، وإنَّ الرِّجال فُضِّلوا بالجمعات وشهود الجنائز والجهاد، وإذا خرجُوا للجهاد حفِظْنا لهم أموالهم وربَّينا لهم أولادهم، أفنشاركهم في الأجرِ يا رسول الله؟

فالتفتَ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بوجهه إلىٰ أصحابه وقال: «**هلْ سَمِعْتُم مقالةَ امرأةٍ أحسنَ سؤالًا عنْ دينِها منْ هَذِه؟**» فقالوا: لا والله يا رسول، فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**انْصَرِفي يا أسماءُ وأعْلِمِي من وراءَكِ من النِّساءِ أنَّ حسنَ تبعُّل إحدَاكُنَّ لزَوجِها وطلبَها لمرضاتِه واتِّباعَها لموافقتِه يَعدِلُ كلَّ ما ذكرتِ للرِّجالِ**». فانصرفتْ أسماءُ وهي تهلِّل وتُكبِّر استبشارًا بما قال لها رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

أسماءُ راويةُ هذا الحديث أنصاريةٌ صحابيةٌ جليلةٌ وهي بنتُ عمِّ معاذ بن جبل تكنىٰ أمَّ سلمة، وكانت تُسمىٰ خطيبةَ النساء لأنها كانت تتكلَّم عنهن وتقوم مقامهنَّ في مخاطبة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وسؤاله عما يتعلَّق بهن لكمال عقْلها وحسنِ سؤالها، حضرتْ وقعة اليرموك فقتلتْ تسعةً من الروم بعمودِ فسطاطِها، وعاشتْ بعد ذلك دهْرًا رضيَ الله عنها.

---

(١) نشر الفضائل، السنة ١٢ العدد (١-٢) ١٢-١٩ جمادىٰ الثاني ١٣٦٣.

وهذا الحديثُ يؤخذُ منه ما كان عليه النِّساءُ في صدرِ الإسلام من حرصهنَّ على تعلُّم أحكام الدين ومنافستهنَّ للرجال في أعمال الخير حتى لا يسبقهنَّ الرجالُ في ميدان طاعة الله ورسوله، وقد علم النساءُ بما سمعنَ من كلام الله وحديث رسوله أنَّ المرأة يجب أنْ تكونَ متحجِّبةً مخدَّرةً لا تخالط الرجال ولا تغشى مجالسَهم بل لا تفارقُ منزلها إلا لقضاء مصلحة لها ثم ترجع.

وتحقيقًا لاحتجابِ المرأة وصونًا لمكانتِها أسقطَ الشَّارع عنها حضور الجماعة والجمعة، وتشييعَ الجنازة وحضورَ الجهاد، فلا تجبُ هذه الأشياء على المرأة لأنها لو حضرتْها لكان ذلك مظنَّة الاختلاطِ المحذُور أو تتناولها الأبصار والنظرة سَهمٌ مسمومٌ من سهامِ إبليسَ كما جاء في الحديث.

ولأنَّ في هذه الأعمال من المشقَّة والإجهادِ ما يتنافى مع تكوينِ جسمِ المرأة ويشقُّ عليها أداؤُه على الوجْهِ الأكمل، والشرع وإن أباحَ للمرأة حضور الجماعة فمع ذلك جعل صلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في المسجد كما جاء في الحديث الصحيح.

علم النِّساء الصحابيَّات ما اختصَّ به الرجال من الأحكام المذكورة فلم يطلبنَ المساواة بهم كما نَسمع اليومَ أصواتًا ترتفعُ ناعقةً بوجوب مساواة المرأة للرجل في سائر الحقوقِ والواجبات، ويتجاهل أصحابُ تلك الأصوات حكم الإسلام في هذه المسائل، كأنَّ ليس بينَهم وبين الإسلامِ صلةٌ، بل قد يتجنَّون على الإسلام فينسبُون إليه أحكامًا على غيرِ وجهِها؛ ليؤيدوا ما يذهبُون إليه من إفساد المرأة وإخرجها عن الوضع الحكيم الذي اختاره الشرع لها.

نعم، لم يطلبِ الصحابياتُ رضي الله عنهن مساواتِهنَّ بالرجال لأنهنَّ أكمل عقلًا وأقوىٰ إيمانًا من أن يطلبنَ تغييرَ سنَّةَ الله في خلقِه، وإنَّما طلبن أن يكون لهنَّ من الأجر مثل ما للرجال؛ لأنهنَّ يدبِّرنَ شأنَ المنزل ويقمنَ بتربية الأولاد وإعدادِهم ليكونُوا رجالًا أكْفَاءَ يواجهون الشدائد ويذلِّلون الصِّعاب ويوجهون الأمور كما ينبغي أن توجَّه، هذا مع قيامِهنَّ بحفظِ أموال الأزواج أثناء غيابِهم ومحافظتهن علىٰ أسرارِهم، وهذه أعمال جليلةٌ لا تقلّ قيمتها وفائدتها عن عمل الرجال في ميدان الحياة الشاقِّ المتعبِ بل هي أساسُه؛ لأن الرجل لا يذهبُ لحجٍّ أو جهادٍ حتىٰ يطمئنَّ علىٰ أولادِه ومالِه وما يترتبُ بعده، فلو لم تكفِه المرأةُ ذلك لاضطربَ حالُه واختلَّ عملُه.

عرف الصحابيات قيمة ما يؤدين من أعمال عظيمةٍ تتوقف عليها أعمال الرجال فبعثنَ أسماءَ بنت يزيد تقول لرسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم نحن معشرَ النساءِ مقصوراتٌ مخدَّراتٌ، أي مستوراتٌ محجَّباتٌ قواعدُ بيوتٍ لا نبرحُها إلا لقضاءِ حاجةٍ، وإنَّ الرِّجال فُضِّلوا علينا بالجمعَات وشهودِ الجنائزِ والجهاد وهذه الأعمال واجبةٌ علىٰ الرجال دونَ النِّساء، بل يحرُم علىٰ المرأة تشييع الجنازة، ثم قالتْ أسماءُ وإذا خرجَ الرجال للجهادِ حفِظنا لهم أموالهم وربَّينا أولادَهم أفنشاركُهم في الأجرِ؟ فأعجبَ النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بكلامِها الدالِّ علىٰ عقلِها وفضلِها، والتفتَ إلىٰ أصحابه يلفتُ نظرَهم إلىٰ ذلك ويُبيِّن لهم أنَّ حرصَ المرأةِ علىٰ العلمِ والدِّين لا يقلّ عن حرصِ الرجلِ، ثم قال لها صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**انصَرفي يا أسْماءُ وأعلِمِي من وراءَك مِنَ النِّساء أنَّ حُسْنَ تبعُّلِ إحدَاكنَّ لزَوْجِها**» أي حسنَ قيامِها بشؤونِه والتبعُّل -القيام

بشؤون البَعْل وهو الزَّوج- طلبها لمرضاتِه في غير ما يكون معصيةً واتباعها لموافقتِه يَعدِلُ كل ما ذكرت للرجال من جُمُعاتٍ وشهودِ جنائزَ وجهادٍ، وذلك لأن المطلوبَ من المرأة أن تطيعَ زوجَها وتعينه على مشاق الحياة في دائرة اختصاصِها وفي الحديثِ الصحيحِ: «**إذا صلَّتِ المرأةُ خمسَها وصَامَتْ شَهْرَهَا وحفظَتْ فرجَها وأطاعتْ زوجَها قيلَ لها ادْخُلي منْ أيِّ أبوابِ الجنَّة شئتِ**».

نسأل الله أن يوفِّقنا جميعًا إلى ما فيه الخيرُ والرَّشادُ.

١١٦- ما ورد في ليلة النصف من شعبان[١]

بمناسبة شهر شعبانَ المبارك رأينا أنْ نتكلَّم على ما وردَ في فضْلِ ليلة النِّصف منه، وقيامِها، والدعاءِ فيها، وما يتعلق بذلك على سبيل الإيجاز.

ولم نر أن نتعرَّض لما ورد في فضل صيام الشَّهر نفسِه؛ لأنَّ استحباب ذلك وكونه من فعل النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم معروفٌ ومشهورٌ.

ففي الصحيحين وغيرهما عن عائشةَ قالت: كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يصومُ حتى نقول لا يفطرُ ويفطرُ حتى نقول لا يصومُ، وما رأيت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم استكمل صيامَ شهرٍ إلا شهرَ رمضانَ، وما رأيته أكثرَ صيامًا منه في شعبان.

وفيهما أيضا عنها قال: لم يكن النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يصومُ شهرًا أكثر من شعبان فإنَّه كان يصومُ شعبان كله وكان يقول: «**خذُوا منَ العمَلِ ما تطيقُونَ فإنَّ الله لا يمَلُّ حتَّى تملُّوا**»، وكان أحبّ الصّلاة إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ما دُووِم عليه وإن قلَّت، وكان إذا صلَّى صلاةً داوم عليها. وعن أسامة بن زيد، وأم سلمة، وأنس رضي الله عنهم نحو ذلك بأسانيدَ جيادٍ.

فمما ورد في ليلة النصف من شعبان: ما رواه الطبراني، وابن حِبَّان في "صحيحه" عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يطَّلعُ الله إلى جميعِ خلْقِه ليلةَ النِّصْفِ من شَعْبانَ فيغفرُ لجميعِ خلقِه إلا لمشركٍ أو مشاحنٍ**». ورواه ابنُ ماجه من حديثِ أبي موسى، وإسنادُه ضعيفٌ لأن فيه ابنَ لَهِيعة وغيره.

---

(١) مجلة الإسلام، السنة الخامسة، العدد (٣٢) ١٤ شعبان ١٣٥٥.

ورواه البزَّارُ والبيهقيُّ وابنُ زَنْجَويْه من طريق القاسم بن محمد بن أبي بكر عن أبيه أو عمه عن جده أبي بكر الصِّديق رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ينزلُ الله الى السَّماء الدنيا ليلةَ النِّصف من شَعبانَ فيغْفِرُ لكلِّ نفسٍ إلا إنسانًا في قلبِه شحناءُ أو مشركًا بالله**». أشار له الحافظ المنذريُّ في "الترغيب والترهيب" وقال: «إسناده لابأس به».

وروىٰ البيهقي من طريق مكحول، عن كثير بن مرة، عن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**في ليلةِ النِّصفِ من شَعبانَ يغفرُ الله عزَّ وجلَّ لأهلِ الأرضِ إلا مشركًا أو مُشاحنًا**». قال البيهقي: «هذا مرسل جيد».

ووصله هو والطبرانيُّ من طريق مكحول عن أبي ثعلبة الخشني: أنَّ النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**يطَّلعُ الله إلى عِبادِه ليلةَ النِّصفِ منْ شعبانَ فيَغفرُ للمؤمِنينَ ويُمْهِلُ الكافرين، ويدعُ أهلَ الحقدِ بحقدِهم حتَّى يدَعُوه**». أي يتركوه. قال البيهقي: «وهو أيضًا بين مكحول وأبي ثعلبة مرسلٌ جيدٌ».اهـ لأنَّ مكحولًا لم يسمعْ من أبي ثعلبة.

وروىٰ أحمد بإسناد ليِّنه الحافظ المنذري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**يطَّلعُ الله عزَّ وجلَّ إلى خلقِه ليلةَ النِّصفِ من شَعبانَ فيغفرُ لعبادِه إلا اثنينِ مشاحنٍ وقاتلِ نفسٍ**».

وروىٰ البيهقي عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه، عن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال: «**إذا كانَ ليلةُ النِّصفِ من شَعبانَ ينزلُ فيها إلى السَّماءِ الدُّنيا نادى منادٍ: هل من مستغفرٍ فأغفرَ له؟ هل منْ سائلٍ فأعطيَه؟ فلا يسألُ أحدٌ إلا أعْطِيَ، إلا زانيةٌ بفرجِها أو مشركٌ**».

وروىٰ ابن ماجه عن عليٍّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**إذا كانتْ ليلةُ النصفِ من شعبانَ فقوموا ليلَها وصُومُوا نهارَها فإن الله ينزلُ فيها لغروبِ الشَّمسِ إلى سَماءِ الدُّنيا فيقول: ألا منْ مستغفرٍ لي فأغفرَ له، ألا مسترزقٍ فأرزُقَه، ألا مُبتلًى فأعافيَه، ألا كذا ألا كذا، حتَّى يَطلُعَ الفجرُ**».

وهذا حديثٌ ضعيفٌ جدًّا في سنده ابن أبي سَبْرة ــ بفتح المهملة وسكون الموحدة ــ منكرُ الحديث بل اتُّهم بالوضع.

وروىٰ ابن أبي شيبة والترمذيُّ وابن ماجه والبيهقيُّ عن عائشة قالت: فقدتُ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ذات ليلة فخرجت أطلبه فإذا هو بالبقيع رافعًا رأسه إلىٰ السماء فقال: «**يا عائشةُ أكنتِ تخافينَ أنْ يحيفَ الله عليكِ ورسُولُه؟**» قالت: ما بي من ذلك ولكني ظننت أنك أتيت بعض نسائك، فقال: «**إنَّ الله عزَّ وجلَّ ينزلُ ليلةَ النِّصفِ من شَعبانَ إلى السَّماءِ الدُّنيا فيغفرُ لأكثرَ من عددِ شَعْرِ غَنمِ كلبٍ**».

وروىٰ البيهقيُّ بإسنادٍ ضعيفٍ عن عائشة قالتْ: دخل عليَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فوضع عنه ثوبيْه ثم لم يستتمَّ أنْ قامَ فلبِسهما فأخذتني غيرة شديدة فظننتُ أنه يأتي بعضَ صويحباتي فخرجتُ أتبعه فأدركتُه بالبقيعِ - بقيعِ الغَرْقَد- يستغفرُ للمؤمنين و المؤمناتُ و الشُّهداء فقلتُ: بأبي و أمِّي، أنت في حاجة ربِّك و أنا في حاجة الدنيا!

فانصرفتُ فدخلتُ حجرتي و لي نفَسٌ عال و لحقني رسولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: «**ما هذا النفَسُ يا عائشةُ؟**» قلت: بأبي و أمي أتيتني فوضعتَ عنك ثوبيْكَ، ثم لم تستتمَّ أن قمتَ فلبستَهما فأخذتني غيرةٌ شديدةٌ

٦٣٨ ـــــــ

قلتُ: لا والله يا رسول الله ولكنَّني ظننت أنك قد قُبضتَ لطول سجودك. فقال: «**أتَدْري أيّ ليلةٍ هذِه؟**» قلت: الله و رسوله أعلم.

قال: «**هذه ليلةُ النِّصْفِ منْ شعبانَ إنَّ الله عزَّ و جلَّ يطَّلعُ على عبادِه في ليلة النِّصفِ من شعبانَ فيغفرُ للمستغفرينَ ويرحَمُ المسترحمينَ و يؤخِّرُ أهلَ الحقْدِ كما هُم**». قال البيهقي: «هذا مرسَل جيد».

يعني أنَّ العلاء لم يسمعْ من عائشة[1] قال: «ويحتمَل أن يكونَ العلاءُ أخذه من مكحول»، يعني فيكونُ متَّصلا.

وروى البيهقيُّ عن عائشةَ قالت: كانت ليلة النِّصف من شعبان ليلتي وكان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عندي فلما كان في جوفِ الليل فقدته فأخذني ما يأخذ النِّساء من الغَيرة، فتلفَّعتُ بمِرْطي فطلبتُه في حُجَر نسائِه فلم أجدْه، فانصرفتُ إلى حُجرتي فإذا أنا به كالثوبِ السَّاقطِ و هو يقول في سجوده: «**سجَدَ لك خَيالي و سَوادِي، و آمنَ بكَ فؤادِي، فهذِهِ يدي وما جنيتُ بها على نفسِي يا عظيمُ يُرْجَى لكلِّ عظيمٍ يا عظيمُ اغفِرِ الذنبَ العَظيمِ، سجَدَ وجْهِي للذي خلقَه و شقَّ سَمْعَهُ و بصَرَهُ**».

شكَّ أن هذا الإطلاق باطلٌ. نعم حديث: «خذُوا شطرَ دينكم عن هذه الحميراء» يعني عائشة، لا أصلَ له كما قال الحافظ وغيرُه، وإن احتجَّ به الإسنويُّ في "شرح المنهاج" وغيره ممن ليس لهم خبرة بهذا الشأن.

(١) فهم بعض من كتب في هذا الموضوع بـ"مجلة هدى الإسلام" في السَّنة الماضية من عبارة البيهقيِّ أنه يريد المرسل بمعناه المشهور فقابلته مصادفة، وأفهمته المرادَ، وأخيرًا اعترف بعد لجاجٍ وعنادٍ، ونبَّه عليه في عدد آخر لكنه لم يذكرْ من أرشدَه إليه.

ثم رفع رأسه، ثم عاد ساجدًا فقال: «**أعوذُ برضَاكَ منْ سَخَطِكَ و أعوذُ بعفوِكَ من عقابِكَ و أعوذُ بكَ منكَ أنتَ كما أثنيتَ على نفسِكَ أقولُ كما قال أخي داودُ أعفِّرُ وجْهِي في التُّرابِ لسَيِّدي وحقّ له أنْ يسْجُدَ**».

ثم رفع رأسه فقال: «**اللهمَّ ارْزُقْني قلبًا تقيًّا مِنَ الشَّرِّ نقيًّا لا جافيًا و لا شقيًّا**». ثم انصرف و دخل معي في الخميلة و لي نفس عال فقال: «**ما هذا النفَسُ يا حُمَيراءُ؟**» فأخبرته. فطفقَ يمسحُ بيده على ركبتي، و هو يقول: «**وَيْحَ هاتَينِ الرُّكبتَينِ ما لقِيتَا في هذِهِ الليلةِ ليلةِ النِّصفِ منْ شَعَبانَ ينزلُ فيها إلى السَّماءِ الدُّنيا فيغفرُ لعبادِه إلا المشرِكَ والمشاحِنَ**».

هذا ماحضرنا من الأحاديث الواردة في فضل قيام ليلة النصف من شعبان، وأنَّ الدعاءَ فيها مستجابٌ، وهي كما ترى ليس فيها تعيينُ صفةِ ذلك القيام من كونه صلاةً أو غيرَها، وعدد ركعاتها، وما يقرأ فيها، فيسن لطالب الخير إحياء هذه الليلة بأنواعِ الطاعاتِ من صلاةٍ وتلاوةِ قرآنٍ ودراسةِ علمٍ نافعٍ ودعاء له وللمسلمين بما فيه صلاحُ دنياهم وخيرُ آخرتِهم، وغيرُ ذلك من أنواع القربات.

فأما ما رُوِي عن عليٍّ عليه السلام قال: رأيتُ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ليلة النِّصف من شعبان قام فصلى أربعَ عشرةَ ركعةً، ثم جلس بعد الفراغِ، فقرأ بأمِّ الكتابِ أربعَ عشرةَ مرةً، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص] أربعَ عشرةَ مرةً، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق] أربعَ عشرةَ مرة، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس] أربعَ عشرةَ مرةً، وآية الكرسي مرة، و﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] الآية، فلما فرغ من صلاته سألته عمّا رأيته من صنيعه، قال: «**منْ صنعَ مثلَ الذي رأيتَ، كانَ له ثوابُ**

عشرين حجَّةً مبرورةً، وصيام عشرين سَنَةً مقبولةً، فإذا أصبحَ في ذلك اليوم صائمًا كان له كصِيامِ سَنتينِ: سنةٍ ماضيةٍ وسنةٍ مستقبلةٍ».

فهذا حديثٌ موضوعٌ نصَّ على وضعه مخرِّجه البيهقيُّ، وغيره.

وكذا ما رُوي عن عليٍّ عليه السلام مرفوعًا: **«منْ صلَّى مائةَ ركعةٍ في ليلةِ النِّصفِ من شَعبانَ يقرأ في كلِّ ركعةٍ فاتحةَ الكتابِ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص] إحدى عشرةَ مرةً قضى الله له كلَّ حاجةٍ يطلبُها تلكَ الليلةَ».**

قيل: يا رسول الله وإنْ كان الله كتبه شقيًّا أيجعلُه سعيدًا؟ قال: **«والذي بَعثَنِي بالحقِّ يا عليُّ إنهُ مكتوبٌ في اللوحِ فلانٌ ابن فلانٌ خُلقَ شقيًّا فيمحُوه الله ويجعلُه سَعيدًا».**

وذكر حديثًا طويلًا في فضلها، وهو أيضًا موضوعٌ نصَّ عليه ابنُ الجوزيِّ وغيره. وكذا ما ذكره الغزالي في "الإحياء" عن الحسن قال: حدثني ثلاثون من أصحابِ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «أنَّ من صلى هذه الصلاة في هذه الليلة نظر الله إليه سبعينَ نظرةً، وقضى له بكلّ نظرةٍ سبعينَ حاجةً أدناها المغفرةُ». هو أيضًا حديثٌ باطلٌ كما صرَّح به الحافظُ العراقيُّ.

وكذلك ما شاع بين الناس من الدُّعاء يوم النصفِ من شعبان بعد صلاة المغرب وقراءة يس ثلاثَ مراتٍ زاعمين أنَّ الأولى للبركة في العمُر، والثانية للبركة في الرِّزق، والثالثة لحسنِ الخاتمة[1] لا أصل البتة لشيء من ذلك في كتب

---

(١) مستندين في ذلك لحديثِ: «يس لما قُرئت له» وهذا الحديثُ لا أصل له كما قال الحافظ السَّخاوي، وفي معناه حديث موضوع ذكرناه في مقالنا -نقد وإجابة- قال السخاوي: وهو -أي الحديث السابق- بين جماعة الشيخ إسماعيل الجبرتي باليمن قطعيٌّ للتجربة.

السنة النبوية كما جزم به خاتمة المحدثين النُّقاد السيد محمد مرتضىٰ الزبيدي الحسيني.

وقال: «إنما هوَ منْ عمَلِ المشايخ»، نعم وردتْ جمل من ذلك الدُّعاء عن بعض الصحابة موقوفة كما في "تفسير ابن جرير" وغيره عند قوله تعالىٰ في آخر (سورة الرعد): ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩].

والقول بأنَّ ليلة النِّصف من شعبان هي الليلة المباركة التي قال الله فيها: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان: ٣] قولٌ رُوي عن عِكرمة واحتج له بما جاء في بعض الأحاديث أن الآجال تنسخ في شعبان حتىٰ إنَّ الرجلَ يتزوجُ وقد رُفع اسمُه فيمن يموتُ، وإنَّ الرجل يحجُّ وقد رُفع اسمه فيمن يموت.

والصحيحُ الذي تظافرتْ به الرِّوايات أنَّ الليلة المباركة هي ليلةُ القدرِ بل جاء ذلك في القرآن صريحًا قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١].

وقال جل ثناؤه: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فاستفدْنا من الآيتين أنَّ القرآن أُنزل في ليلة القدر من شهر رمضان وهذا قولُ الجمهور، وأما الأحاديثُ التي استدلَّ بها لقول عكرمةُ فهي أحاديثُ ضعيفةٌ لا تعارضُ النصوصَ الصحيحة، وأمثلُها حديثُ عائشةَ عند أبي يعلي فإنَّ إسناده حسنٌ أو قريبٌ منه، ومع ذلك قال الحافظُ المنذريُّ: «إن متنه غريب». وهو كما قال والله أعلم.

١١٧- دعاء الإمام جعفر الصادق عند الفزع[١]

روى الديلميُّ في موضعين من "مسند الفردوس" عن الربيعِ حاجبِ المنصورِ قال: لما استقرَّتِ الخلافةُ لأبي جعفرٍ المنصور قال لي: يا ربيع ابعثْ إلى جعفرِ بنِ محمَّدٍ الصادق مَن يأتيني به، ثُمَّ قال لي بعد ساعةٍ: ألم أقلْ لك أن تبعثَ إلى جعفرِ بن محمدٍ فوالله لتأتينِّي به وإلَّا قتلتُك.

فلم أجد بدًّا فذهبتُ إليه فقلت: ياأبا عبدالله أجب أمير المؤمنين فقام معي.

فلما دنونا من الباب قام يُحرِّك شفتيْه ثُمَّ دخل فسلَّم عليه فلم يردَّ عليه، فوقف فلمْ يُجلِسْهُ، ثُمَّ رفع رأسَه إليه فقال: يا جعفرُ أنت الذي ألَّبتَ علينا وأكثرتَ، وحدَّثني أبي، عن أبيه، عن جدِّه: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**لكلِّ غَادِرٍ لِواءٌ يومَ القِيامَةِ يُعْرَفُ بِهِ**».

فقال جعفرٌ: حدَّثني أبي، عن أبيه، عن جدِّه: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «**يُنادِ مُنادٍ يومَ القِيامَةِ مِن بُطْنانِ العَرْشِ ألا فليَقُمْ مَن كان أجره على الله تعالى فلا يَقُمْ إلَّا مِن عَفَا عن أخيه**».

فما زال يقولُ حتى سكنَ ما به ولانَ له فقال: اجلسْ أبا عبدالله، ارتفع أبا عبدالله، ثم دعا بمُدْهُن غاليةٍ، فجعل يخلِّقُه بيده والغاليةُ تَقْطُر من بينِ أنامل أمير المؤمنين ثُمَّ قال: انصرفْ أبا عبدالله في حفظِ الله، وقال لي: يا ربيعُ أتبِعْ أبا عبدالله جائزتَه وأضعِفْ له.

قال فخرجتُ فقلتُ: أبا عبدالله تعلم محبَّتي لك؟ قال: نعم أنتَ يا ربيعُ مِنَّا، حدَّثني أبي، عن أبيه، عن جدِّه أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال:

---

(١) مجلة المسلم، السنة السابعة، العدد (١١) جمادي الآخرة ١٣٧٧.

٦٤٤ ـــــــ

١١٨- قصة أصحاب الأخدود(١)

استجابةً لرغبةٍ كريمةٍ وُجِّهت إلينا ننشر هذه القصة.

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [يوسف: ١١١].

أخرج مسلمٌ، والترمذيُّ، والنَّسائيُّ، وابن حِبَّان في "صحيحه"، وابن جريرٍ، والطبرانيُّ، والبزَّار، وغيرهم، واللفظ لمسلم.

عن صهيبٍ رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال: «كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ، قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ، فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ، فَأَعْجَبَهُ فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجَرًا، فَقَالَ: اللهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ، حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ، وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: مَا

---

(١) مجلة المسلم، السنة التاسعة، العدد (٥) ذي الحجة ١٣٧٨.

هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ، إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللهِ دَعَوْتُ اللهَ فَشَفَاكَ، فَآمَنَ بِاللهِ فَشَفَاهُ اللهُ، فأَتَى المَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ المَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ، فأَخَذَهُ فلمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ، فَجِيءَ بِالْغُلَامِ، فَقَالَ لَهُ المَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ، وتَفْعَلُ وتَفْعَلُ، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فجِيءَ بِالرَّاهِبِ، فقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فأَبَى، فَدَعَا بِالمِنْشَارِ، فَوَضَعَ الْمِنشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ المُلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فأَبَى فَوَضَعَ الْمِنْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وإِلَّا فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الجَبَلَ، فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَرَجَفَ بِهِمِ الجَبَلُ فَسَقَطُوا، وجَاءَ يَمْشِي إِلى المَلِكِ، فَقَالَ لَهُ المَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ، فتَوَسَّطُوا بِهِ البَحْرَ، فإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وإِلَّا فَاقْذِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ، فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَانْكَفَأَتْ بِهِمِ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا، وجَاءَ يَمْشِي إِلى المَلِكِ، فقَالَ لَهُ المَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: باسْمِ اللهِ رَبِّ الغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي،

فإنَّكَ إذا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَني، فجَمَعَ النَّاسَ في صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِن كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ في كَبْدِ القَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: باسم الله، رَبِّ الغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فوَقَعَ السَّهْمُ في صُدْغِهِ، فوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ في مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، فأتيَ المَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أرأيتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ وَالله نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فأمَرَ بالأُخْدُودِ في أَفْوَاهِ السِّكَكِ، فخُدَّتْ وأضْرَمَ النِّيرَانَ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فأحْمُوهُ فِيهَا، أو قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ، ففَعَلُوا حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ ومَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أنْ تَقَعَ فيها، فقالَ لَهَا الغُلامُ: يا أُمَّهْ اصْبِرِي فإنَّكِ عَلَى الحَقِّ». والقصة المذكورة هي المشار إليها بقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ [البروج: ١ - ٣].

١١٩- ماذا في طنجة...؟[١]

هناك في طنجةَ رهطٌ تعطَّلوا من جميع الأعمال، وتعلَّقوا بفارغ الآمال، ضُعفاء العقول سُفهاء الأحلامِ، إذا رأيتَهم تُعجِبُكَ أجسامُهم وإنْ يقولوا تسمعْ لقولهم كأنَّهم خُشُبٌ مُسَنَّدةٌ.

لا بَأْسَ بالقَوْمِ مِن طُولٍ ومِنْ قِصَرٍ جِسْمُ البِغالِ وأحْلامُ العَصافِيرِ

لا شُغْل لهم في مجالسِهم سِوىٰ التنابزُ بالألقابِ، حتَّىٰ إذا ما تزوَّدوا من آثامه انتقلُوا عنه إلىٰ التَّغامزِ والاغتيابِ، لا يرون الفضيلةَ فضيلةً فيتَّبعُوها، ولا الرَّذيلة رذيلةً فيجتَنِبُوها، ولكنهم علىٰ العكس يرون الرذيلة فضيلة فيُمْعِنون فيها، ويرون الفضيلة رذيلة فيبتعدون عنها أولئك الذين أضلَّهم الله فأصمَّهم وأعمىٰ أبصارهم، وإذا رأوا الحقَّ نَكَبوا عنه، وإذا ظهرَ لهم شيءٌ من الباطل تهافتُوا تهافتَ الفراشِ علىٰ النَّارِ: ﴿وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٦]. ذلك بأنهم لم يأخذُوا بطرفٍ من العلمِ يثقفُ عقولهم ولا تمسَّكوا بخلق فاضل يهذِّب نفوسَهم، فهم أبعدُ الناس عن العلم وأشدُّهم عداوةً لأهله.

أمَّا الأخلاق الفاضلةُ فأئمتُهم فيها من يعرفُ أسماءَها ليس غير، تراهم ما بين مُتسَكِّعٍ في الطُّرُقات دائرٌ ومُلتصِقٌ بمقاعدِ المقاهي مشدوحٌ حائرٌ كلٌّ منهم يصدق عليه قول سيدنا عمر: «إني لأكره أنْ ألقىٰ أحدَكم سبَهْلَلًا لا في عمل دنيا ولا في عمَل آخرةٍ». نقله صاحبُ "الكشاف" في (سورة الانشارح).

---

(١) مجلة الإسلام، السنة السادسة، العدد (٦) ١٢ صفر ١٣٥٦.

وهؤلاء آفةُ المجتمعِ وداؤُه الوبيل كما يُنبئُ عن ذلك تلكَ الحكمةُ السامية التي نطلق بها عروةُ بن الزبير حيث قال: «البَطالةُ شرُّ شيءٍ في العالم».

فكَّر أولئك الرَّهْطُ أن يقومُوا برواية تمثيليَّة تدل على رُقِيِّهم وتقدُّمهم، ونسوا أنه ليس أدلّ على الرُّقِيِّ والتقدُّم مِن سُموِّ الأخلاقِ وحصافةِ الرأي وهِمَّةٍ وثَّابةٍ إلى المعالي، وأنَّ ضدَّ ذلك يدل على اطِّرادٍ في الانحطاط، وازديادٍ في التأخُّر.

وما دروا أنَّ إتقانَ اللعب والغناء على خشبةِ المسْرح إنْ دلَّ على شيءٍ فإنما يدلّ على أنَّ اللاعبَ على المسرح خلعَ الحياءَ والوقَار قبل أن يقفَ ذلك الموقفَ الشائن، وأنه خلعَ معَ حيائه ووقارِه إيمانَه الذي به عزَّته وشرفه، والذي جعل له مكانة بين أبناء جنسه، إذ الحياءُ من الإيمان والوقارِ عماد الشرف فأي إيمانٍ لمن خلع الحياء وأي شرفٍ لمن نبذ الوقار؟!

إنهم فكَّروا أنْ يقومُوا برواية تمثيليَّة ونسُوا أنَّهم أنفسَهم روايةٌ كونيةٌ يمثلون بحالتهم المذكورة على مسرح هذه الحياة دور البطَّالين المُتعطِّلين، وكيف تُدحرِجهم البطالةُ والعطلةُ في مزَالقِ الفسَادِ ومهاوي الخسرانِ، ففي حالهم درسٌ بليغٌ من دروسِ الحياة يَعتبِر به العاقلُ اللبيبِ، إنَّ في ذلك لعبرةً لأولى الألباب.

وليتَهم فكَّروا أن يُمثِّلوا روايةَ أديبٍ من الأدباء أو مَلِكٍ من الملوك أو خليفةٍ من الخلفاء، ولو كان أحدَ الخلفاء الرَّاشدين رضي الله عنهم، فإنَّ هذا هيِّنٌ بالنسبة لما فعلُوا، وكذا المصائبُ تهُون وإن عظمتْ بالنِّسبة لما هو أشد منها، ولكنهم لم يفكِّروا في شيءٍ من ذلك ولا حامُوا حولَه، بل فكَّروا في ما هو

أدهى وأمرُّ.

فكَّروا فيما يجلبُ لهم الخِزْي والنَّار والعارَ والشَّنارَ وذلك أنَّهم مثَّلوا -على ما بلغْنا- ربَّ العِزَّة سبحانه وتعالى عن هزلهم عُلُوًّا كبيرًا مع ملائكته الكرام فأي وقاحةٍ تضارعُ هذا أو تقاربه سبحانَك هذا بهتانٌ عظيمٌ!!

ربَّنا إنَّا نبرأ إليك مما اقترفَه أولئك السّفلة الأنذال مما يتنافى معَ ما لك من عظمةٍ وجلال، فلا تُهلِكنا بما فعل السُّفهاء مِنَّا، وأدركنا بلطفِك، وعاملْنا بما عوَّدتنا من عوائد برِّك وعطفك إنك أنت البر الرَّحيم.

وقد دلَّ فعلهم ذلك على أنهم على جانبٍ كبيرٍ من الجهل بتعاليم الدين، وأنهم في حاجةٍ شديدةٍ إلى دروس أولية يعرفون منها ربَّهم خالقَ كلِّ شيءٍ، ويعرفون ما يجبُ له من الصِّفاتِ وما يستحيلُ في حقِّه.

فإنهم لو عرفوا الله كما عرفه المسلمون بأنه قديمٌ لا أوَّل لوجودِه، وأنه مخالفٌ للحوادث كلها، وأنه لا تتصوَّره الأوهام ولا تكتنه كنهه العقول لأدركوا -بالبداهة- أنه يستحيل تمثيله في شخص من الأشخاص؛ إذ لا مناسبة بين قديمٍ وحادثٍ، بل كيف يمكن تمثيل من لا تتصوَّره الأوهامُ ولا تدركُه العقول؟!

ولو عرفُوا الله كما عرفه المسلمون بأنه جبَّارٌ مُتكبِّرٌ، وأنَّه قاهرٌ فوقَ عباده، وأنه لا شريكَ له، وأنه مُنتقِمٌ ممن انتهك محارمَه، وأنه يغضبُ على من تسوَّر مقام ربوبيته، ويقصمه ثُمَّ يلقيه في النَّار دار البوار لخافوا انتقامه، وتحاموا غضبه، ولمنعهم خوفه من تمثيله إذ ما يؤمنهم أنَّه يأخذُهم وهمْ في حالتهم تلك أخذ عزيزٍ مُقتدرٍ، فيخسفُ بهم جانبَ الأرضِ أو يرسِل عليهم حاصبًا من

السَّماء؟ ولعذابُ الآخرةِ أشدُّ وما لهم من الله مِن وَاقٍ.

ولو عرفوا الله بأنه ذو الجلال والإكرام، وأنه المُتفضِّل بالإنعامِ، وأنه المُتفرِّد بالعِزَّة، وأنَّ رداءه الكبرياء وإزاره العظمة لهابوه وأجلُّوه عن أن يُمثِّله شخصٌ وضيعٌ حقيرٌ بوَّالٌ على عقبيْه، لا فرقَ بينَه وبينَ الحيوانِ الأعجمِ إلَّا أنه مُتكلِّمٌ وذاك أبكمٌ فهو كالنِّسناسِ.

نعم لو عرفوا الله ولو ببعضِ هذه الصفحاتِ لما حصلتْ منهم تلك المُخزياتُ المُحزناتُ، ولكنَّهم ما عرفوا الله ولا قدَّروه حقَّ قَدْرِه، فجهلُوا فوق جهل الجاهلينَ ودخلوا تحت رِقَّة المارقينَ!

وقد دلَّ فعلُهم ذلك أيضًا على أنَّهم ما أتقنُوا فنَّ التمثيلِ، ولا عرفُوا الغرض المقصود مِن وضعه، وذلك أنَّ الغرض الأصليَّ من بدعةِ فنِّ التمثيل هو إمَّا الكشفُ عن مغزًى تاريخيٍّ يحرِّك الهِمم العوالي لاسترجاع مجدِ الآباءِ في عِزَّةٍ وإباءٍ، وإمَّا عرض داءٍ اجتماعيٍّ على أنظار الجمهور وتصويرِه لهم بصورَته البشعة ليعملوا على علاجه وتلافيه، وإمَّا إثارة محاورة أدبية تفيد السامعين وتُغذِّي عقول المُتفرِّجين إلى غير ذلك مما يعودُ على المجتمع بفائدةٍ.

ولم يكنْ قطّ الغرضُ مِن فنِّ التمثيل خلْعَ ربقةِ الإيمان والخروجَ عن الأديان، ولم يكن قطُّ الغرضُ من التمثيل الاستهزاءَ بربِّ العالمين وملائكته المُكرَمين، ولم يكن قطُّ الغرض مِن فنِّ التمثيل نبذ التقاليد الدينية والتلاعب بأصل عقائدها الصحيحة الثابتة.

فقد رأيتَ كيف دلَّ فعل أولئك السّفلةُ على خطئِهم من حيثُ الفنّ كما دل على جهلهم بخالقهم وجرأتهم على مقام ربوبيته؟! فلا دينهم أبقَوا عليه ولا

فن التمثيل أتقنُوه؛ فباءوا بالخسارتَين ورجعُوا بالفضيحتين وكانوا أسوأ حالًا من ذلك الذي رجع بخُفَّي حُنينٍ. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

فالحكمُ في هؤلاء أن يضربُوا على قُذَالهم بالنِّعال، ويُصفَعوا على أقفِيتِهم بأكفِّ الرجال، ولا تأخذ أحدٌ بهم رحمةٌ ولا رأفةٌ، حتى يكونوا نكالًا لمن على شاكلتِهم وموعظةً للمتقين، ولكنَّهم لم يفعلْ بهم شيءٌ من هذا بل بلغنا -ويا للأسف- أنَّ أعيانًا من البلد وكبراءها حضروا فِسقَهم راضين مسرورين، والعجب فيمن من حضروا من يدَّعي العلم ويمتُّ إليه بسب!!

فلا أدري أين كان عقلُ هؤلاء الحاضرين وأينَ دينُهم، وأينَ ضاعَ علم من يدَّعي العلم منهم؟! تالله لقد عمَّ الداء وطمَّ البلاء. ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١١].

هذه عجالةُ مُستَوفزٍ أبديناها استنكارًا لذلك الحادثِ المؤلم، وإجابةً للرغبة المُلِحَّة من كثير من الإخوان والأصدقاء، وإلَّا فمذهَبُنا تنزيه القلمِ عن الكتابة في مثل هذه السَّفاسف السَّاقطة، لاسيما وأولئك السّفلة أغبياء لا يقبلون إرشادًا، ولا يستمعون لنصحية ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١] ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الفرقان: ٤٤] قد تعب -من قبل- في إرشادهم وإصلاحِهم مصلحون وجهد في تعليمِهم وتقويمِهم مرشدون فكان نصيبُهم الفشلُ وتولَّى كلّ منهم يخاطبُ نفسَه متمثِّلًا:

لقد أَسْمَعْتَ لو ناديتَ حيًّا ... ولكن لا حياةَ لمَن تُنادي

(٩) مُقدِّمات السيِّد عبدالله بن الصِّدِّيق
لبعضِ الكُتبِ العِلْمِيَّة

مقدمة كتاب
الجَناحُ المحلِّق في سماءِ المشرِق(١)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على أشرف المرسلين، سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آلهِ الأكرمين، ورضي الله عن صحابتِه الأبرارِ الذين فتَحُوا الدنيا وجابُوا الأقطارَ، وملأوها علمًا وزهدًا وهديًا ونورًا.

وبعدُ: فإنَّ الله تعالى يقولُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحجرات: ١٣].

ويقولُ جلَّ شأنُه: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡ﴾ [الروم: ٢٢]

أخبرَنا الله في الآية الأولى أنَّه خلقَ بني آدمَ وجعلَهم شُعوبًا وقبائلَ ليحصُل بينهم التعارفُ والتآزُرُ والتعاونُ، حِكْمةً أساسيةً في إيجاد المخلوقات على ظهْر الكرةِ الأرضيَّة.

ودينُ الإسلام إنَّما أتى ليقوِّي هذا التعاونَ بين أبنائِه في سائرِ بقاعِ الأرضِ، وإنَّك لتجِدُ هذا المقصدَ ظاهرًا فيما شرعَه الإسلامُ من عباداتٍ حثَّ فيها على الاجتماع والتعارف.

فأوجبَ صلاةَ الجمُعة في المساجد الجامعة، وأوجبَ السَّعي إليها، وجعلها مرَّة في الأسبوع ليجتمعَ الناسُ في مكانٍ واحدٍ ويجدِّدوا العهدَ بينهم فيما وُكِل

---

(١) هذا تقديم لكتاب: "الجناح المحلِّق في سماء المشرق" للسيد أحمد محمد الشرماني اليماني من علماء الأزهر، والكتاب طبع بإدارة الطباعة المنيرية سنة ١٣٦٩ هـ.

إليهم من أعمالٍ تعاونيةٍ بينهم.

كما سنَّ لهم صلاةَ العيد مرَّتَين في العام للغرضِ نفسِه، وحثَّ على شُهُودها ورغَّب في حضُور النِّساء والعَوَاتِق لصلاة العيدَيْنِ ليَشْهَدْنَ الخيرَ ويَقُمْنَ بقِسْطِهِنَّ في إقامةِ هذه الشَّعِيرة، مع أمرِهِنَّ بأنْ يكُنَّ في آخرِ الصُّفوف ويحتفِظْنَ بحجابهن وعِفَّتِهِنَّ.

ثم دعا إلى اجتماعٍ عامٍّ وهو الحجُّ فجعَله ركنًا من أركانِ الإسلامِ ليجتمعَ المسلمون من سائر البقاعِ في مكانٍ واحدٍ، قِبْلتُهم واحدةٌ، يستفيدُ بعضُهم من بعضٍ في شُئون العلمِ والتِّجارة والدِّين والدُّنيا.

فهذه وسائلُ قَصد بها الإسلامُ تعارُفَ المسلمين وتآلفَهُم واتِّحادَهم في كُتلة واحدةٍ كأنَّهم أبناءُ قُطرٍ واحدٍ.

كذلك أخبرَنا الله في الآيةِ الثَّانية أنَّه خلقَنا مختلفين في الألسنةِ والألوانِ فمنَّا العربيُّ والعجميُّ، ومنَّا الأبيضُ والأسودُ، وبالضَّرورة لا يمكنُ للشَّخصِ أنْ يحقِّقَ حكمةَ التَّعارفِ ولا يقف على اختلافِ الألسنةِ والألوان على نِطاقٍ واسعٍ إلا بالرِّحلة إلى الأقطارِ النَّائيةِ والوقوفِ على ما فيها من عاداتٍ وتقاليدَ، والاتصالِ بأهلِها على اختلاف مشاربِهم وتبايُنِ مُيُولهم ومذاهبِهم.

لذلك عُنِيَ المسْلمُون قديمًا وحديثًا بالرحلات، وتسجيل ما شاهدوه في رحلاتِهم ليُفيدُوا أبناءَ جلْدَتِهم ما شاهدُوه من عجائبِ مخلوقاتِ الله، وليَبعثُوا في أنفسِهم حبَّ السَّفَرِ والاسْتِطلاعِ فيتحقَّقُ بذلك مبدأُ التَّعارفِ والاتِّصالِ بينَ أبناءِ المسلمين وتتجاوبُ أصداؤُهم ويقفُ كلّ منهم على ما عند الآخرِ من آمالٍ وآلامٍ.

ومن أشهر الرَّحَّالة المتقدمين: ابنُ بَطُّوطَة اللَّواتيُّ الطَّنجيُّ، فقد رحل رحلةً واسعةً في ربُوع الشَّرقِ وآسيا حتىٰ وصلَ إلىٰ آخر بلاد الصِّين، وأخذتْ رحلتُه شهرةً واسعةً حتىٰ تُرجِمتْ إلىٰ عدَّةِ لُغاتٍ، واختُصرتْ وقرَّرتْها بعضُ الحكومات تدرَّسُ في مدارِسِها ليقفَ التَّلاميذُ علىٰ ما فيها من معلوماتٍ شائقةٍ.

وكذلك الرَّحَّالة ابنُ جُبَير الأندلسيُّ، فإنَّ له رحلةً إلىٰ المشرقِ والحِجازِ سجَّل فيها ما رآه، وأخذتْ رحلَتُه شهرةً بين الرَّحلاتِ.

وكذلك العلَّامة أبو سالم الجياشيُّ له رحلة إلىٰ الحجاز في مجلدين سجَّل فيها مباحثَ علميَّةً وغيرَها مما صادفَهُ في طريقِهِ، إلىٰ غير هذا من الرحلات التي يعسُر استقصاؤُها.

وقد سَمَت همَّة الأستاذِ الفاضل الشيخ أحمد محمَّد الشرمانيِّ اليمانيِّ إلىٰ ما سمَتْ إليه همَّةُ أولئك العلماءِ الرَّحَّالين، فقام برحلةٍ واسعةٍ ابتدأها بفلسطينَ، فلبنانَ، فسُوريَّا، فالعراق، فالخليج الفارسيِّ، فالسِّند والهند، فسِيلان، فعدَن، فاليمن.

وهي كما ترىٰ رحلةٌ واسعةٌ قلَّ من يقومُ بمثلها في سنةٍ، وقد اكتسبَ بهذه الرِّحلة معلوماتٍ واسعةٍ سجَّلها فيما سجَّل من مشاهدات ليطَّلع عليها من لم يُسعدْه الحظّ برؤيةِ تلك الجِهات.

وقد رأيتُ صفَحَاتٍ من تلك الرِّحلةِ وهي مخطوطةٌ، فوجدتُها سهلةَ الأسلوبِ، واضحةَ المعنىٰ، خاليَةً من التعقيدِ والحشْوِ والخيال.

بل هي تُعبِّر عن الحقيقةِ المشاهدةِ بدون تزيُّدٍ فشكرْنا له هذه الهمَّة ورجوْنا

له التَّوفيقَ في إخراجِها إخراجًا لائقًا بمثْلِها ثمَّ في عرْضِها عرضًا شائقًا يستهوي نفوسَ قارئِيها حتىٰ تُؤتيَ ثمرتَها المرجُوَّةَ وتبلغَ أمنيَّتَها المنشُودةَ.

وفي الختامِ أهنِّئُ الأستاذَ الفاضلَ بتوفيقه في رحلته راجيًا له سَدادًا وتوفيقًا.

عبدالله محمَّد الصِّدِّيق الغُماريُّ الحَسنيُّ

خادمُ الحديثِ

كلمة عن كتاب "الإكليل في استنباط آي التنزيل"

الحمدُ لله ربِّ العالمينَ والصَّلاة والسَّلامُ على سيِّدنا محمَّدٍ وآلِه الأكرمِينَ.

وبعدُ: فقد تمَّ طبعُ هذا الكتابِ النَّفيسِ المسمَّى بـ"الإكليلُ في اسْتِنباطِ آي التَّنزيل" تأليفُ الإمامِ العلَّامةِ خاتمةِ الحفَّاظِ جلال الدِّين عبدِالرَّحمنِ بنِ كمال الدِّين أبي بكرٍ السُّيوطيِّ الشَّافعيِّ المولودِ سنةَ (٨٤٩) والمتوفَّى سنةَ (٩١١) هجريَّة، رحمه الله ورضي عنه.

وقدْ جرى طبعُه على نُسخةٍ من مكتبةِ وقفِ المدرسَةِ المحموديَّة وهيَ نُسْخَةٌ كثيرةُ التَّصحيفِ، معَ نقصٍ في كثيرٍ منَ المواضعِ، واستَعنَّا في التصحيحِ بنُسْخةٍ منْ مكتبتِنا الصِّديقيَّة استحضرْناها من طنْجةَ، وهيَ نُسخةٌ جيدةٌ صحيحَةٌ في أغلبِ الأحوالِ، ورجعْنا في بعضِ المواضعِ إلى نسْخةٍ ثالثةٍ في المكتبةِ التَّيمُوريَّة فلمْ تُغنِ شيئًا لتَصْحيفِها ورداءَةِ خطِّها.

ونسألُ الله أنْ يوفقَنا في أعمالِنا كلِّها، وأنْ يجزيَ بالخيرِ الكثيرِ صديقَنا المفْضالَ السيِّدَ أسعد درابزوني الحسَينيَّ الذي قامَ بطبعِ هذا الكتابِ على نفقتِه الخاصَّة، خدمةً للقرآنِ الكريمِ، وأنْ يُثيبَه الثوابَ الجزيلَ.

أبو الفضل عبدالله محمَّد الصِّدِّيق
الغماريُّ الحسنيُّ

مقدمة المجلد السابع من "التمهيد"

تقديم:

الحمدُ لله حمدًا يَليقُ بكمالِه، والشكرُ له على تواتِرِ إفْضالِه، والصَّلاةُ والسَّلامُ على سيِّدِنا محمَّدٍ وآلِه.

وبعد: فقَد عهِدَتْ إلي وزارةُ الأوقافِ والشُّؤونِ الإسلاميَّةِ بتحقيقِ الجزءِ السَّابعِ منْ كتابِ "التَّمهيدِ".

فقمتُ بهِ على النَّحوِ الآتي:

١- عزْوُ مُتونِ "الموطأ" إلى منْ أخْرَجَها منْ صاحبَيْ "الصحيحَيْنِ"، أو غيرِهما مِنْ أصْحابِ الكُتُبِ السِّتة.

٢- تخريجُ الأحاديثِ التي يذكرُها المؤلِّفُ -مُسنَدةً أو معلَّقةً- ليُعرَفَ مَنْ أخْرجَها منْ أصحابِ الكتُبِ المعروفةِ كالصِّحَاحِ، والسُّننِ، والمصنَّفاتِ، والمسانيدِ.

والمؤلِّفُ كان واسعَ الحفظِ يُسنِدُ عنْ طريقِ كتبٍ غريبةٍ، غيرِ معروفةٍ لكثيرٍ من أهلِ العلمِ، مثلِ كتبِ بَقِيِّ بنِ مخْلَدٍ، وقاسمِ بنِ أصْبَغَ، وابن سنجر، والحسنِ بنِ رشِيقٍ.

٣- تصحيحُ الأسماءِ المحرَّفَةِ والمصحَّفةِ، وضبطُ ما يشتبِهُ منها.

٤- شرحُ كلماتٍ لُغَويَّةٍ.

٥- تراجمُ بعضِ الرُّواةِ وبيانُ رُتَبِهم منْ حيثُ العدالةِ والجرْحِ.

٦- تعليقاتٌ أوضحتُ فيها استدلالًا أشارَ إليه المؤلفُ، أو بسطتُ بحثًا أوجزَه، أو أتممْتُ موضعًا اختصرَه.

ولستُ بحاجةٍ إلىٰ توضيحِ ما لقيتُ منْ تَعبٍ ومشقَّةٍ في تحقيقِ هذا الجزءِ؛ لأنَّه لم يكنْ لديَّ نُسخٌ متعدِّدةٌ أستعينُ بها، وإنَّما كانَ عندي نُسخةٌ واحدةٌ جرىٰ عليها التحقيقُ منْ أوَّلِ الجزءِ إلىٰ نهايةِ حديثٍ ثانٍ لابنِ شهابٍ عنْ حُمَيدٍ، وهي نُسخةٌ كثيرةُ التَّصحيفِ، وفيها نقصٌ، ومنْ أوَّل حديثٍ ثالثٍ لابنِ شهابٍ عنْ حُميدٍ، إلىٰ الآخِرِ وهو أقلُّ منَ النِّصفِ كانتْ معها نُسخةٌ أخْرىٰ جيِّدةٌ صحيحةٌ في الغالبِ، وفيها جُملٌ أكملتُ بها النَّقصَ الموجودَ في النُّسخةِ السَّابقةِ وجعلتُها بينَ قوسَينِ ( ) ونبَّهتُ عليها في أسفَلِ الصَّفْحَةِ.

وما كانَ منْ نقْصٍ في النُّسخةِ المنفردةِ أكملتُه منَ "الاسْتذكارِ" تارةً ومنْ "فتح الباري" تارةً أخرىٰ؛ لأنَّه نقلَ عن المؤلِّفِ كثيرًا بعضَ عباراتِه، وكاتبُ هذه النُّسْخَةِ كانَ يُعلِّمُ علىٰ النَّقصِ بثلاثِ نُقَطٍ في الهامشِ هكذا [.·.] كأنَّه كانَ يريدُ أنْ يكْمِلَه، ثمَّ نسيَ، أو لم يجدْ أصلًا يكمِلُ منه.

وسيجدُ القارئُ تَكرارًا في بعضِ التَّعاليقِ، سببُه تطاولُ العهْدِ، وطُروءُ النِّسْيانِ ذلك أنِّي حققتُ القسْمَ الأخيرَ وأتممْتُه، وتأخَّرَ القسْمُ الأوَّلُ الذي كانَ يُطبَعُ علىٰ الآلةِ الكاتبةِ لُظروفٍ وأسْبابٍ فلمْ أتوصَّلْ به إلَّا بعدَ مرورِ سنةٍ أو قريبٍ منها منذُ أتممْتُ القِسْمَ السَّابق.

هذا وإنِّي أرْوي كتابَ "التمهيد" عنْ أبي حفصٍ عمرَ بنِ حمدانَ المحرسيِّ المدنيِّ قال: أنبأنا نصرُالله بنُ عبدِالقادر الخطيبِ الدِّمَشْقِيِّ: أنبأنا المعمَّر عبدُالله التَّلّ: أنبأنا عبدُالغنيِّ بنُ إسماعيلَ النَّابُلسيُّ: أنبأنا نجْمُ الدِّينِ محمَّدُ بنُ بدرِ الدين محمَّد بنُ رضي الدِّين الغَزِّيُّ: أنبأنا أبي: أنبأنا شيخُ الإسلامِ زكريَّا بنُ محمَّد الأنصاريِّ: أنبأنا عزُّ الدِّين عبدُالرَّحيمِ بنُ الفُراتِ: أنبأنا عبدُالعزيز بنُ

جَماعةَ: أنبأنا أبوجعفر أحمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ الزّبير: أنا أحمد بنُ محمَّد السِّراج: أنبأنا خالي أبوبكر محمَّد بنُ خيرٍ الحافظُ: أخبرني الشَّيخُ أبومحمَّد بنُ عتَّابٍ والشَّيخُ أبوالحسن عليُّ بنُ عبدالله بنِ وهبٍ، عنِ الحافظِ أبي عمرَ بنِ عبدالبرِّ رحمه الله تعالى.

وأروِيه عنْ شيخِنا عبدالباقي الأنصَاريِّ المدنيِّ: أنبأنا فضلُ الرحمن بنُ أهلِ الله: أنبأنا عبدُالعزيز بنُ أحمدَ بنِ عبدِالرَّحيم الدَّهْلويُّ: أنبأنا أبي عنْ محمَّد بنِ إبراهيمَ بنِ حسن الكرديُّ: أنبأنا أبي: أنبأنا النَّجم الغَزيُّ، عن والدِه البدر الغزيِّ: أنبأنا أبو الفتحِ السَّكندريُّ: أنبأنا الشَّهابُ الرَّسامُ، وعليُّ بنُ صالحٍ، عن العباس أحمدَ بنِ أبي طالب الحجَّار، عن جعفرِ بنِ عليٍّ الهمدانيِّ، عنْ الحافظِ أبي طاهرٍ أحمد بن محمَّد السِّلَفيِّ، عن أبي عمران موسى بنِ عبدالرحمن بن أبي تليدٍ، عن ابنِ عبدالبرِّ.

وأروِيه أيضًا عن شيوخِنا المغاربةِ منهم العلَّامةُ المحدِّثُ أبوعبدالله محمَّدُ بنُ إدريسَ القادريِّ، والعلَّامةُ المحقّقُ الأديبُ الشيخُ محمَّد المكيُّ البطاوريُّ والعلامةُ القاضي عبدُالحفيظِ الفاسيُّ.

واقتصرتُ على الطريقَينِ المذكورَين لعلوِّهما نِسْبيًّا.

ومما ينبغي أنْ نلفتَ الأنظارَ إليه أنَّ علمَ الحديثِ ينقسمُ عند أهلِه إلى قسمين:

١-علم الحديثِ روايةً:

وهو: علمُ المصطلحِ إذ يُبحثُ فيه عن السَّند والمتنِ من حيثُ الصِّفاتِ التي تعرضُ لهما وتقتضي قَبولَهُما، أو ردَّهما كالصحَّة والضَّعفِ، والوصْلِ

والانقطاعِ، والإرسالِ والشُّذوذِ والنَّكارةِ والرفْعِ والوقْفِ والتَّعديلِ والتَّجريحِ ونحوِ ذلك، وفيه ألَّف الحافظُ الخطيبُ كتابَ "الكفايةُ في علمِ الرِّوايةِ".

٢- علمُ الحديثِ درايةً:

وهو علمٌ يَبحثُ في معنى الحديثِ، وفهْمِ ما يدلُّ عليه منْ أحكامٍ وآدابٍ وفضائلَ وأخلاقٍ، ويُسمَّى أيضًا: فقهَ الحديثِ.

والكتبُ المؤلَّفةُ فيه كثيرةٌ تتمثَّلُ فيما كُتبَ على "الموطأ" و"الصَّحيحَين" والسُّنن وغيرِهما.

وليس فيما كُتبَ على "الموطأ" من شروحٍ ما يضاهِي كتابَ "التَّمهيد"، أو يوازِيه لاشتمالِه على خصائصَ لم تجتمعْ في غيرِه:

منْها: إشباعُ الكلامِ على طرُقِ الحديثِ ورواياتِه المحفوظِ منها وغيرِ المحفوظِ مع التَّنبيهِ على ذلك.

ومنها: مذاهبُ الصَّحابةِ والتَّابعين وأئمةِ المذاهب.

ومنها: ترجيحُ ما يراه راجحًا والاستدلالُ عليه.

ومنها: التَّنبيهُ على الأقوالِ الضَّعيفة وبيانُ وجهِ ضعفِها.

ومنها: التَّعرضُ لما في الحديثِ من بحوثٍ لُغويةٍ وفوائدَ تتعلَّق بمكارمِ الأخلاقِ ومحاسنِ الأعمالِ.

ومنها: إسنادُ أحاديثَ لم توجدْ في غيرِه مُسندةً، بحيثُ إنَّ الحفَّاظَ يَعْزُونها إليه كما يَعزُون إلى الدَّارَقُطنيِّ أو البيهقيِّ.

ومنها: بسطُ العبارةِ ونُصوعُ لفظِها ووضوحُ معناها.

كلّه كلامٌ سَلِسٌ عذبٌ خالٍ من الحشْوِ والتعْقيدِ سالمٌ من الخلَل والاضْطراب.

ومنْ أجملِ ما فيه -وكلُّه جميلٌ- أنَّه حين يردُّ القولَ الضَّعيفَ أو الرَّأيَ الشَّاذَّ لا يخدِشُ صاحبَه بكلمةٍ نابيةٍ، أو لفظةٍ قاسيةٍ، ويمكنُ أن تقولَ إنَّ "شرحَ الموطأ" كان دَيْنًا على المالكيَّةِ أدَّاه عنهم الحافظُ ابنُ عبدالبرِّ بكتابِ "التمهيد".

وإذا قال الشَّافعيَّة في حقِّ البيهقيِّ: إنَّ له مِنَّةً على الإمامِ الشَّافعيِّ؛ لأنَّه خدَم كتبَه وخرَّج أحاديثَها وأيَّد مذهبَه.

فلنا أنْ نقولَ: لابنِ عبدالبرِّ مِنَّةٌ على الإمامِ مالكٍ لأنَّه خدَم "موطَّأه" ووصلَ منقطِعاتِه ومرسَلاتِه، وأسندَ بلاغاتِه، وعيَّن مبهماتِه، وعدَّدَ طرقَ موصولاتِه. حتَّى أظهرَه بالوجْهِ اللائقِ بمقامِ الإمامِ مالكٍ وعلوِّ رُتْبتِه.

ومنْ أجلِ ذلك كان طبعُ هذا الكتابِ منْ مفاخرِ عهْدِ جلالةِ الحسنِ الثاني الملكِ الرَّائدِ والقائدِ الملْهَمِ موحِّدِ بلاد المغرب وجامعِ أطرافِه منْ أدناه لأقصاه، أطال الله عمرَه وجعل اليُمْنَ نديمَه والنَّصرَ حليفَه والتَّوفيقَ رفيقَه وأقرَّ عينَه بوليِّ عهدِه الأمير المحبوبِ سيدي محمَّد وصِنْوِه الأميرِ مولاي رشيد والأميراتِ الكريماتِ وبقيَّة الأسرةِ العلويَّة الشَّريفة.

السيد عبدالله بن الصِّدِّيق

خرِّيج جامعة القرويين ومن علماء الأزهر

مقدمة كتاب "البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار" للإمام أحمد بن يحيى المرتضى

اللهمَّ لك الحمدُ حمدًا كثيرًا دائمًا بدوامِك، ولك الحمدُ حمدًا باقيًا ببقائِك، ولك الحمدُ حمدًا لامُنتهىٰ له دونَ علمِك، ولك الحمدُ حمدًا لا جزاءَ لقائِلِه إلا رضاك، ونسألكَ اللهمَّ أنْ تصليَ أفضلَ الصَّلواتِ، وتسلِّمَ أكملَ التسليماتِ علىٰ منْ جعلْتَ وجودَه نعمةً، ورسالتَه رحمةً، وفضَّلتَه علىٰ جميعِ المخلوقاتِ، وشرَّفتَ به عالمَ الأرضِ والسَّماواتِ، سيِّدِنا محمَّدٍ عبدِك النبيِّ الأمِّيِّ الطاهرِ الزكيِّ، وارضَ اللهمَّ عنْ آلِه بحورِ النَّدىٰ ولُيوثِ العِدىٰ الذين طهَّرتَهم من الرِّجس تطهيرًا وحبَوتَهم فضلًا كبيرًا فكانوا سادةَ الأئمةِ وهداةَ الأمَّة.

إنْ عُدَّ أهلُ التُّقىٰ كانوا أئِمَّتَهم ... أو قيلَ مَنْ خيرُ أهلِ الأرضِ قيلَ همُو

وأصْحابه الذين ناصرُوه ونصرُوه، وآزرُوه وعزَّروه، وحفِظوا حرمتَه، وبلَّغوا شريعتَه، ففازُوا بالعزَّةِ في الأولىٰ، والسَعادةِ في الآخرة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

أمَّا بعدُ: فإنَّ الله -جلَّ شأنُه وعزَّ سلطانُه- جعلَ العلمَ أفضلَ نسْبةً وأكملَ رتبةً وأكرم منزلةً وأعظم محمَدةً وأبقىٰ لصاحبه ذكرًا وأسْمىٰ موهبةً وذُخرًا نوَّه الله بفضلِه في عدَّة آياتٍ منها قولُه تعالىٰ: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾ [المجادلة: ١١]، وشرَّف حمَلَته حيثُ قرَنَ ذكرَهم بذكرِه وذكرِ ملائكتِه في قولِه تعالىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

فجعلهم شهداءَ على توحيدِه، وأدِلَّاءَ على معرفتِه وتمجيدِه، وفي ذلك تعديلٌ لهم وتزكيةٌ، وتمييزٌ لهم ما بعده مزِيَّةٌ، كما نفى التَّسوية بينهم وبينَ سائرِ النَّاس في قولِه عزَّ وجلَّ: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ ﴾ [الزمر: ٩].

وبالعلمِ أبانَ الله فضْل آدمَ على ملائكتِه وأظهرَ أنَّه أهلٌ لخلافتِه كما امتنَّ به على خاتمِ الأنبياءِ وسيدِ الأصفياءِ فقال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٣] وأمره بالاسْتزادةِ منه فقال عزَّ شأنُه: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٤].

هذا بعض ما في القرآن الكريمِ مما يدلُّ على شُفوفِ العلمِ وإنافةِ رتبتِه وتمييزِ أهلِه بالفضلِ وعمومِ نقلَتِه، وعلى هذه الوتيرة وردَتِ السُّنة المطهَّرةُ فأعلَتْ شأنَه وحضَّتْ عليه ورغبَتْ فيه، ففي "صحيح مسلمٍ" وغيرِه من حديثِ أبي هريرة: «**ومَنْ سَلَكَ طريقًا يلتَمِسُ فيه علمًا سهَّلَ الله لهُ بهِ طريقًا إلى الجنَّةِ**».

وفي "سُنن التِّرمذيِّ"، وصحيحَي ابنِ حِبَّانَ والحاكمِ: عنْ زِرِّ بنِ حُبَيْشٍ قال: أتيتُ صفوانَ بنَ عسَّال المراديَّ فقال: ما جاء بك؟ قلتُ جئتُ أنبِطُ العلمَ قال: فإنِّي سمعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقولُ: «**ما مِنْ خارجٍ خرجَ من بيتِه في طلبِ العلمِ إلا وضَعَتْ له الملائكةُ أجنِحَتَها رضًا بما يصْنَعُ**».

وورد من عدَّة طرُقٍ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**طلبُ العلمِ**

فريضةٌ على كلِّ مسلمٍ». إلى غير ذلك منَ الأحاديث التي أُفرِدَتْ بالتأليفِ وفيها للعلمِ وأهلِه أكبرُ تفضيلٍ وتشريفٍ.

ثم إنَّ العلومَ وإن تعدَّدتْ أنواعُها وتنوَّعتْ فروعُها فعلومُ الشَّريعةِ منها بمنزلةِ الإنسانِ من العينِ، والعينِ من الإنسانِ لا سيما علمَ الفقهِ العظيمِ القدرِ والشَّأن إذ هو منارُ الأحكامِ والمميِّزُ بين الحلال والحرام، به تصحُّ العباداتُ وتنتظمُ أمورُ المعاملاتِ، من عرفَه عظُمَ قدرُه ونبُه ذكرُه، ورنَتْ أبصارُ الناسِ إليه واعتمدوا في معرفة دينِهم عليه، يشيرُ إلى ذلك قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

وقال الصَّادقُ الأمينُ: «مَنْ يُرِدُ اللهُ بِهِ خيرًا يفقِّه في الدِّين».

من أجلِ ذلك كثُرتِ العنايةُ بهذا العلمِ في عصورِ الإسلام الأولى، عصورِ العلم والخير والنور، وكثُر الفقهاءُ المفْتُون، والأئمةُ المجتهدون منَ الصَّحابةِ والتابعينَ وتابعِيهم منْ أهلِ القرونِ الفاضلةِ، وكان في فقهاء الصَّحابة -كما في غيرهم- مكثرُون منَ الفتوى ومُقِلُّون، فمن مكثريهم: عليٌّ وعمرُ وابنُ عباس وابنُ مسعود وزيدُ بن ثابت وابنُ عُمرَ.

وكان أكثرَ هؤلاء اجتهادًا وفتوى وأعظمَهم في العلم فائدةً وجدوى: عليُّ بن أبي طالب عليه السَّلام، لا يختلفُ أحدٌ من الصَّحابة في ذلك ولا ينازِعُ فيه، قال ابنُ عباس: «والله لقدْ أُعْطي عليُّ بنُ أبي طالب تسعةَ أعشارِ العلم وايمُ الله لقد شاركَكم في العُشرِ العاشِرِ». رواه ابنُ عبدالبرِّ.

وروى الطبرانيُّ في "الصغير" وأبو نُعَيم في "الحلية" عنه قال: «كنا نتحدَّثُ

أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عهِدَ إلى عليٍّ سبعين عهْدًا لم يعهدْها إلى غيرِه».

وقال عبدالله بن مسعود: «إنَّ القرآنَ أُنزل على سبعةِ أحرفٍ، ما منها حرفٌ إلا له ظهْرٌ وبطنٌ، وإنَّ عليَّ ابنَ أبي طالب عنده علمُ الظَّاهرِ والباطنِ».

وروى ابنُ عساكر بإسنادٍ صحيحٍ عن أبي إسحاقَ قال: «سألتُ قُثَمَ بنَ العباس : كيف ورِث عليٌّ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم دونَكم؟ - يعني: في العلم- قال: لأنَّه كان أوَّلَنا به لحُوقًا، وأكثرَنا به لزُوقًا».

وقال عمرو بن سعيد بن العاص: قلتُ لعبد الله بن عيَّاش بن أبي ربيعة: يا عمّ لم كان صَغْوُ النَّاس إلى عليٍّ؟ قال: «يا ابن أخي إنَّ عليًّا كان له ما شئتَ من ضِرْسٍ قاطعٍ في العلمِ، وكان له البَسطةُ في العشيرةِ، والقِدمُ في الإسلام، والصِّهرُ لرسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم والفقهُ في السُّنة، والنَّجدةُ في الحربِ والجودُ في الماعونِ».

واستفاضَ عن عُمرَ رجوعُه إلى عليٍّ في عَوِيصاتِ المسائلِ وتعوُّذُه بالله من قضيَّة ليسَ لها أبو الحسن، وقوله: «لولا عليٌّ لهلَكَ عمرُ»، وقوله أيضًا: «لا أبقاني الله بعدك يا أبا الحسن».

وذكر المناويُّ في "فيض القدير" أنَّ عمرَ رضي الله عنه لم يولِّ عليًّا عليه السَّلام شيئًا من البعوث أيام خلافتِه احتياجًا إلى علمِه وتوقفًا عليه في حلِّ المشكلات وفكِّ المعْضِلاتِ.

وقال ابنُ دُرَيدٍ في كتابِ "المجتبى": حدَّثنا العُكليُّ، عن ابنِ عائشةَ، عن حمَّادٍ، عن حُميدٍ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: «أقبلَ يهوديٌّ بعد وفاةِ النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حتى دخلَ المسجدَ فقال أينَ وصيُّ رسول الله صلَّى الله عليه

وآله وسلَّم ؟ فأشار القومُ إلىٰ أبي بكر فقال: أريدُ أنْ أسألَك عنْ أشياءَ لا يعلمُها إلَّا نبيٌّ أو وصيُّ نبيٍّ، قال سلْ عمَّا بدا لك فقال اليهوديُّ: أخبرْني عمَّا ليس لله؟ وعمَّا ليس عند الله؟ وعمَّا لا يعلمُه الله؟ فقال أبو بكر: رضي الله عنه هذه مسائلُ الزَّنادقةِ يا يهوديُّ، وهمَّ أبوبكر والمسلمون باليهوديِّ، فقال ابنُ عباس: ما أنصفْتُموه، أجيبُوه إنْ كان عندَكم جوابُه وإلا فاذهبُوا به إلىٰ عليٍّ فإنِّي سمعتُ رسولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقولُ لعليٍّ: «**اللهمَّ اهْدِ قَلْبَهُ وثبِّتْ لسانَهُ**».

فأتَوْا عليًّا في بيتِه فسأله اليهوديُّ فقال عليٌّ عليه السَّلام: أمَّا ما لا يعلمُه الله فذلك قولُكم يا معشرَ اليهودِ: العُزَيرُ ابنُ الله، والله لا يعلمُ أنَّ له ولدًا، وأمَّا ما ليس عندالله فليسَ عنده ظلمُ العبادِ، وأمَّا ما ليس لله فليس لله شريكٌ فأسلمَ اليهوديُّ فقال أبو بكر والمسلمون لعليٍّ: «يا مفرِّجَ الكُرُوبِ».

وقال ابنُ الأثير في "أُسْد الغابةِ" بعد إيرادِ آثارٍ في علم عليٍّ عليه السَّلام ما لفظُه: «ولو ذكرنا الصَّحابةَ مثلَ عُمرَ وغيره رضي الله عنهم لأطلْنا».اهـ

وبالجملةِ فأعلميَّةُ عليٍّ عليه السَّلام ورجاحَةُ فكرِه وغَوصُه علىٰ دقائقِ الاسْتنباطات ورجوعُ الصَّحابةِ إليه كلَّما حزَبَهم أمرٌ، ممَّا لا يُرتابُ فيه.

ولا ريْب أنَّ السِّبْطيْنِ السَّعْدَينِ كانا أكبرَ الناسِ حظًّا وأوفرَهم نصيبًا من تعهُّد مثلِ هذا الوالد الفذِّ، ومن تعليمِه وتهذيبِه وتقويمِه وتدريبِه، فوَرِثا منه علمًا غزيرًا.

وهذا ولدُه محمَّدُ بنُ الحنفيَّة كان الصحابة يستفتُونه اعترافًا منهم بغزارة علمِه وعِظَمِ فهمِه، أما عليٌّ زينُ العابدينَ وابناه الإمامان العظيمان: زيدُ الشهيدُ، ومحمَّدُ الباقرُ، وابنُ الأخير جعْفرُ الصَّادقُ عليهم السَّلامُ فمعترفٌ لهم

بالإمامةِ في العلمِ والفقهِ في الدينِ، والقدوةِ في الورعِ، والسَّبقِ في الفضلِ.

وقد كان عند هؤلاءِ السَّادة الأئمةِ علومٌ جمَّةٌ فاضتْ منْ بابِ مدينةِ العلمِ فتوارثُوها وارتَوَوْا منها أيَّما ارتِواءٍ، غير أنَّ تقلُّبَ الأحداثِ السياسيَّة وما لاقىٰ أهلُ البيتِ النبويِّ من بلاءٍ وتشريدٍ وتطريدٍ -حسبما أخبر به النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في حديث ابن مسعود- أضاع كثيرًا من تلك العلومِ، وكاد يقضي عليها لولا نُخْبةٌ من أهل البيتِ الطاهر أتباعِ الإمام زيدِ بنِ عليٍّ عليهما السَّلام ظلُّوا في اليمن الميمونِ محْتفِظين بتراث هذا الإمام متمسِّكين بقواعدِ مذهبِه، ووجدوا في أهلِ القُطْر نُصَراءَ وأعوانًا، بل وجدوا فيهم أصدقاءَ وإخوانًا ولعلَّ إخلاصَ اليمنيِّين لأهل البيتِ يكشفُ لنا سرَّ قولِه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في حقِّهم أثناءَ حديثِ: «**فإنَّهُم منِّي وأنا منْهم**».

وقوله أيضًا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «**ألا إنَّ الإيمانُ يَمانٍ، والحكمةُ يمانيَّةٌ وأجدُ نَفَسَ ربِّكم منْ قِبَلِ اليَمَنِ**». وما المراد بالنَّفَس في الحديثِ إلَّا النَّصرُ والإعانةُ.

مبدأ المذهبِ الزَّيدي باليَمنِ:

سَعِدَ اليمنُ بطائفةٍ من أهلِ البيتِ النبويِّ من أولادِ الحسنِ بنِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ، قاموا بالدَّعوة إلىٰ الله عزَّ وجلَّ والأمرِ بالمعروف والنَّهي عن المنكر وبذلِ النَّصيحةِ للمسلمين، وتعليمِهم معالمَ الهدىٰ، وإرشادِهم إلىٰ الصِّراطِ المستقيمِ، وذلك من آخرِ القرْنِ الثالثِ للهجرة إلىٰ العصر الحاضر.

وزعيمُ هذه الطائفة ومقدَّمُها الإمامُ الهادي إلىٰ الحقِّ يحيىٰ بنِ الحسين بن القاسم الرسِّي بن إبراهيم بن إسماعيلَ بن إبراهيمَ بن طباطبا بن الحسنِ بن

الحسن بن عليِّ بن أبي طالب. كان مولدُه بالمدينة المنوَّرة سنة ٢٤٥، ونشأ بحِجْر جدِّه القاسم واشتهرتْ فضائلُه فاستدعاه جماعةٌ من أهلِ اليمنِ لإحياءِ معالمِ الدِّين بها فخرجَ إليهم سنة ٢٨٠.

وخرجَ معه العلَّامةُ عليُّ بنُ العباس بنِ إبراهيمَ بنِ عليِّ بنِ عبدالرحمن بنِ القاسمِ بنِ الحسن بنِ عليِّ بن أبي طالب -وهو الذي يرْوِي إجماعاتِ أهلِ البيتِ فأقام مدَّة ثم عاد إلى الحجاز لأسبابٍ دعتْ إلى ذلك، ثمَّ وصلتْ كتبُ اليمنيِّين يستدعونَه ثانيًا ويستشْفِعُون بأهله فعاد إليهم سنةَ ٢٨٤ فظهرَ أمرُه بمدينةِ صَعْدةَ، ونشَرَ فيها معالمَ الشَّرعِ وقاتل البدعَ والأهواءَ، وامتدَّ نفوذُه إلى صنعاءَ ثم وقعتْ فتنٌ وحروبٌ أصيبَ عليه السَّلامُ في بعضِها وتوفي بصَعْدةَ في ختامِ سنة ٢٩٨.

وللإمامِ الهادي كتبٌ في الفقهِ وغيرِه قيِّمةٌ منها: كتاب "الأحكام" على نمَطِ كتاب "الموطأ" للإمامِ مالكٍ حيثُ يذكُر اجتهاداتِه ووجوهَها، ويربطُ أكثرَ المسائلِ بالأدلة ويلتَقي إسنادُه غالبًا بإسنادِ الإمامِ زيدِ بنِ عليٍّ ويوافقُه في كثيرٍ من المسائلِ الفقهيَّةِ وقلَّدَه في اجتهادِه كثيرٌ من أهل اليمن.

ثم قام أولادُه والعلماءُ المعاصرون لهم بخدمةِ مذهبِه واستخرجوا من نصوصِه تخريجاتٍ مذهبيَّةٍ على طريقةِ علماءِ المذاهبِ الأربعةِ وظهرت مؤلفاتُه في بلادِ جيلانَ وديلمانَ وكان الاتصالُ بين اليمنِ وتلكَ الأقطارِ بالمراسلةِ وغيرِها من الطرق المعهودة للمواصلة في ذلك التاريخ.

وقام بخدمة مؤلفاتِه الواصلة إلى تلكَ البلاد، جماعةٌ من علماءِ أهلِ الجيل والديلمِ، منهم الإمامُ المؤيَّد بالله أحمد بن الحسين بن هارون الهارونيُّ الآمليُّ، وصِنْوُه الإمام أبوطالب يحيى بن الحسين، وخالُهما أبوالعباس الحسنيُّ،

وسلكوا معه مسْلكَ الفقهاء المخرِّجين من نصوصِ الأئمةِ وألَّفوا في ذلك المؤلفاتِ الحسان كـ"شرح التجريد"، و"التفريعات" للمؤيد بالله، وكـ"التحرير" وشرحه و"التذكرة" لصنوه أبي طالب الناطقِ بالحقِّ وغير ذلك.

ثم لم يزلِ التأليفُ في الفقهِ وغيره منتَشِرًا بين علماءِ الزيدية في اليمن فللإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان بن محمَّد بن المطهَّر بن علي بن الناصر أحمد بن الهادي يحيى السابق كتاب "أصول الأحكام"، جمعَ فيه ثلاثةَ آلافِ حديثٍ وثلثمائةَ واثنَي عشرَ حديثًا، وللإمام محمَّد بن المطهَّر الحسنيِّ مجدِّدِ المائة السَّابعة: كتاب "المنهاجُ الجليّ في فقهِ زيدِ بنِ عليّ" رجَّح فيه مذهبَه وانتصرَ له، وللإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة بن عليٍّ الحسينيِّ المتوفى سنة ٧٤٩ كتاب "الانتصار"، وهو كتابٌ حافلٌ يقعُ في عدَّة مجلدات جمع فيه مذاهبَ كثيرٍ من العلماء واستوفى الخلافَ، وحُجَجَ كلِّ قائلٍ، ثم يقول بعد حكايةِ الأقوال والمذاهبِ: الانتصار لكذا.. ولهذا سمَّاه "الانتصار"، وكان مؤلِّفه الإمام يحيى عالمًا متبحِّرًا، رُزق كثرةَ التأليف حتى قيل إنَّ ما كتبه لو وُزِّع على أيامِ حياته لخصَّ كلَّ يومٍ كرَّاسٌ، كما قال بعضهم في ذلك:

لو عُمره عُدَّ والتأليفُ منه أتى ... لكلِّ يومٍ كما قالوا بكرَّاسِ

وهكذا استمرَّ أئمةُ اليمن وعلماؤُه، دأبُهم التحصيلُ والمدارسةُ والتأليفُ، حتى جاء الإمامُ مهدي أحمد بن يحيى، وهو ممن نال الحظَّ الوافرَ في حسن التأليف، وألف كتاب "البحر الزَّخَّار الجامعُ لمذاهبِ علماءِ الأمصار"، فكان من أحسن المؤلَّفات، بل لم يؤلَّفْ باليمن مثلُه في الفقه المرتبطِ بالدليل، يذكر المسألةَ وينبه على ما فيها من إجماعٍ أو اختلافٍ، ثم يحكي أقاويلَ العلماء من

الصَّحابة والتابعين وأئمة أهل البيتِ وسائر الفقهاء، ويذكر دليلَ كلِّ قول وتعليلَه، مع الإشارة إلى ترجيحِ الراجحِ وتضعيفِ غيرِه، سالكًا في ذلك طريقَ الإنصافِ، تاركًا سبيلَ التعصُّبِ والاعْتسافِ، فلا غَرْو أنْ أُعجِبَ اليمنيُّون به وكثُر إقبالُهم عليه، واعتمدُوه وقاموا بخدمتِه في شتَّى نواحيه، ومما قيل في مدحِه قول بعضهم:

هـذا كتـابٌ فيـه كـلّ عقيـدةٍ ... مـذكورةٍ وصـحيحِها وسـقيمِها
ومذاهبُ الفُقَهـا ومـا احتَجُّـوا بـه ... في متْنِـه معوجُّهـا وقوِيمُهـا
بحـرٌ سـفينتُه تُبلِّـغُ أهلَهـا ... جنـاتِ عـدْنٍ لا يـزولُ نعيمُهـا

وقول الآخر:

هـذا كتـابٌ جليـلٌ قـد حَـوى كتبًـا ... فـأكثرن لمـا أمـلى بـه العجبـا
لله درُّك مـنْ بحـرٍ حـوى دُرَرًا ... مثقبـات ودُرُّ البحْـرِ مـا ثُقِبـا

إلى غير ذلك.

وهذا الكتابُ هو عمدةُ المتأخِّرينَ من أهلِ اليمنِ فما يحكونَه منَ المذاهبِ -خصوصًا مذاهب أهلِ اليمنِ- كالسَّيد محمَّد بن إسماعيل الأمير صاحب "سبل السَّلام"، والشَّوكانيِّ صاحب "نيل الأوطار " وغيرِهما، ولطالما اشتاقَ أهلُ العلم إلى الارْتواءِ من مَعينِ هذا البحرِ ورغِبوا في الارتشافِ من مورِده العذْبِ الصَّافي، وكان يحولُ دون أمنيتِهم ندرةُ الكتابِ، وقلَّةُ نسَخِه المخطوطةِ، فهذه دار الكتب المصريَّة -على كبَرِها- لا يوجدُ فيها إلَّا قسْمٌ منه لعلَّه لا يبلغُ نصفَ الكتاب.

حتى حرَّك الله له همَّةَ ذي الهمَّةِ القَعْساءِ، وصاحبِ الرُّتبةِ العلياءِ عالمِ الأئمَّة وإمام العلماء أمير المؤمنين المتوكل على ربِّ العالمين الإمام يحيى حميد

الدين فأمر -تغمَّده الله برضوانه- نجلَه حضرة صاحب السُّموِّ الأمير الجليل سيف الإسلام عبدالله حفظه الله وأبقاه، بطبعِ هذا الكتاب معَ تخريجِ أحاديثه لابنِ بهرانَ، ليعمَّ به الانتفاعُ وتمتلئَ بمحاسنِه الأبصارَ والأسماعُ، وتفضل فبعث بأصلَين للكتابين يجري الطّبعُ عليهما.

وهذه يد الإمامِ الراحل صحبتْها أيادٍ بيضاءَ في خدمةِ العلمِ، وطبعِ كتبه النافعةِ النادرةِ فقد أمر -حفه الله بالكرامة لديه- بطبعِ كتاب "شمسُ العلومِ" في اللّغة للعلَّامة الأميرِ أبي سعيد نشوان بن سعيد الحِمْيريِّ، وكتاب "شرحُ رسالةِ الحُور العِين" له أيضًا، و"توضيحُ الأفكارِ شَرحِ تنقيحِ الأنظار" في مصطلحِ الحديثِ، وكتاب "المنية والأمَل في شرحِ الملَلِ والنِّحَل" لمؤلِّف "البحر"، وقد طُبعت منه قطعةٌ بالهند، والجزء العاشر من كتابِ "الإكليل" للهمداني، وبَعثَ بأصول هذه الكتب من مكتبتِه العامرة، فطوَّق أهل العلمِ مِننًا عَظُم قدرُها، وجلّ أثرُها وخلَّدتْ ذكرَه الطيبَ، مقرونًا بالحمدِ والثناءِ مع ما ادَّخر الله له عليها من عظيمِ الجزاء.

ولا يسعُنا في هذا المقام إلا أن نتقدَّم إلى حضرة صاحب السُّموِّ الملكيِّ سيف الإسلام عبدالله بالشكر على هذا العمل المبرور والسَّعْي المشكور، ونسأل الله أن يبقيَه للعلم نصيرًا وللمكارم ظهيرًا، كما نرجو أن يهيِّيء الله لليمنِ أسباب الرُّقيِّ والتقدُّمِ في عهد عاهلِه الجديد جلالة الناصر لدين الله الإمام أحمد أعزَّ الله نصرَه، وأعلى على أعادِيه أمرَه، وجعله على أثرِ الغُرِّ الميامين من أسلافِه الطَّاهرين، إنَّه سبحانه سميعُ الدعاء فعَّال لما يشاء.

أبو الفضل عبدالله محمَّد الصِّدِّيق الغماريِّ الحسنيِّ

مقدمة جزء ابن الصلاح
في وصل البلاغات الأربعة التي بـ"الموطأ"

ممَّا هو معلومٌ عند أهلِ الحديثِ: أنَّ في "موطأ الإمامِ مالكٍ" مراسيل وبلاغات رواها كما سمِعها ولم تقعْ له موصلة، وقد وصلها الحافظُ ابن عبدالبرِّ في كتاب "التمهيد" إلَّا أربعةَ بلاغاتٍ لم يجد لها إسنادًا ولا رآها في كتاب غير "الموطأ".

وكان مولانا الشيخُ الإمام الوالدُ رحمه الله ورضي عنه ونفعني برضاه أخبرني أيامَ الطَّلب حينَ حدَّثني عن كتاب "الموطأ" كما حدَّثني عن غيره من الكتبِ الحديثيَّةِ وغيرها، أنَّ الحافظَ ابنَ الصَّلاحِ وصل تلك البلاغات في رسالةٍ خاصَّةٍ فمنذ سمعتُ ذلك منه وأنا متشوقٌ إلى الوقوف على تلك الرسالة، إلى أن يسَّر الله العثورَ عليها فقمتُ بتحقيقِها ونشرِها.

وهي تحفةٌ نادرةٌ أقدِّمُها للمشتغلين بعلمِ الحديث عامةً، وللمهتمِّين بـ"الموطأ" خاصَّة وأحبُّ أنْ أشير إلى أمور:

-١-

كثيرٌ من النَّاس اعتقدوا أنَّ تلك البلاغاتِ صحيحةٌ بمجرَّد أن سمعوا أنَّ الحافظَ ابنَ الصلاح وصلَها، وبنَوا على اعتقادهم: أنَّ أحاديثَ "الموطأ" كلَّها صحيحةٌ بمرسلاتِها وبلاغاتِها ليس فيها حديثٌ ضعيفٌ.

وممَّن صرَّحَ بذلك المرحومُ الشيخُ محمَّد حبيب الله الشِّنقيطيُّ، فإنَّه نقل في كتابه "دليلُ السَّالك إلى موطأ مالك" عن الشَّيخ صالحٍ الفلاني أنه ردَّ قولَ الحافظ العراقيِّ: أنَّ مالكًا لم يفردِ الصَّحيحَ في "الموطأ" بل أدخلَ فيه المرسَلَ

والمنقطعَ والبلاغاتِ، ومن بلاغاته أحاديثُ لا تُعرفُ كما ذكرَه ابنُ عبد البرِّ.

وهو كلامٌ سليمٌ، فبماذا ردَّه الشيخُ صالح؟

قال: «وما ذكره العراقيُّ أنَّ من بلاغاتِه ومراسيلِه ومنقطعاتِه كلّها موصولة بطرقٍ صحاحٍ إلا أربعةَ أحاديثَ، وقد وصل ابنُ الصلاح الأربعةَ في تأليفٍ مستقلٍّ وهو عندي وعليه خطُّه فظهر بهذا أنَّه لا فرق بين البخاريِّ و"الموطأ" وصحَّ أنَّ مالكًا أول من صنَّف في الصَّحيح».اهـ

وعقَّب عليه الشَّيخ الشَّنقيطيُّ بقوله: «والعجبُ من ابن الصَّلاح رحمه الله كيف يطَّلع على اتصال جميع أحاديث "الموطأ" حتى أنه وصلَ الأربعةَ التي اعترفَ ابنُ البرِّ بعدم الوقوفِ على طرق اتِّصالها، ومع هذا لم يزلْ مقدمًا للصَّحيحين في الصَّحة!! مع أنَّ الموطأ هو أصلُها وقد انتهجا منهجَه في سائر صنيعِه».اهـ

وكل هذا خطأ كبير يتبين بالوجوه الآتية:

١- ذكر محمَّد فؤاد عبدالباقي أنَّه عرضَ الكلامَ السابقَ على المحدِّث المرحوم الشيخ أحمد شاكر فأملى عليه ما يأتي: «لكنَّه لم يذكر الأسانيد التي قال الفلانيُّ: أنَّ ابن الصلاح وصل بها هذه الأحاديثَ، فلا يستطيعُ أهلُ العلم بالحديثِ أن يحكموا باتِّصالها إلا إذا وُجدتِ الأسانيد وفُحصت، حتى يتبين إن كانت متصلةً أو لا، وصحيحةً أو لا».اهـ

وهذا كلامُ خبيرٍ بالصناعة الحديثيَّة عارفٍ بقواعدها ولا شكَّ أنَّ الشَّيخ أحمد شاكر أعلمُ بالحديث من الشيخ الشِّنقيطيِّ بمراحلَ بل لا نِسبة بينَهما فيه.

٢- دعوى الفلَّانيِّ أنَّ عنده تأليفَ ابنِ الصَّلاح وعليه خطُّه، دعوى غيرُ صحيحةٍ بل هو لم ير ذلك التأليفَ فضلًا عن أن يمتلكَه، والدليلُ على ذلك أنَّه

لم يذكرْ تلك الأحاديثَ في ردِّه لكلام العراقيِّ حافظِ الدنيا وشيخِ حفاظِها، ولو كانتْ عنده لبادَر بذكر تلك الأسانيدِ ليُسندَ ردَّه بالدليلِ.

وأيضًا فإنَّ ابنَ الصَّلاح قال في تأليفِه ذلك ما نصُّه: «والقولُ الفصلُ عندي في ذلك كلِّه ما أنا ذاكره، وهو أنَّ هذه الأحاديثَ الأربعةَ لم ترِدْ بهذا اللَّفظِ المذكورِ في "الموطأ" إلا في "الموطأ"، ولا وردَ ما هو في معنىٰ واحدٍ منها بتمامِه في غير "الموطأ" إلا حديثُ «**إذا أنشَأَتْ بَحْرِيَّة**» مِن وجهٍ لا يثبتُ.

والثلاثةُ الأُخَر؛ واحدٌ -وهو حديثُ ليلة القدر- وردَ بعضُ معناه من وجهٍ غير صحيحٍ، واثنان منها ورد بعضُ معناهما من وجهٍ جيِّدٍ، أحدُهما صحيحٌ -وهو حديثُ النِّسيان- والآخرُ حسنٌ وهو وصيةُ معاذٍ رضي الله عنه».اهـ كلامُه بحروفِه.

وهو يصرِّح بأنَّ حديثَينِ من الأربعةِ ضعيفانِ ولو رآه الفلاني لما قال في ردِّه: «فظهر بهذا أنَّه لا فرقَ بين البخاريِّ والموطأ...» إلخ.

وأنا أقول: ظهر بهذا أنَّ الفلاني لم يرَ تأليفَ ابنِ الصلاحِ وأنَّ دعواه غيرُ صحيحةٍ غفر الله لنا وله.

٣- ولو فرضْنا جدليًّا أنَّ تلك الأحاديثَ الأربعة صحيحةٌ، لم يكن "الموطأ" في درجة "البخاريِّ" لأمور:

(١)- أنَّ تلك الأحاديثَ إنَّما وردَ ما يُصحِّح معناها فقط، ولفظُها غيرُ واردٍ إطلاقًا، وأحاديثُ البخاريِّ صحيحةٌ بلفظِها ومعناها.

(٢)- أنَّ البخاريَّ صحيحٌ في ذاته لا يحتاجُ إلىٰ منْ يصلُ بعضَ أحاديثه بخلافِ "الموطأ" فإنَّه محتاجٌ إلىٰ من يصِل منقطعاتِه ومرسلاتِه وبلاغاتِه،

بحيث لا نطمئنُّ إلى شيءٍ منها حتَّى نقفَ على أسانيدها في "التمهيد" أو غيره.

(٣)- أنَّ "الموطأ" فيه أحاديثُ مسنده لم تبلغْ درجةَ الصِّحةِ ولم يخرِّجْها البخاريُّ، فكيف يكونُ "الموطأ" في درجته؟!

-٢-

ابنُ الصَّلاحِ هو الحافظُ تقيُّ الدين أبوعمرو عثمانُ بنُ صلاح الدين عبدالرحمن بنِ عثمانَ بنِ موسى الكرديُّ الشَّهرزُوريُّ الشَّافعيُّ المفتي ابن المفتي. ولد سنة سنة ٥٧٧، وتفقَّه على والده بشهرزور، قال ابنُ خَلِّكان: «كان أحدَ فضلاء عصرِه في التفسيرِ والحديثِ والفقهِ وأسماءِ الرِّجال وما يتعلَّقُ بعلم الحديثِ ونقل اللغة، وكانت له مشاركةٌ في فنونٍ عديدةٍ وكانت فتاويه مسدَّدةً، وهو أحدُ أشياخي الذين انتفعتُ بهم».اهـ

وذكر أنَّه رحل إلى خراسان وبها حصَّل علمَ الحديث، ورحل إلى نيسابورَ وهمذانَ ومرْوَ وحرَّانَ وبغدادَ ودِمَشقَ وحلبَ والقدسِ وغيرها.

قال الذَّهبيُّ: «قدم دمشق ودرس بالرواحية ثمَّ ولي مشيخةَ دار الحديثِ الأشرفيَّة وصنَّف وأفتى وتخرَّج به الأصحاب وكان من أعلامِ الدِّين».

قال أيضًا: «وكان سلفيًّا حسنَ الاعتقاد كافًّا عن تأويل المتكلِّمين مؤمنًا بما ثبتَ من النُّصوص غير خائض ولا متعمِّق، وكان وافرَ الجلالة، حسنَ البزَّة، كثير الهيْبة، موقَّرًا عند السلطانِ والأمراء.

انتقل إلى رحمةِ الله في الخامس والعشرين من ربيع الآخر سنة ٦٤٣ وكثر التأسُّف لفقده وحُمل نعشُه على الرؤوسِ وكان على جنازتِه هيبةٌ وخشوعٌ، فصلوا عليه بجامع دِمَشقَ، ودفنوه بمقابرِ الصُّوفية، وقبره ظاهرٌ يُزار، وعاشَ

ستًّا وستِّين سنةً رحمة الله عليه».اهـ كلام الذَّهبيِّ.

- ٣ -

أرْوي هذه الرسالةَ عن الشيخِ محمَّد دويدار الكفراوي عن الشيخ إبراهيمَ الباجوري عن الشيخ محمَّد السنباوي عن أبي الحسن علي بن محمَّد العربي، عن الشيخ إبراهيمَ الفيوميِّ، عن الشيخ أحمد الغرقاويِّ، عن الشَّيخ عليٍّ الأجهوريِّ، عن نور الدين عليٍّ بن أبي بكر القرافيِّ، عن الحافظ جلال الدين السُّيوطيِّ، عن القاضي علم الدين البلقينيِّ، عن أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد التَّنوخيِّ، عن أبي الحسن بن العطار الدمشقيِّ، عن الحافظ الزاهد أبي زكريا النوويِّ، عن الحافظ أبي عمرو عثمان بن الصَّلاح رحمه الله تعالى.

أبو الفضل

عبدالله بن محمَّد بن الصِّدِّيق الغُماريِّ

مقدمة كتاب "بداية السول في تفضيل الرسول ﷺ" للعز بن عبدالسَّلام

الحمدُ لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحبُّ ربُّنا ويرضى، والشكرُ له على ما أولى من نعمٍ سابغةٍ وأسدى، نحمدُه سبحانَه وهو الوليُّ الحميد ونتوبُ إليه جلَّ شأنُه وهو التَّوابُ الرشيدُ، ونشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له شهادةً نستجلبُ بها نِعَمَه، ونستدفعُ بها نِقمَه وندَّخرُها عُدَّةً لنا يومَ لا ينفعُ مالٌ ولا بنون إلا منْ أتى الله بقلبٍ سليمٍ.

ونشهد أنَّ سيِّدَنا محمَّدا عبدُه ورسولُه وصفيُّه من خلقِه وخليلُه، جعله نبيًّا وآدم منجدلٌ في طينتِه، ونوَّرَ الوجودَ يومَ مولدِه بنور طلعتِه، وعمَّ برحمتِه العالمَ حين بعثته، واختصَّه بالشفاعة العظمى لإظهارِ فضله في ذلك الموقفِ العظيم صلَّى الله عليه وسلَّم وعلى آله نُجومِ المهتدين، ورُجومِ المعتدين، وغُيوث النَّدى للطالبين، ورضي الله عن الأبرارِ الذين قامُوا بحقِّ صُحبتِه وحفظِ شريعتِه وتبليغِ دينِه إلى أسرارِ أمَّته، وكانوا خيرَ أمَّة أخرجتْ للناسِ كما وصفَهم القرآنُ الكريمُ.

أما بعدُ: فهذه تعليقاتٌ وجيزةٌ مفيدةٌ كتبناها على رسالة "بدايةُ السُّول في تفضيلِ الرسول" تأليف الإمام المجتهد شيخِ الإسلام سلطان العلماء عزِّ الدين عبدالعزيز بن عبدالسَّلام بن أبي القاسم بن حسن بن محمَّد مهذَّب السُّلمِيِّ أبي محمَّد.

ترجمه الذَّهبيُّ في "العبر" وقال في حقِّه: «بلغَ رتبةَ الاجتهاد، قدِم إلى مصرَ من الشَّام فأقامَ بها أكثر من عشرين سنةً آمرً بالمعروفِ ناهيًا عن المنكرِ، يُغْلظُ

على الملوكِ فمن دونَهم، وله في ذلك مواقفُ مشهودةٌ ولما دخل مصرَ بالغَ الحافظُ المنذريُّ في الأدبِ معه وامتنَعَ عن الإفتاء لأجلِه وقال: كنا نُفتي قبل حضورِه أما بعدَ حضوره فمنصبُ الفُتْيا متعيَّنٌ فيه.اهـ

وقال ابنُ كثير: انتهتْ إليه رياسةُ المذهبِ -الشَّافعيِّ- وقُصد بالفتْوى من سائرِ الآفاقِ، وكان في آخرِ عُمْرِه لا يتقيَّد بالمذهبِ، بل اتَّسعَ نطاقُه وأفتى بما أدَّى إليه اجتهادُه، وقال جمالُ الدين بنُ الحاجبِ إمام المالكيَّة: ابنُ عبدالسَّلام أفقهُ من الغزاليِّ، لبس خرقةَ التصوُّفِ من الشهابِ السَّهْروَرْدِيِّ، وكان يحضرُ عند الشيخ أبي الحسن الشَّاذليِّ، ويسمعُ كلامَه في الحقيقةِ ويعظِّمُه.

وقال الشَّاذليُّ: قيل لي: ما على وجهِ الأرض مجلسٌ في الفقه أبْهى من مجلس الشيخِ عزِّ الدين بن عبدالسَّلام، وما على وجه الأرضِ مجلسٌ في الحديثِ أبهى من مجلس الشيخ زكيِّ الدين عبدالعظيم، وما على وجه الأرض مجلسٌ في الحقائق أبْهى من مجلسِك.

قلت: هذا من الإلهام المؤيَّدِ بالواقعِ الملموسِ فإنَّه لم يكنْ ذلك في العصر من يماثلُ هؤلاء فيما اختصَّهم الله به، وللشَّيخ عزِّ الدين كراماتٌ كثيرةٌ، وألَّف كتبًا لم يُسبقْ إلى كثير منها، ناهيك بـقواعده الكبرى فإنَّها تدلُّ على تبحُّرِه في الشريعة وغوْصِه على دقائِقها، وهي أكبرُ دليلٍ على بلوغِه رتبةَ الاجتهاد المطلقِ، وُلد سنةَ سبعٍ أو ثمانٍ وسبعين وخمسمائة، وتُوفِّي بمصرَ عاشر جُمادى الأولى سنةَ ستٍّ وستمائة.

قال القطبُ البونيُّ: «كان مع شدَّته وصلابته حسنَ المحاضرة بالنوادر والأشعار، يحضرُ السماع ويرقصُ فيه».

وقال ابنُ كثير: «كان لطيفًا ظريفًا يستشهدُ بالأشعار».اهـ

رضي الله عنه وأرضاه وأنزلَه منزلةَ الصِّدِّقين الأبرار ونفعَنا ببركة خدمةِ رسالتِه هذه وغيرها من رسائِله التي اعتزمْنا نشرَها، والله الموفقُ لا ربَّ غيرُه وهو الهادي إلى سواءِ السَّبِيل.

أبو الفضل

عبدالله محمَّد الصِّدِّيق الغُماريُّ الحسنيُّ

عفى الله عنه

مقدمة كتاب "أخلاق النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم" لأبي الشيخ الأصبهاني

- ١ -

نحمدُ الله على جميلِ إفضالِه، ونشكرُه على جزيلِ نوالِه، ونصلِّي على رسوله المبعوثِ رحمةً للعالمين والمبعوث بالنِّعمةِ المهْداة للمؤمنين، وبعدُ:

فإنَّ الله سبحانه وتعالى تولَّى تربيةَ نبيِّه عليه السَّلام منذ نشأتِه باللّطف والعنايةِ والإلهامِ، نزعَ عنه حظَّ النفسِ والشَّيطانِ، وغمَر قلبَه بمعاني الحكمَة والإيمانِ، يؤهِّله بذلك لتحمُّلِ أعظمِ رسالةٍ ظهرتْ على وجه الأرضِ منذ خلقَ الله الدنيا ومَن عليها إلى أن يأذنَ بفنائِها قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

شبَّ النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بينَ عشيرتِه وقومِه كأكملِ ما يكون الشابُّ العفيفُ المثقَّف من صدقِ لهجةٍ وصفاءِ نفسٍ وعفةِ يدٍ وترفُّعٍ عن سفاسِفِ الأمورِ وعلوِّ همَّةٍ إلى آفاقٍ بعيدةٍ من السُّمُوِّ الرُّوحيِّ، لم تُعرفْ عنه نزوةٌ من نزواتِ الصِّبا، ولا أُثِرتْ عنه هفْوةٌ من هفواتِ الشبابِ، لا جرَمَ أن أطبقَ أهل مكَّة بتسميتِه بالأمين؛ لأنَّهم خَبُروا فيه صفاتٍ لا تكونُ إلا للملائكةِ الأطهار.

ثمَّ أكرمَه الله بالوحْي وزانَه بالنبوَّة فكمُلتْ صفاتُه وتمتْ حسْنًا خلالُه وامتُحن في تبليغِ الرسالة بأنواعٍ منَ الإيذاء، كما امتُحن إخوانُه من الأنبياء فقابل ذلك كلَّه بصبرٍ لا يعتريه وهنٌ، وحزمٍ لا تشوبُه خُشونه، وحِلمٍ تطيشُ دونه الأحلامُ، ومثابرةٍ على مدافعةِ سفاهةِ قومه بالحجَّة البليغة والمنطقِ

السَّليم، ولو شاء دعا عليهم كما دعا النبيُّون من قبله وأُجِيبَ فيهم كما أُجِيبوا، لكنَّه لم يكنْ ليفعل؛ لأنَّه أُرسل رحمةً للعالمين، وهو إلى هذا بالمؤمنين رءوفٌ رحيمٌ حتى أُذِن له في الجهاد حيثُ لم تنجحِ الحُجَّة في نفوسٍ عزَّ عليها تركُ الباطل، وأبدى في معاملةِ أعدائِه الجاهدين في إيذائِه منتهى السَّماحة والكرم، ناهيك بقولِه عليه السَّلام لأهلِ مكة عام الفتحِ وهم يرْسُفُون في قيُود الذّلّ خاشعين ينظرون من طرْفٍ خفيٍّ: «**أقولُ كما قالَ أخي يوسفُ: لا تثْريبَ عليكم اليومَ اذهبُوا فأنتمُ الطّلَقاءُ**».

ذلك أنَّه لم يتَّخذْ الجهادَ أداةً للانتقام، لكنَّه السَّبيلُ الأخيرُ للعلاجِ، وآخِرُ الدواءِ الكيُّ، فهو صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الإنسانُ الكاملُ، والمثلُ الأعلى للخُلقِ الكاملِ، سُئلتْ عائشةُ رضي الله عنها عن خُلُقه؟ فقالت: «كان خُلُقُه القرآن». تعني: أنَّه كان المظهرَ العمليَّ لما في القرآنِ من معاني الكمال، والآدابِ وصالحِ الأخلاق، وهذا يفسِّر قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] وأيُّ عِظَمٍ يوازي عِظَمَ التخلُّق بالقرآن؟ وهو عليه السَّلامُ حين يقول: «**بعثتُ لأتمِّمَ مكارمَ الأخلاقِ**». يحدِّدُ هدفَ بعثِه ويعلنُ أنَّ مدارَها على هذا المقصد النبيل.

- ٢ -

أنزل الله رسولَه المنزلَ الأرفعَ الأسْمى، وجعل جنابَه الأعزَّ الأحمى، فشرحَ صدرَه، ورفعَ ذكرَه، وأعلى على جميعِ المخلوقات قدرَه، وطهَّر علانيتَه وسرَّه، كمَّله بالعظمةِ، وجمَّله بالحكمةِ، واختصَّ عقلَه بالرَّجَاحة، ونفسَه بالسَّماحةِ، وهبَه كمال الفطنة ونهايةَ الذَّكاء، ورقَّاه في العلومِ والمعارفِ أقصى درجاتِ

الارتقاءِ، زكَّاه روحًا وجسمًا، وحاشاه عيبًا ووصمًا، فرضَ طاعتَه على جميعِ خلْقِه، وألزمَهم عرفانَ قدرِه وحقِّه، نفى الإيمان عمَّن لم يُسلِّم لحكمه تسليمًا، وتوعَّد مخالفَ أمرِه عذابًا أليمًا، فهو أمينُ الله على رسالتِه وحُجَّتُه على خليقَتِه، قولُه فصلٌ وحكمُه عدلٌ، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣ - ٤].

- ٣ -

ثم حضَّ على الاقتداءِ في هديِه وسمْتِه حيثُ قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

فكان ذلك باعثًا للمسلمين على تتبُّع أخلاقه وتقصِّي شمائله وكان الصحابةُ يقتدون به عن مشاهدةٍ وعيانٍ، وتلقَّى عنهم التَّابِعون ما شاهدوه من ذلك وغيرِه، ثم بدأ تدوينُ الأحاديثِ والآثارِ في كتبٍ ومصنَّفاتٍ، فكان ممَّن صنَّف في هذا النَّوعَ من السُّنةِ كثيرون، فلكلٍّ من التِّرمذيِّ صاحبِ "السُّنن" وأبي بكر بن المقريِّ وأبي العباس المستغفريِّ، كتاب "الشمائل"، ولأبي الشيخِ كتاب "أخلاقُ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم" ولأبي محمَّد الحسين بن مسعود البغويِّ كتاب "الأنوارُ في شمائلِ النبيِّ المخْتار" رتَّبه على أحدٍ ومائةِ بابٍ وهو كتابٌ مسنَد، هذا غير ما جاء في كتب المغازي ودلائل النبوَّة، فإنَّ ذلك كثيرٌ يفوقُ الحصْر، وبعضُ تلك الكتبِ مطبوعٌ، وأغلبُها مخطوطٌ نادرٌ، بل منها ما كان يُظنُّ فقدانُه وعدمُ وجوده.

وكتاب "أخلاق النبيِّ وآدابه" من أمْتَع الكتبِ في هذا البابِ وأغزرِها مادَّةً وهو أوسعُ من كتاب "الشَّمائل" للتِّرمذيِّ، إلا أنَّه على نفاستِه ظلَّ

مغْمورًا في زوايا النِّسيان، مطْمورًا في بطونِ المكتبات، لا يُعرفُ عنه شيءٌ إلَّا ما يوجدُ من نقْلٍ عنه في بعضِ المؤلَّفاتِ، وإذ أذِن الله لهُ أنْ يظهَر، وأرادَ لكنوزِه وجواهرِه أنْ تُنشرَ يسَّر لذلك أسبابًا وإذا أرادَ الله أمرًا هيَّأ أسبابَه.

- ٤ -

وللعثورِ على هذا الكتابِ النَّفيسِ بل الكنزِ الثَّمينِ قصةٌ نجمُلها فيما يلي:

كان شقيقي الحافظُ أبو الفيض أحمدُ بن الصِّدِّيق يشتغلُ بوضعِ الاستخراجِ على كتابِ "الشَّمائل" للترمذيِّ، والاستخراجِ غير التَّخريج[1]، فكان يبحثُ عن المخَرِّجِين لأحاديثِ "الشَّمائل" ليُسنِدَها من طريقِهم ولم يجدْ لتلك الأحاديثِ في بعضِ الأحيانِ -مخرِّجين- غيرَ المؤلف إلا القليلَ النادرَ، وكان يجدُ الحافظَ العراقيَّ يُكثر في تخريجِ أحاديثِ "الإحياءِ" منْ عزْوِ الأحاديثِ الغريبةِ النَّادرةِ في الأخلاقِ النَّبويةِ والشَّمائلِ المحمَّديةِ إلى هذا الكتاب وإلى كتاب "الشَّمائل" لابن الضَّحَّاك، فتشوقَتْ نفسُه للوقوفِ على هذين الكتابَينِ العظيمَينِ، وأكثرَ من البحثِ والتنقيبِ لعله يُوفَّق إلى العثورِ عليهما أو على أحدِهما على الأقلِّ، وكاد ييأسُ، وبدأ يتسربُ إلى ظنِّه فقدُ الكتابَين ودخولهما في

---

(١) الاستخراجُ: هو أن يأتي المؤلِّفُ إلى كتاب "صحيح البخاري" مثلًا فيسند أحاديثه من غير طريقِ صاحبِ الكتابِ بحيثُ يجتمع معه في شيخِه، أو شيخِ شيخِه، أو من فوقَه إلى الصحابيِّ بشرط ألا يصلَ إلى شيخٍ أبعدَ حتى يفقد السَّند إلى شيخٍ أقربَ.
والتخريج: هو عزْوُ الحديثِ إلى مَنْ أخرجه مِنْ أصحابِ الأحاديث المسندةِ وكتب التخريج كثيرة مثل تخريج "أحاديث الإحياء" للعراقيِّ و"نصب الراية" للزَّيْلعيِّ و"التلخيص الحبير" للحافظِ بنِ حجر.

حكمِ المعدومِ كما حصل في غيرِهما من بعضِ كتب الحديث، مثل "صحيح ابن خزيمة"، و"صحيح ابن حبَّان"، وما في مقدِّمة "تحفة الأحوذي" من وجود "صحيح ابن حبان" بمكتبة برلين غيرُ صحيحٍ نعم يوجدُ ترتيبُه لابن بلبان تامًّا في تسعِ مجلَّداتٍ وهو بدار الكتبِ المصريةِ.

ثمَّ وَقف على فهرست مكتبة الاسكوريال المطبوعةِ في مجلَّدين باللغة العربية، والإسبانية جمَعها المستشرقُ الأسبانيُّ كديره فوجد من محتوياتِها هذا الكتاب فشدَّ الرِّحلةَ إلى مدريد، ووَقف عليه في المكتبة المذكورة، كما وَقف على غيره من النَّفائس، وعزَم على تصويرِه لكنْ عاقَه عدم وجود ورقٍ للتصوير، إذ كان ذلك في أعقابِ الحرب العالمية الأخيرة فعاد، وأتمَّ "المستخرج على الشَّمائل".

وفي سنة ١٣٧٧ هجريَّة هيَّأ الله الأسباب ويسَّر تصويرَ هذا الكتاب مع ثلاثةِ كتبٍ أخرى من نفائسِ كتبِ السُّنة المطهَّرة، تمَّ تصويرُها بمكتبةِ الاسكوريال في بضعةِ أيامٍ فغمَرنا فرحٌ بهذه التُّحفِ الثَّمينةِ، لا نقدرُ على تصويره والتعبير عنه واعتبرنا تيسيرَ الحصولِ عليها إذنًا في نشرِها بالطبعِ وتعميمِها بينَ علماء المسلمين ومتعلمِيهم؛ لاستنهاضِ همَمِهم وإيقاظِ عزائمِهم إلى التَّمسُّك بدينِهم السَّمحِ المتين من غير تعصُّبٍ شائنٍ ولا تفريطٍ مهينٍ، إذ لا صلاح لحالنا إلا بذلك ولا طريق لاستعادة مجدِنا واستردادِ قوَّتنا إلا هذا الطريقُ، ويرحمُ الله الإمامَ مالكًا حيثُ يقول: «لنْ يُصْلحَ آخرَ هذه الأمَّةِ إلا ما أصْلحَ أوَّلها» ورأينا البدْءَ بهذا الكتاب؛ لأنَّه الأصلُ واللبابُ.

وسيتبعه -بحول الله- طبعُ كتبٍ قيمةٍ نافعةٍ مثلِ كتاب "التمهيد" للحافظِ ابن عبدالبرِّ وكتابِ "الأحكام الكبرى" للحافظ عبدالحقِّ الأشبيليِّ، وكتاب

"الوهم والإيهام" للحافظِ ابنِ القطَّان وكتاب "الصَّلاة" للحافظِ محمَّد بن نصر المروزيِّ وهو كتابٌ نفيسٌ ما نعلمُ كتابًا أَلِّفَ في موضوعه مثلَه، فضلًا عن أحسنَ منه.

ونرجو مخلصين أنْ توجدَ بمصر نهضةٌ قويَّةٌ لطبعِ كتبِ السُّنة النبويَّةِ وتحقيقِها؛ لأنَّ في ذلك الخيرَ الكثيرَ والنفعَ الوفيرَ.

- ٥ -

والنُّسخةُ المصوَّرةُ التي جرىٰ عليها التَّصحيحُ، يرجعُ تاريخُ أصلها إلىٰ ربيع الآخر من شهور سنةَ ستٍّ وستين وخمسمائةٍ هجرية وعددُ صفحاتِها (٢١٠) في كل صفحةٍ ١٦ سطرًا، وفي بعضها ١٤، وعدد كلمات السطر ١٥ كلمةً في المتوسط، وعليها سماعات بتواريخ ربيع الآخر سنة ٥٦٦ هـ، وشوال سنة ٥٦٦، وربيع الأول سنة ٥٧٠، وإجازة بتاريخ سنة ٧٦٥ هـ، والنسخةُ رغمَ قِدَمِها وجودتِها يوجدُ بها تصحيفاتٌ نبَّهنا عليها في تعليقاتٍ وجيزةٍ، كما ضبطنا بعضَ الألفاظ العَويصة والأسماءَ المشْكِلة.

- ٦ -

ومؤلِّف الكتابِ هو الإمامُ الحافظُ أبومحمَّد، وأبو الشيخِ عبدالله بنُ محمَّد بنِ جعفر بنِ حيان الأنصاريُّ الأصبهانيُّ، وُلد سنةَ أربعٍ وستين ومائتين، وسمعَ الحديثَ وهو ابنُ عشر سنين وكتبَ العالي والنَّازل، ولقيَ الكبار.

شيوخه: منهم جدُّه لأمِّه الزاهدُ محمود بنُ الفرج، وإبراهيم بن سعدان، وأبو بكر بن أبي عاصم، وأبويعلىٰ، وغيرُهم كثيرٌ.

تلامذتُه: منهم أبو بكر بن مرْدَوَيه الحافظُ، والحافظُ أبوسعد الماليني،

والحافظُ أبونُعيم الأصبهانيُّ، وقد أكثرَ من الرِّواية عنه في "الحلية" و"دلائل النبوة" وسائرِ كتبه، وخلقٌ كثير.

مؤلفاتُه: منها "التفسير"، "الأحكام"، "العظمة"، "الأذان"، "أخلاق النبيِّ وآدابه"، "ثواب الأعمال"، "التَّوبيخ"، "النَّوادر" و"النتف"، وله غيرُ ذلك كثيرٌ جدًّا.

ثناءُ العلماءِ عليه: قال ابن منْده: أبو الشيخِ ثقةٌ مأمونٌ صنَّف التفسيرَ، والكتبَ الكثيرةَ في الأحكامِ وغير ذلك، وقال أبوبكر الخطيب الحافظُ: كان حافظًا ثبْتًا متقنًا وروىٰ عن بعضِ العلماء قال: «ما دخلْنا علىٰ أبي الشيخ إلَّا وهو يصلِّي».

وقال أبو نُعيم: «كان أحدَ الأعلامِ صنَّف التفسيرَ والأحكامَ، وكان يفيدُ الشيوخَ ويصنِّفُ لهم ستين سنةً، وكان ثقةً». وقال الذهبيُّ: «كان مع سَعةِ علمِه وغزارةِ حفظه صالحًا خيرًا قانتًا لله صدوقًا».

وأسند الذهبيُّ في "تذكرة الحفَّاظ" عن الحافظُ يوسفُ بنُ خليل قال: «رأيتُ في النومِ كأنِّي دخلتُ مسجد الكوفَة، فرأيتُ شيخًا طُوالًا لم أرَ شيخًا أحسنَ منه فقيل لي: هذا أبومحمَّدِ بنِ حيَّانَ فتبِعْته، وقلتُ له: أنت أبو محمَّدِ بنِ حيان؟ قال: نعم، قلتُ: أليس قد مِتَّ؟ قال: بلىٰ قلتُ: فبالله ما فعلَ الله بكَ؟ قال ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾ [الزمر: ٧٤] الآية فقلتُ: أنا يوسفُ بنُ خليل جئتُ لأسمعَ حديثَك وأُحصِّل كتبَك فقال: سلَّمَك الله ثُمَّ صافحتُه فلم أر شيئًا ألينَ من كفِّه فقبَّلتُها ووضعتُها علىٰ عينيَّ». وبالجملةِ فهو علىٰ إمامتِه وحفظِه واتقانِه وعدالتِه.

وفاتُه: قال تلميذُه الحافظُ أبونُعيم: «توفِّي في سلْخِ المحرم سنة تسع وستين وثلاثمائة فيكونُ قد عاش نحو خمسٍ وتسعين، رضي الله عنه وأرضاه وأكرمَ في الجنة نزلَه ومثواه».

- ٧ -

روايتُنا لهذا الكتاب:

نروي هذا الكتابَ عن شقيقِنا أبي الفيض أحمد بن الصديق الغماري، عن محمَّد النَّيفر التونسيِّ، عن محمَّد بن عليٍّ السنوسيِّ، وعن شيخنا محمَّد إمام، عن والده إبراهيم السَّقَّا، كلاهما عن ثُعيلبٍ، عن الجوهريِّ والملَّويِّ، عن عبدالله بن سالمٍ البصريِّ، عن البرهان الكورانيِّ، عن الصفيِّ المدنيِّ، عن الشمس الرمليِّ، عن الزين زكريا الأنصاريِّ، عن الحافظِ ابنِ حجرِ العسقلانيِّ، عن الصَّلاح بن أبي عمر، عن الفخر ابن البخاريِّ، عن ابن اللبان، عن الحدادِ، عن الحافظ أبي نُعيم، عن الحافظِ أبي الشيخِ بن حيان الأصبهانيِّ.

وبهذا السَّند نروي سائرَ مؤلفاتِه والحمدُ لله، وقد أجزتُ بها من شاء روايتِها بشرطِ الأهليَّة والتثبتِ.

ملحوظةٌ: سيمرُّ بالقارئ في هذا الكتاب لفظُ: «نا» هو مقتضبٌ من حدثنا، ولفظُ: «أنا» مقتضبٌ من أخبرنا: ولفظ: «ح» وهو مقتضبٌ من: تحويل.

أبوالفضل عبدالله محمَّد الصِّدِّيق

في ٨ شعبان سنة ١٣٧٨ هجرية

مقدمة كتاب: "الحسبةُ على من جوز صلاة الجُمعة بلا خطبة"
للحافظ المجتهد السيد أحمد بن الصديق الغماري

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد ابتلينا بمُبتدِع ضَؤُلَ علمه، وعَظُم جهله، مرن على السفاهة لسانه، وعري عن التحقيق بيانه، إذا تكلَّم سلح من فيه، وأبدى من الحقد ما هو كامن فيه، وإذا كتب فإنما يكتب جهالات لا تصدر إلَّا عن البلداء، وشتائم تتنزَّه عنها ألسنة السُّفهاء.

يزعم العمل بالدليل وهو في التقليد غريق، ويرمي مخالفيه بالبِدَع وهو بها خَلِيق، يُقلِّد الألبانيَّ في استنباطاته، وكلها مخالفة لقواعد الأصول، كتقليده إياه في تحريم الذهب على المرأة، وتعليل تحريم حَلْقِ اللِّحية بتغيير خَلْقِ الله[1] وتطبيق قاعدة تأخير البيان عن وقت الحاجة على قراءة القرآن على المقابر.

فإذا ارتقى في التقليد، ذهب إلى "المحلَّى" يقلب صفحاته، لكنه لخذلانه لا يأخذ منه إلَّا الشاذ من أقوال ابن حزمٍ، والمهجور من آرائه، كأخذه منه وجوب قصر المسافر خلف المقيم، وهو رأي باطلٌ كما بيَّنته في كتاب: "الرأي القويم"، ذلك الكتاب الذي جاء الثناء عليه من علماء بمصر وسوريا.

---

(١) قلت في مقالي المنشور بمجلة «الكلمة» ما نصه: «ما علَّل به صاحب رسالة: "الحجة الواضحة" تحريم حلق اللحية ولعن حالقها مأخوذٌ من رسالة: "أدب الزفاف في السنة المطهرة"».اهـ وكلامي واضحٌ، يفيد أنَّ المبتدع أخذ تعليل التحريم، لكنه لبلادته فهم أني قلت: أخذ التحريم نفسه، فكتب وريقات سمَّاها: «كشف الحجاب» كشف بها بلادته التامَّة، وكذبه المستور فكان كالباحث على حَتْفِهِ بظَلْفِهِ، والجادِعِ مارن أنفه بكَفِّه.

وسأثبت ثناءهم بحول الله في كتاب: "البدر السافر في تحقيق صلاة المسافر ومناقشة العنيد العاثر".

وقد ردَّ علىٰ "الرأي القويم" فلم يصنع شيئًا إلَّا أنه سبَّ أباه، واتهمني كذبًا أني أحتقر الأذان بسبب شطر بيتٍ نشرته بمجلة «الإسلام» سنة ١٣٥٦!!.

مع أنه وقع في أسوأ مما اتهمني به؛ حيث احتقر كتاب "الرؤيا في القرآن والسُّنَّة" وكتاب "سمير الصالحين" وهو يعلم أنهما مليئان بآيات قرآنية وأحاديث نبوية(١). ومن احتقر ذلك فحاله معروفٌ. ويرحم الله بعض الظرفاء إذ يقول: إذا رأيت شخصًا يخرج عن موضوع المناظرة، ويبسط لسانه بفاحش القول، فاعلم أنه لا علم عنده وأنه مغلوبٌ لخصمه.

ورغم ما أكثر من شتم وسباب، لم يستطع -ولن يستطيع- التخلُّص من حديث: «**إنَّ اللهَ وَضَعَ عن المُسافِرِ الصَّوْمَ وشَطْرَ الصَّلاةِ**». ولا من حديث: «**أيها النَّاسُ، إنِّي إمَامُكُمْ فلا تَسْبُقُوني بالرُّكُوعِ ولا بالسُّجُودِ ولا بالقِيامِ ولا بالقُعُودِ ولا بالانصِرافِ**». ولا من حديث إمامة جبريل، وهو حديثٌ صحيحٌ له ستة طرقٍ (٢).

---

(١) واحتقر صحابيًّا جليلًا بقوله: «ابن عمر وابن زمر» واحتقر الإمام مالكًا بقوله علىٰ المنبر: «طز في مالك »، واحتقر جماعة من علماء المسلمين وصلحائهم، وفي الحديث الصحيح: «**بحسب امرئٍ مِن الشرِّ أن يَحْقِرَ أخاه المسلمَ**».

(٢) أثبتُّها في "البدر السافر"، وأثبتُّ فيه أن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم صلَّىٰ الظهر أربع ركعات في سفر بعسفان، وأبطلت دعوىٰ ابن تيمية وابن القيِّم أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ما أتم في سفر قط. وما أكثر ما يهولان بمثل هذه الإطلاقات الجوفاء.

ومن وقاحته أنه صحَّحَ رواية عبدالله بن عمر، عن نافعٍ، عن ابن عمر، مع مخالفتها لرواية عبيد الله ومالك عن نافع عن ابن عمر وهو لا يعرف علم الحديث، ولا شروط الصحة عند أهله. ولو سأل عن تلك الرواية إمامه الألبانيَّ -وهو يعرف الحديث- لأجابه فيها بمثل قولي، لكن ما الحيلة في جاهلٍ يتوقَّح، وعنيدٍ يتبجَّح؟!!

وكذب -وما أكثر كذبه- فزعم أني لم أجبه على سؤاله الذي يتعلَّق برؤية الهلال، مع أنه يتكلَّم على صلاة المسافر!! أليس هذا مِن أدلَّة عَجْزه؟!!

ولو أنه رجع إلى جزء "التنصل والانفصال" لوجد فيه جواب السؤال واضحًا لا يعتريه إشكال، ولو فرض أني لم أجب عنه لم يكن بأس؛ لأنه سؤال لا معنى له ولا يؤثِّر في الحكم شيئًا.

ومما تمسَّك به المبتدِع من شواذِّ ابن حزمٍ: دعوى أن خطبة الجمعة ليست بواجبةٍ!! وهذه الدعوى من الشذوذ بمكان، والدلائل على بطلانها كثيرةٌ.

منها: أن الآية أوجبت السعي إلى الخطبة وترك البيع الشاغل عنها، كما يُستفاد من قوله تعالى: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ﴾ [الجمعة: ٩].

فإن قيل: يحتمل أن يراد بذكر الله: «الصلاة»، كما فسَّرها البغويُّ.

قلنا: هذا الاحتمال باطلٌ جدًّا، وبيان بطلانه من وجوه:

أحدها: أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بين ذكر الله بالخطبة، كما ثبت في الصحيحين، وليس بعد بيانه بيان، وإذا جاء نهر الله، بطل نهر معقل.

ثانيها: لو كان المراد الصلاة، لقيل: (فاسعوا إليها) فإنه أوضح وأوجز، وليس

هذا من المواضع التي يُستحسَن فيها الإطناب، كما يعلم لمن درس علم المعاني.

ثالثها: تقرَّر في علم الأصول أنَّ الكلام إذا احتمل تأسيسًا وتأكيدًا، وجب حمله على الأول، لما فيه من زيادة الفائدة.

وإذا حملنا ذكر الله على الصلاة، كانت الآية مؤكِّدة لآياتٍ كثيرةٍ دلَّت على وجوب الصلاة، وحتى لو ادَّعى مُدَّعٍ أنها أفردت بالذِّكر اعتناءًا بها، فإن الاعتناء تأكيد أيضًا، بخلاف ما لو فسَّرناه بالخطبة، فإن الآية حينئذٍ تفيد معنى جديدًا وتؤسِّسه وهو وجوب الخطبة، فوجب تفسير الآية به.

رابعها: تقرَّر في علم الأصول أيضًا: أنَّ الصلاة واجبٌ مُوسَّعٌ وليس مُضيَّقًا كالصوم، والواجب الموسَّع لا يجب السعي إليه ولا فعله في أول وقته بالإجماع، وبدليل أن الله لم يوجب السعي إلى صلاة الظهر في بقية أيام الأسبوع، فلما أوجب السعي عند نداء الجمعة خاصَّة علمنا أنَّ السعي لأمر غير الصلاة، وهو الخطبة.

خامسها: أنَّ الجماعة في الصلاة مطلوبةٌ دائمًا، ندبًا أو وجوبًا على الخلاف، ولما أوجبت الآية السعي عند نداء الجمعة علمنا بالضرورة أن السعي ليس لأجل الجماعة، ولا للصلاة، ولكن لاستماع الخطبة.

سادسها: أن الصلاة متماثلةٌ في سائر أيام الأسبوع، ولكن لَمَّا كان يوم الجمعة يختص بالخطبة؛ أوجب الله السعي إليها لأنها لا تكون إلا في ذلك اليوم.

سابعها: أنَّ القرآن أثبت تغاير الصلاة والذِّكر. قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: ١٤]. ولو كانت الصلاة ذكرًا لكان معنى الآية: «وأقم الذكر لذكري»، وهذا معنى ركيكٌ، يجب تنزيه القرآن عنه.

وقال سبحانه: ﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [النور:

٣٧]. ولو كانت ذكرًا لكان المعنى: «لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام ذكر الله»، وهذا معنى سخيف.

وحيث ثبت تغايرهما علمنا أنَّ قوله تعالى: ﴿فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[الجمعة: ٩] إيجاب للسعي إلى الخطبة لا الصلاة .

ثامنها: أن الله تعالى قال: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]وهذا مع إفادته تغايرهما أيضًا يفيد أن الذكر أقوى من الصلاة في النهي عن الفحشاء والمنكر لأن الذكر يشتمل على وعظ وتذكير وترهيب وتحذير، لا جرم أنَّ الله دعا المصلين يوم الجمعة إلى استماع الخطبة لأنهم يستفيدون منها ما لا يستفيدون من مجرد الصلاة.

تاسعها: أنَّ الصلاة لها حقيقتها الشرعية، فهي عبادةٌ ذات أقوال وأفعال مفتتَحةٌ بالتكبير مختتمةٌ بالتسليم، لكن لما كانت مشتملة على ذكرٍ، صحَّ أن يطلق عليها لفظ: «الذكر» مجازًا مرسلًا، والمقرَّر في علم الأصول أنَّ آيات الأحكام يتعيَّن حملها على الحقيقة ولا يجوز حملها على المجاز إلا لصارفٍ مع قرينةٍ، وبذلك يجب حمل الآية على الخطبة؛ لأنها ذكرٌ حقيقة.

عاشرها: أن الأحاديث التي أخبرت بكتابة الملائكة لأسماء الذاهبين إلى الجمعة صرَّحت بأنهم يطوون الصحف حين خروج الإمام ويستمعون الخطبة ولو كان المراد بذكر الله الصلاة لاستمروا في كتابة الأسماء إلى حين الإقامة.

حادي عشرها: ثبت في الصحيحين أنَّ عثمان تأخَّر يوم الجمعة فلم يحضر حتى شرع في الخطبة، فسأله عمر سؤال توبيخ وإنكار: أي ساعة هذه؟ مع أنه أدرك الصلاة جزمًا، لكن أنكر عليه لأنه فوَّت بعض الخطبة المقصودة

بالسعي، ولو لم تكن الخطبة واجبةٌ لما صحَّ لعمر أن ينكِر عليه، ولكان لعثمان أن يجيبه بأنه لم يقصِّر في واجبٍ فلا يستحق اللوم الموجَّه إليه على رؤوس الأشهاد، وقول عمر رضي الله عنه: «صلاة السفر ركعتان، وصلاة الأضحى ركعتان، وصلاة الفطر ركعتان، وصلاة الجمعة ركعتان، تمام من غير قصر»، لا يدل على نفي وجوب الخطبة إلا بدلالة الاقتران، وهي ضعيفةٌ عند الأصوليين، فلا تمسُّك فيه للمبتدِع.

وروى عبد الرزَّاق عن ابن التيمي، عن قرة بن خالد قال: سمعت الحسن يقول: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ ﴾ [هود: ١١٤] حتى ختم الآية، قال: فكانت أول صلاة صلاها رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: الظهر، فأتاه جبريل فقال: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴾ [الصافات: ١٦٥ - ١٦٦]. فقام جبريل، ورسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم خلفه، ثم الناس خلف رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، قال: فصلى بهم الظهر أربعًا حتى إذا كان العصر قام جبريل ففعل مثلها، ثم جاء جبريل حين غابت الشمس فصلى بهم ثلاثًا، يقرأ في الركعتين الأوليين يجهر فيهما، ولم يسمع في الثالثة، قال الحسن: وهي وتر صلاة النهار، قال: حتى إذا كان عند العشاء وغاب الشفق وأعْتَمَ جاء جبريل فقام بين يديه فصلَّى بالناس أربع ركعات، يجهر بالقراءة في الركعتين، حتى إذا أصبح من ليلته فصلَّى به والناس معه كنحو ما فعل، فصلَّى بهم ركعتين يقرأ فيهما ويطيل القراءة، فلم يمت النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حتى حَدَّ للناس صلاتهم، ثم ذكر الحسن الجمعة، قال: فصلَّى بهم ركعتين ووضع عنهم ركعتين لاجتماع الناس يومئذٍ وللخطبة.

وكذا جاء عن عمر أنَّ صلاة الجمعة شُرعت ركعتين لأجل الخطبة.

وهذا كتاب: "الحسبة على من جوز صلاة الجمعة بدون خطبة". ردَّ به شقيقنا الحافظ أبو الفيض رحمه الله تعالى على ذلك المبتدع وبَسَط الأدلة بسطًا وافيًا، وأتى بمرهم القواعد فكان لداء الجهل شافيًا، ألحَّ عليَّ بعض الإخوان في نشره وتقديمه، فلبَّيتُ طِلْبَتهم ليظهر الحق ويختفي الباطل، وليعرف القرَّاء مدى جناية ذلك المبتدِع على العلم، ويتحقَّقوا جرأته على القول في دين الله وأحكامه بدون تثبُّتٍ ولا رويَّةٍ، لكن بالهوى والعناد والعصبيَّة، نسأل الله العفو والعافية.

عبد الله بن محمد بن الصِّدِّيق
من علماء الأزهر، وخادم الحديث الشريف
وشيخ الطائفة الدرقاوية الصِّدِّيقيَّة

مقدمة كتاب

"إتحاف ذوي الهمم العالية بشرح متن العشماوية"

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلامُ على أشرفِ المرسلين سيِّدنا محمَّد وعلى آله الأكرمين، ورضي الله عن خيارِ صحابتِه من الأنصار والمهاجرين، وعمَّن تبعهُم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

وبعد: فإنَّ "متنَ العشماويَّة" في مذهبِ الإمامِ مالكٍ رضي الله عنه سار عند المالكيَّة مسيرَ الشمسِ في الفُلْكِ واشتهر بينهم اشتهارَ «قِفا نبْكِ» وكثر قارِئُوه ودارِسُوه، وتعدَّد شارِحوه ومحشُّوه.

لكنْ مع ذلك لم نجدْ واحدًا منهم اتَّجه إلى تدليل أحكامِه وتعليلِ مسائله بل ساروا على نهجهم الذي انفردوا به دونَ سائر المذاهبِ، من ذكر الأحكامُ مجرَّدةٌ عن دليلها والاقتصارُ على استظهار ابنِ رشد، وترجيحِ ابن يونسَ وتشهير ابن أبي زمنين، فإنَّ ذكر أحدُهم في مسألةٍ قولَ ابنِ القاسم، أو ترقَّى إلى نقْل قول الإمام، رأى أنَّه أتى بما لم يأتِ به غيرُه من الأنام.

وهذ كما ترى لا يكفي في ميدانِ الحِجَاج والاستدلال؛ لأنَّ الإمام وإن كان عالمَ الحجاز وشيخَ السُّنة بدون منازعٍ لا تكون أقوالُه واجتهادتُه حُجَّةً إلَّا إذا عُرف دليلُها وصحَّ في النظر تعليلُها.

والإمامُ نفسُه رضي الله عنه كان يقولُ وهو يشير إلى الحجرة الشَّريفة: «كلّ كلامٍ يؤخذُ منه ويردُّ إلَّا كلامَ صاحبِ هذا القبر صلَّى الله عليه وآله وسلَّم».

فلهذا كان "متنُ العشماويَّة" في حاجةٍ شديدةٍ إلى شرح يدلِّلُ أحكامَه، ويعلِّلُ مسائلَه، ويُلبسه ثوبًا علميًّا نضيرًا يتباهى به بين أمثاله من المتونِ، وهذا

الشرحُ الذي نقدِّمه اليومَ وافٍ بهذا المقصد زعيمٌ بتحقيقِه، كتبَه شقيقُنا الأصغرُ العلَّامةُ السيِّد عبدُالعزيز بن الصِّدِّيقِ الغُماريُّ، وهو ثاني كتاب في هذا الباب بعد كتاب "مسالكُ الدّلالةِ في شرحِ الرِّسَالةِ" لشقيقِنا الأكبر الحافظ أبي الفيض.

ولعلَّنا نكونُ نحنُ آلَ الصِّدِّيق خدمْنا مذهبَ الإمام مالك خدمةً لا تجد لها نظيرًا إلا في كتبِ المتقدِّمين كابن عبدالبرِّ والباجي وابنِ رشد والقاضي عبدالوهَّاب، ولعلَّ في عملِنا هذا ما يحفِّز مالكيَّة العصر إلى نفض غبارِ التَّقليد البحتِ عن آذانهم، والمشي في ركْبِ العلماء أهلِ الاستدلال والاحتِجاجِ وبالله التوفيق.

أبو الفضل

عبدالله محمَّد الصِّدِّيق الغُماريُّ

كلمة عن كتاب "الإكليل شرح مختصر خليل"

هذا آخرُ ما يسَّره الله من هذه التعليقاتِ الوجيزةِ على الشَّرحِ الذي يشبِه في وَجازتِه ودقَّة تعبيرِهِ شرحَ الجلال المحليِّ على "جمع الجوامع" إذ يحذفُ الحرفَ أو يزيدُه بحسابٍ، ويدمجُ عدَّةً من المعاني المحتمَلةِ في كلماتٍ مختَصراتٍ ويشيرُ إلى الاعتراضِ على المصنَّف أو غيرِه من الشُّراحِ بأسلوبٍ خفيٍّ يَتفطنُ له أولو الألباب، إلى غير ذلك من دقائقِها التي يتذوقُها من مارسَه وعرفَ لطائفَه، ولم نألُ جُهدًا في تصحيحِه وتحريره إلا ما نبَا عنه البصرُ أو زلَّ به القلمُ مما لعلَّه لا يخفى عن فطنةِ القرَّاءِ.

هذا وقد أخذتُ فقهَ المالكيَّة عن جماعةٍ من العلماءِ أوَّلُهم وأولاهُم بالتَّقديم والدي الشيخُ الإمامُ العلامةُ الحافظُ الهُمام شيخُ الإسلام والمسلمين أبوعبدالله سيدي محمَّد بن الصِّدِّيق الغُماريِّ قُدِّس سرُّه، وثانيهم العلَّامةُ الفقيهُ المرحومُ الشيخ محمَّد الصِّنْهاجيُّ، وثالثهم العلامةُ الفقيهُ الشريفُ السيد الحبيبُ المهاجيُّ، ورابعُهم العلامةُ الفقيهُ الشريفُ مولاي عبدُالسَّلام العلويُّ، وخامسُهم العلامةُ المحققُ المرحومُ مولاي أحمد القادريُّ.

كما أخذتُ هذا الشَّرع عن جماعةٍ بالإجازة منهم الشيخُ محمَّد إبراهيم بنُ عليٍّ الحميديُّ المالكيُّ، عن الشيخ محمَّد عليش شيخ المالكية، عن الشيخ محمَّد الأمير الصغير، عن والده الشيخِ الأمير الكبير.

والحمد لله رب العالمين والصَّلاة والسَّلام على سيدنا محمَّد وآله وصحبه وسلَّم.

كلمة عن كتاب "مسالك الدلالة في شرح الرسالة"

الحمدُ لله ربِّ العالمين والصَّلاةُ والسلامُ على سيِّدنا محمَّدٍ سيِّدِ المرسلين وعلى آله الأكرمين ورضي الله عن الصحابة والتَّابعين.

وبعدُ: فقد تمَّ طبعُ هذا الشَّرح الجليل الذي ليس له في فقهِ المالكيَّةِ نظيرٌ ولا مثيلٌ، المسمَّى: "مسالكُ الدّلالةِ في شرحِ الرَّسالةِ" تأليفُ الإمامِ الحافظِ النَّاقدِ أبي الفيضِ أحمد ابنِ الإمام المجتهدِ الرَّباني والقطبِ الصَّمداني بحرِ العلومِ والمعارفِ ومعدنِ الدَّقائقِ واللَّطائف أبي عبدالله شمسِ الدين محمَّد ابن الوليِّ الكبير، والعارف الشَّهير محمَّد الصِّدِّيقِ ابن العلَّامةِ الفقيهِ أستاذ القراءات والعربيَّة في وقتهِ القطبِ الفردِ الجامعِ أبي العباس أحمد بن عبدالمؤمن الغُماريِّ الحسنيِّ الإدريسيِّ رضي الله عنهم ونفعَ المسلمين بفُيوضاتِ علومِهم آمين.

وهو شرحٌ بديعُ الصُّنع، عديمُ المثال، عالي الكعبِ، استوعبَ مسائل "رسالة الإمام ابن أبي زيد القيروانيِّ" بالتَّدليل والتَّعديل، واستعرضَ ما في بعضِها من وجُوه الاحتمال الكثيرِ والقليلِ فخدمَ بذلك متنَ "الرسالة" خاصَّةً والفقهَ المالكيَّ عامَّةً خدمةً عظيمةً يذكرها أهلُ المذهبِ بالشُّكرِ والامتنانِ؛ لأنَّه نفضَ عنهم غبارَ التقليدِ الأصَمِّ، وفتحَ أعينَهم على آفاقٍ من العلمِ الصَّحيحِ، يهتدونَ بها في ميادينِ النَّظرِ والاستدلال، فيعرفُون مداركَ الإمامِ في استنباطاتِه، ومآخذِه في اجتهادته، فيرتفعون عن حَضيضِ العوامِّ إلى صفوفِ العلماءِ، كما أنَّه نفى عيبًا طالما ردَّده أهلُ المذاهبِ الأخرى؛ وهو خلوُّ كتبِ المالكيَّة عنْ ذكرِ الدَّليل على حين أنَّك لا تجدُ كتابًا في فقهَ الشَّافعيَّةِ أو الحنفيَّة أو الحنابلةِ أو الزيديَّةِ أو الشِّيَعةِ، خاليًا عن ذكر دليلٍ لكلِّ مسألةٍ فيه واضحةً

كانت أو خفيَّةً، وهذا يَلْفتُ النَّظر، ويحزُّ في القلبِ، ويؤلِم النَّفسَ.

مالكٌ إمامُ أهل السُّنة وشيخُ الحفَّاظِ، بحيث سمَّاه يحيىٰ بنُ سعيد القطَّان ويحيىٰ بنُ معين: أميرالمؤمنين في الحديث، تخلُو كتبُ مذهبه عن الدَّليل فلا يجدُ القارئ لها والنَّاظرُ فيها إلَّا آراء مجرَّدةً وأقوالًا متناقضةً، يشعرُ المالكيَّة أنفسهم بتناقضها فلا يجيبُون عن ذلك بأكثرَ من قولهم: الفقهُ مسلَّمٌ!!

ولقد بلغَ من إعراضهم عن الدليل، أنَّهم يضعِّفون أقوالَ أئمةِ المذهب المعروفين بالميلِ إليه، والعملِ بما يقتضيه كابنِ عبدالبرِّ والباجِي وابنِ العربيِّ، فأقوالُ هؤلاءِ وأمثالهم لا تذكر في كتب المتأخرين، إلَّا مشفوعةً بالتضعيف غالبًا، لا لشيءٍ إلَّا لأنَّ أصحابَها يتَّبعون الدَّليل عملًا بوصيَّة الإمام مالك نفسِه حين أمر أصحابه أنْ يعرضُوا كلامَه علىٰ كتابِ الله وسنَّة رسولِه فإنْ خالفهما فلْيضربُوا به عرضَ الحائط.

بل بلغَ المتأخِّرون في الغلوِّ إلىٰ حدٍّ أنَّ بعضَ شُرَّاح "تحفة ابن عاصم" قال أثناءِ كلامِه علىٰ مسألةٍ ما نصُّه: «خلافًا لما في الحديثِ»!!

فيالله ويالَلْمسلمين، إذا خُولفَ الحديثُ بهذه الصَّراحة فيعتبرُ وِفاقُ مَنْ؟!!

والمقصود أنَّ هذا الشَّرح سدَّ فراغًا كبيرًا وجبر نقصًا خطيرًا، فلمؤلِّفه علىٰ المذهب مِنَّةٌ لا تُنسىٰ وجميلٌ لا يُنكر، جزاه الله عن صنيعِه خيرَ الجزاءِ وأكثَر مثلَه في العلماء.

هذا وقد بذلْنا الجهدَ في تصحيحِه حتَّىٰ جاء بحمدِ الله صحيحًا سليمًا إلَّا فيما يكونُ منْ أشياءَ نبَا عنها البصرُ أو سهَا عنها القلمُ، وهي لوضوحِها وقلَّتِها لا تخْفىٰ عنْ فطنةِ القُرَّاء.

وكان تمامُ طبعِه في شهر جمادىٰ الأولىٰ سنةَ (١٢٩١) هجريَّة الموافقِ شهر يوليه سنة ١٩٧١ ميلادية.

ولا يفوتُنا أنْ نشكُرَ حضرة الفاضل الهُمام الحاجّ علىٰ يوسف سليمان صاحبَ مكتبةِ القاهرةِ حيثُ قام بطبْعِ هذا الكتابِ النَّفيسِ علىٰ نفقتِه الخاصَّةِ، أجزَلَ الله جزاءَه ووفَّقَه، وصلَّىٰ الله سيِّدِنا محمَّدٍ وآلِهِ وصحبِه وسلَّمَ تسليمًا والحمدُ لله ربِّ العالمينَ.

مقدمة كتاب: "الموسوعة الإسلامية في المعجزات والخصائص والفضائل النبوية في السنة الصحيحة" - لجامعه عبد الله التليدي

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على سيِّدنا محمَّدٍ أشرف المرسلين، وآله الاكرمين، ورضي الله عن صحابته والتابعين.

أما بعد: فقد اطَّلعتُ على هذا الكتاب الذي أسميته: «دفع النقائص باختصار وتهذيب الخصائص»؛ لأنه دفع كثيرًا من الاعتراضات على الحافظ السيوطيِّ لإيراده كثيرًا من الموضوعات والواهيات والمنكرات بل أورد كثيرًا من الأقوال السَّاقِطات.

فوجدته كتابًا جيِّد الفائدة حسن العائدة؛ قام مؤلِّفه بعملٍ كان واجبًا على أهل العِلْم أن يقوموا به لتنقية سيرة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مما أُدخِلَ فيها مِن شوائب شوَّهَت جمالها ونقصت كمالها.

وكنت وأنا بمصر شرعت في اختصار "الخصائص" بالاقتصار على الصحيح والحسن، وحذف أقوال وروايات عن أهل الكتاب لا تليق بالجناب النبويِّ، وقطعت فيه شوطًا غير قليلٍ لكن حال دون إتمامه ظروفٌ وشواغل.

وكأنَّ الله تعالى ادَّخَرَهُ لهذا المؤلِّف الفاضل فقام به وأتمَّه على ما يرام، وإن كان قد تبع السيوطيَّ في بعض الهنات، ويغترُّ أحيانًا بصحَّة السَّندِ وإن كان المتن في المُنكَرات(١).

---

(١) وذلك قليل، منها أثر ابن عبَّاسٍ في قوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٩] في باب شرف نسبه صلَّى الله تعالى عليه وآله وسلَّم، ومنها حديث أبي موسى في سفره صلَّى الله تعالى عليه وآله وسلَّم مع عمه إلى الشام ولا أعلم لهما ثالثًا على أنني

ولكن هذا لا يقدح فيما قام به من هذا العمل الجليل، سوف ينال عليه الثواب الجليل وسيبقى له ذخرًا يجري عليه أجره بعد وفاته، ثُمَّ يجده عند الله في ميزان حسناته. والله لا يُضيع أَجْرَ مَن أحسن عَمَلًا.

وكتب عبدالله بن محمد بن الصِّدِّيق الغُماريُّ

عفى الله عنه

في ١١ ربيع الأول الأبرك عام ١٣٠٢هـ

نبهت عليهما.اهـ المؤلف

حولَ كتابِ: إزالةُ الشُّبُهاتِ عن قولِ الشيخِ الأكبرِ: «كنَّا حروفًا عالياتٍ»

قال أحمد خيري المصري: وكتب السيد عبدالله بن الصديق الغماريُّ الإدريسي المحدث الجليل، وسِبْط ابن عجيبة شارح "الحكم"(١):

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمدُ لله الواحدِ الأحدِ الفردِ الصمدِ الذي لم يلدْ ولم يولدْ ولم يكنْ له كفوًا أحدٌ.

سبقتْ غضبَه رحمتُه، وعمَّتْ كلَّ شيءٍ قدرتُه، وقهَرَتْ كلَّ جبَّارٍ سطوتُه، وسبغَتْ على الوجودِ نعمتُه، كانَ ولا مكانَ ولا زمانَ ولا قُطرَ ولا أوانَ وهو الآنَ على ما عليه كانَ، لا ابتداءَ لأوليَّتِه، كما لا انتهاءَ لآخريَّتِه، هو الأوَّلُ والآخرُ والظاهرُ والباطنُ، وهو بكلِّ شيءٍ عليمٌ.

والصَّلاةُ والسَّلامُ على قطْبِ الكمالِ، ونُقْطةِ دائرةِ الاتِّصالِ، سرِّ الله السَّاري في الكائناتِ، ونورِه المضيءِ لحوالِك الموجوداتِ؛ سيِّدنا محمَّدٍ الإنسانِ الكاملِ، المبَّرأ من جميعِ العيوبِ، والمشفَّعِ في يوم القيامةِ في أصحابِ الذُّنوبِ، وعلى آله عيونِ الأعيانِ، وسفينةِ النَّجاةِ لمن تمسَّكَ بحبْلِهم وحبّهم دان.

ورضي الله عن صحابتِه نجومِ الهدى، ورجومِ العِدا، وبعد:

فقد قرأتُ جملةً وافرةً من كتابِ "إزالة الشُّبُهاتِ عن قول الأستاذ الأكبر: كنَّا حروفًا عالياتٍ" لمؤلِّفِه الحسيبِ النسيبِ والكاتبِ الأديبِ السيد أحمد خيري

---

(١) هذه كلمةٌ حولَ كتابِ أحمد خيري المصريِّ، والذي تناول فيه أبيات الشيخ الأكبر:

كُنَّا حُروفًا عالياتٍ لم تُقَلْ ... مُتعلِّقاتٍ في ذُرَى أعلى القُلَلْ

أَنَا أَنْتَ فيهِ ونَحنُ أَنْتَ وأَنْتَ هُوَ ... والكلُّ في هو هُوَ فَسلْ عَمَّنْ وَصَلْ

ابن المرحوم الحاج أحمد خيري باشا.

فوجدتُه كتابًا جليلًا، ومؤلِّفًا حافلًا نبيلًا، يشهدُ لمؤلِّفِه بالبراعةِ في هذه الصِّناعة، فلقد أماط -حفظَه الله- فيه عن بيتَي الشيخِ الأكبر اللّثام، ووضعَ شواردَهما على طرَفِ الثّمامِ، واستنبطَ ما فيهما من نفائسِ الغُرَرِ وجواهر الدُّرَر في أسلوب رائقٍ وتعبيرٍ سهْل شائقٍ.

غير أنِّي كنتُ أودُّ ألَّا يتعرضَ لبعضِ المسائلِ التي لم يحسُن تحريرُها كمسألة اطِّلاع الأولياء على الغيبِ فإنَّه تعرَّض لها عند نقلِه لقول محيي الدين: «إذا دخلَ السِّينُ في الشِّينِ يظهرُ قبرُ محيي الدين».

وهذا إخبارٌ من الشيخِ بغيبٍ حصلَ بعده بمائتين وأربعةٍ وثمانين سنةً، فوقَفَ المؤلِّفُ من هذه الكرامةِ الظَّاهرةِ موقفَ المُسْتَشْكِل المحتار لتعارُضِها في رأيه بالآياتِ التي تنفي علمَ الغيبِ عن غيرِ الله تعالى، مع أنَّه لا تعارضَ عند إعمال النَّظر وإمعانِ الفكرِ كما يُعلمُ ذلك من محلِّه.

على أنَّ مثلَ هذه المؤاخذاتِ لا تمنعُنِي أنْ أقولَ: إنَّ الكتابَ في مجموعِه حسنٌ جميلٌ جمَع طُرَفَ الغرائبِ وغرائبَ الطُّرَفِ، عليه مَسْحَةٌ من نورِ الشيخِ الأكبر، وفيه نفْحَةٌ من عِلمِه الأنوَرِ.

نفعَ اللهُ به وفتحَ على مؤلِّفه ورقَّاه في مدارِجِ السَّالكين ورفَعَه إلى منازل العارفينَ، آمين.

وكتبهُ الفقيرُ عبدالله بنُ محمَّد الصِّدِّيق الغماريُّ الإدريسيُّ عُفِيَ عنهُ.

تحريرًا بروضَةِ خَيْري ليلة الثّلاثاء ٢٢ من ذي القَعْدة سنة ١٣٥٨.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

(١) مقالات في علم الكلام والمنطق

١ - بحثٌ في معنى الإله ٩

ثماني ملاحظاتٍ على كلام البناني في معنى الإله..... ٩

الخطأ الأول: إطلاق لفظ الكُلِّيِّ على الإله لا يجوز شرعًا ٩

الثاني: أنَّ الإله ليس بكلِّيٍّ بل هو خاصٌّ بالله تعالى ١٠

الثالث: أنَّ الكليَّ إنما يتأتَّى في الممكنات كالنبيِّ والملَك والعرش والكرسيِّ أما واجب الوجود سبحانه فهو منزَّهٌ عن ذلك ١١

الرابع: أنَّ الكلِّيَّ لا يُتصوَّر كونه محالًا ١٢

الخامس: في تناقض وقع فيه البناني رحمه الله تعالى..... ١٣

السادس: وهو مبنيٌّ على ما قبله، أنَّ جواز تعدُّد الإله ثابتٌ وقيام الدليل القاطع على وجوب تفرُّد الله بالألوهيَّة لا يمنع منه ١٣

السابع: أنَّ زيادة لفظ: «بحقٍّ» في معنى الإله لا أصلَ لها في اللغة ولا علاقة للعقل بها..... ١٣

الثامن: قوله أيضًا: «تفسير الإله بالمستغني عن كلِّ ما سواه المفتقر إليه كلُّ ما عداه لا يمنع كونه كليًّا ؛إذ لا يوجب تشخيصه؛ لأنه بهذا المعنى يحتمل أن يصدق على كثير على سبيل البدليَّة» إغراقٌ في الخطأ وتشبُّثٌ به إلى حدِّ التزمُّت..... ١٣

التاسع: قوله: «إذ لا يوجب تشخصه» والصواب أن يقول: إذ لا يوجب تعينه؛ لأن التشخص لا يجوز أن يضاف إلى الله سبحانه وتعالى ١٤

ثلاثة إيرادات على هذا المقال والجواب عليها..... ١٤

الأول: دعوى أن المحال ليس بكليٍّ يخالفُ ما أطبق عليه أهل المنطق..... ١٤

حديث: «لا شخصَ أغيرُ من الله» من تصرف بعض الرواة ولفظه الثابت في أغلب الطرق: «لا أحدَ أغيرُ من الله» (ت) ١٤

الثاني: كلام الشيخ سعيد قدوره في بيان أفراد الكلِّي الممتنع، واشتماله على أوهام..... ١٥

الثالث: من الإيرادات، دخول النَّفي العامُّ على «إله» في قولنا: «لا إله إلَّا الله» يؤيِّد القول بكلِّيته ١٦

الرابع: اختار السنوسيُّ أنَّ معنى «إله» في كلمة التوحيد لا مستغنيًا عن كل ما سواه ومفتقرًا إليه كل ما عداه إلا الله، فهو على هذا كلِّيٌّ..... ١٧

٢- النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رأى ربه بعيني رأسه وقلبه: بيان معنى قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾..... ١٩

قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ فلا يدلُّ على نفي الرُّؤية..... ٢١

٣- رؤية الله في المنام ٢٢

لا خلاف بين أهل السُّنَّة في أنَّ المؤمنين يرون ربهم في الآخرة، وردَّ بذلك القرآن، وتواترت به الأحاديث ٢٢

اتَّفق العلماء على جواز رؤية الله تعالى في المنام وصحَّتها..... ٢٣
وقوع رؤية الله تعالى في الدُّنيا يقظةً فلم يحصلْ لأحدٍ ولن يحصلَ..... ٢٣
ذكر بعض من ورد عنه أنَّه رأى الله في المنام..... ٢٥
٤- رؤية الأولياء لله..... ٣٣
ورؤية النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ربَّه مما اختلف فيها العلماء الصَّحابة رضي الله عنهم فمن بعدهم..... ٣٣
المنحرفون في باب رؤية الرَّب تبارك وتعالى نوعان..... ٣٧
قصة الشيخ عبدالقادر الجيلي مع الشيطان..... ٣٨
٥- حكمُ الذين يحقِرون النبيَّ ﷺ باسم التَّوحيد والسُّنة..... ٤٠
أجمع عوامُّ أهل العلم على أنَّ من سبَّ النبيَّ يُقتل..... ٤١
تنبيه: حول ما يقع فيه بعض الناس في كلامهم على الأنبياء..... ٤٤
٦- سؤال القبر لا يتأخَّر عن موعده (١)..... ٤٦
ذكر الأحاديث الدالة على أنَّ الميت لا يُسأل إلا في قبره الأوَّل سواء أنقل منه إلى قبر آخر أم لم يُنقل، وإذا نقل لم يسأل في القبر الثاني أصلًا..... ٤٦
أمور الآخرة وما هو من متعلِّقاتها لا يجوز فيها الرَّأي والاستظهار، وإنَّما يُرجع فيها لكلام الصَّادق المصدوق، وهذا منصوصٌ عليه في كتب التوحيد..... ٥٠
التحقيق في ما شاع بين كثير من النَّاس أنَّ الملكين يسألان الميت بالسُّريانية . ٥١
اسم الملَكين اللذان يسألان الميت..... ٥١

٧- سؤال القبر لا يتأخر عن موعده (٢) ٥٢

ميدان العلم ليس للعاطفة فيه مجال ولا للعصبيَّة عليه تأثير، لكنَّه ميدان قرعِ الحجَّة بالحجَّة ومعارضة الدليل بالدليل حتىٰ يظهرَ الحقُّ واضحًا لا يشتبه فيه اثنان ٥٢

أمر الآخرة لا يجوز فيها الاستظهار..... ٥٣

فائدة حديثية حول زيادة مَن يتفرَّد بما لا يُتابع عليه ٥٥

الرد علىٰ المخالف في قوله: «إنَّ الإحاطة في أيِّ باب من أبواب السُّنَّة لم يدَّعِها أحد من كبار الأئمَّة»..... ٥٦

ذكر عدة مخالفات وقع فيها المعارض..... ٥٩

٨- تحريم إكفار أهل القبلة..... ٦١

مَن كفَّر مسلمًا فقد خالف رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حيث ارتكب ما نهىٰ عنه وكان بعيدًا عن الحقِّ بُعد الضَّبِّ من النُّون، وليس لأحدٍ أن يعتذر عنه بأنه متأوِّل فيما سلكه من تضليل المسلمين وتطبيق آيات الشرك عليهم ٦٢

٩- حديث: «ما شاء الله وشاء محمد» كلمة ليس فيها شرك ٦٤

طرق الحديث وألفاظه..... ٦٤

(٢) مقالات في القرآن الكريم وعلومه

١٠- وقوف القرآن..... ٦٩

ذكر بعض المؤلَّفات في وقوف القرآن ٧١

فوائد تعلم الوقف والعناية به ٧٣
ذكر شروط العلماء في صحة الوقف ٧٣
أمثلة من الوقوف المخطئة ٧٤
مصحف حفص المطبوع بمصر أخذت وقوفه من كتب القراءات والتفسير بمعرفة جماعة من كبار قراء السبع وعلماء العربية فجاءت وقوفًا صحيحة خالية من التكلف والتمحُّل ٧٦
١١ - فتنة داود عليه السلام؟ ٧٨
ذكر الروايات التي جاءت فيها قصة داود على ما جاء في الإسرائيليات والحكم عليها ٧٨
مسلكٌ آخر يدل على بطلان ما ذكره المُفسِّرون وهو مراعاة السِّياق ٨٢
رأيان آخران في تعيين فتنة داود ٨٤
المفاسد المترتبة على فتنة داود على ما ذكره المفسرون..... ٨٥
١٢ - فتنة سليمان عليه السلام ٨٧
ذكر الرويات في فتنة سليمان على جهات مأخوذة من الإسرائيليات، والحكم عليها ٨٧
موقف أبي حيان من قصة إلقاء الجسد..... ٩٢
الحكمة في ذكر فتنة سليمان عليه السلام تسلية النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عما حصل له من ترك المشيئة والتأديب عليها بأنَّ مثله حصل لنبيٍّ

كريمٍ أوَّاب ٩٤
رد المفاسد والمنكرات في الإسرائليات التي غفل عنها من فسَّر بها فتنة سليمان عليه السلام ٩٥
١٣ - القرآن دواءٌ للجسم والرُّوح وأنفُ المضلِّلين راغمٌ ٩٨
القرآن دواء للأجسام ٩٨
الفاتحة دواءٌ من العقْرب ٩٩
الفاتحة دواءٌ من الجُنُون ١٠٠
تقسيم الرُّقية إلى قسمين: رقيةِ حقٍّ، ورقيةِ باطلٍ (ت) ١٠٠
الفاتحة دواءٌ من الصَّرَع ١٠٠
الفاتحة داءٌ من السُّمِّ ١٠١
الفاتحة شفاء لكلِّ داءٍ ١٠١
المعوِّذات دواءٌ نبويٌّ ١٠١
المعوِّذات مع الماءِ دواءٌ ١٠١
المعوِّذات دواءٌ من العقْربِ ١٠٢
سورة (الإخلاصُ) لكلِّ مرضٍ ١٠٢
المعوِّذتان دواءٌ من العَين ١٠٢
آياتٌ تداوي من مسِّ الجنِّ ١٠٣

آياتٌ تداوي المبتَلَى ١٠٣
المستفاد من أحاديث التداوي بالقرآن..... ١٠٤
١٤- القرآن هو الدواء ١٠٦
المشروع والممنوع من الرّقى والتمائم..... ١٠٦
أقسام الرقى ١٠٧
إجماع العلماء على جواز الرُّقى بشروط ثلاثة ١٠٧
١٥- جواز التداوي بالقرآن (١)..... ١١١
١٦- التداوي بالقرآن والرقى(٢) ١١٥
آيات الشفاء في ستة مواضع من كتاب الله ١١٧

(٣) مقالات في الحديث الشريف وعلومه

١٧- الإسلام كتاب وسنة ١٢٣
منكر السنة جاهل أو فاسق ١٢٣
حديث إخبار النبي بإنكار السُّنَّة مِن أعلام النبوة فقد وقع ما أخبر به صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وظهر مبتدعةٌ ملاحدةٌ ينكرون الحديث النبويَّ عملًا واحتجاجًا ويزعمون أن الحجَّة في القرآن خاصَّة..... ١٢٣
اتَّفق من يُعتدُّ به من أهل العلم على أنَّ السُّنة المطهَّرة مستقلةٌ بتشريع الأحكام وأنها كالقرآن في تحليل الحلال وتحريم الحرام..... ١٢٤

١٨- الصحيح لغيره والمتواتر..... ١٢٧
المسألة الأولى: تعريف المتواتر..... ١٢٧
المسألة الثانية: حديث: «لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه» لم يبلغ في الكثرة حدَّ التواتر ١٢٩
المسألة الثالثة: الحديث صحيح لغيره..... ١٣٠
المسألة الرابعة: حول حديث: «كلُّ أمر ذي بال...» ١٣٢
١٩- حول سماع الحسن البصري من علي عليه السلام(١) ١٣٧
نقل بعض عبارات الحفَّاظ في نفي سماع الحسن من عليٍّ عليه السلام ١٣٨
لم يخالف من الحفاظ الذين وقفنا على كلامهم غير الحافظ ضياء الدين المقدسي صاحب "المختارة" فإنه رجَّح سماع الحسن من عليٍّ عليه السلام..... ١٣٩
٢٠- حول سماع الحسن البصري من علي عليه السلام(٢) ١٤٠
رد كلام الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى في إثبات سماع الحسن من علي عليه السلام..... ١٤٠
نصَّ المحدِّثون على أنَّ مرسلات الحسن من أضعف المراسيل..... ١٤٤
ذكر الأحاديث التي وقعت من رواية الحسن عن عليٍّ عليه السلام..... ١٤٤
٢١- حول سماع الحسن البصري من علي عليه السلام(٣) ١٤٦
الأحاديث التي رواها الحسن عن علي عليه السلام معَنْعنةٌ لم يصرِّح فيها بالتحديث، ثم هي مُعَلَّة بالانقطاع بين الحسن وعلي عليه السلام ١٤٦

الحسن رضي الله عنه كان مدلِّسًا مع ما هو معلوم من إمامته وجلالته وثقته..... ١٤٧
٢٢- حول سماع الحسن البصري من علي عليه السلام(٤) ١٥٢
قصة بين علي عليه السلام والحسن رضي الله عنها ذكرها الغزالي في الإحياء وردها من وجهين..... ١٥٢
حديثان وقع في سندهما تصريح الحسن بالسماع من علي عليه السلام، والحكم عليهما ١٥٣
ملاحظات على كلمة الأستاذ عبد الوهاب عبداللطيف ١٥٦
٢٣- أحاديث شاذة ومنكرة ١٥٩
تعريف الحديث الشاذ، والمنكر..... ١٥٩
ذكر أمثلة لبعض الأحاديث الشاذة والمنكرة..... ١٥٩
رد القول بإيمان فرعون ١٦٠
رؤية الله في اليقظة لم تقع لأحد في الدنيا..... ١٦٤
«لا تُقبِّحُوا الوجهَ فإنَّ الله خلقَ آدمَ على صورةِ الرحمنِ» حديث شاذ..... ١٦٧
رد نظرية التطور والارتقاء التي ظهر بها دارون ١٦٩
حديث الأوعال ليس بصحيح ولا حسن..... ١٧١
٢٤- أحاديث موضوعة..... ١٧٦
- «إنِّي لأنسَى أو أُنَسَّى -بالبناء للمجهول- لأسُنَّ»..... ١٧٦

- «إذا نشَأت بحريَّة ثم تشاءمتَ فتلك عينٌ غُدَيقةٌ» ١٧٧
- «اعملْ لدنياك كأنَّك تعيشُ أبدًا واعملْ لآخرتِك كأنَّك تموتُ غدًا» ... ١٧٧
- «إذا وقفتم في الصلاة فلا تقبضوا أيديكم فإن ذلك تكفير اليهود». ١٧٨
- «اللهمَّ اجعلْها رياحًا ولا تجعلْها رِيحًا» ١٨٠
- «جاءكم الطهور» يعني: رمضان..... ١٨٣
- «لكلِّ بلدٍ رؤيتُه». ١٨٣
- «لا تكرهُوا الفتنَ فإنَّ فيها حَصَادُ المنافقين». ١٨٤
- «إذا أراد الله عذاب أمة أعقم نساءهم خمس عشرة سنة قبل أن يصابوا لئلا يصاب الوِلدانُ الذين لم يجرِ عليهم القلم». ١٨٥
- «الدِّين المعاملةُ». ١٨٥
- «لا تُنزلُوهنَّ الغُرَفَ ولا تُعلِّموهُنَّ الكتابةَ -يعني: النساء- وعلِّموهنَّ المِغزَلَ وسورةَ النُّور». ١٨٥
- «من قال: لا إله إلا الله ومدَّ بها صوتَه هدمتْ له أربعةَ آلافِ ذنبٍ من الكبائر». ١٨٦
- «اختلافُ أمَّتي رحمة» ١٨٦
- «أصحابي كالنُّجوم بأيِّهم اقتديتُم اهتديتُم»..... ١٨٧
- «توسَّلوا بجاهي فإنَّ جاهي عند الله عظيمٌ». ١٨٨
- «من قلَّد عالمًا لقِيَ الله سالمًا»..... ١٨٩

- «الجُمُعةُ لمنْ سَبَقَ» ١٨٩
- «من تعلَّم لغة قومٍ أمن مكرَهم» ١٩٠
تعلم اللغات الأجنبية واجب كفاية لأنه وسيلة إلى واجبات كفاية، وما أدَّى إلى الواجب فهو واجب. ١٩٠
- «الفتنةُ نائمةٌ لعنَ اللهُ من أيْقَظَها» ١٩١
- «مَنْ عرفَ نفسَه عرفَ ربَّه» ١٩١
- «النَّاسُ هلْكى إلا العالمون، والعالمون هلكى إلا العاملون، والعاملون هلكى إلا المخلصُون، والمخلصون على خَطَرٍ عظيمٍ» ١٩١
- «علماءُ أمَّتي كأنبياء بني إسرائيل» ١٩١
- «ذِكرُ الصَّالحين كفَّارةٌ» ١٩٢
- «مَنْ قرأ القُرآن مَعْكوسًا أُلْقِي في النَّارِ مَنْكُوسًا» ١٩٢
- «المؤمنُ حُلوٌ يحبُّ الحلاوةَ» ١٩٢
ذكر بعض الكتب التي تكثر فيه الأحاديث الموضوعة ١٩٣
٢٥- أحاديث موضوعة (٢) ١٩٥
- «إذا ثبتت المحبَّةُ سقطتْ شروطُ الأدبِ» ١٩٥
- «اغتسِلُوا يومَ الجُمُعة ولو كأسًا بدينار» ١٩٥
- «آخرُ ما تكلَّم به إبراهيمُ حينَ أُلقي في النَّار حَسْبي اللهُ ونعمَ الوكيلُ» .. ١٩٦
- «أنفِقْ ما في الجَيْبِ، يأتيكَ ما في الغَيْبِ» ١٩٦

- «ارحموا مـن النَّاس ثلاثـةً: عـزيزَ قـومٍ ذَلَّ وغنيَّ قومٍ افتقَـرَ وعالمًا بين جُهَّـال» ١٩٦
- «اتَّقُوا البرْدَ فإنَّه قتلَ أخاكُم أبا الدَّرداء» ١٩٦
- «تزوَّجُوا فقراءَ يغنِكم الله» ١٩٦
- «تفكُّرُ ساعةٍ خيرٌ مِن عِبادةِ سَنةٍ» ١٩٦
- «حُبُّ الدُّنيا رأسُ كلِّ خَطِيئةٍ» ١٩٧
- «حدِّثوا النَّاس بما يعرفُون أتريدون أن يُكذَّب اللهُ ورسولُه» ١٩٧
- «الحزمُ سُوءُ الظَّنِّ» ١٩٧
- «حبُّ الوَطنِ مِنَ الإيمانِ» ١٩٧
- «خابَ قومٌ لا سفِيهَ لهم» ١٩٧
- «خيرُ البرِّ عاجِلُهُ» ١٩٧
- «الخيَرةُ فيما اختارهُ الله» وكذلك «الخيرة في الواقع» ١٩٧
- «دارِهِمْ ما دُمتَ في دارِهم» ١٩٧
- «الرُّجوعُ إلى الحقِّ خيرٌ من التَّمادي في الباطِلِ» ١٩٧
- «سِياسة النَّاس أشدُّ من سياسة الدَّوابِّ» ١٩٧
- «سؤْر المؤمنِ شِفَاءٌ» ١٩٨
-«السَّفر يُسفر عن أخلاقِ الرِّجَالِ» ١٩٨

- «الصَّبر على المُعسِر صدقةٌ» ١٩٨
- «القلبُ بيتُ الرَّبِّ» ١٩٨
- «كلُّ طويلِ اللِّحيةِ قليلُ العقلِ» ١٩٨
- «كلُّ قصيرٍ فتنةٌ» وكذلك «اتَّقوا شرَّ ما قرُبَ من الأرضِ» ١٩٨
- «كلُّ ناشِفٍ طاهرٌ» ١٩٨
- «لو كان الأرز رجلًا لكان رجلًا حليمًا» ١٩٨
- «ربيع أمَّتي العنبُ والبِطِّيخُ» ١٩٨
- «ما أفلحَ صاحبُ عيال قطُّ» ١٩٨
- «ما رفع أحدٌ أحدًا فوقَ مقداره إلا واتَّضع عنده بأزْيدَ» ١٩٨
- «من مزَح استُخِفَّ به» ١٩٨
- «من قال أنا عالمٌ فهو جاهلٌ» ١٩٨
- «ما أفلح سَمينٌ قطُّ» ١٩٩
- «ما كثُر آذان بلدة إلا قلَّ بردُها» ١٩٩
- «من أحبَّكَ لشيء ملَّكَ عند انقِضائه» ١٩٩
- «من استُرضي فلم يرضَ فهو شيطان» ١٩٩
- «من سلك مسالك التُّهم اتُّهِم» ١٩٩
- «من كتم سرَّه ملَك أمرَه» ١٩٩

- «من لانت كلمته وجبت محبته..... ١٩٩
- «من عرف نفسه عرف ربه» ١٩٩
- «من بورك له في شيء فلْيلزمه» ١٩٩
- «من أتتْه هديةٌ وعنده قومٌ جلوسٌ فجلساؤه شركاءُ فيها» ١٩٩
- «ما تبعُد مصرَ عن حبيبٍ»..... ١٩٩
٢٦- حول الإسراء والمعراج..... ٢٠٠
التنبيه على أغلاط وقع فيها معظم المتكلِّمين في الإسراء والمعراج..... ٢٠٠
٢٧- الأحاديث الموضوعة في رمضان ٢٠٢
الاعتناء بالأحاديث الموضوعة والضعيفة في حد ذاته مهمٌّ جليلٌ..... ٢٠٢
٢٨- أحاديث موضوعة تختص بشهر رمضان والصيام..... ٢١٠
٢٩- الأحاديث الضعيفة في رمضان..... ٢١٣
لا يعمل به في إثبات رمضان اسما لله تعالى، لأن أسماء الله تعالى وصفاته توقيفية لا يثبت شيء منها إلا بحديث صحيح..... ٢١٨
لفظ: «آه» ليس اسم من أسماء الله تعالى..... ٢١٨
٣٠- حول مسألة الخضر في علم الحديث ٢٢٠
نسب الخضر واسمه ٢٢٠
فتى موسى والمبتدعة..... ٢٢٠

حياة الخضر ٢٢١
رأي ابن حجرٍ في مسألة حياة الخضر ٢٢٢
رتبة الخضر..... ٢٢٣
الصحيح أن الخضر نبيٌّ لأمور..... ٢٢٣
وصية الخضر ٢٢٤
٣١- سبب النبي ونسبه لا ينقطعان: توجيه حديث «يا فاطمة اعملي» ... ٢٢٦
الجمع بين حديث: «ينقطعُ يومَ القيامة كلُّ سَببٍ ونسَبٍ إلَّا سَبَبي ونسبي» وحديث: «يا فاطمةُ اعملي...» ٢٢٧
٣٢- حديث: «حياتي خير لكم...» ورد من نحو عشرين طريقًا ٢٢٩
الحديث المذكور حديث صحيح لا مطعن فيه ولا مغمَز، ورد من حديث ابن مسعودٍ، وأنس بن مالك، ومن مرسل بكر بن عبد الله المزني..... ٢٣٠
القرآن يؤيد حديث عرض الأعمال ويُعضده ٢٣٣
استشكال حول عرض الأعمال والجواب عليه ٢٣٤
٣٣- حديث الحوض وحديث عرض الأعمال..... ٢٣٦
طريق الجمع بين الحديثين ودفع تعارضهما..... ٢٣٦
تنبيه: اختلف العلماء في الرجال الذين يُذَادون عن الحوض اختلافًا كبيرًا ٢٣٩
تنبيه آخر: حول إشكال في معنى حديث الحوض لا يمكن للمتمسلفة جميعًا أن ينفكُّوا عنه..... ٢٤٠

أحسن محامل حديث الحوض على مذهب الجمهور أن يكون من المتشابه الذي يترك معناه إلى الله، بخلاف حديث عرض الأعمال فإنه مع صحته مؤيد بالقرآن والسنة المستفيضة ومذاهب جمهور العلماء ٢٤١

٣٤- ما ورد في ليلة النصف من شعبان..... ٢٤٢

إطلاق القول ببطلان كل حديث ذكر فيه لفظ الحميراء باطل (ت)..... ٢٤٦

التنبيه على أحاديث موضوعة في فضل قيام ليلة النصف من شعبان..... ٢٤٧

حديث: «يس لما قرئت له» لا أصل له (ت) ٢٤٩

٣٥- شرح حديث شريف: «قُولوا خيرًا؛ قُولوا سبحانَ الله وبحمده، فبالواحدة عشرةٌ وبالعشرة مائةٌ، وبالمائة ألفٌ ومن زاد زادَه الله عزَّ وجلَّ...» ٢٥٠

٣٦- شرح حديث شريف: منزلة السنة في التشريع..... ٢٥٦

لا خلاف بين المسلمين في أنَّ السُّنَّة المطهَّرة مثل القرآن، وأنها تستقل بتشريع الأحكام وبيان الحلال والحرام، وأنَّ طاعتها والانصياع إليها فرض لازم بدون قيد ولا شرط..... ٢٥٦

المغيبات التي أخبر بها النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كثيرة جدًّا بلغت حد التواتر على جميع الاصطلاحات ٢٥٧

ظهور نشأة تحارب السنة بطرق شتَّى يخال الناظر إليها أنها طرق علميَّةٌ سليمةٌ، ولكن فيها السُّم الزُّعاف ٢٦٠

ذكر نماذج من الكتاب المعاصرين الذين يردون السُّنَّة..... ٢٦٠

٣٧- شرح حديث شريف: الأعمال عند الله عزَّ وجلَّ سبع ٢٦٤

أقسام الطاعات..... ٢٦٥

المرء إذا مات مؤمنًا بالله ورسوله كان مآله إلى الجنة، ثم هو بعد ذلك ينقسم إلى ثلاثة أحوال ٢٦٥

٣٨- توجيهات إلهية: أحب العباد إلى الله..... ٢٦٩

٣٩- السنن والتوجيهات النبوية: قوة الإيمان ٢٧٤

٤٠- السنن والتوجيهات النبوية: شرح حديث: «النَّادمُ ينتظِرُ منَ الله الرَّحمةَ، والمُعجَبُ ينتظِرُ المقْتَ...»..... ٢٧٧

٤١- السنن والتوجيهات النبوية: شرح حديث: «مَن فارقَ الدُّنيا على الإخلاصِ لله وحدَه، وعبادتِه لا شريك له، وإقامِ الصَّلاة، وإيتاءِ الزَّكاة، فارقَها والله عنْهُ راضٍ» ٢٨١

اشتمل هذالحديث على أربع قواعد: ٢٨١

الأولى: الإخلاص ٢٨١

الإخلاص نوعان ٢٨٢

القاعدة الثانية: عبادة الله لا شريك له ٢٨٢

القاعدة الثالثة: إقام الصلاة ٢٨٣

القاعدة الرابعة: إيتاء الزكاة ٢٨٤

٤٢- السنن والتوجيهات النبوية: شرح حديث: «إنَّ الله ناجى موسى بمائةِ ألفٍ وأربعين ألفِ كلمةٍ...» ٢٨٥

الزهد في الدنيا هو أحب الصفات إلى الله تعالى لأمرين..... ٢٨٧

٤٣- السنن والتوجيهات النبوية: فضائل شهر رمضان..... ٢٩٠

٤٤- شرح حديث: «إذا دخل رمضانُ فُتِّحت أبوابُ الجنَّةِ وغلِّقتْ أبوابُ جنَّهم وسُلسِلَتْ الشَّياطينُ»..... ٢٩٣

استشكال بعض العلماء مقتضى ما صرحت به الأحاديث من حبس الشياطين في رمضان أن لا تقع فيه الشرور والمعاصي والشاهد خلاف ذلك والجواب عليه من وجوه ٢٩٥

٤٥- شرح حديث: «مَنْهُومَانِ لايشْبَعَانِ: منهومٌ في علمٍ لا يشبَعُ، ومنهومٌ في مالٍ لا يشبَعُ» ٢٩٨

٤٦- شرح حديث: أربعٌ من أعطيهُنَّ فقد أُعطِيَ خيرَ الدُّنيا والآخرة...» ٣٠٢

أنواع الذكر ٣٠٣

٤٧- شرح حديث: «إذا أدَّيت زكاةَ مالكَ فقد أدَّيتَ ما عليكَ، ومن جمعَ مالًا حرامًا ثم تصدَّق به لم يكنْ لهُ فيه أجرٌ، وكانَ إصْرَهُ عليهِ»..... ٣٠٥

أنواع المال الحرام ٣٠٧

٤٨- شرح حديث: «نَهى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن كلِّ مُسْكِرٍ ومُفَتِّرٍ» ٣٠٨

٤٩- شرح حديث: «إنَّ الله بعثني رحمةً وهدىٰ للعالمين وأمرني أنْ أمحَقَ المزامِير والكِبَارات...» ٣١٠

٥٠- تفسير الحديث الشريف: مجامع خصال الخير ٣١٤

٥١- في مدينة الرسول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ٣١٧

٥٢- تفسير الحديث الشريف: فضل الحج ٣٢٠

٥٣- تفسير الحديث الشريف: الدال علىٰ الخير كفاعله ٣٢٢

٥٤- شرح حديث: «لا هجرةَ بعدَ الفتحِ ولكنْ جهادٌ ونيَّةٌ وإذا استُنفِرتمُ فانفِرُوا» ٣٢٥

٥٥- شرح حديث: «لقيتُ إبراهيمَ ليةَ أُسرِيَ بي فقال: يا محمدُ، اقرِأْ أمَّتَك منِّي السَّلامَ...» ٣٢٨

من مرائي المعراج ٣٢٩

٥٦- شرح حديث: «إنَّ الله تعالىٰ حرَّم عليكُم عقُوقَ الأمَّهاتِ، ووأْدِ البنَاتِ، ومَنعًا وهاتِ، وكَرِهَ لكُم قِيلَ وقالَ وكثرةَ السؤال وإضَاعةَ المال» ٣٣١

٥٧- شرح حديث: «تَعِسَ عبدُ الدِّينارِ وعبدُ الدِّرهم وعبدُ الخَمِيصة إنْ أُعطِيَ رضِي وإنْ لم يُعطَ سَخِطَ...» ٣٣٤

٥٨- تكملة شرح حديث: «تَعِسَ عبدُ الدِّينارِ وعبدُ الدِّرهمِ وعبدُ الخَمِيصَة إنْ أُعطِي رضِي وإن لم يُعطَ سَخِطَ...» ٣٣٧

٥٩- تفسير الحديث الشريف: أنواع الظلم ٣٤٠

٦٠- شرح حديث: «قد أفلحَ من أخلصَ قلبَه للإيمانِ...» ٣٤٣

٦١- شرح حديث: «إنَّ الله يحبُّ الصَّمتَ عند ثلاثٍ: عند تلاوة القرآنِ، وعند الزَّحفِ، وعند الجنازَةِ»..... ٣٤٦

٦٢- شرح حديث شريف: العِرق دساس ٣٤٩

٦٣- شرح حديث: «بئسَ العبد عبد تجبَّر واعتدىٰ ونَسِيَ الجبَّار الأعلىٰ...» ٣٥١

٦٤- الحديث الشريف: فضل الحج ٣٥٤

ذكر مزايا الحج وتعداد فوائده..... ٣٥٤

٦٥- شرح حديث: «شفاعتِي لأهلِ الكبائرِ من أمَّتي»..... ٣٥٨

أحاديث الشفاعة متواترة واردة عن أربعين صحابيًّا بألفاظ متعددة وطرق كثيرة ٣٥٨

الشفاعة قسمان: خاصَّةٌ وعامَّةٌ ٣٥٨

أنواع الشفاعة العامَّة..... ٣٥٨

٦٦- حديث فاطمة بنت أسد، وحُجِّيَّة الحديث الضعيف..... ٣٦٣

قولهم الحديث الضعيف لا يعمل به في الأحكام ليس علىٰ إطلاقه..... ٣٦٤

٦٧- نبذة عن كتاب تيسير الوصول ٣٦٦

كتاب "تيسير الوصول" ليس خاصًّا بصحاح الأحاديث كما أشيع عنه في الصحف بل فيه أحاديث صحيحة وضعيفة..... ٣٦٧

(٤) مقالات في الفقه الإسلامي

٦٨- التشريع الإسلامي في تلقين الميت وحكمه..... ٣٦٩
التلقين صرَّح باستحبابه جماعةٌ مِن أهل العلم فيهم المالكية والشافعية والحنابلة..... ٣٧١
٦٩- زكاة الفطر ٣٧٥
إجماع عوام أهل العلم على أن صدقة الفطر فرض ٣٧٥
٧٠- أحكام فقهية في الأضحية..... ٣٧٨
الإشارة إلى أن الذبيح الذي فداه الله إسماعيل عليه السلام كما قامت عليه الدلائل المتعددة ٣٧٨
من لم يجد سعة لأن يضحي فلا حرج عليه في ذلك..... ٣٧٩
هل الضحية واجبة أم سنة..... ٣٧٩
ينبغي لمن أراد الضحية ألَّا يحلق شعره، ولا يقلِّم أظفاره من وقت أن يهل هلال ذي الحِجَّة إلى أن يذبح أضحيته يوم العيد ٣٧٩
شروط الأضحية ٣٨٠
وقت الذبح ٣٨١
الاشتراك في الأضحية ٣٨١
التَّسميةُ عند الذَّبح ٣٨٢

٧١- كلمة في الأضحية ٣٨٣
٧٢- العيد والأضحية..... ٣٨٧
وقت الذبح ٣٨٧
٧٣- اعرف دينك: «الحج» ٣٨٩
هل يجب الحج على المستطيع فورًا، أو يجب على التراخي ٣٨٩
الحج مُكفِّر للذنوب كبيرها وصغيرها ٣٨٩
٧٤- حكم الإثفار ٣٩٤
أدلة المجوِّزين..... ٣٩٤
أدلة المانعين ٣٩٥
الاستمتاع بجميع بدن المرأة حلالا إلا الدبر فإنَّه حرامٌ، بل كبيرةٌ..... ٤٠٠
كلَّ ذنبٍ لعن الشَّارع مرتكبه أو أكفره أو توعَّده بعدم نظر الله إليه، عدَّه العلماء من الكبائر، بلا خلاف منهم إلَّا من لم يصله الحديث، فقد يخالف وله العذر..... ٤٠٠
ذكر مذاهب العلماء في مسألة التسمي بأسماء النبي عليه وآله الصلاة والسلام..... ٤٠٢

(٥) مقالات في التصوف الإسلامي

٧٥- التصوف الإسلامي في السنة النبوية ٤٠٧

والأحاديث المؤيدة لهذا المذهب..... ٤٠٩
موضوع التصوف الإسلامي موضوعٌ كثر فيه الجدل والنقاش ووقف الناس إزاءه ثلاث فرقٍ..... ٤٠٩
الإشارة إلى بعض الأحاديث التي تُعتبَر أصولًا لمذهب التصوف على العموم ٤٠٩
الخلاصة المستفادة من الأحاديث الشاهدة لمذهب التصوف ٤١٣
٧٦- كيف تشكر النعمة؟..... ٤١٤
الشُّكْر عند حدوث النِّعم عبادةٌ أمرنا الله بها كما أمرنا بالصَّلاة والصِّيام وغيرهما مِن العبادات..... ٤١٤
ذكر بعض الأحاديث التي بين فيها النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كيف تؤدَّى عبادة الشُّكْر بفعله وقوله..... ٤١٤
علاج التقصير في الشكر..... ٤١٦
لايجوز أن يقول: اللهم أدِّ عنِّي شكر النِّعم لقبحه مِن وجوهٍ ٤١٦
شبهات تعرض في هذا المقام والجواب عنها ٤١٨
٧٧- المعصية ٤٢٢
المعصية نوعان..... ٤٢٢
اعتنى العلماء ببيان الكبائر وألَّفوا في ذلك مؤلَّفاتٍ..... ٤٢٢
مُكفِّرات الصغائر ثلاثة..... ٤٢٣

١ - اجتناب الكبائر ٤٢٣

٢ - إتْباعها بحسنةٍ ٤٢٣

٣- مصيبة من مصائب الدنيا ٤٢٤

تنقلب الصغيرة كبيرةً بانضمام معصيةٍ إليها ٤٢٥

مُكفِّرات الكبائر أربعة ٤٢٦

١ - الحَدُّ المُرتَّبُ على بعضها ٤٢٧

٢ - الاستشهاد في سبيل الله ٤٢٩

٣- القتل: بمعنى أنَّ مرتكب الكبيرة إذا قُتل ظلمًا كان القتل كفَّارةً له.... ٤٣٠

شرط القتل المُكفِّر للذنوب أن يكون عن عمدٍ؛ لأن القاتل المتعمِّد يحمل عن المقتول ذنوبه يوم القيامة، فإن كان القتلُ خطأً لم يكفِّر الذنوب؛ لأنه لا إثم فيه على القاتل. ٤٣١

٤ - أعمال ثبت فيها أنها تُكفِّر الكبائر: كالحجِّ المبرور، وقيام ليلة القَدْر، وصلاة التسابيح، ونحو ذلك..... ٤٣٢

ذكر أمثلة لبيان الصغائر ٤٣٢

حكم لعب النرد..... ٤٣٢

حكم ترك رد السلام..... ٤٣٤

حكم الهجر فوق ثلاثة أيام..... ٤٣٦

٧٨- أصول كرامات الأولياء في السنة النبوية..... ٤٤٣

حول الكشف والإلهام والفيض الإلهي ٤٤٣

٧٩- جواز التوسل بأولياء الله..... ٤٤٧

تنبيهان: الأول: فاطمة بنت أسد هي إحدى الفواطم الواردة في حديث: «اجعلها خمرًا بين الفواطم فشققتها أربعة أخمرة: خمارًا لفاطمة بنت الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وخمارًا لفاطمة بنت أسد وخمارًا لفاطمة بنت حمزة»..... ٤٤٨

الثاني: فاطمة بنت أسد هذه غير فاطمة بنت أبي أسد المخزومية التي قطعها النبي بسبب سرقة حلي ٤٤٨

(٦) مقالات في فضائل النبيِّ ﷺ

٨٠- إبطال القول بأن المقصود من ثبوت النبوة للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قبل خلق آدم معناه ثبوت نبوته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في علم الله وتقديره..... ٤٥٤

٨١- من خصائص النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم..... ٤٥٦

استشكال حول قول النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في حديث الشفاعة أن أهل الموقف حين يذهبون إلى نوح في طلب الشفاعة يقولون له: «أنت أول رسول إلى أهل الأرض». والجواب عليه..... ٤٥٨

٨٢- توسل آدم بالنبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم..... ٤٥٩

استشكال: كيف يكون صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نبيًّا في ذلك الوقت مع أنَّ

النبوة وصف لابد أن يكون الموصوف به موجودًا، ولا يتصف به إلا بعد بلوغ أربعين سنة كما هو معروف؟ والجواب عليه..... ٤٦٠

إنكار زكي مبارك للحقيقة المحمدية، وزعمه أن الأحاديث الواردة فيها باطلةٌ..... ٤٦١

٨٣- حب النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أصل الإيمان..... ٤٦٢

٨٤- حنين الجذع معجزة أكبر من إحياء الموتى..... ٤٦٥

٨٥- حديث توسل آدم بالنبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم..... ٤٦٨

(تنبيهات): الأول: قوله في الحديث «ولولا محمد ما خلقتك» ورد له شاهد عن ابن عبَّاسٍ موقوفًا ومرفوعًا..... ٤٧٠

التنبيه الثاني: يؤخذ من أثر أبي جعفر الباقر عليه السلام أدب الدعاء والتوسل، وذلك بأن يبدأ الداعي بالثناء على الله ليرضى عنه، ثم يثني بالتوسل بأحب خلقه إليه فيقبل شفاعته ويجيب طلبه. ٤٧٠

الثالث: أورد الأذرعي هذا الحديث باعتبار أن الدعاء الوارد فيه من مكفرات الذنوب، فينبغي للعاصي أن يتوسل إلى الله بنبيه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في محو أوزاره وغفران ذنوبه..... ٤٧١

٨٦- إسلام قرين النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم..... ٤٧٢

٨٧- توجيه حديث: يا فاطمة سليني..... ٤٧٥

(٧) مباحثات مع المعاصرين

٨٨- قصة الأعرابي وقصة الفلاح..... ٤٨١
استشكال حول طلب الدعاء من الميت والجواب عليه ٤٨٤
٨٩- حول توسل عمر بالعباس..... ٤٨٦
الرد على اعتراض بعضهم بأن الحديث خاص بحياة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وأنه لا يجوز التوسل به بعد مماته..... ٤٨٧
٩٠- الفرق بين القسم والتوسل ٤٩١
ذكر الوجوه الدالة على أن القسم غير التوسل..... ٤٩٣
٩١- المصطفى صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حي في قبره ٤٩٥
والتوسل بالحي لا خلاف عليه فتوسلوا به ٤٩٥
الأنبياء أحياء في قبورهم وأجسادهم لا تبلى، والإجماع منعقدٌ على هذا كما حكاه غير واحدٍ..... ٤٩٥
أدلة أخرى على مسألة حياة الأنبياء عليهم السلام ٥٠٠
٩٢- معنى الوسيلة (١)..... ٥٠٣
معانى الوسيلة..... ٥٠٣
أنواع الوسيلة في الدعاء ٥٠٣
٩٣- معنى الوسيلة (٢)..... ٥٠٦

الأدلة التي تجيز الوسيلة بالمعنى المتنازع فيه بين جمهور المسلمين وشرذمة الوهابيين..... ٥٠٦

تخصيص التوسل بحالتي الحياة وحضور المتوسَّل به دون حالتي موته أو غيبته عن المتوسل باطل لأمور ٥٠٧

٩٤- معنى الوسيلة (٣)..... ٥١٠

قصة عثمان ابن حنيف وتعليمه صلاة الحاجة لرجل طلب منه أن يكلم الخليفة في مسألته..... ٥١٠

يؤخذ من هذه القصة جواز التوسل بالنبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعد وفاته لأنها حدثت في عهد عثمان بن عفان، والذي أمر بالتوسل في هذه القصة هو عثمان بن حنيف راوي الحديث، وهو أعلم بمعناه من كل من بعده من الأئمة والعلماء بلا نزاع..... ٥١١

٩٥- حول أولية النور المحمدي (١) ٥١٣

تضعيف المخالف حديث «أنا مدينة العلم ...» والرد عليه..... ٥١٦

مناقشة المخالف في قوله: إنَّ أحاديث المهدي لا تخلو من خدشٍ ٥١٦

٩٦- حول أولية النور المحمدي (٢) ٥٢١

كلام المخالف على تصحيح حديث: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» والرد عليه ٥٢١

٩٧- هل ينفع الشريف نسبه؟ ٥٣١

ذكر الآيات الواردة في معنى قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ ﴾ ٥٣١

٩٨- هل ينفع الشريف نسبه(٤) ٥٣٧

طُرُق الجمع بين حديث: «كلُّ سببٍ ونسبٍ ينقطع يوم القيامة إلَّا سببي ونسبي »، وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ ﴾.... ٥٣٨

٩٩- ليس بعشك فادرجي..... ٥٤٥

حكم اجتماع الفتيات والفتيان حول أستاذ يعلمهم العلم والأدب والفن ٥٤٥

ذكر الأدلة على حرمة الاختلاط بين الرجال والنساء ٥٤٦

١٠٠- رسول الله ينفع ويضر حيًا وميتًا بإذن الله..... ٥٥٢

وأنوف خصومه المتمسلمين رغمة ٥٥٢

١٠١- كبار أئمة الإسلام ومحدثوه يتوسلون عند قبر النبي وقبور الصالحين..... ٥٥٦

السيدة عائشة أمُّ المؤمنين تأمرهم أن يلجأوا إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في قبره، ويجعلوا من قبره كوًى إلى السماء مبالغةً في الاستشفاع به صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٥٥٦

أبو عليٍّ الخلال أحد أئمَّة الحنابلة يتوسل بالإمام موسى الكاظم ٥٥٦

الإمام الشافعيُّ أحد الأئمَّة الأربعة يتبرَّك بأبي حنيفة ويتوسَّل بالدعاء

عنده ٥٥٧

ثلاثة من كبار حفَّاظ السُّنَّة وعلمائها، وهم ابن المقري والطبرانيُّ وأبو الشيخ، أتوا إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في قبره وشكوا إليه الجوع لعلمهم أنه حيٌّ في قبره، وأنَّ له شفاعةً عند ربِّه، فأغاثهم الله وأطعمهم على يد العلويِّ بأمرٍ منه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم. ٥٥٧

ذكر بعض الحوادث لعدد من العلماء والصالحين، واستشفاعهم برسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٥٥٨

١٠٢- زيارة قبر النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم سنة ثابتة ٥٦٢

ذهب بعض المالكية وبعض الظاهرية إلى أن زيارة قبر النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم واجبةٌ كما حكاه الشوكانيُّ في "نيل الأوطار"، والذي صرَّح بالوجوب من المالكية أبو عمران الفاسي ٥٦٢

معنى حديث: «لا تُشَدُّ الرِّحالُ إلَّا إلى ثلاثة مساجد»، والرد على ابن تيمية ٥٦٣

تنبيه: قال العلَّامة ابن الحاج في "المدخل": «مَن لم يُقَدَّر له زيارته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بجسمه فلينوها كل وقتٍ بقلبه» ٥٦٣

١٠٣- ميلاد الهداية ٥٦٤

رد على بعض المعاصرين في إساءته للنبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٥٦٤

١٠٤- من هم ورثة الأنبياء ٥٦٧

علماء هذا العصر لا ينطبق عليهم أنهم «ورثة الأنبياء» لأمرين..... ٥٦٧

١٠٥- حول قصة موسىٰ والخضر ٥٦٩

ذكر العلماء أيضًا أن ما يتعلق بقصص الأنبياء، وبالأخبار عن بني إسرائيل، وعن الأمور الغيبية يعتمد فيه علىٰ ما ثبت عن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بإسناد صحيح أو حسن ٥٧١

١٠٦- تحقيق ولادة النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ٥٧٣

كانت ولادة النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من المحل المعتاد للولادة لا من غيره والدليل عليه ٥٧٣

الإشارة إلىٰ كتاب "إنارة الأغوار والأنجاد بدليل معتقد ولادة النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من السبيل المعتاد" للسيد عبد الحي الكتاني، ونحا فيه أيضًا ما نحاه المصنِّف من الجزم ببطلان ما ذكره ابن سبع وهو مفيد في بابه..... ٥٧٨

التنبيه علىٰ خطأ وقع للمتأخرين وذلك أنهم نقلوا عن القاضي عياض في كتاب "الشفا" وعن ابن رشد في كتاب "الجامع من البيان والتحصيل" أنهما قالا بمثل قول ابن سبع والواقع أنهما لم يذكرا ذلك القول ولا أثر له في كتابيهما المذكورين..... ٥٧٨

١٠٧ – نقد وإجابة (٣) ٥٨١

حديث: «كلُّ أمرٍ ذي بال» لا يجوز أنْ يكون عاضدًا لحديث التسمية ٥٨٢

١٠٨- نقد وإجابة (٤)..... ٥٨٩

(٨) مقالات متنوعة

١٠٩- أغلاط شائعة ٥٩٨

شاع بين كثير من الناس عبارات وجمل تجري بينهم في محاوراتهم ومناظراتهم كأنها من المسلَّمات، وهي في الواقع خطأ بحت ليس لها نصيب من الصواب، بل منها ما يمس العقيدة ويخدشها بحيث يسير معتقد معناها واقعًا في الضلال وهو لا يشعر ٥٩٩

١- من تلك العبارات قولهم: «المزية لا تقتضي التفضيل»..... ٥٩٩

المزية تقتضي التفضيل حتمًا ٥٩٩

الراجح عند الجمهور وهو الذي لا يجوز غيره أنَّ الخضر نبيٌّ، والدليل على نبوته من القرآن أمورٌ ٦٠٢

٢- ومنها قولهم: «حسنات الأبرار سيئات المقربين»..... ٦٠٤

٣- ومنها قولهم: «خطأ مشهور خير من صواب مهجور»..... ٦٠٥

٤- الأبيات المشهورة: طلع البدر علينا... شاع بين الناس أنها قيلت في استقبال النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عند دخول المدينة المنورة مهاجرًا، وهذا خطأ مشهور، والصواب: أنها قيلت عند قدوم النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من غزوة تبوك..... ٦٠٦

١١٠- الحدود والشفاعات والخصومة المحرمة..... ٦٠٨

١١١- ما يجب أن تعرفه عن ليلة القدر بحث شامل ٦٠٩

ليلة القدر باقية إلى القيامة ٦٠٩
متى تكون ليلة القدر؟ ٦٠٩
علامة ليلة القدر ٦١٠
استنباط ابن عبَّاسٍ تعيين ليلة القدر ٦١١
تنبيه: قالا صاحبا "الكافي" و"المحيط" من الحنفية: من قال لزوجته أنت طالق ليلة القدر طلقت ليلة سبع وعشرين لأن العامة تعتقد أنها ليلة القدر..... ٦١٢
سبب رفع تعين الليلة ٦١٢
هل عَلِمَها النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ؟ ٦١٢
كيف يراها الرائي؟ ٦١٤
قيام ليلة القدر يكفر الذنوب ٦١٤
أقل ما يحصل به قيام الليلة ٦١٤
هل يستحب الاغتسال ليلة القدر؟ ٦١٥
هل للنفساء والحائض نصيب من ليلة القدر؟ ٦١٦
أي العمل أفضل في هذه الليلة؟ ٦١٧
١١٢- حكم الله على اليهود بين الماضي والحاضر ٦١٨
١١٣- ذكرى الإمام الحسين ٦١٨
١١٤- رجوع الحق إلى نصابه ٦٢٨

علاقة آل الصِّدِّيق بالإمام يحيىٰ حميد الدين ٦٢٨

اهتمام الإمام يحيىٰ حميد الدين بالشئون العلمية وطبع الكتب النادرة النافعة تحقيقًا لرغبة والده الإمام الشهيد ٦٢٩

١١٥ - حسن التبعُّل ٦٣١

بيان ما كان عليه النساء في صدر الإسلام مِن حرصهنَّ علىٰ تعلُّم أحكام الدين ومنافستهنَّ للرجال في أعمال الخير حتىٰ لا يسبقهنَّ الرجال في ميدان طاعة الله ورسوله ٦٣٢

١١٦ - ما ورد فىٰ ليلة النصف من شعبان..... ٦٣٥

الأحاديث الوارة في فضل شهر شعبان، وليلة النصف ٦٣٥

حديث موضوع في فضل قيام ليلة النصف من شعبان..... ٦٤٠

ما شاع بين الناس من الدعاء يوم النصف من شعبان بعد صلاة المغرب وقراءة يس ثلاث مرات لا أصل البتة لشيء من ذلك في كتب السنة النبوية كما جزم به خاتمة المحدثين النقَّاد السيد محمد مرتضىٰ الزبيدي الحسيني..... ٦٤١

حديث: «يس لما قرئت له» لا أصل له كما قال الحافظ السخاوي. (ت) .. ٦٤٢

١١٧ - دعاء الإمام جعفر الصادق عند الفزع ٦٤٣

١١٨ - قصة أصحاب الأخدود ٦٤٥

١١٩ - ماذا في طنجة...؟ ٦٤٨

(٩) مقدمات لبعض الكتب العلمية

مقدمة كتاب: "الجَناحُ المحلّق في سماءِ المشرِق" ٦٥٥
كلمة عن كتاب "الإكليل في استنباط آي التنزيل" ٦٥٩
مقدمة المجلد السابع من "التمهيد" ٦٦٠
إسناد الشيخ لرواية كتاب "التمهيد" ٦٦١
بيان أن علمَ الحديثِ ينقسمُ عند أهلِه إلى قسمين: رواية ودراية ٦٦٢
ذكر خصائص لكتاب "التمهيد" لم تجتمع في غيره ٦٦٣
مقدمة كتاب "البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار" للإمام أحمد بن يحيى المرتضى ٦٦٥
فضل العلم وشرف حملته في الكتاب والسنة ٦٦٥
أعلميَّةُ عليٍّ عليه السَّلام ورجاحَةُ فكرِه، ورجوع الصحابة إليه كلَّما حزَبَهم أمرٌ ٦٦٧
أئمة أهل البيت أكبرَ الناسِ حظًّا وأوفرَهم نصيبًا من العلم النبوي ٦٦٩
أتباعِ الإمام زيدِ بنِ عليٍّ عليهما السَّلام ظلُّوا في اليمن الميمونِ محتفِظين بتراث هذا الإمام متمسِّكين بقواعدِ مذهبِه ٦٧٠
مبدأ المذهبِ الزَّيدي باليَمنِ ٦٧٠
التراث الفقهي للمذهب الزيدي ٦٧١
كتاب "البحر الزَّخَّار الجامعُ لمذاهبِ علماءِ الأمصار" ومكانته العلمية ... ٦٧٢

الإمام يحيىٰ حميد الـدين وجهـوده في خدمـةِ العلـمِ، وطبـعِ كتبـه النافعـةِ النادرةِ ٦٧٣

خاتمة المقدمة ٦٧٤

مقدمة جزء ابن الصلاح في وصل البلاغات الأربعة التي بـ"الموطأ" ٦٧٥

في "موطأ الإمامِ مالكٍ" مراسيلُ وبلاغاتٌ وصلها الحافظُ ابن عبدالبرِّ في كتاب "التمهيد" إلَّا أربعةَ بلاغاتٍ لم يجد لها إسنادًا..... ٦٧٥

نقل الشيخُ محمَّد حبيب الله الشِّنقيطيُّ، عن الشَّيخ صالحٍ الفلاني قوله: «وقد وصل ابنُ الصلاح الأربعةَ [بلاغات] في تأليفٍ مستقلٍّ وهو عندي وعليه خطُّه فظهر بهذا أنَّه لا فرق بين البخاريِّ و"الموطأ" وصحَّ أنَّ مالكًا أول من صنَّف في الصَّحيح..... ٦٧٥

قول المرحوم الشيخ أحمد شاكر أنه لا يستطيعُ أهلُ العلم بالحديثِ أن يحكموا باتِّصال هذه البلاغات إلا إذا وُجدتِ الأسانيد وفُحصت ٦٧٦

رد دعوىٰ الفلَّانيِّ أنَّ عنده تأليفَ ابنِ الصَّلاح وعليه خطُّه..... ٦٧٦

بيان أنه علىٰ فرضِ صحة تلك الأحاديثَ الأربعة، لم يكن "الموطأ" في درجة "البخاريِّ" ٦٧٧

ترجمة الحافظ ابن الصلاح ٦٧٨

إسناد الشيخ لرواية رسالة: "وصل بلاغات الموطأ" ٦٧٩

مقدمة كتاب "بداية السول في تفضيل الرسول ﷺ" للعز بن عبدالسَّلام ٦٨٠

كلام العلماء في سلطان العلماء عزِّ الدين بن عبدالسَّلام..... ٦٨٠
قول الإمام الشاذلي: «ما على وجهِ الأرض مجلسٌ في الفقه أبهى من مجلس الشيخِ عزِّ الدين بن عبدالسَّلام...» إلخ والتعليق عليه..... ٦٨١
مقدمة كتاب "أخلاق النبي ﷺ" لأبي الشيخ الأصبهاني..... ٦٨٣
اصطفاء الله تعالى لنبيه ورعايته له منذ نشأته..... ٦٨٣
رفع الله تعالى لمكانة نبيه على سائر الخلق وإلزامهم بطاعته واتباعه..... ٦٨٤
التصنيف في الأخلاق والشمائل النبوية، ومكانة كتاب "أخلاق النبيِّ وآدابه"..... ٦٨٥
قصة العثور على مخطوطة كتاب "أخلاق النبيِّ وآدابه"..... ٦٨٦
الفرق بين الاستخراجِ والتَّخريج (ت) ٦٨٦
وصف النسخة التي جرى عليها التَّصحيحُ ٦٨٨
ترجمة الحافظُ أبو الشيخ بنِ حيان..... ٦٨٨
إسناد المؤلف لرواية كتاب "أخلاق النبيِّ وآدابه" ٦٩٠
مقدمة كتاب: "الحسبةُ على من جوز صلاة الجُمعة بلا خطبة" للحافظ المجتهد السيد أحمد بن الصِّدِّيق الغماريِّ..... ٦٩١
ذكر مسائل تدل على إغراق المخالف في التقليد وهو يدَّعي العمل بالدليل ٦٩١

الاستدلال بآية: ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾ الآية، على وجوب الخطبة، وبيان بطلان القول بأنه يحتمل أن يراد بذكر الله في الآية: «الصلاة» ٦٩٣

مقدمة كتاب "إتحاف ذوي الهمم العالية بشرح متن العشماوية" ٦٩٨

انفراد المالكية دونَ سائر المذاهبِ بذكر الأحكامُ مجرَّدةٌ عن دليلها والاقتصارُ على نقل أقوال الشيوخ ٦٩٨

آلَ الصِّدِّيق ودورهم في خدمة مذهبَ الإمام مالك خدمةً ليس لها نظير إلا في كتبِ المتقدِّمين ٦٩٨

كلمة عن كتاب "الإكليل شرح مختصر خليل" ٧٠٠

شيوخ المؤلف في الفقه المالكي ٧٠٠

كلمة عن كتاب "مسالك الدلالة في شرح الرسالة" ٧٠١

مسالكُ الدّلالةِ ومكانته، وخدمته للفقه المالكي ٧٠١

خلو كتب المالكية من الأدلة والاكتفاء بنقل الأراء والأقوال مجردة ٧٠٢

مقدمة كتاب: "الموسوعة الإسلامية في المعجزات والخصائص والفضائل النبوية في السنة الصحيحة" - لجامعه عبد الله التليدي..... ٧٠٤

القيمة العلمية لكتاب "تهذيب الخصائص النبوية" ٧٠٤

شروع الشيخ في اختصار الخصائص وهو بمصر والحيلولة دون إتمامه ... ٧٠٤

مؤاخذة الشيخ للمؤلف في اتباع السيوطي في بعض الهنات والاغترار بصحة

السند وإن كان المتن في المنكرات وكون ذلك لا يقدح فيما قام به من هذا العمل الجليل ٧٠٤

حولَ كتابِ: إزالةُ الشُّبُهاتِ عن قولِ الشيخِ الأكبرِ: «كنَّا حروفًا عالياتٍ» ٧٠٦

دفع استشكال حول مسألة اطِّلاع الأولياء على الغيبِ ٧٠٧

فهرس الموضوعات ٧١١

موسوعة

العلامة المحدث المتفنن

سيدي الشريف عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري الحسيني

(١٣٢٨ - ١٤١٣هـ) رحمه الله تعالى

قدم لها

الشريف الدكتور

عبد المنعم بن عبد العزيز بن الصديق

إشراف

الدكتور محمود سعيد بن محمد ممدوح

المجلد الثامن عشر

المستدرك

موسوعة

العلامة المحدث المتفنن

سيدي الشريف عبد الله بن محمد الصديق الغماري الحسيني

(١٣٢٨ - ١٤١٣هـ) رحمه الله تعالى

(١٨)

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية
عام / ١٤٣٨

قام بطباعتها وإخراجها: مركز البحوث والدِّراسات
بكُليَّة الصَّفا الإسلاميَّة بماليزيا

يطلب من:

دار السَّلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

جمهورية مصر العربية: القاهرة – الإسكندرية.
الإدارة: القاهرة ٤٠ شارع أحمد أبو العلا – المتفرِّع من شارع نور الدين بهجت – الموازي لامتداد شارع مكرم عبيد – مدينة نصر.
هاتف: ٢٢٨٧٣٢٤٦ - ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ (٢٠٢+)
فاكس: ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢+)
البريد الإلكتروني: info@dar-alsalam.com
موقعنا على الإنترنت: www.dar-alsalam.com

المجلد الثامن عشر

المستدرك

ويحتوي على:

١- كتاب: "سمير الصالحين" (الجزء الثاني).

٢- كتاب: "سمير الصالحين" (الجزء الثالث).

٣- تعليقات السيد عبدالله بن الصديق على المجلد السابع من كتاب: "التمهيد" للحافظ أبي عمر ابن عبدالبر الأندلسي.

٤- تعليقاته على كتاب: "بداية السول في تفضيل الرسول ﷺ" للعلامة الكبير عزالدين بن عبدالسلام السلمي.

٥- تعليقاته على جزء: "الباهر في حكمه ﷺ بالباطن والظاهر" للحافظ جلال الدين السيوطي.

٦- تعليقاته على كتاب: "تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشَّاذلية " للحافظ جلال الدين السيوطي.

٧- مقال بعنوان: "كلمة فاصلة في حلق اللحية".

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله وكفى، والصلاة والسلام على رسوله المصطفى، وآله المستكملين الشرفا، ورضي الله عن أصحابه الفالحين المبلغين المتقين، وبعد:

فإن الله تبارك وتعالى قد مَنَّ ووفَّق لجَمْع هذه "الموسوعة" التي تضم الأعمال الكاملة لشيخنا علم الأعلام، عالِم القرويين والأزهر، العلامة الجامع بين المعقول والمنقول، الجَبل الراسِخ والطَوْد الشامِخ؛ الشيخ سيدي عبدالله بن محمد بن الصِّدِّيق الغُماري الحسني -رحمه الله تعالى- وهي متعددة الفوائد والفنون الشرعية وآلاتها، وقد استقبلها الباحثون والمحبون استقبالًا حارًا، وقاموا إجلالًا واحترامًا.

وقد استدرك علينا الشريف الدكتور عبدالله الجباري الحسني بعض ما فات أثناء الجمع، فلزم تقديم الشكر له، ثم وجه الشريف سيدي الدكتور عبدالمنعم بن الصِّدِّيق الغُماري - وفقه الله تعالى - وشقيقه الشريف الأجل سيدي عبد المغيث بن الصِّدِّيق لعمل مُستدرَك على "الموسوعة" يضم ما فاتنا من أعمال شيخنا ، وقد تم استدراكها في هذا المجلد، وهو يضم:

١- الجزء الثاني من كتاب: "سمير الصالحين".

٢- الجزء الثالث من كتاب: "سمير الصالحين".

٣- تعليقات السيد عبدالله بن الصديق على المجلد السابع من كتاب: "التمهيد" للحافظ أبي عمر ابن عبدالبر الأندلسي.

٤- تعليقاته السيد عبدالله بن الصديق على كتاب: "بداية السول في تفضيل الرسول ﷺ" للعلامة الكبير عزالدين بن عبدالسلام السلمي.

٥- تعليقات السيد عبدالله بن الصديق على جزء: "الباهر في حكمه ﷺ بالباطن والظاهر" للحافظ جلال الدين السيوطي.

٦- تعليقات السيد عبدالله بن الصديق على كتاب "تأييد الحقيقة العالية وتشييد الطريقة الشاذلية" للحافظ السيوطي.

٧- مقال بعنوان: "كلمة فاصلة في حلق اللحية".

وكان قد كتبه في «مجلة الكلمة» الصادرة في أكادير، المغرب، (العدد الثاني، السنة الأولى، جماد الأولى ١٣٩١)، وهو مقال أصولي رائع، وقد أرسله إليَّ الأستاذ يوسف أبجيك السوسي.

وهذه التعليقات غاية في الجودة والنفاسة ، كتبها شيخنا رضي الله عنه بقلم المتكلم ، المفسر، المحدث ، الفقيه ، الصوفي، البعيد عن الدعاوى .

ولهذا المستدرك فهارس للآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ألحقتها بالمجلد التاسع عشر وهو مجلد الفهارس، وقد أجريت بعض تصحيحات على "الموسوعة" بقدر الطاقة، وجزى الله خيرًا كل من ساعد في جمع، وصف، وإخراج، وطبع هذه "الموسوعة"، وهذا المستدرك خيرًا.

والله أسأل أن يتقبل هذا الأعمال المباركة من شيخنا العلامة الشيخ سيدي عبدالله بن الصديق التي تدل على نفسيته الإسلامية وغيرته على العقيدة والشريعة والتصوف، وتمكنه من العلوم الشرعية وآلاتها، رحمه الله وأثابه رضاه، وأن يكون هذا الجمع سببًا للفوز بالرضاء من الله تعالى، والحمد لله في البدء والختام، ختم الله لنا بالحسنى.

وكتب

محمود سعيد بن محمَّد ممدوح الشافعيُّ

القاهرة في الثامن عشر من محرم الحرام سنة ١٤٣٩

١ - كتاب: «سمير الصالحين»

الجزء الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيِّبًا مباركًا فيه، كما يحبُ ربُنا أنْ يحمدَ وينبغي لهُ، وأشهد أنْ لا إله إلَّا الله وحدَه لا شريك له، شهادةً ندخرُها عند الله، ونرجو ثوابَها لديه، يوم لا ينفعُ مالٌ ولا بنون، إلَّا من أتى الله بقلبٍ سليمٍ.

وأشهدُ أنَّ سيدنا ومولانا محمدًا عبدهُ ورسولهُ، أفضلُ الخلقِ، والهادي إلى طريق الحقِّ، كما شهدَ له مولاهُ بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، صلى اللهُ وسلمَ وباركَ عليه، وعلى إخوانِه النبيينَ والمرسلينَ.

ورضي اللهُ عن آلِ كلٍّ، وسائرِ الصالحين، ووفقنا لاتباعِ هديهم، وسلوكِ طريقهم القويمِ، أمَّا بعدُ ...

فهذه بضعُ قصصٍ دينيةٍ انتقيناها من بعضِ كتبِ السُّنَّةِ النَّبويَّةِ - وهي جزءٌ من محفوظاتِنا والحمد لله- وتخيَّرنا في شرح ألفاظِها وجملِها أوضحَ العباراتِ، وأسهلَ الأساليبِ، ولم نملَّ فيه من تكرارٍ يقتضيه الحالُ، كما لم نتحاشَ عن تطويلٍ ربما يعدُّ من بابِ الإسهابِ والملال، وعنينا بتتبعِ ألفاظِ القصَّةِ، واستخراجِ ما تدلُّ عليه من معانٍ لغويَّةٍ، وأحكامٍ فقهيَّةٍ، ولطائفَ أدبيَّةٍ، إلى غير ذلك من الاستطراداتِ والفوائدِ.

وقصدنا بهذا أنْ ينتفعَ بالكتابِ جميعُ القُرَّاءِ، على سواءٍ، لا فرق بين عالمٍ ومتعلمٍ، ولا بينَ أديبٍ وباحثٍ، ولا تاجر وزارع، إذْ مِنْ رأيِنا أنَّ الكتابَ إذا لم يفدْ قُرَّاءَه على اختلاف طبقاتِهم، ولم تكن الفائدةُ جديدةٌ شائقةٌ، فما ينفَقُ فيه من ورقٍ وحبرٍ وتكاليفِ طبعٍ، ومجهودٍ شخصيٍّ، يكون كلُّه ضائعًا عديمَ

القيمةِ، بلهٌ ضياع وقت القرَّاء في قراءته، وشَغْلِهم بما لا فائدةَ فيه.

ونرجو أنْ يكون كتابُنا وافيًا بما ذكرنا، آتيًا على الغرضِ الذي وصفْنا، حتى تنالَنا دعوةً صالحةً من قارئٍ كريمٍ.

والله المسئولُ أنْ يوفقنا ويسدِّد خُطانا ويهدينا سواءَ السَّبيل..

أبو الفضل عبدالله بن الصديق الغماري

خادم الحديث

أربعُ معجزاتٍ

عن يعلىٰ بن مرةَ قال: لقد رأيت من رسول الله ﷺ ثلاثًا ما رآها أحدٌ قبلي، ولا يراها أحدٌ بعدي، لقد خرجتُ معه في سفرٍ حتىٰ إذا كنَّا ببعض الطريق، مررنا بامرأةٍ جالسةٍ معها صبيٌّ لها، فقالت: يا رسول الله هذا صبيٌّ أصابه بلاءٌ، وأصابنا منه بلاءٌ، يؤخذ في اليوم لا أدري كمْ مرَّة، قال: «**ناولنيه**»، فحملته إليه فحمله بينه وبين واسطة الرحل، ثمَّ فغرَ فَاهُ ونفثَ فيه ثلاثًا.

وقال: «**بسم الله أنا عبدالله، اخسأ عدو الله**»، ثمَّ ناولها إيَّاه فقال: «**القِينا في الرجعة في هذا المكان، فأخبرينا ما فعل**»، قال: فذهبنا ورجعنا فوجدناها في هذا المكان معها شياهٌ ثلاثٌ، فقال: «**ما فعل صبيُّك؟**» فقالت: والذي بعثك بالحق ما حسسنا منه شيئًا حتىٰ الساعة، فاجتزرْ هذه الغنم، قال: «**انزل فخذ منها واحدة وردَّ البقيَّة**».

قال: وخرجت معه ذاتَ يوم إلىٰ الجنان حتىٰ إذا أبرز قال: «**انظر ويحك هل ترى شيئًا يواريني؟**» قلت: ما أرىٰ شيئًا يواريك إلَّا شجرةً ما أراها تواريك، قال: «**فما قربها؟**» قلت شجرةٌ مثلُها أو قريبٌ منها، قال: «**اذهب إليهما فقل لهما إنَّ رسول الله ﷺ يأمرُكما أنْ تجتمعا بإذن الله**»، قال: فاجتمعتا فبرز لحاجته ثمَّ قال: «**اذهب إليهما، فقل: إنَّ رسول الله ﷺ يأمركما أنْ ترجع كل واحدةٍ منكما إلى مكانها**» فرجعت.

قال: وكنت معه جالسًا ذاتَ يومٍ، إذ جاء جملٌ يُخَبِّبُ حتىٰ ضرب بجِرَانِه بين يديه، فذرفت عيناه، فقال: «**ويحك انظر لمن هذا الجمل؟ إنَّ له لشأنًا**»، فخرجت ألتمس صاحبَه فوجدتُه لرجلٍ من الأنصار، فدعوته إليه فقال: «**ما**

شأن جملِك هذا؟» قال: لا أدري والله ما شأنه، عملنا عليه ونضحنا عليه حتىٰ عجز عن السقاية، فأتمرنا البارحة أنْ ننحره ونقسِّم لحمه. قال: «**لا تفعل، هَبْهُ لي أو بعنِيه**»، قال: بل هو لكَ يا رسول الله فوسمه بميسم الصَّدقة ثمَّ بعث به.

وفي روايةٍ عن يعلىٰ - أيضًا - قال: إنِّي ما أظنُّ أحدًا رأىٰ من رسول الله ﷺ إلَّا دونَ ما رأيتُ ... فذكر نحوَه، وقال لصاحب البعير: «**بعيرُك يشكُوك زعمَ أنَّك سنأْتَه حتَّى كبر، تريد أنْ تنحَرَهُ**» قال: صدقت والذي بعثك بالحقِّ، قد أردت ذلك؛ والذي بعثك بالحقِّ لا أفعل.

وفي روايةٍ: ثمَّ سرنا ونزلنا منزلًا فنام النَّبيُّ ﷺ، فجاءت شجرةٌ تشقُّ الأرضَ حتَّىٰ غشيته، ثمَّ رجعتْ إلىٰ مكانها، فلمَّا استيقظ ذكرتُ له، فقال: «**هي شجرةٌ استأذنت ربها عزَّ وجلَّ أنْ تُسلِّم على رسول الله ﷺ فأذن لها**».

رواه الإمام أحمد بإسنادين أحدهما صحيحٌ، ورواه الطبراني بنحوه، وفي روايته بعض الزِّيادة سنذكرها أثناء الكلام علىٰ الحديث.

الشرح: يَعلَىٰ - بفتح الياء واللَّام - ابن مرة بن وهب، ويقال: يعلىٰ بن سيَّابة - وهي أمه - الثقفي.

يُكنَّىٰ أبا المَرَازِم - بفتح الميم والراء وكسر الزَّاي - صحابيٌّ فاضلٌ، شهد مع النَّبيِّ ﷺ الحُديبيَّة وخيبر والفتح وحنينًا والطائف، روىٰ في فضل الحسين ابن علي عليهما السلام حديث: «**حُسينٌ مِنِّي وأنا من حُسين، أَحبَّ الله من أحبَّ حُسينًا، حُسين سِبطٌ من الأسْباط**». وهو حديثٌ حسنٌ رواه الترمذي وغيره.

«**فَغَر فاه**»: بفتح الفاء والغين، أي: فتح فمه.

«**نفث**»: إذا رمىٰ من فمه بريق يسير خفيف.

«اجتزرْ هذه الغنم»: أي اذبحها، ومنه قيل للمشتغل بذبح الماشية: جزَّار؛ لأنَّه يجزُرها، أي: يذبحها.

ويقال له: قصاب - أيضًا -؛ لأنَّه يستخرج قصب الذبيحة، أي: أمعاءها.

«الجِنان»: بكسر الجيم جمع جَنة بفتحها، وهي الحديقة ذات الشَّجر أو ذات النَّخل.

«أبرز»: أي خرج إلى البراز - وهو الفضاء الواسع - لقضاء الحاجة، وكان رسول الله ﷺ إذا أراد البراز انطلق حتى لا يراه أحدٌ، كما جاء في "سنن" أبي داود وابن ماجه عن جابر بن عبدالله.

«خَبَّ الجمل يخُب»: بضم الخاء في المضارع، إذا عدا بخطوٍ فسيحٍ.

«جِران الجمل»: بكسر الجيم مقدَّم عنقِه، فإذا برك ومدَّ عنقَه قيل: ألقى بجِرانه، أو ألقى جرانَه بالأرض.

«وَسَمَهُ بميسم الصدقة»: أي علَّمه بالكيِّ؛ لأنَّ إبل الزَّكاة كانت تعلَّم بالكَي لئلَّا تختلط بغيرها، والميسمُ: الحديدةُ التي يكوى بها.

المعنى: اشتمل هذا الحديث على آياتٍ بيناتٍ، ومعجزاتٍ باهراتٍ، تزيد المؤمنين إيمانًا، وتبعثُ في قلوب الشَّاكين الحائرين هدىً وإيقانًا.

إحداها: شفاءُ الصَّبي مما ألمَّ به من مسِّ الجن وصَرَعِه، بكلامه ﷺ ونفثه، وفي قوله ﷺ: «أنا عبدالله»، إشارة لطيفة إلى أنَّ العبوديَّة لله أشرفُ أوصافِ الإنسان، وبها يستحق العبد من مولاه المِنَّة والإحسان.

وانظر كيف شرَّف الله تعالى نبيَّه في أشرف المواطن بالعبوديَّة له، حيث قال جلَّ شأنه: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ الآية

[الإسراء: ١]. وقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠].

فمن كان عبدًا لله محضًا سخَّر الله له الطبيعة، وخرق لأجله نواميسَها، وسهَّل عليه الصِّعاب، وفتح له من الخيرات كلَّ بابٍ، وجعله من خاصَّة الأحباب.

ثانيتها: انضمام الشجرتَين بأمره فسترتاه حتىٰ قضىٰ حاجتَه، ثمَّ افتراقُهما بأمره أيضًا.

وحادثةُ انضمام الشَّجر وافتراقه بأمره عليه الصَّلاة والسَّلام تكرَّرت في مواطن، ورواها جماعةٌ من الصَّحابة، منهم: عبدالله بن مسعود، وجابر بن عبدالله، ويعلىٰ بن أُميَّة.

ثالثتها: التجاء الجمل إليه ﷺ وشكواه مما لقي من أصحابه.

وحادثة شكوىٰ الجمل تكرَّرت في مواطنَ - أيضًا - وذكرنا بعضها في غير هذه المواضع.

رابعتها: مجيءُ الشجرة إليه ﷺ شوقًا لزيارته، وتشرفًا بالمثول بين يديه، وتكرَّرت حادثة مجيء الأشجار وسجودها بين يديه ﷺ، وفيها يقول البوصيري رضي الله عنه:

جاءت لدعوته الأشجار ساجدةً ... تسعىٰ إليه علىٰ ساقٍ بلا قدمِ

وفي "مسند أبي يعلىٰ" بإسنادٍ صحيحٍ عن ابنِ عبَّاسٍ قال: جاء رجلٌ من بني عامر إلىٰ النَّبيِّ ﷺ كان يداوي ويعالج، فقال له: يا محمَّد إنَّك تقول أشياءَ، فهل لك أن أداويك؟ قال: فدعاه رسول الله ﷺ ثمَّ قال له: «**هل لك أنْ أداويك؟**» قال: وعنده نخلٌ وشجرٌ، فدعا رسول الله ﷺ عِذقًا منها فأقبل

إليه وهو يسجد ويرفع ويسجد ويرفع حتىٰ انتهىٰ إليه، فقام بين يديه ثمَّ قال له رسول الله ﷺ: «**ارجعْ إلى مكانِك**» فرجع إلىٰ مكانه فقال: «والله لا أكذبك بشيءٍ تقوله بعدها أبدًا».

وقول يعلىٰ: «لقد رأيت من رسول الله ﷺ ثلاثًا ما رآها أحدٌ قبلي، ولا يراها أحدٌ بعدي»، هذا بحسب ظنَّه كما قال في الرِّواية الثَّانية: «إنِّي ما أظنُّ أحدًا رأىٰ من رسول الله ﷺ إلَّا دونَ ما رأيت»؛ لأنَّه رأىٰ خوارقَ عظيمة، وحوادثَ جسيمة لم يشاهدْ ما هو أعظم منها، كانشقاقِ القمرِ، وحنينُ الجذعِ، ونبع الماء من الأصابع الشَّريفة، لا جَرَمَ أنْ استعظم ما رأىٰ وحق له ذلك.

ما يستفاد من الحديث

يستفاد من الحديث أمور:

الأول: إثباتُ مسِّ الشَّيطان وإذايتِه للإنسان، وهذا ثابتٌ بالقرآن في قوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، والأطباء يُنكرون المسَّ ولا يعترفون به؛ لجهلهم وانحصارهم في دائرة المادَّة الضيقة، وقد عرضت لكثير منهم حوادث مسٍّ وصرعٍ عجز الطب عن تشخيصها، بله معالجتها.

الثاني: جواز التداوي وطلب معاجلة المريض، وهذا أمرٌ ثابتٌ معلومٌ لا ينكره إلَّا جاهلٌ، فقد كان النَّبيُّ ﷺ يتداوىٰ ويصف الدواء لغيره، وقال: «**تداوَوا فإنَّ الله لم يضع داءً إلَّا وضع له دواء، غير داءٍ واحد الهِرَم**». وهو حديثٌ صحيحٌ.

وكانت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها عالمةً بالطب، لكثرة مزاولة الأَدوية التي كان النَّبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم يستعملُها في أمراضه، وقد ألَّف الحفَّاظ كُتبًا في الطبِّ النَّبوي كابن السني، وأبي نُعيم، والذَّهبي، وابن القيم، والسَّخاوي.

والتداوي لا ينافي التوكل متىٰ اعتقد المريض أنَّه سبب عادي، وأنَّ الشِّفاء بيد الله سبحانه وتعالىٰ.

نعمْ، من قوي يقينُه وقدر علىٰ التوكُّل المطلق بترك التداوي كان من جملة السَّبعين ألفًا الذين يدخلون الجنةَ بغير حساب، كما في الحديث الصَّحيح، وهذا مقامٌ خاصٌّ لا يناله كل أحدٍ، ولا ينبغي أن يُتخذ مبدًا عامًا يُطبَّق علىٰ جميع النَّاس.

الثالث: إثبات الطب الرُّوحي، فإنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم عالج الصَّبي بالنفث والكلام، وكان يرقي نفسه وسبطيه الحسن والحسين عليهما السلام بمعوذاتٍ من القرآن والدَّعوات.

وثبت في الصَّحيح أنَّ أبا سعيد الخدري رقىٰ رجلًا لدغته عقربٌ بالفاتحةِ، فبريءَ في الحال، وكان لبعض الصحابة رُقىً يرقون بها عرضوها علىٰ النَّبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فأقرَّها.

وقال: «**حصِّنوا أموالكم بالزَّكاة، وداووا مرضاكم بالصَّدقة، وأعدُّوا للبلاء والدعاء**». رواه الطبراني وغيره، وله طرقٌ بيَّنها شقيقُنا الحافظ أبو الفيض السَّيد أحمد في رسالة "الزواجر المقلقة لمن أنكر التداوي بالصدقة".

ومن محاسن الدِّين الإسلامي: أنَّه جمع بين الماديَّات والروحيَّات، ولم يهمل واحدة منها، وإنْ غلَّب جانب الروحيات؛ لأنَّها أشملُ وأقوىٰ وأهمُّ وأبقىٰ، فأطباء العقاقير والحقن الذين ينكرون الطب الروحي جاهلون بمنافعه،

غافلون عمَّا فيه من قوةٍ مستمدةٍ من قوة الله، والالتجاء إلى جانبه الأقدس.

الرابع: جواز أخذ الأجرة على العلاج، فإنَّ النَّبيَّ ﷺ أخذ الشَّاة من المرأة نظير علاج ابنها.

وثبت في حديث أبي سعيد أنَّه وأصحابه أخذوا من اللَّديغ غنمًا في نظير الرقية بالفاتحة، وعرضوا الأمر على النَّبيِّ ﷺ فأقرَّهم، وقال: «**اضربوا لي معكم بسهمٍ**»؛ لأنَّ الفاتحة التي رقوا بها اللَّديغ عنه تلقَّوها، ومن طريقه عرفُوها.

الخامس: استحباب الرِّفق بأهل المريض، وعدم إرهاقهم بأخذ أجرٍ كبيرٍ، ربما لا تحتمله حالتهم المالية؛ لأنَّ المرأة قدمت للنَّبيِّ ﷺ ثلاثَ شياهٍ فأخذ منها شاةً وترك لها اثنتين رفقًا بها وإحسانًا إليها، ولأنَّ العلاجَ ينبغي أنْ تغلب فيه الناحية الإنسانية على الناحية المادية، وقد كان عبد الملك بن أبجر الحافظ الثقة طبيبًا يعالج النَّاس بدون أجرٍ.

قال العجلي: كانت به قرحة لو كانت بالبعير ما أطاقها، فكانوا إذا سألوه عنها؟ قال: ما أرضاني عن الله عزَّ وجلَّ!

فأين هذا من أطباء اليوم الذين يشترطون في العلاج مبلغًا معينًا، لا ينتقل أحدهم من عيادته حتى يأخذه، ولو كان المريض في سياق الموت؟!.

السادس: أنَّ المعجزة تحصل بطلب النَّبيِّ واختياره؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ أمر يَعلَى أنْ يأمرَ الشَّجرتين بالاجتماع فاجتمعتا، ثم بالافتراق فافترقتا، وقد تحصل بغير طلبه ولا باختياره، كما حصل في الشَّجرة التي جاءت تُسلِّم عليه وهو نائمٌ.

وأما قوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْآيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾[الأنعام: ١٠٩]، فإنَّه

نزل للردِّ على المشركين الذين طلبوا الآيات على سبيل العناد، فلم يشأ الله أنْ يسترسل النَّبيُّ ﷺ معهم فيما يطلبون؛ لأنَّهم لا يقصدون الإيمان، فقال: ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّمَا ٱلْأَيَٰتُ﴾ التي يطلبونها ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ يبعثها الله حيث شاء وكيف شاء، لا على حسب رغبتكم، وإنما أنا نذيرٌ.

ولهذا عدَّد الله سبحانه وتعالى الآياتِ التي طلبوها، مخبرًا بأنَّه لو فعلها ما آمنوا، فقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام: ١١١] ولو أرسلَ الآيات كما اقترحوا ثمَّ لم يؤمنوا، لكان لا بُدَّ من إهلاكهم كما أهلك من قبلهم، حين كذَّبوا بعد الآيات ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الفتح: ٢٣]، لكن سبق علم الله بإمهالهم فلهذا لم يرسل الآيات التي طلبوها، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْأَيَٰتِ﴾ التي طلبها مشركو مكَّةَ، ﴿إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الإسراء: ٥٩]، فأهلكناهم ولو كذَّب بها هؤلاء لأهلكناهم - أيضًا -، لكن سبق علمنا بإمهالهم حتى يتمَّ أمرك، وهم كارهون، ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٩]، فتبيَّن من هذا أنَّ الذين يستدلون بالآيتين المذكورتين على عدمِ وقوعِ معجزةٍ كونيةٍ من النَّبيِّ ﷺ، جهلةٌ مُلْحِدون.

السابع: أنَّ الجمادات والحيوانات تعرف أنَّه رسول الله؛ لأنَّ الشَّجرتين ائتمرتا بأمره، والشَّجرة الثالثة استأذنت ربها في زيارته، والجمل جاء يشكو إليه، وفي رواية الطبراني زيادة قوله ﷺ: «**ما من شيءٍ إلَّا يعلم أنِّي رسول الله،**

إلَّا كفرة أو فسقة الجن والإنس»، وهذا يوافق قوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]، فمن يتأتىٰ منه التسبيح يتأتىٰ منه العلم بالرسالة، وصرف الكلام عن ظاهره لا داعي إليه، لا سيما والعقل لا يحيل ذلك، وقدرة الله واسعةٌ.

الثامن: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يعرف لغة الحيوانات؛ لأنَّه فهم من الجمل شكواه، ولا عجب في ذلك، فإنَّ الله تعالىٰ أخبر في القرآن عن سليمان عليه السلام أنَّه قال: ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ [النمل: ١٦]، وأنَّه فهم كلامَ النَّملة، ولا شكَّ أنَّ النَّبيَّ ﷺ أفضل من سليمان.

وقد نصَّ العلماءُ علىٰ أنَّه ما من نبيٍّ أوتي معجزة إلَّا أوتي نبينًا مثلها أو أكبر منها، وقد زاد نبينا علىٰ سليمان عليهما الصَّلاة السَّلام بمعرفة لغة الجماد والنبات، فقد ثبت في الصَّحيح أنَّ حجرًا كان يُسلِّم علىٰ النَّبيِّ ﷺ بالرسالة في مكَّة، وثبت في الصَّحيح أنَّ شجرةً أعلمت النَّبيَّ ﷺ بحضور الجن ليلةَ قرأ عليهم القرآنَ، وثبت في الصَّحيح - أيضًا - أنَّ الصَّحابة كانوا يأكلون مع النَّبيِّ ﷺ وهم يسمعون تسبيح الطَّعام، والله أعلم.

قصةُ الخضر عليه السلام مع السائل

عن أبي أُمامةَ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «ألا أحدثكم عن الخَضِر؟»، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «بينا هو ذاتَ يومٍ يمشي في سوق بني إسرائيل، أبْصره رجلٌ مكاتَبٌ فقال: تصدَّق عليَّ بارك الله فيك، فقال الخضر: آمنت بالله ما شاء الله من أمرٍ يكون ما عندي شيء أُعطِيكَهُ، فقال المسكين: أسألك بوجه الله لما تصدقت عليَّ فإنِّي نظرت السَّماحةَ في وجهِك ورجوت البركة عندَك، فقال الخضر: آمنت بالله ما عندي شيءٌ أعطيكه إلَّا أنْ تأخذَني فتبيعَني، فقال المسكين: وهل يستقيم هذا؟

قال: نعم، الحقُ أقول: لقد سألتَني بأمرٍ عظيمٍ أمَا إنِّي لا أخيِّبُك بوجه ربي، بعني قال: فقدَّمه إلى السَّوق فباعه بأربعِ مئة درهم، فمكث عند المشتري زمانًا لا يستعمله في شيءٍ فقال له: إنَّك إنما اشتريتني التماس خيرٍ عندي فأوصني بعملٍ، قال: أكره أنْ أشقَّ عليك إنَّك شيخٌ كبيرٌ ضعيفٌ.

قال: ليس يشقُّ عليَّ قال: فقم فانقل، خذ فانقل هذه الحجارة - وكان لا ينقلها دونَ ستةِ نفرٍ من يوم -، فخرج الرجل لبعض حاجته ثمَّ انصرف وقد نقل الحجارة في ساعةٍ، فقال: أحسنتَ وأجملتَ وأطقتَ ما لم أركَ تطيقه.

قال: ثمَّ عرض للرجل سفر، فقال: إنِّي أحسبك أمينًا فاخلفني في أهلي خلافة حسنة، قال: فأوصني بعملٍ، قال: إنِّي أكره أنْ أشقَّ عليك، قال: ليس يشقُّ عليَّ، قال: فاضرب من اللبن لبيتي حتى أقدم عليك، قال: فمضى الرجل لسفره فرجع الرَّجل، وقد شيَّد بناءه.

فقال: أسألك بوجه الله ما سببك وما أمرك؟ قال: سألتني بوجه الله، ووجه الله أوقعني في العبوديَّة.

فقال الخضر: سأخبرك من أنا؟ أنا الخضر الذي سمعت به، سألني مسكينٌ صدقةً فلم يكن عندي شيء أعطِيَه، فسألني بوجه الله فأمكنته من رقبتي فباعني، وأخبرك: أنَّه من سُئل بوجه الله فردَّ سائِله وهو يقدر، وقف يوم القيامة جلده ولا لحم له، يتقعقع فقال الرجل: آمنت بالله شققت عليك يا نبيَّ الله، ولم أعلم فقال: لا بأس أحسنت وأتقنت، فقال الرجل: بأبي أنت وأمي يا نبيَّ الله، احكم في أهلي ومالي بما شئت، أو اخترْ فأخلِّي سبيلك، قال: أحبُّ أنْ تُخلِّي سبيلي فأعبد ربي، فخلى سبيله، فقال الخضر: الحمد لله الذي أوثقني في العبوديَّة ثمَّ نجَّاني منه». رواه الطبراني وغيره.

قال الحافظ المنذري: وحسَّن بعض مشايخنا إسناده وفيه بُعدٌ. اهـ.

قلت: لأنَّ فيه بقيَّة، وهو مُدلِّسٌ.

الشرح: أبو أُمامة[1] بضم الهمزة، اسمه صُدَي - بالتصغير-، ابن عَجْلان بفتح الغين وسكون الجيم، الباهلي صحابيٌّ فاضلٌ، حصلت له كرامةٌ حين بعثه النَّبيُّ ﷺ إلى قومه.

فروى الطبراني وأبو يعلى والبيهقي في "الدلائل" بإسنادٍ حسنٍ، من طريق أبي غالب عن أبي أُمامة، قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى قومي، فانتهيت إليهم وأنا طاوٍ، وهم يأكلون الدَّم، فقالوا: هلمَّ، قلت: إنما جئت لأنهاكم عن هذا الطَّعام، وأنا رسولُ رسولِ الله إليكم، أتيتكم لتؤمنوا به، فكذَّبوني وزَبروني وأنا جائعٌ ظمآنٌ، قد بَراني جهدٌ شديدٌ فنمتُ، فأتاني آتٍ بشربة لبنٍ فشربت ورويت وعظم بطني، ثمَّ قال لهم رجلٌ منهم: أتاكم رجلٌ من سراة

---

(١) وكثير من الخطباء ينطقونه بفتح الهمزة وهو خطأ.

قومكم لم تتحفوه فأتوني بلبن، فقلت: لا حاجة لي به وأريتُهم بطني، فأسلموا عن آخرهم.

قال ابن حِبَّان: كان أبو أُمامة مع عليٍّ بصفين. اهـ.

ومات سنة ست وثمانين، وله ست ومائة سنة.

والخضر اسمه بليا بن ملكان بن نافع بن عابر بن شالخ بن أرفشخذ بن سام بن نوح، فهو ابن عم جد إبراهيم عليه السلام، وكنيته أبو العباس.

وسبب تلقيبه بالخضر: ما جاء في الصَّحيح عن أبي هريرة عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**إنما سُمِّي الخضر؛ لأنَّه جلس على فروةٍ بيضاء، فإذا هي تهتز من خلفه خضراء**».

والفروة: أرض بيضاء لا نبات فيها، وهو المراد بقوله تعالى عن موسى وفتاه يوشع ابن نون: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [الكهف: ٦٥]، هكذا جاء مفسرًا عن النَّبيِّ ﷺ في "الصحيحين" وغيرهما من طرق.

ومبتدعةُ هذا العصر لا يقبلون هذا التفسير، ويقولون: إنَّ القرآن لم يُعيِّن فتى موسى ولا العبد الذي وجداه فنحن لا نعينهما؟!.

وكأنَّهم يعترضون على رسول الله ﷺ حيث أقدم على تعيين شيء لم يعينه الله!، وإنَّ تعجب فعجبٌ من الشَّيخ محمد محمد المدني الذي عمد في كتابته عن قصة موسى والخضر عليهما السلام إلى تفنيد الحديث الوارد فيها، وهو في الكتب السِّتة وغيرها من طرق، ثمَّ عقَّب برأيه المتكلّف الفاسد، ولم يبدِ من حُجَّةٍ في تفنيد الحديث إلَّا إطلاق لفظ الروايات عليه، حيث قال: جاء في

الروايات!، وتقول الروايات!، ولعلَّه يعتقد أنَّ إطلاق لفظ «الروايات» عذر كاف عند الله في ترك الأحاديث الصَّحيحة وإهدار جانبها!.

ثمَّ إنَّ الخضر معمّرٌ محجوبٌ عن الأبصار كما قال التعلبي في "تفسيره".

وقال ابن الصَّلاح: هو حيٌّ عند جمهور العلماء، والعامَّة معهم في ذلك، وإنما شذَّ بإنكاره على المحدثين. اهـ

وتبعه النووي وزاد: أنَّ حياته متفقٌ عليها بين الصُّوفيَّة وأهل الصَّلاح، وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به أكثر من أنْ تحصر. اهـ

قال الحافظ: والذي جزم بأنَّه غير موجودٍ الآن البخاري، وإبراهيم الحربي، وأبو جعفر بن المنادى، وأبو يعلى بن الفراء، وأبو طاهر العبادي، وأبو بكر بن العربي وطائفة، وعمدتهم الحديث المشهور عن ابن عمر وجابر وغيرهما، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال -في آخر حياته-: «**لا يبقى على وجه الأرض بعد مئة سنةٍ، ممن هو عليها اليوم أحدٌ**».

قال ابن عمر: أراد بذلك انخرام قرنه، وأجاب من أثبت حياته بأنَّه كان حينئذ على وجه البحر، أو مخصوص من الحديث كما خصَّ منه إبليس بالاتفاق. اهـ

وبالضرورة لم يقصد الحديث فناء العالم وانقراض الدنيا كما فهم بعض ملاحدة العصر لجهله، وبنى على ذلك أنَّ المحدِّثين يعتمدون على صحَّة السَّند فقط، وإنْ كان الحديث يخالف الواقع المشاهد، وإنما أراد الحديث انقراضَ ذلك القرن وانقطاعَ الصحابة حتى إذا ما ادعى أحدٌ أنَّه صحابي بعد المائة الأولى عرفنا أنَّه كاذبٌ.

وقد ادعىٰ صحبة النَّبيِّ ﷺ مُعمِّرون كذَّابون، كـ«رتن الهندي» وأمثاله، فكان هذا الحديث دليلًا علىٰ كذبهم.

قال الحافظ في "فتح الباري": وقد بين ابن عمر في هذا الحديث مراد النَّبيِّ ﷺ، وأنَّ مراده أنَّ عند انقضاء مائة سنة من مقالته تلك ينخزم ذلك القرن، فلا يبقىٰ أحدٌ ممن كان موجودًا حال تلك المقالة، وكذلك وقع بالاستقراء فكان آخر من ضبط أمره ممن كان موجودًا حينئذٍ أبو الطفيل عامر ابن واثلة، وقد أجمع أهل الحديث علىٰ أنَّه كان آخر الصَّحابة موتًا.

وغايةُ ما قيل فيه: إنَّه بقي إلىٰ سنة عشر ومائة، وهي رأس مئة سنة من مقالة النَّبيِّ ﷺ والله أعلم.

قال النووي وغيره: احتجَّ البخاري - ومن قال بقوله -، بهذا الحديث علىٰ موت الخضر، والجمهور علىٰ خلافه، وأجابوا عنه بأنَّ الخضر كان حينئذ من ساكني البحر فلم يدخل في الحديث، قالوا: ومعنىٰ الحديث «لا يبقى» ممن ترونه أو تعرفونه، فهو عامٌّ أريد به الخصوص.

وقيل: احترز بالأرض عن الملائكة.

وقالوا: خرج عيسىٰ من ذلك وهو حيٌّ؛ لأنَّه في السماء لا في الأرض، وخرج إبليس؛ لأنَّه علىٰ الماء أو في الهواء.

وأبعد من قال: إنَّ «اللام» في «الأرض» عهديَّة، والمراد أرض المدينة.

والحقُّ: أنَّها للعموم وتتناول جميع بني آدم.

وأمَّا من قال: المراد أُمَّة محمَّدٍ سواء أمة الإجابة وأمة الدعوة، وخرج عيسىٰ والخضر؛ لأنَّهما ليسا من أمته، فهو قولٌ ضعيفٌ؛ لأنَّ عيسىٰ يحكم

بشريعت،ه فيكون من أمته، والقول في الخضر إن كان حيًا كالقول في عيسىٰ والله أعلم. اهـ كلام الحافظ بن حجر.

نقلته بتمامه لما فيه من الفوائد، والبحوث المتعلِّقة بالخضر كثيرة، نكتفي منها بما كتبناه.

«**رجلٌ مكاتبٌ**»: من الكتابة وهي أنْ يتفق السَّيد مع عبده أنْ يؤدِّي له مالًا منجَّمًا علىٰ أقساطٍ، ويكتب العبد علىٰ سيده كتابًا، أنَّه إذا أدَّىٰ المال كان حرًّا، فالعبد مُكَاتبٌ بفتح التاء وكسرها وكذلك السَّيد؛ لأنَّ المكاتبة مفاعلةٌ بينهما.

والمكاتبة بهذا المعنىٰ: اسمٌ إسلاميٌّ كما قال الأزهري في "التهذيب".

و«**اللبِن**»: بكسر الباء، الطوب الذي يبنىٰ به، الواحدة لبنة.

المعنى: اشتمل هذا الحديث علىٰ معجزتين للخضر عليه السلام:

إحداهما: نقله الحجارة في ساعةٍ مع أنَّه كان لا ينقلها أقل من ستةِ نفرٍ في يومٍ.

ثانيتها: ضرب اللبنِ وتشييد البناءِ في مدةٍ لا تتسع لذلك بحسب المعتاد.

ولا غرو أنْ يعطىٰ هاتين المعجزتين فإنَّه إلىٰ جانب النبوَّة التي أكرمه الله بها باع نفسه في الله وعرَّضها للعبودية؛ لئلَّا يرد سائلًا رجا الخير عنده، وسأله بوجه الله، فشكر الله صنيعه، وأطلقه من وثاق الرِّق إلىٰ ميدان الحرية ليواصل عبادة مولاه، ويتفرَّغ لمشاهدة عظمته وسناه، وهكذا الطاعات تنجي من الآفات، وصنائع المعروف تقي مصارع السُّوء.

ما يستفاد من الحديث

يستفاد منه أمور:

الأول: جواز دخولُ الأسواق وأماكنِ التجارةِ، وقد كان النَّبيُّ ﷺ يدخل السُّوق بمكَّة والمدينة، وكذلك الصَّحابة، ولما عيَّر المشركون النَّبيَّ ﷺ بدخول الأسواق ﴿وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧]، ردَّ الله عليهم بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠].

وأمَّا حديث: «**أحبُّ البقاع إلى الله المساجد، وأبغض البقاع إلى الله الأسواق**».

رواه أحمد، والبزَّار، وصحَّحه الحاكم من حديث جبير بن مطعم.

وقال الحافظ: إسناده حسنٌ، فهو محمولٌ علىٰ الغالب لما يحصل غالبًا في الأسواق من الأَيْمان، وكثرة الصخب والغفلة، ولهذا ورد الحث علىٰ الذِّكر في الأسواق ومواطنِ الغفلة.

ففي "سنن الترمذي" بإسنادٍ حسنٍ عن عمر رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ فقال: «**من دخل السُّوقَ فقال: لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت وهو حيٌّ لا يموت، بيده الخير وهو على كلِّ شيءٍ قدير، كتب الله له ألفَ ألفَ حسنةٍ، ومحا عنه ألفَ ألفَ سيئةٍ** – يعني من الصغائر – **ورفع له ألفَ ألفَ درجةٍ**».

وروىٰ البزار والطَّبراني بإسنادٍ لا بأس به عن ابن مسعود رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**ذاكرُ الله في الغافلين، بمنزلة الصَّابرِ في الفارِّين**».

قال ابن العربي المعافري المالكي في "الأحكام": لما كثُر الباطل في الأسواق وظهَرت فيها المناكر، كرَّه علماؤنا دخولها لأرباب الفضل والمهتدي بهم في الدِّين تنزيهًا لهم عن البقاع التي يعصىٰ الله فيها.

قال: وأمَّا أكل الطَّعامِ فضرورة الخلق، لا عار ولا درك فيها، وأمَّا الأسواق فسمعت مشيخةَ العلم يقولون: لا يدخل إلَّا سوقَ الكتبِ والسِّلاحِ، وعندي أنَّه يدخل كل سوقٍ للحاجة إليه، ولا يأكل فيه، فإنَّ ذلك إسقاطٌ للمروءة، وهدمٌ للحشمة، ومن الأحاديث الموضوعة علىٰ رسول الله ﷺ: «الأكل في السوق دناءةٌ». وهو حديثٌ موضوعٌ، لكن رويناه من غير طريقٍ، ولا أصل له في الصِّحة ولا وصف. اهـ

قلت: هذا الحديث رواه لوين، والطبراني، وابن عدي، والعقيلي من طريق عمر بن موسىٰ الوجيهي، عن القاسم، عن أبي أُمامة.

وعمر الوجيهي: كان يضع الحديث، كما قال ابن عَدي، وقال ابن مَعِين: ليس بثقةٍ، ولم يثبت في هذا الباب شيء كما قال العقيلي.

وحديث: «الأكل والنوم عورتان فاستورهما»، لا أصلَ له، ومن طريف ما يحكىٰ في هذا أنَّه شوهد من يأكل في الطريق فليمَ، فقال: تاقت نفسي للأكل ومعي خبز فلا أمطُلُها؛ لأنَّ مُطل الغنىٰ ظلمٌ.

وفي "سنن" الترمذي، وابن ماجه عن ابن عمر قال: كنا نأكل علىٰ عهد رسول الله ﷺ، ونحن نمشي ونشرب ونحن قيام، صحَّحه الترمذي.

الثاني: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يحدث أصحابه بقصص الأنبياء والصَّالحين، لما فيها من العِبر الدَّاعية إلىٰ تهذيب النُّفوس، وتزكية الأخلاق، وتطهير القلوب،

وقد قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[يوسف: ١١١] أي: العقول.

الثالث: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يستأذنُ أصحابَه في أنْ يحدِّثهم، «**ألَا أُحدِّثكم عن الخضر؟**»، حرصًا منه على إيناسهم، وترغيبًا لهم في سماع ما يلقيه عليهم، ليحفظوه وينتفعوا به في أنفسهم ويبلِّغوه غيرهم من باقي أفراد الأمة، امتثالًا لقوله ﷺ: «**ليبلِّغ الشَّاهد منكم الغائب**».

الرابع: أنَّ السؤال بوجه الله عظيمٌ، لا ينبغي لمن سئل به أنْ يرد السَّائل خائبًا، بل يعطيه ما يتيسر، فهذا الخضر باع نفسه في سبيل هذا السؤال.

ويَظهر أنَّ هذا كان جائزًا في شريعته، أمَّا في شريعتنا فلا يجوز للإنسان أنْ يبيع نفسه أو أحدًا من أولاده، بل لا يجوز له أنْ يتزوَّج الأمةَ المملوكة لغيره؛ لئلَّا يعرِّض ذريته للاسترقاقِ، وقد ورد التشديد في السؤال بوجه الله.

وفي منع السائل إذا سأل به، ففي "معجم الطبراني" بإسنادٍ جيِّدٍ عن أبي موسى الأشعري – واسمه عبدالله بن قيس – أنَّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**ملعونٌ من سَأل بوجهِ الله، وملعونٌ من سُئل بوجهِ الله، ثمَّ مَنع سائله ما لم يسأل هُجْرًا**».

و«**الهُجْر**»: بضم الهاء وسكون الجيم: القبيح.

وفي "سنن الترمذي" بإسنادٍ حسنٍ عن ابن عبَّاس، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**ألا أخبركم بشرِّ النَّاسِ؟ رجلٌ يُسئَل بوجه الله ولا يُعطِي**» .

«**يُسْئَل**» بضم الياء وفتح الهمزة، و«**يُعطِي**» بضم الياء وكسر الطاء.

الخامس: أنَّ الخضر نبيٌّ، وهو قول أكثر أهل العلم، حكاه عنهم البغوي،

وابن عطيَّة، وحكاه القرطبي، وأبو حيَّان في "تفسيرَيهما" عن الجمهور.

وقال الثعلبي: هو نبيٌّ على جميع الأقوال.

وذهب جماعةٌ من الصُّوفيَّة إلى أنَّه وليٌّ، وهو قول أبي القاسم القُشَيْري في "الرسالة"، وبه قال أبو علي بن أبي موسى من الحنابلة، وأبو بكر بن الأنباري في كتابه "الزاهر" بعد أنْ حكى عن العلماء قولين، هل هو نبيٌّ؟ أو وليٌّ؟.

وحكى الماوردي قولًا ثالثًا: أنَّه مَلَكٌ من الملائكة، يتصور في صورة الآدميين.

وقال الحافظ أبو الخطابِ ابن دحية: لا ندري هل هو مَلَكٌ أو نبيٌّ أو عبدٌ صالحٌ؟.

والصَّحيح أنَّه نبيٌّ لأمور:

أحدها: تصريح هذا الحديث الذي نتكلَّم عليه بنبوَّته.

ثانيها: أنَّ الله حكى عنه قوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِىٓ﴾[الكهف: ٨٢]، أي: بل فعلته بوحيٍ كما هو الظَّاهر.

ثالثها: أنَّ موسى عليه السلام ذهب يطلبه ويتعلَّم منه، وغير النَّبيِّ لا يكون أعلم من النَّبيِّ، وكيف والنَّبيُّ يوحى إليه؟!.

رابعها: أنَّ الخضر عليه السلام خرق السَّفينة، وقتل الغلام، وهذان أمران عظيمان لا يمكن أنْ يقدم عليهما بمجرَّد الإلهام الذي يلقى في قلوب الأولياء.

خامسها: ما رواه عبْدُ بن حميد من طريق الربيع ابن أنس، قال: قال موسى لما لقي الخضر: السَّلام عليك يا خضر، فقال: وعليك السَّلام يا موسى، قال: وما يدريك أنِّي موسى، قال أدراني بك الذي أدراك بي.

وقال وهب بن منبه في "المبتدأ": قال الله تعالىٰ للخضر: لقد أحببتُك قبل أنْ أخلقَك، ولقد قدستُك حين خلقتُك، ولقد أحببتُك بعد ما خلقتُك.

وروي عن مكحولٍ عن كعب الأحبار قال: أربعةٌ من الأنبياء أحياءٌ أمانٌ لأهل الأرض اثنان: في الأرض الخضر وإلياس، واثنان: في السماء إدريسٌ وعيسىٰ.

وقال أبو حيان: والجمهور علىٰ أنَّه نبيٌّ، وكان علمه معرفة بواطن أوحيت إليه، وعلَّم موسىٰ الحكم بالظَّاهر. اهـ.

ثمَّ هل كان رسولًا أو لا؟ جاء عن ابن عبَّاس ووهب بن منبه: أنَّه كان نبيًّا غير مرسلٍ، وهو قول الجمهور كما تقدَّم في كلام أبي حيان آنفًا.

وجاء عن إسماعيل بن أبي زياد، ومحمد بن إسحاق وبعض أهل الكتاب، أنَّه أرسل إلىٰ قومه فاستجابوا له، ونصر هذا القول أبو الحسن الرماني وابن الجوزي، والأول أصحُّ والله أعلم.

تنبيهٌ: رأيت أنْ أختم شرح هذا الحديث بوصيَّة الخضر لموسىٰ عليهما السلام.

قال الطبراني في "المعجم الأوسط": حدَّثنا محمد بن المعافىٰ: حدَّثنا زكريا ابن يحيىٰ الوقَّار قال: قرئ علىٰ عبدالله بن وهب وأنا أسمع: قال الثوري، قال: مجالد، قال: الوداك، قال: أبو سعيد، قال: عمرُ بن الخطاب، قال رسول الله ﷺ: «**قال أخي موسى عليه السلام: يا ربِّ أرني الذي كنت أريتني في السَّفينة، فأوحى الله إليه: يا موسى إنَّك ستراه، فلم يلبث إلَّا يسيرًا حتى أتاه الخضر، وهو فتى طيب الريح، حسن بياض الثِّياب، مشمرها.**

فقال: السلام عليك ورحمة الله وبركاته، يا موسى بن عمران، إنَّ ربَّك يقرأ

عليك السَّلام، قال موسى: هو السَّلام، وإليه السَّلام، ومنه السَّلام، والحمد لله رب العالمين الذي لا أحصي نعمَهُ، ولا أقدر على أداء شكرِه إلَّا بمعونته، ثمَّ قال موسى: أريد أنْ توصيني بوصيةٍ ينفعني الله بها بعدك.

قال الخضر: يا طالب العلم إنَّ القائلَ أقل ملالةً من المستمع، فلا تُمِل جلساءك إذا حادثتهم، واعلم أنَّ قلبك وعاءٌ، فانظر ماذا تحشو به وعاءَك، واعزف عن الدنيا وانبذها وراءك، فإنَّها ليست لك بدارٍ، ولا لك بها محل قرار، وإنما جعلت بلغة للعباد، والتزود منها للمعاد، ورضِّ نفسك على الصَّبر، تخْلُص من الإثم.

يا موسى تفرَّغ للعلم إنْ كنت تريده، فإنَّما العلم لمن تفرَّغَ له، ولا تكن مكثارًا، بالمنطق مهذارًا، فإنَّ كثرة المنطق تشين العلماءَ، وتبدي مساوي السخفاءَ، ولكن عليك بالاقتصاد فإنَّ ذلك من التوفيق والسَّداد.

واعرض عن الجهال وباطلِهم، واحلم عن السُّفهاء، فإنَّ ذلك فضل الحكماء، وزين العلماء، وإذا شتمك الجاهل فاسكت عنه حلمًا، وجانبه حزمًا، فإنَّ ما بقي من جهله عليك، وسبه إيَّاك، أكثر وأعظم، يا ابن عمران، ولا ترى أنك أوتيت من العلم إلَّا قليلًا، فإنَّ الاندلاثَ والتعسفَ، من الاقتحامِ والتكلفِ.

يا ابن عمران: لا تفتحنْ بابًا لا تدري ما غلقُه، ولا تغلقنْ بابًا لا تدري ما فتحه.

يا ابن عمرانَ: من لا تنتهي من الدنيا نهْمَته، ولا تنقضي عنها رغْبَته، كيف يكون عابدًا؟! ومن يحقر حاله، ويتهم الله فيما قضى له، كيف يكون زاهدًا؟! هل

يكف عن الشَّهوات من غلب عليه هواه؟! أو ينفعه طلب العلم والجهلُ قد حواه؟!؛ لأنَّ سفره إلى آخرته وهو مقبلٌ على دنياه، يا موسى: تعلَّم ما تعلَّمت لتعمل به، ولا تعلَّمه لتحدِّث به، فيكون عليك بواره، ولغيرك نوره.

يا موسى بن عمران: اجعل الزُّهدَ والتقوى لباسَك، والعلمَ والذِّكرَ كلامَك، واستكثر من الحسنات، فإنَّك تصيب السَّيئات.

وزعزع بالخوف قلبك، فإنَّ ذلك يرضي ربك، واعمل خيرًا، فإنَّك لا بُدَّ عاملٌ سوءًا قد وُعِظت إنْ حفظت، فتولَّى الخضر وبقي موسى حزينًا مكروبًا يبكي».

قال الحافظ نور الدين الهيثمي في "مجمع الزوائد": زكريا بن يحيىٰ الوقار ضعَّفه غير واحدٍ، وذكره ابن حبَّان في "الثقات"، وذكر أنَّه أخطأ في وصله، والصَّواب فيه عن سفيان أنَّ رسول الله ﷺ قال، وبقيَّة رجال الحديث وثقوا.اهـ

قلت: وروىٰ ابن عدي هذا الحديث في ترجمة زكريا الوقَّار بإسناده السَّابق، ثمَّ رواه من طريق أبي الطاهر، والحارث بن مسكين، عن ابن وهب، عن الثَّوري، عن مجالد، عن النَّبيِّ ﷺ ولم يذكر أبا الودَّاك ولا أبا سعيد، فالحديث معضلٌ ضعيفٌ.

وهو مشتملٌ علىٰ وصيةٍ فيها مواعظ وحكم ورقائق، بحيث يصح أنْ يُعد دستورًا يَرجع إليه العالم والمتعلِّم، والخطيب والمحاضر، والزَّاهد والمتعبِّد وغيرهم، والله أعلم.

قصة الملك الذي ترك ملكه

عن عبدالله بن مسعودٍ، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «إنَّ بني إسرائيل استخلفوا خليفةً عليهم بعد موسى صلى الله عليه وآله وسلم، فقام يُصلِّي ذات ليلة فوق بيت المقدس في القمر، فذكر أمورًا كان صنعها فخرج فتدلَّى بسببٍ، فأصبح السَّبب معلقًا في المسجد وقد ذهب».

قال: «فانطلق حتى أتى قومًا على شطِّ البحرِ فوجدهم يضربون لبنًا، أو يصنعون لبنًا، فسألهم كيف تأخذون على هذا اللَّبِن؟».

قال: «فأخبروه فلبَّن معهم فكان يأكل من عمل يده، فإذا كان حين الصَّلاة قام يُصلِّي فرفعَ ذلك العمالُ إلى دُهْقانهم، أنَّ فينا رجلًا يفعل كذا وكذا فأرسل إليه، فأبى أنْ يأتيه ثلاثَ مراتٍ، ثمَّ إنَّه جاء يسير على دابته فلما رآه فرَّ فاتَّبَعه فسبقه، فقال: انتظرني أكلمك، فقام حتى كلَّمه فأخبره خبره، فلما أخبره أنَّه كان ملكًا وأنَّه فرَّ من رهبةِ ربه قال: إنِّي لأظنني لاحقًا بك»، قال: «فاتبعه فعبدا الله حتى ماتا برُمَيلةِ مصر».

قال عبدالله: لو أنِّي كنت ثمَّ لاهتديت إلى قبريهما بصفة رسول الله ﷺ التي وصف لنا.

رواه البزَّار، والطبراني في "الكبير"، و"الأوسط"، وإسناده حسن.

ورواه أحمد وأبو يعلى ولفظ روايتهما: «بينما رجلٌ فيمن كان قبلكم كان في ملكه فتفكَّر فعلم أنَّ ذلك منقطعٌ عنه، وأنَّه قد شغَله عن عبادة ربه عزَّ وجلَّ، فتسرَّب فانساب ذات ليلةٍ من قصره، فأصبح في مملكة غيره، فأتى ساحل البحر فكان به يضرب اللَّبِن بالأجر ويأكل ويتصدَّق بالفضل، فلم يزل كذلك

حتى رقى أمره إلى ملكهم، وعبادته وفضله، فأرسل إليه ملكَهم أنْ يأتِيَ، فأبى ثمَّ أعاد عليه فأبى أنْ يأتيَهُ.

وقال: ما لي وما له؟».

قال: «فركب الملك، فلما رآه ولَّى هاربًا، فلما رأى ذلك الملك ركض في أثره فلم يدركه».

قال: «فناداه يا عبدالله إنَّه ليس عليك مني بأس فأقام حتى أدركه، فقال له: من أنت رحمك الله؟ قال: أنَّا فلان بن فلان صاحب ملك كذا وكذا، تفكَّرت في أمري فعلمت أنَّ ما أنا فيه منقطعٌ، وأنَّه قد شغلني عن عبادة ربي، فتركته وجئت هاهنا أعبد ربي عزَّ وجلَّ. قال: ما أنت بأحوجَ إلى ما صنعت مني».

قال: «ثمَّ نزل عن دابته وسيبها، فتبِعَه فكانا جميعًا يعبدان الله عزَّ وجلَّ، فدعوا الله أنَّ يميتهما جميعًا».

قال عبدالله: لو كنت برميلة مصر لأريتكم قبورَهما بالنعت الذي نعتَ لنا رسول الله ﷺ.

الشرح:

«اللَّبِن» بكسر الباء: ما يعمل من الطين ويبنى به، الواحدة لبنة، ولبَّن - بتشديد الباء المفتوحة - صنع اللَّبِن.

«السبب»: الحبل الذي يتدلَّى به.

«الدِهْقان» بكسر الدَّال أو ضمها وسكون الهاء: كبير القرية والمقدَّم فيها، ولهذا سمي ملكًا في الرواية الثانية.

«رُمَيلة» بضم الراء وفتح الميم: مواضع تسمى بهذا الاسم، منها موضع

بمصر وهو الذي جاء في الحديث.

المعنى: هذان الملكان تفكَّرا في أمرهما، ونظرا فيما حولهما، فوجدا أنَّ ما هما فيه من جاهٍ ورياسةٍ، وسعة المعيشة، ونفوذ الكلمة، ظلٌّ زائلٌ، وسرابٌ خداعٌ، سرعان ما يذهب وتبقى عليهما تبعته، يؤديان حسابها كاملًا عند الله يوم القيامة، فتركا ملكهما وما كانا فيه وانقطعا إلى الله، يعملان بأيديهما ويعبدان ربهما، حتى أتتهما منيتهما راضيين مطمئنين، فرضي الله عنهما، وجزاهما عن صنيعهما خير الجزاء.

ما يستفاد من الحديث

يستفاد منه أمورٌ:

الأول: فضيلة التفكُّر والنَّظر في الأمور بعينِ الاعتبار، وأنَّ ذلك يؤتِي أحسن النتائجَ، وأطيبَ الثمراتِ، كما حصل لهذين الملِكَين حين تفكَّرا واعتبرا.

وحديث: «فكرة ساعة خيرٌ من عبادة ستين سنة». واهٍ شديد الضَعف بل قيل بوضعه.

الثاني: فضل الزُّهدِ في الدُّنيا والإقبال على الآخرة، وطلب ما عند الله من الثَّواب الدَّائم الذي لا ينقطع: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل: ٩٦].

وهذا أمرٌ معلومٌ بالضرورة، فإنَّ الآيات والأحاديث طافحةٌ بالتزهيد في الدُّنيا، والتقليل من شأنها، وكان رسول الله ﷺ يدعو إلى الزُّهد بمقاله وحاله وأعماله.

الثالث: أنَّ العمل في سبيل الحصول على القُوت الضَّروري لا ينافي الزُّهدَ، وإنما الذي ينافي الزُّهد هو التوسُّع في المآكل والمشارِب، والتلذُّذ بأنواع الملذَّات

المباحة من ملابسٍ ومركوباتٍ وغيرِ ذلك، مما تركه هذان الملكان واقتصرا على تحصيلِ قوتهما الذي لا بُدَّ منه في قوام البنية.

وكان داود نبي الله عليه السلام زاهدًا يأكل من عمل يده.

ومن زهَّاد الخلفاء عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم، فقد ضربوا في الزُّهد مُثلًا عُلْيا لا مطمع لأحدٍ بعدهم في الوصول إليها.

ولقد أحسن القائل في حقِّ عمر: وهو وصفٌ ينطبق عليهم جميعًا.

جوع الخليفة والدُّنيا بقبضتهِ ... في الزُّهد منزلة سبحان موليها

قصة الرجل الذي زار أخًا له في قرية

عن أبي هريرة عن النَّبيِّ ﷺ: «أنَّ رجلًا زار أخًا له في قريةٍ، فأرصد الله تعالى على مَدْرجته مَلكًا، فلما أتى عليه -أي أتى الرجل على المَلك- قال: أين تريد؟ قال: أريد أخًا لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمةٍ تُربّها؟ قال: لا. غيرَ أني أحببته في الله. قال: فإنِّي رسول الله إليك بأنَّ الله قد أحبَّك كما أحببتَه فيه». رواه مسلمٌ في "صحيحه".

الشرح:

«أَرْصَدَ»: أقعد.

«مَدَرْجته»: بفتح الميم والراء بينهما دال ساكنة.

«طريقه»: وكل طريق مدرجة؛ لأنَّ النَّاس يدرجون عليه.

«مَلَكٌ» بفتح اللام واحد: الملائكة وهم مخلوقون من نورٍ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمرون، ومن جوَّز المعصية عليهم -وهو قول كثير من الأشعريَّة- فقد وَهِمَ وهمًا فاحشًا.

«تُربّها» بضم الراء وتشديد الباء الموحدة: تقوم عليها، وتسعى في صلاحها عنده، وتنهض بسببها إليه، محبَّة الله للعبد ورضاه عنه، وإيصال الخير إليه.

المعنى: هذان أخوان تحابَّا في الله لا لغرضٍ آخرَ، وذهب أحدهما يزور صاحبه في قريته، فأقعد الله في طريقه مَلكًا يبشِّره بأنَّ الله قد أحبَّه ورضي عنه، جزاء حبِّه أخاه في الله، وتلك بشرى عظيمةٌ، ومنقبةٌ جليلةٌ، لا يظفر بها إلَّا الإخوان المتحابون المخلصون.

ما يستفاد من الحديث

يستفاد منه أمور:

الأول: فضل الأخوَّة في الله تعالىٰ والتحابب فيه، وهذا من أوثقِ عرىٰ الإيمان وأفضلِ أعماله، والأخوة وإنْ كانت مطلوبة بين جميع المؤمنين، كما قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

وقال رسول الله ﷺ: «**المسلم أخو المسلم**» فتلك أخوة عامَّة، مبعثها رابطة الدِّين، وثمرتها محو الفوارق العنصريَّة بين طبقات المسلمين.

والمذكور هنا أخوةٌ خاصَّةٌ، وهي التي تجمع بين شخصين أو أشخاص من نوعٍ خاصٍّ من العبادة، كذكر الله تعالىٰ أو مدارسة العلم، وتشتد هذه الأخوة حتىٰ تصير أقوىٰ من أخوة النَّسب.

فهذه هي المرادة هنا، وهي التي وردت فيها أحاديثَ كثيرةٍ، منها:

- حديث: «**ليبعثنَّ الله أقوامًا يوم القيامة في وجوههم النور، على منابر اللؤلؤ يغبطهم النَّاس، ليسوا بأنبياء ولا شهداء**». قال: فجثا أعرابيٌّ علىٰ ركبتيه. قال: يا رسول الله حلِّهم لنا لنعرفهم.

قال: «**هم المتحابون في الله من قبائل شتَّى وبلاد شتَّى، يجتمعون على ذكر الله يذكرونه**».

رواه الطبراني من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه وإسناده حسنٌ.

الثاني: أنَّ أخوَّة الشَّخصين في الله تستوجب محبَّة الله لهما، ورضاه عنهما؛ لأنَّهما لم يتآخيا علىٰ غرضٍ دنيوي، أو طمعٍ مادِّي، بل كان تآخيهما خالصًا لله تعالىٰ.

ثمَّ من كان حبه لأخيه أكثر، كان حب الله له كذلك؛ لحديث: «**ما تحاب**

رجلان في الله إلَّا كان أحبهما إلى الله عزَّ وجلَّ أشدهما حبًا لصاحبه».

رواه أبو يَعلىٰ والطبراني.

الثالث: فضل زيارة الإخوان والصَّالحين والتردد عليهم؛ لأنَّ ذلك مما يقوي أواصر المحبة، ويؤكِّد روابطها، وفي الحديث: «**من عاد مريضًا أو زار أخًا له في الله، ناداه منادٍ بأنْ طبت، وطاب ممشاك، وتبوأت من الجنَّة منزلًا**». حسَّنه الترمذي.

الرابع: أنَّ الملائكة قد تُكلِّمُ الرجل الصَّالح علىٰ سبيل الكرامة، وإنْ لم يكن نبيًّا.

وقد كلَّم جبريل عليه السلام مريم عليها السلام، ولم تكن نبيَّة في قول الجمهور، بل كانت صِدِّيقة كما وصفها الله تعالىٰ بقوله: ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة: ٧٥]..

وتسليم الملائكة علىٰ عمران بن حصين، ثابتٌ معروفٌ كما بينته في "الحجج البينات".

وعلىٰ هذا: فالفرق بين تكليم المَلك للنَّبيِّ وتكليمه لغيره من وجهين:

أحدهما: أنَّ النَّبيَّ يتيقَّن – بعلمٍ ضروريٍ يخلقه الله فيه – أنَّ الذي يكلِّمه مَلك من قِبَلِ الله، وغير النَّبيِّ لا يستطيع أنْ يتيقَّن ذلك؛ لأنَّه غير مأمونٍ من ظهور الشَّيطان له ودعواه أنَّه مَلك، بقصد إغوائه كما حصل لبعض العُبَّاد.

ثانيهما: أنَّ المَلك يُكلِّم النَّبيَّ بشريعةٍ يعمل بها في نفسه، أو يبلغها لغيره إنْ كان رسولًا، وغير النَّبيِّ لا يتجاوز كلام المَلك معه أنْ يكون سلامًا أو بشارةً بخيرٍ أو نحو ذلك مما لا يدخل في التشريع، أو التبليغ، والله أعلم.

قصة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام

عن أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لم يكذب إبراهيم النبي عليه السلام قط إلا ثلاثَ كذباتٍ ثنتين في ذات الله تعالى، قوله: ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩]، وقوله: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣]، وواحدةٌ في شأن سارة، فإنَّه قدم أرض جبَّار ومعه سارة - وكانت أحسن الناس -، فقال لها: إنَّ هذا الجبَّار إنْ يعلم أنَّك امرأتي يغلبني عليك، فإنْ سألك فأخبريه أنَّك أختي، فإنَّك أختي في الإسلام فإنِّي لا أعلم في الأرض مسلمًا غيري وغيرك، فلما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبار، أتاه فقال له: قدم أرضك امرأة لا ينبغي أنْ تكون إلَّا لك، فأرسل إليها فأتى بها، فقام إبراهيم عليه السلام إلى الصَّلاة، فلما دخلت عليه لم يتمالك أنْ بسط يده إليها فقُبضت يده قبضةً شديدةً.

فقال لها: ادعي الله أنْ يطلق يدي ولا أضرك ففعلت، فعاد فقُبضت قبضة أشد من الأولى، فقال لها مثل ذلك ، ففعلت فعاد فقُبضت أشد من القبضتين الأوليين فقال: ادعي الله أنْ يطلق يدي فلك الله أنْ لا أضرك، ففعلت وأطلقت يده، ودعا الذي جاء بها فقال له: إنَّك إنما أتيتني بشيطانٍ ولم تأتني بإنسانٍ، فأخرجها من أرضي وأعطها هاجر فأقبلت تمشي.

فلما رآها إبراهيم عليه السلام انصرف فقال: مَهْيم؟ قالت: خيرًا كفَّ الله يد الفاجر وأخدم خادمًا».

قال أبو هريرة: فتلك أمكم يا بني ماء السماء.

رواه الشيخان، وهذا لفظ مسلم.

الشرح:

«**في ذات الله**»: أي في وجود الله سبحانه وتعالى وما يجب له.

«**فلك الله**»: الرواية فيه بنصب اسم الجلالة، وهو قسمٌ والأصل: «فلك أقسم بالله أنْ لا أضرك»، برفع الراء إن كانت مخففةً، وبنصبها إنْ كانت أنَّ ناصبةً.

«**مَهْيم**»: بفتح الميم وسكون الهاء. قال الخليل: هي كلمة لأهل اليمن خاصةً، معناها: ما هذا؟ أو ما شأنك.

«**إبراهيم**»: اسم سرياني معناه أب راحم، وهو ابن آزر، واسمه تَارَح بتاء وراء مفتوحة ابن ناحور بن شاروخ بن راغو بن فالخ بن عبير، ويقال: عابر ابن شالخ بن أرفشخد بن سام بن نوح.

قال الحافظ بن حجر: لا يختلف جمهور أهل النَّسب ولا أهل الكتاب في ذلك، إلَّا في النطق ببعض هذه الأسماء. نعم، ساق ابن حِبَّان في أول "تاريخه" خلاف ذلك، وهو شاذٌّ. اهـ

وإبراهيم أول من اختتن كما جاء في "الصحيحين" عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اختتن إبراهيم وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم**».

وفي "مسند أبي يعلى" من طريق علي بن رباح، عن أبي هريرة: «أمر إبراهيم بالخِتان فاختتن بقدُّومٍ فاشتد عليه، فأوحى الله إليه أنْ عجلت قبل أنْ نأمرك بآلته، فقال: يا رب كرهت أنْ أؤخِّر أمرك».

وسارَّة امرأة إبراهيم عليه السلام: هي ابنة هاران ملك حران، تزوَّجها إبراهيم لما هاجر من بلاد قومه إلى حران، وكانت سارَّة أحسن النَّاس كما في هذا الحديث.

وروى أبو يعلى حديث أنس الطويل في الإسراء، وجاء فيه عند ذكر يوسف: «**أعطي يوسف وأمه شطر الحسن**». يعني: سارة؛ لأنَّها أم إساحق والد يعقوب والد يوسف عليهم السلام.

وأرض الجبَّار الذي دخلها إبراهيم وزوجه: هي مصر.

وقيل: الأردن.

واسم الجبَّار: صَدوق.

«**ثلاث كَذَبات**»: بفتح الذال جمع كذبة بسكونها، كما يقال: ركعات جمع ركعة.

«**ثنتين منها في ذات الله**»: خصَّ الثنتين بأنَّهما في ذات الله؛ لأنَّ قصة سارة – وإنْ كانت في ذات الله أيضًا – تضمنت حظًا لنفسه ونفعًا له، بخلاف الثنتين، فإنَّهما في ذات الله محضًا.

وقال القرطبي: كانت الثنتان الأولتان في ذات الله؛ لأنَّهما في الدِّفاع عن وجوده وبيان الحجة على أنَّ المُستحق للألوهيَّة ليس إلَّا هو سبحانه وتعالى، وقصةُ سارة في الدِّفاع عن حكم الله تعالى الذي هو تحريم سارةَ على الجبَّار، فالأوَّلتان في الدَّفع عن ذات الله، وقصة سارة في الدَّفْع عن حكم الله. اهـ

ووقع في رواية للنسائي، والبزَّار، وابن حبَّان: «**إنَّ إبراهيم لم يكذب قطْ، إلَّا ثلاثَ كذبات كل ذلك في ذات الله**».

وفي حديث ابن عبَّاس عند أحمد: «**والله إنْ جادَلَ بهنَّ إلَّا عن دين الله**».

و«إنْ» نافية بمعنى «ما» أي: ما جادل بهنَّ إلَّا عن دين الله.

«**رآها بعض أهل الجبار**»: هذا البعض رجلٌ كان إبراهيم يشتري منه

القمح، كذا في كتاب "التيجان" لابن إسحاق، وزاد: أنَّ من جملة ما قال الرجل للملك: إنِّي رأيتها تطحن.

قال الحافظ: وهذا هو السَّبب في إعطاء الملك لها هاجرَ، وقال: إنَّ هذه لا تصلح أنْ تخدم نفسها. اهـ

«**فإنِّي لا أعلم في الأرض مسلمًا غيري وغيرُك**»: قال الحافظ: يشكِل عليه كون لوط كان معه، كما قال الله تعالى: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾ [العنكبوت: ٢٦]، ويمكن أنْ يجاب: بأنَّ مراده بالأرض، الأرض التي وقع له فيها ما وقع، ولم يكن معه لوط إذ ذاك. اهـ

«**إنَّك إنما أتيتني بشيطانٍ**»: المراد بالشَّيطان المتمرِّد من الجنِّ، وكانوا قبل الإسلام يعظمون أمر الجن جدًّا، ويرون كل ما وقع من الخوارق من فعلهم وتصرفهم. اهـ

«**فتلك أمكم يا بني ماء السَّماء**»: قال الحافظ: كأنَّه خاطب بذلك العرب، لكثرة ملازمتهم الفلوات التي بها مواقع القَطْر لأجل رعي دوابهم.

وقيل: أراد بماء السماء زمزم؛ لأنَّ الله سبحانه وتعالى أنبعها لهاجر فعاش ولدها بها، فصاروا كأنهم أولاد السماء.

وقيل: سمُّوا بذلك لخلوص نَسبِهم وصفائه فأشبه السماء. اهـ ملخصًا.

وقيل: الخِطاب للأنصار، والمراد بـ«ماء السماء» عامر والد عمرو بن عامر بن مزيقيا، وهو جدُّ الأوس والخزرج.

المعنى: ليس في الحديث ما يحتاج إلى إيضاح أو بيان غير شيئين:

أحدهما: قوله: «**لم يكذِّب إبراهيم إلَّا ثلاث كذبات**»: فإنَّ هذا مشكلٌ، إذ

كيف ينسب الكذب إلى إبراهيم وهو رسول الله وخليله، مع أنَّ دلالة العقل قاطعة بأنَّ الرسول يجب أنْ يكون موثوقًا به ليُعلم صدق ما جاء به عن الله، ولا صدق مع تجويز صدور الكذب منه.

قال القاضي عياض: والخلافُ الذي في الصَّغائر- يعني هل تقع منهم - إنما هو فيما سوى الكذب، وأمَّا الكذب – وإنْ كان فيما ليس طريقه التبليغ فهم معصومون منه وإنْ قلَّ، وسواء جوَّزنا وقوع الصغائر منهم أم لا؛ لأنَّ معظم أحوال النبوَّة إنما هو التبليغ عن الله سبحانه وتعالى، وتجويز الكذب عليهم قادحٌ في صدقهم ومناقضٌ للمعجزة، ونحن نقطع بمبادرة الصحابة رضي الله عنهم إلى تصديقه ﷺ في جميع أقواله وأفعاله من غير ترددٍ، ولم يُحفظ عنهم توقفٌ ولا استثباتٌ لحاله، هل وقع ذلك منه سهوًا أو ضجرًا؟

ولا حُفظ عنه أنَّه استدرك شيئًا قاله، أو اعترف بوهمٍ فيما قاله، إذْ لو وقع لنُقل كما نُقل رجوعه عن أشياء من أفعاله وآرائه مما ليس طريقه الخبر، كرجوعه عن رأيه في ترك تلقيح النخل. اهـ مختصرًا.

والجواب: أنَّه ليس في شيءٍ من الأمور الثلاثة كذبٌ أصلًا.

وبيان ذلك: أنَّ قولَه: «إنِّي سقيمٌ» أراد به سِقم قلبه، وتعب فكره مما يشاهد من شركهم بالله وعبادتهم للأصنام، وهو لا يقدر أنْ يُغيِّر ما هم عليه، مع حرصه على إيمانهم شأن كلِّ رسولٍ في حرصه على إيمان قومه وهدايتهم، ألَا ترى إلى نبينا محمَّد ﷺ كيف خاطبه الله سبحانه وتعالى في مثل هذا الموقف مسليًا له بقوله سبحانه وتعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣]؟ أي: أشفقٌ على نفسك ولا تقتلها غمًّا وحزنًا من أجل أنَّهم لم يؤمنوا.

وقوله: ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾ [الأنبياء: ٦٣]، قاله تعريضًا بقومه وتبكيتًا لهم، إذْ القاعدةُ أنَّ الفعلَ إذا دارَ بين قادرٍ عليه وعاجزٍ عنه وأُثبت للعاجز على سبيل التهكم لزم انحصاره في الآخر، وإبراهيم عليه السلام لم ينفِ الفعلَ عن نفسه حتى يكون كذابًا، وإنما نسبه إلى كبير الأصنام تهكمًا واستهزاءًا، وربط صدور الفعل من الصَّنم بحصول النُطق منه حيث قال: ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴾[الأنبياء: ٦٣]،أي: إنْ كانت الأصنام تنطق، فكبيرهم فعل هذا فاسألوهم.

وقد أدرك قومه قصده بهذا الكلام، وأنَّ مراده به التبكيت لا الإخبار، فهمُّوا بإحراقه حين عجزوا عن مناظرته.

وقوله في سارة: إنَّها أخته، فقد بين أنَّها أخته في الإسلام، وهي أخوة صحيحة، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾[الحجرات: ١٠]وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ... الحديث**».

وقال في آخر: «**بحسب امرئٍ من الشَّرِّ أنْ يحقر أخاه المسلم**"، ونصوص الشَّرع طافحةٌ بهذا المعنى فظهر مما قرَّرناه أنَّ الأمورَ الثلاثة داخلةٌ في باب المعاريض الجائزة التي لا حظرَ في استعمالها ولا ذمَّ، وسميت في الحديث كذبات تجوزًا باعتبار اعتقاد السَّامع؛ لأنَّه يفهم منها خلاف المراد بها.

ثمَّ إنَّه مما لا خلاف فيه أنَّ الكذب يجوز شرعًا لمصلحةٍ كالصلح بين أخوين مثلًا، وربما يجب الكذب إذا ترتب عليه إنقاذ نفسٍ من قتل ظلم أو استخلاص وديعة من غاصبٍ مثلًا، فلو سُلِّم أنَّ ما حصل من إبراهيم كان كذبًا حقيقةً لكان استعماله بالنسبة إليه واجبًا شرعًا؛ لأنَّه دافع به عن دين الله،

كما تقدَّم في رواية أحمد: «**والله إنْ جادل بهنَّ إلَّا عن دين الله**».

فإنْ قيل: حيث تبيَّن أنَّ تلك الأمور ليست بكذب، وأنَّها من المعاريض الجائزة شرعًا فلماذا أشفق منها إبراهيم في عرضات القيامة كما جاء في حديث الشَّفاعة؟

فالجواب: أنَّ ذلك موقفٌ عظيمٌ يشتدُّ فيه الهول، ويعظم الخطب، ويغضب الله في ذلك اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولا بعده مثله، فكان إشفاق إبراهيم من تلك الأمور خوفًا من الله وهيبة لجلالهِ، بصرفِ النَّظر عن كونها معصيةً أو لا.

والرُّسلُ أعلم النَّاس بالله، وأشدُهم له خشية كما قال ﷺ: «**أنا أعلمكم بالله وأشدُّكم له خشية**»، فلا جرمَ أنْ يُشفقوا مما يعدُّه غيرهم صغيرًا هيّنًا.

على أنَّ الإشفاق من الشَّيء لا يدلُّ على أنَّه معصيةٌ، فقد يبلغ الحال ببعض الورعين أنْ يشفقوا من بعض المُبَاحات، ويرون فعله تقصيرًا لا يليق بمقامهم، فلا مانع أنْ يكون إشفاق إبراهيم عليه السلام من هذا القَبيل.

ثانيهما: قوله: «**إنَّ هذا الجبَّار إنْ يعلم أنَّك امرأتي يغلُبني عليك، فإنْ سألك فأخبريه أنَّك أختي**».

وهذا مشكلٌ لأنَّ الجَبَّار ظالمٌ يريد اغتصابها سواء كانت أختًا أو زوجًا، فكيف يوصيها إبراهيم أنْ تقول: إنَّها أخته لئلَّا يغتصبها الجبار؟!!

والجواب: أنَّه كان من رأى ذلك الجبار الذي يتديَّن به أنَّ من كانت متزوجةً، لا يقربَها حتى يقتل زوجها، فلذلك قال إبراهيم: هي أختي؛ لأنَّه إنْ كان عنده عدل خطبها منه، ثمَّ يرجو مدافعته بعذرٍ من الأعذار، وإنْ كان ظالمًا

خلص إبراهيم من القتل لأنه أخوها .

نقَلَ ابن الجوزيُّ هذا الجواب عن بعض علماء أهل الكتاب، وذكره في «مُشكل الصَّحيحين»، وذكره أيضًا الحافظ المُنذري في حاشية السُّنن.

ما يستفاد من الحديث

يستفاد منه أمور:

الأول: إباحة المعاريض، وهي: جمع مِعراض، مأخوذ من التعريض وهو خلاف التصريح، وروى البُخاريُّ في "الأدب المفرد"، والطبري في "التَّهذيب"، والطبراني في "الكبير"، والبيهقي في "الشُّعب" عن عمران بن حصين قال: «**إنَّ في معاريض الكلام مندوحةٌ عن الكذب**»، ورجال إسناده ثقاتٌ.

ورواه ابن السُّني، وأبو عبيد، عن عمران، عن النَّبيِّ ﷺ.

وروى البخاريُّ في "الأدب المفرد"، والبيهقيُّ في "الشعب" عن عمر رضي الله عنه قال: «أما في المعاريض ما يكفي المسلم من الكذب».

ورواه العسكري من طريق مجاهد قال: قال عمر: «إنَّ في المعاريض لمندوحة للرَّجل المسلم الحر عن الكذب»، وأشار العسكري إلى أنَّ حكمه الرَّفع.

والمندوحة: السِّعة.

الثاني: قبول هدية المشرك؛ لأنَّ ذلك الملِك أهدى هاجر قبِلها إبراهيم، وأهدى ملك إِيَلة وهو مشركٌ إلى النَّبيِّ ﷺ بغلةً بيضاء، وأهدى أكيدر دومة للنَّبيِّ ﷺ ثوب حريرٍ فأعطاه عليًّا، وقال: «**شققه خمرًا بين الفواطم**»، وأهدتْ

يهوديةٌ شاةً سمومةً للنَّبيِّ ﷺ فأكلَ منها إلىٰ آخر قصتها المعروفة.

فإنْ قيلَ: قد أخرَجَ موسىٰ بن عقبة في "المغازي"، عن عبدالرحمن بن كعب بن مالكٍ وغيره، أنَّ عامر بن مالك الذي يدعي مُلاعب الأَسنة، قدمَ علىٰ رسول الله ﷺ، وهو مشركٌ فأهدىٰ له فقال: «**إني لا أقبل هديةً من مشرك**».

وروىٰ أبو داود والترمذي عن عياض بن حمار[1] قال: أهديتُ للنَّبيِّ ﷺ ناقةٌ فقال: «**أسلمت؟**» قلت: لا ، قال: «**إني نهيت عن زَبْد المشركين**». صحَّحه الترمذيُّ وابن خزيمة.

و«**الزَبْد**»: بفتح الزَّاي وسكون البَاء، الرَفد والعَطية.

فهذان الحديثان يفيدان عدم قبول هدية المشرك، فما العمل؟

والجواب: أنَّ أحاديث القبول أصحُّ وأكثرُ من أحاديث عدم القبول، أو تُحمل أحاديث القبول علىٰ أنَّ المشركين أهل كتاب كاليهود والنصارىٰ، وأحاديث عدم القبول علىٰ أنَّ المشركين وثنيون ليسوا بأهلِ كتاب.

أو يكون النَّبي ﷺ امتنعَ عن قبول هديةِ هذين المشركين خاصَّة لمعنىٰ يتعلَّق بهما أطلعه الله عليه بدليلِ قوله: «**إني لا أقبل هدية مشرك**»، «**إني نهيت عن زبد المشركين**» وهذا تعبيرٌ يفيد الخصوص، ولو أرادَ التَّعميم لقال: «**إنَّا لا نقبل**» أو «**إنَّا نهينا**»، أو تكون أحاديث القبول محمولةٌ علىٰ الجواز، وأحاديث عدم القبول محمولةٌ علىٰ كراهة ذلك، والتنزُّه عنه تعففًا لا تحريمًا.

الثالث: قبول هدية الظَّالم؛ لأنَّ ذلك الملك كان جبَّارًا ظالمًا ، ومع ذلك

---

(١) باسم الحيوان المعروف، وبعضهم يقول: حماد وهو خطأ فاحشٌ.

قبل إبراهيم هديته.

الرابع: أنَّ ذلك الملك كان يعرف الله؛ لأنَّه لما قبض يده قال لسَارة: ادعي الله أنْ يطلق يدي، ومع ذلك لم يكن مسلمًا لقول إبراهيم لسارة: «فإنَّه ليس على الأرض مسلمٌ غيري وغيرك».

الخامس: أنَّ الله سبحانه وتعالى يجيب دعاء عبده الصَّالح المُخلص، ألا ترى إلى سارة حين دعت الله أجاب دعاءها وأطلقَ يد الملك في الحال.

السادس: أنَّ الله سبحانه وتعالى يكرم عباده الصَّالحين بكراماتٍ يظهر بها فضلهم عنده وكرامتهم لديه، فإنَّ ذلك الجبار لما قصد سوءًا بسارة قُبضت يده ويبست، وأُطلقت بدعائها فلما عاود القصد يبست أشد من الأولى، وفي الثالثة أشدَّ من الثَّانيةِ، حتى اعترف الجبار بفضل سارة، وانصرفَ عنها كرهًا عنه.

السابع: أنَّ الله سبحانه وتعالى يبتلي عباده الصَّالحين ليرفع درجاتهم، ويزيد في قوةِ يقينهم، وفي الحديث: «**أشد النَّاس بلاء الأنبياء، ثمَّ الأمثل فالأمثل**»، صحَّحه الترمذي، وابن حبَّان، والحاكم.

وفي رواية من حديث فاطمة عليها السلام: «**أشدُّ النَّاسِ بلاءً الأنبياء، ثمَّ الصَّالحون الأمثل فالأمثل**»؛ رواه الطبراني، وله طرقٌ وألفاظٌ.

قال الحافظ ابن حجر: ويُقال: إنَّ الله سبحانه وتعالى كشف لإبراهيم حتى رأى حال الملك مع سارة معاينةً، وأنَّه لم يصل منها إلى شيءٍ، ذكر ذلك في "التِّيجان" ولفظه: فأَمرَ بإدخالِ إبراهيم وسارة عليه، ثمَّ نحَّى إبراهيم إلى خارج القصر، وقام إلى سارة، فَجَعلَ الله القصر لإبراهيم كالقارورة الصَّافية يَراهما ويسمع كلامهما. اهـ

الثامن: أنَّ الانسانَ إذا نَابَه همٌّ أو كربٌ ينبغي له أنْ يفزع إلىٰ الصَّلاة؛ لأنَّ إبراهيم عليه السلام حين ابتُلي بهذا الجبَّار قام إلىٰ الصلاة، لأنَّها صِلةٌ بين العبد وربه، وفي "مسند أحمد": كان رسول الله ﷺ إذا حزبه - أي نَابه - أمرٌ صلَّىٰ، ورواه أبو داود أيضًا.

وروىٰ محمَّد بن نصر في كتاب الصَّلاة عن حذيفة، قال: رجعتُ إلىٰ النَّبيِّ ﷺ ليلة الأحزاب، وهو مشتملٌ في شملةٍ يُصلِّي، وكان إذا حزبه أمرٌ صلَّىٰ.

وروىٰ - أيضًا - عن عليٍّ رضي الله تعالىٰ عنه وكرَّم الله وجهه: لقد رأيتُنا ليلة بدرٍ وما فينا إلَّا نائم غيرَ رسول الله ﷺ يُصلِّي ويدعو حتىٰ أصبح.

وروىٰ ابن جرير الطبري أنَّ ابن عبَّاسٍ نُعِي إليه أخوه قثمٌ - وهو في سفره - فاسترجعَ ثمَّ تنَحىٰ عن الطريقِ، فأناخَ فصلَّىٰ ركعتين أطالَ فيهما الجلوسَ، ثمَّ قامَ يمشي إلىٰ راحلته، وهو يقول: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥].

قال المناويُّ: ومنه أخَذَ بعضهم ندب صلاة المصيبة، وهي ركعتان عقبها. اهـ

هذا أهمُّ ما يشتمل عليه الحديث من الأحكام والفوائدَ ذكرناه، وتركنا غيره اختصارًا.

«**فائدة**»: صحَّ في الحديثِ عن أمِّ شَريكٍ أنَّ رسولَ الله ﷺ أمرَ بقتلِ الوزغ، وقال: «**كان ينفخُ على إبراهيم عليه السلام**». رواه البخاري ومسلمٌ.

وفي "سنن النسائي"، و"صحيح ابن حبان": عن سائبة مولاةِ الفاكه ابن المغيرة، أنَّها دخلتْ علىٰ عائشة رضي الله عنها فرأت في بيتها رُمحًا موضوعًا فقالت: يا أمَّ

المؤمنين ما تصنعين بهذا؟

قالت: أقتل به الأَوْزاغ؛ فإنَّ رسول الله ﷺ أخبرنا أنَّ إبراهيم عليه السلام لما أُلقِي في النَّار: «**لم تكن دابةٌ في الأرض إلا أطفأتْ النَّار عنه غير الوزغ، فأنَّه كان ينفخُ عليه**»، فأمرَ رسول الله ﷺ بقتله.

وفي "صحيح مسلم" عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قَتَلَ وزغًا في أول ضربةٍ كُتبت له مائة حسنة، وفي الثانية دون ذلك، وفي الثالثة دون ذلك**»، وله طرقٌ وألفاظٌ.

هذا وقد بقيت أبحاثٌ كثيرة تتعلَّق بإبراهيم عليه السلام، لعلَّنا نستوفيها أو أكثرها في سلسلة قصص الأنبياء، إنْ شاء الله تعالى وبالله التوفيق.

قصة موسى عليه السلام

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ موسى كان رجلًا حيِيًا ستِّيرًا لا يُرى من جِلده شيءٌ استحياءً منه، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل.

فقال: ما يستَتِر هذا التستُّر إلَّا من عيبٍ بجلده، إمَّا برصٌ وإمَّا أُدْرةٌ وإمَّا آفةٌ، وإنَّ الله أراد أنْ يبرِّئَه مما قالوا لموسى، فخَلا يومًا وحدَه فوضع ثيابه على الحَجَر، ثمَّ اغتسل فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإنَّ الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه، وطلب الحجر فجعل يقول: ثوبي حجرٌ ثوبي حجرٌ حتى انتهى إلى ملأٍ من بني إسرائيل، فرأَوه عُريانا أحسنَ ما خلق الله، وأبرأَه مما يقولون فقام الحجر فأخذ بثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضربًا بعصاه.

والله إنَّ بالحجر لنَدَبًا من أثر ضربه ثلاثًا أو أربعًا أو خمسًا، فذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾ [الأحزاب: ٦٩]. رواه البخاري ومسلمٌ.

وفي روايةٍ لهما أيضًا: «كانت بنو إسرائيلَ يغتسلون عراةً ينظر بعضهم إلى سوأة بعض، وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده، فقالوا: والله ما يمنع موسى أنْ يغتسل معنا إلَّا أنَّه آدر، فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجرٍ، ففرَّ الحجر بثوبه فجَمح موسى عليه السلام بأثرِه يقول: ثوبي حجرٌ ثوبي حجرٌ حتى نَظَرت بنو إسرائيل إلى سوأة موسى عليه السلام، فقالوا: والله ما بموسى من بأسٍ، فقام الحجر بعد حتى نظر إليه فأخذ موسى ثوبه، فطفق بالحجر ضربًا».

قال أبو هريرة: والله إنَّ بالحجر نَدَبًا ستةً أو سبعةً ضرب موسى عليه السلام بالحجر.

ورواه أحمد، والبزَّار عن أنسٍ، ورواه ابن جرير عن ابن عباس موقوفًا عليه.

الشرح:

«**الأُدْرة**»: بضم الهمزة وسكون الدَّال، وبفتح الهمزة والدَّال - أيضًا -، انتفاخٌ في الخصيتين أو إحداهما، وتعرف في مصر بالقليطة، والرجل آدَر بالمد وفتح الدال، أي: مصابٌ بها.

و«**البَرَص**»: داءٌ معروفٌ نسأل الله السَّلامة منه ومن كلِّ داءٍ.

«**عدا**»: أسرع.

وفرار الحجر وجريه يحتمل أنْ يكون بحياةٍ وإدراكٍ خلقهما الله فيه، على مذهب أهل السُّنَّة الذين لا يشترطون البنية - أي البلة والرطوبة المزاجيَّة - خلافًا للمعتزلة الذين يشترطون ذلك، ويحتمل أنْ يكون جريه بفعل مَلكٍ من الملائكة.

«**ثوبي حجُر**»: أي أعطني ثوبي يا حجر، فحجر بضمِ آخِرِه منادى.

«**ملأٌ**»: جماعةٌ.

«**وطفق**»: بكسر الفاء وفتحها - أيضًا - بالحجر ضربًا بعصاه، أي: أخذ بالحجر يضربه ضربًا بعصاه.

«**لنَدَبًا**»: الندب بفتح النون والدال الأثر، وأصله أثر الجراح إذا لم ترتفع عن الجلد.

«**عراةٌ**»: جمع عارٍ من العرى، وقول النَّاس عرايا خطأ؛ لأنَّ عرايا جمع عرية وهي النَّخلة يعريها صاحبها غيره ليأكل ثمرتها.

«**فجمح موسى**»: أسرع في مشيه.

المعنى: كان موسىٰ عليه السلام كريم النَّفس شديد الحياء، إذا أراد أنْ يغتسل طلب مكانًا خاليًا لا يراه فيه أحد ولا يطَّلع علىٰ سوأته، فزعمت بنو إسرائيل أنْ تستره عند اغتساله وابتعاده عن النَّاس إنما هو لعلةٍ فيه، فأظهر الله براءته بذلك الخارق العجيب، حيث جعل الحجر يجري بالثوب.

وجريُ الحجر في هذه القصة آيةٌ عظيمةٌ لكنه ليس بمعجزةٍ؛ لأنَّه لم يقعْ باختيار موسىٰ ولا وقع التحدي به، وإلىٰ هذه القصة أشار الله بقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ﴾ مع نبيكم ﴿كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ﴾ حيث قالوا: ما يمنعه أنْ يغتسل معنا إلَّا أنَّه آدر ﴿فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ﴾ بآيةٍ من عنده، وهي فرار الحجر بثوبه، حتىٰ رآه بنو إسرائيل عريانًا أحسن ما خلق الله، وأكمله صورة ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ أي: ذا جاهٍ عظيمٍ.

قال الحسن البصري: كان مستجاب الدعوة عند الله.

وقال بعض السلف: لم يسأل الله شيئًا إلَّا أعطا.

وقال بعضهم: من وجاهته العظيمة عند الله أنَّه شفع في أخيه هارون أنْ يرسله الله معه، فأجاب الله دعاءه فقال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥٣].

ومما أُوذي به نبينا ﷺ أنَّه قسَّم قسمًا في بعض الغنائم، فقال رجلٌ: إنَّ هذه القسمة ما أريد بها وجهَ الله، قال ابن مسعود: فأتيت النَّبيَّ ﷺ فأخبرته، فغضب حتىٰ رأيت الغضب في وجهه، ثمَّ قال: «**يرحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر**». رواه البخاري ومسلم.

فإنْ قيل: قد روىٰ أحمد بن منيع في "مسنده" بإسنادٍ حسنٍ، والطحاوي،

وابن مردويه وغيرهم عن علي عليه السلام في الآية: أنَّها نزلت في طعن بني إسرائيل على موسى بسبب هارون؛ لأنَّه توجَّه معه إلى زيارةٍ فمات هارون فدفنه موسى، فطعن فيه بعض بني إسرائيل، وقالوا: أنت قتلتَه، فبرَّأه الله تعالى، بأنْ رفع لهم جسد هارون وهو ميت تحمله الملائكة، فخاطبهم بأنَّه مات، وهذا يخالف ما تقدَّم.

فالجواب: أنَّه لا تعارضَ ولا مخالفة لجواز أنْ تكون الآية نزلت في كلتا القصتين، وبيان أنَّ في كلٍّ منهما إيذاء لموسى عليه السلام، وما أكثر إيذاء بني إسرائيل لأنبيائهم، كما نبَّه عليه القرآن الكريم.

ما يستفاد من الحديث

يستفاد منه أمور:

الأول: جواز التعرِّي في الخلوة، ونقل ابن الجوزي عن الحسن بن أبي بكر النيسابوري أنَّ موسى نزل إلى الماء مؤتزرًا، فلما خرج تتبَّع الحجر والمئزر مبتلٌّ بالماء، علموا عند رؤيته أنَّه غير آدر؛ لأنَّ الأدرة تبين تحت الثوب المبلول بالماء. اهـ

قال الحافظ: لكنَّ المنقولَ يخالفه؛ لأنَّ في رواية علي بن زيد، عن أنس عند أحمد في هذا الحديث: «**أنَّ موسى كان إذا أراد أنْ يدخل الماء لم يُلق ثوبَه حتى يواري عورته في الماء**». اهـ

لكن التعرِّي في الخلوة، وإنْ كان جائزًا فهو مكروهٌ لا يليق فعله؛ لحديث بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده معاوية بن حيدة، قال: قلت يا نبيَّ الله عوراتُنا ما نأتي منها وما نذر؟ قال: «**احفظ عورتك إلَّا من زوجتك أو ما ملكت**

يمينك»، قلت يا رسول الله: أحدنا إذا كان خاليًا؟، قال: «**اللهُ أحقّ أنْ يُستحيا منه من النَّاس**».

رواه أصحاب السُّنن، وحسَّنه الترمذي وصحَّحه الحاكم، ورجَّح بعض الشَّافعيَّة تحريم التعرِّي في الخلوة.

قال الحافظ: والمشهور عند متقدميهم كغيرهم الكراهة فقط. اهـ

الثاني: جواز نزول الرجل في الماء عريانًا، قال القاضي عياض: وكرهه ابن أبي ليلىٰ وقال: إنَّ للماء ساكنًا، واحتجَّ بحديثٍ ضعَّفه المحدِّثون. اهـ

قال العلَّامة الأبي في "مراسيل أبي داود": «**ولا تغتسلوا في الصَّحراء إلَّا أنْ لا تجدوا مُتَوَارى فليخطَّ أحدكم خطًّا كالدائرة، ثمَّ يسمِّي الله ويغتسل**».

وفي حديث: «**لا يغتسل أحدكم إلَّا وقربه إنسان لا ينظر إليه**».

وفي حديثٍ آخرَ – وهو الذي عناه ابن أبي ليلىٰ –: «**لا يدخل أحدكم الماء إلَّا بمئزرٍ، فإنَّ للماء عامرًا**». اهـ

الثالث: جواز المشي عريانًا للضرورة، قال ابن الجوزي: لما كان موسىٰ في خلوةٍ وخرج من الماء فلم يجد ثوبه تبع الحجر، بناءً علىٰ أنْ لا يصادف أحدًا وهو عريانٌ، فاتفق أنَّه كان هناك قومٌ فاجتاز بهم، كما أنَّ جوانب الأنهار وإنْ خلت غالبًا لا يُؤمن وجود قومٍ قريبٍ منها. اهـ

الرابع: جواز النَّظر إلىٰ العورة عند الضرورة الدَّاعية لذلك، كمداواةٍ أو براءةٍ من عيبٍ مثلًا .

الخامس: أنَّ ستر العورة لم يكن واجبًا في شرع بني إسرائيل؛ لأنَّ موسىٰ عليه السلام لم ينكر عليهم اغتسالهم، وهم عراةٌ، وإنما كان يستتر هو حياءً، قاله عياض.

وقال النَّووي: إنْ كان التعرِّي جائزًا في شرعهم، فترك موسىٰ تنزهٌ وكرم أخلاقٍ، وإنْ لم يكن من شرعهم فتعريهم تساهلٌ كما يتساهل فيه عندنا كثيرٌ. اهـ

قال الأبي: ويدلُّ علىٰ أنَّه شرعهم قولهم: «ما يمنعه أنْ يغتسل معنا».

السادس: أنَّ الأنبياء في خَلْقِهم وخُلُقِهم علىٰ غاية الكمال، وأنَّ من نسب نبيًّا إلىٰ نقصٍ في خِلْقته، فقد آذاه ويُخشىٰ علىٰ فاعله الكفرَ، قاله الحافظ ابن حجرٍ.

وقال الإمام المازري: الأنبياء عليهم السلام منزَّهونَ عن النَّقصِ في الخَلق والخُلق، سالمون من المعايب، ولا يُلتفت إلىٰ ما نَسب بعض المؤرخين إلىٰ بعضهم من العاهات، فإنَّ الله سبحانه وتعالىٰ رفعهم عن كلِّ ما هو عيبٌ يغضُّ العيون ويُنفِّر القلوب. اهـ

قال الأبي: وليست المعايب المذكورة من الأمراض الحسيَّة التي هم فيها، والنَّاس سواء؛ لأنَّ المعايب تغض العيون، وتنفِّر القلوب كما ذُكر، بخلاف الأمراض، وكان الشيخ – يعني شيخه العلَّامة ابن عرفة – يقول: هو كذلك، ولكن أين دليل أنَّ هذا ليس منها، وذكر ما كان بلسان موسىٰ من العقدة، وأجيب بأنَّ العقدة ليست كالأدرة؛ لأنَّ الأدرة من المعايب بخلاف العقدة، ثمَّ إنَّ العقدة أذهبها الله عنه حين أرسله إجابةً لدعاء موسىٰ حيث قال: ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي﴾ [طه: ٢٧ – ٢٨].

السابع: أنَّ الأنبياء والصَّالحين يصبرون علىٰ ما ابتلوا به من أذىٰ الجهَّال والسُّفهاء، حتىٰ ينصرهم الله علىٰ أعدائهم، ويجعل العاقبة لهم كما قال الله

تعالى: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

وتقدَّم قوله ﷺ: «**لقد أوذي موسى بأكثر من هذا فصبر**».

الثامن: قال القرطبي: يؤخذ منه أنَّ من فعل مثل هذا – يعني هربُ الحجرِ بالثوبِ – فهرب بشيءٍ، ثمَّ ردَّه أنَّه يؤدب إذا ردَّه.

قال الأبي: «هو وإنْ كان ضرب أدبٍ فشرطه مخالفته الحكمَ، وهو كذلك هنا؛ لأنَّ فراره بالثوب من العَدَاء».

وهذا بناءًا على أنَّ موسى إنما ضرب الحجر لعلمه بخَلق الحياة فيه.

وقيل: إنما ضربه لغلبة الحدَّة وطِباع البشريَّة عليه، مع علمه بأنَّ الحجر ما سار بثوبه إلَّا بأمر الله تعالى.

وقيل: ضرب الحجر ليبيِّن للحاضرين من قومه معجزةً من معجزاته، بتأثير الضرب بالعصا في الحجر، كأنَّه يشير لهم بذلك إلى أنَّ من أكرمه الله بمثل هذا لا يجوز ولا يصح أنْ يُلمز بشيءٍ مما نطقتم به من المعايب، والله أعلم.

٢- كتاب: «سمير الصالحين»

الجزء الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي جعل في سِيَر الأولين عظةً للآخرِين، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ أفضل المرسلين، المنزَّل عليه في الكتاب المبين: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾[يوسف: ٣]، ورضي الله عن آله وأصحابه، وكلِّ من انتظم في سِلك أتباعه، وانضوى تحت لواء أحزابه.

أمَّا بعد ...

فلا يخفى ما في قصص الغابرين من العبر للحاضرين، ولا يجهل ما لها من أثرٍ في تجْلية الماضي البعيد، وتقريبه كأنَّه حاضرٌ عتيدٌ، تهذب النفسَ، وتسلِّي الروحَ، وتعين على فهم تعليل الحوادث المختلفة، فتحذِّر مواطن الهلكة، وتحفِّز إلى استرداد حقٍّ ضائعٍ أو استعادة مجدٍ عدَت عليه عوادي الزَّمن، وتبيِّن سنَّة الله في خلقه، وتكشف عن حكمته في معاملة عباده ...، إلى غير ذلك مما تشتمل عليه القِصَّة من حكمٍ بالغاتٍ، وفوائدَ ساملياتٍ، يُدركها أولو الألباب، ويصدِف عنها من أوصدت دونه الأبواب.

وهذه جملةٌ من القصص الدِّينية صدرت عمَّن لا ينطق عن الهوى، فيها لذَّةٌ ومتعةٌ، فيها ترغيبٌ وترهيبٌ، وفيها تبشيرٌ وتحذيرٌ، توخَّيتُ في جمعها وضوحَ القصد، وسهولة العبارة، وبيان موطن العبرة، لا تعلو عن مداركِ العامَّة، ولا تقصر عن إفادة الخاصَّة، فهي روضٌ أرْيَض، يجد فيه كلُّ مجتنٍ طُلبته.

وأرجو أنْ تجد من إقبال القرَّاء ما يشجعني على إصدار حلقاتٍ من

سلسلة هذه القصص متواليات، حتى تحصل الفائدة المرجوَّة.

ومن الله نستمد الإعانة ونطلب التوفيق.

عبد الله محمد الصديق

أصحاب الغار الثلاثة

عن عبد الله بن عمرَ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «بينما ثلاثة نفرٍ ممَّن قبلكم يمشون إذ أصابهم، فأَوَوا إلى غارٍ، فانحطتْ على فم غارِهم صخرةٌ من الجبل فانطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعضٍ: إنَّه والله يا هؤلاءِ لا يُنجيكم إلَّا الصِّدق، انظروا أعمالًا عملتموها صالحةً لله، فادعوا الله تعالى بها لعلَّ الله يفرجها عنكم.

فقال أحدهم: اللَّهم إنَّه كان لي والدان شيخان كبيران وامرأتي، وليَ صِبيةٌ صغارٌ، أرعى عليهم، فإذا أَرحْت عليهم حلبتُ، فبدأْتُ بوالديَّ فسقيتهما قبل بنيَّ، وإنَّه نأى بي ذات يومٍ الشَّجر فلم آت حتى أمسيت، فوجدتهما قد ناما فحلبت كما كنت أحلب، فجئت بالحِلاب فقمت عند رؤوسهما أكره أنْ أوقظهما من نومهما، وأكره أنْ أسقي الصِّبيةَ قبلهما، والصِّبية يتضاغون عند قدمي، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر، فإنْ كنتُ فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأَفرِج لنا فرجةً نرى منها السَّماء، ففرج الله منها فرجةً فرأوا منها السَّماء.

وقال الآخر: اللَّهم إنَّه كانت ليَ ابنة عمٍ أحببتها كأشد ما يحب الرجال النِّساء، وطلبت إليها نفسها فامتنعت مني، حتى أَلَّمت بها سِنة، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينارَ، على أنْ تخلِّي بيني وبينها ففعلت، حتى إذا قدرت عليها قالت: اتقِ الله ولا تفضَّ الخاتَم إلَّا بحقِّه، فتحرَّجت من الوقوع عليها، فانصرفت عنها وهي أحبُّ النَّاس إليَّ، وتركت الذَّهب الذي أعطيتها، اللَّهم إنْ كنتُ فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأَفرِج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة، غير أنَّهم لا يستطيعون الخروجَ منها».

قال النَّبيُّ ﷺ: «**وقال الثالث: اللَّهم استأجرتُ أُجرَاء وأعطيتُهم أَجرَهم، غير رجلٍ واحدٍ ترك الذي وُهب له وذهب، فثمَّرتُ أجره حتى كثُرت منه الأموال، فجاءني بعد حينٍ فقال لي: يا عبد الله أدِّ إليَّ أجري؟ فقلت: كلُّ ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فقال يا عبد الله: لا تستهزئ بي، فقلت: إنِّي لا أستهزئ بك، فأخذه كلَّه فاسْتَاقه فلم يترك منه شيئًا، اللَّهم إنْ كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصَّخرة فخرجوا يمشون**».

رواه البخاري ومسلم

الشَّرح:

قيل: إنَّ أصحاب الغار هم أصحاب الرَّقيم المشار إليهم بقول الله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾ [الكهف: ٩].

بدليل ما رواه الطبراني والبزَّار بإسنادٍ حسنٍ، عن النُّعمان بن بشيرٍ، أنَّه سمع النَّبيَّ ﷺ يذكر «الرقيمَ»، قال: «**انطلق ثلاثة نفرٍ...**» وذكر القصَّة، فعلى هذا يكون القرآن ذكر أصحاب الكهف، والحديث بيَّن أصحاب الرَّقيم، ولا مانع من ذلك، إلَّا أنَّ سياق الآية يقتضي أنَّ قصة أصحاب الكهف والرقيم واحدةٌ، قوله: «**بينما ثلاثة نفرٍ ممن كان قبلكم يمشون ...**».

ورد في حديثٍ آخر: أنَّهم خرجوا يرتادون لأهليهم، أي: يطلبون الكلأَ والمرعى.

قوله: «**فانحطَّت على فم غارهم صخرةٌ**»، أي: نزلت من الجبل على فم الغار، وهذا يوافق قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا﴾ - يعني الحجارة - ﴿لَمَا يَهْبِطُ مِنْ

خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤].

قوله: «كان لِيَ والدان شيخان كبيران»، زاد في روايةٍ أخرىٰ: **«فقيران ليس لهما خادمٌ ولا راعٍ ولا وليٌّ غيري، فكنت أرعى لهما بالنَّهار وآوِي إليهما بالليل»**.

قوله: «فإذا أَرَحْتُ»، يعني: رددت الماشية من المرعىٰ إلىٰ مُراحها - بضم الميم- وهو محل مبيتها.

قوله: «نأى بي»، أي: بعد بي ذاتَ يومٍ الشجر - يعني أنَّه استطرد مع طلب الماشية في طلب الشَّجر والمرعىٰ - حتىٰ تأخر عن موعد رجوعه.

قوله: «فجئت بالحِلاب»، الحِلاب بكسر الحاء: الآنيةُ التي يُحلب فيها اللبن.

قوله: «والصِّبية يتضاغون»، الصِّبية: بكسر الصاد وسكون الباء جمع صبي، يتضاغون: يصيحون بالبكاء.

قوله: «حتى طلع الفجر» زاد في روايةٍ أخرىٰ: **«فاستيقظا فشربا غَبوقهما»** بفتح الغين، وهو اللبن الذي يشرب بالعشي.

قوله: «فإنْ كنت تعلم أنِّي فعلت ذلك ابتغاء وجهك»، ليس هذا شكًّا منه في علم الله، ولكنَّه شكٌّ في عمله، هل حظي بالقبول عند الله؟ وهكذا ينبغي للإنسان ألَّا يجزم بأنَّ عمله مقبولٌ أو عمله خالصٌ لله؛ لأنَّ علمَ ذلك إلىٰ الله سبحانه لا يعلمه غيره.

قوله: «ألَمَّت به سِنة»، السِنةُ: العام المجدب الذي لا مطر فيه ولا نبات، فذهبت إلىٰ ابن عمها تطلب معروفَه، وكان غنيًا فأبىٰ حتىٰ تمكِّنه، وتردَّدت إليه ثلاث مراتٍ وهو يمتنع من مساعدتها، فأجابته في المرة الثالثة بعد أنْ

استأذنت زوجها فأذن لها.

وقال: أطعمي أولادَك، فلمَّا قرب منها ومدَّ يده عليها، قالت: أذكِّرك الله أنْ تركب مني ما حرَّم اللهُ عليك، فلما كشف ثيابها ارتعدت وبكت قال لها: مالك؟ قالت: أخاف الله رب العالمين، قال: خفتيه في الشِّدَّة ولم أخفه في الرخاء، فقام عنها وتركها.

قوله: «فتحرَّجتُ من الوقوع عليها»، يعني: ابتعدت عنها مخافة الحرج والإثم.

قوله: «غير أجير واحد ترك الذي له وذهب»، ثبت في الحديث: أنَّه استأجره على فَرَقٍ من أُرز، والفَرَق بفتح الفاء والراء: مكيالٌ يسع ستة عشر رطلًا.

وسبب ترك أجره أنَّه استقلَّه وقال: إنَّه عمل اثنين ، فزرعه المستأجر حتى نما وكثُر، فلما جاء الأجير يطلب أجره ثانيًا أعطاه المال كلَّه، قال: **«ولو شئتُ لم أعطِه إلَّا الأجرَ الأول»**، هكذا ورد في روايةٍ أخرى، وهذا دليلٌ على أمانة المستأجر وكرم نفسه وتحلِّيه بالقناعة وبعده عن الطمع.

العبرة من هذه القصة

هؤلاءِ الثلاثةِ خرجوا في قضاءِ مصلحةٍ لأهليهم وذويهم، فأصيبوا عند التجائهم إلى الغار بآفةٍ سماويَّةٍ لم يحسِبوا حسابها، وليس عندهم من المعدِّات والأدوات ما يحاولون به زحزحتِها وإزالتها، فرأوا الموتَ، وشاهدوا الهلاك.

غير أنَّ التوفيق أدركهم، وعلموا أنَّه لا يُنْجِيهم إلَّا الصِّدق، فتوجهوا إلى الله صادقين، ودعوه مخلصين، ولجئوا إلى كرمه الواسع، ورغبوا في عفوه العميم،

متوسِّلين إليه بأفضل عملٍ عملِوه يريدون به وجهه مُظهرين الخشوع والفاقة، فكان لكلٍّ من الإخلاص في العمل والصِّدق في التوجه وإظهار الخشوع في السؤال أثرَه في إجابة طلبهم، وتفريج كُربتِهم وإنقاذِهم مما أصابَهم.

وهذه سُنة الله مع عبده المؤمن الصَّادق المخلص، يجيبه إذا دعا ويلبِّيه إذا سأل، ويأخذ بيده إذا عثر.

ثمَّ إنَّ الأعمال التي توسَّلوا بها إلى الله، وإنْ كانت كلها صالحةً فاضلةً بعضُها أفضلُ من بعضٍ، فالبارُّ بوالديه نفعه قاصرٌ على نفسه؛ لأنه قام بما فرضه الله عليه بقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

وصاحب الأجير نفعه تعدَّى إلى غيره؛ لأنَّه نمَّى ما عنده من الأجر وسلَّمه إلى صاحبه بأمانةٍ ووفاءٍ.

وصاحب المرأة أكثرهم نفعًا، وأفضلهم عملًا؛ لأنَّه ترك المرأة بعد القدرة عليها وحبه لها خوفًا من الله تعالى.

والله تعالى يقول: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦]، وترك الذَّهب الذي أعطاه لها صدقةً لله، وأخبر أنها بنت عمه فيكون قد جمع بين الصدقة وصلة الرحم، وأخبر أنَّها كانت في سنة مجدبة، فتكون صدقته أكثر ثوابًا وأعظم قيمةً.

وهكذا تتفاوت الأعمال الصالحاتُ كما تتفاوت الأعمال السِّيئاتُ، وبتفاوتها يتفاوت النَّاس صلاحًا وفسادًا، وحسنًا وقبحًا.

أبرص وأقرع وأعمى

عن أبي هريرةَ أنَّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ ثلاثةً في بني إسرائيل أبرصَ وأقرعَ وأعمى، أراد الله أنْ يبتلِيَهم فبعث إليهم مَلكًا، فأتى الأبرصَ فقال: أيُّ شيءٍ أحبُّ إليك؟ قال: لونٌ حسنٌ وجلدٌ حسنٌ، قد قذِرَنِي الناسُ، قال: فمسحه فذهب عنه فأُعْطي لونًا حسنًا وجلدًا حسنًا.

فقال: وأيُّ المالِ أحبُّ إليك؟ قال: الإبلُ فأُعطِي ناقةً عُشَرَاء، فقال: يبُارَك لك فيها.

وأتى الأقرع فقال: أيُّ شيءٍ أحبُّ إليك؟ قال شَعرٌ حسنٌ ويَذهب هذا عني، قد قذِرَنِي الناس، قال فمسحه فذهب فأُعطِيَ شعرًا حسنًا، قال: فأيُّ المالِ أحبُّ إليك؟ قال: البقر فأعطاه بقرةً حاملًا، وقال يُبَارَك لك فيها.

وأتى الأعمى فقال: أيُّ شيءٍ أحبُّ إليك؟ قال: يَرُدُّ الله إليَّ بصري فأُبصر به النَّاس، فمسحه فرد الله بصره. قال: فأيُّ المالِ أحبُّ إليك؟ قال: الغنم، فأعطاه شاةً والدًا، فأُنتج هذان وولَّدَ هذا، فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا وادٍ من البقر، ولهذا وادٍ من الغنم.

ثمَّ إنَّه – يعني المَلك – أتى الأبرصَ في صورته وهيئته الأولى، فقال: رجلٌ مسكينٌ تقطَّعت به الحبال في سفره فلا بلاغ اليوم إلَّا بالله ثمَّ بك، أسألك بالذي أعطاك اللَّون الحسن والجلد الحسن والمال، بعيرًا أتبلَّغُ عليه في سفري.

فقال له: إنَّ الحقوق كثيرةٌ، فقال له: كأنِّي أعرفُك، ألمْ تكن أبرصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ، فقيرًا فأعطاك الله؟ فقال: إنَّما ورثت هذا المال كابرًا عن كابرٍ، فقال: إنْ كنت كاذبًا فصيَّرك الله إلى ما كنت.

قال: وأتى الأقرع في صورته، فقال: له مثل ما قال لهذا وردَّ عليه مثل ما ردَّ على هذا، فقال: إن كنت كاذبًا فصيَّرك الله إلى ما كنتَ .

قال: وأتى الأعمى، فقال: رجلٌ مسكينٌ وابن سبيلٍ انقطعت بي الحِبال في سفري فلا بلاغَ لي اليومَ إلَّا بالله ثمَّ بك، أسألك بالذي ردَّ عليك بصركَ شاةً أتبلَّغ بها في سفري، فقال: قد كنتُ أعمى فردَّ الله إليَّ بصري، فخذ ما شئت ودع ما شئت فوالله لا أجْهَدُك اليوم شيئًا أخذته لله.

فقال: أمسك مالَكَ فإنما ابتليتم فقد رُضِي عنك وسُخِط على صاحبيك».

رواه البخاري ومسلم

الشرح:

قوله: «أرادَ الله أن يبتلِيَهم أي يمتحِنَهم ويختبِرَهم»، والله سبحانه وتعالىٰ يعلم خفيَّ أحوالهم وبواطنَ أسرارهم، ولكن أراد أنْ يُظهر ذلك للنَّاس ليعتبروا.

قوله: «فبعث الله إليهم مَلكًا» الملك بفتح اللَّام: واحد الملائكة، والملائكة أجسامٌ نورانيَّةٌ معصومون مثل الأنبياءِ لا يَعْصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤْمرون، وقد أعطاهم الله القدرة علىٰ التشكيل في صورٍ مختلفةٍ، ولهذا كان جبريل عليه السلام يأتي النَّبيَّ ﷺ في صورة رجلٍ اسمه دحية الكلبي، وكان دحية جميلًا.

قوله: «فأتى الأبرص»: البَرَصُ داءٌ معروفٌ يشوِّه جِلد الإنسان والعياذ بالله. ولهذا طلب أنْ يُعطىٰ جلدًا حسنًا ولونًا حسنًا.

قوله: «فأُعطيَ ناقةً عُشَراء» بضم العين وفتح الشين: هي الحامل.

قوله: «**قَذِرني**» بفتح القاف وكسر الذال: اشمأَزَّ النَّاس من حالي.

قوله: «**شاةً والدًا**» أي: وضعت ولدها وهو معها.

قوله: «**فأنتج هذان**» أي: تولَّى صاحب الإبل والبقر إنتاج ما عندهما، حتى كثر إبلهما وبقرهما.

قوله: «**وولَّد**» بفتح اللَّام المشددة، أي: تولَّى صاحب الشاة توليدَ ما عنده، حتى كثُرت غنمه.

قوله: «**ثمَّ إنَّه أتى الأبرص في صورته وهيئته**» يعني: أنَّ الملك تشكَّل في صورة رجلٍ أبرصَ، وأتى للذي كان أبرص ليذكِّره بحالته التي كان عليها، وكذلك مع الأقرع والأعمى، وهذا من تمام الامتحان.

قوله: «**قد انقطعت بي الحِبال**» بكسر الحاء: جمع حبل، والمراد بالحبال هنا: أسباب المعيشة التي يتكسَّب بها.

وقول الملك: «**رجل مسكين تقطَّعت بي الحبال ... إلخ**» أراد: أنَّك كنت هكذا، فهو من المعاريض، والمراد ضربَ المثل لينتبه المخاطب.

وقوله: «**لا أَجهَدك**» بفتح الهمزة والهاء، يعني: لا أشقُّ عليك في ردِّ شيءٍ تطلبه منِّي أو تأخذَه.

قوله: «**رُضِي**» بضمِّ أوله وكسر ثانيه، وكذلك «**سُخِط**» وهما فعلان مبنيان للمجهول والفاعل معلومٌ وهو الله، والمعنى: رضي الله عنك وسخط على صاحبيك.

العبرة من هذه القصة

هؤلاء الثَّلاثة كانوا مرضَى يتقذَّر منهم الناسُ فشفاهم الله، وكانوا فقراءَ يمدُّون أيديَهم بالسُّؤال من هذا ومن ذاك، فأغناهم الله وكفاهم مذلَّة السؤال.

والواجب على من أنعم الله عليه نعمةً في بدنه أو ماله، أنْ يقوم بشكرها، ويذكُر حقَّ الله فيها، فيواسي المسكين وابن السَّبيل، ويحنو على الضعيف والمريض، ويرحم العاجز الفقير، فهل قام هؤلاء الثلاثةِ بواجب الشُّكر على ما أعطاهم الله؟

لقد جاء المَلك لكلِّ واحدٍ منهم في الصُّورة التي كان عليها أوَّل أمرِه من المرض والفقر وبؤس الحال، ليتذكَّرَ كل واحدٍ منهم ما كان فيه، ويحمَدَ الله على ما صار إليه، ويمدَّ يده بالمساعدة إلى هذا الشَّخص الذي يحمل من الداء والفاقة مثل ما كانوا يحملون.

فأمَّا الأبرص والأقرع فقد بخِلا بما أعطاهما الله، واعتذرا – كذبًا – بأنَّ الحقوق في مالهما كثيرةً، ومصاريفهما باهظةً، لا يبقى معها متسعٌ للصَّدقة فلما ذكَّرهما المَلك بصريح العبارة بعد أنْ لم يفهما بإشارة الحال ما كان عليه من بؤسٍ وشقاءٍ شَمَخا بأنفهما تكبُّرًا، وزعما أنَّهما ورِثا المال أبًا عن جدٍ، وكابرًا عن كابرٍ، فضمَّا إلى البخلِ الكبرَ والكذبَ وكفرانَ النِّعمةِ، فلا جَرم أنْ سَخِط الله عليهما جزاء سوء فعلهما.

وأمَّا الأعمى فاعترف بفضل الله عليه وقال للمَلك الذي وقف أمامه في صورة سائلٍ أعمى: خذْ من مالي ما شئت، فدلَّ بذلك على طهارة نفسه، وصفاء قلبه، فجزاه الله بأنْ رضي عنه وبارك له في ماله، وهذه عادةُ الله في

خلقه وسنَّته مع عباده، من كفر فعليه الهلاك والخسران، ومن شكر فله الرضا والغفران ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧].

الملك والغلام والسَّاحر

عن صهيبٍ رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «كان ملِكٌ فيمن كان قبلَكم، وكان له ساحرٌ فلما كَبُر قال للملك: إنِّي قد كبرتُ فابعثْ إليَّ غلامًا أعلمُه السِّحر، فبعَثَ إليه غلامًا يعلمه، فكان في طريقه إذا سلكَ راهبٌ فقعدَ إليه وسمع كلامه فأَعجبَه.

فكان إذا أتىٰ السَّاحرَ مرَّ بالرَّاهبِ وقعدَ إليه، فإذا أتىٰ السَّاحر ضربه، فشكىٰ ذلك إلىٰ الرَّاهب، فقال: إذا خشيتَ السَّاحرَ فقل حبسني أهلي، وإذا خشيتَ أهلَك فقل: حبسني السَّاحرُ؛ فبينما هو كذلك إذا أتىٰ علىٰ دابةٍ عظيمةٍ، قد حبست الناس فقال: اليوم أعلم السَّاحر أفضل أم الرَّاهب أفضل؟

فأخَذَ حجرًا فقال: الَّلهم إنْ كان أمرُ الرَّاهب أحبَّ إليك من أمر السَّاحر فاقتل هذه الدَّابة حتىٰ يمضي النَّاس، فرَمَاها فقتلها ومضىٰ النَّاس، فأتىٰ الرَّاهب فأخبره فقال له الرَّاهب: أي بني أنت اليوم أفضل مني قد بلغت من أمرك ما أرىٰ، وإنَّك ستبتلىٰ فإنْ ابتُليت فلا تدلَّ عليَّ، وكان الغلام يُبرئ الأكمهَ والأبرصَ، ويداوي النَّاس من سائر الأدواء، فسمعَ جليسٌ للملك كان قد عمِيَ فأتاه بهدايا كثيرةٍ فقال: ما ههنا لك، أجمع إنْ أنت شفيتني فقال: إنِّي لا أشفي أحدًا إنما يشفي الله، فإنْ أنتَ آمنتَ بالله دعوتُ الله فشفاك، فآمن

بالله فشفاه الله، فأتىٰ الملك فجَلسَ إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من ردَّ عليك بصرك؟

قال: ربي، قال: ولك ربٌ غيري؟

قال: ربي وربك الله، فأخذه فلم يزل يعذِّبه حتىٰ دلَّ علىٰ الغلام، فجِيءَ بالغلام فقال له الملك: أي بنيِّ قد بَلغَ من سِحرك ما تبرئُ الأكمهَ والأبرصَ وتفعلُ وتفعلُ.

فقال: إنيِّ لا أشفي أحدًا إنما يشفي الله، فأخذَه فلم يزل يعذِّبه حتىٰ دلَّ علىٰ الرَّاهب، فجيءَ بالرَّاهب فقِيل له: ارجع عن دينك فأبىٰ، فدعا بالمئشار فوضع المئشار في مِفرَق رأسه فشقَّه حتىٰ وقع شِقَّاه، ثمَّ جيءَ بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك فأبىٰ، فوضع المئشار في مِفرق رأسه فشقَّه به حتىٰ وقع شِقَّاه، ثمَّ جيءَ بالغلام.

فقيل له: ارجع عن دينك فأبىٰ، فدفعه إلىٰ نفرٍ من أصحابه فقال: اذهبوا به إلىٰ جبل كذا وكذا، فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم ذروته فإنْ رجعَ عن دينه وإلَّا فطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به إلىٰ الجبلِ فقال: اللَّهم اكفنيهم بما شئتَ فرَجفَ بهم الجبلُ فسقطوا، وجاء يمشي إلىٰ الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟

قال: كفانِيهم الله، فدفعه إلىٰ نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قُرقُورٍ فتوسَّطُوا به البحرَ، فإنْ رجعَ عن دينه وإلَّا فاقذفوه، فذهبوا به فقال: اللَّهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السَّفينة فغرِقوا، وجاء يمشي إلىٰ الملك فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟

قال: كفانِيهم الله، فقال للملك إنَّك ليس بقاتلي حتىٰ تفعلَ ما آمُرك به قال: وما هو؟ قال: تجمعِ الناس في صعيدٍ واحدٍ وتصلبَني علىٰ جذعٍ، ثمَّ خذ سهمًا من كنانتي، ثمَّ ضع السَّهم في كبدِ القوسِ، ثمَّ قُل باسم ربِّ الغلام، ثمَّ ارمني، فإنَّك إذا فعلت ذلك قتلتني، فجَمَعَ الناسَ في صعيدٍ واحدٍ وصلبه علىٰ جذعٍ، ثمَّ أخَذَ سهمًا من كنانته، ثمَّ وضعَ السَّهم في كبدِ القوس، ثمَّ قال: باسم الله ربِّ الغلام، ثمَّ رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده في صدغه في موضع السَّهم، فمات.

فقال الناس: آمنَّا بربِّ الغلام آمنَّا برب الغلام، آمنَّا بربِّ الغلام؛ فأتىٰ الملك فقيل له: أرأيتَ ما كنتَ تحذر قد والله نزل بك حذرُك قد آمن النَّاسُ، فأمرَ بالأُخدود في أفواه السِّكك فخُدَّت وأَضرم النِّيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فاحموه فيها، أو قيل له: اقتحم، ففعلوا حتىٰ جاءت امرأةٌ ومعها صبيٌّ فتقاعست أنْ تقع في النَّار، فقال لها الغلام: يا أمَّه اصبري فإنَّك علىٰ الحقِّ».

رواه مسلمٌ، والترمذيُّ، والنَّسائي، وابن حبَّان .

الشرح :

هذه القصة مشارٌ إليها بقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ [البروج: ١ - ٧]، فالقرآن أجمَلَ القصةَ، والحديثُ بيَّنها وفصَّلها.

وجاء في رواية الترمذي من الزِّيادة: «أنَّ الغلامَ الذي قتله الملك وُجِدَ في زمان عمرَ ابن الخطاب رضي الله عنه، ويده علىٰ جرحه كهيئته حين مات».

ولا عَجَبَ في ذلك؛ لأنَّ الغلامَ قدَّم نفسه للقتلِ في سبيلِ نشرِ الدِّين، وكان قتلُه على تلك الصفةِ العجيبةِ سببًا في إيمان النَّاس، فهو قد مات شهيدًا، والشُّهداء أحياءٌ كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٦٩ - ١٧٠].

وصحَّ عن جابرِ بن عبدالله أنَّ معاويةَ لما أجرى العين إلى جبل أُحدٍ كان طريقُها على قبور الشُّهداء، فأخرجوهم وحملوهم كأنَّهم رجالٌ نائمون، حتى أنَّ المِسحاة أصابت قدم حمزة فدَمِيت، وكان ذلك بعد استشهادهم بستٍ وأربعين سنة.

وقصة الأخدود التي نتكلَّم عنها وقعت بعد عيسى عليه السلام؛ لأنَّ من أفرادها الرَّاهب الذي علَّم الدِّين للغلام.

و«الراهب»: هو العابد من النَّصارى، إذْ هم الذين ابتدعوا الرَّهبانية كما نصَّ عليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾ [الحديد: ٢٧].

و«السِّحر»: علمٌ معروفٌ وهو من الكبائر، وكان للقدَّماءِ عنايةٌ كبيرةٌ به، خصوصًا أهل بابل ومصر، فقد برعوا فيه كما يدلُ على ذلك قصةُ هاروتَ وماروتَ، وقصة سحرة فرعون المذكورتان في القرآن.

وتدلُّ قصَّة فرعون على أنَّ السَّحر كان منتشرًا في مدائنِ مصرَ وقُراها انتشارًا كبيرًا، فالمصريُّون سبقوا إلى السَّحر منذ آلاف السِّنين، ولا يزالُ ولَعهم به إلى الآن، رغم تطوُّر الزَّمان وتنوُّر الأذهان وتشديد الشَّارع في تحريمه، إلى حدٍّ أن جعلَ صاحبه خارجًا عن الإيمان، فكم خُرِّبت بيوتُ مصرَ، وهُتكت أعراضٌ وراجت سوقُ الدَّجالين ذوي الأغراضِ، واستُغلَّت عقولٌ وضاعت

أموالٌ، كلُّ ذلك بسبب السِّحر.

ومن العجيب أنْ تجد الشَّخصَ الثريَّ ينفق عن سخاءٍ وطيب نفسٍ طمعًا في الحصول على أمانيَّ كاذبةٍ يعِدُه بها أَحدُ الدجَّالين، بينما يبخل بقرشٍ ينفقه في سبيل الله! فمتى يثوب هؤلاءِ إلى رشدهم ويحفظون أموالهم وأعراضهم وعقولهم من أنْ تكون نَهبة للكذَّابين المشعوذين.

أمَا علموا أنَّ السحرَ تخيُّلاتٌ وأوهامٌ، أما سمعوا قول الله تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩].

أمَا سمعوا قول النَّبيِّ ﷺ: «لا يدخل الجنَّة مدمن خمرٍ، ولا مؤمنٌ بسحرٍ، ولا قاطع رحمٍ». رواه ابن حبَّان في "صحيحه".

وفي معناه أحاديثٌ كثيرةٌ.

و«المِئْشار»: هو المنشار المعروف.

و«ذِروة الجبلِ» بكسرِ الذال: أعلى محل فيه.

و«القُرقُور» بضم القاف بينهما راء ساكنة: سفينة صغيرة.

و«الأخدود»: الشَّق في الأرض.

وقوله: «فأَحموه فيها»: أي ألقوه في النَّار ليُحمى ويحترق، أو قيل له: اقتحم أي ادخل فيها بنفسك، وهذا أشدُّ في التَّعذيب.

العبرة من القصة

اشتملت القصة على عظاتٍ وعبر، منها:

أنَّ الله أكرَمَ الغلام بعدَّة كراماتٍ لصحَّة إيمانه وصدق يقينه، فيسَّرَ له قتلَ الدَّابةِ العظيمةِ – أسدٍ أو غيرِه – التي قطعت طريق النَّاس، وجعَلَه يبرئُ

الأكمهَ والأبرصَ ويداوي المرضى، وردَّ على جليس الملك بصره بدعائه، وزلزل الجبل بالذين ذهبوا به ليرموه من أعلاه فهلكوا، ورجعَ سالمًا ، واغرقَ الذين ذهبوا ليُغرقوه ورجعَ يمشي على الماء، وخَتمَ له بالشَّهادة على ذلك الوصف العجيب الذي جعل النَّاس ينطقون صادقين مخلصين، آمنا برب الغلام، وهكذا كلُّ من اتقى الله أكرمه الله وحماه ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢].

ومنها: صبر الرَّاهب، وجليسِ الملك على تلك القتْلة الفظيعة التي تدلُ على قسوةِ الملك ووحشيتهِ، وتحمُّلِهما آلام العذاب، حبًّا في دينِهما ووثوقًا بثوابِ ربِّهما وخالقهما، وهكذا المؤمن يكون صبورًا عند الشَدائد والمَصَائب لا يجدُ الخوفُ والضعفُ إلى قلبه سبيلًا .

ومنها: احتمال الناسِ دخولَ الأخاديدِ المملوءةِ نارًا بجَلَدٍ وشجاعةٍ، على أنْ يكفروا بالله، حتى أنَّ المرأةَ لما تقاعست وتوقفت عن دخول النَّار أَنطق الله طفلَها الرضيعَ، فقال: يا أمَّاه اصبري فإنَّك على الحقِّ، ولا يهولنك ما تَرَيْن فإنَّه عذابٌ زائلٌ، وثواب الله خيرٌ وأبقى.

وهذا شأن المؤمنين الذين تذوَّقوا حلاوة الإيمان، يكرهون الكفر كما يكرهون أنْ يُلقوا في النَّار، وإذا خيِّروا اختاروا النَّار على الكفر.

ثبت في "صحيحي" البخاريِّ ومسلمٍ عن أنسٍ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاثٌ من كنَّ فيه وجد حلاوةَ الإيمان: أنْ يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأنْ يحبَّ المرء لا يحبُّه إلَّا لله، ومنْ كان أنْ يلقى في النار أحب إليه من أن يرجع في الكفر بعد أن أنقذه الله منه»**.

صاحب الحديقة

عن أبي هريرة أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «بينما رجلٌ بفلاةٍ منَ الأرض، فسمع صوتًا في سحابةٍ: اسْقِ حديقةَ فلان، فتنحَّى ذلك السَّحابُ فأفرغ ماءَه في حَرَّة، فإذا شَرجةٍ من تلك الشِراج قد استوعَبَت ذلك الماءَ كلَّه، فتتبَّع ذلك الماءَ فإذا رجلٌ قائمٌ في حديقته يحوِّل الماء بمِسحاته، فقال له: يا عبد الله ما اسمُك؟ قال: فلانٌ للاسم الذي سمع في السَّحابة، فقال له: يا عبد الله لم تسألُني عن اسمي؟ فقال: إنِّي سمعت صوتًا في السَّحابة الذي هذا ماؤه يقول اسقِ حديقة فلانٍ لاسمك فما تصنع فيها؟

قال: أَمَا إذ قلت هذا فإني أنظر إلى ما يخرُج منها، فأتصدَّق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ثلثًا، وأردُّ فيها ثلثه».

رواه مسلم في صحيحه

الشرح:

«الفلاة»: من الأرض صحراءٌ لا ماء فيها.

و«الحَرة» بفتح الحاء: أرضٌ ذاتُ حجارةٍ سودٍ.

و«الشَرجة» بفتح الشين وسكون الراء: وجمعها شِراج - بكسر الشين - مسيلُ الماء، أي: مكان اجتماع الماء، وسَيْلِهِ والمِسحاة معروفةٌ.

العبرة من هذه القصة

الصَّوت الذي سمعه الرجلُ من السَّحابةِ صوت الملك الموكل بالسَّحاب، وهذا دليلٌ على عناية الله بعبده المؤمن إذا عاملَ الله بالصِّدق.

فصاحب الحديقة لما جعل من ماله جزءًا تصدَّق به لله أكرمه الله، فسخَّر له

السَّحاب يسقي حديقَته حين تحتاج إلى السَّقي، وبارك له في ماله، ما ادَّخر له من الثواب عنده، وهذه سنَّته تعالى مع كلِّ متصدِّق ومتصدِّقة كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: ١٨].

وفي الحديث الصَّحيح: «**ما نقصت صدقةٌ من مال، وما زاد الله عبدًا بعفوٍ إلَّا عزًّا، وما تواضع أحدٌ لله إلَّا رفعه الله، كما أنَّ من بخل بالمال أنْ ينفقَه في سبيل الله محق الله ماله وأهلكه، ألا ترى إلى أصحاب الجنَّة لما أقسموا أنْ يَصرموا ثمارها ولا يتصدَّقوا منها على مسكينٍ، سلَّط الله عليها نارًا فأحرقتها ليلًا فلم يجدوا فيها شيئًا**».

وأخبر بذلك في كتابه العظيم فقال تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ﴾، امْتُحنَ أهلُ مكةَ بالجوع والقحطِ حتى أكلوا الجيَف بسبب دعاء النَّبيِّ ﷺ ﴿كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ البستان، وهم قومٌ من أهل الصَّلاة كانت لأبيهم هذه الجنة – ولا يبعد أنْ يكون هو صاحب الحديقة الذي أخبر عنه الحديث –، وكانت على فرسخين من صنعاء باليمن، وكان يأخذ منها قوته ويتصدَّق بالباقي على الفقراء، فلما مات قال أولادُه، إنَّ فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر، ونحن أولو عيالٍ، فحلفوا ليصرمنها خفية من المساكين ﴿إِذْ أَقْسَمُوا۟﴾ حلفوا، ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا﴾ ليقطعن ثمرها، ﴿مُصْبِحِينَ﴾ في الصَّباح قبل انتشار الفقراء، ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ لا يقولون: إنْ شاء الله، ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ نزل عليها بلاءٌ، نار أو غيرها، ﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾ لا يشعرون بما حل في جنتهم من البلاء، ﴿فَأَصْبَحَتْ﴾

صارت الجنة ، ﴿كَٱلصَّرِيمِ﴾ كالمصرومة: كأنَّها صُرمت لهلاك ثمرِها وذهابه، ﴿فَتَنَادَوْاْ مُصْبِحِينَ﴾ نادىٰ بعضهم بعضًا عند الصباح ﴿أَنِ ٱغْدُواْ﴾ باكِروا، ﴿عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ فَٱنطَلَقُواْ﴾ ذهبوا، ﴿وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ﴾ يتكلَّمون فيما بينهم سرًا، لئلَّا يسمع المساكين يقول بعضهم لبعض: ﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾ أي: لا تمكِّنوه من الدخول إلىٰ الجنة، ﴿وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ﴾ علىٰ جَدٍ في المنع، ﴿قَٰدِرِينَ﴾ علىٰ المنع في ظنِّهم وهم لا يعلمون أنَّ الله أهلك جنتهم ومنعهم ثمارها جزاء ما انْتَوَوْه.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾ محترقةً هلك ما فيها من شجرٍ وثمرٍ، ﴿قَالُوٓاْ﴾ أولَ ما رأَوها، ﴿إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ ضللنا الطريق، فليست هذه جنتُنا؛ لأنَّ جنتَنا تركناها أمسُ مثمرةً، وهذه قحلاءَ مقفرةً، ثمَّ تأملوا وعرفوا أنَّها هي فقالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ حُرمنا خيرها بجِنايتنا علىٰ أنفسنا بالبخل، ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ أَعْدَلُهُمْ وخيرهم، ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ تذكرون الله وتتوبون إليه من خبث نيَّتكم، وكان قد قال لهم حين عزموا علىٰ ذلك: اذكروا الله وانتقامَه، وارجعوا عن هذه العزيمةِ السيئةِ.

فعصَوْه فعيَّرهم ﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾، فاعترفوا بعدَ فوات الأوان ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ﴾ يلوم بعضهم بعضًا بما فعلوا من الهرب من المساكين، ويُرجع كل واحد منهم الَّلوم علىٰ أخيه، ثمَّ اعترفوا جميعًا بأنهم جاوزوا الحدَّ ﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ﴾ ظالمين بمنع المساكين ﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ﴾،

ومن هذه الجنة ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾ طالبون منه الخير راجون لعفوه، ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ﴾ مثلُ ذلك لمن سلك سبيلهم، يعجَّل له في الدنيا ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [القلم: ١٧- ٣٣]، حيث يُكوىٰ البخيل بمالِه في جبهته وجنبه وظهره، كما قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٥].

جريج الرَّاهب

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كان جريجُ رجلًا عابدًا فاتخذَ صومعةً فكان فيها، فأتته أمُّه فجعلت كفَّها فوق حاجِبها، ثمَّ رَفَعتَ رأسها إليه تدعوه، فقالت: ياجُريجُ أنا أمك كلِّمْني، فصادفته يصلِّي فقال: الَّلهمَّ أمِّي وصلاتي، فاختار صلاتَه، فرجعتْ، ثمَّ عادتْ في الثانية، فقالت: ياجُريج أنا أمك فكلمني، قال: الَّلهم أمي وصلاتي، فاختار صلاته، فقالت: الَّلهم إنَّ هذا جريجُ وهو ابني وإني كلَّمته فأبىٰ أنْ يكلِّمَني، اللَّهم فلا تمته حتىٰ تريه وجوه المُومِسات، قال: ولو دعتْ عليه أن يُفتن لفُتن.

قال: وكان راعي ضأنٍ يأوي إلىٰ ديره، قال: فخرجتْ امرأةٌ من القريةِ فوَقعَ عليها الرَّاعي، فحملت فولدت غلامًا فقيل لها: ما هذا ؟ قالت: من صاحب هذا الدَّير.

قال: فجاءوا بفُؤُوسِهم ومَسَاحِيهم فنادَوه فصادفُوه يصلِّي فلم يكلِّمْهُم، قال: فأخذوا يهدمون دَيْره فلما رأىٰ ذلك نزل إليهم فقالوا له: سلْ هذه، قال: فتبسَّم ثمَّ مسح رأس الصَّبي فقال: من أبوك؟ قال: أبي راعي الضَّأن، فلما

سمعوا ذلك منه قالوا: نبني ما هدمنا من ديرك بالذَّهب والفضة، قال: لا ولكن أعيدوه ترابًا كما كان ثمَّ علاه».

رواه البخاري ومسلم واللفظ له.

الشرح:

ورد في الحديث أنَّ جريجًا من بني إسرائيل، وأنَّه كان تاجرًا وكان ينقص مرةً ويزيد أخرىٰ، فقال: ما في هذه التجارة خيرٌ لألتمسنَّ تجارةً هي خيرٌ من هذه، فبنىٰ صومعةً وترهَّب فيها.

وكانت أمه تأتيه فيكلِّمُها حتىٰ جاءته مرةً وهو يصلِّي فلم يكلمْها احترامًا للصَّلاة، – وجاء في حديثٍ ضعيفٍ: «**لو كان جريجُ عالمًا لعلم أنَّ إجابة أمَّه أولى من عبادة ربِّه**»- ومذهب المالكيَّة أنَّ إجابة أحد الوالدين في صلاة النافلة أفضل من التمادي فيها، وعندهم قولٌ بأن الإجابة تختَّص بالأمِّ، وهو قول مكحول من التابعين.

أمَّا الشَّافعيَّة فالأصحُّ عندهم أنَّ الصَّلاة إنْ كانت نفلًا وعلمَ المصلي أنَّ الوالد يتأذَّىٰ بترك الإجابة، وجب عليه أنْ يجيبَ، وإلَّا فلا، وإنْ كانت فرضًا وضاق الوقت لم تجبْ الإجابةُ، وإنْ كان في الوقت متسعٌ ففي وجوب الإجابة قولان، الأكثر: أنَّها لا تجب.

و«المومسات»: جمع مومسة، وهي الزَّانية.

وورد في طريقٍ آخرَ: «**أنَّ أمَّ جريجٍ لما غضبت قالت: أبيتَ أنْ تُطلع إليَّ وجهَك، لا أماتكَ الله حتى تنظُر في وجهك زواني المدينة، فذكر بنو إسرائيل عبادة جريج.**

فقالت بغيٌ منهم: إنْ شئتم لأفتننَّه، قالوا: قد شئنا فأتَتْه فتعرَّضت له فلم يلتفت إليها، فأمكنت نفسها من راعٍ كان يأوي غنمه إلى أصل صومعة جريجٍ، فلما ولدت من الزِّنا أخذوها، وكان من زنى منهم قتل، فاتَّهمت جريجًا، فأقبلوا على صومعته يهدمونها فلما رأى ذلك تدلَّى إليهم بحبل، فسبُّوه وضربوه وأخذوه إلى الملك، ومروا في طريقهم ببيوت الزَّواني فلما نظر إليهنَّ تبسَّم، فقالوا: لِمَ يضحك حين مر بالزَّواني؟

فلما أتوا الملك قال له: ويحك يا جريج كنَّا نراك خير الناس فأحبلت هذه، اذهبوا به فاصلبوه، فطلب أنْ يمهلوه.

فتوضأ وصلَّى ودعا، ثمَّ أتى الطفل وفمه في ثدي أمِّه يرضع منها، فمسح رأسه وقال: من أبوك يا بابوس – يعني يا رضيع - فترك الطِّفل ثدي أُمِّه، وقال: أبي الرَّاعي فأبرأَ الله جُريجًا، وأعظم النَّاس أمرَه وجعلوا يقبِّلونه، واقترحوا أنْ يبنوا ديره الذي كان يتعبَّد فيه من ذهبٍ وفضةٍ، فطلب أنْ يكون من طينٍ كما كان.

وسألوه بالله مم ضحكتَ؟ فقال: ما ضحكت إلَّا من دعوة دعتها عليّ أمي». هكذا جاءت القصة مفصلةً في طرق أخرىٰ عند أحمد والطبراني.

العبرة من هذه القصة

يؤخذ من هذه القصة عبرٌ:

أحديها: عِظَم حقِّ الأمِّ علىٰ ولدها، فجريج مع كونه صالحًا عابدًا استجاب الله دعاء أمه لمَّا تغيَّر قلبها عليه حيث لم يجبها، مع أنَّه كان في الصَّلاة، فما بالك بمن يشتُم أمَّه أو أباه أو يضربهما أو يرغمهما علىٰ موافقة رأيه، أو يفعل

غير ذلك من أنواع المضايقات لهما، فإنَّ هذا عقوقٌ لا يفلح صاحبه في الدُّنيا ولا في الآخرة.

ثانيتها: أنَّ الشَّدائدَ والمهماتِ لا ينفع فيها إلَّا الالتجاء إلى الله وطلب معونته، فجريج اتُّهم بالزِّنا وضُرب وأُهين وحُكم عليه بالقتل، فالتجأ إلى الله بالصَّلاة والدعاء، وليس بينه وبين الموت إلَّا بضعَ دقائق، فأنقذه الله ونجَّاه، وأَنطَق له الطفل الرضيع ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢]، وكان رسول الله ﷺ إذا حزبه – أصابه – أمرٌ فَزِع إلى الصَّلاة.

ثالثتها: إكرام الله لأوليائه الصَّالحين بعد ابتلائِهم؛ ليختبرَ إيمانهم، ألَا ترى إلى جريج ابتليَ أولًا بنكبة الاتهام، فلمَّا صبر والتجأ إلى مولاه أكرمه غاية الإكرام.

رابعتها: قوَّة الإيمان بالله وصحَّة التوكُّل عليه تفعلان العجائب والمدهشات، ألا ترى أنَّ جريجًا أقبل يخاطب الطفلَ الرَّضيع.

وتكلُّم الرَّضيع محالٌ بحكم العادة، لكنَّ الله علِم قوَّة إيمانه وصدق توكُّله، فأنطق له الطفل ولو استنطق الجماد لأنطقه له.

بل ذكر أبو الليث السَمَرْقَندي: أنَّ المرأة اتهمته أنَّه زنا بها عند شجرةٍ، فذهب إلى الشجرة يسألها، وقال: يا شجرةُ أسألك بالذي خلقك من زنى بهذه المرأة؟ فأجاب كلُّ غصنٍ منها: راعي الغنم.

وليس في ذلك ما يدعو إلى العجب؛ لأنَّ الله على كلِّ شيءٍ قدير، وإذا كان العلم توصَّل إلى هذه المخترعات المدهشة كالراديو والتلفزيون والقنابل

الطائرة وغيرها فما ظنُّك بخالقِ الكون ومبدِعه.

خامستها: الكذب والزُّور عاقبتهما الفشل والخيبة، فالمرأة اتهمت جريجًا كذبًا وزورًا وكادت تُودي بحياته، لكن الله أظهر براءته وصدقَه، فخرج من هذه التهمة الباطلة معززًا مكرمًا، وتلك عاقبةُ كلِّ بريءٍ صادقٍ.

الرضيع الذي كلم أمه

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**كانت امرأةٌ ترضع ابنًا لها من بني إسرائيل، فمرَّ رجلٌ راكبٌ على دابَّةٍ فارهةٍ وشارةٍ حسنةٍ.**

فقالت أمُّه: اللَّهم اجعل ابني مثل هذا، فترك الثدي وأقبل إليه فنظر إليه، فقال: اللَّهم لا تجعلني مثله، ثمَّ أقبل على ثديه فجعل يرتَضِع»، قال: فكأنِّي أنظر إلى رسول الله ﷺ وهو يحكي ارتضاعه بإصبعه السَّبابة، يجعلها في فمه فجعل يمصُّها، قال: «**ومرُّوا بجاريةٍ وهم يضربونها ويقولون: زنيتِ؟ سرقتِ؟**

وهي تقول: حسبي الله ونعم الوكيل، فقالت أمُّه: اللَّهم لا تجعل ابني مثلها، فترك الرضاع ونظر إليها، فقال: اللَّهم اجعلني مثلها، فهناك تراجعا الحديث.

فقالت: حَلْقي! مرَّ رجلٌ حسن الهيئة فقلتُ: اللَّهم اجعل ابني مثله، فقلتَ: اللَّهم! لا تجعلني مثله. ومروا بهذه الأَمَة وهم يضربونها ويقولون: زنيتِ؟ سرقتِ؟

فقلتُ: اللَّهم لا تجعل ابني مثلها فقلتَ: اللَّهم اجعلني مثلها، قال: إنَّ ذاك الرجل كان جبَّارًا. فقلت: اللَّهم لا تجعلني مثله، وإنَّ هذه يقولون لها: زنيتِ

ولم تزنِ، سرقتِ ولم تسرقْ، فقلت: اللَّهم اجعلني مثلها».

رواه البخاري ومسلم

الشرح:

«**الدَّابةُ الفارهةُ**»: هي النشيطةُ القويةُ.

و«**الشارةُ الحسنةُ**»: الهيئةُ واللبسُ.

«**تراجعا الحديث**»: أي أقبلت المرأة تُكلِّم ابنها، وكانت تعتقد أنَّه ليس أهلًا للنطق ومراجعةِ الحديثِ، فلما تكرَّر منه الكلام أقبلت عليه تسأله.

«**حَلقَي**»: بفتح الحاء والقاف بينهما لام ساكنة، كلمة معناها الدعاء بوجع الحلق، وليس ذلك مرادًا هنا، بل المراد التعجُّب من حال الطفل ومعارضته لأمه فيما دعت به له.

العبرة من هذه القصة

نفوس أهل الدُّنيا تقف مع الخيال الظَّاهر، وتنخدع بخدعة الملابس الحسنة والزِّينة الجميلة، فتقدِّر الأشخاص على أساس ذلك.

وأهل التحقيق ينظرون إلى حقائق الأشياء وبواطن الأمور، ولا يعتبرون المظاهر الخلَّابة فيقدِّرون الشَّخص بما عنده من خلقٍ فاضلٍ وعملٍ صالحٍ، وإنْ كان رثَّ الهيئة خَشِن الثِّياب مستندين إلى قوله ﷺ: «**رُبَّ أشعثَ أغبرَ ذي طمرين، تنبو عنه أعين النَّاس، لو أقسم على الله لأبرَّه**».

فتلك المرأة خدعها منظر الرَّجل الرَّاكب، واستهواها حسن هيئته وبزته، فسألت الله لابنها – وهو أعزُّ شيءٍ عندها في الدُّنيا – أنْ يجعله مثله، ونفر قلبها من الجارية لرثَّة حالها وهوانها على النَّاس فسألت الله ألَّا يجعل ابنها مثلها،

ولكنَّ الله أنطقَ ابنها في غير أوان النُّطق، فبيَّن لها أنَّ ذلك الرَّجل وإنْ كان جميل الظَّاهر فهو قبيح الباطن؛ لأنَّه جبَّار يقسو على الضعفاء ويظلمهم، وهو إلى جانب هذا كافرٌ كما جاء في روايةٍ أخرى، وأيُّ فائدةٍ لصلاح الظَّاهر مع فساد الباطن؟!

أمَّا تلك الجَارية فهي مؤمنة طاهرة، بريئة مما يدعون عليها، لا يُضيرها مع ذلك أنْ تكون ثيابها رثَّة وحالتها زريَّة، فيما يجدو للنَّاظر؛ لأنَّها أصلحت ما بينها وبين الله، فماذا يهمها من النَّاس بعد ذلك؟ ولهذا طَلَبَ الطفل أنْ يكون مثلها في الإيمان والبراءة من المعصيةِ، وليس مراده أنْ يكون مثلها في أنْ يتهم بباطلٍ كما اتهمت هي.

نَبَّه النووي في "شرح مسلم": ونظير هذه القصَّة في الانخداعِ بظواهرِ الأحوال قصَّة أصحاب قارون، الذين رأوه في زينته فتمنَّوا أنْ يكونوا مثله، ونَهاهم أولوا العلم عن هذا التَّمني، فلما خسفَ بقارون أدركوا خطأ تمنيهم وندموا عليه، وقد بيَّن الله تعالى بقوله: ﴿ فَخَرَجَ ﴾ قارون ﴿عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ﴾ من كلابي حسنة، ومراكب جميلة، وخدم وأتباع ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾ من المغترين بالظواهر، ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ الحظ: البَخت والنَّصيب، ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾ أي: العلماء ﴿وَيْلَكُمْ ﴾ أيُّها المتمنون منزلة قارون، ﴿ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ ﴾ أي: لا يلقن هذه الحكمة وهي ثواب الله خير ﴿إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴾ عن الشَّهوت وعن زينة الحياة الدنيا، الرَّاضوان بما قسم الله لهم

﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ أي: أمرنا الأرض فابتلعته حيًّا؛ لأنَّه كان كافرًا عنيدًا، وكان يؤذي موسىٰ عليه الصَّلاة والسلام، ومن جملة إيذائه اتهامه موسىٰ بالزِّنا ﴿فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ﴾ جماعة ﴿يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يمنعونه من عذاب الله ﴿وَمَا كَانَ﴾ قارون ﴿مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾ من الممتنعين من عذاب الله، ﴿وَأَصْبَحَ﴾ صار ﴿ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ﴾، معلنين خطأهم ومظهرين ندمهم: ﴿وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ﴾ [القصص: ٧٩-٨٢] يقتر.

فسعة المال لا تدلُّ علىٰ رضا الله، ولكنَّه يقسم الأرزَّاق علىٰ حسب ما سبق في عمله ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢].

وفي الحديث الصَّحيح: «لو كانت الدُّنيا تُساوي عند الله جناح بعوضةٍ، ما سقىٰ كافر منها جرعة ماء» وكلمة [وي] تنبِّه علىٰ الخطأ والتَّندم، ﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾، بصرف ما تمنيناه ﴿لَخَسَفَ بِنَا﴾ كما خسف بقارون ﴿وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [القصص: ٨٢] كقارون وأمثاله.

ماشطة بنت فرعون

عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لما أُسْرَي بي مرَّت بيَّ رائحةٌ طيبةٌ فقلت: ما هذه الرائحةُ؟ قالوا: ماشطةُ بنتِ فرعونَ و أولادُها، سقط مِشطُها من يدها فقالت: بسم الله، فقالت ابنةُ فرعونٍ: أبي، قالت: ربِّي هو ربُّك وربُّ أبيك، قالت: أوَ لك ربٌّ غيرَ أبي؟ قالت: نعم. فدعاها فقال: ألك ربٌّ غيري؟ قالت: نعم ربي وربُّك الله، فأمر ببقرةٍ من نحاس فأحميت ثمَّ أُمر بها لتلقى فيها وأولادها، فأَلقوا واحدًا واحدًا، حتى بلغ رضيعًا فيهم، فقال: قِعي يا أمَّ ولا تَقَاعسي فإنَّك على الحقِّ، قال: وتكلم أربعةٌ وهم صغارٌ: هذا و شاهد يوسفَ و صاحب جريجٍ و عيسى بن مريم».

رواه أحمد والبزَّار وابن حبَّان والحاكم والبيهقي وغيرهم

الشرح:

«المشط»: معروفٌ.

و«فرعون» لقبٌ لملوك مصر، وليس خاصًا بفرعونَ صاحب موسى.

«تَقاعسي» بفتح التاء: تتوقفي، وفي هذه القصة دليلٌ على ما كان يرتكبه الفراعنة من أنواع القسوةِ مع الخدم والضُّعفاء.

العبرة من هذه القصة

الإيمان إذا استولى على النفوس وخالطت بشاشتُه القلوب، استعذب صاحبُه في سبيله العذابَ، واستسهل الصعابَ، واستقبل الشَّدائد بجَلَدٍ وصبرٍ، طالبًا ما عند الله من الثَّواب تاليًا قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] فهذه الماشطة التي قوى إيمانها بربها وعظمت ثقتها

بمولاها، لم تؤثِّر فيها قسوة فرعونَ ولا تعذيبه لها ولأولادها بذلك العذاب الفظيع الذي قدمت فيه فلذات كبدها إلى النَّار واحدًا بعد آخر، وهي تنظر إليهم وتعلم أنَّها بعد لحظاتٍ ستصير إلى مثل ما صاروا إليه، فكانت مثلًا من أمثال البطولة، ونموذجًا للثبات على عقيدة الحقِّ رحمها الله وأثابها رضاه.

التَّاجر الذي استلف ألف دينار

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنَّه ذَكَرَ: «رجلًا من بني إسرائيل سألَ بعض بني إسرائيل أنْ يسلفه ألف دينارٍ.

فقال: ائتني بالشُّهداء أُشهِدهم، قال: كفى بالله شهيدًا، قال: فأَتني بالكَفيل، قال: كفى بالله كفيلًا، قال: صدقتَ، فدفعها إليه إلى أجلٍ مسمًّى، فَخَرجَ في البحرِ فقضى حاجته ثمَّ التَّمس مَركبًا يركبها يقدم عليه للأجلِ الذي أجَّله فلم يجد مركبًا، فأخذَ خشبةً فنقرها فأدخلَ فيها ألف دينارٍ وصحيفةً منه إلى صاحبه، ثمَّ زجَّج موضعها، ثمَّ أتى بها إلى البَحرِ.

فقال: اللَّهم إنَّك تعلم أنِّي كنتُ تسلَّفت فلانًا ألف دينارٍ فسألني كفيلًا، فقلت: كفى بالله كفيلًا، فرضي بك، وسألني شهيدًا فقلت: كفى بالله شهيدًا، فرضي بك، وإني جهِدتُ أنْ أجدُ مركبًا أبعث إليه الذي له، فلم أقدر وإني أستودعكها، فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه، ثمَّ انصرفَ وهو في ذلك يلتمس مركبًا يخرج إلى بلده.

فخرَجَ الرَّجلُ الذي كان أسلفه ينظر لعلَّ مركبا قد جاء بماله، فإذا بالخشبةِ التي فيها المال، فأخذها حطبًا لأهله، فلما نشرها وجد المال والصَّحيفة، ثمَّ قدم الذي كان أسلَفه فأتى بالألف دينار.

فقال: والله ما زلت جاهدًا في طلبِ مركب لآتيك بمالك، فما وجدتُ قبل الذي أتيت فيه، قال: هل كنت بعثت إليَّ بشيءٍ؟ قال: أخبرك أنِّي لم أجد مركبًا قبل الذي جئت فيه قال: فإنَّ الله قد أدَّى عنك الذي بعثتَ الخشبة، وانصرف بالألف الدينار راشدًا»(١).

الشرح:

روى محمد بن الرَّبيع الجيزي بإسنادٍ ضعيفٍ في "مسند الصحابة الذين نزلوا مصر" عن عبدالله بن عمرو، عن النَّبيِّ ﷺ: «**أنَّ رجلًا جاء إلى النَّجاشيِّ فقال له: أسلفني ألف دينارٍ إلى أجلٍ، فقال: من الكفيل بك؟ قال: اللهُ، فأعطاه الألف، فضرَبَ بها - أي: سافر بها - في تجارةٍ، فلما بلغَ الأجل أرادَ الخروج إليه فحبسته الرِّيح، فعمل تابوتًا ووضَعَ فيه الألف دينار ... إلخ**».

قال الحافظ ابن حجر: استفدنا من هذه الرواية أنَّ الذي أقرض هو النَّجاشي فيجوز أنْ تكون نسبته إلى بني إسرائيل بطريق الاتباع لهم - يعني على دينهم - لا أنَّه من نسلهم.

«**الشهيد والكفيل**»: معروفان وبقية الألفاظ واضحةٌ.

العبرة من هذه القصة

صدقُ التَّوكل على الله يبلِّغ الشَّخص مراده وينيله مطلوبه، ألا ترى إلى صاحب المال طلب أولًا الشَّهيد والكفيل ليضمن ماله من الضَّياعِ، ثمَّ رضى بالله شهيدًا وكفيلًا، فردَ الله ماله إليه كاملًا غير منقوصٍ.

---

(١) رواه أحمد، والبخاري، والنَّسائي، ورواه ابن حبان في "صحيحه" - أيضًا - من طريق آخر عن أبي هريرة.

وكذلك التَاجر لما عجز أنْ يجدَ مَركبًا توصله في الوقت المحدود أرسلَ المالَ المطلوب منه بطريقٍ غير متعارفٍ في دنيا المواصلات، لكنَّه تركَ المالَ وديعة في يدِ الله، واعتمدَ في وصوله إلى صاحبه عليه فأدَّى الله عنه، وأوصل المال في الأجل المضروب، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣].

التاجر الذي كان يتسامح في المعاملة

عن حذيفة رضي الله عنه قال: «**أتى الله بعبدٍ من عباده آتاه مالًا فقال له: ماذا عملت في الدُّنيا؟ قال: - ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢]- قال: يا رب آتيتني مالَك فكنت أُبايع النَّاس، وكان من خُلقي الجَواز؛ فكنت أتيسَّر على الموسر وأُنظر المعسر، فقال الله تعالى: أنا أحق بذا منك، تجاوزوا عن عبدي**».

فقال عقبة بن عامر الجهني، وأبو مسعود الأنصاري: هكذا سمعناه من فيِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم(١).

وفي رواية له، وللبخاري عن حذيفة قال: حدَّثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**تلقَّت الملائكة روحَ رجلٍ ممن كان قبلكم، فقالوا: أعملت من الخيرِ شيئًا قال: لا، قالوا: تذكَّر، قال: كنتُ أداين الناس، فآمر فتياني أنْ يُنظروا المعسر ويتجوَّزوا عن الموسر، قال: قال الله عزَّ وجلَّ: فتجوَّزوا عنه**». وللقصة طرقٌ وألفاظٌ(٢).

الشرح: «**الجواز**»: التجاوز والتساهل.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) عن أبي مسعود وأبي هريرة وهي في الصحيحين

«**تلقَّت الملائكة روح رجلٍ**»: أي استقبلت روحه بعد موته.

وفي رواية للبخاريِّ: «**أنَّ رجلًا كان فيمن كان قبلكم أتاه المَلك ليقبض روحه، فقيل له: هل عملت من خيرٍ؟ قال: ما أعلم، قيل له: انظر، قال: ما أعلم غير أني كنتُ أبايع الناس في الدُّنيا وأجازيهم** – أقاضيهم أي: آخذ منهم وأعطي –، **فأُنظر الموسر، وأتجاوز عن المعسر، فأدخله الله الجنة**».

ولا منافاة بين هذه الرِّوايات؛ لأنَّ مَلك الموت سأله عند قبض رُوحه، ثمَّ سأَلته الملائكةُ الذين يتلقون الروح بعد مفارقتها للبَدنِ، ثمَّ سئُل لما عُرض علىٰ الله فتجاوز الله عنه وأدخله الجنة.

«**فتياني**»: غِلماني وخدمي وبقيَّة الألفاظ واضحةٌ.

العبرة من القصة

إنَّ الله يحب الرِّفقَ والمُسَامحةَ ويعطي عليهما ما لا يعطي علىٰ العنف والمشاحَّة، فهذا التاجر لم يكن له من عمل خيرٍ إلَّا أنَّه كان في معاملته ينظر المعسر ويمهله، وقد يتجاوز عنه إذا رأىٰ حالته لا تساعد علىٰ الأداء، وكان ييسر علىٰ الموسر ولا يضيِّق عليه، وكان يرجو بذلك أنْ يتجاوز الله عنه، كما جاء في إحدىٰ روايات البُخاري، فحقَّق الله رجاءه، بتجاوزه عنه وغفر له وأدخله الجنة، كل ذلك بسبب المسامحة في المعاملة.

وفي الحديث الصَّحيح: «**إنَّ الله يحبُّ سمحَ البيعِ، سمحَ الشِّراء، سمح القضاء**».

الرجل الذي قتل مائة نفس

عن أبي سعيدٍ الخدري أنَّ نبيَّ الله ﷺ قال: «كان فيمن كان قبلكم رجلٌ قَتَلَ تِسْعةً وتسعين نفسًا، فسأَل عن أعلمِ أهلِ الأرضِ فدُلَّ على راهبٍ، فأتاه، فقال: إنه قَتَل تِسعةً وتسعين نفسًا، فهل له منْ توبةٍ؟ فقال: لا. فقتَلَهُ فكمَّلَ به مائةً.

ثمَّ سأَل عن أعلم أهلِ الأرضِ، فدُلَّ على رجلٍ عالمٍ، فقال: إنه قتل مائةَ نفسٍ، فهل له من توبةٍ؟ فقالَ: نعم. ومنْ يحول بينه وبين التوبة؟ انطَلِقْ إلى أرضِ كذا وكذا؛ فإنَّ بها أُناسًا يعبدون الله فاعبدِ الله معهم، ولا ترجعْ إلى أرضكَ؛ فإنَّها أرضُ سوءٍ.

فانطلق حتَّى إذا نصَف الطَّريقَ، أتاهُ الموتُ فاختصمتْ فيه ملائكةُ الرَّحمة وملائكةُ العذابِ.

فقالت ملائكةُ الرَّحمة: جاء تائبًا مُقبلًا بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنَّه لم يعمل خيرًا قطُّ، فأتاهم ملكٌ في صورة آدميٍ، فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضينِ، فإلى أيَّتهما كان أدنى فهو لهُ، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أَرَادَ فقبضتهُ ملائكَةُ الرحمة»(١).

الشرح:

«فدُلَّ»: بضم الدال مبني للمجهول، يعنى: دلَّه النَّاس على الرَّاهب، وهو المتعبِّد من النصارى.

قال الحافظ ابن حجر: وفيه إشعارٌ بأنَّ ذلك كان بعد رفع عيسي عليه السلام؛

---

(١) رواه البخاري ومسلم وهذا لفظه.

لأنَّ الرَّهبانيَّة إنما ابتدعها أتباعه كما نُصَّ عليه في القرآن. اهـ

«**انطلق إلى أرضِ كذا وكذا**» في رواية البُخاري: «**ائْتِ قرية كذا وكذا**».

وجاء في رواية الطبرانيِّ عن عبدالله بن عمرو مرفوعًا: «**أنَّ اسم القرية الصَّالحة نُصرة، واسم القرية التي كان فيها كفرة**».

ويؤخذ من هذا: أنَّ التَّائب ينبغي له أنْ يهجرَ الأماكنَ التي عصىٰ الله فيها، ويهجر إخوانَ السوءِ الذين صادقوه في المعصية، ويقصد أناسًا صالحين ليقتدي بهم، ويكتسب من أخلاقهم.

«**نصَف الطريق**»: بفتح الصاد، أي: أتىٰ نصف الطريق.

«**فأتاهم مَلك في صورة أدمي، فجعلوه بينهم**»: أي جعلوه حكمًا بينهم.

«**فقال: قيسوا ما بين الأرضَين**»: بفتح الضاد، جاء في رواية البُخاريِّ: «**أنَّ الله أوحى إلى القرية التي خرج منها أنْ تباعدي، وأوحى إلى القرية التي قصدها أنْ تقرَّبي، فقاسوا فوجدوه أقربَ إلى القرية التي قصدها بشبر**».

العبرة من هذه القصة

رحمةُ الله واسعةٌ تَسَع العَاصين وإن عظُمت معاصيهم ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ﴾، ومغفرته عامةٌ تعم المذنبين، وإنْ كثرت ذنوبهم ﴿ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

فهذا الرجل ارتكب أكبر الكَبائر بعد الكفر وهو القتل، ولم يقتل نفسًا واحدةً أو اثنتين، ولكنَّه قتل تسعً وتسعين وكمَّل مائةً بالرَّاهب الذي أفتاه بعدم قبول توبته استعظامًا لجرمه.

والواقع أنَّ جُرمَه عظيمٌ وذنبه كبيرٌ جسيمٌ، إلَّا أنَّه تابَ إلى الله مخلصًا، ورجعَ إليه صادقًا فقبلَ الله توبته وغفر حوبته، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: ٢٥]، ومن قبل الله توبتَه أرضى عنه خصَومه وعوَّضهم كما ورد.

الرَّجلُ الذي اشترى دارًا فوجد فيها ذهبًا

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النَّبيُّ ﷺ: «**اشترى رجلٌ من رجلٍ عقارًا له، فوجد الرجل الذي اشترى العقار في عقاره جرَّةً فيها ذهبٌ ، فقال له الذي اشترى العقار: خذْ ذهبك منِّي؛ إنَّما اشتريتُ منك الأرض ولم ابتع منك الذَّهب، وقال الذي له الأرض: إنما بعتك الأرض وما فيها، فتحاكما إلى رجلٍ، فقال الذي تحاكما إليه: ألكما ولد؟ قال أحدهما: لي غلام، وقال الآخر: لي جارية، قال: أنكحوا الغلام الجارية، وأنفقوا على أنفسهما منه، وتصدقا**»(١).

الشرح:

هذه القصَّة وقعت في زمن داوود عليه الصَّلاة والسَّلام وإليه تحَاكم الرَّجلان المتنازعان في الذَّهبِ، كذلك جاء في كتاب "المبتدأ" لوهب بن منبه.

«**العَقار**» بفتح العين: المنزل والضيعة والنخل، وأثاث المنزل النفيس وغير ذلك، والمراد به هنا الدَّار كما جاء في رواية وهب في كتاب "المبتدأ".

«**جَرَّة**» بفتح الجيم والراء المشددة: آنية من الفخار معروفة.

«**لم أبتع**»: لم اشتر.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

«**ألكما وَلَد؟**»: بفتح الواو واللام، ويجوز ضم الواو أو كسرها مع سكون اللام على أنَّه جمع .

«**قال أحدهما: لي غلام**»: هو المشتري كذلك جاء في كتاب "المبتدأ" لإسحاق بن بشر.

«**أنكحوا**» بالهمز: أي زوجوا الغلام الجارية.

وفي هذه القِصَّة دليلٌ على ورع هذين الرَّجلين وتحريهما وبعدهما عن الطمع، وهذه منزلةٌ كبيرةٌ يقلُّ من يتخلَّق بها اليوم، بل يكاد ينعدم؛ لأنَّ الغالبَ على النَّاس حب المال وحب الحصول عليه بأيِّ طريقٍ كان إلَّا من رحم الله، وقليلٌ ما هم، وبالله التوفيق.

الرجل الذي أوصى أن يحرق

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**إنَّ رجلًا كان قبلكم رَغَسَه الله مالًا، فقال لبنيه لما حُضِر: أيُّ أبٍ كنتُ لكم، قالوا: خيرُ أبٍ، قال: فإنِّي لم أعمل خيرًا قطُّ، فإذا متُّ فأحرقوني، ثمَّ اسحقوني ثمَّ ذُرُّوني في يومٍ عاصفٍ ففعلوا، فجمعه الله عزَّ وجلَّ فقال: ما حملك فتلقاه رحمته**»(١).

الشرح:

لهذه القصَّة ألفاظ وطرق في "الصحيحين" عن حذيفة، وأبي هريرة، وسنشير إليها بحول الله.

«**رَغَسة**» بفتح الراء والغين: جعل له مالًا كثيرًا، وفي رواية «**رأَّسه**» بالهمزة

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

على الألف مشددة: أي جعله الله رأسًا بسببِ المال.

وفي رواية: «راشة» أي أعطاه رياشًا يعنى: مالًا.

«حُضِرَ» بضم الحاء وكسر الضاد: حضره الموت وفي روايةٍ: «لما احتضر».

«فإنِّي لم أعمل خيرًا قطُّ»: لم أعمل شيئًا من الطَّاعات أصلًا، وكان نباشًا - أيضًا -، لكنَّه كان موحدًا.

فقد جاء في حديث ابن مسعود عند أحمد بإسنادٍ حسنٍ: «أنَّ رجلًا لم يعمل من الخيرِ شيئًا قطُّ إلَّا التوحيد، فلما حضرته الوفاة قال لأهله ...» وذكر الحديث.

وكذلك جاء في حديث أبي هريره عند أحمد بإسنادٍ صحيحٍ، وجاء في حديث حذيفة عند البخاري.

ورواية عن ابن مسعود عند أبي يعلى بإسنادٍ صحيح أنَّه كان «نبَّاشًا».

«فأحرقوني» بالهمز: لأنَّه فعل رباعي ولا يصح فيه غير ذلك.

«ثمَّ اسحقوني» بفتح الحاء: وفي رواية «ثمَّ اطحنوني» بفتح الحاء والمعنى واحدٌ.

«ثمَّ ذُرُّوني» بتشديد الرَّاء وضمها مع ضم الذال، وفي روايةٍ: «أذروني»: ومعناها ظاهرٌ.

«في يومٍ عاصفٍ»: شديد الرِّيح، وفي روايةٍ: «في يوم راح» أي: شديد الرِّيح، وفي روايةٍ: «ثمَّ ذروني مع الريح».

وفي رواية ابن مسعود عند أبي يعلى: «إذا مت احرقوني ثمَّ اطحنوني، فإذا كان يوم ريح فارتقوا فوق قلة جبل فأذروني، فإنَّ الله إنْ قدر عليَّ لم يغفر لي».

وفي حديث أبي هريرة عند مسلمٍ: «**قال رجلٌ لم يعمل حسنةً قطُّ لأهله: إذا مات فحرِّقوه**» بتشديد الراء المكسورة، «**ثمَّ أذروا نصفه في البر، ونصفه في البحر، فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنه عذابًا لا يعذبه أحدًا من العالمين**».

ولا تخالف بين هذه الرِّوايات بل هي محمولة على أنَّهم فعلوا ذلك كله، فأحرقوه ثمَّ طحنوه ثمَّ ارتقوا الجبل في يومٍ عاصفٍ، فرموا نصفه ثمَّ رموا نصفه الأخر في البحر فجمعه الله.

وفي رواية أبي هريرة عند البخاري: «**فأمرَ الله تعالى الأرض فقال: اجمعي ما فيك منه ففعلت، فإذا هو قائمٌ**».

وفي روايته عند مسلم: «**فقال للأرض: أدي ما أخذت، فإذا هو قائمٌ**».

وفي روايته الأخرى عند مسلم – أيضًا –: «**فأمر الله البَرَّ فجمع ما فيه، وأمر البحر فجمع ما فيه**».

وفي رواية ابن مسعود: «**فاجتمعَ في أيدي الله**».

وفي حديث سلمان الفارسي عند أبي عوانه في "صحيحه" فقال الله له: «**فكان كأسرع من طرفة عين**».

وهذه الرِّوايات متقاربة، والمراد منها تصوير عظمة الله تعالى وسعة قدرته، وأنَّه لا يعجزه شيءٌ كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]،وليس المراد: أنَّ الله جمعه وخاطبه، بل هذا إخبارٌ عمَّا سيحصل له يوم القيامة. كذا قال ابن عقيل.

ويشهد له حديث أبي بكر رضي الله عنه في الشَّفاعة وفيه: «**يقول الله بعد شفاعة الأنبياء والصِّديقين والشُّهداء: أنا أرحم الرَّاحمين، أدخلوا جنتي من لا يشرك**

بي شيئًا، فيدخلون الجنة، ثمَّ يقول الله عزَّ وجلَّ: انظروا في النَّار، هل تلقون أحدًا عملَ خيرًا قط.

قال: فيجدون في النَّار رجلًا، فيقولون: هل عملت خيرًا قط؟ فيقول: لا، غير أنِّي كنتُ أسامح النَّاس في البيع، فيقول الله عزَّ وجلَّ: اسمحوا لعبدى كإسماحه إلى عبيدى، ثمَّ يخرجون من النار رجلًا فيقولُ له: هل عملت خيرًا قط؟ فيقول: لا، غير أنِّي أمرت ولدي إذا أنا مت فأحرقوني بالنَّارِ ثمَّ اطحنونى، ثمَّ إذا كنت مثل الكحل فاذهبوا بي في البحر فأذروني في الرِّيح، فوالله لا يقدر عليَّ رب العالمين أبدًا.

فقال الله عزَّ وجلَّ له: لما فعلت ذاك؟ فقال: من مخافتك.

فيقول الله عزَّ وجلَّ: انظر إلى ملك أعظم ملك، فإنَّ لك مثله وعشرة أمثاله، قال فيقول: لم تسخر بي وأنت الملك؟ فضحك النَّبيُّ ﷺ».

رواه أحمد، وأبو يعلىٰ، والبزَّار ورجال أسانيدهم ثقات.

وزَعمَ بعضُهم أنَّ الله خاطب روحه، وهذا باطلٌ؛ لأنَّ التحريق والتفريق إنما وقعا علىٰ الجسد، وهو الذي يُجمع عند البعث ويعاد، كما كان فقال: «ما حملك»، زاد في رواية ابن مسعود عند أحمد: «ما حملك على ما صنعت؟».

وفي حديث معاوية بن حيده عند أحمد بإسنادٍ رجاله ثقات: «ما حملك على النَّار؟».

وفي روايةٍ له – أيضًا – قال: «يابن آدم ما حملك على ما فعلت؟».

ومعنىٰ الرِّوايات واحدٌ وليس الاستفهام علىٰ حقيقته؛ لأنَّ الله يعلم حال الشَّخص والباعث له علىٰ ذلك، وإنما أرادَ بالاستفهام إظهار فضل الخوف من

الله تعالىٰ وبيان سعة رحمته وعموم مغفرته.

قال: «**مخافتك**». وفي روايةٍ: «**خشيتك**»: يعني حملني علىٰ ما فعلت خوف عقابك يا رب، وخشية انتقامك، «**فتلقاه رحمَته**» بنصب «رحم» علىٰ المفعولية، أي: تلقاه برحمته. وفي روايةٍ: «**فغفر له**».

وفي حديث بن مسعود عند أبي يعلىٰ قال: «**فاذهب فقد غفرت لك**».

وفي رواية أبي هريرة عند أحمد قال: «**فغفر له بها، ولم يعمل خيرًا قطُّ إلَّا التَّوحيد**».

وفي هذا دليلٌ علىٰ سعة رحمة الله، وأنَّه يغفر للمسلم ما يشاء من الذنوب.

أمَّا الكافر فلا يغفر له أبدًا لقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

فالإسلام ركنٌ أساسيٌّ في حصول المغفرة للشخص، وإحراق جثَّة الميت يظهر أنَّه كان جائزًا في شرعِ من مضىٰ، بدليلِ أنَّ الله غفر لهذا الرجل مع أنَّه أوصىٰ بإحراق جسده، ويجوز أنْ يكون فعل ذلك جهلًا فتجاوز الله عن جهله.

أمَّا في شرعنا فلا يجوز إحراق شيءٍ من الميت، ولو أوصىٰ بذلك، بل تجب مواراته ودفنه، وفي الحديث: «**لا يعذِّب بالنَّار إلَّا ربُّ النَّار**».

بقي ههنا استشكالٌ وهو أنَّ يقال: كيف غفر الله له، مع قوله: «لئن قدر الله عليَّ ليعذبني ... إلخ»؟.

وهذا يفيد أنَّه منكر للبعث ولقدرة الله علىٰ إحياء الموتىٰ، والمنكِّر لهما كافرٌ، والكافر لا يغفر له، ومما زادَ المسألة تعقيدًا، أنَّه قال لأولاده: «**اسحقوني ثمَّ ذُرُّوني في الرِّيح لعلي أضل الله عزَّ وجلَّ**»، مع أنَّ الله تعالىٰ يقول: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّى

وَلَا يَنسَى ﴾ [طه: ٥٢].

والجواب: أنَّ قوله: «لئن قدر الله عليَّ»، فيه تأويلات:

أحدهما: أنَّ معناه لئن قضىٰ الله عليَّ العذاب يقال: قدر بالتَّخفيف والتشديد بمعنىٰ قضىٰ.

الثاني: أنَّ معناه: لئن ضيق الله عليَّ فهو كقوله تعالىٰ: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، أي: نضيِّق عليه.

الثالث: أنَّ اللَّفظَ علىٰ ظاهره، ولكن الرَّجل لم يقصد معناه، بل قال في حالة غلب عليه فيها الدهش والخوف وشدة الجزع، بحيث ذهب تيقظه فصار في معنىٰ الغافل والنَّاسي، وكذلك قوله: «لعلي أضل الله» صدرَ منه في هذا الحالة التي لا يؤاخذ فيها، وهذا نحو قول الآخر الذي غلب عليه الفرح حين وجد راحلته بعد اليأس منها: «اللهم أنت عبدي وأنا ربك»، فلم يكفر بهذا؛ لغلبة شدة الفرح عليه، بحيث لم يشعر بما يقول.

وهذا ما ارتضيته من الأجوبة وتركتُ غيرها؛ لأنَّه لا يسلم من بعض الخدش.

والعبرة من هذه القصة ظاهرة: وهي بيان فضيلة الخشية من الله تعالىٰ، وإكرام الله لمن خافه بالمغفرة ودخول الجنة وقد قال تعالىٰ: ﴿ وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن: ٤٦].

وفي الحديث القدسي: «وعزَّتي لا أجمع علىٰ عبدي خوفين، وأمنين، إذا خافني في الدُّنيا أمَّنته يوم القيامة، وإذا أمنني في الدُّنيا أخفته في الآخرة».

الكفل من بني اسرائيل

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعتُ النَّبيَّ ﷺ يحدِّث حديثًا لو لم أسمعه إلَّا مرَّة أو مرتين، حتى عدَّ سبع مرات، ولكن سمعته أكثر.

سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**كان الكفل من بني إسرائيل لا يتورَّع في ذنبٍ عمله، فأتته امرأة فأعطاها ستين دينارًا له على أنْ يطأها، فلمَّا قعد منها مقعد الرَّجل من امرأته، أرعدت وبكت، فقال: ما يبكيك أأكرهتك؟**

قالت: لا، ولكنَّه عمل ما عملته قطّ، وما حملني عليه إلَّا الحاجة. فقال: تفعلين أنت هذا وما فعلته قط؟! اذهبي فهي لك.

وقال: لا والله لا أعصي الله بعدها أبدًا، فمات من ليلته فأصبحَ مكتوبًا على بابه إنَّ الله قد غفر للكفل»[1].

الشرح:

ثَبَتَ في "صحيحِ ابن حبان" عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ أكثر من عشرين مرة يقول: ... وذكر الحديث.

وهذا دليلٌ على استحباب إعادة الحديث وتكرار الموعظة، لتتعود النفوس خشية الله، ويتمكَّن السَّامعون من حفظ الحديث وتبليغه كما أمروا.

«**والكِفل**» بكسر الكاف: اسم رجلٍ، وأصله في اللغة: الحظُّ والنَّصيب.

«وذو الكفل»: نبيٌّ على نبينا وعليه الصَّلاة والسَّلام.

«والدينار» عملة ذهبيَّة، يساوي نحو: ثلاثة وستين قرشًا صاغًا، وبقيَّة ألفاظ القِصَّة واضحة.

---

(١) رواه الترمذي وحسنه والحاكم وصحيحه.

والعبرة منها

أنَّ هذا الكفل لم يتورَّع عن ذنبٍ ولا رجع عن معصيةٍ اشتهتها نفسه، حتى إذا أثقلَ كاهله بالذنوب والمعاصي، أدركته عناية الله فصدق في التوبة، وأخلص النِّية، وصحَّح العزيمة، فقبلَ الله توبتَه، وغفر له حوبَتَه، وأعلن ذلك للملأِ من بني إسرائيل كي يعرفوا عناية الله بالمذنبين التائبين، ويدركوا سِعة رحمته للعصاةِ إذا أتوا نادمين مخلصين.

وفي الحديث الصَّحيح: «**اللهُ أفرحُ بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضلَّه بأرضٍ فلاة**».

يعني: بأرض صحراء لا طعام فيها ولا ماء.

البقرة والذئب اللذين تكلما

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**بينما رجلٌ يسوق بقرةً له قد عمل عليها، التفتت إليه فقالت: إنِّي لم أخلق لهذا، ولكنِّي إنما خلقت للحرث**»، فقال النَّاس: سبحان الله: تعجبًا وفزعًا، أبقرة تكلم؟!!

فقال رسول الله ﷺ: «**فإنِّي أؤمن به وأبو بكر وعمر وما هما**».

ثَمَّ قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «**بينما راع في غنمه عدَا عليه الذِّئب فأخذ منه شاةً، فطلبه الرَّاعي حتى استنقذها منه، فالتفت إليه الذِّئب فقال له: من لها يوم السَّبع يوم ليس لها راعٍ غيري؟**»، فقال النَّاس: سبحان الله!! فقال رسول الله ﷺ: «**فإني أؤمن بذلك أنا وأبو بكرٍ وعمرُ وما هما**»(١).

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

الشرح:

«ثَمَّ» بفتح الثاء المثلثة وتشديد الميم: ظرف مكانٍ معناه هناك، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا﴾ [الإنسان: ٢٠].

وبقيَّة ألفاظ الحديث واضحةٌ، «**إلا السبع**» وسيأتي الكلام عليه بحول الله.

ويؤخذ من هذا الحديث أمور:

أحدها: جواز كرامات الأولياء وخَرق العوائد، قال النَّووي: وهو مذهب أهل الحق. اهـ

ثانيها: جواز التعجُّب من خَرق العادات، وتفاوت النَّاس في المعارف.

ثالثها: فضيلةٌ ظاهرةٌ لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، حيث أخبر النَّبيُّ ﷺ بإيمانهما بما جاء في هذا الحديث، وهما غير موجودين في المجلس.

رابعها: أنَّ كبار الصَّحابة وأجلاءَهم لم يكونوا يلازمون النَّبيَّ ﷺ في جميع الحالات، وأنَّه كانت تحصل في غيبتِهم أحاديثَ يسمعها ويرويها من هم أقل منهم فضلًا، وقدرًا فلا تتعجَّب بعد هذا من حديث يرويه أبو هريرة، وأبو سعيدٍ ولا يرويه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.

خامسًا: أنَّ التعجُّب من الخبر لا ينافي صدقه، فإنَّ الصَّحابة ليس عندهم شكٌّ في صدق النَّبيِّ ﷺ وعصمته، ومع ذلك تعجَّبوا لمَّا أخبرهم بشيءٍ غريبٍ عن مألوف العادات.

وقد روىٰ ابن حبَّان هذا الحديث في "صحيحه" وزاد في آخره، فقال النَّاس: آمنَّا بما آمن به رسول الله ﷺ.

فيؤخذ من هذه الزيادة أمرٌ آخرٌ وهو سادسها.

سادسها: أنَّ الصَّحابةَ كانوا يُسَارعون إلى الإيمان بما يصدر عن النَّبيِّ ﷺ وهذا معروفٌ من حالهم بالتواتر.

سابعها: جواز قول: «سبحان الله» ونحوه عند التَّعجُّب، وفيه ردٌّ على من كرَّه ذلك من العلماء.

ثامنها: أنَّ مما يتأكَّد على الإنسان رحمته بالحيوان الأعجَم واستعماله برفقٍ فيما خلق لأجله، فلا يصح أنْ تستعمل البقرة مثلًا في حمل الأثقال وجر العربات، كما نشاهده في كثيرٍ من بلاد مصر وقراها؛ لأنَّ البقرةَ لم تخلق لذلك.

وقوله: «**من لها يوم السبع**» اختلف في ضبطه ومعناه.

أمَّا الضَّبط فقال عياض: يجوز ضم الموحدة وإسكانها، إلَّا أنَّ الرِّواية بالضَّم.

وقال الحربيُّ: هو بالضَّم والسُّكون.

وقال ابن الجوزي: هو بالسُّكون.

والمحدِّثون يروُونه بالضم، وجزم ابن العربي: بأنَّ الضمَّ تصحيفٌ وليس كذلك.

وأما المعنى: فإنْ كان «السبُع» بضم الباء: فالمراد به الحيوان المعروف، كما قال الحربي والداودي، والمعنى حينئذ: من لها إذا أخذها الأسد فتفرَّ أنت منه، ويأخذ منها حاجته وأتخلَّف أنا أرعى ما يفضل لي منها.

وقيل: إنما يكون ذلك عند الاشتغال بالفتن، فتصير الغنم هملًا فتنهبها السِّباع، فيصير الذِّئب كالرَّاعي له لانفراده بها.

وإنْ كان «السبْع» بسكون الباء فقيل: هو اسم يوم عيدٍ كان لهم في الجاهليَّة

يشتغلون فيه باللَّهو الَّلعب، فيغفَل الرَّاعي عن غنمه، فيتمكَّن الذِّئب منها ويصير بتمكُّنه منها كأنَّه راعٍ لها. نقله الإسماعيلي عن أبي عبيدة.

وقيل: المراد به الفزعُ من سَبَعْتُ الرجل أفزعته، أي: من لها يوم الفزع.

وقيل: المراد به الإهمال، من أسبع الرجل غنمه أهملها، أي من لها يوم الإهمال، ورجَّحه النووي.

وقيل: المراد به يوم الشِّدة، كما روي عن ابن عبَّاسٍ أنَّه سئُل عن مسألةٍ فقال: أجرًا من سبع، يريد: أنَّها من المسائل الشَّداد التي يشتدُّ فيها الخطب على المفتي. اهـ من "فتح الباري".

ويظهر لي معنى آخر: وهو الإشارة إلى زمن نزول عيسى عليه السلام، فقد صحَّ في حديثٍ عند أحمد وغيره عن أبي هريرة مرفوعًا: «**وإني أولى النَّاس بعيسى بن مريم؛ لأنَّه لم يكن بيني وبينه نبيٌّ، وإنَّه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه ...**» وذكر الحديث.

وفيه: «**ثمَّ تقع الأَمَنَة على الأرض، حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمور مع البقر، والذِّئاب مع الغنم، ويلعب الصِّبيان بالحيَّات لا تضرهم ... الحديث**».

والمعنى على هذا: من لها يوم السبع حين يرعى الذِّئب مع الشاة بل لا يكون لها راع غيره.

وسمي ذلك الزمن يوم السبْع:

- إمَّا لكثرة ظهور السِّباع فيه من قولهم: «أرض مسبعة»، أي: كثيرة السِّبَاع.

- وإمَّا لأنَّ السباع لا تؤذي فيه، على خلاف ما عُهد من طبيعتها، والله سبحانه وتعالى أعلم.

الذِّئب الذي أخبر بالنَّبيِّ ﷺ

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما راعٍ بالحَرة إذ عَرَض ذئبٌ لشاةٍ من شياهه، فحال الرَّاعي بين الذِّئب وبين الشاة، فأقعى الذِّئب على ذَنَبِه ثمَّ قال للرَّاعي: ألا تتقي الله تعالى تحول بيني وبين رزقٍ ساقه الله تعالى إليَّ، فقال الرَّاعي: العجب من الذِّئب يتكلَّم بكلام الإنس!! فقال الذئب: ألا أحدِّثك بأعجبِ من ذلك؟!

رسول الله ﷺ بين الحَرتين يحدِّث الناس بأنباء ما قد سبق، فساق الرَّاعي غنمه حتى قدم المدينة فدَخلَ على النَّبيِّ ﷺ فحدَّثَ بحديثِ الذئبِ، فقال رسول الله ﷺ: «**صدق صدق ألا إنَّه من أشراط السَّاعة كلام السِّباع للإنس، والذي نفسي بيده لا تقوم السَّاعة حتى تكلِّم السِّباع الإنس، ويكلِّم الرجل شِراك نعله وعَذَبة سوطه، ويخبره فَخْذُه بما أحدث أهله من بعده**»(١).

الشرح:

في هذا الحديث معجزة كبيرة من معجزات النَّبيِّ ﷺ: ولها نظائرَ سيأتي بعضها بحول الله.

---

(١) رواه الإمام أحمد، وابن سعد، والبزار، والحاكم، والبيهقي وصححاه، وأبو نعيم وقال الدميري في مبحث الذئب من "حياة الحيوان" وقد عزاه للحاكم: «إسناده على شرط مسلم»، وقال الحافظ الهيثمي- وقد عزاه لأحمد والبزار- رجال أحد إسنادي أحمد رجال الصَّحيح.

ولهذا الحديث طرقٌ منها عند أحمد، والبزَّار عن أبي سعيدٍ قال: بينما رجلٌ من أسلم في غُنيمة له يهشُّ عليها في بيداءَ ذي الحُليفة، إذ عَدَا عليه الذئب ... وذكر القصَّة.

«والحَرة» بفتح الحاء موضع قرب المدينة.

وكذلك «بيداء ذي الحُلَيفة» بضم الحاء وفتح اللَّام: موضعٌ بينه وبين المدينة ستة أميال.

«وبين الحَرتين» بفتح الحاء: هي المدينة المنورة؛ لأنَّها بين موضعين يسمى كل منهما بالحَرة.

قوله: «صدق» أي: الرَّاعي كذلك جاء مُصَرّحًا به، وفي رواية أبي نعيم.

وفي هذا الحديث، إشارةٌ على المخترعات الحديثةِ ما ظهر منها كالراديو ونحوه وما لم يظهر إلى الآن، ولا بدُّ من ظهوره كما أخبر به الصَّادق المصدوق والله تعالى أعلم[1].

تنبيه:

روى البُخاريُّ في "التاريخ"، وأبو نُعيم من طريق ربيعةَ بن أوسٍ، عن أنيس بن عمرو، عن أهبان بن أوس قال: كنت في غنمٍ لي فشدَّ الذِّئب على شاةٍ منها فصحت عليه، فأقعى الذِّئب يخاطبني وقال: من لها يوم تشتغل عنها، تمنعني رزقًا رزقنيه الله تعالى، فصفقت بيدي وقلت: والله ما رأيتُ شيئًا أعجب من هذا!!

---

(١) انظر كتاب شقيقنا أبي الفيض أحمد الغماري "مطابقة الاختراعات العصرية" طبع بمكتبة القاهرة بالأزهر.

فقال: أعجبُ من هذا! هذا رسول الله ﷺ بين هذه النخلات يدعو إلى الله، قال: فأتى أهبانَ النَّبيَّ ﷺ فأخبره وأسلم.

قلت: الرَّاجح عندي أنَّ أهبان هذا هو صاحب القصَّة في الحديث السَّابق، فيكون هذا الحديث، والذي قبله وردا في قصَّةٍ واحدةٍ.

وقد ورد كلام الذِّئب في قصصٍ أخرى، قال الحافظ ابن عبد البر: كلَّم الذِّئب من الصَّحابة ثلاثة: رافعَ بن عميرة، وسلمةَ بن الأكوع، وأهبانَ بن أوس الأسلمي، قال: ولذلك تقول العرب: هو كذئب أهبان يتعجَّبون منه. اهـ

ونقَلَ الحافظُ في "الإصابة" عن ابن الكلبيِّ، وأبي عبيد، والبلاذري، والطبري: أنَّ مُكلِّم الذِّئبِ أهبان بن الأكوع بن عيَّاد الخُزاعي، فإذا ضُمَّ هذا إلى الثلاثة قبله كانوا أربعة، وقد أشتهر أهبان هذا بأنَّه مكلِّم الذِّئب.

قال الحافظ أبو بكر بن أبي داود: يقال لأهبان: مكلِّم الذِّئب ولأولاده أولاد مكلِّم الذِّئب.

ومحمد بن الأشعث الخزاعي من ولده، وأتَفَقَ مثل ذلك لرافع بن عميرة، وسلمة بن الأكوع. اهـ

وروى أحمدُ بإسنادٍ رجاله ثقاتٍ كما قال الحافظ الهيثمي: عن أبي هريرة قال: جاء ذئبٌ إلى راعي غنمٍ، فأخذ منها شاةً، فطلبه الرَّاعي حتى انتزعها منه، فصعد الذِّئب على تلٍّ فأقعى وقال: عمدتَ إلى رزقٍ رزقنيه الله فانتزعتَه منِّي فقال: بالله إنْ رأيتُ كاليوم ذئبًا يتكلَّم!

قال الذئب: أعجب من هذا رجلٌ في النَّخلات بين الحرمين يخبركم بما

مضىٰ وبما هو كائنٌ بعدَكم.

وكان الرجل يهوديًّا فجاء النَّبيَّ ﷺ وأخبره وصدَّقه النَّبيُّ ﷺ وقال النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّها أَماراتٌ من أَماراتٍ بين يدي السَّاعة، قد أوشك الرَّجل أنْ يخرجَ فلا يرجع حتى تحدِّثه نعلاه وسوطُه ...**».

صاروا خمسةً إن لم يكن هو أحد الأربعة المذكورين، لكني أرجِّح أنَّه أَهبان ابن أوس.

وأخرج أبو نُعيم عن أنسٍ قال: كنت مع النَّبيِّ ﷺ في غزوة تبوك فشددت علىٰ غنمي، فجاء الذِّئب فأخذ منها شاةً، فاشتدَّت الرِّعاء خلفه فقال الذِّئب: طُعْمَةٌ أَطْعَمَنِيَها الله تعالىٰ تنزعونها مني، فبُهت القوم، فقال الذِّئب: ما تعجبون من كلام الذِّئب وقد نزل الوحي علىٰ محمَّدٍ ﷺ.

وأخرج ابن عدي، والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: بينما راعٍ علىٰ عهد النَّبيِّ ﷺ في غنمٍ له إذْ جاء الذِّئب فأخذ الشَّاةَ، ووثب الرَّاعي حتىٰ انتزعها من فِيهِ، فقال له الذِّئبُ: أما تتقي الله تعالىٰ أنْ تمنعني طُعْمَةٌ أطعمنيها الله تعالىٰ، أَلَا أدلُّك علىٰ ما هو أعجب من كلامي!! رسول الله ﷺ في النَّخل يخبر النَّاس بحديث الأولين والآخرين، فانطلق الرَّاعي حتىٰ جاء إلىٰ النَّبيِّ ﷺ فأخبره وأسلم.

هذا ما بُلِّغْناه من حوادث كلام الذِّئب أوردناه والله سبحانه أعلم.

الجمل الذي استجار بالنبي ﷺ

عن تميم الدَّاري رضي الله عنه قال: كُنا جلوسًا مع رسول الله ﷺ إذ أقبلَ بعيرٌ يعدو حتىٰ وقف علىٰ هامَة رسول الله ﷺ، فقال النَّبيُّ ﷺ: «**أيُّها البَعيرُ اسكن فإنْ تكُ صادقًا فعليك صدقُك، وإنْ تك كاذبًا فعليك كذبك، مع أنَّ الله قد أمَّن عائِذنا وليس بخائبٍ لائذنا**»، فقلنا: يا رسول الله ما يقول هذا البعير؟ فقال: «**هذا بعيرٌ قد همَّ أهلُه بنحره وأكل لحمه فهربَ منهم واستغاث بنبيكم ﷺ**».

فبينما نحن كذلك إذْ أقبل أصحابه يتعادَون، فلما نظر إليهم البعير عاد إلىٰ هامة رسول الله ﷺ فلاذ بها، فقالوا: يا رسول الله هذا بعيرنا هرب منذ ثلاثةِ أيامٍ فلم نلْقه إلَّا بين يديك، فقال ﷺ: «**أما أنَّه يشكو إليَّ فبئست الشِّكاية**»، فقالوا: يا رسول الله ما يقول؟ قال: «**يقول إنَّه رُبِّي في أمنكم أحوالًا، وكنتم تحملون عليه في الصَّيف إلى موضع الكلأ، فإذا كان الشِّتاء رحلتم إلى موضع الدفاء، فلما كبر استفحلتموه فرزقكم الله منه إبلًا سائمةً، فلما أدركته هذه السّنةُ الخصيبةُ هممتم بنحره وأكل لحمه**».

فقالوا: قد والله كان ذلك يا رسول الله، فقال ﷺ: «**ما هذا جزاء المملوك الصَّالح من مواليه**».

فقالوا: يا رسول الله فإنا لا نبيعُه ولا ننحرُه فقال ﷺ: «**كذبتم فقد استغاث بكم فلم تُغيثوه، وأنا أولى بالرَّحمة منكم، فإنَّ الله نزع الرحمة من قلوب المنافقين، وأسكنها في قلوب المؤمنين**».

فاشتراه ﷺ منهم بمائة درهمٍ، وقال: «**يا أيُّها البعير أنطلق فأنت حرٌّ لوجه الله تعالى**» فرغا علىٰ هامة رسول الله ﷺ فقال عليه السلام: «**آمين**».

ثمَّ رغا، فقال: «آمين»، ثمَّ رغا الرابعة فبكى ﷺ، فقلنا: يا رسول الله ما يقول هذا البعير؟ قال: قال: «**جزاك الله أيُّها النَّبيُّ عن الإسلام والقرآن خيرًا**»، فقلت: «آمين»، ثمَّ قال: «**سكن الله رعب أمتك يوم القيامة كما سكنت رعبي**»، فقلت: «آمين»، ثمَّ قال: «**حقن الله دماء أمَّتك من أعدائها كما حقنت دمي**»، فقلت: «آمين»، ثم قال: «**لا جعل الله بأسها بينها، فبكيتُ فإنَّ هذه الخصال سألتها من ربي فأعطانيها ومنعني هذه، وأخبرني جبريل عن الله تعالى أنَّ فناء أمتي بالسَّيف، جرى القلم بما هو كائنٌ**»(١).

الشرح:

«**البعير**» الجمل ويطلق على الحمار - أيضًا - ومنه قوله تعالى: ﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٍ﴾ [يوسف: ٧٢].

قال ابن بري في "حواشي الصحاح": قال ابن خالويه: والبعير - أيضًا - الحمار، وهو حرفٌ نادرٌ ألقيته على المتنبي بين يدي سيف الدولة، وكانت فيه خنزوانة وعنجهية فاضطَّرب، فقلت: المراد بالبعير في قوله تعالى: ﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٍ﴾، الحمار وذلك أنَّ يعقوب وأخوه يوسف عليهما السلام كانوا بأرض كنعان، وليس هناك إبل وإنما كانوا يمتارون على الحمير، وكذلك ذكره مقاتل ابن سليمان في "تفسيره". اهـ من "تاج العروس" للسيد مرتضى الزبيدي.

«**والهامَة**» بتخفيف الميم: رأس كلِّ شيءٍ وتجمع على هام.

«**والكلأ**»: المرعى، والدِفاء ضد البرد، وكذلك الدفء ومنه قوله تعالى:

---

(١) رواه ابن ماجه.

﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ [النحل: ٥].

«**استفحلتموه**»: أنزيتموه على الأنثى.

«**رغا**»: صوت.

ويؤخذ من هذا الحديث أمور:

الأول: أنَّ النَّبيَّ ﷺ عُلِّمَ منطقَ الحيوان، ولا عجب في ذلك، فقد عُلِّمَ سليمان عليه السلام منطق الطير، قال الله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ١٦].

وقال في شأن داود عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ﴾ [سبأ: ١٠].

«**والتأويب**»: الترجيع كان إذا سبَّحَ داود رجعت الجبال والطير معه بالتسبيح، ولا شكَّ أنَّ نبيَّنا ﷺ أفضل من جميع الأنبياء، وقد وردت شكوى الجمل إلى النَّبيِّ ﷺ في عدة أحاديث.

الثاني: أنَّ من استغاث بالنَّبيِّ ﷺ واستشفع به فإنَّ الله لا يخيِّبه لقوله: «**مع أن الله قد أمنَّ عائذَنا، وليس بخائب لائذَنا**».

الثالث: أنَّ الرحمة والنِّفاق متنافران لا يجتمعان في موطن، كما أنَّ الرحمة والإيمان متآلفان متوافقان؛ لأنَّ المؤمن هيِّنٌ ليِّنٌ رحيمٌ، قلبه العامر بالإيمان ممتلئ شفقة وعطفًا، والمنافق فظٌّ غليظٌ لا تجد الرَّحمة إلى قلبه مسلكًا.

الرَّابع: أنَّ من أحسن الخدمة والعمل استحقَّ أحسن الجزاء على ما فعل، لقوله: «**ما هذا جزاء المملوك الصالح من مواليه**»، وفي القرآن العظيم: ﴿هَلْ

جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾ [الرحمن: ٦٠].

الخامس: أنَّ الحيوان الأعجم يعرف النَّبيَّ ﷺ، لقول الجمل: «**جزاك الله أيُّها النَّبيُّ عن الإسلام والقرآن خيرًا**».

ويؤيِّد هذا ما رواه الطَّبراني، وأبو نعيم، والبيهقي عن ابن عبَّاسٍ، قال: جاء قومٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقالوا: يا رسول الله إنَّ بعيرًا لنا قَطَن - أقام وتمكَّن - في حائطٍ، فجاء إليه النَّبيُّ ﷺ فقال: «**تعاله**»، فجاء مطأطئًا رأسه فخَطَمَه وأعطاه صاحبه.

فقال أبو بكرٍ: يا رسول الله كأنَّه علم أنَّك نبيٌّ، فقال: «**ما بين لابتيها أحدٌ إلَّا يعلم أنِّي نبيٌّ إلَّا كفرةَ الجنِّ والإنس**».

وروى أحمد، وابن أبي شيبة، والدَّراميُّ، وأبو نعيم عن جابر بن عبدالله قال: دفعنا مع رسول الله ﷺ إلى حائط بني النجَّار، فإذا فيه جملٌ لا يدخل الحائط إلَّا شد عليه، فأتاه النَّبيُّ ﷺ فدعاه فجاء واضعًا مشفره في الأرضِ، حتى برك بين يديه، فقال: «**هاتوا خطامًا**»، فخطمه ودفعه إلى صاحبه، ثمَّ التَّفتَ فقال: «**ما بين السَّماء والأرض إلَّا يعلم أنِّي رسول الله، إلَّا عاصي الجن والإنس**».

وتقدَّم قريبًا حديث الذِّئب الذي بشَّر بالنَّبيِّ ﷺ ودعا إلى اتباعه.

السَّادس: أنَّ النَّبيَّ ﷺ له خصوصيات يمتاز بها عن غيره، فقد اشترى الجمل بمائة درهم، ثمَّ أعتَقه من النَّحر، وحرَّره من العمل، وذلك لا يجوز لغيره لما فيه من إضاعة المال.

السَّابع: أنَّ استعمال الشِّدة في محلِّها ومواجهة المجرم باللَّوم والتقريع أمرٌ

مستحسنٌ مرغوبٌ، لا ينافي الحِلم وكرم الخلق؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ، واجه المنافقين أصحاب البَعير بالتَّكذيبِ، وأخبرهم أنَّ الرَّحمة نُزعت من قلوبهم لنفاقهم، وذلك لأنَّ لكلٍّ من الشدَّةِ واللِّين محلًّا يناسبه لا يصلح فيه غيره كما قال الشَّاعر:

ووضـــع النَّـــدىٰ في موضـــع السَّـــيف
مضرٌّ كوضع السَّـيف في موضـع النَّـدىٰ

الثَامن: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان شديد العناية بأمَّته، عظيم الاهتمام بأمورهم، يدعو لهم ويشفع منهم كلما وجد سبيلًا، وإذا دعا غيره لهم أمَّن علىٰ دعائه، وهذا غاية ما يكون من العطف والشَّفقة، فصلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وجزاه عنَّا أكمل ما جزىٰ نبيًا عن أمته.

التاسع: أنَّ القَدَر إذا جرىٰ بشيءٍ فلا تردُّه شفاعةٌ ولا دعاءٌ؛ لأنَّ الله إذا قدَّر شيئًا أمضاه لا معقِّب لحكمه ولا رادَّ لما قضاه.

أمَّا حديث: «**الدُّعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل**»، فمعنىٰ نفعه: تخفيف القضاء وتلطيفه لا ردُّه.

وقد يقال: توفيق العبد للدعاء أمارةٌ علىٰ أنَّ الله أرادَ صرف القضاءِ عنه، وأنَّ صرفه كان معلَّقًا بالدعاء.

العاشر: أنَّ مما قضاه الله وأبرمَه اختلاف هذه الأمة وتناحرها وتقاتلها، وقد جاء الخبر بذلك في عدَّة أحاديثَ، ووقع الأمر كما أخبر ﷺ، وما أذهب شوكة المسلمين وأضعف قوتهم إلَّا خلافهم علىٰ بعضهم، وتضاربهم في سبيل تحقيق الأغراض والنّزاعاتِ والأهواءِ، ولم ينتهوا بقول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ

فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦].

أي: قوتكم ودولتكم، فآل حال المسلمين إلى ما هو مشاهدٌ ولا حول ولا قوةَ إلا بالله العلي العظيم.

الحادي عشر: أنَّ الرَّحمة بجميع الخلق مطلوبة، خصوصًا الحيوان الأعجم، فإنَّه يألم كما نألم، ويُحس بضرر الجوع والعطش والتَّعب كما نحس، لكن لم يعط النُّطق والتعبير كما أُعطِيهما الإنسان، فكان استعمال الرَّحمة في حقِّه آكدٌ، واستحقاقه للعطف والشفقة أشدُّ.

وقد حضَّ النَّبيُّ ﷺ على رحمةِ الحيوان والرِّفق به، ونهى عن إيجاعه وإيذائه، ونهى عن اتخاذ ظهور الدَّواب كراسي يتحدَّث عليها الرُّكاب، وأمر بإعطاءِ الدَّابة حقَّها من الأرض، في المرعى والرَّاحة.

وأخبرَ أنَّ صاحبَ الدَّابة مسئولٌ عنها، يعذِّبه الله عليها إنْ أجاعها وأتعبها أو حملها ما لا تُطيق.

وأخبرَ أنَّ العصفور إذا قُتِلَ لغير منفعةِ الأكل يأتي يوم القيامةِ يعجُّ إلى الله وأوداجُه تشخُب دمًا، يقول: يا ربِّ سل عبدك فلانًا لمَ قتلني عبثًا ولم يقتلْني منفعةً، ولو جُمعت الأحاديث في هذا المعنى لجاءت كتابًا حافلًا، وهي بمجموعها تفيد ما دعا إليه الإسلام من مبادئَ ساميةٍ، وتعاليمَ عاليةٍ، تضْمَن لمن التزمها وعمل بها راحة الضمير، وطمأنينة القلب، وسعادة الدنيا والآخرة.

الثاني عشر: أنَّ النَّبيَّ ﷺ أُعطي من الرَّحمة الحظَ الأكبرَ، ومن الرِّفق النَّصيبَ الأوفرَ، ألا ترى إلى رفقِه بالبَعير، ورقته لحاله، وشرائه بمائة درهمٍ، ثمَّ

إعتقاقه لوجه الله، ولا غَرو في ذلك!! فإنَّ الرحمة شأنُ المؤمن ووصفٌ من أوصافه، وهو ﷺ سيد المؤمنين وإمامهم، خاطَبه مولاه بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، صلىٰ الله وسلم عليه وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

٣- حواشي العلامة السيد عبدالله بن الصديق

على المجلد السابع من كتاب:

" التمهيد" لابن عبد البر

١- ذكر ابن عبدالبر أنَّ حفص بن عمر المدني روى عن مالك، عن الزهري، عن سعيد ابن المسيب، عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «آمين»، ولم يتابع حفص على هذا اللَّفظ بهذا الإسناد.

فقال سيدي العلامة عبد الله بن الصديق الغماري الحسني رضي الله عنه ورحمه: "هكذا رواه الدَّارقطني في "غرائب مالك" وفي "العلل" وقال: تفرَّد به حفص بن عمر، وهو ضعيفٌ.

وروىٰ الدَّارقطني في "السنن" من طريق الزبيدي، عن الزُّهري، عن أبي سلمة وسعيد، عن أبي هريرة قال: كان النَّبيُّ ﷺ إذا فرغ من قراءة أمِّ القرآنِ رفع صوته، وقال: «آمين».

قال الدَّارقطني: هذا إسنادٌ حسنٌ، وقال الحاكمُ: صحيحٌ علىٰ شرطهما".

(حاشية التمهيد ٧/ ٨).

٢- وقال عن «الغداني»:

«الغُداني» بضم الغين المعجمة وتخفيف الدال المهملة: عبدالله بن رجاءَ أبو عمران البصري ثمَّ المكي؛ لسكناه بها، من ولد غدانة من يربوع بن حنظلة، بطنٌ من تميم.

روىٰ عن: مالك، والثوري، وجعفر الصَّادق، وعبيد الله بن عمر.

«وثَّقه» ابن معين وابن سعد وابن حبَّان.

حاشية التمهيد (٧/ ٩).

٣- وقال في معنى «آمين»:

روىٰ جويبر في "تفسيره" عن الضحاك عن ابن عبَّاس، قال: قلت: يا

رسول الله ما معنىٰ «آمين»، قال: «**رب افعل**». جويبر ضعيفٌ جدًّا .

ورواه الثعلبي في "تفسيره" من طريق الكلبي عن أبي صالح، عن ابن عبَّاس. والكلبي أشدُّ ضعفًا من جويبر.

وروىٰ عبد الرزَّاق بإسنادٍ ضعيفٍ عن أبي هريرة، قال: «آمين» اسمٌ من أسماء الله عزَّ وجلَّ، وروىٰ مثله عن هلال بن يساف.

وروىٰ ابن أبي شيبة عن مجاهدٍ وحكيم بن جبير مثله - أيضًا -، وأسماء الله توقيفيَّة لا تثبت إلَّا بحديثٍ مرفوعٍ صحيحٍ، وكان الحسن يقول في معنىٰ «آمين»: اللَّهم استجب.

وجاء في حديثٍ مرفوعٍ ضعيفٍ: «**آمين خاتم ربِّ العالمين على عباده المؤمنين**». رواه الطبراني في "الدعاء" من حديث أبي هريرة.

وقال أبو زهير النميري الصحابي: «آمين مثل الطَّابع علىٰ الصَّحيفة».

وأبعد من قال: «آمين درجة في الجنَّة».

(حاشية التمهيد ٧/ ١٠-١١).

٤- قال ابن عبدالبر: قال الشَّاعر:

«ويرحم الله عبدًا قال: آمين»

قال: «هذا البيت أنشده ثعلبٌ، شاهدًا علىٰ قصر «آمين» في الشِّعر للضرورة لا مطلقًا، والبيت لجبير بن الأضبط كما في "شرح القاموس".

و«فَحْطَل»: بوزن جعفر.

و«قنفذ»: اسم رجل.

وقوله: «إذ دعوته» كذا وقع في "الصحاح" أيضًا وفي "شرح القاموس":

إذ سألته.

(حاشية التمهيد ٧/ ١١).

٥- قول ابن عبد البر: عن أبي عبدالله ابن عم أبي هريرة:

قال الغماريُّ: «أبو عبدالله الدوسي» قال ابن أبي حاتم: اسمه عبدالرحمن بن هِضاض بكسر الهاء، وسمَّاه مسلمٌ في "الكنى"، وابن حبَّان في "الثقات": عبد الرحمن بن الصَّامت.

قال ابن القطَّان: «لا يعرف». وفي "التقريب": «مقبولٌ».

٦ - ما قاله عن أبي عبدالله ابن عم أبي هريرة:

قال: كذا بالأصل، ولعلَّ الصَّواب: وحدَّثنا أحمد بن فتح وخلف بن قاسم قالا: حدَّثنا الحسن بن رشيق.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٣).

٧ - وعن قول ابن عبد البر: يحيى بن محمد بن عمروس المعدل قالا:

قال الغماريُّ: قالا، أي: يحيى بن عمروس، وشيخ قاسم أصبغ السَّاقط من الأصل، والظَّاهر أنَّه محمد وضَّاح.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٤)

٨ -وعن إسحاق بن إبراهيم بن زريق:

قال: كذا بالأصل، وهو تصحيفٌ.

والصَّواب: زِبْرِيق بكسر الزَّاي والراء بينهما موحدة ساكنة.

وهو إسحاق بن إبراهيم بن العلاء أبو يعقوب الحمصي الزُبيدي بضم الزاي.

يعرف بابن زبريق، اسم أحد أجداده، صدوقٌ يهم كثيرًا.

وأطلق محمد بن عوف أنَّه يكذِب، توفي بمصر (سنة ٢٣٨)، وهو آخر أصحاب يحيىٰ بن عمروس المصري.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٤)

٩ -وعن حجر بن العنبس الحضرمي:

قال: حُجْر: بضم الحاء وسكون الجيم، والعَنْبَس بفتح العين المهملة والباء الموحدة، بينهما نون ساكنة، وحُجر هذا ثقةٌ، روىٰ عن عليٍّ عليه السلام، وشهد معه الجمل وصفين.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٤)

١٠ -وعن حديث «لا تسبقني بآمين»:

قال: أبو إسحاق هو عمرو بن عبدالله الكوفي السَبيعي، بفتح السين، وهذا الطريق رواه ماجه في "سننه"، ولفظ متنه: صليت مع النَّبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فلما قال: «﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]» قال: «آمين» فسمعناها.

وعبدالجبار لم يسمع من أبيه، لكن الطريق الذي أسنده المؤلف من جهة أبي داود، وصحَّحه ابن حبَّان والدَّارقطني والحافظ.

وإعلال ابن القطَّان له بجهالة حجر بن العنبس خطأ؛ لأنَّه ثقةٌ معروفٌ، بل قيل بصحته.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٤)

١١ -وعن معنى «للجة»:

قال: لجَّة بفتح اللام وتشديد الجيم: الأصوات المرتفعة.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٥)

١٢- وعن حديث: «ما حسدنا اليهود على شيءٍ ما حسدونا على آمين».

قال: روىٰ أحمد وابن ماجه والبيهقي، عن عائشة قالت: قال النَّبيُّ ﷺ: **«ما حسدتكم اليهود على شيءٍ ما حسدتكم على السَّلام والتأمين».**

وللطبراني في "الأوسط" بإسنادٍ حسنٍ عن معاذ بن جبلٍ عن النَّبيِّ ﷺ قال: **«إنَّ اليهود قومُ حسد، ولم يحسدوا المسلمين على أفضل من ثلاثٍ: ردُّ السَّلام، وإقامةُ الصَّف، وقولهم خلف إمامهم في المكتوبة: آمين».**

(حاشية التمهيد ٧/ ١٥)

١٣- وعن الحثِّ على الدعاء:

قال الغماريُّ: روىٰ الحاكم عن أبي هريرة، عن النَّبيِّ ﷺ قال: **«ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أنَّ الله لا يقبل دعاء من قلبٍ غافلٍ لاهٍ».**

ورواه الترمذي - أيضًا - وإسناده ضعيفٌ.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٦)

١٤- وعن حديث: «يتعاقب فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ...» الحديث.

قال: رواه مالكٌ والشَّيخان من حديث أبي هريرة، وبقيته: **«ثمَّ يعرج الذين بأتوا فيكم، فيسألهم وهو أعلم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلُّون وأتيناهم وهم يصلُّون».** زاد ابن خزيمة في "صحيحه" من طريق الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة: **«فاغفر لهم يوم الدِّين».**

حاشية التمهيد (٧/ ١٦).

١٥ -وعن حديث: «جرح العجماء جبار، وفي الركاز الخمس».

قال: في الحديث سقطٌ وقع من النَّاسخ، ولفظ المتن في "الموطأ": «**جرح العجماء جُبَارٌ، والبئر جُبَارٌ، والمعدن جُبَارٌ، وفي الرِّكاز الخمس**».

وهكذا رواه البخاري في كتاب: الزكاة، عن عبدالله بن يوسف، عن مالك به.

ورواه في «الدِّيات» عن عبدالله بن يوسف، عن الليث بن سعد، عن ابن شهاب به.

ورواه مسلمٌ من طرقٍ عن الليث، وابن عيينة، ومالك عن ابن شهاب به.

ورواه مسلم والنَّسائي من طريق يونس بن يزيد، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب وعبيدالله بن عبدالله، عن أبي هريرة به.

ورواه مسلمٌ من طريق الأسود بن العلاء، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة.

ورواه البخاري ومسلمٌ من طريق محمَّد بن زياد، عن أبي هريرة به.

وللحديث طرقٌ ضعيفة، لا داعي لذكرها.

و«جُبَار» بضم الجيم وتخفيف الموحدة.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٩)

١٦ - وعن ذكره قول الشَّاعر:

كم ملك نزع الملك عنه وجَبَّار بها دمه جبار

قال: جَبَّار: بفتح الجيم وتشديد الموحدة، العاتي المتمرد، نزع بالبناء للمجهول.

و«بها»: أي بالدنيا أو بالأرض.

«دمه جبار»: أي هدر.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٩)

١٧ -عن قول ابن سيرين: «كانوا لا يضمنون من النفحة»:

قال: النفحة بالحاء المهملة: ضرب الدابة برجلها.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٢)

١٨ - وعن قول حماد: «إذا ساق المكارى حمارًا عليه امرأة فتخر»:

قالّ: وضع النَّاسخ على هذه الكلمة علامة التوقف فيها، وهي صحيحة.

ومعنى «تخر»: تسقط كما في "فتح الباري". وهذا الأثر علقه البخاري عن حماد والحكم معًا.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٢)

١٩ - وعن قول الشعبي: «إذا ساق الدابة فأتعبها فهو ضامن لما أصابت، وإن كان مسترسلًا ...»:

قال: صواب العبارة: «وإن كان خلفها مترسلًا لم يضمن». هكذا علَّقه البخاري عن الشعبي.

ومعنى «مترسلًا»: يمشي على هيئته.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٣)

٢٠ -وعن: «الهروي»:

قال: هو إبراهيم بن عبدالله أبو إسحاق الهروي نزيل بغداد. «صدوقٌ حافظٌ»، تُكلِّم فيه بسبب القرآن. مات سنة (٢٤٤). "تقريب التهذيب".

والهروي يروي هذا الأثر عن هشيم، عن أشعث كما في "المحلى".

وسقط هشيم من السند هنا، وهو خطأ من الناسخ.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٣).

٢١- وعن حديث: «البير جُبار والرجل جُبار والعجماء جُبار وفي الركاز الخمس»:

قال: رواه عبد الرزَّاق عن الثوري كما هنا، ورواه البيهقي من طريق عبدالرحمن ابن مهدي، عن الثوري به، وقال: «مرسل».

قال: ووصله قيس بن الربيع بذكر ابن مسعود فيه، وقيسٌ لا يحتج به.

ورواه الدَّارقطني من طريق عبدالرحمن بن ثروان - هو أبو قيس -، عن هزيل، عن عبدالله، أظنه مرفوعًا فذكره.

عبدالله: هو ابن مسعود.

وهُزيل: بالتصغير ثقةٌ مخضرمٌ من رجال البخاري.

وأبو قيس: صدوقٌ ربما خالف كذا في "تقريب التهذيب".

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٥)

٢٢ -وعن زياد بن عبدالله البكائي:

قال: زياد بن عبدالله البَكَّائي: بفتح الموحدة وتشديد الكاف، صدوق. ثبت في "المغازي".

وفي حديثه عن غير ابن إسحاق لين. "تقريب التهذيب".

واللين في اصطلاح أهل الحديث: ضعفٌ خفيفٌ.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٥)

٢٣ - وعن حديث: «الرجل جبار»:

قال: أخرجه أبو داود في "سننه"، والدَّارقطني - أيضًا - وقال: لم يروه غير سفيان بن حسين، وهو وَهْمٌ، لم يتابعه عليه أحدٌ، وخالفه الحفَّاظ عن الزهري منهم: مالك، ويونس، وسفيان بن عيينة، ومعمر، وابن جريج، والزبيدي، وعقيل، والليث بن سعد وغيرهم، كلهم رووه عن الزهري ولم يذكروا الرجل وهو الصَّواب. اهـ

ورواه الدَّارقطني من طريق آدم بن أبي إياس، عن شعبة، عن محمَّد بن زياد، عن أبي هريرة به .

وقال: تفرَّد به آدم وهو وَهْمٌ، لم يتابعه عليه أحدٌ عن شعبة. اهـ

وقال محمد بن الحسن في كتاب "الآثار": أخبرنا حنيفة: حدَّثنا حمَّاد عن إبراهيم النَّخعي، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**العجماء جبار، والقليب جبار، والرجل جبار، والمعدن جبار، وفي الركاز الخمس**» هذا حديثٌ معضلٌ.

(حاشية التمهيد (٧/ ٢٦-٢٥).

٢٤- وعن حديث: معمر عن همام بن منبه، عن أبي هريرة، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «النَّار جبار».

قال: أخرجه أبو داود، والنَّسائي، وابن ماجه من طريق عبد الرزَّاق، زاد أبو داود، وعبد الملك الصنعاني كلاهما عن معمر به قال الخطابي.

لم أزل أسمع أصحاب الحديث يقولون: غلط فيه عبد الرزَّاق، إنما هو «**البئر جبار**»، حتى وجدته لأبي داود عن عبد الملك الصنعاني، عن معمر، فدلَّ على أنَّ الحديث لم ينفرد به عبد الرزَّاق. اهـ

ومن ثمَّ جزم ابن معين بأنَّ التصحيف من معمر.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٦)

٢٥- وعن قول يحيى بن معين: أصله «البير جبار».

قال: قال ابن العربي: اتفقت الرِّوايات المشهورة على التلفظ بـ«**البئر**».

وجاءت رواية شاذَّة بلفظ «النار جبار»، ومعناه عندهم: أنَّ من استوقد نارًا مما يجوز له، فتعدت حتى أتلفت شيئًا فلا ضمان عليه.

وقال بعضهم: صحفها بعضهم؛ لأنَّ أهل اليمن يكتبون النَّار بالياء لا بالألف، فظن بعضهم «البير» بالموحدة، النَّار بالنون فرواها كذلك. اهـ

قال الحافظ في "الفتح": هذا التأويل نقله ابن عبد البر وغيره عن يحيى بن معين، وجزم بأنَّ معمرًا صحَّفه.

قال ابن عبد البر: ولم يأت ابن معين على قوله بدليلٍ، وليس بهذا تُرد أحاديث الثِّقات، وليست هذه الجملة موجودة بالأصل الذي بيدنا.

ثمَّ قال معقِّبًا عليه: ولا يعترض على الحفَّاظ الثِّقات بالاحتمالات، ويؤيِّد ما قال ابن معين اتفاق الحُفَّاظ من أصحاب أبي هريرة على ذكر «البئر» دون «النار».

وقد ذكر مسلم أنَّ علامة المنكر في حديث المحدِّث: أنْ يعمد إلى مشهورٍ بكثرة الحديث والأصحاب فيأتي عنه بما ليس عندهم، وهذا من ذاك، ويؤيِّده - أيضًا - أنَّه وقع عند أحمد من حديث جابر بلفظ: «**والجب جبار**»، وهي «البير».

وقد اتفق الحُفَّاظ على تغليط سفيان بن حسين، حيث روى عن الزهري في حديث الباب «الرِجُل»، بكسر الراء وسكون الجيم، وما ذاك إلَّا أَن الزهري

مُكْثِر من الحديث والأصحاب، فتفرد سفيان عنه بهذا اللَّفظ فعُدَّ منكرًا.

نعم، الحكم الذي نقله ابن العربي صحيحٌ ويمكن أن يلتقي من حيث المعنىٰ من الإلحاق بالعجماء، ويلتحق به كل جماد. اهـ

وقد وقع الحديث في "سنن ابن ماجه" من طريق معمر بلفظ: «**النَّار جبار، والبئر جبار**»، فالجمع بينهما يدفع دعوىٰ التصحيف، ومعمر ثِقة ثبتٌ واعيةٌ، لا يخفىٰ عليه تمييز «النَّار» من «البير»، لا سيما وهو قد أقام باليمن إلىٰ الوفاة، وتزوج بها، ولا بُدَّ أنَّه عرف قواعد خطوطهم، فروايته لهذا الحديث بلفظ «**النار جبار**»، من باب زيادة الثِّقة، وهي مقبولة ولا يصح تنظيره بسفيان بن حسين، حيث ردوا روايته عن الزهري بلفظ «الرِجل»؛ لأنَّ سفيان ضعيفٌ في الزهري.

ثمَّ وجدت الدَّارقطني رواه من طريق زهير بن محمد والرمادي، عن عبد الرزَّاق، عن همَّام، عن أبي هريرة بلفظ: «**النَّار جبار**»، وقال: قال الرمادي: قال عبد الرزَّاق: قال معمر: لا أراه إلَّا وهَمًا، وهذا ينفي التصحيف عن معمر.

ثمَّ أسند عقبة عن أحمد بن حنبل قال: أهل اليمن يكتبون «النار» النير، ويكتبون «البير» مثل ذلك، وإنما لقن عبد الرزَّاق، «النَّار جبار» وحكم ببطلان الحديث، لكن الرِّواية المذكورة تمنع أنْ يكون عبد الرزَّاق تلقن الحديث مصحفًا، وأحمد لم يقف عليها ولو وقعت له، ما نسب التلقن إلىٰ عبد الرزَّاق وحكمه ببطلان الحديث، محل بحثٍ.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٦-٢٧)

٢٦- وعن محمد بن محمد بن سليمان بن الحارث الواسطي:

قال: هو الباغندي الحافظ محدِّث العراق، له ترجمة ففي "تاريخ بغداد" للخطيب، و"تذكرة الحفاظ" للذَّهبي، و"طبقات الحفاظ" للسُّيوطي (توفي سنة ٣١٢)، والمؤلِّف لم يدرك الباغندي، بل ولد بعده بمدة.

ففي السند سقطٌ وتصحيحه هكذا: حدَّثنا خلف بن القاسم: حدَّثنا أحمد بن إبراهيم الحداد: حدَّثنا محمد بن محمد بن سليمان، وجعفر بن عبد الواحد - هو الهاشمي -، وكان عليه يمين ألَّا يحدِّث ولا يقول: حدَّثنا، فكان يقول: قال لنا فلان.

وقال أبو زرعة: «روىٰ أحاديث لا أصل لها».

وقال مسلمة بن قاسم: «مات بالثغر (سنة ٢٥٨هـ)، بصريٌّ ثقة».

ومسلمة بن علقمة المازني: صدوقٌ له أوهامٌ.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٧)

٢٧- وعن أبي فروة والشيباني كلاهما يروي عن الشعبي:

قال: أبو فروة: هو عروة بن الحارث الهمداني الكوفي، أبو فروة الأكبر، ثقةٌ.

والشيباني: هو سليمان بن أبي سليمان أبو إسحاق الشيباني مولاهم الكوفي، ثقةٌ من كبار أصحاب الشعبي.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٧).

٢٨ - وعن قول الشافعي: «الركاز دفن»:

قال: دِفن بكسر الدال، أي: المال المدفون، وفتح الدال خطأ.

(حاشية التمهيد ٧/ ٣٠)

٢٩- وعن ذكر ابن عبد البر حديث أنَّ النَّبيَّ ﷺ أقطع بلال بن الحارث المزني المعادن القبلية، وقوله فيه: هذا حديثٌ منقطع الإسناد.

قال: رواه الشَّافعي في "الأم"، قال: أخبرنا مالك، عن ربيعة بن أبي عبدالرحمن، عن غير واحدٍ من علمائهم أنَّ النَّبيَّ ﷺ أقطع بلال بن الحارث المزني معادن القبلية، وهي من ناحية الفرع، فتلك المعادن لا يؤخذ منها إلَّا الزَّكاة إلى اليوم.

قال الشَّافعي: «ليس هذا مما يثبته أهل الحديث رواية، ولو أثبتوه لم يكن فيه رواية عن النَّبيِّ ﷺ إلَّا إقطاعه، فأمَّا الزَّكاة في المعادن فليست مرويَّة من النَّبيِّ ﷺ. اهـ

وهذا حديثٌ مرسلٌ، ورواه البزَّار من طريق عبد العزيز الدراوردي، عن ربيعة، عن الحارث بن بلال بن الحارث المزني، عن أبيه.

ورواه أبو داود من طريق كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف، عن أبيه، عن جدِّه، أنَّ النَّبيَّ ﷺ: أقطع بلال بن الحارث المزني معادن القبلية جَلْسِيَّها وغورها، وحيث يصلح الزَّرع من قدس، ولم يعطه حق مسلم.

ومن طريق ثور بن زيد الديلي، عن عكرمة، عن ابن عبَّاس.

ورواه الحاكم من طريق حميد بن صالح عن الحارث وبلال، ابني يحيى بن بلال بن الحارث، عن أبيهما، عن جدهما.

وقوله: «المعادن القبلية» هكذا هو بالأصل لكنَّه في الحديث، «معادن القبلية» بالإضافة، و«القبلية» نسبة إلى قَبَل بفتحتين: ناحية من ساحل البحر، بينها وبين المدينة خمسة أيام.

«جَلَسيها وغَوَرها»، بفتح أولهما: الصَّالح للزرع.

(حاشية التمهيد ٧/ ٣٣-٣٤)

٣٠- وقال - أي الغماري - عن سعيد بن مسروق الثوري، وابن أبي نُعْم، في حديث المؤلفة:

قال: الثوري: ثقة وهو والد سفيان الثوري.

وعبد الرحمن بن أبي نُعْم بضم النون وسكون العين الكوفي: «ثقةٌ».

وعُلاثة بضم العين وتخفيف اللام.

والحديث في "الصحيحين" من هذا الطريق، وله بقية فيهما.

(حاشية التمهيد ٧/ ٣٤)

٣١ - وقال - أي الغماري - عن عُمارة:

بضم العين وتخفيف الميم، كوفي ثقة.

(حاشية التمهيد ٧/ ٣٤)

٣٢ - وقال - أي الغماري - عن «أدم» في حديث النبي ﷺ بعث علي عليه السلام من اليمن إلى رسول الله ﷺ بذهبة في أدم:

قال: كذا بالأصل. وفي "الصحيحين": «في أديم مقروظ»، وهو الجلد المدبوغ بالقرط.

حاشية التمهيد (٧/ ٣٣).

٣٣ - وقال عن الشك الذي وقع من الراوي في قسمة النبي ﷺ لما أرسله الإمام علي عليه السلام بين أربعة نفر ... وابن علاثة أو عامر:

قال: كذا وقع في "الصحيحين" من هذا الطريق على الشك، قال النووي:

قال العلماء: ذِكر عامر هنا غلط ظاهر؛ لأنه مات قبل هذا بسنتين، والصواب الجزم بأنه علقمة بن علاثة، كما هو مجزومٌ به بباقي الروايات.

(حاشية التمهيد ٧/ ٣٥)

٣٤- وقال - أي الغماري - عن سفيان:

قال: وهو ابن عيينة رواه عنه الشَّافعي في "الأم"، ومن طريقه البيهقي في "السنن".

ورواه الحاكم من طريق الحميدي: حدَّثنا سفيان، قال: سمعناه من داود ابن شابور، ويعقوب بن عطاء، عن عمرو به كما هنا.

وصحَّحه الذَّهبي في "تلخيص المستدرك"، ورواه أبو عبيد في "الأموال" من طريق محمد بن إسحاق، عن عمرو بن شعيب به.

ومن طريق محمد بن عجلان، عن عمروٍ أيضًا.

(حاشية التمهيد ٧/ ٣٥)

٣٥ - وعن داود بن شابور:

قال: شابور بالشين المعجمة جد داود، إذ هو داود بن عبد الرحمن بن شابور.

(حاشية التمهيد ٧/ ٣٥)

٣٦ - وعن «سبيل ميتاء»:

قال: مِيتاء بكسر الميم، طريقٌ مسلوكٌ، وهو مفعال من الإتيان، ويقال فيها: منتاء.

(حاشية التمهيد (٧/ ٣٥)

٣٧ - و عن داود بن أبي قبيلة:

قال: هذا اللفظ ثابتٌ في الأصل هنا هكذا، «قبيلة» بقاف وباء منقوطتين، وفيما يأتي من الطرق: «فتيلة» بفاء منقوطة، وكلاهما خطأ.

والصَّواب: «قُتيْلة». بقاف ومثناة فوقيَّة مصغرًا.

ويحيىٰ هذا: صدوقٌ ربما وَهمَ، كما في "التقريب".

(حاشية التمهيد ٧/ ٣٦)

٣٨- وعن سعيد الزبيري:

قال: الزبيري كذا بالأصل هنا، وما يأتي بموحدة ومثناة تحتيَّة منقوطتين، وهو تصحيفٌ.

والصَّواب: الزَنْبَري بنون وموحدة، إذْ هو سعيد بن داود بن أبي زَنْبَر، بفتح الزَّاي وسكون النون وفتح الموحدة، الزَنْبَري أبو عثمان المدني: صدوقٌ له مناكيرٌ عن مالكٍ.

ويقال: اختلط عليه بعض حديثه.

وكذَّبه عبدالله بن نافع في دعواه أنَّه سمع من لفظ مالك، توفي في حدود (سنة ٢٢٠) تقريبًا.

(حاشية التمهيد (٧/ ٣٦).

٣٩- وعن عبدالله بن محمد بن ربيعة القدامي:

قال: القُدامي بضم القاف وتخفيف الدال، نسبة إلىٰ قدامة بن مظعون؛ لأنَّه من ذريته، يكنَّىٰ: أبا محمَّد.

والطريق الذي أشاره له المؤلف، أخرجه الدَّارقطني في "غرائب مالك"،

والخطيب في "المتفق والمفترق" من جهة أحمد بن إبراهيم بن فيل: حدَّثنا عبدالله بن ربيعة: حدَّثنا مالك، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة.

والقُدامي ضعيفٌ كما قال المؤلف، وقال ابن حبان: كان يقلب الأخبار لعلَّه قلب على مالك، أكثر من مائة وخمسين حديثًا.

وقال الخليليُّ: أخذ أحاديث الضعفاء من أصحاب الزُّهري فرواها عن مالك.

وقال الحاكم: روى عن مالكٍ، أحاديث موضوعةً ونقل الحافظ في "اللسان" عن المؤلف أنَّه قال فيه: خراساني .

روى عن مالك أشياء انفرد بها لم يتابع عليها، على أنَّ القدماء ما رأيتهم ذكروه. اهـ

(حاشية التمهيد ٧/ ٣٧)

٤٠ -وعن أبي الربيع سليمان بن داود بن حماد المَهْري، وعبد الملك ابن عبد العزيز الماجشون:

قال: المَهْري بفتح الميم وسكون الهاء، نسبة إلى مَهرة بن حيدان أبي قبيلة، حيٌّ من قضاعة، وسليمان هذا هو ابن أخي رشدين بن سعد، «وثَّقه» النَّسائي وابن حبَّان، وأثنى عليه أبو داود.

وقال ابن يونس في "تاريخ مصر": كان زاهدًا وكان فقيهًا على مذهب مالك، توفي (سنة ٢٥٣).

وشيخه: عبد الملك بن عبد العزيز الماجُشون بضم الجين، أبو مروان المدني

الفقيه المفتي، كان فصيحًا ضرير البصر، مولعًا بسماع الغناء.

قال أحمد بن حنبل: قدم علينا ومعه من يغنيه.

قال في "التقريب": صدوقٌ له أغلاطٌ في الحديث، توفي (سنة ٢١٣).

(حاشية التمهيد ٧/ ٣٧).

٤١ -وعن حديث: «إذا وقعت الحدود فلا شفعة»:

قال: رواه البيهقي في "سننه" هكذا.

ورواه الطحاوي عن سعد بن عبدالله بن عبد الحكم، عن عبد الملك بن الماجشون به.

(حاشية التمهيد ٧/ ٣٨)

٤٢ - وعن قوله عن أبي الحسن علي بن عمر:

قال: هو الدَّارقطني.

(حاشية التمهيد ٧/ ٣٨)

٤٣ - وعن قوله عن سعد بن عبدالله بن الحكم:

قال: سعْد بسكون العين، هو ابن عبد الحميد بن جعفر بن عبدالله بن الحكم.

ويقال: ابن عبد الحكم الأنصاري، أبو معاذ المدني، سكن بغداد، سمع "الموطأ" من مالكٍ، قال في "التقريب": صدوقٌ له أغاليطَ، توفي (سنة ٢١٩).

(حاشية التمهيد ٧/ ٣٨)

٤٤ - وعن قوله عن الحسن بن شبيب:

قال: الحسن بن شبيب البغدادي المُكَتِّب بوزن المعلم، ومعناه: كان يعلم

الأطفال الكتابة والقراءة. ذكره ابن حبَّان في "الثقات" وقال: ربما أغرب.

وقال الدَّارقطني: أخباري ليس بالقوي، يعتبر به.

وقال ابن عدي: حدَّث بالبو اطيل عن الثِّقات.

قال الذَّهبي: المتعين ما قال ابن عدي فيه.

(حاشية التمهيد ٧/ ٣٨)

٤٥ - وعن قول ابن عبد البر: «قالوا كلهم»:

قال: قالوا أي: سعد بن عبد الحكم، وإسماعيل بن إسحاق، وأحمد بن منصور المروزي، وسليمان بن داود المهري، ومحمد بن عبدالله البرقي، هؤلاء الخمسة كلهم رووه عن عبد الملك بن الماجشون.

(حاشية التمهيد ٧/ ٣٨)

٤٦ - قوله - أي الغماري - في يحيى بن أيوب بن بادي:

قال: بَادي بموحدة بوزن وادي، وهي في الأصل غير منقوطة، ووضع الناسخ فوقها علامة استشكال، وابن بادي هذا: «صدوقٌ»، توفي (سنة ٢٨٩).

(حاشية التمهيد ٧/ ٣٩)

٤٧ - قوله في سعيد بن عبدالله بن عبدالحكم:

قال: كذا بالأصل، والصَّواب: سعْد بسكون العين، وسبق التنبيه عليه.

(حاشية التمهيد ٧/ ٣٩)

٤٨ - قوله فيما قاله ابن عبد البر: «قالا»:

قال: «قالا» أي: أحمد بن الحجاج، وأحمد بن شعيب.

(حاشية التمهيد ٧/ ٣٩)

٤٩ -وعن قول ابن عبد البر: «قدم علينا أبو جعفر»:

قال الغماريُّ: أبو جعفر المنصور الخليفة العباسي. قال السُّيوطي في "تاريخ الخلفاء": كان فحل بني العبَّاس هيبةً، وشجاعةً، وحزمًا، ورأيًا، وجبروتًا، جامعًا للمال، تاركًا للهو واللعب، كامل العقل، جيد المشاركة في العلم والأدب، فقيه النَّفس، قتل خلقًا كثيرًا حتىٰ استقام ملكه. اهـ

وروىٰ أحاديث قليلة. ولد (سنة ٩٥)، وتوفي (سنة ١٥٨).

(حاشية التمهيد ٧/ ٤٠)

٥٠ -وعن علي بن نصر:

قال: علي بن نصر، هو الجَهْضَمي، بفتح الجيم والضاد المعجمة، بينهما هاء ساكنة البصريُّ، ثقةٌ، روىٰ له الستة، وهذه القصة نقلها المؤلف عن الدَّارقطني في "غرائب مالك".

(حاشية التمهيد ٧/ ٤٠)

٥١ -وعن حديث: «الشفعة فيما لم يقسم ...»:

قال: رواه ابن ماجه في "سننه"، وقال الحافظ البوصيري في "زوائده": هذا إسنادٌ صحيحٌ علىٰ شرط البخاري.

(حاشية التمهيد ٧/ ٤١)

٥٢ -وعن أبي قلابة الرقاشي:

قال: أبو قِلابة بكسر القاف، اسمه عبد الملك بن محمد الرَقَاشي بفتح الراء وتخفيف القاف، بصريٌّ، صدوقٌ يخطئ، تغيَّر حفظه لما سكن بغداد. توفي (سنة

٢٧٦)، وهو غير أبي قلابة الجرمي البصري الثقة، توفي (سنة ١٠٤).

(حاشية التمهيد ٧/ ٤٢)

٥٣ -وعن عبد الدوري:

قال: في الأصل كلمة «عبد»، وعليها علامة استشكال، وبعدها بياضٌ مقدار كلمة، والذي أرجِّحه: أنَّه عبَّاس بن محمد بن حاتم الدُوري بضم الدال، ثقةٌ.

روىٰ عنه الأربعة، توفي (سنة ٢٧١)، وكان صديق يحيىٰ بن معين.

(حاشية التمهيد ٧/ ٤٢)

٥٤ -وقال عن محمد بن العوام:

قال: كذا بالأصل، وأراه تصحيفًا، والصَّواب: محمد بن عون الزيادي البصري أبو عون.

روىٰ عنه أبو حاتم، وقال: «ثقةٌ». كتاب "الجرح والتعديل" (٨/ ٤٨).

(حاشية التمهيد ٧/ ٤٢)

٥٥ -وعن إبراهيم بن هانئ:

قال: إبراهيم بن هانئ النيسابوري أبو إسحاق، نزيل بغداد.

روىٰ عن أبي عاصم النبيل، والمقري، ومحمد بن كثير المصيصي، وأبي غسان، وعبيد الله ابن موسىٰ، وأبي نعيم، وعفَّان، وسعيد بن عفير، وحجاج بن نصير.

قال ابن أبي حاتم: سمعت منه ببغداد في الرحلة الثانية، وهو ثقةٌ صدوقٌ.

(حاشية التمهيد ٧/ ٤٢)

٥٦ -وعن عبيد بن محمد العمري:

قال: كذا بالأصل هنا، والصَّواب: ما يأتي عبيد الله، وهو من شيوخ الطبراني، كذَّبه النسائي.

وقال الدَّارقطني: «ضعيفٌ».

(حاشية التمهيد ٧/ ٤٢)

٥٧ -وعن حديث: «الشفعة فيما لم يقسم ...»:

قال: ورواه الطحاوي في "معاني الآثار"، حدَّثنا ابن أبي داود: حدَّثنا ابن أبي قتيلة المدني: حدَّثنا مالك بن أنس به، سندًا ومتنًا.

(حاشية التمهيد ٧/ ٤٣)

٥٨ -وعن الزبيري:

قال: كذا بالأصل، وكذا هو في (٤/ ٢٦٦) من هذا الكتاب، وهو تصحيف سبق التنبيه عليه، والصواب: الزنبري.

(حاشية التمهيد ٧/ ٤٤)

٥٩ -وعن حديث: «إذا قسمت الأرض أو وحدت ...»:

قال: رواه أبو داود في "سننه"، وسيسنده المؤلف من طريقه.

(حاشية التمهيد ٧/ ٤٤)

٦٠ -وعن حديث جابر، أن رسول الله ﷺ جعل الشفعة فيما لم يقسم...:

قال: رواه البخاري في "صحيحه" هكذا.

ورواه النسائي من طريق معمر، عن الزُّهري، عن أبي سملة أن رسول الله ﷺ قال: «**الشفعة في كل ما لم يقسم، فإذا وقعت الحدود وعرفت الطرق فلا شفعة**».

(حاشية التمهيد ٧/ ٤٥)

٦١ -وعن قول يحيى بن معين: رواية مالك أحب إليَّ وأصح في نفسي مرسلًا:

قال: قال البيهقي في "السنن": المحفوظ رواية الزُّهري، عن أبي سلمة، عن جابر موصولًا.

وروايته عن ابن المسيب عن النَّبيِّ ﷺ مرسلًا، وما سوىٰ ذلك شذوذٌ ممن رواه.

(حاشية التمهيد ٧/ ٤٥).

٦٢ -وعن ابن ميسرة:

قال: ابن ميسرة اسمه إبراهيم، وهذا الطريق رواه البخاري في "صحيحه"، وفي أوله قصة بين أبي رافع، وسعد بن أبي وقاص.

(حاشية التمهيد ٧/ ٤٦)

٦٣ -وعن أحمد بن صالح:

قال: وكذا وثَّقه العجلي، وذكره ابن حبَّان في "الثقات"، وقال ابن معين: «صالحٌ»، وقال مرة أخرىٰ: «ليس به بأسٌ».

وحكىٰ ابن خلفون: أنَّ ابن المديني وثَّقه.

وقال البخاري: فيه نظرٌ. وقال النَّسائي: ليس بذاك القوي، ويكتب حديثه.

وقال الدَّارقطني: طائفيٌّ يعتبر به، وهو ثقفيٌّ طائفيٌّ، روىٰ له مسلم حديثًا واحدًا.

(حاشية التمهيد ٧/ ٤٦).

٦٤- وعن حديث جابر: إنما جعل رسول الله ﷺ الشفعة في كل شريك:

قال: كذا بالأصل، والصواب: «شِرْك» بكسر الشين وسكون الراء، «رَبْع» بفتح الراء وسكون الموحدة، بدل من «شرك»، والمراد به: المنزل الذي يربع به الإنسان ويتوطنه.

ويقال: ربعة. كما يقال. دار ودارة.

وبقية الحديث في "سنن أبي داود": «... **لا يصلح أن يبيع حتى يؤذن شريكه فإن باع فهو أحق به حتى يؤذنه**».

(حاشية التمهيد ٧/ ٤٧)

٦٥ -وعن حسين بن الربيع:

قال: كذا بالأصل هنا، وتقدم قريبًا بلفظ: «حسن بن الربيع» وهو الصواب، وحسن هذا ثقة، روىٰ له الستة، توفي (سنة ٢٢١).

(حاشية التمهيد ٧/ ٤٧)

٦٦ -وعن حديث «الجار أحق بشفعة جاره ...»:

قال: رواه أيضًا الترمذي وابن ماجه، وأحمد، والدارمي، والبيهقي، وقال الترمذي: حديثٌ حسنٌ غريب، ولا نعلم أحدًا رواه عن عطاء، عن جابر، غير عبد الملك.

وقد تكلم شعبة فيه من أجل هذا الحديث، وعبد الملك ثقةٌ مأمونٌ، لا نعلم أحدًا تكلم فيه غير شعبة من أجل هذا الحديث. اهـ

وقال عبدالله بن أحمد بن حنبل عن أبيه: هذا حديثٌ منكرٌ، وعبد الملك ثقةٌ.

وقال شعبة: لو جاء عبد الملك بحديثٍ آخر مثله، لرميت بحديثه.

وسئل ابن معين عن هذا الحديث؟ فقال: هو حديثٌ لم يحدِّث به أحدٌ إلَّا عبد الملك، وقد أنكره الناس عليه، ولكن عبد الملك ثقةٌ صدوقٌ، لا يرد على مثله.

وقال صاحب "التنقيح": حديث عبد الملك حديثٌ صحيحٌ، ولا منافاة بينه وبين حديث جابر المشهور، وهو «**الشفعة في كلِّ ما لم يقسَّم، فإذا وقعت الحدود فلا شفعة**»، فإنَّ في حديث عبد الملك إذا كان طريقهما واحدًا،، وحديث جابر لم ينف فيه استحقاق الشفعة، إلَّا بشرط تصريف الطريق، فنقول: إذا اشترك الجاران في المنافع، كالبئر أو السطح أو الطريق، فالجار أحق بصقب جاره؛ لحديث عبد الملك، وإذا لم يشتركا في شيءٍ من المنافع، فلا شفعة، لحديث جابر.

وطَعَنَ شعبة في عبد الملك، لهذا الحديث، لا يقدح فيه، فإنَّه ثقةٌ، وشعبة لم يكن من الحذَّاق في الفقه، ليجمع بين الأحاديث إذا ظهر تعارضها، إنما كان حافظًا، وغير شعبة إنما طعن فيه تبعًا لشعبة. اهـ

وهذا تحقيقٌ نفيسٌ موافقٌ للقواعد، فإنَّ من المقرر في علوم الحديث والأصول: أنَّ الجمع حيث أمكن مقدَّمٌ على الترجيح.

٦٧ -وعن تسمية العرب للزوجة جارة:

قال: قال الطحاوي في "شرح الآثار": قد سميت المرأة جارة زوجها، ليس لأنَّ لحمها مخالطٌ للحمه، ولا دمها مخالطٌ لدمه، ولكن لقربها منه، فكذلك الجار، سمي جارًا: لقربه من جاره، لا لمخالطته إيَّاه فيما جاوره به.

ويقال ردًّا عليه: سميت المرأة جارة زوجها، لمخالطتها له في المسكن

والمعيشة.

(حاشية التمهيد ٧/ ٤٧-٤٨).

٦٨ -وعن حديث: «إذا قسمت الأرض وحُدَّت فلا شفعة»:

قال: الحديث الذي يشير إليه المؤلف، ليس بالدرجة المذكورة من الضعف، بل هو صحيحٌ كما سيتبين.

روى إسحاق بن راهوية والطحاوي والبيهقي عن ابن عبَّاسٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الشريك شفيعٌ، والشفعة في كلِّ شيءٍ**».

قال الحافظ: ورجاله ثقات، إلَّا أنَّه أُعِلَّ بالإرسال.

وروى الطحاوي عن جابر قال: قضى رسول الله ﷺ بالشُّفعة عن كلِّ شيءٍ.

قال الحافظ: إسناده لا بأس برواته.

وقال ابن أبي شيبة: حدَّثنا أبو الأحوص عن عبد العزيز بن رفيع، عن ابن أبي مليكة قال: قضى رسول الله ﷺ بالشفعة في كلِّ شيءٍ، الأرض والدار والجارية والخادم.

فقال عطاء: إنَّما الشُّفعة في الأرض والدَّار.

فقال ابن أبي مليكة: تسمعني لا أم لك أقول: قال رسول الله. ثم تقول هذا؟!

وفي "صحيح البخاري" عن جابر قال: قضى رسول الله ﷺ بالشُّفعة في كلِّ ما لم يقسَّم، والمال عام في كلِّ ما يتمول.

(حاشية التمهيد ٧/ ٤٩).

٦٩ -وعن قول أبي عمر: ... وإن لم يتعير ...:

قال الغماريُّ: بالمهملة من التعيير المستعمل في الكيل والوزن، وأرجِّح أنَّه تصحيفٌ، والصَّواب: «يتعيَّن» بالنون.

(حاشية التمهيد ٧/ ٥٠)

٧٠ -وعن فحل النخل:

قال: فحل النَّخل، هو ذكر النَّخل الذي يلقح به حوائل النخل، ويقال له: فُحَّال، بوزن رمان.

قال الزَّمخشري في "أساس البلاغة": فحول بني فلان وفححالهم مباركة، وهي ذكور النَّخل، وإذا كان الفحال في علاوة الريح، والنخلة في سفالتها ألقحها.

وروىٰ عبد الرزَّاق عن محمد بن أبي بكر، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**لا شفعة في ماءٍ، ولا طريق، ولا فحل**»، يعني: النَّخل. هذا مرسلٌ وفي سنده ابن أبي سبرة متهمٌ بالوضع.

(حاشية التمهيد ٧/ ٥٢).

٧١ -وعن اختلاف السلف في الرجل يبيع دينًا له، هل يكون المديان أحق بالشفعة أم لا؟

قال: رواه عبد الرزَّاق عن الزهري، وعن عمر بن عبد العزيز.

وروي - أيضًا - عن عبدالله بن أبي بكر، عن عمر عن عبد العزيز، أنَّ رسول الله ﷺ قضىٰ بالشُّفعة في الدين، وهو الرجل يبيع دينًا له علىٰ رجلٍ فيكون صاحب الدَّين أحق به. وهذا مرسلٌ ضعيفٌ.

وروي - أيضًا - عن رجلٍ من قريشٍ أنَّ عمر بن عبد العزيز قضىٰ في مكاتب اشترىٰ ما عليه بعرض، فجعل المكاتب أولىٰ بنفسه، ثمَّ قال: إنَّ رسول الله ﷺ قال: «**من ابتاع دينًا على رجلٍ، فصاحب الدَّين أولى إذا أدَّى مثل الذي أدَّى صاحبه**». وهو ضعيفٌ أيضًا.

وإطلاق الشَّفعة علىٰ الدَّين مجاز كما قال المؤلف.

(حاشية التمهيد ٧/ ٥٣)

٧٢ -وعن الربع الموروث، وقوله - أي ابن عبد البر -: «فباع أحد البنات حصتها»:

قال: الرَبع بفتح الراء: المنزل كما سبق بيانه.

وقوله: فباع البنات حصتها، كذا بالأصل، والصواب: فباعت إحدىٰ البنات.

(حاشية التمهيد ٧/ ٥٣).

٧٣ -وعن حديث «ذي اليدين»:

قال: حَثْمة بفتح المهملة وسكون المثلثة.

ولفظ الحديث في "الموطأ": عن أبي بكر بن سليمان ابن أبي حَثْمة، قال: بلغني أنَّ رسول الله ﷺ ركع ركعتين من إحدىٰ صلاتي النَّهار، الظُّهر أو العصر، فسلَّم من اثنتين فقال له ذو الشمالين: أقصرت الصلاة، أم نسيت يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «**ما قصرت الصَّلاة وما نسيت**»، فقال ذو الشمالين: قد كان بعض ذلك يا رسول الله، فقال: «**أصدق ذو اليدين**»، فقالوا: نعم يا رسول الله، فأتمَّ رسول الله ﷺ ما بقي من الصَّلاة ثمَّ سلَّم.

قال الباجي: لم يذكر ابن شهاب في حديثه هذا سجود السَّهو، وقد ذكره جماعة من الحفَّاظ عن أبي هريرة، والأخذ بالزائد أولى إذا كان راويه ثقةٌ.

(حاشية التمهيد ٧/ ٥٥)

٧٤ -وعن قول أبو الحسن: تفرد به عبد الحميد بن سليمان، في الكلام على حديث «أصدق ذو اليدين»:

قال: عبد الحميد بن سليمان الخزاعي أبو عمر المدني الضرير، نزيل بغداد أخو فليح، ضعيفٌ لكن حديث «ذي اليدين» له طرق كثيرة وألفاظ، أفردها الحافظ العلائي في جزءٍ مفردٍ.

(حاشية التمهيد ٧/ ٥٦)

٧٥ -وعن قول ابن عبد البر: وأما معاني حديث «ذي اليدين»، فقد تقدم ذكرها مستوعبة مستقصاة والحمد لله في باب أيوب السختياني:

قال: في (ج١/ ص: ٣٤١-٣٧١)، فأفاد وأجاد، وأتى بنفائس ما يستفاد.

(حاشية التميهد ٧/ ٥٦)

٧٦ -وعن قول البخاري: قال لي ابن أبي أويس:

قال: كذا بالأصل، وفي "تاريخ البخاري": وقال ابن أبي أويس، حدثني مالك.

وفي "تهذيب التهذيب": وقال مالك بن أنس: كان عندنا رجال من أهل العلم، اسم أحدهم كنيته منهم أبو سلمة بن عبد الرحمن.

وقيل: اسمه إسماعيل، حكاه في "تهذيب التهذيب"، لكن ذكره البخاري في "التاريخ"، وابن أبي حاتم في "الجرح والتعديل"، في باب: من اسمه

عبدالله.

(حاشية التمهيد ٧/ ٥٧)

٧٧ -وعن تماضر بنت الأصبغ الكلبية:

قال الغماريُّ: تُماضِر التاء وكسر الضاد المعجمة، وأبوها سيد بني كلب، تزوجها عبد الرحمن بأمرٍ من النَّبيِّ ﷺ، وقدم بها المدينة، وكان فيها سوء خلق، وهي التي طلقها عبد الرحمن في مرضه آخر ثلاث تطليقات، فصولحت عن ثلث الثمن، وهو ميراثها - بثلاثةٍ وثمانين ألفًا -.

وقيل: بل ورثها عثمان من عبد الرحمن، وكانت قد انقضت عدتها منه، وتزوجها الزبير، ومكث معها سبع ليال، ثمَّ طلقها يوم وفاة عبد الرحمن.

(حاشية التمهيد ٧/ ٥٧)

٧٨ -وعن يحيى بن سعيد:

قال: يحيىٰ بن سعيد هو ابن فروخ القطان التيمي البصري، أبو سعيد الأحول الإمام العلم الحجة، كان علي بن المديني، وأحمد بن حنبل، ويحيىٰ بن معين، وعمرو بن علي الفلاس يقفون بين يديه وهو مستندٌ، فيسألونه عن الحديث وهم وقوفٌ هيبةً له، ولد (سنة ١٢٠)، وتوفي (سنة ١٩٨هـ).

(حاشية التمهيد ٧/ ٥٨)

٧٩ -وعن قول يحيى بن سعيد: فقهاء أهل المدينة عشرة:

قال: المعروف أنهم سبعة مجموعون في قول القائل:

ألا إنَّ مـــنْ لا يقتـــدي بأئمـــة ... فقسمته ضيزىٰ عن الحق خارجـة

فخذهم عبيـد الله عـروة قاسـمًا ... سعيدًا أبـا بكـر سـليمان خارجـة

(حاشية التمهيد ٧/ ٥٨)

٨٠ -وعن سعيد بن المسيب:

قال: سعيد هو ابن المسيب بن حَزْن - بوزن سهل - ابن أبي وهب القرشي المخزومي، أفقه أهل الحجاز، وأعلمهم بالحلال والحرام، وأعبر النَّاس للرؤيا.

قال عنه عبدالله بن عمر: هو والله أحد المفتين.

وقال مالك: بلغني أنَّ عبدالله بن عمر كان يرسل إلى سعيد بن المسيب، يسأله عن بعض شأن عمر وأمره.

وقال الحافظ في "تقريب التهذيب": اتفقوا على أنَّ مرسلات سعيد أصح المراسيل.

(حاشية التمهيد ٧/ ٥٨)

٨١ -وعن القاسم بن محمد:

قال: القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، قتل أبوه فتربى يتيمًا في حجر عمته عائشة رضي الله عنها فتفقه بها.

قال مالك: كان القاسم من فقهاء هذه الأُمَّة.

وقال يحيى بن سعيد الأنصاري: ما أدركنا بالمدينة أحدًا نفضله على القاسم.

وقال ابن معين: عبيد الله بن عمر عن القاسم عنا عائشة، ترجمة مشبكة بالذهب.

توفي (سنة ١٠٦) وقيل غير ذلك.

(حاشية التمهيد ٧/ ٥٨)

٨٢ -وعن سالم بن عبدالله:

قال: سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب، أبو عمر وأبو عبدالله العدوي العمري المدني، الفقيه الحجَّة، جمع بين العلم والعمل، والزهد والشرف.

قال أحمد وإسحاق: أصح الأسانيد الزهري، عن سالم، عن أبيه.

وقال عبدالله بن المبارك: كان فقهاء أهل المدينة سبعة فذكره منهم، قال: وكانوا إذا جائتهم المسألة، دخلوا فيها جميعًا فنظروا فيها، ولا يقضي القاضي حتى يرفع إليهم، فينظرون فيها فيصدرون.

توفي (سنة ١٠٦).

(حاشية التمهيد ٧/ ٥٨)

٨٣ -وعن عروة بن الزبير:

قال: عروة بن الزبير بن العوام الأسدي، أبو عبدالله المدني، العالم الفقيه الثَّبت، عدَّه أبو الزناد في فقهاء المدينة السَّبعة، ولد لستٍ خلون من خلافة عمر رضي الله عنه، محا كتبه وأحرقها وفيها فقهٌ، ثمَّ ندم، وقال: لوددت أنِّي قد فديت كتبي بأهلي ومالي.

ومن كلامه: إذا رأيت الرجل يعمل السَّيئة فاعلم أنَّ لها عنده أخوات، وإذا رأيته يعمل الحسنة، فاعلم أنَّ لها عنده أخوات.

(حاشية التمهيد ٧/ ٥٩)

٨٤ -وعن سليمان بن يسار الهلالي:

قال: سليمان بن يسار الهلالي المدني الفقيه العَلَم، عدَّه أبو الزناد من فقهاء المدينة السَّبعة، وكان ابن المسيب يقول للسائل المستفتي: اذهب إلى سليمان بن

يسار، فإنَّه أعلم من بقي اليوم.

كان مولىٰ ميمونة ووهبت ولاءه لابن عبَّاس.

توفي (سنة ١٠٧) وقيل غير ذلك .

(حاشية التمهيد ٧/ ٥٩)

٨٥ - وعن عبيد الله بن عبدالله:

قال: عبيد الله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود الهذلي، أبو عبدالله المدني الفقيه، العَلَم الثَّبت، الشَّاعر المجيد، كان مُعلِّم عمر بن عبدالعزيز.

قال الزُّهري: ما جالست أحدًا من العلماء إلَّا وأرىٰ أني قد أتيت علىٰ ما عنده، ما خلا عبيد الله، فإنَّه لم آته إلَّا وجدت عنده علمًا طريفًا.

وقال أيضًا: كان أبو سلمة يسأل ابن عباس، وكان يخزن عنه.

وكان عبيد الله يلطفه، فكان يغره غرًّا، أي: يلقمه إيَّاه، يقال: غر الطائر فرخه إذا زقه.

توفي (سنة ٩٨) علىٰ الصَّحيح.

(حاشية التمهيد ٧/ ٥٩)

٨٦ -وعن قَبيصة:

قال: قبَيصة - بفتح القاف - ابن ذؤيب الخزاعي أبو إسحاق، وأبو سعيد المدني نزيل الشَّام.

قال يحيىٰ بن معين: أُتيَ به النَّبيَّ ﷺ لما ولد فدعا له.

وعدَّه أبو الزناد في فقهاء المدينة.

توفي (سنة ٨٦).

(حاشية التمهيد ٧/ ٥٩)

٨٧ -وعن أبان بن عثمان:

قال: أبان بن عثمان بن عفان الأموي، أبو سعيد وأبو عبدالله.

قال عمرو بن شعيب: ما رأيت أعلم بحديثٍ ولا فقهٍ منه.

وقال العجلي: ثقةٌ من كبار التابعين، كان به صممٌ ووضح، وأصابه الفالج قبل موته بسنة .

(حاشية التمهيد ٧/ ٥٩)

٨٨ -وعن خارجة بن زيد:

قال: خارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري، أبو زيد المدني من كبار العلماء، إلَّا أنَّه قليل الحديث، عدَّه أبو الزناد في الفقهاء السَّبعة.

وقال مصعب الزبيري: كان خارجة وطلحة بن عبدالله بن عوف يقسمان المواريث، ويكتبان الوثائق وينتهي النصُّ إلى قولهما.

توفي (سنة ١٠٠).

(حاشية التمهيد ٧/ ٥٩)

٨٩ -وعن أبي بكر بن عبد الرحمن:

قال: أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي القرشي المدني، عدَّه أبو الزنا في فقهاء المدينة.

كان يقال له: راهب قريش؛ لكثرة صلاته، وكُفَّ بصره. توفي سنة الفقهاء على الصحيح.

(حاشية التمهيد ٧/ ٥٩)

٩٠ -وعن محمد بن عبيد الكشوري:

قال: كذا بالأصل، والصَّواب: عبيد بن محمد، وهو ابن إبراهيم الأزدي، كنيته أبو محمد.

وهو من شيوخ الطبراني، روىٰ عنه حديثًا في "المعجم الصغير".

والكِشوري: بالشين المعجمة نسبة إلىٰ كِشْوَر بوزن درهم. قرية بصنعاء.

(حاشية التمهيد ٧/ ٦٠)

٩١ -وعن صفة أبو سلمة «كان رجلا جميلا، يخضب الوسمة»:

قال: الوسِمة، بكسر السين وتسكن، نبات يخضب بورقه، ويصبغ لون أخضر إلىٰ الكدرة.

(حاشية التمهيد ٧/ ٦١)

٩٢ -وعن علي بن الحسين:

قال: علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي، أبو الحسين وأبو محمد المدني، زين العابدين.

قال مالك: لم يكن في آل البيت النبوي مثله.

وقال - أيضًا -: لقد بلغني أنَّه كان يصلِّي في كلِّ يومٍ وليلة ألف ركعة حتىٰ مات.

وكان يسمىٰ زين العابدين لعبادته.

وقال ابن أبي شيبة: أصح الأسانيد كلها الزهري عن علي بن الحسين، عن أبيه، عن علي.

وقال الزُّهري: ما رأيت أحدًا كان أفقه منه.

وقال محمد بن إسحاق: كان ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين كان معاشهم، فلما مات علي بن الحسن فقدوا ما كانوا يؤتون به من اللَّيل.

(حاشية التمهيد ٧/ ٦١).

٩٣ -وعن حديث «من قام رمضان ...»:

قال: هو حديث: «**من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمّه**»، وهو معروفٌ عن طريق أبي سلمة عن أبي هريرة، رواه النضر بن شيبان عن أبي سلمة، عن أبيه.

أخرجه النَّسائي وقال: هذا خطأٌ، والصَّواب: أبو سلمة عن أبي هريرة.

وقال البخاري في هذا الحديث: لم يصح، وحديث الزهري عن أبي سلمة، عن أبي هريرة أصح، وكذا قال الدَّارقطني.

وفي "تقريب التهذيب": النضر بن شيبان الحُدَّاني بضم المهملة وشد الدال، ليِّن الحديث.

(حاشية التمهيد ٧/ ٦٢).

٩٤ - وعن حديث: «من أدرك ركعة من الصلاة فقد أدرك الصلاة»:

قال: رواه البخاري عن عبدالله بن يوسف، عن مالك، ورواه مسلم عن يحيى عنه.

(حاشية التمهيد ٧/ ٦٣)

٩٥ -وعن قول ابن عبد البر: وقد روى نافع بن زيد، عن ابن الهاد:

قال: كذا بالأصل، وهو تصحيفٌ، والصَّواب: نافع بن يزيد الكلاعي أو يزيد المصري، ثقةٌ ثبتٌ، احتجَّ به مسلمٌ، وعلَّق له البخاري، توفي (سنة ١٦٨).

وابن الهاد: هو يزيد بن عبدالله بن أسامة الهاد الليثي أبو عبدالله المدني، ثقةٌ احتجَّ به السِّتة، توفي (سنة ١٣٩).

(حاشية التمهيد ٧/ ٦٣)

٩٦ -وعن عبد الوهاب:

قال: عبد الوهاب قال عنه أبو حاتم: ثقةٌ صحيحُ الحديث ما به بأسٌ، من قدماء أصحاب الزُّهري.

وقال النَّسائي: ثقةٌ وكان وكيل الزُّهري، لكن روايته هذه شاذَّة إلَّا أنْ يقال: إنَّها توافق الرِّواية المشهورة في المعنىٰ؛ لأنَّه إذا كان مدرك الرَّكعة مدركًا للصَّلاة كان مدركًا لفضلها، ومع هذا فالشذوذ ثابتٌ.

(حاشية التمهيد ٧/ ٦٣).

٩٧ -وعن عمار بن مطر:

قال: عمَّار بن مطر أبو عثمان الرهاوي الحافظ، وثَّقه بعضهم، وهو ضعيفٌ كما قال الدَّارقطني.

وقال أبو حاتم: كان يُكذِّب.

وقال ابن حبَّان: كان يسرق الحديث.

(حاشية التمهيد ٧/ ٦٤)

٩٨ - وعن عبيد الله بن عبد المجيد الجنفي:

قال: البصري الصَّدوق، وثَّقه العجلي، والدَّارقطني، وابن قانع، وابن حبَّان، وروىٰ له الستة. توفي (سنة ٢٠٩).

(حاشية التمهيد ٧/ ٦٤)

٩٩ -وعن إبراهيم بن الحجاج الشامي:

قال: كذا بالأصل وهو تصحيفٌ، والصَّواب: السَّامي بالسين، نسبةً إلى سامة محلة بالبصرة، نزل بها بنو سامة بن لؤي بن غالب، فسميت بهم، وابن الحجاج هذا يروي عن الحمادين - ابن زيد وابن سلمة -، وثَّقه ابن حبَّان، والدَّارقطني، وهو من شيوخ أبي يعلى والنَّسائي. توفي (سنة ٢٣١).

(حاشية التمهيد ٧/ ٦٤)

١٠٠ - وعن حديث: «ما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا»:

قال: رواه الشيخان من حديث أبي قتادة رضي الله عنه، ومن حديث أبي هريرة أيضًا.

(حاشية التمهيد ٧/ ٦٦)

١٠١ -وعن حديث «من توضأ فأحسن وضوءه ...»، وتصحيحه لخطأ في إسناده (عبد العزيز بن محمد، ومحصن):

قال: كذا بالأصل، والصَّواب كما في "سنن أبي داود": عن محمد - يعني ابن طحلاء - وعبد العزيز بن محمد هو الدراوردي، يروي عن محمد بن طحلاء المدني.

ومُحْصِن بوزن محسن.

والحديث: رواه النسَّائي، وصحَّحه الحاكم على شرط مسلم، وهو تساهلٌ منه؛ لأنَّ محصنًا مجهول الحال، كما قال ابن القطَّان.

وقال الحافظ: مستورٌ. فلا يكون حديثه صحيحًا.

(حاشية التمهيد ٧/ ٦٧).

١٠٢ -وعن معبد بن هرمز:

قال: مجهولٌ، قاله الحافظ في "تقريب التهذيب". وقال الذَّهبي: تفرَّد عنه يعلىٰ بن عطاء.

١٠٣ -وعن حديث: «من توضأ في بيته فأحسن الوضوء ... الحديث»:

قال: رواه أبو داود في "سننه"، وهو ضعيفٌ.

(حاشية التمهيد ٧/ ٦٨)

١٠٤ -وعن سعيد بن إبراهيم:

قال: كذا بالأصل، والصَّواب: سعد بن إبراهيم، وهو ابن عبد الرحمن بن عوف، وأبو سلمة عمه.

(حاشية التمهيد ٧/ ٦٩)

١٠٥ - وعن حديث: «ما أدركتم فصلوا، ... الحديث»:

قال: رواه أحمد، والنَّسائي، من حديث أبي هريرة، وفي "صحيح مسلم" من حديثه أيضًا: **«إذا ثوب بالصَّلاة فلا يسعى إليها أحدكم، ولكن ليمش وعليه السَّكينة والوقار، فصلِّ ما أدركت واقض ما سبقك»**.

(حاشية التمهيد ٧/ ٧١)

١٠٦ -وعن عبد الحميد بن حبيب:

قال: عبد الحميد هو ابن حبيب بن أبي العشرين، أبو سعيد الدِّمشقي، كاتب الأوزاعي، ولم يروِ عن غيره، صدوقٌ ربما أخطأ.

(حاشية التمهيد ٧/ ٧٢)

١٠٧ - تعقيبه على ابن عبد البر في قوله: واختلف العلماء في حد إدراك

الركعة مع الإمام، فروى أبو هريرة من طريق فيه نظر:

قال الغماريُّ: كيف هذا وقد روىٰ البخاري في جزء "القراءة"، بإسنادٍ حسنٍ عن أبي هريرة، قال: «لا يجزئك إلَّا أنْ تدرك الإمام قائمًا، قبل أنْ يركع»، وحكىٰ الحافظ في "الفتح" هذا القول عن أبي هريرة وجماعة، وقال: حكاه البخاري في "القراءة خلف الإمام" عن كل من ذهب إلىٰ وجوب القراءة خلف الإمام، واختاره ابن خزيمة والصبغي وغيرهما من محدثي الشَّافعيَّة، وقوَّاه الشَّيخ تقي الدين السُّبكي من المتأخرين. اهـ

(حاشية التمهيد ٧/ ٧٢-٧٣)

١٠٨ - توضيحه لمسألة: من كبر قبل أن يرفع الإمام رأسه ركع كيف أمكنه، واتبع الإمام، وكان بمنزلة النائم ...:

قال الغماريُّ: يعني إذا نعس الرجل في الصلاة وهو قائمٌ ثم أدرك الإمام راكعًا، كان مدركًا للركعة.

روىٰ عبد الرزاق عن الحسن في رجل دخل مع قوم في صلاتهم، فنعس حتىٰ ركع الإمام، قال: يتبع الإمام.

(حاشية التمهيد ٧/ ٧٣)

١٠٩ -وعن داود بن أبي هند:

قال: داود هو ابن أبي هند القشيري البصري، تلميذ الشعبي، ثقةٌ متقنٌ كان يهم بأخرة.

(حاشية التمهيد ٧/ ٧٣)

١١٠ -وعن إسحاق بن هبيرة:

قال: هُبَيْرَة بالتصغير، ابن يَرِيم بوزن عظيم، الشيباني أبو الحارث الكوفي، لا بأس به.

(حاشية التمهيد ٧/ ٧٤)

١١١ -وعن قول أبي هريرة: «والله إني لأشبهكم صلاة برسول الله ﷺ»:

قال: رواه البخاري عن عبدالله بن يوسف، ومسلم عن يحيىٰ بن يحيىٰ كلاهما عن مالك.

ورواه مسلم من طريق يونس، عن ابن شهاب، عن أبي سلمة أنَّ أبا هريرة كان حين يستخلفه مروان علىٰ المدينة إذا قام للصَّلاة المكتوبة، كبَّر كلما خفض ورفع، فإذا سلَّم أقبل علىٰ أهل المسجد قال: «والذي نفسي بيده إني لأشبهكم صلاةً برسول الله ﷺ».

وفي "الصحيحين" عن مطرف قال: صلَّيت أنا وعمران بن حصين خلف علي بن أبي طالب عليه السلام، فكان يكبِّر كلَّما رفع ووضع، فلما انصرفنا من الصَّلاة أخذ عمران بيدي ثمَّ قال: «لقد صلَّىٰ بنا هذا صلاة محمد ﷺ».

وروىٰ أحمد والطحاوي بإسنادٍ صحيحٍ عن أبي موسىٰ الأشعري، قال: ذكرنا علي رضي الله عنه صلاة كنا نصليها مع النَّبيِّ ﷺ إمَّا نسيناها وإما تركناها عمدًا، يكبِّر كلما خفض، وكلما رفع، وكلما سجد.

وروىٰ النَّسائي عن عبد الرحمن بن الأصم قال: سئل أنس بن مالك عن التكبير في الصَّلاة؟ فقال: «يكبِّر إذا ركع وإذا سجد وإذا رفع رأسه من السجود، وإذا قام من الرَّكعتين»، فقال حطيم: عمَّن تحفظ هذا؟ فقال: عن النَّبيِّ ﷺ وأبي بكر وعمر ثمَّ سكت، فقال له حطيم: وعثمان؟ قال: وعثمان.

وحطيم رجلٌ كان يجالس أنسًا.

(حاشية التمهيد ٧/ ٧٩)

١١٢ - وعن محمد بن مصعب القرقساني:

قال: القُرْقُساني بضم القافين بينهما راء ساكنة، وبسين مهملة، ويكسر القافان أيضًا، نسبة إلى بلد قرقسان، وابن مصعب هذا صدوقٌ كثير الغلط.

توفي (سنة ٢٠٨). "تقريب التهذيب".

(حاشية التمهيد ٧/ ٧٩)

١١٣ -وعن إبراهيم بن طهمان:

قال: إبراهيم بن طهمان الخراساني أبو سعيد، سكن نيسابور ثمَّ مكة، ثقةٌ يغرب، تُكلِّم فيه من أجل الإرجاء، ويقال: رجع عنه.

توفي (سنة ١٦٨)، روى له الستة.

(حاشية التمهيد ٧/ ٨٠)

١١٤ -وعن عباد بن إسحاق:

قال: عباد بموحدة اسمه عبد الرحمن بن إسحاق بن عبدالله بن الحارث المدني، صدوقٌ رُمي بالقدر، روى له مسلمٌ والأربعة، وعلَّق له البخاري.

(حاشية التمهيد ٧/ ٨٠)

١١٥ -وعن سعيد سمعان:

قال: سعيد بن سَمْعان بفتح السين وكسرها وسكون الميم، الأنصاري الزرقي مولاهم المدني، قال الحاكم: تابعيٌّ معروفٌ، وثَّقه النَّسائي وابن حبَّان والدَّارقطني.

قال الحافظ: ولم يصب الأزدي في تضعيفه.

قلت: وقول الذَّهبي: «فيه جهالةٌ»، خطأٌ.

(حاشية التمهيد ٧/ ٨٠).

١١٦ -وعن عن أبي بكر الأبهري:

قال: هو محمد بن عبدالله بن صالح الأبهري، من أئمة المالكيَّة بالعراق، روىٰ عنه الدَّارقطني والباقلاني وغيرهما.

توفي ببغداد (سنة ٣٩٥).

(حاشية التمهيد(٧/ ٨١).

١١٧ -وعن ترك الناس للتكبير، وأول من تركه:

قال: روىٰ أحمد بن مطرِّف - بكسر الراء المشددة -، قال: قلنا لعمران بن حصين: من أول من ترك التكبير؟ قال: عثمان بن عفان، حين كبَّر وضعف صوته.

قال الحافظ: وهذا يحتمل إرادة ترك الجهر بالتكبير.

وروىٰ الطبراني عن أبي هريرة قال: أول من ترك التكبير زياد. قال الحافظ: وهذا لا ينافي ما قبله؛ لأنَّ زيادًا تركه بترك معاوية، وكان معاوية تركه بترك عثمان. اهـ

قلت: عثمان ترك الجهر بالتكبير - كما قال جماعةٌ من العلماء -، لكبره وضعف صوته، لكن معاوية تركه بتاتًا تقليدًا لعثمان وتعصبًا له، كما يتعصَّب المقلدون لأئمتهم.

(حاشية التمهيد ٧/ ٨٣)

١١٨ -وعن عياض بن عبد الله الفهري:

قال: عِياض بكسر أوله وتخفيف التحتانية، المدني نزيلُ مصر، فيه لينٌ.

(حاشية التمهيد ٧/ ٨٣).

١١٩ -وعن بُندار:

قال: بُنْدار بضم الباء وسكون النون، اسمه محمد بن بشار العبدي البصري، ثقةٌ، روىٰ له الستة.

(حاشية التمهيد ٧/ ٨٤)

١٢٠ -وعن أبي داود:

قال: سليمان بن داود الطيالسي البصري، ثقةٌ حافظٌ، علَّق له البخاري وروىٰ له بقيَّة السِّتة.

توفي (سنة ٢٠٤)، وهو صاحب "المسند" المطبوع.

(حاشية التمهيد ٧/ ٨٤)

١٢١ -وعن الحسن بن عمران:

قال: الحسن بن عمران العسقلاني، أبو عبدالله، ويقال: أبو علي.

قال أبو حاتم: شيخ. وقال الطبري: مجهول. وذكره ابن حبان في "الثقات".

ووقع في "شرح معاني الآثار" (طبع مصر ج١/ ص: ٢٢٠): عن الحسن عن ابن عمران، وهو تصحيف فاحش.

(حاشية التمهيد ٧/ ٨٤)

١٢٢ - ما قاله عما حدث به ابن أبزى عن أبيه أنه صلى خلف النبي ﷺ

فلم يكن يتم التكبير:

قال الغماريُّ: رواه أبو داود، وقال: معناه إذا رفع رأسه من الركوع، وأراد أنْ يسجد لم يكبِّر، وإذا قام من السجود لم يكبِّر.

وقال البخاري في "الصحيح"، باب: «إتمام التكبير في الركوع».

قال الحافظ: ولعلَّه أراد بلفظ الإتمام الإشارة إلى تضعيف ما رواه أبو داود، وذكر الحديث ثمَّ قال: وقد نقل البخاري في التاريخ عن أبي داود الطيالسي أنَّه قال: هذا عندنا باطلٌ.

وقال الطبري والبزَّار: تفرَّد به الحسن بن عمران، وهو مجهولٌ. وأجيب على تقدير صحته بأنَّه فعل ذلك لبيان الجواز، أو المراد: لم يتم الجهر به أو لم يمده. اهـ.

وما ذكره هنا من تضعيف الحديث: هو المعتمد خلاف قوله في "الإصابة": «إسناده حسنٌ.

(حاشية التمهيد ٧/ ٨٤)

١٢٣ - ما قاله عن قول عكرمة: صلَّيت مع أبي هريرة قال: فكان يكبر إذا رفع، وإذا وضع (فأخبرت ابن عباس):

قال الغماريُّ: ما بين القوسين من "صحيح البخاري"، وفي روايةٍ أخرى فيه أيضًا: عن عكرمة قال: صلَّيت خلف شيخٍ بمكَّة - هو أبو هريرة -، فكبَّر ثنتين وعشرين تكبيرة، فقلت لابن عباس: إنَّه أحمقٌ، فقال: ثكلتك أمك سُنَّة أبي القاسم ﷺ.

وروى الإسماعيلي في "المستخرج" عن عكرمة، قال: صلَّيت الظُّهر.

قال الحافظ: وبذلك يصح عدد التكبير الذي ذكره؛ لأنَّ في كلِّ ركعةٍ خمس تكبيرات، فيقع في الرباعيَّة عشرون تكبيرة، مع تكبيرة الافتتاح وتكبيرة القيام من التشهُّد الأول. اهـ

(حاشية التمهيد ٧/ ٨٥)

١٢٤ - ما قاله عن إسناد حديث «المسيء صلاته» الذي أورده ابن عبد البر:

قال الغماريُّ: أسنده المؤلف من طريق مسدد في "مسنده"، وأخرجه الأربعة، وصحَّحه ابن حبان، ويعرف هذا الحديث، بحديث: «المسيء صلاته».

وخلاد بن رافع أخو رفاعة راوي الحديث.

(حاشية التمهيد ٧/ ٨٦)

١٢٥ - تعليقه على حديث: «إذا قمت إلى الصلاة فتوضأ وأسبغ الوضوء، ثم استقبل القبلة، ثم كبر ...»، وما قاله ابن عبد البر تعليقا على الحديث: «ففي هذا الحديث القصد إلى فراءض الصلاة الواجبة فيها»:

قال الغماريُّ: لم تذكر فيه النية، والقعود الأخير وهما فرضان بالاتفاق، ولم يذكر فيه التشهد الأخير وهو فرض عن غير المالكيَّة، والسلام وهو فرض عند غير الحنفية، والصلاة على النبي ﷺ وهي فرض عن الشَّافعيَّة، أما الفاتحة فقد صرَّح بها الحديث في رواية أبي داود، وأحمد، وابن حبان عن رفاعة، وترجم عليها ابن حبَّان في "صحيحه": باب: فرض المصلِّي قراءة الفاتحة في كل ركعة.

(حاشية التمهيد ٧/ ٨٦)

١٢٦ -وعن حديث: «تحليلها التسليم»:

قال الغماريُّ: أخرج الشَّافعي وأحمد والأربعة إلَّا النَّسائي من طريق عبدالله بن محمد ابن عقيل، عن محمَّد بن الحنفيَّة، عن عليٍّ عليه السلام، عن النَّبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**مفتاح الصَّلاة الطهور، وتحريمها التكبير، وتحليلها التسليم**»، صحَّحه الحاكم، وابن السَّكن، وقال العقيلي: في إسناده لينٌ - أي ضعفٌ خفيفٌ -، وذلك من أجل عبدالله بن عقيل، وهو صدوقٌ ضعَّفه جماعةٌ لسوء حفظه.

وقال الذَّهبي: حديثه في مرتبة الحسن. وعلىٰ هذا استقر عمل المتأخرين كالهيثمي والحافظ والسَّخاوي.

وللحديث طرقٌ عن جابر عند أحمد، والبزَّار، والترمذي، والطَّبراني، وفي سنده أبو يحيىٰ القتات: ضعيفٌ.

وعن أبي سعيد الخدري عند الترمذي وابن ماجه، وفي سنده طريف ابن شهاب: ضعيفٌ.

وعن ابن عبَّاس عند الطبراني، وفي سنده نافع أبو هرمز: متروكٌ.

وعن عبدالله بن زيد عند الدَّارقطني، والطبراني، وفي سنده الواقدي: ضعيفٌ.

وروىٰ أبو نعيم - الفضل بن دكين - في كتاب "الصلاة" بإسنادٍ صحيحٍ عن ابن مسعودٍ، قال: «**مفتاح الصَّلاة التكبير، وانقضاؤها التسليم**». هذا موقوفٌ.

(حاشية التمهيد ٧/ ٨٧)

١٢٧ - تعليقه على قول ابن عبد البر: «من ترك الجلسة الوسطى عامدا،

بطلت صلاته»:

قال: عند من يوجبها، وأمَّا من لم يقل بوجوبها، فلا يبطل الصَّلاة بتركها عمدًا، كما في "الفتح".

(حاشية التمهيد ٧/ ٨٧)

١٢٨ - ما قاله عن حديث :«إن أحدكم إذا قام يصلي جاء الشيطان ...»:

قال: رواه البخاريُّ عن عبدالله بن يوسف، ومسلمٌ عن يحيىٰ بن يحيىٰ كلاهما عن مالك، وتابعه سفيان بن عيينة، واللَّيث بن سعد، عن ابن شهاب عند مسلم.

وقد روىٰ البخاري هذا الحديث تحت ترجمة، باب: «السَّهو في الفرض والتطوع».

قال الحافظ: أي: هل يفترق حكمه، أم يتحد؟

إلىٰ الثاني ذهب الجمهور، وخالف في ذلك ابن سيرين وقتادة، ونقل عن عطاء.

(حاشية التمهيد ٧/ ٨٩)

١٢٩ - ما قاله تعقيبًا على ابن عبد البر بأن حديث «إن أحدكم إذا قام يصلي جاء الشيطان ...»، وقول العلماء بأنه حديث ناقص يفسره حديث أبي سعيد الخدري، وحديث عبد الرحمن بن عوف، وحديث ابن عبَّاس:

قال: رواه أحمد، ومسلم، وأبو داود بلفظ: **«إذا شكَّ أحدكُم في صلاته، فلم يدرِ كمْ صلَّى، أثلاثًا أم أربعًا؟ فيطرح الشَّكَّ وليبنِ على ما استيقن، ثمَّ يسجد سجدتين قبل أنْ يُسلِّم، فإنْ كان صلَّى خمسًا شفعن له صلاته، وإنْ كان**

صلَّى إتمامًا كانتا ترغيمًا للشَّيطان». وهذا لفظ رواية مسلم.

(حاشية التمهيد ٧/ ٩٠)

١٣٠ - وعن حديث عبد الرحمن بن عوف «إذا شكَّ الرجل ... »:

قال: رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه من طريق ابن إسحاق، عن مكحول، عن كريبٍ، عن ابن عبَّاسٍ، عن عبد الرحمن بن عوف.

ولفظ رواية أحمد: عن كريبٍ، عن ابن عبَّاسٍ، أنَّ عمر قال له: يا غلام هل سمعت من رسول الله ﷺ أو من أحدٍ من أصحابه: «**إذا شكَّ الرَّجلُ في صلاته ماذا يصنع؟**» قال: فبينما هو كذلك إذْ أقبل عبد الرحمن بن عوف، فقال: فيم أنتما؟ فقال عمر: سألت هذا الغلام هل سمعت من رسول الله ﷺ أو أحدٍ من أصحابه: «**إذا شكَّ الرجل في صلاته ماذا يصنع؟**».

فقال عبد الرحمن: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا شكَّ أحدكم في صلاته، فلم يدر أواحدة أم ثنتين؟ فليجعلها واحدة، وإذا لم يدر ثنتين صلَّى أم ثلاثًا؟ فليجعلها ثنتين، وإذا لم يدر أثلاثًا صلَّى أم أربعًا؟ فليجعلها ثلاثًا ثمَّ يسجد إذا فرغ من صلاته، وهو جالسٌ قبل أنْ يسلِّم سجدتين**»، صحَّحه الترمذي لكنَّه معلولٌ.

فقد رواه أحمد - أيضًا - عن إسماعيل بن عليَّة: حدثنا محمد بن إسحاق: حدَّثني مكحولٌ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: ... فذكره مرسلًا.

قال محمد بن إسحاق: وقال لي حسين بن عبدالله: هل أسنده لك؟ قلت: لا. قال لكنَّه حدَّثني أنْ كريبًا حدَّثه عن ابن عبَّاسٍ قال: جلست إلى عمر بن الخطاب، فقال: يا ابن عبَّاس هل سمعت ... إلخ ما تقدَّم.

فتبيَّن أَن الحديث مرسلٌ.

كذلك سمعه ابن إسحاق من مكحول، وسمعه من حسين بن عبدالله موصولًا، فرواه كذلك عن مكحول بلفظ «عن»، مسقطًا حسين بن عبدالله؛ لضعفه الشَّديد، وهذا تدليس التسوية.

لكن رواه الدَّارقطني من طريق ثور بن يزيد عن مكحول، عن كريب، عن ابن عبَّاس، عن عبد الرحمن بن عوف، عن النَّبيِّ ﷺ.

فهذه متابعة قويَّة، وثورٌ «ثقةٌ» احتجَّ به البخاري.

وبذلك يتبيَّن أنَّ الحديث صحيحٌ كما قال الترمذي.

ثم تكلم الغماري على حديث ابن عبَّاس فقال: رواه الدَّراقطني في "سننه"، ولفظه: «**إذا شكَّ أحدكم في صلاته، فإنْ استيقن أنَّه قد صلَّى ثلاثًا، فليصلِّ واحدة بركعتها وسجدتيها، ثمَّ ليتشهَّد، فإذا فرغ فلم يبق إلَّا أنْ يُسلِّم، فليسجد سجدتين وهو جالسٌ، ثمَّ يُسلِّم**». وفي إسناده عبدالله بن جعفر، والد علي بن المديني «ضعيفٌ».

(حاشية التمهيد ٧/ ٩٠).

١٣١ - ما قاله عن قصد ابن عبد البر بالحديث الذي يفسر حديث: «إن أحدكم إذا قام يصلي جاء الشيطان ...»:

قال: رواه أحمد والسِّتة إلَّا الترمذي، ولفظه: «**إذا شكَّ أحدكم في صلاته فليتحرَّ الصَّواب، فليتم عليه، ثمَّ ليسلِّم، ثمَّ ليسجد سجدتين**».

وفي رواية مسلم وابن ماجه: «... **فلينظر أقرب ذلك إلى الصَّواب فليتم عليه ...**».

ثمَّ ظهر أنَّ المؤلِّف لا يقصد هذا الحديث، بل يقصد ما رواه أبو داود من طريق أبي عبيدة بن عبدالله، عن أبيه، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**إذا كنت في صلاةٍ فشككت في ثلاثٍ أو أربعٍ، وأكبر ظنِّك على أربعٍ، تشهَّدت ثمَّ سجدت سجدتين وأنت جالسٌ قبل أنْ تُسلِّم، ثمَّ تشهدت أيضًا ثمَّ تسلِّم**».

ثمَّ حكى أبو داود الخلاف في رفعه، وقال البيهقي: هذا حديثٌ مختلفٌ في رفعه، ومتنه غير قويٍّ، وهو من رواية أبي عبيدة بن عبدالله بن مسعود عن أبيه، ولم يسمع منه، وأشار الحافظ في "الفتح" إلى ضعفه.

(حاشية التمهيد ٧/ ٩١)

١٣٢ -وعن هلال بن عياض:

قال: ويقال: عياض بن هلال. ويقال: عياض بن أبي زهير.

لم يرو عنه غير يحيى بن أبي كثير. قال ابن المديني: «مجهولٌ».

(حاشية التمهيد ٧/ ٩١)

١٣٣ -وعن الحديث الذي رواه محمد بن إسحاق، ومحمد بن عبدالله بن مسلم، عن أبي هريرة مرفوعا في التسليم .

قال: قال أبو داود: حدثنا حجاج بن أبي يعقوب: حدثنا يعقوب: حدثنا ابن أخي الزهري، عن محمد بن مسلم بهذا الحديث بإسناده، زاد: «**وهو جالس قبل التسليم**».

حدثنا حجاج: حدثنا يعقوب: حدثنا أبي، عن محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن مسلم الزهري بإسناده ومعناه قال: فليسجد سجدتين قبل أن يسلم، ثم ليسلم.

ورواه الدارقطني من طريق عكرمة بن عمار، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة مرفوعًا، بلفظ: «**إذا سها أحدكم فلم يدر أزاد أم نقص؟ فليسجد سجدتين وهو جالس، ثم يسلم**».

قال الحافظ: إسناده قوي، ونقل عن الحافظ العلائي، قال: هذه الزيادة في هذا الحديث، مجموع هذه الطرق، لا تنزل عن درجة الحسن المحتج به. اهـ

(حاشية التمهيد ٧/ ٩٣)

١٣٤ - وعن تخريجه للطريق الذي أورد به - أي ابن عبد البر - حديث: «من شك في صلاته ...»:

قال: من هذا الطريق أخرجه أبو داود، والنسائي، وأحمد، لكن بلفظ: «**بعد ما يسلِّم**». وقع في رواية الأولين دون الثالث.

ورواه ابن خزيمة والبيهقي، وقال: إسناده لا بأس به.

قلت: لكن عتبة بن محمد، ويقال: عقبة. قال النَّسائي ليس بمعروف.

وعبدالله بن مسافع لم يعرف بجرحٍ ولا تعديلٍ.

(حاشية التمهيد ٧/ ٩٤).

١٣٥ - ما قاله عن حديث: «من قام رمضان ...»:

قال: هكذا هو في "الموطأ" في كتاب: الصلاة، تحت ترجمة: الترغيب في الصلاة في رمضان.

ورواه أبو داود في "الصلاة" أيضًا، من طريق معمر ومالك، عن الزهري به.

وروىٰ الشَّيخان متن الحديث فقط بدون زيادة: «أوله».

(حاشية التمهيد ٧/ ٩٥)

١٣٦ - ما قاله عن عمرو بن علي:

قال: هو الفلاس أحد أئمة الجرح والتعديل، روىٰ له الستة.

توفي (سنة ٢٤٩).

(حاشية التمهيد ٧/ ٥٩)

١٣٧ - ما قاله عن أبي المصعب:

قال: هو أحمد بن أبي بكر القاسم بن الحارث بن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف المدني، روىٰ "الموطأ" عن مالك، وروىٰ له السِّتة، وعابه أبوخيثمة لفتواه بالرَّأي.

وكان يقول: يا أهل المدينة لا تزالون ظاهرين علىٰ أهل العراق ما دامت لكم حيًّا، توفي (سنة ٢٤٢) أو (سنة ٤١).

(حاشية التمهيد ٧/ ٩٦).

١٣٨ - ما قاله عن عمر بن عثمان بن عمر:

قال: عمر بن عثمان بن عمر التميمي المدني، صدوقٌ، ويظهر أنَّ النَّسائي روىٰ عنه خارج كتبه؛ لأنَّه لم يذكر في "تهذيب التهذيب"، و"تقريب التهذيب"، و"الخلاصة" إلَّا علىٰ أنَّه من رجال ابن ماجه والبخاري في جزء "القراءة خلف الإمام"، وفي "الميزان" وضع بجانب اسمه رمز الترمذي، وابن ماجه، وفي "التقريب" طبع بيروت رمز أبي داود وهو خطأٌ.

(حاشية التمهيد ٧/ ٩٨).

١٣٩ -وعن قول ابن عبد البر: وذكر النسائي - أيضًا - حديث جويرية عن أبي مريم ...:

قال: كذا بالأصل، وفي "سنن النسائي": أخبرني محمد بن إسماعيل قال: حدَّثنا عبدالله بن محمد بن أسماء، قال: حدَّثنا جويرية، ومحمد بن إسماعيل - هو أبو بكر الطبراني - لا يكنَّىٰ أبا مريم، نعم يوجد في شيوخ النَّسائي أحمد بن سعد بن الحكم المعروف بابن أبي مريم، وهو من شيوخ بقي بن مخلد - أيضًا - لكن لم يرو عنه النَّسائي هذا الحديث.

(حاشية التمهيد ٧/ ٩٩)

١٤٠ - وعن جويرية:

قال: جُويرِية بصيغة تصغير جارية ابن أسماء بن عبيد الضُبَعي - بضم الموحدة، وفتح الموحدة -، البصري.

روىٰ له الستة إلَّا الترمذي.

حاشية التمهيد(٧/ ٩٩).

١٤١ -وعن عباد بن صهيب:

قال: عباد بن صهيب الكلبي البصري أبو بكر، قدريٌّ داعية، ضعيفٌ متروكٌ.

توفي (سنة ٢١٢) تقريبًا، ومثل هذا لا يُعتبر بمتابعة.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٠٠)

١٤٢ -وعن الربيع بن سليمان:

قال الغماريُّ: هو ابن داود الجيزي المصري الأعرج، روىٰ عن ابن وهب،

وابن عبد الحكم، والشافعي وغيرهم، وكان ثقة.

توفي (سنة ٢٥٦).

(حاشية التمهيد ٧/ ١٠٠)

١٤٣ -وعن أحمد بن صالح البصري:

كذا بالأصل، والصَّواب: المصري، وهو أحمد بن صالح المصري، يُعرف بابن الطبري، كان أبوه من طبرستان، الحافظ الثِّقة، أحد أئمة الجرح والتعديل، وكان رأسًا في علل الأحاديث، وكان يُصلِّي بالشَّافعي، وكان فيه كِبْرٌ.

ولد سنة (١٧٥)، وتوفي (سنة ٢٤٨).

(حاشية التمهيد ٧/ ١٠٠)

١٤٤ -وعن إسحاق بن سليمان:

قال الغماريُّ: الرَّازي أبو يحيىٰ العبدي الكوفي، ثقةٌ ورعٌ، روىٰ له السِّتة، قال أبو أسامة: كنا نستسقي به.

وقال أبو مسعود: يقال: كان من الأبدال. توفي (سنة ٢٠٠).

(حاشية التمهيد ٧/ ١٠٠)

١٤٥ -وعن ابن أبي خلف:

قال الغماريُّ: هو محمد بن أحمد بن أبي خلف السلمي القطيعي، أبو عبدالله، ثقةٌ.

روىٰ له مسلم، وأبو داود. توفي (سنة ٢٣٧).

(حاشية التمهيد ٧/ ١٠١)

١٤٦ -وعن محمد بن عمر:

قال الغماريُّ: كذا بالأصل، والصواب: محمد بن عمرو - بفتح العين - ابن علقمة ابن وقاص الليثي المدني، صدوقٌ له أوهام.

توفي (سنة ١٤٥).

(حاشية التمهيد ٧/ ١٠١)

١٤٧ -وعن أبي أويس:

قال الغماريُّ: هو عبدالله بن عبدالله بن أويس الأصبحي المدني، ابن عم مالك، وزوج أخته، صدوقٌ يهم.

روى له مسلم والأربعة، وهو والد إسماعيل بن أبي أويس.

توفي (سنة ١٦٩).

(حاشية التمهيد ٧/ ١٠٢)

١٤٨ -وعن الزيادة التي ذكرها حامد بن يحيى عن ابن عيينة، حيث قال: «قام رمضان»، ولم يقل: صام. وزاد: «ما تأخر»:

قال الغماريُّ: حامد بن يحيى ثقةٌ حافظٌ لا مطعن فيه، قال ابن حبان في "الثقات": كان ممن أفنى عمره بمجالسة ابن عيينة، وكان من أعلم أهل زمانه بحديثه. اهـ

وتابعه على رواية هذه الزيادة عن ابن عيينة، قتيبة بن سعيد، عند النَّسائي وهو ثقةٌ ثبتٌ، وهشام بن عمار في "فوائده"، ويوسف بن يعقوب النجاحي في "فوائده".

قال الحافظ: ووردت هذه الزِّيادة من طريق أبي سلمة من وجهٍ آخر، أخرجها أحمد من طريق حمَّاد بن سلمة، عن محمد بن عمر، عن أبي سلمة، عن

أبي هريرة.

وعن ثابت، عن الحسن كلاهما، عن النَّبيِّ ﷺ - يعني موصولًا ومرسلًا -، قال: ووقعت هذه الزِّيادة من رواية مالك نفسه، أخرجها أبو عبدالله الجرجاني في "أماليه" من طريق بحر بن نصر، عن ابن وهبٍ، عن مالكٍ ويونس، عن الزهري. اهـ

وبحر ويونس ثقتان، وفي غفران ما تقدم وما تأخر من الذنوب عدة أحاديث، أفردها جماعةٌ بالتأليف، منهم: المنذري، والعقلاني، والقابوني، والحطاب، والسَّيد محمد ابن جعفر الكتاني، وشقيقنا أبو الفيض.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٠٥).

١٤٩ -وعن حديث: «إنما الأعمال بالنيات»:

قال: هذا حديثٌ صحيحٌ غريبٌ لم يصح إلَّا من حديث عمر رضي الله عنه، لكن ورد في معناه أحاديث كثيرة تبلغ حد التواتر، وقد استوعبتها في كتاب "الابتهاج في تخريج أحاديث المنهاج للبيضاوي".

(حاشية التمهيد ٧/ ١٠٦)

١٥٠ -وعن حديث: «لن تنفق نفقة تبتغي بها ...»:

قال: رواه البخاري، وبقيته: «**حتى ما تجعل في فِيِّ امرأتك ...**».

وفي رواية: «**في فم امرأتك ...**»، والحديث يفيد: أنَّ الفعل الذي فيه حظ النَّفس، إذا وجدت معه نيَّة صالحة، أثيب عليه صاحبه.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٠٦)

١٥١ - وعن خلاف العلماء في حديث: «غفر له ما تقدم من ذنبه ...»:

قال: هذا الخلاف يتجه في الأحاديث العامَّة، أمَّا ما صرَّح فيه بغفران الكبائر، فلا يتجه فيه خلاف، كحديث: «**الحج المبرور**»، وحديث: «**صلاة التسابيح**».

فحديث: «**الحج**» صرَّح فيه بأنَّ الله يغفر لصاحبه الذنوب حتىٰ التبعات، وللحافظ ابن حجر في تصحيحه جزءٌ مطبوعٌ بتعليقاتي.

وحديث: «**صلاة التسابيح**» صرَّح بأنَّ الله يغفر لمصليها ذنوبه كلها، صغيرها وكبيرها، وقد ذكره ابن الجوزي في "الموضوعات" وأخطأ، واضطرب فيه كلام النَّووي والحافظ، فحسَّناه تارةً، وضعفاه أخرىٰ، والصَّواب: أنَّه حديثٌ صحيحٌ.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٠٦)

١٥٢ - وعن حديث المرأتين من هذيل، حين رمت إحداهما الأخرى فطرحت جنينها:

قال: ورواه البخاري في «الدِّيات»، عن عبدالله بن يوسف وإسماعيل بن أبي أويس، عن مالك. وفي «الطب» عن قتيبة بن سعيد، عن مالك.

ومسلم عن يحيىٰ بن يحيىٰ، عن مالك أيضًا.

ورواه مسلم من طريق معمر، عن الزُّهري.

ورواه أبو داود والترمذي من طريق محمد بن عمر، وعن أبي سلمة.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٠٧).

١٥٣ - وعن القتل شبه العمد:

قال: قال الشَّافعي: «شبه العمد» ما كان عمدًا في الضرب خطأ في القتل،

أي: ما كان ضربًا لم يقصد به القتل، كالسوط والعصا، فتولد عنه القتل، والخطأ: ما كان خطأ فيهما جميعًا، والعمد: ما كان عمدًا فيهما معًا.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٠٨)

١٥٤- وعن فرار مالك من إثبات شبه العمد ونفيه له - في قضية المرأتين من هذيل -، وتعليل ابن عبد البر له بأن ذلك باطل عنده - أي مالك -:

قال: إلَّا في الابن مع أبيه، وأثبته جمهور العلماء من الصحابة وفقهاء الأمصار، لحديث عبدالله بن عمرو بن العاص، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**ألا إنَّ قتيل الخطأ شبه العمد، قتيل السَّوط أو العصا، فيه مائة من الإبل، منها أربعون في بطونها أولادها**».

رواه أحمد والأربعة إلَّا الترمذي، وصحَّحه ابن حبَّان، وقال ابن القطَّان: هو صحيحٌ ولا يضره الاختلاف.

قلت: لأنَّه اختلافٌ في راوي الحديث، هل هو عبدالله بن عمرو، أو عبدالله ابن عمر؟ أو رجلٌ من الصحابة؟ وقد استوعب البخاري الخلاف في "تاريخه الكبير" في ترجمة عقبة بن أوس، والصحابة كلهم عدول.

حاشية التمهيد (٧/ ١٠٨)

١٥٥ -وعن حَمَل بن النابغة:

قال الغماريُّ: حَمَل - بوزن جمل - ابن مالك بن النابغة الهذلي أبو نضلة، وحديثه عند الأربعة غير الترمذي، وهو من رواية عمر عنه، كما أشار إليه المؤلف فيما بعد.

وروى الحديث -أيضًا- أسامة بن عمير عند الطبراني وابن منده والبيهقي.

وعبادة بن الصمات عند ابن ماجه.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٠٩)

١٥٦ -وعن قول ابن عبد البر: «ومنهم من يرويه عن عمر عن النبي ﷺ»، أي: حديث المرأتين:

قال: كذلك رواه أحمد في "المسند" بإسنادٍ صحيحٍ، لكن يعارض هذا ما ثبت في "الصحيحين" أنَّ عمر سأل عن قضاء النَّبيِّ ﷺ في إملاص المرأة؟ فأخبره المغيرة بحديث المرأتين، وطلب منه شاهدًا يؤيِّده، فشهد له محمد بن مسلمة.

وقد يكون عمر نسي الحديث فسأل عنه أو سأل تثبتًا واستيقانًا، وقد كان شديد الاحتياط رضي الله عنه.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٠٩).

١٥٧ -وعن عويمر بن أشقر:

قال: كذا بالأصل، وهو مخالفٌ لما في "الاستيعاب"، فقد جاء فيه ما نصُّه: عويمر ابن أشقر بن عوف الأنصاري، قيل: إنَّه من بني مازن، شهد بدرًا، يُعدُّ في أهل المدينة.

وبعد هذا ما نصُّه: عويمر الهذلي، له حديثٌ واحدٌ في المرأتين اللَّتين ضربت إحداهما بطن الأخرى، فألقت جنينًا وماتت. اهـ

فالصَّواب: أنَّ صاحب الحديث عويمر الهذلي، ويقال فيه: عويم، وهو غير

عويمر ابن أشقر الأنصاري.

والحديث الذي أشار إليه المؤلِّف: رواه ابن أبي خيثمة، والهيثم بن كليب، والطبراني من طريق محمد بن سليمان، عن عمرو بن تميم بن عويم الهذلي، عن أبيه، عن جدِّه، قال: كانت أختي مليكة وامرأة منا، يقال: لها أم عفيف بنت مسروح، تحت رجلٍ منا، يقال له: حمل بن مالك، فضربت أم عفيف مليكة بسطح بيتها وهي حامل، فقتلتها وذا بطنها... فذكر الحديث. وإسناده ضعيفٌ، ومُليكة بصيغة التصغير، وعَفيف بفتح العين.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٠٩)

١٥٨ -وعن أبي الزنباع، وروح بن الفرج:

قال: [أبو الزِنْباع] بكسر الزاي وسكنون النون، ورَوْح بفتح الراء وسكون الواو، مصريٌّ ثقةٌ، توفي (سنة ٢٨٢).

(حاشية التمهيد ٧/ ١١٠)

١٥٩ -وعن أم غطيف:

قال: أم غطيف، قال الحافظ ابن حجر هو تصحيفٌ، والمعتمد: أم عفيف.

وكلام ابن عباس رواه أبو داود، وغُطيف بضم الغين المعجمة.

(حاشية التمهيد ٧/ ١١١)

١٦٠ - تعليقه على حديث: «قضى رسول الله ﷺ في الجنين بغرة عبد أو أمة أو فرس أو بغل»:

قال: رواه أبو داود، وقال عقبة: روىٰ هذا الحديث عن محمد بن عمرو،

حمَّاد بن سلمة وخالد ابن عبدالله، لم يذكروا «فرسًا ولا بغلًا».

قال الخطابي: يقال: إنَّ عيسىٰ بن يونس قد وَهِم فيه، وهو يغلط أحيانًا فيما يرويه، إلَّا أنَّه قد روىٰ عن عطاء وطاووس ومجاهد وعروة بن الزبير، أنَّهم قالوا: « الغرة عبد أو أمة أو فرس، وأمَّا البغل فأمره أعجب، وقد يحتمل، تكون هذه الزِّيادة جاءت من قبل بعض الرواة علىٰ سبيل القيمة إذا عدمت الغرة من الرقاب.

وقال الحافظ في "الفتح": أشار البيهقي إلىٰ أنَّ ذكر الفرس في المرفوع وهمٌ، وأنَّ ذلك أدرج من بعض رواته علىٰ سبيل التفسير للغرة، وذكر أنَّه في رواية حمَّاد بن زيد، عن عمرو بن دينار، عن طاووس بلفظ: «فقضىٰ أنَّ في الجنين غرة».

قال طاووس: «الفرس غرة».

قال الحافظ: وكذا أخرج الإسماعيلي من طريق حماد بن زيد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: «الفرس غرة».

(حاشية التمهيد ٧/ ١١١)

١٦١ -وعن عيسى بن يونس:

قال: هو عيسىٰ بن يونس بن أبي إسحاق السَّبيعي - بفتح السين - الكوفي، ثقةٌ ثبتٌ، روىٰ له السِّتة.

قال سليمان بن داود: كنا عند ابن عيينة فجاء عيسىٰ فقال: مرحبًا بالفقيه ابن الفقيه ابن الفقيه. توفي (سنة ١٩١).

(حاشية التمهيد ٧/ ١١١).

١٦٢ -وعن حديث: «أيما رجل أعمر عمري ...»:

قال: رواه مسلم عن يحيىٰ بن يحيىٰ، عن مالك.

وأبو داود عن محمد بن يحيىٰ بن فارس.

ومحمد بن المثنىٰ عن بشر بن عمر، عن مالك.

والنَّسائي عن محمد بن سلمة.

والحارث بن مسكين عن ابن القاسم، عن مالك.

(حاشية التمهيد ٧/ ١١٢).

١٦٣ توضيحه لكلمة «بتلة»:

قال: «بتلة»: أي عطية لا رجوع فيها.

(حاشية التمهيد ٧/ ١١٣).

١٦٤ - توضيحه لكلمة «لا مثنوية»:

قال: «لا مثنوية»: أي لا استثناء، وعند مسلم والنسائي: «لا ثُنيا»، وهي بوزن دُنيا، أي: لا استثناء أيضًا.

(حاشية التمهيد ٧/ ١١٣)

١٦٥ - توضيحه لما قاله ابن عبد البر: «وجعل سائره من قول أبي سلمة، لا من قول الزهري»:

قال: فهو من قبيل المدرج المعروف عند أهل الحديث.

(حاشية التمهيد ٧/ ١١٣)

١٦٦ - توضيحه لما قاله ابن عبد البر: «... منها العمرى، والسكنى، والعارية، والاطراق، والمنحة، والإحبال، والأفقار»:

قال: السكنىٰ: تكون في الدور والدكاكين.

والعارية: تكون في الأولىٰ، والثياب ونحوها.

والإطراق: يكون في الفحل يحمل علىٰ الأنثىٰ.

والمنحة: تكون في النَّاقة أو الشاة، يعطيها صاحبها لرجلٍ يشرب لبنا، ثمَّ يردها إذا انقطع اللبن، ومثلها الإحلاب، يقال: أحلبه الشَّاة والنَّاقة، جعلهما له يحلبهما.

والإفقار: يكون في الدواب التي تركب، يقال: أفقرت فلانًا ناقة أعرته فقار ظهرها ليركبها.

والإجمال: بالجيم، يقال: أجملته المال إذا أعرته فرسًا يغزو عليه، أو ناقة ينتفع بوبرها ولبنها، والإحبال في الأصل تصحيفٌ.

(حاشية التمهيد ٧/ ١١٤)

١٦٧ - تعليقه على قول ابن الأعرابي: «لم تختلف العرب في أن هذه الأسماء على ملك أربابها»:

قال: لكن الشَّرع نقل حقائق لغوية إلىٰ معان شرعيَّة، والمقرر في علم الأصول: أنَّ اللفظ في خطاب الشَّرع يُحمل علىٰ المعنىٰ الشَّرعي لا اللُّغوي.

وإذا كانت العمري عند العرب معناها تمليك المنفعة، فقد جعلها الشَّارع تمليك رقبة، كما كانت الصَّلاة عند العرب دعاء، فجعلها الشَّارع عبادة خاصَّة.

حاشية التمهيد (٧/ ١١٤)

١٦٨ - توضيحه للتصحيف الذي وقع بالأصل في قول مالك: «ليس العلم عليه ولوددت أنه محى»:

قال: كذا بالأصل، وهو تصحيفٌ، والصَّواب: «أنَّه مُحي»، والمعنىٰ: لوددت أنَّ الحديث مُحيَ من "الموطأ".

وهذا كما ندم علىٰ رواية حديث «الذود عن الحوض»، وقال: ليتني لم أروه، ولم يكتب عني.

(حاشية التمهيد ٧/ ١١٥)

١٦٩ -وعن حديث: «المسلمون عند شروطهم»:

قال: رواه أبو داود والحاكم من طريق الوليد بن رباح، عن أبي هريرة، وضعفه ابن حزم، وعبد الحق.

ورواه الترمذي والحاكم من طريق كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف، عن أبيه، عن جدِّه. وكثير: واهٍ.

ورواه الدَّارقطني والحاكم عن أنس، وعن عائشة، بإسنادين واهيين.

(حاشية التمهيد ٧/ ١١٥).

١٧٠ -وعن يزيد بن قسيط:

قال: قال ابن أبي حاتم في "الجرح والتعديل": يزيد بن قاسط، روىٰ عن ابن عمر، ويقال: روىٰ عن عبدالله بن عمرو، روىٰ عنه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي.

وقال البخاري في "التاريخ": يزيد بن قاسط سمع ابن عمر.

روىٰ عنه: شريك عن زياد الشعباني في الصوم، وزياد هو والد عبد الرحمن ابن زياد الشعباني الإفريقي.

وقُسيط تصغير قاسط.

(حاشية التمهيد ٧/ ١١٦)

١٧١ - وعن حديث: «كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل»:

قال: رواه الشيخان عن عائشة رضي الله عنها، وهو في "الموطأ" أيضًا.

(حاشية التمهيد ٧/ ١١٧)

١٧٢ - تصحيحه لخطأ وقع في إسناد حديث: «العمرى لمن وهبت له»، حيث جاء في السند:... حدثنا يحيى بن هشام، قال: حدثني يحيى بن أبي كثر...:

قال: كذا بالأصل، والصواب: حدثنا معاذ بن هشام: حدثنا أبي، عن يحيى ابن أبي كثير. هكذا هو في "صحيح مسلم".

(حاشية التمهيد ٧/ ١١٧)

١٧٣ - وعن بشير بن نهيك:

قال: بَشير - بفتح الباء - ابن نَهيك -بفتح النون -: ثقةٌ روى له الستة.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٢٠)

١٧٤ -وعن قول سليمان بن يسار: قضى طارق بالمدينة ...:

قال: طارق بن عمرو المكي الأموي مولاهم القاضي.

قال أبو الفرج الأموي: كان من ولاة الجور، وكان هو والحجاج وقرة بن شريك ولاة الأمصار لعبد الملك، فقال عمر بن عبد العزيز: امتلأت الأرض جورًا.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٢١)

١٧٥ - وعن حديث: «قضى بالعمرى للوارث»:

قال: رواه أحمد وعبد الرزَّاق والأربعة إلَّا الترمذي، بألفاظ مختلفة.

وصحَّحه ابن حبَّان.

وفي الباب: عن سمرة عند أبي داود والترمذي.

وعن عبدالله بن الزبير عند النسائي.

وعن ابن عمر عند عبد الرزَّاق والنسائي.

وعن ابن عبَّاسٍ عندها أيضًا.

وعن أوس بن معاذ عند عبد الرزَّاق.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٢١)

١٧٦ - وعن حديث: «أيها الناس أمسكوا عليكم أموالكم ...»:

قال: رواه مسلم والنسائي.

وفي روايةٍ لمسلمٍ عن جابرٍ -أيضًا-: «جعل الأنصار يعمرون المهاجرين»، فقال النَّبيُّ ﷺ: «**أمسكوا عليكم أموالكم ... الحديث**». وفيه ردٌّ صريحٌ لمن قال: العمرىٰ تمليك منفعة.

(حاشية التمهيد ٧/ ١١٨)

١٧٧ - وعن ابن علية:

قال: عُلَيَّة بضم العين وفتح اللام والياء المشددة، وهو إسماعيل بن إبراهيم الأسدي البصريُّ، ثقةٌ روىٰ له السِّتة.

(حاشية التمهيد ٧/ ١١٨)

١٧٨ - توضيحه لخطأ الناسخ في نسخه: «ذكر معمر عن أيوب بن حبيب»:

قال: كان في الأصل: «أيوب عن حبيب بن أبي ثابت». وهو صوابٌ، لكن

النَّاسخ ضرب على كلمة «عن» وكتب بدلها: «بن حبيب»، وهذا خطأٌ.

وأيوب هو السختياني، وهذا الأثر في "مصنف عبد الرزاق"، كما هنا سندًا ومتنًا.

ورواه - أيضًا - عن ابن جريج عن حبيب بن أبي ثابت به.

(حاشية التمهيد ٧/ ١١٨)

١٧٩ - وعن أبي الحجناء:

قال: أبو الحجناء: شاعر مشهور من شعراء العصر العباس.

(حاشية التمهيد ٧/ ١١٩)

١٨٠ - وعن زينب الطبرية:

قال: كذا بالأصل، زينب الطبرية، ترثي أخاها إدريس، وهو تصحيفٌ.

والصَّواب: زينب بنت الطثريَّة بالثاء المثلثة، وأخوها يزيد بن الطثريَّة بفتح الثاء المثلثة.

قيل لها ذلك؛ لأنَّها كانت مولعة بإخراج الطثر، وهو خثورة اللبن ودسمه، أو لأنَّها من بني طثر بطن من الأزد.

ويزيد بن الطثرية: شاعرٌ مشهورٌ، كان في عهد معاوية، وقتل مع الوليد بن يزيد بن عبد الملك، وفي حربٍ كانت باليمامة (سنة ١٢٦).

(حاشية التمهيد ٧/ ١١٩)

١٨١ - ما قاله عن بيت الشعر الذي قالته زينب في ترثي به أخاها:

مضى وورثنا منه درع مفاضة

قال: هذا البيت من قصيدة ترثي بها أخاها يزيد لا إدريس، وكلمة «دريس»

خطأ، والصواب: «دُريعا» تصغير درع. و«مفاضة»: واسعة.

وفي رواية: مضىٰ وورثنا منه درعًا مفاضة.

(حاشية التمهيد ٧/ ١١٩)

١٨٢ - وعن حديث: «كل شراب أسكر فهو حرام»:

قال: رواه الشيخان: البخاري عن عبدالله بن يوسف، ومسلم عن يحيىٰ ابن يحيىٰ كلاهما عن مالك.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٢٤)

١٨٣ - توضيحه لنقص وقع في عبارة: «لا أعلم عن مالك خلافا في إسناد هذا الحديث، إلا أن إبراهيم بن طهمان في ذلك»:

قال: كذا بالأصل ووضع الناسخ بجانبه علامة استشكال، وفي العبارة نقص ولعلَّ بقيتها هكذا، إلا أن إبراهيم بن طهمان خالف في ذلك.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٢٤)

١٨٤ - وعن موسى بن هارون الجمال:

قال: كذا بالأصل والصَّواب، الحمال بالحاء المهملة، وهو الحافظ الحجَّة أبو عمران موسىٰ ابن المحدث هارون بن عبدالله بن مروان البغدادي.

قال الحافظ عبد الغني بن سعيد: أحسن الناس كلامًا علىٰ حديث رسول الله ﷺ: علي بن المديني في زمانه، وموسىٰ بن هارون في وقته، والدَّارقطني في وقته.

توفي موسىٰ الحمال (سنة ٢٤٤).

(حاشية التمهيد ٧/ ١٢٥)

١٨٥ - توضيحه لمعنى قول معاذ: «وأتفوقه تفوقا»:

قال: أتفوقه تفوقًا: أي ألازم قراءته شيئًا بعد شيءٍ، وحينًا بعد حينٍ.

مأخوذٌ من فواق الناقة، وهو أنْ تحلب ثمَّ تترك حتىٰ تدر، ثمَّ تحلب هكذا دائمًا.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٢٦)

١٨٦ - وعن قول معاذ بن أنس: «لطني أنام ثم أقوم، فأحتسب نومتي»:

قال: قال الحافظ في "الفتح": معناه: أنَّه يطلب الثَّواب في الرَّاحة كما يطلبه في التعب؛ لأنَّ الرَّاحة إذا قُصد بها الإعانة علىٰ العبادة حصلت الثَّواب. اهـ

قلت: ولهذا فُضِّل معاذ علىٰ أبي موسىٰ؛ لأنَّه كسب الثَّواب مع أخذ حظِّه من الرَّاحة، والحديث في "صحيح البخاري" من طرقٍ وبألفاظ.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٢٦)

١٨٧ - توضيحه لخطأ وقع في اسم «مخلد بن حسن»:

قال: كذا بالأصل، والصَّواب: الحسين. إذْ هو مخلد بن الحسين الأزدي المهلبي، أبو محمد البصري، نزيل المصيصة، ثقةٌ صالحٌ.

قال أبو داود: كان أعقل أهل زمانه.

وقال ابن حبَّان: كان من العباد الخشن، ممن لا يأكل إلَّا الحلال المحصن.

توفي (سنة ١٩١).

روىٰ عنه: ابن المبارك، وأبو إسحاق الفزاري - وهما من أقرانه -، وروىٰ عنه الوليد ابن مسلم، كما هنا.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٢٧)

١٨٨ - وعن عبدالله بن نافع:

قال: هو ابن نافع الصَّائغ المخزومي مولاهم، أبو محمد المدني، ثقةٌ صحيح الكتاب، في حفظه لينٌ. توفي (سنة ٢٠٦) أو بعدها.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٢٧)

١٨٩ - توضيحه لاستشكال وتصحيف وقع للناسخ، عند نسخه لـ«قال: حدَّثني ابن أبي سهل»:

قال: في الأصل بياضٌ قبل كلمة «ابن»، وعليه علامة استشكال، ويظهر لي أنَّ كلمة «أبي سهل»، تصحيفٌ من النَّاسخ، وأنَّ صواب العبارة، «حدَّثني أُبَي بن سهل»، و«أُبي» بصيغة التصغير هو ابن عبَّاس بن سهل بن سعد الصَّحابي، وهو وأخوه عبد المهيمن بن عبَّاس ضعيفان، ويروي عنهما عبدالله بن نافع الصائغ.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٢٧)

١٩٠ - وعن حديث: «ينزل الله تبارك وتعالى كل ليلة ...»:

قال: رواه البخاري في «الصَّلاة» عن القعنبي، وفي «الدعوات» عن عبد العزيز الأويسي، ومسلم عن يحيى بن يحيى، ثلاثتهم عن مالك.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٢٨)

١٩١ - وعن «الحنيني»:

قال: الحُنَيْني بالتصغير، هو إسحاق بن إبراهيم المدني أبو يعقوب، نزيلُ طرسوس، كان مالكٌ يعظِّمه ويكرمه، وهو ضعيفٌ. توفي (سنة ٢١٦).

(حاشية التمهيد ٧/ ١٢٨)

١٩٢ - وعن «أبي عبيد مولى ابن عوف»:

قال: هو سعد بن عبيد الزهري، كان من القُرَّاء، ومن فقهاء أهل المدينة، مجمعٌ على ثقته.

توفي (سنة ٩٨)، وأدرك العهد النبوي، روى له الستة.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٢٨)

١٩٣ - وعن «عبدالله بن صالح»:

قال: هو أبو صالح الجهني المصري، كاتب اللَّيث، صدوقٌ كثير الغلط، ثبتٌ في كتابه.

توفي (سنة ٢٢٢)، علَّق له البخاري، وروى له الأربعة إلَّا النَّسائي.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٢٨)

١٩٤ - توضيحه لخطأ وقع في طريق من طرق حديث: «ينزل ربنا تبارك وتعالى ...»، وهو «زيد بن يحيى بن عبيد الله»:

قال: كذا بالأصل، والصَّواب: عبيد بدون إضافة، وزيد بن عبيد هذا ثقةٌ، كان من أهل الفتوى بدمشق. توفي (سنة ٢٠٧).

(حاشية التمهيد ٧/ ١٢٩)

١٩٥ - وعن عبد الوهاب بن مجاهد:

قال: عبد الوهاب بن مجاهد، كذَّبه سفيان الثَّوري، وقال ابن الجوزي: أجمعوا على ترك حديثه.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٣٢)

١٩٦ - وعن بيتين لأمية بن أبي الصلت غير موجودين في الأصل وهما:

فمن حامل أحدىٰ قوائم عرشه ولو لا إله الخلق كلوا وأبلوا
قيام علىٰ الأقدام عانون تحته فرائضهم من شدة الخوف ترعد

قال: هذان البيتان غير موجودين في الأصل، وهما في وصف حملة العرش، أثبتناهما بين قوسين؛ لأنَّهما مقصود المؤلف فيما نظن.

وأمية بن أبي الصَّلت ثقفيٌّ كان يقرأ كتب النَّصارىٰ، ويجتمع برهبانهم في الشَّام، وطمع أن يكون نبيًّا، ولبس المسوح، فلما بعث النَّبيُّ ﷺ حسده، ولم يؤمن به وأسلمت أخته عاتكة، وابنه القاسم.

وروىٰ ابن السَّكن عن عكرمة، عن ابن عبَّاسٍ، أنَّ النَّبيَّ ﷺ أنشد قول أمية:

زحل وثور تحت رجل يمينه والنسر للأخرىٰ وليث مرصد

فقال: «صدق، هكذا صفة حملة العرش»، وإسناده ضعيفٌ مع نكارته.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٣٣)

١٩٧ - وعن حديث الجارية التي سألها النبي ﷺ: «أين الله؟»:

قال: رواه مسلمٌ وأبو داود والنَّسائي، وقد تصرَّف الرُّواة في ألفاظه:

فروي بهذا اللفظ كما هنا.

وبلفظ: «**من ربك؟**» قالت: الله ربي.

وبلفظ: «**أتشهدين أنْ لا إله إلا الله؟**»، قالت: نعم.

وقد استوعب تلك الألفاظ بأسانيدها: الحافظ البيهقي في "السنن الكبرىٰ"، بحيث يجزم الواقف عليها أنَّ اللفظ المذكور هنا مرويٌّ بالمعنىٰ

حسب فهم الرَّاوي، ويؤيد ذلك أنَّ المعهود من حال النَّبيِّ ﷺ الثَّابت عنه بالتواتر أنَّه كان يختبر إسلام الشَّخص بسؤاله عن الشَّهادتين، اللَّتين هما أساس الإسلام ودليله، أمَّا كون الله في السماء، فكانت عقيدة العرب في الجاهليَّة، وكانوا مشركين فكيف تكون دليلًا على الإسلام؟

(حاشية التمهيد ٧/ ١٣٥).

١٩٨ - تصحيحه لخطأ وقع في سند حديث: «كان ما فوقه هواء ...»، وهذا الخطأ هو: عن وكيع بن حرس:

قال: كذا بالأصل، والصَّواب: حُدُس بحاء ودال مهملتين مضموتين، ووكيع بن حُدُس هذا مجهول الحال، قاله ابن القطَّان.

وقال ابن قتيبة: غير معروفٍ، فالإسناد ضعيفٌ.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٣٧)

١٩٩ - ما عن حديث: «كان في عماء فوقه هواء وتحته هواء»:

قال: بهذا اللفظ رواه الترمذي وابن ماجه، قال الترمذي: «حديثٌ حسنٌ».

ونقل عن يزيد بن هارون، قال: «العماء»: أي ليس معه شيءٌ.

وقال البيهقي: ما فوقه هواء ولا تحته هواء، أي: ليس فوق العمى الذي لا شيء موجود هواء، ولا تحته هواء؛ لأنَّ ذلك إذا كان غير شيءٍ فليس يثبت له الهواء بوجهٍ. اهـ

فـ«ما» نافية لا موصولة، ولا تنس أنَّ الحديث ضعيفٌ.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٣٨)

٢٠٠ - وعن سريج بن النعمان:

قال: سُريجُ بضم السين المهملة وبالجيم، ابن النعمان الجوهري البغدادي أبو الحسن، ثقةٌ يَهِم قليلًا، توفي (سنة ٢١٧).

(حاشية التمهيد ٧/ ١٣٨)

٢٠١ - وعن عبالله بن عميرة:

قال: عَميرة بفتح العين، وابن عَميرة هذا مجهولٌ، وروايته عن الأحنف منقطعة؛ لأنَّه لم يسمع منه، كما قال البخاريُّ.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٤٠)

٢٠٢ - وعن حديث: «كم ترون ما بينكم وبين السماء ...»:

قال: رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي، وحسَّنه.

ويعرف بحديث: «الأوعال»، وهو حديثٌ ضعيف السَّند لانقطاعه، واضطراب سماك فيه، منكر المعنى لمخالفته القرآن والسُّنَّة المتواترة الواصفين للملائكة بالأجنحة، وهذا الحديث يصفهم بقرون وأظلاف، والقرآن ذمَّ المشركين؛ لأنَّهم جعلوا الملائكة الذين هم عند الرحمن إناثًا، مع أنَّ في الإناث من هي أفضل من الرجال، كمريم وفاطمة وأمهات المؤمنين، وهذا الحديث جعل حملة العرش تيوسًا، والتيسُ يذكر في معرض الذَّمِّ، ففي الحديث، «**ألا أخبركم بالتيس المستعار؟، هو المحلل**».

وقال الشَّاعر العربي: «وشرُّ منيحة تيسٌ معار».

فحديث «الأوعال» باطلٌ، وإنْ أجهد ابن القيم نفسه في تقويته.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٤٠)

٢٠٣ - وعن جبير بن مطعم:

قال: كذا بالأصل، والصَّواب، جُبير بن محمد بن جُبير بن مطعم، عن أبيه، عن جدِّه، هكذا هو في "سنن أبي داود" و"الأسماء والصفات" للبيهقي، وفي هذا الإسناد عِلَلٌ، تفرَّد ابن إسحاق به إذْ لم يرو إلَّا من طريقه كما قال البزَّار، ثمَّ عنعنته وهو مدلِّسٌ ثمَّ جهالة جبير بن محمد.

حاشية التمهيد (٧/ ١٤١).

٢٠٤ - وعن حديث: «... وإنه ليئط أطيط الرحل ...»:

قال: هذا الحديث يعرف بحديث «الأطيط»، وهو ضعيف السَّند كما تقدَّم، منكرُ المعنى، ولابن عساكر الحافظ "جزء حديث الأطيط"، تكلَّم فيه على علله، وأبان بطلانه، وأجهد ابن القيم نفسه في تصحيح الحديث، والدِّفاع عن ابن إسحاق، وغاب عنه قول إمامه فيه: تكتب عنه هذه الأحاديث - يعني المغازي ونحوها -، فإذا جاء الحلال والحرام أردنا قومًا هكذًا؛ يريد أقوى منه.

قال البيهقي: فإذا كان لا يُحتج به في الحلال والحرام، فأولى ألَّا يُحتج به في صفات الله تعالى، والعجيب أنَّ ابن القيم أيَّد هذا الحديث المنكر، بحديثٍ أشد نكارة منه، وهو ما رواه مطين عن عمر، قال: أتت امرأةٌ النَّبيَّ ﷺ فقالت: ادع الله أنْ يدخلني الجنَّة، فعظم أمر الرَّبِّ، ثمَّ قال: «إنَّ كرسيه فوق السَّماوات والأرض، وأنَّه يقعد عليه فما يفضل منه مقدار أربع أصابع، وإنَّ له أطيطًا كأطيط الرَّحل... الحديث»، وهو ولو كان مرويًّا برجال "الصحيحين" لوجب ردُّه، كيف وفي سنده عبدالله بن خليفة مجهول؟! وفيه عنعنة أبي إسحاق السبيعي وهو مدلِّسٌ؟!.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٤١-١٤٢)

٢٠٥ - وعن قول أبي داود:... عن ابن المبارك قال: الرب تبارك وتعالى على السماء السابعة على العرش، قيل له: بحد ذلك؟ قال: نعم، هو على العرش...:

قال: لا يجوز إطلاق هذا في جانب الله تعالىٰ؛ لأنَّه لم يرد في القرآن ولا في السُّنَّة.

وفي ترجمة ابن حبَّان من "طبقات الشَّافعية": أنَّ أبا إسماعيل عبدالله بن محمد الهروي قال: سألت يحيىٰ بن عمَّار عن ابن حبَّان؟ قلت: رأيته؟ قال: وكيف لم أره؟ ونحن أخرجناه من سجستان؟! كان له علمٌ كثيرٌ، ولم يكن له كبير دينٍ، قدم علينا فأنكر الحدَّ لله، فأخرجناه من سجستان.

قال السبكي: انظر ما أجهل هذا الجارح، وليت شعري من المجروح؟ مثبت الحد لله أو نافيه.

وقال الحافظ العلائي - تعليقًا علىٰ هذه الحكاية: «يا لله العجب؟ من أحقُّ بالإخراج والتبديع وقلَّة الدِّين؟!».

حاشية التمهيد (٧/ ١٤٢).

٢٠٦ - وعن بشر بن غياث:

قال: بشر بن غياث المريسي، تفقَّه علىٰ أبي يوسف القاضي، وبرع في علم الكلام، وكان معتزليًا متعصِّبًا، صدرت عنه مقالات كفَّره العلماء بها، وأوذي لأجلها في دولة الرشيد.

توفي (سنة ٢١٧)، وأخباره مستوفاة في "تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٤٣)

٢٠٧ – وعن حبيب كاتب مالك:

قال: حبيب بن أبي حبيب أبو محمد المصري، متروكٌ، كذَّبه أحمد وأبو داود وجماعة.

توفي (سنة ٢١٨).

(حاشية التمهيد (٧/ ١٤٣)

٢٠٨ –وعن حديث: ... أي الليل أسمع؟ قال: «جوف الليل الغابر»:

قال: رواه الترمذي من حديث أبي أُمامة، بلفظ: «**جوف اللَّيل الآخر، ودبر الصلوات المكتوبات**»، وقال: حديثٌ حسنٌ.

قال: وقد روي عن أبي ذر، وابن عمر، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**... جوف اللَّيل الآخر الدعاء فيه أفضل وأرجى**» ... ونحو هذا. اهـ

وحديث أبي ذر: رواه أحمد بلفظ المؤلِّف.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٤٤)

٢٠٩ –وعن أوقات استجابة الدعاء:

قال: روىٰ أبو داود عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «**ساعتان تفتح فيهما أبواب السَّماء، وقلَّما تُردُّ على داعٍ دعوته: عند حضور النِّداء، والصف في سبيل الله**». صحَّحه ابن حبَّان.

وروىٰ الطبراني بإسنادٍ ضعيفٍ عن أبي أُمامة عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**تفتح أبواب السَّماء ويُستجاب الدعاء في أربعة مواطن: عند التقاء الصُّفوف في سبيل الله، وعند نزول الغيث، وعند إقامة الصَّلاة، وعند رؤية الكعبة**».

وللحافظ السيوطي جزء "سهام الإصابة في الدعوات المستجابة"، وهو

مطبوعٌ.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٤٤)

٢١٠ - وعن نعيم بن حماد:

قال: نعيم بن حماد كان يغلو في الإثبات، حتىٰ اتهم بالوضع، لكن دافع عنه ابن معين، ونسبه إلىٰ الوهم فقط، مع أنَّ عنده مناكير كثيرة لا يُتابع عليها.

حاشية التمهيد (٧/ ١٤٤).

٢١١ -وعن حديث: «لا تقبحوا وجه الله ...»:

قال: رواه البيهقي في "الأسماء والصفات" من طريق الأعمش، عن حبيب ابن أبي ثابت، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عمر مرفوعًا: «**لا تقبِّحوا الوجه، فإنَّ الله خلق آدم على صورة الرحمن**».

وكذا رواه ابن خزيمة في "التوحيد" وأعلَّه بثلاث عِلل:

- أنَّ الثَّوري رواه مرسلًا.
- عنعنة الأعمش وهو مدلسٌ.
- عنعنة حبيب وهو مدلِّسٌ أيضًا.

بقيت عِلَّة رابعة: وهي الانقطاع، فإنَّ عطاء لم يسمع من ابن عمر، علىٰ أنَّ لفظ: «الرحمن» من تصرف بعض الرُّواة كما قال البيهقي، والأصل: «صورته»، والضمير يعود علىٰ «الوجه المقبح»، والمقصود تكريم الوجه عن التقبيح؛ لشبهه بآدم أبي البشر عليه السلام، يؤيِّد هذا ما رواه البيهقي - أيضًا - بإسنادٍ صحيحٍ عن أبي هريرة، عن النَّبيِّ ﷺ: «**إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه، ولا يقل:**

قبَّح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك، فإنَّ الله خلق آدم على صورته».

(حاشية التمهيد ٧/ ١٤٧)

٢١٢ - وعن شكاية النار إلى ربها:

قال: روى الشَّيخان عن أنسٍ، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «يلقى في النار، وتقول: هل من مزيدٍ؟ حتى يضع قدمه فتقول: قط قط»، ورويناه من حديث أبي هريرة أيضًا.

وحديث: «اشتكت النار إلى ربها». رواه الشَّيخان من حديث أبي هريرة عن النَّبيِّ ﷺ قال: «اشتكت النار إلى ربها فقالت: يا رب أكل بعضي بعضًا فأذن لها بنفسين، نفسٌ في الشِّتاء، ونفسٌ في الصيف، فهو أشدُّ ما تجدون من الحرِّ، وأشدُّ ما تجدون من الزمهرير».

(حاشية التمهيد ٧/ ١٤٧)

٢١٣ - وعن حديث: «لطم موسى عليه السلام للملك»:

قال الغماريُّ: رواه الشَّيخان عن أبي هيرة عن النَّبيِّ ﷺ قال: «جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام فقال: أجب ربك، فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها، فرجع إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبدٍ لا يريد الموت، وقد فقأ عيني، فرد الله عليه عينه، وقال: ارجع إليه فقل له: يضع يده على متن ثور فله بما غطت يده بكل شعرةٍ سنة، قال: أي رب ثمَّ ماذا؟ قال: الموت، قال: فالآن ... الحديث».

(حاشية التمهيد ٧/ ١٤٨)

٢١٤ - وعن حديث: «إن الله عز وجل يجعل السماء على إصبع»:

قال: روىٰ الشَّيخان عن ابن مسعود قال: جاء رجلٌ من أهل الكتاب، - وفي روايةٍ: حبرٌ من اليهود - فقال: يا أبا القاسم أبَلغك أنَّ الله عزَّ وجلَّ يحمل السَّماوات علىٰ إصبعٍ، والأرضين علىٰ إصبعٍ، والخلائق علىٰ إصبعٍ، ويقول: أنَا الملك أنَا الملك؟، قال: فرأيت رسول الله ﷺ ضحك حتىٰ بدت نواجذه، ثم قال: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١].

ويلاحظ: أنَّ المتكلم بالأصابع يهودي. واليهود مجسِّمون، وأنَّ النَّبيَّ ﷺ ضحك تعجبًا من جهله، وتلا الآية، يومئ بتلاوتها إلىٰ أنَّ القبضة واليمين فيها معناهما: القوَّة والاقتدار لا الكف والأصابع.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٤٨).

٢١٥ -وعن حديث: «إن قلوب بني آدم بين أصبعين ...»:

قال: روىٰ مسلمٌ عن عبدالله بن عمرو بن العاص، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**إنَّ قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحد يصرفها حيث يشاء**».

وعن النواس بن سمعان نحوه. رواه البيهقي في "الأسماء والصفات".

(حاشية التمهيد ٧/ ١٤٩)

٢١٦ -وعن حديث: «وإن الله يعجب أو يضحك ممن يذكره في الأسواق»:

قال: ثبت في الضحك ما رواه الشَّيخان عن أبي هريرة، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر، كلاهما يدخل الجنَّة، يقاتل هذا في سبيل الله فيُقتل ثمَّ يتوب الله على القاتل، فيقاتل في سبيل الله**

فيستشهد».

وفي "الصحيح" عن أبي هريرة - أيضًا -، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**عجب الله عزَّ وجلَّ من قومٍ بأيديهم السَّلاسل حتى يدخلوا الجنة**». يعني: أسرى الكفار يؤت بهم مسلمين فيسلمون ويدخلون الجنة.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٤٩)

٢١٧ -وعن سؤال وكيع بن الجراح لأبي سفيان عن أحاديث مثل: «الكرسي وموضع القدمين»:

قال: لم يرد هذا مرفوعًا، ولكنَّه كلام ابن عبَّاس. رواه ابن خزيمة في كتاب "التوحيد"، ومثل هذا لا يقبل إلَّا من المعصوم ﷺ.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٤٩)

٢١٨ -وعن حديث: «خلق آدم على صورته»:

قال: الحديث في "الصحيحين" عن أبي هريرة، والضمير في «**صورته**»: يعود على «آدم»، والمعنى: أنَّ آدم خلق على صورته كما هي، لم تضمه رحم فتطور فيها من نطفةٍ إلى علقةٍ إلى مضغةٍ إلى آخر تطورات الجنين، ولم تمر عليه أطوار حيوانيَّة حتى وصل إلى القرد، كما زعم بعض المتهوسين.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٥٠)

٢١٩ -وعن قول النبي ﷺ: «وأنه يدخل في النار يده حتى يخرج من أراد...»:

قال: روى البخاري عن أبي سعيد الخدري، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمنٍ ومؤمنةٍ، ويبقى من كان يسجد في الدنيا**

رياءً وسمعةً، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقًا واحدًا».

قال الحافظ في "الفتح": وقع في هذا الموضع: «**يكشف ربنا عن ساقه**»، وهو من رواية سعيد بن أبي هلال، عن زيد بن أسلم، فأخرجها الإسماعيلي كذلك، ثمَّ قال: في قوله: «**عن ساقه**» نَكِرة.

ثمَّ أخرجه من طريق حفص بن ميسرة، عن زيد بن أسلم بلفظ: «**يكشف عن ساق**»، قال الإسماعيلي: هذه أصحُّ؛ لموافقتها لفظ القرآن في الملة، لا يُظن أنَّ الله ذو أعضاء وجوارح، لما في ذلك من مشابهة المخلوقين - تعالى الله عن ذلك -، ليس كمثله شيءٌ. اهـ

وحفص أقوى؛ لأنَّه ثقةٌ، وسعيد صدوقٌ .

(حاشية التمهيد ٧/ ١٥٠)

٢٢٠ - تعليقه على كلام ابن عبد البر: «الضحك من الله والتنزل والملالة والتعجب منه، ليس على جهة ما يكون من عباده»:

قال: في "صحيح البخاري" عن عائشة، أنَّ النَّبيَّ ﷺ دخل عليها وعندها امرأة، قال: «**من هذه؟**»، قالت: فلانة تذكر من صلاتها، قال: «**مه عليكم بما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا ... الحديث**».

وهو في "صحيح مسلم" - أيضًا -، وهو من قبيل المشاكلة المعروفة في علم البديع.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٥٢)

٢٢١ - وعن دعاء عمار بن ياسر: «اللهم إني أسألك النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك ...»:

قال: روىٰ أحمد عن أبي مجلز قال: صلَّىٰ بنا عمَّار صلاةً فأوجز فيها، فأنكروا ذلك، فقال: ألم أتمَّ الركوع والسجود؟ قالوا: بلىٰ، قال: أما إنِّي قد دعوت فيها بدعاءٍ كان رسول الله ﷺ يدعو به: «**اللَّهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق أجمعين، أحيني ما علمت الحياة خيرًا لي، وتوفَّني إذا كانت الوفاة خيرًا لي، وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وكلمة الحقِّ في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى، ولذة النَّظر إلى وجهك، والشَّوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرِّة، ولا فتنة مضلَّة، اللَّهم زيِّنا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين**». صحَّحه ابن حبَّان والحاكم.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٥٥)

٢٢٢ - وعن قول الله جل في علاه لموسى عليه السلام: «لن تراني عين إلا ماتت...»:

قال الغماريُّ: روىٰ الحكيم الترمذي وأبو نعيم، عن ابن عبَّاس قال: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣]،قال: «**قال الله عزَّ وجلَّ: يا موسى إنَّه لا يراني حيٌّ إلَّا مات، ولا يابس إلَّا تدهده، ولا رطب إلَّا تفرَّق، وإنَّما يراني أهل الجنَّة الذين لا تموت أعينهم، ولا تبلى أجسادهم**». إسناده ضعيفٌ.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٥٥)

٢٢٣ - تكملته لحديث: «أما إنكم ستعرضون على ربكم فترونه كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته ...»:

قال: بقيته: «**فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وقبل**

الغروب فافعلوا»، ثم قرأ قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩]، رواه الشيخان.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٥٦)

٢٢٤ - وعن سعيد بن يمان:

قال: كذا بالأصل: «يمان» بدون نقط، وعليها علامة استشكال، والصَّواب: «نِمْران» بكسر النون وسكون الميم، وسعيد بن نمران، شهد اليرموك وكتب لعليٍّ عليه السلام.

قال الذَّهبيُّ: مجهولٌ.

قلت: وهو على قاعدة ابن حبَّان «ثقة».

(حاشية التمهيد ٧/ ١٥٦)

٢٢٥ - تصحيحه لخطأ وقع في سند حديث: «إذا دخل أهل الجنة الجنة...»، حيث ورد في سنده: ... عن عبد الرحمن بن أبي علي، عن صهيب:

قال: كذا بالأصل، والصواب: ابن أبي ليلى، وهو ثقة روى له الستة.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٥٦)

٢٢٦ -وعن الأثر الذي ورد عن مجاهد في تفسيره لقوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]، حيث قال: يوسع له على العرش فيجلسه معه:

قال: هذا الأثر مع نكارته الواضحة، وضعفه لضعف ليث بن أبي سليم، ذكره ابن القيم في "بدائع الفوائد" مستحسنًا له، ومنوِّهًا به.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٥٨)

٢٢٧ - وعن الجريري:

قال: الجُرَيِري بالتصغير، واسمه سعيد بن إياس، ثقةٌ روىٰ له السِّتة.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٥٩)

٢٢٨ - ما قاله عن سؤال سيدنا داود عليه السلام لجبريل عليه السلام: أي الليل أسمع؟

قال: رواه ابن أبي شيبة، وأحمد في "الزهد"، عن أبي سعيدٍ الخدري، قال: بلغنا أنَّ داود عليه السلام سأل جبريل، فذكره كما هنا.

وروىٰ ابن جرير وابن مردويه بإسنادٍ فيه راوٍ مبهم، عن أنس بن مالكٍ قال: «أمرنا أنْ نستغفر بالأسحار سبعين استغفارة».

(حاشية التمهيد ٧/ ١٥٩).

٢٢٩ - وعن اختيار الإمام مالك للإطعام على العتق والصيام:

قال: قال ابن دقيق العيد: وهي معضلةٌ لا يهتدي إلىٰ توجيهها مع مصادمة الحديث الثابت، وقد صدق، إذ كيف ينكر مالك ما رواه في "موطئه" بإسناده الصَّحيح؟!

والملاحظ بوجهٍ عام: أنَّ أقوال مالك المخالفة للسُّنَّة، يرويها ابن القاسم عنه، ولم يكن صاحب حديث، كما قال مسلمة بن قاسم، بل كان صاحب رأيٍ.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٦٣)

٢٣٠ - وعن عبد الرحمن بن القاسم:

قال: عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصِّديق التيمي المدني،

أبو محمد، ولد في حياة عائشة رضي الله عنها، ثقةٌ.

قال ابن عيينة: كان أفضل أهل زمانه.

توفي بالشَّام (سنة ١٢٦) روىٰ له السِّتة.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٦٣)

٢٣١ -وعن عبد الوهاب:

قال: عبد الوهاب بن عطاء الخفاف، أبو نصر العجلي مولاهم البصري، صدوقٌ ربما أخطأ.

توفي (سنة ٢٠٤)، روىٰ له مسلمٌ والأربعة.

حاشية التمهيد ٧/ ١٦٣)

٢٣٢ -وعن عراك بن ملك:

قال: عِراك بكسر العين وتخفيف الراء، ابن مالك الغفاري الكناني المدني، روىٰ عن ابن عمر، وأبي هريرة، وروايته عن الزُّهري من رواية الأكابر عن الأصاغر، أخرج له السِّتة.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٦٥)

٢٣٣ - كلامه على قول ابن أبي ليلى: «ليس الشهران في ذلك متتابعان...»:

قال: كذا بالأصل، وهي لغة حكاها ابن هشام في "المغني"، وأنشد عليها قول الشاعر:

إذا مت كان الناس صنفان شامت ... وآخر مثن بالذي كنت أفعل

(حاشية التميهد ٧/ ١٦٥)

٢٣٤ -وعن قول يحيى بن بكير: حدثني بكر يعني ابن منصور:

قال: كذا بالأصل، والصَّواب: مضر، وهو بكر بن مضر بن محمد بن حكيم ابن محمد المضري، ثقةٌ عابدٌ، روىٰ له السِّتة إلَّا ابن ماجه.

توفي (سنة ١٧٤).

(حاشية التمهيد ٧/ ١٦٦)

٢٣٥ -وعن جعفر بن زمعة:

قال: كذا بالأصل، والصَّواب: ربيعة، وهو جعفر بن ربيعة بن شُرَحبيل - بضمٍ ففتحٍ - ابن حسنة الكندي، أبو شرحبيل المصري، ثقةٌ.

روىٰ له السِّتة. توفي (سنة ١٣٦).

(حاشية التمهيد ٧/ ١٦٦)

٢٣٦ -وعن أبي الأسود:

قال: أبو الأسود النضر بن عبد الجبار المرادي المصري، ثقةٌ.

توفي (سنة ٢١٩)، روىٰ له الأربعة إلَّا الترمذي.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٦٦)

٢٣٧ -وعن إسحاق بن بكر:

قال: إسحاق بن بكر بن مضر المصري أبو يعقوب، صدوقٌ فقيهٌ.

توفي (سنة ٢١٨)، روىٰ له مسلمٌ والنَّسائيُّ.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٦٦)

٢٣٨ -وعن إسناد حديث: «الرجل الذي جاء إلى النبي ﷺ ينتف شعره، وقال يا رسول الله: وقعت على امرأتي في رمضان»، والإسناد هو: أخبرنا أحمد بن محمد، قال: حدثنا أحمد بن الفضل، قال: حدثنا محمد بن جرير، قال:

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا أبو خالد الأحمر، عن حجاج بن أرطأة، عن عمرو بن شعيب به:

قال: روى ابن عدي هذا الحديث بهذا الإسناد، وقال مرة: عن الزُّهري، عن أنسٍ، قال ابن عدي: والروايتان جميعًا خطأ، وإنما رواه الثِّقات: عن الزُّهري عن حميد، عن أبي هريرة. وهشام خالف فيه النَّاس.

وقال الخليلي: أنكر الحفَّاظ حديثه في المواقع في رمضان من حديث الزُّهري عن أبي سلمة، قالوا: وبما رواه الزُّهري عن حمد وحجاج بن أرطأة المذكور في السَّند السَّابق، كان مدلِّسًا، لكن جاء الأمر بالقضاء من مرسل سعيد بن المسيب، وهو في "الموطأ" من حديث ابن جريج عن نافع بن جبير مرسلًا.

ومن حديث أبي معشر عن محمد بن كعب القرظي مرسلًا.

وعن الحسن مرسلًا.

قال الحافظ في "الفتح": وبمجموع هذه الطرق تعرف أنَّ للحديث أصلًا.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٦٨-١٦٩)

٢٣٩ -وعن حريز:

قال: حَرِيز بفتح الحاء المهملة وكسر الراء.

وأبو حريز اسمه عبدالله بن الحسين الأزدي البصري، قاضي سجستان، مختلفٌ في توثيقه، والرَّاجح أنَّه صدوقٌ يُخطئ.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٧٠)

٢٤٠ -وعن أيفع:

قال: أَيْفَع بوزن أحمر، غير منسوب، ضعيف.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٧٠)

٢٤١ -وعن قول المصنف: «وكان الشافعي رحمه الله يعجب من هذا ويتنقص فيه ربيعة، ويهجنه ...»:

قال: «ويُهجّنه» بضم الياء وتشديد الجيم، يقبحه، وتهجين الأمر: تقبيحه.

وقال الشافعي - أيضًا - تعقيبًا على قول ربيعة: يجب على هذا أن من ترك صلاة من ليلة القدر، أن يقضي ثلاثين ألف صلاة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣].

(حاشية التمهيد ٧/ ١٧٠)

٢٤٢ -وعن «عبدة»:

قال: عَبْدَة بوزن رحمة، اسمه عبد الرحمن بن سليمان أبو محمد الكلابي الكوفي، ثقةٌ صاحب قرآن يقرئ.

توفي (سنة ١٨٧)، روى له الستة.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٧١)

٢٤٣ -وعن هلال بن يحيى بن مسلم:

قال: البصري الحنفي الفقيه، ذكره ابن حبَّان في "الضعفاء"، وقال: كان يخطئ كثيرًا على قلَّة روايته، لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد. اهـ

ويقال له: هلال الرَّأي، كما قالوا: ربيعة الرَّأي.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٧١)

٢٤٤ - وعن حديث: «من أفطر يوما من رمضان ...»:

قال: رواه الدَّارمي والطَّيالسي والأربعة إلَّا النَّسائي، ففي "الكبرىٰ": وعزا الحافظ تصحيحه لابن خزيمة، وعلَّقه البخاري بصيغة التضعيف.

قال الحافظ: فيه ثلاث علل:

- الاضطراب.
- والجهل بحال أبي المطوس.
- والشَّك في سماع أبيه من أبي هريرة.

وأسنده ابن حزم عن أبي هريرة موقوفًا بإسنادٍ صحيحٍ.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٧٣)

٢٤٥ - ما قاله في «هقل»:

قال: هِقْل بكسر الهاء وسكون القاف، لقبٌ، واسمه محمد بن زياد السَّكسَكي بفتح السينين، مولاهم أبو عبدالله، كاتب الأوزاعي، ثقةٌ.

روىٰ له مسلمٌ والأربعة. توفي (سنة ١٧٩) ببيروت.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٧٣)

٢٤٦ - وعن معنى «مكتل»:

قال: مِكْتَل كمنبر، هو الزنبيل يُعمل من الخوص أو العزف، وهي القفة.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٧٤)

٢٤٧ - وعن حديث: «تصدق بكذا واستعن بسائره ...»:

قال: رواه أحمد وأبو داود والترمذي، وحسَّنه، عن سلمة بن صخر البياضي، وصحَّحه الحاكم وابن خزيمة، وأعلَّه عبد الحق بعنعنة محمد بن إسحاق، وبالانقطاع بين سلمة، والرَّاوي عنه سليمان بن يسار.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٧٧)

٢٤٨ - تعقيبه على قول الشافعي رحمه الله: «والعتق والإطعام سواء ...»:

قال: والقاعدة الأصوليَّة تؤيِّده، وهي: «ترك الاستفصال في حكاية الحال مع قيام الاحتمال، ينزل منزلة العموم في المقال».

(حاشية التمهيد ٧/ ١٧٨).

٢٤٩ -وعن: «رواية المعافى»:

قال: المُعافَى بضم الميم وفتح الفاء الممدودة، هو ابن عمران بن نفيل الأزدي الفهمي، أبو مسعود النفيلي الموصلي، الفقيه الزَّاهد، لزم الثَّوري وتفقَّه به.

قال ابن سعد: كان ثقة خيرًا فاضلًا صاحب سُنَّة.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٧٩)

٢٥٠ - تعقيبه على قول ابن عبد البر: «لأن الحديث الموجب للكفارة لم يفرق بين الناسي والعامد»:

قال الغماريُّ: يردُّه ما أثبت في الصَّحيح من قول السَّائل: «هلكت».

وفي رواية: «احترقت».

قال الحافظ في "الفتح": استدلّ به على أنَّه كان عامدًا؛ لأنَّ الهلاك والاحتراق مجاز عن العصيان المؤدِّي إلى ذلك، فكأنه جعل المتوقع كالواقع، وبالغ فعبَّر عنه بالماضي، وإذا تقرَّر ذلك فليس فيه حجة على وجوب الكفَّارة على الناسي، وهو مشهورُ قول مالك والجمهور. اهـ

(حاشية التمهيد ٧/ ١٧٩)

٢٥١ - ما قاله عن محمد بن بكير:

قال الغماريُّ: كذا بالأصل، والصَّواب: بكر، وهو محمد بن بكر بن داسة التمار، صاحب أبي داود، ومن رواة "سننه" عنه، وهو مُسْنِدُ البصرة ومحدِّثها.

توفي (سنة ٣٤٦).

(حاشية التمهيد ٧/ ١٨٠)

٢٥٢ – ما قاله عن أحمد بن علي بن المثنى:

قال الغماريُّ: هو أبو يعلىٰ صاحب "المسند" و"المعجم"، وأحد شيوخ ابن حبَّان، روىٰ عنه كثيرًا في "صحيحه" وقال عنه: كان ثقةً متقنًا، وبينه وبين النَّبيِّ ﷺ ثلاثة أنفس، وهذا إسنادٌ في غاية العلو.

توفي (سنة ٣٠٧).

(حاشية التمهيد ٧/ ١٨٠)

٢٥٣ – وعن حديث: «الله أطعمك وسقاك أتم صومك»:

قال الغماريُّ: رواه الشَّيخان، وروىٰ ابن خزيمة، وابن حبَّان، والحاكم، عن أبي هريرة، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**من أفطر في شهر رمضان ناسيًا، فلا قضاء عليه ولا كفَّارة**».

وروىٰ الدَّارقطني من حديث أبي سعيد الخدري مثله، وأفتىٰ به علي، وزيد ابن ثابت، وأبو هريرة، وابن عمر، ولا مخالف لهم من الصَّحابة.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٨٠)

٢٥٤ – وعن: أحمد بن عمران الأخفش:

قال: أحمد بن عمران بن سلامة الألهاني، أبو عبدالله الأخفش النحوي اللُّغوي، أصله من الشَّام وتأدَّب بالعراق، وقدم مصر.

ذكره ابن حبَّان في "الثقات"، وقال الذَّهبي: روىٰ عن وكيع وزيد بن الحباب، وصنَّف: "غريب الموطأ". وتوفي قبل (سنة ٢٥٠).

حاشية التمهيد (٧/ ١٨٢)

٢٥٥ - وعن حديث: «من أنفق زوجين في سبيل الله ...»:

قال: رواه البخاري في كتاب: «الصيام» من طريق معن، عن مالك.

ورواه في «فضائل أبي بكر» من طريق شعيب، عن الزُّهري به.

ورواه مسلمٌ من طريق يونس، ومن طريق صالح بن كيسان، ومن طريق معمر ثلاثتهم، عن الزُّهري به.

ورواه البخاري في «الجهاد» من طريق يحيىٰ، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، بلفظ: «**منْ أنفق زوجين في سبيل الله، دعاه خزنة الجنَّة كلَّ خزنة باب: أي فُلُ هَلُمَّ**».

قال أبو بكر: يا رسول الله ذاك الذي لا تَوَىٰ - بالقصر هلاك عليه -، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إنِّي لأرجو أنْ تكون منهم**». ورواه مسلمٌ من هذا الطريق أيضًا.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٨٣)

٢٥٦ - وعن: جعفر بن محمد الفريابي:

قال: الفِريابي بكسر الفاء، نسبةً إلىٰ فرياب بلدة قرب بلخ، حافظٌ ثقةٌ مأمونٌ، رحل من الترك إلىٰ مصر، وكان قاضي الدينور.

قال ابن عدي: كنا نشهد مجلس الفريابي، وفيه عشرة آلاف أو أكثر.

توفي (سنة ٣٠١)، وقطع التحديث قبل موته بسنة، وحفر لنفسه قبرًا، وله مصنفات.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٨٤)

٢٥٧ - تخريجه وتعليقه على حديث: «ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة من الولد ...»:

قال الغماريُّ: الحديث رواه أحمد في "المسند" من طريق يونس بن عبيد، عن الحسن، عن صعصعة بن معاوية، قال: أتيت أبا ذر. قلت: ما بالك؟ قال: لي عملي. قلت: حدّثني قال: نعم، قال رسول الله ﷺ: **«ما من مسلمين يموت بينهما ثلاثة من أولادهما لم يبلغوا الحنث، إلَّا غفر لهما»**.

قلت: حدّثني، قال: نعم، قال رسول الله ﷺ: **«ما من مسلمٍ ينفق من كلِّ مالٍ له زوجين في سبيل الله، إلا استقبلته حجبة الجنَّة كلهم يدعوه إلى ما عنده»**، قلت: وكيف ذاك؟ قال: إنْ كانت رجالًا فرجلين، وإنْ كانت إبلًا فبعيرين، وإنْ كانت بقرًا فبقرتين.

ورواه من طريق قرة عن الحسن: حدَّثني صعصعة بن معاوية، قال: انتهيت إلى الربذة فإذا أنا بأبي ذر قد تلقاني برواحل قد أوردها ثمَّ أصدرها، دقد علَّق قربة في عنق بعير منها ليشرب ويسقي أصحابه، وكان خلقًا من أخلاق العرب.

قلت: يا أبا ذر مالك؟ قال: لي عملي، قلت: إيهٍ يا أبا ذر ما سمعت رسول الله ﷺ يقول؟ قال: سمعته يقول: **«من أنفق زوجين من ماله، ابتدرته حجبة الجنَّة»** قلت: ما هذان الزَّوجان؟ قال: إنْ كانت رجالًا فرجلان، وإنْ كانت خيلًا ففرسان، وإنْ كانت إبلًا فبعيران، حتى عدَّ أصناف المال كله، فأبو ذر أول من فسَّر «زوجين»، وهو أعلى من الحسن.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٨٦)

٢٥٨ - ما قاله عن: «واو الثمانية»:

قال: قال ابن هشام في "المغني": «واو الثمانية»، ذكرها جماعةٌ من الأدباء كالحريري، ومن النحويين الضُّعفاء كابن خالويه، ومن المفسرين كالثَّعلبي، وزعموا أنَّ العرب إذا عدُّوا قالوا: ستة، سبعة، وثمانية، إيذانًا بأنَّ السَّبعة عدد تامٌّ، وأنَّ ما بعدها عددٌ مستأنفٌ. اهـ

(حاشية التمهيد ٧/ ١٨٧)

٢٥٩ - توضيحه للواو في الصفة الثامنة من قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التحريم: ٥]:

قال: قال ابن المنير: ذكر لي الشَّيخ أبو عمرو بن الحاجب رحمه الله: أنَّ القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني الكاتب، كان يعتقد أنَّ الواو في الآية، هي الواو التي سمَّاها بعض ضعفة النُّحاة «واو الثمانية»؛ لأنَّها ذكرت مع الصِّفة الثَّامنة، فكان الفاضل يتبجح باستخراجها زائدة على المواضع الثلاثة المشهورة، وهي آية التوبة، وآية الكهف، وآية الزمر.

قال ابن الحاجب: ولم يزل الفاضل يستحسن ذلك من نفسه، إلى أنْ ذكره يومًا بحضرة أبي الجود النحوي المقري، فبيَّن له أنَّه واهمٌ، وأنَّ الواو ذكرت في الآية، لامتناع اجتماع الصِّفتين في موصوفٍ واحدٍ، بخلاف ما قبلها من الصِّفات، فأنصفه الفاضل واستحسن ذلك منه وقال: أرشدتنا يا أبا الجود.

وقال ابن هشام: لو كان «لواو الثمانية» حقيقة لم تكن آية الزّمر منها، إذْ

ليس فيها ذكر عدد البتة، وإنما فيها ذكر الأبواب، وهي جمعٌ لا يدلُّ على عددٍ خاصٍّ، ثمَّ الواو ليست داخلة عليه، بل على جملة هو فيها.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٨٧)

٢٦٠ - وعن: حسين بن علي البسطامي:

قال: كذا بالأصل، والصَّواب: عيسى، وهو حسين بن عيسى بن حمران أبو علي الطَّائي البِسطامي بكسر الباء.

روى له السِّتة إلَّا ابن ماجه. توفي (سنة ٢٤٧).

(حاشية التمهيد ٧/ ١٨٨)

٢٦١ - وعن حيوة بن شريح:

قال: حيْوَة بفتح الحاء المهملة وسكون المثناة التحتية وفتح الواو، ابن شُرَيْح - بالتصغير - ابن صفوان التيجي، أبو زرعة المصري، ثقةٌ ثبتٌ فقيهٌ زاهدٌ.

قال ابن حبَّان: كان مستجاب الدعوة.

روى له السِّتة توفي (سنة ١٥٨).

حاشية التمهيد (٧/ ١٨٨)

٢٦٢ - وعن أبي عقيل:

قال: أبو عقيل اسمه زُهرة - بضم الزاء - ابن معبد التيمي المدني، سكن مصر، ثقةٌ مستقيم الحديث.

قال أبو محمد الدَّارمي: زعموا أنَّه كان من الأبدال، روى له البخاري والأربعة.

توفي بالإسكندرية (سنة ١٣٥)، وابن عمه مجهولُ.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٨٨)

٢٦٣ - وعن حديث: «من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال :أشهد ...»:

قال: هكذا هو في "سنن النسائي" لكن بغير لفظ: «من».

وكذا أخرجه مسلم من حديث عقبة، عن عمر، ومن حديث عقبة عن النَّبيِّ ﷺ.

وكذلك رواه ابن ماجه من حديث أنس.

ويظهر: أنَّ زيادة «من»، تصرُّفٌ من بعض الرواة.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٨٩)

٢٦٤ -وعن محمد بن سنجر:

قال: محمد بن سنجر هو ابن عبدالله بن سنجر، أبو عبدالله حافظٌ كبيرٌ صاحبُ "المسند"، وله "مسند علي".

قال ابن أبي حاتم: ثقةٌ. وقال ابن سنجر: رحلت ومعي إسحاق الكوسج، ومعي تسعة آلاف دينار، فكان إسحاق يورق لي ويتزوَّج في كلِّ بلدٍ، وأنا أؤدي عنه المهر.

وهو من جرجان واستوطن مصر وبها توفي (سنة ٢٥٨)، ولم يقف الذَّهبي على "مسنده"، فلذلك قال: يعزُ وقوع حديثه لنا، مع أنَّه كان موجودًا بالأندلس وهو من مرويات المؤلف، وابن حزم وغيرهما من الحفَّاظ.

وأخبر المؤلِّف: أنَّ "مسند ابن سنجر" عشرون جزءًا، وأنَّه قرأه على عبيد ابن محمد، وقاسم بن محمد، ولابن سنجر كتابُ "العين" يقع في ستة أجزاء،

أخذه المؤلِّف وابن حزم عن أبي عمر الطلمنكي.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٩٠)

٢٦٥ -وعن أبي عثمان:

قال: أبو عثمان ليس هو النَّهدي، واختُلف فيه:

فقال أبو بكر بن منجويه: يشبه أنْ يكون سعيد بن هانئ الخولاني المصري.

وقال ابن حبَّان: يشبه أنْ يكون حريز بن عثمان الرحبي.

وقال النَّووي: وقع في "سنن أبي داود"، عن أبي عثمان وأظنه سعيد بن هانئ.

وهذه الجملة ليست في نسختنا، فلعلها وقعت في نسخته، وهي تُرجِّح قول ابن منجويه.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٩٠)

٢٦٦ - وعن حديث: «إن للجنة بابا يدعى الريان ...»:

قال: رواه البخاري بلفظ: «**إنَّ في الجنَّة بابًا يقال له: الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال: أين الصَّائمون؟ فيقومون، لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد**».

ورواه مسلمٌ والأربعة إلَّا أبا داود، ورواه الجوزقي في "صحيحه" بلفظ: «**إنَّ للجنَّة ثمانية أبوابٍ، منها: بابٌ يسمَّى الرَّيان، لا يدخله إلَّا الصَّائمون**».

(حاشية التمهيد ٧/ ١٩١)

٢٦٧ - تعليقه على قول ابن عبد البر: «وهذا مما يدل - أيضًا - على أنَّ للجنَّة أبوابًا»:

قال: في "مسند أحمد" من حديث أبي هريرة: «**لكلِّ أهل عملٍ بابٌ يُدعون منه بذلك العمل، فلأهل الصِّيام بابٌ يدعون منه يقال له: الريان ... الحديث**».

ورواه ابن أبي شيبة - أيضًا - وإسناده صحيحٌ، والمذكور في حديث الترجمة أربعة: باب الصَّلاة، والصِّيام، والجِّهاد، والصَّدقة.

قال الحافظ: وبقي من الأركان الحج، فله بابٌ بلا شك، وأمَّا الثلاثة الأخرىٰ:

فمنها: «باب العافين عن النَّاس»، رواه أحمد عن روح بن عبادة، عن أشعث، عن الحسن مرسلًا: «**إنَّ لله بابًا في الجنَّة لا يدخله إلَّا من عفا عن مظلمة**».

ومنها: «الباب الأيمن» وهو باب المتوكلين، الذي يدخل منه من لا حساب عليه ولا عذاب.

وأمَّا الثالث: فلعلَّه «باب الذِّكر»، فإنَّ عند الترمذي ما يومئ إليه، ويحتمل أنْ يكون «باب العلم»، قال: ويحتمل أنْ يكون المراد بالأبواب التي يدعىٰ منها أبوابًا من داخل أبواب الجنة الأصليَّة؛ لأنَّ الأعمال الصَّالحة أكثر عددًا من ثمانية. اهـ

(حاشية التمهيد ٧/ ١٩٢)

٢٦٨ - تعقيبه على قول ابن عبد البر: «ورجاء رسول الله ﷺ يقين»:

قال: وقع التصريح بوقوع ذلك لأبي بكر، فقد روىٰ ابن حبان في "صحيحه" حديث ابن عباسٍ، وفيه جواب النبي ﷺ لأبي بكر، بقوله: «**أجل وأنت هو يا أبا بكر**».

(حاشية التمهيد ٧/ ١٩٢)

٢٦٩ -وعن نعيم بن سالم:

قال: كذا بالأصل، والصَّواب: «يغنم» بمثناة تحتية بعدها غين معجمة، ابن سالم بن قنبر، ضعيفٌ متروكٌ.

قال ابن حبان: كان يضع على أنس بن مالك.

وقال ابن يونس: حدَّث عن أنس فكذب.

وقد تساهل المؤلِّف بإيراد هذا الحديث؛ لأنَّه ذكره استطرادًا لا استشهادًا، ومن المعلوم أنَّ أبا بكر رضي الله عنه من المبشرين بالجنَّة، وموضوع الكلام هنا أنَّه يدعى من أبواب الجنة كلها، وقد ثبت ذلك في حديث ابن عبَّاس.

وفي معنى الحديث الذي أورده المؤلف: ما رواه ابن خزيمة في "صحيحه" عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أصبح منكم اليوم صائمًا؟**» قال أبو بكر: أنا، قال: «**من أطعم منكم اليوم مسكينًا؟**»، قال أبو بكر: أنا، قال: «**من تبع منكم اليوم جنازة؟**»، قال أبو بكر: أنا، قال: «**من عاد منكم اليوم مريضًا؟**»، قال أبو بكر: أنا، فقال رسول الله ﷺ: «**ما اجتمعت هذه الخصال قط في رجلٍ، إلَّا دخل الجنَّة**». فالحديث عام.

وكذب يغنم فجعله خاصًا بأبي بكر رضي الله عنه.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٩٣)

٢٧٠ -وعن أبي المصعب:

قال: «أل» زائدة للمح ، وأبو مصعب هو أحمد بن القاسم بن الحارث ابن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني، روى "الموطأ" عن

مالك، ورواها عنه أبو إسحاق الواسطي.

روىٰ له الستة، وقدَّمه الدَّارقطني في "الموطأ" علىٰ يحيىٰ بن بكير.

توفي (سنة ٢٤٢) وله (٩٩سنة).

(حاشية التمهيد ٧/ ١٩٤)

٢٧١ - وعن ابن بكير:

قال: هو يحيىٰ بن عبدالله بن بكير القرشي المخزومي مولاهم، أبو زكريا المصري.

روىٰ له الشَّيخان، وذكره ابن حبَّان في "الثقات"، وضعَّفه النَّسائي، ولد (سنة ١٥٩)، وتوفي (سنة ٢٣١).

قال ابن معين: سمع يحيىٰ بن بكير "الموطأ" بعرض حبيب كاتب مالك، وكان شر عرض، كان يتصفَّح ورقتين ثلاثة.

وقال ابن حبان في "الضعفاء" في ترجمة حبيب: وسماع ابن بكير وقتيبة كان بعرض حبيب، وقال مسلمة بن قاسم: تكلِّم في ابن بكير؛ لأنَّ سماعه من مالك إنما كان بعرض حبيب، أمَّا يحيىٰ بن يحيىٰ بن بكير التميمي الحنظلي أبو زكرياء، راوي "الموطأ" - أيضًا - عن مالكٍ، فهو خراساني نيسابوري.

روىٰ له الشيخان ولد (سنة ١٤٢) وتوفي (سنة ٢٢٦)، وليس مرادها هنا.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٩٤)

٢٧٢ - وعن أيوب بن صالح:

قال: أيوب بن صالح بن سلمة الحراني أبو سليمان المدني، روىٰ عن مالك "الموطأ"، ضعَّفه ابن معين، وقال ابن عدي: روىٰ عن مالك ما لم يتابعه عليه

أحد.

وقال المؤلف: ليس بالمشهور ولا يحتج به.

حاشية التمهيد (٧/ ١٩٤)

٢٧٣ - وعن حوثرة:

قال: حَوْثَرة، بحاء مهملة ومثلثة مفتوحتين بينهما واو ساكنة، هو ابن محمد ابن قديد المنقري، أبو الأزهري البصري الورَّاق، صحَّح له ابن خزيمة، ووثَّقه ابن حبَّان.

روىٰ عن: ابن عيينة والقطَّان وابن مهدي وغيرهم.

وروىٰ عنه: ابن ماجه وأبو داود وابن خزيمة والطبري وغيرهم، (توفي سنة ٢٥٦).

(حاشية التمهيد ٧/ ١٩٥)

٢٧٤ - وعن موسى بن طارق:

قال: موسىٰ بن طارق اليماني الزبيدي قاضي زبيد، أبو قرة صاحب كتاب "السنن" في مجلَّدٍ، وهو من شيوخ أحمد وإسحاق بن راهويه، روىٰ له النَّسائي وهو ثقةٌ.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٩٥)

٢٧٥ - وعن مطرف بن عبدالله اليساري:

قال: هو مُطَرِّف بوزن معلم، ابن عبدالله بن مطرف بن سليمان بن يسار اليساري، أبو مصعب المدني الأصم، ابن أخت مالك، ولد (سنة ١٣٧) وتوفي (سنة ٢٢٠).

روىٰ له البخاري والترمذي وابن ماجه.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٩٥)

٢٧٦ - وعن بشر بن عمر:

قال: بشر بن عمر بن الحكم بن عقبة الزهراني الأزدي أبو محمد البصري.

روىٰ عن شعبة ومالك وغيرهما، روىٰ له الستة.

وتوفي (سنة ٢٠٧).

(حاشية التمهيد ٧/ ١٩٥)

٢٧٧ - عن روح بن عبادة:

قال: رَوْح - بوزن سهل - ابن عبادة بن العلاء بن حسان القيسي أبو محمد البصري.

روىٰ عن مالك والأوزاعي وغيرهما، وروىٰ له الستة، كان سريًا يتحمَّل الحمالات، وكان كثير الحديث.

قال علي بن المديني: نظرت لروح في أكثر من مائة ألف حديث، تبت منها عشرة آلاف.

وقال الخطيب: صنَّف الكتب في السُّنن، والأحكام، وجمع التفسير.

توفي (سنة ٢٠٥).

(حاشية التمهيد ٧/ ١٩٥)

٢٧٨ -وعن سعيد بن عفير:

قال: سعيد بن كثير بن عُفَيْر -مصغر- ابن مسلم الأنصاري مولاهم أبوعثمان المصري.

روىٰ عن الليث ومالك وابن لهيعة وغيرهم، وروىٰ له الشَّيخان والنَّسائي.

كان من أعلم النَّاس بالأنساب والأخبار الماضية وأيام العرب مآثرها ووقائعها، والمناقب والمثالب، وكان أديبًا فصيح اللِّسان حسن البيان، لا تمل مجالسته ولا ينزف علمه، تحامل عليه الجوزجاني بغير حقٍّ؛ لأنَّه ناصبي، وسعيد مصري، والمصريون معروفون بحبهم لآل البيت.

ولد سعيد (سنة ١٤٦) وتوفي (سنة ٢٢٦).

(حاشية التمهيد ٧/ ١٩٥)

٢٧٩ - وعن سحنون:

قال: سَحنون - بفتح السين وضمها - لقب عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي، روىٰ "المدونة" عن ابن القاسم.

سمع من ابن وهب، وسفيان بن عيينة، ووكيع، وعبد الرحمن بن مهدي، وحفص ابن غياث، وأبي داود الطيالسي، ويزيد بن هارون، والوليد بن مسلم وغيرهم.

وأدرك مالكًا لكن لم يلقه ولد (سنة ١٦٠) وتوفي (سنة ٢٤٠).

أفرد ترجمته الحافظ أبو العرب الإفريقي بكتابٍ سمَّاه "فضائل سحنون"، وقال: كان ثقة.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٩٥)

٢٨٠ - وعن علي بن داود:

قال: علي بن داود بن يزيد التيمي القنطري أبو الحسن البغدادي، من

رجال ابن ماجه، وثَّقه ابن حبَّان والخطيب في "تاريخ بغداد".

توفي (سنة ٢٦٢).

(حاشية التمهيد ٧/ ١٩٦)

٢٨١ - وعن ابن أبي أويس:

قال: ابن أبي أويس هو إسماعيل بن عبدالله بن عبدالله بن أويس بن مالك أبو عبدالله بن أبي أويس، ابن أخت مالك وصهره، وثَّقه أبو حاتم وابن حبَّان.

وقال أحمد: لا بأس به. ورمي بالكذب وضعف العقل والخفة والطيش، حتى قال النَّسائي عنه: ليس بثقة؛ لاعترافه بأنَّه كان يضع الحديث لأهل المدينة، إذا اختلفوا في شيءٍ فيما بينهم.

وقال الحافظ: حصل منه ذلك في شبابه ثمَّ تاب، توفي (سنة ٢٢٦).

(حاشية التمهيد ٧/ ١٩٦)

٢٨٢ - وعن الحسن بن رشيق:

قال: الحسن بن رشيق العسكري المصري.

قال الدَّارقطني: شيخنا ثقةٌ لا بأس به. وكذا وثَّقه منصور بن علي الأنماطي، وأبو العباس النحال.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٩٦)

٢٨٣ - وعن حديث: «... لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة»:

قال: رواه البخاري بهذا اللَّفظ عن عبدالله بن يوسف، عن مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة.

لكن ذكره الرَّاوي بصيغة الشَّك: «**لو لا أنْ أشقَّ على أمتي**».

أو «**لو لا أنْ أشقَّ على النَّاس لأمرتهم بالسِّواك مع كل صلاة**».

ورواه معن بن عيسىٰ في "الموطأ" بلفظ: «**عند كل صلاة**».

وكذا رواه النَّسائي عن قتيبة عن مالك، والبزَّار من طريق روح بن عبادة عن مالك، تابعه سفيان بن عيينة، عن أبي الزناد، كذلك رواه الدَّارمي ومسلم.

وللحديث طرق عن زيد بن خالد الجهني، عند الترمذي وصحَّحه.

وعن عليٍّ عند أحمد، والبزَّار بإسنادٍ رجاله ثقات.

وعن أم حبيبة، وزينب بنت جحش، ورجلٍ من الصحابة، عند أحمد بأسانيد رجالها ثقات.

وعن عائشة عند البزَّار بإسناد ضعيفٍ.

وعن ابن عبَّاسٍ عند البزَّار والطبراني بإسنادٍ ضعيفٍ.

وعن العباس وابن عمر عند الطبراني بإسنادين ضعيفين.

وعن غيرهم من الصحابة يزيدون علىٰ ثلاثين، وقد أورده سيدي محمد بن جعفر الكناني في "نظم المتناثر". وللحافظ أبي نعيم كتاب "السواك"، روىٰ فيه أحاديث كثيرة في فضل السِّواك.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٩٦-١٩٧)

٢٨٤ - وعن حديث: «... لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء»:

قال: بهذا اللفظ رواه ابن خزيمة في "صحيحه" عن روح بن عبادة، عن مالك بالسَّند المذكور هنا.

وعلَّقه البخاري في "صحيحه" بلفظ: «**عند كل وضوء**».

ورواه أحمد عن عبد الرحمن بن مهدي، عن مالك بالسَّند واللَّفظ

المذكورين هنا.

ورواه أحمد - أيضًا - من طريق سعيد بن أبي هلال، عن الأعرج، عن أبي هريرة، بلفظ: «**مع الوضوء**».

ورواه الحاكم من طريق عبد الرحمن السراج بن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة، بلفظ: «**لو لا أنْ أشقَّ على أمتي، لفرضت عليهم السِّواك مع الوضوء**». وصحَّحه على شرط الشَّيخين ووافقه الذَّهبي.

ورواه الطبراني في "الأوسط" بإسنادٍ حسنٍ عن عليٍّ بلفظ: «**لو لا أنْ أشقَّ على أمتي، لأمرتهم بالسِّواك مع كلِّ وضوء**».

وأحاديث السواك متواترة كما سبقت الإشارة إليه في التعليقة السَّابقة.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٩٧)

٢٨٥ - وعن معنى «العشي والهجير والغداوت»:

قال الغماريُّ: العشي آخر النهار.

والهجير: وسط النهار من زوال الشَّمس إلى العصر.

والغَدَوات: بفتح الغين والدال جمع غَدْوَة كسجدة، وهي من الفجر إلى الشروق.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٩٨)

٢٨٦ - وعن حديث: «أنه ﷺ كان يستاك وهو صائم»:

قال: روى أحمد وأبو داود والترمذي، عن عامر بن ربيعة، قال: «رأيت النَّبيَّ ﷺ يستاك وهو صائمٌ، ما لا أحصي أو أعده». حسَّنه الترمذي، وعلَّقه البخاري بصيغة التضعيف؛ لأنَّ في سنده عاصم بن عبيد الله، ضعَّفه البخاري

وغيره، ولكن يشهد له ما رواه ابن ماجه والدَّارقطني من طريق مجالد، عن الشعبي، عن مسروق، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من خير خِصال الصَّائم السِّواك**».

مجالدٌ ضعيفٌ، لكن حسَّن حديثه الذَّهبي في "جزء الدينار".

وقال أحمد بن منبع في "مسنده": حدَّثنا الهيثم بن خارجة: ثنا يحيىٰ بن حمزة، عن النعمان بن المنذر، عن عطاء وطاووس ومجاهد، عن ابن عبَّاس أنَّ النَّبيَّ ﷺ تسوَّك وهو صائمٌ. هذا إسنادٌ حسنٌ.

وروىٰ الدَّارقطني عن أبي إسحاق الخوارزمي قال: سألت عاصمًا الأحول، أيستاك الصَّائم؟ قال: نعم، قلت: برطب السِّواك ويابسه؟ قال: نعم، قلت: أول النهار وآخره؟ قال: نعم، قلت: عمَّن؟ قال: عن أنس بن مالك، عن النَّبيِّ ﷺ.

قال الدَّارقطني أبو إسحاق الخوارزمي ضعيفٌ.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٩٨)

٢٨٧ - تعليقه على كراهة مالك وأصحابه والحسن بن يحيى السواك الرطب للصائم:

قال: قال البخاري باب: «سواك الرطب للصائم».

قال الحافظ: «أشار بهذه الترجمة إلىٰ الردِّ علىٰ من كره الاستياك للصَّائم بالسِّواك الرطب، كالمالكيَّة والشعبي».

وروىٰ ابن أبي شيبة من طريق أبي حمزة المازني، قال: أتىٰ ابن سيرين رجلٌ، فقال: ما ترىٰ في السَّواك للصَّائم؟ قال: لا بأس به. قال: إنَّه جريدٌ وله طعمٌ؟

قال: والماء له طعمٌ، وأنت تمضمض به.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٩٨)

٢٨٨ - و عن قول الشَّافعي: أكرهه - أي السواك - بالعشي للخلوف:

قال: روىٰ الطبراني عن خباب، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**إذا صمتم فاستاكوا بالغداة، ولا تستاكوا بالعشي، فإنَّه ليس من صائمٍ تيبس شفتاه بالعشي، إلَّا كان له نورٌ بين عينيه يوم القيامة**».

في سنده كيسان أبو عمر القصار، ضعفه أحمد وابن معين والساجي.

وقال الدَّارقطني: ليس بالقوي وذكره ابن حبان في "الثقات".

(حاشية التمهيد ٧/ ١٩٩)

٢٨٩ - وعن ابن علية:

قال: هو إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم الأسدي موالهم، أبو بشر البصري، وعُليَّة بالتصغير أمه. وقيل: جدته أم أمه.

قال شعبة: هو ريحانة الفقهاء. وقال - أيضًا -: سيد المحدِّثين.

روىٰ له الستة، ولد (سنة ١١٠) وتوفي (سنة ١٩٤).

وكان يقول: من قال ابن عُليَّة، فقد اغتابني.

(حاشية التمهيد ٧/ ١٩٩)

٢٩٠ - تعليقه على قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]:

قال: آية (١٨٥)، سورة البقرة، وهذه الآية تدلُّ علىٰ امتناع التكليف بالمحال؛ لأنَّ الله تعالىٰ أخبر أنَّه لا يريد بنا العسر، والمحال أشدُّ العسر،

فالتكليف به ممتنع؛ لأنَّ ما لا يريده الله يمتنع وقوعه، ومثالها في الدلالة على هذا المعنى آية: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة: ٦]، والذين أجازوا التكليف بالمحال غفلوا عن هاتين الآيتين، ولا أعرف قولًا للأشعريَّة أضعف من هذا القول، والعجيب أنَّهم قالوا: لا تتعلق القدرة بالمحال!! فأصابوا، وبينت وجه إصابتهم في رسالتي "رفع الإشكال عن مسألة المحال"، أبطلت فيها قول ابن حزم ومن قلَّده، ثمَّ أجازوا التكليف بالمحال فتناقضوا.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٠٠)

٢٩١ - تخريجه لخبر: «... لم يخير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ...»:

قال: في "الصحيحين" عن عائشة ﵂ قالت: «ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلَّا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثمًا، فإنْ كان إثمًا كان أبعد الناس منه».

وعند الطبراني في "الأوسط" من حديث أنس ﵁: «ما خُيِّر بين أمرين إلَّا اختار أيسرهما، ما لم يكن لله فيه سخطٌ».

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٠٠)

٢٩٢ - تعليقه ما قاله ابن معين: «لا يصح حديث الصلاة، بأثر السواك أفضل من الصلاة بغير سواك»:

قال: لعلَّ ابن معين لم يقف على طرق الحديث التي يتعذَّر الحكم عليه بالبطلان مع وجودها، فروى أحمد وابن خزيمة وأبو يعلى والبزَّار والحاكم والدَّارقطني، من طريق ابن إسحاق، ومعاوية بن يحيى الصدفي، كلاهما عن الزُّهري، عن عروة، عن عائشة، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**فضل الصَّلاة بالسِّواك**

على الصَّلاة بغير سواكٍ سبعون ضعفًا».

معاوية «ضعيفٌ»، وابن إسحاق «ثقةٌ» لكنَّه مدلِّس.

ورواه الخطيب في "المتفق والمفترق" من طريق سعيد بن عفير، عن ابن لهيعة، عن أبي الأسود، عن عروة، عن عائشة.

وابن لهيعة مدلِّسٌ.

ورواه أبو نعيم من طريق فرج بن فضالة، عن عروة بن رويم، عن عائشة.

وفرجٌ ضعيفٌ.

وروىٰ أبو نعيم في كتاب "السواك" عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: **«ركعتان بالسِّواك أفضل من سبعين ركعة بغير سواكٍ»**

وروىٰ أبو نعيم في كتاب "السواك" عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: **«لإنْ أُصلِّي ركعتين بسواكٍ أحبُّ إليَّ من أنْ أُصلِّي سبعين ركعة بغير سواكٍ»**.

قال الحافظ المنذري: «إسناده جيدٌ».

لكن عزا الحافظ ابن حجر هذين الحديثين، وحديث ابن عمر بمعناهما إلىٰ أبي نعيم - أيضًا -، متعقِّبًا كلام ابن معين، وقال: أسانيدها معلولة، فالحديث بمجموع هذه الطرق يبلغ رتبة الحسن.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٠٠-٢٠١)

٢٩٣ - تبينه لمعنى كلمة «الأزم»:

قال: الأزم بوزن الصوم، ومعناه: إمساكٌ عن طعامٍ وكلامٍ ونحوهما.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٠١)

٢٩٤ - تخرجه لحديث: «السواك مطهرة للفم مرضاة للرب»:

قال: رواه أحمد والنَّسائي، وصحَّحه ابن خزيمة وابن حبَّان، وعلَّقه البخاري بصيغة الجزم.

ورواه الطبراني من حديث ابن عبَّاس، بزيادة: «**ومجلاة للبصر**».

وروىٰ ابن ماجه من حديث أبي أُمامة: «**تسوَّكوا فإنَّ السّواك مطهرةٌ للفم، مرضاةٌ للرب**». وإسناده ضعيفٌ.

ورواه أحمد عن ابن عمر، وفيه ابن لهيعة.

وأبو نعيم عن أنسٍ، وهو ضعيفٌ.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٠١)

٢٩٥ - وعن «البَشَام»:

قال: البَشَام بوزن الكلام، شجرٌ طيِّبُ الرِّيح يُستاك به، قاله في "النهاية".

روىٰ الطبرانيُّ بإسنادٍ حسنٍ عن أبي خَيرة، - بفتح الخاء - العبدي الصُباحي - بضم الصاد -، قال: كنت في الوفد الذين أتوا رسول الله ﷺ فزودنا الأراك نستاك به، فقلنا: يا رسول الله عندنا الجريد، ولكن نقبل كرامتك وعطيتك، فقال: «**اللَّهم اغفر لعبد القيس إذا أسلموا طائعين غير مكرهين**».

وروىٰ ابن منده في "الصحابة" من طريق أبي وهب الغافقي، عن عمرو بن شراحيل المعافري، عن أبي زيد الغافقي، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الأسوكة ثلاثة: أراكٌ فإنْ لم يكن أراك فعنم، فإنْ لم يكن عنم فبطم**».

قال أبو وهب: «العنم» الزيتون.

قال ابن منده: حديثٌ غريبٌ لا نعرفه إلَّا من هذا الوجه.

وروىٰ الطبراني في "الأوسط"، وعنه أبو نعيم في كتاب "السواك"، بإسنادٍ

ضعيفٍ عن معاذ بن جبل، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**نعم السّواك الزَّيتون من شجرةٍ مباركةٍ، يطيب الفم ويذهب بالحفر، وهو سواكي وسواك الأنبياء قبلي**».

وتفسير «العنم» بالزيتون: غريبٌ ما أراه يصح، والمعروف في كتب اللغة، أنَّ العنم شجرٌ ليِّن الأغصان، تشبه به بنان الجواري.

و«البَطَم»: بوزن قفل وكتب، الحبَّة الخضراء أو شجرها، ذكروا للثمرة فوائد طيبة تنظر في كتب المفردات والنباتات.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٠١-٢٠٢)

٢٩٦ - وعن استخدام الريحان في الاستياك:

قال: قال الحارث بن أبي أسامة في "مسنده": حدَّثنا الحكم بن موسىٰ: حدَّثنا عيسىٰ بن يونس، عن أبي بكر ابن أبي مريم، عن ضمرة بن حبيب، قال: نهىٰ رسول الله ﷺ عن السّواك بعود الرَّيحان، وقال: «**إنَّه يحرك عرق الجذام**».

ضمرة تابعيٌّ، فالحديث مرسلٌ ضعيف الإسناد.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٠٢)

٢٩٧ - تعليقه على ما ذهب إليه طائفة من العلماء بأن: «الأصبع تغني عن السواك»:

قال: لما رواه الدَّارقطني وابن عدي والبيهقي من طريق عبدالله بن المثنىٰ، عن النضر بن أنس، عن أنسٍ، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**يجزي من السواك الأصابع**».

قال الحافظ ابن حجر: في إسناده نظرٌ.

وقال الضياء المقدسي: لا أرىٰ بسنده بأسًا.

وله طريق عن عائشة عند ابن عدي، والطبراني، وأبي نعيم، وفيه المثنىٰ بن الصباح، «متروكٌ».

وعن كثير بن عبدالله بن عمرو بن عرف، عن أبيه، عن جده، عند أبي نعيم.

وكثير «متروكٌ» أيضًا.

وروىٰ الطبراني من طريق الوليد بن مسلم: حدثنا عيسىٰ بن عبدالله الأنصاري، عن عطاء، عن عائشة قلت: يا رسول الله الرجل يذهب فوه أيستاك؟ قال: «**نعم**». قلت: كيف يصنع؟ قال: «**يدخل إصبعه في فيه**». وعيسىٰ ضعيفٌ.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٠٢)

٢٩٨ - تعليقه على حديث: «كان رسول الله ﷺ يشوص فاه بالسواك»:

قال: في "الصحيحين" عن حذيفة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام ليتهجَّد يشوص فاه بالسِّواك.

«يَشُوص» بوزن يقول، وفيه تأويلات ذكر المؤلف أحدها وهو ضعيفٌ، يرده قوله: «بالسواك».

والثاني: يُدلِّك أسنانه عرضًا بالسّواك، قاله ابن الأعرابي.

وإبراهيم الحربي والخطابي وهو الرَّاجح المتعين هنا.

والثالث: يغسل، قاله كراع والهروي.

والرابع: يتقي أسنانه، قاله أبو عبيد والداودي.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٠٢)

٢٩٩ - وعن حديث: «هذا يوم عاشوراء ولم يكتب عليكم صيامه ...»:

قال: رواه البخاري عن القعنبي، ومسلمٌ من طريق ابن وهب، كلاهما عن مالك.

ورواه مسلمٌ من طريق يونس، ومن طريق سفيان بن عيينة كلاهما، عن الزُّهري به.

ورواه عبد الرزَّاق عن معمر، عن الزهري أيضًا.

ورواه الأوزاعي عن الزُّهري، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن.

ورواه النعمان بن راشد عن الزُّهري، عن السائب بن يزيد كلاهما، عن معاوية.

قال النَّسائي: والمحفوظ رواية الزُّهري عن حميد بن عبد الرحمن.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٠٣)

٣٠٠ - ما قاله عن حامد بن يحيى:

قال: حامد بن يحيىٰ بن هانئ البلخي أبو عبدالله، ثقةٌ حافظٌ روىٰ عنه أبو داود وغيره.

قال ابن حبان في "الثقات": كان ممن أفنىٰ عمره في مجالسة ابن عيينة، وكان من أعلم أهل زمانه بحديثه.

توفي بطرسوس، في رمضان (سنة ٢٤٢).

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٠٣)

٣٠١ - وعن حديث ابن عباس: «ما علمت رسول الله ﷺ صام يومًا

يتحرَّى فضله على الأيام إلَّا هذا اليوم»، يعني: عاشوراء.

قال: رواه عبد الرازَّق وأحمد والشيخان بزيادة: «**وهذا الشهر**»، يعني: رمضان.

وروىٰ الطبراني في "الكبير" عن ابن عبَّاسٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس ليومٍ فضلٌ على يومٍ في الصِّيام إلَّا يوم عاشوراء، ولا لشهرٍ فضلٌ على شهرٍ في الصِّيام إلَّا شهر رمضان**». رجال إسناده ثقاتٌ.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٠٤)

٣٠٢ - تعليقه على ما قاله المصنف: «وأما قوله ﷺ: «من شاء فليصمه، ومن شاء فليفطره» فإن هذه إباحة وردت بعد وجوب»:

قال: هذا أحد الأدلة للقاعدة الأصوليَّة التي مفادها: «أنَّ وجوب الشَّيء إذا رفع بنسخٍ أو عذرٍ، بقي الجواز بالمعنىٰ الشَّامل للندب».

فصوم عاشوراء نُسخ وجوبه برمضان، فبقي مستحبًا لترغيب الشَّارع فيه، وإتمام الصَّلاة رفع عن المسافر لعذر السَّفر فبقي جائزًا، وكذلك الصوم، سقط عن المسافر، فبقي جائزًا علىٰ الأصل، والوضوء لكلِّ صلاة نسخ وجوبه، فبقي مستحبًا، وقيام اللَّيل نسخ وجوبه فبقي مستحبًا لترغيب الشَّارع فيه.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٠٤)

٣٠٣ - وعن قول عائشة رضي الله عنها: «كانوا يصومون عاشوراء قبل أن يفرض رمضان ...»، وصيام يوم عاشوراء:

قال: في "مصنف عبد الرزاق" عن معمر، عن الزُّهري، عن عروة، عن عائشة قالت: «كنا نُؤمر بصيام يوم عاشوراء، فلمَّا نزل صيام شهر رمضان، كان من شاء صامه ومن شاء تركه».

وفي "الصحيحين" من طريق هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهليَّة، وكان رسول الله ﷺ يصومه، فلمَّا قدم المدينة صامه وأمر بصيامه، فلما فرض رمضان ترك يوم عاشوراء، فمن شاء صامه ومن شاء تركه.

وفي روايةٍ لمسلمٍ عنها: «فلما فرض رمضان قال: «**من شاء صامه ومن شاء تركه**».

وله عنها - أيضًا - قالت: كان رسول الله ﷺ يأمر بصيامه قبل أن يفرض رمضان، فلما فرض رمضان كان من شاء صام يوم عاشوراء، ومن شاء أفطر.

فهذه الأحاديث وغيرها تصرِّح بأنَّ النَّبيَّ ﷺ فرض صوم عاشوراء، وكان فرضه في السَّنة الأولى للهجرة، ثمَّ نُسخ في السَّنة الثانية برمضان.

وروى الطبراني في "الكبير" من طريق ابن أبي الزناد، عن أبيه، عن خارجة ابن زيد ابن ثابت، عن أبيه قال: ليس يوم عاشوراء باليوم الذي يقوله النَّاس، إنما كان يومٌ تستر فيه الكعبة، وكان يدور في السَّنة وكانوا يأتون فلانًا - اليهودي - فيسألونه، ليحسب لهم، فلمَّا مات، أتوا زيدًا فسألوه.

قال الحافظان الهيثمي وابن حجر: إسناده حسنٌ، أفاد هذا الأثر أنَّ يوم عاشوراء ليس هو اليوم الذي يعظمه اليهود ويصومنه، بل كان يوم عاشوراء عند قريش يسترون فيه الكعبة ويصومون فيه تعظيمًا له؛ لأنَّه يأتي في شهرٍ حرامٍ بعد الحج، أو تلقوا تعظيمه من شرعٍ سابقٍ كشرع إسماعيل، أو أنَّهم أذنبوا في الجاهليَّة ذنبًا عظم في صدورهم فقيل لهم: صوموا هذا اليوم يكفِّر ذلك الذنب، كما جاء عن عكرمة، وكان اليهود يعظِّمون يومًا نجَّى الله فيه موسى

وقومه، وكانوا يأتون إلى يهوديٍّ منهم، يعيِّن لهم ذلك اليوم بطريق الحساب، فلما هلك أتوا زيد بن ثابت يسألونه تعيين ذلك اليوم؛ لأنَّه كان يعرف لغتهم، ودرس كتبهم، وحين هاجر النَّبيُّ ﷺ إلى المدينة صادف في تلك السَّنة مجئ يوم اليهود مع يوم عاشوراء، فقالوا: هذا يومٌ نجَّى الله فيه موسى، فأمر النَّبيُّ ﷺ بصيامه، تعظيمًا لموسى مع أنَّه كان يصومه بمكَّة، وظنَّ كثيرٌ من النَّاس أنَّ يوم عاشوراء هو اليوم الذي نجَّى الله فيه موسى، وعظمته اليهود لذلك.

وهذا خطأٌ؛ لأنَّ يوم عاشوراء، يومٌ عربيٌّ إسلاميٌّ كيوم عرفة، وهو مرتبطٌ بالسَّنة الهلاليَّة، ويوم اليهود الذي يعظمونه مرتبطٌ بالسَّنة الشَّمسيَّة التي يؤرِّخون بها، فهو يومٌ عبريٌّ اتخذوه عيدًا لهم، لنجاتهم فيه من فرعون، ويمكن أنْ يكون اسمه في لغتهم العبريَّة بما ترجتمه في اللغة العربيَّة «عاشوراء».

يؤيِّد ذلك ما ثبت في كتب التاريخ: أنَّ غرق فرعون كان يون عاشر نيسان (إبريل)، وجاء في بعض الإسرائيليات: أنَّ الله أكرم فيه عشرة من الأنبياء بكراماتٍ، منها: نجاة موسى وبني إسرائيل من فرعون.

هذا ولليهود عيدٌ يسمونه العيد الكبير كما عندنا.

والحاصل: أنَّ يوم عاشوراء العربي، صحَّ صومه في الجاهليَّة والإسلام، وما ورد فيه من الفضائل غير الصَّوم ذكرته الإسرائيليات في يوم عاشوراء العبري، لكن رفعه بعض الضعفاء والكذَّابين إلى النَّبيِّ ﷺ وجعلوه في فضل عاشوراء الإسلامي، إمَّا خطأً لتشابه الاسمين ولاجتماع اليومين في بدء الهجرة.

وإمَّا قصدًا لأجل أنْ يكون لعاشوراء الإسلامي فضلٌ على نظيره العبري.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٠٤ -٢٠٥)

٣٠٤ - وعن اسم «محمد بن عبدالله بن قوهي»:

قال: هكذا في النسختين بدون نقط، والذي أراه: أنَّها بالقاف المضمومة، وهو علمٌ بصيغة النسب، مثل: مكيّ، مدنيّ، تهاميّ، هاشميّ، عربيّ.

والأصل في «قوهي»: أنَّه نسبة إلىٰ قوهستان بلد بجهة نيسابور وبكرمان، قال في "القاموس": ومنه ثوب قوهي لما ينسج بها، أو كل ثوب أشبهه يقال له: قوهي، وإنْ لم يكن من قوهستان.

وفي "القاموس" - أيضًا -: والقوهي ثياب بيض.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٠٦)

٣٠٥ - وعن قول المصنف: «ورواه عبد الكريم»:

قال: هكذا في نسخةٍ، وفي أخرىٰ: «الكديمي»، وهو الصَّواب.

واسمه محمد بن يونس بن موسىٰ بن سليمان بن ربيعة بن كُدَيْم - مصغَّر - الكديمي السَّامي، بالمهملة أبو العباس البصري الحافظ.

روىٰ عن زوج أمِّه روح بن عبادة، وأبي علي الحنفي، وعبد الكريم بن روح ابن عنبسة البصري الموجود اسمه في النسخة المشار إليها، وعن غيرهم.

وعدد شيوخه (١١٠٠) رجل من البصريين، ولد (سنة ١٨٥) وتوفي سنة (٢٨٨)، وقد جاوز المائة.

قال ابن حبَّان: كان يضع الحديث، لعله قد وضع علىٰ الثِّقات أكثر من ألف حديث.

وشيخه أبو علي الحنفي: اسمه عبيد الله بن عبد المجيد البصري، روىٰ عن

مالك بن أنس، ومالك بن مغول، وابن أبي ذئب وغيرهم، روىٰ له الستة.

توفي (سنة ٢٠٩).

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٠٦)

٣٠٦ – ما قاله عن ابن أبي ذئب:

قال: يعني: في "موطئه"، وهو محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث ابن أبي ذئب القرشي العامري المدني، الإمام الحافظ الثقة.

قال ابن حبَّان: كان من فقهاء أهل المدينة وعبادهم، وكان من أقول أهل زمانه للحق.

ولد (سنة ٨٠)، وتوفي سنة (١٥٩).

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٠٦)

٣٠٧ –وعن خبر: أن عمر بن الخطاب كتب إلى هشام: إن غدا عاشوراء فصم ... :

قال: رواه عبد الرزَّاق عن ابن جريج: أخبرني عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن ابن الحارث، عن أبيه: أنَّ عمر بن الخطاب أرسل إلىٰ عبد الرحمن ابن الحارث ليلة عاشوراء، أنْ تسحَّر وأصبح صائمًا. فاصبح عبد الرحمن صائمًا.

ورواه ابن أبي شيبة، عن محمد بن بكر البرساني، عن ابن جريج به.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٠٧)

٣٠٨ –و عن الحارث بن عبدالله الكوفي الأعور:

قال: الحارث بن عبدالله الكوفي الأعور، قال ابن أبي داود: كان أفقه

النَّاس، وأحسب الناس، وأفرض الناس، تعلَّم الفرائض من عليٍّ. توفي (سنة ٦٥).

ولهذا الأثر شاهدٌ رواه عبد الرزَّاق، عن معمر، عن أبي إسحاق، عن الأسود بن يزيد، قال: ما رأيت أحدًا كان أمر بصوم يوم عاشوراء من عليٍّ وأبي موسىٰ. إسناده صحيحٌ.

«آمر» بالمد معناه: أكثر أمرًا.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٠٧)

٣٠٩ - وعن قول المصنف: وقد روينا عن طارق بن شهاب، أنه قال: كان يوم عاشوراء لأهل يثرب ...:

قال: هكذا في الأصلين، والحديث في "صحيح مسلم" عن طارق بن شهاب، عن أبي موسىٰ، قال: كان أهل خيبر يصومون يوم عاشوراء، يتخذونه عيدًا، ويلبسون نسائهم فيه حليهم وشارتهم، فقال رسول الله ﷺ: «**فصوموه أنتم**».

ويظهر أنَّ النَّاسخ صحَّف كلمة: «خيبر بيثرب»، لكن يبقىٰ في الحديث إشكالٌ، وهو: كيف يصوم اليهود عاشوراء، وهو عندهم عيدٌ والعيد لا يصام؟

فذكر الصيام خطأٌ ولا بد إلَّا أنْ يكون صوم العيد مشروعًا عندهم، وهو الذي يدلُّ عليه حديث ابن عبَّاس الذي أسنده المؤلف.

ثمَّ لا تنس أنَّ العيد عند اليهود يوم عاشوراء بالتاريخ العبري، وهو عاشر نيسان، والنَّبيُّ ﷺ أمرنا بصيام عاشوراء العربي.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٠٩)

٣١٠ - وعن حديث ابن مسعود وجابر بن سمرة وقيس بن سعد، قالوا: كنا نؤمر بصوم عاشوراء ...:

قال: حديث ابن مسعود وجابر بن سمرة في "صحيح مسلم"، وحديث قيس بن سعد رواه ابن أبي شيبة في "المصنف"، والطحاوي في "معاني الآثار".

وورى الطبراني في "الكبير" عن عبدالله بن أبي سعد، قال: دخلنا على عائد ابن عمرو في يوم عاشوراء، فقال: احلب لهم يا غلام، فقام الغلام إلى نعجةٍ فحلبها فجاءهم، فقال الذي عن يمينه: اشرب، فقال: إنني صائمٌ، فقال: قبل الله منا ومنك، ثمَّ قال للثاني، فقال: إنِّي صائمٌ، فقال: مثل ذلك، ثمَّ للثالث، فقال مثل ذلك، فقال: أكلكم صائمٌ؟ يوشك أنْ تتخذوا هذا اليوم بمنزلة رمضان، إنما كنَّا نصوم هذا اليوم قبل أنْ يفرض علينا رمضان، فلما فرض علينا رمضان نسخ صوم رمضان صوم هذا اليوم، وهذا اليوم تطوعٌ فمن شاء فليصم ومن شاء فليفطر، فلما سمع القوم ذلك أفطروا جميعًا.

قال الحافظ الهيثميُّ: فيه حشرج بن عبدالله، ولم أجد من ترجمه.

قلت: هو حشرج بن عبدالله بن حشرج بن عائد بن عمرو المزني، يكنى: أبا صخر، ذكره ابن أبي حاتم في "الجرح والتعديل" وقال: روى عن أبيه، وروى عنه إسحاق بن بهلول الأنباري، وأبو حفص عمرو بن علي.

ومحمد بن المثنى. سألت أبي عنه؟ فقال: شيخٌ. ولم يذكره الذَّهبي في "الميزان"، فلذلك لم يعرفه الهيثمي.

ولفظ: «شيخ» في الرتبة الخامسة من رتب التعديل.

وعائذ بن عمرو: صحابيٌّ معروف.

حاشية التمهيد (٧/ ٢٠٩-٢١٠)

٣١١ - كلامه على حديث: «صيام يوم عرفة يكفِّر ...»، وكلامه على كل من: محمد بن إسماعيل، وسفيان، وأبي قزعة، وأبي الخليل، وحرملة:

قال: (محمد بن إسماعيل) هو البخاري، وروىٰ هذا الحديث خارج "الصحيح".

وسفيان: هو ابن عيينة.

وأبو قَزَعَة بفتحات: اسمه سُوَيد بن حُجَير بالتصغير فيهما.

وأبو الخليل: صالح بن أبي مريم البصري.

وأبو حرملة: إياس بن حرملة الشيباني. ذكره ابن حبان في "الثقات"، وقال المؤلف: لا يحتج به.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢١١)

٣١٢ - وعن محمد بن مسعود:

قال: محمد بن مسعود بن يوسف النيسابوري، أبو جعفر بن العجمي.

روىٰ عن: القطَّان، وابن مهدي. وروىٰ عنه: أبو داود، وابن وضاح.

قال الخطيب: كان ثقةً. وقال ابن وضاح: رفيع الشَّأن فاضلٌ، ليس بدون أحمد.

توفي (سنة ٢٤٧)، وللمغاربة عنه أسئلة في الرجال والعلل.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢١١)

٣١٣ - ما قاله عن غيلان بن جرير المعولي، وعبدالله بن معبد الزماني:

قال: المَعْوَلي بفتح الميم وكسرها، وسكون المهملة، وفتح الواو: نسبةً إلى المعاولة قبائل من الأزد.

والزِمَّاني بكسر الزاي وشد الميم: نسبة زمان بن مالك، والزِمَّاني هذا ثقةٌ، إلَّا أنَّ البخاري قال: لا يعرف سماعه من أبي قتادة، فيكون في السِّند إرسالٌ.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢١١)

٣١٤ - كلامه على حديث: أنه ﷺ أمر قوما قد طعموا يوم عاشوراء أن يكفوا عن الطعام ...:

قال: ولفظه في "صحيح مسلم": وسئل عن صوم يوم عرفة؟ فقال: «**يُكفِّر السَّنة الماضية والباقية**»، وسئل عن صوم يوم عاشوراء؟ فقال: «**يكفر السنة الماضية**».

وفي روايةٍ له: «**صيام يوم عرفة أحتسب على الله أنْ يكفِّر السَّنة التي قبله، والسَّنة التي بعده، وصيام يوم عاشوراء أحتسب على الله أنْ يكفِّر السَّنة التي قبله**». وله طرق.

وعلَّل بعض العلماء تفضيل صوم عرفة على عاشوراء: بأن الأول سنَّة محمديَّة، والثاني سنَّة موسويَّة. وهذا خطأٌ من وجهين:

أحدهما: أنَّ هذا التعليل يقتضي تفضيل صوم عاشوراء؛ لأنَّه حيث كان سنة موسويَّة، وأقرَّه الإسلام صار سنَّة محمديَّة - أيضًا -، فجمع الفضيلتين، ولهذا يؤتى الكتابي أجره مرتين حيث يسلم.

ثانيهما: أنَّ صوم عاشوراء سنَّة محمديَّة - أيضًا -، وإنما اتفق مع السُّنَّة الموسويَّة في الاسم فقط، كما اتفق السنتان في اسم العيد الكبير، ولكن الحكمة

في تفضيل صوم يوم عرفة: أنَّه أحد الأيام العشر التي قال فيها النَّبيُّ ﷺ: «**ما من أيامٍ، العمل الصَّالح فيها أحبُّ إلى الله عزَّ وجلَّ من هذه الأيام**»، يعني: أيام العشر، قالوا: يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله؟، قال: «**ولا الجهاد في سبيل الله، إلَّا رجل خرج بنفسه وماله ثمَّ لم يرجع من ذلك بشيءٍ**». رواه البخاري من حديث ابن عبَّاس.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢١١-٢١٢)

٣١٥ - وعن حديث: «أذن في قومك يوم عاشوراء ...»:

قال: رواه البخاري في مواضع من "صحيحه" وهو من "ثلاثياته".

والرجل المبهم في الحديث: هو «أسماء بن حارثة».

روى أحمد من طريق عبد الرحمن بن حرملة، عن يحيى بن هند، قال: وكان هند من أصحاب الحديبية وأخوه الذي بعثه رسول الله ﷺ يأمر قومه بصيام عاشوراء، قال: فحدَّثني يحيى بن هند، عن أسماء بن حارثة، أنَّ رسول الله ﷺ بعثه فقال: «**مُرْ قومك بصيام هذا اليوم**»، قال: أرأيت إن وجدتهم قد طعموا؟ قال: «**فليتموا آخر يومهم**».

وروى الطبراني بإسنادٍ صحيحٍ عن أسماء بن حارثة، قال: بعثني رسول الله ﷺ يوم عاشوراء، فقال: «**ائت قومك فمرهم أنْ يصوموا هذا اليوم**»، قال: يا رسول الله ما أراني آتيهم حتى يطعموا، قال: «**مُرْ من طعم منهم فليصم بقيَّة يومه**».

حاشية التمهيد(٧/ ٢١٢).

٣١٦ - وعن حديث الحكم بن الأعرج، قال: أتيت ابن عباس في المسجد

الحرام فسألته عن يوم عاشوراء ...:

قال: رواه مسلمٌ في "الصحيح"، ولفظ أوله: سألت ابن عبَّاس وهو متوسِّدٌ رداءه عند زمزم، عن صوم عاشوراء؟ فقال: إذا رأيت هلال المحرم فأعدد، وأصبح يوم التاسع صائمًا ... الحديث.

لكن يعارضه ما في "صحيح مسلم" - أيضًا - عن ابن عبَّاسٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لئن بقيت إلى قابلٍ لأصومنَّ التاسع**»، فإنَّه يقتضي أنَّه كان يصوم العاشر، ثمَّ همَّ بصيام التاسع مخالفةً لليهود.

وروىٰ البيهقي حديث الحكم بن الأعرج بلفظٍ أزال التعارض، فإنَّه قال في روايته: «فإذا أصبحت من تاسعه، فاصبح صائمًا».

قال الزين بن المنير: قوله: «فإذا أصبحت من تاسعه فاصبح صائمًا»، يشعر بأنَّه أراد العاشر؛ لأنَّه لا يصبح صائمًا بعد أنْ أصبح من تاسعه، إلَّا إذا نوىٰ الصِّيام من اللَّيلة المقبلة، وهي الليلة العاشرة، واعتمده الحافظ.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢١٣)

٣١٧ - وعن سلام بن سالم، وشيخه زيد بن العمي:

قال: كذا في نسخة، وفي أخرىٰ: سلم، وهو الصواب.

وسلَّام بتشديد اللام، وهو ضعيفٌ متروكٌ.

وشيخه زيد بن الحواري العمّي بتشديد الميم: ضعيفٌ.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢١٤)

٣١٨ - وعن القاسم بن غنام:

قال: كذا في النسختين، وهو تصحيف، والصواب: القاسم بن عباس،

وهو ابن محمد بن معتب بن أبي لهب الهاشمي، أبو العباس المدني، قتل بالمدينة أيام الحرورية (سنة ١٣٠).

والحديث رواه مسلم بالسند المذكور هنا عن ابن أبي شيبة، وأبي كريب عن وكيع به.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢١٤)

٣١٩ - كلامه على حديث: «فإذا كان العام المقبل صمنا التاسع»:

قال: رواه مسلمٌ في "صحيحه"، ومعنى الحديث: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يصوم يوم عاشوراء، ويأمر بصومه باعتباره يومًا عربيًّا إسلاميًّا، ثمَّ علم أنَّ اليهود والنصارى يعظِّمون يومًا عبريًّا يسمونه عاشوراء - أيضًا - فعزم أنْ يصوم اليوم التاسع مع العاشر مبالغةً في مخالفتهم، ومثل هذا ما ثبت عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: إنَّ رسول الله ﷺ أكثر ما كان يصوم من الأيام: يوم السَّبت ويوم الأحد، كان يقول: «**إنهما يوما عيدٍ للمشركين** - اليهود والنصارى -، وأنا أريد أن اخالفهم». رواه ابن خزيمة في "صحيحه".

فاعجب لمن يتخذ هذين اليومين للراحة والاستحمام، ويدع يوم الجمعة عيد المسلمين!!.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢١٤-٢١٥)

٣٢٠ - وعن ابن مقلاص:

قال: مِقْلاص بكسر الميم وسكون القاف، وهو عمر بن عبد العزيز بن عمران ابن أيوب بن مقلاص، أبو حفص الخزاعي، ثمَّ المصري، فقيهٌ ثقةٌ. توفي (سنة ٢٨٥).

(حاشية التمهيد ٧/ ٢١٥).

٣٢١ - وعن حديث: «إنما هلكت بنو إسرائيل حين اتخذها نساؤهم»:

قال: رواه البخاري عن إسماعيل، عن أبي أويس، عن مالك.

ومسلم عن يحيىٰ بن يحيىٰ، عن مالك.

ورواه البخاري - أيضًا - عن عبدالله بن مسلمة، عن مالك.

ورواه البخاري ومسلم - أيضًا - من طريقٍ آخر، عن سعيد بن المسيب، قال: قدم معاوية المدينة آخر قدمة قدمها، فخطبنا فأخرج كبة من شعر، فقال: ما كنت أرىٰ أنَّ أحدًا يفعل هذا غير اليهود، وإنَّ النَّبيَّ ﷺ: «سماه الزور»، عني الوصال في الشعر.

ورواه الطبراني من طريق عروة، عن معاوية، قال: وجدت هذه عند أهلي، وزعموا أنَّ النِّساء يزدنه في شعورهن ...، وذكر الحديث.

القصة والكُبة بضم أولها، هي التي تسمىٰ اليوم بالبروكة، وهي عادةٌ يهوديَّة لا يعرفها العرب، وإنما أخذوها عن اليهود بالمدينة.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢١٦)

٣٢٢ - وعن قوله تعالى: ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [الحشر: ٢]:

قال: آية (٢ في سورة الحشر) أورد المؤلف الآية دليلًا علىٰ صحة القياس؛ لأنَّ قوله تعالىٰ: ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟﴾ أمر بالاعتبار مأخوذ من العبور، وهو: المجاوزة من أمر إلىٰ أمر.

«عبر النهر» أي: جاوزه، والدمع عبرة بالفتح؛ لأنَّه جاوز العين، سيلانًا

على الوجه، والكلام عبارة، لأنَّه يعبر الهواء من لسان المتكلِّم إلى أُذن السَّامع، ومفسر الرؤيا عابر؛ لأنَّه يعبر من ظاهرها إلى باطنها، والقياس الشَّرعي مجاوزة حكم الأصل إلى الفرع، كمجاورة حريم الخمر إلى النبيذ لعلَّة الإسكار، ولا بد من وجود رابط بين الطرفين، إمَّا حِسِّي كالمعبر بين جانبي النهر قنطرة أو سفينة، وإمَّا معنوي كالكفر والمعصية في الاعتبار بحال الكفار والعصاة، وعلَّة الحكم في القياس الشَّرعي وبهذا التقرير الوجيز تسقط الاعتراضات التي أوردت على الاستدلال بالآية من قبل المانعين.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢١٧)

٣٢٣ - وعن عبيد الله بن محمد بن حبابة:

قال: حَبَابة كسحابة، وهو أبو القاسم عبيد الله بن محمد بن حبابة، صاحب البغوي، وفي نسخةٍ عبدالله وهو خطأٌ.

حاشية التمهيد (٧/ ٢١٧).

٣٢٤ - وعن الحسن بن مسلم بن يناق:

قال: يَنَّاق بفتح المثناة التحتية وشد النون، وفي نسخة: الحسن بن محمد بن مسلم، وهو خطأ.

والحسن بن مسلم هذا تابعيٌّ صغيرٌ ثقةٌ، من أهل مكة.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢١٨)

٣٢٥ - وعن حديث: «لعن رسول الله ﷺ الواسلة والمستوصلة»:

قال: رواه الشيخان من طريق شعبة كما هنا.

وفي روايةٍ للبخاري في هذا الحديث، عن عائشة أنَّ امرأةً من الأنصار،

زوَّجت ابنتها فتمعط شعر رأسها، فجاءت إلى النَّبيِّ ﷺ فذكرت ذلك له، فقالت: إنَّ زوجها أمرني أنْ أصل في شعرها فقال: «لا، إنَّه قد لعن الموصلات».

ترجم عليها البخاري، باب: «لا تطيع المرأة زوجها في معصية».

الموصّلات بكسر الصاد المشددة وفتحها، والحديث يرد قول من أجاز للمرأة أنْ تصل شعرها بإذن زوجها.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢١٨).

٣٢٦ - تعليقه على ما ورد عن عبدالله بن مسعود أنه قال: لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات ...:

قال: رواه الشيخان، قوله: «لم تجمعنا» هكذا هنا.

وعند مسلم: «لم نجامعها»، وعند البخاري: «ما جامعتها»، وهذه الألفاظ كناية عن طلاقها، يعني: أنَّها لو فعلت ذلك، طلَّقها.

قال الحافظ ابن حجر في "فتح الباري": وفي إطلاق ابن مسعود نسبة لعن من فعل ذلك الوشم وما معه إلى كتاب الله، وفهم أم يعقوب منه أنَّه أراد بكتاب الله القرآن وتقريره لها على هذا الفهم، وجوابه بما أجاب دلالةً على جواز نسبة ما يدل عليه الاستنباط إلى كتاب الله تعالى وإلى سنَّة رسوله ﷺ نسبة قوليَّة، فكما أجاز نسبة لعن الواشمة إلى كونه في القرآن، لعموم قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾[الحشر: ٧]مع ثبوت لعنه ﷺ من فعل ذلك، يجوز نسبة من فعل أمرًا يندرج في عموم خبر نبوي، ما يدلُّ على منعه إلى القرآن، فيقول القائل - مثلًا -: لعن الله من غير منار الأرض في القرآن.

ويستند في ذلك: إلى أنَّه ﷺ لعن من فعل ذلك. اهـ

وهذا إذا كان الاستنباط واضحًا لا خفاء فيه كهذا الحديث، فإنْ كان الاستنباط فيه غموض أو احتمال لم ينسب بعبارةٍ صريحة، مثال ذلك:

أنَّ ابن عبَّاس استنبط من القرآن: وجوب ركعتين في السَّفر، وركعة في الخوف، فقال: «إنَّ الله فرض الصَّلاة على لسان نبيكم على المسافر ركعتن والمقيم أربعًا والخوف ركعة».

قوله: «على لسان نبيكم»، يقصد القرآن الذي وصل إلينا على لسانه ﷺ، لكن لما كان الاستنباط خفيًّا، لم يصرِّح بنسبته إلى الله، كما لم يصرِّح بنسبته إلى النَّبيِّ ﷺ؛ لأنَّه لم يثبت في حديثٍ أنَّه ﷺ أخبر بوجوب ركعتين في السَّفر، وركعة في الخوف، ولم يصلِّ في الخوف ركعة قط.

وثبت في "صحيح البخاري" عن جابر أنَّه ﷺ: أتمَّ في السفر.

كما ثبت ذلك - أيضًا- في "مصنف عبد الرزاق" وغيره بأسانيد صحيحة.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢١٩)

٣٢٧ - كلامه على حديث: «ما قطع من حي فهو ميت»:

قال: رواه الحاكم من طريق سليمان بن بلال، عن زيد بن أسلم، عن عطاء ابن يسار بن أبي سعيد الخدري، أنَّ رسول الله ﷺ سئل عن جباب أسمنة الإبل، وأليات الغنم؟ فقال: «**ما قطع من حيٍّ فهو ميتٌ**».

رواه أحمد وأبو داود والترمذي، عن أبي واقد الليثي، قال: قدم النَّبيُّ ﷺ المدينة وهم يجبون أسنمة الإبل ويقطعون أليات الغنم، فقال: «**ما يقطع من البهيمة وهي حيةٌ فهو ميتةٌ**». قال الترمذي: حديثٌ حسنٌ غريبٌ، والعمل على

هذا عند أهل العلم.

ورواه ابن ماجه والبزَّار والطبراني في "الأوسط"، من حديث ابن عمر، وإسناده ضعيفٌ.

ورواه ابن ماجه والطبراني وابن عدي، عن تميم الدَّاري، قال: قيل: يا رسول الله إنَّ ناسًا يجبون أليات الغنم وهي أحياء؟ فقال: «**ما أخذ من البهيمة وهي حيَّة فهو ميتة**». إسناده ضعيفٌ.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٢٠)

٣٢٨ - وعن اختلاف العلماء في الكلام للمأموم والإمام أثناء الخطبة:

قال: أمَّا الإمام فقد ثبت في "الصحيحين" عن جابر، قال: دخل رجلٌ يوم الجمعة والنَّبيُّ ﷺ يخطب فقال: «**أصليت؟**»، قال: لا. قال: «**فصل ركعتين وتجوز فيهما**». ترجم عليه البخاري، باب: «إذا رأىٰ الإمام رجلًا جاء وهو يخطب، أمره أنْ يصلِّي ركعتين».

قال الحافظ ابن حجر في هذا الحديث: إنَّ للخطيب أنْ يأمر في خطبته وينهىٰ، ويبين الأحكام المحتاج إليها، ولا يقطع ذلك التوالي المشترط فيها، بل لقائلٍ أنْ يقول: كل ذلك يعد من الخطبة.

وأما المأموم فاستدل بالحديث المذكور علىٰ جواز السَّلام وتشميت العاطس له في حال الخطبة؛ لأنَّ أمرهما أخف وزمنهما أقصر، ولا سيما رد السَّلام فإنَّه واجبٌ. قاله الحافظ في "الفتح" وفي المسألة خلافٌ وتفصيلاتٌ .

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٢٠)

٣٢٩ - تنبيهه على خطأ وقع في إحدى النسختين، وهو «وقال أنس بن

عياض»:

قال: في إحدىٰ النسختين: أنس بن مالك، وهو خطأٌ، والصَّواب ما هو هنا.

وأنس بن عياض مدنيٌّ ثقةٌ، روىٰ له السِّتة، أثنىٰ عليه مالكٌ كثيرًا، وقال: لكنَّه أحمقٌ، يدفع كتبه لهؤلاء العراقيين - يعني فيروونها عنه من غير سماعٍ -، وربما أدخلوا فيها ما ليس من حديثه.

ولذا قال عنه مروان - وقد وثَّقه -: كانت فيه غفلة الشَّاميين، كان يعرض كتبه علىٰ النَّاس.

ولد (سنة ١٠٤) وتوفي (سنة ٢٠٠)، وقال يونس بن عبد الأعلىٰ: ما رأينا أسمح بعلمه منه.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٢١)

٣٣٠ - ما قاله عن «العقيق»:

قال: العقيق بوزن أمير مكانٌ قرب النقيع، بينه وبين المدينة ميلان أو ثلاثة، فيه نخيلٌ وماءٌ.

روىٰ البخاري عن ابن عبَّاس، أنَّه سمع عمر رضي الله عنه يقول: سمعت النَّبيَّ ﷺ بوادي العقيق يقول: «**أتاني اللَّيلة آتٍ من ربي فقال: صلِّ في هذا الوادي المبارك، وقل: عمرة في حجة**».

وفي "معجم الطبراني الكبير" بإسنادٍ حسنٍ عن سلمة بن الأكوع قال: كنت أصيد الوحش وأهدي لحمها إلىٰ رسول الله ﷺ ففقدني فقال: «**سلمة أين تكون؟**»، فقلت: بَعُدَ عليَّ الصَّيد يا رسول الله، فإنما أصيد بصدر قناة من

نحو ثبيب فقال: «**أما لو كنت تصيد بالعقيق، لشيعتك إذا ذهبت وتلقيتك إذا جئت، فإنِّي أحبُّ العقيق**».

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٢١)

٣٣١ - وعن حديث: «أكل ولدك نحلته مثل هذا؟»:

قال: رواه البخاري عن عبدالله بن يوسف التنيسي، ومسلم عن يحيىٰ كلاهما عن مالك.

ورواه النَّسائي عن محمد بن سلمة والحارث بن مسكين، عن ابن القاسم، عن مالك.

وهذا الطريق هو المحفوظ.

ورواه النَّسائي من طريق الأوزاعي، عن الزُّهري: أنَّ محمد بن النعمان، وحميد بن عبد الرحمن، حدَّثاه عن بشير بن سعد، فجعله من «مسند بشير» والد النعمان.

قال الحافظ: فشذَّ بذلك، والمحفوظ أنَّه عنهما عن النعمان. اهـ

قلت: قد رواه النَّسائي من طريق الأوزاعي - أيضًا -، عن الزهري، عن حميد ومحمد بن النعمان: كالجادة.

ورواه مسلمٌ من طريق ابن عيينة، واللَّيث بن سعد، ويونس، ومعمر كلهم عن الزُّهري بالإسناد المحفوظ، ثمَّ قال مسلمٌ: ورواية اللَّيث عن محمد بن النعمان، وحميد بن عبد الرحمن، أنَّ بشيرًا جاء بالنعمان.

قلت: لكنَّ الليث في الزُّهري، دون مالك .

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٢٣)

٣٣٢ - وعن حديث: «أكل بنيك أعطيت مثل هذا؟»:

قال: لكن رواه النَّسائي من طريق شعبة، عن سعد بن إبراهيم، عن عروة، عن بشير، أنَّه نحل ابنه غلامًا، فأتى النَّبيَّ ﷺ، فأراد أنْ يُشهد النَّبيُّ ﷺ فقال: أَكلُّ ولدك نحلت مثل ذا؟ قال: لا. قال: «**فاردده**».

ورواه - أيضًا - من طريق عبدالله بن المبارك، عن هشام بن عروة، عن أبيه، أنَّ بشيرًا أتى النبي ﷺ فقال: يا نبيَّ الله نحلت النعمان نحلة؟ قال: «**أعطيت لإخوته؟**» قال: لا. قال: «**فاردده**».

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٢٥).

٣٣٣ - وعن قال الشَّافعي: ترك التفضيل في عطيَّة الأبناء، فيه حسن الأدب، ويجوز له ذلك في الحكم، وله أنْ يرجع فيما وهب لابنه؛ لقول النبي ﷺ: «فارجعه»:

قال: الاستدلال بهذه اللَّفظة على جواز رجوع الوالد فيما يهب لولده غير ظاهرٍ، والظَّاهر: أنَّه إنما أمره بالرجوع؛ لأنَّ الهبة كانت جورًا لا تصح، فيجب الرجوع فيها لذلك، لا لكونه والدًا.

هذا ما يفيده سياق الحديث ومجموع ألفاظ رواياته.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٢٦)

٣٣٤ - تعليقه على كلام المصنف حيث قال: واستدل الشَّافعي رحمه الله بأنَّ هذا الحديث - أي الحديث السَّابق - على النَّدب، بنحو استدلال مالك رحمه الله من عطية أبي بكر عائشة:

قال: هذا لا يدلُّ على أنَّ الأمر في الحديث للنَّدب، وذلك لوجهين:

١ - أنَّ أبا بكر رضي الله عنه لم يبلغه الحديث، كما لم تبلغه أحاديث رواها صغار الصَّحابة.

٢ - تقرر في علم الأصول: أنَّ الأمر حقيقة في الوجوب، ولا يصرف عند للنَّدب إلَّا بقرينةٍ، والقرينة إنما تكون من الشَّارع؛ لأنَّ المتكلِّم هو الذي ينصب القرينة على مراده من كلامه لا غيره، وإذن فعمل أبي بكر رضي الله عنه لا يكون قرينة على أنَّ الأمر في الحديث للندب.

على أنَّ عروة بن الزبير أجاب عن فعل أبي بكر رضي الله عنه، بأنَّ إخوة عائشة رضي الله عنها كانوا راضين بتلك الهبة، بل يمكن أنْ نأخذ من استرجاع أبي بكر هبته عند موته، أنَّه كان يرى وجوب التسوية بين الأولاد في الهبة؛ لأنَّه لم يسترجعها مع رضا أولاده بها إلَّا لأجل الحمل الذي تركه في بطن امرأته، ورضاه غير معلومٍ.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٢٦)

٣٣٥ - وعن رواية أبي داود لحديث: النعمان بن بشير: «أكل ولدك نحلته مثل هذا؟»

قال: رواه مسلمٌ من هذا الطريق، ولفظه: «**أكُلُّ بنيك قد نَحلْت مثل ما نحلت النعمان؟**» قال: لا. قال: «**فأشْهد على هذا غيري**». ثمَّ قال: «**أيسرُّك أنْ يكونوا إليك في البِرِّ سواء؟**» قال: بلى. قال: «**فلا إذنْ**».

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٢٦)

٣٣٦ - تعقيبه على كلام المصنِّف، واستدلاله بحديث التسوية بين الأبناء في الحديث السَّابق: بأنَّ هذا الحديث دليلٌ على صحة الهبة؛ لأنَّه لم يأمره - أي

النبي ﷺ - بردها - أي الهبة -، وإنما أمره بتأكيدها بإشهاد غيره عليها:

قال رضي الله عنه: في هذا التأويل تكلُّفٌ، والواقع أنَّ الأمر بإشهاد غيره تهديدٌ، مثل: «**إذا لم تستحي فاصنع ما شئت**»، والدَّليل على ذلك أمورٌ:

١ - من المعلوم بالضرورة: أنَّه لا أحد من المسلمين يشهد على أمرٍ يعلم أنَّ النَّبيَّ ﷺ امتنع من الشَّهادة عليه.

٢ - أنَّ النَّبيَّ ﷺ بيَّن لبشير أنَّ الهبة يجب أنْ تكون بين الأولاد بالتساوي، كما أنَّ البِرَّ يجب عليهم بالتساوي، وهذا قياسٌ جليٌّ.

٣ - أنَّ النَّبيَّ ﷺ نهاه عن تنفيذ الهبة بقوله: «**فلا إذن**»، والنَّهي يقتضي الفساد، فلذلك ردَّها ولم ينفذها.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٢٧)

٣٣٧ - وعن الخرقي:

قال: الخرقي بكسر الخاء وفتح الراء، وهو أبو القاسم عمر بن الحسين بن عبدالله ابن أحمد الخرقي، شيخ الحنابلة.

توفي بدمشق (سنة ٣٣٤).

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٢٧)

٣٣٨ - تصحيحه لخطأ وقع في أحد الأسانيد ، حيث قال: حدَّثنا محمد بن جعفر:

قال: كذا في «م»، وفي «ج»: أحمد، وهو الصَّواب.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٢٨)

٣٣٩ - وعن قال: حدَّثنا يعلى:

قال: كذا في «ج، و، م»، وفي "المسند" (٤/ ٢٦٨): حدَّثني أبو يعلىٰ.

وهو محمد بن الصَّلت التَوّزي، بفتح التاء وتشديد الواو، نسبةً إلىٰ توز بلد بفارس.

توفي (سنة ٢٢٨).

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٢٨)

٣٤٠ -وعن قال: حدَّثنا أبو حباب:

قال: كذا في «م»، وفي «ج»: أبو حيان، وهو الصَّواب، واسمه يحيىٰ بن سعيد بن حيَّان التيمي الكوفي العابد.

توفي (سنة ١٤٥).

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٢٨)

٣٤١ - تصحيحه لخطأ وقع في السَّند، حيث قال: حاجب بن الفضل بن المهلب:

قال: كذا في «م»، وفي «ج»: المفضل. وكذا هو في "المسند" (ج ٤/ ص: ٢٧٥)، والمفضل هذا: ولَّاه سليمان بن عبد الملك جند فلسطين، وولَّاه الحجاج علىٰ خراسان بعد عزل أخيه يزيد بن المهلب، فمكث سبعة أشهر، وغزا باذغيس فظفر وغنم، ولما قتل يزيد، بعث مسلمة بن عبد الملك في طلب آل المهلب، فهرب المفضل وإخوته إلىٰ سجستان (الأفغان)، فلحقه الطَّلب هناك، وحصل قتال فقتل (سنة ١٠٢).

ذكره ابن حبَّان في "الثقات".

وابنه حاجب بن المفضل كان عامل عمر بن عبد العزيز علىٰ عمان، وثَّقه

ابن معين، وذكره ابن حبَّان في "الثقات".

روىٰ له: أبو داود والنَّسائي هذا الحديث، كما رواه أحمد، وليس له ولا لأبيه في الكتب الستة غير هذا الحديث، ووقع في "سنن النسائي": جابر بن المفضل وهو خطأٌ. حاشية التمهيد (٧/ ٢٢٨-٢٢٩)

٣٤٢ - تصحيحه لخطأ وقع في النسخة «ج» لحديث: «اعدلوا بين أبنائكم»:

قال: في «ج»: «**اعدلوا بين أبنائكم، اعدلوا بن أبنائكم**»، كذا هو في "المسند"، و"سنن" أبي داود والنَّسائي، وحمل الأمر علىٰ الوجوب هو المقرر في علم الأصول، وتكرير الأمر هنا، يدل علىٰ: تأكيد الوجوب.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٢٩)

٣٤٣ - ما قاله عن سعيد بن عثمان، وشيخه إسحاق بن إسماعيل الأيلي:

قال: هو أبو علي بن السَّكن البغدادي، نزيل مصر ولد (سنة ٢٩٤)، وتوفي (سنة ٣٥٣).

قال الذَّهبي: ووقع كتابه "الصَّحيح المنتقىٰ إلىٰ أهل الأندلس".

وشيخه إسحاق بن إسماعيل الأيلي، روىٰ عنه: النَّسائي، وابن ماجه، وابن وارة.

وقال ابن أبي حاتم في "الجرح والتعديل": كتب إلينا ولم يذكر فيه توثيقًا، وهو ثقةٌ علىٰ طريقة ابن حبَّان.

قال ابن يونس: توفي بأيلة في ذي الحجة (سنة ٢٠٨).

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٢٩).

٣٤٤ - تنبيهه على خطأ وقع في النسخة «م»، وهو: قال سفيان: «ونقلت»

قال: كذا في «م»، وفي «ج»: «ونبئت». وهو الصواب.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٢٩)

٣٤٥ - ما قاله عن ملك بن مغول، وشيخه أبي معشر الكوفي:

قال: مِغْوَل بكسر الميم وسكون الغين وفتح الواو، ومالك بن مغول الكوفي، ثقةٌ ثبتٌ عابدٌ صالحٌ، احتجَّ به السِّتة. توفي (سنة ١٥٩).

وشيخه أبو معشر الكوفي: اسمه زياد بن كليب التميمي الحنظلي، ثقةٌ.

روىٰ له: مسلمٌ، وأبو داود، والترمذي، والنَّسائي. توفي (سنة ١٢٠).

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٣٠)

٣٤٦ - تعليقه على خبر: «كانوا يحبون أنْ يسووا بينهم حتى في القُبلة»:

قال: روىٰ عبد الرزَّاق، عن ابن جريج، قال: أخبرني من لا أتهم أنَّ النَّبيَّ ﷺ دعاه رجلٌ من الأنصار، فجاء ابنٌ له فقبَّله وضمَّه وأجلسه إليه، ثمَّ جاءت ابنة له فأخذ بيدها فأجلسها، فقال النَّبيُّ ﷺ: **«لو عدلت كان خيرًا لك، قاربوا بين أبنائكم ولو في القُبَل»**.

ورواه البزَّار عن أنسٍ: أنَّ رجلًا كان عند النَّبيِّ ﷺ، فجاء ابنٌ له فقبَّله وأجلسه علىٰ فخذه، فجأته ابنة له فأجلسها بين يديه، فقال رسول الله ﷺ: **«ألا سويت بينهما؟»**.

رجال إسناده ثقاتٌ إلَّا أنَّ البزَّار قال: حدَّثنا بعض أصحابنا ولم يسمِّه.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٣٠)

٣٤٧ - تعقيبه على ما ذكره المصنف حيث قال: فإذا جاز أن يخرج (جيمع

ولده عن ماله، جاز له أن يخرج):

قال: هذا أحد الأجوبة عن حديث النعمان، وحاصله:

قياس جواز تخصيص الأب بعض ولده بالهبة، وإخراج بعضهم منها على جواز حرمان بعض الأولاد من الهبة بإعطائها لغيرهم، والفرع جواز حرمان بعض الأولاد من الهبة بإعطائها لبعضهم.

قال الحافظ ابن حجر في "فتح الباري": ولا يخفى ضعفه؛ لأنَّه قياسٌ مع وجود النص. اهـ

أي: فيكون فاسد الاعتبار كما تقرَّر في الأصول.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٣٠)

٣٤٨ - تصحيحه لخطأ وقه في السند، حيث قال: «محمد بن راشد»

قال: كذا في «م»، وفي «ج»: أسد، وهو الصَّواب، وابن أسد هذا قرطبيٌّ، من شيوخ المؤلف، أخذ عن ابن السّكن بمصر.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٣١)

٣٤٩ - تعليقه على رجوع بشير بن سعد والد النعمان عن عطيته:

قال الغماريُّ: لأنَّه فهم أنَّ نحلته باطلة، وصاحب القصة أولى بأن يتبع فهمه؛ لأنَّه أدرى بظروفها وملابساتها.

ورواه البخاري من طريق الشَّعبي - أيضًا - بلفظ: قال: «**لا أشهد على جورٍ**».

وكذا عند مسلمٍ من طريق الشعبي - أيضًا -، «**والجور**»: في عرف الشَّرع معناه: الظُّلم وهو حرامٌ.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٣١)

٣٥٠ - توضيحه لمعنى كلمة: «تلجئه»

قال الغماريُّ: «تلجئة» من الإلجاء، وهو الإكراه.

والمعنى: أن أم النعمان ألجأت زوجها أنْ يخص ابنه منها بعطية، ويشهد عليها النبي ﷺ.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٣٢)

٣٥١ - تعليقه على قول المصنف: «على أن حديث جابر، يدل على أن مشاورة سعد لرسول الله ﷺ في هذه القصة إنما كانت قبل الهبة»:

قال الغماريُّ: ذكره الطحاوي، ورد الحافظ ابن حجر: بأنَّ في أكثر الطرق ما ينابذه. اهـ

ومن تأمَّل ألفاظ الحديث في "الصحيحين" وغيرهما، وجدها صريحةً في أنَّ بشيرًا حصلت منه الهبة، قبل مجيئه إلى النَّبيِّ ﷺ ليشهد عليها، بطلبٍ من زوجته، وحديث الترجمة صريحٌ في ذلك أيضًا.

٣٥٢ - تعليقه على ما ذهب إليه الطَّحاوي، حيث قال: حديث جابرٍ أولى من حديث النعمان بن بشير؛ لأنَّ جابرًا أحفظ لهذا المعنى وأضبط له، لأنَّ النعمان كان صغيرًا:

قال: هذا تعليلٌ غير صحيحٍ؛ لأنَّ النعمان - وإنْ كان صغيرًا - هو صاحب القِصَّة، وبسببه ورد الحديث، ولو لم يحفظه لما حدَّث به على منبر الكوفة أمام ملأ من النَّاس، وهو أتقى لله من أنْ يحدِّث عن النَّبيِّ ﷺ بحديثٍ لم يحفظه ولم يتقن ضبطه.

والعبرة عند المحدِّثين بوقت الأداء، لا بوقت التحمُّل. فمتىٰ كان الرَّاوي حين الرِّواية عدلًا ضابطًا قبلت روايته، ولو كان حين التحمُّل صغيرًا، أو كافرًا، أو فاسقًا؛ لأنَّ عدالته الآن تمنعه من رواية ما لم يحسن حفظه، أو لم يتقن ضبطه.

وفي كتب الصِّحاح وغيرها أحاديث عن كثيرٍ من الصَّحابة سمعوها حال صغرهم أو كفرهم، ثم أدُّوها بعد أنْ كبروا وأسلموا.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٣٣-٢٣٤)

٣٥٣ - وعن حديث: «سووا بين أولادكم فلو كنت مؤثرًا أحدًا آثرت النِّساء على الرجال»:

قال: رواه سعيد بن منصور، والطبراني، والبيهقي من حديث ابن عبَّاس.

رووه كلهم من طريق سعيد بن يوسف، عن يحيىٰ بن أبي كثير، عن عكرمة، عن ابن عبَّاس به، لكن ليس فيه كلمة: «علىٰ الرجال».

سعيد بن يوسف هو الرحبي الصَّنعاني من صنعاء دمشق، ضعَّفه أحمد وابن معين والنَّسائي، وذكره ابن حبَّان في "الثقات"، واقتصر الحافظ ابن حجر في "التلخيص" علىٰ تضعيفه، وقال في "فتح الباري": سنده حسنٌ.

وكأنَّه اعتمد توثيق ابن حبان لسعيد.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٣٤)

٣٥٤ - تعليقه على ما ذهب إليه مالك رحمه الله من أن قول النبي ﷺ في حديثه في هذا الباب «فارجعه»، أمر إيجاب لا ندب، وكان يقول: إنما أمره رسول الله ﷺ بذلك؛ لأنه نحله من بين سائر بنيه ماله كله، ولم يكن له مال

غير ذلك العبد:

قال: قال القرطبي في "شرح مسلم": ومن أبعد التأويلات أنَّ النَّهي إنما يتناول من وهب جميع ماله، لبعض ولده كما ذهب إليه سحنون، وكأنَّه لم يسمع في نفس هذا الحديث أنَّ الموهوب كان غلامًا، وأنَّه وهبه له لما سألته الأم الهبة من بعض ماله. وهذا يُعلم منه على القطع أنَّه كان له مال غيره. اهـ

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٣٦)

٣٥٥ - تعليقه على ما ذهب إليه غير مالك ﷺ من العلماء، حيث قيل: وإنما أمَرَه رسول الله ﷺ بردِّ تلك العطيَّة، من أجل ما يولِّد ذلك من العداوة بين البنين:

قال: فيحصل تقاطعٌ بينهم وعقوق والدهم وهما محرمان، وما أدَّى إلى الحرام يكون حرامًا، فتفضيل بعض الأولاد في العطيَّة حرامٌ، وهذا هو الصَّواب ومن أصول مذهب مالك الأخذ بسدِّ الذرائع، وهذا منها.

وتقرر في الأصول: «أنَّ وسيلة الواجب واجبة». والتسوية بين الأولاد في العطيَّة وسيلة إلى أكبر الواجب عليهم فتكون واجبة.

وروى الطبراني في "الأوسط" عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«أعينوا أولادكم على البر، من شاء استخرج العقوق من ولده»**.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٣٦)

٣٥٦ - وعن أبي غطفان بن طريف:

قال: غَطَفَان بفتحات، وطَريف بفتح الطاء المهملة، وأبو غطفان اسمه: سعد، وهو ثقةٌ.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٣٧)

٣٥٧ - تعليقه على قول المصنف: وروى الأسود عن عمر نحو حديث مروان هذا، وحديث مروان هو: «من وهب هبة برى أنه أراد بها الثواب فهو على هبته ...»:

قال: قال سعيد بن منصور: حدَّثنا أبو معاوية: حدَّثنا الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود قال: قال عمر بن الخطاب: «من وهب هبة لذي رحمٍ فهو جائزٌ، ومن وهب هبةً لغير ذي رحمٍ فهو أحقُّ بها ما لم يثب عليها».

وروىٰ عبد الرزَّاق عن معمر، عن الزُّهري، عن ابن المسيب، قال: قال عمر بن الخطاب: «من وهب هبةً يرجو ثوابها، فهي رد علىٰ صاحبها، أو يثاب عليها، ومن أعطىٰ في حقٍّ أو قرابةٍ، أجزنا عطيته».

وروىٰ عبد الرازَّق - أيضًا - قال: أخبرنا سفيان الثوري، عن منصور، عن إبراهيم قال: قال عمر: «من وهب هبةً لذي رحمٍ فليس له أنْ يرجع فيها، ومن وهب هبةً لغير ذي رحمٍ فله أنْ يرجع فيها، إلَّا أنْ يثاب منها».

هكذا عزاه الحافظ الزيلعي في "نصب الراية"، لكن وجدته في "مصنف عبد الرزاق" مرويًّا عن إبراهيم فقط ليس فيه عمر.

وكذلك رواه سعيد بن منصور عن هشيم، عن مغيرة، عن إبراهيم، فقد وَهِمَ الزَّيلعي رحمه الله.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٣٧)

٣٥٨ - وعن حديث: «لا يحل لأحد أن يرجع في هبته إلا الوالد»:

قال: رواه الأربعة بلفظ: «**لا يحلُّ لرجلٍ أنْ يعطي عطيَّةً أو يهب هبةً فيرجع**

فيها، إلَّا الوالد فيما يعطي ولده، ومثل الذي يعطي العطيَّة، ثمَّ يرجع فيها، كمثل الكلب يأكل فإذا شبع قاء، ثمَّ عاد في قيئه». قال الترمذي: حسنٌ صحيحٌ. وصحَّحه ابن حبَّان والحاكم.

ورواه النَّسائي وابن ماجه من طريق عامر الأحول، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدِّه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لا يرجع في هبته إلَّا الوالد من ولده**».

ورواه عبد الرزَّاق عن ابن جريج، عن الحسن بن مسلم، عن طاووس، عن النَّبيِّ ﷺ مرسلًا.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٣٩)

٣٥٩ - وعن قول المصنف: وروي عن علي بن أبي طالب عليه السلام: أنَّ الهبة تجوز وتصح وإنْ لم تقبض. من وجهٍ ضعيفٍ لا نحتج بمثله:

قال: روىٰ عبد الرزَّاق عن الثَّوري، عن جابر، عن القاسم بن عبد الرحمن، أنَّ عليًا وابن مسعود: كانا يجيزان الصَّدقة وإنْ لم تقبض.

وكان معاذ بن جبل وشريح: لا يجيزانها حتىٰ تقبض.

جابر: هو الجعفي، ضعيفٌ جدًا.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٤٠)

٣٦٠ - وعن خبر عمر بن الخطاب: «إن النساء يعطين رغبة ورهبة»:

قال: روىٰ عبد الرزَّاق، عن الثوري، عن سليمان الشيباني، عن محمد بن عبدالله الثقفي، قال: كتب عمر بن الخطاب: أنَّ النِّساء يعطين رغبةً ورهبةً، فأيما امرأة أعطت زوجها فشاءت أنْ ترجع رجعت.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٤١)

٣٦١ - تنبيهه على خطأ وقع في النسخة «م»، وهو: «... فإن فعل ذلك فهو جائز للابن»:

قال: كذا في «م»، وفي «ج»: «حائز» بالمهملة من الحيازة، وهو الصَّواب.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٤١)

٣٦٢ - كلامه على حديث أم كلثوم، أنَّ النَّبيَّ ﷺ أهدى للنجاشي مسكًا، وقال لأهله: «أحسبه مات، فإنْ رجع إلي أعطيتكم منه»:

قال: أم كلثوم بنت أبي سلمة، ربيبة النَّبيِّ ﷺ، وليس لها إلَّا هذا الحديث، رواه ابن أبي عاصم في كتاب "الوحدان".

قال: حدَّثنا الصلت بن مسعود: حدَّثنا مسلم بن خالد، عن موسى بن عقبة، عن أمه، عن أم كلثوم بنت أبي سلمة، قالت: لما تزوَّج النَّبيُّ ﷺ أمَّ سلمة، قال لها: «**إنِّي قد أهديت إلى النجاشي هديةً، ولا أراها إلَّا سترجع إلينا، إنَّ النجاشي قد مات فيما أرى، فإن رجعت فهي لك**»، وكان أهدي إليه حلة وأواقي من مسك قالت: «فكان كما قال».

فرجعت الهدية فبعث إلى كل امرأةٍ من نسائه أوقية من مسك، وأعطى أم سلمة الحلة.

وهكذا رواه أحمد، ومسدد، والطبراني، وابن منده.

وقال الحافظ ابن حجر في "فتح الباري": إسناده حسنٌ.

ورواه ابن حبَّان في "صحيحه" من طريق هشام بن عمار، عن مسلم بن خالد، عن موسى بن عقبة، عن أمه، عن أم كلثوم، عن أم سلمة - فجعله من

مسند أم سلمة -، قال الحافظ ابن حجر: وهو المحفوظ.

قال: وفي سياقه ما يدلُّ على أنَّ المراد بقوله: «هي لك» إنَّها الحلة، لا الهدية.

وبذلك يجاب عن استشكال قوله: «فهي لك»، ثمَّ قسَّم المسك بين النساء. اهـ

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٤٣)

٣٦٣ - ما قاله عن حديث: «ليس لنا مثل السوء العائد في هبته ...»:

قال: رواه البخاري من حديث ابن عبَّاس.

قوله: «**ليس لنا مثل السوء**»، قال الحافظ ابن حجر: أي لا ينبغي لنا معشر المؤمنين أنْ نتصف بصفةٍ ذميمةٍ يشابهنا فيها أخسُّ الحيوانات، في أخس أحوالها، قال الله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النحل: ٦٠]،ولعلَّ هذا أبلغ في الزجر عن ذلك، وأدلُّ على التحريم مما لو قال مثلًا: «لا تعودوا في الهبة».

وإلى القول بتحريم الرجوع في الهبة بعد أنْ تقبض، ذهب جمهور العلماء، إلَّا هبة الوالد لولده، جمعًا بين هذا الحديث وحديث النعمان. اهـ

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٤٤)

٣٦٤ - تصحيحه لخطأ وقع في النسخة «م»، وهو «ابن سبرة»:

قال: كذا في «م»، وفي «ج»: «أبو»، وبعدها بياضٌ مقدار كلمة، والصَّواب: ابن أبي سَبْرة، بفتح السين وسكون الباء الموحدة.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٤٥)

٣٦٥ - تصحيحه لخطأ وقع في النسخة «م»، وهو «إسحاق بن بشير»:

قال: كذا في «م»، وفي «ج»: «بشر»، وهو الصَّواب، وإسحاق بن بشر الكاهلي أبو حذيفة البخاري، صاحب كتاب "المبتدأ"، كذَّابٌ متروكٌ.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٤٥)

٣٦٦ - تصحيحه لخطأ وقع في النسخة «م»، وهو «محمد بن شعبة»:

قال: كذا في «م»، وفي «ج»: سعيد.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٤٦)

٣٦٧ - خطأ وقع في النسخة «م»، وهو «عبدالله بن سعيد بن الحكم»:

قال: كذا في «ج» و «م»، وهو عبدالله بن محمد بن سعيد، ثمَّ عبدالله يروي عن جدِّه سعيد، وسعيد يروي عن عمرو بن أبي سلمة، فقد حصل هنا سقطٌ في الأصلين.

والصَّواب هكذا: حدَّثنا عبدالله بن محمد بن سعيد بن الحكم بن أبي مريم، قال: حدَّثنا جدي، قال: حدَّثنا عمرو بن أبي سلمة.

وعبدالله: ضعيفٌ، وسعيد: ثقةٌ، روىٰ له الستة.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٤٦)

٣٦٨ - تصحيحه لخطأ وقع في النسخة «م»، وهو «عن حارثة بن قدامة»:

قال الغماريُّ: كذا في «م»، وفي «ج»: جارية، وهو الصواب.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٤٦)

٣٦٩ - تصحيحه لخطأ وقع في النسخة «م»، وهو «رواه وهب»:

قال: كذا في «م»، وفي «ج»: وُهَيِّب بالتصغير، وهو الصَّواب.

إذ هو وهيب بن خالد بن عجلان الباهلي مولاهم، أبو بكر البصري الثِّقة

الثَّبت، روىٰ له السِّتة.

توفي (سنة ١٦٩)، وقيل: (سنة ١٦٥)، وعمره (٥٨ سنة).

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٤٧)

٣٧٠ - وعن الضحاك بن قيس:

قال: هذا هو المشهور في اسمه، وقال خليفة: اسمه صخر. وقال ابن حبان في "الثقات": اسمه الحارث.

وحكىٰ المرزباني أنَّ اسمه: حصن، ولُقِّب بالأحنف لميلٍ في رجله، أدرك العهد النبوي، كان يُضرب بحلمه المثل، وهو الذي فتح مرو الروذ.

وكانت إحدىٰ عينيه عوراء، روىٰ ابن السكن عن الخليل بن أحمد، قال: قال رجلٌ للأحنف بن قيس، بم سدت قومك وأنت أحنف أعور؟ قال: بتركي ما لا يعنيني، كما عناك من أمري ما لا يعنيك.

وهذه حكمةٌ عظيمةٌ، فإنَّ تكلُّم الشخص فيما لا يعنيه صفة ذميمة.

روىٰ العقيلي عن أبي هريرة، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**أكثر النَّاس ذنوبًا، أكثرهم كلامًا فيما لا يعنيه**».

وروىٰ الترمذي عن أنسٍ قال: توفي رجلٌ من الصحابة، فقال رجل: أبْشر بالجنة، فقال النبي ﷺ: «**وما يدريك؟ لعلَّه تكلّم فيما لا يعنيه، أو بخل بما لا يغنيه**».

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٤٧)

٣٧١ - تصحيحه لخطأ وقع في النسخة «م»، وهو «الحسين بن رافع»، وكلامه على ابن شبوية:

قال: كذا في «م»، وفي «ج»: «واقد»، وهو الصواب.

وابن شبوية اسمه: أحمد بن محمد بن ثابت، حافظٌ ثقةٌ.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٤٩)

٣٧٢ - تصحيحه لخطأ وقع في النسخة «م»، وهو «إسماعيل بن عياش»:

قال: كذا في «م»، وفي «ج»: عن أبي بكر بن عياش، وهو الصواب، وكذلك هو في "صحيح البخاري".

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٤٩)

٣٧٣ - تصحيحه لخطأ وقع في النسخة «م»، وهو «عبيد الله بن عبد الخالق»

قال: كذا في «م»، وفي «ج»: عبدالله، وهو الصواب، وعبدالله هذا ضعيفٌ.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٤٩)

٣٧٤ - ذكره لباقي طرق حديث: أنَّ رجلًا أتى النَّبيَّ ﷺ فقال: دلني يا رسول الله على عملٍ إذا عملته، دخلت الجنَّة، قال: «لا تغضب»:

قال: بقي من طرق الحديث:

ما رواه عبد الرزَّاق عن معمر، عن الزهري، عن حميد بن عبد الرحمن، عن رجلٍ من أصحاب رسول الله ﷺ قال: قال رجلٌ: أوصني يا رسول الله، قال: «**لا تغضب**»، قال الرجل: ففكرت فيما قال رسول الله ﷺ فإذا الغضب يجمع الشرَّ كله، وكذا رواه أحمد وصحَّحه ابن حبَّان.

وروى أحمد عن عبدالله بن عمرو بن العاص، أنَّه سأل رسول الله ﷺ، ما يباعدني من غضب الله عزَّ وجلَّ؟ قال: «**لا تغضب**»، وفي سنده ابن لهيعة.

لكن رواه ابن حبَّان في "صحيحه" من طريقٍ ليس فيه ابن لهيعة.

وروىٰ أبو يعلي عن ابن عمر قال: قلت يا رسول الله قل لي قولًا وأقلل، لعلِّي أعقله. فقال رسول الله ﷺ: «**لا تغضب**» فأعدت مرتين، كل ذلك يرجع إلىٰ النَّبيِّ ﷺ: «**لا تغضب**».

وروىٰ الطبراني عن أبي الدرداء، قال: قلت: يا رسول الله، دلَّني علىٰ عملٍ يدخلني الجنة، قال: «**لا تغضب ولك الجنة**». إسناده صحيحٌ.

وروىٰ الطبراني - أيضًا - عن سفيان بن عبدالله الثقفي، قال: قلت: يا نبيَّ الله قل لي قولًا أنتفع به وأقلل، لعلي أعقله، فقال نبيُّ الله ﷺ: «**لا تغضب**»، فعاوده مرارًا، يسأله عن ذلك؟ يقول له نبيُّ الله ﷺ: «**لا تغضب**».

وفسَّر النَّبيُّ ﷺ حسن الخلق: بأنَّه ترك الغضب.

روىٰ محمد بن نصر المرورزي في كتاب «الصلاة»، عن العلاء بن الشخير، قال: إنَّ رجلًا أتىٰ النَّبيَّ ﷺ من قبل وجهه، فقال: يا رسول الله أيُّ العمل أفضل؟ قال: «**حسن الخلق**». ثمَّ أتاه عن يمنيه فقال: أيُّ العمل أفضل؟ قال: «**حسن الخلق**». ثمَّ أتاه عن شماله فقال: أيُّ العمل أفضل؟ قال: «**حسن الخلق**». ثمَّ أتاه من بعده - يعني من خلفه - فقال: أيُّ العمل أفضل؟ فالتفت إليه رسول الله ﷺ فقال: «**مالك لا تفقه؟ حسن الخلق، هو ألَّا تغضب إنْ استطعت**». حديثٌ مرسلٌ.

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٤٩-٢٥٠)

٣٧٥ - تعليقه على ما قاله علي بن ثابت:

العقل آفته الإعجاب والغضب والمال آفته التبذير والنهب

قال: قال الله تعالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٦ - ٢٧].

وروى البهيقي عن ابن عمر قال: قال: النَّبيُّ ﷺ: «**الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة**».

وروى ابن عدي والبهيقي، عن أبي الدرداء، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**ومن فقهك رفقك في معيشتك**».

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٥٠)

٣٧٦ - وعن حديث عبدالله بن عمرو بن العاصي: أنه قال: سألت النبي ﷺ، فقلت: يا رسول الله ما يبعدني من غضب الله؟ قال: «لا تغضب».

قال: رواه ابن حبَّان في "صحيحه"، قال: أخبرنا أبو يعلي: أنبأنا أحمد بن عيسى المصري: حدثنا ابن وهب به كما هنا، غير أنَّه قال: ما يمنعني من غضب الله تعالى؟

وفي الباب ما رواه الحكيم الترمذي في "نوادر الأصول"، والبيهقي في "الشعب" من طريق بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جدِّه قال: قلت: يا رسول الله أخبرني بوصيةٍ قصيرةٍ فألزمها، قال: «**لا تغضب يا معاوية بن حيدة، إنَّ الغضب ليفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل**».

(حاشية التمهيد ٧/ ٢٥١).

٤ - تعليقات العلامة السيد عبدالله بن الصديق الغماري

على كتاب

"بداية السُّول في تفضيل الرسول ﷺ"

لسلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام السُّلمي

١- وعن قوله تعالى: ﴿مِنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ الآية :

قال: أي مِن غير واسطة مَلَكٍ، وهم ثلاثة أنبياء علي ما ورد :

أوَّلهم: آدم عليه السلام أخرج أحمد والنَّسائيُّ عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال :أتيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد فجلستُ فقال «يا أبا ذرٍّ هل صَلَّيتَ ؟» قلتُ لا قال «قُمْ فصَلِّ» فقمتُ فصَلَّيتُ ثُمَّ جلستُ ، فقال «يا أبا ذرٍّ تعوَّذْ بالله مِن شَرِّ شياطينَ الإنسِ والجِنِّ» قلتُ يا رسول الله: أو للإنس شياطينُ؟! قال: «نعم»، قلتُ: يا رسول الله، الصَّلاةُ؟

قال «خَيْرٌ موضوعٌ مَن شاء أقلَّ ومَن شاء أكثر»، قلتُ يا رسول الله، فالصومُ؟ قال قَرْضٌ مُجْزِئٌ وعند الله مَزيدٌ» قلتُ: يا رسول الله، فالصَّدَقَةُ؟

قال «أضعافٌ مضاعفةٌ»، قلتُ: يا رسول الله فأيُّها أفضل؟ قال: «جَهْدٌ مِنْ مُقِلٍّ، أو سِرٌّ إلى فَقِيرٍ»، قلتُ: يا رسول الله، أي الأنبياء كان أوَّلُ قال: «آدمُ» قلتُ: يا رسول الله ونبيًّا كان؟ قال: «نعم، نبيٌّ مُكَلَّمٌ». قلتُ: يا رسول الله كم المرسلون؟ قال: «ثلثمائة وبِضْعَةَ عَشَرَ جَمًّا غَفِيرًا» وقال مرَّةً: «وخمسةَ عَشَرَ».

قلتُ: يا رسول الله، أيُّما أُنزلَ عليك أعظمُ؟ قال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]» صحَّحه ابن حِبَّان والحاكم وسلَّمه الذهبيُّ، وهذا ممَّا رواه المسعوديُّ قبل اختلاطه، وفي "تفسير ابن مردوية" بإسنادٍ ضعيفٍ عن أبي ذرٍّ قال: قلتُ: يا رسول الله، أرأيتَ آدمَ أنبيًّا كانَ؟ قال: «نَعَمْ، كَلَّمه اللهُ قُبُلًا» -يعني عَيَانًا- فقال: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]».

وفي "صحيح ابن حِبَّان"، و"مستدرك الحاكم" عن أبي أُمامة رضي الله عنه أنَّ رجلًا قال: يا رسول الله، أنبيًّا كان آدمُ؟ قال: «**نَعَمْ، نبيٌّ مُعَلَّمٌ مُكَلَّمٌ**»، قال: كم بينه وبين نوحٍ؟ قال: «**عَشَرَةُ قُرونٍ**» قال: يا رسول الله، كم كانت الرُّسُلُ؟ قال «**ثلثمائة وخمسة عشر جَمًّا غَفِيرًا**» صحَّحه الحاكم علي شرط مسلمٍ وسلَّمه الذهبيُّ.

والظاهر أنَّ الرجلَ هو أبو ذرٍّ، وللحديثين طُرُقٌ ذكرها الحافظ السيوطيُّ في "أمالية التفسيرية" بشيءٍ مِن التوسُّع.

وثانيهم: موسي عليه السلام قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

وثالثهم: سيِّدنا محمَّدٌ صلى الله عليه وسلم وقد كلَّمهُ اللهُ تعالي في ليلة الإسراء كما هومعلومٌ.

(حاشية بداية السول ص: ٩-١٠)

٢- وعن المفاضلة بين الأنبياء:

قال: يعني قوله تعالى: ﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] فهذا صَريحٌ في أصل المُفاضَلَةِ بين الرُّسُلِ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾ [الإسراء: ٥٥]، وهذا أيضًا صريحٌ، أمَّا حديث «**لا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أنبياءِ الله**».

وفي روايةٍ «**لا تُخَيِّروا بَيْنَ الأنبياءِ**» - وهو بكِلْتا رِوايَتَيْه في الصحيح- فالمراد به النهي عن التفضيل بمُجَرَّد الرأي الذي لا يستند إلي دليلٍ، أو المراد النهي عن التفضيل الذي يُؤدِّي إلي نقص الفضول، أو يُؤدِّي إلي الخصومة

والتنازع، أو النهي عن التفضيل في النبوة نفسها، وهي لا مُفاضلة فيها لقوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقال الحليميُّ: «الأخبار الواردة في النهي عن التخيير إنَّما هي في مجادلة أهل الكتاب وتفضيل بعض الأنبياء علي بعضٍ بالمُخايرة؛ لأنَّ المُخايرة إذا وقعت بين أهل دينين لا يُؤمَن أنْ يَخرُجَ أحدُهما الي الإزراء بالآخَر فيُفْضِي إلي الكُفْر، فأمَّا إذا كان التخيير مُستنِدًا إلي مُقابَلَة الفضائل لتحصيل الرُّجحان فلا يدخل في النهي» اهـ.

وهو حسنٌ جميلٌ، ويؤيِّده سَبَبُ ورُودِ الحديثِ كما يشهدُ له الواقِعُ المَلْمُوسُ؛ فقد وقعتْ منازعاتٌ بين المسلمين والمُبشِّرين أدَّتْ إلي إزراءٍ كبيرٍ ببعض الأنبياء، بسبب التفضيل الذي هو في هذه الحالة مُحَرَّمٌ قَطْعًا.

(حاشية بداية السول ص: ١٠- ١١)

٣- وعن تَضْعِيفِ المُفاضَلَةِ ﴿دَرَجَٰتٍ﴾ ونَكَّرَها تَنْكِيرَ التعظيم:

قال: هو قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، والمراد ببعضهم النبيُّ ﷺ فإنَّ الله فَضَّلهُ مِن وجوهٍ مُتعدِّدةٍ، وبمراتبَ مُتباعِدَةٍ، وفي الإبهام تفخيمٌ لشأنه كنه العلم المُتعيِّن لهذا الوصف المُستغني عن التعيين.

(حاشية بداية السول ص: ١٠- ١١)

٤- وعن حديث «أنا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ ولا فَخْرَ»:

قال: رواه أبو بكر بن أبي عاصمٍ في كتاب "الأدب" له عن عائشة رضي الله عنها عن النبيِّ ﷺ. وروى ابن مَرْدُويَه في "تفسيره" عن ابن عبَّاسٍ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**لَمَّا أُسْري بي إلى السموات...**» فذكر حديث الإسراء بطوله،

وقال في آخره «**فأنا بنِعْمَةِ الله سيِّد وَلَدِ آدَمَ ولا فَخْرَ، وأنا عَبْدٌ مَقْبوضٌ وما عِندَ الله خَيْرٌ وأَبقَى**».

وفي "المستدرك" للحاكم من حديث عائشة أنَّ النبيَّ ﷺ قال «**أنا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وعَليٌّ سَيِّدُ العَرَبِ**». وهو حديثٌ ضعيفٌ خِلافًا لقول الذهبيِّ أنه موضوعٌ.

وأخرج الحارث بن أبي أسامة عن عائشةَ أيضًا قالت: قلتُ: يا رسول الله أنت سَيِّدُ العَرَبِ؟ قال «**أنا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ ولافَخْرَ، وآدَمُ تَحْتَ لِوائي ولا فَخْرَ**» وللحديث طُرُقٌ.

(حاشية بداية السول ص: ١١).

٥- وعن «وبيَدي لِواءُ الحَمْدِ يَوْمَ القِيامَةِ ولا فَخْرَ»:

قال: روىٰ أحمد وابن ماجه والترمذيُّ واللفظُ له، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيامَةِ ولا فَخْرَ وبيَدي لِواءُ الحَمْدِ ولا فَخْرَ، ما مِنْ نَبيٍّ يومئذٍ آدَمُ فمَنْ سِواهُ إلَّا تَحْتَ لِوائي، وأنا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأرضُ ولا فَخْرَ**» حسَّنه الترمذيُّ.

وروىٰ الدارميُّ والترمذيُّ وأبو يَعْلَىٰ وأبو نُعيمٍ والبيهقيُّ، عن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال ارسول الله ﷺ: «**أنا أَوَّلُ النَّاسِ خُروجًا إذا بُعِثوا، وأنا قَائِدُهُمْ إذا وَفَدُوا، وأنا خَطِيبُهُمْ إذا أَنْصَتُوا، وأنا شَافِعُهُمْ إذا حُبِسُوا، وأنا مُبَشِّرُهُمْ إذا أُبْلِسُوا، لِواءُ الكَرَمِ بيَدي، ومَفاتيحُ الجنَّةِ بيَدي، ولِواءُ الحَمْدِ بيَدي، وأنا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ على رَبِّي ولا فَخْرَ، يَطُوفُ عَلَيَّ ألفُ خَادِمٍ كأنَّهُمْ اللُّؤْلُؤ المَكْنُونُ**».

(حاشية بداية السول ص: ١٢).

٦- وعن أنَّ الله أخبرَهُ أنَّه غَفَرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وما تَأَخَّرَ:

قال: حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ١-٢] الآية. نزلت في صُلْحِ الحُدَيْبِيَةِ في ستٍّ مِن الهِجْرَةِ، وكانت إيذانًا وبِشارَةً بفَتْحِ مَكَّةَ والطَّائفِ وغيرهما، وإسنادُ الذَّنْبِ فيها إلى النبيِّ ﷺ مُؤَوَّلٌ لقيام الدليل القاطِعِ على عِصْمَةِ الأنبياءِ عليهم السلام.

واختُلفَ في التأويل على أقوال، أقربها أنَّ الغَفْرَ مَعْناهُ السَّتْر، والسَّتْر إمَّا بين العبدِ والذَّنبِ، وإمَّا بين الذَّنبِ وعذابِه، والمُرادُ هنا الأوَّل، بمعني: ليَغْفِرَ لكَ اللهُ، أي: ليَجْعَلَ بَيْنَكَ وبَيْنَ الذُّنوبِ سَاتِرًا مِن العِصْمَةِ فلا يَحْصُلُ مِنكَ ذَنْبٌ أبدًا لا في الماضي ولا في الحال ولا في الاسْتِقْبال.

(حاشية بداية السول ص: ١٢)

٧- وعن قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا لها»:

قال: وهذا واردٌ في حديثِ الشَّفاعَةِ الطويلِ، وفيه: أنَّ النَّاسَ يَذْهبونَ إلى آدَمَ ونُوحٍ وإبراهيمَ وموسى يَطْلبون الشَّفاعَةَ، فكلٌّ مِنهم يذكرُ أنَّ اللهَ غَضِبَ اليومَ غَضَبًا لم يَغْضَبْ قَبْلَه مِثْلَهُ ولن يَغْضَبَ بعْدَهُ مِثْلَهُ. ثُمَّ يقول «نَفْسي نَفْسي» ويُحيلهم على غيره، حتَّي يأتوا عيسى فيقول لهم «لستُ هُناكُمْ ولكن ائتوا محمَّدًا عبدًا غَفَرَ اللهُ له ما تقدَّم مِن ذَنْبِهِ وما تأخَّرَ» فإذا أتوا النبيَّ ﷺ قال: «**أنا لها أنا لها...**» الحديث.

وهو مُخَرَّجٌ في الكتب الستة وغيرها بألفاظٍ وطُرُقٍ.

(حاشية بداية السول ص: ١٣)

٨- وعن قوله: أنه أوَّلُ شَافِعٍ وأوَّلُ مُشَفَّعٍ:

قال: في "صحيح مسلم" عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيامَةِ، وأَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأرضُ وأَوَّلُ شَافِعٍ وأَوَّلُ مُشَفَّعٍ...».

«مُشَفَّع» بفتح الفاء المشدَّدة: مقبول الشفاعة، وفي حديث الشفاعة الطويل الذي أَشَرْنا اليه آنِفًا أنَّ النبيَّ ﷺ حين يذهبُ للشَّفاعَةِ يَسْتأذِنُ على الله فيأذنَ له، فإذا رأى اللهَ تعالى خَرَّ ساجِدًا، فيدعه اللهُ ما شاءَ ثُمَّ يُقال: «ارْفَعْ رَأْسَكَ محمَّدُ، وقُلْ تُسْمَعْ، وسَلْ تُعْطَ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ...» الحديث.

(حاشية بداية السول ص: ١٣)

٩- وعن واخْتَبأ هُو ﷺ دَعْوَتَهُ شَفَاعَةً لأُمَّتِهِ:

قال: في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «لِكُلِّ نبيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ فتَعَجَّلَ كُلُّ نبيٍّ دَعْوَتَهُ، وإنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتي شَفَاعَةً لأُمَّتي يَوْمَ القِيامَةِ، فهي نائِلَةٌ إنْ شَاءَ اللهُ مَنْ ماتَ مِنْ أُمَّتي لا يُشْرِكُ بالله شَيْـئًا».

وفي مُسْنَدَي أحمد وأبي يعلى عن ابن عبَّاسٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّه لم يَكُنْ نبيٌّ إلَّا لَهُ دَعْوَةٌ تَنَجَّزَهَا في الدُّنيا وإنِّي قد اخْتَبأتُ دَعْوتي شَفَاعَةً لأمَّتي، وأنا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيامَةِ ولا فَخْرَ، وأنا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عنه الأرضُ ولا فَخْرَ، وبيَدي لِواءُ الحَمْدِ ولا فَخْرَ، آدَمُ فمَنْ دُونَهُ تَحْتَ لِوائي ولا فَخْرَ...» الحديث. وهو طويلٌ في ذكر شفاعة الموقف.

وفي "صحيح مسلم" عن أُبيِّ بن كعبٍ رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «أُرْسِلَ إليَّ أنِ اقْرَأِ القُرآنَ على حَرْفٍ، فرَدَدْتُ إليه أنْ هَوِّنْ على أُمَّتي، فرَدَّ إليَّ الثَّانيةَ اقْرَأهُ على حَرْفينِ، فرَدَدْتُ إليه أنْ هَوِّنْ على أُمَّتي، فرَدَّ إليَّ الثَّالثَةَ اقْرَأهُ على سَبْعَةِ

أحْرُفٍ، فلك بكُلِّ رَدَّةٍ رَدَدْتُكَهَا مَسْأَلَةٌ تَسْأَلُنِيها، فقلتُ: اللهُمَّ اغْفِرْ لأُمَّتِي، اللهُمَّ اغْفِرْ لأُمَّتِي، وأَخَّرْتُ الثَّالثةَ ليوْمٍ يَرْغَبُ إليَّ الخَلْقُ كُلُّهُمْ، حتَّى إبراهيمُ عليه السلام».

وفي مسانيد البزَّار وأحمد وأبي يعلىٰ عن أبي سعيدٍ الخدريِّ قال: قال رسول الله ﷺ «كُلُّ نبيٍّ قدْ أُعْطِيَ عَطِيَّتَهُ فتَنَجَّزَها وإنِّي اخْتَبأْتُ عَطِيَّتي شَفَاعَةً لأُمَّتي». إسناده حسنٌ.

وفي هذا المعني أحاديث كثيرة عن عبدالله بن عمرو وعُبادة بن الصَّامِت ومُعاذٍ وأبي موسىٰ وعوف بن مالكٍ الأشجعيِّ وعبدالرحمن بن أبي عقيل وغيرهم.

وهي كلُّها تُفيد رحمة النبيِّ ﷺ بأُمَّته وإيثاره إيَّاهم علىٰ نَفْسِهِ ودعاءه لهم في كلِّ مُناسبةٍ تَعْرِضُ له، بل بلغَ مِن شَفَقَتِهِ عليهم أن أخذه البكاءُ في بعض الأحيان كما ثبت في "صحيح مسلم" عن ابن عمر أنَّ رسولَ الله ﷺ تلا قول إبراهيم: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦].

وقول عيسىٰ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨] فرفع يديه وقال «أُمَّتي أُمَّتي» ثُمَّ بكىٰ، فقال الله تعالي: «يا جبريلُ، اذهبْ إلى محمَّدٍ فقُلْ لَهُ إنَّا سَنُرْضِيكَ في أُمَّتِكَ ولا نَسُوءُكَ». فصَلَّىٰ اللهُ وسَلَّمَ وباركَ عليه، وجَزاهُ عنَّا أفضل ما جَزَىٰ نبيًّا عن أُمَّته.

(حاشية بداية السول ص: ١٤ - ١٥)

١٠ - وعن قوله تعالى: في قوله: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢]:

قال: أخرج ابن جريرٍ، عن ابن عبَّاسٍ قال: «ما خَلَقَ اللهُ وما بَرَأَ وما ذَرَأَ

نَفْسًا أكرمَ عليه مِن محمَّدٍ ﷺ، وما سمعتُ اللهَ أقسمَ بحياةِ أَحَدٍ غيره.

قال الله تعالىٰ: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الحجر: ٧٢].

يقول: وحياتِك وعُمرِكَ وبقائِكَ في الدُّنيا». وقال ابن القيِّم في "التبيان": «أكثر المُفَسِّرين مِن السَّلَفِ والخَلَفِ بل لا يُعْرَفُ عن السَّلَفِ فيه نِزاعًا أنَّ هذا قَسَمٌ مِن الله تعالىٰ بحياة رسولِهِ ﷺ، وهذا مِن أعظم فضائلِه، أنْ يُقْسِمَ الرَّبُّ عَزَّ وجَلَّ بحياتِهِ، وهذه مَزِيَّةٌ لا تُعْرَفُ لغَيرِهِ، ولم يُوفَّقِ الزَّمخشريُّ لذلك، فصرفَ القَسَمَ إلىٰ أنَّه بحياةِ لُوطٍ، وأنَّه مِن قول الملائكةِ، فقال: هو علىٰ إرادة القول أي: قالت الملائكة للوط عليه السلام: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ وليس في اللَّفظِ ما يدلُّ علىٰ واحِدٍ مِن الأمرين، بل ظاهِرُ اللَّفظِ وسِياقُهُ إنَّما يدلُّ علىٰ ما فَهِمَهُ السَّلَفُ».اهـ

ومعنىٰ الآية بإجمال ﴿ لَعَمْرُكَ ﴾ أي وحياتِك ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي قَوْمَ لُوطٍ أو قُريشًا ﴿لَفِي سَكْرَتِهِمْ﴾ أي صلاتهم، أو عِشْقِهم قال الشَّاعِرُ.

سُكْرَانِ سُكْرُ هَوًىٰ وسُكْرُ ... أَنًىٰ يُفِيقُ فَتًىٰ بِهِ سُكْرَانِ

﴿يَعْمَهُونَ﴾ يَتَحَيَّرونَ، أو يَتردَّدونَ.

(حاشية بداية السول ص: ١٥)

١١- وعن قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾:

قال: قال: الحافظ أبو نُعيمٍ في كتاب "دلائل النبوة": «ومِن فَضائِلِهِ إخبارُ الله عَزَّ وجَلَّ عن إجلال قَدْرِ نبيِّه ﷺ وتَبْجيلِهِ وتَعْظيمِهِ، وذلك أنه ما خاطَبَهُ في كتابِهِ ولا أخبرَ عنه إلَّا بالكِنايةِ التي هي النبوَّةُ والرِّسالَةُ التي لا أجلَّ مِنها فَخْرًا ولا أعظمَ خَطَرًا وخاطَبَ غَيرَهُ مِن الأنبياءِ وقَوْمِهِمْ وأخْبَرَ عنهُمْ

بأسمائِهِمْ، ولم يَذْكُرْهُمْ بالكِنايَةِ التي هي غايةُ المَرتبةِ، إلَّا أنْ يكونَ الرَّسولُ ﷺ في جُمْلَتِهِمْ بمُشارَكتِهِ مَعَهُمْ في الخِطابِ والخبرِ، فأمَّا في حال الانفرادِ فما ذَكَرَهُمْ إلَّا بأسمائهم...».

وذكر جُمْلَةً مِن الآيات في نداء الأنبياء والخبر عنهم، ثُمَّ قال: «فكُلُّ مَوْضِعٍ ذَكَرَ محمَّدًا باسْمِهِ أضافَ إليه ذِكْرَ الرِّسالَةِ فقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩]، ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [محمد: ٢]، فسمَّاه ليَعْلَمَ مَنْ جَحَدَهُ أنَّ أَمْرَهُ وكِتابَهُ هو الحَقُّ، ولأنَّهم لا يَعْرِفُوه إلَّا بمُحَمَّدٍ...» إلى أن قال: «ثُمَّ جَمَعَ في الذِّكْرِ بين اسمِ خَلِيلِهِ ونَبيِّه فسَمَّى خَليلَهُ باسْمِهِ وكَنَّى حَبيبَهُ بالنُّبوَّة فقال: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ﴾ [آل عمران: ٦٨] فكنَّاه إجلالًا له، ورفعة لفضل مرتبته ونباهته عنده، ثُمَّ قدَّمه في الذِّكر على مَن تَقَدَّمَهُ في البَعْثِ فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ [الأحزاب: ٧] الآية.

ثُمَّ أسندَ عن الحسن عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ﴾ قال: «كُنْتُ أَوَّلَ النَّبيينَ في الخَلْقِ وآخِرَهُمْ في البَعْثِ».اهـ مُختصَرًا.

وفي إسناد الحديث المذكور ضَعْفٌ، لكن ورَدَ مِن طريقٍ آخَر عن قتادة

مُرسلًا بإسنادٍ صحيحٍ.

ورَوَىٰ البزَّارُ عن أبي هريرةَ في الآية قال: «خِيارُ وَلَدِ آدَمَ خَمْسَةٌ نُوحٌ وإبراهيمُ وموسىٰ وعيسىٰ ومحمَّدٌ صلواتُ الله وسلامُه عليهم أجمعين، وخَيْرُهُمْ محمَّدٌ ﷺ».

وممَّا يتصل بهذه الخصيصه ويُناسبها أنَّ الله تعالىٰ نهانا أن نُناديه باسمِه مُجَرَّدًا عن التعظيم، قال أبو نعيمٍ: «ومِن فضائله ﷺ أنَّ النَّاسَ نهاهم اللهُ عَزَّ وجَلَّ أنْ يُخاطِبوا رسولَهُ باسْمِهِ وأخبرَ عن سائرِ الأُمَمِ أنهم كانوا يُخاطِبونَ رُسُلَهُمْ بأسمائهم كقولهم: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ [المائدة: ١١٢]، ﴿يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ [هود: ٥٣]، ﴿يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا﴾ [الأعراف: ٧٧]، وقال: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣].

فنَدَبَهُمْ اللهُ تعالىٰ إلىٰ تَكْنيته بالنبوَّةِ والرِّسالةِ تَرْفيعًا لمَنْزِلَتِهِ وتَشْريفًا لمَرْتبتِه، خَصَّهُ اللهُ بهذه الفَضِيلَة مِن بَيْنِ أنبيائِه ورُسُلِهِ».اهـ مُختصَرًا.

وروىٰ ابنُ أبي حاتمٍ وابن مَرْدُويَه وأبو نُعيمٍ، عن ابن عبَّاسٍ في الآية قال: كانوا يقولون يا محمَّدُ، يا أبا القاسِمِ، فنهاهُم اللهُ عن ذلك إعظامًا لنبيِّه ﷺ، قال: فقالوا: يانبيَّ الله، يا رَسُولَ الله.

وروىٰ ابن جريرٍ، عن مجاهد ﴿كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ قال أمرهم أن يدعوا: يا رسول الله في لِينٍ وتواضُعٍ، ولا يقولوا يا محمَّدُ، في تَجَهُّمٍ.

ورواه ابن أبي شيبة وعبد بن حُميد وابن المُنذر وابن أبي حاتمٍ بطُرُقٍ.

وروىٰ عبدالرزَّاق وعبد بن حميد وابن المُنذِر وابنُ أبي حاتمٍ، عن قتادة في الآية قال: «أمَرَ اللهُ أنْ يُهابَ نَبيُّه وأنْ يُبَجَّلَ وأنْ يُعَظَّمَ وأنْ يُفَخَّمَ وأنْ يُشَرَّفَ».

وروى عبد بن حميد، عن عكرمةَ في الآية قال: «لا تقولوا يا محمَّدُ، ولكن قولوا يا رسولَ الله». وقال سعيد بن جُبيرٍ والحسن البصريُّ مِثل ذلك رواه عنهما عبد بن حميد أيضًا.

وقال مُقاتل في الآية: «يقول لا تُسَمُّوه إذا دَعَوْتُموه يا محمَّدُ، ولا تقولوا: يا ابن عبدالله، ولكن شَرِّفُوه فقولوا: يانبيَّ الله، يا رسول الله».

وقال زيد ابن أسلم في الآية أيضًا: «أمرهم اللهُ أنْ يُشَرِّفُوه». قال ابن كثيرٍ: «هذا قول وهو الظاهر مِن السِّياق كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا ﴾ [البقرة: ١٠٤] الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ [الحجرات: ٢] الآية.

فهذا مِن باب الأدبِ في مُخاطَبةِ النبيِّ ﷺ والكلامِ معه وعنده، كما أُمروا بتقديم الصَّدَقَةِ قبل مُناجاتِهِ».اهـ

وهذا القولُ هو الرَّاجِحُ مِن وُجُوهٍ، بيَّنها شَقِيقُنا الحافِظُ أبو الفَيْضِ في كتاب "تَشْنِيف الآذَان" فليراجَع.

(حاشية بداية السول ص: ١٦ - ١٨)

١٢ - وعن معجزة بقاء القرآن الكريم:

قال: في الصحيح عن أبي هريرة قال: قال النبيُّ ﷺ: **«ما مِنَ الأنبياءِ نبيٌّ إلَّا أُعْطِيَ مِنَ الآيات ما مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ، وإنَّما كانَ الذي أُوتِيتُهُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللهُ إليَّ، فأَرْجُوا أنْ أكونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ القِيامَةِ»**.

قالَ العلماءُ ليس المُرادُ مِن الحديثِ حَصْرَ مُعجزاتِهِ في القُرآنِ، وأنه لم يُؤْتَ غيره، وإنما المرادُ أنَّ القُرآنَ مُعجزتُه العُظْمَى، وأنه باقٍ مُسْتَمِرٌّ لا يَنقَرِضُ ولا

يَدْخُلُهُ نَقْصٌ ولا تَبْديلٌ، ولهذا رجا أنْ يكونَ أكثرَ الأنبياءِ تابِعًا يومَ القِيامَةِ، وقد حَقَّقَ اللهُ رجاءَهُ فجعل أُمَّتَهُ أكثرَ الأُمَمِ ﷺ.

(حاشية بداية السول ص: ١٩)

١٣- وعن تَسْلِيمُ الحَجَرِ عَلَيْهِ، وحَنِينُ الجِذْعِ للنبي ﷺ:

قال: أمَّا تَسْلِيمُ الحَجَرِ ففي "صحيح مسلم" عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بمَكَّةَ كانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أنْ أُبعَثَ، إنِّي لأَعْرِفُهُ الآنَ». وفي الباب أحاديث أُخرَىٰ.

وأمَّا حَنينُ الجِذْعِ فرواه الشيخان عن سهل بن سعدٍ. والبُخاريُّ وأحمد عن جابر وابن عمر. والدراميُّ وأحمد وابن ماجه عن ابن عبَّاسٍ.

والدرامي عن أبي سعيدٍ وبُريدةَ. وأحمد والترمذيُّ وابن ماجه عن أنسٍ. والبيهقيُّ في الدلائل عن أُمِّ سَلَمَةَ. والشافعيُّ وأحمد والدراميُّ وابنُ ماجه وأبو يَعْلَىٰ وسعيدُ بن منصورٍ عن أُبيِّ بن كعبٍ.

والطبرانيُّ في "الأوسط" وأبو نُعيمٍ في "الدلائل" عن عائشةَ. والزبير بن بكَّار في "أخبار المدينة" عن المُطَّلب بن أبي وَدَاعَةَ.

قال عَمْرو بن سَوَادٍ: «قال لي الإمامُ الشَّافِعيُّ: ما أَعْطَىٰ اللهُ تعالىٰ نبيًّا ما أَعْطَىٰ محمَّدًا ﷺ قلتُ أَعْطَىٰ عيسىٰ إحياءَ المَوْتَىٰ، فقال: أَعْطَىٰ محمَّدًا حنينَ الجِذْعِ، فهذا أكبرِ من ذلك»، رواه البيهقيُّ وغيرُه.

(حاشية بداية السول ص: ١٩- ٢٠)

١٤- وعن معجزة تفجير الماءِ مِن بَيْنِ أَصَابِع النبي ﷺ:

قال: تَعَدَّدَتْ قِصَّةُ تَفْجير المَاءِ مِن بَيْنِ أَصَابِعِهِ ﷺ في الحَضَرِ والسَّفَرِ،

ففي روايةٍ مِنها أنَّ الذين شَربوا وتَوضَّأوا مِن ذلك الماء كانوا ألفًا وأربعمائة، وهذه رواية جابر بن عبدالله في "صحيح البخاريِّ".

وفي روايةٍ أُخرىٰ أنهم كانوا زُهاء ثلاثمائة، وهذه رواية قتادة عن أنسٍ في الصحيحين.

وفي أُخرىٰ أنهم كانوا ما بَيْنَ السبعين إلىٰ الثمانين وهذه رواية ثابتٍ، عن أنسٍ في الصحيحين أيضًا.

ورواها البخاريُّ مِن طريق الحسن عن أنسٍ، ومِن طريق حُميدٍ عنه وفيها أنهم كانوا ثمانين وزيادة.

ورواها كثيرٌ مِن الصحابة الذين شاهدوها مِثل عبدالله بن مسعودٍ والبراء ابن عازبٍ وأبي قتادة وابن عبَّاسٍ وأبي ليلىٰ الأنصاريِّ وأبي رافعٍ وأبي عمرة الأنصاريِّ وعِمران بن حُصَينٍ وزياد بن الحارث الصُّدائيِّ وحِبَّان- بكسر الحاء علي المشهور- بن بُحّ- ، بضم الموحَّدة وتشديد المُهملة وغيرهم.

قال أبو نُعيمٍ الحافظ: «هذه الآيةُ مِن أعجب الآيات أُعجوبةً وأَجَلِّها مُعجزةً وأبلغها دلالةً، شاكَلَتْ دلالةَ موسىٰ في تفجير الماء مِن الحَجَرِ حين ضربه بعصاه، بل هذا أبلغُ في الأعجوبة؛ لأنَّ نَبْعَ الماءِ مِن بين اللَّحْمِ والعَظْمِ أعجبُ وأعظمُ مِن خُروجِه مِن الحَجَرِ؛ لأنَّ الحَجَرَ سِنْخٌ مِن أَسْناخِ الماءِ [السِّنْخُ: الأصلُ مِن كلِّ شيءٍ] مَشهورٌ في المعلومِ مذكورٌ في المُتعارَف.

وما رُوي قطُّ ولا سُمعَ في ماض الدُّهور بماءٍ نَبَعَ وانفجرَ مِن آحاد بني آدمَ حتَّىٰ صَدَرَ عنه الجَمُّ الغَفيرُ مِن النَّاسِ والحيوانُ رواء، وانفجارُ الماء مِن الأحجارِ ليس بمُنْكَرٍ ولا بديعٍ، وتَفْجيرُه بين الأصابع مُعْجِزٌ بديعٌ». اهـ

(حاشية بداية السول ص: ٢٠)

١٥ - وعن معجزة رَدَّ العَيْنَ بعدَ أنْ سَالَتْ على الخَدِّ:

قال: أخرجَ أبو يَعْلَىٰ وأبو نُعيمٍ مِن طريق عاصم بن عمر بن قتادة، عن أبيه، عن جَدِّه قتادة أنه أُصيبتْ عَيْنُه يومَ أُحُدٍ فسَالَتْ حَدَقَتُهُ علىٰ وَجْنَتِهِ، فأرادوا أن يَقْطَعُوها فسألوا النبيَّ ﷺ فقال «لا»، فدَعا به فغَمَزَ عَيْنَهُ براحِتِه، فكانَ لا يَدْري أيَّ عَيْنَيْهِ أُصيبت.

وروىٰ البيهقيُّ عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ، عن قتادة بن النُّعمان -وكان أخاه لأُمِّه- أنَّ عَيْنَهُ ذَهَبَتْ يومَ أُحُدٍ فجاءَ بها إلىٰ النبيِّ ﷺ فرَدَّهَا فاسْتَقامَتْ. قال البيهقيُّ: «وذَكَرَ الواقديُّ مِثله وزادَ: «فكانت أقوي عَيْنَيْه وأصَحَّهُما بعد أن كَبِرَ».

وروىٰ عبدالله بن إدريس، عن محمَّد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر، عن قتادة، عن جابر بن عبدالله قال: أُصيبتْ عَيْنُ قتادةَ بن النُّعمان يومَ أُحُدٍ، وكانَ قريبَ عَهْدٍ بعُرْسٍ، فأتَىٰ النبيَّ ﷺ فأَخَذَها بيَدِهِ فرَدَّها فكانتْ أحسنَ عَيْنَيْهِ وأَحَدَّهُما نَظَرًا.

ولهذه القِصَّةُ طُرُقٌ، ووَرَدَ أنَّها أُصيبت يومَ بَدْرٍ، وقيل يومَ الخَنْدق، قال الحافظ ابن عبد البر: «الأصحُّ -والله أعلم- أنَّ عينَ قتادةَ أُصيبَتْ يومَ أُحُدٍ».اهـ

وذَكَرَ الأصمعيُّ أنَّ رجلًا مِن وَلَدِ قتادةَ ابن النُّعمان وَفَدَ علىٰ عمر بن عبدالعزيز فسَأَلَهُ عمرُ ممَّن الرَّجلُ؟ فقال:

أنا ابنُ الذي سَالَتْ عَلَىٰ الخَدِّ عَيْنُـهُ ... فَرُدَّتْ بكَفِّ المُصْطَفَىٰ أَحْسَنَ الـرَّدِّ

فعَـادَتْ كَـمَا كَانَـتْ لأَوَّلِ أَمْرِهَـا فيَاحُسْنَ ما عَيْنٍ ويا حُسْنَ مـا رَدِّ

فقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه:

هَذِي المَكَارِمُ لاقَعْبَـانَ مِـنْ لَـبَنٍ شِـيبَا بـمَاءٍ فعَـادَا بَعْـدُ أَبْـوالَا

(تنبيه): وَقَعَ لأبي ذرٍّ رضي الله عنه مِثل قصَّةِ قتادةَ فروَىٰ أبو يَعْلَىٰ مِن طريق عبدالرحمن بن الحارث بن عُبيدة، عن جَدِّه قال: أُصيبت عَيْنُ أبي ذرٍّ يومَ أُحُدٍ فبزَقَ فيها النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم فكانتْ أَصَحَّ عَيْنَيْهِ.

ويقربُ مِن هذا ما رواه ابنُ أبي شيبةَ والبغويُّ وابنُ السَّكَن والطبرانيُّ وأبو نُعيمٍ مِن طريق عبدالعزيز بن عمر بن عبد العزيز: حدَّثني رجلٌ مِن بني سَلَامَان بن سَعْدٍ، عن أُمِّه: أنَ خالَها حَبيبَ بن فُوَيْكٍ- بالواو أو الدَّال أو الرَّاء مُصَغَّرًا- حدَّثها أنَّ أباه خرجَ به إلىٰ النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وعَيناهُ مُبْيَضَّتانِ لا يُبْصِرُ بهما شيئًا فسألهُ ما أَصابَهُ؟ قال: إنِّي كنتُ أُمَرِّنُ جَمَلًا لي فوضَعْتُ رِجْلِي عَلَىٰ بَيْضِ حَيَّةٍ فأُصِبْتُ ببَصَري، فنَفَثَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم في عَيْنَيْهِ فأبصَرَ، قال: فرأيتُه يُدْخِلُ الخَيْطَ في الإبرةِ وإنَّه لابن ثمانينَ سنةٍ، وإنَّ عَيْنَيْهِ لَمُبْيَضَّتَانِ.

(حاشية بداية السول ص: ٢١-٢٢)

١٦- وعن المَواتَ الذين أَحْيَاهُم:

قال: أي النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم فإنه أحيا بالإيمانِ أُمَمًا لا تُحصىٰ، وما أحياهُ عيسىٰ عليه السلام مِن موتىٰ الأبدانِ لا يَتجاوزُ عَدَدَ أصابع يدٍ واحِدَةٍ، علىٰ أنه صَحَّ إحياءُ الموتَىٰ لأفرادٍ مِن أُمَّةِ النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، وذلك مُضافٌ إلىٰ جُمْلَةِ مُعْجِزَاتِهِ، وقد ذَكَرتُ شيئًا مِن ذلك في كتابنا "الحُجَجُ البيِّناتِ في إثباتِ الكَرَامَاتِ" فليراجَع، ولابن أبي الدُّنيا جزء "من عاش بعد الموت" وهو مطبوعٌ.

(حاشية بداية السول ص: ٢٢)

١٧- وعن قوله صلى الله عليه وآله وسلم «مَنْ دَعَا إلى هُدًى كانَ لَهُ أَجْرُهُ وأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهِ إلى يَوْمِ القِيامَةِ»:

قال: أحمد ومسلمٌ والأربعة مِن حديث أبي هريرة بلفظ: «مَنْ دَعَا إلى هُدًى كانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلَ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لا يَنْقُصُ ذلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، ومَنْ دَعَا إلى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلَ آثامِ مَنْ تَبِعَهُ لا يَنْقُصُ ذلِكَ مِن آثامِهِمْ شَيْئًا».

(حاشية بداية السول ص: ٢٣)

١٨- و عن حديث: «أنَّ الخَلْقَ عِيالُ الله، فأَحَبُّهُمْ إليه أَنفَعُهُمْ لِعيالِهِ»:

قال: أبو يَعْلَى والبزَّار والطبرانيُّ والحارثُ بن أبي أسامة وأبو نُعيمٍ والبيهقيُّ وغيرهم، عن أنسٍ مرفوعًا بلفظ: «الخَلْقُ كُلُّهُمْ عِيالُ الله، فأَحَبُّهُمْ إلى الله أَنْفَعُهُمْ لعِيالِهِ». وإسنادُه ضعيفٌ.

ورواه الطبرانيُّ في "الكبير" و"الأوسط" وأبو نعيمٍ في "الحلية" والبيهقيُّ في "الشعب" عن ابن مسعودٍ بلفظ «الخَلْقُ كُلُّهُمْ عِيالُ الله، فأَحَبُّ الخَلْقِ إلى الله مَنْ أَحْسَنَ إلى عِيالِهِ». وإسنادُه جَيِّدٌ.

ورواه الديلميُّ في "مسند الفردوس" عن أبي هريرةَ بلفظ «الخَلْقُ كُلُّهُمْ عِيالُ الله تَحتَ كَنَفِهِ، فأَحَبُّ الخَلْقِ إلى الله مَنْ أَحْسَنَ إلى عِيالِهِ»، وفي الباب غيره.

وقال أبو العتاهية مُقتبِسًا:

عِيالُ الله أَكْرَمُهُمْ عَلَيْهِ ... أَبَثُّهُمُ المَكارِمَ في عِيالِه

ولم تَـرَ مُثْنِيًـا مِـن ذِي فِعـال عَلَيْـه قَـطُّ أفْصَـح مِـنْ فِعالِـهِ

قال العسكريُّ في معنى الحديث: «مخرج هذا الكلام على المجاز والتوسُّع كأنَّ الله لَمَّا كان المُتضَمِّنُ بأرزاق العِبادِ، والكافِل بهم كانو كالعيال له».اهـ

قلتُ: لا داعي إلى ارْتِكَابِ المَجَازِ؛ فإنَّ مَعْنَى العِيال: الفُقَراءُ، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ [التوبة: ٢٨] أي فَقْرًا وقال: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا﴾[الضحى: ٨] أي فَقِيرًا. ولا شَكَّ أنَّ الخَلْقَ كُلَّهم فُقَرَاءُ لله ومُحتاجُونَ إليه.

(حاشية بداية السول ص: ٢٣- ٢٤)

١٩- وعن بكاء موسى عليه السلام ليلةَ الإسراءِ:

قال: ثَبَتَ هذا في حديث الإسراء المُخَرَّج في "الصحيحين" وغيرهما مِن طُرُقٍ.

(حاشية بداية السول ص: ٢٥)

٢٠- قال: بل لو كان موسى عليه السلام ممَّن يجوزُ عليهم الحسدُ في الحياة لما جازَ عليه وهو في عالمٍ لا حَسَدَ فيه ولا أحقاد، وممَّا يؤيِّد إبعاد فِكْرَةِ الحَسَدِ نهائيًّا: أنَّ موسى عليه السلام كان في تلك الليلة مُشْفِقًا على أُمَّةِ النبيِّ ﷺ داعِيًا له التخفيف عنهم عِدَّة مَرَّاتٍ، حتَّى قال له النبيُّ ﷺ «**لقد راجَعْتُ رَبِّي حتَّى اسْتَحَيْتُ مِنْهُ**». وليس مِن طبيعة الحاسِدِ النُّصْحُ والإشْفاقُ.

(حاشية بداية السول ص: ٢٥)

٢١- وعن كُلِّ نبيٍّ إلى قَوْمِهِ خاصَّةً، وأرسلَ نبيَّنا ﷺ إلى الأنسِ والجِنِّ:

قال: هذا ثابتٌ بالنصِّ والإجماعِ القاطعَيْن، وهل أُرسل ﷺ إلى الملائكة؟ اختُلفَ في ذلك على قولَيْن:

أحدهما: أنه لم يُرسَلْ إليهم، جَزَمَ به البيهقيُّ والحليميُّ مِن الشافعية، ومحمودُ بن حمزة الكرمانيُّ مِن الحنفية في كتابه "العجائب والغرائب"، ونقلَ البرهان النَّسَفيُّ والفخر الرازيُّ الإجماعَ عليه في تفسيريهما، وجزمَ به مِن المتأخِّرين الحافظ العِراقيُّ في "نكته على ابن الصلاح"، والجلال المحليُّ في "شرح جمع الجوامع".

والقول الثاني: أنه أُرسلَ إليهم، وهذا القولُ رَجَّحَهُ تقيُّ الدِّين السُّبكيُّ، والحافظ السيوطيُّ، زاد التقيُّ السُّبكيُّ: أنه مُرسَلٌ إلى جميع الإنبياء والأُمَمِ السَّابقة، وأنَّ قوله عليه السلام: «**بُعِثْتُ إلى النَّاسِ كَافَّةً**» شامِلٌ لهم مِن لَدُن آدمَ إلى قِيام السَّاعَةِ، ورَجَّحَهُ البارزيُّ وزادَ أنه مُرسَلٌ إلى جميعِ الحيواناتِ والجَمادِ، واستدلَّ على ذلك بشهادةِ الضَّبِّ له بالرِّسالة، وشهادةِ الشَّجَرِ والحَجَرِ له، قال الحافظ السيوطيُّ وأزيد على ذلك أنه مُرسَلٌ إلى نَفْسِهِ. اهـ

قلتُ: حديثُ شهادَةِ الضَّبِّ ضعيفٌ، لكن ثَبتتْ شهادةُ الذِّئبِ والجَمَلِ والشَّجَرِ والحَجَرِ، وأقوى ما يُستدلُّ به على إرساله للملائكة قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٢٩].

قال الحافظ السيوطيُّ: «فهذه الآيةُ إنذارٌ للملائكَةِ على لسانِ النبيِّ ﷺ في القُرآنِ الذي أُنزلَ عليه، وقد قال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩] قال: فثَبَتَ بذلك إرسالُه إليهم».اهـ.

وراجِعْ كتابَه "تزيين الأرائك في إرسال النبيِّ ﷺ إلى الملائِك" وهو مطبوعٌ ضمن كتاب "الحاوي للفتاوي".

(حاشية بداية السول ص: ٢٥ - ٢٦)

٢٢- وعن كلام الله لنبيِّنا ﷺ عند سِدْرَةِ المُنتهَى:

جاءَ في بَعْضِ طُرُقِ حديثِ الإسراء مِن حديثِ أنسٍ قوله ﷺ «**ثُمَّ صُعِدَ بي فوقَ سَبْعِ سَمَواتٍ وأتيتُ سِدْرَةَ المُنتهَى، فغَشِيتْني ضَبابَةٌ خَرَرْتُ ساجِدًا، فقيل لي: إنِّي يَوْمَ خَلَقْتُ السَّمَواتِ والأرضَ فَرَضْتُ عَلَيْكَ وعلى أُمَّتِكَ خَمْسينَ صَلَاةً...**» الحديث. رواه النَّسائيُّ.

وفي روايةٍ أُخرىٰ مِن حديث أنسٍ أيضًا: «**ثُمَّ انطلقَ بي حَتَّى انتهى إلى الشَّجَرَةِ -يعني السِّدْرة- فغَشِيَتْني سَحَابةٌ فيها مِن كلِّ لونٍ، فرَفَضَني جبريل- أي تركني- وخَرَرْتُ ساجِدًا لله، فقال اللهُ لي: يا محمَّدُ، إنِّي يوم خَلَقْتُ السَّمواتِ والأرضَ فَرَضْتُ عليكَ وعلى أُمَّتِكَ خمسين صَلاةً، فقُمْ بها أنتَ وأُمَّتُكَ ثُمَّ انجَلَتْ عنِّي السحابةُ وأخذ بيدي جبريلُ...**» الحديث رواه ابن أبي حاتمٍ وغيره.

(حاشية بداية السول ص: ٢٦- ٢٧)

٢٣- وعن قوله صلى الله عليه وآله وسلم «نحنُ الآخِرونَ مِنْ أهْلِ الدُّنيا والأوَّلون يومَ القِيامَةِ المَقْضِيُّ لهم قَبْلَ الخَلائقِ... الحديث:

قال: وفي "صحيح مسلم" عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «**نحنُ الآخِرونَ مِن أَهْلِ الدُّنيا، والأوَّلونَ يَوْمَ القِيامَةِ، المَقْضِيُّ لهم قَبْلَ الخَلائِقِ**».

وفي "أوسط معاجم الطبرانيِّ" بسندٍ حسنٍ عن عمر رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**الجنَّةُ حُرِّمَتْ على الأنبياءِ حَتَّى أَدْخُلَها، وحُرِّمَتْ على الأُمَمِ حَتَّى تَدْخُلَها أُمَّتي**». وفيه مِن حديث ابن عبَّاسٍ نحوه.

(حاشية بداية السول ص: ٢٧)

٢٤- وعن ذَكَرَ السُّؤْدَدَ مُطْلَقًا فقد قَيَّدَهُ بيومِ القِيامَةِ:

قال: ورَدَ حديثُ السِّيادة مُقَيَّدا بيوم القِيامَةِ عن أبي هريرة في الصحيحين.

وعن أبي سعيدٍ الخُدريِّ في "مسند أحمد" و"سنن الترمذي" و"ابن ماجه".

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص في "صحيح ابن حِبَّان".

وعن واثِلَةَ في "صحيح ابن حِبَّان" أيضًا.

وعن أنسٍ في "مسند أحمد" وغيره مِن طُرُقٍ.

وعن عبدالله بن سلام عند أبي يَعْلَىٰ والطبرانيِّ، وعن عبادة عند الحاكم، وعن غيرهم.

قال العلماءُ: السيِّد لغةً: المفزوعُ إليه في الشدائد ليدفعها، أي شدَّةٍ كانت، والتقييد بيومِ القِيامَةِ مع أنه سيِّدٌ في الدُّنيا والآخِرة؛ لأنه اليوم الذي يلجأ إليه فيه آدمُ وولده ويظهر فيه سُؤْدَدُه بلا منازع، بخلاف الدُّنيا فقد نازعَهُ فيها مُلُوكُ الكُفَّارِ وزعماءُ المُشركين، وهو مِن معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦] ، لأنه اليومُ الذي تنقطِعُ فيه دعوىٰ الرُّبوبية لغير الله تعالىٰ. اهـ.

وتقدَّم حديثُ: «**أنا أوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عنهُ القَبْرُ وأوَّلُ شَافِعٍ وأوَّلُ مُشَفَّعٍ**».

(حاشية نهاية السول ص: ٢٧)

٢٥- وعن حديث: «الوَسِيلَةُ مَنْزِلَةٌ في الجَنَّةِ لا يَنْبَغِي أنْ تَكُونَ إلَّا لعَبْدٍ مِن عَبيدِ الله، وأَرْجُو أنْ أَكُونَ أنا هُوَ، فمَنْ سَأَلَ لي الوَسِيلَةَ حَلَّتْ عَلَيْهِ الشَّفَاعَةُ»:

قال: في "صحيح مسلم" عن عبدالله بن عمرو بن العاص أنه سَمِعَ

النبيَّ ﷺ يقولُ: «إذا سَمِعْتُمُ المُؤذِّنَ فقُولوا مِثْلَ ما يقولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فإنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بها عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لي الوَسِيلَةَ فإنَّها مَنْزِلَةٌ في الجَنَّةِ لا تَنْبَغِي إلَّا لعَبْدٍ مِن عِبادِ الله، وأرجو أنْ أكونَ أنا هُوَ، فمَنْ سَأَلَ اللهَ لي الوَسِيلَةَ حَلَّتْ عَلَيْهِ الشَّفَاعَةُ».

قال القرطبي: «هذا الرَّجَاءُ قبلَ عِلْمِهِ ﷺ بأَنَّهُ صَاحِبُ المَقامِ المَحْمُودِ، ومع ذلك فإنَّ اللهَ يزيدُه بدُعَاءِ أُمَّتِهِ له رِفْعَةً، كما يَزيدُهُمْ بصَلَاتِهِمْ عَلَيْهِ».اهـ

ومَعْنَى حَلَّت عَلَيْهِ الشَّفَاعَةُ: أي وَجَبَتْ له، وهذا لمَن فعل ذلك بصِدْقِ نِيَّةٍ.

(حاشية بداية السول ص: ٢٧)

٢٦- وعن يدْخُلُ مِن أُمَّتِهِ الجَنَّةَ سَبْعُونَ ألْفًا بغَيْرِ حِسَابٍ:

قال: في الصحيحين عن ابن عبَّاسٍ قال رسول الله ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ فرَأيتُ النبيَّ ومَعَهُ الرُّهَيْطُ، والنبيَّ ومَعَهُ الرَّجُلُ والرَّجُلانِ، والنبيُّ ليس مَعَهُ أَحَدٌ، إذْ رُفِعَ لي سَوادٌ عَظِيمٌ فظَنَنْتُ أنهم أُمَّتي فقيل لي: هذا موسى وقَوْمُهُ، ولكنِ انظُرْ إلى الأُفُقِ، فنَظَرْتُ فإذا سَوادٌ عَظِيمٌ فقِيل لي هذه أُمَّتُكَ ومَعَهُمْ سَبْعُونَ ألفًا يَدْخُلونَ الجَنَّةَ بغَيْرِ حِسَابٍ ولا عَذَابٍ». ثُمَّ نَهَض فدَخَلَ مَنْزِلَهُ فخَاضَ النَّاسُ في أولئك الذين يَدْخُلونَ الجَنَّةَ بغَيْرِ حِسَابٍ، فقال بعضُهم: فلعلَّهم الذين صَحِبوا رسولَ الله ﷺ، وقال بعضُهم: فلعلَّهم الذين وُلِدُوا في الإسلام فلَمْ يُشْركوا بالله شيئًا، وذَكَروا أشياءَ فخَرَجَ رسولُ الله ﷺ فقال: «ما الذي تَخُوضُونَ فيه؟» فأخبروه فقال: «هُمْ الذينَ لا يَرْقُونَ ولا يَسْتَرْقُونَ ولا يَتطَيَّرونَ وعَلَى رَبِّهم يَتوكَّلُونَ». فقامَ عُكَّاشَةُ بن مِحْصَنٍ فقالَ: ادْعُ اللهَ أنْ

يَجْعَلني مِنهم، فقال: «أنتَ مِنْهُمْ» ثُمَّ قامَ رَجُلٌ آخَرَ فقالَ: ادْعُ اللهَ أنْ يَجْعَلَني مِنهم فقالَ: «سَبَقَكَ بها عُكَّاشَةُ».

ولحديث السبعين ألفًا طُرُقٌ في الصحيحين عن أبي هريرةَ وغيره.

وفي حديث سهل بن سعدٍ «لَيَدْخُلَنَّ الجَنَّةَ مِن أُمَّتي سَبْعُونَ ألفًا أو سُبْعمائة ألفٍ – لا يدري أبو حازمٍ أيُّهما قال – مُتماسِكُونَ آخِذٌ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، لا يَدْخُلُ أوَّلُهم حَتَّى يَدْخُلَ آخِرُهُمْ، وجُوهُهُمْ على صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ». رواه الشيخان.

وفي "سنن الترمذي" بإسنادٍ حَسَنٍ عن أبي أُمامة سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «وَعَدَني رَبِّي أنْ يَدْخُلَ مِن أُمَّتي سَبْعِينَ ألفًا لا حِسَابَ عَلَيْهِمْ ولا عَذَابَ، مَعَ كُلِّ ألفٍ سَبْعُونَ ألفًا وثَلَاثُ حَثَياتٍ مِنْ رَبِّي».

(حاشية بداية السول ص: ٢٨ – ٢٩)

٢٧ – وعن الكَوْثَرُ الذي أُعْطِيه في الجَنَّةِ، والحَوْضُ الذي أُعْطِيه في المَوقِفِ:

قال: الكَوْثَرُ نَهْرٌ في الجَنَّةِ، وحَوْضٌ في المَوْقَفِ، وأوَّلُها يَصَبُّ في ثانيهما، كذلك ورَدَ في الأحاديث الكثيرةِ الصحيحةِ، فروى أحمد ومسلمٌ وغيرهما عن أنسٍ قال: بَيْنا رسولُ الله ﷺ بين أَظْهُرِنا في المسجدِ إذْ أغْفَى إغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُبْتَسِمًا، قلنا: ما أَضْحَكَكَ يا رُسولَ الله؟ قال: «لقد نَزَلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ فقرأ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ١ – ٣]، ، ثُمَّ قالَ: «أَتَدْرُونَ ما الكَوْثَرُ؟»، قُلنا: اللهُ ورَسُولُهُ أعلمُ، قال: «فإنَّه نَهْرٌ وَعَدَني بِه رَبِّي عَزَّ وجَلَّ عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثيرٌ، وهُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ القِيامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدَ النُّجُومِ في السَّماءِ، فيَخْتَلِجُ العَبْدُ مِنهم فأقولُ: يا رَبِّ إنَّهُ

مِنْ أُمَّتي، فيقول: إنَّكَ لا تَدْري ما أَحْدَثَ بَعْدَكَ».

وفي الصحيحين عن أنسٍ، عن النبيِّ ﷺ قال: «بَيْنَما أنا أَسِيرُ في الجَنَّةِ - يعني ليلة الإسراء- إذا أنا بنَهْرٍ حَافَتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ المُجَوَّفِ، قُلْتُ: ما هذا يا جِبْرِيلُ؟ قال: هذا الكَوْثَرُ الذي أَعْطَاكَ رَبُّكَ، فإذا طِينُهُ مِسْكٌ أَذْفَرُ».

قلتُ: تَواتَرتْ أحَاديثُ الكَوْثَرِ والحَوْضِ؛ إذْ قَدْ ورَدَتْ مِن طَرِيقِ ثمانين صَحَابِيًّا كما في "فتح الباري".

قال القرطبيُّ تبعًا لعِياض: «ممَّا يجبُ على كُلِّ مُكَلَّفٍ أنْ يَعْلَمَهُ ويُصَدِّقَ بِهِ أنَّ اللهَ تعالى قد خَصَّ نبيَّهُ محمَّدًا ﷺ بالحَوْضِ المُصَرَّح باسْمِهِ وصِفَتِهِ وشَرابِهِ في الأحاديث الصحيحة الشهيرة التي يَحصُلُ بمَجْمُوعِها العِلْمُ القَطْعِيُّ...» إلى أن قال: «وأجمعَ على إثباته السَّلَفُ وأهلُ السُّنَةِ مِن الخَلَفِ، وأنكرَ ذلك طائفةٌ مِن المُبتدِعَةِ، وأحالوه على ظاهِره وغَلوا في تأويلِه مِن غير استحالةٍ عَقْلِيَّةٍ ولا عَادِيَّةٍ تلزمُ مِن حَمْلِه على ظاهِرِه، ولا حاجة تَدْعُو إلى تأويله، فخَرَقَ مَن حَرَّفَهُ إجماعَ السَّلَفِ وفارقَ مَذْهَبَ أئمَّةِ الخَلَفِ». اهـ

قلتُ: ورَدَتْ أحاديث تُفيدُ أنَّ لكُلِّ نبيٍّ يومَ القِيامَةِ حَوْضًا يَرِدُهُ أتباعُه، وفي أسانيدها لِينٌ، قال الحافظ ابن حجرٍ: «وإن ثبتَ ذلك فالمختصُّ بنبيِّنا ﷺ الكوثر الذي يصبُّ مِن مائه في حَوْضِه فإنه لم يُنقَلْ نظيرُه لغيره، ووقعَ الامتنانُ عليه في (سورة الكوثر)». اهـ.

(حاشية بداية السول ص: ٢٩- ٣٠)

٢٨- وعن قوله ﷺ: «نَحْنُ الآخِرونَ السَّابِقُونَ»:

قال: في الصحيحين عن أبي هريرةَ أنه سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يقول: «نَحْنُ

الآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ القِيامَةِ، بَيْدَ أَنَّهُمْ أُتو الكِتابَ مِنْ قَبْلِنَا، ثُمَّ هذا يَوْمُهُمْ الذي فُرِضَ عَلَيْهِمْ -يعني يومَ الجُمُعَةِ- فاخْتَلَفُوا فِيهِ فهَدَانا اللهُ لَهُ، فالنَّاسُ لَنا فِيهِ تَبَعٌ، اليَهُودُ، غَدًا والنَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ».

معنى الحديث: أنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيْهِم يَوْمًا في الأسبوع يُعَظِّمُونَهُ ويَتعَبَّدون فيه، فوَقَعَ اخْتيارُهم عَلَىٰ يَوْمِ السَّبْتِ، بل ورَدَ عن السُّدِّيِّ: «إنَّ اللهَ فَرَضَ علىٰ اليهودِ الجُمُعَةَ فأَبَوا، وقالوا: يا موسىٰ، إنَّ اللهَ لم يَخْلُقْ يَوْمَ السَّبْتِ شَيْئًا فاجْعَلْهُ لنا فجُعِلَ عَلَيْهِم». رواه ابن أبي حاتمٍ.

وهدانا اللهُ للجُمُعَةِ كما صَحَّ عن ابن سِيرينَ قال: «جَمَعَ أهلُ المدينةِ قبلَ أنْ يقدمَ رسولُ الله ﷺ وقبل أنْ تنزلَ الجُمُعَةُ، فقالت الأنصارُ: إنَّ لليهودِ يومًا يَجْتمِعُونَ فيه كلَّ سَبْعَةِ أيامٍ، وللنَّصَارَىٰ كذلك، فهلمَّ فلنَجْعَلْ يَوْمًا نَجْتَمِعُ فيه نَذْكُرُ اللهَ تعالىٰ ونُصَلِّي ونشكُرُه، فجَعَلُوه يَوْمَ العَروبَةِ، واجْتَمَعُوا إلىٰ أسعدَ بن زُرارة فصَلَّىٰ بهم يومئذٍ، وأنزلَ اللهُ تعالىٰ بعد ذلك: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ﴾ [الجمعة: ٩] الآية.

رواه عبد الرزَّاق بإسنادٍ صحيحٍ، «العَروبة» بفتح العين اسمُ يومِ الجُمُعَةِ قبل الإسلام، وقوله: «بَيْدَ أنَّهم» بفَتْحِ الباء والدال أي غير أنهم.

(حاشية بداية السول ص: ٣٠- ٣١)

٢٩- وعن أنَّه أُحِلَّتْ لَهُ الغَنائِمُ ولم تحلَّ لأَحَدٍ قَبْلَهُ، وجُعِلَتْ صُفُوفُ أُمَّتِهِ كصُفُوفِ الملائكةِ، وجُعِلَتْ لَهُ الأَرْضُ مَسْجِدًا وتُرَابُها طَهُورًا.

قال: في "الصحيحين" عن جابرٍ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلي: نُصِرْتُ بالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وجُعِلَتْ لي الأرضُ مَسْجِدًا

وطَهُورًا، فأيُّما رَجَلٌ مِنْ أُمَّتي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاةُ فليُصَلِّ، وأُحِلَّتْ لي الغَنَائِمُ ولمْ تُحلَّ لأَحَدٍ قَبْلي، وأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وكان النبيُّ يُبْعَثُ إلى قَوْمِهِ خَاصَّةً وبُعِثْتُ إلى النَّاسِ عامَّةً».

وفي "صحيح مسلمٍ" من حديث حُذَيفةَ: «فُضِّلْنا عَلَى النَّاسِ بثَلاثٍ: جُعِلَتْ صُفُوفُنا كصُفُوفِ الملائكةِ، وجُعِلَتْ لنا الأرضُ كُلُّهَا مَسْجِدًا، وجُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لنا طَهُورًا إذا لم نَجِدِ المَاءَ». قال: وذَكَرَ خَصْلَةً أُخرَىٰ.

وهذه الخَصْلَةُ المُبْهَمَةُ بَيَّنها ابنُ أبي شيبةَ وابن خُزيمةَ والنَّسائيُّ وأبو نُعيمٍ والبيهقيُّ وهي: «وأُعْطِيتُ هذه الآيات مِنْ آخِرِ (سورة البقرة) مِنْ كَنْزٍ تَحتَ العَرْشِ لم يُعْطَ مِنْهُ أَحَدٌ قَبْلي ولا يُعْطَى مِنْهُ أَحَدٌ بَعْدِي».

(حاشية بداية السول ص: ٣١)

٣٠- وعن قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]:

قال: رَوَىٰ ابنُ جَريرٍ في "تفسيره" عن سعد بن هشامٍ قال: أتيتُ عائشةَ أمَّ المؤمنين رضي الله عنها فقُلْتُ: لها أخبريني بخُلُقِ رَسُول الله ﷺ فقالت: «كان خُلُقُهُ القُرآنُ، أما تقرأ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]».

وفي "صحيح مسلمٍ" نحوه مِن حديثٍ طويلٍ.

وفي "مسند أحمد" عن قَيْسِ بن وَهْبٍ، عَن رَجُلٍ مِنْ بني سَوَادٍ قال: سَأَلْتُ عَائِشَةَ عَنْ خُلُقِ رَسُول الله ﷺ فقالت: أما تَقْرَأُ القُرْآنَ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

وفي "المسند" أيضًا عن الحسن البصريِّ قال: سألتُ عائشةَ عن خُلُقِ رسول الله ﷺ فقالت: «كانَ خُلُقُهُ القُرْآنُ».

قال الحافظ ابن كثيرٍ: «ومعنىٰ هذا أنه عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ صارَ امْتِثالُ القُرْآنِ أَمْرًا ونهيًا سَجِيَّةً له، وخُلُقًا تَطَبَّعَهُ وتَرَكَ طَبْعَهُ الجِبلِّيَّ، فمهما أمرَهُ القُرْآنُ فعَلَهُ، ومهما نهاهُ عنه تَرَكَهُ، هذا مع ما جَبَلَهُ اللهُ عليه مِن الخُلُقِ العَظيمِ مِن الحياءِ والكَرَمِ والشَّجاعَةِ والصَّفْحِ والحِلْمِ وكُلِّ خُلُقٍ جَميلٍ».اهـ

والله دَرُّ القائل:

أَرَىٰ كُلَّ مَدْحٍ في النَّبيِّ مُقَصِّرَا ... وإنْ بَالَغَ المُثْنِي عَلَيْهِ وأَكْثَرَا
إذَا اللهُ أَثْنَىٰ بالذي هُوَ أَهْلُهُ ... عَلَيْهِ فَما مِقْدَارُ مَا يَمْدَحُ الوَرَىٰ؟

(حاشية بداية السول ص: ٣٢)

٣١- وعن كلام الله سبحانه وتعالى له عن طريق جبريل عليه السلام:

قال: أمَّا الرُّؤيا ففي "الصحيحين" عن عائشةَ قالت: «أوَّلُ ما بُدِئَ به رَسُولُ الله ﷺ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤيا الصَّادِقَةُ في النَّوْمِ، فكانَ لا يَرَىٰ رُؤيا إلَّا جاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ...» الحديث، وأمَّا الكلام مِن غير واسِطَةٍ فتَقَدَّمَ أَنَّهُ كانَ لَيْلَةَ الإسْراءِ، وأمَّا الوَحْيُ مَعَ جِبْرِيلَ عليه السلام فهُوَ غَالِبُ أَحْوَالِه ﷺ.

(حاشية بداية السول ص: ٣٢- ٣٣)

٣٢- وعن اشتمال القرآن التَّوْرَاةُ والأنجيلُ والزَّبورُ، وفُضِّلَ بالمُفَصَّلِ:

قال: روىٰ أحمدُ والطبرانيُّ عن واثِلَةَ بن الأَسْقَعِ رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**أُعْطِيتُ مَكَانَ التَّوْرَاةِ السَّبْعَ، وأُعْطِيتُ مَكَانَ الزَّبورِ المَئِينَ، وأُعْطِيتُ مَكَانَ الأنجيلِ المَثانيَ، وفُضِّلْتُ بالمُفَصَّلِ**».

وللطبرانيِّ عن أبي أُمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَعْطَاني رَبِّي السَّبْعَ الطِّوالَ مَكَانَ التَّوْرَاةِ، والمَئِينَ مَكَانَ الإنْجِيلِ، وفُضِّلْتُ بالمُفَصَّلِ**».

وفيه راوٍ ضعيفٌ، لكن صَحَّ عن عبدالله بن مسعودٍ رضي الله عنه قال: «إنَّ السَّبْعَ الطِّوال مِثْلُ التَّوراةِ، والمَئينَ مِثْلُ الأنجيلِ، والمَثاني مِثْلُ الزَّبورِ، وسَائِرُ القُرْآن بَعْدُ فَضْلٌ». ومِثْلُ هذا لا يُقالُ بالرَّأي فله حُكْمُ المرفوع.

السَّبْعُ الطِّوالُ: مِن أوَّل (البقرة) وآخرها مجموع (الأنفال) و(براءة)؛ لأنه لم يُفْصَل بينهما في المصحف الإمام، وبعضُهم عَدَّ (يونس) في الطِّول ولم يعدَّ (براءة) و(الأنفال) والأوَّل أصح.

ثُمَّ ذوات المائة وهي: السورةُ التي فيها مائة آيةٍ ونحوها.

ثُمَّ المثاني وهي: ما كانت أقل مِن المائة وأكثر من المُفَصَّل.

ثُمَ المُفَصَّل: واختُلِفَ فيه فقيل: يبتدئ مِن (الصَّافَّات)، وقيل: مِن (سورة الفتح)، وقيل من (سورة ق)، وقيل غير ذلك، ومُنتهاه آخِرُ القُرآنِ بالاتفاقِ.

(حاشية بداية السول ص ٣٣)

٣٣- وعن أنَّ أُمَّتَهُ أقلُّ عَمَلًا ممَّن قَبْلَهُمْ، وأَكْثَرُ أَجْرًا، كما جاءَ في الحَديثِ الصَّحيحِ:

قال: وهو ما رواه البخاريُّ عن عبدالله بن عمرَ رضي الله عنهما أنه سَمِعَ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إنَّما بَقَاؤُكُمْ فيما سَلَفَ قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ كما بَيْنَ صَلَاةِ العَصْرِ إلى غُرُوبِ الشَّمْسِ، أُوتي أَهْلُ التَّوْرَاةِ التَّوْرَاةَ فعَمِلُوا بها حَتَّى إذا انْتَصَفَ النَّهارُ عَجَزُوا فأُعْطُوا قِيراطًا قِيراطًا، وأُتِيَ أَهْلُ الإنجيلِ الإنجيلَ فعَمِلُوا إلى صَلَاةِ العَصْرِ ثُمَّ عَجَزُوا فأُعْطُوا قِيراطًا قِيراطًا، ثُم أُوتينا القُرْآنَ فعَمِلْنَا إلى غُرُوبِ الشَّمْسِ فأُعْطِينا قِيراطَيْنِ قِيراطَيْنِ، فقالَ أهلُ الكِتابَيْنِ: أي رَبَّنا، أَعْطَيْتَ هؤلاءِ قِيراطَيْنِ قِيراطَيْنِ، وأَعْطَيْتَنا قِيراطًا قِيراطًا، ونحنُ كُنَّا أكثرَ**

عَمَلًا، قالَ اللهُ: هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ أَجْرِكِم مِن شَيْءٍ؟ قالوا لا، قال: فهُوَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أشاءُ».

وروى البخاريُّ أيضًا عن أبي موسى، عن النبيِّ ﷺ «مَثَلُ المُسْلِمينَ واليهودِ والنَّصارَى كمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ قَوْمًا يَعْمَلُونَ لَهُ عَمَلًا إلى اللَّيْلِ، فعَمِلُوا إلى نِصْفِ النَّهارِ فقَالُوا: لا حَاجَةَ لَنا إلى أَجْرِكَ، فاسْتَأْجَرَ آخَرين فقالَ: أَكْمِلُوا بَقِيَّةَ يَوْمِكُمْ ولَكُمْ الذي شَرَطْتُ، فعَمِلُوا حَتَّى إذا كانَ حِينَ صَلَاةِ العَصْرِ قالوا: لكَ ما عَمِلْنا، فاسْتَأْجَرَ قَوْمًا فعَمِلُوا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ واسْتَكْمَلُوا أَجْرَ الفَرِيقَيْنِ». وللحديثُ طُرُقٌ وألفاظٌ في الصحيح.

(حاشية بداية السول ص: ٣٣- ٣٤)

٣٤- وعن أنَّ اللهَ عَرَضَ عَلَيْهِ مَفَاتِيحَ كُنُوزِ الأَرْضِ، وخَيَّرَهُ بَيْنَ أنْ يَكُونَ مَلِكًا أونَبِيًّا عَبْدًا، فاسْتَشَارَ جبريلَ فأَشَارَ عَلَيْهِ أنْ تَوَاضَعَ، فقالَ: «بل نَبِيًّا عَبْدًا، أَجُوعُ يَوْمًا وأَشْبَعُ يَوْمًا، فإذا جُعْتُ دَعَوْتُ اللهَ وإذا شَبِعْتُ شَكَرْتُ اللهَ».

قال: في "الصحيحين" عن أبي هريرةَ قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «نُصِرْتُ بالرُّعْبِ وأُعْطِيتُ جَوامِعَ الكَلَمِ، وبَيْنَا أنا نَائِمٌ إذْ جِيء بمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الأَرْضِ فوُضِعَتْ بيَدِي». قال أبو هريرةَ: «فقد ذهبَ رَسُولُ الله ﷺ وأنتم تَنْتَثِلُونَها».

وأخرج الطبرانيُّ بسَنَدٍ حَسَنٍ والبيهقيُّ في "الزهد" عن ابن عبَّاسٍ قال: كانَ رسولُ الله ﷺ ذاتَ يَوْمٍ وجبريلُ على الصَّفَا فقال: «يا جبريلُ، ما أَمْسَى لآلِ مُحَمَّدٍ سَفَّةٌ مِنْ دَقِيقٍ، ولا كَفَّةٍ مِنْ سَوِيقٍ»، فلَمْ يَكُنْ كَلامُهُ بأَسْرَعَ مِنْ أنْ سَمِعَ هَدَّة مِنَ السَّماءِ، فأتاهُ إسْرافِيلُ فقالَ: إنَّ اللهَ سَمِعَ ما ذَكَرْتَ فبَعَثَني إليكَ بمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الأَرْضِ، وأَمَرَني أنْ أَعْرِضَ عَلَيْكَ إنْ أَحْبَبْتَ أنْ أُسَيِّرَ مَعَكَ

جِبالَ تِهامَةَ زُمُرُّدًا وياقُوتًا وذَهَبًا وفِضَّةً فَعَلْتُ، فإنْ شِئْتَ نَبِيًّا مَلِكًا وإنْ شِئْتَ نَبِيًّا عَبْدًا، فأَوْمَأَ إليه جبريلُ أنْ تَواضَعَ، فقالَ: «بَلْ نَبِيًّا عَبْدًا» ثلاثًا.

وأخرج ابن سعدٍ وأبو نُعيمٍ عن أبي أُمامةَ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**عَرَضَ عَلَيَّا رَبِّي لِيَجْعَلَ لي بَطْحَاءَ مَكَّةَ ذهَبًا، فقلتُ: لا يا رَبِّ، ولكِنْ أَشْبَعُ يَوْمًا وأَجُوعُ يَوْمًا، فإذا جُعْتُ تَضَرَّعْتُ إليكَ وذَكَرْتُكَ، وإذا شَبِعْتُ حَمِدْتُكَ وشَكَرْتُكَ**». وفي الباب أحاديث أُخرىٰ وإلىٰ هذا أشار البوصيريُّ عليه الرِّضوان بقوله في "البردة":

وراوَدَتْهُ الجِبالُ الشُّمُّ مِنْ ذَهَبٍ ... عَنْ نَفْسِهِ فأَرَاهَا أَيَّما شَمَمِ

(حاشية بداية السول ص: ٣٤- ٣٥)

٣٥- وعن أنَّ اللهَ أَرْسَلَهُ رَحْمَةً للعالَمِينَ، فأَمْهَلَ عُصَاةَ أُمَّتِهِ ولم يُعَاجِلْهُمْ إبْقَاءً عَلَيْهِمْ، بخِلافِ مَنْ تَقَدَّمَهُ مِنَ الأنبياءِ، فإنَّهُمْ لَمَّا كُذِّبُوا عُوجِلَ مُكَذِّبوهُمْ:

قال: في "صحيح مسلم" عن أبي موسىٰ عن النبيِّ ﷺ قال: «**إنَّ الله عَزَّ وجَلَّ إذا أرادَ رَحْمَةَ أُمَّةٍ مِنْ عِبادِهِ قَبَضَ نَبِيَّها قَبْلَها، فجَعَلَهُ لها فَرَطًا وسَلَفًا بَيْنَ يَدَيْها، وإذا أرادَ هَلَكَةَ أُمَّةٍ عَذَّبها ونَبِيَّها حَيٌّ فأَهْلَكَها وهُوَ يَنْظُرُ، فأَقَرَّ عَيْنَهُ بهَلَكَتِهَا حِينَ كَذَّبُوهُ وعَصَوْا أَمْرَهُ**».

«الفَرَطُ» بفتح الفاء والرَّاء: هو الذي يَتَقَدَّمُ الواردة فيُهَيِّئ لهم الدِّلاء والحِياض، يُريدُ أنه يتقدَّم بَيْنَ أيديهم يَشْفَعُ فيهم وينفعهم كالذي يتقدَّم الواردة، ففي الحديث استعارةٌ حَسَنَةٌ وتجوُّزٌ بديعٌ.

وقد قَصَّ اللهُ تعالىٰ في كتابه الكريم ما عذَّبَ به الأُمَمَ السَّابِقَةِ حينَ كَذَّبوا رُسُلَهم وعَصَوا أمرَهم، وقال لنبيِّه عليه الصَّلاة والسَّلام:

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ [الأنفال: ٣٣]، فكان وُجُودُه ﷺ مانِعًا مِن نُزول العَذابِ بالمُكَذِّبين مِن أُمَّته، وهذه غايةُ الرَّحْمَةِ.

(حاشية بداية السول ص: ٣٥)

٣٦- وعن أَخْلَاقُهُ ﷺ في حِلْمِهِ وعَفْوِهِ وصَفْحِهِ وصَبْرِهِ وشُكْرِهِ ولِينِهِ في الله، وأَنَّهُ لم يَغْضَبْ لِنَفْسِهِ، وأنه جاءَ بإتْمَامِ مَكَارِمِ الأَخْلَاقِ:

قال: في "المسند" بإسنادٍ حسنٍ عن أبي هريرةَ قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إنَّما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلَاقِ**». وللحديثِ طُرُقٌ وألفاظ في جزء "مكارم الأخلاق" للخرائطيِّ وهو مطبوعٌ

(حاشية بداية السول ص: ٣٦)

٣٨- وعن أنَّ اللهَ نَزَّلَ أُمَّتَهُ مَنْزِلَةَ العُدُولِ مِنَ الحُكَّامِ، فإنَّ اللهَ إذا حَكَمَ بَيْنَ العِبادِ فجَحَدَتِ الأُمَمُ تَبْلِيغَ الرِّسَالَةِ أَحْضَرَ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ، فيَشْهَدُونَ على النَّاسِ بأنَّ رُسُلَهُمْ أَبْلَغَتْهُمْ:

قال: في "صحيح البخاري" عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ القِيامَةِ فيَقُولُ: لَبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ يا رَبِّ، فيَقُولُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فيَقُولُ نَعَمْ، فيُقَالُ لأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فيَقُولونَ: ما أَتانا مِنْ نَذِيرٍ، فيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وأُمَّتُهُ، فيَشْهَدُونَ أَنَّه قَدْ بَلَّغَ، ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ فذلك قوله عزَّ وجَلَّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] والوَسَطُ: العَدْلُ».

ورواه أحمدُ والنَّسائيُّ وابنُ ماجه والإسماعيليُّ بلفظ: «**يَجيءُ النبيُّ يَوْمَ**

القِيامَةِ ومَعَهُ الرَّجُلُ، ويَجيءُ النبيُّ ومَعَهُ الرَّجُلانِ، ويَجيءُ النبيُّ ومَعَهُ أكثرُ مِنْ ذلكَ» قال: «فيُقالُ لهم: أَبَلَّغَكُمْ هَذَا؟ فيقولونَ: لا، فيُقالُ للنبيِّ أَبَلَّغْتَهُمْ؟ فيَقُولُ: نَعمْ، فيُقَالُ لَهُ مَنْ يَشْهَدُ لَكَ...» وذكر الحديثَ كما ذَكَرَهُ البخاريُّ وإسنادُه صحيحٌ، زاد في آخِرِهِ: «فيُقالُ: وما عِلْمُكُمْ؟ فيَقُولونَ: أَخْبَرَنَا نَبِيُّنا أَنَّ الرُّسُلَ قَدْ بَلَّغُوا فَصَدَّقْنَاهُ».

وأخرجَ ابنُ أبي حاتمٍ بسَنَدٍ جَيِّدٍ عن أُبيِّ بن كعبٍ في هذه الآية قال: «لتكونوا شُهداء على النَّاسِ، وكانوا شُهداءَ على النَّاسِ يَوْمَ القِيامَةِ، كانوا شُهَداءَ على قومِ نوحٍ، وقومِ هودٍ، وقومِ صالحٍ، وقومِ شعيبٍ وغيرهم أنَّ رُسُلَهُمْ بَلَّغَتْهُم، وأنهم كذَّبوا رُسُلَهُم».

وروى أيضًا عن جابرٍ، عن النبيِّ ﷺ: «ما مِنْ رَجُلٍ مِنَ الأُمَمِ إلَّا وَدَّ أنه مِنَّا أيَّتها الأُمَّةُ، ما مِنْ نَبيٍّ كذَّبَهُ قومُهُ إلَّا ونحنُ شُهَدَاؤُهُ يَوْمَ القِيامَةِ أنْ قد بَلَّغَ رِسَالَةَ الله، ونَصَحَ لهم».

(حاشية بداية السول ص: ٣٧).

٣٩- وعن عِصْمَةُ أُمَّتِهِ بأنَّها لا تَجْتَمِعُ على ضَلَالَةٍ:

قال: أحاديثُ الحَضِّ على لُزومِ الجماعةِ، واتباعِ السَّوَادِ الأعظمِ، وأنَّ الأُمَّةَ لا تَجتمِعُ على ضَلالَةٍ، وأنَّ يَدَ الله على الجَمَاعَةِ، وما في هذا المعنى ممَّا ورَدَ عن النبيِّ ﷺ مِن طُرُقٍ تُفيدُ التَّواترَ، فقد رواه عمرُ بن الخطَّاب، وابنُه عبدالله، وابنُ عبَّاسٍ، وأبو هريرة، وأنسٌ، وأبو مالكٍ الأشعريُّ، وأبو بصرةَ الغِفاريُّ، وحذيفةُ، وأبو ذرٍّ، ومعاذٌ، وعَرْفَجَةُ، وابنُ مسعودٍ، وأبو سعيدٍ، ومعاوية، ورجلٌ مِن الصحابة، وأسامةُ بن شَريكٍ، والحارث الأشعريُّ، وأبو قِرْصَافَةَ،

وسَمُرةُ بن جُنْدُبٍ وغيرهم، ووَرَدَ عن أبي مسعودٍ موقوفًا وله حُكْمُ الرَّفْعِ.

وقد عَزَوْتُ أحاديثَ هؤلاء في كتابي "الابتهاج بتخريج أحاديث المناهج" للبيضاويِّ في علم الأصول.

(حاشية بداية السول ص: ٣٨).

٤٠- وعن حِفْظُ كِتابِهِ، فلو اجْتَمَعَ الأوَّلونَ والآخِرونَ على أنْ يَزيدُوا فيه كَلِمَةً، أو يُنقِصُوا مِنْهُ كَلِمَةً لعَجَزُوا عن ذلكَ، ولا يَخْفَى ما وَقَعَ مِن التبديلِ في التَّوْرَاةِ والإنجيلِ.

قال: أخرجَ البيهقيُّ عن يحيى بن أَكْثَمَ قال: دَخَلَ يهوديٌّ على المأمونِ فتكَلَّمَ فأَحْسَنَ الكَلامَ، فدَعاهُ المأمونُ إلى الإسلامِ فأبى، فلمَّا كان بعد سَنَةٍ جاءنا مُسْلِمًا، فتكَلَّمَ على الفِقْهِ فأَحْسَنَ الكلامَ، فقالَ له المأمونُ: ما كان سَبَبُ إسْلامِكَ، قال: انصرفتُ مِن حَضْرَتِكَ فأحببتُ أنْ أَمْتَحِنَ هذه الأديان، فعَمَدْتُ إلى التَّوْراةِ فكَتَبْتُ ثلاثةَ نُسَخٍ فزِدْتُ فيها ونَقَصْتُ، وأَدْخَلْتُهَا الكَنِيسَةَ فاشْتُرِيتْ مِنِّي، وعَمَدْتُ إلى الأنجيلِ فكَتَبْتُ ثلاثَ نُسَخٍ فزِدْتُ فيها ونَقَصْتُ وأَدْخَلْتُها البَيْعَةَ فاشْتُرِيتْ مِنِّي، وعَمَدْتُ إلى القُرْآنِ فعَمِلْت ثلاثَ نُسخٍ فزِدْتُ فيها ونَقَصْتُ وأَدْخَلْتُها الورَّاقينَ فتَصَفَّحُوها فلمَّا أنْ وَجَدُوا فيها الزِّيادَةَ والنُّقصانَ رَمَوْا بها فلَمْ يَشْتَروها، فعَلِمْتُ أنَّ هذا كِتابٌ مَحْفوظٌ فكان هذا سَبَبَ إسلامي.

قال يحي بن أكثم: فحَجَجْتُ تلكَ السَّنَة فلقيتُ سُفيانَ بن عُيَيْنَة فذَكَرْتُ له الحديثَ، فقال لي: مِصْداقُ هذا في كتابِ الله تعالى، قلتُ: في أيِّ مَوْضِعٍ؟ قال: في قوله تعالى في التوراةِ والإنجيلِ: ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة:

٤٤] فجَعَلَ حِفْظَهُ إليهم فضَاعَ، وقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] فحَفِظَهُ اللهُ تعالى عَلَيْنا فلم يَضِعْ.

(حاشية بداية السول ص: ٣٨- ٣٩).

٤١- وعن أنَّ اللهَ سَتَرَ عَلَى مَنْ لمْ يَتَقَبَّلْ عَمَلَهُ مِن أُمَّتِهِ، وكانَ مَنْ قَبْلَهُمْ يُقَرِّبونَ القَرابينَ فتَأكُلُ النَّارُ ما تُقُبِّلَ مِنْهَا وتَدَعُ ما لم يُتَقَبَّلْ، فيُصْبِحُ صَاحِبُهُ مُفْتَضِحًا:

كانَ هذا مِن شَرائِعِ الأُمَمِ السَّابِقةِ كما قَصَّهُ اللهُ علينا في كِتابِهِ الكَريمِ، قالَ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ﴾ [آل عمران: ١٨٣] الآية، وقال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ [المائدة: ٢٧] الآية.

ورَدَ في التفسير أنَّ النَّارَ نَزَلَتْ على قُربان هابيلَ فأَخَذَتْهُ وبذلك عَرَفَ قابيلُ أنَّ قُرْبَانَهُ لم يُتقبَّل، وثَبَتَ في بَعْضِ طُرُقِ حديثِ إحلال الغَنائمِ: أنَّ مَن قَبْلَنا كانوا إذا غَنِمُوا غَنائمَ جمعوها فتجيءُ نارٌ فتأخذها، فإذا حَصَلَ فيها غلول لم تَأْخُذْها النَّارُ.

(حاشية نهاية السول ص: ٣٩).

٤٢- وعن قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا نبيُّ الرَّحْمَةِ»:

قال: أَخْرَجَ ابنُ أبي حاتمٍ وابنُ جريرٍ والطبرانيُّ والبيهقيُّ عن ابن عبَّاسٍ في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ، قال: «مَنْ آمَنَ تَمَّتْ لَهُ الرَّحْمَةُ في الدُّنيا والآخِرَةِ، ومَنْ لم يُؤْمِنْ عُوفي مِمَّا كانَ يُصِيبُ الأُمَمَ

في عاجِلِ الدُّنيا مِن العَذابِ مِن الخَسْفِ والمَسْخِ والقَذْفِ».

وأخرجَ أبو نُعيمٍ عن أبي أُمامة قال: قالَ رسولُ الله ﷺ «إنَّ اللهَ بعَثَني رَحْمَةً للعَالَمِينَ وهُدًى للمُتَّقِينَ».

وفي "صحيح مسلم" عن أبي هريرة قال: قِيلَ يا رسولَ الله، ألَا تَدْعُو على المُشْركينَ؟ قال: «إنَّما بُعِثْتُ رَحْمَةً ولم أُبْعَثْ عَذَابًا».

وفي "المستدرك" عن أبي هريرةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يا أيُّها النَّاسُ، إنَّما أنا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ». صحَّحَهُ الحاكمُ على شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وسلَّمَهُ الذَّهبيُّ.

وفي "صحيح مسلم" عن أبي موسى الأشعريِّ قال: كانَ رسولُ الله ﷺ يُسَمِّي لنا نَفْسَهُ فقال: «أنا محمَّدٌ، وأحمدُ، والمُقَفَّى، والحاشِرُ، ونبيُّ التَّوْبَةِ، ونبيُّ الرَّحْمَةِ».

(حاشية بداية السول ص: ٣٩- ٤٠).

٤٣- وعن أنَّهُ بُعِثَ بجَوَامِعِ الكَلَمِ، واخْتُصِرَ لَهُ الحَديثُ اخْتِصَارًا:

قال: تقدَّمَ حديثُ "الصحيحين" في أنه أُعْطِي جَوامِعَ الكَلَمِ، وفي "صحيح مسلم" عن أبي هريرة أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «فُضِّلْتُ على الأنبياءِ بستٍّ: أُعْطِيتُ جَوامِعَ الكَلَمِ، ونُصِرْتُ بالرُّعْبِ، وأُحِلَّتْ لي الغَنائِمُ، وجُعِلَتْ لي الأرضُ مَسْجِدًا وطَهُورًا، وأُرْسِلْتُ إلى الخَلْقِ كافَّةً، وخُتِمَ بي النَّبِيُّون».

وروى ابنُ أبي شيبة في "مسنده" وأبو يَعْلَى عن أبي موسى قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أُعْطِيتُ فَوَاتِحَ الكَلَمِ وجَوَامِعَهُ وخَوَاتِمَهُ» إسنادُه حسنٌ.

وفي "مسند أبي يعلى" بإسنادٍ حَسَنٍ أيضًا عن عمرَ رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ: «أُعْطِيتُ جَوامِعَ الكَلَمِ واخْتُصِرَ لي الكَلامُ اخْتِصَارًا».

اختُلِفَ في جَوامِعِ الكَلِمِ فقال جماعةٌ: «هو القرآن»، وقال الزهريُّ: «بلغني أنَّ جَوَامِعَ الكَلِمِ أنَّ اللهَ تعالىٰ يَجْمَعُ لَهُ الأُمورَ الكَثيرةَ التي كانتْ تُكْتَبُ في الوَحْيِ قَبْلَه في الأَمْرِ الواحِدِ والأَمْرَيْنِ أو نحو ذلك»، ومعنىٰ هذا أنه أُعْطِيَ الكلمات البَليغَة الوَجيزة الجامعة للمعاني الكثيرة، وتصِحُّ إرادة الكلِّ كما لا يَخفىٰ.

وفَوَاتِحُ الكَلِمِ: حُسْنُ التوصُّلِ إلىٰ غوامضِ المعاني التي أُغْلِقَتْ علىٰ غيره. وخَوَاتِمُه: خَتْمُ الكلامِ بمَقْطَعٍ وَجيزٍ بَليغٍ جامِعٍ، ومعنىٰ هذا كما قال القرطبيُّ وغيره: «أنَّ كَلَامَهُ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ مِن مَبْدَئِهِ إلىٰ خاتِمَتِهِ كلَّه بَليغٌ وَجيزٌ جَامِعٌ، ولا غَرْوَ فهو ﷺ أَفْصَحُ العَرَبِ لِسَانًا وأَبْلَغُهم كلامًا وأَعْذَبُهم مَنْطِقًا».

(حاشية بداية السول ص: ٤٠ - ٤١).

٤٤ - وعن تفضيل الله تعالى للنبي ﷺ على مَنِ اصْطَفَاهُ مِنْ رُسُلِهِ مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ:

قال: أخرجَ أبو يعلىٰ والطبرانيُّ والبيهقيُّ عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: إنَّ اللهَ تعالىٰ فَضَّلَ محمَّدًا ﷺ علىٰ أَهْلِ السَّماءِ وعلىٰ الأنبياءِ، قالوا: يا ابن عبَّاسٍ، فما فَضْلُهُ علىٰ أَهْلِ السَّماءِ؟ قال: إنَّ اللهَ تعالىٰ قالَ لأَهْلِ السَّماءِ: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٢٩]، وقال لمحمَّدٍ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ١ - ٢]، فقد كَتَبَ لَهُ بَراءَةً، قالوا: فما فَضْلُهُ علىٰ الأنبياءِ؟ قال: إنَّ اللهَ تعالىٰ قالَ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٤]، وقال

لمحمَّدٍ ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ ﴾ [سبأ: ٢٨] فأَرْسَلَهُ إلى الإنْسِ والجِنِّ.

٤٥ - وعن أفضلية البشر على الملائكة:

قال: هذا على مَذْهَبِ الأَشَاعِرَةِ، وعَزَاهُ الحَافِظُ في "الفتح" إلى جُمهورِ أَهْلِ السُّنَّة، والآية التي اسْتَدَلَّ بها المُؤلِّفُ على ذلك اسْتَدَلَّ به أيضًا أبو هريرةَ وطائفةٌ مِن العُلَماءِ.

والذي نَعْتَقِدُه ونَدِينُ اللهَ عَلَيْهِ: أنَّ الملائكةَ أفضلُ مِن جَميعِ بني آدَمَ ما عَدا الأنبياءِ عليهم السلام، وأنَّ أفاضِلَ البَشَرِ كأبي بَكْرٍ رضي الله عنه لا يَبْلُغونَ دَرَجَةَ مَلَكٍ مِن الملائكةِ عليهم السلام فَضْلًا على أنْ يكونَ أفضلَ مِنْهُ، أمَّا الأنبياءُ فهم أفضلُ مِن الملائكةِ على مَذْهَبِ جُمهورِ أَهْلِ السُّنَّةِ لأدلَّةٍ مَبْسُوطَةٍ في مَحَلِّها مِنْ كُتُبِ التَّوْحِيدِ.

ومِن الدَّليلِ عَلَى تَفْضِيل الملائكة على غير الأنبياءِ قوله تعالى: ﴿ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا ﴾ [فاطر: ١] وغَيْرُ الرَّسُول لا يَكُونُ أفضلَ مِنَ الرَّسُول إجْمَاعًا، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴾ [الإسراء: ٧٠]، ولا شَكَّ أنَّ بني آدَمَ أفضلُ مِنَ الجِنِّ والحيوانِ بلا نِزاعٍ.

ولو كانوا أفضل مِن الملائكةِ لقال تعالى: وفَضَّلْناهُم على جَميعِ مَنْ خَلَقْنا تَفْضِيلًا، ولكِنَّه عَبَّر بكثيرٍ ليَنُصَّ على إخْراجِ الملائكةِ، وأنهم أعلى مِنْ أن يَدْخُلوا في هذه المُفاضَلَةِ، وإخْبارُ الله عنهم في غير آيةٍ: ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٠]، وأنَّهم مِن الله مُقَرَّبون، وأنهم عِبادٌ مُكْرَمُون لا يَعْصُونَ اللهَ ما أمرَهُم ويَفْعَلونَ ما يُؤْمَرون.

وأفاضل البشر تَجوزُ عليهم المعاصي، ولهم فَتَراتٌ يَغْفَلونَ فيها عن عِبادَةِ الله، وقوله تعالىٰ في الحديثِ الصحيحِ القُدسيِّ: «أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بي وأنا مَعَهُ إذا ذَكَرَني، فإنْ ذَكَرَني في نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي، وإنْ ذَكَرَني في مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ في مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ» قال ابن بطال في قوله: «ذَكَرْتُهُ في مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ»: «هذا نصٌّ في أنَّ الملائكةَ أفضلُ مِن بني آدَمَ.

وهو مَذْهَبُ جُمهورِ أهلِ العِلْمِ، وعلىٰ ذلك شواهد مِن القُرْآن مِثل: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠]، والخالِدُ أفضلُ مِن الفاني، فالملائكةُ أفضلُ مِن بني آدَمَ». اهـ

وتَعَقَّبَهُ الحافِظُ مُتمَشِّيًا معَ رأي الأشاعِرَةِ، وهذا مِن هَفَواتِهِ رحمهُ الله ورضي عنه.

وفي المسألةِ أدلَّةٌ أُخرىٰ لبَسْطِها مَوْضِعٌ غير هذا.

ومِن اللَّطائِفِ في هذا البابِ أنَّ القاضي أبا البركات محمد بن الحاج السلمي -وهو مِن شيوخ ابن خلدون- استدلَّ علىٰ تفضيل الملائكة بأنَّ اللهَ أَسْجَدَهُمْ لآدَمَ، فنَظَرَ بعضُ الحاضِرينَ إلىٰ بَعْضٍ، وقال: جُنَّ القاضي!! قال: أتقولون إنَّ أَمْرَ الله الملائكةَ بالسُّجُودِ لآدَمَ أَمْرُ ابْتِلاءٍ واخْتِبارٍ؟ قالوا: نَعَمْ، قال: أفيُخْتَبَرُ تَواضُعُ عَبْدٍ بالخُضُوعِ لسَيِّدِهِ؟ أم الأمرُ العكس؟ قالوا إنَّما يُخْتَبَرُ تَواضَعُ السَّيِّدِ بالخُضُوعِ لعَبْدِهِ، قال فكذا الملائكةُ وآدَم لو لم يكونوا أفضلَ مِنْهُ ما اخْتُبِرَ حالُهم بالأَمْرِ بالسُّجُودِ لَهُ فأَذْعَنُوا لذلك. اهـ

نقله في "نفح الطيب"، ونَظَّرَ فيه ابن الحاج في "حاشية المرشد المعين": «بأنَّ الظاهرَ أنَّ السُّجُودَ إكْرَامٌ لا اخْتِبَارٌ». اهـ

وفي التَّنْظِير نَظَرٌ لأَنَّهُ لامَانِعَ أنْ يَكُونَ السَّجُودُ إكْرَامًا وتَحِيَّةً لآدَمَ، واخْتِبارًا للمَلائِكَةِ، بل أوامِرُ الله كُلُّها لا تَخْلُوا أنْ تكونَ اخْتِبارَاتٍ مِن الله لعِبادِهِ وإن كانت في الوَقْتِ نَفْسِهِ تَشْتَمِلُ عَلَىٰ حِكَمٍ ومَصَالِحَ للعِبادِ، يُؤَيِّدُ ما ذَكَرْنَاهُ: أنَّ المَلائِكَةَ مَخْلُقونَ مِنْ نُورٍ كما جَاءَ في "صحيح مسلمٍ" عن عائشةَ ﵂ قالت: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**خُلِقَتِ المَلائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وخُلِقَ الجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ**».

ولا شَكَّ أنَّ النُّورَ أفضلُ مِنَ التُّرابِ فكانَ في سُجُودِهِمْ لآدَمَ امْتَحَانٌ أيُّ امْتِحَانٍ، ولولا أنَّهم مَعْصُومُونَ لقالوا كما قال إبليسُ لَعَنَهُ اللهُ - وهو مِنَ الجِنِّ-: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢] وهذا واضِحٌ لا خَفَاءَ فيه.

(حاشية بداية السول ص: ٤٢- ٤٤)

٤٦- وعن وإذا كانتِ الأنبياءُ أفضلَ مِن الملائكةِ، ورسولُ الله ﷺ أفضلُ مِن الأنبياءِ، فقد سادَ ساداتَ الملائكةِ فصَارَ أفضلَ مِن الملائكة بدَرَجَتَيْنِ، وأعلى مِنهم برُتْبَتَيْن.

قال: هذا عَلَىٰ ما مَشَىٰ عَلَيْهِ المُؤَلِّفُ، أمَّا عَلَىٰ ما اخْتَرْنَاهُ -وهو الرَّاجِحُ- فيكونُ النبيُّ ﷺ أفضلَ مِنَ المَلائِكَةِ بدَرَجَةٍ وأَعْلَىٰ مِنْهُم برُتْبَةٍ، وكَفَىٰ بذلك شَرَفًا وفَخْرًا.

(حاشية بداية السول ص: ٤٤)

٤٧- قال السيد عبد الله بن الصديق في الخاتمة:

قالَ الإمامُ أبو سعيدٍ النيسابوريُّ في كتاب "شرف المصطفىٰ": «الفَضَائِلُ

التي فُضِّلَ بها النبيُّ ﷺ عَلَىٰ سَائِرِ الأنبياءِ ستون خَصْلَةً». اهـ

قال الحافظ السيوطيُّ: «لم أَقِفْ عَلَىٰ مَنْ عَدَّها، وقد تَتَبَّعْتُ الأحاديثَ والآثارَ فوَجَدْتُ القَدْرَ المَذْكُورَ وثلاثةَ أَمْثَالِهِ مَعَهُ وقد رأيتُها أربعة أقسامٍ:

١- قِسْمٌ اخْتَصَّ بِهِ في ذاتِهِ في الدُّنيا.

٢- وقِسْمٌ اخْتَصَّ بِهِ في ذَاتِهِ في الآخِرَةِ.

٣- وقِسْمٌ اخْتَصَّ بِهِ في أُمَّتِهِ في الدُّنْيا.

٤- وقِسْمٌ اخْتَصَّ بِهِ في أُمَّتِهِ في الآخِرَةِ».اهـ

ثُمَّ سَرَدَهَا مُفَصَّلَةً في كتاب "الخصائص الكُبرىٰ" وهو مَطْبوعٌ في الهند في مُجلَّدين فليراجَع.

وهذا آخِرُ ما أردنا كِتابَتَهُ عَلَىٰ هذه الرِّسَالَةِ المُبارَكَةِ، نسألُ اللهَ أنْ يَجْعَلَهُ عَمَلًا مُتَقَبَّلًا، وأنْ يَكُونَ سَبَبًا نَتَوَسَّلُ بِهِ لَدَىٰ نَبِيِّهِ الكَرِيمِ، عَسَىٰ أنْ يَشْمَلَنَا بشَفَاعَتِهِ الخَاصَّةِ في المَوْقِفِ العَظِيمِ:

إنْ لَمْ يَكُنْ في مَعَادِي آخِذًا بيَدِي فَضْلًا وإلَّا فَقُلْ يا زَلَّةَ القَدَمِ

والحَمْدُ لله رَبِّ العَالمينَ، والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَىٰ نَبِيِّهِ شَفِيعِ الخَلْقِ أجمعينَ، وعَلَىٰ آلِهِ الأَكْرَمِينَ، وصَحَابَتِهِ والتَّابِعينَ.

(حاشية بداية السول ص ٤٤- ٤٥).

٥- تعليقات

السيد العلامة عبدالله بن الصديق الغماري

على كتاب

"الباهر في حكمه ﷺ بالباطن والظاهر"

للحافظ السيوطي

١- و عن حديث حنين الجذع:

قال: حنينُ الجذع للنَّبيِّ ﷺ رواه الشيخان عن سهل بن سعد.

والبُخاري وأحمد عن جابر.

وابن عمر، والدَّارمي، وأحمد، وابن ماجه عن ابن عباس.

والدَّارمي، عن أبي سعيد وبريدة.

وأحمد، والترمذي، وابن ماجه عن أنس.

والبَيهقي في "الدَّلائل" عن أمِّ سلمة.

والشافعي، وأحمد، والدَّارمي، وابن ماجه، وأبو يعلى، وسعيد بن منصور عن أبي بن كعب.

وقد عدَّه المؤلف من «المتواتر» في كتابه الذي ألَّفه فيه، لكن قال الحافظ: إنَّه نقل نقلًا مستفيضًا يفيد القطع عند من يطلع على طرق الحديث دون غيرهم ممن لا ممارسة له في ذلك.

(التعليق على الباهر ص: ٤)

٢- وعن حديث بعثت إلى الناس كافة:

قال: أخرجه الشَّيخان، والنَّسائي عن جابر.

وأحمد، والطبراني، عن أبن مسعود.

ومسلم، والنَّسائي، والترمذي عن أبي هريرة.

والطبراني عن السائب بن يزيد.

والبيهقي عن أبي أمامة.

وابن عساكر عن عليٍّ صلوات الله عليه.

وأحمد، والترمذي، والحكيم، والبيهقي عن ابن عباس.

وأحمد، والدَّارمي، والطبراني، وأبو يعلىٰ، وسعيد بن منصور، وابن حبَّان، والحاكم عن أبي ذر.

والترمذي الحكيم عن عبدالله بن عمرو بألفاظ مختلفة وطرق كثيرة، وفي الباب عن غير هؤلاء .

(التعليق علىٰ الباهر ص: ٤ - ٥)

٣- وعن حديث كنت نبيا وآدم بين الروح الجسد:

قال: أحمد، والبخاري في "التاريخ"، والطبراني، والحاكم، والبيهقي، وأبونعيم، والبغوي، وابن السكن عن ميسرة الفجر قال: قلت يا رسول الله: متىٰ كنتَ نبيًا؟ قال: ... فذكره.

صحَّحه الحاكم، وأخرجه الترمذي، والحاكم، وأبو نعيم، والبيهقي عن أبي هريرة.

قال الترمذيُّ: حسنٌ صحيحٌ، وصحَّحه الحاكم أيضًا.

وأحمد والدَّارمي في "مسنديهما"، وأبو نعيم، والطبراني في "الأوسط"، والبزَّار في "المعجم" عن ابن عباس.

وفي الباب عن أبي الجدعاء عند ابن سعد وابن قانع.

وعن مطرف بن عبدالله بن الشخير عند ابن سعد.

وعن العرباض بن سارية عند ابن سعد، وأحمد، والطبراني، والحاكم، وأبي نعيم، والبيهقي، وابن حبَّان في "الصحيح".

أمَّا حديث: «كنت نبيًّا وآدم بين الماء والطين»، وحديث: **«كنتُ نبيًّا ولا**

آدم ولا ماء ولا طين»فقال ابن تيمية : إنهما موضوعان ، وهو خطأ، والصواب كما قال الحافظ: إنَّ الأول قوي، والثَّاني ضعيفٌ ، وابن تيمية لا يعتمد عليه في الحكم على الأحاديث بوضعٍ أو غيره، فإنَّه لم يكن من المبرزين في علم الحديث، فكم حديث صحيح حكى اتفاق المحدِّثين على وضعه، كحديث زيد ابن أرقم، كان لنفرٍ من أصحاب النَّبيِّ ﷺ أبواب شارعة في المسجد فقال يومًا: «**سدُّوا هذه الأبواب إلَّا باب عليّ ... الحديث**».

رواه أحمد في "المسند"، والنسائي في "الكبرى"، والحاكم وقال: «صحيح الإسناد»، والحافظ ضياء الدين في "المختارة".

وله طرق تسعة ذكر بعضها الحافظ في "القول المسدد"، والبعض الآخر الحافظ السُّيوطي، ومع هذا كله قال في "منهاجه" عنه: إنَّه موضوعٌ باتفاق المحدِّثين. وهذا خطأٌ فاحشٌ.

(التعليق على الباهر ص: ٥-٦)

٤- وعن حديث لو كان موسى حيًّا ما وسعه إلا اتباعي:

قال: أحمد بإسنادٍ حسنٍ، وابن حبَّان بإسنادٍ صحيحٍ، والبيهقي في "الشعب" عن جابرٍ، أتى عمر رضي الله عنه النَّبيَّ ﷺ فقال: إنَّا نسمع أحاديث من يهود تعجبنا، افترى أنْ نكتب بعضها؟ فقال: «**أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنَّصارى، لقد جئتكم بها بيضاء نقيَّة، ولو كان موسى حيًّا ما وسعه إلَّا اتباعي**».

وأخرجه أحمد عن ابن عبَّاسٍ بإسنادٍ حسنٍ.

وفي الباب: عن أبي الدَّرداء عند الطبراني.

وعن عبدالله بن ثابت الأنصاري عند ابن سعد، وأحمد، والحاكم في "الكنى"، والطبراني، والبيهقي في "الشعب"، وعن عبدالله بن الحارث عند البيهقي في "الشعب". (التعليق على الباهر ص: ٩)

٥- وعن حديث أبي بكر لما أغضبه الرجل، فقال أبو برزة: ألا أقتله يا رسول الله؟

قال: أحمد، وأبو داود، والنَّسائي، عن أبي برزة قال: كنتُ عند أبي بكرٍ رضي الله عنه فتغيظ على رجلٍ فاشتد عليه، فقلت: تأذن لي يا خليفة رسول الله أضرب عنقه؟ قال: فاذهبت كلمتي غضبه، فقام فدَخَلَ - يعني داره - فأرسل إليَّ فقال: مالذي قلت آنفًا؟ قلت: ائذن لي أضرب عنقه، قال: أكنت فاعلًا لو أمرتك؟ قلت: نعم. قال: لا والله ما كانت لبشرٍ بعد رسول الله ﷺ. وأبو برزة صحابيٌ، واسمه نضلة بن عبيد الأسلمي.

(التعليق على الباهر ص: ٩- ١٠)

٦- وعن حديث: «لم يكن لأبي بكرٍ أنْ يقتل رجلًا إلَّا بإحدى ثلاث ...»:

قال: أورده أبو داود عقب تخريج الحديث شرحًا لكلام أبي بكرٍ رضي الله عنه وأرضاه.

(التعليق على الباهر ص: ١٠)

٧- وعن قوله ﷺ: «كفرٌ بعد إيمانٍ، وزنى بعد إحصانٍ، وقتل نفسٍ بغير نفسٍ»:

قال: فيما رواه الطبراني في "الأوسط" عن أبي بكرة، وابن جرير في "تهذيب الآثار" عن أنسٍ قالا: قال رسول الله ﷺ: **«أمرت أنْ أقاتل النَّاس**

حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلَّا بحقها» قيل: وما حقها؟ قال: ... فذكره وحسَّن هذا الحديث كما قال المؤلف.

وفي الباب عن ابن مسعود عند أحمد والستة.

وعن عائشة عند أبي داود، والنَّسائي، والحاكم، وابن عساكر.

وعن عمَّار بن ياسر رضي الله عنه عند الطبراني، وابن عساكر.

وعن عثمان رضي الله عنه عند أحمد، والترمذي، والنَّسائي، وابن ماجه، والحاكم.

(التعليق على الباهر ص: ١٠ - ١١)

٨- وعن حديث الحارث بن حاطب أنَّ رسول الله ﷺ أتي بلصٍّ فقال: «اقتلوه»، فقالوا يا رسول الله: إنما سرق ... الحديث:

قال: وفي كتاب: «قطع السارق» من "سننه"، وأخرَجَ الحديث - أيضًا - الحاكم وصحَّحه على شرط الشيخين وتعقَّبه الذَّهبي، ورواه أبو يعلى، وسعيد ابن منصور، والطبراني، والشاشي.

وفي الباب: عن جابر عند أبي داود، والنَّسائي، وفيه مصعب بن ثابت، قال النَّسائي: «ليس بالقوي».

وعن عبدالله بن زيد الجهني عند أبي نعيم.

(التعليق على الباهر ص: ١١)

٩- وعن حديث: أنَّ بني اسرائيل افترقوا إلى إحدى وسبعين فرقة:

قال: حديث: «**أنَّ بني إسرائيل ... إلخ**»، أخرجه ابن ماجه عن أنسٍ بإسنادٍ صحيحٍ.

وفي الباب: عن عوف بن مالك عند ابن ماجه بإسنادٍ رجاله ثقات، ما عدا

راشد بن سعد، قال أبو حاتم فيه: «صدوقٌ».

وعباد بن يوسف، فذكره ابن حبَّان في "الثِّقات"، وقال ابن عدي: «يروي أحاديث تفرَّد بها»، ولم يخرج له من السِّتة إلَّا ابن ماجه، ولم يرو عنه إلَّا هذا الحديث، وعن ابن عمر عند الترمذي، وعن أبي هريرة عند ابن عدي، وعن معاوية عند أبي داود.

(التعليق على الباهر ص: ١٤-١٥)

١٠- وقال السَّيد العلَّامة عبد الله بن الصديق الغماري في آخر تعليقة له على الكتاب:

تنبيهٌ: ربما يعارضُ من لا معرفة له بعلم الحديث ما في هذا المؤلف بما اشتهر في كتب الأصول، كـ"مختصر ابن الحاجب"، و"منهاج البيضاوي"، وتداولته ألسِنة فقهاء زماننا وهو قوله ﷺ: «**أمرتُ أنْ أحكم بالظاهر، والله يتولى السَّرائر**».

وربما قيل: نحن نحكم بالظَّاهر فدفعًا لهذا التعارض وذبًّا عن الحديث النَّبوي، نقول: إنَّ الحديث المذكور لا أصل له عن النَّبيِّ ﷺ لا في كتب الحديث المشهورة ولا الأجزاء المنثورة، كما قاله جماعة من الحُفَّاظ، وهم: الحافظ جمال الدين المزي، وعماد الدين ابن كثير، والحافظ زين الدِّين العِراقي، والحافظ شهاب الدِّين العَسْقَلاني، والحافظ شمس الدِّين السَّخاوي وغيرهم وبالله التوفيق.

مصحح الكتاب وكاتب تعاليقه
عبدالله بن محمد الصديق المغربي الحسني
من علماء الأزهر عفا الله عنه بمنِّه

٦- تعليقات

السَّيد عبدالله بن الصِّديق الغماري

على كتاب:

"تأييدُ الحقيقةِ العَليةِ وتشييدُ الطَريقةِ الشَّاذليةِ"

١- وعن حديث عبدالله: «...كأنَّك تراه فإنْ لم تكنْ تراه فإنَّه يراك»، أخرجه الشَّيخان:

قال السيد عبد الله بن الصديق رحمه الله تعالى : كذا قال المؤلِّف مع أنَّ الحديث لم يخرجه إلَّا مسلم، وقد وافقه البخاري على روايته من حديث أبي هريرة، ورواه البخاري في «خلق أفعال العباد»، والبزَّار عن أنسٍ بإسنادٍ حسَّنه الحافظ.

ورواه أحمد عن ابن عبَّاسٍ، وأبي عامر الأشعري بإسنادٍ حسنٍ.

ورواه الطبراني بإسنادٍ حسنٍ، رجاله موثَّقون عن ابن عمر.

وأبو عوانة في "صحيحه" عن جرير بن عبدالله البجلي، وفيه خالد بن يزيد العمري، قال الحافظ: «لا يصلح للصَّحيح».

(تعليقاته على تأييد الحقيقة العلية ص: ٥)

٢- وعن اتهام عبدالسلام بن صالح الهروي :

قال: هذا الاتهام مردودٌ، فإنَّ أبا الصَّلت لم ينفرد به بل تابعه عليه غيره، ممن هو أجلُّ منه وأوثق، وبيان ذلك:

أنَّ الحديث رواه ابن ماجه عن سهل بن أبي سهل، ومحمد بن إسماعيل، والطبراني عن معاذ بن المثنى.

والبيهقي في "الشعب" من طريق علي بن عبد العزيز أربعتهم قالوا: ثنا أبو الصَّلت الهروي: ثنا علي بن موسى الرضا: ثنا الحسن، عن أبيه عليّ كرم الله وجهه مرفوعًا: «**الإيمان معرفةٌ بالقلب، وقولٌ باللِّسان، وعملٌ بالأركان**».

تابع أبا الصَّلت على روايته عن علي بن موسى الرضا، حفيده الحسن بن

محمد بن علي بن موسىٰ، وأخوه عبدالله بن موسىٰ وعلي بن غراب، ومحمد بن زياد السهمي، ومحمد بن أسلم .

فمتابعة الحسن رواها الشِّيرازي في "الألقاب".

ومتابعة عبدالله رواها ابن السُّني في كتاب "الأخوة والأخوات".

ومتابعة علي بن غراب رواها الخطيب.

ومتابعة محمد بن زياد رواها الصَّابوني في "المائتين".

ومتابعة محمد بن أسلم رواها البيهقي في "الشعب"، مقرونة برواية أبي الصلت.

وتابعه - أيضًا - الحسن بن علي التميمي الطبرستاني، عن محمد بن صدقة العنبري، عن موسىٰ بن جعفر، وأحمد بن عيسىٰ بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب العلوي، عن عباد بن صهيب، عن جعفرٍ رواها تمَّام في "فوائده".

ثمَّ إنَّ للحديث شاهدًا بلفظه وبمعناه:

فالأول: رواه الشِّيرازي في "الألقاب" عن عائشة مرفوعًا به.

والثاني: رواه البيهقي في "الشعب" من طريق عبد الرحمن بن فروخ، عن عبدالله بن أبي قتادة، عن أبيه مرفوعًا: «**من شهد أنْ لا إله إلَّا الله وأَن محمدًا رسول الله فذل بها لسانه واطمأنَّ بها قلبه، لم تطعمه النَّار**»، فكيف يصح اتهام الرجل مع وجود هذه المتابعات والشَّواهد؟!

(تعليقاته علىٰ تأييد الحقيقة العلية ص: ٦)

٣- وعن حديث أنسٍ مرفوعًا: «العلمُ عِلْمان: فعلمٌ ثابتٌ بالقلب، فذاك العلم النَّافع ... الحديث».

قال السيوطي: وهذا الحديث أخرجه أبو نعيم، والدَّيلمي في "الفردوس".

قال: بإسنادٍ ضعيفٍ، ورواه الخطيب في "التاريخ" من طريق الحسن، عن جابرٍ بإسنادٍ حسنٍ، كما قال الحافظان زكي الدين المنذري، وزين الدين العراقي.

وأعلَّه ابن الجوزي فلم يصب.

ورواه ابن أبي شيبة في "المصنف"، والحكيم الترمذي في "نواد الأصول"، وابن عبد البر في "العلم"، من طريق هشام عن الحسن مرسلًا، بإسنادٍ صحيحٍ.

ورواه البيهقي عن الفضيل بن عياض من قوله.

(تعليقاته على تأييد الحقيقة العلية ص: ٧)

٤- وعن الحديث المسلسل بالصُّوفيَّة:

قال: أنا أبوبكر أحمد بن سهل السِّراج الُّصوفي: إذنًا عن أبي طالب حمزة بن محمد الجعفري، عن عبد الواحد بن أحمد الهاشمي، عن أحمد بن منصور بن يوسف الواعظ، عن علان بن يزيد الدينوري، عن جعفر بن محمد الصوفي، عن الجنيد، عن السري السَّقطي به.

(تعليقاته على تأييد الحقيقة العلية ص: ٧)

٥- وعن حديث: «بدأ الإسلام غريبًا ... الحديث»:

قال: رواه مسلمٌ عن أبي هريرة، وقد ورد معناه من حديث ابن مسعود، وأنس، وسلمان، وسهل بن سعد، وابن عبَّاسٍ، وابن عمر، وعمرو بن عوف المزني، وعبد الرحمن بن سنة بن حبيب الأشجعي ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن عمرو ، وعبد الرحمن بن سمرة بن حبيب العبسي، ومن مرسل مجاهد.

(تعليقاته على تأييد الحقيقة العلية ص: ٨)

٦- وعن قول عيسى عليه السلام : «العلماء ثلاثة»:

قال: قال المؤلف في "الدر المنثور" أخرج ابن أبي حاتم من طريق سفيان، عن أبي حيان التيمي، عن رجلٍ قال: قال : كان يقال فذكر نحوه.

(تعليقاته على تأييد الحقيقة العلية ص: ٨)

٧- وعن سؤال جبريل عن علم الباطن:

قال: قال: أنا فيد: أنا أبو مسعود البجلي: أنا السلمي - يعني أبا عبدالرحمن -: أنا أبوبكر محمد بن علي الزراد النهاوندي: ثنا أحمد بن الحسين بن عمران الأنصاري: أنا أحمد بن يعقوب بن نصر، قال: سألت أحمد بن غسَّان عن علم الباطن ... إلخ.

وفي هذا السَّند غير عبد الواحد بن زيد من لا يعرف، كما قال المؤلِّف فيما بعد، ثمَّ إنَّ الحسن لم يلق حذيفة، ولذا قال الحافظ في "زهر الفردوس": «هذا موضوعٌ».

وأخرج ابن الجوزي في "العلل المتناهية"، وأبو عبد الرحمن السلمي في "الأربعين" بإسنادٍ ضعيفٍ عن عليٍّ عليه السلام مرفوعًا: «**علم الباطن سرٌّ من سرِّ الله، وحكمٌ من حكم الله، يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده**».

(تعليقاته على تأييد الحقيقة العلية ص :٨)

٨- وعن سؤال أحمد بن غسان لجبريل عن الإخلاص:

قال: كذا أخرجه القشيري في "الرسالة" عن شيخه أبي عبدالرحمن السلمي، وكذا أخرجه القزويني، وابن ناصر الدِّمشقي، والحافظ أبو مسعود

الأصفهاني في "مسلسلاتهم" من طرقٍ مدارها على أحمد بن غسَّان بإسناده السابق.

(تعليقاته على تأييد الحقيقة العلية ص: ٩)

٩- وعن حديث: «لكلِّ آية ظهرٌ وبطنٌ»:

قال: قال سفيان: عن يونس بن عبيد، عن الحسن مرفوعًا: «**لكلِّ آية ظهرٌ وبطنٌ، ولكلِّ حرف حدٌّ، ولكلِّ حدّ مطلعٌ**».

ورواه أبو عبيد قال: ثنا حجَّاج، عن حمَّاد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن الحسن يرفعه إلى النَّبيِّ ﷺ قال: «**ما نزل من القرآن من آيةٍ، إلَّا ولها ظهرٌ وبطنٌ** ... الحديث».

إسناده الأول على شرط الصحيح، والثاني على شرط الحسن، غير أنَّه مرسلٌ، وقد وصل صدره أبو يعلى في "الكبير" بإسنادٍ رجاله ثقات، عن ابن مسعودٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُنزل القرآن على سبعة أحرفٍ، لكلِّ آية منها ظهرٌ وبطنٌ**».

وروى الدَّيلمي في "مسند الفردوس" من حديث عبدالرحمن بن عوف مرفوعًا: «**القرآن تحت العرش له ظهرٌ وبطنٌ يحاج العبد**».

وروى الطبراني والبزَّار عن ابن مسعودٍ موقوفًا: «إنَّ هذا القرآن ليس منه حرفٌ إلَّا له حدٌّ، ولكلِّ حدّ مطلعٌ».

(تعليقاته على تأييد الحقيقة العلية ص: ٩)

١٠- وعن قول ابن النقيب في تفسيره : "ظهر الآية ما معانيها لأهل العلم بالظاهر ، وباطنها ما تضمنته من الأسرار التي أطلع الله عليها أرباب الحقائق"

قال: هذا أحد الأقوال في معنى الظهر والبطن.

والثاني: أنَّ الظَّهر اللَّفظ، والبطن التأويل.

والثالث: أنَّ الظهر صورة القصة مما أخبر الله عن غضبه على قومٍ، وعقابه إيَّاهم، والبطن التنبيه لمن يقرأ ويسمع من الأمة، وتحذيرهم أنْ يفعلوا مثل فعلهم.

وارتضى هذا أبو عبيد مع كونه خاصًّا بالقصص والحديث عامٌّ.

الرابع: أنَّ الظهر تنزيله الذي يجب الإيمان به، والبطن وجوب العمل به.

والخامس: أنَّ الظَّهر تلاوته كما أنزل، والبطن التدبُّر والتفكُّر فيه، وقد يستأنس لهذا بما رواه محمد بن نصر عن عمير بن هانئ، أنَّ الصَّحابة قالوا: يا رسول الله إنَّا لنجد للقرآن منك ما لا نجده لأنفسنا إذا نحن خلونا!، قال: «**أجل أنا أقرأه لبطنٍ، وأنتم تقرؤنه لظهرٍ**»، قالوا يا رسول الله: ما البطن؟ قال: «**أقرأ أتدبره، وأعمل بما فيه، وتقرؤنه أنتم هكذا**» وأشار بيده فأمرَّها.

وبقيَّت أقوالٍ أُخَر أضربنا عنها الذِّكر صفحًا لضعفها.

وأمَّا الحدُّ، فقيل: إنَّه الغامض من المعاني، وأنَّ المطلع ما يتوصَّل به إلى معرفته.

وقيل: الحدُّ أحكام الحلال والحرام، والمطلع الإشراف على الوعد والوعيد. وقيل غير ذلك.

(تعليقاته على تأييد الحقيقة العلية ص: ٩- ١٠)

١١- وعن تعليم الإمام علي عليه السلام لكميل: «القلوب أوعية ...»:

قال: قال أبو نعيم في الحلية: ثنا حبيب بن الحسن: نا محمد بن إسحاق، وثنا

سليمان بن أحمد: ثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة قالا: ثنا أبو نعيم ضرار بن صرد ، وثنا أبو أحمد محمد بن محمد بن أحمد الحافظ: ثنا محمد بن الحسين الخثعمي، ثنا إسماعيل بن موسى الفزاري قالا: ثنا عاصم بن حميد الخياط، ثابت بن أبي صفية، عن عبد الرحمن بن جندب، عن كميل بن زياد، قال: أخذ علي بن أبي طالب بيدي فأخرجني إلى ناحية الجبَّان، فلما أصحرنا جلس ثمَّ تنفَّس وقال: «يا كميل القلوب أوعية فخيرها أوعاها، وأحفظ ما أقول لك: الناس ثلاثةٌ:

فعالمٌ ربَّانيٌّ، ومتعلِّمٌ على سبيل النَّجاة، وهمجٌ رِعاعٌ أتباع كل ناعقٍ يميلون مع كلِّ ريحٍ، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجئوا إلى ركنٍ وثيقٍ، العلم خيرٌ من المال، العلم يحرسك، وأنت تحرس المال، العلم يزكو على العمل، والمال تنقصه النَّفقة، ومحبَّة العالم دينٌ يدان، العلم يكسب العالم الطَّاعة في حياته، وجميل الأحدوثة بعد موته، وصنيعة المال بها تزول بزواله، مات خزان الأموال وهم أحياءٌ، والعلماء باقون ما بقي الدَّهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب، موجودة هاه إنَّ هاهنا...» إلخ.

(تعليقاته على تأييد الحقيقة العلية ص: ١١)

١٢- وعن حديث أم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاصي أن رسول الله ﷺ أتى بكسوة فيها خميصة، فقال: من ترون أحق بهذه؟فسكت القوم فقال: «إئتوني بأمِّ خالد» فأتى بها فألبسها إيَّاها ثمَّ قال: «أبلي وأخلقي» مرتين. أخرجه البخاري.

قال: وأبو داود، وأسنده السهروردي في "العوارف" من طريق الحاكم، وعزاه صاحب "المنح البادية" لمسلم فوَهِم.

وقد نقل المؤلف كلام ابن الصلاح هذا في "زاد المسير"، وهو ثبت السيوطي، وقال عقبه ما لفظه: «وقد استنبطت للخرقة أصلًا من السُّنَّة».

أوضح مما تقدَّم وهو ما رواه البيهقي في "الشعب" عن عطاء الخرساني، أنَّ رجلًا أتىٰ ابن عمر فسأله عن إرخاء طرف العمامة؟ فقال عبدالله بن عمر: إنَّ رسول الله ﷺ بعث سريَّة وأمر عليها عبد الرحمن بن عوف، وعقد لواء وعلىٰ عبد الرحمن عمامة من كرابيسٍ مصبوغة بسواد، فدعاه رسول الله ﷺ فحل عمامته ثمَّ عمَّمه بيده وأفضل موضع أربع أصابع أو نحوها، فقال: «**هكذا فاعتم فإنه أحسن وأجمل**».

وما رواه أبو داود والبيهقي عن عبد الرحمن بن عوف، قال: عمَّمني رسول الله ﷺ فسدلها بين يدي ومن خلفي. اهـ

قلت: الحديث الأول رواه الطبراني في "الأوسط" مطوَّلًا بإسنادٍ حسنٍ.

والثاني: في إسناده راوٍ لم يسم، ورواه الطبراني في "الأوسط" من حديث عائشة بإسنادٍ ضعيفٍ، هذا وأوضح مما استنبطه المصنِّف ما رواه الطبراني بإسنادٍ حسنٍ عن عبدالله بن بشر، قال: بعث رسول الله ﷺ عليًّا علىٰ بعثٍ، فعمَّمه بعمامةٍ سوداء، ثمَّ أرسلها من ورائه، أو قال: علىٰ كتفه اليسرىٰ.

ورواه البغوي في "معجم الصحابة"، وقال: لا أحسب لعبدالله صحبة.

وأخرج ابن أبي شيبة والطبراني والبيهقي عن عليٍّ، قال: «عمَّمني رسول الله ﷺ يوم غدير خم، فسدلها خلفي».

ولابن شاذان في "مشيخته" عنه نحوه.

وللدَّيلمي عن ابن عبَّاسٍ قال: عمَّم النَّبيُّ ﷺ عليا بالسحاب الحديث.

فالاستدلال بهذا لإلباس الخرقة أنسب؛ لأنَّها تتصل بعليٍّ عليه السلام.

(تعليقاته على تأييد الحقيقة العلية ص: ١٣)

١٣ - وعن أخذ الحسن البصري العمامة عن عليٍّ:

قال: هذا مارآه تبعًا للبخاري وابن معين من عدم ثبوت سماع الحسن من عليٍّ، ونحوه قول ابن الجزري، وقد ساق سنده بلبس الخرقة من طريق الحسن، كذا وصلت لنا خرقة التصوُّف من طريق القوم.

وأهل الحديث لا يثبتون للحسن سماعًا من عليٍّ، مع أنَّه عاصره بلا شكٍّ، وثبت أنَّه رآه وأنَّه ولد في خلافة عمر، وصحَّ أنَّه سمع من عثمان. اهـ

ورأت طائفة - منهم الحافظ ضياء الدين المقدسي -، صحَّة سماع الحسن من عليٍّ لتصريحه به، فيما رواه أبو يعلى قال: أنا خوثرة بن أشرس: أنا عقبة بن أبي الصهباء الباهلي: سمعت الحسن يقول: سمعت عليًّا يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**مثل أمتي مثل المطر، لا يدرى أوّله خيرٌ أم آخره**».

قال محمد بن الحسن الصريفيني: هذا نصٌّ صريحٌ في سماع الحسن من عليٍّ، ورجاله ثقات، حوثرة وثَّقه ابن حبَّان، وعقبة وثَّقه أحمد وابن معين. اهـ

وأخرج المِزّي من طريق أبي نعيم بإسناده إلى يونس بن عبيدٍ، قال: قلت للحسن: إنَّك تقول قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم تدركه؟ قال: يا ابن أخي لقد سألتني عن شيءٍ ما سألني عنه أحد قبلك، ولو لا منزلتك مني ما أخبرتك، إني في زمنٍ كما ترى ، وكان في زمن الحجَّاج كلّ شيءٍ، سمعتني أقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو عن عليٍّ، غير أنِّي في زمنٍ لا أستطيع أنْ أذكر عليًّا.

(تعليقاته على تأييد الحقيقة العلية ص: ١٤)

١٤- وعن قول أبي بكر الصديق للسيدة عائشة إنما هما أخواك وأختاك...:

قال: هذا الأثر أخرجه مالكٌ في "الموطأ" مطوَّلًا عن عائشة بإسنادٍ صحيحٍ على شرط الشيخين.

(تعليقاته على تأييد الحقيقة العلية ص: ١٦)

١٥- وعن قول عمر: يا سارية الجبل، وقصة إجراء النيل:

قال: أخرج ابن الأعرابي في "كرامات الأولياء"، والبيهقي في "الدلائل"، واللالكائي في "شرح السنة"، والديرعاقولي في "فوائده" بإسنادٍ حسنٍ عن ابن عمر قال: وجَّه عمر جيشًا ورأَّس عليهم رجلًا يدعى سارية، فبينما عمر يخطب جعل ينادي: «يا رسارية الجبل» ثلاثًا، ثمَّ قدم رسول الجيش فسأله عمر؟ فقال: يا أمير المؤمنين هزمنا فبينا نحن كذلك إذ سمعنا صوتًا ينادي يا سارية الجبل ثلاثًا، فأسندنا ظهرنا إلى الجبل فهزمهم الله تعالى. وله طرق بل صحَّحه ابن تيمية.

وقصَّة الزلزلة حاصلها: أنَّ الأرض ارتجت على عهد عمر فضربها بالدرة، وقال: «اسكني ألم أعدل عليك»، وكانت تضطرب فسكنت.

كذا ذكرها ابن السبكي في "معيد النعم"، ولم أجد لها إسنادًا.

وملخَّص قصَّة إجراء النيل أنَّ أهل مصر كان من عادتهم أنْ يرموا في النِّيل كل سنة بنتًا بكرًا محلَّاة بالحُلي والحلل، معتقدين أنَّ النِّيل لا يجري إلَّا بذلك فلما فتح عمرو بن العاص مصر وأراد أهلها أنْ يفعلوا ذلك منعهم، وكتب إلى عمر يخبره، فكتب عمر إليه بطاقة وأمره أنْ يرميها في النِّيل، وهي: «من عبدالله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر، أمَّا بعد: فإنْ كنت تجري من قبلك فلا تجرِ،

وإنْ كان الواحد القهار يجريك فنسأل الله الواحد القهَّار أنْ يجريك، فألقاها عمرو في النِّيل فأجراه الله ستة عشر ذراعًا، وزالت تلك السُّنَّة السُّوء عن أهل مصر، كذا رواها ابن عبدالحكم في "تاريخ مصر"، وأبو الشَّيخ في "العظمة" بإسنادٍ ضعيفٍ.

(تعليقات على تأييد الحقيقة العلية ص: ١٦ - ١٧)

١٦ - وعن حديث: «إنَّه ليغان على قلبي فأستغفر الله سبعين مرَّة».

قال: رواه مسلمٌ من حديث الأغر المزني، غير أنَّه قال: **«وإنِّي لأستغفر الله في اليوم مائة مرة».**

(تعليقاته على تأييد الحقيقة العلية ص: ١٩)

١٧ - وعن قوله ﷺ لحارثة: «كيف أصبحت؟» قال: أصبحت مؤمنًا حقًّا، فقال: «إنَّ لكلِّ قول حقيقة فما حقيقة إيمانك؟» فقال: عزفت نفسي عن الدنيا ...الحديث.

قال: تمامه «فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري، وكأنِّي أنظر إلى عرش ربي، وكأنِّي أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وكأنِّي أسمع عواء أهل الجنة ، فقال: **«مؤمنٌ نوَّر الله قلبه».**

ورواه ابن المبارك في "الزهد"، وعبد الرزَّاق عن معمر، عن صالح بن مسمار، زاد عبد الرزَّاق وجعفر بن برقان، ثمَّ اتفقا أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال للحارث ابن مالك: «**كيف أصحبت ...**» إلخ. وهو معضلٌ.

ورواه عبد الرزَّاق في "التفسير" عن الثوري، عن عمرو بن قيس الملائي، عن يزيد السلمي، قال: قال رسول الله ﷺ: ... فذكره.

ورواه الطبراني من طريق سعيد بن أبي هلال، عن محمد بن أبي الجهم.

وابن منده من طريق سليمان بن سعيد، عن الربيع بن لوط كلاهما، عن الحارث بن مالك الأنصاري أنَّه جاء إلى النَّبيِّ ﷺ، فقال يا رسول الله: أنا من المؤمنين حقًّا، فقال: «**انظر ما تقول ... الحديث**».

وفي آخره: «**من سرَّه أنْ ينظر إلى نور الله، فلينظر إلى الحارث**». قال ابن منده: ورواه زيد ابن أبي أنيسة، عن عبد الكريم بن الحارث، عن الحارث بن مالك.

وأخرجه البزَّار، والبيهقي في "الشعب" من طريق يوسف بن عطيَّة، عن أنسٍ أنَّ النَّبيَّ ﷺ لقي رجلًا يقال له: حارثة في بعض سكك المدينة، فقال: «**كيف أصبحت يا حارثة؟ ... الحديث**». وفي آخره: «**عرفت فالزم، مؤمنٌ نوَّر الله قلبه**».

و«يوسف» لا يحتج به، ولكن تابعه جرير بن عتبة بن عبدالرحمن، فرواه عن أبيه، عن أنسٍ فيما ذكر ابن منده.

(تعليقات على تأييد الحقيقة العلية ص:٢٠)

١٨- وعن التسبيح عقب الصَّلوات وتقديمه على فضول الأموال:

قال: كما في صحيح مسلم عن أبي ذر.

(تعليقاته على تأييد الحقيقة العلية ص: ٢٤)

١٩- وعن: حديث «ما سبقكم أبو بكر بصومٍ ولا بصلاةٍ، ولكن بشيءٍ وقر في صدره».

قال: وهو قول بكر بن عبدالله المزني ولا يثبت مرفوعًا.

(تعليقاته على تأييد الحقيقة العلية ص : ٢٦)

٢٠- وعن فتوى العالم بما لا يعرف:

قال: ورد معناه من حديث أبي برزة الأسلمي قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تزول قدما عبدٍ حتى يُسأل عن عمره فيما أفناه؟ وعن علمه فيما فعل فيه؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم انفقه؟ وعن جسمه فيم أبلاه؟»**. وراه الترمذي وقال: «حسنٌ صحيحٌ».

وروى البيهقي عن معاذ مرفوعًا: **«ما تزال قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يسأل عن أربعٍ: عن عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟ وعن علمه ماذا عمل فيه؟»**.

وورد نحوه من حديث ابن مسعودٍ رواه البيهقي والترمذي وقال: «غريبٌ».

(تعليقاته على تأييد الحقيقة العلية ص: ٢٧)

٢١- وعن قعدة القرفصاء والاحتباء بيديه ﷺ:

قال: روى أبو داود والبخاري في "الأدب"، والترمذي في "الشمائل"، والطبراني عن قيلة بنت مخرمة أنَّها رأت النَّبيَّ ﷺ وهو قاعد القرفصاء، قالت: فلما رأيت رسول الله ﷺ المتخشع في الجلسة أرعدت من الفرق.

قال الحافظ ابن عبد البر: «حديثٌ حسنٌ».

وأخرج أبو داود والترمذي في "الشمائل" بإسنادٍ ضعيفٍ عن أبي سعيدٍ، أنَّ رسول الله ﷺ كان إذا جلس احتبى بيده.

وفي "صحيح البخاري" عن ابن عمر أنَّه رأى النَّبيَّ ﷺ بفناء الكعبة

محتبيًا بيديه.

(تعليقاته على تأييد الحقيقة العلية ص: ٢٧ – ٢٨)

٢٢- وعن كلام القطب القسطلاني في وصف الصُّوفيَّة:

قال: يرحم الله القطب القسطلاني كيف لو أردك متصوفة وقتنا هذا الذين رخبوا الدين باسم التصوُّف، نعم لا تزال بقيَّة باقية من أولئك المتمسِّكين بالتصوُّف الحقيقي، للحديث المتواتر: «**لا تزال طائفةٌ من أمتي ظاهرين على الحقِّ**»، فإنَّ الصحيح كما قاله النووي وغيره: أنَّ الطَّائفة عامَّة في جميع الأصناف من علماء عاملين وغزاة مجاهدين وغيرهم، لكن ما أعز تلك البقيَّة.

(تعليقاته على تأييد الحقيقة العلية ص: ٣٢)

٢٣- وعن قوله ﷺ: « والله إنِّي لأعرفكم بالله وأشدكم خوفًا منه»:

قال: في "صحيح البخاري" عن عائشة، قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أمرهم، أمرهم من الأعمال بما يطيقون، قالوا: إنَّا لسنا كهيئتك يا رسول الله، إنَّ الله غفر لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخر، فيغضب حتى يعرف بالغضب في وجهه، ثمَّ يقول: «**إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا ...**».

وفيه عن عائشة - أيضًا - قالت: صنع رسول الله ﷺ شيئًا فرخَّص فيه، فتنزَّه عنه أقوامٌ فبلغ ذلك النَّبي ﷺ فخطب فحمد الله، ثمَّ قال: «**ما بالُ أقوامٍ يتنزَّهون عن الشَّيء الذي أصنعه، فوالله إنِّي لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية**».

(تعليقاته على تأييد الحقيقة العلية ص: ٣٧)

٢٤- وعن قوله ﷺ حكايًا عن ربِّه: «لا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبه ... الحديث»:

قال: تمامه «فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإنْ سألني لأعطينَّه، ولئن استعاذني لأعيذنَّه، وما تردَّدت عن شيءٍ أنا فاعله تردُّدي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته».

رواه البخاري من طريق خالد بن مخلد القطواني، عن سليمان بن بلال، عن شريك بن عبدالله بن أبي نمر، عن عطاء - هو ابن يسار -، عن أبي هريرة، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «إنَّ الله تعالى قال: من عاد لي وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيءٍ أحب إليَّ مما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرَّب ...» إلخ.

وهذا أشرفُ حديثٍ في ذكر الأولياء والتنبيه على مالهم من علوِّ المكانة عند ربهم، حقه أنْ يتلقى بأكف القبول، ويتكب بسواد العيون على صفحات القلوب، ومع ذلك قال الذَّهبي في "الميزان" - وقد أسنده من طريق خالد -: هذا حديثٌ غريبٌ جدًّا، ولولا هيبة "الجامع الصحيح" لعددته في منكرات خالد؛ وذلك لغرابة لفظه، ولأنَّه مما ينفرد به شريك وليس بالحافظ، ولم يرو هذا المتن إلَّا بهذا الإسناد، ولا أخرجه من عدا البخاري، ولا أظنه في "مسند أحمد". اهـ

وهو ليس في "المسند" يقينًا كما قال الحافظ، وادعاء أنَّ المتن لم يرو إلَّا بهذا الإسناد، مردودٌ فإنَّ له طرقًا متعدِّدة منها عن عائشة، رواه أحمد في "الزهد"، وابن أبي الدنيا، وأبو نعيم في "الحلية"، والبيهقي في "الزهد"، والقشيري في "الرسالة" من طريق عبد الواحد بن ميمون عن عروة عنها، وفيه من الزِّيادة:

«وفؤاده الذي يعقل به، ولسانه الذي يتكلَّم به».

وعبد الواحد ضعيفٌ لكنه لم ينفرد به، فقد رواه الطبراني: ثنا هارون بن كامل، ثنا إبراهيم بن سويد المدني، ثنا أبوحرزة يعقوب بن مجاهد، عن عروة، عن عائشة به.

ورجال هذا الإسناد، رجال "الصحيحين" غير شيخ الطبراني فهو مجهولٌ.

ومنها: عن أبي أُمامة رواه الطبراني، والبيهقي في "الزهد" بإسنادٍ فيه عثمان ابن أبي عاتكة، وعلي بن يزيد وهما «ضعيفان».

ومنها: عن عليٍّ، رواه الإسماعيلي في "مسند علي" بإسنادٍ ضعيفٍ.

وعن ابن عباسٍ، رواه الطبراني بإسنادين ضعيفين.

ورواه الطبراني والقشيري في "الرسالة"، من طريق الحسن بن يحيى الخشني، عن صدقة بن عبدالله الدمشقي، عن هشام الكناني عن أنسٍ. وهذا السند ضعيف.

ورواه البزَّار من طريق صدقة بن عبد الكريم الجزري، عن أنسٍ.

ورواه الطبراني من طريق الأوزاعي عن عبيدة ابن أبي لبانة، عن زر بن حبيش، عن حذيفة مختصرًا، وهذا إسنادٌ حسنٌ كما قال الحافظان ابن رجب وابن حجر.

ورواه ابن ماجه، وأبونعيم عن معاذ بن جبل مختصرًا، بإسنادٍ ضعيفٍ.

ورواه الحاكم من طريقٍ آخر عن معاذ، وصحَّحه وأقرَّه الذَّهبي نفسه، أمَّا ما ادعاه من الغرابة في لفظ الحديث فسيأتي في الكتاب من التأويل ما يدفعه.

(تعليقاته على تأييد الحقيقة العلية ص: ٤١ - ٤٣)

٢٥- وعن قوله إن كان صادقا في دعواه التصوف فأخذ حبلا واحتطب وحمل على رأسه وباع واقتات منه كما أمر بذلك الحديث:

قال: يريد حديث أنس أنَّ رجلًا من الأنصار أتى النَّبيَّ ﷺ فسأله؟ فقال: «**أما في بيتك شيء؟**» قال: بلى، حلس نلبس بعضه ونبسط بعضه، وقعب نشرب فيه من الماء، قال: «**ائتني بهما**» فأتاه بهما، فأخذهما رسول الله ﷺ بيده، وقال: «**من يشتري من هذين؟**» قال رجلٌ: أنا آخذهما بدرهمٍ، قال رسول الله ﷺ: «**من يزيد على درهمٍ مرتين أو ثلاثًا؟**» قال رجلٌ: أنا آخذهما بدرهمين، فأعطاه إيَّاه فأخذ الدِّرهمين فأعطاهما الأنصاري، وقال: «**اشترِ بأحدهما طعامًا فانبذه إلى أهلك، واشترِ بالآخر قدومًا فائتني به**»، فأتاه به فشدَّ فيه رسول الله ﷺ عودًا بيده، ثمَّ قال: «**اذهب فاحتطب وبع، ولا أرينك خمسة عشر يومًا**»، ففعل وجاء وقد أصاب عشرة دراهم، فاشترى ببعضها ثوبًا وببعضها طعامًا، فقال له رسول الله ﷺ: «**هذا خيرٌ لك من أنْ تجيء يوم المسألة نكتة في وجهك يوم القيامة**».

رواه أبوداود، والنَّسائي، والترمذي وقال: «حديثٌ حسنٌ».

وفي "الصحيحين" من حديث أبي هريرة: «**لأنْ يحتطب أحدكم حزمة على ظهره، خيرٌ له من أنْ يسأل أحدًا فيعطيه أو يمنعه**».

(تعليقاته على تأييد الحقيقة العلية ص: ٤٧)

٢٦- وعن حديث: «إنَّ لله عبادًا يغذوهم برحمته، يميتهم في عافيته، تمر بهم الفتن كقطع اللَّيل المظلم لا تضرهم»:

قال: رواه الطبراني، وأبو يعلىٰ، وأبو نعيم في "الحلية"، من حديث ابن عمر بإسنادٍ ضعيفٍ.

(تعليقاته علىٰ تأييد الحقيقة العلية ص: ٤٩)

٢٧- وعن قوله ﷺ: «يكون في أمتي فتن لا ينجو منها إلَّا من أحياه الله بالعلم»:

قال: رواه الدَّارمي من حديث أبي أُمامة بلفظ: «**ستكون فتن يصبح الرجل فيها مؤمنٌ ويمسي كافرًا إلَّا من** ... الحديث». وإسناده ضعيف.

(تعليقات علىٰ تأييد الحقيقة العلية ص: ٤٩)

٢٨- وعن قوله ﷺ لعبد الرحمن بن سمرة: «لا تطلب الإمارة».

قال: رواه الشيخان .

(تعليقاته علىٰ تأييد الحقيقة العلية ص: ٥٠)

٢٩- وعن قوله ﷺ: «نصرت بالرعب مسيرة شهرٍ»:

قال: رواه الشيخان من حديث جابر.

ومسلمٌ من حديث أبي هريرة.

وأحمد من حديث ابن عبَّاس، وأبي ذر، وأبي موسىٰ بأسانيد حِسان، كما قال الحافظ، وله طرق متعددة.

(تعليقاته علىٰ تأييد الحقيقة العلية ص: ٥١)

٣٠- وعن نفي رؤيا الله في الدنيا:

قال: غير نبينا ﷺ فإنَّه رآىٰ ربه علىٰ الصَّحيح، وتقرير دليله يطول فلينظر في محلِّه.

(تعليقاته على تأييد الحقيقة العلية ص: ٥٣)

٣١- وعن اختلاف الفقهاء فكلٌّ مجتهدٍ عندهم مصيبٌ:

قال: وهذا رأي أبي الحسن الأشعري، وأبي بكر الباقلاني من المتكلمين، وأبي يوسف، ومحمد بن الحسن، وابن سريج من الفقهاء، وحكاه الروياني عن الأكثرين، والماوردي عن المعتزلة، لكن ذلك خاصٌّ بالمسائل الفروعية التي لا قاطع فيها، واستدل لهذا بقوله تعالى: ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ ﴾[الأنفال: ٦٨]، مع قوله: ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾ [الأنفال: ٦٩]، حيث طيب فداء الأسرى بعد أنّ عاتب عليه، ولو كان خطأ ما طيبه، وفي المسألة كلامٌ ليس هذا موضع بسطه.

(تعليقاته على تأييد الحقيقة العلية ص: ٥٤)

٣٢-وعن سلسلة رجال الطريقة الشَّاذليَّة:

قال: بقية السَّند مذكورة في أول "شرح الحكم" لجدنا من قبل الأم، العلَّامة الولي الكبير السَّيد أحمد بن عجيبة الحسني، فلينظرها فيه من أرادها .

(تعليقاته على تأييد الحقيقة العلية ص: ٥٥)

٣٣- وعن: «إذا أراد الله أن يتفضَّل على عبدٍ فيكون أخذه عنه»:

قال: أي عن النَّبيِّ ﷺ بدون واسطة أو بواسطة الخضر عليه السلام.

(تعليقاته على تأييد الحقيقة العلية ص: ٥٥)

٣٤- وعن أنَّ الخلفاء الأربعة كانت لهم الخلافتان الظَّاهرة والباطنة معًا، ولم يجتمعا لأحدٍ بعدهم إلَّا أنْ يكون عمر بن عبد العزيز:

قال: يلزم منه هذا أنّ يكون عمر أفضل من الحسن، وهذا لا يعقل.

(تعليقاته على تأييد الحقيقة العلية ص: ٥٦)

٣٥- وعن حديث: «الكبرياء إزاري، والعظمة ردائي، فمن نازعني واحدًا منهما قصمته»:

قال: رواه مسلمٌ، وأبوداود، وابن ماجه، وابن حبَّان، والحاكم من حديث أبي هريرة، عن النَّبيِّ ﷺ يرويه عن الله تبارك وتعالى.

(تعليقاته على تأييد الحقيقة العلية ص: ٦٣- ٦٤)

٣٧- وعن حديث: «اللَّهم كلأة ككلأة الوليد».

قال: وقع هذا الحديث في الباب السَّابع عشر من الشِّهاب، بلفظ: «**اللَّهم واقية كواقية الوليد**».

قال أخونا العلَّامة المحدِّث السَّيد أحمد في تخريجه المسمى "فتح الوهاب بتخريج أحاديث الشهاب" في الكلام على هذا الحديث: رواه القضاعي في "مسند الشهاب"، وابن شاهين من طريق عبد الوهاب بن الضحاك: ثنا ابن عياش، عن يحيى بن سعيد، عن سالم، عن ابن عمر قال: كان النَّبيُّ ﷺ يقول: ... فذكره.

وعبد الوهاب كذَّبه أبو حاتم، وقال النَّسائيُّ: «متروكٌ». وقال الدارقطني: «منكر الحديث». وقال البخاري: «عنده عجائب».

لكن أورده الحافظ نور الدِّين الهيثمي في "مجمع الزوائد" من حديث ابن عمر - أيضًا - بلفظ كان يقول في دعائه: «**واقية كواقية الوليد**».

وقال أبو يعلى: يعني المولود. كذا فسر لنا، ثمَّ قال الحافظ نور الدين رواه أبو يعلى وفيه راوٍ لم يسم، وبقيَّة رجاله ثقات. اهـ

فإذا لم يكن المبهم هو عبد الوهاب المذكور فهو شاهدٌ له.

(تعليقاته على تأييد الحقيقة العلية ص: ٦٥- ٦٦)

٣٨- وعن إعجاب بعض الحاضرين بكلام ابن سريج، فقال: هذا ببركة مجالستي لأبي القاسم القشيري صاحب "الرسالة":

قال: كذا بالأصل، والصَّواب لأبي القاسم الجنيد كما هو في "طبقات ابن السبكي"، وهذه الحكاية أسندها القشيري في "الرسالة"، والخطيب في "التاريخ" من طريق أبي الحسين علي بن إبراهيم الحداد، قال: حضرت مجلس أبي العباس بن سريج فتكلَّم في الفروع والأصول بكلامٍ حسنٍ أعجبت به، فلما رأى إعجابي قال: ... إلخ.

(تعليقاته على تأييد الحقيقة العلية ص: ٦٧)

٣٩- وعن: توارد الألسنة والثناء بالشهادة أو الولاية:

قال: يعني مطلق الثناء لا بخصوص الولاية، وذلك في حديث أنس مرفوعًا: «**من أثنيتم عليه خيرًا وجبت له الجنة، ومن أثنيتم عليه شرًّا وجبت له النَّار، أنتم شهداء الله في الأرض**». رواه الشيخان.

ورواه أبو داود، وابن ماجه من حديث أبي هريرة.

وفي "صحيح البخاري" عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أيما مسلم شهد له أربعة نفر بخيرٍ أدخله الله الجنة ... الحديث**»، وفي المعنى أحاديث كثيرة.

(تعليقاته على تأييد الحقيقة العلية ص: ٧٠)

٤٠- وعن قول عمر بن الخطاب: لا تظنن بكلمة خرجت من أخيك

سوءًا، وأنت تجد لها في الخير محملًا:

قال: رواه المحاملي، قال: ثنا زياد بن أيوب، ثنا محمد بن يزيد، عن نافع بن عمر الجمحي، عن سليمان بن عبدة قال: قال عمر رضي الله عنه: ... فذكره.

وهومنقطعٌ ووصله الحافظ أبو القاسم الأصبهاني في "الترغيب والترهيب"، والخطيب في "المتفق والمفترق" بإسنادٍ ضعيفٍ من طريق يحيىٰ بن سعيد بن المسيب عن أبيه، قال: وضع عمر ثماني عشرة كلمة حِكَمٌ كلها، قال: «ما عاقبت من عصىٰ الله فيك بمثل أنْ تطيع الله فيه، وضع أمر أخيك علىٰ أحسنه ، حتىٰ يأتيك منه ما يغلبك ، ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المسلم سوءًا -أو قال: شرًّا- وأنت تجد لها في الخير محملًا، ومن تعرَّض للتهمة فلا يلومنَّ من أساء به الظنَّ، ومن كتم سرَّه كانت الخيرة بيده، وعليك بإخوان الصِّدق تعش في أكنافهم، فإنَّهم زينة في الرَّخاء عِدَّة في البلاء، وعليك بالصِّدق وإنْ قتلك، ولا تعرض فيما لا يعني، ولا تسأل عمَّا لم يكن فإنَّ فيما كان شغلًا عما لم يكن، ولا تطلبنَّ حاجةً إلَّا ممن يحب نجاحها، ولا تتهاون بالحلف الكاذب فيهلكك الله، ولا تصحب الفجَّار فتتعلَّم من فجورهم، واعتزل عدوك، واحذر صديقك إلَّا الأمين، ولا أمين إلَّا من خشي الله وتخشع عند القبور، وذل عند الطاعة، واستعصم عند المعصية، واستشر في أمرك الذين يخشون الله وهم العلماء، فإنَّ الله تعالىٰ يقول: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

وروىٰ البيهقي في "الشعب" من طريق إبراهيم بن أبي طيبة، عن يحيىٰ بن سعيد، عن أبيه، قال: كتب إليَّ بعض إخواني من أصحاب رسول الله ﷺ أن ضع أمر أخيك علىٰ أحسنه، وذكر ما تقدَّم غير أنَّه خالفه في كلمات.

(تعليقاته على تأييد الحقيقة العلية ص: ٧٠ -٧١)

٤١- وعن: حسن الظن وعدم الوقيعة وما دلَّت عليه من الآيات:

قال: كآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ [الحجرات: ١٢]، قال ابن عبَّاس في تفسيره: نهى المؤمن أنْ يظن بالمؤمن سوءًا.

أسنده عنه ابن جرير والبيهقي في "الشعب".

وروى مالك، ومن طريقه الشيخان، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إيَّاكم والظنّ، فإنَّ الظنَّ أكذب الحديث**».

وروى ابن أبي شيبة من طريق مجالد، عن الشعبي، عن ابن عبَّاس أنَّ النَّبيَّ ﷺ نظر إلى الكعبة فقال: «**ما أعظمك وأعظم حرمتك، وللمسلم أعظم حرمة منك، حرَّم الله دمه وماله وعرضه، وأنَّ يظن به ظنَّ السُّوء**».

وكذا رواه البيهقي في "الشعب" من طريق حفص بن عبد الرحمن، عن شبل بن عباد، عن ابن أبي نجيح، عن ابن عباس مرفوعًا به.

وروى ابن ماجه نحوه من حديث ابن عمر بإسنادٍ ضعيفٍ، والأحاديث في المعنى كثيرة.

(تعليقاته على تأييد الحقيقة العلية ص: ٧٤- ٧٥)

٤٢- وعن قوله ﷺ: «ارحنا بها يا بلال»:

قال: رواه أحمد وأبو داود، من حديث رجل من الصَّحابة لم يسم بإسنادٍ صحيحٍ، وقد سُمي في رواية الطبراني من طريق عيسى بن يونس، عن مسعر، عن عمرو بن مرة، عن سلمان بن خالد أراه من خزاعة قال: وددت أنِّي صليت فاسترحت فإنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يابلال أقم الصلاة وأرحنا بها**».

(تعليقاته على تأييد الحقيقة العلية ص: ٧٩)

٤٣- وعن حديث: «قلب المؤمن أشدُّ تقلُّبًا من القدر إذا استجمعت غليانًا»:

رواه أحمد، والحاكم وصحَّحه من حديث المقداد بن الأسود بلفظ: «**قلب المؤمن أشدُّ تقلُّبًا من القدر في غليانها**».

(تعليقاته على تأييد الحقيقة العلية ص: ٨٣)

٤٤- وعن حديث: «قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن»:

قال: لفظ الحديث: «**إنَّ قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحدٍ يصرفه حيث يشاء**»، كذا رواه أحمد ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(تعليقاته على تأييد الحقيقة العلية ص: ٨٣)

٤٥- وعن عبارة: «إنما يجري على اللِّسان ما هو نفع، وتعليمٌ لقائلٍ»، فقد روي مرسلًا:

قال: لم أقف عليه مرسلًا.

(تعليقاته على تأييد الحقيقة العلية ص: ٨٤)

٤٦- وعن حديث: «إنَّ من العلم كهيئته المكنون، لا يعلمه إلَّا أهل المعرفة، فإذا نطقوا به لم ينكره إلَّا أهل العزَّة بالله»، روي مسندًا من حديث عطاء عن أبي هريرة:

قال: كذلك رواه أبو عبد الرحمن السلمي في "الأربعين"، والديلمي في "مسند الفرودس"، والطبسي في "الترغيب" من طريق عبد السَّلام بن صالح

الهروي بسنده المتقدِّم.

(تعليقاته على تأييد الحقيقة العلية ص: ٨٤)

٤٧- وعن ذكر الماوردي في "الحاوي": أنَّ عبدالله بن جعفر بن أبي طالب كان يستكثر من سماع الغناء، ويشتري الجواري لذلك:

قال: ذكر هذا - أيضًا - ابن عبد البر في "الاستيعاب" والادفوي في "الإمتاع".

وروى الزبير بن بكار بإسناده أنَّ عبدالله بن جعفر رضي الله عنهما ولج إلى منزل جميلة يستمع منها، لما حلفت أنَّها لا تغني لأحدٍ إلَّا في بيتها، وغنَّت له، وأرادت أنْ تكفِّر عن يمينها وتأتيه لتسمعه فمنعها.

(تعليقاته على تأييد الحقيقة العلية ص: ٩١)

٤٨- وعن حديث: «اقتدوا باللَّذين من بعدي أبي بكر وعمر».

قال: رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه، وابن حبَّان، والحاكم من حديث حذيفة رضي الله عنه.

وقال الترمذي: «حسنٌ».

وأعلَّه البزَّار وابن حزم، وردَّ عليهما الحافظ في "التلخيص".

ورواه الطبراني في "الكبير" من حديث أبي الدَّرداء رضي الله عنه، وزاد فيه: **«فإنَّهما حبل الله الممدود، من تمسَّك بهما فقد تمسَّك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها»**، وفي إسناده مجاهيل.

(تعليقاته على تأييد الحقيقة العلية ص: ٩٦)

٤٩- وعن حديث: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم».

قال: رواه الدَّارقطني في "غرائب مالك"، وابن عبدالبر في "العلم" من حديث جابر بإسنادين ضعيفين.

ورواه عبد بن حميد من حديث ابن عمر بإسنادٍ واهٍ.

والقضاعي في "مسند الشهاب" من حديث أبي هريرة، بإسنادٍ فيه كذَّاب.

وأبوذر الهروي في "السنة" من طريق الضحاك معضلًا، وإسناده ضعيفٌ جدًّا، وقد ثبت ما يؤدِّي معنىٰ صدره كما قال البيهقي.

وهو ما في "صحيح مسلم" عن أبي موسىٰ مرفوعًا: «**النُّجوم أمنة أهل السَّماء، فإذا ذهب النجوم أتى أهل السَّماء ما يوعدون، وأصحابي أمنة أُمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون**».

وفيه - كما قال الحافظ -: الإشارة إلىٰ الفتن بعد انقراض عهد الصحابة.

(تعليقاته علىٰ تأييد الحقيقة العلية ص: ٩٦)

٥٠ - وعن قوله ﷺ: «ربَّ عابدٍ جاهلٍ، ورب عالمٍ فاجرٍ، فاحذروا الجهال من العباد والفجار من العلماء»:

قال: رواه ابن عدي في "الكامل" قال: حدَّثنا موسىٰ بن عيسىٰ الجزري، ثنا صهيب بن محمد، ثنا بشار بن إبراهيم، ثنا ثور، عن خالد بن معدان، عن أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعًا به.

وبشَّار بن إبراهيم: وضَّاعٌ.

(تعليقاته علىٰ تأييد الحقيقة العلية ص: ٩٧)

٥١-وعن قول الإمام علي عليه السلام: ما قطع ظهري في الاسلام إلَّا رجلان: عالمٌ فاجرٌ، وناسكٌ مبتدعٌ، فالعالم الفاجر يزهد النَّاس في علمه؛ لما يرون من

فجوره، والنَّاسك المبتدع يرغب الناس في بدعته؛ لما يرون من نسكه»:

قال: لم أجد إسناده، وقد ذكره أبوطالب المكي في "القوت" معلقًا وقال: إنَّه رواه.

(تعليقاته على تأييد الحقيقة العلية ص :٩٧)

٥٢- وعن قوله ﷺ: «هلاك أمتي عالمٌ فاجرٌ، وعابدٌ جاهلٌ، وشرار النَّاس شرار العلماء، وخير الخيار خيار العلماء»:

قال: لم أجد صدره، وفي معناه ما رواه الدَّيلمي في "مسند الفردوس" بإسناد ضعيف عن ابن عباس مرفوعا: «**آفة الدين ثلاثة: فقيهٌ فاجرٌ، وإمامٌ جائرٌ، ومجتهدٌ جاهلٌ**».

وفي "تاريخ الحاكم" بإسنادٍ فيه مجهول من حديث أنس: «**ويلٌ لأمَّتي من علماء السوء**».

وأمَّا آخره فرواه الدَّارمي في "سننه" من طريق بقيَّة، عن الأحوص بن حكيم، عن أبيه، قال: سأل رجل النَّبيَّ ﷺ عن الشَّرِّ فقال: «**لا تسألوني عن الشَّرِّ، واسألوني عن الخير**»، يقولها ثلاثًا، ثمَّ قال: «**ألا إنَّ شرَّ الشَّرِّ شرار العلماء، وخير الخير خيار العلماء**»، وهو مرسلٌ ضعيفٌ؛ لعنعنة بقيَّة، وضعف الأحوص.

وفي "مسند البزار"، و"الحلية" بإسنادٍ ضعيفٍ عن معاذ قال: تعرضت لرسول الله ﷺ وهو يطوف بالبيت، فقلت: يا رسول الله: أيُّ النَّاس شرٌّ؟ فقال: «**اللَّهم اغفر، سلْ عن الخير ولا تسأل عن الشَّر، شِرار الناس شرار العلماء في النَّاس**».

(تعليقاته على تأييد الحقيقة العلية ص: ٩٧- ٩٨)

٥٣- وعن حديث: «يكون في آخر الزَّمان عبَّاد جهَّال وعلماء فساق»:

قال: رواه الحاكم في الرقاق من "المستدرك"، وأبو نعيم في ترجمة ثابت من "الحلية"، وابن عدي في "الكامل"، وابن النجار في "التاريخ" من طريق يوسف بن عطية، عن ثابت، عن أنسٍ مرفوعًا به.

قال أبو نعيم: «هذا حديثٌ غريبٌ من حديث ثابت، لم نكتبه إلَّا من حديث يوسف بن عطيَّة، وهو قاضٍ بصريّ في حديثه نكارة.

وقال الذَّهبي في "تلخيص المستدرك": يوسف بن عطية هالكٌ.

(تعليقاته على تأييد الحقيقة العلية ص: ٩٨)

٥٤- وعن حديث: «ما اتخذ الله وليًّا جاهلًا»:

قال: تمامه على ما اشتهر على الألسنة: «ولو اتخذه لعلمه»، قال الحافظ: ليس بثابتٍ، ولكن معناه صحيحٌ.

(تعليقاته على تأييد الحقيقة العلية ص: ٩٩)

٥٥- وعن حديث: «لولاك ما خلقت الأفلاك»:

قال: هذا حديثٌ موضوعٌ لكن معناه صحيحٌ.

(تعليقاته على تأييد الحقيقة العلية ص: ١٠٢)

٥٦ - وعن حديث: «لا أحصي ثناءً عليك».

قال: في "صحيح مسلم" عن عائشة رضي الله عنها قالت: فقدت رسول الله ﷺ ليلةً من الفراش، فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه، وهو في المسجد وهما منصوبتان، وهو يقول: « **اللهم أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من**

عقوبتك ، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك»، وكذا هو في "السنن" الأربعة و"مستدرك" الحاكم.

(تعليقاته على تأييد الحقيقة العلية ص: ١٠٢)

٥٧ - وعن حديث: «لا تحلفوا بأخلاق الله»:

قال: لم أقف عليه .

(تعليقاته على تأييد الحقيقة العلية ص: ١٠٤)

٥٨ - وعن قوله ﷺ: «إنَّ الله احتجب عن أهل السَّماء كما احتجب عن أهل الأرض، واحتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار، وأنَّه ما حلَّ في شيءٍ ولا غاب عن شيءٍ، وأنَّ الملأ الأعلى يطلبون الله كما تطلبونه».

قال: لا أعرفه بهذا اللَّفظ، وقد أخرج أبو الشيخ في "العظمة" بإسنادٍ ضعيفٍ من حديث أبي هريرة: «بين الله وبين الملائكة الذين يحملون العرش، سبعون حجابًا من نورٍ».

وفي "أوسط معاجم" الطبراني عن أنسٍ، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «سألت جبريل هل رأيت ربَّك؟ قال: إنَّ بيني وبينه سبعين حجابًا من نورٍ لو رأيت أدناها لاحترقت»، وفيه قائد الأعمش، قال أبوداود: «عنده أحاديث موضوعة». وذكره ابن حبَّان في "الثِّقات" وقال: «يهم».

وفي "مسند أبي يعلى" من حديث سهل بن سعد: «دون الله سبعون ألف حجابٍ من نورٍ وظلمةٍ، فما تسمع نفس شيئًا من حس تلك الحجب إلَّا رهقت نفسها». وفيه موسى بن عبيدة لا يحتج به.

ولمسلمٍ من حديث أبي موسى: «حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات

وجهه، ما انتهى إليه بصره من خلقه».

وروى الطبراني في "الأوسط" عن أبي هريرة أنَّ رجلًا أتى النَّبيَّ ﷺ فقال: يا محمد هل احتجب الله عزَّ وجلَّ عن خلقه بشيءٍ غير السماوات والأرض؟ قال: «نعم ، بينه وبين والملائكة الذين حول العرش، سبعون حجابًا من نور ، وسبعون حجابا من نار ، وسبعون حجابا من ظلمة، وسبعون حجابا من رقارق السُّندس ...»، وذكرحديثًا طويلًا وفي آخره: «أنَّ الملك الذي يلي الله جلَّ ذكره: إسرافيل، ثمَّ جبريل، ثمَّ ميكائيل، ثمَّ ملك الموت».

وهو حديثٌ موضوعٌ في سنده عبد المنعم بن إدريس، كان يضع الحديث، وهو الذي وضع الحديث الطويل في وفاة النَّبيِّ ﷺ الذي فيه: «أنَّ عكاشة قام يطلب القصاص من النَّبيِّ ﷺ فعرض عليه أبوبكر وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم أنفسهم، فلم يرض بالنَّبيِّ ﷺ بدلًا في القصاص ... الخ»، ما هو مشهورٌ على ألسنة النَّاس متداولٌ بينهم، وكله كذبٌ لا يحل سماعه ولا التقرير عليه.

(تعليقاته على تأييد الحقيقة العلية ص :١٠٥)

٥٩ - وعن قول النَّبيِّ ﷺ: «تعس عبد الدينار وعبد الدرهم ... الحديث»:

قال: تمامه: «... وعبد الخميصه إنْ أُعطي رضي وإنْ لم يعط سخط، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبدٍ آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه مغبرة قدماه، إنْ كان في الحراسة كان في الحراسة، وإنْ كان في السَّاقة كان في السَّاقة، إنْ استأذن لم يؤذن له، وإنْ شفع لم يشفع». رواه البخاري في

"صحيحه" من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

هذا ما يسر الله كتابته على هذا المؤلف ولم آل جهدًا في تنقيحه وتهذيبه فالحمد لله على ما ألهم وعلَّم وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وسلَّم.

(تعليقاته على تأييد الحقيقة العلية ص: ١٠٨)

٦٠- تنبيهٌ:

وقع في (ص: ٥٢): عبارة مختلة صحَّحناها من كتاب "التعرف" الذي نقلها منه المؤلف، وها هي مصحَّحة: «وإنْ قلت: كيف فقد احتجب عن الوصف ذاته، وإنْ قلت: أين؟ فقد تقدَّم المكان جوده، وإنْ قلت: ما هو؟ فقد باين الأشياء هويته، لا يجتمع صفتان لغيره في وقتٍ، ولا يكون بهما على التضاد فهو باطنٌ في ظهوره ظاهرٌ في استتار، فهو الظَّاهر والباطن، القريب البعيد، امتناعا بذلك من الخلق أن يشبهوه».

٦١- تنبيهٌ آخر:

وقعت أحاديث وآثار في جواب عز الدين بن عبد السلام المنقول (ص: ٢٣) فما بعدها، وحيث فاتنا عزوها لمن خرجها هناك استدركناه هنا تتميمًا للفائدة.

ففي (ص: ٢٤) ذكر أنَّه روي عن ابن عبَّاس في "تفسير": ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨] أنَّ المراد: بالعلماء الذين يخافونه، وهذا رواه ابن المنذر.

وفيها حديث تقديم التسبيح عقب الصَّلاة على التصديق بفضول الأموال، وكتبنا عليه أنَّه في "صحيح مسلم" عن أبي ذر، والواقع أنَّه حديث

أبي ذر ليس فيه ذلك، إنما هو حديث أبي هريرة عند الشَّيخين.

وفيها حديث: «**أقرب ما يكون العبد من الله وهو ساجدٌ**». رواه مسلمٌ من حديث أبي هريرة، وتمامه: «**فأكثروا فيه الدعاء**».

وفيها حديث: «**خير أعمالكم الصلاة**»، رواه الطبراني من حديث عبادة بن الصَّامت بإسنادٍ ضعيفٍ.

وروي - أيضًا - من حديث سلمة بن الأكوع: «**استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أنَّ أفضل أعمالكم الصَّلاة، ولن يحافظ على الصَّلاة إلَّا مؤمنٌ**». وسنده ضعيفٌ لضعف الواقدي.

وروي في "الأوسط" من حديث أبي هريرة: «**الصَّلاة خير موضوعٍ، فمن استطاع أنْ يستكثر فليستكثر**». وفيه عبد المنعم بن بشير لا يحتج به.

وفيها: حديث سؤال النَّبيِّ ﷺ عن أفضل الأعمال فقال: «**إيمانٌ بالله**»، قيل: ثمَّ ماذا؟ قال: «**جهادٌ في سبيل الله**»، قيل: ثمَّ ماذا؟ قال: «**حجٌّ مبرورٌ**». رواه الشيخان من حديث أبي هريرة.

وفيها: حديث سؤال النَّبيِّ ﷺ عن أفضل الأعمال؟ فقال: «**بر الوالدين**». رواه الشيخان عن ابن مسعود، قال سألت النَّبيَّ ﷺ أيُّ العمل أحب إلى الله؟ قال: «**الصلاة على وقتها**» قلت: ثمَّ أي؟ قال: «**بر الوالدين**»، قلت: ثمَّ أي؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**».

وللعلماء في الجمع بين هذا الحديث والذي قبله طرق ذكرها أخونا العلَّامة المحدِّث السَّيد أحمد في كتابه "مطالع البدور بجوامع أخبار البرور".

وفي (ص: ٢٦) حديث: «**إنِّي لأرجو أنْ أكون أعلمكم بالله ...**» الخ، ينظر

تخريجه في (ص: ٣٧)، وفيما بعده، وهو حديثٌ إنكاره عليه وآله الصَّلاة والسَّلام على النَّاس الذين استقلوا قيامه وصلاته. الشَّيخان عن أنسٍ قال: جاء ثلاثة رهطٍ إلى بيوت أزواج النَّبيِّ ﷺ يسألون عن عبادته؟ فلما أخبروا كأنَّهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النَّبيِّ ﷺ قد غفر الله له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر ... الحديث.

وفي آخره: فجاء إليهم النَّبيُّ ﷺ فقال: «**أنتم الذي قلتم كذا وكذا، أما والله إنِّي لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلِّي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**».

(تعليقاته على تأييد الحقيقة العلية ص: ١٠٨-١١٠).

٧- مقال بعنوان:

"كلمة فاصلة في حلق اللحية"

للعلامة السيد عبد الله بن الصديق الغماري

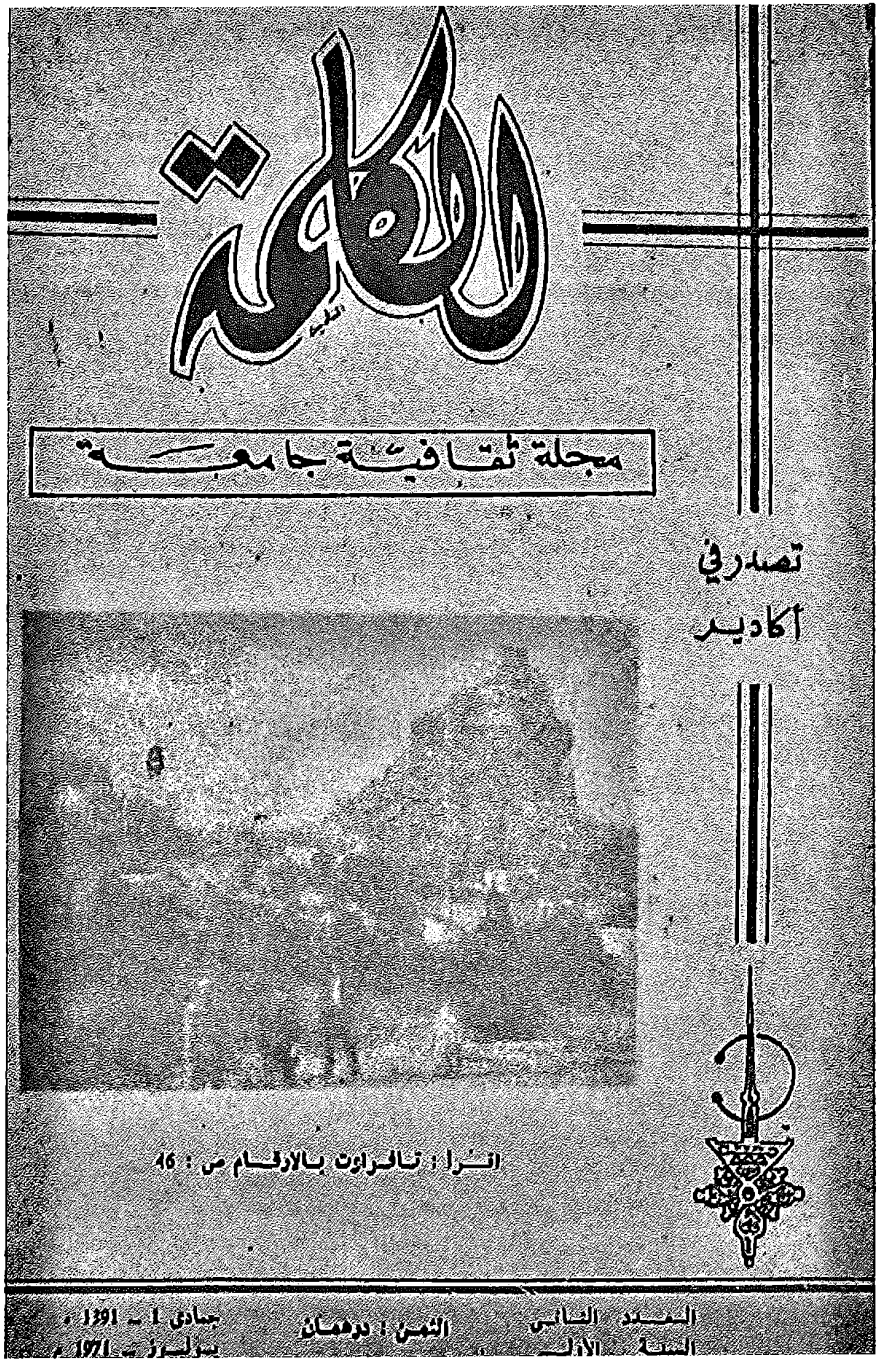
الكلمة
مجلة ثقافية جامعة
تصدر في
أكادير
اقرأ : تاقرأون بالأرقام ص : 45
العدد الثاني
السنة الأولى
الثمن : درهمان
جمادى ١ ـ ١٣٩١ هـ
يوليوز ـ 1971 م

كلمة فاصلة

في حلق اللحية

بقلم فضيلة الشيخ عبد الله الصديق
من علماء الازهر

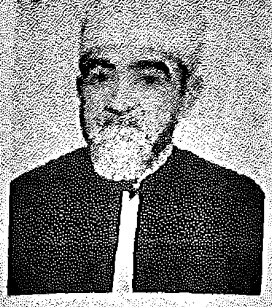

قرأت في مجلة «الكلمة» خبر الحجة التي أحدثتها رسالة الحجة الواضحة بسبب دعوى صاحبها بطلان صلاة حالق لحيته، وأنه ملعون، فأردت أن أبين الحق في هذا الموضوع بكلمة فاصلة، والله الموفق

1 – حلق اللحية فيه قولان للعلماء: الحرمة، والكراهة وهما مبنيان على اختلافهم في الأمر بإعفاء اللحية. هل هو للوجوب؟ أو للندب؟، فمن حمله على الوجوب قال بالأول، ومن حمله على الندب، قال بالآخر.

وعلى القول بالحرمة فهو صغيرة، لأنه لم يثبت التصريح بتحريم الحلق في نص، مثل «حرمت عليكم الميتة والدم» الآية. وإنما استفيد بطريق الاقتضاء، من مخالفة الأمر بالإعفاء، ولأنه لم يأت عليه وعيد بعذاب أو غضب أو لعن أو نحو ذلك مما عده العلماء من علامات الكبائر.

ولهذا لا يوجد أحد من العلماء عد حلق اللحية كبيرة. وصلاة حالقها إذا اجتمعت الشروط والأركان صحيحة بإجماع، ولم يقل عالم قط ببطلان صلاة مرتكب صغيرة، وإن كان بعض العلماء صرحوا ببطلان صلاة مرتكب بعض الكبائر، لكن الراجح خلافه. والإصرار على حلق اللحية صغيرة أيضا، لأن الحق كما قال الشوكاني في «إرشاد الفحول»: أن الإصرار حكمه حكم ما أصر عليه، فالإصرار على الصغيرة صغيرة، والإصرار على الكبيرة كبيرة، وحديث «لا صغيرة مع الإصرار» ضعيف، لا تقوم به حجة.

2 – ما علل به صاحب رسالة (الحجة الواضحة) تحريم حلق اللحية، ولعن حالقها. مأخوذ من رسالة «أدب الزفاف في السنة المطهرة» وقد أخطأ صاحبها في الاستدلال والتعليل، فعم في محل الخصوص، وخصص حيث يجب التعميم، ونحن ننقل كلامه، ونبين ما فيه من زيف وخلل، فيظهر بطلانه وبطلان ما أخذ منه، والله الموفق:

قال: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في الرسالة المذكورة أثناء الكلام على العادات التي تقع في الزفاف مخالفة للشرع: ما نصه: ومثلها في القبح أن لم تكن أقبح منها عند ذوي الفطر السليمة: ما ابتلي به أكثر الرجال من التزين بحلق

اللحية ، بحكم تقليدهم للاوروبيين الكفار حتى صار من العار عندهم ان يدخل العروس على عروسه وهو غير حليق . وفي ذلك عدة مخالفات :

أ - تغيير خلق الله : قال في حق الشيطان لعنه الله : (ولآمرنهم فليغيرن خلق الله) فهذا نص صريح في ان تغيير خلق الله بدون اذن منه تعالى اطاعة لامر الشيطان وعصيان للرحمن ولا جرم أن لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المغيرات خلق الله للحسن ولا شك في دخول حلق اللحية للحسن في اللعن المذكور ، لجامع الاشتراك في العلة كما لا يخفى وانما قلت : بدون اذن من الله تعالى ، لكي لا يتوهم أنه يدخل في التغيير المذكور مثل حلق العانة ونحوها مما اذن فيه الشارع ، بل استحبه أو اوجبه .

ب - مخالفة أمره صلى الله عليه وسلم ، وهو قوله : (انهكوا الشوارب واعفوا عن اللحى) ومن المعلوم أن الامر يفيد الوجوب الا لقرينة ، والقرينة مؤكدة للوجوب وهو :

ج - التشبه بالكفار : قال صلى الله عليه وسلم : (جزوا الشوارب وارخوا اللحى خالفوا المجوس) ويؤيد الوجوب أيضا .

د - التشبه بالنساء : فقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال ، ولا يخفى أن في حلق الرجل لحيته ما ميزه الله بها على المرأة اكبر تشبه بها ، ثم كلامه ص 130 الى 131 من رسالة ادب الزفاف ، المطبوعة بمطابع دار الفكر الاسلامي بدمشق .

3 - هذا الكلام الذي نقلناه مشتمل على اغلاط منشأها ضعف في علم الاصول ، وقلة خبرة بقواعده ، واليك بيانها :

اولا . تغيير خلق الله في الآية ، اختلف في معناه على أقوال ، ذكر فيها تغيير الدين ، وتغيير الاستعداد الفطري ، والوشم وما يتصل به ، والخصاء ، ولم يذكر فيها حلق اللحية ، ثم الراجح بحسب الدليل ، هو الدين ، لانه سبب نزول الآية ، ويؤيده قوله تعالى : (فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم) وقوله في الحديث القدسي : (واني خلقت عبادي حنفاء وانهم اتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا في ما لم انزل به سلطان) رواه مسلم من حديث عياض بن حمار ، فهذا الحديث فسر الآية وعين التغيير فيها بانه تغيير الدين بالاشراك ، وبتحريم الحلال من تلك الانعام التي كان المشركون يقطعون آذانها أو يفقؤون أعينها ويسمونها بحيرة او سائبة كما حكى الله عنهم في آية اخرى (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب واكثرهم لا يعقلون) ثم الآية بعد هذا خاصة ، لان الفعل فيها مثبت ، والفعل المثبت لا يعم ، فالآية خاصة بما تقدم حكايته عن المشركين .

اما الخصاء والوشم وما في معناه ، فيعلم حكمه من دليل آخر ، وقد خصص الآلوسي الخصاء من الآية

فكأنه فهمها عامة ، وهو وهم منه رحمه الله

ولو اعملنا القاعدة الاصولية ، وقلنا ان الآية من قبيل العام ، فمعنى عمومها انها لا تختص بمشركي العرب ، بل تتناول نظراءهم من الكفار الذين غيروا دين الله مثلهم كاليهود والنصارى الذين قال الله عنهم (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله) وهذا تغيير لدين الله ، واتبعوا احبارهم ورهبانهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله كما قال تعالى (اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم) وهذا تغييرلدين الله.فعلوا ذلك تعبدا، كما فعله مشركو العرب ولا يجوز ان تتناول الخصاء والوشم وما في معناه ، اذا فعله المسلمون لانهم يفعلونه تسمينا وتزيينا ، لا تعبدا وتدينا .

والمسلم حين يفعل معصية ، يعترف بعصيانه بحاله أو مقاله ، فلا يصدق عليه انه أحل ما حرم الله او حرم ما أحل الله فالآية - سواء قلنا بخصوصها أو عمومها - لا تتناول غير مداولها اللغوي المؤيد بقرينة السياق ، وسبب النزول ، ولسنا ملزمين في الآية بفهم وهم صاحبه فيه

ثانيا تعليل حلق اللحية ، بتغيير خلق الله ، تعليل باطل ، الغاه الشارع، حيث علل اعفاء اللحية بمخالفة المشركين وعين المشركين بانهم المجوس ، لان مشركي العرب ، كانوا يوفرون لحاهم ولو كان التغيير علة ، لذكره هنا

فلما لم يذكره دل على انه ليس بعلة، لان السكوت في مقام البيان يفيد الحصر

ثم وجدنا الشارع لعن الواصلة وما معها ، ووصفهن بالمغيرات خلق الله ، فجزمنا بأمرين

1 - ان تغيير الخلق ، ليس علة للحلق

2 - ان حالق لحيته غير ملعون.

ثالثا ولو سلمنا ان التغيير علة لحلق اللحية ، فهي علة باطلة ايضا من جهة انها منقوضة وشرط صحة العلة عند الاصوليين ، اطرادها في جميع افرادها فاذا وجدت في بعض الصور ، مع انتفاء الحكم ، كانت باطلة وقد حاول دفع الانتقاض حيث قال وانما قلت بدون اذن من الله تعالى ، لكي لا يتوهم انه يدخل في التغيير المذكور مثل حلق العانة ونحوها ، مما اذن فيه الشارع بل استحبه أو اوجبه اه. وهذه ظاهرية جامدة ، لا تفيد هنا شيئا . لان حلق اللحية يتفق مع حلق الراس وحلق العانة ونتف الابط في ازالة الشعر من موضع انبته الله فيه ، وذلك تغيير لخلق الله بل شعر الراس اعرق في الخلقة ، يولد مع الطفل ويكبر معه بخلاف شعر اللحية فلا يوجد للطفل ، حتى يبلغ مبلغ الرجال واذا كانت العلة في حلق اللحية تغيير خلق الله ، فكيف طلب الشارع حلق الراس في الحج ، وجعله نسكا؟ وكيف جعل حلق العانة ونتف الابط من خصال الدين ؟ ومن المستحسن ان نذكر قاعدة ذات شقين ، شق يعرفه عامة أهل العلم وهو ، ان الشارع اذا حرم شيئا فقد يبيح نوعا منه أو انواعا في حالة الاضطرار

الله تعالى (وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه) وقد [illegible] الاضطرار بالشخص الى حد [illegible] تناول المحرم واجبا عليه، [illegible] حياته .

وشيء لا يعرفه الا من مهر في قواعد الشريعة ، وهو : ان الشارع اذا حرم [illegible] ، ولا يمكن أن يطلب نوعا منه او أنواعا في حالة الاختيار على سبيل [illegible] او الوجوب . قال القرطبي في التفسير لاخلاف ان حلق الراس في الحج نسك مندوب اليه وفي غيره جائز خلافا لمن قال انه مثلة ، ولو كان مثلة ما جاز في الحج ولا غيره ، لان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن المثلة وقد حلق رؤوس بني جعفر بعد ان اتاه قتلهم بثلاثة ايام ، ولو لم يجز الحلق ما حلقهم اهـ ص [illegible] ج 2 طبعة اولى ، دار الكتب المصرية .

وكذلك نقول : لو كان حلق اللحية تغييرا لخلق الله ، ما كان حلق الراس في الحج نسكا ، ولا كان حلق العانة ونتف الابط من خصال الفطرة ولا كان النبي صلى الله عليه وسلم حلق رؤوس بني جعفر ، ولا امر بتغيير شيب ابي قحافة ، حين اتي في يوم الفتح وراسه ولحيته كالثغامة بياضا فقال : « غيروا هذا بشيء واجتنبوا السواد » .

تعليل حلق اللحية بالتشبه بالنساء باطل لوجوه ثلاثة :

احدها : ان الشارع علل اعفاء اللحية بمخالفة المجوس ، فالتعليل بغيرها استدراك على الشارع ، وهو باطل ، لا يجوز .

ثانيها : ان الاحاديث عينت التشبه المنهي عنه بانه في الزي والتخنث

ثالثها : ان مناط التكليف افعال المكلفين الاختيارية ، لاصفاتهم الخلقية، ولاعاداتهم الجبلية والشارع اذا نهانا عن التشبه باحد ، فمعناه الا نفعل مثل فعله ، وليس معناه الا نوافقه في صفته الخلقية ، او عادته الجبلية، لان هذا تشبه شبه لايتعلق به تكليف والمكلف به هو التشبه الذي هو فعل يحصل على سبيل الاختيار فالشارع علل اعفاء اللحية بمخالفة المجوس ، لانهم يحلقون لحاهم والحلق ، فعل اختياري ، ليس خلقة فيهم كالطول والقصر ولاعادة جبلية، كالنوم والحركة وكذلك النهي عن التشبه بالنساء معناه النهي عن لباس يلبسه النساء خاصا بهن ، وعن افعال يفعلنها خاصة بهن كالتكسر في الكلام، والتثني في المشي، والتحلي بالاساور ، ونحو ذلك مما يفعلنه ، ويكون مختصا بهن والمرأة لا لحية لها ، فحالق لحيته لا يسمى متشبها بها لانه اشبه خلقتها. والمنهي عنه ان يفعل فعلا يتشبه به في عمل خاص بها

نعم ، لو اضاف الى حلق لحيته، وضع الغكار في وجهه ، مع ان يقال تشبه بها ثم لفظ التشبه يدل بمادته على القصد والتعمد ، وبالقصد يحصل الميل الى المتشبه به ، ومحبة فعله ، وهو المطلوب من النهي

فاذا حصل شبه بدون قصد فلا اثم فيه ، لانه ليس تشبها ، الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما صلى قاعدا لمرض به ، وصلى الصحابة خلفه قياما اشار اليهم بالقعود وقال لهم بعد ما سلم ، ان كدتم آنفا تفعلون فعل فارس والروم يقومون

على ملوكهم وهم قعود ولا تفعلوا افعلوا بأساقفتكم » وفي النهي صلى الله عليه وسلم عن الصحابة فعل فارس والروم ، مع أنهم فعلوا القيام ، لكنهم لم يقصدوا التشبه بفارس فصح نفيه عنهم شرعا مع نهاهم عن التشبه بهم فيما يستقبل

ويؤخذ منه أن من فعل فعلا يشبه فعل الكفار ، وهو لا يعرفه ، لا يسمى متشبها بهم

والخلاصة أن حلق اللحية ليس من التشبه بالنساء في شيء

5 ـ وعزا حديث « انهكوا الشوارب واعفوا عن اللحى » الى البخاري بهذا اللفظ ، وهو غلط فان لفظ « عن » لا يوجد في صحيح البخاري ولا غيره بل هو تغيير عامي ، كنت أسمع العامة بمصر يذكرون الحديث كذلك ، وهو تحريف يغير المعنى والحديث جاء بروايتين

أ ـ أعفوا اللحى ، بهمزة قطع ، من أعفى الرباعي والمعنى اتركوا اللحى ، وهذه الرواية هي الأكثر

ب ـ أعفوا اللحى ، بهمزة وصل من عفا الصوف اذا وفره والمعنى : وفروا اللحى

6 ـ ووصف (المغيرات خلق الله) في حديث لعن الواصلة وما معها ليس تفسيرا لآية (فليغيرن خلق الله) لأنها خاصة بدلالة لفظها ، ومقتضى سياقها ، وسبب نزولها ، كما سبق بيانه لكنه وصف أثبتته السنة لأولئك الملعونات ، زائدا على القرآن لما اشتمل عليه فعلهن من تدليس وخداع

ولهذا لما نازعت أم يعقوب عبد الله بن مسعود في هذا الحديث وقالت له : ما حديث بلغني عنك في الواشمة ؟ قال لها : مالي لا ألعن من لعن رسول الله وهو في كتاب الله (وما آتاكم الرسول فخذوه الى فانتهوا) فاحالها على هذه الآية ولم يحلها على آية (فليغيرن خلق الله) وهي أقرب الى لفظ الحديث ، والصق به لو كانت عامة

7 ـ لا يجوز اللعن الا على صفة ثبت فيها اللعن مباشرة مثل لعن اللسه الراشي والمرتشي والزائش لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء فيجوز لعن من تحققت فيه صفة من هذه الصفات أو نحوها مما دام متصفا بها ، لكن يحرم اللعن على صفة في ثبوتها للشخص نزاع فلا يقال : حالق اللحية ملعون ، لتشبهه بالنساء ، ولا يقال حالق لحيته ملعون ، لتغييره خلق الله لان دعوى تشبهه بالنساء ، وتغييره خلق الله باطلة ولعن المسلم ولو عاصيا شديد ، ينبغي تجنبه وقد ثبت في صحيح البخاري عن عمر رضي الله عنه أن رجلا كان يسمى عبد الله ، وكان يلقب حمارا وقد حد في الخمر كثيرا فأتي به مرة ليحد فقال رجل من القوم : اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به . فقال النبي صلى عليه وسلم « لا تلعنه فانه ـ ما علمت ـ يحب الله ورسوله » أخذ الغزالي منه أن لعن فاسق بعينه غير جائز مع أنه صح في الحديث لعن شارب الخمر ، لكن على سبيل العموم لا التعيين والنبي صلى الله عليه وسلم ما لعن مسلما معينا الا أن يكون منافقا يؤذي الله ورسوله

وثبت في الصحيحين قوله صلى الله

عليه وسلم : « لعن المؤمن كقتله » وقال أبو جرى : اعهد الى يا رسول الله قال : « لا تسبن أحدا » قال أبو جرى : فما سببت بعده حرا ولا عبدا ولا بعيرا ولا شاة . رواه أبو داود وصححه الترميذى وابن حبان. وروى احمد والطبرانى عن جرموز الهجيمى قال قلت : «يا رسول الله أوصنى». قال «أوصيك الا تكون لعانا» وقال صلى الله عليه وسلم « لا يكون المومن لعانا » رواه الترميذى وحسنه من حديث ابن مسعود وروى الطبرانى باسناد جيد عن سلمة بن الاكوع ، قال كنا ـ يعنى الصحابة ـ اذا راينا الرجل يلعن أخاه ، رأينا ان قد اتى بابا من الكبائر . وقال الغزالى فى الكلام على الاوصاف التى تجيز اللعن على العموم ـ وهى الكفر والبدعة والفسق ـ ما نصه : ولكن فى لعن اوصاف المبتدعة خطر لان معرفة البدعة غامضة ، ولم يرد فيه لفظ ماثور . فينبغى ان يمنع منه العوام لان ذلك يستدعى المعارضة بمثله، ويثير نزاعا بين الناس وفسادا اهـ . وقال أيضا : اما شخص بعينه فى زمننا كقولك زيد لعنه الله وهو يهودى مثلا ، فهذا فيه خطر ، فانه ربما يسلم ، فيموت مقربا عند الله فكيف يحكم بكونه ملعونا ؟ ، واذا عرفت هذا فى الكافر ، فهو فى زيد الفاسق أو زيد المبتدع أولى اهـ . أى لانه بصدد ان يتوب ، ولان محبة الله ورسوله ثابتة فى قلبه . كما تقدم فى حديث عمر . فان النبى صلى الله عليه وسلم اثبت فيه حب الله ورسوله لذلك الشارب المدمن . وهو نص لا يحتمل تاويلا .

نسال الله الهداية والتوفيق

عبد الله محمد بن الصديق من علماء الازهر .

مقال:

كلمة فاصلة في حلق اللحية[1]

بقلم

فضيلة الشيخ عبد الله الصديق

من علماء الأزهر

---

(١) نشر هذا المقال بمجلة الكلمة وهي مجلة ثقافية جامعة، العدد الثاني، السنة الأولى، جماد الأولى ١٣٩١هـ - يوليو ١٩٧١م، أكادير، المغرب.

بسم الله الرحمن الرحيم

قرأت في مجلة «الكلمة» خبر الفتنة التي أحدثتها رسالة "الحجة الواضحة"، بسبب دعوىٰ صاحبها بطلان صلاة حالق لحيته، وأنَّه ملعونٌ، فأردت أنْ أُبيِّن الحقَّ في هذا الموضع بكلمةٍ فاصلةٍ، والله الموفق.

١ - حلق اللِّحية فيه قولان للعلماء:

- الحرمة، والكراهة.

وهما مبنيان علىٰ اختلافهم في الأمر بإعفاء اللِّحية، هل هو للوجوب؟ أو للندب؟ فمن حمله علىٰ الوجوب، قال بالأول، ومن حمله علىٰ الندب، قال بالآخر.

وعلىٰ القول بالحرمة، فهو صغيرة؛ لأنَّه لم يثبت التصريح بتحريم الحلق في نصٍّ، مثل: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ ...﴾ الآية [المائدة: ٣]، وإنما استفيد بطريق الاقتضاء، من مخالفة الأمر بالإعفاء، ولأنَّه لم يأت عليه وعيدٌ بعذابٍ أو غضبٍ أو لعنٍ أو نحو ذلك مما عدَّه العلماء من علامات الكبائر.

ولهذا لا يوجد أحدٌ من العلماء عدَّ حلق اللِّحية كبيرة، وصلاة حالقها إذا اجتمعت الشروط والأركان صحيحة بإجماع، ولم يقل عالمٌ قطُّ ببطلان صلاة مرتكب صغيرة - وإنْ كان بعض العلماء صرَّحوا ببطلان صلاة مرتكب بعض الكبائر -، لكن الرَّاجح خلافه.

والإصرار علىٰ حلق اللِّحية صغيرةٌ - أيضًا -؛ لأنَّ الحقَّ كما قال الشوكاني في "إرشاد الفحول": أنَّ الإصرار حكمه حكم ما أصر عليه، فالإصرار علىٰ الصغيرة صغيرةٌ، والإصرار علىٰ الكبيرة كبيرةٌ، وحديث «لا صغيرة مع الإصرار»

ضعيفٌ، لا تقوم به حُجَّة.

٢- ما علَّل به صاحب رسالة "الحجة الواضحة" تحريم حلق اللِّحية، ولعن حالقها، مأخوذٌ من رسالة "أدب الزفاف في السنة المطهرة"، وقد أخطأ صاحبها في الاستدلال والتعليل، فعمَّ في محل الخصوص، وخصَّص حيث يجب التعميم، ونحن ننقل كلامه، ونُبيِّن ما فيه من زيفٍ وخللٍ، فيظهر بطلانه وبطلان ما أخذ منه، والله الموفق.

قال الشَّيخ محمَّد ناصر الدين الألباني في الرسالة المذكورة - أثناء الكلام على العادات التي تقع في الزفاف مخالفة للشرع -، ما نصُّه: «ومثلها في القبح - إنْ لم تكن أقبح منها عند ذوي الفطر السليمة -: ما ابتلي به أكثر الرجال من التزين بحلق اللِّحية، بحكم تقليدهم للأوربيين الكُفَّار، حتى صار من العار عندهم أنْ يدخل العروس على عروسه وهو غير حليق، وفي ذلك عدة مخالفات:

(أ) تغيير خلق الله. قال في حق الشَّيطان لعنه الله: ﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١١٨- ١١٩]، فهذا نصٌّ صريحٌ في أنَّ تغيير خلق الله بدون إذنٍ منه تعالى إطاعة لأمر الشيطان، وعصيانٌ للرحمن.

فلا جرم أنْ لعن رسول الله ﷺ المغيرات خلق الله للحسن، ولا شكَّ في دخول حلق اللحية للحسن في اللعن المذكور، بجامع الاشتراك في العلة كما لا يخفى.

وإنما قلت: بدون إذن من الله تعالى، لكي لا يتوهم أنَّه يدخل في التغيير المذكور مثل حلق العانة ونحوها مما أذن فيه الشارع، بل استحبه أو أوجبه.

(ب) مخالفة أمره ﷺ، وهو قوله: «**انهكوا الشوارب واعفوا عن اللحى**». ومن المعلوم أنَّ الأمر يفيد الوجوب إلَّا لقرينةٍ، والقرينة مؤكدة للوجوب وهو:

(جـ) التشبه بالكفار، وقال ﷺ: «**جزُّوا الشَّوارب وأرخوا اللحى، خالفوا المجوس**»، ويؤيِّد الوجوب أيضًا:

(د) التشبُّه بالنِّساء فقد لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنِّساء، والمتشبِّهات من النِّساء بالرِّجال، ولا يخفى أنَّ في حلق الرَّجل لحيته التي ميَّزه الله بها على المرأة أكبر تشبه بها». اهـ كلامه (ص ١٢٦ إلى ١٣١) من رسالة "أدب الزفاف"، المطبوعة بمطابع دار الفكر الإسلامي بدمشق.

٣- هذا الكلام الذي نقلناه، مشتملٌ على أغلاطٍ، منشأها ضعفٌ في علم الأصول، وقِلَّة خبرة بقواعده، وإليك بيانها:

أولًا: تغيير خلق الله في الآية، اختلف في معناه على أقوال، ذكر فيها تغيير الدين، وتغيير الاستعداد الفطري، والوشم وما يتصل به، والخصاء، ولم يذكر فيها حلق اللِّحية، ثمَّ الرَّاجح بحسب الدَّليل، هو الدِّين؛ لأنَّه سبب نزول الآية، ويؤيده قوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ [الروم: ٣٠].

وقوله في الحديث القدسي: «**وإنِّي خلقت عبادي حنفاء، وأنَّهم أتتهم الشَّياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أنْ**

يشركوا في ما لم أُنزل به سلطانًا». رواه مسلمٌ من حديث عياض بن حمار.

فهذا الحديث فسَّر الآية، وعيَّن التغيير فيها بأنَّه تغيير الدين بالإشراك، وبتحريم الحلال من تلك الأنعام التي كان المشركون يقطعون آذانها، أو يفقؤون أعينها، ويسمونها بحيرة أو سائبة، كما حكى الله عنهم في آيةٍ أخرى: ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾[المائدة: ١٠٣]، ثمَّ الآية بعد هذا خاصَّة؛ لأنَّ الفعل فيها مثبت، والفعل المثبت لا يعم، فالآية خاصَّة بما تقدَّم حكايته عن المشركين.

أمَّا الخصاء والوشم وما في معناه: فيعلم حكمه من دليلٍ آخر، وقد خصَّص الآلوسي الخِتان من الآية، فكأنَّه فهمها عامَّة، وهو وَهْمٌ منه رحمه الله.

ولو أغفلنا القاعدة الأصوليَّة، وقلنا: إنَّ الآية من قبيل العام، فمعنى عمومها أنَّها لا تختص بمشركي العرب، بل تتناول نظراءهم من الكفار الذين غيَّروا دين الله مثلهم كاليهود والنصارى، الذين قال الله عنهم: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ﴾ [التوبة: ٣٠]، وهذا تغييرٌ لدين الله.

واتبعوا أحبارهم ورهبانهم في تحليل ما حرَّم الله، وتحريم ما أحلَّ الله كما قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ﴾[التوبة: ٣١]، وهذا تغييرٌ لدين الله، فعلوا ذلك تعبُّدًا، كما فعله مشركوا العرب، ولا يجوز أنْ تتناول الخصاء والوشم وما في معناه، إذا فعله المسلمون؛ لأنَّهم يفعلونه تسمينًا وتزينًا، لا تعبُّدًا وتديُّنًا.

والمسلم حين يفعل معصية، يعترف بعصيانه بحاله أو مقاله، فلا يصدق عليه أنَّه أحلَّ ما حرَّم الله، أو حرَّم ما أحل الله، فالآية – سواء قلنا: بخصوصها أو عمومها- لا تتناول غير مدلولها اللغوي المؤيد بقرينة السِّياق وسبب النزول، ولسنا ملزمين في الآية بفهم وَهْم صاحبه فيه.

ثانيًا: تعليل حلق اللِّحية، بتغيير خلق الله، تعليلٌ باطلٌ، ألغاه الشَّارع، حيث علَّل إعفاء اللِّحية بمخالفة المشركين، وعيَّن المشركين بأنَّهم المجوس؛ لأنَّ مشركي العرب كانوا يوفرون لحاهم، ولو كان التغيير عِلَّة، لذكره هنا.

فلما لم يذكره دلَّ على أنَّه ليس بعلَّةٍ؛ لأنَّ السُّكوت في مقام البيان يفيد الحصر.

ثمَّ وجدنا الشَّارع لعن الواصلة وما معها، ووصفهن بالمغيرات خلق الله، فجزمنا بأمرين:

١ – أنَّ تغير الخلق، ليس عِلَّة للحلق.

٢ – أنَّ حالق لحيته غير ملعونٍ.

ثالثًا: ولو سلَّمنا أنَّ التغيير عِلَّة لحلق اللِّحية، فهي عِلَّة باطلة – أيضًا – من جهة أنها منقوضة، وشرط صحة العِلَّة عند الأصوليين، اطرادها في جميع أفرادها، فإذا وجدت في بعض الصور مع انتفاء الحكم، كانت باطلة.

وقد حاول دفع الانتقاض حيث قال: «وإنما قلت: بدون إذنٍ من الله تعالى، لكي لا يتوهم أنَّه يدخل في التغيير المذكور مثل حلق العانة ونحوها، مما أذن فيه الشَّارع بل استحبه أو أوجبه» اهـ.

وهذه ظاهريَّة جامدة، لا تفيد هنا شيئًا؛ لأنَّ حلق اللِّحية يتفق مع حلق

الرَّأس، وحلق العانة ونتف الإبط في إزالة الشَّعر من موضعٍ أنبته الله فيه، وذلك تغييرٌ لخلق الله.

بل شعر الرَّأس أعرف في الخِلقة، يولد مع الطفل ويكبر معه، بخلاف شعر اللِّحية فلا يوجد للطفل، حتى يبلغ مبلغ الرِّجال.

وإذا كانت العِلَّة في حلق اللِّحية تغيير خلق الله، فكيف طلب الشَّارع حلق الرَّأس في الحج، وجعله نسكًا؟ وكيف جعل حلق العانة ونتف الإبط من خصال الدِّين؟

ومن المستحسن أنْ نذكر قاعدة ذات شِقَّين:

شِقٌّ يعرفه عامَّة أهل العلم: وهو أنَّ الشَّارع إذا حرَّم شيئًا فقد يبيح نوعًا منه أو أنواعًا في حالة الاضطرار، قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٩]، وقد يصل الاضطرار بالشَّخص إلى حدٍّ يصير معه تناول المحرم واجبًا عليه، لإنقاذ حياته.

وشِقٌّ لا يعرفه إلَّا مَنْ مَهرَ في قواعد الشَّريعة: وهو أنَّ الشَّارع إذا حرَّم شيئًا، فلا يمكن أنْ يطلب نوعًا منه، أو أنواعًا في حالة الاختيار على سبيل النَّدب أو الوجوب.

قال القرطبي في "التفسير": «لا خلاف أنَّ حلق الرَّأس في الحجِّ نسكٌ مندوبٌ إليه، وفي غيره جائزٌ، خلافًا لمن قال: أنَّه مُثْلة، ولو كان مثلة ما جاز في الحجِّ ولا غيره؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ نهى عن المثلة، وقد حلق رؤوس بني جعفر بعد أن أتاه قتله بثلاثة أيام، ولو لم يجز الحلق ما حلقهم». اهـ (٢/ ٣٦٠) طبعة أولى، دار الكتب المصريَّة.

وكذلك نقول: لو كان حلق اللحية تغييرًا لخلق الله، ما كان حلق الرَّأس في الحجِّ نسكًا، ولا كان حلق العانة ونتف الإبط من خِصال الفطرة، ولا كان النَّبيُّ ﷺ حلق رؤوس بني جعفر، ولا أمر بتغيير شيب أبي قحافة، حين أتى في يوم الفتح ورأسه ولحيته كالثغامة بياضًا فقال: «**غيِّروا هذا بشيءٍ، واجتنبوا السَّواد**».

تعليلُ حلق اللحية بالتشبه بالنِّساء باطلٌ لوجوهٍ ثلاثة:

أحدها: أنَّ الشَّارع علَّل إعفاء اللِّحية بمخالفة المجوس، فالتعليل بغيرها استدراكٌ على الشَّارع، وهو باطلٌ لا يجوز.

ثانيها: أنَّ الأحاديث عيَّنت التشبُّه المنهي عنه بأنَّه في الزِّي والتخنُّث.

ثالثها: أنَّ مناط التكليف أفعال المكلفين الاختياريَّة، لا صفاتهم الخلقيَّة، ولا عاداتهم الجبليَّة، والشَّارع إذا نهانا عن التشبُّه بأحدٍ، فمعناه: ألَّا نفعل مثل فعله، وليس معناه ألَّا نوافقه في صفته الخلقيَّة، أو عادته الجبليَّة؛ لأنَّ هذا تشبُّه شبه لا يتعلَّق به تكليفٌ، والمكلَّف به هو التشبُّه الذي هو فعلٌ يحصل على سبيل الاختيار، فالشَّارع علَّل إعفاء اللِّحية بمخالفة المجوس؛ لأنَّهم يحلقون لحاهم.

والحلق فعلٌ اختياري، ليس خلقة فيهم كالطول والقصر، ولا عادة جبليَّة كالنوم والحركة، وكذلك النَّهي عن التشبه بالنساء، معناه: النَّهي عن لباسٍ يلبسه النِّساء خاصًّا بهنَّ، وعن أفعالٍ يفعلنها خاصَّة بهنَّ كالتكسر في الكلام، والتثني في المشي، والتحلِّي بالأساور، ونحو ذلك مما يفعلنه، ويكون مختصًّا بهنَّ، والمرأة لا لحية لها، فحالق لحيته لا يسمى متشبهًا بها؛ لأنَّه أشبه خلقتها، والمنهي عنه أنْ يفعل فعلًا يتشبَّه به في عملٍ خاصٍّ بها.

نعم، لو أضاف إلى حلق لحيته، وضع العكار في وجهه، مع أنْ يقال: تشبه بها. ثمَّ لفظ التشبُّه يدلُّ بمادته على القصد والتعمُّد، وبالقصد يحصل الميل إلى المتشبه به، ومحبة فعله، وهو المطلوب من النَّهي.

فإذا حصل شبه بدون قصد فلا إثم فيه؛ لأنَّه ليس تشبهًا. ألا ترى أنَّ النَّبيَّ ﷺ لما صلَّى قاعدًا لمرضٍ به، وصلَّى الصحابة خلفه قيامًا، أشار إليهم بالقعود؟ وقال لهم بعد ما سلَّم: «**إنْ كدتم آنفًا تفعلون فعل فارس والروم، يقومون على ملوكهم وهم قعود، فلا تفعلوا ائتموا بأئمَّتكم**».

نفى النَّبيُّ ﷺ عن الصَّحابة فعل فارس والروم، مع أنَّهم فعلوا القيام، لكنَّهم لم يقصدوا التشبُّه بفارس، فصحَّ نفيه عنهم شرعًا، ثمَّ نهاهم عن التشبه بهم فيما يستقبل.

ويؤخذ منه: أنَّ من فعل فعلًا يشبه فعل الكُفَّار، وهو لا يعرفه، لا يسمَّى متشبهًا بهم.

والخلاصة: أنَّ حلق اللِّحية ليس من التشبه بالنِّساء في شيءٍ.

٤- وعزا حديث: «**انهكوا الشَّوارب، واعفوا عن اللحى**» إلى البخاري بهذا اللَّفظ، وهو غلطٌ، فإنَّ لفظ «عن» لا يوجد في "صحيح البخاري" ولا غيره، بل هو تعبيرٌ عاميٌّ، كنت أسمع العامَّة بمصر يذكرون الحديث كذلك، وهو تحريفٌ يغير المعنى، والحديث جاء بروايتين:

أ - «**أعفوا اللحى**»، بهمزة قطع، من أعفى الرباعي، والمعنى: اتركوا اللحى، وهذه الرِّواية هي الأكثر .

ب- «**اعفوا اللحى**»، بهمزة وصل، من عفا الصوف إذا وفره، والمعنى:

وفروا اللحى.

٥- ووصف «المغيرات خلق الله» في حديث: «لعن الواصلة» وما معها، ليس تفسيرًا لآية: ﴿فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١١٩]؛ لأنَّها خاصَّة بدلالة لفظها، ومقتضى سياقها، وسبب نزولها، كما سبق بيانه، لكنَّه وصفٌ أثبتته السُّنَّة لأولئك الملعونات، زائدًا على القرآن، لما اشتمل عليه فعلهنَّ من تدليسٍ وخداعٍ.

ولهذا لما نازعت أم يعقوب عبدالله بن مسعود في هذا الحديث وقالت له: ما حديث بلغني عنك في الواشمة؟ قال لها: ما لي لا ألعن من لعن رسول الله، وهو في كتاب الله ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، فأحالها على هذه الآية، ولم يحلها على آية: ﴿فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾، وهي أقرب إلى لفظ الحديث، وألصق به لو كانت عامة.

٦- لا يجوز اللعن إلَّا على صفةٍ ثبت فيها اللعن مباشرة، مثل: «لعن الله الرَّاشي والمرتشي والرَّائش، لعن الله المتشبهين من الرجال بالنِّساء». فيجوز لعن من تحققت فيه صفة من هذه الصفات أو نحوها، ما دام متصفًا بها.

لكن يحرم اللَّعن على صفة، في ثبوتها للشَّخص نزاع، فلا يقال: حالق اللِّحية ملعونٌ، لتشبُّهه بالنِّساء.

ولا يقال: حالق لحيته ملعونٌ، لتغييره خلق الله؛ لأنَّ دعوى تشبُّهه بالنِّساء، وتغييره خلق الله باطلة، ولعن المسلم - ولو عاصيًا - شديدٌ، ينبغي تجنبه، وقد ثبت في "صحيح البخاري" عن عمر رضي الله عنه: أنَّ رجلًا كان يسَّمى عبدالله، وكان يلقب حمارًا، وقد حُدَّ في الخمر كثيرًا فأتي به مرَّة ليُحدَّ، فقال

رجلٌ من القوم: اللَّهم العنه، ما أكثر ما يؤتي به، فقال النَّبيُّ ﷺ: «**لا تلعنه، فإنَّه - ما علمت - يحب الله ورسوله**».

أخذ الغزالي منه: أنَّ لعن فاسق بعينه غير جائزٍ. مع أنَّه صحَّ في الحديث لعن شارب الخمر، لكن على سبيل العموم، لا التعيين، والنَّبيُّ ﷺ ما لعن مسلمًا معيَّنا إلَّا أنْ يكون منافقًا يؤذي الله ورسوله.

وثبت في "الصحيحين" قوله ﷺ: «**لعن المؤمن كقتله**».

وقال أبو جُرَيّ: أعهد إلي يا رسول الله قال: «**لا تسبنَّ أحدًا**»، قال أبو جُرَيٍّ: فما سببت بعده حرًّا ولا عبدًا ولا بعيرًا ولا شاة. رواه أبو داود، وصحَّحه الترمذي وابن حبَّان.

وروى أحمد والطبراني عن جرموز الهجيمي قال: قلت: «يا رسول الله أوصنيي» قال: «**أوصيك ألَّا تكون لعانًا**».

وقال النَّبيُّ ﷺ: «**لا يكون المؤمن لعانًا**». رواه الترمذي وحسَّنه من حديث ابن مسعود.

وروى الطبراني بإسنادٍ جيِّدٍ عن سلمة بن الأكوع، قال: كنا - يعني الصحابة - إذا رأينا الرجل يلعن أخاه، رأينا إنْ قد أتى بابًا من الكبائر.

وقال الغزالي في الكلام على الأوصاف التي تجيز اللعن على العموم - وهي الكفر والبدعة والفسق- ما نصُّه: «ولكن في لعن أوصاف المبتدعة خطرٌ؛ لأنَّ معرفة البدعة غامضة، ولم يرد فيه لفظ مأثور، فينبغي أنْ يمنع منه العوام؛ لأنَّ ذلك يستدعي المعارضة بمثله، ويثير نزاعًا بين الناس وفسادًا». اهـ.

وقال أيضًا: «أمَّا شخصٌ بعينه في زمننا كقولك زيد لعنه الله وهو يهوديٌّ

مثلًا، فهذا فيه خطرٌ، فإنَّه ربما يسلم، فيموت مقربًا عند الله فكيف يحكم بكونه ملعونًا؟ وإذا عرفت هذا في الكافر، فهو في زيدٍ الفاسق أو زيدٍ المبتدع أولى». اهـ

أي: لأنَّه بصدد أنْ يتوب، ولأنَّ محبة الله ورسوله ثابتة في قلبه، كما تقدَّم في حديث عمر، فإنَّ النَّبيَّ ﷺ أثبت فيه حب الله ورسوله لذلك الشَّارب المدمن، وهو نصٌّ لا يحتمل تأويلًا.

نسأل الله الهداية والتوفيق.

عبدالله محمد بن الصديق

من علماء الأزهر

فهرس الموضوعات

مقدمة المجلد الثامن عشر للدكتور محمود سعيد ممدوح ٧

١ - كتاب سمير الصالحين - الجزء الثاني

المقدمة..... ١٣
أربعُ معجزاتٍ..... ١٥
قصةُ الخضر عليه السلام مع السائل..... ٢٤
قصة الملك الذي ترك ملكه..... ٣٧
قصة الرجل الذي زار أخًا له في قرية..... ٤١
قصة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام..... ٤٤
قصة موسى عليه السلام ٥٦

٢ - كتاب سمير الصالحين - الجزء الثالث

المقدمة..... ٦٥
أصحاب الغار الثلاثة..... ٦٧
أبرص وأقرع وأعمى ٧٢
الملك والغلام والسَّاحر..... ٧٦
صاحب الحديقة..... ٨٢
جريج الرَّاهب..... ٨٥
الرضيع الذي كلم أمه ٨٩
ماشطة بنت فرعون ٩٣
التَّاجر الذي استلف ألف دينار..... ٩٤
التاجر الذي كان يتسامح في المعاملة..... ٩٦

الرجل الذي قتل مائة نفس ٩٨
الرَّجلُ الذي اشترىٰ دارًا فوجد فيها ذهبًا..... ١٠٠
الرجل الذي أوصىٰ أنْ يحرق..... ١٠١
الكفل من بني اسرائيل ١٠٧
البقرة والذئب اللذين تكلما ١٠٨
الذِّئب الذي أخبر بالنَّبيِّ ﷺ ١١٢
الجمل الذي استجار بالنبي ﷺ ١١٦
٣- تعليقات علىٰ كتاب: "التمهيد" لابن عبدالبر - المجلد السابع..... ١٢٣
٤- تعليقات علىٰ كتاب "بداية السول" للعز بن عبد السلام ٢٧٩
٥- تعليقات علىٰ كتاب: "الباهر" للحافظ السيوطي ٣٢١
٦- تعليقات علىٰ كتاب: "تأييد الحقيقة العلية" للحافظ السيوطي..... ٣٢٩
٧- مقال بعنوان: «كلمة فاصلة في حلق اللحية»..... ٣٦٥
فهرس الموضوعات ٣٨٩

موسوعة

العلامة المحدث المتفنن

سيدي الشريف عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري الحسيني

(١٣٢٨ - ١٤١٣هـ) رحمه الله تعالى

قدم لها

الشريف الدكتور

عبد المنعم بن عبد العزيز بن الصديق

إشراف

الدكتور محمود سعيد بن محمد ممدوح

المجلد التاسع عشر

الفهارس

موسوعة

العلامة المحدث المتفنن

سيدي الشريف عبد الله بن محمد الصادق الغماري الحسني

(١٣٢٨ - ١٤١٣هـ) رحمه الله تعالى

(١٩)

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية
عام / ١٤٣٨

قام بطباعتها وإخراجها: مركز البحوث والدِّراسات
بكُليَّة الصَّفا الإسلاميَّة بماليزيا

يطلب من:

دار السَّلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

جمهورية مصر العربية: القاهرة – الإسكندرية.
الإدارة: القاهرة ٤٠ شارع أحمد أبو العلا – المتفرِّع من شارع نور الدين بهجت- الموازي لامتداد شارع مكرم عبيد – مدينة نصر.
هاتف: ٢٢٨٧٣٢٤٦ - ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ (٢٠٢+)
فاكس: ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢+)
البريد الإلكتروني: info@dar-alsalam.com
موقعنا على الإنترنت: www.dar-alsalam.com

المجلد التاسع عشر

الفهـــارس

ويحتوي على:

١ - فهرس الآيات القرآنية.

٢ - فهرس الأحاديث النبوية.

٣- فهرس موضوعات الموسوعة.

١ - فهرس الآيات القرآنية

فهرس الآيات القرآنية

(أ)

﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٣] ١٥/ ٢٩٨

﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢] ٢/ ١٧٥

﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ [الكهف: ٦٥] ١٧/ ٦٠٣

﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١٣] ١٦/ ٨٧، ١١/ ٣٤٣، ٩/ ١٦٠

﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١] ٥/ ٨٣، ٢/ ٨٠

﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٥٩] ١٠/ ٢٣٠

﴿ءَالِهَةً إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] ١٥/ ٣٦٤

﴿ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ٨٦ - ٨٧] ١٣/ ١٠٤

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٥] ٩/ ٣١، ٥/ ٢٨٠، ١١/ ٤٧٥، ٤/ ١٦٧

﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٤٧ - ٤٨] ٥/ ٨١

﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [يونس: ٩٠] ١٧/ ١٦١، ٢/ ٧٩، ٨٠، ٨٥

﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦] ٨/ ٤٨

﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا﴾ [النازعات: ٢٧ - ٣٣] ٥/ ٢٥٧، ١٥/ ٢٩٩

﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٦٠] ١/ ٣٠٨، ١٥/ ٤٦١، ١٧/ ١٧

﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ [ص: ٨] ٤/ ٢٣١

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ١] ٥/ ٤٢٤

﴿أَتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٣] ١٥/ ٣٤٩

﴿اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ﴾ [يس: ٢٠ - ٢١] ١٥/ ٣٢٣

﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٣] ٤/ ١٧٣

﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠] ٥/ ٢٦٢، ١٢/ ٦٥، ٥/ ٢٦٠، ٥/ ٤٧٤

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] ٤/ ٣٦٦، ١٨/ ٣٨٠

﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١] ٤/ ١٦٦

﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ [الحجرات: ١٢] ٣/ ١٠٠

﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا﴾ [ص: ٥] ١/ ٣٠٨، ١٤/ ٣٠، ١٥/ ٤٦١، ١٧/ ١٧

﴿اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨] ١٤/ ٢٨٧، ١٤/ ٣٩٦، ١٤/ ٢٨٨، ٨/ ١٠١

﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥] ١٣/ ١٥٥، ١/ ١٩٢، ٥/ ٢٣١

﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٢ - ٢٣] ١٢/ ٢٧٣

﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢] ١٥/ ٢٩، ١٦/ ٢٣١

﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ [الزخرف: ٦٨-٧٠] ١٢/ ٢٧٤

﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ [غافر: ٤٦] ٥/ ٨٢، ١٥/ ٤٣١

﴿ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ﴾ [الأعراف: ٣٨] ١٥/ ٢٧

﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥] ١٧/ ٣٢٥

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥] ١١/ ٣٧٨، ٨/ ٣٦١

﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] ١٤/ ٢٣٥، ٧/ ٤٨

﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [الأحزاب: ٥] ١١/ ١٨١، ١١/ ١٨٠

﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت: ٣٤] ١٧/ ٣١٤

﴿ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [البقرة: ٣٥] ١٨/ ٢٨١

﴿ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ ﴾ [الأنفال: ٤٢] ١٣/ ١٤٢

﴿ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴾ [طه: ٣٨] ٤/ ٢٠١

﴿ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴾ [البقرة: ١٦٦] ١٢/ ٢٧٣

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ ﴾ [الأنفال: ٩] ١٢/ ٢٠٦

﴿ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴾ [ص: ٢١] ٤/ ١٤٦

﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴾ [ص: ٣١] ٥/ ٤١٨، ٥/ ٤٥٢

﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة: ١١٢] ٩/ ١٢١، ١٣/ ٦٦

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ ﴾ [آل عمران: ٥٥] ٣/ ٢٤٤، ٢٤٩

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ﴾ [يوسف: ٤] ٤/ ٥٠٣، ١٢/ ٤١٣

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ ﴾ [آل عمران: ٣٥] ١٣/ ١٤٧، ١٥/ ١٨١

﴿ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا ﴾ [المائدة: ٢٧] ١٦/ ٣١

﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴾ [مريم: ٣] ٨/ ٣٦١، ١١/ ٣٧٨

﴿ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ ﴾ [التوبة: ٤٠] ١٥/ ١٩

﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾ [ق: ١٧] ٤/ ٢٤٣

﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ﴾ [الأنفال: ٤٣] ٥/ ٤٥، ٩/ ٩٩، ١٢/ ٤١٩

﴿ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴾ [النجم: ١٦] ٩/ ١٥٤، ٨/ ٢١٥

﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [الأنفال: ١٢] ٩/ ٣٧، ١٣/ ٦٨

﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ [الذاريات: ٤١] ١٧/ ١٨٢

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١] ٤/ ٦٣

﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١] ٤/ ٦٣، ٤/ ٢٧٥

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١] ٩/ ٢٢٣، ٤/ ٦٣

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] ٤/ ٢٩٨، ١/ ٧٥

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ [المنافقون: ١] ١٣/ ٢٠١، ٤/ ٢٥٧

﴿إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم: ٢٥] ١٥/ ١٤٨

﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤] ٥/ ٧١

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١] ٤/ ٢٨٤

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٢] ١٣/ ١٠٣

﴿إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا﴾ [الأحزاب: ٣٦] ١٣/ ٧٦

﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ [المائدة: ٦] ٤/ ١٧٠

﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩] ١٠/ ٤٢٧، ١٧/ ٦٩٣، ١٥/ ٢٢، ١٠/ ٤٢٥، ١٠/ ٤٢٨

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ [الواقعة: ١- ٢] ١٣/ ١١٠، ١٥/ ١٦٦

﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ۝٦٢ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ﴾ [الصافات: ٦٢- ٦٣] ٩/ ١٠٢

﴿اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِنَا وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ [طه: ٤٢] ١٦/ ٢٧

﴿أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ [التغابن: ٦] ١٥/ ١٨٠

﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ [الأعراف: ٨٠] ٢/ ٢١٥

﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ۝٩٥ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا

تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٥ -٩٦] ١٤/ ١٣٥

﴿ أَتَعِدَانِنِي ﴾ [الأحقاف: ١٧] ١٥/ ٦٧

﴿ أَتَىٰ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ [النحل: ١] ٤/ ٣٨٦، ٨/ ١٩٨

﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ﴾ [العنكبوت ٢: ٣] ٤/ ٢١٦، ١٥/ ١١١، ٨/ ٧٧

﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ﴾ [المائدة: ٩٦] ٤/ ٣١٢، ١٠/ ٣٤١

﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ﴾ [البقرة: ١٨٧] ١١/ ٢٥، ٥/ ١٩٢، ١٦/ ٣٧١، ١٣/ ٢٨٠

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ﴾ [الحج: ٣٩] ٤/ ٢٠٥، ١٦/ ٥٢٢

﴿ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴾ [مريم: ٤٦] ١٠/ ٣٩٧، ١٢/ ٢٢٥

﴿ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [التوبة: ٣٨] ٥/ ٣٠، ١٥/ ٢٢

﴿ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ [فاطر: ٤٠] ١٥/ ٢٢

﴿ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ ﴾ [الكهف: ٦٣] ٤/ ٥١١، ٢/ ١٧٥

﴿ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى ﴾ [هود: ٢٨] ٢/ ١٧٤

﴿ أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ ۝٥٧ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾ [النجم: ٥٧ - ٥٨] ٤/ ٢٤٦، ١٣/ ١١٠

﴿ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ ٤/ ٣١، ٤/ ١٦٢، ١٣/ ٧٦

﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ﴾ [المجادلة: ١٩] ١٢/ ٢٠٦

﴿ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴾ [نوح: ١٠ - ١١] ٩/ ٥٩، ٧/ ٤٨، ٩/ ٥٩

﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾ [التوبة: ٨٠] ٤/ ٣٦٧، ١١/ ٢٢٢

﴿ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا

ٱلْأَيْدِ ﴾ [ص: ١٧] ١٧/ ٨٣، ٥/ ٣٨٤، ١٧/ ٨٥، ٥/ ٤١٥

﴿ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [مريم: ٥٩] ٤/ ٣٩٧

﴿ ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ [البقرة:٧٣] ٢/ ٤٧٤

﴿ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ [الحاقة: ٧] ٥/ ١٨٧

﴿ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴾ [القمر: ٢٠] ٥/ ١٨٧

﴿ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ﴾ [المائدة: ٣١] ٥/ ٢٩١

﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [المجادلة: ١٤ - ١٥] ٤/ ٢٥٢

﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ ﴾ [التوبة: ٩٧] ٧/ ٣٠٠

﴿ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ﴾ [سبأ: ١٣] ١/ ١، ١٩١/ ٢٩١، ١٧/ ٤١٤، ٤/ ٣١٧

﴿ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴾ [النجم: ٣٥] ١٥/ ٢٥٧

﴿ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٩] ١٠/ ٣٩٦، ٢/ ٢٢٩

﴿ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٤] ٣/ ٤٢٤

﴿ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣] ٥/ ٤٨٩

﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ﴾ [الكهف: ٥٠] ١١/ ٢١٢، ١١/ ٢١٢

﴿ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾ [الأنبياء: ٦٦] ١٣/ ١٠٦

﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾ [النجم: ١٢] ٩/ ١٥٣

﴿ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ﴾ [الكهف: ١٠٢] ٤/ ٤٦، ١٩٨/، ٨/ ٣٣٤

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا ﴾ [المؤمنون: ١١٥] ١٧/ ١٠٤، ٤/ ٥١،

٤/ ٢٠٧، ٤/ ٤٦٩، ١١/ ٤٧٦

﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠] ٤/ ٤٩٩، ١٣/ ٣٩٤

﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ [الجاثية: ٢٣] ١٣/ ٣٦٧

﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾ [النجم: ١٩] ٩/ ١٥٥، ١٣/ ٥٩، ٥/ ١٢٥

﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ [مريم: ٧٧] ١٠/ ٣٢٠

﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴾ [الواقعة: ٥٨ - ٥٩] ١١/ ١١٩

﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [آل عمران: ٨٣] ٤/ ٣٤٤

﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٧] ١٤/ ٣٩٧، ١٤/ ٣٩٩

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢] ١٤/ ٨١، ٤/ ٤٩٩

﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ ﴾ [طه: ٨٩] ١٥/ ١١١

﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴾ [العاديات: ٩] ٤/ ٢٨٥

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ [الغاشية: ١٧] ١٥/ ١٦٢، ٥/ ١٨٦

﴿ أَفَلَمْ يَايْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ﴾ [الرعد: ٣١] ١٣/ ١٤٣

﴿ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا ﴾ [الصافات: ٥٨ - ٦٠] ٤/ ٢٢٨

﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴾ [السجدة: ١٨] ١٢/ ٢٧٤

﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴾ [النجم: ٥٩ - ٦١] ٤/ ٢٤٦

﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴾ [الزخرف:

٥]١٦/ ١١٢

﴿ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ﴾[النور: ٥٠] ٩/ ٤٣

﴿أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ ﴾ [إبراهيم: ٣٧] ١٥/ ٢٤

﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾[الأنبياء: ١] ٤/ ٢٠٣

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾[القمر: ١] ٤/ ٢٤٦، ٩/ ٢٢٤، ٩/ ١٥٦، ٩/ ٢٢١، ٩/ ٢٢٢

﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴾[الكهف: ٧٤ - ٧٧] ٢/ ١٧٦، ٤/ ٥١٣

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق: ١] ٤/ ٢٨٣، ٤/ ٦٤، ٥/ ١٨٠، ٩/ ١٧٠

﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ ﴾ [الإسراء: ٧٨] ١٥/ ٣٢

﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴾[ق: ٢٤] ٤/ ٢٤٣

﴿أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الأنعام: ٧٢] ٥/ ١٩٢

﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ ﴾ [يونس: ٢] ٤/ ١٨٤

﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴾ [القمر: ٤٣] ١٢/ ٥٣٦

﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾ [الكهف: ٥٠] ٥/ ٢٥٥

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ ﴾ [البقرة: ١٦٠] ١٠/ ٤٢

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ﴾[النساء: ٩٠] ٤/ ٣١٠

﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴾[الشورى: ٥٣] ٤/ ٢٩٧

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢] ١٧/ ٣١٦، ١١/ ٣٥٢، ٢/ ٢٥٩، ٢٦٠، ١١/ ٣٥١، ١١/ ٣٥٣، ٤/ ٣٧١، ٨/ ٨١

﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢] ١٢/ ٩

﴿إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الإسراء: ٥٩] ٩/ ٧٠، ١٨/ ٢٢

﴿أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الشورى: ٥] ١٣/ ١١٣

﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٧] ١٥/ ٩٢

﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ [فصلت: ٥٤] ٢/ ٥٦

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٣] ١٣/ ٧١، ٩/ ٢٤

﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٢] ١٣/ ٨٩

﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] ١١/ ٤٥٤، ١١/ ٤٢٥، ١٣/ ٣٢١، ١١/ ٤٠٦

﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ٣٨] ١٣/ ١١٤، ٤/ ٤٣٩

﴿أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَيَّ﴾ [النمل: ٣١] ١٦/ ٨٩

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٤٠] ١٥/ ١٤٧، ١٤/ ٥٣

﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ﴾ [التوبة: ٣٩] ١٥/ ١٤٧

﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧] ٥/ ٣٦٥

﴿إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٧٧ - ٨١] ٤/ ١٨٣، ٧/ ٣١٤

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [الصافات: ٤٠] ٧/ ٣٤٤

﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ [المؤمنون: ٦] ٧/ ٤٦٨، ١١/ ٨٦

﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ [الممتحنة: ٤] ٢/ ١٦٥

﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨] ٥/ ٣٨١

﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣] ٧/ ٣٨٠

﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] ٩/ ٢٦٦

﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٧] ١١/ ٣٣٦

﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦] ٤/ ٣٨٧

﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠] ١٢/ ٢٨، ٧/ ٣٤١

﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [مريم: ٦٠] ١٣/ ٢٠٧

﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ١٠] ١٣/ ٤٧

﴿إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ [الصافات: ٥٩] ٣/ ٤٢٠

﴿إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٤] ٩/ ١٥٢

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤] ١٠/ ١٧١

﴿أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣] ١٣/ ٥٨

﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١] ٤/ ٤٣٨

﴿أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾ [البقرة: ٢٠٤] ١٥/ ٤٢٣

﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] ٣/ ٨٣، ٧/ ٢٠١

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ [المجادلة: ١٤] ٤/ ٢٥٣

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الحشر: ١١] ٤/ ٢٥٤

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ﴾ [البقرة: ٢٤٦] ٤/ ٤٢١

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٤٣] ٣/ ٣١٧، ٤٠٨، ٥/ ٣٨

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ [الحج: ٦٣] ١٥/ ٢١٧، ٤/ ٢٠٦

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الحج: ١٨] ١٣/ ١٦٣، ١٥/ ١٥١

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ﴾ [لقمان: ٢٩] ١٣/ ٣١٤، ١٣/ ٢٩١

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ﴾ [المجادلة: ٧] ١٥/ ٤٩٦

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ﴾ [فاطر: ٢٧] ١١/ ١٢١

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ [الفجر: ٦ - ١٤] ٤/ ٢٧٩

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ [الفيل: ١] ١٣/ ١٥١

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾ [النساء: ٤٩] ١/ ١٨٩

﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ﴾ [البقرة: ١-٢] ١٣/ ٨٨

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ۝٢٥ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾ [المرسلات: ٢٥ - ٢٦] ١١/ ١٢١

﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٢٠ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [المرسلات: ٢٠ - ٢١] ١١/ ١٢٢

﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٨ - ١٩] ٢/ ١٦٤، ١٣/ ٢٢٢

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ [الشرح: ١ - ٢] ٤/ ٢٨٢، ١٣/ ٢٣٢، ٥/ ٤٨، ٩/ ١٨٠

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾ [إبراهيم: ٩] ٥/ ٩٩

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: ١٦] ١٥/ ١٠٧

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾ [الضحى: ٦] ٧/ ٣٧٦، ٥/ ١٨٨

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: ٦٣] ٩/ ٤٣، ٢/ ١٦٦

﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١-٢] ١٣/ ٨٨

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١] ٤/ ٦٥

﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ﴾ [الأعراف: ١٩٥] ١٥/ ٢٩٩

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢] ٧/ ٢٠٤

﴿إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [الصافات: ١٣٩-١٤٠] ١٣/ ١٠٩

﴿إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧] ١٤/ ٣٩

﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم: ١ - ٢] ١٥/ ٣٢٠

﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٥٢ - ٥٣] ١٥/ ٣١٩

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦]

١٥/ ٢٣٦

﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة: ٤٠] ٤/ ٢٧٣

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠] ٨/ ٣٤٩

﴿أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ [المؤمنون: ٦٨-٧٠] ٩/ ١١٣

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ﴾ [الكهف: ٩] ٢/ ٢٨٠، ١٨/ ٦٨

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ﴾ [البقرة: ١٣٣] ٥/ ٤١٠

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء: ٥٤] ١٧/ ٣١

﴿أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ [النور: ٥٠] ١٣/ ٧٦

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [هود: ١٣] ٤/ ١٧٧، ٢/ ٩٢

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [يونس: ٣٨] ٤/ ٤٩٩

﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ [المؤمنون: ٧٠] ١٥/ ٣٠٣

﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠] ٩/ ١٦٩، ٤/ ٣٤٥

﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٩] ٧/ ٣٤٣

﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [الكهف: ٨٦] ١٥/ ٣٠٠

﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣] ١٥/ ٢٨٧، ١٥/ ٣٠٠

﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٦] ٥/ ١٣٩

﴿أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١] ٣/ ٤٠٤، ٤٠٥

﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ [الأحزاب: ٣٧] ١١/ ١٨٦، ١٣/ ٦٥

﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ﴾ [الملك: ٢١] ٤/ ٢٦٣

﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾

[الزمر: ٩] ١٧/ ٦٦٦

﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾[النمل: ٦٢] ١٤/ ٢١٦، ١٤/ ٥١١، ٢/ ٨٣، ١٧/ ١٦٢، ١١/ ٤٠٦، ١٤/ ٤٧٤، ٥/ ٨٢، ١٨/ ٨٨

﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[البقرة: ٢٤٨] ٥/ ٤١

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[النحل: ١٢٠] ٤/ ١٩١

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾[التوبة: ١١٤] ٤/ ٣٦٩، ٩/ ١٨٧

﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾[الأنعام: ٥٠] ٦/ ١٧٦

﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤] ١٧/ ٣٣٢، ١٤/ ٢٨٥

﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾ [طه: ٣٩] ٧/ ٤٩٠، ١٧/ ١٦١، ٥/ ٨٦

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] ١١/ ١٩٩، ١٦/ ٤٨٠، ٧/ ٢٧٢

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ [الإنسان: ٥] ٤/ ٢٧٣

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾[الانفطار: ١٣] ٧/ ٣٤٩، ٧/ ٣٤٩

﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٢٨] ٤/ ٤٢١

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج: ١٩ - ٢١] ٤/ ١٩٣، ١٦/ ٢٢٤﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات: ٦] ٤/ ١٩٣

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِي خُسْرٍ﴾[العصر: ٢] ٤/ ٢٨٧، ١٥/ ١٩، ١٦/ ٨٤

﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾[الغاشية: ٢٥ - ٢٦]

﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[هود: ١١٤] ٨/ ٢٠٠، ٨/ ٢٠٣، ١٣/ ١٢٩، ١٧/ ٤٢٣، ١٧/ ٤٣٢

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[آل عمران: ١٩] ١٧/ ٣٤١، ١٣/ ١٧، ٢/ ٧٢، ٣/ ١٢٦

﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥] ٤/ ٢١٥، ٩/ ١٢٥

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾[الكهف: ١٠٧] ٤/ ٣٩٤، ٤/ ٤٩، ٧/ ٣٤١

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾[البقرة: ٦٢] ١٣/ ١١١، ٢/ ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ١٣/ ٢٢

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ﴾ [الحج: ١٧] ٤/ ٢٠٥

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾ [لقمان: ٨ - ٩] ٧/ ٣٤٣، ١٣/ ١٢٧

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾[هود: ٢٣] ٧/ ٣٤٠

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠ - ٣١] ٧/ ٣٤١

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦] ٤/ ٤٠١

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾[البينة: ٧] ٧/ ٣٥٠

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[البروج: ١١] ٧/ ٣٤٩

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾ [يونس: ٩ - ١٠] ٧/ ٣٤٠

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾[الأعراف: ١٩٤] ٤/ ٤٢٠

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[الأعراف:

١٩٤، ١٩٥] ١٤/ ٣٨

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ﴾ [النساء: ٩٧] ٣/ ٢٤٥

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ [النور: ١١] ٩/ ١١٥، ١٣/ ٦٩

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ٩٦ - ٩٨] ٥/ ٨٢

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ٣] ١٤/ ٤٧٦

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١] ٧/ ٣٤٢، ١٤/ ٤١، ١٤/ ٤٢، ٨/ ٥٠٤

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠] ٤/ ٢٧٧

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩] ٤/ ٣٥٧

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣] ٧/ ٣٤٥

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [فصلت: ٣٠] ٧/ ٣٤٥

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأعراف: ٤٠] ٤/ ٣٥٨، ١٥/ ٤٨٠

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ [البينة: ٦ - ٧] ١٢/ ١١٥، ٤/ ٢٨٤

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٠ - ١٢] ٤/ ١٦٩

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [محمد: ٣٤] ٤/ ٢٣٩

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٦] ٩/ ٧٢، ٨/ ٥٠٦، ٩/ ١٦٠

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾ [النساء: ١٦٨ - ١٦٩] ١٣/ ٢٦

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا

﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [النساء: ١٠] ٤/ ٣٤٩، ١٣/ ١٠٠

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] ٩/ ١٤٥

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ﴾ [غافر: ٥٦] ١٣/ ١٧٠

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ [المجادلة: ٢٠] ٤/ ٢٥٣، ١٢/ ١٩٥، ١٢/ ١٩٤

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [المجادلة: ٥] ٤/ ٢٥٣، ١٢/ ١٩٦

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [النور: ١٩] ٥/ ٣٨١

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [النور: ٢٣ – ٢٥] ١٣/ ٧٩

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: ٧٧ – ٧٨] ٨/ ١٦٥، ٤/ ٣٤٥

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ٣] ٩/ ١٤٨، ٩/ ١٤٧، ١٧/ ٣١٨

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ [البقرة: ١٥٩] ١٠/ ٤٢، ١٠/ ٤٢

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [آل عمران: ٢١] ١٤/ ٣٩٨

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [النساء: ١٥٠] ١٣/ ١٥، ٢/ ٦٩

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: ٤] ١٧/ ٣١٨، ١٧/ ٨٣، ٩/ ١٤٩، ٩/ ١٤٩، ١٣/ ٧٧، ١٤/ ١٢٦، ١٤/ ٤٧٦

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [الأحزاب: ٥٧] ١٣/ ٧٦، ٩/ ٣٦٦

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [آل عمران: ٢١] ٧/ ٤٩٧

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾[طه: ١٥] ١٣/ ٢٢٨، ١٣/ ٩٤، ٥/ ١١٦، ١٣/ ٢٠٣

﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[الإسراء: ٣٦] ١٥/ ٢١٦

﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان: ١٣] ٤/ ٣٥٦، ١٢/ ٢٨، ٥/ ٣٦٣، ١٧/ ٣٤٠

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[فاطر: ٦] ١١/ ٢٠٩

﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ﴾[البقرة: ١٥٨] ٤/ ٣٣٩، ٨/ ٧٤، ١٧/ ٦٩٥، ١١/ ١٢١٠

﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِى﴾[الأعراف: ١٥٠] ٥/ ٤٣٢

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾[التوبة: ١١١] ٧/ ٢٣٩، ٧/ ٣٣٩، ١٢/ ١٦٧، ١٦/ ١١٨، ١٢/ ١١٠، ٥/ ٤٨٨، ١٧/ ٣٣٧

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا﴾[آل عمران: ٣٣] ٢/ ١٤٧، ١٥٣، ٥/ ٢٩٣، ٥/ ٤٠٩، ٩/ ٢٠٦

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[الحج: ٦٥] ٩/ ٨٧، ٩/ ١٣٨

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[الأنفال: ٧٥] ١٢/ ١٩٧

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾[المائدة: ٧٣] ١٥/ ٤٨٢

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[البقرة: ٢٠] ١٥/ ٤٧٥، ٢/ ٥٣

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾[لقمان: ٣٤] ٤/ ٢٢٠، ٧/ ٣٦٦، ٩/ ٣٠٩، ٩/ ٣١٠

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[النور: ٦٢] ٩/ ١٢٠

﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة: ٩٩] ٩/ ٨٥

﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾[آل عمران: ١٨١] ١٥/ ٤٨٢، ٧/ ٤٩٦

﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ

مَلِكًا ﴾ [البقرة: ٢٤٧] ١٣/ ١٤٧

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ١٠٦] ٩/ ٥٧

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ [آل عمران: ٩] ٧/ ٤٠٠

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٥٨] ٢/ ٢١٧

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ [الحج: ٣٨] ٢/ ٢١٧

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ [النساء: ٣٦] ٢/ ٢١٧، ٢١٨

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا ﴾ [يونس: ٤٤] ١٣/ ١٠١، ١٥/ ٤٨٧

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ [البقرة: ٢٦] ١٣/ ١٥١

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨] ٢/ ٢٠٩، ٢٢٢، ٧/ ١٠٤، ٢٨١، ١٢/ ٢٨، ٢٧١، ٣٠٨، ١٣/ ٢٠٦، ٢٠٧، ١٧/ ٢٨٣، ٣٤٠

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ [النساء: ٤٠] ٢/ ١٣٦

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٦٤ - ٦٥] ١١/ ٦٠، ٧/ ٢٨١، ١٢/ ٢٦٤، ١٢/ ٢٧٢، ١٣/ ١٦، ١٣/ ٢٦، ١٠/ ١٢٣، ٢/ ٢٠٩

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨] ٤/ ١٩١

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة: ٤٠] ٣/ ٢٥٩

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات: ٥٨] ١٦/ ٣٠٧

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة: ١٧] ١٥/ ٤٨٢

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ﴾ [الأحزاب: ٥٦] ١١/ ٤٥٧، ١٦/ ٥١١، ١٣/ ٦٨، ٨/ ٣٦٧، ٩/ ٦٥، ٩/ ١٣٤

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ﴾ [البقرة: ٦٧] ١٣/ ١٥١

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ [النحل: ٩٠] ١٣/ ٢٠٤

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨] ٧/ ١٩٢

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] ١٦/ ٩٥، ٧/ ٢٠٦

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾ [الصف: ٤] ٨/ ٣١٨

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ﴾ [الحج: ٢٣] ٧/ ٣٤٢، ٧/ ٣٤٢

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [محمد: ١٢] ٧/ ٣٤٥

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ [فاطر: ٤١] ٥/ ١٣٣

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحجرات: ١٨] ٤/ ٢٤٢

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [الحج: ١٤] ١٥/ ٤٧٤

﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الإسراء: ٢٧] ٧/ ٤٣٦

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الحجر: ٤٥] ٧/ ٣٤٠

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾ [القمر: ٥٤] ٤/ ٢٤٧

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ﴾ [المرسلات: ٤١] ٧/ ٣٤٩

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الذاريات: ١٥] ٧/ ٣٤٦

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [الدخان: ٥١] ٧/ ٣٤٥

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] ١١/ ٤٢٥، ١٣/ ٣٧٩

﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ﴾ [الحديد: ١٨] ١٨/ ٨٣

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥] ٧/ ٢٤٦، ١٣/ ١٢٦

﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾ [العلق: ٨] ٤/ ٢٨٢

﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [الغاشية: ٢٥ - ٢٦] ٤/ ٢٧٨

﴿إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ [النساء: ١٧٦] ١٢/ ٢١٥

﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٦] ٣/ ٢٥٣، ٣٠٤

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾[القدر:١] ١٧/ ٢٤٩، ١٢/ ٢٦، ١٧/ ٦٤٢، ١٧/ ٦١١

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[آل عمران: ٩٦] ٥/ ٤٣٤، ٧/ ١٩١، ٨/ ٧٥

﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ﴾[آل عمران: ٦٨] ٢/ ٧٢، ١٨/ ٢٨٩

﴿أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[الشعراء: ١٠] ١٣/ ١٠٠

﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ﴾ [البقرة: ٢٧١] ١٥/ ١٤٨

﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [الفرقان: ٨] ٩/ ١٨٦

﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤] ٩/ ١٦٥

﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ [النساء:٣١] ٢/ ٢٠٥، ٢١٢، ٨/ ١٩٢، ٨/ ٢٢٤، ١٣/ ١٢٩، ١٦/ ٦٥، ١٧/ ٤٢٣، ٢/ ٢٤٤

﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ﴾ [فاطر: ١٤] ١٤/ ١٤١

﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠] ١٦/ ٤٦٨

﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢] ١٣/ ٧٧

﴿إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٢٤-١٢٥] ٩/ ٣٧

﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] ٩/ ١٢٢

﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا﴾ [البقرة: ٢٨٢] ٥/ ٤٧، ١٥/ ١١١

﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ [المائدة: ١١٨] ٤/ ٤٢٠، ٤/ ١١٢، ١٣/ ٢٧، ١٨/ ٢٨٧

﴿أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾[النساء: ١٠١] ١٠/ ٣٥٩، ١٠/ ٣٥١، ١٠/ ٣٢٠

﴿أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ﴾[المائدة: ١٩] ١٥/ ١٧٩

﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧] ١٣/ ١٢

﴿أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠] ٥/ ٦٢، ١٨/ ٣١٦

﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ﴾ [الحجرات: ٦] ١٠/ ٤٢، ١٠/ ٣٨، ١٦/ ٩٣

﴿ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [يوسف: ٥١] ٥/ ٩٦

﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ [النساء: ١٠١] ١٠/ ٣٦٨، ١٠/ ٣٤٩، ١٠/ ٣٥١

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾ [ص: ٦٤] ٤/ ٢٣١، ٥/ ٣٨٨

﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧] ٣/ ٣٠٣، ١٣/ ٣٦، ١٥/ ٤٧٤

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾ [المزمل: ٢٠] ٤/ ٢٦٨

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يونس: ٣] ٤/ ١٧٥

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٥٤] ٤/ ٩٧

﴿إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١] ٢/ ٤٢

﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦] ٤/ ١١١

﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء: ٢٧] ٩/ ١٨٦

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣] ٩/ ١٨٣

﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ [التوبة: ٣٦] ١٥/ ٣٦١

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١] ١٦/ ٢٧٠، ٢/ ١٠٧، ٨/ ٢٧٢

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ﴾ [القصص: ٨] ١٣/ ٣٨، ٥/ ١١

﴿إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الجاثية: ٣] ٤/ ٢٣٧

﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ﴾ [آل عمران: ١٩٠ - ١٩٤] ١١/ ٤٧٥، ١١/ ٣٣٧، ٤/ ٤٥

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥] ٤/ ٣٨٣، ١٢/ ٣٨٢

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤] ٤/ ١٨١

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧] ٤/ ٢٤٣، ٥/ ٧٣

﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨] ٤/ ٣٨٩

﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ [الحجر: ٩٥] ١٦/ ٩٠

﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤] ١٥/ ١٣٨

﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾ [المائدة: ١١٦] ١٥/ ١٤٦

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١] ٥/ ٢٦٤، ٩/ ٨٨

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ﴾ [طه: ١١٨] ٥/ ٢٧٤

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ [النبأ: ٣١] ٧/ ٣٤٩

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾ [القمر: ٥٤] ٧/ ٣٤٧

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [القلم: ٣٤] ٧/ ٣٤٨

﴿إِنَّ لَهُۥ أَبًا﴾ [يوسف: ٧٨] ١٥/ ٥٧

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩ - ٦٠] ٩/ ٣٢، ١٦/ ٩٦، ٩/ ١٦٢، ٢/ ٥٨، ٥/ ٢٩٩، ٧/ ٢١١

﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ [الشعراء: ٤] ٩/ ١٢٤، ١٥/ ١٤٦

﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] ١١/ ٢١٣

﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ [ص: ٢٣] ١٥/ ٣٥٥، ٤/ ١٣١

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل: ٧٦] ٤/ ٢١٤

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩] ٤/ ٥٠٠

﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى: ١٨ - ١٩] ١٠/ ١٣

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾ [الصافات: ١٠٦] ١٣/ ٣٣

﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ [طه: ٦٣] ١٥/ ٦٤

﴿إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ [العنكبوت: ٣١] ١٣/ ٢٢٦

﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الفرقان: ٤٤] ٣/ ٣٥٩، ١٧/ ٦٥٢

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٩] ١٤/ ٣٤٤، ١٤/ ٣٥٩

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٤] ١٦/ ١٠٠

﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ﴾ [الأعراف: ١٥٥] ٥/ ٤٢٤

﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف: ٩٤] ٤/ ٣٩٣

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ [الأنعام: ١١٦] ١٠/ ٣٦

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ [النساء: ١٣٣] ١٣/ ٢٥٢، ١٣/ ٣٦، ٤/ ٣٥١

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٩] ١٣/ ٢٥٢

﴿أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟﴾ [المائدة: ٣٣] ١٥/ ٢٩٧

﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ﴾ [الأنفال: ٥٦] ١٧/ ١٢٨

﴿أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ﴾ [آل عمران: ٧٣] ١٥/ ١١٢

﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٤٠] ٢/ ٢٦٤، ٢٨١، ١١/ ٣٦٧

﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ﴾ [طه: ٧٣] ١٣/ ٥٤

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ [المزمل: ١٥-١٦] ١٣/ ٣٩

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ [نوح: ١] ١٧/ ٤٥٨

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ﴾ [القمر: ٣٤] ١٣/ ٤٩، ١٧/ ١٨٢

﴿إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ [الحجر: ٥٨] ١٥/ ٣٧٧

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا

﴿تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾[البقرة: ١١٩] ١٣/ ١٥٨، ٩/ ٢٦، ٩/ ١٤٥

﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا﴾ [الإنسان: ٤] ٥/ ١٨٢، ٤/ ٢٧٣

﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾[الكهف: ٢٩] ٤/ ٣٩١

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١] ٤/ ٧١، ٤/ ٢٨٨، ٩/ ٨٢، ١٦/ ٨٨، ٩/ ٤٠٩، ١٨/ ٣٠٢

﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا﴾[الكهف: ٣٤] ١٥/ ٣٥٧

﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ﴾ [يوسف: ٤٥] ١٢/ ٤١٧

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾[النساء: ١٠٥] ١٦/ ١٠٢

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾[القدر: ١] ٤/ ٢٨٣

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢] ٤/ ١٢١، ٥/ ٢١

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾[الدخان: ٣-٥] ١٢/ ٨٤، ١٧/ ٦٠٩، ١٢/ ٢٣، ١٧/ ٢٤٩، ١٧/ ٦٤٢

﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا﴾ [الواقعة: ٣٥ - ٣٦] ١٣/ ١٦٥، ١٣/ ٢٦٢

﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾[النساء: ١٦٣] ١٣/ ٤٢، ٥/ ٤١٨

﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾[القلم: ١٧] ٤/ ٢٦٣، ١٣/ ١٤٢

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾ [الكهف: ٧] ٨/ ٣٣٤

﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣] ٤/ ٢٣٥

﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾[الأعراف: ١٢] ١١/ ٢١٣، ٥/ ٢٦٦، ٥/ ٢٦٧، ٧/ ٣٩٣، ١٨/ ٣١٨

﴿إِنَّا رَآدُّوهُ﴾[القصص: ٧] ٤/ ٢١٥

﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ﴾[ص: ١٨]

٥/ ٣٧٨

﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١] ٧/ ٥٠٨، ٤/ ١٢، ٤/ ١٣

﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ [الأحقاف: ٣٠] ٤/ ٢٣٩، ١٦/ ١١٢، ٩/ ١٤٣

﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥] ٥/ ١٨٠

﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا﴾ [عبس: ٢٥] ٥/ ١٨٥

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ﴾ [الأحزاب: ٧٢] ٧/ ١٩٢، ٨/ ٣٥٤، ١٣/ ٢٧١، ١٦/ ٦٦

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١] ٤/ ٥٩، ٤/ ٢٤٠، ٩/ ١٤٤، ٩/ ٣٧٣، ١٣/ ٢٣١، ١٨/ ٣١٥، ١٨/ ٢٨٥

﴿إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٥٧] ١٦/ ٢٥٨، ١٤/ ٣٩٩

﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ [الحجر: ٩٥] ٤/ ١٤٧، ٩/ ٩٥

﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩] ١٠/ ١٢٣، ١٢/ ١٨٨، ١٤/ ٦١٦، ٧/ ٣٨١، ١٢/ ٣٢٠

﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩] ١٠/ ١٠

﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠] ١٧/ ٣٢٣

﴿إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا﴾ [المائدة: ٢٤] ١٣/ ٤٥

﴿إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة: ١٤] ١٠/ ١١٣

﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء: ١٥] ١٦/ ٢٠

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٤] ١٣/ ٤٣٠

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ﴾ [يس: ١٢] ٨/ ٢٥٩

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ [الحجر: ٩] ٩/ ٩٠، ١٠/ ٢٠، ٩/ ٣٢٤، ٩/ ٩٠، ١٠/ ٣٧، ٧/ ٤٩٢، ١٣/ ٧٨، ٣/ ١٢٦، ٤/ ١٨٦، ١٨/ ٣١٢

﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٠] ٢/ ٧٥

﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣] ٩/ ٣٦٨

﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤] ٥/ ٩٥، ٤/ ١٨٠

﴿إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ﴾ [الشورى: ٤٩ - ٥٠] ٥/ ١٦٠

﴿أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧] ١٥/ ٣٣٣

﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ [الحج: ٦٣] ١٥/ ٢٩٠

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٩] ٤/ ٣١٦، ٩/ ١٨٦

﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: ٤١] ١٧/ ٣٢٧

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧] ١٧/ ٦٥٢

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢] ٥/ ٢٦٤

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨] ٥/ ٤٧

﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [النمل: ٨٠] ١٤/ ٣١٤، ١٤/ ٣١٥

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦] ١٦/ ٤٦٨، ١٤/ ٥٣

﴿إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يوسف: ٩٥] ١٣/ ٢٣٤، ٢/ ١٦٣

﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يس: ٣ - ٤] ١٧/ ١٩٢

﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧] ١٧/ ٦٠٢، ٢/ ١٧٤، ١٨٣، ١٢/ ٥١٦

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠] ٩/ ٣٣١، ٣/ ٤٠٤

﴿أَئِنَّكُمْ لَتُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢] ٤/ ٢٥٠

﴿إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمُ بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ [البقرة: ٥٤] ١٥/ ٢٩

﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨ - ٩٩] ١٤/ ٤١، ١٤/ ٤٢، ٨/ ٥٠٤، ٤/ ٤٠٤

﴿إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى﴾

[المائدة: ٢٥] ١٥/ ٥٨

﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [المائدة: ٩٠] ١١/ ٢٤٢

﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الشورى: ٤٢ - ٤٣] ١٣/ ٢٧١

﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ [التوبة: ٦٠] ٧/ ٢٢٢، ١٤/ ٦١٥، ١٧/ ٣٠٥، ١٠/ ١٢٢، ١٦/ ٣٦٢، ٨/ ٨٩

﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١] ٤/ ٣١١

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] ١٢/ ٢٧١، ١٢/ ١٧١، ١٢/ ٣٢٢، ١٢/ ٣٢٢، ١٤/ ٦١٥، ١٨/ ٤٢، ١٨/ ٤٩

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢] ٤/ ١٧٣، ٤/ ٢١٠، ١٧/ ٣٤٧

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النور: ٦٢] ٩/ ٤٤

﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ﴾ [النمل: ٩١] ٤/ ٢١٣

﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢ - ٨٣] ١٣/ ١٤، ٢/ ٥٣، ٦٠، ٥/ ٢٧٦، ١٥/ ٤٧٤، ١٧/ ١٩٢، ٤/ ٣١٧

﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ [مريم: ١٩] ٥/ ١١٢

﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ١٠١] ٩/ ٩٦

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ﴾ [المائدة: ٣٣] ٢/ ٢١١، ٩/ ٤٢

﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا﴾ [الأعراف: ١٨٧] ٥/ ١١٨

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ﴾ [النور: ٥١] ١٦/ ٤٧٨، ١٧/ ١١١، ٤/ ٤٧٧، ٩/ ٤٣

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠] ١٥/ ٤٧٤، ٥/ ٣١٤، ٢/ ٣٠، ١٨/ ١٠٣

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ الآية [يونس: ٢٤] ٤/ ٣١٤

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٩] ٧/ ٣٤٨

﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧] ٥/ ٢٩١، ١٦/ ٣١

﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨] ١/ ٣٩، ١٨/ ٣٦١، ١٨/ ٣٥٢

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] ٩/ ١٢٩، ١٥/ ١٢٣، ٨/ ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ١٤/ ٦٠٢، ١٦/ ٤٨٠، ١٦/ ٥، ٤٨١/ ٢٨٣

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾ [المائدة: ٩١] ١٣/ ٩٣

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [التوبة: ١٨] ٤/ ٣٦٥

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] ١٧/ ٢٦٨، ٨/ ٣٠٩، ١٢/ ٧٠، ٧/ ٨٩، ١٨/ ٩٣

﴿إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ [هود: ٢] ٤/ ٧٩

﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦] ١٦/ ٢٠

﴿إِنَّهُۥ رَبِّىٓ﴾ [يوسف: ٢٣] ١٦/ ٢٦

﴿إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾ [النمل: ٤٤] ٧/ ٣٠٧

﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ﴾ [الطارق: ٨] ٤/ ٢٧٧، ٤/ ٢٧٧

﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ [المدثر: ١٨ - ١٠] ٤/ ٢٧٠

﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣] ٧/ ٧٣، ٩/ ١٨٨

﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧] ٥/ ٨١

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥] ٨/ ٣٦٢

﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧] ٤/ ٢٠٧

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾[الحاقة: ٤٠] ٩/ ٨٧

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ١٩-٢٠] ١٦/ ٣٥، ٩/ ٣٧٦، ٩/ ٤٥١، ٩/ ٤٢٩

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ﴾ [الطارق: ١٣ - ١٤] ٤/ ٢٧٧

﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾[هود: ٤٦] ١٣/ ٤٧، ٥/ ٩٢

﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ﴾ [النمل: ٣٠] ١٥/ ٢١، ١٦/ ٨٩، ٥/ ٤٥٤، ٤/ ١١٩

﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤] ٤/ ١٨٠، ١٦/ ٢٣

﴿إِنَّهُۥ مَنْ يَتَّقِي وَيَصْبِرْ﴾ [يوسف: ٩٠] ١٥/ ٩٠

﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾[المائدة: ٧٢] ١٣/ ١٣٧، ١٧/ ٢٦٥

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الإسراء: ١] ٩/ ٩٩

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[يوسف: ٩٨] ١٣/ ٢٠٨

﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ۝٣٥ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٣٥ - ٣٦] ٥/ ١٨١

﴿إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾[الدخان: ٢٤] ١٣/ ٤٥

﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات: ٣٥] ١٦/ ١٢، ١/ ٣٠٨، ١٥/ ٤٦١، ١٧/ ١٧

﴿أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾[البقرة: ٤٦] ١٣/ ٩٣

﴿أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ [الكهف: ٥٣] ١٣/ ٩٤

﴿إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٢٩] ١٣/ ٧٣، ١٦/ ٣٧

﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ﴾ [آل عمران: ٣٧] ٢/ ٢٦٤، ٢٧٤، ٢٨٠، ٤٥٣

﴿أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩] ١٥/ ١٥٨

﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ [الأنعام: ١٠١] ٧/ ٤٧٠

﴿إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ [النمل: ٧] ١٣/ ٢٢٧، ١٣/ ٢٢٧

﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٨] ١٦/ ٣١

﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأنعام: ١٥] ١٣/ ١١١

﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٣٦] ١٥/ ٢٥٦، ٥/ ٤٢٦

﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ [الأنفال: ٤٨] ١٢/ ٣٤٣

﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ [المائدة: ٢٩] ١٦/ ٣١، ٥/ ٥٧

﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [هود: ٤٧] ١٠/ ١١٩

﴿إِنِّيٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٩] ٩/ ٢٥٧

﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ﴾ [يس: ٢٥] ٧/ ٣٤٤

﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] ١٣/ ٣١٨، ٥/ ٣٢٠، ٥/ ٣٢٤٩/ ٤٤٣

﴿إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ [ص: ٧١] ٩/ ٤٤٣

﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [الصافات: ٩٩] ٣/ ٤٠٤

﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ [يوسف: ٤] ١٥/ ٣٥٥، ٤/ ١٧٩

﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٠] ٨/ ١٣٠

﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ [آل عمران: ٥٥] ٣/ ٨٨، ٢٠٨، ٢٥٤، ٢٤٨، ٢٨٢، ٢٩٧، ٣١٠، ٣٠١، ٣٢٣، ٣٢٩

﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ [مريم: ٢٦] ١٤/ ٨٣

﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: ٢٣] ٥/ ١٣٠

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾ [الأنعام: ٧٩] ٧/ ٣٧٩، ٧/ ٢٠٣

﴿ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا﴾ [هود: ٤٨] ٣/ ١٧٠، ١٥/ ٢٩

﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٦] ٤/ ٣٤

﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴾ [الفرقان: ٤١] ٩/ ٦٧

﴿أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا ﴾[الأعراف: ٤] ١٥/ ٢٩٠

﴿ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَٰهُمْ ﴾ [الدخان: ٣٧] ٤/ ٣١٩

﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴾ [طه: ١٠] ١٥/ ٢٦

﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴾[البلد: ١٤ – ١٥] ١٥/ ١٨٣

﴿أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ ﴾ [النساء: ٩٠] ١٤/ ٣٣٥

﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٩] ٣/ ٣١٧، ٤٠٩

﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾[البقرة: ١٩] ١٥/ ٤٣٢

﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ ﴾[النور: ٤٠] ١٥/ ٤٣٢

﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾[النساء: ٤٣] ١٦/ ٣١١، ١١/ ٩١

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾[الأعراف: ١٨٤] ٩/ ١٧٥

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم ﴾ [يس: ٧١] ٢/ ٣٠

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾[الأحقاف: ٣٣] ١٥/ ٢٣٦

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ ﴾[النحل: ٤٨ –٤٩] ١٣/ ١٦٣

﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ ﴾ [العنكبوت:٥١] ٩/ ١٤، ١٥/ ١٧٨

﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا ﴾ [الشورى: ٥١] ١٥/ ١٣٣

﴿أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ﴾ [البقرة: ٢٣٧] ٤/ ٣٤٢

﴿أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ ﴾[الجن: ١] ١٥/ ٢٤١

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ﴾ [آل عمران: ١٣٦] ٧/ ٣٣٦

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴾[عبس: ٤٢]

٦٠٥/١٧

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠ - ١١] ١٢٩/١٣

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ [يس: ٧٧] ٢٢٧/٤

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ﴾ [الأنبياء: ٣٠] ٨٢/١٣

﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ [العنكبوت: ٥١] ٣٢٤/٩

﴿ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٨] ٦٦/٥

﴿ أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾ [فاطر: ١] ١٥/٧٧، ١٣/١٤

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [الحجرات: ٣] ١٢/١٢٠

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ﴾ [المائدة: ٤١] ٤٨/٥

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام: ٩٠] ٢٤٧/٥

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ [الإسراء: ٥٧] ١٤/ ٣٥، ٣٩، ٤٠، ٨٥، ٤٥٩

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ ﴾ [الأحقاف: ١٦] ١٥/ ٢٥

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ ﴾ [الإسراء: ٥٧] ٢/ ١٠٦

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة: ٢٢] ١٧/ ٦٦٥، ٩/ ٤٠، ٥/ ٤٨

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٢] ٧/ ٨٤

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [النور: ٢٦] ٩/ ١١٥، ١٣/ ٦٩

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٢١] ١١/ ٤٧

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٩] ٤/ ٣٤٠

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِي ﴾ [العنكبوت: ٢٣] ٢/ ١٦٦

﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ ﴾ [الأنعام:

١٢٢] ١٣/ ١٩٥

﴿أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠] ١٥/ ١٥٥

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥] ٤/ ١٥٩، ١/ ٢٤٤، ١٤/ ٥٥

﴿أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [القيامة: ٦] ١٥/ ١٥٧

﴿أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ [الذاريات: ١٢] ١٥/ ١٥٧

﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ﴾ [يونس: ١٥] ١٥/ ٣٦٥

﴿ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى﴾ [يوسف: ٥٤] ٧/ ٣٨٣

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ [القيامة: ٣] ١٣/ ٨٢، ٤/ ٢٧٠

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦] ٤/ ٢٧٠

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الأعراف: ١٩١-١٩٢] ١٤/ ١٣٩

﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣٨] ٥/ ٤٤٥

﴿أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ﴾ [القصص: ٢٨] ١٥/ ١٥٤

﴿أَيْنَ ذُكِّرْتُم﴾ [يس: ١٩] ١٥/ ١٧٣

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [النساء: ٧٨] ١٥/ ١٤٦، ١٥/ ١٥٨، ١٥/ ١٦٩

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ [البقرة: ٢٦٦] ١٢/ ٥٤٣

(ب)

﴿بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥-١٦] ٩/ ٦٣

﴿بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١] ٤/ ١٨٧

﴿بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ [مريم: ٥٥]: ٨/ ٧٩

﴿بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٤٨] ١٣/ ١٦٧

﴿بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩] ٩/ ٤٠

﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] ١٦/ ٥٤١، ٩/ ٨٦، ٨/ ١٩٦

﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ٥] ١٥/ ٣١

﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ [عبس: ١٥ - ١٦] ٥/ ٤٧٧، ١٧/ ٦٠٥

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد: ١] ٤/ ٦٩

﴿بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٤] ٩/ ٤٠

﴿بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ﴾ [القصص: ٤٤] ١٥/ ٤٢٦

﴿بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٥] ٩/ ٤٠

﴿بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ﴾ [الإنسان: ٢٨] ١٣/ ٢٥١

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ [الأنعام: ١٠١] ١٥/ ٤٧٦

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧] ١٠/ ١٣٠

﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١] ٩/ ٤٢، ١٣/ ٧٦

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ١ - ٢] ١١/ ٤٥٨، ١١/ ٤٧٥

﴿بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [الحج: ٧٢] ١٥/ ٣٢٢

﴿بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [النحل: ٩١] ١٥/ ٣١٣

﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧] ١٣/ ٢٣٠

﴿بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ [الطور: ٢٩] ٩/ ١٦٩

﴿بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥] ١٣/ ٨١

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ [ص: ٢] ٥/ ٣٨٨

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ﴾ [البروج: ١٩] ٢/ ٥٦

﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٦] ٤/ ٢٤٧

﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النمل: ٥٥] ١٥/ ٢١٤

﴿بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [النور: ٤٧ - ٥٠] ٩/ ١١٩

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأعلى: ١٦] ٤/ ٢٧٨

﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨] ١٦/ ٣٢، ٣/ ١٨٩، ٢٥١، ٢٤٨، ٢٦٠، ٣٠١، ٣١٠، ٣١٩، ٤١٣، ٤٢٩

﴿بَل﴾ [الفجر: ١٧] ٤/ ٢٧٩

﴿بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ [ق: ٢] ١٥/ ١١٢

﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٠-٦٣] ١٣/ ١٠٦

﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ﴾ [يونس: ٣٩] ٣/ ٢٥٤، ٣٠٥، ٣٤٧

﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ﴾ [ص: ٨] ١٥/ ١٣٥، ١٤/ ٤٤

﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ [الزخرف: ٢٩] ٥/ ١٦٥

﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سبأ: ٣٣] ١٥/ ٤٢٣

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾ [الأنبياء: ١٨] ١٥/ ١٣٤

﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨] ٨/ ١٨٩

﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١ - ٢٢] ٤/ ٢٧٧، ١٦/ ١٠٠، ٩/ ٩٠

﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] ٢/ ٣٠، ٦١، ٧/ ٤٥٢، ١٣/ ٢١٥، ٥/ ١٧

﴿بَلَٰغٌۢ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥] ٤/ ٢٩٧

﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥] ٨/ ٨١

﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ [القيامة: ٤] ٤/ ٢٧٣، ٤/ ١١، ٢٧١/ ١٦٢

﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٤] ١٨/ ٣١٢

﴿بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٥] ٤/ ١١٢

(ت)

﴿تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ﴾ [الزمر: ٦٤] ١٥/ ٦٦

﴿التَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ

ٱلسَّٰٓئِحُونَ ﴾ [التوبة: ١١٢] ٤/ ٣٦٩، ٧/ ١٥٥، ١٣/ ٢٨٣، ١٣/ ١٦٢

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ ﴾ [الفرقان: ١٠] ١٥/ ٣١٠

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الملك: ١] ٤/ ٢٦١، ٤/ ٥٢، ٤/ ٦٢، ١٤/ ٢٣١، ١٤/ ٢٣٢

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾ [الفرقان: ٦١] ١٣/ ٣١٤، ٤/ ٢١١

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾[الفرقان: ١] ٤/ ٢١٠، ١٣/ ١٧، ١٦/ ٢٥، ١٦/ ٣٧، ١٣/ ٧٢، ٩/ ١٢٢، ٩/ ٢٢، ٢/ ٩٠

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ ﴾[المسد: ١] ٤/ ٣٣، ١٢/ ٢٢٦، ١٣/ ١٤٨

﴿تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾[سبأ: ١٤] ١٣/ ٣٢

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ [السجدة: ١٦] ٨/ ٢٦٦، ٨/ ٢٦٦

﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا ﴾ [القمر: ١٤] ٧/ ٥١٨، ٢/ ٢٨

﴿تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ ﴾ [المائدة: ١٠٦] ١٥/ ١٧٤

﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ ﴾ [الأحقاف: ٢٥] ١٠/ ١٣٥

﴿تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾[البقرة: ٢٢٦] ١٥/ ٤٢٣

﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ﴾[الأحزاب: ٥١] ٩/ ١٣٢

﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾ [الأنفال: ٦٧] ١٣/ ٦٣، ١٥/ ٤٣٣

﴿تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ﴾ [النساء: ١] ١٥/ ٣٠٩

﴿تَعَالَوْا۟ أَتْلُ ﴾ [الأنعام: ١٥١] ١٥/ ١٣١

﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ﴾ [المائدة: ١١٦] ٢/ ٢٠

﴿تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ﴾ [المائدة: ١٩] ٩/ ٦٤

﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴾ [مريم:

٩٠] ١٢/ ٥٢٦

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: ١ - ٦] ٤/ ٢١٣

﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ٦٣] ٩/ ١١١

﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] ١٦/ ٣١، ٥/ ٤١٨، ٢/ ١٥٠، ١٥١، ٥/ ٤٠٩، ٥/ ٢٩١، ٣/ ٤٣١، ١٦/ ٣٦، ١٨/ ٢٨٢

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر: ١] ٤/ ١٨٦

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الرعد: ١] ٤/ ١٨٢

﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٣] ٤/ ٣٥٠، ٧/ ٣٣٧

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الزمر: ١ - ٣] ٤/ ٢٣١، ٩/ ١٤١

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [السجدة: ٢] ١٥/ ٢٩٩

﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الحاقة: ٤٣] ٩/ ١٦٨

﴿تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥] ١٣/ ٢٧٧

﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعام: ٦١] ٣/ ٢٤٥

﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١] ٣/ ٢٤٥

﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ [آل عمران: ٢٧] ١٣/ ٢٩٠

﴿تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [هود: ٣] ١٣/ ١١١

﴿ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ [الفجر: ٨] ٥/ ١٨٧

(ث)

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢] ٩/ ١٣٨، ٧/ ٣٤٣

﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الأنعام: ١٥٤] ١٥/ ٢٩٣

﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى الَّيْلِ﴾[البقرة: ١٨٧] ١٥/ ٢٣، ١٢/ ٤٩

﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ [طه: ١٢٢] ١٦/ ٢٢٣، ٥/ ٣١١

﴿ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾[الروم: ٢٠] ١٥/ ١٦٤

﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ﴾ [يوسف: ٧٠] ١٢/ ٤٠٧

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾[المؤمنون: ٤٤] ٨/ ٢٤٩

﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١] ١٣/ ٨٣

﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾[الأعراف: ٥٤] ٧/ ٤٥٢

﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١] ٤/ ١٧١

﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾[عبس: ٢١] ٣/ ٢٥٦، ٢٩٩

﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٨٥] ١٥/ ٣٨٩

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ [آل عمران: ١٥٤] ١٢/ ٥٤١

﴿ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ١٢٧] ٤/ ١٢٣

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾[النحل: ١٢٣] ٩/ ٩٨

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢] ٨/ ٣٢٨، ٨/ ٣٢٨

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَى﴾ [الأعراف: ١٠٣] ٤/ ١٣٣، ١٣/ ٥٥

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾[التوبة: ١١٨] ١١/ ٣٣٣

﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ﴾[البقرة: ٢٨١] ٣/ ٢٤٦

﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ [السجدة: ٨] ١١/ ١٢٢

﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾[الفرقان: ٤٥ - ٤٦] ١٢/ ٥٤٢

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٤] ٥/ ٧٨

﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً ﴾ [المؤمنون: ١٤] ١٥/ ٢٩٠

﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ [النجم: ٨ - ٩] ٩/ ٤٣٠

﴿ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأنعام: ٦٢] ١٢/ ٥٤٠

﴿ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴾ [عبس: ٢٦] ٥/ ١٨٥

﴿ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ ﴾ [الروم: ١٠] ١٣/ ١٢٦

﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴾ [البلد: ١٧] ٤/ ٢٨٠

﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [التكاثر: ٨] ١/ ٢٩٢، ١٧/ ٤١٥

﴿ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴾ [الانفطار: ١٨ - ١٩] ١٤/ ٢٩٨

﴿ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٦١] ٢/ ٢١٨

﴿ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم: ٧٢] ٤/ ٣٩٨

﴿ ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [القصص: ٦١] ١٥/ ٢١٠

﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ﴾ [الأنعام: ١٤٣] ٤/ ٣٣، ٨/ ٣٣٣

﴿ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ [التحريم: ٥] ١٣/ ٢٨٣

(ج)

﴿ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا ﴾ [فاطر: ١] ١٣/ ١٤ ، ٢/ ١٥٠، ٣/ ٤٥ ، ٩/ ٢١١، ٥/ ٢٥٤، ١٨/ ٣١٦

﴿ جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ ﴾ [الكهف: ٧٧] ٥/ ١١٦

﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ ﴾ [المائدة: ٩٧] ١٦/ ٣٢٦

﴿ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ [النحل: ٧٢] ١٥/ ٣١

﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾ [فاطر: ٣٣] ٥/ ١٣٥

﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾ [الرعد: ٢٣] ١٣/ ١٢٩

﴿ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن: ٤٦] ١٣/ ٢١٧

﴿جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾[النساء: ٤١] ٨/١٩

(ح)

﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَوٰةِ الْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨] ٥/٤٠، ١٠/٣٥٣، ١٧/٢٨٤، ٤/٣٤٢

﴿الْحَاقَّةُ ۝١ مَا الْحَاقَّةُ﴾[الحاقة: ١-٢] ٤/٢٦٤، ١٣/١١١

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ﴾ [يونس: ٩٠] ١٧/١٦١، ٧/٤٩٠، ٢/٨٠

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ [الأحقاف: ١٥] ١٦/١٠٤، ٣/٢٠٨

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١] ١٥/٤٩٧

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ٧٣] ١٥/٣٥، ١٥/١٦٦

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف: ٩٦] ٥/٤٥٢

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ﴾[هود: ٤٠] ٥/٨٩

﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ۝٩٦﴾ الأنبياء: [٩٦ - ١٠٤] ٤/٢٠٤، ١٣/١٦٩، ١٣/٤٤٩

﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ [يونس: ٢٢] ١٧/١٨١

﴿حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾[التوبة: ١١٨] ١٥/٢٩٣، ٨/١٣٠

﴿حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ [الكهف: ٦٠] ٥/١١١، ٥/١١٢

﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾[ص: ٣٢] ٥/١٤٩

﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [يوسف: ٣٥] ١٥/١٢٥

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ﴾ [يونس: ٩٠] ١٣/٣٨

﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ [القدر: ٥] ١٥/١٢٥

﴿حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[الإسراء: ١٥] ١٣/١٥٩

﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [التوبة: ٤٣] ٩/ ٨٢

﴿حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ﴾ [النساء: ١٥] ٣/ ٢٤٥

﴿حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥] ٩/ ٥٣

﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩] ١٠/ ١٠١

﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ﴾ [البقرة: ٢١٤] ١٥/ ٣٠٦، ١٥/ ١٢٦

﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩] ١٥/ ٢٣

﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ [البقرة: ١٩٧] ٤/ ٣٤١، ٨/ ٢٢٥

﴿حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٨] ١٣/ ١٠٨

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ﴾ [المائدة: ٣] ١١/ ٢٠٦، ١/ ٢٧٩، ١٠/ ١٠٥، ١٠/ ٢٢٢، ١١/ ٢١١، ٢/ ٢١٦، ١٣/ ١٥١، ١٣/ ١٨١، ١٨/ ٣٧٧

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ [النساء: ٢٣] ١٢/ ٣٠٠، ١٠/ ٣٤١

﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [المجادلة: ٨] ٤/ ٢٥٢ ﴿حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ [الواقعة: ٩٥] ١٥/ ٤٢٦

﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ﴾ [الأعراف: ١٠٥] ١٥/ ٢٧

﴿حَكِيمٌ﴾ [الحج: ٥٢] ٥/ ١٢٤، ١٣/ ٥٨

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الجاثية: ١ - ٢] ٤/ ٢٣٦

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [غافر: ١ - ٢] ٤/ ٧٥

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف: ١ - ٣] ٤/ ٢٣٧

﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ [الشورى: ١ - ٢] ١/ ٣٧٣

﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ

﴿أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان: ١ - ٣] ٤/ ٢٣٦

﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ١ - ٣] ٤/ ٢٣٦

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ [الكهف: ١] ٤/ ١٩٦، ٤/ ٥٠٠

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١] ٤/ ١٧١

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾ [الزمر: ٧٤] ١٧/ ٦٨٩

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ [إبراهيم: ٣٩] ٤/ ١٨٢

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] ٤/ ٣٤، ٤/ ٤٦٠، ٤/ ١٥٩

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ١] ١٧/ ١٧٣

﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢] ١٧/ ٢٠٤

﴿حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥] ٥/ ٢٦٩

(خ)

﴿خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١] ١٥/ ٣٩٧

﴿ٱلْخَٰشِعِينَ ۝٤٥ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٤٥] ٨/ ١٣٠

﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [البقرة: ٧] ٥/ ٢٣

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] ٤/ ٣٦٢، ١٣/ ٢٠٣، ١٣/ ٣٠٠

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾ [التوبة: ١٠٣] ١١/ ١٦، ١١/ ١٠، ١٦/ ٢٩٥

﴿خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١] ٤/ ٣٥٨

﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ﴾ [القمر: ٧] ١٥/ ٣٦١

﴿خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩] ٩/ ١٠٥

﴿خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[ص: ٢٢] ١٧/ ٨٤، ٥/ ٣٨٥

﴿خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥] ٩/ ٥٧

﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾[الأنبياء: ٣٧] ٤/ ١٩٣، ٥/ ١٢١

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾﴾[النحل: ٤-١٨] ٤/ ١٨٩

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [لقمان: ١٠ - ١١] ٧/ ٢٠٤، ٤/ ٢١٩

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الزمر: ٥] ١٣/ ٢٩٢

﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩] ١١/ ١١٤، ١١/ ١١٨، ١١/ ١١٠

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١] ١٥/ ٢٩٣، ١٥/ ٣١٥

﴿خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[النساء: ٥٩] ٩/ ٥١

(د)

﴿دَٰخِرُونَ﴾ [النحل: ٤٨] ٨/ ٢٦٩

(ذ)

﴿ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ [الفجر: ٦-٧] ٥/ ١٨٧

﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣] ١٣/ ٦٧

﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ﴾ [الأنفال: ١٤] ٤/ ٣١٦

﴿ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ [الحاقة: ٣٢] ١٥/ ٣٥٥

﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾[الإسراء: ٣] ١٣/ ٩٠

﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩] ٥/ ٨٤

﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّا﴾ [مريم: ٢] ٩/ ١٠٦

﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟﴾[النساء: ٣] ٤/ ٣٤٩

﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ﴾[الشورى: ٢٣] ١٥/ ٢٨١

﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢] ٤/ ٥٠٠، ٤/ ١٦٤، ٩/ ٢٤.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ﴾ [النبأ: ٣٩]

١١١/١٣

﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾[الأنعام: ١٣١] ٩٧/١٣، ٧/٤٨٥

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ [الحج: ٦١] ١٣/ ٢٩١

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأنفال: ١٣] ٧٥/١٣، ٣٨/٩، ٤٢/٩

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٦١] ١٤/ ٣٩٧

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾[آل عمران: ١١٢] ٣٩٨/١٤

﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٨٢] ٥٧/١٣

﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾[ق: ٤٤] ١١١/١٣

﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١] ٢٢٥/١٦

﴿ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الإسراء: ٥٨] ١٩/١٥

﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٤] ٢٦٦/١٣

﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾ [يوسف: ٥٢] ١٣٨/٤، ٣٧٧/٤

﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف: ٦٤] ٢/ ١٧٥، ٥١٢/٤

﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ٨٨] ٤٢١/٤

﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ﴾[الحج: ٦٠] ٣١٦/٤

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الحج: ٣٠] ٣١٦/٤، ٣١٦/٤

﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ [التغابن: ٩] ١١٠/١٣

﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الجاثية: ٣٥] ٢٣٧/٤

﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ﴾ [الأحزاب:

٤] ١١/ ١٨٠

﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [البقرة: ١٧] ١٥/ ٢٩

﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾ [البروج: ١٥] ٤/ ٣٢١

﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٨] ١٥/ ٤٣١

﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٣٥] ١٣/ ١٢٧، ٥/ ١٧٨

﴿ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٩١ -٩٢] ٤/ ٢١٣

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [الملك: ٢] ٤/ ٢٦١

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: ٢ - ٣] ٤/ ٢٧٧

﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الشعراء: ٢١٨ - ٢١٩] ١٣/ ١٦٣

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [البقرة: ١٢١] ٤/ ٣٣٧

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الأنعام: ٨٩] ٩/ ٧٢

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ [القصص: ٥] ٩/ ١٢٩

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ [المطففين: ٢] ١٥/ ٢٧

﴿ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الزمر: ٥٣] ١٨/ ٩٩

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾ [الزخرف: ٦٩] ٥/ ٣٦٤

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٣] ٤/ ٣٧١

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ﴾ [الأنعام: ٨٢] ٤/ ٣٥٥، ١٣/ ١٠٠

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ [التوبة: ٢٠] ٧/ ٣٣٨

﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧] ٤/ ٢٩٦

﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [المائدة: ٥٧]

٩/ ٧٣

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣] ١٣/ ١٧٠

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ [الفرقان: ٤] ٩/ ١٢٣

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ١] ٤/ ٢٣٩

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٢] ١١/ ٢٠٩

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ﴾ [الأعراف: ١٥٧] ٩/ ٣٦

﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ [البقرة: ٢٧٥] ١٨/ ١٩

﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ [النجم: ٣٢] ١٦/ ٦٥، ٢/ ٢٠٥، ١٣/ ١٢٩، ٨/ ٢٢٤

﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [غافر: ٧-١٢] ٤/ ٢٣٢، ١/ ٢٩٧، ١٧/ ٤٢١، ١٣/ ١١٩، ٧/ ٣٤٤، ١٢/ ٦٥

﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٧٩] ٨/ ١٠٩

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [البقرة: ٢٧٤] ٨/ ٢٩٣

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٦٢] ٥/ ٤٦

(ر)

﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ [هود: ١] ٤/ ٧٨

﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [إبراهيم: ١] ٤/ ٥٠٠

﴿رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤] ١٥/ ٥٥

﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٢٦] ٧/ ٤٦٠

﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠] ٧/ ٢٠٦

﴿رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ

تُؤْمِنۖ ﴾ [البقرة: ٢٦٠] ٧/ ٣١٥، ١٢/ ٤١٩

﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] ٩/ ٢٥١، ١٨/ ٢٠٨

﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ﴾ [ص: ٣٥] ١٤/ ٤١٢، ٥/ ٤٣٦

﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ [نوح: ٢٨] ١٥/ ٢٨٧

﴿رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ [يوسف: ٣٣] ١٥/ ٢٤

﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ [مريم: ٦٥] ٤/ ١٩٩

﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦] ٥/ ١١٣

﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤] ٧/ ٣٠٦

﴿رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦ - ٢٧] ٥/ ٢٩٨

﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠] ١٣/ ٣٣

﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِي يُزۡجِي لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ فِي ٱلۡبَحۡرِ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ﴾ [الإسراء: ٦٦] ٥/ ١٠٦

﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢] ١٣/ ٢٥٠، ١٢/ ٢٧٦، ٨/ ٣٢٠، ٤/ ١٨٥، ١٥/ ٢٨، ٤/ ٣٨٣، ١٣/ ١٢٨، ١٣/ ٢٥١

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ﴾ [البقرة: ٢٠١] ٨/ ٢٨٣

﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ﴾ [آل عمران: ١٩٣] ٤/ ١٦٩

﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ﴾ [طه: ٤٥] ١٣/ ٥١، ٥/ ١٤٣، ٥/ ٣٩١

﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ﴾ [إبراهيم: ٣٧] ٨/ ٦٠، ٨/ ٦٥، ٤/ ١٨٢

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧] ٨/ ٦٣

﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣]

١٤/ ٤٥٣، ٥/ ٢٨٤، ١٤/ ٤٥٢

﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: ١٦] ١٧/ ٨٢، ٥/ ٤١٥، ٥/ ٣٨٤

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ [آل عمران: ٨ - ٩] ٤/ ١٦٨، ٥/ ٧٣، ١٦/ ٣٢٩

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] ٥/ ٢٨٠، ٩/ ٣١، ٤/ ١٦٨، ١٦/ ١١٠، ١٧/ ٦٠٦، ٢/ ١٥٥، ٥/ ٢٨٠

﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٩٤] ٨/ ٣٥٥

﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ﴾ [البقرة: ١٢٩] ٩/ ٣٦، ٤/ ٣٣٧، ٩/ ٢٠٨، ٩/ ٢٧

﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨] ٨/ ٧٦

﴿رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: ٤٢] ٥/ ٩٧

﴿رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] ١٣/ ٧٨

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤] ١٣/ ٣٨٦، ١٣/ ٣٨٨

﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [النور: ٣٧] ١٧/ ٦٩٥، ١٣/ ٢٧٧

﴿رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٥] ٥/ ٤٩

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الرحمن: ١ -٢] ٤/ ٢٤٧

﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٦-٨٧] ٩/ ١٠٤

﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [هود: ٧٣] ٤/ ١١١، ٥/ ٢٤٦

﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٣] ٤/ ١٥٩

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] ١٦/ ١٣، ١٣/ ٢١٥، ٢/ ٥٦، ٥/ ١٧، ٤/ ١٣١

﴿رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا﴾ [ص: ٣٣] ٥/ ٤٥٢، ٥/ ١٥٠

﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ﴾ [البقرة: ١٢٩] ١٣/ ٧٤

﴿رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الطلاق: ١١] ٧/ ٣٤٨

﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩] ١٧/ ٣٤٤

(ز)

﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى﴾ [النور: ٢] ٣/ ٢٢٤، ٨/ ٤٦٦، ٢/ ٧٤، ١١/ ٨٥، ٤/ ١٢٧، ١٠/ ١٨

﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟﴾ [التغابن: ٧] ٨/ ٣٠٧

﴿زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾ [الصافات: ٦] ١٣/ ١٤٢

(س)

﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢١] ٧/ ٣٤٧، ١٢/ ٢٧٤

﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر: ٢٦] ١٣/ ١٢٦

﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج: ١] ٤/ ٢٦٤، ١٤/ ٢٤٠، ١٤/ ٤٦٧، ٤/ ٣٢٠

﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٨] ١٣/ ٥٧

﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٥] ١٠/ ٢٣٧

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] ٤/ ١١٨، ١٥/ ١٦، ١٠/ ٢٤٩، ١٤/ ٦٢٠، ١٦/ ٩١، ٤/ ٢٧٧

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد: ١] ١٦/ ٩١، ٤/ ٢٥١

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ١] ٤/ ٢٥٤

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١] ٤/ ١٩١، ٤/ ١٩١، ١٣/ ٨٣، ٤/ ٣٨٨، ١٧/ ٣٢٨، ١٦/ ٩١، ١٨/ ١٧

﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١ - ٩٢] ١٤/ ١٤٢

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢] ١١/ ٤٦٢، ١١/ ٤٦٥، ١١/ ٤٦٩، ١١/ ٤٧٢،

١١/٤٦٧، ١١/٤٧٤، ١١/٤٧٧، ٤/٥٥

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ [الإسراء:١٠٨] ٢/ ٣٥٧

﴿سُبْحَٰنَهُۥ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦] ١٤/ ٤١١

﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩] ١/ ١٠٧

﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ١-٢] ٩/ ٢٢٢

﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] ٨/ ٢٣٧

﴿سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾ [ق: ١٩] ٤/ ٢٤٣

﴿سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا﴾ [الإنسان: ٤] ٥/ ١٩٩

﴿سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢] ١١/ ١٢٥

﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤] ٤/ ٣٨٠

﴿سَلَٰمٌ هِىَ﴾ [القدر: ٥] ١٢/ ٨٦، ١٧/ ٦١١، ١٥/ ٣٠٦

﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ﴾ [غافر: ٨٥] ٥/ ٨١

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ﴾ [الفتح: ٢٣] ١٨/ ٢٢

﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢] ١٥/ ١٥٩، ١٤/ ٣٦٥، ٧/ ٥٢

﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ [القلم: ١٦] ٥/ ١٧٩

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١] ١٣/ ٤٥٥

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى: ٦] ٤/ ١٢١

﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [آل عمران: ١٨١] ١٤/ ٤١١

﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ [البقرة: ٦] ١٥/ ٢٩٨

﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٣] ١٥/ ٢٩٨

﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن

مَّحِيصٍ ﴾[إبراهيم: ٢١] ٤/ ٣٨١

﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ ﴾[الرعد: ١٠] ١٣/ ١٣

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ﴾ [النور: ١]٤/ ٢٠٧

﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ﴾[يوسف: ٩٨] ٥/ ٩٨

﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ﴾[التوبة: ٩٥] ٨/ ١٣١

﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾[المسد: ٣] ٤/ ٣٢١

﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ﴾ [البقرة: ١٤٢] ١٠/ ٢٤، ٥/ ٢٠٥، ٨/ ٢٥٥

﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ ﴾[الفتح: ١٥] ٨/ ١٣٩

﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ [الكهف: ٢٢] ١٣/ ١٩٥، ١٥/ ٣٥

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ﴾[التحريم: ١٠] ٥/ ١٧٣، ١٣/ ٤٧

(ش)

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا ﴾ [الشورىٰ: ١٣] ١٦/ ٥٧٤، ١٣/ ١٦، ٩/ ١٤١، ٩/ ١٢٨

﴿شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ ﴾ [المائدة: ١٠٦] ٤/ ١٧٠

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[آل عمران: ١٨] ١٥/ ٣٨٤، ٤/ ٩٧، ١٧/ ٦٦٥، ٤/ ٤٦٧

﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [فصلت: ٢٠] ٥/ ١٥٨

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ [البقرة: ١٨٥] ١٢/ ٤٨، ١٧/ ٢٤٩، ١٧/ ٦٤٢

﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾[البقرة: ٢٦٨] ٥/ ١٤٩، ١٣/ ١٤٣

(ص)

﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴾[ص: ١] ٤/

٢٣١

﴿ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ﴾ [التوبة: ٦٠] ١٣/ ١٩٢

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] ٤/ ١٦٣

﴿صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] ١/ ٢٩٨، ١٧/ ٤٢١

﴿صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١] ١٧/ ٦٥٢

(ض)

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖ﴾ [التحريم: ١٠] ٤/ ١٣١، ٤/ ٢٦٠

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ﴾ [إبراهيم: ٢٤] ٤/ ٣٨٢

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلٗا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلٗا سَلَمٗا﴾ [الزمر: ٢٩] ١٣/ ١٤٢

﴿ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٢] ٧/ ٤٩٧

(ط)

﴿طَاعَةٞ وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ﴾ [محمد: ٢١] ١٥/ ٢٢٢

﴿طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ [هود: ١١٤] ٨/ ٢٤٣

﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ﴾ [البقرة: ٢٢٩] ٤/ ٣٤٢

﴿طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ﴾ [الرعد: ٢٩] ٤/ ٣٨٠

﴿ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ﴾ [الأعراف: ١٣٣] ١٣/ ٤٣

(ظ)

﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾ [الروم: ٤١] ١٣/ ١٤٣

(ع)

﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ﴾ [الأنعام: ٧٣] ١٢/ ١٩٧

﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧] ٢/ ٢٦٩

﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الأنعام:

٧٣] ٩/ ٢٦٦

﴿عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩] ١٢/ ١٩٧

﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦] ٩/ ١٠٩

﴿عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥] ١٣/ ٣٠٠

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ [عبس: ١ - ٤] ٩/ ١٧٢

﴿عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء: ١٠٢] ١٠/ ٣٤٩

﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠] ١٥/ ٤٨٢

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٢] ٥/ ١٣٩

﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] ٨/ ٢٤٢، ١٣/ ١١٢، ١٥/ ٤٩٣، ١٥/ ٤٩٤، ٩/ ١٠٤، ١٧/ ٤٥٨، ٤/ ٣٨٩، ١٨/ ٢٠٩

﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾ [القلم: ٣٢] ١٦/ ٩٥، ١٥/ ٣١٧

﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ﴾ [التحريم: ٥] ١٨/ ٢٢٠

﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨] ٥/ ١٧٧

﴿عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣] ٩/ ٥٨

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ [التوبة: ٤٣] ١٣/ ٦٢، ٩/ ٣١٩، ٩/ ٨٢، ١٣/ ٦١، ١٧/ ٤٥، ٥/ ٧٦

﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٥] ٤/ ٢٨٣

﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ﴾ [المزمل: ٢٠] ١٥/ ١١١

﴿عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٤ - ٥] ١٣/ ٨٥

﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ﴾ [النجم: ٥-٦] ٩/ ١٥٢

﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يس: ٤] ٩/ ١٣٩

﴿عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ [ص: ٣٤] ١٧/ ٩١

﴿عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ [الفرقان: ٢٧] ١٣/ ١٠٠، ١٣/ ٢٢٨، ١٣/ ٢٢٩

﴿ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ ﴾ [النمل:١٦] ١٨/ ٢٣

﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ ﴾ [التحريم: ٦] ٥/ ٤٧٧

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[النبأ: ١ - ٢] ٤/ ٣٢٠

﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴾[المؤمنون: ٤٠] ١٥/ ٢٥، ١٥/ ٤١٨

﴿ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾[النجم: ١٤] ١٣/ ٨٤

﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾[القمر: ٥٥] ٣/ ٢٥٩.

﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴾[النجم: ١٥] ١٣/ ١٢٧

﴿ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴾[النجم: ١٥ - ١٦] ١٣/ ٨٤

﴿عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾[البقرة: ٦٨] ١٣/ ٣٨٠

﴿عِوَجًا ﴾[الكهف: ١] ٩/ ١٠٦

﴿عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ﴾[سبأ: ١٢] ١٣/ ١٨٩

﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴾[الإنسان: ١٨] ٥/ ١٨٣، ١٥/ ٣٠

(غ)

﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ ﴾[غافر: ٣] ١٥/ ٤٢٥

﴿غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[الفرقان: ٦٨-٧٠] ١٣/ ٢٠٧

﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴾[الروم: ٢] ٤/ ٢١٦

﴿غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾[الكهف: ٢١] ١٤/ ٤٠٩

﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ ﴾[المائدة ٦٤] ١٤/ ٤١١

﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٧] ١٦/ ١٨١ ، ٢/ ١٦٣، ٤/ ٢٩٦، ٨/ ٢٥٢

(ف)

﴿فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا ﴾[الكهف: ٧٧] ٤/ ٣٩٢، ٤/ ٣٩٢

﴿ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ ﴾ [الحشر: ٢] ١٨/ ٢٥٣

﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴾[الكهف: ٦١] ٤/ ٣١٥، ٤/ ٥١٢

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[التغابن:١٦] ٨/ ٢٣٨، ٤/ ٢٥٩، ٨/ ٣٥٥

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[آل عمران: ٥٠] ١٣/ ٧٥

﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[الشعراء:١٠٨] ٩/ ٥٦

﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾[البقرة: ٢٤] ١٣/ ١٢٦

﴿فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾[البقرة: ٢٢٣] ١٥/ ١٥٨

﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾[طه: ٤٧] ١٣/ ٤٣، ١٦/ ٢٧

﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾[المائدة: ٨٥] ٧/ ٣٣٨

﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾[الحج: ٣٠] ٧/ ١٢١، ١١/ ٢٢٤

﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩٠] ١/ ٢٨٠، ١١/ ٢٠٦

﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِيٓ إِلَيْهِمْ﴾[إبراهيم: ٣٧] ٨/ ٦٥

﴿فَٱجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ [القصص: ٣٨] ٧/ ٤٨٤، ٢/ ٢٢

﴿فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً﴾[النور: ٤] ١٥/ ٣٣١، ١٥/ ٣٥٥

﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾[يونس: ٧١] ١٥/ ٤٠٥

﴿فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾[ص: ٢٢] ١٧/ ٨٣

﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾[البقرة: ٢٢] ١٥/ ٤٠٧

﴿فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾[الحجر: ٣٤] ٥/ ٢٧٦

﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾[طه: ٥٣] ١٣/ ٨١

﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾[الشعراء: ٥٧] ١٣/ ٤٥

﴿فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣] ١٥/ ٣٥٢

﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾[النور: ١٣] ٩/ ١١٦

﴿فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ [النور: ٦٢] ١٣/ ١١٢

﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥] ٩/ ٣٦٨، ١٢/ ٢٦١

﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾ [القيامة: ٧ - ١٠] ١٢/ ٥٤٢

﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٢٢] ١١/ ٥٢

﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤] ٨/ ٣٧٦

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى﴾ [الكهف: ٩٨] ١٣/ ٤٤٨

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ﴾ [عبس: ٣٣] ١٧/ ٥٣٢

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ﴾ [الشرح: ٧] ٥/ ١٨٩

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨] ١٢/ ٣٥٥

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الجمعة: ١٠] ١٠/ ٤٢٧

﴿فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ٥٣] ١٥/ ١١٧

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ [محمد: ٤] ٧/ ٢٧٥، ٧/ ٣٤٥

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ [المؤمنون: ١٠١] ٩/ ٢٧٩، ١٧/ ٢٢٦، ١٧/ ٥٣٧، ١٧/ ٥٣١

﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: ١٤] ١٥/ ١٦٤

﴿فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ﴾ [يس: ٢٩] ١٥/ ١٦٤

﴿فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ﴾ [الأعراف: ١٠٨] ١٥/ ١٦٤

﴿فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٢٠] ١٥/ ١٦٤

﴿فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ﴾ [الأنبياء: ٩٧] ١٥/ ١٦٤، ١٥/ ١٤٨

﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا

﴿تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢] ١١/ ٤٥٥، ١/ ٢٩١، ١٧/ ٤١٤، ١١/ ٤٢٥، ٤/ ٣٣٨، ٤/ ٣٣٩

﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤] ١٤/ ٣٩٦

﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢] ١٣/ ٩١، ١٢/ ٥١٧، ١٧/ ٦٠٢، ٢/ ١٧٧

﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الدخان: ١٠] ٤/ ٢٣٥

﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [الملك: ٣] ٧/ ٤٥٦

﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩] ١٣/ ٥٦، ١٣/ ٩١، ٢/ ١٨٣، ١٥/ ١٠٨

﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾ [الكهف: ٨١] ١٣/ ٩١، ١٣/ ٥٦

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٩] ٩/ ١٢٨، ٩/ ٤٠

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾ [الأعراف: ١٣٣] ٤/ ٣٦٠

﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [البقرة: ٣٦] ٥/ ٢٧٢

﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩] ٩/ ٣٧

﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم﴾ [آل عمران: ١٩٥] ٤/ ١٦٩، ١٣/ ٣٧٨، ٧/ ٣٣٧

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨] ٤/ ٤٠٣، ١٦/ ٤٧٦

﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥] ١٤/ ٣٥، ١٢/ ٢٠٥

﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤] ٥/ ٣٩٢

﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ [الصافات: ١٤٩ - ١٥٢] ٤/ ٢٣٠

﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هود: ١١٢] ١٦/ ٩٢، ١٦/ ٨٧، ١٦/ ٩٨، ١٦/ ٩٩

﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ ﴾ [الحجر: ٦٥] ١٣/ ٢٢٥

﴿فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾[الجمعة: ٩] ١٦/ ٣٤٧، ١٧/ ٦٩٥، ١٠/ ٤٢٧

﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾ [المائدة: ٣١ - ٣٢] ١٧/ ٧٥، ٤/ ٣١١

﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [آل عمران: ١٠٣] ١٥/ ٢٢٧

﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾[الروم: ٦٠] ٤/ ٢١٨

﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: ٣٥] ١٧/ ٧٦، ٤/ ٤٩٠، ٤/ ٣١٩

﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الحجر: ٩٤ - ٩٦] ٤/ ١٩٠، ٩/ ٩٥

﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾[آل عمران: ١٥٩] ١٣/ ٣١

﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾[محمد: ١٩] ١٣/ ٣١، ١٥/ ٢٥٢، ١٥/ ٣٨٤

﴿فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾ [الكهف: ٩٥] ٤/ ٣٩٤، ١٣/ ٤٤٩

﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾[يس: ٩] ٩/ ٧٨

﴿ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴾[الصافات: ٩٤] ١٣/ ١٠٥

﴿فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴾ [البقرة: ٥٤] ٥/ ٢٦

﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ﴾ [المزمل: ٢٠] ٤/ ٥٠٥

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴾[الروم: ٣٠] ٨/ ٢١٢، ٧/ ٣٩٤، ١٢/ ٢٢٤، ٧/ ٣٨٠، ١٨/ ٣٧٩

﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [النساء: ١٠٣] ٥/ ٢٧٦

﴿فَٱلْـَٔـٰنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ [البقرة: ١٨٧] ٥/ ٣٤

﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ [القصص: ٨] ٤/ ٢١٤، ١٢/ ٥٤١، ١٥/ ١٢٢، ٢/ ٨١

﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ ﴾ [الأنعام: ٩٦] ١٥/ ٤٢٥

﴿ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾[طه:

٢٠] ١٣/ ١٥٠، ١٥/ ١٦٣، ١٣/ ١٥٠

﴿فَأَلْقِيَاهُ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ﴾[ق: ٢٦] ٤/ ٢٤٣

﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس: ٨] ١٢/ ٣٨٠، ١٢/ ٣٧٩

﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾[يونس: ٩٢] ٢/ ٨١

﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾[الفجر: ١٥] ٤/ ٢٧٩

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ﴾[النساء: ١٧٥] ٧/ ٣٣٨

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الروم: ١٥] ٧/ ٣٤٣

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء: ١٧٣] ٤/ ٣٥١

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾[الجاثية: ٣٠] ٧/ ٣٤٥

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ [هود: ١٠٦] ١٣/ ٣٥

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٧] ٤/ ٣٤٣

﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾[الضحى: ٩] ١٥/ ١٨٧

﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾[الواقعة: ٨٨] ٤/ ٢٤٩، ٧/ ٣٤٧

﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ﴾[مريم: ٢٦] ١٥/ ١٠٢، ١٥/ ٣٠١

﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾ [العنكبوت: ٢٦]، ١٨/ ٤٧

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩] ٧/ ٣٤٨

﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾ [النازعات: ٣٧] ١٣/ ٢١٧

﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمد: ٤] ١١/ ١٩٥

﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾[طه:

١٢٣] ٥/ ٣٢٥

﴿فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ [الممتحنة: ١٠] ١١/ ٥٩

﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩] ١٣/ ٣٨٣

﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: ٩] ١٣/ ١٢٦

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت: ١٣] ١٢/ ٢٢٨

﴿فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة: ٥٨] ١٧/ ٣٣٦

﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤١] ١٣/ ٢١٧، ١٥/ ٢٠، ١٥/ ٢١٧

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨] ١٢/ ٢٧١

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢] ٩/ ٥٢

﴿فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى﴾ [الحجرات: ٩] ٧/ ٤٣٠

﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥] ١٠/ ١٠١

﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] ٤/ ٥٠٠، ٣/ ٢٣١، ١٧/ ٣٦٦، ١٤/ ٨١

﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ [التوبة: ١٢٩] ٤/ ١٧٥

﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٢] ٩/ ٦٧

﴿فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٣] ١٥/ ٣٣١

﴿فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ﴾ [البقرة: ٢٤٠] ١٠/ ٣٢٢

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النساء: ٣] ١٣/ ٣٩١

﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾ [النساء: ٤] ١٥/ ٣٥٦، ٤/ ٤٧٨، ٤/ ٣٤٩

﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ﴾ [الممتحنة: ١٠] ١٠/ ٣٥، ١٥/ ٢٥٢

﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ﴾ [النساء: ١١] ٨/ ٣٨٨

﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ﴾ [يونس: ٩٤] ٤/ ٣٧٣

﴿ فَإِن كُنَّ نِسَآءً ﴾ [النساء: ١١] ١٥/ ٣٦٥

﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴾ [الذاريات: ٥٩ - ٦٠] ٤/ ٢٤٤

﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ ﴾ [البقرة: ٢٤] ١٥/ ٣٢٩

﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٧٩] ١٣/ ٧٥، ٤٢/

﴿ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ ﴾ [البقرة: ٢٨٢] ٤/ ١٣١، ١٢/ ١١١، ٥/ ٤٧

﴿ فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه: ١٢٤] ٤/ ٤٠١، ٤/ ٤٠٢

﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ [الشرح: ٥ - ٦] ٩/ ١٢

﴿ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ ﴾ [الزخرف: ٤١] ١٥/ ١٠٢

﴿ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا ﴾ [عبس: ٢٧ - ٢٨] ١٧/ ٦١٢، ١٢/ ٨٧

﴿ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴾ [عبس: ١] ٩/ ١٧٣

﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ ﴾ [العنكبوت: ١٥] ١٥/ ٣٤، ١٢/ ٥٤٠

﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ ﴾ [التوبة: ٤٠] ١٦/ ٩٢

﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الفتح: ٢٦] ٧/ ٢١٩

﴿ فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٨٦] ٤/ ١٦٨

﴿ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ ﴾ [النساء: ٧١] ١٥/ ٣٤٧، ١٥/ ٧٠

﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [الطور: ٤٨] ٥/ ١٧، ٢/ ٢٨

﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ ﴾ [الروم: ٥٢ - ٥٣] ٤/ ٢١٩، ١٤/ ٢٦٤

﴿ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾ [النساء: ٣] ١٥/ ٧٧

﴿ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ [محمد: ٣٨]

٢٥/١٥

فإنما يسر﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ ﴾ [مريم: ٩٧] ١٠/ ٣٦٧

﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [الدخان: ٥٨] ٤/ ٢٣٦

﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[البقرة: ١١٧] ١٥/ ٢٩٢

﴿فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[الأنعام: ٥٤] ١٥/ ٢٤١

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾[الحج:٤٦] ١٣/ ٣٦٨

﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾[الحج: ٣٢] ١٥/ ٤٣٢

﴿ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الصافات: ٣٣] ١٤/ ٤٣

﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ [يونس: ٣٢] ١٤/ ١٤٢

﴿فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴾[الطور: ٣١] ٩/ ١٦٩

﴿فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ ﴾[الكهف: ٦٣] ١٣/ ١٥٠

﴿فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا ﴾ [الأعراف: ١٣] ٥/ ٢٧٦

﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ ﴾ [المؤمنون: ٢٧] ١٥/ ١٠٩

﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ [النجم: ١٠] ١٨/ ١٨

﴿فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ﴾ [هود: ٩٨] ٥/ ٨٥، ٥/ ٨٢

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[آل عمران: ٨٢،٨١] ١٣/ ٧٣

﴿فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴾[غافر: ٨١] ١٥/ ١٨٧

﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾[البقرة: ١١٥] ٨/ ٥١٣، ١٣/ ٣١٦

﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾[الرحمن: ١٣] ٧/ ٦١، ٦٢، ١٣/ ١٤٤، ١٦/ ٤٦، ٢/ ٩٦، ٩٧، ٤/ ٢٤٨

﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٥] ١٥/ ١٥٥، [المرسلات: ٥٠] ٤/ ١١٧

﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ [يونس: ٥٨]

١٥/ ١٤١، ١٥/ ٩٨

﴿فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩] ١٦/ ٢٣

﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١] ١٣/ ٣٣، ٩/ ١٨٧

﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ [النساء: ١٦٠] ١٥/ ٣٩٧

﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٣١] ١٣/ ١٥١

﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢] ٧/ ٣٩٣

﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ [الحجر: ٥٤] ٣/ ٣٤

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] ١٥/ ٣٩

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٥] ١٥/ ٤١٨، ٣/ ٢١٤، ٣٠٦، ١٤/ ٣٩٨

﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الفتح: ٢٥] ٥/ ٤٣٨

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ [المؤمنون: ١١٦] ٤/ ٢٠٧، ٤/ ٩٨

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٩ – ١٩٠] ٥/ ٧٠، ٥/ ٣١٢

﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا﴾ [المائدة: ٢٧] ١٥/ ٢٥

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ [آل عمران: ٣٧] ١٣/ ٢٩٣

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة: ٣٧] ١٤/ ١٦٤، ١٤/ ٤٥٢، ١٥/ ١٨٢، ١٥/ ٢٩١، ٥/ ٣٢٣، ١٤/ ٤٥١، ٥/ ٢٨٤، ٥/ ٣١١

﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْ﴾ [النمل: ٥٢] ١٦/ ٥٥٥

﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧] ١٥/ ٣٥٢، ٥/ ٣٥٢، ٢/ ٤٥٦، ٤٥٧

﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤] ١٦/ ٢٨

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ [الذاريات: ٥٤] ٩/ ٦٧

﴿فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء: ٤٣] ٩/ ٢٥٦

﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ [النساء: ٩٣]

١٦/١٦

﴿فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾[الحجر: ٧٣] ١٣/٢٢٧

﴿فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾[البقرة: ٦٦] ٥/٣٠٣

﴿فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾[الفرقان: ٢٣] ١٣/١٤١

﴿فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[القلم: ٤٨ - ٥٠] ١٣/١١٠

﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾[الفيل: ٥] ٤/١٥٨، ١٥/٣٩٨

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ﴾[القصص: ٧٩ - ٨٠] ٤/٢١٥

﴿فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾[الحاقة: ١٤] ١٥/٣٣١

﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا﴾ [الشمس: ١٤ - ١٥] ١٢/١٥٧

﴿فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾[القلم: ٤٤] ٤/٢٦٣، ٤/٣٤٥

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾[المعارج: ٤٢ - ٤٤] ٤/٢٦٦

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾[الغاشية: ٢١] ٤/٢٧٨

﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾[ق: ٤٥] ٤/٢٤٣، ٤/٢٤٣

﴿فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[الأنبياء: ٢٩] ١٣/١٠٠

﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾[يوسف: ٣٢] ١٥/٢٧

﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾[المدثر: ٥١] ١٣/١٥١

﴿فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾[إبراهيم: ٩] ١٥/٢٧

﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾[الصافات: ١٤١] ١٦/٢٧، ٨/٢٥٥

﴿فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾[الأنبياء: ٦٣]، ١٨/٤٩

﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾[الواقعة: ٩٦]

٤/ ٢٥١

﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴾ [النصر: ٣] ٤/ ٧٥، ٤/ ٢٩٧

﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٩٨] ١٣/ ١١٩، ١٣/ ١٦٢، ٤/ ١٩٧

﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [يس: ٨٣] ١٧/ ١٩٢

﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ [الروم: ١٧ - ١٨] ١٣/ ١١٩

﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ [الحجر: ٣٠] ١٦/ ١١٣

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ [الليل: ٧] ٤/ ٢٨٠

﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴾ [الكهف: ٨٧] ١٣/ ٩٦، ١٣/ ١٠٠

﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة: ٥٤] ٤/ ٣٥٣، ٧/ ٣٠٤

﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾ [الصافات: ١٧٤ - ١٧٥] ٩/ ١٤٠

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٩] ٩/ ١٤٢

﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [مريم: ٥٩] ٤/ ٣٩٦

﴿فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ﴾ [يونس: ٩٤] ٥/ ٨٧

﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٩] ١٤/ ٤٦٧، ١٣/ ٣٤٠، ١٥/ ٣٠

﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ ﴾ [النحل: ٤٣] ٣/ ٢٤٢

﴿فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾ [البقرة: ٢٤٩] ١٥/ ٣٧٠، ١٧/ ١٩١

﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ [يوسف: ١٨] ٤/ ٣٧٥، ١٠/ ٢٨٥، ١٠/ ٢٨٥

﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ ﴾ [الكهف: ١١، ١٢] ٢/ ٢٧٤

﴿فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴾ [ص: ٣٣] ٥/ ٤٢١

﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ ﴾ [المائدة: ٣٠] ٥/ ٢٩١

﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ [الأنبياء:

٨٧] ١٣/ ١٠٩، ١٨/ ١٠٦

فعال لما يريد﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[البروج: ١٦] ١٥/ ٤٢٠

﴿فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾[الشعراء: ٢٠] ٢/ ١٦٤

﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾ [ص: ٢٥] ١٧/ ٨٥، ٥/ ٣٧٣

﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾[الشعراء: ٢١] ٥/ ٣٩٢

﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧] ١٥/ ١٨٧، ١٥/ ٢١٥

﴿فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾[ص: ٢٢] ١٧/ ٨٤

﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ﴾ [الأنبياء: ٧٩] ٨/ ٨٥، ٢/ ١٤٩

﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ [النساء: ٨٤] ٩/ ٥٦

﴿فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ﴾[الحجرات: ٩] ١٥/ ١٢٤

﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[النازعات: ٢٤] ٢/ ٢٢

﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] ٥/ ٣١٤

﴿فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩] ١٨/ ٤٤

﴿فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾[الجن: ١] ٢/ ٩٣، ١١٥

﴿فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ﴾ [طه: ٨٨] ٨/ ١٦٦

﴿فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[الأنفال: ١٦] ٧/ ١٩٠، ٨/ ٢٢١

﴿فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[غافر: ٧ – ٩] ١٣/ ١١٣

﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾[التحريم: ٤] ١٥/ ٥٢

﴿فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾[آل عمران: ١٨٣ – ١٨٤] ٩/ ٤٦

﴿فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾ [المجادلة: ١٢] ٨/ ٥٠٨

﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ

﴿فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت: ١٢] ٥/ ٤٧٦

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥] ٤/ ٢٢٣

﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠] ١١/ ٤٥٥، ١٣/ ١٢١، ١١/ ٣٤٩

﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [البقرة: ٦٥] ٥/ ٢٧٦

﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: ١١٧] ٥/ ٢٧٦، ٥/ ٢٦٩

﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤] ١٥/ ٢٤٩

فكان قاب قوسين ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ [النجم: ٩] ١٥/ ٤٣٢

﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾ [الصافات: ١٤١] ١٣/ ١٠٩

﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ﴾ [النازعات: ٢١ – ٢٥] ١٣/ ٣٩

﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢] ٥/ ١١٤

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٨] ١٦/ ٤٢٨، ٤/ ١٧٢

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال: ٦٩] ١٧/ ٤٥٧، ٩/ ٨٠، ١٨/ ٣٤٩

﴿فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا﴾ [مريم: ٢٦] ٨/ ١٣٣

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] ١٤/ ٢٤٥، ١٤/ ٢٤٦، ١٧/ ٢٣٤، ٨/ ١٨، ٨/ ١٧، ١٧/ ٢٣٣، ٩/ ١٧٦

﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ [المزمل: ١٧ – ١٨] ٤/ ٢٧٠

﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ [البلد: ١١ – ١٥] ١٦/ ٤٨١، ١١/ ١٩١، ٧/ ١٨٤، ٧/ ٢٧٥

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ﴾ [التكوير: ١٥] ٩/ ١٧٤

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ [الحاقة: ٣٨ – ٣٩] ٩/ ١٦٨، ٤/ ٢٦٣

﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ

﴿تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] ١٤/ ٢٧٨، ١٧/ ٦٤، ١٤/ ٢٨٤

﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢] ١٦/ ٣٢٣، ١٢/ ٥٤١

﴿فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨] ١٤/ ٢٩٨

﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢] ١/ ١٨٨، ٩/ ٢١٦

﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ [الأنبياء: ٣٧] ٥/ ١٢١

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم﴾ [السجدة: ١٧] ١٣/ ٢٤٨، ١/ ٣٧٤

﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [الإسراء: ٢٣] ٥/ ١٩٢

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٣ - ٣٥] ٩/ ٦٩

﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ﴾ [الزخرف: ٦١] ١٣/ ١٦٩

﴿فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾ [النساء: ١٢٩] ١٥/ ٣٣١

﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ [الرحمن: ٣٥] ٥/ ١٦٩

﴿فَلَا تُنظِرُونِ﴾ [الأعراف: ١٩٤ - ١٩٥] ١٤/ ١٣٩

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨] ١٠/ ٣٢٢، ١٠/ ٣٢٢

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ﴾ [البقرة: ٢٣٠] ١٠/ ٣٢٢، ١٠/ ٣٢٣

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٤] ١٠/ ٣٢٢

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ [الأحزاب: ٥١] ١٣/ ٦٨

﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧] ٤/ ٣٤١

﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧] ١٥/ ٣٨٤

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥] ١٧/ ١٢٦، ١٧/ ٨٣، ١٦/ ٥٥٥، ٧/ ٤٧٧، ٩/ ٣٠٤، ١٣/ ٧٧، ٢/ ١٥٦، ٩/ ٢٩١

﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ

﴿ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩] ١٦/ ٤٦٣

﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ [يس: ٧٦] ٩/ ١٤٠

﴿فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٩] ١٣/ ١٢٤

﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢٦ - ٢٧] ٩/ ٣١١

﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: ٣٨] ١٥/ ٤٣٤

﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: ١٤] ١٥/ ٣٧٣، ١٥/ ٣٥٥

﴿فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ﴾ [النساء: ١٠٢] ١٠/ ٣٦٩

﴿فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩] ١٤/ ٢٦٢

﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ [الشعراء: ٤١] ١٣/ ٥٤

﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: ١٧] ٤/ ٢١٥

﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الجاثية: ٣٦] ٤/ ٢٣٧

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ [الأنفال: ١٧] ٨/ ١٤١، ٣/ ١٥٢

﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا﴾ [نوح: ٦] ٥/ ٤٩

﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ [المائدة: ١٨] ١٤/ ٤١١

﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ﴾ [غافر: ٨٥] ٢/ ٨٠، ٥/ ٨٥

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ [الأعراف: ١٩٠] ٤/ ٣٦١

﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الزخرف: ٥٥] ٥/ ٨٣

﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ﴾ [آل عمران: ٥٢] ٣/ ٢٦١

﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ [الأعراف: ١١٦] ١٣/ ١٦٧

﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾ [القصص: ١٩] ١٦/ ٢٦

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ ﴾ [الصافات: ١٠٢ - ١٠٧] ١٢/ ٤١١

﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴾ [الكهف: ٦١] ٤/ ٥١٤

﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا ﴾ [الأعراف: ١٤٣] ٢/ ١٤، ١٦، ١٣/ ٢٢٢، ٤/ ٣٦٠

﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى ﴾ [المائدة: ١١٧] ٣/ ٢٥٦، ٣١٨

﴿ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ﴾ [الحجر: ٦١] ١٥/ ١٨٧

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٨٩] ١٤/ ٣٩٩

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ ﴾ [يوسف: ٩٩] ٥/ ٩٧

﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا ﴾ [هود: ٧٤] ١٥/ ١٣٨

﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ ﴾ [هود: ٧٠] ٤/ ١٨٧، ٥/ ٣٩١

﴿ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ ﴾ [غافر: ٨٤] ١٣/ ٣٨، ٣/ ٢١٧

﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ [يوسف: ٣٣١

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٧] ١١/ ١٨٦، ١٣/ ١٤٧، ٩/ ٤٩

﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ ﴾ [سبأ: ١٤] ١٢/ ٥٤٢

﴿ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ﴾ [الإسراء: ٦٧] ١٥/ ١٣٨

﴿ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٥] ١٥/ ١٣٨

﴿ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ﴾ [لقمان: ٣٢] ١٥/ ١٣٨

﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ﴾ [الأنعام: ٤٤] ٨/ ٢٥٨

﴿ فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ [مريم:

٢٦] ١٥/ ١١٤

﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: ١٧] ١٥/ ١١٤

﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد: ٢١] ١١/ ٤٠٦

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا﴾ [يونس: ٩٨] ٢/ ٨٠

﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾ [التوبة: ١٢٢] ٧/ ٢٦٣، ١٠/ ٣٨، ١٠/ ٤٠

﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ﴾ [الطور: ٣٤] ٩/ ٨٨

﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ [النور: ٦٣] ١٦/ ٨٤

﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ [النساء: ١٠١] ١٠/ ٣٥٣، ١٠/ ٣٠٥، ١٠/ ١٠، ٣٢١/ ٣٣٥

﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ [النور: ٦٠] ١٠/ ٣٢٢

﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾ [البقرة: ١٨٦] ١٥/ ١٤١

﴿فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١١٩] ١٨/ ٣٨٥

﴿فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾ [طه: ٣٩] ٢/ ١٦٥، ١٦/ ١٤، ٢/ ٨٤

﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ [الطارق: ٥] ٤/ ٢٧٧

﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ﴾ [عبس: ٢٤] ١١/ ١٢١

﴿فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ [النمل: ٣٦] ٥/ ٤٤٦

﴿فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [الجاثية: ١٧] ٤/ ٣١٩

﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ [الكهف: ٩٧] ١٣/ ٥٧، ١٣/ ٤٤٨

﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾ [التوبة: ٧] ١٥/ ١٤٨

﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ [هود: ١٠١] ٤/ ٥٠٢

﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾

[النحل: ٧١] ١٤/ ٩

فما كان دعواهم ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ٥] ١٣/ ١٠٠

﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨] ١٥/ ٢٨

﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾ [الصافات: ٥٨] ٣/ ٤٢٢، ٥/ ٣٤٤

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ﴾ [التين: ٧] ٤/ ٢٨٢

﴿فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الصافات: ١٤٣-١٤٨] ١٣/ ١١٠، ١٣/ ٤١

﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢] ١٢/ ٤٠٣

﴿مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ﴾ [النحل: ٦٩] ١٥/ ١٧٩

﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ﴾ [المؤمنون: ٧] ١٥/ ٣٤٠

﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥] ١٦/ ٤٤٩

﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٧٣] ١٢/ ١٤٦، ١١/ ٢٥١

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ [الأنعام: ١٥٧] ٤/ ١٧٢

﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤] ٥/ ٣٩٢

﴿فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [الإسراء: ٧١] ٥/ ١٠٦

﴿فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾ [إبراهيم: ٣٦] ١٨/ ٢٨٧

﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾ [البقرة: ٢٧٥] ٨/ ٤٢٦، ٧/ ٥٢٧

﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨] ١٠/ ٣٢٢

﴿فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٤٩] ١٥/ ١٥٠

﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥] ٤/ ٣٤٨، ١٣/ ١٨٧

﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا﴾ [البقرة: ١٨٥] ٧/ ٣٦٤، ١٢/ ١١٠

﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ﴾ [البقرة: ١٧٨] ٥/ ٣٩

﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ﴾ [البقرة: ١٩٦] ٤/ ٣٤١

﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠] ٨/ ٣٣٤، ٧/ ٢٥٥

﴿فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ [المجادلة: ٤] ١٥/ ٣٥٥

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الأنعام: ١٢٥] ٤/ ٣٥٦، ٥/ ٤٨

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧] ١٧/ ٢٧٧، ١٧/ ٣٢٣، ١٧/ ٢٨٠، ١٠/ ١٣٤، ٤/ ٢٩٧، ٧/ ١٤١، ٢/ ١٦٧، ١٣/ ١٩، ١٢/ ٣٠٨

﴿فَمَن يُؤْمِنْ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ﴾ [الجن: ١٣] ١٥/ ١٤٧

﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ [فاطر: ٣٢] ٨/ ٣٢٨

﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ [العنكبوت: ٤٠] ٩/ ٤٠

﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ﴾ [آل عمران: ٣٩] ٩/ ٣٥

﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] ١٣/ ١٠٧، ١٤/ ٢٩١

﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ١٤٥] ١/ ١٩٨، ١٦/ ١٠٨

﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ﴾ [التحريم: ١٢] ١٦/ ٩٦

﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٥] ١٥/ ٣٢

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى

ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴾[محمد: ٢٢] ١١/ ٢٤٢، ١١/ ٢٤٢، ١٢/ ٣٠، ١٤/ ٥٨٦، ١٢/ ٣٣١

﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾[القمر: ١٧] ١٣/ ٧٨

﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [الأحقاف: ٣٥] ٤/ ٢٣٨، ١٣/ ٢٠٨

﴿فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴾[يس: ٦] ٥/ ١٤٠

﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾[يس: ٩] ٤/ ٥٥

﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[الأنعام: ٢٠] ٩/ ٦٨

﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ﴾[الكهف: ٦٥] ٩/ ٦٠، ١٧/ ٢٢٠، ٥/ ٢٤٣، ١٨/ ٢٦

﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ﴾[الكهف: ٧٧] ١٣/ ٩٤

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[الحجر: ٩٢ – ٩٣] ١٣/ ١٤٥، ٤/ ٣٨٦، ٤/ ٣٨٥

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ ﴾[مريم: ٦٨] ٩/ ١٠٧

﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ ﴾[الإنسان: ١١] ٢/ ٧٥

﴿ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١١٨] ٥/ ٦٧

﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ [البقرة: ١٤٤] ١٦/ ٣٢٦، ٨/ ٥١٢، ١٠/ ١٠

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ [البقرة: ٧٩] ٤/ ٣٣٦، ١١/ ٦٥

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴾[الذاريات: ٦٠]٤/ ٢٤٤

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴾ [الماعون: ٤] ١٧/ ٥٦

﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الزمر: ٢٢] ١٥/ ٢٢

﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ ﴾[النور: ٣٦] ١٦/ ٥٣٠، ١٦/ ٣٢٥، ٣/ ٢٥٨، ٣٠٠

﴿فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[الزمر: ٣] ٤/ ٢٣٢

﴿ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ ﴾[القمر: ٥٥]٣/ ٣١٤

﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤] ٤/ ٢٦٦، ٤/ ٢٦٤

﴿فَيَبْسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [الروم: ٤٨] ١٥/ ١٦٠

﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٨٤] ١٥/ ١٧٥

﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا﴾ [المائدة: ١٠٦] ٤/ ٣١٢

﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ﴾ [المائدة: ١٠٧] ٤/ ٣١٢

﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟﴾ [التوبة: ١٠٨] ٤/ ٣٦٨

﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩] ٤/ ٤٨٢، ٤/ ٤٧٨

﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾ [النور: ٣٥] ١٥/ ١٨

﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ﴾ [الدخان: ٤ - ٥] ١٣/ ١٨٣، ١٢/ ٩١

﴿فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢١٩] ١١/ ٢١٨.

(ق)

﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ١] ١٣/ ٧٦

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾ [سبأ: ٤٦] ٩/ ١٧٥

﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ [ق: ١] ٤/ ٢٤٣، ٤/ ٢٤٣، ٩/ ٩٤

﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ٢٩] ٩/ ٤٢، ٢/ ٧٠، ٧٥، ٤/ ٤٢٥، ١٢/ ٢٦١، ١٣/ ٢٤

﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ١٤] ٣/ ١٦٧

﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ١-٣] ١٣/ ١١١

﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ [الحجر: ٥٤] ٤/ ١٨٦

﴿قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى﴾ [الأعراف: ١٥٠] ١٣/ ٥٤

﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٥-٩٦] ١٣/ ١٠٥

﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٥٥] ٤/ ٣٧٧

﴿ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾ [يوسف: ٣٦] ١٠/ ٣٨٨

﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ ﴾ [الكهف: ٦٣] ٤/ ٥١٥

﴿ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٠] ١٤/ ٢٨٩

﴿ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴾ [الشعراء: ٧٥] ١٣/ ١٠٤

﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ [النمل: ٤٠] ٥/ ٤٤٥

﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ ﴾ [طه: ١٩ -٢٣] ٤/ ٢٠٠

﴿ قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ [المائدة: ١١٩] ٧/ ٣٣٨

﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ﴾ [الأعراف: ٧٥] ١٥/ ٣٢٣

﴿ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [آل عمران: ٣٥] ١٣/ ٢٩٢

﴿ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴾ [الكهف: ٦٧-٦٨] ١٣/ ٩١

﴿ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٣٠] ٥/ ٤٦٢

﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ﴾ [مريم: ٣٠] ١٥/ ٢٢٥، ١٥/ ٢٤٠

﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ ﴾ [طه: ١٢٣] ٥/ ٢٧٥

﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾ [الأنبياء: ٦٣] ١٨/ ٤٤

﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا ﴾ [يوسف: ٤٧] ٤/ ٣٧٦، ١٢/ ٤١٧، ١٣/ ١٥٥

﴿ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ [الكهف: ٦٤] ٤/ ٥١١

﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ

تَرَىٰنِي ﴾ [الأعراف: ١٤٣] ١٠/ ١٠٩

﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴾ [طه: ٢٥ - ٢٦] ٤/ ٢٨٢

﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ﴾ [ص: ٣٥] ٥/ ٤٣٢

قال رب السجن ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ ﴾ [يوسف: ٣٣] ١٥/ ٤٣٨

﴿ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴾ [الأحقاف: ١٥] ١/ ٢٩٣، ١٧/ ٤١٦

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ ﴾ [الحجر: ٣٩ - ٤٠] ٥/ ٩٦

﴿ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٥] ١/ ١١٠

﴿ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ ﴾ [الكهف: ٧٠] ٢/ ١٧٩

﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [المائدة: ٢١-٢٦] ١٣/ ٤٥

﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [ص: ٨٢-٨٣] ١٣/ ٢١٧

﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الأعراف: ١٦] ٥/ ٦٢، ٧/ ٢٣٧

﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴾ [طه: ٤٩] ٩/ ١٦٥

﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الصافات: ٥١ - ٥٧] ٤/ ٢٢٨

﴿ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ ﴾ [ق: ٢٧] ٤/ ٢٤٣

﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ﴾ [مريم: ٢١] ١١/ ٣٦٦

﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ﴾ [يوسف: ٩٢] ٤/ ٣٧٨، ٤/ ٣١٤

﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه: ٤٦] ٤/ ١٩١

﴿ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴾ [ق: ٢٨] ٤/ ٢٤٣

﴿ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة:

١٢٤] ٤/ ٣٣٧

﴿قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢] ٤/ ٥١٢

﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢] ١٣/ ٧٠

﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ [ص: ١٧-٢٤] ٥/ ٣٩١

﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦] ٤/ ٥١٠

﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠] ٤/ ٣٧٣

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص: ٢٣] ١٣/ ٥٥

﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا﴾ [الكهف: ٩٨] ١٣/ ٤٤١

﴿قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ [الشعراء: ١١ - ١١٣] ٩/ ٢٤

﴿قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٢٦] ٧/ ٤٦٠

﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢] ١٣/ ٣٣، ٨/ ٧٩

﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥] ٥/ ١٥٣، ٥/ ٢٦٦

﴿قَالَ يَٰٓءَادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠] ٥/ ٦٣

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٦١] ٩/ ٢٥، ٩/ ٢٥

﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [هود: ٤٦] ١٣/ ٤٩

﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى﴾ [طه: ٩٢ - ٩٣] ١١/ ٢١٣

﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى﴾ [الأعراف: ١٤٤] ٥/ ٢٩٤

﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾[هود: ٤٦] ٥/ ٩١

قالت الأعر ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ﴾ [الحجرات: ١٤] ١٥/ ١٨٢

﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ﴾[يوسف: ٥١] ١٣/ ١٤٨

﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[النمل: ٤٤] ٩/ ١٢١، ١٣/ ٦٦

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾[آل عمران: ٤٧] ٥/ ٥١

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [إبراهيم: ١١] ٤/ ١٨٤

﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ﴾[النمل: ١٨] ١٣/ ١٥٠

﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾[مريم: ٢٣] ٥/ ١٥

﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾[هود: ٧٢ - ٧٣] ٤/ ١٨٧

﴿قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾ [يوسف: ٤٤] ١٢/ ٣٥١

﴿قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾[طه: ٦٣] ١٥/ ٢٤٣

﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٥] ١٥/ ٢٢٨

﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٨] ٤/ ٢٠٣

﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾[غافر: ١١] ٣/ ٢٩٤

﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ﴾[البقرة: ٣٢] ٥/ ٢٦٤

﴿قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾[الأنعام: ١٣٠] ٥/ ٣١٩

﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ﴾ [هود: ٧٠ - ٧١] ٤/ ١٨٧

﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: ٢٨] ١٣/ ٣٤

﴿قَالُوا۟ لَا نَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الحجر: ٥٣] ١٣/ ٣٤

﴿قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾

[هود: ٧٩] ١٣/ ١٤٣

﴿قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾ [المدثر: ٤٣] ١٦/ ٣٠٢

﴿قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا﴾ [الأعراف: ٢٠٣] ٥/ ٣٦١

﴿قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٩] ١٣/ ١٠٥

﴿قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ [النمل: ٣٣] ٥/ ٤٤٥

﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ﴾ [البقرة: ١٣٣] ١٥/ ٣٠٩

﴿قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [الأحزاب: ٢٢] ١٣/ ٧٦

﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَـٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٣] ٩/ ٣٦٨

﴿قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ١١] ٤/ ٣١٤

﴿قَالُوا۟ يَـٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨] ٨/ ١٦٥، ١٣/ ٦٦، ١٨/ ٢٩٠

قبضة من أثر ﴿قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ [طه: ٩٦] ١٥/ ٤٣٢

﴿قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: ١٦] ١٣/ ١١٢

﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ [عبس: ١٧] ٤/ ١٩٣

﴿قَتْلَ أَوْلَـٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٧] ١٥/ ٤٣٥

﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا﴾ [الأعراف: ٨٩] ٥/ ١٠١، ٥/ ٦٣، ٥/ ٦٦

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون: ١ - ١١] ٤/ ٢٠٦

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤] ٤/ ١١٩، ١٢/ ١٠٢

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩ - ١٠] ٤/ ٢٨٠، ١١/ ٤٠٢، ١٥/ ٣٧

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١] ٧/ ٣٤٢، ١١/ ٢٠٩، ٤/ ٥١

﴿قَدْ بَيَّنَّا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ١١٨] ٩/ ٢٦

﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥] ٤/ ٥٠٠

﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٤] ١٥/ ٣٤١، ٤/ ٣٩٥

﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ١٠٢] ١٤/ ٤٢٨

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ [المجادلة: ١] ١٦/ ٢٠

﴿قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾ [الصافات: ١٠٥] ٨/ ٦٨

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ [ق: ٤] ٤/ ٢٤٣

﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ [التحريم: ٢] ٥/ ١٧١، ١٦/ ٤٢٥

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤] ١٢/ ٢٧٠، ٢/ ١٦٥، ١٢/ ١٩٧

﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٢٦] ١٣/ ٢٤١

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ١٤٤] ٨/ ٤٠٩، ١٣/ ٩٤، ١٢/ ٤٧، ٨/ ٥١٢، ١٠/ ٦٧، ٥/ ٧٨، ٩/ ٢٨، ١٣/ ٦٩، ١٣/ ٢٥٠

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣] ١٣/ ٢٥٠

﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ﴾ [الأحزاب: ١٨] ١٣/ ٢٥١، ١٣/ ٩٤، ٩/ ٦٩

﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾ [النور: ٦٣] ٩/ ٦٩، ١٣/ ٢٥١

﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ [النور: ٦٤] ١٣/ ٢٥١، ١٥/ ٣٧، ٩/ ٦٩

﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يوسف: ٤١] ١٢/ ٤١٦

﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ

تَفْتَرُونَ ﴾[يونس: ٥٩] ٤/ ٣٢٥

﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾[التوبة: ٦٥] ٩/ ٤٣

﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ﴾[البقرة: ٨٠] ١٥/ ٢٩٩

﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ ﴾ [الإسراء: ٥٦] ١٤/ ٣٩، ١٤/ ٤٦، ١٤/ ٨٣، ١٤/ ٣٨

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾ [الأعراف: ١٩٤-١٩٥] ١٤/ ١٣٨

﴿ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[الفرقان: ١٥] ٧/ ٣٤٢

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ ﴾ [الأحقاف: ١٠] ٧/ ١٨٣، ٨/ ١٧٠

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾ [فصلت: ٥٢] ٤/ ٢٣٤، ٤/ ٢٣٤

﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[آل عمران: ٣٢] ٩/ ٤١، ٩/ ٥٢

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا ﴾ [الأنعام: ١٦٤] ١٥/ ٣٦٥

﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾[الأنفال: ١] ٩/ ٤٢

﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥] ٤/ ١٩٥، ٤/ ١١٥

﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنعام: ٩١] ١١/ ٣٨١، ١١/ ٣٨١

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[الزمر: ٤٦] ٤/ ٥٥

﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾[الواقعة: ٤٩-٥٠] ١٣/ ١١٠

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[الأنعام: ١٦٢] ٨/ ٣٠٥

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ

وَإِخْوَٰنُكُمْ ﴾ [التوبة: ٢٤] ١٣/ ٢٤٩، ١٣/ ٧٦، ٩/ ٤٢

﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴾ [الزخرف: ٨١] ٤/ ٢٣٥، ١٥/ ٤٨٠

﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة: ٩٤] ٥/ ٣٥٨

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٣١] ٧/ ٣٧٨، ١٣/ ٧٥، ٩/ ٤١، ٤/ ٣٤٤، ٧/ ٤٧٧، ١٧/ ١٢٤، ٨/ ٤٨٥، ٩/ ٣٠٣

﴿ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [الأنعام: ١٠٩] ١٨/ ٢١

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ﴾ [الكهف: ١١٠] ٤/ ١٩٧، ٩/ ٤٤٦

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف: ٣٣] ١١/ ٢٢٦، ٧/ ٤٥٧

﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾ [الجن: ١-١٣] ٢/ ٩٢، ١٢٩، ٤/ ٢٦٧، ٣/ ٨٢، ١٥/ ١٩٢

﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥] ٧/ ٣٣٦

﴿ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ﴾ [الأنعام: ١٩] ٢/ ٩٠، ٤/ ٣١٢

﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ ﴾ [يونس: ٥٨] ٤/ ٣٧٠

﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ﴾ [التغابن: ٧] ٩/ ٩٤

﴿ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ﴾ [الأنبياء: ١١٢] ١٥/ ٤٣٨

﴿ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [المؤمنون: ٩٣ - ٩٤] ٩/ ٥٩

﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ [الإسراء: ٩٣] ٩/ ٤٤٦

﴿ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾ [المائدة: ١٧] ٣/ ١٧

﴿ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢١٩] ٥/ ١٩٩

﴿ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ [آل عمران: ١٨٣]

٧/ ٤٩٨، ١٣/ ٣٩٨

﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨] ٥/ ٥٦

﴿قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ [الإسراء: ٥٠] ١٥/ ٢٣١

﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ﴾ [الأنعام: ١٤٥] ١٧/ ٢٥٩

﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣] ١٤/ ١٥٣، ١٦/ ٩٨

﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٥٠] ٩/ ١٧٥

﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ١٨٨] ١٧/ ٥٥٢، ١٤/ ٢٩٩، ٣/ ١٧

﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥] ٧/ ١٢٧

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ [الأنفال: ٣٨] ٢/ ١٦٥، ٢/ ٨١، ١٢/ ٢٧١، ١٧/ ٤٢٣

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٢] ١٢/ ١٩٦

﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ [الفتح: ١٦] ٧/ ٣٤٦

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ [النور: ٣٠] ١٦/ ٤١٠، ١١/ ١٤١

﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ [البقرة: ١٤٢] ٨/ ٥١٤

﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤] ١٣/ ١١٢

﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤] ١٤/ ١٤٢

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١] ١٣/ ٢٠

﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى﴾ [الكهف: ١٠٩] ٤/ ٤٩

﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾ [الإسراء: ٤٢] ١٦/ ٣٤

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ﴾ [الإسراء: ٨٨] ٤/ ٤٩٩، ٩/ ٨٨، ٢/ ٩٢

﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان: ٥٧] ١٦/ ٩٧

﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ [ص: ٨٦ - ٨٧] ١٤/ ١٦٠، ٤/ ٢٣١

﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ﴾ [سبأ: ٤٧] ١٦/ ٩٧

﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: ٩] ١٠/ ١٣٠

قل من حرم زينة الله ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ ﴾ [الأعراف: ٣٢] ٤/ ٤٢٠، ٨/ ٩٣، ١٤/ ٨٣، ٧/ ٣١٩

﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ ﴾ [البقرة: ٩٧] ٩/ ٣٤

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [يونس: ٣١] ١٤/ ١٤١

﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة: ٨١] ٨/ ١١٧

﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الملك: ٢٩] ٤/ ٢٦٢

﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ [الأنعام: ٦٥] ١٣/ ٨١

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١] ٤/ ٣٣، ٤/ ٩٧، ٤/ ٧٧، ٤/ ٨١، ٧/ ٢٠١، ١٤/ ٤٥٤، ١٥/ ٤٦

﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾ [فصلت: ٤٤] ٤/ ٢١، ٤/ ٤٨٦، ٤/ ٩٥، ١٤/ ٢٧٦، ١٦/ ٥٦٢، ١٧/ ١١٧

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾ [الزمر: ٥٣] ١٣/ ٢٠٧، ١٣/ ٢٠٦، ١٣/ ١٠١، ٥/ ٣٢٢، ١٣/ ٢٠٧

﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم ﴾ [السجدة: ١١] ٣/ ٢٤٥

﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ

طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ ﴾ [الأنعام: ١٤٥] ١١/ ٢٢٦

﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٩١] ١٤/ ٣٩٨

﴿قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ﴾ [يوسف: ٥١] ٥/ ٩٦

﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الأنبياء: ٦٩ - ٧٠] ٣/ ٣٠٣

﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴾ [الكهف: ٨٦] ١٣/ ٤٣٨، ١٣/ ٤٣٦، ١٣/ ٤٤٦، ٢/ ١٩٧

﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ﴾ [البقرة: ٨٨] ١٣/ ٣٦٨

﴿قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾ [المدثر: ٢ - ٥] ٤/ ٢٦٩، ٥/ ١٨١

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ﴾ [البقرة: ٢٦٣] ١٥/ ٢٢٢

﴿قُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ﴾ [البقرة: ١٠٤] ١٣/ ٦٦

﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ ﴾ [الشعراء: ١١] ١٣/ ١٠٠

﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الكهف: ٢ - ٤] ٤/ ١٩٧، ٧/ ٣٤١

(ك)

﴿كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ [الجن: ١٩] ٢/ ٩٨

﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴾ [الفرقان: ١٦] ١٤/ ٦٢

﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴾ [المدثر: ٥٠] ١٣/ ١٥٠

﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ﴾ [المنافقون: ٤] ١٦/ ٧٣

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ بَلَٰغٌۢ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [الأحقاف: ٣٥] ١٤/ ٥٤٠

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴾ [النازعات: ٤٦] ٤/ ٤٩٠، ١٤/ ٥٤٠

﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات: ١٧] ٤/ ٣٢٠

﴿كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات: ٣٥] ٩/ ١٤٠

﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ [المائدة: ٧٩] ١٢/ ٢٣٧

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥] ١٣/ ٣٧٠، ١٤/ ١٠

﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف: ٢] ٤/ ١٧٢

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص: ٢٩] ١٤/ ٣٤٤، ١٤/ ٣٥٩

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [إبراهيم: ١] ٤/ ١٨٥

﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ٣] ٤/ ٢٣٤

﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ [المجادلة: ٢١] ١٢/ ١٩٥، ١٥/ ٣٢٩، ٩/ ١٩٧

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [البقرة: ١٨٠] ٤/ ٣٠٨، ١٧/ ٧٤

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ﴾ [البقرة: ١٧٨] ٩/ ١٩٧

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ﴾ [البقرة: ٢١٦] ١٥/ ١٩١

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣] ٩/ ١٩٧

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٢] ٤/ ٣١٣، ٤/ ٣٠٩، ٤/ ٣١٣

﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٧٦] ٢/ ٧٠، ١٣/ ٢٤

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٤١] ٢/ ٧٠، ١٣/ ٢٣، ١٣/ ٢٣، ٢/ ٧٠

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ [ق: ١٢-١٤] ١٣/ ٣٩

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾[الحج: ٤٢] ١٥/ ١٨٢

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾[ص: ١٢-١٤] ١٣/ ٣٨

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾[الشعراء: ١٦٠] ١٣/ ٢٣، ٢/ ٧٠

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ﴾[القمر: ٣٣ - ٣٤] ١٣/ ٢٢٥

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾[الشعراء: ١٠٥] ٢/ ٧٠، ١٣/ ٢٣

﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ﴾[القلم: ٣٣] ١٦/ ٩٦

﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾[يوسف: ٢٤] ١٦/ ٩٧، ٥/ ٩٦

﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾[الشورى: ٣] ١٥/ ٣٤، ٤/ ٢٣٤

﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾[محمد: ٢] ١٣/ ٢٤٠

كُلُّ ﴿امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾[الطور: ٢١] ١١/ ١٨٩، ١٧/ ٥٣٢

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[القصص: ٨٨] ١٣/ ٢١٥، ١٥/ ٤٧٩، ٥/ ٢٦٦، ١٣/ ١٣

﴿كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾[البقرة: ١١٦] ٤/ ٣٣٦

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[المدثر: ٣٨] ٤/ ٢٧٠، ٧/ ٣٤٨، ١١/ ١٨٩، ١٧/ ٥٣٢

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾[آل عمران: ١٨٥] ٥/ ٤٥٨، ٥/ ٣٤٣

﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[الرحمن: ٢٩] ١٣/ ١٣

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴿٦﴾ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾[العلق: ٦ - ٧] ٤/ ١٩٣

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾[المطففين: ١٨] ١٥/ ٥٦

﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾[المؤمنون: ١٠٠] ٧/ ٢٠٦

﴿كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾[المعارج: ١٥ - ١٦] ١٣/ ١٢٦

﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[المطففين: ١٥] ٧/ ٤٠٤

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

[المطففين: ١٤] ٨/ ٣٦٥

﴿كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء: ١٥] ٥/ ٧٩

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٥ - ٧] ١٣/ ٢٢٣

﴿كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾ [الهمزة: ٤] ١٣/ ١٢٦

﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠] ٤/ ١٥٩

﴿كَلَّا﴾ [عبس: ١١] ٩/ ١٧٣

﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [الحج: ٢٢] ١٣/ ٢٧

﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [السجدة: ٢٠] ١٣/ ٢٧

﴿كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة: ٧٠] ١٤/ ٣٩٩

﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧] ١٠/ ١٢٣، ١٣/ ٢٧

﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧] ١١/ ٣٦٧

﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ [البقرة: ٢٥] ٤/ ٣٣٥

﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦] ٤/ ٣٥٠، ١٠/ ١٢٣، ١٥/ ٣٦٥، ١٣/ ٢٧، ١٢/ ٣٢٣

﴿كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٤١] ١١/ ٢٩١

﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩] ٨/ ١٠٦

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١] ٩/ ٢٩، ٩/ ٢٩

﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾[المزمل: ١٥] ١٥/ ١٨

﴿كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾[الأنعام: ١٣٣]٥/ ٣١٨

﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾[الأنفال: ٥] ١٥/ ٢٤٠

﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجمعة: ٥] ١٣/ ١٥٠

﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾ [الحديد: ٢٠] ١٣/ ١٤٢

﴿كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ﴾[الأنبياء: ٥٤] ١٥/ ٣٠٩

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[آل عمران: ١١٠] ٤/ ٣٤٧، ٩/ ٣٦، ١٧/ ٣٢٤، ١١/ ٤٤١

﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾ [مريم: ١ - ٢] ٩/ ٥٤، ١٣/ ٨٨

﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [آل عمران: ٧٩] ٤/ ٢٣

﴿كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا﴾ [الأنبياء: ٦٩] ٢/ ٣٧، ٧/ ٥٠٣

﴿كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾ [الحشر: ٧] ٨/ ٤٣٧، ١٥/ ١٢٠

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ﴾[البقرة: ٢٨] ١٥/ ١٦١، ٣/ ٢٩٤، ٤٠٥، ١٥/ ٤٦٨

﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٦] ١٥/ ١٦١

﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم: ٢٩] ١٥/ ٢٢٦

﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾[التوبة: ٨] ٥/ ٧٥

(ل)

﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ [البلد: ١-٢] ٩/ ١٧٧، ٤/ ٢٧٠

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ فَمَن﴾[البقرة: ٢٥٦] ١٣/ ٢٤٥، ٩/ ٣٦٧

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠

مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٩٠] ٥/ ٨٠
﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧] ٤/ ٥٠، ٤/ ٤٠٣، ١١ /٤٧٦، ١٥/ ٣٨٤، ١٦ /٤٧٦
﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [غافر: ١-٣] ٤/ ٢٣٣
﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ [يونس: ٦٤] ١٠/ ٢٢، ٤/ ١٣٠
﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٦٤] ١١/ ٢٤٢
﴿لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ﴾ [النحل: ٥١] ١٥/ ٢٦٤
﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ [الممتحنة: ١] ١٥/ ١٤٤
﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ [يوسف: ٩٢] ١٧/ ٧٦
﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ [المجادلة: ٢٢] ١٢/ ٢٧٠، ١٢/ ١٩٢، ٢/ ١٦٦، ١٢/ ١٩٢، ١٧/ ٤٤٠، ٧/ ٣٤٧
﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ [النور: ٦٣] ٩/ ٢١٦، ١٣/ ٦٦، ١٤/ ١٥، ١٠/ ١٧٣، ١٤/ ٣٦، ٣/ ٢٩، ٩/ ١٢١، ١٨/ ٢٩٠
﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴾ [القيامة: ١٦- ١٩] ٩/ ١٧٢، ٤/ ٢٧١، ٥/ ١١٩
﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة: ٤٠] ٩/ ٣٩
﴿لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه: ٤٦] ٩/ ١٠٠
﴿لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾ [الأنفال: ٢٧] ١٣/ ٧٦
﴿لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾ [الأحزاب: ٥٣] ١٠/ ٧٣
لا تدرك ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣] ١٧/ ٢١، ١٠/ ١٧٠، ١٢/ ٣٨٤، ٩/ ٢٥١، ١٧/ ١٩، ٩/ ٢٥٣، ١٧/ ٣٥
﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴾ [الطلاق: ١] ١٥/ ٢٤٩
﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ ﴾ [الحجرات: ٢] ١٢/ ٤٩٩،

١٧/ ٣١٨، ١٤/ ٤٧٦

﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦] ١٣/ ٨٨، ١٠/ ٢٤٤، ٥/ ٣٦٢

﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [النساء: ١٧١] ٩/ ٤٣٣

﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠] ١٣/ ٢٧

﴿لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ [المائدة: ٩٥] ٤/ ١٧٠

﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: ١] ١٣/ ٧٦

﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ﴾ [النساء: ٤٣] ١١/ ٢١٥، ١١/ ٢١٨، ١٥/ ٣٦٠، ٤/ ٣٥٤

﴿لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ﴾ [يوسف: ٥] ١٢/ ٩٠

﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [التوبة: ١٠٨] ١٤/ ٤١١

﴿لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ [الفجر: ١٧] ٤/ ٢٧٩

﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾ [النحل: ٦٢] ٥/ ١٠٢

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [البقرة: ٢٣٦] ١٠/ ٣٢٢

﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الكهف: ٢٧] ٧/ ٥٣٦

﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥] ١٨/ ٢٨٣

﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢] ١٣/ ٤٠٥

﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ [آل عمران: ٢٨] ١٥/ ١٤٤

﴿لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ﴾ [النساء: ١٤٨] ١٧/ ٥٩

﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ [غافر: ١٦] ١٥/ ٥٠٦

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ﴾ [الدخان: ٥٦] ٣/ ٤١٤، ٤٠٦، ٤٠٧

﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ﴾ [الأنبياء: ٢٧] ٥/ ٤٧٨، ١٦/ ٣٧

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٧]

١٤/١٤١

﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾[الحشر: ٢٠] ١٢/ ٢٧٥، ١٣/ ١٢٤

﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ﴾[الحديد: ١٠] ٨/ ١٨٤

﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[مريم: ٦٢ - ٦٣] ٤/ ١٩٩

﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾[فصلت: ٤٩] ٤/ ١٩٣

﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾[المائدة: ١٠٥] ٤/ ٣٥٥

﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾[طه: ٥٢] ١٣/ ٢٩، ١٨/ ١٠٦

﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ﴾[التحريم: ٦] ٩/ ٢١١، ١٣/ ١٤

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾[آل عمران: ١٩٦] ٤/ ١٦٩

﴿لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾[الكهف: ٩٣] ١٣/ ٤٤٠

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة: ٢٨٦] ٨/ ٣٥٥، ١١/ ١٩٢، ١/ ٢٩٣، ١٧/ ٤١٧، ١٧/ ٥٨

﴿لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا﴾[الحجرات: ١٤] ١٥/ ٢٣٤

﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾[مريم: ٨٧] ٤/ ٤٠٠

﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾[الممتحنة: ٨ - ٩] ١٢/ ٢٧٠

﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾[البقرة: ٢٢٥] ٤/ ٣٤٢، ٧/ ٢٧٣، ٩/ ٣٢

﴿لَّأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾[النساء: ١١٨] ٤/ ٤٢٠

﴿لَّأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً﴾[التوبة: ٤٦] ١٥/ ٤٢٢

﴿لَّآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[القيامة: ١] ١٥/ ١٠٢

﴿لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ﴾[الواقعة: ٥٢ - ٥٤] ١٥/ ٢٩١

﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ﴾[التوبة: ٨٨] ٧/ ٣٣٩

﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾[النساء: ١٦٦] ١٣/ ٧١

﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾[هود: ١١٩] ٥/ ٩٣

﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾[الأنعام: ١٩] ١٦/ ٢٥

﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾[فصلت: ٤٢] ٤/ ١٠

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴾ [قريش: ١] ٤/ ١٥٨، ١٥/ ٣١، ١٥/ ٣٩٨،

﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾[الكهف: ١٩] ١٥/ ٢٩٤

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ﴾[المائدة: ٨٢] ١٧/ ٤٤١

﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾ [النساء: ١٠٥] ٩/ ٥٨

﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ [الفتح: ٢٧] ٥/ ٩٨

﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾[الانشقاق: ١٩] ١٥/ ٢٥، ١٥/ ١٠٤

﴿لَنَسْحَرَنَّكَ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٣٢] ١٥/ ٤٧

﴿لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴾ [الكهف: ٧١] ٤/ ٥١٣

﴿لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ﴾[الحج: ٣٧] ١٥/ ٢٦

﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ﴾[يونس: ٩١-٩٢] ١٣/ ٣٨

﴿لِتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] ٩/ ٦٧، ١٤/ ٢٤٦

﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ [القصص: ٤٦] ٥/ ١٤٠، ٧/ ٤٨٧، ٧/ ٤٨٥

﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ﴾[آل عمران: ٨١] ٩/ ٣٣

﴿ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴾ [الزخرف: ٦٠] ١٥/ ٢٢

﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ ﴾ [غافر: ٥٧] ١٣/ ١٧٠

﴿لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ ﴾[يوسف: ٦٨] ٢/ ١٤٩، ١٧٧

﴿لِسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النحل: ١٠٣] ١٣/ ٧١

﴿لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾[النحل: ١٠٣] ٩/ ٩٧

﴿لَسْتَ مُرْسَلًا ﴾ [الرعد: ٤٣] ١٣/ ٧٠

﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ ﴾[الشعراء: ٣] ٤/ ٢١٢، ١٨/ ٤٨

﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾[الأنبياء: ٥٨] ١٣/ ١٠٥

﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[التوبة: ١٢٢] ١٠/ ٤٠، ١٠/ ٤١

﴿لَعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴾[غافر: ٣٦] ١٥/ ١٢٩

﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[الحجر: ٧٢] ١٧/ ٤٩٣، ٥/ ١٦، ١٣/ ٦٦، ١٤/ ٥٣١، ٩/ ٣٧٣، ٩/ ١٤٢، ١٨/ ٢٨٧

﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ﴾[المائدة: ٧٨ - ٧٩] ٧/ ٤١٤، ٨/ ١٥٦، ١٢/ ٥٥

﴿لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[الحجر: ٧٢] ٩/ ٩٢

﴿ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا ﴾[الحجر: ١٥] ١١/ ٢٧٢

﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾ [المائدة: ٧٠] ١٤/ ٣٩٨

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾[التوبة: ١٢٨] ٩/ ٦٥، ٤/ ١٢٣، ٩/ ٤٤٦، ٩/ ٣٩٧، ٣/ ٢٧٤، ١٧/ ٢٤٧، ١٧/ ٦٤٠، ٨/ ٢٤

﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ ﴾[الكهف: ٧١] ٢/ ١٧٦

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾[البلد: ٤] ٢٧٩/٤

﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾[النجم: ١٨] ٣١٣/١٣، ٢١١/٨

﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾[الفتح: ١٨] ٣٢٩/٧، ١٠٠/٨، ١٤٥/٩

﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾[آل عمران: ١٨١-١٨٢] ١٦٧/٨، ٣٩٨/١٤

﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الفتح: ٢٧] ٩٩/٩، ٢١٠/١، ١٤٦/٥، ١٦٢/٥، ٩٤/١٧، ٤٢١/١١، ٣٥/١٣

﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾[الإسراء: ١٠٢] ٢٥/٩

﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٥] ١٠٦/١٣، ٢٥٥/١٥

﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [يوسف: ١١١] ٥٣/١٣، ٦٤٥/١٧، ٥٠٢/٤، ١٨١/٤، ٥/١٤٨، ٤٥٧/٥، ٣٢/١٨

﴿لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [يوسف: ٧] ٩٤/١٣، ٣١٢/١، ٥٠٤/٤، ١٧٩/٤

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] ١٢٨/٩، ٥١٨/١٤، ٦٥/٩، ١٨٩/١٣، ١٨٥/١٢، ٣٣٣/١٢، ٢٠٥/١٤، ٦٨٥/١٧، ٣٨٩/٧

﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾[ق: ٢٢] ٢٩١/١٥

﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[الروم: ٥٦] ١١١/١٣

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾[آل عمران: ١٦٤] ٤٦/٩، ١٩٣/١٢

﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾[الحاقة: ٤٠] ١٦٨/٩

﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ

﴿بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٤٦] ٩/ ٤٧

﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨] ١٥/ ٢٢٢، ٩/ ٩٠

﴿لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤] ٤/ ٣٨٣

﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨] ٥/ ٤٢٢، ١٦/ ٢٥، ١٦/ ٢٨، ١٦/ ٥٧٥، ١٣/ ٢٤، ١٠/ ١١

﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ [النحل: ٥] ١٨/ ١١٨

﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ﴾ [الزمر: ٢٠] ٧/ ٣٤٤

﴿لَّكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ [النساء: ١٦٦] ٩/ ٦١

﴿لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ [الكهف: ٣٨] ٤/ ٣١٥

﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا﴾ [الحديد: ٢٣] ١٥/ ١١٩

﴿لَحَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ [الصافات: ١٠٣] ٨/ ٦٨

﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١] ١٣/ ٣٩٥

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] ٧/ ٨١، ٥/ ١٢، ٤/ ٣٧٠، ٧/ ٣٣٥، ٢/ ١٣٦، ٧/ ٣٤٠

﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ﴾ [النحل: ٦٠] ١٨/ ٢٧٣

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ [النساء: ٧] ١٣/ ٣٩٥

﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٦-١٠٧] ٩/ ١١٢

﴿لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦] ١٣/ ١٠١

﴿لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٨-٧٩] ٥/ ٥٥

﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٨٤] ٤/ ١١٨، ٤/ ٣٧

﴿لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٢٠] ٤/ ١٧١

﴿لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤] ١٨/ ٧٨

﴿لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾[الكهف: ٩٠] ١٣/ ٤٣٨

﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ﴾[الرحمن: ٧٤]٢/ ١٤١، ١٦/ ٤٥

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾[البينة: ١-٢] ٤/ ٢٨٤، ٤/ ٦٤، ١٠/ ١٤

﴿لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾[النساء: ١٣٧]١٥/ ١٢٣، ٩/ ٦١

﴿لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾[النازعات: ٤٦] ١٥/ ٤٢١

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[الإخلاص: ٣-٤] ١٥/ ٤٨٧

﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾[التوبة: ١٠٨] ٤/ ٣٦٨، ٨/ ٢٥٧، ١٧/ ٣١٧

﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾[البقرة: ٢٣٣] ١٥/ ١٠٨

﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[غافر: ١٦] ٤/ ١٥٩، ٩/ ٢٦٧

﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ﴾[الأحزاب: ٢١] ٩/ ١٢٩

﴿لَن تَرَانِي﴾[الأعراف: ١٤٣] ١٢/ ١١٦، ١٧/ ٢٣

﴿لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾[آل عمران: ١٠] ١٥/ ٢٢، ١٥/ ٢٢

﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[آل عمران: ٩٢] ١٦/ ٣٩٠

﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[الممتحنة: ٣] ٤/ ٢٥٥

﴿لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾[طه: ٩١] ١٥/ ١١٣، ٨/ ١٦٦، ١٥/ ٢٢٨

﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾[البقرة: ٥٥] ٨/ ١٦٦

﴿لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾[الحج: ٧٣] ١٥/ ١١٤

﴿لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾[النساء: ١٧٢] ٥/ ٤٧٧، ٩/ ١٦

﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ﴾ [الحج: ٥] ١٥/ ٣٤

﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١] ١٠/ ٢٠٧، ١٤/ ٤١٠

﴿لِّنُحْيِـَۧ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ﴾ [الفرقان: ٤٩] ١٥/ ٣١٠

﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ﴾ [الأعراف: ٨٨] ٥/ ٦٥

﴿لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ [العلق: ١٥] ١٥/ ٣١٩

﴿لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ﴾ [مريم: ٦٩] ١٥/ ١٥٥

﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤] ٥/ ٣٨١، ١٧/ ٦٨٣، ١٥/ ١٦٠

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [إبراهيم: ٣٢ - ٣٤] ١١/ ١٢٠

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [السجدة: ٤ - ٦] ٤/ ٢٢٠

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢] ١٧/ ١٥٩، ٥/ ٢٥٧/ ٧/ ٤٩١، ٧/ ٥٤٠

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ﴾ [الروم: ٤٠] ٣/ ٤١٠، ٤٠٤

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد: ٢] ٤/ ١٨١

﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢] ١٠/ ١٢٣، ١٤/ ٦١٦، ١٤/ ٦١٧

﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾ [الرعد: ١٤] ١٤/ ٢٩٨

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ٤/ ١٦٧، ٤/ ٤٠، ٢/ ٥٣، ١١/ ٢٥٥، ١٨/ ٢٨١

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [النساء: ٨٧] ١٣/ ١١١

﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ [الشورى: ١٩] ١٠/ ١٧١

﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾[طه:٦] ١٣/١٣

﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[البقرة: ١١٦] ١٥/٣١

﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: ١٢] ٥/٤٦

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ﴾[الزمر: ٢٣] ٤/٥٠١

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[النور: ٣٥] ٩/٨٧، ١٧/١٦٦، ١٢/٣٨٥

﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[البقرة: ٢٥٧] ١٢/١٩٧

﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ﴾[الزمر: ٤٢] ٣/ ٢٤٦ ، ١٤/٣١٣، ١٢/٣٤٨، ١٢/٣٤٨

﴿ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾[الحج: ٦٩] ٤/٢٠٥

﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾[البقرة: ١٥] ٤/١٣١، ٥/٣٧٣، ١٠/١١٣، ١٦/١٣

﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [الحج: ٧٥] ٣/ ٤٥، ٢/١٤٩

﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٤] ٤/٣٧٢، ١٢/٣٦٩، ١٢/٣٦٩، ١٢/٣٦٨

﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[الأنفال: ٣٢] ١٣/٢٩٥

﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ﴾[الأنعام: ١٢٧] ١٣/١٢٦

﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [آل عمران: ٤] ٤/١٦٨

﴿لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ﴾[البقرة: ١١٤] ٣/ ٤٩٠

﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩] ١١/١٩٤

﴿لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[الصافات: ٦٠] ٤/٢٢٨

﴿لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤]

١٥/ ٢١٠

﴿ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ﴾ [الزمر: ٤] ١٣/ ١٠٢، ١٥/ ٤٧٨، ١٥/ ٥٠٠

﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ ﴾ [الأنبياء: ١٧] ١٥/ ٤٩٩، ١٥/ ٤٧٦

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا ﴾ [الحشر: ٢١] ٤/ ٦٢، ١٢/ ١٥٤

﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا ﴾ [الأنعام: ١٤٨] ١٦/ ٢٢٣

﴿ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ [الكهف: ٧٧ - ٧٨] ٢/ ١٧٦

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء: ٢٢] ١٥/ ٣٦٤، ١٥/ ٤٧٩، ١٦/ ٣٤

﴿ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ﴾ [الأنبياء: ٩٩] ١٥/ ٤٧٩

﴿ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ ﴾ [البقرة: ١٦٧] ١٦/ ٣٤

﴿ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ٦٤] ٩/ ٥٢

﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾ [النور: ١٢] ٩/ ١١٥

﴿ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُۢبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴾ [القلم: ٤٩] ١٦/ ١٠٨، ١٦/ ١٠٨

﴿ لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ [يوسف: ٢٤] ١٣/ ٩٧، ٤/ ١١٩، ٥/ ٩٣، ٢/ ٤٦٤

﴿ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ [القصص: ٨٢] ١٥/ ١٠٨

﴿ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ [النور: ١٣] ١٣/ ٧٩

﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾ [الأنفال: ٦٨-٦٩] ١٣/ ٦٣، ١٨/ ٣٤٩

﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [الزخرف: ٣١] ٥/ ١٣٢

﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾

[النساء: ١٢٣] ٤/ ٤٢٥

﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧] ٤/ ٣٧٣

﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الجاثية: ١٤] ١٥/ ١٩٧

﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [النساء: ٨٧] ١٥/ ٢٤

﴿لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ [ص: ٢٩] ٤/ ٤٩٩

﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [الفتح: ٥] ٧/ ٣٤٥، ٤/ ٥٩

﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ [الحج: ٥٨] ٧/ ٤٥٧

﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: ١٧٧] ١٣/ ٢٥٤

﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [النساء: ١٢٣] ٤/ ٢٥٩

﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ [المائدة: ٩٣] ١٠/ ٣٢٢، ١١/ ٢١٦، ١١/ ٢١٧

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ [النور: ٦١] ١٠/ ٣٢٢، ٨/ ٢١٩

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨] ١٠/ ٣٢١

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ٧/ ٥١١، ١٣/ ١٢، ١٣/ ٢٨٧، ١٣/ ٢٩٠، ٧/ ٥١٥، ١٥/ ٣١، ٢/ ٤٨، ٥٦، ٥/ ١١٧، ١/ ٢٣٠، ١٥/ ٤٨٧، ٧/ ٤٥٢

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨] ١٤/ ٢٩٩، ١٦/ ٩٠، ١٦/ ٩٣، ١٦/ ٩٠

﴿لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ [هود: ٨] ١٥/ ٢٢٧

﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ﴾ [آل عمران: ١١٣] ٤/ ٣٤٧

﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] ٩/ ٢٦١

﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ [القدر: ٣] ١٨/ ٢١٤

﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[الحديد: ٢٩] ١٥/ ١٢٣

﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ﴾ [البقرة: ١٥٠] ١٥/ ١٢٣، ١٥/ ٣٦٤

﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴾ [الإسراء: ٦٢ - ٦٣] ١٣/ ٢٩٣

﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ ﴾ [الحشر: ١٢] ١٥/ ١٧١

﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾[الزمر: ٦٥] ٥/ ٨٧

﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [المنافقون: ٨] ٩/ ١٦٤

﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم: ٧] ٧/ ٤٨،، ٤/ ٢٥٠، ٤/ ٣٨١

﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [يس: ٧٠] ٤/ ٥٠٧، ١٤/ ٣٤٤

﴿لِّيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ﴾ [غافر: ١٥-١٦] ١٣/ ١١٠

﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ﴾ [الطلاق: ٧] ١٥/ ١٤٠

(م)

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا ﴾ [العنكبوت: ١-٢] ١٣/ ٩٠

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [آل عمران: ١-٣] ١٣/ ٨٨

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [السجدة: ١ - ٢] ١٦/ ٣٥٤، ٤/ ٥٢، ٤/ ٥٢، ٤/ ٥٢

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴾[الروم: ١ - ٢] ٤/ ١١٢، ١٣/ ٩٠، ١٥/ ٢٧

﴿ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴾ [طه: ٢] ٤/ ٥٠

﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ﴾ [المؤمنون: ٩١] ١٥/ ١١٦، ١٥/ ٤٨٧، ١٥/ ٤٨٧

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥] ١٥/ ٤٨٨

﴿مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا ﴾ [الأنعام: ١٤٨] ١٥/ ٣٠٩

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ [الحديد: ٢٢] ١٣/ ٢٠، ١٣/ ١٢

﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ [النساء: ٧٩] ٧/ ٤٢٨، ١٦/ ١٠٣، ٩/ ٥٦، ٥/ ٥٦

﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة: ٧٥] ٣/ ٧٠، ٢/ ١٥٠

﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ ﴾ [القصص: ٧٦] ٥/ ١٢١

﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ [القلم: ٢] ١٣/ ٧٠، ٤/ ٢٦٣، ٩/ ١٦٦

﴿ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴾ [طه: ٢] ٤/ ٢٠١، ٩/ ١٠٧

﴿مَآ أَوْحَىٰ ﴾ [النجم: ٤-١٠] ١٦/ ١٠١

﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ ﴾ [يوسف: ٤٠] ١/ ٣٠١، ٩/ ٣٦٨

﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ ﴾ [يوسف: ٤٠] ١٧/ ١٠، ١٥/ ٤٥٤

﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ﴾ [المائدة: ١٩] ١٣/ ١٦١،

﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾ [المائدة: ١٠٣] ٤/ ١٧٠، ١٨/ ٣٨٠

﴿مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ [يوسف: ٥١] ٧/ ٣٨٣

﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [لقمان: ٢٨] ١٣/ ٢٩١، ٤/ ٢٢٠

﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ [هود: ١٠٧] ١٥/ ٢٣١

﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ ﴾ [سبأ: ١٤] ١٣/ ١٥٠، ١٣/ ١٤١

﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾[النجم: ١٧] ٩/ ١٠٠، ٩/ ١٥٤، ٩/ ٢٥٥، ١٣/ ٧٢، ٧/ ٣٤٦

﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾[الزخرف: ٥٨] ٧/ ٢٠٨

﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا ۖ وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾[الحشر: ٢] ٤/ ٢٥٤

﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ [القصص: ٣٨] ٧/ ٤٨٤

﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل: ٩٦] ١٥/ ١٤٨، ١٨/ ٣٩

﴿مَا غَشِيَهُمْ ﴾[طه: ٧٨] ٥/ ١١٨

﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾[الأنعام: ٣٨] ٤/ ٤٨٥، ١٦/ ١٠١، ٩/ ٤٣٣، ٤/ ١٣٢، ١٧/ ١١٦، ١/ ٣٧٤

﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[الحشر: ٥] ٩/ ١٦٠

﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا ﴾[آل عمران: ٦٧] ٢/ ٧١

﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾ [مريم: ٢٨] ١١/ ١٩٣

﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾[يوسف: ١١١] ٤/ ١٨٢

﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ﴾[الأحزاب: ٣٨] ١١/ ١٨٤

﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ ﴾ [التوبة: ١٢٠] ١٧/ ٤٣٨، ٩/ ٣٤٤

﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾[التوبة: ١٧] ٥/ ٣١٩

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ [التوبة: ١١٣] ٤/ ١١٠، ٤/ ١٠٩، ١١/ ٦٠، ١٦٦/ ٢٠١، ١٢/ ١١٥، ١٣/ ١٥٨

﴿ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ ﴾ [الأنفال: ٦٧] ٩/ ٣١٩، ١٣/ ٦٢، ١٧/ ٤٥

﴿ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [ص: ٦٩] ٩/ ٣١٢، ٤/ ٢٣١، ١٧/ ٢٨، ٥/ ٣٨٨

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[الأحزاب: ٤٠] ٩/ ١٣١، ١١/ ١٨٧، ١٣/ ١٧، ١٣/ ٧٢، ١٣/ ٣٠٤، ٣/ ١٢٧، ١٨/ ٢٨٩

﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴾[هود: ٢٠] ٥/ ٨٨

﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴾[النجم: ١١] ١٣/ ٧٢، ٩/ ١٥٥، ٩/ ١٥٣

﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ ﴾ [الشورى: ٥٢] ٩/ ١٧٩، ٩/ ١٢٤

﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ﴾ [هود: ٤٩] ٤/ ٥٠٢

﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴾ [النمل: ٣٢] ٥/ ٤٤٥

﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾ [ص: ٧٥] ٢/ ٥، ٥٧/ ١٧

﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ ﴾[الأعراف: ١٢] ١٠/ ٣٢٢

﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر: ٣] ١٤/ ٢٩٨، ١٤/ ٤٧

﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ ﴾ [البقرة: ١٠٦] ٤/ ٣٣، ١٠/ ٢٢، ١٥/ ١٤٨، ١٥/ ٢١

﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ [يوسف: ٣١] ١٦/ ٦٨

﴿مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٨] ١٣/ ١٦٠

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾[الضحى: ٣] ١٣/ ٧٠، ١٥/ ٣٢٩

﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ ﴾ [الأنبياء: ٢] ٤/ ٢٠٢

﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ ﴾ [المائدة: ٦] ٩/ ٢٨، ١٥/ ٤٨٨، ١٨/ ٢٣٤

﴿مَا يَشَآءُ ﴾ [الشورى: ٥١] ٥/ ١٦١

﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾[فاطر: ٢] ١٥/ ٢١

﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[ق: ١٨] ٨/ ١٦، ٤/ ٢٤٣

﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾[الأنعام: ٣٨] ١٦/ ١٠٠، ١٦/ ١٠٠، ١٦/ ٩٩، ١٦/ ٩٩، ١٧/ ٣١٠

﴿مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾[البقرة: ٢٩]

٤٢٨/٩

﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]
١٥/ ٤٢٥، ٤/ ١٥٩، ١٣/ ١١١

﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾ [النساء: ١٥٧] ٥/ ٣٨٦

﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ﴾ [محمد: ١٥] ٧/ ٣٤٥، ١١/ ٢٣٢

﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾ [الرعد: ٣٥] ٧/ ٣٤٠

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ﴾ [العنكبوت: ٤١] ٤/ ٢١٨

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا﴾ [الجمعة: ٥] ٤/ ٢٥٦

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ﴾ [إبراهيم: ١٨] ١٢/ ٥٤٢

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٦١] ٨/ ٣٠٩، ١٧/ ٢٦٧

﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩]
٩/ ٦٥، ٩/ ١٤٦، ٥/ ١٥، ٩/ ٢١٣، ١٨/ ٢٨٩

﴿مُخۡلِفَ وَعۡدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ﴾ [إبراهيم: ٤٧] ١٥/ ٤٣٥

﴿مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء: ١٤٣] ٤/ ٢٥٢

﴿ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠] ١٥/ ٤٨٢

﴿مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَهُمۡ﴾ [البقرة: ٩١] ١٥/ ٤٢٠

﴿مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ [فاطر: ٣١] ٩/ ١٤٠

﴿مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨] ٥/ ٦١

﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٢٣] ١٦/ ٩٧، ٥/ ٩٤

﴿مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ﴾ [ق: ٢١] ٤/ ٢٤٣

﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفاتحة: ٧] ٥/ ٢٠

﴿مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ﴾ [آل عمران: ٩٧] ٥/ ٧٢

﴿كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [الحجر: ٣٠] ١٥/ ٤٢٧

﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨] ٧/ ٤٢٥، ٨/ ٥٥٤، ٤/ ٤٢١

﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ﴾ [الحج: ٥٦] ٧/ ٣٤٢

﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔاتِهِمْ﴾ [نوح: ٢٥] ١٥/ ٤١٨، ١٥/ ٢٢، ٤/ ٢٦٧

﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ [يس: ٧١] ٥/ ١٥٣

﴿ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٧٣-٧٥] ٩/ ١٠٣

﴿مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٨] ١٣/ ٨٤

﴿مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩] ٥/ ٣٥

﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥] ٥/ ١٨٧

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦] ٩/ ٣٦٥

﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٣] ١٣/ ١٥١

﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١] ١٥/ ٢٣، ١٥/ ٢١

﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [البقرة: ٦٢] ٢/ ٧٥

﴿مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ﴾ [آل عمران: ٧٥] ١٥/ ٣٠

﴿مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾ [الأنعام: ٩١] ١٥/ ٢٦٨

﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢] ١٥/ ٢٣

﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ [يس: ٥٢] ١٥/ ١٥٠

﴿مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة: ٤١] ١٥/ ٢٥

﴿مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣] ١٢/ ٢٥٤

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] ١٠/ ١٣٣، ٨/ ٢١٦، ١٧/ ٢٥٢، ١٧/ ٢٦٧

﴿مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة: ٢٢] ١٢/ ١٩٤

﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾

[البقرة: ٢٥٥] ١٥/ ١٥٠، ٥/ ٤٢، ١٧/ ٥٣١

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥] ٧/ ١٩٧، ٢/ ٤٣، ٨/ ٣٠٩، ٨/ ١٦٨

﴿مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ١٠٢] ٩/ ٩٧

﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ٢] ٥/ ١٩٠

﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [غافر: ٤٠] ٧/ ٣٤٤، ١٣/ ٣٧٨

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧] ١٣/ ٣٧٨

﴿مِّنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال: ٣٢] ٩/ ٧٩

﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤] ١٥/ ١٠٨

﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ﴾ [البقرة: ٩٨] ٢/ ١٦٤، ٩/ ٣١٦

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ﴾ [الشورى: ٢٠] ١٥/ ١٤٥

﴿مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ﴾ [يوسف: ٢٨] ١٣/ ١٦٥

﴿مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [محمد: ١٥] ١/ ٣٠٣، ١٥/ ٤٥٦، ١٧/ ١٢

﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ﴾ [عبس: ١٩] ٥/ ١٨٦

﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ﴾ [الأعراف: ١٨٦] ١٥/ ١٧٥

﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] ٩/ ٣٠٣، ١٧/ ١٢٤، ٨٠ ٧/ ٣٧٨، ١٣/ ٧٥، ١٦/ ٥٥، ٧/ ٤٧٧، ٨/ ٤٨٥

﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣] ٤/ ٣٤٣، ١٥/ ١٥٠، ١٥/ ١٦٨، ٧/ ١٧١

﴿مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [الأنعام: ١١٤] ٩/ ٧٢

﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥] ٧/ ٢٤١، ١٦/ ٣٥٧

﴿مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣] ١٣/ ٢٢٣

﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣] ١٥/ ٢١،

﴿مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: ٣٩] ١٣/ ٢١٥

﴿مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا﴾ [الأعراف: ١٣٢] ١٥/ ١٥٢، ١٥/ ٢١، ١٥/ ١٦٨

(ن)

﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١] ٤/ ٢٦٢، ١٣/ ٩٠، ٩/ ١٦٦

﴿ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [النساء: ١] ٥/ ٢٩٩

﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦] ١٣/ ٦٧، ٩/ ١٢٦، ٩/ ٣٤٤، ٩/ ٦٥، ١٢/ ١٥١، ١٧/ ٤٣٨

﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩ - ٥٠] ١٧/ ٢٧٢، ٨/ ٣٦٦

﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٣٦] ١٢/ ٤٠١

﴿نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [القصص: ٣] ٤/ ٢١٤

﴿نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٧-٢٩] ٩/ ١١٠

﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾ [الإنسان: ٢٨] ١٣/ ٢٥١

﴿نَّحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الزخرف: ٣٢] ١٨/ ٩٢

﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الكهف: ١٣] ٢/ ١٧٣

﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣] ٤/ ١٨١، ٤/ ١٧٨، ١٨/ ٦٥

﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ [الأنعام: ٨٣] ٣/ ٢٥٨، ٣٠٠

﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣ - ١٩٥] ١/ ٢٢٤، ٤/ ١٢٠

﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ

يَدَيْهِ ﴾ [آل عمران: ٣] ٤/ ١٦٨

﴿نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ [النجم: ١٣] ١٣/ ٨٤

﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ [البقرة: ٢٢٣] ٥/ ٢١، ٨/ ١٨١

﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾[الحشر: ١٩] ٨/ ٢٥٨

﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾[ص: ٣٠] ١٦/ ٢٣، ٨/ ٨٦

﴿نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ [النمل: ٤١] ٥/ ٤٤٦

﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ [الرعد: ٤١] ٩/ ١١٢

(هـ)

﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٢] ١٥/ ٤٦

﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٥] ٥/ ٣٣

﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٣] ١٠/ ٢٤٤، ٥/ ٣٦١، ٥/ ٣٦٢

﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ ﴾ [إبراهيم: ٥٢] ٤/ ٢٩٧، ٤/ ١٨٥

﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ [ص: ٤٩] ٧/ ٣٤٤

﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [ص: ٣٩ – ٤٠] ٥/ ١٤٩، ١٧/ ٩٦، ٥/ ٤٤٤، ٥/ ٤٥٨

﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴾[ص: ٥٩] ١٢/ ٢٧٣

﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴾[النجم: ٥٦] ٤/ ٢٤٦

﴿ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ ﴾ [ص: ٥٥] ٤/ ٣١٦

﴿ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾ [الصافات: ٢١] ١٣/ ١١٠

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴾[الغاشية: ١] ١٣/ ١١١، ٤/ ٢٧٨

﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ [الذاريات: ٢٤] ٧/ ٤٦٠، ٧/ ٤٦١

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴾[النازعات: ١٥] ١٣/ ٩٤، ٥/ ٣٧٥

﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ

رُشْدًا ﴾ [الكهف: ٦٦] ٩/ ١٠٨، ١٣/ ٩٢، ١٧/ ٦٠٣، ٢/ ١٧٤، ١٧٩

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ ﴾ [الإنسان: ١] ١٣/ ٩٤، ١٥/ ١٣٥، ١٦/ ٣٥٤، ٤/ ٥٢

﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ ﴾[يوسف: ٦٤] ١٥/ ٣٠

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [المائدة: ٦٠] ١٣/ ١٥١

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾ [الشعراء: ٢١٠ - ٢٢٢] ٩/ ١٢٤، ٤/ ٢١٣

﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ [الرحمن: ٦٠] ٢/ ١٣٦، ٧/ ٣٢٢، ١٨/ ١١٩

﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾[فاطر: ٣] ١٥/ ٢٠٣، ١٥/ ٤٢٠

﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ﴾[الرعد: ١٦] ١٥/ ٢٩٩

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ ﴾[البقرة: ٢١٠] ٤/ ٣٠٨

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ﴾[الأعراف: ٥٣] ٣/ ٤٧٥٧

﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾[النجم: ٥] ١٣/ ٧١

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾[المنافقون: ٧] ٩/ ١٦٣

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ [آل عمران: ٧] ٤/ ٣٠٩، ١٧/ ٧٤، ١٣/ ٢١٦، ٤/ ١٦٨

﴿هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾[سبأ: ٤٦] ٩/ ١٣٦

﴿هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾[الأعراف: ١٨٤] ٩/ ٧٦

﴿هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾[الكوثر: ٣] ١٣/ ٧١

﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[الحديد: ٣] ١٦/ ٢٣٨، ٨/ ٣٥٧، ٤/ ٦١

﴿هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾[الأنفال: ٣٢] ١٣/ ٧٢

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾[الفتح: ٢٨] ٩/ ١٤٥، ٤/ ٢٤١، ٩/ ١٦٣، ١٨/ ٢٢

﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ [الجمعة: ٢] ١٢/ ٥٣٠، ٩/ ٤٤٦، ٩/ ١٦٣، ١٢/ ٥٣٢، ٤/ ٢٥٧

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ ﴾[يونس: ٥] ١٣/ ٥٨، ٩/ ٧٥

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ﴾[غافر: ٦٧] ٣/ ٢٤٦

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ [الأعراف: ١٨٩] ٥/ ٣١٠

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾[البقرة: ٢٩] ٥/ ٢٦٠

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ ﴾ [الأحزاب: ٤٣] ١٦/ ٢٩٥، ١٦/ ٥٠٨

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾[آل عمران: ٦] ٢/ ٢٧

﴿هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾[فاطر: ٣٢] ٥/ ١٣٥

﴿هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ ﴾ [آل عمران: ١٨٠] ٧/ ٩٧

(و)

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة: ١٢٠] ٤/ ١٧١

﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾[الإسراء: ٢٦] ٨/ ٢٨٨

﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ ﴾[البقرة: ٢٥١] ٢/ ١٤٩

﴿وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا ﴾[يوسف: ٣١] ٥/ ٤٠٣

﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [البقرة: ٤٣] ٨/ ٤٦٤

﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾[النساء: ٤] ١٣/ ٣٩٠

﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١٤١] ٤/ ٣٥٦، ٤/ ١٧٢

﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾[البقرة: ١٧٧] ١٥/ ٢٦

﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ

بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ [البقرة: ٨٧] ٥/ ٤١٠

﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴾ [ص: ٢٠] ٥/ ٣٧٨

﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ ﴾ [القصص: ٧٦] ١٥/ ٢٤٠

﴿وَءَاتَيْنَـٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾[النساء:٥٤] ٩/ ٤٨

﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾[يونس: ١٠] ١٥/ ١٠٩

﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾ [التوبة: ١٠٦] ١٥/ ٣٠٠

﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ﴾ [الأنفال: ٦٠] ٤/ ٣٦٤

﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ﴾ [الجمعة: ٣] ٤/ ٢٥٧

﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾ [قريش: ٤] ٤/ ٢٨٧

﴿وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﴾ [محمد: ٢] ١٨/ ٢٨٩

﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾[الإسراء: ٥٥] ٩/ ١٠٢

﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾ [إبراهيم: ٣٤] ٥/ ٣١٩

﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ ﴾ [الإسراء: ٢٦] ١٨/ ٢٧٧

﴿وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾[المائدة: ٣٥] ١٤/ ٢٦٦، ١٤/ ٢٨٩

﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴾ [يونس: ١٠٨-١٠٩] ٤/ ١٧٧

﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ﴾[لقمان: ١٥] ١١/ ٤٠٤

﴿ وَأَتْبَعْنَـٰهُمْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ﴾ [القصص: ٣٨-٤٢] ١٣/ ٣٩

﴿وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ﴾ [الأعراف: ١٥٧] ١٣/ ٥٨

﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ﴾ [البقرة: ١٠٢] ١٤/ ٣٩٧، ٥/ ٤١٠، ٥/ ٣٦٠، ١٦/ ٢٣

﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] ٩/ ٧٥

﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴾[الكهف: ٦٣] ٤/ ٣١٥

﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الفرقان: ٣] ١٥/ ٤٦١، ١٧/ ١٨، ١/ ٣٠٨

﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥] ٤/ ٣٣٧، ٨/ ٧٦

﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا﴾ [الدخان: ٢٤] ٢/ ٤٤١

﴿وَاتَّقُوا الَّذِى خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٤] ٥/ ١٢٩

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢] ١٧/ ٢٦٤، ١٣/ ٣٦٨، ١١/ ٣٣٠، ١٢/ ٣٨١، ١٣/ ٢٣٨

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥] ١٥/ ١٠٣، ١٥/ ١٤٣، ١٧/ ١٨٥

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١] ٤/ ١٥١، ٥/ ٩٥

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [البقرة: ٤٨] ١٥/ ٢٥

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَىْ ءَادَمَ﴾ [المائدة: ٢٧] ٥/ ٢٩١، ٢/ ١٥١، ٥/ ٢٩٠، ٥/ ٤٠٩

﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦] ٤/ ٣٤٠، ١٦/ ٣٨٠

﴿وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ [نوح: ٧] ١٢/ ٢٢٤

﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣] ٥/ ٣٩٤

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾ [الكهف: ٨٤] ١٣/ ٤٣١

﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَآ أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٩٧] ٧/ ١٧٩

﴿وَاجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى الْءَاخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤] ٤/ ٢٨٢

﴿وَاجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى﴾ [طه: ٢٩] ١٦/ ٢٧

﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ [الأنعام: ٢] ١٥/ ٢٢١

﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى﴾ [طه: ٢٧] ١٦/ ٢٧، ١٨/ ٦١

﴿وَأُحْىِ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩] ٣/ ١٥، ٣٠٥

﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾[يوسف: ١٣] ١٣/ ١٥٠، ١٥/ ٢٠

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[الأعراف: ١٧٢] ٤/ ٣٦١

﴿وَأَخِى هَـٰرُونُ﴾[القصص: ٣٤] ١٥/ ٥٨

﴿وَإِدْبَـٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ [الطور:٤٩] ٤/ ٢٤٦، ٤/ ١٥٨

﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا﴾ [إبراهيم: ٢٣] ٧/ ٣٤٠

﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[الأعراف: ٥٦] ١٧/ ٤١٧

﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[البقرة: ٥٣] ٤/ ٣١٠

﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَـٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٢٤] ٨/ ٧٨، ١٥/ ١٨٧

﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٥٣] ١٦/ ٣٢٢، ٧/ ٣٤٣

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ [آل عمران: ٨١] ٩/ ٣٢٤، ٩/ ١٠٥، ٥/ ١٥

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] ٥/ ١١٢، ٥/ ٣١٤، ٥/ ٣١٥، ٨/ ٣٥٤

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ﴾[آل عمران: ١٨٧] ١٥/ ٤١٣، ٨/ ١٦٦

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَـٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧] ٩/ ١٢٧، ٩/ ٤٤٤، ١٣/ ١٦، ٩/ ١٩٧، ١٨/ ٢٨٩

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ﴾[الأعراف: ١٦٧] ١٣/ ٨٩

﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ﴾[المائدة: ١١٠] ٣/ ١٦، ٢١٧، ٣٢٧

﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ

﴿رُدُّوهَآ﴾ [النساء: ٨٦] ١٢/ ٢٤٠، ١٧/ ٤٣٤

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾[الأحقاف: ٢٩ – ٣٠] ١٣/ ١٤٣، ١٠/ ٢٤٥، ٢/ ١٠٦، ١١١، ١١٣، ٩/ ١٤٣، ٤/ ٢٣٨، ٢/ ٩١، ٥/ ٣٦١، ٧/ ٥٠٨

﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾[المائدة: ١١٠] ٩/ ٩٠، ١٧/ ٦٠٣

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾[الأنعام: ٧٤] ١٣/ ١٤٨

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[البقرة: ٣٠] ٥/ ٢٩٨، ٥/ ٢٦٠

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾[الحجر: ٢٨] ٥/ ٢٥٨، ٤/ ١٨٨

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم﴾[الصف: ٦] ١٣/ ٧٤، ٤/ ٢٥٦، ٩/ ١٦١

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ [البقرة: ٦٧] ٥/ ٤١٠، ٤/ ٣٣٦، ٤/ ٣٣٦

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى﴾ [الصف: ٥] ٧/ ٤٩٧، ٤/ ٢٥٦، ١٤/ ٢٩٥، ٩/ ٨٣

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾ [الكهف: ٦٠] ٤/ ٤٥٧، ٤/ ٥١٤، ١٧/ ٥٦٩

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم﴾ [البقرة: ٥٤] ٩/ ١٧١

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ﴾[يوسف: ٤] ٤/ ٣٧٥

﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢] ٥/ ٢٩٤

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ﴾[البقرة: ٢٦٠] ٣/ ٣١٧

﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً

مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الأنفال: ٣٢] ١١/ ٢٦١

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ ﴾ [البقرة: ٦١] ٩/ ١٢١

﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ ﴾ [البقرة: ٥٨ - ٥٩] ٤/ ٣٣٦، ٤/ ٣٣٦

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ ﴾ [الكهف: ٥٠] ١١/ ٢١٢، ١١/ ٢١٢

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ ﴾[الأعراف: ١٧١] ٨/ ١٦٦، ٩/ ٧٤

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ ﴾ [البقرة: ١٢٧] ١٦/ ٣٢٦، ٥/ ٤١٠، ٥/ ٤٣٤

﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ ﴾ [الأنفال: ٧] ٤/ ٣٦٢، ١٥/ ٢٤١

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ﴾[الأنفال: ٣٠] ٩/ ١٣٧

﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ ﴾ [البقرة: ٥٣] ٥/ ٢٥

﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾[الرعد: ١١] ١٧/ ٦٥٢

﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴾ [الإسراء: ١٦] ١٦/ ٥٥٥

﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴾[التكوير: ٨] ١٣/ ٣٧٨، ١٧/ ٣٣٢

﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ ﴾ [فصلت: ٥١] ٤/ ١٩٣

﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ ﴾[النحل: ١٠١] ١٠/ ٢٤

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾[النحل: ٥٨] ١٧/ ٣٣٢، ١٣/ ٣٧٧

﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَـٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [النور: ٥٩] ١٠/ ٤٥٨، ١٦/ ١٠٤

﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [المجادلة: ٨] ٩/ ١٥٩

﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ

أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٦] ١٢/ ٢٢٧

﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ [الأنبياء: ٣٦] ٥/ ١٢٢

﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾ [الجمعة: ١١] ٤/ ٢٥٧، ١٣/ ٢٧٥، ١٥/ ١٦٦

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: ٤١ - ٤٢] ٤/ ٢١٢

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [الأنعام: ٦٨] ٧/ ٤١٤، ١٢/ ٢٦٠، ١٧/ ٤٣٩، ١٣/ ١٥١

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ١-٢٠] ٧/ ٣٢٥، ١٨/ ١٠٩

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ [المنافقون: ٤] ٤/ ٢٥٨

﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣] ١٦/ ٤٠٩، ١٦/ ٤١٨، ١٦/ ٢٠٩

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦] ٧/ ٧٨، ٢/ ٤٢، ١٤/ ١٤٣، ١٤/ ٢٣٥، ١٤/ ٣٦، ١٤/ ٥٢١، ١٤/ ١٤٢

﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣] ١٧/ ٣٤٧

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ [النساء: ١٠١] ١٠/ ٢٩٩، ١٠/ ٣٩٤، ١٠/ ٢٧، ١٠/ ٣٤٩، ١٠/ ٣٥٠، ١٠/ ٣٦٢

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ [البقرة: ٢٣٢] ١٦/ ٤١٢

﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ﴾ [الأعراف: ٢٠٤] ١١/ ٣٧٧، ٥/ ٣٦١، ١٧/ ٣٤٧، ٥/ ٣٦٠، ٣/ ٣٧٣، ٥/ ٣٦١، ٤/ ١٧٣، ١٠/ ٢٤٣، ١٠/ ٢٤٢، ١٠/ ٢٤٣، ٤/ ٤٥٠

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُواْ لَا يَرْكَعُونَ﴾ [المرسلات: ٤٨] ٤/ ١١٧

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ [الفرقان: ٦٠] ٤/ ٢١٢

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ١١] ٤/ ٤٧٦

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ ﴾ [المائدة: ١٠٤] ٩/ ٤٢

﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [النساء: ١٠٢] ١٠/ ٣٥٠

﴿ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٦] ١٥/ ١١٧

﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم ﴾ [البقرة: ٧٦] ١٣/ ٤٠٥

﴿ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ ﴾ [يونس: ٢١] ١٥/ ١٦٣

﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [الشعراء: ٨٠] ٧/ ٢٦٦، ٤/ ٤٨٦، ٥/ ٥٦، ١٦/ ٤٥٠، ١٦/ ٥٦٢، ١٧/ ١١٧، ٨/ ١٨٨، ١٤/ ٢٧٦

﴿ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٢] ١٢/ ١٩١

﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ﴾ [المائدة: ٥٨] ١٧/ ٥٦٥

﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ ﴾ [النمل: ٨٢] ١٣/ ١٦٩

﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ ﴾ [التوبة: ٣] ٤/ ٣٦٥، ١٣/ ٧٦، ٩/ ٤٢

﴿ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾ [ص: ٤٨] ٥/ ٤١٦

﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ ﴾ [الأعراف: ٢٠٥] ٤/ ١٧٣، ١١/ ٣٧٧، ١٦/ ٤٨٦، ١٦/ ٤٨٨

﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ [الكهف: ٢٤] ١٣/ ٢١٢، ٨/ ٤٧٦

﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص: ١٧ - ٢٠] ٥/ ٣٩٥، ٥/ ٤١٥، ١٧/ ٩٣

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾ [مريم: ٥٦] ٥/ ٣٣٢، ٥/ ٣٣٨،

٤/ ١٨٠، ١٣/ ٣٣، ٨/ ٧٩

﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي ٱلْأَرْضِ [الأنفال: ٢٦] ٤/ ٣٦٣

﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ [الحج: ٢٧] ١٢/ ٤٠٧، ١٧/ ٣٢١

﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ [الحجر: ٢٢] ١٣/ ٨١، ١٧/ ١٨٢

﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٧] ١٥/ ٢٩٥

﴿وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ [التوبة: ١٠٧] ٩/ ٤٣

﴿وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣] ١٣/ ١٦٢

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [ق: ٣١] ١٦/ ٤٣، ٧/ ٣٤٦، ٢/ ١٣٩، ٤/ ٢٤٢

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الشعراء: ٩٠] ٧/ ٣٤٣

﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦] ١٢/ ٢١٣، ٩/ ١٢٧

﴿وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ﴾ [البقرة: ٢٨٢] ١٦/ ٤١٨

﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٠٦] ٩/ ٥٩

﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [محمد: ١٩] ٥/ ٣٨٣، ٨/ ٤٢

﴿وَٱسْتَغْفِرِي لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَٰطِـِٔينَ﴾ [يوسف: ٢٩] ١٣/ ١٦٥

﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [ق: ٤١] ٤/ ٢٤٣

﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [ق: ٤١] ٤/ ٢٤٣

﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [الأنبياء: ٣] ١٥/ ٣١٩

﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤] ٥/ ٤٤٦

﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ [سبأ: ١٢] ٥/ ٤٥٢

﴿وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥] ١٣/ ١٦٢

﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾[مريم: ٤] ١٥/ ٣٥٦

﴿وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ بِكُفۡرِهِمۡ﴾ [البقرة: ٩٣] ١٥/ ٤٣٢، ٥/ ٥٨

﴿وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢] ٥/ ٣١٨

﴿وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ﴾[الطلاق: ٢] ١٥/ ٤٣١

﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ﴾ [الكهف: ٢٨] ١٦/ ٤٦١، ١١/ ٣٧٦

﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٢٧] ١٥/ ٢١٧

﴿وَٱصۡطَفَىٰكِ﴾ [آل عمران: ٤٢] ٢/ ١٤٧، ١٥٤، ٥/ ٢٩٤

﴿وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ﴾[الأحقاف: ١٥] ١٦/ ١٠٥

﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾[هود: ٣٧] ٧/ ٥١٨، ٢/ ٢٨

﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ﴾ الآية [الكهف: ٤٥] ٤/ ٣١٤

﴿وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾ [الإسراء: ٧٢] ٥/ ١٠٦

﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾ [طه: ٨٥] ١٣/ ١٤٨

﴿وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِۖ﴾ [القصص: ٣٢] ٥/ ١٣١، ٢/ ٣٤٦

﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩] ٩/ ٥٢

﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩] ٤/ ٢٩٧، ٤/ ١٩٠

﴿وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾[الملك: ٥] ١٣/ ١٢٦

﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣] ١١/ ٣٠، ١١/ ٢١٠

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ﴾ [الأنفال: ٦٠] ٤/ ٣٦٤، ٧/ ٤٢١، ٧/ ٢١٨، ١٣/ ١٨٥

﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] ٢/ ٢٧٣

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٠٦] ١٢/ ٢٣٣

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤] ٥/ ٧٢

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ [الأنفال: ٤١] ٤/ ٣٦٤، ٢/ ٣٣٧

﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الشعراء: ٨٦] ٢/ ١٦٥

﴿وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧] ١٠/ ١٣٤، ١٠/ ٢٢٠، ١٦/ ٣٤٨

﴿وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الأنعام: ١٥٢] ٤/ ٣٥٧

﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٤] ٧/ ٢٠٣

﴿وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [الأنبياء: ٧٣] ١٥/ ٤٢٢

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الصافات: ٢٧] ١٢/ ٢٧٣، ١٤/ ٤٤

﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الأنبياء: ٩٧] ٤/ ٢٠٣

﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ﴾ [فاطر: ٤٢ - ٤٣] ٤/ ٢٢٤

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥] ١١/ ٤٥٥

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾ [طه: ١٤] ٤/ ٤٠١، ١٣/ ٢٧٧، ١٧/ ٦٩٤، ١٠/ ٤٢٩

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤] ٤/ ٣٧٣، ٨/ ٢٤٣، ١٣/ ١٢٩، ١٧/ ٤٢٤، ٢/ ٢٠٥، ١٠/ ٢٥١، ١٧/ ٣٥٨، ٦٩٦

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ١١٠] ١٦/ ٣٤٨

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣] ٣/ ٢٢٤

﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٠] ٩/ ١١٥

﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[المنافقون: ١٠] ١٧/ ٣٥٧

﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ﴾ [يوسف: ٣٣] ١٥/ ١٤٧

﴿وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[هود: ٤٧]١٥/ ١٤٧

﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ﴾ [النساء: ١٥] ١٤/ ٢٨٥، [النساء: ١٥] ٧/ ١١٤

﴿وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَ﴾[المائدة: ٤٤] ١٣/ ٧٨

﴿وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ﴾[الحجر: ١٩] ١٣/ ٨١

﴿وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ﴾[الرحمن: ١٠] ١٥/ ٣٩٧

﴿وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ﴾ [النمل: ٣٣] ١٥/ ٢٤

﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۚ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ﴾[النحل:٥-٨] ١١/ ١١٩

﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣] ٤/ ٤٦٨، ٨/ ٣٣٣، ١١/ ٤٧٥

﴿وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا﴾ [الكهف: ٤٦] ٤/ ٣٩١

﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ﴾[النساء: ٣٤] ٥/ ٥٣

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ﴾[التين: ١] ٤/ ٢٨٢، ١٥/ ٣٣

﴿وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗ﴾ [النحل: ٨] ١٣/ ١٥٠، ٨/ ١٤٥، ١٣/ ٨٢، ١٣/ ٢٠٣

﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا﴾ [الذاريات: ١] ٤/ ٢٤٤

﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٣٥] ١١/ ٤٥٥، ١/ ٢٩٥، ١٧/ ٤١٩

﴿وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَا﴾ [النساء: ١٦] ١٥/ ٢٢٠

﴿وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾[الشعراء: ٨٢] ٥/ ٣٧٣

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ﴾ [الزمر: ٣] ١٥/ ٣٥٤، ١٤/ ٤٦، ١٤/ ٨٥، ١٤/ ١٤٢

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ [آل عمران: ١٣٥] ٨/ ٤١٤، ١١/ ١٣٨، ٨/ ١٣٠

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد: ١٩] ٧/ ٢٨٥، ١٢/ ٢٧٥

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ﴾ [الزخرف: ٦٩] ٧/ ٣٤٥

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [آل عمران: ٦٧] ٩/ ٣٣

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ [الطور: ٢١] ١١/ ١٨٩، ١٦/ ٧١، ١٤/ ٣٥٥

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٍ﴾ [النساء: ٥٧] ٧/ ٣٣٧

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ﴾ [محمد: ٢] ٩/ ١٤٣

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٨٢] ٧/ ٣٣٦

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ﴾ [الأعراف: ٤٢] ٧/ ٣٣٨

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الشورى: ٢٢] ١/ ٣٧٣

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ﴾ [النساء: ١٢٢] ٧/ ٣٣٧

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّ﴾ [الشورى: ١٨] ١٣/ ٢٢٥

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩] ٤/ ٢١٦، ١١/ ٤٠٧، ١٣/ ٢٥٥، ٨/ ٧٨، ١٢/ ١٦٥، ١٣/ ٣٢٤

﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ﴾

[الرعد: ٢٢] ٧/ ٣٤٠، ١٣/ ٩٩

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِى ﴾ [العنكبوت: ٢٣] ١٣/ ٢٨، ١٥/ ٤٨٠

﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الملك: ٦] ٤/ ٢٦٠

﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَـٰهُمْ عَذَابًا ﴾ [النحل: ٨٨] ٤/ ٣٨٧

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ﴾ [الفرقان: ٦٨] ١١/ ٨٥، ١٧/ ٤٢٣، ٢/ ٢١٤

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥] ١١/ ١١٦، ١١/ ٧٦، ١١/ ٧٥، ٨/ ١٤٤، ١١/ ١٣١

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ [المعارج: ٣٤] ٧/ ٣٤٨

﴿ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ ﴾ [النور: ٣٣] ٧/ ٢٧٣

﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا ﴾ [البقرة: ٢٣٤] ٨/ ٥٠٦

﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم ﴾ [البقرة: ٢٤٠] ٨/ ٤٠٥

﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ ﴾ [الرعد: ١٤] ١٤/ ٢٩٨

﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ [النحل: ٢٠ - ٢١] ١٤/ ١٣٤

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ٱلْغَـٰفِلَـٰتِ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ﴾ [النور: ٢٣ - ٢٥] ٩/ ١١٦، ١٣/ ٧٩، ٤/ ١١٦، ٥/ ١٧٤

﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَـٰنِينَ جَلْدَةً ﴾ [النور: ٤ - ٥] ١٤/ ٥٨٥، ١٣/ ١٣٥

﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَـٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ ﴾ [المجادلة: ٣] ٧/ ٢٧٣

﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ [الفرقان: ٧٤] ٧/ ٣٤٣

﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ ﴾ [التوبة: ٣٤] ٧/ ٥٣، ٤/ ٣٦٦

﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾ [الأعراف: ١٧٠] ١٥/ ٢١٧

﴿وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ [فاطر: ١٠] ٩/ ١٣٧

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ ﴾ [الأحزاب: ٨٥] ٨/ ٢١٨

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦١] ٩/ ٨٣، ٩/ ٣٦٦

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ [البقرة: ٤] ٥/ ٤٠٩

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾ [الأنعام: ٩٢] ٢/ ٧٣

﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾ [آل عمران: ٧] ٤/ ٣٤٣، ١٦/ ١٥

﴿وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ﴾ [الأنفال: ٤٢] ١٥/ ٣٤١

﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [الفتح: ٢٦] ٧/ ٢٠٧

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ [التوبة: ١٠٠] ٧/ ٣٣٩

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴾ [الواقعة: ١٠] ٧/ ٣٤٧

﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ ﴾ [المائدة: ٣٨] ٤/ ١٧٠، ١٣/ ١٣٥، ٢/ ٢١٠، ٢٤٨، ٣/ ٢٢٤

﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ ﴾ [مريم: ٣٣] ٣/ ٢٥٦

﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [الذاريات: ٤٧] ١٣/ ٨٣

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴾ [البروج: ١ - ٢] ٤/ ٢٧٦، ٢/ ٢٨٨، ١٧/ ٦٤٧، ١٨/ ٧٨

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴾ [الطارق: ١١ - ١٢] ٤/ ٢٧٧

﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ [الزمر: ٦٧] ٢/ ١٣، ٢/ ٣٤، ٧/ ٥١٠، ٥/ ١٥٦

﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٤] ٣/ ٣٣، ١٧/ ٥٦٥

﴿ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴾ [ص: ٣٧] ٥/ ٤٥١

﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴾ [الصافات: ١]

١٥/ ٣٣١، ٤/ ٢٣٠

﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحى: ١ - ٢] ٩/ ١٧٨

﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ﴾ [الطور: ١] ٤/ ٢٤٤

﴿وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٞ﴾ [ص: ١٩] ٥/ ٣٧٨

﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾ [الإنسان: ٣١] ٤/ ٢٧٣

﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨] ١٨/ ٦٢

﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾ [العصر: ١ -٣] ٤/ ٦٦، ٤/ ١٩٣، ٤/ ٢٨٦

﴿وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠] ٣/ ٣٠٠

﴿وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِ﴾ [يوسف: ٢٥] ١٦/ ٥٧٢

﴿وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖ﴾ [طه: ٦٩] ٤/ ٢٠١

﴿وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧] ٩/ ٩٤

﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [يس: ٢] ١٥/ ٣٣

﴿وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ﴾ [آل عمران: ١٤] ٤/ ٣٤٤

﴿وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النور ٦٠] ١٦/ ٤٥٣

﴿وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا﴾ [ص: ٣٤] ١٧/ ٩٠، ١٧/ ٩٦، ٥/ ٤٢٢، ١٧/ ٨٨، ١٧/ ٩٠، ٥/ ٤٢٥، ٥/ ٤٢٣

﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧] ١٣/ ٦٤

﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ﴾ [آل عمران: ٣٦] ٩/ ١٧٧، ٥/ ١١٣

﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآ﴾ [النحل: ٦٥] ١١/ ١٢١

﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٨٢] ٢/ ٥٣، ١٦٧، ١٥/ ٥٠٦

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا﴾ [النحل: ٧٢] ٥/ ٢٥٦

﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١١] ٤/ ٢٥٨

﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠] ٩/ ٧٨

﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[البقرة:٢٠٢] ٥/ ٣٦

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[التوبة:١٠٣] ٩/ ٨٦

﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[التغابن:١٧ - ١٨] ٤/ ٢٥٩

﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾[يوسف: ٢١] ١٦/ ٩٢

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٣] ١٢/ ٤٩٩

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨] ١٣/ ١٠٠

﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢] ١٣/ ٧٦، ٩/ ٦٥

﴿وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[آل عمران:٦٨] ١٢/ ٢٧١

﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٤١] ١٣/ ١٣

﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[يونس: ٢٥] ٤/ ٣٦٩

﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾[البقرة: ٢٦١] ٤/ ٤٤١

﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[المائدة: ٦٧] ٨/ ٣٢٢، ١٦/ ٩٠، ٥/ ٣٩٢، ٤/ ٣٥٣، ٣/ ٢٥٨، ٣٠٠، ١٤/ ٢١٣، ١٤/ ٢١٤

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠] ١٥/ ٢٣

﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤] ١١/ ١٨٠، ١٠/ ٤٥٧

﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾[المائدة: ٥] ١١/ ٤٤

﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾[المرسلات: ١] ٤/ ١١٧

﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾[البقرة: ٢٢٨] ١٥/ ١٠٦

﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[النساء: ١٦٢] ٨/ ٢٨٨

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤] ١٥/ ٢٠٦

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾

[الرعد: ٢٣] ٧/ ١٨٣، ١٥/ ٣٥٤

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤] ١٣/ ٧٠

﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ﴾ [المائدة: ٣] ٤/ ١٧٠

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١] ١٣/ ٣٩٦، ٩/ ٤٣، ٤/ ١١١

﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ١١٢] ١٣/ ٢٨٣

﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم: ١] ٤/ ١٥٨، ٩/ ١٥١، ٤/ ٣٤٥، ٤/ ٢٤٦، ١٥/ ١٦٥، ٥/ ١٢٥

﴿وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [الأعراف: ٥٤] ٧/ ٣٨٢

﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ﴾ [ق: ١٠] ٤/ ٢٤٣

﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ [الليل: ٢] ١٥/ ١٦٥

﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧] ١١/ ١٨٣

﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣] ٤/ ٤٦٧، ٤/ ٩٧، ٤/ ٣٣

﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦] ٨/ ٩٢

﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٣٣] ١٦/ ٤٠٨، ١٦/ ٤٢١

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ [الأعراف: ٧٣] ١٥/ ٤١٩

﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ [الليل: ١] ١٥/ ١٦٥، ٤/ ٢٨٠، ١٥/ ١٦٦

والليل إذ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحى: ٢] ١٥/ ١٦٥

﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥] ١٣/ ١١٢

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٧] ١٣/ ١٢٧

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [آل عمران: ٥٧] ٣/ ٢٤٦

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٨] ٧/ ٣٤٠

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [الجاثية: ٣١] ٤/ ٢٣٧

﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ [الجن: ١٥] ٧/ ٢٩٤

﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴾[الواقعة: ٩٢ – ٩٥] ١٣/ ٢٢٣

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾[الضحى: ١١] ١٤/ ١٨٥، ٢/ ٤٨٢ ، ٤/ ٢٨١، ١/ ١٨٨، ٩/ ١٧٩، ٩/ ٢٦٩

﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ ﴾[الأنفال: ٥٨] ١٥/ ١٠٢

﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾[الكهف: ٨٨] ٧/ ٣٤١

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴾ [النازعات: ٤٠] ٧/ ٣٤٩، ٧/ ١٨٦، ١٣/ ٤١١، ١٣/ ٩٨، ١٣/ ٢١٧

﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾ [الأنعام: ٦٨] ١٢/ ٢٠٦

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ﴾[طه: ١٣٢] ١١/ ٣٤٩، ٤/ ٢٠٠

﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ ﴾ [الأحزاب: ٥٠] ٧/ ٤٦٨، ١١/ ٢٥٩

﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴾[المسد: ٤] ٤/ ١٣٢

﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ ﴾ [هود: ٧١] ١٣/ ٣٤، ١٣/ ٣٤

﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام: ٧١] ١٥/ ١٢٢

﴿وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ ﴾[المائدة: ٦] ١٥/ ٢٩، ١٥/ ٣٠، ١٥/ ٤٤٣، ١٥/ ٢٨٨

﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾ [قريش: ٤] ٥/ ١٨٩

﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ﴾ [المائدة: ٧٥] ١٣/ ١٦، ٥/ ٢٩٤، ١٨/ ٤٣

﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ﴾[النساء:٢٣] ١٦/ ٤٠٦

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ﴾ [التوبة: ٦] ١٥/ ١٤٥، ١٥/ ١٧٣، ١٣/ ١٥، ٤/ ١٢٠، ١٥/ ١٨٠

﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾[المائدة: ٤٩] ٤/ ٤٩٩

﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾[هود: ٣] ٤/ ٧٩

﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾ [الأنفال: ٧٢] ١٤/ ٥٥، ١٢/ ٢٠٦

﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١] ١٥/ ١٧٢

﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢٩] ٤/ ٢٥١

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[لقمان: ٢٩] ١٣/ ٢٩١

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[العنكبوت: ٦٩] ١٣/ ١١٦

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨] ٢/ ١٠٦

﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ﴾ [العنكبوت: ٤١] ١٣/ ١٥٠

﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾[البقرة: ٢٨٤] ٤/ ٣٤٣، ٧/ ١٧١

﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨] ١٣/ ٢٥٢

﴿وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾[النساء: ٢٣] ١١/ ٨٧

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٣] ١٤/ ١٤٠، ١٤/ ١٤١، ١٤/ ١٣٩

﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [الروم: ٣٦] ١٥/ ١٤٧

﴿وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[البقرة: ١٨٤] ١٥/ ٢٠٣، ١٥/ ١٠٧

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[الأنعام: ١١٦] ١٣/ ٢٨٨

﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ

وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ [التحريم: ٤] ٩/ ١٦٥

﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ [إبراهيم: ٣٤] ٤/ ١٩٢، ٥/ ١٧٩

﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ [النحل: ١٨] ١٧/ ٣٠٢

﴿ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التغابن: ١٤] ١٢/ ٢٦٦

﴿ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٣٧] ١٥/ ٩٢

﴿ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ ﴾ [الأنفال: ١٩] ١٥/ ١٤٥، ١٥/ ١٦٨، ١٥/ ٤٧

﴿ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴾ [محمد: ٣٦] ١٥/ ٣١٠، ١٥/ ١٧٤

﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ﴾ [لقمان: ١٥] ١٧/ ٣٣٢

﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الحجر: ٤٣] ١٣/ ١٢٦

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ﴾ [الرعد: ٦] ١٥/ ٢، ٤/ ٣٧٩

﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ﴾ [الحجرات: ٩] ١٠/ ١٠١، ١٠/ ٣٨، ١٣/ ١٢٩

﴿ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ﴾ [الإسراء: ٨] ١٥/ ١٤٥

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴾ [الانفطار: ١٠] ٥/ ٩٥، ٥/ ٤٧٧

﴿ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٤٦] ١٣/ ٤٠٤

﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ [الإسراء: ٧٣] ٤/ ١١٤

﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ [البقرة: ٢٨٠] ١٣/ ٢٨، ١٧/ ١٩٨، ٧/ ١٧٧

﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ ﴾ [النساء: ١٢] ٤/ ١١٣

﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ

ٱسْتَطَعْتَ ﴾[الأنعام: ٣٥] ١٥/ ١٧٣

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾[ص: ٢٤] ٥/ ٣٨٠

﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[الزخرف: ٣٥] ١٦/ ٥٥٤

﴿ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾[يس: ٣٢] ١٥/ ٢٤٣، ١٥/ ٢٤٢

﴿ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ ﴾[هود: ١١١] ١٥/ ١٣٩

﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾[البقرة: ٢٣]٢/ ٩٢

﴿وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ ﴾[الطلاق: ٦] ١٥/ ٥٣

﴿وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ﴾[الدخان: ١٩] ١٦/ ٩٠

﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾[القلم: ٣] ٩/ ١٦٦

﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ﴾[النحل: ٦٦] ٩/ ٣١٨، ١٧/ ٤٣

﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص: ٢٥] ٥/ ٣٧٨، ٥/ ٣٩٥، ٥/ ٤٤٤

﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾[القلم: ٣] ٥/ ١٧٧

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم: ٣٩] ١٦/ ٤٩١، ١٣/ ١١٣، ١٤/ ٣٥٥، ٤/ ٤٤٢، ٤/ ٤٣٧، ٤/ ٤٣٩

﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ [النساء: ١٥٩] ٩/ ٩٥، ٣/ ١٢٠، ١٣٨، ١٣٩، ١٤١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٧، ٢٢٢، ٢٢٦، ٢٣٣، ٢٥٠، ٢٧٦، ٢٨٠، ٢٨٨، ٣٠٥، ٣١٢، ٣١٣، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٩٧، ٣٩٨، ٤١٧، ٤١٨، ٤٢٥

﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴾ [الإسراء: ٤٤] ١٣/ ١١٨، ٩/ ٢١٧، ٩/ ٢١٨، ٩/ ٢٢٠، ١٨/ ٢٣

﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم: ٧١] ٨/ ٢٨٧، ٧/ ٣٢٨، ٤/ ٣٩٧، ٥/ ٣٤٣، ٥/ ٤٦٧

﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٧٤] ٩/ ٢١٧، ٢/ ٣٠١

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾ [الأنعام: ١٥٣] ٤/ ٣٥٧

﴿وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٢] ١٥/ ٢٥٢

﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ﴾ [هود: ٤٥] ٥/ ٩٢

﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٠] ١٣/ ٣٩٢

﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ٢] ٩/ ١٥٧، ٤/ ٢٤٦

﴿وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٤٦] ١٧/ ٦٤٨

﴿وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال: ٦٢] ١٦/ ٩٠

﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾ [الكهف: ٢٩] ٤/ ٣٨١

﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾ [الحج: ٧٣] ١٣/ ١٥٠

﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾ [القلم: ٥١] ٤/ ٢٦٣

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ﴾ [الحج: ٤٢] ١٣/ ٥٥

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧] ١٥/ ١٤٧

﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧] ٤/ ٢٦٦

﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا﴾ [الشورى: ٤٨] ٤/ ١٩٣

﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤] ١٥/ ٢٩٤

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [الجن: ١٣] ٤/ ٢٦٨

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا﴾ [الجن: ١٢] ٥/ ١٦٩

﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ [الجن: ٩] ١٥/ ٣٤٣

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ [الجن: ٨-٩] ٩/ ١٧٠

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾ [الصافات: ١٥٨-١٦٦] ٤/ ٢٣٠

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾ [الصافات: ١٦٥-١٦٦] ١٠/ ٣٥٨، ١٧/ ٦٩٦

﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] ٩/ ٩١

﴿وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢١] ١٣/ ٥١، ٥/ ١٤٣

﴿وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾ [الصافات: ١٤٦] ١٦/ ١٠٨، ١٦/ ١٨٩

﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] ٩/ ١٨٤، ٩/ ٢٢، ١٧/ ٥٣٤، ١٧/ ٥٤١، ١٤/ ٢٩٩، ١٤/ ٩٦، ١٧/ ٢٢٧، ١٧/ ٤٧٥، ١٧/ ٥٥٣، ٩/ ٢٨٠

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ [مريم: ٣٩] ٤/ ٣٩٥، ١٣/ ١١١

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ﴾ [غافر: ١٨] ١٣/ ١١٠

﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء: ١١٣] ٧/ ٣٧٦، ٣/ ٣٢، ٢/ ١٤٩، ١٧٧، ١٧/ ٦٦٦

﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [الزمر: ٦] ٣/ ٤١٧

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] ٩/ ٩١، ٩/ ٩٥، ١١/ ٢٢٣، ٣/ ٢٦٣، ١٣/ ٣١٨، ١٦/ ٥٣، ١٦/ ٥٥، ١٧/ ٥٧٢، ٥/ ١٢٠

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [المائدة: ٤٨] ٩/ ٣٤

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤] ٥/ ٨٧

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المؤمنون: ١٨ - ٢٠] ٤/ ٢٠٧

﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٢٥] ٣/ ٤١٦، ٤١٧

﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟﴾ [ص: ٦] ١٥/ ١٠٩

﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى

ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة: ١٩٥] ٧/ ١٠١، ١٣/ ٢٥٥

﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ [النمل: ٦] ٩/ ١٢٥

﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢] ١٢/ ٣٧٥، ١٨/ ١٣

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[القلم: ٤] ١٣/ ٢٣٢، ١٣/ ٧٢، ١٧/ ٣٢٦، ٩/ ١٩، ٩/ ٢٩٣، ١٧/ ٦٨٤، ١٨/ ٣٠٥، ١٨/ ٣٠٥

﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[البقرة: ٢٥٢] ١٣/ ٧٠، ١٦/ ٣٦، ٢/ ١٥١، ٥/ ٢٩٢

﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ﴾ [النور: ٣٢] ١٧/ ١٩٦

﴿وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[الأنفال: ٢٤] ٥/ ٧٣

﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴾[النجم: ٥٠] ٤/ ٢٤٧

﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا ﴾[الجن: ٣] ٤/ ٩٧، ٤/ ٤٦٨

﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴾[العاديات: ٧] ٥/ ٣١٩

﴿ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾[الزخرف: ٤] ١٦/ ١٠٠

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[الشعراء: ١٩٢] ٧/ ٢٣٩، ٩/ ١٢٤

﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴾[الحاقة: ٥١] ١٣/ ٢٢٣

﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ ﴾[يوسف: ٦٨] ١٧/ ٦٠٣

﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [الزخرف: ٦١] ١٤/ ٤٣، ٣/ ١٢٢، ٢٧٦، ٢١٩، ٢٧٨، ٢٨٢، ٢٨٩، ٣٩٤، ٤٢٥

﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾[الجن: ١٩] ٤/ ٢٦٨

﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾ [ص: ٤٧] ١٦/ ٢٣، ٢/ ١٥٠، ٥/ ٢٩٤

﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا﴾ [المجادلة: ٢] ٨/ ٤٢٤

﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦] ١٣/ ٢٩٣، ٤/ ٣٤٤

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ﴾ [طه: ٨٢] ١٦/ ٦٨، ٣/ ١٠٠

﴿وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل: ١٠] ١٢/ ٢٣٣، ١٧/ ٦٠٦، ١٢/ ٢١٥

﴿وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [النساء: ٣٤] ١٦/ ٤٧٠

﴿وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣١] ١٣/ ١٠٠، ١٣/ ١٥٩

﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩] ٩/ ١١٠، ٩/ ٢٥٧، ٩/ ٣٧٣، ١٣/ ٧٣، ١٦/ ٣٧، ١٨/ ٢٩٨

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨] ١٣/ ١٥٠، ٥/ ١٠٣، ١٢/ ٣٨٠، ١٢/ ٣٨١، ١١/ ٣٣١،

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧] ١٢/ ٣٨١، ١١/ ٣٣١

﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا﴾ [الأحزاب: ٢٧] ٥/ ١٣٤

﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [النحل: ٩١] ١٧/ ٦٢٠

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١] ٩/ ١١٩

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥] ٩/ ٩٧

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [يس: ٤١] ١٣/ ١٤٢

﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ [المائدة: ٦] ٤/ ٣٥٢

﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: ٣٨-٤٠] ٩/ ٨٢

﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٥-٨٦] ٢/ ١٧٤

﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء: ١٠٥] ٢/ ٤٢١

﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧] ١٣/ ٢٤٧

﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥] ١٣/ ٩٩، ٤/ ٣٣٩

﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج: ٣٤ - ٣٥] ٨/ ٢٧١

﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات: ١١٢] ١٣/ ٣٣

﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: ٢٨] ٩/ ١٨٨

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة: ٢٥] ٧/ ٣٣٦

﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ [المائدة: ١٢] ١٥/ ٣٥٥

﴿وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ﴾ [النساء: ٢٣] ١٥/ ٥٧

﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ [الأحزاب: ٥٠] ١٦/ ٥٢٠

﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾ [الأنبياء: ٥٧] ١٣/ ١٠٧، ١٥/ ٣٣، ١٦/ ١٠٢، ١٣/ ١٠٥

﴿عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ﴾ [الصافات: ٨٨- ٩٣] ١٣/ ١٠٥

﴿وَنَلْقَىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٣] ١٤/ ٤١

﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ [الواقعة: ٨٢] ٤/ ٢٥٠

﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾ [الأحزاب: ٣٧] ١١/ ١٨٥

﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ [الأحزاب: ٣٧] ١١/ ١٨٥

﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [ص: ٤٥] ٥/ ٤١٦

﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨] ١٤/ ١٤١، ٥/ ٧٩

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ﴾ [الكهف: ٩٩] ١٥/ ٢٥٢

﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [الحج: ٥ - ٦] ٤/ ٤٠٦

﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن

﴿كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ [الكهف: ١٧] ١٥/ ٣٤٢

﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾ [المائدة: ٦٢] ١٣/ ٢٤٨

﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ [الفتح: ٩] ١٦/ ٩١

﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢] ٨/ ١٨٢، ١٣/ ١٨٨، ١٧/ ٣٠٦، ١٢/ ١٧٨

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ [النمل: ٢٠] ١٣/ ١٥٠

﴿وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٩] ١٧/ ٧٠٤، ٩/ ٤٤١

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠] ١٧/ ٣٠٤

﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ [الكهف: ٥٩] ١٥/ ٤٣٣

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [الأنعام: ٨٣] ٤/ ١٧٢، ١٣/ ٤٢

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٣٠] ١٢/ ١٩٤

﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ [الصافات: ١٠٣] ١٠/ ٣٥١

﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الشورى: ٧] ١٣/ ١١٠

﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣] ١٧/ ٦٠٥

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الشعراء: ٢١٧] ١٣/ ١٥

﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ [الصافات: ١٧٨-١٧٩] ٩/ ١٤١

﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٤] ٤/ ٣٧٨

﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢] ١٣/ ٢٨٣

﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢] ٥/ ١٧

﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾ [يس: ٢٠، ٢١] ١٤/ ١٦١

﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩] ٥/ ١٦٨

﴿وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ [الحج: ٧٨] ٤/ ٢١٧

﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الزمر: ٦٩] ١٢/ ١١١

﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [الكهف: ٨٦] ٤/ ٣٩٣

﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠] ١٠/ ١١٣

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ [الزخرف: ١٢] ٥/ ١٦٦

﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ [المائدة: ٢٠] ٤/ ٣٥٢

﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ [المؤمنون: ٥٠] ٥/ ١٥، ١١/ ٣٦٦، ٥/ ٤٢٩، ٣/ ٢٤٤، ٤٢٩

﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٢] ١٣/ ٣١٤

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾ [الإسراء: ١٢] ٤/ ٣٨٨

﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ [الصافات: ٧٧] ١٣/ ٩٠

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠] ٤/ ٤٠٢، ٧/ ١٨٣، ٨/ ٢٧٠، ١٥/ ١٩

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤] ١١/ ٣٩٨، ١١/ ٣١٢

﴿وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾ [مريم: ٣٠] ٣/ ٢٠٢

﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٨] ٥/ ١٦٥

﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾ [الزخرف: ٤٥] ٥/ ١٦٥

﴿وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزخرف: ١٩] ١٥/ ٢٥١، ١٧/ ١٧٣

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٠] ١٤/ ٣٨

﴿وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا﴾ [الزخرف: ١٥] ٥/ ١٦٤، ٤/ ١٩٣، ٤/ ٢٣٥

﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [القيامة: ٩]

١٥/ ١٨٢، ٩/ ٢٢٣

﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣] ١٦/ ٤٣، ٢/ ١٣٩

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣] ٧/ ٤٠٤، ٤/ ٢٧٣

﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥ - ٤٦] ٥/ ٨٤

﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ [القصص: ١٢] ٥/ ١٧١، ٩/ ٣٠٧، ٣/ ٤٣

﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [المائدة: ٧١] ١٥/ ١١١

﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ١٧] ٥/ ٤٣٧

﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥] ١٦/ ٤٠٨، ٣/ ٤٢

﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢] ٧/ ١٩١، ٤/ ١٩٢

﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة: ١٤٤] ١٣/ ٢٧٥

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ [سبأ: ٥٤] ٤/ ٢٢٣

﴿وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ [التوبة: ٥] ٨/ ٥٠٩

﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [غافر: ٨٣ - ٨٥] ٥/ ٨٥

﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨] ٩/ ٢٧٠

﴿وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ﴾ [التوبة: ٦٩] ١٥/ ٢٨١

﴿وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥] ٨/ ٣٦١

﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨] ٨/ ١٣٠، ٤/ ١٩٣، ١٥/ ٣٥٢

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢] ١٤/ ٦١٦

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا﴾ [البقرة: ١٠٩] ١٢/ ٢٣٦

﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى

﴿ٱلْحَرْثِ﴾ [الأنبياء: ٧٨-٧٩] ٨/ ٨٤، ٥/ ٣٩٩

﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ﴾ [القصص: ١٥] ١٥/ ٢٦

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ﴾ [يوسف: ٣٦] ١٢/ ٤١٥

﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ﴾ [النساء: ٨٩] ١٢/ ٢٣٦

﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧] ١٤/ ٢٩٠

﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥] ١٣/ ٣٦٩

﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٥] ١٥/ ٣٣٦

﴿وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [هود: ١٠٣] ١٣/ ١١١

﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ [الكهف: ٥٣] ٤/ ٣٩٢

﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] ١٦/ ٣٢

﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾ [يوسف: ٢٣] ٨/ ٢٦٠

﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم﴾ [النساء: ٢٣] ١٠/ ٣٦٨، ١٠/ ٣٢٥، ١٦/ ٣٠٤

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ [القصص: ٦٨] ٥/ ١٣٢

﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤] ٧/ ٢٥٩، ١٧/ ٧٢

﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٢٥] ٤/ ٢٢١

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [آل عمران: ٤٩] ٣/ ٣١٧

﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤] ١٦/ ١٠٢

﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] ٩/ ١١٣

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ [يوسف: ١٠٠] ١٢/ ٤١٣، ٤/ ٥٠٣

﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] ١٣/ ٤٢، ٩/ ٢٩، ١٨/ ٢٨٣

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤] ٨/ ١٩٤، ٩/ ١٨٠، ٣/ ٢٥٨، ٣٠٠

﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧] ٤/ ٣٩٦، ١٦/ ٣٢، ٥/ ٣٤٤، ٥/ ٣٣٥، ٥/ ٣٣٦، ٣/ ٢٥٨، ٥/ ٣٣٥

﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد: ٢٧] ١٠/ ١٥١، ١٨/ ٧٩

﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١] ١٦/ ٩٦

﴿وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ﴾ [البقرة: ٢١٤] ١٥/ ١٢٤

﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ١٣٣] ٧/ ٣٣٦

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [طه: ١٣٠] ٣/ ١٧٠

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾ [ق: ٣٩] ١٨/ ٢٠٨

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ [إبراهيم: ٣٣] ٧/ ٣٨٢، ١٣/ ٣١٤، ٩/ ٩٣

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣]، ٥/ ٢٥٣، ٧/ ٢١١، ١٣/ ٣١٤

﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٩ - ٨٠] ٥/ ٣٩٤

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ١٥/ ٤٧١، ٧/ ٥٠١، ٥/ ٤٣

﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥] ٤/ ٢٨٩

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾ [الليل: ١٧] ٤/ ٢٨١، ٧/ ٢٧٥، ٨/ ٢٨٩

﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ [آل عمران: ٣٩] ١٦/ ٥٧٣

﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ٩٤] ٩/ ٤٣

﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧] ١٥/ ٢٥٥

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ

زُمَرًا ﴾ [الزمر: ٧٣] ٧/ ٣٤٤، ١٣/ ١٩٦، ١٣/ ١٩٦

﴿ وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف: ٨٢] ٥/ ٥٨، ١٠/ ٢٣، ١٥/ ٤٣٢، ٥/ ١٦٦

﴿ وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٥] ٤/ ٢٢٨

﴿ وَسْئَلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ ﴾ [الأعراف: ١٦٣] ٩/ ٧٤

﴿ وَسْئَلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾ [النساء: ٣٢] ١١/ ٤٤٥، ٢/ ٤٢٨

﴿ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ﴾ [الإسراء: ٦٤] ٥/ ٢٥٥، ٥/ ٢٥٥

﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ [البروج: ٣] ٩/ ١٧٦

﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ [آل عمران: ١٥٢-١٥٩] ٩/ ٤٥

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ﴾ [النحل: ١٢] ١٣/ ٣١٤

﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ ﴾ [ص: ٢٠] ٥/ ٣٧٨، ٥/ ٤٠٤

﴿ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ [يونس: ٥٧] ١٦/ ٥٦١، ١٧/ ١١٧، ٤/ ٤٨٦، ٤/ ٣٧٠، ١٤/ ٢٧٦

﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾ [يوسف: ٢٦] ٤/ ٣٧٦، ٩/ ١١٧

﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [الأحقاف: ١٠] ٨/ ١٧٠

﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ [لقمان: ١٥] ١٧/ ٤٤١

﴿ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴾ [المؤمنون: ٢٠] ١٣/ ١٥٤

﴿ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الصافات: ٣٧] ٩/ ١٤٠

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ ﴾ [التحريم: ١١] ٤/ ١٣٢

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً ﴾ [النحل: ١١٢] ١٦/ ٥٥٤

﴿ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴾ [فصلت: ٤٨]

٣١٨/٤

﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ﴾ [المائدة: ٥] ١٣/ ١٨١، ٤/ ١٧٠، ٩/ ١٠٥، ٩/ ٧٣

﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦] ١٣/ ١٦٣

﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ﴾ [القيامة: ٢٨]. ٨/ ١٣١

﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ [ص: ٢٤] ١٧/ ٨٥، ٥/ ٣٩١

﴿وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾ [التوبة: ١١٨] ١٥/ ٢٥٠

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩] ١٣/ ٣٨٣

﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ [ص: ٤] ٤/ ٢٣١، ١٤/ ٤٣، ٥/ ٣٨٩

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ [النور: ٥٥] ١٤/ ٦٠٤، ٩/ ١٧، ١/ ٣٢١

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [التوبة: ٧٢] ٤/ ٣٦٦، ١٢/ ٣٠٩، ٧/ ٣٣٩

﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٦] ٤/ ٢١٨

﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ [الفتح: ٢٠] ٨/ ١٣٩

﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا﴾ [الكهف: ١٠٠ - ١٠١] ٥/ ٨٨

﴿وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾ [الأعراف: ١٥٦-١٥٧] ١٣/ ٧٤

﴿وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٣] ٥/ ٣٧٠

﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦] ١٥/ ٣٥

﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ﴾ [طه: ١٢١] ١٦/ ١١٠، ٥/ ٢٧٩، ١١/ ٢٣٥، ٢/ ١٥٤، ٥/ ١٢٠

﴿وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾

[النحل: ١٦] ١٣/ ٣١٤

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾[البقرة: ٣١] ١٧/ ٦٠٣، ٢/ ١٤٩، ١٧٧، ٥/ ٢٤، ٥/ ٢٨٩، ١٣/ ١٩٠، ٥/ ٢٦٤، ٩/ ٦٠، ٥/ ٤٠٩، ٥/ ٢٦٣

﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾[النساء: ١١٣] ١٧/ ٦٠٣، ١٧/ ٦٠٣، ٩/ ٦٠

﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ ﴾ [الأنبياء: ٨٠] ١٧/ ٦٠٣، ٩/ ٦٠

﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾[الكهف: ٦٥] ٢/ ١٧٤، ١٨٣، ١٨٥

﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ﴾ [الأعراف: ٤٦] ٤/ ٣٥٩، ١٦/ ٧٠

﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ ﴾[التوبة: ١١٨] ١٧/ ٤٣٨

﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ﴾[الأنعام: ١٤٦] ١٦/ ٥٧٥، ٩/ ٧٣

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٣- ١٨٤] ١٢/ ٤٨

﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾ [المؤمنون: ٢٢] ١٥/ ٢٦، ٨/ ١٤٥

﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾[القصص: ٦٧] ١٣/ ٢٤

﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[الرعد: ٣٩] ٩/ ٩٠

﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ [فاطر: ٢٧] ١٥/ ٤٢٧

﴿وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٤] ١٣/ ٢٩٤

﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾ [عبس: ٣١] ١٦/ ٧٦، ١٤/ ١٣٦، ٨/ ٥٥٥

﴿ وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾[الزمر: ٧٣] ١٣/ ٢٨٣

﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا ﴾ [القمر: ١٢] ١٥/ ٣٥٦

﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾[الصافات: ١٠٧] ١٧/ ٣٧٨

﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴾[الفجر: ١٠] ١٣/ ١٤٨

﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ ﴾ [لقمان: ١٤] ٣/ ٤٢

﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ﴾ [الشعراء: ١٩] ٥/ ١١٨

﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦] ١٥/ ٣٤١

﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ [الأنعام: ٣] ٥/ ٢٠١

﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١] ١٧/ ٣٤٤

﴿وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦٠] ١٦/ ٣٦٨

﴿وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ﴾ [العنكبوت: ٣٩ - ٤٠] ٢/ ٨٢

﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا﴾ [هود: ٤١] ٢/ ٤٤١، ١٥/ ٢٨

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦] ٥/ ٣٦٠، ١٠/ ٢٤٥، ١٢/ ٢٢٥، ١٦/ ٦٨

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ [الفرقان: ٤] ٤/ ٢١٠

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ [الفرقان: ٣٢] ٤/ ٥٠١

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ١١] ١٥/ ٣٢

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ [سبأ: ٣] ١٣/ ٨٠، ١٣/ ١١٠، ٤/ ٢٢٢

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ [الفرقان: ٢١] ٥/ ٣٦٤

﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ﴾ [الفرقان: ٣٠] ٩/ ٦٥، ١٢/ ٢٢٦، ١٢/ ٢٢٦، ١٧/ ٦٠٦، ٤/ ٢١٢

﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ﴾ [إبراهيم: ٢٢] ٤/ ١٨٨

﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ [النحل: ٥١] ١٥/ ٦٤، ١٥/ ٤٦١، ١٧/ ١٧، ١/ ٣٠٨

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ [الأعراف: ١٢٧] ١٣/ ٢٤٢

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ

سِمَانٍ ﴾ [يوسف: ٤٣ - ٤٥] ١٢/ ٤١٧

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨] ٤/ ٤٢٥

﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا﴾ [العنكبوت: ٢٥] ١٢/ ٢٧٣

﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَـٰهُ بِغُلَـٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ٩٩ - ١٠١] ١٢/ ٤١١، ١٣/ ٣٣

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] ٨/ ٣٦٢، ١٤/ ٥٢١، ٢/ ٤٢٨، ٩/ ٢٨

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨ - ٤٢] ٢/ ٨٢

﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَـٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ﴾ [ق: ٢٣] ٤/ ٢٤٣

﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء: ١١٨] ١٨/ ٣٧٨

﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ﴾ [الزمر: ٧٣] ١٥/ ٣٥

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَـٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٤] ١٧/ ٧٥

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَـٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى﴾ [الأعراف: ١٤٢] ١١/ ٢١٣

﴿وَقَالَ يَـٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾ [يوسف: ٦٧] ١٦/ ٣٥١

﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَـٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ [النحل: ٥١] ١٥/ ٥٠

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠] ٨/ ١٦٨، ١٣/ ١٤٧، ١٨/ ٣٨٠

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤] ٨/ ١٦٨

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ [المائدة: ١٨] ١٣/ ١٤٦

﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا سُبْحَـٰنَهُۥ﴾ [الأنبياء: ٢٦ - ٢٧] ٥/ ٤٧٧، ١٤/ ٤٣، ٥/ ١٩٣، ٩/ ٢٥٧

﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ

﴿[فاطر: ٣٤] ٨/ ٣٢٩

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا﴾ [الزمر: ٧٤] ٥/ ١٢٤، ٩/ ١١١

﴿وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الصافات: ١٥ - ٢١] ٤/ ٢٢٧

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ [ص: ١٦] ٥/ ٣٨٩

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ﴾ [فصلت: ٥] ١٣/ ٣٦٨

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾ [البقرة: ١٣٥] ١٥/ ٢٩٦، ٥/ ٢٦٣

﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣] ٤/ ٢٦٧

﴿وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ﴾ [التوبة: ٨١] ٨/ ١١٧

﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾ [فصلت: ٢١] ٥/ ٦١، ٥/ ١٥٨

﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا﴾ [الإسراء: ٩٠] ٩/ ٧١

﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠] ٥/ ١٧٦

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١] ٨/ ٣٠٠

﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾ [طه: ١٣٣] ٤/ ٢٠١، ٩/ ١٠٩

﴿وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ﴾ [الفرقان: ٧] ١٨/ ٣٠

﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٢] ٥/ ٦٧

﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦ - ٧] ٤/ ١٨٦

﴿وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ﴾ [البقرة: ٢٥١] ٩/ ٦٠، ١٣/ ١٤٨، ٥/ ٣٩٤، ٥/ ٤١٠

﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾ [يوسف: ١٠٠] ١٥/ ٣٠

﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَـٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾ [البقرة: ٢٤٦] ٤/ ٤٢٢

﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾ [آل عمران: ٤٠] ٥/ ١٢١

﴿وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ [الصف: ٥] ١٣/ ٢٥٠، ٩/ ٦٩

﴿وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ [الدخان: ١٣] ٩/ ٨٧

﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٩] ١٥/ ٤٧٥

﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١] ٥/ ٨٠

﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١١٩] ١١/ ١١٤، ١١/ ١١٨، ١٨/ ٣٨٢

﴿وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤٦] ٤/ ١٨٥

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١٤٠] ١٢/ ٢٦٠، ١٧/ ٤٤٠، ١٣/ ١٥١

﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ﴾ [الفرقان: ٢٣] ٢/ ٧٦، ٨/ ٣٢٣، ١٣/ ١٤٧، ٧/ ٢٨١

﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٨] ١٦/ ١٠٢

﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥] ٤/ ١٧١

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣] ٨/ ٢٢٥، ١٧/ ٣٣١، ١٨/ ٧١

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ [الإسراء: ٤] ٤/ ٤١٢

﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [التوبة: ٩٠] ٩/ ٤٣

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٦] ٩/ ٣٤

﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩] ١١/ ٩٩

﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ [الإسراء: ١١١] ٤/ ١٩٦

﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]

٦٦٦/١٧

﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا﴾[الإسراء: ٢٤] ٢/ ٢٤٧، ٢٨٤/١٢

﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡ﴾[آل عمران: ٢٠] ٩٣/١٣

﴿وَقُلۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱسۡكُنُواْ ٱلۡأَرۡضَ﴾[الإسراء: ١٠٤] ٤٦/١٣

﴿وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾[البقرة: ٣٥] ١١/ ٢٩١، ٥/ ٢٨٩

﴿وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡ﴾[ص: ٢٤] ٥/ ٣٨٦

﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾[سبأ: ١٣] ٣٠٢/١٧

﴿وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ﴾[النساء: ١٥٧] ٣/ ٣١٣

﴿وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمٗا﴾[النساء: ١٥٦] ٣٩٧/١٤

﴿وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾[النساء: ٧] ١٥٤/٧

﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾[البقرة: ٨٣] ٢٣٢/٨، ٢٥٠/١٧

﴿وَقَوۡمُ تُبَّعٖ﴾[ق: ١٤] ١٤٧/١٣

﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾[البقرة: ٢٣٨] ١٦٣/١٣، ٢٦٧/١٠، ٣٣٣/١٦، ٢٤٩/١٠

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۚ﴾[النحل: ٣٠] ٣٤١/٧

﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ﴾[هود: ٤٤] ١٩٥/١٥

﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾[الزخرف: ٨٨ - ٨٩] ٢٣٥/٤

﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ﴾[العنكبوت: ٤٨] ٥٣١/١٢

﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا﴾[الكهف: ٨٢] ٤٤٣/٤

﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا﴾[الكهف: ٥٤] ١٩٣/٤

﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا﴾[الإسراء: ١١] ١٢١/٥، ١٩٣/٤

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرٗا﴾[النساء: ١٣٣] ٢٥٢/١٣

﴿وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا﴾[الكهف:

٨٢] ٤/ ٣٩٢

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧] ١٦/ ١٨، ١٤/ ٦٢

﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥٤]: ٨/ ٧٩

﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧] ١٦/ ٢٣٩، ٥/ ٢٥١

﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ [الكهف: ٧٩] ١٥/ ٣٤١، ١٥/ ٣٤٢

﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ﴾ [مريم: ٥٥]: ٨/ ٧٩

﴿وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: ٥٥]: ٨/ ٨٨ ٧٩

﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [البقرة: ٨٩] ١٤/ ٤٥٤

﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥] ٤/ ١٨١

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ [محمد: ١٣] ٤/ ٢٣٨، ٤/ ١١٣

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ﴾ [الطلاق: ٨] ١٣/ ١٤٥

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ﴾ [آل عمران: ١٤٦] ٩/ ٨٥

﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ﴾ [الأعراف: ١٤٥] ٢/ ٣١، ٤/ ٣٦٠

﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الروم: ١٩] ٤/ ٥١

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ [الرعد: ٣٧] ٤/ ١٨٢، ٤/ ١٨٤

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢] ٥/ ١٦٣، ٣/ ٨٤، ٩/ ٤٥١، ١/ ٢٢٤، ٤/ ٢٣٤، ٤/ ٢٣٤

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ﴾ [البقرة: ١٤٣] ٤/ ٣٣٨، ٨/ ١٨

﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٧] ٥/ ١٩٩

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ٢١] ١٧/ ٦٠٣، ٩/ ٦٠، ١٢/ ٤٠٠، ١٢/ ٣٤٥

﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ

ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٥] ١٧/ ٢٧، ١٢/ ٤٢٧

﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾ [يوسف: ٦] ١٢/ ٤٠٠

﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ﴾ [الحجرات: ٧] ٢/ ٢٠٥

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٧٩] ١٥/ ١٧٩، ١٥/ ٣٠، [الفتح: ٢٨] ١٥/ ٤٢٠

﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾ [الإسراء: ١٣] ١٧/ ٢٧٨

﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [يس: ١٢] ١/ ٣٧٤

﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام: ٨٣] ٥/ ٤١٠

﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ [هود: ١٢٠] ٤/ ١٧٨، ٤/ ٥٠١

﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [النساء: ٩٥] ١٥/ ٢١٦

﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ﴾ [الكهف: ١٨] ١٣/ ١٥٠

﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٤] ١٧/ ٢٨٥، ١٥/ ٣٣٠، ٢/ ٥٣، ٥/ ٢٩٣، ٥/ ٥٧، ١٨/ ٢٨٢

﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ ﴾ [البقرة: ١٨٧] ١٣/ ٢٨٠، ٤/ ٣٤٠، ١٠/ ٣٥٠، ٧/ ٤٩٤

﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف: ٣١] ١٣/ ١٧٥

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴾ [ق: ٣٦] ٤/ ٢٤٣

﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ ﴾ [المائدة: ١١٧ - ١١٨] ١٤/ ٢٤٩، ١٤/ ٢٥٤، ١٧/ ٢٣٦، ٨/ ٤٨

﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴾ [الواقعة: ٧ - ١٠] ٤/ ٢٤٩

﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴾ [الكهف: ٦٨ - ٦٩] ٢/ ١٧٦، ١٧٩

﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ

﴿ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ [النور: ٢] ٤/ ٢٠٧

﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ [البقرة: ١٨٨] ١٠/ ٢٢٢

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ﴾ [الأنعام: ١٢١] ٤/ ١٧٢، ١٦/ ٤٢٨

﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [ص: ٢٦] ١٣/ ٣٦٧، ٥/ ١٤٤

﴿ وَلَا تَتَّبِعَآنِّ ﴾ [يونس: ٨٩] ١٥/ ١٠٤

﴿ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة: ٢٢٤] ٤/ ٣٠٩

﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ [الإسراء: ١١٠] ١١/ ٣٧٧، ١٢/ ٢٢٥

﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ [النمل: ٧٠] ٩/ ١٢٥

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ﴾ [آل عمران: ١٦٩] ١٢/ ١١٥، ٧/ ٣٣٧، ٨/ ٥٠، ١٤/ ٣٣٧، ١٢/ ١١٥، ١٢/ ١٢٦، ١٢/ ١٢٦، ١٤/ ٤٥٦، ١٦/ ١١٨، ٩/ ٣٣١، ٩/ ٢٨٦، ١٨/ ٧٩

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا ﴾ [إبراهيم: ٤٢] ١٥/ ١٤٣، ١٥/ ١٠٣

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ﴾ [آل عمران: ١٦٩] ٧/ ٢٤٩، ١٦٩

﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ [القصص: ٨٨] ٩/ ٧٠

﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [الأنعام: ١٦٤] ٧/ ٣٧١، ١١/ ١٨٩، ١١/ ١٩١، ١١/ ١٩٧، ١٣/ ٣٦٤

﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنعام: ١٠٨] ١١/ ٥١

﴿ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [البقرة: ١١٩] ٤/ ١١٠، ٢/ ٢٣٥

﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ [لقمان: ١٨] ٢/ ٢١٧، ٢٢٣

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ﴾ [التوبة: ٨٤] ١٠/ ٢٥٥

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ﴾ [التوبة: ٨٤] ٤/ ٣٦٧، ١١/ ٢٢١، ١٢/ ٣٢٣، ١٣/ ٦٢، ١١/ ٢٢٢، ٥/ ٧٧

﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ [الأنعام: ٥٢] ١٥/ ١٢٩

﴿وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى﴾ [طه: ٨١] ١٥/ ١٢٨

﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: ٦٠] ١٥/ ٣٤٧

﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [طه: ١١٤] ٥/ ١١٩، ٩/ ١٠٧

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩] ٩/ ١٧١، ٤/ ٣٥٠، ١٢/ ٢٩٧، ١٢/ ٣٠٠، ١٢/ ٢٩٨، ١٢/ ٣٠٠

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ [الإسراء: ٣١] ١٣/ ٣٧٨، ٧/ ٢٨٥

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١] ١٣/ ٣٧٨، ٧/ ٢٨٥

﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥] ٥/ ٦٣، ٥/ ٢٧٧

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ [الإسراء: ٣٢] ١٠/ ٢٢٢، ١٢/ ٣٣، ٧/ ٣٨٥، ١٣/ ١٣٠، ٥/ ٩٥، ١١/ ٨٥، ١٦/ ٨٤

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦] ١٠/ ١٢٠، ١٢/ ٣٩٩، ٣/ ٣٣٩، ١٠/ ٣٥

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾ [الكهف: ٢٣] ٥/ ١٤٥، ٨/ ٤٧٥، ٨/ ٣٩٩، ١٣/ ٥٤، ١٣/ ٩٥، ١٧/ ٩٤، ٥/ ١٠٨، ١/ ٢١٠

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١] ١٥/ ٣٧٢

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ [النحل: ١١٦] ١٠/ ١٠٣، ١٠/ ٢٢٩، ١٠/ ٤٤٩

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ [البقرة: ١٥٤] ٩/ ٣٣١، ٨/ ٤٩، ١٤/ ٤٥٦

﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ [النور: ٣٣] ١٠/ ٣٦٨، ١٦/ ٣٠٤، ١٦/ ٣٠٥

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:

١٤] ٥/ ١٤٤

﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا﴾[البقرة: ٢٣١] ١٥/ ٣٩٩

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾[لقمان:١٨] ١٥/ ٣٦٠، ١٥/ ٣٤٧

﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر: ٦] ١٣/ ١٢٣

﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦] ١٨/ ١٢١

﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢١] ١١/ ٤٣، ١١/ ٤٢

﴿وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم﴾ [النساء: ٢٢] ٢/ ٢١٥، ١٣/ ١٣٠

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ﴾ [النساء: ١٠٢] ١٠/ ٣٢٢

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ [البقرة: ٢٣٥] ١٠/ ٣٢٢

﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾[الإسراء: ١١٠] ١٦/ ٤٨٩

﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ﴾ [التوبة: ٩٢] ١٥/ ١٦٦، ٩/ ٢٨٤

﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] ١٨/ ١٢٨

﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾[الأنعام: ٣٤] ١/ ٣١٦

﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾[البقرة: ٢٨٢] ٤/ ٣٠٩

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣] ٩/ ١٢٣

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ﴾[المائدة: ٢] ١٥/ ١١١

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم﴾[آل عمران: ١٨٠] ٤/ ٣٤، ٧/ ٩٧

﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣] ٩/ ١٣٨

﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ

﴿ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠] ١٥/ ٤٩٨، ٥/ ٦٥

﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[هود: ١١٨ - ١١٩] ٥/ ٢٦٠ ، ٣/ ١٣١، ١٥/ ٢٢٨، ٥/ ٩٢

﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٨] ١٣/ ١٤٥

﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢] ٩/ ٣٦٧، ٧/ ٤٣٦

﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾[طه: ٦٩] ٤/ ٤٠١، ١٨/ ٨٠

﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [البقرة: ٤٨] ٤/ ٢٤٣، ٤/ ٣٣٥

﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾[النساء: ٤٢] ١٨/ ٩٦

﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾[ص: ٣] ١٥/ ٣٣٨

﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٤] ٧/ ١٢٦

﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠] ٥/ ٢٩٤

﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾[طه: ٧١] ١٥/ ٢٧، ١٢/ ١٣١

﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ﴾ [المائدة: ٨٩] ١٣/ ٢٨

﴿وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ١١٩] ١١/ ١٦٤، ٧/ ١٣٠

﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾[الأعراف: ٢٦] ١٥/ ٢١٦

﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾[الحج: ٢٣] ٤/ ٤٠٧

﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا﴾[الكهف: ٢٥] ٢/ ١٧٢

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾[البقرة: ٩٦] ٥/ ٣٥٨، ٤/ ٣٠٦، ١٧/ ٧٤

﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾[طه: ٣٩] ٧/ ٥١٨، ٢/ ٢٨، ٧/ ٤٥٢

﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾[البقرة: ١٨٥] ٩٨/١٢

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤] ١٨٥/١٣، ١٨٧/١٣، ١٥٥/٧، ٣٤٦/٤، ١٨٢/٨

﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[البقرة: ١٤٣] ٢٨/٩، ١٥٧/١٦

﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾[الأنعام: ٩٢] ٢٢/٩

﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[ق: ٣٥] ٦٠٦/١٤، ٢٢٢/١٥

﴿وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٢] ٣٠٣/١٥

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾[سبأ: ١٢] ٤٤٠/٥

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾[الضحى: ٥] ١٠٢/١٥، ٢٠٨/١٣، ١٩٦/٧، ١٧٩/٩

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾[الحجر: ٨٧] ٣٨٥/٤، ١٤/٩

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾[الأنبياء: ٤٨] ٧٥/٩، ٢٥/٥، ٥٨/١٣

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾[السجدة: ٢٣] ١٦٥/٥

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا﴾[سبأ: ١٠ - ١١] ٣٩٥/٥، ١١٨/١٨

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا﴾ [النمل: ١٥] ٣٩٤/٥

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ﴾ [لقمان: ١٢] ١٤٧/١٣

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[المائدة: ١٢] ٣٣٨/٧

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ﴾[الحديد: ٢٦] ٣٤/١٥

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨] ١٨٢/٤، ٨٨/٩

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ

مُّبِينٍ ﴾ [هود: ٩٦ – ٩٧] ٥/ ٨٥

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ ﴾ [غافر: ٧٨] ١٣/ ١٥، ٥/ ٢٩٧

﴿ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ﴾ [البقرة: ١٣٠] ٢/ ١٤٩، ٥/ ٢٩٤

﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [البقرة: ٩٩] ٩/ ٢٤

﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٥] ٩/ ١٢٢

﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى ﴾ [طه: ٧٧] ٤/ ٢٠٣، ٥/ ١١٩

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦] ١٤/ ٤٧

﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ [غافر: ٣٤] ١٦/ ٣٤

﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ [هود: ٦٩] ٤/ ١٦٨

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [الحجر: ٢] ١٦/ ٤٧، ٤/ ١٨٩

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ﴾ [ق: ١٦] ١٥/ ٤٩٦

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ﴾ [الأعراف: ١١ – ١٢] ١١/ ٢١٢

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ [ق: ٣٨] ٧/ ٥٠٦، ٨/ ١٦٨

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴾ [الأعراف: ١٧٩] ١١/ ١٩٤، ١٤/ ٣١٥

﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴾ [التكوير: ٢٣] ٩/ ١٧٥، ١٣/ ٨٤، ١٦/ ١٠١

﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ [النجم: ١٨] ٩/ ١٥٤

﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ [النجم: ١٣] ٨/ ٢١٤، ١٧/ ٣٢٨، ٩/ ٤٣٠، ٩/ ٩٦، ٩/ ١٥٤، ٩/ ١٥٣، ٩/ ٢٣٤

﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا

رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ﴾ [الملك: ٥] ١٣/ ٤٧، ٥/ ٣١٠

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ [البقرة: ٦٥] ٨/ ١٦٧

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ ﴾ [الحجر: ٢٤] ٤/ ١٠٨

﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾ [البقرة: ١٠٢] ١٥/ ٤١٣، ١٥/ ٢٥٤

﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ [طه: ١١٥] ٥/ ١٢٠، ٥/ ٢٧٨، ٢/ ١٥٤

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾ [ص: ٣٤] ١٧/ ٨٩، ١٧/ ٩٢، ٥/ ١٤٤، ٥/ ٤٢٤، ١٧/ ٨٧، ١٣/ ٥٢

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴾ [الدخان: ١٧] ٩/ ١٨٧

﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [الإسراء: ٥٥] ٢/ ١٥٠، ٢/ ١٧٧، ٥/ ٣٩٤، ١٨/ ٢٨٢

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] ٩/ ١٠٢، ٥/ ١٢٣

﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ﴾ [الأنعام: ٣٤] ٤/ ٥٠٣

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾ [الإسراء: ٧٠] ٤/ ٣٨٨، ٤/ ١٩٣، ٤/ ١٩٢، ١١/ ١٢٣، ٥/ ٢٥٩، ٥/ ١٠٦

﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الحجر: ٨٠] ٤/ ٣٨٥

﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴾ [طه: ٣٧] ١٣/ ٣٧، ٢/ ٨١

﴿ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ [الدخان: ٣٠] ١٣/ ٤٥

﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ ﴾ [آل عمران: ١٢٣] ١٥/ ٢٩، ٩/ ٣٧

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ﴾ [النحل: ١٠٣] ١٣/ ٢٥١، [النحل: ١٠٣] ٩/ ٦٩

﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [يوسف: ٢٤] ١٦/ ٢٠٨

﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [القصص: ٥١] ٧/ ٢٧٩

﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ [النساء: ١٣١] ١٥/ ٢٨٩، ١٥/ ٣٠٩، ١/ ٣٧٢

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر: ١٧] ٤/ ٤٩٩، ٤/ ٢٤٦

﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ﴾ [النساء: ٣٣] ٤/ ٣١٠، ١٧/ ٧٥

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ﴾ [الأحقاف: ١٩] ٢/ ١٣٦

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٦-٣٧] ٩/ ٧٠

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾ [البقرة: ١٨٩] ٧/ ٢٤٧

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ ﴾ [البقرة: ١٠٢] ١٣/ ١٣٩، ٨/ ٢٢٠

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [الأنفال: ١٧] ٩/ ٧٦

﴿ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ٤٦] ١٣/ ٦٧

﴿ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [الضحى: ٤] ٩/ ١٧٨

﴿ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ ﴾ [الأنعام: ٣٢] ١٥/ ٤٢٦

﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٨] ١٣/ ٣٨٦

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٠] ١١/ ٣٨٠، ١٦/ ٤٧٦، ١٦/ ٤٩٨، ١٣/ ٢٨٨، ١٠/ ١٧١

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون: ٨] ١٢/ ١٩٥، ١٧/ ٢٧٤، ٧/ ٣٠٤

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ

وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١١٥] ٨/ ٥١٣

﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [المنافقون: ٧] ١١/ ٣٤٩

﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ [آل عمران: ٩٧] ٤/ ٣٤٥، ١٣/ ٢٧٥، ١٣/ ٣١٥، ١٧/ ٣١٩، ١٧/ ٣٥٦

﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ [طه: ١١٥] ٥/ ٢٨٣

﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [مريم: ٦٢] ٤/ ٢٦٦

﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ٤] ١٥/ ٨٩

﴿ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ ﴾ [العنكبوت: ٣٣] ١٥/ ١١٠

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [البقرة: ١٠١] ٩/ ٣٤

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ [البقرة: ٨٩] ١٤/ ٤٥٣، ٩/ ٣٤

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ [الزخرف: ٥٧] ٨/ ٥٠٤، ٣/ ٢٢٠، ٤١٦، ١٤/ ٤٣، ١٤/ ٤١

﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ ﴾ [يوسف: ٩٤] ١٢/ ١٤٠

﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٢] ١٥/ ١٢٧

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن: ٤٦] ٢/ ١٣٩، ١٦/ ٤٣، ٥/ ٢٥٥، ٧/ ٣٤٧، ١٦/ ٢١٣، ٢/ ٧٤، ٧/ ١٨٦، ١٨/ ٧١، ١٨/ ١٠٦

﴿ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ ﴾ [يوسف: ٧٢] ١٨/ ١١٧

﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الشورى: ٤٣] ١٦/ ٤٧١

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة: ١٢٠]

١٧/ ٥٦٥، ٤/ ١٠٤

﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: ٩٥] ٥/ ٣٥٨، ١٥/ ١١٤

﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾ [العنكبوت: ١٢] ١٥/ ١٤١

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ [السجدة: ٢١] ٤/ ٢٢١

﴿وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ٢١] ٢/ ١٤٩، ١٧٧

﴿وَلَهُ أَخٌ﴾ [النساء: ١٢] ١٥/ ٥٧

﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجاثية: ٣٧] ٤/ ٢٣٧

﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥] ٤/ ٣٣٥

﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٧ - ٥٨] ٤/ ٣١٧

﴿وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ [الحج: ٢١] ٤/ ٤٠٧

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨] ١٣/ ٣٨٦، ١٣/ ٣٨٥

﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: ٧١] ١٥/ ٤٧٩

﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾ [القيامة: ١٥] ٤/ ٢٧٢

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ [المائدة: ٦٥] ٧/ ٣٣٨

﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ﴾ [الأنعام: ١١١] ١٨/ ٢٢

﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ﴾ [طه: ١٣٤] ٤/ ٢٠٢

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ﴾ [النساء: ٦٤] ١٤/ ١٢٦، ١٤/ ٤٧٧، ١٧/ ٣١٩، ٩/ ١٤٩، ١٧/ ٤٨١، ١٤/ ٤٥٨، ١٣/ ١١٢، ١٤/ ٦٢، ١٤/ ٤٥٥، ١٧/ ٤٨٢، ١٧/ ٤٨٣، ١٤/ ٤٥٨

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [التوبة: ٥٩] ٩/ ٤٣

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾ [الأنعام: ٢٧

-٢٨] ٥/ ٣٩

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [سبأ: ٣١ - ٣٣] ١٢/ ٢٧٣

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ [الأنفال: ٥٠] ٣/ ٢٤٥

﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨] ١٦/ ٣٤، ٣/ ٨٤

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١١٢] ٧/ ٣٨١

﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف: ٧٧] ٤/ ٥١٣

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾ [الفرقان: ٥١] ٩/ ١٢٣

﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] ٩/ ١٠٦

﴿وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ﴾ [المائدة: ٨١] ٩/ ٦٥

﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ﴾ [النساء: ٧٨] ١٣/ ١٤٣

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ [محمد: ٣٠] ٤/ ٢٤٠

﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [التوبة: ١٨] ٨/ ٢٦٤

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [النحل: ٦١] ١٧/ ٢٨٠

﴿وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩ - ٣٠] ٥/ ٢٩٣

﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٤] ٢/ ١٤٩، ٢/ ١٧٣

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [النمل: ٥٤] ٥/ ١٣٠

﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ﴾ [الزخرف: ٣٣] ١٦/ ٥٥٤

﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور: ٥٥] ١٣/ ٢٤٠

﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾ [النساء: ٩] ١٦/ ٣٠٤

﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ﴾

[البقرة: ١٨٩] ٥/ ٣٤، ١٣/ ٢٥٤

﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦] ٥/ ١١٣

﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾ [الأحزاب: ٥] ١٠/ ٣٢٢، ٩/ ٣٢

﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ [البقرة: ١٠٢] ٥/ ٤٨٨

﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [النساء: ١٨] ١٧/ ١٦٢، ٣/ ٢١٧، ٥/ ٨٢

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور: ٣٢-٣٣] ١٣/ ٣٠، ١١/ ٨٩، ١١/ ٩٣

﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢] ١٠/ ٤٠، ٣/ ٩٥

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥] ١٤/ ٢٦٩

﴿وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ [الروم: ٥٨] ١٣/ ٢٢٧

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧] ١٤/ ٣٠٠

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة: ٦٥] ٨/ ١١٧

﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ﴾ [الإسراء: ٨٦] ٥/ ١٠٧

﴿وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ﴾ [التوبة: ١٢٢] ١٠/ ٤٠

﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠] ١٧/ ٣٢٦

﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٨] ١٥/ ١٠٢

﴿وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ﴾ [الحج: ٢٩] ١٥/ ١٤١

﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾ [النساء: ١٥٧] ١٥/ ٣٧٢، ٧/ ٥٠٤

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧] ١٧/ ١٢٤، ١٠/ ١٧١، ١٦/ ٥٣، ١٧/ ١٢٣، ١٦/ ١٠٢، ٧/ ٤٧٧، ٩/ ٣٠٣، ٩/ ٣٠٢، ٨/ ٤٨٥، ١٣/ ٧٥، ١٠/ ١٩٥، ١٠/ ٢٢٣، ١٦/ ٥٥،

٧/ ١٣٠، ٣/ ٣٢٥، ١٨/ ٣٩٢، ١٨/ ٢٥٥

﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ ﴾[الروم: ٣٩] ١٣/ ١٤٢

﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ﴾[يوسف: ٥٣] ٤/ ١٣٨، ٧/ ٣٨٣، ٥/ ٧٣

﴿ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٩] ٤/ ٣١٠

﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴾[الانفطار: ١٧] ٤/ ٢٧٥

﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴾ [القارعة: ١٠ - ١١] ١٥/ ٢١٩

﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴾[القدر: ٢] ١٧/ ٦١٢، ١٢/ ٨٩

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴾ [سبأ: ٤٤] ٥/ ١٤٠، ٧/ ٤٨٥، ٧/ ٤٨٧، ٧/ ٤٨٧

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا ﴾ [الأنبياء: ٧] ٣/ ٤٢٤، ٥/ ٢٩٤

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ ﴾[الفرقان: ٢٠] ٤/ ٢١١، ١٨/ ٣٠

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾[إبراهيم: ٤] ٤/ ١٨٢، ٩/ ٣٧٣، ٤/ ١٨٤، ١٨/ ٣١٥

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥] ٤/ ٢٠٤، ١٤/ ٤٧

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ١٣/ ٧٢، ١٧/ ٣١٠، ١/ ٣٧٤، ١٢/ ١٩٣، ١٦/ ٣٧، ٣/ ٣٦١، ١٦/ ٤٩٣، ٩/ ٣٧٢، ١٨/ ١٢٢، ١٨/ ٣١٣

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ ﴾[إبراهيم: ٤] ٢/ ١٠٧

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ [سبأ: ٢٨] ١٥/ ٣٥٠، ٩/ ٣٧٣، ٩/ ٩، ١٣٦/ ٢٢، ٢/ ١٠٧، ١٨/ ٣١٥

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ ﴾ [الحج: ٥٢] ٩/ ١٥٥، ٥/ ٢٩٤

﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا

كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾[الشورى: ٣٠] ١٣/٢٠٨، ٥/٥٦، ١٣/٢٠٨

﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾[يوسف: ١٠٣] ١٣/٢٨٨

﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[آل عمران: ١٠٨] ١٥/٤٧٤، ٥/٦٥

﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴾[غافر: ٣١] ١٣/١٠١، ١٥/٤٧٤

﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾[آل عمران: ١٢٦] ١٢/٢٠٦، ٨/١٠٧

﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ ﴾[القمر: ٥٠] ١٥/٢٣٣

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [البينة: ٥] ١٢/٢٢، ١٧/٢٨١، ١٠/١٠٦

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾[التوبة: ٣١] ١٣/٢٧٥

﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾[هود: ٤٠] ١٣/٩٠

﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ ﴾ [سبأ: ٣٧] ٧/٣٤٣

﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ ﴾ [القصص: ٣٧] ١٤/١٤٤

﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾[فاطر: ٢٢] ١٤/٢٦٤، ١٤/٣١٤

﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ﴾ [النمل: ٨١] ١٥/٢٣٦

﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾[العنكبوت: ٢٢] ٥/١٦٩

﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴾[يس: ٢٨] ٩/٤٠، ٩/٤٠، ٩/٤١

﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ﴾ [الكهف: ٦٣] ١٢/٢٠٦

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ﴾ [سبأ: ٣٩] ٨/٢٢٧، ١٧/٣٣٢، ٧/٤٩، ١٧/١٩٦

﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾[النحل: ٥٣] ١١/٤٣٢، ١١/٤٤٠، ١/٢٩٦، ١٧/٤٢٠، ١٥/١٤٨، ١٣/١٢

﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾ [الشعراء:

٢١٠]٤/ ٢١٣

﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤] ٧/ ٣٦٦

﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]٧/ ٣٨١، ١٢/ ٣٢٠

﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١] ١٤/ ١٨٣

﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ٤] ٤/ ٢٨٤، ٩/ ٨٢

﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٧] ١٥/ ١٤٨، ١٠/ ١٣٣

﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ﴾ [يونس: ٦١] ١٢/ ١١٠، ١٣/ ١٣

﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤] ١١/ ١٨٠، ١١/ ١٨٧

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨] ٨/ ٩٤

﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ [الإسراء: ٦٠] ٩/ ١٠١، ١٢/ ٤١٩

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤] ٩/ ٣٣١، ٩/ ٤٤٦، ٣/ ٢٥٦

﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠] ١٢/ ٣٤٣

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٢٦] ١٤/ ٥٣

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] ١٧/ ٢٨٣، ١٠/ ١٧٦، ٩/ ٤٢٧

﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [إبراهيم: ٢٠] ١٣/ ٢٥٢

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] ٨/ ١٠٧

﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير: ٢٢] ١٣/ ٧٠، ٩/ ١٧٤

﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة: ٥٧] ١٣/ ١٠١

﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ [المائدة: ٤] ٤/ ١٧٠

﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾

[يس: ٦٩] ١٧/ ٥٦٥، ٩/ ١٣٩، ٣/ ٣٣

﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [الكهف: ٨٢] ١٧/ ٢٢٣، ١٣/ ٩٠، ١٦/ ٣٠، ١٧/ ٦٠٢، ٢/ ١٧٤، ١٨/ ٣٣

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧] ٢/ ١٢، ٨/ ١٦٩، ١٨/ ٢٠٥

﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ﴾ [التوبة: ١١٤] ١٥/ ٢٥، ٢/ ١٦٤

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ [الأنفال: ٣٣] ١٥/ ١٢٣، ١٣/ ٧٣، ٤/ ٣٦٣، ٩/ ٧٩، ١٧/ ٣١١، ٩/ ٧٩، ١٨/ ٣٠٩

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩] ١٥/ ٣١

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٠] ١٣/ ١٠١

﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً﴾ [التوبة: ١٢٢] ١٧/ ٦٦٧

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧] ٤/ ٣٧٤

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤] ١١/ ١٩٩، ١٣/ ٢٩، ١٠/ ٢٢٨، ١٠/ ٣٩٧، ١٠/ ٤١٢، ١٧/ ٤٣٥، ١١/ ٩٦، ١٣/ ٢٩

﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ٣٨] ٤/ ١٨٤

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآىِٕ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١] ١٢/ ٣٧٠، ١٢/ ١١٥

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ [الأحزاب: ٣٦] ٩/ ١٣٠، ١١/ ٢١٣، ١١/ ٢١٤، ١١/ ١٨٢، ١٣/ ٦٤، ١٦/ ٤٧٨

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا﴾ [النساء: ٩٢] ٤/ ٣١١

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ﴾ [آل عمران: ١٦١] ٩/ ٤٥، ٥/ ٥٢

﴿وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ [إبراهيم: ٢٢] ٥/ ٢٣

﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ [المؤمنون: ٩١] ٥/ ١٢٨

﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ ﴾[يونس: ٣٧]١٥/ ١٢٣

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥] ٧/ ٤٨٥، ٤/ ١١١، ١٦/ ١٨٨، ١٣/ ١٥٧، ١٣/ ١٥٨، ١٣/ ١٥٨، ١٣/ ٩٦، ١٦/ ١٨٧، ١٦/ ٤٦٨، ٧/ ٤٨٧

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾ [القصص:٤٤] ٩/ ١٢٥

﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ﴾[العنكبوت: ٤٨] ١٢/ ٥٢٧، ٩/ ١٢٦

﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [إبراهيم: ١٢] ٤/ ٤٨١

ومالنا ألا﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [إبراهيم: ١٢] ١٥/ ١١١، ١٧/ ١١٤

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴾[آل عمران: ١٤٤] ٣/ ١٣٢، ٩/ ٦٥، ١٨/ ٢٨٩

﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [المائدة: ٧٣] ١٥/ ٥٠٦

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦] ٤/ ١٣٢، ١٦/ ٣٠٧

﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾[الصافات: ١٦٤] ٣/ ٩٠، ٤/ ٢٢٨

﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ ﴾ [التوبة: ٥٤] ٩/ ٤٣

﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾[مريم: ٦٤] ٤/ ١٩٩، ٩/ ١٠٦

﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ ﴾ [هود: ٥٣] ١٥/ ٢٥

﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴾[الدخان: ٣٤-٣٥] ٣/ ٤٢١

﴿وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [التوبة: ٧٤] ٩/ ٤٣

﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٠٢] ٥/ ٢٩

﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾[الحجر:٤٨] ٥/ ٤٦٧، ١٣/ ١٩، ٥/ ٣٤٣

﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴾ [الحاقة:٤١] ٩/ ١٦٨

﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾[التكوير: ٢٤] ١٥/ ٢٥٦

﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣] ٩/ ١٧٤

﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى: ١٧] ٩/ ١٧٤

﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾[عبس: ٣] ١٧/ ٦١٣

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾[فاطر: ١٢] ١١/ ١٢١

﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ [يونس: ٦١] ١٣/ ٨٠

﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣] ١٥/ ٣٨٣

﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[المدثر: ٣١] ٧/ ٥١٣، ٥/ ٢٥٤

﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾ [الأعراف: ٨٩] ٥/ ١٠٨، ٥/ ٦٥

﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾[مريم: ٩٢] ١٥/ ٥٠٠

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾[النجم: ٣-٤] ٣/ ٣٢٤، ٩/ ١٥١، ١٧/ ٦٨٥، ١٠/ ٣٧، ١٦/ ١٤٣، ١٣/ ٨٦، ١٥/ ٢٦

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[يوسف: ١٠٦] ١٤/ ٢٦٨، ١٤/ ٢٦٨

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣] ٧/ ٨٣

﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٧] ١٥/ ١٦٨

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾[الزمر: ٦٧] ٧/ ٥٠٩

﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ [النجم: ٢٨] ٢/ ١٩

﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦] ٣/ ١٣٢، ٩/ ٢٠٨، ٩/ ٤٤٥

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦] ٤/ ٣٨٢

﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ﴾[التحريم: ١٢] ١٣/ ١٤٧، ٤/ ٢٦٠، ١٣/ ١٦٥،

٥/ ١٧٥، ٥/ ١١٣

﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ [التوبة: ٧٢] ٤/ ١٣٧

﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ [آل عمران: ٥٠] ١٣/ ١٤٤

﴿وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [فاطر: ١٠] ٩/ ١٣٧

﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤] ٣/ ٣١٤، ١٦/ ١٣

﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨] ١٥/ ٢٨٧

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١] ٤/ ٣٦١

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الروم: ٢٥] ٤/ ٢١٨

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا﴾ [الروم: ٢١] ١٣/ ٣٨٣

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [الروم: ٤٦] ٤/ ٢١٨

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ [الروم: ٢٢] ٤/ ٢١٨، ١٧/ ٦٥٥، ٣/ ٣٢

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الروم: ٢٤] ٤/ ٢١٨

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا﴾ [الروم: ٢١] ١٣/ ٣٧٥

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢] ٧/ ٤٠٠

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الأحقاف: ٥ - ٦] ١٤/ ٨٨

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠] ١٥/ ٣٦٥

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأنعام: ٢١] ١٧/ ٣٤١

﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ قُلْ

ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ ﴾[الأنعام: ١٤٤] ١٣/ ١٥١

﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ [الأنبياء: ٨٢] ٥/ ٤٥١

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ ﴾ [لقمان: ٦ - ٧] ٤/ ٢١٩

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ﴾ [الحج: ١١] ٤/ ٤٠٦

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٠٧] ٧/ ٤١٠

﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٩] ٩/ ٣٧٤

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم: ٢١] ١٣/ ٢٣٥

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾[الروم: ٢٠] ٤/ ٢١٨

﴿وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ [الأنعام: ١٩] ٩/ ٦٨

﴿وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ [النساء: ٨٠] ٩/ ٥٥

﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾[النحل: ٦٧] ١١/ ٢١٨

﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ ﴾ [النمل: ٩٠] ١٥/ ١٤٧

﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[العنكبوت: ٦] ٤/ ٢١٦

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ [البقرة: ١٠٥] ٨/ ٥١٣

﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾ [آل عمران: ٩٧] ١٧/ ٣٩٠ـ ٥/ ٧١، ٥/ ٩٨

﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾[الفلق: ٥] ٧/ ٤٥٦

﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ ﴾ [الحج: ٦٠] ١٥/ ١٩٢

﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢] ٧/ ٢٧٣، ١٣/ ٢٨

﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا﴾ [الإسراء: ٣٣] ٢/ ٢١٠

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩] ٤/ ٣٦١، ٥/ ٦٨

﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ [النساء: ٦] ١١/ ٩٠

﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] ١٠/ ٣٩٤

﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ [الرعد: ٣] ١٣/ ٨١

﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩] ١٣/ ٣٧٤

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] ٤/ ٤٩٩، ١٤/ ٥٨٣، ١٤/ ٢٥

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥] ٤/ ٤٩٩، ١٤/ ٢٥

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧] ١٤/ ٢٥، ٤/ ٥٠٠

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨] ١٣/ ١٩

﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾ [طه: ٧٥ - ٧٦] ٧/ ٣٤١

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥] ١٢/ ٣٠٨، ٩/ ٣٠٠، ٩/ ٦٢، ٣/ ١٢٦، ١٦/ ٤٣٠، ١٣/ ١٧، ١٧/ ٢٦٥، ١٢/ ٢٨، ١٧/ ٣٤١، ٢/ ٦٥، ٦٦، ٦٧٠، ٦٨، ٧١، ٧/ ٢٨١، ١٨/ ١٠٥

﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ [الطلاق: ١] ١٣/ ٢٩

﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩] ١١/ ٧٥

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢] ٤/ ٦٢، ١٣/ ٢٣٩، ١٦/ ٣٠٨، ١١/ ٣٤٩، ١١/ ٣٣٠، ١٢/ ٣٨١

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤] ١٣/ ٢٣٩، ٧/ ٣٧٠

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ [الطلاق: ٥] ٧/ ٣٧٠

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣] ١٥/ ٢٢٠، ١٨/ ٩٦

﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء: ١٠٠] ٩/ ٤٢، ١٥/ ١٧٥، ٧/ ٢٣٥، ١٢/ ١٤٠

﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، ٤/ ٤٦٧

﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ﴾ [البقرة: ٢١٧] ١٧/ ٢٦٢

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٠] ١٥/ ٢٥

﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الحج: ٣١] ٤/ ٣٥٩

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [النور: ٥٢] ١٣/ ٢٠٦، ٩/ ٤٤

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ﴾ [النساء: ١٣] ١٣/ ٢٣٨

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ [النساء: ٦٩] ١٢/ ١١١

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا﴾ [الزخرف: ٣٦ - ٣٧] ٩/ ١٥٢

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا﴾ [الأحزاب: ٣٦] ١١/ ١٨٢، ٢/ ١٦٣

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣] ٩/ ٤٤

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَـٰلِدًا فِيهَا﴾ [النساء: ١٤] ١١/ ٢٤٢

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦] ١١/ ٢١٤، ٩/ ١٣١

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣] ١٣/ ٢٦

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ [النساء: ١٢٤] ٧/ ٣٣٧

﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥] ١٤/ ٥٣، ١٥/ ١٥٠

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨] ٤/ ٣٩٧، ١٥/ ٣١٩

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا﴾ [النساء: ٣٠] ١٢/ ٣٠٠

﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾ [الشورى: ٢٣] ١٠/ ١٣٤

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ [النساء: ٩٣] ١٣/ ١٣٠، ١٢/ ٣١٣، ١٣/ ١٢٨، ١٢/ ٣٠، ٢/ ٢٣٠، ٤/ ٣٥٠

﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ﴾ [الأنبياء: ٢٩] ١٤/ ٤٣، ١٦/ ٢٤، ٩/ ٣٧٢، ٢/ ١٠٧، ١٨/ ٢٩٨، ١٨/ ٣١٥

﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ [الأحزاب: ٣١] ٩/ ١٢٩، ٧/ ٢٧٩

﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦] ٢/ ٢٢٩

﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩] ١٦/ ٢١٧، ٨/ ٢٩٧، ٥/ ١٤٩

﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥] ١٣/ ١٨٩

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٥٠] ١٣/ ٣١٥

﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧] ١٥/ ٣٤

﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾ [الحج: ٥] ٣/ ٢٤٥

﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨] ٥/ ٣٤٤

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨] ١٢/ ٥٣١

﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢] ٨/ ٣٢٨

﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ [فاطر: ٣٢] ٨/ ٣٢٨

﴿وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨] ٥/ ١٥٧

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ [يونس: ٤٢ - ٤٣] ١٣/ ٢٤٠

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ [التوبة: ٤٩] ٨/ ١١٨

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ﴾ [هود: ٤٢] ١٣/ ٤٩، ٥/ ٩٢، ١٥/ ٢٩٠

﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحجر: ٥١ - ٥٣] ٤/ ١٨٦

﴿وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾ [الأحقاف: ١٦] ٨/ ١٩٢

﴿وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ﴾ [الشعراء: ١١٨] ٤/ ٢٢

﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١] ٤/ ٤٠٣

﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء: ٩٧] ٤/ ٣٩٠

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقعة: ٨٥] ١٥/ ٤٩٦

﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ [يوسف: ٨] ١٥/ ٢١٤

﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: ٦] ١٣/ ٤٣

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا﴾ [الحجر: ٤٧] ١٥/ ٣٤٩

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩] ١٦/ ١٠٣

﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ﴾ [الأنبياء: ٧٧] ١٥/ ٢٣

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧] ٤/ ٤٠٢، ٤/ ٤٠٣، ١٥/ ٣١، ١٧/ ٥٣٥

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾ [الزمر: ٦٨]

١٢/ ١٢١، ٤/ ٢٣٣، ٩/ ٢٦٩

﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾[الحجر:٢٩] ١٦/ ٩٦

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس: ٧ - ٨] ١٢/ ٣٨١، ١١/ ٣٢١

﴿وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ﴾ [الرعد: ٤] ٢٨٧

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ﴾ [الإسراء: ٨٢] ٤/ ٣٩٠، ٤/ ٤٨٣، ٤/ ٤٨٦، ٤/ ٥٠٥، ١٦/ ٥٦١، ١٧/ ١١٦، ٤/ ٤٧١، ٤/ ٤٧٤، ٤/ ٤٧٩، ٤/ ٤٨٧، ٩/ ٩٧، ١٧/ ١١٠، ١٧/ ١١٢، ١٤/ ٢٧٤، ١٦/ ٥٦١، ١٧/ ١١٣، ١٧/ ١١٧، ١٤/ ٢٧٦، ٤/ ٩٥، ١٧/ ١١٨

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾[الأنبياء: ٧٦ - ٧٧] ٤/ ٢٠٣

﴿وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣] ٤/ ٣٥٩، ٩/ ١١١، ٥/ ١٧٨

﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾ [ص: ٣٥] ٥/ ٤٤٣، ٥/ ١٤٨

﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٧] ١/ ٣٧٤

﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤] ٩/ ٩٦

﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠] ١٧/ ٢٨٠

﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الأنعام: ٩٢] ٩/ ٣٤، ٤/ ٥٠٥، ٤/ ٤٨٧، ١٧/ ١١٨

﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٥] ٤/ ١٧٣، ٤/ ١٧٢

﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ [ص: ٢١] ٤/ ٢٣١، ٥/ ٣٨٨، ١٣/ ٩٤، ٥/ ٣٦٩، ٣٦٦

﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ [يوسف: ٢٤] ١٦/ ٢١٣

﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾[الأنبياء: ١٠٠] ١٤/ ٤٢

﴿وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ [الروم: ٣] ١٥/ ٤٢٢

﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:

١٣٥] ١٣/ ١٣٢

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ [النحل: ١٠ - ١٨] ١١/ ١٢٠

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ ﴾ [الأنعام: ١٦٥] ٥/ ٣١٨

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ [هود: ٧] ٩/ ٢٠٣

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ﴾ [الفرقان: ٥٤] ٨/ ٢٧٠

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤] ١٥/ ٤٦١، ١٧/ ١٧

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ﴾ [الرعد: ٣] ١١/ ١٢٠

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ [الروم: ٢٧] ٤/ ٢١٩

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم ﴾ [الأنعام: ٦٠] ٣/ ٢٤٦، ٤/ ٣٥٥

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [الشورى: ٢٥] ١١/ ١٣٦، ١٥/ ٢٥، ٧/ ١٤٠، ١٧/ ٢٥٣، ٧/ ٤٨، ١٨/ ١٠٠

﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [البروج: ١٤ -١٦] ١٥/ ٢١٨

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ١٨] ١٣/ ٢٤٢، ٤/ ٤٢٠

﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[التوبة: ١٢٩] ٥/ ٤٦

﴿وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾[الزخرف: ١٨] ١٥/ ٣٦٥

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾[الحديد: ٤] ٧/ ٤٠٢، ١٢/ ١١٠، ١٥/ ٢١٠

﴿وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ [الصافات: ١٤٢] ١٣/ ١٠٩

﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم ﴾ [الأنعام: ١٢٧] ١٥/ ٢١٠

﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ﴾ [الأنعام: ٢٦] ١٢/ ٢٢٧

﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً ﴾ [الأعراف:

١٤٢] ١٥/ ٣٥٥

﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ [البلد: ٣] ٩/ ١٧٧

﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ [القصص: ٢٣] ٤/ ١٣١

﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: ٧] ١٣/ ٢٣٣، ٢/ ١٦٣، ٥/ ١٨٩، ٩/ ١٧٩، ٥/ ١٨٩

﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩] ١٣/ ١٠١، ١٣/ ١٨

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [النمل: ١٦] ١٥/ ١٨٦، ١٨/ ١١٨

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ [لقمان: ١٤] ١٧/ ٣٣١

﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ [الشرح: ٢-٣] ٩/ ١٨٠

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ [ص: ٣٠] ٨/ ٨٥، ٥/ ٤١٦، ٥/ ٤٤٤، ٥/ ١٤٩، ٤/ ٣١٥، ٥/ ٤١٨، ١٨/ ٥٨

﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤] ١٥/ ٢٩٧

﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾ [غافر: ٣٢] ١٣/ ١١٠

﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ [هود: ٢٩] ١٤/ ١٦١

﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل: ٦٢] ٥/ ٣١٨

﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧] ٨/ ١٥٨

﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [المجادلة: ١٤] ٥/ ٦٠

﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧] ١/ ١٠٦، ١٦/ ٢٣٩، ١٦/ ١٧٣

﴿وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ [الروم: ١٩] ١٣/ ١٩٥

﴿وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد: ٦] ١٣/ ١٢٦

﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الرعد: ١٣] ٤/ ٣٧٩، ٥/ ٩٨

﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾[التوبة: ٣٩] ١٥/ ٣٦٥

﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾[غافر: ٧] ١٤/ ٣٥٨

﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ﴾[إبراهيم: ١٦ - ١٧] ٤/ ٣٨١

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾[الإسراء: ٨٥] ٥/ ١٠٧

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾[الكهف: ٨٣] ١٣/ ٩٤، ١٣/ ١٤٧، ١٣/ ٤٠٦، ١٣/ ٤٠٥

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾[البقرة: ٢٢٢] ٧/ ١٢٧

﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾[التوبة: ١٤] ١٦/ ٥٦١، ١٧/ ١١٧، ١٤/ ٢٧٦

﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[الأعراف: ١٥٧] ٨/ ٩٤، ٩/ ٢١٢، ٩/ ٣١

﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾[الإنسان: ٨] ٨/ ٣٨٠

﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[الأحزاب: ٣٣] ٧/ ٤٥٨

﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ﴾[الأحزاب: ٢٤] ١٢/ ٤٢٣

﴿وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾[المائدة: ١٥] ٩/ ٦٢

﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾[آل عمران: ٤٨] ٩/ ٦٠

﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾[النور: ٢٥] ٩/ ٨٧

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[الحديد: ٢٨] ٤/ ٢٥٢

﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[النساء: ٤٨] ٢٧/ ٣٩٢

﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[النساء: ١١٦] ١٦/ ١٦

﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾[التوبة: ٦٧] ١٠/ ٢٩٢

﴿وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾[الصافات: ٨ - ٩] ٤/ ٣١٨

﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥] ١٤/ ٥٨٥

﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [هود: ١٨] ١٢/ ٣٩١

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ [محمد: ٢٠] ٤/ ٢٤٠

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ [الرعد: ٤٣] ٩/ ٩٠

﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات: ٣٦] ٩/ ١٤٠

﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] ١٤/ ١٤٢

﴿وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [القصص: ٧٩-٨٢] ١٨/ ٩٢

﴿وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [القصص: ٨٢] ١٥/ ٣٠، ١٨/ ٩٢

﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ [آل عمران: ٤٦] ٢/ ٢٨٩، ٣/ ٢٠١، ٢٠٩، ٢١١، ٢١٨، ٢٨٢، ٢٩٤، ٣٩٨

﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣] ٤/ ٢٤٦

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١] ٢/ ٢٣٦

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١ - ٦] ٢/ ٧٤، ٢٤٢

﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠] ٩/ ١٣٧

﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾ [النور: ٤٣] ٥/ ١٢٧

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩] ١١/ ٣٤١، ١١/ ٣٤٢، ٨/ ٢٢٤، ٨/ ٢٩٣، ٨/ ٢٩٢

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [النحل: ٨٩] ١٦/ ١٥٧

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام: ٢٢ - ٢٤] ٥/ ٥٩

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾

[سبأ: ٤٠] ١٤/ ٣٨، ١٤/ ٤٠

﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ ﴾ [الفرقان: ٢٧] ١٦/ ٧٤، ١٦/ ٨١، ١٦/ ٨٠، ١٢/ ٢٧٢، ١٢/ ١٩٨، ٥/ ٣٦٣

(ي)

﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ﴾ [يوسف: ١٠٠] ٤/ ٥٠٣، ٤/ ١٧٩

﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الصافات: ١٠٢] ٨/ ٦٨

﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴾ [يوسف: ٤] ١٢/ ٤٠٠

﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ ﴾ [مريم: ٤٤] ٩/ ٤٤٢

﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴾ [مريم: ٤٢] ١٤/ ١٤٠

﴿ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ﴾ [هود: ٧٦] ١٣/ ٦٥، ٩/ ٦٤

﴿يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾ [ص: ٧٥] ٢/ ٢٩

﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ ﴾ [مريم: ٢٨] ١٣/ ١٤٧

﴿يَٰٓءَادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [البقرة: ٣٥] ١٣/ ٦٥، ٩/ ٦٤

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٦٤] ١١/ ٤٦

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ [النساء: ١] ١٣/ ٣٧٤

﴿يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ﴾ [الزخرف: ٤٩] ١٣/ ١٦٧

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ﴾ [الانفطار: ٦] ٢/ ٢٧، ٤/ ١٩٣

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ ﴾ [الحجر: ٦] ٩/ ٩١

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ [التوبة: ١١٩] ٣/ ١١

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠] ٤/ ٢٢٢

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ ﴾[البقرة:٢٧٨] ٢/ ٢١٦، ٧/ ١٠٩، ١٣/ ١٣١، ١٣/ ٣١، ٨/ ٢٢٠، ٩/ ٣٠

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٧] ٨/ ١١٤

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ [آل عمران: ١٠٢] ٤/ ٣٤٥

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾[المائدة: ٣٥] ١٤/ ٢٦٦، ١٤/ ٣٥، ١٧/ ٥٠٣

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ ﴾ [الحجرات: ١٢] ١٨/ ٣٥٣

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ ﴾ [البقرة: ٢٠٨] ٣/ ٣٦١، ١٣/ ١٨٨

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ﴾[المجادلة: ١٢] ١١/ ٣٤٣، ٨/ ٥٠٧، ٨/ ٥٠٨

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الجمعة: ٩] ١٣/ ٢٧٥، ١٦/ ٣٤٧، ٨/ ٢٥٤، ٢/ ٣٨٤، ١٦/ ٣٠٠

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً ﴾ [الأنفال: ٤٥] ٧/ ٢٤٧

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤١] ١١/ ٤٢٥، ١٠/ ١٦٩، ١١/ ٤٥٥، ١٧/ ٤١٩، ١١/ ٤٠٦، ١/ ٢٩٥

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾[الأحزاب: ٩] ٤/ ٢٢١

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ ﴾[الحج: ٧٧] ١٣/ ١٦٣، ١٣/ ١١٦، ٤/ ٢٠٦

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ﴾ [المائدة: ١] ٤/ ١٧٠

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ ﴾[الأنفال: ٢٤] ٨/ ٣٣٢، ٩/ ٧٧، ٨/ ٤٦٣، ٤/ ٣٦٣

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾[البقرة: ١٥٣] ٤/ ٣٣٩

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]
٨/ ٢٦٥، ٤/ ٢٩٦، ٤/ ١٦٩

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾ [النساء: ٥٩]
١٤/ ٨٢، ٢/ ٧٤، ٩/ ٤٢، ١٣/ ٧٥

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٠] ٩/ ٧٧

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴾ [محمد: ٣٣]
١٣/ ١٢٥

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [النساء: ١٣٦] ١٦/ ٨٧

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانًا ﴾ [الأنفال: ٢٩]
١٣/ ٣٦٨، ١١/ ٣٣٠، ١٢/ ٣٨١

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ [الحجرات: ٦] ٩/ ١٥٢، ١٠/ ٤١

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ ﴾ [التغابن: ١٤] ٤/ ٢٥٨، ١٢/ ٢٦٦

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [البقرة: ٢٦٧] ١١/ ١٠

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ ﴾ [المائدة: ٩٠] ٤/ ٣٥٣، ١١/ ٢٠٩، ١٣/ ١٣٢، ٢/ ٢١٥

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ ﴾ [التحريم: ٨]
٧/ ٣٤٨، ١٢/ ٣٩

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦] ١/ ٢٩٧، ١٧/ ٤٢٠، ١٤/ ٢١٢

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡ ﴾ [المائدة: ١٠٥] ٤/ ٣٥٤

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾ [التحريم: ٦] ١٦/ ١٤٨

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ [البقرة: ١٨٣] ١٣/ ٣١٥

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ

﴿ فِي ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ ﴾ [البقرة: ١٧٨] ١٣/ ١٣٤، ٢/ ٢١٠، ١٣/ ١٣١

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ [البقرة: ١٧٢] ٤/ ٥١٠

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ [الممتحنة: ١] ١٢/ ١٩٧، ٤/ ٢٥٥

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ [المائدة: ٥١] ١٢/ ٢٧٠

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ [الممتحنة: ١٣] ٤/ ٢٥٥

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾ [الأنفال: ٢٧] ٩/ ٤٢

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾ [الأحزاب: ٥٣] ٩/ ١٣٢

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ ﴾ [الحجرات: ٢] ٢/ ٢٣٧، ٣٤٨، ٩/ ١٤٨، ١٣/ ٢٥٨، ٩/ ١٤٧، ١٨/ ٢٩١

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ ﴾ [الأحزاب: ٦٩] ١٤/ ٣٩٥، ٧/ ٤٩٦

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ ﴾ [النساء: ٤٣] ٨/ ٤٧

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ﴾ [آل عمران: ١٣٠ - ١٣١] ١٣/ ٢٤٧

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا ﴾ [البقرة: ١٠٤] ١١/ ٥٢، ٩/ ٢٦

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ ﴾ [الأحزاب: ٦٩] ١٨/ ٥٦

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ [المائدة: ١٠١] ١٣/ ٣٠، ١٢/ ٥٤، ١٤/ ٤٢٨، ٥/ ٢٨٢

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [الحجرات: ١] ١٧/ ٥٧٢، ٩/ ١٤٦، ٤/ ٢٤٢

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ

رَٰعِنَا ﴾ [البقرة:١٠٤] ٩/ ٣٦٦، ١٨/ ٢٩١

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ [الممتحنة: ١] ١٢/ ٢٧٠

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ [الممتحنة: ١] ١٢/ ٢٧١

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ ﴾ [التوبة: ٢٣] ٢/ ١٦٦

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢] ٤/ ٢٥٥

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ ﴾ [التحريم: ١] ٥/ ١٧٠

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ ﴾ [المائدة: ٥٤] ٥/ ١٣٨

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الصف: ١٠] ٤/ ٢٥٥، ٧/ ٢٣٠، ٧/ ٣٤٧

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ﴾ [الجمعة: ٩] ١٠/ ١٥٩، ١٤/ ٥٢٣، ١٤/ ٦٨

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [البقرة: ١٨٣ - ١٨٤] ١٢/ ٥٢

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦] ٨/ ١٩٥، ١٠/ ١٧٠

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩] ٨/ ١٣١

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ ﴾ [الصف: ١٤] ٤/ ٢٥٦

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ ﴾ [المائدة: ٤١] ١٣/ ٦٥

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ۖ ﴾ [المؤمنون: ٥١] ٤/ ٥١٠، ١٦/ ٢٥

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ ﴾ [المائدة: ٦٧] ١١/ ٢١٤، ١٠/ ٤٣، ٩/ ٦٥، ٩/ ٦٥

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾ [المائدة: ٤١] ٩/ ٦٤، ٩/ ٦٤

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر: ١] ٤/ ٢٦٩، ٤/ ٢٦٩، ٩/ ١٣، ١٧١/ ٦٥، ٩/ ٦٤

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾ [المزمل: ١] ٩/ ١٧٢، ٩/ ٦٤، ٤/ ٢٦٨، ٤/ ٢٦٩، ١٣/ ٦٥، ٥/ ١٨٠، ٤/ ٢٦٩

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ﴾ [النمل: ١٨] ١٥/ ٣٥

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ [النساء: ١] ١٣/ ٣١٤، ٥/ ٢٦٨، ٤/ ١٦٩، ٤/ ٢٠٥

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ﴾ [الحج: ١] ٤/ ٢٠٦

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ﴾ [الحج: ١] ٤/ ٢٠٤، ٤/ ٤٠٤

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾ [لقمان: ٣٣] ١٧/ ٥٣١

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣] ١٤/ ٥٣

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ﴾ [الحج: ٥] ٤/ ٤٠٥

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحجرات: ١٣] ١٣/ ١٨٩، ١٧/ ٦٥٥، ١٣/ ٣٧٤، ٧/ ٢٥١، ٤/ ٢٤٢

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥] ١٧/ ٣٣٠

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ [يونس: ٢٣] ٤/ ٣٦٩، ٤/ ٣٦٩

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [يونس: ٥٧] ٤/ ٤٨٣، ٤/ ٤٧٩

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الطلاق: ١] ٥/ ٨٧

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ١] ٩/ ٦٥، ٩/ ١٢٦، ٤/ ٢٢١

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١] ٤/ ٢٥٩

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٠] ٩/ ١٣٢

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥] ٩/ ١٣٢، ٤/ ٢١، ٨/ ١٨، ٨/ ١٨، ١٧/ ٢٣٣، ١٤/ ٢٤٥

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣] ١٣/ ٦٢، ٥/ ٧٧

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤] ٨/ ٥١٨، ١٧/ ١٢٨

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [الممتحنة: ١٢] ١٧/ ٥٤٨

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٢٨] ٩/ ١٢٩، ٧/ ٤٢٤

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ [التحريم: ١] ٩/ ٦٥، ٤/ ٢٥٩، ٩/ ١٦٥، ٩٩٩٩/ ٣٠٧

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [الطلاق: ١] ٩/ ١٦٤

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧] ١٧/ ١١٣

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الفجر: ٢٧] ٧/ ٣٤٩

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦] ١٣/ ٢٦٦

﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١] ٤/ ٣٥٧، ١٠/ ٤٠٨، ١٠/ ٤٠٨، ١٠/ ٤١٥، ١٣/ ٣١٤، ١٠/ ٤٠٧

﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٧] ٥/ ٢٩٩

﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الأعراف: ٢٧] ٥/ ٢٧٤

﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة:

٤٠] ٥/ ٣٥٩

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[البقرة: ٤٧] ٤/ ٤٢٥

﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ﴾ [لقمان: ١٦] ٥/ ١٣٣

﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ﴾ [الصافات: ١٠٢] ٨/ ٦٧، ٥/ ١٦٢

﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾[لقمان: ١٣] ١٣/ ٩٩

﴿يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ﴾ [يوسف: ٥] ١٢/ ٤٠٠

﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [ص: ٢٦] ٥/ ٣٧٩، ٩/ ٦٤، ١٣/ ٧٧، ١٧/ ٨٣، ١٣/ ٥، ٦٥/ ١٤٤

﴿يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الزخرف: ٨٨] ٩/ ١٤٢

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ﴾ [يوسف: ٣٩] ١٥/ ٤٢٣، ١٢/ ٤١٦

﴿يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا﴾ [الأعراف: ٧٧] ١٨/ ٢٩٠

﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِ﴾[الزمر: ٥٣] ١٥/ ٤٣٨

﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾ [الزخرف: ٦٧] ٥/ ٣٦٤، ١٢/ ٢٧٤

﴿يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ﴾[المائدة: ١١٢] ١٨/ ٢٩٠

﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ﴾ [آل عمران: ٥٥] ١٣/ ٦٥، ٩/ ٦٤

﴿يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ﴾[هود: ٥١] ١٤/ ١٦١

﴿يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[الأعراف: ٦٧] ١٣/ ٧٠

﴿يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ﴾[الأنعام: ٢٧] ٣/ ٨٤، ١٥/ ١٢٨

﴿يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا﴾ [الفرقان: ٢٧] ١٦/ ٨٣، ١٢/ ١٩٨

﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ﴾[النساء: ٧٣] ١٥/ ١٢٨

﴿يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ﴾[الحاقة: ٢٥] ١٢/ ١١٣

﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا﴾ [مريم: ٢٣] ٥/ ٤٢٩، ١٢/ ٣٢٩

﴿يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٣] ١٣/ ١٦٥، ١٣/ ١٦٢

﴿يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[آل عمران: ٤٢] ٥/ ١١٣

﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ﴾ [الرحمن: ٣٣] ١٣/ ٣١٧، ١٧/ ٥٨٧، ٢/ ٩١، ٧/ ٦٣، ٥/ ١٦٩، ١٣/ ٤٥٥، ٥/ ٤٥١، ١٣/ ٢٠٢، ١٣/ ٤٥٥

﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ وَلَا تَخَفۡ﴾[القصص: ٣١] ٩/ ٦٤، ١٣/ ٦٥

﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا﴾[المائدة: ٢٤] ٨/ ١٦٦

﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾[الأعراف: ١٤٤] ١٧/ ٦٠٢

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِ﴾ [الأحزاب: ٣٠] ٨/ ١٢٩

﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَ﴾[هود: ٤٦] ٩/ ٦٤، ١٣/ ٦٥

﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا﴾[غافر: ٣٦] ١٤/ ١٤٣، ١٣/ ١٤٨، ١٣/ ١٤٨

﴿يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ﴾ [هود: ٥٣] ١٨/ ٢٩٠

﴿يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا﴾ [الفرقان: ٢٨] ١٢/ ١٩٨

﴿يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا﴾ [الأنبياء: ٩٧] ١٥/ ٢٢

﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖ﴾[مريم: ١٢] ٩/ ٦٤

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ [المائدة: ١] ٨/ ١٣٢

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [الأنفال: ٦٥] ١٣/ ٦٥

﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾[طه:٣٩] ١٣/ ٤١، ٢/ ٨٢

﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾[طه:٣٩] ٤/ ٢٠١

﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾[الزمر:٥٣] ٨/ ٣٦٦

﴿يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾[المؤمنون: ٣٣] ٥/ ١٣٢

﴿يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[النساء: ١٠] ٨/ ٢٢٠

﴿يُبْعَثُونَ﴾ [النحل: ٢٠-٢١] ١٤/ ١٣٥

﴿يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ﴾[طه: ٩٤] ١٥/ ٤٣٩

﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟﴾ [النساء: ١٧٦] ١٥/ ١١٢

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] ٤/ ٣٨٢، ٣/ ١٠٩، ٢/ ٣٧٦

﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ﴾ [البقرة: ١٩] ١٥/ ٤٣٢

﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة: ٤١] ٨/ ٦٩، ١١/ ٦٥، ١٥/ ٢٥

﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦] ١٤/ ٤٤

﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾[الأعراف: ١٥٧] ١٣/ ١٧٢، ١١/ ٢٧٩

﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾[الرعد: ١١] ٩/ ١٣٥

﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾[التوبة: ٦٢] ٩/ ٤٣

﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾[النساء: ١٤٢] ٥/ ٣٧٣

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[النحل: ٥٠] ١٣/ ٢٤٢

﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾[الأنعام:٩٥] ١٦/ ٥١٦

﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ،

فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ [النحل: ٦٩] ١٣/ ٨٢، ١٣/ ٣١٢، ١٦/ ٥٦١، ١٧/ ١١٧، ١٤/ ٢٧٦، ٤/ ٣٨٦، ٤/ ٤٨٦

﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ [الرحمن: ٢٢] ١٣/ ١٨٩

﴿ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا ﴾ [الممتحنة: ١] ١٥/ ١١٢

﴿ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ ﴾ [الإسراء: ١٠٧] ١٥/ ٣١

﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح: ١٠] ١٣/ ٢٧٨، ٢/ ٣٠، ٧/ ٤٥٢، ١٥/ ٤٨٢، ٢/ ٥٨

﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ﴾ [السجدة: ٥] ٧/ ٥٠٠، ٤/ ٢٦٦

﴿ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ ﴾ [الرعد: ٢٣] ١٥/ ٣٠٩

﴿ يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ ﴾ [الروم: ٤٦] ١٧/ ١٨٢

﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الرحمن: ٣٥ – ٤٤] ١٣/ ٣١٧

﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ [المجادلة: ١١] ١٧/ ٦٦٥، ٣/ ٢٥٨، ٣٠٠

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥] ١٦/ ٣٧٨، ١٤/ ٤١٥، ٨/ ٩٤، ١١/ ٣٠، ١٨/ ٢٣٤

﴿ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [الرعد: ١٢] ١٥/ ٣٩٦

﴿ يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [يس: ١ – ٩] ٤/ ٢٢٥، ١٧/ ١٩٢، ٤/ ٥٤، ٩/ ١٣٩

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ ﴾ [التغابن: ١] ٤/ ٢٥٩

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [الجمعة: ١] ١٦/ ٩١

﴿ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الحشر: ٢٤] ٤/ ٢٥٤

﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٠] ١٣/ ١٤، ١٨/ ٣١٦

﴿يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ٨٩] ١٤/ ٤٥٤

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ [النساء: ١٧٦] ٤/ ٣٥٢

﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ [الحديد: ١٢] ١٥/ ٣٠

﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ [الأحزاب: ٦٣] ٤/ ٢٢٢، ٧/ ٣٦٨

﴿يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٢٠] ١٥/ ٣٠

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ [البقرة: ٢١٩] ١١/ ٢١٥، ٤/ ٣٥٤

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٢ - ٤٦] ٤/ ٢٧٤

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٧] ٥/ ٣٧، ١٥/ ٣١٨

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٨٩] ١٣/ ٢٧٩، ١٣/ ٣١٤

﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٦ - ٧] ٨/ ١٣٢

﴿يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥] ٥/ ٢٩٤

﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ﴾ [الحج: ٢٠] ٤/ ٤٠٦

﴿يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ﴾ [آل عمران: ٦] ١٥/ ١٦٠

﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِۦ كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦] ٥/ ٢٣

﴿يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٤] ٩/ ٧٩

﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩] ١٣/ ١٣

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الحديد: ٤] ١٥/ ٤٩٦

﴿يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧] ١٣/ ١٤٣

﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾ [سبأ: ١٣] ٥/ ٤٥٠، ١٠/ ٢٠٨، ١٤/ ٤١٠

﴿يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ﴾ [النور: ٤٠] ١٥/ ٤٣٢

﴿يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾

[الأعراف: ٥٤] ١٣/ ٢٩٢

﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [الأعراف: ٥٤] ١٣/ ٣١٤

﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ١٢٩] ١٢/ ٤٢٢

﴿يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ [عبس: ٣٤] ١٣/ ١٨

﴿يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٦٠] ١/ ١١٠

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [هود: ٩٨] ١٥/ ٤٧، ١٥/ ٣١٠

﴿يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾ [يوسف: ١٠] ١٥/ ٤٢٩

﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩] ٤/ ٣٨٠، ٤/ ١٣٨، ١٧/ ٢٤٩، ١٢/ ٢٢، ١٧/ ٦٤٢

﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٥] ٤/ ٣٤٨

﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحديد: ١٤] ٤/ ٢٥١

﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ﴾ [الأعراف: ٢٧] ٥/ ٢٨٧

﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ﴾ [الشورى: ٤٥] ١٥/ ٢٢

﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٦٤] ١٥/ ١٦٠

﴿يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٦٥] ١٥/ ٣٩٨

﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ [الشورى: ٤٩] ١٦/ ٣٩٧

﴿يُهْلَكَ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام: ٤٧] ١٥/ ٣٧٢

﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦٩] ٤/ ٣٤٣، ١٣/ ٤٣١

﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [البقرة: ٩٦] ٤/ ٣٠٦

﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾ [النساء: ١١] ٨/ ٤٠، ٨/ ٤٦٦، ١٢/ ٢١١

﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ [الإنسان: ٧] ٣/ ٧٦

﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾

[البقرة ١٤٣] ٩/ ٢٨

﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ ﴾ [المائدة: ٥] ١١/ ٤٢، ١١/ ٤٢، ١٦/ ٤٣٣، ١٢/ ٢٦٢

﴿ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾ [النور: ٦١] ١٦/ ٤٣٧

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣] ١٣/ ١٨٠، ٩/ ٦١، ٩/ ٦٢، ٧/ ٢١٢، ١٥/ ١٩، ٨/ ٥٥٢، ١٠/ ١١، ١٣/ ٢٨٥، ١٣/ ٣٠٤، ١٢/ ١٩٥، ١٣/ ١٧، ١٢/ ٣٧٦، ٣/ ١٢٦، ٢/ ٧٢

﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ ﴾ [إبراهيم: ٤٨] ٤/ ٣٨٢، ٤/ ١٨٥

﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٦] ٤/ ٣٤٦

﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا ﴾ [آل عمران: ٣٠] ١١/ ١٤١

﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴾ [النازعات: ٦ - ٧] ٤/ ٢٧٤

﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ ﴾ [الحج: ٢] ١٧/ ٢٣٧، ١٤/ ٢٥٢

﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الحديد: ١٢ - ١٥] ٤/ ٢٥٠

﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الحديد: ١٢] ٧/ ٣٤٧

﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ ﴾ [الأحزاب: ٦٦] ١٦/ ٨٣

﴿ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴾ [المعارج: ٨] ١٧/ ٥٣١

﴿ يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [المعارج: ٤] ١٦/ ٧٧

﴿ يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [السجدة: ٥] ١٦/ ٧٧

﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾ [الشعراء: ٨٨ - ٨٩] ٥/ ١٢٩، ١٧/ ٢٧٠

﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴾ [مريم: ٨٥] ٤/ ٣٩٩

﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم ﴾ [يس: ٦٥]

٥/ ١٥٩، ٥/ ٦١

﴿ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾ [الإسراء: ٧١] ٤/ ٣٨٨، ٥/ ١٠٤، ٩/ ٤٠٦

﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] ٥/ ١٢٣، ٥/ ١٥٦

﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ [ق: ٣٠] ٧/ ٥٠٢، ٤/ ٢٤٣/ ٢/ ٣٧

﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ ﴾ [الأنعام: ١٥٨] ٤/ ٣٥٧، ١٣/ ١٦٩

﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ﴾؟ [المجادلة: ١٨] ٥/ ٦٠

﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ ﴾ [المائدة: ١٠٩] ١٤/ ٢٥٢، ٩/ ٢٦٠، ١٧/ ٢٣٧

﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ﴾ [التغابن: ٩] ٧/ ٣٤٧، ٧/ ٣٤٨

﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ ﴾ [التوبة: ٣٥] ١٧/ ٣٠٥، ١٨/ ٨٥

﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا ﴾ [النبأ: ٣٨] ٥/ ١٨٤، ٩/ ٢٧٠

﴿ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ ﴾ [المائدة: ٣] ١٢/ ١٩٤

﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ [الحاقة: ١٨] ١٣/ ١١١، ١٣/ ٢٩١

٢ - فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأحاديث النبوية

(أ)

أَأْمُرُهُمْ بالمَعْرُوفِ وأَنْهاهُمْ عن المُنكَرِ ٤/ ٣٤٧

أُبايعُكُمْ على أن لا تُشْرِكُوا ١٧/ ٤٢٧

ابتلاه الله بالطهارة، خمسٌ في الرأس وخمسٌ في الجسد ٨/ ٧٨

ابدأْ بنفسِكَ فتصدَّقْ عليهَا ٨/ ١٨٦

الأبدال بالشام ١١/ ٣٥٧، ٣٦١، ١٤/ ٤٦٨

الأبدال في هذه الأمة ثلاثون ١١/ ٣٥٨

أبرِدُوا بالظُّهرِ فإنَّ شدَّةَ الحرِّ ٨/ ١٨٦

ابْسُطْ يدك أبايعك ١٢/ ٢٦٦

أبشر بخير يومٍ مَرَّ عليكَ منذ ولدتك أمُّك ٨/ ١٣١

أُبشِّركم بالمهديِّ ٣/ ٤٤٩

أبشِرُوا وأمِّلُوا ما يسرُّكم ٨/ ١٨٧

أبشِرُوا وبشِّرُوا منْ وراءَكم ٨/ ١٨٨

أبشِري يا أمَّ العلاءِ ٨/ ١٨٨

أَبشِري يا عائشةُ ١٤/ ٤٣٤

أبغضُ الرِّجالِ إلى الله الألدُّ الخصِمُ ٨/ ١٨٨

أبغضُ الناسِ إلى الله ثلاثةٌ ٨/ ١٨٩

أبغض إليَّ من رسول الله قتل أبي وزوجي ١٢/ ٤٩٤

أبغِني أحجارًا ٢/ ٩٥، ١٣٧

ابغُوني في الضُّعفاءِ ٨/ ١٨٩

ابغُوني في ضعفائِكم ٨/ ١٩٠

أبمحمَّدٍ تفعل هذا؟ ٩/ ٢٣

ابنُ أختِ القومِ منهم ٨/ ١٩٠

ابن آدم، لو لَقِيتَني بقُرابِ الأرضِ خَطَايا ٥/ ٣٢٣

أبو بكر في الجنَّة ٨/ ١٩٠، ١٣/ ٢٥٧

أبو بكرٍ وعمر منِّي ٧/ ٣٦٠

أبو سفيان بن الحارث ١٣/ ٢٥٩

أَبَى الله أنْ يجْعلَ لقاتِلٍ ٨/ ١٨٥

أبى الله أنْ يقبلَ عملَ صاحبِ بِدعةٍ ٨/ ١٨٥

أتاكمْ أهلُ اليمنِ هم أضعفُ قلوبًا ٨/ ١٩٠

أتاكم رمضانُ ١٢/ ٦٧، ١٧/ ٢١٤، ٢٩٠

أتاني آتٍ منْ عند ربِّي عزَّ وجلَّ ٨/ ١٩٢، ١٨/ ٢٥٨

أتاني آتٍ من عندِ ربِّي فخيَّرني ٨/ ١٩٢
أتاني آت وأنا بالعقيق فقال ٨/ ١٩١
أتاني الليلةَ آتٍ منْ ربِّي وأنا بالعقيقِ ٨/ ١٩١
أتاني الليلة ربِّي ١٧/ ٢٥
أتاني جبريل ٧/ ٣٦٩، ٥٣٤، ١١/ ٢٣٧، ١٣/ ٢٦٢، ١٤/ ١٨٨
أَتانِي جِبْرِيلُ -عليه السَّلام- بالحُمَّى والطَّاعونِ ١٢/ ١٤٤
أتاني جبريلُ عليهِ السَّلامُ فقال: يا محمَّدُ من أدرك رمضان ٨/ ١٩٥
أتاني جبريلُ فأمرني أنْ آمرَ أصْحابي ٨/ ١٩٦
أتاني جبريلُ فبشَّرني أنه من ماتَ ٨/ ١٩٣
أتاني جبريل فقال ١٢/ ٢٤٠
أتاني جبريلُ فقال لي: إنَّ الله يأمرُكَ ٨/ ١٩٦
أتاني جبريلُ فقال: إنَّ ربِّي ٨/ ١٩٤
أتاني جبريلُ فقال: إنِّي كنتُ أتيتُكَ ٨/ ١٩٦
أتاني جبريل فقال: بشِّرْ أمَّتَكَ ٨/ ١٩٣
أتاني جبريلُ فقال: يا محمَّدُ ٨/ ١٩٤
أتاني داعي الجنِّ، فذهبتُ معه ٢/ ٩٧
أتاني ناسٌ من بني عبدالقيس ٨/ ٤١٠
أتاه فيما يرىٰ النائم مَلَكان ١٢/ ٤٥٣
اتَّخِذ سَيفًا مِن خَشَبٍ ٢/ ٣٢٧
أتدرون ما الغِيبة؟ ١٣/ ٢٥٣
أتدرون ما هذان الكتابان؟ ١٥/ ٤٨٢
أتدرون ما هي؟ ٤/ ٣٨٢
أتدرُونَ من السَّابقُ إلىٰ ظلِّ الله يومَ القيامةِ؟ ٨/ ٢٦٣
أتدرُونَ منِ المفلِسُ؟ ٧/ ١٣٥، ٨/ ١٩٩
أتراني أذهب بصحيفة المتلمس؟ ١٢/ ٥٢٧
أتردين عليه حديقته؟ ١٣/ ٢٣٤
أتشْفَعُ في حدٍّ؟! ٧/ ٥٢٦، ١٤/ ٥٣٧، ١٧/ ٤٤٨
أتعجبون أن تكون الخُلَّة ١٧/ ١٩
أتعجبون من غيرة سعدٍ؟ ٥/ ١٧٤
أتعلمُونَ مَن الشَّهيدُ مِنْ أُمتي؟ ١٢/ ١٤٣
اتقِ الله حيثما كنت ٢/ ٢٤٥، ٨/ ٢٠٠

اتقِ الله فإنه زوجك ١٣/ ٢٣٤
اتقِ الله في عُسْرِكَ ٧/ ٣٦٩
اتــقِ اللهَ وأَمْسِــك عليــك زَوْجَــك ١١/ ١٨٥
اتَّقِ الله ولا تحقِرَنَّ منَ المعروفِ شيئًا ٨/ ٢٠١
اتَّقِ دعوةَ المظلومِ فإنَّه ليسَ بينَها ٨/ ٢٠١
أتقرأون في صلاتكم ٨/ ٤٩٩، ١٠/ ٢٤٢، ٢٥١، ١٤/ ٦٢٠
اتقوا البرد ١٧/ ١٩٦
اتَّقُوا البَولَ فإنَّه أولُ ٨/ ٢٠٣
اتقوا التفسير ١٦/ ٧٨
اتقوا الحديثَ عَنِّي ١٦/ ٧٥
اتَّقُوا الظُّلمَ فإنَّ الظُّلمَ ظلماتٌ ٨/ ٢٠٣
اتقوا اللَّاعِنَينِ ٢/ ٢٢١، ٨/ ٢٠٤
اتَّقُوا الله في البهائِمِ المعجمةِ ٨/ ٢٠١
اتَّقُوا اللهَ واعدِلُوا في أولادِكُم ٨/ ٢٠٢
اتَّقُوا الله وصَلُّوا خمسَكم ٨/ ٢٠٢
اتَّقُوا الملاعنَ الثلاثَ ٨/ ٢٠٤
اتَّقُوا النَّارَ ٨/ ٢٠٤، ١٧/ ٥٢٤
اتَّقُوا دعوةَ المظلومِ ٨/ ٢٠٥
اتقوا زلَّة العالِم ٧/ ٣٧٠
اتقوا فِراسَةَ المؤمن ٢/ ٢٧٦، ٤/ ٣٨٥، ٨/ ٢٠٥، ١١/ ٣٣٥، ١٢/ ٣٨٠، ٣٨٢، ٣٨٣، ١٧/ ٤٤٤
اتَّقي الله يا فاطمةُ وأدِّي فريضةَ ربِّكِ ٨/ ٢٠٧
أتمُّوا الركوعَ والسجُودَ ٨/ ٢٠٨
أتموا الصفَّ المقدَّمَ ٨/ ٢٠٩
أتمُّوا صلاتكم ١٠/ ١٤٧، ٣٢٦
أتمُّوا، فإنَّا قومٌ سَفْرٌ ١٠/ ٤٠٠
أتى الحارث بن خزيمة ٤ / ٣١
أتى النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بقديدٍ ١٠/ ٧٦
آتي بابَ الجنةِ فأستفتحُ، فيقولُ الخازنُ ٨/ ٣٨١
أتى بما لم يأتِ به أحدٌ قبله ١٠/ ١١٦
أتى خالد بن الوليد رجلٌ ٢/ ٣٣٠
أتى عمر رضي الله عنه النبيَّ ٩/ ٣٢٣
أتي ابن عمر فقيل له: إن ابن عبَّاسٍ يأمر بنكاح المتعة ٨/ ٥٤٦
أُتيَ اللهُ بعبدٍ منْ عبادِه آتاهُ الله مالًا ٨/ ١٩٨

أُتِي النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بنَبيذٍ ١١/ ٢٥٨
آتي بابَ الجنَّةِ ٧/ ٢٩٠، ٨/ ١٧٨، ٩/ ٢٨٢
أُتي رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم برجلٍ ١١/ ٢٤٤
أُتي رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بسارقٍ ١١/ ١٧١
أُتي عمر بشاهد زُورٍ ١٢/ ٢٤٧
أَتَيْتُ ابن عُمَرَ ٧/ ٢٧٤
أتيتُ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فقلت: يا رسول الله من تبِعكَ ٨/ ٢٤٢
أتيت النبيَّ وأخبرته بالذي رأيته من الأذان ١٢/ ٤٧١
أتيتُ النبيَّ وهو في المسجد ٥/ ٢٩٥
أتيت أنس بن مالكٍ في رمضان ٧/ ٥٣٢
أُتِيتُ بالبُرَاقِ ٤/ ٣٩٦، ٨/ ٢٠٩
أتيتُ بمقاليدِ الدنيا علي فرسٍ أبلقَ ٨/ ٢١٧
أتيت رسول الله ٩/ ٢٩٦
أتيت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وأنا قَشِف الهيئة ١/ ١٩١، ٧/ ٥٧
أتيت علىٰ ابن عمر وهو بالبلاط ١٠/ ٣٨٤
أتينا النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ١٠/ ٧١
اثنان خيرٌ من واحدٍ ٨/ ٢١٧، ٥٣٢، ٥٣٥
الاثنان فما فوقهما جماعةٌ ٨/ ٤٧٣، ١٦/ ٣٤٨
اثنانِ لا تجاوزُ صلاتُهما رءوسَهما ٨/ ٢١٨
اثنانِ يكرهُهما ابنُ آدمَ ٨/ ٢١٨
اثنتا عشرة ركعة ١٤/ ١١٧، ٥٤٢
اثنتانِ في الناسِ هما بهم كفرٌ ٨/ ٢١٨
آجالُ البهائم كلِّها ١٧/ ١٦٣
اجْتَنِبُوا أُمَّ الخَبَائِثِ ٨/ ١٥٧، ١١/ ٢٤١، ٢٤٢
اجتمع رأيي ورأي عمر ٨/ ٤٣٠
اجتمعن يوم كذا وكذا ١٧/ ٥٤٨
اجتمعُوا علىٰ طعامِكم ٨/ ٢١٩
اجتنبوا التكَبُّر ٧/ ٣٧١
اجْتَنِبُوا الخَمْرَ ٨/ ٢٢٠، ١١/ ٢٤٢
اجتنبوا السبع المُوبِقات ٢/ ٢١٥،

٨/ ٢١٩
اجتنبوا ما أَسْكَر ٧/ ٣٧٢
اجتنبُوا هذه القاذوراتِ التي نَهىٰ الله عنْها ٨/ ٢٢١
أَجْرُكِ علىٰ قَدْرِ ١٦/ ٣٨٣
أَجْرؤُكم علىٰ الفُتْيا ١٠/ ١٠٣، ١٤/ ٤١٦
اجعل بين أَذَانِكَ وإقامَتِكَ ٧/ ٣٧٢
أَجَعَلْتَني لله عَدْلًا ١٤/ ٢٨٣
اجعلْها خُمُرًا بين الفواطِم ١٤/ ٥٣٧، ١٧/ ٤٤٨
اجعلها في أذان الفجر ١٠/ ١٧٤
اجعَلُوا آخرَ صلاتِكم بالليلِ وِتْرًا ٨/ ٢٢٢
اجعلُوا بينكُم وبينَ الحرامِ سترًا ٨/ ٢٢٢
اجْعَلُوا مِنْ صلاتِكم في بيوتِكم ٨/ ٢٢٢، ١٠/ ١٩٦
أجل، إنَّه عبد الله ٩/ ٣٢
أجل أنا أقرأه لبطنٍ، وأنتم تقرؤنه لظهرٍ ١٨/ ٣٣٦
أجل وأنت هو يا أبا بكر ١٨/ ٢٢٤
اجلسْ واسْجُدْ واصْنَعْ كما رأيتَ ١٢/ ٤٨٨
أجِلُّوا الله يَغْفِر لكُمْ ٨/ ٢٢٣
أجِيبُوا الدَّاعي ولا تردُّوا الهديةَ ٨/ ٢٢٤
أجِيبُوا هذهِ الدعوةَ إذا دعيتُم لها ٨/ ٢٢٤
أَجيعوا النِّساءَ جُوعًا ١٦/ ١٧٧
أحبُّ الأديان إلىٰ الله الحنيفية السَّمحة ٨/ ٤٣٩
أحبُّ الأعمال إلىٰ الله ٨/ ٢٢٥، ١١/ ٣٤٧
أحبُّ البقاع إلىٰ الله المساجد ١٨/ ٣٠
أَحَبُّ الصَّلاةِ إلىٰ الله صَلاةُ داودَ ٥/ ٣٩٥
أحبب حبيبك هونًا ١٦/ ٢٤٥
أَحِبُّوا الله لما يَغْذُوكُم ١٤/ ١٥٧
احتبس علينا رسول الله ذات غداة ١٢/ ٤٢٦
احْتجَّ آدمُ وموسىٰ ٢/ ٣١، ٥/ ٣١٩، ١٦/ ٢٢٢
احتجَّتِ الجنَّةُ ٧/ ٣٠٥

احتجم ولم يتوضأ ١٠/ ٢٢٧
أحدٌ جبلٌ يُحبُّنا ٧/ ٣٦١
احذروا الشُّهرتين ٧/ ٣٧٣
احذروا فِراسةَ المؤمن ١١/ ٣٣٥
الإحسان أنْ تعبد الله كأنَّك تراه ٥/ ٤٣
أحسنوا إذا وَلِيتُم ٧/ ٣٧٤
احْضَرُوا الذِّكْرَ وادْنُوا مِن الإمامِ ١٠/ ٤٢٨
احْشُدُوا فإنِّي سأقرأ عليكم ثُلُثَ القُرآنِ ٤/ ٧٧
أحق الشروط ١٣/ ٣٩٤
احفظ عورتك إلَّا من زوجتك ١٨/ ٥٩
أُحلَّت لكم الغنائم ٩/ ٢٣٠
أُحِلَّتْ لنا مَيْتَتانِ ودَمانِ ٨/ ١٣، ١٣/ ١٦٧
أُحِيلَتِ الصَّلاةُ ثلاثةَ أحْوَالٍ ١٢/ ٤٧
أخاف على أمَّتي خصلتين ٧/ ٣٨١
أخبر أهل اليمن ١٦/ ٣٦٨
أخبرُكم غدًا عمَّا سَألتُم عنه ٢/ ١٧٢
أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ؟ ٧/ ١٨٨
اخترْ أنْ أغرِسَكَ ١٧/ ٤٦٦
اختلافُ أمتي رحمةٌ ٨/ ٥٥٩
اختلف رجلان في المسجد ٤/ ٢٧٦
اختلف رَهْطٌ مِن المهاجرين والأنصار ٨/ ٤٠١، ٥٧٩
اختلف في ذلك رهطٌ ١٠/ ٨٣
اختتن إبراهيم وهو ابن ثمانين سنة ١٨/ ٤٥
أخذ الله الميثاقَ منِّي ٩/ ٤٤٣
أَخَذَ بِيَدِي رَسُولُ الله فَمَشَى ٧/ ١٣٧
أخذ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ١٤/ ٦٠٨
أَخَذَ مِن ظَهْرِهِ كما يُؤخَذُ بالمِشْطِ مِن الرَّأْسِ ٤/ ٣٦١
أُخِذُوا مِن ظَهْرِهِ كما يُؤخَذُ بالمِشْطِ ٥/ ٣١٦
آخِرُ أربعاء ١٦/ ١٥٣
أُخِّرَ الكلامُ في القَدَرِ لشِرارِ أُمَّتِي ١٢/ ٣٢١
أَخَّرَ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم صلاة العِشاء ليلةً ٤/ ٢٥٥
آخر ما تكلم به ١٧/ ١٩٦
أخرج الشيطان لسليمان الخيل ٥/ ٤١٩
أخرج إلينا عبدالملك ١٠/ ٧٠

أخزىٰ الله شيطانَكِ ٢/ ١١٣
اخْفِضي ولا تُنْهِكي ١٦/ ٤١١
أَخْلِصْ دِينَكَ ٧/ ٣٧٩
اخْلُفُوني في أهل بيتي ١٤/ ١٥٧
إِخْوَانُكُمْ جَعَلَهُمُ اللهُ ٧/ ٢٧٧
آخىٰ النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بين سلمان وأبي الدرداء ٨/ ٩١
الأدبُ من الأب والصلاحُ من الله ٩/ ٤٥٦
أدِّبوا أولادكم ٧/ ٣٧٨
ادخروا ثلاثًا، ثمَّ تصدَّقوا بما بقي ٨/ ٤٣٠
أَدْخَلَ اللهُ رَجُلًا كَانَ سَهْلًا ٧/ ١٧٦
إدرأوا الحدود ٨/ ٥٨٢، ٥٨٣
أدرك القومَ فإنهم قد احترقوا، فاسألهم عما قالوا ٨/ ١١٧
أدركتُ في هذه الأمَّة ثلاثًا ٢/ ٣٢٤
إدريس أقدم من نوحٍ ٥/ ٣٣٣
إدريس رفع ولم يمت، كما رفع عيسىٰ ٥/ ٣٣٨
ادعُ اللهَ أن يُدخلني الجنَّة ٧/ ٥١١
ادعُ الله أن يعافيني ١٤/ ١٩٥
ادعُهم إلىٰ شهادة أن لا إله إلَّا الله ١١/ ١١
ادعوا اللهَ وأنتم موقنون بالإجابة ٤/ ٥٤٩، ١٨/ ١٢٩
أدعوك إلىٰ الله وحده ١٢/ ٥١٠
ادفعوا الحدود ما وجدتم له ٨/ ٥٨٣
ادْفِنوا موتاكم وَسَطَ قومٍ ١٦/ ٣٥٩
إذا ابْتَلَيْتُ عَبْدِيْ ٧/ ٣٠٩
إذا أتاكم مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ ٧/ ٣٦٢
إذا أتيتَ مَضْجَعَكَ ١٠/ ١٩٢
إذا اجتهدَ الحاكمُ فأصابَ ٨/ ٤٤١
إذا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ ٧/ ٦٦
إذا أحبَّ اللهُ عَبْدًا ٤/ ٤٠١، ١٦/ ٢٢٩
إذا اخْتَلَفَ الجِنْسان ٨/ ٥٦٧
إذا أدبر النهار ٨/ ٣٠٠، ١٣/ ٢٨٠
إذا أدركت من الجُمعة ركعةً ١٠/ ٤٣٤
إذا أدركهم جلوسًا ١٠/ ٣١٣
إذا أدَّيت زكاة ٧/ ١٠٥، ١٧/ ٣٠٥
إذا أراد الله أن يتفضَّل علىٰ عبدٍ فيكون أخذه عنه ١٨/ ٣٤٩
إِذَا أَرَادَ اللهُ بِالأَمِيرِ ٧/ ١٦٣
إذا أراد الله بعبدٍ ٧/ ٣٦٣

إذا أراد الله بقومٍ خيرًا ٧/ ٤٦١
إذا أردتَ أن تذكرَ عيوبَ ٧/ ٣٨٢
إذا استأذن أحدُكم ٨/ ٥٢٤، ١٠/ ٨٨
إذا اسْتَأْذَنكُم نِساؤكُم بالليل ١٢/ ١٨٦
إِذَا اسْتَحَلَّتْ أُمَّتِي ٧/ ١١٣
إذا أسررتُ بقراءتي ١٠/ ٢٤٨
إذا أصبتَ المعنىٰ فلا بأس ٨/ ٤١٩
إذَا أصبتُم مثلَ هذا ٧/ ٨٧
إذا اضْطَجَعَ أَحَدُكُمْ ٧/ ٢٠٢
إذا اضطجعت ١٢/ ٣٥٦
إذا أضَلَّ أحدُكم ١٤/ ٥٨، ٤٧٠
إذا أعْيتكُم الأمور فعليكم بأصحاب القبور ٩/ ٤٥٧
إذَا أَفْضَىٰ أحدُكم بيدِه ٨/ ٤٠٨
إذا أَفْطَرَ أَحَدُكُمْ فليُفْطِرْ ١٢/ ٧٩
إذا أَقْبَلَ اللَّيْلُ ١١/ ٢٥
إذا التقىٰ الختانان وتوارت الحشفة ٨/ ٥٧٦
إذا التقىٰ المُسلمان بسيفيهما ٧/ ٤٣٠
إذا أمر أحدكم بالمَعْروفِ ٧/ ١٥٦، ١٦/ ٨٦
إذا أَمَرْتُكُمْ بأَمْرٍ ١٦/ ٣١٤
إذا أَمَرْتُكُم بشيءٍ فأتُوا مِنْهُ ١١/ ٢٣٥
إذا أنا متُّ، فضعوني في قَبْري ٤/ ٣٥٥
إذا أنت بايعتَ فقل: لا خِلابةَ ٨/ ٤٣٩
إذا أنعمَ اللهُ علىٰ عبد ٧/ ٥٦، ٨٧
إذا أنفقَ الرجلُ علىٰ أهلِهِ ٨/ ٤٤٩
إذا انفلتَتْ دابَّة ١٤/ ٥٩، ٤٧٠
إِذَا أُهْدِيتْ لِأَحَدِكُمْ ٧/ ١٥٤
إذَا أَوَىٰ الرَّجُلُ ٧/ ٢٠٣
إذا بلغ الماء قُلتَّينِ ٨/ ٤٧٣، ٤٨٨
إذا تزوَّجَ العبدُ ١٦/ ٤١٣
إذا تمضمضَ أحدُكُمْ حُطَّ ٨/ ٢٣٧
إذا ثبتت المحبة ١٧/ ١٩٥
إذا ثوب بالصَّلاة ١٨/ ١٦٣
إذا جاء الموتُ لطَالبِ العِلْمِ ١٢/ ١٥٦
إذا جاء رمضان فُتِّحَتْ أبوابُ الجنَّةِ ١٢/ ٥٦
إذا جَادَتْ لزَوْجِها بالعَطِيَّةِ ٤/ ٣٤٩
إذا جامَعَ الرَّجُلُ امرأتَهُ ولم يُسَمِّ ٥/ ٢٥٥
إذا جاوز الختان الختان وجب الغسل ٨/ ٥٧٦
إذا جَلَسَ بين شُعَبِها الأربع ٨/ ٤٠١،

٥٧٩
إذا جمع الله الأوَّلين والآخرين يوم القيامة ٥/ ١٠٥
إذا حدَّثت عن الله حديثًا ١٦/ ٧٨
إذا حدَّثتم عنِّي بحديث يوافق الحق ١/ ٢٥٣
إذا حُدِّثتم عَنِّي حديثًا ٧/ ٤٧٨
إذا حدَّثني أحدٌ عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أحلفته ٨/ ٤١٤
إذا حَضَرَ العَشَاءُ ٧/ ٣٧٣
إذا حكم الحاكم فاجتهد ٥/ ٧٧، ٤٠٠، ٨/ ٤٠٠، ٥٨٥،
إذا حَلَفَ أَحَدُكُمْ ١٤/ ٢٨٣
إذا حَلَّيْتُمْ مَصَاحِفَكُمْ ١٦/ ٥٣١
إذا خرجت السودان ٣/ ٤٦٧
إذا خَرَجَتْ رُوحُ المُؤْمِنِ ١٦/ ٢٩٥
إذا خُسِفَ بالجيشِ ٣/ ٤٨٨
إذا دَخَلَ أحدُكم المسجدَ ٧/ ٣٨٤، ١٧/ ٥٢٤
إذا دخل المسافر ١٠/ ٣١٢
إذا دخل أهلُ الجنةِ ٤/ ٣٥٩، ٧/ ٣٣٤، ١٨/ ٢٠٩
إذا دخل رمضانُ ١٧/ ٢٩٣
إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ أَخَاهُ ٧/ ١٦٠
إذا دعوتُ فأمِّنوا ٩/ ٣٢
إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُم ٧/ ١٦٠، ٨/ ٢٢٤، ١٧/ ٤٤١
إذا ذُكِرَ القَدَرُ ١٢/ ٣٢١، ١٦/ ١٥
إِذَا رَأَىٰ أَحَدُكُم أحدًا في بَلاءٍ ٧/ ٨٨
إذا رأىٰ أحدكم الرؤيا ١٢/ ٣٥٤
إذا رأىٰ أحدكم رؤيا يحبُّها ١٢/ ٣٥٢
إذا رأيتَ اللهَ سابغًا نِعَمَهُ ٧/ ٥٢
إذا رَأيتَ اللهَ يُعْطِي العبادَ ٧/ ٥٢
إذا رأيتمُ الجَنازَةَ ١٦/ ٣٥٥
إذا رأيتم الرَّاياتِ السُّودَ ٣/ ٤٥٩
إذا رأيتم الرَّجُلَ يَعْتَادُ المَسْجِدَ ٤/ ٣٦٥
إذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فأرفِدوه ٩/ ٣٥٠
إذا رأيتُم هلالَ ١٧/ ٣٨٠
إذا رأيتموه فبايعوه ٣/ ٤٥٩
إذا رجعتَ إلىٰ بيتك ١٠/ ٨١
إذا رَفَعَ رَأسَهُ مِن الرَّكُوعِ قُمْنا خَلْفَهُ صُفُونا ٥/ ٤١٨
إذا رُوي عني حديثٌ فاعرِضُوه

٨/ ٤٨٣
إذا زُلْزِلَتْ: تَعْدِلُ نِصْفَ القرآنِ ٤/ ٦٤
إذا سألت فاسأل الله ١١/ ٤٠٥، ١٤/ ٨٩
إذا سَأَلْتُم اللهَ فاسْأَلوه الفِرْدَوْسَ ٤/ ٣٩٤
إذا سَكِرَ فاجْلِدُوه ١١/ ٢٤٦
إذا سَمِعْتُم الحديثَ عَنِّي ٧/ ٤٧٨
إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ ٧/ ١٩٦، ٩/ ٣٨٣، ١٤/ ٢٦٦، ١٨/ ٣٠٠
إذا سمعتم به بأرضٍ فلا تقدموا عليه ٥/ ٤٠
إذا سها أحدكم فلم يدر ١٨/ ١٧٦
إذا شَرِب الخمر ١٤/ ٢٠٦، ٥١٩
إذا شرب الكلبُ في إناء أحدِكم ٨/ ٤٨٩
إذا شكَّ أحدكُم في صلاته ١٨/ ١٧٢
إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ ٧/ ٢٨٤، ١١/ ١٤٤
إذا صلَّى أحدُكم ٧/ ٥٣٩، ٩/ ٤٢٢، ١٠/ ٢٣٩
إذا صلَّيتم على الجنازة ١٠/ ٢٥٦
إذا صَلَّيْتُم على الميِّت ١٠/ ٢٥٧
إذا صلَّيتُم فأقيمُوا صفوفَكم ثمَّ ليؤمَّكم أحدُكم ٨/ ٢٥٢
إذا صلَّيتم وكان عند القَعْدَة ١٤/ ٦٠٨
إذا صمتم فاستاكوا بالغداة ١٨/ ٢٣٤
إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه ١٨/ ٢٠٣
إِذَا ضَنَّ النَّاسُ بِالدِّينَارِ ٥/ ٤١، ٧/ ١٠٠
إذا طلبتَ حاجةً ١٤/ ٥٤٠
إذا طنَّت أُذن أحدِكم ٩/ ٤٢٠
إذا ظَهَرَ الزِّنا ٧/ ١٠٩
إِذَا عَادَ الرَّجُلُ أَخَاهُ ٧/ ١٥٠
إذا عَرَجَ مَلَكُ الموتِ بروحِ المؤمِن ١٢/ ١٣٣
إذا عَلِمَ العالِم ٧/ ٣٨٣
إذا فَرَغَ أحدُكم مِن طهوره ٩/ ٤٢٠
إذا فَرَغْتِ فأَعْلِميني ١٠/ ٤٥٣
إذا فَزِعَ أحَدُكم في نومه ٤/ ٤٩٤
إذا قالَ الإمامُ: سمعَ الله لمنْ حمدَه ٨/ ٢٥٣
إِذَا قَالَ الْمُؤَذِّنُ: اللهُ أَكْبَرُ ٧/ ١٩٥
إذا قام قائم آل محمَّدٍ ٣/ ٤٨٦

إذا قحط أهل المدينة استسقى بالعبَّاس ١٤/ ٥١٢
إِذَا قَرَأَ ٱبْنُ آدَمَ ٧/ ٢٦٩
إذا قسمت الأرض وحُدَّت ١٨/ ١٥٠
إذا قضى الله لعبدٍ ٧/ ٣٦٦
إذا قلتَ الحمدُ لله رَبِّ العالمين فقد ٤/ ٣٣١
إذا قلت لصاحبك ٧/ ٣٥٦
إذا قُلتَ لصَاحِبِكَ يومَ الجُمُعَةِ ١٠/ ٤٢٩
إذا قمت إلى الصلاة فتوضأ ١٨/ ١٧٠
إذا كان آخِر الزَّمان ٧/ ١١٩، ١٦/ ١٤١
إذا كان الماءُ قُلَّتينِ لم يَحمِلِ الخَبَثَ ٨/ ٤٧٣
إذا كان أوَّلُ ليلةٍ مِن شهر رمضان ١٢/ ٦٦، ١٧/ ٢٠٢، ٢٠٥، ٢٠٨، ٢١١
إذا كان ليلة النصف من شعبان ١٢/ ١٦، ٢٦، ١٧/ ٢٤٣
إذا كان يومُ الجُمُعَةِ ١٠/ ٤٢٨
إذا كان يوم القيامة، ١/ ٣٣٩، ٥/ ٣٦٤، ٧/ ٢٣، ٩/ ٢٧١، ١٧/ ٥٣٣
إذا كان يومُ عِيدِ الفِطْرِ ١٢/ ٩٩
إذا كانت أول ليلة ١٧/ ٢٩٥
إذا كانت لك حاجةٌ ١٤/ ٥٤١
إذا كانت ليلةُ النِّصْفِ مِن شعبانَ ١٢/ ١٤
إذا كنَّا معكم صلَّينا أربعًا ١٠/ ٣٩٣
إذا كنت في صلاةٍ فشككت ١٨/ ١٧٥
إذا كنتم في المسجد ١٧/ ٤٤٢
إذا لم تُحلوا حرامًا ولم تحرِّموا حلالًا ٨/ ٤١٩
إذا لم تَسْتَحِ فاصْنَعْ ما شِئْتَ ١/ ٣٤٧، ٧/ ٣١، ٨/ ٤٦١، ١٨/ ٢٦١
إذا ماتَ ابنُ آدمَ ٤/ ٤٤٢
إذا مَاتَ أحَدٌ ١٤/ ٣١١
إذا ماتَ أَحَدُكم ١٤/ ٣٥١، ٤/ ٤٤٥
إذا ماتَ أحَدُكم فلا تَحبِسُوه ٤/ ٣٥٣
إذا ماتَ الإنسانُ ١٤/ ٣٥٨
إذا ماتَ الرجل ١٦/ ٣٧١، ١٧/ ٣٧٢
إذا مات العبدُ ١٧/ ٤٧
إذا مات المؤمن أُعْطِي نِصفَ الجنَّة ٢/ ٤٣٧

إذا ماتَ فيهم الرَّجُلُ ١٤/ ٣٩٤
إذَا ماتَ لِرَيُدوَدٌ في قبرِهِ ١٢/ ١٦٢
إِذَا مَاتَ وَلَدُ العَبْدِ ٧/ ٢٥٤
إذا مَرَّ الرجل بقبر ١٤/ ٣٠٩
إذا مَرَرْتُمْ برياض الجنة ١١/ ٢٧٦، ١٦/ ٤٨٧
إذا مَضَىٰ شَطْرُ الليل ٢/ ٤٠
إذا نسي الصائمُ ١٦/ ٣٧١
إذا نسيتم شيئًا فصَلُّوا عليَّ ٩/ ٤٢٠
إذا نشَأت بحريَّة ١٧/ ١٧٨
إذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إلىٰ من فُضِّلَ ٧/ ٨٢
إذا هلك كسرىٰ ١٥/ ٤٣٣
إذا وَجَدْتُم السّاحِرَ فاقْتلُوه ٤/ ٤٠١
إذا وُضِعَتِ الجِنَازة فاحتملها الرجال علىٰ أعناقهم ٣/ ٧٣
إذا وقعت الحدود فلا شفعة ١٨/ ١٤٢
إذا وَقَعَ الذُّبابُ ١٦/ ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤
إذا وَقَعَتِ النُّطْفَةُ في الرَّحِم ٤/ ٤٠٥
إذا وقف العباد ٧/ ٢٩٦، ١٢/ ١١٧
إذا وقفتم في الصَّلاة فلا تَقبِضُوا أيديَكم ٩/ ٤٥٥
إذا وُلِدَ لرجُلٍ ١٦/ ٣٩٧
إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم غسل سبعًا ٨/ ٤٨٩
الأذان الأول ١٠/ ١٨٣
أُذَكِّرُكُمْ اللهَ ١٤/ ١٦١
أذن في قومك يوم عاشوراء ١٨/ ٢٤٩
أُذن النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بالجُمعة ١٠/ ٤٢٤، ٤٣٧
أذِّن في قومك ١٠/ ٧٤
إذن لا أرضى ١٣/ ٢٠٨
أذنبت قريشٌ ذنبًا ١٢/ ٤٦
أَذْهِبِ البَأسَ ربَّ النَّاسِ ٤/ ٤٩٦
اذهب إلىٰ الحسن ١٢/ ٥١٧
اذهبْ إلىٰ تلك الشَّجَرَةِ ١٤/ ٤٣٣
اذهب إلىٰ عُمر وأخبره ١٠/ ٢٢٥
اذهبْ فاغْسِلْ هذا عنك ١٢/ ٢٥٩
اذهبْ فأتني به ٤/ ٤٦٧
اذهب فتوضأ ٨/ ٢٧٥، ١٤/ ٣٧٦، ٤٩٧
اذهب فصلِّ عليها فإنَّ أُمَّك قتلت نَفْسًا ١٢/ ٣٢٣
ارأفوا بأنفس ١٦/ ٤٨٧

أراني الليلة عند الكعبة ١٢/ ٤٣٣
أراني في المنام أتسوَّك بسواك ١٢/ ٤٣٩
أَرَأَيتَكم ليلتكم هذه ٣/ ٤١٢
أَرَأَيتَ إِنْ عُدِيَ عَلَىٰ مَالِي؟ ٧/ ٢٥٦
أرأيت إن كان عَيِيًّا ٧/ ١٥٧
أرأيت رجلًا وجد مع امرأته رجلًا فقتله أيقتل به ٤/ ١١٦
أرأيت قول الله تعالىٰ: ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾ مَن المُقتسمين؟ ٤/ ٢٩٣
أرأيتَ لو كَان علىٰ أبيكَ دَينٌ ٨/ ٥٥٩
أرأيتم سليمان وما أعطاه الله تعالىٰ ٥/ ٤٤٣
أربعٌ حَقٌّ علىٰ الله أن لا يُدْخِلَهُم الجنَّة ١٢/ ٣١
أَرْبَعٌ في أُمَّتي ٧/ ١١٦
أربعٌ لا تُجْزِئُ ١٧/ ٣٨٤
أربعٌ لا تجوز في الضحايا ٨/ ٤٣١
أربعٌ لا يشبعنَ ١٣/ ٣٠١
أربع من أُعطيهن ٧/ ٤٨، ٥٣، ١٧/ ٣٠٢
أربعٌ من سَعَادةِ المرء ٧/ ٣٨٦
أربعٌ مَن كُنَّ فيه كان منافقًا خالصًا ٢/ ٢٣١، ١٣/ ٢٠١
أربعةٌ يَبغضهم الله ٢/ ٢١٨، ٧/ ١٠٧
أربعةٌ يَحْتَجُّون يوم القيامة ٧/ ٤٨٩
ارْبَعُوا علىٰ أنفُسِكُم ٨/ ١٣٩
أَرْبَعُونَ خَصْلَةً ١/ ٣١١، ٧/ ١٤٥، ٨/ ٣٤٥
أربعون رجلًا أُمَّة ٧/ ٣٨٤
ارْتَبِطُوا الخيلَ وامْسَحُوا بنواصِيها وأَكْفَالِها ٥/ ٤٢٠
ارجعن مأزوراتٍ غير مأجوراتٍ ٥/ ١٨٣
ارحنا بها يا بلال ١٨/ ٣٥٣
ارحموا من الناس ١٧/ ١٩٦
أرضٌ بيضاءُ كأنَّها فِضَّةٌ ٤/ ٣٨٣
أرسلني رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ١٠/ ٧٠
أَرْضِعِيهِ تَحْرُمي ١٦/ ٤٠٢
ارفع رأسك ٩/ ٢٦٨، ١٨/ ٢٨٦
ارْفَعُوا أيدِيكُمْ فقولوا ١٦/ ٤٨٨
أرواحُ الشُّهدَاءِ في طَيْرٍ خُضْرٍ ١٢/ ١٣١
أرواح المؤمنين في الجنَّة شهداء ١٢/ ١٣٠

أرواح المؤمنين في علِّيين ١٢/ ١٣٠
الأرواح جنودٌ مُجَنَّدةٌ ٧/ ٣٥٨، ٤٧٣
أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ ١٢/ ١٢٦
أرونيه فلقد أصبحت صائمًا ١٣/ ١٢٥
أرىٰ أن يجلد ثمانين لأنه إذا شرب سكر ٨/ ٥٧١
أُري الليلة رجلٌ صالحٌ ١٢/ ٤٤٢
أُري النبيُّ وهو بالحديبية ١٢/ ٤٢١
أُريتُ الجنَّة فرأيت امرأة أبي طلحة ١٢/ ٤٣٦
أريتُ أنِّي دَخَلْتُ الجنَّةَ ١٦/ ٢١٩
أُريت أنِّي وُضعت في كِفَّةٍ ١٢/ ٤٥٧
أُرِيتُك في المنام ١٢/ ٤٣٥
أَرِينيه فقد أَصْبَحْتُ صَائمًا ٨/ ٩٥
أزهر اللون ليس بأبيض أمْهَق ٩/ ٣٣٩
اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أن أَسْتَغْفِرَ ٧/ ٤٨٥
استتبعني النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ٢/ ٩٩
استحيوا ١٧/ ٣٩٧، ٣٩٨
استشارني عمر في بيع أمهات الأولاد ٨/ ٥٤٥
استعينوا علىٰ إنجاح حوائجكم بالكِتمان ٨/ ١٢٥
استعينوا علىٰ قضاء الحوائج ٧/ ٣٩٢
اسْتَغْفِرُوا لأخيكم ١٧/ ٤٧
اسْتَغفِرُوا له ١٦/ ٢٣٣
اسْتَفْتِ قَلْبَكَ ١٦/ ٢٣٦
استقيموا ولن تحصوا ١٨/ ٣٦٢
استمتع بها ١٦/ ١٨٣
اسْتهِما علىٰ اليمين ٨/ ٤١٥
استوصوا بالنساء ٥/ ٢٦٨، ١٣/ ٣٨٠
اسعوا فإنَّ اللهَ ١٠/ ٣٢٤
اسْعَوا فإنَّ اللهَ كَتَبَ عليكم السَّعْيَ ٤/ ٣٤٠
اسقه عسلًا ١٣/ ٣٠٩
الإسْلامُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ ٧/ ١٥٥
الإسلامُ ثمانية أَسْهُم ١٢/ ٥٥
الإسلامُ غَرِيبٌ ٣/ ٥١٠
أسلم رجلٌ من اليهود ٤/ ٣١٤
أسلموا تسلموا ١٠/ ٤٦
اسم هذا الجبل رجمة ٣/ ١٨٥
أَسْمَعُها منكم فتؤذيني ١٤/ ٢٨٢
اسْمُهُ اسْمِي ٣/ ٤٨٠

اشتدَّ غضبُ الله ٧/ ٣٨٥
اشترىٰ رجلٌ من رجلٍ عقارًا له ١٨/ ١٠٠
اشتكت ابنةٌ لي ١١/ ٢٤٩
أشدُّ الناس بلاءً ١٦/ ٢٢٩، ١٨/ ٥٣
أشدُّ النَّاسِ عذابًا ٧/ ٣٨٦
أشرف ذو القرنين علىٰ جبل قاف ٥/ ١٨٤
أشهَدُ أنَّ دَمَها هَدَرٌ ٩/ ٤٨، ١٧/ ٤٠
أشهد أني سمعتهما من رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ووعيتهما ٤/ ١٢٣
أَشهدُ بالله ٧/ ٣٨٧
أصاب السُّنَّة ١٠/ ٤٤٠
أصاب النَّاس قحطٌ ١٤/ ٧٢
أصاب رجل -هو أبو اليَسَر ١٣/ ١٢٩
أصابتنا مجاعةٌ ليالي خيبر ١٠/ ٦٣
أصابتني ضربة في ساقي ٩/ ٢٤٦
أصابنا عَطَشٌ وظُلمةٌ فانتظرنا رسولَ الله ٤/ ٨٨
أصبتَ بعضًا وأخطأتَ بعضًا ١٢/ ٣٩٤، ٤٨٢
أَصْبَحَ رَسُولُ الله يَوْمًا ٧/ ١٩٧
إصبعُك سواكُكَ عند وضوئِك ٨/ ٤٥٠
أصحاب البِدَعِ كلابُ النَّار ٧/ ٣٨٨
أصحابي كالنُّجومِ ٨/ ٤٢٧، ٥٤٧، ٩/ ٤٥٧، ١٧/ ١٨٧، ١٨/ ٣٥٥
أصدق الرؤيا بالأَسْحَار ١٢/ ٣٨٩
أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قالها ١٥/ ٤٧٩
أَصْلِحُوا دُنياكُمْ ١٦/ ١٣٣
أصيبَ سعدٌ يوم الخندق ١٧/ ٦١٨
الإِضْرَارُ في الوَصِيَّةِ مِن الكَبَائِرِ ٤/ ٣٥٠
اضربوا لي معكم بسهمٍ ١٨/ ٢١
اضْمَنُوا لي سِتًّا ٧/ ٢٨٣، ١١/ ١٤١
أطَّت السماءُ وحُقَّ لها أن تَئِطَّ ٩/ ١٣٥
إِطْعَامُ الطَّعَامِ ٧/ ٢٢٦
اطْلُبُوا الخَيْرَ دَهْرَكُم ١٢/ ١١
اطلع النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علينا ٣/ ٤٢٢
أطيب ريح الأرض: الهند ٥/ ٣٠٨
أظلَّ الله في ظلِّه يومَ القيامة من أنظرَ معسرًا أو أعانَ أخرقَ ٨/ ٢٦٢
أَعْبَرُ أُمَّتي للرُّؤيا أبو بكرٍ ١٢/ ٤٠١
اعتبروها بأسمائها ١٢/ ٤٠٦

اعتلَّ بعيرٌ ١٢/ ١٨٥، ١٧/ ٤٣٧
اعدلوا بين أبنائكم ١٨/ ٢٦٤
أَعْرِبوا القرآنَ والتمسُوا غَرَائِبَه ٤/ ٢٢٣
اعرضوا حديثي على القرآن ٢/ ٤٧٠
اعْرِضُوا عليَّ رُقاكُم ٤/ ٤٨٧، ١٤/ ٢٧٦
أَعْرُوا النِّساءَ يَلْزَمْنَ ١٦/ ١٧٧
أعطها إياه فإنَّها حظَّه من غَزَاتِه ٨/ ٤٥٥
أَعْطُوا الأجيرَ أَجْرَهُ ١٤/ ١٧٧
أُعطي داود من حُسْنِ الصوت ما لم يُعطَ أحدٌ ٥/ ٣٩٨
أعطيت أمتي ١٢/٦٣، ١٧/ ٢١٤
أُعْطِيتُ جَوامِعَ الكَلَمِ ١٨/ ٣١٤
أُعطِيتُ خمسًا ٢/ ٩٣، ٩٤، ١٤٢، ١٦/ ٤٠، ١٧/ ٤٥٦
أُعْطِيتُ مكان التوراةِ السَّبْعَ الطِّوَال ٤/ ١٥٢
أُعْطِيتُ هذه الآيات مِنْ آخِرِ (سورة البقرة) مِنْ كَنْزٍ تَحتَ العَرْشِ ١٨/ ٣٠٥
أعطي يوسف وأمه شطر الحسن ١٨/ ٤٦
أَعْفُوا اللِّحَى ٢/ ٢٤١، ١١/ ١٥١، ١٥٢، ١٤/ ٦١٤
أعلمُ أمَّتي بالحلالِ والحرامِ معاذُ بنُ جبلٍ ٨/ ٣٨٣
اعلم أنَّ ما أخطأك ١٣/ ٢١
اعلم يا بلال ١٠/ ١٤٣
الأعمال عند الله سبعٌ ٧/ ٣٢٤، ١٧/ ٢٦٤
اعملْ لدنياك كأنَّك تعيش أبدًا ٩/ ٤٥٥، ١٦/ ١٣٣، ١٧/ ١٧٨
أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ ٧/ ٧١
أعوذ بالله من قضية ليس لها أبو حسن ١١/ ٣٢٥
أعوذ بكلمات الله ٤/ ٤٩٣، ١٢/ ٣٥٦
الأعياد في حفظ الفروض ٥/ ٣٤٩
اغتسلوا يوم الجمعة ١٧/ ١٩٥
اغْزُو تبوكَ تَغْنَمُوا بنات بني الأَصْفَرِ والرُّوم ٨/ ١١٧
اغْسِلْنَها ثلاثًا ١٠/ ٤٥٣، ١٦/ ٢٤٦
اغسلوا المحرم في ثوبيه ٨/ ٥٦١
اغسِلُوه بماء وسِدْرٍ وكَفِّنوه ٨/ ٥٦١
أَغْلَظَ رجلٌ لأبي بكرٍ ٩/ ٣٥٩
افْتَرَقتِ اليهودُ ١٠/ ١٢٤، ١٤/ ١٣٢

أفضلُ الأعمال ٧/ ٣٨٩، ١١/ ٣٤٧
أَفْضَلُ الجِهَادِ عِنْدَ اللهِ ٧/ ٢٤٧، ٨/ ٣٢٧، ١٢/ ١١٧
أَفْضَلُ الدُّعَاءِ ٧/ ٦٧، ٦٨
أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ ٧/ ١٨٥، ٣٨٩، ١٢/ ٦٠
أفضل الصِّيامِ صيامُ داودَ ٥/ ٤٠٨
أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ الجُمُعَةِ ٨/ ٢٥، ٩/ ٣٨٣، ١٤/ ٣٢١، ٤٥٧، ١٧/ ٤٩٨
أفضل ما قلته أنا والنبيون ٧/ ٢١٩، ١٣/ ١١٧
أَفْضَلُهُ لِسَانٌ ذاكِرٌ ٧/ ٥٣
أفطر الحاجم والمحجوم ١١/ ١٢٥
أفعَمْيَاوان أنتما؟ ألستما تُبْصِرَانِهِ؟ ٤/ ٢٠٩
افعل ولا حرج ١٦/ ٢٦٤
أَفَلا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا ٧/ ٥٤٤
أفلحَ وأبيه ١٤/ ٥٣١
أفلحت يا قديم ٧/ ١٢٥
آفة الدين ثلاثة: فقيهٌ فاجرٌ، وإمامٌ جائرٌ، ومجتهدٌ جاهلٌ ١٨/ ٣٥٧
أقبل النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ١٤/ ٤٢٥
أقبل رَجُلان من بني غِفارٍ ١٢/ ٢٤٤
أقبل وأدبر ١٧/ ٣٩٩
أَقْبَلْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ فَسَمِعَ ٧/ ٢٠١، ٤/ ٨١
أقبلت يهود إلى النبيِّ ٤/ ٣٧٩
أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُولِ الله ٧/ ٢٦١
أقبلنا من عند رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٤/ ٩٦
اقتدوا باللذَيْنِ من بعدي أبي بكر وعمر ٨/ ٤٢٧، ٥٤٤، ١٨/ ٣٥٥
اقتُلوا من لا غَيرة له ٩/ ٤٥٧
اقرأ أُسَيْدُ، فقد أُوتيتَ مِن مَزَامِيرِ آلِ داود ٢/ ٣٠٦
اقرأ القرآن على كلِّ حالٍ ٧/ ٣٩٠
اقْرأ القُرآنَ، يقول الله تعالى: ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ ٤/ ٣٧٠
اقرأ يا ابن حضير ٢/ ٣٠٥
اقرأ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ٤/ ٧٢
اقرؤا الزَّهْرَاوَيْن البقرة وآل عمران ٤/ ١٥٤
اقرأوا القرآنَ ١١/ ٤٥٧، ١٦/ ٧٠
اقرأوا القُرْآنَ بلُحُونِ العَرَبِ وأَصْواتِها

١٢/ ٣٣٢
اقرأوا القرآنَ فإنَّه يأتي يومَ القِيامَةِ شَفِيعًا ٤/ ٤٣
أقربُ ما يكون العبدُ مِن ربِّه وهو ساجدٌ ٤/ ١٩٤، ١٣/ ١٦٣، ١٨/ ٣٦١
اقرؤا الزَّهْرَاوَيْن البقرة وآل عمران ٤/ ٦٢
أقرئ أمتك مني السلام ١٣/ ١١٩
أقرئ عمر منِّي السَّلام ٣/ ٩٦
أقسم الله بحياة محمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٥/ ١٦
أقِلَّ من الدُّيونَ ١٧/ ٣٤٩
أقيموا الركوع والسجود ٩/ ٣٢٠
أكان آدم يُزوِّج ابنته من ابنه ٥/ ٣١٧
أَكْثِرِ الدُّعَاءَ بِالْعَافِيَةِ ٧/ ٧٧
أَكْثِرُوا الصَّلاةَ عَلَيَّ ٨/ ٢٨، ٣٢، ٣٣، ٣٥، ٩/ ٣٨٦، ١٤/ ٣٢٢، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٣٠، ٣٢٩، ٤٥٧، ١٧/ ٤٩٩
أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ ٧/ ٨٥
أَكْثِرُوا عليَّ الصَّلاة يومَ الجُمُعة ٨/ ٣٥
أَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ ٩/ ٣٨٦، ١٤/ ٣٢٢
أكثر النَّاس ذنوبًا، أكثرهم كلامًا فيما لا يعنيه ١٨/ ٢٧٥
أكثِروا من الصَّلاةِ عليَّ ٨/ ٢٦، ٢٧، ٩/ ٢٨٥، ٣٨٣
أكرموا الخبز ٧/ ٤٨، ١٦/ ٤٧٨
أكرمُوا عمَّتكم النَّخلة ٧/ ٥٢٤، ١٥/ ٤٧٠
اكْفُلُوا لِي بِستٍّ أَكْفُلْ ٧/ ١٩٢
آكلُ الرِّبا ومُوكِلُه وكاتبُه ٨/ ١٧٨
آكلُ كما يأكلُ العبدُ ٨/ ١٧٩
أكل بنيك أعطيت مثل هذا؟ ١٨/ ٢٥٩
أكلَّ ولدِكَ نحلتَه مثلَ هذَا ٨/ ٢٠٢، ١٨/ ٢٥٨
أكلت مَغَافِيرَ ١٦/ ٧٢
أكلتُ يومًا مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٨/ ٤٦١
أكلتان في اليومِ إسرافٌ ١٦/ ١٥٧
ألا أحدِّثُكمْ عَنِ الخَضِرِ ٢/ ١٧٧، ١٨/ ٢٤، ١٨/ ٣٢
ألا أُخبِرُكِ ٧/ ٣٠٥، ١٠/ ١٦٥
ألا أُخبرك بأخيَرِ سورةٍ في القرآن؟ ٤/ ٧٠

ألا أُخبرك بأفضل القرآن؟ ٤/ ١٦١
ألا أخبرك بخير ١٣/ ٣٨١
ألا أخبركم بأفضل مِن درجة الصِّيام والصَّلاة والصَّدقة؟ ٢/ ٢٢٦
ألا أخبركم بالتيس المستعار؟ ١٨/ ١٩٩
ألا أُخْبِرُكُمْ بِالعَجَبِ؟ ١٢/ ٤٦٢
أَلَا أُخبركم بأهل النَّار؟ ٢/ ٢٢٤
أَلَا أُخْبِرُكُمْ بخير الشُّهداءِ ٨/ ٣٩٣، ٥٨٠
ألا أخبرُكم بخيرِ الشُّهود ٨/ ٥٨٠
ألا أخبركم بخير جُلسائكم؟ ٢/ ٢٦١
ألا أخبركم بشرِّ النَّاسِ؟ ١٨/ ٣٢
ألا أخبرُكُم بنسائِكُم في الجنَّةِ ٨/ ٣٨٢
ألا أدلُّكَ عَلىٰ أبوابِ الخيرِ ٨/ ٢٦٦
ألا أدلُّكم علىٰ الخلفاء منِّي ٧/ ٤٠٤
أَلَا أدلُّكم علىٰ آية الخُلَفاء مني ١/ ٣٤٥، ٧/ ٢٩
ألا أريك امرأة ٧/ ٣٠٨
ألا استمتعتم بإهابها ٨/ ٤٩١
ألا إنَّ الإيمانُ يَمانٍ ١٧/ ٦٧٠
ألا إن القوة الرمي ٤/ ٣٦٤، ٧/ ٢١٨، ١٣/ ١٨٥
ألا إنَّ رحىٰ الإسلامِ دائرةٌ ٨/ ٤٨٣
أَلَا إنَّ عيسىٰ ابن مريم ٣/ ١٤٥، ٣٥٦، ٣٧٩
ألا إنَّ قتيل الخطأ شبه العمد ١٨/ ١٨٣
ألا إنَّ كلَّكم مُناج ١٠/ ١٦١
ألا إنَّ مَن قَبلكم ١٠/ ١٠١
ألا إنَّ من كان قبلكم ١٠/ ١٥٦
أَلَا أُنبِّئُكم بأكبر الكبائر؟ ٢/ ٢٠٨، ٢١٤، ٧/ ١٢١
ألا أُنبِّئُكم بخير أعمالكم ١١/ ٤٢٦
ألا إني أبرأ إلىٰ كل خل ٩/ ٣٧٦
ألا إني أوتيتُ الكتاب ومثله معه ٩/ ٣٠١، ١٠/ ٨٥، ١١/ ٢٢٩، ١٧/ ٣٦٦
أَلَا إنِّي عبد الله ٩/ ٢٧
ألا تُبايعون رسولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ١٤/ ٩٣
أَلَا تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ؟ ٧/ ٢٥٢
ألا تعلمين هذه ١٣/ ٣٩٧
أَلَا تَنْتَظِرُ الغداء ١٠/ ٣٠١
ألا رجلٌ يُضَيفُه هذه الليلةَ يرحَمه الله

٨/ ٢٩٢
ألا سَوَّيت ١٦/ ٣٩٨
أَلَا كلُّ شيءٍ ما خَلَا الله باطلٌ ٣/ ٣١
ألا لا فَضْلَ لعربيٍّ ١٧/ ٥٣٣
ألا لا يحل ذو ناب من السباع ٨/ ٥١٥
ألا لا يُقتلُ مسلم بكافرٍ ولا ذو عهدٍ في عهدِه ٨/ ٤٩٥
ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب ١٠/ ٧٧، ١٣/ ١٨٩
أَلَا ليتَ شِعْرِي ما فَعَلَ أَبَوَاي؟ ٩/ ٢٧
أَلَا مَن ظَلَم مُعَاهِدًا ٣/ ٣٤٦
ألا واستوصوا بالنساء خيرًا ١٣/ ٣٨٠
أَلَا وإنَّ ما حَرَّمَ رسولُ الله ٥/ ١٧٢، ٩/ ٧٤
أَلَا وإنَّ مَن كان قَبْلَكُمْ ١٤/ ٣٨٦
ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه ٩/ ٣٠٣
ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آيةٍ في كلِّ يومٍ؟ ٤/ ٢٨٦
أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّك تصومُ النَّهارَ ٨/ ٩٣
أَلَمْ تَرَ آياتٍ أنزلت الليلة ٤/ ٩٠
أَلَمْ تَرَيْ إلى هيئتها ١٦/ ٢٠٦
أَلَمْ تَعْلَمِي ١٧/ ٦٢٤
الألواحُ التي أُنزلت على موسى ٤/ ٣٦١
إليَّ عبادَ الله ٩/ ٤٤
إلياس هو إدريس ٥/ ٣٥٠
أليس الذي أَمْشَاهُ على رِجْلَيْهِ ٤/ ٣٩١
أليس بإنسان ٨/ ٦٢٢
أليس قد صام بعده رمضان ١٢/ ٤٧٧
أليس يُحَرِّمون ما أحلَّ اللهُ فتُحَرِّمُونَهُ؟ ٤/ ٣٦٦
أمَّا أبو بكرة ومن جلد معه ٨/ ٤١٦
أمَّا أبوك فلو أقرَّ ١٤/ ٣٥٧، ٤/ ٤٤١
أمَّا الآن فلا ١٦/ ٥٢٣
أمَّا اليمامة ١٠/ ٥٥
أما إنكم ستعرضون على ربكم ١٨/ ٢٠٨
أما إنه لا تصيبه ١٣/ ٢٦٢
أمَّا إنَّه ليس مِن أَهْلِ الأَدْيانِ أَحَدٌ ٤/ ٣٤٧
أما إنَّه قد صَدَقَكَ وهو كَذُوبٌ ٤/ ٤٢
أما إنها كائنة ١٣/ ٨١
أمَّا أول أشراط السَّاعة ١٦/ ٢٤٣

أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام ١١/ ٤٦
أمَّا بعد، فإنه لم يَخْفَ عليَّ شَأْنُكم الليلة ١٢/ ٨١
أما ترضى أن تكون مِنِّي بمنزلة هارون من موسىٰ ٣/ ١٢٧
أما تكون الذَّكاة ٧/ ٥٣٣
أمَّا صاحِبُك فمَضَىٰ علىٰ إيمانِهِ ٤/ ٣٨٧
أما عَلِمْتِ أنَّ اللهَ ١٦/ ٢٣٦
أما في بيتك شيء؟ ١٨/ ٣٤٧
أما لكِ فيَّ أسوة ٢/ ٤٨٣
أما لو كنت تصيد بالعقيق ١٨/ ٢٥٨
أمَّا مَن في السَّماواتِ فالملائكةُ ٤/ ٣٤٥
أمَّا هذا فقد صَدَقَ، فقُمْ حتَّىٰ يَقْضِيَ اللهُ فيك ١٢/ ٢٤٨
أما والله إن كنتُ ١٤/ ٢٨٢
أمَا والله ما يُحْشَرُ الوَفْدُ علىٰ أَرْجُلِهِمْ ٤/ ٣٩٩
أما يَخْشَىٰ أحَدُكُمْ ١٠/ ٣٩٩
أمَا يخشَىٰ الذي يرفعُ رأسَه قبل الإمامِ ٢/ ١٦٢
أما يَسْتَطِيعُ أَحَدُكُمْ أنْ يَقْرَأَ ألفَ آيةٍ كلَّ يومٍ؟ ٤/ ٦٥
أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنَّصارىٰ ١٨/ ٣٢٥
أُمَّتي أُمَّتي ١١/ ٣٤٠
امحُ رسولَ الله ١٢/ ٥٢٥
الآمر بالمعروف كفاعله ٧/ ٤٠٩
أُمُّ القُرآنِ هي السَّبْعُ المَثاني ٤/ ٣٨٥
أمر سليمان ببناء بيت المقدس ٥/ ٤٥٣
أُمرت أنْ أحكمَ بالظاهر والله يتولىٰ السَّرائر ٩/ ٤٥٦، ١٨/ ٣٢٨
أُمِرْتُ أنْ أقاتل الناس حتىٰ يقولوا ٨/ ٣٧١، ٤٠٢، ٤٢٣، ٤٦٤، ٩/ ٣٦٧، ١٢/ ٢٦١، ١٣/ ١٩١، ١٨/ ٣٢٧
أُمرتُ أن أُولِّي الرُّؤيا أبا بكرٍ ١٢/ ٤٠٢
آمركم بخمسِ كلماتٍ ٨/ ٤٢١، ٥٣٨
أمرنا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ١٠/ ٢٥٦
أمرني رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ة ٤/ ٩١
أمرني رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أن أنادي بالنهي عن المتعة ٨/ ١٤٤

آمرُوا النِّساءَ في بناتِهنَّ ٨/ ١٨٠
إمْسَاكٌ بمَعْرُوفٍ أو تَسْريحٌ بإحْسانٍ ٤/ ٣٤٢
أمْسِك عليك بعضَ مالِك فهو خيرٌ لك ٨/ ١٢٩
أمطرت السماء بَرَدًا ٧/ ٥٢٩
امكُثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله ٨/ ٤١٤
آمين خاتم ربِّ العالمين ١٨/ ١٢٦
أنّ أبا بكر رضي الله عنه استرجع عند وفاته ١١/ ٣٧٣
أنَّ أبا بكرٍ رضي الله عنه كتب له هذا الكتاب ٨/ ٣٩٩
أنَّ أبا بكرٍ وعمر وناسًا جلسوا بعد وفاة ٨/ ١٥٢
أنَّ أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة تبنَّى سالمًا ١١/ ١٨١
أنَّ أبا ذرٍّ سأل النبيَّ: كم الأنبياء ٥/ ١٥٧
أنَّ أبا هريرة شكا أولًا إلى النبيِّ ٤/ ٤٢
إنَّ أباك لو كان أقرَّ بالتوحيد ٤/ ٤٤١، ١٤/ ٣٥٧
أنَّ أباه تصدَّق بمال ١٢/ ٤٨٠
أنَّ أباهُ دَفَعَه إلى النَّبيِّ ٧/ ٢٦٧
إنَّ إبراهيم عليه السَّلام أوَّل مَن أضَافَ الضَّيْفَ ٨/ ٧٨
إنَّ إبراهيم لم يكذب قطُّ ١٨/ ٤٦
أنَّ ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما احتجَّ على عثمان ٨/ ٣٨٨
أنَّ ابن عمر كان إذا صلَّى مع الإمام صلَّى أربعًا ١٠/ ٣٨٤
إنَّ أبْوَابَ الجَنَّةِ ٧/ ٢٤١
إنَّ أحبَّ أسمائكم ١٦/ ٥٧٦
إنَّ أحبَّ البيوتِ ١٦/ ٤٨١
إن أحدكم إذا قام يصلي ١٨/ ١٧٢
إنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ في بَطْنِ أُمِّهِ أربعين يومًا ٤/ ٤٠٥
إنَّ أحسن الحديث ١٠/ ١٣٥
إن أحسن الحسن الخلق الحسن ٧/ ٣٩٣
إنَّ أحَقَّ ما أَخَذْتُم عليه أَجْرًا ٤/ ٣٦١، ٣٨١، ١٠/ ١٧٥، ١٤/ ٢٧٣، ١٦/ ٦٩، ١٧/ ٩٩
أنَّ أخت الرُّبَيِّع أُمَّ حَارِثَةَ جرحت إنسانًا ٢/ ٣٠٤

إن آخِرَ وَطْأَةٍ ١٦/ ٥٦٩
أنَّ أخوين مِن جُهينة كان بينهما عبدٌ ١٢/ ٢٤٣
إنَّ أخي يَشْتَكِي بَطْنَهُ. ٤/ ٣٨٦
أنَّ إدريس سار ذات يومٍ ٥/ ٣٤٠
إنَّ إدريسَ كان صديقًا لمَلَكِ الموتِ ٥/ ٣٤٢
إنَّ إدريس كان نبيًّا تقيًّا زكيًّا ٥/ ٤٦٤
إنَّ إدريسَ كان نبيًّا رَسُولًا ٥/ ٣٣٢
إنَّ آدمَ عليه السَّلام كان يُسَبِّح ٢/ ٢٩
إنَّ آدمَ عليه السلام لَمَّا أَهْبَطَهُ اللهُ ٥/ ٤٦٢
أنَّ آدم كان يُزوِّج ذكر كل بطنٍ بأنثى الأخرى ٥/ ٢٩٠
إنَّ آدمَ كان يُسَبِّحُ ٧/ ٥٠٥
أنَّ آدمَ لَمَّا أُهْبِطَ ١٦/ ١٠٥
إنَّ آدم لما حضره الموت ٥/ ٣٠٩
إن استطعت أن ترضى، وإلَّا فاصبر ٨/ ٨٩
إن اسمه أحمد ٣/ ٤٩٨
أنَّ اسم القرية الصَّالحة نُصرة ١٨/ ٩٩
أنّ أسيد بن حضير بينما هو يقرأ ليلة ١١/ ٣٧١
أنَّ أُسيد بن حُضيرٍ كان يقرأ في ليلةٍ سورة البقرة ٥/ ٤٢
أن أسيد بن حضير ورجلًا من الأنصار ٢/ ٣٠٧، ١١/ ٣٧١
أنَّ أُسَيْدَ بن حُضَيرٍ، وعَبَّادَ بن بِشْرٍ كانا عند النَّبيِّ ٢/ ٣٠٧
إنَّ أشدَّ النَّاسِ عذابًا ٧/ ١٢٢، ١٦/ ٥٦٢
إنَّ أشدَّ أهل النَّارِ عذابًا ٧/ ١٢٢
إنَّ أَشْكَرَ النَّاسِ ٧/ ٦٠
إن أصحاب النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٣/ ٣٨٨
إنَّ أَصْحَابَ هذه الصُّورِ يعذَّبونَ ٨/ ١٩٧
إنَّ أَطْيَبَ ما أكَلَ الرَّجُلُ مِن كَسْبِ يَدِهِ ٤/ ٤٤٠، ١٤/ ٣٥٦
أن أعرابيًا عرض لرسول الله في سفر ٧/ ٣٠٠
أنَّ أعرابيًّا جامع في رمضان ٨/ ٤٣٦
إنَّ أعظم الفِرْية ١٢/ ٣٩٠
إنَّ أعمالَ أُمَّتي ٨/ ١٦، ١٤/ ٢٤٣، ١٧/ ٢٣١٠

إنَّ أعمالَ بني آدمَ تُعْرَضُ ١٢/ ٣٠
إنَّ أَعْمالَكُمْ تُعْرَضُ على أقارِبِكُمْ في قُبُورِهِمْ ٨/ ٢٢
إنَّ أعمالَكُم تُعرضُ على أقاربِكُم وعَشائِرِكُم ٨/ ٢٢
إنَّ أعمالَكُم تُعرَضُ على أَمواتِكُم ٨/ ٢٣
أنَّ أعمى أتى ١٧/ ٤٨٦
إن أعمى كانت له أم ولد ٩/ ٣١٤، ٣٦٢
إنَّ أفضل ما فُضِّل به عليَّ ابنِي ٥/ ٢٧٣
إنَّ أفواهكم طُرُقٌ للقرآن ٧/ ٣٩٤
إن أكثر شهداءِ أمتي ٨/ ٤٤٨
إنَّ الأبدالَ بالشام ١١/ ٣٥٧
إنَّ الإسلامَ بدَأ غَرِيبًا ١٢/ ١٥٢
إنَّ الإسلامَ لا يُقالُ ٤/ ٤٠٦
إنَّ الأعورَ الدَّجَّال مسيح الضَّلالة يخرج مِن قِبَل المشرق ٣/ ١٥٠
إنَّ الأنبياءَ لا يورثون ما تركُوه فهو صدقة ٨/ ٤٧٢
إنَّ البيتَ المعمورَ يصلِّي فيه كلَّ يوم سبعون ألفَ ملك ٩/ ١٣٥
إنَّ التُّجَّارَ هُمُ الْفُجَّارُ ٧/ ١٢٦
أنَّ التوبةَ تَمْحُو الذَّنْبَ، وتَصْقُلُ القَلْبَ ١٢/ ٢٤٨
إن الجنة لتبختَر ١٧/ ٢٠٨
إنَّ الجنة لتزيَّن من الحول ١٧/ ٢٠٦
إنَّ الحُلُم من الشيطان ١٢/ ٣٩٢
إنَّ الحَميمَ ليُصَبُّ على رُءوسِهِمْ ٤/ ٤٠٧
إنَّ الخضرَ في البحرِ واليسَعَ في البرِّ ٢/ ١٨٤
أنَّ الخضِرَ قال لموسى عليه السلام ١٧/ ٦٠٣، ١١/ ٣٢٣
أنَّ الخَلْقَ عِيالُ الله ١٨/ ٢٩٦
إنَّ الدُّبَّاءَ والبطيخ ١٦/ ١٨٩
إنَّ الدَّجَّال خارجٌ ٣/ ١٦٧، ١٧٥، ٣٩٠
إنَّ الدُّعاءَ موقوفٌ بين السماءِ ٧/ ٨٠
إنَّ الدعاء يُستجَاب ١٢/ ١٤
إنَّ الدَّيْنَ يُنْقِصُ أو يُقَبِّضُ من صَاحِبِهِ ١٢/ ١٣٦
إنَّ الذي أَمْشَاهُمْ على أَقْدامِهِمْ ٤/ ٣٩٠
إنَّ الرجل ليُبَشَّر في قبره ٨/ ٢٣
إنَّ الرجل ليتصدَّق بالصَّدقة ٢/ ٣١
إنَّ الرَّجُلَ ليُحْرَم الرِّزْقَ ٧/ ١٠٢،

٥٦/٩
إنَّ الرَّجُلَ ليَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الجنَّةِ ٣٠٥/١٢
إنَّ الرسالة والنُّبوَّة قد انقطعت ٣٦٨/١٢
إنَّ الرُّقَى والتَّمائِمَ ١٤/ ٢٧٠، ١٠٦/١٧
إنَّ السَّبْعَ الطِّوال مِثْلُ التَّوْراةِ ٣٠٦/١٨
إنَّ السَّرِيَّ الذي قال الله تعالى لمريم ٣٩٥/٤
إنَّ السَّيْفَ مَحَّاءٌ للخطايا ٢/ ٢٥١، ١٢٠/١٢، ٤٢٩/١٧
إنَّ الشيطان ذِئْبُ الإنسان ٥٣٧/٧، ٤٢٢/٨، ٥٣٥، ٢٣٨/١٢
إنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ ٢٣٧/٧
إنَّ الشَّيْطانَ ليَضَعُ عَرْشَهُ على الماءِ ٤٨٦/٥
إن الشيطان واضع خطمه ٣٤٢/٩
إنَّ الشَّيطانَ يأتي أحدَكم ٣٩٣/٧
إنَّ الصبر على فعل الطَّاعة بثلاثمائة حسنة ٩٦/٥
أن الصبيان كانوا يصبحون شعثًا ٣٣٩/٩
إنَّ الصَّحابةَ اختلفت في إيجابِ الغُسْلِ ٤٠٠/٨
أنَّ الصحابة قالوا ٣٨٦/١٧
إنَّ الصَّدقة تقع في يد الرحمن ٤٤/٢
أنَّ الطُّفيل بن عمرو الدَّوْسي هاجر إلى النبيِّ ١٦٧/١١
أنَّ الطُّفَيل بن عمروالدَّوسيَّ أتى النبيَّ ٤٧٦/١٢
إنَّ الطيرَ لتضرب بمناقيرها ١٢١/٧
أن العاصي نذر في الجاهلية ١١٤/١٣
إنَّ العَبْدَ إذا نصح لسيده ٢٧٨/٧
إنَّ العبد إذا صلَّى على النبيِّ ٣٥/٨
إنَّ العَبْدَ إذا وُضِعَ ٣٢٧/٧، ٤٨/١٧
إنَّ العبدَ المؤمنَ إذا قامَ إلى الصَّلاة ٢٤٤/٨
إنَّ العبد ليتكَلَّم ٣٠٣/٧
إنَّ الغُلامَ الذي قَتَلَهُ ٣٠/١٦
إنَّ الفُحْشَ والتفَحُّش ليسا من الإسلام في شيءٍ ٢٣٥/٢
إنَّ القبر الذي جلست ١٨/٤
إنَّ القبلةَ حُوِّلت إلى الكعبةِ ٤٠٨/٨

إنَّ القرآن أُنزل على سبعة أحرفٍ ١١/ ٣٢٥، ١٧/ ٤١٢
إنَّ القمر انشقَّ على عهد رسول الله ٩/ ١٥٦، ٢٢٢
إنَّ القَوْمَ إذَا رَأَوُا المُنْكَرَ ٧/ ١٥٦
إنَّ الكافِرَ ليرى جَهَنَّمَ ٤/ ٣٩٢
إنَّ الكرسيَّ موضع القدمين ٢/ ٢٣، ٧/ ٥٠١
إن الله ليس بتارك أحد ١٧/ ٢١١
إن الله أجاركم من ثلاثِ خلالٍ ٨/ ٥٣٣
إن الله أجارَكم من ثلاثةٍ ٨/ ٥٣٢
إنَّ الله احتجب عن أهل السَّماء ١٨/ ٢٥٩
إنَّ الله احتجز التوبة ٧/ ٣٩٠
إنَّ اللهَ أَخَذَ الميثاقَ ٤/ ٣٦١، ٥/ ٣١٥
إنَّ الله أخرج آدمَ من الجنة ٥/ ٣٢٠
إنَّ الله أدَّبني ٧/ ٣٧٦
إنَّ اللهَ إذا أحبَّ أحدًا ١٦/ ٢٢٩
إن الله إذا حرَّم شيئًا ١٣/ ١٥٣
إنَّ اللهَ اصطفَى كِنانةَ ٩/ ٢٠٥
إن الله اصطفى من الكلام أربعًا ١٣/ ١١٩
إنَّ الله أمرَ يحيى بنَ زكريا بخمسِ كلماتٍ ٨/ ٢٩١
إنَّ اللهَ أمَرني ١٠/ ١٤
إنَّ الله أمرني أنْ أقرأ عليك ٤/ ٦٤
إنَّ اللهَ أنعمَ على العباد على قَدْرِهِ ١/ ٢٩٢
إنَّ اللهَ أوحى إلى موسى ١٤/ ٩٢
إنَّ الله أودع علوم الكتب السابقة في القرآن ٤/ ١٦٢
إنَّ اللهَ بَعَثَني رحمةً ١٠/ ٤٥، ١٧/ ٣١٠، ١٨/ ٣١٣
إنَّ اللهَ تجاوزَ لي عن أُمَّتي ٥/ ٢٨٠، ٢٨١، ٨/ ٤٠٣، ٥٠٢، ٩/ ٣١
إن الله تعالى إذا أنزل سطواته ٨/ ٤٥٣
أنَّ الله تعالى أوحى ١٧/ ٢٠٥
إنَّ الله تعالى حَرَّمَ الخَمْرَ ١١/ ٢٣٣
إنَّ الله تعالى حرَّم عليكُم ١٧/ ٣٣١
إنَّ الله تعالى قال: مَن عادَى لي وليًّا ٢/ ٢٥٩، ١١/ ٣٢١، ٣٥٢
إنَّ الله تعالى قرأ (طه) و(يس) ٤/ ٥٠
إن اللهَ تعالى ليُمْلي للظالمِ حتى إذا أخذَه

لم يفلِتْه ١/ ٢٨٩
إنَّ الله تعالىٰ وَضَعَ عن المُسافِر ١٠/ ٣٠٠
إنَّ الله تعالىٰ يُبْغِضُ البخيلَ ٧/ ٣٩١
إنَّ اللهَ تعالىٰ يحبُّ مَعالي الأمور ١١/ ١١٧
إنَّ الله جَزَّأ الخلقَ عشرَة أجزاء ٩/ ١٣٥
إنَّ اللهَ جَزَّأ القُرآن ثلاثة أجزاءٍ ٤/ ٧٨
إنَّ اللهَ جميلٌ يحبُّ الجمال ١/ ١٩١، ٧/ ٥٦، ٥٧، ١٠/ ٤١٧
إنَّ اللهَ جَوادٌ يُحِبُّ الجُودَ ١٢/ ٥٩
إنَّ اللهَ حَجَبَ التَّوْبَةَ ٢/ ٢٣٣، ٧/ ٩٩
إنَّ اللهَ حَرَّم علىٰ الأرض ٩/ ٢٥٤، ١٤/ ٣٢٠، ٣٣٧، ١٧/ ٤٩٥
إنَّ الله حرَّم المشركات علىٰ المؤمنين ١١/ ٤٣
إنَّ الله حَرَّمَ عَلَيْكُمْ ٧/ ١٣٤
إنَّ اللهَ حَيِيٌّ كريمٌ ١٦/ ١٢٨
إنَّ اللهَ خَتَمَ (سورة البقرة) ٤/ ٣٩
إنَّ اللهَ خَلَقَ آدمَ ١١/ ١٢٥، ١٦/ ١٠٧
إنَّ اللهَ خَلَقَ آدمَ ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ ٥/ ٣١٧
إن الله خلق آدم علىٰ صورة الرحمن ١٢/ ٢٠٢
إنَّ اللهَ خَلَقَ آدمَ علىٰ صُورَتِهِ ١٢/ ٢٠٢
إنَّ اللهَ خَلَقَ آدمَ مِن قَبْضَةٍ قَبَضَها ٥/ ٢٥٨
إنَّ اللهَ خَلَقَ الخَلْقَ حتَّىٰ إذا فَرَغَ منهم ١٢/ ٣٣١
إنَّ الله خَلَقَ الداء والدواء ١١/ ٢٥٠
إنَّ الله خَلَقَ جنَّة عدنٍ بيده ٢/ ٢٩
إن الله خلقَ مائة ألف آدم ١٧/ ١٦٠
إنَّ الله زَوَىٰ لي الأرضَ ٣/ ١٢٩
إنّ الله طَيِّبٌ لا يَقْبَل إلَّا طَيِّبًا ٢/ ٣٢، ٧/ ١٠٦
إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ إذا أراد ١٧/ ٤٢٥
إنَّ الله عزَّ وجلَّ إذا أراد بعبدٍ خيرًا ٢/ ٢٤٦
إِنَّ الله عزَّ وجلَّ إذا أرادَ رَحْمَةَ أُمَّةٍ مِن عِبادِهِ ٨/ ٤٨، ١٨/ ٣٠٩
إنَّ الله عزَّ وجلَّ أذهبَ عنكم ١٧/ ٥٣٢
إنَّ الله عزَّ وجلَّ خَلَقَ الفِرْدَوسَ بيَدِهِ ٢/ ٢٩
إنَّ الله عزَّ وجلَّ فرض الصَّلاة ٧/ ٥١٩، ١٠/ ٣٠٤، ٣٦٥، ٣٩٠
إنَّ الله عزَّ وجلَّ فضَّلَ محمدًا ٩/ ٣٧٢

إنَّ الله عزَّ وجلَّ نظر في قلوب العباد ٣/ ٢٧٣
إن الله عز وجل يجعل السماء على إصبع ١٨/ ٢٠٤
إنَّ الله عزَّ وجلَّ وملائكته ١٠/ ٤١٠
إنَّ الله عزَّ وجلَّ يَغارُ وغيرةُ الله ٥/ ١٧٤
إنَّ الله فرضَ فرائضَ ١٠/ ٢٢٨، ١٣/ ٢٩
إنَّ الله فضَّلَ محمدًا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٢/ ١٠٧
إنَّ اللهَ قد أَحْسَنَ عليكُمُ الثَّناءَ ٤/ ٣٦٨
إنَّ الله قد أوجب لها ١٣/ ٢٦٦
إنَّ الله قَدْ أوقَعَ أجرَهُ على قدرِ نيَّتِه ٨/ ٤٥٤
إن الله قد رفع لي الدنيا ٩/ ٣٠٩
إنَّ الله قسَّم كلامه ١٧/ ٢٠
إن الله كتب الإحسان ١٢/ ١٦٠، ١٣/ ٢٥٥
إنَّ اللهَ كَتَبَ كِتابًا ٤/ ٣٩
إنَّ اللهَ كَتَبَ مَقَادِيرَ الخَلْقِ ٥/ ٢٥٠، ٩/ ٢٠٨
إنَّ الله لا يَجمَعُ أُمَّتي على ضَلالةٍ ٣/ ٣٤١، ٧/ ٥٣٧
إنَّ الله لا يحبُّ الفَاحِشَ ولا المُتفَحِّش ٢/ ٢١٨
إنَّ الله لا يستحي ١٧/ ٣٩٧
إنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أن يُشْرَكَ به ١٢/ ٢٥٥
إنَّ الله لا يَقْبِضُ العِلمَ انتزاعًا ٢/ ٢٢٩
إنَّ الله لا ينام ولا يَنْبَغِي له أنْ ينام ٥/ ١٨
إنَّ اللهَ لا ينزِعَ العِلْم ٨/ ٥٥٨
إنَّ اللهَ لا يَنْظُرُ ١٦/ ١٧٥
إنَّ اللهَ لم يجعل شِفاءَكُمْ ٧/ ١١٢، ١٦/ ٤٣٧
إنَّ الله لَمَّا ذَرَأَ لجهنَّم ما ذَرَأَ ١١/ ١٩٤
إنَّ الله لما قَضَى خَلْقَه اسْتَلْقَى ٢/ ١٥
إن الله ليحب أن يرى أثر ٧/ ٥٦
إنَّ الله ليُدْخِلُ بلُقْمَةٍ ٧/ ٣٢٠
إنَّ اللهَ ليَرْضَى عن العَبْدِ ١/ ٢٩٢، ٧/ ٨٦
إنَّ اللهَ ليَطَّلِعُ إلى خَلْقِهِ ليلةَ النِّصْفِ ١٢/ ١٥
إنَّ اللهَ لَيَطَّلِعُ في ليلةِ النِّصْفِ ١٢/ ١٥

إنَّ اللهَ ليؤيِّد ١٦/ ٢٣٠
إن الله ناجىٰ ٧/ ٢٩٦
إنَّ الله ناجىٰ موسىٰ ١٧/ ٢٨٥
إنَّ اللهَ هو المُسَعِّر ١٦/ ٣٨٧
إنَّ اللهَ ورسوله حَرَّم بيع الخمر ١١/ ٢٣٤
إنَّ اللهَ وَضَعَ ١٧/ ٦٠٦
إنَّ الله وَضَعَ علىٰ المُسافِرِ ١٠/ ٣٦٦
إنَّ اللهَ وَضَعَ عن المُسافِرِ ١٠/ ٢٨، ٣٣٨، ٣٤١، ٣٥٤، ٣٦٤، ٣٦٠، ٣٦٨، ٣٩١
إنَّ الله وكَّل بقبري مَلَكًا أعطاه أسماء الخَلَائق ٣/ ١٤
إنَّ اللهَ وملائكتَهُ يُصَلُّون ١٦/ ٢٩٥، ٣٣٧
إنَّ اللهَ يَبْسُطُ يَدَهُ باللَّيلِ ٥/ ١٨
إنَّ الله يبعث الملائكة ١٠/ ٤١١
إن الله يبعث علىٰ رأس كل مائة سنة ١٣/ ١٧٧
إنَّ الله يبعث لهذه الأمَّة ٨/ ٤٢٣
إنَّ اللهَ يُبْغِضُ ثلاثةَ نَفَرٍ ٧/ ١٠٨
إنَّ اللهَ يحبُّ ١٦/ ٣٤١
إن الله يحب أحدكم ١٣/ ٢٥٥
إنَّ الله يحبُّ سمحَ البيعِ ١٨/ ٩٧
إنَّ الله يحبُّ الصَّمتَ ١٧/ ٣٤٦
إنَّ الله يُحِبُّ العُطَاسَ ٧/ ١٦٢
إنَّ الله يحبُّ أن تُؤتَىٰ رُخَصُهُ ١٠/ ٤١٧
إنَّ اللهَ يحبُّ أن تُؤْتَىٰ رُخَصَهُ كما يُحِبُّ أن تُؤْتَىٰ عَزائِمُهُ ٨/ ٩٤
إن اللهَ يُحِبُّ أن يَرَىٰ أَثَرَ ٧/ ٥٨
إنَّ الله يحبُّ أن يُؤخَذَ برُخْصَتِهِ ١٠/ ٣٩١
إنَّ الله يحبُّ ثلاثة ويبغضُ ثلاثة ٢/ ٢١٨
إنَّ اللهَ يُدْخِلُ بِالسَّهْمِ ٧/ ٢١٧
إن اللهَ يُدْخِلُ بالسَّهْمِ الواحدِ الجنَّةَ ثلاثةً ٨/ ٤٤٩
أنَّ الله يدعو النَّاس يوم القيامة بأمَّهاتهم ٥/ ١٠٤
إنَّ الله يَدْعُو صَاحبَ الدَّينِ ١٢/ ١٣٧
إنَّ الله يستخلِصُ رجلًا ١٤/ ٥٧٣
إنَّ الله يَعْجَبُ مِن رَجُلين ٢/ ٣٥
إنَّ اللهَ يقبلُ توبة ١٧/ ١٦٢
إنَّ الله يقبلُ توبةَ العبدِ ما لم يُغَرْغِرْ ٥/ ٨٢

إنَّ اللهَ يُقَدِّمُ في تَحْرِيمِ الخَمْرِ ١١/ ٢١٨
إنَّ الله يقول ١٠/ ١٥
إنَّ اللهَ يقولُ: يا ابنَ آدمَ ٧/ ٩٠
إنَّ الله يُمْسِكُ السَّماواتِ ٧/ ٥٠٩
إن الله يُمهِلُ حتىٰ يَمضي شطْرَ الليل ٢/ ٤١
إنَّ اللهَ يَنْزِلُ ١٦/ ١٧
إنَّ الماءَ خُلِقَ قبل العَرْشِ ٥/ ٢٥٠
إنَّ الماءَ طَهُورٌ ٨/ ٣٩٨، ١٤/ ٣٢
إنَّ الماءَ طهورٌ لا ينجِّسه شيء ١/ ٢٤١
إن الماءَ لا يُنجِّسه شيءٌ ٨/ ٤٨٦
إن الماء لا ينجسه شيء إلا ما غلب علىٰ ريحه وطعمه ولونه ٨/ ٤٨٨
إنَّ الماءَ مِن الماءِ ٨/ ٤٠٠
إنَّ المدينةَ تنفي خَبَثَها ٨/ ٥٣٨
إنَّ المسألةَ لا تَصْلُحُ ١٤/ ٩٢
إنَّ المسحَاة أصابت قَدَم حمزة ٢/ ٣١٨
إنَّ المُسْلِمَ إذَا عَادَ ٧/ ١٥٠
أن المسلمين أكثروا المسائل علىٰ رسول الله ١١/ ٣٤٤
إنَّ المسيح بن مريم خارج قبل يوم القيامة ٣/ ٢٧٩
إنَّ المغضوبَ عليهم هم اليهودُ ٤/ ١٦٠
إنَّ المَغْضُوبَ عليهم: اليهود ٤/ ٣٣٢
إنَّ المُقْسِطِينَ ٧/ ٢٩٣
إنَّ المُقْسِطِينَ علىٰ مَنابِرَ مِن نُورٍ ٢/ ٢٥
إنَّ الملائكة كانت تَحمِلُهُ ٢/ ٣٠٠
أنَّ المَهْدِيَّ لا يَخْرُجُ ٣/ ٤٨٠
إنَّ المؤذِّنَ المُحْتَسِبَ ١٤/ ٣٢٤، ١٧/ ٥٠١
إنَّ المؤمنَ إذا حضرَتْه الموتُ ١٧/ ٥٠
إنَّ المؤمن إذا كان ١٧/ ٤٨
إنَّ المُؤمِنَ عِنْدِي بِمَنْزِلَةِ ٧/ ٦٦
إنَّ المُؤمِنَ في قَبْرِهِ لفي رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ ٤/ ٤٠٢
إن المؤمن لا ينجس حيًّا ولا ميتًا ٨/ ٦٢٢
إنَّ المُؤمِنَ لَيُدْرِكُ ٧/ ٢١٠
إنَّ الميِّتَ لَيَسْمَعُ ١٤/ ٣٠٨
إنَّ الميتَ ليُعَذَّبُ ببكاء الحيِّ ١١/ ١٩١
أنَّ النَّاسَ يأتون آدمَ ٥/ ٣٠٠
أنَّ الناس يذهبون إلىٰ نوحٍ ٥/ ٢٨١
أنَّ الناس يطلبون من يشفع لهم ٥/

٢٩٨
أنَّ النَّبيَّ، مَرَّ بِهِ ٧/ ٢٦٢
أنَّ النبيَّ استعمل عتَّاب بن أَسيد على مكَّة ١٢/ ٤٦٠
أن النبي صلَّى الصبح بالصحابة ٧/ ١١٦
أنَّ النَّبيَّ أَوصَى رجلًا بثَلاثٍ ٧/ ٨٤
أنَّ النبيَّ بيَّن أركان الإيمان ٧/ ٤٨٣
أنَّ النبيَّ رؤي وهو يمسح فرسه بردائه ٥/ ٤٥٢
أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أتاهم في بني ظفر ٨/ ٢٠
أنَّ النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أُتِيَ بالبراق ٩/ ٢٣٣، ٣٧٥
أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أُتي برجلٍ ١١/ ٢٤٣
أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أُتي بمُخَنَّثٍ قد خَضَبَ يَدَيْهِ ١٢/ ٢٤٥
أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم استوهب وضوءًا ٨/ ٤٩٢
أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أمر بزكاة الفِطْر ١٢/ ١٠٣
أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أمر سعدًا ٨/ ٤٤١
أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أمر قارئًا يقرأ ٨/ ١٩
أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعث ١٠/ ٥٤
أنَّ النبيَّ بَعَثَ رَجُلًا على سَرِيَّةٍ ٤/ ٧٩
إن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعثني إليكم ١٣/ ٣١٩
أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعثه إلى اليمن ١٠/ ٤٨
إنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم جاءته وفود الجنِّ ٢/ ١٠٣
أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حَبَسَ رَجُلًا ١٢/ ٢٤٤
أنَّ النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حين صَلَّى صلاةً رباعيَّة ١٠/ ٢٩٩
أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم دخل على زينب ١١/ ١٨٢
أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم دخل على عُبادة يعودُه ٨/ ٢٨٦
أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم دخل

عليها وعندها امرأةٌ ٨/ ٩٦
أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ذهب إلىٰ أبي أيوب ومعه أبو بكرٍ ١/ ٢٩١
أن النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم رأىٰ إنسانًا به بلاء ٨/ ٢٨٣
أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم رأىٰ نيرانًا توقد يوم خيبر ٨/ ١٤٤
أن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم رجم الغامدية ٨/ ٤٨٢
أنَّ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم سمع رجلًا ٨/ ٤١٠
أن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم سمع في الجمع رجلا ١٣/ ١١٤
أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم سُئلَ عن العُمْرَةِ ٤/ ٢٤٩
أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم سُئل عن مسِّ الذَّكرِ ٨/ ٤٠٧
أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم صلَّىٰ إحدىٰ صلاتَي العَشِيّ ١٠/ ٣٥٢
أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم صَلَّىٰ الظُّهْرَ ١٠/ ٣٦٢
أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم صلَّىٰ الظهر ١٠/ ٢٤٩
أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم صلَّىٰ الظهر خمس ركعات ١٦/ ٣٤٠
أنَّ النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم صلىٰ بعد العصر ٨/ ٤٠٩
أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم صلَّىٰ صلاة الظهر ١٠/ ٣٦٩
أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عاد رجلًا من المسلمين ٨/ ٢٨٣
أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال لأبي بكرٍ ٨/ ٥٧٥
أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال لجبريل ٤/ ١٠٧
إن النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال لعمر ٨/ ٥٦٦
أنَّ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال لمعاذ: بم تحكم ٨/ ٤٣٢
أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قام يُصَلِّي ليلة النصف من شعبان ١٢/ ٢٤
أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قرأ علىٰ الجنازة ١٠/ ٢٥٥
أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان

إذا اشتكى ٤/ ٣٧٢
أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان إذا توضَّأ ٤/ ٢٦٠
أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان أول ما قدم المدينة ٨/ ٥١٢
أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان يسافر ١٠/ ٣٦٩
أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان يُصلِّي ١٤/ ٥٩١
أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان يقرأ مع جبريل ٤/ ١٧٩
أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان يَقْصُرُ ١٠/ ٣٧١
أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كلَّم قومًا بلغتهم ٣/ ٢٧
أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لقي رجلًا ١١/ ٣٣١
أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لَمَّا فتح خيبر أصاب حمارًا أسود ٨/ ١٤٨
أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لما فَرَغَ من الطواف ٤/ ٢٤٥
أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مرَّ على باب أُبيٍّ ٩/ ٧٧
أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مَرَّ على بئرٍ فيها عبدٌ ١٢/ ٢٥٣
أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مسح رأسه بيده ٩/ ٢٤٥
إنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نظر إلى زينب ١٣/ ٦٤
أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نهى عن قليل ما أسكر كثيرُه ١١/ ٢٣٥
أن النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وأصحابه نزلوا بأقصى الحديبية ٩/ ٢٣٧
أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وقف على قبر أمه ١٣/ ١٥٨
أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ١٠/ ١٧٢
أنَّ النبيَّ قال لحفصة: ألا أبشِّرك ٥/ ١٧١
أنَّ النَّبيَّ قَرَأَ ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ ٧/ ٧٨
أنَّ النبيَّ قرأ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ ٤/ ٣٦٠
أنَّ النَّبيَّ كَانَ إِذَا جَاءَهُ أَمْرٌ يَسُرُّهُ ٧/ ٧٤

أنَّ النبيَّ كان إذا اشتكىٰ ٤/ ٤٦٤
أنَّ النَّبي كان يُشير في الصَّلاة ٧/ ٣٧٧
أنَّ النَّبي كتب إلىٰ سُهيل بن عمرٍو ٧/ ٤٦٦
أنَّ النبيَّ كشف الستارة ١٢/ ٣٦٧
إنَّ النبيَّ لما توجَّه مهاجرًا ٤/ ٢١
أَنَّ النَّبيَّ مَرَّ بِخِبَاءِ أَعْرَابِيٍّ ٧/ ٢٥٣
أن النبي مَرَّ عَلَىٰ صُبْرَةِ طَعَامٍ ٧/ ١٠٦
أنَّ النبيَّ وجد إدريس ٥/ ٣٣٦
إنَّ النَّذْرَ لا يُقَرِّبُ من ابن آدم شيئًا لم يكن الله تعالىٰ قدَّره له ٣/ ٧٥
أنَّ الوليد بن عقبة الأموي كان عنده ساحرٌ ٥/ ٤٨٨
أنَّ إلياس هو إدريس ٥/ ٣٥٠
إن اليهود أتوا النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم برجل وامرأة منهم ٨/ ٥١٨
أنَّ اليهود أشاروا علىٰ قريش ١/ ٢١٠
أنَّ اليهود سألوا النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ٤/ ٤٢
إنَّ اليهودَ قومٌ حُسَّدٌ ١٢/ ٢٤١، ١٨/ ١٢٩
إنَّ أَمَارَةَ لَيْلَةِ القَدْرِ أنها صافيةٌ ١٢/ ٨٧
إنَّ أمَّتي ١٧/ ٢١٧
إنَّ أُمَّتي في الأُمَمِ كالشَّعْرَةِ البيضاء ٥/ ٣٠٠
إنَّ أمتي لم يُخْزَوا ما أقاموا شهرَ رمضانَ ١٢/ ٧٥
أنَّ امرأة أهدت إليها رِجْلَ شاة ١١/ ٣٤٦
أنَّ امرأةً حسناء في زمان بني إسرائيل ٥/ ٤٠٤
أنَّ امرأةً خرجت علىٰ عهد النبيِّ ٧/ ٥٢٦
أنَّ امرأةً شكت زوجها ١٤/ ٤٣٢
أَنَّ امْرَأَةً كَانَتْ تَلْقِطُ القَذَىٰ ٧/ ١٦٥
إنَّ إمرأتي لا ترد ١٦/ ١٨٣
أنَّ امرأتين قد صَامَتا ١٢/ ٧٣
أنَّ أمَّ جريجٍ لما غضبت ١٨/ ٨٦
إنَّ أمِّي أوصت إليَّ ٧/ ٤٨٣
إنَّ أُمِّي نذرت ١٤/ ٣٤٧
أنَّ أُناسًا أُروا ليلة القدر في السبع الأواخر ١٢/ ٤٨١
أنَّ أُناسًا من أهل اليمن ١١/ ٢٤٨
إنَّ أنسًا كان صغيرًا ٨/ ٤١٩

إنَّ أنسابَكُم هذه ١٧/ ٥٣٢
إنَّ أنواع البرِّ نصفُ العبادة ٧/ ٣٩٤
إنَّ أَهْلَ الجنَّةِ ٧/ ٣١٢، ١٦/ ٥٤
إنَّ أهلَ الجَنَّةِ ما أُعْطُوا ٧/ ٨١
إنَّ أهل الجنَّة يأكلون فيها ويشربون ٣/ ٧٠
أنَّ أهل الجنَّة يدخلونها ٣/ ٢٠٤
إنَّ أهل الجنَّة يدخلونها جُرْدًا مُرْدًا ٣/ ٣١٥
إنَّ أهلَ السَّماءِ لا يسمعون ٧/ ٣٩٥
إنَّ أهل الصُّفَّة أخذ كلُّ رجل منهم رجلا ٢/ ١٠٢
أنَّ أهل الكوفة وفَدُوا إلىٰ عُمر رضي الله عنه ٢/ ٣٥٧
أنَّ أهل قريظة نزلوا علىٰ حكم سعد بن معاذ ٨/ ٤٤١
أنَّ أهل مكَّة بعثوا رهطًا منهم إلىٰ اليهود ٤/ ١٩٤
أنّ أهل مكة سألوا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أنْ يُريَهُم آية ٩/ ٢٢١
أنْ أُورِّث امرأة ١٠/ ٩٠
إنَّ أولَ النَّاسِ يستظلّ في ظلِّ الله ٨/ ٢٦١
إنَّ أولَ خبر قدم المدينة ٢/ ١٣٢
إنَّ أول خبر قدم علينا ٢/ ١٠٥
إنَّ أوَّلَ ما نَبْدَأُ به ١٧/ ٣٨٥
إنَّ أوَّلَ ما يُكْفَأُ الإسلامَ ١١/ ٢٥٤، ٢٦٢
إنَّ أَوْلَىٰ النَّاسِ بي يومَ القِيامَةِ ٩/ ٣٨٢
إنَّ أولياء الله: المصلُّون ٢/ ٢١٣
إنَّ أوليائي يوم القيامة ١٧/ ٥٤٣
إنَّ أولئك إذا كان فيهم الرَّجُلُ ١٤/ ٣٨٩
أنَّ بني اسرائيل افترقوا إلىٰ إحدىٰ وسبعين فرقة ١٨/ ٣٢٧
إنَّ بالمدينة لأقوامًا ٢/ ٤٦٥
إنَّ بُدَلاءَ أُمَّتي ٧/ ٣٢٩، ٤١١، ١١/ ٣٦٠، ١٧/ ٢٧٠
إنَّ بني إسرائيل استخلفوا خليفةً عليهم ١٨/ ٣٧
إنَّ بُدلاء أمَّتي لم يدخلوا الجنَّة بكثرة صومٍ ولا صلاةٍ ٢/ ٢٦١
أنَّ بريرة أعتقت فكان زوجها عبدًا ٨/ ٤٣٢

إنَّ بلالًا يُنادي بليلٍ ٧/ ٥٤٩
إنَّ بلالًا يؤذِّن بليلٍ ١٠/ ٧٢
إنْ بيَّتم الليلة فقولوا: ﴿حمٓ﴾ لا ينصرون ٤/ ٥٦
إنَّ بين يَدَيِ الساعةِ كذَّابين ٣/ ١٢٩
أن تعبد الله كأنك تراه ١٣/ ١١٦
أن تعبدَ اللهَ كأنَّكَ تَراهُ ١٣/ ٢٠٥
أن تَلِدَ الأَمَةُ ١٦/ ٢١٨
أنْ تموتَ ولسانُكَ رطبٌ ١٧/ ٣٠٣
إنَّ ثقيفًا قالوا للنبيِّ ٤/ ١١٤
إنَّ ثلاثةً في بني إسرائيل ١٨/ ٧٢
إنَّ جبريلَ أتاني ٢/ ٩٤
أن جبريل أتى النبي ٩/ ٤٢٩
أنَّ جبريل أتى النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بمكَّة ١٠/ ٣٠٣، ٣٥٦
إنَّ جبريل باتَ الليلةَ يُعاتِبُني في إذالة الخيلِ ٥/ ٤٢٠
أنَّ جبريل ذهب به ليلة الإسراء نحوهم فكلَّمهم ٥/ ٦٨
إنَّ جبريلَ عَرَضَ لي فقال ١٢/ ٧٦
إنَّ جبريل عليه السلام أتاني ٩/ ٣٨٢
إنَّ جبريل قال: مَن هذا الميِّت ٢/ ٣٠١
إنَّ جبريل كان يدسُّ في فَمِ فرعونَ الطِّينَ ٢/ ٨٤
أنَّ جناحي جعفر من ياقوتٍ ٢/ ٣٤٦
إنَّ حامِلَ القُرآنِ ١٤/ ٣٢٤، ١٧/ ٥٠٢
إن حذيفة نكح يهودية ١١/ ٤٧
الآن حَمِيَ الوَطِيسُ ٥/ ٩٠
أنَّ خاتمة القُرآنِ مُعوِّذتان ٤/ ٤٧٩
أنَّ خزيمة بن ثابتٍ سأل النبيَّ عن الرَّعْدِ ٤/ ٣٨٠
إنَّ خير التَّابعين رجلٌ يُقال له: أويسٌ ٢/ ٣٥٨
إنَّ خير الحديثِ كِتابُ الله ١٠/ ١٣٤
إنَّ داودَ ١٧/ ٣٥٥
إنَّ داود عليه السلام ١٧/ ٧٨
أنَّ داود عليه السَّلام، حدَّثَ نفسه ٥/ ٣٦٧
إنَّ داود قال: قد أعطيت إبراهيم وإسحاق ٥/ ٣٦٩
إنَّ داودَ كان لا يأكُلُ إلَّا مِن عَمَلِ يَدِهِ ٥/ ٤١١
إنَّ دماءَكم وأموالكم وأعراضكم حرامٌ عليكم ١٣/ ٢٥٣

إنَّ ذا القَرْنَينِ شابٌّ منَ الرُّومِ ٢/ ١٨٧
إنَّ ذلك لا يَمْنَعُ ١٦/ ٤٠٠
إن ذهبت تقيمه ١٣/ ٣٨١
إنَّ راعيًا نزل ذات ليلةٍ بجانب كَرْمٍ ٨/ ٨٤
إنَّ ربَّكم واحد ١٧/ ٥٣٢
إن ربيعة بن أمية استمتع بامرأة ٨/ ٥٤٦
أنَّ رجلًا أتىٰ ابن عمر فقال: بم أهلَّ رسول الله ٨/ ٤١٩
أنَّ رجلًا أتىٰ النبيَّ ١١/ ٣٤١
أنَّ رجلًا أتىٰ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فأخبره أنَّ جاره قد مات ١٢/ ٣٢٢
أنَّ رجلًا أتىٰ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وآمَن ٨/ ١٤٣
أَنَّ رَجُلًا أَسْودَ أَتَىٰ النَّبيَّ ٧/ ٢٥٠
إنَّ رجلًا أهدىٰ إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم راوية خمرٍ ١١/ ٢٣٤
أن رجلًا جاء إلىٰ النبي ١٣/ ٣٢٠
أنَّ رجلًا جاء إلىٰ النَّجاشيِّ ٢/ ٢٩٠، ١٨/ ٩٥
أنَّ رجلًا زار أخًا له في قريةٍ ١٨/ ٤١
أنَّ رجلًا سأل رسولَ الله فقال: يا رسول الله أنبيًّا كان آدم ٥/ ٢٩٦
إنَّ رجلًا سبَّ النبيَّ ٩/ ٣٥٩
أنَّ رجلًا سلَّم علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ١٢/ ١٨٤
إنَّ رجلًا طلَّق امرأته ثلاثًا ٧/ ٥٢١
أنَّ رجلًا قال ذاتَ يومٍ ودخل في الصَّلاة: الحمدُ لله ملءَ السَّماءِ ٨/ ٢٤٦
أنَّ رجلًا قال لرسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ١٠/ ٢٦٨
أنَّ رجلًا قال للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ١٦/ ٢٣١
أنَّ رجلًا قدم من جيشان ١١/ ٢٣٢
أنَّ رجلًا كان علىٰ عهد النبيِّ ١١/ ٢٤٤
أنَّ رجلًا كان فيمن كان قبلكم ١٨/ ٩٧
إنَّ رجلًا كان قبلكم رَغَسَه الله مالًا ١٨/ ١٠١
أن رجلًا كان يأتي النَّبيَّ ٧/ ٢٩١
أنّ رجلًا كان يختلف إلىٰ عثمان بن عفَّان ١٤/ ٣٧٢
إنَّ رجلًا كان يدعو لملك الشمس

٥/ ٣٤٠
أنَّ رجلًا لم يعمل من الخيرِ شيئًا ١٨/ ١٠٢
إِنَّ رَجُلًا مَاتَ ٧/ ١٧٧
أَنَّ رَجُلًا مَرَّ بأبي الدَّرْدَاءِ ٧/ ٢٦٤
إِنَّ رَجُلًا مِمَّنْ ٧/ ١٧٨
أنَّ رَجُلًا ممَّن كان قبلك خَرَجَتْ به قُرْحَةٌ ١٢/ ٣٠٦
أنَّ رجلًا من الأنصار جاء إلى رسول الله ٢/ ٢١
أنَّ رجلًا منهم شرب ١١/ ٢٤٦
أنَّ رجلًا يقال له صَبيغٌ قَدِمَ المدينة ١٢/ ٢٤٩
أنَّ رسول الله – صلَّى الله عليه وآله وسلَّم- قام فيهم ١٢/ ١٢٣
أنَّ رسول الله أخذ بعضادتي باب الكعبة يوم الفتح ٤/ ٣٧٨
أنَّ رسول الله اضطجع ذات ليلةٍ للنوم ١٢/ ٣٦١
أنَّ رَسُولَ الله بَعَثَ رَجُلا ٧/ ٢٠٠
أنَّ رسول الله تلَبَّث عن أصحابه ١٢/ ٤٣١
أنَّ رسول الله خرج عليهم ذات غداة ١٢/ ٤٢٩
أنَّ رسول الله ذَكَرَ العبدَ الكافرَ ٤/ ٢٦٦
أنَّ رسول الله رُؤي وهو يَمْسَحُ وجْهَ فرسه بردائه ٥/ ٤٢٠
إنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله سلم نهى عن هذا الاسم، ١/ ١٨٩
إنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ١٤/ ٢١٦
أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أتاه جبريل ٩/ ٢٤٨
أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أُتِيَ بسارقٍ ١١/ ١٧٠
إن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أذن لنا في المتعة ثلاثا ٨/ ٥٤٦
أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم انصرف من صلاةٍ ١٠/ ٢٤٦
أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بَعَثَ بِكِتَابِهِ ١٠/ ٤٤
أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعثه وحده ٢/ ٣١٢
أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم

خَرَجَ من جوف الليل ١٢/ ٨١
أن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم دخل عليها ٩/ ٣٣٤
أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم سُئل عن فأرةٍ ٨/ ٤٣١
أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم صلَّىٰ صلاةً يجهر ١٠/ ٢٤٨
أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قام ١٧/ ٤٢٩
أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قام فيهم ٢/ ٢٥٠
أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قرأ بالمعوذتين ٤/ ٩١
أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قيل له: ألم ترَ ثابت بن قَيس ٢/ ٣٠٥
أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان إذا سمع الرعد ٤/ ٢٨٧
أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان إذا كَبَّر ١٠/ ٢٧٤
أنّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان علىٰ الحَجُون ٩/ ٢١٩
أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان يأمرنا أن نُخرج الصدقة ١١/ ١٢
أن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان يقوم من الليل ١/ ١٩٢
أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان يكره الرُّقَىٰ إلا بالمُعوِّذات ٤/ ٣٨٨
أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كتب إلىٰ النَّجَاشِي ١٠/ ٥٣
أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كتب إلىٰ أهل اليمن ١٠/ ٥٧
أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لَعَنَ الوَاصِلَة ٢/ ٢٢١
أن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لَمَّا أراد أن يبعثه ٨/ ٥٥٠
أن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مَرَّ بأعرابيّ ١٠/ ١٤٩، ١١/ ٣٨٥
أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم نهىٰ عن متعة النِّساء يوم خيبر ٨/ ١٤٣
أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وقف يوم النَّحْرِ ٤/ ٣٦٥
إنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ١٠/ ٧١
أنَّ رَسُولَ الله قَالَ في غَزْوَةِ حُنَيْنٍ

٧/ ٢٣٢
أنَّ رسول الله قال لأخي ورقة ١٢/ ٤٥٤
أنَّ رَسُولَ الله قَالَ لِبِلَالٍ ٧/ ١٩٨
أنَّ رَسُولَ الله لَعَنَ زَوَّارَاتِ القُبُورِ ٧/ ١٣٣
أنَّ رَسُولَ الله لَيْلَةَ أُسْرِيَ ٧/ ٢٦٧
أنَّ رسولَ الله سَمِعَ رُجلًا يقول ٧/ ٧٩
إنَّ روح القدس نفث في رَوعي ٥/ ١٦٢
إنَّ روح الله ٣/ ٤٢١
إنَّ روح عيسى -عليه السَّلام- من جملة الأرواح ٤/ ١٣٦
إنَّ زوجي غائبٌ ١٢/ ٣٩٣
أنَّ زيد بن حارثة مَوْلَى رسول الله ١١/ ١٨١
إنْ سَلَّمَهُمُ اللهُ ٧/ ٦٩
أنَّ سليمان بن داود كان يسير من طبرية ٥/ ٤٤١
أنَّ سليمانَ بن داودَ لَمَّا بنى بيتَ المَقْدِسِ ٥/ ٤٣٤
إنَّ سليمان عليه السلام لما مَلَكَ بعد أبيه ٥/ ٤٣٢
إنَّ سورةً في القُرآن ثلاثون آيةً ٤/ ٦٢
إنَّ سورةً مِن القرآن ١٤/ ٢٣١
إنَّ سورةً من القرآن ثلاثون آيةٍ ٤/ ٢٦١
إنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً ١٢/ ١٩٠
إنْ شَرِبَ فاجْلِدُوهُ ١١/ ٢٤٦
إنْ شَرِبها فاجْلِدُوهُ ١١/ ٢٤٧
إن شئتَ احتسبتَ عندالله ١٤/ ١٩٠
إن شئتَ أخرَّتُ ١٤/ ١٩٤، ٤٩٥
إن شئتَ حبستَ ١٦/ ٣٩١
إنْ شئتَ دعوتُ ١٤/ ٤٦٢، ٤٩٣
إن شئت دعوت فردت عينك ١٣/ ٢٥٦
إنْ شِئت صبرت ١٣/ ٢٦٦، ١٤/ ٥٠٩
إن شئتم أنبأتكم ٧/ ١٢٤
أنَّ طارق بن سويد الجعفيَّ سأل النبيَّ ١١/ ٢٤٩
أن طلحة بن عبيد الله نكح بنت عظيم اليهود ١١/ ٤٨
أنَّ عابدًا مِن بني إسرائل ٧/ ٥٢
أنَّ عابِدًا مِن بني إسرائيل مَكَثَ ٨/ ١٥٥
أنَّ عالمًا يدخلُ النَّار ٧/ ٣٨٤
أنَّ عائشة رضي الله عنها حُدِّثت أنَّ عبدالله بن الزبير ٨/ ١٣٥

أن عائشة كانت ترىٰ التحريم بالرضاعة ٨/ ٥٧١
أنَّ عائشة كانت تصلِّي في السَّفَر أربعًا ١٠/ ٣٦٣
أنَّ عبد الله بن أمِّ مكتوم استأذن ٤/ ١١٧
أنَّ عبد الله بن سَلَامٍ سأل النبيَّ ٤/ ١٣٩
إن عبدًا صَحَّحْتُ له ١٧/ ٣٢٠
أنَّ عثمان بن عفَّان سأل رسول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ٤/ ٢٣٩
أنَّ عثمان كان ينهىٰ عن متعة الحجِّ ١٠/ ٣٨٢
إنَّ عَذابَ هذه الأُمَّةِ جُعِلَ في دُنْيَاهَا ١٢/ ٢٥٥
إنَّ عِفْرِيتًا مِن الجِنِّ جَعَلَ تفلَّتَ ٥/ ٤٣٦
إنَّ علىٰ أُمِّي رَقَبَةً ٧/ ٤٨٣
إنَّ عليَّ رَقَبَةً مُؤمِنةً ٧/ ٤٨٢
أنَّ عليًّا قطع سارقًا ١١/ ١٧١
أنَّ عليًّا عليه السلام خرج ليلة النِّصف مِن شعبان ١٢/ ١٩
أنَّ عليًّا مَرَّ ببابل وهو يسير ٥/ ٤٨٣
أنّ عمار بن ياسر رضي الله عنهما أقسم يوم أُحُد ١١/ ٣٧٣
أنَّ عمر بن الخطاب رأىٰ في المنام ١٢/ ٤٨٠
أن عمرَ بن الخَطَّاب لبس قميصًا ٧/ ٦٤
أنَّ عمر بن عبدالعزيز أرسل إلىٰ رجلٍ من اليهود ٨/ ٦٩
أنَّ عمر رضي الله عنه دخل علىٰ النَّبيِّ ١٣/ ٦٣
أنّ عمرو بن الجموح وعبدالله بن عمرو الأنصاري كانا في قبرٍ واحد ١١/ ٣٧٢
أنَّ عَمرو بن الجَمُوحِ، وعبدالله بن عَمرٍو -والد جابر- الأنصاريَّين ٢/ ٣١٧
أنَّ عمرو بن العاص صلَّىٰ بالناس وهو جُنُبٌ ١٢/ ٣٠٠
إنَّ عندَ الله عهدًا ١٧/ ٣٠٨
إنَّ عيسىٰ ابن مريم مكث ٣/ ٢٠٦
إنَّ عيسىٰ عليه السَّلام لم يمت ٣/ ١٨٨، ٢٤٨، ٢٧٩، ٣٠٩، ٣٩٧
إن عيسىٰ مات ثلاث ساعات ٣/ ٢٥٥
أنَّ عيونًا لمُسَيْلَمة أخذوا رجلين ٤/ ٢٩٥
أنَّ فاطمة بنت أبي حبيش كانت تستحاض ٨/ ٤٣٤

أن فتاة جاءت إلى رسول الله ١٣/ ٣٨٤
إِنَّ فُلَانًا هَلَكَ فَصَلِّ عَلَيْهِ ٧/ ٢٤٠
إِنَّ في الجَنَّةِ ٧/ ٢٣٢
إِنَّ في الجَنَّةِ بَابًا ٧/ ٢٢٠
إِنَّ في الجَنَّةِ بابًا يُقَالُ له الرَّيَّانُ ١٢/ ٦٨
إِنَّ في الجنَّة دارًا ٧/ ٣٩٥
إِنَّ في الليلِ لسَاعَةً ١٢/ ١٠
إِنَّ في أُمَّتي المهديَّ ٣/ ٤٤٦
إِنَّ في حكمة آل دواد ٥/ ٤٠٦
إِنَّ في عَضُدِهِ تميمةً ١٤/ ٢٧٠
إِنَّ في معاريض الكلام مندوحةٌ عن الكذب ١٨/ ٥١
إِنَّ فيهم أو منهم مَن أُجبِرَ ٣/ ٤٧٣
أَنَّ قراءة (سورة الكهف) ٤/ ٥٠٥
أَنَّ قريبًا لعبدالله بن مُغَفَّلٍ ١٢/ ١٨٥
إن قصر فسبعٌ ٣/ ٤٦١
إِنَّ قلوبَ بني آدمَ كلها بين أصبعين ١٣/ ٢١٥
إِنَّ قلوب بني آدم كلَّها بين أصبعين من أصابع الرحمن ٥/ ١٨
إِنَّ قلوبَ بني آدمَ كلَّها ٥/ ٤٩، ١٨/ ٢٠٥، ١٨/ ٢٠٥، ١٨/ ٣٥٤
أَنَّ قومًا سُرِقَ لهم متاعٌ ١٢/ ٢٤٤
إن كان في شيءٍ من أدويتكم ١٣/ ١٧٣
إن كان وِسادُكَ لعَريضٌ ٤/ ٣٤٠
إن كان يُدار كهيئة الرقيق زكَّى ثمنه ١١/ ١٥
إن كانت القصة على ما في كتاب الله ٥/ ٣٨٢
إن كنتِ أَلَمْتِ بذنبٍ ١٦/ ٥٢٥
إِنْ كدتم آنفًا تفعلون فعل فارس والروم ١٨/ ٣٨٤
إِنَّ لا إله إلا الله ١٤/ ٥٦٨
أن لا تَدَعَ قَبْرًا ١٤/ ١٢٨
أَنْ لا تَنْتَفِعُوا ١٠/ ٥٦
أن لا تَنْتَفِعُوا مِن المَيْتَة بشيءٍ ٨/ ٣٩٢
أَنْ لا يَمَسَّ القرآنَ ١٠/ ٥٨
إِنَّ لجنَّهم بابًا لايدخله ٧/ ٤٠٣
إن لربكم في أيام دهركم ١٣/ ٢٢٤
إِنَّ لِصَاحِبِ الحَقِّ مَقَالًا ٧/ ١٧٧
إِنَّ لكلِّ أُمَّةٍ مجوسًا ١٢/ ٢٥٢
إِنَّ لكُلِّ شيءٍ سَنَامًا ٤/ ٣٧
إِنَّ لكلِّ شيءٍ قلبًا، وقلب القرآن يس ٤/ ٢٢٦

إنَّ للجنَّة ثمانية أبوابٍ ١٨/ ٢٢٣
إن للجنة بابا يدعى الريان ١٨/ ٢٢٣
إنَّ لِلشَّهِيدِ عِنْدَ الله ٧/ ٢٤٨
إنَّ للشَّهِيدِ عِنْدَ اللهِ سَبْعُ خِصَالٍ ٨/ ٣٢٥، ١٢/ ١١٨
إنَّ للصَّائِمِ عند فِطْرِهِ ١٢/ ٦٧
إن لله ١٧/ ٢١٢
إنَّ لله آنيةً ١٦/ ٢٣٢
إنَّ لله بابًا في الجنَّة ١٨/ ٢٢٤
إنَّ لله تباركَ ٧/ ٣١٤
إنَّ لله تبارك وتعالى عُتَقَاءَ في كلِّ يومٍ وليلةٍ ١٢/ ٦٦
إنَّ لله تبارك وتعالى ملائكةً ١١/ ٣٧٥
إنَّ لله تبارك وتعالى مَلَكًا ٩/ ٣٨٧، ١٤/ ٣٢٨
إنَّ لله تبارك وتعالى مَلَكًا أعْطَاهُ ٨/ ٣١
إنَّ لله تسعةً وتسعين اسمًا ٧/ ٣٩٦
أنَّ لله تعالى ١٧/ ٢٠٥
إنَّ لله تعالى ضَنَائِنَ منْ خَلْقِهِ ١٢/ ١٦٥
إن لله تعالى في كل ليلة ١٧/ ٢١٢
إنّ لله خلقًا ١١/ ٣٤٨
إنَّ لله خَلْقًا خَلَقَهُمْ ١٦/ ٢٤٤
إنَّ لله سَيَّارةً مِن الملائِكَةِ ٩/ ٣٨٢
إنَّ لله عبادًا ١١/ ٣٣٥، ١٨/ ٣٤٧
إنَّ لله عبادًا يعرفون النَّاس ١٢/ ٣٨٣
إنَّ لله عزَّ وجلَّ ١٤/ ٣٢٨
إنَّ لله عزَّ وجلَّ عتقاءَ ١٧/ ٢٠٦
إنَّ لله عزَّ وجلَّ عُتقاءَ في كلِّ ليلةٍ ١٢/ ٦٧
إنَّ لله في الأرضِ ١٤/ ٦١٢
إنَّ لله في أيام الدَّهْرِ نَفَحَاتٌ ١٢/ ١٩
إنَّ لله ملائكةً ١١/ ٤٢٦، ١٦/ ٣٨
إنَّ لله ملائكةً سيَّاحِينَ ٩/ ٤٢٢، ١٤/ ٢٤٢، ١٧/ ٢٣٠
إنَّ لله ملائكةً سيَّاحِينَ في الأرضِ ٨/ ١٢
إنَّ لله مَلائِكَةً سَيَّاحين يُبَلِّغوني ٨/ ٣٢
إنَّ لله ملائكةً في الأرضِ ١٤/ ٨٥، ٤٦٩
إنَّ لله ملائكةً مُوَكَّلين ١٠/ ٤١١
إنَّ لله ملائكةً يطوفون ١٦/ ٤٨٧
إنَّ لَنَا جِيرَانًا يَشْرَبُونَ ٧/ ١٧٩
إنَّ لي أسماءً ٩/ ٢١٤
إن لي أخًا به وجَعٌ ٤/ ٤٦٨
أنَّ محمَّدًا رأى ربَّه في صورة شابٍّ أمْرَد ٢/ ١٤

إنَّ محمدًا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أعطي ٤/ ١١٨
إنَّ محمدًا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم رأىٰ ربَّه ٩/ ٢٥١، ١٧/ ٢٠
أنَّ معاذًا كان يُصلِّي العشاء ٨/ ٤١١
إنَّ مَلَكًا استأذن ربَّه ٥/ ٣٣٦
إنَّ مَلِكًا مِن مُلُوكِ بني إسْرَائِيلَ ١١/ ٢٣٨
إنَّ مَلَكًا مُوكَّلٌ يومَ الجمعةِ ١٤/ ٣٣١
إنَّ مَلَكًا مُوَكَّلٌ يوم الجمعة بمن صلَّىٰ علىٰ النبيِّ ٨/ ٣٥
إنَّ ممَّا أدرك الناس ١٠/ ٢٨٤
إن مما أدركَ الناسُ من كلامِ النبوةِ الأولىٰ ٨/ ٤٦٢
إنَّ ممَّن لا يَغْفِر الله ١٦/ ٢١٠
إنَّ من أبوابِ الصَّدقةِ التكبيرُ ٨/ ٣٤٧
إنَّ من أشدِّ الناس ١٥/ ٢٣٩
إنَّ مِن أَشْرَاطِ السَّاعَةِ ١٦/ ١٤١
إنَّ مِن أصحابي ١٦/ ٢٠١
إنَّ من أَعْتَىٰ النَّاسِ ١٢/ ٣٩١
إنَّ من أَفْرَىٰ الفِرىٰ ١٢/ ٣٩١
أنَّ مَن أكَلَ فلْيُتِمَّ ١٠/ ٧٤
إنَّ مِن العِلْمِ ١٧/ ٤١٠، ٤٤٤
إنّ مِنَ العلم كهيئةِ المكنونِ ٢/ ٢٧٧، ١١/ ٣٢٦، ١٨/ ٣٥٤
إن مـن أمَّتـي المُحـدّثين والمُكلّمـين ١١/ ٣٣١
إنَّ مَن تمامِ الحَجِّ ١٦/ ٣٨٠
إنَّ مِن شَرِّ النَّاسِ ١٦/ ٤٨٢
أن من صلىٰ ١٧/ ٢٤٨
إنَّ مِن عِبَادِ الله عِبادًا ٤/ ٣٧٢
إنَّ من عباد الله لأُنَاسًا ما هُم بأنبياء ولا شُهداء ٢/ ٢٦٠
إنَّ مِن عِبَادِ الله مَن لو أَقسَمَ علىٰ الله لأَبَرَّهُ ٢/ ٣٠٣
إنّ من عباد الله ناسًا ٤/ ٣٧١، ١١/ ٣٤٨
أنَّ مَن قرأهما في ليلةٍ كَفَتَاهُ ٩/ ٣١
إنَّ مِن وَرَائكُم أيام الصَّبرِ ٣/ ١٨٨
أنَّ موسىٰ قال لآدمَ: أنتَ أبونا ٥/ ٣٠٠
أنّ موسىٰ قال للخَضِرِ ١١/ ٣٢٢
إنَّ موسىٰ قام خَطِيبًا ٤/ ٥١١
إنَّ موسىٰ كان رجلًا حيِيًا ١٨/ ٥٦
إنَّ مؤمني الجنِّ ١٦/ ٤٢، ١٧/ ١٦٢
إنَّ مؤمني الجنِّ لهم ثوابٌ ٢/ ١٣٥،

١٣٨، ٧/ ٥٠٧
أنَّ ناسًا من أصحاب النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٤/ ٩٥
أنّ ناسًا من الصحابة قَدِمُوا ١١/ ٣٥٠
إنَّ ناسًا مِن أُمَّتِي يَشْرَبُونَ الخَمْرَ ١١/ ٢٥٥
أنَّ ناقةً للبراء دخلت حائط رجلٍ ٥/ ٤٠٠
إنَّ نبيَّ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كَتَبَ إلى كِسْرَى ١٠/ ٤٤
إنَّ نبيَّ الله صلَّى الله عليه وآله سلَّم وأصحابه كانوا بالزَّوْراء ٩/ ٢٣٥
أنَّ نَّبي الله يوشع حينما ذهب لقتال الجبَّارين ٥/ ١٥٠
إنَّ نَسَمَةَ المُؤمِن طَائِر ١٢/ ١٢٧
أن نفرًا ثلاثة من بني عذرة أسلموا ١٢/ ٤٧٨
أنَّ نفرًا قدموا على رسول الله ١١/ ٢٤٩
إنَّ نفرًا مِن الجنِّ أسلموا بالمدينة ٢/ ١٠٤
إنَّ نفرًا من الجنِّ خمسةَ عشرَ ٢/ ٩٨
أنَّ نفرين من بني إسرائيل ٥/ ٤٠٣
إنَّ نوحًا عليه السلامُ لما حضَرتْه الوفاةُ ٨/ ٣٤٤
إنَّ نُوحًا لَمْ يَقُمْ ٧/ ٧٢
إنَّ نَوْفًا البِكَالِيَّ يزعمُ أنَّ موسى صاحبَ الخَضِرِ ليسَ هوَ موسى بني إسرائيلَ ٢/ ١٧٥
أن نيارًا الأسلمي استفتى عثمان ١١/ ٨٦
إنَّ هاتين صَامَتَا عمَّا أَحَلَّ اللهُ ١٢/ ٧٣
إنَّ هذا البيتَ ١٧/ ٣٢١
إنَّ هذا البيتَ دِعامَةٌ ٧/ ٣٢٤
إن هذا تبعنا ١٣/ ٣٢٠
أنَّ هذه الأمَّة إنما تشهد على إخبار ٨/ ١٩
إن هذين حرام ٧/ ١١٤
إن وجدتُك خارجًا ١٦/ ٨٠
إنَّ وفد عبدالقيس ١٠/ ٧٦
إنَّ يأجوجَ ومأجوجَ ١٦/ ١٣٢
إنَّ يأجوج ومأجوج أقل ١٣/ ٤٥١
إنَّ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ أقلُّ ما يَتْرُكُ أحَدُهُمْ ٤/ ٣٩٣
إنَّ يأجوجَ ومأجوجَ لَيَحْفِرُونَ السَّدَّ ٢/ ١٩٤، ١٣/ ٤٤٨

إنَّ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ مِن وَلِدِ آدمَ ٤/ ٣٩٤
إنَّ يأجوجَ ومأجوجَ يُجامعون ٤/ ٣٩٣، ١٣/ ٤٥٢
أن يُطَاعَ فلا يُعْصَىٰ ٤/ ٣٤٦
أن يَعُودَهُ إذا مَرِضَ ١٦/ ٤٥٧
إن يكن هو فلستَ صاحبه ٣/ ١٦٠، ٢٨١، ٣٦٣، ٣٣٧، ٣٨٥
أنّ يهودية كانت تشْتُم النبي ٩/ ٣٦٤
إن يوم الجمعة سيِّدُ الأيامِ ٩/ ٢٨٧
إنَّ اللهَ بَعَثَ محمَّدًا بالحقِّ ٨/ ٤٠٥
إنَّ اللهَ وَضَعَ عن المُسافِرِ ١٠/ ٣٧٣
أنا ابن عبدالمطلب ١٦/ ٤٧٤
أنا أبو القاسم ٩/ ٢٦٢
أنا آخذٌ بحُجَزِكُم ١٧/ ٦٠٤
إنَّا إذا كنَّا معك صلَّينا أربعًا ١٠/ ٣٨٥
أنا أعلم بما مع الدَّجَّال منه ٣/ ١٦٨، ٣٨٨
أنا أَعْلَمُكُم بالله ٩/ ١٠٨، ١٨/ ٥٠
أنا أغنىٰ الشُّركاءِ ١٧/ ٢٦٧
أنا أَغْيَرُ مِن سعدٍ ٢/ ١٨
أنا اللهُ وأنا الرَّحمنُ، خَلَقْتُ الرَّحِمَ وشَقَقْتُ لها اسمًا ٥/ ٢٤
أنا النبيُّ لا كَذِب ٣/ ٣١، ٨/ ١٠٥، ٩/ ٢٥٥
إنا أمَّة أمِّية ١٢/ ٥٣٠
إنَّا أهلُ بيتٍ ٣/ ٤٥٤، ٤٥٣
أنا أول الناس خروجًا ٩/ ٢٦٩، ١٨/ ٢٨٤
أنا أوَّل النَّاسِ سألَ رسولَ الله عن هذه الآية ٤/ ٣٨٣
أنا أوَّل مَن يدخل الجنَّة ٣/ ٣٩٢
أنَا أوَّلُ مَن يَفتَحُ ٧/ ٢٨٩
أنا أوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عنهُ القَبْرُ ١٨/ ٣٠٠
أنا خاتم الأنبياء ١٤/ ٤١٣
أَنَا زَعِيمٌ ٧/ ٢٣٨
أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ ٧/ ٢٠٧
أنا سيِّد ولدِ آدمَ ٢/ ١٥٢، ٥/ ٢٩٥، ٩/ ٢٢، ٢٦٧، ٤٤٦، ١٤/ ١٥، ٥٩٤، ٥٩٦، ١٦/ ٤٩٦، ١٨/ ٢٨٣
أنا عند المُنكَسِرةِ قلوبُهم مِن أجلي ٥/ ٣٢٥
أنا عِنْد ظنِّ عَبْدي بي ٢/ ٣٩، ١١/ ٤٢٥، ١٦/ ٤٨٧، ١٨/ ٣١٦

أنا قائد المُرسَلين ٩/ ٢٧٢
إنَّا كنَّا في سفر ٢/ ١٢٢
إنا لا نقول ١٦/ ٧٧
أنا لها، أنا لها ٩/ ٢٦٠، ٤٣١
أنا محمَّدٌ، وأحمدُ ١٨/ ٣١٤
أنا مَدينةُ العِلْمِ ١٦/ ٢٢٦، ٤٤٧٠، ١٧/ ٤١٣
أنا مدينةُ العلمِ وعليٌّ بابها ١١/ ٣٢٥
أنا نبيُّ الرَّحْمَةِ ١٨/ ٣١٣
إنَّا معاشر الأنبياء ١٠/ ٢٨٤، ١٧/ ١٧٨
إنَّا مَعْشَرَ الأنبياءِ أُمِرْنا أن نُعَجِّلَ فِطْرَنا ١٢/ ٧٨
أنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ ٧/ ٢٨٨
الأنبياءُ أحياءٌ ١٧/ ٥٠٠
الأنبياءُ أحياءٌ في قبورهم ٨/ ٥١، ٩/ ٢٨٦، ١٤/ ٣٢٣، ٤٥٨
الأنبياءُ أحياءٌ يُصَلُّون ١٤/ ٣٣٧
الأنبياء إخوة ٩/ ٤٢٨، ٤٥٢
الأنبياء إخوةٌ لعَلَّات أمهاتهم ٣/ ١٤٢، ٣٠٨، ٣٧٧، ١٦/ ٥٧٧
الأنبياءُ أولادُ عَلَّات ١٧/ ٢٨٣
الأنبياء أولاد علات أمهاتهم ١٣/ ١٥٩
أنت الأول ١٠/ ٣٧٢
أنتَ الظَّاهر فليس فوقك شيءٌ ٢/ ٢٤
أنت أول الرُّسل ٢/ ١٥٤
أنت رسولي إلى أهل مكَّة ١٠/ ٦٣
أنت سيِّدٌ في الدنيا ١٤/ ٥٩٧
أنت عبدٌ أرادَ اللهُ ١٧/ ٤٢٥
أنت عبد أراد الله بك خيرًا ٢/ ٢٤٦
أنت عبدالله ذُو البِجادَين ١٦/ ٥٧١
أنت منهم ١٣/ ٢٥٩
أنت مِنِّي بمنزلة هارون مِن موسى ٣/ ١٢٧
انتظِري فإذا طهرتِ فاخْرُجِي إلى التَّنعيمِ ٨/ ٣٠٣
أنتقمُ ممَّن أبغضُ ١٦/ ٢٢٩
أنتم الذي قلتم كذا وكذا، أما والله إنِّي لأخشاكم لله ١٨/ ٣٦٣
أنتم أعلم بأمور دنياكم ٩/ ١٣١
أنذرِكم الدَّجَّال، فإنه لم يكن نبيٌّ قبلي إلَّا وقد أَنْذَرَهُ أمَّته ٣/ ١٢٨
أنَّ رجلًا زار أخًا له ١٦/ ٢٤٤
أُنزل القرآنُ ١٧/ ٤١٢، ١٨/ ٣٣٥

أنـزلَ اللهُ عـليَّ أمـانين لأُمَّتـي ٤/ ٣٦٤
أُنـزل القـرآن عـلى سـبعة أحـرف ١١/ ٣٢٤

أنزل الملكان بالسِّحر ليعلِّما الناس البلاء ٥/ ٤٨٤
انشـقَّ القَمَـرُ عـلى عهـد رسـول الله ٩/ ٢٢١، ٢٢١، ٢٢٣
انشق القمر ونحن بمكة ٩/ ١٥٦
انْضَحُوا عَنَّا بالنَّبِلِ ٩/ ٤٤
انطلق النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٢/ ٩٩
انطلِق بنا إلى أبي سعيدٍ الخدريِّ ٧/ ٥٠٥
انطَلَقَ ثلاثةُ رَهْطٍ ممَّن كان قبلكم ٢/ ٢٧٩
انطلق ثلاثة نفرٍ ممن كان قبلكم ١١/ ٣٦٧
انطلقا فبشِّرا ١٧/ ٢٣٣
انْطَلِقا فبَشِّرا ولا تُنَفِّرا ١٤/ ٢٤٦
انطلقتُ في المُدَّة ١٠/ ٤٤
انطلقت مع أبي إلى النبيّ ٩/ ٣٤١
انظُرْ فإنَّكَ لستَ بخيرٍ ١٧/ ٥٣٤
انْظُرُوا إلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ٧/ ٦٧
انْظُرُوا إلى من هو أَسْفَلُ ٧/ ٨٢، ٨٩
انظروا قبرَ النبيِّ ١٧/ ٥٥٦
انعته لي ١٣/ ٤٤٧
أنفقْ بلالًا ١٧/ ١٩٦
أنفق ما في الجيب ١٧/ ١٩٦
انقَطَعَ قِبالُ النبيِّ ٤/ ٢٤٧
إنَّك الذي رأيتُ فيه ١٢/ ٤٣٨
إنك تعيش بخير ١٣/ ٢٥٨
إنَّك حَامِلٌ بغُلامٍ ٣/ ٤٨٣
إنَّك رَجُلٌ ضَعِيفٌ وإنِّي أُحِبُّ لَكَ ما أحِبُّ ١/ ١٩٣
إنَّكَ ستأتي قومًا أهل كتابٍ ١٠/ ٤٦
إنك شاهدٌ معنا الجمعة ١٢/ ٥١٣
إنَّك في الجنَّة ١٦/ ٥٧١
إنَّك لا تَدْرِي ١٦/ ١٩٦
إنك لَتَحْمَدُ اللهَ ٧/ ٤٩
إنك لزَهِيدٌ ١١/ ٣٤٣
إنك يا سعد لن تُنفقَ نفقةً ٨/ ٤٤٨
إنَّكم تختَصِمون إليَّ فلعل بعضَكم ٨/ ٥٧٠
إنَّكم تُدْعون يوم القيامة بأسمائكم

وأسماء آبائكم ٥/ ١٠٥
إنّكم تُعرضُون ١٧/ ٢٣٢
إنكم تُعْرَضُون عليَّ بأسْمائِكُمْ ٩/ ٤٢١، ١٤/ ٢٤٤
إنّكم ستأتون غدًا ٩/ ٢٣٧
إنكم لن تَروا ربّكم ٧/ ٤٠٣
إنما أتقبَّلُ الصَّلاةَ ١٧/ ٤٤٥
إنَّما أتقبَّل الصَّلاة ممَّن تواضَعَ لعَظَمَتي ٢/ ٢٧٧
إنما الأعمال بالخواتيم ٣/ ٢٤٦، ٣٤٢، ٧/ ١٢، ٧/ ٢٣٥، ٨/ ١٧٦، ٤٠١، ٩/ ٢٠٧، ١٢/ ١٤٠
إنما الأعمال بالنيات ١٨/ ١٨١
إنَّما الدُّنيا لأربعةِ نفرٍ ٨/ ٢٣١
إنَّما العلمُ بالتَّعلُّمِ ١٧/ ٣٤٤
إنما العلوم أربعةٌ ١٦/ ١٥٨
إنما الماء من الماء ٨/ ٥٧٧
إنما المدينةُ كالكِيرِ تنفي خَبَثَها ٨/ ٥٣٨
إنَّما النَّاسُ رجلانِ مؤمنٌ ٨/ ٢٣٠
إنَّما الولاءُ لمن أعتقَ ٨/ ٤٠١
إنَّما أنا بشرٌ أنسَىٰ ١٠/ ٢٢٠
إنَّما بُعِثْتُ رَحْمَةً ولم أُبعَثْ عَذَابًا ١٨/ ٣١٣
إنَّما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلَاقِ ١٨/ ٣١٠
إنَّما بَقَاؤُكُمْ فيما سَلَفَ قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ ١٨/ ٣٠٧
إنما تقومون إعظاما لله ٨/ ٦٢٤
إنَّما جعل الاستئذان من أجل البصر ٨/ ٤٣٣، ٥٦٠
إنَّما جُعل الإمامُ ١٠/ ٣١٥، ١٠/ ٣٢٦، ١٠/ ٣٩٢
إنَّما جُعلَ الإمامُ ليُؤتَمَّ بهِ ٢/ ١٦٢، ١٠/ ٢٤٩، ١٠/ ٣٣٩
إنَّما جُعلت الخُطبة ١٠/ ٤٣٠
إنَّما خرجتُ مِن نكاحٍ ٩/ ٤٤١، ١٦/ ٥١٥
إنما سُمِّي الخَضِر ٤/ ٥١٤، ١٧/ ٢٢٠، ١٨/ ٢٦
إنما سمِّيت المرأة مرأةً ٥/ ٢٦٨
إنَّما قَوْلي لمائةِ امرأةٍ كقَوْلي لامرأةٍ واحدةٍ ٨/ ٤٨٩
إنَّما كانتْ فتنةُ ١٧/ ٧٩
إنَّما نَسَمةُ المؤمنِ طيرٌ يعلقُ في شجرِ الجنة

٨/ ٣٢٤
إنَّما نهيتُكم عن لحُوم الأضَاحي لأجلِ الدَّافَّة ٨/ ٥٦٠
إنَّما نهيتكم لأجل الدافَّة ٨/ ٤٣٠
إنما هلكت بنو إسرائيل حين اتخذها نساؤهم ١٨/ ٢٥٢
إنما يلبس الحرير ٧/ ١١٤
أنه آخر النبيين ١٤/ ١٨٩
إنَّه إذا شرب سكر وإذا سكر هذىٰ ٨/ ٤٣٧
أنه أقام بمكة عشر ليالٍ ١٠/ ٣٩٢
إنَّه الآنَ يسمعُ ١٧/ ٤٧
أنه جاء إلىٰ النبيّ ٩/ ٣٢٥
أنه خاصم رجلًا من الأنصار، ٩/ ٣٠٦
أنه خَطَّ خَطًّا ٤/ ٢٦٥
أنَّه خلق كرسيًّا هو بين يدي العرش ٥/ ٤٦
إِنَّـهُ خُلِـقَ كُـلُّ إِنْسَـانٍ ٧/ ١٦٩، ١١/ ١٦٢
أنه دخل علىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وهو يأكل ١٠/ ٣٥٤
أنَّه دخل مع رسول الله المسجدَ ٤/ ٨٣
إنه دمُ عِرْقٍ ٨/ ٤٣٤
أنَّه ذكر رجلًا من بني إسرائيل ٢/ ٢٨٩، ١١/ ٣٦٩
أنه رأىٰ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ١٠/ ٢٨٢
أنه رأىٰ النبيَّ في المنام ١٢/ ٥١٧
أنَّه سأل جِبْرِيلَ -عليه السَّلام- عن هذه الآية ١٢/ ١٢١
أنَّه سأل زيد بن أسلم عن ذلك ٥/ ١٦٨
إنَّه ستأتيكم عني أحاديث مُختلِفةٌ ٨/ ٤٨٤
إنه ستكون هَناتٌ وهَناتٌ ٨/ ٥٣٦
أنه صلَّىٰ أربعًا ١٠/ ٣٣٣
أنَّه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم دعا -وكان نائمًا ٥/ ١٥١
أنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم رأىٰ في منامه ١٣/ ٢٥٩
أنه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان يرىٰ أنه يأتي النساء ٩/ ١٨٥
أنَّه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم نزل منزلًا ٨/ ٤٢٢
أنه صلَّىٰ فخَلَعَ نَعْلَيْهِ ١٠/ ٤١٧
أنه عاب علىٰ عثمان إتمامه الصلاة في

السَّفَر ١٠/ ٣٨٢
إنه عيسىٰ ابن مريم ٣/ ٢٣٦
أنَّه قال في قسمة السواد ٨/ ٤٣٦
أنه قال: في (بني إسرائيل)، و(الكهف) ٤/ ٦٢
إنَّه قد سَنَّ لكم ١٠/ ١٤٥
أنه كان إذا صلَّىٰ مع الإمام ١٠/ ٣٨٤
أنه كان إذا صلَّىٰ مع الإمام بمنًىٰ ١٠/ ٣٩١
أنه كان إذا صلَّىٰ مع الإمام صلَّىٰ أربعًا ١٠/ ٣٩٢
أنه كان في رباطه اثنا عشر ألف حصان ٥/ ٤٤٣
إنَّه كان فيما قبلكم من الأُمَمِ رجلٌ ٢/ ٢٨٤
أنه كان مؤاخيًا لرجلٍ من قيس ١٢/ ٥٠٢
أنه كان يتجر في الخمر ١١/ ٢٣٤
أنه كان يخرج مع النساء إلىٰ البقيع ١٢/ ٢٤٧
أنَّه كان يخطب يوم الجمعة ٢/ ٣١٥
أنَّه كان يقرأ في صلاة الفجر ٤/ ٥٢
إنَّه لا يُستَغاثُ بي ١٤/ ٤٧٠
إنَّه لا يُستغاثُ بي ١٤/ ٥٤، ٥٧
إنه لحقٌّ وأما أنه ٣/ ٣٠٩
إنه لحقٌّ وأما أنه قريبٌ فكلُّ ما هو آتٍ قريبٌ ٣/ ١٥٠
إنه لم تكن فتنةٌ في الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم عليه السَّلام أعظم مِن فتنة الدَّجَّال ٣/ ١٦٢
إنه لم يَبْقَ مِن الدُّنيا إلَّا مِثْلُ الذُّبَابِ ٨/ ٢٢
أنه لم يبقَ من النبوة ١٢/ ٣٥٩
إنَّه لم يَكُنْ نبيٌّ إلَّا لَهُ دَعْوَةٌ تَنَجَّزَهَا في الدُّنيا ١٨/ ٢٨٦
أنَّه لمَّا بلغه قدوم النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ١٠/ ٦٨
إنَّهُ ليس الذي تَعْنُونَ ٤/ ٣٥٦
إنَّه ليس به زَهْوٌ ولتُقاتِلَنَّهُ وأنتَ له ظالمٌ ٥/ ٢٨٢
إنه ليس في ديننا قطيعةُ الرَّحِمِ ١٢/ ٢٦٦
إنه ليس يبقىٰ بعدي ١٢/ ٣٦٧
إنَّه ليغان علىٰ قلبي فأستغفر الله سبعين مرَّة ١٨/ ٣٤١

أنَّه مسح على الخُفَّين ١٠/ ٩١
إنه من أهل الجنَّة ٣/ ٢٨٠
إنَّه يحرك عرق الجذام ١٨/ ٢٣٨
أنه يدخل في النار يده ١٨/ ٢٠٦
إنَّه يُهَوِّن عليهما ما دام فيهما ٤/ ٤٥١
إنَّها السُّنَنُ ١٤/ ٢٨٩
إنَّها أماراتٌ بين يدي السّاعة ٢/ ٢٩٥
إنَّها أَماراتٌ من أَماراتٍ ١٨/ ١١٥
أنَّها دخلت على عائشة في نسوة، فسألتها امرأة ٨/ ٤٢٥
أنها رؤيا حَقٌّ ١٢/ ٤٧٢
إنَّها ستكون بعدي رُواةٌ يروون عنِّي الحديثَ ٨/ ٤٨٣
إنَّها سقفٌ محفوظٌ ١٦/ ٢٤٠
إنها كانت خيلًا أُخرِجت لسليمان ٥/ ٤١٩
إنها ممَّا نُسِخ ونسي ١٠/ ١٤
إنَّها من الطَّوافين عليكم والطَّوافات ٨/ ٤٣٤، ٨/ ٥٦١، ٨/ ٥٦٣
أنها نزلت لمَّا خرج النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٤/ ١٧
إنَّها -يعني صلاة الضحى ١٠/ ١٩٥
أنها -يعني ليلة القدر- في الليلة السابعة ١٢/ ٤٨٠
الأنهارُ كلُّها والسَّحابُ والبِحارُ والرِّياحُ ٤/ ٤٠٣
انهكوا الشَّوارب، واعفوا عن اللحى ١٨/ ٣٨٤
إنَّهم الآن يَسْمَعُونَ ١٤/ ٣١٧
أنهم تمسَّحوا وهم مع رسول الله ٧/ ٥٢٢
أنَّهم دَعَامِيصُ الجنَّة ٣/ ٨٨
أنهم رأوا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم واضعًا ١٠/ ٢٦٢
إنَّهُم قومٌ خَرَجُوا عُصَاةً ١٢/ ١٢٤
إنهم لم يزالوا ١٦/ ٢٠١
إنهم ليَسْمَعُون الآن ١٤/ ٣١٤
إنَّهم يبكون عليه، وإنَّه ليُعَذَّب ١١/ ١٩١
إنهما لم تَصُوما وكيف صَامَ مَن ظَلَّ ١٢/ ٧٤
إنَّهما ليعذَّبان ١٧/ ٢٧٢
إنهنَّ من العِتاق الأُوَل ٤/ ١٥٤
إنِّي أَبرَأُ إلى الله ١٦/ ٥١٤

إنِّي لقائمٌ انتظرُ أُمَّتي تَعْبُرُ ٧/ ٣٣١
إنِّي اتَّخذت خاتمًا ١٠/ ٢٢٥
إني أحبُّك ٧/ ٣٨٧
إِنِّي أُحِبُّكَ ٧/ ٧٠
إنِّي أخافُ عليكم ١٦/ ١٣٢
إني إذا خلوت وحدي سمعت نداءً ١٢/ ٤٥٤
إنِّي أشتكي ٤/ ٢٧٨
إني أُصبت في بصري ١٤/ ١٩٥
إنِّي أُمِرْتُ بالعفوِ فلا تُقاتِلُنَّ اليومَ ٨/ ٥٠٩
إني بينما أنا مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٣/ ١٧٣
إني تارك فيكم ١٤/ ١٥٦
إني تارك فيكم الثقلين ٨/ ٥٤٢
إني تارك فيكم خليفتين ٨/ ٥٤٢
إنِّي تاركٌ فيكم ما إنْ تمسكتُم به ٨/ ٥٤١
إنِّي خلقت عبادي حنفاء ١٨/ ٣٧٩
إني رأيتُ البارِحَةَ عَجَبًا ١٢/ ٤٦٥،٤٦٤
إني رأيت الليلة في المنام ظُلَّةً ١٢/ ٤٨٢
إني رأيت الليلة منازلكم ١٢/ ٤٥٥
إني رأيت حلمًا منكرًا الليلة ١٢/ ٤٩١
إني رأيت في المنام ١٢/ ٤٤٩
إنِّي رأيت في المنام ١٢/ ٤٥٠
إني رأيت كأنَّ بني أمية ١٢/ ٤٢٠
إنِّي رأيتُ البارِحَةَ ١٠/ ٤١٩
إني رأيت الليلة ١٢/ ٤٦٨
إني رجلٌ ضريرٌ شاسع الدار ٧/ ٥٢١
إني عالجت امرأةً ٤/ ٢٨٢
إنِّي عبدُ الله ٩/ ٢٠٧
إنِّي عبدالله وخاتَمُ النبيِّين ٤/ ٣٣٨
إني عند الله ١٧/ ٤٥٩
إنِّي عند الله في أمِّ الكِتابِ ١/ ٢٢٤
إنِّي عند الله في أُمِّ الكتابِ لَخَاتَمُ النبيِّينَ ١/ ٢٢٥، ٩/ ٤٤٢
إني قد أنكرت بصري ٧/ ٥٢٢
إنِّي قد أهديت إلى النجاشي هديةً ١٨/ ٢٧٢
إني قد رأيت أنكم ١٢/ ٤٢١
إنِّي قد غَفَرْتُ لهم ١٧/ ٣٩١
إنِّي قمتُ من الليل ١٧/ ١٦٦
إني كنت رأيت قَرْني ١٢/ ٤١٢
إني لا أعلم ما خلف جداري هذا ٩/ ٣٢١

إني لا أقبل هديةً من مشرك ١٨/ ٥٢
إنِّي لأرجو أنْ أكون أعلمكم بالله ١٨/ ٣٦٢
إني لأرجو إن طال بي عُمُرٌ ٣/ ١٤٤، ٣/ ٣٧٩
إنِّي لأستحيي مِن عبدىٰ ١٢/ ٣٨٨
إنِّي لأستغفر الله في اليوم مائة مرة ١٨/ ٣٤١
إني لأعْرِفُ حَجَرًا بمكَّة ٩/ ٢١٧، ١٨/ ٢٩٢
إنِّي لأعرفكم بالله وأشدكم خوفًا منه ١٨/ ٣٤٤
إنِّي لأَعْلَمُ إذا كُنتِ عَنِّىٰ ١٥/ ١٦٦
إنِّي لأعلَمُ أرضًا ١٠/ ٥٢
إنِّي لأنسَىٰ أو أُنَسَّىٰ ١٧/ ١٧٦
إنِّي لم أومَرْ أن أُنقبَ عن قلوبَ النَّاس ٨/ ٥٧٠
إنِّي لن يجيرَني من الله أحدٌ ٢/ ٩٩
إنِّي مُحَدِّثكم الحديثَ ١٠/ ٨٥
إني مُسِرٌّ إليك سِرًّا فلا تذكرنَّه ٨/ ١٢١
إني مقبوض وإني تركتُ فيكم الثقلين ٨/ ٥٤٣
إني نهيت عن زَبْد المشركين ١٨/ ٥٢
إنِّي والجنَّ والإنسَ ١٧/ ٣٤٠
إني والله لقد رأيت ٩/ ٣١٢
أُهبط آدم بالهند وحوَّاء بجدة ٥/ ٣٠٨
اهتزَّ العرش فَرَحًا به ٢/ ٣٠٠
اهتزَّ عَرشُ الرَّحمن ٢/ ٢٩٩
أهدىٰ عبدالله بن عامر إلىٰ عائشة ١١/ ٣٤٥
أُهديَ لرجل رأسُ شاة ١١/ ٣٤٢
أَهْلُ الجَنَّةِ ثَلاثَةٌ ٧/ ١٩٣
أهل الجنة جُرْدٌ مُرْدٌ ١٣/ ٢٢١
أهل العلم أهل توسعة ٨/ ٥٦٠
أَهْلُ القرآنِ أَهْلُ الله ٧/ ٤٠٤
أهَلَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ١٠/ ١٨٩
أوَ تصبرُ خيرٌ لك؟ ١٧/ ٥٠٦
أو تصبر ١٤/ ٣٧٢
أُوتِيَ موسىٰ الألواحُ ٧/ ٤٠٥
أوتيت علم كل شيء ٩/ ٢١١
أُوتيتُ مفاتيحَ كلِّ شيءٍ إلا الخمسَ ٩/ ٣٠٩
أوْحَىٰ الله إلىٰ إبراهيمَ عليه السَّلامُ: يا

خليلي ٨/ ٢٦١
أوحىٰ اللهُ إلىٰ مُوسىٰ ٩/ ٢١٠
أَوحَىٰ اللهُ إلىٰ موسىٰ ٩/ ٤٥٢
أوحىٰ الله إليَّ ٩/ ٤٤٩
أوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ إبراهيم عليه السَّلام ٨/ ٧٩
أوصاني رسول الله ٩/ ٣٨٨
أوصيك ألَّا تكون لعانًا ١٨/ ٣٨٦
أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ ٧/ ٧١
أوصيكم بأصحابي ١٤/ ١٣٠
أُوصيكُم بأصحابي ثم الذين يَلُونهم ٨/ ٥٢٩
أوصيكم بتقوىٰ الله والسَّمعِ والطَّاعةِ ٨/ ٤٢٧
أوصيكم بتقوىٰ الله والسمع والطاعة ٨/ ٥٤٤
أَوَّلُ دِينِكُمْ نُبُوَّةٌ ورَحْمَة ١١/ ٢٥٤، ٢٦٤
أول ما بُدئ به رسول الله ١١/ ٣٣٦
أول ما بُدئ به رسول الله من الوحي ١٢/ ٤١٢، ٤٢٦
أَوَّلُ ما خلقَ الله ١٧/ ٥١٣
أَوَّلُ ما خَلَقَ اللهُ العَقْلَ ٥/ ٢٥١
أَوَّلُ ما خَلَقَ اللهُ القَلَمَ، ثُمَّ قال: اكتب ٥/ ٢٥٠
أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ نُورُ نبيِّك ١/ ٢١٩، ٥/ ٢٥١، ٩/ ٤٤٧
أَوَّلُ مَا قَدِمَ النَّبيُّ ٧/ ١٨٢
أَوَّل ما يُدْعَىٰ يومَ القِيامَةِ آدمُ ٥/ ٣٠٠
أَوَّل مَن فَتَقَ لِسانه بالعربيَّة المتينة إسماعيل ٨/ ٨١
أول مَن قاسَ إبليس ٥/ ٢٦٧
أَوَّلُ مَنْ يُدْعَىٰ ٧/ ٢٦٥
أول مَن يَشْفَعُ يوم القيامةِ ٧/ ٤٠٦
أولئك إذا كان فيهم ١٤/ ٤٠٨
أولئك إذا كان فيهم الرجل الصّالح ١٠/ ٢٠٩
أولئك قومٌ إذا ماتَ الرَّجُلُ ١٠/ ١٩٨
أولئك وفدُ الجنِّ ٢/ ١٠٢
أومَا القتل إلَّا في سبيلِ الله ١٢/ ١٤٣
أي الإسلام خير؟ ١٧/ ٤٣٦
أَيُّ الشُّهَدَاءِ أَفْضَلُ؟ ٧/ ٢٤٦
أي رَبِّ ١٤/ ٢٤٧
أيُّ رجلٍ عبدالله بن سلام ١٦/ ٢٤٣
أي عمِّ ؛ والله لو وَضَعُوا الشمسَ في

يميني ٩/ ٣٩، ١٣/ ٢٩٤
أي عَمِّ! قل: لا إله إلَّا الله ١٤/ ١٠٥، ١٧/ ٢٢٧
إيَّاكم والتعمُّق في الدِّين ٧/ ٤٠٧
إيَّاكم والحَسَدَ ٢/ ٢٣٤
إيـاكم والمثلـة ولـو بالكلـب العقـور ٨/ ٦٢٣
إياكم والمثلة ولو بكلب ٨/ ٦٢٢
إياكُم وخَضْراءَ الدِّمَن ١٧/ ٣٤٩
إيَّاكم والظنّ، فإنَّ الظنَّ أكذب الحديث ١٨/ ٣٥٣
إيَّاكم ومُحادَثة النِّساء ٧/ ٤٠٦
إيَّاكم ومُحدَثات الأمور ١٠/ ١٣١
إياكم ومواقف الفتن ١٢/ ١٩١
آيةُ الإيمانِ حبُّ الأنصارِ ٨/ ١٨٠
آيةُ المنافقِ ثلاثٌ ٨/ ١٨٠، ١٣/ ٢٠١
ائتِ المعروفَ ٧/ ٣٥٩
إئتِ المِيْضَأة ١٤/ ٤٩٥
ائتِ المِيضَأَةَ فتَوَضَّأ ١٤/ ١٩٩
إئتِ المِيْضَأة فتوضَّأ ١٤/ ٤٩٦، ٤٩٨
ائتِ حرثَكَ أنَّى شئتَ ٨/ ١٨١
ائتِ عُمرَ فأقْرِئْهُ ١٤/ ٤٧٣
ائْتَمِرُوا بالمعروفِ وتناهُوا عن المنكرِ ٨/ ١٨٢
ائتوا الدَّعوةَ إذا دُعِيتُم ٨/ ١٨٥
أئتوني بسكين أشقُّه بينهما ٥/ ٣٨٦
إئتوني غدًا أخبركم ٥/ ١٠٨
ائذَنْ له وبَشِّره ١٠/ ٧٢
ائْذَنوا للنِّسَاءِ بِالليل إلى المسَاجدِ ٨/ ١٨٥
أيرضيك أنْ أحرِّمها فلا أمسّها أبدًا ٥/ ١٧٠
أَيَعْجِزُ أَحَدُكم أن يتَّخِذَ كلَّ صباحٍ ومساءٍ عند الله عَهْدًا؟ ٤/ ٤٠٠
أيعْجِزُ أحدُكُم أنْ يقرأ ثلثَ القرآنِ في ليلةٍ ٨/ ٣٣٧، ٤/ ٧٨
أيُّكُمْ أحسنُ عَقْلًا ٤/ ٣٧٣
أيكم رأى الليلة رؤيا ١٢/ ٤٨٥
أيكم يتبعني إلى وفد الجن الليلة؟ ٢/ ١٠٣
أيُّكُمْ يَذْكُرُ حين طَلَعَ القَمَرُ ١٢/ ٨٥، ١٧/ ٦١٠
الأيم أحق بنفسها ٨/ ٥٦٨
أيما إمامٌ سها فصلَّى بالقوم ٧/ ٤٠٧

أيُّما امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ ٧/ ١٣٢
أَيُّما امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا ٧/ ١٣٢
أيما امرأة نزعت ثيابها ٧/ ١١٩
أيُّما امرأةٍ نَكَحَتْ نَفْسَهَا بغير إذن وَلِيِّها ٨/ ٣٩٠
أَيُّما امْرِئٍ مُسْلِمٍ أَعْتَقَ ٧/ ٢٧٦
أيُّما إهابٍ دُبِغَ فقد طَهُرَ ٨/ ٣٩٣، ٤٩٠
أيما راعٍ لم يرحم رعيَّته ٧/ ٤٠٨
أَيُّما رَجُلٍ أَضَافَ ٧/ ٢٢٥
أَيُّما رَجُلٍ أَعْتَقَ امْرَا ٧/ ٢٧٥
أيُّما رجلٍ تزوج امرأةً فنوىٰ ٨/ ٤٥١
أيُّما رَجُلٌ قال لأخيه ١٣/ ١٨
أيُّما رجلٍ قال لأخيه يا كافرُ فقد باءَ بها أحدُهما ٢/ ١٦٨
أيما رجل كانت عنده وليدة ١٣/ ٣٩٨
أيُّما رَجُلٍ مُسْلِمٍ ٧/ ٢٨٩
أَيُّما رَجُلٌ مُسْلِمٌ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ صَدَقَةٌ ٩/ ٣٨٨
أَيُّما ضَيْفٍ نَزَلَ بِقَوْمٍ ٧/ ٢٢٤
أيما مُسْلِمٍ شَهِدَ له أربعةُ ١٦/ ٣٥٦، ١٨/ ٣٥١
الإيمان أنْ تُؤمِنَ بالله ٢/ ٢٢، ٦٩
الإيمان بالنيَّة واللسان ٧/ ٤١٠
الإيمان قولٌ وعملٌ ٩/ ٢٠٤
الإيمان معرفةٌ بالقلب، وقولٌ باللِّسان ١٨/ ٣٣١
الإيمان والعمل أخوان شريكان ٧/ ٤٠٨
أين أبي؟ ٧/ ٤٨٨
أين النَّاسُ يومئذٍ؟ ٤/ ٢٩١
أين الله؟ ١٨/ ١٩٧
أين أنتَ مِن آياتِ ١٦/ ٥٦١
أين تكون الناسُ يوم تُبدَّلُ الأرضُ غير الأرضِ؟ ٤/ ٣٨٣
أين يدفن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ١٠/ ٢٠٦
أَينقُص الرُّطَب إذا جَفَّ ٨/ ٥٦٥
أينقص الرَّطب إذا يبس ٨/ ٤٣٣
أيُّها البَعيرُ اسكن ١٨/ ١١٦
أيها الناس، أنشدكم بالله إن كنتم تعلمون أني قصَّرتُ ٣/ ١٧٦، ٣٩١
أيها الناس اتهموا الرأي في الدين ٨/ ٥٥٥
أيها الناسُ اربَعُوا علىٰ أنفسِكم

٨/ ٣٦١، ١٦/ ٤٧٦
أيها الناس أمسكوا عليكم أموالكم ١٨/ ١٩١
أيُّها النَّاسُ إنَّ اللهَ طَيِّبٌ ٤/ ٥١٠
أيها النَّاسُ إنَّ جعفر بن أبي طالبٍ مع جبريل ٢/ ٣٤٥
أيها النَّاس إنما أنا بشر ١٤/ ١٥٦
أيُّها النَّاسُ إنَّه نَزَلَ تَحريمُ الخَمْرِ ١١/ ٢٢٠
أيها الناس إني إمامكم فلا تسبقوني ٩/ ٣٠٦، ٣٢٠، ١٠/ ٣١٥، ٣٣٩
أيها الناس عليكم بالجماعة ٧/ ٥٣٧، ٨/ ٤٢٢، ٥٣٧
أيُّها الناسُ قد أصبحتُم وعليكُم ٨/ ٣٢٦
أيُّها الناسُ لا صلاةَ إلَّا بوضوءٍ ٨/ ٤٧٧

(ب)

بأبي الوحيد الشَّهيد ١٤/ ٤٢٢
بادَرني عبدي بنَفْسِهِ ١٢/ ٣١٧
بارك الله فيك يا شاطبي ٢/ ٤٨٣
الباقِياتُ الصَّالِحاتُ ٤/ ٣٩٢
بَايَعْتُ النَّبيَّ عَلَىٰ السَّمْعِ والطَّاعَةِ ٧/ ١٦٣
بايعُوني على ألا تُشْرِكوا بالله شيئًا ٢/ ١٩٨، ٢٤٨، ١٧/ ٤٢٧
البحرُ هُوَ الطَّهُورُ ١٧/ ٥٢٦
بحسب امرئٍ مِن الشرِّ ١٧/ ٦٩٢، ١٨/ ٤٩
البَخِيلُ مَن ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فلم يُصَلِّ عَلَيَّ ٩/ ٣٨٣
بَدَأَ الإسْلامُ غَريبًا وسيَعُودُ غَريبًا ٣/ ٥١٠، ١٨/ ٣٣٣
بُدُوُّ شأني أنِّي دَعْوَةُ ١٤/ ٤٣٥
برُّوا آباءَكم تبرُّكم أبناؤُكم ٨/ ٣٧٥
بِسْمِ الله آمنت بالله توكلت على الله ١٤/ ٢٣٨
بسم الله أنا عبدالله، اخسأ عدو الله ١٨/ ١٥
بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب ١٥/ ٤٨٥
بسم الله اللهمَّ لك صُمْتُ ١٢/ ٧٩
بسم الله وضعت جنبي ٩/ ٢٧٦، ١٧/ ٤٧٤

بعث النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم سَرِيَّةً عَينًا ٢/ ٣٠٨
بعثَ رسول الله إلى أبي رافع اليهودي ٩/ ٣٦٢
بَعَثَ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رجلًا إلى حي من أحياء العرب ١٠/ ٥١
بُعِثْتُ إلى النَّاسِ كَافَّةً ١٨/ ٢٩٨
بعث رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بديل بن ورقاء الخزاعي ١٠/ ٨٤
بَعَثَ رسولُ الله بَعثًا من الأنصارِ ٧/ ٦٩
بعثَ رسولُ الله بَعْثًا ٤/ ٣٨
بَعَثَ رَسُولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم العلاء بن الحضرمي ١٠/ ٤٩
بُعث في الجزيرة العربية ١٠/ ١١٥
بعثت أنا والساعة كهاتين ٣/ ٢٢١
بعثت بالحنيفية السَّهلة ٨/ ٤٣٩
بُعثتُ داعيًا وليس إليَّ من الهداية شيءٌ ٥/ ٢٣
بَعَثَني اللهُ ليلةَ أُسْرِيَ ١٦/ ١٣١
بعثني النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ١٠/ ٦١
بعثني النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى نجران ٤/ ٣٩٥
بعثني النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ١٠/ ٧٥
بعثني رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى حضرموت في حاجة ٢/ ١١٦
بعثني رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى المُقَوْقِس ١٠/ ٥٢
بعثني رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم برسالةٍ ١٠/ ٤٨
بعثه في الحَجَّة التي أمَّره ١٠/ ٦١
بُعْدًا لهم وسُحْقًا ١٤/ ٢٥٥
بفَضْلِ الله: القُرآن، وبرَحْمَتِهِ: أن جَعَلَكُمْ مِن أَهْلِهِ ٤/ ٣٧٠
البقرةُ سَنَامُ القرآنِ وذِرْوَتُه ٨/ ٣٣٤
البكر بالبكر ١٣/ ١٣٥
البكر تستأمر ١٣/ ٢٣٥
بَكِّروا بالصَّلاة في يوم الغَيْمِ ٢/ ٢٣٧
بل ائْتَمِروا بالمَعْرُوفِ ٤/ ٣٥٥
بل تعيش حميدًا وتموت شهيدًا ١٢/ ٤٩٩
بل مرة واحدة فمن زاد فهو تطوع

٨/ ٥٧٤
بل مِنَّا، بنا يَخْتِمُ الله ٣/ ٤٥٦
بل هِيَ إلى يوم القيامة ١٧/ ٦١٣
بلغ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أن امرأة من بني فزارة ١٤/ ٤٢٤
بلغني أنها كانت خيلًا ٥/ ٤١٩
بلغني حديثٌ ١٠/ ٩٢
بلغوا عنى ولو آية ٤/ ١٨٤
بُني الإسلامُ على خمسٍ ١٥/ ٣٢٢، ١٦/ ١١
بِئسَ أخو العشيرة ١٦/ ٤٦٧، ٤٧١
بِئْسَ العَبْدُ عَبْدٌ تَجَبَّرَ ٧/ ١٣٦، ١٧/ ٣٥١، ٥٠٥
بئس العبد عبد يختل الدنيا بالدين ١٣/ ٢١٩
بِئس الكَسْبُ أجر الزَّمَّارةِ ٧/ ٤١١
البير جُبار ١٨/ ١٣٢
البيعان كلُّ واحدٍ منهما بالخيار على صاحبه ٨/ ٤٣٨
بيَدي لِواءُ الحَمْدِ يَوْمَ القِيامَةِ ولا فَخْرَ ١٨/ ٢٨٤
بين الركن والمقام وزمزم قبور ٨/ ٧٩
بين العبد والجنَّة سبع عقباتٍ ٧/ ٤١٠
بين الله وبين الملائكة الذين يحملون العرش ١٨/ ٣٥٩
بين خَلْقِ آدمَ ونَفْخِ الرُوحِ فِيهِ ١/ ٢٢٥
بين يَدَيِ السَّاعةِ كذَّابون منهم صاحب اليمامَة ٣/ ١٣٠
بيَّن -يعني النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم- فرائضَ الزَّكاة ٨/ ٤٠٣
بينا أنا أقود برسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٤/ ٩١
بينا أنا أنزع الليلة ١٢/ ٤٤١
بينا أنا على بئرٍ ١٢/ ٤٤٠
بينا أنا على مصر ١٠/ ٩٣
بينا أنا نائمٌ ١٢/ ٤٣٣، ٤٣٧، ٤٤٠، ٤٤٧، ٤٥٨
بينا أنا نائمٌ أتاني رجلان ١٢/ ٤٤٨
بينا أنا نائمٌ أُتيت بقَدَح ١٢/ ٤٣٤
بينا أنا نائمٌ رأيت الناس ١٢/ ٤٣٤
بينا أنا نائمٌ رأيت عمود ١٢/ ٤٥٨
بينا أنا نائمٌ رأيتني في الجنَّة ١٢/ ٤٣٥
بينا راعٍ في غَنَمه عَدَا عليه الذِّئبُ ٢/ ٢٩١
بَيْنَا رَجُلٌ بفَلَاةٍ مِن الأرضِ ٢/ ٢٩٨، ١١/ ٣٧٠

بينا رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم ٨٨/١٦
بينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه علىٰ المِنبَر ٢/ ٣١٥
بينا نحن عند كعبٍ ٥/ ٣٣٧
بينما الخَضِر ذات يومٍ يمشي ٧/ ٤١٨
بينما النَّاس بقباء في صلاة الصُّبح ١٠/ ٦٥
بينما النبيُّ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم يخطب ٨/ ١٣٢
بينما امرأتانِ معهما ابناهُما ٥/ ٤٠١
بَيْنَما أنا أَسْقِي النَّاسَ ١٤/ ٢٤٩، ١٧/ ٢٣٦
بَيْنَما أنا أَسِيرُ في الجَنَّةِ -يعني ليلة الإسراء ١٨/ ٣٠٢
بينما أنا جالسٌ عند عثمان ١١/ ١٢
بينما ثلاثة نفرٍ ممَّن قبلكم يمش ١٨/ ٦٧
بينما راعٍ يرعىٰ بالحَرَّة ٢/ ٢٩٥
بينما رجلٌ بفلاةٍ منَ الأرض ١٨/ ٨٢
بينما رَجُلٌ ممَّن كان قَبْلَكُمْ ٢/ ٢٣٥، ١٢/ ٣٠، ١٨/ ٣٧
بينما رجلٌ يَسُوقُ بقرةً له ٢/ ٢٦٧، ٢٩١، ١٨/ ١٠٨
بَيْنَما رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقِهِ ٧/ ١٤٨
بينما رجلٌ يمشي في حُلَّةٍ تُعجبُهُ نفْسهُ ٢/ ٢٣٥
بينما رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم في بعض أسفاره ١٢/ ٢٤٢
بينما سليمان عليه السلام جالس ١٧/ ٨٧
بينما عثمان يخطب ٢/ ٣٢٩
بَيْنَما كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ ٧/ ١٤٨
بينما موسىٰ في ملإٍ مِن بني إسرائيلَ ٤/ ٥١١
بينما نحن جلوس عند رسول الله إذ طلع علينا رجل ١١/ ٣١٨، ١٣/ ٣٢٨
بينما نحن جلوسٌ مع رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم في المسجد ١٢/ ٥٢
بينما نحن جلوسٌ ١٠/ ٧٨
بينما نحن مع رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم بمكة ٢/ ١٠٧
بينما نحن مع رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم بمنىٰ ٩/ ١٥٦
بينما هو يقرأ من الليل (سورة البقرة)

٤/ ٣٧

(ت)

تَابِعُوا بَيْنَ الحَجِّ ٧/ ٢٢٦، ١٧/ ٣٩٠
التَّاجرُ الصَّدوقُ تحتَ ظلِّ العرشِ ٨/ ٢٦١
التَّأنِّي مِن الله ٧/ ٨٠
التائبُ مِن الذَّنب ٧/ ٤١٥، ١٦/ ١٩٣، ١٧/ ٢٧٧
تُبَخِّلُون وتُجَبِّنُون ١٦/ ٢٢٠
تَبَسُّمُكَ في وَجْهِ أَخِيكَ ٧/ ١٦٥
تبكين يا عمَّه؟ ١٤/ ١٠١، ١٧/ ٥٥٤
تَبْيَضُّ وُجُوهُ أَهْلِ السُّنَّةِ ٤/ ٣٤٦
تجافوا عن عُقوبةِ ٧/ ٤١٢
تجزئك ولا تجزئ ٧/ ٢٩١
تجيء الرايات السُّود ٣/ ٤٦٠
التَّحَدُّثُ بِالنِّعَمِ شُكْرٌ ٧/ ٥٩
تحدَّثوا على الطعام ٩/ ٤٥٥
تَحدَّثوا وليَتبوَّأ ١٠/ ٨٦
تُحدِّثون ويُحدَّث لكم ١/ ١٤١
تحليلها التسليم ١٨/ ١٧٠
التحيَّاتُ لله ١٠/ ١٨٨، ١٢/ ٥١٨، ٥٢١
تحيضين في علم الله ١٥/ ٤٣٤
تختمُ أمَّتي ٣/ ٥٠٩
تَخْرُجُ مِن المَشْرِقِ راياتٌ ٣/ ٤٨١
تخصر بهذه في الجنَّة ١٣/ ٢٦١
تداوَوْا عبادَ الله فإنَّ الله لم يضعْ داءً إلا وضعَ له دواءً ٤/ ٤٩٧، ٨/ ٢٨٢، ١٨/ ١٩
تدرون لم سمِّي رمضان ١٧/ ٢٠٧
تدرون لم سمي شعبان ١٧/ ٢٠٩، ٢١٠
تَرِبَتْ يَمِينُك ٥/ ٣٨٦
تركتُ فيكم أمرين ناطقٌ وصامتٌ ٩/ ٤٥٦
تركت فيكم ثَقلين كتاب الله وسُنَّتي ٥/ ١٣٤
تركْنا في المدينةِ أقوامًا لا نقطع واديًا ٨/ ٤٥٤
تزوَّج إلينا جنيٌّ ٥/ ٣٤٨
تزوج حذيفة رضي الله عنه يهودية ١١/ ٤٨
تزوجناهن زمن الفتح بالكوفة ١١/ ٤٧
تزوجوا فقراء ١٧/ ١٩٦
تزوجوا ولا تطلقوا ١٣/ ٣٩٣

تَسَحَّرنا مع رسول الله ٧/ ٤٩٣
تَسَحَّرُوا فإنَّ في السَّحَوُرِ بَرَكَةٌ ١٢/ ٧٧
تَسْلُبِي ثلاثًا ٧/ ٤٩٢
تَسَمَّوا بأسماء الأنبياء ٥/ ٤٥٣
تَسَمَّوا باسمي ٩/ ٢٦٢، ٢٦٣، ١٧/ ٤٠٢
تُسمُّون أولادكم ٩/ ٢٦٣، ٢٦٤، ١٧/ ٤٠٣
تُسمُّونهم محمدًا ٩/ ٢٦٤
تَسمَّىٰ الله باسمين ٤/ ٤٢١
تسوَّكوا فإنَّ السّواك مطهرةٌ للفم ١٨/ ٢٣٦
تَسَوَّمُوا فإنَّ الملائكةَ قد تَسَوَّمَتْ ٤/ ٣٤٨
تَشْرَبُ طَائِفَةٌ مِن أُمَّتِي ١١/ ٢٥٤
تَشْهَدُهُ ملائكةُ اللَّيلِ ٤/ ٣٨٩
تُصُدِّق علىٰ مولاة لميمونة بشاة فماتت ٨/ ٤٩١
التضلُّع من ماء زمزم ٧/ ٤١٥
تَعَاهَدُوا القُرآنَ ١٠/ ١٦٤
تُعرضُ أعمالَكُم عَلىٰ الموتَىٰ فإن رأوا حسنًا ٨/ ٢٢
تُعرضُ الأعمالُ ١٧/ ٢٣٢، ١٢/ ١٧٩، ٢٤٠
تُعْرَضُ الأَعْمالُ يومَ الإثنين ٨/ ١٧، ١٤/ ٢٤٤
تَعِسَ عبدُ الدِّينارِ ١٧/ ٣٣٤، ٣٣٧، ١٨/ ٣٦٠
تعلَّم كتاب يهودَ ١٠/ ٨٢
تعلَّموا أنَّ أحدًا منكم ١٧/ ٣٤
تَعلَّموا مِن العِلْمِ ما شِئتم ٧/ ٤١٣
تُعْمَلُ الرِّحَالُ إلىٰ أربعةِ مَسَاجِدَ ٣/ ٥٠٥
تعملُ هذه الأمةُ برهةً بالكتابِ ٨/ ٥٥٧
تغُلُّ فيه مردة الشياطين ١٧/ ٢٩٥
التفت إلينا النبي ٩/ ٣٣٤
تُفْتَحُ أبوابُ الجنَّةِ يومَ الإثنين ١٢/ ٢٨
تُفْتَحُ أبوابُ السَّماءِ نِصْفَ اللَّيلِ ١٢/ ١٧
تفترق أمتي علىٰ بضعٍ وسبعين فرقة ٨/ ٥٥٨
تفكَّر إبراهيم في شأن آدم عليه السلام ٥/ ٢٨١
تفكر ساعة ١٧/ ١٩٦
تفكَّهوا بالبطِّيخ وعَظِّمُوه ١٦/ ١٨٨
تُقاتلكم اليهودُ فتُسلَّطون عليهم

٤/ ٤٢٣
تقرأون خَلْفِي ١٠/ ٢٥٢
تقرَّبوا إلى الله ٧/ ٤١٣
تُقْطَعُ الآجَالُ مِن شعبانَ ١٢/ ٢٤
تَقْوَىٰ الله ٧/ ٣٠٢
تَكَفَّلَ اللهُ لِمَنْ جَاهَدَ ٧/ ٢٣٠
تَكَلَّمَ أربعةٌ في المَهْدِ ٤/ ٣٧٦
تكون في آخر الزَّمان ٣/ ٤٥٦
تكون وَقْعة بالزوراء ٣/ ٤٦٧
تلا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ٩/ ٢٥١
تلقَّت الملائكة روحَ رجلٍ ١٨/ ٩٦
تلك السَّكينةُ تَنزَّلَت بقراءتك ٥/ ٤٢
تلك السَّكِينَةُ نَزَلَتْ مع القُرآنِ ٢/ ٣٠٦
تلك الملائكة تنزَّلت لقراءة سورة البقرة ٥/ ٤٢
تلك غنيمة المسلمين غدًا ١٣/ ٢٦٣
تمتعنا على عهد رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ٨/ ٥٤٦
التَّمرُ بالتَّمرِ، والحِنْطة بالحِنطة ٨/ ٤٠٤
تمرة طيبة وماء طهور ٨/ ٥٦٣
تُملأ الأرضُ جَوْرًا ٣/ ٤٤٨
تموتُ يا سُرَق بفلاة من الأرض ٢/ ١١٤
تناصحوا في العلم ٨/ ٥٩٢، ١٤/ ٥٥٦
تنام عيني ولا ينام قلبي ١٢/ ٣٤٦
تناول رسول الله عليه وآله الصلاة والسلام سبع حصيات ٨/ ٥٢٣
تنظَّفوا بكلِّ ما استطعتم ٧/ ٤١٤
تنكح المرأة لحسبها ٧/ ١١٦
توسَّلوا بجاهي ٩/ ٤٥٦، ١٧/ ١٨٨
توضَّأ وصَلِّ ركعتين ١٤/ ٢٩٦
تُوفِّيت زينب بنت رسول الله ٧/ ٤٤٥
تيمَّمنا مع النبيِّ ٧/ ٥٢٣
التي تسمُّون سورة التوبة، هي سورة العذاب ٤/ ١٥٦

(ث)

ثلاثٌ جِدُّهُنَّ جِدٌّ وَهَزْلُهُنَّ جِدٌّ ٥/ ٣٨٦
ثلاث دعواتٍ لا تُردُّ ٧/ ٤١٦
ثلاثٌ من أخلاق النبوة ١٠/ ٢٨٤
ثلاثٌ مَن جاءَ بِهِنَّ مع الإيمانِ ٤/ ٨٦
ثلاث من فعلهن فقد طعم طعم الإيمان ٨/ ٤٦٤
ثلاثٌ من كُنَّ فيه ١٧/ ٣١٤، ٣٢٢،

٨١/١٨
ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه أو واحِدةٌ مِنهنَّ ٨٦/٤
ثلاثٌ من كُنَّ فيه استَحَقَّ ولاية الله ٢/ ٢٦٠، ٣٥٢/١١
ثلاثٌ من كُنَّ فيه أظلَّه الله عزَّ وجلَّ تحتَ ظلِّ عرشِه ٨/ ٢٦٢
ثلاثٌ من كُنَّ فيه فهو منافقٌ ٧/ ٤١٦
ثلاثٌ هنَّ علي فريضة وهي لكم سنة ٨/ ٤٤٦
ثلاثٌ يُحبُّها الله عزَّ وجلَّ ١٠/ ٢٨٤
ثلاثةٌ حرَّم الله تبارك وتعالىٰ عليهم الجنَّة ٢/ ٢٢٥
ثلاثةٌ حَرَّمَ اللهُ تَبارَكَ وتَعالَىٰ عليهم الجنَّةَ ٣١/١٢
ثلاثةٌ علىٰ كُثبانِ المسكِ يومَ القيامةِ ٨/ ٣٣٠
ثلاثةٌ في ظلِّ العرشِ يومَ القيامةِ يومَ لا ظلَّ ٨/ ٢٦٣
ثلاثةٌ في ظل الله عزَّ وجلَّ، يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّه ٨/ ٢٦٣
ثلاثةٌ قد حَرَّمَ اللهُ ١١/ ٢٤١
ثَلاثَةٌ كُلُّهُمْ ضَامِنٌ ٧/ ٢٣٥
ثلاثة كلهم لهم أجران ٩/ ١٢٩
ثلاثةٌ لا تُرَدُّ دَعْوَتُهم ١٢/ ٦٧
ثلاثةٌ لا تَرَىٰ أعينُهم النَّارَ ٨/ ٣١٢، ١٤٣/١١
ثلاثةٌ لا تُقبَل لهم شهادة ٧/ ١١٤، ١١٣/١١
ثَلاثَةٌ لا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ ٧/ ١١٠، ٢٣٨/١١
ثلاثةٌ لا يُسألُ عنهم ٢/ ٢٣٥
ثلاثةٌ لا يقبل الله لهم صلاةً ٢/ ٢٢٨
ثلاثة لا يُكلِّمهم الله ٢/ ٢٢٣، ٢٢٤
ثَلاثَةٌ لا يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِمْ ٧/ ١٠٨، ٤١٧
ثلاثةٌ لهم أَجْران ٣/ ١٩٢، ٧/ ٢٧٩
ثلاثةٌ ليس عليهم حِسابٌ ١٢/ ٧٩
ثلاثةٌ يتحدَّثونَ في ظلِّ العرشِ آمنينَ ٨/ ٢٦٣
ثلاثةٌ يضحكُ الله إليهم ٨/ ٣١٨
ثُمَّ تذكَّرت قول أخي ١٤/ ٤١٢
ثُمَّ صُعِدَ بي فوقَ سَبْعِ سَمَواتٍ ٢٩٩/١٨
ثُمَّ صَلِّ ركعتين ١٤/ ٢٠٠
ثُمَّ عُرِجَ بنا إلىٰ السماء الثالثة ٤/ ٣٧٦
ثُمَّ عَرَضَهُمْ علىٰ آدمَ فقال ٥/ ٣٩٨

ثُمَّ قال الثالث لصاحبه ١٤/ ٤٣٥
ثُمَّ يبعثُ كلُّ امرئٍ على نيَّتِهِ ٨/ ٤٥٣
ثُمَّ يدعو ٣/ ١٧٢
ثمَّ يعرج الذين بأتوا فيكم ١٨/ ١٢٩
ثم يفشو الكذب ٨/ ٥٨٠
الثَّيِّبُ أحقُّ بنفسها ٨/ ٥٦٧، ١٣/ ٣٨٤
الثَّيِّبُ بالثَّيِّبِ جَلْدُ مائةٍ والرَّجْمُ ٨/ ٤٠٦

(ج)

جاء إبراهيم عليه السَّلام بأمِّ إسماعيل ٨/ ٦٠
جاء أبو بكرٍ رضي الله عنه بضيفٍ له ٢/ ٣١٣
جاء أعرابيٌّ إلى النبيِّ ٩/ ٢٣٨
جاء أعمى يستأذن النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٣/ ٥٣
جاء جبريل إلى النبيّ ٩/ ٢٥٨، ٣٧٦
جاء جبريل إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ١٠/ ٣٠٢
جاء جبريل إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ١٠/ ٣٥٥
جاء رجل إلى النَّبي ٧/ ٢٩٩، ٩/ ٢٤٠، ٢٩٥، ١٣/ ٣٠
جاء رجل إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: إني أصبتُ حدًّا ٨/ ٢٤٥
جاء رجل إلى النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: يا رسول الله ٨/ ٥٥٨
جاء رجلٌ إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ومعه جارية ٢/ ٢١
جاء رجلٌ إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يسأله ٤/ ٢٦٠
جاء رجلٌ إلى عبدالله بن عمرٍو فسأله ٥/ ٢٥٢
جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْمَجُوسِ ٧/ ٩٨
جاء رجلٌ مِن أهل الكتاب إلى النبيِّ ٢/ ١٢
جاء رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بيت زيد بن حارثة ١١/ ١٨٣
جاء زيد بن حارثة إلى النبيِّ ١١/ ١٨٤
جاء شيبان اليهوديُّ إلى النبيِّ ١٢/ ٤١٤، ٤/ ٣٧٥
جاء عبدالله بن الزِّبَعْرَى إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ١٤/ ٤٠
جاء عويمر إلى عاصم بن عديٍّ ٤/ ٢٤
جاء ملك الموت إلى موسى ١٨/ ٢٠٤

جاء ناس فقراء إلى رسول الله ٧/ ١٧٢
جاء يهوديٌّ إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٤/ ٤٥
جاءت أسماء بنت يزيد ١٧/ ٥٤٦
جاءت الجدة إلى أبي بكر ٨/ ٥٢٣
جاءت الجدَّة إلى أبي بكرٍ ١٠/ ٨٧
جاءت امرأةٌ إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ١٠/ ٨٢
جاءت فتاة إلى رسول الله ١٣/ ٢٣٣
جاءت ملائكة إلى النبيِّ وهو نائمٌ ١٢/ ٤٤٩
جَاءتني مِسْكِينَةٌ ٧/ ٢٨٦
جاءكم الطهور ٩/ ٤٥٥
جاءنا كتاب النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في قطعةٍ ١٠/ ٦٨
جاءنا كتاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ١٠/ ٦٩
جاءنا كتابٌ من رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ١٠/ ٤٥
جَاءَنِي الملك ٩/ ٣٨٥
جاءني جبريل بسفرجلة ١٦/ ١٧٤
جاءه رجلٌ ضريرٌ ١٤/ ١٩٤
الجَالِبُ مَرْزُوقٌ ٧/ ١٠٠
جاهدوا الكفَّار بأيديكم وألسنتكم وأموالكم ١٢/ ٢٣٦
جاهِدوا المشركين بأموالكم ٤/ ١٠٧
جَاهِدُوا في سَبِيلِ الله ٧/ ٢٤١
جذْبةٌ من جَذْبات الحقِّ تُوازن عملَ الثَّقلين ٩/ ٤٥٦
جرح العجماء جُبَارٌ ١٨/ ١٣٠
جزءٌ أشركوا، وجزءٌ شَكُّوا في الله ٤/ ٣٨٤
جزءٌ من خمسين جزءًا من النُّبوَّة ١٢/ ٣٥٦
جزءٌ من ستةٍ وعشرين جزءًا من النُّبوَّة ١٢/ ٣٥٧
جزاك اللهُ يا عائشة خيرًا ١٤/ ٤٢٦
جُعِلَتِ الصَّلواتُ كفَّارات ١٧/ ٤٢٣
جعلت الصلوات كفارات لما بينهن ٢/ ٢٤٢
جعلت لي الأرض ١٠/ ١٩٨، ٢٠٠، ١٤/ ٤١٥
جلسنا إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فذكَّرنا ورقَّقنا ١٢/ ٣٢٨

الجماعة بَرَكةٌ ٧/ ٤١٩
جمع النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بين الصَّلاتين ٨/ ٣٨٩
جمع أهل المدينة ١٠/ ٤٢٥
الجُمُعةُ حَجُّ المساكين ٧/ ٤٢٠
الجمعة لمن سبق ١٧/ ١٨٩
الجنُّ كانوا أحسنَ جوابًا منكم ٢/ ١٣٩، ١٦/ ٤٣
الجنّة حُرِّمَت علىٰ الأنْبِيَاء حَتَّىٰ أدْخُلهَا ٩/ ٢١١، ١٨/ ٢٩٩
الجهادُ واجبٌ عليكم ١٦/ ٢٠٥
جَهْدُ البلاءِ قِلَّةُ الصَّبر ٧/ ٤١٩
جوف اللَّيل الآخر ١٨/ ٢٠٢
جيء بالنعيمان -أو ابن النعيمان- شاربًا ١١/ ٢٤٣
جئت رسول الله ٩/ ٣٣٠
جئت فإذا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في مشرُبةٍ ١٠/ ٧٢

(ح)

حَاصَرْنَا مَعَ رَسُولِ الله ٧/ ٢٣٦
حب الدنيا ١٧/ ١٩٧
حب الوطن ١٧/ ١٩٧
حبُّ الوطن من الإيمان ٩/ ٤٥٦
حُبِّبَ إلَيَّ مِن دُنْياكُمْ ثلاثٌ ٩/ ٩٢
حتَّىٰ تأطروهم علىٰ الحقِّ أَطْرًا ١٢/ ٢٣٧
حتَّىٰ تَذُوقي عُسَيْلَتَهُ ١٦/ ٤١٩
حجابة النور لو كشفه ١٨/ ٣٥٩
الحَجُّ المَبْرُورُ ٧/ ٢٢٦
الحجُّ سبيل الله ٧/ ٤٢١
حُجَّ عن أبيك ١٤/ ٣٤٨
الحُجَّاجُ والعمَّار ١٧/ ٣٥٥
الحَجَرُ الأَسْوَدُ ١٦/ ٣٧٩
حجم النَّبيَّ ١٣/ ٢٦٥
حُجُّوا ١٧/ ٣٩١
حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبُهُ بالسَّيْفِ ٥/ ٤٨٩
حدث نبي بحديث فما فرحنا ٧/ ١٧٠
حَدَّثْتَ بها أحدًا بعد ١٤/ ٢٧٩
حدِّثني بحديث تُعجبني به ٢/ ١٠٥
حدثوا الناس ١٧/ ١٩٧
حَدِّثوا عن بني إسرائيل ٢/ ٢٩٨، ٥/ ٤٠٥
حدِّثوا عنِّي بما تسمعون ١٠/ ٨٦
حرَّم رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله

وسلَّم أشياء يوم خَيْبَر ٩/ ٣٠١
حرَّم رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم -يعني يوم خيبر- لحوم الحمر الإنسية ٨/ ٥١٤
حُرِّمت الخمر ثلاث مرَّاتٍ ١١/ ٢١٥
حُزُقَّةٌ حُزُقَّةٌ ١٤/ ٤٢٤، ١٧/ ٦٢٤
الحزم سوء الظن ١٧/ ١٩٧
الحَسَدُ يأكل الحَسَناتِ ٢/ ٢٣٤
الحسن والحسين سيدًا شباب أهل الجنَّة ١٣/ ٢٥٧، ١٧/ ٦٢٥
حُسينٌ مِنِّي وأنا من حُسين ١٨/ ١٦
الحُسْنَى: الجنَّة، والزِّيادة: النَّظَر إلى رَبِّهم ٤/ ٣٧٠
حَصِّنوا أموالكم بالزَّكاة ٤/ ٤٩٨، ١٨/ ٢٠
حفظت من رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٨/ ١٣٣، ١١/ ٣٢٦
حَقُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ ٧/ ١٥٨، ١٦٢
حقُّ الوالد ٧/ ٤٢٠
حقَّتْ محبَّتي على المتحابِّينَ في ٨/ ٣٨٣
حُكْمِي على الواحِدِ حُكْمِي على الجماعَةِ ٨/ ٣٨٨، ٤٨٨
الحَلَالُ بَيِّنٌ ٢/ ٤٣٣
الحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ ٧/ ١٠٨
الحمام حرام على نساء ٧/ ١١٨
الحمدُ رَأْسُ الشُّكْرِ ٤/ ٣٣١
الحمدُ لله ١٧/ ٤١٤
الحمدُ لله أَحْيانا ١٤/ ٣١٣
الحمدُ لله الذي أَطْعَمَنا وسَقَانا ١/ ٢٩١
الحمدُ لله الذي أَعَانَنِي فصُمْتُ ١٢/ ٨٠
الحمد لله الذي جعل في أُمَّتي ١١/ ٢٧٦، ١٢/ ٣٣٢
الحَمْدُ للهِ الذي يُحْيِي ٧/ ٢٠٤، ١٤/ ٢٥٨
الحمد لله إنَّ الأرواح جنودٌ مُجَنَّدةٌ ٧/ ٤٧٢
الحمد لله ربِّ العالمين ١٤/ ٥٤٧
الحمدُ لله رداءُ الرحمن ٩/ ٤٥٦
الحمد لله كما ينبغي لكرم وجهه وعزِّ جلاله ٥/ ٤٠٦
الحواميم روضةٌ مِن رياضِ الجنَّةِ ٤/ ٥٥
حَوْضي مَسيرَةُ شَهرٍ ٩/ ٢٧٣
الحيُّ أفضل من الميت ٩/ ٤٥٦
الحياءُ مِن الإيمانِ ٧/ ٣٠٢

حياتي خيرٌ لَكُمْ ١/ ٢٤٠، ٨/ ٩، ١٤، ١٥، ٩/ ٢٧٧، ١٣، ٣١/ ١٤، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٦٥، ١٦/ ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٧/ ٢٢٩
حيثما كُنتم فصَلُّوا عليَّ ٨/ ٣٠ ، ٩/ ٣٨٣، ١٢/ ٥٢٢، ١٤/ ٣٢٧، ٣٣٠
حَيْثُما مَرَرْتَ بقَبْرٍ ١٤/ ٣٦٥

(خ)

خاب قوم ١٧/ ١٩٧
خالِدًا مُخلَّدًا فيها أبدًا ١٢/ ٣٠٨
خَالفوا المشركين وفِّرُوا اللحية ١٦/ ٤٩٩
خالفوا النِّساء فإنَّ في خلافهنَّ البركة ٥/ ٣٢١
خَالِفُوا اليهودَ فإنهم لا يُصَلُّون ١٠/ ٤١٦
خُبْزٌ ولحْمٌ ١٧/ ٤١٥
الختم الذي بين كتفي النبيِّ ٩/ ٣٤٢
خُذْها فلَعَمْرِي مَن أكَلَ برُقْية باطلٍ ٤/ ٤٦٢، ٤٨٢، ١٧/ ١٠٠
خذوا شطر دينكم عن الحميراء ٨/ ٥٤٤، ٩/ ٤٥٦، ١٧/ ٢٤٦
خذوا عني مناسككم ٨/ ٥١٦
خُذُوا عَنِّي، خُذُوا عَنِّي ٨/ ٤٠٦، ٥١٥
خُذوا من العملِ ١٧/ ٢٤٢، ٦٣٥
خذوا منهم واضربوا لي بسهمٍ معكم ٤/ ٤٨٢
خذوا نصفَ دينِكم ١٤/ ٥٦٥
خرج أميَّة بن خلف ٤/ ٢٢
خرج حاطب بن أبي بلتعة من حائط يقال له قُران ٢/ ١١٩
خرج رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ١٤/ ١٣٢
خرجَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يَتَبرَّزُ ٩/ ٣٨٣
خرج رسول الله عليه الصلاة والسلام على أصحابه ٤/ ١٥٦
خرج رسول فاتَّبَعتُهُ حتى دخلَ نَخلًا ٧/ ٧٦
خرج زوجي في طلب أعْلَاجٍ ١٠/ ٩١
خرج علينا رسول الله بعد صلاة الصبح ١٢/ ٤٤٧
خرج عيسى عليه السَّلام يسيح في الأرض ٨/ ١٦١
خرج النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يومًا إلى المقابر ٤/ ١١٠
خرجت امرأة إلى الصَّلاة فلقيها رجلٌ

٧/ ٥٢٥
خرجت رُفْقةٌ مرَّةً ٢/ ٢٩٨
خَرَجْتُ لأُخْبِرَكُم بليلة القَدْرِ ١٧/ ٦١٢، ١٢/ ٨٨
خرجتُ ليلةً إلى مقابر مكة ١٤/ ٣٥٤
خرجْتُ مِنْ نِكاحٍ ٩/ ٢٠٤، ٤٤١
خرجنا حجاجًا ٢/ ١٢١
خصاء أمتي الصيام والقيام ١١/ ٩٨
خِصَالٌ سِتٌّ ٧/ ٢٣٤
خَصْلَتَانِ أَوْ خَلَّتَانِ ٧/ ٢١٤
خَصلَتان لا تجتمعان في مؤمنٍ ٢/ ٣٧٢
خَصْلَتانِ من كَانَتَا ٧/ ٨٩
خطب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال ٨/ ٤٤٠
خَطَبَ عليٌّ بنت أبي جهلٍ من عمِّها ١٦/ ٥٣٥
الخُطبة موضع الرَّكعتين ١٠/ ٤٣٠
خَطَبَنا أبو هريرة على منبرِ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال ٨/ ٢٣٣
خَطَبَنَا رَسُولُ الله ٧/ ١٨٩
خُفِّفَ على داودَ عليه السَّلام القُرْآنُ ٥/ ٣٩٦
الخلافة بعدي ثلاثون سنة ١١/ ٢٦٣
خَلَطتم عليَّ القِراءةَ ١٠/ ٢٤١
خلَّفت عمر يقرأ القرآن ويقيم الحدود ٣/ ٩٥
خلفت فيكم شيئين ٧/ ٤٢٢
الخَلْقُ كُلُّهُمْ عِيالُ الله ١٨/ ٢٩٦
خَلَقَ الله آدمَ بيده ٢/ ٢٩
خَلَقَ اللهُ آدمَ على صورة الرحمن ٥/ ٣٠٢
خَلَقَ اللهُ آدمَ على صُورَتِهِ ٢/ ٢٦، ٥/ ٣٠٢، ٨/ ١٢٥، ١٦/ ١٠٦
خَلَقَ اللهُ التُّرْبَةَ يومَ السَّبْتِ ٧/ ٤٩٤
خلقَ اللهُ الماءَ طهورًا لا ينجِّسهُ شيءٌ ٨/ ٤٨٥
خُلقت المرأة من الرجل ٥/ ٢٦٨
خُلِقت الملائكة من نورٍ ٥/ ٢٥٢، ٧/ ٥١٣، ١٨/ ٣١٧
الخَمْرُ ما خَامَرَ العَقْلَ ١١/ ٢٥٦
خمس من الفطرة ١/ ٣١٥
خَمْسٌ مَنْ جَاءَ بِهِنَّ ٧/ ١٩١
خَمْسٌ مَنْ عَمِلَهُنَّ ٧/ ١٨٦
خمسٌ مَنْ قُبِضَ في شيءٍ منهُنَّ ١٢/ ١٤٨
خمس يُفطرن الصائم ١٧/ ٢٠٨

خوِّفنا يا كعب ٥/ ٢٤٧
خيار أُمَّتي في كلِّ قرنٍ خمسمائة ١١/ ٣٥٩
الخيرُ اتِّباعُ القُرآنِ وسُنَّتي ٤/ ٣٤٦
خير البر ١٧/ ١٩٧
خيرُ الدَّواءِ القرآنُ ١٧/ ٩٨، ١١٠، ٤/ ٣٦٧، ٣٨٢
خير الذِّكر الخفيِّ ١١/ ٢٧٦
خير الشهود من أدىٰ ٨/ ٥٨٠
خير الشُّهودِ مَن شَهِدَ قبل أنْ يُسْتَشْهَدَ ٨/ ٣٩٣
خَيْرُ القُرُونِ ٧/ ١٨٧
خيُر القومِ المدافعُ عن قومه ما لم يأْثَمْ ١/ ٣٦٤
خيرُ الناسِ منزلةً رجلٌ علىٰ متنِ ٨/ ٣١٢
خير أمتي القرن الذي بعثت ٨/ ٥٨١
خيرُ أُمَّتي القَرْنُ الذي بُعِثْتُ فيه ٨/ ٣٩٣
خير أمتي أنا وأقراني ثم القرن الثاني ٨/ ٥٧١
خير أُمَّتي أوَّلها وآخرها ٣/ ١٨٦
خيُر تجارتكم البزُّ، وخيرُ صناعتكم الخزُّ ٩/ ٤٥٦
خيرُ دواءِ القرآنُ ١٤/ ٢٧٥
خَيْرُ الدَّواءِ القُرآنُ ٤/ ٤٥٩، ٤٧٤
خَيْرٌ موضوعٌ مَن شاء أقلَّ ومَن شاء أكثر ١٨/ ٢٨١
خيرُ نساءٍ ركبْنَ الإبلَ نساءُ قريشٍ أحناهُ علىٰ ولدٍ في صِغَرِه ٨/ ٣٤٩
خير هذه الأُمَّة أوَّلُها وآخِرُها ٣/ ١٨٩
خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عليه الشَّمْسُ ٥/ ٢٧٨، ٩/ ٢٨٧
الخيرة فيما اختاره الله ١٧/ ١٩٧
خُيِّرْتُ بين الشَّفاعَةِ ٧/ ٣٣٤
خيركم خيركم لأهله ١٣/ ٣٨١
خيركم قرني ثم الذين يلونهم ٨/ ٥٨١
خَيْرُكُمْ مَن لم يترك ١٦/ ١٣٤
خَيَّرني اللهُ ٢/ ١٦٧

(د)

دارهم ما دمت في دارهم ١٧/ ١٩٧
داوُوا مرضَاكم بالصَّدقة ٨/ ٢٨٨
دَبَّ إليكم دَاءُ الأُمَمِ ٢/ ٢٢٧
دَثَرَ مكانُ البيتِ ٧/ ٤٢٣
دَثِّرُوني دَثِّروني ٤/ ١٧٧/ ٩/ ١٧١
الدَّجَّال أوَّل مَن يتبعه سبعون ألفًا من

اليهود عليهم التيجان ٣/ ١٨٠
الدَّجَّال ثُمَّ عيسىٰ ابن مريم ٣/ ١٧٠
دخل أبو بكرٍ الصِّدِّيق -رضي الله عنه- علىٰ امرأةٍ ٨/ ١٣٣
دَخَلَ الأشعثُ بن قيسٍ علىٰ ابن مسعودٍ رضي الله عنه وهو يَطْعَم ١٢/ ٤٦
دخلَ النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم المسجد ٨/ ٩٧
دَخَلَ رَجُلٌ الجَنَّةَ بِسَمَاحَتِهِ ٧/ ١٧٦
دخل علىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ١٠/ ٣٠١
دخل علينا رسول الله ٩/ ٢٩٤
دخل عليَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ٣/ ٣٩٠
دَخَلَ عليَّ رسولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فوَضَعَ عنه ثَوْبَيْهِ ١٢/ ٢٠
دخل مع النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ١٠/ ١٣٢
دخلت البارحة الجنَّة ١٢/ ٤٥٩
دخلتُ الجنَّة ٧/ ٤٢٣، ١٢/ ٤٣٦، ١٣/ ٢٦٠، ٣٨١
دخلت المدينة ١٤/ ١٠٩
دخلتِ امرأةٌ النارَ ١٥/ ٣٩٧
دخلت حائطًا لبني النَّجار ١٠/ ٧١
دَخَلْتُ عَلَىٰ النَّبِيِّ ٩/ ٣٨٥
دخلت يومًا في السُّوق ١٤/ ٤٤٥
دخلنا علىٰ عبدالله بن رواحة نعوده ١٢/ ١٤٢
درجُ الجنةِ علىٰ قدرِ آيِ القرآنِ لكلِّ آيةٍ درجةٌ ٨/ ٣٢٩
دعا رجل النَّبي لطعام صنعه ٧/ ١٦١
دعا رجل من الأنصار من أهل قباء ٧/ ٥٠
دُعاءُ ذي النُّونِ في بَطْنِ الحوتِ ٤/ ٥٠
الدُّعاءُ كلُّه محجوبٌ ٩/ ٤٢٠
الدُّعَاءُ لَا يُرَدُّ ٧/ ٦٨، ٧٨، ١٠/ ١٦٩
الدُّعاء هو العبادةُ ١١/ ٤٥٦
الدُّعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ١٨/ ١٢٠
دَعْهُ فإنَّه أَوَّاهٌ ١٦/ ٤٨٨
دَعْهَا يا عمر ١٦/ ١٦١، ١٦٦
دعْهُنَّ يَبْكِينَ ما دَامَ حيًّا ١٢/ ١٤٢
دعوا لي النَّجدي ١٣/ ٢٦٥
دَعْوَةُ إبراهيمَ، وبُشْرَىٰ عيسىٰ ٤/ ٣٣٨

دعوة الرجل لأخيه ٧/ ٤٢٤
دَعْوةُ ذي النُّونِ إذ دعا وهو في بَطْنِ الحُوتِ ٤/ ٣١١
دعوةٌ كان رسول الله يكثر أن يدعو بها ٢/ ٣٣
دعوه يئن ٥/ ٧٦، ١٧/ ٢١٨
دَعِيهِ ١٧/ ٦٢٣
دفَّ أهل أبيات من أهل البادية ٨/ ٥٦٠
الدَّقَلُ والفَارِسيُّ والحُلْوُ والحَامِضُ ٤/ ٣٧٩
دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ ٧/ ١٨٨، ٢٢٠
دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلَ ٧/ ١٥٢
دُلُوكُ الشَّمْسِ ٤/ ٣٨٩
الدنيا جِيفةٌ وطلابها كلابٌ ٩/ ٤٥٦
الدنيا سبعة آلاف سنةٍ ٧/ ٣٦٨
الدنيا لا تنبغي لمحمَّدٍ ٧/ ٤٢٤
الدينُ المعاملةُ ٩/ ٤٥٥، ١٧/ ١٨٥
الدِّينُ النصيحَةُ ٣/ ٥٤، ١٤/ ٥٥٦، ١٦/ ٥٢٧
دون الله سبعون ألف حجابٍ ١٨/ ٣٥٩

(ذ)

ذاك إبراهيمُ ٩/ ٢١
ذاك الوَأْدُ الخَفِيُّ ١٦/ ٤٠٠
ذاك عبدالله ٢/ ٣٤٠، ١٢/ ١٢٧
ذاك مالُ رابِحٌ ١٦/ ٣٩٠
ذاك وفاة ابن أخيك ١٢/ ٤٩٥
ذاك يوم وُلدتُ فيه ١٦/ ٤٩٣
ذاكرُ الله ١٧/ ٢١٦
ذاكرُ الله في الغافلين ١٨/ ٣٠
ذبحنا يوم خيبر الخيل والبغال ٨/ ١٤٥
ذراري المسلمين يكفلهم إبراهيم ٧/ ٤٢٥
ذَرُوا المِراء ١٤/ ١٣٣
ذكاةُ كلِّ مِسْك دباغه ٨/ ٤٩٢
ذكر الصالحين كفارة ١٧/ ١٩٢
ذكر لنا أنه قال: يا ربِّ أرأيت إن تبتُ وأصلحتُ ٥/ ٢٧٩
ذَكَرتْ الملائكةُ أعمال بني آدم ٥/ ٤٧١
ذكرتُ ضغطة ابنتي ٧/ ٤٤٥
ذلك عبدالله ١٤/ ٢٣٣
ذلك كل ليلةِ القَدْرِ ٤/ ٢٨٨
ذهب الذين كانوا يُعلِّمون ١٦/ ٧٨
الذَّهبُ بالذَّهبِ رِبًا ٨/ ٣٩٨

الذَّهبُ بالذَّهبِ، والفِضَّةُ بالفضَّةِ ٨/ ٤٠٤، ٥٦٧
ذهبت النُّبوَّة ١٢/ ٣٦٨
ذهبت النُّبوَّة وبقيت المُبشِّرات ١٢/ ٣٦٨
الذي إذا رُؤيَ ذُكِرَ الله ١١/ ٣٥٣
الذي بيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكاحِ: الزَّوْجُ ٤/ ٣٤٢
الذي يَخْنُقُ نَفْسَهُ في النَّارِ ١٢/ ٣٠٢
الذي يَخْنُقُ نَفْسَهُ يَخْنُقُها ١٢/ ٣٠٢
الذي يَرْفَعُ رَأْسَهُ ١٠/ ٣٩٨
الَّذِينَ إنْ يَلْقَوْا فِي الصَّفِّ ١٢/ ١١٨
الذين يأتون مِن بعدي يَرْوُون أحاديثي ١/ ٣٤٤

(ر)

رَأتْ أُمِّي حِينَ وَضَعَتْنِي ٩/ ٢٠٩
الرَّاحِمون يرحمُهمْ الرحمنُ تَباركَ وتَعالىٰ ١/ ٣٧٢
الرَّاشِي والمُرْتَشِي في النَّارِ ١٢/ ٣٣٠
الراكب شيطانٌ والراكبانِ شيطانَان والثلاثةُ ركْبٌ ٨/ ٤٧٥
رآني النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم واضعًا ١٠/ ٢٨٢
رآني رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ قبر ١٠/ ٢٠٢
رأىٰ العبَّاس مقبلًا ١٤/ ٤٢٣
رأىٰ النبيُّ في منامه ١٢/ ٤٦٠
رأىٰ النبيُّ نساء يتبعن جنازة ٧/ ١٨٥
رأىٰ آيةً مِن كتاب الله نهته ٤/ ٢٧
رأىٰ رسول الله بني فلان ١٢/ ٤٢٠
رأىٰ في النوم أنه سجد علىٰ جبهة رسول الله ١٢/ ٤٨٨
رأىٰ محمد ربه ٩/ ٢٥١، ١٧/ ٢٠
رأيتُ الليلة عَجَبًا ١٢/ ٤٦٦
رأيت النبيَّ في المنام ١٢/ ٥١٤
رأيت امرأةً ثائرة الرأس سوداء ١٢/ ٤٣٩
رأيت أنِّي دخلت الجنَّة ١٢/ ٤٥٦
رأيت أني لَقِمتُ لقمةً ١٢/ ٤٠٢
رأيت ذات ليلة فيما يرىٰ النائم ١٢/ ٤٣٨
رأيت ربِّي في أحسن صورةٍ ١٢/ ٤٢٧، ٤٣٢
رأيت رسول الله في المنام ١٢/ ٣٧٧،

٥١٢
رأيت رسول الله في النوم ١٢/ ٥١٧
رأيت غنمًا كثيرة سوداء ١٢/ ٤٤٩
رأيت في السماء ١٢/ ٥١٤
رأيتُ في المنام ١٢/ ٤٣٩، ٤٥٩
رأيت في المنام قبل أن أسلم بثلاث ١٢/ ٤٨٩
رأيت في المنام كأني أسجد على جبهة النبيِّ ١٢/ ٤٨٧
رأيت في النوم رسول الله ١٢/ ٥١٤
رأيت فيما يرى النائم ١٢/ ٤٨٤
رأيت قبل قدوم النبيِّ تعني لغزو بني المصطلق ١٢/ ٤٩٢
رأيت قبيل الفجر ١٢/ ٤٥٧
رأيت كأنَّ في سيفي ذي الفَقَار ١٢/ ٤٦١
رأيت كأني أُتيت بكُتْلةٍ تمرٌ ١٢/ ٤٥٧
رأيت كأنِّي في دِرْعٍ حصينةٍ ١٢/ ٤٣٩
رأيت كأنِّي في روضة ١٢/ ٤٨٢
رأيت كأنِّي مردفٌ كبشًا ١٢/ ٤٥٩
رأيت لأبي جهل عَذْقًا ١٢/ ٤٦٠
رأيتني دخلت الجنَّة ١٢/ ٤٣٦
رأيتني في النوم ١٢/ ٤٧٥
رأيت ابن عبَّاسٍ يختلف ١٢/ ٥٠
رَأيتُ اللَّيلةَ رَجُلَينِ أتَيَانِي ١٢/ ١٢٢
رأيت النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على المنبر يخطب الناس ٨/ ٥٣٦
رأيت جبريل على سدرة المنتهى ٩/ ٤٣٠
رأيتُ جبريل عند سِدْرَةِ المُنتهَى ٢/ ٣٤٧
رأيتُ جَعْفَرَ بن أبي طَالب مَلَكًا ١٢/ ١٣١
رأيت خاتِم النبوَّة ٩/ ٣٤١
رأيتَ خَيْرًا أمَّا المَنْهَجُ العَظِيمُ ١٢/ ٤٨٣
رأيتُ ربِّي ٩/ ٢٢، ٤٣٣، ١٧/ ١٦٣
رأيتُ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ ١٢/ ٣٣٤
رأيتُ ربِّي جَعْدًا أمْرَدَ ٢/ ١٤
رأيتُ ربِّي في أحسن صورة، فقال: يا محمَّد ٣/ ٨٥، ٩/ ٣١٢
رأيتُ ربِّي في صورةٍ حَسَنةٍ ٢/ ١٤
رأيتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قبل عثمان بن مظعون ١٤/ ٤٢٧

رأيتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ليلةَ النصفِ مِن شعبانَ ١٢/ ٣٥
رأيت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يخطب النَّاس بمنى ١/ ٣٤١
رأيتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلم يطوف ٤/ ٢٤٧
رأيت عليًّا عليه السَّلام ١٤/ ٤٣٩
رأيتُ عن يمين رسول الله ٩/ ٢٨١
رأيت ونحن في تبوك شعلةً من نارٍ ٨/ ١٢٠
رأيتني الليلة عند الكعبة ٣/ ٢٢٧
رأيتني ليالي الحرَّة ١٤/ ٣٣٢١
رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ ٢/ ٣٠٤، ١٨/ ٩٠
رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بالأبوابِ ٢/ ٣٠٤
ربَّ ذِي طِمْرَيْنِ لا يُؤْبَهُ له ٢/ ٣٠٤
ربَّ عابدٍ جاهلٍ، ورب عالمٍ فاجرٍ ١٨/ ٣٥٦
رِبَاطُ شَهْرٍ خَيْرٌ ٧/ ٢٣١
رَبُّك يأمرُكَ أنْ تَصِلَ مَن قَطَعَكَ ١٣/ ٢٠٤
ربيعُ أمَّتي ١٦/ ١٥٣، ١٧/ ١٩٨
رجع عمر رضي الله عنه إلى حديث حمل بن مالك ٨/ ٤١٣
رجعنا من الجهاد ١٦/ ٢٢٢
الرَّجُلُ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ٤/ ٥١٠
رجلًا من الأنصار جاء إلى رسول الله ٧/ ٤٨١
رجلًا من بني إسرائيل ١٨/ ٩٤
رُجمت امرأة في عهد النبيِّ ٢/ ٢٤٩
الرجوع إلى الحق ١٧/ ١٩٧
رَحِمَ اللهُ أخِي لوطًا ٤/ ٣٧٣
رحمَ اللهُ أخي موسى ٣/ ٢٥٣، ٣٠٠
رَحِمَ اللهُ أخي يوسفَ ٤/ ٣٧٨
رَحِمَ اللهُ أُمَّ إسماعيل لو تركت زمزم ٨/ ٦١
رحم الله أمَّةً ٣/ ٥٠٨
رَحِمَ اللهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَالتي ١٤/ ٢٠
رَحِمَكِ اللهُ يا أُمِّي ١٤/ ٢٥٨، ٤٦١، ٥٣٦، ١٧/ ٣٦٣، ٤٤٧
رد عليٌّ كرَّم الله وجهَهَ شهادةَ أبي سنان الأشجعيِّ ٨/ ٤١٦
رُدُّوا علي أبي ٣/ ٤٧٤

رُسِلَ إليَّ أنِ اقْرَأِ القُرآنَ على حَرْفٍ ١٨/ ٢٨٦
رسول الله أتي بفرس ٧/ ٣٢٦
رَسُولَ اللهِ يَقُولُ في حِصَارِ الطَّائِفِ ٧/ ٢٣٦
الرَّفَثُ: التعَرُّضُ للنِّساءِ بالجِماعِ ٤/ ٣٤١
رُفِعَ القَلَمُ عن ثلاثةٍ ٨/ ٣٩١، ١٦/ ١٠٤
رَفَعَ اللهُ عن هذه الأُمَّة ثلاثًا ٨/ ٤٠٣، ٥٠٢
رفع إلى السماء السادسة فمات بها ٥/ ٣٣٩
رُفع بيت المقدس ٢/ ٤٦٤
رُفِعَ عن أمَّتي ٨/ ٥٠١، ٩/ ٤٠٢، ١٠/ ١٢٠، ٣٧٥
رُفع عيسى ابن ثلاث وثلاثين سنة ٣/ ٣١٣
رفع عيسى ابن مريم وعليه مدرعة ٣/ ٣١٣
رقى النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم المِنبر ٩/ ٣٩٤
ركعتان بالسِّواك أفضل من سبعين ركعة ١٨/ ٢٣٦
رَكْعَتَانِ بعِمَامَةٍ خَيْرٌ مِن سبعين ركعةً ١٠/ ٤١٠
ركعتين، سُنَّة أبي القاسم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ١٠/ ٣٣١
رَوِّحوا القلبَ ساعةً فساعةً ٧/ ٤٢٥
رؤيا الأنبياء في المنام وحيٌ ١٢/ ٤١٢
الرؤيا التي رأيتَ ١٤/ ٤٣٤
الرؤيا الحَسَنةُ من الرجل الصالح ١٢/ ٣٥٦
الرؤيا الحسنة من الله ١٢/ ٣٥٢
رؤيا الرجل المؤمن ١٢/ ٣٥٦
الرؤيا الصادقة مِن الله ١٢/ ٣٥٢
الرؤيا الصالحة من الرجل الصالح ١٢/ ٣٦٦
الرؤيا الصالحة مِن الله ١٢/ ٣٥٢
رؤيا المؤمن ١٢/ ٣٦٩، ٣٩٠
الرُّؤيا تقع على ما تُعبر ١٢/ ٣٩٣
الرؤيا ثلاثٌ ١٢/ ٣٥٠
الرُّؤيا جزءٌ من أجزاء النُّبوَّة ١٢/ ٤١٢
الرؤيا جزءٌ من النُّبوَّة ١٢/ ٣٩٢

الرُّؤيا على رِجْلِ طائرٍ ١٢/ ٣٩٣، ٤١٦
الرُّؤيا لِأوَّل عَابرٍ ١٢/ ٣٩٣

(ز)

زادك الله حِرصًا ١٠/ ١٤٧
زَارَ رَجُلٌ أَخًا ٧/ ١٥٢
الزَّاني بحَلِيلَةِ جَارِهِ ٧/ ٤٢٦
زَمزمُ طَعَامُ طُعمٍ وشِفاءُ سُقْمٍ ٨/ ٣٠٥
زَمِّلُوني ٤/ ١٧٧، ٩/ ١٧٠
الزموا هذا الدعاء ٧/ ٣٦٣
زِنْ وأَرجِحْ ١٦/ ١٣٧
زَنَى ماعزٌ فَرُجِمَ ٨/ ٥٦٢
زيِّنوا أعيادكم بالتكبير ١٢/ ٩٩
زيِّنوا العيدين ٧/ ٤٢٦
زَيِّنوا مجالسكم بالصَّلاة عليَّ ٩/ ٤٢١

(س)

سابَّ أخٌ لورقة رجلًا ١٢/ ٤٥٤
سابقنا سابقٌ، ومقتصدنا ناجٍ ٥/، ١٣٩، ١٣٥
ساعتان تفتح فيهما أبواب السَّماء ١٨/ ٢٩٢
سافرتُ مع ابن عمر فلمَّا كان آخر الليل ٥/ ٤٦٣
سافرت مع رسول الله ٩/ ٢٤٠
سأفعل فأعني على نفسك ١٣/ ١٦٤
الساكت عن الحقِّ شيطان أخرس ٩/ ٤٥٦
سأل النَّبي جابرًا «هل تزوجت؟» ٧/ ٤٦٥
سأل جبريلُ النبي ٩/ ٣٧٧
سألت إبراهيم النَّخَعِيَّ عن إنسانٍ قتل نَفْسَهُ ١٢/ ٣٢٤
سألت ابن عمر ١٠/ ٣١٨
سألتَ اللهَ البلاءَ ٣/ ١١٣، ٧/ ٤٥٠، ٨/ ٢٨٣
سألت النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن أهل دينٍ ٢/ ٦٥
سألت جابر بن عبد الله عن الرَّكعتين ١٠/ ٣٣٧
سألتُ جبريلَ عن عمره ٩/ ٤٤٩
سألت جبريل هل رأيت ربَّك؟ ١٨/ ٣٥٩
سألت خالي هندًا بن أبي هالة ٩/ ٣٤٧
سألت ربي أربعًا فأُعطِيت ثلاثًا ٨/ ٥٣٧

سألتُ ربِّي ألَّا يدخل أحدًا ٧/ ٤٢٧
سألتُ ربِّي أنْ لا تجتمع أمَّتي على ضَلالةٍ ٥/ ١٣٧
سألت ربِّي عزَّ وجلَّ أربعًا فأعطاني ثلاثًا ٨/ ٤٢١، ٥٣٤
سألتُ ربِّي فأعطاني أولاد ٧/ ٤٢٧
سألتُ ربِّي فيما يختلفُ فيه ٨/ ٥٤٨
سألت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن الكَلَالة ٤/ ٢٦٠
سألت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: من أعظمُ الناسِ أجرًا ٨/ ٣١٢
سألت عليًّا بن أبي طالبٍ ٤/ ٦٣
سألت كعبًا عن رفع إدريس مكانًا عليًّا ٥/ ٣٣٦
سألت مالكًا أيؤخذ العلم عمن لا يحفظه ٨/ ٥٢٥
سَأَلْنَا عَبْدَالله ٧/ ٢٤٩
السَّائحُونَ: الصَّائِمُونَ ٤/ ٣٦٩
سِبَابُ المسلمِ فُسُوقٌ وقِتاله كُفْرٌ ٢/ ٢١٦
السِّباع حرامٌ ١٦/ ٤٨٢
سبحان الله، إن المسلم لا ينجس ١٤/ ٣٣
سُبْحَانَ الله، والحَمْدُ لله ٤/ ٣٩٢
سبحان الله والحمد لله تملآن ١٣/ ١١٨
سبُحْانَ الله وبحَمْدِهِ ٢/ ٢٠
سبحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إله إلا الله ٨/ ٣٥٠
سُبْحَانَكَ لا أُحْصي ثناءً ١/ ٢٩٥، ١٧/ ٤١٨
سُبْحانَ مَن يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بحَمْدِهِ ٤/ ٣٧٩
سَبْعٌ يَجْرِي لِلْعَبْدِ ٧/ ٢٦٥
سبعةٌ في ظلِّ العرشِ يومَ لا ظلَّ إلا ظلّه ٨/ ٢٦٢
سَبْعَةٌ لا يَنْظُرُ اللهُ ٧/ ١١١، ١١/ ١٠١، ١٠٦، ١٣٥
سبعةٌ يُظِلُّهم اللهُ في ظِلِّهِ ١١/ ١٤٥
سَبَقَ المفرِّدُونَ ٨/ ٣٣٩
ستةٌ لعنتُهم ٢/ ٢٢٠
ستَطْلُعُ عليكم راياتٌ سُودٌ ٣/ ٤٦٠
ستظهر معادن ١٣/ ١٩٣
ستعنت رجلًا يغزو معي فقال ٨/ ٤٥٤
ستفتحُ عليكم أرضُ ٧/ ١١٩
ستكون فتنةٌ لا يهدأ منها جانبٌ

٣/ ٤٧٧
ستكون فتنةٌ يُحَصَّلُ النَّاس ٣/ ٤٨٧
ستكون فتن يصبح الرجل فيها ١٨/ ٣٤٨
سحقًا لمن بدل بعدي ٩/ ٢٧٧
السَّحُورُ كُلُّهُ بَرَكَةٌ ١٢/ ٧٨
سدُّوا هذه الأبواب إلَّا باب عليّ ١٨/ ٣٢٥
سِرْ مع هؤلاء القوم ١٠/ ٥٩
سِرْنا مع رسول الله ٩/ ٢٣٩
السعيد من نظر لنفسه وشفاعته عند ربِّه أعماله الصالحة ٥/ ٣٤٩
السفر قطعة من العذاب ١/ ٢٨٨
السفر يسفر ١٧/ ١٩٨
السَّكِينةُ رِيحٌ خَجُوجٍ ٤/ ١٣٧
السَّكِينة مغنم وتركها مغرم ٧/ ٤٣٣
سَلْ تُعْطَ واشْفَعْ ١٤/ ٢٩٩
سَلْ رَبَّكَ العَافِيَةَ ٧/ ٧٨
السَّلام عليك أيها النبيُّ ١٤/ ٣٧٨
السَّلام عليك ١٠/ ١٨٦
سلامةُ الرجلِ في الفِتنة ٧/ ٤٢٩
السُّلطان ظلّ الله ١٦/ ١٥٢
سلّمَ الصحابة لعليٍّ تسعة أعشار العلم ١١/ ٣٢٥
سلَّم عليَّ مَلَكٌ ٧/ ٣٧٧، ٩/ ٢١١
سَلُوا اللهَ العَفْوَ والعَافِيَةَ ٧/ ٧٧
سَلُوا لأخيكم ١/ ٣١٢
سَلُوني فإنَّكُمْ لا تَسْأَلُوني ١٤/ ٤٢٨
سمع عقبة بن عامر الجُهنيَّ ١٠/ ٨٦
سمعت البَرْبَط والمزمار فما سمعت صوتًا ٥/ ٣٩٩
سمعت أنَّ النَّاس حين يُبعثون ٥/ ٣٦٤
سمعتُ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ١٤/ ٤٩٤، ٤٩٩
سمعتُ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ١٤/ ٥٩٢
سمعتُ كعب بن مالكٍ يُحَدِّثُ بحديثه ٨/ ١٠٨
سمعت مَسْلَمَةَ بن مَخْلَدٍ وهو قائمٌ ١٠/ ٨٦
سمعنا النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يوجب القصر تصريحًا ١٠/ ٣٣٥
سمعنا -يعني وهم في تبوك- صوتًا يقول: اللهمَّ اجعلني مَن أُمَّة محمَّدٍ ٨/ ١٢٢
سمّوا باسمي ٩/ ٢٦٢

سمَّىٰ آدم ابنه عبد الحارث ٤/ ٤١
السُّنَّةُ علىٰ المعتكف: أن لا يعود مريضًا ١١/ ٣٣٧
السنور من أهل البيت وإنه من الطوافين ٨/ ٥٦٢
سها رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فسجد ٨/ ٤٣٦
سهر رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ٩/ ٦٦
سووا بين أولادكم ١٨/ ٢٦٨
سُوءُ الخُلُقِ شُؤمٌ ٧/ ٤٢٨
سؤر المؤمن ١٧/ ١٩٨
سُورةٌ مِن القُرآنِ ١٤/ ٢٣٢
سورة يس تُدعَىٰ ٤/ ١٣٤
سياسة الناس ١٧/ ١٩٧
سيخرج مِن صُلْب هذا ٣/ ٤٧٧
سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ ٧/ ٢٠١
سيد الاستغفار: اللَّهمَّ أنت ربي ١٣/ ١٢٠
سيِّد الشُّهداء جعفر بن أبي طالبٍ ٧/ ٤٣٠
سيِّدُ الشُّهداءِ حمزة بن عبدالمطلب ١٢/ ١٦١
سَيِّدُ الشُّهُورِ شَهْرُ رمضانَ ١٢/ ٤٤، ١٧/ ٢١٤
سيُّد القومِ خادمهم ٧/ ٤٣١
سيّد القوم في السَّفَر خادمهم ٧/ ٤٣١
سيدرك رجالٌ مِن أمَّتي عيسىٰ ابن مريم ٣/ ١٧٧
سَيُشْدِدُ هذا الدِّين برجالٍ ٧/ ٤٣٢
سيكون بعدي خُلفاءُ ٣/ ٤٦٩
سيكون بعدي قُصَّاصٌ ٧/ ٤٣٣
سيكون بينكم وبين الروم ٣/ ٤٧٢
سيكون في هذه الأُمَّة ١١/ ٣٧٨
سيكون مِن أهل بيتي ٣/ ٤٦٩
سيكونُ مِن بعدي خُلَفَاءُ ٣/ ٤٨٠
سألت عليًّا بن أبي طالبٍ ٤/ ١٥٥
سئل ابن عبَّاسٍ عن الخضخضة ١١/ ٧٣
سُئل النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: ما هي الغيبة؟ ٩/ ٣٦٧
سُئِلَ أنس بن مالكٍ ١٠/ ٤١٤
سُئل رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ٤/ ٤٥
سُئل رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله

وسلَّم: مَن أولياء الله؟ ٤/ ٣٧١
سُئل رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: من هم أولياء الله؟ ٢/ ٢٦٠
سُئل رسول الله عمَّن استوت حَسَناتُهُ وسَيِّئاته ٤/ ٢٦٧
سُئل رسول الله عن المُسوخ ٥/ ٤٧٦
سُئِل رسول الله عن ورقة ١٢/ ٤٥٣، ٤٥٤
سُئِلت اليهودُ عن موسىٰ ٨/ ٤٨٣
سورة يس تُدعَىٰ في التوراة المُعَمِّمة ٤/ ٢٢٧
السواك مطهرة للفم مرضاة للرب ١٨/ ٢٣٦
السُّيوف أرْدِيةُ المُجاهِدين ٧/ ٤٣٥
السُّيوفُ مفاتيحُ الجنَّةِ ٧/ ٤٣٥

(ش)

شاهَتِ الوجوهُ ٩/ ٧٨
الشاهد محمد صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ٩/ ١٧٦
الشَّحيحُ لا يدخلُ الجنَّة ٧/ ٤٣٥
شرُّ الشُّهُودِ مَن شَهِدَ قبلَ أنْ يُسْتَشْهَدَ ٨/ ٣٩٣
شَرُّ الكَسْبِ حُلْوانُ الكَاهِنِ ١٢/ ٣٢
شَرٌّ مِن الفِطْرَةِ ١١/ ٢٩٠
شِرارُ أُمَّتي ٧/ ٤٣٦
الشِّرْكُ أَخْفَىٰ مِن دَبِيبِ الذَّرِّ علىٰ الصَّفَا ٤/ ٣٤٤
الشرك بالله، واليأس مِن رَوْحِ الله... ٢/ ٢١٣
الشريك شفيعٌ ١٨/ ١٥٠
الشَّعر الحَسَن أَحَدُ الجمالين ٧/ ٤٣٧
شَغَلُونا عن الصَّلاةِ الوُسْطَىٰ ٤/ ٣٤٢، ١٦/ ٢٤٧
شِفاءُ أُمَّتي في ثلاثٍ ٤/ ٤٨٠
الشَّفَاعَةُ في مَن وَجَبَتْ له النَّارُ ٤/ ٣٥٢
الشفعة في كل ما لم يقسم ١٨/ ١٤٦، ١٨/ ١٤٤
شفاعتي لأهلِ الكبائر ٢/ ١٦٧، ٩/ ٥٣، ١٢/ ٢٧٢، ١٤/ ١٠٣، ١٦/ ١٩٦، ٣٦١، ١٧/ ٥٢١، ٥٢٧، ٣٥٨
شفاعتي لكلِّ مسلمٍ ٧/ ١٩٦
شَكَا أهل الكوفة سعدًا ٢/ ٣٢٠
شَهَادَةُ أن لا إله إلَّا الله ٤/ ٣٧٠

الشَّهادة سبعٌ ٥/ ٢٠٨، ١٢/ ١٤١
الشُّهداءُ خمسةٌ ٢/ ٣٣١، ١٢/ ١٤١
الشُّهَدَاءُ عَلَىٰ بَارِقِ ٧/ ٢٤٩، ١٢/ ١٣٤
الشُّهداء والعُلماء ١٤/ ٣٣٧
شهدت العيد مع عثمان بن عفان ١٠/ ٤٣٩
شهدتُ مع رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يوم حُنَينٍ ٨/ ٩٩
شهر رمضان ٧/ ٤٣٦، ١٧/ ١٨٣
الشَّهِيدُ يَشْفَعُ في سَبْعِينَ من أهل بَيته ١٢/ ١١٧
شَوَّالٌ وذو القَعْدَةِ وذو الحِجَّةِ ٤/ ٣٤١
شَيَّبَتْني هودٌ وأخواتها ٤/ ٣٧٤
الشَّيْخُ والشَّيْخَةُ إذا زَنَيا ٤/ ٣٦، ٨/ ٤٠٤، ١٠/ ١٩
الشيخ يَضْعُفُ جِسمُهُ ٧/ ٤٣٧
الشَّيطانُ ذئبُ الإنسانِ كذئبِ الغنمِ ٨/ ٢٦٤
الشيطانُ ذيب الإنسانِ كذيبِ الغنمِ ٨/ ٥٣٥
شيطانا يقال له آصف ١٧/ ٩١

(ص)

صاحب السُّنَّة إن عَمِل خيرًا ٧/ ٤٣٧
صاحبُ الشَّيء ١٦/ ١٣٧
صاحبُ الصفِّ ٧/ ٤٣٨
صاعٌ مِن بُرٍّ علىٰ كلِّ امرئٍ ١٢/ ١٠٣
صافحتُ كفِّي هذه ١٧/ ١٥٥
الصائم المتطوع أمير نفسه ١٣/ ١٢٥
الصبر علىٰ المعسر ١٧/ ١٩٨
صَبْرٌ لا شَكْوَىٰ فيه ٤/ ٣٧٥
الصبر مع الإيمان بالله يورث الظَّفَر ٥/ ٣٤٩
صبرًا آل ياسر ١٣/ ٢٥٨
صَدَق صَدَق ٢/ ٢٩٥، ١٨/ ١١٢
صَدَقةُ السرِّ ٧/ ٤٣٨
صَدَقةُ المرءِ المسلم ٧/ ٤٣٩
صَدَقةٌ تَصَدَّقَ اللهُ بها عليكم ٤/ ٣٥٣، ١٠/ ٣٠٠، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٦٥، ٣٦٧
الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ كتابُ الله ٤/ ٣٣٢
صرَّح بأنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ١٠/ ٣٦٠
صعد النبيُّ وأبو بكر وعثمان جبل أُحُدٍ ٧/ ٣٦١
صعد عمر رضي الله عنه المنبر ١٤/ ٩٦
صفته أحمد المتوكل ٩/ ٢١٢

صلِّ الصبح والضحىٰ ٧/ ٤٤١
صَلِّ بصلاتهم ١٠/ ٣١٣
صلِّ صلاة مُودِّعٍ ٧/ ٤٣٩
صلاة السفر ركعتان ١٠/ ٣٦٥
صلاة أَحَدِكُم في بَيْتِهِ أفضل إلَّا المَكْتوبة ١٢/ ٨٠
صلاة الأَضْحَىٰ ركعتان ١٠/ ٤٣٥
صلاةُ الرجلِ في جماعةٍ ١٥/ ٤١٧
صلاة السَّفَر ركعتان ١٠/ ٣٠٤، ٣٠٧
صلاةُ القاعدِ علىٰ النِّصفِ ١٠/ ٣٠٧، ١٦/ ٣٣٩
صَلَاةُ اللَّيلِ مَثْنَىٰ مَثْنَىٰ ١٥/ ٧٧
صلاةُ المسافرِ بمِنًىٰ ٧/ ٤٤٢
الصلاة المكتوبة إلىٰ الصلاة المكتوبة ٨/ ٥٣١
الصَّلاةُ الوُسْطَىٰ صَلَاةُ العَصْرِ ٤/ ٣٤٢
صلاةُ الوُسْطَىٰ صَلاةُ العَصْرِ ٥/ ٤٢١
الصلاةُ إلىٰ الصلاةِ ١٧/ ٢٩١
صَلاةُ تَطَوُّعٍ أو فَريضَةٍ ١٠/ ٤١٠
الصَّلاةُ جَامِعَةٌ ٧/ ٢١٦
الصَّلاةُ خَيْرٌ مَوْضُوعٌ ١٦/ ١١٧، ١٨/ ٣٦٢
الصَّلاةُ علىٰ ميقاتها ١٦/ ١١٧
الصَّلاة عَمُودُ الدِّين ٧/ ٤٤٤
الصَّلاةُ في العِمامة ١٠/ ٤١٠
الصَّلاةُ في النِّعالِ ١٠/ ٤١٥
الصَّلاةُ في مَسْجِدِ قِباءٍ ١٦/ ٥٤٣
صلاةٌ في مسجدي هذا أفضلُ من ألفِ صلاةٍ ٨/ ٢٥٦، ١٦/ ٥٤٤، ١٧/ ٥٢٣
الصَّلاة ها هنا ١٦/ ٤٩٣
الصُّلْحُ جائزٌ ١٤/ ٢١٩، ٥٩٣
صلُّوا خَلْفَ كلِّ بَرٍّ ١٦/ ٢٠٥، ٣٣٤
صَلُّوا خَلْفَ مَن قال ١٢/ ٣٢٢
صَلُّوا علىٰ صاحبكم ١٢/ ٢٥٣، ٣٢٣
صَلُّوا علىٰ كلِّ مَيِّتٍ وجاهِدُوا مع كلِّ أَميرٍ ١٢/ ٣٢٣
صَلُّوا علىٰ مَن قال: لا إله إلَّا الله ١٢/ ٣٢٢
صَلُّوا عليَّ ٩/ ٣٨٩، ١٤/ ٣٣٠
صَلُّوا في بيوتكم ولا تتَّخِذُوها قُبُورًا ٨/ ٣٠، ١٤/ ٣٢٧
صَلُّوا في نِعالِكُمْ ٤/ ٣٥٨
صلُّوا كما رأيتموني أصلِّي ١٢/ ٥١٩، ١٤/ ٦١٣، ١٦/ ٣٤٨
الصَّلوات الخَمْسُ، والجُمُعةُ إلىٰ الجُمُعةِ

٢/ ٢٠٦، ٢٤٤، ٨/ ١٥٥، ١٢/ ٥٨، ١٧/ ١٨٣، ٤٢٣
صلَّى الله عليك وعلى زوجك ١٦/ ٢٩٥
صَلَّى النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم ١٠/ ٣٨٠
صلَّى رسول الله العشاء ١٢/ ٤٥١
صلَّى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الصبح ١٠/ ٢٥٤
صلَّى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على ولد الزِّنا ١٢/ ٢٥٣
صِلي أُمَّكِ ١٧/ ٤٤١
صليت مع رسول الله ٩/ ٢٩٦
صم واسأل الله من فضله ١١/ ٩٨
صَمْتُ الصَّائمِ تسبيحٌ ٧/ ٤٤٠
صَنائِعُ المَعْرُوفِ تَقِي ٧/ ٣٢٠
صِنْفانِ مِن أُمَّتي ٧/ ١٠٨
صِنْفان مِن أهل النَّار ٢/ ٢٢٥، ٧/ ١٠٩
الصُّورةُ الرأسُ ٧/ ٤٤٣، ٨/ ١٩٧
صومُ رمضانَ معلَّق ١٧/ ٣٧٦
صومُ شهر رمضان معلَّقٌ بين السماء ١٢/ ١٠١
صُوموا أيام البِيض ٧/ ٤٤١
صُومُوا لرُؤْيَتِهِ ١١/ ٢٥، ١٣/ ٢٧٩
صُومِي عَنْ أُمِّكِ ١٥/ ٢٥
الصِّيامُ جُنَّةٌ ما لم يَخْرِقْها ١٢/ ٧٢
صِيامُ رمضانَ كَتَبَهُ اللهُ ١٢/ ٥١
صيام يوم عرفة أحتسب على الله ١٨/ ٢٤٩
صيام يوم عرفة يكفِّر ١٨/ ٢٤٧
الصِّيامُ لا رِيَاءَ فيه ١٢/ ٦٨
الصِّيامُ والقُرْآنُ يَشْفَعَانِ ١٢/ ٦٣

(ض)

ضَحِكَ الله مِن رَجُلين ٢/ ٣٥
ضَحَّى رَسُولُ الله ١٧/ ٣٨٥
ضرب بعض أصحاب النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ١٤/ ٢٣٠
ضَرَبَ رجلٌ من أصحاب رسول الله خِبَاءَهُ على قبرٍ ٤/ ٦٣
ضعِ القلمَ ١٠/ ١٦٨
ضَعُوا آيَةَ كذا في موضعِ كذا ٤/ ١٥٠
ضَعُوا هؤلاء الآيات في السورة ٤/ ١٥٥

الضَمَّةُ في القَبْرِ كفَّارةٌ ٧/ ٤٤٤
الضِّيافةُ ثلاثة أيامٍ ٧/ ٤٤٥

(ط)

طار لنا عثمان بن مظعون في السُّكنى ١٢/ ٤٧٨
الطَّاعونُ شهادةٌ لكلِّ مُسلمٍ ١٢/ ١٤٤
طرأ عليَّ حِزْبٌ من القرآنِ ٤/ ١٥٣
طفئ مصباح النبيِّ ٤/ ٢٤٧
طُفئ مصباحُ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ١٦/ ٢١٤
الطلاقُ بالرجال والعدَّة بالنساء ٨/ ٤٣٧
طَلَبُ الحَقِّ غُرْبَةٌ ١٧/ ٤١١
طَلَبُ العِلْمِ فَريضَةٌ ٣/ ٣٤٢، ٩/ ٩٢، ١٠/ ١٢٠، ١٧/ ٥٢٥، ٦٦٦
طُلِب عَامِرُ بن فُهَيْرَةَ يومئذٍ ٢/ ٣١٤
طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب ١٣/ ١٩٧
طَهُورُ كلِّ أَدِيمٍ دِبَاغُهُ ٧/ ٤٤٦
طُوبَى لعيشٍ بعد المسيح ٣/ ١٤٥، ٣٨٠، ٤٤٧
طُوبى لمن أَسْلَمَ ٧/ ٤٤٨
طُوبَى لِمَنْ تَوَاضَعَ ٧/ ١٣٩
طُوبَى: شَجَرَةٌ في الجنَّةِ ٤/ ٢٨٨
طوبي لمن رأي عكا ٩/ ٢٥٨
الطُّوفانُ المَوْتُ ٤/ ٣٦٠

(ظ)

الظُّلمُ ثلاثةٌ ١٧/ ٣٤٠
ظننتُ أنَّ أحدَكم ١٤/ ٦٢٢

(ع)

عَادَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رَجُلا٢/ ٣٠٥
عاد من جنازة بعد دفنها ٧/ ١٣٣
العائد في هبتِه كالكلب ١٣/ ١٢٥
عَبَاءَةٌ لكلِّ مِسْكِينٍ ٤/ ٢٦٢
عَبَثَ النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم١٦/ ٢١٥
العَبْدُ إذا وُضِعَ١٤/ ٣٠٨
عَبْدٌ أَطَاعَ اللهَ ٧/ ٢٧١
عَبْدي أَطِعْني أجعلْك١٦/ ١٤١
عَبْدي أَطِعْني أجعلُكَ ربَّانيًّا تقول للشيء ٣/ ١٦
العَجَبُ إنَّ نَاسًا٣/ ٤٧٦، ١٧/ ١٨٥
عَجِلْتَ أَيُّهَا المُصَلِّي ٧/ ٧٩،

٨/ ٣٧٠
عَدَدُ آنيةِ الحَوْضِ ٧/ ٤٤٩
عددُ درجِ الجنةِ آيُ القرآنِ ٨/ ٣٢٩
عَدْلًا ٤/ ٢٤٦
عدلت شهادة الزور الإشراك ٧/ ١٢١
عَدْنٌ دار الله ٤/ ٣٦٦
عَذَابُ القَبْرِ ٤/ ٤٠١
عَذَابُ الكافِرِ في قَبْرِهِ ٤/ ٤٠٢
عُرَامَةُ الصَّبيِّ في صِغَرِهِ ٧/ ٤٤٩
عُرِجَ بي رأيتُ إدريسَ في السماء الرابعة ٥/ ٣٣٩
عُرِضَ عَلَيَّ أَوَّلُ ثَلَاثَةٍ ٧/ ٢٢١
عُرضت الخيل على سليمان فشغلته ٥/ ٤٢١
عُرِضت عليَّ الأُمَمُ ٧/ ٣١٢، ١٨/ ٣٠١
عَرَضَ عَلَيَّا رَبِّي لِيَجْعَلَ لي بَطْحَاءَ مَكَّةَ ذهَبًا ١٨/ ٣٠٨
العِرْقُ دسَّاس ١١/ ١٩٣
عُرَى الإِسْلَامِ وَقَوَاعِدُ الدِّينِ ٧/ ٩٦
عَرِيشًا كعَرِيشِ موسى ٧/ ٤٥٠
عسى أن يُكَذِّبَني رجلٌ منكم ٩/ ٣٠١
عسى أن يكذِّبني رجلٌ منكم ٣/ ٢٤٢
عَشْرُ رَضَعَاتٍ مَعْلُوماتٍ يُحَرِّمن ١٠/ ١٣
عِصَابتان مِن أُمَّتي ٣/ ١٨١
٣/ ٣٩٣
عَطَائي كَلامٌ، وعَذَابي كَلامٌ ٢/ ٣٠
عظَمُ الأَجْرِ ٧/ ٤٤٩
عِفّوا تعِفَّ نساؤُكم وبرُّوا آباءَكُم ٨/ ٣٧٥
عَقَارِبُ أمثال النَّخْلِ الطِّوالِ ٤/ ٣٨٧
علامة أبدال أُمتي ١١/ ٣٦٠
علامة أبدال أمَّتي أنَّهم لا يَلعنون شيئًا أبدًا ٢/ ٢٦١
علامة ما بيننا وبين المنافقين ٧/ ٤٦٧
علق رجل مِن الجنِّ جاريةً لنا ٥/ ٤٤٨
العمرى لمن وهبت له ١٨/ ١٩٠
العلمُ خيرٌ من العبادةِ ٨/ ٢٣١
العلمُ عِلمان ١١/ ٣٢٧، ١٧/ ٤١١، ١٨/ ٣٣٢
علماء أمتي ١٦/ ١٥٥، ١٦/ ١٥٩ ١٧/ ١٩١
العلماءُ أُمَنَاءُ الرُّسُل ٧/ ٤٥٤
العلماء ثلاثة ١٨/ ٣٣٤

العلماء ورثة الأنبياء ١١/ ٤٤٦، ١٣/ ١٧٧، ١٦/ ٢٢١
علم الباطن سرٌّ من سرِّ الله ١٨/ ٣٣٤
علمت أنكم تكفونني١١/ ٣٥٠
عَلِّمْنِي عَمَلًا يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ؟ ٧/ ١٨٣
علمه الله في تلك الأسماء١٣/ ١٩٠
علَّمه الله في تلك الأسماء ألف ٥/ ٢٦٤
علِّموا أبناءكم السِّباحة ٧/ ٤٥٠
علِّموا رجالَكم ١٧/ ١٧/ ١٨٦
علىٰ رسلك يا عبدالرحمن٣/ ١٨٢
علىٰ ميلاد عيسىٰ٣/ ٢٠٤
عليٌّ سيِّدُ العَربِ١٤/ ٦٠١
عليٌّ مِنِّي بمنزلة هارون ٧/ ٤٥٣
عليٌّ يظهر في الجنَّة ٧/ ٤٥٣
عليك السَّلام ورحمة الله ٤/ ٣٥
عليك بأربع ليالٍ ١٢/ ١٤
عليكِ بالصَّلاة ٧/ ٤٥١
عليكَ بالصَّوْمِ فإنَّه لا عِدْلَ لَهُ ١٢/ ٧١
عليك بالعِير فليس دونها شيءٌ٤/ ٢٧٠
عليك بتلاوةِ القرآنِ١١/ ٤٥٦
عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ ٧/ ٦٠
عليكم بالسَّواد الأعظم ٨/ ٤٢٧
عليكم بالشِّفاءين ٤/ ٣٨٧، ٣٩٠، ٤٥٩، ١٤/ ٢٧٥، ١٦/ ٥٦١
١٧/ ٩٩
عليكم بالصِّدْقِ٢/ ٢٣١
عليكم بالقرآن ٧/ ٤٥٢
عليكم بسُنَّتي ٨/ ٥٤٣، ٨/ ٤٢٧
١٠/ ١٣١، ١٧/ ١٨٨
عليكنَّ بالتّسبيح١٠/ ١٦٦
عمَّار لَقِي الشَّيطان٢/ ٣٢٩
عَمِدْتُ إلىٰ عِقالين ٤/ ٢٤٨
العُمْرَةُ إِلَى العُمْرَةِ كَفَّارَةٌ ٧/ ٢٢٥
العمرةُ للعمرةِ كفارةٌ ١٧/ ٣٥٤
عمل يُدْخِل الجنة٧/ ١٥٥
عنِ الغُلامِ شَاتَانِ مُكَافِئَتَانِ ١/ ١٩٨
عن النَّبي، أنه كان إذا أكل ٧/ ٨٦
عن أمينة: أنها سألت عائشة ٧/ ١٧١
عن قول لا إله إلَّا الله ٤/ ٢٩٤
عندي جارية سوداء١٦/ ٣٩٠
عندي من العلم الذي أسَرَّه إليَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم٣/ ٨٩
العهدُ الذي بيننا وبينهم الصَّلاةُ٢/ ٢٢٨
عَهِدَ إِلَيْنَا رَسُولُ الله في خَمْسٍ ٧/ ٢٣٣

العَهْدُ أن تقول: اللهمَّ فاطِرَ السَّماواتِ والأرضِ ٤/ ٤٠٠
عُودوا المريضَ ٧/ ٤٥٤
عوِّدوا النِّساء: «لا»، فإنها ضعيفةٌ ٥/ ٣٢١
عَوَّذَني رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بفاتِحة الكِتابِ٤/ ٣٧٠
العيافة والطيرة والطرق ٧/ ١٢٨
العَيْنُ حقٌّ يَحْضُرُها الشَّيطانُ ٧/ ٤٥٥
العَيْنانِ تَزْنيانِ١١/ ١٤٢

(غ)

الغُدُوُّ والرَّوَاحُ في تعليم العِلْمِ ٧/ ٤٥٦
غزا سليمان أهل دمش ونصيبين ٥/ ٤١٩
غزوةٌ في البحْرِ خيرٌ من عشرِ غَزَوَاتٍ في البرِ ١٢/ ١٣٤
غزوت مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم١٦/ ٢٢٨
غزونا مع رسول الله غزوة تبوك ٤/ ٨٧
غُسلُ الجُمُعة واجبٌ ١٧/ ١٩٥
الغُسْلُ مِن الغُسْلِ١٦/ ١٦٨
غفر الله له ١٣/ ٢٥٩
الغِلُّ والحَسَدُ يأكلان الحَسَناتِ ٧/ ٤٥٦
الغُلامُ الذي قَتَلَهُ الخَضِرُ ٤/ ٥١٥
الغِنَى: الإياسُ ٧/ ٤٥٧
غيٌّ وآثام بِئران في أسفل جَهَنَّمَ ٤/ ٣٩٦
غير الدَّجَّال أخوفني عليكم ٣/ ٣٨٢، ١٦/ ١٣٢

(ف)

فاتحة الكتاب شفاء ٧/ ٤٥٩، ١٤/ ٢٧٤، ١٧/ ١٠١، ١٠٩
فاتِحَةُ الكِتابِ شِفَاءٌ مِن السُّمِّ ٤/ ٤٦٤
فاتِحَةُ الكِتابِ شِفَاءٌ مِن كلِّ داءٍ ٤/ ٤٦٤
فأتمَّها لداودَ مائةَ سَنَةٍ ٥/ ٣٨٨
فأخبرني عن أمارتها٣/ ٢٨٤
فأخْرَجَ اللهُ الكتاب وأقام عليه البَيِّنة ٥/ ٢٧٩
فَأَدَّبَهُنَّ وَأَحْسَنَ ٧/ ٢٨٧
فإذا أحببته كنت سمعه ١٣/ ٢٩٠، ١٤/ ١٤٦
فإذا أخذَ في المشي ٨/ ٢٧٦
فإذا جاء الأمر قُبِضوا١١/ ٣٦١
فإذا خالطوا السلطان ٧/ ٤٥٥
فإذا خَرَجَ الإمامُ٩/ ٢٥٧، ١٠/ ٤٢٨، ١٣/ ٢٧٦

فإذا رأىٰ أحدكم رؤيا ١٢/ ٣٥٣
فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه١١/ ٨٨
الفَّارُّ منه كالفَّارِّ من الزَّحفِ ١٢/ ١٤٤
فاستاء لها رسول الله ١٢/ ٤٨٥
فأستأذنُ علىٰ ربِّي ١٧/ ٥٥٤
فاطمة بنت محمد سليني من مالي ٩/ ٢٧٩
فاطمةُ شُجْنَةٌ مِنِّي ١٦/ ٤١٥
فاطمةُ مَضْغَةٌ مِنِّي١٤/ ٩٩
فاقْبَلُوا مِن الله صَدَقَتَهُ١٠/ ٣٩١
فأقرَّا لها بدينها – يعني المجوسيَّة فأقرَّا لها بدينها ٥/ ٤٧٩
فألْفَىٰ ذلك أمُّ إسماعيل وهي تُحِبُّ الأُنْسَ ٨/ ٦١
فأمرَ الله تعالىٰ الأرض ١٨/ ١٠٣
فأنا بنِعْمَةِ الله سيِّد وَلَدِ آدَمَ ولا فَخْرَ ١٨/ ٢٨٣
فإن استَبْطَأَ أحدُكم رِزْقَه ٤/ ٢٠٠
فإن استطعتم ألا تغلبوا ١٨/ ٢٠٨
فإنَّ الشيطان لا يتكوَّنني ٥/ ١٢٦
فإن جاء صاحبها ١٥/ ١٧٢
فإن ذَكَرَنِي في نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي٢/ ٢٠
فإنْ شئتَ أخَّرت١٤/ ٤٩٨
فإن كانت حاجة١٤/ ٢٠٨
فإنَّ كلَّ بدعةٍ ضلالةٌ ١٠/ ١٣٦
فإن لم يكن يعرفه١٦/ ٢٢٦
فأنا مَوْضِعُ اللَّبِنَة جئتُ فخَتَمْتُ الأنبياءَ ٣/ ١٢٧
فإنه و الله لا يجتمع إيمان وإدمان خمرٍ ٨/ ١٥٨
فإنَّها تدفعُ عنكُم الأمراضَ والأعراضَ ٨/ ٢٨٩
فإنَّها تُذكِّر١٤/ ٤٨٤
فإنَّها حبلُ الله الممدودُ من تمسَّك بها ٨/ ٥٤٤، ١٨/ ٣٥٥
فإنِّي سَمِعْتُ دفَّ نعليكَ بين يديَّ في الجنَّة ٨/ ٢٣٩
فبينما إمامهم قد تقدَّم يصلِّي٣/ ٤٢٣
فبينما هم يعدون ٣/ ٤٢١
فبينما هو كذلك٣/ ٤٢٢
فتَرجِفُ المدينة بأهلها٣/ ٤٧٣
فتقبَّل مِنِّي إنَّك أنتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ١٢/ ٨٠

الفتنة نائمة١٧/ ١٩١
فدارها تعش بها ١٣/ ٣٨١
فدين الله أحقُّ١٠/ ٢١١
فذلكُم الرِّباطُ ٨/ ٢٦٥
فرأته خرج عليها في النّوم١٠/ ٢٠٣
فَرْخُ الزِّنا شرُّ الثلاثة١١/ ١٩٠
فَرَضَ اللهُ على المسافر١٠/ ٣٩٠
فرضَ رسولُ الله صدقة الفطر طهرة ١٢/ ١٠١، ١٢/ ١٠٣، ١٧/ ٣٧٥
فُرضت الصَّلاة ركعتين١٠/ ٢٧، ٣٠٤، ٣٤١، ٣٥٩، ٣٦٣، ٣٦٥، ٣٧٨، ٣٨٨
فُرِضت صلاة الحَضَر١٠/ ٣٠٥
فَرَقَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حتى دمعت عيناه ٨/ ٥٧٣
فرِّقوا بين كلِّ ذي محرمٍ ١٠/ ٨٩
فصل ما بين صِيامِنا وصِيامِ أهل الكتابِ ١٢/ ٧٧
فضل لا إله إلَّا الله ١٢/ ٤٣٠
فضل الصَّلاة بالسِّواك ١٨/ ٢٣٥
فُضِّلَتْ (سورة الحَجِّ) على القُرآنِ بسَجْدَتين ٤/ ٤٠٤
فُضِّلْتُ على آدمَ بخَصْلَتَيْنِ ٥/ ٢٧٢، ٧/ ٤٦٤، ٩/ ٢٧٦
فُضِّلتُ على الأنبياءِ ١٧/ ٤٧٢
فُضِّلْنا عَلَى النَّاسِ بثَلاثٍ ١٨/ ٣٠٥
فُضِّلتُ على الأنبياء بخَصْلَتين ٩/ ٢٧٥
فُضِّلتُ على الأنبياء بستٍّ ٢/ ٩٣، ٩/ ٣٨، ٢٥٥، ١٨/ ٣١٤
فضلتم علينا بالألوان والنبوة ٧/ ٣٢٥
فعَرَفْتُ فَضْلَ عِلْمِهِ بالله عليَّ ٩/ ٢١، ٢٣
فَعَلْتُه أنا ورسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فاغتَسلْنا ٨/ ٥١٦
فغفر له بها، ولم يعمل خيرًا قطُّ إلَّا التَّوحيد ١٨/ ١٠٥
فقال رجلٌ لبلال رضي الله عنه: من سبق ٥/ ١٤٩
فقد استعار النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم سلاحًا من صفوان بن أميَّة ٨/ ١٠٤
فقد برئ مما أنزل ٧/ ١٢٧
فقد سأله أهل مكة ١٣/ ٥٣
فقد كَفَرَ بما أُنزلَ١٦/ ٢٤٧

فقدت النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فخرجت ١٢/ ١٥
فقدت رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ليلة ٩/ ٢٧٥
فقولوا مِثل ما يقول ١٦/ ٣١٩
فكان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يعوذني ٤/ ٣٧٣
فكان عثمان لا يلتفت ١٤/ ١٩٨
فكأنما رآني في اليقظة ١٢/ ٣٧١
فلا تفعلُوا ١٤/ ٦٢٠
فلا تفعلوا، وليقرأ أحدُكم بفاتِحةِ ١٠/ ٢٥٤
فلا تقرأوا بشيءٍ ١٠/ ٢٥٤
فلا يجدون أعلم ١٥/ ٤٢٣
فلانة المُضحكة عندكم؟ ٧/ ٤٧٢
فلانة تصوم النَّهارَ وتقومُ الليلَ ٧/ ٣٠١
فلبس عمر ثيابه يوم الجُمُعة ١٠/ ٩٠
فلذلك سَعَىٰ النَّاسُ بينهما ٨/ ٦١
فلما قاموا يصلُّون ٣/ ٣٨٨، ٣/ ٤٢١
فَلَمَّا كَانَتْ غَزَاةٌ غَنِمَ النَّبِيُّ فَقَسَمَ ٧/ ٢٤٢
فليبصق عن يساره ١٢/ ٣٥٢
فليُبَلِّغ الشَّاهِدُ ١٦/ ٢٤
فَمُطِرْنَا من الجمُعَةِ ١٥/ ٢١
فمَن أَرادَ أن يُزَحْزَحَ عن النَّارِ ٤/ ٢٥٦
فمنِ استطاعَ منكُم أنْ يطيلَ غُرَّتَه ٨/ ٢٣٧
فمن ترك الشُّبهات ٧/ ١٣٧
فمَن جاء بعد ذلك فإنما يجيء لحقِّ الصلاة ١٠/ ٤٢٨، ١٠/ ٤٣٦
فمنْ رآني في المنام ١٧/ ٩٥
فمن رأىٰ شيئًا ١٢/ ٣٥٤
فمَن شاء أن يُجَمِّعَ ٠/ ٤٤٥
فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ ٧/ ٢٣٧
فمَن كانت هِجْرَتُهُ ١٥/ ١٧٢
فنامت عيني ١٢/ ٤٥١
فنرىٰ خالة أبيها ١٠/ ٤٥٢
فنكاحها باطل ١٥/ ٣١٣
فهم في النَّارِ مع كَفَرة الجنِّ والإنس ٥/ ٦٩
فوالله لأن يهدي اللهُ بك رجُلًا واحِدًا ٨/ ١٥١
فوَضَعَ يَدَهُ بين كَتِفَي ١٢/ ٣٣٥
في الإبل صَدَقَتُها ١١/ ١١

في الإنسان ستونَ وثلاثُمائة مَفْصِل ١١/ ١٦٣
في البَزِّ صدقتُه ١١/ ١٢
في الجَنَّةِ غُرَفٌ يُرَىٰ ظَاهِرُهَا ٧/ ١٦٩
في الرَّجُلِ الذي ضَرَبَ خبأه على قبرٍ ٢/ ٤٥٢
في الرِّقَّة رُبْعُ العُشْرِ ٨/ ٤٠٣
في العُرُوض تدار الزكاة كلَّ عامٍ ١١/ ١٤
في المتاع يُقوَّم ثُمَّ تؤدَّىٰ زكاته ١١/ ١٤
في أمَّتي كذَّابون ودجَّالون سبعة وعشرون ٣/ ١٣٠، ٣/ ٣٥٧
في ذي القَعْدةِ تُجاذِبُ القبائل ٣/ ٤٨٤
في سَائِمَةِ الغَنَمِ زكاةٌ ٨/ ٣٩٩، ٨/ ٤٥٨
في قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ قال: «دَعَوا» ٤/ ٢٨١
في قوله تعالىٰ: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ قال: «هي النَّخْلَةُ» ٤/ ٢٩٠
في قوله تعالىٰ: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ قال: «هي الرؤيا الصَّالحةُ» ١٢/ ٣٦٨
في قوله: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا﴾ قال: «إن جَازَاهُ» ٤/ ٢٥٩
في قوله: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ قال: «مُعَلَّمِينَ» ٤/ ٢٥٦
في قوله: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟﴾ قال: أَلَّا تَجُورُوا ٤/ ٣٤٩
في كلِّ أربعينَ شاةً شاةٌ ٨/ ٥٢٧
في كلِّ خمسٍ شاةٌ ٨/ ٤٠٢
في كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ ٧/ ١٤٩
في كلِّ مالٍ يُدار في عبيدٍ أو دوابٍّ ١١/ ١٤
في لَيْلَةِ النِّصْفِ مِن شَعْبانَ ١٢/ ١٨، ١٢/ ٢٥
في مسافرٍ يدرك من صلاة المقيمين ركعةً ١٠/ ٣١٣
فيبقىٰ شِرار النَّاسِ في خِفَّة الطير وأحلام السِّباع ٣/ ١٥٧
فيجيء إليه رجلٌ ٣/ ٤٤٦
فيصبح فيهم عيسىٰ ابن مريم ٣/ ٤٢٣
فيفرُّ الناسُ إلىٰ جبل الدُّخان ٣/ ١٥٩
فيفرُّ الناسُ إلىٰ جبل الدُّخان بالشام ٣/ ٣٨٤
فيما دون خمسٍ وعشرين ٨/ ٤٠٢
فيما سَقَت السَّماء العُشر ٨/ ٣٩٤، ٨/ ٥٠٣

فيما سَقَت السماءُ والعيونُ أو كان عَثْرِيًّا ٨/ ٥٠٣
فيمكث في الأرض أربعين سنة٣/ ١٤٧
فيهلكه الله إذا رآني٣/ ١٦٧

(ق)

قابلو النِّعال ٧/ ٣٦٥
قاتَلَ اللهُ اليهودَ ١٠/ ١٩٨، ١٤/ ٣٨٦، ٣٩٠
القاتل لا يَرِث ٨/ ٤٧٩، ٥٦٧
قال إبْلِيسُ لرَبِّهِ عزَّ وجلَّ ٥/ ٢٧٤
قال أخي موسى ١٧/ ٢٢٤، ١٨/ ٣٤
قال اللهُ تعالى قَسَمْتُ الصَّلاةَ ٤/ ٣٣٢
قال الله تعالى: ثلاثةٌ أنا خَصْمُهم يوم القيامة٢/ ٢٣٦
قال الله تعالى: حقَّتْ محبَّتي للمتحابِّين فيَّ١١/ ٣٥٣
قال الله تعالى: مَن عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب٢/ ٢١٦
قال اللهُ عزَّ وجلَّ لداودَ: ابْنِ لي بَيْتًا في الأرضِ ٥/ ٤٣٣
قال الله: إنَّ أوليائي من عبادي٢/ ٢٦٠
قال تعالى: يا موسى ٤/ ٢٦٨
قال داود عليه السلام ٧/ ٥٢
قال داود فيما يناجي ربَّه ٥/ ٤٠٧
قال رجلٌ لأتصدَّقَنَّ٨/ ٨٧، ١٠/ ١٢٢
قال رجلٌ للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم١٠/ ٢٣٩
قال رجلٌ يا رسول الله١٤/ ٤٤٤
قال رسول الله في حَجَّةِ الوَدَاعِ ٧/ ١٨٩
قال رسول الله لبلال صلاة الغداة ١٢/ ٤٣٧
قَالَ رَسُولُ اللهِ يَومَ بَدْرٍ ٧/ ٢٤٣
قال سُليمانُ بنُ داودَ عليهما السلام: لأَطُوفَنَّ اللَّيلةَ ١/ ٢١٠، ٥/ ١٤٤، ٤٢٧
قال عمر في الجد: أقضي فيه برأيي ٨/ ٥٥٣
قال لما قُتِلَ عبد الله بن عمرو بن حَرَام يوم أُحد ١٢/ ١١٥
قال لي جبريل: قَلَّبتُ مشارقَ الأرضِ ومغاربَها٩/ ٢١٣، ١٧/ ١٦١
قال: أي ربِّ ألم تخلقني بيدك ٥/ ٢٨٤
قال: سليمانُ بن داود ١٧/ ٩٣
قالت الجنُّ للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم٢/ ١٠٦
قالت قريش لليهود: أعطونا شيئًا نسأل

هذا الرجل ٤/ ١١٥، ٤/ ١٩٥
قام أبو بكرٍ على المنبرِ ٧/ ٧٧
قامَ النَّبي حَتَّى انْتَفَخَتْ قَدَمَاهُ ٧/ ٦٤
قام النَّبي حتى تَورَّمَت قدماه ٧/ ٦٤
قام جَهْجَاه الغفاري إلى عثمان٢/ ٣٢٩
قام رسول الله خطيبًا صبيحة عشرين من رمضان ١٢/ ٤٤٣
قَامَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مِن الليل يُصَلِّي ١٢/ ١٧
قام رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يومًا فينا ٨/ ٥٤٢
قام فينا رسول الله٩/ ٣٠٩/ ٣١٣
قام موسى خَطيبًا في بني إسرائ ٤/ ٥١٥
قُبض النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ١٠/ ١٨٠
قبَّل النبيُّ عثمان بن مَظْعُونٍ وهو مَيِّتٌ ١٢/ ٤٧٩
قُبْلَةُ المؤمِنِ أخاهُ١٤/ ٤٤٥
قبَّلت يدَ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم١٤/ ٤٣٥
قَتْلُ الرَّجلِ صبرًا ١٢/ ١٥٩
قَتْلُ الرجل صبرًا كفَّارةٌ لما قبله مِن الذنوب٢/ ٢٥٢
قَتْلُ الصَّبر ١٧/ ٤٣٠
قَتْلُ الصَّبرِ لا يمرُّ بذنبٍ إلَّا مَحاهُ٢/ ٢٥١، ١٢/ ١٦٠
الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللهِ يُكَفِّرُ الذُّنُوبَ ١٢/ ١٢٥
القتلى ثلاثة٢/ ٢٥١، ٧/ ٢٤٥
١٢/ ١٢٠، ١٧/ ٤٣٠
قَحِطَ أهل المدينة١٤/ ٣٨١
القَحْطانيُّ بعد المهديِّ٣/ ٤٧٠
قد أجرنا من أجرت ١٣/ ٣٩٧
قد أَصَبتُمْ ذِكْرًا١٠/ ٤٣٨
قد أفلحَ من أخلصَ١٧/ ٢٧٠، ١٧/ ٣٤٣
قد أَكْثَرتُ عليكم في السِّواكِ ٧/ ٥٤٧
قد أمرنا رسول الله١١/ ١٩٣
قد جعل اللهُ لهنَّ سَبيلًا١٤/ ٢٨٥
قد خشيتُ أن يطول بالنَّاسِ زمانٌ ٤/ ٣٦
قد سَبَّحْتِ بهذا ١٠/ ١٦٦
قد سَنَّ لكم معاذٌ١٠/ ٤٠٠
قَدْ عَجِبَ اللهُ ٧/ ٢٢٤، ١٨/ ٢٠٥

قد عَلِمْتُ ١٧/ ٥٥٠
قد كان فيمن قَبْلكُم١١/ ٣٢٨
قد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل يُكَلَّمُون٢/ ٢٧٥
قد كان نبيٌّ مِن الأنبياء يخطُّ ٥/ ٣٣٤
قد كان يكون في الأُمَم قبلكم مُحَدَّثُون٢/ ٢٧٥، ١١/ ٣٢٨
قد كتب لك ١٠/ ٥٧
قد كنتُ نَهَيْتُكُمْ عن زيارَةِ القُبُورِ ٨/ ٤٠٧
قد نهيتك فعصيتني ٨/ ٤١٠
القَدَرُ سِرُّ الله ١٢/ ٣٢١
القَدَرِيَّةُ مَجوسُ هذه الأُمَّةِ ١٢/ ٢٥٢
قَدِم النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم المدينةَ ١٢/ ٤٦
قُدِّم إليه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ١٠/ ٢١٩
قدم خالدٌ فشغلني عن ركعتين ١٢/ ٢٣٤
قَدِمَ رسول من غزوة تبوك ٥/ ٤١٩
قدم علىٰ النبيِّ رجلان من بَلَىٰ ٤٧٧
قَدِمَ علىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم١٠/ ٥٧
قَدِم مسيلمة الكذَّاب علىٰ عهد رسول الله ١٢/ ٤٣٧
قدمت المدينة ٧/ ٣١١
قدمت علىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ١٠/ ٨٤
قدمت عليَّ امرأة من أهل دومة الجندل ٥/ ٤٨٤
قدمت من سفرٍ فجاءني جابر بن عبدالله فسلَّم عليَّ ٤/ ٧٦
قَدِمْتُمْ خَيْرَ مَقْدَمٍ ٤/ ١٢٥، ١٣/ ١١٦، ١٦/ ٢٢٢
قدِّموا أبا بكرٍ يأبىٰ اللهُ١٦/ ٥٧٤
قرأ النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بالسبع ٤/ ١٥٤
قرأ رجلٌ عند عمر رضي الله عنه ٤/ ٢٥٨
القرآنُ أفضلُ مِن كلِّ شيءٍ دون الله ٤/ ٥٣
القُرآنُ أَلِفُ ألف حَرْفٍ ٤/ ١٢٥
القرآن تحت العرش له ظهرٌ وبطنٌ ١٨/ ٣٣٥
القُرآنُ هو الدَّواءُ ٤/ ٤٥٩
قريش ولاةُ الناسِ في الخيرِ والشرِّ

٨/ ٤٧٠
قَصْرٌ مِن لُؤْلُؤَةٍ ٤/ ٣٦٧
قُصِّي على هذا رؤياك ١٢/ ٤٨٥
القضاةُ ثلاثةٌ ٧/ ٢٩٣
قضىٰ النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بالشُّفْعَةِ للجارِ ٨/ ٣٨٩
قضىٰ النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بالكفَّارة في الإفطار ٨/ ٣٨٩
قَطَعَ سُوقَها وأعناقَها ٥/ ٤٢٠
قُلِ اللهُمَّ اغْفِرْ لِي ٧/ ٧٨
قل تُسْمَعْ ١٠/ ١٧٧
قل كلمةً أحاجُّ ١٦/ ١١
قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ تَعْدِلُ ثُلُثَ القرآنِ ٤/ ٢٩٠، ٢٩٢
قُل: السَّلام عليكم ١٤/ ٣١٠
قَلْبُ القرآنِ سورةُ (يس) ٤/ ٥٢، ٢٢٥، ٤٤٩، ١٤/ ٣٥٣
قلب المؤمن أشدُّ تقلُّبًا من القدر ١٨/ ٣٥٤
قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن ١٨/ ٢٥٤
قلب المؤمن حلو يحب الحلاوة ٩/ ٤٥٧
قلب المؤمن دليله ٩/ ٤٥٦
القلب بيتُ الرب ٩/ ٤٥٦، ١٧/ ١٩٨
قلت لابن عباس: سورة التوبة ٤/ ٦٣
قلت لسلمان: سل رسول الله عليه وآله الصلاة والسلام من وصيه ٨/ ٥٢٠
قلت لعثمان: ما حملكم ٤/ ٦٢
قلوبهم قلوب الأعاجم ١٣/ ١٨٢
قُمْ يافلان فأذِّن أنه لا يدخلُ الجنَّةَ ١٢/ ٣٠٦
قمت خلف ظهر النبيّ ٩/ ٣٣١
قمت لمن معه من الملائكة ٨/ ٦٢٢
القِنْطَارُ أَلْفا أُوقِيَةٍ ٤/ ٣٤٤
قوله: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾ قال: القُرآنُ ٤/ ٢٥١
قُولُوا خيرًا، قُولُوا: سبحانَ الله وبحمْدِه ٨/ ٢٦٩، ١٠/ ١٦٥، ١٧/ ٢٥٠
قولي لأبي عبدالله ١٢/ ٥١٤
قولي: اللهمَّ إنك عَفُوٌّ تحبُّ العَفْوَ فاعْفُ عَنِّي ١٢/ ٩٦، ١٧/ ٦١٧
قومك يا أبا موسىٰ ٤/ ٣٥٣
قوموا إلىٰ جنة ١٣/ ٢٦٢
قُومُوا فَقَاتِلُوا ٧/ ٢٣٧

قُومُوا فلأُصَلِّ لكم١٦/ ٣٣٩
قيل لبني إسرائيل ٤/ ٣٣٦
قيل لرسول الله حين فَرَغَ مِن بَدْرٍ ٤/ ٣٦٢

(ك)

كان إبراهيم عليه السَّلام أوَّل من اخْتَتَنَ ٨/ ٧٨
كان أبو بكر رضي الله عنه يقول: الجد أب ٨/ ٥٥٤
كان أبو مُعَيْطٍ يجلس١٦/ ٧٩
كان أبو موسىٰ يُقرئنا ٤/ ٦٤
كان أبي يزيد أخرج دنانير يتصدق بها ٨/ ٤٥٤
كان أحد أبوي بلقيس جِنِّيًّا ٥/ ٤٤٧
كان آخِر الأمرين١٠/ ٢٢٦
كان أخَوان علىٰ عهد النبيّ١١/ ٣٥١
كان إدريس أول نبيٍّ بعثه الله في الأرض ٥/ ٣٣٨
كان إدريس خيَّاطًا ٥/ ٣٣٦
كان إدريس رجلًا أبيض طويلًا ٥/ ٣٤٨
كان آدم حين أُهبط يَمْسَحُ١٦/ ١٠٥
كان آدمُ عليه السلام يُزوِّجُ بناتِه من بنيهِ ٨/ ٥٠٣٥
كان إذا صلَّىٰ مع الإمام صلىٰ أربعًا ١٠/ ٣١٢
كانَ إذا نَظَرَ في المِرآةِ ٧/ ٨٧
كان إسلام أبي بكر بوحيٍ من السماء ١٢/ ٤٨٩
كان جريجُ رجلًا عابدًا ١٨/ ٨٥
كان آصِف كاتب سليمان ٥/ ٤٨٢
كان الحُكم ما قضىٰ به سليمان ٨/ ٨٥
كان الكفل من بني إسرائيل لا يتورَّع ١٨/ ١٠٧
كان اللهُ لا شيء غيره ٥/ ٢٥٠
كان اللهُ ولم يكن شيءٌ غَيْرُهُ٥/ ٢٤٩، ٨/ ١٩٠، ١٠/ ٣٧٢، ١٤/ ٣٧٦
كانَ الله ولم يكنْ شيء قبلَه ١٤/ ٦١٣، ١٠/ ١٥٥
كان المسجد علىٰ عهد رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم١٠/ ١٨٣
كان المسلمون لا ينظرون ٧/ ٤٩٥
كان المسلمون يرون أنَّ مِن شكر النِّعم التحدُّث بها ١/ ١٨٨

كان المشركون يقولون: (سورة البقرة) ٤/ ٥٥
كان النَّاسُ يأتونه فيدعو لهم ويُبارك فيهم ٨/ ٣٣
كان النبيُّ إذا أتي بالغَنيمة ٤/ ٣٦٤
كان النبيُّ إذا أوىٰ إلىٰ فراشه ٤/ ٤٦٤
كان النبيُّ إذا صلَّىٰ الصبح ١٢/ ٣٩٦
كان النبيُّ إذا نزل عليه القرآن ٥/ ١٢٥
كان النبيّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أبيض ٩/ ٣٣٩
كان النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أجود الناس ١٣/ ٣٦٩
كان النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أحسنَ النَّاسِ٩/ ٣٣٢
كان النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إذا أتي بالغَنيمة ٤/ ٢٧٢
كان النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إذا أُتيَ بطعام١١/ ٣٤٥
كان النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إذا أَحَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّىٰ ٤/ ٣٣٩
كان النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إذا أفطر قال ١٢/ ٧٩
كان النبيّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أسمر ٩/ ٣٣٩
كان النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لا يفسر شيئًا من القرآن برأيه ١٦/ ٧٩
كان النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وهو بمكة إذا قرأ القرآن يرفع صوته ١٢/ ٢٢٥
كان النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يأتي قبور الشهداء ٤/ ٣٨٠
كان النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يُحبُّ أن يُفْطِرَ ١٢/ ٧٩
كان النبيُّ لا ينام حتىٰ يقرأ ٤/ ٥٢
كان النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يُحَرِّسُ ٤/ ٣٥٣
كان النبيّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يَدْخُل بيت أم سُلَيم ٩/ ٢٢٩٦
كان النبيّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يسند ظهره إلىٰ جذع ٩/ ٢٤٣
كان النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يُصَلِّي بالناس١٠/ ٢٣٦
كان النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يقبل الهدية١١/ ٣٤٥
كان النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يَقْصِر في السفر١٠/ ٣٨٩، ٣٧٦

كان النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم يوحَى إليه ورأسه في حِجْرِ علي ٩/ ٢٢٨، ٢٢٩
كان النبيُّ يكثر أن يقول لأصحابه ١٢/ ٤٤٦
كان اليهودُ يَتَعَاطَسُون عند النَّبي ٧/ ١٦١
كان اليهود يغتسلون عُراة ٥/ ١٤
كان أول مَن أَضَافَ الضَّيفَ ٧/ ٤٥٩
كان أول من أظهر الإسلام سبعة١١/ ٣٨٤
كان برجلٍ جراحٌ٢/ ٢٢٥
كان جِذْعٌ يقومُ إليه النبيّ ٩/ ٢٤٠
كانَ جِذْعٌ يقومُ عليه النبيُّ١٧/ ٤٦٥
كان حبَّان بن منقذ رجلًا ضعيفًا ٨/ ٤٣٨
كان خُنافِر بن التَّوأم كاهنًا٢/ ١١٦
كان داود أعطي ثلاثًا ٥/ ٤٣٦
كان داود عليه السَّلام فيه غَيْرةٌ شديدةٌ ٥/ ٤٠٨
كان رأيي ورأي أمير المؤمنين عمر ٨/ ٤٣٠
كان رأيي ورأي أمير المؤمنين عمر ٨/ ٤٤١
كان رجالٌ من المهاجرين في أنسابهم شيءٌ ٥/ ٢٨٢
كان رجل على عهد رسول الله ١٣/ ٤٥٣
كان رجلٌ ممَّن كان قبلَكم حضَرتْه الوفاةُ ٢/ ١٦٧
كان رجل من بني تميم، يقال له رافع بن عمير٢/ ١٢٤
كان رجل يشتم النبيّ٩/ ٣١٧
كان رجلٌ يُقال له: حُمَمَة ٢/ ٣٣١
كان رجلٌ يقرأ (سورة الكهف) وإلى جانبه ٤/ ٤٨
كان رجلان من بَلي ٧/ ٣٠٦
كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ٤/ ٣٣٩
كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أبيض ٩/ ٣٣٤
كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أجود الناس بالخير ٩/ ٢٨٢، ١٢/ ٥٩
كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أحب إلينا ٩/ ٢٩٩
كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم

أَحْسَنَ الناسِ ١٢/ ٦٠
كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إذا أتاه قومٌ ٤/ ٣٦٨
كان رسول الله إذا استجَدَّ ثوبًا ٧/ ٦٥
كان رسولُ الله إذا أَكَلَ ٧/ ٨٥
كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إذا أمَرَهُم أمَرَهُم من الأعمال بما يُطيقون ٨/ ٩٣
كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إذا أوىٰ إلىٰ فِراشه ٤/ ٣٧١
كان رسولُ الله إذا خَرَجَ من الخَلاءِ ٧/ ٧٢
كان رسول الله صلىٰ الله عليه وآله سلم إذا ذهب ثلثُ الليل ٩/ ٣٩٣
كان رسولُ الله إذا شَرِبَ الماءَ ٧/ ٦٣
كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إذا سر استنار وجهه ٩/ ٣٣٤
كان رسول الله: إذا صلَّىٰ الصبح ١٢/ ٤٩٥
كَانَ رَسُولُ الله إِذا عَطَسَ ٧/ ١٦٢
كانَ رسولُ الله إذا نَظَرَ في المِرْآةِ ٧/ ٧١، ٧/ ٨٧
وسلَّم أزهر اللون ٩/ ٢٩٥
كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يَتَعَوَّذُ من ٤/ ٩٢
كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يأمرنا برقيق الرجل ١١/ ١٢
كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يرىٰ بالليل ٩/ ٣٢١
كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يصبح جُنُبًا ١٦/ ٣٧١
كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يصَلِّي ١٠/ ٣١٩
كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يصوم شعبان كلَّه ١٢/ ٢٣
كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يعطيني العطاء ١١/ ٣٤٥
كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يعلمنا ١٤/ ٦٠٨
كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يكبِّر علىٰ جنائزنا أربعًا ١٠/ ٢٥٥
كان رسول الله مما يُكْثِر أن يقول لأصحابه ١٢/ ٤٤٣
كان رسول الله يدخل علىٰ أمِّ حِرامٍ بنت مِلْحان ١٢/ ٤٣٣

كان رسول الله يُكْثِر أن يدعو بها ٧/ ٥٠٩
كان رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم يلبس القلانس ١٠/ ٤١٢
كان زيد بن ثابتٍ وسعيد بن العاص ٤/ ١٢٨
كان روح عيسىٰ من تلك الأرواح ٥/ ١١٢
كان سليمان عليه السلام يعمل الخوص بيده ٥/ ٤٤٣
كان سليمان يتحرَّر في بيت المقدس السنة ٥/ ٤٥٦
كان طول آدمَ ستين ذراعًا ٥/ ٣٠٧، ١٦/ ١٠٦
كان عذابًا يَبْعثُهُ اللهُ ١٢/ ١٤٤
كان علىٰ النَّصَارَىٰ صَوْمُ شَهْرِ رمضانَ ١٢/ ٥١
كان علىٰ حوتٍ من نورٍ ٢/ ١١٥
كان عُمر بن الخطَّاب إذا أتىٰ عليه أمداد أهل اليمن ٢/ ٣٥٧
كان عمر رضي الله عنه يدخلني ٤/ ٧٥
كان عند بعض الأمراء رجلٌ يلعب ٥/ ٤٨٨
كان في بريرة ثلاث سنن، أراد أهلها ٨/ ٤٣٢
كان في عماء فوقه هواء وتحته هواء ١٨/ ١٩٨
كان فيما أنزلَ الله عشرُ رَضَعَات مُحَرِّماتٍ فَنُسِخْن بخمسٍ ٨/ ٥١٠
كان فيما أنزل من القرآن ٧/ ٥٣٥
كان فيمَن قَبْلَكُم رَجُلٌ به جُرْحٌ فجَزِعَ ١٢/ ٣٠٦
كان فيمَن كان قبلكم رجل ١٦/ ٢٨، ١٨/ ٩٨
كان فيمن كان قبلكم محدَّثون ١٧/ ٤١٢
كانَ فينا رجلٌ خطبَ امرأةً ٨/ ١٧٧
كان قومٌ يسألون رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم استهزاءً ١٢/ ٥٤
كان قيس بن سعد من النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم بمنزلة صاحبِ الشرطة ٨/ ٣٥٢
كان لا يسمعه أحدٌ إلّا حَجَل كهيئة الرقص ٥/ ٣٩٨
كان لداودَ نبيِّ الله مِن الليلِ ساعةٌ

٥/ ٤٠٧
كان لنفر من أصحاب رسول الله عليه وآله الصلاة والسلام أبواب شارعة ٨/ ٥٢١
كان ما فوقه هواء ١٨/ ١٩٨
كان مستقر سليمان بدمينة تدمر ٥/ ٤٤٠
كان معاذ يمشي ومعه رجل ٧/ ١٤٧
كان ملك الموت صديقًا لإدريس ٥/ ٣٤٣
كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ٢/ ٢٨٦، ١٧/ ٦٤٥، ١٨/ ٧٦
كان من أَمْر زيد ابن حارثة ١١/ ١٧٨
كان ناسٌ من الإنس يعبدون ناسًا مِن الجنِّ ٢/ ١٠٦
كان نبيُّ الله سليمان إذا صَلَّى رأى شجرةً نابتةً ٥/ ٤٥٥
كان نبيٌّ من بني إسرائيل قاعدًا ٨/ ٩٠
كَانَ نُوحٌ إذا أكلَ الطَعامَ ٧/ ٧٣
كَانَ نُوحٌ إذا لَبِسَ ثوبًا ٧/ ٧٣
كان هند من أصحاب الحُديبية ١٠/ ٧٥
كان يتمُّ الصلاة في السفر ١٠/ ٤٠٠
كان يقصُر ويُتِمُّ ١٠/ ٣٧٥
كانا شَمْسَين ٤/ ٣٨٨
كان ينفخُ على إبراهيم ١٨/ ٥٤
كانا يُعَلِّمان تعليم إنذار ٥/ ٤٨٣
كانت اليهود تقول: مَن أتى امرأته ٥/ ٢١
كانت امرأةٌ ترضع ابنًا ١٨/ ٨٩
كانت امرأة حَسْناء من أحسن الناس ٤/ ١٠٨
كانت إمرأة حسناء في زمان بني إسرائيل ٥/ ٤٥٤
كانت امرأة من الجنِّ تأتي النبيَّ ٢/ ١٢٨
كانت امرأتان معهما ابناهما ٨/ ٨٢
كانت بنو إسرائيل ٤/ ٣٥٢
كانت بَنو إسرائيل يَغْتَسِلونَ ١٤/ ٣٩٥، ١٨/ ٥٦
كأنَّك تراه فإنْ لم تكنْ تراه فإنَّه يراك ١٨/ ٣٣١
كانتْ شَجَرَةٌ تُؤْذِي النَّاسَ ٧/ ١٤٧
كانت لنا شاة نحلبها ففقدها النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٨/ ٤٩٤
كانت لي جاريةٌ ٧/ ٥٢٦
كانت لي غَنَمٌ بين أُحُدٍ والجَوَّانيَّة ٧/ ٤٨١

كانت ليلةُ النِّصْفِ مِن شعبانَ ليلتي ١٢/ ٢١
كانوا أهْلَ قَرْيَةٍ لِئامًا ٤/ ٣٩٢، ٤/ ٣٠٠
كانوا سبعة نفر من أهل نَصِيبين ٢/ ١٠٦
كانوا يتَّخِذونَ قبورَ أنبيائهم ١٤/ ٣٩٤
كانوا يرون الرؤيا على عهد رسول الله ١٢/ ٤٨١
كأنِّي أنظر إلى أحبار ١٠/ ٢٨٣
كأنِّي بنساءِ بني فِهْر يطُفنَ بالخَزرجِ ١/ ٣٢٥
الكبائر: الإشراك بالله، والأمن من مكر الله ٢/ ٢١٣
الكبائر: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين ٢/ ٢١٢
الكِبرُ بَطَرُ الحقِّ ٨/ ٤٣، ١٤/ ٤٩٢
كبَّر في العيدين الأضحى ١٦/ ١٧١
كَبِّر كَبِّر ٣/ ٢٨
الكبرياء أزاري، والعظمة ردائي ١٨/ ٣٥٠
الكِبْرِيَاءُ رِدَائِي ٧/ ١٠٨
كُتب على ابنِ آدَم نصيبُه مِن الزِّنا ١١/ ١٤٢
كُتِبَ عليَّ النحر ولم يُكْتَبْ عليكم ٨/ ٤٤٦
كتب عمر: أن اقتلوا كلَّ ساحرٍ ٥/ ٤٨٨
كتب قومٌ من اليمن إلى مالك بن أنسٍ يسألونه عن نكاح الجنِّ ٥/ ٢٥٦
كتب له هذا الكتاب حين وجَّهه ١٠/ ٦٠
كثرة الحَجِّ والعُمْرةِ ٧/ ٤٦٢
كُذِّبتِ بقولِك الأوَّل ١٦/ ٤١٩
كذبوا، ولكنِّي خلَّفتك لما تركت ورائي ٨/ ١١٦
الكَرامَةُ الأكلُ بالأصابع ٤/ ٣٨٨
الكرسيُّ الذي يَجلس عليه الربُّ عزَّ وجلَّ ٢/ ٢٣، ٧/ ٥١٦
الكرسي موضع القدمين ٢/ ٢٣، ١٨/ ٢٠٦
كرسيه الذي يوضع تحت العرش ٢/ ٢٣
كسرُ عَظْمِ المَيِّتِ ١١/ ١٦٦، ١٦/ ٤٥٦
كعَكَرِ الزَّيْتِ ٤/ ٣٩١
كفَّارة مَن اغتبتَ ٧/ ٤٦٢
كفرٌ بعد إيمانٍ، وزنى بعد إحصانٍ

١٨/ ٣٢٦
كفى الإسلام والشيب للمرء ناهيًا ٣/ ٣٢
كفى بالمرء شرًّا ٧/ ٤٦٠
كفَى بالمرءِ كَذِبًا أن يُحَدِّثَ بكلِّ ما سَمِعَ ١٢/ ٢٨٣
كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ ١٢/ ١١٩
كفى بها حماقة قوم٩/ ٣٢٤
كلُّ ابن آدمَ يأكُلُهُ التُّرابُ١٤/ ٣٤١
كلُّ المسلمِ على المسلمِ حرامٌ دَمُهُ ١٣/ ٢٥٣
كلُّ أمرٍ ذي بالٍ ٤/ ١٦١، ١٧/ ١٣٢
كلّ بدعةٍ ضلالةٌ٢/ ١٦٣، ١٠/ ١٣٨، ١٤٠، ١٤٥، ١٤/ ١٤٩
كُلُّ حَرْفٍ مِن القُرْآنِ يُذْكَرُ فيه القُنُوتُ ٤/ ٣٣٧
كلُّ خُلَّةٍ يُطبعُ٣/ ٣٥١
كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى الله أن يغفره ٧/ ١٠٤، ١٢/ ٢٩، ١٣/ ١٣٠
كل ذي ناب من السباع فأكله حرام ٨/ ٥١٤
كلُّ ذي نابٍ من السِّباع ومَخْلَبٍ من الطَّير حرامٌ ٥/ ٢٠
كلُّ سَبَبٍ ونَسَبٍ مُنْقَطِعٌ١٤/ ٩٦، ٩٧، ٩٨
كُلُّ سُلاَمَى مِنَ النَّاسِ ٧/ ١٦٨، ٨/ ٢٥٨، ١١/ ١٦٣
كلُّ شرابٍ أَسْكَرَ فهو حَرَامٌ ١١/ ٢٣٢، ٢٧٨، ١٨/ ١٩٣
كل شرط ليس في كتاب الله ١٨/ ١٨٩
كلُّ شيءٍ أريد به التجارة ففيه الزكاة١١/ ١٤
كُلُّ شيءٍ بقَدَرٍ حتَّى العَجْزِ والكَيْسِ ١٢/ ٣٢٠
كُلُّ شيءٍ خُلِقَ مِن الماءِ ٤/ ٤٠٢
كلُّ شيءٍ ليس مِن ذكر الله ١٧/ ٤٣٤
كلُّ شيءٍ يَلهو به ١٧/ ٤٣٣
كلُّ صلاةٍ لا يُقرأ فيها بأمِّ القرآن ٨/ ٤٩٨، ١٠/ ٢٥١
كل صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب٨/ ٤٩٨
كلُّ صلاةٍ لم يقرأ١٠/ ٢٥٢
كل طويل اللحية٩/ ٤٥٦، ١٧/ ١٩٨
كُلُّ عَمَلِ ابن آدمَ له إلَّا الصَّومَ ١٢/ ٦٨

كُلُّ عَمَلِ ابنِ آدمَ يُضاعَفُ١١/ ٩٧
كل عين زانية ٧/ ١٣٢
كل قرآنٍ يُوضَعُ١٦/ ٥٤
كل قصير١٧/ ١٩٨
كل ما نُهي عنه فهو كبيرة٢/ ٢٠٥
كلُّ مُحدَثةٍ بدعةٌ١٠/ ١٣٠، ١٤٠
كُلُّ مُخَمَّرٍ خَمْرٌ١١/ ٢٣٣
كلُّ مُسْكِرٍ حَرامٌ١١/ ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٣٥، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩
كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ١١/ ٢٣٢
كُلُّ ما سَاءَ المُؤمِنَ فهو مُصيبَةٌ ٤/ ٣٣٩
كُلْ مِمَّا يَليكَ ٨/ ٤٦١
كلُّ من أحبَّ أن يُعبد١٤/ ٤٢
كلُّ مولودٍ يُولَدُ على الفِطْرَةِ ٥/ ٣١٠
كلُّ نادِبةٍ تَكْذِبُ١٦/ ٥٣٧
كل ناشف ١٧/ ١٩٨
كُلُّ نبيٍّ قدْ أُعْطِيَ عَطِيَّتَهُ فتَنَجَّزَها ١٨/ ٢٨٧
كلُّ نَسَبٍ وصِهْرٍ١٤/ ١٠٠
كلَّا والله لتأمُرُنَّ بالمعروفِ ١٢/ ٢٣٧
كلكم راع ١٣/ ٣٩٦، ١٧/ ٥٢٤
كلمات الفرج: لا إله إلَّا الله ٧/ ٤٦٢
كلمتان خفيفتان على اللسان ١٣/ ١١٨، ١٧/ ٢٥٢
كُلُوا واشربوا وتصدَّقوا ١/ ١٩١، ٧/ ٥٧
كُلوا وتكلَّموا ٩/ ٤٥٥
كم ترون ما بينكم وبين السماء ١٨/ ١٩٩
كم تَعبدُ مِن إلهٍ؟٢/ ٢٢، ٧/ ٤٨٤
كم مِن ذِي طِمْرَيْنِ٢/ ٣٠٥، ١١/ ٣٧٤
كم من عذق ١٣/ ٢٦٥
كما صلَّيتَ على ابراهيمَ١٤/ ٦٠٣
كَمُلَ مِن الرِّجالِ كثيرٌ١٦/ ٢٢٤
كُنْ أبا خَيْثَمَة٣/ ١٦
كُنْ أبا ذرٍّ ٣/ ١٦
كُنْ بينَ ظَهْرَي هذا لا تخرجْ ٨/ ٥٦٥
كنا إذا حَجَجْنا مع النبيِّ ٧/ ٥٣٠
كنَّا بالمِرْبَد فجاء رجلٌ١٠/ ٥٥
كنَّا جلوسًا على سطحٍ معنا رجلٌ ١٢/ ٣٢٩
كنَّا عند رسول الله فضحك حتى بدت نواجذه ٥/ ١٥٩
كنَّا عند عبدالله بن مُغَفَّل١١/ ٢٢٠

كنَّا في جنازةٍ ٤/ ٢٤٨
كنَّا في سفرٍ مع رسول الله٩/ ٢٣٩
كنَّا مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بذات الرِّقاع ١٠/ ٣٧٤
كنَّا مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في غارٍ ٤/ ١١٧، ٢٧٤
كنَّا مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في مسجده٢/ ١١٨
كنا مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فصلَّى نحو بيت المقدس ٨/ ٥١٢
كنَّا مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في عُمْرَةٍ ٤/ ٣٧٣
كنَّا مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في ليلةٍ ظَلْمَاءَ٢/ ٣٠٦
كنا مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نتداول في قصعة٩/ ٢٤٧
كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله فَقَامَ بِلَالٌ ٧/ ١٩٤
كُنَّا مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في سفرٍ ٤/ ٩٢
كُنَّا مع رسول الله في عمرةٍ ٤/ ٨٨
كُنَّا نأخذ من أوامر رسول الله ٨/ ٤٢٠
كنا نأكل مع النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم٩/ ٢١٩
كنا نتحدَّث١١/ ٣٢٥
كنَّا نُجامِعُ على عهد رسول الله ٨/ ٤١١
كنَّا نُخرج في عهد رسول الله ١٢/ ١٠٤
كنا نسأل سعيد بن المُسيِّب١٦/ ٧٧
كنَّا نُصلِّي يومًا وراء١٠/ ١٤٩
كنَّا نغزو مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم١٠/ ٢٦
كنا نقول والنبيُّ١٦/ ٣٣١
كنَّا نكري أرضنا١٠/ ٩٣
كُنَّا نُنْهَى أن نُحِدَّ١٦/ ١٦٥
كنَّا نؤتَى بالشارب١١/ ٢٤٣
كنت أبيع الأُدُمَ والجِعَابَ١١/ ١٣
كنت أدسُّ الطِّين في فمِ فرعونَ٢/ ٨٤
كنت أسقي أبا طلحة الأنصاري ١٠/ ٦٤
كنت أسمع أبا الدرداء وهو ساجدٌ ٨/ ٢٣
كنت أصلِّي في المسجد ٤/ ١٦٢
كنت أصلِّي، فدعاني رسول الله ٤/ ٢٧١
كنت أصلي، فدعاني رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٨/ ٤٦٣
كُنْتُ أَضْرِبُ غُلاَمًا ٧/ ٢٧٥، ٧/ ٣٧٥
كنت أكتب كلَّ شيءٍ١١/ ٢٤٠

كنت ألبس أوضاحًا من ذهبٍ ٤/ ٢٧٤
كنت أمشي مع النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ٤/ ١١٥، ٤/ ١٩٥، ٥/ ٤٥٤، ٨/ ٤٩٢
كُنْتُ أوَّلَ النبيّين ٩/ ١٩٧، ٢٠٠، ٤٤٤، ١٧/ ٤٦١، ١٨/ ٢٨٩
كنت بالكوفة٣/ ٢٢٥
كنت جالسًا عند سليمان بن صرد ١٢/ ١٤٥
كنت رجلًا إذا سمعت من رسول الله صلَّىٰ الله ٨/ ٤١٤
كنت ساقي القوم -يوم حُرِّمت الخمر- في بيت أبي طلحة١١/ ٢١٦
كنت عند أبي بكرٍ فتغيَّظ علىٰ رجلٍ ٩/ ٣١٤، ٣٥٨
كنت عند النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقرأ (سورة النجم)٢/ ١٢٢
كنت عند عائشة٤/ ٢٥٥
كنتُ في البحر٢/ ٣٢٨
كنت في البطحاء في عصابة فيهم رسول الله ١/ ٢٢٩، ٧/ ٤٩٩
كنت فيمن دفن ثابت بن قيس٢/ ٣٣٠
كنتُ كنزًا مخفيًّا١٦/ ١٥١، ١٥٩
كنت لا أدري ما فاطر السموات؟ ٤/ ٢٢٣
كنت مسترضَعًا في بني سعد بن بكر ٩/ ٢٤٩
كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ في غزوة تبوك فإذا نفر ٧/ ٢٧٦
كنت مع النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في غزوة تبوك فقال المسلمون ٨/ ١١٩
كنتُ مع كعب الأحبار وهو عند عمر بن الخطاب ٥/ ٤٣٩
كُنتُ نبيًّا وآدمُ بَيْنَ الرُوح والجسد ١/ ٢٢٦، ٩/ ١٩٨، ١٦/ ٥١٣، ١٧/ ٩٦
كنْتُ نَبِيًّا وآدَمُ بَيْنَ الماءِ والطِّينِ ١/ ٢٢٧، ٩/ ٤٤٩، ١٨/ ٣٢٤
كنتُ نبيًّا وآدمُ منجدل ١٦/ ٥٠٧
كُنْتُ نَبِيًّا ولا آدَمَ ولا ماءَ ولا طِين ١/ ٢٢٧
كنتُ نَهيتُكم عن زيارةِ القُبُور٨/ ٤٠٧، ١٠/ ٢٧٧
كنت نورًا بين يدَي ربِّي١/ ٢٢٠، ٥/ ٢٥١، ٩/ ٤٤٨
كنتَ ههنا١٤/ ٢٤٧

كنت وأبو بكر وعمر ١٥/ ٣٠٧
الكَنْزُ لَوْحٌ مِن ذَهَبٍ مُصْمَتٍ ٤/ ٣٩٢
كيف أصبحتَ؟ ٧/ ٥٣، ١٨/ ٣٤٢
كَيْفَ أنت يا عَوْفُ ٣/ ٤٧٩
كيف أنتم إذا نزل ابن مريم من السماء٣/ ٣١٠
كيف أنتم إذا نَزَلَ ابنُ مريمفيكم وإمامكم منكم ٣/ ٣٧٦، ٤٢٠، ٤٣٢
كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم فأمَّكُم منكم٣/ ١٣٩
كيف ترد الأم إلى السدس ٨/ ٥٧٢
كيف تَقْضِي إذا عَرَضَ لك قضاءٌ١٦/ ١٠٢
كيف تهلك أمة أنا أولها وعيسى ابن مريم آخرها؟!٣/ ١٥٩، ٢٥٥، ٢٩٧
كيف كانت صلاة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في رمضان ١٢/ ٨٢
كيف يُحشرون على وجوههم؟ ٤/ ٢٩٨
كيف يُفْلِحُ قومٌ شَجُّوا نبيَّهُمْ١٦/ ٩٠

(ل)

لا أجر إلا عن حِسْبة ٨/ ٤٤٩
لا أجر لمن لا حِسْبة له ٨/ ٤٥٦
لا أحصي ثناءً عليك ١٨/ ٣٥٨
لا أُحِلُّ المسجدَ لجُنبٍ ولا لحائِضٍ ٨/ ٣٩٠
لا أذهب حتى تشهد أن لا إله إلَّا الله ٥/ ٣٦٣
لا أراك تستحي ٧/ ١٢٠
لا أزال أشفع يوم القيامة ١٣/ ٢٠٨
لا أشكُّ ولا أَسْأَلُ ٤/ ٣٧٣
لا أعطيكما وأدع ٧/ ٢١٥
لا أُغني عنكم ١٠/ ١٠٤
لا آكل حتَّى تَشْهَدَ أن لا إله إلَّا الله ١٦/ ٨١
لا إلَّا في صيامٍ واحدٍ ١٧/ ٣٩٩
لا ألقاك خارجًا١٦/ ٨١
لا إله إلا الله كلمةٌ على الله كريمةٌ ٨/ ٤٦٨
لا إلَهَ إلَّا اللهُ ما أَطْيَبَكِ١٤/ ٢٩٥
لا إله إلا الله وَجَبَتْ١٦/ ٤٧٣
لا إلهَ إلا اللهُ، ويلٌ للعربِ٢/ ١٩٦
لا آمن هؤلاء اليهود على كتبي ١٣/ ١٨٦
لا أوتى برجلٍ يزعم أنَّ داود تزوَّج ٥/ ٣٧٥

لا بأس بالرُّقَى ٤/ ٤٨٩
لا بأسَ بمَسْكِ الميتةِ إذا دُبغ ٨/ ٤٩٤
لا بل مِنَّا ٣/ ٤٨٨
لا تأتوا النِّساء ١٧/ ٣٩٦، ٣٩٨
لا تَأْكُلُ الأرضُ ١٤/ ٣٣١
لا تَبِعْ ما ليس عندك ٨/ ٤٠١، ٤٠٢
لا تَبْغِ، ولا تُعِنْ باغيًا ٤/ ٢٧٧
لا تبل في الماء الدَّائم الذي لا يجري ٨/ ٤٣١
لا تبيعوا الطَّعام بالطَّعام إلَّا مثلًا بمثل ٨/ ٤٣٦
لا تتَّخِذُوا بَيْتي عِيدًا ٨/ ٣٤
لا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا ٨/ ٣١، ٩/ ٣٨٣، ١٤/ ٣٢٨
لا تترك الصَّلاة مُتعمِّدًا ٢/ ٢٢٦
لا تتمَنَّوا الموتَ فإنَّ هَوْلَ المَطْلَعِ شَديدٌ ١٢/ ٣٢٩
لا تجتمعُ أمَّتي على الخطأ ٨/ ٤٢٠
لا تجتمعُ أمَّتي على الضلالة ٨/ ٤٢٠، ١٠/ ٢٠٧
لا تُجزِئُ صلاةٌ ٨/ ٤٩٨، ١٠/ ٢٥٠، ١٠/ ٢٥٥
لا تَجعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقابِرَ ٤/ ٣٧
لا تَجعَلُوا بيوتكم قُبورًا ٩/ ٤٢١، ١٤/ ٣٢٥
لا تَجِفُّ الأَرْضُ مِن دَمِ الشَّهِيدِ ١٢/ ١٢٢
لا تَجلِسُوا على القُبُورِ ١٠/ ١٩٦، ١٩٧، ١٤/ ٣٩٢، ٤١٥
لا تُحدثَنَّ شيئًا حتى آتيكَ ٢/ ٩٨
لَا تَحقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوفِ ٧/ ١٧٥
لا تُخبر بتلاعب الشيطان بك في المنام ١٢/ ٣٥٠
لا تَختَلِفُوا على إمامِكم ١٠/ ٣١١، ٣١٥، ٣١٨
لا تخرجوا معي إلَّا راغبين في الجهاد ٨/ ١٣٩
لا تُخَيِّروا بَيْنَ الأنبياءِ ١٨/ ٢٨٢
لا تَدْخُلُ الملائكةُ ١٦/ ٥٦٢
لَا تَدْخُلُوا الجنَّةَ حتَّى تُؤمِنُوا ١٥/ ٦٧
لا تدخلوا على المغَيَّبات ٩/ ٢٧٥، ١٧/ ٤٧٣
لا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ ٤/ ٣٨٥
لا تَدْري ما أَحْدَثُوا ١٤/ ٢٥٣، ٢٥٦
لا تَذْكُروا موتاكُم إلَّا بخيرٍ ٥/ ٣٨١

لا تذهب الأيام والليالي ٣/ ٥٠٤
لا تذهب الدُّنيا٣/ ٤٥١
لا تَذْهَبُ اللَّيالي والأَيَّامُ١١/ ٢٥٤
لا تَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ ٧/ ٥٩، ٢٠٥
لا تزال أمتي ظاهرين على الحق حتى ينزل عيسى ابن مريم٣/ ١٥٨
لا تزال طائفةٌ مِن أمَّتي ٣/ ١٥٨، ١٥٩، ١٧٨، ٣٢١، ٣٨٠، ٣٨٣، ٣٩٢، ٤٢١، ٤٢٦، ٤٦٦، ٤٧٩، ٨/ ٢٢٩، ١٨/ ٣٤٤
لا تزال عِصابةٌ مِن أمَّتي على الحقِّ ظاهرين على الناس٣/ ١٤٧، ٤٢١
لا تزال من أُمَّتي٣/ ٤٢٦
لا تزول قدما عبدٍ حتى يُسأل عن عمره فيما أفناه؟ ١٨/ ٣٤٣
لا تسألوني عن الشَّرِّ، واسألوني عن الخير ١٨/ ٣٥٧
لا تُسافِرِ المَرأةُ١٦/ ٤٤٦
لا تَسُبُّوا تُبَّعًا فإنَّه قدْ كانَ أسْلم٢/ ١٩٧
لا تسبُّوا ورقة ١٢/ ٤٥٤
لا تَسْتأكِلُوا به١٠/ ١٧٥
لا تُسْكِنُوهُنَّ العَلَالِيَّ ٧/ ١٧٤
لا تسيِّدوني في الصلاة٩/ ٤٥٥
لا تشد الرحال٩/ ٣٢٩، ٣٣٠، ١٠/ ١١٤، ١٤/ ١٢٢، ٣٠٢، ٤١٢، ٤٨٤، ١٦/ ٤٩٢
لا تُشدِّدوا على أنفسكم ٨/ ٤٣٩
لا تُشْرك بالله شيئًا وإن عُذِّبت وحُرِّقتَ٢/ ٢٢٦
لا تُشْرك بالله شيئًا وإن قتلت ٢/ ٢٢٥
لَا تَشُوبُوا اللبَنَ للبَيْعِ ٧/ ١٠٦
لا تُصَدِّقُوا أهلِ الكِتابِ٩/ ٦٣
لا تُصِرُّوا الإبلَ والغنمَ ٨/ ٤١٦، ٤٣٨
لا تصلُّوا صلاةً ١٠/ ٣٩١
لا تصلي الملائكة ٧/ ١١٧
لا تَصومُ المرأةُ١٦/ ٣٧٢
لا تطلب الإمارة ١٨/ ٣٤٨
لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَىٰ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ ١/ ٢٢٧، ٣/ ١٤
لا تطلع الشمس ولا تغرب٩/ ٢٨٨
لا تَظْلِمُوا فتَدْعُوا ٧/ ١٠٨
لا تعزير فوق عشرة أسواط١١/ ١٣٦، ١٢/ ٢٤٣

لا تعلموهن الكتابة ١٣/ ٣٩٧
لا تُعِينُوا عليه الشيطانَ١١/ ٢٤٤
لا تَغْضَبْ ٧/ ٣٠٣، ١٨/ ٢٧٦
لا تَفضَحُوا أَمواتَكُم بسيِّئاتِ أَعمالِكُم ٨/ ٢١
لا تُفَضِّلُوني على يونسَ٩/ ٢١، ١٣/ ١٠٨
لا تَفْعَلوا كما يفعلُ ١٦/ ٥١٥
لا تَفْنَى أُمَّتِي إلَّا بالطَّعْنِ والطَّاعُون ١٢/ ١٤٥
لا تَقَاطَعُوا ولا تَدَابَرُوا ١٢/ ١٧٦
لا تُقَبِّحُوا الوجهَ ١٧/ ١٦٨، ١٨/ ٢٠٣
لا تقبل صلاة بغير طهور ولا صدقة ٨/ ٤٧٨
لا تُقْبَلُ صلاةٌ لا يقرأ فيها بأم الكتاب١٠/ ٢٥٢
لا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا إلَّا كان على ابن آدمَ الأوَّلِ ٥/ ٢٩١
لا تُقَرِّبُوه طِيبًا فإنَّه يحشرُ يومَ القيامة مُلَبِّيًا ٨/ ٥٦١، ٥٦٢
لا تقصُّ الرؤيا ١٢/ ٣٥٣
لا تقولوا رمضان ١٧/ ٢١٨، ٢٩٦
لا تقولوا للعِنَبِ١٦/ ٢٩٨
لا تقولوا: ما شاءاللهُ وشاء محمَّدٌ ١٤/ ٢٧٩، ٢٨٢، ١٧/ ٦٤
لا تقوم الساعة١١/ ٣٨٠
لا تَقُومُ السَّاعَةُ٣/ ١٢٩، ١٣٩، ٣٥٧، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٤، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٥٢، ٤٦٢، ١٧/ ٥١٨
لا تقومُ الساعةُ حتَّى تقاتلوا قومًا ٤/ ٤٢٣
لا تقوم الساعة حتى تكون عشر آياتٍ٣/ ١٦٥، ٣٨٧
لا تقوم الساعة حتى تنزل الروم بالأعماق٣/ ١٤٨، ٣٨١
لا تقوم الساعةُ حتَّى يخرج ثلاثون كذَّابًا كلُّهم يزعم أنه نبيّ٣/ ١٣٠
لا تقوم الساعة وعلى الأرض ١٣/ ٣٠٦
لا تَكْرهوا الفِتن فإنَّ فيها حصادُ المنافقين٩/ ٤٥٦، ١٧/ ١٨٤
لا تَلْعَنْهُ فإنَّهُ يُحِبُّ اللهَ١٦/ ٤٧٢، ١٨/ ٣٨٦
لا تمسَّ القرآن إلَّا وأنت طاهرٌ٢/ ٢٤٢
لا تَمَنُّوا المَوْتَ ١٢/ ٣٢٧

لا تُنزلُوهنَّ الغُرَفَ ١٧/ ١٨٥
لا تنْسَنا ١٣/ ٥٠٤
لا تنقضي الأيام٣/ ٤٥١
لا تُنكِحُ المرأةُ المرأةَ ٨/ ٤٦٢
لا توطأ حامِلٌ١٦/ ٤١٩
لا جُمُعَة لُمسافِرٍ١٠/ ٤٠٤
لا خاب من استخار١٦/ ١٥٣
لَا رجلٌ يتصدَّقُ على هذا فيصلي معه ٨/ ٤٧٥
لا سبق إلا في خف١١/ ١٣٣
لا شافي إلا أنت ١٥/ ٣٨٤
لا شخصَ أَغْيَرُ مِن الله٢/ ١٨، ١٧/ ١٤
لا شفعة في ماءٍ ١٨/ ١٥١
لا صغيرة مع الإصرار٢/ ٢٤٣، ٢٤٧، ١٣/ ١٣٣، ١٧/ ٤٢٦، ١٨/ ٣٧٧
لا صلاةَ إلا بطهور ٨/ ٤٧٦، ٩/ ٣٩٠
لا صلاة إلَّا بقراءة١٠/ ٢٥٣
لا صلاة بحضرة طعامٍ ٧/ ٣٧٣
لا صلاةَ بعد صلاةِ العَصْرِ حتَّى ٨/ ٣٩٧
لا صَلاةَ لجارِ المسجدِ إلَّا في المسجدِ ٨/ ٣٨٩
لا صَلاةَ لمن لم يَقْرَأ فيها بأمِّ القُرآن ٤/ ٥٠٥
لا صلاة لمن لم يقرأ ٨/ ٤٩٧، ١٠/ ٢٥٠، ١٦/ ٣٣٥
لا صيامَ لمن لم يبيِّت الصيامَ من اللَّيل٨/ ٥٠٠
لا صيام لمن لم يفرِضه من الليل ٨/ ٥٠٠
لا ضررَ ولا ضرارَ ٨/ ٥٦٨، ١١/ ١١٠، ٢٨٠، ١٣/ ١٧٢
لا طاعة إلَّا في المَعْروفِ ٤/ ٣٣٧
لا عقوبة فوق عشر ضَرَباتٍ ١٢/ ٢٤٣
لا غفر الله لك ١٦/ ٢٣٣
لا غِيبة لفاسقٍ ١٦/ ٤٧٩
لا فِتْنَةَ أعظمُ١٦/ ١٣٢
لا قراءة خَلْفَ الإمام١٠/ ٢٣٩
لا مهدي إلَّا عيسى ٣/ ٢٣٢، ٢٧٥، ٥٠٣، ٥٠٥، ٥٠٦
لا نبوَّة بعدي ١٢/ ٣٦٨
لا نبيَّ بعدي٣/ ٢٣٤، ٢٨٦
لا نقبل قول أعرابي من أشجع ٨/ ٤١٦
لا نِكاحَ إلَّا بوَليٍّ ٨/ ٣٩٠، ١٣/ ٢٣٥
لا نُورَثُ، ما تَرَكْنَاهُ صَدَقَةٌ ١٢/ ٢١٠
لا هجرةَ بعد الفتحِ ٨/ ٤٤٩، ١٧/ ٣٢٥

لاَ هُدِيتَ وَلاَ اهْتَدَيْتَ ١٧/ ٤٩
لا، وأن تَعْتَمِرَ خَيْرٌ لك ٤/ ٣٤١
لا والذي نَفسِي بيده ١٢/ ٢٠٧
لا والله ما أبدلني الله خيرًا منها ٩/ ٥٠
لا وضوءَ لمن لم يذكر اسم الله ١٧/ ١٢٧، ١٣٥
لا وضوء لمن لم يُصَلِّ عليَّ ٩/ ٤٢١
لا يبغضك إلا منافق ٩/ ٢٣١
لا يبقى بعدي مِن النُّبوَّة ١٢/ ٣٦٤
لا يبقَى على وجه الأرض ١٧/ ٢٢١، ١٨/ ٢٧
لا يبلغُ العبدُ ١٧/ ٣١٥
لا يُبَلِّغ هذا إلَّا رجلٌ ١٠/ ٦٢
لا يبولَنَّ أحدُكم ١٥/ ٢٩٤
لا يَتَمَنَّ أحَدُكُم المَوْتَ لضُرٍّ نزل به ١٢/ ٣٢٧
لا يتمنَّ أحَدُكُم المَوْتَ ولا يدعوا ١٢/ ٣٢٧
لا يَتَمَنَّيَنَّ أحَدُكُم المَوْتَ مِن ضُرٍّ أصَابَهُ ١٢/ ٣٢٧
لا يجتمع قومٌ فيدعو بعضهم٢/ ٣٣٣
لا يجد العبد صَرِيح الإيمان٢/ ٢٦٠، ١١/ ٣٥٢
لا يُجْلَدُ فوقَ عَشْرِ جَلْدَاتٍ ١٢/ ٢٤٥٣
لا يَجْلِسُ قَوْمٌ مَجْلِسًا٩/ ٤٢٢
لا يَجْمَعُ اللهُ أُمَّتي٨/ ٤٢٠، ١٤/ ٤٠٤
لا يجمع الله هذه الأمة على الضلالة أبدًا٧/ ٥٣٧، ٨/ ٥٣٠
لا يحافظُ على صلاةِ الضُّحَى إلا أوَّابٌ ٨/ ٢٧٣
لا يُحِبُّكَ إلَّا مؤمنٌ١٤/ ٣٧٩
لا يَحْتَكِرُ إلَّا خَاطِئ٥/ ١١
لا يحل لأحد أن يرجع في هبته ١٨/ ٢٧٠
لا يحلُّ لرجلٍ أنْ يعطي عطيَّةً ١٨/ ٢٧٠
لا يَحِلُّ سَلَفٌ وبَيْعٌ ٩/ ٤٠٢
لا يحل قتل مسلم إلا في أحد من ثلاثِ خصالٍ٨/ ٤٩٧
لا يحل لكم من السباع كل ذي ناب ٨/ ٥١٥
لا يَحِلُّ لمُسْلِمٍ أن يَهْجُرَ أخاهُ ١٢/ ٢١٩، ٢٣٤، ١٧/ ٥٢٣
لا يَحِلُّ لمؤمِنٍ أنْ يَهْجُرَ مُؤمِنًا ١٢/ ١٧٨

لا يحل نكاح نساء أهل الكتب١١/ ٤٨
لا يخرج اثنان إلى الغائط٢/ ٢٣٨
لا يخلو عصرٌ من قائمٍ لله بحجَّة ٨/ ٤٢٣
لا يدخل أحدكم الماء إلَّا بمئزرٍ ١٨/ ٦٠
لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ بخيل ٧/ ٢٧٨
لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ جَسَدٌ ٧/ ١٠٠
لا يدخل الجنَّة الجَوَّاظُ ٢/ ٢٢٤
لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ سيِّئ المَلَكة ٧/ ٢٧٧
لا يَدْخُلُ الجنَّةَ قاطِعٌ ١٢/ ٣٠
لا يَدْخُلُ الجنَّةَ مُدْمِنُ خَمْرٍ١١/ ٢٤١
لا يدخلُ الجنَّة مِن كان في قَلْبِهِ مِثقال ذرَّةٍ مِن كِبْرٍ٢/ ٢٢٤، ١٠/ ٤١٧، ١٢/ ٣١
لا يدخلُ القَبْرَ١٦/ ٥٣٧
لا يَدْخُلُ النَّارَ ٧/ ٣٢٨
لا يَدْخُلُ النَّارَ إن شاء اللهُ مِن أَهْلِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ ٤/ ٣٩٨
لا يذهب اللهُ ٧/ ٣٠٩
لا يَرِثُ القَاتِلُ ٨/ ٣٩٢
لا يرزُقُ اللهُ عبدًا الشكرَ ٧/ ٤٨
لا يرْمي رجلٌ رجلًا ٢/ ١٦٨، ١٤/ ١٨
لا يَرَىٰ مُؤْمِنٌ ٧/ ١٧٩
لا يزال أربعون رجلًا١١/ ٣٥٩
لا يزال الرجل في فسحة من دينه ١٣/ ١٣٠
لا يَزَالُ الْعَبْدُ في فُسْحَةٍ ٧/ ١٠٣
لا يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل ١٨/ ٣٤٤
لا يزال الله في حاجةِ العَبْدِ١١/ ٣٤١
لا يَزَالُ النَّاسُ بخَيْرٍ ١٢/ ٧٨
لا يزال في أُمتي ثلاثون١١/ ٣٥٨
لا يزالُ هذا الأمر في قريشٍ ما بقي منهم اثنان ٨/ ٤٦٩
لا يزداد الأمر ٣/ ٥٠٣
لا يَزْدَادُ الزَّمَانُ إلَّا شِدَّةً٣/ ٥٠٥
لا يزني الزَّاني ١٥/ ١٨٠
لا يَسُبُّ أَحَدُكُمْ الدَّهْرَ١١/ ٢٩١
لا يسجد أحدٌ لأحدٍ ٥/ ٢٥٩، ٩/ ٢٤٠
لا يَشْكُرُ اللهَ ٧/ ٦٠
لا يصلح أن يبيع حتىٰ ١٨/ ١٤٨
لا يَغْرِسُ مُسْلِمٌ غَرْسًا ٧/ ٢٦٣
لا يغتسل أحدكم ١٨/ ٦٠
لا يفرك مؤمن مؤمنة ١٣/ ٣٨٠

لا يُفْطِرُ أحدٌ منكم حتّى آذنَ لَهُ ١٢/ ٧٤
لا يفعلنَّ أحدُكم أمرًا حتّى يَسْتَشِيرَ ٥/ ٣٢١
لا يَقْبِضُ اللهُ العِلْمَ ١٠/ ٤٤٩
لا يقبلُ اللهُ صلاةً إلا بطُهورٍ ولا يقبل صدقةً ٨/ ٤٧٧
لا يقبل الله صلاةً بغير طُهورٍ ٨/ ٤٧٧
لا يقبل الله صلاة رجل ٨/ ٤٦٥
لا يَقْتَسِمُ وَرَثَتي دينارًا ١٦/ ٥٢٤
لا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بكافرٍ ٨/ ٤٩٦، ١٢/ ٣٣١، ١٣/ ١٢٤
لا يقتل مؤمن بكافر ٨/ ٤٩٦
لا يقرأنَّ أحدُكم شيئًا ١٠/ ٢٥٤، ١٤/ ٦٢١
لا يقضي القاضي ٨/ ٤٣٦
لا يقلب أحد كعابها ٨/ ١٢٩
لا يقولنَّ أحدكم ٩/ ٥٨
لا يُلْدَغُ المؤمِنُ مِن جُحْرٍ واحدٍ مرَّتين ١/ ٣٤٥، ٧/ ٢٩
لا يمرُّ السيف بذنبٍ إلّا محاه ٢/ ٢٥١، ١٧/ ٤٣٠
لا يمس أحدكم ذَكَرَهُ بيمينه ١١/ ١١٤
لا يموتُ لإحداكُنَّ ٧/ ٢٩٠
لا يَنْبَغِي لأحدٍ ١٠/ ٦٢
لا ينبغي للمُصلِّي ١٤/ ٤١٣
لا ينبغي للمَطيِّ أن تُشَد رحالها ٩/ ٣٢٩
لا يَنْزِعُ رَجُلٌ مِن أَهْلِ الجنَّةِ شَيْئًا مِن ثَمَرِها ٤/ ٣٣٥
لا ينزل الدَّجَّال المدينةَ ٣/ ١٤٣، ٣٧٨
لا ينظرُ اللهُ إلى رجل جامع امرأته في دبرها ١٧/ ٣٩٥
لا ينظر الله عز وجل إلى رجل أتى رجلًا ٧/ ١٢٧، ١٧/ ٣٩٨
لا ينكِح أحدُكم نفسَه ١١/ ١٢٩
لا يؤمن أحدُكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحب لنفسه ١١/ ٤٤٧
لا يؤمِنُ أَحَدُكُمْ حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به ٩/ ٤١
لا يؤمِنُ أحدُكم حتى أحون أحب إليه من ولده ١٧/ ٤٦٢
لا يُؤْمنُ عبدٌ حتى أكون أحب إليه من ولده ١٧/ ٤٦٢
لا يؤمن عبدٌ حتى يؤمن بأربعٍ ٤/ ٢٨٥

لأبعثنَّ إليكم رجلًا ١٠/ ٦٥
اللَّاعِبُ بالنَّرْدِ قِمارًا ٧/ ١٢٩، ١٣/ ١٣٣، ١٦/ ٥٦٥.
لأُعْطِينَّ هذه الرَّايةَ غدًا رَجُلًا ٨/ ١٣٨
لأُقِرَّنَّ عَيْنَكَ بتَفْسِيرها ٤/ ٣٨١
لأنَّ أحمل على نعلين في سبيل الله ١١/ ١٩٦
لأن أخطئ في الحدود بالشبهات ٨/ ٥٨٣
لأن أُقتلَ في سَبيلِ الله أَحبُّ إليَّ ١٢/ ١١٣
لأنْ أقعدَ معَ قومٍ يذكرونَ الله ٨/ ٢٦٨
لأن أُمَتَّعَ بسَوْطٍ ١١/ ١٩١
لأن أمشي على جمرةٍ أوسيفٍ ١١/ ١٦٧
لأن يجلسَ أحدُكم على جمرةٍ ١١/ ١٦٦
لأنْ يحتطب أحدكم حزمة على ظهره ١٨/ ٣٤٧
لأن يزني أحدكم بعشرة نسوة ١٣/ ١٣١
لأن يزني الرجل بعشر نسوة ١١/ ١٠١
لأن يُطْعَنَ في رأسِ أحَدِكم ١١/ ١٤٤
لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا ١٣/ ١٨٧
لأن يهديَ اللهُ على يديكَ رجلًا ١/ ٣٦٤، ١٢/ ٢٩٥
لأنت يا رسول الله أحب إلي ٩/ ٢٩٨
لايَدْخُلُ الجنَّة وَلَدُ زِنْيةٍ ١١/ ١٨٩، ١٩٠
لايؤمِنُ عبدٌ ٩/ ٢٩٧
لبَّيك اللهمَّ لبَّيك ١٠/ ١٨٨، ١٩٠
لبيك إله الحق لبيك ١٠/ ١٨٩
لِتَأخُذُوا مَصَافَّكُمْ ١٥/ ٩٨
لتأخذوا مناسككُم فإني لا أدري لعلي ٨/ ٥١٧
لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ٧/ ١٥٦
لتتبعنَّ سَنَنَ ١١/ ١٦٠
لتَسْتَحِلَنَّ طائِفَةٌ مِن أُمَّتي ١١/ ٢٥٤
لتَغُضُّنَّ أبصارَكم ١١/ ١٤٣
لتُملأنَّ الأرض جَوْرًا ٣/ ٤٧٠
لتُؤدَّنَّ الحقوقُ إلى أهلها ١٣/ ١٩
لجميعِ أُمَّتي كلِّهم ١٧/ ٤٢٤
لخَلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ ١٢/ ٦٤، ١٥/ ٤٢٩
لزَوَالُ الدُّنيا أَهْوَنُ على الله ١٢/ ٣٣١
لزوال الشَّمْسِ ٤/ ٢٩٧

لست منهم، بل تعيش بخيرٍ٢/ ٣٤١
لِسُرادِقِ النَّارِ أربعةُ جُدُرٍ ٤/ ٣٩١
لَشَهِيدُ البَحْرِ مِثْلُ شَهيدَي البَرِّ ١٢/ ١٣٤
لَطَمْتُ مَوْلًى لَنَا ٧/ ٢٧٤
لعلَّ الله اطَّلَعَ١٦/ ٢٧٠
لعلَّك آذاك هَوامُّ رَأسِكَ؟ ٤/ ٣٤١
لعلكم تفتحون بعدي مدائن ١١/ ١٤٤
لعلَّكم تقرأون١٠/ ٢٥٢، ٤/ ٦٢١
لعلكَّم تقرؤون خلفي٨/ ٤٩٧
لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرًا ٩/ ١٣١
لعلَّه يُخفِّفُ عنهما ٤/ ٤٥١
لَعَنَ اللهُ آكِلَ الرِّبا ١٦/ ١٤٦، ٤٣٦
لعن الله الذين يأتون النساء في محاشِهنَّ ٧/ ١٢٧، ١٧/ ٣٩٨
لعنَ الله السَّارق يَسْرِقُ البَيْضَةَ ٢/ ٢٤٢
لَعَنَ اللهُ العَقْرَبَ لا تَدَع مُصَلِّيًا ٤/ ٤٦٥
لَعَنَ اللهُ العَقْرَبَ ما تَدَعُ نبيًّا ٤/ ٤٦٥، ١٧/ ١٠٢
لعن الله المُتشبِّهات مِن النِّساء بالرجال ٢/ ٢١٩، ٧/ ١١٠
لعنَ اللهُ النَّامِصَةَ والمُتَنَمِّصَةَ ١١/ ١٤٩، ١٥١
لعن الله الوَاشِمات١١/ ١٦٤
لعن الله الوَاصلة١١/ ١٦٥
لعنَ اللهُ اليهودَ اتخذوا ١/ ٣١٢، ١٤/ ٣٨٥، ٣٩١، ٣٩٤، ٤٠٨، ٤١٠، ١٠/ ٢٠٥، ٢٠٩، ١٦/ ٢٣١، ٢٣٤، ٢٥٨
لَعَنَ اللهُ اليهودَ والنَّصارَىٰ ٧/ ٤٩٦، ١٠/ ٢٠٣، ٢٠٨، ١٤/ ٣٠٤، ٣٩٣، ١٦/ ٤٨٥
لعن الله زوّارات القبور ١٠/ ٢٠٩، ١٦/ ٢٢٧
لعن الله مَن ذَبَحَ لغير الله ٢/ ٢١٩، ٧/ ١١٢
لعن الله من عمل عمل قوم لوط ١٣/ ١٣١
لَعَنَ النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم المُخَنَّثين مِن الرِّجال ١٢/ ٢٤٥
لعن الواشرة والمستوشرة ٧/ ١٣٠
لَعَنَ رَسُولُ الله المُخَنَّثِينَ ٧/ ١١٨
لعن رسول الله زائرات القبور ٧/ ١٣٣
لعن رسولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم الرجل يلبس لبسة المرأة ٢/ ٢١٩
لعن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم

الواشمات ٢/ ٢٢١
لعن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في الخمر ١١/ ٢٣٧
لعنة الله على الرَّاشي والمُرتشي ٢/ ٢١٩
لعنة الله على اليهود ١٠/ ١٩٧، ١٤/ ٣٨٦
لُعِنَتْ الوَاصِلَةُ ٧/ ١٢٩
لقد آمن بي قبل أن أبعث بأربعمائة سنه ٢/ ١٢٤
لقد أُنزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سورةٌ ٤/ ٧١
لقد أنزلت آية الرَّجْمِ ٧/ ٤٩١
لقد أُنزلَتْ عَلَيَّ الليلةَ آيةٌ أحبُّ إليَّ ٤/ ٥٩
لقد أُنزِلتْ عليَّ سورةٌ ٩/ ١٤٤
لقد أُنزِلَتْ عليَّ عَشْرُ آياتٍ ٤/ ٥١
لقد أوتي أبو موسى مِزْمارًا ٥/ ٣٩٨
لقد تركنا رسول الله ٩/ ٣١٣
لقد جئتكم بها بيضاء نقيَّة ٣/ ٣١٨
لقد خشيتُ أن يطول بالنَّاسِ زمانٌ ٤/ ١٢٨
لقد خشيت على نفسي ٥/ ١٨٠
لقد راجَعْتُ رَبِّي حتَّى اسْتَحَيْتُ مِنْهُ ١٨/ ٢٩٧
لقد رأيت أَسيدًا في الجنة ١٢/ ٤٦٠، ١٣/ ٢٦٠
لقدْ رأيتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ ٧/ ١٤٦
لقد رأيتني في الحِجْرِ وقُريشٌ ٨/ ٥٠
لقد سَتَرَكَ اللهُ ٤/ ٣٧٤
لقد عَجِبْتُ مِن يوسفَ ٤/ ٣٧٧، ١٢/ ٤١٨
لقد عِشْنا بُرْهةً من دَهْرنا ٤/ ٣٠٣
لقد غِرْتُ من خديجة -رضي الله عنها- وما رأيتها ٨/ ٦٤
لقد قرأتُها على الجنِّ فكانوا أحسنَ مردودًا منكم ٤/ ٢٤٨
لقد كان فيما قبلكم من الأُمَمِ مُحَدَّثُون ٢/ ٢٧٥، ١١/ ٣٢٨، ١٧/ ٤٤٣
لقد لقنك الله ١٣/ ٤٥٤
لقد نَزَلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ ١٨/ ٣٠٢
لقيت أبا ذرٍّ عند الجمرة الوسطى ١٢/ ٨٩
لقيتُ إبراهيمَ ١٧/ ٣٢٨
لَقِيتُ جِبْرِيلَ عليه السَّلامُ ٧/ ٧٥
لَقيتُ ليلة أُسريَ بي ٣/ ١٦٦٣/ ٣٨٧

لقيني رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فمسح رأسي ٤/ ٣٤١
لكلِّ أُمَّةٍ مجوسٌ ١٢/ ٢٥٢
لكلِّ أهل عملٍ بابٌ يُدعون منه ١٨/ ٢٢٣
لكلِّ آيةٍ ظهرٌ وبطنٌ١١/ ٣٢٤، ١٨/ ٣٣٥
لكلِّ بلدٍ رؤيتُه ٩/ ٤٥٦، ١٧/ ١٨٣
لكلِّ شيءٍ عروسٌ ٤/ ٥٩، ٢٤٨
لكلِّ شيءٍ نِسْبَةٌ ٤/ ٧٧
لكلِّ غادرٍ لواءٌ ١٤/ ٥٤٥، ١٧/ ٦٤٣
لِكُلِّ نبيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ ١٨/ ٢٨٦
للسائل حَقٌّ ٣/ ٣٤٥، ١٤/ ٩٢
لِلشَّهِيدِ عِنْدَ الله ٧/ ٢٤٧، ١٢/ ١١٨
للصَّائِمِ فَرْحَتانِ يَفْرَحُهُما ١٢/ ٧١
لِلْمَمْلُوكِ طَعَامُهُ ٧/ ٢٧٧
لله أفرح بتوبة عبده ٧/ ٤٦٣
لله عند كلِّ فِطْرٍ عُتَقَاءُ ١٢/ ٦٦
لله في كلِّ كتابٍ١٦/ ٦٧
لله في كل يوم جمعة ١٧/ ٢١٢
لم أتطهَّرْ طهورًا في ساعةٍ من ليلٍ ٨/ ٢٣٩
لم أرَ شَيْئًا أحسنَ طَلَبًا ٤/ ٣٧٤
لِـمَ تَبْكِينَ أو لا تَبْكِينَ ١٢/ ١١٧
لم تُحبَس الشمس٩/ ٢٣٢
لِمَ تركتَ مَسْحَ عَيْنَيْكَ ٧/ ٤٤
لم تُعْطَ أُمَّةٌ مِن الأُمَمِ ٤/ ٣٧٨
لم تكن دابةٌ في الأرض إلا أطفأتْ النَّار عنه ١٨/ ٥٥
لم يبقَ من النبوة إلَّا المُبشِّرات ١٢/ ٣٦٧
لم يتكلَّم في المهد إلَّا أربعةٌ٢/ ٢٨٩
لم يتكلَّم في المَهْدِ إلَّا ثلاثةٌ٢/ ٢٨٢، ١١/ ٣٦٨
لم يخلع النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم نعليه إلا مرة ١٠/ ٤١٨
لم يخير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ١٨/ ٢٣٥
لم يزل الله ينقلُني٩/ ٤٤٢، ١٦/ ١١١
لم يُسلَّط على قتل الدَّجَّال إلَّا عيسى ابن مريم٣/ ١٤٩، ٣٨١
لم يكذب إبراهيم النبي عليه السلام قط ١٨/ ٤٤
لم يكن النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يمر بحجر٩/ ٢١٩

لم يكن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالطويل البائن٩/ ٣٣٧
لم يكن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالطويل المُمَغَّط٩/ ٣٣٦
لم يكن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في شهرٍ أكثر صيامًا منه في شعبان ١٢/ ٢٥، ٢٦
لم يَلْتقِ أبوايَ في سِفاحٍ ٩/ ٤٤١
لَمَّا أذنبَ آدمُ ١٤/ ١٦٤
لما استقبلَني جبريل بالرسالة ٩/ ٢١٩
لما أسري برسول الله وأخبر قومه بالرفقة ٥/ ١٥١، ٩/ ٢٣٢
لَمَّا أُسرِيَ بي مَرَّت بي رائحةٌ طيِّبةٌ ٢/ ٢٨٨، ١١/ ٣٧٠، ١٨/ ٩٣
لَمَّا أصاب آدمُ الخَطِيئةَ عَظَمُ كَرْبُهُ ٥/ ٢٨٦
لَمَّا أصبح النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من ليلته التي أسري١٠/ ٣٥٧
لما أُصيب إخوانُكم بأُحُدٍ ١٢/ ١٢٦
لما أُصيبَ إخوانُكم جَعَلَ الله أرواحَهُم في جوفِ طيرٍ خُضرٍ٧/ ٢٥٠، ٨/ ٣٢٤
لما أقبل خالد بن الوليد٢/ ٣٣٠
لَمَّا اقْتَرَفَ آدمُ الخَطِيئَةَ١٤/ ٤٦٠، ١٦٦، ١٧٩، ١٧/ ٤٦٨
لَمَّا أمر رسول الله بالناقوس ١٢/ ٤٧١
لما انقضت عِدَّة زينب١١/ ١٨٦
لَمَّا أهبطَ اللهُ آدمَ إلى الأرضِ ٥/ ٢٨٤
لَمَّا بَعَثَ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم العلاء بن الحَضْرَمِيِّ٢/ ٣٢٣
لما تجلَّى الله عزَّ وجلَّ لموسى٩/ ٣٢٣
لَمَّا تُوفِّي عبد الله ابن أُبيِّ بن سلول٤/ ٣٦٧، ١١/ ٢٢٢
لَمَّا حُرِّمت الخمرُ١٢/ ٣٢، ١٤/ ٢٤
لَمَّا حَضَرَ أُحُدٌ دَعَاني أبي٢/ ٣١٦
لما حضرت أبا طالبٍ الوفاة ٤/ ١٠٩
لما حضرت آدم الوفاة ٥/ ٣٠٩
لَمَّا حَمَلَتْ حَوَّاءُ ٤/ ٣٦٢
لَمَّا خَلَقَ اللهُ آدمَ ٥/ ٢٧٨، ٣١١، ٣٩٧، ١٦/ ١٠٥
لما خلق الله الأرضَ ١٤/ ١٨٧، ٤٦١
لَمَّا خلق اللهُ النَّار ٥/ ٢٦١
لما رجع المشركون من وقعة بدرٍ إلى مكة ١٢/ ٢٣٢
لما سقط جدار٢/ ٤٤٩، ١٤/ ٣٣٨

لما ظهر رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بمكة٢/ ١٠٨
لَّما عُرِجَ بي رأيتُ إدريسَ ٤/ ٣٩٦
لَّما فتح رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم١٠/ ٦٤
لَّما قال يوسف: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ ٤/ ١٣٨، ٣٧٧
لما قُتل أبي يوم أحدٍ ١٤/ ٤٣٨
لَّما قُتِلَ الذين ببئرِ مَعُونَةَ ٢/ ٣١٤
لما قَدِمَ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم المدينة١٠/ ٦٧
لَّما قَدِمَ وفد كِنْدَة مسلمين١٠/ ٥٩
لما قدمت عائشة بنت طلحة١٤/ ٣٣٩
لَّما قَدِمْنا المدينةَ١٦/ ٢١٦
لما قَرَأَ رسولُ(سُورةَ الرَّحمنِ) ٧/ ٦٢
لما كان بعد بيعة أبي بكر ٤/ ١٢٢
لَّما كان يوم الأحزاب١٠/ ٧٤
لَّما كان يوم خيبر جاءَ جاءٍ١٠/ ٦٤
لَّما كَانَتْ غَزْوَةُ تَبُوكَ ٧/ ٢٨١
لما كانت غزوة تبوك أصاب النَّاسَ مجاعةٌ ٨/ ١١٨
لَّما كانت وقعة أهل الفتح بادر١٠/ ٧٧
لما كثر الشر وشهادات الزُّور في بني إسرائيل ٥/ ٤٠٥
لما مات نبيُّ الله داود أوحى الله ٥/ ٤٣٣
لما ماتت أم كلثوم رأيت النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم١٦/ ٥٣٨
لما مرض أبو طالب دخل عليه رهطٌ١٤/ ٤٣
لَّما نزل عذرها ١٤/ ٤٣٨
لما نزلت ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ إلى آخر السُّورة ٤/ ٧٥
لما نزلت ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ الآية ٤/ ٤٠٤
لما نزلت: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا﴾ ٨/ ١٨
لما هاجر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى المدينة ١٢/ ٣١٤
لَّما وَقَعتْ بنو إسرائيل في المعاصي ١٢/ ٢٠٧، ٢٣٧
لما وَلَدت حوَّاء طاف بها إبليس ٤/ ١٣٣، ١٣٧
لمناديل سعد بن معاذ ١٣/ ٢٦٤
لن تراني عين إلا ماتت ١٨/ ٢٠٨

لن تخلو الأرض ١١/ ٣٥٨، ١٤/ ٤٦٩، ٥٣٩، ١٧/ ٤٥٠
لن تَرَوا رَبَّكُم حتَّىٰ تَموتُوا ١٢/ ٣٣٤
لن تنفق نفقة تبتغي بها ١٨/ ١٨١
لن تهلك أمَّةٌ أنا في أوَّلها٣/ ١٧٩، ٤٧١
لن يَدخُلَ أحَدُكم الجنَّة بعمله ٤/ ٢٤٧، ١٦/ ٢٣١
لنْ يدخل أحدٌ منكم الجنَّة بعمله ٥/ ١٧٨
لن يدخلَ النَّارَ مَن رآني ١٢/ ٣٧٩
لن يرىٰ أحدٌ منكم ربَّه ١٧/ ٢٣
لن يزالَ المُؤمِنُ في فُسْحَةٍ مِن دِينِهِ ١٢/ ٣٣١
لن يشبَعَ المؤمنُ ١٧/ ٢٩٩
لن يُصيبَك أذىٰ٩/ ٧٨
لَنْ يَلِجَ النَّارَ أحَدٌ ٧/ ٢٠٠
لن ينال الدَّرجات العُلَىٰ ٧/ ١٢٧
الله الذي يُحيي ويُميتُ١٤/ ٤٦٢، ٥٣٦
الله أطعمك وسقاك أتم صومك ١٨/ ٢١٧
اللهُ أفرحُ بتوبة عبده ١٨/ ١٠٨
الله الله١١/ ٣٨٤
لهبط علىٰ الله١٦/ ٢٣٨
اللهمَّ اجعلْ فَنَاءَ أُمتي قَتْلًا ١٢/ ١٤٤
اللهمَّ اجعل في قَلْبِي١٦/ ١٦١
اللهم اجعلنا هداة مهديين٢/ ٤٨١
اللهمَّ اجْعلها رحمةً ١٧/ ١٨١
اللَّهمَّ اجعلْها رياحًا ٩/ ٤٥٥، ١٧/ ١٨٠
اللَّهمَّ احرسْني بعينِك١٤/ ٥٤٦، ١٧/ ٦٤٤
اللَّهمَّ أذهبْ عنه سُوءَ١٤/ ٥١٥
اللهمَّ ارْحَمْ خُلَفَائي ١/ ٣٤٤، ٧/ ٢٧، ٢٨
اللَّهمَّ أكثر ماله وولده ١٣/ ٢٦١
اللهم اكسُه جمالًا ٧/ ٤٤١
اللهمَّ إنَّا نتقرَّب إليك بعمِّ نبيِّك٢/ ٣٤٩
اللهمَّ إنَّا نسألُكَ عِيشَةً تقيَّةً ١٢/ ١٠٥
اللهمَّ أنت أَحَقُّ١٤/ ٢٦٠
اللهمَّ أَنجِزْ لي ما وَعَدْتَني٧/ ٢٥٢، ٩/ ٣٧
اللَّهُمَّ إنَّكَ بَعَثْتَني١٦/ ٤٨٨
اللهمَّ إنَّه لم ينزل بلاءٌ إلَّا

بذنبٍ٢/ ٣٤٩، ١٤/ ٢١٨
اللهـمَّ إنِّي أسـألُكَ بحـق السـائلين ١٤/ ٦٢، ٢٣٥، ١٧/ ٥٠٨
اللهـمَّ إني أسـألُك بحَـقِّ محمـد عليـك ١٤/ ١٨٧
اللهمَّ إنِّي أسألكَ وأتوجه إليك بنبيك محمد ١٤/ ٤٦٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ١٧/ ١٨٩
اللهـمَّ إنِّي أسـألكُ وأتوسـل أليـك ١٤/ ٦١، ١٧/ ٤٩١
اللَّهمَّ إنِّي أسألك ولا أسأل غيرك ١٤/ ٥٤٨
اللهُمَّ إنِّي أسألُكَ تَمامَ النِّعْمَةِ ٧/ ٨٠، ٨١
اللهمَّ إنِّي أسألك خيرَها١٧/ ١٨١
اللهم إني أسألك النظر إلىٰ وجهك ١٨/ ٢٠٧
اللهمَّ إنِّي أَعُوذُ بك من أن يتخذ قبري وثنًا ١٤/ ٣٨٧
اللهُمَّ إني أعوذُ بك من زوالِ ٧/ ٥١
اللهمَّ إنِّي أعوذ بك من عذاب جهنَّم ١٦/ ٥٦
اللَّهمَّ إني أعوذُ بكَ مِن عَذابِ القَبْرِ ١٣/ ١٧٠
اللهمَّ إنِّي أُقْسِمُ عليك ١٤/ ٧٥، ١٢٤
اللهمَّ إنِّي أمسيتُ عنه ١٦/ ٥٧١
اللهم باركْ لنا في رجب ١٧/ ٢١٣
اللهمَّ بارك لنا في شَامِنا ٢/ ٤٧٢
اللهمَّ بيِّن لنا في الخمر بيانًا شافيًا ١١/ ٢١٧
اللهمَّ رَبَّ جبرئيل ١٦/ ١٦٠
اللَّهم بعلمك الغيب ١٨/ ٢٠٧
اللهمَّ صَلِّ علىٰ آل فلانٍ ١٦/ ٢٩٥
اللهـمَّ صـلِّ عـلىٰ محمَّـدٍ وأزواجِـه ١٤/ ٦٠٣
اللهمَّ صلِّ علىٰ محمَّدٍ وآلِ محمَّدٍ ١٤/ ٦٠٢
اللَّهم اغفر لعبد القيس ١٨/ ٢٣٧
اللَّهم اغفر، سلْ عن الخير ولا تسأل عن الشَّر ١٨/ ٣٥٧
اللهمَّ فشفِّعه فيَّ ١٤/ ١٩٣
اللهمَّ كَبِرَتْ سِنِّي وضَعُفَتْ قُوَّتي ١٢/ ٣٢٩
اللَّهم كلأة ككلأة الوليد ١٨/ ٣٥٠
اللهمَّ لا تجعل قبري ١٠/ ٢٠٤، ٢٠٥،

١٢/ ١٩٢، ١٤/ ٣٨٧، ٣٩١
اللَّهمَّ لا تُطْعِمْنا نارٌ ١٣/ ١٧٣
اللهمَّ مَنْ وَلِيَ مِن أمر أُمَّتي ٧/ ٣٧٥
اللهم هؤلاء أهل بيتي ٨/ ٥٣٩
اللهمَّ وسِّعْ علَيها مُدخَلَها ١٧/ ٥٠٨
اللهمَّ ولِيَدَيْهِ فاغْفِر ١٢/ ٣١٥
اللهو في ثلاثٍ ٧/ ٤٦٥
لو اعْتَرَضَتْ بنوا إسرائيل أَدْنَى بَقَرَةٍ ٤/ ٣٣٦
لو أعرفُ قَبْرَ ١٤/ ٤٠١
لو أعرفُ مَوْضِعَ ١٤/ ٤١٤
لو أَعلم أنَّك تنظرُ لطعنت به ٨/ ٥٦٠
لو أنَّ الجِنَّ والإنسَ والشَّياطين والملائكةَ ٤/ ٣٥٦
لو أنَّ الله عز وجل أذن ١٧/ ٢٠٥
لو أنَّ رجلًا صامَ نهارَه وقام ليلَه ٨/ ٤٤٩
لو أنَّ رَجُلَيْنِ دَخَلا في الإسلامِ ٢/ ٢٣٨، ١٢/ ١٧٨
لو أنَّ صَخْرَةً وزَنَتْ عَشْرَ خَلِفَاتٍ ٤/ ٣٩٧
لو أنَّ مُوقِنًا قرأ بها على جَبَلٍ لزَالَ ٤/ ٥٠٩
لو أنّ مِقْمَعًا مِن حَديدٍ وُضِعَ في الأرضِ ٤/ ٤٠٧
لو بلغني شعرها قبل أن أقتله ما قتلته ٨/ ٥٧٣
لو تركنا هذا البابَ ١٧/ ٥٤٩
لو رأيت رجلًا مع امرأتي ٧/ ٥٠٣
لو رأيتَ مع أمِّ رومان ٤/ ١١٦
لو رأيتني وأنا أدس ١٣/ ٤١
لو سمعت رجلًا يذكر أنَّ داود ٥/ ٣٧١
لو سمعته لقتلته ٩/ ٣٥٩
لو صَدَقَ السَّائِلُ ١٦/ ١٧٦
لو عدلت كان خيرًا لك ١٨/ ٢٦٥
لو علِم العبادُ ١٧/ ٢٠٤
لو علمت أنَّك تنظر لطَعنتُ بها ٨/ ٤٣٣
لو كان آخر يومٍ ٣/ ٥٠٩
لو كان الأرز ١٧/ ١٩٨
لو كان جريجُ عالمًا ١٨/ ٨٦
لو كان العلم بالثريا لتناوله رجالٌ من فارس ٥/ ٢٢٦

لو كان لابن آدم ١٧/ ٢٩٩
لو كان لك ما في الأرض ٥/ ٣١٧
لو كان موسىٰ حيًّا١٦/ ١١٢
لو كان موسي وعيسىٰ حَيَّين٣/ ٣١٨، ٢٦٥
لو كانتِ الدُّنيا ١٦/ ٥٥٤، ١٧/ ٢٨٧
لو كنتُ راجمًا أحدًا ٨/ ٥٧٠
لو لم تُذْنِبوا لذهب اللهُ بكم ولجاء بقومٍ ٨/ ١٣٠
لو لم يَبْقَ مِن الدُّنيا إلَّا يومٌ ٣/ ٤٥٠، ٤٥٢، ٤٥٥، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٦، ٥٠٩
لو لم يبقَ مِن الدَّهر٣/ ٤٥٥
لو يعلم العباد ١٧/ ٢١١
لَوَدَدْتُ أنَّها١٤/ ٢٣٣
لو كان هذا في غير هذا ١٢/ ٤٦١
لولا آخر المسلمين ما فتحت قرية ٨/ ٤٣٧
لولا المرأة لدخل الرجلُ الجنَّة ٧/ ٤٦٣
لولا أنْ أُشَقَّ علىٰ أُمَّتي ٨/ ٣٨٧، ١٨/ ٢٣٠
لولا أن الرسل لا تقتل ١٣/ ١٥٤
لولا أنْ تتركَ ١٧/ ٦١٣
لولا أن تَتْرُكَ النَّاسُ الصَّلاةَ ١٢/ ٨٩
لولا أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم نهانا أن نَدْعُوا ١٢/ ٣٢٧
لولا أنَّ قومَك حديثٌ١٦/ ٥٤١
لولا أني كتبتُ الفسادَ علىٰ الطَّعامِ ٥/ ٢٧٢
لولا بنو إسرائيلَ لم يَخْنَزِ اللَّحْمُ ٥/ ٢٧٢
لولا حَدَاثَةُ١٠/ ٢٢٠
لولا عباد لله رُكَّع ٧/ ١١٥
لولا عَفْوُ الله وتَجاوُزُهُ ٤/ ٣٧٩
لَوْلَاكَ لَوْلَاكَ لما خَلَقْتُ الأفْلَاكَ ١/ ٢٢٠
لولاك لولاك ما خلقت الأفلاك ١/ ٢٢٣
لولاك ما خلقتُ الأفلاك ٩/ ٤٤٩
لولاه يا آدم١٤/ ١٨٨
لَيُّ الوَاجِدِ يُحِلُّ عِرْضَهُ ٧/ ١٧٧
ليأتيَنَّ علىٰ النَّاس زمانٌ١٤/ ٤٧١، ٥٣٨، ١٧/ ٤٤٩
ليأتينَّ علىٰ أهلِ المدينةِ زمانٌ ينطلقُ الناسُ منها ٨/ ٣٠٧
ليبعثنَّ الله أقوامًا يوم القيامة ١٨/ ٤٢

ليبعثنَّ الله مِن عِتْرتِي٣/ ٤٧٦
لَيَبْعَثَنَّ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ ٧/ ٢٦٠
ليبلِّغ الشاهد الغائب ٤/ ١٨٤، ٧/ ٤٣٤، ٩/ ٣٤٩، ١٨/ ٣٢
ليت شعري ما فعل أبواي؟ ١٣/ ١٥٧
ليتصَدَّق عليه١٦/ ٣٣٨
لَيَدْخُلَنَّ الجَنَّةَ مِن أُمَّتي سَبْعُونَ ألفًا ١٨/ ٣٠٢
ليدركنَّ الدَّجَّال ٣/ ١٨٧
لَيُذادَنَّ ناسٌ من أمَّتي١٤/ ٤٦٦
ليذْكُرَنَّ اللهَ أقوامٌ ٧/ ٣١٩
ليس أحدٌ مِن أمَّة محمَّدٍ ٨/ ٣٣
ليس الخبر كالمعاينة٢/ ٤٦٤
ليس الصيامُ ١٧/ ٢٠٦
لَيْسَ الكَذَّابُ ٧/ ٢٠٩
لَيْسَ الوَاصِلُ بِالمُكَافِئِ ٧/ ١٨٥
ليس بيني وبينه٣/ ٤١٩
ليس على العَبْدِ نَذْرٌ فيما لا يَمْلِكُ ١٢/ ٣٠٤
ليس على المسلم في عبده١١/ ١٦
ليس على رَجُلٍ نَذْرٌ ١٢/ ٣٠٤
ليس عليكم في غُسْلِ مَيِّتكُم ٧/ ٥٣١
ليس في الحُمُرِ زكاةٌ ١١/ ١٥
ليس في العُرُوض زكاةٌ...١١/ ١٤
ليس في النَّومِ تفريطٌ ٨/ ٣٩٥
ليس في شيءٍ من الدواب زكاة ١١/ ١٥
ليس فيما دُونَ خَمْسَةِ أَوْسُقٍ مِن التَّمْرِ صَدَقَةٌ ٨/ ٣٩٤
ليس لك مِن مال١٦/ ٣٨٩
ليس للقاتِلِ مِيراثٌ ٨/ ٣٩٢، ٤٧٩
ليس للنِّساء سلامٌ ٣/ ٣٨٩
ليس لنا مثل السوء العائد في هبته ١٨/ ٢٧٢
ليس له من دنياه وآخرتِه إلا ما جعَلْتَ له ٨/ ٤٥٤
ليس ليومٍ فضلٌ على يومٍ في الصِّيام إلَّا يوم عاشورا ١٨/ ٢٤٠
ليسَ منْ أحدٍ إلَّا ولهُ كرَائمَ ١٢/ ١٦٥
ليس مِن البرِّ الصِّيام في السَّفَر ٨/ ٩٤، ١٠/ ٣٩٤
ليس من امبرِ امصيام في امسفر ١٥/ ٢٨٣
ليس من امرأة١٧/ ٢١٠
ليس مِن عَمِلٍ١٤/ ١٥١
ليس مِن نَفْسِ ابن آدم إلَّا عليها صدقةٌ

٧/ ١٦٧، ١١/ ١٦٣
لَيسَ مِن يَومٍ إلَّا يُعرَض علىٰ النبيِّ ٨/ ٢٠
ليس من يوم إلَّا يُعرض فيه علىٰ ٨/ ١٧
ليس منا من تشبه بغيرنا ١٣/ ١٨١
ليس منا من خَصَىٰ ١١/ ٩٨
ليس منَّا من لم يتعاظمْ بالعِلم ٩/ ٤٥٥
ليسأل أحدُكم ربَّه ١١/ ٤٤٥
ليَشْرَبَنَّ أُناسٌ مِن أُمَّتِي ١١/ ٢٥٣
ليَعْتَذِرَنَّ الله تعالىٰ يومَ القِيامَةِ ٥/ ٣٠٠، ٨/ ٢٣٣
ليكوننَّ في هذه الأُمَّة خَسْفٌ ٧/ ٤٦٤
ليَكُوننَّ مِن أُمَّتي أقوامٌ ١١/ ٢٥٣، ٢٥٩
لَيلَةُ الضَّيفِ حَقٌّ ٧/ ٢٢٤
لَيلَةُ القَدْرِ طَلْقَةٌ لا حَارَّةٌ ولا بَارِدَةٌ ١٢/ ٨٦
لَيلَةُ القَدْرِ في العَشْرِ البَوَاقِي ١٢/ ٨٦
ليلةَ القدْرِ ليلةٌ طَلْقَةٌ ١٧/ ٦١٠
لئن بقيت إلىٰ قابلٍ لأصومنَّ التاسع ١٨/ ٢٥٠
لئن كنتَ أقصرتَ الخطبةَ لقد أعرضتَ المسألةَ ٨/ ٢٩٤
لئن كنتَ خُلِقْتَ للنَّارِ وخُلِقَتْ لك ١٢/ ٣٢٨
لينزلنَّ ابن مريم حَكَمًا عَادِلًا ٣/ ٤١٩
لينزلنَّ إلىٰ جنب عَلَمٍ ١٥/ ٢٧٣
ليهبِطنَّ ابن مريم حَكَمًا ٣/ ١٤٣، ٣٧٨، ٨/ ٣٠٨، ٩/ ٣٢٦، ١٤/ ٣٣٤، ١٧/ ٥٦٢
ليهبطنَّ عيسىٰ ابن مريم ٣/ ٤٢١
ليهِلنَّ عيسىٰ ابن مريم ٣/ ١٤١، ٣٧٧
ليوشكنَّ أن ينزل فيكم ابن مريم ٣/ ٤١٥

(م)

ما اجتمع الحلال والحرام ٨/ ٥٨٢
مَا اجْتَمَعَ قومٌ ٩/ ٣٨٨، ١١/ ٤٥٦
ما أجدُ له في غزوتِه هذه في الدنيا والآخرة ٨/ ٤٥٥
ما أجد ما أحملك عليه ٧/ ٤٠٩
ما أحدٌ يَدْخُلُ الجنَّةَ يُحِبُّ ١٢/ ١١٣
ما أحسنَ هذا ١٠/ ١٤٨
ما أحلَّ الله ١٠/ ٢٢٨
ما أخاف علىٰ أُمَّتي فتنةً ٧/ ٤٦٧
ما اختلفتْ أمَّة ١٧/ ١٨٧
ما أخرج الله آدم من الجنة زوده من ثمار

الجنة ٥/ ٢٦٥
ما أدركتُ أحدًا يتأثَّم مِن الصلاة على أحدٍ ١٢/ ٢٥٤
ما أدركتم فصَلُّوا١٠/ ٣٢٨، ١٨/ ١٦٢
ما أدري أتُبَّعُ كان لعَينًا أمْ لا؟٢/ ١٩٧
ما أدري الحدود كفَّاراتٌ أم لا؟ ٢/ ٢٥٠، ١٧/ ٤٢٩
ما أدري أنا بقُدُوم ١٤/ ٤٢٣
ما أذنب عبد ذنبًا ١١/ ١٣٨
مَا أَسْكَرَ الفَرَقُ مِنْهُ ٧/ ١٠٣
ما أسكرَ قليلُه ١٧/ ٣٠٨
ما أَسْكَرَ كَثِيرُهُ فقَلِيلُهُ حَرَامٌ ٧/ ١٠٣، ١١/ ٢٣٥، ٢٣٥
ما أصابَ اللهُ أهلَ قريةٍ بعذاب ٨/ ٤٤٩
ما أصاب داود ما أصابه بعد القَدَر ٥/ ٣٦٨
ما أَصَابَ المُسْلِمَ مِمَّا يَكْرَهُهُ فهو مُصيبَةٌ ٤/ ٣٣٩
ما أصابكم من مرض ١٣/ ٢٠٨
ما أَصَرَّ مَن اسْتَغْفَرَ١٦/ ١٩٢
ما أَطْيَبَكِ وأَطْيَبَ١٤/ ٢٩٥
مَا أعطيتُمُوهُنَّ فهُوَ لكُمْ صدقةٌ ٨/ ٣٧٩
ما أعظم حُرْمَتكِ ١٣/ ٢٥٣
ما أعظمَكِ وأعظمَ حرمتَكِ ١٤/ ١٧، ١٧/ ٥٩، ١٨/ ٣٥٣
ما أعلم أنَّ أحدًا من أهل العلم ١٢/ ٣٢٤
ما أفلح سَمينٌ١٧/ ١٩٩
ما أفلح صاحب عيال١٧/ ١٩٨
ما أكفرَ رجلٌ رجلًا إلا باء بها أحدُهما ٢/ ١٦٨
ما أكل أحدٌ طعامًا قطُّ خيرًا من أنْ يأكلَ مِن عمل يَدِه ٥/ ١٤١، ٣٩٥، ٤١١
ما القحطانيُّ بدون المهديِّ٣/ ٤٨٢
ما أمرتكم به ١٠/ ٢٢٣
ما أنا بآكل طعامك ١٣/ ٢٢٨
ما أنا بالذي آكل مِن طعامِكَ ١٦/ ٨١
مَا أَنْعَمَ الله عَلَى عَبْدٍ ١/ ٢٩٢، ٧/ ٤٦، ٥٤، ٥٦، ٨٧
ما أَنْهَرَ الدَّمَ ١٥/ ٣٧٥، ١٦/ ٤٢٨
ما أهبط الله تعالى إلى الأرض ٣/ ١٧٤، ٣٨٩
مَا أَهَلَّ مُهِلٌّ ٧/ ٢٢٧

ما أوتيكم من شيء٩/ ٢٦٢
ما بال أحدكم ١٣/ ٣٩٣
ما بالُ أقوامٍ يتنزَّهون عن الشَّيء الذي أضعه ١٨/ ٣٤٤
ما بَالُ رِجَالٍ ٨/ ٢١، ٩/ ٢٨٠، ١٤/ ١٠٠، ١٧/ ٢٢٨، ٤٧٦
ما بَلَغَ أن تُؤدَّىٰ زَكاتُهُ فزكِّي ٤/ ٣٦٦
ما بعث الله نبيًّا إلا عاش ٣/ ٢٠٦
ما بعث الله نبيًّا إلَّا وهو شاب ٣/ ٢٠٦
ما بُعِثَ نبيٌّ إلَّا أنْذَرَ أُمَّتَهُ ٧/ ٥١٨
ما بين السَّماء والأرض١٦/ ٢٣٨
ما بين قبري ومنبري١٠/ ٢٠٦، ١٤/ ٤٠٥، ١٦/ ٢٢٣
ما بين لابتيها أحدٌ إلَّا يعلم ١٨/ ١١٩
ما تبعُد مصرَ١٧/ ١٩٩
ما تحاب رجلان في الله ١٨/ ٤٣
ما تذاكرون ٣/ ١٥٣، ٣٨٢
ما تَرَكَ القَاتِلُ ١٢/ ١٢١
مَا تَرَكَ قَوْمٌ الجِهَادَ ٧/ ٩٨
ما ترىٰ، أدينارًا؟١١/ ٣٤٣
ما تريدون من علي ٨/ ٥٢٢
ما تظنُّون أنِّي فاعلٌ بكم؟ ٤/ ٢٨٦، ١٧/ ٧٦
ما تعدُّون أهل بدرٍ فيكم؟ ٩/ ١١٠، ١٢/ ١٣٨
ما تقرَّب إليَّ عبدي١٤/ ١٤٦
ما تقولون في الزنا؟١١/ ١٠١
ما تَلَفَ مالٌ في بَرٍّ ٧/ ٩٦
ما جاءكم عني فاعرِضوه علىٰ كتابِ الله ٨/ ٤٨٢
ما جُبِلَ وليٌّ لله عزَّ وجلَّ إلَّا علىٰ السَّخاءِ١١/ ٣٥٣
ما حسدنا اليهود علىٰ شيءٍ ١٨/ ١٢٩
ما جلس قوم مجلسًا٩/ ٣٨٩
ما حملكم علىٰ أن عمدتم إلىٰ (الأنفال) وهي من المثاني ٤/ ١٥٤
ما خابَ مَن اسْتَخارَ١٦/ ١٥٣
ما خَلا رَجُلٌ بامْرَأةٍ ١٦/ ٤٥١
ما خَلا الوَلَدُ والوَالِدُ ٤/ ٣٥٢
ما خلق الله خلقًا أحب إليه من محمد٩/ ٣٧٣
ما دَعَا قطُّ عبدٌ بهذه الدَّعَوَاتِ ١٢/ ٢٢
ما رأيت أحدًا١٤/ ٤٢١
ما رأيت رسول الله٩/ ٣٣٩
ما رأيت شيئًا أحسن من رسول

الله٩/ ٣٣٢
ما رفع أحد١٧/ ١٩٨
ما رَفَعَ سليمانُ عليه السلام طَرْفَهُ إلى السَّماءِ ٥/ ٤٣٥
ما رَفَعَ قومٌ١٦/ ١٢٨
ما رُئِيَ الشَّيْطَانُ يَوْمًا ١٧/ ٣٩٣
ما زالت أَكْلَةُ خَيْبَرَ تُعاوِدُني ٨/ ١٤٨، ٣٦٨
ما سافر رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم١٠/ ٣٠٩
ما سَقَطَ مِن السُّنْبُلِ ٤/ ٣٥٦
ما سمعت النَّبيَّ ١٣/ ٢٥٨
ما سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يقول لأحدٍ يمشي ٨/ ١٦٩
ما سُئل رسول الله٩/ ٢٨٢
ما شاءَ اللهُ ١٥/ ٤٧٤
ما شأنكم؟٣/ ١٥٤
ما شيءٌ أنجى ١١/ ٤٢٧
ما ضَرَّ أحدكم ٩/ ٢٦٥، ١٧/ ٤٠٤
ما ضَرَبَ رسولُ الله٩/ ٢٩٣
مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى ٧/ ٢٠٨، ١٠/ ٣٢٠
ما طُفِئ المِصْباحُ١٦/ ٢١٤
ما طَلَعَتِ الشمسُ١٦/ ٤٠٣
ما ظهر الزِّنا والرِّبا في قرية ١٣/ ١٣١
ما ظَهَرَ في قَوْمٍ الزِّنا١٤/ ٢٤
ما عبدالله بشيء أكثر١٦/ ٢٦٥
ما عَمَّر المُسلِمُ كان خيرًا له ١٢/ ٣٣٣
ما عملَ ابنُ آدمَ ١٧/ ٣٧٨
ما عَمَلٌ إن عَمِلْتُ بِهِ دَخَلْتُ الجنَّةَ؟ ٧/ ١٧٣
ما عندي شيءٌ، ولكنِ ٨/ ٢٠٤
ما عُوقب رجلٌ على ذنبٍ إلَّا جعله الله كفَّارة ٢/ ١٩٨، ٢٥٠
ما في السمواتِ السبعِ موضعُ قدمٍ ٩/ ١٣٥
ما قَرأتَ في أُذُنِهِ؟ ٤/ ٣٧٧، ١٧/ ١٠٤
ما قصرت الصَّلاة وما نسيت ١٨/ ١٥٢
ما قطع من حي فهو ميت ١٨/ ٢٥٦
ما قَوْلي لامرأةٍ واحدةٍ إلا كقَوْلي لمائةِ امرأةٍ ٨/ ٤٨٩
ما كان أحدٌ أعلم بحديث رسول الله١١/ ٢٣٩

ما كان ظنُّ محمَّدٍ بربِّه٩/ ٨٩
ما كثُر آذان بلدة ١٧/ ١٩٩
ما كَرَبني أمرٌ ٧/ ٤٦٩
ما كلُّ الحديث ١٠/ ٩٤
ما كنت أظن أن عمر يجترئ على قتل مؤمن٩/ ٣٠٥
ما كنتُ لأدع الصلاة على أحدٍ مِن أهل القِبْلَةِ ١٢/ ٢٥٤
ما كنتم تتذاكرون٣/ ١٥٣
ما لكم لا تتكلَّمون؟ ١٧/ ١٦٠
مَالِي أَسْمَعُ الجِنَّ ٧/ ٦١
ما ماتَ نبيٌّ إلَّا دُفِنَ١٦/ ٥٢٤
ما مَسَسْتُ حريرًا٩/ ٢٩٤
ما مِن أحدٍ أَغْيَر مِن الله٢/ ١٧
مَا مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ ٧/ ١٩٧
ما من أحد يسلم ٩/ ٣٣١، ٤٢١، ١٤/ ٣٣٤، ١٦/ ١١٨، ٢٠١
ما مِن أحدٍ يَشْرَبُهَا ١١/ ٢٣٩، ١٧/ ٢٠٦
ما مِن أَحَدٍ يَمُرُّ بقَبْرِ١٤/ ٣٠٥، ٣١٠
ما مِن آدميٍّ إلَّا وقَلْبُهُ بين إِصْبَعين مِن أصابع الرَّحمن٢/ ٣٣
ما من أصحاب النبيِّ١١/ ٢٣٩
ما من أيامٍ، العمل الصَّالح فيها ١٨/ ٢٤٩
ما مِن امرأةٍ تَضَعُ ٧/ ١١٩
ما من امرئٍ مسلم١٦/ ٣٩٥
ما مِن بَني آدمَ مَوْلُودٌ إلَّا يَمَسُّهُ الشَّيْطانُ ٤/ ٣٤٤
ما مِنْ خارجٍ ١٧/ ٦٦٦
ما منْ دعاءٍ إلا بينَه وبينَ الله حِجابٌ ٨/ ٣٧٠
ما مِن ذَنْبٍ بَعْدَ الشِّرْكِ١١/ ٢٤٥، ١٣/ ١٣٠
مَا مِنْ رَجُلٍ تَعَلَّمَ كَلِمَةً ٧/ ٢٠٦
ما مِنْ رَجُلٍ مِنَ الأُمَمِ إلَّا وَدَّ أنه مِنَّا ١٨/ ٣١١
ما من رجل يذنب ذنبًا١١/ ١٣٧
ما مِن رَجُلٍ يزور ١٤/ ٣٠٩
مَا مِنْ رَجُلٍ يَغْرِسُ ٧/ ٢٦٥
ما مِن رَجُلٍ يَلِي أَمْرَ ٧/ ١٢٤
ما من شيءٍ إلَّا يعلم أنِّي رسول الله ١٨/ ٢٢
ما مِن شيءٍ أَغْيَر مِن الله عزَّ وجلَّ٢/ ١٧

ما من شيء لم أكن أُريته قبلُ ٩/ ٣١٢
ما مِن صاحب ذهبٍ ولا فضَّةٍ ٤/ ٢٦٥
ما مِن صباحٍ إلَّا ومَلَكانِ يناديان ١١/ ١٤٤
مَا مِنْ عَبْدٍ أَتَى أَخَاهُ ٧/ ١٥١
ما من عبد أصبح صائمًا ١٧/ ٢١٢
ما مِن عَبْدٍ تَوَكَّلَ ٧/ ٥٥
مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّي لله ٧/ ١٩٩
ما منْ عبدٍ مسلمٍ يقولُ إذا أصبَحَ ٨/ ٣٥٦
ما مِن عبدٍ مؤمِنٍ يذكرني ٩/ ٤٢١
ما منْ عبدٍ ولا أَمَةٍ دعا ١٤/ ٥٤٧
ما مِن عبدٍ ولا أَمَةٍ ينام فيمتلئ نومًا ١٢/ ٣٤٧
ما مِن عَبْدٍ يَبْسُطُ ١٦/ ١٢٨
ما من عبدٍ يُذنِب ذنبًا ٨/ ٤١٤
مَا من عَبْدٍ يَقُومُ في الدُّنْيَا ٧/ ٩٩
ما مِن عَبْدٍ يَمُرُّ ١٤/ ٣٠٩
ما من عمل يقربكم إلى الجنة ٩/ ١٦٧
ما مَنَعَكَ أن تَأتيني؟ ٤/ ٣٦٣
ما منْ قومٍ يَجتمِعُونَ على كتابِ الله ١٢/ ١٥٦
ما من ليلة بعد ليلة القَدْر أفضل ١٢/ ١٩
ما منْ متحابَّينِ في الله يلتقِيانِ ٨/ ٣٧٠
ما من مُسْلِمٍ يُظلمُ مَظْلَمَةً ١٢/ ١٥٠
مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا ٧/ ١٥٠
مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ إلا كان ٧/ ٢٦٤
مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ أو يَزْرَعُ زَرْعًا ٧/ ٢٦٤
ما من مُسلِمٍ يكون له ثلاث بناتٍ ١٣/ ٣٨٢
مَا مِنْ مُسلمٍ يَمُرُ على قَبْرِ أخِيهِ ١٢/ ١٢٨، ١٤/ ٣١٣، ١٦/ ٢٢٦
ما مِن مُسْلِمٍ يَمُوتُ فيشهد له ١٦/ ٣٥٦
ما مِن مُسْلِمٍ يموت فيُصَلِّي عليه ٧/ ٣١١
ما من مسلم له ابنتان ١٣/ ٣٨٢
ما مِنْ مسلمٍ يموت له ثلاث من الولد ٧/ ٢٩٠
ما منْ مسلمٍ يموتُ يومَ الجمعةِ ٨/ ٣٢١، ١٢/ ١٦٠
ما من مسلمين يموت بينهما ١٨/ ٢١٩
ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة

١٨/ ٢١٨
ما مِن مُسلم ينظرُ إلى امرأةٍ ١١/ ١٤٣
ما مِن مسلمٍ يأخذ مَضْجَعَهُ يقرأ سورةً من كتاب الله عزَّ وجلّ ٤/ ٩٣
ما مِن مُصِيبَةٍ ١٧/ ٤٢٤
ما مِن مُصيبةٍ تُصيبُ المسلمَ ٢/ ٢٤٥
ما من مولود ١٣/ ٢٩٢
مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يُعَزِّي أَخَاهُ ٧/ ١٨٠
مَا مِنْ مَيتٍ يُصَلَّى عَلَيْهِ ٧/ ١٥٩
ما من ميِّتٍ يموت إلا وهو يعلم ٨/ ٢٣
ما من ميت يموت فيقرأ عنده (يس) ٤/ ٢٢٦
ما مِن نبيٍّ إلا أوتي ٩/ ٧١
ما من نبيٍّ إلا بعد الأربعين ٣/ ٢٠٦
ما مِن نبيٍّ إلَّا وقد أَنْذَرَ أُمَّته الأَعْوَرَ ٢/ ٢٨
ما مِن نبيٍّ بَعَثَهُ اللهُ إلَّا كان له مِن أُمَّتِهِ ١٢/ ٢٠٩
ما مِن نبيٍّ يموتُ ١٦/ ٢٤٦
ما مِنْ نَفْسٍ مُسْلِمَةٍ يَقبِضُهَا ١٢/ ١١٣
ما مِن يومٍ طَلَعَتْ شَمْسُهُ ١٢/ ٢٥، ٤/ ٢٧٧
ما منكُم رجلٌ يقربُ وضُوءَه ٨/ ٢٣٦
ما منكُم مِن أحدٍ إلا وقد وُكِّل به ١٧/ ٤٧٢
مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ ٧/ ٢٠٥
ما نزل من القرآن من آيةٍ، إلَّا ولها ظهرٌ وبطنٌ ١٨/ ٣٣٥
ما نقصت صدقةٌ من مال ١٨/ ٨٣
ما هذا القبر ١٤/ ٣١١
ما هذا يا جبريل؟ ٤/ ٣٦٢
ما هذا يا حاطب؟ ١٣/ ١٤٦
ما هذه الخضرة بعينيك؟ ١٢/ ٤٩٣
ما وَجَعُ أخيك ٤/ ٣٧٥، ١٧/ ١٠٣
ما وَسِعَني أرضي ٣/ ١٦
ما وسعني سماء ١٦/ ٢٣١
ما ولدتني بَغِيٌّ قطُّ ٩/ ٢١٤
ما وَلَدَني مِن سفاحِ الجاهليَّة شيءٌ ٩/ ٤٤١
ما يُبْكيك يا فاطمةُ ١٦/ ١٤٧
مَا يَجِدُ الشَّهِيدُ مِنْ مَسِّ الْقَتْلِ ١٢/ ١١٤
ما يُصيبُ المؤمنُ مِن نَصَبٍ ٢/ ٢٤٥
ما يَمْنَعُكَ أن تَزُورَنا ٩/ ١٠٦
ماءُ زَمْزَمَ لِما شُرِبَ له ٧/ ٤٦٥ ٨/ ٦٦

ما أرىٰ بأسًا١٤/ ٢٧٧
ماتت رقيَّة بنت رسول الله ٧/ ٥٣٠
ما تسمُّون هذه؟ ١٧/ ١٧١
ماتظنون أني فاعل بكم؟ ٤ / ٣١٤
ماجاءكم عني فاعرضوه علىٰ كتاب الله٩/ ٣٠٢
ماذا يستقبِلُكم ١٧/ ٢١٦
مالي أراكم سُكوتًا؟٢/ ٩٧، ١٣/ ١٤٤، ١٦/ ٤٦
مالي أسمع الجنَّ خيرًا منكم جوابًا لربها؟٢/ ٩٦
مالي أُنازَعُ القرآنَ١٠/ ٢٤٧
ما منكم مِن أحدٍ٩/ ٢٧٤
ما يبكيك؟٣/ ١٧٤
ما يمنعك أن تزورنا أكثر ممَّا تزورنا؟ ٤/ ١٩٩
المائِدُ في البحرِ الذي يُصِيبُهُ القَيْءُ ١٢/ ١٦٣
المتحابُّونَ في الله في ظلِّ العرْشِ يومَ لا ظلّ ٨/ ٣٨٣
المتمسِّكُ بسُنَتِي عندَ فسادِ أُمتِي ١٢/ ١٦٤
متىٰ كنتَ نبيًّا؟ ١٧/ ٤٥٣، ٤٥٩
مثل البيت الذي يُذكر الله ٨/ ٣٣٩، ١٠/ ١٩٧، ١١/ ٤٥٦
مَثَلُ العَائِدِ في هِبَتِهِ١٦/ ٣٩٢
مَثَلُ القائِمِ علىٰ حُدودِ الله ١٦/ ٢٣٥
مَثَلُ المُجَاهِدِ ٧/ ٢٤٢
مثل أُمَّتي ٣/ ١٨٨، ١٣/ ٢٤٣، ١٧/ ١٤٨، ١٨/ ٣٣٩
مُثِّلَت لي الجنَّة والنَّار ١٥/ ٤٨٤
مَثَلي ومَثَلُ الأنبياء ٣/ ١٢٧، ٩/ ٢٧١
المجنوب شهيد ١٢/ ١٤٧
المَحْيا محياكُم١٦/ ٢٢٤
مُدْمِنُ الخَمْرِ إن ماتَ لَقِي اللهَ كعَابِدِ وَثَنٍ١١/ ٢٢٥
مدمن الخمر كعابد وثن ١٣/ ١٣٢
مَرَّ أبو ياسر بن أخطب ٤/ ٣٣٤
مر النبي برجل يسأل ٧/ ٢٦٧
مرَّ النَّبي علىٰ كِسْرةٍ ٧/ ٤٧
مُر برأس التمثال فَلْيُقْطَع ٧/ ٤٤٣
مرَّ حمارٌ برسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم٢/ ٢٢٠
مَرَّ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رسولِ اللهِ

٧/ ٢٢٩
مَرَّ رسولُ الله برَجُلٍ يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ٤/ ٨٢
مرَّ عثمان بن أبي العاص على كلاب بن أمية ١٢/ ١٧
مرَّ علَى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رجلٌ ١١/ ٣٣٨، ١٢/ ٢٥٩
مرَّ عليَّ الشيطانُ فتناوَلْتُهُ فخَنَقْتُهُ ٥/ ٤٣٦
المرءُ يموتُ على فراشِه في سبيل الله فهو شهيدٌ ٨/ ٢٨٦
مرحبًا بالنبيِّ الصالح ٥/ ٣٥١
مررت بعمر بن الخطاب ١١/ ١٣
مَرَرْتُ بموسى عليه السلام ٨/ ٥٠، ١٤/ ٣٣٨
مَرَرْتُ بيوسفَ ٤/ ٣٧٦
مَرَرْتُ على موسى ١٤/ ٣٢٤
مررنا بالرّبذة ١٤/ ٤٤١
مرضت فجاء رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يعودني ٨/ ٥٨٤
مرضت فكان رسول الله يعوذني ٤/ ٤٦٥
مُرّ قومك بصيام هذا اليوم ١٨/ ٢٥٠
مرضت وكان رسول الله ١٧/ ١٠٢
مُروا أبا ثابتٍ ١٤/ ١٥
مُرُوا أوْلادَكُمْ بِالصَّلاةِ ٧/ ٢٦٨
مروا بشجرةٍ قد علَّق ١٤/ ٢٨٧
المريض أنينه تسبيح ١٧/ ٢١٩
المسلمُ أخو المسلمِ ١١/ ٣٤١، ١٨/ ٤٢، ١٨/ ٤٩
المُسْلِمُ إذا سُئِلَ في قَبْرِهِ ٤/ ٣٨٢
المسلم مَن سَلِم المسلمون ٥/ ٣٧٦، ٧/ ١٣٩، ١٨٧، ١٧/ ٢٧١
المسلمونَ أخوةٌ ١٧/ ٥٣٣
المسلمون تتكافأ دماؤهم ١٣/ ٣٩٧
المسلمون عند شروطهم ١٨/ ١٨٩
مشيةُ جنيٍّ ونفحةُ جنٍّ ٢/ ١٢٥
مَطْلُ الغَنِيِّ ظُلْمٌ ٧/ ١٧٧، ٨/ ٤٦١
مع كُلِّ إنسانٍ مَلَكٌ ٤/ ٣٥٥
المعرفةُ رأسُ مالي ٩/ ٤٤٩
مُعَقِّبَاتٌ لاَ يَخِيبُ ٧/ ٢١٥
مَفَاتِيحُ الجَنَّةِ ٧/ ٢٨٣، ٨/ ٣٤٣
مفاتيحُ الغيب خمسٌ ٩/ ٣١٠
مفتاح الصَّلاة التكبير ١٨/ ١٧١

مِفْتاحُ الصَّلاةِ الطَّهُورُ١٤/ ٩٥، ٢٢٠/ ٢٢١، ١٨/ ١٧١
المُقِيمُ على الزِّنا كعَابِدِ وَثَنٍ ١٢/ ٣٢
مَكَارِمُ الأَخْلَاقِ مِنْ عَمَلِ الجَنَّةِ ٧/ ١٥١
مكتوبٌ في التوراة صفة محمَّدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم٣/ ٢٢٥
المَكْرُ والخَدِيعَةُ والخِيَانَةُ ٧/ ١٠٧
ملعونٌ من أتى ١٧/ ٣٩٦
ملعونٌ من أتى النِّساء ١٧/ ٣٩٦
ملعونٌ مَن أتى امرأةً مِن دُبُرِها٢/ ٢٢٣
ملعونٌ من سَأل بوجهِ الله ١٨/ ٣٢
مَلَكَ الدُّنيا أربعةٌ٣/ ٤٧٢، ٥/ ٤٤٢
مِلِكٌ مسَحَ الأرضَ مِنْ تحتِها بالأَسْبابِ ٢/ ١٩٠
مَلِكٌ مسَحَ الأرضَ منْ تحتِها بالأسبابِ ٢/ ١٨٦
مَلَكٌ مِن الملائكة مُوَكَّلٌ بالسَّحابِ ٤/ ١٣٤، ٥/ ٩٥
ممَّا أكْرَمَ اللهُ بِهِ الأُمَّة١٠/ ٤١٦
مَن ابْتُلِيَ فَصَبَرَ ٧/ ٨٤
من ابتاع دينًا على رجلٍ ١٨/ ١٥٢
مَنْ أُبْلِيَ بَلَاءً ٧/ ٦٠
مَن آتاهُ الله مالًا ٤/ ٣٤٨، ٧/ ٩٦
مَن آتاه الله مِن هذا المال شيئًا١١/ ٣٤٦
من أتتْه هديةٌ ١٧/ ١٩٩
من أتى النِّساء ١٧/ ٣٩٦
من أتى بعراف ١٦/ ١٥٤
من أتى بهيمة فاقتلوه ١١/ ١٠٧
مَنْ أَتى حَائِضًا ٧/ ١٢٦، ١٧/ ٣٩٦
مَن أَتى سَاحِرًا ٣/ ٤٤٣
من أتى عرافًا ٧/ ١٢٨
مَن أَتى عليه رمضانُ صَحِيحًا مُسْلِمًا ١٢/ ٩٤
مَنْ أتى فِراشَه وهو ينوي أن يقومَ ٨/ ٤٥٠
من أثنيتم عليه خيرًا وجبت له الجنة ١٨/ ٣٥١
مَن أتى كاهنًا ١٦/ ٢٤٧
من أجمع الصوم من الليل فليصم ٨/ ٥٠١
منْ أحبَّ أنْ يُبسَطَ له في رزقُه ٨/ ٣٧٤
مَن أحبَّ أن يتمثَّل له الرجال قيامًا٢/ ٢٣٠

مَن أَحَبَّ أن يتمثَّل له الرِّجال قيامًا ٨/ ١٢٨
من أَحَبَّ أن يُزَحْزَحَ ٧/ ٨١
مَن أحبَّ أَنْ يُكْثِرَ اللهُ خيرَ ٧/ ٥٤٨
مَن أحبَّ شيئًا ١٧/ ٣٠٣
مَن أَحَبَّ لله ٤/ ٣٧٢، ١٢/ ٢٥٧، ٢٦٩، ٢٧١
مَن أحبَّ منكم أنْ يحضرَ الليلةَ أمرَ الجنِّ٢/ ٩٧
من أحبَّكَ لشيء١٧/ ١٩٩
مَنِ احْتَكَرَ حُكْرَةً ٧/ ١٠٠
مَنِ احْتَكَرَ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ طَعَامًا ٧/ ١٠٠
مَن أحدث في أمْرِنا ١٠/ ١٤٤، ١٥٦، ١٢/ ٢٠١
مَن أحيا الليالي الخمسَ ٧/ ٣٢٣، ١٢/ ٩٦
من أحيا ليلة الفِطْرِ ١٢/ ٩٧
مَنْ أخذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا ١٢/ ١٣٦
من أخذ شِبرًا من أرضٍ ظُلْمًا طوَّقَهُ٢/ ٣١٩
مَنْ أَخْرَجَ أَذَىٰ ٧/ ١٦٥
مِن أخلاق النبيين وضع اليمنىٰ ١٠/ ٢٨٣
مَن أَخلَصَ لله ٢/ ٢٧٧، ١١/ ٣٢٤، ٣٢٧، ١٧/ ٢٦٤، ٢٨٢، ٤٤٥
من ادَّان دينًا وهو ينوي أن يؤديه ٨/ ٤٥١
من ادَّان دينًا ينوي قضاءه ٨/ ٤٥٥
منْ أدخَلَ الحصنَ سَهْمًا وجبَتْ له الجنَّةُ ٨/ ٣١٦
مَنْ أَدْخَلَ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ ٧/ ٢٢٥
مَنْ أدرك ركعةً١٠/ ٣١٧، ٣١٨، ٤٣٢، ١٨/ ١٦٠
مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ ١٧/ ٢١٥
مَن أدرك منكم٣/ ٣٩٢
مَن أدرك منكم عيسىٰ ابن مريم فليُقرِئهُ منِّي السَّلام٣/ ١٧٨
من أدركَ والدَيهِ أو أحدَهُما ٨/ ٣٨٠
من ادَّعىٰ١٠/ ١٠٦
من أدىٰ الزكاة مؤتجرًا ١٣/ ١٩١
مَنْ أَذَّنَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً ٧/ ١٩٤
من أذَّن ثِنْتَي عشْرَةَ سنةً ١٢/ ١٦٢
مَن آذىٰ المسلمين٢/ ٢٢١، ٧/ ١٠١

من آذىٰ جاره ورَّثه الله داره ٩/ ٤٥٧
من آذىٰ ذِمِّيًا٣/ ٣٤٥
مَن أرادَ أنْ ينامَ علىٰ فِراشِهِ ٤/ ٨٥
من أراد أن ينظر ١٣/ ٢٦٢
من أُرِيدَ مَالَهُ بغير حقٍّ، فقَاتَلَ ١٢/ ١٥٠
من استُرضي١٧/ ١٩٩
مَن اسْتَطَاعَ أن يَنْفَعَ أخَاهُ فليَفْعَل ٤/ ٤٨٤
مَن اسْتَطَاعَ منكم ١٦/ ٥٦٤
من استطاعَ منكُم أن يموتَ بالمدينةِ ٨/ ٣٠٧
مَن اسْتَطَاعَ مِنكُمْ أن يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ ١٢/ ٢٥٦
مَن اسْتَنَّ خيرًا١٠/ ١٤٠
مَن أَسْخَطَ الله٢/ ٢٣٢
من أَسْمكَ فليُتمِرْ ٩/ ٤٥٧
من أَصَابَ حَدًّا ١٧/ ٤٢٧
مَن أصاب حدًّا فجعل له عقوبته في الدنيا٢/ ٢٤٧
مَن أصابَ ذنبًا ١٧/ ٤٢٧
مَنْ أصابَ ذنبًا أُقِيمَ عليه حَدُّ ذلك الذنبِ٢/ ١٩٨
مَنْ أصابَ ذنبًا فعُوقِبَ به في الدُّنيا ٢/ ١٩٨
مَن أصاب ذنبًا وأُقيم عليه حدُّ ذلك الذنب٢/ ٢٤٩
منْ أصابَ فله أجران ٨/ ٥٨٥
مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ ٧/ ١٨٥، ١٨/ ٢٢٥
مَن أطعمَ مُؤمنًا ٧/ ٣٢٠
من أظَلَّ رأسَ غازٍ ٨/ ٢٦١
منْ أعانَ مجاهدًا في سبيل الله ٨/ ٢٦١
مَن اعْتَصَمَ١٦/ ١٤١
من اعتصم بعد النبيِّ كفر٩/ ٤٥٥
مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً ٧/ ٢٧٦
من اعتكف عشرًا ١٧/ ٢٠٧
من اعتكف في المسجد١٦/ ٢٢٩
مَن أَعْطَاهَا مُؤْتَجِرًا فله أَجْرُها ١٢/ ٢٤٢
من أُعطِيَ الشُّكْرَ ٤/ ٢٨٩، ٧/ ٤٨، ٨٥
من أُعطي خيرًا ٧/ ٥٨
مَن اغْتَسَلَ يومَ الجُمُعَةِ١٠/ ٤٢٧، ١٣/ ٢٧٨، ١٦/ ٢٤٦
من أفتىٰ النَّاس بغيرِ علمٍ ١٤/ ٦٠٦
مَن أُفْتِيَ ١٠/ ٣٨٧

مِنْ أفضلِ أيامِكم يومُ الجمعةِ ٩/ ٢٨٥
من أفطر علىٰ تمرةٍ ١٧/ ٢٠٧
من أفطر في شهر رمضان ناسيًا ١٨/ ٢١٧
من أفطر يومًا ١٧/ ٢٠٧، ١٨/ ٢١٤
مَنْ أَقَامَ الصَّلَاةَ ٧/ ٢٢٣
مَن أَكْثَرَ مِن الاسْتِغْفارِ ٩/ ٥٩، ١٣/ ١٢١
مَن أكلَ طعام أخيه٩/ ٤٥٥
مَنْ أَكَلَ طَيِّبًا ٧/ ١٨٧
من أَكَلَ فَشَبِعَ ٧/ ٨٦
من أكل فولةً بقشرها أخرج الله منه داءً مثلَها ٩/ ٤٥٧
مَن أكلَ مع مغفورٍ غُفر له ٩/ ٤٥٧
مَن أَكَلَ مِن هاتين الشَّجَرتَيْن ١٦/ ٤٣٦
مَن أَكَلَ وشَرِبَ ناسيًا ١٦/ ٣٧٩
مَن التمَسَ رِضا الله٢/ ٢٣٢
مِن الجَفَاءِ أنْ أُذْكَرَ عند رَجُلٍ فلا يُصَلِّي عليَّ ٩/ ٤٢١
من الحَيْضِ والغَائِطِ والنُّخَامَةِ والبُزَاقِ ٤/ ٣٣٥
مَن القائل كذا وكذا ١٠/ ١٤٦
مَنِ القومُ؟ قالوا: المسلمون ١/ ١٩٨
من الكبائر شتم الرجل والديه ٢/ ٢١٢
منَ الكلماتِ التي تابَ ١٧/ ٤٦٩
من أُلهم خمسة لم يُحرم خمسة ٧/ ٤٩
من أمَّ قومًا فإنْ أتمَّ فلهُ التَّمامُ ٨/ ٢٥١
مَنْ أَمَاطَ أَذًىٰ ٧/ ١٤٧
من أنا؟ ١٧/ ٥٥٥
مَن أنبأك أنَّها رُقْيَةٌ ١٦/ ٦٩
من انتهرَ صاحبَ بدعةٍ ملأ الله قلبه أمنًا وإيمانًا ٩/ ٤٥٧
مَنْ أنظَرَ مُعْسِرًا ١٠/ ٣٠١، ٣٥٥، ٨/ ٢٦١
من أنعم الله عليه نعمةً فليحمد الله ٣/ ٣٨٩
من أنفق زوجين في سبيل الله ١٨/ ٢١٨
من أنفق زوجين من ماله ١٨/ ٢١٩
من أنفقَ نفقةً فاضلةً في سبيل الله فبسبعِمائةٍ ٨/ ٣٠٩
مَن أنكر خروج المهديِّ٣/ ٢٣٩
مَنْ أَهَلَّ بالحَجِّ ٧/ ٢٢٨
مَنْ أَهَلَّ بِحَجَّةٍ ٧/ ٢٢٨
مَن أَوْفَىٰ علىٰ يديه في الكَيْلِ والميزان

٤/ ٣٥٧
من آوىٰ إلىٰ فِراشه٢/ ٣٢٦، ٨/ ٣٤
مَن أُعْطِيَ الشُّكْرَ لم يُحْرَمِ الزِّيادَةَ ٤/ ٣٨١
مَنْ بَاعَ عَيْبًا ٧/ ١٠٧
من باع نخلًا بعد أنْ يؤبَّر ٨/ ٤٣٥
مَن بَدَا جَفَا ١٢/ ١٩٠
مَن بَدَّل دينه فاقْتلوه ٥/ ٢٧، ٩/ ٣٦٨، ١٧/ ٥٢٥
مَن بَرَّتْ يَمينُهُ وصَدَقَ لِسَانُهُ ٤/ ٣٤٤
مِنْ بركةِ المرأةِ ١٦/ ٣٩٧
مَن بَشَّرني بخروج ٣/ ٣٤٤، ٣٤٦
مَنْ بَلَغَ العَدُوَّ ٧/ ٢٣٦
منْ بلغَهُ عنِّي حديثٌ١٤/ ٤٩١
مَنْ بَنَىٰ مَسْجِدًا لله ٧/ ١٩٣
من بورك له ١٧/ ١٩٩
من تأمَّل خلقَ ١٧/ ٢٠٧
مَن تحلَّم بحُلْمٍ ٢/ ٢٣٨، ١٢/ ٣٩١
مَنْ تَرَدَّىٰ مِنْ جَبَلٍ ٧/ ١١٧، ١٢/ ٣٠٢
مَن ترك الجُمُعة ثلاث مرَّات ٢/ ٢٤٠
من ترك الخمر ٧/ ٢٩٤
مَن ترك ثلاث جُمَعٍ تهاونًا ٢/ ٢٤٠
منْ تَرَكَ ثلاثَ جُمُعاتٍ مُتَوالياتٍ مِن غير عُذْر ٣/ ٥٣
مَنْ تَرَكَ دَيْنًا أو ضَيَاعًا ١٢/ ١٣٦
مَن ترك صلاة العصر فقد حَبِطَ عَمَلُهُ ٢/ ٢٣٧
مَن تَرَكَ مالًا فلوَرَثَتشهِ ومَن تَرَكَ دَيْنًا فعَلَيَّ ١٢/ ٢٥٦
مَن تَرَكَهُ لا يَخافُ عُقُوبَتَهُ ولا يَرْجُو ثَوابَهُ ٤/ ٣٤٥
من ترون أحق بهذه؟ ١٨/ ٣٣٧
من تزوج امرأة وهو ينوي ٨/ ٤٥٥
من تسمىٰ باسمي ٩/ ٢٦٥
من تشبه بقوم ١٣/ ١٨١
مَن تَصدَّق بعَدْل تمرةٍ مِن كَسْبٍ طَيِّبٍ٢/ ٣٢
مَنْ تَطَهَّرَ في بَيْتِهِ ٧/ ١٧٠
مَنْ تَعَزَّىٰ بِعَزَاءِ الجَاهِلِيَّةِ ١٥/ ٥٨
مَن تعلَّم عِلْمًا مِمَّا يُبتغي به وجه الله تعالىٰ٢/ ٢٣٦
من تعلَّم لغة قوم ٩/ ٤٥٥، ١٧/ ١٩٠
من تكلم عند الآذان خِيف عليه زوال الإيمان٩/ ٤٥٦

مَـن تَكَلَّـمَ يـومَ الجُمُعَـةِ ١٠/ ٤٢٩، ١٦/ ١٥٩
مِن تَمامِ الصَّلاةِ ١٠/ ٤١٧
مَن تَواضَع لله رَفَعَهُ ٤/ ١٩٤
من توضأ ١٧/ ٥٨٩، ١٨/ ١٦٢، ١٨/ ١٦٣
من توضَّأَ يومَ الجُمُعةِ ١٥/ ١٨٣، ١٧/ ١٩٥
مـنْ جـاءَ أجلـهُ وهـو يطلُـبُ العلـمَ ١٢/ ١٥٦
مَنْ جاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ ٧/ ٢٥٥
مَنْ جاهَدَ في سَبيلِ الله ٧/ ٢٣٤
مَن جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاءَ ١٢/ ٣٠، ٢٢٣
من جعل يس أمام حاجة ٤/ ٢٢٧
مَن جلس على قبرٍ ١٠/ ٢٠١
مَن جمع بين صلاتين ٢/ ٢٤١
من جَهَّز غازِيًا، أو جَهَّزَ حاجًّا ١٢/ ٦٠
من حافظَ على البَرْدَين ١٧/ ٢٨٤
مَنْ حَافَظَ عَلَى الصَّلَوَاتِ ٧/ ٢١٣
مَن حافظَ عليها كانت له نورًا ٢/ ٨٣
مَن حالت شفاعته ٢/ ٢٣٢، ٧/ ١٢٠، ١٧/ ٦٠٨
من حجَّ فلم يرفثْ ١٧/ ٣٥٤، ٣٨٩
من حج ولم يزرني ١٧/ ٣١٧
من حدَّث بحديث داود على ما ترويه ٥/ ٣٧١
مَـنْ حَـدَّثَ عنِّـي بحَـدِيثٍ ١/ ٢٢٧، ٤/ ١٠٢، ١٣/ ٣١٩
مَن حدَّثكم بحديث داود على ما يرويه القُصَّاص ٥/ ٣٨٢
من حَفَر قبرًا بنَى الله له بيتًا في الجنَّة ٨/ ٢٨٠
مَنْ حَفِظَ ٧/ ٢٩٥
مَنْ حَفِظَ عشْرَ آياتٍ مِنْ أوَّلِ (سُورَةِ الكهْفِ) ٢/ ١٧٢، ٤/ ٤٥، ١٩٧، ٨/ ٣٣٣
مَن حَفِظ على أُمَّتي أربعين حديثًا ٣/ ٣٤٢، ١٢/ ١٦٤
مَن حَلَفَ بالأمانة فليس مِنَّا ٢/ ٢٣٠
مَنْ حَلفَ بشيءٍ ١٧/ ٥٢٥
مَن حَلَف بغير الله ٢/ ٢٢٩، ٧/ ١٢٦، ١٤/ ١١٦
مَن حَلَفَ بمِلَّةٍ سِوى الإسلام كاذبًا ١٢/ ٣٠٣

مَن حَلَفَ على مالِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بغير حَقِّهِ ٤/ ٣٤٥
مَن حَلَفَ على مِلَّةٍ غير الإسلام كاذبًا ١٢/ ٣٠٣
مَن حَلَفَ على يمينٍ ٢/ ٢٢٧، ٢٣١
مَن حَمَلَ علينا السِّلاحَ فليس مِنَّا ٢/ ٢٣٠
من خرجَ ١٧/ ٣٥٥
منْ خَرَجَ في طَلَبِ العِلْمِ فهو في سَبيلِ الله ١٢/ ١٥٦
مَن خرجَ في هذا الوجه ٧/ ٣٢٣
مَنْ خَرَجَ مَعَ جَنَازَةٍ ٧/ ١٥٨
مَن خَرَجَ مِن بَيْتِهِ ١٤/ ٢٣٦، ٤٤٨، ٤٦٧، ٥٣٧
من خضب بالسواد ٧/ ١٣١
من خير خِصال الصَّائم السِّواك ١٨/ ٢٣٢
من دام على قراءة يس كلَّ ليلةٍ ٤/ ٢٢٦
من دخل الحمام ٧/ ١١٩
من دخل السُّوقَ فقال ١٨/ ٣٠
مَن دَخَلَ المقابرَ فقرأ سورة (يس) ١٤/ ٣٥٤
منْ دعا إلى هدًى ١٧/ ٣٢٢، ١٨/ ٢٩٥، ١٨/ ٢٩٦
من دعا بهذه الأسماءِ ١٤/ ٥٤٨
مَن دعا بهؤلاء الدَّعوات ٩/ ٤٢٢
من دَعَا بِهَؤُلاءِ الْكَلِمَاتِ الْخَمْسِ ٧/ ٧٩
مَن دعا رجلًا بالكفر ١٧/ ٦١
مَن ذَرَعَهُ القيءُ ١٦/ ٣٧٩
مَن ذُكرتُ عنده فخَطِئ الصَّلاةَ عليَّ ٩/ ٣٩٠
مَن ذُكرتُ عنده فليُصَلِّ عليَّ ٩/ ٣٩٠
مَن رآني في المنام ٢/ ٤٧٣، ١٢/ ٣٧٠، ٣٧٨، ٤٠٦، ١٣/ ٦٠
مَن رآني في المنام فقد رآني ٥/ ١٢٦، ١٢/ ٣٧٠، ٣٧٥
مَن رآني في المنام فقد رأى الحقَّ ١٢/ ٣٧٠
مَن رآني في المنام فكأنما رآني ١٢/ ٣٧٠
مَن رآني في المنامِ فلن يدخلَ النَّار ١٢/ ٣٧٨
مَن رَأَى صَاحِبَ بَلاَءٍ ٧/ ٨٨
من رَأَى مُبْتَلًى ٧/ ٨٨
من رأى منكم رؤيا؟ ١٢/ ٤٨٥

مَن رَأَىٰ مِنْكُم مُنْكَرًا فليُغَيِّره ١٢/ ٢١٠
مَن رَدَّ عن عِرْضِ أخيه رَدَّ الله عن وَجِهِهِ النَّار يومَ القيامةِ ٨/ ١٢٥
مَنْ رَضِيَ بِالله رَبًّا ٧/ ٢١٢
مَن رَغِبَ عن سُنَّتِي ٧/ ٩٨
منْ رَمَىٰ العدوَّ بسَهْمٍ فبَلغَ سَهْمُه ٨/ ٣١٥
من زار قبري ١٦/ ٢٧٦
مَن زارني كنت له شهيدًا أو شفيعًا يوم القيامة٣/ ٨٦
مَنْ زَرَعَ زَرْعًا ٧/ ٢٦٤
من زعم أنَّ محمدًا
وآله وسلَّم١٤/ ١٥١، ١٧/ ٢٠
مَن زَنَىٰ أو شَرِبَ الخَمْرَ نَزَعَ اللهُ منه الإيمان ٢/ ٢٢٧، ٧/ ١٠٢، ١١/ ٢٣٧، ١٢/ ٣٣، ١٣/ ١٣٢
مَنْ زَنَىٰ خَرَجَ مِنْهُ ٧/ ١٠٢
مَنْ سألَ اللهَ الشَّهادةَ بصِدْقٍ ١٢/ ١٣٩
مَنْ سَأَلَ مِنْ غَيْرِ فَقْرٍ ٧/ ٥٩
مَنْ سَبَّحَ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ٧/ ٢١٤
مَن سَرَّهُ أن يُبْسطَ لَهُ في رِزْقِهِ ١٢/ ٣١٧
من سرَّه أن يسكن بَحْبوحَة الجنَّةِ ٨/ ٥٣٠
من سَرَّهُ أن يشرف له ٧/ ٢٩٦
مَن سَرَّهُ أنْ يَنْظُرَ إلىٰ يومِ القِيامَةِ ٤/ ٦٣
مَن سَرَّهُ أن يَلْقَى اللهَ راضِيًا ٩/ ٤٢١
مَن سرَّه أن ينظرَ إلىٰ يوم القيامة ٤/ ٢٧٥
مَنْ سعىٰ في دم مسلمٍ ولو بشَطْر كلمةٍ ٥/ ٣٧٦
مَن سَلَكَ طَرِيقًا ١٦/ ٢٢١
من سلك مسالك التُّهم١٧/ ١٩٩
من سمع النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ١٠/ ٨٧
مَن سَنَّ خيرًا١٠/ ١٤١
مَنْ سَنَّ سُنَّةً ١٠/ ١٠٦، ١٣٠، ١٤١
مَنْ سَنَّ في الإسلام ٧/ ٣٩١، ١٠/ ١٤٠، ١٢/ ٢٠٤
مَن سُئِلَ عن عَلْمٍ فكتمه٢/ ٢٢٧
مَن شاء أن يُجَمِّعَ١٠/ ٤٣٨
مَن شاءَ صَامَهُ ومَن لم يَشَأْ ١٢/ ٤٦
من شذَّ شذَّ في النَّار ٨/ ٤٢١
مَن شَرِبَ الخَمْرَ١١/ ٢٤٢، ٢٤٧
مَن شَرِبَهُ مِنكُم فليَشْرَبْهُ ١٦/ ٤٣٤

مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي ٧/ ٦٧، ١٤/ ٥٤٨
مَنْ شَهِدَ أنْ لا إلهَ ٧/ ٢١٠، ١٨/ ٣٣٢
مَن صَامَ الأربعاء ٧/ ٣٢٢
منْ صامَ ثلاثةَ أيامٍ من شهرٍ حرامٍ ٨/ ٣٠٢
مَن صامَ رمضان ١٦/ ٢٤١، ٢٧٠، ١٧/ ٢٠٦، ٢٠٧، ٢١٠
مَن صَامَ رمضانَ إيمانًا ١٢/ ٥٨
من صَامَ رمضان وشوال والأربعاءَ والخميسَ دخلَ الجنةَ ٨/ ٣٠١
مَن صَامَ رمضانَ وعَرَفَ حُدُودَهُ ١٢/ ٥٩
مَن صام يُرائي فقد أشرك ٢/ ٢٢٩
من صامَ يومًا لم يخرقْه كُتبَ له عشرُ حسناتٍ ٨/ ٣٠٢
من صُرِعَ عن دابتِهِ ١٢/ ١٦١
منْ صُرِعَ عنْ دابَّتِه فهو شهيدٌ ٨/ ٢٨٥
مَن صَلَّى أربعًا في السَّفَر ١٠/ ٣٦٣
مَنْ صَلَّى البَرْدَيْنِ ٧/ ١٩٩
منْ صلَّى الضُّحى وصَامَ ثَلاثَةَ أيامٍ ١٢/ ١٥٥
مَن صَلَّى ركعةً ١٠/ ٢٣٧
مَن صَلَّى سُبْحَةَ الضُّحَى ١٦/ ١٢٧
مِن صَلَّى صلاةً ١٠/ ٢٥١
من صلَّى صلاةً لا يقرأ فيها بأمِّ القرآن ٨/ ٤٩٨
مَن صلَّى صلاةً لم يصلِّ فيها عليَّ ٩/ ٣٩٢
مَن صَلَّى صلاةً لم يقرأ ١٠/ ٢٥٠
مَن صَلَّى صَلاتَنَا، ونَسَكَ نُسُكَنَا ٨/ ٢٩١
مَن صلَّى على الجنازة ١٠/ ٢٥٥
مَنْ صَلَّى عليَّ ١٧/ ٤٨٨
مِن صلَّى عليَّ حين يُصبح عشرًا ٩/ ٣٩٠
مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صلاة ٨/ ٢٩، ٩/ ٣٨٥، ٣٩١، ٣٩٣، ٤٢٢، ١٤/ ٣٢٧
مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَّتْ عَلَيْهِ المَلائِكَةُ ٩/ ٣٩١
مَن صَلَّى عليَّ صَلَّى اللهُ عليه عَشْرًا ٨/ ٢٩، ١٤/ ٣٢٦
مَنْ صَلَّى عليَّ صلَّى عليه عشرًا مَلَكٌ ٩/ ٣٨٩
مَن صَلَّى عليَّ عند قبري ٨/ ٢٧، ٩/ ٣٨٧، ١٤/ ٣٢٩

من صلّى عليَّ في كتاب ٩/ ٣٩٢
من صلى علي في كل يوم مائة ٩/ ٣٨٨
مَن صَلَّى عليَّ في يومِ الجُمُعَةِ ٩/ ٣٩١، ١٤/ ٥٢٥
منْ صلّى عليَّ في يومٍ خمسينَ مرةً ٨/ ٣٥٢
مَن صلّى عليَّ كنتُ له شفيعًا ٩/ ٣٩١
مَن صَلَّى عليَّ مائةً ٩/ ٣٨٧، ١٤/ ٣٢٩
من صلّى علي مرة ٩/ ٤٠٦
من صَلَّى عَلَيَّ مِنْ أُمَّتِي واحدة ٩/ ٣٨٩
مَن صلّى عليَّ واحدةً ١٠/ ١٧٠
مَن صَلَّى عليَّ يوم الجمعة ٩/ ٣٩٢، ٤٢٢
مَن صلّى ليلة الأحد ١٦/ ١٧٢
مَن صلّى ليلة الأربعاء ١٦/ ١٧٣
مَن صلّى ليلة الثلاثاء ١٧/ ١٧٢
مَن صَلَّى ليلةَ الجُمُعة ١٦/ ١٧١
مَن صلّى ليلة السبت ١٦/ ١٧٢
مَن صَلَّى ليلةَ النصفِ من شعبانَ ١٢/ ٣٥
من صلى مائة ركعة ١٧/ ٢٤٨
منْ صنعَ ١٧/ ٦٤٠
مَنْ صَوَّرَ صُورَةً ٧/ ١٢٢
مَنْ ضَرَبَ غُلاَمًا ٧/ ٢٧٤
مَنْ ضَمَّ يَتِيمًا ٧/ ٢٨٠، ٢٨٨، ٨/ ٣٨٠
من طلبَ الشَّهادةَ صادقًا ولوْ لم يصبْها ٨/ ٢٨٦، ١٢/ ١٣٩
من طَلبَ العلمَ لله ١٧/ ١٥٤
مَن طَلبني وَجَدني ١٦/ ٢٤١
مَنْ عَادَ مَرِيضًا ٧/ ١٤٩، ١٥١، ١٦/ ٢٤٤
من عادَى لي وَلِيًّا فقد ٢/ ٢٧٧، ١٦/ ١٦٢، ١٧/ ٤٤٤، ١٨/ ٣٤٥
منْ عَالَ بِنتَينِ أو ثلاثًا أو أُختَينِ أو ثلاثًا حتَّى يبنَّ ٨/ ٣٧٩
مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ ٧/ ٢٨٦، ١٣/ ٣٨١
من عرف نفسه ٩/ ٤٥٥، ١٦/ ١٥٨، ١٧/ ١٩١، ١٩٩
مَنْ عَزَّى ثَكْلَى ٧/ ١٨٠
منْ عزَّى مُصابًا كانَ له مثلُ أجرِهِ ٨/ ٢٧٩
مَن عَشِقَ فعَفَّ ١٦/ ٢٠٧
منْ عَشَقَ فَعَفَّ ثمَّ ماتَ ١٢/ ١٥٧
مَنْ عَشِقَ فعفَّ فَكَتَمَ فَمَاتَ ١٢/ ١٥٧

مَن عَلَّق تميمةً ٤/ ٤٩٥، ١٤/ ٢٧٠، ١٦/ ٥٥٩
مَن علَّق شيئًا وُكِلَ إليه ٤/ ٤٩٤، ٤٩٥
مَنْ عَلِمَ أَنَّ الصَّلاةَ ٧/ ٢١٣
من عمل الشيطان ٤/ ٤٨٩
مَن عمِل بما علم أورثه الله علمَ ما لم يعلمْ ٩/ ٤٥٦
من عندك يا رسول الله أم من عند الله ٨/ ١٢٩
مَنْ غَدَا إِلَى المَسْجِد ٧/ ١٩٩
مَنْ غَزَا في سبيلِ اللهِ غَزْوَةً في البَحْرِ ١٢/ ١٣٥
من غزا وهو لا ينوي إلا عقالًا فله ما نوى ٨/ ٤٤٩
مَن غَسَّلَ المَيِّتَ ١٦/ ١٦٩
مَن غَسَّلَ مَيتًا ٧/ ٣١٠، ٥٢٣، ١٦/ ١٦٨
مَن غَسَّلَ واغْتَسَلَ ١٦/ ١٣٨
مِن غَسْلِهِ الغُسْلُ ١٦/ ١٦٧
مَن غَشَّ المسلمين فليس منهم ٢/ ٢٣٠
مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا ٧/ ١٠٦
من غير داء ٧/ ١٣١
من فاتَتْه صلاةُ العصرِ ١٧/ ٢٨٤
منْ فَاتَهُ الغَزْو مَعِي فَلْيَغْزُ في البَحْرِ ١٢/ ١٣٥
من فارق الجماعة شبرًا ٨/ ٤٢١، ٥٣٤، ٥٣٧
من فارق الجماعة واستذلَّ الإمارةَ ٨/ ٥٣٤
من فارق الجماعة ولو قيد شبر ٨/ ٤٢١
منْ فصَلَ -خرج- في سبيل الله فماتَ أو قُتلَ فهو شهيدٌ ٨/ ٢٨٥
مَنْ فَصَلَ في سبيلِ الله فَماتَ ١٢/ ١٤٠
من فطّر صائمًا ١٠/ ١٦٩
مَن فَطَّرَ صَائِمًا كان له مِثْلُ أَجْرِهِ ١٢/ ٦٠
من فقهك رفقك في معيشتك ١٨/ ٢٧٨
مَنْ قَاتَلَ ٧/ ٢٣٥
مَنْ قَاتَلَ في سبيلِ اللهِ فُواقَ نَاقةٍ ١٢/ ١٣٩
مَن قاتَلَ لتكونَ كلمةُ الله ٨/ ٤٥١
مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ ٧/ ٢١٢
من قال أنا عالم ١٧/ ١٩٨

مَن قال حين يسمع المؤذِّن ٩/ ٤٢٢
مَن قَالَ حِينَ يُصْبِحُ ٤/ ٥١، ٧/ ٨٣، ١٢/ ١٥٤، ١٦/ ١٧٥
مَن قالَ حين يُصبحُ ثلاث مرَّاتٍ ٤/ ٦١
مَن قال حين يُصبِحُ أو يُمْسِي ٩/ ٧٠
منْ قال حينَ يصبحُ وحينَ يُمْسِي ٨/ ٣٥٦
من قال حينَ يصبحُ: الحمدُ لله ربِّي ٨/ ٣٥٦
من قال حين يُصبح: ربِّي الله ٢/ ٣٣٨
مَن قال عَلَيَّ ما لم أَقُلْ ١٣/ ٣١٩، ١٧/ ٥٢٥
مَن قال عليَّ ١٠/ ١٠٣
مَن قال في القرآن ٣/ ٢٦٣، ١٠/ ١٠٢، ١٤/ ٨٤، ١٦/ ٧٤، ٧٥
من قال كلَّ يوم ١٧/ ١٤٥
من قال لا إله إلا الله ١٧/ ٢٨٣
مَن قالَ لأخيه كافرٌ ولم يكن كذلك ١٢/ ٢٥٧
مَن قال هَلَكَ النَّاسُ ١٠/ ١٩٤
من قال: اللهمَّ صلِّ على محمدٍ ٩/ ٣٩٣
مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ ٧/ ٢٦١، ٢٦٢
مَن قال: صَهٍ فقد تَكَلَّمَ ١٠/ ٤٢٩
مَن قال: لا إله إلَّا الله ٧/ ٢١٩، ٢٢١، ٣١٩، ١٠/ ٨٠
مَن قامَ السَّنَةَ أصابَ ليلةَ القَدْرِ ١٢/ ٨٥
مَن قامَ رمضانَ إيمانًا واحْتِسَابًا ١٢/ ٨٠، ١٨/ ١٦٠
مَنْ قامَ ليلةَ القدرِ ١٧/ ٦١٤
مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إيمانًا واحْتِسَابًا ١٢/ ٩٢
مَن قَامَ لَيْلَتَي العِيدينِ مُحْتسِبًا ١٢/ ٩٦
مَنْ قَبَضَ يَتِيمًا ٧/ ٢٨١
مِن قِبَلِ جَيْشٍ يَجيءُ ٣/ ٤٦٤
من قُتل دونَ سيفِه فهوَ شهيدٌ ٨/ ٢٨٥
من قُتلَ دُون مالهُ فهو شهيدٌ ١٢/ ١٥٠
من قُتلَ دُون مَظْلَمَتهُ فهو شهيدٌ ١٢/ ١٥٠
مَن قُتل صَبْرًا كان كفَّارة لخطاياه ٢/ ٢٥١
من قتل قتيلًا فإنه لا يرِثُه ٨/ ٤٨٠
مَن قَتَلَ نَفْسَهُ بحَدِيدَةٍ ١٢/ ٣٠٢
مَن قَتَلَ نَفْسَهُ بسُمٍّ عُذِّبَ بِهِ في نار جَهَنَّمَ ١٢/ ٣١٣

من قَتَلَ وزغًا في أول ضربةٍ ١٨/ ٥٥
مَنْ قَتَلَهُ بَطْنُهُ لَمْ يُعذَّب في قَبْرِهِ ١٢/ ١٤٥
مَنْ قَذَفَ مَمْلُوكَهُ ٧/ ٢٧٧
من قرأ آخِرَ (آل عمران) ولم يتفكَّر فيها، وَيْلُهُ ٤/ ٤٥
منْ قرَأ آخرَ سُورةَ الحشْرِ ١٢/ ١٥٤
مَن قرأَ أوَّلَ (سورة الكهف) وآخِرَها ٤/ ٤٧
مَن قرأ ثلاث آياتٍ مِن أوَّلِ ٤/ ٤٦
من قرأ (حم) «الدخان» في ليلةٍ ٤/ ٥٨
من قرأ (حم) «الدخان» في ليلة الجمعة ٤/ ٥٨
مَن قرأ القرآن ٤/ ٢٠٠، ٧/ ٢٥٩، ٣١٨
مَن قرأ القرآن فأعربه ٤/ ٢٢٣
مَن قرأ القرآن فله بكلِّ حرفٍ عشر حسناتٍ ٤/ ٢٩٢
من قرأ القرآن معكوسا ١٧/ ١٩٢
من قرأَ القرآنَ وحفظَه أدخلَه الله الجنةَ ٨/ ٣٢٨
مَنْ قَرَأَ آيَةَ الكُرْسِيِّ ٤/ ٥٧، ٧/ ٢٦٨
مَن قرأ تبارك الذي بيده الملك كلَّ ليلةٍ ٤/ ٢٦١
مَن قَرَأَ حَرْفًا مِن كتابِ الله ٤/ ٤١٣، ١١/ ٤٥٦
من قرَأَ خَوَاتِيمَ الحشْرِ منْ ليلٍ أو نهارٍ ١٢/ ١٥٥
مَن قرأ خَوَاتِيمَ (سورة الحشر) في ليلٍ ٤/ ٦٢
مَن قرأ سورةَ الكَهْفِ ١٦/ ٩٤
من قرأ سورةَ الكهفِ في يومِ الجمعةِ ٤/ ٤٧، ٨/ ٢٧٧، ٢٧٨
مَن قرأ (سورة الواقعة) كلَّ ليلةٍ ٤/ ٦١
مَن قرأ (سورة الواقعة) كلَّ ليلةٍ ٤/ ٦١
مَن قَرَأَ العَشْرَ الأواخِرَ مِن ٤/ ٤٦
مَن قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ في كلِّ يومٍ خميس ٤/ ٨٥
من قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ٤/ ٨٠، ٧/ ٣١٨
مَن قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ مائة مرَّةٍ ٤/ ٨٤
مَن قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ألفَ مرَّةٍ ٤/ ٨٤
مَن قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ خمسين مَرَّةً

٤/ ٨٣
مَن قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ مائة ألف مَرَّةٍ ٤/ ٨٤
مَن قرأ كلَّ ليلةٍ سورة الواقعة ٤/ ٢٤٩
مَن قَرَأَ ليلةَ النصفِ مِن شعبانَ ألف مَرَّةٍ ١٢/ ٣٤
مَن قَرَأَ كُلَّ يومٍ مائتَي مرَّةٍ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ٤/ ٨٣
مَن قَرَأَ (الكهف) كما أُنزلَتْ ٤/ ٤٧
مَن قرأ هذه الصَّلاة مرَّةً ١٦/ ١٥٤
من قرأ يس إذا أصبح ٤/ ٢٢٧
مَن قرأ يس في ليلةٍ ٤/ ٥٢، ٥٨، ٢٢٦، ٨/ ٢٣٣، ١٦/ ٢٣٨
مَنْ كَانَ آخِرُ كَلاَمِهِ ٧/ ٢١٩
من كان حالفًا ١٧/ ٥٩
مَن كان ذا جِدَةٍ ١٦/ ١٤٠
منْ كان له إلى الله حاجةً ١٤/ ٥٤٢
مَن كان له إمامٌ ١٠/ ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ١٦/ ٣٣٥
مَنْ كَانَ لَهُ ثَلاثُ ٧/ ٢٨٧
من كان له ثلاث بنات ١٣/ ٣٨٢
مَن كان لَهُ ذِبْحٌ ١٧/ ٣٨٤
من كان له فَرَطَان ٧/ ٢٩٠
مَن كان مِنكم حالِفًا ١٦/ ٥٠٩
مَن كان وُصْلَةً ٧/ ٣٠١
مَن كان يُؤمِنُ بالله ١٦/ ٥٥٧
مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله ٧/ ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ٢٢٣، ٢٢٤، ٤٤٦
مَن كان يُؤمِنُ بالله واليومِ الآخِرِ ٢/ ١٣١، ١١/ ٢٤٠، ٣٤٦، ١٣/ ١٥١
منْ كانت له إلى الله ١٤/ ٥٣٩، ٥٤٣
مَن كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما ٢/ ٢٣٧
مَنْ كَانَتْ لَهُ أُنْثَى ٧/ ٢٨٦، ١٦/ ٣٩٨
من كانت له حاجةٌ إلى الله ١٤/ ٥٤١
منْ كانتْ له حاجةٌ إلى الله ١٤/ ٥٤٤
من كتبَ عنِّي علمًا ٩/ ٣٩٢
من كتم سرَّه ١٧/ ١٩٩
مَن كَتَمَ شهادةً ٧/ ١٢١
مَن كَتَم عِلْمًا ٢/ ٢٢٨
مَن كثَّر سواد قومٍ فهو منهم ٧/ ٤٧١
مَن كذَّب بالمهديِّ ٣/ ٥٠٢
من كذب عليَّ ٣/ ٣٤٠، ٩/ ٤٤٨
مَن كَذَبَ عليَّ مُتعمِّدًا ١/ ٢٢١، ٢٥٣،

٢/ ٢٣٠، ٣/ ٢٣، ٤/ ١٠٢، ٧/ ٢٨، ٤٠، ٩/ ١٩٨، ٤٣٣، ١٦/ ١٢٩
من كذب عليَّ متعمدًا فلْيتبوَّأ مقعدَه بين عينَي جهنمَ ٨/ ٥٢٦
مَنْ كَذَبَ في حُلْمِهِ ١٢/ ٣٩٠
مَنْ كُنَّ لَهُ ثَلاثُ ٧/ ٢٨٧
من كنتُ مَوْلاهُ فعليٌّ مَوْلاهُ ٥/ ١٥٢، ٨/ ٥٢١
مَن لا يَرْحَمْ ١٤/ ٤٢١
من لانت كلمته١٧/ ١٩٩
مَن لَبِسَ الحريرَ في الدُّنيا ٤/ ٤٠٧
منْ لزِمَ الاستغفارَ ١١/ ٤٥٧
من لعب بنرد ١٣/ ١٣٣، ١٦/ ٥٦٥، ١٧/ ٤٣٢
مـنْ لقـيَ العـدوَّ فصـبرَ حتـى يُقتـلَ ٨/ ٣١٩
مَنْ لَقِيَ اللهَ مُدْمِنَ خَمْرٍ ٧/ ١١٢، ٨/ ١٥٨، ١١/ ٢٢٥، ١٢/ ٣٢
مَنْ لِكَعْب بن الأشْرَف ٩/ ٣٦٠
من لم يبيت الصيام ٨/ ٥٠٠، ١١/ ٢٥
من لم يدركِ الخُطبة ١٠/ ٤٣٤
مَن لم يَدَعْ ١٧/ ٢٠٦
مَنْ لَمْ يَدَعْ الخَنَا والكَذِبَ ١٢/ ٧٢
مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ والعَمَلَ بِهِ ١٢/ ٧٢
من لم يسأل الله يغضبْ عليه ١١/ ٤٥٧
من لم يَسْتَشْفِ بالقُرآنِ فلا شَفَاهُ اللهُ ٤/ ٤٦٠
مَن لم يَسْتَشْفِ بالقُرآنِ ٤/ ٣٩٠، ٤٧٢
مَنْ لم يَشكُرِ القليل ١/ ١٩٠، ٧/ ٥٩، ١٧/ ١٨٧
مَن لم يَشكُرِ النّاسَ ٧/ ٦٠
من لم يقرأ بأم الكتاب في صلاته فهي خداج ٨/ ٤٩٩
منْ لم يُكثِرْ ذكرَ ١٦/ ١٣٧
مَن لم يوصِ ٧/ ٤٧٠
من ماتَ غريبًا ماتَ شهيدًا ١٢/ ١٥١
منْ مَاتَ ليلةَ الجُمُعَةِ ١٢/ ١٦٠
مَن مَاتَ مُدْمِن خمرٍ ١١/ ٢٣٨
منْ ماتَ مرابطًا ماتَ شهيدًا ٨/ ٢٨٥
من ماتَ مريضًا ماتَ شهيدًا ٨/ ٣٢١، ١٢/ ١٥٢، ١٥٣
مَن مات مِن أهل الجنَّة ٣/ ٢٠٧
من مات وعليه صيام ١٣/ ١١٤،

١٤/ ٣٤٧، ١٦/ ٤٩٠
من مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله ٩/ ٢٣٧
مَنْ مَاتَ يَومَ الجُمُعةِ ١٢/ ١٦١، ١٦/ ٢٢٥
مِن محمَّدٍ رسول الله لرِفاعة بن زيدٍ ١٠/ ٥٤
من مزح ١٧/ ١٩٨
مَن مَلَكَ زادًا ١٧/ ٣٢٠، ٣٥٦
مَن نامَ عن صلاةٍ أو نَسِيها ٨/ ٣٩٤، ١٠/ ٢١٠
مَن نَحَرَ وذَبَحَ ١٧/ ٣٨٥
مَن نَذَرَ أن يُطِيعَ اللهَ فليُطِعْه ٨/ ١٣٤، ١٢/ ٢١٤
مَن نزل منزلًا ١٢/ ٤٣٠
مَن نَسي الصَّلاة عليّ ٩/ ٤٢٢
مَن نَسِيَ صَلاةً فليُصَلِّها إذا ذَكَرَها ٤/ ٤٠١
مَن نَسِيَ صَلاةً أو نامَ عنها ٤/ ٤٠١
مَن نفَّس عن مسلمٍ كُربةً ١١/ ٣٤١، ١٧/ ٥٣٢
مَنْ هَجَرَ أخاهُ سَنَةً ١٢/ ١٧٧، ٢٧٥
مَن هَجَرَ أخاهُ فوقَ ثلاثٍ ١٢/ ١٧٧
مَن هَمَّ بحسنةٍ ١٦/ ٢٤١
من وجد في قلبه قسوة ٤/ ٢٢٧
من وجد متاعَه ٨/ ٤١٥
من وجدتموه يعمل ٧/ ١١٣
مَن وجدتموه يعمل عمل قوم لوطٍ ٢/ ٢١١، ١٣/ ١٣١، ١٣٥
من وسَّع على عياله ١٦/ ١٣٩
مَنْ وَقَعَ عَلَىٰ بَهِيمَةٍ ٧/ ٤٤، ١٦/ ١٢٨
من وقف مواقف التهم ٣/ ٨٩
من وُلِدَ له ٧/ ٢٩٢
مَن وَلِي أَمْرَ النَّاسِ ثُمَّ أَغْلَقَ بابَهُ ١٢/ ٣٣٠
مَن يأتني ١٠/ ٧٣
مَن يُبايع ١٤/ ٩٣
منْ يُرِدِ الله به خَيرًا ١٧/ ٥٢٤
مَن يَشْتَري العَبْدَ ١٤/ ٤٣١
من يَضْمَن لي ٧/ ٢٩٥، ١١/ ١٤٤
مَن يعذرني مِن فلانٍ؟ ١١/ ١٩١
منْ يَقُمْ لَيْلَةَ القَدْرِ ١٥/ ١٤١
مَنْ يَكْفُلُ لِي أَنْ لَا يَسْأَلَ ٧/ ٢٠٥
من يكفيني عداوتها؟ ٩/ ٣١٦

مَنْ يَكْفِيني عَدُوًّا لي؟٩/ ٣٦٠، ١٧/ ٤٣
مَن يَكْفيهم؟ ٧/ ٣٠٧
من ينطلق بكتابي هذا ١٣/ ٢٦١
مَن فارقَ الدُّنيا ١٧/ ٢٨١
مِنَّا الذي يصلِّي عيسى ابن مريم خَلْفَهُ٣/ ١٧٨
مِنَّا السَّفَّاح٣/ ٤٧١
مَنْهُومَانِ لا يَشْبَعانِ ١/ ٣٣٧، ٧/ ٢١، ١٧/ ٢٩٨
مَهْ، عليكم بما تُطِيقون، والله لا يَمَلُّ اللهُ حتَّى تَمَلُّوا ٨/ ٩٧
المهديُّ رجلٌ مِن عِتْرتي٣/ ٤٧٦
المهديُّ رجلٌ مِن ولدي٣/ ٤٦٧
المهديُّ رجلٌ مِنَّا مِن ولد ٣/ ٤٨٦
المهديُّ شابٌّ مِنَّا أهلَ البيتِ٣/ ٤٩٣
المهديُّ مِن عِتْرتي٣/ ٤٥٧
المهديُّ مِن وَلَدِ العبَّاس عمِّي٣/ ٤٦٦
المهديُّ مِن وَلَدِ فاطمةَ٣/ ٤٥٧
المهديُّ مِنَّا أهلَ البيتِ٣/ ٤٤٥
المهديُّ مِنِّي٣/ ٤٤٥
المهديُّ مولده بالمدينة٣/ ٤٨٦
المهديُّ يواطِئ اسمه اسمي ٣/ ٤٥٥
مهما أوتيتُم ١٧/ ١٨٧
مهما أُوتِيتُم من كتابِ الله فالعملُ به ٨/ ٥٥٩
مهورُ الحور قبضاتُ التَّمر ١٧/ ١٥٤
موتُ الغُرْبَةِ شهادةٌ ١٢/ ١٥١
المؤذِّنُ المُحتسِبُ ١٢/ ١٦١، ١٤/ ٣٤١
المؤمنُ أخو المؤمن٢/ ١٣٠
المؤمنُ القويُّ ٨/ ٢٨٢، ١٣/ ٢١، ١٧/ ٢٧٤
المؤمن حلو١٧/ ١٩٢
المؤمِنُ كالجَمَلِ الأَنِفِ إنْ قِيدَ انقادَ ١٢/ ١٨٨
المؤمن كيِّسٌ فَطِنٌ حذِرٌ ٥/ ١٧٥
المؤمِنُ للمؤمِنِ كالبُنْيانِ ٤/ ٤٤٠، ١٤/ ٣٥٦
المُؤْمِنُونَ بَعْضُهُم لِبَعْضٍ نَصَحَةٌ ٧/ ١٠٧
المؤمنون تكافأ دماؤهم ٨/ ٤٩٥
المؤمنون يدٌ على من سواهم ٨/ ٤٩٥

(ن)

النَّادمُ ينتظِرُ ١٧/ ٢٧٧

النَّادِمُ يَنْتَظِرُ مِنَ الله ٧/ ١٤٠
النَّار جبار، والبئر جبار ١٨/ ١٣٥
الناسُ تبعٌ لقريش ٨/ ٤٦٩
النَّاس رجلان ١٦/ ٤٨٠
الناس على دِين ملوكِهم ٩/ ٤٥٥
ناسٌ من أُمتِي عُرِضُوا عليَّ ١٢/ ١٦٣
الناس هلكى ١٧/ ١٩١
النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ١٠/ ٨٣
نبيُّنا خير الأنبياء٣/ ٤٧٠
نتحدَّث أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عهد ١٧/ ٤١٢
النجومُ أمنةُ أهلِ السماء ٨/ ٥٤٨
نحرنا فرسًا على عهد رسول الله ٨/ ١٤٦
نحن أحقُّ بالشَّكِّ ١٢/ ٤١٩
نحنُ معاشرَ الأنبياءِ لا نُورَث ٨/ ٤٧١
نحنُ الآخِرونَ مِنْ أهْلِ الدُّنيا ١٨/ ٢٩٩
نحنُ نحكُم بالظَّاهر ٨/ ٥٧٠
نحن ولَدَ عبدالمطلب ٣/ ٤٦٤
النُّجوم أمنة أهل السَّماء ١٨/ ٣٥٦
الندم توبة ٧/ ١٤٠، ١١/ ١٣٦
نزلَ آدمُ بالهندِ ٥/ ٣٠٨، ٩/ ٤٥٣
القرآن بين مكَّة والمدينة إلَّا ست آيات ٤/ ١٣٦
نَزَلَ تحريم الخَمْرِ في قبيلتين ١١/ ٢٢٠
نزل جبرائيل على النبيِّ ٤/ ٨٦
نَزَلَ جبريلُ عليه السَّلامُ فقال ٨/ ٣٥٣
نزل خالد بن الوليد ٢/ ٣٣٠
نَزَلَ عليَّ البارحَةَ سورةٌ ٤/ ٥٩
نزلت (سورة المرسلات) ٤ / ٢٧٤
نزلت في الخمر ثلاث آياتٍ ٤/ ٢٦٢، ١١/ ٢١٥
نزلت هذه الآية في خمسة ٨/ ٥٤٠
نزولُ عيسى ابنِ مريمَ ٣/ ٢٢٠، ٣٩٤
النِّساء عورة ١٧/ ٥٥٠
نِسَاءٌ كَاسِياتٌ عَارِياتٌ ٣/ ٤٤٣
النِّساءُ ناقِصاتُ ١٦/ ٢٢٤
النُّشْرة من عمل الشيطان ٤/ ٤٩١
نُصرتُ بالرُّعْبِ ٩/ ٢٥٩، ١٢/ ٤٣٣، ٤٦٩، ١٨/ ٣٠٨
نُصِرْتُ بالصَّبا ١٧/ ١٨١
نصرك الله٣/ ٤٧٥
النَّصارَى هم الضَّالُّون ٤/ ٣٣٣

نَضَّرَ اللهُ امرءًا ٢/ ٣٢٥، ٤/ ١٣٠، ٧/ ١٨، ٨/ ٤١٨، ١٠/ ٢١، ٨٤، ٩٥، ١٤/ ٢١
نضَّر الله امرأً سمع مِنَّا ٨/ ٤١٨
نضَّر الله عبدًا سمع مقالتي ٨/ ٤١٩
نظرت إلى خاتِم النبوة ٩/ ٣٤١
نعمَ الرجلُ عبدُالله ١٤/ ٥٦١
نِعْمَ الرَّجُلُ عبدالله لو كان يُصَلِّي مِن الليلِ ١٢/ ٤٨٠
نعم السّواك الزَّيتون من شجرةٍ مباركةٍ ١٨/ ٢٣٧
نعم المذكِّر السُّبحة ١٠/ ١٦٧
نِعْمَ سَحُورُ المُؤمِنِ التَّمْر ١٢/ ٧٩
نَعَمْ وذلك أنَّ فيها التَّوْرَاةَ ٣/ ٤٧٥
نعم، عَنِ الغلام شَاتانِ ١/ ١٩٨
نعم، هو حَقٌّ ٣/ ٤٥٧
نَعَمْ؛ إذا أدَّيتَها إلى رَسُولي فقد برئتَ منْها ٨/ ٢٨
نَعَمْ، نبيٌّ مُعَلَّمٌ مُكَلَّمٌ ١٨/ ٢٨٢
نُعيَت إليَّ نفسي ٤/ ٧٥، ٤٢٣
النُّفساءُ يجُرُّهَا وَلَدُهَا بسُرره إلى الجنَّة ١٢/ ١٤٧
النفقةُ في الحجِّ ١٧/ ٣٥٥
نهى النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ١٠/ ٤٥٠
نهى النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن أكلِ كلِّ ذي نابٍ من السِّباع ٨/ ٥١٤
نهى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أن تغتسل المرأة بفضل الرجل ٢/ ٣٣٢
نهى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن أكل لحوم الحُمُر الأهلية ٨/ ١٤٥
نهَى رسولُ اللهِ عن كلِّ مُسْكرٍ ٧/ ١٠٣، ١١/ ٢٩٢
نهى رسول الله عن نكاح الجنِّ ٥/ ٢٥٦، ٤٤٧
نهى رسول الله ١٠/ ٢٢٩
نُهي المؤمنُ ١٧/ ٢٧٤
نُهينا أن نسأل رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن شيءٍ ١٢/ ٥٣
نور أبي بكرٍ ١٦/ ١٥٩
نورٌ أنَّى أراه ١٠/ ١٠٩
نور أني أراه ٩/ ٢٥٣
نورٌ يُقْذَفُ فيه فيَنْشَرِحُ له ٤/ ٣٥٦
نوم الصَّائم عبادةٌ ٣/ ٣٧٨

نيةُ المؤمنِ خيرٌ من عمله ٨/ ٤٥٠، ٤٥١

(هـ)

هاتِ من هَنَاتِكَ ٧/ ٥٢٠
هبَطَ عليَّ جبريل فقال: إنَّ اللهَ يُقرِئُكَ السَّلَامَ ١/ ٢٢٣
هبطوا على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم٢/ ١١٤
هتف هاتف من الجن ٢/ ١٠٨
هذا بابٌ مِن السَّماء فُتِحَ اليومَ ٤/ ٣٥
هذا يوم عاشوراء ولم يكتب عليكم صيامه ١٨/ ٢٣٩
هذه لكم وقد أُعطِي القومُ ٤/ ٢٦٩
هذه سَبِيلُ الله ٤/ ٣٥٧
هذه يدٌ لا تَمَسُّها ١٦/ ٢٢٧
الهرَّةُ سَبُعٌ ٨/ ٤٣٥
الهرة ليست بنجسة ٨/ ٤٣٥
هششت يومًا فقبَّلت وأنا صائم ٨/ ٥٦٧
هكذا فتعَوَّذ ٤/ ٤٦٦
هكذا فاغتنم فإنه أحسن وأجمل ١٨/ ٣٣٨
هل أَتَّبِعُكَ ١٧/ ٤١٠
هل أحدٌ منكم رأى رؤيا؟ ١٢/ ٤٨٦
هل أخبرتَ بها أحدًا ١٤/ ٢٨٠
هل أنتم تاركوا لي ١٥/ ٤٣٥
هل أنتم تاركون لي صاحبي ١٦/ ٥٣٩
هل بأحدٍ من فتياتك حملٌ؟ ١٢/ ٤٨٧
هل تدرون ١٦/ ٢٣٩
هل تَدْرِي أين تَغْرُبُ هذه؟ ٤/ ٣٩٣
هل ترونَ قِبْلَتي ههنا؟ ٩/ ٣٢٠
هل تزوَّجتَ؟ ٤/ ٧٣، ٢٨٩
هل خلفت أمه مسرَّة حَمْلًا؟ ١٢/ ٤٩٤
هل رأى أحدٌ منكم رؤيا؟ ١٢/ ٤٠١، ٤٥٢
هل رأى محمَّدٌ ربَّهُ ٧/ ٥١٤
هلْ سَمِعْتُم مقالةَ امرأةٍ ١٧/ ٦٣١
هل عندكم من شيءٍ ١٤/ ٥٩٢
هل فيه عيدٌ مِن أعياد الجاهلية ١٢/ ٢٦٧
هل قرأ معي ١٤/ ٦١٩
هل قُلْتَ غير هذا ١٤/ ٢٧٣
هَلْ لَكَ إِلَى البَيْعَةِ ٧/ ٢٠٥
هل لك أنْ أداويك؟ ١٨/ ١٨
هل لك أن تبايع لمن ١٢/ ١٩١

هل مِن داعٍ ١٦/ ١٧
هل مِن سائلٍ ٥/ ٣٢٥
هل من ماء لوضوء رسول الله ٨/ ٤٩٣
هل نرى ربَّنا؟ ٧/ ٥٢٣
هل يأتي الموتى أخبار الأحياء؟ قال: نعم ٨/ ٢٣
هلَّا أَخَذْتُمْ إِهابَها فدَبَغْتُمُوهُ فانْتَفَعْتُمْ به ٨/ ٣٩٢
هلاك أمتي عالِمٌ فاجرٌ وعابدٌ جاهلٌ ١٨/ ٣٥٧
هلمَّ إلى جهادٍ ١٧/ ٣٥٤
هلمُّوا إلى الله ١٧/ ٣٢٥
هُمْ أصحابُ البِدَعِ ٤/ ٢٦٦
هُمْ أُناسٌ قُتِلُوا في سَبيلِ الله ٤/ ٣٥٩
هُمُ الجِنُّ ٤/ ٣٦٥
هم الخوارج ٤/ ٣٤٦
هم الذين يُذْكَرُ الله عند رؤيتهم ١١/ ٣٥٣
هم المتحابون في الله ١٨/ ٤٢
هم اليهود ٤/ ٣٣٥، ٤٢٧
هم تسعة: سليط، وشاصر.. ٢/ ١١٣
هم ستون رجلًا ١١/ ٣٥٩
هم قليلٌ، وجُلُّهم يومئذٍ ببيت المقدس ٣/ ١٦٢
هُمْ قَوْمُ هذا ٤/ ٣٥٣
هُمُ مُؤمِنُو الجنِّ ٤/ ٣٦٠
هُمْ نَاسٌ قُتِلُوا في سَبِيلِ اللهِ بمَعْصِيَةِ آبَائِهِمْ ١٢/ ١٢٤
هُنَّ خَمْسٌ ١٠/ ٣٠٧
هنَّ لهنَّ ولمَن أتى عليهنَّ ١٦/ ٣٨١
هنيئًا لك، أبوك يطير مع الملائكة ٢/ ٣٤٥
هو الخَضِر ٤/ ٣٦٥، ٥/ ٢٤٤
هو اسْمٌ مِن أسماءِ الله ٤/ ٣٣١
هو الشيطان الذي كان ١٧/ ٩٠
هو الطهورُ ماؤه ١/ ٣٢٠، ١٤/ ٣١
هو عبدٌ ناصحَ الله فنصحَه ٢/ ١٩٧
هو كلام الرَّجُلِ في بَيْتِهِ ٤/ ٣٤٢
هو مسجدي ٤/ ٣٦٨
هو مَلَكٌ بيده مِخْرَاقٌ إذا رفع بَرَقَتْ ٥/ ٩٥
هو مَلِك مسَحَ الأرضَ بالإحسَان ٢/ ١٩٠، ١٩٧
هُوَ مِلِكٌ مسَحَ الأرضَ بالأسبَابِ

٢/ ١٩١
هو والله خير١٠/ ١٨١
الهَوَىٰ والبَلاءُ والشَّهْوةُ مَعْجُونةٌ بطينة آدمَ ٥/ ٢٥٨
هؤلاء المَغْضُوبُ عليهم ٤/ ٣٣٣
هي أَكْبَرُ الكَبَائِر ١١/ ٢٣٩
هي أمُّ القُرْآنِ ٤/ ٤٦٣، ١٤/ ٢٧٣، ١٧/ ١٠١، ١٠٩
هي ذِكْرُكَ أخَاكَ ١٦/ ٤٧٩
هي الرُّؤيا الصَّالِحَةُ ٤/ ٣٧٢
هي الرؤيا يَراها المسلم أو تُرىٰ له ١٢/ ٣٦٩
هي شجرةٌ استأذنت ربها عزَّ وجلَّ ١٨/ ١٦
هي الشَّفاعَةُ ٤/ ٣٨٩، ٩/ ٣٧٤
هي التي لا يَنْقُصُ ورَقُها ٤/ ٣٨٢
هي اللُّوطيَّة الصُّغرىٰ ١٧/ ٣٩٧
هي مِن عَمَلِ الشَّيْطان ٤/ ٤٨٩
هي المانعةُ، هي المُنجيةُ ٤/ ٢٦٢
هي المُنْجِية٢/ ٣٣٩
هي النَّخْلَةُ ٤/ ٣٨٢
هي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس ٥/ ٢٦٤
و معي قضيبان فأهبط٣/ ٣٨٧
وأَتْبع السيِّئَةَ الحَسَنةَ تَمْحُها ٧/ ٤٦٢
وأحبُّ القَيْد وأكره الغُلَّ ١٢/ ٤٠٦

(و)

وكَّلني رسول الله بحفظ زكاة رمضان ٤/ ٤١
الوالد أوسط ٧/ ٢٩٨
والذي لا إله إلا هو إنْ كنت لأعتمد بكَبِدي١١/ ٣٣٨
والذي نفس أبي القاسم ٣/ ٣٨١، ١٤/ ٣٣٣
والذي نفس أبي القاسم بيده لينزلنَّ عيسىٰ ابن مريم ٣/ ١٥٢
والذي نفسُ محمَّدٍ ١٧/ ٢٦٦
وَالَّذِي نَفْسُ محمَّد بِيَدِهِ ٧/ ١٠٤، ٣٣٢، ٩/ ١٨١، ٣٠٠، ١٣/ ٥٣، ١٧/ ٢٧٩
والذي نَفْسُ محمَّدٍ بيدِهِ، لَوَدِدْتُ ١٢/ ١١٤
والذي نفسي بيده ٣/ ٤١٧، ٤٣١، ٧/ ٤٢٥، ١١/ ٢٥٤، ١٤/ ١٥٧، ٣٣٠، ١٧/ ٤٦٦، ٤/ ٤٠، ٥١، ٧٧
والذي نَفْسِي بيَدِهِ إن كادت الملائكةُ

تحولُ ١٢/ ٢٥٤
والذي نفسي بيده إنه ليُخَفَّف على المؤمِنِ ٤/ ٢٦٥
والذي نَفْسِي بيَدِهِ لتَأْمُرُنَّ بالمَعْروفِ ١٢/ ٢٣٧
والذي نَفْسِي بيدِه لو أنَّ رجُلًا قُتِلَ في سَبيلِ الله ١٢/ ١٣٣
والذي نَفْسِي بيَدِهِ لو بَقَيْتَا ١٢/ ٧٤
والذي نَفْسِي بِيَدِه لو قال: إنْ شَاءَ اللهُ لَمْ يَحْنَثْ ١/ ٢١٠
والذي نفسي بيده ليوشكنَّ ٣/ ٢١٤، ٣٧٦
والذي نفسي بيده ليوشِكَنَّ أن ينزل فيكم ابن مريم حَكَمًا عَدْلًا ٣/ ١٣٨
والله إنْ جادَلَ بهنَّ ١٨/ ٤٦
والله في عونِ العبدِ ما كانَ العبدُ في عونِ أخِيهِ ٨/ ٢٩٦
والله لا يؤمن ٢/ ٢٢٧
والله لأغزوَنَّ قريشًا ٨/ ٤٥٦
والله لأُمَثِّلَنَّ بسبعين منهم ٤/ ٣٦٢
والله لينزلنَّ ابن مريم حَكَمًا عادلًا ٣/ ١٤٠، ٣٦٧
والله ما زايلا البراق ٩/ ٤٢٩
والله ما كلمته ١٤/ ٥٠١
وأيم الذي نفسي بيده ١٥/ ٤١٢
وَجَبَ أَجْرُكِ ١٤/ ٣٤٧
وَدِدْتُ أنها في قلبِ كلِّ مؤمنٍ ٤/ ٢٦١
وَدِدْنَا أنَّ موسى كانَ صبرَ ٢/ ١٧٧
وراء الدجَّال سبعون ألف يهوديٍّ ٤/ ٣٣٢
وَرِثَ سليمان من أبيه داود ألف فرسٍ ٥/ ٤١٩
الوَسِيلَةُ مَنْزِلَةٌ في الجَنَّةِ ١٨/ ٣٠٠
الوَرِقُ بالذَّهبِ رِبًا ٨/ ٣٩٨
الوُرُودُ الدُّخولُ ٤/ ٣٩٧
وُزِنَ أصحابيٌّ الليلة ١٢/ ٤٥٧
الوضوءُ سلاحُ المؤمن ٩/ ٤٥٥
الوضُوءُ على الوضُوءِ نورٌ على نور ٨/ ٢٣٨، ٩/ ٤٥٥
الوضوء مرَّةً ومرَّتين وثلاثًا ٧/ ٥٢٨
وَعَدَني رَبِّي أنْ يَدْخُلَ مِن أُمَّتي سَبْعِينَ ألفًا ١٨/ ٣٠٢
وعِزَّتي لا أَجْمَعُ على عَبْدِي خَوْفَينِ ٢/ ٧٥، ١٨/ ١٠٦

وفد رفاعة بن زيد الجُذاميُّ ١٠/ ٧٨
ولخلُوفُ فُمِ الصَّائمِ ٥/ ٣٢٥
ولا تغتسلوا في الصَّحراء ١٨/ ٦٠
وَلَـدُ الزِّنـا شَرُّ الثلاثـة ١١/ ١٩٠، ١٩١،١٩٢
وَلَدُ الزِّنا ليس عليه مِن إثم أبويه شيءٌ١١/ ١٨٩
الولد سرُّ أبيه ٩/ ٤٥٦
وُلِدَ لسُليمانَ بن داودَ ابنٌ ٥/ ٤٢٤
وُلد لسليمانَ بن داود ولدٌ ١٧/ ٩٢
ولد لنوح سام ١٣/ ٤٥١
وما يُدريك أنَّها رُقْيةٌ؟ ٤/ ٤٦٠، ٤٧٣
وما يدريك؟ لعلَّه تكلّم فيما لا يعنيه ١٨/ ٢٧٥
وما يَمْنعُني وأتاني ربِّي الليلةَ في أحسن صورة ١٢/ ٣٣٦
وما يَمْنَعُني وجبريلُ١٤/ ٣٢٦
ويأتيك بالأخبار مَن لم تُزَوِّد٣/ ٣٢
وَيْحَ عمَّار١٠/ ١٠٢، ١٣/ ٢٥٨
ويح هذه الأُمَّة٣/ ٤٦٦
وَيْحَكَ إنَّهُ لا يُسْتَشْفَعُ بالله١٤/ ٥٢
ويلٌ لمن قَرَأ هذه الآيةَ ثُمَّ لم يتفكَّر فيها ٤/ ٤٥
وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ ٧/ ٢٠٨
ويلٌ للرَّاعي من الرَّعيَّة ٧/ ٤٠٩
ويل للعرب من شر ١٣/ ٤٥٠
وَيْلُ: وَادٍ في جَهَنَّمَ ٤/ ٣٣٦

(ي)

يا أبا بكر ألا أدلّك على ما هوَ أسرعُ ٨/ ٢٦٨
يا أبا جهل بن هشامٍ ١٤/ ٣٠٧
يا أبا ذَرٍّ أَتَدْرِي أين تَغْرُبُ الشَّمْسُ؟ ٤/ ٣٩٣
يا أبا ذرٍّ إنِّي لأَعْرِفُ آيةً ٤/ ٦٢
يا أبا ذرٍّ أَعَيَّرتَهُ بأُمِّهِ ١٢/ ٢٤١
يا أبا ذرٍّ هل صلَّيتَ؟ ٢/ ١٥٢
يا أبا هريرة، جفَّ القلمُ ١١/ ٩٩
يا آدمُ١٤/ ١٨٦
يا أسماء إنَّ المرأةَ ١٦/ ٢٠٦
يا أسماء هذا جعفر بن أبي طالبٍ مع جبريل ٢/ ٣٤٥
يا أمَّ حارِثَة: إنَّها جِنَانٌ ١٢/ ١٣٠
يا أم فلان ١٣/ ٢٦٢
يا أنسُ إنْ اسْتطعتَ ١٢/ ١٥٥

يا أنسُ، كتاب الله القصاصُ ٢/ ٣٠٣
يا أهل مكَّة ١٠/ ٣٢١
يا أهل مكَّة أتمُّوا صلاتكم ١٠/ ٣١٠
يا أيها النَّاس ١٠/ ٧٨، ١٧/ ٥٠، ٢١٥
يا أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم ٨/ ٥٥٧
يا أيها الناس إن الله كتب عليكم الحج ٨/ ٥٧٤
يا أيُّها النَّاسُ إنَّ اللهَ يُعَرِّضُ بالخَمْرِ ١١/ ٢١٦
يا أيُّها النَّاسُ، إنَّما أنا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ ١٨/ ٣١٤
يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ٨/ ٥٤١
يا أيها الناس خذوا مناسككم ٨/ ٥١٧
يا أيها النَّاس قد أَصَبتُمْ خَيْرًا ١٠/ ٤٣٨
يا أيُّها النَّاسُ قد أَظَلَّكُمْ ١٢/ ٦١
يا أيها النَّاسُ قد فَرَضَ اللهُ عليكم ٨/ ٥٧٤
يا أيُّها النَّاسُ، إنَّ اللهَ تعالى يُعَرِّضُ بالخَمْرِ ٤/ ٣٥٤
يا بلالُ أَنْصِتْ ١٧/ ٣٩٠
يا بلال حدثني بأرجى عمل ١٣/ ٢٥٨
يا بلال نادِ في النَّاس ١٠/ ٨١، ١٦/ ٤٧٣
يا بنيَّ إذا أنا متُّ ٤/ ٣٥٢، ١٤/ ٣٥٠
يا بُنيَّ إن قَدَرت ١٠/ ١٤٣
يَا بني كعب بن لُؤَيٍّ ١٤/ ٩٦
يا جابرُ، إنَّ الله تعالى خَلَقَ قبل الأشياء نورَ نبيِّك ٩/ ٤٤٨
يا جابرُ، إنَّ الله خَلَقَ ١/ ٢٢١
يا جبريلُ كم عَمَّرْتَ ١/ ٢٢٣
يا جَهْرُ أَسْمِعْ ربَّك ١٠/ ٢٤٢
يا خالد أنا والله ذلك النور ١٢/ ٥١٢
يا خرقاء تموتِين بفلاة من الأرض ٢/ ١٢٧
يا ربِّ أرأيت ما أتيتُ أشيء ٥/ ٢٨٥
يا ربِّ أيُّ عبادِك ١٧/ ٢٦٩
يَا رُبَّ كَاسِيَةٍ ١٥/ ٢٨
يا رسول الله ١٣/ ٣٧٨، ١٤/ ٣٤٦، ٣٤٧
يا رسول الله أحدنا يذنب ١٦/ ١٩٤
يا رسول الله أخبرنا عن نفسك ٤/ ٢٤٦
يا رسول الله ادعُ الله ١٤/ ٢٠٠، ٥٠٢
يا رسول الله أرأيت آدم ٢/ ١٥٣

يا رسول الله أرأيتَ آدمَ، أنبيًّا كان ٥/ ٢٩٦
يا رسول الله أرأيت إنْ جاء رجلٌ ١٢/ ١٤٩
يا رسول الله أردت ٧/ ٢٩٧
يا رسول الله أستأذن على أُمّي ١٠/ ٤٥٨
يا رسول الله إنْ لم يكن لك بها حاجةٌ فزَوِّجنيها ٤/ ٧٤
يا رسول الله إنَّ لي جاريةً ١٦/ ٤٠٠
يا رسول الله إنَّا بأرضٍ باردةٍ ١١/ ٢٤٨
يا رسول الله إنا نسمع منك الحديث ٨/ ٥٢٥
يَا رَسُولَ الله إِنِّي إِذَا رَأَيْتُكَ ٧/ ١٨٢
يا رسول الله إني حديث عهدٍ بجاهلية ٥/ ٣٣٤
يا رسول الله إني رجل تشق علي هذه العزبة ١١/ ٩٧
يا رسول الله إنِّي قد أسلمتُ ١٦/ ٢١٦
يا رسول الله أيُّ الأنبياء كان أوَّل ٥/ ٢٩٦
يا رسول الله أين أبي؟ ٧/ ٤٨٦
يا رسول الله بمَ نجاة المؤمِنِ ٤/ ٨٩
يا رسول الله جَهِدَتِ الأنفُسُ ٧/ ٥١٢
يَا رَسُولَ الله حَدِّثْنِي بعمل يدخلني الجنة؟ ٧/ ٢٥٥
يا رسول الله قد رأيتُ سَدَّ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ ٤/ ٣٩٤
يا رسول الله قد شِبْتَ؟! ٤/ ٦٠
يا رسول الله كم الأنبياء؟ ٢/ ١٥٣، ٥/ ٢٩٥، ٣٣٢
يا رسول الله كيف الصَّلاح بعد هذه الآية ٤/ ٣٥١
يا رسول الله كيف الطهور؟ ٧/ ٥٢٨
يا رسول الله كيف يُحيي الله الموتى؟ ٤/ ٤٠٦
يا رسول الله: لقد أسرع إليك الشَّيْبُ ٤/ ٦٠
يا رسول الله ما أدري متى رأيتك أحسن بِشرًا ٨/ ٢٨
يا رسول الله ما الأوَّاه؟ ٤/ ٢٧٧
يَا رَسُولَ الله مَا غَنِيمَةُ ٧/ ٢٦٠
يا رسول الله متى كنت نبيًّا ٥/ ٢٨٦
يا رسول الله مُرنا بما شئت ١٤/ ١٠٢
يا رسول الله وأيُّنا لا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟

٤/ ٢٦٤
يا رسول الله وكيف يُحَدَّث؟ ٢/ ٢٧٥
يا رسول الله: مَتَىٰ كُنْتَ نَبِيًّا؟ ٩/ ١٩٩
يا رسول الله، أخبرني عن ليلة القدر ١٢/ ٩١
يا رسول الله، أيُّ الذنب أعظم؟ ٢/ ٢١٤
يا رسول الله، أي مسجدٍ وُضِعَ في الأرضِ أوَّل ٥/ ٤٣٤
يا رسولَ الله، مَتَىٰ وَجَبَتْ لك النبوَّةُ؟ ٩/ ١٩٦
يا رضوانُ ١٧/ ٢٩٣
يا رُوَيْفع ٢/ ٢٢٦
يا سُراقَة ٧/ ٣٠٤
يا سفيان لا تُسبل إزارك ٢/ ٢١٨
يا سلمة، لا تغشىٰ أبواب السلاطين ١٢/ ١٩١
يَا شَبَابَ قُرَيْشٍ ٧/ ٢٢٣
يا عائشةُ ١٤/ ٥٩٢
يا عائشةُ، ذَرِيني أتعبَّدُ الليلةَ لرَبِّي ٤/ ٤٥
يا عائشةُ هذه مُتابَعَةُ الله العَبْدَ ٤/ ٣٤٣
يا عائشةُ، أَحْسِنِي جِوارَ نعم الله ٧/ ٤٧
يا عبادي إني حرمت الظلم ١٣/ ١٠١، ١٥/ ٤٧٥
يا عِبادِي لو أنَّ أوَّلَكُمْ وآخِرَكُمْ ١٢/ ٥٩
يا عبَّاس ٣/ ٤٧٤
يا عباسُ عمَّ النبيِّ، أكثرْ منَ الدُّعاءِ بالعافيةِ ٨/ ٢٨٢
يا عبَّاسُ يا عَمَّ النَّبيِّ ٧/ ٧٦
يا عبدَالله بنَ عمرو إن قاتلتَ صابرًا ٨/ ٤٥٦
يا عبدالله سَلْ بحُرْمَتِكَ ١٤/ ٢٩٥
يا عثمان أفطر عندنا ١٢/ ٥١٣
يا عقبةُ، ألا أُعَلِّمُكَ خير سورتين قُرِئتا ٤/ ٩٠
يا عقبة بن عامرٍ، إنَّك إنْ تقرأ سورة أحب إلىٰ الله ٤/ ٩١
يا عَكَّاف ١٦/ ٢٠٣
يا عليُّ ١٤/ ٥٩٧
يا عليُّ ألا أُعلِّمُكَ ١٤/ ٥٤٠
يا علي أما ترضى أن تكون مني ٨/ ٥٢١
يا عليُّ أمِّن علىٰ دعائي ١/ ٣٧٣
يا عليُّ، إذا توضَّأت ١٧/ ٥٨٧

يا عليُّ، لا تتبع النظرةَ النظرة ١١/ ١٤٣
يا عليُّ، مَن صَلَّىٰ مائةَ رَكْعَةٍ ١٢/ ٣٤
يا عمرُ أتدري من أنا؟ ٩/ ٤٤٩
يا عمرُ، كيف بك ١٧/ ٤٦
يا عمرو، صَلَّيتَ بأَصْحَابِكَ ١٢/ ٢٩٨، ٤/ ٣٥٠
يا عيسىٰ آمِن بمحمَّدٍ ١٤/ ١٨٨
يا غلامُ ١٤/ ٩٠
يا غلامُ، سمِّ اللهَ وكُلْ بيمينِك وكُلْ مما يَليكَ ٨/ ٤٦١
يا غلام، مَن أنا؟٢/ ٢٨٥
يا فاطمة بنت محمد١٧/ ٢٢٧، ٤٧٥
يا فاطمةُ قُومِي فاشْهَدِي أضْحِيَتَكِ ٨/ ٣٠٥
يا فاطمة ما الذي يُبكيك؟٣/ ٤٧٨
يا فتىٰ، قل: لا إله إلا الله ١٣/ ٢٦٦
يا فلان بن فلانة،فإن لم يعرف اسمها فليقل ٥/ ١٠٥
يا فلان ما يحملك ١٣/ ٢٦٥
يا فلانُ ما يمنَعُكَ أنْ تفعلَ ما يأمرُ به أصحابُكَ ٨/ ٣٣٧
يا محمد، أخبرني عن النجوم ٤/ ١٣٨
يا محمد ارفع رأسك٩/ ٤٣١
يا محمَّدُ، انْسُبْ لنا رَبَّك ٤/ ٧٧
يا محمَّد إني أتوجَّه١٤/ ٢١٠
يا محمَّد فيمَ يَخْتَصِمُ الملأُ الأعلىٰ ٥/ ١٨
يا محمد فيما يختصم ١٧/ ١٦٧
يا محمَّد نِعْمَ القوم أنتم ١٤/ ٢٨٣
يا محمَّد هل تعرف النجوم ٤/ ٢٨٣
يا محمَّدُ، فلو رأيتني وأنا آخذ الطِّين ٢/ ٨٤
يا معاذُ ١٤/ ٦٢، ١٧/ ٤١٥
يا معاذ أتبع السيِّئةَ الحَسَنةَ تمْحُها٢/ ٢٤٥، ١٧/ ٤٢٤
يا معاذُ، يوشك إن طالت بك حياةٌ ٨/ ١٢٠
يا مَعْشَرَ الأنْصَارِ، إنكم ١٢/ ١٨٧
يا معشرَ الشَّبابِ١١/ ٩٥، ١١/ ١٠٠، ١١٣، ١٣٨
يَا مَعْشَرَ المُهَاجِرِينَ ٧/ ١١٤
يا معشرَ قريشٍ ١٧/ ٥٣٤
يا معشر مَن أسلم بلسانه٢/ ٢٣٧
يا مُقَلِّب القُلُوبِ ثبِّت قَلْبِي علىٰ دِينك ٣/ ٦١، ٥/ ٤٩

يا نبيَّ الله إنَّ لي أخًا وبه وَجَعٌ ٤/ ٩٧
يا نبيَّ الله أيُّ الأنبياء كان أوَّل ٥/ ٢٩٧
يا نبيَّ الله، ثلاث أَعْطِينِهِنَّ ١٢/ ٥٣٢
يَأْتِي الشُّهداءُ والمُتوَفُونَ ١٢/ ١٥٢
يأتي سبَاخَ المدينة ٣/ ١٨٥
يأتي على النَّاسِ ١٦/ ١٧٦
يأتي على النَّاسِ زَمَانٌ الصَّابرُ ٧/ ٥٤٦
يأتي على النَّاسِ زمانٌ يأكلونَ فيه الرِّبا ٨/ ٢٣٤
يأتي عليكم أويس بن عامِرٍ ٢/ ٣٥٧
يأتي ناسٌ مِن قِبَل المشرقِ ٣/ ٤٧٢
يأتي وهو مُحَرَّمٌ عليه أنْ يدخل عتبات المدينة ٣/ ١١٠
يأتينى من السَّماء جناحاه لؤلؤٌ ٢/ ٣٤٦
يارسول الله ما العَدْلُ؟ ٤/ ٣٣٥
يارسول الله متى كنت نبيًا ١/ ٢٢٥
يارسول الله ومَن الناسُ؟ ٤/ ٣٦٣
يارسول الله، رأيت في المنام ١٢/ ٣٥٠
يارسول، إنَّ امرأتي ١٦/ ١٨٢
ياعبَّاسُ، ياعمَّ رسول الله ١٢/ ٣٢٨
ياعقبة تَعَوَّذ بهما ٤/ ٤٦٦
يافاطمةُ اعملي ٩/ ٢٧٨
يافلان ألا تحسن صلاتك ٩/ ٣٢٠
يا معاذ يوشك إنْ طالَت بك حياة ٩/ ٢٣٧
يا موسى إنَّه لا يراني حيٌّ إلَّا مات ١٨/ ٢٠٨
يأيها الناسُ ١٤/ ١٥٧
يُبايع لرجلٍ بين الرُّكن ٣/ ٤٦٣
يُبْصِرُ أَحَدُكُمْ القَذَاةَ في عَيْنِ أَخِيهِ ١٢/ ٢٩١
يُبصِرُ أحدُكُم القَذَى ٧/ ٣٨٣، ١٤/ ٦٠٤
يَبْعَثُ اللهُ رايَةً مِن المَشْرِقِ ٣/ ٤٨١
يبعث الله يوم القيامة عبدًا لا ذنب له ٥/ ١٧٨
يَبْعَثُ اللهُ يومَ القِيامَةِ قَوْمًا ٤/ ٣٤٩
يُبعثُ النَّاسُ على نِيَّاتهم ٤/ ٤٣٩، ٨/ ٤٥١
يُبعث أهل الجنَّة على صورة آدم ٣/ ٢٠٩
يَبعثهمُ اللهُ على ما في نفوسِهِم ٨/ ٤٥٣
يَتَّبِعُونَهُ حَقَّ اتِّباعِهِ ٤/ ٢٤٥
يتزوَّج حفصةَ مَن هو خيرٌ من عثمان ٩/ ٤٩

يتعاقب فيكم ملائكة ١٨/ ١٢٩
يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ ١٥/ ٣٥، ٦٦
يتكلَّم رجلٌ من أمَّتي بعد الموتِ ٢/ ٣٥٩
يُجْزِئُكَ ولا يُجْزِئُ أَحَدًا بَعْدَكَ ٨/ ٣٩١
يجئ رجلٌ من هذا الفجِّ ١٢/ ٤٨٤
يَجِيءُ صَاحِبُ القُرْآنِ ٧/ ٢٥٧
يجيء نوح ١٧/ ٥٣٨
يجيئون يوم القيامةِ على أفواهِهم الفِدَامُ ٥/ ١٥٩
يَحْسَبُ ما خَانُوكَ ٤/ ٤٠٢
يحبس الروم على والٍ ٣/ ٤٦٣
يَحْرُمُ مِن الرَّضاع ١٠/ ٣٤١
يُحْسَبُ ما خَانُوكَ وعَصَوْكَ ويُكَذِّبُونَكَ وعِقابُكَ إيَّاهُمْ ٤/ ٣١٠
يُحْشَرُ النَّاسُ يومَ القِيامَةِ على ثلاثة أصنافٍ ٤/ ٣٩٠
يحشر الناس على نياتهم ٨/ ٤٥٠
يحملُه اليومَ أربعةٌ ١٧/ ١٧٣
يَختصِمُ الشُّهداءُ والمُتوفُونَ ١٢/ ١٥٢
يخرج الأَعْورُ الدَّجَّال ٣/ ٣٠٩
يخرج الأَعْورُ الدَّجَّال مسيح الضَّلالة قِبَل المشرق ٣/ ١٤٩
يخرج الدَّجَّال عدوُّ الله ومعه جنود مِن اليهود وأصناف الناس ٣/ ١٧١
يخرج الدَّجَّال في أُمَّتي ٣/ ٤٢٢
يخرج الدَّجَّال في أمتي فيَمْكُثُ أربعين ٣/ ١٥٦، ٣٨٣
يخرج الدَّجَّال في خَفْقَةٍ ٣/ ١٥٩، ٣٨٤، ٤٢١
يُخْرِجُ اللهُ أُناسًا ٤/ ٣٨٤
يُخْرِجُ الله ناسًا منَ المؤمِنينَ من النَّارِ ٨/ ٣١٩
يَخْرُجُ المَهْدِيُّ مِن المدينةِ ٣/ ٤٨١
يخرج المهديُّ وعلى رايته ٣/ ٤٧٧
يخرج رجلٌ مِن أُمَّتي ٣/ ٤٤٩
يخرج رجلٌ مِن أهل بيتي ٣/ ٤٥٢
يَخرجُ رجلٌ مِن وراء النَّهرِ ٣/ ٤٨٤
يَخرجُ رجلٌ يقال له السُّفْيانيُّ ٣/ ٤٦٢
يخرج عُنُق من النار ٧/ ١٢٢
يخرج في آخر أُمَّتي ٣/ ٤٤٧، ١٧/ ٥١٩
يَخْرُجُ قومٌ مِن النَّار ١٤/ ١٠٣
يخرجُ لابن آدم يوم القيامةِ ثلاثة دواوين ٥/ ١٧٩

يَخرجُ ناسٌ مِن المشرقِ فيوطِّئون للمهديِّ٣/ ٤٦٠
يجزي من السواك الأصابع ١٨/ ٢٣٨
يَجيءُ النبيُّ يَوْمَ القِيامَةِ ومَعَهُ الرَّجُلُ ١٨/ ٣١٠
اليدُ العليا أفضلُ١٦/ ٣٩٨
يَدُ الله على الجماعةِ ٣/ ٣٤١، ٨/ ٥٣٠، ٥٣٨، ١٢/ ٢٣٨، ١٣/ ٢٧٨
يدخل الفقراء الجنَّة ١٢/ ٣٦٦
يدخل أهل الجنَّة٣/ ٢٠٥، ١٦/ ١٠٧
يدخل أهل الجنَّة الجنَّة على طول آدمَ٣/ ٣١٥
يَدْخُلُ مِن أهلِ هذه القِبْلَةِ ٧/ ٣٣٠
يَدْعُو اللهُ بِصَاحِبِ الدَّيْنِ ٧/ ٢٧٠
يُدْعَى أَحَدُهُمْ، فيُعْطَى كِتَابَهُ بيَمِينِهِ ٤/ ٣٨٨
يدعى القاضي العدل ٧/ ١٢٥
يُدْعَى كلُّ قوم ٤/ ٣٨٨
يُدْعَى نُوحٌ يومَ القِيامَةِ ٤/ ٣٣٨، ١٨/ ٣١٠
يرثني ابن ابني دون إخوتي ٨/ ٥٥٤
يَرحمُ الله موسى قد أُوذي بأكثر من هذا فصَبَر ٥/ ٥٣، ١٨/ ٥٨
يَرْحَمُ اللهُ يوسفَ ٤/ ٣٧٧
يَرِدُ النَّاسُ النَّارَ ٤/ ٣٩٨، ٣٩٩
يَرِدُ علي يومَ القِيامَةِ رَهْطٌ مِن أصحابي ٨/ ٣٨
يس لِما قُرِئتْ لَهُ ٤/ ٢٢٦، ١٢/ ٢٢
يستفتح بصعاليك المسلمين ١٤/ ٢٦٣
يَسِّرا ولا تُعَسِّرا وبشِّرا ولا تُنَفِّرا ٨/ ٥٥١، ١٠/ ٤٧
اليَسِيرُ مِن الرِّياء شِرْكٌ ٢/ ٢٢٨
يَشْرَبُ ناسٌ مِن أُمَّتِي ١١/ ٢٥٧، ٢٥٤
يَشْرُبونَ الخَمْرَ ١١/ ٢٥٥
يُشَفِّع الله تبارك وتعالى آدم يوم القيامة ٤/ ١٩٤
يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلاَمَى ٧/ ١٦٦
يَصْعُقُ الناسُ فأكون أوَّلَ مَن يَفيقُ ٩/ ٢١
يُصلَّى على الذي قتل نَفْسَهُ وعلى النُّفَساء ١٢/ ٣٢٤
يُصلَّى على مَن قال: لا إله إلَّا الله وصلَّى إلى القِبلة ١٢/ ٣٢٥
يَضْحَكُ اللهُ إلى رَجُلين٢/ ٣٥،

١٨/ ٢٠٥
يَطَّلِعُ الآنَ عليكم ٧/ ٣١٦، ١٣/ ٢٦٤
يطَّلع اللهُ ١٧/ ٢٤٢، ٣٦٥
يَطَّلِعُ اللهُ إلى جَميعِ خَلْقِهِ ١٢/ ١٦
يَطَّلِعُ اللهُ إلى خَلْقِهِ ليلةَ النِّصْفِ مِن شَعْبانَ ١٢/ ١٨٠
يَطَّلِعُ اللهُ عَبادَهُ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِن شَعْبانَ ١٢/ ١٦
يَطَّلِعُ عليكم قَبلَ السَّاعةِ ٤/ ٣٨٦
يعْجَبُ رَبُّكَ مِنْ رَاعِي ٧/ ١٨٦
يُعْطِي اللهُ هذا الثَّوابَ ١٢/ ٦١
يُغْتَسَلُ مِن غُسْلِ ١٦/ ١٦٨
يُغفر للشهيد ٢/ ٢٥٠، ١٢/ ١٢٣، ١٣٣، ١٧/ ٤٢٩
يُغْفَرُ له ويُثابُ ١٦/ ١٩٤
يَفْتَحُ اللهُ الخَيْرَ في أربع ليالٍ ١٢/ ٢٤
يُقَالُ لِصَاحِبِ القُرآنِ ٧/ ٢٥٨
يَقْتِتلُ عند كَنْزِكُم ٣/ ٤٥٩
يقتل ابن مريم الدَّجَّال ٣/ ٤٢٣
يقتل ابن مريم المسيح الدَّجَّال بباب لُدٍّ ٣/ ١٦١، ٣٨٥
يُقَرَّبُ إليه فيَتَكَرَّهُهُ ٤/ ٣٨١
يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي ٧/ ٥٩، ١١/ ١٠
يقولُ ابنُ آدمَ ١٧/ ٢٩٩
يقول الرَّبُّ تبارك وتعالى: من شغلَه القرآنُ عن مسألتي ١١/ ٤٥٦
يقول الربُّ تبارك وتعالى ١٠/ ١٧٠
يقول الرَّبُّ يومَ القيامَةِ ١٠/ ١٦٤
يَقُولُ اللهُ: المُجَاهِدُ ٧/ ٢٣٩
يَقُولُ اللهُ: ما لِعَبْدِي ٧/ ٢٥٤
يقول الله ١٧/ ٣٥٤
يقول الله تعالى أنا عند ظنِّ عبدي بي ١١/ ٣٧٥، ٤٥٦
يقول الله تعالى: إنَّما أتقبَّل الصَّلاة ٢/ ٢٦١، ١١/ ٣٥٤
يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ لأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا ٥/ ٣١٥
يقول الله لآدمَ: يا آدمُ، أنتَ اليومَ عَدْلٌ ٥/ ٣٠٠
يقولُ اللهُ يومَ القِيامَةِ ٤/ ٤٠٥
يَقُولُ اللهُ: إنَّ عَبْدًا صَحَّحْتُ ٧/ ٩٧
يقولُ أهلُ النَّارِ: هَلَمُّوا ٤/ ٣٨١
يقول: اذْكُروني يا مَعْشَرَ العِبادِ بطاعَتي ٤/ ٣٣٩
يكشف ربنا عن ساقه ١٨/ ٢٠٦

يكفر السنة الماضية ١٦/ ٢٧٠
يكفيك قراءةُ الإمام ١٠/ ٢٣٨
يكون اختلافٌ عند موتِ خليفةٍ ٣/ ٤٥٧، ٤٥٨، ١١/ ٣٥٧
يكون بالمدينة وَقْعَةٌ يَغْرقُ ٣/ ٤٩٣
يكون صوتٌ في رمضان ٣/ ٤٨٢
يكون في آخرِ الزَّمانِ ٣/ ٤٤٩، ١٨/ ٣٥٧
يكون في آخر الزمان خليفةٌ ٣/ ٤٦٣
يكونُ في آخِرِ الزَّمانِ دَجَّالون ٤/ ٤٦
يَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي ٧/ ١١٠
يكون في آخر أُمَّتي خليفةٌ ٣/ ٤٧٣
يكون في أُمَّتي المهديُّ ٣/ ٤٦١
يكون في أمَّتي رجلٌ يقال له: صِلَة ٢/ ٣٦٨
يكون في أمتي فتن لا ينجو منها إلَّا من ١٨/ ٣٤٨
يكون في رمضان صوتٌ ٣/ ٤٨١
يَكُونُ قَوْمٌ يُخَضِّبُونَ ٧/ ١٣١
يكون للمسلمين ثلاثة أمصارٍ ٣/ ٣٨٦
يكون للمسلمين ثلاثة أمصارٍ ٣/ ١٦٤
يلتفتُ المهديُّ وقد نزل عيسىٰ ابن مريم ٣/ ١٧٠، ٤٦٧
يَلْقَىٰ إبراهيمُ أباهُ ١٦/ ٢٢٥
يُلْقَىٰ في النَّارِ ٧/ ٥٠٢
يُلْقَىٰ في النَّارِ وتقول: هل مِن مَزِيدٍ ٢/ ٣٧، ١٨/ ٢٠٤
يَلِي رجلٌ من أهل بيتي ٣/ ٤٥١
يَمْحُو اللهُ ما يشاءُ ٤/ ٣٨٠
اليُمْنُ حُسْنُ الخُلُق ٧/ ٤٢٩
ينادي منادٍ يومَ القيامةِ ١٤/ ٥٤٦، ١٧/ ٦٤٣
ينزل الدَّجَّال هذه السَّبْخَةَ ٤/ ٤٢٤
ينزلُ اللهُ ١٧/ ٢٤٣
يَنْزِلُ اللهُ إلىٰ السَّماءِ الدُّنيا ١٢/ ١٦
ينزل الله تبارك وتعالىٰ كل ليلة ١٨/ ١٩٥
ينزلُ اللهُ كلَّ يومٍ ١٧/ ٣٥٥
ينزل المسيح عيسىٰ ٣/ ٣٩٤
ينزل بأُمَّتي في آخر الزمان ٣/ ٤٤٨
ينزل ربُّنا إلىٰ سماء الدُّنيا ١٢/ ٣٨٤
ينزل ربُّنا كلَّ ليلةٍ إلىٰ السَّماء الدُّنيا ٥/ ١٩
ينزل عيسىٰ ابن مريم ٣/ ١٣٩، ١٤١، ١٤٥، ١٤٦، ١٨٢، ١٨٣، ١٥٢، ١٥٩، ٢٢٤، ٢٧٩، ، ٣٥٦، ٣٧٧، ٣٨٠،

٣٩٣، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٦٥
ينزل عيسىٰ عليه ثوبان ممصَّران فيدق الصَّليب٣/ ٢٨٨
ينزل فيكم ابن مريم٣/ ٣٥٨
يَنْفَعُ بإذن الله تعالىٰ مِن البَرَصِ ٤/ ٤٧٣
ينقطعُ يومَ القيامة ٩/ ٢٧٨، ١٤/ ٩٦، ١٧/ ٢٢٦، ٤٧٧، ٥٥٣
يؤْتَىٰ بِالرَّجُلِ ٧/ ٢٤٤
يُؤتىٰ بالرَّجُلِ مِن أهل الجنَّةِ ١٢/ ١١٣
يُؤتَىٰ بالقُرآنِ يومَ القِيامَةِ ٤/ ٤٤
يُؤتَىٰ بالقرآنِ يومَ القيامةِ وأهلِه ٨/ ٣٣٣
يُؤتَىٰ بالمَوْتِ كهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ ٤/ ٣٩٥
يُؤتَىٰ بالنِّعم يوم القيامة ٧/ ٥١
يوزن العبد يومَ القيامةِ ٣/ ٢٣٠
يوشك المسيح عيسىٰ ابن مريم ٣/ ١٤٤، ٣٧٩
يُوشِكُ أن تَخْرُجَ١٦/ ٤٤٦، ٤٤٧
يوشك أن يقعد الرجل منكم ٣/ ٢٤٢، ١٧/ ١٢٣، ٢٥٦
يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حَكَمًا عَدْلًا ٣/ ١٣٩
يوم صومكم يوم ٣/ ٣٤٦
يوم طُلُوعِ الشَّمْسِ مِن مَغْرِبها ٤/ ٣٥٧

٣- فهارس موضوعات الموسوعة

١- فهرس المجلد الاول
المقدمات — سبيل التوفيق

١ - مُقدِّمة الشَّريف الدكتور عبدالمنعم بن عبدالعزيز بن الصِّدِّيق الغماري

تمهيد ٧

التعريف بالأسرة الصِّدِّيقيَّة ١٠

ترجمةٌ مختصرةٌ لفضيلة الإمام الكبير العارف بالله السيد محمد بن الصِّدِّيق الغماري ١١

عطاءُ السادة الأعلام، أبناء الإمام السيِّد محمد بن الصِّدِّيق الغماري عطاء متميِّزٌ في المنهج والمضمون ١٤

شذرات من حياة الشيخ أبي الفضل عبدالله بن الصِّدِّيق الغماري ١٨

كُنَى السيِّد عبدالله بن الصِّدِّيق الغماري ١٨

بداية طلبه للعلم وتأثُّره بالبيئة العِلْمية التي نشأ فيها ١٩

الرحلة إلى فاس لِتلقِّي العِلم بجامع القرويِّين ٢٠

عودته إلى طنجة وتدريسه بالزاوية الصِّدِّيقية ٢٠

مدى استفادته من والده الإمام رضي الله عنه ٢١

الرحلة إلى مصر والالتحاق بالأزهر ٢٣

مذهبه الفقهي ٢٨

٢ - اسْتِهلالٌ بِقَلم فَضِيلة الشَّيخِ مُحَمَّد فؤاد بن كَمالِ الدِّين الشافعي ٣٩

٣- مقدِّمة مشرف العمل فضيلة الدكتور/ محمود سعيد بن محمد ممدوح ٤٣

الفائدة الأولى: ترجمةٌ مختصرَةٌ للسَّيدِ عبدِالله بنِ محمَّد بنِ الصِّدِّيق ٤٤

الفائدة الثانية: رحلتُه العلميَّة، وأهمُّ الأحداثِ في حياتِه ٤٦

فائدةٌ: محفوظاتُ السيِّد عبدِالله الحديثيَّة ٤٨

الفائدة الثالثة: بعض ما تميَّز به السيد عبدالله بن الصِّدِّيق رحمه الله تعالى وانفرد به عن أهل عصره ٤٩

صَنَّفَ السيد عبدالله حَوَالي مائة مُصنَّفٍ في العلوم الشرعية وآلاتها، وذكر بعض حصائص هذه المصنفات ٥٠
فائدة: حولَ تمكُّنِ السيِّدِ عبدِالله منْ علومِ الآلةِ والعلومِ الشَّرعيةِ ٥١
الفائدة الرابعة: زهدُه وإقبالُه على الله ٥٢
ذكرُ بعضِ الكتبِ التي درَّسَها لخواصِّ طلبةِ العِلمِ بعد صلاةِ الصُّبحِ بالزَّاويةِ الصِّدِّيقيَّةِ ٥٣
حالُه في سفَرِه رحمَه الله تعالى ٥٣
الفائدة الخامسة: منْ أخبارِه العلميَّة ٥٤
تنبيه: في ذكر تأثر السيد عبدالله بن الصديق عندَ سَماعِ القرآنِ الكريمِ ٥٥
الفائدة السادسة: حول كتاب "الكنز الثمين" والرد على الأباني ٦١
وقفاتٌ معَ كتابِ "الكنزُ الثَّمينُ" ٦٢
الفائدة السابعة: يوجد بالعمل مُصنَّفات للعلَّامة السيِّد عبدالله بن الصديق رحمه الله تعالى، لم تطبع من قبل، وهي مُصنَّفات غير تامَّة ٦٣
الفائدة الثامنة: مِن دواعي جمْعِ هذه الأعمالِ في صعيدٍ واحدٍ ما لحقَها منْ تحريفاتٍ وتصحيفاتٍ من بعضِ الذين تعرَّضوا لإعادةِ طبعِ مصنَّفات السيِّد عبدالله بن الصِّدِّيق رحمه الله تعالى، وذكر نماذج لهذه الأخطاء مع تصويباتها ٦٥
الفائدة التاسعة: في كيفية ترتيب العمل ٨٥
خاتمةُ المقدمة ٩٧

٤ - ترجمة العلَّامة السيِّد عبدالله بن الصِّدِّيق الغُماريِّ بقلم شقيقه الحافظ السيِّد أحمد بن الصِّدِّيق الغُماريِّ

وِلادتُه وبدايةُ نشأتِه ١٠١
القراءة بالقرويين ١٠١
توجُّهه للقاهرة وقراءتُه بالأزهر ١٠٢
اهتمامُه بالمعقولاتِ ثم توجُّهُه للحديثِ ١٠٢

مختصرُ رسالتِه في تضعيفِ ونكارةِ حديثِ الأَوعال ١٠٤
جوابه عن مفعولي «قال» وأحوالها ١٠٨
تدريسُه في الأزهرِ وحصولُه على العالمية ١١١
تدريسُه "جمع الجوامع" الأصولي ثُمَّ استقرارُه بالقاهرة ١١٢

٥- رسائل وخطابات بين السَّادة العلماء عبدالله؛ وشَقِيقَيْه أحمد وعبدالعزيز رحمهم الله تعالى

الرسالة الأولى ١١٥
الرسالة الثانية ١١٧
الرسالة الثالثة ١١٩
الرسالة الرابعة ١٢١
الرسالة الخامسة ١٢٣
الرسالة السادسة ١٢٥
الرسالة السابعة ١٢٧
الرسالة الثامنة ١٢٨
الرسالة التاسعة ١٣٠
الرسالة العاشرة ١٣٢
الرسالة الحادية عشر ١٣٣
الرسالة الثانية عشر ١٣٥
الرسالة الثالثة عشر ١٣٦
الرسالة الرابعة عشر ١٣٧
الرسالة الخامسة عشر ١٣٩
الرسالة السادسة عشر ١٤٠
الرسالة السابعة عشر ١٤١

الرسالة الثامنة عشر ١٤٤
الرسالة التاسعة عشر ١٤٦
الرسالة العشرون ١٤٨
٦- صور لبعض الأصول الخَطِّية ١٥١

٧- سبيل التوفيق في ترجمة عبدالله بن الصِّدِّيق

تمهيد ١٨٧
مقدِّمة ١٨٨
يستدل كثيرٌ من العلماء بقول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ على استحباب تحدُّث الشخص بما أنعم الله عليه من علمٍ وصلاحٍ وفضلٍ، وفيه نظرٌ من وجوه ١٨٨
التحدُّث بالنِّعمة مقيَّدٌ بما إذا لم يكن في التحدُّث مفاخرة أو مكاثرة أو رياء، وإلا فهو مذمومٌ ١٩٠
إشكال: حول الجمع بين جواز التحدُّث بالنِّعم وقول الله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ والجواب عليه ١٩١
نسب المصنِّف من جهة الأب ١٩٤
نسب المصنِّف من جهة الأم ١٩٦
فصل في ولادة ونشأة المصنِّف ١٩٨
عناية المصنِّف برسم القرآن الكريم ١٩٩
سبب عناية المصنِّف بعلم التجويد ١٩٩
فصل في رحلة المصنِّف إلى فاس لطلب العلم بجامعة القرويين ٢٠١
مقروءات المصنِّف بالقرويين ٢٠١
كان باب الجهاد لا يُقرأ في كتب الفقه بالمغرب لأن فرنسا منعته، إلا في طنجة، فإن مولانا الإمام محمد بن الصِّدِّيق رضي الله عنه كان يقرأه في "المختصر" وفي "صحيح البخاري"، ويبالغ في شرح أحكامه، ويتعرَّض لذم المستعمر ويحض على مقاومته، ولم تستطع فرنسا

أن تمنعه من ذلك..... ٢٠٣
والد المصنِّف يحذِّره من القضاء..... ٢٠٥
فصل في سفر المصنِّف إلى مصر..... ٢٠٨
عقوبة على ترك المشيئة ٢٠٩
الانتظام في الدراسة بالأزهر وذكر بعض الكتب التي حضرها المصنف على المشايخ. ٢١١
ثناء المصنِّف على العلامة المحقق العديم النظير الشيخ محمود إمام عبدالرحمن المنصوري الحنفي..... ٢١١
حصول المصنِّف على شهادة العالمية الخاصة بالغرباء من الأزهر ٢١٢
كتابة المصنِّف في مجلة الإسلام..... ٢١٣
صلة المصنِّف بالجمعيات الإسلامية ٢١٥
فصل في بعض ما درَّسه المصنِّف للطلبة ٢١٧
تعليق المصنِّف على طريقة الجلال المحلِّي في التصنيف..... ٢١٨
مرشد الحائر لبيان وضع حديث جابر ٢٢١
ذكر بعض الأحاديث المنكَرة والموضوعة في فضائل النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم . ٢٢٣
نقد المصنِّف ردَّ الدارميِّ على بشر المريسي وبيان بطلان حديث الأوعال ٢٢٨
فصل في ذكر ما حصل عليه المصنِّف من الشهادات..... ٢٣١
فصل في ما يعرفه المصنِّف من العلوم ٢٣٤
ما هو الترقيم ٢٣٤
كانت للمصنِّف عناية شديدة بعلم النحو..... ٢٣٤
سبب اشتغال المصنِّف بعلم الحديث..... ٢٣٥
رجاء المصنِّف أن يكون مجدِّد هذا القرن ١٣٦
فصل فيمن عاصره المصنِّف من أهل الحديث..... ٢٣٨
السيد أحمد بن محمد بن الصِّديق كان يعرف الحديث معرفة تامَّة وكتبه شاهدة على

ذلك..... ٢٣٩
الشيخ أحمد بن محمد شاكر، كان يعرف علوم الحديث معرفة جيدة تدل عليها تحقيقاته للكتب التي حقَّقها، غير أنه كان لا يعرف العلل..... ٢٣٩
رأي المصنِّف في الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ٢٣٩
فصل في ذكر شيوخ المصنِّف رحمهم الله تعالى ٢٤٤
أولًا: شيوخ المصنِّف من المغرب ٢٤٤
ثانيًا: شيوخ المصنِّف بتونس..... ٢٥٣
ثالثًا شيوخ المصنِّف بمصر ٢٥٤
ثالثًا: شيوخ المصنِّف بالحجاز ٢٧٠
رابعًا: شيوخ المصنِّف بالشام ٢٧٢
خامسًا: شيوخ المصنِّف من النساء..... ٢٧٤
فصل في تلامذة المصنِّف ٢٧٥
فصل في كُنَى المصنِّف ٢٧٧
فصل في مؤلَّفات المصنِّف، وبيان إكثاره، وذكر سبب تصنيفه لكلِّ كتابٍ، وهو مهمٌّ جدًّا وماتعٌ للغاية ٢٧٧
فصل في مؤلَّفات المصنِّف في محنته ٢٨١
ذكر بعض الكتب التي علَّق عليها المصنِّف ٢٨٢
فصل في مؤلَّفاته بالمغرب..... ٢٨٤
الفرق بين المشارقة والمغاربة عند الاختلاف ٢٨٥
كيف تشكر النعمة ٢٩١
الشُّكْر عند حدوث النِّعم عبادةٌ أمرنا الله بها كما أمرنا بالصَّلاة والصِّيام وغيرهما مِن العبادات ٢٩١
ذكر بعض الأحاديث التي بين فيها النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كيف تؤدَّى عبادة

الشُّكر بفعله وقوله ٢٩١
علاج التقصير في الشكر ٢٩٣
لا يجوز أن يقول: اللهم أدِّ عنِّي شكر النِّعم لقبحه مِن وجوهٍ ٢٩٣
شبهات تعرض في هذا المقام والجواب عنها ٢٩٥
التوقي والاستنزاه عن خطأ البناني في معنى الإله ٣٠٠
الخطأ الأول: إطلاق لفظ الكُلِّيِّ على الإله لا يجوز شرعًا ٣٠٠
الثاني: أنَّ الإله ليس بكلِّيٍّ بل هو خاصٌّ بالله تعالى ٣٠١
الثالث: أنَّ الكليَّ إنما يتأتَّى في الممكنات كالنبيِّ والمَلَك والعرش والكرسيِّ... أما واجب الوجود سبحانه فهو منزَّهٌ عن ذلك ٣٠٢
الرابع: أنَّ الكلِّيَّ لا يُتصوَّر كونه محالًا ٣٠٣
الخامس: في تناقض وقع فيه البناني رحمه الله تعالى ٣٠٣
السادس: وهو مبنيٌّ على ما قبله، أنَّ جواز تعدُّد الإله ثابتٌ وقيام الدليل القاطع على وجوب تفرُّد الله بالألوهيَّة لا يمنع منه ٣٠٤
السابع: أنَّ زيادة لفظ: «بحقٍّ» في معنى الإله لا أصلَ لها في اللغة ولا علاقة للعقل بها ٣٠٤
الثامن: قوله أيضًا: «تفسير الإله بالمستغني عن كلِّ ما سواه المفتقر إليه كلُّ ما عداه لا يمنع كونه كليًّا؛ إذ لا يوجب تشخيصه؛ لأنه بهذا المعنى يحتمل أن يصدق على كثير على سبيل البدليَّة» إغراقٌ في الخطأ وتشبُّثٌ به إلى حدِّ التزمُّت ٣٠٤
التاسع: قوله: «إذ لا يوجب تشخصه» والصواب أن يقول: إذ لا يوجب تعينه. لأن التشخص لا يجوز أن يضاف إلى الله سبحانه وتعالى ٣٠٥
ثلاثة إيرادات على هذا المقال والجواب عليها ٣٠٥
الأول: دعوى أن المحال ليس بكليٍّ يخالفُ ما أطبق عليه أهل المنطق ٣٠٥
حديث: «لا شخصَ أغيرُ من الله» من تصرُّف بعض الرواة ولفظه الثابت في أغلب

الطرق: «لا أحدَ أغيرُ من الله» (ت) ٣٠٥
الثاني: كلام الشيخ سعيد قدوره في بيان أفراد الكلِّي الممتنع، واشتماله على أوهام ٣٠٦
الثالث: من الإيرادات، دخول النَّفي العامِّ على «إله» في قولنا: «لا إله إلَّا الله» يؤيِّد القول بكلِّيته ٣٠٧
الرابع: اختار السنوسيُّ أنَّ معنى «إله» في كلمة التوحيد لا مستغنيًا عن كل ما سواه ومفتقرًا إليه كل ما عداه إلا الله، فهو على هذا كلِّيٌّ ٣٠٧
فصل في مصنَّفات لم تكمل ٣١٠
فصل في مؤلَّفات ضاعت ٣١٠
فصل في مؤلَّفات لم يُسبق إليها المصنِّف ٣١١
مسائل أغلقت على المصنِّف ثم فهمها بإلهامٍ من الله تعالى (ت) ٣١٢
فصل: في ذكر بعض ما حرره المصنف من الفوائد ومنها ما لم يسبق إليها ٣١٥
فصل في ثناء كبار العلماء على المصنف ٣٢٢
فصل: في ذكر بعض المبشِّرات ٣٢٦
فصل: في ذكر ما رحل إليه المصنف من البلاد، وفيه ذكر بعض أصدقاء وتلاميذ المصِّنف ٣٢٨
رتب الحِفْظِ عند المحدِّثين ٣٣٦
تنبيهات هامَّة ٣٥٠
علوم الحديث ثلاثة ٣٥٠
نصوص بعض الإجازات ٣٥٢
إجازة للعلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور شيخ الإسلام المالكي بالقطر التونسي ٣٥٢
إجازة أخي المحدِّث العلامة الشيخ أبي الفيض أحمد بن الصِّدِّيق ٣٥٨
إجازة السيد هبة الدين الحسيني أحد علماء الشيعة بالنجف ٣٦٠
إجازة العلامة المؤرخ محمد راغب الطباخ ٣٦١

إجازة العلامة عبدالباقي الأنصاري المدني ٣٦٥
إجازة العلامة خليل الخالدي ٣٦٧
إجازة الملك إدريس السنوسي ٣٦٩
إجازة العلامة عبدالحفيظ الفاسي..... ٣٧٠
إجازة العلامة عبدالقادر بن توفيق الشِّلَبي..... ٣٧٣
إجازة العلامة عبدالواسع اليماني ٣٧٨
خاتمة ٣٨٤
قصيدة في مدح السيد عبدالله «زالت المحنة عنكم» لفضيلة الشيخ عبدالقادر عوض ٣٨٥
فهرس الموضوعات..... ٣٨٩

٢- فهرس المجلد الثاني

كتاب الإيمان

١ - فَتْحُ المُعين في نَقْدِ كِتابِ الأَرْبَعين

تمهيد ٩
مُقدِّمة ١١
نقد باب: إيجاب قبول صفة الله تعالىٰ ١٢
نقد باب: الردِّ علىٰ مَن رأىٰ كتمان أحاديث صفات الله تعالىٰ ١٤
نقد باب: أنَّ الله تبارك وتقدَّس وتعالىٰ شيءٌ ١٧
نقد باب: بيان أنَّ الله عزَّ وجلَّ شخصٌ ١٨
نقد باب: إثبات النَّفْس لله عزَّ وجلَّ ٢٠
نقد باب: الدليل علىٰ أنه تعالىٰ في السماء ٢١
نقد باب: وضع الله عزَّ وجلَّ قدمه علىٰ الكرسيِّ ٢٣
نقد باب: إثبات الحد لله عزَّ وجلَّ ٢٤
نقد باب: في إثبات الجهات لله عزَّ وجلَّ ٢٥
نقد باب: إثبات الصورة له عزَّ وجلَّ ٢٦
نقد باب: إثبات العَيْنَين له تعالىٰ وتقدَّس ٢٨
نقد باب: إثبات اليدين لله عزَّ وجلَّ ٢٩
نقد باب: خلق الله الفردوس بيده ٢٩
نقد باب: إثبات الخطِّ لله عزَّ وجلَّ ٣١
نقد باب: أخذ الله صدقة المؤمن بيده ٣٢
نقد باب: إثبات الأصابع لله عزَّ وجلَّ ٣٣
نقد باب: إثبات الضحك لله عزَّ وجلَّ ٣٥

نقد باب: إثبات القَدَم لله عزَّ وجلَّ ٣٧
و الدليل على أنَّ القَدَم هو الرِجل..... ٣٧
نقد باب: إثبات الهرولة لله عزَّ وجلَّ..... ٣٩
نقد باب: إثبات نزوله إلى السماء الدنيا..... ٤٠
نقد باب: إثبات رؤيتهم إياه عزَّ وجلَّ في الجنة ٤٢
خاتمة فيها مسائل: المسألة الأولى: الأحـاديث الصحيحة في هذا الباب -يعني في باب الصفات- على ثلاث مراتب ٤٣
المسألة الثانية: كلام ابن الجوزيِّ في الردِّ على المُشبِّهة والمُجَسِّمة من الحنابلة..... ٤٤
المسألة الثالثة: وصف السبكيِّ في "طبقات الشافعية" للهرويِّ بأنه مُجَسِّمٌ ومُشبِّـهٌ ٤٦
المسألة الرابعة: للكلام العربيِّ معانٍ أوائل، ومعانٍ ثوان ٤٧

٢- النَّقْدُ المَتين لكتابِ الفَتْحِ المُبين

المقدِّمة وسبب تأليف الرِّسالة ٥١
الصِّفات التي هي أصل الإيمان..... ٥٣
الصفاتُ التي تَقبلُ التأويلَ..... ٥٣
ليس التَّمسلُف مَذْهبًا ٥٥
الفرقُ بين التَّنزيه والتَّشبيه..... ٥٦

٣- التَّحْقِيقُ البَاهِرُ في مَعْنَى الإيمانِ بالله واليومِ الآخِرِ

مُقدِّمة ٦٣
أقوال المُفسِّرين في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ الآية ٦٤
حقيقة الإيمان لا تقبل التجزئة..... ٦٩
إلزاماتٌ للمُخالِف ٧١
الإشارة إلى تلازم أجزاء الإيمان في تفسير الجلالين ٧٢

الحِكْمة في الاقتصار على الإيمان باليوم الآخر في آية (البقرة)..... ٧٤
كُفْر مَن اعتقد نجاة غير المسلم يوم القِيامَة ٧٥
خاتمة ٧٦

٤ - اسْتِمْدادُ العَوْن لإثباتِ كُفْرِ فِرْعَون

خطبة الكتاب..... ٧٩
القول بإيمان فرعون لم يصح عن ابن العربي أو أحد من السلف..... ٧٩
الأدلة على كفر فرعون ٨٠
رد القول بأن فرعون آمن في حال الاضطرار..... ٨٣
حديث «أن جبريل كان يدس الطين في فم فرعون» منكر المعنى ٨٤
الخاتمة ٨٤

٥ - قُرَّةُ العَيْنِ في أدلة إرسالِ النبيِّ للثَّقَلَين

مقدِّمة ٨٧
طعنٌ في الدِّين بدعوى الاجتهاد والتجديد ٨٧
فصل: الدلائل على بعثته عليه السَّلام إلى الجنِّ..... ٩٠
تنبيه في دفع التعارض بين أحاديث استدل بها المؤلِّف ٩٥
نقلٌ عن السُّبكيِّ في الدَّليل على بعثته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم للجنِّ (ت)..٩٦
طرق حديث «ليلة الجنِّ» عن ابن مسعودٍ..... ٩٧
نقل الإجماع على إرسال النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى الثقلين..... ١٠٩
فصل: ذكر أسماء الصحابة الجنِّيين..... ١١٣
الكلام على حقيقة الجنِّي «شمهورش» أو «شمهروش»، وبيان أنه لا وجود له؛ وإن روى عنه كثيرٌ من العلماء والصُّلَحاء بحسن نيَّةٍ وسلامة صدرٍ ١٢٩
إشارة إلى كتاب "مسند الجنِّ" للحافظ السيِّد أحمد بن الصِّدِّيق ١٢٩
أحاديث مسندة عن صحابةٍ مِن الجِنِّ..... ١٣٠

الحديث الأول: «المؤمن أخو المؤمن» ١٣٠
الحديث الثاني: «مَن كان يؤمِنُ بالله واليوم الآخِرِ فليحب للمسلمين ما يُحبُّ لنفْسِهِ» ١٣١
الحديث الثالث: «إن أول خبر قدم المدينة...» الحديث ١٣٢
خاتمة تشتمل على مسائل: المسألة الأولى: في حصول الثواب للجنِّ ١٣٤
تكليف الجنِّ بالفروع لا يخالف تكليفنا بها ١٣٧
المسألة الثانية: هل تصح الصلاة خلف الجنِّيِّ؟ ١٣٧
المسألة الثالثة: حول دخول الجنِّ للجنَّة والتنعُّم فيها ١٣٨
الأدلة على دخول الجنِّ الجنَّة ١٣٨
خاتمة: سؤال في جواز التناكح بين الإنس والجنِّ ١٤٣
الخاتمة ١٤٣

٦- إرشادُ الجاهِلِ الغَويِّ إلى وجوبِ اعتقادِ أنَّ آدمَ نبيٌّ

مقدمة ١٤٧
الأدلة من القرآن الكريم ١٤٩
الأدلة من السُّنَّة المُشَرَّفة ١٥٢
الإجماع ١٥٣
إزاحة شبهتين ١٥٤
تتمَّة في ذكر بعض من استدل المخالف بكلامهم ١٥٦

٧- إعلام النَّبيهِ بسبب براءة إبراهيمَ مِن أبيهِ

مقدمة ١٦١
الجواب المرتَّب على الشرط يكون كترتُّب المعلول على العِلَّة ١٦١
العِلَّة يجب أن تكون مساوية للمعلول الذي هو الحُكْم ١٦١
لا يصح تعليل براءة إبراهيم من أبيه بأنه ضالٌّ ١٦٣
العلَّة الصحيحة لبراءة إبراهيم من أبيه ١٦٤

استغفار إبراهيم لأبيه لا يُقتدَىٰ به ١٦٥
يحرم علىٰ المسلم أن يتبرَّأ مِن قريبه المسلم ١٦٦
تكفير المسلم مِن الكبائر ١٦٧
خاتمة ١٦٨

٨- إثمد العينين ببَيانِ نُبُوةِ الخَضر واسم ذي القرنين

المقدِّمة ١٧١
سبب نزول (سورة الكهف) ١٧١
القصص التي اشتملت عليها (سورة الكهف) ١٧٢
قصة أصحاب الكهف وإنكار بعض الملحدين لها ١٧٢
الخَضِرُ عليه السَّلامُ هوَ العبدُ الصَّالحُ الذي ذهبَ موسىٰ عليه السَّلامُ يطلبُه، وهو نبيٌّ علىٰ القولِ الصَّحيحِ، والدليل علىٰ ذلك ١٧٣
قِصَّةُ الخضرِ وموسىٰ عليهما السَّلامُ كما رواها البُخَاريُّ في "صحيحِه" ١٧٤
أدلة نبوَّة الخَضِر عليه السَّلام من حديث البخاريِّ ١٧٧
حديث النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «ألا أحدِّثُكمْ عَنِ الخَضِرِ؟» ١٧٧
نقل كلام للحافظ ابن كثيرٍ في أدلة نبوة الخَضِر عليه السَّلام ١٧٩
نقل كلام للحافظ ابن حجرٍ في نبوَّة الخَضِر عليه السَّلام ١٨١
نقل للإمام النوويِّ في نبوة الخَضِر عليه السَّلام ١٨٢
صحَّحَ الشيخُ زكريَّا الأنصاريُّ في "شرح البخاري" أنَّ الخَضِرَ نبيٌّ ١٨٢
تخْريجِ قِصَّةِ مُوسَىٰ والخَضِرِ عليهما السَّلامُ ١٨٢
الخضرُ محجوبٌ منَ الأبصارِ، وكلامُ بعضِ السَّلفِ في ذلك ١٨٣
اختَلفَ القائلُونَ في نبوَّتِه: هلْ كانَ رسُولًا؟ ١٨٣
الفوائدِ المسْتخرَجةِ منْ قِصَّةِ موسىٰ والخَضِرِ عليهما السَّلام ١٨٣
الخَضِرُ مُعَمَّر علىٰ جميعِ الأقوالِ، والآراءُ في وقتِ موتِه ١٨٤

اختلاف الأقوال في منْ هو ذو القَرنَينِ؟ وهل هو نبيٌّ أو هو عبدٌ صالحٌ؟ . ١٨٤
كرامةٌ كبيرةٌ لتميمِ الداري رضي الله عنه ١٨٧
من مناقبِ تميمٍ أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم روىٰ عنه خبرَ الجسَّاسةِ، وتميمٌ هو أولُ من أسرَجَ السِّراجَ في المسجدِ ١٨٧
بيان ما في الأقوال المذكورة من غرابة ونكارة ١٨٩
تفسير ابن أبي حاتم" فيه أحاديثُ ضعيفةٌ خلافًا لما زَعَمَ الألبانيُّ أنَّ أحاديثَه صحيحةٌ ١٩٠
وأوَّلُ مَنْ فَطِنَ لتضارب آراء المؤرخين في ذي القرنين ومخالفتها لما ذكر في القرآن ونبَّه عليه العلَّامةُ أبو الكلامِ آزاد رحمه الله ١٩٠
سؤال اليهود عن ذي القرنين يفيد بأن لديهم علمًا به في كتبهم، واتجاه آذاد للبحث فيها عن ذلك..... ١٩٢
ذكر ما يشير إلىٰ ذي القرنين في أسفار اليهود ١٩٢
تنبيهاتٌ في ختامِ البحثِ: الأولُ: فيما وردَ من أخبارِ حولَ مَنْ خلفَ السَدِّ (يأجوج ومأجوج) ١٩٤
الثاني: حديثُ الصَّحِيحَيْنِ فيما فُتِحَ منْ ردْمِ يأجُوجَ ومأجُوجَ والتَّعليقُ عليه ١٩٦
الثالث: روايةٌ عن كعبِ الأحْبارِ في أصلِ يأجوجَ ومأجوجَ ونقدُها..... ١٩٦
الرابع: هل كانَ ذو القَرنينِ نبيًّا؟..... ١٩٧
الخامس: روايةٌ عنْ مجاهدٍ أنَّ الدُّنيا ملَكَها أربعةٌ: مؤمنانِ وكافرانِ، ونقدُها ... ١٩٨
الخاتمة ١٩٩

٩ - تَنْوِيرُ البَصِيرةِ ببيانِ عَلامات الكَبيرةِ

مقدمة ٢٠٣
أقوال العلماء في تعريف الكبيرة..... ٢٠٥
تنبيه: الشِّرك أخصُّ مِن الكُفْر ٢٠٩
علامات الكبيرة ٢١٠

منها: إيجاب الحدِّ على المعصية، ويدخل تحتها عدَّة كبائر ٢١٠
ومنها: تسمية المعصية كبيرة، أو أكبر الكبائر ٢١٢
ومنها: وصف المعصية بأنها موبِقة ٢١٥
ومنها: وصف المعصية بأنها فاحشة ٢١٥
ومنها: وصف المعصية بأنها من عمل الشيطان: ٢١٥
ومنها: وصف المعصية أو فاعلها بالفسق ٢١٦
ومنها: الخبر بأن الله تعالى يحارب فاعلها ٢١٦
ومنها: الخبر بأن الله لا يحبها أو لا يحب فاعلها، أو أن الله يبغضه ٢١٧
ومنها: لعن فاعلها ٢١٨
ومنها: وصف فاعلها بأن الله لا ينظر إليه ٢٢٣
ومنها: الإخبار بأنه لا يدخل الجنَّة: ٢٢٤
ومنها: الإخبار بتحريم الجنَّة عليه: ٢٢٥
ومنها: الإخبار بأن فاعلها برئت منه ذمَّة الله ورسوله ٢٢٥
ومنها: الإخبار بأنها حالقةٌ تحلِق الدِّين ٢٢٦
ومنها: الإخبار بنزع الإيمان منه أو نفيه عنه ٢٢٧
ومنها: الإخبار بغضب الله عليه ٢٢٧
ومنها: إلجامه بلِجام مِن نارٍ ٢٢٧
ومنها: عدم قبول صلاته مثلًا ٢٢٨
ومنها: وصفه بالكفر أو الإشراك مثلًا ٢٢٨
ومنها: وصفه بالخُسران ٢٢٩
ومنها: وصفه بالضلال ٢٢٩
ومنها: التعبير عنه بكلمة: «ليس مِنَّا» ٢٣٠
ومنها: وصفه بالخلود في النَّار ٢٣٠

ومنها: إلحاقها بكبيرةٍ معروفةٍ ٢٣١
ومنها: الإخبار بأنها تهدي إلى الفُجور ٢٣١
ومنها: وصف صاحبها بالنِّفاق ٢٣١
ومنها: وصف مرتكبها بأنه لم يزل في سخط الله، أو سخط الله عليه ٢٣٢
ومنها: وصفه بأنه ضاد الله عزَّ وجلَّ ٢٣٢
ومنها: الإخبار بأنَّ الله يسكنه ردغة الخبال ٢٣٣
ومنها: الإخبار بأنَّ الله حجب التوبة عن مرتكبها ٢٣٣
ومنها: الإخبار بأن المعصية تأكل الحسنة ٢٣٤
ومنها: الإخبار بأنها ليست من الإسلام ٢٣٥
ومنها: الإخبار بأنَّ الله خسف بمرتكبها ٢٣٥
ومنها: الإخبار بأنَّ مرتكبها لا يسأل عنه ٢٣٥
ومنها: الإخبار بأنَّ الله تعالى يكون خصمه ٢٣٦
ومنها: الإخبار بأنَّ مرتكبها لا يجد عرف الجنَّة ٢٣٦
ومنها: التوعُّد عليها بالويل ٢٣٦
ومنها: وعيد مرتكبها بأن يحشر بآفةٍ في جسمه ٢٣٦
ومنها: الإخبار بحبوط عمله ٢٣٧
ومنها: التوعُّد بفضيحة مرتكبها ٢٣٧
ومنها: الإخبار بأن الله يمقت فاعلها ٢٣٧
ومنها: الإخبار بأنَّ فاعلها خارج عن الإسلام ٢٣٨
ومنها: الإخبار بأن فاعلها يُكلَّف يوم القيامة بما لا يَسْتَطِيعُه ٢٣٨
ومنها: توعُّد فاعلها بعذابٍ شديدٍ في جوارحه ٢٣٩
ومنها: الإخبار بأن الله يطبع على قلبه ٢٤٠
الصغائر وأمثلة لها ٢٤١

خاتمةٌ في بيان ما يُكَفِّر الكبائر والصغائر ٢٤٤
نوع يُكفِّر الكبائر والصغائر ٢٤٤
ونوع يكفر الصغائر: وهو ثلاثة أشياء ٢٤٤
١ - اجتناب الكبائر ٢٤٤
٢ - إتباعها الحسنة ٢٤٤
٣- مصيبة من مصائب الدنيا ٢٤٥
أمَّا ما يُكَفِّر الكبائر فأمور أربعة..... ٢٤٨
١ - الحَدُّ المرتَّب على بعضها ٢٤٨
٢ - الاستشهاد في سبيل الله ٢٥٠
٣- القتل ٢٥١
أعمال ثبت فيها أنها تكفر الكبائر ٢٥٣
خاتمة ٢٥٣

١٠ - الحُجَجُ البيِّنات في إثباتِ الكَرَامَات

تمهيد ٢٥٧
مقدِّمة في معنى الوليِّ ٢٥٩
باب: في بيان جواز الكرامات ووقوعها ٢٦٣
الفصل الأول: الكرامة لغة واصطلاحًا وأنوا الكرامات ٢٦٣
إنكار المعتزلة للكرامات والرد عليهم..... ٢٦٨
الدليل على وقوع الكرامات وحصولها..... ٢٧٣
الفصل الثاني: في ذكر بعض أحاديث تعد على طريق الإجمال أصولًا لأنواع من الكرامات ٢٧٥
حضور أحمد بن حنبلٍ مجلس المحاسبي وسؤاله لأبي حمزة الصوفيِّ ٢٧٨
الفصل الثالث: فيما حَدَّثَ به النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من كرامات صُلحاءِ الأُمَمِ

السَّابقة ٢٧٩
حديث أصحاب الغار ٢٧٩
تنبيه: حول طرق الحديث واختلاف ألفاظه ٢٨١
حديث جريج الراهب ٢٨٢
تنبيه: الحصر الوارد في حديث: «لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ» ٢٨٤
حديث الغلام والراهب ٢٨٥
تنبيه: الكلام على قصة أصحاب الأخدود ٢٨٨
حديث ماشطة بنت فرعون ٢٨٨
حديث الرجل الذي استلف ألف دينار ٢٨٩
حديث البقرة التي تكلَّمت ٢٩١
حديث الذئب الذي تكلَّم ٢٩١
في الحديث إشارة إلى نزول عيسى آخر الزمان ٢٩٣
تنبيه: تعيين الراعي الذي كلَّمه الذئب ٢٩٤
كلام الذِّئب لبعض الصّحابة ٢٩٤
حديث: دعاء عيسى عليه السلام لبقرة اعترض ولدها في بطنها ٢٩٧
قصة الثور الذي تكلَّم ٢٩٧
حديث الرجل الذي خرج من المقبرة ٢٩٧
حديث الرجل الذي سُمع اسمه من السحاب ٢٩٨
الفصل الرابع: في ذكر ما ثبت من الكرامات عن الصّحابة رضي الله عنهم ٣٠٠
حديث: اهتزاز العرش لموت سعد بن معاذٍ ٣٠٠
حديث أنس بن النضر وإقسامه على الله ٣٠٣
حديث أُمِّ الرُّبَيِّع وإقسامها على الله ٣٠٤
حديث أسيد بن حضير واستماع الملائكة لقراءته ٣٠٥

كرامة لأُسَيد وعَبَّاد رضي الله عنها ٣٠٧
كرامة الصحابي الذي أضاءت أصابعه ٣٠٧
كرامتان للإمام عليٍّ عليه السَّلام ٣٠٨
حديث خُبيبٍ رضي الله عنه ٣٠٨
في الحديث دليلٌ على أنَّ الله يُكرم أولياءه أحياءًا وأمواتًا ٣١٠
في الحديث عِدَّة كراماتٍ لخُبَيْبٍ رضي الله عنه ٣١١
كلام لابن بطال عن الكرمات ومناقشة الحافظ ابن حجرٍ له ٣١١
ذكر كرامات لأبي بكرٍ رضي الله عنه ٣١٣
كرامة لعامر بن فهيرة رضي الله ٣١٤
كرامة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ٣١٥
كرامة لعبدالله بن حرام: استخراجه بعد دفنه بستة أشهر ٣١٦
تنبيه: الجمع بين حديث جابر، وحديث عبد الرحمن بن أبي صعصعة رضي الله عنهما ٣١٧
كرامة لتميم الداري رضي الله عنه ٣١٨
كرامة لسعيد بن زيدٍ رضي الله عنه ٣١٩
كرامة لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ٣٢٠
كرامة: تسليم الملائكة على عِمرَان بن حُصَينٍ رضي الله عنه ٣٢١
كرامة للعلاء بن الحَضْرَمِيِّ رضي الله عنه ٣٢٣
كرامة لأبي قِرْصَافة رضي الله عنه ٣٢٥
كرامة لأُهْبَان بن صَيفيٍّ الغِفَاريِّ ٣٢٧
كرامة لسَفِينَة مَوْلَى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٣٢٨
كرامة لعمار بن ياسر رضي الله عنه ٣٢٨
كرامة لعثمان بن عفَّان رضي الله عنه ٣٢٩

كرامة لخالد بن الوليد رضي الله عنه: شرب السمَّ فلم يضرَّه ٣٣٠
كرامة لحُمَمة رضي الله عنه ٣٣٠
دفع الاشتباه في توثيق داود الأودي ٣٣٢
كرامة لحبيب بن مسلمة ٣٣٣
كرامة لزيد بن خارجة الأنصاريِّ رضي الله عنه بعد موته ٣٣٤
كرامة للمسور بن مخرمة رضي الله عنه ٣٣٥
كرامة للحسن بن عليٍّ عليه السلام ٣٣٥
كرامة لعبدالله بن جحشٍ رضي الله عنه ٣٣٦
فائدة: عبد الله بن جحش هو أول أمير في الإسلام ٣٣٧
كرامة لعامر بن ربيعة رضي الله عنه ٣٣٧
كرامة لأبي الدرداء رضي الله عنه ٣٣٧
كرامة لعمرو بن عَبَسَة السُّلَميِّ رضي الله عنه ٣٣٨
كرامة لصحابي يقرأ (سورة الملك) في قبره ٣٣٩
قراءة عبدالله بن حرام في قبره بعد موته ٣٤٠
كرامة لثابت بن قيس بن شماس ٣٤٠
كرامة لجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ٣٤٤
كلام للسهيلي في معنى الجناحين اللذين أُعطيهما جعفر بعد استشهاده ٣٤٥
كرامات لأهل البيت عليهم السلام ٣٤٧
كرامة للعباس رضي الله عنه ٣٤٩
تنبيه: الرد على الوهابية في جواز التوسل بالنبي رضى الله عنه بعد الوفاة ٣٤٩
كرامة لأنس بن مالك رضي الله عنه ٣٥٠
كرامة لهرم بن حيان بعد موته ٣٥٠
الفصل الخامس: فيما ورد من الكرامات عن التَّابعين وغيرهم ٣٥٢

كرامة لرجل أحيا اللهُ حمارَه بعد أن مات ٣٥٢
كراماتان لأبي مسلمٍ الخَوْلانيِّ: خاض البحر بدابَّته، ولم تضره النار ٣٥٣
كرامة لأويس القرني، وذِكْر بعض أحواله ٣٥٦
كرامة أخي ربعي بن حِراشٍ: كلامه بعد الموت ٣٥٨
كرامة لحُجْرِ بن عَديٍّ ٣٦١
كرامة لعامر بن عبد قيسٍ ٣٦١
كرامة لعلي بن صالح: أتاني جبريل السَّاعة بماءٍ فسقاني ٣٦٢
كرامة لسعيد بن المسيِّب: دعاءه على من كان يسبُّ عليًّا وعثمان ٣٦٢
كرامة ليزيد بن الأسود ٣٦٣
تبرُّك الصحابة والتابعين بآثار رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٣٦٣
كرامات مُطرِّف بن عبدالله بن الشِّخِّير ٣٦٤
كرامات صِلة بن أَشْيَم وذكر بعض أحواله ٣٦٦
العلاء بن زياد وتبشيره بالجنة ٣٦٩
كرامة لثابت البُناني رحمه الله بعد موته ٣٧٠
كرامة لأيوب السَّختياني ٣٧١
مُورِّق العجلي كان يجد نفقته تحت رأسه ٣٧٢
كرامة عبدالله بن غالبٍ الحُدَّانيِّ: كان يوجد من قبره ريح المسك ٣٧٢
كرامة لسليمان التيميِّ ٣٧٢
كرامة منصور بن زادان: ختمه القرآن في زمنٍ يسيرٍ ٣٧٣
كرامة لرجل فارسي مع محمد بن المنكدر ٣٧٤
كرامات لعبدالله بن عتبة ٣٧٤
كرامة لأبي صالح الحنفي ٣٧٥
كرامة لميمون بن أبي شَبِيب ٣٧٦

كرامات لزُبيدٍ اليامِيِّ..... ٣٧٦
كرامات لكُرز بن وَبَرَة الحارثيِّ ٣٧٧
كرامة حصلت مع جَسْرٍ القَصَّاب لراعٍ له غنم ترعىٰ مع الذئاب..... ٣٧٨
الذئاب لا تضر الغنم في خلافة عمر بن عبدالعزيز، وذكر الثناء عليه. ٣٧٩
كرامات لحبيب العجمي، وذكر بعض أقواله ٣٨٠
كرامات لعبد الواحد بن زيد ٣٨٤
كرامة لصالح بن بشير المري وذكر بعض مناقبه..... ٣٨٥
كرامات عتبة الغلام، وذكر بعض مناقبه..... ٣٨٦
كرامات إبراهيم بن أدهم، وذكر بعض مناقبه ومروياته ٣٨٧
حول خروج المرأة من بيتها..... ٣٩٠
كرامة لفضيل بن عياض ٣٩٠
كرامة لشيبان الراعي..... ٣٩٠
كر امات معروف الكرخي، وذكر بعض مناقبه ٣٩٠
كرامة لعبدالله بن السِّنديِّ ٣٩٣
كرامة لعليِّ بن بكار ٣٩٣
كرامة لذي النون المصري ٣٩٣
كرامة لامرأةٍ بمكة كانت تُكثر التسبيح ٣٩٣
كرامة لشاب يحيها آدم بن إياس ٣٩٤
كرامة لإبراهيم بن سعدٍ..... ٣٩٤
كرامة لجابر الرحبيِّ..... ٣٩٤
قصة عُبيد البُسْرِيِّ مع رجلٍ علىٰ قلب إبراهيم الخليل ٣٩٥
كرامة لأبي الخير الأقطع..... ٣٩٦
كرامة حصلت مع الحافظ السِّلَفيِّ..... ٣٩٦

كرامة لأبي بكر بن المقري وأبي الشيخ والطبرانيِّ مع رجلٍ علويٍّ ٣٩٧
كرامة لسعيد بن جُبيرٍ بعد قتله ٣٩٧
كراماتٍ يحكيها أبي سعيد الماليني ٣٩٨
جملة من الكرامات ذكرهت الأستاذ أبو القاسم القشيريُّ مُسنَدةً ٣٩٩
كرامة لشُرَحْبِيل التّابعيِّ ٤٢٧
كرامة لعاصم بن أبي النَّجُود أحد أئمَّة القُرَّاء ٤٢٧
كرامة لراهبان دخلا في الإسلام ٤٢٧
من عرف خفيَّ لُطْف الله رضي بفعله ٤٣٠
كرامة لأبي الحسن المزين ٤٣٠
كرامتان للشيخ عبدالقادر الجيلانيِّ ٤٣١
كرامةٌ عظيمةٌ دافع الله بها عن أبي هريرة رضي الله عنه ٤٣١
كرامة لعليِّ بن نصر الحفيد ٤٣٢
كرامة لحفيد السيد عبدالرحيم القنائيِّ ٤٣٢
كرامة لأبي القاسم القبَّاري وذكر بعض أقواله ٤٣٣
كرامة لأبي يعزىٰ ٤٣٣
ذكر مناقب أبي مدين الغوث وبعض كراماته وأقواله ٤٣٤
كرامة لأبي الفضل النحوي وذكر بعض مناقبه ٤٣٨
كرامة لأبي محمد موسىٰ بن الجرائيِّ ٤٣٩
كرامة حصلت مع أبي عبدالله الهزميريِّ ٤٤٠
كرامات لأبي يزيد الهزميريِّ ٤٤٠
كرامة لمحمَّد بن مرزوقٍ ٤٤١
حكم أخذ الفأل من المصحف ٤٤١
كرامات للشيخ عبدالله المنوفي ٤٤٢

كرامات للشيخ النجيبيِّ وذكر بعض مناقبه ٤٤٣
كرامة للشيخ السنوسيِّ وذكر بعض مناقبه ٤٤٥
كرامة لأبي إسحاق البلفيقي..... ٤٤٦
كرامتان لأبي إسحاق المكناسيِّ ٤٤٦
كرامتان لأبي الحسن الحمال..... ٤٤٧
كرامتان لأبي الحسن الدينوريَّ -الصائغ ٤٤٧
كرامة لأبي الحسن الصبَّاغ..... ٤٤٨
الفصل السادس: فيما أكرم الله به أولياءه بعد وفاتهم من بقاء أجسامهم سليمة لا يُغيرها البِلى ولا يعفيها التراب..... ٤٤٩
الفصل السابع: فيما أكرم الله به أولياءه من الظُّهور في صورٍ مُختلفةٍ ٤٥٤
الفصل الثامن: فيما أكرم الله به أولياءه من رؤية النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم واجتماعهم به في اليقظة وأخذهم عنه. ٤٧٣
معنى قوله ﷺ: «فسيراني في اليقظة» ٤٧٣
إشكال حول رؤية النبيِّ يقظة والجواب عليه ٤٧٥
الخاتمة ٤٨٩
فهرس الموضوعات..... ٤٨٩

٣- فهرس المجلد الثالث

كتاب الإيمان

١ - أولياء وكرامات «النَّـقْدُ المُبرَم لرسالَةِ الشَّرَفِ المُحَتَّم»

خطبة الكتاب وسبب التأليف..... ١١
مقدمةفي ذمِّ التغالي..... ١٣
حديث: «عَبْدي أَطِعْني أجعلُكَ ربَّانيًّا...» لا أصل له..... ١٦
الباب الأول..... ١٩
الفصل الأول: إبطال حكاية تقبيل الرفاعي يدَ النبيِّ ﷺ..... ٢١
القصة باطلة من وجوه..... ٢٣
الوجه الأول: إذا توفَّرت الدَّواعي على نقل خبر بالتواتر ثمَّ نُقل بطريق الآحاد فهو مقطوعٌ بكذبه..... ٢٣
حادثٌ شبيهٌ بقصة الإمام الرفاعيِّ تحدَّث عنه من شهده وكتبوه. ٢٥
الوجه الثاني: أنَّ رواة القصَّة لم يتَّفقوا على سِياقها ٢٦
الوجه الثالث: الشيخ الرفاعي لم يكن من الأشراف فكيف يقول: السَّلام عليك يا جدِّي؟! ٢٧
الوجه الرابع: هذه الكلمة تنافي حال الشيخ الرفاعيِّ..... ٢٨
حكايةٌ عن الشيخ الرفاعيِّ باطلةٌ ٣١
لم يُنشئ النبيُّ ﷺ في حياته بيت شعرٍ غير الرَّجَز..... ٣١
خطآن لغويان في البيت المنسوب للإمام الرفاعيِّ..... ٣٤
الفصل الثاني: في إبطال نسبة رسالة الشرف المحتَّم إلى الحافظ السيوطيِّ ٣٥
نماذج لبعض مؤلَّفات نُسبت إلى غير مؤلِّفيها..... ٣٥
بين السيوطيِّ والسخاويِّ ٣٧

الباب الثاني: في التنبيه على كراماتٍ غير مقبولةٍ ولا معقولةٍ..... ٤٢
منها: سفيان بن عُيَيْنَة حفظ القرآن وهو ابن أربع سنين..... ٤٢
ومنها: صيام السيِّد عبدالقادر الجيليِّ في المهد..... ٤٢
هل يقع الخارق للطفل؟ ٤٣
ومنها: ذوبان الشيخ الرفاعيِّ..... ٤٤
ومنها: استشفاع مَلَكٍ بالسيِّد عبدالرحيم القناويِّ ٤٥
نبذة عن السيِّد أحمد البدويِّ..... ٤٦
السيِّد أحمد البدوي لم يكن من الأقطاب ٤٧
بعض كرامات السيِّد البدويِّ..... ٥٠
بعض كرامات السيِّد إبراهيم الدسوقيِّ..... ٦٣
حكاية محمد بن هارون السنهوريِّ مع صبي القرداتي..... ٦٦
حكاية يوسف الكردي والجوهري وتحقيق معنى طي الزمان ٦٧
الكرامات لا تخرج عن دائرة الإمكان، ومعنى طي الزمان..... ٦٨
محمد تاج الدين الذاكر وأبو السعود الجارحي ٧٠
ومن الكرامات العجيبة: مِعْزة السيدة نفسية ٧١
طيران النَّعْش بالميت كذَّبه الشعرانيُّ وأنكره..... ٧٢
حكاية عيسى بن نجم..... ٧٤
حكاية حصان دخل قبر عيسى بن نجم ولم يخرج منه..... ٧٥
الشيخ الشربيني ردَّ ملَك الموت حين حضر لقبض روح ولده ٧٦
حكاية حسن العراقي ٧٧
المهديُّ المنتظَر فيه خلاف..... ٧٨
هل الأرواح مخلوقة قبل الأجساد؟ ٧٨
حكاية اجتماع سهلٍ التُّسْتَريِّ بشخصٍ من أصحاب عيسى ابن مريم ٨٢

كلام للشيخ إبراهيم الدسوقيِّ غير مقبول ٨٥
كرامةٌ غير معقولةٍ للشيخ نور الدين المرصفي ٨٦
كرامةٌ سخيفةٌ لشخصٍ يُسمَّى الشيخ عبيد ٨٧
كرامةٌ سخيفةٌ لشخصٍ يسمَّى الشيخ علي وحيش ٨٧
الشيخ علي أبي خودة ٨٨
مناقشة أبي الفضل الأحمدي في كلامه على تلقين الذكر ٨٩
الباب الثالث: ذكر نماذج من كرامات معقولة ٩١
كرامة الحسن بن عليٍّ عليهما السَّلام ٩١
عمر يُقيم الحدَّ على ابنه ٩٢
عمر أقام الحدَّ على ابنه أبي شحمة حتى مات ٩٣
كرامة زين العابدين ٩٦
كرامة جعفر الصادق ٩٧
كرامة موسى الكاظم ٩٩
كرامة ابنه عليٍّ الرِّضا ١٠١
كرامة سفيان الثوريِّ ١٠٣
كرامة محمد الحنفي ١٠٤
قصة الشيخ الحنفي مع توتة، وهي أصل ما شاع بين المصريين اليوم، حيث يقولون: توتة توتة خلصت الحدَّوتة ١٠٥
كرامة لشريف من أشراف المدينة المنورة ١٠٥
الشِّيعة الموجودين في هذا العصر نوعان ١٠٦
كرامة مُطرِّف بن عبدالله بن الشِّخِّير ١٠٧
كرامة سعيد بن جُبيرٍ ١٠٧
كرامة ذي النون المصريِّ ١٠٧

كرامة ابن الحارث الحافي ١٠٨
بحث في الخَضِر ١١٠
كرامة النوري ١١٢
كرامة أبي الخير التيناتي ١١٣
خاتمة الكتاب ١١٤

٢ - إقَامَةُ البُرهانِ على نُزول عيسى آخِرِ الزَّمانِ

إهداء الكتاب ١١٧
كلمة فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد زاهد الكوثري ١١٩
مقدمة ١٢٥
الرد على القاديانية في دعوى نبوة غلام أحمد القادياني ١٢٦
من ادَّعى وجود نبيٍّ ينبَّأ في هذه الأمَّة بعد نبيِّها فهو كافر مرتدٌّ ١٢٨
فصل: دعاوى القاديانية ١٣٢
فصل: أساليب القاديانية في نشر دعاواهم ١٣٣
فتوى الشيخ شلتوت ١٣٥
فصل: خطأ الشيخ شلتوت في فتواه وما نتج عنها ١٣٥
باب: إثبات نزول عيسى عليه السلام ١٣٧
فصل: في الصحابة والتابعين الذين رووا حديث نزول عيسى عليه السلام ١٣٧
فصل: أحاديث أبي هريرة بلغت حدَّ الاستفاضة ١٣٨
الحديث الأول ١٣٨
الحديث الثاني ١٣٩
الحديث الثالث ١٤٠
الحديث الرابع ١٤١
الحديث الخامس ١٤٢

الحديث السادس ١٤٣
الحديث السابع ١٤٣
الحديث الثامن ١٤٤
الحديث التاسع ١٤٤
الحديث العاشر ١٤٤
الحديث الحادي عشر ١٤٥
الحديث الثاني عشر ١٤٥
الحديث الثالث عشر ١٤٦
الحديث الرابع عشر ١٤٧
الحديث الخامس عشر ١٤٨
الحديث السادس عشر ١٤٩
الحديث السابع عشر ١٤٩
تعارض في رواية قتل عيسىٰ عليه السلام للدَّجَّال والجواب عليه ١٥٠
الحديث الثامن عشر ١٥٢
الحديث التاسع عشر ١٥٢
فصل: حديث حُذيفة بن أَسِيد- الحديث العشرون ١٥٣
فصل: حديث النوَّاس بن سَمْعَان - الحديث الحادي والعشرون ١٥٤
فصل: حديث عبدالله بن عمرو - الحديث الثاني والعشرون ١٥٦
الحديث الثالث والعشرون ١٥٨
فصل: حديث جابر بن عبدالله - الحديث الرابع والعشرون ١٥٨
الحديث الخامس والعشرون ١٥٨
الحديث السادس والعشرون ١٥٩
الحديث السابع والعشرون ١٥٩

الحديث الثامن والعشرون ١٥٩
الحديث التاسع والعشرون ١٦٠
فصل: حديث مُجَمِّع بن جارية - الحديث الثلاثون ١٦١
فصل: حديث أبي أُمامة - الحديث الحادي والثلاثون ١٦٢
فصل: حديث عثمان بن أبي العاص - الحديث الثاني والثلاثون ١٦٤
فصل: حديث واثلة بن الأسقع - الحديث الثالث والثلاثون ١٦٥
فصل: حديث عبدالله بن مسعود - الحديث الرابع والثلاثون ١٦٦
فصل: حديث حذيفة بن اليَمان - الحديث الخامس والثلاثون ١٦٧
الحديث السادس والثلاثون ١٧٠
الحديث السابع والثلاثون ١٧٠
الحديث الثامن والثلاثون ١٧١
الحديث التاسع والثلاثون ١٧٣
فصل: حديث عبدالله بن مُغَفَّلٍ - الحديث الأربعون ١٧٤
فصل: حديث أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها- الحديث الحادي والأربعون ... ١٧٤
فصل: حديث سَمُرَةَ بن جُنْدُبٍ - الحديث الثاني والأربعون ١٧٥
الحديث الثالث والأربعون ١٧٦
فصل: حديث أنس بن مالك - الحديث الرابع والأربعون ١٧٧
الحديث الخامس والأربعون ١٧٨
فصل: حديث أبي سعيدٍ الخدريِّ - الحديث السادس والأربعون ١٧٨
فصل: حديث عمران بن حصين - الحديث السابع والأربعون ١٧٨
فصل: حديث ابن عبَّاسٍ - الحديث الثامن والأربعون ١٧٩
الحديث التاسع والأربعون ١٨٠
فصل: حديث ثوبان - الحديث الخمسون ١٨١

فصل: حديث عبدالرحمن بن سمرة - الحديث الحادي والخمسون ١٨٢
فصل: حديث نافع بن كَيسان الثقفي - الحديث الثاني والخمسون ١٨٢
فصل: حديث كَيسان بن عبدالله بن طارق - الحديث الثالث والخمسون ١٨٣
فصل: حديث نافع بن عتبة وأبي برزة - الحديث الرابع والخمسون، والخامس والخمسون ١٨٤
فصل: حديث عمرو بن عوف المزني - الحديث السادس والخمسون ١٨٤
فصل: حديث بعض الصحابة - الحديث السابع والخمسون ١٨٥
فصل: حديث أبي الدرداء - الحديث الثامن والخمسون ١٨٦
فصل: من مرسل جبير بن نفير - الحديث التاسع والخمسون ١٨٦
فصل: من مرسل الحسن البصري - الحديث الستون ١٨٨
فصل: من مرسل عروة بن رُوَيم - الحديث الحادي والستون ١٨٩
فصل: حديث نزول عيسىٰ متواتر لا يمكن رده ١٨٩
بعض أخطاء فتوىٰ الشيخ شلتوت والرد عليها ١٨٩
فصل: يجب اعتماد حديث أبي هريرة في هذه المسألة لأمور ١٩٩
فصل: دليل نزول عيسىٰ من القرآن ٢٠١
الآية الأولىٰ: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ ٢٠١
تنبيهان: الأول: حول سنِّ أهل الجنة عند دخولها ٢٠٧
الثاني: حول معنىٰ الكهل ٢٠٧
استشكال حول لفظ الكهل والجواب عليه ٢٠٩
الآية الثانية: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ﴾ ٢١٠
تنبيه: اشتملت هذه الآية والتي قبلها علىٰ نكتتين لطيفتين: ٢١٠
النكتة الأولىٰ: كلامه في المهد علىٰ خلاف الكلام المعتاد ٢١٠

النكتة الثانية: التعبير بـ«الناس» إشارة إلى الكلام ليس لقومه وحسب ٢١١
الآية الثالثة: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ الآية ٢١٢
وجوه دلالة الآية على نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان ٢١٤
تنبيه: الاحتمالات الضعيفة والباطلة لا تنهض للحُجِّية ٢١٩
الآية الرابعة: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ ٢١٩
وجوه دلالة الآية على نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان ٢٢٠
فصل: بعض ما ورد عن الصحابة والتابعين من الآثار الدالة على نزول عيسى عليه السَّلام ٢٢٤
فصل: في ذكر نصوص فقهاء الأُمَّة وعلماء الإسلام المصرِّحة بنزول عيسى عليه السَّلام. ٢٢٧
الخلاف الذي أشار إليه ابن حزمٍ حول الإجماع على نزول عيسى عليه السلام خلاف ساقط ٢٣٨
فصل: في كفر من أنكر نزول عيسى عليه السَّلام ٢٣٨
استشكال حول تكفير مُنكِر نزول عيسى عليه السَّلام والجواب عليه ٢٣٩
باب: في مناقشة ألفاظ الفتوى ٢٤١
مخالفة صاحب الفتوى ماورد عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في تفسير الآيات .. ٢٤١
إعراض صاحب الفتوى عن السُّنَّة النبوية إعراضًا تامًّا ٢٤٢
التحقيق في معنى «التوفي» ٢٤٦
اتفاق العلماء على أنَّ قول الله تعالى: ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ مصروفٌ عن الموت الحقيقي... ٢٤٩
إلغاز التاج ابن السُّبكي في صحبة عيسى عليه السلام ٢٥٠
قوله تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ نصٌّ في حياة عيسى ورفعه. ٢٥١
المفاسد المترتبة على التقدير في قوله تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾. ٢٥١

حمل الرفع على رفع المكانة أو الرُّوح مخالفٌ لما أطبق عليه علماء التفسير ٢٥٣
الرد على القاديانية في حملهم الرفع في الآية على رفع المكانة..... ٢٥٧
مناقشات مع صاحب الفتوى حول معنى «الرفع» و«التوفي» ٢٥٨
خاتمة الكتاب ٢٦٣

٣- عَقيدَةُ أهْلِ الإسْلامِ في نُزول عيسى عليه السلام آخِرِ الزَّمانِ

خطبة الكتاب..... ٢٦٧
إهداء الكتاب..... ٢٦٨
مقدمة ٢٦٩
نقل تواتر نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان ٢٦٩
فصل: في من صرَّح من العلماء بتواتر حديث نزول عيسى عليه السَّلام ٢٧٥
فصل: في من قال بنزول عيسى عليه من الصحابة والتابعين وغيرهم..... ٢٧٨
فصل: في حياة سيِّدنا عيسى عليه السلام وأنه في السماء ٢٩٤
الحقيقة اللغوية للرفع وإبطال حمله على رفع المكانة ٢٩٩
تنبيه: قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ من المقدَّم والمؤخَّر ٣٠١
حديثان صريحان في أنَّ عيسى ينزل من السماء..... ٣٠٩
تنبيه: حول صحبة سيدنا عيسى عليه السلام ٣١٨
إلغاز ابن السبكيِّ في صحبة عيسى عليه السلام..... ٣١٩
فصل: فتوى في نزول عيسى عليه السلام ٣٢٠
تدليس صاحب الفتوى في نقله عن العلماء..... ٣٢٢
بعض تناقضات صاحب الفتوى ٣٢٣
إنكار صاحب الفتوى لحديثٍ مخرَّج في الكتب الستة ٣٢٥
خطأ صاحب الفتوى في ردِّه خبر الواحد، وقوله أنها لا تفيد عقيدة..... ٣٢٦

حديث الصحيحين يفيد العلم اليقيني ٣٢٩
خطأ صاحب الفتوىٰ في قوله: «أنَّ الأدلة النقلية لا تفيد اليقين...» ٣٣١
تنبيه حول التوسُّع في الاحتمالات العشر ٣٣٥
كلام صاحب الفتوىٰ علىٰ المتواتر والرد عليه ٣٣٩
ذكر بعض المصنَّفات في الحديث المتواتر ٣٤٠
دعوىٰ قِلَّة التواتر أو عدمه غير مسلَّمةٍ ٣٤٠
الذين صرَّحوا بتواتر حديث نزول عيسىٰ عليه السَّلام متقدِّمو أئمَّة الحديث ... ٣٤٢
اتهام صاحب الفتوىٰ لبعض المحدِّثين والرد عليه ٣٤٣
نقل صاحب الفتوىٰ كلام عن الإمام أحمد لا يصح عنه ٣٤٤
أكثر الناس استعمالًا لسلاح التأويل طائفتا البهائية والقاديانية ٣٤٦
نقلٌ لصاحب الفتوىٰ عن "شرح المقاصد" يشتمل علىٰ خطأ وخيانةٍ وجهلٍ . ٣٤٩
قواعد تنير السبيل وتهدي الحائر ٣٥٣
إجماع علماء السُّنَّة علىٰ نزول عيسىٰ عليه السَّلام والرد علىٰ المتأوِّلين ٣٥٥
الإشارة إلىٰ ما أبداه المؤوِّلون من سخافات ٣٥٧
نقل لصاحب "المنار" عن الشيخ محمد عبده والرد عليه ٣٦٠
تعليقٌ لصاحب المنار علىٰ كلام الشيخ محمد عبده والرد عليه ٣٦٤
كلام الشيخ عبدالوهاب النجَّار في كتاب "قصص الأنبياء"عن مسألة رفع عيسىٰ ونزوله، والرد عليه ٣٦٦
تنبيه حول نقل صاحب الفتوىٰ واعتماده كلام الأستاذ وتلميذه البار، والشيخ عبدالوهاب النجَّار ٣٦٨
فصل: في الرد علىٰ إنكار الإجماع ٣٦٩
شبهات المنكرين للإجماع والرد عليها ٣٧٠

مغالطةٌ لصاحب الفتوىٰ والرد عليها ٣٧٥
جملة من الأحاديث الصحيحة في إثبات نزول عيسىٰ عليه السلام ٣٧٦
الحديث الأول ٣٧٦
الحديث الثاني ٣٧٦
الحديث الثالث ٣٧٦
الحديث الرابع ٣٧٧
الحديث الخامس ٣٧٧
الحديث السادس ٣٧٨
الحديث السابع ٣٧٨
الحديث الثامن ٣٧٩
الحديث التاسع ٣٧٩
الحديث العاشر ٣٧٩
الحديث الحادي عشر ٣٨٠
الحديث الثاني عشر ٣٨٠
الحديث الثالث عشر ٣٨٠
الحديث الرابع عشر ٣٨١
الحديث الخامس عشر ٣٨١
الحديث السادس عشر ٣٨١
الحديث السابع عشر ٣٨٢
الحديث الثامن عشر ٣٨٢
الحديث التاسع عشر ٣٨٣
الحديث الموفي عشرين ٣٨٣

الحديث الحادي والعشرون ٣٨٤
الحديث الثاني والعشرون ٣٨٥
الحديث الثالث والعشرون ٣٨٥
الحديث الرابع والعشرون ٣٨٦
الحديث الخامس والعشرون ٣٨٧
الحديث السادس والعشرون ٣٨٧
الحديث السابع والعشرون ٣٨٨
الحديث الثامن والعشرون ٣٨٨
الحديث التاسع والعشرون ٣٨٩
الحديث الموفي ثلاثين ٣٩٠
الحديث الحادي والثلاثون ٣٩٠
الحديث الثاني والثلاثون ٣٩١
الحديث الثالث والثلاثون ٣٩٢
الحديث الرابع والثلاثون ٣٩٢
الحديث الخامس والثلاثون ٣٩٢
الحديث السادس والثلاثون ٣٩٣
الحديث السابع والثلاثون ٣٩٣
الحديث الثامن والثلاثون ٣٩٣
الحديث التاسع والثلاثون ٣٩٤
الحديث الموفي أربعين ٣٩٤
إنكار المبتدع نزول عيسى عليه السَّلام حلقةٌ مِن حلقات خطَّةٍ دبَّرها لهدم السُّنَّـة ٣٩٥
فتوى الشيخ محمد بخيت المطيعي في نزول عيسى عليه السلام ٣٩٧

تقدير لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ يس يوسف الشيشيني من علماء الوعظ والإمامة بوزارة الأوقاف..... ٤٢٧

٤ - المَهْديُّ المُنتَظَر

تمهيد ٤٣٧
مقدمة: في تواتر أحاديث المهدي ٤٣٩
ذكر الصحابة والتابعين الذين رووا حديث المهديِّ عليه السلام ٤٤٢
الإخبار بالمغيَّبات كالمهديِّ مما لا مجال فيه للاجتهاد يُحمَل على الرَّفع ٤٤٣
فصل: في الأحاديث التي ورد فيها ذكر المهديِّ ٤٤٥
حديث أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه..... ٤٤٥
حديث ابن مسعودٍ رضي الله عنه ٤٥٠
حديث عليٍّ عليه السَّلام ٤٥٥
حديث أمِّ سلمة رضي الله عنها ٤٥٧
حديث ثوبان رضي الله عنه..... ٤٥٩
حديث عبدالله بن الحرث رضي الله عنه..... ٤٦٠
حديث أبي هريرة رضي الله عنه..... ٤٦١
حديث أنسٍ رضي الله عنه..... ٤٦٤
حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما ٤٦٥
حديث عثمان بن عفَّان رضي الله عنه..... ٤٦٦
حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ٤٦٦
حديث جابر بن ماجد الصَّدَفيِّ رضي الله عنه..... ٤٦٩
حديث أبي أيوب الأنصاريِّ رضي الله عنه ٤٧٠
حديث قُرَّة بن إياس المُزنيِّ رضي الله عنه ٤٧٠

حديث ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما ٤٧١
حديث أمِّ حبيبة رضي الله عنها ٤٧٢
حديث أبي أُمامة رضي الله عنه ٤٧٢
حديث عبدالله بن عمرو بن العاص ٤٧٣
حديث عمَّار بن ياسر رضي الله عنهما ٤٧٤
حديث العبَّاس بن عبدالمطلب رضي الله عنه ٤٧٤
حديث الحسين بن عليٍّ عليهما السَّلام ٤٧٥
حديث تميم الداري رضي الله عنه ٤٧٥
حديث عائشة رضي الله عنها ٤٧٦
حديث عبدالرحمن بن عوفٍ رضي الله عنه ٤٧٦
حديث عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ٤٧٧
حديث طلحة بن عبيدالله رضي الله عنه ٤٧٧
حديث عليٍّ الهلالي رضي الله عنه ٤٧٨
حديث عِمران بن حُصينٍ رضي الله عنه ٤٧٨
حديث عوف بن مالكٍ رضي الله عنه ٤٧٩
حديث أبي الطُّفيل رضي الله عنه ٤٨٠
حديث رجلٍ مِن الصحابة ٤٨٠
حديث قيس بن جابرٍ رضي الله عنه ٤٨٠
مرسل سعيد بن المُسيِّب رضي الله عنه ٤٨١
مرسل الحسن البصري رضي الله عنه ٤٨١
مرسل قتادة رضي الله عنه ٤٨١
مرسل شَهْرِ بن حَوْشبٍ رضي الله عنه ٤٨١

مرسل مَعْمَرٍ ٤٨١
حديث أم الفضل رضي الله عنها ٤٨٣
جُمَل من الموقوفات والمقطوعات في ذكر المهديِّ عليه السلام ٤٨٤
المسألة الأولى: أوصاف المهديِّ وأحواله ٤٩٧
اسمه وكنيته ونسبه عليه السلام ٤٩٧
سبب تلقيبه بالمهدي ٤٩٨
أوصافه الخَلْقية ولبسه عليه السلام ٤٩٨
مولده ومحل مبايعته عليه السلام ٤٩٩
جيشه وطلائعه وحروبه عليه السلام ٤٩٩
مدة خلافته عليه السلام وعمره ٥٠٠
وقت ظهوره عليه السلام وعلاماته ٥٠٠
المسألة الثانية: ادِّعاءُ المَـهْدَويَّة وتأويل أحاديث المهديِّ ٥٠١
المسألة الثالثة: حكم من كذب بالمهدي ٥٠٢
المسألة الرابعة: حديث: «لا مهديَّ إلَّا عيسى ابن مريم». والرد عليه ٥٠٣
المسألة الخامسة: كلام للقرطبيِّ عن مكان خروج المهديِّ ٥٠٨
المسألة السادسة: استشكالات حول المهدي والرد عليها ٥٠٨
فهرس الموضوعات ٥١٣

٤- فهرس المجلد الرابع

القرآن الكَريم وعلومه

١ - فَضَائِلُ القُرْآنِ الكَرِيمِ - الجزء الأول

خطبة الكتاب.....٩
مقدمة في معنىٰ القرآن وذكر أسمائه.....١١
فضل القرآن علىٰ سبيل الإجمال.....١٥
المَاهِر بالقرآن.....٢١
تنبيه: حول المَاهِر بالقُرآنِ.....٢٣
ثواب قارئ القرآن.....٢٤
تفضيل القرآن علىٰ الكُتُب السَّماوِيَّة.....٢٧
القرآن أفضل من الذِّكر والدُّعاء ومِن سائر الكلام.....٢٨
القرآن حُجَّةٌ لك أو عليك.....٢٩
فضائل سور القرآن.....٣١
(الفاتحة).....٣١
(سورة البقرة).....٣٧
قِصَّةُ الصَّحابيِّ الذي كان يقرأ (سورة البقرة) فنزلت الملائكة لسماعِه.....٣٧
قِصَّةٌ أخرىٰ تُماثلها.....٣٨
تأمير النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم رجلًا لِحِفْظِه (سورة البقرة).....٣٨
خواتيم (البقرة).....٣٩
«آية الكرسيِّ».....٤٠
قِصَّةُ الشَّيطان الذي كان يَسْرِقُ مِن أبي هريرة.....٤١

قِصَّةُ أخرىٰ تُشبهها ٤٢
(البقرة) و(آل عمران) ٤٣
آخر (سورة آل عمران) ٤٥
(سورة الكهف) وآيات منها ٤٥
قراءة (سورة الكهف) ليلة الجُمُعة ويومها ٤٧
قِصَّةُ الرَّجُل الذي كان يقرأ (الكهف) فنزلت الملائكة لسماعِه ٤٨
خاتمة (الكهف) ٤٩
(سورة طه) ٥٠
(سورة الأنبياء) ٥٠
(سورة المؤمنون) ٥١
خاتمتها ٥١
(سورة الروم) ٥١
(سور السجدة) ٥٢
(سورة يس) ٥٢
(سورة الصافَّات) ٥٥
(سورة الزمر) ٥٥
(الحواميم) ٥٥
تنبيه حول كراهة قول: حواميم ٥٦
سورة المؤمِن وهي (سورة غافر) ٥٧
(سورة الدخان) ٥٨
(سورة الفتح) ٥٩
(سورة الرحمن) ٥٩

(سورة الواقعة) ٦٠
المُسبِّحات ٦١
(سورة الحشر) ٦١
(سورة الطلاق) ٦٢
(سورة تبارك) ٦٢
قِصَّة الرَّجُل الذي سمع الميت يقرأها ٦٣
سورة ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ وما يذكر فيها ٦٣
سورة ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ ٦٤
سورة ﴿لَمْ يَكُنِ﴾ ٦٤
سورة ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ ٦٤
سورة ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ ٦٥
(سورة العصر) ٦٥
قِصَّة مُسَيلَمة الكذَّاب في مُعارضتها ٦٥

فَضَائِلُ القُرْآنِ الكَرِيمِ - الجزء الثاني

خطبة الكتاب ٦٩
(سورة الكوثر) ٧١
فائدة: حول مَن أراد رؤية النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في المنام ٧١
(سورة الكافرون) ٧٢
(سورة النصر) وتُسمَّى سورة التوديع ٧٣
تنبيه حول (سورة النصر) ٧٥
ما حدث مع أشياخ بدرٍ وابن عبَّاسٍ عندما أدخله عمر عليهم ٧٥
تنبيهان حول ما ذكره أشياخ بدرٍ، وحديث افتراق النَّاس وما أحدثوا ٧٦

تنبيهان ٧٦
(سورة الإخلاص) ٧٧
ما ورد في أنها تَعْدِل ثُلُث القُرآن ٧٧
اختلاف العلماء في كون (سورة الإخلاص) تَعْدِلُ ثُلُث القرآن ٧٨
قِصَّة الرَّجُل الذي كان يقرؤها في كلِّ صَلاةٍ ٧٩
قِصَّةٌ أخرىٰ تشبهها ٨٠
(سورة الإخلاص) وتكثير الرِّزق ٨٢
(سورة الإخلاص) والاسم الأعظم ٨٣
(سورة الإخلاص) وتكفير الذنوب ٨٣
(سورة الإخلاص) والعِتق مِن النَّار ٨٤
قراءتها عند النوم ٨٥
قراءتها دُبُر كلِّ صَلاةٍ ٨٦
قِصَّة الرَّجُل الذي كان يحبها ويتلوها في جميع الحالات ٨٦
فضلها مع المُعوِّذتين ٨٨
حديث آخر في فضلهنَّ ٨٩
حديث في الاستشفاء بهنَّ ٨٩
المعوِّذتان ٩٠
فضل سور القرآن من غير تعيينٍ ٩٣
التداوي بالقرآن ٩٥
قصة اللَّديغ الذي رُقِيَ بـ(الفاتحة) ٩٥
قِصَّةٌ أخرىٰ ٩٦
قِصَّة ثالثة ٩٧

دعاء لإذهاب الهَمِّ والغَمِّ.....٩٧
الختام.....٩٨

٢- الإحْسَانُ في تَعْقِيبِ الإتْقَانِ

خطبة الكتاب.....١٠١
اعتماد كثيرٍ من المستشرقين على الآراء الشاذَّة والرِّوايات الساقطة، في كتاب "الإتقان" كما قال العلَّامة الشيخ الكوثريُّ رحمه الله.....١٠١
مما يُعاب على الحافظ السيوطيِّ ذِكْره لأحاديث واهيةٍ أو أقوال ساقطةٍ، تُنسب لصحابيٍّ أو تابعيٍّ أو إمامٍ ولا يُنبَّه عليها، فيظنها الجاهل صحيحةً ويتخذها الجاحد حُجَّةً للطَّعن والغَمْز.....١٠٢
طبع المستشرقين بعض الكتب المتعلِّقة بالقرآن العظيم، مثل كتاب "المصاحف" لابن أبي داود، و"شواذ القراءات" لابن خالويه بغرض تشكيك المسلمين في كتابهم.....١٠٣
تشبُّع بعض الكُتَّاب والأُدباء في الشرق الإسلاميِّ بكلام بعض المستشرقين والاقتناع بآرائهم.....١٠٥
التبشير نوعان.....١٠٥
اعتماد الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقي على المستشرق الألماني بروكليمن في تقييم الكتب الإسلامية.....١٠٦
محاربة المستشرقين واجبةٌ؛ لأنها جهادٌ في سبيل الدِّفاع عن كتاب الإسلام ونبيِّ الإسلام ودين الإسلام، والقَلَمُ أحد اللسانين وهو أقواهما وأبقاهما ذِكْرًا.....١٠٧
النوع الأول: معرفة المكِّيِّ والمدنيِّ.....١٠٨
النوع الثاني: معرفة الحَضَري والسَّفَري.....١٠٩
تناقض الحافظ السيوطيِّ في كلامه على قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا﴾ وأنها نزلت بعد زيارة النبيِّ قبرَ أُمِّه.....١٠٩

تنبيهان: التنبيه الأول: تعارض مدلولَي حديثَي ابن عبَّاسٍ وابن مسعودٍ تعارضًا لا سبيل إلى دفعه مما يدل على ضعفهما. ١١١
التنبيه الثاني: حول حرمة الاستغفار للمشركين؛ لأنهم أصحاب الجحيم، ويتفرَّع على ذلك أمران: أحدهما: تحريم الترحُّم عليهم بطريق الأولى. ثانيهما: خلود المشركين في النَّار أبدًا..... ١١١
القراءات الشاذَّة لا تجوز الصَّلاة بها ولا تلاوتها ولا العمل بها إلَّا إذا كانت مُفسِّرةً لقراءةٍ متواترةٍ ١١٣
النوع التاسع: معرفة سبب النزول..... ١١٤
حديث: «لو رأيتَ مع أمِّ رومان رجلًا ما كنتَ فاعلًا...» حديثٌ منكرٌ لا يصح لوجوهٍ..... ١١٦
النوع الثالث عشر: ما نزل مُفَرَّقا وما نزل جمعًا ١١٧
النوع الخامس عشر: ما أنزل منه على بعض الأنبياء..... ١١٨
تعجُّب المؤلف من السيوطيِّ لنقله كلام كعب الأحبار ولم يتعقَّبه بشيءٍ ١١٨
النوع السادس عشر: في كيفية إنزاله ١٢٠
النوع السابع عشر: في معرفة أسمائه وأسماء سوره ١٢١
النوع الثامن عشر: في جمعه وترتيبه ١٢٢
المقرَّر في علم الأصول أنَّ خبر الآحاد إذا خالف الإجماع أو التواتر فإنه يكون مردودًا لا يُعمل به ولو كان متصلًا صحيحًا، فكيف إذا كان منقطعًا ضعيفًا ... ١٢٣
مصحف أُبيٍّ وابن مسعودٍ شاذَّان لا يُعوَّل عليهما ولا على غيرهما من المصاحف الشاذَّة كمصحف عليٍّ عليه السلام، وإنما يُعوَّل على المصحف الإمام الذي أجمع عليه الصحابة، وتلقَّاه المسلمون في جميع الأقطار والأمصار جيلًا عن جيلٍ..... ١٢٤
النوع التاسع عشر: في عدد سوره وآياته ١٢٤

نسخ تلاوة آيةٍ من القرآن مُحالٌ عقلًا والإشارة إلى كتاب "ذوق الحلاوة ببيان امتناع نسخ التلاوة". ١٢٥
النوع العشرون: في معرفة حُفَّاظه ورواته ١٢٥
النوع الخامس والثلاثين: في آداب تلاوته ١٢٦
النوع التاسع والثلاثون: في معرفة الوجوه والنظائر ١٢٦
النوع السابع والأربعون: في ناسخِه ومَنسوخِه ١٢٦
الأسباب التي اقتضت امتناع نسخ التلاوة ١٢٧
النوع الحادي والخمسون: في وجوه مخاطباته ١٣١
النوع الرابع والخمسون: في كناياته ١٣١
النوع الخامس والستون: في العلوم المُستنبَطة مِن القرآن الكريم ١٣٢
قصة القوم الذين ساروا في سرب من الأرض إلى الصين -وإن رواها ابن جريرٍ عن ابن عبَّاسٍ- خرافةٌ إسرائيلية. ١٣٣
النوع التاسع والستون: فيما وقع في القرآن ١٣٤
القول بأنَّ «ق» هو جَبَلٌ محيطٌ بالأرض لا دليل عليه ولا أصل له وإن شاع على ألسنة كثيرٍ من النَّاس فيهم علماء مثل الإمام السيوطيِّ رحمه الله ١٣٤
ذو القرنين غير إسكندر، وكلام للإمام السيوطيِّ حول ذي القرنين غير صحيحٍ، بل فيه ما هو مِن قَبيل الخُرافة ١٣٤
القول بأنَّ فرعون اسمه الوليد بن مصعب، وكنيته أبو العبَّاس غير صحيحٍ؛ فإنَّ فرعون قبطيٌّ واسم الوليد عربيٌّ والكُنية من خصائص العرب. والصواب أنَ اسمه «منفتاح» ١٣٥
النوع الثمانون: في طبقات المفسِّرين ١٣٦
ما ورد في التفاسير المرفوعة ١٣٧
خاتمة الكتاب ١٣٧

٣- جَواهِرُ البَيانِ في تناسُبِ سُورِ القُرآنِ

تمهيد ١٤٥
مقدمة: تشتمل على مسائل ١٤٦
المسألة الأولى: في أسماء سور القرآن ١٤٦
المسألة الثانية: في ترتيب سور القرآن ١٤٩
وَهِم مَن قال: لا يُطلَبُ للآي الكريمة مناسبةٌ (ت) ١٥١
تنبيه: حول تقسيم سور القرآن ١٥٦
المسألة الثالثة: أنواع المناسبة ١٥٦
مناسبة ابتداء القرآن بالفاتحة ١٥٩
مقاصد سور الفاتحة ١٥٩
مناسبة أخرى للابتداء بالفاتحة وهي براعة الاستهلال ١٦١
تنبيه: الفاتحة أعظم سور القرآن ١٦١
اشتمال الفاتحة على علوم القرآن، وجميع الكتب المُنزَّلة ١٦٢
٢- ﴿سورة البقرة﴾ ١٦٤
تنبيهان: التنبيه الأول: حول مناسبة الفاتحة لأي سورة في القرآن وهذا من خصائص الفاتحة ١٦٤
التنبيه الثاني: حول تناسب مطلع (سورة البقرة) ومقطعها ١٦٥
تناسب السور الأربع الطوال ١٦٥
٣- ﴿سورة آل عمران﴾ ١٦٧
تنبيه: حول تناسب مطلع (سورة آل عمران) ومقطعها ١٦٨
٤- ﴿سورة النساء﴾ ١٦٩
٥- ﴿سورة المائدة﴾ ١٧٠
اشتمال سورة المائدة على أحكام لم تذكر في غيرها ١٧٠

٦- ﴿سورة الأنعام﴾ ١٧١
٧- ﴿سورة الأعراف﴾ ١٧٢
تنبيهان: أحدهما: فائدة لغوية في الرد على من زعم وجوب تقديم المفرد على الجملة إذا كانا صفة ١٧٣
ثانيهما: تناسب مطلع (سورة الأعراف) ومقطعها ١٧٣
٨- ﴿سورة الأنفال﴾ ١٧٣
٩- ﴿سورة التوبة﴾ ١٧٤
١٠- ﴿سورة يونس﴾ ١٧٤
تنبيهان: الأول: غلط بعض المُفسِّرين في تفسير العرش بالكرسي ١٧٥
الثاني: حول معنى الاستواء على العرش ١٧٥
١١- ﴿سورة هود﴾ ١٧٧
١٢- ﴿سورة يوسف﴾ ١٧٨
فائدة: كل سورة فتحت بحرف الهجاء تلاه الحديث عن القرآن (ت) ١٧٨
تنبيهات: الأول: حول ذكر الله قصة يوسف كلها في سورة واحدةٍ؟ ولم يوجز فيها؟ ولا كرَّرها كما فعل في غيرها من القصص؟ ١٧٩
لمحة إشارية: حول امتناع يوسف عن فعل الفاحشة ١٨٠
التنبيه الثاني: حول تسمية قصة يوسف أحسن القصص، والسبب في ذلك ١٨١
التنبيه الثالث: حول تناسب مطلع (سورة يوسف) ومقطعها ١٨١
١٣- ﴿سورة الرعد﴾ ١٨١
١٤- ﴿سورة إبراهيم﴾ ١٨٢
لمحة إشارية: في ترك إبراهيم عليه السَّلام أعزَّ ولده إسماعيل مع أمِّه هاجر في مكانٍ قَفْرٍ. ١٨٣

تنبيهان: الأول: في دفع التعارض بين نزول القرآن بلغة العرب، وعالمية الدعوة الإسلامية ١٨٤
التنبيه الثاني: في تناسب مطلع (سورة إبراهيم) ومطلعها ١٨٥
١٥ - ﴿سورة الحجر﴾ ١٨٥
١٦ - ﴿سورة النحل﴾ ١٨٩
١٧ - ﴿سورة الإسراء﴾ ١٩١
تنبيهان: الأول: افتتاح (سورة الإسراء) بالتسبيح إشارة إلى أنَّ الإسراء من المعجزات العظيمة ١٩٢
الثاني: إذا ذكر الإنسان في القرآن أُتبع غالبًا بوصف ذمٍّ، وأمثلة على ذلك ١٩٢
إشارة إلى حبِّ الله للمتواضع وإكرامه إيَّاه (ت) ١٩٤
١٨ - ﴿سورة الكهف﴾ ١٩٤
استشكال حول السؤال عن الرُّوح هل وقع بمكة أم المدينة والرد عليه ١٩٥
تنبيه: القرآن لا يفيد المنع من البحث في الرُّوح ١٩٦
تنبيه: حول تناسب مطلع (سورة الكهف) ومقطعها ١٩٧
فائدة: حول حفظ آيات من سورة الكهف ١٩٧
١٩ - ﴿سورة مريم﴾ ١٩٨
تنبيه: حول المناسبة بين قوله تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾، وقوله عزَّ وجلَّ: في وصف جنَّات عدن: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ ١٩٩
لطيفة: في تسمية النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لابنة أحد أصحابه ٢٠٠
٢٠ - ﴿سورة طه﴾ ٢٠٠

تنبيه: حول إثبات كفر فرعون والرد على من قال بإيمانه. ٢٠١
تنبيه: حول تناسب مطلع (سورة طه) ومقطعها ٢٠١
٢١ - ﴿سورة الأنبياء﴾..... ٢٠٢
تنبيه: حول مسألة خَلْقِ القرآن والرد على المعتزلة ٢٠٢
تنبيه: حول تناسب مطلع (سورة الأنبياء) ومقطعها ٢٠٣
٢٢ - ﴿سورة الحج﴾..... ٢٠٤
تنبيهات: التنبيه الأول: حول بداية (سورة الحج) بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ ٢٠٥
التنبيه الثاني: سورة الحج من عجائب القرآن..... ٢٠٥
التنبيه الثالث: حول تناسب مطلع (سورة الحج) ومقطعها ٢٠٥
٢٣ - ﴿سورة المؤمنون﴾ ٢٠٦
تنبيه: حول تناسب مطلع (سورة المؤمنون) ومقطعها، وهو تناسب بالتضاد . ٢٠٧
٢٤ - ﴿سورة النور﴾..... ٢٠٧
تنبيهات: التنبيه الأول: حول اشتمال (سورة النور) على أحكام الأسرة، والإشارة إلى أنه لا يجوز أن يعيش المؤمنون في عبثٍ وفوضى كما كان الحال في الجاهلية ٢٠٨
التنبيه الثاني: حول غضِّ بصر المرأة عن الرجل مُطلقًا لا فرق بين مُبصِرٍ وأعمى ٢٠٩
تنبيه: حول تناسب مطلع (سورة النور) ومقطعها..... ٢٠٩
٢٥ - ﴿سورة الفرقان﴾..... ٢١٠
تنبيه: حول تنايب (سورة الفرقان) ومقطعها ٢١١
٢٦ - ﴿سورة الشعراء﴾..... ٢١٢
٢٧ - ﴿سورة النمل﴾ ٢١٣
تنبيه: حول تناسب مطلع سورة النمل ومقطعها ٢١٣

٢٨ - ﴿سورة القصص﴾ ٢١٤
تنبيهان: التنبيه الأول: دليلان على كفر فرعون..... ٢١٤
التنبيه الثاني: حول تناسب مطلع (سورة القصص) ومقطعها ٢١٥
٢٩ - ﴿سورة العنكبوت﴾ ٢١٥
تنبيه: حول تناسب مطلع (سورة العنكبوت) ومقطعها، وهو من المُحسِّنات البديعيَّة ٢١٦
تنبيه آخر: ذكرت المجاهدة في القرآن مرتين..... ٢١٧
٣٠ - ﴿سورة الروم﴾..... ٢١٨
تنبيه: حول تناسب مطلع (سورة الروم) ومقطعها ٢١٨
٣١ - ﴿سورة لقمان﴾ ٢١٩
٣٢- ﴿سورة السجدة﴾ ٢٢٠
تنبيه: حول تناسب (سورة العنكبوت) و(الروم) و(لقمان) و(السجدة) في بحرف ﴿الٓمٓ﴾ بمكَّة، وتحدثها عن المبدأ والمعاد..... ٢٢٠
٣٣- ﴿سورة الأحزاب﴾..... ٢٢١
تنبيهان: التنبيه الأول: حول اشتمال سورة الأحزاب على جملةٍ مِن فضائل النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وبعض خصائصه ٢٢١
التنبيه الثاني: حول تناسب مطلع (سور الأحزاب) ومقطعها..... ٢٢١
٣٤- ﴿سورة سبأ﴾ ٢٢٢
تنبيهان: التنبيه الأول حول تناسب افتتاح (سورة فاطر) لختام ما قبلها من قوله تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾الآية ٢٢٣
التنبيه الثاني: حول غريب القرآن وبعض الكتب المُصنَّفة فيه..... ٢٢٣
معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**أَعْرِبوا القرآنَ والتمسُوا غَرَائِبَه**» ٢٢٣

٣٦- ﴿سورة يس﴾ ٢٢٤
تنبيه: حول الأحاديث الواردة في فضل (سورة يس)، والسبب في تسميتها بقلب القرآن ٢٢٥
٣٧- ﴿سورة الصافات﴾ ٢٢٧
تنبيه: حول آيات نزلت نزلت لا في الأرض ولا في السماء ٢٢٨
تنبيه: حول تناسب مطلع سورة (الصافات) ومقطعها ٢٣٠
٣٨- ﴿سورة ص﴾ ٢٣٠
تنبيه: حول تناسب مطلع (سورة ص) ومقطعها ٢٣٠
٣٩- ﴿سورة الزمر﴾ ٢٣٠
٤٠ - ﴿سورة غافر﴾ ٢٣٢
٤١ - ﴿سورة فصلت﴾ ٢٣٣
تنبيه: حول تناسب مطلع (سورة فصلت) ومقطعها ٢٣٤
٤٢ - ﴿سورة الشورىٰ﴾ ٢٣٤
تنبيه: حول تناسب مطلع (سورة الشورىٰ) ومقطعها ٢٣٤
٤٣ - ﴿سورة الزخرف﴾ ٢٣٤
تنبيه: حول تناسب مطلع (سورة الزخرف) ومقطعها ٢٣٥
٤٤ - ﴿سورة الدخان﴾ ٢٣٥
تنبيه: حول تناسب مطلع (سورة الدخان) ومقطعها ٢٣٦
٤٥ - ﴿سورة الجاثية﴾ ٢٣٦
تنبيه: حول تناسب مطلع (سورة الجاثية) ومقطعها ٢٣٧
٤٦ - ﴿سورة الأحقاف﴾ ٢٣٧

تنبيه: حول تناسب مطلع (سورة الأحقاف) ومقطعها ٢٣٨
٤٧ - ﴿سورة محمد﴾ ٢٣٨
تنبيه: حول قول الجنِّ: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ ولِمَ لَمْ يذكروا عيسىٰ؟ ٢٣٩
تنبيه: حول تناسب مطلع (سورة محمد) ومقطعها ٢٣٩
٤٨ - ﴿سورة الفتح﴾ ٢٤٠
تنبيه: حول تناسب مطلع (سورة الفتح) ومقطعها ٢٤٠
٤٩ - ﴿سورة الحجرات﴾ ٢٤١
تنبيه: حول تناسب مطلع (سورة الحجرات) ومقطعها ٢٤٢
٥٠ - ﴿سورة ق﴾ ٢٤٢
كثر في (سورة ق) ذكر كلمات فيها حرف (القاف)، وذكر أمثلة لذلك (ت) ٢٤٣
تنبيه: حول تناسب مطلع (سورة ق) ومقطعها ٢٤٣
٥١ - ﴿سورة الذاريات﴾ ٢٤٣
تنبيه: حول تناسب مطلع (سورة الذاريات) ومقطعها ٢٤٤
٥٢ - ﴿سورة الطور﴾ ٢٤٤
تنبيه: حول تناسب مطلع (سورة الطور) ومقطعها ٢٤٥
٥٣ - ﴿سورة النجم﴾ ٢٤٥
تنبيه: حول تناسب مطلع (سورة النجم) ومقطعها ٢٤٦
٥٤ - ﴿سورة القمر﴾ ٢٤٦
تنبيه: حول تناسب مطلع (سورة القمر) ومقطعها ٢٤٧
٥٥ - ﴿سورة الرحمن﴾ ٢٤٧

تنبيه: حول قراءة (سورة الرحمن) على الجنِّ وسبب تسميتها بعروس القرآن ٢٤٨
٥٦- ﴿سورة الواقعة﴾ ٢٤٩
تنبيه: حول تناسب مطلع (سورة الواقعة) ومقطعها ٢٤٩
فائدة: حول حديث ضعيف في فضل سور الواقعة ٢٤٩
٥٧- ﴿سورة الحديد﴾ ٢٥٠
تنبيه: حول تناسب مطلع (سورة الحديد) ومقطعها ٢٥١
٥٨- ﴿سورة المجادلة﴾ ٢٥١
تنبيه: حول تناسب مطلع (سوة المجادلة) ومقطعها ٢٥٣
٥٩- ﴿سورة الحشر﴾ ٢٥٣
تنبيه: حول تناسب مطلع (سوة الحشر) ومقطعها ٢٥٤
٦٠- ﴿سورة الممتحنة﴾ ٢٥٤
تنبيه: حول تناسب مطلع (سوة الممتحنة) ومقطعها ٢٥٥
٦١- ﴿سورة الصف﴾ ٢٥٥
تنبيه: حول تناسب مطلع (سوة المجادلة) ومقطعها ٢٥٦
٦٢- ﴿سورة الجمعة﴾ ٢٥٦
تنبيهات: التنبيه الأول: أخبر كلٌّ من موسى وعيسى بأنه رسول الله إلى قومه، أمَّا نبيُّنا فإنَّ الله تعالى تولَّى الإخبار عنه بذلك: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ الآية، وفي هذا تشريفٌ كبيرٌ له ٢٥٧
التنبيه الثاني: حول عموم رسالته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٢٥٧
حول تناسب مطلع (سورة الجمعة) ومقطعها ٢٥٧
٦٣- ﴿سورة المنافقون﴾ ٢٥٧

حول تناسب مطلع (سورة المنافقون) ومقطعها ٢٥٨
٦٤ - ﴿سورة التغابن﴾ ٢٥٨
حول تناسب مطلع (سورة التغابن) ومقطعها ٢٥٩
٦٥ - ﴿سورة الطلاق﴾ ٢٥٩
٦٦ - ﴿سورة التحريم﴾ ٢٥٩
٦٧ - ﴿سورة الملك﴾ ٢٦٠
خيانة امرأة نوحٍ وامرأة لوطٍ هي تكذيبهما لزوجيهما، لا شيءٌ آخر، وانظره بدلائله في "خواطر دينية". ٢٦٠
أحاديث صحيحة في فضل (سورة الملك) ٢٦١
٦٨ - ﴿سورة القلم﴾ ٢٦٢
سورة (القلم) نزلت بعد (سورة العلق)، فهي ثاني سورة نزلت من القرآن، وذكر فوائد في أولها (ت) ٢٦٢
تنبيه: حول تناسب مطلع (سورة القلم) ومقطعها ٢٦٣
٦٩ - ﴿سورة الحاقة﴾ ٢٦٣
٧٠ - ﴿سورة المعارج﴾ ٢٦٤
تنبيهان: التنبيه الأول: حول معنى قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ٢٦٤
التنبيه الثاني: حول تناسب مطلع (سورة المعارج) ومقطعها ٢٦٦
٧١ - ﴿سورة نوح﴾ ٢٦٧
٧٢ - ﴿سورة الجن﴾ ٢٦٧
تنبيه: حول تناسب (سورة الجن) ومقطعها ٢٦٨

٧٣- ﴿سورة المزمل﴾ ٢٦٨
تنبيه: حول تناسب (سورة المزمل) ومقطعها ٢٦٨
٧٤- ﴿سورة المدثر﴾ ٢٦٩
٧٥- ﴿سورة القيامة﴾ ٢٧٠
تنبيهان: التنبيه الأول: حول الإشارة إلى حقيقة علمية، وهي اكتشاف البصمة من البحث في آية: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ ٢٧١
التنبيه الثاني: حول المناسبة بين قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ وبقية آيات السورة التي تتكلَّم عن البعث وما بعده ٢٧١
التنبيه الثالث: حول تناسب مطلع (سورة القيامة) ومقطعها ٢٧٣
٧٦- ﴿سورة الإنسان﴾ ٢٧٣
تنبيه: حول تناسب مطلع (سورة الإنسان) ومقطعها ٢٧٣
٧٧- ﴿سورة المرسلات﴾ ٢٧٣
تنبيه: حول نزول (سورة المرسلات) في الغار تحت الأرض ٢٧٣
٧٨- ﴿سورة النبأ﴾ ٢٧٤
٧٩- ﴿سورة النازعات﴾ ٢٧٤
تنبيه: حول تناسب مطلع (سورة النازعات) ومقطعها ٢٧٤
٨٠- ﴿سورة عبس﴾ ٢٧٥
٨١ - ﴿سورة التكوير﴾ ٢٧٥
٨٢ - ﴿سورة الانفطار﴾ ٢٧٥
تنبيه: حول تناسب مطلع (سورة الانفطار) ومقطعها ٢٧٥

٨٣- ﴿سورة المطففين﴾ ٢٧٦
٨٤- ﴿سورة الانشقاق﴾ ٢٧٦
٨٥- ﴿سورة البروج﴾ ٢٧٦
٨٦- ﴿سورة الطارق﴾ ٢٧٧
٨٧- ﴿سورة الأعلى﴾ ٢٧٧
٨٨- ﴿سورة الغاشية﴾ ٢٧٨
٨٩- ﴿سورة الفجر﴾ ٢٧٨
٩٠- ﴿سورة البلد﴾ ٢٧٩
٩١- ﴿سورة الشمس﴾ ٢٨٠
٩٢- ﴿سورة الليل﴾ ٢٨٠
٩٣- ﴿سورة الضحى﴾ ٢٨١
تنبيه: أول من أسلم على الإطلاق خديجة رضي الله عنها، وتلاها عليٌّ عليه السَّلام .. ٢٨١
٩٤- ﴿سورة الشرح﴾ ٢٨١
موازنة بين نبينا وبين موسى وإبراهيم عليهم الصَّلاة والسلام ٢٨٢
٩٥- ﴿سورة التين﴾ ٢٨٢
٩٦- ﴿سورة العلق﴾ ٢٨٢
تنبيه: سورة ﴿اقْرَأْ﴾ مشتملةٌ على نظير ما اشتملت عليه الفاتحة من براعة الاستهلال، وأصول الدين؛ ولهذا قيل: إنها جديرةٌ أن تسمَّى عنوان القرآن ٢٨٣
٩٧- ﴿سورة القدر﴾ ٢٨٣
٩٨- ﴿سورة البينة﴾ ٢٨٤

٩٩ - ﴿سورة الزلزلة﴾ ٢٨٤
تنبيه: حول توجيه حديثين في فضل (سورة الزلزلة)..... ٢٨٥
١٠٠ - ﴿سورة العاديات﴾ ٢٨٥
١٠١ - ﴿سورة القارعة﴾..... ٢٨٦
١٠٢ - ﴿سورة التكاثر﴾ ٢٨٦
تنبيه: حول حديث في فضل (سورة التكاثر)..... ٢٨٦
١٠٣ - ﴿سورة العصر﴾..... ٢٨٦
١٠٤ - ﴿سورة الهمزة﴾ ٢٨٧
١٠٥ - ﴿سورة الفيل﴾ ٢٨٧
١٠٦ - ﴿سورة قريش﴾ ٢٨٧
١٠٧ - ﴿سورة الماعون﴾ ٢٨٧
١٠٨ - ﴿سورة الكوثر﴾..... ٢٨٨
١٠٩ - ﴿سورة الكافرون﴾..... ٢٨٩
تنبيه حول حديث في فضل (سورة الكافرون) وبعض سور القرآن ٢٨٩
١١٠ - ﴿سورة النصر﴾ ٢٨٩
١١١ - ﴿سورة تبت﴾..... ٢٩٠
١١٢ - ﴿سورة الإخلاص﴾ ٢٩٠
تنبيه: حول حديث: «قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ تَعْدِلُ ثُلُثَ القرآنِ». وتوجيه كونها ثلث القرآن ٢٩٠
١١٣ - ﴿سورة الفلق﴾ ٢٩٢
١١٤ - ﴿سورة الناس﴾..... ٢٩٢
خاتمة وفيها مسألتان: المسألة الأولى: في فواتح السور..... ٢٩٣

المسألة الثانية: في خواتيم السور ٢٩٦
جميع فواتح السور وخواتمها؛ واردة على أحسن وجوه البلاغة وأكملها (ت) ٢٩٦
خاتمة الكتاب ٢٩٨
تتميم: في وجوب مراعاة التناسق والترتيب بين السور ٢٩٩

٤ - مِنْحَةُ الرَّؤوفِ المُعْطِي ببيان ضعف وقُوفِ الشيخ الهِبْطِي

مقدمة ٣٠٣
اعتناء الصحابة بعلم الوقوف، وذكر مَن أَلَّف فيه من العلماء ٣٠٣
تعجُّب المُصنِّف من أهل المغرب لاستعمالهم هذه الوقوف منذ وقت صاحبها ومنشئها إلى وقتنا هذا، وعدم تغيير القبيح منها بالصحيح، بل قيل: إنَّ الهِبْطي رأى وُقُوفه في اللوح المحفوظ ومنه أخذها!!! ٣٠٤
قولهم: «خطأٌ مشهورٌ خيرٌ من صوابٍ مهجورٍ». لا أصل له في الدِّين ولا في العِلْم .. ٣٠٤
لا يجوز تخريج شيءٍ من الآيات على تقديراتٍ ضعيفةٍ؛ لأن ذلك يؤدِّي إلى أن يكون في القرآن ما ليس بفصيحٍ وهذا خطيرٌ جدًّا ٣٠٥
١ - ﴿سورة البقرة﴾ ٣٠٦
٢ - ﴿سورة آل عمران﴾ ٣٠٩
٣ - ﴿سورة النساء﴾ ٣١٠
٤ - ﴿سورة المائدة﴾ ٣١١
٥ - ﴿سورة الأنفال﴾ ٣١٣
٦ - ﴿سورة التوبة﴾ ٣١٣
المصحف المطبوع بالمغرب يجعل فيه بياض قبل كلمة براءة إشارة إلى البسملة وهذا شيءٌ لا معنى له، بل لا يجوز، وذلك لوجوه ٣١٣

٧- ﴿سورة يونس﴾ ٣١٤
٨- ﴿سورة يوسف﴾ ٣١٤
٩- ﴿سورة الكهف﴾ ٣١٥
١٠- ﴿سورة الأنبياء﴾ ٣١٥
١١- ﴿سورة الحج﴾ ٣١٦
١٢- ﴿سورة الفرقان﴾ ٣١٦
١٣- ﴿سورة سبأ﴾ ٣١٧
١٤- ﴿سورة يس﴾ ٣١٧
١٥- ﴿سورة الصافات﴾ ٣١٨
١٦- ﴿سورة فصلت﴾ ٣١٨
١٧- ﴿سورة الدخان﴾ ٣١٩
١٨- ﴿سورة الجاثية﴾ ٣١٩
١٩- ﴿سورة الأحقاف﴾ ٣١٩
٢٠- ﴿سورة الذاريات﴾ ٣٢٠
٢١- ﴿سورة المعارج﴾ ٣٢٠
٢٢- ﴿سورة النبأ﴾ ٣٢٠
﴿سورة البروج﴾ ٣٢١
﴿سورة المسد﴾ ٣٢١
خاتمة تشتمل على مسائل: المسألة الأولى: لا يجوز تخريج شيءٍ من الآيات القرآنية على قول ضعيفٍ أو إعرابٍ مَرْجُوح أو تأويلٍ مُتكلَّفٍ ٣٢٢

المسألة الثانية: في إنشاء وُقُوفٍ أخرىٰ صحيحةٍ، والطريق إلىٰ ذلك ٣٢٢
المسألة الثالثة: في التعريف بالشيخ الهبطيِّ رحمه الله تعالىٰ ٣٢٣
ملاحظات علىٰ ما ذكر في ترجمة الشيخ الهبطيِّ رحمه الله ٣٢٥
خاتمة الكتاب ٣٢٧

٥- أحاديثُ التفسير

﴿سورة الفاتحة﴾ ٣٣١
﴿سورة البقرة﴾ ٣٣٤
﴿سورة آل عمران﴾ ٣٤٣
﴿سورة النساء﴾ ٣٤٩
﴿سورة المائدة﴾ ٣٥٢
﴿سورة الأنعام﴾ ٣٥٥
﴿سورة الأعراف﴾ ٣٥٨
﴿سورة الأنفال﴾ ٣٦٢
﴿سورة براءة﴾ ٣٦٥
﴿سورة يونس﴾ ٣٦٩
﴿سورة هود﴾ ٣٧٣
﴿سورة يوسف﴾ ٣٧٥
﴿سورة الرعد﴾ ٣٧٩
﴿سورة إبراهيم﴾ ٣٨١
﴿سورة الحجر﴾ ٣٨٤
﴿سورة النحل﴾ ٣٨٦

﴿سورة الإسراء﴾ ٣٨٨
﴿سورة الكهف﴾ ٣٩١
﴿سورة مريم﴾ ٣٩٥
﴿سورة طه﴾ ٤٠١
﴿سورة الأنبياء﴾ ٤٠٢
﴿سورة الحج﴾ ٤٠٤

٦- بَيان صَحِيحِ الأَقَاوِيل في تَفْسِيرِ آيةِ بَني إِسْرَائِيل

مقدمة ٤١١
تفسير بعض المعاصرين لـ«آية بني إسرائيل» بما هو بعيدٌ عن معناها ٤١١
أقوال المُفسِّرين في تفسير «آية بني إسرائيل» ٤١٢
نقل كلام العلامة الشيخ محمَّد الطَّاهر بن عاشُور في الآية ٤١٤
اتجاه بعض المعاصرين لتفسير الإفساد مرَّتين باحتلال اليهود لفلسطين وحربِهم للعرب خطأٌ واضحٌ ٤١٨
بيان بُطلان ما أبداه السيِّد إدريس الكتاني في كتابه "العرب تحت وطأة الإفساد الأول لبني إسرائيل" من وجوه ٤١٩
بيان خطأ المعاصرين من المُفسِّرين في تفسير الآية ٤٢٥
خاتمةٌ: في عرض تاريخ شرازم اليهود في فلسطين وموقف الإمام الصالح يحيىٰ بن حميد الدين ٤٢٨

٧- تَوْضِيحُ البَيانِ لوصُولِ ثَوابِ القُرآنِ

مقدمة ٤٣٥
أقوال العلماء في وصول ثواب القرآن للميت ٤٣٦
دليل المانعين للوصول ٤٣٧

الجواب على آية: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾من وجوه..... ٤٣٨
قول الشيخ: مَن اعتقد أنَّ الإنسان لا ينتفع إلَّا بعمله فقد خَرَقَ الإجماع وذلك باطلٌ من وجوهٍ ٤٤٣
أدلة القائلين بالوصول ٤٤٤
كلامٌ قيِّمٍ لابن القيِّم في بيان وصول إهداء القرآن للميت..... ٤٤٥
بعض الآثار عن السَّلف في قراءة القرآن على الميت ٤٤٧
نتيجتان لما ورد عن السلف في قرآة القرآن على الميت: الأولى: إرشاد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى قراءة القرآن على الميت. الثانية: القراءة عند القبر، كانت معروفةً عند السَّلف ٤٥٠
خاتمة تشتمل على مسألتين: المسألة الأولى: قراءة القرآن على الميت مِن المسائل الفرعيَّة المُختلَف فيها وليست من مسائل العقيدة، فالتهويل في شأنها جهادٌ في غير عَدُوٍّ ٤٥٢
المسألة الثانية: لم يأتِ دليلٌ يُحرِّم قراءة القرآن على الميت ٤٥٢
خاتمة الكتاب..... ٤٥٢

٨- كمالُ الإيمان في التَّداوي بالقُرآنِ

مقدمة ٤٥٥
بين المصنِّف والعلامة الشيخ محمود شلتوت (ت) ٤٥٥
حول إنكار المُخالِف لبعض السُّنَّة ٤٥٦
أساليب المخالف في ردِّ السُّنَّة: فتارةً يردُّها بدعوى أنَّها ظنيَّةٌ والمقام يتطلَّب اليقين، وطورًا يتذرَّع إلى ردِّها بالاحتمالات العشر، وحينًا يلجأ إلى التَّفريق بين السنَّة العملية والقولية، فيأخذ بالأولى ويردُّ الثانية ٤٥٨
الأحاديث الدَّالة على التَّداوي بالقرآن ٤٥٩
ما ورد في التَّداوي بفاتحة الكتاب..... ٤٦٠

تقسيم الرُّقية إلى قسمين (ت) ٤٦٢
التداوي بالإخلاص والمُعَوِّذَتين ٤٦٣
التَّداوي بـ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ والمُعَوِّذتين ٤٦٥
التداوي بالإخلاص ٤٦٥
التَّعَوُّذ بالإخلاص، والمُعوِّذَتين وهو من جنس التَّداوي ٤٦٥
التداوي بسور وآيات من القرآن ٤٦٧
التداوي بآخر (سورة المؤمنون) ٤٦٩
فصل: التداوي بالقرآن ثابت بالسنة المشرفة ٤٧٠
فصل: التداوي بالقرآن ثابتٌ بالكتاب الكريم ٤٧١
الدليل على إفادة قوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ﴾ في الشِّفاء مِن الأمراض الظاهرة بالرُّقى والتعويذ ونحوهما ٤٧٥
فصل: الإجماع منعقدٌ على جواز التداوي بالقرآن..... ٤٧٦
إجماع العلماء على جواز الرُّقى بثلاثة شروطٍ..... ٤٨٣
ذكر آيات الشِّفاء..... ٤٨٦
اختلاف العلماء في النُّشرة ٤٨٧
فائدة: حول بعض المُجرَّبات لفكِّ السِّحر (ت) ٤٩١
فصل: في حكم كتابة شيءٍ من القرآن أو الأدعية وتعليقه على العنق ٤٩٢
فصل: التداوي بالقرآن الكريم ونحوه من الأدعية المأثورة من محاسن هذا الدِّين العظيم ٤٩٧
التداوي بالصدقة علاجٌ روحيٌّ ٤٩٧
الذي ينكر الداوء الروحي من أصله، أو ينكر التداوي بالقرآن وما في معناه مبتدعٌ جاهلٌ ٤٩٨

فصل: شبهةٌ حول التداوي بالقرآن الكريم، والجواب عليها ٤٩٨
الحِكْمة مِن تكرار قصص الأنبياء في القرآن. ٥٠٢
الحِكْمة في أنَّ قصة يوسف عليه السَّلام ذكرت كلها في سورة واحدةٍ، ولم تفرَّق في عدَّة سورٍ..... ٥٠٣
إنكار المُخالِف للدَّجَّال والشيطان، والرد عليه (ت) ٥٠٥
فصل: لا تنافر ولا تناقض بين الحكم التي من أجلها أُنزل القرآن..... ٥٠٦
قصر فائدة القرآن على حِكْمةٍ من الحِكَم التي أنزل من أجلها دون غيرها قصورٌ في العقل وضيقٌ في التفكير ٥٠٨
خاتمة تشتمل على مسألتين: المسألة الأولى: شرط التداوي بالقرآن وما في معناه من الرُّقَى والمعوِّذات..... ٥٠٩
المسألة الثانية: ذكر قصة الخَضِر عليه السَّلام بشيءٍ من التفصيل ٥١٠
خاتمة الكتاب..... ٥١٦
فهرس الموضوعات..... ٥١٩

٥- فهرس المجلد الخامس

القرآن الكريم وعلومه

قصص الأنبياء عليهم السلام

١ - بِدَعُ التَّفاسِير

مقدِّمة ١١
ذكر التفاسير التي تكثُر فيها البِدَع والسَّبب في ذلك ١٢
ردُّ بعض المعاصرين لأحاديث في "صحيح البخاريِّ" ١٤
مقدِّمة: تشتمل على مسائل هامَّة، تنفع النَّاظِر في هذا الكتاب خاصَّةً وفي كُتُب التفسير والحديث عامَّةً..... ١٧
المسألة الأولى: ألفاظ القرآن الكريم، والأحاديث النبويَّة الشريفة لها حالتان من حيث حملها على الحقيقة أوالمجاز ١٧
المسألة الثانية: يجب على المتصدِّي لتفسير القرآن الكريم، أن يتجرَّد من الآراء المذهبيَّة، ويوطِّن نفسه على تَقبُّل ما تفيده الآية وتدلُّ عليه ١٩
المسألة الثالثة: في أمور يجب على المفسِّر مراعاتها..... ٢٠
أحدها: ألَّا يُخالف ما صحَّ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في تفسير آيةٍ ٢٠
ثانيها: أن يفسِّر الآيات بالمعاني التي كانت معروفة للعرب وقت نزوله، حقائق كانت أو مجازات..... ٢١
ثالثها: أن يجتنب تفسير ألفاظه باللغات الغريبة، أو تخريج إعرابه على الوجوه الضعيفة أو الشَّاذة بحسب القواعد النحوية ٢١
من ﴿سورة البقرة﴾ ٢٣
الدليل على أن اللغة توقيفية (ت)..... ٢٤
حكم المرتد في الشريعة الإسلامية (ت)..... ٢٧

تنبيه: تكلَّم المصنِّف على قصَّة هاروت وماروت في كتاب "قصَّة إدريس" فليراجعها من أرادها هناك ٣٣
كلام للشيخ محمد عبده عن معنى إحياء الموتى في القرآن والرد عليه (ت) ٣٩
تنبيه: ثبت في السُّنَّة إطلاق الذلّ كنايةً عن الاحتلال ٤١
ومن ﴿سورة آل عمران﴾ ٤٧
تنبيه: صحَّ أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم آثر في قسمة الفيء في بعض المغازي ... ٥٣
من ﴿سورة النساء﴾ ٥٣
من ﴿سورة المائدة﴾ ٥٧
تنبيه: قوله: ﴿بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾ معناه: بإثم قتلي، وإثمك الذي لم يقبل قربانك لأجله، فإضافة إثم الأوَّل إلى مفعوله، وهي سائغةٌ شائعةٌ في اللغة العربية، وإضافة الثاني إلى فاعله ٥٩
من ﴿سورة الأنعام﴾ ٥٩
ومن ﴿سورة الأعراف﴾ ٦٢
من ﴿سورة الأنفال﴾ ٧١
من ﴿سورة التوبة﴾ ٧٥
تنبيه: حول ذكر أسماء الله عزَّ وجلَّ بالسريانية ٧٥
من ﴿سورة يونس﴾ ٧٨
الدَّليل على موت فرعون كافرًا ٨٦
شرط قبول إيمان الكافر أو توبة العاصي أمران (ت) ٨٦
من ﴿سورة هود﴾ ٨٨
تنبيه إلى قاعدةٍ هامَّةٍ ٩٠

حول حمل معاني الأيات على المجاز ٩٠
من ﴿سورة يوسف﴾ ٩٣
من ﴿سورة الرعد﴾ ٩٨
من ﴿سورة إبراهيم﴾ ٩٩
من ﴿سورة النحل﴾ ١٠٢
من ﴿سورة الإسراء﴾ ١٠٤
حديثان صحيحان يفيدان أنَّ النَّاس يُدعون يوم القيامة بأسماء آبائهم (ت) ١٠٤
من ﴿سورة الكهف﴾ ١٠٨
من بدع التفاسير في كلب أهل الكهف: أنَّه كان أسدًا، وقيل: كان رجلًا، سُمِّي بالكلب لملازمته للحراسة (ت) ١٠٨
من ﴿سورة مريم﴾ ١١٢
من بدع التفاسير في مسألة مريم: رأيٌ أبداه لي طبيب في كلية الطب وكان يُعنَى بالمسائل الدينيَّة، وحاصل ذلك الرأي: أنَّ مريم كانت خُنثى (ت) ١١٢
من ﴿سورة طه﴾ ١١٦
من ﴿سورة الأنبياء﴾ ١٢١
من ﴿سورة الحج﴾ ١٢٤
من ﴿سورة النور﴾ ١٢٧
من ﴿سورة الشعراء﴾ ١٢٩
من ﴿سورة النمل﴾ ١٣٠
من ﴿سورة القصص﴾ ١٣١

من ﴿سورة لقمان﴾ ١٣٣
من ﴿سورة الأحزاب﴾ ١٣٤
من ﴿سورة فاطر﴾ ١٣٤
من ﴿سورة يس﴾ ١٤٠
من ﴿سورة ص﴾ ١٤١
حادثة حصلت للمصنف بتركه المشيئة ١٤٥
تنبيه: كان المعرِّي إذا ذكر الشُّعراء، يقول: قال: أبو نواس، قال: البُحتريُّ، قال: أبو تمَّام، فإذا ذكر المتنبِّي، يقول: قال: الشَّاعر ١٤٨
فائدة: قال بعض العلماء: كان علم النجوم صحيحًا، فلما توقَّفت الشَّمس ليوشع بطل أكثره، ولما رُدَّت لعليٍّ بطل جميعه ١٥٢
من ﴿سورة الزمر﴾ ١٥٦
من ﴿سورة غافر﴾ ١٥٧
من ﴿سورة فصلت﴾ ١٥٨
من ﴿سورة الشورىٰ﴾ ١٦٠
من ﴿سورة الزخرف﴾ ١٦٤
من ﴿سورة ق﴾ ١٦٧
ومن ﴿سورة الرحمن﴾ ١٦٩
من ﴿سورة التحريم﴾ ١٧٠
من ﴿سورة الملك﴾ ١٧٦
من ﴿سورة القلم﴾ ١٧٧

من ﴿سورة المزمل﴾ ١٨٠
ومن ﴿سورة المدثر﴾ ١٨١
من ﴿سورة الإنسان﴾ ١٨٢
من ﴿سورة النبأ﴾ ١٨٤
تحقيق حول ملك ذي القرنين (ت) ١٨٤
من ﴿سورة عبس﴾ ١٨٥
من ﴿سورة الغاشية﴾ ١٨٦
من ﴿سورة الفجر﴾ ١٨٧
من ﴿سورة الضحى﴾ ١٨٨
من ﴿سورة ألم نشرح﴾ ١٨٩
من ﴿سورة قريش﴾ ١٨٩
من ﴿سورة الفلق﴾ ١٩٠
خاتمـــــة: تشتمل على مسائل ثلاثة ١٩١
المسألة الأولى: ما ذُكر من نماذج بِدَع التفاسير لا تخلو من أن تكون مخالفة للفظ الآية، أو منافية لإعرابها، أو منافرة لسياق الكلام، أو غير متلاقية مع سبب النزول، أو مصادمة للدَّليل، ومِن ثَمَّ كانت بدعيَّتها ووجب إبعادها عن كتب التفسير ١٩١
المسألة الثانية: من أنواع التفسير التفسير الإشاري الذي يسلكه الصُّوفيَّة في تفاسيرهم ١٩٢
ذكر من استعمل التفسير الإشاري من العلماء غير الصُّوفيَّة ١٩٣
المسألة الثالثة: الكلام على التفاسير المشهورة المتداولة التي اطَّلع عليها المصنِّف، وبيان خصائص كلِّ تفسيرٍ منها ١٩٥

تفسير الشَّيخ طنطاوي جوهري المسمى "جواهر القرآن"؛ لأنَّه ليس تفسيرًا بالمعنى المفهوم من لفظ تفسير (ت) ٢٠٦
ترجمة المصنف ٢٠٧
نسب المصنف ٢٠٧
الرحلة إلى فاس لقراءة العلم بجامع القرويين ٢٠٩
العودة إلى طنجة والتدريس بالزَّاوية الصِّدِّيقيَّة ٢١٢
الرحلة إلى مصر ٢١٥
علماء المغاربة أعلم بالفقه المالكي وأعرف بقواعده وأوسع اطلاعًا على كتبه من علماء مصر (ت) ٢١٧
ذكر بعض من أجاز للمصنف من شيوخ مصر ٢١٩
الرد على بشر المريسي والكلام على حديث الأوعال (ت) ٢١٩
تدريس المصنف لبعض العلوم في الأزهر ٢٢١
الكتابة بمجلة الإسلام ٢٢٢
الكلام على الشيخ أحمد شاكر ودرجته في الحديث ٢٢٢
التعرف على العلامة الشيخ الكوثري وسؤاله للمصنف عن بعض الأحاديث التي يُسأل هو عنها ٢٢٤
حصول المصنف على شهادة العالمية من الأزهر ٢٢٧
ذكر بعض مؤلفات المصنف ٢٢٨
ذكر بعض المبشِّرات التي رآها المصنف ورُؤيت له ٢٣٢
خاتمة الكتاب ٢٣٣

قصص الأنبياء عليهم السلام

١ - قِصَّةُ آدمَ عليه السَّلام

مقدمة ٢٤٣
في عناية القرآن الكريم بقصص الأنبياء ٢٤٣
رد بعض المعاصرين لأحاديث في الصحيحين، والكلام على العقائد وطريقة الاستدلا لها (ت) ٢٤٣
انتقاد كثيرٍ من كتب التفسير -كـ"تفسير الخازن"- لحشرها كثيرًا من الإسرائيليَّات وإقحامها في تفسير ٢٤٧
ممَّا لا جِدال فيه أن مقام الأنبياء لا يجوز أن يوصَم بما يَخْدِشُ العِصْمة، ولا ينبغي أن تؤوَّل أعمالهم بما يُنزِلها عن درجة القُدْوة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ ٢٤٧
قبل خلق العالم ٢٤٩
أول المخلوقات ٢٤٩
عناصر خلق المخلوقات ٢٥٢
الملائكة ٢٥٣
كثير من الأشاعرة يزعم عدم عصمة الملائكة وهو خطأ كبير (ت) ٢٥٣
من الخرافات: ما يُحكى في بعض الكرامات أنَّ وليَّ الله سيِّدي عبدالرحيم الغُماريَّ الشهير بالقنائي رضي الله عنه شفع إلى الله في مَلَكٍ استشفع به، فقبل الله شفاعته!! ٢٥٤
بعض العلماء زعم أنَّ الجنَّ لا يدخلون الجنَّة، وثواب مطيعهم أن يجار من النَّار، وهذا القول لا دليل عليه (ت) ٢٥٥
الجن ٢٥٥
حكم المناكحة بين الإنس والجنِّ ٢٥٦
خلق السموات والأرض ٢٥٧

خلق آدم عليه السلام ٢٥٧
سجود الملائكة لآدم عليهم السلام ٢٥٧
نكتة علميَّة في سجود الملائكة ٢٥٩
خلافة آدم في الأرض ٢٦٠
كيف عرف الملائكة أن بني آدم يفسدون ٢٦٠
كيف ساغ للملائكة أن يراجعوا الله وهم معصومون؟ ٢٦٢
تعليم آدم الأسماء كلها ٢٦٣
الإشارة لبعض النكات العلمية في قوله تعالى ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ .. ٢٦٤
امتناع الشيطان من السجود وطرده من الجنة ٢٦٦
استشكال في سجود الشيطان والجواب عنه ٢٦٦
نكتة علمية: حول ما استنبط علماء الأصول وفقهاء الأمصار مِن ذَمِّ الله لإبليس على ترك السجود الذي أُمِر به ٢٦٧
نكتة ثانية: قال الحسن البصريُّ: أول مَن قاسَ إبليس ٢٦٧
خلق حواء ٢٦٨
سكنى آدم وزوجه الجنة ٢٦٩
نكتة علمية: في قوله تعالى: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ ٢٦٩
الجنة التي سكنها آدم عليه السلام ٢٧٠
وسوسة الشيطان لآدم وحواء ٢٧٢
معنى خيانة حواء لآدم عليه السلام ٢٧٣
حول نبوة النساء (ت) ٢٧٣
كيف توصل الشيطان إلى الوسوسة؟ ٢٧٥
كيف وقعت المخالفة من آدم عليه السلام ٢٧٧
لطيفتان ٢٨١

اللطيفة الأولى: في أثر تفكّر إبراهيم عليه السَّلام في شأن آدم عليه السلام عبرةٌ بالغةٌ تفيد أنَّ الله يكره من أحبابه أن يُخالفوه ٢٨١
اللطيفة الثانية: في قول الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ ٢٨٢
توبة آدم عليه السَّلام ٢٨٤
نبوة آدم عليه السَّلام ٢٨٨
دلالة القرآن على نبوَّته ٢٨٩
قصة هابيل وقابيل ٢٩٠
دلالتان من القرآن أيضًا ٢٩٢
دلالة أخرى من القرآن ٢٩٣
دلالة السُّنَّة النبوية ٢٩٥
الإجماع ٢٩٧
استشكال حول رسالة آدم عليه السلام والجواب عنه ٢٩٨
آدم هو أبو البشر ٢٩٨
هل أصل الإنسان قرد؟!! ٣٠٢
أصل نظرية النشوء والارتقاء ٣٠٤
مسائل منثورة: المسألة الأولى مكوث آدم في الجنة ٣٠٦
المسألة الثانية: طول آدم عليها السلام ٣٠٦
المسألة الثالثة: عمر آدم عليه السلام ٣٠٧
المسألة الرابعة: لم يتعرَّض القرآن ولا السُّنَّة الصحيحة لتعيين المكان الذي أهبط إليه آدم ٣٠٧
المسألة الخامسة في وفاة آدم عليه السلام ٣٠٩

المسألة السادسة في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ﴾ ٣١٠
المسألة السابعة: قيل إنَّ آدم عليه السلام أول من قال الشعر ٣١٢
المسألة الثامنة: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾ ٣١٤
المسألة التاسعة: حديث: «احْتَجَّ آدمُ وموسى، فقال له موسى: يا آدمُ، أنتَ أبونا خيَّبْتَنا وأَخْرَجْتَنا مِن الجنَّةِ...» الحديث ٣١٩
المسألة العاشرة: ما يؤخذ من قصة آدم عليه السلام ٣٢١
تنبيه: حول حديث لا يثبت في قصة هابيل وقابيل ٣٢٦
خاتمة الكتاب ٣٢٦

٢ - قِصَّةُ إدريسَ عليه السَّلام

إدريس عليه السلام ٣٣١
لم سمي إدريس؟ وما معناه؟ ٣٣١
هل أدرك آدم عليه السلام ٣٣٢
نبوته ورسالته ٣٣٢
أَوَّلِيَّاته ٣٣٣
هل رفع إلى السماء؟ ٣٣٥
صداقته لملك الشمس ٣٤٠
صداقته لملك الموت ٣٤١
هل يدخل أحد الجنة قبل يوم القيامة؟ ٣٤٤
اسم ملك الموت ٣٤٥
هل كان إدريس حكيمًا؟ ٣٤٥

بعض ما سَنَّه لقومه ٣٤٧
ما أمر به من القرابين لله تعالى ٣٤٨
صفة هرمس الهرامسة وهو إدريس ٣٤٨
نقش فص خاتمه ٣٤٩
مواعظه وحكمه ٣٤٩
هل هو إلياس؟ ٣٥٠
الخلاصة ٣٥٢
ذكر الأمور المعتمدة في قصة إدريس عليه السلام ٣٥٣
تنبيه: لا يَرِد على القول برسالة إدريس قول الناس لنوحٍ: أنت أول رسول إلى أهل الأرض كما في حديث الشفاعة ٣٥٣
خاتمة الكتاب ٣٥٤

٣- قِصَّةُ داودَ عليه السَّلام

مقدِّمة ٣٥٧
تمهيدٌ ٣٥٨
تنبيه: حول تلاوم أهل المعاصي يوم القيامة ٣٦٥
قصة داود عليه السلام ٣٦٦
افترق المفسِّرون في قصة الخصم إلى ثلاث فرقٍ في تفسيرها ٣٦٦
الصفات التي وصف الله بها داود عليه السلام ٣٧٧
التفسير الصحيح لقصة داود عليه السلام ٣٨٨
أصل القصة عند أهل الكتاب ٣٩٣
فضائل داود عليه السَّلام ٣٩٤
الفضائل القرآنية ٣٩٤
الفضائل الثابتة في الحديث ٣٩٥

نسبه عليه السلام ٣٩٦
صفته عليه السلام ٣٩٧
عمره عليه السلام ٣٩٧
حسن صوت داود عليه السلام ٣٩٨
بعض أحكامه ٣٩٩
(١) قال تعالىٰ: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ ٣٩٩
(٢) حكمه عليه السلام بين امرأتين ذَهَبَ الذئب بابن إحداهُما ٤٠١
تنبيه: حول قول أبي هريرة: «والله ما سمعت بالسكِّين قطُّ إلَّا يومئذٍ، ما كنَّا نقول إلَّا المُدْية» ٤٠٣
(٣) حكمه في نفرين من بني إسرائيل، استعدىٰ أحدهما علىٰ الآخر ٤٠٣
(٤) حكمه في أربعة من بني إسرائيل شهدوا علىٰ امرأة أنها مكَّنت من نفسها كلبًا لها قد عوَّدته ذلك ٤٠٤
(٥) حكمه في رجل أودع عند رجلٍ لؤلؤةً فجحدها منه ٤٠٥
بعض كلام داود عليه السَّلام ٤٠٦
وفاته عليه السلام ٤٠٨
رسالته عليه السلام ٤٠٩
العبرة من قصة داود عليه السلام ٤١١
خاتمة الكتاب ٤١٢

٤ - قِصَّةُ سُلَيمانَ عليه السَّلام

مقدِّمة ٤١٥
رسالة سليمان عليه السَّلام ٤١٨
الصافنات ٤١٨

فتنة سليمان عليه السَّلام ٤٢٢
موقف غير كريم من حديث صحيح لعبدالوهاب النجَّار في "قصص الأنبياء" ٤٢٨
الخارق سبعة أنواعٍ ٤٢٩
عبدالوهاب النجَّار لا يعرف هذه الأشياء المتفق عليها فهو يرد الأحاديث التي تفيد حصول خارقٍ لنبيٍّ بدعوىٰ أنَّ المعجزة لا تثبت إلَّا بدليلٍ قطعيِّ الثبوت والدلالة،، وهذا جهل من جهات ٤٣١
كرسيٰ سليمان عليه السلام ٤٣٢
هل سليمان بنىٰ المسجد الأقصىٰ؟ ٤٣٤
مُلْكُ سليمان عليه السَّلام ٤٣٦
ما أُعطيه سليمان عليه السلام ٤٣٦
احترام النبىٰ دعوة سليمان عليهما الصلاة والسلام ٤٣٦
وادي النمل ٤٣٧
مسائل: (١) اسم النملة المُكلِّمة لسليمان عليه السلام ٤٣٨
(٢) في قول النملة: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ٤٣٨
(٣) في هامَة جاءت إلىٰ سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام ٤٣٩
(٤) معنىٰ قول الله تعالىٰ: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ ٤٤٠
بساط سليمان عليه السلام ٤٤٢
هل ملك سليمان الدنيا؟ ٤٤٢
أخبار منكرة في قصة سليمان عليه السلام ٤٤٣
ملكة سبأ ٤٤٥
هل يجوز التزاوج بين الإنس والجن؟ ٤٤٧
أوائل سليمان عليه السلام ٤٥٠
وفاة سليمان عليه السلام ٤٥٥

العبرة من قصة سليمان عليه السلام..... ٤٥٧
خاتمة الكتاب..... ٤٥٨

٥- قِصَّةُ هَارُوتَ ومَارُوتَ

مقدِّمة ٤٦١
ذكر ما رُوي في قصة هاروت وماروت ٤٦٢
بيان عِلل الأحاديث المذكورة ٤٧٠
ذكر التناقض في تلك الأحاديث..... ٤٧٤
مخالفة الأحاديث المذكورة للقرآن ولقواعد العلم ٤٧٥
تفسير الآية التي ذُكِرَ بها هارُوت ومارُوت..... ٤٨١
خاتمة الكتاب..... ٤٨٩
فهرس الموضوعات..... ٤٩٣

٦- فهرس المجلد السادس

الكنز الثمين في أحاديث النبيِّ الأمين

مقدِّمة الشيخ أحمد محمد مرسي في التعريف بآل الصِّدِّيق الغُماريِّ ..... ج
مقدِّمة السيد عبدالله بن الصِّدِّيق وتشتمل على مسائل: المسألة الأولى: أنواع الحديث الثابت..... ط
المسألة الثانية: بعض من جمع الأحاديث ..... ي
المسألة الثالثة: من مزايا الجامع الصغير وبعض الكتب المصنَّفة حوله .....ل
المسألة الرابعة: الكنز الثمين أحاديثه أكثرها من الجامع الصغير مع زيادات من مظانٍّ أخرى ورموز الكنز الثمين .....ن
المسألة الخامسة: من مزايا كتاب الكنز الثمين .....ع
حرف الألف ١
حرف الباء ٢١٩
حرف التاء ٢٢٧
حرف الثاء ٢٣٨
حرف الجيم ٢٤٨
حرف الحاء ٢٥١
حرف الخاء ٢٦٣
حرف الدال ٢٨٠
حرف الذال ٢٨٧
حرف الراء ٢٩١
حرف الزاي ٢٩٩

حرف السين ٣٠٢
حرف الشين ٣١٥
حرف الصاد ٣٢٠
حرف الضاد ٣٣٤
حرف الطاء ٣٣٦
حرف الظاء ٣٤٠
حرف العين ٣٤١
حرف الغين ٣٥٧
حرف الفاء ٣٦١
حرف القاف ٣٧١
حرف الكاف ٣٩٢
حرف اللام ٣٥٦
حرف الميم ٥٠٤
حرف النون ٦١٠
باب المناهي ٦١٤
حرف الهاء ٦٢٧
حرف الواو ٦٣٠
حرف لا ٦٣٧
حرف الياء ٦٦٣
خاتمة الكتاب: وفيها فوائد في تكرار الحديث والاختلاف في صرف أبي هريرة ٦٨١
تصويبات ٦٨٥

إعلان: اعتزم مؤلِّف هذا الكتاب إنشاء شرح كامل له اسمه: «الفتح المبين شرح الكنز الثمين» ٦٩٢
فهرس الموضوعات ٦٩٣

٧- فهرس المجلد السابع

الحديث الشريف وعلومه

١ - تَوْجِيهُ العِنايَةِ لتَعْرِيفِ عِلْمِ الحَدِيثِ رِوَايةً و دِرايةً

مُقدِّمة ٩
خطبة الكتاب..... ٩
تمهيد ١٠
التنقيح ١٤
علم الحديث..... ١٥
أوَّل مَن وَضَعَ عِلْمَ الحديث ١٨
مراتب أهل الحديث ١٩
رُتب الحِفْظ عند المُحدِّثين ٢٠
تنبيهات هامَّة ٣٥
خاتمة ٣٦

٢ - الأربعون الغُماريَّة في شُكْرِ النِّعَمِ

خطبة الكتاب..... ٣٩
في بعض هذه الأحاديث ضعف وحكم العمل بالضعيف في الفضائل ٣٩
هذه الأحاديث جردها المصنف من كتاب "الشكر" لابن أبي الدنيا وعددها ستة وأربعون حديثًا ٤٠
مُقدِّمة ٤٢
شروط العمل بالضعيف في الفضائل ٤٤
الحديث الأول: «مَا أَنْعَمَ الله عَلَىٰ عَبْدٍ نِعْمَةً في أَهْلٍ أَوْ مَالٍ أَوْ وَلَدٍ...» الحديث. ٤٦

الحديث الثاني: «يا عائشةُ، أَحْسِنِي جِوارَ نِعَمِ اللهِ عزَّ وجلَّ، فإنها قلَّما نَفَرَتْ عن أهلِ بيتٍ فكادت أن تَرْجِعَ إليهم». ٤٧
الحديث الثالث: «لا يرزُقُ اللهُ عزَّ وجلَّ عبدًا الشكرَ فيحرمُهُ الزيادةَ لأنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يقول: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ ٤٨
الحديث الرابع: «إنك لَتَحْمَدُ اللهَ على نعمةٍ عظيمةٍ» ٤٩
الحديث الخامس: «الحمد لله الذي يُطعِم ولا يُطعَم، منَّ علينا فهَدَانا، وأَطْعَمَنا وسَقَانا...» الحديث ٥٠
الحديث السادس: «اللهُمَّ إني أعوذُ بك من زوالِ نِعمتِكَ وَفَجْأَةِ نِقمتِكَ وَتَحَوُّلِ عافيتِكَ وجميعِ سَخَطِكَ» ٥١
الحديث السابع: «يُؤتَى بالنِّعم يوم القيامة والحسناتِ والسيئاتِ، فيقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ لنعمةٍ من نِعَمِهِ: خذي حَقَّكَ مِن حسناتِهِ، فما تترُكُ له حَسَنَةً إلَّا ذَهَبَتْ بها» ٥١
الحديث الثامن: «إذا رَأيتَ اللهَ عزَّ وجلَّ يُعْطِي العبادَ ما يشاءون، على مَعاصِيهِم إيَّاهُ فذلك استِدْرَاجٌ منه لهم» ٥٢
الحديث التاسع: «أَرْبَعٌ مَنْ أُعْطِيَهُنَّ فَقَدْ أُعْطِيَ خَيْرَ الدُّنْيَا والآخِرَةِ: قلبٌ شاكرٌ، ولسانٌ ذاكِرٌ، وبَدَنٌ على البَلاءِ صابرٌ، وزَوْجَةٌ لا تَبغِيهِ خَوْنًا في نَفْسِها ولا مالِهِ» ٥٣
الحديث العاشر: أنَّ رجلًا كان يأتي النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فيسلِّم عليه فيقول النبيُّ: «كيف أصبحتَ؟» فيقول الرجل: إليك أحمد الله...» الحديث ٥٣
الحديث الحادي عشر: «ما أنعمَ اللهُ على عَبْدٍ نِعْمَةً فَعَلِمَ أنَّها مِن عندِ الله إلَّا كُتِبَ له شُكْرُهَا...» الحديث ٥٤
الحديث الثاني عشر: «ما مِن عَبْدٍ تَوَكَّلَ بعِبَادَةِ الله إلَّا غُرِّمَ السَّماواتُ والأرضُ...» الحديث ٥٥
الحديث الثالث عشر: «إذا أنعمَ اللهُ على عبد نعمةً أَحَبَّ أن يَرَى أَثَرَ نِعمَتِهِ على عبدِهِ» . ٥٦

الحديث الرابع عشر: «كُلُوا واشْرَبُوا وتَصَدَّقُوا في غير مَخِيلَةٍ ولا سَرَفٍ فإن اللهَ عزَّ وجلَّ يُحِبُّ أن يَرَىٰ أَثَرَ نعمتِهِ علىٰ عبدِهِ» ٥٧
الحديث الخامس عشر: عن أبي الأحوص عن أبيه قال: أتيتُ رسولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وأنا قَشِفُ الهيئة فقال: «هَلْ لَكَ مِنْ مَالٍ؟...» الحديث ٥٧
الحديث السادس عشر: «إن اللهَ يُحِبُّ أن يَرَىٰ أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَىٰ عَبْدِهِ في مَأكَلِهِ ومَشْرَبِهِ» .. ٥٨
الحديث السابع عشر: «من أُعطي خيرًا فرُئي عليه سُمِّي حبيبَ الله مُحدِّثًا بنعمة الله، ومن أُعطي خيرًا فلم يُرَ عليه سُمِّي بَغيضَ الله مُعاديًا لنعمة الله» ٥٨
الحديث الثامن عشر: «التَّحَدُّثُ بِالنِّعَمِ شُكْرٌ، وَتَرْكُهَا كُفْرٌ، وَمَنْ لا يَشْكُرُ الْقَلِيلَ لا يَشْكُرُ الْكَثِيرَ، وَمَنْ لا يَشْكُرُ النَّاسَ لا يَشْكُرُ اللهَ، وَالْجَمَاعَةُ بَرَكَةٌ، وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ» ٥٩
الحديث التاسع عشر: عن ابن عمر: أن رسولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قَرَأَ سُورَةَ الرَّحمنِ أو قُرِئَتْ عندَهُ، فقال: «مَا لِي أَسْمَعُ الْجِنَّ خَيْرًا مِنكُم جَوَابًا لِرَبِّهَا...» الحديث .. ٦١
الحديث العشرون: لما قَرَأَ رسولُ الله صَلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم (سُورةَ الرَّحمنِ) عَلَىٰ أَصْحَابِهِ، قَالَ حِينَ فَرَغَ مِنْهَا: «مَا لِي أَرَاكُمْ سُكُوتًا؟!...» الحديث ٦٢
الحديث الحادي والعشرون: كان رسولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إذا شَرِبَ الماءَ قال: «الْحَمْدُ لله الذي جَعَلَهُ عَذْبًا فُرَاتًا بِرَحْمَتِهِ، وَلَمْ يَجْعَلْهُ مِلْحًا أُجَاجًا بِذُنُوبِنَا» ٦٣
الحديث الثاني والعشرون: قامَ النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حَتَّىٰ انْتَفَخَتْ قَدَمَاهُ، فَقِيلَ لَهُ: يَا نَبِيَّ الله تَكَلَّفُ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ؟! قال: «أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟!» ٦٤
الحديث الثالث والعشرون: «مَنْ لَبِسَ ثَوبًا -أَحْسَبُهُ قال: جَدِيدًا- فَقَالَ حِينَ يَبْلُغُ تَرْقُوَتَهُ -أَوْ قَالَ: قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ تَرْقُوَتَهُ -مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَىٰ ثَوْبِهِ الْخَلِقِ فَكَسَاهُ مِسْكِينًا ...» الحديث ٦٤
الحديث الرابع والعشرون: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ عِنْدِي بِمَنْزِلَةِ كُلِّ خَيْرٍ؛ يَحْمَدُنِي وَأَنَا أَنْزِعُ نَفْسَهُ مِنْ بَيْنِ جَنْبَيْهِ» ٦٥

الحديث الخامس والعشرون: «إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَعْرِفَ قَدْرَ نِعْمَةِ اللهِ عَلَيْهِ فَلْيَنْظُرْ إِلَىٰ مَنْ هُوَ تَحْتَهُ، وَلا يَنْظُرْ إِلَىٰ مَنْ هُوَ فَوْقَهُ» ٦٦
الحديث السادس والعشرون: «أَفْضَلُ الدُّعَاءِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَفْضَلُ الذِّكْرِ: الحَمْدُ لله» ٦٧
الحديث السابع والعشرون: بَعَثَ رسولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بَعثًا من الأنصارِ وقال: «إِنْ سَلَّمَهُمُ اللهُ وَغَنَّمَهُمْ فَإِنَّ لله عَلَيَّ فِي ذَلِكَ شُكْرًا...» الحديث ٦٩
الحديث الثامن والعشرون: «إِنِّي أُحِبُّكَ، فَقُلْ : اللهُمَّ أَعِنِّي عَلَىٰ ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ» ٦٩
الحديث التاسع والعشرون: «الحَمْدُ لله الذي سَوَّىٰ خَلْقِي فَعَدَّلَهُ، وَكَرَّمَ صُورَةَ وَجْهِي وَحَسَّنَهَا، وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ» ٧١
الحديث الثلاثون: «إِنَّ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلامُ لَمْ يَقُمْ عَنْ خَلاءٍ قَطُّ إِلَّا قَالَ: الحَمْدُ لله الذي أَذَاقَنِي لَذَّتَهُ، وَأَبْقَىٰ مَنْفَعَتَهُ فِي جَسَدِي، وَأَخْرَجَ عَنِّي أَذَاهُ» ٧٢
الحديث الحادي والثلاثون: عن أَبِي بَكْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كَانَ إِذَا جَاءَهُ أَمْرٌ يَسُرُّهُ خَرَّ سَاجِدًا شُكْرًا لله ٧٣
الحديث الثاني والثلاثون: «لَقِيتُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ فَبَشَّرَنِي وَقَالَ: إِنَّ اللهَ تعالىٰ يَقُولُ لَكَ: مَنْ صَلَّىٰ عَلَيْكَ صَلَّيْتُ عَلَيْهِ، وَمَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَسَجَدْتُ لله شُكْرًا» ٧٥
الحديث الثالث والثلاثون: «يَا عَبَّاسُ يَا عَمَّ النَّبِيِّ، أَكْثِرِ الدُّعَاءَ بِالْعَافِيَةِ» ٧٦
الحديث الرابع والثلاثون: قام أبو بكرٍ رضي الله عنه علىٰ المنبرِ فقال: لقد علمتم ما قام به فيكم رسولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عامَ أوَّلٍ...» الحديث ٧٧
الحديث الخامس والثلاثون: عن جابرِ بن عَبدِالله: أَنَّ النَّبِيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قَرَأَ ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ فقَالَ النَّبِيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «اللهُمَّ إِنَّكَ أَمَرْتَ بِالدُّعَاءِ...» الحديث ٧٨
الحديث السادس والثلاثون: عن مُعَاذٍ رضي الله عنه: أَنَّ رسولَ الله صلَّىٰ الله عليه وآله

وسلَّم أَتىٰ علىٰ رجلٍ وهو يقول: اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ تَمَامَ النِّعْمَةِ، فقَالَ: «ابنَ آدَمَ هل تَدْرِي مَا تَمَامُ النِّعْمَةِ؟...» الحديث ٨٠
الحديث السابع والثلاثون: «انْظُرُوا إلىٰ من هو أَسْفَلُ مِنكُم فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أن لا تَزْدَرُوا نِعَمَةَ الله عَلَيكُم». ٨٢
الحديث الثامن والثلاثون: «من قَالَ حِينَ يُصْبِحُ: اللهُمَّ ما أَصْبَحَ بي من نِعْمَةٍ أو بِأَحَدٍ من خَلْقِكَ فمنك وَحْدَكَ لا شَرِيكَ لَكَ...» الحديث..... ٨٣
الحديث التاسع والثلاثون: «من ابْتُلِيَ فَصَبَرَ، وَأُعْطِيَ فَشَكَرَ، وَظُلِمَ فَغَفَرَ، وَظَلَمَ فَاسْتَغْفَرَ...» الحديث ٨٤
الحديث الأربعون: «أَكْثِرْ ذِكْرَ المَوْتِ يُسْلِكَ عَمَّا سِوَاهُ...» الحديث..... ٨٤
الحديث الحادي والأربعون: «الحَمدُ لله الذي أَطْعَمَنِي، وَسَقَانِي...» الحديث ٨٥
الحديث الثاني والأربعون: «الحَمْدُ لله الَّذِىٰ أَطْعَمَ وَسَقَىٰ وَسَوَّغَهُ وَجَعَلَ لَهُ مَخْرَجًا» ... ٨٦
الحديث الثالث والأربعون: «إِذَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَىٰ عَبْدٍ نِعْمَةً فَحَمِدَهُ عندها فقد أَدَّىٰ شُكْرَها» ٨٦
الحديث الرابع والأربعون: «الحَمدُ لله الذِي خَلَقَنِي فَأَحْسَنَ خَلْقِي وَخُلُقِي...» الحديث ٨٧
الحديث الخامس والأربعون: «من رَأَىٰ صَاحِبَ بَلاَءٍ فَقَالَ: الحَمدُ لله الذِي عَافَانِي...» الحديث ٨٨
الحديث السادس والأربعون: «خَصْلَتَانِ من كَانَتَا فيه كَتَبَهُ اللهُ صَابرًا شَاكرًا...» الحديث ٨٩
خاتمة تشتمل علىٰ مسائل..... ٩٠
خاتمة الكتاب..... ٩١

٣- الأَرْبَعُونَ حَدِيثًا الصِّدِّيقِيَّة

خطبة الكتاب..... ٩٥
الحديث الأول: «عُرَىٰ الإِسْلَامِ وَقَوَاعِدُ الدِّينِ ثَلَاثَةٌ...» الحديث..... ٩٦
الحديث الثاني: «من آتَاهُ اللهُ مَالًا فلم يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ لَهُ يومَ القِيَامَةِ شُجَاعٌ أَقْرَعُ...» الحديث ٩٦
الحديث الثالث: «يَقُولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: إنَّ عَبْدًا صَحَّحْتُ لَهُ جِسْمَهُ وَوَسَّعْتُ عَلَيهِ في المَعِيشَةِ تَمْضِي عَلَيهِ خَمْسَةُ أَعْوَامٍ لا يَفِدُ إليَّ لَمَحْرُومٌ»..... ٩٧
الحديث الرابع: «مَا تَرَكَ قَوْمٌ الجِهَادَ إِلاَّ عَمَّهُمُ اللهُ بِالْعَذَابِ»..... ٩٨
الحديث الخامس: «من رَغِبَ عن سُنَّتِي فَلَيسَ مِنِّي». ٩٨
الحديث السادس: «إنَّ اللهَ حَجَبَ التَّوْبَةَ عن كُلِّ صَاحِبِ بِدْعَةٍ حَتَّىٰ يَدَعَ بِدْعَتَهُ» ٩٩
الحديث السابع: «مَا من عَبْدٍ يَقُومُ في الدُّنْيَا مَقَامَ سُمْعَةٍ وَرِيَاءٍ إلا سَمَّعَ اللهُ بِهِ عَلَىٰ رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ» ٩٩
الحديث الثامن: «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ جَسَدٌ غُذِّيَ بِحَرَامٍ»..... ١٠٠
الحديث التاسع: «مَنِ احْتَكَرَ عَلَىٰ المُسْلِمِينَ طَعَامًا، ضَرَبَهُ اللهُ بِالجُذَامِ وَالإِفْلاسِ» ... ١٠٠
الحديث العاشر: «إِذَا ضَنَّ النَّاسُ بِالدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ، وتبايعوا بالعِينَةِ ١٠٠
الحديث الحادي عشر: «مَنْ آذَىٰ المُسْلِمِينَ في طُرُقِهِمْ وَجَبَتْ عَلَيْهِ لَعْنَتُهُمْ».... ١٠١
الحديث الثاني عشر: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ» ١٠٢
الحديث الثالث عشر: «مَنْ زَنَىٰ أَوْ شَرِبَ الخَمْرَ نَزَعَ اللهُ مِنْهُ الإيمَانَ كَمَا يَخْلَعُ الإِنْسَانُ الْقَمِيصَ مِنْ رَأْسِهِ»..... ١٠٢
الحديث الرابع عشر: «كُلُّ ذَنْبٍ عَسَىٰ الله أَنْ يَغْفِرَهُ إِلاّ الرَّجلَ يموتُ مُشْرِكًا أَوْ يَقْتُلُ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا»..... ١٠٤
الحديث الخامس عشر: «إذا أَدَّيْتَ زَكاةَ مالِكَ فقد قَضَيْتَ ما عَلَيْكَ وَمَنْ جَمَعَ مَالًا حَرَامًا

ثُمَّ تَصَدَّقَ بِهِ لَمْ يَكُنْ لَهُ فيهِ أَجْرٌ وَكَانَ إِصْرُهُ عَلَيْهِ» ١٠٥
الحديث السادس عشر: «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا وَالمَكْرُ وَالخِدَاعُ في النَّارِ» ١٠٦
الحديث السابع عشر: «أربَعَةٌ يُبغِضُهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ؛ البَيَّاعُ الحَلَّافُ، وَالفَقيرُ المُخْتَالُ، وَالشَّيخُ الزَّانِي، وَالإِمَامُ الجَائِرُ» ١٠٧
الحديث الثامن عشر: «إِذَا ظَهَرَ الزِّنَا وَالرِّبَا في قَرْيَةٍ فَقَدْ أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ عَذَابَ الله» ١٠٩
الحديث التاسع عشر: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا...» الحديث ١٠٩
الحديث العشرون: «ثَلاثَةٌ لا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ أَبَدًا: الدَّيُّوثُ مِنَ الرِّجَالِ، وَالرَّجُلَةُ مِنَ النِّسَاءِ، وَمُدْمِنُ الخَمْرِ» ١١٠
الحديث الحادي والعشرون: «سَبْعَةٌ لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَا يَجْمَعُهُمْ مَعَ العَالَمِينَ وَيُدْخِلُهُمُ النَّارَ في أَوَّلِ الدَّاخِلِينَ إِلَّا أَنْ يَتُوبُوا...» الحديث ١١١
الحديث الثاني والعشرون: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ الله، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ تُخُومَ الأَرْضِ...» الحديث ١١٢
الحديث الثالث والعشرون: «إِذَا اسْتَحَلَّتْ أُمَّتِي خَمْسًا فَعَلَيْهِمُ الدَّمَارُ...» الحديث... ١١٣
الحديث الرابع والعشرون: «يَا مَعْشَرَ المُهَاجِرِينَ خَمْسُ خِصَالٍ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ...» الحديث ١١٤
الحديث الخامس والعشرون: «أَرْبَعٌ في أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ...» الحديث ١١٦
الحديث السادس والعشرون: «مَنْ تَرَدَّىٰ مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ في نَارِ جَهَنَّمَ...» الحديث ١١٧
الحديث السابع والعشرون: «لَعَنَ رَسُولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم المُخَنَّثِينَ مِنَ الرِّجَالِ، وَالمُتَرَجِّلَاتِ مِنَ النِّسَاءِ» ١١٨
الحديث الثامن والعشرون: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلا يَدْخُلِ الحَمَّامَ إِلا بِمِئْزَرٍ...» الحديث ١١٨

الحديث التاسع والعشرون: «مَنْ حَالَتْ شَفَاعَتُهُ دُونَ حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ فَقَدْ ضَادَّ اللهَ عزَّ وجلَّ...» الحديث ١٢٠
الحديث الثلاثون: « أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ -ثَلَاثًا- الإِشْرَاكُ بالله، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، ألا وَشَهَادَةُ الزُّورِ أو قَوْلُ الزُّورِ» ١٢١
الحديث الحادي والثلاثون: «مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فَإِنَّ اللهَ مُعَذِّبُهُ حَتَّىٰ يَنْفُخَ فيهَا الرُّوحَ وَلَيْسَ بِنَافِخٍ فيهَا أَبَدًا» ١٢٢
الحديث الثاني والثلاثون: «مَا مِنْ رَجُلٍ يَلِي أَمْرَ عَشَرَةٍ فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ إِلَّا أَتَىٰ اللهَ عزَّ وجلَّ مَغْلُولًا يَوْمَ القِيَامَةِ يَدُهُ إِلَىٰ عُنُقِهِ، فَكَّهُ بِرُّهُ أَوْ أَوْثَقَهُ إِثْمُهُ...» الحديث... ١٢٤
الحديث الثالث والثلاثون: «إِنَّ التُّجَّارَ هُمُ الْفُجَّارُ...» الحديث..... ١٢٦
الحديث الرابع والثلاثون: «مَنْ أَتَىٰ حَائِضًا أَوِ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ،كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عليه وآله وسلَّم» ١٢٦
الحديث الخامس والثلاثون: «مَنْ لَعِبَ بِنَرْدٍ أَوْ نَرْدَشِيرٍ فَقَدْ عَصَىٰ اللهَ وَرَسُولَهُ» ١٢٨
الحديث السادس والثلاثون: لُعِنَتْ الوَاصِلَةُ وَالْمُسْتَوْصِلَةُ وَالنَّامِصَةُ وَالْمُتَنَمِّصَةُ وَالوَاشِمَةُ وَالْمُسْتَوْشِمَةُ مِنْ غَيْرِ دَاءٍ ١٢٩
الحديث السابع والثلاثون: «يَكُونُ قَوْمٌ يُخَضِّبُونَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ بِالسَّوَادِ كَحَوَاصِلِ الحَمَامِ لا يَرِيحُونَ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ» ١٣١
الحديث الثامن والثلاثون: «أَيُّما امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ عَلَىٰ قَوْمٍ لِيَجِدُوا رِيحَهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ، وَكُلُّ عَيْنٍ زَانِيَةٌ» ١٣٢
الحديث التاسع والثلاثون: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا طَلَاقَهَا مِنْ غَيْرِ مَا بَأْسٍ، فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الْجَنَّةِ» ١٣٢
الحديث الأربعون: عن أبي هريرة: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لَعَنَ زَوَّارَاتِ القُبُورِ ١٣٣

الحديث الحادي والأربعون: «إِنَّ الله حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الأُمَّهَاتِ، وَوَأْدَ البَنَاتِ، وَمَنْعَ وَهَاتِ، وَكَرِهَ لَكُم قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ المَالِ»..... ١٣٤
الحديث الثاني والأربعون: «إِنَّ المُفْلِسَ مِن أُمَّتِي يَأْتِي يَومَ القِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ...» الحديث ١٣٥
الحديث الثالث والأربعون: «بِئْسَ العَبْدُ عَبْدٌ تَجَبَّرَ وَاعْتَدَى وَنَسِيَ الجَبَّارَ الأَعْلَى، بِئْسَ العَبْدُ عَبْدٌ تَخَيَّلَ وَاخْتَالَ وَنَسِيَ الكَبِيرَ المُتَعَالِ...» الحديث ١٣٦
الحديث الرابع والأربعون: «يَا مُعَاذُ، أُوصِيكَ بِتَقْوَى الله، وَصِدْقِ الحَدِيثِ، وَوَفَاءِ العَهْدِ...» الحديث ١٣٧
الحديث الخامس والأربعون: «طُوبَى لِمَنْ تَوَاضَعَ فِي غَيْرِ مَنْقَصَةٍ، وَذَلَّ فِي نَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ...» الحديث..... ١٣٩
الحديث السادس والأربعون: «النَّادِمُ يَنْتَظِرُ مِنَ الله الرَّحْمَةَ، وَالمُعْجَبُ يَنْتَظِرُ المَقْتَ...» الحديث ١٤٠

٤ - تَمامُ المِنَّةِ ببيانِ الخِصَالِ المُوجِبَةِ للجَنَّةِ

مُقدِّمة ١٤٥
خطبة الكتاب وسبب تصنيفه ١٤٥
الخصلة الأولى: مَنِيحَةُ العَنْزِ ١٤٦
الخصلة الثانية: إِمَاطَةُ الأَذَى عن الطَّرِيقِ..... ١٤٦
(تنبيه): مِن المؤسف الذي ينفطر له قلب المؤمن؛ ما شاع من استعمال الجرائد العربية في لفِّ الأحذية، ومسح الأوساخ والنجاسات، وغير ذلك، مع أنها لا تخلو من آيةٍ أو حديثٍ أو اسم الله تعالى، وهذا إثمٌ كبيرٌ، ويعتبره المالكيَّة رِدَّة عن الإسلام، نعوذ بالله تعالى.
(ت) ١٤٧
الخصلة الثالثة: سقي بهيمة ١٤٨
(تنبيه): الإسلام بتعاليمه الرحيمة وجه المسلمين إلي رحمة البهائم والعناية بها، وسبق

الأوروبيين الذين أنشأوا في آخر الزَّمان جمعية الرِّفق بالحيوان، في حين أنهم يستعبدون بني الإنسان.(ت) ١٤٩
الخصلة الرابعة: عِيَادَةُ المَرِيضِ..... ١٤٩
تنبيه: حديث: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا وَجَلَسَ عِنْدَهُ سَاعَةً، أَجْرَىٰ اللهُ لَهُ عَمَلَ أَلْفِ سَنَةٍ لَا يَعْصِي اللهَ فيهَا طَرْفَةَ عَيْنٍ»؛ موضوع. ١٥١
تنبيه آخر: ينبغي للمريض أن يقدم لمن يعوده شيئًا من مطعوم ١٥١
الخصلة الخامسة: زِيَارَةُ أَخٍ في الله تَعَالَىٰ..... ١٥١
خمس خصال متتابعة ذكرت في حديثٍ واحدٍ مرفوعٍ ١٥٢
تنبيه: شاع بين كُتَّاب العصر وأدبائه استعمال «رَضَخَ» بمعنىٰ: خَضَعَ وأطاع، وهو استعمال حادث مُوَلَّد ١٥٤
تنبيه: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اعتبرناه خصلة واحدة؛ لأنهما متلازمان ١٥٧
أربع خصال: رد السلام، تشميت العاطس، إجابة الدعوة، إتباع الجنازة..... ١٥٨
تنبيه: إذا دعي شخص إلىٰ طعام وتبعه آخر من غير دعوة استأذن فيه صاحب البيت ١٦٠
تنبيهان: (التنبيه الأول): من أدب العُطاس ١٦٢
التنبيه الثاني: في حديث: «إِنَّ الله يُحِبُّ العُطَاسَ، وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ...» الحديث . ١٦٢
الخصلة الخامسة عشرة والسادسة عشرة: البدء بالسلام، وبذل النصيحة..... ١٦٢
الخصلة السابعة عشرة: إخراج الأذىٰ من المسجد..... ١٦٥
خمس خصال: التبسُّم في وجه المسلم، إرشاد الضال، البصر لردئ البصر، النهي عن المنكر، إفراغك من دلوك في دلو أخيك..... ١٦٥
خصال أربعة: إسماع الأصمِّ، هداية الأعمىٰ، دلالة المستدلِّ علىٰ حاجته، إعانة الضعيف ١٦٧
ثلاث خصال: إعانة الرجل في دابَّته، العدل بين اثنين، الكلمة الطيبة ١٦٨

الخصلة الموفية ثلاثين: التعبير عن الأَرَتِّ ١٧٠
الخصلة الواحدة والثلاثون: سَقْيُ المَاءِ ١٧٣
ثلاث خصال: وَهْبُ صِلَةِ الحَبْلِ، وَهْبُ الشَّسْعِ، إِيناسُ الوَحْشَان ١٧٥
الخصلة الخامسة والثلاثون والسادسة والثلاثون: السماحة في البيع والشراء وفي القضاء والاقتضاء ١٧٦
الخصلة السابعة والثلاثون والثامنة والثلاثون: إنظار المعسر، التجاوز في النقد. ١٧٧
الخصلة التاسعة والثلاثون: ستر عورة المؤمن ١٧٩
الخصلة الموفية أربعين: تعزية المسلم أو المسلمة ١٨٠
خصال أخرىٰ من أنواع الطاعة وأعمال الخير ١٨١
الحديث الأول: «أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلَامٍ» ١٨٢
تنبيه: هذا الحديث أول حديث ورد بالمدينة وقد تحمَّله راويه وهو غير مُسْلِمٍ ثُمَّ أدَّاه بعد إسلامه ١٨٣
الحديث الثاني: «لَئِنْ كُنْتَ أَقْصَرْتَ الخُطْبَةَ، لَقَدْ أَعْرَضْتَ المَسْأَلَةَ، أَعْتِقِ النَّسَمَةَ، وَفُكَّ الرَّقَبَةَ...» الحديث ١٨٣
الحديث الثالث: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ اليَوْمَ صَائِمًا؟...» الحديث ١٨٥
الحديث الرابع: «خَمْسٌ مَنْ عَمِلَهُنَّ في يَوْمٍ كَتَبَهُ الله مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ: مَنْ عَادَ مَرِيضًا، وَشَهِدَ جِنَازَةً، وَصَامَ يَوْمًا، وَرَاحَ إِلَىٰ الجُمُعَةِ، وَأَعْتَقَ رَقَبَةً» ١٨٦
الحديث الخامس: «يَعْجَبُ رَبُّكَ مِنْ رَاعِي غَنَمٍ عَلَىٰ رَأْسِ شَظِيَّةٍ لِلْجَبَلِ يُؤَذِّنُ بِالصَّلَاةِ وَيُصَلِّي، فَيَقُولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: انْظُرُوا إِلَىٰ عَبْدِي هَذَا يُؤَذِّنُ وَيُقِيمُ الصَّلَاةَ يَخَافُ مِنِّي، قَدْ غَفَرْتُ لَهُ وَأَدْخَلْتُهُ الجَنَّةَ» ١٨٦
الحديث السادس: «مَنْ أَكَلَ طَيِّبًا، وَعَمِلَ في سُنَّةٍ، وَأَمِنَ النَّاسُ بَوَائِقَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ...»

الحديث ١٨٧
الحديث السابع: «تَعْبُدُ الله لاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، وتَصُومُ رَمَضَانَ...» الحديث ١٨٨
الحديث الثامن: «تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ وَتَصِلُ الرَّحِمَ» ١٨٨
الحديث التاسع: خَطَبَنَا رَسُولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فَقَالَ: «وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ». ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ أَكَبَّ، فَأَكَبَّ كُلُّ رَجُلٍ مِنَّا يَبْكِي لَا يَدْرِي عَلَى مَاذَا حَلَفَ...» الحديث ١٨٩
الحديث العاشر: «إِنَّ أَوْلِيَاءَ الله المُصَلُّونَ، وَمَنْ يُقِيمُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسَ الَّتِي كَتَبَهُنَّ اللهُ عَلَيهِ، وَيَصُومُ رَمَضَانَ وَيَحْتَسِبُ صَوْمَهُ، وَيُؤْتِي الزَكَاةَ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ، وَيَجْتَنِبُ الكَبَائِرَ الَّتِي نَهَى اللهُ عَنْهَا...» الحديث ١٨٩
الحديث الحادي عشر: «خَمْسٌ مَنْ جَاءَ بِهِنَّ مَعَ إِيمَانٍ دَخَلَ الجَنَّةَ...» الحديث... ١٩١
الحديث الثاني عشر: «اكْفُلُوا لِي بِسِتٍّ أَكْفُلْ لَكُمُ الجَنَّةَ...» الحديث ١٩٢
الحديث الثالث عشر: «مَنْ بَنَى مَسْجِدًا يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ الله بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الجَنَّةِ». .. ١٩٣
الحديث الرابع عشر: «أَهْلُ الجَنَّةِ ثَلاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ القَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٌ، وعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ» ١٩٣
الحديث الخامس عشر: «مَنْ أَذَّنَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ، وَكُتِبَتْ لَهُ بِتَأْذِينِهِ كُلَّ يَوْمٍ سِتُّونَ حَسَنَةً، وَبِكُلِّ إِقَامَةٍ ثَلاثُونَ حَسَنَةً» ١٩٤
الحديث السادس عشر: «مَنْ قَالَ مِثْلَ هَذَا يَقِينًا دَخَلَ الجَنَّةَ» ١٩٤
الحديث السابع عشر: «إِذَا قَالَ: المُؤَذِّنُ اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ...» الحديث..... ١٩٥
الحديث الثامن عشر: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ الْوُضُوءَ، وَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ يُقْبِلُ بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ عَلَيْهِمَا إِلاَّ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ» ١٩٧

الحديث التاسع عشر: «يَا بِلاَلُ بِمَ سَبَقْتَنِي إِلَى الجَنَّةِ؟ إِنِّي دَخَلْتُ البَارِحَةَ الجَنَّةَ فَسَمِعْتُ خَشْخَشَتَكَ أَمَامِي» ١٩٧
الحديث العشرون: «مَنْ غَدَا إِلَى المَسْجِدِ أَوْ رَاحَ، أَعَدَّ اللهُ لَهُ نُزُلًا فِي الجَنَّةِ كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ» ١٩٩
الحديث الحادي والعشرون: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّي لله تَعَالَى فِي كُلِّ يَوْمٍ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً -غَيْرَ الفَرِيضَةِ- إِلَّا بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الجَنَّةِ» ١٩٩
الحديث الثاني والعشرون: «مَنْ صَلَّى البَرْدَيْنِ دَخَلَ الجَنَّةَ» ١٩٩
الحديث الثالث والعشرون: عن أنس: أَنَّ رَسُولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بَعَثَ رَجُلا عَلَى سَرِيَّةٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ لأَصْحَابِهِ فِي صَلاتِهِمْ فَيَفتتح بِـ «قل هو الله أحد...» الحديث . ٢٠٠
الحديث الرابع والعشرون: عن أبي هريرة قال: أَقْبَلْتُ مَعَ رَسُولِ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فَسَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فَقَالَ رَسُولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «وَجَبَتْ...» الحديث ٢٠١
الحديث الخامس والعشرون: «سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ العَبْدُ: اللهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ...» الحديث ٢٠١
الحديث السادس والعشرون: «إِذَا اضْطَجَعَ أَحَدُكُمْ عَلَى جَنْبِهِ الأَيْمَنِ، ثُمَّ قَالَ: اللهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ...» الحديث ٢٠٢
الحديث السابع والعشرين: «إِذَا أَوَى الرَّجُلُ إِلَى فِرَاشِهِ ابْتَدَرَهُ مَلَكٌ وَشَيْطَانٌ...» الحديث ٢٠٣
الحديث الثامن والعشرون: «مَنْ يَكْفُلُ لِي أَنْ لَا يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا وَأَتَكَفَّلُ لَهُ بِالجَنَّةِ؟» فَقُلْتُ: أَنَا. فَكَانَ لَا يَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا ٢٠٥
الحديث التاسع والعشرون: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ -أو فَيُسْبِغُ- الوُضُوءَ ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ

الجَنَّةِ الثَّمانِيَةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّها شاءَ»..... ٢٠٥
الحديث الثلاثون: «مَا مِنْ رَجُلٍ تَعَلَّمَ كَلِمَةً أَوْ كَلِمَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا أَوْ خَمْسًا مِمَّا فَرَضَ اللهُ عزَّ وجلَّ فَيَتَعَلَّمُهُنَّ وَيُعَلِّمُهُنَّ، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»..... ٢٠٦
الحديث الحادي والثلاثون: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ»..... ٢٠٧
ذم ما يسمى بـ«الكذب الأبيض» وبيان أن جزاءه الويل، وذكر الحالات التي يجوز فيها الكذب لمصلحة شرعية..... ٢٠٨
الحديث الثاني والثلاثون: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ»..... ٢١٠
الحديث الثالث والثلاثون: «مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ: رضيت رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، فَأَنَا الزَّعِيمُ لَآخُذَنَّ بِيَدِهِ حَتَّى أُدْخِلَهُ الجَنَّةَ». ٢١٢
الحديث الرابع والثلاثون: «مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّة...» الحديث..... ٢١٢
الحديث الخامس والثلاثون: «مَنْ عَلِمَ أَنَّ الصَّلاةَ حَقٌّ وَاجِبٌ دَخَلَ الجَنَّةَ»..... ٢١٣
الحديث السادس والثلاثون: «مَنْ حَافَظَ عَلَى الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ؛ رُكُوعِهِنَّ وَسُجُودِهِنَّ وَمَوَاقِيتِهِنَّ، وَعَلِمَ أَنَّهُنَّ حَقٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ، دَخَلَ الجَنَّةَ»..... ٢١٣
الحديث السابع والثلاثون: «خَصْلَتَانِ أَوْ خَلَّتَانِ لَا يُحَافِظُ عَلَيْهِمَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ...» الحديث..... ٢١٤
الحديث الثامن والثلاثون: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُم شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ...» الحديث..... ٢١٦

الحديث التاسع والثلاثون: «إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ بِالسَّهْمِ الوَاحِدِ ثَلاَثَةَ نَفَرٍ الجَنَّةَ...» الحديث ٢١٧
الحديث الأربعون: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلاَمِهِ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الجَنَّةَ» ٢١٩
تنبيه: ثبت في مناقب الحافظ أبي زُرْعَةَ الرَّازِي أنه لما حضرته الوفاة، سأله بعض الحاضرين أن يروي لهم هذا الحديث، فرواه بإسناده، حتى قال: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلاَمِهِ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ» ففاضت روحه..... ٢٢٠
الحديث الحادي والأربعون: «أَنَّ فِي الجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ: الرَّيَّانُ، يدْخلُ مِنْهُ الصَّائمُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ...» الحديث ٢٢٠
الحديث الثاني والأربعون: عن أبي أُمَامَةَ، قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ أَدْخُلُ بِهِ الجَنَّةَ؟ قال: «عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لاَ مِثْلَ لَهُ» ٢٢٠
الحديث الثالث والأربعون: «مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ صَامَ يَوْمًا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ خُتِمَ لَهُ بِهِ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الجَنَّةَ». ٢٢١
الحديث الرابع والأربعون: «عُرِضَ عَلَيَّ أَوَّلُ ثَلاَثَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ، وَأَوَّلُ ثَلاَثَةٍ يَدْخُلُونَ النَّارَ...» الحديث ٢٢١
الحديث الخامس والأربعون: «يَا شَبَابَ قُرَيْشٍ، احْفَظُوا فُرُوجَكُمْ وَلا تَزْنُوا، أَلا مَنْ حَفِظَ فَرْجَهُ فَلَهُ الجَنَّةُ» ٢٢٣
الحديث السادس والأربعون: «مَنْ أَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَصَامَ رَمَضَانَ وَقَرَى الضَّيْفَ دَخَلَ الجَنَّةَ» ٢٢٣
الحديث السابع والأربعون: «مَنْ أَدْخَلَ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ مِنَ المُسْلِمِينَ سُرُورًا لَمْ يَرْضَ اللهُ لَهُ ثَوَابًا دُونَ الجَنَّةِ» ٢٢٥
الحديث الثامن والأربعون: «العُمْرَةُ إِلَى العُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ

جَزَاءٌ إِلَّا الجَنَّةُ» ٢٢٥
الحديث التاسع والأربعون: «الحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الجَنَّةُ». قِيلَ: وَمَا بِرُّهُ؟ قَالَ: «إِطْعَامُ الطَّعَامِ وَطِيبُ الكَلاَمِ» ٢٢٦
الحديث الخمسون: «تَابِعُوا بَيْنَ الحَجِّ وَالعُمْرَةِ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيانِ الفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالفِضَّةِ. وَلَيْسَ لِلحَجَّةِ المَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلَّا الجَنَّةُ» ٢٢٦
الحديث الحادي والخمسون: «مَا أَهَلَّ مُهِلٌّ قَطُّ وَلَا كَبَّرَ مُكَبِّرٌ قَطُّ إِلَّا بُشِّرَ». قِيلَ: يَا رَسُولَ الله، بِالجَنَّةِ؟ قَالَ: «نَعَمْ» ٢٢٧
الحديث الثاني والخمسون: «مَنْ أَهَلَّ بِحَجَّةٍ أَوْ عُمْرَةٍ مِنَ المَسْجِدِ الأَقْصَىٰ إِلَىٰ المَسْجِدِ الحَرَامِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِه وَمَا تَأَخَّرَ» أو «وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ» ٢٢٨
الحديث الثالث والخمسون: «لَا تَفْعَلْ؛ فَإِنَّ مُقَامَ أَحَدِكُمْ فِي سَبِيلِ الله أَفْضَلُ مِنْ صَلاَتِهِ فِي بَيْتِهِ سَبْعِينَ عَامًا...» الحديث ٢٢٩
الحديث الرابع والخمسون: «تَكَفَّلَ اللهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ لاَ يُخْرِجُهُ مِنْ بَيْتِهِ إلاَ الجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ، وَتَصْدِيقٌ بِكَلِمَاتِهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ أَوْ يَرُدَّهُ إِلَىٰ سَكَنِهِ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ». ٢٣٠
الحديث الخامس والخمسون: «رِبَاطُ شَهْرٍ خَيْرٌ مِنْ صِيامِ دَهْرٍ، وَمَنْ ماتَ مُرابِطًا فِي سَبِيلِ الله أَمِنَ مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ وَغُدِيَ عَلَيْهِ بِرِزْقِهِ وَرِيحٍ مِنَ الجَنَّةِ وَيَجْرِي عَلَيْهِ أَجْرُ المُرابِطِ حَتَّىٰ يَبْعَثَهُ الله عزَّ وجلَّ» ٢٣١
الحديث السادس والخمسون: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللهُ لِلمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ الله مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ» ٢٣٢
الحديث السابع والخمسون: «مَنْ يَحْرُسُنَا اللَّيْلَةَ؟...» الحديث ٢٣٢
الحديث الثامن والخمسون: عَهِدَ إِلَيْنَا رَسُولُ الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فِي خَمْسٍ مَنْ فَعَلَ وَاحِدَةً مِنْهُنَّ كَانَ ضَامِنًا عَلَىٰ الله عزَّ وجلَّ...» الحديث ٢٣٣
الحديث التاسع والخمسون: «مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ الله فُوَاقَ نَاقَةٍ فَقَدْ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ،

وَمَنْ سَأَلَ الله القَتْلَ مِنْ نَفْسِهِ صَادِقًا ثُمَّ مَاتَ أَوْ قُتِلَ فَإِنَّ لَهُ أَجْرَ شَهِيدٍ» ٢٣٥
الحديث الستون: «مَنْ بَلَغَ العَدُوَّ بِسَهْمٍ رَفَعَ اللهُ لَهُ دَرَجَةً...» الحديث ٢٣٦
الحديث الحادي والستون: عن عَمْرُو بن عَبَسَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يَقُولُ في حِصَارِ الطَّائِفِ: «مَنْ بَلَغَ بِسَهْمٍ فَهُوَ لَهُ دَرَجَةٌ في الجَنَّةِ» ٢٣٦
الحديث الثاني والستون: عن مَعْدَانَ بن أبي طَلْحَةَ، قَالَ: حَاصَرْنَا مَعَ رَسُولِ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الطَّائِفَ. فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «مَنْ بَلَغَ بِسَهْمٍ فَهُوَ لَهُ دَرَجَةٌ في الجَنَّةِ» ٢٣٦
الحديث الثالث والستون: عن عُتْبَةَ بن عَبْدٍ السُّلَمِيِّ، أَنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قَالَ لأَصْحَابِهِ: «قُومُوا فَقَاتِلُوا». فَرَمَى رَجُلٌ بِسَهْمٍ. فَقَالَ النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «أَوْجَبَ هَذَا» ٢٣٧
الحديث الرابع والستون: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ بِطَرِيقِ الإِسْلَامِ...» الحديث .. ٢٣٧
الحديث الخامس والستون: «أَنَا زَعِيمٌ -وَالزَّعِيمُ الحَمِيلُ- لِمَنْ آمَنَ بِي وَأَسْلَمَ وَهَاجَرَ بِبَيْتٍ في رَبَضِ الجَنَّةِ وَبِبَيْتٍ في وَسَطِ الجَنَّةِ ٢٣٨
الحديث السادس والستون: «يَقُولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: المُجَاهِدُ في سَبِيلِي هُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ إِنْ قَبَضْتُهُ أَوْرَثْتُهُ الجَنَّةَ، وَإِنْ رَجَعْتُهُ رَجَعْتُهُ بِأَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ» ٢٣٩
الحديث السابع والستون: عن أبي المُنذِرِ: أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ فُلَانًا هَلَكَ فَصَلِّ عَلَيْهِ...» الحديث ٢٤٠
الحديث الثامن والستون: «إِنَّ أَبْوَابَ الجَنَّةِ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ...» الحديث.. ٢٤١
الحديث التاسع والستون: «جَاهِدُوا في سَبِيلِ الله، فَإِنَّ الجِهَادَ في سَبِيلِ الله بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، يُنْجِي اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهِ مِنَ الهَمِّ وَالغَمِّ» ٢٤١
الحديث السبعون: «مَثَلُ المُجَاهِدِ في سَبِيلِ الله كَمَثَلِ القَانِتِ الصَّائِمِ لَا يَفْتُرُ صَلَاةً وَلَا صِيَامًا حَتَّى يُرْجِعَهُ اللهُ إِلَى أَهْلِهِ بِمَا يُرْجِعُهُ إليهم مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ، أَوْ يَتَوَفَّاهُ فَيُدْخِلُهُ الجَنَّةَ» ٢٤٢

الحديث الحادي والسبعون: عن شَدَّادِ بن الهَادِ، أَنَّ رَجُلًا مِنَ الأَعْرَابِ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فَآمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: أُهَاجِرُ مَعَكَ. فَأَوْصَى بِهِ النَّبِيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بَعْضَ أَصْحَابِهِ...» الحديث ٢٤٢
الحديث الثاني والسبعون: «قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ...» الحديث. ٢٤٣
الحديث الثالث والسبعون: «يُؤْتَى بِالرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيَقُولُ اللهُ: يَا ابْنَ آدَمَ كَيْفَ وَجَدْتَ مَنْزِلَكَ؟...» الحديث ٢٤٤
الحديث الرابع والسبعون: « القَتْلَى ثَلاثَةٌ: رَجُلٌ مُؤْمِنٌ جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ في سَبِيلِ الله، حَتَّى إِذَا لَقِيَ العَدُوَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى يُقْتَلَ، فَذَلِكَ الشَّهِيدُ المُمْتَحَنُ...» الحديث ٢٤٥
الحديث الخامس والسبعون: «الذينَ إِنْ يَلْقَوْا في الصَّفِّ لَا يَلْفِتُوا وُجُوهَهُمْ حَتَّى يُقْتَلُوا، أُولَئِكَ يَتَلَبَّطُونَ في الغُرَفِ العُلا مِنَ الجَنَّةِ، وَيَضْحَكُ إِلَيْهِمْ رَبُّكَ، وَإِذَا ضَحِكَ رَبُّكَ إِلَى عَبْدٍ في الدُّنْيَا فَلاَ حِسَابَ عَلَيْهِ»..... ٢٤٦
الحديث السادس والسبعون: «لِلشَّهِيدِ عِنْدَ الله سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ في أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ...» الحديث ٢٤٧
الحديث السابع والسبعون: «إِنَّ لِلشَّهِيدِ عِنْدَ الله سَبْعَ خِصَالٍ...» الحديث... ٢٤٨
الحديث الثامن والسبعون: «الشُّهَدَاءُ عَلَى بَارِقِ نَهَرٍ بِبَابِ الجَنَّةِ في قُبَّةٍ خَضْرَاءَ يَخْرُجُ عَلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ مِنَ الجَنَّةِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا»..... ٢٤٩
الحديث التاسع والسبعون: «أَرْوَاحُهُمْ في جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالعَرْشِ...» الحديث ٢٤٩
الحديث الثمانون: عن أَنَس: أَنَّ رَجُلًا أَسْوَدَ أَتَى النَّبِيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله إِنِّي رَجُلٌ أَسْوَدُ مُنْتِنُ الرِّيحِ قَبِيحُ الْوَجْهِ لا مَالَ لِي، فَإِنْ أَنَا قَاتَلْتُ هَؤُلاءِ -يَعْنِي المُشْرِكِينَ- حَتَّى أُقْتَلَ، فَأَيْنَ أَنَا؟ قَالَ: «في الجَنَّةِ...» الحديث ٢٥٠
الحديث الحادي والثمانون: «يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّهَا جِنَانٌ في الجَنَّةِ، وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الفِرْدَوْسَ

الأَعْلَىٰ» ٢٥٢
الحديث الثاني والثمانون عن ابن عُمَرَ: أَنَّ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مَرَّ بِخِبَاءِ أَعْرَابِيٍّ وَهُوَ في أَصْحَابِهِ يُرِيدُونَ الغَزْوَ...» الحديث ٢٥٣
الحديث الثالث والثمانون: «إِذَا مَاتَ وَلَدُ العَبْدِ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ لِمَلائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ...» الحديث ٢٥٤
الحديث الرابع والثمانون: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: ما لِعَبْدِي المُؤمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ - إِذَا قَبَضْتُ صَفيهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيا ثُمَّ احْتَسَبَهُ - إِلَّا الجَنَّةُ» ٢٥٤
الحديث الخامس والثمانون: عن مُعَاذِ بن جَبَلٍ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ حَدِّثْنِي بَعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ؟ لَا أَسْأَلُكَ عَنْ شَيْءٍ غَيْرَهُ...» الحديث ٢٥٥
الحديث السادس والثمانون: «مَنْ جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ بَرِيئًا مِنْ ثَلَاثٍ دَخَلَ الجَنَّةَ: الكِبْرِ وَالغُلُولِ وَالدَّيْنِ» ٢٥٥
الحديث السابع والثمانون: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فَقَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ عُدِيَ عَلَىٰ مَالِي؟ قَالَ: «فَانْشُدْ بِاللهِ» قَالَ: فَإِنْ أَبَوْا عَلَيَّ؟ قال: «فَانْشُدْ بِاللهِ...» الحديث ٢٥٦
الحديث الثامن والثمانون: «يَجِيءُ صَاحِبُ القُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ القُرْآنُ: يَا رَبِّ حَلِّهِ، فَيُلْبَسُ تَاجَ الكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ زِدْهُ، فَيُلْبَسُ حُلَّةَ الكَرَامَةِ...» الحديث ٢٥٧
الحديث التاسع والثمانون: «يُقَالُ لِصَاحِبِ القُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْقَ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ في الدُّنْيَا فإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيةٍ تَقْرَؤُهَا» ٢٥٨
الحديث التسعون: «مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ وَتَعَلَّمَهُ وَعَمِلَ بِهِ، أُلْبِسَ يَوْمَ القِيَامَةِ تَاجًا مِنْ نُورٍ، ضَوْءُهُ مِثْلُ ضَوْءِ الشَّمْسِ، وَالِدَاهُ حُلَّتَيْنِ لَا يُقَوَّمُ لَهُمَا الدُّنْيَا. فَيَقُولَانِ: بِمَ كُسِينَا هَذَا؟ فَيُقَالُ: بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا القُرْآنَ» ٢٥٩
الحديث الحادي والتسعون: «غَنِيمَةُ مَجَالِسِ الذِّكْرِ الجَنَّةُ» ٢٦٠

الحديث الثاني والتسعون: «لَيَبْعَثَنَّ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَقْوَامًا فِي وُجُوهِهِمُ النُّورُ، عَلَىٰ مَنَابِرِ اللُّؤْلُؤِ، يَغْبِطُهُمُ النَّاسُ، لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلا شُهَدَاءَ» ٢٦٠
الحديث الثالث والتسعون: «أَشْهَدُ عِنْدَ اللهِ: لَا يَمُوتُ عَبْدٌ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ ثُمَّ يُسَدِّدُ إِلاَّ سُلِكَ فِي الجَنَّةِ» ٢٦١
الحديث الرابع والتسعون: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الجَنَّةِ» ٢٦١
الحديث الخامس والتسعون: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ شَجَرَةٌ فِي الجَنَّةِ» ٢٦٢
الحديث السادس والتسعون: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ. غُرِسَ لَهُ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ شَجَرَةٌ فِي الجَنَّةِ» ٢٦٢
الحديث السابع والتسعون: عن أبي هريرة، أَنَّ النَّبِيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، مَرَّ بِهِ وَهُوَ يَغْرِسُ غَرْسًا فَقَالَ: يَا أَبَا هريرة مَا الذِي تَغْرِسُ؟ قُلْتُ: غِرَاسًا...» الحديث ٢٦٢
الحديث الثامن والتسعون: «أَوَّلُ مَنْ يُدْعَىٰ إِلَىٰ الجَنَّةِ الذِينَ يَحْمَدُونَ اللهَ عزَّ وجلَّ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ» ٢٦٥
الحديث التاسع والتسعون: «أَلا أَدُلُّكَ عَلَىٰ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ؟، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ» ٢٦٧
الحديث المتمم مائة: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ مَرَّ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، فَقَالَ لَهُ: «يَا مُحَمَّدُ، مُرْ أُمَّتَكَ فَلْيُكْثِرُوا مِنْ غِرَاسِ الجَنَّةِ فَإِنَّ تُرْبَتَهَا طَيِّبَةٌ وَأَرْضَهَا وَاسِعَةٌ. قَالَ: وَمَا غِرَاسُ الجَنَّةِ؟ قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ» ٢٦٧
الحديث الحادي والمائة: «مَنْ قَرَأَ آيَةَ الكُرْسِيِّ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الجَنَّةِ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ» ٢٦٨
الحديث الثاني والمائة: «إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي يَقُولُ: يَا وَيْلِي أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِيَ النَّارُ» ٢٦٩

الحديث الثالث والمائة: «يَدْعُو اللهُ بِصَاحِبِ الدَّيْنِ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّىٰ يُوقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَيُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ، فيمَ أَخَذْتَ هَذَا الدَّيْنَ؟...» الحديث..... ٢٧٠
الحديث الرابع والمائة: «عَبْدٌ أَطَاعَ اللهَ وَأَطَاعَ مَوَالِيَهُ أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ قَبْلَ مَوَالِيهِ بِسَبْعِينَ خَرِيفًا، فَيَقُولُ السَّيِّدُ: رَبِّ هَذَا كَانَ عَبْدِي فِي الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: جَازَيْتُهُ بِعَمَلِهِ وَجَازَيْتُكَ بِعَمَلِكَ»..... ٢٧١
الحديث الخامس والمائة: «لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ بَخِيلٌ وَلَا خَبٌّ وَلَا خَائِنٌ وَلَا سَيِّئُ المَلَكَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الجَنَّةِ المَمْلُوكُونَ إِذَا أَحْسَنُوا فيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللهِ عزَّ وجلَّ، وَفيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَوَالِيهِمْ»..... ٢٧٨
تنبيه: فيمن يؤتىٰ أجره مرتين: «العَبْدُ المَمْلُوكُ إِذَا أَدَّىٰ حَقَّ اللهِ وَحَقَّ مَوَالِيهِ». ٢٧٩
الحديث السادس والمائة: «مَنْ ضَمَّ يَتِيمًا بَيْنَ أبوين مُسْلِمَيْنِ إِلَىٰ طَعَامِهِ، وَشَرَابِهِ حَتَّىٰ يَسْتَغْنِيَ عَنْهُ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ البَتَّةَ، وَمَنْ أَعْتَقَ امْرَأً مُسْلِمًا كَانَ فَكَاكَهُ مِنَ النَّارِ يُجْزِئُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْوًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ»..... ٢٨٠
الحديث السابع والمائة: «مَنْ قَبَضَ يَتِيمًا مِنْ بَيْنِ المُسْلِمِين إِلَىٰ طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ البَتَّةَ إِلاَّ أَنْ يَعْمَلَ ذَنْبًا لاَ يُغْفَرُ»..... ٢٨١
الحديث الثامن والمائة: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وأَنِّي رَسُولُ اللهِ، لَا يَلْقَىٰ اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فَيُحْجَبَ عَنِ الجَنَّةِ»..... ٢٨١
الحديث التاسع والمائة: «اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنُ لَكُمُ الجَنَّةَ: اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا اؤْتُمِنْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ»..... ٢٨٣
الحديث العاشر والمائة: «إِذَا صَلَّتِ المَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا، قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي الجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الجَنَّةِ شِئْتِ؟». ٢٨٤
الحديث الحادي عشر والمائة: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِرِجَالِكُمْ فِي الجَنَّةِ؟...» الحديث.... ٢٨٤
الحديث الثاني عشر والمائة: عن عَائِشَةَ قَالَتْ: جَاءتني مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا فَأَطْعَمْتُهَا

ثَلاثَ تَمَراتٍ، فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ تَمْرَةً، وَرَفَعَتْ إِلَىٰ فيهَا تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا...» الحديث ... ٢٨٦
الحديث الثالث عشر والمائة: «مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ دَخَلْتُ أَنَا وَهُوَ الجَنَّةَ كَهَاتَيْنِ». وَأَشَارَ بِأُصْبُعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالتِي تَلِيهَا» ٢٨٦
الحديث الرابع عشر والمائة: «مَنْ كَانَ لَهُ ثَلاثُ بَنَاتٍ أَوْ ثَلاثُ أَخَوَاتٍ أَوْ بِنْتَانِ أَوْ أُخْتَانِ فَأَحْسَنَ صُحْبَتَهُنَّ وَاتَّقَىٰ اللهَ فيهِنَّ فَلَهُ الجَنَّةُ» ٢٨٧
الحديث الخامس عشر والمائة: «مَنْ كَانَتْ لَهُ أُنْثَىٰ فَلَمْ يَئِدْهَا وَلَمْ يُهِنْهَا وَلَمْ يُؤْثِرْ وُلْدَهُ -يَعْنِي الذُّكُورَ- عَلَيْهَا أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ» ٢٨٧
الحديث السادس عشر والمائة: «مَنْ كُنَّ لَهُ ثَلاثُ بَنَاتٍ فَصَبَرَ عَلَىٰ لَأْوَائِهِنَّ وَضَرَّائِهِنَّ وَسَرَّائِهِنَّ أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُنَّ...» الحديث ٢٨٧
الحديث السابع عشر والمائة: «أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ في الجَنَّةِ هَكَذَا». وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالوُسْطَىٰ وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا ٢٨٨
الحديث الثامن عشر والمائة: «أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ، أَنَا وَهُوَ في الجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ». وَأَشَارَ مَالِكٌ بِالسَّبَّابَةِ وَالوُسْطَىٰ ٢٨٨
الحديث التاسع عشر والمائة: «مَنْ ضَمَّ يَتِيمًا بَيْنَ مُسْلِمِينَ في طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ حَتَّىٰ يَسْتَغْنِيَ عَنْهُ، وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ الْبَتَّةَ. وَمَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا ثُمَّ لَمْ يَبَرَّهُمَا ثُمَّ دَخَلَ النَّارَ، فَأَبْعَدَهُ اللهُ، وَأَيُّمَا مُسْلِمٍ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً كَانَتْ فِكَاكَهُ مِنَ النَّارِ». ٢٨٨
الحديث العشرون والمائة: «أنا أَوَّلُ مَن يَفْتَحُ بابَ الجنَّةِ، إلَّا أنِّي أرىٰ امرأةً تُبادِرني فأقول لها: مالك؟ ومَن أنت؟ فتقول: أنا امرأةٌ قعدت علىٰ أيتامٍ لي» ٢٨٩
الحديث الحادي والعشرون والمائة: «ما مِنْ مسلمٍ يموت له ثلاثةٌ من الولدِ لم يبلُغوا الحنثَ إلَّا أدْخَلَه اللهُ الجَنَّة بفضلِ رحمتِه إيَّاهُم» ٢٩٠
الحديث الثاني والعشرون والمائة: «لا يموتُ لإحداكُنَّ ثلاثةٌ من الولد فَتَحْتَسِبُ إلَّا

دَخَلَت الجَنَّة». فقالت امرأة منهن: أو اثنان يا رسول الله؟ قال: «أو اثنان» ٢٩٠
الحديث الثالث والعشرون والمائة: «من كان له فرطان من أمتي أدخله الله بهما الجنة». فقالت له عائشة: فمن كان له فرط من أمتك؟ قال: «ومن كان له فرط يا موفَّقَة». قالت: فمن لم يكن له فرط من أمتك؟ قال: «أنا فرط أمتي لن يصابوا بمثلي» ٢٩١
الحديث الرابع والعشرون والمائة: عن قرة بن إياس: أن رجلًا كان يأتي النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ومعه ابن له فقال النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم «تحبه؟» قال: نعم يا رسول الله؛ أحبك الله كما أحبه...» الحديث ٢٩١
الحديث الخامس والعشرون والمائة: «من ولد له ثلاثة أولاد في الإسلام فماتوا قبل أن يبلغوا الحنث أدخله الله الجنة برحمته إياهم...» الحديث ٢٩٢
الحديث السادس والعشرون والمائة: «القضاة ثلاثة: واحد في الجنة واثنان في النار...» الحديث ٢٩٣
الحديث السابع والعشرون والمائة: «إنَّ المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن -وكلتا يديه يمين- الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وَلُوا» ٢٩٣
الحديث الثامن والعشرون والمائة: «يقول الله تعالى: من ترك الخمر وهو يقدر عليه لأسقينه منه في حظيرة القدس، ومن ترك الحرير وهو يقدر عليه لأكسونه إياه في حظيرة القدس» ٢٩٤
الحديث التاسع والعشرون والمائة: «من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه تضمنت له بالجنة» ٢٩٥
الحديث الثلاثون والمائة: «من سرَّه أن يشرف له البنيان وترفع له الدرجات فليعف عمَّن ظلمه ويعط من حرمه ويصل من قطعه» ٢٩٦
الحديث الحادي والثلاثون والمائة: «إذا وقف العباد للحساب جاء قوم واضعوا سيوفهم على رقابهم تقطر دمًا فازدحموا على باب الجنة. فقيل: من هؤلاء؟ قيل الشهداء كانوا أحياء

مرزوقين...» الحديث ٢٩٦
الحديث الثاني والثلاثون والمائة: يا رسول الله أردت أن أغزو وقد جئت أستشيرك؟ فقال: «هل لك من أم؟» قال: نعم، قال: «فالزمها فإن الجنة عند رجلها» ٢٩٧
الحديث الثالث والثلاثون والمائة: «الوالد أوسط أبواب الجنة فإن شئت فأضع هذا الباب أو احفظه» ٢٩٨
الحديث الرابع والثلاثون والمائة: «من مات على هذا كان مع النبيين والصِّدِّيقين والشهداء يوم القيامة هكذا -ونصب أصبعيه- ما لم يعق والديه» ٢٩٩
الحديث الخامس والثلاثون والمائة: «تعبدُ اللهَ لا تشرك به شيئًا، وتقيمُ الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم...» الحديث ٣٠٠
الحديث السادس والثلاثون والمائة: قال رجل: يا رسول الله، فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها. قال: «هي في النار...» الحديث ٣٠١
الحديث السابع والثلاثون والمائة: «من كان وصلة لأخيه إلى ذي سلطان في مُبْلَغ بر أو إدخال سرور، رفعه الله في الدرجات العلا من الجنة» ٣٠١
الحديث الثامن والثلاثون والمائة: «الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة. والبذاء من الجفاء والجفاء في النار». ٣٠٢
الحديث التاسع والثلاثون والمائة: سئل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ فقال: «تقوى الله وحسن الخلق»... الحديث ٣٠٢
الحديث الأربعون والمائة: «لا تغضب، ولك الجنة» ٣٠٣
الحديث الحادي والأربعون والمائة: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يلقي لها بالًا يرفعه الله بها درجات في الجنة...» الحديث ٣٠٣
الحديث الثاني والأربعون والمائة: «يا سراقة ألا أخبرك بأهل الجنة وأهل النار؟» قلت: بلى يا رسول الله. قال: «أما أهل النار فكل جعظرى جواظ مستكبر، وأما أهل الجنة فالضعفاء

المغلوبون» ٣٠٤
الحديث الثالث والأربعون والمائة: «احتجَّت الجنة والنار، فقالت النار: فيَّ الجبارون والمتكبِّرون. وقالت الجنة: فيَّ ضعفاء المسلمين ومساكينهم...» الحديث ٣٠٥
الحديث الرابع والأربعون والمائة: «ألا أخبرك بأهل الجنة؟ كل ضعيفٍ مُسْتَضْعَفٍ لو يُقسم على الله لأبرَّه، ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ مستكبر» ٣٠٥
الحديث الخامس والأربعون والمائة: «أليس قد صام بعده رمضان وصلَّى ستة آلاف ركعة وكذا وكذا ركعة صلاة سنة؟» ٣٠٦
الحديث السادس والأربعون والمائة: عن عبدالله بن شدَّاد: أن نفرًا من بني عُذْرة ثلاثة، أتوا النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فأسلموا، فقال النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «من يكفيهم؟» قال طلحة: أنا. فكانوا عنده...» الحديث..... ٣٠٧
الحديث السابع والأربعون والمائة: «إن شئتِ صبرتِ ولكِ الجنة، وإن شئتِ دعوتُ الله أن يعافيك» ٣٠٨
الحديث الثامن والأربعون والمائة: «إن الله عزَّ وجلَّ قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة» ٣٠٩
الحديث التاسع والأربعون والمائة: «من غسَّل ميتًا فكتم عليه غفر الله له أربعين مرة، ومن كفَّن ميتًا كساه الله من سندس وإستبرق في الجنة...» الحديث ٣١٠
الحديث الخمسون والمائة: «ما من مسلم يموت فيصلي عليه ثلاثة صفوف من المسلمين إلا أوجب» ٣١١
الحديث الحادي والخمسون والمائة: عن أبي الأسود قال: قدمت المدينة، فجلست إلى عمر رضي الله عنه، فمرت بهم جنازة فأثنوا على صاحبها خيرًا، فقال عمر: وجبت. ثم مر بأخرى فأثنوا على صاحبها خيرًا، فقال عمر: وجبت...» الحديث ٣١١
الحديث الثاني والخمسون والمائة: «إنَّ أهل الجنة ليتراءون أهل الغُرَفِ من فوقهم كما

تتراءون الكوكب الدريَّ الغابرَ في الأفق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم...» الحديث ٣١٢
الحديث الثالث والخمسون والمائة: «عُرِضت عليَّ الأمم فرأيت النَّبي ومعه الرهيط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي ليس معه أحد. إذ رُفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي...» الحديث ٣١٢
الحديث الرابع والخمسون والمائة: «إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فضلاء يبتغون مجالس الذكر فإذا وجدوا مجلسًا فيه ذكر قعدوا معهم وحف بعضهم بعضًا بأجنحتهم حتى يملؤوا ما بينهم وبين السماء...» الحديث ٣١٤
الحديث الخامس والخمسون والمائة: «يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة...» الحديث ٣١٦
الحديث السادس والخمسون والمائة: «من قرأ القرآن فاسْتَظْهَره فأحلَّ حلاله وحرَّم حرامه أدخله الله به الجنة وشفَّعه في عشرة من أهل بيته كلهم قد وَجَبَت لهم النار» .. ٣١٨
الحديث السابع والخمسون والمائة: «من قرأ قل هو الله أحد حتى يختمها عشر مرات بنى الله له قصرًا في الجنة» ٣١٨
الحديث الثامن والخمسون والمائة: «ليذْكُرَنَّ اللهَ أقوامٌ في الدنيا على الفُرُش المُمَهَّدَة يُدْخِلَهم الدرجات العلا» ٣١٩
الحديث التاسع والخمسون والمائة: «من قال: لا إله إلا الله مخلصًا دخل الجنة» قيل: وما إخلاصها؟ قال: «أن تحجزه عن محارم الله» ٣١٩
الحديث الستون والمائة: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو الحي الذي لا يموت بيده الخير وهو على كل شئ قدير. لا يريد بها إلا وجه الله أدخله الله بها جنات النعيم» ٣١٩
الحديث الحادي والستون والمائة: «إن الله عزَّ وجلَّ ليدخل بلقمة الخبز وقبصة التمر -

ومثله مما ينتفع به المسكين- ثلاثةٌ الجنة: رب البيت الآمر به، والزوجة تصلحه، والخادم الذي يناول المسكين» ٣٢٠
الحديث الثاني والستون والمائة: «من أطعم مؤمنًا حتىٰ يشبعه من سغب أدخله الله بابًا من أبواب الجنة لا يدخله إلا من كان مثله» ٣٢٠
الحديث الثالث والستون والمائة: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء، والصدقة خفيًا تطفئ غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر وكل معروف صدقة...» ٣٢٠
الحديث الرابع والستون والمائة: «ثلاث من كنَّ فيه نشر الله عليه كنفه وأدخله جنته: رفق بالضعيف، وشفقة علىٰ الوالدين، وإحسان إلىٰ المملوك» ٣٢٢
الحديث الخامس والستون والمائة: «من صام الأربعاء والخميس والجمعة بنىٰ الله له بيتًا في الجنة يرىٰ ظاهره من باطنه وباطنه من ظاهره» ٣٢٢
الحديث السادس والستون والمائة: «من أحيا الليالي الخمس وجبت له الجنة: ليلة التروية، وليلة عرفة، وليلة النحر، وليلة الفطر، وليلة النصف من شعبان» ٣٢٣
الحديث السابع والستون والمائة: «من خرج في هذا الوجه لحج أو عمرة فمات فيه لم يعرض ولم يحاسب وقيل له: ادخل الجنة» ٣٢٣
الحديث الثامن والستون والمائة: «إن هذا البيت دِعامة من دعائم الإسلام فمن حج البيت أو اعتمر فهو ضامن علىٰ الله، فإن مات أدخله الله الجنة، وإن رده إلىٰ أهله رده بأجر وغنيمة» ٣٢٤
الحديث التاسع والستون والمائة: «الأعمال عند الله عزَّ وجلَّ سبع: عملان موجبان، وعملان بأمثالهما، وعمل بعشر أمثاله، وعمل بسبعمائة، وعمل لا يعلم ثواب عامله إلا الله عزَّ وجلَّ...» الحديث ٣٢٤
الحديث السبعون والمائة: أن رجلًا من الحبشة أتىٰ النَّبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: يا رسول الله فضلتم علينا بالألوان والنبوة، أفرأيت إن آمنت بمثل ما آمنت به وعملت بمثل

ما عملت به إني لكائن معك في الجنة؟ فقال النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «نعم...» الحديث ٣٢٥
الحديث الحادي والسبعون والمائة: عن أبي هريرة: أن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أتي بفرس يجعل كل خطو منه أقصى بصره، فسار وسار معه جبريل عله السلام...» الحديث ٣٢٦
الحديث الثاني والسبعون والمائة: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم إذا انصرفوا...» الحديث ٣٢٧
الحديث الثالث والسبعون والمائة: «لا يدخل النار إن شاء الله من أهل الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها...» الحديث ٣٢٨
الحديث الرابع والسبعون والمائة: «من سأل الله الجنة ثلاث مرات قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة، ومن استجار من النار ثلاث مرات قالت النار: اللهم أجره من النار». ٣٢٩
الحديث الخامس والسبعون والمائة: «إن بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بكثرة صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكن دخلوها برحمة الله وسخاوة الأنفس وسلامة الصدور» ٣٢٩
الحديث السادس والسبعون والمائة: «يدخل من أهل هذه القبلة النار من لا يحصي عددهم إلا الله بما عصوا الله واجترؤا على معصيته وخالفوا طاعته، فيؤذن لي في الشفاعة ...» الحديث ٣٣٠
الحديث السابع والسبعون والمائة: «إني لقائم انتظر أمتي تعبر إذ جاء عيسى عليه السلام، فقال: هذه الأنبياء قد جاءتك يا محمَّد يجتمعون إليك يدعون الله أن يفرق بين جمع الأمم إلى حيث يشاء لعظم ما هم فيه...» الحديث..... ٣٣١
الحديث الثامن والسبعون والمائة: «والذي نفس محمَّد بيده لقد ظننت أنك أول من يسألني عن ذلك من أمتي لما رأيت من حرصك على العلم...» الحديث ٣٣٣
الحديث التاسع والسبعون والمائة: «خُيِّرْتُ بين الشفاعة أو يدخل نصف أمتي الجنة،

فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى، أما أنها ليس للمؤمنين المتقين ولكنها للمذنبين الخطائين المتلوثين» ٣٣٤
الحديث الثمانون والمائة: «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله عزَّ وجلَّ: تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟! ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟! فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم» ٣٣٤
الخاتمة: في آيات رتبت دخول الجنة على التقوى والعمل الصالح ٣٣٦

٥- الأحاديثُ المُخْتَارَةُ في الأَخْلاقِ والآدَابِ المُسمَّى "الغَرائِبُ والوِحْدان"

خطبة الكتاب وغرض المصنف رحمه الله تعالى منه ٣٥٥
من فوائد الاطلاع على الأجزاء الحديثية النادرة ٣٥٥
حديث: «ومَن لَغا فلا جُمُعة له» وتصنيف الشيخ عبد الحي الكتاني رسالة في عدم وجوده، والاستدراك عليه ٣٥٥
جملة: «وإذا كانت حاجة فافعل مثل ذلك» في حديث توسل الضَّرير ظنَّ الشيخ رشيد رضا أنها غير موجودةٍ والصواب أنها موجودة وهذا ذكره المصنف في كتابه "الرد المحكم المتين" وكتابه الآخر "مصباح الزجاجة" ٣٥٦
من فوائد الاطلاع على الأجزاء الحديثية النادرة ٣٥٧
الحديث الأول: «ائتِ المعروفَ، واجتنب المُنكرَ، وانظر ما يُعجبُ أُذُنَك أن يقولَ لك القومُ إذا قُمْتَ مِن عندهم فأتِهِ، وانظر الذي تَكْرهُ أن يقولَ لك القومُ إذا قمتَ من عندهم فاجْتَنِبْه» ٣٥٩
الحديث الثاني: «أبو بكرٍ وعمر منِّي بمنزلة السمع والبصر من الرأس» ٣٦٠
الحديث الثالث: «أُحدٌ جبلٌ يُحبُّنا ونُحبُّه» ٣٦١
الحديث الرابع: «إذا أتاكم مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ ودينه فزوِّجُوه، إلَّا تفعلوا تكن فتنةٌ في

الأرض وفسادٌ عَرِيضٌ» ٣٦٢
الحديث الخامس: «إذا أراد الله بعبدٍ هَوَانًا أنفق ماله في البُنيان والماء والطِّين» .. ٣٦٣
الحديث السادس: «الزموا هذا الدعاء: اللهمَّ إني اسألك باسمك الأعظم، ورضوانك الأكبر. فإنه اسمٌ من أسماء الله» ٣٦٣
الحديث السابع: «إنَّ الله وَضَعَ عن المسافر الصَّومَ، وشَطْرَ الصَّلاة» ٣٦٤
الحديث الثامن: «قابلوا النِّعال» ٣٦٥
الحديث التاسع: «إذا قضىٰ الله لعبدٍ أن يموت بأرضٍ جعل له إليها حاجةً» ... ٣٦٦
الحديث العاشر: «الدنيا سبعة آلاف سنةٍ، أنا في آخرها ألفًا، لانبيَّ بعدي، ولا أُمَّة بعد أُمَّتي» ٣٦٨
الحديث الحادي عشر: «أتاني جبريل فقال: يا محمَّد كن عجَّاجًا بالتلبية، ثجَّاجًا بنحر البُدْن» ٣٦٩
الحديث الثاني عشر: «اتقِ الله في عُسْرِكَ ويُسْرِكَ» ٣٦٩
الحديث الثالث عشر: «اتقوا زلَّة العالم، وانتظروا فَيْئَتَهُ» ٣٧٠
الحديث الرابع عشر: «اجتنبوا التكَبُّرَ، فإنَّ العبد لا يزال يتكبَّر حتىٰ يقول الله تعالىٰ: اكتبوا عبدي هذا في الجبَّارين» ٣٧١
الحديث الخامس عشر: «اجتنبوا ما أَسْكَر» ٣٧٢
الحديث السادس عشر: «اجعل بين أَذَانِكَ وإقامَتِكَ نَفَسًا؛ حتَّىٰ يقضي المتوضِّئُ حاجَتَه في مَهَلٍ، ويَفْرُغُ الآكلُ مِن طعامه في مَهَلٍ» ٣٧٢
الحديث السابع عشر: «احذروا الشُّهرتين: الصُّوف، والخَزُّ» ٣٧٣
الحديث الثامن عشر: «أحسنوا إذا وَلِيتُم، واعفوا عمَّا مَلَكْتم» ٣٧٤
الحديث التاسع عشر: «إنَّ الله أدَّبني فأحسن تأديبي، ثُمَّ أمرني بمكارم الأخلاق، فقال: خُذِ العَفْوَ، وأمر بالعُرْفِ، وأعرض عن الجاهلين» ٣٧٦

الحديث العشرون: «سلِّم عليَّ مَلَكٌ ثُمَّ قال لي: لم أزل أستأذن ربِّي عزَّ وجلَّ في لقائك حتى كان هذا أوان أذن لي، وإني أُبشِّرك أنه ليس أحدٌ أكرم على الله منك» ٣٧٧
الحديث الحادي والعشرون: «أنَّ النَّبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان يُشير في الصَّلاة» ٣٧٧
الحديث الثاني والعشرون: «أدِّبوا أولادكم على ثلاث خصالٍ: حبِّ نبيِّكم، وحبِّ أهل بيته، وقراءة القرآن، فإنَّ حَمَلَةَ القرآن في ظلِّ الله يوم لا ظلَّ إلَّا ظِلُّه مع أنبيائه وأصفيائه» ٣٧٨
الحديث الثالث والعشرون: «أَخْلِصْ دِينَكَ يَكْفيك القَليلُ مِن العمل» ٣٧٩
الحديث الرابع والعشرون: «أخاف على أمَّتي خصلتين: تكذيبًا بالقَدَرِ، وتَصْدِيقًا بالنُّجُومِ» ٣٨١
الحديث الخامس والعشرون: «إذا أردتَ أن تذكرَ عيوبَ غيرك فاذكر عيوب نفسك» ٣٨٢
الحديث السادس والعشرون: «إذا عَلِمَ العالِم فلم يَعْمَل كان كالمِصْباحِ يُضِيءُ للنَّاسِ ويُحرق نفسَهُ» ٣٨٣
الحديث السابع والعشرون: «أربعون رجلًا أُمَّة، ولم يخلص أربعون رجلًا في الدعاء لميِّتهم إلَّا وهبه الله تعالى لهم، وغفر له» ٣٨٤
الحديث الثامن والعشرين: «اشتدَّ غضبُ الله على الزُّناة» ٣٨٥
الحديث التاسع والعشرون: «أشدُّ النَّاسِ عذابًا يوم القيامةِ من يُرِي النَّاسَ أنَّ فيه خيرًا ولا خير فيه» ٣٨٦
الحديث الثلاثون: «أربعٌ من سَعَادةِ المرء: أن تكون زَوْجَتُه صالحةً، وأولاده أبرارًا، وخُلَطَاؤُهُ صالحين، ورِزْقُهُ في بلده» ٣٨٦
الحديث الحادي والثلاثون: «أَشهدُ بالله وأَشهدُ لله لقد قال لي جبريل: يا محمَّد، إنَّ مُدْمِنَ الخمر كعابد وَثَنٍ» ٣٨٧

الحديث الثاني والثلاثون: «أصحاب البِدَعِ كلابُ النَّار»..... ٣٨٨
الحديث الثالث والثلاثون: «أفضل الأعمال أن تُدخل على أخيك المؤمن سُرورًا، أو تَقضيَ عنه دَيْنًا، أوتُطعمه خُبزًا»..... ٣٨٩
الحديث الرابع والثلاثون: «أفضلُ الصَّدقةِ في رمضانَ» ٣٨٩
الحديث الخامس والثلاثون: «إقرأ القرآن على كلِّ حالٍ إلَّا وأنت جُنُب»..... ٣٩٠
الحديث السادس والثلاثون: «إنَّ الله احتجز التوبة عن كلِّ أصحاب بِدْعَةٍ» ... ٣٩٠
الحديث السابع والثلاثون: «إنَّ الله تعالى يَبْغَضُ البخيلَ في حياته، السَّخيَّ عند موته»٣٩١
الحديث الثامن والثلاثون: «استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان لها»..... ٣٩٢
الحديث التاسع والثلاثون: «إنَّ الشَّيطانَ يأتي أحدَكم فيقول: مَن خَلَقَكَ؟ فيقول الله. فيقول: مَن خلق الله؟ فإذا وَجَدَ أحدُكم ذلك فليقل: آمنتُ بالله ورُسُلِهِ ٣٩٣
الحديث الأربعون: «إن أحسن الحسن الخلق الحسن» ٣٩٣
الحديث الحادي والأربعون: «إنَّ أفواهكم طُرُقٌ للقرآن فطيِّبوها بالسِّواك» ٣٩٤
الحديث الثاني والأربعون: «إنَّ أنواع البرِّ نصفُ العبادة، والنِّصفُ الآخر الدُّعاء»... ٣٩٤
الحديث الثالث والأربعون: «إنَّ أهلَ السَّماءِ لا يسمعون شيئًا من أهلِ الأرضِ إلَّا الأذانَ»..... ٣٩٥
الحديث الرابع والأربعون: «إنَّ في الجنَّة دارًا يقال لها: دار الفَرَحِ، لا يدخلها إلَّا مَن فرَّحَ يتامى المسلمين» ٣٩٥
الحديث الخامس والأربعون: «إنَّ لله تسعةً وتسعين اسمًا من أحصاها كلها دخل الجنَّة» ٣٩٦
الحديث السادس والأربعون: «إنَّ لجنَّهم بابًا لايدخله إلَّا مَنْ شَفَى غَيْظه بمعصية الله» ٤٠٣
الحديث السابع والأربعون: «إنكم لن تَرَوا ربَّكم عزَّ وجلَّ حتى تموتوا» ٤٠٣

الحديث الثامن والأربعون: «أَهْلُ القرآنِ أَهْلُ الله وخاصَّتُه» ٤٠٤
الحديث التاسع والأربعون: «ألا أدلُّكم على الخلفاء منِّي ومن أصحابي ومن الأنبياء قبلي؟ هم حَمَلَةُ القرآن والأحاديث عنِّي وعنهم في الله ولله» ٤٠٤
الحديث الخمسون: «أُوتِيَ موسى الألواحُ، وأُوتيت المَثَاني» ٤٠٥
الحديث الحادي والخمسون: «أول مَن يَشْفَعُ يوم القيامةِ الأنبياء، ثُمَّ العلماء، ثُمَّ الشُّهداء» ٤٠٦
الحديث الثاني والخمسون: «إيَّاكم ومُحادَثة النِّساء؛ فإنه لا يخلو رجلٌ بامرأةٍ ليس لها مَحْرَمٌ إلَّا هَمَّ بها» ٤٠٦
الحديث الثالث والخمسون: «إيَّاكم والتعمُّق في الدِّين فإنَّ الله تعالى قد جعله سهلًا، فخذوا منه ما تُطيقون، فإنَّ الله يحبُّ ما دام من عملٍ صالحٍ، وإن كان يسيرًا» ٤٠٧
الحديث الرابع والخمسون: «أيما إمامٌ سها فصلَّى بالقوم وهو جُنُبٌ فقد مَضَتْ صلاتُهم، ثُمَّ ليغتسل هو، ثُمَّ ليعد صلاته، وإن صلَّى بغير وضوءٍ فمثل ذلك». ٤٠٧
الحديث الخامس والخمسون: «أيما راعٍ لم يرحم رعيَّته حَرَّم الله عليه الجنَّة» ... ٤٠٨
الحديث السادس والخمسون: «الإيمان والعمل أخوان شريكان في قَرَنٍ، لا يقبل الله أحدهما إلَّا بصاحبه» ٤٠٨
الحديث السابع والخمسون: «الآمر بالمعروف كفاعله» ٤٠٩
الحديث الثامن والخمسون: «ويلٌ للرَّاعي من الرَّعيَّة، إلَّا واليًا يحوطهم مِن ورائهم بالنَّصحية» ٤٠٩
الحديث التاسع والخمسون: «الإيمان بالنيَّة واللسان، والهجرة بالنَّفس والمال».. ٤١٠
الحديث الستون: «بين العبد والجنَّة سبع عقباتٍ، أهونها الموت، وأصعبها الوقوف بين يدي الله تعالى إذا تعلَّق المظلومون بالظالمين» ٤١٠
الحديث الحادي والستون: «إنَّ بُدلاء أُمَّتي لم يدخلوا الجنَّة بصلاةٍ ولا صيامٍ، ولكن

دخلوها بسخاء الأنفس، وسلامة الصُّدور، والنُّصح للمسلمين» ٤١١
الحديث الثاني والستون: «بِئس الكَسْبُ أجر الزَّمَّارةِ، وثَمَنُ الكَلْبِ» ٤١١
الحديث الثالث والستون: «تجافوا عن عُقوبةِ ذوي المُروءَة» ٤١٢
الحديث الرابع والستون: «تَعلَّموا مِن العِلْمِ ما شِئتم فوالله لا تُؤجروا بجَمْعِ العِلْمِ حتَّى تَعْمَلُوا» ٤١٣
الحديث الخامس والستون: «تقرَّبوا إلى الله ببُغْضِ أهل المعاصي، والقوهم بوجوهٍ مُكْفَهِرَّةٍ، والتمسوا رضا الله بسُخْطِهم وتقرَّبوا إلى الله بالتباعُدِ منهم» ٤١٣
الحديث السادس والستون: «تنظَّفوا بكلِّ ما استطعتم؛ فإنَّ الله تعالى بنى الإسلام على النظافة، ولن يدخل الجنَّة إلَّا كلُّ نظيفٍ» ٤١٤
الحديث السابع والستون: «التائبُ مِن الذَّنب كمن لا ذنب له، وإذا أحبَّ الله عبدًا لم يضره ذنبٌ» ٤١٥
الحديث الثامن والستون: «التضلُّع من ماء زمزم براءةٌ مِن النِّفاق» ٤١٥
الحديث التاسع والستون: «ثلاث دعواتٍ لا تُردُّ: دعوة الوالد لولده، ودعوة الصَّائم، ودعوة المسافر» ٤١٦
الحديث السبعون: «ثلاثٌ من كُنَّ فيه فهو منافقٌ، وإن صام وصلَّى، وحجَّ واعتمر، وقال إني مسلمٌ: مَن إذا حدَّث كَذَب، وإذا وَعَد أخلف، وإذا اؤتمن خان» ٤١٦
الحديث الحادي والسبعون: «ثلاثةٌ لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: حُرٌّ باع حُرًّا، وحُرٌّ باع نفسه، ورجلٌ أبطل كِراء أَجِيرٍ حين جفَّ رَشْحُهُ» ٤١٧
الحديث الثاني والسبعون: «جَهْدُ البلاءِ قِلَّةُ الصَّبر» ٤١٩
الحديث الثالث والسبعون: «الجماعة بَرَكةٌ، والسُّحُور بَرَكةٌ، والثَّريد بَرَكةٌ» .. ٤١٩
الحديث الرابع والسبعون: «الجُمُعةُ حَجُّ المساكين» ٤٢٠
الحديث الخامس والسبعون: «حقُّ الوالد أن يعلِّمه الكتابة، والسباحة، والرماية، وألا

يرزقه إلَّا طيِّبًا» ٤٢٠
الحديث السادس والسبعون: «الحجُّ سبيل الله، تُضعَّفُ فيه النفقة سبعمائة ضعفٍ» .. ٤٢١
الحديث السابع والسبعون: «خلفت فيكم شيئين لن تضلُّوا بعدهما: كتاب الله، وسُنَّتي، ولن يتفرَّقا حتىٰ يَرِدا عليَّ الحوضَ» ٤٢٢
الحديث الثامن والسبعون: «دَثَرَ مكانُ البيتِ؛ فلم يحجُّه هودٌ ولا صالحٌ، حتَّىٰ بوَّأه الله لإبراهيم» ٤٢٣
الحديث التاسع والسبعون: «دخلتُ الجنَّة فإذا جاريةٌ أَدْماءُ لَعْسَاءُ، فقلتُ: ما هذه يا جبريل؟! فقال: إنَّ الله تعالىٰ عرف شهوة جعفر بن أبي طالبٍ للأُدْمِ اللُّعْس فخلق له هذه» ٤٢٣
الحديث الثمانون: «دعوة الرجل لأخيه بظهر الغيب مستجابةٌ، ومَلَكٌ عند رأسه يقول: آمين، ولك بمثل ذلك» ٤٢٤
الحديث الحادي والثمانون: «الدنيا لا تنبغي لمحمَّدٍ ولا لآل محمَّدٍ» ٤٢٤
الحديث الثاني والثمانين: «ذراري المسلمين يكفلهم إبراهيم» ٤٢٥
الحديث الثالث والثمانون: «رَوِّحوا القلبَ ساعةً فساعةً» ٤٢٥
الحديث الرابع والثمانون: «زيِّنوا العيدين بالتهليل والتكبير والتحميد والتقديس» .. ٤٢٦
الحديث الخامس والثمانون: «الزَّاني بحَلِيلَةِ جَارِهِ لا ينظُرُ الله إليه يوم القيامةِ ولا يُزكِّيه، ويقول له: ادخل النَّار مع الداخلين» ٤٢٦
الحديث السادس والثمانون: «سألتُ ربِّي ألَّا يدخل أحدًا من أهل بيتي النَّار فأعطانيها» ٤٢٧
الحديث السابع والثمانون: «سألتُ ربِّي فأعطاني أولاد المشركين خَدَمًا لأهل الجنَّة، وذلك لأنهم لم يُدركوا ما أَدرك آباؤهم مِن الشِّركِ، ولأنَّهم في المِيثاقِ الأوَّل» ٤٢٧
الحديث الثامن والثمانون: «سُوءُ الخُلُقِ شُؤمٌ» ٤٢٨

الحديث التاسع والثمانون: «سلامةُ الرجلِ في الفِتنة أن يلزمَ بيتَه» ٤٢٩
الحديث التسعون: «سيِّد الشُّهداء جعفر بن أبي طالبٍ، معه الملائكة، لم يُنْحَلْ ذلك أحدٌ ممَّن مضىٰ من الأمم غيره، شيءٌ أكرم الله به محمَّدًا» ٤٣٠
الحديث الحادي والتسعون: «سيِّد القومِ خادمهم، وساقيهم آخرهم شُرْبًا» . ٤٣١
الحديث الثاني والتسعون: «سَيُشْدِدُ هذا الدِّين برجالٍ ليس لهم عند الله خَلَاقٌ» ٤٣٢
الحديث الثالث والتسعون: «سيكون بعدي قُصَّاصٌ لا يَنظرُ الله إليهم» ٤٣٣
الحديث الرابع والتسعون: «السَّكِينة مغنم وتركها مغرم» ٤٣٣
الحديث الخامس والتسعون: «ليبلِّغ الشاهد الغائب، وأبلغوني حاجة مَن لا يستطيع إبلاغي حاجته، فإنه من أبلغ سلطانًا حاجة مَن لا يستطيع إبلاغها إيَّاه ثبَّت الله قدميه يوم القيامة» ٤٣٤
الحديث السادس والتسعون: «السُّيوفُ مفاتيحُ الجنَّةِ» ٤٣٥
الحديث السابع والتسعون: «السُّيوف أَرْدِيةُ المُجاهِدين» ٤٣٥
الحديث الثامن والتسعون: «الشَّحيحُ لا يدخلُ الجنَّة» ٤٣٥
الحديث التاسع والتسعون: «شِرارُ أُمَّتي الذين غُذُّوا بالنَّعيم، الذين يأكلون ألوان الطعام، ويلبسون ألوان الثِّياب، ويتشدَّقون في الكلام» ٤٣٦
الحديث المائة: «شهر رمضان يُكفِّر ما بين يديه إلىٰ شهر رمضان المُقبل» ٤٣٦
الحديث الحادي والمائة: «الشَّعر الحَسَن أَحَدُ الجمالين، يَكْسُوه اللهُ المرءَ المسلم» . ٤٣٧
الحديث الثاني والمائة: «الشيخ يَضْعُفُ جِسمُهُ وقَلْبُهُ شابَ علىٰ حبِّ اثنتين: طول الحياة، وحبِّ المال» ٤٣٧
الحديث الثالث والمائة: «صاحب السُّنَّة إن عَمِل خيرًا قُبِل منه، وإن خَلَط غُفِر له» .. ٤٣٧
الحديث الرابع والمائة: «صاحبُ الصفِّ، وصاحب الجُمُعة، لا يفضل هذا علىٰ هذا، ولا هذا علىٰ هذا» ٤٣٨

الحديث الخامس والمائة: «صَدَقةُ السرِّ تُطفِئ غضب الربِّ» ٤٣٨
الحديث السادس والمائة: «صَدَقةُ المرءِ المسلم تزيد في العُمُرِ، وتمنع مِيتة السُّوء، ويُذهب الله تعالىٰ بها الفَخْرَ والكِبْرَ» ٤٣٩
الحديث السابع والمائة: «صلِّ صلاة مُوَدِّعٍ كأنك تراه، فإن كنت لا تراه فإنه يراك، وايأس ممَّا في أيدي النَّاس تَعِشْ غنيًّا، وإيَّاك وما يُعتذر عنه». رواه أبو محمَّد الإبراهيميُّ في كتاب "الصَّلاة" ٤٣٩
الحديث الثامن والمائة: «صَمْتُ الصَّائمِ تسبيحٌ، ونومه عبادةٌ، ودُعاؤه مُستجابٌ، وعمله مُضاعفٌ» ٤٤٠
الحديث التاسع والمائة: «صلِّ الصبح والضحىٰ، فإنها صلاة الأوَّابين» ٤٤١
الحديث العاشر والمائة: «صُوموا أيام البِيض: ثلاثة عشر، وأربعة عشر، وخمسة عشر. هنَّ كنز الدهر» ٤٤١
الحديث الحادي عشر والمائة: «صلاةُ المسافرِ بمِنًىٰ وغيرها ركعتان» ٤٤٢
الحديث الثاني عشر والمائة: «الصُّورةُ الرأسُ، فإذا قُطِعَ الرأسُ فلا صُورةَ» ... ٤٤٣
الحديث الثالث عشر والمائة: «الصَّلاة عَمُودُ الدِّين» ٤٤٤
الحديث الرابع عشر والمائة: «الضَمَّةُ في القَبْرِ كفَّارةٌ لكلِّ مؤمنٍ، لكلِّ ذنبٍ بقي عليه لم يُغفر له» ٤٤٤
الحديث الخامس عشر والمائة: «الضِّيافةُ ثلاثة أيامٍ، فما زاد فهو صدقةٌ، وعلىٰ الضَّيفِ أن يتحوَّل بعد ثلاثة أيامٍ» ٤٤٥
الحديث السادس عشر والمائة: «طَهُورُ كلِّ أَدِيمٍ دِبَاغُهُ» ٤٤٦
الحديث السابع عشر والمائة: «طُوبىٰ لعيشٍ بعد المَسِيحِ، يُؤْذَنُ للسماء في القَطْرِ، ويُؤْذَنُ في الأرض للنبات، حتَّىٰ لو بَذَرتَ حَبَّكَ علىٰ الصَّفا لنبت...» الحديث ... ٤٤٧
الحديث الثامن عشر والمائة: «طُوبىٰ لمن أَسْلَمَ وكان عَيْشُهُ كَفَافًا» ٤٤٨

الحديث التاسع عشر والمائة: «عَدَدُ آنيةِ الحَوْضِ كعدَدِ نُجومِ السَّماءِ» ٤٤٩
الحديث العشرون والمائة: «عُرَامَةُ الصَّبيِّ في صِغَرِهِ زيادةٌ في عَقْلِهِ في كِبَرِهِ» .. ٤٤٩
الحديث الحادي والعشرون والمائة: «عِظَمُ الأَجْرِ عند عِظَمِ المُصيبةِ، وإذا أحبَّ الله قومًا ابتلاهم» ٤٤٩
الحديث الثاني والعشرون والمائة: «عَرِيشًا كعَرِيشِ موسىٰ، ثَمامٌ وخُشَيْبَاتٌ، والأمر أَعْجَلُ مِن ذلك» ٤٥٠
الحديث الثالث والعشرون والمائة: «علِّموا أبناءكم السِّباحة والرِّماية، ونِعْم لهو المؤمنة في بيتها المغزل، وإن دعاك أبواك فأجب أُمَّك» ٤٥٠
الحديث الرابع والعشرون والمائة: «عليكِ بالصَّلاة فإنَّها أفضلُ الجِهادِ، واهجُري المعاصي فإنَّها أفضلُ الهِجْرةِ» ٤٥١
عن الحديث الخامس والعشرون والمائة: «عليكم بالقرآن فاتَّخذوه إمامًا وقائدًا، فإنه كلام ربِّ العالمين الذي هو منه وإليه يعود، فآمنوا بمُتشابهه واعتبروا بأمثاله» ٤٥٢
الحديث السادس والعشرون والمائة: «عليٌّ مِنِّي بمنزلة هارون من موسىٰ، إلَّا أنه لانبيَّ بعدي» ٤٥٣
الحديث السابع والعشرون والمائة: «عليٌّ يظهر في الجنَّة ككَوْكَب الصُّبح لأهل الدُّنيا» ٤٥٣
الحديث الثامن والعشرون والمائة: «عُودوا المريضَ، واتَّبِعُوا الجَنائزَ، والعِيادة غِبًّا أو رِبْعًا، إلَّا أن يكون مَغْلُوبًا فلا يُعاد، والتعْزِيةُ مَرَّةً» ٤٥٤
الحديث التاسع والعشرون والمائة: «العلماءُ أُمَنَاءُ الرُّسُل مالم يُخالطوا السُّلطان ويُداخِلُوا الدُّنيا، فإذا خَالَطُوا السُّلطانَ ودَاخَلُوا الدُّنيا فقد خانوا الرُّسُلَ فاحْذَروهم» ٤٥٤
الحديث الثلاثون والمائة: «العَيْنُ حقٌّ يَحْضُرُها الشَّيطانُ وحَسَدُ ابنِ آدمَ» ٤٥٥
فائدةٌ لعلاج المصاب بالعين ٤٥٦
الحديث الحادي والثلاثون والمائة: «الغُدُوُّ والرَّوَاحُ في تعليم العِلْمِ أفضلُ مِن الجِهادِ في

سبيل الله» ٤٥٦
الحديث الثاني والثلاثون والمائة: «الغِلُّ والحَسَدُ يأكلان الحَسَناتِ كما تأكل النَّار الحَطَب» ٤٥٦
الحديث الثالث والثلاثون والمائة: «الغِنَىٰ: الإياسُ ممَّا في أيدي النَّاس، وإيَّاك والطَّمع فإنَّه الفَقْرُ الحاضر» ٤٥٧
الحديث الرابع والثلاثون والمائة: «فاتحةُ الكتابِ شِفاءٌ مِن السُّمِّ» ٤٥٩
الحديث الخامس والثلاثون والمائة: «كان أول مَن أَضَافَ الضَّيفَ إبراهيمُ» ٤٥٩
الحديث السادس والثلاثون والمائة: «كفىٰ بالمرء شرًّا أن يَتَسَخَّط ما قُرِّب إليه» . ٤٦٠
الحديث السابع والثلاثون والمائة: «إذا أراد الله بقومٍ خيرًا أَهْدَىٰ إليهم هَدِيَّةً» قالوا: يا رسول وما تلك الهديَّة؟ قال: «الضَّيفُ ينزل برِزْقِهِ، ويَرتَحِلُ وقد غَفَرَ الله لأهل المنزل» . ٤٦١
الحديث الثامن والثلاثون والمائة: «كثرة الحَجِّ والعُمْرةِ تَمنعُ العَيْلة» ٤٦٢
الحديث التاسع والثلاثون والمائة: «كفَّارة مَن اغتبتَ أن تستغفر له» ٤٦٢
الحديث الأربعون والمائة: «كلمات الفرج: لا إله إلَّا الله الحليم الكريم، لا له إلَّا الله العليُّ العظيم، لا إله إلَّا الله ربُّ السَّماوات السَّبع، وربُّ العَرْشِ الكريم» ٤٦٢
الحديث الحادي والأربعون والمائة: «لله أفرح بتوبة عبده، مِن العَقِيم الوالد، ومِن الضَّالِّ الواجد، ومِن الظَّمآن الوارد» ٤٦٣
الحديث الثاني والأربعون والمائة: «لولا المرأة لدخل الرجلُ الجنَّة» ٤٦٣
الحديث الثالث والأربعون والمائة: «ليكوننَّ في هذه الأُمَّة خَسْفٌ وقذْفٌ ومَسْخٌ، وذلك إذا شربوا الخُمُور، واتَّخذوا القِينات، وضربوا بالمعازف» ٤٦٤
الحديث الرابع والأربعون والمائة: «اللهو في ثلاثٍ: تأديب فرسك، ورَمْيك بقوسك، ومُلاعبتك أهلك» ٤٦٥
الحديث الخامس والأربعون والمائة: «ماء زمزم لِما شُرب له، مَن شربه لمرضٍ شفاه الله، أو

لجوعٍ أشبعه الله، أو لحاجةٍ قضاها الله» ٤٦٥
الحديث السادس والأربعون والمائة: «ما أخاف على أُمَّتي فتنةً أخوف عليها من النِّساء والخمر» ٤٦٧
الحديث السابع والأربعون والمائة: «ما كَرَبني أمرٌ إلَّا تمثَّل لي جبريل فقال: يا محمَّد، قل: توكَّلتُ علي الحيِّ الذي لا يموت، والحمد لله الذي لم يتَّخذ ولدًا ولم يكن له شريكٌ في الملك، ولم يكن له وليًّا من الذلِّ وكبِّره تكبيرًا» ٤٦٩
الحديث الثامن والأربعون والمائة: «مَن لم يوصِ لم يُؤْذَن له في الكلام مع الموتي» ٤٧٠
الحديث التاسع والأربعون والمائة: «مَن كثَّر سواد قومٍ فهو منهم، ومَن رضي عمل قومٍ كان شريك مَن عمل به» ٤٧١
الحديث الخمسون والمائة: «الحمد لله إنَّ الأرواح جنودٌ مُجَنَّدةٌ فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف» ٤٧٢
خاتمة ٤٧٤

٦ - الفَوائِدُ المقْصُودَةُ في بَيانِ الأحاديثِ الشَّاذةِ المَرْدُودَةِ

خطبة الكتاب ٤٧٧
الحديث الأول: «أعْتِقْها فإنَّها مُؤمِنةٌ» ٤٨١
الحديث الثاني: «اسْتَأذَنْتُ رَبِّي أن أسْتَغْفِرَ لأُمِّي فلم يأذَنْ لي، واسْتَأذَنْتُهُ أن أزُورَ قَبْرَها فأذِنَ لي» ٤٨٥
الحديث الثالث: «إنَّ أبي وأباك في النَّارِ» ٤٨٦
تنبيه: توقَّفَ الحافظ السخاويُّ في نجاة أبوي النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم واختار السُّكوت عن نجاتهما وعدمها، وهذا عجيبٌ منه ٤٨٩
الحديث الرابع: «أربعةٌ يَحْتَجُّون يوم القيامة: رَجُلٌ أصَمُّ لا يَسْمَعُ شيئًا، ورَجُلٌ أحْمَقُ، ورَجُلٌ هَرَمٌ، ورَجُلٌ مات في فَتْرَةٍ...» الحديث ٤٨٩

الحديث الخامس: ابن عباسٍ في قول الله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ﴾ الآية، قال النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «قال لي جبريلُ: لو رَأَيْتَني وقد أَخَذْتُ مِن حَالِ البَحْرِ فدَسَسْتُهُ في فيه مَخافَةَ أن تَنَالَهُ الرَّحْمَةُ» ٤٩٠

الحديث السادس: عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما أنه قال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ قال: «سَبْعُ أَرْضِين في كلِّ أرضٍ نبيٌّ كنبيِّكُم، وآدمُ كآدمَ، ونوحٌ كنوحٍ، وإبراهيمُ كإبراهيمَ، وعيسىٰ كعيسىٰ» ٤٩١

الحديث السابع: عن عائشة رضي الله عنها قالت: لقد أنزلت آية الرَّجْمِ ورضعات الكبير عشرًا، فكانت في ورقةٍ تحت سريرٍ في بيتي، فلمَّا اشتكىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم تشاغَلْنا بأمْرِه، ودَخَلَت دُوَيْبَةٌ لنا فأكَلَتْهَا..... ٤٩١

الحديث الثامن: عن أسماء بنت عُمَيْسٍ قالت: دَخَلَ عليَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لَمَّا أُصِيبَ جَعْفَرٌ، فقال: « تَسْلُبِي ثلاثًا ثُمَّ اصْنَعِي ما شِئْتِ» ٤٩٢

الحديث التاسع: عن حذيفة، قال: تَسَحَّرنا مع رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، هو والله النَّهار، غير أنَّ الشَّمسَ لم تَطْلُع ٤٩٣

الحديث العاشر: «خَلَقَ اللهُ التُّرْبَةَ يومَ السَّبْتِ، وخَلَقَ فيها الجِبَالَ يومَ الأحَدِ، وخَلَقَ الشَّجَرةَ يوم الإثنين، وخَلَقَ المَكْرُوه يومَ الثلاثاء...» الحديث ٤٩٤

الحديث الحادي عشر: عن ابن عباسٍ قال: كان المسلمون لا ينظرون إلىٰ أبي سفيان ولا يُقاعِدُونه فقال للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «ثلاثٌ أَعْطِنيهِنَّ. قال: نعم...» الحديث ٤٩٥

الحديث الثاني عشر: «لَعَنَ اللهُ اليهودَ والنَّصارَىٰ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبيائِهِمْ مَسَاجِدَ» .. ٤٩٦

الحديث الثالث عشر: عن العبَّاس بن عبدالمطلب قال: كنت في البَطْحَاءِ في عِصابةٍ فيهم رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فمرَّت بهم سَحَابةٌ فنظر إليها فقال: «ما تُسَمُّون هذه؟». قالوا: السَّحابُ. قال: «والمُزْنُ...» الحديث ٤٩٩

الحديث الرابع عشر: عن ابن عباسٍ قال: «إنَّ الكرسيَّ مَوْضِعَ القَدَمين، والعَرْش لا يَقْدِرُ قَدْرُهُ أحَدٌ» ٥٠١
الحديث الخامس عشر: «يُلْقَىٰ في النَّارِ وتقول: هل مِن مَزيدٍ، حتىٰ يَضَعَ قَدَمَهُ فتقول: قَطْ قَطْ» ٥٠١
الحديث السادس عشر: ترجمة البخاريُّ: «قول النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: لا شَخْصَ أغْيَرَ مِن الله» ٥٠٣
الحديث السابع عشر: «إنَّ آدمَ -عليه السَّلام- كان يُسَبِّحُ بتَسْبِيحِ المَلائِكَةِ ويُصَلِّي بصَلَاتهم حين هَبَطَ إلىٰ الأرضِ لطُولِهِ وقُرْبِهِ إلىٰ السَّماءِ فوَضَعَ اللهُ يَدَهُ عليه فطَأْطَأَتْ إلىٰ الأرضِ سَبعين ذِرَاعًا» ٥٠٤
الحديث الثامن عشر: «إنَّ الله عزَّ وجلَّ لَمَّا قضىٰ خَلْقَهُ استَلْقَىٰ ثُمَّ وَضَعَ إحْدَىٰ رِجْلَيْهِ علىٰ الأُخرَىٰ ثُمَّ قال: لا يَنْبَغِي لأحدٍ مِن خَلْقِي أن يَفْعَل هذا» ٥٠٥
الحديث التاسع عشر: «إنَّ مُؤمِني الجنِّ لهم ثوابٌ وعليهم عِقابٌ»... الحديث. ٥٠٨
الحديث الموفي عشرين: جاء رجلٌ إلىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من أهل الكتاب فقال: يا أبا القاسم إنَّ الله يُمْسِكُ السَّماواتِ علىٰ إصْبَعٍ والأرْضِين والشَّجَرَ والثَّرَىٰ علىٰ إصْبَعٍ، والخَلائِقَ علىٰ إصْبَعٍ ثُمَّ يقول: أنا المَلِك، أنا المَلِك، فرأيت النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ضَحِكَ حتَّىٰ بَدَتْ نَواجِزُه ثُمَّ قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ٥٠٩
الحديث الحادي والعشرون: «إنَّ كُرْسِيَّه وسِعَ السَّماواتِ والأرضَ، وأنه ليَقْعُدُ عليه فما يَفْضُلُ منه مِقْدَارُ أرْبَعِ أصَابع -ثُمَّ قال بأصابعه فجمعها- وإنَّ له أَطِيطًا كأطيطِ الرَّحْلِ الجَديدِ إذا رُكِبَ مِن ثِقَلِهِ» ٥١١
الحديث الثاني والعشرون: قول الأعرابي: «فإنَّا نستَشْفِعُ بك علىٰ الله ونستَشْفِعُ بالله عليك...» الحديث ٥١٢
الحديث الثالث والعشرون: «خُلِقَتُ الملائكةُ مِن نُورٍ، وخُلِقَ الجانُّ مِن مارجٍ مِن نارٍ،

وخُلِقَ آدمُ ممَّا وُصِفَ لَكُمْ» ٥١٣
الحديث الرابع والعشرون: عن عبدالله بن أبي سلمة قال: إنَّ عبدالله بن عمر بن الخطَّاب بعث إلي عبدالله بن عبَّاسٍ يسأله: هل رأىٰ محمَّدٌ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ربَّهُ؟ فأرسل إليه عبدالله بن عبَّاسٍ أنْ: نَعَمْ» ٥١٤
الحديث الخامس والعشرين: «الكرسيُّ الذي يجلس عليه الربُّ عزَّ وجلَّ، وما يَفْضُلُ منه إلَّا قَدْرُ أربع أصابع، وإنَّ له أطيطًا كأطيط الرَّحْلِ الجديد» ٥١٦
الحديث السادس والعشرون: «ما بُعِثَ نبيٌّ إلَّا أنْذَرَ أُمَّتَهُ الأعْوَرَ الكذَّاب، ألَّا إنه أعْوَرُ وإنَّ ربَّكم ليس بأعْوَرَ، وإن بين عَيْنيه مَكْتوبًا كافِرٌ» ٥١٨
الحديث السابع والعشرون: عن ابن عباسٍ قال: إنَّ الله عزَّ وجلَّ فرض الصَّلاة علىٰ لسان نبيِّكم صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ المسافر ركعتين وعلىٰ المقيم أربعًا، وفي الخوف ركعةً ٥١٩
الحديث الثامن والعشرون: أنَّ أبا الصَّهْباء قال لابن عباسٍ: هاتِ من هَنَاتِكَ، ألم يكن الطلاق الثلاث علىٰ عهد رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وأبي بكرٍ واحدةً؟ فقال: قد كان ذلك، فلما كان في عهد عمر تتابع الناس في الطلاق فأجازه عليهم..... ٥٢٠
الحديث التاسع والعشرون: عن ابن أمِّ مكتومٍ: سأل النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: يا رسول الله، إني رجلٌ ضريرٌ شاسع الدار، ولي قائدٌ لا يُلايمُني فهل لي رخصةٌ أن أصلِّي في بيتي؟ قال: «هل تَسْمَعُ النِّداء؟» قال: نعم. قال: «لا أجد لك رُخْصَةً» ٥٢١
الحديث الموفي ثلاثين: عن عمَّار بن ياسرٍ أنه كان يحدِّث أنهم تمسَّحوا وهم مع رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بالصعيد لصلاة الفجر، فضربوا بأكفِّهم الصعيد ثُمَّ مسحوا وجوههم مسحةً واحدةً...» الحديث ٥٢٢
الحديث الحادي والثلاثون: قلنا: يا رسول الله هل نرىٰ ربَّنا؟ قال: «هل ترون الشمس في يومٍ لا غَيْمَ فيه؟ وترون القمر في ليلةٍ لا غَيْمَ فيها؟» قلنا: نعم. قال: «فإنكم سترون

ربّكم...» الحديث ٥٢٣
الحديث الثاني والثلاثون: «أكْرِمُوا عَمَّتكُم النَّخْلَةَ فإنَّها خُلِقَتْ مِن الطِّين الذي خُلِقَ منه آدم عليه السَّلام، وليس مِن الشَّجَرِ شيءٌ يُلَقَّحُ غيرها» ٥٢٤
الحديث الثالث والثلاثون: خرجت امرأة إلى الصَّلاة فلقيها رجلٌ فتجلَّلَها بثيابه فقضى حاجته منها وذهب، وانتهى إليها رجلٌ، فقالت له: إنَّ الرجل فعل بي كذا وكذا. فذهب الرجل في طلبه... الحديث ٥٢٥
الحديث الرابع والثلاثون: عن امرأته: أنها دخلت على عائشة في نسوةٍ فسألتها امرأةٌ فقالت: يا أمَّ المؤمنين كانت لي جاريةٌ فبعتها من زيد بن أرقم بثمانمائة إلى العطاء...» الحديث ٥٢٦
الحديث الخامس والثلاثون: إنَّ رجلًا أتى النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: يا رسول الله كيف الطهور؟ فدعا بماء في إناءٍ فغَسَلَ كفَّيه ثلاثًا، ثُمَّ غَسَلَ وجْهَهُ ثلاثًا...» الحديث ٥٢٨
الحديث السادس والثلاثون: عن أنس بن مالكٍ قال: أمطرت السماء بَرَدًا، فقال لنا أبو طلحة ونحن غلمان: ناولني يا أنس من ذلك البَرَد. فناولته، فجعل يأكل وهو صائم ...» الحديث ٥٢٩
الحديث السابع والثلاثون: ماتت رقيَّة بنت رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: «الحقي بسَلَفِنا الصَّالح عثمان بن مَظْعُون...» الحديث ٥٣٠
الحديث الثامن والثلاثون: عن جابر بن عبدالله قال: كنا إذا حَجَجْنا مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فكنَّا نُلَبِّي عن النِّساء ٥٣٠
الحديث التاسع والثلاثون: «مَن غَسَّل مَيِّتًا فليَغْتَسِل ومَن حَمَلَهُ فليتوضَّأ» ٥٣١
الحديث الموفي أربعين: عن محمد بن كعب قال: أتيت أنس بن مالكٍ في رمضان وهو يريد سفرًا، وقد رحلت راحلته ولبس ثياب السَّفَر فدعا بطعامٍ فأكل فقلت: سُنَّةٌ؟ قال: سُنَّةٌ، ثُمَّ رَكِب ٥٣٢

الحديث الحادي والأربعون: عن أبي العُشَراء، عن أبيه قال: قلت: يا رسول الله، أمـا تكـون الـذَّكـاة إلَّا في الحَـلْقِ واللَّـبَّة؟ قال: «لو طَعَـنْتَ في فخَـذِها لأجْزَأ عنك» ٥٣٣
الحديث الثاني والأربعون: «أتاني جبريل -عليه السلام- وفي يده مرآةٌ بيضاء فيها نُكْتَةٌ سوداء، فقلت: ما هذه يا جبريل؟...» الحديث ٥٣٤
الحديث الثالث والأربعون: عن عائشة -رضي الله تعالىٰ عنها- قالت: كان فيما أنزل من القرآن عشر رَضَعَاتٍ يُحَرِّمْنَ، ثُمَّ نُسِخْنَ بخَمْسٍ معلوماتٍ، فتوفي رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وهنَّ فيما يقرأ مِن القرآن ٥٣٥
الخاتمة ٥٣٨
تعقيب في معنىٰ الحديث الشاذ ٥٣٩
الحديثُ الشَّاذ نوعان..... ٥٣٩

٧- أسانيد السيِّد عبد الله للكتب السبعة

كتاب "صحيح البخاري" ٥٤٣
كتاب "صحيح مسلم" ٥٤٤
كتاب "السنن" لأبي داود ٥٤٥
كتاب "سنن الترمذي" ٥٤٦
كتاب "سنن النسائي" ٥٤٧
كتاب "سنن ابن ماجه"..... ٥٤٨
كتاب "الموطأ" للإمام مالك ٥٤٩
٨- أسماء شيوخي ٥٥٠
٩- إجازات السيد عبدالله لبعض معاصريه..... ٥٥٣
الإجازة المكِّيَّة..... ٥٥٣
إجازة السيِّد عبدالله بن محمد بن الصِّدِّيق الغُماريِّ للشيخ العلَّامة محمد يا سين

الفاداني..... ٥٥٧
إجازة السيِّد عبدالله بن الصِّدِّيق للشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري ٥٦١
فهرس الموضوعات..... ٥٦٧

٨- فهرس المجلد الثامن
الحديث الشريف وعلومه

١ - نِهايَةُ الآمَالِ في صِحَّةِ وشَرْحِ حَدِيثِ عَرْضِ الأَعْمالِ

مقدِّمة ١١
خطبة الكتاب، والسبب الدَّاعي لتأليفه ١١
باب: في ذكر طُرُق الحديث وبيان صحَّته ١٢
فصل: ذكر شواهد للحديث تؤيِّد معناه، وتقوِّي مَبْناه بحيث يرتفع إلى أعلى درجات الصحَّة والقبول ١٦
القرآن يؤيِّد الحديث ١٧
حديث الحوض يؤيِّد حديث عَرْضِ الأعمال ٢١
عرض الأعمال على الأقارب يؤيِّد حديث: «عرض الأعمال» ٢١
الصَّلاة على النبيِّ تُعرَض عليه وهي من جملة الأعمال ٢٥
باب: في دفع ما أورِد على الحديث ٣٨
تنبيه: لَمَّا تكلَّم الحافظ في "فتح الباري" على حديث: «الحوض» وقع في كلامه ما يشير إلى صحَّة حديث: «عرض الأعمال»، وكونه أمرًا ثابتًا متقرِّرًا ٤٣
تنبيه آخَر: ذكر الإشكال الوارد على حديث: «الحوض» ٤٤
خاتمة في شرح ألفاظ الحديث وبيان معناه ٤٧
فائدة: في صنيع الوهابيين في الأحاديث التي لا توافق هواهم ٥٢
الخاتمة ٥٣

٢ - سَميرُ الصَّالِحِين

خطبة الكتاب ٥٩
١ - بناء البيت ٦٠
بيان مفردات ٦٣

المعـــنى ٦٤
ما يؤخذ مِن القِصَّة ٧٣
مناقشاتٌ في القِصَّة ٧٦
العِبـــرة ٧٧
أوائل إبراهيم ٧٨
لطيفة: أَوْحَى الله تعالى إلى إبراهيم: يا إبراهيم إنَّك لما أسلمتَ مالك للضِّيفان، وابنك للقُرْبان، ونَفْسَك إلى النيران، وقلبك إلى الرحمن، اتخذناك خليلًا ٧٩
تنبيه: في قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ ﴾ ٧٩
تنبيه آخر: تقدَّم أنَّ إسماعيل عليه السَّلام تعلَّم اللغة العربيَّة مِن جُرْهُم فهو أبو العرب المُسْتَعْرِبة، وبيان أنَّ العرب ثلاثة أنواعٍ ٨٠
٢- حكم صائب ٨٢
المعنى ٨٢
ما يؤخذ من الحديث ٨٣
العِبـــرة ٨٥
تنبيه: سليمان عليه السَّلام أوَّل من فرَّق بين الشهود ٨٥
تنبيه آخر: كان العلاء بن الشِّخِّير يقول: العافية مع الشُّكْر أحب من البلاء مع الصبر . ٨٦
٣- صدقة مقبولة ٨٧
المفردات ٨٧
المعنى ٨٧
ما يؤخذ من الحديث ٨٨
العبـــرة ٨٩
قصة أخرى تُشبهها ٩٠
تنبيه: فيي حكم من قَتَلَ شخصًا في ثُمَّ تبيَّن أنَّ الشخص المقتول يستحقُّ القتل في قصاصٍ

أو حَدٍّ ٩٠
٤ - إنَّ لنَفْسِكَ عليك حَقًّا ٩١
المفردات ٩١
المعنى ٩١
ما يؤخذ من الحديث ٩٥
العِبرة ٩٧
٥ - معجزة ٩٩
المفردات ١٠٠
المعنى ١٠٠
ما يؤخذ من القصَّة ١٠٤
العِبرة ١٠٦
٦ - فضل الصِّدْقِ ١٠٨
المفردات ١١٥
المعنى ١١٦
كلام في حياة إلياس وبقائه إلى اليوم ١٢٢
ما يؤخذ من القصَّة ١٢٥
إشكال والجواب عنه ١٢٩
العِبرة من القصَّة ١٣٠
٧ - نذر ١٣٢
المعنى ١٣٢
ما يؤخذ من الحديث ١٣٣
تنبيه: مَن نَذَرَ نَذْرًا مطلقًا ولم يعيِّنه وجب عليه كفَّارة يمينٍ ١٣٧
٨ - اختيار القائد ١٣٨

بيان المفردات ١٣٨
المعنى ١٣٩
ما وقع في غزوة خيبر ١٤٢
ما يؤخذ من الحديث ١٤٩
٩ - الاستهانة بالمعصية ١٥٢
بيان المفردات ١٥٢
المعنى ١٥٢
ما يؤخذ من الحديث ١٥٤
العِبرة من هذه القصَّة ١٥٦
تنبيه: قصَّةٌ أخرى تشبه هذه القصَّة ١٥٧
حِكَم لطيفة ١٥٩
١٠ - أخلاق اليهود ١٦١
الخاتمة ١٧١

٣ - الفتح المُبين شرح الكَنز الثَّمين في أحاديث النَّبيِّ الأمين ﷺ

المقدِّمة ١٧٥
حرف الألف ١٧٦
١ - «إنَّما الأعمالُ بالنِّياتِ...» الحديث ١٧٦
٢ - «آتي بابَ الجنةِ فأَسْتفتِحُ فيقولُ الخازنُ: من أنتَ؟ فأقولُ: محمَّدٌ. فيقولُ: بِكَ أمرتُ أنْ لا أفتحَ لأحدٍ قَبْلكَ» ١٧٨
٣ - «آكلُ الرِّبا ومُوكِلُه وكاتبُه وشَاهدَاه إذا علِمُوا ذلكَ...» الحديث ١٧٨
٤ - «آكلُ كما يأكلُ العبدُ وأجلسُ كما يجلسُ العبدُ» ١٧٩
٥ - «آمرُوا النِّساءَ في بناتِهِنَّ» ١٨٠
٦ - «آيةُ الإيمانِ حبُّ الأنصارِ وآيةُ النِّفاقِ بغضُ الأنصارِ» ١٨٠

٧- «آيةُ المنافقِ ثلاثٌ: إذا حدَّثَ كذبَ، وإذا وعَدَ أخْلفَ، وإذا ائْتُمِنَ خَانَ»..... ١٨٠
٨- «ائْتِ حرثَكَ أنَّى شئتَ، وأطْعِمْها إذا طَعِمْتَ، وَاكْسُهَا إذا اكْتَسَيْتَ ولا تُقَبِّحِ الوجْهَ» ١٨١
٩- «ائْتَمِرُوا بالمعروفِ وتناهُوا عن المنكرِ...» الحديث ١٨٢
١٠- «ائتوا الدَّعوةَ إذا دُعِيتُم» ١٨٥
١١- «ائْذَنوا للنِّسَاءِ بِالليل إلى المسَاجدِ» ١٨٥
١٢- «أبَى الله أنْ يجْعلَ لقاتِلِ المؤمنِ توبةً» ١٨٥
١٣- «أبى الله أنْ يقبلَ عملَ صاحبِ بِدعةٍ حتى يدعَ بدعتَه» ١٨٥
١٤- «ابدأْ بنفسِكَ فتصدَّقْ عليهَا...» الحديث..... ١٨٦
١٥- «أبرِدُوا بالظُّهرِ فإنَّ شدَّةَ الحرِّ منْ فَيحِ جهنَّم» ١٨٦
١٦- «أبشِرُوا وأمِّلُوا ما يسرُّكم...» الحديث..... ١٨٧
١٧- «أبشِرُوا وبشِّرُوا منْ وراءَكم أنَّه منْ شهِدَ أن لا الـه إلا الله صادقًا بها دخلَ الجنَّةَ» ١٨٧
١٨- «أبشِري يا أمَّ العلاءِ فإنَّ مرَضَ المسلمِ يُذهبُ الله به خطاياه كما تُذهبُ النارُ خبثَ الفضَّةِ»..... ١٨٨
١٩- «أبغضُ الرِّجالِ إلى الله الألدُّ الخصِمُ»..... ١٨٨
٢٠- «أبغضُ الناسِ إلى الله ثلاثةٌ: ملحدٌ في الحرمِ، ومبتغٍ في الإسلامِ سنَّةَ الجاهليَّةِ، ومطَّلبُ دم امرئٍ بغيرِ حقٍّ ليهريقَ دمَه» ١٨٩
٢١- «ابغُوني في الضُّعفاءِ، فإنَّما ترزَقُون وتُنصَرُون بضعفَائِكم» ١٨٩
٢٢- «ابغُوني في ضعفائِكم فإنَّما ترزقُون وتنصَرون بضعفائِكم» ١٩٠
٢٣- «ابنُ أختِ القومِ منهم» ١٩٠
٢٤- «أبو بكر في الجنةِ، وعمرُ في الجنَّةِ، وعثمانُ في الجنَّةِ، وعليٌّ في الجنَّةِ...» الحديث ١٩٠
٢٥- «أتاكمْ أهلُ اليمنِ هم أضعفُ قلوبًا وأرقُّ أفئدةً، الفقهُ يمانٌ والحكمةُ يمانيةٌ»... ١٩٠

٢٦- «أتاني آت وأنا بالعقيق فقال: إنك بواد مبارك» ١٩١
٢٧- «أتاني الليلةَ آتٍ منْ ربِّي وأنا بالعقيقِ، أنْ صَلِّ في هذا الوادِي المباركِ» ... ١٩١
٢٨- «أتاني آتٍ من عندِ ربِّي فخيَّرني بينَ أن يدخلَ نصفُ أمتي الجنةَ وبين الشفاعةِ، فاخترتُ الشَّفاعةَ، وهي لمن ماتَ لا يُشْركُ بالله شيئًا» ١٩٢
٢٩- «أتاني آتٍ منْ عند ربِّي عزَّ وجلَّ فقال: من صلَّى عليكَ منْ أمَّتِكَ صلاةً كتبَ الله له بها عشرَ حسناتٍ...» الحديث ١٩٢
٣٠- «أتاني جبريل فقال: بشِّرْ أمَّتَكَ أنَّه منْ ماتَ لا يُشْرِكُ بالله شيئًا دخَلَ الجنةَ قلتُ: يا جبريلُ، وإنْ سرَقَ وإنْ زَنَىٰ؟ ...» الحديث ١٩٣
٣١- «أتاني جبريلُ فبشَّرني أنه من ماتَ من أمَّتِكَ لا يُشرِكُ بالله شَيئًا دخلَ الجنَّةَ. فقلتُ: وإن زَنَىٰ وإن سرقَ؟...» الحديث ١٩٣
٣٢- «أتاني جبريلُ فقال: يا محمَّدُ، كنْ عجَّاجًا ثجَّاجًا» ١٩٣
٣٣- «أتاني جبريلُ فقال: إنَّ ربِّي وربَّكَ يقولُ لكَ: تدرِي كيفَ رفعتُ ذكرَك؟ قلتُ: الله أعلمُ. قال: لا أُذْكَرُ إلا ذُكِرْتَ معِي» ١٩٤
٣٤- «أتاني جبريلُ فقال: يا محمَّدُ، إنَّ الله لعنَ الخمرَ وعاصرَها ومُعتَصِرَها وشاربَها والمحمولةَ إليه وبائعَها ومبتاعَها وساقيَها ومُسقَاها» ١٩٤
٣٥- «أتاني جبريلُ عليهِ السَّلامُ فقال: يا محمَّدُ، من أدرَكَ رمضانَ فلمْ يغفرْ له فأبعدَه الله، فقلتُ: آمين...» الحديث ١٩٥
٣٦- «أتاني جبريلُ فأمرني أنْ آمرَ أصْحابي ومنْ مَعِي أنْ يرفعُوا أصواتَهم بالإهلالِ والتَّلبيةِ» ١٩٦
٣٧- «أتاني جبريلُ فقال لي: إنَّ الله يأمرُكَ أنْ تأمرَ أصحابَكَ أن يرفعُوا أصواتَهُم بالتَّلبيةِ، فإنَّها منْ شعائرِ الحجِّ» ١٩٦
٣٨- «أتاني جبريلُ فقال: إنِّي كنتُ أتيتُكَ البارحةَ فلمْ يمنَعْني أنْ أكونَ دخلتُ عليكَ البيتَ الذي كنتَ فيه إلا أنَّه كانَ في بابِ البيتِ تمثالٌ...» الحديث ١٩٦

٣٩- «أُتيَ اللهُ بعبدٍ منْ عبادِه آتاهُ الله مالًا، فقالَ لهُ: ماذا عمِلتَ في الدُّنيا؟...» ١٩٨
٤٠- «أتدرُونَ منِ المُفلِسُ؟...» الحديث ١٩٩
٤١- «اتَّقِ الله حيثُما كنتَ، وأَتبعِ السَّيئةَ الحسنةَ تَمحُهَا، وخَالقِ الناسَ بخلقٍ حسنٍ» . ٢٠٠
٤٢- «اتَّقِ الله ولا تحقِرَنَّ منَ المعروفِ شيئًا، ولو أنْ تُفرِغَ منْ دلْوِكَ في إناءِ المسْتَسقِي...» الحديث ٢٠٠
٤٣- «اتَّقُوا الله في البهائِمِ المعجمةِ، فاركبُوها صالحةً، وكلُوهَا صالحةً» ٢٠١
٤٤- «اتَّقِ دعوةَ المظلومِ فإنَّه ليسَ بينَها وبينَ الله حجابٌ» ٢٠١
٤٥- «اتَّقُوا اللهَ واعدِلُوا في أولادِكُم» ٢٠٢
٤٦- «اتَّقُوا الله وصَلُّوا خمسَكم، وصُومُوا شَهرَكُم، وأدُّوا زَكاةَ أموالِكُم طيِّبةً بها أنفسُكم، وأطيعُوا ذا أمرِكم تدخُلُوا جَنةَ ربِّكُمْ» ٢٠٢
٤٧- «اتَّقُوا البَولَ فإنَّه أولُ ما يحاسَبُ به العَبدُ في القَبرِ» ٢٠٣
٤٨- «اتَّقُوا الظُّلمَ فإنَّ الظُّلمَ ظلماتٌ يومَ القيامةِ...» الحديث ٢٠٣
٤٩- «اتَّقُوا اللاعِنَينِ: الذي يتخلَّى في طريقِ الناسِ، أو في ظلِّهِم» ٢٠٤
٥٠- «اتَّقُوا الملاعنَ الثلاثَ: البِرازُ في الموارِدِ، وقارعةِ الطريقِ، والظلِّ» ٢٠٤
٥١- «اتَّقُوا النارَ ولو بشقِّ تمرةٍ» ٢٠٤
٥٢- «اتَّقُوا النارَ ولو بشقِّ تمرةٍ، فإنْ لم تجدُوا فبكلمةٍ طيبةٍ» ٢٠٤
٥٣- «اتَّقُوا دعوةَ المظلومِ، فإنَّها تصعدُ إلى السَّماءِ كأنَّها الشرارُ» ٢٠٥
٥٤- «اتَّقُوا دعوةَ المظلومِ، وإن كانتْ منْ كافرٍ، فإنَّها ليسَ دونَها حجابٌ» ... ٢٠٥
٥٥- «اتقُوا فِراسةَ المؤمنِ فإنَّه ينظرُ بنورِ الله عزَّ وجلَّ» ٢٠٥
٥٦- «اتَّقي الله يا فاطمةُ وأدِّي فريضةَ ربِّكِ واعمَلي عملَ أهلِكَ...» الحديث . ٢٠٧
٥٧- «أتمُّوا الركوعَ والسجُودَ، فوالذي نفسِي بيدِه إنِّي لأراكُم منْ وراءِ ظهرِي إذا ركعْتُم وإذا سجَدْتُم» ٢٠٨
٥٨- «أتمُّوا الصُّفوفَ فإنِّي أراكُم خلفَ ظهرِي» ٢٠٨

٥٩- «أتمّوا الصفَّ المقدَّمَ، ثمَّ الذي يليهِ، فما كانَ من نقصٍ فليكنْ في الصفِّ المؤخَّرِ» ٢٠٩
٦٠- «أتيتُ بالبراقِ، وهو دابَّةٌ أبيضُ فوقَ الحمارِ ودونَ البغلِ يضعُ حافرَه عند مُنتَهىٰ طرفِه، فركبتُ فسارَ بي حتَّىٰ أتيتُ بيتَ المقدسِ...» الحديث ٢٠٩
٦١- «أتيتُ بمقاليدِ الدنيا علي فرسٍ أبلقَ» ٢١٧
٦٢- «اثنان خيرٌ من واحدٍ، وثلاثةٌ خيرٌ من اثنينِ، وأربعةٌ خيرٌ من ثلاثةٍ، فعليكم بالجماعةِ فإن الله لن يجمعَ أمَّتي إلا علَىٰ هُدَىٰ» ٢١٧
٦٣- «اثنانِ لا تجاوزُ صلاتُهما رءوسَهما؛ عبدٌ أبقَ منْ مواليهِ حتَّىٰ يرجِعَ، وامرأةٌ عَصَتْ زوجَها حتَّىٰ ترجِعَ» ٢١٨
٦٤- «اثنانِ يكرهُهما ابنُ آدمَ: يكرهُ الموتَ؛ والموتُ خيرٌ له من الفتنةِ، ويكرهُ قلَّةَ المال، وقلَّةُ المالِ أقلُّ للحسَابِ» ٢١٨
٦٥- «اثنتانِ في الناسِ هما بهم كفرٌ: الطعنُ في الأنسابِ والنِّياحةُ علىٰ الميتِ» .. ٢١٨
٦٦- «اجتمعُوا علىٰ طعامِكم واذكرُوا اسمَ الله عليه يبارَك لكُم فيه» ٢١٩
٦٧- «اجتنبُوا السَّبعَ الموبقاتِ...» الحديث ٢١٩
٦٨- «اجتنبُوا الخمرَ فإنَّها مفتاحُ كلِّ شرٍّ» ٢٢١
٦٩- «اجتنبُوا هذه القاذوراتِ التي نَهىٰ الله عنْها...» الحديث ٢٢١
٧٠- «اجعَلُوا آخرَ صلاتِكم بالليلِ وِتْرًا» ٢٢٢
٧١- «اجْعَلُوا مِنْ صلاتِكم في بيوتِكم ولا تتَّخِذُوها قبورًا» ٢٢٢
٧٢- «اجعلُوا بينكُم وبينَ الحرامِ سترًا من الحلال...» الحديث ٢٢٢
٧٣- «أجِلُّوا الله يَغْفِر لكُمْ» ٢٢٣
٧٤- «أجِيبُوا هذهِ الدعوةَ إذا دعيتُم لها» ٢٢٤
٧٥- «أجِيبُوا الدَّاعي ولا تردُّوا الهديةَ ولا تَضرِبُوا المسلمينَ» ٢٢٤
٧٦- «أحبُّ الأعمال إلىٰ الله الصَّلاة لوقتِها، ثمَّ برُّ الوالدينِ، ثمَّ الجهادُ في سبيل الله» ٢٢٥

٤ - تعليقاتٌ على كتاب "المتجر الرَّابح في ثواب العمل الصَّالح» للحافظِ شرفِ الدِّينِ الدِّمياطِيِّ

أبوابُ العلم ٢٢٩
التعليق على الحديث رقم ١/١ ..... ٢٢٩
التعليق على حديث رقم ٢/٢ ..... ٢٣٠
التعليق على حديث رقم ٣/٣ ..... ٢٣٠
التعليق على حديث رقم ٤/٤ ..... ٢٣١
التعليق على حديث رقم ٦/٦ ..... ٢٣١
التعليق على حديث رقم ٨/٨ ..... ٢٣١
التعليق على حديث رقم ٩/٩ ..... ٢٣٢
التعليق على حديث رقم ١١/١١ ..... ٢٣٢
التعليق على حديث رقم ١٥/١٥ ..... ٢٣٢
التعليق على حديث رقم ١٨/١٨ ..... ٢٣٢
التعليق على حديث رقم ١٩/١٩ ..... ٢٣٢
التعليق على حديث رقم ٢٠/٢٠ ..... ٢٣٣
التعليق على حديث رقم ٢١/٢١ ..... ٢٣٣
التعليق على حديث رقم ٢٢/٢٢ ..... ٢٣٣
تصحيح سماعُ الحسنِ من أبي هريرة ٢٣٣
التعليق على حديث رقم ٣٠/٣٠ ..... ٢٣٤
التعليق على حديث رقم ٣٥/٣٥ ..... ٢٣٤
التعليق على حديث رقم ٣٨/٣٨ ..... ٢٣٤
التعليق على حديث رقم ٤١/٤١ ..... ٢٣٤

التعليق على حديث رقم ٤٢/٤٢ ..... ٢٣٥
التعليق على حديث رقم ٤٤/٤٤ ..... ٢٣٥
التعليق على حديث رقم ٤٥/٤٥ ..... ٢٣٥
التعليق على حديث رقم ٤٧/٤٧ ..... ٢٣٥
التعليق على حديث رقم ٥١/٥١ ..... ٢٣٥
التعليق على حديث رقم ٥٢/٥٢ ..... ٢٣٦
أبواب الطهارة ٢٣٦
التعليق على حديث رقم ٣/٥٦ ..... ٢٣٦
التعليق على حديث رقم ٤/٥٧ ..... ٢٣٧
التعليق على حديث رقم ٦/٥٩ ..... ٢٣٧
التعليق على حديث رقم ٩/٦١ ..... ٢٣٧
التعليق على حديث رقم ١٥/٦٧ ..... ٢٣٧
التعليق على حديث رقم ١٦/٦٨ ..... ٢٣٨
التعليق على حديث رقم ١٨/٧٠ ..... ٢٣٨
التعليق على حديث رقم ٢٣/٧٥ ..... ٢٣٨
التعليق على حديث رقم ٢٤/٧٦ ..... ٢٣٨
التعليق على حديث رقم ٢٦/٧٨ ..... ٢٣٨
التعليق على حديث رقم ٢٧/٧٩ ..... ٢٣٨
التعليق على حديث رقم ٣١/٨٣ ..... ٢٣٩
أبواب الصلاة ٢٤٠
التعليق على حديث رقم ١٣/٩٩ ..... ٢٤٠
التعليق على حديث رقم ١٨/١٠٤ ..... ٢٤٠

التعليق على حديث رقم ١٩/١٠٦ ..... ٢٤٠
التعليق على حديث رقم ٢٠/١٠٧ ..... ٢٤٠
التعليق على حديث رقم ٢٤/١١٠ ..... ٢٤٠
مسألة في حكم اتِّخاذِ الأجرِ على الأذان ٢٤١
التعليق على حديث رقم ٢٧/١١٣ ..... ٢٤١
التعليق على حديث رقم ٣٠/١١٧ ..... ٢٤١
التعليق على حديث رقم ٥٠/١٣٦ ..... ٢٤٢
التعليق على حديث رقم ٥٥/١٤٢ ..... ٢٤٣
التعليق على حديث رقم ٥٦/١٤٣ ..... ٢٤٤
التعليق على حديث رقم ٥٧/١٤٤ ..... ٢٤٤
التعليق على حديث رقم ٥٨/١٤٥ ..... ٢٤٤
التعليق على حديث رقم ٦٠/١٤٧ ..... ٢٤٤
التعليق على حديث رقم ٦٣/١٥٠ ..... ٢٤٤
التعليق على حديث رقم ٦٩/١٥٦ ..... ٢٤٥
التعليق على حديث رقم ٧٠/١٥٧ ..... ٢٤٥
التعليق على حديث رقم ٧٥/١٦٢ ..... ٢٤٥
التعليق على حديث رقم ٧٧/١٦٤ ..... ٢٤٥
التعليق على حديث رقم ٧٨/١٦٥ ..... ٢٤٥
التعليق على حديث رقم ٨١/١٦٨ ..... ٢٤٦
التعليق على حديث رقم ٨٣/١٧٠ ..... ٢٤٦
التعليق على حديث رقم ٨٤/١٧١ ..... ٢٤٦
التعليق على حديث رقم ٨٩/١٧٦ ..... ٢٤٦

التعليق على حديث رقم ٩٢/١٧٨ ..... ٢٤٧
بيان الأسباب التي تقتضي تضعيفَ صلاةِ الجماعةِ على صلاةِ الفذِّ: خمسًا وعشرين في الصَّلاة السِّرية، وسبعًا وعشرين في الصَّلاة الجَهرية ٢٤٧
التعليق على حديث رقم ١٠١/١٨٧ ..... ٢٤٩
التعليق على حديث رقم ١٠٣/١٨٩ ..... ٢٤٩
التعليق على حديث رقم ١٠٤/١٩٠ ..... ٢٥٠
التعليق على حديث رقم ١٠٦/١٩٢ ..... ٢٥٠
التعليق على حديث رقم ١٠٨/١٩٤ ..... ٢٥٠
التعليق على حديث رقم ١١٢/١٩٨ ..... ٢٥١
التعليق على حديث رقم ١١٣/١٩٩ ..... ٢٥١
استُدلَّ بهذا الحديثِ على أنَّ الملائكةَ أفضلُ من البشرِ ٢٥١
التعليق على حديث رقم ١١٤/٢٠٠ ..... ٢٥٢
مما يؤخذ من الحديث أنَّ ما ثبتَ بالسُّنة ينسبُ إلى وحيِ الله وتنزيله ٢٥٣
التعليق على حديث رقم ١١٥/٢٠١ ..... ٢٥٣
التعليق على حديث رقم ١١٧/٢٠٣ ..... ٢٥٣
التعليق على حديث رقم ١١٨/٢٠٤ ..... ٢٥٤
التعليق على حديث رقم ١١٩/٢٠٥ ..... ٢٥٥
التعليق على حديث رقم ١٢٣/٢٠٩ ..... ٢٥٥
التعليق على حديث رقم ١٢٤/٢١٠ ..... ٢٥٥
التعليق على حديث رقم ١٢٨/٢١٤ ..... ٢٥٦
التعليق على حديث رقم ١٣٢/٢١٨ ..... ٢٥٦
الصلاة في المسجدَ الحرام تزيدُ على المسجدِ النبويِّ بمائة صلاة فقط، وتزيدُ على سائرِ

المساجدِ بمائةِ ألفٍ ٢٥٦
التعليق على حديث رقم ١٣٤/٢١٩ ..... ٢٥٦
التعليق على حديث رقم ١٤٠/٢٢٥ ..... ٢٥٦
التعليق على حديث رقم ١٤٢/٢٢٨ ..... ٢٥٦
التعليق على حديث رقم ١٥٥/٢٤١ ..... ٢٥٦
التعليق على حديث رقم ١٥٧/٢٤٣ ..... ٢٥٧
التعليق على حديث رقم ١٥٩/٢٤٥ ..... ٢٥٧
التعليق على حديث رقم ١٦٢/٢٤٨ ..... ٢٥٨
التعليق على حديث رقم ١٦٩/٢٥٥ ..... ٢٥٨
التعليق على حديث رقم ١٧١/٢٥٧ ..... ٢٥٩
التعليق على حديث رقم ١٧٣/٢٦٠ ..... ٢٥٩
التعليق على أحاديث رقم ١٧٩/٢٦٦ ١٨٠/٢٦٧ ..... ٢٥٩
التعليق على حديث رقم ١٨٣/٢٦٩ ..... ٢٦٠
التعليق على حديث رقم ١٨٤/٢٧٠ ..... ٢٦٠
التعليق على حديث رقم ١٩١/٢٧٧ ..... ٢٦٠
ذكر أحاديث وردت في خصال توجبُ الظِّلال ٢٦١
التعليق على حديث رقم ١٩٣/٢٧٩ ..... ٢٦٤
التعليق على حديث رقم ١٩٦/٢٨٢ ..... ٢٦٤
التعليق على حديث رقم ١٩٧/٢٨٣ ..... ٢٦٤
ثواب من جلس في المسجد ينتظر الصَّلاة ٢٦٥
التعليق على حديث رقم ٢٠٤/٢٩٠ ..... ٢٦٥
التعليق على حديث رقم ٢٠٨/٢٩٤ ..... ٢٦٦

التعليق على حديث رقم ٢١٠/٢٩٦ ..... ٢٦٦
التعليق على حديث رقم ٢١١/٢٩٧ ..... ٢٦٧
التعليق على حديث رقم ٢١٣/٢٩٩ ..... ٢٦٧
التعليق على حديث رقم ٢١٨/٣٠٤ ..... ٢٦٧
التعليق على حديث رقم ٢٢٠/٣٠٥ ..... ٢٦٧
التعليق على حديث رقم ٢٢٢/٣٠٧ ..... ٢٦٨
التعليق على حديث رقم ٢٣٢/٣١٧ ..... ٢٦٨
أبواب صلاة التَّطوع ٢٦٩
التعليق على حديث رقم ٧/٣٢٤ ..... ٢٦٩
التعليق على حديث رقم ١١/٣٢٨ ..... ٢٦٩
التعليق على حديث رقم ١٤/٣٣١ ..... ٢٦٩
التعليق على حديث رقم ١٩/٣٣٦ ..... ٢٧٠
التعليق على حديث رقم ٢٠/٣٣٧ ..... ٢٧٠
التعليق على حديث رقم ٢٨/٣٤٥ ..... ٢٧٠
التعليق على حديث رقم ٢٩/٣٤٦ ..... ٢٧٠
التعليق على حديث رقم ٤١/٣٥٨ ..... ٢٧٠
التعليق على حديث رقم ٥٦/٣٧٣ ..... ٢٧٠
التعليق على حديث رقم ٥٩/٣٧٦ ..... ٢٧٠
التعليق على حديث رقم ٦٢/٣٧٩ ..... ٢٧١
تنبيه: من (سورة تبارك) إلى آخر القرآن ألف آية ٢٧١
التعليق على حديث رقم ٦٤/٣٨١ ..... ٢٧١
التعليق على حديث رقم ٦٥/٣٧٢ ..... ٢٧٢

التعليق على حديث رقم ٦٧/٣٨٤ ..... ٢٧٢
التعليق على حديث رقم ٦٩/٣٨٦ ..... ٢٧٣
التعليق على حديث رقم ٧٥/٣٩٢ ..... ٢٧٣
التعليق على حديث رقم ٨٢/٣٩٩ ..... ٢٧٣
التعليق على حديث رقم ٨٤/٤١٠ ..... ٢٧٣
التعليق على أحاديث رقم ٨٩/٤٠٦ ٩٠/٤٠٧ ..... ٢٧٤
اختلاف العلماء في صلاة التسابيح من الصحة إلى الوضع ٢٧٤
التعليق على حديث رقم ٩١/٤٠٨ ..... ٢٧٥
التعليق على حديث رقم ٩٣/٤١٠ ..... ٢٧٦
أبواب الجمعة ٢٧٦
التعليق على حديث رقم ١/٤١١ ..... ٢٧٦
التعليق على حديث رقم ٣/٤١٣ ..... ٢٧٦
التعليق على حديث رقم ٧/٤١٧ ..... ٢٧٦
التعليق على حديث رقم ٨/٤١٨ ..... ٢٧٧
التعليق على حديث رقم ١٠/٤١٠ ..... ٢٧٧
التعليق على حديث رقم ١٧/٤٢٧ ..... ٢٧٧
التعليق على حديث رقم ٢٦/٤٣٥ ..... ٢٧٧
التعليق على حديث رقم ٢٨/٤٣٧ ..... ٢٧٧
أبواب الجنائز ٢٧٨
التعليق على حديث رقم ٩/٤٤٩ ..... ٢٧٨
التعليق على حديث رقم ٢٢/٤٦٢ ..... ٢٧٩
التعليق على حديث رقم ٢٣/٤٦٣ ..... ٢٧٩

التعليق على حديث رقم ٢٤/٤٦٤ ..... ٢٧٩
التعليق على حديث رقم ٢٥/٤٦٥ ..... ٢٨٠
التعليق على حديث رقم ٣٤/٤٧٤ ..... ٢٨٠
التعليق على حديث رقم ٣٨/٤٧٨ ..... ٢٨٠
التعليق على حديث رقم ٣٩/٤٧٩ ..... ٢٨١
التعليق على حديث رقم ٤٢/٤٨٢ ..... ٢٨١
تنبيه: الأحاديثُ الواردةُ في فضل بعضِ الأمراض مثل الحمَّى أوالطاعون أو فقد البصر، قصد بها تسلية المصابِ بها... لكنَّها لا تفيد أبدًا بحال الترغيبِ في المرض أو الاستسلامِ له... والدليل على ذلك ٢٨١
التعليق على حديث رقم ٤٦/٤٨٥ ..... ٢٨٤
التعليق على حديث رقم ٤٧/٤٨٦ ..... ٢٨٤
التعليق على حديث رقم ٥٤/٤٩٣ ..... ٢٨٥
استدراك في ذكر خصال أصحابها شهداء ٢٨٥
التعليق على حديث رقم ٥٥/٤٩٤ ..... ٢٨٧
التعليق على حديث رقم ٧٢/٥١٠ ..... ٢٨٧
أبواب الصَّدَقات ٢٨٨
التعليق على حديث رقم ٤/٥١٦ ..... ٢٨٨
التعليق على حديث رقم ٩/٥٢١ ..... ٢٨٨
التعليق على حديث رقم ١٠/٥٢٢ ..... ٢٨٨
التعليق على حديث رقم ١١/٥٢٣ ..... ٢٨٩
ثواب الصَّدَقة وفضلها ٢٨٩
التعليق على حديث رقم ٢٣/٥٣٥ ..... ٢٨٩

التعليق على حديث رقم ٢٥/٥٣٦ ..... ٢٩٠
التعليق على حديث رقم ٢٦/٥٣٧ ..... ٢٩٠
التعليق على حديث رقم ٢٩/٥٤٠ ..... ٢٩٠
التعليق على حديث رقم ٣٣/٥٤٥ ..... ٢٩٠
التعليق على حديث رقم ٤٤/٥٥٦ ..... ٢٩٠
التعليق على حديث رقم ٤٥/٥٥٧ ..... ٢٩٠
التعليق على حديث رقم ٤٧/٥٥٩ ..... ٢٩١
التعليق على حديث رقم ٥٠/٥٦٢ ..... ٢٩٢
ثواب المقل ٢٩٢
قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ الآية. وسبب نزولها ٢٩٢
ثواب صدقة السر ٢٩٣
قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ الآية، نزلت في عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام ٢٩٣
التعليق على حديث رقم ٦٨/٥٧٩ ..... ٢٩٣
التعليق على حديث رقم ٦٩/٥٨٠ ..... ٢٩٤
التعليق على حديث رقم ٧١/٥٨٢ ..... ٢٩٤
التعليق على حديث رقم ٧٤/٥٨٥ ..... ٢٩٤
التعليق على حديث رقم ٧٥/٥٨٦ ..... ٢٩٤
التعليق على حديث رقم ٨٤/٥٩٥ ..... ٢٩٤
التعليق على حديث رقم ٩٠/٦٠١ ..... ٢٩٤
التعليق على حديث رقم ٩٣/٦٠٤ ..... ٢٩٤

التعليق على حديث رقم ٩٨/٦٠٩ ..... ٢٩٥
التعليق على حديث رقم ١٠٨/٦١٩ ..... ٢٩٥
التعليق على حديث رقم ١١٣/٦٢٤ ..... ٢٩٥
التعليق على حديث رقم ١١٥/٦٢٦ ..... ٢٩٥
التعليق على حديث رقم ١١٦/٦٢٧ ..... ٢٩٥
التعليق على حديث رقم ١٢٠/٦٣١ ..... ٢٩٦
التعليق على حديث رقم ١٢٩/٦٤٠ ..... ٢٩٦
التعليق على حديث رقم ١٣٠/٦٤١ ..... ٢٩٦
التعليق على حديث رقم ١٣٤/٦٤٤ ..... ٢٩٧
التعليق على حديث رقم ١٤١/٦٥٢ ..... ٢٩٧
التعليق على حديث رقم ١٤٤/٦٥٥ ..... ٢٩٧
التعليق على حديث رقم ١٥٥/٦٦٦ ..... ٢٩٧
التعليق على حديث رقم ٥٦/٦٦٧ ..... ٢٩٧
التعليق على حديث رقم ١٦٧/٦٧٨ ..... ٢٩٧
أبوابُ الصَّوم ٢٩٨
التعليق على حديث رقم ١٠/٦٨٨ ..... ٢٩٨
التعليق على حديث رقم ١١/٦٨٩ ..... ٢٩٨
التعليق على حديث رقم ١٣/٦٩١ ..... ٢٩٨
التعليق على حديث رقم ٢٦/٧٠٦ ..... ٢٩٨
التعليق على حديث رقم ٣٠/٧١٠ ..... ٢٩٩
التعليق على حديث رقم ٣٧/٧١٥ ..... ٢٩٩

التعليق على حديث رقم ٤٠/٧١٨ ..... ٢٩٩
التعليق على حديث رقم ٥١/٧٢٩ ..... ٣٠٠
التعليق على حديث رقم ٦٩/٧٤٧ ..... ٣٠٠
التعليق على حديث رقم ٧٩/٧٥٧ ..... ٣٠٠
التعليق على حديث رقم ٩١/٧٦٩ ..... ٣٠٠
التعليق على حديث رقم ٩٢/٧٧٠ ..... ٣٠٠
التعليق على حديث رقم ٩٦/٧٧٤ ..... ٣٠١
التعليق على حديث رقم ٩٨/٧٧٦ ..... ٣٠١
التعليق على حديث رقم ٩٩/٧٧٧ ..... ٣٠١
التعليق على حديث رقم ١٠٧/٧٨٥ ..... ٣٠١
التعليق على حديث رقم ١١١/٧٨٩ ..... ٣٠١
التعليق على حديث رقم ١١٤/٧٩٢ ..... ٣٠١
أبواب الحجِّ ٣٠٢
التعليق على حديث رقم ٦/٧٩٨ ..... ٣٠٢
التعليق على حديث رقم ٩/٨٠١ ..... ٣٠٢
التعليق على حديث رقم ٢٠/٨١٢ ..... ٣٠٢
التعليق على حديث رقم ٣٨/٨٣٠ ..... ٣٠٢
التعليق على حديث رقم ٤٨/٨٤٠ ..... ٣٠٣
التعليق على حديث رقم ٥٢/٨٤٤ ..... ٣٠٣
التعليق على حديث رقم ٥٧/٨٤٩ ..... ٣٠٣
التعليق على حديث رقم ٥٩/٨٥١ ..... ٣٠٣

التعليق على حديث رقم ٦١/٨٥٣ ..... ٣٠٣
التعليق على حديث رقم ٦٨/٧٦٠ ..... ٣٠٤
التعليق على حديث رقم ٦٩/٨٦١ ..... ٣٠٤
التعليق على حديث رقم ٨١/٨٧٣ ..... ٣٠٤
التعليق على حديث رقم ٩٢/٨٨٥ ..... ٣٠٤
التعليق على حديث رقم ٩٥/٨٨٧ ..... ٣٠٥
التعليق على حديث رقم ٩٨/٨٩٠ ..... ٣٠٥
التعليق على حديث رقم ٩٩/٨٩١ ..... ٣٠٥
حديث: «ماءَ زمزم لما شُربَ له» واختلاف الحفاظ فيه بين الصحة والحسن والضعف ٣٠٦
ذكر من قال: حديثُ: «الباذنجانِ لما أكِلَ له» أمثل إسنادًا من حديثِ: «ماءُ زمزم لما شُربَ له»، والكلام عليه ٣٠٦
التعليق على حديث رقم ١٠٢/٨٩٤ ..... ٣٠٧
التعليق على حديث رقم ١٠٣/٨٩٥ ..... ٣٠٧
التعليق على حديث رقم ١٠٦/٨٩٨ ..... ٣٠٧
التعليق على حديث رقم ١١١/٩٠٣ ..... ٣٠٧
التعليق على حديث رقم ١١٣/٩٠٥ ..... ٣٠٨
التعليق على حديث رقم ١١٨/٩١٠ ..... ٣٠٨
أبواب الجهاد ٣٠٩
التعليق على حديث رقم ١٢١/٩١٣ ..... ٣٠٩
التعليق على حديث رقم ١٢٢/٩١٤ ..... ٣٠٩
التعليق على حديث رقم ١٢٥/٩١٧ ..... ٣٠٩

التعليق على حديث رقم ١٢٦/٩١٨ ..... ٣٠٩
التعليق على حديث رقم ١٢٨/٩٢٠ ..... ٣١٠
التعليق على حديث رقم ١٢٩/٩٢١ ..... ٣١٠
التعليق على حديث رقم ١٣٠/٩٢٢ ..... ٣١٠
التعليق على حديث رقم ١٣٢/٩٢٤ ..... ٣١١
التعليق على حديث رقم ١٣٥/٩٢٧ ..... ٣١١
التعليق على حديث رقم ١٤١/٩٣٣ ..... ٣١١
التعليق على حديث رقم ١٥٢/٩٤٤ ..... ٣١١
التعليق على حديث رقم ١٥٧/٩٤٩ ..... ٣١١
التعليق على حديث رقم ١٦١/٩٥٣ ..... ٣١١
التعليق على حديث رقم ١٧٦/٩٨٦ ..... ٣١٢
التعليق على حديث رقم ١٨٢/٩٧٤ ..... ٣١٢
التعليق على حديث رقم ١٨٤/٩٧٦ ..... ٣١٢
بيان معنى: «ثمَّ لم ينسَ حقَّ الله في ظُهورِهَا ولا رقابِها» ٣١٢
التعليق على حديث رقم ١٩٣/٩٨٥ ..... ٣١٤
التعليق على حديث رقم ١٩٥/٩٨٧ ..... ٣١٥
التعليق على حديث رقم ١٩٦/٩٨٨ ..... ٣١٥
التعليق على حديث رقم ١٩٧/٩٨٩ ..... ٣١٦
التعليق على حديث رقم ١٩٨/٩٩٠ ..... ٣١٦
التعليق على حديث رقم ٢٠٣/٩٩٥ ..... ٣١٦
التعليق على حديث رقم ٢٠٤/٩٩٦ ..... ٣١٦

التعليق على حديث رقم ٢٠٥/٩٩٧ ..... ٣١٦
التعليق على حديث رقم ٢٠٩/١٠٠١ ..... ٣١٦
التعليق على حديث رقم ٢١٠/١٠٠٢ ..... ٣١٧
التعليق على حديث رقم ٢١٣/١٠٠٥ ..... ٣١٧
التعليق على حديث رقم ٢٢٢/١٠١٤ ..... ٣١٧
التعليق على حديث رقم ٢٣٣/١٠٢٥ ..... ٣١٧
التعليق على حديث رقم ٢٣٦/١٠٢٨ ..... ٣١٧
ثواب قيام الرجل في الصف ٣١٨
التعليق على حديث رقم ٢٣٧/١٠٢٩ ..... ٣١٨
التعليق على حديث رقم ٢٣٨/١٠٣٠ ..... ٣١٩
التعليق على حديث رقم ٢٣٩/١٠٣١ ..... ٣١٩
التعليق على حديث رقم ٢٤١/١٠٣٣ ..... ٣١٩
التعليق على حديث رقم ٢٤٦/١٠٣٨ ..... ٣١٩
المجاهد الذي قتل كافرًا ثمَّ عَمِلَ معاصي اقتضت دخوله النار، لا يجتمعُ معِ الكافرِ الذي قتلَه ولا يراه، والسِّر في ذلك ٣٢٠
التعليق على حديث رقم ٢٤٧/١٠٣٩ ..... ٣٢٠
التعليق على حديث رقم ٢٥٠/١٠٤٢ ..... ٣٢١
ذكر أصناف من الناس لا يفتنُون في قبورِهم ٣٢١
التعليق على حديث رقم ٢٥٢/١٠٤٤ ..... ٣٢٢
التعليق على حديث رقم ٢٥٥/١٠٤٧ ..... ٣٢٢
لطيفةٌ في استدلال مستشرق ألماني على صدق النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بآية ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ ٣٢٣

التعليق على حديث رقم ٢٥٦/١٠٤٨ ..... ٣٢٣
التعليق على حديث رقم ٢٥٨/١٠٥٠ ..... ٣٢٣
التعليق على حديث رقم ٢٥٩/١٠٥١ ..... ٣٢٤
التعليق على حديث رقم ٢٦٠/١٠٥٢ ..... ٣٢٤
التعليق على حديث رقم ٢٦٣/١٠٥٥ ..... ٣٢٤
التعليق على حديث رقم ٢٦٤/١٠٥٦ ..... ٣٢٤
التعليق على حديث رقم ٢٦٥/١٠٥٧ ..... ٣٢٤
التعليق على حديث رقم ٢٦٩/١٠٦١ ..... ٣٢٥
التعليق على حديث رقم ٢٧٢/١٠٦٤ ..... ٣٢٥
التعليق على حديث رقم ٢٧٤/١٠٦٦ ..... ٣٢٥
التعليق على حديث رقم ٢٧٥/١٠٦٧ ..... ٣٢٦
التعليق على حديث رقم ٢٧٨/١٠٧٠ ..... ٣٢٦
التعليق على حديث رقم ٢٧٩/١٠٧١ ..... ٣٢٦
التعليق على حديث رقم ٢٨٢/١٠٧٤ ..... ٣٢٧
التعليق على حديث رقم ٢٨٥/١٠٧٥ ..... ٣٢٨
أبواب قراءة القرآن ٣٢٨
الكلام على آية: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ ٣٢٨
التعليق على حديث رقم ١/١٠٧٧ ..... ٣٢٩
التعليق على حديث رقم ٤/١٠٨٠ ..... ٣٢٩
التعليق على حديث رقم ٨/١٠٨٤ ..... ٣٢٩
التعليق على حديث رقم ١٠/١٠٨٦ ..... ٣٢٩

التعليق على حديث رقم ١٣/١٠٩٠ ..... ٣٣٠
التعليق على حديث رقم ١٤/١٠٩١ ..... ٣٣٠
التعليق على حديث رقم ١٥/١٠٩٢ ..... ٣٣١
التعليق على حديث رقم ١٧/١٠٩٤ ..... ٣٣١
التعليق على حديث رقم ١٩/١٠٩٦ ..... ٣٣١
التعليق على حديث رقم ٢٠/١٠٩٧ ..... ٣٣١
التعليق على حديث رقم ٢١/١٠٩٨ ..... ٣٣١
التعليق على حديث رقم ٢٣/١١٠٠ ..... ٣٣١
التعليق على حديث رقم ٢٦/١١٠٣ ..... ٣٣١
التعليق على حديث رقم ٢٩/١١٠٦ ..... ٣٣١
التعليق على حديث رقم ٣٣/١١٠٩ ..... ٣٣٢
التعليق على حديث رقم ٤٢/١١١٩ ..... ٣٣٣
التعليق على حديث رقم ٤٨/١١٢٥ ..... ٣٣٣
التعليق على حديث رقم ٥٠/١١٢٦ ..... ٣٣٤
التعليق على حديث رقم ٥٢/١١٢٨ ..... ٣٣٥
التعليق على حديث رقم ٦٠/١١٣٦ ..... ٣٣٥
التعليق على حديث رقم ٦١/١١٣٧ ..... ٣٣٦
التعليق على حديث رقم ٦٢/١١٣٨ ..... ٣٣٦
التعليق على حديث رقم ٦٦/١١٤٢ ..... ٣٣٧
التعليق على حديث رقم ٦٧/١١٤٣ ..... ٣٣٧
أبواب الذكر ٣٣٩

التعليق على حديث رقم ١/١١٤٩ ..... ٣٣٩
التعليق على حديث رقم ٢/١١٥٠ ..... ٣٣٩
التعليق على حديث رقم ٥/١١٥٣ ..... ٣٤٠
التعليق على حديث رقم ٩/١١٥٧ ..... ٣٤٠
التعليق على حديث رقم ١٢/١١٦٠ ..... ٣٤٠
التعليق على حديث رقم ١٧/١١٦٥ ..... ٣٤١
التعليق على حديث رقم ١٨/١١٦٦ ..... ٣٤١
التعليق على حديث رقم ٣١/١١٧٩ ..... ٣٤١
التعليق على حديث رقم ٣٤/١١٨٢ ..... ٣٤١
التعليق على حديث رقم ٣٥/١١٨٣ ..... ٣٤٢
التعليق على حديث رقم ٣٩/١١٨٧ ..... ٣٤٢
التعليق على حديث رقم ٤١/١١٨٩ ..... ٣٤٢
التعليق على حديث رقم ٤٢/١١٩٠ ..... ٣٤٣
التعليق على حديث رقم ٤٥/١١٩٣ ..... ٣٤٣
التعليق على حديث رقم ٤٩/١١٩٧ ..... ٣٤٣
التعليق على حديث رقم ٥٠/١١٩٨ ..... ٣٤٣
التعليق على حديث رقم ٥٢/١٢٠٠ ..... ٣٤٣
التعليق على حديث رقم ٥٤/١٢٠٢ ..... ٣٤٣
التعليق على حديث رقم ٥٨/١٢٠٦ ..... ٣٤٤
التعليق على حديث رقم ٥٩/١٢٠٧ ..... ٣٤٥
التعليق على حديث رقم ٦١/١٢٠٩ ..... ٣٤٥

التعليق على حديث رقم ٦٢/١٢١٠ ..... ٣٤٥
التعليق على حديث رقم ٦٤/١٢١٢ ..... ٣٤٥
التعليق على حديث رقم ٦٧/١٢١٥ ..... ٣٤٦
التعليق على حديث رقم ٦٨/١٢١٦ ..... ٣٤٦
التعليق على حديث رقم ٧٠/١٢١٨ ..... ٣٤٦
التعليق على حديث رقم ٧٥/١٢٢٣ ..... ٣٤٦
التعليق على حديث رقم ٧٦/١٢٢٣ ..... ٣٤٧
التعليق على حديث رقم ٧٩/١٢٢٦ ..... ٣٤٧
التعليق على حديث رقم ٨٠/١٢٢٧ ..... ٣٤٧
التعليق على حديث رقم ٨٥/١٢٣٢ ..... ٣٤٧
التعليق على حديث رقم ٩٦/١٢٤٣ ..... ٣٤٧
وفي قوله عليه السلام: «أرأيتُم لو وضعَها في حرامٍ أكان عليه وزرٌ...» إلخ دليل للأصوليين في قولهم بقياس العكس ٣٤٨
التعليق على حديث رقم ٩٧/١٢٤٤ ..... ٣٤٨
التعليق على حديث رقم ٩٨/١٢٤٥ ..... ٣٤٨
التعليق على حديث رقم ١٠٠/١٢٤٧ ..... ٣٤٩
التعليق على حديث رقم ١٠٢/١٢٤٩ ..... ٣٤٩
التعليق على حديث رقم ١٠٣/١٢٥٠ ..... ٣٤٩
التعليق على حديث رقم ١٠٤/١٢٥١ ..... ٣٥٠
التعليق على حديث رقم ١٠٥/١٢٥٢ ..... ٣٥٠
التعليق على حديث رقم ١٠٧/١٢٥٤ ..... ٣٥١
التعليق على حديث رقم ١٠٨/١٢٥٥ ..... ٣٥١

التعليق على حديث رقم ١١٠/١٢٥٧ ..... ٣٥١
الذِّكر بلفظٍ يُفيد عددًا كثيرًا أو مقدارًا كبيرًا، هل يكون أجره مساويًا لأجر تكريره؟ ٣٥١
الكلام على أنَّ الصَّلاة على النبيِّ عليه السلام بلفظٍ يفيد عددًا كثيرًا، هل يساوي أجره أجر تكرير ذلك العدد؟ ٣٥٢
التعليق على حديث رقم ١١١/١٢٥٨ ..... ٣٥٣
التعليق على حديث رقم ١١٤/١٢٦١ ..... ٣٥٣
التعليق على حديث رقم ١١٩/١٢٦٦ ..... ٣٥٣
التعليق على حديث رقم ١٢٢/١٢٦٩ ..... ٣٥٣
التعليق على حديث رقم ١٢٣/١٢٧٠ ..... ٣٥٤
التعليق على حديث رقم ١٢٥/١٢٧٢ ..... ٣٥٤
التعليق على حديث رقم ١٢٧/١٢٧٤ ..... ٣٥٤
التعليق على حديث رقم ١٢٩/١٢٧٦ ..... ٣٥٤
التعليق على حديث رقم ١٣٢/١٢٧٩ ..... ٣٥٤
التعليق على حديث رقم ١٣٣/١٢٨٠ ..... ٣٥٤
التعليق على حديث رقم ١٣٦/١٢٨٣ ..... ٣٥٥
التعليق على حديث رقم ١٣٩/١٢٨٦ ..... ٣٥٥
التعليق على حديث رقم ١٤٢/١٢٨٩ ..... ٣٥٥
التعليق على حديث رقم ١٤٤/١٢٩١ ..... ٣٥٥
التعليق على حديث رقم ١٤٥/١٢٩٣ ..... ٣٥٦
التعليق على حديث رقم ١٤٧/١٢٩٤ ..... ٣٥٧
التعليق على حديث رقم ١٤٨/١٢٩٥ ..... ٣٥٧
التعليق على حديث رقم ١٥٢/١٢٩٩ ..... ٣٥٧

التعليق على حديث رقم ١٥٣/١٣٠٠ ..... ٣٥٧
التعليق على حديث رقم ١٥٨/١٣٠٥ ..... ٣٥٧
التعليق على حديث رقم ١٥٩/١٣٠٦ ..... ٣٥٨
التعليق على حديث رقم ١٦٧/١٣١٤ ..... ٣٥٨
التعليق على حديث رقم ١٧٠/١٣١٧ ..... ٣٥٨
التعليق على حديث رقم ١٧٣/١٣٢٠ ..... ٣٥٨
التعليق على حديث رقم ١٧٤/١٣٢١ ..... ٣٥٨
التعليق على حديث رقم ١٧٥/١٣٢٢ ..... ٣٥٩
التعليق على حديث رقم ١٧٧/١٣٢٤ ..... ٣٥٩
تعقُّب ابن الجوزيِّ في حُكْمه على حديث أبي أُمامة في قراءة آية الكرسيِّ بالوضع ٣٥٩
التعليق على حديث رقم ١٨١/١٣٢٨ ..... ٣٦٠
التعليق على حديث رقم ١٨٢/١٣٢٩ ..... ٣٦٠
التعليق على حديث رقم ١٨٣/١٣٣٠ ..... ٣٦٠
التعليق على حديث رقم ١٨٩/١٣٣٦ ..... ٣٦٠
التعليق على حديث رقم ١٩٤/١٣٤١ ..... ٣٦٠
التعليق على حديث رقم ١٩٥/١٣٤٢ ..... ٣٦٠
التعليق على حديث رقم ١٩٦/١٣٤٣ ..... ٣٦١
التعليق على حديث رقم ٢٠٠/١٣٤٧ ..... ٣٦١
التعليق على حديث رقم ٢٠٢/١٣٤٩ ..... ٣٦١
التعليق على حديث رقم ٢٠٣/١٣٥٠ ..... ٣٦١
ثواب الدُّعاء..... ٣٦١
من أنواع الاعتداء في الدعاء..... ٣٦٢

فائدة: قول ابنُ عطاء: إنَّ للدعاءِ أركانًا وأجنحةً وأسبابًا وأوقاتًا... ..... ٣٦٢
التعليق على حديث رقم ٢١٣/١٣٦٠ ..... ٣٦٣
التعليق على حديث رقم ٢٢١/١٣٦٨ ..... ٣٦٣
التعليق على حديث رقم ٢٢٣/١٣٧٠ ..... ٣٦٣
التعليق على حديث رقم ٢٢٥/١٣٧٢ ..... ٣٦٣
التعليق على حديث رقم ٢٢٦/١٣٧٣ ..... ٣٦٣
التعليق على حديث رقم ٢٣٢/١٣٧٩ ..... ٣٦٣
التعليق على حديث رقم ٢٣٣/١٣٨٠ ..... ٣٦٣
التعليق على حديث رقم ٢٣٧/١٣٨٤ ..... ٣٦٤
التعليق على حديث رقم ٢٤٠/١٣٨٧ ..... ٣٦٤
التعليق على حديث رقم ٢٤٤/١٣٩١ ..... ٣٦٥
التعليق على حديث رقم ٢٤٧/١٣٩٤ ..... ٣٦٥
التعليق على حديث رقم ٢٤٨/١٣٩٥ ..... ٣٦٥
التعليق على حديث رقم ٢٥٢/١٣٩٩ ..... ٣٦٦
التعليق على حديث رقم ٢٥٣/١٤٠٠ ..... ٣٦٧
التعليق على حديث رقم ٢٥٥/١٤٠٢ ..... ٣٦٧
ثوابُ الصَّلاة على أشرف الخَلْق ٣٦٧
تنبيه: حصل السؤال كثيرًا عن السرِّ في تخصيصِ السَّلام بالمؤمنين، والجواب عليه ... ٣٦٨
التعليق على حديث رقم ٢٥٧/١٤٠٤ ..... ٣٦٨
التعليق على حديث رقم ٢٦٩/١٤١٦ ..... ٣٦٨
التعليق على حديث رقم ٢٧٠/١٤١٧ ..... ٣٦٨
التعليق على حديث رقم ٢٧٢/١٤١٩ ..... ٣٦٩

التعليق على حديث رقم ٢٧٤/١٤٢١ ..... ٣٦٩
التعليق على حديث رقم ٢٧٦/١٤٢٣ ..... ٣٦٩
التعليق على حديث رقم ٢٧٧/١٤٢٤ ..... ٣٦٩
التعليق على حديث رقم ٢٧٨/١٤٢٦ ..... ٣٦٩
التعليق على حديث رقم ٢٧٨/١٤٢٦ ..... ٣٦٩
التعليق على حديث رقم ٢٨١/١٤٢٨ ..... ٣٧٠
خاتمةٌ في أنَّ أفضل صيغ الذِّكر : «لا إله إلا الله» ٣٧١
أبوابُ البرِّ والصِّلَةِ ٣٧٢
التعليق على حديث رقم ١/١٤٢٩ ..... ٣٧٢
التعليق على حديث رقم ٢/١٤٣٠ ..... ٣٧٢
التعليق على حديث رقم ٦/١٤٢٤ ..... ٣٧٢
التعليق على حديث رقم ٧/١٤٣٥ ..... ٣٧٢
التعليق على حديث رقم ٨/١٤٣٦ ..... ٣٧٢
التعليق على حديث رقم ٩/١٤٣٧ ..... ٣٧٢
التعليق على حديث رقم ١٠/١٤٣٨ ..... ٣٧٤
التعليق على حديث رقم ١٢/١٤٤٠ ..... ٣٧٥
التعليق على حديث رقم ١٤/١٤٤٢ ..... ٣٧٥
التعليق على حديث رقم ١٥/١٤٤٣ ..... ٣٧٥
التعليق على حديث رقم ١٦/١٤٤٤ ..... ٣٧٥
تنبيه: قولهم : «من زَنى زُني به ولو بِحيطان دارِه» ليس بحديث ٣٧٥
التعليق على حديث رقم ١٧/١٤٤٥ ..... ٣٧٥
التعليق على حديث رقم ١٨/١٤٤٦ ..... ٣٧٥

التعليق على حديث رقم ٢٠/١٤٤٨ ..... ٣٧٦
التعليق على حديث رقم ٢٣/١٤٥١ ..... ٣٧٦
التعليق على حديث رقم ٢٩/١٤٥٧ ..... ٣٧٦
التعليق على حديث رقم ٤١/١٤٦٩ ..... ٣٧٧
التعليق على حديث رقم ٤٣/١٤١٧ ..... ٣٧٧
التعليق على حديث رقم ٤٨/١٤٧٦ ..... ٣٧٧
التعليق على حديث رقم ٤٩/١٤٧٧ ..... ٣٧٧
التعليق على حديث رقم ٥٠/١٤٧٨ ..... ٣٧٨
التعليق على حديث رقم ٥٤/١٤٨٢ ..... ٣٧٨
التعليق على حديث رقم ٥٩/١٤٨٧ ..... ٣٧٩
التعليق على حديث رقم ٦٠/١٤٨٨ ..... ٣٧٩
التعليق على حديث رقم ٦٧/١٤٩٥ ..... ٣٧٩
ثواب كفالة اليتيم ٣٨٠
التعليق على حديث رقم ٧١/١٤٩٩ ..... ٣٨٠
التعليق على حديث رقم ٧٢/١٥٠٠ ..... ٣٨١
التعليق على حديث رقم ٧٣/١٥٠١ ..... ٣٨١
التعليق على حديث رقم ٧٥/١٥٠٣ ..... ٣٨١
التعليق على حديث رقم ٧٩/١٥٠٧ ..... ٣٨١
التعليق على حديث رقم ٨٣/١٥١١ ..... ٣٨١
في أنَّ النبوَّة لا تثبت لكلِّ مَن كلَّمته الملائكة إلَّا بتحقق شرطين، وبيان ذلك ... ٣٨١
التعليق على حديث رقم ٨٤/١٥١٢ ..... ٣٨٢
التعليق على حديث رقم ٨٦/١٥١٤ ..... ٣٨٢

التعليق على حديث رقم ٨٧/١٥١٥ ..... ٣٨٢
التعليق على حديث رقم ٨٨/١٥١٦ ..... ٣٨٣
التعليق على حديث رقم ٩٦/١٥٢٥ وهو آخر التعليقات ٣٨٣

٥- تخريج أحاديث كتاب "اللُّمَع" في الأصول لأبي إسحاق الشِّيرازي

خطبة الكتاب ٣٨٧
حديث: «لولا أنْ أَشُقَّ على أُمَّتي لأَمَرْتُهُمْ بالسِّواكِ عند كلِّ صَلاةٍ» ٣٨٧
حديث: «حُكْمِي على الواحِدِ حُكْمِي على الجماعَةِ» ٣٨٨
قوله: (أنَّ ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما احتجَّ على عثمان رضي الله عنه في حجب الأم بالأخوين ... إلخ) ٣٨٨
حديث: «جمع النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بين الصَّلاتين في السَّفَر» ٣٨٩
حديث: «قضى النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالشُّفْعَةِ للجارِ» ٣٨٩
حديث: «قضى النَّبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالكفَّارة في الإفطار» ٣٨٩
حديث: «لا نِكاحَ إلَّا بوَلِيٍّ» ٣٩٠
حديث: «لا أُحِلُّ المسجدَ لـجُنبٍ ولا لحائِضٍ» ٣٩٠
حديث: «رُفِعَ القَلَمُ عن ثلاثةٍ» ٣٩١
حديث: «يُجْزِئُكَ ولا يُجْزِئُ أَحَدًا بَعْدَكَ» ٣٩١
حديث: «لا يَرِثُ القَاتِلُ» ٣٩٢
حديث: «هلَّا أَخَذْتُمْ إهابَها فدَبَغْتُمُوهُ فانْتَفَعْتُمْ به» ٣٩٢
حديث: «لا تَنْتَفِعُوا مِن المَيْتَة بشيءٍ» ٣٩٢
حديث: «خير الشُّهودِ مَن شَهِدَ قبل أنْ يُسْتَشْهَدَ» ٣٩٣
حديث: «شرُّ الشُّهُودِ مَن شَهِدَ قبلَ أنْ يُسْتَشْهَدَ» ٣٩٣
حديث: «أيُّما إهابٍ دُبغَ فقد طَهُرَ» ٣٩٣
حديث: «فيما سَقَت السَّماء العُشر» ٣٩٤

حديث: «ليس فيما دُونَ خَمْسَةِ أَوْسُقٍ مِن التَّمْرِ صَدَقَةٌ» ٣٩٤
حديث: «النَّهي عن الصَّلاة عند طلوع الشَّمس» ٣٩٤
حديث: «مَن نامَ عن صلاةٍ أو نَسِيها فليُصَلِّها إذ ذَكَرها» ٣٩٤
قوله: روي عن عثمان وعليٍّ رضي الله عنهما في الجمع بين الأختين بملك اليمين ... ٣٩٥
حديث: «إقراره صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قيسًا على صلاة ركعتي الفجر بعد الصبح» ٣٩٦
حديث: «النَّهي عن الصِّلاة بعد الصُّبح» ٣٩٧
قوله: (روي عن عمر رضي الله عنه أنَّه حمل قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «الذَّهبُ بالذَّهبِ رِبًا إلَّا هاءَ وهاءَ» على القبض في المجلس) ٣٩٧
حديث: «بئر بُضاعَةَ» ٣٩٨
قوله: (حُكي عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما جواز تأخير الاستثناء) ٣٩٨
حديث: «في سَائِمَةِ الغَنَمِ زكاةٌ» ٣٩٩
قوله: (إنَّ الصَّحابةَ اختلفت في إيجابِ الغُسْلِ مِن الجماعِ مِن غير إنزالٍ...) إلخ .. ٤٠٠
حديث: «إنما الأعمالُ بالنيَّاتِ» ٤٠١
حديث: «إنَّما الولاءُ لمن أعتقَ» ٤٠١
حديث: «لا تَبِعْ ما ليس عندك» ٤٠١
حديث: «في كلِّ خمسٍ شاةٌ، في أربعٍ وعشرين من الإبل فما دونها الغَنَمُ» ٤٠٢
حديث: «أُمِرْتُ أنْ أقاتلَ النَّاسَ حتَّى يقولوا: لا إله إلا الله...» الحديث ٤٠٢
حديث: «رُفع عن أُمَّتي الخطأُ والنِّسيانُ» ٤٠٢
حديث: «في الرِّقَّة رُبْعُ العُشْرِ» ٤٠٣
حديث: «الشهر هكذا هكذا» ٤٠٣
قوله: (بيَّن -يعني النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم- فرائضَ الزَّكاة وغيرها من الأحكام في كتبٍ كتبها) ٤٠٣

قوله: (نصَّ -يعني النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم- علىٰ أربعة أعيانٍ في الرِّبا)... ٤٠٤
قوله: (كآية: الشَّيخ والشَّيخةُ إذا زَنَيا فارْجُمُوهما البَتَّةَ، فهذا نُسِخَ رَسْمُهُ وحُكْمُهُ باقٍ) ٤٠٤
نسخ لفظ آية لا يجوز عقلًا، وأنَّ الأحاديث الواردة بذلك آحاد لا تُثبِت قرآنيَّة ما ادُّعِي أنَّه قرآنًا، وإنَّما يعمل بها علىٰ أنَّها أحاديث فقط ٤٠٥
قوله: (كالعِدَّةِ كانت حَوْلًا ثمَّ نُسِخَتْ بأربعة أشهرٍ وعشرًا) ٤٠٥
قوله: (كتحريم الرَّضاع كان بعشر رضعاتٍ وكان مما يُتلَىٰ: فنُسِخَ الرَّسْمُ والحُكْمُ جميعًا) ٤٠٦
حديث: «الثَّيِّبُ بالثَّيِّبِ جَلْدُ مائةٍ والرَّجْمُ» ٤٠٦
قوله: (وروي أنَّه -يعني صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم- رجم ماعِزًا ولم يَجْلِدْهُ).... ٤٠٦
حديث: «كنتُ نَهَيْتُكُمْ عن زيارَةِ القُبُورِ فزُورُوها» ٤٠٧
حديث طَلْق بن عليٍّ: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم سُئل عن مسِّ الذَّكِر ٤٠٧
حديث أبي هريرة في إيجاب الوضوء من مسِّ الذَّكر ٤٠٨
قوله: (إنَّ القبلة حُوِّلت إلىٰ الكعبة وأهل قباء يُصلُّون إلىٰ بيت المقدس، فأُخْبِروا بذلك وهم في الصَّلاة فاستداروا ولم يؤمروا بالإعادة)..... ٤٠٨
قوله: (ولأنَّ الصَّحابة كانوا يرجعون فيما أُشْكِل عليهم إلىٰ أفعاله فيقتدون به) .. ٤٠٩
حديث: «النَّهي عن الصَّلاة بعد العصر»..... ٤٠٩
حديث: «أنَّ النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم صلىٰ بعد العصر صلاةً لها سبب» ... ٤٠٩
حديث: «النَّهي عن القَودِ في الطرف قبل الاندمال»..... ٤١٠
حديث: «أنَّ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم سمع رجلًا يقول: الرجل يجد مع امرأته رجلًا...» الحديث ٤١٠
حديث: «أنَّ معاذًا كان يُصلِّي العشاء مع النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، ثمَّ يأتي قومه في بني سلمة، فيصلِّي بهم..... ٤١١
حديث: «كنَّا نجامع علىٰ عهد رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ونكسل ولا

نغتسل» ٤١١
قوله: «ولهذا قال عليٌّ رضي الله عنه حين رُوي له ذلك: أو علم رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم». ٤١١
حديث: «الأعرابي الذي سأل عن الجِماع في رمضان» ٤١٢
قوله: (رجع عمر رضي الله عنه إلى حديث حمل بن مالك في دية الجنين) ٤١٣
قوله: (ورجع عثمان رضي الله عنه في السكنى إلى حديث فريعة بنت مالك) ٤١٣
قوله: (وقال عليٌّ رضي الله عنه: إذا حدَّثني أحدٌ عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أحلفته ٤١٤
قوله: (ورجع ابن عمر رضي الله عنهما إلى خبر رافع بن خديج رضي الله عنه في المخابرة) ٤١٥
قوله: (ورجعت الصَّحابة إلى حديث عائشة رضي الله عنها في التقاء الختانين) .. ٤١٥
قوله: (وذكروا ذلك في خبر التفليس والقرعة والمصراة) ٤١٥
قوله: (رد عليٌّ كرَّم الله وجهَهَ شهادةَ أبي سنان الأشجعيِّ وقال: بوَّال على عقِبيه) ... ٤١٦
قوله: (أمَّا أبو بكرة ومن جلد معه في القذف) إلخ ٤١٧
قوله: (قال الشعبي: حدَّثني الحارث الأعور، وكان والله كذَّابًا) ٤١٨
حديث: «نضَّر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها... الحديث» ٤١٨
حديث: «إذا أصبت المعنى فلا بأس» ٤١٩
قوله: (ولهذا قدَّم ابن عمر روايته في الأفراد على رواية أنس...) إلخ ٤١٩
قوله: (قال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: كُنَّا نأخذ من أوامر رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالأحدث فالأحدث) ٤٢٠
حديث: «لا تجتمع أمتي على الخطأ» ٤٢٠
حديث: «لا تجتمع أمتي على الضلالة» ٤٢٠
حديث: «من فارق الجماعة ولو قيد شبرٍ... الحديث» ٤٢١

قوله: (ونهىٰ عن الشذوذ وقال: «من شذَّ شذَّ في النَّار») ٤٢١
حديث: «أنَّه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم نزل منزلًا، فقيل له: إنَّه ليس برأيٍ فتركه» ... ٤٢٢
حديث: «لا يخلو عصر من قائمٍ لله بحجَّة» ٤٢٣
قوله: (كخلاف الصَّحابة لأبي بكر رضي الله عنه في قتال مانعي الزَّكاة وإجماعهم بعد ذلك) ٤٢٣
قوله: (وفي قول ابن عبَّاسٍ فيمن نذر ذبح ابنه) ٤٢٤
(تنبيه): قوله في الرِّواية الثانية: «كما فدىٰ إبراهيم إسحاق» يفيد أنَّ الذَّبيح إسحاق عليه السَّلام، وهو قولٌ ضعيفٌ أو باطلٌ، لم يثبت في حديثٍ صحيحٍ يعول عليه، وإنَّما هو من الإسرائيليات التي انخدع بها بعض العلماء من السَّلف والخلف ٤٢٥
قوله: (وفي قول عائشة رضي الله عنها في قصَّة زيد بن أرقم)..... ٤٢٥
حديث: «عليكم بالسَّواد الأعظم» ٤٢٧
حديث: «عليكم بسُنَّتي وسنة الخلفاء الرَّاشدين من بعدي» ٤٢٧
حديث: «اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر»..... ٤٢٧
قوله: رُوي أنَّ أبا بكر الصِّديق رضي الله عنه كان إذا ورد عليه حكم نظر في كتاب الله عزَّ وجلَّ، ثمَّ في سنَّة رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فإنْ لم يجد جمع رؤساء النَّاس واستشارهم، فإذا اجتمع رأيهم علىٰ شيءٍ قضىٰ به ٤٢٨
قوله: (وكتب عمر رضي الله عنه إلىٰ أبي موسىٰ الأشعري...) إلخ ٤٢٩
قوله: (وقال لعثمان رضي الله عنه: إنِّي رأيت في الجد رأيًا فاتبعوني) إلخ. ٤٢٩
قوله: (وقال عليٌّ كرَّم الله وجهه: كان رأيي ورأي أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أنْ لا تباع أمهات الأولاد، ورأيي الآن أنْ يبعن...) إلخ. ٤٣٠
حديث: «إنَّما نهيتكم لأجل الدافَّة» ٤٣٠
حديث: «النَّهي عن التضحية بالعوراء» ٤٣١
حديث: «النَّهي عن البول في الماء الرَّاكد الدَّائم» ٤٣١

حديث: «الأمر بإراقة السَّمن إذا وقعت فيه الفأرة» ٤٣١
حديث: «لا تبيعوا الطَّعام بالطَّعام إلَّا مثلًا بمثلٍ» ٤٣٢
حديث: «أنَّ بريرة أعتقت فكان زوجها عبدًا، فخيَّرها رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم» ٤٣٢
حديث: أنَّ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال لمعاذ: «بم تحكم؟» ٤٣٢
حديث: «إنَّما جعل الاستئذان من أجل البصر» ٤٣٣
حديث: «أينقص الرَّطب إذا يبس» ٤٣٣
حديث: «إنه دم عرق، يعني: الاستحاضة» ٤٣٤
حديث: «إنَّها من الطَّوافين عليكم والطَّوافات» ٤٣٥
حديث: «الهرَّة سَبُعٌ» ٤٣٥
حديث: «مَن باع نَخْلًا بعد أنْ يُؤبَّر، فثمرتها للبائع إلَّا أنْ يشترطها المُبتاع» .. ٤٣٥
حديث: «لا تبيعوا الطَّعام بالطَّعام إلَّا مثلًا بمثل» ٤٣٦
حديث: «النَّهي عن التضحية بالعوراء» ٤٣٦
حديث: «لا يقضي القاضي وهو غضبانٌ» ٤٣٦
حديث: سُئل عن الفأرة تقع في السَّمن... إلخ ٤٣٦
حديث: «سها رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فسجد» ٤٣٦
حديث: أنَّ أعرابيًّا جامع في رمضان فأوجب عليه عتق رقبة ٤٣٦
قوله: كما روي عن عمر رضي الله عنه أنَّه قال في قسمة السواد: «لو قسمت بينكم لصارت دولة بين أغنيائكم ولم يخالفوه» ٤٣٦
قوله: (وكما قال عليٌّ كرَّم الله وجهه في شارب الخمر: إنَّه إذا شرب سكر وإذا سكر هذىٰ، وإذا هذىٰ افترىٰ، فأرىٰ أنْ يحد حد المفتري، فلم يخالفه أحدٌ في هذا التعليل) ٤٣٧
حديث: «الطلاق بالرجال والعدَّة بالنِّساء» ٤٣٧
قوله: (ولكن استحسانه للخبر يعني الخيار في البيع) ٤٣٨

حديث: «بعثت بالحنيفية السَّهلة ولم أبعث بالرهبانيَّة المبتدعة» ٤٣٩
حديث: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإنْ اجتهد فأخطأ فله أجرٌ واحدٌ» . ٤٤٠
قوله: (ولأنَّ الصَّحابة أجمعت على تسويغ الحكم بكلِّ واحدٍ من الأقاويل المختلف فيها وإقرار المخالفين على ما ذهبوا إليه) ٤٤٠
قوله: (وهذا كما فعل عمر رضي الله عنه في الشورى، فإنَّه قال: الخليفة بعدي أحد هؤلاء الستة) ٤٤٠
قوله: (لما روي عن عليٍّ كرَّم الله وجهه أنَّه قال: كان رأيي ورأي أمير المؤمنين عمر أنْ لا تباع أمهات الأولاد ورأيي الآن أنْ يبعن) ٤٤١
قوله: (كما رويناه في قصَّة عمر رضي الله عنه في أمر الشُّورى). ٤٤١
حديث: أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أمر سعدًا أنْ يحكم في بني قريظة، فاجتهد بحضرته ٤٤١
الخاتمة ٤٤١

٦- الابتهاج في تخريج أحاديث كتاب "المنهاج" للقاضي البيضاوي

خطبة الكتاب ٤٤٥
الباب الأول في الحكم ٤٤٦
تخريج تهجده صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٤٤٦
تخريج حديث: «إنما الأعمال بالنيات» ٤٤٦
طرق حديث النِّيَّة مِن حيث المعنى مِن ستة وثلاثين وجهًا ٤٤٨
تنبيه: ذكر كلام لأبي لأبي القاسم بن مَنْدَه في الصَّحابة الذين رووا أحاديث النيَّة، والتعليق عليه ٤٥٦
الكتاب الأول: في الكتاب ٤٥٦
تخريج حديث: «والله لأغزون قريشًا» ثلاثًا ٤٥٦
حديث إنكاره عليه وآله الصلاة والسلام قول الخطيب: «ومن عصاهما» ٤٥٧

حديث: «في سائمة الغنم الزكاة» ٤٥٨
تنبيه: قال الحافظ ابن الصلاح: «أحسب أن قول الفقهاء والأصوليين: في سائمة الغنم الزكاة. اختصار منهم للحديث..... ٤٦١
حديث: «مطل الغني ظلم» ٤٦١
حديث: «كل مما يليك» ٤٦١
تنبيه: نسب الغزالي في "المستصفى" قصة حديث: «يا غلام سمِّ الله» لابن عبَّاسٍ، وكذا البدخشي في شرح المتن وهو غلط ٤٦١
حديث: «إذا لم تستح فاصنع ما شئت» ٤٦١
حديث: «لا تنكح المرأة المرأة»..... ٤٦٢
حديث أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم احتج لذم أبي سعيد الخدري وإنما هو أبو سعيد بن المعلى واسمه الحارث بن أوس بن المعلى ٤٦٣
تنبيه: ذكر الشيخ أبو إسحق الشيرازي في "المهذب" أن صاحب قصة آية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ ﴾أبي بن كعب،ووهمه القلعي،قال الزركشي: «وليس كذلك، فقد رواه النسائي»..... ٤٦٣
أثر تمسك الصديق رضي الله عنه على التكرار بقوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ ٤٦٤
قول المؤلف: لعله عليه الصلاة والسلام بيَّن تكراره..... ٤٦٤
حديث: النهي عن بيع الملاقيح ٤٦٥
قوله: وأيضًا استدلال الصحابة رضي الله عنهم بعموم ذلك في مثل: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي ﴾، ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ ﴾، «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله»، «الأئمة من قريش»، «نحن معاشر الأنبياء لا نورث» شائعًا من غير نكير ٤٦٥
المستدل بعموم ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي ﴾ علي عليه السلام ٤٦٦
والمستدل بعموم آية الفرائض فاطمة الزهراء عليها صلوات الله ٤٦٦

وحديث: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله» عن ستة عشر صحابيًا ٤٦٦
حديث: «الأئمة من قريش» ٤٦٩
وحديث: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث» ٤٧٠
حديث: «إذا بلغ الماء قلتين» ٤٧٣
حديث: «الإثنان فما فوقهما جماعة» ٤٧٣
قول البيضاوي: «فقيل أراد به جواز السفر». يرده أمران ٤٧٤
قول البيضاوي: «وعن ابن عبَّاسٍ خلافه» ٤٧٥
(تنبيه): ورد عن ابن عبَّاسٍ ما يعارض ما تقدم، وتخريجه ٤٧٦
حديث: «لا صلاة إلا بطهور» عن عدد من الصحابة ٤٧٦
حديث: «القاتل لا يرث» ٤٧٨
(تنبيه): صنيع المصنف في الاستدلال بحديث الترجمة يقتضي أنه متواتر، وليس كذلك ٤٨٠
قول البيضاوي: «وبرجمه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم للمحصن» وبيان أنه متواتر ٤٨٠
حديث: «إذا روي عني حديث فاعرضوه على كتاب الله، فإن وافقه فاقبلوه وإن خالفه فردوه»، ورد من طرق ضعيفة عن علي، وابن عمر، وثوبان، وأبي هريرة، وتخريجها . ٤٨٢
حديث: «خلق الله الماء طهورًا لا يُنجِّسُه شيءٌ إلَّا ما غيَّر طعمَه أو لونه أو ريحه» ٤٨٥
حديث: «حكمي على الواحد حكمي على الجماعة» ٤٨٨
قول البيضاويِّ: «كحديث أبي هريرة رضي الله عنه وعمله في الولوغ» ٤٨٨
حديث: «أيُّما إهابٍ دُبغَ فقد طَهُر» ٤٩٠
قول البيضاوي: مع قوله في شاة ميمونة «دباغها طهورها» ٤٩٠
حديث: «ألا لا يقتل مسلم بكافر ولا ذو عهد في عهده» ٤٩٤
قول البيضاوي: «من قوله: لا صلاة ولا صيام»، حمله الإسنوي والبدخشي على حديثي: «لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب»، و«لا صيام لمن لم يبيت الصيام من الليل» ٤٩٦

تخريج الحديث الثاني: «لا صيام لمن لم يُبيِّت الصِّيام مِن الليل» ٤٩٩
حديث: «رُفع عن أُمَّتي الخطأ والنِّسيان» ٥٠١
إنكار الإمام أحمد للحديث وتعقيب المُصنِّف عليه ٥٠٢
حديث: «فيما سقت السماء العشر» ٥٠٢
قول البيضاوي: فنقض ابن الزِّبَعْرَىٰ بالملائكة والمسيح فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ الآية ٥٠٣
الناسخ والمنسوخ ٥٠٥
قول البيضاوي: «كان آدم عليه السلام يُزوِّج بناته من بنيه» ٥٠٥
قول البيضاوي: قوله تعالىٰ: ﴿مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ﴾ نسخ بقوله تعالىٰ: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ ٥٠٦
قوله: «وأيضًا تقديم الصَّدَقة علىٰ النجوىٰ وجب بقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾ ثم نسخ» ٥٠٦
تنبيه: في من عمل بآية النجوىٰ من الصحابة ٥٠٧
قول البيضاوي: «زال لزوال سببه وهو التمييز بين المنافق وغيره» ٥٠٨
قوله: «كنسخ وجوب تقديم الصدقة علىٰ النجوىٰ والكف عن الكفار بالقتال» .. ٥٠٨
قول المصنِّف: «مثل ما نقل: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة» ٥٠٩
تنبيه: في معنىٰ قول السيدة عائشة: «وهنَّ فيما يقرأ من القرآن» ٥١١
قول البيضاوي: «كنسخ الجلد في حقِّ المحصَن» ٥١١
قول البيضاوي: «كنسخ القبلة» ٥١١
حديث: «نهىٰ النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن أكل كلِّ ذي نابٍ مِن السِّباع». ... ٥١٤
قول البيضاوي: «وزيادة التغريب علىٰ الجلد ليس بنسخ» ٥١٥
الكتاب الثاني في السنة ٥١٦

قال البيضاوي: «وإجماع الصحابة على وجوب الغسل بالتقاء الختانين، لقول عائشة: «فعلته أنا ورسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فاغتسلنا» ٥١٦
حديث: «خذوا عني مناسككم» ٥١٦
قوله: «كالركوعين في الخسوف» ٥١٧
قوله: «قيل: راجع في الرجم» ٥١٧
قول البيضاوي: «قلنا: للإلزام» ٥١٧
قوله: وأربعون لقوله تعالى: ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وكانوا أربعين ٥١٨
قوله: «وثلاثمائة وبضعة عشر عدد أهل بدر» ٥١٩
قوله: «وادعت الشيعة أنَّ النصَّ دلَّ على إمامة عليٍّ رضي الله عنه، ولم يتواتر» ٥٢٠
قوله: «كما لم تتواتر الإقامة والتسمية ومعجزات الرسول عليه الصلاة والسلام» ٥٢٢
قوله: «قال: طلبوا العدد» ٥٢٣
قوله: «خلافًا لابن سيرين» ٥٢٤
فائدة: في أدلة من جوَّز الرواية بالمعنى والتعليق عليها ٥٢٥
كلام عن تساهل ابن الجوزيِّ في "الموضوعات" والحاكم في "المستدرك" وموقف الحفاظ منهما ٥٢٦
قوله: «مثل: في كل أربعين شاة شاة» ٥٢٧
قوله: «أو نصف شاة» ٥٢٨
الكتاب الثالث في الإجماع ٥٢٨
قوله: «قال النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «لا تجتمع أمَّتي على خطأ»، ونظائره، فإنها وإن لم تتواتر آحادها لكن المشترك بينهما متواتر» ٥٢٨
حديث: «إنَّ المدينة تنفي خبثها» ٥٣٨
قوله: «وهم عليٌّ وفاطمة وابناهما رضوان الله عليهم لأنها لما نزلت لف عليه الصلاة والسلام عليهم كساء وقال: هؤلاء أهل بيتي» ٥٣٩

حديث: «إني تارك فيكم ما إن تمسَّكتم به لن تضلُّوا؛ كتاب الله وعترتي» ٥٤١
حديث: «عليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء الرَّاشدين مِن بعدي» ٥٤٣
حديث: «اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر» ٥٤٤
فائدة: في معارضة الإسنوي هذا الحديث والذي قبله بحديث: «خذوا شطر دينكم عن الحميراء». يعني عائشة رضي الله عنها، وبيان خطأه في ذلك والتعليق عليه ٥٤٥
قوله: «لنا الإجماع على الخلافة بعد الاختلاف» ٥٤٥
قوله: «كالاتفاق على حرمة بيع أم الولد والمتعة» ٥٤٥
حديث: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» ٥٤٧
حديث: «عليكم بالسَّواد الأعظم» ٥٤٩
قوله: «وافق علي الصحابة رضي الله عنهم على منع بيع أم الولد ثُمَّ رجع» ٥٤٩
الكتاب الرابع في القياس ٥٥٠
قوله: «الثاني قصة معاذ وأبي موسى» ٥٥٠
قوله: «إنَّ أبا بكرٍ رضي الله عنه قال في الكلالة برأي الكلالة ما عدا الوالد والولد» .. ٥٥٢
قوله: «وعمر رضي الله عنه أمر أبا موسى في عهده بالقياس» ٥٥٢
قوله: «قال عمر في الجد أقضي فيه برأيي»، وقوله: «قال عثمان: إن اتبعت رأيك فسديد» ٥٥٣
قوله: «وقاس ابن عبَّاسٍ الجَدَّ على ابنِ الابنِ في الحَجْبِ» ٥٥٤
تنبيه: ورد مثل قياس الجَدَّ على ابنِ الابنِ عن أبي بكر رضي الله عنه ٥٥٤
قوله: «قيل ذموه» ٥٥٥
حديث: « تعملُ هذه الأمةُ برهةً بالكتابِ وبرهةً بالسنَّة وبرهةً بالقياسِ فإذا فعلوا ذلك فقد ضلُّوا » ٥٥٧
قوله: «معارضان بمثلهما» ٥٥٨
حديث: «اختلاف أمَّتي رحمة» ٥٥٩

حديث: «إنما جعل الاستئذان من أجل البصر» ٥٦٠
حديث: «إنما نهيتكم عن لحوم الأضاحي لأجل الدافة» ٥٦٠
حديث: «لا تُقَرِّبُوه طِيبًا فإنَّه يحشرُ يومَ القيامة مُلَبِّيًا» ٥٦١
حديث: «إنها مِن الطوَّافين عليكم والطوَّافات» ٥٦١
حديث: «الأعرابي أنه قال: أَفْطَرتُ يا رسولَ الله: فقال: أَعْتِقْ رقبةً» ٥٦٢
تنبيه: ليس في شيءٍ من طرق الحديث أن الأعرابي عبَّر بـ«أفطرت» كما قال المصنف، إلا ما جاء في رواية مالك عن جماعة عن الزهري ٥٦٣
حديث: «تَمرةٌ طيِّبةٌ وماءٌ طهورٌ» ٥٦٣
حديث: «أَينقُص الرُّطَب إذا جَفَّ؟ قيل: نعمْ. قال: فَلا إذَنْ» ٥٦٥
حديث: «إنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال لعمر رضي الله عنه وقد سأله عن قُبلة الصائم: أرَأَيتَ لو تَمَضْمَضْتَ بماءٍ ثم مَجَجْتَهُ؟» ٥٦٦
حديث: إذا اخْتَلَفَ الجِنْسان فَبِيعُوا كيفَ شِئْتُم يدًا بيدٍ ٥٦٧
حديث: «الثَّيِّبُ أحقُّ بنفسها» ٥٦٧
الكتاب الخامس في دلائل اختلف فيها ٥٦٨
حديث: «لا ضررَ ولا ضرارَ في الإسلام» ٥٦٨
حديث: «نحنُ نحكُم بالظَّاهر» ٥٧٠
قوله: «ولأن الصحابة قنعوا بمعرفة المصالح» ٥٧١
قوله: «وإجماع الصحابة على مخالفة بعضهم بعضًا» ٥٧١
قوله: «لقوله عليه السلام بعدما أنشدت ابنة النضر بن الحارث: لو سمعتُ ما قتلتُ» ٥٧٢
تنبيه: قال الزبير بن بكار عقب روايته للأبيات السابقة: سمعت بعض أهل العلم يغمز هذه الأبيات ويقول إنها مصنوعة ٥٧٣
قوله: «وسؤال الأقرع بن حابس في الحج أكل عام يا رسول الله؟ فقال: لو قُلتُ ذلك

لوجَبَ» ٥٧٤
الكتاب السادس في التعادل والتراجيح ٥٧٥
حديث: «أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال لأبي بكرٍ: لا تَقْضِي في شيءٍ واحدٍ بحُكْمين مختلِفَينِ» ٥٧٥
«حديث عائشة في التقاء الختانين وترجيح الصحابة له علىٰ حديث: إنَّما الماءُ مِنَ الماءِ» ٥٧٥
حديث: «ألا أخبرُكم بخيرِ الشُّهود؟ قيل: نعم. قال: أن يشهدَ الرجلُ قبلَ أن يُستشهد» ٥٨٠
حديث: «ثُمَّ يفشو الكذب حتَّىٰ يشهد الرجل قبل أن يُستشهَد» ٥٨٠
حديث: «ما اجتمع الحلال والحرام إلَّا وغلب الحرام الحلال» ٥٨٢
حديث: «ادرأُوا الحدودَ بالشُّبُهَاتِ» ٥٨٢
الكتاب السابع في الاجتهاد والإفتاء ٥٨٤
قوله: «ولأنه ينتظر الوحي» ٥٨٤
حديث: «منْ أصابَ فله أجران ومنْ أخطأَ فله أجرٌ» ٥٨٥
قوله: «وقد نَصَّبَ أبو بكر زيدًا» ٥٨٥
قوله: «قول عبدلرحمن لعثمان: أبايعك علىٰ كتاب الله وسُنَّة رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وسيرة الشيخين» ٥٨٥
الخاتمة ٥٨٧

٧- تنبيه الباحث المستفيد إلى الأَخْطاء الواقِعَةِ في الأجزاء الثَّلاثَةِ الأُوَل مِن كتاب "التَّمْهيدِ"

مقدِّمة المؤلِّف ٥٩١
تصويبات الجزء الأول ٥٩٥
تصويبات الجزء الثاني ٥٩٨
تصويبات الجزء الثالث ٦١٣

الخاتمة ٦١٧

٨- التعليق على بعض أخطاء للشيخ محمَّد أبي زهرة

استنكار الشيخ أبي زهرة لقصة رؤيا ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه وإجازة أبي بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه لوصيَّته في الرُّؤيا ٦٢١
استدلال الشيخ أبي زهرة بحديثٍ موضوعٍ ٦٢٢
إنكار الشيخ أبي زهرة لحديث العرنيين وهو في "صحيح البخاريِّ" ٦٢٣
تصحيح أحد الأزهريين للفظة في حديث لم ترد في كتب المحدِّثين محاباة لأقوام على حساب دينه وعِلْمه ٦٢٤
الخاتمة ٦٢٥
فهرس الموضوعات ٦٢٩

٩- فهرس المجلد التاسع

فَضَائِلُ النبيِّ ﷺ

١ - دَلَالَةُ القُرْآنِ المُبِين على أنَّ النَّبيَّ ﷺ أَفْضَلُ العَالَمِين

خطبة الكتاب.....١١
سبب تأليف الكتاب ١١
مقدِّمة ١٣
مكانة القرآن الكريم ١٣
دلالة القرآن على أنَّ النبيَّ عليه الصَّلاة والسَّلام أفضل المخلوقات إطلاقًا، والردُّ على مَن فضَّل عليه الملائكة.....١٥
عدم القطع بأفضلية الأنبياء على الملائكة وأنَّ هذه مسألةٌ ظنيَّةٌ مُختلَفٌ فيها. ١٥
شذوذ مَن زَعَمَ بأنَّ سيِّدنا إبراهيمَ عليه السَّلام أفضل مِن النبيِّ عليه الصَّلاة والسَّلام. ١٦
مناقشة الشعرانيِّ مع شخصٍ من الجامع الأزهر حول أفضلية النبيِّ عليه الصَّلاة والسَّلام على الملائكة، وذكر رؤية الشعرانيِّ للنبيِّ عليه الصَّلاة والسَّلام تؤيِّد ما ذَهَبَ إليه. ١٨
مِن الأسباب التي دعت إلى تأليف الكتاب ١٨
أفضلية النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ذات أهميَّة في الدِّين؛ لأن تصحيح العقيدة يتوقَّف عليها، لاسيَّما في هذا العصر الذي كَثُر فيه الجهل بالدِّين أصوله وفروعه ١٩
الأساس الذي به يتفاضل الرُّسل والأنبياء.....١٩
خصال الكمال والمزايا التي وهبها الله للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ١٩
إثبات المزايا التي شرَّف الله بها نبيَّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم واجبٌ شرعيٌّ. ٢٠
ذكر بعض الأحاديث التي دلَّ ظاهرها على عدم أفضلية النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم والجواب عليها ٢١
تجلِّي الله على نبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بصفة العلم فكشف له عن كلِّ معلومٍ، وبناء

عليه يكون أعلم من جبريل عليه السَّلام ٢٢
حديث يرد ما أفاده كلام الغزاليِّ في أواخر كتاب التفكُّر من "الإحياء" من أعلمية الملائكة المقرَّبين على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم (ت) ٢٢
شهادة جبريل عليه السَّلام بأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أفضل الأنبياء. ٢٣
تنبيه: حول حديث: « فعرفت فضل علمه بالله عليَّ» ٢٣
١ - (سورة البقرة) ٢٤
جعل الله الإيمان بما أنزل إليه شرطًا في حصول التقوى ٢٤
دفاع الله عن صحابة نبيِّه عليه الصَّلاة والسَّلام ٢٤
دفاع الله عن نبيِّه فيما وُجِّه إليه مِن التُّهم..... ٢٤
حماية الله لمقام نبيِّه عليه الصَّلاة والسَّلام مَن أن يُمَسَّ بسوءٍ..... ٢٦
الدليل على ضعف حديث: «أَلَا ليتَ شِعْرِي ما فَعَلَ أَبَوَاي؟» ٢٧
علم إبراهيم وإسماعيل بنبيِّنا وبصفاته ٢٧
تخصيص الله لأمَّة حبيبه عليه الصَّلاة والسَّلام بأن جعلهم شهداء على الناس ... ٢٨
حوَّل الله له القبلة تحقيقا لرغبته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في هذا الأمر..... ٢٨
إخبار الله بأنَّ نبيَّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم معروفٌ لأهل الكتاب ٢٨
امتنان الله على المؤمنين بأنَّ أرسل إليهم نبيَّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٢٩
رد الله على الكفار عند ادعائهم بأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ليس مرسلًا من عند الله ٢٩
الدليل على أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حيٌّ في قبره ٣٠
ادِّخار الله تعالى آخر آيتين من سورة البقرة لنبيِّه عليه الصَّلاة والسَّلام ٣١
تكريم الله لأمَّة حبيبه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بأن رفع عنهم الخطأ والنسيان وما استُكرهوا عليه ٣١
٢ - (سورة آل عمران)..... ٣٢

قصة نصارىٰ نجران مع النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم حول زعمهم بأن عيسىٰ عليه السَّلام لا يشبهه أحد من الخَلْق ٣٢
رد الله تعالىٰ علىٰ زعم اليهود والنصارىٰ بأنهم علىٰ دين إبراهيمَ عليه السَّلام.... ٣٣
تكريم الله لنبيِّه بأن أخذ الميثاق علىٰ الأنبياء أن يؤمنوا به وينصروه إن ظهر في زمانهم .. ٣٣
الرد علىٰ المفسِّرين الذين قالوا: إنَّ الله أخذ الميثاق علىٰ كلِّ نبيٍّ في النبيِّ الذي يأتي بعده ٣٣
تكريم الله لأمَّة نبيِّه عليه الصَّلاة والسَّلام بأن جعلها خير أمةٍ أخرجت للناس، ثم تكريمه لهم بأن أمدهم بالملائكة عند قتال الكفار..... ٣٦
تنبيهات: التنبيه الأول: حول إكرام الله لنبيِّه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بقتال الملائكة معه ودفاعها عنه ٣٨
التنبيه الثاني: حول زعم بعض المعاصرين بأن الإمداد بالملائكة إنما هو عبارة عن قوةٍ روحيةٍ، والجواب عليه ٣٩
التنبيه الثالث: إشارة القرآن إلىٰ أنَّ الإمداد بالملائكة لم يقع لأحدٍ غير نبيِّنا صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم..... ٤٠
جعل الله تعالىٰ اتباع نبيِّه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم سببًا في نيل حُبِّه ومَغْفِرته . ٤١
إقران الله تعالىٰ اسمه باسم نبيه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في كثير من الآيات القرآنية .. ٤١
عتاب الله للصحابة (الرُّماه) الذين خالفوا أمر النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يوم أُحُدٍ وتركوا أماكنهم..... ٤٤
الفوائد المأخوذة من قوله تعالىٰ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ ٤٥
تبرئة الله لنبيِّه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مِن زَعْمِ المنافقين الذين قالوا: إنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أخذ قطيفةً حمراء فُقدت مِن غنائم بدرٍ ٤٥
دفاع الله عن نبيِّه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عندما أراد اليهود منه أن يُقدِّم قُربانا لله يدل علىٰ صِدْقِه..... ٤٦
٣- (سورة النساء) ٤٧

رأي المالكية فيمن طعن في النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.....٤٧
من قبائح اليهود حسدهم للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٤٨
الحِكْمة من تعدُّد زوجات النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٤٩
التنويه على وجوب طاعة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم.....٥١
الحِكْمة في أنَّ الله تعالى أمر عباده بقوله: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ ولم يقل: «وأطيعو الرسول» ٥٢
استغفار الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم سبب في توبة الله على العبد ورحمته به ٥٢
الدليل على أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لا يُخطئ ٥٣
كلام ابن عطاء الله السكندريِّ حول تخصيص الله لنبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بأن جعل حُكْمَهُ عليه الصَّلاة والسَّلام كحُكْمِهِ سبحانه وتعالى.....٥٣
إخبار الله تعالى بعموم رسالة نبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٥٥
السر في أنَّ الله حضَّ على طاعة رسوله عليه الصَّلاة والسَّلام ورغَّب فيها، مع أنه سبحانه وتعالى لم يفعل ذلك مع غيره من الأنبياء ٥٥
تنبيه: حول الخطاب في قوله تعالى: ﴿ مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾.....٥٦
المستفاد من قوله تعالى: ﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ﴾.....٥٦
قصة النصراني الذي سرق درعا ودقيقا من بيت قتادة وخبأهما عند يهودي.....٥٦
دليل على آخر على بطلان زعم من قال: بأن النبي يُخطئ.....٥٧
الحِكْمة في أمر الله له صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالاستغفار ٥٧
بيان فضل الله عليه وعصمته من محاولة المنافقين بأن يضلوه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم .٥٨
تنبيهات: التنبيه الأول: حول جواز اجتهاده صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٥٨
التنبيه الثاني: حول قوله تعالى: ﴿ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ ﴾.....٥٩

سؤال مشركوا مكة لليهود عن صفات النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.....٦١
توعُّد الله لليهود الذين أنكروا نبوَّته صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ٦١
٤ - (سورة المائدة).....٦١
تشريف الله لنبيِّه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بأن أكمل له ولأمَّته الدِّين ٦١
الدليل علىٰ أنَّ بعثته صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ناسخةٌ لجميع الأديان ٦٢
تقسيم العلماء لما في كتب اليهود والنصارىٰ إلىٰ ثلاثة أقسام ٦٢
حكم نقل المواعظ والرقائق من كتب اليهود والنصارىٰ.....٦٣
النور من أسماء الله تعالىٰ سمَّىٰ به نبيَّه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم تشريفًا له وتعظيمًا ٦٣
كثرة أسمائه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم تدل علىٰ شرف المسمَّىٰ ونباهة قدره، إذ كل اسمٍ منها يُنبئ عن ناحيةٍ من نواحي العَظَمَةِ فيه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.....٦٣
تسلية الله لنبيِّه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن مسارعة المنافقين إلىٰ إظهار الكفر الذي يُبطنونه ٦٤
نداء الله لنبيِّه باللقب المشعر بالتعظيم له عليه الصَّلاة والسَّلام.....٦٤
حراسة الله وعصمته لنبيِّه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم من أن يناله أحد بمكروه .٦٥
تنبيهات: التنبيه الأول: حول تعبير الحق سبحانه وتعالىٰ بقوله: ﴿يَعْصِمُكَ﴾ ٦٦
التنبيه الثاني: حول قول مستشرق ألماني « تَرْكُ محمَّدٍ للحراسة مع تخوُّفه من المشركين واليهود اعتمادًا علىٰ هذه الآية دليلٌ علىٰ صدقه» ٦٦
النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ليس بحاجةٍ إلىٰ مَن يشهد له يوم القيامة بالبلاغ ٦٧
٥ - (سورة الأنعام).....٦٨
من دلائل عناية الله بنبيِّه: رد ما يورده عليه المشركون وأهل الكتاب ٦٨
الدليل علىٰ خُسران منكر النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ولو كان مؤمنًا بموسىٰ وعيسىٰ عليهما السَّلام.....٦٨
حفظ الله لأُمَّة حبيبه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مِن أن يُنزل عليهم البلاء والوباء كالأمم

السابقة ٧٠
أعظم المعجزات وأوضحها دلالةً: القرآن الكريم، لأنَّ الخوارق في الغالب مغايرةٌ للوحي الذي تلقَّاه النبيُّ، وتأتي المعجزة شاهدة، والقرآن هو نفسه الوحي المدَّعى وهو الخارق المعجِز، فدلالته في عينه ولا يفتقر إلى دليلٍ أجنبيٍّ عنه، فهو أوضح دلالة لاتحاد الدليل والمدلول فيه (ت) ٧١
طلب المشركون من النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أن يجعل بينه وبينهم حَكَمًا من أحبار اليهود أو أساقفة النصارى ٧٢
نكتة حول قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ ٧٢
نكتة حول قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ ٧٣
٦- (سورة الأعراف) ٧٣
الدليل على أنَّ ما أحلَّه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أو حرَّمه يجب التزامه ٧٣
تسمية الله للقرآن بالنور دليل على إشراقه وسماحة تعاليمه ٧٤
المعجزة المادية المتحققة في وصف الله لنبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بـ«الأُمِّي» .. ٧٥
دفاع الله عن نبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يوم أن وصفه أهل مكة بالجنون عندما صعد إلى الصفا من أجل أن يدعوهم إلى الإيمان ٧٥
٦- (سورة الأنفال) ٧٦
أخذَ النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الحصى ورماه في وجه الكفار يوم بدرٍ فأصابت عيونهم جمعيًا وشغلتهم ٧٦
عناية الله بنبيه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وعصمته من الكفار الذين أرادوا قتله بضربة رجلٍ واحدٍ ٧٨
سنة الله في إهلاك المكذِّبين الذين تحدوا رسلَه ولما بُعث نبيُّنا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رفع الله القذف والمسخ والخسف وسائر أنواع العذاب التي عَذَّب بها الأمم السَّابقة إكرامًا له، وجعل وجوده عليه الصَّلاة والسَّلام مانعًا من نزول العذاب بأُمَّته رغم طلبهم له ورفع

ذلك وعدم الأخذ به مع نبيه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٧٨
العِلَّة في عدم تأكيد النفي في جانب استغفارهم، وأكَّد بلام الجحود في جانب النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٨٠
إحلال الغنائم لأمَّة حبيبه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وهذا مما فُضِّل به نبيُّنا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على الأنبياء ٨٠
٨- سورة التوبة ٨١
توبيخ الله وإنكاره على الذين تباطؤوا عن الجهاد ودعوة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لهم ٨١
فضح الله لأمر المنافقين الذين تكلَّموا في حقِّ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بكلام لا يليق ٨٣
كلامٌ نفيسٌ جدًّا للزمخشريِّ في قوله تعالى: ﴿هُوَ أُذُنٌ﴾(ت) ٨٣
العيب في النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم جعله الله بابًا من أبواب الكفر ٨٤
اختصاص الله لنبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بإعلامه مكائد أعدائه له ٨٥
ما نزل في قبيلتي مُزينة وجُهينة من الآيات التي تمدحهم، وإفادة أنَّ دعاءه عليه الصَّلاة والسَّلام مسموعٌ عند الله سماع قبول ٨٥
معاتبة الله لأهل المدينة وما حولها من الأعراب عندما تخلَّفوا عن تبوك ٨٦
الواجب على المؤمنين تجاه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٨٦
٩- سورة يونس ٨٧
رد الله على المشركين الذي كذَّبوا بالقرآن وزَعَموا أنه مفترى، و تنويع الله للتحدِّي بالقرآن ٨٧
١٠- سورة الرعد ٨٨
رد الله على أهل الكتاب الذين عابوا على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كثرة الزوجات ٨٨

تأرق النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من دراهم نسيها ولم ينفقها، فأي زهدٍ يوازي هذا أو يُقارِبه؟!.....٨٩
رد الله تعالى على الكفَّار والمشركين الذين أرادوا من النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أن يأتيهم بكلِّ ما يطلبوه منه ٨٩
١١ - سورة الحِجْر.....٩٠
تولَّى الله حفظ كتابه من التبديل والتحريف وفي هذا تكريمٌ لنبيِّنا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بدوام معجزته وخلود شريعته.....٩٠
تنبيه: حول استدلال ابن حزمٍ بقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ على حفظ السُّنَّة.....٩١
تشريف الله لنبيه بأن أقسم بحياته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ولم يفعل ذلك مع نبيٍّ أو رسول أو مَلَك.....٩٢
أقسم الله بالشمس والقمر والنجم والضحى والنهار والليل ونحو ذلك، فهل هذا يُقَلِّل من قيمة القَسَم بنبيه عليه الصَّلاة والسَّلام؟ ٩٣
رأي الإمام أحمد في القسم بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٩٤
١٢ - سورة النحل.....٩٥
الدليل على إبطال نِحَل المبتدعة الذين يردون ما صحَّ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في تفسير بعض ما أبهمه القرآن.....٩٥
مِن الشُّبه التي زعم الكفار بسببها أنَّ القرآن مفترى: «وجود الناسخ والمنسوخ» فيه...٩٦
إبطال دعوى الكفار بأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أخذ القرآن من حدَّادٍ روميٍّ..٩٧
١٣ - سورة الإسراء ٩٨
من المعجزات التي أكرم الله بها حبيبه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم معجزة الإسراء والمعراج.....٩٨
الدليل على أنَّ الإسراء كان في اليقظة حقيقة لا جولة روحية ولا رؤيا منامية ..٩٩

تكذيب مَن ادَّعى بأنَّ السيِّدة عائشة لم تفتقد جسد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ليلة أن أسري به ١٠١
الرؤيا في رحلة الإسراء منامية أم بصرية بالعين ١٠١
من الدلالات التي تؤكِّد على أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم خاتم النبيين وأنَّ أمَّته خير الأمم ١٠٢
من خصائص الأمَّة تعبُّد الملائكة بحضور الصَّلاة معنا ١٠٣
مِنَّة الله على نبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بإنزال القرآن وحفظه من التبديل . ١٠٤
تسلية الله لنبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وتسجيل بعثته ونزول كتابه في الكتب السابقة ١٠٥
تنبيه: حول عبارات الذمِّ والمدح لأهل الكتاب في القرآن ١٠٥
١٤ - سورة الكهف ١٠٦
التنويه على أنَّ إنزال القرآن من أعظم النِّعم، وأنه أجل الكتب السماوية ١٠٦
١٥ - سورة مريم ١٠٦
الآية التي أنزلها الله تعالى يحكي اعتذار جبريل عليه السَّلام للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وفي هذا بيان عِظَم قَدْر نبيِّنا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من وجوهٍ ١٠٦
استدلال الزمخشريِّ بقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ على تفخيم شأن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ١٠٧
١٦ - سورة طة ١٠٧
عناية الله بنبيه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بأنه لم ينزل عليه القرآن من أجل أن يشقَى ويتعب نفسه ١٠٧
خطاب الله اللطيف المُشعِر بأنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حبيب ربِّ العالمين، وأنه أفضل الخلق أجمعين ١٠٧
صلاته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مأمورٌ بها ليرضى هو، لا ليُكَفِّر الله عنه سيِّئاته ... ١٠٨

١٧ - سورة الأنبياء ١٠٩
الدليل على أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أُرسِلَ إلى الملائكة ١٠٩
١٨ - سورة الحج ١١٣
من تفضيل الله لنبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أن جعل دينه سهلًا واختيار أُمَّته على سائر الأُمَم ١١٣
١٩ - سورة المؤمنون ١١٣
دفاع الله عن نبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم باستفهامه وإنكاره على كفار قريش يوم خالفوا ما علموه من صِدق النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وأمانته ١١٣
٢٠ - سورة النور ١١٣
تبرأة الله لأمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها والدلالة على شِدَّة عناية الله بنبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ١١٤
تولى الله سبحانه وتعالى تبرأة السيدة عائشة ولم يجعل تبرأتها تأتي من طريق صبيٍّ ولا نبيٍّ كما فعل مع سيِّدنا يوسف والسيدة مريم عليهما السَّلام ١١٦
تنبيه حول اتخاذ المستشرقين من حادثة الإفك مَغْمَزًا يعيبون به النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ١١٨
إخبار الله تعالى بأن الهداية في طاعته وطاعة نبيه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ١١٩
عظم الجناية في ترك مجلس رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بغير إذنه ١٢٠
نهي الله تعالى عن مناداة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم باسمه المجرَّد ١٢١
٢١ - سورة الفرقان ١٢٢
من الأدلة الدالة على أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مرسلٌ إلى الإنس والجنِّ ... ١٢٢
تكفُّل الله تعالى بالردِّ والدِّفاع عن نبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ١٢٣
تعظيم الله لنبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بأن جعله رسولًا إلى العالم كلِّه ١٢٣
٢٢ - سورة الشعراء ١٢٤

إشفاق الله على نبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ودعوته إياه عليه الصَّلاة والسَّلام بأن لا يقتل نفسه غمًّا لأجل أن يؤمنوا ١٢٤
مدح القرآن وبيان منزلته والمنزَّل عليه ١٢٤
٢٣ - (سورة النمل) ١٢٥
رد الله على المشركين لقولهم في النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وفي القرآن ١٢٥
٢٤ - (سورة القصص) ١٢٥
وعد الله لنبيه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالعودة إلى بلده التي يحبها ١٢٥
٢٥ - سورة العنكبوت ١٢٦
إقامة الحجَّة على اليهود الذين أنكروا نبوته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ١٢٦
٢٦ - (سورة الأحزاب) ١٢٦
وجوب تقديم النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وإيثاره على النفس..... ١٢٦
الحِكْمة في تقديم النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على الأنبياء في أخذ الميثاق .. ١٢٧
عناية الله لنبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ومَن معه من الصحابة يوم الخندق ١٢٨
طهارة أهل بيت النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من الرجس؛ لأنَّ الله لما بين تكريم نسائه بيَّن تكريم أولاده وعصبته، فجمع له الفضل من جميع أطرافه عليه الصَّلاة والسَّلام. ١٢٩
تعليق لا بن القيِّم في غاية الحسن ونهاية الإجادة على قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ (ت) ١٣٠
تسمية الله لنبيه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بأسماء تدل على رفعة قدره وعلو مكانته فسمَّاه «سراجًا منيرًا» ١٣٢
الزواج بلفظ الهبة ومن غير صداق من خصوصياته عليه الصَّلاة والسَّلام ١٣٢
ذكر عدة أشياء من حقوق النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على أمَّته ١٣٢
تنبيه: حول الأدب الذي أدَّب الله به الثقلاء..... ١٣٤
تشريف الله لنبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بأن أخبرنا عن نفسه أنه سبحانه وتعالى يُصَلِّي

على نبيِّه وكذا ملائكته، كما أمرنا بالصَّلاة على نبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم..... ١٣٤
تنبيه: حول أنَّ جميع الملائكة بمختلف وظائفهم يصلون جميعًا على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم..... ١٣٥
٢٧- (سورة سبأ) ١٣٦
مما يفيد عموم رسالته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ١٣٦
٢٨- (سورة فاطر) ١٣٧
تسلية الله لنبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بنعيه على قريش سوء تلقيهم لآيات الله وتكذيبهم بها..... ١٣٧
اصطفاء الله تعالى لأُمَّة حبيبه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بأن أورثهم الكتاب ١٣٨
تنبيه: حول أنَّ عصاة المسلمين لا يدخلون النَّارَ وأنَّ مآلهم الجنة ١٣٩
٢٩- (سورة يس) ١٣٩
رد الله تعالى على الكفار وإقسامه على أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من المرسلين، والحِكْمة من التأكيد بقول الله تعالى: ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ ١٣٩
تسلية الله لنبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعد تكذيب وإذاء وجفاء المشركين له ... ١٤٠
٣٠- (سورة الصافات)..... ١٤٠
تسلية النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم والتنفيس عنه بأن دعاه بالإعراض عن قولهم واستهزائهم به، وأن الله سوف ينصره عليهم قريبًا ١٤٠
تسلية بعد تسلية وتأكيد لوقوع الميعاد..... ١٤١
٣١- (سورة الزمر)..... ١٤١
الرد على قول الكفار الذين قالوا بأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يُعَلِّمُه بَشَرٌ .. ١٤١
٣٢- (سورة الشورى) ١٤١
فضل النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على أولي العزم ١٤١
٣٣- (سورة الزخرف) ١٤٢

تسلية الله لرسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وتوعده للكافرين الذين لم يُصدِّقوه..... ١٤٢
٣٤- (سورة الأحقاف) ١٤٣
من خصوصياته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إرساله إلى الجنِّ ١٤٣
٣٥- (سورة القتال)..... ١٤٣
الإيمان والعمل الصالح لا يقبلان إلا بعد التصديق والإيمان بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ١٤٣
أمر الله لنبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالتحدُّث بنعمة الله عليه بعصمته من الذنوب، وتشريف الأمَّة باستغفار نبيها لها ١٤٤
٣٦- (سورة الفتح) ١٤٤
إنعام الله على نبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالفتح الظاهر بنزول سورة الفتح التي تؤيِّد هذا، وذلك بعد الحديبية ١٤٤
وصف الله لنبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالرِّسالة والشهادة والبشارة والنِّذارة ١٤٥
مبايعة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مبايعةً لله سبحانه وتعالى ١٤٥
تسجيل شهادة الله تعالى لنبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بأنه رسولٌ، وتسجيل صفات أصحابه في التوراة والإنجيل ١٤٦
تنبيه: حول نصرة الله لنبيه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالظاهر والباطن..... ١٤٦
٣٧- (سورة الحجرات) ١٤٦
النهي عن التقدُّم بين يدي النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بقول أو فعل واعتبار التقدُّم بين يديه تقدُّمًا بين يدي الله سبحانه وتعالى. ١٤٦
حرمة رفع الصوت فوق صوت النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وحرمة الجهر بالكلام حين مناجاته..... ١٤٧
نهي عمر بن الخطاب عن رفع الصوت في مسجد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وفعل السيدة عائشة عندما كانت تسمع دقا في البيوت المجاورة للمسجد..... ١٤٧

تنبيهات: التنبيه الأول: حول أنه: ليس الغرض برفع الصوت ولا الجهر ما يقصد به الاستخفاف والاستهانة..... ١٤٧
التنبيه الثاني: حول الإعلام بعزَّة رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وشرف منزلته ١٤٨
التنبيه الثالث: حول نهي الإمام مالك لأبي جعفر المنصور أن يرفع صوته في مسجد رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وتوجيهه له باستقبال المواجهة الشريفة عند الدعاء ١٤٨
توجيه الذمِّ إلىٰ وفد بني تميم الذين جاؤوا وقت الظهيرة فنادوه غير مراعين راحته صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ١٤٩
٣٨- سورة النجم ١٥١
نفي الضلال عن رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم والإشارة إلىٰ أنه عليه الصَّلاة والسَّلام يُهتدَىٰ به كما يُهتدَىٰ بالنجم..... ١٥١
الدليل علىٰ تزكية علمه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، ورؤيته لجبريل علىٰ صورته الأصلية ١٥٢
ما يفيد بأنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم رأىٰ جبريل علىٰ صورته الأصلية مرة أخرىٰ ومكان حصول هذه الرؤية..... ١٥٣
مؤكِّدات المعراج الذي تحدَّث عنه النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ١٥٣
تنبيهان: التنبيه الأول: حول مخالفة تأويل المفسِّرين للرؤية في الآيات المذكورة علىٰ رؤية الله تعالىٰ ١٥٥
التنبيه الثاني: حول قصة الغرانيق..... ١٥٥
٣٩- (سورة القمر) ١٥٦
انشقاق القمر للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم..... ١٥٦
الرد علىٰ من أنكر انشقاق القمر للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ١٥٦
الجواب علىٰ قول من قال: لو وقع الانشقاق لنقل متواترًا، واشترك أهل الأرض في رؤيته، ولم يختص به أهل مكة..... ١٥٨

تنبيه: حول أنَّ انشقاق القمر آيةٌ عظيمةٌ لا يكاد يعدلها شيء من آيات الأنبياء ... ١٥٩
٤٠ - (سورة الرحمن) ١٥٩
من أدلة إرسال النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم توجيه البشارة والإنذار إلى الثقلين .. ١٥٩
٤١ - (سورة المجادلة) ١٥٩
أمر الله للمسلمين بأن لا يكثروا من المسائل على النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم..... ١٦٠
٤٢ - (سورة الحشر) ١٦٠
٤٣ - (سورة الصف) ١٦١
الدليل على أنَّ عيسى عليه السَّلام بشَّر بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ١٦١
لطيفة: حول خديعة أحد القسيسين لمن توسَّم فيه الجهل بالمسائل الدينية ١٦١
الحِكْمة من تكرار قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ...﴾ ١٦٣
٤٤ - (سورة الجمعة) ١٦٣
الدليل على استمرار بعثته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وفضل الصحابة ١٦٣
٤٥ - (سورة المنافقون) ١٦٣
دفاع الله عن الصحابة الذين هاجروا إلى المدينة ١٦٣
دفاع الله عن صحابة نبيه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عندما قال المنافقون: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ..... ١٦٤
تنبيه: حول قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ﴾ الآية ١٦٤
٤٦ - (سورة الطلاق) ١٦٤
تخصيص النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالنداء، وتعميم الخطاب في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ﴾ في أول (سورة الطلاق)..... ١٦٤
٤٧ - (سورة التحريم) ١٦٥
الدليل على أن الله تعالى اعتنى بنبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عناية لم يرقَ إليها رسولٌ ولا مَلَكٌ ١٦٥

٤٨ - (سورة القلم) ١٦٦
نفي الجنون الذي زعمه المشركون على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وإقسام الله على ذلك ١٦٦
جميع حسنات المؤمنين وأعمالهم الصالحة في صحائف نبيِّنا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم . ١٦٦
أعظم ما مُدح به النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ١٦٧
٤٩ - (سورة الحاقة) ١٦٨
إقسام الله تعالى بالأشياء كلها على أن ما يقوله النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رسالة من عند الله ١٦٨
٥٠ - (سورة الجنِّ) ١٦٩
الإخبار بسماع الجنِّ للقرآن ومدحهم له وإيمانهم به واجتماعهم بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ١٦٩
التعجُّب مِن زعم بعض المبتدعة الذي قال: بأنَّه لا يوجد دليل قطعي على إرسال النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى الجنِّ ١٦٩
اعتراف الجنِّ المؤمنين بأنَّهم كانوا يسترقون السمع قبل بعثة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وأنهم مُنعوا بعدها ١٧٠
٥١ - (سورة المزمِّل) ١٧٠
٥٢ - (سورة المدِّثر) ١٧١
٥٣ - (سورة القيامة) ١٧٢
الحقُّ عزَّ وجلَّ لا يحب لنبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أن يُجهد نفسه بقراءة ما يلقيه عليه جبريل ١٧٢
٥٤ - (سورة عبس) ١٧٢
عتاب الله لنبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على ما حدث منه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم تجاه ابن أم مكتوم وأن هذه المعاتبة إنما هي معاتبة محبة ومودة ١٧٢

تأويل آخر لقوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾ ١٧٣
درجة الحديث الوارد في قصة ابن أم مكتوم ١٧٤
٥٥- (سورة التكوير) ١٧٤
ردُّ الله تعالى على قول المشركين: إنما يعلمه بشر ١٧٤
نفي الله تعالى عن نبيه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم تهمة الجنون ١٧٤
وَهِمَ الزمخشريُّ حينما فهم أن الآيات جاءت من أجل تبيِّن أفضلية جبريل على النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ١٧٥
قول الله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٥٠] لا يدل على أفضلية الملائكة على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم (ت) ١٧٥
٥٦ - سورة البروج ١٧٦
الدليل على أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم هو الشَّاهد والمشهود يوم القيامة ١٧٦
٥٧- (سورة البلد) ١٧٧
إحلال مكة للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يوم فتحها ١٧٧
رأي آخر في قوله تعالى: ﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ ١٧٧
التعجُّب من حالهم في عداوته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم. ١٧٧
تنكير الإقسام برسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم دليل على تعظيمه ١٧٧
٥٨- (سورة الضحى) ١٧٨
إقسام الله تعالى على أنه ما ترك حبيبه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وما أبغضه ١٧٨
ما أعده الله تعالى للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من الكرامات والعطايا في الآخرة . ١٧٨
بيانٌ مِن الله بأنَّ حاله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في الآخرة أعظم وأجل، وهو السبق والتقدُّم على جميع أنبياء الله ورسله ١٧٨
وعد الله لنبيه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بأن يعطيه فيرضيه ١٧٩
معنى قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ﴾ ١٧٩

أمر الله لنبيه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بأن يحدِّث أمته بما أنعم الله عليه ١٧٩
٥٩- (سورة ألم نشرح) ١٨٠
شرح الله صدر نبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ليسع مناجاة الحقِّ ودعوة الخَلْق ١٨٠
رفع الله تعالى لذِكْر نبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم..... ١٨٠
تنبيه حول أن من عَبَدَ الله تعالى مع عدم تصديقه برسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فهو كافر..... ١٨٠
٦٠- (سورة البينة) ١٨١
حسد وإنكار الكفَّار من أهل الكتاب على بعثة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ١٨١
٦١ - سورة الكوثر ١٨٢
تكريم الله لنبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بأن أعطاه نهر في الجنَّة اسمه الكوثر... ١٨٢
ردُّ الله تعالى على قول المشركين: «بُتر محمد» حين مات أبو القاسم ابن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم..... ١٨٣
٦٢- سورة النصر ١٨٤
البُشرى التي ساقها الله تعالى لنبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في سورة النصر ١٨٤
٦٣- سورة (المسد)..... ١٨٤
العِلَّة في إنزال سورة المسد..... ١٨٤
كراهة قراءة (سورة المسد) في الصلاة لا أصل له (ت) ١٨٤
٦٤،٦٥- سورتا المعوِّذتين ١٨٥
لجوء اليهود إلى السحر من أجل محاربة النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم..... ١٨٥
خاتمة ١٨٧
الخصائص التي اقتضت أفضليته على الأنبياء والمرسلين والملائكة ١٨٧
دفاع الله عن نبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بمختلف الأساليب ١٨٧
دفاع الله عن صحابته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وإعطاء أمَّته الخصائص التي فضَّلهم بها

على سائر الأمم ١٨٨

٢- الأحاديث المُنتَقاةُ في فَضَائِلِ رسولِ الله ﷺ

المقدِّمة ١٩٥
١ - حديث: «مَتَى وَجَبَتْ النُّبُوَّةُ» ١٩٦
جعل الله نبيَّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فاتِحًا لخَلْق الموجودات، وخاتِمًا لظهور النُّبُوَّات ١٩٧
تنبيه حول زعم زكي مبارك أنَّ الصوفيَّة تغالوا في كون النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أوَّل المخلوقات ١٩٨
٢ - حديث: «مَتَى كُنْتَ نَبِيًّا» ١٩٩
الردُّ على زَعْمِ بعض العلماء بأنّ المراد بالخَلْق: التقدير لا الإيجاد، أي: كنتُ أولهم في التقدير. ٢٠٠
فائدة: حول المقصود بقولهم: «الحافظ» ٢٠١
فائدة: حول شيخ البيهقي «أبو الحسين ابن بشران» ٢٠١
ذكر المسائل التي اشتملت عليها رواية: «لَمّا خَلَقَ اللهُ الأرض...» ٢٠٢
من الأدلة على جواز التوسُّل بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٢٠٢
الردُّ على الذهبيِّ الذي قال عن حديث توسُّل آدم: بأنَّه موضوعٌ ٢٠٢
تنبيه حول قوله: «وخَلَق العَرْش» ٢٠٣
٣- حديث: «خرجْتُ من نِكاحٍ ولم أخرُجْ مِنْ سِفاحٍ» ٢٠٤
طهارة نسبه الشريف صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لا تحتاج إلى بيانٍ ٢٠٥
٤ - حديث: اصطفاء الله لنبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٢٠٥
معنى اصطفاء الله لنبيِّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٢٠٥
ذكر نسبه الشريف صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٢٠٦
استشكال العلماء على قول الترمذيِّ: «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ» ٢٠٦

فائدة: حول ذكر طبقات العَرب ٢٠٧
٥- حديث: «إنِّي عَبْدُ الله وخاتَمُ النبيِّينَ» ٢٠٧
معنى قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «إنِّي عند الله لخَاتِمُ النبيِّينَ...» إلخ ٢٠٧
فائدة حول ما جاء في حديث :«إنَّ اللهَ كَتَبَ مَقَادِيرَ الخَلْقِ قَبْلَ أنْ يَخْلُقَ السماوات والأرْضِ...» ٢٠٨
خروجه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من بطن أمِّه طاهرًا نظيفًا ما به قذارة ٢٠٩
٦- حديث: «مَنْ لَقِيَني وهو جاحِدٌ بأحمد دَخلَ النَّار» ٢١٠
فائدة: حول قوله: «مَنْ لَقِيَنِي وهو جاحِدٌ بأحمد أدْخَلتُه النَّار» ٢١٠
فائدة: حول قوله: «ما خلقتُ خَلْقًا أكرم عليَّ منه» ٢١٠
شذوذ مَن قال بأنَّ في الملائكة عوام ٢١١
من الخصائص التي اختصَّ الله بها نبيَّه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنه أوَّل من يَقْرَعُ باب الجنَّة ٢١١
تحريم الجنَّةِ على جميع الأنبياء حتي يدخلها النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وكذلك تحريمها على جميع الأُمَمِ حتى تدخلها أمَّته عليه الصَّلاة والسَّلام ٢١١
فائدة: حول قوله: «الحَمَّادون» ٢١١
طلب نبي الله موسى عليه السَّلام مِن رَبِّه بعدما عرف ببعض خصوصيَّات الأمَّة المحمدية ٢١٢
ذكر حديث ابن مسعودٍ الذي يقابل هذا الحديث في المعنى ٢١٢
٧- حديث: «أفضل الخَلْق: محمد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم» ٢١٣
فائدة: حول قول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم «قال لي جبريل: قَلَّبت مشارقَ الأرض...» ٢١٣
حكم الحافظ ابن حجرٍ على الحديث ٢١٤
٨- حديث: أسماء النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٢١٤

تناول العلماء لأسماء النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وإفرادهم المؤلَّفات لذلك .. ٢١٤
ذكر معاني بعض أسمائه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم (محمد وأحمد والماحي والحاشر والعاقب) ٢١٥
أسماء النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم التي وردت في القرآن ٢١٥
تنبيه: حول أن الله تعالى لم يخاطب نبيَّه في القرآن باسمه المجرَّد وما ذكره الحافظ أبو نعيمٍ في ذلك..... ٢١٦
٩ - حديث: إثبات التمييز في بعض الجمادات ٢١٧
ما ذكره الترمذيُّ في إثبات التمييز في بعض الجمادات ٢١٧
ما ذكره ابن العربي في الكلام على قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ ... ٢١٨
قصة الشجرة التي جاءت إليه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم تشقُّ الأرضَ ٢١٩
سماع الصحابة لتسبيح الطعام بين يدي رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم .. ٢١٩
تنبيهات: التنبيه الأول: حول اختلاف العلماء في تعيين الحجر الذي سلم على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٢٢٠
التنبيه الثاني: حول رأي الحافظ السيوطيِّ في حجر البلور ٢٢٠
التنبيه الثالث: حول حديث تسبيح الحصى في كفِّ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وكفِّ أصحابه ٢٢٠
١٠ - حديث: «انشقاق القَمَر» ٢٢١
ذكر طرق حديث انشقاق القمر ٢٢١
الرد على الذين أوَّلوا آية انشقاق القمر على معنى: سَيَنْشَق القمر عند اقتراب الساعة ٢٢٢
تنبيهات: التنبيه الأول: حول ضبط ألفاظ الحديث..... ٢٢٦
التنبيه الثاني: حول ما يذكره بعض القُصَّاص من أنَّ القمر دخل في كُمِّ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وخرج من الكمِّ الآخر ٢٢٦
التنبيه الثالث: حول من شاهد انشقاق القمر في الليلة التي وقع فيها..... ٢٢٧

التنبيه الرابع: حول أنَّ الشمس رُدَّت على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم .. ٢٢٨
التنبيه الخامس: أمر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الشمسَ فتأخَّرت ساعة من نهار ٢٣٢
١١ - حديث: الإسراء والبراق ٢٣٣
قوله: «فما رَكِبَك أحد أكرم على الله منه» يدخلُ في هذا العموم جبريلُ نفسه، لأنه ممن ركب البُراق، فيكون النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أكرم على الله منه، وعلى هذا انعقد الإجماع، إلَّا ما كان من مخالفة الزمخشريِّ وابن حزمٍ، وهو خلافٌ شاذٌّ ٢٣٣
ذكر التآليف التي أُفردت لقصة الإسراء ٢٣٤
١٢ - حديث: نبع الماء من أصابع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٢٣٥
قصة نبع الماء من أصابعه الشريفة تكرَّرت عدة مرات، ووردت في أحاديث كثيرة ... ٢٣٥
نَبْعُ الماء من بين أصابعه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أبلَغ في المعجزة من نبع الماء من الحجر حيث ضربه موسى بالعصا فتفجَّرت منه المياه، لأنَّ خروج الماء من الحجارة معهودٌ، بخلاف خروج الماء من بين اللحم والدم ٢٣٥
كيفية نبع الماء من أصابعه الشريفة صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٢٣٦
تنبيه: حول ما يشبه هذه القصة من حيث تكثير الماء ٢٣٧
١٣ - حديث: استجابة العذق لرسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٢٣٨
١٤ - حديث: حنين الجذع ٢٤١
حنين الجِذع للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أكبر من إحياء الموتى لعيسى عليه السَّلام ٢٤٢
خنين الجذع، اشتهر بين المحدِّثين بالحاء المهملة، والصواب عندي أنه بالخاء المعجمة، وهو صوت البكاء الخارج من الخياشيم، شبه به صوت الجذع، أمَّا الحنين بالحاء المهملة، فهو الشوق، وهو معنى باطنيٌّ لا صوت له (ت) ٢٤٥
١٥ - حديث: مسح رأسه بيده ٢٤٥
١٦ - حديث: قصعة من غدوة ٢٤٧

١٧ - حديث: شقّ صدر النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ٢٤٨
الحِكْمَةُ في شَقِّ صدره الشريف صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ٢٥٠
رؤية النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لله عزَّ وجلَّ (ت) ٢٥١
ذكر لطائف مُستبَطةٌ من حديث شقِّ الصدر ٢٥٣
تنبيه: حول استشكال غسل قلبه في طست من ذهب وهو مُحَرَّم، والجواب عليه . ٢٥٥
١٨ - حديث: فضل محمد صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ الأنبياء ٢٥٥
إرسال النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إلىٰ الملائكة ٢٥٧
النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم خاتم الأنبياء، والرد علىٰ القاديانية، والبهائية .. ٢٥٨
١٩ - حديث: خصائص النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ٢٥٩
تنبيه: في ذكر ما بقي من خصال أُعطيها النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ٢٥٩
خصائصه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم علىٰ أربعة أقسام ٢٦١
٢٠ - حديث: الله يُعطىٰ وأنا أقسم ٢٦٢
حُكْم التسمِّي باسمه والتكنِّي بكُنيته صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ٢٦٢
٢١ - حديث: «أنا سيِّد ولد آدم يوم القيامة» ٢٦٧
٢٢ - حديث: «أنا أول الناس خروجًا إذا بُعِثوا» ٢٦٩
٢٣ - حديث: «مَثَلي ومثل الأنبياء» ٢٧١
٢٤ - حديث: حوضي مسيرة شهر ٢٧٣
تنبيه: أحاديث الحوض متواترة والإيمان به واجب ٢٧٤
٢٥ - حديث: إسلام قرينه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ٢٧٤
٢٦ - حديث: «حياتي خير لكم» ٢٧٧
٢٧ - حديث: «إلَّا سَبَبي ونَسَبي» ٢٧٨
٢٨ - حديث: إنزال الملائكة تقاتل معه ٢٨١
٢٩ - حديث: آتىٰ باب الجنَّة يوم القيامة ٢٨٢

٣٠- حديث: كان رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أجود الناس بالخير ٢٨٢
٣١- حديث: أكثروا من الصَّلاة عليَّ ٢٨٥
تنبيهات: التنبيه الأول: حول فرضية الصَّلاة علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.... ٢٨٩
التنبيه الثاني: في ذكر مواضع تُسَنُّ فيها الصلاة علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم .. ٢٨٩
التنبيه الثالث: في معنىٰ الصلاة والسلام علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم .. ٢٩١
٣٢- حديث: ما ضرب رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم شيئًا قطُّ بيده ٢٩٣
٣٣- حديث: ما مَسَسْتُ حريرًا ولا ديباجًا أَلْيَنَ من كفِّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ٢٩٤
دلالة الحديث علىٰ استحباب التبرُّك بآثاره صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وقد وردت في ذلك أحاديث كثيرة في الصحيحين وغيرهما..... ٢٩٧
٣٤- حديث: وجوب محبَّة النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ٢٩٧
أقسام المحبَّة ٢٩٧
٣٥- حديث: من لم يؤمن بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم دخل النَّارَ ٣٠٠
المستفاد من الحديث..... ٣٠٠
٣٦- حديث: «ما حرَّم رسولُ الله مثل ما حرَّم اللهُ» ٣٠١
هذا الحديث من أعلام النبوة فقد وقع ما أخبر به صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، وظهر مبتدعةٌ مُلحِدة يُنكرون الحديث النبوي عملًا واحتجاجًا، ويَزْعُمون أن الحُجَّة في القرآن خاصَّة ٣٠٢
حديثٌ موضوعٌ في عرض السُّنَّة علىٰ القرآن ٣٠٢
انعقد إجماع الأئمة والعلماء علىٰ العمل بالسُّنَّة المطهَّرة والاحتجاج بها في أصول الدِّين وفروعه ٣٠٣
السُّنَّة أصل من أصول الدِّين، لا يتم الإسلام إلَّا بالاحتكام إليها والاستسلام ٣٠٤
ردُّ مبتدعة اليوم السُّنَّة بأسباب واهيةٍ ٣٠٨
٣٧- حديث: «أوتيت مفاتيح كل شيءٍ» ٣٠٩

ذكر من ذهب من العلماء بعلمه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالخمس..... ٣١٠
ترجيح المصنِّف أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لم يخرج من الدنيا حتى علَّمه الله الخمس..... ٣١٢
٣٨- حديث: إهدار دم من سبَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٣١٤
تنبيه: حول كلام شاع بين الناس فيه إساءة أدبٍ مع مقام النبوة..... ٣١٨
٣٩- حديث: إنِّي لأراكم مِن وراء ظهري ٣٢٠
ذكر ما يُستفاد من الحديث ٣٢١
تنبيه: حول معجزة أخرى تتعلَّق ببصره الشريف..... ٣٢٢
٤٠- حديث: لو كان موسى حَيًّا ما وَسِعَهُ إلَّا اتِّباعي ٣٢٣
رواية القاديانية للحديث بزيادةٍ باطلةٍ، ليستدلُّوا على أنَّ عيسى ماتَ وأنه لا ينزل ... ٣٢٤
٤١- حديث: ليهبطنَّ ابن مريم ٣٢٦
ما يُستفادُ مِن الحديث..... ٣٢٦
إثبات نزول عيسى عليه السَّلام أمر تواترت به الأخبار عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كما نصَّ عليه الحفَّاظ ٣٢٧
تنبيه: حول مَن لم يُقَدَّر له زيارته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بجسمه..... ٣٣٠
النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حيٌّ في قبره الشريف، وهذا ثابتٌ بالقرآن والسُّنَّة المتواترة والإجماع..... ٣٣١
٤٢- حديث: كان النبيّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أحسن الناس ٣٣٢
٤٣- حديث: وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم..... ٣٣٦

٣- السَّيْفُ البَتَّار لِمن سَبَّ النَّبيَّ المُخْتار ﷺ

مقدِّمة المؤلف..... ٣٥٧
آراءُ العلماء فيمن سبَّ النبيَّ وأدلتهم على ذلك..... ٣٥٨
ذكر أحاديث تؤيد هذه الآثار..... ٣٦٠

حكم من سب النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٣٦٣
الحرية في الإسلام ليست التهجُّم على الدين ٣٦٥
معنى قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾..... ٣٦٧
موقف الدول الإسلامية من الكتب التي تهاجم الإسلام ٣٦٩
النبي أفضل الخلق على الإطلاق..... ٣٧٠
ذكر الدليل على أفضلية النبيِّ على الخلق ٣٧٢
حديث يُفيد أفضلية النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على جبريل عليه السَّلام ... ٣٧٥

٤ - النَّفْحَةُ الإلهيَّة في الصَّلاةِ على خَيْرِ البَرِيَّة ﷺ

المقدمة..... ٣٨١
الحديث الأول: «إنَّ أَوْلَى النَّاسِ بي يومَ القِيامَةِ أَكْثَرُهُمْ عليَّ صَلاةً»..... ٣٨٢
الحديث الثاني: «إنَّ لله سَيَّارةً مِن الملائِكَةِ يَطْلُبونَ حِلَقَ الذِّكْرِ...»..... ٣٨٢
الحديث الثالث: «إنَّ جبريل عليه السلامأتاني فبَشَّرني...» ٣٨٢
الحديث الرابع: «مَنْ صَلَّى عليك وَاحِدَةً صَلَّى الله عليه عَشْرًا ورَفَعَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ» . ٣٨٣
الحديث الخامس: «حيثما كنتم فصَلُّوا عليَّ، فإنَّ صَلاتَكُمْ تَبْلُغُني»..... ٣٨٣
الحديث السادس: «إِذَا سَمِعْتُمُ المُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ» .. ٣٨٣
الحديث السابع: «...فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ» ٣٨٤
الحديث الثامن: «أَكْثِرُوا من الصَّلاة عَلَيَّ يَوْمَ الجُمُعَةِ، فَإِنَّهُ يوم مَشْهُودٌ» ٣٨٤
الحديث التاسع: «البَخِيلُ مَن ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فلم يُصَلِّ عَلَيَّ» ٣٨٤
الحديث العاشر: « لِكُلِّ عَبْدٍ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً يُكْتَبُ لَهُ بِهَا عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَيُمْحَى عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ، وَيُرْفَعُ لَهُ بها عَشْرُ دَرَجَاتٍ ...»..... ٣٨٥
الحديث الحادي عشر: «تَرْضَى أَنْ لَا يُصَلِّي عَلَيْكَ أحد من أمتك إِلَّا صَلَّيْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا...»..... ٣٨٥

الحديث الثاني عشر: «مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ صلاة واحدة بَلَغَتْنِي صَلَاتُهُ...» ٣٨٥
الحديث الثالث عشر: «أَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِي كُلِّ يَوْمِ جُمُعَةٍ...» ٣٨٦
الحديث الرابع عشر: «أَكْثِرُوا الصَّلاةَ عَلَيَّ في الليلةِ الزَّهْرَاءِ واليومِ الأَغَرِّ...» ٣٨٦
الحديث الخامس عشر: «أكثروا الصلاةَ عليَّ فإن الله وكَّلَ بي ملكًا عند قبري فإذا صلَّىٰ عليَّ رجلٌ من أمَّتي قال لي ذلك الملك: يا محمَّدُ إنَّ فلان بن فلانٍ صلَّىٰ عليك» ٣٨٦
الحديث السادس عشر: أكثروا الصَّلاةَ عليَّ في يومِ الجُمُعَةِ فإنَّه ليس يُصَلِّي أحدٌ يومَ الجُمُعَةِ إلَّا عُرِضَتْ عليَّ صَلاتُهُ» ٣٨٦
الحديث السابع عشر: إنَّ لله تبارك وتعالىٰ مَلَكًا أَعْطَاهُ أَسْمَاء الخَلَائِقِ، فهو قائمٌ علىٰ قَبْري إذا مُتُّ فَلَيس أَحَدٌ يُصَلِّي عليَّ إلَّا قال: يا محمد صلَّىٰ عليك فُلانُ ابنُ فُلانٍ فيصَلِّي الربُّ تبارك وتعالىٰ علىٰ ذلك الرجل بكلِّ واحدةٍ عشرًا» ٣٨٧
الحديث الثامن عشر: «مَن صَلَّىٰ عليَّ عند قبري سمعتُه ومَن صلَّىٰ عليَّ مِن بعيدٍ أُعْلِمْتُهُ» ٣٨٧
الحديث التاسع عشر: «مَن صَلَّىٰ عليَّ مائةً في يومِ الجُمُعَةِ...» ٣٨٧
الحديث العشرون: عن أبي ذرٍّ الغفاريِّ رضي الله عنه قال: أوصاني رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أن أُصلِّيها في السفر والحضر -يعني صلاة الضحىٰ- وأن لا أنام إلَّا علىٰ وترٍ، وبالصلاة علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ٣٨٨
الحديث الحادي والعشرون: «أَيُّمَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ صَدَقَةٌ، فَلْيَقُلْ فِي دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ...» ٣٨٨
الحديث الثاني والعشرون: «مَا اجْتَمَعَ قومٌ ثُمَّ تَفَرَّقُوا عن غيرِ ذِكْرِ الله، وصلاةٍ علىٰ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، إلَّا قاموا عن أَنْتَنِ جِيفَةٍ» ٣٨٨
الحديث الثالث والعشرون: «ما جلس قوم مجلسًا لم يذكروا الله فيه ولم يصلُّوا علىٰ نبيه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إلَّا كان عليهم مِن الله ترة يوم القيامة...» ٣٨٩
الحديث الرابع والعشرون: «من صَلَّىٰ عَلَيَّ مِنْ أُمَّتِي واحدة مخلصًا من قلبه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ

بِهَا عَشْرَ صَلَوَاتٍ...» ٣٨٩
الحديث الخامس والعشرون: «مَنْ صَلَّىٰ عليَّ صلَّىٰ عليه عشرًا مَلَكٌ مُوَكَّلٌ بها حتَّىٰ يُبْلِغْنِيهَا» ٣٨٩
الحديث السادس والعشرون: «صَلُّوا عليَّ فإنَّ الصَّلاةَ عليَّ كفَّارةٌ لكم ومَن صَلَّىٰ عليَّ صَلاةً صلَّىٰ الله عليَّ عشرًا» ٣٨٩
الحديث السابع والعشرون: «لا صلاة إلَّا بطهورٍ وبالصَّلاة عليَّ» ٣٩٠
الحديث الثامن والعشرون: «مِن صِلَّىٰ عليَّ حين يُصبح عشرًا أدركته شفاعتي يومَ القِيامَةِ» ٣٩٠
الحديث التاسع والعشرون: «صَلُّوا عليَّ صلَّىٰ الله عليكم» ٣٩٠
الحديث الثلاثون: «مَن ذُكرتُ عنده فليُصَلِّ عليَّ ومَن صَلَّىٰ عليَّ مرَّةً صَلَّىٰ اللهُ عليه عشرًا» ٣٩٠
الحديث الحادي والثلاثون: «مَن ذُكرتُ عنده فخَطِئ الصَّلاةَ عليَّ خَطِئ طريقَ الجنَّةِ» ٣٩٠
الحديث الثاني والثلاثون: مَن صَلَّىٰ عليَّ صلاةً صلَّىٰ الله عليه بها عشرَ صلوات فليقلَّ عبدٌ أو ليُكثِرْ» ٣٩١
الحديث الثالث والثلاثون: «مَن صَلَّىٰ عليَّ في يومِ الجُمُعَةِ ألف مرة لم يَمُتْ حتَّىٰ يرىٰ مَقْعَدَهُ مِن الجنَّةِ» ٣٩١
الحديث الرابع والثلاثون: «مَن صلَّىٰ عليَّ كنتُ له شفيعًا يومَ القيامَةِ» ٣٩١
الحديث الخامس والثلاثون: «مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ صَلَّتْ عَلَيْهِ المَلائِكَةُ مَا صَلَّىٰ عَلَيَّ فليكثر عَبْد أَو ليقل» ٣٩١
الحديث السادس والثلاثون: «مَن صَلَّىٰ عليَّ يوم الجمعة ثمانين مرَّة غَفَر اللهُ له ذنوبَ ثمانين سنة» ٣٩٢
الحديث السابع والثلاثون: «من كتبَ عنِّي علمًا فكتبَ معه صلاةً عليَّ لم يزلْ في أجرٍ ما قُرِئَ ذلك الكتابُ» ٣٩٢

الحديث الثامن والثلاثون: «مَن صلَّىٰ صلاةً لم يصلِّ فيها عليَّ وعلىٰ أهلِ بيتي لم تُقبَل منه» ٣٩٢
الحديث التاسع والثلاثون: «من صلَّىٰ عليَّ في كتاب لم تزل الملائكةُ تصلِّي عليه ما دام اسْمِي في ذلك الكتاب» ٣٩٢
الحديث الأربعون: مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ عَشْرًا...» ٣٩٣
الحديث الحادي والأربعون: «من قال: اللهمَّ صلِّ علىٰ محمدٍ وأنزلْه المقعدَ المقرب عندك يومَ القيامة وجبَتْ له شفاعتي» ٣٩٣
الحديث الثاني والأربعون: حديث أبيٍّ بن كعب فقلت: يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟ ٣٩٣
الحديث الثالث والأربعون: «شقي عبدٌ ذكرتَ عنده فلم يُصَلِّ عليك ٣٩٤
المُبشِّرات ٣٩٥
كيفية الصلاة علىٰ النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ٤١٤
خاتمة الكتاب ٤٢٣

٥ - نَقْدُ قَصِيدَةِ البُرْدَةِ

قصيدة البردة من أبدع ما نظم في المديح النبوي ٤٢٧
كلام المصنف علىٰ أربعة أبيات في البردة ٤٢٧
أول الأبيات ٤٢٧
ثاني الأبيات ٤٢٨
ثالث الأبيات ٤٣٠
رابع الأبيات ٤٣١
ختام الرسالة ٤٣٤

٦- إرشادُ الطَّالبِ النَّجِيبِ إلي ما في المَوْلد النبويِّ مِن الأكاذيب

تمهيد ٤٣٧
مقدمة ٤٣٩
الذين كتبوا في المولد النبويِّ، أفسدوا مؤلَّفاتِهم بأمرين ٤٣٩
طهارةُ نسَبِ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ٤٤١
تقدُّم نُبوَّته صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ٤٤٢
ذكر ما يستفاد من حديث: إنِّي عند الله في أمِّ الكتاب لخاتمُ النبيِّين وإنَّ آدمَ لمنجدلٌ في طِينتهِ...» ٤٤٣
بشريَّة النبيّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ٤٤٦
بيان الأحاديث المكذوبة ٤٤٧
تنبيه علىٰ حديثٍ موضوعٍ جاء في "الخصائص الكبرىٰ" ٤٥٢
خاتمة ٤٥٥
في ذكر أحاديث لا أصل لها أو موضوعة ٤٥٥
فهرس الموضوعات ٤٦١

١٠- فهرس المجلد العاشر

أصول الفقه - الفقه الإسلامي

١ - ذَوْقُ الحَلاوَةِ ببيانِ امْتِناعِ نَسْخِ التِّلاوَةِ

مقدِّمة ٩
هذا البحثُ ممَّا لم يُسبَق المُصنِّفُ إليه ٩
استشهاد المصنِّف بقول ابن مالكٍ رحمه الله: «وإذا كانت العلوم مِنحًا إلهيَّةً، ومواهب اختصاصيَّةً، فغير مُستبعَدٍ أن يُدَّخر لبعض المتأخِّرين ما عَسُرَ فهمه على كثيرٍ من المتقدِّمين» ٩
حقيقة النَّسْخِ ١٠
لفظُ النَّسْخِ له ثلاثةُ مَعَانٍ في اللغة ١٠
جواز النسخ ووقوعه ١٠
حِكمة النسخ في الأحكام ١١
دخول النسخ في هذه الأحكام ضروريٌّ لا بد منه ١١
أقسام النسخ ١٢
هل تُنسخ التلاوة؟ ١٢
أمثلة لما قيل بنسخ تلاوته ١٣
الأسباب التي اقتضت امتناع نسخ التلاوة ١٧
إشكال: حول تعارض نسخ التلاوة مع كلام الله القديم ٢١
تعريف الحكم الشرعي ٢١
الجواب عن آيتين: الأولى: قول الله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ ٢٢
ما رُوي عن الصحابة والتابعين من حمل النسخ في الآية على نسخ اللفظ والتلاوة، يردُّه

أمران ٢٣
أمر ثالث يردُّ ذلك التفسير ٢٤
الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٢٤
ما ينسخ من الأحكام ٢٥
أقسام الحكم الشرعي ٢٥
قد ينسخ الحكم مرَّتين ٢٦
الواجب إذا نسخ لا يعود واجبًا ٢٧
الحِكْمَةُ مِن عدم عودة الواجب بعد نَسْخِهِ ٢٧
خاتمة الكتاب ٢٨
فائدةٌ مُهِمَّةٌ نفيسةٌ: حول إبداء العلامة المحقِّق أبو القاسم ابن الشاط اعتراضًا وجيهًا على تعريف الخبر عند الأصوليين ٢٨
الخلاصة من هذه الفائدة ٣٠

٢- فَتْحُ الغَنيِّ الماجِدِ ببيانِ حُجِّيَّةِ خَبَرِ الواحِدِ

تمهيد ٣٣
مقدمة: في تعريف خبر الآحاد ٣٤
المسألة الأولى: هل يفيد العلم أو الظنَّ فقط؟! ٣٤
دليل القائلين بأنَّ خبر الواحد يفيد العلم، ورد الجمهور عليهم ٣٦
تنبيه: خبر الواحد لا يُقال إلَّا على خبر غير المعصوم كصحابيٍّ أو تابعيٍّ أو راوٍ من رواة الأحاديث، أما خبر المعصوم فيُسمَّى خبر حُجَّة ودليلًا وبرهانًا ٣٧
المسألة الثانية: خبر الآحاد حُجَّةٌ يعمل به في بابَي الفتوى والشَّهادة بدليل الإجماع ٣٨
الدليل من القرآن ٤٠
الدليل من السنة ٤٤

الأحاديث الدالة على حُجِّيَّة خبر الواحد كثيرة جدًّا زادت على حدِّ التواتر المقرَّر ٤٤
تنبيه: حول قول الزُّرقانيِّ في "شرح المواهب": «لم نرَ أحدًا ذكر لفظ كتاب النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى المُنذِر» ٥٠
اعتراض حول صحة الاحتجاج بخبر الواحد والجواب عليه ٦٦
دليل الإجماع ٩٦
خاتمة ٩٦

٣- القَوْلُ الجَزْل فيما لايُعْذَرُ فيه بالجهْلِ

مقدمة ٩٩
ما هو الجهل؟ ١٠٠
الخطأ من جهلٌ ١٠٠
الجهل الذي لا يكون عذرًا لصاحبه ١٠٠
الجهل الذي لا يكون عذرًا لصاحبه أنواع ١٠٠
الأول: جهل الكفَّار بالله وبرسوله، إذا بلغتهم الدعوة ١٠٠
الثاني: جهل المُبتدِع ١٠١
الثالث: جهل الباغي ١٠١
الرابع: جهل المُقدِم على تفسير القرآن أو آيةٍ منه، برأيه المجرَّد من غير الرجوع إلى كتب التفاسير المعتمدة ١٠٢
التحذير من بعض التفاسير المعاصرة ١٠٣
الخامس: جهل المُقدِم على الفتوى في الدين، بغير تَثبُّت ولا رجوع إلى ما قرَّره الأئمة علماء الشريعة ١٠٣
منصب الإفتاء منصبٌ خطيرٌ في الدين؛ لا يقوم به إلَّا مَن تأهَّل له بشروط مُبيَّنة في مؤلَّفات خاصَّة. ١٠٤
السادس: جهل الذي يدعوا إلى الاكتفاء بالقرآن، وترك السُّنَّة ١٠٤

السابع: جهل مَن يُفرِّق بين السنَّة العملية فيعمل بها، وبين السنَّة القولية فلا يعمل بها ١٠٤
الثامن: جهل الذي يقول: إنَّ الله لم يُحرِّم الخمر في القرآن ١٠٤
التاسع: جهل من لا يعرف حُرمة أخذ العُشُور على تُجَّار المسلمين، مما كان يُسمَّى بالمَكْسِ، ويُسمَّى الآن بالجمارك..... ١٠٥
العاشر: جهل الذي يدعو إلى تبرُّج المرأة ١٠٦
الحادي عشر: جهل من يتجنَّس بالجنسية الأوروبية ١٠٦
الثاني عشر: جهل المكتري الذي يبيع مفتاح الدكان أو المنزل الذي يكتريه. ... ١٠٧
الثالث عشر: جهل المكتري الذي يطلب من صاحب المنزل مبلغًا من المال ليُسلِّمه منزله ١٠٧
الرابع عشر: جهل صاحب كتاب "السنة بين الفقهاء وأهل الحديث". ١٠٧
الخامس عشر: جهل وزير الأوقاف المغربي ١٠٨
السادس عشر: جهل الشاعر الذي قال: وإذا سألتُكَ أنْ أراكَ حقيقةً ١٠٨
الجهل الذي يكون عذرًا لصاحبه، وذكر أمثلة له ١١٠
خاتمةٌ: في ألفاظ تدور على ألسنة كثير من الناس، وهي دائرةٌ بين الكفر والحرمة ... ١١٣
تتميم: حول الجهل في العبادة لا يُعذر صاحبه عند المالكية ١١٧
تنبيه: حول: مَن دفع زكاته لكافر أو غنيّ جهلًا بحاله ١٢٢
الخلاصة ١٢٣
خاتمة الكتاب ١٢٥
الإشارة إلى قصيدة الشيخ بهرام في نظم مسائل لا يُعذر فيها بالجهل ١٢٥

٤ - إتقانُ الصِّنعةِ في تحقيق معنى البِدْعَةِ

مقدِّمة ١٢٩
(١) معنىٰ البدعة ١٣٠
(٢) الترك لا يقتضىٰ التحريم ١٣٢
(٣) فعل الخير مندوب إليه في الكتاب والسُّنَّة ١٣٣
(٤) حديث «كلُّ بدعةٍ ضلالةٌ» من العامِّ المخصوص ١٣٤
ما أُحدث وله أصلٌ في الشَّرع يشهد له يُسمَّىٰ سُنَّـةً حسنةً ١٣٦
أمثلة البدع الواجبة ١٣٧
أمثلة البدع المحرَّمة ١٣٧
أمثلة البدع المندوبة ١٣٨
أمثلة البدع المكروهة ١٣٨
أمثلة البدع المباحة ١٣٨
(٥) العلماء متفقون علىٰ تقسيم البدعة ١٣٨
(٦) البدعة المذمومة ما ليس له أصل في الشرع ١٣٩
(٧) أدلة تخصيص حديث: «كل بدعة ضلالة» ١٤٠
الحديث الأول: «مَن سَنَّ في الإسلام سُنَّـةً حَسَنةً فله أَجْرُها وأَجْرُ مَن عَمِل بها بعده من غير أن يَنقُص من أجورهم شيءٌ...» الحديث ١٤٠
الحديث الثاني: «مَن اسْتَنَّ خيرًا فاسْتُنَّ به كان له أجره كاملًا ومِن أجور مَن استَنَّ به، لا ينقص مَن أجورهم شيئًا...» الحديث ١٤٠
الحديث الثالث: «مَن سنَّ سُنَّةً حَسَنةً فعُمِل بها بعده كان له أجره ومثل أجورهم من غير أن يَنقُصَ مِن أجورهم شيئًا...» الحديث ١٤١
الحديث الرابع: «مَن سَنَّ خيرًا فاسْتُنَّ به كان له أَجْرُهُ ومِن أُجورِ مَن تَبِعه غير مُنتقِصٍ من أجورهم شيئًا...» الحديث ١٤١

الحديث الخامس: «من سنَّ سنَّة حسنةً فله أجرها ما عمل بها في حياته وبعد مماته حتَّىٰ تُترك...» الحديث ١٤١
تنبيه: حول مسألةٍ مهمَّةٍ تُعِين علىٰ فهم هذه الأحاديث ويُدرَك بها الفرق بين ثلاث حقائق شرعية ١٤٢
الحديث السادس: «مَن أحدث في أمْرِنا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ» ١٤٤
الحديث السابع: عن معاذ بن جبل قال: «أُحيلت الصَّلاة ثلاثة أحوال...» الحديث ١٤٥
الحديث الثامن: عن سعيد بن المسيِّب أنَّ بلالًا أتىٰ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يُؤذِنه بصلاة الفجر، فقيل: هو نائمٌ، فقال: الصَّلاة خيرٌ من النَّوم، الصَّلاة خيرٌ من النَّوم، فأُقِرَّت في تأذين الفجر؛ فثبت الأمر علىٰ ذلك ١٤٨
الحديث التاسع: عن رِفاعة بن رَافع الزُّرقيِّ قال: كنَّا نُصلِّي يومًا وراء النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، فلمَّا رفع رأسه من الركعة قال: «سَمِعَ اللهُ لَمن حَمِدَهُ...» الحديث ١٤٩
الحديث العاشر: عن أنسٍ: أنَّ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مرَّ بأعرابيٍّ وهو يدعو في صلاته ويقول: «يا مَن لا تَراهُ العُيونُ، ولا تُخالِطُهُ الظُّنونُ، ولا يَصِفُهُ الواصِفُونَ... الحديث ١٤٩
الحديث الحادي عشر: قصَّة قتل خُبَيْب، وصلاته ركعتين قبل قتله، قال: «وهو أوَّل مَن سَنَّ صلاة ركعتين عند القتل» ١٥٠
القرآن يؤيِّد البدعة الحسنة ١٥١
البدعة نوعان ١٥٢
البدعة التي تتعلَّق بأصول الدِّين ١٥٢
١ - بدعة إنكار القَدَر ١٥٢
٢ - بدعة الجَهْميَّة ١٥٢

٣- بدعة مُشبِّهة الحَشْويَّة ١٥٣
٤- بدعة الخوارج ١٥٤
٥- بدعة القول بحوادث لا أوَّل لها ١٥٥
٦- بدعة القاديانيَّة ١٥٥
البدعة التي تتعلق بالفروع وذكر أمثلة لها ١٥٧
١- تعدُّد الجُمُعة ١٥٧
٢- إقامة الجمعة في المساجد على التوالي والترتيب ١٥٩
٣- إعادة الجمعة ١٥٩
٤- الأذان للظهر مرتين ١٦٠
٥- أن يُؤذِّن ثلاثة على المنار واحدًا بعد آخر، عند طلوع الخطيب إلى المنبر ١٦٠
٦- جهر النَّاس بالقراءة في المسجد ١٦٠
٧- إرسال اليدين في الصَّلاة ١٦١
٨- قراءة الحزب جماعة بعد الصُّبح والمغرب ١٦٢
٩- قراءة القرآن على الميت ١٦٤
١٠- الذِّكر في تشييع الجنازة ١٦٥
١١- رفع اليدين في الدُّعاء بعد الصَّلاة ١٦٥
١٢- السُّبْحَةُ ١٦٥
تنبيه: حول يضاعف وتعدّد الذكر بعدد ما أحال الذّاكر على عدده، وإن لم يتكرَّر الذِّكر في نفسه ١٦٩
١٣- الذكر بعد الأذان ١٦٩
١٤- الصَّلاة على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعد الصَّلاة المكتوبة: ١٧٠
١٥- الذكر بعد المكتوبة باسم «اللطيف» مائة مرّة أو أكثر، ودعاء الله به ١٧٠

١٦ - السّيادة في الأذان والإقامة والتشهد في الصَّلاة ١٧١
الدليل أنَّ سلوك الأدب أفضل ١٧٢
١٨ - الفدية عن الميت ١٧٤
تنبيه: حول اعتراضات على أبيات من بردة البوصيري والرد عليها ١٧٦
١٩ - الاحتفال بالمولد النبويِّ ١٧٧
نبذةٌ ممَّا أحدثه الصحابة بعد العهد النبويِّ ١٨٠
عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه أحدث الاجتماع في التّراويح ١٨٠
زيادة: «الصلاة خير من النوم» في أذان الصبح بأمر عمر رضي الله عنه ١٨٠
جمع القرآن ١٨٠
اعتراف الشاطبي بجمع المصحف، وسمَّاه مصلحةً ١٨١
تغيير مكان مقام إبراهيم في عهد عمر ١٨٢
زيادة أذان يوم الجمعة في السوق في عهد عثمان ١٨٢
تنبيه: حول ما شاع في المغرب من أذان ثلاثة مؤذِّنين واحدًا بعد آخر يوم الجمعة ١٨٣
توسيع مسجد النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وبناء جداره بالحجارة المنقوشة والقَصَّة في عهد عثمان رضي الله عنه ١٨٣
جمع الناس على مصحف واحد، وتحريق ما سواه من قرآن في عهد عثمان رضي الله عنه ١٨٤
فائدة: حول تحريق عثمان الصُّحف ١٨٥
عليٌّ كرم الله وجهه ورضي الله عنه أنشأ صلاةً على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان يُعلِّمها للناس ١٨٥
عبدالله بن مسعود غيَّر صيغة السّلام على النبيِّ في التشهُّد بعد انتقال النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من الخطاب إلى الغيبة باجتهادٍ منه ١٨٦

عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما- زاد التسمية في أول التشهُّد، ولم تصح زيادتها عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: ١٨٧
التلبية في الحجِّ زاد فيها عمر وابنه عبدالله والحسن بن عليٍّ رضي الله عنهم..... ١٨٨
زاد الناسُ في التلبية بحضور النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فأقرَّهم ١٨٩
التنبيه على تغيير لفظ الوارد بما ليس بوارد ١٩٢
من قبيح التعنُّت، ما كتبه الألبانيُّ على صلاة ابن مسعودٍ، والرد عليه ١٩٣
الصَّلاة في مسجد فيه قبور ١٩٦
التنبيه على صورةٍ قد تشتبه على بعض الناس فيظنها تخصيصًا أو استثناء من حديث: «جُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا». ١٩٩
الجلوس على القبر ٢٠٠
بناء المساجد على القبور ٢٠٣
التنبيه على الفرق بين بناء المسجد على القبر وبين أن يدخل قبر في مسجد مبني ... ٢٠٥
مسألة: في الرد عل الألباني ٢٠٧
الجواب على من قال: المراد بالمسجد البيعة مجازًا ٢٠٨
مسألة: في قضاء الفوائت ٢١٠

٥- حُسْنُ التفهُّمِ والدَّرْكِ لمسئلةِ التَّرْكِ

مقدمة ٢١٧
السبب في تأليف الرسالة ٢١٧
تمهيـــد ٢١٨
ما هو الحكم الشّرعيُّ؟ ٢١٨
أقسام الحكم الشرعي ٢١٨
ما هو التَّرك؟ ٢١٩

أنواع التَّرك ٢١٩
التَّرك لا يدلُّ على التَّحريم..... ٢٢١
الأدلة على أنَّ التَّرك لا يُفيد الحرمة..... ٢٢٢
أقوالٌ غير مُحَرَّرة: حول ترك الرَّسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم شيئًا والرد عليها ٢٢٤
كلام ابن تيمية في استدلاله بالترك والرد عليه..... ٢٢٤
حديثٌ صحيحٌ لا يردُّ قولنا ٢٢٥
ماذا يقتضي التَّرك؟..... ٢٢٦
إزالةُ اشتباه حول ترك النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٢٢٧
تتميم: لا يجوز للمسلم أن يتجرَّأ على الحكم بالتَّحريم إلَّا بدليلٍ صريحٍ من الكتاب أو السُّنَّة ٢٢٩
نماذجُ من التَّرك ٢٣٠
الخاتمة ٢٣٠

٦- الأدلَّةُ الرَّاجِحَةُ على فرْضِيَّة قِراءَةِ الفاتحةِ

المقدمة..... ٢٣٥
[أقوال الأئمَّة وأدلَّتهم] ٢٣٦
أدلة الحنفية ٢٣٦
أدلة المالكية ٢٤٢
أدلة الشافعية ٢٥٠
الترجيح ٢٥٣
أسباب ترجيح قراءة الفاتحة في الصَّلاة الجَهْريَّة والسرِّيَّة للمنفرد والمأموم والإمام... ٢٥٣
فصل: الفاتحة فرضٌ في صلاة الجنازة أيضًا لأنها صلاةٌ في عُرف الشرع ٢٥٥
ذهب الحنفيَّة والمالكيَّة إلى ترك قراءة الفاتحة في صلاة الجنازة، واستدلُّوا بحديث أبي هريرة

مرفوعًا: «إذا صَلَّيْتُم على الميِّت فأخْلِصُوا له الدُّعاء». وهو غلطٌ من وجوه ٢٥٧
إذا خلت صلاة الجنازة من قراءة الفاتحة فإنها تكون باطلةً، وتجب إعادتها ولو على القبر ٢٥٨

٧- الحُجَّةُ المُبيِّنةُ لفهم عِبارَةِ المُدَوَّنة

المقدمة ٢٦١
نص المدونة في مسألة السدل ٢٦١
ذكر بعض مَن صنَّف في سُنِّيَّة وضع اليمين على الشمال في الصَّلاة ٢٦٢
تحدِّي الشيخ أبي شعيب الدّكاليِّ لمن يتعصَّب لإرسال اليدين بأن يأتي بحديث ولو ضعيف ٢٦٢
المراد بعبارة المدونة، وتعريف السِّياق والسِّباق ٢٦٢
مراد الإمام مالك بقوله: «لا أعرف ذلك -أي الاعتماد على القبض- في الفريضة» .. ٢٦٤
مذهبُ مالكٍ يحتاج إلى تنقيحٍ وتحريرٍ ٢٦٥
الإشارة إلى كتاب "وقوف القرآن" للشيخ الهبطي وكثرة الأخطاء الواقعة فيه ... ٢٦٦
خاتمة الكتاب ٢٦٧

٨- كَشْفُ أنواعِ الجهلِ فيما قيل في نُضْرَةِ السَّدْل

مقدمة ٢٧٣
تعصُّب بعض المتأخِّرين من المغاربة للسدل ٢٧٣
حديثٌ في السَّدْل موضوعٌ ٢٧٤
ذكر الدَّعاوَى والرد عليها ٢٧٥
الدعوى الأولى: حديث أبي حميد الساعديِّ في صفة صلاة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لم يذكر القبض، فهو دليلٌ على السَّدْل ٢٧٥
الدعوى الثانية: كل حديثٍ لم يذكر القبض في صفة الصَّلاة، يدلُّ على السَّدْل ... ٢٧٥

أحاديث صفة الصلاة التي لم تذكر القبض مطلقةٌ، فتُقيَّد بالأحاديث التي ذكر فيها القبض، ولا دلالة فيها على السَّدْل إطلاقًا ٢٧٦
الدَّعوى الثالثة: السَّدْلُ ناسخٌ للقبض ٢٧٦
وهي باطلةٌ من وجوهٍ ٢٧٦
الدَّعوى الرابعة: السَّدْلُ عمل أهل المدينة..... ٢٧٨
وهي باطلةٌ أيضًا مِن وجوهٍ..... ٢٧٨
الدَّعوى الخامسة: تضعيف حديث "الصحيحين" في القبض..... ٢٨٠
وهي باطلة جدًّا ٢٨٠
الدعوى السادسة: ذمُّ القبض بكونه من فعل بني إسرائيل ٢٨٣
الدعوى السابعة: تضعيف أثرعبدالكريم بن أبي المخارق ٢٨٣
الدعوى الثامنة: السَّادِل يشبه الميت، وهو أقوى في تحقيق الخشوع ٢٨٤
ونختم هذا الجزء بمسائل: المسألة الأولى: أحاديث وضع اليدين إحداهما على الأخرى في الصلاة متواترة ٢٨٦
المسألة الثانية: رواية ابن القاسم عن مالكٍ -في التفرقة بين الفريضة والنافلة في وضع اليمنى على اليسرى- غير صحيحةٍ ٢٨٧
المسألة الثالثة: بطلان الدعوى بأن السدل هو الأصل ٢٨٨
أنواع الترجيح بحسب المدلول كما ذكره الشوكاني في "إرشاد الفحول" ٢٨٨
المسألة الرابعة: لم يقل أحد من أهل السُّنَّة بحرمة القبض، وإنما قاله الروافض الإماميَّة ٢٨٨
المسألة الخامسة: هل كان الأئمة والحفاظ الذين اعتبروا القبض من سنن الصَّلاة وهيآتها استنادًا إلى الأحاديث المتواترة لا يعرفون ما في أحاديث القبض مِن ضعفٍ مزعومٍ، ونسخٍ موهومٍ، حتى جاء الخضر الشنقيطيُّ فعرف ما لم يعرفوه، وبيَّن ما جهلوه..... ٢٨٩

المسألة السادسة: الرد على من تعصَّب في نُصْرة السَّدْل بأنكم مُقَلِّدة، ووظيفة المُقلِّد أخذ قول إمامه، وليس له أن يستدل ويُحاجِج ويرجِّح ويضعِّف ٢٩٠
المسألة السابعة: موقفٌ غير لائق للشيخ عليش في مسألة السدل لا يليق بأهل الإنصاف ٢٩٠
الخاتمة: احتجَّ بعض المتعصِّبين للسَّدْل لكراهة القبض بقول الله تعالى في صفة المنافقين: ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ وهذا استدلالٌ طريفٌ يصح أن يذكر في أخبار المُغفَّلين .. ٢٩٢

٩ - الرَّأيُ القَويمُ في وجُوبِ إتمامِ المُسافِرِ خَلْفَ المُقِيمِ

مقدمة ٢٩٧
مسألة: صلاة المُسافر ركعتان مقصورتان من أربع، والدليل على ذلك أمور ٢٩٩
معنى: «وَضَعَ شَطْرَ الصَّلاةِ» ٣٠١
صلاة ركعة في الخوف ليست فرضًا عند من يقول بها، بل تجوز الزيادة عليها (ت) ٣٠٤
الجواب على الآثار التي تُعارض القول بأن صلاة المسافر مقصورةٌ من تمامٍ ٣٠٤
ممَّا يوجب تأويل تلك الآثار أيضًا: إفادتها أنَّ صلاة السَّفَر أصلٌ لا مقصورة، وأنَّ صلاة الحَضَر هي الزائدة. وهذا مُخالِفٌ لنصِّ القرآن ﴿أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ وإجماع المسلمين في تسميتها مقصورة (ت) ٣٠٦
مسألة: معنى قول سيدنا عمر رضي الله عنه: «صلاة السَّفَر ركعتان» ٣٠٧
مسألة: أنواع الرخصة ٣٠٨
مسألة: اقتداء المقيم بالمسافر ٣٠٩
مسألة: اقتداء المسافر بالمقيم ٣١٠
حول قول طاوس والشَّعْبيِّ وداود في اقتداء المسافر بالمقيم. ٣١٤
أدلةُ الفريقين ٣١٥
دليل القائلين بعدم الصحة ٣١٥

دليل القائلينَ بالصِّحة ٣١٥
دليل القائلين بوجوب إتمام المسافر خلف المقيم ٣١٥
التَّنقيح والتَّرجيح ٣١٨
الرد على ابن حزمٍ في اعتراضه على الجمهور واستدلاله بالقياس ٣١٩
الغرض من المناظرة في المسائل الشرعيَّة هو الوصول إلى حكمٍ سالمٍ من النقد والنقض (ت) ٣٢٠
مناقشات في أثر ابن عبَّاسٍ ٣٢٩
مسألة: إذا ائتمَّ مسافرٌ بمسافرٍ متمٍّ وَجَبَ الإتمام أيضًا عند الجمهور ٣٣٢
مسألة: في اختلاف الناس في إتمام عثمان الصلاة بمنى وهو مسافرٌ ٣٣٥
توضيح قول المخالف: «العبرة برواية الراوي، لا برأيه» (ت) ٣٣٦
الخلاصة ٣٣٨
تمسُّك إسحاق بن راهويه وابن حزمٍ بعمومات تقبل التخصيص بالأدلة التي تمسَّك بها الجمهور، وجمع بين الأدلة، فكانوا أسعد وأقعَد (ت) ٣٤٠
خاتمة ٣٤٢

١٠ - الصُّبْحُ السَّافِرُ في تَحْقِيقِ صَلاةِ المُسافِرِ

مقدمة ٣٤٧
رسالة الشيخ محمَّد عايش عبيد الشافعيِّ للسيد عبدالله بن الصِّدِّيق ٣٤٧
مسألة: صلاة الصبح ركعتان مقصورتان من أربع ركعاتٍ ٣٤٩
تقسيم ابن القيِّم قصر الصلاة إلى نوعين، والرد عليه ٣٥٢
جعل الشارع لكلِّ صلاةٍ عنوانًا يخصُّها، فعنون صلاتَي المرض والخوف باسمها، وخصَّ القصر بصلاة السفر ٣٥٣
إبطال حمل الحنفية «وَضَعَ شَطْرَ الصَّلاةِ» على معنى رفعه ابتداء ٣٥٥
مسألة: فرضت الصلاة أربعًا لا اثنين ٣٥٥

مسألة: قول عائشة رضي الله عنها: «فُرضت الصَّلاة ركعتين ركعتين، فأُقِرَّت صلاة السَّفَر، وأُتِمَّت صلاة الحَضَر» لا يصلح ٣٥٩
خطأ الحنفيَّة، ومعهم ابن حزمٍ وابن تيمية وابن القيِّم في القول بوجوب قصر صلاة السفر ٣٦٣
القَصْرُ في السَّفَرِ مندوبٌ ٣٦٥
أدلة القائلين بوجب القصر في السفر وبيان خطأهم في الاستدلال ٣٦٥
بيان شذوذ قول ابن عبَّاسٍ من وجهين ٣٦٦
ذكر الأدلة على أنَّ حكم القصر في السفر هو الجواز ٣٦٨
جرأة ابن تيمية في ردِّ من يُخالف رأيه، ومقارنة حديثيَّة بينه وبين الدارقطني ٣١٧
ابن تيمية كا ن ضعيفًا في علم عِلل الحديث، وكان يحكم على الحديث برأيه، وضرب أمثلة على ذلك ٣٧٢
يُحكم بوضع الحديث لسببين ٣٧٣
استنكار الإمام أحمد رحمه الله لحديث السيدة عائشة رضي الله عنها والجواب عليه ... ٣٧٥
بيان الخطأ في فهم حديث السيِّدة عائشة رضي الله عنها ٣٧٦
إشكال خطير يَرِدُ على المستدلِّين بقول عائشة لوجوب القصر في السَّفَر يتعسَّر التخلُّص منه، أو يتعذَّر ٣٧٨
قاعدةٌ أصوليَّةٌ: «الشيء قد يُباح ثُمَّ يحرَّم مرَّتين». مثلًا: كنكاح المُتعة أُبيح ثُمَّ حُرِّم، ثُمَّ أُبيح ثُمَّ حُرِّم إلى يوم القيامة ٣٧٩
قاعدة أصولية: «الذي يُنسَخ مِن الأحكام هو: الواجب والمحرَّم والمباح، أمَّا المندوب فلا يُنسخ»؛ لأنه فضيلةٌ، والفضائل لا تُنسَخ..... ٣٧٩
حديثٌ موضوعٌ عن ترك القبض في الصلاة، وبيان أنَّ العراقيَّ لم يؤلِّف كتاب "البدور الملتمعة" بل لا وجود لهذا الكتاب، والأوزاعيُّ ليس له مسنَدٌ ٣٧٩

مسألة: إتمام النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وبعض الصحبة رضي الله عنهم في السفر يقتضي أنَّ القصر غير واجبٍ ٣٨١
مسألة: في إعادة الصلاة ٣٨٣
مسألة: في فهم كلام ابن عبَّاسٍ عن صلاة السفر ٣٨٥
مسألة: في الإجماع على وجوب إتمام المسافر خلف المقيم ٣٨٦
الخلاصة ٣٨٨
شذوذ القول بأن صلاة الخوف ركعة، وبيان ذلك من وجوه ٣٩٠
أنواع صلاة الخوف ٣٩٠
القول بأن ابن عمر رضي الله عنهما كان إذا صلَّى مع الإمام بمنًى صلَّى أربع ركعاتٍ ثم إذا انصرف إلى منزله صلَّى فيه ركعتين أعادها ضعيفٌ، بل باطلٌ مردودٌ؛ لأمورٍ ٣٩١
الحكم الشرعيُّ -كالجواز مثلًا- يكفي لإثباته دليلٌ واحدٌ، ولا يشترط فيه تعدُّد الأدلة باتفاق الأصوليين والفقهاء ٣٩٢
إتمام المسافر خلف إمامه المتمِّ واجبٌ؛ لأدلةٍ متعدِّدةٍ ٣٩٢
إنْ قَصَرَ مُسافرٌ خلف إمامه المتمِّ فصلاته باطلةٌ باتفاق الفريقين ٣٩٣
أغلاط صاحب المنكر العظيم ٣٩٦
خاتمة فيها مسائل ٣٩٩
المسألة الأولى: بقي من أدلة وجوب إتمام المسافر خلف المقيم أربعة ٣٩٩
المسألة الثانية: المسافر إن شاء صلَّى ركعتين، وإن شاء صلَّى أربعًا ٤٠٠
المسألة الثالثة: رجوع السيِّد أحمد بن الصِّدِّيق عن القول بوجوب قصر المُسافِرِ خلف الإمام المُتمِّ ٤٠١
المسألة الرابعة: المسافة التي يصحُّ فيها القَصْر ٤٠٢
المسألة الخامسة: مُدَّة القصر ٤٠٣

١١ - إزالةُ الالتباسِ عمَّا أخطأ فيه كثيرٌ مِن النَّاسِ

١ - إذهابُ اللَّبسِ عن جوازِ الصَّلاة حاسر الرَّأسِ..... ٤٠٧
مقدمة ٤٠٧
الفصل الأول: آية: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ ٤٠٨
المسألة الأولى: في سبب نزولها ٤٠٨
المسألة الثانية: رفع التعارض بين القولين في سبب نزول الآية ٤٠٨
المسألة الثالثة : لا يصح الاستدلال بالآية المذكورة على استحباب العِمامة للصلاة ... ٤٠٨
القول بجواز استعمال اللفظ في الحقيقة والمجاز معًا قولٌ باطلٌ لا يعوَّل عليه ٤٠٩
الفصل الثاني: في الكلام على الأحاديث الواردة في سُنِّيَّة العمامة ٤١٠
الحديث الأول: «رَكْعَتَانِ بعِمَامَةٍ خَيْرٌ مِن سبعين ركعةً بلا عِمَامَةٍ» ٤١٠
الحديث الثاني: «صَلاةُ تَطَوُّعٍ أو فَرِيضَةٍ بعِمامَةٍ تَعْدِلُ خمسًا وعشرين صلاةً بلا عِمامَةٍ، وجُمُعَةٌ بعِمامَةٍ تَعْدِلُ سبعين جمعةً بدُون عِمَامَةٍ». ٤١٠
الحديث الثالث: «الصَّلاةُ في العِمامة بعشرة آلافِ حَسَنةٍ». ٤١٠
الحديث الرابع: «إنَّ الله عزَّ وجلَّ وملائكته يصلُّون على أصحاب العَمائِم يومَ الجُمُعةِ» ٤١٠
الحديث الخامس: «إنَّ لله ملائكةً مُوَكَّلين بأبواب الجَوامِعِ يومَ الجُمُعَةِ يَسْتَغْفِرون لأصحاب العَمائِمِ البِيض» ٤١١
الحديث السادس: «إنَّ الله يبعث الملائكة يوم الجمعة على أبواب المسجدِ يصلُّون على أصحاب العَمائِمِ» ٤١١
الفصل الثالث: في الكلام على القياس الذي ذكروه وهو قولهم: «لا يليق بالواحد منَّا أن يقابل مَلِكًا مِن الملوك أو عظيمًا وهو عاري الرأس، فكذلك لا ينبغي أن يقف بين يدي الله حاسر الرأس». والجواب على هذا من وجوهٍ ٤١٢

خاتمة رسالة: "جواز الصلاة حاسر الرأس" ٤١٣
٢- الصَّلاة بالنِّعال ٤١٤
ثبوت الصلاة في النعال عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن أحد وعشرين صحابيًّا بألفاظٍ ورواياتٍ وطُرُقٍ ٤١٤
قول ابن دقيق العيد «الصلاة في النِّعال من الرُّخَص لا من المُستحبَّات»، والجواب عليه ٤١٦
إذا كان الشخص يصلِّي في فضاءٍ من الأرض أو في مسجدٍ غير مفروشٍ فينبغي له استعمال النَّعل في صلاته اتباعًا للسُّنَّة ومخالفةً لليهود ٤١٨
خاتمة رسالة: "الصلاة بالنِّعال" ٤١٨

١٢- القولُ السَّديدُ في حُكْمِ اجْتماعِ الجُمُعَةِ والعيدِ

مقدمة ٤٢٣
الإشارة إلى شرح السيِّد عبدالله بن الصديق كتاب "نيل الأوطار" للعلَّامة الشوكانيِّ بطريق البحث والتحقيق، ومناقشة الشوكاني في استنباطاته، والتنبيه على بعض أخطاءه ٤٢٣
تنبيه: خطأ الشوكانيِّ في هذه المسألة وغيرها، لا يُنقِصُ قَدْرَهُ، ولا يخدِشُ اجتهاده ... ٤٢٤
متى فُرضت الصلاة؟ ٤٢٤
ومتى فُرضت الجمعة؟ ٤٢٤
هل صُلِّيت الجُمعة قبل وجوبها؟ ٤٢٥
خطبة الجمعة فرض ٤٢٦
دليلٌ آخر على وجوب الخُطبة ٤٢٩
كثرة الأحاديث التي تفيد أن من تكلَّم والإمام يخطب ولو بكلمة خيرٍ، مثل: أنصت، فلا جُمعة له، وذلك يُفيد وجوب الخطبة ٤٢٩

هل صلاة الجُمُعة أصلٌ أو بدلٌ؟ ٤٢٩
ذكر الأدلة على أن الظهر هو الأصل والجمعة بدل منه..... ٤٣١
حديث: «مَن أَدْرَكَ رَكْعَةً مِن الصَّلاةِ فقد أَدْرَكَ الصَّلاةَ» ٤٣١
حديث: «مَن أَدْرَكَ رَكْعَةً مِن صَلاةٍ مِن الصَّلواتِ فقد أَدْرَكَهَا، إلَّا أنَّه يَقْضِي ما فَاتَهُ» ٤٣٢
حديث: «مَن أَدْرَكَ رَكْعَةً مِن الجُمُعَةِ فقد أَدْرَكَها، وليُضِفْ إليها أُخْرَىٰ» ٤٣٢
الحديث: «مَن أَدْرَكَ مِن صَلاةِ الجُمُعَةِ رَكْعَةً فقد أَدْرَكَ» ٤٣٣
خبر: «من أدرك من الجُمعة ركعةً صلَّىٰ إليها أخرىٰ، ومن فاته الركعتان صلَّىٰ أربعًا» ٤٣٣
حول قول المالكية: من لم يذهب لحضور الجُمعة فلا يجوز له أنْ يُصلي الظُّهر حتىٰ تنتهي صلاة الجُمعة ٤٣٥
إيرادٌ وجوابه..... ٤٣٥
حول حديث وقد يظن أنَّه معارضٌ لما ذكر هنا من الأحاديث والآثار..... ٤٣٥
إعتراض وجوابه..... ٤٣٧
اختار الشوكانيُّ أنَّ الشَّخص إذا فاتته صلاة الجُمعة صلَّاها ركعتين، وهو مردودٌ من وجهين ٤٣٧
اجتماع الجمعة والعيد ٤٣٨
المُرسَل إذا اعتضد بحديثٍ موصولٍ -ولو ضعيفًا- تبيَّنت صحَّته، ويُعمل به كما يُعمل بالحديث الصَّحيح ٤٣٩
مناقشة الشوكاني في كلامه عن اجتماع الجمعة والعيد..... ٤٣٩
فعل ابن الزبير في اجتماع الجمعة والعيد..... ٤٤٠
توضيح قول ابن عبَّاسٍ: «أصاب السُّنَّة» ٤٤١
تقديم الجمعة سُنَّة والدليل عليه..... ٤٤٢
مسألة دقيقة: آية الجُمعة أوجبت الخُطبة بإيجاب السَّعي إليها ٤٤٤
خاتمة الكتاب..... ٤٤٥

١٣ - إسماعُ الصُّمِّ لاثباتِ تحريمِ غُسْلِ الابن للأمِّ

مقدمة ٤٤٩
تصدَّر للفتوىٰ مَن لا يُحسنها ولا يستحقُّها، وكثر بفتاويهم الجهل والضلال .. ٤٤٩
الفتوىٰ الأولي: هل يجوز للرجل أن يجمع بين المرأة وخالتها؟..... ٤٥٠
إجماع السلف وأهل السُّنَّة وأصحاب المذاهب المتبوعة ومعهم الزيدية علىٰ أن من عقد علىٰ امرأةٍ وعمَّتها أو خالتها فالعقد باطلٌ لا يصح، ولو عقد علىٰ إحداهما بعد الأخرىٰ فالعقد الأخير باطلٌ..... ٤٥٢
الفتوىٰ الأخرىٰ: تغسيل الرجل لأُمِّه..... ٤٥٢
وهذه نصوص العلماء في الموضوع..... ٤٥٣
نصوص العلماء في غسل الرجل لمحارمه من النساء ٤٥٣
الخلاصة..... ٤٥٧
غسل الرجل لامرأةٍ ذات مَحرمٍ لا يجوز، بل هو حرامٌ بلا خلاف، وإنما حصل الخلاف في حالة الضرورة..... ٤٥٧
تتمة ٤٥٨
أوجب الشارع الاستئذان علىٰ الأُمِّ لئلَّا يراها ولدها عريانة، فكيف يجوز للرجل أن يدخل علىٰ أُمِّه وهي علىٰ المغسل عريانة؟! وهل هي تحب أن يراها كذلك؟ ٤٥٨
ملحوظة: الذين يُغسِّلون أُمَّهاتهم لا يلتزمون بحالة الضرورة التي نصَّ عليها العلماء ٤٦٠
فهرس الموضوعات..... ٤٦٣

١١- فهرس المجلد الحادي عشر

الفقه الإسلامي -التصوف الإسلامي

أولا: الفقه الإسلامي

١- الإنارة بأدلَّة زكاة التجارة

مقدمة ٩
المبحث الأول: في أدلَّة الوجوب ١٠
المبحث الثاني: الآثار الدالة على وجوب زكاة التجارة ١٣
نقل الإجماع على أنَّ في العُرُوض التي تدار للتجارة الزكاة إذا حال عليها الحول....١٥
زكاة التجارة واجبةٌ بالكتاب والسُّنَّة وإجماع السلف، ولم ينكر وجوبها إلَّا الظاهرية، وهم معروفون بالشذوذ فلا عبرة بخلافهم ١٧
خاتمة الكتاب.....١٧

٢ - القول المُشرِق لسبب صومِ المغربِ برؤية المَشْرِق

تمهيد ٢١
الدعوة إلى وجوب اتحاد المسلمين في مواسمهم الدينية، والإشارة إلى كتاب "توجيه الأنظار إلى توحيد المسلمين في الصوم والإفطار" للحافظ السيِّد أحمد بن الصِّدِّيق الغُماريِّ رحمه الله.....٢١
مقدمة تشتمل على مسائل ٢٣
أقسام الحكم الشرعي ٢٣
تعريف السبب والشرط والمانع.....٢٣
اليوم والليل في عرف الشرع ٢٣
فصل: الجمهور على أنه إذا ثبتت رؤية هلال رمضان في بلدٍ، وجب الصيام على بقية البلاد الإسلامية ٢٦

استشكال حول فروق التوقيت بين المشرق والمغرب والجواب عليه ٢٦
فصل: سبب صيام المغرب برؤية المشرق هو الاشتراك في الليل..... ٢٧
خلاصة الإشكال وبيان فساده من وجوه ٢٨
فصل: فيه ذكر الحكم مصحوبًا بسببه..... ٣٥
خاتمة الرسالة..... ٣٦

٣- دفعُ الشَّكِّ والارتيابِ في تحريم نصارى أهلِ الكتابِ

مقدمة ٤١
هل يجوز التزوج بالنصرانيات؟ ٤٢
القائلين بتحليل نساء أهل الكتاب..... ٤٣
كل من دان بدين أهل الكتاب كان في حكمهم في المناكحة والذبائح ٤٥
للعلماء في الجمع بين آية (البقرة) وآية (المائدة) مسلكان ٤٦
دليلان على مسلك الترجيح بتحريم زواج الكتابيات تمسُّكًا بعموم آية (البقرة) ٤٧
تنبيه: اعتبر الجمهور جواز إباحة الكتابيات رخصة، واستحبُّوا التورع عنها ورغَّبوا في ترك الزواج بهنَّ..... ٤٧
التزوُّج بالكتابيات شرطه ألا تكون حربيَّة، فإن كانت من أُمَّةٍ تحارب المسلمين لم يجز التزوج بها إجماعًا ٤٨
النصارى في هذا العصر يحاربون المسلمين محاربةً حقيقيةً ٤٩
المتزوِّج بالنصرانية اليوم إنما يتزوَّج بزانيةٍ؛ لأن عقد زواجها غير صحيحٍ..... ٥١
التحريم سدًّا للذريعة ٥١
الوسيلة إلى الواجب واجبةٌ، والوسيلة إلى المحرَّم محرَّمةٌ، وضرب أمثلة على ذلك..... ٥١
المفاسد المترتبة على زواج المسلم بالنصرانية في هذا العصر ٥٢
ذكر بعض النماذج من زواج المسلمين بنصرانيات، وما يترتَّب على ذلك ٥٣

منقبة عظيمة لمسلمي الباكستان..... ٥٥
قصة الصحابي الذي رغب أن يتزوج كتابية فردته خائبًا ٥٦
جواز نكاح الكتابية استثناء ٥٧
أنواع الزنا التي تقع اليوم باسم الزواج ٥٨
أشد أنواع الزِّنا قبحًا وأقبحها فحشًا زواج النصراني بالمسلمة، وذكر بعض أمثلة لحوادث في عصر المصنِّف..... ٥٩
تتميم: حكم ذبائح النصارىٰ..... ٦٢
فتوىٰ عجيبة من الشيخ محمد عبده في إباحة أكل البقرة الموقوذة، وبيان خطأه في ذلك. ٦٢
موقف الشيخ محمد الخضر حسين من لبس البرنيطه في عهد حكومة جمال عبدالناصر. ٦٣
خاتمة الكتاب..... ٦٥

٤ - الاستقصاء لأدلَّة تحريم الاستمناء

تمهيد ٧١
مقدمة: في تعريف الاستمناء ٧٣
الباب الأول: في تحريم الاستمناء وبيان دليله ٧٥
الدليل الأول: : قول الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ ٧٥
نصوص المفسِّرين وغيرهم من العلماء في الآية تؤيد ما قرَّرناه وتؤكده ٧٦
عبارتان للإمام الشافعي في الاستدلال بالآية علىٰ تحريم الاستمناء ٧٨
لا يوجد في كتب الشيعة جواز الاستمناء، ولماذا كان الشيعة خارجين عن الحق (ت) ٨٠
إبطال كلام أبي حَيَّان في منعه الاستدلال بآية ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ﴾ علىٰ تحريم الاستمناء ٨٢

فائدة: إذا احتمل الكلام التأسيس أو التأكيد فلا شك أن حمله على التأسيس أرجح من حمله على التأكيد كما تقرَّر في علم الأصول ٨٥
إيراد على الاستدلال بالآية في تحريم الاستمناء والجواب عليه ٨٥
الدليل الثاني: قال الله تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ﴾..... ٨٩
إيراد على الاستدلال بآية: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ على تحريم الاستمناء والجواب عليه..... ٩٠
لو كان الاستمناء من الاستعفاف لكان واجبًا؛ لأن الاستعفاف واجب بالآية المتقدمة، والقول بوجوب الاستمناء حدث في الدين وخرق لإجماع المسلمين..... ٩١
الجمع بين الحقيقة والمجاز منعه جمهور أهل العربية..... ٩١
الدليل الثالث: قول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج...**» الحديث..... ٩٥
وجه آخر للاستدلال بالحديث: أنه أرشد عند العجز عن التزويج إلى الصوم الذي يقطع الشهوة، فلو كان الاستمناء مباحًا لكان الإرشاد إليه أسهل ٩٦
الدليل الرابع: قول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لمن جاءه يستأنه في الخصاء: «**لا، ولكن عليك بالصيام فإنها مخفرة**». ٩٧
الدليل الخامس: قول النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «سبعة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولا يجمعهم مع العالمين ويدخلهم النار في أول الداخلين إلا أن يتوبوا ومن تاب تاب الله عليه: الناكح يده...» الحديث ١٠١
القول بأن الحديث الضعيف لا يعمل به في الأحكام هو مما خالف فيه عمل العلماء قولهم..... ١٠٤
الدليل السادس: ثبت في علم الطب أن الاستمناء يورث عدة أمراض..... ١٠٧
ذكر بعض الكتب التي تحدثت بالتفصيل عن مضار الاستمناء ١٠٩

حيث ثبت أن الاستمناء يورث هذه الأمراض، فهو حرام، لأن القاعدة المقررة في أصول الفقه: أن الأصل في المضار التحريم ١٠٩
تنبيه: نص بالتوراة المسمَّى عند الكتابيين بـ"العهد القديم" يدل على أنَّ الاستمناء كان عندهم قبيحًا ممنوعًا..... ١١٠
الباب الثاني: في رد القول بجواز الاستمناء ١١٢
الإمام أحمد لم يُجز الاستمناء إلَّا في حال الضرورة كالفقر والسفر ونحو ذلك، كما يفهم من كلام ابن القيِّم ١١٢
العزب المغتلم مردد بين ثلاثة شرور (ت) ١١٤
بعض أقوال من أجاز الاستمناء..... ١١٥
دليل من أجاز الاستمناء، والرد عليه ١١٧
الدليل على كون المني ليس بفضلة بل هو مادة حيوية في الجسم ١١٩
قاعدة نفيسة: وهي أن الله تعالى لا يمتن على عباده بأمر حقير كالفضلات وإنما يمتن عليهم بأمر عظيم الأهمية لهم فيه منافع دنيوية..... ١١٩
أمثلة من القرآن لمنن الله تعالى على عباده ١١٩
اعتراض والجواب عليه ١٢٢
استدلال لابن القيم على طهارة المني ١٢٢
كلام قيِّم لابن القيِّم في الرد على من زعم أن المني فضلة ١٢٤
الاستدلال بأن الصحابة كانوا يفعلون ذلك في مغازيهم وأسفارهم لا يدل على المقصود، لوجوه..... ١٢٦
تنبيهان: التنبيه الأول: حول جواز الاستمناء للمرأة ١٢٧
التنبيه الثاني: حول فتوى لبعض المتأخرين من الحنفية ١٢٨
الخاتمة وفيها فصلان ١٢٩
الفصل الأول: في ذكر السؤال والفتوى الذين نُشِرا في "مجلة الإسلام" حول مسألة الاستمناء تحت عنوان: «جلد عميرة» ١٢٩

الجواب ١٣٠
معنىٰ قول ابن عبَّاسٍ: هو خير من الزنا ١٣٥
شروط التوبة الصحيحة ١٣٧
كيفية التوبة ١٣٧
الأحسن في الاستغفار أن يكون بصيغة واردة ١٣٨
اشغل نفسك بما يدفع عنك التفكر فيما يفضي بك إلىٰ الاستمناء ١٣٩
أضرار الاستمناء ١٣٩
الفصل الثاني: في الحض علىٰ غض البصر وحفظ الفرج ١٤١
خاتمة الكتاب ١٤٥

٥ - التنصيص على أنَّ حَلْقَ اللحية ليس بتَنمِيص

مقدمة ١٤٩
لا يوجد في كتب اللغة وكتب شروح الحديث أنَّ الحلق: تنميص، أو أنه مثله ١٤٩
الوجه الأول: أن الحلق والتنميص حقيقتان متغايرتان في اللغة العربية ١٥١
الوجه الثاني: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فرق بين الحقيقتين أيضًا ١٥١
الوجه الثالث: الاستدراك علىٰ الشارع ممنوع ١٥٢
الوجه الرابع: لا يجوز قياس الحلق علىٰ التنميص ١٥٢
الوجه الخامس: لا يقاس منصوص علىٰ منصوص ١٥٢
الوجه السادس: إلحاق الحلق بالتنميص باطل ١٥٣
الوجه السابع: اللعن وتغيير خلق الله لا يشمل حلق اللحية ١٥٣
الوجه الثامن: تقرر في الأصول أيضًا أن السكوت في مقام البيان يفيد الحصر ١٥٣
الوجه التاسع: تقرر في الأصول أيضًا أن: تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز ١٥٤
الوجه العاشر: تقرر في الأصول أيضًا أن: القياس إنما يكون في الأحكام ١٥٤
الخلاصة: دعوىٰ أنه متشبهٌ بالنساء ومُغَيِّرٌ لخلق الله، وملعون دعوىٰ باطلة ... ١٥٥

تنبيه: استعمال المناص أو الفتلة في أخذ ما يبقى من شعر رقيق حول الشارب وعلى الوجنتين حرام ١٥٥
الخاتمة ١٥٦

٦- تعريفُ أهلِ الإسلام بـأنَّ نقلَ العُضوِ حرام

مقدمة ١٥٩
الإشارة إلى رسالة "أجوبةٌ هامَّة في الطبِّ" للمصنف ١٥٩
نقل عضوٍ من ميتٍ فور موته كعينٍ أو كلوةٍ إلى مريضٍ، فهذا ممَّا شاع عند الأطبَّاء الأوروبيين وقلَّدهم فيه أطبَّاء المسلمين، وهو خطأٌ كبيرٌ..... ١٦٠
أفتى الشيخ أحمد الشرباصي بجواز نقل الأعضاء مستدلًّا بقاعدة: «الضرورات تبيح المحظورات» وهو أديب لغوي وليس من الفقهاء..... ١٦١
كلمة: «رجال الدين» عبارةٌ مسيحية لا يعرفها المسلمون ١٦١
زكاة الجسم والأعضاء ١٦١
أحاديث تؤيد هذا المعنى ١٦٣
أدلة منع نقل العضو ١٦٤
احترام الإسلام للميت ١٦٦
عقوبة من نقل عضوًا ١٦٧
الضرورات تبيح المحظورات؛ قاعدة فهمها الناس على غير وجهها، واستعملوها في غير موضعها..... ١٦٨
حكاية عن حذيفه العدوي يوم اليرموك لا تصح ١٦٩
خبرٌ غريبٌ مؤلمٌ..... ١٦٩
حول إجازة بعض أهل العلم ردَّ يد السارق المقطوعة ١٦٩
القول بجواز ردِّ يد السارق بعد قطعها من الاجتهاد المحرَّم الذي يأثم صاحبه، ويعاقبه الحاكم على هذا الاجتهاد الخاطئ الآثم ١٧٠

حديثان يقطعان النزاع في مسألة رد يد السارق ويلقمان المجوِّزين حجر الخيبة والحسرة ١٧٠
خاتمة الرسالة ١٧٢

٧- أمنية المُتمَنِّي في تحريم التبنِّي

مقدمة ١٧٧
ما هو التَّبنِّي؟ ١٧٨
قصَّة تبنِّي زيد بن حارِثة ١٧٨
إبطال التَّبنِّي ١٨٠
قصة زواج زيد بزينب ١٨٢
استطالة زينب على زوجها ١٨٣
أقوال ساقطة في طلاق زينب بنت جحش رضي الله عنها ١٨٣
القول الصحيح في تفسير قوله تعالى: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ ١٨٥
استشكال: لأي معنى قال له: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ وقد أخبره الله أنَّها زوجه. ... ١٨٦
زواج النَّبي بزينب ١٨٦
إرجاف المنافقين ١٨٧
إبطال التَّبنِّي عمومًا وخصوصًا ١٨٧
التبني لا يجوز ١٨٨
التبني يشبه الزِّنا ١٨٨
فعل الخير مطلوب ١٨٨
وجوب التقاط الرضيع ١٨٨
ولد الزنا ١٨٩
اختلاف العلماء في تأويل حديث: «فَرْخُ الزِّنا شرُّ الثلاثة». ١٩٠

هل يجوز إعتاق ولد الزنا ١٩٤
مَن كَرِه إعتاقه ١٩٦
مذهب الجمهور: أنَّ عتق ولد الزِّنا حسنٌ جميلٌ يجزئ عن الرَّقبة الواجبة، وهو الرَّاجح ١٩٧
الخلاصة: ولد الزِّنا مثل غيره من المسلمين، إن كان صالحًا تقيًّا أو عصىٰ ثُمَّ تاب ومات تائبًا فله الجنَّة، وإن مات عاصيًا فهو تحت المشيئة ١٩٧
إمامة ولد الزنا وشهادته ١٩٧
خاتمة الرسالة ١٩٩
تتمة ٢٠٠

٨- واضِحُ البُرهانِ على تَحْريمِ الخَمْرِ والحَشِيشِ في القُرْآنِ

مقدمة ٢٠٥
أحد عشر دليلًا في القرآن الكريم علىٰ تحريم الخمر والتشديد فيها، بحيث تكون في أقصىٰ دركات التحريم ٢٠٦
الباب الأول: في استنباط تحريم الخمر من القرآن الكريم ٢٠٩
سبب تحريم ما كان من عمل الشيطان (ت) ٢٠٩
الكلام علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فَٱجۡتَنِبُوهُ﴾ ينحصر في ناحيتين ٢١١
الأمر يدل علىٰ الوجوب حقيقةً، والدليل علىٰ ذلك من القرآن في بضعة مواضع ٢١٢
إبليس كان مُخاطبًا بالسجود لآدم وإن لم يكن من الملائكة؛ لأن الأمر للأعلىٰ -وهم الملائكة- أمر للأدنىٰ -وهو إبليس- بالأولىٰ (ت) ٢١٢
المُبتدعة مُلْزَومون باتباع السُّنَّة بنصِّ القرآن (ت) ٢١٣
ذكر بعض الأحاديث التي تثبت تحريم الخمر ٢١٤
حرص التابعين علىٰ سماع السُّنَّة واتباعها كحرصهم علىٰ سماع القرآن واتباعه (ت) . ٢٢١

بيان خطأ صاحب كتاب "اجتهاد الرسول" في عِدَّة مواضع (ت) ٢٢١
فصل: دليلٌ تاسعٌ على تحريم الخمر ٢٢٤
فصل: دليلٌ عاشرٌ على تحريم الخمر ٢٢٦
فصل: دليلٌ حادي عشر يستفاد من آيتين، هما: قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾، مع قوله تعالى في الخمر والميسر: ﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ الآية ٢٢٦
فصل: هذه أحد عشر دليلًا مستخرجة من القرآن الكريم، وتدل كلها على تحريم الخمر ٢٢٨
إنكار مُخالِفٍ أزهريٍّ أحاديث متواترةً مقطوعًا بنسبتها إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم (ت) ٢٢٨
تنبيه: حول تكفير من قال: «لم تثبت حرمة الخمر في القرآن» ٢٣٠
الباب الثاني: في تحريم الخمر من السنة النبوية الشريفة ٢٣١
الأحاديث الواردة في الخمر بالغةٌ حدَّ التواتر، وهي على ثلاثة أنواع ٢٣١
النوع الأول: فيما يُصرِّح بتحريم مطلق الخمر ٢٣٢
الصائغ الذي يعمل الصُّلْبان ويبيعها يرتكب كبيرةً، وكَسْبُه من بيعها خبيثٌ مثل بيع الخمر أو الخنزير، بل أشد؛ لأن الصليب يسجُد له الكفَّار ٢٣٤
النوع الثاني: فيما يُصرِّح بتحريم قليل ما أسكر كثيره. ٢٣٥
الأدلة على أن النهي يدل على التحريم شرعًا كثيرةٌ، مبسوطةٌ في كتب الحديث والأصول، وذكر أمثلة منها ٢٣٥
النوع الثالث: فيما يفيد التحريم بطريق الوعيد، كلعن شارب الخمر وتهديده بالعذاب في الآخرة ونحو ذلك ٢٣٧
كلُّ من ساعد على معصيةٍ يكون شريكًا في إثمها وإن لم يفعلها (ت) ٢٣٧

ما هو الإدمان ٢٣٨
أعظم الكبائر شرب الخمر ٢٣٨
فائدة: كِبار الصحابة قد تخفى عليهم أحاديث وتوجد عند صِغارهم ٢٤٠
حديث:«لا يَدْخُلُ الجنَّةَ مُدْمِنُ خَمْرٍ...» واستدلال ابن عباس -رضي الله عنهما- له من القرآن (ت) ٢٤١
جلد شارب الخمر ٢٤٣
ذكر بعض الأحاديث في حَدِّ شارب الخمر ٢٤٣
انعقد الإجماع على وجوب حدِّ شارب الخمر ٢٤٥
الردُّ على زعم مَن قال: أنَّ حَدَّ شارب الخمر لا يوجد في القرآن ٢٤٥
الزِّنا أعظم إثمًا عند الله تعالى من الخمر (ت) ٢٤٥
قتل شارب الخمر بعد جلده ثلاث مرات ٢٤٦
لا يجوز التداوي بالخمر ٢٤٩
حديثٌ صريحٌ في نفي ما يزعمه أصحاب الخمر من المنافع، فلا دفء فيها، ولا دواء ولا نشاط، بل كلها ضررٌ، وقد أدرك العلم الحديث هذا أخيرًا وأيَّده ٢٤٩
لا يجوز لمسلمٍ أن يخاطر بإيمانه وبعقله في سبيل الحصول على شفاءٍ يتوهَّمه أو يظنُّه، إلا في حالة الاضطرار ٢٥١
امتناع عبدالله بن حذافة حين أسره الروم عن شرب ماء ممزوجٌ بخمرٍ، وقصته مع ملك الروم ٢٥٢
فصل: في إخبار النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: أنَّ ناسًا مِن الأُمَّة يُسَمُّون الخمر بغير اسمها، وبذلك يستَحِلُّون شُرْبَها ٢٥٣
يستفاد من أحاديث إخباره صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بتسمية الخمر بغير اسمها أمورٌ ٢٥٥
كثرة التحايل في هذا العصر، وصدور فتاوى تُشجِّع على اقتحام المعاصي ٢٥٦

تجرُّأ بعض العلماء على إباحة بعض أنواع الخمر بحُجَجٍ واهيةٍ ٢٥٧
شارب المطبوخ إذا كان يُسْكِر أعظم ذنبًا من شارب الخمر ٢٥٨
استحلال الزِّنا في أبشع صُوَرِه وأقبحها، وهو شائعٌ بين كثيرٍ من الجَهَلَة المُتورِّعين، وبعض المُتعلِّمين والمُتحَذْلِقين..... ٢٥٩
حكم استعمال آلات اللهو والطَّرَب ٢٦٠
قصة مسخ رجل إلى قرد..... ٢٦١
فصل: في شرح حديث عائشة رضي الله عنها: «إنَّ أوَّلَ ما يُكْفَأُ الإسلامُ كما يُكْفَأُ الإناءُ كَفْءُ الخَمْرِ» ٢٦٢
فصل: في إخباره صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالمراحل التي تمرُّ بها الأُمَّة ٢٦٣
الخاتمة ٢٦٤
في الكلام على الحشيش الذي شاع استعماله في هذه الأزمنة المُتأخِّرة..... ٢٦٤
ذكر بعض من ألَّف في تحريم الحشيش ٢٦٤
بحثٌ واسعٌ ممتعٌ في الحشيش للعلامة المؤرِّخ تقي الدين المقريزي في "الخطط" ... ٢٦٥
أول ظهور الحشيش..... ٢٦٦
الحشيشة قديمةٌ -بناء على ما مرَّ عن "السوانح"- إلَّا أنها لم تشتهر، ولم يفشُ استعمالها في البلاد العربية وما جاورها إلَّا في أواخر المائة السادسة وأوائل السابعة ٢٦٩
كلام الشيخ محيي الدين ابن العربي لمن أكل حشيشة الفقراء ٢٧٠
فتوى الإمام المزني الشافعي في تحريم الحشيش ٢٧٠
صرَّح بوقوع طلاق متعاطي الحشيش غير واحدٍ (ت) ٢٧١
هل الحشيش مسكر؟ ٢٧١
الحشيش مُفْسِدٌ -أي مُخدِّر- وليس بمُسْكِرٍ، وهذا هو الذي صحَّحه المالكية ... ٢٧٣
ردُّ العباس بن مرداس الصحابي -في أيام الجاهلية- على من سأله: لم لا تشرب

الخمر؟ (ت) ٢٧٣
حكم الحشيش ٢٧٥
ذكر من نصَّ على تحريم الحشيش من العلماء ٢٧٥
ردُّ الزركشيِّ على ابن تيمة في تكفيره من استحلَّ السُّكْرَ من الحشيشة (ت)٢٧٦
دليل تحريم الحشيشة ٢٧٧
الأحكام الفقهية -كالحرمة والكراهة ونحوهما- لا يشترط في دليلها القطع، بل يكتفى فيها بما يفيد الظن كما هو مُقرَّرٌ في علم الأصول ٢٧٧
الأدلة على تحريم الحشيش خمسةٌ ٢٧٩
مضار الحشيشة ٢٨٠
هل الحشيش نجس؟ ٢٨٤
هل تبطل صلاة من صَلَّى بالحشيشة معه ٢٨٤
الصحيح: أنَّ الحشيشة طاهرةٌ - سواء قلنا إنها مسكرةٌ أو مخدِّرةٌ- كما قال النوويُّ، وقطع به تقي الدين ابن دقيق العيد في "شرح فرعي ابن الحاجب" بل حكى الإجماع عليه . ٢٨٥
هل يجلد شارب الحشيش؟ ٢٨٦
مقارنة بين الخمر والحشيش من ناحية الخبث لبعض العلماء (ت) ٢٨٦
المُخدِّرات فيها التعزير لا غير، وهو بحسب اجتهاد الإمام، على ألَّا يبلغ أقل الحدود. ٢٨٧
هل الحشيشة من الكبائر؟ ٢٨٨
هل حرمة الحشيش مثل حرمة الخمر؟ ٢٨٩
هل ينتقض وضوء شارب الحشيش؟ ٢٨٩
قول شاذ حول حكم تناول المفتر ٢٨٩
حول تصريح العلماء بضعف دلالة الاقتران ٢٩٠
هل يجوز إطعام الحيوان بالحشيش؟ ٢٩٢

هل يجوز بيع الحشيش؟ ٢٩٢
تنبيهات: **الأول**: لو لم يتضرَّر شخصٌ بأكل الحشيش ولم يَسْكَر بها، فالظاهر: أنها لا تحرم عليه للطهارة وعدم الضرر ٢٩٣
الثاني: حكم جوزة الطيب ٢٩٣
الثالث: ما تقرَّر في الحشيش والأفيون والبنج وجوزة الطيب من الحرمة والضرر ينطبق على بقية المُخدِّرات، مثل: البانجو والكوكايين والهيروين ونحوها ٢٩٤
حكم شرب القهوة والشاي ٢٩٥
خاتمة الكتاب ٢٩٦
الشعراء وحشيشة الفقراء ٢٩٧

التصوف الإسلامي

١ - الإعلامُ بأنَّ التصوُّفَ مِن شريعةِ الإسلامِ

مقدمة ٣٠٩
ذكر بعض الأقوال في تعريف التصوف ٣١٠
تعريفات التصوف تبلغ نحو ألفٍ، حكاها الحافظ الصوفيُّ أبو نعيم الأصفهانيُّ في كتابه "حِليةُ الأولياء". ٣١٠
تعريف التصوف للإمام الجنيد وهو من أبلغ ما قيل في التصوف وكَشْف حقيقته ٣١٠
تعريف الصوفي ٣١٠
بيان أن التصوف مبنيٌّ على الكتاب والسُّنَّة، لا يخرج عنهما قيد أنملة ٣١٢
سبب تأليف الكتاب ٣١٤
فتوى لمولانا الإمام الوالد رضي الله عنه ٣١٥
حول أول مَن أسَّس الطريقة، وهل تأسيسها بوحيٍ سماوي؟ ٣١٥
غاية ما تدعو إليه الطريقة وتُشير إليه هو مقام الإحسان ٣١٥
الصحابة والتابعون صوفية بأحوالهم ولا مُشاحَّة في الاصطلاح ٣١٦
الحديث الأول: الإحسان - المراقبة - المشاهدة ٣١٨
الحديث الثاني: محاربة الله لمن عادى أولياءَه- وطريق الولاية ٣٢١
الحديث الثالث: علم الظاهر والباطن ٣٢٢
الإشارة في الحديث إلى ما اتفق عليه الصوفية أنَّ المجاهدة والتزام الذكر مع حضور القلب يُورث علومًا وهبية ٣٢٣
الحديث الرابع: للقرآن ظاهرٌ وباطنٌ ٣٢٤
عليٌّ عليه السلام عنده علم الظاهر والباطن ٣٢٥
شهادة الصحابة لعليٍّ عليه السلام بتفوقه في علوم الحقائق والأسرار ٣٢٥
الحديث الخامس: علوم الحقائق لا يُنكرها إلا المغرورون ٣٢٦

الحديث السادس: علم الباطن هو العلم النافع ٣٢٧
الحديث السابع: الإلهام - التحديث..... ٣٢٨
كلام الأصوليين حول حُجِّيَّة الإلهام ٣٣٠
الحديث الثامن: الحقيقة ٣٣١
الحقيقة صِنو الشريعة، بل هي لُبُّها وسِرُّها الخالص ٣٣٤
العشيرة المحمدية وقيامها بحملةٍ واسعةٍ لتطهير التصوّف مما أُلصق به من بدعٍ وخرافات ٣٣٤
الحديث التاسع: المكاشفة ٣٣٥
الحديث العاشر: الخلوة والانقطاع إلى الله..... ٣٣٦
أهل التجريد من الصحابة ٣٣٨
الفتـــــوة..... ٣٤٠
ذكر ما تشتمل عليه الفتوة من المعاني ٣٤١
الأول: الإيثار..... ٣٤١
من أروع مواقف الإيثار عند الصوفية، ٣٤٢
الثاني: هدية المريد إلى شيخه، ودليلها من القرآن والسُنَة..... ٣٤٣
الثالث: الضيافة ٣٤٦
الرابع: صلة الإخوان ٣٤٧
مسألة: في الرد على ما تشدّق بها المنتقدون للتصوّف، ذلك أنهم يزعمون أنّ الصُّوفية أصحاب كسل وخُمول وتواكل..... ٣٤٩
الأولـــياء..... ٣٥١
ذكر الأقوال في معنى الولي ٣٥١
ذكر بعض الأحاديث عن الولاية والولي..... ٣٥٢
أثر جامع لصفات الأولياء ٣٥٤
الأبـــــدال ٣٥٥

ذكر بعض من وصف أنه من الأبدال ٣٥٦
بعض الأحاديث التي جاء فيها ذكر الأبدال ٣٥٦
بِم استحق الأبدال تلك الرتبة؟ ٣٥٩
النُّجباء والنُّقباء والأوتاد والغوث ٣٦١
الكَـرَامـات ٣٦٣
مما يعاب على فقهاء الحنفية تسرعهم إلى الإكفار لأسباب بعيدة عن الكفر، ومن قرأ باب الردّة في كتبهم رأى العجب. ٣٦٤
الإشارة إلى بعض الأدلة على إثبات الكرامات ٣٦٥
حلقـات الذكـر ٣٧٤
ملخص ما جاء في رسالة الحافظ السيوطي "نتيجة الفكر في الجهر بالذكر" ٣٧٤
الجواب على تعارض قول الله تعالى: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ مع استحباب الجهر بالذكر ٣٧٧
الجواب على تعارض قوله تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ واستحباب الجهر بالذكر ٣٨٧
الذكر بالإسم المفرد ٣٧٩
الرد على من أنكر الذكر بالإسم المفرد من وجوه ٣٨٠
نقول عن بعض الصوفيه حول الذكر بالإسم المفرد ٣٨١
فتوى الحافظ ابن حجرٍ في "الفتاوى الحديثية" حول الذكر بالإسم المفرد ٣٨٣
ثبت عن بلال رضي الله عنه الذكر بالإسم المفرد ٣٨٤
موقف العلماء من الصوفية ٣٨٦
قول الإمام مالك في الجمع بين الفقه والتصوف ٣٨٦
الإمام الشافعي واستفادته من الصوفية ٣٨٦
ثناء الإمام أحمد بن حنبل على المحاسبي ٣٨٧

أبو العباس بن سُريج -أحد أئمة الشافعية- يحضر مجلس الجُنيد ٣٨٨
ثناء العلماء على ذي النون المصري أحد أئمة الصوفيّة وعظمائهم ٣٨٨
تقديم الإمام القشيري في موسم الحج على أربعمائة نفس من قضاة المسلمين وأئمتهم من أقطار البلاد وأقاصي الأرض ٣٨٩
ثناء العلماء على سيدي أبي الحسن الشاذلي..... ٣٨٩
حضور العلماء مجلس تاج الدين ابن عطاء الله السكندري، وكلمة حول كتاب الحكم العطائية ٣٩٠
خاتمة الكتاب..... ٣٩٢

٢- حُسْنُ التلطُّفِ في بيانِ وجوبِ سلوكِ التصوُّفِ

مقدمة ٣٩٥
فصل: التَّصوُّف مبنيٌّ على الكتاب والسنَّة ٣٩٨
فصل: لكون التَّصوف مبنيًّا على الكتاب والسُّنَّة دخل فيه عُظماء العلماء، وانضمَّ إلى زُمرة أهله فُحولٌ من الكبراء..... ٤٠٠
فصل: في وجوب سلوك طريق التصوف ٤٠١
خاتمة الكتاب..... ٤٠٧

٣- سِلْسِلَةُ الطَّريقةِ الصِّدِّيقيَّة

ترجمة السيد محمد بن الصديق الغماري (ت) ٤١١
نسب سيِّدي محمد بن الصِّدِّيق الغُماريِّ..... ٤١١
لا بد من الواسطة في كلِّ الفنون ٤١٣
سلسلة الطريقة الصِّدِّيقية ٤١٤
المنتسب يكون كالحلقة في السِّلسلة، لا يتحرَّك في أمرٍ إلَّا تحرَّكت السِّلسلة كلُّها معه إلى مولانا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٤١٧

فائدة النسبة الخاصة ٤١٨
إجازة السيِّد عبدالله بن الصِّدِّيق بالطريقة الصِّدِّيقية ٤٢٠
ذكر بعض شيوخ المصِّنف بجامع القرويين (ت) ٤٢٠
وصيَّة العارف بالله سيِّدي محمَّد بن الصِّدِّيق إلى إخوانه ٤٢١

٤ - الدُّرَر النَّقية في أذكارِ وآدابِ الطَّريقةِ الصِّدِّيقية

مقدمة ٤٢٥
فضل ذِكْرِ الله عزَّ وجلَّ ٤٢٥
حزب الفتح الصديقي: يقرأ يوميًا صباحًا ومسَّاء ٤٢٨
ورد الطريقة الصِّدِّيقية ٤٣٣
المعارف الذوقية في الوظيفة الصديقية ٤٣٤
صلاتان أنشأهما أبو الفضل سيِّدي عبدالله بن الصديق ٤٤١
استغاثة للمصنف أنشأها سنة ١٣٨٠ هجرية ٤٤٢
آداب الطريقة الصديقية ٤٤٥
أدب المريد مع الله تعالى ٤٤٥
أدب المريد مع شيخه ٤٤٦
أدب المريد مع إخوانه ٤٤٧
أدب المريد مع المسلمين ٤٤٧
وصية جامعة ٤٤٨

٥ - إرشَادُ الأَنامِ إلى ما يُتْلَى مِنَ السُّورِ والأذْكَارِ في الأيَّامِ

مقدمة ٤٥٣
المبحثُ الأول: في أن الذكر بالأذكار غير الواردة جائز وإنْ منعه الوهَّابيون المتزمِّتون؛ لكنْ لا نزاعَ أنَّ الذِّكر الواردَ أفضلُ وأكملُ ٤٥٤

المبحث الثاني: اشتمال هذا الكتابُ على سُورٍ وآياتٍ، وصلواتٍ، ودعواتٍ، ومصادر ذلك من كتب الأئمة والحفاظ ٤٥٤
المبحثُ الثالثُ: في الحض على الذكر في القرآن الكريم والسنة المشرفة ٤٥٥
بسم الله الرحمن الرحيم ٤٥٨
الفصل الأول: وِرْدُ يومِ الجُمُعة ٤٦١
الفصل الثاني: وِرْدُ يومِ السّبتِ ٤٦٣
الفصل الثالث: وِرد يوم الأحد ٤٦٦
الفصل الرابع: وِرد يوم الإثنين ٤٦٨
الفصل الخامس: ورد يوم الثلاثاء ٤٧٠
الفصل السادس: ورد يومِ الأربعاء ٤٧٣
الفصل السابع: ورد يوم الخميس ٤٧٥
فهرس الموضوعات ٤٨١

١٢- فهرس المجلد الثاني عشر
الأدب والمتفرِّقات

١ - حُسْنُ البَيان في ليلة النِّصْفِ مِن شَعْبان

مقدِّمة ٩
التفاوت بين الخَلْقِ في الرُّتَب والمناصِبِ..... ٩
فصل: في سبب تأليف هذه الرِّسالة..... ١٢
ذكر بعض المؤلَّفات في ليلة النِّصف مِن شعبان..... ١٢
بدء الاحتفال بليلة النِّصف مِن شعبان..... ١٢
صفة إحياء هذه الليلة..... ١٣
فضل هذه الليلة ١٤
ذكر بعض الأحاديث الدالَّة على فضل ليلة النِّصف مِن شعبان ١٤
الحديث الأول: «إذا كانت ليلةُ النِّصْفِ مِن شعبانَ، فقُومُوا لَيْلَهَا، وصُومُوا نَهَارَهَا...» الحديث ١٤
الحديث الثاني: «إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يَنْزِلُ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِن شعبانَ إلى السَّماءِ الدُّنيا، فيَغْفِرُ لأكثرَ مِن عَدَدِ شَعْرِ غَنَمِ كَلْبٍ»..... ١٥
الحديث الثالث: «إنَّ اللهَ لَيَطَّلِعُ في ليلةِ النِّصْفِ مِن شعبانَ فيَغْفِرُ لجَمِيعِ خَلْقِهِ إلَّا لمُشْرِكٍ أو مُشَاحِنٍ» ١٥
الحديث الرابع: «إنَّ اللهَ لَيَطَّلِعُ إلى خَلْقِهِ ليلةَ النِّصْفِ مِن شعبانَ، فيَغْفِرُ لعِبادِهِ إلَّا لاثْنَيْنِ: مُشَاحِنٍ، وقَاتِلِ نَفْسٍ» ١٥
الحديث الخامس: «يَطَّلِعُ اللهُ إلى جَمِيعِ خَلْقِهِ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِن شعبانَ، فيَغْفِرُ لجَمِيعِ خَلْقِهِ إلَّا لمُشْرِكٍ أو مُشَاحِنٍ» ١٦
الحديث السادس: «يَطَّلِعُ اللهُ عَبَادَهُ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِن شَعْبانَ، فيَغْفِرُ للمؤمنينَ، ويُمْهِلُ

الكافِرينَ، ويَدَعُ أَهْلَ الحِقْدِ بحِقْدِهِمْ حتَّىٰ يَدَعُوهُ» ١٦
الحديث السابع: «يَنْزِلُ اللهُ إلىٰ السَّماءِ الدُّنيا لَيْلَةَ النِّصْفِ مِن شَعْبانَ، فيَغْفِرُ لكُلِّ شيءٍ إلَّا لرَجُلٍ مُشْرِكٍ، أو رَجُلٍ في قَلْبِهِ شَحْنَاءُ» ١٦
الحديث الثامن: «إذا كان لَيْلَةُ النِّصْفِ مِن شَعْبانَ نَادَىٰ مُنَادٍ: هل مِن مُسْتَغْفِرٍ فأَغْفِرَ لَهُ؟ هل مِن سائِلٍ فأُعْطِيَهُ؟ فلا يَسْأَلُ أحدٌ شيئًا إلَّا أُعْطِي إلَّا زَانِيَةً بفَرْجِهَا أو مُشْرِكًا» ١٦
الحديث التاسع: «هذه ليلةُ النِّصْفِ مِن شَعْبانَ، إنَّ الله عزَّ وجلَّ يَطَّلِعُ علىٰ عِبادِهِ في ليلةِ النِّصْفِ مِن شَعْبانَ فيَغْفِرُ للمُسْتَغْفِرِينَ، ويَرْحَمُ المُسْتَرْحِمِينَ، ويُؤَخِّرُ أهلَ الحِقْدِ كما هم» ١٧
الحديث العاشر: «في لَيْلَةِ النِّصْفِ مِن شَعْبانَ يَغْفِرُ اللهُ لأهلِ الأرضِ إلَّا مُشْرِكًا أو مُشَاحِنًا» ١٨
الآثار الواردة في هذه الليلة ١٩
ما يقال من الدعاء في هذه الليلة ٢٠
أصل الدعاء المشهور بين العوام ٢٢
هل هذه الليلة تنسخ فيها الآجال؟ ٢٣
ذكر الأحاديث الدالَّة علىٰ أنَّ ليلة النصف من شعبان تُنسخ فيها الآجال وبعضها أشد ضعفًا من بعضٍ ٢٣
الحديث الأول: «إنه ليس نفسٌ تموتُ في سَنَةٍ إلَّا كُتِبَ أَجَلُها في شعبانَ، وأُحِبُّ أن يُكتَبَ أجلي وأنا في عبادة ربِّي، وعملٍ صالحٍ» ٢٣
الحديث الثاني: «في هذه الليلةِ يُكْتَبُ كُلُّ مُوْلُودٍ وهَالِكٍ مِن بني آدمَ، وفيها تُرْفَعُ أعْمَالُهم، وتَنْزِلُ أَرْزَاقُهُمْ» ٢٤
الحديث الثالث: «تُقْطَعُ الآجَالُ مِن شعبانَ إلىٰ شعبان، حتَّىٰ إنَّ الرجُلَ لَيَنْكِحُ ويُولَدُ له وقد خَرَجَ اسْمُهُ في المَوْتَىٰ» ٢٤
الحديث الرابع: «يَفْتَحُ اللهُ الخَيْرَ في أربع ليالٍ: لَيْلَةِ الأَضْحَىٰ، ولَيْلَةِ الفِطْرِ، ولَيْلَةِ النِّصْفِ

مِن شَعْبانَ...» الحديث ٢٤
الحديث الخامس: «تُقْطَعُ الآجَالُ مِن شعبانَ إلى شعبانَ، حتَّى إنَّ الرَّجَلَ يَنْكِحُ ويُولَدُ له وقد خرج اسْمُهُ في المَوْتَى» ٢٤
الحديث السادس: لم يكن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في شهرٍ أكثر صيامًا منه في شعبان؛ لأنه ينسخ فيه أرواح الأحياء في الأموات...» الحديث ٢٥
الحديث السابع: «في ليلةِ النِّصْفِ مِن شعبانَ يُوحِي اللهُ إلى مَلَكِ المَوْتِ بقَبْضِ كُلِّ نَفْسٍ يُريدُ قَبْضَهَا في تِلْكَ السَّنَةِ» ٢٥
الحديث الثامن: لم يكن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في شهرٍ أكثر صيامًا منه في شعبان، وذلك أنه ينسخ فيه آجال من ينسخ في السَّنَة ٢٦
مناقشة القول بأنَّ ليلة النصف تُنسَخ فيها الآجال والأرزاق وغيرها ٢٦
من لا يغفر لهم في هذه الليلة ٢٨
إن الشرك لظلم عظيم ٢٨
التشاحُن يمنع المغفرة ٢٨
أعظم الذنوب بعد الكُفْر ٢٩
لا يدخل الجنَّة قاطِعٌ ٣٠
الذي لا ينظر الله له يوم القيامة ٣٠
عُقوق الوالدين ٣١
الخمر أمُّ الخبائث ٣٢
الزَّانية بفرجها ٣٢
هل وردت صلاة مُعيَّنة في هذه الليلة ٣٤
أحاديث موضوعةٌ مكذوبةٌ ذكرها المصنِّف للتنبيه عليها ٣٤
الحديث الأول: «يا عليُّ، مَن صَلَّى مائةَ رَكْعَةٍ في لَيْلَةِ النِّصْفِ مِن شَعْبانَ يَقْرَأُ في كُلِّ رَكْعَةٍ

بفاتحة الكتاب و«قل هو الله أحد» عشر مرَّاتٍ...» الحديث ٣٤
الحديث الثاني: «مَن قَرَأَ ليلةَ النِّصفِ مِن شعبانَ ألف مَرَّةٍ «قل هو الله أحد» في مائة ركعةٍ لم يَخرج مِن الدُّنيا حتَّىٰ يبعثَ اللهُ إليه في مَنامِهِ مائةَ مَلَكٍ...» الحديث ٣٤
الحديث الثالث: «مَن صَنَعَ مثل الذي رأيتَ كان له كَعِشْرِينَ حَجَّةً مَبْرُورَةً...» الحديث ٣٥
الحديث الرابع: «مَن صَلَّىٰ ليلةَ النِّصفِ مِن شعبانَ ثنتي عشرة ركعةً يقرأ في كلِّ ركعةٍ «قل هو الله أحد...» الحديث ٣٥
الحديث الخامس: «مَن صَلَّىٰ ليلةَ النِّصفِ من شعبانَ خمسين ركعةً قضىٰ اللهُ له كلَّ حاجةٍ طلبها تلك الليلة» ٣٥
الحديث السادس: «مَن قَرَأَ ليلةَ النِّصفِ مِن شعبانَ «قل هو الله أحد» ألف مرَّةٍ في عشر ركعاتٍ...» الحديث ٣٦
فتوىٰ للحافظ ابن الصَّلاح حول ليلة النِّصف من شعبان ٣٧
الخلاصة ٣٩

٢ - غايةُ الإحْسانِ في فَضْلِ زكاةِ الفِطْرِ وفَضْلِ رَمَضانَ

الإهداء ٤٣
مقدِّمة ٤٥
كيف كان بدء الصِّيام ٤٧
كيف تدرَّجت أحوال الصِّيام ٤٨
هل فُرض صوم رمضان مِن قبلنا؟ ٥٢
قصة الرجل الذي جاء يسأل عن الإسلام ٥٣
أسهم الإسلام الثمانية ٥٦
فتح أبواب الجنَّة في رمضان ٥٧

صيام رمضان يُكفِّر الذنوب ٥٩
فضل الجود في شهر رمضان ٦٠
من أسباب تضاعف جُوده صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في رمضان ٦١
فضل تلاوة القرآن في شهر رمضان ٦٣
ما أعطيته هذه الأُمَّة في شهر رمضان ٦٤
باب الرَّيَّان للصائمين ٦٩
الصوم جُنَّـةٌ ووِقايةٌ ٦٩
من معاني قوله تعالى في الحديث القدسيِّ: «الصِّيامُ لِي وأنا أَجْزِي بِهِ» ٦٩
اختُلف: هل يقول إني صائمٌ بلسانه ويخاطب بها خصمه، أو يقولها في نَفْسِهِ؟ ٧٢
تنبيه: حول ترجيح الحافظ ابن عبدالبر الصوم على كلِّ العبادات ٧٢
متي يكون الصوم جُنَّـةً؟ ٧٣
قصة الصائمتين اللتين اغتابتا النَّاسَ ٧٤
مضاعفات الحسنات والسيِّئات في رمضان ٧٦
الصيام على أنواع ٧٧
المَحْرُومُ من حُرِمَ خَيْر رمضان ٧٧
فضل السَّحُور ٧٨
تنبيهات: الأول: ينبغي تأخير السَّحُور وتعجيل الفِطْر ٧٩
الثاني: طعام السَّحُور إذا كان حلالًا من النعيم الذي لا يُحاسب عليه. ٨٠
الثالث: ينبغي للصائم عند إفطاره أن يقول ما ورد في ذلك من أذكار ٨٠
قيام رمضان ٨١
قيامه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالناس في رمضان ٨٢
عدد ركعات القيام ٨٣

ليلة القَدْر ٨٥
متى تكون ليلة القَدْر؟ ٨٦
علامة ليلة القَدْر ٨٦
استنباط ابن عبَّاسٍ تعيين ليلة القَدْر ٨٧
قصة المتخاصمين التي بسببها رُفع تعيين الليلة ٨٩
هل علمها النبيُّ بعد نسيانها؟ ٨٩
هل يُخبِر بها مَن رآها؟ ٩١
كيف يراها الرائي؟ ٩١
هل كانت ليلة القَدْر في الأُمَمِ مِن قبلنا؟ ٩١
قيام ليلة القَدْر يُكفِّر الذنوب ٩٢
هل يُعطَى ثوابها وإن لم يَعْلَمْها؟ ٩٣
هل تمكن رؤيتها؟ ٩٤
أقل ما يحصل به قيام الليل ٩٤
هل يستحب الاغتسال ليلة القَدْر؟ ٩٥
هل للنُّفَساء والحائض نصيبٌ مِن ليلة القَدْر؟ ٩٦
أي العمل أفضل في هذه الليلة؟ ٩٧
إحياء ليلتي العيدين ٩٧
هل يكون إحياء ليلتي العيدين في جماعة؟ ٩٨
أقل ما يحصل به الإحياء ٩٨
استحباب التكبير ليلة عيد الفِطْر ٩٩
كيفية التكبير ٩٩
يوم عيد الفِطْر يُسمَّى يوم الجائزة ١٠٠

استحباب الأكل قبل الصلاة يوم عيد الفطر ١٠١
من الحِكْمة في تعجيل الفِطْر قبل الصلاة يوم عيد الفطر ١٠١
الحِكْمة من الإفطار على التمر ١٠١
زكاة الفِطْر ١٠٢
حِكْمَة فرضيَّتها ١٠٢
متى تخرج يوم العيد؟ ١٠٣
هل يشترط فيها النِّصاب؟ ١٠٤
مقدار زكاة الفِطْر ١٠٤
هل يصح إخراجها قبل العيد؟ ١٠٥
الدعاء يوم العيدين ١٠٦
خاتمة الكتاب ١٠٦

٣- إتحافُ النُّبلاء في فَضْلِ الشَّهادَةِ وأنواعِ الشُّهداء

مقدِّمة ١٠٩
معنى الشَّهادة ١١٠
التنبيه على مسألتين: الأولى: المراد بـ «الشهداء» في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ١١١
الثانية: اشترط العلماء شروطًا لم يشترطوها في الرِّواية ١١١
فضل الشَّهادة ١١٣
فائدتين عظيمتين في فضل الشَّهادة ١١٤
صرَّح الفقهاء بأنَّه لا يجوز الدُّعاء بالممتنع شرعًا أو عادةً (ت) ١١٤
فضلُ الشُّهداءِ ١١٥
الحِكْمة مِن اختصاص والد جابرٍ رضي الله عنهما بكلام الله له بعد استشهاده ... ١١٦

الشُّهداء لا يُحاسبون ١١٧
أفضل الشُّهداء ١١٨
القَتْلَى ثلاثةٌ ١٢٠
ذنـوب لا تُكَفِّـرِها الشَّهـادة ١٢٣
الأوَّل: الدَّين ١٢٣
الثَّاني: العُقوق: ١٢٤
الثَّالث: الأمانة: ١٢٥
الرَّابع: النِّفَاق..... ١٢٥
أرْوَاحُ الشُّهَدَاءِ في الجنَّةِ ١٢٦
أين تذهب الأرواح بعد الموت ١٢٩
تنبيه: حول اختلاف الرِّويات في مكان أرواح الشهداء..... ١٣١
استشكال حول وجود روح المؤمن في حَوْصَلة الطير والجواب عليه..... ١٣٢
تنبيه آخر: حول من استُشهد وعليه دين ١٣٣
شهيد البحر ١٣٤
تنبيه: حول الدين الذي لا يحجب صاحبه عن الجنَّة شهيدًا كان أو غيره ١٣٥
شهيد الجوِّ..... ١٣٧
١ - طالب الشَّهادة..... ١٣٩
٢ - الميت في سبيل الله..... ١٤٠
جملة من الشُّهداء..... ١٤١
١ - الطاعون ١٤٤
٢ - المبطون..... ١٤٥
٣- الغريق ١٤٦

٤ - المطعون ١٤٦
٥ - صاحب الهَدْم..... ١٤٧
٦ - صاحب ذا الجنب..... ١٤٧
٧ - صاب الحريق..... ١٤٧
٨ - المرأة تموت بجمع..... ١٤٧
٩ - سادن بيت المقدس..... ١٤٨
١٠ - المريض بالسُّلِّ ١٤٨
١١ - المقتول دون ماله ١٤٩
١٢ - المقتول دون مظلمته..... ١٥٠
(١٣ - ١٤ - ١٥) - المقتول دون دينه، أو أهله، أو دمه ١٥٠
١٦ - موت الغربة ١٥١
١٧ - الميت مريضًا ١٥٢
١٨ - قراءة آخر (سورة الحشر)..... ١٥٤
١٩ - الميت على وضوء..... ١٥٥
٢٠ - صلاة الضُّحَى ١٥٥
٢١ - طالب العِلْم ١٥٦
٢٢ - العاشق العفيف..... ١٥٦
٢٣ - المقتول صَبْرًا..... ١٥٩
٢٤ - موت يوم الجمعة أو ليلتها..... ١٦٠
٢٥ - المصروع عن دابَّته ١٦١
٢٦ - الآمر لأميرٍ جائرٍ ١٦١
٢٧ - المؤذن المُحتَسِب..... ١٦٢

٣٧- المائد في البحر ١٦٣
٣٩- المتمسُّك بالسُّنَّة ١٦٤
الأولياء يُعطَون أجور الشُّهداء ١٦٥
خاتمة ١٦٦
حكاية الشاب الذي باع نفسه لله ١٦٧
قصة أخرىٰ تشبهها ١٧٠

٤- القَوْلُ المَسْمُوعُ في بيان الهَجْرِ المَشْرُوعِ

مقدِّمة ١٧٥
فصل: تحريم الهَجْر ١٧٦
فصل: سبب الهَجْر ١٨٠
فصل: أنواع الهَجْر ١٨١
الهَجْر ينقسم إلىٰ ثلاثة أنواعٍ ١٨٢
فصل: الهَجْر الإيجابي ١٨٣
النبيُّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم كان له أربع شخصياتٍ (ت) ١٨٥
فصل: الهَجْر الوقائي ١٩٠
كلمة حول القانون الوضعي إذا خالف ما حدَّه الشرع (ت) ١٩٤
قاعدة: «العِبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب» يغلط كثيرٌ من الناس في تطبيقها ١٩٨
من الهجر الوقائيِّ: هجر عوامِّ المسلمين للفِرق الضالَّة ١٩٨
فصل: الهجر السلبيِّ ١٩٩
فصل: الابتداع في العقيدة ٢٠١
فصل: الابتداع في الأمور الفرعية ٢٠٤
فصل: في المنكَر ٢٠٤

القرآن الكريم يسند أشياء إلى أسبابها، مع أنها خاصَّةٌ بالله تعالى وأمثلة على ذلك ٢٠٦
فصل: الحكم على المُنكَر ٢٠٧
فصل: في الجهاد ضد المُنكَر ٢٠٩
فصل: في معنى الهَجْر ٢١٠
فصل: الإسراف في معنى الهَجْر ٢١٤
ليس في المالكيـة معتزليٌّ ولا غيره من الفِرق الضالَّة، وهذا مما امتاز به المذهب المالكيُّ (ت) ٢١٤

٥ - النَّفْحَةُ الذَّكِيةُ في أنَّ الهَجْرَ بِدْعَةٌ شِرْكِيَّةٌ

تمهيد ٢٢١
الصواب الذي ليس بعده إلَّا الخطأ حُرْمَةُ الهَجْر بجميع أنواعه، ولا يوجد هَجْرٌ مشروعٌ لأجل الدِّين ولا لغيره ٢٢٢
الهَجْر من فعل المشركين وأمثلة على ذلك ٢٢٤
فصل: ما ابتدعه المشـركون أعداء الله لا يمكن أن يُشَـرِّعه الله لأوليائه المؤمنين.. ٢٣٢
بيان كلام أبي داود رحمه الله في سننه عن هَجْر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعض نسائه أربعين يومًا ٢٣٣
فصل: تحريم هجر المسلم للمسلم له أسبابٌ وحِكَمٌ ٢٣٥
فصل: أنواع العقوبات التي فرضها الشارع ٢٤١
فصل: في بيان أنَّ الهجر ليس من التعزير في شيءٍ، وخطأ الاستدلال بقصة كعبٍ وصاحِبَيه ٢٤٦
الحِكْمَة في تخصيص كعبٍ وصاحِبَيه بتوقيف توبتهم حتَّى ينزل الوحي بقبولها ... ٢٤٨
فصل: في استعمال سيِّدنا عمر رضي الله عنه للهَجْر ٢٤٩
فصل: تصيَّد وهابيٌّ مُتزمِّتٌ أحاديث توهم أنها تفيد مشروعية الهَجر الدائم ٢٥١

استشكال حول كون هجران الفاسق أو المبتدع مشروعًا، ولا يشرع هجران الكافر وهو أشد جرمًا منهما والجواب عليه ٢٥٨
الخلاصة: أنه لا يوجد دليلٌ مِن الكتاب أو السُّنَّة الصحيحة يفيد جواز هجر العاصي أو المُبتدِع، وإنما يوجد الحديث المتواتر الذي يفيد أنَّ الهجر كبيرةٌ يوجب دخول النار، وأنه لا يجوز إلَّا لمدَّة ثلاثة أيام، على سبيل الرخصة، سواء أكان للدِّين أم للدُّنيا..... ٢٥٩
مسائل تؤكِّد تحريم الهجر في الإسلام تحريمًا قاطعًا، وتُبيِّن خطيئة مَن زَعَمَ مشروعيته ٢٦٠
في علماء المسلمين مُبتدِعةٌ كثيرون ولم يقل أحدٌ مِن العلماء بهجر هؤلاء المبتدعة ومقاطعتهم؛ لأن الهَجْر ليس من الدين ٢٦٣
فصل: في معنى البُغض في الله ٢٦٩
لو وجب بُغض الكفَّار لما جاز أن يقاس عليهم المسلم العاصي أو المبتدِع في وجوب بُغضه..... ٢٧١
يحرم هَجْر المسلم العاصي أو المبتدِع وبغضه ولعنه ومقاطعته، ومَن فعل شيئًا في ذلك فقد أتى كبيرةً مِن الكبائر ٢٧٦
تتمَّة فيها مسائل ٢٨٥

٦- قَمْعُ الأَشْرَارِ عن جَرِيمَةِ الانْتِحَارِ

مقدِّمة ٢٩٥
سبب تأليف الرِّسالة ٢٩٥
الباب الأول: في النهي عن الانتحار وما جاء من الوعيد في فعله ٢٩٧
فصل: مَن قتل نفسه بشيءٍ عُذِّب به يوم القيامة ٣٠٢
حُكْم مَن حلف بملَّةٍ غير الإسلام (ت) ٣٠٣
فصل: الانتحار كبيرةٌ، بل من أكبر الكبائر ٣٠٦
حُكْم المنتحِر مهدر الدم ٣٠٧

فتوى عزِّ الدين فيمن قتل نَفْسِهِ إذا علم أنه أتى ما يوجب القتل أو يستحب أو يحرم ٣٠٧
فصل: هل مَن قتل نفسه يُخلَّد في النار ٣٠٨
الردُّ على المعتزله في دعواهم أنَّ مُرتَكِبَ الكبيرة يَخْلُد في النَّار (ت) ٣٠٨
الجواب على حديث أبي هريرة: «**خالِدًا مُخلَّدًا فيها أبدًا**» من وجوه ٣١٣
الجواب على حديث جُنْدب بن عبدالله: «**حَرَّمْتُ عليه الجنَّة**» من وجوه أيضًا ٣١٥
فصل: في استشكل ابن دقيق العيد وغيره قوله في حديث جُنْدُبٍ: «**بادَرني عبدي بنَفْسِهِ**» فإنه يقتضي أن قاتل نَفْسِهِ لو لم يفعل كان قد تأخَّر أجله وعاش لكنه بادر فتقدَّم، والجواب عليه بجوابين ٣١٧
تنبيه: في معنى القضاء والقَدَر والفرق بينهما وبعض ما يتعلَّق بهما (ت) ٣١٧
الباب الثاني: في حكم الصلاة على قاتل نفسه ٣٢١
تحرم الصلاة على غير المسلم، وبيان خطأ ما شاع استعماله في الجرائد المصرية من وصف موتى المسيحين وغيرهم من الكفَّار والمُلحدين بالمرحوم الخواجه فلان، أو المغفور له الخواجه فلان (ت) ٣٢٣
إجماع العلماء من الصحابة والتابعين على أنَّ مُرتكِب الكبيرة يُصلَّى عليه ٣٢٤
امتناع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من الصلاة على الرجل الذي قتل نفسه أجاب عنه العلماء بأنَّ ذلك كان للتأديب وزجر الناس عن مِثل فِعْلِهِ ٣٢٥
خاتمة: في النهي عن تمنِّي الموت والدُّعاء به إلَّا إذا خاف أن يُفتَن في دينه ٣٢٧

٧- الرُّؤيا في الكِتابِ والسُّنَّة

تمهيد ٣٤١
مقدمةٌ تشتمل على مسائل ٣٤٣
المسألة الأولى: الفرق بين الرُّؤيا -بوزن فُعلى- و الرؤيه بالهاء ٣٤٣
المسألة الثانية: حقيقة الرُّؤيا ٣٤٤

تنبيه: حول بعض مَن أنكر الرُّؤيا ٣٤٥
المسالة الثالثة: اختُلِف في النائم المستغرق هل تصح رؤياه أم لا ٣٤٦
المسألة الرابعة: ما يَصْدُق من الرُّؤيا وما يكذب ٣٤٧
أنواع الرُّؤيا ٣٤٩
أقسام الرُّؤيا الصحيحة ٣٥١
تنبيه: جول تعبير رؤيا الكافر أو الفاسق إذا كانت صالحة ٣٥١
المسألة الخامسة: الرؤيا الصادقة مِن الله، والحُلُم من الشيطان ٣٥٢
ماذا يفعل من رأىٰ رؤيا صالحة ٣٥٣
ماذا يفعل من رآىٰ رؤيا يكرهها، وبيان الحِكْمة من ذلك ٣٥٣
تنبيه: حول كيفية الاستعاذة إذا رأىٰ المسلم في منامه ما يكرهه ٣٥٥
المسألة السادسة: الرؤيا الحَسَنةُ من الرجل الصالح جزءٌ من ستةٍ وأربعين جزءًا من النُّبوَّة ٣٥٦
رواية حديث: «ورؤيا المسلم جزءٌ من خمسٍ وأربعين جزءًا من النُّبوَّة» ٣٥٦
تنبيه: حول ثبوت لفظ: «من النُّبوَّة» في جميع طُرُق الحديث، ولم يأتِ في شيءٍ منها لفظ: «من الرسالة» ٣٥٨
كيف تكون الرؤيا جزءًا من النُّبوَّة، مع أنها خُتمت بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم؟! والجواب عليه من وجوه: ٣٥٨
المسألة السابعة: اختُلف في أجزاء النبوة التي أشار إليها الحديث، هل يمكن معرفتها؟ ٣٦١
أجزاء النبوة كما ذكرها الحليميُّ حسب اجتهاده ٣٦٣
المسألة الثامنة: «لم يبقَ من النبوة إلَّا المُبشِّرات» ٣٦٧
المسألة التاسعة: قال: رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم «مَن رآني في المنامِ فسَيَراني في

اليقظةِ، ولا يَتمثَّل الشَّيطانُ بي» ٣٧٠
اختلف العلماء في تأويل الحديث على أقوالٍ ٣٧١
رؤياه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم تُعبَّر بحسب مايراه الرائي من زيادةٍ ونقصانٍ أو إساءةٍ أو إحسانٍ ٣٧٢
ذِكْر رؤيتين للشيخ محيي الدِّين بن العربي الحاتمي للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم تأييدًا لما قرَّره من أنَّ رؤيا على غير صورته الحقيقية لا يكون المرئي فيها ذاته الشريفة، بل ذلك المرئي صورة الشرع بالنسبة إلى اعتقاد الرائي أو حاله (ت). ٣٧٢
تنبيهات: الأول: حول زيادة لفظ: «ولا بالكَعْبَةِ» في قول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «مَن رآني في المَنامِ فسَيَراني في اليَقَظَةِ، ولا يَتَمَثَّل الشيطانُ بي ولا بالكَعْبَةِ» ٣٧٨
الثاني: حول قول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم: «مَن رآني في المنامِ فلن يدخلَ النَّار» ٣٧٨
الثالث: الفرق بين الرؤيا والإلهام، وكلام حول حُجِّيَّة الإلهام ٣٧٩
الرابع: حول حديث «اتقوا فِراسة المؤمن فإنَّه ينظرُ بنور الله» ٣٨٣
المسألة العاشرة: رؤيا الله تعالى في المنام ٣٨٣
ذكر بعض من نقل عنهم رؤية الله تعالى في المنام ٣٨٦
يرمز بعض الصوفية للحضرة الإلهية بليلى وسُعْدى ونُعْمى - بضم النون وسكون العين- ونحو ذلك من أسماء النِّساء وهو خطأٌ قبيحٌ لا عُذْر لهم فيه إلَّا أن يقال: أنه خرج منهم في حالة شطحٍ وعدم وعي؛ لأنَّ الحضرة الإلهية أعلى وأجلُّ مِن أن تكون موضع تغزُّل وتشبيب ٣٨٧
المسألة الحادية عشرة: أصدق الرؤيا بالأَسْحَار والسبب في ذلك ٣٨٩
أسرع الرؤيا تأويلًا بعد الأَسْحار رؤيا القيلولة ٣٨٩
المسألة الثانية عشرة : الكذب في الرُّؤيا ٣٩٠

لماذا اشتد الوعيد على الكذب في المنام؟ ٣٩١
المسألة الثالثة عشرة: الرُّؤيا لِأوَّل عَابرٍ ٣٩٣
المسألة الرابعة عشرة : مِن أدب الرَّائي ٣٩٥
تعبير الرؤيا عند صلاة الصبح أولى من غيره من الأوقات لأسباب ٣٩٦
من أدب العابر ٣٩٧
المسألة الخامسة عشرة : علم تعبير الرؤيا أصله مأخوذٌ بالتوقيف ٣٩٧
يحرم أن يُفسِّر الرُّؤيا من لا علم له بها ٣٩٨
ذكر الأنبياء المنقول عنهم كلام في التعبير ٤٠٠
ذكر من كان يُجيد التعبير من الصحابة ٤٠١
ذكر من اشتهر بهذا العلم من التابعين والعلماء ٤٠٣
ذكر الكتب المُصنَّفه في هذا العلم بأنواعه الثلاثة ٤٠٤
تنبيه: كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يُعبِّر على الأسماء. يعني يُعبِّر اسم سالم بالسَّلامة، ورباح بالرِّبح، ونجاح بالنَّجاح، ويسار باليُسْر، وسَهْلٌ بالسُّهولة، وهكذا ٤٠٦
تعبير ابن سيرين لرؤيا رجلين على حسب حالهما ٤٠٧
تعبير بعض الرؤى لأبي العباس المقدسيِّ المعروف بالشهاب العابر ٤٠٧
المسألة السادسة عشرة: أول رؤيا كانت في الأرض ٤٠٩
ما جاء في القرآن من الرُّؤيا ٤١١
الرؤيا الأولى: رؤيا إبراهيم عليه السَّلام ٤١١
بيان خطأ عبدالوهاب النجَّار في كتاب "قصص الأنبياء" حول كلامه عن المنامات عند الصالحين ٤١١
الرؤيا الثانية: رؤيا يوسف عليه السَّلام ٤١٣
تنبيهان: الأول: حول حديثٍ مُنكَرٍ عن النجوم التي رآها يوسف يسجدون له. ٤١٤

الثاني: حول مدَّة تحقق الرُّؤيا ٤١٤
الرؤيا الثالثة: رؤيا صاحِبَي السِّجن ٤١٥
الرؤيا الرابعة: رؤيا مَلِك مصر ٤١٧
الرؤيا الخامسة: رؤيا النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يوم بدرٍ ٤١٩
تنبيه: حول قوله الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ ٤١٩
الرُّؤيا السادسة: رؤيا النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في الحديبية ٤٢١
باب: ما جاء في السُّنَّة من الرُّؤيا ٤٢٥
الفصل الأول: ما رآه النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٤٢٦
رؤيا اختصام الملأ الأعلى ٤٢٦
تنبيه: يستدل بعض غُلاة أهل السُّنَّة بحديث رؤيا الله في المنام على إمكان رؤيته تعالى في اليقظة وهو خطأ ٤٣٢
استشكال: حول قول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «فأوَّلتهما كذَّابين يخرجان بعدي أحدهما الأسود العَنْسِيُّ، والآخر مُسَيلِمَةُ» لأنَّ الأسود العَنْسِيَّ ادَّعى النبوة في حياة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، والجواب عليه ٤٣٨
تنبيه: في الكلام على حديث سَمُرَةَ بن جُنْدُبٍ: أنَّ رجلًا قال: يا رسول الله، رأيت كأنَّ دَلْوًا دُلِّيَ من السماء... الحديث ٤٤١
ذكر رؤيا النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لعذاب بعض العصاة مِن أُمَّته ٤٤٣
يحْرُم على المرأة أن تمنع طفلها الرضيع مِن لَبِنها (ت) ٤٤٩
رؤيا النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لفضل بعض الأعمال الصالحة ٤٦٢
الفصل الثاني: فيما رآه الصحابة في العهد النبويِّ ٤٧١
تنبيه: حول استشكال إثبات الأذان برؤيا عبدالله بن زيدٍ؛ ورؤيا غير الأنبياء لا يثبت بها

حكمٌ شرعيٌّ لأنها ليست بوحيٍ ٤٧٣
الفصل الثالث: فيما رآه الصحابة بعد العهد النبويِّ ٤٩٨
من عجيب زجر الطير (ت) ٥٠٧
خاتمة: في ذكر بعض مبشِّرات رُؤي فيها النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٥١٠
تنبيهات: الأول: زعم بعض المعاصرين أنَّ وصف «الأمِّي» الذي وُصِف به النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في القرآن والسُّنَّة، ليس معناه عدم القراءة والكتابة لكنه نسبة إلى الأمم ٥٣٠
تأويل الأمِّي بهذا المعنى لا يُعرف في اللغة العربية وهو يؤيد قول المستشرقين الذين يزعمون أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان كاتبًا قارئًا (ت) ٥٣٠
الثاني: حديث سهل بن الحنظلية الذي عزاه الحافظ إلى ابن أبي شيبة وعمر بن شبة، رواه أبو داود في سننه، لكن ليس فيه اللفظ المستدَل به، فلذلك لم يعزه إليه ٥٣١
الثالث: قول عُيَيْنَة بن حصن: «كصحيفة المُتَلَمِّس» هذا مَثَلٌ يضربه العرب لمن حمل شيئا فيه هلاكه وهو لا يشعر ٥٣١
الرابع: حديث سهل بن الحنظلية أصح حديث جاء فيه كتابة معاوية للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ولم يثبت أنه كتب شيئًا من القرآن ٥٣١
الخامس: حول رؤيا فيها دفاع عن كتاب "الإحياء" للغزاليِّ ٥٣٣
قاعدة عظيمة في التعبير ٥٣٥
فهرس الموضوعات ٥٤٥

١٣- فهرس المجلد الثالث عشر

الأدب والمتفرِّقات

١ - خَوَاطِر دِينِيَّةٌ (الجزء الأول)

مقدِّمة ١١
أركان الإيمان المُنجِي يومَ القِيامَةِ ١٢
١ - الإيمان بالله سبحانه ١٢
٢ - الإيمان بالملائكة ١٤
٣ - الإيمان بالرُّسل ١٥
٤ - الإيمان بالكُتُب ١٧
٥ - الإيمان باليوم الآخِر ١٨
٦ - الإيمان بالقَدَر ٢٠
تلازم أركان الإيمان ٢٢
تأبيد الكفَّار في النَّار ٢٦
عيسىٰ عليه السلام لا يشفع للنصارىٰ ٢٧
من صيغ الوجوب ٢٨
السُّكوت في مقام البيان يفيد الحصر ٢٩
حياة النبيِّ صلىٰ الله عليه وآله وسلم في قبره الشريف ٣١
أمر الله نبيه بالاستشفاع لأمته ٣١
الأنبياء لا يبلون بعد الموت ٣١
الذَّبيح هو إسماعيل عليه السلام ٣٢
وجوب الخلود في الجنة والنَّار نقليٌّ ٣٥
فرعون مات كافرًا ٣٧

لو رأيتني وأنا أدسُّ مِن حال البحر في فم فرعون (حديثٌ منكر) ٤١
الرسل المذكورون في (سورة البقرة) ٤٢
بنو إسرائيل لم يعودوا إلى مصر بعد غرق فرعون ٤٣
الاستخدام ٤٦
معنى خيانة امرأتي نوحٍ ولوطٍ ٤٧
فتنة داود عليه السَّلام ٥٠
فتنة سليمان عليه السَّلام ٥٢
فرعون كان يستخدم السَّحرة مجَّانًا ٥٤
موسى لم يدرك شُعيبًا عليهما السَّلام ٥٥
نكت في كلام الخَضِر عليه السَّلام ٥٦
الفرق بين: اسطاعوا، واستطاعوا ٥٧
الفرق بين: الضياء، والنور ٥٨
قصة الغرانيق ٥٨
معنى آية العفو ٦١
معنى آية فداء الأسرى ٦٢
قصة زيد وزوجه زينب ٦٤
النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أفضل الخَلْق ٦٥
حل إشكال في آية القذف ٧٩
بعض الحقائق العلمية في القرآن ٨٠
الإسراء والمعراج كانا يقظة ٨٣
أقسام الوحي ٨٦
معنى الحروف المقطَّعة ٨٧

آية تتعلَّق باليهود..... ٨٩
هل عَمَّ الطوفان جميعَ الأرض؟ ٨٩
أدلَّة نبوَّة الخَضِر عليه السَّلام ٩٠
المزيَّة تَقْتَضي التفضيل ٩٢
مِن توسُّعات اللغة العربية..... ٩٣
لم لم تتكرَّر قِصَّة أهل الكهف وذي القرنين؟..... ٩٤
أرسل الله إلى أهل المغرب رسولًا ٩٥
معنى: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ ٩٧
ترك المعصية على ثلاثة أوجه ٩٨
الصبر على ثلاثة أقسام ٩٩
معنى الظلم..... ١٠٠
تلخيص قصة إبراهيم عليه السَّلام ١٠٣
قصة يونس عليه السَّلام ١٠٧
أسماء يومِ القِيامَةِ في القرآن الكريم..... ١٠٩
معنى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾..... ١١٢
معنى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ ١١٣
أنواع الجهاد ١١٥
أفضل الذِّكر..... ١١٧
القرآن أفضل الأذكار ١٢٢
معنى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾..... ١٢٣
المسلم لا يقتل بالكافر ١٢٤
جواز الفطر للصائم المتطوع بغير عذر ١٢٥

أسماء النار في القرآن الكريم ١٢٦
أسماء الجنة في القرآن الكريم ١٢٦
معنى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا ﴾ الآية ١٢٨
أقسام المعاصي في القرآن ١٢٩
المعاصي التي يجب فيها الحد الشرعي ١٣٤
أنواع الكفر ١٣٧
الفرق بين العقيدة والتعصُّب والتسامح ١٣٩
أفراد القرآن ١٤١
لِمَ لَمْ يكن في الجنِّ نصارى ١٤٣
ثناء النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على أدب الجنِّ ١٤٤
الجمع بين آيتي: ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ ١٤٥
لا يُعذِّب اللهُ أحبَّاءَه ١٤٦
من ذكروا في القرآن بأسمائهم ١٤٧
تنبيهان: الأول: حول نبوة ذي القرنين وعزير ولقمان. والتنبيه الثاني: حول إيمان العزيز بيوسف عليه السَّلام ١٤٨
الحشرات والحيوانات المذكورة في القرآن ١٤٩
حرمة مجالسة أهل المعصية ١٥١
التجارة في الحرام ١٥٣
الغموس هو الصبغ ١٥٤
الحصانة الديبلوماسية في القرآن ١٥٤
الاستيلاء على الأقوات وقت الأزمات ١٥٥

آزر والد إبراهيم عليه السلام ١٥٦
أهل الفترة ناجون..... ١٥٨
أيها أفضل في الصلاة؛ طول القيام أم الركوع والسجود؟ ١٦٢
لم قيل لمريم: ﴿وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ ١٦٤
عزيز مصر كان عديم الغيرة..... ١٦٥
الخلاف في أكل الفسيخ ١٦٦
المصريون والسِّحْر ١٦٧
علامات الساعة الكُبرى ١٦٩
حُكْم الدخان والنشوق ١٧١
أنواع الاجتهاد..... ١٧٦
ليس لبشرٍ أن يتناول الدِّين بإصلاحٍ أو تهذيب ١٨٠
فرض الكِفاية في الإسلام ١٨٤
الزَّكاة ودور الحكومات في جِبايتها ١٩١
حديث: «سَتَظْهَرُ معادن وسيحضُرها شِرار الخَلْقِ» ١٩٣
معنى يُخرِجُ الحيَّ مِن الميت ١٩٥
السبعة عدد كامل..... ١٩٥
استغاثة للمصنف أنشأها سنة ١٣٨٠ هجرية ١٩٨
أنواع النفاق ٢٠١
غلط في فهم قوله تعالى: ﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ﴾ ٢٠٢
آية جمعت الدِّين كلَّه ٢٠٣
أرجى آيةٍ في القرآن ٢٠٦
كتابان سارا مسير الشمس: "المقدمة الآجرومية"،"دلائل الخيرات" ٢٠٩

أصل الرقم الأفرنجي ٢١١
سقطات شنيعة للشيخ الصاوي في "حاشية الجلالين" ٢١٢
﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ ٢١٦
موالد أهل البيت والصالحين في مصر ٢١٨
ضريح الشيخ علي البكري ٢٢٠
لم اختصَّ موسى باللحية في الجنة؟ ٢٢١
الأصل في رقابة الأخبار الحربية ٢٢٢
علم اليقين، عين اليقين، حق اليقين ٢٢٣
أخفى الله تعالى أمورًا في أمور، لحكم ٢٢٤
مناقشة الجلال المحلِّي في مسائل من تفسيره ٢٢٥
معنى: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ ٢٣٠
للمرأة حق اختيار الزوج ٢٣٣
غلطٌ في فهم حديثٍ ٢٣٥
قاعدتان أصوليتان ٢٣٦
فوائد طاعة الله تعالى ٢٣٨
نكتة في قوله تعالى: ٢٤٠
﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴾، ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ﴾ ٢٤٠
نكتة في قوله تعالى: ﴿ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ ﴾ ٢٤١
كتاب: "في الشعر الجاهلي" ٢٤٢
"الإسلام وأصول الحكم" ٢٤٤
زواج المسلم بالكتابية ٢٤٥
أشد آية في القرآن ٢٤٧

من لطائف اللغة ٢٤٩
نكتة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ﴾ ٢٥١
لا غيبة لكافر ٢٥٢
معنى البر والإحسان ٢٥٣
المبشَّرون بالجنَّة ٢٥٦

٢ - خَوَاطِر دِينِيَّةٌ (الجزء الثاني)

مقدِّمة ٢٧٣
اتحاد البلاد الإسلاميَّة في الصوم ٢٧٥
لا يجوز وصف النبيِّ بالثائر ٢٨٤
لا يقال: «الله محبَّة» ٢٨٦
لا يقال: «اسعَ يا عبدي وأنا أسعى معك» ٢٨٩
نكت في فهم آيات ٢٩٠
لِمَ اختصَّت مريم وولدها عيسى عليهما السلام، بأنَّ الشيطان لم يمسهما عند ولادتهما؟ ٢٩٢
تعصُّبٌ مذمومٌ ٢٩٣
معنى حديث التداوي بالعسل ٣٠٨
حُكْمُ الصَّلاةِ في القمر ٣١٣
وجوب التحرُّز في الحديث النبويِّ ٣١٨
محاضرة عن التصوُّف في إفريقيا وخدمته للإسلام ٣٢٢
أثر التصوُّف في نشر الإسلام بأفريقيا ٣٢٢
فتوى لوالد المؤلِّف عن أصل التصوف ونشأته ٣٣٠
رد أحمد أمين على مَن زَعَمَ أنَّ التصوُّف دخيلٌ في الإسلام ٣٣٣

منشأ الزَّوايا الصوفيَّة بالمغرب ٣٤٧
اعتراف المبشِّرين بأن خَصْمَهُم في إفريقيا هم الصُّوفِيَّة ٣٥٥
تكريم الإسلام للمرأة ٣٦٦
استعراض بعض الآيات الواردة في المرأة ٣٧٣
استعراض بعض الأحاديث الواردة عن المرأة ٣٧٩
لِمَ كان المهر على الرجل دون المرأة؟ ٣٨٩
أثبت الإسلام للمرأة حقَّ التصرُّف المطلق في مالها ٣٩٤
لِمَ ترث المرأة نصف نصيب الرجل؟ ٣٩٥
حق تعليم المرأة ٣٩٦
بحث في ذي القرنين ٤٠١
من هو الاسكندر، ومن هو قورش؟ ٤١٣
أين قبر الإسكندر؟ ٤٢٢
الكلام عن قوروش الملك الفارسي القديم: ٤٢٣
من هو قورش؟ ٤٢٤
أورشليم بناها ملك عربي ٤٢٧
مولد الحركة الصهيونية العالمية ٤٢٨
موازنة بين سيرة إسكندر المقدوني، وقوروش الفارسي في ضوء القرآن الكريم ... ٤٣٠
قوروش هو ذو القرنين ٤٣٦
الإتجاه إلى مغرب الشمس: ٤٣٧
السدُّ بين الحقيقة والخيال: ٤٣٩
لماذا لُقِّب بذي القرنين؟ ٤٤٢
تعليق سيدي عبدالله بن الصِّدِّيق على بحث يأجوج ومأجوج ٤٤٦

حديثٌ مُنكَرٌ في حفر السدِّ، وبيان نكارته ٤٤٨
يأجوج ومأجوج يخرجون على الناس من طريق غير السد ولا يحفرونه ٤٤٩
يأجوج ومأجوج من جنس البشر ٤٥١
قصة عجيبة ٤٥٣
تتمَّة ٤٥٥
فهرس الموضوعات ٤٥٩

١٤- فهرس المجلد الرابع عشر

مباحثات مع المعاصرين المخالفين

١ - الرَّدُّ المُحْكَمُ المَتينُ على كتاب "القول المبين"

مقدِّمة ٩
النَّعي على طائفة المُكفِّرين والمُبدِّعين للمسلمين وسبب تصنيف الكتاب ١٠
فصل: خطأ تخصيص المتنطِّعين الاحتجاج بالكتب الستة فقط وبيان بطلانه من وجوهٍ ١٢
فصل: في بيان حال كتاب "القول المُبين في حكم دعاء ونداء الموتى من الأنبياء والأولياء والصَّالحين" والتنبيه على بعض أخطائه وسبب تصنيف كتاب "الردِّ المُحكَم المتين على كتاب القول المُبين" ١٤
خروج المُتنطِّع عن الموضوعِ واستعماله آيات ليست من الموضوع في شيءٍ ١٧
بعض الأحاديث النبوية في حُرمة دماء ومال وعرض المسلمين ووجوب إحسان الظنِّ بهم ١٧
وصف العالِم عزيزٌ لا يتَّصف به إلَّا من توفَّرت فيه شروطٌ، وذكر هذه الشروط ..٢٠
التنبيه على تواتر حديث:«نَضَّرَ اللهُ امْرأً سَمِعَ مَقالَتي..» الحديث ٢٠
الشهادة (الورقة) التي يحملها بعض الناس لا تدلُّ على العِلْم.....٢٢
الإنكار على المحاكم التي لا تحكم بما أنزل الله وتعامي المتنطِّع عنها ٢٤
تنبيهات على أخطاء في خطبة كتاب المتنطِّع ٢٦
أخطاء المتنطِّع في تنزيله آيات الشِّرك على المسلمين الذين يعتقدون أن لا إله إلَّا الله ٢٨
الفرق بين دعاء المسلمين ودعاء المشركين (وهو من نفائس هذا الكتاب). ٢٩
بحثٌ أصوليٌّ في أنواع خطاب الشارع ٣٠
بيان أنَّ تلك الآيات التي نزلت في مشركي العرب لا تختصُّ بهم لكونها وردت بسببهم بل تعمُّ كلَّ من عَبَدَ شيئًا مِن دون الله واتَّخذه إلهًا مع الله، بما لا تجده مشروحًا في مكانٍ

آخر ٣٣
حقيقة الإشراك في اللغة تُباين حقيقة كلٍّ من التوسُّل والاستغاثة والدعاء ٣٥
حقيقة كفر المشركين الذين ذمَّهم القرآن هو اعتقادهم أنَّ آلهتهم شاركوا الله في الألوهيَّة وأنَّ لهم تأثير في الأسباب وهذا كفرٌ بلا مثنوية ٣٦
لا يُمكِن حمل الآيات التي ذمَّت المشركين على المسلمين في الحقيقة أو المجاز ٣٦
النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أمر بالتوسُّل به وتوسَّل بغيره من الأنبياء..... ٣٧
الاستغاثة ليست بإشراك ٣٧
أنواع فِرق المشركين ٣٨
عودة إلى ذمِّ تحميل المسلمين آيات المشركين ٤٥
المشركون يصرِّحون أنهم عبدوا آلهتهم والمسلمون لا يعبدون إلَّا الله فلا صلة بين الاثنين..... ٤٦
كلامٌ لابن كثيرٍ ينادي بتجهيل المتنطِّع ٤٧
الباب الأول: مناقشة المتنطِّع في أمور ادَّعاها عامَّة، مع أنَّها ليست عامَّة ولا خاصَّة وإنما غرضه حمل الآيات النازلة في المشركين على المسلمين الذين يسألون اللهَ بجاه فلانٍ أو بحقِّ فلانٍ ٤٩
المتنطِّع لا يعرف علم المعاني وبيان أنَّ عهدية الذِّهن لا تصلح في ادِّعاء المتنطِّع ومباحثة في عِلْم البيان ٤٩
المُتنطِّع مِن تلك الطائفة المُتهوِّسة ودأبها أن تختلق ألوانًا من الاستدلال تُخالف المعقول والمنقول ٥١
مناقشة ابن تيمية في مسألة الاستغاثة وإيراد عددٍ من الأحاديث عليه ٥١
أنواع الاستغاثة ٥٤
الشفاعة ثابتةٌ بالأحاديث المتواترة والإجماع ٥٧
حديثٌ صريح في الاستغاثة ٥٨

حديثان صريحان في الاستغاثة ٥٨
نقل النوويُّ الاستغاثة عن عددٍ من الشيوخ الكِبار في العِلْم ٥٩
الإجابة عن خطأ ابن تيمية في حُكْمِه على زُوَّار القُبور في فتوى خاصَّة به، وبيان ما عليه مِن مؤخذات تمَّ فيها التعقيب على كلام ابن تيمية فقرة فقرة، وإثبات ما فيها من أخطاء ومخالفتها للمعقول والمنقول في ثمان مؤاخذات ٦٠
عودٌ إلى المتنطِّع وإثبات أنَّ السؤال بحقِّ فلانٍ يرجع في الحقيقة إلى التوسُّل بصفةٍ من صفات الله، فالقائل: «اللهم إنِّي أسألك بنبيِّك» معناه: أسألك بحقِّ محبَّتك وإكرامك له، ومحبَّة الله وإكرامه صفة فعلٍ له تعالى، والتوسُّل بذلك جائزٌ إجماعًا..... ٧٨
محاولة المتنطِّع إنكار القياس والتعقيب عليه..... ٧٩
قوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ بالضرورة العقلية مخصوص بالعلماء وهو مما لا خلاف فيه ولا نزاع . ٨١
التنبيه على خطأ المخالف في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا﴾ وحمل المخالف هذه الآية على أهل التوسُّل يوافق تفسير الباطنية، فليس في علماء الإسلام مَن فسَّر الآية بما فسَّره بها، وبيان وجوه بطلان كلام المخالف بما لا تجده في مكانٍ آخر ٨٢
لا يزال المخالف مُتمسِّكًا بخطَّته المعوجَّة في حمل آيات المشركين على المسلمين، وهو تحريفٌ للنصوص ظاهرٌ، ومناقشته في معنى سؤال المخلوق ٨٨
استدلالات بالسُّنَّة من المخالف والتنبيه على أخطاءه..... ٨٩
حديث: «يَنْقَطِعُ يومَ القِيامَةِ كلُّ سَبَبٍ ونَسَبٍ إلَّا سَبَبي ونَسَبي» وذكر بعض طُرُقِه التي فيها الصحيح والحسن والضعيف المنجبِر، وصحَّحه التاج السبكي في أول الطبقات، والحديث يدلُّ دلالةً صريحةً على أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ينفع أهله وأقاربه في الآخرة بالشفاعة..... ٩٦

أحاديث الشفاعة متواترةٌ، ورواها عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أكثر من أربعين صحابيًّا، ورواياتهم مُخَرَّجةٌ في الصحيحين، والسنن، والمسانيد، والمعاجم، وغيرها من كتب السُّنَّة ١٠٣
تعيين مواطن الشفاعة..... ١٠٣
الجمع بين أحاديث الشفاعة وما قد يعارضها ١٠٤
أثر بلال بن الحارث المزني للقبر الشريف وإقرار عمر له وهو من أبلغ الرُّدود على المخالف ١٠٦
أثر عائشة في فتح كوى على القبر الشريف ١٠٦
تعيين مواطن الاستغاثة، والتوسُّل، والتشفُّع، والتوجُّه، بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ١١٢
معنى قول المخالِف أنَّ الإمام أبا حنيفة قال: «أكره أن يقول العبد أسألك بأنبيائك ورسلك، وبمعاقد العزِّ من عرشك، وبالبيت الحرام، وبالمشعر الحرام»، وهو حُجَّةٌ على المخالِف ١١٣
خطأ المخالِف في نقله من كتب الحنفيَّة ١١٦
كذب المخالِف على الإمام مالك وتحريفه للنصوص وتقويله للأئمَّة ما لم يقولوه ١١٨
تحرير عبارةٍ منقولةٍ عن الإمام مالك وهي كذبٌ عليه ١١٨
عبارة ابن الحاج في "المدخل" في باب زيارة القبور واستحبابه التوسُّل بأهل المقابر من الصالحين..... ١٢٠
عبارات بعض مُحقِّقي المالكية في زيارة القبور واستحباب التوسُّل ١٢٣
نصوص عن العلَّامة الوليِّ الكبير سيدي محمَّد بن ناصر الدرعيِّ في أجوبته، والعارف أبي زيد الفاسيِّ، والمحقِّق سيدي محمَّد بن عبدالقادر الفاسيِّ في شرح الحصن وغيرهم في هذا المعنى..... ١٢٤

رسائل المهدي الوزَّاني مفتي فاس والعلَّامة المشرفي والمحقِّق الطيب بن كيران في جواز التوسُّل وارد على المبتدِعة ١٢٤
حكاية عن الإمام مالكٍ صريحةٌ في جواز التوسُّل، بل استحبابة ١٢٥
تنبيه في اختلاف المالكية في محلِّ الوقوف للدعاء عند القبر الشريف ١٢٦
كذب المخالِف على الإمام الشافعيِّ ١٢٧
خلاصة مذهب الشافعيِّ في ذلك: أنَّ تجصيص القبر والبناء عليه والكتابة كلُّ ذلك مكروهٌ كراهة تنزيهٍ فقط، ثُمَّ إن كان البناء في غير المقابر المسبلة لم يُحرم ولم يُهدم..... ١٢٩
كذب المخالِف على أهل القرون الثلاثة بشهادة نفي تقدَّم خلافها..... ١٢٩
استدلال خاطئ للمخالف والإجابة عليه ١٣٤
تحريم القول في التفسير بلا عِلْم ١٣٥
التفسير روايةٌ عن الله؛ لأنَّه تعيين لمراده عن كلامه..... ١٣٨
حكم المخالِف على المسلمين الذين يسألون الله بأنبيائه وأوليائه بإلاشراك والضلال، وتعيين الفرق بين المتوسِّلين من المسلمين الموحِّدين وبين المشركين ١٤٢
مباحثة المخالِف في ثلاثة أمور وهي: الوقوف بخشوع عند القبور، والتقرُّب إلى الله بغير ما شرعه، وأخيرًا أنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لم يترك شيئًا يُقرِّبنا إلى الله إلَّا بيَّنه لنا . ١٤٤
الباب الثاني: في أدلَّة التوسُّل ١٥٣
تعيين المخاطب في قوله: : ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ ١٥٣
تناقض المخالف وتلاعبه..... ١٥٤
بعض الأحاديث التي تؤكِّد حقَّ آل البيت، وتوجب مودَّتهم واحترامهم..... ١٥٦
كون الآية شاملةً لأهل البيت لا يتوقَّف على وجودهم ساعة نزولها..... ١٥٩
ادِّعاء المخالِف ادِّعاءٌ مختلَقٌ مكذوبٌ ١٦٠
ادِّعاء المخالِف نسخ قوله تعالى: ﴿ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ﴾. ١٦٠

خطأ المخالِف وتناقضه..... ١٦٣
حديث: « لَمَّا اقترف آدم عليه السَّلام الخطيئة » وخطأ المخالف في الكلام عليه وفي عزوه وإسناده وتحريفه..... ١٦٤
عدم وجود الحديث في الكتب السبعة لا يدل على ضعفه..... ١٦٦
الحاكم صحَّح حديث توسُّل آدم..... ١٦٧
جهل المخالِف على الحاكم..... ١٦٨
تهويلٌ فارغٌ وتهويشٌ من المخالِف على الحاكم..... ١٦٨
خطأ المخالِف على عبدالرحمن بن زيد بن أسلم..... ١٦٩
خطأ المخالف في تكذيبه عبدالرحمن بن زيد بن أسلم..... ١٧٠
نقل ترجمة عبدالرحمن بن زيد بن أسلم من تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجرٍ كاملة، وهي على كثرة ما فيها من نصوص التضعيف، ليس فيها نصٌّ يفيد تكذيب عبدالرحمن ونسبته إلى الوضع، بل فيها على العكس نصوصٌ تصفه بالصَّلاح والصِّدق والعبادة والتقشُّف، وأنَّ ضعفه أتى من قِبل سوء حِفْظه وغفلته..... ١٧٣
الإنفصال على أنَّ عبدالرحمن بن زيد بن أسلم هو ضعيفٌ فقط، لا أقل ولا أكثر.... ١٧٧
اقتصار الذهبيِّ أيضًا على تضعيف عبدالرحمن بن زيد بن أسلم في الميزان..... ١٧٨
كذب المخالِف على الذهبيِّ وتحريفه لكلامه..... ١٧٨
الإنفصال على أنَّ حديث توسُّل آدم ليس بموضوعٍ..... ١٧٩
رواية أحمد في المسنَد لعبدالرحمن بن زيد بن أسلم مُقوِّيةٌ لحاله..... ١٨١
حديث توسُّل آدم رواه البيهقيُّ في دلائل النبوَّة وشرطه معروفٌ..... ١٨٢
رشيد رضا كان داعيةً للعمل بالقرآن دون السُّنَّة..... ١٨٤
اقتصر البيهقيُّ على تضعيف حديث عبدالرحمن بن زيد بن أسلم في توسُّل آدم..... ١٨٥
إيراد شاهدٍ لحديث توسُّل آدم..... ١٨٦

حديث عثمان بن حنيف في توسُّل الأعمى وخطأ المخالِف فيه مع اعترافه بقوته والتعقيب على كلامه من أمور ثمانية..... ١٩٠
ذكر بعض طرق وألفاظ حديث توسُّل الأعمى بما يصعب وجوده في مكانٍ آخر.... ١٩٢
بعض المعاصرين -ممَّا جمع بين بدعتَي الوهَّابية والتجسيم- تعرَّض لهذا الحديث في كتاب له سمَّاه: "الصراع" وردَّه بأمرين ٢٠١
أهل الأصول نصُّوا على: «أنَّ ممَّا يُقطع بكذبه، الخبر المنقول آحادًا فيما تتوفَّر الدواعي على نقله وبيان خطأ المُعترِض..... ٢٠٢
حديث الأعمى يدلُّ على جواز التوسُل بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في حضوره وغيبته، في حياته وبعد موته وبيان ذلك من وجوهٍ ٢٠٤
مناقشة المخالفين في أنَّ ادعاء تخصيص الحديث المذكور بذلك الضرير، أو بحالةٍ دون حالةٍ، خلاف الأصل، من عِدَّة وجوه ٢٠٩
عودٌ إلى مناقشة المخالف في حديث توسُل الضرير ٢١٢
كذب المخالف في ادِّعائه إجماع أصحاب النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، والذين اتبعوهم بإحسانٍ على ترك التوسُّل بعد انتقاله إلى الدار الآخرة..... ٢١٥
فإن قيل: لِمَ لمْ يتوسَّل عمر رضي الله عنه بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في المصلَّى، وعدل عنه إلى التوسُّل بالعبَّاس؟ فالجواب على ذلك من وجوهٍ..... ٢١٦
مناقشة المعترض على حديث الضرير من حيث الصناعة الحديثية ٢١٩
حديث الترمذيِّ في الرجل الذي سمع صاحب القبر يقرأ سورة (الملك) ومناقشة المعترض..... ٢٢٦
ذكر شاهد للحديث ٢٣٠
حديث قراءة (سورة الملك) من القبر حديثٌ ضعيفٌ وضعفة محتمل، وورود أخبار وآثار تشهد له ٢٣٢

بداية الكلام على حديث: «اللهمَّ إنِّي أسألُكَ بحَقِّ السَّائلينَ عليك، وبحَقِّ مَمْشايَ هذا...» الحديث. ومناقشة المخالِف فيه ٢٣٥
الحديث المذكور خرَّجه ابن ماجه في "سننه" والكلام عليه وعلى رجاله ٢٣٦
قول المخالف: «هذا الحديث مع كونه في غاية الضعف» كذبٌ وجهلٌ؛ لأنَّ الحديث حسنٌ، وعلى فرض أنه ضعيفٌ فليس هو في غاية الضعف ٢٣٨
الإجابة على بعض المعاصرين في الاستدلال بالحديث من ناحيةٍ أخرى ٢٣٩
نقل كلامٍ للعلَّامة محمد زاهد الكوثريِّ رحمه الله تعالى في هذا الحديث ٢٤٠
خطأ المخالف على حديث عرض الأعمال وهو حديث: «حياتي خيرٌ لكم، ومَماتي خيرٌ لكم، تُحدِثون ويُحدَثُ لكم، تُعْرَضُ عليَّ أَعْمالُكُمْ، فما رأيتُ مِن خيرٍ حَمِدتُ اللهَ، وإن يكُ سِوى ذلك اسْتَغْفَرتُ لكم» ٢٤١
بيان صحَّة حديث عرض الأعمال ٢٤١
ذكر شواهد للحديث ٢٤١
فإن قيل: قد أخبر الله تعالى عن هذه الأُمَّة أنها تشهد على غيرها، ولم يرد في حديثٍ ولا أثرٍ أنَّ أعمال الأُمَمِ تُعرَضُ عليها، والجواب من وجهين ٢٤٦
إيراد حديث مؤيِّدٌ لعرض الأعمال لا نافٍ له أخطأ المخالف في فهمه ٢٤٧
مناقشة كلام المخالف من عدة أمور ٢٤٧
من طرق حديث الحوض المتواتر وقد وصلت إلى عشرين طريقًا كما أشار إلى ذلك الحافظ السيِّد أحمد في بعض فتاوية ٢٤٩
المقرَّر في علم الأصول والمصطلَح، أنَّ الدليلين المتعارضين لا يرجح أحدهما على الآخر إلَّا إذا لم يمكن الجمع بينهما بوجهٍ من الوجوه، أمَّا إذا أمكن الجمع بينهما فهو الواجب ٢٥٠
الجمع بين حديث عرض الأعمال وحديث الحوض ٢٥١

تنبيه: اختلف العلماء في الرِّجال الذين يُذادون عن الحوضِ اختلافًا كبيرًا، وأنا أنقل كلام الحافظ مُلخَّصًا، وفيه إشارةٌ إلى صِحَّة حديث عرض الأعمال ٢٥٤
حديث الحوض مشكلٌ جدًا ويتعارض مع مذاهب بعض العلماء والواجب تقديم الحديث ٢٥٦
إشكال آخر على حديث الحوض ٢٥٧
ترك المخالف كثيرًا من الأدلة لجهلة بها وعدم توفيقه إلى الوقوف عليها، وأراد أن يغطِّي جهله بادِّعاء أنه في غِنًى عن الردِّ عليها ٢٥٧
حديث فاطمة بنت أسد أمِّ عليٍّ عليه السَّلام وقول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «رَحِمَكِ اللهُ يا أُمِّي، كنتِ أُمِّي بعد أُمِّي، تَجوعين وتُشْبعينَني، وتَعْرينَ وتَكْسِينني، وتَمْنعينَ نَفْسَكِ طَيِّبَ الطعامِ وتُطْعِمينَني، تُريدينَ بذلك وَجْهَ الله والدَّارَ الآخِرة» ٢٥٨
قولهم: «الحديث الضعيف لا يعمل به في الأحكام» ليس على إطلاقه كما يفهمه غالب الناس أو كلهم؛ لأنك إذا نظرتَ في أحاديث الأحكام التي أخذ بها الأئمَّة مجتمعين ومنفردين وجدت فيها من الضعيف ما لعله يبلغ نصفها أو يزيد، وربما وجدت فيه المنكَر والساقط القريب من الموضوع ٢٥٩
حديث أبي أُمامة الباهليِّ في التوسُّل حديث ضعيفٌ وله شاهدٌ قويٌّ ٢٦٠
حديث ابن عباس وفيه عبدالملك بن هارون بن عنترة وهو ضعيف..... ٢٦١
أحاديث وآثار في التوسُّل ٢٦٢
التنبيه على خطأ ابن تيمية في ادِّعائه كذب أثر مروي عن مالكٍ ٢٦٤
الوسيلة في اللغة تطلق على عدة معانٍ والكلام عليها ٢٦٥
التنبيه على خطأ المخالِف في تقسيم التوحيد وغرضه من هذا التقسيم إيجاد تناسب كبير بين حال المسلمين وحال المشركين وبيان خطأه ٢٦٧
ادِّعاء المخالف وجود حديث في النَّسائيِّ وليس فيه، ومناقشته في عزوه ومعناه. ٢٦٩
تعريف الرُّقَى والتِوَّلَة وبين المحرَّم منها ٢٧٠

وقال القرطبيُّ: «الرُّقَى ثلاثة أقسام»، ونقل الحافظ إجماع العلماء على جواز الرَّقَى بشروط ثلاثة ٢٧٢
بعض الأحاديث في الاستشفاء بالقرآن الكريم..... ٢٧٢
توجيه ما ورد عن مالكٍ من كراهة الرُّقية بالحديدة والملح وعقد الخيط ٢٧٨
جرأة المعترض في الكذب على الله ورسوله وعلى العلماء ٢٧٩
طرق حديث: « ما شاءَ اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ» ٢٧٩
تحرير خطأ المعترض ٢٨٤
مبحثان في النسخ ٢٨٦
الكلام على حديث ذات أنواط وخطأ المعارض في عزوه لكتب السُّنن فهو في النَّسائيِّ فقط ٢٨٧
خطأ المعترض على ابن جريرٍ الطبريِّ ٢٨٩
الآلوسي لم يتوقَّف في التوسُّل بالنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وكذلك العزَّ بن عبدالسلام ومثلهما الإمام ابو حنيفة والمعترض أخطأ عليهم ٢٩٢
التوسُّل بجاه غير النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لا بأس به أيضًا إن كان المتوسَّل بجاهه مما علم أنه له جاهًا عند الله تعالى ٢٩٤
الناس قد أكثروا مِن دعاء غير الله تعالى من الأولياء الأحياء منهم والأموات، مثل يا سيِّدي فلان أغثني، وليس ذلك من التوسُّل المباح في شيءٍ واللائق بحال المؤمن عدم التفوُّه بذلك ٢٩٤
ورد في التوسُّل بالحرمة حديثٌ ضعيفٌ ٢٩٤
فتوى العلامة الشوكانيِّ في التوسُّل بالأموات المشهورين بالفضل وكذلك الاحياء والاستغاثة بهم ونقل وكلام الشوكانيِّ من كتابه "الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد" ٢٩٥
لا نعلم في ذلك خلافًا قبل وجود ابن تيمية، وقد كان الناس يشدون الرحلة إلى القبر

الشريف بدون نكيرٍ من العلماء (ت) ٣٠٢
الباب الثالث: في أحكام القبور..... ٣٠٤
تكلَّم المعترض هذا الباب علي زيارة القبور وبناء المساجد عليها، والنَّذر لأصحابها، وقد نقل اتفاق الأُمَّة علىٰ أنَّ النهي للتحريم، وقد كذب في نقل هذا الاتفاق كما كذب في غيره علىٰ عادته ٣٠٤
مسألة سماع الموتىٰ وذكر مذاهب العلماء وأدلتهم وهو من انفرادات هذا الكتاب بهذه الطريقة والخلاصة أنَّ سماع الموتىٰ بعد عود الروح إليهم صحيحٌ لا غبار عليه ٣٠٥
قد أنصف المُتنطِّع هنا حيث أثبت حياة الأنبياء عليهم السلام، وإن أخطأ في الكلام علىٰ الأحاديث وعزوها، وخلاصةً وجيزةً جامعةً كتبها شَقِيقُنا الحافظ المُجتهِد السيِّد أحمد بن محمَّد الصِّدِّيق الغُماريُّ في حياة الانبياء..... ٣١٨
أحاديث وآثار أخرىٰ في حياة الأنبياء..... ٣٢٣
ذكر آثار في حياة الأنبياء..... ٣٣١
الجمع بين حديث حياة الأنبياء وحديث: «ما مِن أَحَدٍ يُسَلِّمُ عليَّ إلَّا رَدَّ اللهُ إليَّ رُوحِي حتَّىٰ أردَّ عليه السلام» وأجوبة الحافظ السيوطيِّ في كتاب "إنباء الأذكياء بحياة الأنبياء" ٣٣٤
أحاديث في أنَّ الأولياء والعلماء والمؤذِّنين لا تَبْلَىٰ أجسادُهم ٣٣٦
الشهداء لا تبلَىٰ أجسادهم..... ٣٤١
قراءة القرآن للموتىٰ ٣٤٤
ادِّعاء المخالف أنَّ قراءة القرآن الكريم لا تصل إلىٰ الميت ولا تنفعه ٣٤٤
اشتمل كلامه علىٰ خطأ في الدعوىٰ، وغلطٍ في الاستدلال، وكذبٍ في النقل وتفصيل الكلام علىٰ هذه الثلاثة..... ٣٤٤
قراءة القرآن علىٰ الموتىٰ وإهداء ثوابها إليهم مسألةٌ اختلف فيها العلماء وذكر المذاهب وترجيح الوصول..... ٣٤٤

قال غير واحدٍ من العلماء إنَّ قراءة القرآن تصل إلى الميت، وهو القول الصحيح الذي لا يجوز العدول عنه ٣٤٦
الثواب مِلْكٌ للعامل فإذا تبرَّع به وأهداه إلى أخيه المسلم أوصله الله إليه ٣٥٠
وقد وقع في "نصب الراية" أغلاط رغم اعتناء المجلس العلمي بطبعه وتصحيحه (ت) ٣٥٠
آثارٌ عن السَّلَف وغيرهم في القراءة على القبر ٣٥١
إنصاف الإمام أحمد وسرعة رجوعه إلى الصواب ووازنه بحال الوهَّابية وشدَّة تعصُّبهم لرأيهم الفاسد (ت) ٣٥٢
القراءة عند القبر كانت معروفةً عن السَّلَفِ..... ٣٥٥
قراءة القرآن تصل الميت كما يصله الدُّعاء والصَّدَقة والحجُّ والصِّيام، واستدلال المانعين بآية ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ والرد عليهم من وجوه ٣٥٥
آية ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ليس فيه دلالةٌ على منع إهداء ثواب القراءة للميِّت، ولم يستدل أحدًا بها قبل المخالف..... ٣٥٩
بعض المصنَّفات في وصول القُرُبات إلى الاموات ٣٦٠
لا مانع عند المصنِّف مِن إهداء قرآنٍ أو غيره إليه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وإن كان له ثواب ما تعمله أُمَّته مِن الخير؛ إذ لم يأتِ دليلٌ يمنع الإهداء المذكور، وكون الصحابة لم يفعلوه لا يدل على منعه ٣٦١
خاتمة الكتاب ٣٦١
تذييل: التنبيه على ما شاع بين كثيرٍ من الناس من ألفاظ مستشنعة في توسُّلاتهم وزياراتهم للأولياء، وذكر طائفة من هذه الألفاظ ٣٦٣
لا يجوز التوسُّل باليهود والنصارى لأنهم أعداء الله ورسوله وأعداء دينه وهم مخلَّدون في النَّار والتوسُّل بهم منتهى الجهل وغاية الكفر ٣٦٤
التحذير من البكتاشية الذين يذهبون إلى مغارة بجبل المقطَّم يطلبون الحَبَل والأولاد وهم

إباحيون فجرة ٣٦٤
أجاز أحمد تقبيل القبر الشريف ونقل عن ابن أبي الصيف والمحب الطبري جواز تقبيل قبور الصالحين (ت) ٣٦٤

٢- إرغامُ المُبتدِعِ الغَبيِّ بجواز التوسُّلِ بالنَّبيِّ ﷺ

مقدِّمة ٣٧١
الغرض من تأليف الكتاب ٣٧١
حديث توسُّل الضرير ٣٧٢
تعقيب الشَّيخ حمدي السَّلَفي واستشهاده بكلام الشَّيخ الألباني ٣٧٣
الردُّ على تحريف وتدليس الشَّيخ الألبانيِّ ٣٧٣
جرأة ابن تيمية في ردِّ الأحاديث ولو كانت في "الصحيح". ٣٧٦
استشكال وجوابه حول تخصيص الحديث بحياة النبيذِ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٣٧٨
إلحاق حول تضعيف الأباني لحديث عائشة: انظروا قبرَ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فافتحوا منه كُوًى إلى السماء ٣٨١

٣- إعلام الرَّاكِعِ السَّاجِد بمعنى اتِّخاذِ القُبورِ مَساجِد

مقدمة ٣٨٥
تخريج الحديث ٣٨٦
معنى الحديث ٣٨٦
سبب تشديد نهي النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن اتخاذ قبره وثن يعبد ٣٨٧
هل للحديث معنى آخر؟ ٣٨٨
بناء المساجد على القبور ٣٨٩
معنى قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «أولئك شِرَارُ الخَلْقِ»، وكلام العلماء عليه ٣٨٩
هل لعن النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم زائراتِ القبورِ ٣٩٠

عزم الصحابة على دَفْنِهِ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في المسجد ٣٩٠
الصَّلاة إلى القبر..... ٣٩٢
متى يكون بناء المسجد على القبر من الكبائر ٣٩٢
الخلاصة..... ٣٩٣
تنبيه حول كتاب "الزواجر" لابن حجرٍ وذكره لكثير من الكبائر التي لا دليل عليها ٣٩٣
إشكال حول حديثه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «لَعَنَ اللهُ اليهودَ والنَّصارى» وكلام الحافظ عليه..... ٣٩٣
إشكال حول حديث: «لَعَنَ اللهُ اليهودَ اتَّخذوا قبورَ أنبيائهم مساجدَ» وبيان ذلك من وجوه ٣٩٤
طعن الشَّيخ عبدالوهَّاب النَّجَّار في كتاب "قصص الأنبياء"..... ٣٩٥
ما جاء في إذاية قوم موسى له..... ٣٩٦
إذاء قوم داود عليه السَّلام له واتهامهم له عَشِقَ امرأة أوريا وزنى بها ٣٩٦
الخلاصة..... ٤٠٢
مسائل يجب التنبيه عليها: المسألة الأولى: حول أنَّ الأمَّة الإسلاميَّة لا تجتمع على ضلالةٍ..... ٤٠٤
المسألة الثانية حول هدم بيوت أمَّهات المؤمنين وإدخالها في المسجد توسعةً له. ٤٠٤
ما يفيد بأن وجود القبر في المسجد لا شيء فيه..... ٤٠٥
روايات وطرق حديث: «ما بين قبي ومنبري»وما يؤخذ منه..... ٤٠٥
المسألة الثالثة: حول أول مسجد بني عليه قبر ٤٠٧
المسألة الرابعة: حول أنَّه لا يوجد دليل على حرمة الصَّلاة في مسجدٍ فيه قبور .. ٤٠٨
المسألة الخامسة: حول اعتراض الألبانيِّ على السيِّد أحمد في استدلاله لبناء المسجد على قبر بآية (الكهف) ٤٠٩
لم يقع ولا يجوز أن يحكي الله تعالى عملًا أو قولًا لكافرٍ ثُمَّ يُقِرُّه عليه والأمثلة على

ذلك..... ٤١٠
المسألة السادسة: حول حديث: «لا تُشدُّ الرِّحالُ إلَّا إلىٰ ثلاثة مساجد ...» وكلام العلماء عليه..... ٤١٢
حكم من نذر الصَّلاة في أحد المساجد الثلاثة ٤١٤
المسألة السابعة: حول النَّهي عن الصَّلاة في المقبرة وأنه محمول علىٰ الكراهة . ٤١٥

٤ - إعْلَامُ النَّبيلِ بجَوازِ التَّقْبيلِ

مقدمة الطبعة الثانية..... ٤١٩
مقدمة الطبعة الأولىٰ ٤١٩
باب: في ذكرما ورد من تقبيل النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم لغيره ٤٢١
تنبيه حول قول ابن علان: أنَّه لما تُوفِّي عثمان بن مظعون جاء صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وكشف عن وجهه وقبَّله وبكىٰ أهله» ٤٢٧
باب: في ذكر ما ورد من تقبيل الصَّحابة وغيرهم للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.... ٤٢٨
تنبيه حول ذكر الشَّيخ زرُّوق في "شرح الرِّسالة" لحديث أبي سعيدٍ الخدريِّ ٤٣٥
فصل: ذكر حديثين يدلَّان علىٰ مشروعية التقبيل وعلىٰ أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلم أرجح أُمَّته عقلًا ٤٣٥
باب: في ذكر ما ورد من التّقبيل عن الصّحابة رضي عنهم وغيرهم ٤٣٨
خاتمة: تشتمل علىٰ ثلاث مسائل..... ٤٤٣
مسألة حول استحباب تقبيل اليد وغيرها كالرَّأس والخدِّ والرجل..... ٤٤٣
الأحوال التي يكره فيها التقبيل..... ٤٤٣
الأحوال التي يحرم فيها التقبيل..... ٤٤٣
مسألة حول كراهية الإمام مالك تقبيل اليد وإنكاره ما روي فيه ٤٤٤
مسألة حول معارضة بعض من ينكر التقبيل..... ٤٤٤
الجواب علىٰ من احتج بأحاديث يعارض بها استحباب تقبيل اليد ٤٤٥

٥ - إتحافُ الأذكياءِ بجَوازِ التَّوسُّلِ بالأنبياءِ والأولياء

مقدِّمة ٤٤٩
الباب الأول في ذكر الأدلة ٤٥١
الاستدلال بقوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ ٤٥١
الاستدلال بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ٤٥٣
الاستدلال بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ ٤٥٥
الاستدلال بقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ ٤٥٩
تنبيه حول اتفاق العلماء على جواز التوسُّل ٤٦٠
الاستدلال بحديث: «لمَّا اقترفَ آدمُ عليه السَّلام الخطيئةَ ...» ٤٦٠
الاستدلال بحديث: «رحمَكِ الله يا أمِّي كنتِ أمِّي بعد أمِّي ...» ٤٦١
الاستدلال بحديث: «إنْ شئتَ دعوتُ ...» ٤٦٢
الإقرار بصحة حديث عثمان بن حنيف وبيان ذلك ٤٦٤
الاستدلال بحديث: «حياتي خيرٌ لكم تحدِثُون ويُحدَث لكمْ ...» ٤٦٥
ذكر حديث: «ليُذادَنَّ ناسٌ من أمَّتي عن الحوضِ فأقول: ياربِّ أُصَيحابي...» وتوضيح معنى الحديث ٤٦٦
الاستدلال بحديث: «مَن خرجَ مِن بيته إلى الصَّلاةِ فقال ...» ٤٦٧
كلام الشيخ محمد زاهد الكوثري على الحديث ٤٦٧
الاستدلال بحديث: خالد بن أسيد: «كان رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم

يستفتِحُ...» ٤٦٨
الاستدلال بحديث: «الأبدالُ بالشَّام وهم أربعونَ رَجُلًا...» ٤٦٨
الاستدلال بحديث: «إنَّ لله ملائكةً في الأرضِ سِوىٰ الحَفَظة ...»، وحديث: «إذا أضَلَّ أحدُكم شيئًا ...» وذكر ما يدل عليه الحديثين ٤٦٩
الاستدلال بحديث: «ليأتيَنَّ علىٰ النَّاس زمانٌ يخرجُ الجيشُ من جُيوشِهم...» ٤٧١
الباب الثاني: في ذكر الآثار ونحوها ٤٧٢
ذكر قصة سيدنا عثمان بن عفان مع الرجل الذي كانت له حاجة ٤٧٢
ذكر قصة بلال بن الحارث المزني عندما جاء إلىٰ قبر النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال: يا رسول الله استسْقِ الله لأمتك... ..... ٤٧٢
ذكر قول السيِّدة عائشة للصحابة: انظروا قبرَ النبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فاجعلوا منه كُوًىٰ إلىٰ السَّماء... ..... ٤٧٣
ذكر قول سيِّدنا عمر: اللهمَّ إنا كنَّا نتوسل إليك بنبيِّنا فتسقينا ٤٧٤
بيان خطأ ما فهمه ابن تيمية والوهَّابية لفعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه... ٤٧٤
ذكر مناظرة أبو جعفر أمير المؤمنين للإمام مالك في مسجد رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ٤٧٦
ذهاب الحسن بن إبراهيم أبي عليٍّ الخلال إلىٰ قبر موسىٰ بن جعفر إذا أصابه أمر ٤٧٧
ذكر ما قيل عن قبر معروف الكرخي ٤٧٧
تبرُّك الإمام الشافعي بالإمام أبي حنيفة ٤٧٨
ذكر ما حدث مع الحافظ أبو بكر ابن المقري والطبراني وأبو الشيخ في المدينة المنوَّرة . ٤٧٨
ذكر ما حدث مع الزاهد أبي الخير الأقطع ٤٧٨
ذكره ما نقله ابن القيم من قصة الشيخ الدمشقي الذي رفض لعن الشيخين.... ٤٧٩
قبر النذور وتبرُّك الناس به وزيارتهم له ٤٨٠

استسقاء أهل بلنجر من ناحية أرمينية بعظام سلمان بن ربيعة التميمي الباهلي .. ٤٨٢
قبور بغداد الأربعة التي هي حصن من جميع البلايا ٤٨٣
قول أبي محمد الشارمساحني، وذكر ماعليه الجمهور وجرىٰ به العمل ٤٨٣
أيُّ المدَدَيْن أقوىٰ مدد الحيِّ أو مدد الميت؟ ٤٨٤
القصد من ذكر أقوال وآثار العلماء في قضية التوسُّل، وبيان بطلان كلام ابن تيمية... ٤٨٦
تتمَّة حول أثر الإمام الباقر ٤٨٧

٦ - مِصْباحُ الزُّجَاجَةِ في صَلاةِ الحَاجَة «حديث توسُّل الضَّرير»

السبب في تحرير هذا البحث..... ٤٩١
مسلك الوهَّابية في استدلالهم بالأحاديث..... ٤٩٢
الكِبر الذي يمنع من دخول الجنة..... ٤٩٢
باب في تخريج الحديث وذكر طرقه ٤٩٣
خلاصة ما تقدَّم من ذكر تخريج الحديث ٥٠٣
باب في ذكر ما أورد علىٰ الحديث من الاعتراضات، والجواب عنها ٥٠٤
اعتراضات الوهَّابية علىٰ حديث توسُّل الضرير والردُّ عليهم ٥٠٤
القاعدة الأصولية التي لم يحسن فهمها الوَّهابيون وأخطأوا في تطبيقها والرد عليهم . ٥٠٦
ذكر قصة خروج اليد الشريفة وتقبيل الرفاعي لها وبيان كذب هذه القصة ٥٠٧
ذكر بعض الكتب التي نسبت للسيوطيِّ..... ٥٠٨
بيان معنىٰ قوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «وإن شئت دعوت»..... ٥٠٩
السبب في عدل عمر رضي الله عنه عن التوسُّل بالنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إلىٰ التوسل بالعباس رضي الله عنه ٥١٠
باب في دلالة الحديث علىٰ التوسُّل بالنبيِّ عليه الصَّلاة السَّلام..... ٥١٧
بعض الأدلة التي استدلَّ بها الوهَّابية علىٰ بطلان العمل بالحديث والرد عليهم من عدة وجوه ٥٢٠

الاستدلال على منع تعدُّد الجُمعة في البلد الواحدة، وبيان ضعفه ٥٢٣
خاتمة تشتمل على مسائل ٥٢٨
مسألة حول تكلُّم ابن تيمية في رسالة "زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور" على التوسُّل ٥٢٨
هل يكره للداعي أن يقسم على الله تعالى بعظيمٍ من خلقه أم لا؟ ٥٢٩
مسألة حول الفتوى الخاصة بالتوسُّل والتي كتبها ابن تيمية بمصر سنة (٧١١هـ) وبيان تناقضه في فتواه ورأيه في قضية التوسل ٥٣٢
مسألة حول ترجمة الصحابي راوي الحديث ٥٣٣
مسألة حول اعتبار القياس على حديث التوسُّل بالضرير ٥٣٤
تنبيه حول أن فاطمةُ بنت أسد، غير فاطمة بنت أبي الأسد المخزوميَّة ٥٣٧
مسألة حول الأذكار التي تقال لقضاء الحاجة والكلام عليها ٤٣٩
ما قاله الحافظ السخاوي في حديث عثمان بن حنيف ٥٥٠

٧- أسبابُ الخَلاصِ مِن الأَخْطَاءِ الوَاقِعَةِ في كتاب "تَحْقِيقِ كَلِمَةِ الإِخْلَاصِ"

مقدمة ٥٥٦
الأخطاء الواقعة تحقيق كلمة الاخلاص ٥٥٨
الخطأ الواضح في إجازة النووي لابن رجب ٥٥٨
«النَّجاريّ» لا «البخاريّ»: ٥٥٨
تحقيق الخلاف في اسم أبي هريرة ٥٥٨
حقيقة تولِّي أبو هريرة لوظيفة في عهد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٥٥٩
«سعد» لا «سعيد»، و«سنان» لا «شيبان» ٥٥٩
ضبط كلمة «النِّطع» ٥٦٠
«زحم» لا «نذير» ٥٦٠
قوله: «قيل: ويروى» ٥٦١

«سبعةَ عشرَ» لا «عشرة»: ٥٦٢
خطأ في تعريف المرسل ٥٦٢
تنبيه حول الحافظ ابن الصلاح في "مقدمته" عن مرسل الصحابي ٥٦٤
«النيسابوري» لا «الخراساني» ٥٦٤
حديث: «خذوا نصفَ دينِكم عن هذه الحُمَيراءِ» ٥٦٥
«التواسي» لا «التواصي» ٥٦٦
«زين العابدين علي» لا «ابن علي»: ٥٦٦
ابن حِبَّان لا ابن حَبَّان ٥٦٦
«أسد» لا «أسيد» ٥٦٧
تصحيح حكاية عن أحمد ٥٦٧
البزَّار ثقة بلا خلاف ٥٦٧
صحابي يقال عنه: غير معروف ٥٦٨
تصحيف حديث: «إنَّ لا إله إلا الله كلمةُ حقٍّ على كريم، ولها من الله مكانٌ» ... ٥٦٨
«العلم والحلم» لا «العلم والعمل» ٥٦٩
«ابنةُ عمِّ الرسول» لا «عمَّتُه» ٥٦٩
تصحيف جملة: «يا موسى لو أنَّ السموات السَّبعَ والأرَضِينَ السَّبعَ وعامرَهُنَّ غيري في كِفَّة» الحديث ٥٧٠
تأويل قبيح ٥٧٠
خمس عشرة لا خمس وعشرون ٥٧١
«موسى بن الضَّحاك» لا «موسى الضَّحاك» ٥٧١
خطأ إملائي ٥٧١
تحريف في عبارة ٥٧١
أحاديث مطعون فيها ٥٧٢
خاتمة ٥٧٣

حديث البطاقة ٥٧٣
كتاب "صفوة التصوف" ٥٧٤
حول طباعة كتاب "مختصر صفوة التصوف" ٥٧٤
الأخطاء التي وقع فيها الشيخ الشرباصي عند تحقيقه لكتاب "صفوة التصوف" ٥٧٥
إلى فضيلة شيخ الأزهر ومفتي الديار «لم لا نقبل أيدي الممثلين؟» ٥٧٧

٨- بيانُ الكَذبِ والبُهْتَانِ في دعوى الظُّلمِ والعُدْوانِ

المقدِّمة ٥٨٣
خطبة المؤلِّف، وبيان أنَّ سبب تأليف هذا الجزء ٥٨٣
الكلام على آية: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ٥٨٣
قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾ الآية، والأحكام المستفادة منه ٥٨٥
في أنَّ قاطعَ الرَّحم ملعونٌ وأنه أصَمُّ وأعمى ٥٨٦
خاتمة ٥٨٦

٩- القَوْلُ المُقْنِع في الرَّدِّ على الألبانيِّ المُبتَدِع

لمز الألبانيِّ للسيِّد عبدالله وإجابته عليه ٥٨٩
جواز صلاة النافلة من قعود مع القُدْرة على القِيام ٥٩٠
أوتر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على بعيره ٥٩٠
صلاة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على راحلته في السَّفَر ٥٩٠
صفات في صلاة الليل صحَّت عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٥٩١
تبييت النيَّة قبل الفجر في صيام الفريضة ٥٩١
هل يجوز لمن صام تطوُّعًا أن يُفطِرَ ولا يتم صومه؟ ٥٩٢

حكم الترتيب بين مناسك الحجِّ ٥٩٢
شروط العمل بالحديث الضعيف ٥٩٢
اعتراض الألبانيِّ على السيِّد عبدالله لاعتماده على تحسين الترمذيِّ ٥٩٣
اعتراض الألبانيِّ على السيِّد عبدالله لأنه يعزو الحديث لغير المشاهير من أصحاب السُّنن وغيرهم ٥٩٤
تعليق السيِّد عبدالله على حديث: «أنا سيِّد ولد آدم، وعليٌّ سيِّدُ العربِ» ٥٩٥
ما حمل الذهبي على الحكم بوضع الحديث ٥٩٦
استنكار الذهبيِّ لحديث: «يا عليُّ، من فارقني فقد فارقَ الله،...»، وحديث: «أنت سيِّدٌ في الدنيا وسيِّدٌ في الآخرة، ...» وتعقيب السيد عبدالله على هذا الاستنكار ٥٩٧
اتخاذ النواصب ومن تبعهم من أهل السُّنَّة مسألةَ احتمال الحديث تفضيل عليٍّ على الشَّيخين تَكِأة يستندون إليها في ردِّ أحاديث كثيرة في فضل علي عليه السَّلام ٦٠٠
معنى قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «عليٌّ سيِّدُ العَربِ» ٦٠١
تنبيه على خطأ وقع من جماهير المسلمين، وهو أنه حين يُصلّون على النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يذكرون معه أصحابه ٦٠٢
فائدة حول الخلاف في توجيه التشبيه في الصلاة الإبراهيمية، وإجابة السيد عبدالله الرافعة للإشكال ٦٠٣
عاب الألبانيُّ على السيِّد عبدالله مخالفته للذهبيِّ ٦٠٤
من معايب الألباني تطاوله على مقام الإمام أبي حنيفة، وقوله بأنه جاء بما لا يوجد عند غيره، وقوله: ولدينا مزيد ٦٠٥
تقليد الألبانيِّ في الرجال، وقِلَّة اطلاعه ٦٠٦
من أخطاء الألبانيِّ في قواعد الاستنباط أنَّه اختار للمصلِّي أنْ يقول في تشهُّده: السَّلام على النبيِّ، ولا يقول: السَّلام عليك أيها النبيُّ، وبيان جهله في ذلك ٦٠٧
استدراك الألبانيِّ على الشارع فيما يتعلَّق بحَلْق اللِّحَى، وبيان خطأه في ذلك.... ٦١٤
فتوى الألبانيِّ بمنع إعطاء الزكاة للمجاهدين الأفغان ٦١٥

الدليل على فساد عقيدة الألبانيِّ ٦١٥
تنبيه حول أخطائه في الرجال ٦١٧
تعنت الألباني فيما كتبه على صلاة ابن مسعودٍ، والرد عليه ٦١٧
من جملة جهل الألبانيِّ بعلم الأصول أنَّه جعل القراءة خلف الإمام في الصلاة الجهريَّة منسوخةً، والرد عليه ٦١٩

١٠ - بيني وبين الشَّيخ بكر

مقدِّمة ٦٢٧
تبرئة مما نسبه الشيخ بكر أبو زيد للسيِّد عبدالله بن الصِّدِّيق ٦٢٧
الحملة العدوانيَّة على فضيلة الأستاذ المُحَقِّق العلَّامة الشَّيخ محمد زاهد الكوثريِّ ودفاع السيِّد عبدالله عنه ٦٢٨
اتهام الشيخ بكر للسيد عبدالله بأنه قبوري مبتدع ٦٢٩
فهرس الموضوعات ٦٣٣

١٥- فهرس المجلد الخامس عشر

النحو – المنطق

أولًا: النحو

١ – تشييد المباني لتوضيح ما حَوَتْهُ المقدِّمةُ الآجرُّوميَّة من الحقائق والمعاني

أقسام الكلام ٩
فائدة: قال السُّيوطيُّ في "الأشباه والنظائر": «ما خرج من الفم إن لم يشتمل على حرفٍ فصوتٌ، وإن اشتمل على حرفٍ ولم يُفِدْ معنىً فلَفْظٌ، وإن أفادَ معنىً فقَوْلٌ، فإن كان مفردًا فكلمةٌ، أو مركَّبًا من اثنين ولم يُفِدْ نسبةً مقصودةً لذاتها فجملةٌ، أو أفادَ ذلك فكلامٌ، أو من ثلاثٍ فكَلِمٌ.....١٣
تنبيه: مواضع حذف التنوين ١٧
تتميم: في نيابة «أل» عن ضميرِ المضافِ إليه ٢٠
مُهِمَّة: من الغريب أن «أل» تأتي للاستفهام ٢٠
تنبيه: الخفضُ عبارةُ الكوفيين ٢١
تنبيهان: (الأوَّلُ): مجموعُ ما ذُكِرَ من أقسامِ الواوِ عشرةٌ ٢٣
(الثاني): تُحرَّك التَّاءُ في أوائلِ الأسماءِ وأواخرِها، وتُحرَّك في أواخرِ الأفعالِ وتُسكَّنُ في أواخرِها.....٣٦
(فائدة): ذكر ثلاثون علامةً أخرىٰ من علاماتِ الاسمِ.....٣٦
تتميم: ذكر عشرُ علاماتٍ بقيت من علاماتِ الفعلِ ٣٨
خاتمة: أقسامُ الكلامِ كلِّه دائرٌ بين خبرٍ وإنشاءٍ، ولا ثالثَ لهما ٣٩
باب الإعراب ٤١
«الإِعْرَابُ» الكلامُ عليه في مقاصد: ٤١
(المقصدُ الأوَّلُ): معناه لغةً ٤١

(المقصدُ الثاني): معناه اصطلاحًا ٤١
(المقصدُ الثَّالثُ): وجهُ نقلِه من اللُّغةِ إلى اصطلاحِ النحويين ٤٣
(المقصدُ الرَّابعُ): لأيِّ شيءٍ دخل الإعرابُ في الكلامِ؟ ٤٣
(المقصدُ الخامسُ): في أنَّ الإعرابَ والكلامَ أيُّهما أسبقُ؟ ٤٤
تنبيهٌ: كما أنَّ أقسامَ الإعرابِ أربعةٌ، فكذلك أقسامُ البناءِ وهي: الضمُّ والفتحُ والكسرُ والسُّكونُ ٤٦
فائدة: ما ذُكِرَ من أقسامِ الإعرابِ أصولٌ، وما عداها فروعٌ نائبةٌ ٤٦
تنبيه: ما ذكره المصنِّف من العلاماتِ على قسمين: علاماتُ أصول، وعلاماتُ فروعٍ ٤٩
مُهِمَّة: استشكال إطلاقُ الضَّمِّ وما عُطِفَ عليه على الإعرابِ. والجوابُ عليه ٥٠
تتميم: في معنى: «الهِجَانُ» ٥٢
فائدة: جمعُ التَّكسيرِ يُفارقُ جمعَ السَّلامةِ في أربعةِ أشياء ٥٢
تكميل: ينقسمُ الجمعُ على ثلاثةِ أقسامٍ ٥٢
تنبيه: حُمِلَ على جَمْعِ المُؤَنَّثِ السَّالِمِ شيئان ٥٣
تتميم: أصل ﴿أُوْلَٰتِ﴾ أُلِي بضمِّ الهمزةِ وفتحِ اللامِ، قُلِبَتْ الياءُ ألِفًا، ثمَّ حُذِفَتْ لاجتماعها مع الألفِ والتَّاءِ المزيدتَينِ ٥٣
تنبيهٌ: المركَّبُ الإضافيُّ يُجمعُ أوَّلُ المتضايفَينِ فيه ويُضافُ للثاني ٥٦
تكميلٌ: قال ابن هشامٍ: حملوا على هذا الجمعِ أربعةَ أنواعٍ: ٥٦
تتميمٌ: يجوزُ فيما سُمِّيَ به من هذا الجمعِ أربعةُ أوجهٍ ٥٦
تنبيهٌ: النقصُ في الهَنُ أفصحُ من إعرابِه بالحروفِ ٥٨
تتميم: يجوز النقصُ بضعفٍ في الأب والأخ والحم ٥٩
تكميل: الأسماءُ السِّتَّة على ثلاثةِ أقسامٍ ٥٩
فائدة: في الحم ثلاث لغات ٥٩

خاتمة: اختلفوا في إعرابِ الأسماءِ السِّتَّة على مذاهبَ ٥٩
فائدة: قد يغلِّبون على الشَّيءِ ما لغيرِه لتناسبٍ بينهما أو اختلاطٍ ٦٢
تنبيه: يُشترطُ في كلِّ ما يُثنَّى عند الأكثرين ثمانيةُ شروطٍ ٦٢
مُهِمَّة: من العربِ من يُعرِبُ المثنَّى بالألفِ رفعًا، وبالياء جرًّا ونصبًا وهي اللغةُ المشهورةُ..... ٦٣
تتميم: حملوا على المثنَّى في الإعرابِ بالحروفِ أربعةَ ألفاظٍ: اثنين واثنتين في لغةِ الحجازِ، وثنتين في لغةِ تميم ٦٤
تنبيه: هذه التَّفرقةُ في كِلَا وكِلْتَا هي اللغةُ المشهورةُ، ووراءها إطلاقان ٦٤
تنبيه: فيما سُمِّيَ به من المثنَّى إعرابان ٦٤
فائدة: إنَّما فُتِحَ ما قبلَ ياءِ المثنَّى وكُسِرَ ما قبلَ ياءِ الجمعِ لوجهين ٦٤
خاتمة: مما يَرُدُّ الأشياءَ على أصولها التَّثنيةُ ٦٥
تنبيه: قال السُّودانيُّ: «لو قالَ المصنِّفُ: إذا اتَّصلَ به ألفُ تثنيةٍ أو واوُ جمعٍ لكان أحسن ليشمل ما إذا كانا ضميرَينِ كما تقدَّم، أو حرفَينِ نحو: يقومان الزَّيدان، ويقومون الزَّيدون».اهـ..... ٦٥
مُهِمَّة: ما قاله المصنِّف من أنَّ ياءَ المؤنَّثةِ ضميرٌ، هو المشهورُ عند الجمهورِ ٦٦
تتمَّة: إذا اتَّصلَ بهذه النُّونِ نونُ الوِقايةِ قال ابنُ مالكٍ: يجوزُ حذفُها تخفيفًا، وإدغامُها في نونِ الوِقايةِ والفَكُّ..... ٦٦
تنبيه: قال أبو حَيَّان: «إنَّما حُرِّكتْ هذه النونُ لالتقاءِ السَّاكنَينِ، وكانت بعد الواوِ والياءِ مفتوحةً تشبيهًا بنونِ الجمعِ، وكُسِرَتْ مع الألفِ تشبيهًا بنونِ التَّثنيةِ».اهـ..... ٦٦
فائدة: وردَ حذفُ النُّونِ في الرَّفعِ في النَّثرِ والنَّظمِ..... ٦٧
خاتمة: النُّونُ تُشابهُ حروفَ المدِّ واللِّين من وجوهٍ..... ٦٧
تذنيب: ما قاله المصنِّف من أنَّ جمعَ المؤنَّثِ يُنصبُ بالكسرةِ هو الغالب ٧٠

مسألة: المطَّرد من جمعِ المؤنَّثِ السَّالمِ ٧٠
خاتمة: كلُّ ما فيه التَّاءُ يُجمعُ هذا الجمع إلَّا ثلاثةَ ألفاظٍ: شَفَة، وأَمَة، وشَاة؛ لأنَّهم استغنَوا عن ذلك بجمعها جمعَ تكسيرٍ ٧٠
فائدة: نونُ المثنَّى مكسورةٌ، ونونُ الجمعِ مفتوحةٌ ٧١
تنبيهٌ: لو عبَّر المصنِّف بالأمثلة لكان أَوْلَى؛ لأنَّها ليست أفعالًا بأعيانها، وإنَّما هي أمثلةٌ يُكنَى بها عن كلِّ فعلٍ كانَ بمنزلتِها ٧١
تنبيهٌ: «ثَبَات» مصدرٌ سماعيٌّ لثبتَ، والمصدرُ القياسيُّ لها ثُبوت كقُعود ٧١
فائدة: تَثبتُ النُّونُ في حالةِ النَّصْبِ ٧١
تنبيهٌ: لم يُقيد المصنِّف جمعَ المؤنَّثِ بالمنصرفِ؛ لأنَّه لا يكون إلَّا منصرفًا، نَعَم إن سُمِّيَ به كان ممنوعًا من الصرفِ على لغةٍ، لكنَّه تَكلَّم فيه على حِدَة ٧٢
فائدة: يُبنَى الاسمُ إذا شابهَ الحرفَ شَبَهًا قويًّا يُدنِيهِ منه ٧٢
مُهِمَّة: البناءُ يكون في ستِّ أبوابٍ من الأسماءِ ٧٢
مسألة: يكفي في بناءِ الاسمِ شَبَهُهُ بالحرفِ من وجهٍ واحدٍ اتفاقًا، ولا يكفي في منعِ الصَّرفِ مشابهتُه للفعلِ من وجهٍ واحدٍ اتفاقًا، بل لا بدَّ من مشابهتِه له من وجهَينِ ٧٣
مسألة: إن قيل لِمَ لَمَّا شَابَهَ الفعلُ الاسمَ أعطيتموه بعضَ الإعرابِ؟ ولَمَّا أشبَهَ الاسمُ الحرفَ أعطيتموه كلَّ البناءِ؟ والجوابُ عليه ٧٣
تنبيهٌ: والعلَّتان اللتان قامت مقامَهما ألفُ التأنيثِ هما: التأنيثُ ولزومُه ٧٤
فائدة: الاختلاف في «سراويل»؛ ما المانعُ له من الصَّرفِ؟ والاختلاف في سماعِ «سِرْوالة» ٧٥
تتمة: قال ابن هشامٍ: «إن سُمِّيَ بهذا الجمعِ أو بما وازنه من لفظٍ أعجميٍّ، مثل: «سَرَاوِيلَ» و«شَرَاحِيلَ»، أو لفظٍ مُرتَجلٍ للعلميَّةِ مثل: «كُشَاجِمَ» مُنعَ الصرفَ».اهـ ٧٥
تنبيهٌ: نحو مَصَّان وسَيْفَان وأَلْيَان ونَدْمَان، مما مؤنَّثه «فَعْلَانة» منصرفٌ لعدم وجود الشَّرطِ

فيه. وأمَّا ذو الوزن، فهو أَفْعَلُ غالبًا بشرط ألَّا يقبل التاء؛ إمَّا لأنَّ مؤنَّثه فَعْلاءَ كأحمرَ، أو فُعْلَىٰ كأفضلَ، أو كأنَّه لا مؤنَّث له كأكمَرَ وآدَرَ ٧٦
تنبيهٌ: لماذا صُرِفَ «أَرْبَعُ»، ومنع صرف باب «أَبطَح» و«أَدهَم» للقيد، و«أسود» و«أرقم» مع أنَّها أسماء ٧٦
تنبيهٌ: لا تُستعملُ هذه الألفاظُ إلَّا نُعُوتًا ٧٧
تنبيهٌ: إن كان أُخَرُ جمعًا لأُخْرَىٰ بمعنىٰ آخِرَة بكسر الخاء وهي المقابلةُ للأولىٰ كان مصروفًا؛ لأنَّه غيرُ مَعْدُولٍ ٧٧
فائدة: ما سُمِّيَ به من الأنواعِ الثَّلاثةِ: وهي الوصفُ ذو الزِّيادتين، والموازنُ للفعل، والمعدولُ، فالجمهورُ علىٰ ما كان قبل التَّسميةِ ٧٧
تنبيه: ما كان من الأسماءِ في آخِرِهِ ألفٌ ونونٌ واحتملت النُّون فيه الأصالةَ والزِّيادةَ ففيه وجهان: الصَّرفُ وعدمُه اعتبارًا بأصالتها وزيادتها ٧٨
مسألة: اختلف في صرف «أَبان» بتخفيف الباء عَلَمًا ٧٨
(تتمة): في ضبط وتفسير: «غَطَفان»، و«إصبهان»، و«الرَّمُّ»، و«الحِسُّ»، و«الدَّهْقُ»، و«الشَّيْطُ»، و«الرَّمنُ»، و«الحُسْنُ»، و«الدِهْقَان»، و«الشَّيْطَنة» ٧٩
تنبيهٌ: يجوز في نحو: «هند، ودَعْد» الصَّرفُ وعدمُه ٧٩
تتمة: قال المبرِّدُ وأبو زيدٍ والجَرْمَيُّ وعيسىٰ الثَّقفيُّ في نحو: «زيد» اسم امرأة: إنَّه كـ«هند» في جواز الوجهين، وذكر سيبويه أنَّ عَلَمَ المؤنَّثِ إذا كان ثُنائيَّ اللَّفظِ، كـ«يَدٍ» يجوز فيه الوجهان ٧٩
تكميل: قال الأزهريُّ: «إذا سُمِّيَ مذكَّرٌ بمؤنَّثٍ وجب منعُ صرفِه بأربعةِ شروطٍ ٧٩
فائدة: المراد بالعَجَميِّ ما نُقِلَ عن لسانِ غيرِ العربِ بأيِّ لغةٍ كانت ٨٠
تتمة: تُعرف عجمةُ الاسْمِ بوجوهٍ ٨٠
فائدة: في إبراهيم لغاتٌ سِتٌّ ٨١

تنبيهٌ: إذا سُمِّيَ بنحو: «لِجَامٍ، وفِرِنْدٍ» صُرِفَ لحُدُوثِ عَلَمِيَّته، ونحو: نُوحٍ ولُوطٍ وشَتِرٍ مصروفةٌ ٨١
فائدة: «لِجام» بكسرِ اللامِ آلةٌ للفَرَسِ تُجعلُ في فِمِه، و«فِرِنْد» بكسر الفاءِ والرَّاءِ جوهرُ السَّيفِ ٨١
فائدة: في تفسير وضبط «الإِثْمِد»، و«إِصْبَع»، و«أُبْلُم» ٨١
تنبيهٌ: في «إِصْبَع» عشرُ لغاتٍ ٨٢
مسألة: حكمُ همزةِ الوصلِ في الفعلِ المسمَّىٰ به: القطعُ ٨٢
(فائدة): تفسير وضبط «أَفْكَل»، و«أَكلُب» ٨٢
تنبيهٌ: المانعُ لـ«عَلْقَىٰ» و«أَرْطَىٰ» من الصَّرفِ ٨٢
فائدة: قيل: إنَّ «أَرْطَىٰ» وزنه أَفْعَل، فمانعه من الصَّرفِ العلميَّةِ ووزنِ الفعلِ. ٨٢
تتمة: إنَّما لم تمنع الصَّرفَ ألفُ الإلحاقِ الممدودةِ كـ«علباء»، لتخلُّفِ شبهِها بألفِ التَّأنيثِ الممدودةِ؛ لأنَّ همزةَ الإلحاقِ من جهةِ أنَّ همزتَه مُنْقَلِبةٌ عن ألفٍ لا عن ياءٍ فافترقا في الحكمِ لأجل افتراقِهما في التقديرِ ٨٣
فائدة: في تفسير «العَلْقَىٰ»، و«الأَرْطَىٰ»، و«العِلْبَاءُ» ٨٣
فائدة: قال السُّهَيْلِيُّ والشَّلَوْبِين في «سَحَر»: إنَّه مُعرَبٌ مصروفٌ، واختلفا في منعِ تنوينِه، فقال السُّهَيْلِيُّ: هو علىٰ نيَّةِ الإضافةِ، وقال الشَّلَوْبِين: علىٰ نيَّةِ «أل» ٨٤
تنبيهٌ: ذهب ناصرُ بن أبي المكارمِ المُطَرِّزيِّ إلىٰ خلافِ هذا كلِّه، فقال: إنَّه مبنيٌّ علىٰ الفتحِ لتضمُّنِه معنىٰ اللَّامِ كأمسِ ٨٤
تتميم: الفرقُ بين التَّضمينُ والعدلُ ٨٤
مُهِمَّة: إن أُرِيدَ بـ«سَحَرَ» سَحَرٌ ما، فإنَّه ينصرفُ اتفاقًا، وإن أُريدَ به «سَحَرٌ» معيَّنٌ واستُعمِلَ غيرَ ظرفٍ فيجبُ تعريفه بـ«أل» والإضافة، وإن كان بـ«أل» أو الإضافة فيصرفُ اتفاقًا ٨٥

تنبيهٌ: المحفوظُ من المعدول على وزن «فُعَل»: عُمَر، ومُضَر، وزُفَر، وقُثَم، وزُحَل، وجُشَم، وجُمَع، وقُزَح، وعُصَم، وحُجَى، ودُلَف، وهُذَل، وبُلَغ، وبُعَل. ٨٥
مسألة: العدلُ في هذه الأعلام مقدَّر ٨٥
تتمة: فائدةُ العدلِ في الأعلام تخفيفُ اللَّفظِ وتحقيقُ العلميَّةِ ونفيُ الوصفيَّةِ. ٨٥
مُهِمَّة: ما ورد من باب فُعَل جمعًا كـ«غُرَق، وقُرَب»، أو اسمَ جنسٍ كـ«صُرَد، ونُغَر»، أو صفةً كـ«حُطَم، ولُبَد»، أو مصدرًا كـ«هُدًى، وتُقًى» فمصروفٌ اتفاقًا، وما ورد مصروفًا كـ«أُدَدٍ» فلا كلام فيه ٨٥
تكملة: اختلفوا في ما لم يُسمع فيه صرفٌ ولا عدمُه من هذا البابِ ٨٦
تتميم: إن ختم فَعَالِ عَلَمًا لمؤنثٍ بالرَّاءِ كـ«سَفَارِ» اسمًا لماء، وكـ«وَبَارِ» اسمًا لقبيلةٍ، بَنَوهُ على الكسرِ إلَّا قليلًا منهم، وأهلُ الحجازِ يَبْنُونَ البابَ كلَّه على الكسرِ تشبيهًا له «بنَزَالِ» ٨٦
تكميل: إذا سُمِّيَ بباب «حَذَامِ» مذكَّر، زال مُوجبُ البناءِ وهو التشبيه بنَزَالِ؛ لأنَّه ليس الآن مؤنثًا، فيعرب غير منصرفٍ، ومن العرب من يصرفه ٨٦
تتمة: إن أردت بـ«أَمْسِ» يومًا من الأيامِ الماضيةِ مُبهمًا، أو عرَّفته بالإضافةِ، أو بالأداةِ، فهو منصرفٌ إجماعًا، وإن استَعْمَلتَ المجرَّد من «أل» والإضافة المراد به مُعيَّن ظرفًا فهو مبنيٌّ إجماعًا لتضمنه معنى الحرفِ ٨٧
مُهِمَّة: يَعْرِضُ الصَّرفُ لغيرِ المنصرفِ لأحدِ أربعةِ أسبابٍ ٨٧
فائدة: ممَّا ينصرفُ مُكبَّرًا ولا ينصرفُ مُصغَّرًا، نحو: «تِحْلِئ»، عَلَمًا لاستكمال العلَّتين بالتَّصغيرِ وهما العلميَّةُ والوزنُ، فإنَّه يُقال في تصغيرِه «تُحَيْلِئ» على وزنِ «تُدَحْرِج» مضارع «دَحْرَجَ» ٨٨
فائدة أخري: في ضبط وتفسير «تِحْلِئ» ٨٨
فائدة: اصطلاح الكوفيين في المنصرفِ وغيره المجرى وغير المجرى ٨٨

تنبيهٌ: مجموعُ العِلَلِ المانعةِ من الصَّرفِ تسعةٌ، وزاد بعضُهم علَّةً عاشرةً ٨٨
مسألة: إذا أُضيفَ ما لا ينصرفُ أو قُرِنَ بـ«أل» كان غير منصرفٍ اتفاقًا..... ٨٨
خاتمة: قيل: إنَّ بين المنصرفِ وغيرِ المنصرفِ واسطةٌ لا توصفُ بصرفٍ ولا بعدمِه ٨٨
مُهِمَّة: في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِي وَيَصْبِرْ﴾..... ٩٠
خاتمة: قال الأزهريُّ: «القولُ بأنَّ علامةَ الجزمِ في هذه الأفعالِ حذفُ حرف العلَّة، إنَّما يتمشَّىٰ علىٰ قول ابن السَّرَّاجِ ومن تابعه..... ٩١
تنبيهٌ: «النَّصبُ في الأفعالِ محمولٌ علىٰ الجزمِ، كما أنَّ النَّصبَ محمولٌ علىٰ الجرِّ في المثنَّىٰ والجمع علىٰ حِدَه ٩١
خاتمة: في قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ﴾..... ٩٢
فصل: المُعرَبات..... ٩٢
تنبيهٌ: يُحتملُ أن يكون قوله: «قِسْمٌ يُعْرَبُ» بدلًا مُفصَّلًا من مُجمَلٍ، وأن يكون بدلَ بعضٍ من كلٍّ ٩٣
نكتة: قول المصنِّف هنا: «قِسْمٌ يُعْرَبُ بِالحَرَكَاتِ»، وكلُّها ترفعُ بالضمَّة إلخ... مُنافٍ لقوله سابقًا: «تَغْيِيرُ أَوَاخِرِ الكَلِمِ» إلخ، فتأمَّل ٩٣
فائدة: قال الأزهريُّ: «حاصلُ علاماتِ الإعرابِ عشرةُ أشياءٍ ٩٥
باب الأفعال..... ٩٦
فائدة: أصلُ «ماضٍ»: ماضي بالياء، استُثقلت الضمَّة علىٰ الياء فحُذفت، ثمَّ التقىٰ ساكنان الياءُ والتَّنوينُ فحُذفت الياء فصارت ماضٍ..... ٩٨
تنبيهٌ: ما قاله المصنِّف من أنَّ الأفعال ثلاثةٌ، هو مذهب جمهور البصريين ٩٨
نكتة: قوله: «وَالأَمْرُ مَجْزُومٌ» مُنافٍ لما قاله آنفًا من أنَّ الأفعالَ ثلاثةٌ ١٠٠
فصـــل: حصر لنُونَيِ التَّوكيدِ ونونِ النِّسوةِ إذا دخلن علىٰ المضارعِ ١٠١
تنبيهٌ: الأصلُ في آخِرِ الفعلِ المؤكَّدِ فتحَه ١٠٣

التنبيه الثَّاني: أنَّ الأصـلَّ في الضمـير ذي اللِّين وجـوبُ حذفِـه إن كـان واوًا أو ياءًا ١٠٤
تذنيب: حكم المضارع مع النُّونَينِ البناءُ إذا اتصلا به ١٠٥
فائدة: قال الزَّجَّاجيُّ في "الجُمَل": « كلُّ موضعٍ دخلت النُّونُ الثَّقيلةُ فيه دخلت النُّونُ الخفيفةُ إلَّا في الاثنين المذكَّرين والمؤنَّثين، وجماعةِ النِّساءِ فإنَّ الخفيفة لا تدخلها». ...١٠٦
خاتمة: في نون التوكيد ونون النسوة.....١٠٦
تنبيهٌ: ذكر بعض الكوفيين وأبو عبيدة: أنَّ بعضهم يَجزِمُ بـ«أن»، ونقلَه اللِّحْيَانيُّ عن بعض بني صُبَاحٍ من ضَبَّةَ ١٠٨
فائدة: أكثر العرب على وجوب إعمال «أن» النَّصب، وبعضهم يهملها حملًا على «ما» أختها المصدريَّة ١٠٩
فائدة: قال عبداللطيف في "اللُّمَعِ الكَامِلِيَّةِ": «ليس في الحروفِ النَّاصبةِ للفعلِ ما يَنصِبُ مُضمَرًا إلَّا «أن» خاصَّة». ١٠٩
تنبيهٌ: تكون «أن» مُفسِّرةً وزائدةً ومُخفَّفةً من الثَّقيلةِ، فلا تَنصِبُ في هذه الأحوالِ كلِّها١٠٩
فائدة: إذا وَلِيَ «أن» الصَّالحة للتفسير مضارعٌ معه «لا» نحو: أشرْتُ إليه أن لا تفعل. ١١٠
فائدة: لا يتقدَّم معمولُ «أن» عليها عند جميع النُّحاةِ إلَّا الفرَّاء ١١١
تنبيهٌ: ذكروا لـ«أن» أربعةَ معانٍ أخرى ١١١
مُهِمَّة: قال الأندلسيُّ في "شرح المفصَّل": «قال عليُّ بن عيسى: إنَّما عَمِلَت «أَنْ» في المضارع ولم تعمل «ما»؛ لأنَّ «أَنْ» نَقَلَتْه نقلين إلى معنى المصدرِ والاستقبال، و«ما» لم تنقلْه إلَّا نقلًا واحدًا إلى معنى المصدرِ فقط، وكلُّ ما كان أقوى على تغيير معنى الشَّيءِ كان أقوى على تغييرِ لفظِه.....١١٣
خاتمة: قال في "الأشباه" أيضًا: «أنْ» أصلُ النَّواصبِ للفعـل وأُمُّ البـاب بالاتفـاق، كـما نقلـه أبو حَيَّـان في "شرح التسهيـل"، ومن ثمَّ اختُصَّـت بأحكامٍ ١١٣
فائدة: يجـوز تقديمُ معمولِ «لن» عليها عند جميـع النُّحـاةِ إلَّا الأخفش الصَّغير..... ١١٤

مسألة: ذهب بعضهم إلى أنَّ «لن» قد تَجزِمُ ١١٤
مُهِمَّة: قال الفرَّاءُ: أصل «لن»: «لا» أُبدل الألف نونًا فصارت «لن» ١١٥
«إِذَنْ» والكلامُ عليها في مسائلَ: ١١٥
المسألة الأولى: في نوعها ١١٥
المسألة الثَّانية: في معناها ١١٦
المسألة الثالثة: في لفظها عند الوقف عليها ١١٦
المسألة الرابعة: في عملها، وهو نصبُ المضارعِ، وتنصبه بثلاثةِ شروطٍ ١١٧
مسألة: قال جماعةٌ من النحويين: إذا وقعت «إذن» بعد الواو أو الفاء جاز فيها الوجهان ١١٧
تنبيهٌ: قال الأزهريُّ: «حكى سيبويه عن بعض العرب إلغاء «إذن» مع استيفاء الشُّروط، وهو القياس ١١٨
تذنيب: قال الأندلسيُّ في "شرح المفصَّل": «إذن» لها ثلاثةُ أحوالٍ ١١٨
تنبيهٌ: يجوز الأمران في نحو: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً﴾ ١٢٠
مُهِمَّة: تقسيم «كي» إلى مصدريَّة وتعليليَّة ١٢٠
تذنيب: قال أبو حَيَّان: أجاز ابنُ مالكٍ الفصل بين «كي» ومعمولها بمعموله، أو بجملةٍ شرطيَّةٍ، ولا يبطل عملها ١٢١
فائدة: قال في "الأشباه" أيضًا: «حكم «كي» عند الجمهور حكم «أن»، لا يجوز تقدُّم معمولُ معمولِها ١٢١
مسألة: تكون «كي» اسمًا مختصرًا من «كيف» ١٢٢
فائدة: إذا قيل: «جئتُ لتُكرمَني» بالنَّصبِ، فالنَّصبُ بـ«أن» مضمرة ١٢٢
مُهِمَّة: يدخل تحت قولنا: «اللام» لامُ العاقبة، و«لامُ» التَّوكيد وهي الزَّائدة ١٢٢
مسألة: «لام» كي يسمُّونها: «اللام» الجارَّة ١٢٣

تذنيب: إن قُرِنَ الفعلُ بـ«لا» النَّافية أو الزَّائدة المؤكدة وجب إظهار «أن» ١٢٣
مسألة: زعم بعضهم أنَّه يجوز إظهار «أن» بشرط حذف «اللام» ١٢٣
فائدة: تسميتهم هذه اللام بـ«لام الجحود» من تسمية العامِّ بالخاصِّ ١٢٤
مسألة: لـ«أن» بعد اللام ثلاث حالاتٍ ١٢٤
لرفع الفعل بعد حتىٰ ثلاثةُ شروطٍ ١٢٥
خاتمة: قال أبو محمد بن السَّيد: الأسبابُ المانعةُ من الرَّفعِ بعد «حتىٰ» ستةٌ؛ أربعةٌ متفقٌ عليها، واثنان مختلفٌ فيهما ١٢٦
مسألة: الفرقُ بين «حتىٰ» وبين «كي» حيث صحَّ فيها أنَّها جارَّةٌ ناصبةٌ بنفسها ... ١٢٧
تنبيهٌ: شرطُ النَّهي عدمُ النَّقض بـ«إلَّا» ١٢٨
مسألة: لم يُسمع نصبُ الفعل بعد الواو بعد واحدٍ من أربعة ١٣٠
فائدة: اشترطوا في الطَّلب أن يكون بالفعل ١٣٠
مسألـة: إذا سقطت الفاءُ من المضارع الواقع بعد الطَّلـبِ وقُصِـدَ بـه معنىٰ الجـزاءِ جُـزِمَ الفعلُ ١٣٠
فائدة: النَّفيُ لا يجزم الفعل في جوابه ١٣١
مُهِمَّة: تُضمرُ «أن» وجوبًا بعد «لام الجحود» وبعد «حتىٰ» وبعد «الفاء» و«الواو»، وتُضمرُ جوازًا بعد «لام كي»، وبعد «الفاء، والواو، وأو، وثمَّ» إذا كان العطفُ بهنَّ علىٰ اسمٍ صريحٍ ليس في تأويل الفعل ١٣٢
فائدة: تَحَصَّلَ من هذا أنَّ لـ«الفاء، والواو، وأو» حالتين: حالةٌ يجب فيها إضمارُ «أن» بعدهنَّ، وحالةٌ يجوز ١٣٣
مسألة: لا ينتصب الفعل بـ«أن» مُضمرة في غير هذه المواضع العشرة إلَّا شذوذًا، وهي في ذلك علىٰ قسمين: تارةً يكون في الكلام مثلُها فيَحْسُنُ حذفُها، وتارةً لا يكون ١٣٣
تنبيهٌ: القولُ بالشذوذِ هو مذهبُ الجمهورِ، وذهب الكوفيون ومن وافقهم من البصريين

إلى أنَّه يُقاس عليه ١٣٤
تنبيهٌ: «لَمَّا» تُشاركُ «لَمْ» في أمورٍ: في الحرفيَّة، والاختصاصِ بالمضارعِ، والنَّفْيِ، والجزمِ، والقَلْبِ للماضي، وتفارقُها في أربعةِ أمورٍ ١٣٥
تنبيهٌ: ما ذُكِر في أن (لَمْ، و لَمَّا)يقلبان المضارع إلى الماضي هو مذهب المبرِّد..... ١٣٦
مسألة: سُمِعَ رفعُ المضارعِ بعد «لَمْ» ١٣٦
مسألة: قد يُفصَلُ بين «لَمْ» ومجزومِها بالظَّرْفِ في الضرورةِ ١٣٧
تنبيهٌ: تأتي «لَمَّا» لمعنيين آخرين..... ١٣٧
فائدة: من مشكل «لَمَّا» ١٣٨
فائـدة: قال السُّيوطـيُّ في "الأشبـاه": يجوزُ تسكينُ «لام الأمر» بعد «واوٍ وفاءٍ» . ١٤١
مسألة: تجزم «لا» فعلي المتكلم مبنيين للمفعول بكثرة ١٤٢
تنبيهٌ: قال بعضهم: أصلُ «لا النَّاهية» «لامُ الأمر» زيدت عليها الألف فانفتحت.... ١٤٢
مُهِمَّة: قال أبو حَيَّان في "شرح التَّسهيل": لا تدخل على التي للنَّهي أداةُ الشَّرطِ ١٤٢
مسألة: اختلف في «لا» من قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾ على قولين ١٤٣
فائدة: «لا» النَّاهية تختصُّ بالدخول على المضارع وتقتضي استقباله ١٤٤
تنبيه: كل من الأدوات يقتضي فعلين، يسمَّى أولهما: شرطًا لتعليق الحكم عليه، وثانيهما: جوابًا؛ لأنَّه مرتَّبٌ على الشَّرط، كما ترتب الجواب على السؤال، وجزاء لـ«أنْ» مضمونه جزاء لمضمون الشَّرط ١٤٥
مسألة: لا يشترط في الشَّرط والجزاء أنْ يكونا من نوعٍ واحدٍ ١٤٥
فائدة: رفع الجواب المسبوق بماضٍ أو مضارعٍ منفي بـ«لم» قوي..... ١٤٦
مُهِمَّة: يُشترط في الشَّرط ستة أمور ١٤٦
مسألة: قال ابن هشامٍ: قد تقترن «إنْ» بـ«لا» النَّافية، فيظن من لا معرفة له إنَّها «إلَّا»

الاستثنائيَّة ١٤٦
تذنيب: كلُّ جوابٍ يصح جعله شرطًا بأنْ كان ماضي اللفظ دون المعنى مجرَّدًا من «قد» وغيرها، أو مضارعًا مجرَّدًا أو منفيًّا بـ«لم» أو «لا»، فالأكثر خلوه من الفاء، ويجوز اقترانه بها، ويبقى الماضي على حاله ويرفع المضارع ١٤٧
تنبيهٌ: تأتي «ما» الاسميَّة لمعنيين آخرين ١٤٨
تنبيهٌ: إذا قيل: من يفعل هذا إلَّا زيد؟ فهي «من» الاستفهاميَّة أشربت معنى النَّفي .. ١٥٠
(فائدتان): الأولى: نحو: «من يكرمني أكرمه» يحتمل الأوجه الأربعة ١٥١
الثانية: زِيد في أقسام «مَنْ» قسمان آخران ١٥١
مسألة: «مهما» بسيطة على الأصح ١٥٣
فائدة: لا تجر «مهما» بحرف ولا إضافة ١٥٤
تنبيهٌ: اختلف في إهمال متى ١٥٦
مُهِمَّة: لم جزمت «متى» وشبهها ولم تجزم «الذي» إذا تضمنت معنى الشرط ١٥٦
تنبيه: أنكر قوم الجزم «بأيَّان» لقلته وكثرة ورودها استفهامًا ١٥٧
لا تكون كيف بدلا من إبل لأن دخول الجار على كيف شاذ ١٦٢
مُهِمَّة: زعم عيسى بن موهب وجماعة أن «كيف» تأتي عاطفة ١٦٢
مسألة: إذا قلت: «خرجت فإذا الأسد» صح كونها خبرًا على المكان عند المبرد، لا على الزمان عند الزجاج ١٦٤
تنبيه: إنما دخلت «إذا الشرطية» على الاسم في نحو: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ لأنه فاعل بفعل محذوف على شريطة التفسير، لا مبتدأ ١٦٥
مُهِمَّة: قد تخرج «إذا» عن معنى الشرط فتتجرد للظرفية المحضة ١٦٥
فائدة: لا تعمل «إذا» الجزم إلا في ضرورة ١٦٥
تنبيهات: الأول: في خروج «إذا» عن الظرفية ١٦٦

الثاني: في خروجها عن الاستقبال ١٦٦
الثالث: في ناصب «إذا» مذهبان ١٦٧
فائدة: زعم أبو عبيدة أن إذا قد تزاد ١٦٨
تنبيه: أدوات الشرط على أربعة أنواع ١٦٨
مُهِمَّة: ذهب جمهور البصريين إلى أن أداة الشرط جازمة للفعلين معًا الشرط والجواب ١٧٠
تتمة: قال ابن الخباز: «الجازم أضعف من الجار وفرع عليه أن لا يضمر البتة» ١٧٠
فرع: قال ابن جني: «اتصال المجزوم بجازمه اشد من اتصال المجرور بجاره، وجواب الشرط أشد اتصالًا بالشرط من جواب القسم ١٧٠
فائدة: كيف عملت أن في شيئين؟ ١٧١
مسألة: قال ابن هشامٍ: « بعض الجمل لا تصح أن تقع شرطًا ١٧١
مسألة: قال ابن هشامٍ: «كما تربط الفاء الجواب بشرطه، كذلك تربط شبه الجواب بشبه الشرط ١٧١
فائدة: شرط الجواب الإفادة، فلا يكون بما لا يفيد كخبر المبتدأ ١٧١
مسألة: في جواز حذف الفاء من الجواب أقوال ١٧٢
تتمة: قال البصريون: لأداة الشرط الصدر فلا يسبقها معمول معمولها، ولا فعل الجواب عليها ١٧٢
فائدة: لا يجوز حذف أداة الشرط ولو «إن» في الأصح ١٧٤
مسألة: إن توالى شرطان فصاعدًا من غير عطف فالأصح أن الجواب للسابق، ويحذف جواب ما بعده لدلالة الأول وجوابه عليه ١٧٤
خاتمة: إذا انقضت جملتا الشرط والجواب ثم جئت بمضارع مقرون بالفاء أو الواو فلك جزمه بالعطف على الجواب، ورفعه على الاستئناف، ونصبه بأن مضمرة وجوبًا وهو

قليل ١٧٤
(بابُ مرفوعاتِ الأسماءِ) ١٧٦
(بابُ الفاعلِ) ١٧٨
مقدمة: اختلفوا في أصل المرفوعات ١٧٨
فائدة: قال المصنف: الفاعل لغة: من أوجد الفعل، واصطلاحًا: اسم أو ما في تأويله، أسند إليه فعل أو ما في تأويله، مقدم أصلي المحل والصيغة ١٧٨
تنبيه: اختلف في رافع الفاعل على أقوال ١٧٩
تنبيه: للفاعل أحكام سبعة ١٧٩
فائدة: أجاز الكوفيون تقديم الفاعل على المسند ١٨٠
فائدة: حكى البصريون عن طئ وبعضهم عن أزد شنوءة نحو: «ضربوني قومك»، و«ضربتني نسوتك»، و«ضرباني أخواك»، ١٨١
فائدة: حكى سيبويه عن بعض العرب: «قال فلانة» ١٨١
مسألة: يجوز التذكير والتأنيث في مسألتين ١٨١
فائدة: إنما لم يجب التأنيث مع المؤنث المجازي لأمرين ١٨٢
مُهِمَّة: ينصب الفاعل شذوذًا إذا فهم المعنى ١٨٢
مسألة: أجاز الكسائي وهشام والسهيلي وابن النحاس حذف الفاعل تمسكًا بنحو: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾ ١٨٣
مسألة: اختلف في «نعم، وبئس» إذا أسند الفاعل ١٨٣
تنبيه: الفاعل كجزء من أجزاء الفعل؛ والدليل على ذلك أمور ١٨٥
مُهِمَّة: الأصل تقديم الفاعل وتأخير المفعول ١٨٥
تنبيه: يتقدم المفعول على الفعل والفاعل معًا جوازًا ووجوبا ١٨٧
تنبيهان: الأول: بقي من أقسام المتصل ياء المؤنثة المخاطبة ١٨٨

الثاني: ما ذكره المصنف من الضمائر على قسمين: بارز ومستتر ١٨٨
تنبيه: إذا كان الفاعل والمفعول ضميرين ولا حصر في إحداهما وجب تقديم الفاعل ١٨٩
تتمة: يتنزل منزلة الفعل ما هو في تأويله ١٨٩
تكملة: قال ابن النحاس: «المضمر والمظهر من جهة التقديم والتأخير على أربعة أقسام..... ١٨٩
تذنيب: قال أبو الحسن بن أبي الربيع: الإسناد والبناء والتفريع والشغل ألفاظ مترادفة لمعنى واحد ١٩٠
بابُ المفعول الذي لم يُسمَّ فاعلُه ١٩١
فائدة: ترجم المصنف تبعًا لجمهور النحاة بالمفعول الذي لم يسم فاعله، وخالف ابن مالك فترجم بالنائب عن الفاعل ١٩١
تتمة: يحذف الفاعل لغرض من الأغراض ١٩١
تنبيه: في حالات الفعل إذا كان مما يتعدى لأكثر من واحد ١٩٢
تنبيه: إذا كان الماضي مبدوءًا بتاء زائدة ضم ثانيه أيضًا ١٩٤
مُهِمَّة: إذا كان الماضي معتل العين وهو ثلاثي كـ«قال» من الواوي و«باع» من اليائي، أو على وزن افتعل وانفعل كـ«اختار» من اليائي و«انقاد» من الواوي، فقد سمع في فائه ثلاثة أوجه ١٩٤
مُهِمَّة: ذهب الجمهور إلى أن الفعل المبني للمفعول مغير من فعل الفاعل فهو فرع عنه ١٩٦
تتمة: الأفعال ثلاثة أقسام: قسم لا يجوز بناؤه للمفعول باتفاق، وقسم فيه خلاف، وقسم لا خلاف في جواز بنائه للمفعول..... ١٩٦
تكملة: اختلف في إقامة غير المفعول به مع وجوده على قولين ١٩٧
فائدة: إذا اجتمعت هذه الثلاثة: المصدر والمجرور فأنت مخير في إقامة ما شئت..... ١٩٨

مسألة: إذا اقتضى الفعل مفعولين أو ثلاثة وأقيم أحدها نصب الباقي بتعدي الفعل المبني للمفعول إليه عند سيبويه والجمهور ١٩٩
مسألة: قال ابن الخباز: حروف الجر يجوز بناء الفعل لها إلا ما استثنيته ١٩٩
مسألة: لا يجوز إقامة التمييز ١٩٩
مسألة: إذا بني الفعل اللازم للمفعول ففي النائب أقوال ١٩٩
مسألة: اختلف في نائب «كان» إذا بنيت للفعول ٢٠٠
تذنيب: مسألة تذكر في هذا الباب لامتحان النشأة بها ٢٠٠
تتمة: لا يكون الفاعل ونائبه جملة ٢٠١
تنبيه: اختلفوا في رافع المبتدأ والخبر على أقوال ٢٠٤
فائدة: اختلف في الابتداء على قول الجمهور ٢٠٥
تنبيه: شرط الوصف الذي يكون مبتدأ أن يكون سابقًا، وشرط مرفوعه أن يكون منفصلًا سواء كان ظاهرًا أم ضميرًا ٢٠٥
فائدة: المبتدأ قسمان: قسم له خبر، وقسم له فاعل أو نائب عنه يغني عن الخبر وهو الوصف ٢٠٦
فائدة أخرى: المبتدأ قسمان: مسند إليه وهو الذي له خبر، ومسند وهو الرافع لما أغنى عن الخبر ٢٠٦
لطيفة: تعبير المصنف عند تعريفه المبتدأ بـ«العاري» أولى وأسلم من تعبير غيره بـ«المجرد» ٢٠٧
تنبيه: ذهب بعض المتقدمين إلى أن «أنا» مركب من ألف أقوم ونون نقوم و «أنت» مركب من ألف أقوم ونون نقوم وتاء تقوم، وردها أبو حَيَّان ٢٠٩
تنبيه: قد يسكن هاء «هو، وهي» ٢٠٩
فائدة: المضمر والضمير عبارة البصريين، والكوفيون يقولون: الكناية والمكنى ٢١٠

مسألة: المشهور أن الخبر المشتق لا يتحمل غير ضمير واحد ٢١١
تنبيه: المشتق الذي يتحمل الضمير هو ما كان جاريًا مجرىٰ الفعل، فأما ما ليس جاريًا مجرىٰ الفعل فلا يتحمل ضميره ٢١١
فائدة: إذا تضمن الجامد معنىٰ المشتق نحو: «زيد أسد» أي: شجاع، تحمل الضمير .. ٢١١
مُهِمَّة: قال ابن عقيل: جوز سيبويه في: «زيد قائم هو» وجهين..... ٢١١
تتمة: يجب إبراز الضمير في الخبر المشتق إذا جرىٰ علىٰ غير من هو له..... ٢١١
تنبيهات: الأول: اختلف في عامل المجرور والظرف الواقعين خبرًا..... ٢١٢
مُهِمَّة: إن قدرت اسم الفاعل كان من قبيل الخبر المفرد..... ٢١٣
الثاني: ذهب البصريون إلىٰ أن الظرف يتحمل ضمير المبتدأ كالمشتق سواء تقدم أو تأخر ٢١٣
الثالث: ذهب ابن كيسان إلىٰ أن الخبر في الحقيقة هو العامل المحذوف، وأن تسمية الظرف خبرًا مجاز ٢١٣
الرابع: لا يجوز الإخبار بظرف الزمان عن اسم الذات لعدم الفائدة سواء كان منصوبًا أو مجرورًا بفي، وما ورد من ذلك مؤول علىٰ حذف مضاف كما قاله الفارسي ٢١٣
الخامس: منع الجمهور الإخبار بوحده لأنه اسم جرىٰ مجرىٰ المصدر فلا يخبر به.. ٢١٤
مسألة: يغني عن الخبر مصدر، ومفعول به، وحال، ووصف مجرور ٢١٤
تتمة: قال ابن النحاس: أجاز الكوفيون الإخبار بالظرف الناقص إذا تم بالحال ٢١٤
تنبيه: المراد بالصدر المسند أو المسند إليه، فلا عبرة بما تقدم عليهما من الحروف ٢١٥
تقسيم: قد تكون الجملة الكبرىٰ ذات وجه وذات وجهين ٢١٥
تقسيم ثان: تكون الجملة كبرىٰ وصغرىٰ ٢١٦
تنبيه: إذا وقعت الجملة خبرًا فلا بد لها من رابط يربطها بما هي خبر عنه وروابطها عشرة..... ٢١٦

مسألة: يجوز حذف ما علم من المبتدأ والخبر ٢١٩
فائدة: قال ابن إياز: إذا دار الأمر بين كون المحذوف مبتدأ وكونه خبرًا فأيهما أولى؟ ٢١٩
فائدة: مجيء مبتدأين بخبر واحد ٢٢٠
مُهِمَّة: المبتدأ لا يعطف عليه خبره بحرف البتة، إلا بالفاء في موضعين ٢٢٠
مسألة: إذا دخلت على المبتدأ الموصول «ليت» و«لعل» فلا يجوز أن تدخل الفاء في خبره، واختلفت في علة ذلك ما هي ٢٢٠
تتمة: قال السيوطي في "الأشباه": «أصل المبتدأ أن يكون معرفة، وأصل الخبر أن يكون نكرة ٢٢١
مسوغات الابتداء بنكرة منحصرة في عشرة أمور ٢٢١
خاتمة: الأصل تقديم المبتدأ وتأخير الخبر ٢٢٣
باب العوامل الداخلة على المبتدأ والخبر ٢٢٤
تنبيه: في دخول هذه النواسخ على المبتدأ والخبر ٢٢٤
فائدة: النواسخ بالنسبة إلى أنواعها أربعة ٢٢٤
تنبيه: أجاز الجمهور رفع الاسمين بعد كان ٢٢٥
مُهِمَّة: «كان» أم الأفعال لخمسة أوجه ٢٢٦
تنبيه: همزة أمسى وأصبح وأضحى للدخول، أعني الدخول في المساء والصباح والضحى ٢٢٧
تنبيه: «صار» ليس من أخوات «كان»، وإنما هي من باب الفعل والفاعل والمفعول، والدليل على ذلك ٢٢٧
تنبيه: حكى الكسائي والفراء لـ«زال الناقصة» مضارعًا آخر وهو «يزيل» فيكون مشتركًا بين التام والناقص ٢٢٩

مُهِمَّة: قال ابن مالك: «يلحق بـ«زال» بشرطها المتقدم «وني ورام» معناها ٢٣٠
تنبيه: هذه الأفعال الأربعة تدل على ملازمة الصفة للموصوف مذ كان قابلًا لها على حسب ما قبلها ٢٣٠
تنبيه: إذا كانت «ما» مصدرية غير ظرفية لم تعمل «دام» بعدها ٢٣٠
تتمة: كان وأخواتها في تقديم أخبارها عليها على أربعة أقسام..... ٢٣٢
فائدة: اختلف في جواز تقدم أخبار هذا الباب على الأفعال إذا كانت منفية بـ«ما» ٢٣٢
تنبيه: قال الخفاف اختلف هل الأفعال الناقصة تدل على الحدث أم لا؟ ويبتني على ذلك الخلاف في عملها في الظرف والمجرور والحال ٢٣٢
فائدة: اختلف لم سميت هذه الأفعال نواقص..... ٢٣٢
تكملة: تعدد خبر كان مبني على الخلاف في تعدد خبر المبتدأ..... ٢٣٢
فصل: شروط إعمال «ما، ولا، ولات، وأن»..... ٢٣٣
فائدة: «ما»، هي الأصل في النفي وهي أم بابه، والنفي فيها آكد ٢٣٥
تنبيه: قال تاج الدين بن مكتوم: « لم تقع ما في القرآن إلا على لغة الحجاز ما خلا حرفًا واحدًا..... ٢٣٦
مسألة: التصرف في «لا النافية» أكثر من التصرف في «ما النافية»، ومن ثم جاز حذف «لا» في جواب القسم ٢٣٦
مُهِمَّة: زيادة الباء في الخبر على ثلاثة أقسام: كثير، وقليل، وأقل ٢٣٦
إن وأخواتها ٢٣٨
فائدة: «عل» بتشديد اللام أصل «لعل» عند من زعم أن اللام زائدة ٢٣٩
تقسيم: لـ«أن» ثلاثة أحوال: وجوب الفتح، ووجوب الكسر، وجواز الأمرين ٢٣٩
مسألة: إذا خففت «إن» المكسورة لم يلها من الأفعال إلا ما كان من نواسخ الابتداء عند

البصريين، وجوز الكوفيون غيره ٢٤٣
(مسألة): حال «إن» المخففة إذا عملت كحالها وهي مشددة في جميع الأحكام إلا في شيء واحد وهو أنها لا تعمل في الضمير إلا لضرورة بخلاف المشددة ٢٤٣
فائدة: هل تأتي «إن» حرف جواب كـ«نعم»؟ ٢٤٣
مسألة: تقع «أن» المفتوحة ومعمولاها اسمًا لـ«إن» المكسورة بشرط الفصل بالخبر... ٢٤٤
مسألة: وتخفف «لكن» فلا تعمل البتة لعدم سماعه ٢٤٤
فائدة: زعم قوم أن «كأن» قد تنصب الجزأين ٢٤٤
فائدة: قال الفراء وبعض أصحابه: قد تنصب «ليت» الجزأين، وتقترن بها «ما الحرفية» فلا تزيلها عن الاختصاص بالأسماء ٢٤٥
مُهِمَّة: قيل: أول لحن سمع بالبصرة: «لعل لها عذر وأنت تلوم» ٢٤٥
تنبيه: قال في "المفصل": جميع ما ذكر في خبر المبتدأ من أصنافه وأحواله وشرائطه قائم في خبر «إن»، ما خلا جواز تقديمه، إلا إذا وقع ظرفًا أو مجرورًا..... ٢٤٦
تتمة: قال ابن يعيش: «إنما قدم المنصوب في هذا الباب على المرفوع فرقًا بينها وبين الفعل ٢٤٦
تنبيه: زاد الأخفش والكسائي في معاني«لعل»: التعليل، وزاد الكوفيون في معانيها: الاستفهام ٢٤٩
فائدة: يقترن خبرها بـ«أن» كثيرًا حملًا على عسى ٢٤٩
ظننت وأخواتها..... ٢٥٠
تنبيه: ذهب الجمهور إلى أنها تدخل على المبتدأ والخبر..... ٢٥٠
مسألة: ما دخلت عليه «كان» دخلت عليه هذه الأفعال، وما لا فلا ٢٥٣
فصل: لهذه الأفعال ثلاثة أحوال ٢٥٣
تنبيه: إذا تقدم العامل امتنع الإلغاء عند البصريين، فإن جاء من لسان العرب ما يوهم

إلغاءها متقدمة أول على إضمار ضمير الشأن ٢٥٤
تنبيه: لا يدخل الإلغاء ولا التعليق في شيء من أفعال التصيير لقوتها، ولا قلبي جامد لعدم تصرفه ٢٥٥
مسألة: الإلغاء عند توفر شرائطه جائز والتعليق واجب ٢٥٥
تتمة: فعلان من أفعال الباب لا يتصرفان، وهما «هب» من أفعال التصيير، و«تعلم» من أفعال القلوب ٢٥٥
مسألة: لم يعلق من الأفعال إلا أفعال القلوب ٢٥٥
مُهِمَّة: قال ابن القواس: لهذه الأفعال خواص لا يشاركها فيها غيرها من الأفعال المتقدمة ٢٥٥
تنبيه: إذا كان «ظن» بمعنى «اتهم» فتتعدى لمفعول واحد ٢٥٦
فائدة: تتعدى «رأى الحلمية» إلى مفعولين إجراءًا لها مجرى «رأى العلمية» ٢٥٦
تنبيه: إذا كانت خال بمعنى تكبر، أو ظلع، فهي لازمة ٢٥٧
فائدة: إذا كانت «علم» بمعنى عرف تعدت لواحد، فإذا كانت بمعنى علم علمة فهو أعلم، أي مشقوق الشفة العليا فهي لازمة ٢٥٧
تتمة: في حذف المفعولين ٢٥٧
(باب النعت) ٢٥٩
فائدة: اختلف في معنى الإيضاح والتخصيص ٢٦٠
تنبيه: ينقسم النعت إلى ثلاثة أقسام ٢٦٠
مُهِمَّة: قال في "البسيط": جملة ما يوصف به ثمانية أشياء ٢٦٢
تنبيه: قال ابن عصفور في "شرح الجمل": «الأسماء تنقسم أربعة أقسام ٢٦٢
مستملحة: إنشاد لبعضهم في مليح نحوي ٢٦٣
تقسيم: تبعية الصفة لموصوفها في الإعراب ثلاثة أقسام ٢٦٣

مسألة: يرد النعت مدحًا، ذمًا، وترحمًا، وتوكيدًا، وتعميمًا، وغير ذلك..... ٢٦٤
فائدة: شرط الجمهور في النعت أن لا يكون أعرف من منعوته بل دونه أو مساويًا له ٢٦٤
الكلام على المعرفة والنكرة في مقاصد ٢٦٥
الأول: في تعريفهما عند النحويين..... ٢٦٥
الثاني: مذهب سيبويه والجمهور أن النكرة أصل والمعرفة فرع عنها، والدليل على ذلك من وجوه ٢٦٦
تنبيه: إذا اجتمعت النكرة والمعرفة غلبت المعرفة مع أنها فرع ٢٦٦
تنبيه: محل الخلاف في الأعرفية في غير اسم الجلالة فإنه أعرف المعارف بالإجماع ٢٦٨
مسألة: في أعرف الأعلام ٢٦٨
تنبيه: أنكر النكرات..... ٢٦٩
تنبيه: المجمع على كونه ضميرًا ستة ألفاظ: «التاء، والكاف، والهاء، وياء المتكلم، وأنا، ونحن». وفي ما عداها خلاف ٢٧١
تنبيه: الغرض من وضع الضمائر الاختصار ٢٧٢
تنبيه: لم يسمع من العرب النقل من الجملة الإسمية، لكن النحويون قاسوه على ما سمع من النقل من الجملة الفعلية ٢٧٤
مُهِمَّة: ذهب سيبويه إلى أن الأعلام كلها منقولة..... ٢٧٤
تقسيم: العَلَم ثلاثة أنواع؛ مفرد، وإسنادي، ومزجي، وإضافي ٢٧٤
تقسيم آخر: العلم ثلاث أنواع: اسم، وكنية، ولقب ٢٧٤
تنبيهات: الأول: في اسم «مكة» ٢٧٥
الثاني: الكنى والألقاب في القرآن..... ٢٧٥
الثالث: قال في "البسيط": يطلق لفظ العلم على الشيء وضده، ويجوز نقله من لفظ إلى لفظ ٢٧٥

مُهِمَّة: الفرق بين عَلَم الجنس واسمه ٢٧٦
تنبيه: في تقسيم العلم الجنسي ٢٧٧
فائدة: ألفاظ الإشارة للمفرد المذكر والمفرد المؤنث ٢٧٨
تنبيه: إذا كان المشار إليه بعيدًا لحقته كاف حرفية تتصرف تصرف الكاف الاسمية غالبًا ٢٧٨
تنبيه: تزاد -يعني في الإشارة للمؤنث- «تِيك» بكسر التاء، و«تَيك» بفتحها، و«ذيك»، وأنكرها ثعلب، و«تِلك» بكسر التاء، و«تَلك» بفتحها، حكاهما هشام، و«تِيلِك» بكسر اللام والتاء، و«تَالِك» بكسر اللام، حكاهما الفراء ٢٧٨
مسألة: تصحب هاء التنبيه المجرد من الكاف كثيرًا نحو: «هذا» و«هذه»، والمقترن بالكاف دون اللام قليلًا كقوله: «ولا أهل هذاك الطراف الممد». ولا تدخل مع اللام البتة .. ٢٧٩
مسألة: تفصل هاء التنبيه من الإشارة بأنا وأخواته من ضمائر الرفع المنفصلة كثيرًا، وبغير الضمائر المذكورة قليلًا ٢٧٩
تنبيهات: الأول: يشار للمكان القريب بـ«هنا» الملازمة للظرفية، وتجر بـ«من، وإلى»، وبها هنا مقرونة بها التنبيه ٢٧٩
الثاني: قال في "الهمع": لا خلاف أن المجرد من الكاف واللام للقريب ثم اختلف في غيره ٢٨٠
الثالث: إنما بنيت أسماء الإشارة لشبهها بالحروف ٢٨٠
تنبيه: لم يذكر المصنف الموصول كما قدمنا، ونذكره تتميمًا للفائدة ٢٨١
فائدة: تفتقر كل الموصولات الاسمية إلى صلة متأخرة عنها لزومًا مشتملة على عائد مطابق للموصول ٢٨٢
فائدة: قال ابن يعيش: أكثر النحويين سمى صلة الموصول صلة، وسيبويه يسميها حشوًا ٢٨٢

فائدة أجنبية: قال الأندلسي: الصلة يقال بالاشتراك عندهم على ثلاثة أشياء ... ٢٨٢
مُهِمَّة: ذهب قوم إلى أن تعريف الموصولات بـ«أل» ظاهرة في «الذي» و«التي» وتثنيتهما وجمعهما، ومنويي في «من» و«ما» ونحوهما؛ والصحيح أن تعريف الجميع بالصلة ... ٢٨٣
فائدة: في اسم الفرس ٢٨٤
(باب العطف)..... ٢٨٥
تنبيه: لا يجوز التخالف بين عطف البيان ومتبوعه اتفاقًا ٢٨٥
فائدة: عطف البيان يوافق متبوعه في أربعة من عشرة أوجه كالنعت ٢٨٦
فرع: كل ما جاز أن يعرب عطف بيان جاز أن يعرب بدلًا إلا فيما أشار إليه ابن مالك..... ٢٨٦
فائدة: عطف البيان لا يكون إلا بعده مشترك ٢٨٦
فائدة: الكوفيون يسمون عطف البيان بالترجمة ٢٨٦
تنبيه: تختص الفاء بعطف مفصَّل على مجمل، وبعطف جملة شرطها العائد وخلت منه صفة أو صلة أو خبرًا أو حالًا..... ٢٩١
فائدة: قيل: ترد الفاء للغاية بمعنى إلى ٢٩١
تنبيهات: الأول: تعقيبات لابن هشامٍ على معنى أو ٢٩٦
الثاني: لا تقع «أو» بعد همزة التسوية..... ٢٩٦
الثالث: قال أبو البقاء: «أو» في النهي نقيضة أو في الإباحة فيجب اجتناب الأمرين . ٢٩٧
فائدة: أخرج البيهقي عن ابن جريج قال: كل شيء في القرآن فيه «أو» فللتخيير إلا قوله: ﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ﴾..... ٢٩٧
تنبيه: افتراق نوعي «أم» المتصلة على أربعة أوجه ٢٩٨
تنبيهات: الأول: ترد «أم» محتملة للاتصال والانقطاع..... ٢٩٩
الثاني: سمع حذف «أم» المتصلة ومعطوفها ٢٩٩

الثالث: قال أبو زيد الأنصاري: تَرِد «أم» زائدة ٣٠٠
تنبيه: ليس من أقسام «إما» التي في قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا﴾ بل هذه «إن» الشرطية و«ما» الزائدة ٣٠١
فائدة: لا يعطف بـ«بل» بعد الاستفهام اتفاقًا ٣٠٢
تنبيه: تزاد «لا» قبل «بل» لتوكيد الإضراب بعد الإيجاب ٣٠٢
فائدة: قال أبو حَيَّان: يقال في «لا بل»: «نابن» و«لابن» و«نابل» بإبدال اللامين أو إحداهما نونًا ٣٠٣
تنبيه: إذا تلى «بل» جملة فهي لإبطال معنى الأول وإثباته لما بعد ٣٠٣
تنبيه: ذهب صاحب "الأزهرية" إلى أن «بل» تكون حرف جر، ووهمه أبو حَيَّان وابن هشامٍ وغيرهما ٣٠٣
فائدة: لم تقع «بل» في القرآن عاطفة ٣٠٣
فائدة: لم تقع لا في القرآن عاطفة ٣٠٤
فائدة: إذا تلت «لكن» جملة فهي حرف ابتداء لا عاطفة، سواء اقترنت بالواو أو بدونها ٣٠٥
تنبيه: اشتركت «لا» و«بل» و«لكن» من وجهين، وافترقت من وجهين ٣٠٥
تنبيه: للعطف بـ«حتى» شروط ٣٠٦
تنبيه: «حتى» كالواو لمطلق الجمع لا للترتيب خلافًا لمن زعم ذلك ٣٠٧
فائدة: هذيل تقول في «حتى»: «عتى» ٣٠٨
مُهِمَّة: حروف العطف أربعة أقسام ٣٠٨
مسألة: لا يعطف على ضمير رفع متصل اختيارًا إلا بفاصل ما، ضميرًا منفصلًا أو غيره ٣٠٩
فائدة: إن قيل: كيف جاز العطف على المضمرين المرفوع والمنصوب من غير تكرير،

وامتنع العطف على المجرور إلا بالتكرير؟ والجواب عليه ٣١٠
خاتمة: أقسام العطف ثلاثة ٣١١
باب التوكيد ٣١٣
فائدتان: الأولى: إذا أكدت بالنفس والعين مثنى ففيهما ثلاث لغات ٣١٤
الثانية: في تأنيث وتذكير جمع «النفس»، والمعاني التي تقع عليها «العين» ٣١٥
فوائد: الأولى: لا يؤكد بكل وأجمع وتوابعها، غير ذي أجزاء ولو حكمًا ٣١٥
الثانية: ترتيب ألفاظ التوكيد إذا اجتمعت ٣١٦
الثالثة: قال ابن النحاس: هل يجوز أن يقع كل واحد من أكتع وأبصع وأبتع تأكيدًا بمفرده؟ فيه ثلاثة مذاهب..... ٣١٦
باب البدل ٣١٧
البدل أربعة أقسام ٣١٧
فائدة: رجع السهيلي بدل البعض والاشتمال إلى بدل الكل..... ٣١٨
فائدة: أنكر جماعة بدل النداء والغلط ٣١٨
تنبيه: لا بد في بدل البعض من اتصاله بضمير يرجع إلى المبدل منه فإن وجد فذاك وإلا يقدر..... ٣٢١
فائدة: قال أبو عمرو: «الغلط في القول والغلت في الحساب» ٣٢١
تتمة: يجوز قطع البدل على إضمار مبتدأ فيما فصل به جمع أو عدد، كمررت برجل طويل وقصير وربعة..... ٣٢٢
(بابُ منصوباتِ الأسماءِ) ٣٢٣
باب المفعول به..... ٣٢٥
فوائد: الأولى: حدَّ ابن الحاجب المفعول به بأنه ما وقع عليه فعل الفاعل ٣٢٥
الثانية: اختُلف في ناصب المفعول به ٣٢٥

الثالثة: مذهب البصريين أن المفاعيل خمسة ٣٢٥
تتمة: المختار أن الضمير نفس «إيا» فقط، وأن اللواحق لها حروف تكلم وخطاب وغيبة ٣٢٧
تكملة: إذا تعدد المفعول في غير باب «ظن» و«أعلم» كباب «أعطى» و«اختار» فالأصل تقديم ما هو فاعل في المعنى، وما يتعدى إليه الفعل بنفسه على ما ليس كذلك، هذا مذهب الجمهور ٣٢٨
خاتمة: يجوز حذف المفعول لغرض إما لفظي، وإما معنوي ٣٢٨
بابُ المَصْدرِ ٣٣٠
تنبيه: حدَّ ابن هشامٍ المفعول المطلق بأنه المصدر الفضلة المسلط عليه عامل من لفظه أو من معناه ٣٣٠
تنبيهات: التنبيه الأول: المصدر يفيد ثلاثة أمور ٣٣٠
التنبيه الثاني: يُنصب المصدر بمثله ٣٣١
الثالث: ما ينوب عن المصدر في الانتصاب على المفعولية المطلقة ٣٣١
الرابع: المصدر المؤكد لا يثنَّى ولا يجمع اتفاقًا، والمصدر العددي يثنى ويجمع اتفاقًا، والنوعي فيه خلاف ٣٣٢
الخامس: لا يجوز أن تقع «أن» والفعل في موقع المصدر ٣٣٢
السادس: يجوز لقرينة لفظية أو معنوية حذف عامل المصدر غير المؤكد ويجب حذفه في مواضع أشار لها ابن مالك ٣٣٢
السابع: من المصدر ما هو علم للمعنى ٣٣٢
الثامن: عمل الفعل في مصدرين ٣٣٣
فائدتان: الفائدة الأولى: استعملوا العطاء مصدرًا بمعنى الإعطاء، والثواب مصدرًا بمعنى الإثابة ٣٣٤

الثانية: قال ابن هشامٍ في "تذكرته": ذكر ثعلب في "أماليه" أنه يقال: ناب هذا عن هذا نوبا، ولا يجوز ناب عنه نيابة، وهو غريب ٣٣٤
خاتمة: المصدر بينه وبين المفعول المطلق عموم وخصوص بإطلاق ٣٣٤
باب المفعول فيه..... ٣٣٥
فائدة: في "الأساس": ومن المجازي: ذكر في أيام العرب كذا؛ أي في وقائعها ٣٣٦
فائدة: غدوة غير مصروف لأنها معرفة مثل سحر ٣٣٦
فائدة: في "الأساس": ومن المجاز: «بكر بالصلاة» صلاها في أول وقتها، و«ابتكر الفاكهة» أكل باكورتها، و«ابتكر الشيء» أخذ أوله، و«ابتكر الجارية» أفتضها..... ٣٣٦
فائدة: في "الأساس": ومن المجاز: «لقيته سحرًا، وبالسحر، وفي أعلى السحر، وعلى أعلى السحرين ٣٣٧
فائدة: في "الأساس": ومن الاستعارة: «الليل العاتي» الشديد الظلمة ٣٣٧
فائدة: في "الأساس": ومن المجاز: هذا يوم الصباح، وأصبح يا رجل: انتبه من غفلتك ٣٣٨
فائدة: في "الأساس": ومن المجاز: فلان مولع بأوابد الكلام، وهي غرائبه، وبأوابد الشعر وهي التي لا تشاكل جودة..... ٣٣٨
فائدة: غلط كثير من العلماء فجعلوا «حين» بمعنى: حيث، والصواب أن «حيث» بالثاء المثلثة ظرف مكان، و«حين» بالنون ظرف زمان..... ٣٣٩
تنبيه: هذه الأمثلة (ضحى، وضحوة، ووقت، وساعة، وزمان) على أربعة أقسام.... ٣٣٩
فائدة: قال بعضهم: مأخذ التصرف والانصراف في الظروف هو السماع، حكاه الشَّلَوْبِين ٣٤٠
حكاية: عن جحا، من كتاب "أخبار الحمقى والمغفلين" لابن الجوزي..... ٣٤٠
مسائل..... ٣٤٤

المسألة الأولى: الظروف المبنية ثلاثة أقسام ٣٤٤
المسألة الثانية: اسم المكان ثلاثة أقسام: ٣٤٤
المسألة الثالثة: «نزلت عند بابه على زيد» جائز..... ٣٤٤
المسألة الرابعة: كما أن الفعل اللازم لا يتعدى إلى مفعول به إلا بحرف الجر، كذلك لا يتعدى إلى ظرف من الأمكنة مخصوص إلا بحرف الجر ٣٤٥
المسألة الخامسة: اعلم أن التصرف وعدمه في عبارة النحويين يقال على ثلاثة معان .. ٣٤٥
فائدة: ذكر الأندلسي أن الظروف التي لا تدخل عليها من حروف الجر سوى «من» خمسة، وعدَّها..... ٣٤٥
فائدة: الظروف كلها مذكرة إلا «قدام، ووراء» وهما شاذان ٣٤٦
خاتمة: هل يتسع في الظرف مع «كان وأخواتها»؟ ٣٤٦
باب الحال ٣٤٦
تنبيه: في "القاموس": «أبهم الأمر: اشتبه، كاستبهم»..... ٣٤٨
مسألة: كثر مجيء الحال مصدرًا نكرة وهو خلاف الأصل ٣٥٠
تنبيهات: الأول: تنقسم الحال باعتبارات ٣٥١
الثاني: مما يشكل قولهم: جاء زيد والشمس طالعة..... ٣٥٢
الثالث: الحال صفة في المعنى، ولذلك اشترط فيها ما يشترط في الصفات من الاشتقاق..... ٣٥٢
فوائد: الأولى: كل ما جاز أن يكون حالًا جاز أن يكون صفة للنكرة، وليس كل ما يجوز صفة للنكرة يجوز أن يكون حالًا ٣٥٣
الثانية: جميع العوامل اللفظية تعمل في الحال إلا «كان وأخواتها»، و«عسى» على الأصح فيهما..... ٣٥٣
الثالث: الحال شبيهة بالظرف قال ابن كيسان: ولذا أغنت عن الخبر في: ضربت زيدًا

قائمًا ٣٥٣
خاتمة: قال ابن هشامٍ: أكثر ما يرد حذف الحال إذا كان قولًا أغنى عنه المقول ٣٥٣
(باب التمييز) ٣٥٥
تنبيهات: الأول: قال ابن الصائغ في "تذكرته": التمييز المنتصب عن تمام الكلام يجوز أن يأتي بعد كل كلام منطوي على شيء مبهم إلا في موضعين ٣٥٩
الثاني: قال ابن الطراوة: الإبهام الذي يفسره التمييز إما في الجنس أو البعض أو الحال أو السبب ٣٦٠
الثالث: قال ابن هشامٍ: اعلم أن الحال والتمييز قد اجتمعا في خمسة أمور وافترقا في سبعة ٣٦٠
التنبيه الرابع: يجوز حذف التمييز إذا قصد إبقاء الإبهام، أو كان في الكلام ما يدل عليه، ولا يجوز حذف المميز لأنه يزيل دلالة الإبهام إلا أن يوضع غيره موضعه ٣٦١
التنبيه الخامس: قال في "الهمع": مميز كذا لا يكون إلا مفردًا منصوبًا..... ٣٦١
باب الاستثناء ٣٦٢
(فائدة): ترد «إلا» لمعان أخر غير الاستثناء ٣٦٤
تنبيه: قال الرماني في "تفسيره": معنى «إلا» اللازم لها: الاختصاص بالشيء دون غيره..... ٣٦٥
تنبيهات: التنبيه الأول: في بيان المنفي ٣٦٩
التنبيه الثاني: قال الأبذي: من أصل هذا الباب أنه لا يجوز أن يستثنى بالاسمين..... ٣٧٠
التنبيه الثالث: إذا تقدم المستثنى على المستثنى منه في النفي وشبهه تعين نصبه وامتنع البدل..... ٣٧١
التنبيه الرابع: قال ابن إياز: لا يعمل ما بعد «إلا» فيما قبلها ٣٧١
تتمتان: ٣٧٢

الأولى: مذهب الجمهور أن الاستثناء من النفي إثبات، ومن الإثبات نفي ٣٧٢
الثانية: في الاستثناء من العدد أقوال ٣٧٢
تنبيهات: التنبيه الأول: اختلف في ناصب «غير» في الاستثناء على أقوال ٣٧٣
التنبيه الثاني: كيف جاز أن يصل الفعل إلى «غير» من غير واسطة، وهو لا يصل إلى ما بعد «إلا» إلا بواسطة؟ وجوابه. ٣٧٣
التنبيه الثالث: إذا عطف على المستثنى بها جاز في المعطوف مراعاة اللفظ فيجر -وهو الأجود- ويجوز مراعاة المعنى فينصب ويرفع ٣٧٤
تتمة: من أدوات الاستثناء: «ليس» و«لا يكون»، والمستثنى بهما واجب النصب لأنه خبرهما ٣٧٤
فوائد: الأولى: إذا دخلت «ما» على «خلا، وعدا» تعين النصب بعدها لأنها مصدرية، فدخولها يعين الفعلية ٣٧٥
الثانية: ذهب الكسائي إلى أنه يجوز دخول «إلا» على «حاشا» إذا جرت ٣٧٦
الثالثة: قال ابن السراج في "الأصول": لا ينسق على حروف الاستثناء ٣٧٦
خاتمة: قال ابن الدهان في "الغرة": الاستثناء على ثلاثة أقسام ٣٧٦
بابُ «لا» الَّتي لنفي الجِنس ٣٧٨
فائدة: المراد بنفي الجنس: نفي صفته وحكمه لأن الجنس لا ينفى، وإسناد النفي إليها مجاز من إسناد ما للشيء إلى آلته، والمراد بتبرئة دلالتها على البراءة من ذلك الجنس ٣٧٨
فائدة: يجب ذكر خبر «لا» إن جهل ٣٨٠
خاتمة: في أن الاستثناء في قولنا: «لا إله إلا الله» متصل قطعًا ٣٨١
باب المنادى ٣٨٥
الفصل الأول: في تعريف النداء ٣٨٥
الفصل الثاني: في أدوات النداء وأحكامها ٣٨٥

تنبيه: أجمع النحاة على جواز نداء القريب بما للبعيد توكيدًا وعلى منع العكس ٣٨٧
الفصل الثالث: في أقسام المنادى وأحكامه ٣٨٧
تنبيه: قال في "الأزهرية" ما نصه: إذا وصفت النكرة المقصودة ترجح نصبها على ضمها ٣٨٧
مسألة: يجوز حذف الحرف وهو «يا» خاصة في المنادى مطلقًا إلا في ثمان مسائل ٣٨٨
تتمة: لا يجوز نداء ما فيه «أل» لأن نداءه يفيد التعريف، و«أل» تفيد التعريف، ولا يجمع بين معرفين ٣٨٩
تنبيهات: الأول: اختلف في «اللهم» ٣٩٠
الثاني: يجوز تنوين المنادى المبني في الضرورة بالإجماع، ثم اختلف هل الأولى بقاء ضمه أو نصبه ٣٩٠
(فائدة): البناء قسمان ٣٩٠
الثالث: قال ابن هشامٍ: تابع المنادى المبني خمسة أقسام ٣٩١
الرابع: إذا كان المنادى علمًا موصوفًا بـ«ابن» مضاف إلى علم، جاز في المنادى مع الضم الفتح اتباعًا لحركة «ابن» ٣٩١
الخامس: إذا ذكر منادى مضاف وكرر المضاف إليه فهو توكيد، فإن كرر المضاف فقط فيضم الأول منادى مفردًا، وينصب الثاني مضافًا مستأنفًا أو بإضمار «أعني» أو عطف بيان أو بدلٍ ٣٩٢
السادس: من الأسماء أسماء لازمت النداء، فلم يتصرف فيها بأن تكون مبتدأ ولا فاعلًا ولا مفعولًا ولا مجرورًا، بل لا تستعمل إلا في النداء خاصة، وهي قسمان ٣٩٢
تتمتان: الأولى: قال ابن يعيش: الندبة نوع من النداء فكل مندوب منادى وليس كل منادى مندوبًا ٣٩٤
الثانية: إنشاد للمهلبي فيما لا يرخم ٣٩٤

فائدة: قال ابن فلاح في "المغني": قالوا: أكثر ما رخمت العرب ثلاثة أشياء وهي: حارث، ومالك، وعامر ٣٩٤
باب المفعول من أجله ٣٩٥
تنبيهات: الأول: اختلف في ناصب المفعول له ٣٩٧
الثاني: متى فقد شرط من الشروط المتقدمة وجب جره باللام ٣٩٧
الثالث: لا يتعين النصب عند استيفاء الشروط، بل يجوز معه الجر، ثم إن كان مجردًا من «أل» والإضافة فالنصب أكثر ويقل الجر ٣٩٨
الرابع: يجوز تقديم المفعول له على عامله ٣٩٨
الخامس: لا يجوز تعدد المفعول له منصوبًا كان أو مجرورًا ٣٩٩
السادس: قال الجزولي: لا يكون المفعول له منجرًا باللام إلا مختصًا ٣٩٩
باب المفعول معه ٤٠٠
فائدة أجنبية: الماء اسم جنس يقع على القليل والكثير، وجمع باعتبار اختلاف أنواعه ٤٠٠
تنبيهات: التنبيه الأول: الصحيح أن هذا الباب مقيس ٤٠١
التنبيه الثاني: اختلف في ناصب المفعول معه على أقوال ٤٠١
التنبيه الثالث: لا يتقدم المفعول معه على عامله اتفاقًا ٤٠٢
التنبيه الرابع: لا يجوز الفصل بين الواو والمفعول معه بظرف ولا بغيره ٤٠٢
الخامس: زعم صدر الأفاضل أن المفعول معه يكون جملة ٤٠٣
السادس: إذا وقعت بعد المفعول معه خبر لما قبله أو حال طابق ما قبله ٤٠٣
السابع: مسائل هذا الباب بالنسبة إلى العطف والمفعول معه خمسة أقسام ٤٠٣
(بابُ مخفوضاتِ الأسماءِ) ٤٠٧
تنبيه: بقي من حروف القسم «أيمن» ٤١١
تتمتان: الأولى: يغني عن القسم: «لا جرم» في حكاية الفراء ٤١٢

الثانية: من القسم: غير صريح..... ٤١٣
فائدة: في «نشدتك بالله»، و«عمرك الله». ٤١٣
تنبيه: تقع «مذ» و«منذ» اسمين ٤١٥
فائدة: أصل «مذ»: منذ..... ٤١٥
لطيفة: ألغز أبو عبد الله محمد بن مصعب المقري في «مذ» و«منذ» ٤١٥
تكملة: من حروف الجر: «حاشا، وخلا، وعدا» ٤١٦
تنبيهات: الأول: حروف الجر عشرون، وبيان ذلك ٤١٧
الثاني: مذهب البصريين أن أحرف الجر لا ينوب بعضها عن بعض بقياس، كما أن أحرف الجزم والنصب كذلك ٤١٧
الثالث: لا يحذف الجار ويبقى عمله اختيارًا..... ٤١٧
الرابع: فصل الجار من مجروره وتأخيره عنه ضرورة..... ٤١٨
الخامس: تزاد «ما» بعد «من، وعن، والباء» فلا تكفهن، وبعد اللام فلا تكفها، وبعد «رب»؛ فالغالب الكف... ..... ٤١٨
السادس: يجب تعليق حروف الجر بفعل أو شبهه ولو مقدرًا، وهل تتعلق بأحرف المعاني؟ ٤١٩
السابع: قال ابن فلاح في "المغني": تعلق حروف الجر بالفعل يأتي لسبعة معان..... ٤٢٠
تنبيهات: الأول: اختلف في المضاف والمضاف إليه ما هو؟ ٤٢١
الثاني: اختلف أيضًا في الجار للمضاف إليه ٤٢٢
تنبيه: ذهب الجمهور إلى أنه لا يضاف اسم لمرادفه أو صفته أو موصوفة، أو مؤكدة إلا بتأويل، وأجازه الكوفيون بشرط اختلاف اللفظين..... ٤٢٦
تنبيه: لزم الإضافة لفظا: «حُمادى، وقُصارى» -بضم أولهما- مطلقًا، فيضافان إلى الظاهر كالضمير ٤٢٩

تنبيه: يجب كسر آخر المضاف للياء مناسبة لها إلا المثنى، والمجموع على حده، وما حمل عليهما، والمعتل الذي لا يجري مجرى الصحيح... ٤٣٦
تنبيه: قال الأشموني في "شرح الألفية": في المضاف إلى ياء المتكلم أربعة مذاهب.... ٤٤٠
تنبيه: ما لا يمكن تنكيره من المعارف كالمضمرات وأسماء الإشارة لا تجوز إضافته لملازمة القرينة الدالة على تعريفه وضعًا، وأما الأعلام فالقياس عدم إضافتها وعدم دخول «أل» عليها ٤٤١
خاتمة: أثبت جمهور البصريين والكوفيين الجر بالمجاورة للمجرور وذلك في بابي النعت والتوكيد ٤٤٣

ثانيًا المنطق

١ - التَّوَقِّي والاسْتِنْزَاه عن خَطَأ البُناني في مَعْنَى الإله

المقدِّمة ٤٥٣
الخطأ الأول: إطلاق لفظ الكُلِّيِّ على الإله لا يجوز شرعًا ٤٥٣
الثاني: أنَّ الإله ليس بكلِّيٍّ بل هو خاصٌّ بالله تعالى ٤٥٤
الثالث: أنَّ الكليَّ إنما يتأتَّى في الممكنات كالنبيِّ والملَك والعرش والكرسيِّ... أما واجب الوجود سبحانه فهو منزَّهٌ عن ذلك ٤٥٥
الرابع: أنَّ الكلِّيَّ لا يُتصوَّر كونه محالًا ٤٥٦
الخامس: في تناقض وقع فيه البناني رحمه الله تعالى ٤٥٧
السادس: وهو مبنيٌّ على ما قبله، أنَّ جواز تعدُّد الإله ثابتٌ وقيام الدليل القاطع على وجوب تفرُّد الله بالألوهيَّة لا يمنع منه ٤٥٧
السابع: أنَّ زيادة لفظ: «بحقٍّ» في معنى الإله لا أصلَ لها في اللغة ولا علاقة للعقل بها ٤٥٧
الثامن: قوله أيضًا: «تفسير الإله بالمستغني عن كلِّ ما سواه المفتقر إليه كلُّ ما عداه ...» إغراقٌ في الخطأ وتشبُّثٌ به إلى حدِّ التزمُّت ٤٥٧

التاسع: قوله: «إذ لا يوجب تشخصه» والصواب أن يقول: إذ لا يوجب تعينه. لأن التشخص لا يجوز أن يضاف إلى الله سبحانه وتعالى ٤٥٨
ثلاثة إيرادات على هذا المقال والجواب عليها ٤٥٨
الأول: دعوى أن المحال ليس بكليٍّ يخالفُ ما أطبق عليه أهل المنطق ٤٥٨
حديث: «لا شخصَ أغيرُ من الله» من تصرف بعض الرواة ولفظه الثابت في أغلب الطرق: «لا أحدَ أغيرُ من الله» (ت) ٤٥٨
الثاني: كلام الشيخ سعيد قدوره في بيان أفراد الكلِّي الممتنع، واشتماله على أوهام ٤٥٩
الثالث: من الإيرادات، دخول النَّفي العامُّ على «إله» في قولنا: «لا إله إلَّا الله» يؤيِّد القول بكلِّيته ٤٦٠
الرابع: اختار السنوسيُّ أنَّ معنى «إله» في كلمة التوحيد لا مستغنيًا عن كل ما سواه ومفتقرًا إليه كل ما عداه إلا الله، فهو على هذا كلِّيٌّ ٤٦١
خاتمة ٤٦٢

٢- رَفْعُ الإشْكَالِ عن مَسْألةِ المُحَالِ

مقدِّمة ٤٦٥
خطبة المؤلف وسبب تأليف هذا الجزء ٤٦٥
فصل: كلام ابن حزمٍ في تقسيم المحال إلى أربعة أقسام ٤٦٦
بيان فساد قول ابن حزمٍ: «وكل ما خلقه الله تعالى محالًا في العقل فقط فإنما كان محالًا منذ جعله الله تعالى محالًا ....إلخ» من وجوه ٤٦٧
بيان بطلان دعوى ابن حزمٍ بقوله في المحال العقلي: «لا يبعد أن يكون الله تعالى يفعله في عالمٍ له آخر» من عدة جهات ٤٦٨
ذكر كلام ابن العربي الحاتمي في أرض الحقيقة وأن المحال العقلي واقعًا فيها، والتعليق عليه ٤٦٩

فصل: تناقض ابن حزمٍ في قوله أن الله تعالىٰ يقدر علىٰ المحال في العقل، وعلىٰ اتخاذ الولد، مع أنه من المحال المطلق، والتعقيب عليه ٤٧٢
فصل: بيان وجه الصواب في مسألة المحال ٤٧٤
فصل: في أنَّ المحال لا يكون إلَّا ممتنع الوجود وبيان ذلك من القرآن الكريم ٤٧٦
تنبيه: الأمر الجائز يصح الوصف به ويكون حقيقًا وإن لم يقع..... ٤٧٩
استدلال ابن حزمٍ لإمكان وقوع المحال العقلي بما يراه النائم في منامه، وبيان فساد ذلك..... ٤٨١
استدلاله بما حكاه الله من أقوال اليهود والنصارىٰ بما لا يجوز في حقِّه تعالىٰ، وبيان فساد ذلك..... ١٨١
فصل: في أخبار توهم تعلق القدرة بالمستحيل..... ٤٨٢
حديث: «هذا كتابٌ مِن ربِّ العالمين فيه أسماء أهل الجنَّة وأسماء آبائهم وقبائلهم...» الحديث ٤٨٢
حديث: «يا عبادي إني حرَّمتُ الظلمَ علىٰ نَفْسي»..... ٤٨٦
فصل: في مسألة التكليف بالمحال ٤٨٧
خاتمة: في كلام لبعض الفضلاء في الأشعرية وفي قولهم بأن قدرة الله تعالىٰ لا تتعلق بالمستحيل ٤٨٩
تنبيه: قاعدة نفيسة في التأويل للإمام ابن دقيق العيد..... ٤٩٧

٣- التَّنَصُّلُ والانْفِصَال مِن فَضِيحَةِ الإشْكَالِ

مقدِّمة ٥٠٥
المسألة الأولىٰ: أنواع التقابل في علم المنطق..... ٥٠٥
المسألة الثانية: ممَّا هو مُدرَكٌ بالضَّرورةِ أنَّ المشرقَ يتقدَّم علىٰ المغرب بساعتين من الزَّمان..... ٥٠٦

فوائد: الأولى: اشتراك بلدين في الليل سببٌ في عمل أحدهما برؤية الآخَر ٥٠٨
الثانية: لو ماتَ رجلٌ بالمغرب وقت رؤية الهلال بالمشرق، فإنه يقال: مات آخر يوم من شعبان..... ٥٠٨
الثالثة: على فرض وقوع المحال وهو دخول رمضان بالمغرب وقت رؤية هلاله بالمشرق فلا يجب على أهل المغرب صيام في تلك الساعة..... ٥٠٨
الرابعة: فرق الوقت بين المشرق والمغرب له نفس حكم فرق الوقت بين بلاد المغرب وبعضها ٥٠٩
خاتمة: في أنه يلزم من هذا الإشكال أمور تخالف ما أجمع عليه العقلاء ٥١١
فهرس الموضوعات..... ٥١٥

١٦- فهرس المجلد السادس عشر

فَتَاوَى وأَجْوِبَة

مقدِّمة مشرف العمل ٧

١ - عِلْمُ الكَلامِ

هل يكفي في الإيمان قول: «لا إله إلَّا الله»؟ ١١
هل يجب على النصراني إذا أسلم في بلده أن يهاجر منها، وهل النَّصارى اليوم أهل كتاب؟ ١٢
الاشتقاق من أسماء الله الحسنى، و في أسماء الله الحسنى ١٣
إيمان فرعون ١٤
كتابة أعمال العباد في علم الله القديم ١٤
الوعد والوعيد ١٦
هل رأى النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ربَّه بالبصر؟ ١٦
حديث: «إن الله ينزل إلى سماء الدنيا» ١٧
ما هو الحق الواجب على الله؟ ١٨
رؤية الله في المنام ١٨
مقولة: «ربَّ الأرباب» ١٩
مقولة: «ما شاء اللهُ وشاء فلانٌ» ١٩
مقولة: «أنا مع الله» ٢٠
مقولة: « اسمع ندائي» ٢٠
أسماء الأنبياء والرسل حسب تواريخ نزولهم ٢٠
هل للأنبياء «دايةٌ» خاصَّةٌ بولادتهم ٢١
عصمة الأنبياء ٢٢

عموم رسالة النبي لأهل الأرض والملائكة ٢٣
استشكال حول قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾..... ٢٥
هل أراد سيدنا موسى عليه السلام قتل القبطيِّ ٢٦
هل كان هارون عليه السلام رسولا أم وزيرًا؟ ٢٧
شبهة حول إلقاء سيِّدنا يونس لنفسه في البحر..... ٢٧
حول نبوة الخضر ٢٨
هل كان آدم وإدريس نبيين ورسولين ٣١
هل يعد عيسى عليه السلام صحابيًّا؟ ٣٢
هل يعد موسى عليه السلام صحابيًّا؟ ٣٣
قول أنس: «لو بقي إبراهيم لكان نبيًّا» ٣٣
رسالة يوسف عليه السلام ٣٤
نقد بيت في البردة ٣٤
هل النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مرسل إلى الملائكة ٣٦
رؤية الملائكة لله تعالى في الجنة ٣٨
جبريل أفضل أم إسرافيل؟ ٣٩
اسم ملك الموت ٤٠
هل أرسل نوحٌ إلى الجنِّ؟ ٤٠
هل أرسل الله سُليمانَ إلى الجِنِّ؟ ٤٠
عقيدة الجن ٤١
هل يدخُل مؤمنوا الجنِّ الجنَّة؟ ٤٢
دليل دخول الجنِّ الجنَّةَ ٤٥
هل الجنُّ كلّهم يتطوَّرون؟ ٤٦

هل إبليس من الجن أم من الملائكة؟ ٤٧
كيفية مجيء الذرية الشيطانية وطريقة تناسلها ٤٧
مكان سكن الشياطين وكيفية موتهم ٤٨
هل يجب الغسل على الإنسية إذا وطئها جني؟ ٤٨
الأرواح بعد الموت هل هي حرة أو مقيدة؟ ٤٩
سؤال القبر و كيفيته ٥٠
الصراط وأدلة وجوده ٥٢
شهادة أعضاء الإنسان ٥٣
حكم الأطفال في الجنَّة ٥٣
هل يقرأ أهل الجنة القرآن؟ ٥٤
القول بفناء النار ٥٤
الإمام المهدي المنتظر والمسيح الدجال ٥٥
كرامات الأولياء ٥٩
سبب ذكر الصحابة في العقائد ٦١
حول من يضلل الأشاعرة ويكفرهم ٦١

٢ - القُرْآنُ الكَرِيمِ وقَصَصُ الأَنْبِيَاءِ

بيان كبائر الإثم ومعنى اللَّمَم ٦٥
معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ٦٦
معنى الحروف المذكورة في أوائل بعض سور القرآن ٦٦
هل في القرآن مبالغة؟ ٦٨
حكم قرآة الفاتحة لقضاء الحوائج، وإهدائها للنبيِّ ﷺ ٦٨
قراءة القرآن بأجرٍ ٦٩

أهل الأعراف..... ٧٠
قراءة القرآن بلحون العرب ٧١
سبب نزول آية التحريم ٧٢
معنى تشبيه الله تعالى المنافقين بقول: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾..... ٧٣
حكم تفسير القرآن بالرأي ٧٤
حكم التغنِّي بقراءة القرآن ٨٦
سبب نزول آية طلب الصدقة عند المناجاة ٨٧
أهمية المناسبة بين الآيات والسور ٨٨
الإعجاز العددي لرقم (١٩) في القرآن..... ٨٩
من القائل: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ﴾؟ ٨٩
معنى قوله: ﴿أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ﴾..... ٨٩
تفسير قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾..... ٩٠
ما هي موعدة إبراهيم أباه..... ٩١
الضمير في قوله تعالى: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾..... ٩١
عودة الضمير في قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ﴾ ٩٢
معنى قول الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾..... ٩٢
علة التعبير بفاسقٍ في قوله: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾..... ٩٣
معنى ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾..... ٩٣
إثم إهانة حملة القرآن..... ٩٤
قراءة سورة الكهف يوم الجمعة ٩٤
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾..... ٩٥

معنى كلمة «الرُّوح» في القرآن الكريم ٩٦
معنى قول الله تعالى ٩٧
في حقِّ يوسف عليه السلام: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ﴾ ٩٧
معنى قول الله تعالى: ﴿قُل مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ ٩٧
قراءة (سورة الأنعام) وقت تغسيل الميت ٩٨
أشد آية نزلت على النبي ﷺ ٩٨
حكم قراءة القرآن في الراديو ٩٩
ما هو الأعراف ٩٩
المراد من قول الله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ ٩٩
تنسيق الضمائر في آيات المعراج ١٠٠
رد كلام الإمام الرازي في قوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ ١٠١
قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ لا يفيد العموم ١٠٣
معنى قوله تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ ١٠٣
معنى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ ١٠٤
كيف كان طول آدم عليه السلام حين نزل من الجنة؟ ١٠٥
اسم والد سيدنا يونس ١٠٧
فضل يونس عليه السلام ١٠٨
كيفية وسوسة الشيطان لآدم ١٠٩
هل في قتل موسى للقبطي ذنب؟ ١٠٩
هل مس الشيطان سيدنا أيوب ١٠٩
كيف ينسب العصيان لآدم عليه السلام مع أنه أكل من الشجرة ناسيًا؟ ١١٠

هل آزر عم سيِّدنا إبراهيم أم والده؟ ١١٠
خفاء موت سليمان عليه السلام على الإنس والجن ١١١
مكانة سيدنا موسى عليه السلام..... ١١٢
سجود الملائكة لآدم عليه السلام..... ١١٢

٣- الحَدِيثُ الشَّرِيفُ

معنى حديث أفضل الأعمال ١١٧
شرح حديث: «ما من أحد يسلم علي إلا رد الله روحي» ١١٨
حياة الخضر و إلياس عليهما السلام..... ١٢٠
الفرق بين القرآن والحديث القدسي ١٢١
حقيقة سحر لبيد اليهودي للنبي..... ١٢٢
العمل بالحديث الضعيف ١٢٣
تبليغ الرسالة ليأجوج ومأجوج ١٣١
معنى: «إنِّي أخافُ عليكم مِن الدَّجَّال غير الدَّجَّال»..... ١٣٢
جواب عن أحاديث ١٣٣
هل بال النبي قائمًا؟ ١٣٤
هل ثبتَ عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنَّه لبِسَ السَّراويلَ؟ ١٣٦
حديثُ: «منْ لم يُكثِرْ ذكرَ الله فقد بَرِئَ منَ الإيمانِ» ١٣٧
تخريج حديث من غسَّل واغتَسَل..... ١٣٨
التوسعة يوم عاشوراء..... ١٣٩
الفرق بين القرآن والحديث القدسي ١٤٢
هل أحاديث الصحيحين تفيد اليقين؟ ١٤٤
ضبط كلمة في حديث: «لعن الله آكل الربا وموكله»..... ١٤٦

وصايا فاطمة الزهراء ١٤٧
حديث: «كنتُ كنزًا لا أُعرَف...» ١٥١
حديث: «السُّلطان ظلّ الله في الأرضِ» ١٥٢
أسئلة حديثية وأجوبتها ١٥٣
حديث: «لا خاب من استخار ولا ندم من استشار». ١٥٣
حديث: «من أتىٰ بعراف فقد كفر بما أنزل علىٰ محمد ﷺ» ١٥٤
حديث موضع في "دلائل الخيرات" ١٥٤
حديث: «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل» ١٥٥
«إنما العلوم أربعةٌ...» ليس بحديث ١٥٨
أسئلة حديثة وأجوبتها ١٥٨
حديث: «مَن عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ». ١٥٨
حديث: «علماء أُمَّتي كأنبياء بني إسرائيل» ١٥٩
حديث: «مَن تكلَّمَ يومَ الجُمُعَةِ والإمام يخطبُ...» ١٥٩
«كنتُ كَنْزًا مخفيًّا فأحببتُ أن أُعرَف... » ١٥٩
حديث:«نور أبي بكرٍ وعمر وعثمان وعليٍّ مِن نوري» ١٥٩
سؤال عن قراءة البسملة ٢١ مرة ١٦٠
أسئلة حديثية وأجوبتها ١٦١
حديث الذباب ١٦١
حديث أمِّ عطية: نُهينا عن اتِّباع الجنائز ١٦٥
حديث: «دَعْهَا يا عمر، فإنَّ العَيْنَ دامِعَةٌ...» ١٦٦
حديث: «مَن غَسَّلَ مَيتًا فليغتسل، ومَن حمله فليتوضَّأ» ١٦٧
هل ورد حديثٌ صحيحٌ في عدد تكبيرات العيدين؟ ١٧٠

أسئلة حديثية و أجوبتها..... ١٧١
أحاديث موضوعة في فضل بعض الأذكار ١٧١
أسئلة حديثية وأجوبتها ١٧٥
حديث: كلّما أغضب القلب يغضب الله، ولو قلب بهيم. ١٧٥
حديث: لو صَدَقَ السائل لهلك المسئولُ. ١٧٦
حديث: يأتي علىٰ أُمَّتي زمانٌ مَن لم يتوحَّش فيه تأكله الذِّئاب. ١٧٦
حديث: استعينوا علىٰ نسائكم بالعري. ١٧٧
حديث البسملة المُسلسل بالحَلِف..... ١٧٧
زيادة «رب اغفر لي» عند قول الإمام: «ولا الضالين» ١٨٠
هل يُسَنُّ لإمام الجمعة الإتيان بالذِّكر المسنون عقب الإقامة؟ ١٨٢
حديث: يا رسول الله، إنَّ امرأتي لا ترد يد لامس ١٨٢
حديث صلاة التسبيح..... ١٨٥
مَن هم أهل الفَتْرَة، وهل هم ناجون أم لا؟ ١٨٦
حديث موضوع في أكل البطيخ..... ١٨٨
جمع بين حديثين..... ١٩١
إذا أكلتم فأفضلوا، و الإناء يستغفر للاعقه. لا أصل لهما ١٩٤
حديثان موضوعان من كتاب "نزهة المجالس" ١٩٤
أسئلة حديثية وأجوبتها ١٩٦
حديث: «حياتي خيرٌ لكم ومَماتي خيرٌ لكم...» ١٩٦
حديث: «ما مَن أحدٍ يُسَلِّمُ عليَّ عند قَبْرِي...» ٢٠١
سؤال عن حديث عَكَّاف بن وداعة ٢٠٣
هل ماورد في الصلاة خلف الفاسق صحيح ٢٠٥

الاستتار عند الجماع ٢٠٥
بيان عورة المرأة ٢٠٦
معنى حديث: «مَن عَشِقَ فعَفَّ» ٢٠٧
حكم الوعظ بأحاديث موضوعةٍ ٢٠٨
حكم اختلاط الرجال والنِّساء ٢٠٩
الأحاديث الواردة في ذَمِّ المُكُوس ٢١٠
تجريد "صحيح البخاري" من الأسانيد ٢١٠
حديث مكذوب، وبيان بعض مظان الأحاديث الموضوعة ٢١١
نقد كتاب "الأضواء القرآنية" ٢١٢
القواعد التي يعرف بها وضع الحديث ٢١٣
تخريج حديث: «ما طُفِئ المِصْباحُ على قومٍ إلَّا غُفِرَ لهم» ٢١٤
معنى حديث المرأة التي لا ترد يد لامس ٢١٥
حديث: «الدنيا جيفة وطلابها كلاب»؟ ٢١٥
معنى: «عبث النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في منامه» ٢١٥
هل صحَّ أنَّ أحد الأنصار تطاول على العبَّاس رضي الله عنه بالسبِّ؟ ٢١٦
تقبيل قدم النبي ﷺ ٢١٦
الحكمة في مخاطبة جبريل النبي ﷺ باسمه مجرَّدًا ٢١٧
معنى أن تلد الأَمَةُ رَبَّتها ٢١٨
سبب كون النساء أكثر أهل النار ٢١٩
معنى حديث: «تُبَخِّلُون وتُجَبِّنُون» ٢٢٠
تخريج حديث: «العلماء ورثة الأنبياء» ٢٢١
حديث في فضل العلم ٢٢١

«خُذ مِن القرآنِ ما شِئتَ لما شئت» كلامٌ عامِّيٌّ ٢٢٢
تخريج حديث: «رجعنا من الجهاد الأصغر..»؟ ٢٢٢
الاحتجاج بالقدر ٢٢٢
تخريج حديث: «ما بين قَبْري ومِنْبري...» ٢٢٣
معنىٰ حديث: « النساء ناقصات عقل ودين» ٢٢٤
تخريج حديث: «من مات يوم الجمعة...» ٢٢٥
هل يفدىٰ آزر يوم القيامة؟ ٢٢٥
هل يعرفُ الميتُ مَن يزوره ٢٢٦
تصحيح حديث: «أنا مدينةُ العِلْمِ وعليٌّ بابها» ٢٢٦
زيارة القبور للنِّساء ٢٢٧
«هذه يدٌ لا تمسَّها النَّارُ»، حديث واهٍ ٢٢٧
حديث: «ومَن ذَكَرَني في مَلأ ...» ٢٢٨
هل صحَّ في فضل الحجِّ يوم الجمعة حديثٌ؟ ٢٢٨
هل قصر أهل مكة الصلاة في حَجَّة الوداع؟ ٢٢٨
أحاديث العقل كلها موضوعةٌ ٢٢٩
حديث: «مَن اعتكفَ في المسجد فُواق ناقة»؟ ٢٢٩
حديث: «أبشر بالفقر...» ليس بصحيح ٢٢٩
«الظالم عَدْلُ الله في الأرض» ليس بحديثٍ ٢٣٠
حديث صلاة التسابيح صحيح ٢٣٠
التنبيه علىٰ خطأ بعض المؤلفين ٢٣١
دفع تعارض بين آية وحديث ٢٣١
ما صحَّة حديث: «ما وَسِعَني سماءٌ ولا أرضٌ...»؟ ٢٣٢

قول ابن مسعودٍ: «لا غفر الله لك». ليس بصحيحٍ ٢٣٣
اليهود قتلة الأنبياء ٢٣٣
هل الألبانيُّ مُحدِّثٌ يُعتمَد عليه في تصحيح الأحاديث ٢٣٤
معنىٰ تكرار الفعل في قوله ﷺ: «نَجَوْا، وَنَجَوْا جميعًا» ٢٣٥
هل صح زواج النبي في الجنة من مريم وكلثم وآسيا ٢٣٥
معنىٰ: «وإن أَفْتَاكَ النَّاسُ وأَفْتَوْكَ»؟ ٢٣٦
سؤال عن السموات ٢٣٦
حديث: «من صام رمضان وفي نيِّته معصية في شوَّال...» ٢٤١
حديث: «مَن نوىٰ علىٰ معصيةٍ ولم يفعلها لم تُكتب عليه». ٢٤١
الحديث القدسيِّ: «مَن طَلبني وَجَدني...» موضوع ٢٤١
كلمة حول كتاب "مسائل عبدالله بن سلام للنبيِّ ﷺ" ٢٤٢
حديث: «من زار وليًّا في الله ...» موضوع ٢٤٤
فضل قضاء الحوائج ٢٤٤
حديث: «أحبب حبيبك هونًا ما ...» موقوف ٢٤٥
هل تُردُّ أرواح الأنبياء؟ ٢٤٦
حديث أمِّ عطية في غسل الميت ٢٤٦
الصلاة الوسطىٰ ٢٤٧
«مَن أتىٰ كاهنًا أو عرَّافًا...» ٢٤٧
شيوخ المصنِّف في الرواية والكلام علىٰ بعض الأثبات ٢٤٨
السبب في ترك البخاري الرواية عن الإمام الشافعي ٢٥١
الأحاديث الضعيفة في "مسند أحمد" ٢٥١
تفرُّد حمَّاد بن شاكر ٢٥٢

أمراء المؤمنين في الحديث ٢٥٢
رواية شيخ الإسلام زكريا الأنصاري عن البرهان التنوخي ٢٥٢
مرتبة النجديين في الحديث ٢٥٢
تحقيق "أحاديث القصاص" للشيخ محمد الصباغ ٢٥٣
التعليقات على "البرهان الجلي" ٢٥٣
رأي الشيخ رحمه الله في بعض من وُصِف بالحفظ ٢٥٣
الإمام البخاريُّ مقدمٌ على الإمام أحمد في الصناعة الحديثية ٢٥٤
حاشية على "صحيح مسلم" للمؤلف ٢٥٥
ترتيب كتب السُّنَّة بحسب الأصَحِّية ٢٥٦
الفرق بين "ميزان الاعتدال" و"تهذيب التهذيب" ٢٥٦
اصطلاح الحافظ عند الزيدية ٢٥٧
صاحب "كشف الأستار المسبلة" ٢٥٧
تحسين الترمذيِّ لحديث «طِيب الرجال» ٢٥٧
هل في البخاري أحاديث ضعيفة ٢٥٨
السيوطي أوسع حفظًا من ابن حجرٍ ٢٥٩
المقصود من قول الشافعي «حدثني الثقة» ٢٥٩
معنى قول بعض المحدِّثين: «فلان لا يروي إلَّا عن ثقةٍ» ٢٥٩
متى يحسن حديث المستور ٢٦٠
العمل بالحديث الضعيف وموقف الألباني منه ٢٦٠
نهاية تقييد الحديث مسندًا ٢٦١
درجة أحاديث تاريخ بغداد ٢٦٢
زيادات رزين العبدري ٢٦٢

هل أحاط المجتهدون بالسنة؟ ٢٦٢
ترتيب كتب الحديث؟ ٢٦٣
كتاب "الفوائد الموضوعة" ٢٦٣
الرد على الألباني في منعه العمل بالحديث الضعيف ٢٦٣
حول كتاب "المنتقى" لابن الجارود ٢٦٤
إنكار ابن تيمية والذهبيِّ مؤاخاة النبي ﷺ لعلي عليه السلام ٢٦٥
حكمةٌ صوفيةٌ وليس بحديث ٢٦٥
الراوي المُختلَف فيه ٢٦٥
سكوت الحافظ ابن حجرٍ عن الحديث في "فتح الباري" ٢٦٦
ترك العمل بالحديث في زمن الصحابة والتابعين ٢٦٦
كتاب "قواعد في علم الحديث" للتهانوي ٢٦٦
هل الحسن عند الترمذيِّ ضعيفٌ عند أحمد؟ ٢٦٧
كتاب "الكنز الثمين" وطباعة بعض كتب الشيخ بدون إذنه ٢٦٧
معاوية بن أبي سفيان ٢٦٨
سند السيد عبدالله إلى كتاب "اللمع" للشيرازيِّ ٢٦٨
هل البيهقي أمير المؤمنين في الحديث ٢٦٩
رد كلام ابن تيمية في حديث صلاة التسابيح ٢٦٩
جواز العمل بالحديث الضعيف بشروطه ٢٧١
درجة حديث شهر بن حوشب ٢٧٢
صلاة التسبيح ٢٧٣
تنبيه حول هيئة صلاة التسبيح ٢٧٤
الحافظ يحيى بن عبدالحميد الحماني الكوفي ٢٧٤

أحاديث باطلة في فضل بعض الأعمال ٢٧٥
أحاديث زيارة النبي عليه الصلاة والسلام ٢٧٥
أجوبة على أسئلة ٢٧٧
الشيخ محمد حبيب الله الباكستاني ٢٧٧

٤ - الفِقْهُ وأُصُولُهُ

التشدد في شروط الاجتهاد ٢٩١
الاستدلال بالأحاديث الضعيفة في الأحكام ٢٩٢
هل تجوز الرواية بالإجازة منامًا ٢٩٢
جواز الصلاة على الأولياء والصالحين ٢٩٣
هل «فضائل الأعمال» من الأحكام الشرعية؟ ٢٩٧
هل النهي للتحريم؟ ٢٩٨
توضيح حول تقليد الأئمة ٢٩٩
حكم التلفيق ٣٠١
هل الكفار مخاطبون بفروع الشريعة؟ ٣٠٢
هل المزية لا تقتضي التفضيل؟ ٣٠٢
هل يجوز تخصيص القرآن بالسنة؟ ٣٠٣
معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ ٣٠٤
حكم التلفيق للمقلِّد ٣٠٥
هل الرؤيا تعتبر دليلًا من أدلة الأحكام ٣٠٥
المياه التي تصلح للعبادة، وحكم ماء المجاري المعالج بالكيماويات ٣٠٥
ماءُ الطّهر الذي ينزل من فرج المرأة ٣٠٧
حكم الصلاة لمن تلوثت ملابسه بلحم الخنزير ٣٠٧

حكم الوضوء مع لبس الخاتم وطلاء الأظافر ٣٠٨
حكم المسح على الجبائر ٣١٠
من انقطع عنه الماء قبل غسل رجليه ٣١٠
السلام على المرأة للمتوضئ ٣١٠
انتقاض الوضوء بلمسِ المرأة ٣١١
الوضوء من حمل الميت وغسله ٣١٣
حكم سَلَسِ البول ٣١٤
الوضوء من مس الدبر ٣١٤
أسئلة متفرقة في أحكام الطهارة والجواب عليها ٣١٥
من أحكام الحيض ٣١٧
هل يجب الغسل من الإجهاض ٣١٨
حكم الكلام والدعاء من سامع الأذان وقت الأذان ٣١٩
الحِكمة من تجريد الأذان من العطف ٣٢١
نكتةٌ بلاغيةٌ في الفرق بين ألفاظ الأذان والتشهد ٣٢٢
كيف كان أذان عائشة رضي الله عنها؟ ٣٢٢
أسئلة متفرقة عن أحكام الصلاة ٣٢٣
حكم اللَّحن في الصلاة ٣٢٤
حكم وجود الراديو في المسجد ٣٢٥
الصلاة في مسجد تحت كنيسة ٣٢٥
الصلاة بين الأعمدة في المسجد ٣٢٦
أيهما أرجح في الصلاة القبض أم السدل؟ ٣٢٦
حكم قراءة سورة من القرآن في الركعتين الأخيرتين من الصلاة الرباعية ٣٢٨

ردُّ على الألبانيِّ في قوله: «كان النبيُّ ﷺ يعجن في صلاته». ٣٢٩
هل يصح السلام على النبيِّ ﷺ في التشهُّد بصيغة الغيبة؟ ٣٣١
سنن الصلاة والصيام وأوقاتها ٣٣٢
معنى التهجد ٣٣٣
الصلاة خلف الفاجر ٣٣٤
النية عند تكبيرة الإحرام ٣٣٤
حكم قراءة الفاتحة خلف الإمام ٣٣٥
حكم من سلَّم قبل الإمام ناسيًا ٣٣٥
أسئلة متفرقة عن أحكام الصلاة والجواب عليها ٣٣٥
حكم إعادة صلاة الجماعة منفردًا طلبًا للثواب ٣٣٨
كيفية صلاة النِّساء ٣٣٨
هل ينقص ثواب صلاة القائم خلف القاعد ٣٣٩
حكم وقوف الرجل بين النساء المحارم في الصلاة؟ ٣٣٩
حكم زيادة ركعة في الصلاة نسيانًا ٣٤٠
صلاة القصر للمسافر ٣٤١
هل يؤخَّر الوتر عند جمع التقديم؟ ٣٤٢
من بعض أحكام صلاة الجمعة ٣٤٢
تعدد صلاة الجمعة في بلد واحد ٣٤٣
حكم تعدُّد الجمعة في بلدٍ واحدٍ ٣٤٥
متى فرضت الجمعة؟ ٣٤٧
كيفية قضاء صلاة الجمعة ٣٤٨
كيفية صلاة الاستخارة ٣٤٩

حِكْمة مخالفته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بين الطريق في العيد ٣٥٠
أسئلة متفرقة عن أحكام الصلاة والجواب عليها ٣٥٢
حكم المصافحة عقب الصلوات ٣٥٣
حكم إعادة صلاة صبح يوم الجمعة إذا تركت السجدة ٣٥٤
القيام للجنازة ٣٥٤
ثناء الناس على الميت بعد الصلاة عليه ٣٥٥
الصمت خلف الجنازة ٣٥٦
حكم إحياء ليلة الأربعين للأموات ٣٥٨
هل يتأذَّى الميت مما يتأذَّى منه الحي؟ ٣٥٨
وحكم الانتفاع بالأرض التي كانت مدفنًا ٣٥٨
فضل الدفن بجوار الصالحين ٣٥٩
دفن المرأة مع زوجها ٣٦٠
عدم ورود شيء يسقط إثم ترك الصلاة على الميت ٣٦١
دفع الزكاة في بناء المساجد ٣٦١
احتساب الضريبة الحكومية من الزكاة المفروضة ٣٦٢
أسئلة متفرقة عن أحكام الزكاة والجواب عليها ٣٦٣
كيف تحسب زكاة التجارة ٣٦٥
زكاة التجارة والمعدن والركاز ٣٦٥
العلة في فرض زكاة الفطر، وهل تجب على الصغير؟ ٣٦٦
قيمة زكاة الفطر ٣٦٧
زكاة ما لم ينص عليه ٣٦٧
لماذا يتأخَّر المغاربة في الصيام عن المشرق ٣٦٩

جواز صوم أهل السودان برؤية الهلال بمصر ٣٦٩
حول أحكام الصيام ٣٧٠
كيفية قضاء شهر رمضان لمن كان مريضًا ٣٧٤
فدية الصيام ٣٧٨
حكمة تقبيل الحجر الأسود ٣٧٩
حكم الإحرام من مدينة جدة للمسافر ٣٨٠
حول أحكام الحج ٣٨٠
كيفية إحرام المرأة بالحجِّ والعُمْرة ٣٨٢
مسائل في المعاملات ٣٨٣
حكم البيع بضعف ثمن الشراء ٣٨٧
حكم بيع الزرع قبل حصاده ٣٨٨
حكم المعايدة ٣٨٨
هل الوكالة تنتهي بوفاة الموكل؟ ٣٨٩
هل تجوز الوكالة بعد الوفاة؟ ٣٨٩
هل يجوز وقف مال مستثمَر؟ ٣٩٠
حكم مقدَّم الإيجار والخلو ٣٩١
العمل عند المسلم الفاسق ٣٩١
من أحكام الهبة ٣٩٢
حكم استرجاع الهبة ٣٩٢
اللقطة ٣٩٣
فتوىٰ في الإشهاد بالوصية ٣٩٣
مسائل في الميراث ٣٩٥

حرمانُ البنات من الوصية من بقايا أعمال الجاهليَّة ٣٩٧
منع الحمل بطريقة العزل ٣٩٩
حكم رضاع الكبير ٤٠٢
الإجهاض ٤٠٢
الزفاف يوم الجمعة ٤٠٣
جواز تزاوج الإنس من الجن ٤٠٣
هل يجوز للرجل أن يسكن زوجتيه في دار واحدة؟ ٤٠٤
حول أحكام النكاح ٤٠٥
طهارة البنت (الختان) ٤١١
سؤال في الزواج وجوابه ٤١١
آداب الزوجية ٤١٣
حكم مجامعة الرجل امرأته وهي مكشُوفةٌ كلّها ٤١٤
حكم الزواج على المرأة الشريفة ٤١٥
حكم الزواج بفتاة سترًا عليها ٤١٥
لبس الذهب والحرير للرجال ٤١٦
حكم مصافحة النساء ٤١٦
معنى التفريق بين الأبناء في المضاجع ٤١٧
هل الغيلة حرام؟ ٤١٧
هل صوت المرأة عورة؟ ٤١٨
ما تحل به المرأة لزوجها الأول ٤١٨
مدَّة استبراء السبايا ٤١٩
هل للعبدالرقيق أن يتزوَّج مالكته ٤٢٠

الحلف بالطلاق على شرب الدخان ٤٢٠
رجلٍ شرب لبن امرأته غلطًا هل تحرم عليه ٤٢١
حول أحكام الطلاق ٤٢١
من أحكام الظهار ٤٢٥
حكم قتل الزاني والزانية وقت التلبس ٤٢٥
هل لولي الدم أن يقتص ممن ظلمه بنفسه ٤٢٦
قتل الجماعة بالواحد ٤٢٧
موضع ذبح الحيوان ٤٢٨
حكم ذبيحة النصارى ٤٢٩
حكم أكل السردين ٤٣٣
حكم النهي عن خلط التمر والزبيب ٤٣٤
من أحكام الأيمان والنذور ٤٣٤
فتاوى في قضايا معاصرة ٤٣٦
العمل بالبنوك التي تتعامل بالفوائد ٤٣٦
حكم شرب الدخان ٤٣٦
شرب الخمر للتداوي ٤٣٧
شرب الحشيش ٤٣٧
شرب الكينا المقوية ٤٣٨
حكم الشرع في ارتياد السينما والملاهي ٤٣٩
استعمال العقاقير لمنع الحمل ٤٣٩
نعي الميت في الجرائد ٤٤٠
إقامة المآتم خصوصًا في مواسم الأعياد ٤٤٠

التبرع بالأعضاء ٤٤٣
حكم دفع المال من أجل الحصول على وظيفة ٤٤٥
حكم عمل المرأة ٤٤٦
حكم سفر المرأة بدون محرم للعمل ٤٤٦
حكم التنميص ٤٤٧
حكم العمل بالجمارك والبنوك والمحاكم ٤٤٨
العمل بالجمارك ٤٤٨
أَجـوِبةٌ هـامَّـةٌ في الطِّـب ٤٤٩
حكم تعلم علم الطب وتشريح الميت ٤٥٧
حكم الاختلاط للطالبات ٤٥٧

٥- التَّصَوُّفُ والأَدَبُ

أصل اجتماع الصوفية على الذكر ٤٦١
حكم الذكر بلفظ «آه» ٤٦١
استعمال الطبل والكأس عند ذكر الله ٤٦١
أول اجتماع للصوفية على الذكر بالاسم المفرد ٤٦٢
كيفية إحياء ذكرى مشايخ الصوفية بالمغرب ٥٦٣
فضل الخوف من الله ٤٦٣
هل الصَّدَقة أفضل أم الذِّكْر؟ ٤٦٤
أثر زيارة قبور الصالحين ٤٦٥
كتاب المدخل لابن الحاج ٤٦٦
المعاملة مع المعارف ٤٦٦
حكم مداراة الناس ٤٦٧

حول استغفار النبيِّ ﷺ لأُمِّه ٤٦٧
كلمة حول الهَجْر ٤٦٩
اعتراضات على المؤلِّف والجواب عليها ٤٦٩
الحِكْمة مِن مُدارة النبيِّ ﷺ ٤٧١
مقام الصِّدِّيقين ٤٧١
تحريم لعن المعيَّن ٤٧٢
الأشياء المحترمة لذاتها في الإسلام ٤٧٣
هل يجوز للإنسان الافتخار بنفسه ٤٧٤
حكم الهجر ٤٧٤
إطلاق الدُّعاء على الثَّناء ٤٧٦
كيفية طاعة أم لا تصلي ولا تصوم وتسب الدين ٤٧٦
إلقاء فضلات الطعام في المراحيض ٤٧٨
حكم من ينتقد بعض أحكام الدين ٤٧٨
حدود الغيبة ٤٧٩
وقوع المعصية ممن يدعي أنه من الأشراف ٤٨٠
ما يستحب للتائب أن يفعله ٤٨١
تحدث الرجل بما يدور بين أهله ٤٨٢

٦ - مَسَائِل خِلافِيَّة

الصلاة في المساجد التي بها أضرحة ٤٨٥
التوسل بالأولياء والصالحين ٤٨٦
الاجتماع على الذكر مع التمايل فيه ٤٨٦
الصلاة على النبي بعد الآذان ٤٨٩

قراءة القرآن على المقابر ٤٨٩
الجمع بين أحاديث فضل الزيارة وحديث: «لا تشد الرحال» ٤٩٢
حكم الاحتفال بالمولد النبوي ٤٩٣
أول من أحدث الاحتفال بالمولد النبوي ٤٩٤
التوسل ٤٩٨
حلق اللحية ٤٩٩
تلقين الميت ٥٠٠
قراءة القرآن على المقابر وتوزيع الصدقات ٥٠١
وجود الصور بالمنزل ٥٠٢
حكم الانضمام إلى الأحزاب السياسية ٥٠٢

٧- السِّيَرُ والشَّمَائِلُ والمَناقِبُ والتَّراجِمُ

قول المؤذن: يا أول خلق الله ٥٠٧
معنى صلاة الله على النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم والمقصود منها ٥٠٨
الحلف بالنبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٥٠٩
كثرة أسماء النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٥٠٩
كيفية صلاة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على نفسه ٥١٠
عدد مؤذني الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٥١٠
هل أذَّن بلالٌ بعد موتِ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٥١١
حول أوَّلية النور المحمدي ٥١١
هل طه ويس من أسماء النبيِّ؟ ٥١٣
معنى الخلة ٥١٤
لا ينافي التواضع ٥١٤

شبهةٌ والردُّ عليها ٥١٥
الحِكْمة في عدم الوقف على رسول الله ﷺ ٥١٧
هل باع النبيُّ ﷺ عبدًا من عبيده؟ ٥١٨
الصلاة على النبي ﷺ بعد وفاته ٥١٨
مفارقة النبيِّ ﷺ للمرأة التي قالت له: «أعوذ بالله منك» ٥١٩
شبهة والرد عليها ٥٢٠
خطبة المشركة ٥٢٠
حول خِطبة النبي ﷺ لأمِّ هانئ ٥٢١
شبهة والرد عليها ٥٢١
هل أسلم عَدَّاس ٥٢١
متى أذن للمؤمنين في القتال؟ ٥٢٢
هل أمَّ الصحابة في الصلاة على النبيِّ أحدٌ ٥٢٣
مما كان ينفق على أمهات المؤمنين بعد وفاة النبيِّ؟ ٥٢٤
السبب في حرمة زواج عليٍّ على السيِّدة فاطمة عليها السلام ٥٢٥
تنزيه عائشة رضي الله عنها ٥٢٥
من هو تميم الداري ٥٢٦
تاريخ كسوة القبر النبوي الشريف ٥٢٧
قصة قيام عمر بن الخطاب بإقامة الحد على ابنه ٥٣٢
مصادر دفن بعض الأنبياء بالبيت الحرام ٥٣٣
من قتل عقبة بن أبي مُعَيطٍ ٥٣٣
موقف عبيدالله بن عبَّاسٍ من معاوية ٥٣٣
تكذيب حكاية تزويج عبدالله بن جعفر بنته للحجَّاج ٥٣٤

خِطبة عليٍّ رضي الله عنه لابنة أبي جهل ٥٣٥
حضور النبي ﷺ اختضار ابن بنته ٥٣٥
فضل سعد بن معاذ ٥٣٧
هل ثبت أنَّ رقية رضي الله عنها ماتت صبيحة اتصال عثمان بها؟ ٥٣٧
من الذي غسَّل السيدة فاطمة عليها السلام وصلَّى عليها؟ ٥٣٨
فضل أبي بكر ٥٣٩
حول قتل القُرَّاء من الصحابة يوم بئر معونةٍ ٥٣٩
الحكمة من عدم بناء الكعبة ٥٤٠
معنى قولهم: حجَّ أبو بكرٍ في شهر ذي القَعدة ٥٤١
أيهما أفضل أبو بكرٍ أم عليٌّ؟ ٥٤١
لماذا كان الحسن والحسين يقبلان المال مِن معاوية؟ ٥٤٢
الاحتياط في الحدود ٥٤٢
فضل الصلاة بالبيت الحرام ٥٤٤
بعض مما أكرم الله تعالى به سيِّدي عبدالله بن الصِّدِّيق من المُبشِّرات والكرامات .. ٥٤٥
بعض ما أكرم الله به سيدي عبدالله بن الصديق أيام المحنة ٥٤٧

٨- فتاوَى عامَّة ومُتفرِّقات

إغفال تعاليم الإسلام ٥٥٣
قبر أبي الدرداء وحذيفة رضي الله عنهما ٥٥٣
ما الحِكْمة في الدَّمار الذي لحق بفرنسا ٥٥٤
رأي المؤلف في طه حسين والشيخ شلتوت ٥٥٥
حول رسالة "أسنى المطالب في نجاة أبي طالب" ٥٥٦
مشاهدة المعصية مع عدم الإنكار على الفاعل ٥٥٦

أحسن مختصر في الفقه المالكي ٥٥٨
تعبير منام ٥٥٨
قيمة كتاب "تنبيه الغافلين" العلمية ٥٥٩
حمل حجاب الحصن الحصين ٥٥٩
وجود صورة بارزة مجسمة في مسجد ٥٦٢
اقتناء الصحف والمجلات التي بها صورة فاضحة ٥٦٣
تحضير الأرواح ٥٦٤
لعب الطاولة ٥٦٥
تأييد المبادئ الأجنبية ٥٦٥
الاحتفال بشم النسيم ٥٦٦
ملابسة الجن في أجسام بعض الناس ٥٦٧
معنى وصف بعض الحيوانات بالخير أو الشر ٥٦٨
هل «وجّ» واد مقدس ٥٦٩
حكم إلقاء ما فيه اسم الله ٥٦٩
من هم «الأذواء»؟ ٥٧٠
هل يدخل الجنَّة بعض الحيوانات ٥٧٢
معنى لقب «السيِّد» ٥٧٢
الحِكْمة من معارضة النبي ﷺ تقدم عمر للصلاة أثناء مرضه ٥٧٤
الفرق الأساسي بين اليهودية والمسيحية والإسلام ٥٧٤
تسمية المولود ٥٧٦
هل تسقط نفقة الابنة العاملة؟ ٥٧٦
حكم العتاقة ٥٧٧

زيارة الوليِّ مِن الخارج ٥٧٧
هل يجوزُ النَّعتُ بغير مشتقٍّ؟ ٥٧٧
أسماء بعض الكتب في الرد على النصارى ٥٧٩
كتاب "الإحسان بتعقب بعض ما في الإتقان" ٥٧٩
أحب التفاسير إلى السيد عبد الله ٥٧٩
كتب النحو المحببة للشيخ ٥٨٠
إفادات عن بعض كتب المصطلح ٥٨٠
كتاب "إعلاء السنن" للتهانوي ٥٨٠
كتاب "العلل المتناهية" لابن الجوزي؟ ٥٨١
المصنفات في مكفرات الذنوب ٥٨١
حول بعض الكتب المصنفة في البدع ٥٨٢
كتاب "تسديد النظر إلى بحث مبتكر" ٢٨٤
كتاب "إيقاظ همم أولي الأبصار" ٥٨٤
"شرح المَحَلِّي على جمع الجوامع" ٥٨٤
كتاب "نيل الأوطار" ٥٨٥
عمدة الشَّوكاني في نقل آراء الصَّحابة والتابعين ٥٨٥
هل الشوكاني زيدي أم مجتهد؟ ٥٨٥
تشدد ابن عبدالهادي في "الصارم المنكي" ٥٨٦
الكتب التي تكفي للتفقُّه في المذهب ٥٨٦
علوم الفقيه ٥٨٦
من علماء المغرب ٥٨٦
الكوثري والأزهرية ٥٨٧

بين الشيخ الكوثري والمعلمي ٥٨٨
حطٌّ الشيخ الكوثري على الصنعاني والشوكاني..... ٥٨٨
ثناء السيد عبدالله على الشيخ عبدالفتاح أبو غدة ٥٨٨
مذهب الترمذي وتركه آراء أبي حنيفة ٥٨٩
الشيخ بكر أبو زيد ٥٨٩
المجلات التي كتب بها المؤلف..... ٥٨٩
مسألة خالف فيها شقيقه السيد أحمد بن الصديق..... ٥٩٠
ادِّعاء المهدوية من بعض الوهَّابية ٥٩٠
ردٌّ حماد الأنصاريِّ على السيد عبدالله ٥٩١
تعبير رؤيا الشيخ محمود سعيد محمد ممدوح ٥٩١
فهرس الموضوعات ٥٩٥

١٧- فهرس المجلد السابع عشر

المقالات ومقدِّمات لبعض الكُتُب العِلْمِيَّة

(١) مَقَالاتٌ في عِلْمِ الكَلامِ والمَنْطِقِ

١ - بحثٌ في معنى الإله ٩
ثماني ملاحظاتٍ على كلام البناني في معنى الإله ٩
الخطأ الأول: إطلاق لفظ الكُلِّيِّ على الإله لا يجوز شرعًا ٩
الثاني: أنَّ الإله ليس بكلِّيٍّ بل هو خاصٌّ بالله تعالى ١٠
الثالث: أنَّ الكليَّ إنما يتأتَّى في الممكنات كالنبيِّ والمَلَك والعرش والكرسيِّ، أما واجب الوجود سبحانه فهو منزَّهٌ عن ذلك ١١
الرابع: أنَّ الكلِّيَّ لا يُتصوَّر كونه محالًا ١٢
الخامس: في تناقض وقع فيه البناني رحمه الله تعالى ١٣
السادس: وهو مبنيٌّ على ما قبله، أنَّ جواز تعدُّد الإله ثابتٌ وقيام الدليل القاطع على وجوب تفرُّد الله بالألوهيَّة لا يمنع منه ١٣
السابع: أنَّ زيادة لفظ: «بحقٍّ» في معنى الإله لا أصلَ لها في اللغة ولا علاقة للعقل بها. ١٣
الثامن: قوله أيضًا: «تفسير الإله بالمستغني عن كلِّ ما سواه المفتقر إليه كلُّ ما عداه لا يمنع كونه كليًّا؛ إذ لا يوجب تشخيصه؛ لأنه بهذا المعنى يحتمل أن يصدق على كثير على سبيل البدليَّة» إغراقٌ في الخطأ وتشبُّثٌ به إلى حدِّ التزمُّت ١٣
التاسع: قوله: «إذ لا يوجب تشخصه» والصواب أن يقول: إذ لا يوجب تعينه. لأن التشخص لا يجوز أن يضاف إلى الله سبحانه وتعالى ١٤
ثلاثة إيرادات على هذا المقال والجواب عليها ١٤
الأول: دعوى أن المحال ليس بكليٍّ يخالفُ ما أطبق عليه أهل المنطق ١٤
حديث: «لا شخصَ أغيرُ من الله» من تصرف بعض الرواة ولفظه الثابت في أغلب

الطرق: «لا أحدَ أغيرُ من الله» (ت) ١٤
الثاني: كلام الشيخ سعيد قدوره في بيان أفراد الكلِّي الممتنع، واشتماله على أوهام ١٥
الثالث: من الإيرادات، دخول النَّفي العامُّ على «إله» في قولنا: «لا إله إلَّا الله» يؤيِّد القول بكلِّيته ١٦
الرابع: اختار السنوسيُّ أنَّ معنى «إله» في كلمة التوحيد لا مستغنيًا عن كل ما سواه ومفتقرًا إليه كل ما عداه إلا الله، فهو على هذا كلِّيٌّ ١٧
٢- النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم رأى ربه بعيني رأسه وقلبه: بيان معنى قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ ١٩
قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ فلا يدلُّ على نفي الرُّؤية ٢١
٣- رؤية الله في المنام ٢٢
لا خلاف بين أهل السُّنَّة في أنَّ المؤمنين يرون ربهم في الآخرة، وردَّ بذلك القرآن، وتواترت به الأحاديث ٢٢
اتَّفق العلماء على جواز رؤية الله تعالى في المنام وصحَّتها ٢٣
وقوع رؤية الله تعالى في الدُّنيا يقظةً فلم يحصلْ لأحدٍ ولن يحصلَ ٢٣
ذكر بعض من ورد عنه أنَّه رأى الله في المنام ٢٥
٤- رؤية الأولياء لله ٣٣
ورؤية النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ربَّه مما اختلف فيها العلماء الصَّحابة رضي الله عنهم فمن بعدهم ٣٣
المنحرفون في باب رؤية الرَّب تبارك وتعالى نوعان ٣٧
قصة الشيخ عبدالقادر الجيلي مع الشيطان ٣٨
٥- حكمُ الذين يحقِرون النبيَّ ﷺ باسم التَّوحيد والسُّنة ٤٠
أجمع عوامُّ أهل العلم على أنَّ من سبَّ النبيَّ يُقتل ٤١

تنبيه: حول ما يقع فيه بعض الناس في كلامهم على الأنبياء ٤٤
٦- سؤال القبر لا يتأخَّر عن موعده (١) ٤٦
ذكر الأحاديث الدالة على أنَّ الميت لا يُسأل إلا في قبره الأوَّل سواء أنقل منه إلى قبر آخر أم لم يُنقل، وإذا نقل لم يسأل في القبر الثاني أصلًا ٤٦
أمور الآخرة وما هو من متعلِّقاتها لا يجوز فيها الرَّأي والاستظهار، وإنَّما يُرجع فيها لكلام الصَّادق المصدوق، وهذا منصوصٌ عليه في كتب التوحيد ٥٠
التحقيق في ما شاع بين كثير من النَّاس أنَّ الملكين يسألان الميت بالسُّريانية ٥١
اسم الملَكين اللذان يسألان الميت ٥١
٧- سؤال القبر لا يتأخر عن موعده (٢) ٥٢
ميدان العلم ليس للعاطفة فيه مجال ولا للعصبيَّة عليه تأثير، لكنَّه ميدان قرعِ الحجَّة بالحجَّة ومعارضة الدليل بالدليل حتى يظهرَ الحقُّ واضحًا لا يشتبه فيه اثنان ٥٢
أمر الآخرة لا يجوز فيها الاستظهار ٥٣
فائدة حديثية حول زيادة مَن يتفرَّد بها لا يُتابع عليه ٥٥
الرد على المخالف في قوله: «إنَّ الإحاطة في أيِّ باب من أبواب السُّنَّة لم يدَّعِها أحد من كبار الأئمَّة» ٥٦
ذكر عدة مخالفات وقع فيها المعارض ٥٩
٨- تحريم إكفار أهل القبلة ٦١
مَن كفَّر مسلمًا فقد خالف رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حيث ارتكب ما نهى عنه وكان بعيدًا عن الحقِّ بُعد الضَّبِّ من النُّون، وليس لأحدٍ أن يعتذر عنه بأنه متأوِّل فيما سلكه من تضليل المسلمين وتطبيق آيات الشرك عليهم ٦٢
٩- حديث: «ما شاء الله وشاء محمد» كلمة ليس فيها شرك ٦٤
طرق الحديث وألفاظه ٦٤

(٢) مَقَالاتٌ في القُرْآنِ الكَريمِ وعُلُومِهِ

١٠ - وقوف القرآن ٦٩
ذكر بعض المؤلَّفات في وقوف القرآن ٧١
فوائد تعلم الوقف والعناية به ٧٣
ذكر شروط العلماء في صحة الوقف ٧٣
أمثلة من الوقوف المخطئة ٧٤
مصحف حفص المطبوع بمصر أخذت وقوفه من كتب القراءات والتفسير بمعرفة جماعة من كبار قراء السبع وعلماء العربية فجاءت وقوفًا صحيحة خالية من التكلف والتمحُّل ٧٦
١١ - فتنة داود عليه السلام؟ ٧٨
ذكر الروايات التي جاءت فيها قصة داود على ما جاء في الإسرائيليات والحكم عليها . ٧٨
مسلكٌ آخر يدل على بطلان ما ذكره المُفسِّرون وهو مراعاة السِّياق ٨٢
رأيان آخران في تعيين فتنة داود ٨٤
المفاسد المترتبة على فتنة داود على ما ذكره المفسرون ٨٥
١٢ - فتنة سليمان عليه السلام ٨٧
ذكر الرويات في فتنة سليمان على جهات مأخوذة من الإسرائيليات، والحكم عليها ٨٧
موقف أبي حيان من قصة إلقاء الجسد ٩٢
الحكمة في ذكر فتنة سليمان عليه السلام تسلية النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عما حصل له من ترك المشيئة والتأديب عليها بأنَّ مثله حصل لنبيٍّ كريمٍ أوَّاب ٩٤
رد المفاسد والمنكرات في الإسرائليات التي غفل عنها من فسَّرَ بها فتنة سليمان عليه السلام ٩٥
١٣ - القرآن دواءٌ للجسم والرُّوح وأنفُ المضلِّلين راغمٌ ٩٨

القرآن دواء للأجسام ٩٨
الفاتحة دواءٌ من العقْرب ٩٩
الفاتحة دواءٌ من الجُنُون ١٠٠
تقسيم الرُّقية إلى قسمين: رقيةِ حقٍّ، ورقيةِ باطلٍ (ت) ١٠٠
الفاتحة دواءٌ من الصَّرَع ١٠٠
الفاتحة داءٌ من السُّمِّ ١٠١
الفاتحة شفاء لكلِّ داءٍ ١٠١
المعوِّذات دواءٌ نبويٌّ ١٠١
المعوِّذات مع الماءِ دواءٌ ١٠١
المعوِّذات دواءٌ من العقْربِ ١٠٢
سورة (الإخلاصُ) لكلِّ مرضٍ ١٠٢
المعوِّذتان دواءٌ من العَين ١٠٢
آياتٌ تداوي من مسِّ الجنِّ ١٠٣
آياتٌ تداوي المبتَلَى ١٠٣
المستفاد من أحاديث التداوي بالقرآن ١٠٤
١٤ - القرآن هو الدواء ١٠٦
المشروع والممنوع من الرّقى والتمائم ١٠٦
أقسام الرقى ١٠٧
إجماع العلماء على جواز الرُّقى بشروط ثلاثة ١٠٧
١٥ - جواز التداوي بالقرآن (١) ١١١
١٦ - التداوي بالقرآن والرقى(٢) ١١٥
آيات الشفاء في ستة مواضع من كتاب الله ١١٧

(٣) مَقَالاتٌ في الحَديثِ الشَّريفِ وعُلُومِهِ

١٧ - الإسلام كتاب وسنة ١٢٣
ومنكر السنة جاهل أو فاسق ١٢٣
حديث إخبار النبي بإنكار السُّنَّة مِن أعلام النبوة فقد وقع ما أخبر به صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وظهر مبتدعةٌ ملاحدةٌ ينكرون الحديث النبويَّ عملًا واحتجاجًا ويزعمون أن الحجَّة في القرآن خاصَّة ١٢٣
اتَّفق من يُعتدُّ به من أهل العلم على أنَّ السُّنة المطهَّرة مستقلةٌ بتشريع الأحكام وأنها كالقرآن في تحليل الحلال وتحريم الحرام ١٢٤
١٨ - الصحيح لغيره والمتواتر ١٢٧
المسألة الأولى: تعريف المتواتر ١٢٧
المسألة الثانية: حديث: «لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه» لم يبلغ في الكثرة حدَّ التواتر ١٢٩
المسألة الثالثة: الحديث صحيح لغيره ١٣٠
المسألة الرابعة: حول حديث: «كلُّ أمر ذي بال...» ١٣٢
١٩ - حول سماع الحسن البصري من علي عليه السلام(١) ١٣٧
نقل بعض عبارات الحفَّاظ في نفي سماع الحسن من عليٍّ عليه السلام ١٣٨
لم يخالف من الحفاظ الذين وقفنا على كلامهم غير الحافظ ضياء الدين المقدسي صاحب "المختارة" فإنه رجَّح سماع الحسن من عليٍّ عليه السلام ١٣٩
٢٠ - حول سماع الحسن البصري من علي عليه السلام(٢) ١٤٠
رد كلام الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى في إثبات سماع الحسن من علي عليه السلام. ١٤٠
نصَّ المحدِّثون على أنَّ مرسلات الحسن من أضعف المراسيل ١٤٤
ذكر الأحاديث التي وقعت من رواية الحسن عن عليٍّ عليه السلام ١٤٤

٢١- حول سماع الحسن البصري من علي عليه السلام(٣) ١٤٦
الأحاديث التي رواها الحسن عن علي عليه السلام معَنْعنةٌ لم يصرِّح فيها بالتحديث، ثم هي مُعَلَّة بالانقطاع بين الحسن وعلي عليه السلام ١٤٦
الحسن رضي الله عنه كان مدلِّسًا مع ما هو معلوم من إمامته وجلالته وثقته ... ١٤٧
٢٢- حول سماع الحسن البصري من علي عليه السلام(٤) ١٥٢
قصة بين علي عليه السلام والحسن رضي الله عنها ذكرها الغزالي في الإحياء وردها من وجهين ١٥٢
حديثان وقع في سندهما تصريح الحسن بالسماع من علي عليه السلام، والحكم عليهما ١٥٣
ملاحظات على كلمة الأستاذ عبد الوهاب عبداللطيف ١٥٦
٢٣- أحاديث شاذة ومنكرة ١٥٩
تعريف الحديث الشاذ، والمنكر ١٥٩
ذكر أمثلة لبعض الأحاديث الشاذة والمنكرة ١٥٩
رد القول بإيمان فرعون ١٦٠
رؤية الله في اليقظة لم تقع لأحد في الدنيا ١٦٤
«لا تُقبِّحُوا الوجهَ فإنَّ الله خلقَ آدمَ على صورةِ الرحمنِ» حديث شاذ ١٦٧
رد نظرية التطور والارتقاء التي ظهر بها داروين ١٦٩
حديث الأوعال ليس بصحيح ولا حسن ١٧١
٢٤- أحاديث موضوعة ١٧٦
- «إنِّي لأنسَى أو أُنَسَّى -بالبناء للمجهول- لأسُنَّ» ١٧٦
- «إذا نشَأت بحريَّة ثم تشاءمتَ فتلك عينٌ غُدَيقةٌ» ١٧٧
- «اعملْ لدنياك كأنَّك تعيشُ أبدًا واعملْ لآخرتِك كأنَّك تموتُ غدًا» ١٧٧
- «إذا وقفتم في الصلاة فلا تقبضوا أيديكم فإن ذلك تكفير اليهود». ١٧٨
- «اللهمَّ اجعلْها رياحًا ولا تجعلْها رِيحًا» ١٨٠

- «جاءكم الطهور» يعني: رمضان ١٨٣
- «لكلِّ بلدٍ رؤيتُه». ١٨٣
- «لا تكرهُوا الفتنَ فإنَّ فيها حَصَادُ المنافقين» ١٨٤
- «إذا أراد الله عذاب أمة أعقم نساءهم خمس عشرة سنة قبل أن يصابوا لئلا يصاب الوِلدانُ الذين لم يجرِ عليهم القلم» ١٨٥
- «الدِّين المعاملةُ». ١٨٥
- «لا تُنزلُوهنَّ الغُرَفَ ولا تُعلِّموهُنَّ الكتابةَ -يعني: النساء- وعلِّموهنَّ المِغزَلَ وسورةَ النُّور». ١٨٥
- «من قال: لا إله إلا الله ومدَّ بها صوتَه هدمتْ له أربعةَ آلافِ ذنبٍ من الكبائر». ... ١٨٦
- «اختلافُ أمَّتي رحمة» ١٨٦
- «أصحابي كالنُّجوم بأيِّهم اقتديتُم اهتديتُم» ١٨٧
- «توسَّلوا بجاهي فإنَّ جاهي عند الله عظيمٌ» ١٨٨
- «من قلَّد عالمًا لقِيَ الله سالمًا». ١٨٩
- «الجُمُعةُ لمنْ سَبَقَ» ١٨٩
- «من تعلَّم لغة قومٍ أمن مكرَهم». ١٩٠
تعلم اللغات الأجنبية واجب كفاية لأنه وسيلة إلى واجبات كفاية، وما أدَّى إلى الواجب فهو واجب. ١٩٠
- «الفتنةُ نائمةٌ لعنَ اللهُ من أيقَظَها» ١٩١
- «مَنْ عرفَ نفسَه عرفَ ربَّه». ١٩١
- «النَّاسُ هلْكى إلا العالمون، والعالمون هلكى إلا العاملون، والعاملون هلكى إلا المخلصُون، والمخلصون على خَطَرٍ عظيمٍ» ١٩١
- «علماءُ أمَّتي كأنبياء بني إسرائيل». ١٩١
- «ذِكرُ الصَّالحين كفَّارةٌ» ١٩٢

- «مَنْ قرأ القُرآن مَعْكوسًا أُلْقِي في النَّارِ مَنْكُوسًا». ١٩٢
- «المؤمنُ حُلوٌ يحبُّ الحلاوةَ». ١٩٢
ذكر بعض الكتب التي تكثر فيه الأحاديث الموضوعة ١٩٣
٢٥- أحاديث موضوعة (٢) ١٩٥
- «إذا ثبتت المحبَّةُ سقطتْ شروطُ الأدبِ» ١٩٥
- «اغتسِلُوا يومَ الجُمُعة ولو كأسًا بدينار» ١٩٥
- «آخرُ ما تكلَّم به إبراهيمُ حينَ أُلقي في النَّار حَسْبي اللهُ ونعمَ الوكيلُ» ١٩٦
- «أنفِقْ ما في الجَيْبِ، يأتيكَ ما في الغَيْبِ» ١٩٦
- «ارحموا من النَّاس ثلاثةً: عزيزَ قومٍ ذَلَّ وغنيَّ قومٍ افتقَرَ وعالمًا بين جُهَّال» ... ١٩٦
- «اتَّقُوا البرْدَ فإنَّه قتلَ أخاكُم أبا الدَّرداء» ١٩٦
- «تزوَّجُوا فقراءَ يغنِكم الله» ١٩٦
- «تفكُّرُ ساعةٍ خيرٌ مِن عِبادةِ سَنةٍ» ١٩٦
- «حُبُّ الدُّنيا رأسُ كلِّ خَطِيئةٍ» ١٩٧
- «حدِّثوا النَّاس بما يعرفُون أتريدون أن يُكذَّب اللهُ ورسولُه». ١٩٧
- «الحزمُ سُوءُ الظَّنِّ». ١٩٧
- «حبُّ الوَطنِ مِنَ الإيمانِ» ١٩٧
- «خابَ قومٌ لا سفِيهَ لهم» ١٩٧
- «خيرُ البرِّ عاجِلُهُ» ١٩٧
- «الخيَرةُ فيما اختارهُ الله» وكذلك «الخيرة في الواقع» ١٩٧
- «دارِهِمْ ما دُمتَ في دارِهم» ١٩٧
- «الرُّجوعُ إلى الحقِّ خيرٌ من التَّمادي في الباطِلِ» ١٩٧
- «سِياسة النَّاس أشدُّ من سياسة الدَّوابِّ» ١٩٧
- «سؤْر المؤمنِ شِفَاءٌ» ١٩٨

-«السَّفر يُسفر عن أخلاقِ الرِّجَالِ» ١٩٨
- «الصَّبر على المُعسِر صدقةٌ» ١٩٨
- «القلبُ بيتُ الرَّبِّ» ١٩٨
- «كلُّ طويلِ اللِّحيةِ قليلُ العقلِ» ١٩٨
- «كلُّ قصيرٍ فتنةٌ» وكذلك «اتَّقوا شرَّ ما قرُبَ من الأرضِ» ١٩٨
- «كلُّ ناشِفٍ طاهرٌ» ١٩٨
- «لو كان الأرز رجلًا لكان رجلًا حليمًا» ١٩٨
- «ربيع أمَّتي العنبُ والبِطِّيخُ» ١٩٨
- «ما أفلحَ صاحبُ عيالٍ قطُّ» ١٩٨
- «ما رفع أحدٌ أحدًا فوقَ مقداره إلا واتَّضع عنده بأزيدَ» ١٩٨
- «من مزَح استُخِفَّ به» ١٩٨
- «من قال أنا عالمٌ فهو جاهلٌ» ١٩٨
- «ما أفلح سَمينٌ قطُّ» ١٩٩
- «ما كثُر آذان بلدة إلا قلَّ بردُها» ١٩٩
- «من أحبَّكَ لشيء ملَّكَ عند انقِضائه» ١٩٩
- «من استُرضي فلم يرضَ فهو شيطان» ١٩٩
- «من سلك مسالك التُّهم اتُّهِم» ١٩٩
- «من كتم سرَّه ملَك أمرَه» ١٩٩
- «من لانت كلمته وجبت محبته ١٩٩
- «من عرف نفسه عرف ربه» ١٩٩
- «من بورك له في شيء فلْيلزمه» ١٩٩
- «من أتتْه هديةٌ وعنده قومٌ جلوسٌ فجلساؤه شركاءُ فيها» ١٩٩
- «ما تبعُد مصرَ عن حبيبٍ» ١٩٩

٢٦- حول الإسراء والمعراج ٢٠٠
التنبيه على أغلاط وقع فيها معظم المتكلِّمين في الإسراء والمعراج ٢٠٠
٢٧- الأحاديث الموضوعة في رمضان..... ٢٠٢
الاعتناء بالأحاديث الموضوعة والضعيفة في حد ذاته مهمٌّ جليلٌ..... ٢٠٢
٢٨- أحاديث موضوعة تختص بشهر رمضان والصيام ٢١٠
٢٩- الأحاديث الضعيفة في رمضان ٢١٣
لا يعمل به في إثبات رمضان اسما لله تعالى، لأن أسماء الله تعالى وصفاته توقيفية لا يثبت شيء منها إلا بحديث صحيح..... ٢١٨
لفظ: «آه» ليس اسم من أسماء الله تعالى ٢١٨
٣٠- حول مسألة الخضر في علم الحديث..... ٢٢٠
نسب الخضر واسمه ٢٢٠
فتى موسى والمبتدعة..... ٢٢٠
حياة الخضر..... ٢٢١
رأي ابن حجرٍ في مسألة حياة الخضر ٢٢٢
رتبة الخضر..... ٢٢٣
الصحيح أن الخضر نبيٌّ لأمور ٢٢٣
وصية الخضر ٢٢٣
٣١- سبب النبي ونسبه لا ينقطعان: توجيه حديث «يا فاطمة اعملي» ٢٢٦
الجمع بين حديث: «ينقطعُ يومَ القيامة كلُّ سَببٍ ونسَبٍ إلَّا سَبَبي ونسبي» وحديث: «يا فاطمةُ اعملي...» ٢٢٧
٣٢- حديث: «حياتي خير لكم...» ورد من نحو عشرين طريقًا..... ٢٢٩
الحديث المذكور حديث صحيح لا مطعن فيه ولا مغمَز، ورد من حديث ابن مسعودٍ، وأنس بن مالك، ومن مرسل بكر بن عبد الله المزني ٢٣٠

القرآن يؤيد حديث عرض الأعمال ويُعضده ٢٣٣
استشكال حول عرض الأعمال والجواب عليه ٢٣٤
٣٣- حديث الحوض وحديث عرض الأعمال ٢٣٦
طريق الجمع بين الحديثين ودفع تعارضهما ٢٣٦
تنبيه: اختلف العلماء في الرجال الذين يُذَادون عن الحوض اختلافًا كبيرًا ٢٣٩
تنبيه آخر: حول إشكال في معنى حديث الحوض لا يمكن للمتمسلفة جميعًا أن ينفكُّوا عنه ٢٤٠
أحسن محامل حديث الحوض على مذهب الجمهور أن يكون من المتشابه الذي يترك معناه إلى الله، بخلاف حديث عرض الأعمال فإنه مع صحته مؤيد بالقرآن والسنة المستفيضة ومذاهب جمهور العلماء ٢٤١
٣٤- ما ورد في ليلة النصف من شعبان ٢٤٢
إطلاق القول ببطلان كل حديث ذكر فيه لفظ الحميراء باطل (ت) ٢٤٦
التنبيه على أحاديث موضوعة في فضل قيام ليلة النصف من شعبان ٢٤٧
حديث: «يس لما قرئت له» لا أصل له (ت) ٢٤٩
٣٥- شرح حديث شريف: «قُولوا خيرًا؛ قُولوا سبحانَ الله وبحمده، فبالواحدة عشرةٌ وبالعشرة مائةٌ، وبالمائة ألفٌ ومن زاد زادَه الله عزَّ وجلَّ...» ٢٥٠
٣٦- شرح حديث شريف: منزلة السنة في التشريع ٢٥٦
لا خلاف بين المسلمين في أن السنة المطهرة مثل القرآن، وأنها تستقل بتشريع الأحكام وبيان الحلال والحرام، وأن طاعتها والانصياع إليها فرض لازم بدون قيد ولا شرط ٢٥٦
المغيبات التي أخبر بها النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كثيرة جدًّا بلغت حد التواتر على جميع الاصطلاحات..... ٢٥٧
ظهور نشأة تحارب السنة بطرق شتَّى يخال الناظر إليها أنها طرق علميَّةٌ سليمةٌ، ولكن فيها

السُّم الزُّعاف ٢٦٠
ذكر نماذج من الكتاب المعاصرين الذين يردون السُّنَّة ٢٦٠
٣٧- شرح حديث شريف: الأعمال عند الله عزَّ وجلَّ سبع ٢٦٤
أقسام الطاعات..... ٢٦٥
المرء إذا مات مؤمنًا بالله ورسوله كان مآله إلى الجنة، ثم هو بعد ذلك ينقسم إلى ثلاثة أحوال..... ٢٦٥
٣٨- توجيهات إلهية: أحب العباد إلى الله ٢٦٩
٣٩- السنن والتوجيهات النبوية: قوة الإيمان ٢٧٤
٤٠- السنن والتوجيهات النبوية: شرح حديث: «النَّادمُ ينتظِرُ منَ الله الرَّحمةَ، والمُعجَبُ ينتظِرُ المقْتَ...» ٢٧٧
٤١- السنن والتوجيهات النبوية: شرح حديث: «مَن فارقَ الدُّنيا على الإخلاصِ لله وحدَه، وعبادتِه لا شريك له، وإقام الصَّلاة، وإيتاءِ الزَّكاة، فارقَها والله عنْهُ راضٍ» ٢٨١
اشتمل هذالحديث على أربع قواعد: ٢٨١
الأولى: الإخلاص ٢٨١
الإخلاص نوعان ٢٨٢
القاعدة الثانية: عبادة الله لا شريك له ٢٨٢
القاعدة الثالثة: إقام الصلاة ٢٨٣
القاعدة الرابعة: إيتاء الزكاة ٢٨٤
٤٢- السنن والتوجيهات النبوية: شرح حديث: «إنَّ الله ناجى موسى بمائةِ ألفٍ وأربعين ألفِ كلمةٍ...» ٢٨٥
الزهد في الدنيا هو أحب الصفات إلى الله تعالى لأمرين ٢٨٧
٤٣- السنن والتوجيهات النبوية: فضائل شهر رمضان ٢٩٠

٤٤- شرح حديث: «إذا دخل رمضانُ فُتِّحت أبوابُ الجنَّةِ وغلِّقتْ أبوابُ جنَّهم وسُلسِلَتْ الشَّياطينُ» ٢٩٣
استشكال بعض العلماء مقتضىٰ ما صرحت به الأحاديث من حبس الشياطين في رمضان أن لا تقع فيه الشرور والمعاصي والشاهد خلاف ذلك والجواب عليه من وجوه ٢٩٥
٤٥- شرح حديث: «مَنْهُومَانِ لايشْبَعَانِ: منهومٌ في علمٍ لا يشبَعُ، ومنهومٌ في مالٍ لا يشبَعُ» ٢٩٨
٤٦- شرح حديث: أربعٌ من أعطيهُنَّ فقد أُعطِيَ خيرَ الدُّنيا والآخرة...» ٣٠٢
أنواع الذكر ٣٠٣
٤٧- شرح حديث: «إذا أدَّيت زكاةَ مالكَ فقد أدَّيتَ ما عليكَ، ومن جمعَ مالًا حرامًا ثم تصدَّق به لم يكنْ لهُ فيه أجرٌ، وكانَ إصْرَهُ عليهِ». ٣٠٥
أنواع المال الحرام ٣٠٧
٤٨- شرح حديث: «نَهىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن كلِّ مُسْكِرٍ ومُفَتِّرٍ» ٣٠٨
٤٩- شرح حديث: «إنَّ الله بعثني رحمةً وهدىٰ للعالمين وأمرني أنْ أمحَقَ المزامِير والكِبَارات...» ٣١٠
٥٠- تفسير الحديث الشريف: مجامع خصال الخير ٣١٤
٥١- في مدينة الرسول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ٣١٧
٥٢- تفسير الحديث الشريف: فضل الحج ٣٢٠
٥٣- تفسير الحديث الشريف: الدال علىٰ الخير كفاعله ٣٢٢
٥٤- شرح حديث: «لا هجرةَ بعدَ الفتحِ ولكنْ جهادٌ ونيَّةٌ وإذا استُنفِرتمُ فانفِرُوا».. ٣٢٥
٥٥- شرح حديث: «لقيتُ إبراهيمَ ليةَ أُسرِيَ بي فقال: يا محمدُ، اقرِأْ أمَّتَك منِّي السَّلامَ...» ٣٢٨
من مرائي المعراج ٣٢٩

٥٦- شرح حديث: «إنَّ الله تعالىٰ حرَّم عليكُم عقُوقَ الأمَّهاتِ، ووأْدِ البنَاتِ، ومَنعًا وهاتِ، وكَرِهَ لكُم قِيلَ وقالَ وكثرةَ السؤالِ وإِضَاعةَ المالِ» ٣٣١
٥٧- شرح حديث: «تَعِسَ عبدُ الدِّينارِ وعبدُ الدِّرهم وعبدُ الخَمِيصة إنْ أُعطِيَ رضِي وإنْ لم يُعطَ سَخِطَ...» ٣٣٤
٥٨- تكملة شرح حديث: «تَعِسَ عبدُ الدِّينارِ وعبدُ الدِّرهمِ وعبدُ الخَمِيصَة إنْ أُعطِي رضِي وإن لم يُعطَ سَخِطَ...» ٣٣٧
٥٩- تفسير الحديث الشريف: أنواع الظلم ٣٤٠
٦٠- شرح حديث: «قد أفلحَ من أخلصَ قلبَه للإيمانِ...» ٣٤٣
٦١- شرح حديث: «إنَّ الله يحبُّ الصَّمتَ عند ثلاثٍ: عند تلاوةِ القرآنِ، وعند الزَّحفِ، وعند الجنازَةِ». ٣٤٦
٦٢- شرح حديث شريف: العِرق دساس ٣٤٩
٦٣- شرح حديث: «بئسَ العبد عبد تجبَّر واعتدىٰ ونَسِيَ الجبَّار الأعلىٰ...» .. ٣٥١
٦٤- الحديث الشريف: فضل الحج ٣٥٤
ذكر مزايا الحج وتعداد فوائده ٣٥٤
٦٥- شرح حديث: «شفاعتِي لأهلِ الكبائرِ من أمَّتي» ٣٥٨
أحاديث الشفاعة متواترة واردة عن أربعين صحابيًّا بألفاظ متعددة وطرق كثيرة ٣٥٨
الشفاعة قسمان: خاصَّةٌ وعامَّةٌ ٣٥٨
أنواع الشفاعة العامَّة ٣٥٨
٦٦- حديث فاطمة بنت أسد، وحُجِّيَّة الحديث الضعيف ٣٦٣
قولهم الحديث الضعيف لا يعمل به في الأحكام ليس علىٰ إطلاقه ٣٦٤
٦٧- نبذة عن كتاب تيسير الوصول ٣٦٦
كتاب "تيسير الوصول" ليس خاصًّا بصحاح الأحاديث كما أشيع عنه في الصحف بل فيه أحاديث صحيحة وضعيفة ٣٦٧

(٤) مَقَالاتٌ في الفِقْهِ الإسْلامِيِّ

٦٨- التشريع الإسلامي في تلقين الميت وحكمه ٣٦٩
التلقين صرَّح باستحبابه جماعةٌ مِن أهل العلم فيهم المالكية والشافعية والحنابلة .. ٣٧١
٦٩- زكاة الفطر ٣٧٥
إجماع عوام أهل العلم على أن صدقة الفطر فرض ٣٧٥
٧٠- أحكام فقهية في الأضحية ٣٧٨
الإشارة إلى أن الذبيح الذي فداه الله إسماعيل عليه السلام كما قامت عليه الدلائل المتعددة ٣٧٨
من لم يجد سعة لأن يضحي فلا حرج عليه في ذلك ٣٧٩
هل الضحية واجبة أم سنة ٣٧٩
ينبغي لمن أراد الضحية ألَّا يحلق شعره، ولا يقلِّم أظفاره من وقت أن يهل هلال ذي الحِجَّة إلى أن يذبح أضحيته يوم العيد ٣٧٩
شروط الأضحية ٣٨٠
وقت الذبح ٣٨١
وقت الذبح ٣٨١
الاشتراك في الأضحية ٣٨٠
الاشتراك في الأضحية ٣٨١
التَّسميةُ عند الذَّبح ٣٨٢
التَّسميةُ عند الذَّبح ٣٨٢
٧١- كلمة في الأضحية ٣٨٣
٧٢- العيد والأضحية ٣٨٧
وقت الذبح ٣٨٧
٧٣- اعرف دينك: «الحج» ٣٨٩

هل يجب الحج على المستطيع فورًا، أو يجب على التراخي..... ٣٨٩
الحج مُكفِّر للذنوب كبيرها وصغيرها..... ٣٨٩
٧٤- حكم الإثفار..... ٣٩٤
أدلة المجوِّزين..... ٣٩٤
أدلة المانعين..... ٣٩٥
الاستمتاع بجميع بدن المرأة حلالٌ إلا الدبر فإنَّه حرامٌ، بل كبيرةٌ..... ٤٠٠
كلَّ ذنبٍ لعن الشَّارع مرتكبه أو أكفره أو توعَّده بعدم نظر الله إليه، عدَّه العلماء من الكبائر، بلا خلاف منهم إلَّا من لم يصله الحديث، فقد يخالف وله العذر..... ٤٠٠
ذكر مذاهب العلماء في مسألة التسمي بأسماء النبي عليه وآله الصلاة والسلام.. ٤٠٢

(٥) مَقَالاتٌ في التَّصُوُّفِ الإسْلامِيِّ

٧٥- التصوف الإسلامي في السُّنَّة النبويَّة..... ٤٠٧
الأحاديث المؤيِّدة لهذا المذهب..... ٤٠٩
موضوع التصوف الإسلامي موضوعٌ كثر فيه الجدل والنقاش ووقف الناس إزاءه ثلاث فرقٍ..... ٤٠٩
الإشارة إلى بعض الأحاديث التي تُعتبَر أصولًا لمذهب التصوف على العموم.. ٤٠٩
الخلاصة المستفادة من الأحاديث الشاهدة لمذهب التصوف..... ٤١٣
٧٦- كيف تشكر النعمة؟..... ٤١٤
الشُّكر عند حدوث النِّعم عبادةٌ أمرنا الله بها كما أمرنا بالصَّلاة والصِّيام وغيرهما مِن العبادات..... ٤١٤
ذكر بعض الأحاديث التي بين فيها النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كيف تؤدَّى عبادة الشُّكر بفعله وقوله..... ٤١٤
علاج التقصير في الشكر..... ٤١٦
لايجوز أن يقول: اللهم أدِّ عنِّي شكر النِّعم لقبحه مِن وجوهٍ..... ٤١٦

شبهات تعرض في هذا المقام والجواب عنها ٤١٨
٧٧- المعصية ٤٢٢
المعصية نوعان ٤٢٢
اعتنىٰ العلماء ببيان الكبائر وألَّفوا في ذلك مؤلَّفاتٍ ٤٢٢
مُكفِّرات الصغائر ثلاثة ٤٢٣
١ - اجتناب الكبائر ٤٢٣
٢ - إتِّباعها بحسنةٍ ٤٢٣
٣- مصيبة من مصائب الدنيا ٤٢٤
تنقلب الصغيرة كبيرةً بانضمام معصيةٍ إليها ٤٢٥
مُكفِّرات الكبائر أربعة ٤٣٦
١ - الحَدُّ المُرتَّبُ علىٰ بعضها ٤٢٧
٢ - الاستشهاد في سبيل الله ٤٢٩
٣- القتل: بمعنىٰ أنَّ مرتكب الكبيرة إذا قُتل ظلمًا كان القتل كفَّارةً له. ٤٣٠
شرط القتل المُكفِّر للذنوب أن يكون عن عمدٍ؛ لأن القاتل المتعمِّد يحمل عن المقتول ذنوبه يوم القيامة، فإن كان القتلُ خطأ لم يكفِّر الذنوب؛ لأنه لا إثم فيه علىٰ القاتل..... ٤٣١
٤ - أعمال ثبت فيها أنها تُكفِّر الكبائر: كالحجِّ المبرور، وقيام ليلة القَدْر، وصلاة التسابيح، ونحو ذلك..... ٤٣٢
ذكر أمثلة لبيان الصغائر ٤٣٢
حكم لعب النرد..... ٤٣٢
حكم ترك رد السلام..... ٤٣٤
حكم الهجر فوق ثلاثة أيام ٤٣٦
٧٨- أصول كرامات الأولياء في السنة النبوية ٤٤٣
حول الكشف والإلهام والفيض الإلهي..... ٤٤٣

٧٩- جواز التوسل بأولياء الله ٤٤٧
تنبيهان: الأول: فاطمة بنت أسد هي إحدىٰ الفواطم الواردة في حديث: «اجعلها خمرًا بين الفواطم فشققتها أربعة أخمرة: خمارًا لفاطمة بنت الرسول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم وخمارًا لفاطمة بنت أسد وخمارًا لفاطمة بنت حمزة» ٤٤٨
الثاني: فاطمة بنت أسد هذه غير فاطمة بنت أبي أسد المخزومية التي قطعها النبي بسبب سرقة حلي ٤٤٨

(٦) مَقَالاتٌ في فَضَائِلِ النَّبيِّ ﷺ

٨٠- إبطال القول بأن المقصود من ثبوت النبوة للنبيِّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قبل خلق آدم معناه ثبوت نبوته -صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم- في علم الله وتقديره ٤٥٤
٨١- من خصائص النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ٤٥٦
استشكال حول قول النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم في حديث الشفاعة أن أهل الموقف حين يذهبون إلىٰ نوح في طلب الشفاعة يقولون له: «**أنت أول رسول إلى أهل الأرض**». والجواب عليه ٤٥٨
٨٢- توسل آدم بالنبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ٤٥٩
استشكال: كيف يكون صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم نبيًّا في ذلك الوقت مع أنَّ النبوة وصف لابد أن يكون الموصوف به موجودًا، ولا يتصف به إلا بعد بلوغ أربعين سنة كما هو معروف؟ والجواب عليه ٤٦٠
إنكار زكي مبارك للحقيقة المحمدية، وزعمه أن الأحاديث الواردة فيها باطلةٌ ٤٦١
٨٣- حب النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أصل الإيمان ٤٦٢
٨٤- حنين الجذع معجزة أكبر من إحياء الموتىٰ ٤٦٥
٨٥- حديث توسل آدم بالنبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ٤٦٨
(تنبيهات): الأول: قوله في الحديث «ولولا محمد ما خلقتك» ورد له شاهد عن ابن عبَّاسٍ موقوفًا ومرفوعًا ٤٧٠

التنبيه الثاني: يؤخذ من أثر أبي جعفر الباقر عليه السلام أدب الدعاء والتوسل، وذلك بأن يبدأ الداعي بالثناء على الله ليرضى عنه، ثم يثني بالتوسل بأحب خلقه إليه فيقبل شفاعته ويجيب طلبه. ٤٧٠
الثالث: أورد الأذرعي هذا الحديث باعتبار أن الدعاء الوارد فيه من مكفرات الذنوب، فينبغي للعاصي أن يتوسل إلى الله بنبيه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في محو أوزاره وغفران ذنوبه. ٤٧١
٨٦- إسلام قرين النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٤٧٢
٨٧- توجيه حديث: يا فاطمة سليني ٤٧٥

(٧) مُباحَثَاتٌ مَعَ المُعَاصِرين

٨٨- قصة الأعرابي وقصة الفلاح ٤٨١
استشكال حول طلب الدعاء من الميت والجواب عليه ٤٨٤
٨٩- حول توسل عمر بالعباس ٤٨٦
الرد على اعتراض بعضهم بأن الحديث خاص بحياة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وأنه لا يجوز التوسل به بعد مماته ٤٨٧
٩٠- الفرق بين القسم والتوسل ٤٩١
ذكر الوجوه الدالة على أن القسم غير التوسل ٤٩٣
٩١- المصطفى صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حي في قبره ٤٩٥
والتوسل بالحي لا خلاف عليه فتوسلوا به ٤٩٥
الأنبياء أحياء في قبورهم وأجسادهم لا تبلى، والإجماع منعقدٌ على هذا كما حكاه غير واحدٍ ٤٩٥
أدلة أخرى على مسألة حياة الأنبياء عليهم السلام ٥٠٠
٩٢- معنى الوسيلة (١) ٥٠٣

معانى الوسيلة ٥٠٣
أنواع الوسيلة في الدعاء ٥٠٣
٩٣- معنى الوسيلة (٢) ٥٠٦
الأدلة التي تجيز الوسيلة بالمعنى المتنازع فيه بين جمهور المسلمين وشرذمة الوهابيين .. ٥٠٦
تخصيص التوسل بحالتي الحياة وحضور المتوسَّل به دون حالتي موته أو غيبته عن المتوسل باطل لأمور ٥٠٧
٩٤- معنى الوسيلة (٣) ٥١٠
قصة عثمان بن حنيف وتعليمه صلاة الحاجة لرجل طلب منه أن يكلم الخليفة في مسألته ٥١٠
يؤخذ من هذه القصة جواز التوسل بالنبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعد وفاته لأنها حدثت في عهد عثمان بن عفان، والذي أمر بالتوسل في هذه القصة هو عثمان بن حنيف راوي الحديث، وهو أعلم بمعناه من كل من بعده من الأئمة والعلماء بلا نزاع ٥١١
٩٥- حول أولية النور المحمدي (١) ٥١٣
تضعيف المخالف حديث «أنا مدينة العلم ...» والرد عليه ٥١٦
مناقشة المخالف في قوله: إنَّ أحاديث المهدي لا تخلو من خدشٍ ٥١٦
٩٦- حول أولية النور المحمدي (٢) ٥٢١
كلام المخالف على تصحيح حديث: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**» والرد عليه... ٥٢١
٩٧- هل ينفع الشريف نسبه؟ ٥٣١
ذكر الآيات الواردة في معنى قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ ﴾ ٥٣١
٩٨- هل ينفع الشريف نسبه(٤) ٥٣٧
طُرُق الجمع بين حديث: «كلُّ سببٍ ونسبٍ ينقطع يوم القيامة إلَّا سببي ونسبي »، وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ ﴾ ٥٣٨

٩٩- ليس بعشك فادرجي ٥٤٥
حكم اجتماع الفتيات والفتيان حول أستاذ يعلمهم العلم والأدب والفن ٥٤٥
ذكر الأدلة على حرمة الاختلاط بين الرجال والنساء..... ٥٤٦
١٠٠- رسول الله ينفع ويضر حيًا وميتًا بإذن الله ٥٥٢
وأنوف خصومه المتمسلمين رغمة..... ٥٥٢
١٠١- كبار أئمة الإسلام ومحدثوه يتوسلون ٥٥٦
عند قبر النبي وقبور الصالحين ٥٥٦
السيدة عائشة أمُّ المؤمنين تأمرهم أن يلجأوا إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في قبره، ويجعلوا من قبره كوًى إلى السماء مبالغةً في الاستشفاع به صلَّى الله عليه وآله وسلَّم... ٥٥٦
أبو عليٍّ الخلال أحد أئمَّة الحنابلة يتوسل بالإمام موسى الكاظم ٥٥٦
الإمام الشافعيُّ أحد الأئمَّة الأربعة يتبرَّك بأبي حنيفة ويتوسَّل بالدعاء عنده. ٥٥٧
ثلاثة من كبار حفَّاظ السُّنَّة وعلمائها، وهم ابن المقري والطبرانيُّ وأبو الشيخ، أتوا إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في قبره وشكوا إليه الجوع لعلمهم أنه حيٌّ في قبره، وأنَّ له شفاعةً عند ربِّه، فأغاثهم الله وأطعمهم على يد العلويِّ بأمرٍ منه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم. ٥٥٧
ذكر بعض الحوادث لعدد من العلماء والصالحين، واستشفاعهم برسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٥٥٨
١٠٢- زيارة قبر النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم سنة ثابتة..... ٥٦٢
ذهب بعض المالكية وبعض الظاهرية إلى أن زيارة قبر النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم واجبةٌ كما حكاه الشوكانيُّ في "نيل الأوطار"، والذي صرَّح بالوجوب من المالكية أبو عمران الفاسي ٥٦٢
معنى حديث: «لا تُشَدُّ الرِّحالُ إلَّا إلى ثلاثة مساجد»، والرد على ابن تيمية ٥٦٣
تنبيه: قال العلَّامة ابن الحاج في "المدخل": «مَن لم يُقَدَّر له زيارته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم

بجسمه فلينوها كل وقتٍ بقلبه» ٥٦٣
١٠٣ - ميلاد الهداية ٥٦٤
رد على بعض المعاصرين في إساءته للنبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٥٦٤
١٠٤ - من هم ورثة الأنبياء ٥٦٧
علماء هذا العصر لا ينطبق عليهم أنهم «ورثة الأنبياء» لأمرين ٥٦٧
١٠٥ - حول قصة موسى والخضر ٥٦٩
ذكر العلماء أيضًا أن ما يتعلق بقصص الأنبياء، وبالأخبار عن بني إسرائيل، وعن الأمور الغيبية يعتمد فيه على ما ثبت عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بإسناد صحيح أو حسن ٥٧١
١٠٦ - تحقيق ولادة النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ٥٧٣
كانت ولادة النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من المحل المعتاد للولادة لا من غيره والدليل عليه ٥٧٣
الإشارة إلى كتاب "إنارة الأغوار والأنجاد بدليل معتقد ولادة النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من السبيل المعتاد" للسيد عبد الحي الكتاني، ونحا فيه أيضًا ما نحاه المصنِّف من الجزم ببطلان ما ذكره ابن سبع وهو مفيد في بابه. ٥٧٨
التنبيه على خطأ وقع للمتأخرين وذلك أنهم نقلوا عن القاضي عياض في كتاب "الشفا" وعن ابن رشد في كتاب "الجامع من البيان والتحصيل" أنهما قالا بمثل قول ابن سبع والواقع أنهما لم يذكرا ذلك القول ولا أثر له في كتابيهما المذكورين ٥٧٨
١٠٧ - نقد وإجابة (٣) ٥٧٨
حديث: «كلُّ أمرٍ ذي بال» لا يجوز أنْ يكون عاضدًا لحديث التسمية ٥٨٢
١٠٨ - نقد وإجابة (٤) ٥٨٩

(٨) مَقَالاتٌ مُتَنوِّعَةٌ

١٠٩ - أغلاط شائعة ٥٩٩
شاع بين كثير من الناس عبارات وجمل تجري بينهم في محاوراتهم ومناظراتهم كأنها من المسلَّمات، وهي في الواقع خطأ بحت ليس لها نصيب من الصواب، بل منها ما يمس العقيدة ويخدشها بحيث يسير معتقد معناها واقعًا في الضلال وهو لا يشعر ٥٩٩
١ - من تلك العبارات قولهم: «المزية لا تقتضي التفضيل» ٥٩٩
المزية تقتضي التفضيل حتمًا ٥٩٩
الراجح عند الجمهور وهو الذي لا يجوز غيره أنَّ الخضر نبيٌّ، والدليل على نبوته من القرآن أمورٌ ٦٠٢
٢ - ومنها قولهم: «حسنات الأبرار سيئات المقربين» ٦٠٤
٣ - ومنها قولهم: «خطأ مشهور خير من صواب مهجور». ٦٠٦
٤ - الأبيات المشهورة: طلع البدر علينا... شاع بين الناس أنها قيلت في استقبال النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عند دخول المدينة المنورة مهاجرًا، وهذا خطأ مشهور، والصواب: أنها قيلت عند قدوم النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من غزوة تبوك..... ٦٠٧
١١٠ - الحدود والشفاعات والخصومة المحرمة ٦٠٨
١١١ - ما يجب أن تعرفه عن ليلة القدر بحث شامل..... ٦٠٩
ليلة القدر باقية إلى القيامة ٦٠٩
متى تكون ليلة القدر؟ ٦٠٩
علامة ليلة القدر ٦١٠
استنباط ابن عبَّاسٍ تعيين ليلة القدر ٦١١
تنبيه: قالا صاحبا "الكافي" و"المحيط" من الحنفية: من قال لزوجته أنت طالق ليلة القدر طلقت ليلة سبع وعشرين لأن العامة تعتقد أنها ليلة القدر. ٦١٢
سبب رفع تعين الليلة ٦١٢

هل عَلِمَها النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم؟ ٦١٢
كيف يراها الرائي؟ ٦١٤
قيام ليلة القدر يكفر الذنوب ٦١٤
أقل ما يحصل به قيام الليلة ٦١٤
هل يستحب الاغتسال ليلة القدر؟ ٦١٥
هل للنفساء والحائض نصيب من ليلة القدر؟ ٦١٦
أي العمل أفضل في هذه الليلة؟ ٦١٧
١١٢ - حكم الله على اليهود بين الماضي والحاضر ٦١٨
١١٣ - ذكرى الإمام الحسين ٦١٨
١١٤ - رجوع الحق إلى نصابه ٦٢٨
علاقة آل الصِّدِّيق بالإمام يحيى حميد الدين ٦٢٨
اهتمام الإمام يحيى حميد الدين بالشئون العلمية وطبع الكتب النادرة النافعة تحقيقًا لرغبة والده الإمام الشهيد ٦٢٩
١١٥ - حسن التبعُّل ٦٣١
بيان ما كان عليه النساء في صدر الإسلام مِن حرصهنَّ على تعلُّم أحكام الدين ومنافستهنَّ للرجال في أعمال الخير حتى لا يسبقهنَّ الرجال في ميدان طاعة الله ورسوله ٦٣٢
١١٦ - ما ورد في ليلة النصف من شعبان ٦٣٥
الأحاديث الوارة في فضل شهر شعبان، وليلة النصف ٦٣٥
حديث موضوع في فضل قيام ليلة النصف من شعبان ٦٤٠
ما شاع بين الناس من الدعاء يوم النصف من شعبان بعد صلاة المغرب وقراءة يس ثلاث مرات لا أصل البتة لشيء من ذلك في كتب السنة النبوية كما جزم به خاتمة المحدثين النقَّاد

السيد محمد مرتضىٰ الزبيدي الحسيني ٦٤١
حديث: «يس لما قرئت له» لا أصل له كما قال الحافظ السخاوي. (ت) ٦٤٢
١١٧ - دعاء الإمام جعفر الصادق عند الفزع ٦٤٣
١١٨ - قصة أصحاب الأخدود ٦٤٥
١١٩ - ماذا في طنجة...؟ ٦٤٨

(٩) مُقَدِّماتٌ لبَعْضِ الكُتُبِ العِلْمِيَّةِ

مقدمة كتاب: "الجَناحُ المحلّق في سماءِ المشرِق" ٦٥٥
كلمة عن كتاب "الإكليل في استنباط آي التنزيل" ٦٥٩
مقدمة المجلد السابع من "التمهيد" ٦٦٠
إسناد الشيخ لرواية كتاب "التمهيد" ٦٦١
بيان أن علمَ الحديثِ ينقسمُ عند أهلِه إلىٰ قسمين: رواية ودراية ٦٦٢
ذكر خصائص لكتاب "التمهيد" لم تجتمع في غيره ٦٦٣
مقدمة كتاب "البحر الزخّار الجامع لمذاهب علماء الأمصار" للإمام أحمد بن يحيى المرتضى ٦٦٥
فضل العلم وشرف حملته في الكتاب والسنة ٦٦٥
أعلميَّةُ عليٍّ عليه السَّلام ورجاحَةُ فكرِه، ورجوع الصحابة إليه كلَّما حزَبَهم أمرٌ ... ٦٦٧
أئمة أهل البيت أكبرَ الناسِ حظًّا وأوفرَهم نصيبًا من العلم النبوي ٦٦٩
أتباعِ الإمام زيدِ بنِ عليٍّ عليهما السَّلام ظلُّوا في اليمن الميمونِ محتَفِظين بتراث هذا الإمام متمسِّكين بقواعدِ مذهبِه ٦٧٠
مبدأ المذهبِ الزَّيدي باليَمنِ ٦٧٠
التراث الفقهي للمذهب الزيدي ٦٧١
كتاب "البحر الزَّخّار الجامعُ لمذاهبِ علماءِ الأمصار" ومكانته العلمية ٦٧٢

الإمام يحيىٰ حميد الدين وجهوده في خدمةِ العلمِ، وطبعِ كتبه النافعةِ النادرةِ..... ٦٧٣
خاتمة المقدمة..... ٦٧٤
مقدمة جزء ابن الصلاح في وصل البلاغات الأربعة التي بـ"الموطأ" ٦٧٥
في "موطأ الإمامِ مالكٍ" مراسيلُ وبلاغاتٌ وصلها الحافظُ ابن عبدالبرِّ في كتاب "التمهيد" إلَّا أربعةَ بلاغاتٍ لم يجد لها إسنادًا ٦٧٥
نقل الشيخُ محمَّد حبيب الله الشِّنقيطيُّ، عن الشَّيخ صالحٍ الفلاني قوله: «وقد وصل ابنُ الصلاح الأربعةَ [بلاغات] في تأليفٍ مستقلٍّ وهو عندي وعليه خطُّه فظهر بهذا أنَّه لا فرق بين البخاريِّ و"الموطأ" وصحَّ أنَّ مالكًا أول من صنَّف في الصَّحيح..... ٦٧٥
قول المرحوم الشيخ أحمد شاكر أنه لا يستطيعُ أهلُ العلم بالحديثِ أن يحكموا باتِّصال هذه البلاغات إلا إذا وُجدتِ الأسانيد وفُحصت ٦٧٦
رد دعوىٰ الفلَّانيِّ أنَّ عنده تأليفَ ابنِ الصَّلاح وعليه خطُّه ٦٧٦
بيان أنه علىٰ فرضِ صحة تلك الأحاديثَ الأربعة، لم يكن "الموطأ" في درجة "البخاريِّ" ٦٧٧
ترجمة الحافظ ابن الصلاح ٦٧٨
إسناد الشيخ لرواية رسالة: "وصل بلاغات الموطأ" ٦٧٩
مقدمة كتاب "بداية السول في تفضيل الرسول ﷺ" للعز بن عبدالسَّلام ٦٨٠
كلام العلماء في سلطان العلماء عزِّ الدين بن عبدالسَّلام ٦٨٠
قول الإمام الشاذلي: «ما علىٰ وجهِ الأرض مجلسٌ في الفقه أبهىٰ من مجلس الشيخِ عزِّ الدين بن عبدالسَّلام...» إلخ والتعليق عليه ٦٨١
مقدمة كتاب "أخلاق النبي ﷺ" لأبي الشيخ الأصبهاني ٦٨٣
اصطفاء الله تعالىٰ لنبيه ورعايته له منذ نشأته ٦٨٣
رفع الله تعالىٰ لمكانة نبيه علىٰ سائر الخلق وإلزامهم بطاعته واتباعه ٦٨٤
التصنيف في الأخلاق والشمائل النبوية، ومكانة كتاب "أخلاق النبيِّ وآدابه" ٦٨٥

قصة العثور على مخطوطة كتاب "أخلاق النبيِّ وآدابه" ٦٨٦
الفرق بين الاستخراجِ والتَّخريج (ت)..... ٦٨٦
وصف النسخة التي جرى عليها التَّصحيحُ ٦٨٨
ترجمة الحافظُ أبو الشيخ ابنِ حيان ٦٨٨
إسناد المؤلف لرواية كتاب "أخلاق النبيِّ وآدابه" ٦٩٠
مقدمة كتاب: "الحسبةُ على من جوز صلاة الجُمعة بلا خطبة" للحافظ المجتهد السيد أحمد ابن الصديق الغماري ٦٩١
ذكر مسائل تدل على إغراق المخالف في التقليد وهو يدَّعي العمل بالدليل ٦٩١
الاستدلال بآية: ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾ الآية، على وجوب الخطبة، وبيان بطلان القول بأنه يحتمل أن يراد بذكر الله في الآية: «الصلاة»..... ٦٩٣
مقدمة كتاب "إتحاف ذوي الهمم العالية بشرح متن العشماوية" ٦٩٨
انفراد المالكية دونَ سائر المذاهبِ بذكر الأحكامُ مجرَّدةٌ عن دليلها والاقتصارُ على نقل أقوال الشيوخ ٦٩٨
آلَ الصِّدِّيق ودورهم في خدمة مذهبَ الإمام مالك خدمةً ليس لها نظير إلا في كتبِ المتقدِّمين ٦٩٨
كلمة عن كتاب "الإكليل شرح مختصر خليل" ٧٠٠
شيوخ المؤلف في الفقه المالكي..... ٧٠٠
كلمة عن كتاب "مسالك الدلالة في شرح الرسالة" ٧٠١
مسالكُ الدّلالةِ ومكانته، وخدمته للفقه المالكي ٧٠١
خلو كتب المالكية من الأدلة والاكتفاء بنقل الأراء والأقوال مجردة ٧٠٢
مقدمة كتاب: "الموسوعة الإسلامية في المعجزات والخصائص والفضائل النبوية في السنة الصحيحة" - لجامعه عبد الله التليدي ٧٠٤
القيمة العلمية لكتاب "تهذيب الخصائص النبوية" ٧٠٤

شروع السيد عبدالله في اختصار الخصائص وهو بمصر والحيلولة دون إتمامه ٧٠٤
مؤاخذة السيد عبدالله للمؤلف في اتباع السيوطي في بعض الهنات والاغترار بصحة السند وإن كان المتن في المنكرات وكون ذلك لا يقدح فيما قام به من هذا العمل الجليل ٧٠٤
حولَ كتابِ: إزالةُ الشُّبُهاتِ عن قولِ الشيخِ الأكبرِ:«كنَّا حروفًا عالياتٍ» ٧٠٦
دفع استشكال حول مسألة اطِّلاع الأولياء على الغيبِ ٧٠٧
فهرس الموضوعات ٧١١

١٧- فهرس المجلد الثامن عشر
(المستدرك)

مقدمة المجلد الثامن عشر للدكتور محمود سعيد ممدوح ٧

١- كتاب سمير الصالحين جـ٢

المقدمة ١٣
أربعُ معجزاتٍ ١٥
قصةُ الخضر عليه السلام مع السائل ٢٤
قصة الملك الذي ترك ملكه ٣٧
قصة الرجل الذي زار أخًا له في قرية ٤١
قصة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ٤٤
قصة موسىٰ عليه السلام ٥٦

٢- كتاب سمير الصالحين جـ٣

المقدمة ٦٥
أصحاب الغار الثلاثة ٦٧
أبرص وأقرع وأعمىٰ ٧٢
الملك والغلام والسَّاحر ٧٦
صاحب الحديقة ٨٢
جريج الرَّاهب ٨٥
الرضيع الذي كلم أمه ٨٩
ماشطة بنت فرعون ٩٣

التَّاجر الذي استلف ألف دينار ٩٤
التاجر الذي كان يتسامح في المعاملة ٩٦
الرجل الذي قتل مائة نفس ٩٨
الرَّجلُ الذي اشترىٰ دارًا فوجد فيها ذهبًا ١٠٠
الرجل الذي أوصىٰ أنْ يحرق ١٠١
الكفل من بني اسرائيل ١٠٧
البقرة والذئب اللذين تكلما ١٠٨
الذِّئب الذي أخبر بالنَّبيِّ ﷺ ١١٢
الجمل الذي استجار بالنبي ﷺ ١١٦
٣- حواشي على كتاب: "التمهيد" لابن عبدالبر جـ٧ ..... ١٢٣
٤- تعليقات على كتاب "بداية السول" للعز بن عبد السلام ٢٧٩
٥- تعليقات على كتاب: "الباهر" للحافظ السيوطي ٣٢١
٦- تعليقات على كتاب: "تأييد الحقيقة العلية" للحافظ السيوطي ٣٢٩
٧- مقالة بعنوان: «كلمة فاصلة في حلق اللحية» ٣٦٥
فهرس الموضوعات ٣٩١

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية ٩
فهرس الأحاديث النبوية ٢٠٩
١ - فهرس المجلد الأول: المقدمات - سبيل التوفيق ٣٨٣
٢ - فهرس المجلد الثاني: كتاب الإيمان ٣٩٢
٣ - فهرس المجلد الثالث: كتاب الإيمان ٤٠٨
٤ - فهرس المجلد الرابع: القرآن الكَريم وعلومه ٤٢٣
٥ - فهرس المجلد الخامس: القرآن الكريم وعلومه - قصص الأنبياء عليهم السلام ٤٤٩
٦ - فهرس المجلد السادس: «الكنز الثمين في أحاديث النبيِّ الأمين» ٤٦٣
٧ - فهرس المجلد السابع: الحديث الشريف وعلومه ٤٦٦
٨ - فهرس المجلد الثامن: الحديث الشريف وعلومه ٥١٢
٩ - فهرس المجلد التاسع: فَضَائِلُ النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ٥٥٨
١٠ - فهرس المجلد العاشر: أصول الفقه - الفقه الإسلامي ٥٨٨
١١ - فهرس المجلد الحادي عشر: الفقه الإسلامي - التصوف الإسلامي ٦٠٨
١٢ - فهرس المجلد الثاني عشر: الأدب والمتفرِّقات ٦٢٨
١٣ - فهرس المجلد الثالث عشر: الأدب والمتفرِّقات ٦٤٦
١٤ - فهرس المجلد الرابع عشر: مباحثات مع المعاصرين المخالفين ٦٥٥
١٥ - فهرس المجلد الخامس عشر: النحو - المنطق ٦٧٨
١٦ - فهرس المجلد السادس عشر: فتاوىٰ وأجوبة ٧١٧
١٧ - فهرس المجلد السابع عشر: المقالات ومقدِّمات لبعض الكُتُب العِلْمِيَّة ٧٤٥
١٨ - فهرس المجلد الثامن عشر: المستدرك ٧٧٤
فهرس الموضوعات ٧٧٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وآله الأكرمين، ورضي الله تعالى عن أصحابه والتابعين.

وبعد:

فقد تم بحمد الله تعالى وتوفيقه طبع **"موسوعة العلَّامة الكبير المحدث المتفنن الشريف سيدي عبد الله بن محمد بن الصِّدِّيق الغُمَاري الحسني"** (١٣٢٨ - ١٣١٤) رحمه الله تعالى، بتوجيه الشريفين الدكتور سيدي عبد المنعم بن الصِّدِّيق ، والشريف الماجد سيدي عبد المغيث بن الصِّدِّيق، وإشراف الدكتور محمود سعيد بن محمد ممدوح الشافعي، والحمد لله في البدء والختام.